عنوان رياض الصالحين

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الأول

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٦٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٩٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٩٥-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

تقديم

معالي الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد

رئيس المجلس الأعلى للقضاء، عضو هيئة كبار العلماء

ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنّ العلم إرث الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام لم يورثوا دينارًا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ))[1].

والعلم مقدمٌ على القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾[2].

والعلم يبقى نفعه إلى قيام الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[3].

وأهل العلم هم القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة، كما جاء في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين. وإِنَّما أَنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي))[4].

والعلم طريق الجنة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ))[5].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إن فضيلة الشيء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وتارة من ظهور النقص والشرّ بفقده،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم رقم ٣٦٤١، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته رقم ١٦٣١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم ٧١، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة رقم ١٠٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: الدعوات، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن رقم ٢٦٩٩.

وتارة من حصول اللذّة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوبًا ملائمًا، وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه، وشرف علّته الغائيّة، وإفضائه إلى أجلّ المطالب، وهذه الوجوه ونحوها تنشأ وتظهر من متعلّقه، فإذا كان في نفسه كمالًا وشرفًا - بقطع النظر عن متعلّقاته - جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلّقاته، ومعلوم أن هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم، فإنه أعمّ شيء نفعًا، وأكثره وأدومه، والحاجة إليه فوق الحاجة إلى الغذاء، بل فوق الحاجة إلى التنفس، إذ غاية ما يُتصوَّر من فقدهما فقد حياة الجسم، وأما فقد العلم ففيه فقد حياة القلب والروح، فلا غنى للعبد عنه طرفة عين)[1].

ولقد تنافس علماؤنا الأجلاء رحمهم الله على تدوين أمهات الكتب والعلوم الإسلامية صيانة للشريعة، وتعليمًا لآدابها وأحكامها، وكان من ضمن هؤلاء العلماء الأجلاء الإمام الحافظ يحيى بن شرف النووي رحمه الله فإنه أسهم في خدمة الدين ولا سيّما سنة النبي الكريم محمد ﷺ فكان من آثاره الحميدة ومآثره السديدة كتابه المشهور "**رياض الصالحين**" الذي جمع فيه أحاديثًا في فضائل الأعمال والآداب، ولعلّ ذلك يعود إلى فضل الله أولًا، ثم إلى إخلاص مؤلفه رحمه الله.

وقد قام علماء الأمة قديمًا وحديثًا بخدمة هذا الكتاب وشرحه، إلا أنّ بين أيدينا شرحًا فريدًا ومميّزًا له بعنوان: "**كنوز رياض الصالحين**" قام به مؤلفه فضيلة الشيخ أ. د. حمد ابن ناصر بن عبدالرحمن العمار، حيث أفاد من كثير من شروحات العلماء السابقين والمتأخرين، كما أنه استكتب عددًا من العلماء المعاصرين في عدد من بلدان ودول العالم زاد عددهم على (١٠٠ عالم وباحث)، وقد جاءت مجلدات هذا العمل العلمي الموسوعي في (٢٢ مجلد) وزادت صفحاته على (١٣٠٠٠ صفحة) وتجاوزت مصادره ومراجعه على (١٠٠٠ مصدر ومرجع)، وازدان هذا الشرح بأنّه عني بمحاور علمية عديدة، منها: المحور العقدي، والحديثي، والفقهي، والأدبي، والتربوي، والدعوي، وغيرها، ندر أن تجتمع في كتاب علمي واحد.

---

(١) فضل العلم والعلماء، ابن القيم، جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي ص ٣٦ - ٣٧، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

وأحسب أن الجهد العلمي الذي قام به مؤلفه جهدٌ علمي مبارك ومميّز في شقه العلمي حيث استخرج كنوزه وفوائده، ودرره الدفينة، لا سيما وأنّ الكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة الذي نطق بها المعصوم ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، كما تميّز جهد المؤلف أيضًا - وفقه الله - في إخراجه الطباعي، فإنه يستحق الشكر على هذا المشروع العلمي الرائد الذي يُتوقع منه النفع الكبير للأمة الإسلامية.

أسأل الله سبحانه أن يأجر مؤلفه ويكتب لهذا الكتاب القبول والانتشار، والنفع العام للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

كتبه

د. صالح بن عبدالله بن حميد

رئيس المجلس الأعلى للقضاء، عضو هيئة كبار العلماء،

ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

تقديم

معالي أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن منزلة السنة النبوية الشريفة في قلوب المسلمين، منزلة سميقة منيفة، فإنها صنو كتاب الله في التشريع، وإن تأخرت عنه في الرتبة والاعتبار، فلذلك كانت على الدوام منهلاً روياً للواردين، ورياضاً نضرة يستروح إليها الصالحون.

وقد جمعها أئمة المتقدمون، ورتبوها في منصفاتهم على طرائق شتى- من أهما الترتيب على الموضوعات والأبواب العامة، من العقائد، والعبادات والمعاملات، والأخلاق والآداب، والفضائل والمناقب، والأذكار والأدعية، وغير ذلك.

ولما كانت كتب السنة الجامعة؛ كالصحاح والسنن، وغيرها من المسانيد والمعاجم والمصنفات، من شأن المتخصصين من النقاد والحفاظ ومحدثي الفقهاء، واحتاج العامة من الناس إلى من ينتقي لهم منهم كتاباً جامعاً مختصراً، حسن الترتيب، قريب التناول، يشتمل على مهمات الدين في مختلف الأبواب، ليتعلموا منه ويعملوا به، انتدب إلى ذلك بعض الأئمة، فظهرت كتب مصل "مصابيح السنة" للحافظ البغوي الذي تممه وهذبه الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح" و"المتجر الصالح في ثواب العمل الصالح" للحافظ الدمياطي، و"الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري.

ويعد (**رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**) للإمام الجليل أبي الفداء زكريا بن يحيى بن شرف النووي الدمشقي رحمه الله من هذا القبيل، جمع في زهاء تسعمائة وألف حديث، ضمنّها خمسة عشر كتاباً، كل كتاب يضم عدة أبواب، تختلف في عدتها باختلاف موضوعها، بلغت في مجموعها ثلاثة وسبعين وثلاثمائة باب، وصدر الأبواب بما جاء فيها من آيات الكتاب العزيز، لإتمام الفائدة والجمع بين الكتاب والسنة.

فجاء عمله هذا نسيج وحده، بديعاً في ترتيب موضوعاته وتنسيق أبوابه، وغزر نفعه حتى عمّ الحاضر والباد، وطبّقت شهرته الآفاق، فسارت به الركبان في الأغوار والأنجاد، وأقبل الناس عليه حفظاً وقراءة، واتخذوه مادة للتذكير والموعظة، في المساجد والمجالس.

وهذا من الدلائل الواضحة على شدة محبة المسلمين لكتاب ربهم وسنة نبيهم، وأنهما أفضل الكلام الذي يؤثر فيهم في الموعظة والدعوة إلى الخير.

ولعل من أسباب انتشار هذا الكتاب أيضاً، سيرة مؤلفه رحمه الله، فإنه كان جامعاً بين العلم والعمل، ملازماً للسنة وأدب الشريعة، زاهداً ورعاً، شهد له بذلك عامة من عاصره، وذكره في ترجمته التي أفردها بعض الحفاظ بالتصنيف، مثل تلميذه علاء الدين بن العطار، والحافظ شمس الدين السخاوي.

قال الذهبي رحمه الله في "تاريخ الإسلام": (قال شيخنا ابن العطار: ذكر لي شيخنا رحمه الله، أنه كان لا يضيع له وقتاً في ليل أو نار، إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم، حتى في ذهابه في الطريق، يكرر أو يطالع، وأنه بقي على هذا نحو ست سنين، ثم اشتغال بالتصنيف والاشتغال والنصح للمسلمين وولاتهم، على ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفقه، والحرص على الخروج من خلاف العلماء، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب؛ يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة) ا. هـ.

ولما كان (**رياض الصالحين**) كتاباً مقصوداً لاستظهار الأحاديث التي تكثر حاجة المسلم إليها، لقراءتها وحفظ ما تيسر منها والعمل به، مع صحة جمهرتها، لم ينصرف العلماء في القديم إلى شرحه، اكتفاء منهم بشروح أصوله، كشروح البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي. وظل على هذه الحال، حتى القرن الحادي عشر، فكان أول من شرحه - فيما نعلم - العلامة محمد بن علان الصديقي المكي (ت ١٠٥٧هـ) صاحب التصانيف الكثيرة، في كتابه "دليل الفالحين"، ثم شرحه عدد من المعاصرين، شروحاً متنوعة بعضها صوتي وبعضها كتابي مطبوع، أثابهم الله جميعاً، ونفع بعلمهم.

لقد اطلعت على نموذج من هذا العمل العلمي الذي أعد وأخرج في هذا الإنجاز المسمى: (**كنوز رياض الصالحين**)، الذي يعتبر شرحاً مطولاً لأحاديث الكتاب، ببيان ما اشتملت عليه من دلالات وموضوعات دينية متنوعة، وصلتها بجملة صالحة من العبر والمعاني المستنبطة، والفوائد التي دل عليها كل حديث دلالة قريبة أو بعيدة، بإعمال الفكر وتسريح النظر، ثم نظم خلاصتها في عقود جامعة؛ منها الأدبي والبلاغي، ومنها الفقهي، ومنها الدعوي، ومنها التربوي، بالإضافة إلى العمل الأساس في خدمة الكتاب

كتصحيح النص، وتخريج الأحاديث تخريجاً علمياً يمتاز بالدقة والاختصار، وترجمة راويه من الصحابة وشرح غريبه.

فوجدته موسوعة وافية ضافية، يُمل لها أن تأخذ مكانة مرموقة في المكتبة الإسلامية، وتكون زاداً مرصوداً للدعاة والوعاظ والخطباء، والباحثين والمربين، بفضل الله رب العالمين.

وقد عُهد بإنجاز هذا العمل النوعي المتميز، إلى ثلة مختارة من أنحاء العالم الإسلامي، منهم الباحثون المتخصصون، ومنهم القضاة وأساتذة الجامعات الإسلامية، فتقاسمته وتكامل البحث بتناول كل واحد ما يخص اختصاصه من جوانب الحديث.

والفضل يرجع بعد المولى سبحانه وتعالى، إلى الذين بدرت من عندهم الفكرة الأولى لهذا العمل المبرور، ثم إلى الذين حولوها إلى مشروع مفصل، وتابعوه إلى النهاية، وفي مقدمتهم المشرف العام عليه ورئيس الفريق العلمي، الخ الفاضل الأستاذ الدكتور حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، عميد كلية الدعوة والإعلام، ووكيل الجامعة لخدمة المجتمع والتعليم المستمر - سابقاً - والأستاذ بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد تابع هذا المشروع في مختلف مراحله، من يوم كان نواة ألقيت في التراب، إلى أن صار شجرة باسقة ينظر الناس إلى ثمرها، فكان حرياً بوافر الشكر والتقدير.

وقد من الله تعالى بيد بيضاء سخية، رعت هذا الجهد المبرور المشكور، حتى تتابع إلى غايته، وخرج بهذه الحلة القشيبة، وهي يد صاحب السمو الملكي الأمير/ بندر بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، الذي يتأثر سيرة أبيه طيب الله ثراه، فإنه كان محباً للعلم مكرماً لأهله، منفقاً على طباعة كتبه ونشرها بين الناس وورث هذه الخصلة الحميدة في أبنائه، فأجزل الله المثوبة للجميع، وأعمّ النفع بهذه الموسوعة المتميزة...

وصلىّ الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

كتبه

أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

تقديم

معالي الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغيث

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - سابقاً -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فبين أيدينا خدمة علمية قيّمة لأحد كتب السنة النبوية ألا وهو (رياض الصالحين) للإمام المحدّث يحيى بن شرف النووي رحمه الله فقد أعدّ النووي كتابه في فضائل الأعمال والآداب والأخلاق، وأحسب أنّ هذا الكتاب كُتب له القبول عند عموم المسلمين، فلا يكاد يخلو منه مسجد أو جامع أو مكتبة خاصة أو عامة إلا وتجده فيها.

وقد اهتم عدد من العلماء السابقين والمتأخرين لخدمة هذا الكتاب بالشرح والتحقيق، إلا أنّ هذه الموسوعة العلمية التي بين أيدينا - والتي زادت مجلداتها على عشرين مجلداً - والموسومة بـ (كنوز رياض الصالحين) امتازت عن غيرها من الأعمال العلمية التي سبقتها بمزيد عناية بشرح الحديث النبوي عبر جوانب علمية متعددة مثل: الجانب العقدي، والجانب الفقهي، والجانب الحديثي، والجانب التربوي، والجانب الدعوي، والجانب الأدبي وغيرها من الجوانب الأخرى.

كما امتازت بمشاركة كوكبة من العلماء والباحثين من دول العالم الإسلامي في إعدادها مما أكسب هذا العمل الجودة والتميز.

فأسأل الله عز وجل لهذا العمل العلمي الانتشار في أنحاء المعمورة، وأن يستفيد منه الراغبون من أبناء العالم الإسلامي ويجدوا فيه بغيتهم وأن يكون إحدى اللبنات العلمية التي تسهم في البناء العلمي للأمة، كما أسأله سبحانه أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأشكر كل من شارك أو ساهم في إعداده أو بذل جهداً في نشره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

كتبه

الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغيث

الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - سابقاً -

التعريف بالإمام النووي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالإمام الجليل المحدث

محيى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي

كتبه شيخ الأزهر أ. د. محمد سيد طنطاوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومن والاه.. وبعد:

فهناك أناس وفقهم الله تعالى منذ صباهم عشق العلم، الذي أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يسأله المزيد منه فقال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [سورة طه، الآية: ١١٤].

ومن هؤلاء الرجال الإمام الحافظ، شيخ الإسلام محيى الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف، بن مري، بن حسن، بن حسين، بن محمد، بن جمعة، بن حزام النووي.

ولد رحمه الله في شهر المحرم سنة ٦٣١هـ في بلدة "نوى" التابعة في ذلك الزمان لمدينة "دمشق"، وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم.

وبدأت علامات النجابة وعشق العلم على ذلك الإمام الجليل منذ صباه، وقصّ علينا بعض مشايخه ما يدل على ذلك، فقد ذكروا أن الإمام النووي وهو في العاشرة من عمره، كان من هم في سنه من الصبيان يُكرِهونه على اللعب معهم إلا أنه يهرب منهم للتفرغ لما يعشقه وهو العلم النافع...

ورآه أحد المشايخ وهو على تلك الحالة فوقعت محبته في قلبه، وذهب إلى المعلم الذي كان الإمام النووي يتردد عليه وقال له: إن هذا الصبي سيكون أعلم أهل زمانه وأزهدهم وينتفع الناس به..

فقال له معلم الإمام النووي: أمنجم أنت؟ فقال الشيخ: لا، وإنما أنطقني الله بذلك..

وقد تحققت فراسة هذا الشيخ، فإن الإمام النووي بعد ذلك واصل مطالعة العلم بشغف ونهم، فحفظ الكثير منها في مدة وجيزة، ثم رحل إلى دمشق لطلب المزيد من العلم وهو في التاسعة عشرة من عمره... ويقول في ترجمة حياته في تلك المرحلة من عمره

"قدم بي والدي إلى دمشق، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لا أضع جنبي بالأرض، وأتقوت بجراية المدرسة لا غير. وحفظت "التنبيه" في نحو أربعة أشهر ونصف، ثم حفظت ربع العبادات من المهذب في باقي السنة، وجعلت أشرح وأصحح على شيخنا "الكمال إسحاق المغربي" ولازمته فأعجب بي، لما رأى من ملازمتي للاشتغال - بالعلم -، وأحبني محبة شديدة، وجعلني معيد المدرس بحلقته لأكثر الجماعة، فلما كانت سنة إحدى وخمسين من القرن السادس الهجري أديت فريضة الحج...

وواصل الإمام - النووي رحمه الله - عشقه للعلم، وأصبح قلبه خاليا إلا من التزود من العلوم على اختلاف ألوانها وأصنافها، وتعلّم وعلّم... واتجه إلى التأليف، فصنف "شرح مسلم" و"رياض الصالحين" و"الأذكار" و"الأربعين النووية" و"المنهاج" و"الإرشاد" و"التقريب"... وغير ذلك من أمهات كتب العلم التي تمتاز بالإخلاص، وبالدقة، وبالتحقيق السليم، وبالرأي الصائب، وبالفهم القويم، وبالشرح الذي يقرب البعيد، وييسر العسير، ويدخل السرور إلى كل قلب نقي طاهر، وإلى كل عقل يحسن التدبر... وتمتاز جميع مؤلفاته بالقبول، ببركة إخلاصه، وجهده، وسهره، لخدمة العلم النافع الذي عشقه وشغله عن كل شيء سواه، حتى الزواج...

لقد كان رحمه الله على رأس العلماء الذين قضوا حياتهم في خدمة القرآن الكريم، وفي خدمة السنة النبوية، وفي خدمة شريعة الإسلام، وفي خدمة كل ما يعود عليه وعلى أمته بالخير..

كان رحمه الله مضرب الأمثال في الورع وفي الزهد، وفي التقلل من الدنيا ومتعها ولذاتها، وفي المراقبة لله تعالى في السر والعلانية.

وكان يواجه الملوك والأمراء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويكتب لهم الرسائل ناصحا إياهم بالعدل وبالتحلي بمكارم الأخلاق...

قال فيه بعض العلماء: كان الإمام النووي قد صارت إليه ثلاث مراتب، كل مرتبة منها لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال: المرتبة الأولى: العلم، والمرتبة الثانية: الزهد، والمرتبة الثالثة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان رحمه الله مثالا للأدب العالي، وللطيب من القول، وللصالح من العمل، وللطاهر من السلوك، وللحسن من الأخلاق، وللجميل من المودة والمحبة لتلاميذه وشيوخه... ولذا كان موضع الإجلال والثقة والمحبة من العلماء ومن كل ذي عقل سليم.

وفي السنة التي لحق فيها بربه عز وجل وهي سنة ست وسبعين وستمائة، قفل راجعا إلى مسقط رأسه إلى بلدة "نوى" بعد أن رد الكتب المستعارة من الأوقاف، وزار مقابر شيوخه فقرأ ودعا وبكى، وزار أصحابه الأحياء وودعهم، فخرج جماعة منهم لتوديعه إلى خارج دمشق، وسألوه متى الاجتماع؟ فقال: علم ذلك عند الله تعالى.

وبعد أن زار والده، زار بيت المقدس، وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام، ثم عاد إلى بلدته "نوى" فمرض بها، ولحق بربه في ليلة الأربعاء، ليلة أربع وعشرين من شهر رجب سنة ٦٧٦هـ.

وخرج الآلاف من سكان بلدته، ومن سكان دمشق لتوديعه وللصلاة عليه، وللدعاء له رحمه الله.

نسأل الله تعالى أن يحشرنا جميعا في زمرة الصالحين من عباده..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....

كتبه

شيخ الأزهر

أ. د. محمد سيد طنطاوي

مقدمة رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا.. إنك أنت العليم الحكيم وبعد:

فإن من أشرف ما يُعنى به خدمة السنة النبوية المطهرة، المصدر الثاني بعد القرآن الكريم لأن العناية بسنة سيد المرسلين ﷺ أمانة في أعناق العلماء العاملين، وما ذاك إلا بنشر سنته وحفظها وشرحها والعمل بها، ولذا فقد عُني السلف الصالح والعلماء المخلصون بخدمة السنة النبوية، فقاموا بتقديم الخدمات الجليلة والمتنوعة التي عنيت بتنقيحها والحكم عليها، وتصنيفها في كتب الصحاح، والجوامع، والسنن، والمسانيد وغيرها من الكتب النافعة والعظيمة التي صنّفها العلماء في السنة النبوية، حيث توارثت الأمة الإسلامية ممثلة في علمائها المختصين مسؤولية العناية بسنة النبي ﷺ، لأن العناية بسنة النبي ﷺ كانت من أبرز الغايات التي سعى إليها العلماء في كل عصر، مما أدى إلى حفظ السنة وتدوينها وتنقيحها وتصنيفها وتوثيقها.

لقد قام علماء الأمة في مختلف العصور بخدمة دين الأمة وتراثها لقول رسول الله ﷺ: ((العلماء ورثة الأنبياء))، وكان من هؤلاء العلماء الأفذاذ الإمام العلامة الحافظ: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي رحمه الله وهو من علماء القرن السابع الهجري، حيث أدلى بدلوه في العناية بالسنة النبوية تصنيفًا، وشرحًا، وتنقيحًا وحفظًا، فألّف عددًا من الكتب النافعة التي كتب الله تعالى لها القبول، وشرح لها الصدور، فأقبل الناس على اقتنائها ودراستها وفهمها، والإفادة منها في مشارق الأرض ومغاربها، ومن أنفع وأبرز هذه الكتب التي صنّفها الإمام النووي رحمه الله، كتاب:

(**رياض الصالحين**) هذا الكتاب النافع في بابه، حيث انتُقيت أحاديثه من صحاح السنة والمسانيد، وقد قال الإمام النووي عن كتابه (رياض الصالحين): "فرأيت أن أجمع مختصرًا من الأحاديث الصحيحة، مشتملاً على ما يكون طريقًا لصاحبه إلى الآخرة، ومحصلاً لآدابه الباطنة والظاهرة، جامعًا للترغيب والترهيب، وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد، ورياضات النفوس، وتهذيب الأخلاق، وطهارات القلوب وعلاجها، وصيانة الجوارح وإزالة اعوجاجها، وغير ذلك من مقاصد العارفين.

وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثا صحيحًا من الواضحات، مضافًا إلى الكتب الصحيحة المشهورات، وأُصدِّر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات، وأُوشِّح ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى خفي بنفائس من التنبيهات. وإذا قلت في آخر حديث: مُتفق عليه، فمعناه: رواه البخاري ومسلم.

وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون سائقًا للمُعتَنِي به إلى الخيرات، حاجزًا له عن أنواع القبائح والمهلكات. وأنا سائل أخا انتفع بشيء منه أن يدعو لي، ولوالدي، ومشايخي، وسائر أحبابنا والمسلمين أجمعين وعلى الله الكريم اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم"[(١)].

إن كتاب (**رياض الصالحين**) من أجل وأنفع ما صنّفه الإمام النووي رحمه الله، لأنه تضمّن نفحات نبوية عبقة الشذى، فواحة الأريج، تهذب الروح وتسمو بها، وتُولِّد فيها حافزًا قويًا على التحلي بما خلقت له من العبادة، وتصل بها إلى ما فيه إسعادها وصلاح أمرها، وذلك لما اشتمل عليه من ترغيب وترهيب، إنه كتاب تربوي فذّ، تناول مختلف جوانب الحياة الفردية والاجتماعية بأسلوب واضح، يدرك مرماه الخاص العام، ذلك لأنه لغة أفصح الخلق الذي تنزل القرآن على قلبه ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا[(٢)].

---

(١) مقدمة رياض الصالحين للإمام النووي.

(٢) انظر: رياض الصالحين للإمام النووي، تحقيق وتخريج: عبدالعزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، مراجعة: شعيب الأرناؤوط ص ٣، ط - ١١ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

لقد حرص الإمام النووي رحمه الله على جمع كل ما يدل الناس على تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، من خلال ما أورده من الأحاديث النبوية في كتابه الماتع (**رياض الصالحين**) فهو كتاب تربية ودعوة وآداب وأخلاق، وترغيب وترهيب، وبيان لمحاسن الإسلام وسماحته، ودعوة لكل مسلم ومسلمة للتخلق بالأخلاق الفاضلة.

وقد أحسن الإمام النووي صُنعًا في ترتيب وتبويب كتابه (**رياض الصالحين**) حيث قسَّمه إلى كتب وأبواب.

إن مما امتاز به كتاب (**رياض الصالحين**): حسن الانتقاء، وجودة الاختيار، وجمال الترتيب، وروعة التراجم، واقتصاره فيه على ذكر الأحاديث الصحيحة والحسنة من الكتب المعتمدة، بحذف الأسانيد اختصارًا مع عزوها إلى مخرجيها من أصحاب الكتب المعتمدة، فكان لبابًا لذوي الألباب، ونفعاً للعامة والخاصة، وأتاح نشر السنة الصحيحة، فكان لما فيه من إخلاص النية، وحسن القصد وجمال النفع من أنفع كتب السنة وأيسرها تناولاً وبحثًا وترتيبًا وتنسيقًا[1].

ونظرًا للمكانة السامقة التي حظي بها كتاب (**رياض الصالحين**) بين الكتب المصنفة في السنة النبوية فقد حظي باهتمام وعناية أهل العلم، فقد شُرح كتاب رياض الصالحين من خلال الكتب التالية:

- (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين)، تأليف: محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي، المتوفى سنة (١٠٥٧هـ)، (أربع مجلدات) ويُعَدُ من أقدم الشروح وأوسعها، وقد طبع سنة ١٩٢٨م.
- (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين)، تأليف: د. مصطفى سعيد الخن، د. مصطفى البُغا، محيي الدين مستو، على الشربجي، محمد أمين لطفي (مجلدان).
- (منهل الواردين شرح رياض الصالحين)، تأليف: د. صبحي الصالح (مجلد).

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدال يد هاشم ص ٩.

- (دليل الراغبين إلى رياض الصالحين)، تأليف: د. فاروق حمادة (مجلد).
- (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين)، تأليف: سليم بن عيد الهلالي (ثلاث مجلدات).
- (شرح رياض الصالحين)، تأليف: د. الحسيني عبدالمجيد هاشم (مجلد).
- (شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، شرحه وأملاه: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين (أربع مجلدات).
- (تطريز رياض الصالحين)، تأليف فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك (مجلد).

لقد أحسن هؤلاء العلماء صنعًا في سبقهم إلى شرح (رياض الصالحين) وقد أفدنا من جهودهم، ويحسن بنا في هذه المقدمة أن نشير إشارة سريعة إلى هذه الشروح التي ذكرناها، حتى يكون القارئ على بصيرة بالشروح التي سُبقنا بها إلى كتاب رياض الصالحين، ففيما يتعلق بشرح ابن علان الموسوم بـ (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) فهو من أقدم الشروح وأوسعها، إلا أن هذا الشرح لم يتناول الشرح الدعوي ولا التربوي ولا الأدبي الذي تناولناه وركزنا عليه في موسوعة **(كنوز رياض الصالحين)**.

أما كتاب (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين)، تأليف د. مصطفى الخن وآخرين فقد جاء هذا الكتاب في جزءين، حيث قام المؤلفون بعزو الآيات وتخريج الأحاديث، وبيان معاني المفردات اللغوية في الأحاديث وذكر بعض الفوائد الموجزة في نهاية كل حديث من أحاديث الكتاب.

أما كتاب (منهل الواردين شرح رياض الصالحين)، د. صبحي الصالح، وكتاب (دليل الراغبين إلى رياض الصالحين) د. فاروق حمادة، فهما من الشروح المعاصرة المختصرة.

أما (شرح رياض الصالحين)، شرح وتحقيق: د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، فقد بيَّن المؤلف معاني المفردات، وذكر بعض الفوائد الموجزة في كل حديث مع ذكر ما يؤخذ منه بشكل مختصر.

أما كتاب (بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين) للشيخ سليم بن عيد الهلالي فهو

من الشروح المفيدة في بابها، حيث قام بتحقيق نص الأحاديث وتوثيقها من مظانها في كتب السنة، وشرح غريب الحديث، وبيان موجز بشكل مختصر لفقة الحديث، ثم ذكر فوائدة موجزة في الأحاديث الواردة في رياض الصالحين.

أما كتاب (شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين)، شرح وإملاء: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، حيث قام بتحقيق وتخريج أحاديثه عدد من المختصين في عدد من الطبعات وهو من أفضل الشروح لكتاب (رياض الصالحين) حيث قام الشيخ رحمه الله بشرح واضح وميسر وموجز لمعاني أحاديث رياض الصالحين، وذكر الفوائد العظيمة المستنبطة من الأحاديث النبوية، وقد أفدنا في موسوعة (كنوز رياض الصالحين) مما ذكره العلامة ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لرياض الصالحين.

أما كتاب (تطريز رياض الصالحين) تأليف الشيخ: فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، فقد قام المؤلف بذكر فائدة إجمالية في نهاية كل حديث بشكل مختصر للغاية.

وبعد.. فهذا توصيف موجز ومركز للخدمات العلمية التي قُدِّمت لكتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي رحمه الله، رأينا مناسبة ذكرها وشكرها لمن قاموا بها من العلماء الذين قدموا نوعًا من الخدمة العلمية التي أفدنا منها ونسأل الله تعالى أن يجزل مثوبة من قاموا بها.

ولما كان كتاب (رياض الصالحين) ذائع الصيت، واسع الانتشار، لا يكاد يخلو منه بيت، أو مكتبة، أو مسجد، أو مركز ثقافي، حيث جعل الله تعالى لهذا الكتاب قبولاً في نفوس الناس، ولما كانت الحاجة إلى الإفادة من الأحاديث النبوية الواردة فيه ملحة وقائمة بين العامة والخاصة، حيث إن الشروح التي أشرنا إليها لم تسدّ حاجة الناس، ورغبتهم في الإفادة من دُرر ومكنونات هذا الكتاب القيّم، فإننا استعنا بالله تعالى وتوكلنا عليه، وقصدنا إلى استخراج (كنوز رياض الصالحين) لنُجلّيها للعامة والخاصة، وللناس كافة في أصقاع الدنيا، وذلك بأسلوب علمي رصين يتيمز بالسهولة واليسر، وحرصنا في استجلاء كنوز رياض الصالحين على ربط الناس بكتاب الله

عز وجل وسنة رسوله ﷺ بأسلوب عملي وعلمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، وإننا في ذلك لا ندعي شرفًا لم نصنعه بمفردنا، بل أشرنا وأشدنا بجهود من سبقونا في خدمة هذا الكتاب القيِّم، وأفدنا من جهودهم بشكل مناسب وموثق، ومع هذا فإننا بفضل الله تعالى نحسبُ أننا قدمنا خدمة علمية متميزة وميسرة تناسب العامة والخاصة، وتتواءم مع فهم وفكر وتكوين كل مسلم في سائر المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، وذلك بمنهج علمي يجمع بين الأصالة والمعاصرة وتبرز من خلاله عظمة الإسلام وتميزه.

وقد راعينا في ذلك شمولية الإسلام وواقعيته وسماحته ويسره، وحسن تعامله مع الآخر، حيث ركّزنا على تلك المعاني العظيمة والمهمة من خلال نصوص الأحاديث النبوية الواردة في رياض لصالحين، حتى نُجلّي الصورة الناصعة للإسلام الذي يتميز بالوسطية والواقعية والسماحة، وينبذ كافة مظاهر العنف والتشدد والتنطع والتطرف والغلو، وغير ذلك مما لا يتفق مع الأحكام السمحة للإسلام. لقد تمت معالجة كافة هذه الأمور وغيرها - مما لا يتسع المجال لذكرها في هذه المقدمة الموجزة - في موسوعة **(كنوز رياض الصالحين)** من خلال المحاور العلمية التالية:

المحور الأول: العناية بتخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها وبيان درجتها، ويتضح ذلك من خلال عرض منهج العمل في هذا المحور:

منهج العمل في تخريج الكتاب [1]

للكلام عن هذا الموضوع لا بدَّ أن نشير إلى ثلاث نقاط مهمة، وهي:

النقطة الأولى:

الكلام على طبعات الكتاب:

طُبع كتاب رياض الصالحين لأوَّل مرّة كما في «معجم المطبوعات العربية»[2]

---

(١) بقلم الشيخ - نظر محمد شاه الفريابي، رئيس لجنة المحور الحديثي في موسوعة (كنوز رياض الصالحين).

(٢) (٢ - ١٨٧٨) ط، دار صادر.

في المطبعة الأميرية، القاهرة، في عام (١٣٠٢هـ) في (٢٢٤) صفحة.

ثمَّ صدرت طبعة رضوان محمد رضوان، القاهرة، عام (١٣٧٩هـ)، مكتبة الجمهورية العربية، في (٧١١) صفحة.

هاتان الطبعتان لم أطّلع عليهما، لأعرف النسخ التي اعتمدوا عليهما في إخراج الكتاب.

ثمَّ صدرت الطبعة التي قام بإخراجها عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدَّقاق، عام (١٣٩٦هـ) دار المأمون للتراث، في (٦١١) صفحة.

وقد اعتمدا في إخراج الكتاب على نسختين خطيتين مصورتين عن المكتبة الظاهرية بدمشق.

والطبعات التي توالت بعدها ترجع كلها أو في معظمها إلى هذه الطبعات التي وصفناها، ونشير باختصار إلى الطبعتين اللّتين اشتهرتا فيما بعد بين طلاب العلم:

الأولى: طبعة المكتب الإسلامي مع تعليقات الشيخ ناصرالدين الألباني، هي الطبعة التي قام بإخراجها الشيخ رضوان محمد رضوان، كما جاءت في مقدمة الكتاب، باعتراف زهير الشاويش المشرف على إخراج الكتاب، ولم يُعتمد في هذه الطبعة على أي نسخة من النسخ الخطية للكتاب.

الثانية: طبعة مؤسسة الرسالة والتي قام بإخراجها الشيخ شعيب الأرناؤوط، هي الطبعة التي قام بإخراجها عبد العزيز الرباح، وأحمد يوسف الدقاق، نفسها وصور النسخ التي وضعت في أول الكتاب، هما النسختان اللتان اعتمد عليهما عبد العزيز الرّباح، وأحمد يوسف الدقاق.

وجميع الطبعات التي توالت قبلها أو بعدها والتي لم يعتمد فيها ناشروها على النسخ الخطية هي طبعات تجارية لا تمُت أيّ صلة بالمنهج العلمي الدقيق.

إلى أن صدرت طبعة دار المنهاج بجدة، عام (١٤٢٧هـ) في (٦٥٥) صفحة. وقد جاء في مقدمة التحقيق (ص: ١١) أنهم اعتمدوا في طبعة الكتاب على سبع نسخ خطية، ومن خلال تصفّحي للكتاب إلى (ص: ١٢٠) لم أجد ذكراً لفروق النسخ الخطية إلا مرَّة واحدة في (ص: ٨٥).

النقطة الثانية:

مصادر الإمام النووي في هذا الكتاب:

معرفة مصادر المؤلف في أي كتاب يقوم الباحث بتحقيقه ودراسته، تعتبر من أهم الركائز لهذا العمل، فتخريج الأحاديث والحكم عليها من الممكن أن يستعان بها بالحاسوب والبرامج المتوافرة بين أيدينا من دون عناء كبير، وأمّا دراسة الكتاب ومعرفة مصادره أمران يتطلبان من الباحث جهدا وعناء كبيرا، وذلك لا يحصل إلا بالتأمل الدقيق في نصوص الكتاب، والتعايش معه مدة من الزمن.

وأمَّا بخصوص هذا الكتاب فإلى كتابة هذه السطور لم أجد أحدا ممن قام بشرح الكتاب أو تخريجه أو التعليق عليه أن يكون أشار من قريب أو من بعيد إلى مصادر الإمام النووي فيه، ومن خلال عملي الدؤوب والتوقف عند كل نصٍّ من نصوص هذا الكتاب توصلتُ والحمد الله إلى معرفة ذلك، وذلك بفضل الله وتوفيقه.

الإمام النووي رحمه الله في تأليفه لهذا الكتاب بجانب اعتماده على المصادر الأساسية لهذا الكتاب، اعتمد كثيرا على المصدرين الأساسيين، هما:

١- الجمع بين الصحيحين، للحافظ محمد بن فتوح الحُميديّ (ت٤٨٨هـ).

٢- الترغيب والترهيب، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذريّ (ت٦٥٦هـ).

وفيما يلي نورد أمثلة لذلك:

أمّا بخصوص اعتماده على كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي، فليس غريبا إذ معظم من جاء بعده من العلماء كانوا يعتمدون في حفظ أحاديث الصحيحين على هذا الكتاب حيث رتّبه الحميدي على مسانيد الصحابة، ثمّ يذكر في مسند كلّ صحابي ما اتفقا عليه من الأحاديث، ثمّ ما انفرد به البخاري، ثمّ ما انفرد به مسلم، وهذه طريقة سهلة لمن يريد أن يحفظ أحاديث الصحيحين.

المثال الأول:

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٤٢٣- وعن أَبي بكرة نُفَيع بن الحارث ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**)) - ثلاثاً - قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: ((**الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**))، وكان مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((**ألاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**)) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.	٨٠٥- وعن أَبي بكرة نُفَيع بن الحارث ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**)) - ثلاثاً - قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: ((**الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**))، وكان مُتَّكِئاً فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((**ألاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**)) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

الحديث أخرجه البخاري وأطرافه (٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩)، ومسلم (١٤٣ - ٨٧) والسِّياق للحميدي في جمعه (١ - ٣٦٤، رقم ٥٨٠).

المثال الثاني:

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٢٢٣- وعن أبي موسى قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَن مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، ومَعَه نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصالِهَا بِكفِّهِ أَنْ يُصِيب أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**» متفق عليه.	٢٢٣- وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَن مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، ومَعَه نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصالِهَا بِكفِّهِ أَنْ يُصِيب أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**» متفق عليه.

الحديث أخرجه البخاري وطرفاه (٤٥٢، و ٧٠٧٥)، ومسلم (١٢٣ - ٢٦١٥)، والسياق للحميدي في جمعه (١ - ٣٠١، رقم ٤٣٩).

المثال الثالث:

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٢٦٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى. قَالَ: ((**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: ((**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟**)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لَفْظُ مسلِم. وفي رواية لَهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: ((**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**)).	٢٩٣٤٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى. قَالَ: ((**فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: ((**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟**)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لَفْظُ مسلِم. وفي رواية لَهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: ((**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**)).

هذا الحديث بهذا السياق أورده الحميدي في جمعه (٣ - ٤٣٤، رقم ٢٩٣٤) أولاً بلفظ المتفق عليه، والذي ذكره المؤلف ثانيًا، ثمّ أورد ما تفرد به مسلم من حديث ناعم مولى أم سلمة، ولم يذكر البخاري، وهو الصواب. والنووي بعد أن تصرف في ترتيب الحديث ظنَّ أن اللفظين متفق عليهما.

والحديث أخرجه البخاري وطرفاه (٣٠٠٤، و٥٩٧٢)، واللفظ الأول عند مسلم

بعد حديث (٦ - ٢٥٤٩ بدون رقم)، واللفظ الثاني برقم (٥ - ٢٥٤٩).

في اللفظ المتفق عليه عندهما زيادة: (إلى النبي ﷺ) بعد قوله: (جاء رجل) ولم يوردها الحميدي في جمعه فتبعه المؤلف عليه.

مثال لمتابعة الإمام النووي للحميدي في جمعه في تجزئته للأحاديث:

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٣٣٣- وعن أَبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ)) [١]. ((وفي رواية: ((سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ)) [٢]، فَاسْتَوْصُوا بأهْلِهَا خَيْراً؛ فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً)) [٣]. وفي رواية: ((فإذا افتتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحماً))، أَوْ قَالَ: ((ذِمَّةً وصِهْراً)) [٤] رواه مسلم.	٣٨٦- - وعن أَبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أرْضاً يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ)). ((وفي الرواية الأخرى: ((سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ))، فَاسْتَوْصُوا بأهْلِهَا خَيْراً؛ فَإنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً)). وفي الرواية الأخرى: ((فإذا افتتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحماً))، أَوْ قَالَ: ((ذِمَّةً وصِهْراً)) رواه مسلم.

تنبيه: هذا الحديث بهذا السياق وبهذه التجزئة للحميدي في جمعه (١ - ٢٧٦، رقم ٣٨٦) وتبعه المؤلف عليه.

---

(١) مسلم (٢٢٦ - ٢٥٤٣).

(٢) مسلم (٢٢٧ - ٢٥٤٣).

(٣) مسلم (٢٢٦ - ٢٥٤٣).

(٤) مسلم (٢٢٧ - ٢٥٤٣) وزاد: ((فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها)).

مثال لمتابعة الإمام النوويِّ الحميديَّ في جمعه لعزوه بعض الأحاديث إلى الصحيحين، وقد تفرد أحدهما بإخراجه.

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٢٥٣- وعن أَبي العباسِ سهلِ بنِ سعدٍ الساعِديِّ رضي الله عنه قال: مرَّ رجُلٌ على النَبيِّ ﷺ فقالَ لرجُلٍ عِنْدهُ جالسٍ: « **ما رَأَيُكَ فِي هَذَا ؟** » فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللَّهِ حَريٌّ إِنْ خَطَب أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَع أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: « **مَا رأُيُكَ فِي هَذَا؟** » فقال: يا رسولَ اللَّه هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هذَا حريٌّ إِنْ خطَب أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَع أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: « **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا** » متفقٌ عليه.	٩١٥- وعن أَبي العباسِ سهلِ بنِ سعدٍ الساعِديِّ رضي الله عنه قال: مرَّ رجُلٌ على النَبيِّ ﷺ فقالَ لرجُلٍ عِنْدهُ جالسٍ: « **ما رَأَيُكَ فِي هَذَا ؟** » فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللَّهِ حَريٌّ إِنْ خَطَب أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَع أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسول اللَّه ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: « **مَا رأُيُكَ فِي هَذَا ؟** » فقال: يا رسولَ اللَّه هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هذَا حريٌّ إِنْ خطَب أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَع أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: « **هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا** » متفقٌ عليه.

هذا الحديث أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٧) ولم يخرجه مسلم، وهو من أفراد البخاري.

تبع النوويُّ فيه الحميديَّ في جمعه (١ - ٥٥٣، رقم ٩١٥) حيث ذكر هذا الحديث في المتفق عليه، وقال في آخره: ذكره أبو مسعود في المتفق عليه.

والحديث من إفراد البخاريِّ، ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف (٤ - ١١٤، رقم ٤٧٢٠) إلا إلى البخاري.

وقال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف: قال الحميدي: ذكره أبو مسعود في المتفق، ولم أجده في: (م) انتهى.

وذكره ابن الجوزي في المتفق (٣ - ٣٢١، رقم ٢٤٣١)، وأهمل التنبيه الذي ذكره الحميدي، وذكره في إفراد (خ) خلف، والطرقي وغيرهما، وهو الصواب.

وتبع الحميدي أيضًا ابن الأثير في جامع الأصول (٩ - ٢٣٠) فعزاه للبخاري ومسلم.

مثال على إسقاط الحميدي شطرا من الحديث، وتبعه عليه الإمام النوويّ:

رياض الصالحين	الجمع بين الصحيحين للحميدي
٥٣٣- وعن أَبي عبدِ الرحمن عوف بن مالِك الأَشْجَعِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: ((**أَلاَ تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ**)) وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ ببَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ، ثمَّ قَالَ: ((**أَلا تُبَايِعُونَ رسولَ اللهِ**)) فَبَسَطْنا أيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((**عَلَى أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا اللهَ**)) وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً ((**وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً**)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إيّاهُ. رواه مسلم.	٢٩٧٢- وعن أَبي عبدِ الرحمن عوف بن مالِك الأَشْجَعِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: ((**أَلاَ تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ**)) وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ ببَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ، ثمَّ قَالَ: ((**أَلا تُبَايِعُونَ رسولَ اللهِ**)) فَبَسَطْنا أيْدينا، وقلنا: قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((**عَلَى أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا اللهَ**)) وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً ((**وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً**)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إيّاهُ. رواه مسلم.

هذا الحديث أخرجه مسلم (١٠٨ - ١٠٤٣) وعنده زيادة: (فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثمَّ قال: ألا تبايعون رسول الله) بعد قوله: (ألا تبايعون رسول الله)، وأسقط الحميدي هذا الشطر أو سقط من عنده، فتبعه عليه الإمام النووي، ولم يورد هذا الشطر من الحديث. كما تبعه على ذلك أيضًا المنذري في ترغيبه (١١٩٤) ولم يورده.

وأمَّا بخصوص كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري:

فكان اعتماد الإمام النووي عليه كثيرا، وعليه بنى كتابه رياض الصالحين، ولكنه انتهج منهجا آخر غير الذي انتهجه المنذري في كتابه، فقد اقتصر الإمام النووي فيه على الكتب الستة، وقليلا ما يتعرض إلى الكتب الأخرى، كما التزم فيه (أن لا يذكر إلا حديثا صحيحا من الواضحات).

ونورد فيما يلي عدّة أمثله لاعتماد الإمام النووي على هذا الكتاب، كما أنني إلتزمت بذكر الترغيب والترهيب عقب تخريج كلّ حديث إن كان فيه هذا الحديث.

المثال الأول:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٦٩٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أنْ يَأتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إلَيهِ، فَقَالَ: إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواهُ البُخاريُّ.	٤٤٩٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أنْ يَأتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إلَيهِ، فَقَالَ: إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواهُ البُخاريُّ.

الحديث رواه البخاري وطرفاه (٣٢٢٧، ٥٩٦٠) وبهذا السياق أورده المنذري في ترغيبه (٣ - ٦٢٧، رقم ٤٤٩٠) وتبعه عليه الإمام النووي.

المثال الثاني:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٦٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ، جبريلُ عليهِ السَّلامُ، في سَاعَةٍ أنْ يَأتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ((**ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ**)) ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقالَ: ((**مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟**)) فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأتِنِي**)) فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواه مسلم.	٤٥٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ، جبريلُ عليهِ السَّلامُ، في سَاعَةٍ أنْ يَأتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ((**ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ**)) ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقالَ: ((**مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟**)) فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((**وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأتِنِي**)) فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواه مسلم.

هذا الحديث أخرجه مسلم (٨١ - ٢١٠٤) وبهذا السياق للمنذري في ترغيبه (٣ - ٦٤٩، رقم ٤٥٤٣) والإمام النوويُّ تبعه عليه.

المثال الثالث:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٦٥٥- وعن ابن مسعود ﷺ قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذَلِكَ فَقَالَ: وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [سورة الحشر: ٧]. متفق عليه.	٣١١٣- وعن ابن مسعود ﷺ قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذَلِكَ فَقَالَ: وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ ؟ قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [سورة الحشر: ٧]. متفق عليه.

الحديث أخرجه البخاري وأطرافه (٤٨٨٦، ٤٨٨٧، ٥٩٣١، ٥٩٤٣، ٥٩٤٤، ٥٩٤٨)، ومسلم (١٢٠ - ٢١٢٥) والسياق للمنذري في ترغيبه (٣ - ٥٠، رقم ٣١١٣) وتبعه الإمام النوويُّ عليه.

متابعته للحافظ المنذري في اقتصاره بذكر شطر من الحديث:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٥٣٧- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ**)). رواه مسلم.	٤١٦٠- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ**)). رواه مسلم.

هذا الحديث رواه مسلم (٣٢ - ٢٥٦٤) وهو الشطر الأخير من الحديث، اقتصر المنذري في ترغيبه (٣ - ٤٨٦، رقم ٤١٦٠) بذكر الشطر الأخير منه، وتبعه عليه الإمام النووي.

متابعته للأخطاء عند المنذري:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٦١٨- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: ((**لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ**)) رواه مسلم. وفي رواية لمسلم أيضاً: نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ فِي الوَجْهِ.	٣٣٨٤- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: ((**لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ**)) رواه مسلم. وفي رواية لمسلم أيضاً: نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ فِي الوَجْهِ.

هذا الحديث أورده النووي في رياض الصالحين، بعد حديث ابن عباس، ثمَّ قال: (وعنه) وعطفه عليه يوهم أنه من حديث ابن عباس، وليس كذلك، بل هو من حديث جابر كما في مسلم (١٠٧ - ٢١١٦)، وأورده الحميدي في جمعه (٢ - ٣٩٥، رقم ١٦٦١) في مسند جابر، لكن المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه (٣ - ١٧٠، رقم ٣٣٨٤) حيث قال عن ابن عباس، ثمَّ ذكره.

كما أن الرواية الثانية أيضًا من رواية جابر عند مسلم برقم (١٠٦ - ٢١١٦) وليس من حديث ابن عباس، كما وهم المنذري، وتبعه عليه النووي.

تنبيه مهم:

ذكرنا في البداية أن الإمام النووي رحمه الله اقتصر على أحاديث الصحيحين والسنن الأربعة، ونادرا يخرج عن هذا الشرط، وإذا كان المنذري يذكر مصادر أخرى مع الصحيحين، أو السنن الأربعة، يحذف الإمام النووي أي مصدر ذكر مع الصحيحين، ويكتفي بذكر الصحيحين، أو أحدهما إذا كان الحديث فيهما أو عند أحدهما، ويحذف المصدر الآخر الذي ذكره المنذري، وهذا ما أوقع الإمام النووي في إشكالات كثيرة، حيث لا يلتزم المنذري أحيانا بذكر لفظ الصحيحين عندما يذكر مصدرا أو مصادر أخرى معهما وقد يكون اللفظ لغيره، وفيما يلي أمثلة لذلك:

المثال الأول:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
٩٦٢- عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لَوْ أنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوحدَةِ مَا أعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**)) رواه البخاريُّ.	٤٥٤٧- عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لَوْ أنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوحدَةِ مَا أعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**)) رواه البخاريُّ.

هذا الحديث عزاه المؤلف إلى البخاري، وهو عنده برقم (٢٩٩٨) بنحوه، نقله الإمام النووي هذا الحديث من الترغيب والترهيب (٣ - ٦٥٢، رقم ٤٥٤٧) حيث قال المنذري: (رواه البخاري، والترمذي، وابن خزيمة في صحيحه) اقتصر الإمام النووي بذكر البخاري، وحذف المصدرين الآخرين، ولم ينتبه أن هذا اللفظ لابن خزيمة في صحيحه (٢٥٦٩) فظنَّ أن اللفظ يكون للبخاري، وبحذفه المصدرين الآخرين، قد أحسن الصنعة.

المثال الثاني:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١١٣٦- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**صَلُّوا أيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإنَّ أفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ.	٦٢٣- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**صَلُّوا أيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإنَّ أفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إلاَّ المَكْتُوبَةَ**)) متفقٌ عَلَيْهِ.

هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (١ - ٣٥٦، رقم ٦٢٣) وقال: (رواه النسائي بإسناد جيد، وابن خزيمة في صحيحه).

الإمام النووي كان أدّق من المنذري وكان يستحضر ألفاظ الصحيحين، فعزاه إلى الصحيحين بدليل أن أصل هذا الحديث عندهم، ولم يتأكد من لفظهما، وهو عند البخاري برقم (٧٣١)، ومسلم (٢١٣ - ٧٨١) بنحوه ضمن حديث، واللفظ للنسائي في المجتبى (١٦٠٠).

وهذا ما جعل الناجي في عجالة الإملاء يستدرك على المنذري بقوله: رواه البخاري ومسلم وأحمد في حديث، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي مختصرا، فلو أن المصنف اطّلع على هذا لم يبعد النجعة.

المثال الثالث:

رياض الصالحين	الترغيب والترهيب
١٥٩٩- وعن عياضِ بن حمارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**إنَّ اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ**)) رواه مسلم.	٤٢٦٥- وعن عياضِ بن حمارٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**إنَّ اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ**)) رواه مسلم.

هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (٣ - ٥٣٠، رقم ٤٢٦٥) وقال: (رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه)، نقله الإمام النووي واكتفى على ذكر مسلم وحده، وحذف مصدرين آخرين، وهذا ما أوقعه في الإشكال، حيث لم يتأكد أن اللفظ لأبي داود برقم (٤٨٩٥)، وليس لمسلم.

تنبيه:

كما أن الإمام النووي اعتمد في كتابه على كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري في نقله للأحاديث، استفاد أيضًا من شرحه للكلمات الغريبة، وحكمه على بعض الأحاديث، وقد أشرنا إلى ذلك عقب تخريجنا للأحاديث، أو عند نقله للكلمات الغريبة، فلا حاجة للإعادة هنا.

النقطة الثالثة:

الكلام على تخريج الأحاديث والحكم عليها:

لا يخفى على القارئ البصير مكانة الإمام النووي رحمه الله ثمّ كتابه رياض الصالحين، فلا تكاد تجد طالب علم إلا وهو يقتني نسخة من هذا الكتاب.

يقول ابن علان المكيّ: لأنّه قد جمع ما يحتاج إليه السالك في سائر الأحوال، واشتمل على ما ينبغي التخلق به من الأخلاق، والتمسك به من الأقوال والأفعال، مغترفا له من عباب الكتاب، والسنة النبوية، ناقلا لتلك الجواهر من تلك المعادن السنية[1].

والإمام النوويُّ رحمه الله رغم شهرته الفقهية، كانت له مشاركات في السنة النبوية لا تقلّ عن مشاركاته الفقهية، فقد بلغت مجموع ما ألفه من الكتب في الحديث (١٠) كتب، منها شرحه على صحيح مسلم، وشرح قطعة من صحيح البخاري، وأبي دواد، كما ألّف في مصطلح الحديث كتابين مشهورين، وكتبه الثلاثة: الأربعون في مباني الإسلام، ورياض الصالحين، وخلاصة الأحكام، لخير شاهد على إمامته في هذا الفن الجليل، بلغت مجموع الأحاديث التي حكم عليها في كتابه: خلاصة الأحكام (٣٨٨٣) حديثا، وصل إلى نهاية كتاب الجنائز، وجزءا من كتاب الصيام، وتوفي قبل أن يكمله، هذا غير الأحاديث التي حكم عليها في كتبه الأخرى، مثل: رياض الصالحين، والمجموع وغيرهما.

وانتهج رحمه الله في مقدمة كتابه: أن لا يذكر إلا حديثا صحيحا من الواضحات، مضافا إلى الكتب الصحيحة المشهورات[2].

وقام الشيخ ناصرالدين الألباني بتخريج كتاب رياض الصالحين، ومجموع الأحاديث التي حكم عليها بالضعف (٦٥) حديثا، وإذا طرحنا منها المكرر وما تراجع عنها، وهي تسعة أرقام، تبقى (٥٥) حديثا، من مجموع (١٩٠٥) حديثا من كتاب رياض الصالحين، وهي نسبة (٢,٨٪) من المئة، وهو العدد نفسه في تحقيق الشيخ سليم الهلالي

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (١ - ٢٣).

(٢) (ص: ٣٣).

لكتاب رياض الصالحين، وتقسيمه إلى الصحيح والضعيف.

وبلغت مجموع الأحاديث الضعيف في تخريج الشيخ شعيب الأرناؤوط (٤٦) حديثا، من مجموع أحاديث الكتاب.

وهذا العدد من الضعيف في كتاب رياض الصالحين، لا يخرج عن دائرة القبول فيما صنّف الكتاب من أجله، فإنه كتاب زهد ورقائق، وحثّ على المسابقة في الخيرات، فهي لم تخرج عمّا التزم به، ولو سلّم خروجها، فهي قليلة جدا بالنسبة للأحاديث الصحيحة والحسنة، فالحكم يكون إذًا على الأعمّ الأغلب. خصوصا إذا وضعنا في الاعتبار أن الحكم على الأحاديث يرجع إلى الاجتهاد، فربّما حديث يراه عالم ضعيفا، يراه الآخر غير ذلك.

يقول الشيخ شعيب الأرناؤوط: ومهما يكن من شيء، فإن وجود هذه الأحاديث الضعيفة وعددها ستة وأربعون حديثا، لا تغضُّ من قيمة هذا الكتاب العظيم، ولا تحطّ من شأنه، فإنها لا تكاد تذكر بجانب ذلك العدد الضخم من الأحاديث التي اشتمل عليها الكتاب[1].

هذا وقد رسمتُ خطة للعمل في تخريج أحاديث هذا الكتاب، اختصرها فيما يلي:

أقوم بتوثيق الحديث من المصادر التي نقل منها.

إذا كان الحديث في مصدر من هذه المصادر في مواضع متعددة كالبخاري مثلا، استغني عن ذكر أطرافه بتحديد لفظ الحديث عنده بذكر رقمه فقط.

إذا خرّج الإمام النوويُّ الحديثَ من عدّة مصادر، أقوم بعد توثيق الحديث من هذه المصادر، بتحديد لفظ الحديث الذي أورده من بين هذه المصادر، وهذا أمر شاقٌّ لم يسبقني إليه أحد ممن قام بتخريج أحاديث الكتاب.

حَكَم الإمام النوويُّ رحمه الله على كثير من الأحاديث التي يوردها من غير الصحيحين، وذلك لما يتبوأ من مكانة علمية ومشاركة قوية في علم الحديث، ونقل

---

(١) مقدمة رياض الصالحين (ص: ١٠) من تحقيقه.

أيضًا أحكاما من الأئمة ممن لهم مشاركة في هذا العلم، أضفتُ أحكاما لغيرهم ممن لم يذكرهم الإمام النووي أو من جاؤا بعده.

سبق أن أشرت في الدِّراسة أن الإمام النووي رحمه الله اعتمد على الجمع بين الصحيحين للحميديّ، وبنى كتابه على كتاب الترغيب والترهيب للمنذريّ، أذكر عقب تخريج الحديث إذا كان السياق للحميدي، أو أن الحديث في الترغيب والترهيب.

استفاد الإمام النوويُّ من شرح الحافظ المنذري في ترغيبه لبعض الكلمات الغريبة، أشير في الهامش إذا كان شرح هذه الكلمة الغريبة عند الحافظ المنذري.

المحور الثاني: ترجمة راوي الحديث.

المحور الثالث: شرح غريب الألفاظ.

المحور الرابع: الشرح الأدبي لكافة الأحاديث النبوية وإبراز البلاغة النبوية، وبيان الفصاحة النبوية التي أعجزت البلغاء، وإبراز النكت البلاغية في الأحاديث النبوية بأسلوب علمي مُيسّر يُبرز بلاغة النبي ﷺ في البيان والتعبير عن المعاني العظيمة التي وردت في الأحاديث النبوية، مما يُيسر عملية الفهم والاستيعاب.

المحور الخامس: الشرح الفقهي للأحاديث النبوية التي تشتمل على الأحكام الفقهية، وذلك بشكل إجمالي دون الدخول في الخلافات الفقهية، مع ذكر المصادر والمظان حتى يتيسر للقارئ التوسع في معرفتها، ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أنه ليست كل الأحاديث في كتاب (**رياض الصالحين**) مشتملة على أحكام فقهية، ومن ثم فلم تشرح تلك الأحاديث شرحًا فقهيًا لخلوها من الأحكام الفقهية، وكذلك فقد تم دمج مجموعة من الأحاديث وشرحت شرحًا فقهيًا إجماليًا سواء على مستوى الأبواب أم على مستوى مجموعة من الأحاديث.

المحور السادس: الشرح الدعوي لأحاديث رياض الصالحين، وذلك باستخراج المضامين الدعوية لكل حديث في رياض الصالحين، وقد سلكنا في ذلك منهجًا علميًا متميزًا، حيث قمنا بالتحليل الدعوي الدقيق لنصوص الأحاديث النبوية، وقد حرصنا في ذلك على ربط المضامين الدعوية بشواهد من نص الحديث، مع مراعاة الترتيب في

المضامين الدعوية من خلال التسلسل والتحليل لألفاظ الحديث حسب ورودها، دون تقديم أو تأخير مع تنزيل الشاهد من الحديث على المضمون الدعوي حتى لا يكون الكلام مرسلاً أو إنشائيًا.

وقد تم معالجة ذلك من خلال منهج علمي أصيل بأسلوب يناسب العامة والخاصة، لا سيما الدعاة إلى الله وطلاب العلم، وقد راعينا في معالجتنا للمحور الدعوي الاستشهاد بنصوص الكتاب والسنة مع عزوها وتوثيق الأحاديث النبوية والحكم عليها.

وقد تميز منهج المعالجة في المحور الدعوي بالتركيز، وعدم التعرض للتفصيلات التي يتعذر استقصاؤها بشكل مفصل نظرًا لكثرة أحاديث **(رياض الصالحين)**، لذا فإننا حرصنا كل الحرص على تقديم رؤية علمية دعوية تناسب المُعلّم والداعية وكافة المشتغلين في حقل الدعوة أو في حقل التربية من خلال منهج علمي تميّز باليُسر والسهولة والموضوعية والإيجاز والتركيز مع بيان المصادر والمراجع التي تُيسِّر للقارئ الاستزادة والتوسع.

ولما كانت هناك أحاديث مكررة في كتاب **(رياض الصالحين)**، فإننا قمنا بذكر رقم الحديث الذي تقدم شرحه، وقمنا أيضًا بدمج أكثر من حديث مع الإشارة إلى أرقام الأحاديث التي تمّ دمجها.

المحور السابع: المحور التربوي: وقد سلكنا منهجًا علميًا متميزًا في هذا المحور، حيث تحدثنا إجمالاً عن المضامين التربوية لأحاديث كل باب، ورأينا مناسبة ذكرها في نهاية كل باب من أبواب رياض الصالحين، حتى يكون القارئ قد قرأ أحاديث الباب وتعرف على شروحها.

إن المعالجة التربوية لأحاديث الباب تمت على أساس تنزيل الشواهد من أحاديث الباب على المضامين التربوية بأسلوب علمي ميسر، يركز على ربط نصوص الأحاديث النبوية بالمضامين التربوية، بشكل يفيد العامة والخاصة في مجال التربية.

وإن مما ينبغي الإشارة إليه في هذه المقدمة العلمية أن هذه الموسوعة العلمية تميزت بالمنهجية العلمية في معالجة كافة المحاور التي اشتملت عليها، مما ساعد على إخراجها

على هذا النحو المتميز الذي أسهم في هذه الخدمة العلمية النوعية لكتاب (**رياض الصالحين**) لأن كافة الكتب العلمية التي تناولت كتاب (**رياض الصالحين**) - مع قيمتها وجهد أصحابها المقدر - لم تسلك هذا المنهج العلمي الذي سلكناه في موسوعة (**كنوز رياض الصالحين**) والذي أسهم في الشرح لكتاب (**رياض الصالحين**).

كما أنَّ مما تميز به هذا الجهد العلمي أنه استكتب فيه عددٌ من علماء العالم الإسلامي، ومن الباحثين والمختصين، ومن القضاة، وأساتذة الجامعات الإسلامية الذين أسهموا بدور علمي فاعل في محاور هذه الموسوعة العلمية الفاخرة والموسومة بـ (**كنوز رياض الصالحين**) فقد اشترك هؤلاء العلماء من الدول التالية:

المملكة العربية السعودية، مصر، السودان، العراق، الأردن، اليمن، أندونيسيا، بوركينا فاسو، مالي، أوغندا، الهند، وتفصيل ذلك من خلال هذا الجدول التفصيلي الذي يبين محاور العمل العلمي ونوعية المساهمة العلمية فيه من خلال هؤلاء العلماء والباحثين:

أسماء اللجان العلمية في كنوز رياض الصالحين

- **الإشراف العام:**

أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار.

المشرف العام على أعمال الموسوعة ورئيس الفريق العلمي.

- **التقديم:**

١ - معالي رئيس المجلس الأعلى للقضاء، عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي

الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد

٢ - معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، عضو هيئة كبار العلماء

أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

٣ - معالي الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -سابقاً -

الشيخ - إبراهيم بن عبدالله الغيث

٤ - فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أ. د. محمد سيد طنطاوي

- **المقدمة:**

رئيس الفريق العلمي: أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار.

وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لخدمة المجتمع والتعليم المستمر - سابقاً - بالسعودية.

- **اللجان العلمية والفنية والباحثون:**

أولاً: لجنة ضبط خطة العمل:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ.د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار	السعودية	الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٢	أ.د. محيي الدين عفيفي أحمد عبدالمجيد	مصر	الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر
٣	أ.د. صالح بن حسين العايد	السعودية	الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية
٤	أ.د. تركي بن سهو العتيبي	السعودية	الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٥	أ.د. أحمد بن عبدالله الباتلي	السعودية	الأستاذ بقسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٦	د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان	السعودية	الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٧	د. عبدالله بن وكيّل الشيخ	السعودية	الأستاذ المشارك بقسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٨	د. عبدالله بن عبدالرحمن التويجري	السعودية	الأستاذ المشارك بقسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٩	د. عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين	السعودية	الأستاذ المشارك بقسم أصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ثانياً: لجنة الصياغة العلمية والإخراج:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار	السعودية	الأستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٢	أ. د. محيي الدين عفيفي أحمد عبدالمجيد	مصر	الأستاذ في جامعة الأزهر

ثالثاً: لجنة المراجعة العامة:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. بكر زكي عوض (رئيس اللجنة)	مصر	رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة
٢	أ. د. يسري هاني	مصر	رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالمنصورة
٣	أ. د. مشرح علي أحمد	مصر	وكيل كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالمنصورة – سابقا –

رابعاً: لجنة المحور الحديثي:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	الشيخ: نظر محمد شاه الفريابي (رئيس اللجنة)	أفغانستان	الباحث في علوم السنة النبوية
٢	الشيخ: ناصر بن حمد بن ناصر العمار	السعودية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

خامساً: لجنة المحور الأدبي:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. صابر عبدالدائم يونس (رئيس اللجنة)	مصر	عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق
٢	د. حسن عطية أحمد طاحون	مصر	الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق
٣	أ. د. حسين علي محمد	مصر	الأستاذ في قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٤	أ. د. عبدالجواد محمد طبق	مصر	الأستاذ في قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق
٥	د. خليل أبو ذياب	فلسطين	الباحث في علوم اللغة العربية
٦	د. ناصر راضي الزهري إبراهيم	مصر	الأستاذ المساعد في قسم البلاغة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع أسيوط

سادساً: لجنة المحور الفقهي:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. عبدالقادر محمد أبو العلا عمر (رئيس اللجنة)	مصر	عميد كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر – فرع أسيوط
٢	د. خالد محمد حسين إبراهيم	مصر	المدرس بقسم الفقه المقارن، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر – فرع أسيوط
٣	د. محمود صديق رشوان	مصر	المدرس بقسم الفقه المقارن، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر – فرع أسيوط
٤	د. سمير أبو المجد محمد عبدالله	مصر	المدرس بقسم الفقه المقارن، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر – فرع أسيوط
٥	د. عبدالرحمن محمد إبراهيم	مصر	المدرس بقسم الفقه المقارن، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر – فرع أسيوط
٦	د. أيمن فتحي محمد علي	مصر	المدرس بقسم الفقه المقارن، بكلية الشريعة والقانون، بجامعة الأزهر – فرع أسيوط

سابعاً: لجنة شرح الغريب:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	د. عطية مختار عطية حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٢	د. إبراهيم طلبة حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٣	الشيخ: أحمد حسين محمد عبدالرحيم	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٤	الشيخ: خالد أحمد محمد أبو العلا	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية

ثامناً: لجنة المحور الدعوي:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	د. محيي الدين عفيفي أحمد عبدالمجيد (رئيس اللجنة)	مصر	الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر
٢	د. عطية مختار عطية حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٣	د. إبراهيم طلبة حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٤	الشيخ: أحمد حسين محمد عبدالرحيم	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٥	الشيخ: خالد أحمد محمد أبو العلا	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٦	الشيخ: مصطفى عبدالمعطي سيد أحمد	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٧	الشيخ: علي أحمد علي سالم فرحات	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٨	الشيخ: ناصر بن حمد بن ناصر العمار	السعودية	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاسعاً: لجنة المحور التربوي:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. مصطفى محمد أحمد رجب	مصر	عميد كلية التربية بسوهاج، جامعة جنوب الوادي - سابقا -
٢	أ. د. بكر زكي عوض	مصر	رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة
٣	أ. د. محيي الدين عفيفي أحمد عبدالمجيد	مصر	الأستاذ بكلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر
٤	د. عطية مختار عطية حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٥	د. إبراهيم طلبة حسين	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٦	الشيخ: أحمد حسين محمد عبدالرحيم	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٧	الشيخ: خالد أحمد محمد أبو العلا	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٨	الشيخ: مصطفى عبدالمعطي سيد أحمد هاشم	مصر	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية

عاشراً: لجنة المراجعة اللغوية:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. مصطفى عبدالمولى محمد عطية	مصر	مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢	أ. حمدي ربيع رمضان فتوح	مصر	الباحث في علوم اللغة العربية

حادي عشر: لجنة الصف والإخراج الفني:

م	الاسم	البلد
١	أ. منصور بن حمد العمار	السعودية
٢	أ. عبدالعزيز عبدالماجد أحمد العالم	السودان
٣	أ. محمد حامد الأمين	السودان
٤	أ. خالد توفيق عبدالوهاب زهران	مصر

ثاني عشر: الباحثون:

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
١	أ. د. إبراهيم بن سليمان الهويمل	السعودية	وكيل الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢	د. محمد بن عبدالله العيدي	السعودية	الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣	أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي	السعودية	عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
٤	د. خالد مرغوب محمد أمين الهندي	السعودية	عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
٥	أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٦	أ. د. إبراهيم بن علي آل مغيرة	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٧	د. عبدالله بن محمد الرشيد	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
٨	د. عبدالله بن عبدالمحسن التويجري	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٩	د. خالد بن إبراهيم الرومي	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٠	د. حمزة بن سليمان الطيار	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١١	د. عبدالله بن إبراهيم الشويمان	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٢	د. محمد بن عبدالرحمن العمر	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٣	د. محمد بن إبراهيم الزهراني	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
١٤	د. محمد بن إبراهيم الرومي	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود
١٥	د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي	السعودية	عضو هيئة التدريس بجامعة طيبة
١٦	د. عبدالعزيز بن عبيد النفيعي	السعودية	وزارة الداخلية
١٧	أ. د. أحمد عمر هاشم	مصر	رئيس جامعة الأزهر – سابقا –
١٨	أ. د. حسن عبدالحميد حسن	مصر	عميد كلية أصول الدين بالمنوفية بجامعة الأزهر – سابقا –
١٩	أ. د. طلعت محمد عفيفي	مصر	عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر – سابقا –
٢٠	أ. د. عبدالله حسن بركات	مصر	عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر – سابقا –
٢١	أ. د. أحمد ربيع أحمد يوسف	مصر	عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٢	أ. د. عبدالله علي عبدالحميد سمك	مصر	رئيس قسم الأديان في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٣	أ. د. محمود أبو الفتوح	مصر	الأستاذ في قسم الأديان في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٤	أ. د. زكي محمد عثمان	مصر	الأستاذ في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
٢٥	أ. د. عادل محمد درويش	مصر	الأستاذ في قسم الأديان في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٦	أ. د. صابر أحمد طه	مصر	الأستاذ في قسم الأديان في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٧	أ. د. علي عبدالعال ربيع	مصر	الأستاذ في قسم الأديان في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٨	د. محمد محمود متولي	مصر	الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٢٩	د. حسن يونس عبيدو	مصر	الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٣٠	د. عبدالباسط السيد مرسي	مصر	الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٣١	د. سمير السيد محمد	مصر	الأستاذ المساعد في قسم الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة بجامعة الأزهر
٣٢	أ. د. حكمت بشير ياسين	العراق	عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية
٣٣	أ. د. إبراهيم فاضل الدبو	العراق	عضو هيئة التدريس بجامعة البحرين
٣٤	أ. د. يوسف محي الدين أبو هلالة	الأردن	عميد كلية العلوم التربوية بجامعة الحسين
٣٥	أ. د. محمد علي قاسم العمري	الأردن	عميد كلية الشريعة بجامعة اليرموك
٣٦	الشيخ العلامة: عبدالمجيد بن عزيز الزنداني	اليمن	رئيس جامعة الإيمان
٣٧	القاضي: يحيى بن يحيى الشبامي	اليمن	وكيل وزارة الأوقاف – سابقا –
٣٨	الشيخ: محمد بن الصادق مغلس	اليمن	القاضي بوزارة العدل
٣٩	د. حيدر بن أحمد الصافح	اليمن	نائب رئيس جامعة الإيمان

م	الاسم	البلد	المنصب العلمي
٤٠	د. صالح بن أحمد الوعيل	اليمن	عميد الدراسات العليا بجامعة الإيمان
٤١	د. أحمد بن حسان علي حسان	اليمن	عميد كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإيمان
٤٢	الشيخ: حسن بن عبدالله يحيى النهاري	اليمن	عضو هيئة التدريس بجامعة الإيمان
٤٣	الشيخ: عادل بن حسن الدميني	اليمن	عضو هيئة التدريس بجامعة الإيمان
٤٤	الشيخ: علي بن محمد حسين الفقيه	اليمن	عضو هيئة التدريس بجامعة الإيمان
٤٥	الشيخ: خالد محمد حمود العربة	اليمن	عضو هيئة التدريس بجامعة الإيمان
٤٦	معالي د. محمد هداية نور واحد	أندونيسيا	رئيس مجلس الشورى
٤٧	أ. د. سليمان عثمان محمد تولا	السودان	مدير جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
٤٨	أ.د. إبراهيم علي محمد	السودان	عميد معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي بجامعة أم درمان الإسلامية
٤٩	أ. د. مهدي رزق الله أحمد	السودان	عضو هيئة التدريس بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
٥٠	د. ربيع بن محمد القمر الحاج	السودان	الندوة العالمية للشباب الإسلامي
٥١	د. بله الحسن عمر مساعد	السودان	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٥٢	د. تراوري مامادو	بوركينا فاسو	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٥٣	د. هارون المهدي ميغا	مالي	عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالنيجر
٥٤	د. ساموكا داود سوماورو	ليبيريا	عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالنيجر
٥٥	د. حسين محمد بوا	أوغندا	عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية بالجامعة الإسلامية
٥٦	د. شعيب محمود سويمبا	أوغندا	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية
٥٧	د. محمد بن عبدالله العروسي	أثيوبيا	عضو هيئة التدريس بمعهد الأئمة والدعاة برابطة العالم الإسلامي
٥٨	د. محمد مرتضى بن عائش	الهند	الباحث في مجال الدراسات الإسلامية

ولولا فضل الله تعالى ومنّته وكرمه وتوفيقه لصاحب السمو الملكي **الأمير - بندر بن عبدالعزيز آل سعود** - حفظه الله - حيث تحمل كافة تكاليف هذا العمل العلمي الضخم وأنفق عليه بسخاء رغبة في خدمة السنة النبوية المطهرة، وتقديم العلم النافع ونشر العلم الشرعي، وهذا لا يستغرب من سموه حفظه الله، لأن حياته حافلة بالدعم السخي لنشر كتب العلم النافع، وقد ورث ذلك من والده **الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود** رحمه الله الذي اهتم بالعلم والعلماء وطلاب العلم.

إن صاحب السمو الملكي **الأمير - بندر بن عبدالعزيز آل سعود** حفظه الله بهذا العمل الصالح يسهم في خدمة العلم وطلابه، ولولا فضل الله تعالى ثم دعم سموه ما كان لهذا العمل العلمي أن يُنجز، فجزى الله سموه كل خير، وأجزل مثوبته، وجعل ذلك في موازين حسناته، وشكر الله له دعمه المتواصل لنشر العلم وخدمة سنة النبي ﷺ.

كتبه

أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

رئيس الفريق العلمي

مقدمة الإمام النووي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الإمام النووي رحمه الله

الحمْدُ للهِ الواحدِ القهَّارِ، العَزيزِ الغفَّارِ، مُكَوِّرِ اللَّيْلِ على النَّهَارِ، تَذْكِرَةً لأُولي القُلُوبِ والأَبصَارِ، وتَبْصرَةً لِذَوي الألبَابِ والاعتِبَارِ، الَّذي أيقَظَ مِنْ خَلْقِهِ مَنِ اصطَفاهُ فَزَهَّدَهُمْ في هذهِ الدَّارِ، وشَغَلَهُمْ بمُراقبَتِهِ وَإِدَامَةِ الأَفكارِ، ومُلازَمَةِ الاتِّعَاظِ والادِّكَارِ، ووَفَّقَهُمْ للدَّأْبِ في طاعَتِهِ، والتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرارِ، والْحَذَرِ مِمّا يُسْخِطُهُ ويُوجِبُ دَارَ البَوَارِ، والمُحافَظَةِ على ذلِكَ مَعَ تَغَايُرِ الأَحْوَالِ والأَطْوَارِ، أَحْمَدُهُ أَبلَغَ حمْدٍ وأَزكَاهُ، وَأَشمَلَهُ وأَنْمَاهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ البَرُّ الكَرِيمُ، الرؤُوفُ الرَّحيمُ، وأشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمّدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ، وحبيبُهُ وخلِيلُهُ، الهَادِي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيمٍ، والدَّاعِي إِلَى دِينٍ قَويمٍ، صَلَوَاتُ اللهِ وسَلامُهُ عَليهِ، وَعَلَى سَائِرِ النَّبيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وسَائِرِ الصَّالِحينَ.

أما بعد: فقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٧] وَهَذا تَصْريحٌ بِأَنَّهُمْ خُلِقوا لِلعِبَادَةِ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإعْرَاضُ عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا بالزَّهَادَةِ، فَإِنَّهَا دَارُ نَفَادٍ لاَ مَحَلُّ إِخْلاَدٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لاَ مَنْزِلُ حُبُورٍ، ومَشْرَعُ انْفِصَامٍ لاَ مَوْطِنُ دَوَامٍ، فلِهذا كَانَ الأَيْقَاظُ مِنْ أَهْلِهَا هُمُ العُبَّادُ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فيهَا هُمُ الزُّهَّادُ. قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

ولقد أَحْسَنَ القَائِلُ:

إنَّ لِلـــــه عِبـــــادًا فُطنـــــا ... طلّقـــوا الـــدُّنيا وخـــافوا الفِتنـــا

نظـــروا فيهـــا فلمّـــا علمـــوا ... أنّهـــا ليـــست لحـــيٍّ وطنـــا

جعلوهـــا لُجَّـــة واتّخـــذوا صـــالح الأعمـــال فيهـــا ســـفنا[١]

فإذا كَانَ حالُها ما وصَفْتُهُ، وحالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَهُ مَا قَدَّمْتُهُ؛ فَحَقٌّ عَلَى الْمُكلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بنفسِهِ مَذْهَبَ الأَخْيارِ، وَيَسلُكَ مَسْلَكَ أُولي النُّهَى وَالأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ لِمَا أَشْرَتُ إليهِ، وَيَهْتَمَّ لِمَا نَبَّهتُ عليهِ. وأَصْوَبُ طريقٍ لهُ في ذَلِكَ، وَأَرشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المسَالِكِ، التَّأَدُّبُ بمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلينَ والآخرينَ، وَأَكْرَمِ السَّابقينَ واللَّاحِقينَ، صَلَواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيهِ، وَعلى سَائِرِ النَّبيِّينَ.

وقـدْ قـالَ اللهُ تعـالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة:٢].

وقد صَحَّ عَنْ رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: ((واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ))[٢].

وَأَنَّهُ قالَ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ))[٣].

وأَنَّهُ قالَ: ((مَنْ دَعَا إلى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئًا))[٤].

وأَنَّهُ قالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: ((فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))[٥].

فَرَأَيتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَرًا منَ الأحاديثِ الصَّحيحَةِ، مشْتَمِلاً عَلَى مَا يكُونُ طَرِيقًا لِصَاحبهِ إلى الآخِرَةِ، ومُحَصِّلاً لآدَابِهِ البَاطِنَةِ وَالظَاهِرَةِ. جَامِعًا للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد ورياضات النُّفُوسِ، وتَهْذِيبِ الأَخْلاقِ،

---

(١) الأبيات للشافعي في ديوانه قافية النون. وانظر: نفح الطيب ٨٦/٢، وفيات الأعيان ٢٦٢/٤، ومرآة الجنان ٢٢٦/٣.

(٢) سيأتي تخريجه برقم (٢٤٥).

(٣) سيأتي تخريجه برقم (١٧٣).

(٤) سيأتي تخريجه برقم (١٧٤).

(٥) سيأتي تخريجه برقم (١٧٥).

وطَهَارَاتِ القُلوبِ وَعِلاجِهَا، وصِيانَةِ الجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ اعْوِجَاجِهَا، وغَيرِ ذلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعارِفِينَ.

وَالتَزِمُ فيهِ أَنْ لا أَذْكُرَ إلاّ حَدِيثًا صَحِيحًا مِنَ الْوَاضِحَاتِ، مُضَافًا إلى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُوراتِ[1]. وأُصَدِّرُ الأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بآياتٍ كَرِيماتٍ، وَأُوشِّحُ مَا يَحْتَاجُ إلى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحِ مَعْنًى خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيهاتِ. وإذا قُلْتُ في آخِرِ حَدِيثٍ: مُتَّفَقٌ عَلَيهِ فمعناه: رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وَأَرجُو إنْ تَمَّ هذَا الْكِتَابُ أنْ يَكُونَ سَائِقًا للمُعْتَنِي بِهِ إلى الْخَيْرَاتِ حَاجِزًا لَهُ عَنْ أنْواعِ الْقَبَائِحِ والْمُهْلِكَاتِ. وأَنَا سَائِلٌ أخًا انْتَفَعَ بِشيءٍ مِنْهُ أنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ، وَمَشَايِخي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أجْمَعِينَ. وعَلَى اللهِ الكَرِيمِ اعْتِمادي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضي وَاسْتِنَادي، وَحَسبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

❁ ❁ ❁

(١) راجع مقدمة رياض الصالحين، الإمام النووي ص ٩، ١٠.

١- باب الإخلاص وإحضار النية

في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[البينة: ٥] وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾[الحج: ٣٧] وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾[آل عمران: ٢٩].

الحديث رقم (١)

١- عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أبي حفصٍ عُمرَ بنِ الْخَطَّابِ بْن نُفَيْل بْنِ عَبْد الْعُزَّى بن رياح بْن عبدِ اللَّهِ بْن قُرْطِ بْنِ رزاح بْنِ عَدِيِّ بْن كَعْبِ بْن لُؤَيِّ بن غالبِ القُرَشِيِّ العدويِّ. رضي الله عنه، قال: سمعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ: ((إنَّما الأَعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فمنْ كانَتْ هجْرَتُهُ إِلَى الله ورَسُولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسُولِهِ، ومنْ كانَت هجْرَتُه لدُنْيَا يُصيبُها، أَو امرَأَةٍ يَنْكحُها فهْجْرَتُهُ إلى ما هَاجَر إليْهِ)) متَّفَقٌ على صحَّتِه[1].

رواهُ إماما المُحَدِّثِين:

أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إِسْمَاعيل بْن إِبْراهيمَ بْن الْمُغيرة بْن بردزْبَهْ الْجُعْفِيُّ الْبُخَارِيُّ، وأَبُو الحُسَيْن مُسْلمُ بْن الْحَجَّاجِ بن مُسلمٍ القُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُوريُّ رَضَيَ الله عَنْهُمَا، في صَحيحيهِما اللَّذَيْنِ هما أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَة في علم الحديث.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي أبو حفص ثاني الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الفاروق.

---

(١) رواه البخاري (٥٤)، ومسلم (١٩٠٧/١٥٥)، وبهذا اللفظ رواه البيهقي في الاعتقاد (ص: ٢٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٥).

كان قبل أن يسلم شديدًا على المسلمين، وكان من أشراف قريش، له السفارة فيهم، فكان يشبه وزير الخارجية في عصرنا، دعا النبي ﷺ أن يُعزّ الإسلام به فقال: ((اللَّهُمَّ أعِزَّ الإِسْلامَ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ خاصَّةً))[1] فأسلم في السنة السادسة من البعثة، فكان إسلامه فتحًا للمسلمين ومنعة لهم. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. فصلى المسلمون عند الكعبة وأظهروا أمرهم. قال عكرمة مولى ابن عباس: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر.

وهاجر إلى المدينة وشهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وأثنى عليه ثناء كبيرًا، من ذلك أنه قال: ((إنَّ اللّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وقَلْبِهِ))[2] وقال: ((لَوْ كانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَر))[3]. وكان هو وأبوبكر الصديق وزيري النبي ﷺ يشاورهما، وكان القرآن ينزل موافقًا لرأيه أحيانًا، وتوفي النبي ﷺ وهو عنه راضٍ، فلما تولى أبوبكر رضي الله عنه كان وزيره ومعاونه الأول، واستخلفه عند موته سنة ١٣هـ، فكانت خلافته خيرًا للمسلمين، فقد فتحت البلاد وبنيت المدن، ففتحت الشام ومصر وفارس وغيرها. وأمر ببناء البصرة والكوفة، حتى قيل: انتصب في خلافته اثنا عشر ألف منبر.

وكان سابقًا لأمور تنظيمية في عهده، فدوّن الدواوين وكتب أسماء المسلمين وأعطاهم العطاء والمرتَّبَات حسب سبقهم إلى الإسلام وبلائهم فيه. وهو أول من أرّخ بالتاريخ الهجري بعد مشورة الصحابة رضي الله عنهم. كل ذلك وهو يَسُوسُ الناس بالعدل، وقد أنزل نفسه من مال الله تعالى بمنزلة كافل اليتيم واتخذ نقشًا لخاتمه: كفى بالموت واعظًا يا عمر.

وقد كان آدم شديد الأدمة - أي أسمر شديد السمرة- طوالاً مشرفًا على الناس كث اللحية أصلع أعسر أيسر، له من الأحاديث ٥٣٧ حديثًا، قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة وهو في صلاة الصبح سنة ٢٣هـ، فكانت مدة خلافته عشر

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٥) وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٨٦) وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٠٩).

سنوات ونصفًا. وفيه قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: كان إسلام عمر فتحًا وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمارته رحمة[١].

غريب الألفاظ:

يصيبها: يحصلها[٢].

الشرح الأدبي

إن كل من يتأمل بلاغة الرسول ﷺ في أحاديثه الشريفة يدرك عن يقين أن المعنى والمبنى يمتزجان في البيان النبوي الكريم، وأن الفكر والأسلوب يتعانقان في هذا الأدب الفصيح المشرق بالتوحيد والهداية، ليقدما للبشرية المنهج الإسلامي السديد المنبثق من هدي القرآن العظيم.

يقول القاضي عياض في معرض الإشادة بأدب النبوة، وأسرار البيان في الحديث النبوي: "إن الرسول ﷺ كان يحمل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم. وخص ببدائع الحِكَم، وعُلِّم ألسنة العرب، فكان يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه، وتفسير قوله، ومن تأمل حديثه وسِيَره علم ذلك وتحققه"[٣].

والحديث الشريف الذي بين أيدينا يدعونا إلى أن نتأمل معانيه في ضوء مبانيه، فالبناء اللغوي هو مفتاح النص للوصول إلى المعاني الممتدة التي لا تتناهى كما يقول

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٦٥/٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٧٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ١٣٧/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٩٤٩، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٦٠/١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٣٤١/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤٥/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢٩٠/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤/١.

(٣) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ص ١٥٨.

الجاحظ، وفي ظل إشراقات وخصائص أساليب الحديث النبوي الشريف، واتكاءً على يقين المؤمن بأنه ﷺ، أوتي جوامع الكلم.

إن هذا الحديث النبوي الشريف يحدد المنهج الصحيح للمسلم في حياته السلوكية والقولية والعملية، وافتتح به الإمام النووي كتابه "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" وكأن هذا الافتتاح إشارة من صاحب هذا المصنَّف الجليل أن يكون إقدامه على هذا العمل مصاحبًا بالنية الحسنة، والعمل الصالح، وأن يتقبل الله منه هذا العمل، وأن تكون ثمرته المغفرة والرضوان، وأن ينتفع به المسلمون وغيرهم في كل زمان ومكان، وشاهِدُ ذلك أنه جعل هذا الحديث في بداية باب "الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية".

ومما يؤكد هذا المنهج السديد في الحرص على سلامة النية والإخلاص في القول والعمل أن النووي صدر هذا الباب بأربع آيات بينات تحض على الإخلاص في العبادة، وفي إقامة الشعائر وفي الإنفاق ، والقربات، وحتى في أحاديث النفس، وحصائد الألسن، وفي كل ما تدبجه أقلام العلماء والأدباء والمفكرين في كل زمان ومكان. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[1].

ولنتأمل جمال الصياغة، ودقة اللغة، وعمق الدلالة، وإشعاع الأسلوب في البناء اللغوي والأدبي.

إن الحديث يتكون في مبناه ومعناه من أربع جمل.. تتصاعد من التعميم إلى التخصيص، وتجنح إلى الإيحاء في ثوب التعريض، وتنأى عن التصريح والتشهير.

الجملة الأولى أو البارقة الأولى تمثل قاعدة كلية من قواعد المنهج الإسلامي: "إنما الأعمال بالنيات" ودلالة هذه الجملة التي صيغت في أسلوب القصر توحي وترشد وتنبئ عن مناسبة الحديث وعن القصة التي أشرقت في سياقها هذه القاعدة الكلية: "إنما الأعمال بالنيات".

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٩.

والتعبير بـ"إنما" يفيد القصر والتأكيد، و"الأعمال" جاءت معرفة بأل: لتفيد العموم، فالأعمال في هذا السياق هي كل ما يقدم عليه الإنسان في حركته الحياتية، فلابد أن تكون هذه الحركة متلبسة بالإخلاص أو مصاحبة له أو مستعينة به.

وفي الجملة إشعاع أسلوبي آخر وهو مجيء "الأعمال" جمعًا وفي بعض الروايات جاء لفظ النية مفردًا "إنما الأعمال بالنية" وقيل إن هذا التصرف اللغوي جمع الأعمال مقابل إفراد النية. لأن النية محلها القلب وهو متحد فناسب إفرادها، بخلاف الأعمال فإنها متعلقة بالظواهر والجوارح فناسب جمعها. فاختلاف الرواية في ألفاظ الحديث خير شاهد على بلاغة الرسول ﷺ وأن كل رواية لها مدلولها وإشعاعها في اتساع المعنى نظرًا لتغير المبنى.

وأما الجملة الثانية في هذا الحديث الشريف فهي: "وإنما لكل امرئ ما نوى"، وهى كذلك تأتي في صيغة: القصر وهذه الصيغة الأسلوبية تجمع بينها وبين الجملة السابقة، ويجمعها كذلك قالب الجملة الاسمية التي تؤكد ثبات المعنى ورسوخ القاعدة، ولا يضعف من ثباتها ارتباطها بزمن دون آخر فكل نفس بما كسبت رهينة، ولكل إنسان في هذا الوجود ما اتجهت إليه مداركه واكتسبته جوارحه، وجاءت هذه الجملة المتممة والموضحة للقاعدة الأولى لبيان أن الأعمال لا يعتد بها شرعًا إلا بالنية المصاحبة لها، وجزاء العامل على عمله بحسب نيته من خير أو شر؛ وبعد هذا الإجمال المشع ببريق الهداية النبوية يفصل المصطفى ﷺ القول ويُضئُ جوانب القصة، ويومئ إلى الظروف والملابسات التي من أجلها كانت هذه المقدمة الكلية التي تصلح من أمر العباد: في السر والعلن، وتجعل للقصد والإرادة دورًا في شرعية العمل، ومسؤولية الفعل.

وحين نتساءل – لماذا جاءت الهجرة في هذا السياق، ولم تأت الإشارة إلى أي حادث آخر؟ ولماذا لم يحدد رسول الله ﷺ اسم ذلك المهاجر لدنيا يصيبها؟، ولماذا كرر الجملة الكريمة فهجرته إلى الله ورسوله؟، ولماذا لم تتكرر العبارة الأخرى المقابلة للحدث الأول المصاحب للنية الإيمانية، واكتفى المصطفى ﷺ بقوله " فهجرته إلى ما هاجر إليه"؟ والحادثة التي يومئ إليها رسول الله ﷺ هي كما يروي عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث يقول: "كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس، فأبت أن

تتزوجه حتى يهاجر، فهاجر فتزوجها: يقول ابن مسعود رضي الله عنه: فكنا نسميه مهاجر أم قيس، وقيل اسمها قيلة؛ ولم يحدد الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الرجل: سترًا عليه"، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولأن المصطفى صلى الله عليه وسلم: أوتي جوامع الكلم، فقد أراد أن لا يكون الحكم مرتبطًا بحدث واحد، ومحدودًا بإطار زماني ومكاني محدد، ولكن لابد أن يكون التوجيه النبوي لكل صاحب نية وقصد وإرادة، ولكل من يُقْدِم على إنجاز عمل، وصياغة فكر، وأداء شعيرة.

وهذا التميز الأسلوبي، وصفاء الحاسة، وثقوب الذهن، واجتماع النفس، وقوة الفطرة، كل هذه السمات نبعت من التوفيق والنشأة، مع عنصر التوفيق الإلهي حيث اصطنعه لوحيه، ونصبه لبيانه، وخصه بكتابه، واصطفاه لرسالته – كما قال الرافعي.

وبهذا البيان السامق يشيد الأديب الانجليزي "توماس كارليل". حيث يقول: "وقد لاحظوا: أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة وإني لأعرف أنه كان كثير الصمت. يسكت حيث لا موجب للكلام، فإذا نطق فما شئت من أدب وفضل وإخلاص وحكمة، لا يتناول غرضًا فيتركه إلا وقد أنار شبهته، وكشف ظلمته وأبان حجته واستثار دفينته وهكذا يكون الكلام ... وإلا فلا".

وجاءت الجملتان الثالثة والرابعة في قالب الشرط والجواب لكي يعرف كل إنسان أن الجزاء من جنس العمل "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله" فالجزاء كناية عن شرف الهجرة وكونها بمكانة عنده تعالى، أو عن كونها مقبولة مرضية والتعبير بالفعل "كان" هنا لا يرتبط بالزمن الماضي، وإنما يدل على الكينونة وثبات الفعل، لأن الأزمنة تستوي في الحكم التكليفي إلا لمانع -كما يقول العلماء، وكرر جملة الجواب بالصيغة نفسها في قوله "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" لكون ذلك أبلغ في الهجرة إليهما.

ولم تتكرر عبارة الجواب في قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه" لأن عدم التكرار هنا يدل على رفض

الرسول ﷺ لهذه النية التي لم تُخْلص لله ولا لرسوله، وكذلك يرشد عدم تكرار جملة الجواب إلى أن العدول عن ذكرهما أي ذِكْر الدنيا والمرأة أبلغ في الزجر عن قصدهما.

وقال بعض الصالحين "إنما الأعمال بالنيات" يتعلق بما وقع في القلوب من أنوار الغيوب، والنية جمع الهمة في تنفيذ العمل للمعمول له، وألا يسنح في السر ذكر غيره.

إن هذا الحديث الجامع يهذب السلوك الإنساني، ويضع سلوك المؤمن الذي يبتغي وجه الله تعالى في كل أحواله في قمة الأعمال الصالحة التي في ظلالها المؤمنة تتقدم المجتمعات وتصلح الأمم.

وفي أحاديث كثيرة يتأكد هذا المنهج الإسلامي السديد وهو الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية .

ومن هذه الأحاديث النبوية الهادية إلى هذا الطريق السوي حديث رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((يحشر الناس على نياتهم))[1].

وروى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

((من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نوى))[2] وقيل صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية.

فقه الحديث

هذا الحديث الشريف هو الأساس الذي بنيت عليه القاعدة الفقهية الكبرى: "الأمور بمقاصدها"[3] قال الخطابي: (وهذا الحديث أصل كبير من أصول الدين، ويدخل في أحكام كثيرة ... ومعناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدِّين إنما تقع بالنية، وأن النيات هي الفاصلة بين ما يصح منها وبين ما لا يصح)[4]. وقال الشاطبي:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٢/٢ رقم ٩٠٩٠، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه النسائي ٣١٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٩٤١).

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، السيوطي ص ٣٩ وما بعدها، والأشباه والنظائر، ابن نجيم ص ٩ وما بعدها.

(٤) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، الخطابي ١١٢/١.

(إن الأعمال بالنيات والمقاصد معتبرة في التصرفات من العبادات والعادات، والأدلة على هذا المعنى لا تنحصر، ويكفيك منها أن المقاصد تفرق بين ما هو عادةً وما هو عبادة، وفي العبادات ما هو واجب وغير واجب، وفي العادات بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه والمحرم والصحيح والفاسد وغير ذلك من الأحكام ... وأيضًا: فالعمل إذا تعلق به القصد تعلقت به الأحكام التكليفية وإذا عرى عن القصد لم يتعلق به شيئ منها كفعل النائم والغافل والمجنون)[١].

وقال ابن رجب في شرح الحديث: (هاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء)[٢] وخلاصة الموضوع أن (هذا الحديث من جوامع الأحاديث للأحكام الشرعية)[٣] (والواقع أنها قاعدة عالمية الاعتبار ولها تفاريع جمة واسعة النطاق في كتب الفقه والقانون)[٤]. ويذكر ابن رجب صورًا لبيان أثر النية في التكاليف الشرعية فيقول: (وأما النية بالمعنى الذي يذكره وهو أن تمييز العبادات من العادات وتمييز العبادات بعضها من بعض، فإن الإمساك عن الأكل والشرب يقع تارة حِمْية[٥] وتارة لعدم القدرة على الأكل، وتارة تركًا للشهوات لله عز وجلّ، فيحتاج في الصيام إلى نية ليتميز بذلك عن ترك الطعام على غير هذا الوجه، وكذلك العبادات: كالصلاة والصيام منها فرض ومنها نفل. والفرض يتنوع أنواعًا فإن الصلوات المفروضات خمس صلوات كل يوم وليلة، والصوم الواجب تارة يكون صيام رمضان، وتارة صيام كفارة، أو عن نذر، ولا يتميز هذا كله إلا بالنية، وكذلك الصدقة تكون نفلاً وفرضًا، والفرض منه زكاة، ومنه كفارة، ولا يتميز إلا بالنية، فيدخل ذلك في عموم قوله ﷺ: "إنما لكل لامرئ ما نوى" وفي بعض ذلك اختلاف مشهور

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ٢/٣٢٣-٣٢٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧٢.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ٢/٣٤٠ نقلاً عن جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي ١/١٣٠.

(٤) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي ١/١٣٢.

(٥) الحمية: الإقلال من الطعام ونحو مما يضر. الوسيط "حمى".

بين العلماء...)[١]. وهو يسقط الألم النفسي عن كثير غاب عنهم الذكر باللسان مع ربط الفعل بالقلب، كالإمساك عن الطعام خشية أذان الفجر، والاغتسال لرفع الجنابة مع نسيان النطق وسبق اللسان بما يخالف القلب ومقتضى الحال كمن نطق صلاة العصر بلسانه وهو ينوي الظهر بقلبه ويصليه في الوقت نفسه.

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية النية في الأعمال.

ثانيًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الهجرة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: ارتباط النوايا بالأعمال وأثر النية في العمل.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية النية في الأعمال:

لقد اشتمل هذا الحديث النبوي الشريف على بيان أهمية النية في الأعمال. حيث بيّن النبي ﷺ ذلك في قوله: "إنما الأعمال بالنيات"، قال النووي: (أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته)[٢]، وقال القاضي عياض: (ذكر الأئمة أن هذا الحديث ثلث الإسلام وقيل: ربعه، وأن أصول الدين وعمده من عمل الطاعات)[٣]، ومفسر لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٤].

قال بعض شيوخنا: (قوله "إنما الأعمال بالنيات" يرجع إلى معنيين: أحدهما: تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد، والآخر: تجريده بخالص السنة)[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٨٥/١.

(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢١.

(٣) كذا في المطبوع والغالب على الظن أن هناك سقطًا، وأن العبارة هي: "وأنه أصل من أصول الدين وعمدة من عمل الطاعات" والله أعلم.

(٤) سورة البينة، آية: ٥.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٣٢/٦.

قال جماهير العلماء من أهل العربية والأصول وغيرهم: (لفظة "إنما" موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه، فتقدير هذا الحديث: إن الأعمال تحسب بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية، وفيه دليل على أن الطهارة وهي: الوضوء والغسل والتيمم لا تصح إلا بالنية، وكذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج وسائر العبادات)[1].

إن النية لها منزلة عظيمة في كل عمل خير يقوم به الإنسان، ليحقق من خلاله مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ، لذا ينبغي للداعية أن يؤكد على هذه المعاني العظيمة في الدعوة إلى الله تعالى، فيرسخ في أذهان المدعوين أهمية النية لكل عمل يقوم به الإنسان، ويحثهم على الإخلاص لله تعالى، لأن النية لها مدار عظيم في الأعمال، فلربما لا يتمكن الإنسان من إنجاز العمل -الذي نواه- أو إكماله فيجازيه الله تعالى على نيته الحسنة، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال السعدي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾: (أي: لا يجدون زادًا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد- أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢١.

(٢) سورة التوبة، آية: ٩١.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن إلى غيره، في نفسه أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن -وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان)[١].

ومما يؤكد ذلك قول النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: ((لَقَدْ تَرَكْتُمْ بالْمَدِينَةِ أقْوامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلا أنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ إلاَّ وَهُمْ مَعَكُم فِيهِ. قالُوا: يا رَسُولَ الله وَكَيْفَ يَكُونُونَ مَعَنَا وَهُمْ بالمَدِينَةِ؟ قال: حَبَسَهُم الْعُذْرُ))[٢].

قال المهلب: يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾، الآية. فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولي الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين. وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل[٣].

ثانيًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن ذلك يتأكد من خلال إرشاد النبي ﷺ لأهمية النية في الأعمال، وتأكيده ﷺ "أن لكل امرئ ما نوى" ثم ذكره ﷺ لما يؤكد ذلك من قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ...)، ولا شك أن ذلك مما ينبغي أن يتصف به الداعية، حيث يكون مرشدًا للمدعوين إلى ما ينفعهم، وقد كان النبي ﷺ أسوة في ذلك، حيث قام بإرشاد أمته إلى فعل ما ينفعها، من تصحيح النية وإخلاصها لله تعالى، وهذا مما ينبغي أن يتحلى به الداعية في إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، مثل بيان أهمية النية في الأعمال.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٣٣، وأبو داود ٢٥٠٨، واللفظ لأبي داود.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الهجرة:

إن للهجرة منزلة عظيمة في الإسلام، لأنها كانت مرحلة تحول عظيمة بالنسبة للدعوة الإسلامية، فكانت الهجرة برهانًا عظيمًا على صدق الإيمان والاتباع للنبي ﷺ حيث ترك المهاجرون ديارهم وأموالهم، وكل ما يملكون رغبة في نصرة الإسلام، وتحملوا ألوان المشقة والعذاب، وصبروا واحتسبوا طمعًا في نشر الدعوة الإسلامية، من خلال الإسهام في توفير المناخ الاجتماعي المناسب، الذي يمكن أن تترعرع فيه الدعوة الإسلامية، ويتسنى للمسلمين الانسياح في الأرض، والنهوض بالمسؤولية التي حملّهم الله تعالى إياها في البلاغ، ولذا أثنى الله تعالى على هؤلاء الذين هاجروا لنصرة دينه ومؤازرة نبيه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

قال ابن كثير: "لقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[3].

وأحسن ما قيل في قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾[4]. أي: لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله تعالى على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٧٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٧.

(٤) سورة الحشر، جزء من آية: ٩.

المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك[١].

(إنه لعِظَم شأن الهجرة فقد فضل الله تعالى المهاجرين على الأنصار، لأن هؤلاء المهاجرين تركوا ديارهم وأوطانهم وأهليهم وأموالهم، وفَرُّوا بدينهم مهاجرين إلى الله تعالى ورسوله، لأن أعظم الهجرة: الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام)[٢].

لقد فصّل النبي ﷺ في هذا الحديث الإجمال بمثال تطبيقي واضح فقال: "فمن كانت هجرته" من دار الكفر إلى دار الإسلام "إلى الله ورسوله" أي مخلصًا قصدًا ونية ابتغاء رضوان الله تعالى "فهجرته إلى الله ورسوله" ثوابًا وخيرًا، فالشرط إذًا غير متحد مع الجزاء، لأنهما وإن اتحدا لفظًا فقد اختلفا معنى. "ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها" أي من هاجر لتحصيل منفعة دنيوية، من جاه أو مال أو (امرأة ينكحها) يتزوجها (فهجرته إلى ما هاجر إليه) أي مقصورة على قصده، لا تترقى إلى مثوبة الله سبحانه وتعالى، وقد قسم العلماء الهجرة إلى ستة أقسام:

القسم الأول: الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وهي باقية إلى يوم القيامة، والتي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح)[٣] هي القصد إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة للإقامة بها.

القسم الثاني: الخروج من أرض البدعة، قال ابن القاسم: سمعت مالكًا يقول: لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسبّ فيها السلف[٤]، وليس ذلك فحسب، بل ينبغي للمسلم أن يهجر كل عمل نُهي عنه، وأن يهجر ما نهاه الله تعالى عنه من المعاصي والفسوق، كما قال النبي ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهى اللّهُ عنه))[٥]، فاهجر كل ما حرّم الله تعالى عليك، سواء كان مما يتعلق بحقوق الله

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٦/٤.

(٢) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين ١٢/١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٧٧، ومسلم ١٨٦٤.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٥.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٤٨٤، ومسلم ٦٥.

تعالى أو مما يتعلق بحقوق عباد الله تعالى.

بل تشرع هجرة مَنْ يجاهر بالمعصية - أي تركه أو الإعراض عنه- قال أهل العلم: مثل الرجل المجاهر بالمعصية الذي لا يبالي بها، فإنه يُشرع هجره إذا كان في هجره فائدة ومصلحة، والمصلحة والفائدة أنه إذا هُجر عرف قدر نفسه، ورجع عن المعصية.

أما إذا كان الهجر لا يفيد ولا ينفع وهو من أجل معصية لا من أجل كفر، لأن الكافر المرتد يُهجر على كل حال -أفاد أم لم يفد- لكن صاحب المعصية التي دون الكفر إذا لم يكن في هجره مصلحة؛ فإنه لا يحل هجره؛ لأن الرسول ﷺ قال: ((لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ. يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذَا وَيُعْرِضُ هذَا. وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ))[(١)(٢)].

القسم الثالث: الخروج من أرض يغلب عليها الحرام؛ فإنَّ طَلَب الحلال فريضة على كل مسلم[(٣)]، وتسمى هذه: هجرة المكان كأن ينتقل الإنسان من مكان تكثر فيه المعاصي ويكثر فيه الفسوق، وربما يكون بلد كفر إلى بلد لا يوجد فيه ذلك، وأعظمه الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وقد ذكر أهل العلم أنه تجب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يُظهر دينه، وأما إذا كان قادرًا على إظهار دينه ولا يُعارض إذا أقام شعائر الإسلام؛ فإن الهجرة لا تجب عليه ولكنها تستحب، وبناءً على ذلك يكون السفر إلى بلد الكفر أعظم من البقاء فيه، فإذا كان بلد الكفر الذي كان وطن الإنسان إذا لم يستطع إقامة دينه فيه وجب عليه مغادرته والهجرة منه فكذلك إذا كان الإنسان من أهل الإسلام ومن بلاد المسلمين فإنه لا يجوز له أن يسافر إلى بلاد الكفر لما في ذلك من الخطر على دينه وعلى أخلاقه ولما في ذلك من إضاعة ماله ولما في ذلك من تقوية اقتصاد الكفار...)[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٧، ومسلم واللفظ له ٢٥.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين١/١٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٥.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، محمد بن صالح العثيمين ١/١٢.

القسم الرابع: الفرار من الأذية في البدن. وذلك فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي على نفسه في مكان فقد أذن الله تعالى له في الخروج عنه. والفرار بنفسه يخلصها من ذلك المحذور.

القسم الخامس: الخروج خوف المرض من البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة، وقد أذن ﷺ للعرنيين في ذلك حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المرج[(١)].

القسم السادس: الخروج خوفًا من الأذية في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دينه[(٢)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: ارتباط الأعمال بالنوايا وأثر النية في العمل:

إن من مظاهر عظمة الإسلام وتميّزه على سائر الأديان وسمو تعاليمه، أن ربط بين الأعمال والنوايا، فكل عمل يستمد أجره من خلال نية صاحبه، ويُسلب أجره من خلال النية السيئة؛ ولذا فإنه يمكن القول أن الأعمال تدور مع النوايا، ومما يؤكد ذلك قوله ﷺ في هذا الحديث: "إنما الأعمال بالنية"، هذا الحديث من أعظم أصول الإسلام، وذكر القاضي عياض عن الأئمة أن هذا الحديث ثلث الإسلام، وجّهه العيني: في عمدة القاري بأن الإسلام قول، وفعل، ونية. فالنية ثلث الإسلام، وهذا الحديث يتضمنها. وقال ابن مهدي الحافظ: من أراد أن يصنف كتابًا: فليبدأ بهذا الحديث ولو صنفت كتابًا لبدأت في كل باب منه بهذا الحديث.

وقال أبو بكر بن داسة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن النبي ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث في الأحكام، فأما أحاديث الزهد والفضائل فلم أخرجها. ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: الأعمال بالنيات، والحلال بيّن والحرام بيّن[(٣)]، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٣، ومسلم ١٦٧١.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

يعنيه[١]، ولا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه[٢][٣].

والنية كما فسّرها البيضاوي: عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا لغرض من جلب نفع، أو دفع ضر حالاً أو مآلاً. والشرع خصّصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله تعالى وامتثال حكمه. والنية في الحديث محمولة على المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه على ما بعده، وتقسيمه أحوال المهاجر، فإنه تفصيل لما أجمل.

ثم تقدير عبارة الحديث: "إنما الأعمال تثاب بالنية" فلا يثاب الرجل على عمل صالح إلا إذا أراد به وجه الله تعالى ، والمراد من الأعمال: الأعمال المشروعة، كما دل عليه تمثيلها بالهجرة، فالأعمال غير المشروعة لا يثاب عليها، وإن باشرها المرء بنية صالحة. أما الأعمال المشروعة سواء كانت واجبة أو مسنونة أو مباحة، فيؤجر عليها بحسب النية، فالأمور المباحة لا ثواب عليها ولا عقاب، ولكن إذا أتى بها الإنسان بنية حسنة أثيب عليها، مثل: أكل الطعام، فإنه مباح، ولكن إذا أكَلَ الرجل بنية التقوِّي على الحسنات، أثيب عليه أيضًا.

ومقصود الحديث التأكيد على إخلاص الأعمال الصالحة لله تعالى، وتطهيرها عن شوائب الرياء والسمعة، والأغراض الدنيوية، وقد أطال العلماء رحمهم الله في بيان حقيقة النية والإخلاص وأحكام ما يشوبها من الشوائب.

قوله: "وإنما لكل امرئ ما نوى" قال النووي: (قالوا: فائدة ذكره بعد "إنما الأعمال بالنية" بيان أن تعيين المنوي شرط، فلو كان على الإنسان صلاة مقضية لا يكفيه أن ينوي الصلاة الفائتة، بل يشترط أن ينوي كونها ظهرًا أو غيرها، ولولا اللفظ الثاني لاقتضى الأول صحة النية بلا تعيين، أو أوهم ذلك)[٤]. أي دلّ عليه.

وذكر السمعاني في أماليه ما يفيد أن اللفظ الأول ينبئ عن اشتراط الإخلاص في

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥، وهو بلفظ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

(٣) انظر: عمدة القاري، العيني ١/٢٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢.

ثواب الطاعات، واللفظ الثاني لبيان أن الأعمال الخارجة عن العبادة لا تفيد الثواب إلا إذا نوى بها فاعلها القربة، كالأكل إذا نوى به التَّقَوِّي على الطاعة. وهذا أوضح ما قيل في الفرق بين الجملتين[١].

قال ابن القيم: "أما العبادات فتأثير النيات في صحتها وفسادها أظهر من أن يحتاج إلى ذكره؛ فإن القربات كلها مَبْنَاها على النيات، ولا يكون الفعل عبادة إلا بالنية والقَصْد[٢].

وقال السيوطي: "ومن أحسن ما استدلوا به على أن العبد ينال أجرًا بالنية الصالحة في المباحات والعادات، قوله ﷺ "ولكل امرء ما نوى" فهذه يثاب فاعلها إذا قصد بها التقرب إلى الله تعالى، فإن لم يقصد ذلك فلا ثواب له..."[٣].

وقوله ﷺ: ((وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ))[٤].

وقال النووي: "وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصالحات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعًا من النظر إلى الحرام، أو الفكر فيه، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد"[٥].

وقد دلّ هذا الحديث الذي نحن بصدده على ما يلي:

١- أن النية من الإيمان، لأنها عمل القلب، والإيمان عند أهل السنة والجماعة تصديق بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالأركان. لذلك أورد الإمام البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٤، وتكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني٣/٣٧٠ ، ٣٧١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ص ٦٠٠ - ٦٠١.

(٣) شرح السيوطي على سنن النسائي، السيوطي ١/١٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤١.

٢- كما في الحديث دليل على أنه يجب على المسلم قبل القدوم على العمل أن يعرف حكمه، هل هو مشروع، أم لا، هل هو واجب أم مستحب، لأن في الحديث العمل يكون منتفيًا - من الأجر- إذا خلا من النية المشروعة فيه.

٣- والحديث يدل على اشتراط النية في أعمال الطاعات، وأن ما وقع من الأعمال بدونها غير مُعْتدٍّ به[١].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

إن الترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة التي يمكن أن يفيد منها الداعية في دعوته.

وقد رغب رسول الله ﷺ في هذا الحديث في إخلاص النية لله تعالى والتوجه بالأعمال خالصة لوجهه سبحانه، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك بأسلوب عملي من خلال بيان الهجرة الخالصة لله ورسوله، حيث قال ﷺ: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله). وذلك للترغيب في الإخلاص في الأعمال، والترهيب من عدم الإخلاص في العمل، والحث على فعل الخير، وأداء الطاعات، والاستقامة على أمر الله تعالى في الكتاب والسنة مقرونًا ببُشريات كثيرة في الدنيا والآخرة معًا، ولذا وجب على الداعي أن يقدم البشارة قبل النذارة والترغيب قبل الترهيب.

فالداعي يقدم الترغيب في الإخلاص قبل الترهيب من الرياء، والترغيب في نشر العلم على الترهيب من كتمانه، والترغيب في الصلاة في وقتها قبل الترهيب من تركها وهكذا؛ لأن أسلوب الترغيب قد يكون أجدى وأنفع من تقديم الترهيب دائمًا في كل حديث فليست طبيعة الناس واحدة.

إنه لا يمكن تجاهل الترهيب لاختلاف طبائع النفوس، ولكنه يبشر أولاً قبل أن ينذر، علّ القلب يستجيب والنفس تستقيم وهذا أسلوب القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ كمنهج واضح المعالم في التعامل مع نفوس البشر، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي

---

(١) انظر: قواعد وفوائد من الأربعين النووية، ناظم محمد سليمان ص ٣٢ - ٣٥.

(٢) سورة الملك، آية: ١٤.

هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[١]. وفي سورة غافر قال: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[٢].

ويدعو القرآنُ الناسَ إلى الإيمان فيشعرهم بالجائزة التي تنتظرهم فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]، فينبغي الترغيب في الإيمان، والعمل الصالح وما يجلبان من خير للمسلم في دنياه؛ لأن من طبيعة النفس الإنسانية أنها تطمع في سعة العيش، ويسر الرزق.

ولذا وجدنا رسول الله ﷺ لا يقنِّط الناس من رحمة الله تعالى بل يحببهم ويرغبهم في الطاعات، واسمع إلى أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)) قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: ((فَذٰلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا))[٤].

فأنت ترى ترغيبًا قبل ترهيب لتتفتح القلوب الغلف والعيون العمي والآذان الصم، وتشتاق النفس إلى هذا الخير الذي ينتظرها، فتنجذب إليه، ولا تستثقل فعله فإذا بها تسارع إلى الخيرات حين تستشعر رحمات الله عليها.

فعلى الداعي أن يفقه حال المدعو حين يدعوه فلا يرهب أحدًا قبل أن يرغبه فبعض الناس وهم يعيشون بعيدًا عن طاعة الله تعالى يوسوس لهم الشيطان كأن أملاكهم ستسلب وأعمارهم ستنتهي بمجرد التزامهم بمنهج الله تعالى، فلا ملك عريض ولا حياة طيبة فإن أطاعوا أوامر الله انتهت حرياتهم التي لا حدود لها، وسينتقلون إلى شظف العيش ومرارة الحرمان... هؤلاء يحتاجون إلى أن نبين لهم خزائن الله تعالى التي لا تنفد والحياة الرغدة التي تنتظرهم[٥].

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة غافر، آية: ٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم واللفظ له ٦٦٧.

(٥) انظر: الدعوة قواعد وأصول، أ. جمعة أمين عبدالعزيز ٢٠٨ - ٢٠٩.

الحديث رقم (٢)

٢- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ». قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِم وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُون عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]، هذا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها: عائشة بنت أبي بكر الصديق عبدالله بن عثمان التيمي، كانت تكنى بابن أختها أسماء (عبدالله)، كناها بذلك رسول الله ﷺ، روت عن رسول الله ﷺ من العلم الكثير الطيب المبارك فيه، وروى لها الجماعة، ويبلغ مسندها (٢٢١٠) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على (١٧٤) حديثًا، وانفرد البخاري بـ (٥٤)، ومسلم بـ (٦٩).

وكان النبي ﷺ قد تزوجها قبل الهجرة، وبنى بها في المدينة وهي بنت تسع سنين، بعد منصرفه من غزوة بدر في شوال، ومكثت معه تسع سنين، ومات رسول الله ﷺ وعمرها ثمانية عشر سنة.

وكان النبي ﷺ قد أُريها قبل أن يتزوجها مرتين في المنام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((أُريتُك في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك فاكشفها فإذا هي أنت، فأقول: إن يكن هذا من عندالله يُمضه))[2] وكانت عائشة رضي الله عنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه وأفضلهن منزلة عنده، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١١٨ واللفظ له، ومسلم ٢٨٨٤/٨. أورده المنذري في ترغيبه ١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠١١، ومسلم ٢٤٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤١١، ومسلم ٢٤٣١.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: ((أي الناس أحب إليك؟ قال عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها))[1] وكان حب رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها أمرًا مستفيضًا فكان الناس يتحرون بهداياهم يومها إرضاءً له ﷺ فعن هشام عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة، فقلن: يا أم سلمة، والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمُري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يُهدوا إليه حيثما كان -أو حيثما دار- قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عنها، فلما عاد إليَّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان من الثالثة ذكرت له، فقال: يا أم سلمة لا تُؤْذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها))[2] ولم ينكح رسول الله ﷺ بكرًا غيرها.

وبرّأ الله ساحتها في حادثة الإفك من فوق سبع سماوات، وأنزل في ذلك قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة.

أما علمها فكانت أفقه الناس وأعلمهم وأحسنهم رأيًا، قال الزّهْري: لو جمع علم عائشة رضي الله عنها إلى جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل، وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة، وقال هشام عن عروة عن أبيه: ما رأيت أحدًا أعلم بفقهٍ ولا بطب ولا بشعر من عائشة. ولها خطب ومواقف وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعرًا، وكان أكابر الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى علمها، عدَّها ابن سعد في الطبقات من أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ ورَوى بسنده عن محمود بن لبيد قال: كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيرًا، ولا مِثلاً لعائشة وأم سلمة، وكانت عائشة رضي الله عنها تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٥، ومسلم ٣٧٧٥.

وكانت رضي الله عنها مضرب المثل في الكرم والسخاء، فكانت من أكرم أهل زمانها وأعظمهم سخاءً، وفضائلها ومناقبها من الكثرة بمكان.

وكانت ممن نقم على عثمان عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، وكان لها في هودجها بوقعة الجمل موقفها المعروف.

توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان أو شوال سنة (٥٧) أو (٥٨)، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، وكانت قد أمرت أن تُدفن ليلاً، فدفنت بعد الوتر بالبقيع، ونزل في قبرها خمسة من محارمها هم ابنا أختها أسماء "عبدالله وعروة"، وابنا أخيها محمد "القاسم وعبدالله"، وابن أخيها عبدالرحمن "عبدالله"[١].

غريب الألفاظ:

البَيْداءُ: الصحراء؛ سُمِّيت كذلك لأنها تُبيد مَن يحلُّها أي تهلكه[٢].

يُخسَفُ بأولهم: يُغَيَّبون في الأرض، فتغور بهم تحت أقدامهم[٣].

أسواقهم: جمع سُوقٍ، والمُراد أهل أسواقهم، فحذف المضاف إليه وأبقى المضاف، يعني الذين لا يقاتلون[٤]. وقيل العبيد الذين يؤمرون فيخرجون غير مقتنعين ولكنهم يساقون للقتال مكرهين[٥].

---

(١) انظر: الطبقات، ابن سعد ٢/٣٧٤، ٣٧٨، ٨/٥٨-٨١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩١٨-٩٢١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٧/١٨٦-١٨٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٧٢٦، ٢٧٢٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٢/١٣٥-٢٠١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٨/٥٥٢-٥٥٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٨٠، ٦٨١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣/٢٤٠، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١/٩٦-١٢٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي د)، لسان العرب، ابن منظور في (ب ي د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والوسيط في (خ س ف).

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٩٩، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ق).

(٥) لسان العرب في (س و ق).

الشرح الأدبي

إن مكة المكرمة، بلد الله الحرام "والبلد الأمين" تنبع قيمتها من إجلال القرآن الكريم لها ... مكانًا ... وموقعًا وتأثيرًا في مسيرة التاريخ الإنساني، وهذا القدر من الجلال والجمال والكمال تشع أضواءه من بريق النص القرآني الكريم حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وفي سورة المائدة يشرق هذا التعظيم للكعبة المشرفة في سياق التنبيه والحض على الحفاظ على حرمتها .. والإقرار بقداستها، وحتمية صد المعتدين عنها. فهي مثابة للناس وأمن للعالمين يقول الله عز وجل: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

والحديث النبوي الشريف ينبه جموع المسلمين إلى أن الكعبة المشرفة التي صانها الله عز وجل قد تتعرض لأذى المعتدين، وجموح المغيرين الحاقدين الذين يكيدون للإسلام، وهذا التنبيه النبوي جاء في صيغة إنذار مستقبلي حتى يستعد المؤمنون للدفاع عن بلد الله الحرام. تنفيذًا للأمر الإلهي: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

والصيغة المستقبلية تكمن في التعبير بالفعل المضارع يغزو جيش الكعبة. ومن أسرار هذا التعبير المستقبلي أنه فيه إيحاء بأن هجوم أبرهة على الكعبة في عام الفيل ليس مقصودًا في هذا الحديث، وإنما يمكن أن يحاول الكفار تكرار مثل هذا الصنيع، وكما هُزِمَ السابقون وأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، وجعلهم الله كعصف مأكول، فإن أي محاولة من أعداء الإسلام تحاول النيل من قداسة البيت الحرام فإن مآلها الهلاك والخسران المبين -كما أنبأ رسول الله ﷺ.

ومجيء لفظ "جيش" في ثوب النكرة له دلالة وسر تعبيري حيث لم يحدد الرسول ﷺ الجيش ولم يُعرِّفه وإنما جعل الأمر مشاعًا حتى لا يتحدد هذا الجيش بزمان أو مكان أو عنصر أو مذهب وإنما تظل دلالته غائمة مجهولة، وذلك أدعى إلى زيادة الحرص واستمرارية الاستعداد والتصدي الدائم واليقظة الكاملة. ويحدد الرسول ﷺ مصير هؤلاء المغيرين الذين سيلقون مصير أصحاب الفيل. ويجئ هذا التحديد في قالب لغوي يشع بالدلالة المرادة حيث كان أسلوب الجزاء والشرط هو ذلك القالب اللغوي اليقيني في قول رسول الله ﷺ: ((فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم)).

وأداة الشرط "إذا" تفيد التحقق واليقين، والبيداء: هي الأرض الملساء التي لا شيء فيها كما يقول القرطبي والتحديد المكاني لهلاك هؤلاء المغيرين ينبئ عن رحمة الله بأهل البلد الأمين، وعن حمايته للكعبة المشرفة؛ لأنه لن يخسف بهؤلاء المعتدين وهم في مكة، فهي كلها بلد آمنٌ طيرها آمنٌ وشجرها آمنٌ، وجبالها تسبح بحمد ربها ولذلك يصف رسول الله ﷺ مكان الخسف بأنه بيداء ولم يحدد هذا المكان، وإنما قال بيداء من الأرض وكأن هذا إشارة إلى أن عذاب الله تعالى سيصيب المعتدين في أي مفازة يهربون إليها. وهذا العذاب يأخذ صفة العموم ويصاغ في أسلوب لغوي دال وهو صيغة المبني للمجهول "يخسف بأولهم وآخرهم" وكأن المصطفى ﷺ بهذه الصيغة ينبه إلى احتقار الله تعالى ونبذه لهؤلاء الطاغين الغازين فهم لا يستحقون أن يعرفوا

مصدر ذلك الخسف لأنهم لم يعظموا شعائر الله تعالى ولم يصونوا حرمة البيت العتيق، فهم ليسوا أهلاً للتعريف بأن الله هو الذي خسف بأولهم وآخرهم، وتبرق إشارة أخرى في سياق هذا التعبير وهو أنه لا يُلْحِقُ بالمعتدين الخسفَ إلا الله عز وجل وليس في مقدور أحد من البشر ذلك. وفي الخسف الذي لحق بقارون وبداره خير عظة وأعظم عبرة، قال تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴾[1].

ولنتأمل هذا الحوار الرشيد بين رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها. وهو من أساليب الإقناع، وعوامل التأثير؛ حيث تعرض عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لقضية من قضايا الإسلام الأساسية وهى: المسؤولية الخاصة عن الفعل الذي تدفع به الإرادة والنية وهذه القضية ومتعلقاتها هي التي جعلت الإمام النووي يدرج هذا الحديث الشريف في باب الإخلاص وإحضار النية فتأمل وليس في باب القتال؛ وتعجب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ليس اعتراضًا ولكنه رغبة في معرفة الحقيقة قالت: يا رسول الله ... وفي هذا النداء الحبيب إلى النفس من عائشة رضي الله عنها تقدير ومحبة لرسول الله ﷺ ويوحي بأنها لا تنكر شيئًا من مقالة رسول الله ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى وإنما تريد معرفة الحكم في هذه القضية حتى لا يلتبس الأمر على جموع المؤمنين. قالت: "كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم". ومعنى "أسواقهم" أي: أهل أسواقهم أو السوق أى العوام الذين لم يخرجوا للقتال وإنما يبيعون ويشترون أو أنهم ليسو من جنس هؤلاء المعتدين أو أنهم التقوا بهم في الطريق ولم يعرفوا مقصدهم.

وهذا السؤال الذي يبحث عن حقيقة الموقف لا يظل حائرًا ولكن يُحدِّد الرسول ﷺ الأمر في إيجاز وإقناع، ويجعل المصير مرتبطًا بالنية والقصد والإرادة فيقول في إجابته الكافية الشافية الوافية.. التي تطمئن كل مسلم يطوف بذهنه مثل هذه المسألة يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم.

---

(١) سورة القصص، آية: ٨١.

وفي الحديث الشريف تحذير من مصاحبة العصاة والملاحدة والكفار، فلا تكون الصحبة لهم إلا للاضطرار وبعض المنافع الدنيوية التي لا تؤثر في عقيدة المسلم ولا تجعل الشك يتسرب إلى نفسه.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قال المهلب: في هذا الحديث إن من كثّر سواد قوم في المعصية مختارًا، أن العقوبة تلزمه معهم، قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شَرَبة الخمر وإن لم يشرب. وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حرمة الكعبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدم الركون إلى الظلمة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية النية وبيان فضلها.

رابعًا: من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

سادسًا: من مهام الداعية: توضيح الحقائق وإزالة الإبهام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حرمة الكعبة:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم" فيعاقب الله هذا الجيش بالخسف، لكونه قصد الكعبة بالأذى، وفي هذا بيان لحرمة هذا البيت وشرفه عند الله تعالى، ولا عجب في ذلك، فالكعبة هي أول بيت وضع للناس للعبادة في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[2] وهي المكان الذي يثوب الناس إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٤١.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧.

وَأَمْنًا﴾[١] قال ابن كثير: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: لا يقضون منه وطرًا، يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه، وعن أبي العالية يقول: أمنًا من العدو وأن يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يُتخطَّفُ الناس من حولهم وهم آمنون لا يُسْبَون)[٢] وجعلها الله تعالى قيامًا، قال سبحانه: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[٣].

قال السعدي: (يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم فبذلك يتم إسلامهم وبه تحط أوزارهم،وتحصل لهم - بقصده- العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير. وبسببه تُنفق الأموال وتُقْتحم - من أجله - الأهوال. ويجتمع فيه من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون، ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتنعقد بينهم الروابط، في مصالحهم الدينية والدنيوية،ومن أجل كون البيت قيامًا للناس قال: مَنْ قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة، فلو ترك الناس حجه، لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه، لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة)[٤] وإلى الكعبة يكون الهدي ﴿هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾[٥] وتوعد الله على إرادة السوء فيه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦] وإلى الكعبة تكون قبلة الصلاة ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾[٧] وإلى الكعبة يكون الحج، وحولها يكون الطواف ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[٨]. ومن خلال ما سبق يتضح فضل البيت الحرام، ومكانة الكعبة المشرفة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٢/١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٧.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠٧.

(٥) سورة المائدة، آية: ٩٥.

(٦) سورة الحج، آية: ٢٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٤٤.

(٨) سورة البقرة، آية:١٢٥.

(إن الله سبحانه قضى في سابق علمه أن يضع فيه البذرة الطاهرة من ولد إبراهيم عليه السلام ليكونوا ركيزة للإسلام إلى يوم القيامة، وأمر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام ببناء البيت ليكون مركز الدائرة للعالم الإسلامي وجعل الله البيت مرزوقًا يجبى إليه ثمرات كل شيء. ومن فضائل هذا البيت أنه مبارك، والبركة لها معنيان: أحدهما: النمو والتزايد، ثانيهما: البقاء والدوام وهذا البيت مبارك بجميع المعاني، فإن الطاعات يزداد ثوابها فيه ويتضاعف وهذا على تفسير البركة بالنماء أما على تفسيرها بالبقاء والدوام فإن الكعبة لا تخلو من الطائفين والعاكفين والركع السجود)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عدم الركون إلى الظلمة:

يتضح هذا من الحديث "كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم" فقد دلَّ على أن الخسف يشمل الجميع، قال النووي: (وفي الحديث من الفقه التباعد من أهل الظلم والتحذير من مجالستهم ومن مجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به، وفيه أن من كثَّر سواد قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا)[2]. وقال ابن حجر: (وفي الحديث التحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي من الضرورة البشرية ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث)[3].

ونهى القرآن الكريم عن مجالسة الذين ظلموا والركون إليهم فقال: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[4] قال ابن كثير: (قال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم

---

(١) الحج أحكامه وأسراره ومنافعه، عبدالرحمن محمد الدوسري ص ٢٣، ٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٤٠٠.

(٤) سورة هود، آية: ١١٣.

وقيل: لا تداهنوا. وقيل: هو الركون إلى الشرك. وقال ابن جريج، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا وهذا القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم فليس لكم من دون الله من وليٍّ ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه)[1]. وقال الشوكاني: (فيه إشارة إلى أن الظلمة أهل النار أو كالنار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار ... والمعنى: أنها تمسكم النار حال عدم وجود من ينصركم وينقذكم منها ثم لا تنصرون من جهة الله تعالى إذ قد سبق في علمه أنه يعذبكم بسبب الركون الذي نُهيتم عنه فلم تنتهوا عنادًا وتمردًا)[2].

وقال السعدي: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فإنكم إذا ملتم إليهم، ووافقتموهم على ظلمهم، أو رضيتم ما هم عليه من الظلم تمسكم النار إن فعلتم ذلك وما لكم من دون الله من أولياء يمنعونكم من عذاب الله تعالى، ولا يحصلون لكم شيئًا من ثواب الله تعالى ففي هذه الآية: التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم وإذا كان هذا الوعيد في الركون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة؟ نسأل الله العافية من الظلم)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: اعتبار الأعمال بنية العامل:

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه "يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم" قال ابن علان: (يعاملُ كلٌ بقصده من الخير أو الشر)[4]. ولا بأس بإيراد رواية مسلم فإن فيها بعض الزيادة، قالت عائشة رضي الله عنها: عَبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه[5] فقلنا: يا رسول الله، صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله، فقال: ((العجب إن ناسًا من أمتي يؤمون

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٤/٤.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٥٣١/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٤٧.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٣٤.

(٥) قيل معناه: اضطرب بجسمه وقيل: حرّك أطرافه كمن يأخذ شيئًا أو يدفعه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١٨/٩ ط/ دار الكتب العلمية.

بالبيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم)) فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس. قال: ((نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، يهلكون مهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم))[١]. قال النووي: (أما المستبصر فهو المستبين لذلك القاصد له عمدًا، وأما المجبور فهو المكره، وأما ابن السبيل فالمراد به سالك الطريق معهم وليس منهم، ويهلكون مهلكًا واحدًا، أي يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم ويصدرون يوم القيامة مصادر شتى، أي يبعثون مختلفين على قدر نياتهم، فيجازون بحسبها)[٢] وقال ابن حجر: (وفي هذا الحديث أن الأعمال تعتبر بنية العامل)[٣].

وقد تكون بعض الأعمال خيرًا لكن لا ينال فاعلها الثواب إلا إذا قصد بها وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته. قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

قال ابن رجب: (فنفي الخير عن كثير مما يتناجى به الناس إلا في الأمر بالمعروف وخصّ من أفراده الصدقة والإصلاح بين الناس، لعموم نفعهما، فدلّ ذلك على أن التناجي بذلك خير، وأما الثواب عليه من الله، فخصه بمن فعله ابتغاء مرضاة الله.

وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاح بين الناس وغيرهما خيرًا، وإن لم يبتغ وجه الله، لما يترتب على ذلك من النفع المتعدّي فيحصل به للناس إحسان وخير، وأما بالنسبة إلى الأمر، فإن قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته، كان خيرًا له وأثيب عليه، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيرًا له ولا ثواب له عليه. وهذا بخلاف من صام وصلّى وذكر الله يقصد بذلك عَرَض الدنيا، فإنه لا خير له فيه بالكلّيّة، لأنه لا نفع

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٨٤، ٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١٨/٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤١/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

في ذلك لصاحبه، لما يترتب عليه من الإثم فيه، ولا لغيره، لأنه لا يتعدى نفعه إلى أحد، اللهم إلا أن يحصل لأحد به اقتداء في ذلك)[١].

رابعًا- من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلة:

هذا الحديث الشريف إخبار من النبي ﷺ عمّا يقع في المستقبل وهو واقع لا محالة لأنه الصادق المصدوق، وقد أطلعه على ذلك عالم الغيب والشهادة، كما وقع غيره مما أخبر به، وكان ذلك من دلائل نبوته، قال القاضي عياض: (ومن جملة معجزاته ﷺ ما أُطْلع عليه من الغيوب وما يكون، والأحاديث في هذا الباب بحر لا يُدْرك قَعْره ولا يُنْزف غَمْرُه وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب)[٢].

(إن من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما أطلعه الله عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده دون خلقه، وقد جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، فما جاء على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحيٍ من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته.

قال حسان بن ثابت:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في صحوة اليوم أو غد[٣]

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ وجاء الجواب: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم" والسؤال والجواب

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٧/١.

(٢) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٣٢٩/١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٤٢/١، ٥٤٣.

أسلوب من أساليب الدعوة يزيل ما قد يكون لدى المدعو من إشكال.

(إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين فمن طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه)[1].

سادسًا- من مهام الداعية: توضيح الحقائق وإزالة ما لدى المدعو من إشكال:

إن توضيح الحقائق من المهام الأساسية التي يقوم بها الداعية لأن دعوته تقوم على البيان والإيضاح لمسائل الدين، ولمصالح الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ العهد على أهل العلم أن يعلّموا)[3]. وقد بيّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث حقيقة الخسف الذي يحدث لمن يغزون الكعبة، وأزال الإشكال الذي وقع عند عائشة رضي الله عنها ببيان أن الخسف يقع للجميع، ولكن كل يبعث حسب نيته.

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) أدب الدنيا والدين ٨٧.

الحديث رقم (٣)

٣- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت قالَ النَّبيُّ ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلكنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرتُمْ فانْفِرُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لا هِجْرَةَ: وَمَعْنَاهُ: لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ؛ لأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلامٍ.

الفتح: فتح مكة وكان في ٢٠ رمضان ٨ هـ[٢].

الاستنفار: الاستنجاد والاستنصار، أي: إذا طلب منكم النصرة فأجيبوا وانفروا خارجين إلى الإغاثة[٣].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث النبوي الشريف تتمثل فيه بعض خصائص البيان النبوي الكريم- وأولى هذه الخصائص خاصية الإيجاز؛ والإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام يعد من شروط الفصاحة والبلاغة لأنه يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

وقد ألمح إلى هذه الخاصية الجمالية في الحديث النبوي : هند بن أبي هالة حينما سأله الحسن عن منطق رسول الله ﷺ فقال في سياق وصفه لمنطق النبي ﷺ. (ويتكلم بجوامع الكلم فَصْلٌ لا فضول فيه ولا تقصير)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٨٠)، ومسلم واللفظ له (١٨٦٤/٨٦). وهو متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما باللفظ الذي ذكره النووي، أخرجه البخاري ٢٧٨٣، ومسلم ١٣٥٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/٦، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٩٧-١٩٨، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٣١.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١٤٣٠/١، ٢٨٧، والترمذي في مختصر الشمائل المحمدية ٢٠.

وأشاد الجاحظ بهذه الخاصية التي تؤكد اتساع الدلالة وقوة الأداء وعمق المعنى في البيان النبوي بقول الجاحظ واصفًا كلام رسول الله ﷺ: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجمع بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، وبين الخطب الطوال بالكلم القصار".

ولنقتبس من هذا الحديث الشريف بعض المعاني الوضيئة، ولنحدق في معانيه ومبانيه الموجزة المشعة بكثير من الدلالات التي تسبح في آفاق يرنو إليها كل مسلم حريص على دينه وأمته، وأول بارقة من بوارق هذا الحديث الشريف ترسي قاعدة كلية من قواعد الإسلام وهى "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية".

فالهجرة في مدلولها اللغوي: هي ترك مكان إلى آخر وهى مشتقة من الهجر وهو مفارقة الإنسان ببدنه أو لسانه أو قلبه، واستعملت في لسان الشارع كما يقول صاحب كتاب الأدب النبوي في ترك دار الخوف إلى دار الأمن، كما فعل بعض الصحابة رضي الله عنهم في تركهم مكة إلى الحبشة في أول الأمر، وفي ترك دار الكفر إلى دار الإسلام فرارًا بالدين كما فعل المسلمون في مغادرتهم مكة إلى المدينة لما انتشر الإسلام فيها؛ ومما ينبئ عن عمق الدلالة في هذا الحديث أن العلماء تعددت آراؤهم في تفسير المراد من قول رسول الله ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح" أي: لا هجرة بعد فتح مكة لأنها صارت دار إسلام فلا يتصور منها الهجرة حيث ستظل آمنة محفوظة لأنها بلد الله الحرام "وهذا المعنى فيه بشارة للمؤمنين بنصر الله تعالى لهم، وفيه ارتباط بالحديث السابق: الذي توعد فيه رسول الله ﷺ المعتدين الغازين بأنه سيخسف بأولهم وآخرهم وسيفرون إلى البيداء ثم يهلكون مثل أصحاب الفيل، وفي إطار هذه الدلالة المشعة ببريق التأييد الإلهي والوعد بالنصرة وحفظ البيت الحرام، ويرى بعض العلماء أن الحديث يتضمن معجزة لرسول الله ﷺ وهى أن مكة تبقى دار إسلام لا يتصور منها الهجرة ، وهى كذلك -إن شاء الله- إلى يوم الدين، وصيغة النفي في الجملة الأولى تجعل القاعدة ثابتة ولكن هذا الثبات لا يعني عدم الحركة ولا يعني الاستسلام والخنوع، ولكن يظل التحرك للجهاد قائمًا وتظل النية الخالصة لنصرة دين الله هي الدافع الأقوى لكل مسلم،

"ولكن" وهي للاستدراك الذي قال عنه العلماء أنه نفي ما يتوهم ثبوته وإثبات ما توهم نفيه، ولكن في إطار هذه الدلالة الاستدراكية تقتضي مخالفة ما بعدها لما قبلها أي: المفارقة عن الأوطان المسماةُ بالهجرة المطلقة انقطعت، لكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر، وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بالدين وطلب الرزق، وطلب الأمان والبعد عن العصاة والظالمين... إلخ.

ولا يترك المصطفى ﷺ الأمر غامضًا قابلاً للتأويلات ولكنه يختم الحديث الشريف بهذا التوجيه الراشد السديد الذي يجعل المسلمين دائمًا على استعداد وفي حالة استنفار دفاعًا عن بلد الله الحرام وحرصًا على اتساع رقعة الإسلام وهذا الاستعداد يتكئ على ثلاثة أسس : الجهاد والنية والاستنفار.

وصياغة طلب الاستنفار في قالب الشرط والجزاء، في قوله: "وإذا استنفرتم فانفروا" يرشد إلى حتمية الاستجابة لأمر الإمام والقائد الذي يطلب من المسلمين الخروج للجهاد إما لمزيد من الفتوحات الإسلامية ونشر كلمة التوحيد ورفع راية الإسلام وإما للدفاع عن العرض والدين والمال والوطن: إذا تعرضت هذه المكونات التي تحفظ للمسلم كرامته وتصون هيبته- للعدوان والتشويه والإيذاء. يقول الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي سورة النساء يأتي الأمر الإلهي مؤيدًا رسوله الكريم ﷺ في وجوب الاستنفار والاستعداد الكامل بقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١- الهجرة من بلد الكُفْر: قال ابن حجر: (قوله "لا هجرة بعد الفتح" أي: فتح مكة، أو المراد ما هو أعمّ من ذلك، إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها، فلا تجب الهجرة من بلدٍ قد فتحه المسلمون، أما قبل فتح البلد فمن به مِنْ المسلمين أحد ثلاثة:

الأول: قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته، فالهجرة منه واجبة.

الثاني: قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته [فهجرته] مستحبة، لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم.

الثالث: عاجز بعذر من أَسْر أو مرض أو غيره، فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أُجر)[1].

وقال ابن حجر في موضع آخر: (قوله "كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه ... إلخ"[2] أشارت عائشة رضي الله عنها إلى بيان مشروعية الهجرة وأن من سببها خوف الفتنة، والحكم يدور مع علته، فمقتضاه أن مَنْ قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق، لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت. ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلدٍ من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٩٠.

(٢) هذه رواية البخاري (٣٨٩٨، ٤٣١٢).

(٣) المرجع السابق ٧/٢٢٩، وانظر للمزيد: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي ٤/١٨٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١/٣٦٨، والمبسوط، السرخسي ١٠/٦، والمعيار المعرب، الونشريسي ٢/١٢١ وما بعدها، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي ١٠/٢٨٢، والمهذب في اختصار السنن الكبير، الذهبي ٢/٢٢٨، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ٩/٢٦٩، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٨/٧٨، ومعالم السنن، الخطابي ٣/٣٥٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢/٩٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣/٣٨، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣/٣١٤، و موع فتاوى ابن تيمية، ابن تيمية ٢٨/٢٤٠، والمغني، ابن قدامة ٨/٤٥٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٨٣-١٨٨).

٢- وجوب النفرة لقتال العدوّ:

قوله ﷺ "وإذا استنفرتم فانفروا" فيه أمر بالاستنفار والخروج للجهاد إذا استنفر الإمام، قال ابن حجر: (الجهاد بعده ﷺ فرض كفاية على المشهور إلا أن تدعو الحاجة إليه كأن يدهم العدو ويتعين على من عينه الإمام، ويتأدى فرض الكفاية بفعله في السنة مرة عند الجمهور، ومن حجتهم أن الجزية تجب بدلاً عنه، ولا تجب في السنة أكثر من مرة اتفاقًا فليكن بدلها كذلك، وقيل يجب كلما أمكن وهو قوي.

والذي يظهر أنّه استمر على ما كان عليه في زمن النبي ﷺ إلى أن تكاملت فتوح معظم البلاد وانتشر الإسلام في أقطار الأرض ثم صار إلى ما تقدم ذكره. والتحقيق أيضًا أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده وإما بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على انقطاع الهجرة بعد فتح مكة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الجهاد في سبيل الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية بالنسبة للأعمال.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

خامسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: انقطاع الهجرة بعد فتح مكة:

يتضح هذا من قوله ﷺ في الحديث: "لا هجرة بعد الفتح"، قال ابن علان: (قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧/٦-٣٨، وانظر للمزيد حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز ٢١٩/٣، والمبسوط، السرخسي ٣/١٠، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٧٥/٢، ١٨٢، وجواهر الإكليل ٢٥٠/١، ٢٥٢، والمهذب في اختصار السنن الكبير، الذهبي ٢٢٧/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٤٥/٨، والمغني، ابن قدامة ٣٤٥/٨، ٣٥٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٢/٣، ٣٣، والمحلى، ابن حزم ٢٩١/٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٩/٦-١٣٢).

الخطابي: كانت الهجرة على معنيين: أحدهما أنهم إذا أسلموا وأقاموا بين قومهم أوذوا، فأمروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ويزول عنهم الأذى. والآخر: الهجرة من مكة إلى المدينة، لأن أهل الدين بالمدينة كانوا قليلين ضعيفين، فكان الواجب على من أسلم أن يهاجر إلى رسول الله ﷺ إن حدث حادث استعان بهم في ذلك، فلما فتحت مكة استغنى عن ذلك؛ إذ كان معظم الخوف من أهلها، فأمر المسلمون أن يقيموا أوطانهم، ويكونوا على نية الجهاد مستعدين لأن ينفروا إذا استنفروا. قال المصنف: يتضمن الحديث على هذا القول معجزة لرسول الله ﷺ؛ وهي أن مكة تبقى دار إسلام لا يتصور منها الهجرة، قال: وقيل معنى الحديث: "لا هجرة بعد الفتح"، فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، وقوله: "ولكن جهاد ونية"، قال الطيبي: (كلمة "لكن" تقتضي مخالفة ما بعدها لما قبلها أي: المفارقة عن الأوطان المسماة بالهجرة المطلقة انقطعت، ولكن المفارقة بسبب الجهاد باقية مدى الدهر وكذا المفارقة بسبب نية خالصة لله تعالى، كطلب العلم والفرار بدينه ونحوه وقال المصنف: تحصيل الخير بسبب الهجرة قد انقطع بالفتح، ولكن حصلوه بالجهاد والنية)[1].

قال ابن دقيق العيد: (اسم الهجرة يقع على أمور:

الهجرة الأولى: إلى الحبشة عندما آذى الكفار الصحابة رضي الله عنهم.

الهجرة الثانية: من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

الهجرة الثالثة: هجرة القبائل إلى النبي ﷺ لتعلم الشرائع، ثم يرجعون إلى المواطن ويعلّمون قومهم.

الهجرة الرابعة: هجرة من أسلم من أهل مكة ليأتي إلى النبي ﷺ ثم يرجع إلى مكة.

الهجرة الخامسة: هجر ما نهى الله عنه[2].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٥.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ص ٢٦.

وبيّن ابن القيم حال القلب المهاجر إلى ربه فقال: "وللعبد في كل وقت هجرتان: هجرة إلى الله تعالى بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء والإقبال عليه وصدق الملجأ والافتقار في كل نفس إليه. وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته، وسكناته الظاهرة والباطنة، بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفصيل محابِّ الله ومرضاته، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه، وكلُّ عمل سواه، فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد"[١].

وإذا كانت الهجرة لها هذا الفضل فهل انقطعت بتمام الفتح أم هي باقية؟

جاء في الموسوعة الفقهية: "وأما بقاء الهجرة بعد فتح مكة: فقد وردت أحاديث ظاهرها التعارض في هذه المسألة: فبعض الأحاديث يدلُّ على أن الهجرة انقطعت بفتح مكة، مثل ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "لا هِجرةَ بعدَ الفتحِ، ولكنْ جِهادٌ ونيَّة"[٢]، وما ورد أيضًا أن عبيد بن عمير سأل عائشة رضي الله عنها عن الهجرة؟ فقالت: ((لا هجرةَ اليوم، كان المؤمنونَ يَفِرُّ أحدُهم بدينهِ إلى اللَّه تعالى وإلى رسولهِ صلى الله عليه وسلم مخافةَ أن يُفتنَ عليه، فأما اليومَ فقد أظهرَ اللَّه الإسلام، والمؤمن يَعبُدُ ربَّهُ حيث شاء، ولكن جهادٌ ونيَّة))[٣].

وكذلك ما ورد عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي فقلت: بايعنا على الهجرة قال: مَضَتِ الهجرةُ لأهلِها. فقلت: عَلامَ تُبايعُنا؟ قال: ((على الإسلام والجهادِ))[٤].

وبعضها الآخر يدل على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة، عن معاوية رضي الله عنه قال: ((لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[٥]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ ما

---

(١) طريق الهجرتين، ابن القيم ص ٢٤.

(٢) هو حديث الباب.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣١٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٦٢، ومسلم ١٨٦٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٤٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٦٦).

دَامَ العَدُوُّ يُقَاتَلُ))[١]، وعن جنادة بن أبي أمية رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((إِنَّ الهِجْرَةَ لا تَنْقَطِعُ مَا كَانَ الجِهَادُ))[٢].

وقد اختلفت طرائق الفقهاء في الجمع بين تلك الأحاديث التي ظاهرها التعارض، وتأويلها على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الهجرة كانت في أول الإسلام مندوبًا إليها، ثم فرضت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فلما فتحت مكة ارتفع وجوب الهجرة، وعاد الأمر فيها إلى الندب والاستحباب، فهما هجرتان: المنقطعة هي المفروضة، والباقية هي المندوبة. وهو قول الحنفية والخطابي[٣].

والثاني: أن الهجرة من مكة إلى المدينة ارتفعت يوم الفتح، لأن مكة صارت يوم الفتح دار إسلام، وكانت الهجرة منها قبل ذلك واجبةً، لكونها مساكن أهل الشرك، فمن حصل عليها فاز بها وانفرد بفضلها دون مَنْ بعدهم. وهذا هو الفرض الذي سقط. أما الهجرة الباقية الدائمة إلى يوم القيامة فهي هجرة من أسلم بدار الكفر، إذ يلزمه أن لا يقيم بها حيث تُجرى عليه أحكامهم[٤]، إلا أن هذه الهجرة لا يحرم على المهاجر بها الرجوع إلى وطنه إن عاد إلى دار الإسلام كما حرم على المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ الرجوع إلى مكة للذي ادخره الله لهم من الفضل في ذلك.

وقد توسع بعض أصحاب هذا القول في داعي الهجرة الباقية فقال: إن مفارقة الأوطان إلى الله ورسوله التي هي الهجرة المعتبرة الفاضلة المميزة لأهلها من سائر الناس

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٢/١، رقم ١٦٧١، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٠٦/٣.

(٢) أخرجه أحمد ٦٢/٤، رقم ١٦٥٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٤٢/٢٧.

(٣) معالم السنن، الخطابي ٣٥٢/٣، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي ١٨٢/٤، والمبسوط، السرخسي ٦/١٠.

(٤) شرح السنة، للبغوي ٢٩٥/٧، ٣٧٣/١٠، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري ١٨٢/٤، والمقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد ١٥٣/٢، وعارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، القاضي أبو بكر بن العربي ٨٨/٧، ونيل الأوطار، الشوكاني ٢٦/٧، وشرح الأبي على صحيح مسلم ٢١١/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٣، وعمدة القاري، العيني ٣١٧/١١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩/٦، والمغني، ابن قدامة ٤٥٦/٨.

امتيازًا ظاهرًا انقطعت، لكن المفارقة من الأوطان بسبب نية خالصة لله تعالى كطلب العلم والفرار بدينه من دار الكفر ومما لا يُقام فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وزيارة بيت الله تعالى، ومسجد رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى وغيرها أو بسبب الجهاد في سبيل الله تعالى باقية مدى الدهر.

والثالث: أن الهجرة الفاضلة التي وعد الله عليها بالجنة، كان الرجل يأتي النبي ﷺ ويدع أهله وماله، لا يرجع في شيء منه انقطعت بفتح مكة. أما الهجرة الباقية فهي هجر السيئات. حيث ورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِنَّ الْهِجْرَةَ خَصْلَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَهْجُرَ السَّيِّئَاتِ وَالأُخْرَى أَنْ تُهَاجِرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلاَ تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ وَلاَ تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ))[١].

وورد من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ))[٢]، وورد عن النبي ﷺ قال: ((المهاجر من هجر ما نهى الله عنه))[٣].

وقد صرح ابن قدامة بأن حكم الهجرة باقٍ لا ينقطع إلى يوم القيامة في قول عامة أهل العلم"[٤].

هذا وقد مدح الله المهاجرين ووعدهم بالثواب العظيم والأجر الكبير، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦]، وسمَّى الله تعالى المهاجرين من الصحابة بالصادقين:

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٢/١ رقم ١٦٧١ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٠٦/٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٩٣٤، وصحح الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ١٨٠/٤٢ - ١٨٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[1]، وأخبر عن رضاه عنهم، فقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

قال الكاندهلوي: "لقد ترك الصحابة ﷺ أوطانهم العزيزة، وكان ذلك أحب إليهم من الدنيا ومتاعها، وقدموا الدين على الدنيا فلم يبالوا بضياعها ولم يلتفتوا إلى فنائها، وفروا من بلاد إلى بلاد احتفاظًا لدينهم من الفتنة فكأنهم قد خُلقوا للآخرة وكانوا من أبنائها فصارت الدنيا كأنها خلقت لهم"[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

يتضح هذا من قوله ﷺ: (ولكن جهاد ونية)، ما بينه ابن عثيمين: "أي: الأمر بعد هذا جهاد، أي يخرج أهل مكة من مكة إلى الجهاد والنية، أي النية الصالحة للجهاد في سبيل الله وذلك بأن ينوي الإنسان بجهاده أن تكون كلمة الله هي العليا"[4]، وقد حثَّت نصوص القرآن على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[7]، وبيّن الرسول ﷺ فضل الجهاد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال: ((إيمانٌ باللّهِ ورَسولِهِ)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل

---

(١) سورة الحشر، آية: ٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي ص ١٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/١٧.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٦) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٧) سورة النساء، آية: ٩٥.

الله)). قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: ((حَجٌّ مَبْرور))[١].

ومن هذه النصوص يتبيّن فضل وأهمية الجهاد في سبيل الله، "ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية، واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة، حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جل وعلا، والجهاد يضمن بقاء أمة الإسلام قوية مهابة الجانب يحسب لها الطامعون ألف حساب، وهذا الأثر لو لم يكن إلا هو فقد كفى ذلك، لأن أعداء الإسلام والمسلمين قذف الله في قلوبهم حب الدنيا والتدافع عليها، والحرص على زخارفها وهذا يترك في النفس البشرية الخوف والجبن، أما المسلمون يقبلون على القتال في سبيل الله بشوق لما يعلمون ما أعده المولى جل وعلا للشهيد من مقام رفيع وأجر عظيم ومرتبة عالية"[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية بالنسبة للأعمال:

يؤخذ هذا من قوله ﷺ: (ولكن جهاد ونية)، وما من شك في أن النية لها أثر كبير في الأعمال، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله))[٣]، قال ابن تيمية: (فالمؤمن إذا كانت له نية، أتت على عامة أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعماله لصلاح قلبه ونيته، والمنافق - لفساد قلبه ونيته- يعاقب على ما يظهره من العبادات رياءً)[٤].

وقال السعدي: "إن صلاح الأعمال وفسادها بالنيات، وأنه يحصل للعبد من الثمرات والنتائج بحسب نيته، ومعلوم أن جميع العبادات لا تصح إلا بالنية، بأن ينوي ذلك العمل، ويميز ذلك العمل، ويميز بين العادة والعبادات، وبين مراتب العبادات، ثم لا بد

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٢٤١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١٤/٤٧٠.

مع ذلك أن يكون القصد منها والغرض وجه الله وثوابه، وينبغي للعبد في العبادات أن يكون له فيها نية عامة مطلقة، ونية خاصة مقيدة. فأما النية العامة فإنه يعقد بقلبه عزمًا جازمًا لا تردد فيه أن جميع ما عمل من الأعمال الاعتقادية والبدنية والمالية والقولية والمركبة من ذلك مقصوده بها وجه الله تعالى والتقرب إليه وطلب رضاه واحتساب ثوابه. وأما النية الخاصة المقيدة أن يتعبد لله بإخلاص في كل جزء من أعماله، ويسأل الله تعالى أن يحقق له الإخلاص في كل ما يأتي وما يذر، وإذا حقق النية في العبادات فليغتنم النية في المباحات والعادات فليجعلها بالنية الصالحة عبادة أو قريبة منها"[١].

رابعًا- من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يتضح هذا من قوله ﷺ في الحديث: "لا هجرة بعد الفتح"، (ووقع فتح مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة[٢]، ولقد كان فتح مكة تاريخًا فاصلاً في الدعوة الإسلامية وبفتحها انقطعت الهجرة، "لقد طويت منذ تلك اللحظة جاهلية قريش فلتطو معها سائر عاداتها وتقاليدها، ولتدفن في غياهب الماضي الذي أدبر ولتغتسل قريش من بقية أدرانها لتنضم إلى القافلة وتسير مع الركب)[٣]، ولم يسو القرآن بين قبل الفتح وبعده، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

قال ابن الأثير: "ولما دخل رسول الله ﷺ مكة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: ((لاَ إله إلا الله وَحْدَهُ لاَ شريكَ لَهُ صدقَ وعدَهُ ونصرَ عبدَهُ وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ))، ثم قال: ((يا معشر قريش ما ترونَ أني فاعلٌ بكُم ؟)) قالُوا: خيرًا أخٌ

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر، تحقيق: د. شوقي ضيف ص ٢٢٣.

(٣) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٤١٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قالَ: ((اذهبُوا فأنتُمْ الطلقاءُ))، فعفا عنهم، وكان الله قد أمكنه منهم، وكانوا له فَيْئًا[١]، فلذلك سمي أهل مكة: الطلقاء، وطاف بالكعبة سبعًا، ودخلها وصلى فيها، ورأى فيها صور الأنبياء فأمر بها فمحيت، وكان على الكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا، وكان بيده قضيب فكان يشير به إلى الأصنام وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٢]، فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط لوجهه، وقيل: بل أمر بها وحُطِّمت وكُسِّرت، ثم جلس رسول الله ﷺ للبيعة على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه تحته، واجتمع الناس لبيعة رسول الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا"[٣].

خامسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يستنبط هذا من بيان النبي ﷺ: "لا هجرة بعد الفتح" ولكن الذي ينبغي على المسلم الجهاد وإخلاص النية لله، وفي ذلك بيان للحقائق.

ذلك لأن الداعية منهي عن الكتمان ومأمور بالبيان والبلاغ وبهذا أمر الله رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٥]، ونعى الله على أهل الكتاب كتمانهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[٦]، ولذا كان من أبرز مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

"لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا

---

(١) الفيء ما يحصل عليه النبي بلا قتال.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨١.

(٣) الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، ١٢٥/٢.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

لهم في أنفسهم قولاً بليغًا ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة وإن دعوة الإسلام دعوة واضحة، فعقيدتها بسيطة وسهلة وأدلتها في متناول الجميع، ولقد كان سيد الدعاة ﷺ يوضح للناس ولأتباعه ويكرر كلامه ثلاثًا ليتحقق الإيضاح"[1].

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

الحديث رقم (٤)

٤- وعَنْ أبي عَبْدِ اللَّهِ جابرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَع النَّبِيِّ ﷺ في غَزَاة، فَقَالَ: «**إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلاَّ كانُوا مَعكُم، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ**»[١].

وَفِي رِوايَةٍ: «**إلاَّ شَرِكُوكُمْ في الأَجْرِ**» رَواهُ مُسْلِمٌ[٢].

ورواهُ البُخَارِيُّ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إنَّ أَقْوَامًا خلْفَنَا بالمدِينةِ**[٣] **مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا**[٤]**، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٥].

ترجمة الراويين:

الأول: جابر بن عبدالله الأنصاري: هو جابر بن عبدالله بن حرام الأنصاري رضي الله عنه.

صاحب رسول الله ﷺ، وابن صاحبه، شهد ليلة العقبة مع والده، وكان والده من النُقباءِ البدريين، استشهد يوم أحد، وكان جابر من أصغر الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ في ليلة العقبة، (وقد غزا مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، وأراد شهود بدرٍ فخلفه أبوه على إخوته وكن تسعًا وخلفه أيضًا حين خرج إلى أحد، ولما قُتل أبوه عبدالله لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط)[٦]، وكان من أهل بيعة الرضوان، ومن أهل السبق في الإسلام. وقد قال النبي ﷺ للمسلمين يوم الحديبية. وكان فيهم جابر ((أنتم خيرُ أهلِ الأرض))[٧] وكان عدد المسلمين آنذاك ألفًا وأربعمائة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١/١٥٩).

(٢) بعد حديث (١٩١١/١٥٩، بدون رقم).

(٣) لفظ البخاري: (بالمدينة خلفنا)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٤) عند البخاري زيادة: (فيه)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه، فتبعه عليه المؤلف.

(٥) أخرجه البخاري الشطر الأول من قول أنس برقم (٢٨٣٨)، و (٤٤٢٣)، والمرفوع منه برقم (٢٨٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٨) جمعًا، وتبعه عليه المؤلف.

(٦) أخرجه مسلم (١٨١٣) بنحوه.

(٧) أخرجه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦، ٧١.

وكان رضي الله عنه من المكثرين للحديث الحافظين للسنن، وقد بلغت روايته عن النبي ﷺ ١٥٤٠ حديثًا، وكان ذا همة عالية في جمع أحاديث النبي ﷺ، فقد رحل في حديث القِصاص من المدينة إلى الشام ليسمعه من عبدالله بن أنيس، وقد رحل في آخر عمره إلى مكة في أحاديث سمعها، ثم انصرف إلى المدينة، وكانت له في آخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ فيها العلم، وقد كُفَّ بصره في آخر عمره، وكان آخر من مات بالمدينة من الصحابة.

وتوفي سنة ٧٣هـ، وقيل ٧٧هـ، وقيل ٧٩هـ، وقيل غير ذلك، وقال البخاري: صلى عليه الحجاج[(١)].

الثاني: أنس بن مالك: هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري.

صاحب رسول الله ﷺ، وخادمه، ولد بالمدينة قبل عام الهجرة بعشر سنين وأسلم صغيرًا، وأتت به أمه "أم سُلَيْم" إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب، يخدمك، فَقَبِله ﷺ، وقد دعا له النبي ﷺ، فقال: ((اللهمَّ، أكثر مالَهُ وَوَلَدَهُ وبارك لهُ فيما أعطيتهُ)) فقال أنس إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّن عَلَى نحوِ المائة، اليوم[(٢)].

وقد شهد بدرًا وهو غلام يخدم النبي ﷺ، وشهد الحديبية وشهد عمرة النبي ﷺ وحجه، وشهد الفتح وحنينًا والطائف وخيبر. فصحب النبي ﷺ أتمَّ الصحبة، ولزمه أكملَ الملازمة إلى أن قُبض ﷺ فرحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة. وكان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٥٦٢/٣-٥٦٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١١٤-١١٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٤٩٢/١-٤٩٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٨٩/٢-١٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٦٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٢٥/١-٤٢٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٨١/١-٢٨٢، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٤/٢، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٥٥٣/١-٥٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٢، ومسلم واللفظ له ٢٤٨، ١٤٣.

قال فيه أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أحدًا أشبه صلاةً برسول الله ﷺ من ابن أم سليم، أنس بن مالك.

وكان يطيل القيام حتى تَفَطَّر قدماه دمًا، وقد دخل عليه الزهري يومًا فوجده يبكي!! فقال ما يبكيك؟ فقال: ما أعرف شيئًا مما أدركنا إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيعت -أي بتأخيرها من قبل الولاة عن أول وقتها، فأحزنه ذلك وأبكاه.

وكان يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ﷺ ثم يبكي وبلغ مسنده من الأحاديث ٢٢٨٦، وقد تجاوز عمره المائة. وتوفي في ٩٣هـ[١].

غريب الألفاظ:

الغزاة: الغزوة[٢].

قطعتم واديًا: اجتزتموه وسلكتموه[٣].

حَبَسهم المرضُ: منعهم[٤].

شركوكم: شاركوكم[٥].

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، بين الحجر وأول الشام تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨كم، وقد توجه النبي ﷺ إليها ٩هـ، وهي آخر غزواته[٦].

الشِّعْبُ: الطريق في الجبل[٧].

---

(١) الطبقات، ابن سعد ١٧/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٣-٥٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٩٤/١-٢٩٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٣-٨٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٩٥/٣-٤٠٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢٨٩/١-٢٩٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٩٠/١-١٩١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٤/٢-٢٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٤٦٥/١-٤٧١.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ز و).

(٣) اللسان والوسيط في (ق ط ع).

(٤) اللسان والوسيط في (ح ب س).

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٢.

(٦) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٨٩.

(٧) اللسان والقاموس والوسيط في (ش ع ب).

الشرح الأدبي

هذا الحديث النبوي الشريف تدور معانيه في فلك ما قبله من أحاديث حيث تهدف كلها إلى بيان قيمة الإخلاص، واستحضار النية في جميع الأعمال والأقوال البارزة والخفية.

وراوي الحديث قدوة صالحة في العمل الصالح -والنية الخالصة- لأنه تربى في مدرسة النبوة، ونشأ قريبًا من المصطفى ﷺ حيث كان من أصغر الصحابة سنًا وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحب رسول الله ﷺ.

وصيغة هذا الحديث تأتي في قالب الحكاية تشويقًا للسامع والقارئ وتثبيتًا لقيمة المحبة التي كان يكنها أصحاب رسول الله ﷺ له، ومن أمارات هذه المحبة أن المصطفى ﷺ كان حريصًا على إزالة كل الشبهات التي تطرأ على بال وفكر بعض الصحابة وكان حريصًا على إنصاف أصحاب الحاجات والمرضى الذين تقعدهم ظروفهم الصحية والاجتماعية وتحول بينهم وبين الجهاد في سبيل الله ولكن قلوبهم معقودة على الجهاد وحب الإسلام.

وحين نتأمل البناء اللغوي لهذا الحديث الشريف، ونحاول استخراج أسرار التعبير من خلال ما توحي به اللغة من معان وإشارات: فالتعبير بالمحبة في قول الراوي: كنا مع النبي ﷺ يفيد الصحبة الخيرة ويرشد إلى محبة الصحابة المجاهدين لقائدهم وحبيبهم محمد ﷺ، والتعبير بصيغة الجمع في قوله: "كنا"، يعلن عن التكاتف والقوة فليس الأمر متعلقًا بشخص، وليس الهدف من هذا الخبر الافتخار وادعاء التفرد بصحبة النبي ﷺ وإنما المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا؛ وعدم تحديد الغزوة يخرج القضية من تحديدها الزمني والمكاني إلى فضاء أعم وأشمل، وهو، حقيقة الجهاد الخالص، والنية الخالصة، والغزوة كما يقول "الرواه" هي غزوة تبوك، وفيها حدثت معجزات حسية من شأنها تقوية شوكة المسلمين حيث فتح الله البلاد وأمدهم بالماء والرزق الوفير وأيدهم بالنصر والفتح المبين.

ويؤكد المصطفى ﷺ أمر إخلاص هؤلاء الذين حبسهم المرض، ويصفهم بالرجال، ويصوغ الخبر في أسلوب التوكيد، ويقدم لفظ المدينة وهي خبر على اسم إنَّ فيقول إن بالمدينة لرجالاً، وهذا التقديم من شأنه الإفادة بأهمية المدينة وكأن هؤلاء

المرضى بإخلاصهم النية لله. قادرون على حماية المدينة من أي معتد أو مغير، وهم في الوقت نفسه تتحرك قلوبهم وعزائمهم مع المجاهدين بالدعوات والأمنيات، والمحافظة على ما تركوه من متاع ومال وأهل وولد، وهذه المشاركة المعنوية الوجدانية يصوغها المصطفى ﷺ في أسلوب القصر (ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم) ولكن كما يقول: "حبسهم المرض".

والأمر هنا على حقيقته؛ لأن الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، وفي رواية أخرى يتأكد هذا المعنى حين يقول رسول الله ﷺ "وكان لهم مثل أجركم مضاعفًا" والحديث يؤكد على ضرورة الإخلاص والنية الصالحة والمؤازرة والتعاضد بين المسلمين، في السلم والحرب، وفي كل ميادين الحياة التي تعلي من شأن الإسلام.

وفي رواية البخاري لهذا الحديث الشريف تحدد الغزوة .. وهى غزوة تبوك ولا تعارض بين الروايتين فرواية مسلم تعمم الحكم؛ حيث يثيب الله سبحانه من صلحت نيته ولم يتمكن من أداء ما أراد القيام به، ورواية البخاري تحدد الغزوة ولكن لا تحدد الحكم فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

فقه الحديث

الجهاد فرض على الكفاية متى قام به البعض سقط عن الباقين، (أما إذا كان النفير عامًا فالجهاد يصبح فرض عين على كل قادر من المسلمين، وهذا الحكم في فرضية الجهاد متفق عليه بين الفقهاء، ولكن من لا قدرة له فلا يطالب بالجهاد لأنه معذور، وقد أشار سبحانه وتعالى في كتابه إلى أصحاب الأعذار فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[1])[2].

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٢) بدائع الصنائع، الكاساني ٧/٩٧-٩٨، وتبيين الحقائق، الزيلعي ٣/٢٤١، وحاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز ٣/٢٢١، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، القرطبي ١/٣٨٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٣٣١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٨/٥٥، والمغني، ابن قدامة ٨/٣٤٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣/٢٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٣٨-١٣٩، ٣٠/٣١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل النية في الخير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سعة فضل الله على عباده.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: ساحات القتال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة النبي ﷺ في الغزوات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل النية في الخير:

يظهر هذا من قوله ﷺ في الحديث: "إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم" قال النووي: (وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات فعرض له عذر منعه حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه)[1]. وقال ابن علان: (وفي قوله "إلا كانوا معكم" أي شركوكم في الأجر وكان لهم مثل أجركم مضاعفًا لصحة نيتهم في مباشرة كل ما باشره إخوانهم المجاهدون، وما حبسهم إلا المرض فلصحة النية أعطاهم الله الأجر المباشر)[2]. وقال ابن حجر: (في الحديث أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل)[3] ولما كانت الأعمال كثيرة والقدرة محدودة والأعذار متعددة، والعوائق متكاثرة، لم يكن أمام المسلم إلا النية الصالحة في فعل الخير، وبهذا ينال أجر العاملين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: سعة فضل الله على عباده:

إن هؤلاء المجاهدين قد حبسهم العذر عن الجهاد مع إخوانهم، فلم يقاتلوا كما قاتلوا ولم يقطعوا واديًا كما قطعوا ولا ساروا كما ساروا، ولا اغبرت أقدامهم كما اغبرت أقدامهم، ولم يعالجوا ملاقاة الأعداء كما عالجوا، ومع ذلك فقد أَخبَرَ رسول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧/٦.

الله ﷺ أن هؤلاء المعذورين قد نالوا أجر المقاتلين "إلا شركوكم في الأجر" وذلك بسبب صدق نيتهم في الجهاد والقتال، فإنهم ودوا لو كانوا معهم، سيوفهم قبل سيوفهم ورماحهم قبل رماحهم ونفوسهم قبل نفوسهم، لذا نالوا مثل أجرهم، وهذا من فضل الله ومنّه على عباده أن جعل النية الصادقة تحصّل للمعذور أجر العامل غير المعذور. قال القرطبي: (إن الناوي لأعمال البر الصادق النية فيها إذا منعه من ذلك عذر كان له مثل أجر المباشر مضاعفًا وقد دلّ عليه من الحديث ذكرُ قطع الوادي والمسير، فإن هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] ولما كان القاعدون لأجل العذر قد صحت نيتهم في مباشرة كل ما باشره إخوانهم المجاهدون، أعطاهم الله تعالى مثل أجر من باشر)[2].

وقال ابن حجر: (قال المهلب: يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ...﴾[3]، فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولي الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين)[4].

فإذا أدرك المدعو ذلك حرص على الخير وفعله وإلا نواه فيصيبه فضل الله فيعطيه أجر العاملين. وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣/٧٤٥-٧٤٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٧.

نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي رَبَّهُ فِيهِ وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فهو خبط فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ))[1].

ثالثًا- من ميادين الدعوة: ساحات القتال:

حيث جاء في الحديث "كنا مع النبي في غزاة" وفي رواية البخاري "رجعنا من غزوة تبوك" ولاشك أن الداعية لا يترك فرصة ولا ميدانًا يسنح له إلا ويدعو فيه إلى الله، حتى ولو كان هذا المكان هو ساحات القتال (ففي أعقاب الحرب تسنح الفرصة تمامًا للدعاة بأن ينتشروا في الأصقاع وينشروا الإسلام ويعرِّفوا الناس به وتُستغل في ذلك وسائل الإعلام الشخصية منها والجماهيرية للتبليغ والإنذار)[2]. وساحات القتال لا يكون فيها مع الداعية إلا أقوياء الإيمان، وقلوبهم مستعدة للموعظة وللترغيب وللترهيب (والجهاد دليل واضح على الإيمان بالله ورسوله لأن المسلم يبادر إليه امتثالاً لأمر ربه، وفي الجهاد تكون هناك عزة وقوة للمسلمين وفخر، وفي الجهاد تتحقق عوامل الاتحاد والائتلاف، ومن هنا كانت ساحات القتال أرضًا خصبة لنشر الدعوة)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة النبي في الغزوات:

يتضح هذا من الحديث "كنا مع النبي في غزاة" وهذا يدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم ومدى كفاحهم وجهادهم في سبيل نشر الدين وإعلاء كلمة الله عز وجل حتى في شدة الحر وقلة الزاد فإنهم يخرجون مجاهدين استجابة لقول الله تعالى:

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٢٥ وهذا لفظه، وابن ماجه ٤٢٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩٤٠)، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٢) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٩، ٢٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح الهجاري، ٢٤٢.

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1] فاستحقوا رضي الله عنهم ما أعدّ لهم من جنات وخيرات.

ومن أبرز صور ونماذج حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ في الغزوات ما حدث من أبي خيثمة في غزوة تبوك فيما ذكره ابن كثير عن ابن إسحاق قال: ((إن أبا خيثمة رجع بعد ما سار رسول الله ﷺ أيامًا إلى أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة عريشها وبرَّدت له فيه ماءً، وهيأت له فيه طعامًا فلما دخل ونظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسولُ الله ﷺ في الشمس والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ما هذا بالنَّصف ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيئا زادًا ففعلتا، ثم قدم ناضحه[2] فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله ﷺ "كن أبا خيثمة" فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة فلما بلغ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له: "أولى لك يا أبا خيثمة" ثم أخبر رسول الله الخبر فقال خيرًا ودعا له بخير))[3].

ومن النماذج المضيئة في حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ في الغزوات ما حدث من حنظلة بن أبي عامر في غزوة أحد ففي صحيح ابن حبان عن ابن إسحاق، حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى دون الأعراض[4]، إلى جبل بناحية المدينة، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ، وقد كان

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) الجمل الذي يحمل عليه الزاد.

(٣) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٥٦/٧، ١٥٧، وانظر دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٢٢٣/٥-٢٢٦.

(٤) أعراض المدينة: قال الأصمعي: هي قراها التي في أوديتها، وقال شمر: أعراض المدينة: هي بطون سوادها حيث الزرع والنخل. انظر: هامش صحيح ابن حبان لمحققه شعيب الأرناؤوط ٤٩٥/١٥.

حنظلة بن أبي عامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود، فعلاه شداد بالسيف حتى قتله وقد كاد يقتل أبا سفيان، فقال النبي ﷺ: إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته؛ فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهيعة[1]، فقال النبي ﷺ: فذاك قد غسلته الملائكة[2].

(١) الهيعة: الصوت الذي تفزع منه وتخافه من عدو. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير لابن الأثير في (هـ ي ع).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧٠٢٥، وقال محققه: حديث صحيح رجاله ثقات.

الحديث رقم (٥)

٥- وَعَنْ أبي يَزِيدَ مَعْنِ بْن يَزِيدَ بْنِ الأَخْنسِ رضي الله عنهما، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدّهُ صَحَابِيُّونَ[١]، قَال: كَانَ أبي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتصَدَّقُ بهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتيْتُهُ بهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ! فَخَاصمْتُهُ إِلَى رسول اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نويْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخذْتَ يَا مَعْنُ**» رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

معن بن يزيد بن الأخنس: هو معن بن يزيد بن الأخنس السلمي، له ولأبيه ولجده صحبة. شهد هو وأبوه وجده بدرًا. وقال يزيد بن حبيب: ولا أعلم رجلاً هو [أي الأخنس] وابنه وابن ابنه شهدوا بدرًا غيرهم[٣].

وكان له مكانة عند النبي ﷺ قال عن نفسه: بايعت النبي أنا وأبي وجدي وخاصمت إليه وخطب عليّ فأنكحني [أي طلب لي النكاح فأجيب][٤].

وكان صاحب شجاعة وبلاء في المغازي والفتوحات وشهد فتح دمشق. وكان عمر ابن الخطاب يجلّه ويقدره.

نزل الكوفة ودخل مصر ثم نزل الشام وسكن دمشق وكان مع معاوية بعد موقعة صفين، وقد جعله معاوية أميرًا على غزوة غزت الروم[٥]، وقتل في موقعة مرج راهط ٦٤هـ[٦].

---

(١) لفظ البخاري: (بايعتُ رسول الله ﷺ أنا وأبي وجدّي، وخطب عليَّ فأنكحني، وخاصمتُ إليه) وعبّر عنها النووي بقوله: (وهو وأبوه وجدّه صحابيون).

(٢) برقم (١٤٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣).

(٣) قال الحافظ: ولم يتابع على ذلك. وينظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٣٤٢/٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٢٢) وقصة المخاصمة هي التي بينه وبين أبيه في الصدقة وقد ذكرها النووي في الرياض وهو الحديث المشروح.

(٥) انظر: سنن أبي داود ٢٧٥٤، ومسند أحمد ٤٧٠/٣، رقم ١٥٨٦٢.

(٦) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٩٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٣٠/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٢٧٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ١٨٩/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٣٠/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٧٤/٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٨١٨/٣.

الشرح الأدبي

يموج هذا الحديث بكثير من القيم الإسلامية، والحقوق الاجتماعية التي تقوي روابط الأخوة بين أبناء الأمة الإسلامية، والتوجيهات النبوية الراشدة لا تُقدَّم دائمًا في قالب واحد، وإنما تتعاون أساليبها وتتنوع صيغها تشويقًا لكل سامع وقارئ، ومراعاة للمقام والسياق الذي قيلت فيه هذه التوجيهات، وهنا يوجه المصطفى ﷺ أصحابه وكل أبناء الأمة الإسلامية إلى وجوب اقتران النية الصالحة بالعمل الذي يترجم هذه النية إلى سلوك راشد، وثمرة نافعة صالحة، والقصة الواقعية هي الصيغة التي قُدِّم من خلالها هذا التوجيه النبوي.

وأشخاص هذه القصة الحوارية هم من الصحابة الأخيار: الابن: معن، والأب: يزيد ابن الأخنس رضي الله عنهما، والرجل الذي يلازم المسجد وأودعت عنده الأمانة ابتغاء الصدقة، والفعل "كان" يعلن عن أسلوب الحكاية في هذا النص النبوي، والفاء التي تربط بين الجمل وتعلن عن توالي مشاهد الحدث ف هذه الحكاية الواقعية بين الابن وأبيه، والفاء للترتيب والتعقيب، وسرعة الحركة وتوالي الزمن بلا فواصل، وتتوالى الأفعال في سرعة إيحاءً بحرص كلٍ من أطراف هذه الحكاية على إنجاز العمل حسب نيته، والأفعال المصورة لهذا الحدث تأتي في هذا النسق (كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها: فوضعها عند رجل في المسجد، ثم يقول معن: فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال) ولنتأمل توالي حرف العطف الفاء خمس مرات في مقام واحد ثم تتكرر مرتين بعد ذلك في قوله: "فخاصمته فقال".

والحوار بين الأب وابنه يوضح صدق نية الأب، وصدق نية الابن في حاجته لهذا المال ولكن الأب يواجه الابن في حسم وبأسلوب حازم يأتي في صيغة الحرص والقسم في قوله "والله ما إياك أردت" وإخلاص الأب في نيته الصادقة يتفوق على عاطفة الأبوة، فهو لم يضعف أمام ابنه الذي لم يأخذ المال على الرغم من حاجته إليه، وإنما أعطاه لأبيه مرة ثانية رغبة في أن يقدمه الأب له طواعية واختيارًا.

وفي الحديث توجيه وأدب يجب أن يتحلى به كل مسلم، وهو الاحتكام إلى

الكتاب والسنة في أي موقف خلافي، وهنا يلجأ الابن إلى رسول الله ﷺ لمعرفة الحكم في هذه المسألة، ويأتي جواب رسول الله ﷺ مُطَمئنًا ومرغبًا وجامعًا مانعًا ليقضي على أسباب المخاصمة الناشئة بين الأب وابنه، وهي ليست مخاصمة بين الأضداد ولكنها خلاف حول من الأحق بهذا المال الابن المحتاج، أم يعطى هذا المال للسائل والمحروم الذي لا يعرفه صاحب الصدقة رغبة في مضاعفة الثواب. فيقول رسول الله ﷺ: "لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن".

أي لك ثواب نيتك الخالصة يا يزيد : لأنك نويت التصدق بهذا المال على محتاج، وابنك محتاج والمال حلال لمعن؛ لأنه أخذ المال أخذًا صحيحًا، وهنا تنبيه وإرشاد نبوي لكل الأبناء وهو حسن معاملة الآباء، وضرورة رعاية الآباء للأبناء، والحرص على إعطاء المال لمستحقه، ووضعه في المكان المناسب. وفي هذا الحديث دلالة رائعة على عدم محاباة الآباء لأبنائهم، وأهمية الالتزام بهدي الإسلام في سائر الأمور، وقد ضرب الأب -يزيد بن الأخنس- أروع الأمثلة للآباء في هذا المجال من التعامل الحياتي الذي كثيرًا ما يقع بين الناس، فتكون المحاباة والغفلة عن معرفة رأي الإسلام، إنها صورة رائعة في تعامل الأب مع ابنه، وعدم محاباته.

فقه الحديث

وفي هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١- حكم إعطاء الزكاة لمن لا يستحقها: ينبغي لمن يخرج الزكاة أن يجتهد في معرفة من يصرفها إليه وأن الآخذ لها من مستحقي الزكاة، فإن اجتهد فأخطأ وأعطى الزكاة لمن ظنه من أهلها فظهر الأمر بخلاف ذلك، فقد اختلف الفقهاء في إجزائها عنه على قولين:

القول الأول: ذهب أبو حنيفة ومحمد[1] والشافعية في مقابل الأصح[2] إلى أن دافع الزكاة في هذه الحالة تجزئه ولا تجب عليه مرة أخرى ولا يلزم الآخذ ردها أخذًا بهذا الحديث.

---

(١) تبيين الحقائق، الزيلعي ٣٠٤/١، العناية على الهداية، البابرتي ٢٧٥/٢.

(٢) الأم، الأمام الشافعي ٧٩/٢.

القول الثاني: ذهب جمهور الفقهاء ومنهم أبو يوسف[١] والمالكية[٢] والشافعية في الأصح[٣] والحنابلة[٤] إلى أن دافع الزكاة لمن يظنه خطأ لا تجزئه الزكاة هكذا وإنما يجب عليه إخراجها ثانية إن لم يستردها من الآخذ، على أن المالكية قالوا بهذا الحكم فيما لو كان الدافع لها هو رب المال أما إن كان الدافع هو الإمام أو الوصي مثلاً فإنه إن لم يستطع استردادها أجزأت عنه.

٢- التحاكم بين الأب والابن: قال ابن حجر: (فيه جواز التحاكم بين الأب والابن وإن ذلك بمجرده لا يكون عقوقًا)[٥].

٣- الاستخلاف في الصدقة: قال ابن حجر: (فيه جواز الاستخلاف في الصدقة ولا سيما صدقة التطوع لأن فيه نوع إسرار)[٦].

٤- رجوع الأب عن الصدقة لابنه: قال ابن حجر: (فيه أن الأب لا رجوع له في الصدقة على ولده بخلاف الهبة)[٧].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على بذل الصدقات.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الاحتكام إلى الله ورسوله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية.

رابعًا- من صفات الداعية: القدرة على الفصل في المنازعات.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الحوار.

---

(١) تبيين الحقائق، الزيلعي ٣٠٤/١، العناية على الهداية، البابرتي ٢٧٥/٢.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٥٩/٢، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٥٠١/١.

(٣) الأم، الأمام الشافعي٧٩/٢، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٤٠٥/١.

(٤) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٥/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٩٥/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٣/٣.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٧) المرجع السابق، الموضع نفسه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على بذل الصدقات:

يظهر هذا من خلال ما ورد في الحديث "كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها" ولاشك أن المسلم يجب أن يحرص على بذل الصدقات قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[١] ووعد بالأجر الكريم على الصدقة فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٢] والحرص على بذل الصدقات من صفات المتقين ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[٣] وبين رسول الله ﷺ أن الصدقة تزيد المال فقال في الحديث ((ما نقصت صدقة من مال))[٤]، وأن الصدقة تقي من النار فقال ((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ))[٥] وفي الحديث أيضًا ((لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ))[٦]. وقال ابن أبي الجعد: (إن الصدقة لتدفع سبعين بابًا من السوء، وفضل سرها على علانيتها سبعين ضعفًا)[٧] والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة فعلى الدعاة إرشاد الناس لها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الاحتكام إلى الله ورسوله:

يتضح هذا من خلال ما ورد في الحديث "فخاصمته إلى رسول الله ﷺ أي: أخذ معن يزيد إلى رسول الله ﷺ ليفصل بينهما في الأمر. وهذا حال الصحابة رضي الله عنهم دائمًا

---

(١) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٢) سور الحديد، آية: ١٨.

(٣) سورة الذاريات، آية: ١٧-١٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم واللفظ له ١٠١٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٢٥، ومسلم ٨١٥.

(٧) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، الدمياطي ص ١٤٨.

وديدنهم، فيه دلالة على ورع الصحابة رضي الله عنهم وتثبتهم في معرفة الأحكام، وسؤالهم رسول الله ﷺ في كل ما أشكل عليهم[١]. وهذا من علامة الإيمان، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢].

قال الشوكاني: (أي حتى يجعلوك حكمًا بينهم في جميع أمورهم لا يحكمون أحدًا غيرك فيما اختلف بينهم واختلط، ولا يجدون في أنفسهم إثمًا بإنكارهم ما قضيت، وينقادون لأمرك وقضائك انقيادًا لا يخالفونه في شيء ويسلمون لحكمك تسليمًا لا يدخلون على أنفسهم شكًا ولا شبهة فيه، والظاهر أن هذا شامل لكل فرد في كل حكم)[٣].

وفي أهمية الاحتكام إلى الله ورسوله قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[٥].

قال الدكتور محمد محمود حجازي: (إن المؤمنين الصادقين قولهم الحق الناشئ عن إيمانهم الصادق، إذ دعوا إلى الله ورسوله في أي شيء يتعلق بهم وبخاصة في الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله، إنما كان قولهم أن يقولوا بألسنتهم وقلوبهم: سمعنا وأطعنا، أي سمعنا دعوتكم للتحاكم لرسول الله وشرعه، وأطعناكم فيما تطلبون، وتلك مقالة المؤمنين الواثقين المتمكنين. ومن يطع الله ورسوله في أمور الدين كلها، ومن يخش الله أي يخف عذابه وعقابه فيما مضى من الذنوب ويتقه فيما يستقبل منها

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٢٠١.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٤٨٣/١.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٥) سورة النور، الآيتان: ٥١، ٥٢.

فأولئك هم الفائزون وحدهم، لأجل اتصافهم بطاعة الله وطاعة رسوله وبخشيته وتقواه)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "لك ما نويت يا يزيد" والنية الصالحة يثاب عليها الإنسان، قال ابن حجر: (أي إنك نويت أن تتصدق بها على من يحتاج إليها وابنك يحتاج إليها فوقعت الموقع وإن كان لم يخطر ببالك أنه يأخذها، وفي الحديث أن للمتصدق أجر ما نواه سواء صادف المستحق أو لا)[٢]. وقال ابن عثيمين: (والحديث يدل على أن الأعمال بالنيات، وأن الإنسان إذا نوى الخير حصل له، وإن كان يزيد لم ينو أن يأخذ هذه الدراهم ابنه لكنه أخذها وابنه من المستحقين فصارت له فالإنسان يكتب له أجر ما نوى، وإن وقع الأمر على خلاف ما نوى)[٣].

إن النية أساس العمل وقاعدته قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٤] وإذا دخل الشرك في العبادة أفسدها (لقد حصر الله أمر المكلفين كله في عبادته وجعل شرط ذلك الإخلاص، ولا يميز العمل الخالص من غيره إلا بالنية؛ فالنية رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان، وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة)[٥].

رابعًا- من صفات الداعية: القدرة على الفصل في المنازعات:

يظهر هذا من فصل النبي ﷺ في النزاع بين معن وأبيه يزيد، وقدرة الداعية على

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٨٣/١٨/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٣/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٠/١.

(٤) سورة البينة، آية: ٥.

(٥) النية وأثرها في الأحكام الشرعية، د. صالح السدلان ص ١٥١/١.

الفصل في المنازعات تحتاج إلى رجاحة عقل، وتوقد فكر، وذكاء ذهن (وإذا كان للإيمان نورانيته وآثاره، وللعلم فاعليته ودوره، فيبقى للذكاء والفطنة أهميتهما التي لا تنكر، فالداعية إذا توفر لديه الذهن الوقّاد والعقل السديد استطاع أن يرجح إذا اختلفت الآراء، ويحلل ويدلل إذا فقد الإدراك وغاب التصور، ويتقن ترتيب الأولويات، ويحسن التخلص من المشكلات، ويقوى على الرد على الشبهات)[١].

ومن الشواهد والأمثلة على القدرة على الفصل في المنازعات ما جاء في مسند أبي داود الطيالسي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: (لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن حفر قوم زبية[٢] للأسد فازدحم الناس على الزبية ووقع فيها الأسد فوقع فيها رجل وتعلق الرجل برجل وتعلق الآخر بالآخر حتى صاروا أربعة فجرحهم الأسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح فكادوا أن يكون بينهم قتال قال: فأتيتهم فقلت أتقتلون مائتي رجل من أجل أربعة أناس تعالوا أقضِ بينكم بقضاء فإن رضيتموه فهو قضاء بينكم، وإن أبيتم رفعتم إلى رسول الله ﷺ فهو أحق بالقضاء، قال: فجعل للأول ربع الدية وجعل للثاني ثلث الدية وجعل للثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حفر الزبية على القبائل الأربعة فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقصوا عليه القصة فقال: "أنا أقضي بينكم" فقال قائل فإن عليًا قد قضى بيننا فأخبروه بما قضى علي رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: ((القضاء كما قضى علي)) قال هذا: حماد وقال: قيس فأمضى رسول الله ﷺ قضاء علي رضي الله عنه)[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

يظهر هذا من الحوار الذي جرى بين معن وأبيه يزيد، ومما هو معلوم أن الحوار أسلوب من أساليب الدعوة، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ٩٢.

(٢) الزُّبْيَة: حفرة تحفر للأسد والصيد، ويُغطى رأسها بما يسترها ليقع فيها. المعجم الوسيط، مع اللغة العربية في (ز ب ي).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي رقم ١١٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[١] (ووصف الجدال بالتي هي أحسن يخرج الطرق السيئة ويلزم الداعي تجنب الغضب والإغضاب من جانبه، ويوطده على الصبر والتحمل والهدوء في الحوار أمام من يجادلهم ليصل إلى ما يريد من هدايتهم وبيان الحق لهم)[٢].

والحوار أسلوب قرآني ونبوي (إن القرآن الكريم يكثر فيه الاعتماد على المناقشة والحوار، وللقرآن في ذلك أسلوب رائع عجيب فهو إذ يناقش ويحاور يثير النظر إلى الأدلة، ويعرض لها ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة في تضاعيف الكلام دون أي نص على هذه النتائج بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل وفي سنة الرسول ﷺ كذلك تجد فيها الكثير من الحوارات التي استخدمها الرسول ﷺ في تعليم أصحابه لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر بالجواب ليكون ذلك أقرب إلى الفهم في النفس)[٣].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥٠٧.

(٣) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، أ. خالد محمد المغامسي ص ٨.

الحديث رقم (٦)

٦- وَعَنْ أبي إِسْحَاقَ سعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ مَالك بن أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهرةَ بْنِ كِلابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كعْبِ بنِ لُؤيٍّ الْقُرشِيِّ الزُّهَرِيِّ رضي الله عنه ، أَحدِ الْعَشرة الْمَشْهودِ لَهمْ بِالْجَنَّة رضي الله عنهم ، قال: «كانْ رسولُ الله ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّة الْوَداعِ مِنْ وَجعٍ اشْتدَّ بِي، فَقُلْتُ: [يا رسُول اللَّهِ][1] إِنِّي قَدْ بلغَ بِي مِن الْوجعِ [مَا تَرى][2]، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلاَ يَرثُنِي إِلاَّ ابْنةٌ [لِي]، أَفأَتصدَّق بثُلُثَيْ مالِي؟ قَالَ: ((لا))، قُلْتُ: بالشَّطْر يَا رسُولَ الله[3]؟ فقالَ: ((لا))، قُلْتُ: ثم قال الثُّلُثُ يا رسول اللَّه[4]؟ قال: ((**الثُّلثُ والثُّلُثُ كثِيرٌ (أَوْ: كَبِيرٌ) إِنَّكَ إِنْ تَذرَ وَرثتك أغنِياءَ خَيْرٌ مِن أَنْ تذرهُمْ عالَةً يَتكفَّفُونَ النَّاس، وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِق نَفَقةً تبْتغِي بِهَا وجْهَ الله إِلاَّ أُجرْتَ عَلَيْهَا[5] حَتَّى ما تَجْعلُ فِي فِي امْرَأَتكَ**)).

قَال[6]: فَقلْت: يَا رَسُولَ الله أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَال: ((**إِنَّك لن تُخَلَّفَ فتعْمَل عَمَلاً[7] تَبْتغِي بِهِ وَجْهَ الله[8] إِلاَّ ازْددْتَ بِهِ دَرجةً ورِفعةً، و[9] لعَلَّك أَنْ تُخلَّف حَتَى ينْتفعَ بِكَ أَقْوامٌ وَيُضرَّ بِك آخرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحابي هجْرتَهُم، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِم**))[10]، لَكن الْبائسُ سعْدُ بْنُ خوْلَةَ «يَرْثِى لَهُ رسولُ الله ﷺ» أَن مَاتَ بمكَّةَ» متفقٌ عليه.

---

(١) قوله: (يا رسول الله) لا يوجد عند البخاري بهذا الرقم، وإنما عنده برقم (٣٩٣٦)، و (٤٤٠٩)، و (٦٣٧٣).

(٢) قوله: (ما ترى) لا يوجد عند البخاري بهذا الرقم، وإنما عنده برقم (٣٩٣٦)، و (٤٤٠٩)، و (٦٣٧٣).

(٣) قوله: (يا رسول الله) لا يوجدُ عند البخاري.

(٤) قوله: (قلت: فالثلث يا رسول الله) لا يوجد عند البخاري بهذا الرقم، وإنما عنده برقم (٢٧٤٢، ٢٧٤٤).

(٥) لفظ البخاري: (بها).

(٦) (قال) لا توجد عند البخاري.

(٧) عند البخاري في هذه الرواية زيادة: (صالحًا)، وأما قوله: (فتعمل عملاً تبتغي به وجه) فعنده برقم (٣٩٣٦).

(٨) (تبتغي به وجه الله) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٣٩٣٦).

(٩) لفظ البخاري في هذه الرواية: (ثم)، وأما بالواو، فعنده برقم (٣٩٣٦).

(١٠) أخرجه البخاري واللفظ له ١٢٩٥، ومسلم ١٦٢٨/٥. وسيكرره المؤلف برقم (٩١٦).

تنبيه: من قوله: (فقلتُ: يا رسول الله أخلف بعد أصحابي) إلى آخره بلفظه عند البخاري برقم (٣٩٣٦)، و (٤٤٠٩).

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص مالك بن أُهَيْب، ويُقَال: وُهَيْب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مُرَّة الزهري القرشي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرة، ويكنى بأبي إسحاق.

قال إبراهيم بن المنذر: كان قصيرًا دَحْدَاحًا، غليظًا، ذا هامةٍ، شَثْن الأصابع، أشعر، جعد الشعر، وكان يخضب بالسواد[١].

كان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، قال ابن المسيِّب: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ((ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام))[٢].

أسلم رضي الله عنه قبل أن تفرض الصلاة وهو ابن ١٧ سنة، جاهدته أمه ليرجع عن دينه فحلفت ألا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب حتى يَموت فيعير بقتلها، ومكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابنٌ لها يسمى عمارة فسقاها[٣] ولم يثنه ذلك عن إسلامه، وهو من أصحاب الرواية، روى جملة صالحة من الأحاديث، له في كتب الحديث ٢٧١ حديثًا، في الصحيحين منها ١٥ حديثًا، وانفرد البخاري بخمسة، ومسلم بثمانية عشر حديثًا، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكما في حديث سعيد بن زيد عن رسول الله ﷺ قال: ((عَشَرةٌ في الجنّة: النبي في الجنّة، أبوبكر في الجنة... الحديث)) وفيه ((وسعد بن مالك في الجنة))[٤].

---

(١) الدَحْداح هو: الشثن الأصابع: أي الخشن مع غلظة، المعجم الوجيز في (ش ش ن)، الأشعر: كثيف الشعر، الخضب: الصبغ بما يغير اللون. المعجم الوجيز في (خ ض ب).

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٤٨ بعد الحديث ٢٤١٢، في باب فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من كتاب فضائل الصحابة.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٦٤٩، والترمذي ٣٧٥٧، وابن ماجه ١٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٨٨٦).

هاجر قبل رسول الله ﷺ، وكان في مقدمة المجاهدين في سبيل الله فشهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، حدث عن نفسه قائلاً: ((إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله))[١].

وكان من أبرز الفرسان الصالحين الذين كانوا يدافعون عن رسول ﷺ ويحرسونه في المغازي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت أَرِقَ رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال: ((ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة))، قالت: وسمعنا صوت السلاح فقال رسول الله ﷺ ((من هذا؟)) قال سعد بن أبي وقاص يا رسول الله جئت أحرسك، قالت عائشة رضي الله عنها: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه[٢]، وفي رواية فقال له رسول الله ﷺ: ((ما جاء بك؟)) فقال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام))[٣].

وقال علي بن أبي طالب ((ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول له يوم أحد: فداك أبي وأمي))[٤].

وهو الذي تولى قتال فارس، وفتح الله على يديه القادسية وغيرها. مما جعله جديرًا بأن يعرف بأنه فارس الإسلام.

وهو الذي كوّف الكوفة فجعلها خططًا، وابتنى بها دارًا فكثرت الدور فيها، ونفى الأعاجم منها، وكان أميرًا لعمر عليها، ثم عزله ثم أعاده ثم عزله، وقال في مرضه: إن وليها سعد فذاك، وإلا فليستعن به الوالي، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة، وأقره عثمان عليها زمنًا ثم عزله فعاد إلى المدينة وفقد بصره.

وكان رضي الله عنه مشهورًا بأنه مجاب الدعاء لدعوة رسول الله ﷺ ((اللهم استجب له إذا دعاك يعني سعدًا))[٥] فمناقبه وفضائله كثيرة جدًا وأخباره من الشجاعة والشدة في

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٢٨، ومسلم ٢٩٦٦

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٨٥، ٧٢٣١، ومسلم ٢٤١٠، ٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤١٠، ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٠٥، ومسلم ٢٤١١.

(٥) أخرجه ابن حبان، كتاب أخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب ذكر دعاء المصطفى ﷺ لسعد (١٥/٤٥٠) حديث رقم (٦٩٩٠)، وقال محقق ابن حبان: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الترمذي: حديث صحيح.

دين الله، وإتباع سنة رسول الله ﷺ وهديه وتواضعه وصدقه كثيرة واسعة.

وكان سعد قد اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان وطلب السلامة فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: كان سعد في إبله فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي))[١].

توفي رضي الله عنه في قصره بالعقيق -على عشرة أميال من المدينة- وحمل إلى المدينة على رقاب الرجال، ودفن بالبقيع، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة.

وكان رضي الله عنه آخر العشرة المبشرين بالجنة وآخر المهاجرين وفاة بالمدينة، واختلف في تاريخ وفاته فقيل سنة ٥١، وقيل: ٥٤، وقيل ٥٦، وقيل ٥٧، وقيل: ٥٨، وقيل ٥٥ وهو المشهور، مات وهو ابن ٧٣ سنة، وقيل ٨٢، وقيل ٨٣[٢].

غريب الألفاظ:

يعودني: يزورني[٣].

الشطر: النصف[٤].

عالة: فقراء[٥]، مفردها: عَيِّل.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن ص ١٢٨٤، ١٢٨٥ حديث رقم ٢٩٦٥.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد الكبرى ٣/١٣٧-١٤٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٧٥-٢٨٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢/٤٥٢-٤٥٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١/٩٢-١٢٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٣/١٣٠، ١٣١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١/٦٩٨، ٦٩٩، والسندي ٣/٤٨٠، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣/٨٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١/٣٥٥-٣٦٥.

(٣) اللسان في (ز و ر).

(٤) اللسان في (ش ط ر).

(٥) اللسان في (ع ي ل).

يتكففون الناس: يسألون الناس بأكفهم[١].

أُخلِّف: تحتمل معنيين: أي أُترك في مكة وقد انصرف الرسول ﷺ وأصحابه عنها، أو أعيش بعد جماعات من أصحابي[٢].

الدَّرَجَةُ: المنزلة في الشرف[٣].

اللهم أمض لأصحابي هجرتهم: أنفذها وتممها لهم ولا تنقصها عليهم[٤].

ولا تردهم على أعقابهم: أي حالتهم الأولى من ترك الهجرة[٥].

البائس: هو الذي عليه أثر البؤس وهو الفقر والقلة[٦].

يرثى له رسول الله ﷺ: الرثاء ذكر محاسن الميت والمراد هنا: التوجع له لكونه مات في البلدة التي هاجر منها، وذلك أنه كان يحرم الإقامة بمكة على من هاجر منها قبل الفتح[٧].

الشرح الأدبي

ما أجمل المعاني والقيم التي نقتبسها من هذا الحديث الشريف، وما أروع هذه الصيغة الحوارية التي تشع بالمودة والرحمة بين البشير النذير وأصحابه الأخيار الأطهار الذين وصفهم بأنهم كالنجوم في الهداية، وبأيهم اقتدينا اهتدينا.

إن هذا الحوار المقنع الممتع يدور بين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ونبي هذه الأمة حول قضية اجتماعية لها مكانتها وتأثيرها في سر تقدم الأمة الإسلامية، وهي قضية المال وكيفية كسب المؤمن وتحصيله له، وكيفية توزيعه، ولكن هذه القضية تقدم في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣١/٥.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣٥.

(٣) الوسيط في (د ر ج).

(٤) عمدة القاري، العيني ٦٨/١٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ق ب).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣٦.

(٧) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٣/٧، ٣١٦، وعمدة القاري، العيني ٦٨/١٧.

إطار سلوك إنساني، وسياق اجتماعي، يقدمه النبي ﷺ حين يعود صاحبه في مرضه مقدمًا بذلك القدوة والأسوة الحسنة في التواضع ولين الجانب، وفيه كما يقول العلماء عيادة الكبير أتباعه.

والقيمة الثانية: التي نقتبسها من أضواء هذا البيان النبوي هي وجوب رعاية الأبناء، والعمل على إعزازهم في حياتهم وذلك لا يكون إلا بالجد والسعي على الرزق والكدح، واكتساب المال من الطرق المشروعة التي تُجَمِّل وجه الحياة في عيون الأبناء، وهذه القيمة الحضارية تشع بها هذه الوصية النبوية الهادية القويمة في خطابه لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو في الوقت ذاته يوجه الخطاب إلى كل أب مسؤول عن رعيته وأبنائه إذ يقول " إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس" فالمؤمن عزيز النفس بمنأى عن الذلة التي تدفع إليها الفاقة ويجلبها العوز.

وحتى لا يتسرب الظن إلى الذين يحاولون التشكيك في قيم الإسلام وعدالته وسماحته أردف المصطفى ﷺ هذه الوصية بوصية أخرى فيها حث على الإنفاق والتصدق، حتى لا يظل السعي قاصرًا على الجانب الذاتي بل يتعداه إلى المشاركة في رفع المعاناة عن الفئات الضعيفة وعن أصحاب الحاجات والفقراء والمساكين وغيرهم من الذين يستحقون الصدقات في ظل التكافل الاجتماعي الذي شرعه الإسلام، وهذه الوصية تأتي في أسلوب التوكيد وأسلوب القصر حتى تظل قيمة الإنفاق راسخة ومتأصلة في سلوكيات المؤمنين، ويظل إيقاع التعاون والتكافل لحنًا ساريًا بين أبناء الأمة الإسلامية.

والوصية تقدمها هذه الصيغة الموشاة بالتأكيد وأسلوب القصر: يقول رسول الله ﷺ عقب وصيته بضرورة ووجوبية رعاية الأبناء "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها".

ومن القيم الإنسانية الحضارية التي تشع بها كلمات هذا الحديث النبوي قيمة المودة والرحمة والسكن بين الزوج وزوجته، وهذه القيمة ذات البعد الاجتماعي تتمثل في حسن الرعاية والقوامة، وأن يدخل الزوج السرور على زوجته وأن يبادلها المودة والملاطفة، وله الثواب المضاعف حتى على أقل صور هذه المودة في الأثر الخارجي،

ولكن لها آثار نفسية عميقة ذات دلالة وجدانية اجتماعية تتمثل في محبة الزوج لزوجته، ومن أمارات هذه المحبة أن يطعمها وأن يشعرها بالدفء والحنان، والحرص على العلاقة الزوجية في إطار السكن والمودة والرحمة.

ومن القيم الإسلامية التي تفيض بها كلمات هذا الحديث الشريف في قالب حواري مقنع وممتع هو الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الفردية ففي لحظة المرض واشتداد الوجع لا يحزن الصحابي الجليل على فراق ماله، ولا يخاف من الموت، ولكنه يفكر في أمر المسلمين، ويدور هذا الحوار البليغ الإيماني بين الصحابي الجليل والنبي الكريم ﷺ.

يا رسول الله: إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟: قال رسول الله له: لا، قلت: فالشطر يا رسول الله، فقال: لا، قلت فالثلث يا رسول الله؟ قال: الثلث، والثلث كثير أو كبير.

إن هذا الأدب الجم في مخاطبة رسول الله ﷺ كان شأن كل الصحابة رضي الله عنهم مع الحبيب المصطفى ﷺ وهذا الزهد في متاع الحياة، والحرص على التصدق بثلثي المال: أو شطر المال يعطي درسًا جميلاً نبيلاً في العطاء والترفع والقوة أمام إغراء المال، وهذه المراجعة المتأدبة مع رسول الله ﷺ حول الميراث الذي يتنازل عن بعضه صاحبه إلى فقراء المسلمين، هذا السلوك الإيماني الذي يمثله الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد الستة أصحاب الشورى، وهو أول من أراق دمًا في الإسلام، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأخباره في الشجاعة والشدة في دين الله، واتِّباع السنة والزهد والورع وإجابة الدعوة والصدق والتواضع شهيرة.

وتتوهج القيم الإسلامية ذات البعد الاجتماعي في هذا الحوار المشع ببريق العطاء، والنبوءة، والخوف من فراق الأصحاب والأخلاء، والمصطفى ﷺ في القسم الثاني مَن هذا الحوار يطمئن صاحبه وحارسه فارس الإسلام سعد بن أبي وقاص، ويدعو له بالشفاء وطول العمر ويستجيب الله لدعاء الحبيب المصطفى ﷺ ويُعافَى سعد من مرضه ويتحقق رجاء رسول الله ﷺ الذي قدمه في هذه الجملة الموشاة بالأمل، والاطمئنان، وما أرق هذه الكلمات، وما أجمل إيقاعها في سمع وقلب سعد بن

أبي وقاص وقد تحقق هذا الرجاء بقول رسول الله ﷺ: "ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويُضَّر بك آخرون".

وقد تحققت نبوءته عليه السلام وعاش سعد بن أبي وقاص وكان من أكبر القواد في المعارك ضد الفرس حيث تولى قيادة جيش المسلمين بعد وفاة المثنى بن حارثة الشيباني، وانهزم الفرس هزيمة نكراء وقتل قائدهم رستم في المعركة، وتقدم سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش إلى عاصمة الفرس "المدائن" فاستولى عليها، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول العلماء في تفسير قوله ﷺ: "حتى ينتفع بك أقوام" في دينهم ودنياهم "ويُضَرَّ بك آخرون": يقولون: "هذا من جملة إخباره ﷺ بالمغيبات فإن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عاش حتى فتح العراق وغيره وانتفع به قوم في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم: فإنهم قتلوا ومضوا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولى سعد بن أبي وقاص العراق فاهتدى على يديه خلائق بإقامته الحق فيهم.

وهذا الحوار المتألق بالقيم الإيمانية يختمه المصطفى ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والذي أيده ربه بالمعجزات الحسية والمعنوية؛ ويأتي هذا الختام بعد هذه النبوءة التي صيغت في أسلوب الرجاء، وتحقق وعد الله لرسوله. واستجاب لدعاء حبيبه محمد ﷺ، وما أصدق هذا الختام وذلك الدعاء الصادر من القلب "اللهم امضي لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم عيادة المريض، وقد اختلف الفقهاء في حكمها على أقوال كثيرة، فذهب الجمهور[1] إلى أنها سنة، وذهب ابن حزم[2] إلى أنها فرض ولو لمرة واحدة على

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٢١/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٣٢٧/٢، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٢/٥ وما بعدها، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٢٩٥/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٩٦/٢، المغني، ابن قدامة ١٦٠/٢، الفروع، ابن مفلح ١٧٤/٢، الآداب الشرعية، ابن مفلح ٢٠٠/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٤٦١/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ٤٠٢/٣ وما بعدها.

الجار الذي لا تشق عيادته، وقيل هي سنة كفاية[١]، وقيل هي واجبة على الكفاية[٢]، ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب[٣].

الثاني: جواز قول المريض أنا وجع ونحو ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع:

قال النووي: (قوله: "عادني من وجع أشفيت منه على الموت" ... فيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله ونحو ذلك، وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه)[٤].

الثالث: حكم الوصية، فقد اتفق الفقهاء على جواز الوصية وإن اختلفوا في حكمها من حيث الوجوب والندب، فذهب جمهور الفقهاء[٥] إلى أن الوصية بالمال ليست واجبة بل هي مستحبة أو مندوبة، ونقل ابن عبدالبر الإجماع على ذلك[٦]، وقال البعض[٧] إنها فرض للوالدين إذا كانوا ممن لن يرثوه، وقال آخرون إنها فرض للأقرباء الذين لا يرثون[٨].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٧/٣١.

(٢) الفتاوى الكبرى ٣٠٥/٥، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٤٦١/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٢/٥، نيل الأوطار، الشوكاني ٢٢/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥/١١/٦، وانظر: رياض الصالحين، الباب رقم ١٤٩، الأحاديث ٩١٥-٩١٧، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي ١٦٣-١٦٤ ط مكتبة الصفا، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/١-١٢٥، الأحاديث ٥٦٦٥-٥٦٦٨.

(٥) المبسوط، السرخسي ١٤٢/٢٧، بدائع الصنائع، الكاساني ٣٧٨/٧، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٦٤/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٢٩/٣، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢/٤ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٣٨/٤، الفروع، ابن مفلح ٦٥٩/٤.

(٦) المغني، ابن قدامة ٥٥/٦.

(٧) المبسوط، السرخسي ١٤٢/٢٧، بدائع الصنائع، الكاساني ٣٣١/٧.

(٨) وبه قال منذر بن سعيد، وأبوبكر بن عبدالعزيز وغيرهم، انظر: المبسوط، السرخسي ١٤٢/٢٧، بدائع الصنائع، الكاساني ٣٣١/٧، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٦٤/٦، المغني، ابن قدامة ٥٥/٦.

الرابع: المقدار الذي يجوز الوصية به من المال، فقد اتفق الفقهاء[١] على أن الوصية تمليك مضاف إلى ما بعد الموت، وأنها لا تصح إلا من ثلث التركة فقط ولا تزيد عليها، فإن زاد الموصي عن الثلث لم ينفذ ما زاد إلا برضا كل الورثة وإجازتهم لها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عيادة المريض.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثالثًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يشغله.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة والأولاد.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على فضل النية الصالحة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة والوصية.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة المهاجرين من الموت في مكة.

تاسعًا: من صفات الداعية: الشفقة والرحمة بالمدعوين.

عاشرًا: من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل عيادة المريض:

يتضح هذا من خلال ما ورد في الحديث: "جاءني رسول الله يعودني"، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث استحباب عيادة المريض، ومن آداب العيادة أن تكون بعد ثلاث، لأن ما دونها لا يؤثر في الانقطاع تأثيرًا يقتضي العيادة)[٢]، ولا يخفى أن عيادة

---

(١) بدائع الصنائع، الكاساني في ترتيب الشرائع للكاساني ٣٣١/٧، تكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم للطوري ٤٦٠/٨، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش لعليش ٥٠٣/٩، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٢٤/٤، مغني المحتاج للشربيني ٧/٤، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٤١/٦، المغني، ابن قدامة ٥٦/٦، ٥٧، الفروع، ابن مفلح ٦٦٠/٤.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٢٥/١.

المريض لها فضل كبير فهي من حقوق المسلم، قال ﷺ: ((حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[١]، وفي الحديث أيضًا: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ))، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ((جَنَاهَا))[٢].

قال ابن عثيمين: (ولقد كان من هدي النبي ﷺ عيادة المرضى لأنه عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفي عيادة المرضى جلب للمحبة والمودة بين المسلمين، لأنها تؤنس المريض وتشرح صدره، وتُذكّر العائد بنعمة الله عليه في الصحة، وبالعيادة يؤدي المسلم حق أخيه المسلم"[٣].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

ويظهر هذا مما ورد في الحديث: (جاءني رسول الله يعودني في حجة الوداع)، قال ابن علان: "سميت بذلك لأنه ﷺ ودعهم فيها، وتسمى حجة البلاغ لأنه ﷺ قال لهم فيها: (هل بلغت؟)، وبحجة الإسلام لأنها الحجة التي حج فيها المسلمون وليس فيها مشرك"[٤]، وتمثل حجة الوداع تاريخًا هامًا في الدعوة الإسلامية، قال ابن حزم: "اعلم رسول الله ﷺ الناس أنه حاج، ثم أمر بالخروج للحج فقصد مكة عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر إليها غيرها وذلك يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة عشر نهارًا بعد أن ترجّل وادهن، وبعد أن صلى الظهر بالمدينة[٥].

ولقد تجمع في هذه الحجة أعداد غفيرة من المسلمين للاقتداء بالنبي ﷺ والحج معه، فكان لها معنًى دعويًا مهمًا جدًا، قال البوطي: (إن لحجة رسول الله ﷺ هذه معنى جليلاً يتعلق بالدعوة الإسلامية، ويتعلق بحياته ﷺ، فيبدو أن الله ألقى في روعه

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٥/١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٣٩.

(٥) حجة الوداع، ابن حزم الأندلسي الظاهري ص ١١٥.

أن مهمته في الأرض توشك أن تنتهي فأراد أن يلتقي بهذه الحشود المسلمة ليُلخِّص لهم تعاليم الإسلام ونظامه في كلمات جامعة وموعظة مختصرة)[١].

ثالثًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يشغله:

يبدو هذا من قول سعد رضي الله عنه: (يا رسول الله بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال أفأتصدق بثلثي مالي؟) وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وهذا السؤال يدل على حبّه للدين وتعاليمه والفقه فيه والعمل بما يرشده إليه واجتناب ما نهى عنه، وفي ذلك قال ابن القيم: (سؤال الناس هو عيب ونقص في الرجل وذلّة تنافي المروءة إلاّ في العلم، فإنه عين كماله ومروءته وعزّه كما قال بعض أهل العلم: خير خِصال الرجل السؤال عن العلم. وقيل: إذا جلست إلى عالم فَسَلْ تفقّها لا تعنتًا، وقيل: لا ينال العلم مستحي ولا متكبر هذا، يمنعه حياؤه من التعلم وهذا يمنعه كبره)[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: فالشطر؟ قال: لا، قلت: فالثلث، قال: الثلث، والثلث كثير) فقد سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن التصدق بثلثي ماله فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم بالنفي وهكذا حتى أقرّه النبي صلى الله عليه وسلم على الثلث، فكان هذا بيان إلى الوصية بالثلث.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة والأولاد:

حيث جاء في الحديث: (وإنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة تجعلها في فيّ امرأتك)، قال النووي: (والعالة: الفقراء، ويتكففون: يسألون الناس، وفي هذا الحديث حث على صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب والشفقة على الورثة، وأن صلة القريب الأقرب والإحسان إليه أفضل من الأبعد)[٤]، وقال ابن هبيرة: (وقوله: "أن تذر

---

(١) فقه السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ٤٨٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) فضل العلم والعلماء، ابن القيم ص ٢٢٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣٥.

ورثتك أغنياء" خيرُ دليل على أن ترك الرجل ورثته أغنياء خير من تركهم فقراء إذا أمكنه، لأن الخلق عيال الله، وهذا المتصدق إنما يخرج ماله إلى بعض عيال الله عز وجلّ، وورثته هم من بعض عيال الله عز وجل. فإذا عزم على التصدق فالأولى أن يبدأ بمن يجمع بين الصدقة عليه وبين صلة الرحم فيه من ورثته، ولأن الرجل كاسب لورثته في حال حياته، فقد سعى لهم مدة حياته، فإذا ترك لهم بعده شيئًا كان أيضًا كالساعي لهم بما ترك لهم من ماله في أيديهم، فلذلك قال رسول الله ﷺ "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير")[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: على النية الصالحة:

يتضح هذا من قوله: (تبتغي بها وجه الله)، فدل على أن الإنسان يثاب بقدر نيته الصالحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2]، قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أنه ينبغي للرجل المؤمن أن لا ينفق نفقة في بيته وعلى أهله وزوجته وولده إلا لله عز وجل)[3].

قال ابن حجر: "والنفقة مقيدة بابتغاء وجه الله وعلق حصول الأجر بذلك وهو المعتبر، ويستفاد منه أن أجر الواجب يزداد بالنية، لأن الإنفاق على الزوجة واجب، وفي فعله الأجر فإن نوى به ابتغاء وجه الله ازداد أجره بذلك، قال ابن دقيق العيد: فيه أن الثواب في الإنفاق مشروط بصحة النية وابتغاء وجه الله"[4].

وقال السيد سابق: "والعمل لا يعتد به، ولا يعتبر خيرًا إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله لأن العمل حينئذ يناط بغاية واحدة ومثل أعلى هو الله، والله لا يأمر إلا بالخير، ولا يحب إلا الخير، فتكون وجهة الإنسان في الحياة وجهة الخير لنفسه، وللناس جميعًا"[5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٢٥/١.

(٢) سورة الليل، الآيات: ١٩ - ٢١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٢٦/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٢/٥.

(٥) إسلامنا، الشيد سابق ص ٣٨.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة والوصية:

لقد أقرّ النبي ﷺ سعدًا على الوصية بالثلث، فقال: "الثلث والثلث كثير"، وهذه الوصية إفادة لغير الورثة ونفع لهم، قال ابن هبيرة: (فيه [أي الحديث] أيضًا من الفقه أن رسول الله ﷺ جعل للرجل من ماله الثلث ليتصدق به في وجوه يراها أولى من ورثته، لأنه قد يكون في الناس من يعرف ناسًا ذوي ضرورة ملحفة فهم في العاجل أولى من ورثته، فلو كان محظورًا على الرجل أن يتصدق من ماله بشيء لكن ذلك إضرارًا بأولئك المستحقين، كما أنه لو كان مفسوحًا[1] للرجل أن يتصدق بكل ماله لكان ذلك إضرارًا بورثته، فلما كان الأمر في ذلك من الجانبين اقتضت حكمة الله ما قدّره رسول الله ﷺ بالثلث، إلا أنّه إنما قدر الثلث من حيث ترجيح الورثة بجانب الفاقة وجانب الرحم، فصار الورثة يُدْلون بسببين والفقراء غيرهم يدلون بسبب واحد، فلذلك صار الثلث للأجانب والثلثان للأقارب)[2].

وبالجملة فإن الوصية يحتاج الناس إليها زيادة في القربات والحسنات وتداركًا لما فرط به الإنسان في حياته من أعمال الخير لذا شرعها الشارع تمكينًا من العمل الصالح، ومكافأة لمن أسدى للمرء معروفًا، وصلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وسد خلة المحتاجين وتخفيف الكرب عن الضعفاء والبؤساء والمساكين"[3].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة المهاجرين من الموت في مكة:

حيث جاء في الحديث: (يا رسول الله أخلف بعد أصحابي) قال النووي: (معناه أخلف بمكة بعد أصحابي فقاله إما إشفاقًا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى فخشي أن يقدح ذلك في هجرته أو في ثوابه عليها، أو خشي بقاءه بمكة بعد انصراف النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وتخلفه عنهم بسبب المرض، وكانوا يكرهون الرجوع فيما تركوه لله تعالى)[4]، وقال ابن حجر: (وكانوا يكرهون الإقامة

---

(١) الفسح: شبه الجواز، فسح له الأمير في السفر: كتب له الفسح. القاموس المحيط في (ف س ح).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٢٦/١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٢/٤٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣٥.

في الأرض التي هاجروا منها وتركوها مع حبهم فيها لله تعالى، فمن ثم خشي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يموت بها، وتوجع رسول الله ﷺ لسعد بن خولة لكونه مات بها)[١]. وقال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث: خوف الصحابة المهاجرين من مكة أن يموتوا فيها، لأن سعدًا رضي الله عنه قال: "أخلف بعد أصحابي" وهذه الجملة استفهامية والمعنى "أأُخلف؟" وهذا استفهام توقعي مفروض يعني أنه لا يحب أن يتخلف فيموت في مكة وقد خرج منها مهاجرًا إلى الله ورسوله)[٢].

تاسعًا- من صفات الداعية: الشفقة والرحمة بالمدعوين:

يظهر هذا في الحديث من دعاء النبي ﷺ لأصحابه ومن عيادته لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في مرضه، ودعائه ﷺ لسعد بالشفاء كما في رواية مسلم "اللهم اشف سعدًا اللهم اشف سعدً" ثلاث مرات[٣] قال ابن هبيرة: (فيه دليل على استحباب الدعاء للمؤمن بطول البقاء مشروع)[٤] ودعائه ﷺ للمهاجرين "اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم" قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث دليل على أن المهاجر لا يستغني عن الدعاء له في إمضاء هجرته قبولاً وارتضاءً من الله سبحانه ... وقوله "ولا تردهم على أعقابهم" دليل على الخوف من الارتداد بعد الإيمان والنكوص على العقبين بعد الهجرة)[٥].

ومما لا شك فيه أن من أهم صفات الداعية الرحمة والشفقة بالمدعوين، "ولقد تحلى قدوة الدعاة النبي الخاتم ﷺ بالرحمة والرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاح دعوته"[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢٩/١، ٣٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٢٨، ٨.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٢٧/١.

(٥) المرجع السابق ٣٢٧/١.

(٦) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٤.

عاشرًا- من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ: (إنك لن تخلف، ولعلك إن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون)، قال ابن علان: "هذا من جملة إخباره ﷺ بالمغيبات فإن سعدًا عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به قوم في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم ودنياهم، فإنهم قتلوا إلى جهنم وسبيت نساؤهم وأولادهم وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق، وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم من كفار ونحوهم[١].

قال ابن عثيمين: (وهذا الحديث من معجزات الرسول ﷺ، فإن الأمر وقع كما توقعه ﷺ، فإن سعدًا عمَّر إلى خلافة معاوية، وهذه من آيات النبي ﷺ أن يخبر عن أمر مستقبل يقع كما أخبر به)[٢].

وقد كان الإخبار من النبي ﷺ لسعد عن نفعه للمؤمنين وإضراره بالكافرين وغيرهم، فعرّفه ﷺ أن قول عمر المؤمن زيادة درجات له بمقتضى كل عمل يعمله في كل يوم وساعة ونفس، فإن المؤمن لا يستوي يومان أبدًا بل هو في زيادة، وفيه أيضًا ما يدل على أن المؤمن كما ينتفع به المؤمنون فكذلك يستضرّ به الفاسقون والمجرمون[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٣٠.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١/ ٣٢٦.

الحديث رقم (٧)

٧- عَنْ أبي هُرَيْرة عَبْدِ الرَّحْمن بْنِ صخْرٍ رضي الله عنه، قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى ((أَجْسامِكُم))**[1]**، وَلا إلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلَى قُلُوبِكُمْ**» رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: هو أبو هريرة راوية الإسلام، اختلف في اسمه على أقوالٍ كثيرة أرجحها: عبدالرحمن بن صخر الدَّوسي اليماني، كُني بأبي هريرة، لأنه كان يلعب بقطة وهو يرعى غنمًا لأهله، فكنوه بذلك.

أسلم أول سنة سبع عام فتح خيبر، وكان فقيرًا لا مال له ولا أهل، فلازم النبي ﷺ أربع سنوات، فكان معه ﷺ حيثما كان، واجتهد في طلب الحديث والحرص عليه، فحفظ عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، حتى كان أكثر الصحابة رواية للحديث، فبلغ مسنده ٥٣٧٤ حديثًا، وروى عنه هذا العلم أكثر من ٨٠٠ من الصحابة والتابعين.

وقد كان حفظه من معجزات النبوة، قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله؟ إن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأً مسكينًا من مساكين الصُفَّة، ألزم رسول الله ﷺ على مِلء بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون. ولقد قال رسول الله ﷺ يومًا: ((أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئًا سمعه)). فبسطت بردة عليّ حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري. فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به[3].

---

(١) لفظ مسلم: (أجسادكم)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٢٥٦٤/٣٣)، وزاد في آخره: (وأشار بأصابعه إلى صدره). وبرقم (٣٤) زيادة: (وأعمالكم). أورده المنذري في ترغيبه (١٩).

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٤٧، ومسلم ٢٤٩٢.

وقد شهد له الصحابة بذلك، قال له عبدالله بن عمر: (يا أبا هريرة أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه)[١].

وقال طلحة بن عبيد الله: والله ما أشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم.

وكان لشدة حيطته في رواية الحديث يبتدئ حديثه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ أبو القاسم الصادق المصدوق: ((من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار))[٢].

واستعمله عمر على البحرين ثم عزله فأراد أن يستعمله مرة أخرى فأبى وقال: إني أخشى ثلاثًا: أن أقول بغير علم وأقضي بغير حكم ويُضرب ظهري ويُشتم عرضي ويُنزع مالي.

وكان صاحب عبادة، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلي هذا ثم يوقظ هذا. وكان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ديتي. وكان طيب الأخلاق كريم الشمائل متواضعًا، ولي المدينة مرة أيام معاوية بن أبي سفيان فأقبل يحمل حزمة حطب في السوق وهو يقول: أوسع الطريق للأمير.

وكان من فقهاء الصحابة، جاءت مسألة إلى ابن عباس ومعه أبو هريرة فقال له: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك مُعضلة.

ولما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، لكن على بعد سفري وقلة زادي إني أمسيت في صَعُود ومهبطه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي.

ومات بالمدينة سنة ٥٧هـ ودفن بالبقيع وشيعه ابن عمر وأبو سعيد الخدري[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٣).

(٢) أخرجه أحمد ٤١٣/٢ رقم ٩٣٥٠، وقال محققو المسند: حديث متواتر، وهذا إسناد قوي ٢٠٤/١٥.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٦٢/٢، ٣٢٥/٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٦٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣١٣/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٥٧٠، والسير ٥٧٨/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٤٧/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٠١/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٠٨/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢٠٩٧/٣.

الشرح الأدبي

إن الإنسان في حركته الحياتية يحتاج إلى الجوارح المتمثلة في: الحواس الخمس، حتى يستطيع القيام بأعباء وتكاليف الحياة، وقد منح الله عز وجل الإنسان نعمًا لا تعد ولا تحصى ومنها: نعمة النطق – والبصر – والسمع – واليد التي من خلالها يؤدي عمله في إتقان وكذلك نعمة المشي حيث وهبه الرجلين؛ وهذه الحواس الظاهرة لا تتحرك إلا بمشيئة الله وإرادته وتسخير أجهزة الجسم المتعددة، مراكز الإحساس مع مكونات الجسم الأخرى وقد نبه الحق سبحانه وتعالى إلى الحفاظ على هذه النعم الظاهرة والباطنة فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

والحديث النبوي الشريف يرشد إلى أن هذه النعم التي وهبها الله لعباده هي الوسائل التي بها يجابه الإنسان متغيرات الحياة ويقوي على عمارة الكون.

هذه الوسائل الجسمانية والشكلية تفقد قيمتها ووظيفتها الحقيقية في الحياة إذا لم يكن القلب هو الميزان الذي ينظم حركتها، ويضبط إيقاعها بفضل توفيق الله، واستجابة العبد لأوامر الخالق ونواهيه.

وكل هذه المعاني تكمن في رياض كلمات هذا الحديث الشريف الذي يعد من جوامع كلمه ﷺ، ويتسم بالإيجاز والدقة والشمول، واتساع المعنى، وتعدد الدلالة، والخلوص والقصد والاستيفاء ("إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم") والمعنى المراد من نفي نظر الله عز وجل: انتفاء الثواب والقرب من الله عز وجل.

وفي القرآن الكريم آيات متعددة تؤكد هذا المعنى الذي يعد من سمات التصرف الإيماني وعلامات الشخصية الإسلامية في علاقتها بالله سبحانه وتعالى: يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١].

وتجيء صياغة الحديث في قالب الجملة الاسمية المؤكدة لتدل على ثبات هذه الحقيقة التي تؤكد الاعتناء بحال القلب وصفاته بتحقيق علومه، وتصحيح مقاصده وتطهيره عن كل وصف مذموم، وتحليته بكل نعت محمود.

والقلب: ميزان الإيمان وعلامة القبول والاطمئنان؛ ومما يؤكد هذه الوظيفة الإيمانية أن المصطفى ﷺ نبه إلى مكانة القلب من الجسد: فهو مقياس الصلاح والفساد حيث يقول في حديثه الشريف. ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[٢].

وقال أحد الصالحين العابدين مصورًا خشية الله ومراقبته، وعدم الغفلة والنسيان: "إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم إعظامًا واشتياقًا، وقوم ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة فلو حرقوا بالنار لم يجدوا مس النار وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده فارفضوا عرقًا من خوفه، وقوم ذكروه فحالت ألوانهم غبرًا، وقوم ذكروه فجفت أعينهم سهرًا".

وهؤلاء العباد هم الأولى بفضل الله ورعايته ونظره ومعيته وهم الذين تصور واقعهم هذه الأبيات التي استشهد بها النووي في مقدمة كتاب رياض الصالحين قائلاً:

ولقد أحسن القائل:

إن لله عبادًا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لِحَيٍّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وفي هذا الحديث عدة مسائل تفصح عنها لغة الحديث وصياغته ودلالته ومنها:

أ- الحض على النية الحسنة، وضرورة إصلاح القلب؛ لأن عمل القلب هو المصحح

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢، ٢٠٥١، ومسلم ١٥٩٩.

للأعمال الشرعية، والقلب منطلق الأحاسيس والمشاعر، ويجب أن تكون هذه المشاعر متسمة بالنبل والرأفة والحب لكل القيم الإنسانية والمبادئ الإسلامية.

ب- يرشد الحديث إلى مقاومة آفات الحواس الظاهرة، وآفات القلوب ومنها آفة النفاق، وآفة الرياء، وآفة الحسد وكل ما يشوه القيم الإسلامية ويمزق الأواصر الاجتماعية.

ج- مقاومة الغرور الذي يصيب بعض الأفراد الذين خدعتهم مقومات القوة المادية، فغدوا يتباهون بما رزقوا من جمال في الهيئة، وقوة في الجسد، وبهاء في الشكل الحسي الجسدي، وربما يؤدي ذلك إلى التعالي والكبر، والبطش والاستبداد والظلم، واحتقار الغير والانتقاص من قدره، وهذا المغرور الأحمق لا يفقه دلالة هذا الحديث الشريف، ولا يدرك فداحة الخطب ومرارة الحرمان حين يحرم من نظر الله عز وجل وحمايته، وحين يطرد من ساحة رضوانه ورحمته وهو بهذا الغرور والسفه، وإهمال إصلاح قلبه، واهتمامه بالعرض دون الجوهر، والأجسام دون الأحلام والإفهام، إن هذا الصنف ألقى بنفسه في دائرة الماديين والحمقى الذين اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

إن الآفات الشخصية والأمراض الاجتماعية يحذر منها هذا الحديث الشريف في أسلوب يتسم بالإيجاز، والإيحاء، والإيماء، وعدم الإطناب والتفصيل، وتلك الخصائص من أهم سمات البيان النبوي فهو كما قال الجاحظ: الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، وبين الخطب الطوال بالكلم القصار.

وفي هذا الحديث الموجز يعثر كل قارئ وطالب للهداية على نسق البلاغة النبوية التي خضعت الأفكار لآيتها وحُسرت العقول دون غايتها، وألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والاستدراك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بسلامة القلب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: العناية بالأعمال الصالحة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عدم الغلو في تعظيم صاحب الأعمال الصالحة في احتقار المقترف للأعمال السيئة.

خامسًا: من واجبات الداعية: الإخبار بأن الله تعالى لا ينظر إلى الأجسام وإنما ينظر إلى القلوب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والاستدراك:

لقد جاء الحديث النبوي الشريف في صيغة "التوكيد" ليؤكد مضمون ما بعده، وهو نفي نظر الله سبحانه وتعالى إلى الأجسام أو الصور من عباده، وفائدة التوكيد هنا إزالة ما يكون قد علق بأذهان بعض المدعوين من نظر الله إلى قوة الأجساد أو حسن الصورة، كما يقع ذلك من البشر، تعالى عن ذلك ربي علوًا كبيرًا، ولله المثل الأعلى. وبعد هذا النفي المؤكد يأتي الاستدراك، ليبين أهمية المستدرك وهو الأعمال ونظر الله إليها، مما يلزم عنه تحسينها وتجويدها وإخلاصها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بسلامة القلب:

حيث جاء في الحديث "ولكن ينظر إلى قلوبكم" ومما هو معلوم أن القلب عليه المدار في الأعمال قال القرطبي: (وفي الحديث الاعتناء بحال القلب وصفاته بتحقيق علومه، وتصحيح مقاصده وعزومه، وتطهيره عن كل وصف مذموم، وتحليته بكل نعت محمود، فإنه لما كان القلب محل نظر الرب، حق على العالم بقدر اطلاع الله تعالى على قلبه أن يفتِّش عن صفات قلبه وأحواله، لإمكان أن يكون فيه وصف مذموم يمقته الله بسببه. والاعتناء بإصلاح القلب وصفاته مقدم على عمل الجوارح، لأن عمل القلب هو المصحح للأعمال الشرعية إذ لا يصح عمل شرعي إلا من مؤمن عالم بمن كلّفه، مخلص له فيما يعمله، ثم لا يكمل إلا بمراقبته تعالى فيه المعبر عنها بالإحسان)[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٣٨/٦، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٣.

ولأهمية العناية بسلامة القلب قال ابن مفلح: (قال تقي الدين: إن صلاح القلب مستلزم لصلاح سائر الجسد، وفساده مستلزم لفساد سائر الجسد، فإذا رأى ظاهر الجسد فاسدًا غير صالح علم أن القلب ليس بصالح بل فاسد، ويمتنع فساد الظاهر مع صلاح الباطن، كما يمتنع صلاح الظاهر مع فساد الباطن، إذ كان صلاح الظاهر وفساده ملازمًا لصلاح الباطن وفساده)[١].

وقال ابن القيم: (ولله على كل قلب هجرتان، وهما فرض لزوم له على الأنفاس: هجرة إلى الله سبحانه بالتوحيد والإخلاص والإنابة والحب والخوف والرجاء والعبودية، وهجرة إلى رسوله ﷺ بالتحكيم له والتسليم والتفويض والانقياد لحكمه فما لم يكن لقلبه هاتان الهجرتان فليحثُ على رأسه الرماد، وليراجع الإيمان من أصله، فيرجع وراءه ليقتبس نورًا، قبل أن يحال بينه وبينه، ويقال له ذلك على الصراط من وراء السور)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: العناية بالأعمال الصالحة:

يظهر هذا من الحديث في قوله "ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٣] وقد دلت النصوص الشرعية على فضل عمل الصالحات قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤] والعمل الصالح سبب لتبديل السيئات حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٥] والعمل الصالح سببٌ لدخول الجنة، قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١/١٦٠.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٣٢٦.

(٣) كما في الرواية ٢٥٦٤، ٣٤ عند مسلم.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾[١] والعمل الصالح يرفعه الله إليه ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾[٢] ومما يجب على المسلم في العمل الصالح أن ينقيه من الرياء والشرك ويجعله خالصًا لله تعالى حتى يثاب عليه قال ابن قدامة المقدسي: (والعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير تحقيق هباء قال الله تعالى ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[٣] فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يعلم النية أولاً لتحصل له المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتان للعبد إلى النجاة)[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عدم الغلو في تعظيم صاحب الأعمال الصالحة وفي احتقار المقترف للأعمال السيئة:

قال القرطبي: (يستفاد من هذا الحديث فوائد: ... الثالثة: أنه لما كانت القلوب هي المصحِّحة للأعمال الظاهرة وأعمال القلب غيب عنا، فلا يقطع بمغيب أحد، لما يرى عليه من صور أعمال الطاعة أو المخالفة، فلعلّ من يحافظ على الأعمال الظاهرة يعلم الله تعالى من قلبه وصفًا مذمومًا لا تصحّ معه تلك الأعمال، ولعل من رأينا عليه تفريطًا أو معصية يعلم الله من قلبه وصفًا محمودًا يغفر له بسببه، فالأعمال أمارات ظنية لا أدلة قطعية، ويترتب عليها عدم الغلوِّ في تعظيم من رأينا عليه أفعالاً صالحة، وعدم الاحتقار لمسلم رأينا عليه أفعالاً سيئة؛ بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة، لا تلك الذات السيئة، فتدبَّر هذا، فإنه نظر دقيق)[٥] لأن الموضوعية والتوسط في النظر للأمور مطلب

---

(١) سورة محمد، آية: ١٢.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٤) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي تحقيق: زهير الشاويش ص ٣٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٣٩/٦.

هام وضروري، ينبغي على المؤمن أن يحرص عليهما، خاصة وإن قلوب العباد بين إصبعي الرحمن يقلب كيف يشاء.

خامسًا- من واجبات الداعية: الإخبار بأن الله تعالى لا ينظر إلى الأجسام وإنما ينظر إلى القلوب:

حيث أخبر النبي ﷺ بأن الله لا ينظر إلى الأجسام والصور ولكن إلى القلوب والأعمال. لذا يعتبر من أهم واجبات الداعية أن يخبر المدعوين بالحقائق الدينية التي يعلمها، وقد أمر الله رسوله بذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] وقال جل شأنه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] وفي إخبار الداعية بالحقائق إقامة الحجة على المدعوين، حتى يكون كل واحد منهم على بيّنة يوجه اهتمامه وعنايته إلى قلبه، فيعمد إلى تطهيره من الغِلّ والحسد والحقد وغير ذلك من الأمراض التي تؤثر عليه، وبعد ذلك من الواجبات المناطة بالداعية.

قال السعدي: (أمر الله نبيه ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشّر ويسّر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دلَّ أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

الحديث رقم (٨)

٨- وعَنْ أبي مُوسَى عبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الأَشعرِيِّ رضي الله عنه قالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتِلُ شَجَاعَةً، ويُقاتِلُ حَمِيَّةً، ويقاتِلُ رِياءً، أَيُّ ذلِك في سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ قاتَلَ لِتَكُون كلِمةُ اللَّهِ هِي الْعُلْيَا، فهُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ**» مُتَّفَقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: عبدالله بن قيس بن سُليم، كنيته أبو موسى الأشعري. مشهور باسمه وكنيته، لكن بكنيته أكثر.

أتى مكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه باليمن فأقام بها حتى قدم مع الأشعريين - وكان عددهم نحو خمسين- في سفينة فألقتهم الريح إلى أرض الحبشة حيث وجدوا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه هناك فأقاموا ثم خرجوا معه إلى المدينة، فأتوا النبي ﷺ بعد فتح خيبر، فقال لهم: ((لكم الهجرة مرتين: هجرتكم إلى الحبشة وهجرتكم إلى المدينة))[2].

وشارك في الغزوات والجهاد، فشارك في غزوة أوطاس -وهي غزوة بعد غزوة حنين- وأبلى فيها بلاءً حسنًا فأتى النبي ﷺ فدعا له فقال: ((اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريمًا))[3].

وبعثه النبي ﷺ هو ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وولاه على بعض بلادها كزبيد وعدن وأعمالهما، فلما كانت الفتوحات شارك في فتوح الشام، وأقام هناك حتى استعمله عمر بن الخطاب واليًا على البصرة، فافتتح الأهواز ثم أصبهان، فلما عزله عثمان توجه إلى الكوفة يفقّه الناس ويعلمهم، حتى طلب أهلها من عثمان أن يوليه عليهم فولاه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٥٨، ومسلم واللفظ له ١٩٠٤/١٥٠. أورده المنذري في ترغيبه ١٩٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ومسلم ٢٥٠٢، ٢٥٠٣، وأحمد واللفظ له ٤١٢/٤ رقم ١٩٦٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣٢٣، ومسلم ٢٤٩٨.

فلما وقعت الفتنة اعتزلها وكان أحد الحكمين اللذيْن حكما في أمر المسلمين وما وقع بينهم من خلاف وقتال.

أما عن صفاته فكان قصيرًا خفيف الجسم قليل شعر اللحية، أعطاه الله حسن الصوت، فكان أحسن الصحابة صوتًا، قال عنه النبي ﷺ وقد سمعه يقرأ القرآن ((لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة! لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود))[١]، ولذلك كانت أزواج النبي ﷺ يستمعن لقراءته إذا قرأ بالليل في المسجد. وقال عنه أبو عثمان النهدي - أحد الذين أسلموا على عهد النبي ﷺ ولم يلقه-: إن كان ليصلي بنا فنودُّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته.

ولذا كان عمر بن الخطاب يطلب منه أن يقرأ عليه القرآن ويقول له: ذكرنا ربنا يا أبا موسى. وفي رواية: شوّقنا إلى ربنا.

وكان صاحب عبادة وعلم وفقه وزهد. قال الحسن البصري: ما قدم البصرة راكب خير لأهلها من أبي موسى. واجتهد قبل موته اجتهادًا شديدًا فقيل له: لو أمسكت ورفقت بنفسك. قال: إن الخيل إذا أُرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. قال عنه الذهبي: "كان صوامًا قوامًا ربانيًا عابدًا ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر لم تغيره الإمارة ولا اغتر بالدنيا"[٢]. مات سنة ٤٤هـ بالكوفة أو المدينة وقيل غير ذلك في سنة وفاته[٣].

غريب الألفاظ:

الحَمِيَّة: الأَنَفَة والغيرة من أجل الأهل والعشيرة والصاحب ونحو ذلك[٤].

كلمة الله: حُكْمُه وإرادتُه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٤٨، ومسلم ٢٣٦-٧٩٣.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٩٦/٢.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٢٤/٢، ١٠٥/٤، ١٦/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٢، ٨٥١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣٦٤/٣، ٢٩٩/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٢١، والسير ٣٨٠/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢٤٣/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٠٥/٢، والأعلام، خير الدين الزركلي ١١٤/٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م ي)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/٦.

(٥) الوسيط في (ك ل م).

الشرح الأدبي

في هذا الحديث النبوي الشريف تتجلى خاصية أسلوبية لها أثرها في تقريب المعنى وتشويق السامع وإقناع المخاطب، وهى خاصية "الحوار" عن طريق السؤال والجواب؛ والحوار من شأنه أن يحدث تفاعلاً بين السائل والمجيب، وأن ينتهي إلى فائدة هي: الإقناع والإمتاع.

والبيان النبوي في الأحاديث الشريفة ينطوي على أسرار تعبيرية دقيقة تحتاج إلى التأمل والتفكر والتدبر في كل كلمة وكل جملة، وفي كيفية بناء الحديث أسلوبيًا، وهذا التأمل يقودنا إلى اكتشاف مواطن الجمال والقوة في كلام سيد المرسلين فكلامه ﷺ كلما زدْتَه فكرًا زادك معنى، وتفسيره قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه كالروح في سرها الإلهي كما يقول الرافعي: والأمر يزداد جلاء حين ينبه الرافعي إلى ضرورة التأمل في كلام رسول الله واستكشاف مقاصده وأسراره ومواطن جماله. "فهو معك على قدر ما أنت معه إن وقفت على حد وقف وإن مددت مدّ وما أدَّيت به تأدى.

وراوي الحديث أبو موسى الأشعري: هو الذي صاغ القالب الحواري عن طريق روايته، وهو نموذج للمؤمن الذي قاتل وجاهد لتكون كلمة الله هي العليا مع أصحاب المصطفى الأخيار.

وأول ما يلفت الانتباه في صياغة هذا الحديث الشريف هو بناء الفعل "سئل" للمجهول وعدم تحديد السائل، وذلك لأن القضية لا تتعلق بشخص السائل، وإنما تتعلق بمنهج الإسلام في إخلاص النية وسلامة العقيدة والحرص على إعلاء كلمة الإسلام ورفع راية التوحيد، وأن لا ينازع هذا المقصد الأسمى مقصد دنيوي آخر، وقيل أن السائل هو: لاحق بن ضمرة الباهلي.

ولم يأت لفظ الرجل في صيغة النكرة مجردًا من أل، ولكنه جاء مقترنًا بأل وهي للجنس أي جنس الرجل وهى ليست للتعريف؛ حتى يزول أي إيحاء بتحديد رجل معين لأن السياق يُعْنى به توضيح مبدأ عام من مبادئ الإسلام في الدفاع عن الدين، والجهاد في سبيل الله والاستشهاد في الميدان.

وصيغة يقاتل تنبئ عن حقيقة إسلامية وميدانية وهي الدفاع عن النفس والدين والعرض والمال؛ لأن الصيغة تدل على المفاعلة والقتال من الجانبين فالقتال ليس اعتداءً ولكنه دفاع ومقاتلة؛ وآية سورة التوبة دليل صدق هذا المنهج الإسلامي والقرآن تفيض آياته البينات بمعالم هذا المنهج في سبيل إعلاء كلمة الله : يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وكرر الفعل يقاتل بهذه الصيغة التفاعلية ثلاث مرات.

وفي روايتي الحديث: حتى تستقر في الذهن هذه الصيغة التي تعلن عن جو الصراع وطبيعة الجهاد وهو الدفاع عن النفس وليس العدوان، وحتى يعلم المنافقون والملحدون وأعداء الإسلام بصفة عامة أن الدين الإسلامي ليس دين قتل كما يدعون، ويزعمون، ويبالغون في هذا الادعاء، حين يقولون بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، ولم يتدبر هؤلاء الجاحدون قول الله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2].

والأسلوب الحواري في الحديث يوضح أنواع القتال، وأبعاد الصراع في الحياة ولكن هذا التحديد لم يُقدَّم في صيغة مألوفة تقديرية وإنما جاء في هذه الصيغة ليحمل لكل من تحدثه نفسه بإشعال نيران الفتنة، وإذكاء أسباب الصراع الذي تتعدد أشكاله وأبعاده، بأن كل صراع في الحياة وكل صراع في سبيل غاية ذاتية أو طبقية أو قبلية أو شعوبية أو مادية كل هذه الغايات تذهب سدى، وهى هباء تذروه الرياح ما لم تتحصن بالغاية المثلى والمقصد الأسنى، وهي أن تكون كلمة الله هي العليا، وهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

فالنية هنا هي: ثمرة نجاح العمل أو إخفاقه مهما تعددت دواعيه ومهما تشعبت نتائجه.

والجمع بين الروايتين يوضح أن أسباب طلب القتال خمسة وهي: (طلب المغنم، وإظهار الشجاعة، والرياء، والحمية، والغضب) إلا أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله.

وحين نتأمل الموقع الإعرابي لهذه الكلمات التي ترصد أبعاد الصراع وأنواع القتال في هذا الحديث الشريف وهي: شجاعة، وحمية، ورياء، نرى أنها منصوبة في موقع "المفعول له" أي أن القتال لم يكن إلا بدافع خارجي بعيد عن الدافع الحقيقي وهو إعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد.

فالمقاتل يواجه الخصوم ويجول ويصول في ميدان المعركة من أجل أن يمدحه الناس، ويعددون مآثره ودلائل شجاعته وفروسيته؛ ولكن الشجاعة إذا سبقت بنية القتال في سبيل الله فهي مطلب محمود؛ لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وقد ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما إنضاف إليه، وقد ورد عن أبي أمامه أنه قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله ((أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر. ماله؟ قال: "لا شيء له"، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغى به وجهه تعالى))[1].

والحمية هي الأنفة والغيرة والمحاماة عن العشيرة: والقتال في هذا الميدان مسؤولية اجتماعية، توجب على الإنسان التصدي لكل من يغير على حماه، وينتهك حرماته ولكن هذا التصدي وذلك الدفاع لن يصبغ بصبغة المنهج الإسلامي إلا إذا كانت النية متجهة إلى صيانة الحرمات، وحماية الأعراض والدفاع عن الديار والأوطان التي أمر الإسلام بالحفاظ عليها، والدفاع عنها وهذا السلوك من مكونات الرؤية الإسلامية في الحياة التي ترى في كل عمل صالح قوة للمسلمين، وإعلاءً لراية الإسلام، أما الرياء في

---

(١) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

النص النبوي الشريف "ويقاتل رياءً" فهو الدافع إلى المقاتلة لأنه "مفعول له"، وكأن هذا المقاتل لا يبتغي ثمرة إلا السمعة والإشادة ببطولته وشجاعته مثلما يفعل كثير من قادة الحروب في العالم قديمًا وحديثًا.

وإذا كان القتال شجاعة والقتال حمية مصحوبًا بإرادة القصد ونية إعلاء كلمة الله مقبولاً وله ثمرته المرجوة، فإن القتال رياءً لا تجدي معه إرادة أخرى ولا قصد آخر؛ لأن إرادة الرياء وقصديته تحجب كل بارقة من بوارق القبول والثواب.

وجملة الاستفهام "أي ذلك في سبيل الله" تحدد موقف السائل من دوافع القتال السابقة من خلال الإشارة إليها باسم الإشارة "ذلك" الذي يوحي بالبعد، وعدم التآلف مع هذه الدوافع، والتعبير بـ "هذا" يدل على القرب والتحقق والتميز حسب سياق الأسلوب.

ولنتأمل بعد هذه الجولة الأسلوبية التي تحاول استكشاف مواطن الجمال في البيان النبوي الكريم، كيف كانت إجابة المصطفى ﷺ على هذا السؤال. إنها إجابة غير متوقعة حيث لم يحدد الرسول ﷺ نوعًا واحدًا من الأنواع السابقة، ولكن الإجابة كما يقول "الأسلوبيون" في العصر الحديث: فيها عدول عن الطريق المعهود المتوقع، حيث عدل رسول الله كما يقول العلماء إلى لفظ جامع عدل به عن الجواب عن ماهية القتال إلى حال المقاتل، فتضمن الجواب وزيادة، وقيل بأنه لو أجاب بأن جميع ما ذكره السائل ليس في سبيل الله لاحتمل أن يكون ما عداه في سبيل الله، وليس كذلك كما يقول الحافظ في فتح الباري.

وهذه الإجابة الجامعة تفتح منافذ الرجاء لمن تحدثه نفسه بدوافع أخرى مع الحرص على إعلاء كلمة الله، فقد تتحقق الدوافع الأخرى وقد تستجد دوافع جديدة، ولكنها تظل في دائرة المنهج الإسلامي وصون الأعراض والحرمات والأموال والنفس والوطن والأهل، وكل ما يدخل تحت رعاية المسلم ومسؤوليته.

وحين نطيل التأمل في استكشاف معالم الجمال في أساليب الحديث النبوي ندرك كما يقول د. محمد رجب البيومي في كتابه "البيان النبوي" أنها: تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحًا في الخاطر، وجلاءً في الذهن لتسيل أفكاره الهادية دمًا يترقرق في عروق المسلم، ونورًا يمتد في عقله وبصره ونَفَسًا يتردد في رئتيه، وذلك بعض ما يفيض به البيان الساحر والأدب الرفيع.

فقه الحديث

١- بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا[١].

٢- جواز السؤال عن العلة وتقدم العلم على العمل[٢].

٣- ذم الحرص على الدنيا وعلى القتال لحظ النفس في غير الطاعة[٣].

٤- وجوب الإخلاص في الجهاد والتصريح بأن القتال للشجاعة والحمية والرياء خارج عن ذلك[٤].

قال ابن دقيق العيد: (في الحديث دليل على وجوب الإخلاص في الجهاد وتصريح بأن القتال للشجاعة والحمية والرياء خارج عن ذلك)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح المسائل وبيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الإخلاص وحسن النية في الجهاد.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر هذا من الحديث "سئل رسول الله ... أي ذلك في سبيل الله؟" والسؤال والجواب أسلوب من أساليب الدعوة حيث يعتمد على الحوار بين الداعية والمدعو (والأسلوب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٩/١٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧/٦، نيل الأوطار، الشوكاني ٢١٥/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧/٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧/٦.

(٤) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٥٣٠/٢، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ٣٤١/٢.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ٣٨٤.

الحواري الاستجوابي يثير الانتباه، ويحرك الفطنة والذكاء، ويذهب الملل والسآمة، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أنواع من القتال أيها في سبيل الله؟ وقد أجاب ﷺ بأن من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. ويصب في مشاعر الأحاسيس معين المعرفة وسلسبيل الهدى)[١].

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

يتضح هذا من سؤال النبي ﷺ في الحديث: (أي ذلك في سبيل الله؟) والمدعو واجب عليه أن يسأل عما لا يعلم، وعما أشكل عليه حتى يعمل عن علم فيعرف الصواب فيفعله، ويعرف نقيضه فيجتنبه، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٣].

وبسؤال المدعو عما خفي عليه يزول اللبس والإبهام لديه، حتى يعبد الله عز وجل على بينة من أمره (إن المدعو بعد أن وفق إلى الحق والخير، فإن عليه أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه أو يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه حتى يعبد الله، وقد خلص قلبه وعقله من كل الشبهات، والأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنّ لهم في شؤون الدين بل في الكثير من شؤون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه)[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: توضيح المسائل وبيان الحقائق للمدعوين:

حيث بيّن النبي ﷺ مَنْ الذي يقاتل في سبيل الله، قال ابن حجر: (وفي إجابة النبي ﷺ من جوامع كلمه لأنه أجاب بلفظ جامع لمعنى السؤال مع الزيادة عليه)[٥].

قال ابن رجب: (وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به

---

(١) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٩٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧، ١٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٨/١.

من الرياء، وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك، أي: ذلك في سبيل الله فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" فخرج بهذا كل ما سألوا عنه من المقاصد الدنيوية وسائر الأعمال كالجهاد في هذا المعنى، فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها، كالهجرة والحج)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الإخلاص وحسن النية في الجهاد:

حيث جاء في الحديث "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"، قال الإمام النووي: (وفي الحديث أن الأعمال تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا)[٢].

وقال السيد سابق: (والإخلاص: أن يقصد الإنسان بقوله وعمله وجهاده وجه الله، وابتغاء مرضاته، من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو لقب أو مظهر أو تقدم أو تأخر، ليرتفع المرء عن نقائص الأعمال، ورذائل الأخلاق ويتصل مباشرة بالله، والعمل لا يعتد به، ولا يعتبر خيرًا إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، لأن العمل حينئذٍ يناط بغاية واحدة، ومثل أعلى هو الله)[٣].

وقال القرطبي: (قوله ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء؛ فهو في سبيل الله" يعني بـ "كلمة الله": دين الإسلام. وأصله: أنَّ الإسلام ظهر بكلام الله تعالى؛ الذي أظهره على لسان نبيه ﷺ.

ويفهم من هذا الحديث: اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرطٌ في جميع العبادات؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٤]. والإخلاص: مصدر من: أخلصت العسل وغيره: إذا صفيته، وأفردته من شوائب كدره. أي: خلَّصته منها. فالمخلِصُ في عباداته هو الذي يُخلِّصها من شوائب الشرك والرياء. وذلك لا يتأتى له إلا

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٥/١ مع تصرف يسير.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٩.

(٣) إسلامنا، السيد سابق ٣٧، ٣٨.

(٤) سورة البينة، آية: ٥.

بأن يكون الباعثُ له على عملها قصد التقرُّب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده. فأمَّا إذا كان الباعثُ عليها غير ذلك من أعراض الدنيا؛ فلا يكون عبادةً، بل يكون مصيبةً موبقةً لصاحبها؛ فإمَّا كفرٌ، وهو: الشرك الأكبر؛ وإما رياءٌ، وهو: الشرك الأصغر. ومصيرُ صاحبه إلى النَّار، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة المذكورين فيه[1]، هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرضُ الدنيوي وحده، بحيث لو فُقِد ذلك الغرض لتُرك العمل. فأمَّا لو انبعث لتلك الحالة -العبادة- لمجموع الباعثين -باعث الدنيا وباعث الدين- فإن كان باعثُ الدُّنيا أقوى، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تبارك وتعالى: ((مَن عَمِل عملاً أشركَ معي فيه غيري تركتُه وشريكه))[2]. فأمَّا لو كان باعث الدين أقوى؛ فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم؛ وبما في معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل، وهو الأقدم في فروع مالك. ويستدلُّ على هذا بقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ من خيرِ معايش الناس رجلاً ممسكًا فرسه في سبيل الله))[3] فجعل الجهاد مما يصح أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لمَّا كان باعثُ الدِّين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك لغرض مُلْغى، فيكون معفوًّا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحديث والتبرُّد، فأما لو تفرَّد باعث الدين بالعمل؛ ثم عرض باعث الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣/٧٤٢-٧٤٣.

الحديث رقم (٩)

٩- وعن أبي بَكْرَة نُفيْع بْنِ الْحارِثِ الثَّقفِي رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**إِذَا الْتقَى الْمُسْلِمَانِ بسيْفيْهِمَا فالْقاتِلُ والمقْتُولُ في النَّارِ**» قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فمَا بَالُ الْمقْتُولِ؟ قَال: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: اسمه: نُفيع بن الحارث، وقيل نُفيعٌ بن مَسْرُوح.

مولى رسول الله ﷺ، وقد تدلَّى في حصار الطائف ببَكْرة، وفرَّ إلى النبي ﷺ، وأسلم على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه النبي ﷺ وكناه أبا بكرة، وقد سألت ثقيف رسول الله ﷺ. أن يَرُدَّ إليهم أبا بكرة عبدًا، فأبى النبي ﷺ وقال ((هو طليقُ الله وطليقُ رسوله))[2]، وكان يقول: أنا أبوبكرة مولى رسول الله ﷺ فإن أبي الناس إلا أن ينسبوني، فأنا نُفيعُ بن مَسْرُوح.

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي بَرْزَة الأسلمي، وكان رجلاً صالحًا ورعًا، وكان من خيار الصحابة.

وقد سكن البصرة. قال فيه الحسن البصري: لم ينزل البصرة من الصحابة ممَّن سكنها أفضل من عمران بن حصين، وأبي بكرة رضي الله عنهما.

وكان ممَّن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين، ولم يقاتل مع أحد من الفريقين وكان كثير العبادة حتى مات، وكان أولاده أشرافًا في البصرة، بكثرة المال والعلم والولايات.

وقد روى عن النبي ﷺ جُملة أحاديث بلغت ١٣٢ حديثًا.

وفي مرض موته أوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، فصلى عليه. وتوفي بالبصرة سنة ٥١هـ، وقيل ٥٢هـ[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣١ واللفظ له، ومسلم ٢٨٨٨/١٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٨/٤، رقم ١٧٥٣٠، وقال محققو المسند: (إسناده صحيح ٧١/٢٩).

(٣) الطبقات، ابن سعد ١٥/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٨٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣٥/٦-٣٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٣٣٩-١٣٤٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٥/٣-١٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٣٥٨/٧-٣٥٩، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٣٩/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤٤/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٠٨/٣.

الشرح الأدبي

إن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وهذه القاعدة الشرعية التي تصون دماء المسلمين، وتُحرِّم الاقتتال بين أبناء الأمة مهما كانت الأسباب الدافعة إلى ذلك.

وقد أرسى القرآن الكريم القانون الإلهي في إدارة الصراع بين الفريقين أو الطائفتين الإسلاميتين حيث قال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

فإذا اشتد الصراع وتحكم في المتصارعين الاندفاع، ولم يحتكما إلى الشرع القويم، وانساقًا وراء التعصب الذميم، وغاب عن أفق الصراع صوت العقل الحكيم ومنطق الهدى العظيم.

في ظل هذا الهوى الجامح، والطيش اللافح يأتي البيان النبوي السديد؛ ليقدم الحكم الرشيد، حتى يرتدع كل معتد أثيم، وكل باغ زنيم؛ ويؤكد المصطفى ﷺ أن المُسلِميْن إذا التقيا بسيفيهما -وتقاتلا- وقتل أحدهما الآخر فالقاتل مصيره النار، وكذلك المقتول يلقى المصير نفسه، ويا بؤسه من مصير يقود صاحبه إلى الشر المستطير، والهلاك الخطير والمأوى جهنم وبئس المصير.

ويشع في قلب هذا الجو السؤال الباحث عن الحقيقة: حيث يتساءل أبو بكرة نفيع ابن الحارث الثقفي قائلاً: يا رسول الله: هذا القاتل: أي هذا مصير القاتل فما بال المقتول؟! فيجيب رسول الله ﷺ "إنه كان حريصًا على قتل صاحبه".

وهنا في هذا المقام يعاقب الله سبحانه على النية التي سيطرت على هذين المتقاتلين، والنية تتأرجح بين الهم والعزم، فالهم مرور الفكرة بالنفس من غير استقرار فيها، وهذا

---

(١) سورة الحجرات: ٩.

الهم ربما لا يعاقب عليه الإنسان، وأما العزم فهو التصميم على فعل شيء ما، وتوطين النفس عليه، فهذان المتقاتلان: كل منهما عقد العزم على قتل صاحبه، وهما ما لم يعف الله عنهما أو عن أحدهما- في النار: لأنهما لم يتمسكا بجوهر العقيدة، ولم يتبعا تعاليم القرآن، وتوجيهات السنة النبوية، ولكن إذا اضطر المسلم إلى الدفاع عن نفسه أمام من يعتدي عليه فهذا حقه؛ لأنه لم يبادر بالعدوان والقتال وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: ((فلا تعطه مالك)) قال: أرأيت إن قاتلني؟ قالت: ((قاتله)) قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: ((فأنت شهيد)) قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: ((هو في النار))[1]، فعلى المسلمين أن يوحدوا كلمتهم، وأن يستعيدوا قوتهم وأن يتجمعوا تحت لواء التوحيد، وأن يعملوا على تقوية شوكتهم ونصرة عقيدتهم، حتى ينهضوا من عثرتهم، ويعودوا إلى هويتهم.

فقه الحديث

في الحديث نهي عن قتال المسلم أو رفع السلاح في وجهه، وأن من أعظم الكبائر عند الله عز وجل قتل امرئ مسلم بغير حق.

وحديث النفس على خمس مراتب، الخاطر وهو حديث النفس، والميل ولا يؤاخذ الإنسان بهما قطعًا، وكذا الهم، أما الهم المقرون بالعزم والعمل فهو مؤاخذ به عند المحققين من الفقهاء وقد عدوا[2] رفع المسلم سيفه في وجه أخيه من باب القصد والعزم من العمل المؤاخذ عليه واحتجوا بهذا الحديث على ما ذهبوا إليه، وقال البعض لا يؤاخذ به ما لم يكن هناك عمل.

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٠.

(٢) بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي للخادمي ٢٤٢/٢، والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٤، وغمز العيون والبصائر للحموي ١٧٥/١ وما بعدها، والمنثور في القواعد الفقهية للزركشي ٣٦/٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٣٧٥/٢، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلى، حسن بن محمد العطار على الجلال المحلي ٥٢٠/٢، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤٤٢/٣ وما بعدها، وغذاء الألباب للسفاريني ٥٧٢/٢. وانظر كذلك: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٢٢/٢-٣٢٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٧/١١، ٣٢٨، ١٩٧/١٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: كشف الشبهات وحل الإشكالات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الاقتتال لطلب الدنيا أو لأي غرض غير شرعي آخر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: المؤاخذة بالعزم.

أولاً- من واجبات الداعية: كشف الشبهات وحل الإشكالات:

يتضح هذا من خلال بيان النبي ﷺ لذلك بقوله "إذا التقى المسلمان بسيفيهما" وإن من أوجب الواجبات على الداعية بيان الأمور المهمة للمدعوين، وكشف الشبهات وحلّ الإشكالات، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالبيان فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة كانوا يوردون على الرسول ﷺ الشبهة فيجيب عنها، ولهذا لا نجد شيئًا من الكتاب والسنة فيه شبهة حقيقية إلا وقد وجد حلها. إما أن يكون حلها بنفس الكتاب والسنة من غير إيراد سؤال، وإما أن يكون بإيراد سؤال يجاب عنه)[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الاقتتال لطلب الدنيا أو لأي غرض غير شرعي آخر:

لقد أخبر النبي ﷺ بمصير القاتل والمقتول في هذا الحديث بأنه في النار، وهذا يدل على حرمة اقتتالهما هذا، قال ابن حجر: (وقد أخرج البزار في حديث "القاتل والمقتول في النار" زيادة تبين المراد وهي"إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار" ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: ((لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٣٦.

القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قُتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرْج، القاتل والمقتول في النار))[١] قال القرطبي: (فبين هذا الحديث أن القاتل إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوىً فهو الذي أريد بقوله ((القاتل والمقتول في النار))[٢])[٣].

وقال النووي: (وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار فمحمول على من لا تأويل له، ويكون قتالهما عصبية ونحوها، ثم كونه في النار معناه مستحق لها وقد يجازى بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، هذا مذهب أهل الحق... واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق، إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محْض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغٍ فوجب قتاله، ليرجع إلى أمر الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم خطئًا معذورًا في الخطأ لأنه اجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه [وكان عليٌّ رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب]. هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب، ثم تأخروا عن مساعدة أي منهم [أي مساعدة من كان في حقه الصواب])[٤].

وقال ابن حجر: (كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددًا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم مما قاتل على طلب الدنيا، ومما يؤيد ما تقدم ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رفعه ((من قاتل تحت راية عَمِيّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية))[٥])[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٠٨، ٥٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٢١٥/٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠/١٨/٩، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣/١٣-٣٤.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٤٨، ٥٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/١٣.

وقال الطبري: (لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف، لما أقيم حدٌّ ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة، وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء)[١].

والخلاصة أن هذا الوعيد الذي تضمنه هذا الحديث الشريف كما يقول الخطابي: (لمن قاتل على عداوة دنيوية أو طلب ملك مثلاً، فأما من قاتل أهل البغي أو دفع الصائل فقتل فلا يدخل في هذا الوعيد لأنه مأذون له في القتال شرعًا)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول؟ فأجاب النبي ﷺ: "أنه كان حريصًا على قتل صاحبه".

ولا شك أن السؤال والجواب أسلوب من أساليب الدعوة وهو يعتمد على الحوار بين الداعية والمدعو، ويلفت انتباه المدعوين، ويجذب أسماعهم وعقولهم. (لذا كان تشجيع الناس على طرح الأسئلة وإبداء الرأي حول مختلف القضايا أمر في غاية الأهمية؛ لأن ذلك يعمق التواصل والمشاركة وتحمل المسؤولية، وهو من الطرق الفعالة في إيجاد القناعة لدى المدعوين لأن الناس يحتاجون إلى إقناع ولا يتأتى ذلك إلا بالمشاركة في عملية التعلم، والتفهم للموضوعات المطروحة، وهم بحاجة إلى التدريب على ذلك، والترحيب باستجابتهم لهذه الدعوة؛ بدلاً مما يحصل الآن من الحرص على صمتهم واستماعهم لما يلقى عليهم)[٣].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[٥].

---

(١) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٣٤.

(٢) نقلاً عن المرجع السابق ١٢/١٩٧.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار، ١٥٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: المؤاخذة بالعزم:

قال ابن حجر: (استدل بقوله ﷺ "إنه كان حريصًا على قتل صاحبه" من ذهب إلى المؤاخذة بالعزم وإن لم يقع الفعل، وأجاب من لم يقل بذلك أن في هذا فعلاً وهو المواجهة بالسلاح ووقوع القتال ولا يلزم من كون القاتل والمقتول في النار أن يكونا في مرتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط، فلم يقع التعذيب على العزم المجرد)[١]. وقال في موضع آخر: (احتج به الباقلاني ومن تبعه على أن من عزم على المعصية يأثم ولو لم يفعلها وأجاب من خالفه بأن هذا شرع في الفعل، والاختلاف فيمن همّ مجردًا ثم صمّم ولم يفعل شيئًا، هل يأثم؟)[٢].

ويحسن بنا أن نعرف العزم والعلاقة بينه وبين النية، ولهذا ساقه النووي في هذا الباب -باب الإخلاص وإحضار النية- وبين بعض صور العزم التي يؤاخذ عليها من التي لا يؤاخذ عليها.

العزم في الاصطلاح: جزم الإرادة بعد تردد[٣].

والصلة بين النية والعزم أنهما مرحلتان من مراحل الإرادة، والعزم اسم للمتقدم على الفعل، والنية اسم للمقترن بالفعل مع دخوله تحت العلم بالمَنْوِيّ[٤].

وقد أفاض ابن رجب الحنبلي في ذكر أنواع الهمّ بالسيئات من غير عمل ولخصّ معظمها ابن حجر، ونسوق تلخيصه من باب الإيجاز ومن أراد التوسع فليراجع ما كتبه ابن رجب الحنبلي وهو نفيس في بابه[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٣٤.

(٢) المرجع السابق ١٢/١٩٧.

(٣) قواعد الفقه للبركتي (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦٠).

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١/٢٥، ورد المحتار ١/٧٢، والذخيرة ص ٢٣٥ ط/ وزارة الأوقاف، والمنثور في القواعد ٣/٢٨٤ ط/ وزارة الأوقاف، الكويت (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦٠).

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٢١-٣٢٧ شرح الحديث ٣٧ من الأربعين النووي.

قال ابن حجر: (قسم بعضهم ما يقع في النفس أقسامًا: أضعفها: أن يخطر له ثم يذهب في الحال، وهذا من الوسوسة وهو معفو عنه وهو دون التردد، وفوقه أن يتردد فيه فيهمّ به ثم ينفر عنه فيتركه ثم يهمّ به ثم يترك كذلك ولا يستمر على قصده، وهذا هو التردد فيعفى عنه أيضًا وفوقه أن يميل إليه ولا ينفر عنه لكن لا يصمم على فعله وهذا هو الهمّ فيعفى عنه أيضًا. ومعرفة أن يميل إليه ولا ينفر منه بل يصمم على فعله فهذا هو العزم وهو منتهى الهمّ، وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يكون من أعمال القلوب صرفًا كالشك في الوحدانية أو النبوة أو البعث فهذا كفر ويعاقب عليه جزمًا، ودونه المعصية التي لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغضه الله ويبغض ما يحبه الله ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك فهذا يأثم، ويلتحق به الكبر والعجب والبغي والمكر والحسد، وفي بعض هذا خلاف.

والقسم الثاني: أن يكون من أعمال الجوارح كالزنا والسرقة وشرب الخمر والقتل والقذف ونحو ذلك فهو الذي يقع فيه النزاع، فذهبت طائفة إلى عدم المؤاخذة بذلك أصلاً، ونقل عن نص الشافعي، ... وذهب كثير من العلماء إلى المؤاخذة بالعزم المصمم...)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٢٧-٣٢٨.

الحديث رقم (١٠)

١٠- وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ في جماعةٍ تزيدُ عَلَى صَلاَتِهِ في سُوقِهِ وَبَيْتِهِ[١] بضْعًا وعِشْرينَ دَرَجَةً، وذلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِد لا يُرِيدُ إلاَّ الصَّلاَةَ، لا يَنْهَزُهُ إلاَّ الصَّلاَةُ[٢]، لَمْ يَخطُ خُطوَةً إلاَّ رُفِعَ لَهُ بها دَرجةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطيئَةٌ حتَّى يَدْخلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دخل الْمَسْجِدَ كانَ في الصَّلاَةِ مَا كَانَتِ الصَّلاةُ هِيَ التي تحبِسُهُ، وَالْمَلائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدكُمْ ما دام في مَجْلِسِهِ الَّذي صَلَّى فِيهِ، يقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مالَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ» متفقٌ عليه[٣]، وهَذَا لَفْظُ مُسْلمٍ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

حُطَّ: أُسْقِط[٤]، والمراد: غُفرت.

بضعًا: ما بين الثلاثة والعشرة[٥].

ينهزه: يخرجه وينهضه[٦].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث النبوي يحث على صلاة الجماعة بصفتها مظهرًا من مظاهر توحد المسلمين، واجتماع شملهم ووحدة صفوفهم، وفي صلاة الجماعة بالمساجد يبدو المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وأسلوب هذا الحديث بمكوناته في ألفاظه ..

---

(١) لفظ مسلم: (في بيته، وصلاته في سوقه)، والمثبت لفظ البخاري برقم ٢١١٩.

(٢) لفظ مسلم بتقديم وتأخير.

(٣) أخرجه البخاري ٢١١٩، ومسلم واللفظ له ٦٤٩/٢٧٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥١.

(٤) الوسيط في (ح ط ط).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٨٨.

(٦) رياض الصالحين ٤٤.

وتراكيبه والأدوات التي تربط بين الجُمَل، هذه المكونات كلها تشارك في توصيل المعنى المراد، وترغب المسلمين في ارتياد المساجد وكثرة الخطا إليها.

ومن سمات الترغيب في الحديث الشريف: تكرار لفظ "الصلاة" ست مرات وتكرار الفعل "صلىَّ"، مرتين: مرة في صيغة المضارع يصلون ومرة في صيغة الماضي "صلىَّ" وهذا التكرار من شأنه أن يرغب المسلم في الصلاة وأن يحببها إلى كل أجيال المسلمين وطوائفهم، استجابة لقول الرسول ﷺ: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر"[(١)].

وكلمات الحديث الشريف تبوح بأسرار بلاغية توحي بما في الحديث من بلاغة وفصاحة وإبراز للمعنى.

ولنتأمل الجملة الأولى في هذا الحديث الشريف، ولنتعرف على أسرارها البلاغية واللغوية (صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة).

فالصلاة في اللغة الدعاء وهى معنى الخضوع والخشوع، ولكنها تتجاوز المدلول اللغوي إلى المدلول "الاصطلاحي" الذي حدده الفقهاء لأركان الصلاة وواجباتها ولم يذكر المصطفى ﷺ مكان الصلاة التي تؤدى جماعة إشارة إلى أن الصلاة في المسجد لها أفضليتها وثوابها، وتنبيها إلى أن الصلاة في المسجد أمر معروف لا يحتاج إلى تنبيه ... وهذه السمة الأسلوبية يسميها البلاغيون بلاغة الحذف.

وفي رواية أخرى: صلاة الجميع والجميع ضد المتفرق.

ولفظ: السوق يوحي بأن المسلم لا يترك الصلاة حتى وهو مشغول بالبيع والشراء، وقال العلماء: الصلاة في البيت مطلقًا أولى منها في السوق لما ورد من كون الأسواق؛ محلاً للشياطين؛ وفي حديث آخر يحذر المصطفى ﷺ من الأسواق وما يحدث فيها من اضطراب، وتشويه، واختلاط في الأمور فيقول ﷺ "إياكم وهيشات الأسواق[(٢)] أي: اختلاطها وفسادها.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم ٤٣٢.

ولفظ البضع له دلالة تعددية: فقيل: من الثلاثة إلى العشرة، وقيل من ثلاث إلى تسع، ولكن الروايات الأخرى تحدد المراد من البضع حيث تحدد بعض هذه الروايات بأن صلاة الجميع تزيد على صلاته ... خمسًا وعشرين درجة وفي رواية أخرى سبعًا وعشرين درجة.

ولفظ الدرجة لا يعني العدد ولكنه يفيد الكثرة والارتفاع والسمو والعلو، وقد ذكر ذلك صاحب دليل الفالحين رواية عن ابن الأثير حيث يقول: (إنما قال درجة لأنه أراد الثواب من جهة العلو والارتفاع وأن تلك فوق هذه بكذا درجة لأن الدرجات إلى جهة فوق).

وهذه الجملة الأولى : تمثل قاعدة الحديث الكلية، وفيها تمام الفائدة، وفيها إشارة إلى أن المسلم لا يترك الصلاة في أي مكان: البيت أو السوق: أو أي مكان يتواجد فيه، ولكن الصلاة مع الجماعة في المسجد لها ثوابها العظيم ودرجاتها العلى.

وبعد هذا الإجمال يُفَصِّل المصطفى ﷺ الأمر ويزيده وضوحًا وترغيبًا، ويسوق هذا التوضيح في أسلوب القصة، وهي طريقة فيها إرشاد للمسلم وتعليم له لكيفية الذهاب إلى المسجد، والإخلاص في النية، وترك كل مشاغل الحياة أثناء التهيؤ لأداء الصلاة، وعن كيفية الذهاب إلى المسجد يقول ﷺ: ((إذا ثُوِّبَ[1] للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا))[2].

والجملة الثانية في الحديث الشريف .. تمثل كيفية إعداد المسلم نفسه للصلاة والذهاب إلى المسجد، وترك الصلاة في البيت والسوق.

وقد تكرر لفظ "المسجد" ثلاث مرات، وذلك ليس إطنابًا، ولا إسهابًا. ولكن هذا التكرار ينبئ عن تلذذ اللسان بذكر لفظ المسجد تعلقًا به، وحبًا للصلاة فيه، وكذلك

---

(١) معناها: نودي، المعجم الوجيز في (ث و ب).

(٢) أخرجه مسلم ٦٠٢.

لينبه القارئ والسامع بأفضلية الصلاة في المساجد، وكذلك لأن مادة "سجد" تفيد معنى الخضوع والطاعة، وهي صفات يتحلى بها المؤمن في عبادته وعلاقته بربه عز وجل.

ولفظ "ذلك" ليس للإشارة ولكنه للتعليل، حيث يعلل المصطفى ﷺ أفضلية الصلاة في المسجد، وهي لابد لها من مقدمات وحيثيات، وأداة الشرط "إذا" تفيد التحقق، وفعل الشرط متحقق وهو "توضأ فأحسن الوضوء" وجواب الشرط متحقق كذلك، وهو الثواب المضاعف المتمثل في رفع الدرجات، ومحو الخطايا؛ وما أجمل هذا الأسلوب النبوي في الترغيب، والإرشاد إلى الطريق الأمثل، والاستعداد الجميل لأداء الصلوات وجمال هذا الأسلوب يكمن في أنه عليه الصلاة والسلام لم يقدم تعليماته، وإرشاداته في جمل وأساليب آمرة، وتعاليم جافة، ولكنه وهو الذي لا ينطق عن الهوى يتمثل قول الله عز وجل ويستجيب لهذه الدعوة الإلهية: في: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[1].

ومجيء "الفاء" أداة للعطف: في قوله: "إذا توضأ فأحسن الوضوء" يرشد إلى المتابعة وعدم التمهل في الاستعداد والنظافة والتهيؤ للصلاة؛ وجاء التعبير بـ"ثم" في قوله "ثم أتى المسجد" لينبئ عن السكينة التي أمر بها رسول الله ﷺ في الذهاب إلى الصلاة في قوله: "إذا ثوب للصلاة، فلا تأتوها تسعون، وأتوها وعليكم السكينة".

وتنبيهًا إلى أن هذه الحركة نحو الصلاة يجب أن يصاحبها الإخلاص في النية، وعدم الانشغال بالأموال والأولاد، أو أي مشاغل أخرى يقول عليه الصلاة والسلام: "لا ينهزه إلا الصلاة" أي لا يشغله إلا الصلاة : وهذا الإخلاص ثمرته تعود عليه في كل مراحل طاعته سواء أكان جالسًا في المسجد أم مصليًا.

والإشارة إلى الإخلاص في النية مرة أخرى يتمثل في ختام الجزء الثاني من الحديث الشريف، وهي إشارة بليغة حيث صُوِّر المصلي وهو فارغ البال من كل شواغل الدنيا ما عدا الصلاة بأن الصلاة تحبسه: أي أنه محاط بأسوارها الإيمانية، وجدرانها

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

المعنوية، وستائرها الرضوانية، وإفادة العموم في الثواب ومضاعفة الأجر تتجلى في هذا الطباق بين اللفظين "رفع؛ وحط" وهما فعلان متضادان في الدلالة ولكنها متحدان في البناء للمجهول، والذي يرفع الدرجات ويحط الخطايا لا يحتاج إلى تعريف لأنه هو الذي يعلم السر وأخفى إنه الخلاق العليم رب العالمين، وما أعظم هذا الأجر الذي ينتظر ذلك المصلي الذي أخلص نيته لله وارتاد المساجد، مصليًا، ومعتكفًا، وداعيًا، ومستغفرًا، إن هذا الأجر يتضاعف إلى سبع وعشرين درجة أو خمس وعشرين، وقيل إن السبع مختص بالجهرية والخمس بالسرية.

ومع هذا الأجر المضاعف تستغفر الملائكة، وتدعو لذلك المؤمن الذي دخل المسجد وصلى ثم جلس داعيًا ومستغفرًا... وتدعوا الملائكة له بالرحمة والمغفرة والتوبة.

وفي الحديث تنبيه إلى آداب الجلوس في المسجد، وهي كثيرة متعددة ولكن المصطفى ﷺ أجمل هذه الآداب في جملة قصيرة مكثفة قليل لفظها وكثير معناها، وهي "ما لم يؤذ" وفي رواية: "لم يحدث فيه"، وقد جمع الحديث هنا بين الروايتين فالجالس في المسجد لا يؤذي غيره ولا يؤذي نفسه، ولا يرتكب ما ينقض الوضوء، أو يقدح في شخصيته فيبتعد عن الغيبة والنميمة والكذب والنفاق وغير ذلك.

وقيل: قد تأول أكثر العلماء الأذى بالغيبة والضرب، والجملة على الرغم من اختصارها في فعلين هما "يؤذي ويحدث" فإنها تتسع لكثير من السلوكيات التي تدور في حقلين لغويين هما "الأذى والحدث"، وهذان الفعلان لا يليقان بالمؤمن الذي تستغفر له الملائكة، وتدعو له بالرحمة والمغفرة والتوبة، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون))[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٣٢.

فقه الحديث

لصلاة الجماعة فضل كبير، كما بينها هذا الحديث الشريف، ولأهميتها يقول الفقهاء: (الصلاة في الجماعة معنى الدين، وشعار الإسلام، ولو تركها أهل مصرٍ - بلد من البلدان - قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا)[١].

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم صلاة الجماعة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب الحنفية في الأصح[٢] وجمهور المالكية[٣] والشافعية في وجه[٤] إلى أنها سنة مؤكدة للرجال.

القول الثاني: ذهب الحنفية في قول[٥] والحنابلة[٦] إلى أنها واجبة وجوب عين فمن تركها فهو آثم.

القول الثالث: ذهب بعض المالكية[٧] والشافعية في الأصح[٨] إلى أنها فرض كفاية إذا قام بها البعض كَفَوْا، وإن تركها الجميع أثموا.

---

(١) المغني، ابن قدامة ٢/١٧٦-١٧٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٣-١٩٤، والحطاب بهامشه المواق ٢/٨١، ومغني المحتاج ١/٢٢٩ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/١٦٥).

(٢) تبيين الحقائق، الزيلعي ١/١٣٢.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي الخطابي ٢/٨١، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش لعليش ١/٣٥١.

(٤) مغني المحتاج للشربيني ١/٤٦٥، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢/١٣٥.

(٥) بدائع الصنائع، الكاساني ١/١٥٥.

(٦) المغني، ابن قدامة ٢/٣، الفروع، ابن مفلح ١/٥٧٦.

(٧) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي الخطابي ٢/٨١، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش لعليش ١/٣٥١.

(٨) مغني المحتاج للشربيني ١/٤٦٥، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢/١٣٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الخطى إلى المساجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث رغب النبي ﷺ في الحديث في فضل صلاة الجماعة والذهاب للمسجد من خلال بيان رفع الدرجات، وحط الخطايا، ودعاء الملائكة، ولاشك أن أسلوب الترغيب له دوره الرئيس في تحفيز النفس للقيام بالأعمال الصالحة (لأن النفس البشرية جبلت على حب الخير والسعي في الحصول عليه ... لذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب إلى النفس؛ لأنها تهفو إليه، وتسعد به، وتنصت له ... والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعة، كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه الله تعالى عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة)[1]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة:

حيث جاء في الحديث "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعًا وعشرين درجة" قال ابن حجر: (ومن صور الفضل في صلاة الجماعة أن فيها إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة، ودخول المسجد داعيًا، وصلاة الملائكة عليه

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠-٤٤١ بتصرف.

(٢) سور النبأ، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣.

واستغفارهم له، والسلامة من الشيطان حين يفر من الإقامة وإظهار شعائر الإسلام، وإرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل، والسلامة من صفة النفاق والانتفاع بالاجتماع على الدعاء والذكر، وعود بركة الكامل على الناقص إلى آخر هذه الفضائل[١].

هذا وقد جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى. وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ. وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً. وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً. وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً. وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ))[٢].

ولأهمية صلاة الجماعة قال ابن القيم: (ومن تأمل السنة حق التأمل تبين له أن فعل الصلاة في المساجد فرض على الأعيان إلا لعارض يجوز معه ترك الجمعة والجماعة، فترك حضور المسجد لغير عذر كترك أصل الجماعة لغير عذر، وبهذا تتفق جميع الأحاديث والآثار)[٣].

لقد حث الإسلام على حضور الجماعة في المسجد، وبيّن فضل الخطى إلى المساجد حيث جاء في الحديث "ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة" وقد دلت النصوص الشرعية على فضل الخطى إلى المساجد قال صلى الله عليه وسلم ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ. أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً. كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ))[٤] وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا ((بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٦٥٤.

(٣) الصلاة وحكم تاركها، ابن قيم الجوزية ص ١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٢، ومسلم ٦٦٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصلي ثم ينام))[١].

قال ابن رجب الحنبلي: (وهذا الحديث إنما يدل على فضل المشي إلى المسجد من المكان البعيد، وأن الأجر يكثر ويعظم بحسب بعد المكان عن المسجد[٢]، وقد بيّن رسول الله ﷺ أن المصلي له في كل خطوة يخطوها إلى المسجد درجة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كانت ديارنا نائية عن المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقترب من المسجد، فنهاها رسول الله ﷺ فقال: ((إن لكم بكل خطوة درجة))[٣].

وفي حديث أبي هريرة بيّن ﷺ أنها ترفع المصلي درجة وتحط عنه خطيئة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة)[٤].

وقد دلت هذه الأحاديث على أن المشي إلى المساجد يكتب لصاحبه أجره، وهذا مما تواترت السنن به[٥].

وهذا فضل عظيم من الله به على عباده المشائين إلى بيته فهو الكريم وحق عليه أن يكرم زائره، وإكرامه تعالى يبدأ من أول خروج الإنسان من بيته للذهاب إلى الصلاة في المسجد.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

حيث جاء في الحديث "فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه..." وفي فضل

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩/٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦٦٤.

(٤) أخرجه مسلم ٦٦٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤/٤.

انتظار الصلاة قال ﷺ ((إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ))[١]. قال ابن رجب الحنبلي: (وهذا الحديث يدل على فضل السبق إلى المسجد في أول الوقت، وانتظار الصلاة فيه مع الإمام)[٢].

وقد جعل الرسول ﷺ من يتعلق قلبه بالمسجد لانتظار الصلاة من الذين يظلهم الله في ظله ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تَصدَّقَ بصدقةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خاليًا ففاضَتْ عَيناه))[٣] (وهذا الحديث يبين أن الصلاة من الوسائل الفعالة التي اختارها الله تعالى لتنقية قلب العبد، وتطهير روحه ونفسه من شوائب الدنيا وعلائق المادة، وليكون العبد مندفعًا إلى المسجد مشتاقًا للصلاة فيه، ويضع نصب عينيه أن الملائكة تنتظره في رحاب هذا المسجد وأن بيت الله يشع نورًا وضياءً، وينعش النفس، ويربط قلبه بالله تعالى)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩/٤.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٤) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٣٤٤.

الحديث رقم (١١)

١١- وَعَنْ أبي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب رضي الله عنهما، عَنْ رسول الله ﷺ، فِيما يَرْوِى عَنْ ربِّهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «**إنَّ الله كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك: فمَنْ همَّ بحَسَنةٍ فلَمْ يعْمَلْهَا كتبَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حسنةً كامِلةً وَإنْ همَّ بهَا فعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ[1] عَشْر حَسَنَاتٍ إلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ إلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ، وَإنْ هَمَّ بِسيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بها فعَمِلهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: صحابي مشهور، علم من أعلام الصحابة، حبر الأمة، وإمام التفسير، وهو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، كنيته أبو العباس، وهو أكبر ولده، وُلِد عبدالله بن عباس في الشِّعْب قبل خروج بني هاشم منه، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، لازم النبي ﷺ فأخذ عنه علمًا جمًّا، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله ﷺ روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة، ومسنده (١٦٦٠)، له من ذلك في الصحيحين ٧٥ حديثًا متفق عليهما، وتفرد البخاري بـ (١٢٠) ومسلم بـ (٩) أحاديث.

دعا له رسول الله ﷺ بتعلم الحكمة، وتأويل القرآن، والفقه في الدين، فعنه رضي الله عنه أنه قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: ((اللهم علمه الكتاب))[3] وعنه أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضَعْتُ له وَضوء، قال من وضع هذا؟ فأُخبر، فقال: ((اللهم فقهه في الدين))[4] بلغ من المنزلة في العلم والفقه ما جعل الصحابة يُجلّونه، ومنهم عمر

---

(١) عند مسلم زيادة: (عنده).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم واللفظ له ١٣١/٢٠٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٣، ومسلم ٢٤٧٧.

- وهو أمير المؤمنين- كان يحبه ويدنيه ويقربه ويشاوره مع أجلّة الصحابة فعنه أنه قال: ((كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من قد عَلِمتُم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رُئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليُرِيهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[1]. فقال بعضهم: أُمرنا نَحْمَدَ الله ونستغفره إذا نُصِرنا وفُتِحَ علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقولُ يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعْلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[2] فقال عمر: ما أعلمُ منها إلا ما تقول))[3] وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن: عبدالله بن عباس وقال مسروق: كنت إذا رأيت عبدالله بن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا تكلم: قلت أفصح الناس، فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسًا أجمع لكل خيرٍ من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام، والعربية والأنساب، والشعر، وقال عبيد الله بن عبدالله ما رأيت أحدًا كان أعلم بالسُّنة، ولا أجلَّ رأيًا، ولا أثقب نظرًا من ابن عباس، ولقد كان عمر يعده للمعضلات مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين.

وكان ابن عباس قد عَمِي في آخر عمره، فقال في ذلك:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكيٌّ، وعقلي غيرُ ذي دَخَل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور[4]

أما عن صفاته الخَلْقية: فكان وسيما، جميلاً، مديد القامة، مهيبًا، كامل العقل، ذكيّ النفس، من رجال الكمال، وقال ابن مَنْده: كان أبيض طويلاً مُشْرَبا

---

(١) سورة النصر، آية: ١.

(٢) سورة النصر.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩٧٠.

(٤) الوافي بالوفيات ١٢/١٧.

بصفرة، جسيمًا، وسيمًا، صبيح الوجه له وفرة، يخضب بالحِنّاء.

شهد مع عبدالله بن أبي السرح غزو إفريقية، كما شهد مع عليٍّ الجمل وصفين والنهروان.

استعمله علي بن أبي طالب على البصرة، فبقي عليها أميرًا ثم فارقها قبل أن يقتل عليٌّ، وعاد إلى الحجاز، وحج بالناس لما حُصِرَ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

توفي عبدالله بن عباس بالطائف سنة (٦٨) في أيام ابن الزبير، وكان ابن الزبير قد أخرجه من مكة إلى الطائف، ومات بها، وهو ابن (٧٠) سنة، وقيل (٧١)، وقيل (٧٤)، وصلى عليه محمد بن الحنفية، وكبر عليه أربعًا، وقال: اليوم مات ربانِيُّ هذه الأمة، وضرب على قبره فسطاطًا[1]. والفسطاط هو البيت من الشَعْر.

غريب الألفاظ:

هَمَّ بحسنةٍ: عزم عليها[2].

الشرح الأدبي

إن المسلم لا بد أن يكون يقظًا متنبهًا إلى الأمور والوساوس التي تأخذه بعيدًا عن طريق الطاعة، وحياة المؤمن مرآة ناصعة، وسلوكياته لا تخرج عن دائرة الإيمان ولا تجنح إلى مسالك الشيطان، وأبواب الرجاء مفتوحة على مصراعيها، وكرم الله لعباده المقبلين على رحابه يظللهم، ورحمته تحوطهم بجناحيها.

وفي ظل هذه الرعاية الإلهية تشرق معاني ومقاصد هذا الحديث الشريف، ومعالم هذه الرعاية الربانية تتمثل في هذه المقدمة المشعة لهذا الحديث في قول الراوي متحدثًا

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/٣٦٥-٣٧٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٢٣-٤٢٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣/٢٩١-٢٩٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٧٩٥، ٧٩٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٣٣١-٣٥٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤/١٧٦-١٧٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٦٤-٣٦٦، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٢٦-١٢٣٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ م م).

عن رسول الله ﷺ حيث يقول : فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى.

ودلالة: الفعل "تبارك" لها صلة عضوية بجو الحديث وأفق العفو والكرم الإلهي اللامتناهي فالفعل "تبارك" معناه: تكاثر خيره، والبركة كثرة الخير ولمادة الفعل "تبارك" دلالة أخرى، وهي تفيد الزيادة أي: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته، وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى الزيادة، والحديث الشريف يبشر كل مسلم يتوج مسيرته بالعمل الصالح بكثرة الثواب، وزيادة الجزاء الحسن ومضاعفة الأجر، وهذه المعاني المبشرة توحي بها هذه الجملة الدالة المباركة "فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى.

ويبدأ الحديث الشريف: بصيغة التوكيد ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك)).

وحين نتساءل : ما سر العطف بـ"ثم" وما دلالة اسم الإشارة "ذلك" والعطف هنا يفيد أن كل شيء بأمر الله عز وجل، وأنه على كل شيء قدير، وقد بين ذلك الخلاق العليم للكتبة من الملائكة حتى عرفوه، واستغنوا به عن الاستفسار كل وقت كيف يكتبونه – كما يقول صاحب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين.

ولنتأمل كيف تكون كتابة الحسنات والسيئات التي أمرت بها الملائكة كما يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

وحياة الإنسان في نهجها وسلوكها على كفتي ميزان إلهي عادل: الحسنات والسيئات، والحسنات ثمرة ومقياس العمل الصالح، والسيئات نتيجة الإقدام على المنهيات، فما الطريق إلى النجاة من مغريات الحياة؟ وما الطريق إلى الفوز بالجنة والنجاة من النار؟

إن الطريق المضيء بالعدالة والفضل والرحمة والود والعفو والرجاء: يوضحه المصطفى ﷺ في هذا الحديث الشريف.

يأتي هذا التوضيح البين المعالم في ثلاث جمل متوالية -متماثلة في الصياغة،

---

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١٠-١٢.

ولكنها متنوعة الدلالة، والصياغة جاءت في قالب: الشرط والجزاء، وهذه الصيغة اللغوية تتواءم مع منطق الثواب والعقاب؛ الثواب وهو ثمرة الحسنات، والعقاب ثمرة السيئات، وما أعظم كرم الله عز وجل، وما أجلّ رحمته حين يثيب على النية، والهم بالحسنات، دون العمل حيث يقول "فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة" وترك العمل هنا لا يكون متعمدًا- وإنما تحول بينه وبين التحقق ظروف وملابسات طارئة، ومعنى "الهم" هنا أي الإرادة وترجيح الفعل، وإذا كانت النية عزمًا وتصميمًا ثم لم يتم العمل لأمر خارج عن إرادة المسلم، فإن الرحمن الرحيم يكتبها حسنة كاملة، ويفسر العلماء التعبير بلفظ "عنده" بأنها عندية شرف ومكانة لتنزهه تعالى عن عندية المكان.

ووصف الحسنة بأنها "كاملة" ليس زيادة في الأسلوب، ولا إطنابًا في المعنى فالبيان النبوي كما يقول الرافعي: هو البلاغة الإنسانية التي خضعت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، وألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله.

ولذلك جاء وصف الحسنة بأنها "كاملة": لئلا يظن أنها لكونها مجرد هم ينقص ثوابها، والناس ينقسمون إلى أربعة أقسام في موقفهم من النية والعمل، والحديث هنا مرتبط ارتباطاً موضوعيًا بالباب كله الذي افتتحه صاحب رياض الصالحين بحديث إنما الأعمال بالنيات.

وحين نتأمل مصير الأقسام الأربعة نجد فضل الله وعفوه وكرمه يُظل عباده في ثلاث أقسام، فالمسلم في حركته لا يخرج عن نطاق هذه المنطقة ذات الزوايا الأربع:

أ- الهَمُّ بالحسنة وعدم العمل لعدم الإمكان.

ب- الهَمُّ بالحسنة والعمل لتوفر الأسباب.

ج- الهَمُّ بالسيئة وعدم العمل للعجز عن ذلك أو للخوف من الله.

د- الهَمُّ بالسيئة والعمل بالاختبار مع توفر الأسباب.

ففي **الحالة الأولى** توفرت النية الصالحة، ولكنها لم تترجم إلى عمل حياتي

وسلوكي لعدم توفر الأسباب المؤدية للقيام، والله هنا يثيب على النية الصالحة، ويكافئ العبد على ما نوى وكأنه قام بالتنفيذ حيث تكتب الحسنة كاملة، ولفظ "الحسنة" تتعدد دلالاته وتتسع آفاقه.. وهو من الألفاظ المشعة بكثير من المعاني، فكل إنجاز صالح في الحياة يفيد الفرد والمجتمع، ويقصد به التقرب إلى الله فهو حسنة كاملة.

والحالة الثانية وهي ذروة العمل الصالح حيث تجمع بين الحُسْنيَيْن النية الصالحة والعمل الصالح، وتضم إلى الهم العزم والتصميم والتنفيذ، والجزاء في هذه الحالة مضاعف فالله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، وإن هم بها فعملها كتبها عنده بعشرة حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

والحالة الثالثة تتجلى فيها رحمة الله بعباده، وفضله على خلقه فهو لا يسجل على العبد خواطره الخاصة، وأحاديثه النفسية إلا إذا كانت في صالحه، ومنبعها التوحيد والإيمان أما إذا كانت هذه الخواطر من باب الوساوس والنوايا السيئة والتفكير في إلحاق الأذى بالناس، فالله يفتح باب الخلاص والنجاة منها، وذلك بعدم تنفيذ ما يموج داخل الإنسان من انفعالات وأوهام وظنون، وحينئذ يثيب الله عبده ويكافئه على هذه المراجعة وهذه المقاومة ويكتب له حسنة كاملة مقابل كل خاطرة سيئة أقلع عنها.

وأما **الحالة الرابعة** فهي الحالة التي يسجل فيها الخالق سبحانه السيئة؛ لأن العبد أصر عليها حين هم بها، ثم نفذها ولكن فضل الله وعدله يجعل هذه السيئة؛ سيئة واحدة، أما الحسنة فهي تتضاعف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بحديث النفس وما يتعلق به من أحكام وهل يؤاخذ الإنسان عليه أم لا؟

وقد ذكر الفقهاء[1] أن حديث النفس على خمس مراتب وهي الخاطر والميل والهم

---

(١) انظر في ذلك: بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي للخادمي ٢٤٢/٢، والأشباه والنظائر لابن نجيم ص ٣٤، وغمز العيون والبصائر للحموي ١٧٥/١ وما بعدها، والمنثور في القواعد الفقهية للزركشي ٣٦/٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٣٧٥/٢، وحاشية العطار على شرح الجلال المحلى، حسن بن محمد العطار على الجلال المحلي ٥٢٠/٢، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤٤٢/٣ وما بعدها، وغذاء الألباب للسفاريني ٥٧٢/٢ وفيه تفصيل جميل.

والعزم والقصد مع العمل، والمراتب الثلاثة الأولى لا يؤاخذ الإنسان عليها ما لم يقترن الهم بالعزم، أما العزم فيؤاخذ عليه عند المحققين من العلماء.

ويثور هنا سؤال ما الحكم إن سعى العبد في حصول المعصية بما أمكنه ولكن حال بينه وبينها القدر هل يحاسب عليها أم لا؟

ذكر جماعة من العلماء أنه يعاقب عليها حينئذ لأن سعيه جهده يدل على عمله لها ولكن عجز عن تحصيل النتيجة.

وذهب جماعة من المتأخرين إلى أنه لا يعاقب على المعصية التي تكلم بها ما لم تكن قولاً محرمًا كالقذف والغِيبة والكذب، أمَّا ما كان متعلقًا بعمل الجوارح فلا يأثم بمجرد التكلم به دون العمل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله وفضله على عباده.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أجر العمل بتفاوت الإخلاص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الهمّ بالسيئات من غير عمل لها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

لقد جاء الحديث في صيغة الإجمال "إن الله كتب الحسنات والسيئات"[1] ثمّ أعقبه التفصيل بعد ذلك، ولا شكّ أن الإجمال وإعقابه بالتفصيل مما يجذب الانتباه ويشد الأسماع ويجعل الأفهام أكثر وعيًا وإدراكًا لما يقال، ويُلقى عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله وفضله على عباده:

حيث جاء في الحديث: (فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى

---

(١) قال ابن هبيرة في الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٧٨/٣: أي قدر مبالغ تضعيفها فعرفت الكتبة من الملائكة ذلك التقدير. فلا يحتاجون أن يستفسروا في كل وقت كيف يكتبون ذلك، بل قد شرع سبحانه ما تعمل الملائكة بحسبه.

أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة)، وهذا من كرم الله وفضله وإحسانه على جميع خلقه قال الإمام النووي: (وفي الحديث بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة زادها الله شرفًا وخفَّفه عنهم مما كان على غيرهم من الإصر وهو الثقل والمشاق، وبيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من المسارعة إلى الانقياد لأحكام الشرع)[1].

وقد نص القرآن الكريم على مضاعفة الحسنات وهذا يدل على فضل الله وكرمه لعباده، قال تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] وبين الله سبحانه أنه يضاعف بعد ذلك ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ ﴾[3].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة لأنه لولا ذلك كاد أن لا يدخل أحد الجنة لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات، وفي الحديث بيان ما يترتب للعبد على هجران لذَّاته وترك شهوته من أجل ربه رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه، وفي الحديث بيان دليل على أن الحفظة لا تكتب المباح للتقييد بالحسنات والسيئات، وفيه أن الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه جعل العدل في السيئة والفضل في الحسنة فضاعف الحسنة ولم يضاعف السيئة، بل أضاف فيها إلى العدل الفضل فأدارها بين العقوبة والعفو)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تفاوت أجر العمل بتفاوت الإخلاص:

يظهر هذا من الحديث من قوله "وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"، قال ابن هبيرة: (ثم قوله: "إلى سبعمائة ضعف" فإنما يعني على مقدار ما يكون فيها من خلوص النية وإيقاعها في مواضعها التي يزيدها

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٦/١١.

حسنًا، كما قال عز وجل: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾[١] ... وعلى هذا جميع أعمال البرّ في معاملة الله عز وجل إذا خرجت سهامها عن نيةٍ وأغرقت في نزع قوس الإخلاص تلك السهام ممتدة لا تنتهي عن يوم القيامة)[٢] وقال ابن رجب: (إن مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الإسلام، وتكون بحسب كمال الإخلاص، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه وبحسب الحاجة إليه)[٣]. قال ابن عثيمين: (وهذا التفاوت في المضاعفة مبني على الإخلاص والمتابعة فكلما كان الإنسان في عبادته أخلص لله كان أجره أكثر، وكلما كان الإنسان متبعًا للرسول ﷺ في عبادته كانت عبادته أكمل وثوابه أكثر ففي الحديث دليل على اعتبار النية وأن النية قد توصل صاحبها إلى الخير)[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الهم بالسيئات من غير عمل لها:

جاء في الحديث "وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة"، قال ابن رجب: (وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((إنما تركه من جرَّاي))[٥] يعني: من أجلي. وهذا يدلُّ على أن المراد من قدر على ما هم به من المعصية، فتركه الله تعالى، وهذا لا ريب في أنه يكتب له بذلك حسنة؛ لأن تركه للمعصية بهذا القصد عمل صالحُ.

فأما إن همَّ بمعصية، ثم ترك عملها خوفًا من المخلوقين، أو مراءاةً لهم، فقد قيل: إنه يعاقب على تركها بهذه النية، لأن تقديم خوف المخلوقين على خوف الله محرم. وكذلك قصدُ الرياء للمخلوقين محرَّم، فإذا اقترن به ترك المعصية لأجله، عوقب على هذا الترك. وقد خرَّج أبو نعيم[٦] بإسناد ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: يا صاحب

---

(١) سورة الشورى، آية: ٢٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣/٧٨-٨٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣١٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ٤٢، ومسلم ١٢٩ وهذه لفظة مسلم ليست عند البخاري.

(٦) في الحلية ١/٣٢٤.

الذنب، لا تأمنن سوء عاقبته، ولما يتبع الذَّنب أعظم من الذنب إذا عملته، و ذكر كلامًا، وقال: وخوفُك من الريح إذا حرَّكت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك، أعظم من الذنب إذا عملته.

وقال الفضيل بن عياض: كانوا يقولون: تركُ العمل للناس رياءً، والعمل لهم شرك.

وأما إن سعى في حصولها بما أمكنه، ثم حال بينه وبينها القدر، فقد ذكر جماعةٌ أنَّه يعاقب عليها حينئذٍ لقول النبي ﷺ: ((إنَّ الله تجاوز لأمَّتي عمَّا حدَّثت به أنفُسَها، ما لم تكلَّمْ به أو تعمل))[1] ومن سعى في حصول المعصية جهده، ثم عجز عنها، قد عمل، وكذلك قول النبي ﷺ: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتِلُ والمقتولُ في النَّار))، قالوا: يا رسول الله، هذا القاتلُ، فما بالُ المقتول؟! قال: ((إنه حريصًا على قتل صاحبه))[2].

وقوله: "ما لم تكلَّم به، أو تعمل" يدل على أن الهام بالمعصية إذا تكلم بما هم به بلسانه أنه يعاقب على الهم حينئذٍ، لأنه قد عمل بجوارحه معصيةً، وهو التكلُّمُ باللِّسان، ويدلُّ على ذلك حديث الذي قال: ((لو أنَّ لي مالاً، لعملتُ فيه ما عَمِلَ فلان)) يعني: الذي يعصي الله في ماله، قال: ((فهُمَا في الوِزْرِ سَواءٌ))[3].

ومن المتأخرين من قال: لا يعاقب على التكلم بما هم به ما لم تكن المعصية التي هم بها قولاً محرمًا، كالقذف والغيبة والكذب؛ فأمَّا ما كان متعلقُها العمل بالجوارح، فلا يأثم بمجرَّد التكلُّم ما همَّ به، وهذا قد يستدلُّ به على حديث أبي هريرة المتقدم: "وإذا تحدث عبدي بأن يعمل سيئة، فأنا أغفرُها له ما لم يعملها". ولكن المراد بالحديث هنا حديث النفس، جمعًا بينه وبين قوله: "ما لم تكلّم به أو تعمل"، وحديث أبي كبشة يدلُّ على ذلك صريحًا، فإنَّ قول القائل بلسانه: "لو أنَّ لي

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٢٨ و٢٥٢٩ و٦٦٦٤، ومسلم ١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣١، ٦٨٧٥، ٧٠٨٣، ومسلم ٢٨٨٨.

(٣) هو جزء من حديث أبي كبيشة الأنماري مطولاً، أخرجه الترمذي ٢٣٢٥ وابن ماجه ٤٢٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٨٩٤).

مالاً، لعملتُ فيه بالمعاصي، كما عمل فلانٌ"، ليس هو العمل بالمعصية التي همَّ بها، وإنَّما أخبر عمَّا همَّ به فقط مما متعلقه إنفاقُ المال في المعاصي، وليس له مالٌ بالكلية، وأيضًا، فالكلام بذلك محرّمٌ، فكيف يكون معفوًّا عنه، غير معاقَبٍ عليه؟...).

وأما إن انفسخت نيته، وفترت عزيمته من غير سبب منه، فهل يعاقب على ما همَّ به من المعصية، أم لا؟ هذا على قسمين:

أحدهما: أن يكون الهم بالمعصية خاطرًا خطر، ولم يساكنه صاحبه، ولم يعقد قلبه عليه، بل كرهه، ونفر منه، فهذا معفو عنه، وهو كالوساوس الرديئة التي سئل النبي ﷺ عنها، فقال: ((ذاك صريح الإيمان))[1].

ولما نزل قوله تعالى: "إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله" دليل على اعتبار النية، وأن النية قد توصل صاحبها إلى الخير[2].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٢١-٣٢٣، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١/٣٤٢-٣٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٣٩.

الحديث رقم (١٢)

١٢- وعن أبي عَبْد الرَّحْمَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخطَّابِ، رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ[١] مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ[٢] الْمبيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجبلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ الْغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا الله بصالح أَعْمَالكُمْ.

قال رجلٌ مِنهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لاَ أَغبِقُ قبْلَهما أَهْلاً وَلا مالاً فنأَى بي طَلَبُ الشَّجرِ[٣] يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحلَبْت لَهُمَا غبُوقَهمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِيْنِ، فَكَرِهْت أَنْ أُوقظَهمَا[٤] وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ - وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي- أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الْفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِيَّ[٥] فَاسْتَيْقظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَة، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ.

قَالَ[٦] الآخَرَ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ[٧] كَانتْ لِيَ ابْنَةُ عمٍّ كانتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ» وفي رواية: «كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشد مَا يُحبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءِ[٨]، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا ففَعَلَت، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا» وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: اتَّقِ

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (رهط)، وبهذا اللفظ برقم (٣٤٦٥)، و(٥٩٧٤).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أووا).

(٣) لفظ البخاري في هذه الرواية: (في طلب شيء)، وعنده برقم (٥٩٧٤) (وإنه ناء بي الشجر).

(٤) لفظ البخاري في هذه الرواية (أن أغبق) فقط، بدون: (أن أوقظهما)، وهذه الزيادة عند البخاري برقم (٢٢١٥)، و(٢٣٣٣).

(٥) قوله: (والصبية يتغاضون عند قدمي) لا يوجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٢٢١٥)، و(٢٣٣٣)، و (٥٩٧٤).

(٦) عند البخاري في هذه الرواية قبلها زيادة: (قال النبي @).

(٧) (إنه) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٥٩٧٤)

(٨) هذه الزيادة عنده برقم (٢٢١٥).

اللهِ[١]، ولا تَفُضَّ الْخاتَمَ إلاَّ بِحَقِّهِ[٢]، فانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتركْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فانفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا.

وقَالَ[٣] الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجراءَ وَأَعْطَيْتُهمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذي لَه وذهب، فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ[٤]: كُلُّ مَا تَرَى منْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالرَّقِيق فقال: يا عَبْدَ اللَّهِ لا تَسْتَهْزِئْ بي، فَقُلْتُ: لاَ أَسْتَهْزِئُ بك، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْه شَيْئًا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتغَاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فخرَجُوا يَمْشُونَ» متفقٌ عليه[٥].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: صحابيٌّ جليل، من أعز بيوتات قريش، وهو: عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نُفَيل، القرشي، العدوي، المكي، ثم المدني، يكنى بأبي عبدالرحمن.

أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحُلُمَ بعد، وهاجر إلى المدينة قبل أبيه، لم يشهد بدرًا، واختلف في حضوره غزوة أحد، والصحيح أن أول مشاهده الخندق، وشهد الحديبية وكان ممن بايع رسول الله ﷺ وشهد غزوة مُؤتة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، أدرك فتح مكة وهو ابن عشرين سنة، كما شهد اليرموك، وفتح مصر، غزا إفريقية مرتين، مرة مع عبدالله بن سعد بن أبي السرح، ومرة مع معاوية بن حديج سنة (٣٤)، كما قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازيًا.

---

(١) هذه الزيادة عنده برقم (٢٢١٥).

(٢) في هذه الرواية زيادة: (فتحرجت من الوقوع عليها).

(٣) في هذه الرواية قبلها زيادة: (قال النبي ﷺ).

(٤) في هذه الرواية زيادة: (له).

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٧٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٣/١٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (١).

وكان رضي الله عنه جريئًا جهيرًا -نشأ في الإسلام- معدودٌ في أهل العلم من الصحابة، رَوَى عن رسول الله ﷺ ورُوي عنه، له في كتب الحديث (٢٦٣٠) حديثًا، قال ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي جعفر قال: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا أحذر أن لا يزيد فيه ولا ينقص منه، ولا، ولا ... من عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وعن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر يُعد من فقهاء الأحداث، وقال مالك قد أقام ابن عمر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك، وكان من أئمة المسلمين، وكان رضي الله عنه كثير الإتباع لرسول الله ﷺ حتى أنه لينزل منازله، ويصلي في كل مكان صلّى فيه، وحتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهدها بالماء لئلا تيبس.

وكان مضرب المثل في العبادة، أثنى عليه رسول الله ﷺ، فروى أنه ﷺ قال لزوجه حفصة بنت عمر رضي الله عنها أخت عبدالله: ((نعم الرجل عبدالله، لو كان يصلي من الليل، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً))[1] كما كان من أهل الورع، فكان شديد التحري والاحتياط والتوقي في فتياه، وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنه ((ما منا أحد إلا مالت به الدنيا وما بها ما خلا عمر وابنه عبدالله، وقال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس، وكان قد أشكلت عليه حروب عليّ رضي الله عنه، وقعد عنها تورعًا، ثم ندم على ذلك حين حضرته الوفاة، وقال ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ، وقال: "كففت يدي فلم أُقْدِم، والمقاتل على الحق أحق"، ولشدة ورعه ترك المنازعة في الخلافة، مع كثرة ميل أهل الشام إليه ومحبتهم له.

أما عن صفاته الخَلقية فكان ربعة[2]، جسيمًا[3]، آدم[4]، يتزر إلى أنصاف ساقيه، وكان يخضب بالصُفرة وله جُمَّة.

---

(١) الربعة: المتوسط الطول في القامة، المعجم الوجيز في (ر ب ع).

(٢) الآدم: من اشتدت سمرته، المعجم الوجيز في (آ د م).

(٣) الجُمّة: عظم الرأس، المعجم الوجيز في (ج م م).

(٤) أخرجه البخاري ١١٢٢.

وكان قد كف بصره في آخر حياته، ومات بمكة سنة (٧٣) بعد قتل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما بثلاثة أشهرٍ وقيل لستة أشهر، وكان قد أوصى أن يدفن في الحِلِّ فلم يُقْدَر على ذلك من أجل الحَجّاج، ودفن بذي طُوى في مقبرة المهاجرين، وسبب موته أن الحجاج أمر رجلاً فسمَّ زُجّ رمحه وزحمه في الطريق، ووضع الزج في ظهر قدمه، فمرض منها أيامًا ثم مات رضي الله عنه وهو ابن (٨٦) سنة، وصلى عليه الحجاج[١].

غريب الألفاظ:

آواهم المبيت إلى غار: أي دفعهم طلب البيات إلى أن يلجأوا إلى الغار[٢].

لا أَغْبُق قبلهما أهلاً ولا مالاً: أغبق أهلاً: أسقيهم الغَبُوق، و المال: الإبل: يعني يُرضع صغارها من أمهاتها. والغَبُوق: شُرْب اللبن العشاء، والصَّبُوح: شرب أول النهار[٣].

فنأى بي طلب الشجر: نأى: بعُد، والمراد: أنه بعد به طلب الرعي (الشجر) لغنمه عن المكان الذي اعتاده[٤].

أرح عليهما: أرجع إليهما[٥].

برق الفجر: طلع وظهر[٦].

يتضاغون: يصيحون ويستغيثون من الجوع[٧].

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/٣٧٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤١٩-٤٢١، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣/٣٣٦-٣٤١، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٠٨-٨١١، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣/٢٠٣-٢٣٩، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤/٢١٧-٢١٩، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٨٩، ٣٩٠، الأعلام، خير الدين الزركلي ٤/١٠٨، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢/١٢٤١-١٢٤٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٨٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (غ ب ق).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٨٧.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي في (ر و ح).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي والقاموس المحيط في (ب ر ق).

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٧.

ألمَّت: نزلت بها[١].

السنةُ: الجدب والفقر[٢].

الخاتم: البكارة؛ لأنها كانت عذراء[٣].

فثمرت أجره: كثّرته بالزرع أو التجارة ونحو ذلك[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يقدم درسًا إيمانيًا عظيمًا في ضرورة إخلاص النية ثم ترجمتها إلى عمل صالح، وهذا الدرس النبوي التربوي النموذجي يتخذ صيغة جديدة مشوقة ممتعة هي الصيغة القصصية، وفي القصص عبرة وقدوة وموعظة وأسوة، فالقصة فن التشويق والإمتاع والفائدة والإقناع.

وهذا الحديث الشريف نموذج للقصص النبوي الهادف الذي ينبع من آفاق التصور الإسلامي والواقع التاريخي، ويمثل الصراع بين قوى الخير وقوى الشر في النفس الإنسانية، ويزكى جانب الخير ويحث عليه في أسلوب مشوق، وهو بيان جزاء كل شخصية حسب عملها الذي قدمته.

والقصص النبوي له نسيج خاص وبناء متميز حيث يعتمد على المقدمات القصيرة وقد تبدو عقدة القصة في المقدمة، ويتخذ من تصعيد العُقد وتتابع المفاجآت وظهور الخوارق طريقًا للحل العادل، وتشويقًا للقارئ والسامع، وزيادة في الإقناع والإمتاع، وتأكيدًا للتأثير في النفوس والقلوب.

والقصة في بنائها الفني تتكون من شخصيات، وأحداث، وحوار، وعقدة، ولحظة تنوير، أو حل لما جاء في القصة من أحداث معقدة، وهذا الحل يمثل النهاية المصيرية

---

(١) اللسان والقاموس والوسيط في (ل م م).

(٢) اللسان والقاموس والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ن ن).

(٣) اللسان والقاموس والوسيط في (خ ت م).

(٤) اللسان والقاموس والوسيط في (ث م ر).

لكل شخصية حسب مكانها ودورها في القصة، وهذه المقدمات تقدم في أسلوب قصصي يعتمد على الحكاية والتشويق والتأثير والفائدة؛ وحين نتأمل مشاهد القصة في هذا الحديث الشريف حسب الرواية الموجودة ندرك أن القصة سماعية: حيث سمعها الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الذي حج ستين حجة واعتمر ألف عمرة وأفتى في الإسلام ستين سنة، وحمل على ألف فرس في سبيل الله.

وتتكون القصة من ثلاثة شخصيات لم تحدد أسماؤهم، ولم يحدد زمن وقوع هذه الحادثة، ولم يعين مكان وقوعها؛ وذلك لأن العبرة هي المقصود الأسمى من القصة، وتأكيد الثمرة الطيبة للنية الخالصة، والعمل الصالح هو الهدف من تقديم هذا الدرس الإيماني والأخلاقي العميق.

وجانب الإيحاء والرمز في القصص النبوي عامة -وفي هذه القصة بصفة خاصة من أدق الخصائص والسمات، فالقصص النبوي لا يسهب في الوصف، ولا يعني بتحديد الزمان ولا المكان، وإنما تصبح القصة نموذجًا سلوكيًا يتكرر في كل زمان وفي كل مكان، وثمرة القصة ونتيجتها ضوء إيماني يسير في طريقه كل من ينشد طريق الحق، وينأى عنه كل من اتبع هواه فأضله الله.

وفي ظل هذا التصور يظل القصص النبوي تصويرًا لأدواء النفوس البشرية، وعلاجًا ناجعًا لهذه الأدواء في ظل المنهج الإسلامي السديد.

وتبدأ القصة بالأزمة والعقدة التي تحتاج إلى حل، فالأشخاص الثلاثة يسعون على رزقهم، وحينما يُجنَّهم الليل لا يجدون غير غار يؤويهم، ودخلوا هذا الغار وتحدث المفاجأة التي لم يتوقعوها، حيث تسد باب الغار صخرة انحدرت من الجبل ولنتأمل دقة البيان النبوي الكريم في قوله: "حتى آواهم المبيت إلى غار" وحتى هنا توحي بالمسير والحركة، وأن هؤلاء الثلاثة لجأوا إلى الغار بعد إرهاق وتعب وكلل ونصب، ويشع بهذا المعنى قوله: "آواهم المبيت " أي: اضطرهم إلى دخول الغار حيث لم يجدوا مأوى غيره وتنكير لفظ "غار" يوحي بعدم تحديد هذا الغار، وعدم حرصه صلى الله عليه وسلم على تحديد المكان والزمان؛ لأن القصة يمكن أن تتكرر ولا ينفع الإنسان إلا ما قدم من عمل صالح.

والدرس الإيماني يتجلى في موقف هؤلاء الثلاثة حين حلت بهم هذه الكارثة، فالموت مصيرهم، والهلاك نهايتهم، وهذا الدرس يتمثل في ثبات المؤمن عند الشدائد، ولجوئه إلى ربه في مثل هذه المواقف، ولنتأمل كيف استقبل هؤلاء المحاصرون المسجونون في الغار هذا الحدث الجسيم إنهم استقبلوه بالحكمة، وبميراثهم من الأعمال الصالحة، وبالدعاء الخالص لله عز وجل، والدعاء منهج إسلامي اتباعًا لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

ويجيء الحل في صورة جماعية فكلهم له ميراث من صالح الأعمال.

فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

ولم يعترض أحد ولم يفزع ولم ييأس منهم أحد؛ لأنهم اطمأنوا إلى رحمة ربهم وفضل خالقهم فماذا قدم الأول من صالح الأعمال؟ إنه صوّر مشهدًا فريدًا من مشاهد البر بالوالدين: طاعة واحترامًا وبرًا وعطفًا ورعاية وتقديرًا: حيث يحكي قصة من قصص هذا البر في ذلك المشهد الرائع ومن ملامحه إنه كان لا يشرب اللبن في المساء قبل أبيه وأمه "كنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً" وحين يتأخر عنهما ذات ليلة لظروف اضطرارية، وليس إهمالا لهما يجدهما نائمين ولكن يأبى أن يقدِّم على أبيه أهله وماله، والأطفال يتضاغون أي: يصيحون من الجوع لأنه ظل مستيقظًا حتى الفجر حاملاً القدح على يده برًا بأبويه، وحين استيقظا شربا غبوقهما؛ ولأن النية خالصة لوجه الله استجاب الله لدعائه، وانفرجت الصخرة ولكن بمقدار الثلث؛ ويبقى الآخران فماذا قدما من عمل صالح؟

ويصور الثاني مشهدًا من مشاهد العفاف وصون الأعراض، والمحافظة على ذوي الأرحام والقربات ويروي ويتذكر قصته مع ابنة عمه فهو يحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، ولا يوجد أبلغ من هذا التعبير الدقيق في تصوير العاطفة الجامحة بين فتى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

وفتاة، ويحرك الشيطان رغبته وينسى في غمرة هذه الرغبة قرابته وعفته، فيراود ابنة عمه عن نفسها، ولكنها تأبى أن تنزلق معه في مهاوي الشيطان، ولا تستجيب لإغراءات الفجور والعصيان، وتتطور الأحداث وتقع هذه الفتاة في ذل الحاجة، وتضطر لأن تمد يدها لابن عمها طالبة المساعدة المادية حتى تسد رمقها، ولكن الشيطان يتحرك من جديد في دم هذا الفتى المحب: فيمزق كل روابط القرابة، ولا يَرْعى حقوق ذوي الأرحام، ويتعقد الحدث وتتفاقم الأزمة حين تستسلم الفتاة في بادئ الأمر استسلامًا شكليًا ظاهرًا، ولكن نيتها معقودة على التمنع وحفظ الرحم، ولنتأمل هذا الخطاب البليغ الذي يبوح بكل المشاعر النفسية المؤمنة "اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه إن هذه الكناية الجميلة المؤثرة، ترشدنا إلى ضرورة اختيار العبارات الموحية المؤثرة والبعد عن التصريح بالألفاظ الحسية التي تخدش الحياء وتعمل على إشاعة الفحشاء.

ويستجيب الله سبحانه وتعالى وتنفرج الصخرة التي تحركت بأمر مَنْ خلقها وأمرها وجعلها تسبح بحمده، ولكن لم يأت الفرج فالباب مازال ضيقًا، والصخرة مازالت تسد جزءًا من باب الغار بحيث لا يتسع للخروج.

ويتذكر الثالث عمله الصالح، ويقدم درسًا اجتماعيًا ودينيًا في أداء الأمانة، وإتقان العمل، وحفظ مال الشريك وتنمية مال الأجير، وحين يغيب الأجير لا يأخذ أجره، لا يكتفي صاحب العمل بحفظ الأجر فقط، ولكنه ينمي له هذا المال القليل حتى يصير واديًا من الإبل والبقر يقول: فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال وحين عاد صاحب الأجرة قال له صاحب العمل: (كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق) فأخذه كله فلم يترك منه شيئًا!!!.

ويدعو هذا الرجل الأمين ربه بأن يفرج الكرب إذا كانت نيته خالصة لوجه الله، فانفرجت الصخرة: فخرجوا يمشون.

ما أجمل هذه المشاهد السلوكية، وما أعمق هذه الدروس الاجتماعية التي قدمتها هذه القصص الحقيقية الناطقة بالحكمة والفضيلة، وما أجدر المسلمين في كل مكان وزمان بالإصغاء إلى هذه الدروس النبوية الشافية الوافية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم بر الوالدين، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن بر الوالدين واجب ما داما يأمران بالمعروف فإن كان أمرهما بمعصية فلا طاعة لهما، وأن من أكبر الكبائر عقوق الوالدين.

الثاني: حكم إعطاء الأجير أجره، وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه يجب على المستأجر أن يعطي الأجير أجره بعد تمام العمل المؤجر عليه، ويحرم عليه أن يمنعه إياه، أو يؤخره عنه إلا برضاه.

الثالث: حكم جريمة الزنا، وقد اتفق الفقهاء[٣] على أن الزنا من أكبر الكبائر وأن مرتكبه يقام عليه حد الله سواء أكان محصنًا أم غير محصن ولكل عقوبته

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢٧٤/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع، الكاساني ٩٨/٧، شرح السير الكبير على مختصر خليل، أبو البركات أحمد بن محمد الدردير ١٩٢/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢٩٠/٢، أحكام القرآن لابن العربي ٥٤٤/١ وما بعدها، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٤٨٦/٢، مغني المحتاج ٥٧٤/٣، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ١٦٣/١ وما بعدها، الفتاوى الكبرى ١٨٤/١، الفروع، ابن مفلح ١٩٩/٦، المغني، ابن قدامة ١٧٠/٩.

(٢) المبسوط، السرخسي ٧٤/١٥، بدائع الصنائع، الكاساني ١٧٤/٤، الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٤٣٧/١، شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٧٣/٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٦٨٦/٣، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ١١٨/٢.

(٣) تبيين الحقائق، الزيلعي ١٧٥/٣، بدائع الصنائع، الكاساني ٣٣/٧، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣١٣/٤، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٩٠/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١٢٥/٤، تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ١٠١/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٨٩/٦، شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٤٣/٣ وما بعدها.

التي قررها الشرع الشريف.

الرابع: حكم بيع الفضولي، وقد اختلف الفقهاء في حكم بيع الفضولي، فذهب الحنفية والمالكية[١] إلى أن بيع الفضولي جائز ويتوقف على إجازة المالك فإن شاء أمضى البيع وإن شاء رده، وذهب الشافعية والحنابلة[٢] إلى أن بيع الفضولي باطل ويفسخ ولا يصح بإجازة أو غيرها لأنه بيع فيما لا يملك[٣].

والراجح: القول الأول، لأنه لا ضرر فيه على البائع، لأن البيع لا ينفذ إلا بإجازته فإن أجازه نفذ وإلا فسخ.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اللجوء والتضرع إلى الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل الصالح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الأعمال.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل العفة والخوف من الله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل إعطاء الأجير حقه.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

حيث جاء في الحديث "انطلق ثلاثة نفر" وذكر النبي ﷺ قصة هؤلاء الثلاثة نفر.

---

(١) بدائع الصنائع، الكاساني ١٤٧/٥ وما بعدها، تبيين الحقائق، الزيلعي ١٠٣/٤، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٤٠/٤، شرح الخرشي ١٨/٥.

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١٠/٢، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٤٠٦/٢، حاشيتا قليوبي وعميرة ٢٠١/٢، شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٩/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٥٨/٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٩ وما بعدها.

ومما لاشك فيه أن القصة وسيلة هامة من وسائل الدعوة حيث (تمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية، وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع، استشرافًا لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء)[١].

ومن أفضل أنواع القصص وتأثيره في نفس الإنسان هو قصص القرآن والسنة (فقصص القرآن والسنة مزيج من العقيدة والمعرفة ومن العاطفة والفكر، والحق والجمال، فهو لم ينس حظ العقل من حكمة وعبرة، ولا حظ القلب من ترقيق وتحذير)[٢]. فعلى الدعاة إلى الله استخدام القصة كوسيلة من وسائل الدعوة بما فيها من عبرة وعظة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[٣]. وقد كانت القصة في هذا الحديث وسيلة دعوية مهمة، ثَمَّ من خلالها التأكيد على أهمية إخلاص النية لله تعالى في كل عمل يقوم به الإنسان، لأن الأعمال الخالصة تكون سببًا في النجاة في الدنيا والآخرة، وقد بينت القصة أهمية الإخلاص من خلال ما دار من أحداث بين أطرافها، حيث تقرَّب كل واحد منهم بعمله الصالح راجيًا رحمة الله تعالى، طامعًا في تخفيفه سبحانه ما هم فيه من ضيق وشدة، لذا يحسن بالداعية أن يفيد من مثل هذه القصص النبوي في مجال الدعوة إلى الله تعالى ومعالجة الأمور.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اللجوء والتضرع إلى الله:

حيث جاء في الحديث "إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله" ويظهر أيضًا من لجوء الثلاثة نفر إلى دعاء الله سبحانه، ومما لاشك فيه أن المسلم ينبغي أن

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٢٧٩.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

يتوجه إلى الله بالدعاء في كل وقت وخاصة عند الشدة وقد أخبر سبحانه أنه قريب من عباده ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

وأخبر عن نفسه أنه يجيب دعوة المضطر ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2] وكان هذا حال الأنبياء دائمًا يلجؤون إلى الله عند الشدائد، فلما لجأ إبراهيم عليه السلام إلى الله أنجاه الله من النار ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[3]، وكان حال موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[4]، ويونس عليه السلام، لما التقمه الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] وامتن الله على عباده بأنه هو الذي ينجيهم من الكربات ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[6] ولذا كان من تعليم الرسول لابن عمه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن قال له ((احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، وإذَا سألْتَ فاسألِ الله، وإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله))[7].

قال ابن رجب الحنبلي: (واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٦٨، ٦٩.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٦١، ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧، ٨٨.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٦٣.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي٢٠٤٣).

على دفع هذا الضرر، ونيل المطلوب وجلب المنافع، ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده، لأنه حقيقة العبادة، والله سبحانه يحب أن يُسأل ويُرغب إليه في الحوائج، ويُلَحَّ عليه في سؤاله ودعائه، ويغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء والمخلوق بخلاف ذلك كله: يكره أن يُسأل، ويحب أن لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته، وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق؛ فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمل الصالح:

جاء في الحديث "إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم" وذكر كل منهم عملاً صالحًا له ففرج الله عنهم. قال الإمام النووي: (ويستدل من هذا الحديث على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه، وفي دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل إلى الله تعالى به لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم)[٢].

وقد مدح الله الذين يعملون الصالحات فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[٤] وأخبر الرسول ﷺ أن خير ما يوفق إليه الإنسان هو العمل الصالح ففي الحديث ((إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ، فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يا رسولَ الله؟ قال: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ المَوْتِ))[٥].

---

(١) جامع العلوم و الحكم، ابن رجب ٤٨١/١، ٤٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٨٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ٣٠.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ١٠٦/٣ رقم ١٢٠٣٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٩٤/١٩.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين:

جاء في الحديث "اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً" قال ابن علان: (وفي تقديم النبي لعمل هذا الرجل على الرجلين بعده إشارة إلى شرف بر الوالدين، والاهتمام بشأنهما فإن التقديم في الذكر يكون للاهتمام وفي الحديث فضيلة بر الوالدين وفضل خدمتهما وإيثارهما على من سواهما من الولد والزوجة)[1] وقد وصى القرآن الكريم ببر الوالدين في غير ما موضع قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2] وقال جلّ شأنه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[4] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[5].

قال الطاهر ابن عاشور: (وعطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادة الله، لأن الله هو الخالق فاستحق العبادة لأنه أوجد الناس. ولما جعل الله الوالدين مظهر إيجاد الناس أمر بالإحسان إليهما فالخالق مستحق العبادة لغناه عن الإحسان، ولقد جبل الله الوالدين على الشفقة على ولدهما فأمر الولد بمجازاة ذلك بالإحسان إلى أبويه، وشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال والبذل والمواساة، وإذا بلغ أحد الوالدين أو كلاهما حد الكبر وهما عندك، وفي كفالتك فوطئ لهما خلقك ولين جانبك وخص حالة الكبر بالبيان لأنها مظنة انتفاء الإحسان بما يلقى الولد من أبيه وأمه من مشقة القيام بشؤونهما ومن سوء الخلق

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٨.

منهما)[١].

وقد جعل الله تعالى شكر الوالدين في المرتبة الثانية بعد شكره سبحانه، فقال جلّ شأنه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الأعمال:

حيث جاء في دعاء كل واحد منهم "اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة" قال الإمام ابن حجر: (وفي الحديث فضل الإخلاص في العمل قال السبكي الكبير: وعلى الشخص أن يعتقد تقصيره في نفسه ويسيء الظن بها، ويبحث كل واحد من عمله ما يظن أنه أخلص فيه فيفوض أمره إلى الله ويعلق الدعاء على علم الله به فإن لم يغلب على ظنه إخلاصه، ولو في عمل واحد فليقف عند حده ويستحي أن يسأل بعمل ليس بخالص)[٣].

هذا وقد أمر الشرع الحنيف بالإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[٤] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٥].

قال السيد سابق: (والاتصاف بصفة الإخلاص والصدق يكسب الفرد النجاح والظفر، والجماعة التي تتألف من أفراد مخلصين، تتجه إلى الخير، وتتنزه عن الدنايا، وتترفع عن شهوات الدنيا، وتسير إلى غاياتها تظللها المحبة ويعمها الأمن والسلام ولقد كان التحلي بحلية الإخلاص سببًا في تطهير أنفس الصحابة من الرياء والنفاق والكذب فاندفعوا إلى غاياتهم الكبرى ينشدون إقامة الحق والعدل، ويبتغون وجه

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٦٨/١٥/٦، ٦٩.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٩/٦.

(٤) سورة البينة، آية: ٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ١١٠.

الله، وإعلاء كلمته فمكّن الله لهم في الأرض وجعلهم قادة الدنيا وسادة العالم، والأعذار التي تحول بين الإنسان وبين ممارسة الأعمال الصالحة لا تنقص من مكانته عند الله ما دام مخلصًا)[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل العفة والخوف من الله:

حيث جاء في الحديث "إنه كانت لي ابنة عم... فلما قعدت بين رجليها قالت: اتّق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي" قال ابن عثيمين: (وهذا توسل إلى الله بالعفة التامة، وهذا يدل على فضيلة العفة عن الزنا، وأن الإنسان إذا عف عن الزنا مع قدرته عليه فإن ذلك من أفضل الأعمال)[٢].

هذا وقد جعل الرسول الكريم ﷺ من يتحلى بالعفة ممن يظله الله في ظله ففي الحديث ((سَبعةٌ يُظلُّهمُ اللَّهُ تعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلّهُ: ... ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ فقال: إني أخافُ اللَّهَ))[٣].

ووعد الله بالأجر الكبير لكل من يخافه ويتقيه قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[٥].

قال ابن القيم: (والخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف وقيل: الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام، وهذا سبب الخوف لا أنه نفسه وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر،

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٤١/١.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٤) سور النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٥) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه. وقال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب، وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق، والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط قال أبو عثمان: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرًا وباطنًا. قال ابن تيمية: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله)[1].

حيث جاء في الحديث "اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ... فجاءني بعد حين فقال: (يا عبدالله أدِّ إلي أجري فقلت: كل ما ترى من أجرك) وقد أمر الرسول الكريم بإعطاء الأجير أجره ففي الحديث ((أَعْطُوا الأجيرَ أَجْرَهُ، قبلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))[2] وجعل الرسول ﷺ من يمنع حق الأجير بأنه خصمه يوم القيامة ففي الحديث ((قال اللهُ تعالى: ثلاثةٌ أنا خَصمُهمْ يومَ القِيَامةِ: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غَدَر، ورجلٌ باعَ حُرًّا فأكلَ ثمَنَهُ، ورجلٌ استأجَرَ أجيرًا فاسْتوفى منهُ ولم يُعطهِ أجرَه))[3]. وقد أبرز النبي ﷺ فضل إعطاء الأجير حقه، وبين أن ذلك من أسباب تفريج الكروب وتيسير الأمور، ومما يُتقرب به إلى الله تعالى، حيث تضرع الرجل بعمله هذا الذي ابتغى به مرضاة ربه، طمعًا في تفريج كربته وكربة إخوانه ممن حُبسوا في الغار، ويحسن بالداعية أن يبرز فضل مثل هذا السلوك الإيجابي والإيماني خاصة في هذا العصر الذي أصبحت فيه فئة من الناس تتفنن في أكل حقوق العمال والأجراء مستغلة سيطرتها وسطوتها، وما خُوِّل لها من صلاحيات، فالأحرى بهؤلاء وبغيرهم ممن تتطلع نفوسهم إلى مثل هذا السلوك المشين أن يخافوا الله تعالى، ويتقربوا إليه بأداء الحقوق لأصحابها، وعدم ظلم الناس.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٣٩/٢، ١٤٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٤٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨٠).

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٧٠.

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث "فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون" ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة حيث تميل النفس دائمًا إلى ما يسرها والترغيب يحفز النفس إلى العمل الصالح، وينهض بهمة الإنسان في الطاعات. (والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وأسلوب الترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا، يأتي بشيرًا ونذيرًا فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها، ونور الحق يدفئها)[1].

إن أسلوب الترغيب المستنبط من هذا الحديث يحمل كل مؤمن إلى المسارعة إلى مثل هذه الأعمال الصالحة من بر الوالدين والعفة عن محارم الله وتقوى الله، والبعد عن الفواحش، وكذلك عدم ظلم الناس بأكل حقوقهم سواء كانوا عمالاً أو غير ذلك، حيث كانت هذه الأعمال الخالصة سببًا في تفريج الكروب، مما يعد حافزًا للاستزادة من هذه الأعمال وغيرها مما يدخل في عدادها، للتقرب إلى الله تعالى واستحقاق رحمته سبحانه.

---

(١) الدعوة إلى الله الرسالة الوسيلة الهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩، ٢٠٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

جاء الإسلام ليربي الإنسان على مكارم الأخلاق، ويهذب النفس البشرية من خلال تلك الأنماط السلوكية التي يتم غرس أصولها في نفس المؤمن، ومن عظمة الإسلام أنه لا يميل إلى ناحية التنظير - التي تجعل الناس يختلفون في عملية التطبيق- وإنما يعمل على تنزيل تلك المبادئ التي يدعو إليها - على الواقع العملي للناس بأن يربيهم على ذلك مع تنوع ميادين التربية.

ولذا يحسن بنا في مستهل الحديث عن المضامين التربوية للباب الأول من كتاب رياض الصالحين - باب الإخلاص وإحضار النية- أن نشير إلى مفهوم التربية الإسلامية، حيث تعتبر التربية الإسلامية الوسيلة الفعّالة لتحقيق أهداف الإسلام لإعداد الإنسان الصالح الذي يعبد الله حق عبادته.

وإن محتوى التربية الإسلامية هو الإسلام حيث تترجم حقائقه بدون زيادة ونقصان إلى مواقف سلوكية في حياة المسلم، ليسير الإنسان في حياته على منهج الله الذي ارتضاه لخلقه[1].

ومن تعريفات التربية الإسلامية: "أنها تلك المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية التي يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك المرء سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام"[2].

ومن تعريفات التربية الإسلامية: أنها تنشئة وتكوين إنسان سليم مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحية والعقلية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي بها الإسلام[3].

---

(١) انظر: التربية الإسلامية مفهومها - مصادرها، أسسها وأهدافها، ميادينها أساليبها وخصائصها، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص٥، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٢) عرض وتحليل كتاب: أصول التربية الإسلامية، د. إسماعيل علي ص٩٢، نقلاً عن التربية الإسلامية.

(٣) أهداف التربية الإسلامية، مقداد يالجن ص٢٠.

هذه بعض التعريفات للتربية الإسلامية، والتي تعني ترجمة حقائق الإسلام إلى مواقف سلوكية في ضوء مبادئ وقيم الإسلام ليسلك المسلم سلوكاً يتفق مع ما جاء به الإسلام.

أما بالنسبة لأحاديث الباب الذي معنا فهي عن الإخلاص وإحضار النية، وتتضمن عددًا من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: تحقيق الإخلاص واستحضار النية الصالحة:

لا شك أن التربية الإسلامية تهدف إلى تحقيق عدد من الأهداف الرئيسة في حياة المسلم والتي من جملتها: تحقيق الإخلاص واستحضار النية الصالحة في سائر الأعمال، وقد كان في طليعة أحاديث هذا الباب قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات ...))، حيث أكد النبي ﷺ في هذا الحديث على أهمية تربية النفس على استحضار النية الصالحة في كافة الأعمال، ثم جعل الهجرة كميدان تطبيقي لما يستصحبه الإنسان من نية، وهذا أمر تربوي عظيم ينبغي للمسلم أن يستشعره في حياته، حتى ينشأ ويتربى على الإخلاص في كل عمل يقوم به، وبيّن ﷺ أهمية النية واستصحابها من خلال أحاديث هذا الباب الذي أخبر فيه النبي ﷺ بالجيش الذي يغزو الكعبة وأنه سيخسف بأولهم وآخرهم وفيهم من ليس منهم، فبيّن ﷺ أنهم سيبعثون على نياتهم، مما يؤكد أهمية التربية الإسلامية -في تأصيل إخلاص النية لله تعالى، وأن النية تدفع بالمؤمن إلى المنازل الرفيعة حتى وإن قعدت به الأسباب المادية-.

ثانيًا- من أسس التربية الإسلامية: تعميق الصلة بين الإيمان والعمل:

إن أسس التربية الإسلامية أنها تربي الإنسان تربية روحية "عقائدية" عن طريق تكوين الرغبة في الاعتقاد وتثبيت العقيدة، وبيان التكافل بين الإيمان والعمل الصالح والإخلاص، وأداء الواجب.

إن طريقة عقد الصلة بين الإيمان والعمل الصالح من الطرق التي تتبعها التربية الإسلامية في تربية المسلم تربية روحية ... وعلى طريق التكامل بين الإيمان والعمل الصالح والإخلاص وأداء الواجب، يتم عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وبين الله تعالى

في كل لحظة، في كل عمل وكل فكرة وكل شعور، وذلك عن طريق إثارة حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه، وإثارة وجدان التقوى والخشية الدائمة لله ومراقبته في كل عمل...

إن الضمير هو الأساس المهم من أسس تربية الخلق، فهو يرتبط مباشرة بالإيمان بالله تعالى، لأن الله تعالى هو الذي يعلم ما في السرائر، ويعرف خبايا النفوس، وإن النبي ﷺ حينما يركز على أهمية النية في الأعمال، فإنما يضع أساساً لتربية الضمير المستمدة من الإيمان بالله ... لأن كل سلوك يسلكه الإنسان في حياته قولاً وفكراً وعملاً والضمير ليس متوارثاً، بل يتأتى بالتربية والتدريب والتثقيف، فالضمير هو الوازع النفسي القوي الذي يكون للإنسان بمثابة المرشد لسلوكه في الحياة يبصره بعواقب أفعاله.

وقد كان الرسول ﷺ يربي ضمير المسلم[1].

ثالثًا- بيان أن الإخلاص سبب في قبول الأعمال والنجاة في الدنيا والآخرة:

إن الأعمال الصالحة المقبولة عند الله تعالى هي التي تقصد بها وجه الله تعالى وحده، فلابد فيها من النية الخالصة، ثم أن تكون موافقة للسنة مطابقة لأحكام الشريعة، أما إذا كانت الأعمال ظاهرها الصلاح والموافقة للشريعة، ولكن القصد منها المراءاة وحسن السمعة بين الناس، فمثل هذه الأعمال التي لم يرد بها وجه الله تعالى، ينال صاحبها جزاءه في الدنيا وتحبط في الآخرة، لكن إذا أخلص الإنسان في عمله الصالح واستحضر عند عمله النية، فلابد أن ينظر إلى مطابقة عمله للشريعة، لأن العمل لا يكون صالحاً إذا خالف الشريعة، وليس بصادق من ادعى محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ثم خالف حكمها...[2].

ولذا فإن هؤلاء الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فسقطت صخرة فسدت فتحة الغار، وليس لهم منفذ إلا الله تعالى، فإذا بهم يضرعون إلى الله تعالى ويتقربون إليه

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، أ. عبد الجواد السيد بكر، ص١٨١، ١٩٧، ٢٣١.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٦٩-٧٠.

سبحانه بصالح عملهم الذي كان ثمرة لتربية أنفسهم على الإخلاص والتوجه لله وحده بالعمل الذي لا يبتغى به الأجر إلا من الله تعالى، وأخذ كل واحد منهم يذكر ما قام به من عمل ابتغاء مرضاة الله تعالى ويقول: "اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فكانت الصخرة تنفرج حتى انفرجت وخرجوا جميعاً...".

إن تفريج تلك الكربة كان بفضل الله تعالى أولاً، ثم بهذا الإخلاص الذي تربَّت عليه تلك النفوس المؤمنة، مما يجعل المسلم يحرص أشد الحرص على التزام الإخلاص والنية الصالحة، وتحري ذلك في كافة شؤونه وأحواله، وتربية أولاده عليه.

لأن من ثمرات الإخلاص وصلاح النية قبول العمل والنجاة في الدنيا والآخرة.

۞ ۞ ۞

٢- باب التوبة

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لاَ تَتَعلَّقُ بحقّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أحَدُها: أنْ يُقلِعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

والثَّالثُ: أنْ يَعْزِمَ أَنْ لا يعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا. فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوبَتُهُ.

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتَعَلقُ بآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقّ صَاحِبِها، فَإِنْ كَانَتْ مالاً أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانَت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنْهَا. ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي. وَقَدْ تَظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكتَابِ والسُّنَّةِ، وإجْمَاعِ الأُمَّةِ عَلَى وُجوبِ التَّوبةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[هود: ٣]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحا﴾[التحريم: ٨].

الحديث رقم (١٣)

١٣- وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سمِعتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**واللَّه إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِليْه في اليَوْمِ أكثر مِنْ سَبْعِين مرَّةً**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) برقم ٦٣٠٧. وسيكرره المؤلف برقم ١٨٧٢.

الشرح الأدبي

يعرض هذا الحديث الشريف أمام المسلم قضية من قضايا الإيمان، ومشهدًا من مشاهد السلوك الإسلامي، وأنموذجًا من نماذج العلاقة بين العبد وخالقه عز وجل.

وهذه القضية، وذلك المشهد يقدمان في أسمى نموذج، وأعظم قدوة: وهو سلوك المصطفى ﷺ وحرصه على التواصل مع ربه عز وجل.

ويأتي إقرار النبي ﷺ بالاستغفار في أسلوب القسم والتأكيد "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه" وهذا القسم على لسان النبي ﷺ يؤكد قيمة الاستغفار، وفضل التوبة، وفيه أمر تشريعي وهو ندب الحلف لتأكيد الأمر وتقويته ليبادر كل من قصر إلى الإتيان بذلك.

ولكن هل استغفار النبي ﷺ وتوبته تكون من ذنب؟؟ وكيف وهو المعصوم من الخطأ، وهو لا ينطق عن الهوى، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! وللعلماء توجيه سديد لهذا الأمر حيث يفسرون استغفار النبي ﷺ بأنه: يطلب من ربه مغفرة تليق بمقامه المبرأ عن كل وصمة ذنب أو مخالفة ولو سهوًا وقبل النبوة (كما يقول صاحب دليل الفالحين إلى طرق رياض الصالحين).

وفي القرآن الكريم آيات بينات تخاطب النبي ﷺ وتأمره بالاستغفار في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

والمراد من هذا الخطاب: "سلة غفران ذنوب المذنبين" وقد أومأ إلى ذلك تعميم حذف المستَغْفر منه حيث لم يحدد مجال الاستغفار، وقيل: إن الدعاء كلما كان أعم كان أتم وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾[2].

قيل أي استغفر عن أمتك، ولفظ توابًا جاء في صيغة المبالغة ليؤكد أن استغفار الرسول ﷺ كان عن أمته، حيث تدل المبالغة على كثرة عدد المغفور لهم، والذنوب المغفورة.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٦.

(٢) سورة النصر، آية: ٣.

والاستغفار منهج إسلامي نقتدي به في سلوك الحبيب المصطفى ﷺ، وهو يفتح أبواب الرزق، ويسد منافذ العوز، ويسخر للمؤمن كل ما حوله من ظواهر الكون ويكون سببًا في كثرة الذرية، وكثرة المال، وخصوبة الأرض، وجريان الأنهار واستمرار مظاهر الحياة.

قال تعالى: على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

وقد ورد ما يؤكد أن النبي ﷺ كان يستغفر لأمته ويكثر من ذلك، وبعض الطوائف كانوا لا يستجيبون ومنهم "المنافقون" الذين أعرضوا عن هذه النعمة وتلك المكرمة: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

ولنتأمل دلالة الكثرة في الاستغفار "أكثر من سبعين مرة" ففي هذا كما يقول العلماء: تحريض للأمة على التوبة والاستغفار، فإنه ﷺ مع كونه معصومًا وكونه خير الخلائق يستغفر ويتوب أكثر من سبعين مرة، واستغفاره ليس من الذنب بل من اعتقاده أن نفسه قاصرة في العبودية عما يليق بحضرة ذي الجلال والإكرام، وعن الأغر المزني رضي الله عنه[3] أن رسول الله ﷺ قال: "إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"[4]، والمراد بالغين : فترات عن الذكر الذي من شأنه أن يداوم عليه كما يقول صاحب فتح الباري رواية عن عياض فإذا فتر رسول الله عن الذكر - الذي شأنه أن يداوم عليه عد ذلك ذنبًا فاستغفر منه إظهارًا للعبودية والشكر لله عز وجل.

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠- ١٢.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٥.

(٣) الأغر بن يسار المزني، له صحبة وروى عن رسول الله ﷺ، انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٥٦/١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم - التوكيد.

ثانيًا: من صفات الداعية: القدوة الحسنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستغفار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على التوبة والإنابة إلى الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم، التوكيد:

١- **القسم:** يعد القسم من الأساليب الدعوية المهمة لما يتضمنه من المعاني التي يُراد توجيه المدعو إلى أهميتها وفضلها ولذا أقسم النبي ﷺ وأكد على أنه يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، وذلك حيث جاء في الحديث: (والله) مما يؤكد على أهمية الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تعالى، قال ابن حجر: (فيه القسم على الشيء تأكيدًا له وإن لم يكن عند السامع فيه شك)[1]. ومن المواضع التي أمر الله فيها نبيه بالقسم قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[2].

٢- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث: (إني لأستغفر الله)، حيث أكد النبي ﷺ قوله: بـ"إنّ" والتوكيد أسلوب من أساليب الدعوة التي تؤكد على صدق الخبر، وصدق القائل وهو من أساليب القرآن الكريم ومنه قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[4].

ثانيًا- من صفات الداعية: القدوة الحسنة:

حيث جاء في الحديث: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)، ولذا تعتبر القدوة الحسنة من أهم صفات الداعية، وقد كان رسول

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥٨/٣.

(٢) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

الله ﷺ ولا زال هو القدوة المطلقة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، (وعلى الداعية أن يبذل كل جهده ليكون قدوة في نظر المدعوين فإذا أمرهم بالصلاة كان أولهم، وإذا أمرهم بالصدقة كان أكرمهم، وإن الداعية الذي لا يراعي القدوة في دعوته يسهم في ابتعاد الناس عنه ونفورهم منه، وبهذا يكون داعية للسوء والشر، وهذا لا يقبله الداعية الصادق مع ربه والمحب لرسوله ﷺ)[2].

إن الداعية الناجح يجب أن يتمثل القدوة في جميع تصرفاته: (فلا شك أن قيام الداعية بامتثال ما يدعو إليه والالتزام به من أهم عوامل نجاح دعوته؛ لأن المدعوين يرون في هذا الشخص الذي يبلغهم أمر دينهم المثل الصالح والقدوة لهم، والمدعو دائمًا ينظر إلى سلوك الداعية ومدى تمسكه وقيامه بما يقول ويحدث الناس عنه)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستغفار:

جاء في الحديث: (إني لأستغفر الله)، وهذا هو الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة" وهذا يدل على أهمية الاستغفار، والاستغفار مما أمَر به نوح قومه، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[4]، وأمر به هود قومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٥٢.

(٣) عدة الداعية المسلم، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٢.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠- ١٢.

(٥) سورة هود، آية: ٥٢.

والاستغفار سبب لمغفرة الذنوب ففي الحديث القدسي: ((... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...))[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ))[٢]، وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[٣].

قال النووي: (جاء عن الفضيل بن عياض قال: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين، ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية قالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، وعن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليَّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفَّى، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)[٤].

وجاء في منهاج الصالحين: "قال الربيع بن خثيم: تضرعوا إلى ربكم وادعوه في الرخاء فإن الله قال: (من دعاني في الرخاء أجبته في الشدة، ومن سألني أعطيته، ومن تواضع إليّ رفعته، ومن تضرع إليّ رحمته، ومن استغفرني غفرت له"[٥]، ومن خلال هذا يتضح فضل وأهمية الاستغفار، وإن الداعية الناجح هو الذي يوجه المدعوين إلى ذلك.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على التوبة والإنابة إلى الله:

حيث جاء في الحديث: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه)، وقد جاء الأمر بالتوبة في كثير من النصوص الشرعية منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ٧٥٨ واللفظ له.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي ٤٥٢.

(٥) منهاج الصالحين، عز الدين بليق ص ٩٥١.

تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[١]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾[٤]، وقال: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وحث الرسول الكريم ﷺ على التوبة والإنابة إلى الله ففي الحديث: ((إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[٦]، وفي الحديث أيضًا: ((مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللّهُ عَلَيْهِ))[٧].

قال ابن مفلح: "والتوبة هي الندم على ما مضى من المعاصي والذنوب، والعزم على تركها دائمًا لله عز وجل، لا لأجل نفع الدنيا أو أذى، وأن لا تكون عن إكراه أو إلجاء، بل اختيارًا حال التكليف. وقال ابن عقيل: والندم توبة، مع شرط العزم أن لا يعود، ورد المظلمة من يده، وقال الحسن البصري: التوبة النصوح ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود، وقال الكلبي: هي أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن، وذكر ابن الجوزي عن عمر رضي الله عنه: أن التوبة النصوح أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه أن لا يعود"[٨].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٥) سورة المائدة: آية: ٣٩.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٧) أخرجه مسلم ٢٧٠٣.

(٨) الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١/١١٤ - ١١٦ بتصرف.

الحديث رقم (١٤)

١٤- وعن الأَغَرِّ بْن يَسار المُزنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**يا أَيُّها النَّاس تُوبُوا إلى اللَّهِ ((واسْتَغْفِرُوهُ))**[١]، **فإني أَتوبُ في اليَوْمِ مائة مَرَّة**» رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

الأغر بن يسار المُزَنيُّ: وهو: الأغرّ بن يسار المُزني، ويقال الجهني، والمزني أصح، وهو من المهاجرين.

له صحبة، ورواية محدودة، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر الصديق، وروى عنه عمر بن الخطاب، ومعاوية بن قرة، وأبو بُرْدة بن أبي موسى الأشعري، وروى له البخاري في "الأدب" ومسلم وأحمد وأبو داود، والنسائي في "اليوم والليلة، وروى عنه أهل البصرة، ولم يؤرخ لحياته ولا لوفاته[٣].

الشرح الأدبي

لقد فتح الله سبحانه وتعالى لكل مسلم باب التوبة والرجوع، ووعد التائبين بالأجر الكبير والثواب العظيم، وهذا الوعد يرد في سورة "الفرقان" حيث يقول الله عز وجل في سياق تعداد مناقب وصفات المؤمنين: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤].

فالوعد الإلهي أكرم وأعظم من كل ما يحلم به التائبون، فهو غافر الذنب، وقابل التوب، ويزيد في الإكرام والمثوبة فيبدل سيئات التائبين حسنات، ويغفر لهم ويرحمهم

---

(١) قوله: (واستغفروه) لا يوجد عند مسلم.

(٢) برقم ٢٧٠٢/٤٢.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٤، ٦٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٥٩/١، ٢٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢٨١/١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٨٥/١، والسندي ٣٩٠/٢٩.

(٤) سورة الفرقان ٧٠.

من ذنوبهم وأنفسهم وندمهم ووساوسهم.

والحديث الشريف ينادي البشرية جمعاء حيث يخاطب رسول الله ﷺ وينادي: الناس جميعًا وذلك ليفتح الباب أمام المشركين والكفار والملاحدة ليتوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى فطرتهم التي.فطر الله الناس عليها، والإسلام يَجُبّ ما قبله فهل تصغى الملايين التي ابتعدت عن ربها إلى النداء النبوي الكريم: فتنجو بنفسها من المصير الأليم.

وصيغة الأمر تغلّف الحض على التوبة والاستغفار (توبوا إلى الله واستغفروه) والأمر للوجوب فالتوبة واجبة على كل إنسان وخاصة "المسلم العاصي" وكذلك أهل الملل الأخرى، لأنهم مأمورون بإتباع الإسلام وبالدخول في دين الله أفواجا.

والمدلول اللغوي للتوبة لا يتعارض مع المدلول الشرعي والاصطلاحي: فالتوبة في اللغة تعني "الرجوع" ويقال تاب وأناب وآب بمعنى رجع فالتائب إلى الله في ظل هذا المدلول اللغوي، وفي ظل الدلالة الشرعية: هو الراجع من شيء إلى شيء، راجع من الأوصاف المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، راجع عما نهى الله عنه إلى أمره، وعن معصيته إلى طاعته، وعما يكرهه إلى ما يرضاه.

وللتوبة مراحل تشع بها دلالة الألفاظ الدالة على كل مرحلة حسب عمق الشعور الإيماني والصلة الروحية بالله عز وجل، والإخلاص في التوبة واستحضار النية الصادقة، وهذه المراحل تمثلها هذه المقامات الثلاث.

فمن رجع عن المخالفات خوفًا من عذاب الله فهو تائب، ومن رجع حياء من الله فهو منيب، ومن رجع تعظيمًا لجلال الله سبحانه فهو أواب، والدرجات الثلاث عند الله مقبولة، والترقي في كمال الطاعة ومدارج المحبة رغبات صادقة مأمولة.

والتوبة والاستغفار يتفقان في الرجوع إلى العمل الصالح وقال بعض العلماء: إن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[1]. وكأن الاستغفار ثمرة التوبة، أو أنه الطريق إليها حتى تكون توبة نصوحا: وقيل في دلالة

---

(١) سورة هود، آية: ٣.

الاستغفار إنه: طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أوبهما، فالاستغفار باللسان فيه نفع لأنه خير من السكوت، ولأن المستغفر بلسانه يعتاد على قول الخير، والاستغفار بالقلب نافع جدًا، لأنه يؤكد صدق التوبة، ويبعد صاحبه عن الرياء والنفاق والادعاء، والاستغفار باللسان والقلب أبلغ وأكثر تأكيدًا وأدل على صدق صاحبه اتباعًا لقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وفي ختام الحديث الشريف يأتي التأكيد بإن مضافًا إلى ياء المتكلم والمتكلم هو أشرف الخلائق النبي المعصوم وخاتم النبيين ﷺ، وهو في هذا التأكيد يعلل أمره ونداءه الواجب التنفيذ، فهو القدوة في التوبة والاستغفار، إنه لا يتوب من ذنب، ولكن يواصل استغفاره وتوبته في اليوم مائة مرة، شكرًا لربه، وحمدًا لخالقه، ورحمة بأمته، ورجاءً في قبول توبة التائبين، وغفران ذنوب العاصين، وإجابةً لدعاء المنيبين، حتى يتم نصر الله لأمته، وتعود للإسلام شوكته، وترفع في العالمين رايته.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التوبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: وجوب الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ.

خامسًا: من صفات الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، الأمر:

أ- النداء: وذلك في قوله "يا أيها الناس" والنداء من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تقريب المدعوين إلى الداعي بالنداء عليهم بما يحبون، وتوجيه الدعوة إليهم، والنداء في القرآن والسنة من أبرز الأساليب وقد تكرر كثيرًا في القرآن كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[١] والله سبحانه إذا نادى عباده إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم أو ليبشرهم أو ينذرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم[٢].

ب- الأمر: وجاء هذا الأسلوب في قوله ﷺ "توبوا إلى الله واستغفروه" أمر بالتوبة إلى الله واستغفاره من الخطايا والذنوب، والأمر أحد الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله لما فيه من حمل المدعو على الالتزام بما ورد في الأمر الموجه إليه، لأن أسلوب الأمر من الأساليب ذات القيمة التأثيرية العالية، فهو أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وأسلوب الأمر يدل على أهمية المأمور به ووجوب الوفاء به وعدم الإخلال بمقتضاه[٣]، وقد تكرر أسلوب الأمر في القرآن كثيرًا ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التوبة:

إن التوبة طريق للنجاة ودليل على صدق العبد ورجوعه والتجائه إلى الله، وقد جاء في الحديث الحث على التوبة في قوله ﷺ "توبوا إلى الله" والتوبة أهم قواعد الإسلام وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة[٥] والأمر بالتوبة في الحديث موافق لقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾[٦] وقوله ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٧] ففي هذه الآية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر الجزائري ص ٧.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٢.

(٦) سورة التحريم، آية: ٨.

(٧) سورة النور، آية: ٣١.

خلقه أن يتوبوا إليه، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي، إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون[١] وللتوبة ثلاثة شروط "أن يقلع عن المعصية وأن يندم على فعلها، وأن يعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود إلى مثلها أبدًا، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد المظلمة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه[٢].

إن التوبة هروب من المعصية إلى الطاعة، ومن السيئة إلى الحسنة، ومن وحشة العصيان إلى الأنس بالرحمن، ...، وهروب من الجبار إلى رحابه، وعياذ برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، وبه منه لا يُحصى ثناءٌ عليه، لا ملجأ منه إلا إليه، ولا مفرّ عنه إلى سواه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[٣].

والتوبة ملاذ مكين، وملجأ حصين. دنس المعاصي يغسل بماء التوبة، ولوثة الخطايا تزال بزلال الاستغفار.

أسأت ولم أحسن وجئتك تائبًا ... وأنّى لعبدٍ من مواليه مهربُ

يؤمّل غفرانًا فإن خاب ظنه ... فما أحدٌ منه على الأرض أخيبُ

إن في القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه. وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسد تلك الفاقة منه أبدًا[٤].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٣٣/١ وما بعدها.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٢.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٠.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٠٢/٣، كتاب: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٠ - ٧٣.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار:

لقد جاء الحث على الاستغفار في الحديث في قوله ﷺ "واستغفروه" والاستغفار من "الغفر" وهو الستر والتغطية ومن أسماء الله تعالى "الغفار والغفور" وهما من أبنية المبالغة ومعناهما: الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم[١].

وقد أمر الله بالاستغفار في كثير من الآيات منها: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾[٢] وقد وعد الله على الاستغفار بالخير الكثير في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾[٣].

وقال على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا﴾[٤] وبيّن الحق تبارك وتعالى أن الاستغفار أمان من عذابه فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[٥]. فإن الله لا يعذب مستغفرًا[٦].

وقد أعطانا النبي ﷺ مثلاً تطبيقيًا في التوبة والاستغفار[٧] كما هو في الحديث الذي معنا "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة" وما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[٨].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٧٤.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) سورة هود، آية: ٣.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٤٣/١.

(٧) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢٩٩/٢.

(٨) أخرجه أبو داود ١٥١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٩٣).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: وجوب الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ:

جاء في الحديث أمر رسول الله ﷺ بالتوبة والاستغفار في قوله "يا أيها الناس توبوا الله واستغفروه" عمليًا مثلاً تطبيقًا للتوبة والاستغفار وألمح إلي الاقتداء به فقال فإني أتوب في اليوم مائة مرة" ولقد حثنا القرآن على الاقتداء برسول الله ﷺ في أكثر من موضع منها: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] فقوله أسوة حسنة أي قدوة حسنة[2].

وقال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)[3] وما من شك أن القدوة الحسنة لها كبير الأثر في إنجاح الدعوة، فالناس بطبيعتهم يتطلعون إلى الإنسان المتصف بصفات الإيمان والمتحلي بأخلاق الإسلام الحسنة وصاحب المسالك والأفعال الحميدة الذي يحب الخير للناس ويبعد الشر عنهم ويصدقهم في معاملاتهم وعلاقاتهم[4].

إن الإنسان يحتاج إلى قدوة صالحة، لأن المحاكاة غريزة كامنة في النفس، وإذا بحثنا عن السر في تأثير القدوة الحسنة في بناء الشخصية وجدنا ذلك يرجع إلى أسباب منها:

١- القدوة الحسنة تحتل مكانة مرموقة في المجتمع وتحظى بالاحترام والتقدير من غالب المجتمع، وهذا يكون حافزًا قويًا لمحاكاتها وتقليدها في السلوك الحسن، ومن هنا: يكتسب الفرد شخصية متحلية بالفضائل.

٢- نجد أن القدوة الحسنة ذات الفضائل الخلقية الرفيعة: تكون لدى الأفراد ممن حولها الاقتناع الكامل بأن الوصول إلى هذه الفضائل والتحلي بها ممكن وغير

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، ابن الجوزي، ٣٦٧/٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ٢٠٥.

مستحيل. والإنسان مفطور على المحاكاة والتقليد، وهذا مما يسهل عليه اكتساب الفضائل والسلوك الإسلامي إذا جعل أمام عينيه قدوة حسنة يقتدي بها والمنهج الإسلامي اتخذ من القدوة الحسنة وسيلة من وسائله لترقية الإنسان في سلم الكمال السلوكي[١].

فالله سبحانه وتعالى عندما أنزل القرآن الكريم: لم يكن مراده من ذلك أن يحفظه الناس كنظرية من النظريات، وإنما كان مراده أن يترجم إلى سلوك ويطبق في واقع الحياة. لذا اختار الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ ليكون القدوة والمثل الأعلى للناس، فكان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ترجمة عملية حية لتعاليم القرآن وآدابه تشريعاته.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى ذلك بقولها: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))[٢]، أي كان سلوكه صورة عملية لما في القرآن.

وهذا الاختيار مبني على علم قال تعالى: ﴿...ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ...﴾[٣].

فسيرة النبي محمد ﷺ العطرة: لا يخفى منها شيء وذلك لكي يكون الاقتداء بها على أحسن وجه وأكمله[٤].

فالله سبحانه وتعالى اختار لنا وسيلة هامة لبناء الشخصية الإسلامية، وذلك بإرساله محمدًا ﷺ إلى هذه الأمة، وهو يجمع كل الصفات العظيمة والخلال الحميدة.

فكان يجمع في شخصيته الفريدة كل مزايا الإنسانية، مما جعله القدوة الكاملة والمثل الأعلى الذي كلما تعاقبت الأجيال وجدوا في شخصيته الأسوة الصالحة والمنار

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة ١/٢٠٣ - ٢٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ٦١١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

(٤) انظر: منهج القرآن في تربية ال تمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٣٧.

الهادي إلى الصراط المستقيم. ولهذا: كان بحق القدوة الصالحة لبني الإنسان في كل زمان ومكان يأخذون منه سمات الشخصية الإسلامية ويتحلون بها.

فشخصية الرسول ﷺ لم تتميز من بين الشخصيات الأخرى؛ لأنه نبي وصاحب رسالة سماوية فحسب، بل مع ذلك لأنه كان قدوة صالحة، ومثلاً رفيعًا للاستقامة الإنسانية والمبادئ السامية التي تضمنتها دعوته. وتلك المبادئ هي التي تصور لنا الرشد الإنساني والنضج البشري.

وأهمية هذه القدوة الحسنة التي امتاز بها الرسول ﷺ عامة ليست خاصة بالاقتداء به في العبادات أو الزهد فقط، بل تشمل الاقتداء به في سائر الأمور فيما ليس من خصوصياته ﷺ[(١)].

خامسًا- من صفات الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من مهام الداعي وصفاته الرئيسة: توجيه المدعوين إلى الخير، وإلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ففي هذا الحديث وجه النبي ﷺ الناس إلى ما يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم من التوبة والاستغفار فقال: "يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة" وتلك مهمة الداعي: دعوة الناس إلى الخير وما فيه صالحهم قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)]. أي ولتكن منه أمة منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[(٣)].

إن الداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير لهم، والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، إحدى رسائل سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١٧٨ - ١٨١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٩١.

من النار وفوزهم برضوان الله تعالى. إنه يحب لهم ما يحب لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحبب ذلك إليهم أيضًا[1]. والداعي يسعى بدعوته إلى دلالة الناس إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم.

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

الحديث رقم (١٥)

١٥- وعنْ أبي حَمْزَةَ أَنَس بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ خَادِمِ رسول الله ﷺ، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**للَّهُ أَفْرحُ بتوْبةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سقطَ عَلَى بعِيرِهِ، وقد أَضلَّهُ في أَرضٍ فَلاةٍ**)) متفقٌ عليه[١].

وفي رواية لمُسْلمٍ: «**للَّهُ أَشدُّ فرحًا بتَوْبةِ عَبْدِهِ حِين يتُوبُ إِلْيهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كان عَلَى راحِلَتِهِ بأَرْضٍ فلاةٍ، فانْفلتتْ مِنْهُ وعلَيْها طعامُهُ وشرَابُهُ فأَيسَ مِنْهَا، فأَتَى شَجَرةً فاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، و[٢] قد أَيسَ مِنْ رَاحِلتِهِ، فَبَيْنما[٣] هوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بها قَائِمةً عِنْدَهُ، فَأَخذ بِخطامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ: اللَّهُمَّ أَنت عبْدِي وأَنا ربُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفرح**»[٤].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أضلّه: فقده وذهب منه بغير قصده[٥].

أرض فلاة: قفر لا ماء فيها[٦].

أيس منها: يئس وانقطع رجاؤه[٧].

الخطام: ما وُضع على خطْم الدابةِ -أنفها- لتُقاد به[٨].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٣٠٩، ومسلم ٢٧٤٧/٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٩.

(٢) لفظ مسلم بدون الياء.

(٣) لفظ مسلم: (بينا).

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٤٧/٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١١/١١.

(٦) القاموس المحيط، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي في (ف ل و).

(٧) اللسان والوسيط في (أ ي س).

(٨) الصحاحي واللسان والقاموس والوسيط في (خ ط م).

الشرح الأدبي

ما أعظم رحمة الخالق بالمخلوقين وما أجمل نعمة الله وثوابه لعباده التائبين، وفي هذا الحديث الشريف تتجلى سمات هذه الرحمة، وتتوهج أشعة تلك النعمة حيث يقدمها رسول الله ﷺ في صورة بيانية مشرقة، ومشهد ترغيبي مؤثر، وأسلوب سهل ميسر، في إطار صورة تشبيهية قريبة نابعة من مشاهد البيئة التي تصافح وجدان الإنسان صباح مساء، ويتأملها ذووا الألباب ببصرهم وبصيرتهم، فيدركون أن رحمة الله وسعت كل شيء وأن الله غفور رحيم، وتواب حكيم.

ومن معالم هذه الصورة التي تقرب أمل التوبة، وترغب في الانتصار على المعصية جو الصحراء، وراكب الدابة، ثم فقدان المتاع والطعام والشراب، والبحث المضني عن هذه الممتلكات، وهي مقومات حياة هذا المسافر، ثم اليأس من العثور عليها، والركون إلى ظل شجرة طلبًا للراحة أو يأسًا من العثور على ما فقده أو انتظارًا للموت، وفجأة تهب نسائم الخير، وتشرق شمس الأمان، وإذا بذلك اليائس يجد راحلته وطعامه وشرابه، فتسري الفرحة في أوصاله، وتسبح بحمد الله وشكره مشاعره، وتتسابق الكلمات الحامدة الشاكرة على لسانه، فيسبق بعضها بعضًا وتختلط المفردات والمعاني في غمرة هذا الانفعال، وذلك الفرح الذي أعاده للحياة والأمان، ويغفر الله له هذا السهو الطارئ، هذه الصورة البهيجة المضيئة الراصدة للحظة انتصار الإرادة على اليأس، وانتصار هاتف الإيمان على وساوس الشيطان، يضعها المصطفى ﷺ في صورة تشبيه مركب عقلي من غير نظر إلى مفردات التركيب، بل تؤخذ الزبدة من المجموع فتكون غايته ونهايته، وفائدة إبرازه في صورة التشبيه، تقرير المعنى في ذهن السامع، والمعنى المراد هو أن الله عز وجل يفرح بعبده التائب أكثر من فرح ذلك الذي فقد كل مقومات حياته، ثم أكرمه الله وأعاد إليه الأمل وحقق له الرجاء، وفي هذا التشبيه إيحاء بضرورة نزع اليأس من قلوب العاصين وإرشاد إلى الإقبال على التوبة والإنابة مهما كان حجم الذنوب، استجابة لذلك النداء الإلهي الرحيم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ

أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1].

وقيل بأن الصورة الأدبية في الحديث جاءت في قالب "التشبيه التمثيلي" حيث يتوهم للمشبه الحالات التي للمشبه به وينتزع له منها ما يناسبه، فهي صورة تقريبية مؤثرة ترغب الذين ضعفوا أمام إغراءات الحياة فاتبعوا أهواءهم، واستسلموا لرغباتهم ونزواتهم أن ينيبوا إلى الله ويتوبوا توبة نصوحًا، والصورة البيانية في الحديث النبوي تجمع بين الجمال والجلال، وبين المهابة والحلاوة وبين الإقناع والإمتاع، وتغذي العقول، وتمتع الأسماع وحين نطيل التأمل في استكشاف معالم الجمال والجلال فيها ندرك أنها تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحًا في الخاطر، وجلاءً في الذهن ونورًا يمتد في عقل المسلم وبصره ونَفَسًا يتردد في رئتيه، وذلك بعض ما يفيض به البيان الساحر والأدب الرفيع.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة التوبة عند الله تبارك وتعالى.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التشبيه وضرب المثل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: بعث الأمل في نفوس المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: منزلة التوبة عند الله تبارك وتعالى:

إن لتوبة العبد وإنابته إلى ربه منزلة لا تدانيها منزلة، والحديث يبين منزلتها وعلو شأنها وقبول الله لها: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره، وقد أضله في أرض فلاة)، وذلك بيان لسرعة قبول الله توبة عبده التائب، وأنه يقبل عليه بمغفرته ورحمته، ويعامله معاملة من يفرح به[2].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٧/٧١-٧٢.

ففي الحديث شبه الرسول ﷺ قبول الله لتوبة العبد التائب ورضاه بها، ورحمته الواسعة بعباده، وشفقته عليهم برجل في أرض جدباء مهلكة ضاع منه بعيره الذي عزم اجتياز تلك الفلاة به، ثم وجده وقد أشرف على الهلاك، ويئس من النجاة؛ تشجيعًا للناس على التوبة ودفعًا لما يصرف عنها، وفتحًا لباب الرجاء أمام العباد، فالله تعالى مع قدرته العظيمة وعزه الكبير رؤوف رحيم، يشجع العباد على التوبة، ويكرمهم بقبولها، ويوجههم إلى ما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

وفي الحديث كناية عن إحسان الله إلى عبده التائب، وتجاوزه عن سيئاته، لأن العاصي إذا وقع في المعصية صار في قبضة الشيطان وأسره، فأشرف على الهلاك، فإذا وفقه الله للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص من قبضة الشيطان، فأقبل الله عليه بمغفرته ورحمته، فالتمثيل إنما هو لحال العبد التائب، وما يتحصل له بسبب التوبة من النجاة والفوز، ولقد بلغ من روعة التصوير أن اشتملت الصورة على كل مؤثراتها، أخذًا بلب السامع وتحريكًا لخياله وأحاسيسه وأفكاره، لتنتج الأثر المطلوب. والصورة هنا هي صورة رجل في صحراء مقفرة، معه زاده من الطعام والماء ومركبه من الإبل، فضاع كل ذلك بغتة، وأعياه البحث حتى يئس من استرداد شيء من ذلك. لقد أحاطت به كل صور اليأس، وتمثل في نفسه اليأس من النجاة، وبين التعب والألم واليأس والاستسلام للموت والهلاك، إذ براحلته عليها طعامه وشرابه، فقام كالمأخوذ ممسكًا بها حتى لا تهرب منه، صائحًا من شدة الفرح: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) فأخطأ من شدة الفرح.

هذا الرجل بفرحته التي لا تضارع وسروره الذي لا يمكن تحديده، ليس أشد حرصًا على الحياة وقبولاً للراحلة وتلقيًا للنجاة من قبول الله لتوبة عبده المؤمن وإقباله عليه، لأن عودة الراحلة فيها حياته الدنيوية، وعودته بالتوبة فيها حياته الأخروية، وهي التي طلبها الله منه ودعاه إلى الحفاظ عليها والاستمساك بها[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٥.

ففي الحديث حض على التوبة[١]، والإنابة والرجوع إلى الله، وقد علق الله سبحانه وتعالى الفلاح المطلق على فعل المأمور وترك المحظور، فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، فكل تائب مفلح، ولا يكون مفلحًا إلا من فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه، لذا كانت التوبة لها المنزلة الرفيعة عند الله، وكانت غاية كل مؤمن[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التشبيه وضرب المثل:

ورد استخدام التشبيه وضرب المثل في الحديث في قوله ﷺ: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعير وقد أضله في أرض فلاة) قال القرطبي: (ووجه هذا المثل أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره وقد أشرف على الهلاك، فإذا لطف الله به ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية، وتخلص من أسر الشيطان ومن المهلكة التي أشرف عليها فأقبل الله عليه بمغفرته، وبرحمته)[٤]، فالتشبيه وضرب المثل يحدث في النفس حركة التفات بارعة يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح[٥].

(وتظهر أهمية ضرب الأمثال وفائدتها في أن الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس فتقبله العقول، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة. ويضرب المثل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٥٤٠ - ٥٤١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٧/٧٢.

(٥) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٦٧ - ٦٨.

للترغيب في الممثل به حين يكون مما ترغب فيه النفوس، ويضرب المثل للتنفير حينما يكون الممثل به مما تكره النفوس، ويضرب المثل لمدح الممثل به، ويضرب المثل حين يكون الممثل به فيه صفة يستحقها الناس"[١].

ولضرب المثل أهداف تربوية ودعوية منها: أن الأمثال تقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية، بما قد ألفوه وعرفوه، حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد.

ومنها: أن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس، وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل ببيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى)[٢].

ومنها: أن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه،ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث ترغيبًا في الإسراع بالتوبة إلى الله عز وجل ووعد بقبولها عند الله تبارك وتعالى، وجاء ذلك في قوله ﷺ: (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في فلاة) فمعلوم ان الإنسان في هذه الحياة تحيط به صوارف كثيرة، تؤثر على قيامه بما كلف به من أمر الدين، وفي نفس الوقت جُبلت نفسه على حب الخير والسعي في الحصول عليه، وكُره الشر، والرغبة في البعد عنه، لهذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٢٩.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له[١].

وأسلوب الترغيب من أبرز الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم، ومن ذلك ترغيب الله وتبشيره المؤمنين بالجنة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢]، فالترغيب يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين، فيزداد طاعة وتقوى، كما أنه يورث الصبر على المكاره في الدنيا، رجاء أن يعوض عنه بالنعيم المقيم في الآخرة، ويولد الأمل ويبعث على النشاط والعمل للآخرة[٣].

إن الترغيب يورث في قلب الإنسان الرجاء وحسن الظن بالله تعالى، والإقبال على الأعمال الصالحات والإعراض عن الطالحات، فالرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، ويطيّب السير إلى العزيز القدير، إنه استبشار بجود الرب، وطمع في كرم الكريم وأمل في رحمة الرحيم، وثقة في فضل العظيم، ونظر إلى سعة الرحمة، وجميل العفو، والامتنان بالغفران، والتعلق بالمحسن المتفضل، ولولا روح الرجاء لعُطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا. لولا روح الرجاء ما تحركت الجوارح بالطاعة، ولا ترنمت الألسنة بالدعاء، ولا فاضت القلوب بالثناء.

إن من الواجب على العالم في علمه، والمربي في تربيته، والواعظ في وعظه أن يجمع بين الأمرين، ويقرن بين الحسنيين، ويمزج بين الغرضين، فليس التخويف بمفرد في سبيل للعلاج، وأداة للتقويم، وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل، والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب، ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا، وألذ سماعًا، وأطرب استمتاعًا.

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢١٥٦/٦.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة، ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل، مقرونًا بالطاعة ممزوجًا بالعطاء، فليس معنى الرجاء أن ينغمس المرء في الذنوب ويتقاعس عن الطاعة، ويتنكر للعبادة، ويفرط في الحقوق، ويضيع الواجبات، ثم يرجو النجاة من النار والفوز بالجنة، بل هو يعمل ويرجو، ويجتهد ويطمع، ويبذل ويرغب، وهو معترف بتقصيره مقرٌ بذنوبه، مؤمل في نيل غفران ربه.

وإذا تأملت الآيات القرآنية أدركت هذه الحقيقة، وآمنت بهذا المبدأ:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾ ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾[2].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3].

فهؤلاء الذين تعلقوا بالرجاء وطمعوا في العطاء كانت لهم مؤهلات ولديهم أسباب[4]، أهمها شفاعة الرجاء بالعمل الصالح.

رابعًا- من مهام الداعية: بعث الأمل في نفوس المدعوين:

إن بعث الأمل في نفوس المدعوين، وزرع الرجاء في نفوسهم إلى الأفضل من أهم صفات الداعية، وفي هذا الحديث تبرز تلك الصفة من خلال بعث الأمل في نفوس المدعوين، وطمأنتهم بأن باب التوبة مفتوح، حيث ورد في الحديث: (لله أفرح بتوبة عبده

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

(٤) انظر: كتاب الله أهل الثناء وال د، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٣ - ٦٦٥.

من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في فلاة) فإذا ما علم الإنسان سعة رحمة ربه عز وجل وقبول توبته وتكفير سيئاته وغفران ذنوبه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1]، وتبديل سيئاته حسنات: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[2]، فإن ذلك وغيره مما يفتح للعباد باب الأمل والرجاء في رحمة الله تعالى، فتعلو همتهم عن دناءة المعصية إلى شرف الطاعة والتقرب إلى الله، والإقلاع عن مستوى المعصية، والصعود إلى علو الطاعة وشرف التقرب إلى الله.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل:

ورد إثبات صفة الفرح لله عز وجل في قوله ﷺ (لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم...) قال ابن أبي العز الحنفي: "ما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه"[3]، فالواجب إثبات أسمائه سبحانه وتعالى وصفاته واعتقاد ما تدل عليه من صفات كماله ونعوت جلاله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[4][5].

وقال ابن تيمية: (وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفة حقيقة لله عز وجل، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته تعالى وقدرته)[6].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

(٢) سورة الفرقان آية: ٧٠.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء ص ٢١٨.

(٤) سورة الشورى، آية: ١١.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ص ١٦٦.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية ص ٢٠٠.

الحديث رقم (١٦)

١٦- وعن أبي مُوسى عَبْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبْسُطُ يدهُ بِاللَّيْلِ ليتُوب مُسيءُ النَّهَارِ وَيبْسُطُ يَدهُ بالنَّهَارِ ليَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مغْرِبِها**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، ووصفه بأنه: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. إنه يقدم مشهدا جليلاً مهيبًا من مشاهد قبول توبة التائبين وفرح الله عز وجل بعباده المذنبين الذين استجابوا لنداء الله عز وجل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

إن هذا المشهد الجليل المرتبط بعزة الله وجلاله وقدرته وكماله يتجلى في فتح باب التوبة في كل زمان وفي كل مكان ليلاً ونهارًا، صبحًا ومساءً، فالمسيئون ليلاً الذين ارتكبوا المعاصي في الخفاء ظنًا بأن الله يخفي عليه ذلك وهم يجهلون بأن الله يعلم السر وأخفى، هؤلاء الغافلون حينما يستيقظون ويستجيبون لهواتف الطاعة وإشراقات التوبة، يتوب الله عليهم، وهذه التوبة تكون في العلن، ويشهدها الجميع وكأن الإشارة إلى الزمن هنا... إيحاء بأن هؤلاء الذين أوغلوا في كتمان معاصيهم يصبحون وقد تاب الله عليهم منخرطين في سلك المؤمنين، لا يخافون لومة لائم، ولا يخشون ضعفًا أمام

---

(١) برقم (٢٧٥٩/٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٨٧).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

إغراءات الحياة، وكذلك الذين جاهروا بالمعاصي نهارًا وتجرأوا على حرمات الله عز وجل حين يعودون إلى حديقة الطاعة، وينعمون بعفو الله عز وجل ويتوب الله عليهم، ولا يفضحهم أمام الخلائق، بل يبدل سيئاتهم حسنات؛ وينصر بهم الإسلام بعد أن يفيئوا إلى ظلاله وينعموا ببهائه وجلاله.

إن هذا الكرم الإلهي، والفيض الرباني يقدمه رسول الله ﷺ في هذا الأسلوب البياني المشوق، ويبدأ بصيغة التوكيد المقترنة بلفظ الجلالة وصفة العزة والجلال في قوله: "إن الله عز وجل" ثم يأتي إنعام الله في قوله: "يبسط يده" وهذا البسط من علامات الجود والتنزه عن المنع، ومن أمارات رحمة الله، وكثرة تجاوزه عن الذنوب وجاء فعل البسط في صيغة "المضارع" دلالة على الاستمرار وعدم الانقطاع وكذلك الفعل "يتوب" في صيغته الآنية والمستقبلية يرشد إلى أن باب التوبة مفتوح لا يغلق في أي لحظة، والجمع بين الليل والنهار في قبول التوبة فيه اطمئنان لكل من تحدثه نفسه بالرجوع إلى الله عز وجل طيلة الدهر ليلاً ونهارًا، وقيل في تفسير سر هذه المقابلة في الموقف وذلك الطباق في الألفاظ إن الله عز وجل يوسع جوده وفضله على العصاة بالليل ليلهموا التوبة بالنهار، وعلى العصاة بالنهار ليلهموا التوبة بالليل، وفي ذلك إرشاد إلى عدم الإصرار على المعصية يومًا واحدًا، حتى يكون العاصي حريصًا على قطع أسباب العصيان، وحريصًا على مجابهة ومخاصمة مسالك الشيطان.

ولنتأمل اتساع مجال التوبة في الزمان والمكان الذي تفيده "حتى" في قوله: "حتى تطلع الشمس من مغربها" وحتى تفيد الغاية حيث سيظل باب التوبة مفتوحًا، ويظل كرم الله وبسط يده ليلاً ونهارًا مادام للحياة أنفاس، وللمعصية وسواس وللطاعة أقباس وللإيمان حراس؛ وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه"[1]، وعن صفوان بن عسال: عن النبي ﷺ قال: ((إن الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عامًا للتوبة لا يغلق ما لم تطلع

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٣.

الشمس من قِبله وذلك قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[١]))[٢] وفي المسند عن عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمرو ومعاوية عن النبي ﷺ قال: ((لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفى الناس العمل))[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله على عباده.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فتح الله لأبواب التوبة إلى أن تطلع الشمس من مغربها.

رابعًا: من مهام الداعية: عدم تقنيط الناس من رحمة الله عز وجل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله على عباده:

جاء في الحديث بيان للون من ألوان رحمة الله عز وجل وكرمه وأنه تعالى يقبل التوبة حتى وإن تأخرت، فإذا أذنب الإنسان ذنبًا في النهار فإن الله تعالى يقبل توبته ولوتاب في الليل، وكذلك إذا أذنب في الليل وتاب في النهار فإن الله يقبل توبته بل إن الله يبسط يده حتى يتلقى هذه التوبة التي تصدر من عبده المؤمن[٤] فهو سبحانه كما قال عن نفسه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥] وقال ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦] وقال ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[٧]. أي: كل من تاب إليَّ تبت عليه من أي ذنب كان[٨].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤١/٤، رقم ١٨١٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ١٩٢/١، رقم: ١٦٧١، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) المرجع السابق ٥٣/١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٣.

(٧) سورة طه، آية: ٨٢.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠٨/٥.

فهو سبحانه غفار كثير الغفران لمن تاب عمن كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق وعمل صالحًا بجوارحه ثم اهتدى، أي: استقام وثبت على الهدى المذكور، وهو التوبة والإيمان والعمل الصالح، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[1]، وفي الآية ترغيب لمن وقع في وهدة الطغيان ببيان المخرج منه كي لا ييأس[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء الترغيب في الحديث في دعوة من وقع في معصية بالتوبة إلى الله، والوعد بقبول الله لتوبته وهذا في قوله ﷺ "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة التي تحمل الناس على التوبة والتشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة[3]. ولقد حفلت آي الذكر الحكيم، ووردت الأحاديث بالترغيب في رضا الله والجنة والفوز بالنعيم الأبدي المقيم، وبيان ما أعده الله للمتقين، قال تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[4] ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (ورضوان الله أكبر) تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من عباد الله الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5])[6].

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ١٣.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٣/١١/٧.

(٣) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام ص ١٩٢.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣٦.

(٥) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢١٢٧/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فتح الله لأبواب التوبة إلى أن تطلع الشمس من مغربها:

إن من فضل الله على عباده أن فتح لهم باب التوبة، إلى طلوع الشمس من مغربها إيذانًا بقيام الساعة كما نص على ذلك الحديث "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" فهو سبحانه يوسع جوده وفضله على العصاة بالليل ليُلْهَموا التوبة بالنهار، وبالنهار ليُلْهَموا التوبة بالليل، فسبق ذلك الكرم والجود علة للتوبة ما دام بابها مفتوحًا[1] فماعلى الإنسان إلا أن يتوب فإن تاب قبله الله ولم يمنعه رفده، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ))[2]، قال العلماء: (هذا حد لقبول التوبة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[3])[4].

رابعًا- من مهام الداعية: عدم تقنيط الناس من رحمة الله عز وجل:

إن أهم ما يجب أن يتصف به الداعية بيان سعة رحمة الله وعدم تيئيس الناس من رحمة الله، وليقتدي في ذلك برسول الله ﷺ الذي بيّن لنا سعة رحمة الله في الحديث قائلاً: "إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها" فإن رحمة الله وسعت كل شيء قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

وقد ذم الله اليأس وأهله فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[١] وقال على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[٢] ونهانا الله عن القنوط من رحمته في كثير من النصوص القرآنية منها: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

فهذه الآية الكريمة وما شابهها دعوة لجميع العصاة، من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه وفي سبب نزول هذه الآية: عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أنَّ ناسًا من أهل الشِّركِ كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتَوا محمدًا صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعو إليه لَحَسن، لو تُخبِرُنا أنَّ لما عملنا كفَّارةً. فنزل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[٤]، ونزل قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٥]))[٦].

فهذه الآيات وغيرها دالة على مغفرة الله لمن تاب، فلا يقنط عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب التوبة والرحمة واسع.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٢) سورة الحجر، آية: ٥٦.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٦) أخرجه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٢٢.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]، وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾[٣]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤]، ثم قال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾[٦].

قال الحسن البصري: انظر إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة! والآيات في هذا كثيرة جدًا[٧].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٤.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٤٥ - ١٤٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٧٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٧٤.

(٦) سورة البروج، آية: ١٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٧/٧.

الحديث رقم (١٧)

١٧- وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تاب قَبْلَ أَنْ تطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغْرِبِهَا، تَابَ الله عليْه**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الإنسان في سيرته الحياتية يظل في صراع بين رغباته وواجباته، ويظل مؤرجحًا بين السلوك الملتزم بالتعاليم الشرعية، والرغبة الجامحة في تحقيق أمانيه الدنيوية؛ وتلك طبيعة النفس الإنسانية في استقبالها لمتقلبات الحياة وإغراءاتها، والاستقرار لا يناله إلا صاحب الإرادة القوية، والنزعة الوجدانية الإيمانية، وفي سورة الشمس تتوهج هذه الحقيقة التي تعلن عن فوز المؤمن الذي انتصر على نفسه، وأما من استسلم لأهوائه فمآله الخسران المبين.

يقول الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2].

والتوبة: واجبة من كل ذنب ووجوبها مجمع عليه: لا فرق بين الصغائر والكبائر وغير ذلك من أنواع الذنوب.

والتوبة النصوح من أعظم دلائل الانتصار على النفس وهى تفتح آفاق الرجاء والأمل أمام كل من أسرف على نفسه، فهو لا يقنط من رحمة الله وهذا الرجاء لا يخبو ضياؤه، ولا ينطفئ بهاؤه، وهذا الحديث الشريف يقدم هذا الرجاء في صيغة "الشرط والجزاء" فالجزاء من جنس العمل، فالتوبة تظل ممتدة أمام أى إنسان حتى يأذن الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) برقم (٢٧٠٣/٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٨٨).

(٢) سورة الشمس ٧- ١٠.

ولنتأمل بلاغة الإيجاز في هذا النص النبوي الشريف، حيث يدخل الملايين من البشر إلى أن تقوم الساعة في دائرة أداة الشرط "من" وهى تتكون من حرفين، ولكنها تضم في دائرتها الكبرى التي تتسع باتساع الزمن واتساع الأماكن، وعبر توالي الأجيال، فكل من يقبل على ربه تائبًا قبل أن يغلق باب التوبة بطلوع الشمس من مغربها يقبل الله توبته.

ولكن كما قال العلماء للتوبة المقبولة شروط حسب نوع المعصية فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى: لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: وهي: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود المذنب إلى المعصية أبدًا.

وحتى لا تضيع حقوق العباد يضاف شرط رابع إذا كانت المعصية تتعلق بآدمي: وهو أن يبرأ المذنب من حق صاحب الذنب: أي الذي ارتكب في حقه ذلك الذنب، ويجب على من ظلم إنسانًا أو اغتصب ماله أو ألحق به الأذى يجب عليه أن يعيد الحقوق إلى أصحابها في صورة ملائمة مناسبة لا تؤدي إلى فتنة أو تجديد العداء، وإثارة الشحناء، وهذه الشروط التي يجب على التائب تنفيذها حتى تقبل توبته لا يجني ثمرتها التائب فقط ولكنها لها الأثر الحميد في السلوك الاجتماعي وفي إصلاح أحوال المجتمع، وفي تماسك بنيان الأمة بكل طوائفها؛ لأن خير الخطائين التوابون، وإذا حرص كل إنسان على التوبة النصوح بكل ما تحمل من سمات الإخلاص فإن عاطفة المحبة ستسود بين كل أبناء الأمة، وميزان التسامح سيكون هو الإيقاع الخلقي الساري في أقوال الناس وأفعالهم، وآمالهم، وأحلامهم وهم في ظل هذا السلوك الإيماني يتضرعون إلى الله عز وجل ويدعونه في صدق ويقين: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران ١٩٣-١٩٤.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين وبيان الحقائق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في التوبة والإنابة إلى الله تعالى:

إن مما رغب الشرع فيه: الحث على المسارعة في التوبة والإنابة إلى الله لأن الإنسان لا يدري متى ينقضي أجله، لذا وجبت المسارعة والتوبة، ويظهر ذلك من قوله ﷺ "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" وقوله "إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" من الغرغرة أي ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم يعني ما لم يتيقن بالموت[٢].

قال القرطبي: (يعني: أن التوبة تصح وتُقبل دائمًا إلى الوقت الذي تطلع فيه الشمس من حيث تغرب، فإذا كان ذلك طبع على كلِّ قلب بما فيه، ولم تنفع توبة أحد، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[٣]، وسر ذلك وسببه: أن ذلك هو أول قيام الساعة؛ فإذا شوهد ذلك، وعوين الإيمان الضروري، وارتفع الإيمان بالغيب الذي هو المكلف به)[٤].

وقال النووي: (قال العلماء في الحديث بيان لحدّ قبول التوبة، وذلك يضيف للتوبة شرطًا آخر وهو: أن يتوب العبد قبل الغرغرة، وأما في حالة الغرغرة وهي حالة النزع فلا تقبل توبته ولا غيرها ولا تنفذ وصيته ولا غيرها)[٥].

---

(١) تم د المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٩٧/٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٠٥/٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٣.

لذا ينبغي على الإنسان الإسراع بالتوبة قبل معاينة الموت وتيقنه فإن التوبة ساعتها لا يعتد بها وكما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] ففي الآية تنبيه على نفي القبول عن نوع من التوبة وهي التي تكون عند اليأس من الحياة، لأن المقصد من العزم ترتب آثاره عليه وصلاح الحال في هذه الدار بالاستقامة الشرعية، فإذا وقع اليأس من الحياة ذهبت فائدة التوبة[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده:

إن من فضل الله على عباده أن فتح لهم باب التوبة، ولا يأذن له بالانغلاق إلا عند طلوع الشمس من مغربها وعند وصول الروح إلى الحلقوم وتيقن الموت "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق باب التوبة وهذا معنى قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾[3] أي ولا يقبل منها كسب عمل صالح إذا لم يكن عاملاً به قبل ذلك[4].

لذا ينبغي التعجيل والمبادرة إلى التوبة، كما أمر الله بالمسارعة في ذلك فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٢/٤/٢٨١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/٣٧٦.

(٥) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٥.

أي: سارعوا إلى ما يؤدى إليهما من الاستغفار والتوبة والأعمال الصالحة[١]، فذلك أمر بالمسارعة إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض فكيف بطولها التي أعدها الله للمتقين فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغَّب رسول الله ﷺ في هذا الحديث ببيان قبول الله لتوبة العبد ما لم يغرغر أو تطلع الشمس من مغربها فقال: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه" وقال "إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" والترغيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة، وله تأثيره في نفوس كثير من البشر، فإن الإنسان جبل على حب الخير والرغبة في الحصول على كل محبوب، فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق كل خير لنفسه سواء كان ذلك عاجلاً أو آجلاً[٣]، لذا وجدنا القرآن يرغب في الخير ويبشر بحسن المثوبة، ويرهب من الشر ويتوعّدُ المخالفين المتعدين لحدوده ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٤].

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين وبيان الحقائق:

إن من أهم مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، وبيان الحقائق لهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم وأن يأخذوا حذرهم ولا يردوا أنفسهم موارد التهلكة وفي الحديث نجد أن الرسول ﷺ أرشد الناس إلى التوبة وبين لهم حقيقة قبولها وأن ذلك ليس على إطلاقه وإنما قبول التوبة مقيد بعدم طلوع الشمس من مغربها، وعدم صعود

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤/٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٤٨٦.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

الروح إلى الحلقوم[١] وقد ذكر القرآن الكريم لنا أنموذجًا من الدعاة من غير الأنبياء والمرسلين تحملوا أمانة إرشاد الناس وتبيين الحقائق لهم، فذكر لنا قصة مؤمن آل فرعون الذي حكى القرآن من كلامه لقومه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[٢]. مما يؤكد على أن إرشاد المدعوين وبيان الحقائق لهم، والأخذ بأيديهم إلى سبل الهداية يُعد من المهام الأساسية للداعية.

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٩٧.

(٢) سورة غافر، آية: ٣٨.

الحديث رقم (١٨)

١٨- وعَنْ أبي عَبْدِ الرَّحْمن عَبْدِ اللَّهِ بن عُمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجَلَّ يقْبَلُ توْبة العبْدِ مَا لَم يُغرْغرِ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

ما لم يغرغر: أي: لم تبلغ روحه حلقومه فتكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يفتح أبواب الأمل والرجاء أمام كل الخلائق من البشر الذين ضلوا الطريق الصحيح، وحادوا عن المنهج السليم، وأوغلوا في اتباع أهوائهم، وغرقوا في التعصب لمذاهبهم ومناهجهم الفاسدة، وسلوكياتهم المنحرفة وممارساتهم الحياتية الضالة.

إن هذه الطوائف المتشعبة والممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا نغلق في وجوههم أبواب القبول ومداخل التوبة، وفي كلمة واحدة ينطق بها رسول الله ﷺ تتجمع كل هذه الوجوه التي تتعدد ثقافاتها، وتتباين اتجاهاتها وكلمة "العبد" تندرج في دلالتها كل الدلالات السابقة للجموع التي ضلت طريق الرشاد فكل بني آدم يدينون بالعبودية لله عز وجل لأنه خلقهم ورزقهم، وهو الذي يهيمن على كل أمورهم في حياتهم وأخراهم.

فتأمل أخي المسلم سر الجمال في حديث المصطفى ﷺ ومن منابع أسرار هذا الجمال الإيجاز والقصد والاستيفاء.

وصيغة الحديث تقدم في ثوب التوكيد والأداة "إن" في قوله عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٧) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وكذا في تحفة الأشراف (٣٢٨/٥، رقم ٦٦٧٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٦٢٨)، وقال الحاكم (٢٥٧/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في السير (١٦٠/٥): هذا حديث عال صالح الإسناد. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر غ ر).

"إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر".

وهذا التأكيد يطمئن كل من تبرق في نفسه أشعة التوبة والرجوع إلى الطريق الصحيح طريق الهداية والرشاد والفعل "يقبل" بدلالته الزمنية يجعل هذا القبول مستمرًا وغير محدود بزمان أو مكان: فالفعل المضارع من خصائصه الوقوع في الحال والاستقبال، فقبول التوبة عام وشامل إذا التزم العبد بشروط التوبة النصوح ولابد أن تكون التوبة قبل لحظة الاحتضار التي عبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: "مالم يغرغر" أي: تصل روحه حلقومه؛ وهذا الفعل مأخوذ من الغرغرة: وهي جعل الشراب في الفم والغرغرة كلمة فصيحة ولكنها تجرى على ألسنة العامة وكأنها كلمة عامية.

ويمكن أن يكون هذا اليسر الواضح في هذه الكلمة والذي كنى به رسول الله ﷺ عن لحظة الموت وساعة خروج الروح يمكن أن يكون هذا الشيوع للكلمة تذكيرًا بهذه اللحظة الفارقة حتى يستعد كل الناس لها.

وفي القرآن الكريم تحديد لهذه القضية، وحسم لهذا الأمر، وتوضيح للمعنى المراد في الحديث الشريف: حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

والله يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويرغب رسول الله ﷺ في التوبة والاستغفار: حيث يروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم))[2]. فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٤٩.

(٣) تم د ها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٩)

١٩- وعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَال: أَتيْتُ صفْوانَ بْنِ عسَّالٍ رضي الله عنه أَسْأَلُهُ عن الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ فقال: مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابْتغَاءُ الْعِلْمِ، فقَال: إنَّ الْملائِكَةَ تَضعُ أَجْنِحتِها لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بمَا يَطلُبُ، فَقلْتُ: إنَّه قدْ[1] حَكَّ في صدْرِي الْمسْحُ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَعْدَ الْغَائِطِ والْبوْلِ، وكُنْتَ امْرَءًا مِنْ أَصْحاب النَّبِيِّ ﷺ، فَجئْت أَسْأَلُكَ: هَلْ سمِعْتَهُ يذْكرُ في ذَلِكَ شيْئًا؟ قال: نعَمْ. ((**كانَ يأْمُرنا إذا كُنا سَفْرًا أوْ مُسافِرينَ: أن لا ننْزعَ خفافَنا ثلاثة أيَّامٍ ولَيَالِيهنَّ إلاَّ مِنْ جنَابةٍ، ولكِنْ مِنْ غائطٍ وبوْلٍ ونوْمٍ**).

فقُلْتُ: هَل سمِعتهُ يذكُر في الْهوى شيْئًا؟ قال: نعمْ. كُنَّا مَع رسول الله[2] ﷺ في سفرٍ، فبيْنا نحنُ عِنْدهُ إذ نادَاهُ أَعْرابي بصوْتٍ له جهوريٍّ: يا مُحمَّدُ، فأَجَابهُ رسولُ الله ﷺ نحْوا مِنْ صَوْتِه: «**هاؤُمْ**» فقُلْتُ[3] لهُ: وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فإنَّك عِنْد النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم وقدْ نُهيت عَنْ هذا، فقال: واللَّه لا أَغضُضُ: قَالَ الأَعْرابيُّ: الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوم ولَمَّا يلْحق بِهِمْ؟ قال النَّبيُّ ﷺ: «**الْمرْءُ مع منْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيامةِ**» فما زَالَ يُحدِّثُنَا حتَّى ذكر بابًا مِنْ[4] الْمَغْرب مَسيرةُ[5] عرْضِه أوْ يسِير الرَّاكِبُ في عرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا.

قَالَ سُفْيانُ (أَحدُ الرُّوَاةِ)[6]: قِبَلَ الشَّامِ خلقَهُ اللَّهُ تعالى يوْم خلق السموات والأَرْضَ مفْتوحًا[7] لِلتَّوبة لا يُغلقُ حتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ» رواه التِّرْمذي وغيره وقال: حديث حسن صحيح[8].

---

(١) (قد) لا توجد عند الترمذي.

(٢) لفظ الترمذي: (النبي).

(٣) لفظ الترمذي: (وقلنا له).

(٤) عند الترمذي زيادة: (قِبَل).

(٥) عند الترمذي زيادة: (سبعين عامًا).

(٦) هذا التفسير من المؤلف.

(٧) عند الترمذي زيادة: (يعني).

(٨) أخرجه الترمذي (٣٥٣٥). قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١/١٥٩): حديث صفوان هذا وقفه قومٌ عن عاصم، ورفعه عنه آخرون، وهو حديث صحيحٌ حسنٌ ثابتٌ محفوظٌ مرفوعٌ، ومثله لا يقال بالرأي.

ترجمة الراوي:

صفوان بن عسال: صحابي مشهور، علم من أعلام الصحابة، وهو صفوان بن عسال من بني زاهر بن عامر المراديِّ، عرف بالصحبة والرواية عن رسول الله ﷺ وهو ممن سكن الكوفة وكان رضي الله عنه حريصًا على الجهاد في سبيل الله إعلاءً لكلمة الحق والدين، وبلغت غزواته مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وحدَّث بذلك عن نفسه فقال ((غزوت مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة))[١].

كما كان حريصًا شغوفًا بطلب العلم، والاستزادة منه، وفرح به رسول الله ﷺ وأثنى عليه، وبين له فضل العلم والعلماء فجاء في الطبراني عنه أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متكئ على بُرْدٍ له، فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: مرحبًا بطالب العلم، طالب العلم تحفه الملائكة وتظله بأجنحتها ثم يركب بعضه بعضًا حتى يبلغوا السماء الدنيا من حبهم لما يطلب))[٢].

توفي رضي الله عنه في حدود الأربعين للهجرة[٣].

غريب الألفاظ:

حكّ في صدري: لم أكن منشرح الصدر وداخلني منه شيء من الشك والريبة في قلبي[٤].

صوت جَهْوري: شديد عالٍ[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣٩/٤ رقم ١٨٠٩٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ١٠/٣٠.

(٢) الطبراني في الكبير ٥٤/٨ رقم ٧٣٤٧، وقال الهيثمي في مع الزوائد ١٣١/١: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢٧/٦ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٤٤، ٣٤٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٨/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦١٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٦٠/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/٢، وحاشية السندي ٩/٣٠، وعظماء حول الرسول ١٠٦٤/٢-١٠٦٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ك ك).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج هـ ر)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٤٩٦/٢.

هاؤم: أي تعال أو خُذ[١].

ويحك: ويح: كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تقال بمعنى المدح والتعجب[٢].

الشرح الأدبي

ما أجمل الحوار بين أبناء الأمة وما أعظم فائدته حين يكون بين المسلمين وغيرهم من أبناء الملل الأخرى ولقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بذلك وأمر كل مسلم يحرص على نشر كلمة التوحيد وتعاليم الإسلام حيث يقول الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٣].

وفي هذا الحديث الشريف تتجلى قيمة الحوار في الإسلام وتظهر ثمرته النافعة في الإقناع والتعليم والتوجيه وبيان قيمة طلب العلم وحسن الصحبة وقيمة المودة والمحبة بين الناس والحرص على القدوة الحسنة والتآسي بسلوكها وقولها وشمائلها بصفة عامة.

وقد يستغرب القارئ من وضع هذا الحديث في "باب التوبة" وهو الحديث السابع في هذا الباب ويتساءل: لماذا وضعه الإمام أبو زكريا النووي في هذا السياق وأين الحض على التوبة؟ وأين الترغيب في الاستغفار.

وإذا تأملنا الحديث وتتبعنا الحوار الدائر بين زر بن حُبَيْش وهو تابعي وصفوان بن عسال رضي الله عنه وهو صحابي غزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة ندرك أن زر بن حُبَيْش من طلاب العلم وراغبي المعرفة ومن الحريصين على فقه الأمور كلها حيث يقول: قال لي أُبيّ ابن كعب "يازر ما تريد أن تدع آية إلا سألتني عنها".

إن الحوار في هذا الحديث الشريف يختم بقول رسول الله ﷺ "المرء مع من أحب يوم القيامة" ثم يتابع الراوي عناصر الحوار وهو يحكي عن النبي ﷺ ويحدث عنه:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هاؤم).

(٢) المرجع السابق في (و ي ح).

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

فيقول: "فما زال رسول الله ﷺ يحدثنا حتى ذكر بابًا من المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عامًا".

ويقول سفيان أحد الرواة محددًا صلة هذا الحديث بباب التوبة ومجيبًا على ما ينشأ من تساؤل عند بعض الراغبين في المعرفة أو يزيل الشك من نفوس بعض المعاندين والمكابرين: يقول مستكملاً الرواية السابقة بعد قول الرسول عليه الصلاة والسلام أو سبعين عاما: ((قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض مفتوحًا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه)).

فالحديث هنا يفتح باب الرجاء والتوبة أمام البشر أجمعين إلى قيام الساعة، وهذا المعنى في هذا الإطار الزمني ورد في الحديثين السابع عشر والثامن عشر فالحديث هنا ليس مقحمًا وليس غريبًا عن آفاق التوبة.

وهذا الحديث الشريف ليس فيه إيجاز وليس فيه إطناب وإنما صيغ في قالب بلاغي هو: المساواة، فالإجابة تأتي واضحة مقنعة للسائل ولا تترك في ذهنه بذرة من الحيرة أو الجهل أو الشك .

وقد قسم العلماء دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام:

أحدها: المساواة: وهو أن يكون المعنى مساويًا للفظ.

والثاني: التذييل: وهو أن يكون اللفظ زائدًا على المعنى وفاضلاً عنه.

والثالث: الإشارة: وهو أن يكون المعنى زائدًا على اللفظ أى أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة[1].

وهذه المساواة بين المعاني والألفاظ في هذا الحديث الشريف تتجلى فيها عدة أمور يظهر الحديث قيمتها. وهى قيمة طلب العلم لما له من أثر نافع مفيد في تقوية الصلة بين العبد وربه وفي العمل على تقدم الأمة وأخذها بأسباب الحضارة والرقى وفي ضرورة معرفة الأحكام والحقوق والواجبات حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه ومن الأحكام التي حرص السائل على معرفتها "حكم المسح على الخفين" وهو من أبواب

---

(١) انظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى ص ٢٠٧.

الفقه المعروفة ويعطي صورة واضحة مشرقة عن سماحة الإسلام وتيسيره في العبادات، وهذا التيسير من شأنه أن يلقي على المسلم عبء القيام بالواجبات وعدم التهاون في شأنها وعدم التقصير في أدائها؛ ومحبة رسول الله ﷺ من أدق صفات المؤمنين وهي ليست قولاً باللسان وإنما اقتداء وقيام بالأركان وشعور صادق ينبع من الجنان وثناء وصلاة وتسليم على المصطفى المُجتبي الذي أرسله ربه رحمة للعالمين وتأتي إجابة رسول الله ﷺ على من يحبه ويظن أنه سيظل بعيدًا عنه فيطمئنه المبعوث رحمة للعالمين بقوله: "المرء مع من أحب يوم القيامة"، وهذا الحب الخالص الذي يتوج حياة المؤمن تضيء معالمه في سورة آل عمران: بقول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وحين نتأمل ما في الحديث من أسرار تعبيرية وجماليات أسلوبية نجد أن أسلوب النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة يجمع بين خاصيتي: المساواة والإشادة وليست فيه ألفاظ زائدة على المعنى لأن الزيادة اللفظية تعد عيبًا من عيوب فصاحة اللسان العربي وخاصية الإيجاز تعد صدى مضيئًا وترجمانًا قوليًا صادقًا لقوله ﷺ أوتيت جوامع الكلم.

وخاصية المساواة في هذا الحديث الشريف تتمثل في حرص السائل على المعرفة وحرص المجيب على الإفادة والسؤال الأول الذي سأله زر بن حُبَيْش كان عن المسح على الخفين وأشاد صفوان بن عسال بهذا الحرص على المعرفة وقال مشيدًا بذلك في أسلوب التوكيد "إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب" وأي تقدير أعظم من هذا التقدير، حيث تكف الملائكة أجنحتها عن الطيران وتنزل لسماع العلم وقال بعض العلماء إن هذا التعبير على سبيل الحقيقة وإن لم نشاهده عملاً بالقاعدة المشهورة "أن كل ما ورد وأمكن حمله على ظاهره حمل عليه ما لم يرد ما يصرفه عنه"[2].

وتتابع الحوار بين السائل والمجيب نلمسه في تتابع الأسلوب وتدفقه من خلال فاء العطف التي تفيد الترتيب والتعقيب. وهذه الجمل ترد على هذا النحو فقال – فقلت؛

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/ ٩٠.

فقال ؛ فقلت، فجئت، والأسلوب يكشف عن حيرة زر بن حُبَيْش حيث يقول مؤكدا إنه قد حك في صدري المسح على الخفين.. وجملة حك في صدري كناية عن الحيرة وعدم الاطمئنان وقوله: "وكنت أمرءًا من أصحاب النبي ﷺ" فيه تقدير للصحابة وهم كالنجوم في الهداية وفيه حرص على الدقة العلمية وتحرى الصواب في الأحكام والتعبير بالفعل "يأمرنا" يدل على وجوب هذا الأمر وقد توسع الفقهاء في هذا الباب كل حسب أدلته ومذهبه.

والسؤال عن الهوى: وهو الميل في قصد واعتدال إلى محبة الآخر فما بالنا إذا كان المحبوب هو رسول الله ﷺ، ويتجلى حلم رسول الله ﷺ في استجابته لنداء الأعرابي البدوي الذي يأبى أن يغض صوته، ويراعي رسول الله حالته في ضوء الحكمة التي منحها الله له ومراعاة لمقتضى حال الرجل الذي يحب رسول الله ويخشى أن لا يلحق به في الأعمال وطرق الكمال فيبشره الحبيب المصطفى ﷺ بقوله: "المرء مع من أحب يوم القيامة" وفي ذلك فضل محبة الله ورسوله ﷺ وقال أنس: "ما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد مما فرحنا بقول النبي ﷺ: المرء مع من أحب" ويختم الحديث بفتح باب التوبة أمام الناس أجمعين إلى يوم القيامة وما أعظم البشارتين بشارة محبة رسول الله وبشارة القرب من الله عز وجل.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم طلب العلم، وقد ذكر الفقهاء[1] أن طلب العلم لمعرفة الحلال والحرام ومعرفة فروض الإسلام وكيفية أداء الصلاة والصيام وفرائض الإسلام فرض على كل مسلم ومسلمة ويحمل عليه حديث الرسول ﷺ في هذا الشأن ((طلب العلم

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢٣٤/٣، والمبسوط، السرخسي ٢/١، ٢٦٠/٣٠، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢٧٢/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١٨١/٤، والآداب الشرعية، ابن مفلح ٣٤/٢.

فريضة على كل مسلم))[١] ، أما طلب الأدلة والتفصيلات وتعليمها فهو فرض من فروض الكفايات متى قام به البعض سقط عن الباقين.

الثاني: حكم المسح على الخفين وشرائطه المعتبرة، وقد اتفق الفقهاء[٢] على مشروعية المسح على الخفين وأنه رخصة رخصها حديث رسول الله ﷺ المذكور هنا متى كان الماسح لابسًا للخف على طهارة، وقدنقل ابن المنذر الإجماع على مشروعيته، ولم يخالف في ذلك إلا ابن عباس فيما روي عنه وكذا قول للرافضة، واختلفوا في مدة المسح الجائزة فقيل: ثلاثة أيام بلياليهن للمسافر ويوم وليلة للمقيم، وهو ما عليه عامة أهل العلم، وقيل: سبعة أيام بلياليهن للمسافر وهو ما قال به بعض الصحابة وما نص عليه المالكية، وقيل: ليست له مدة وهو قول ضعيف عند البعض.

وشرط ذلك ألا تقوم جنابة بالماسح في هذه المدة فإن وقعت وجب خلع الخفين والاغتسال ثم اللبس ثانية مع جواز المسح في حدود المدة المذكورة.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

خامسًا: من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعو.

سادسًا: من صفات الداعية: التلطف مع المدعو.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على محبة المؤمنين الأتقياء.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٣).

(٢) بدائع الصنائع، الكاساني ٨/١ وما بعدها، وتبيين الحقائق، الزيلعي ٤٥/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣١٨/١ وما بعدها، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٣٤/١ وما بعدها، ومغني المحتاج ١٩٧/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٩٨/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة ١٤/١ وما بعدها، والفروع، ابن مفلح ١٥٨/١ وما بعدها.

أولاً- من واجبات المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

إن مما يجب على المدعو: السؤال عما أشكل عليه، وما عنَّ له من القضايا والمسائل، ليعبد ربه على بصيرة، وذلك ما حمل زِرَّ بن حبيش أن يأتي صفوان بن عسّال يسأله فعن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسأله عن المسح على الخفين "وذكر له الدافع على هذاالسؤال بقوله "إنه قد حكَّ في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول". وقد عتب النبي صلى الله عليه وسلم على قوم أفتوا بلا علم وبين أن شفاء الجهل السؤال، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: أصاب رجلاً جرح في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم احتلم، فأُمر بالاغتسال، فاغتسل، فمات، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1] أي لِمَ لم يسألوا حين لم يعلموا لأن شفاء الجهل السؤال[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث "فقلت أنه قد حكّ في صدري المسح على الخفين بعد الغائط والبول وكنت امرءًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فجئت أسألك هل سمعته يذكر في ذلك شيئًا؟ قال: نعم كان يأمرنا إذا كنا سفرًا -أو مسافرين- ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن من غائط وبول ونوم" كما سأله "هل سمعته يذكر في الهوى شيئًا؟ ... الحديث" وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله عز وجل وذلك لما فيه من إقبال المدعو على الدعوة واستفادة الداعي من ذلك في تبليغ دعوته، وفي نشر المعرفة وتثبيتها، وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصلات لا غموض فيها ولا التباس، وأن يكون المجيب على علم مؤكد بالجواب الصحيح[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ص ١٨٦.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٦٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم:

وقد ورد التصريح بفضل طلب العلم في الحديث فعندما سأل صفوان بن عسال زرَّ بن حبيش رضي الله عنهما ما جاء بك يا زرُّ؟ فقال: ابتغاء العلم، فقال: "إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً بما يطلب" ووضع الملائكة أجنحتها لطالب العلم تواضعًا وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم، فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالبٌ لما به حياةُ العالم ونجاتُه ففيه شَبَهٌ من الملائكة وبينه وبينهم تناسب[١].

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مبينة فضل العلم حاضّة عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٢] وقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣] وقوله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٥].

قال ابن القيم: (استشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجلِّ مشهود به وهو التوحيد، وقرن شهادتهم وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم، فإنه تعالى لا يستشهد بمجروح[٦]، وهذا أعلى درجات تكريم العلم وأهله، أن يعتد الله بشهادة العلماء على أكبر حقيقة من الحقائق الإلهية وينزلها المنزلة التي تلي شهادة الملائكة[٧]. وعن أبي

---

(١) فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية ص ٦٥.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٧٠.

(٧) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٥٧.

هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((... وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[١].

إن الإسلام يدفع المسلم دفعًا إلى تحصيل العلم واكتسابه والاستزادة منه، يقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢]، ويقرر الإسلام أن غاية الرسالة الإسلامية هي تلاوة آيات الله على الناس وتزكيتهم بالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل وتعليمهم الكتاب والحكمة، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

إن العالم والجاهل لا يستويان، لا في المنزلة عند الله ولا في الوجاهة عند الناس ولا في فهم قيمة الحياة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤].

فالعالم له قدره، ومنزلته، ومكانته: يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٥].

أما الجاهل فهو مطموس البصيرة، منقوص القدر، يقول الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

ومثلهما مثل البصير والأعمى، هل يستويان مثلا؟ يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٤) سورة الزمر، آية: ٩.

(٥) سورة ال ادلة، آية: ١١.

(٦) سورة الروم، آية: ٥٩.

ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾[١] ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾[٢].

إن الإسلام ينوه بالعلم، ويرفع من شأنه، ويدفع أهله إليه، لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار، فهو للعقل كالنور للعين لا يستغنى عنه بحال، ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه.

وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورقيها الصناعي، وازدهارها التجاري، ونموها الزراعي، واتساعها العمراني، فهو الذي يرقى بالحياة، ويجعلها وارفة الظلال جديرة بأن ينعم بها الإنسان، ويسعد[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

من مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية: رخصة المسح على الخفين والتي وردت في قول صفوان بن عسال رضي الله عنه لزر بن حبيش لما سأله عن المسح على الخفين وهل سمع فيه شيئًا من رسول الله ﷺ "قال نعم، كان يأمرنا إذا كنا سَفْرًا -أو مسافرين- أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة، لكن من غائط أو بول أو نوم" والمسح على الخفين من خصائص هذه الأمة، ومشروعية المسح على الخفين للمسافر والمقيم من هدي النبي ﷺ، ومن الأمور التي سطع نور الشريعة بها تخفيفًا وتيسيرًا على المكلفين[٤]، وصدق الله ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[٥]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٦].

---

(١) سورة الرعد، آية: ١٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٩.

(٣) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٥٦ - ٥٩.

(٤) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤٣.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يبرزوا للناس هذا المعلم البارز في شريعة الإسلام - معلم التيسير- وأن ينتهجوه في دعوتهم إلى الله تعالى وأن يكون لهم سننا عامًا.

إن مهمة الدعوة إلى الله تعالى مهمة جليلة، يختار الله لها من عباده من اصطفاهم لنفسه.

فعملهم امتداد لعمل الأنبياء عليهم السلام، وغايتهم هي غاية الأنبياء، ولذا كان عليهم أن يقتدوا بالأنبياء عليهم السلام في سمتهم ووقارهم، وفي حكمتهم وحسن تصرفهم وفهمهم.

إنها المهمة العظيمة التي من خلالها يكون صلاح الأمم، من حيث الأخلاق والسلوك، ومن حيث الاعتقاد والعبادة، ومن حيث التعامل الاجتماعي والاقتصادي.

ومن هنا كانوا ورثة الأنبياء، كما قال سيد البشر محمد ﷺ، وإذا كانت مهمة الدعوة بهذه المكانة وهذا الفضل، فينبغي لمن اختار طريقها أن يكون على قدر من العلم بسيرته ﷺ في دعوته للناس، حتى يكون على الأثر.. وحتى يكون في الطريق الصحيح.. وحتى يصل إلى الغاية المرجوة.

إن من أول واجبات الداعية أن يكون حسن السيرة ملتزمًا بالأخلاق الحميدة، بحيث تكون دعوته إلى الخير بلسان حاله قبل لسان مقاله.. وعندما يكون الحال والمقال متطابقين، فإن الكلمات تأخذ طريقها إلى القلوب، ويكون لها أثرها وفعاليتها.

وأن يكون عندهم فقه تام ليسر الإسلام وسماحته في إطار مهمتهم تطبيقًا في سلوكهم وبيانًا ودعوة للآخرين.

وهو ما دعا إليه ﷺ وطبقه، وعلمه ووصى به صحابته رضي الله عنهم.

فقد بعث ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذًا بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن وكان من وصيته لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

وقد تكررت دعوته بذلك، ففي خطاب عام قال ﷺ: ((ولا تعسروا، وسكّنوا ولا تنفّروا))[١].

تلك هي السمة العامة لهذا الدين، ومن مهمة الدعاة بيانها للناس...[٢].

خامسًا- من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعو:

إن من أهم ما ينبغي أن يتصف به الداعية بيان الحقائق للمدعوين حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، وفي الحديث ورد ما يبين ذلك عمليًا من رسول الله ﷺ ببيان رخصة المسح على الخفين وجوابه ﷺ على سؤال الأعرابي "المرء يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال النبي ﷺ المرء مع من أحب يوم القيامة" وقد بيّن الحق تبارك وتعالى أنّ وظائف النبي ﷺ التبيين للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

وأمر الله العلماء ببيان العلم وإظهار حقائقه للناس، وحذرهم من كتمانها والإهمال في تبليغها، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٤]، وفي الآية دليل واضح وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيرهم[٥].

سادسًا- من صفات الداعية: التلطف مع المدعو:

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٥، ومسلم ١٧٣٤.

(٢) انظر: الإسلام دين التيسير، صالح أحمد الشامي ص ٣٩ - ٤٠.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ص ٢١٠.

جاء في هذا الحديث ما يدل على التلطف فذلكم الأعرابي الذي نادى على الرسول ﷺ باسمه مجردًا بصوت جهوري، لم يعنفه ﷺ، ولم يغلظ له القول، وإنما تلطف معه، وبيّن له ما أراده "فبينا نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري يا محمد فأجابه رسول الله نحوًا من صوته هاؤم" فقلت له ويحك اغضض من صوتك فإنك عند النبي ﷺ وقد نهيت عن هذا فقال والله لا أغضض" ومع ذلك اتخذ النبي ﷺ معه اللطف منهجًا وسبيلاً وصدق الله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1] أي: برحمة الله لك ولأصحابك مَنَّ الله عليك فألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك وترققت عليهم وحسنت خلقك لهم فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك[2].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على محبة المؤمنين الأتقياء:

جاء في الحديث: الترغيب في محبة المؤمنين الصالحين، ببيان أن المرء مع من أحب كما هو واضح من سؤال الأعرابي وإجابة النبي ﷺ "قال الأعرابي: المرء يحب القوم ولَمَّا يلحق بهم؟ أي يحب القوم الأخيار أحياءً وأمواتًا ولما يلحق بهم، أي: في الأعمال، وطرق الكمال أي لم يعمل بعملهم[3] قال النبي ﷺ "المرءُ مع من أحب" وقد جاء هذا المعنى في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة؟ قال وما أعددت للساعة؟ قال:حب الله ورسوله، قال فإنك مع من أحببت" قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ فإنك مع من أحببت، قال أنس: ((فَأَنَا أُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ. وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَأَرْجُو أَنْ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٧.

أَكُونَ مَعَهُمْ. وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ))[١]. قال النووي: (فيه فضل حب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٨٨، ومسلم ٢٦٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٥.

الحديث رقم (٢٠)

٢٠- وَعَنْ أبي سَعِيدٍ سَعْد بْنِ مالك بْنِ سِنانٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَن نَبِيِّ الله ﷺ قَال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قتل تِسْعةً وتِسْعين نفسًا، فسأل عن أعلَم أهْلِ الأَرْضِ فدُلَّ على راهِبٍ، فَأَتَاهُ فقال: إنَّهُ قَتَل تِسعةً وتسعِينَ نَفْسًا، فَهلْ لَهُ مِنْ توْبَةٍ؟ فقال: لا. فقتلَهُ فكمَّلَ بِهِ مِائةً. ثمَّ سألَ عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ. فقال: إنهَ قَتل مائةَ نفسٍ فهلْ لَهُ مِنْ تَوْبةٍ؟ فقالَ: نَعَمْ. ومنْ يحُولُ بيْنَهُ وبيْنَ التوْبة؟ انْطَلِقْ إلَى أَرْضِ كذا وكذا، فإنَّ بها أُنَاسًا يعْبُدُونَ الله تعالى فاعْبُدِ الله مَعَهُمْ، ولا تَرْجِعْ إلى أَرْضِكَ فإنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فانطَلَق حتَّى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْموْتُ، فاختَصمتْ فيهِ مَلائكَةُ الرَّحْمَةِ وملائكةُ الْعَذابِ. فقالتْ ملائكةُ الرَّحْمَةَ: جاءَ تائِبًا مُقْبلا بِقلْبِهِ إلى اللَّهِ تعالى، وقالَتْ ملائكَةُ الْعذابِ: إنَّهُ لمْ يَعْمَلْ خيْرًا قطُّ، فأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَةِ آدمي فجعلوهُ بيْنَهُمْ (أي حكمًا)، فقال: قيسوا ما بَيْن الأَرْضَين فإلَى أَيَّتهما كَان أَدْنى فهْو لَهُ، فقاسُوا فوَجَدُوه أَدْنى إلَى الأَرْضِ التي أَرَادَ، فَقبَضَتْهُ مَلائكَةُ الرَّحمةِ» متفقٌ عليه[1].

وفي روايةٍ في الصحيح: «فكَان إلَى الْقرْيَةِ الصَّالحةِ أَقْربَ بِشِبْرٍ، فجُعِل مِنْ أَهْلِها»[2].

وفي رواية في الصحيح: «فأَوْحَى اللَّهُ تعالَى إلَى هَذِهِ: أَن تَبَاعَدِى، وإلى هَذِهِ: أَن تَقرَّبِي[3]. وقَال: قِيسُوا مَا بيْنهمَا، فَوَجدُوه إلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ»[4]. وفي رواية: «فنأى[5] بِصَدْرِهِ نَحْوهَا»[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٧٠، ومسلم واللفظ له ٢٧٦٦/٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٦٦/٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٣.

(٣) هذا لفظ مسلم برقم ٢٧٦٦/٤٨، وعند البخاري تكررت: (أوحى) مرتين.

(٤) رواه البخاري ٣٤٧٠. اورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٣.

(٥) لفظ البخاري: (فناء)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه. قال الحافظ في الفتح ١٢٨/٨: فناء: بنون ومدّ، أي بعد، أو المعنى: مال أو نهض مع تثاقل، فعل هذا فالمعنى: فمال إلى الأرض التي طلبها، هذا هو المعروف في هذا الحديث، وحكى بعضهم فيه: (فنأى) بغير مدٍّ قبل الهمز، وبإشباعها بوزن: (سعى) تقول: نأى ينأى نأيًا، أي بعد. وعلى هذا فالمعنى: فبعد على الأرض التي خرج منها. ووقع في رواية هشام، عن قتادة ما يشعر بأن قوله: (فناء بصدره) إدراجٌ، فإنه قال في آخر الحديث: (قال قتادة: قال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموتُ ناء بصدره).

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٣.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: وهو سعد بن مالك بن سِنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، الأنصاري، الخُدْرِي نسبة إلى خُدْرة. وهو بطن من الأنصار، كنيته "أبو سعيد" وبها اشتهر، وأخو أبي سعيد لأمه هو قتادة بن النعمان الظفري أحد البدريين. استشهد أبوه مالك يوم أحد. وكان أبو سعيد رضي الله عنه من الحفاظ المكثرين والعلماء الفقهاء، العقلاء الفضلاء، الإمام المجاهد، ومفتي المدينة، وكان رضي الله عنه من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم فحفظ عنه سننًا كثيرة، وعلمًا جَمًّا، له في كتب الحديث (١١٧٠) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على (٤٣) وانفرد البخاري بـ (١٦)، ومسلم بـ(٥٢) حديثًا.

أما عن جهاده في سبيل الله، فقد استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأجازه يوم الخندق، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة، ومما ذكر عن صفاته الخلقية أنه كان يحفي شاربه ويصفر لحيته.

توفي رضي الله عنه بالمدينة المنورة، يوم جمعة، ودفن بالبقيع سنة (٧٤) هجرية وهو الأشهر، وقيل (٦٣)، أو (٦٤)، أو (٦٥)، وهو ممن له عقب من الصحابة[١].

غريب الألفاظ:

راهب: هو من اعتزل الناس إلى دير وانقطع للعبادة[٢].

نصَف الطريق: بلغ نصفها[٣].

قبضته: أخذته[٤].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨١٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٤٥١/٢، ٤٥٢، ١٣٨/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٤٩٢، ٤٩٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١٦٨/٣-١٧٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ١٢٧/٣، ١٢٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٩٦/١، ٦٩٧، والأعلام، خير الدين الزركلي ٨٧/٣، والسندي ٤/١٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٨٩٧/٢، ٨٩٨.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ٢٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٩٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس والوسيط في (ن ص ف).

(٤) مختار الصحاح ٥١٩.

الشرح الأدبي

تتعدد الأساليب والطرق التي يخاطب بها رسول الله ﷺ أمته وكل أسلوب يحمل في لبناته اللغوية التشويق والترغيب والتأثير إذا كان الشأن في سياق العمل الصالح، ويحمل الأسلوب كل وسائل الترهيب والتنفير إذا كان الخطاب متعلقًا بأمر كريه، وسلوك شائن ومخالفة صريحة لأوامر الشرع ونواهيه: اتباعًا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

وهذا الحديث الشريف جاء في قالب القصة: لتشويق السامع والقارئ وللتأثير المقنع، ولفتح باب التوبة، ونزع القنوط واليأس من نفوس العاصين الذين تهب عليهم نفحات الوصول، وتشرق في نفوسهم أنوار الإنابة والقبول.

وهذه القصة الواقعية التي يرويها رسول الله ﷺ للعظة والعبرة تعد قصة حقيقية تاريخية، وليست من قبيل ضرب الأمثال: لأن المصطفى ﷺ قال: ((كان فيمن كان قبلكم رجل)) ومادة الفعل "كان" تدل على كينونة الحدث ووقوعه، واسم الموصول "مَنْ" وهو للعاقل يؤكد واقعية الحدث وتكرار الفعل "كان" يحدد أن هذه القصة حدثت في الأمم السابقة: التي عبر عنها سيد الخلق. "كان فيمن قبلكم" أي قبل أمة الإسلام؛ ولم يحدد الرسول ﷺ التاريخ ولا القوم الذين حدثت فيهم هذه القصة، ولا اسم البلدتين ولا زمن الوقوع؛ لأن الغرض هو العبرة والدرس النافع والاعتبار بأحوال الأمم الماضية وزرع الأمل في نفوس العاصين الذين يرغبون في التوبة إلى الله والعمل الصالح.

والقصة التاريخية في البيان النبوي لا تتفق مع مصطلح القصة التاريخية في الفنون الأدبية الحديثة، وتخالف ما اصطلح عليه النقاد في هذا المجال، وذلك لأن القصة التاريخية في الحديث النبوي لم تنشأ ولم تُرْوَ بدافع الرغبة في إبداع نوع أدبي، أو إعادة صياغة للتاريخ، أو للمبالغة في تجميل أو تشويه مرحلة تاريخية معينة حسب توجهات الأديب ورغباته ومواقفه.

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

وإنما القصة التاريخية في الحديث النبوي واقعية محددة تحكي ما وقع في صيغة العموم والشمول، رغبة في الاقتداء والانتفاع بهذا الواقع جميلاً وصالحًا، وأيضًا رغبة في إصلاح هذا الواقع إذا كان مريضًا تشوبه الأهواء والنوازع أو رفضًا لهذا الواقع إذا كان فاسدًا متصادمًا مع منهج الإسلام الحافل بالعطاء الإلهي، والهدي النبوي.

فالقصة في الحديث النبوي تجمع بين صدق الواقع وجمال الغرض، وجلال الموقف، وإصابة الهدف، ونبل المقصد، وسمو الغاية، ومادة هذه القصة مأخوذة من أحداث التاريخ الواقعة فيما مضى من سالف الدهر، والقصة تتخير من الأحداث التاريخية ماله أثر في التربية والتوجيه، وتعليم الجماعة المسلمة وتأييد أهداف الدعوة الإسلامية وتحقيق أغراضها[1].

وحين نتأمل البناء اللغوي في هذا النص النبوي الشريف الذي صيغ في القالب القصصي نكتشف كثيرًا من الأسرار التعبيرية، والجماليات الأسلوبية التي تتفق مع الهدف من هذا الدرس النبوي المفيد العميق.

ولنتساءل: لماذا لم يحدد الرسول ﷺ اسم ذلك الرجل، وأتى به في صيغة النكرة بعيدًا عن أي وسيلة من وسائل التعريف؟؟ إن هذا التنكير للتعميم والتغليب؛ وذلك لأن الغرض هو الإفادة من ثمرة هذه القصة، وهي يمكن أن تتكرر في كل زمان إذا حدثت الملابسات نفسها.

وهذا الرجل الذي يبحث عن باب للتوبة يستعيد من خلاله إيمانه وتوازنه بعد أن تمادى في القتل وقتل تسعة وتسعين نفسًا، وهذا العدد ربما يكون للتكثير وليس للتحديد؛ والتعبير بقوله "نفسًا" ولم يقل رجلاً: هذا العدول من سمات البلاغة النبوية التي تتسم بالشمول والإيجاز فكلمة نفس أعم وأشمل: وفي إطارها تندرج كل أنواع النفوس البشرية (المرأة والطفل والشيخ والشاب والذكر والأنثى وغير ذلك) ولفظ "النفس" أعم وأشمل من الجسد والإنسان والرجل.

---

(١) انظر القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير ص ٣٥٥، والحديث النبوي: رؤية فنية جمالية د. صابر عبدالدايم ص (٩٠ – ٩١).

وقد ورد في القرآن الكريم كثيرًا في سياقات متعددة (النفس اللوامة -النفس المطمئنة- النفس الأمارة بالسوء) وفي سورة المائدة يقول الله عز وجل: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

وشخصية الرجل في هذه القصة تتطور ملامحها، وتتجدد سلوكياتها فهو لا يظل أسير المعصية، ولا يظل غارقًا في دماء قتلاه، وإنما تهب عليه نفحات الوصول، وتحين لديه ساعة الإنابة والقبول؛ فالله يقبل توبة العبد مالم يغرغر ويسأل هذا الراغب في التوبة عن أعلم أهل الأرض في زمانه ؛ وهذا السؤال يعطي لكل راغب في التوبة: مشروعية البحث عمن يرشده للطريق الصحيح، وأفعل التفضيل في قوله "أعلم أهل الأرض" يدل على أن الباحث عن الهداية لابد أن يسأل أهل العلم المتخصصين حتى يطمئن قلبه، وحتى يهتدي إلى الوسيلة الناجحة لبداية حياة إيمانية جديدة في بيئة صالحة غير ملوثة بأنفاس العاصين.

والعطف على التوالي بـ"إلفاء" يوحي بسرعة الأحداث وضرورة الإسراع في التوبة، ولنتأمل هذه الجمل التي تحكي سرعة الأحداث وعدم التمهل (فسأل- فَدُلَّ على راهب، فأتاه، فقال).

والتعبير بقوله: "إنه" ولم يقل: "إني" فيه التفات من التكلم إلى الغيبة وقال العلماء في تفسير هذا الالتفات وهو من جماليات الأداء الأسلوبي في البيان النبوي قالوا: إنه عدل إليه عن حكاية لفظه وهو "إني" بضمير المتكلم تنبيهًا على الأدب في حكاية مثل ذلك مما يكره النطق به فيؤتي بضمير الغيبة وكأن هذا التائب يعلن البراءة من ملامح شخصيته العاصية، وهو في حال إقبال على الطاعة والتوبة النصوح.

وعُقْدة القصة تتجلى في فتوى ذلك الراهب الذي أفتى بغير علم، وجعل اليأس يتسرب إلى هذا الرجل الباحث عن أبواب التوبة، ولكن ذلك الراهب يصدمه: ويقول له: ليست لك توبة.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٢.

واختيار لفظ "راهب" واقترانه بهذه النتيجة المؤلمة المفزعة حيث أقدم ذلك الرجل على قتله يأسًا وقنوطًا؛ هذا الراهب لقي هذا المصير لأنه أبعد الرجل عن أبواب رحمة الله عز وجل؛ ومجيء هذا اللفظ هنا فيه إرشاد إلى نقد هذه الفئة التي تبتدع في أصول العقيدة، وتتقول على الله عز وجل.

والرجل لم يقنط من رحمة الله وعاود السؤال: "فَدُلَّ على رجل عالم، وهذا التعبير يرشد إلى ضرورة سؤال أهل الذكر والبحث عن كبار العلماء، وتأتي لحظة التنوير في هذه القصة وتُحل العقدة وتنتهي أزمة الرجل حين يجيب العالم بـ "نعم" ثم يقول في دهشة واستنكار ومن يحول بينه وبين التوبة.

والعالم يعرف مسؤوليته تجاه ذلك التائب حيث يرشده إلى الطريق العملي الصحيح الذي يحافظ به على توبته، لأن التوبة ليست كلامًا فقط، وإنما لابد من العمل الصالح والندم على مافات والعزم على هجر المعاصي وتبدأ مرحلة جديدة في حياة ذلك الرجل فيذهب إلى أرض بها أناس صالحون ويترك البيئة العاصية التي نشأ فيها ولكن يوافيه الأجل في الطريق وتختصم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولكن الله عز وجل يقبل توبته. فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، والله غفور رحيم، وتواب حكيم، وهو اللطيف الخبير.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم توبة القاتل عمدًا، وقد ذكر جماهير أهل العلم[1] أن توبة القاتل مقبولة عند الله عز وجل، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه[2]

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢٤٦/٣، والمبسوط، السرخسي ٨٤/٢٧، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ٥٨٢/٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد بن أبي يوسف العبدري ٢٨٧/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٧٨/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ٣٧٥/٨، ومغني المحتاج ٢١١/٥، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ١١٢/١، ٥٢١/٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٧٨/٦، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٥٨/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٣٥/١٠.

(٢) المبسوط، السرخسي ٨٤/٢٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٦/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٢٨١/٤.

أنه ليس لقاتل العمد توبة، وفي أخرى روي عنه أن له توبة كغيره، وروي عن مالك أنه لا توبة لقاتل العمد[١]، وكذا عن أحمد روايتان في قبول توبته[٢]، والصحيح ما عليه المذهب قبول توبته. وإنما كان القول بمنع التوبة أو عدم قبولها للردع والزجر وإغلاق باب القتل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: الاستفادة من أخبار السابقين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن أماكن المعاصي والبحث عن أماكن تتيسر فيها سبل الطاعة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله على عباده.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: ضرورة المسارعة إلى التوبة.

سابعًا: من وسائل الدعوة: القصة.

ثامنًا: من واجبات الداعية: التبشير وعدم التقنيط من رحمة الله.

أولاً- من أهداف الدعوة: الاستفادة من أخبار السابقين:

تهدف الدعوة إلى توجيه المدعويين إلى الاستفادة من أخبار السابقين. يؤخذ ذلك من قوله ﷺ "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا" أي رجل من الأمم قبلكم[٣]، وقد أذن رسول الله ﷺ في التحديث عن بني إسرائيل ورفع الحرج عن ذلك، فعن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))[٤] قال ابن حجر:

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٧٨/٢.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ١١٢/١، ٥٢١/٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٧٨/٦، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٥٨/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٣٥/١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

أي لا ضيق عليكم من الحديث عن بني إسرائيل وقال الشافعي: (من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم)[١].

وفي الحديث دليل عملي على أهمية الاستفادة من أخبار السابقين، فقد جاء في الحديث ما قصّه النبي ﷺ من قصة ذلك الرجل الذي قتل تلك الأنفس العديدة وما فيها من بيان فتح الله لباب التوبة، وما يؤخذ من القصة من فضل العلم وأن العبادة التي تفتقد إلى العلم غالبًا ما يتطرق إليها الفساد ونحوه.

قال القرطبي: (قول الراهب لقاتل التسعة والتسعين إنه لا توبة له: دليل على قلة علم ذلك الراهب، وعدم فطنته، حيث لم يُصب وجه الفتيا، ولا سلك طريق التحرز على نفسه، ممن صار القتل له عادة معتادة، فقد صار هذا مثل الأسد الذي لا يبالي بمن يفترسه، فكان حقه ألا يشافهه بمنع التوبة مداراة لدفع القتل عن نفسه، كما يدارى الأسد الضاري، لكنه أعانه على نفسه، فإنه لما آيسه من رحمة الله وتوبته قتله، بحكم سبعيته[٢] ويأسه من رحمة الله وتوبته عليه، ولما لطف الله به بقي في نفسه الرغبة في السؤال عن حاله. فما زال يبحث إلى أن ساقه الله تعالى إلى هذا الرجل العالم الفاضل، فلما سأله نطق بالحق والصواب، فقال له: ومن يحول بينها وبينك؟ مفتيًا ومنكرًا على من ينفيها عنه، ثم إنه أحاله على ما ينفعه، وهو مفارقته لأرضه التي كانت غلبت عليه بحكم عادة أهلها الفاسدة، ولقومه الذين كانوا يعينونه على ذلك، ويحملونه عليه. وبهذا يعلم فضل العلم على العبادة، فإن الأول غلبت عليه الرهبانية، واغتر بوصف الناس له بالعلم فأفتى بغير علم، فهلك في نفسه وأهلك غيره. والثاني كان مشتغلاً بالعلم ومعتنيًا به، فوفق للحق، فأحياه الله في نفسه، وأحيا به الناس)[٣].

ولقد جاء القرآن الكريم بكثير من قصص الأنبياء والرسل مع قومهم لأخذ

---

(١) فتح الباري، ٦/٥٧٥، ٥٧٦.

(٢) أي صارت طِباعُه وحشية كالسبع.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٧/٩٠.

الفوائد والعبر منها، وهذا مما يؤكد أهمية الاستفادة من أخبار السابقين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

قال السعدي: ("لقد كان في قصصهم" أي: قصص الأنبياء والرسل مع قوهم "عبرة لأولي الألباب" أي: يعتبرون بها، أهل الخير، وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم، ناله ما نالهم، من كرامة، أو إهانة، ويعتبرون بها أيضًا، ما لله من صفات الكمال والحكمة العظيمة، وأنه الله، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

وقوله "ما كان حديثًا يفترى" أي: ما كان هذا القرآن، الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص، من الأحاديث المفتراه المختلقة، "ولكن" كان تصديق "الذي بين يديه" من الكتب السابقة، يوافقها، ويشهد لها بالصحة "وتفصيل كل شيء" يحتاج إليه العباد من أصول الدين وفروعه، ومن الأدلة والبراهين.

"وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" فإنهم -بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق وإيثاره- يحصل لهم الهدى، وبما يحصل لهم من الثواب العاجل والآجل، فتحصل لهم الرحمة[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

جاء أسلوب السؤال والجواب في الحديث فيما حكاه النبي ﷺ عما وقع بين الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا وبين الراهب وكذلك بينه وبين العالم "فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة" فالسؤال والجواب من الأساليب المفيدة في الدعوة، وفيه فرصة للاطلاع على الحقائق من قِبَل المدعوين والقدرة على إيصال الحقائق وبيان الأمور من قبل الدعاة.

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٦٢.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد هذا الأسلوب في هذا الحديث في ترغيب العالم لذلك الرجل الذي قتل مائة نفس في التوبة ببيان قبولها منه إن تاب، إذ لا يوجد هناك من يحول بينه وبين التوبة " فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: "نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟" فالترغيب أسلوب من الأساليب الدعوية المفيدة، إذ أنه يشوق المدعو ويستميله إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1]. والترغيب أبرز الأساليب الدعوية في القرآن والسنة النبوية، فالنفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله -بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ- لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن أماكن المعاصي والبحث عن أماكن تتيسر فيها سبل الطاعة:

إن مما نُصِح به ذلك الرجل الذي قتل مائة نفس أن يهجر أرضه، التي تيسرت فيها سبل المعصية، ووفرت له وسائلها، ولم يوجد فيها ما يمنع من المعصية، ويذهب إلى مكان تتهيأ فيه سبل الطاعة، والإنابة إلى الله تعالى، "انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء".

قال القاضي عياض: (وقول العالم له: "انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن فيها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك" فيه الحض على مفارقة الإنسان المواضع التي أصاب فيها الذنوب والأقران الذين ساعدوه عليها، ومعاداتهم لله تعالى، مبالغة في التوبة وقطع علائقها، والاستبدال بذلك صحبة أهل الخير والصلاح ومن يقتدى به، ويتأكد بمشاهدته توبته)[3].

---

(١) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢١٢٧/٦.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٦٩/٨.

لذا فإنه ينبغي لمن عاش في أرض بمثل تلك الصفة أو لم يستطع إقامة دينه أن يهجرها، وقد عاب الله أقوامًا بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1] قال القاسمي: (وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب، والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر، أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله على عباده:

جاء في الحديث بيان لفضل الله وواسع عطائه، ومن ذلك: قبوله سبحانه توبة التائب مهما اقترف من ذنوب وآثام، مما جعل العالِم يصرح بأنه لا يوجد مَنْ يحول بين الإنسان والتوبة "ومن يحول بينه وبين التوبة" وتجلى فضل الله في قبول توبة هذا الرجل، وما أمر به الأرض من التباعد والتقارب، حتى تقبضه ملائكة الرحمة "فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغفر له".

قال القرطبي: (وقوله: "فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: إنه جاء تائبًا مقبلاً بقلبه". هذا نص صريح في أن الله تعالى أطلع ملائكة الرحمة على ما في قلبه من صحة قصده إلى التوبة وحرصه عليها، وأن ذلك خفي على ملائكة العذاب حتى قالت: إنه لم يعمل خيرًا قط. ولو اطلعت على ما في قلبه من التوبة، لما صحّ لها أن تقول هذا، ولا تنازع ملائكة الرحمة في قولها: إنه جاء تائبًا مقبلاً بقلبه، بل شهدت بما في علمها، كما شهد الآخرون بما تحققوه. لكن شهادة ملائكة الرحمة على إثبات، وشهادة ملائكة العذاب بما تحققوه، وشهادة الإثبات مقدمة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٤٠١/٥/٣.

فلا جرم لما تنازع الصنفان وخرج كلاهما عن الشهادة إلى الدعاوى بعث الله إليهما ملكًا حاكمًا يفصل بينهما، وصوّره بصورة الآدمي، إخفاء عن الملائكة وتنويهًا ببني آدم، وأن منهم من يصلح لأن يفصل بين الملائكة إذا تنازعوا.

وقوله: "فجعلوه بينهم" فيه حجة لمالك على قوله أن المتخاصمين إذا حكّما بينهما رجلاً يصلح للتحكيم لزمهما ما يحكم به، وقد خالفه في ذلك الشافعي.

وقوله: "فقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له" دليل على أن الحاكم إذا تعارضت الأقوال عنده، وتعذرت الشهادات، وأمكنه أن يستدل بالقرائن على ترجيح بعض الدعاوى، نفذ الحكم بذلك، كما فعله سليمان عليه السلام حيث قال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما.

تنبيه: قال القاضي: جعل الله قُربَه من القرية علامة للملك عند اختلافهم مع عدمهم معرفة حقيقة باطنه التي اطلع الله عليها، ولو تحققوا بتوبته لم يختلفوا ولم يحتاجوا للمقايسة.

قلت: وهذه غفلة منه عن قول ملائكة الرحمة: "جاء تائبًا بقلبه إلى الله عز وجل" وهذا نص في أن الملائكة علمت ما في قلبه، فلو علمت ملائكة العذاب ما في قلبه لما تنازعوا لأن الملائكة كلهم، لا يخفى عليهم أن قبول التوبة إذا صحت في القلب، وعُمل على مقتضاها بالجوارح بالقدر الممكن مقبولة بفضل الله تعالى ووعده الصادق، والأحسن ما ذكرناه إن شاء الله تعالى، وإنما جعل الله قرب تلك الأرض سببًا مرجحا لحجة ملائكة الرحمة، ومصدقًا لصحة التوبة، وفيه دليل على أن أعمال الظاهر عنوان على الباطن.

وقوله: "فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي" إنما كان ذلك لما حكم الحاكم بقياس الأرض. ويفهم منه أن الرجل كان أقرب إلى الأرض التي خرج منها، فلو ترك الله الأرض على حالها، لقبضته ملائكة العذاب، لكن غمرته الألطاف الإلهية، وسبقت له العناية الأزلية، فقرّبت البعيد، وألانت الحديد، ويستفاد من هذا أن الذنوب وإن عظمت فعفو الله أعظم منها وأن من أُلهم صدق التوبة فقد سُلِكَ به طريق اللطف والقربة[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٧/٩١ - ٩٣.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: ضرورة المسارعة إلى التوبة:

لعلنا نلمح هذا المعنى في بحث الرجل وسؤاله عما إذا كانت له توبة أم لا؟ ولَمَّا دله العالم على أرض يذهب إليها ليعبد الله فيها جاء التعبير بقوله "فانطلق" فإنه مما ينبغي للمرء أن يسارع فيه: التوبة استجابة لمثل قول الله ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1] وقوله ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2] وبيّن الحق أن من صفات المتقين أنه إذا وقعت منهم معصية بادروا بالتوبة بمجرد وقوعها ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[3] أي: تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ولم يصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه[4].

سابعًا- من وسائل الدعوة: القصة:

استخدمت وسيلة القصة في الحديث، حيث قص النبي ﷺ قصة رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، وبحثه عن التوبة حتى هدي لذلك العالم فدلّه على باب التوبة، وأرشده إلى التوجه إلى أرض لا يجد فيها من دواعي المعصية ومغرياتها "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض... الحديث".

والقصة من وسائل الدعوة المفيدة في الحقل الدعوي لأنها تمتاز بأنها تصور الحياة فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وغير ذلك حتى لكأنك تراهم رأي العين، كما تمتاز القصة بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع، استشرافًا لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء، والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوصل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب[5].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٥/٢.

(٥) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤، ٤٥.

ويعتبر الأسلوب القصصي من أنجح الأساليب للهداية والتقويم، ولقد روى لنا القرآن أخبار الأمم الماضية وقدمها للعقل والقلب والروح بطرق مثيرة لعواطف الخير فيه منفرة لنوازع الشر[١]، وذلك كقصة يوسف عليه السلام وغيرها، وصرح القرآن بأن قصصه أحسن القصص ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ﴾[٢].

لذا ينبغي على الدعاة ألا يهملوا جانب القصة في دعوتهم، والاطلاع ومعرفة ما ذكر الله من مناهج الدعاة من الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم في الدعوة إلى الله، ومعرفة الدعاة ما أصاب سابقيهم في الدعوة إلى الله من أذى، ليعلم أن ما اصاب المؤمنين السابقين من الدعاة إلى الله يصيب أيضًا الدعاة المؤمنين اللاحقين، وبهذا جرت سنة الله في الأولين كما تجري في اللاحقين، ولكن العاقبة كانت وتكون دائمًا للمتقين، قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وفي قصص القرآن ما أشرنا إليه من بيان لما جبلت عليه النفس البشرية من غرائز وميول ورغبات. وهذه أمور مهمة جدًا يستفيد منها الدعاة في أساليب دعوتهم، وكيفية معالجتهم لأحوال الناس الذين يدعونهم ولأحوال أتباعهم من المؤيدين والأنصار، ولا يجوز للدعاة إغفال هذه الأمور المتعلقة بالنفس البشرية، لأنهم في دعوتهم يتعاملون مع بشر، ودعوة البشر،ووضعهم على الصراط السوي بعد تخليصهم من العوائق، وإقناعهم بمعاني الدعوة، كل ذلك يحتاج إلى فقه واسع وعميق وصحيح في النفس البشرية وطبعها وما جبلت عليه،وهذا يمكن معرفته وتعريف الدعوة به من خلال النظر فيما قصه الله علينا من قصص الماضين المؤمنين والفجار والصعاليك وذوي السلطان.

ومما يزيد من أهمية هذه الفائدة أن النفس البشرية وما جبلت عليه وطبعها وأصول غرائزها وصفاتها لا تتغير فهي هي الآن كما كانت من زمن آدم عليه السلام وإلى أن يرث

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ١١.

(٢) سورة يوسف، آية: ٣.

(٣) سورة الأعراف آية: ١٢٨.

الله الأرض ومن عليها. ويكفي أن أشير هنا إلى قصة ابني آدم وكيف أن الحسد حمل أحد الأخوين على قتل أخيه، ولا تزال هذه الصفة - صفة الحسد - مغروسة في نفوس بني آدم حتى الآن)[١]. وقد كانت القصة في هذا الحديث النبوي وسيلة دعوية ناجحة في بيان أهمية البحث عن التوبة وعدم القنوط من رحمة الله، وضرورة الأخذ بأسباب الفلاح والإنابة إلى الله تعالى مثلما حدث مع هذا الرجل الذي قتل مائة نفس، ومع ذلك ظلت نفسه تتوق إلى التوبة حتى هيّأ الله تعالى له أسبابها، وقد تبلورت هذه الأحداث من خلال القصة التي أخبر بها النبي ﷺ.

ثامنًا- من واجبات الداعية: التبشير وعدم التقنيط من رحمة الله:

جاء ذلك واضحًا في قول العالم لذلك الذي قتل مائة نفسًا وقد سأله فقال: "إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها قومًا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ... الحديث" وقد وردت الآيات الكثيرة التي تبشر برحمة الله وتنهى عن القنوط منها، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢] أي لا تيأسوا من رحمة الله[٣] وابعثوا الرجاء في أنفسكم[٤] فإن رحمة الله أوسع ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾[٥].

فيجب على الداعية أن يُبشر المدعوين برحمة الله تعالى، وأنه سبحانه واسع المغفرة، ويؤكد على عدد من المعاني العظيمة في هذا الباب، ومن أبرزها: أن عفو الله تعالى وكرمه أكبر وأعظم من أي ذنب، فلا ينبغي للعبد أن يستعظم ذنبه ويستكثره

---

(١) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبدالكريم زيدان ١/٨ - ٩.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ابن الجوزي ١٩١/٧.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٩/٢٤/٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

على الله، بل يجب عليه أن يسارع في التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وهجر المعاصي والذنوب، والداعية حينما يبشر برحمة الله، فإنما يتأسى في ذلك برسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء وإمام الدعاة وهو ﷺ الذي قصّ خبر هذا العالم الذي سأله الرجل الذي قتل "مائة"، فدّله العالم على أسباب التوبة التي لا يوجد بينه وبينها حائل.

الحديث رقم (٢١)

٢١- وعَنْ عبْدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالكٍ، وكانَ قائِدَ كعْبٍ رضي الله عنه مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قال: سَمِعْتُ كعْبَ بن مَالكٍ رضي الله عنه يُحَدِّثُ بِحديثِهِ[1] حِين تخلَّف عَنْ رسول الله ﷺ، في غزوةِ تبُوكَ. قَال كعْبٌ: لمْ أتخلَّفْ عَنْ رسولِ الله ﷺ، في غَزْوَةٍ غَزَاها[2] إلاَّ في غزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْر أنِّي قدْ تخلَّفْتُ في غَزْوةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ[3] تَخلَّف عنْهُ، إنَّما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ يُرِيدونَ عِيرَ قُرَيْش حتَّى جَمعَ الله تعالَى بيْنهُم وبيْن عَدُوِّهِمْ عَلَى غيْرِ ميعادٍ. وَلَقَدْ شهدْتُ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليْلَةَ العَقبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإسْلامِ، ومَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِهَا مَشهَدَ بَدْرٍ، وإن كَانتْ بدْرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ مِنهَا وكَانَ من خَبَرِي حِينَ تخلَّفْتُ عَنْ رسول الله ﷺ، في غَزْوَةِ تبُوك أنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخلَّفْتُ عَنْهُ في تِلْكَ الْغَزْوَة، واللَّهِ ما جَمعْتُ قبْلها رَاحِلتيْنِ قطُّ حتَّى جَمَعْتُهُما في تلك الْغَزوَةِ، (ولَمْ يكُن رسول الله ﷺ يُرِيدُ غَزْوةً إلاَّ ورَّى بغَيْرِهَا حتَّى كَانَتْ تِلكَ الْغَزْوةُ)[4]، فغَزَاها رسول الله ﷺ في حَرٍّ شَديدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفرًا بَعِيدًا ومَفَازًا. وَاسْتَقْبَلَ عَددًا[5] كَثيرًا، فجَلَّى للْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ ليَتَأَهَّبوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمُ الَّذي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُون مَع رسول الله كَثِيرٌ وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ «يُرِيدُ بذلكَ الدِّيوان».

قال كَعْبٌ: فقلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلاَّ[6] ظَنَّ أَنَّ ذلكَ سَيَخْفَى بِهِ[7] مَا لَمْ يَنْزِلْ فيهِ وَحْيٌ مِن اللَّهِ، وغَزَا رسول الله ﷺ تلكَ الغزوةَ حين طَابت الثِّمَارُ والظِّلالُ، فَأَنا إِلَيْهَا

---

(١) لفظ مسلم: (حديثه).

(٢) عند مسلم زيادة: (قطُّ) والمثبت لفظ البخاري.

(٣) لفظ مسلم: (وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا).

(٤) هذه الزيادة عند البخاري، وكذا عند المنذري، وتبعه المؤلف عليه.

(٥) لفظ مسلم: (عدوًّا).

(٦) (إلا) لا توجد عند مسلم، قال القاضي عياض في الإكمال: هكذا هو في جميع نسخ مسلم، وصوابه: (إلا يظنَّ أن ذلك سيخفي له) بزيادة: (إلا)، وكذا رواه البخاريّ، والمثبت لفظ المنذري.

(٧) لفظ مسلم: (له).

أَصْعرُ، فتجهَّز رسول الله ﷺ وَالْمُسْلِمُون معهُ، وطفِقْت أَغدو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ معهُ فأَرْجعُ ولمْ أَقْض شيئًا، وأَقُولُ في نَفْسي: أَنا قَادِرٌ علَى ذلك إِذا أَرَدْتُ، فلمْ يَزلْ[1] يتمادى بي حتَّى اسْتمَرَّ بالنَّاسِ الْجِدُّ، فأَصْبَحَ رسول الله ﷺ غَاديًا والْمُسْلِمُونَ معَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جهازي شيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَم أَقْض شَيْئًا، فَلَمْ يزَلْ[2] يَتَمادَى بِي حَتَّى أَسْرعُوا وتَفَارَط الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِل فأَدْركَهُمْ، فَيَاليْتَني فَعلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذلك لي، فَطفقتُ إِذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْد خُرُوجِ رسُول الله ﷺ يُحْزُنُنِي أَنِّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْه في النِّفاقِ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تعالَى مِن الضُّعَفَاءِ، ولَمْ يَذكُرني رسول الله ﷺ حتَّى بَلَغ تَبُوكَ[3]، فقالَ وَهُوَ جَالِسٌ في القَوْمِ بتَبُوك: ما فَعَلَ كعْبُ بْنُ مَالكٍ؟ فقالَ رَجُلٌ مِن بَنِي سلمِةَ[4]: يا رسول الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَالنَّظرُ في عِطْفيْه. فَقال لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئس ما قُلْتَ، وَاللَّهِ يا رسول الله مَا عَلِمْنَا عليْهِ إِلاَّ خَيْرًا، فَسكَت رسول الله ﷺ. فبَيْنَا[5] هُوَ علَى ذلك رَأَى رَجُلاً مُبْيضًا يَزُولُ به السَّرَابُ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: كُنْ أَبَا خَيْثمَةَ، فَإِذا هوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَاريُّ وَهُوَ الَّذي تَصَدَّقَ بصاع التَّمْر حين لَمَزَهُ المنافقون.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَّما بَلَغني أَنَّ رسول الله ﷺ قَدْ توَجَّهَ قَافلا منْ تَبُوكَ حَضَرَني بَثِّي، فطفقتُ أَتذكَّرُ الكذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ من سَخطه غَدًا وَأَسْتَعينُ عَلَى ذلكَ بِكُلِّ[6] ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلي، فَلَمَّا قِيلَ[7]: إِنَّ رسول الله ﷺ قدْ أَظَلَّ قادمًا زاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّى عَرَفتُ أَنِّي لم أَنجُ[8] مِنْهُ بِشَيءٍ أَبَدًا فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وأَصْبَحَ رسول الله ﷺ

---

(١) عند مسلم زيادة: (ذلك).

(٢) عند مسلم زيادة: (ذلك).

(٣) عند مسلم: (تبوكًا) والمثبت لفظ المنذري.

(٤) هو: عبد الله بن أنيس، قاله الواقدي. تنبيه المعلم (١١١٢).

(٥) لفظ مسلم: (بينما).

(٦) لفظ مسلم: (كل) بدون حرف الجر، والمثبت لفظ المنذري.

(٧) عند مسلم زيادة: (لي)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٨) عند مسلم: (لَمْ أَنْجُوَ).

قَادمًا، وكان إذا قدمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بالْمَسْجد فرَكعَ فيه رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلس للنَّاس، فلمَّا فعل ذَلك جَاءَهُ الْمُخلَّفُونَ[1] يعْتذرُون إليْه وَيَحْلفُون لَهُ، وكانوا بضعًا وثمَانين رَجُلا فقبل منْهُمْ[2] عَلانيَتهُمْ وبايعهم وَاسْتغفَر لهُمْ وَوَكلَ سَرَائرَهُمْ إلى الله تعَالى. حتَّى جئْتُ، فلمَّا سَلَمْتُ تبسَّم تبَسُّم الْمُغْضَبِ. ثمَّ قَالَ: تَعَالَ، فجئتُ أَمْشي حَتى جَلَسْتُ بيْن يَدَيْهِ، فقالَ لِي: مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تكُنْ قد ابْتَعْتَ ظَهْرَك، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إنِّي واللَّه لَوْ جلسْتُ عنْد غيْركَ منْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَني سَأَخْرُج منْ سَخَطه بعُذْرٍ، لقدْ[3] أُعْطيتُ جَدَلا، وَلَكنني وَاللَّه لقدْ عَلمْتُ لَئن حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حديث كَذبٍ ترْضى به عنِّي لَيُوشكَنَّ اللَّهُ[4] يُسْخِطَكَ عليَّ، وإنْ[5] حَدَّثْتُكَ حَديث صدْقٍ تجدُ عليَّ فيه، إنِّي لأَرْجُو فيه عُقْبَى الله عَزَّ وَجلَّ، واللَّه ما كان لِي مِنْ[6] عُذْرٍ، واللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسر مِنِّي حِينَ تَخلفْتُ عَنك. قَالَ: فقالَ رسول الله ﷺ: «**أَمَّا هذَا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضيَ اللَّهُ فيكَ**»[7] وسَارَ[8] رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلمة فاتَّبعُوني، فقالُوا لِي: واللَّهِ مَا علِمْنَاكَ أَذنبْتَ ذَنْبًا قبْل هذَا، لقَدْ عَجَزتَ في أن لا تَكُون اعتذَرْت إلَى رسول الله ﷺ بمَا اعْتَذَرَ[9] إلَيهِ الْمُخَلَّفُون فقَدْ كَانَ كافيَكَ ذنْبَكَ اسْتغفارُ رسول الله ﷺ لَك.

قَالَ: فوالله ما زَالُوا يُؤنِّبُونني حتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إلى رسول الله ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي[10]، ثُمَّ قُلتُ لهُم: هَلْ لَقِيَ هَذا معِي مِنْ أَحدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ لقِيَهُ معك رَجُلان قَالا مِثْلَ

---

(١) عند مسلم بعدها زيادة: (فطفقوا).

(٢) عند مسلم زيادة: (رسول الله ﷺ)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٣) عند مسلم (ولقد) بزيادة الواو.

(٤) عند مسلم بعدها زيادة: (أن).

(٥) عند مسلم: (ولئن).

(٦) (من) لا توجد عند مسلم، وكذا لا توجد عند المنذري.

(٧) عند مسلم زيادة: (فقمتُ).

(٨) لفظ مسلم: (وثار).

(٩) عند مسلم زيادة: (به)، وهي لا توجد عند المنذري.

(١٠) عند مسلم زيادة: (قال).

مَا قُلْتَ، وقيل لَهمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لكَ، قَال: قُلْتُ: مَن هُمَا؟ قالُوا: مُرارةُ بْنُ الرَّبِيعِ[1] الْعَمْرِيُّ، وهِلال بْن أُميَّةَ الْوَاقِفِيُّ؟ قَالَ: فَذكَروا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْن قدْ شَهِدا بدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ. قَالَ: فَمَضيْت حِينَ ذَكَروهُمَا لِي.

وَنهَى رسول الله ﷺ عن كَلامِنَا أَيُّهَا الثلاثَةُ مِن بَين من تَخَلَّف عَنهُ.

قالَ: فاجْتَنبَنا النَّاسُ أَوْ[2] قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرت لِي في نفسي الأَرْضُ، فَمَا هيَ بالأَرْضِ التي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلكَ خمْسِينَ ليْلَةً. فأَمَّا صَاحباي فَاستَكَانَا وَقَعَدَا في بُيُوتهمَا يَبْكيَانِ، وأَمَّا أَنَا فَكُنتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنتُ أَخْرُج فَأَشهَدُ الصَّلاة مَعَ الْمُسْلِمِينَ[3]، وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحدٌ، وآتِي رسول الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُو في مجلِسِهِ بعدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ في نفسِي: هَل حَرَّكَ شفتَيهِ بردِّ السَّلامِ أَم لاَ؟ ثُمَّ أُصلِّي قريبًا مِنهُ وأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقبَلتُ على صلاتِي نَظر إِلَيَّ، وإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتى إِذا طَال ذلكَ عَلَيَّ مِن جَفْوَةِ الْمُسْلمينَ مشَيْت حَتَّى تَسوَّرْت جدارَ حَائط أبي قَتَادَةَ، وَهُوَا ابْن عَمِّي، وأَحبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ فَواللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْت لَه: يا أَبَا قتادَةَ أَنْشُدكَ باللَّه هَلْ تَعْلَمُني[4] أُحبُّ اللّه وَرَسُولَه ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدت فَنَاشَدتُه فَسكَتَ، فَعُدْت فَنَاشَدْته فَقَالَ: اللّه ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرتُ الْجدَارَ.

فبَيْنَا أَنَا أَمْشي في سُوقِ المدينةِ إِذَا نَبَطيٌّ منْ نبطِ أَهْلِ الشَّام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يبيعُهُ بالمدينةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كعْبِ بْنِ مَالكٍ؟ فَطَفقَ النَّاسُ يشيرون له إِلَيَّ حَتَّى جَاءَني

---

(١) لفظ مسلم: (ربيعة العامري) قال الجياني في التقييد (٩٢٥/٣): هكذا قال: (العامري)، وإنما هو العَمري، من بني عمرو بن عَوف. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧٢٤/٧): وهو خطأ. وقال القاضي عياض في الإكمال (٢٧٧/٨) وعنه النووي في المنهاج (٩٢/١٧): كذا ذكره البخاري (٤٤١٨) وكذا نسبه ابن إسحاق، وأبو عمر ابن عبد البر وغيرهما، ووقع في نسخ مسلم: (مرارة بن الربيعة) وفي البخاري: (ابن الربيع) قال ابن عبد البر: يقال بالوجهين.

(٢) عند مسلم بالواو فقط، والمثبت لفظ المنذري.

(٣) قوله: (مع المسلمين) لا يوجد عند مسلم.

(٤) لفظ مسلم: (تَعْلَمَنَّ أنِّي).

فَدَفَعَ إِلَيَّ كتَابًا منْ مَلِكِ غَسَّانَ، وكُنْتُ كَاتِبًا. فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بلَغَنَا أَن صاحِبَكَ قدْ جَفاكَ، ولمْ يجْعلْكَ اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيعَةٍ، فَالْحقْ بِنا نُوَاسِك، فَقلْت حِين قرأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا من الْبَلاءِ فَتَيمَّمْتُ بِهَا التَّنُّور فَسَجرْتُهَا[1].

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُون مِن الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ الله ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسول الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتزِلَ امْرأَتكَ، فقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذا أَفعلُ؟ قَالَ: لا. بَلْ اعتْزِلْهَا فلا تقربَنَّهَا، وَأَرْسلَ إِلى صَاحِبِيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذَا الأَمر، فَجَاءَت امْرأَةُ هِلالِ ابْنِ أُمَيَّةَ رسول الله ﷺ فقالتْ لَهُ: يا رسول الله إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائعٌ لَيْسَ لَهُ خادِمٌ، فهلْ تَكْرهُ أَنْ أَخْدُمهُ؟ قال: لا، وَلَكِنْ لا يَقْربَنَّك. فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّه مَا بِهِ مِنْ حَركَةٍ إِلَى شَيءٍ، وَوَاللَّه ما زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَال لِي بعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْت رسول الله ﷺ في امْرَأَتِك، فقَدْ أَذن لامْرَأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فقُلْتُ: لا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رسول الله ﷺ، ومَا يُدْرِيني مَاذا يَقُولُ رسولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فلَبِثْتُ بِذلك عشْر ليالٍ، فَكَمُلَ لَنا خمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حينَ نُهي عَنْ كَلامنا.

ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صباحَ خمْسينَ لَيْلَةً عَلَى ظهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبينَا أَنَا جَالسٌ عَلَى الْحال التي ذكَر اللَّهُ تعالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرضُ بمَا رَحُبَتْ، سَمعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أوفى[2] عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فخرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ.

فَآذَنَ رسول الله ﷺ النَّاس بِتوْبَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِين صَلَّى صَلاة الْفَجْرِ فذهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُوننا، فذهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وركَضَ رَجُلٌ إِليَّ فرَسًا وَسَعَى ساعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى عَلَى[3] الْجَبلِ، وكَان الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فلمَّا جَاءَنِي الَّذي

---

(١) عند مسلم زيادة: (بها)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٢) لفظ مسلم: (ووافى) والمثبت لفظ المنذري

(٣) (على) لا توجد عند مسلم، والمثبت لفظ المنذري.

سمِعْتُ صوتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ ببشارَته، واللَّه ما أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يومَئذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وانْطَلَقتُ أَتَأَمَّمُ رسول الله ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونني بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُون لِي[1]: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، حتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رسول الله ﷺ جَالِسٌ[2] حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طلْحَةُ بْنُ عُبَيْد الله رضي الله عنه يُهَرْوِل حَتَّى صَافَحَنِي وهَنَّأَنِي، واللَّه مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهاجِرِينَ غَيْرُهُ.

فَكَان كَعْبٌ لا يَنْساهَا لِطَلْحَة.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رسول الله ﷺ، قال: وَهوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور[3]. أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، مُذْ ولَدَتْكَ أُمُّكَ، فقُلْتُ: أمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول اللَّهِ أَم مِنْ عِنْد اللَّه؟ قَالَ: لاَ بَلْ مِنْ عِنْد الله عَز وجَلَّ، وكانَ رسول الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنارَ وَجْهُهُ حتَّى كَأَنَّ وجْهَهُ قِطْعَةُ قَمر، وكُنَّا نعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ.

فلَمَّا جلَسْتُ بَيْنَ يدَيْهِ قُلتُ: يَا رسول اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِن مَالي صدَقَةً إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ.

فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ[4] بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْر لَكَ، فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذي بِخيْبَر. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إن الله تَعَالَى إِنَّما أَنْجَانِي بالصدق، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتي أَن لا أُحدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا ما بَقِيتُ، فوا لله ما علِمْتُ أحدًا مِنَ المسلمِين أَبْلاَهُ اللَّهُ تَعَالَى في صدْق الْحَديث مُنذُ ذَكَرْتُ ذَلكَ لرسُولِ الله ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي اللَّهُ تَعَالَى[5]، وَاللَّهِ مَا تَعمّدْت كِذْبَةً مُنْذُ قُلْت ذَلِكَ لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفظني اللَّهُ تَعَالى فِيمَا بَقِي.

قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ

---

(١) (لي) لا توجدث عند مسلم.

(٢) عند مسلم زيادة: (في المسجد)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٣) عند مسلم زيادة: (ويقولُ).

(٤) (عليك) لا توجدُ عند مسلم.

(٥) عند مسلم زيادة: (به)، وهي لا توجد عند المنذري.

ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ حتَّى بلَغَ: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ حتى بلغ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة: ١١٧، ١١٩].

قالَ كعْبٌ: واللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدانِي اللَّهُ لِلإِسْلام أَعْظَمَ فِي نَفسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَن لاَّ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فأهلكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِن اللَّه تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأحدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة ٩٥، ٩٦].

قال كَعْبٌ: كنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفوا لَهُ، فبايعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وأرْجَأَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أمْرَنا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، بِذَلِكَ قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾.

وليْسَ الَّذي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفنا تَخَلُّفُنا عَن الغزو، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفهُ إِيَّانَا وإرجاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إِليْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عليه[1].

وفي رواية «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوك يَوْمَ الخميسِ، وَكَان يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخميس**»[2].

وفي رِوَايةٍ: «**وَكَانَ لاَ يَقدُمُ مِنْ سَفَرٍ إِلاَّ نهَارًا فِي الضُّحَى. فَإِذَا قَدِم بَدَأَ بِالْمسجدِ فصلَّى فِيهِ ركْعتيْنِ ثُمَّ جَلَس فِيهِ**»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩/٥٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣١٠). وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم ١٥٣٢.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٧١٦/٧٤).

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي شاعر الرسول ﷺ، كان من أوائل الأنصار إسلامًا، فشهد العقبة الثانية، وبايع النبي ﷺ، اشتهر بالشعر في الجاهلية، فكان شاعرًا فصيحًا مجيدًا، فلما أسلم دافع بشعره عن النبي ﷺ، وذبّ عنه ودفع الأذى عنه، وأثنى النبي ﷺ على شعره ومدحه إذ ذهب إلى النبي ﷺ فقال له: إن الله عز وجلّ قد أنزل في الشعر ما أنزل. فقال له النبي ﷺ: ((إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النَّبْل))[1].

وقد جادت قريحته بالأشعار الحسان في المغازي وغيرها، وكان يغلب على شعره تهديد أعداء الإسلام بالحرب، وله بيتان كانا السبب في إسلام قبيلة دَوْس وهما:

قضينا من تِهامة كل وِتْر ... وخيبرَ ثم أغمدنا السيوفا
نخيّرها ولو نطقت لقالت ... قواطعُهنَّ دَوسًا أو ثقيفا[2]

فلما بلغ ذلك دوسًا قالت: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

ولما هاجر المسلمون إلى المدينة آخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير بن العوّام. وقيل: بينه وبين طلحة بن عبيدالله.

وقد شهد المشاهد كلها ما عدا بدرًا. وقد تخلف عن تبوك وتاب الله عليه وأنزل فيه ورفيقيه قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة كما في الحديث المشروح.

وله في غزوة أحد الموقف الجميل والفعل الشجاع، فقد ثبت وقت انكشاف المسلمين وأعلنهم بأن النبي ﷺ حيٌّ لم يمت. وقاتل قتالاً شديدًا حتى جرح سبعة عشر جرحًا.

له أحاديث تبلغ الثلاثين متفق على ثلاثة منها. وقد اختلف في وفاته: فقيل: مات في خلافة عليٍّ. وقيل: في خلافة معاوية[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٧/٦ رقم ٢٧١٧٤ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٤٨/٤٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦١١/٥.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٢٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٤٦١/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١١٢٩، والسير ٥٢٣/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ١٧١/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧١/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٢٨/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ﷺ ١٦٦٠/٣.

غريب الألفاظ:

تواثقنا على الإسلام: تحالفنا عليه وتعاهدنا[١].

ورّى بغيرها: أي أوهم أنه يريد غزوة غيرها[٢].

مفازًا: برية طويلة قليلة الماء يخاف فيها الهلاك، وسميت بذلك تفاؤلاً بالسلامة[٣].

جلّى: وضّح[٤].

الأُهبة: عُدَّةُ الحرب[٥].

فأخبرهم بوجههم: أي بمقصدهم[٦].

الديوان: هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأول من دوّن الدواوين عمر رضي الله عنه، وهو فارسي معرب[٧].

أصعر: أَمْيَل[٨].

طفقت أغدو لكي أتجهز معه: أي أخذت في التجهز والاستعداد للغزو[٩].

يتمادي بي: تمادى به الأمر: تطاول وتأخر[١٠].

استمر بالناس الجِدُّ: أي اجتهدوا في التجهز والاستعداد للخروج حتى أوشكوا على الانتهاء من ذلك[١١].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والوسيط في (و ث ق).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والقاموس في (و ر ي).

(٣) اللسان والمصابح والوسيط في (ف و ز).

(٤) اللسان والوسيط في (ج ل ى)

(٥) اللسان والوسيط في (أ هـ ب).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (ص ع ر).

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ع ر).

(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٦٥.

(١٠) الوسيط ٨٥٩.

(١١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٤٠، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ١١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٢/٧.

جِهازي: أهبة سفري[١].

تفارط الغَزْوُ: فات وقتُه وتقدَّم[٢].

أسوة: القدوة المتبوع، أو النظير المماثل يتأسى به[٣].

مغموصًا عليه في النفاق: مطعونًا في دينه متهمًا بالنفاق[٤].

حبسه برداه والنظر في عِطفيه: عطفاه: جانباه من رأسه إلى وركه، إشارةً إلى إعجابه بنفسه ولباسه[٥].

مُبَيِّضًا: لابسًا بياضًا[٦].

يزول به السراب: يرفعه ويُظهره، ويظهر شخصه في السراب خيالاً[٧].

لمزه المنافقون: أشاروا إليه بأعينهم ورؤوسهم وشفاههم، احتقارًا لصغر صدقته[٨].

قافلاً: راجعًا[٩].

بَثِّي: أشَدُّ حُزني[١٠].

أَظَلَّ قادمًا: أقبل ودَنَا قدومه، كأنه ألقى عليه ظلّه[١١].

---

(١) اللسان في (ج هـ ز).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (ف ر ط).

(٣) انظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي لمعاني صحيح مسلم ٣٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٥/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (غ م ص).

(٥) انظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣٢٢، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٣/٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (ب ي ض).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (ز و ل).

(٨) اللسان والوسيط في (ل م ز).

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والوسيط في (ق ف ل).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والقاموس في (ب ث ث).

(١١) انظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٢٠١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس في (ظ ل ل).

زاح: زال وذهب[١].

أجمعتُ صِدقَهُ: عزمت على أن أصدقَهُ[٢].

المخلفون: هم الذين لم يخرجوا مع النبي ﷺ إلى تبوك وتخلفوا عنه[٣].

بضعًا: البضع: بكسر الباء وفتحها: ما بين الثلاثة والعشرة[٤].

المغضب: الغضبان[٥].

ابتعت ظهرك: اشتريت دابة تحمل أثقالك وتركب عليها[٦].

جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ إذا أردت[٧].

تجد علي فيه: تغضب[٨].

إني لأرجو فيه عقبي الله: أي أن يعقبني خيرًا وأن يثبتني عليه[٩].

يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم[١٠].

أيها الثلاثة: أسلوب اختصاص معناه: أن النبي ﷺ خصنا نحن الثلاثة من دون بقية المتخلفين بألا يكلمنا المسلمون[١١].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والقاموس والوسيط في (ز ي ح).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٣/٧، والوسيط في (ج م ع).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ١٨٩/٤.

(٤) اللسان في (ب ض ع).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢.

(٦) انظر: المعجم الوسيط، مع اللغة العربية ٧٩، ٥٨٧.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٤/٧.

(٩) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢.

(١٠) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢.

(١١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٥/٧.

تنكرت الأرضُ: معناه: تغير عليّ كل شيء حتى الأرض فإنها توحشت عليّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها لتوحشها علي، وذلك لشدة الحزن والهم[١].

استكانا: خضعا[٢].

أشب القوم وأجلدهم: أصغرهم سنًا وأقواهم[٣].

أسارقه: أنظر إليه في خفية[٤].

تسورت جدار حائط أبي قتادة: علوت سور حديقته[٥].

أنشدك: أسألك[٦].

النبطيُّ: واد النَّبَط، وهم جيل من الناس أصلهم في سواد العراق[٧].

ملك غسان: غسان قبيلة عربية سكنت جنوب الشام. واسم هذا الملك جبلة بن الأيهم[٨].

عَمَّمْتُ: قصدتُ[٩].

التنُّور: الفرن تُخبز فيه[١٠].

سَجَرْتُها: أحرقتها[١١].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٥، واللسان والوسيط في (ن ك ر).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٥، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والوسيط في (س و ر).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٥.

(٧) الصحاح واللسان في (ن ب ط).

(٨) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٨٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧٢٦.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (ي م م).

(١٠) اللسان والوسيط في (ت ن ر)

(١١) اللسان والقاموس والوسيط في (س ج ر).

استلبث الوحي: أي أبطأ وتأخر[١].

أو في على سلع: أي صعد وارتفع على جبل سَلْع وهو اليوم في وسط عمران المدينة[٢].

آذن: أعلم[٣].

ركض فرسًا: ضربها برجله يستحثها على العَدْوِ[٤].

أتأمّم: أقصد[٥].

لتهنك توبة الله عليك: لتفرح وتسعد وتسرّ[٦].

برق وجهه: لمع وتلألأ[٧].

أنخلع من مالي: أخرج منه وأتصدق به كله[٨].

سهمي: السهم: الحصة والنصيب. والمراد: مالي وأرضي التي بخيبر[٩].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يتسم بالطول والإطناب وليس الإسهاب؛ والتوسع في حكاية المشاهد هنا مطلوب ومناسب للمقام فالحديث يرويه عبدالله ابن الصحابي الجليل والشاعر الفارس كعب بن مالك أحد شعراء الرسول الثلاثة "حسان بن ثابت ، وعبدالله بن رواحة ، كعب بن مالك" رضي الله عنهم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ب ث).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢٢.

(٣) اللسان والوسيط في (أ ذ ن).

(٤) الصحاح واللسان والوسيط في (ر ك ض).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان والوسيط في (أ م م).

(٦) المعجم الوسيط، مع اللغة العربية في (هـ ن أ).

(٧) الوسيط (ب ر ق).

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢٨/٧.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (س هـ م)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٢٥.

ومجيء هذا الحديث في باب التوبة قد يثير التساؤلات لأنه يحكي بعض مشاهد غزوة تبوك، ويوضح موقف كعب بن مالك في هذه الغزوة ويبين كيف تطور موقفه بعد تخلفه عن ركب الجهاد مع رسول الله ﷺ، ولكن التساؤلات تجد المخرج حين نتابع قراءة ما يرويه عبدالله بن كعب سماعًا عن أبيه كعب، حيث يختم الحديث بمشهد التوبة والبراءة، ويدور هذا الحوار الصادق المؤثر بين كعب بن مالك شاعر الإسلام والفارس المغوار، وبين رسول الله ﷺ: يقول كعب بعد أن تاب الله عليه وبشره رسول الله ﷺ بذلك "يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يارسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت".

وحين نتأمل مشاهد هذا الحديث النبوي الحواري الذي صيغ في قالب القصة، وهو يحكي وقائع حقيقية، ولكنها تحتاج إلى إمعان النظر، واستلهام العبر، ندرك أن هذه المشاهد التي تكون قصة التوبة في هذا النص النبوي الشريف تتوالى على النسق الآتي:

١- الاستعداد لغزوة تبوك وتخلف كعب بن مالك عن الغزوة بغير سبب أو عذر شرعي حيث يقول "إني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عن رسول الله في تلك الغزوة" ولنتأمل التأكيد في أول العبارة.

٢- كعب بن مالك وحالة التردد والقلق، ومحاولاته اللحاق بجيش المسلمين، وتصوير الحزن الشديد حين رأى نفسه في المدينة بين طوائف غير محمودة، أو أصحاب أعذار شرعية؛ ويصور كعب هذه الحالة الندمية التي يغلفها الحزن والأسى بسبب التخلف عن اللحاق بالجيش: يقول: "فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ "يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء".

ودلالة كره النفاق تبوح بها هذه الكلمة التي جاءت صفة لرجل وهي "مغموصًا" ومعناها أنه مطعون عليه في دينه، ومحتقر ومتهم في عقيدته لأنه منافق يظهر الإسلام ويخفي الكفر.

وكأن كعب بن مالك حين يواجه المنافقين بهذا الواقع ينفي عن نفسه أن يكون منهم؛ لأنه ذكر بعد ذلك أصحاب الأعذار من الضعفاء والمرضى والعميان، وكل ذوي الحاجات، وكعب ليس منهم وهو الذي شهد له رسول الله ﷺ وأخبره بأن الله شكره على قوله ولا ينسى تأييده للإسلام؛ فكيف لا يحزن كعب بن مالك بعد تخلفه عن الجهاد وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: "أترى الله نسي لك قولك:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليُغْلَبَنَّ مغالبُ الغلاب[1]

وفي رواية: لقد شكرك الله ياكعب على قولك هذا[2].

وكيف لا يندم كعب بن مالك؟ أبعد هذه المواقف العظيمة يتخلف عن الغزو؟ وهو كما يقول العلماء أحد شعراء النبي ﷺ المجاهدين بألسنتهم وأيديهم وهم ثلاثة: حسان وكعب وابن رواحة، وكان حسان يقع في الأنساب، وابن رواحة يعيرهم بالكفر، وكعب يخوفهم وقائع السيف.

٣- والمشهد الثالث من مشاهد هذه القصة هو: سؤال رسول الله ﷺ عن كعب بن مالك بعد أن وصل إلى تبوك وتتعدد الآراء في تفسير سبب تخلفه؛ فقد أدان موقفه رجل من بني سلمة وقيل هو: عبدالله بن أنيس، حيث قال: "يا رسول الله حبسه براداه والنظر في عطفية" وهذا اتهام لكعب وهو كناية عن العجب والزهو والاهتمام بالزينة الخاصة: ويقول القرطبي مستنكرًا هذا التعليل والتفسير: وكأن هذا القائل كان في نفسه حقد على كعب، فنسب كعب إلى الزهو والكبر وكانت نسبة باطلة؛ وقول القرطبي صحيح لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه استنكر هذا التفسير وشهد لكعب بن مالك بالفضل وقال في رده على هذا الرجل "بئس ما قلت، ثم قال والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا".

---

(١) طبقات فحول الشعراء ٢٢٢/١.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الأشراف والبخاري في التاريخ الكبير ١٢٠/١.

وانظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، ص٢٢٢، وانظر النظرة النبوية في نقد الشعر د. وليد قصابي، ص٣٦.

٤- والمشهد الرابع يصور رجوع الجيش، وتفكير كعب بن مالك رضي الله عنه في تبرير الموقف بعيدًا عن الكذب والنفاق، ويقول مصورًا هذه الحالة الشعورية وهو يدرك تقدير رسول الله ﷺ له وموقفه تجاهه، ورغم ذلك يقول: "فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بثي" والبث: أشد الحزن فطفقت أتذكر الكذب: وأقول بما أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأى من أهلي.

وهذه المراجعة الشديدة والمحاسبة الذاتية التي يجريها كعب مع نفسه، على الرغم من أنه أحد شعراء الإسلام الكبار وحضر الغزوات كلها، وهي: سبع وعشرون غزوة مع رسول الله ماعدا خيبر وبدر، هذه المحاسبة تؤكد صدق شعور كعب، وشدة محبته لرسول الله وقوة ارتباطه بالإسلام ونبي الإسلام: محمد بن عبدالله ﷺ.

٥-والمشهد الخامس يصور المتخلفين عن غزوة تبوك وكانوا بضعًا وثمانين رجلاً، وهم يعتذرون إلى رسول الله ويحلفون له، ومنهم من اعتذر بالمرض، ومنهم من اعتذر بغيره وهو كاذب فيه، فقبل الرسول منهم أعذارهم والتعبير بلفظ "علانيتهم" يوحي بأن هذا العلن قد يخالف الحقيقة، ولكن الرسول قبل عذرهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى كما يروي كعب بن مالك.

٦- والمشهد السادس يصور موقف كعب أمام رسول الله ﷺ حيث يدور حوار صريح هادئ تغلفه الحكمة، وتوشيه المحبة، ويأبى كعب أن يكذب أو أن يتعلل بأسباب واهية، ويرى أن الصدق سفينة النجاة، وبعد استماع رسول الله له عقب سؤاله "ما خلفك؟" ويصدق كعب في الإجابة حيث يقول: "والله ما كان لي من عذر" فيقول رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق: فقم حتى يقضي الله فيك" ويذعن كعب لأمر رسول الله، ويؤنبه رجال من بني سلمة على صدقه وعدم اعتذاره، ثم يحاول ملك غسان إغراء كعب، وإيهامه بظلم رسول الله له، ولكن كعب يلقي برسالته في التنور فيحرقها، وظل كعب وصاحباه خمسين ليلة ينتظرون حكم الله عز وجل وهم في شبه عزلة حتى عن زوجاتهم، ونزلت التوبة عليهم من السماء وقال رسول الله ﷺ لكعب "أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك" والآيات في سورة التوبة خير بشارة وأعظم

ثواب، قال الله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى عدة أحكام فقهية:

الأول فيه دليل على جواز دخول الإنسان بستان صديقه وقريبه الذي يُدّل عليه ويعرف أنه لا يكره ذلك بغير إذنه بشرط أن يعلم أنه ليس هناك زوجة مكشوفة ونحو ذلك[2].

الثاني: حكم السلام على المبتدعة، وقد ذكر جمهور الفقهاء[3] أنه لا يسلم على أهل البدع والأهواء وإذا ابتدأوا هم بالسلام لم يرد عليهم زجرًا لهم، وللشافعية وجه حكاه النووي في المجموع أنه يستحب السلام عليهم لأنهم مسلمون.

الثالث: وفيه دليل على أن السلام كلام، فمن حلف لا يكلم أحدًا فسلم عليه أو رد عليه السلام حنث[4].

---

(١) سورة التوبة ١١٧-١١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، ط دار إحياء التراث العربي بيروت.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٧/٤، وطرح التثريب ٩٨/٨، والفتاوى الكبرى ٢١/٣، والفروع، ابن مفلح ١٨٤/٢، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٢٣٧/١، ٢٤٤، ونيل الأوطار، الشوكاني ١١٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٧/٢٥ وما بعدها.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧.

الرابع: حكم صريح الطلاق وكنايته، فالطلاق من حيث صيغته نوعان طلاق صريح وطلاق كِنائي، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الصريح في الطلاق ما لم يستعمل إلا فيه غالبًا أو ما ثبت حكمه الشرعي بلا نية، كقوله لزوجته: أنت طالق أو مطلقة أو بائنة، وهذا النوع يقع الطلاق به بدون نية، ويقع بالنية المناقضة -أي اللفظ غير الصريح في الطلاق إذا سئل عنه أمام القاضي- وأما الكنائي في الطلاق فهو ما لم يوضع اللفظ له واحتمله وغيره كقوله لزوجته الحقي بأهلك أو اغربي عن وجهي أو أنت حرة أنت خلية أو برية أو بتة، ولا يقع به الطلاق إلا بالنية.

الخامس: حكم التبشير والتهنئة، وقد ذكر الفقهاء[٢] أنه يستحب التبشير والتهنئة عند حدوث نعمة، أو اندفاع كربة شديدة.

السادس: حكم إجازة البشير بخلعة، فقد ذكر الفقهاء[٣] أنه يستحب إجازة من يحمل البشرى بما يقدر عليه المرء من خلعة من مال أو ثوب أو أي شيء آخر.

السابع: حكم سجود الشكر، وقد اختلف الفقهاء في حكم سجود الشكر على قولين:

القول الأول: ذهب أكثر الحنفية[٤] والشافعية[٥] والحنابلة[٦] والظاهرية[٧] إلى أن

---

(١) تبيين الحقائق، الزيلعي ١٩٧/٢، والجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ٣٣/٢، وشرح حدود ابن عرفة ص ١٩٣، وأنوار البروق ١٥٢/٣ وما بعدها، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢٥٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٤٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٢٩.

(٢) المدخل لابن الحاج ١٧٠/١، وطرح التثريب ٦٩/٨، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٤/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٥/٨.

(٤) شرح فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٥٢٣/١، بدائع الصنائع، الكاساني ١٧١/١.

(٥) الأم، الأمام الشافعي١١٠/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٦٤/٣ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١٩٨/١.

(٦) المغني، ابن قدامة ٣٦٣/١، والفروع، ابن مفلح ٥٠٤/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٠٠/٢.

(٧) المحلى، ابن حزم ٣٣١/٣.

سجود الشكر عند وجود سببه سنة ويشترط فيه ما يشترط في سجود التلاوة، وتكون سجدة الشكر في كل حال عند حدوث نعم أو تجددها، أو عند اندفاع نقم.

القول الثاني: ذهب أبو حنيفة وأبو يوسف[١]، والمالكية[٢] إلى أن سجود الشكر مكروه، لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ مع كثرة تجدد النعم في عهده، لكنه مكروه كراهة تحريم عند مالك وكراهة تنزيه عند أبي حنيفة[٣].

الثامن: حكم إعارة الثوب للبس، وقد اتفق الفقهاء[٤] على جواز الإعارة في الجملة، ومن ذلك إعارة الثوب للبس والدابة للركوب والكتاب للقراءة وغير ذلك، واختلفوا في حكمها فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أنها مندوبة، وقيل هي واجب.

التاسع: حكم مصافحة القادم والقيام له، وقد ذكر الفقهاء[٥] أنه يستحب مصافحة القادم والقيام له عند السلام عليه، متى كان ذلك بغير قصد المباهاة والسمعة والكبرياء، فإن كان القصد كذلك فقد ورد النهي عنه.

---

(١) شرح فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٥٢٣/١، و بدائع الصنائع، الكاساني ١٧١/١.

(٢) المدونة الكبرى عن رواية سحسنون عن ابن قاسم، الإمام مالك الصبحي ١٩٧/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٦١/٢، وأنوار البروق للقرافي ٢٢٠/٤.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٧/٢٤.

(٤) تبيين الحقائق، الزيلعي ٨٣/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٦٨/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٣٢٤/٢، والمغني، ابن قدامة ١٢٨/٥، والفروع، ابن مفلح ٤٦٩/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٢/٥.

(٥) المدخل لابن الحاج ١٧٠/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/٧، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٤٠٦/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/٣٤ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية مراجعة النفس ومحاسبتها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكسل والقعود عن المشاركة في أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أمانة الكلمة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التزام الصدق.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: شناعة الكذب وعاقبته الأليمة.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الهجر الإيجابي الزاجر.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: قوة إيمان كعب بن مالك رضي الله عنه وثباته أمام الإغراءات.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

تاسعًا: من صفات الداعية: مشاركة إخوانه مناسباتهم السارة.

عاشرًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة.

حادي عاشر: من صفات المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية مراجعة النفس ومحاسبتها:

إن مما ينبغي على الإنسان فعله أن يراجع نفسه ويحاسبها بين الفينة والأخرى ليعرف مدى صلاحه فإن كان محسنًا حمد الله وازداد إحسانًا وإن كان غير ذلك استغفر وأناب إلى ربه، وكان ممن اتصف بذلك كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن الغزو مع قدرته عليه يقول "وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة...".

ويبدو من فقرات الحديث؛ أنه حاسب نفسه وأحزنه ما وقع فيه من تفريط "فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء" إن مراجعة النفس ومحاسبتها من الأمور التي يمتدحها القرآن ويعلي من شأنها فأقسم الله بالنفس اللوامة فقال: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[1] أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول:

---

(١) سورة القيامة، آية: ٢.

ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم[١] ولذا ينبغي على الإنسان أن يحاسب نفسه وأن يزن أعماله[٢]، فما وجد فيها من صواب حسّنه، وما وجد من اعوجاج قوّمه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من الكسل والقعود عن المشاركة في أبواب الخير:

لقد حذرنا الإسلام من الكسل وتسويف الأعمال لما يؤول في النهاية من فوات الخير وعدم تدارك ما فات، وفي الحديث إشارة إلى ما تسبب فيه كسل كعب بن مالك رضي الله عنه من التخلف قال كعب "وطفقت أغدو لكي أتجهز معه، فأرجع ولم أقض شيئًا، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئًا...".

ولخطورة الكسل كان رسول الله ﷺ يستعيذ منه فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يقول: ((اللَّهمَّ إِني أَعوذُ بكَ منَ العجز والكسل، والجُبنِ والهرَم، وأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا والممات، وأَعوذُ بكَ من عَذابِ القَبر))[٣] فالمؤمن من يوقن أن السعادة في الآخرة والنجاح في الأولى موقوف على العمل، فالجنة في الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجد والعمل والاتقان ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤][٥].

وقد بيّن الراغب خطر الكسل وعواقبه الوخيمة، فقال: "من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى، ومن تعود الكسل ومال إلى الراحة فقد الراحة، وقد قيل: إن أردت ألا تتعب فاتعب لئلا تتعب، وقيل أيضًا: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على الحق،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٩٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٢٣.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٧٢.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٤.

ولأن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية فكل هيئة بل كل عضو ترك استعماله يبطل، كالعين إذا غمضت، واليد إذا عطلت، ولذلك وضعت الرياضات في كل شيء، ولما جعل الله تعالى للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقًا إلا بسعي ما منه، لئلا تتعطل فائدة ما جُعل له من قوة التحرك، ولما جعل للإنسان قوة الفكرة ترك من كل نعمة أنعمها تعالى عليه جانبًا يصلحه هو بفكرته لئلا تبطل فائدة الفكرة، فيكون وجودها عبثًا، وكما أن البدن يتعود الرفاهية بالكسل، كذلك النفس تتعوده بترك النظر، والتفكر مما يجعلها تتبلد وتتبله، وترجع إلى رتبة البهائم، وإذا تأملت قول النبي ﷺ: ((سافروا تغنموا))[1] ونظرت إليه نظرًا عاليًا علمت أنه حثك على التحرك الذي يثمر لك جنة المأوى ومصاحبة الملأ الأعلى، بل مجاورة الله تعالى.

والكسل قسمان: الأول: كسل العقل بعدم إعماله في التفكر والتدبر والنظر في آلاء الله من ناحية، وفي تركه النظر إلى ما يصلح شأن الإنسان، ومن حوله في الدنيا التي فيها معاشه. وليس تأخر الأمم ناتجًا إلا عن كسل أصحاب العقول فيها وقلة اكتراثهم بالقوة الإبداعية المفكرة التي أودعها الله فيهم.

الثاني: كسل البدن بما يشتمل عليه من الجوارح، وينجم عن هذا الكسل تأخر الأفراد، بله الأمم في مجالات النشاط المختلفة من زراعة وصناعة وغيرهما"[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أمانة الكلمة:

إن الكلمة من الأمانات التي يسأل عنها الإنسان يوم القيامة قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3] ولقد استشعر كعب بن مالك رضي الله عنه أمانة الكلمة فأبى أن يخونها، وقال: "فقال لي رسول الله ﷺ ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟

---

(١) أورده المنذري في الترغيب والترهيب برقم ١٤٧٠ بلفظ: "اغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا"، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ٨٣٠٨ ورواته ثقات، وضعفه محقق الترغيب والترهيب.

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٣) سورة ق، آية: ١٨.

قال: قلت يا رسول الله: إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، لقد أعطيت جدلاً، ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي..." فإن من أهم الأمانات التي ينبغي المحافظة عليها هي الكلمة وقد أدرجها المفسرون تحت قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾[(١)(٢)] ونهانا الله عن خيانة الأمانة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التزام الصدق:

إن الصدق طريق الجنة والتقرب إلى الله، وهو دليل القوة وسمة الثقة بالنفس[(٤)] وقد أمرنا الله بالصدق والكون مع أصحابه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٥)] وقد آمن كعب بن مالك رضي الله عنه بانجاء الصدق لصاحبه فلم يرض به بديلاً، يقول كعب: "فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بَثِي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدًا، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله قد أظل قادمًا، زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبدًا فأجمعتُ صِدْقَهُ".

لذا ينبغي على الداعية والمدعو على حد سواء التحلي بالصدق فإنه فضيلة الفضائل، وأنس الخلائق يقوم عليه نظام الاجتماع وترتيب الأمور، وسيرها السير الحميد، وإنه ليعلي صاحبه عند الناس جميعًا فيجعله موضع ثقتهم، مرغوب الحديث عندهم، محبوبًا إليهم، محترم الكلمة عند حكامهم، مقبول الشهادة عند قضاتهم[(٦)].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٤/١٤/٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢٥١٦/٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٦) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيزالخولي ص ١٤٧، ١٤٨.

فالصدق له من الآثار الحميد ومن العوائد العديد، وهو حسنة تنساق بصاحبها إلى الحسنات فهو دليل على حسن السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل.

فبالصدق يشرف قدر المرء،وتعلو منزلته، ويصفو باله، ويطيب عيشه، فهو ينجي صاحبه من رجس الكذب، ووخز الضمير، وذل الاعتذار، ويحميه من إساءة الناس إليه، ونزع الثقة منه، كما أنه يكسبه عزة وشجاعة، وثقة في النفس، فيظل موفور الكرامة، عزيز النفس، مهيب الجناب.

ولا يمكن أن يستقيم لأحد سؤدد، ولا تعلو مكانة، ولا يحرز قبولاً في القلوب، ما لم يرزق لسان صدق[1].

ثم إن الصدق يهدي إلى البر، وحسن الخلق من جملة ذلك البر، قال بعض البلغاء: الصادق مصان خليل، والكاذب مهان ذليل.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: شناعة الكذب وعاقبته الأليمة:

إن الكذب جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج النميمة التي تنتج البغضاء والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، لذلك قيل من قل صدقه قل صديقه[2]، وكما أن الصدق أس الفضائل فإن الكذب أس الرذائل، به يتصدع بنيان المجتمع، ويختل سير الأمور ويسقط صاحبه من العيون، لا يصدقونه في قول، ولا يثقون به في عمل، ولا يحبون له مجلسًا، أحاديثه منبوذة، وشهادته مردودة، لذلك نهى الإسلام عن الكذب ونفر منه[3].

ولقد أحسن كعب بن مالك صنعًا بالتزامه الصدق فنجاه الله به يقول: "وقلت يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقًا ما بقيت فوالله ما علمت أحدًا من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك

---

(١) سوء الخلق "مظاهره، أسبابه، علاجه"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢٦.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٢٦٢.

(٣) المرجع السابق ١٥٠.

لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى" وأنزل الله ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ حتى بلغ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ حتى بلغ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[1] أما الذين كذبوا الله ورسوله فباءوا عاقبة كذبهم، وبئست هي العاقبة قال كعب "فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٥ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[2].

سادسًا- من أساليب الدعوة: الهجر الإيجابي الزاجر:

ورد استعمال هذا الأسلوب في الحديث في قول كعب رضي الله عنه: "ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس أو قال تغيروا لنا، حتى تنكرت لي نفس الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف" ويكون هذا الهجر ممن له سلطة مادية كالزوج والأب والحاكم أو معنوية -كالعالم- على المهجور[3]، قال ابن القيم: (وفي القصة دليل على هجران الإمام والعالم والمطاع، لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواءً له، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه[4].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١١٧-١١٩.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٩٥ - ٩٦.

(٣) الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود سلمان ص ١٥٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٧٨/٣.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: قوة إيمان كعب بن مالك رضي الله عنه وثباته أمام الإغراءات:

يظهر هذا جليًا في موقف كعب بن مالك رضي الله عنه من كتاب ملك غسان الذي أرسله له مع النبطي، ففي شدة معاناته من هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم له، وطول مدة الهجر إلى أن ضاقت عليه الأرض وتنكر له الناس، وفي هذا الوقت العصيب يأتيه الاختبار والامتحان لقوة إيمانه -كتاب ملك غسان مع النبطي يعرض عليه أن يلحق بهم ويخرج من دار الإسلام التي جفوه أهلها وتنكروا له، فيقول رضي الله عنه: "فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌّ من نبط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفع إليَّ كتابًا من ملك غسان، وكنت كاتبًا فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، فقلت حين قرأتها: وهذه أيضًا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها".

قال ابن حجر: (قوله "فتيممت" أي قصدت والتنور ما يخبز فيه، فسجرته أي أحرقته.

ودل صنيع كعب هذا على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلا فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتاب ومنع الجواب، هذا مع كونه من الشعراء الذين طبعت نفوسهم على الرغبة، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما الذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده يقينه، ورجع ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دعي إليه من الراحة والنعيم، حبًا في الله ورسوله، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما))[1] وعند ابن عائذ أنه

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٦، ومسلم ٤٣.

شكا حاله إلى رسول الله ﷺ وقال: ما زال إعراضك عني حتى رغب في أهل الشرك[١].

قال ابن القيم: (وفي مكاتبة ملك غسان له بالمصير إليه ابتلاء من الله تعالى، وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله، وإظهار للصحابة أنه ليس ممن ضعف إيمانه بهجر النبي ﷺ والمسلمين له، ولا هو ممن تحمِلُه الرغبة في الجاه والملك مع هجران الرسول ﷺ والمؤمنين له على مفارقة دينه، فهذا من تبرئة الله له من النفاق، وإظهار قوة إيمانه، وصدقه لرسوله وللمسلمين ما هو من تمام نعمة الله عليه، ولطفه به، وجبره لكسره، وهذا البلاء يُظهر لُبَّ الرجل وسره، وما ينطوي عليه فهو كالكير الذي يخرج الخبيث من الطيب.

وقوله: "فتيممت بالصحيفة التنور" فيه المبادرة إلى ما يخشى منه الفساد والمضرة في الدين، وأن الحازم لا ينتظر به ولا يؤخره، وهذا كالعصير إذا تخمّر، وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر والشر، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه)[٢].

ثامنًا- من أساليب الدعوة: البشارة:

وردت الإشارة إلى هذا الأسلوب في الحديث من تبشير الرسول ﷺ وأصحابه لكعب رضي الله عنه بالتوبة قال: "فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى عنا، ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر فخررت ساجدًا وعرفت أنه قد جاء فرج، فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا... قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك" قال النووي: (وفي الحديث استحباب التبشير بالخير، واستحباب تهنئة من رزقه الله خيرًا ظاهرًا[٣] أو صرف عنه شرًا ظاهرًا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩١٧/٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٨٠/٥، ٥٨١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٢٤.

وفيه جواز إظهار الفرح بأمور الخير والدين[١] فالتبشير من أكثر أساليب الدعوة إفادة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[٢].

فالتبشير من أساليب الدعوة والتربية التي استخدمها النبي ﷺ وأوصى بها والتبشير من وسائل التحفيز للإنسان، فإذا ما صبغت الدعوة بتبشير المدعو غمرت قلبه الفرحة وعمت نفسه البهجة ولا يشعر بثقل التكاليف والواجبات عليه[٣].

تاسعًا: من صفات الداعية: مشاركة إخوانه مناسباتهم السارة:

وذلك واضح في الحديث من خلال ما فعله الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم من مشاركتهم لكعب بن مالك رضي الله عنه في فرحته وتهنئتهم له قال كعب: "فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله عز وجل علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا" وقال "وانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ يتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ويقولون لي لتهنك توبة الله عليك... فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك" لذا ينبغي على الداعية أن يعلم أن مشاركة المدعوين أفراحهم وأتراحهم من أهم أسباب نجاح دعوته، يكسب دعوتهم ويوثق الروابط بهم، فمشاركته لهم في مناسباتهم السارة وغيرها تنبئ عن اهتمامه بهم ومراعاته شعورهم وأحاسيسهم[٤].

عاشرًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

لقد علم كعب بن مالك فضل الصدقة وتكفيرها للذنوب فتصدق إتمامًا لتوبته وكما في الحديث قال كعب: "فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، فقلت: إني أمسكت سهمي الذي بخيبر" فالصدقة ضرب من ضروب الشكر لله تعالى وابتغاء الثواب[٥]. قال النووي: (وفي الحديث استحباب الصدقة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد.

(٤) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠.

شكر للنعم المتجددة لا سيما ما عظم منها)[١].

لقد جعل الله الصدقة من صفات المؤمنين الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢].

وقد جاءت الأحاديث النبوية مبينة لفضل الصدقة وثوابها عند الله تعالى منها أن الله عز وجل جعلها تطفئ نار الخطيئة كما يطفئ الماء النار فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: ((... والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[٣] قال المباركفوري: (قوله: "والصدقة تطفئ الخطيئة" من الإطفاء أي تذهبها وتمحو أثرها، أي إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى، وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضًا عن مظلمته)[٤].

وجعلها الله من أسباب زيادة المال وإحلال البركة فيه عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ. قَالَ مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوَهَا وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ. قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي رَبَّهُ فِيهِ وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا فهو يُخْبَطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/٢٠٠٤.

يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا فَهَذا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالاً وَلاَ عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ))[1].

حادي عاشر- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ:

ضرب الصحابة رضي الله عنهم ومنهم كعب رضي الله عنه أرفع الأمثلة في الاستجابة المطلقة لأوامر رسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث من استجابتهم لأمر رسول الله ﷺ بهجر الثلاثة الذين خلفوا، قال كعب: "ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس - أو قال تغيروا لنا" وكذلك عندما أمرهم النبي ﷺ باعتزال نسائهم، قال كعب: "واستلبث الوحي إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ فقال: لا، بل اعتزلها فلا تقربنها وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر" إنها استجابة مطلقة دونما شرط أو قيد.

وعملاً بمثل قول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2] وقوله: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[3] فاتباع أمر الله وهدي رسول الله ﷺ فيهما من المصالح ما لا يدخل تحت الحصر، وليس هناك رخصة ولا عذر في ترك العمل بهما، أو تقديم قول غيرها[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٨٩٤).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

الحديث رقم (٢٢)

٢٢- وَعَنْ أبي نُجَيْد بِضَم النُّونِ وَفَتْح الْجيمِ عِمْرانَ بْنِ الحُصيْنِ الخُزاعيِّ رضي الله عنهما أَنَّ امْرأَةً مِنْ جُهينةَ أَتَت رَسُولَ الله[١] ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فقَالَتْ: يَا رسول الله[٢] أَصَبْتُ حَدًّا فأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُها، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمتْ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ[٣] وَقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ[٤]: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدينَةِ لوسعتهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ[٥] أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسِهَا للَّهِ عَزَّ وجَلَّ؟» رواه مسلم[٦].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصْين: هو عمران بن الحصين بن عُبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، كنيته: أبو نُجَيْد اسم ابنه.

أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر [٧هـ] وأقام ببلاد قومه وكان يغزو مع رسول الله ﷺ الغزوات، و شهد فتح مكة وكان يحمل راية خزاعة.

كان من كبار فقهاء الصحابة وفضلاءهم، قال عنه الذهبي: القدوة الإمام، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها، فنشر فيها علمًا كثيرًا وتخرج على يديه بعض كبار التابعين، كالحسن البصري، ومحمد بن سيرين الذي كان يقول: أفضل من نزل البصرة من الصحابة عمران بن الحصين. وكان الحسن يحلف بالله: ما قدمها راكب خير من عمران بن الحصين.

---

(١) لفظ مسلم: (نبي الله).

(٢) لفظ مسلم: (نبي الله).

(٣) لفظ مسلم: (نبي الله).

(٤) لفظ مسلم: (فقال).

(٥) عند مسلم زيادة: (توبة)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٦) برقم (١٦٩٦/٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦١٠). وسيكرره المؤلف برقم (٩١٨).

كان ورعًا تقيًا خاشعًا زاهدًا، يقول عن نفسه: ما مسست ذَكَري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ[(١)] وولي قضاء البصرة فلم يلبث فيه إلا قليلاً حتى تركه، وكان يقول خشية وخوفًا: وددت أني رمادٌ تذروني الرياح.

وكان مجاب الدعاء صبورًا على ما أصابه وألمّ به، مرض بالاستسقاء سنين طويلة وشُقَّ بطنه ولازم الفراش ثلاثين سنة فكان يقول صابرًا محتسبًا راضيًا: والله إن أحب ذلك إليّ أحبُّه إلى الله عز وجل.

وبلغ من تقواه أن الملائكة كانت تُسلِّم عليه فلما اكتوى -لعلاج مرضه- فقدها، ثم عادت بعد أن ترك الكي[(٢)].

وقد اعتزل الفتنة فلم يقاتل مع أيٍّ من الفريقين. وبلغ مسنده ١٨٠ حديثًا، اتفق الشيخان له على تسعة أحاديث وانفرد البخاري بأربعة أحاديث، ومسلم بتسعة، وتوفي بالبصرة ٥٢هـ[(٣)].

الشرح الأدبي

ما أعظم رحمة الله بعباده وما أحوج البشر جميعًا إلى رحمة خالقهم التي وسعت كل شيء، ومن أجلّ آثار هذه الرحمة الإلهية قبول توبة التائبين، والعفو عن زلات العاصين وأي مكافأة أسمى وأجَلّ من أن الله يفرح بتوبة العبد، ويقول رسول الله ﷺ: ((لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة))[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٩٤٣/٣٣، والحاكم ٤٧٢/٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٢) صحيح مسلم ١٦٧-١٢٢٦.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٨٧/٤، ٩/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٢١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٦٩/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٩٥٤، والسير ٥٠٨/٢-٥١٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٨١/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣١٦/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٧٠/٥ وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣٨٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٩، ومسلم ٢٧٤٧.

والتوبة في هذا الحديث الشريف ليست توبة كلامية، وليست إقلاعًا عن المعصية فقط، وليست ندمًا مصاحبًا للإقلاع والإقرار بالذنب والعزم على عدم الرجوع إلى ميدان المعصية، ولكنها توبة عملية خالصة ثمنها الحياة بكاملها كما قال رسول الله ﷺ وهو يصوغ تقديره لهذه التوبة، ويضعها في أعلى مرتبة في أسلوب الاستفهام التقريري الذي يثبت مضاعفة الثواب والجزاء الحسن يقول سيد الخلق في الرد على عمر "وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل".

وقيمة التوبة هنا تكمن في الاعتراف والإقرار، مع أن المرأة تدرك العاقبة وهي الرجم حتى الموت، ومع ذلك لم تتحمل ثقل المعصية، وجاءت إلى رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنا "ومن" هنا تفيد السببية والتعليل أي بسبب الزنا وليس حملاً شرعيًا، ولنتأمل الحوار الدائر بين هذه المرأة الغامدية ورسول الله ﷺ، إنها تبدأ بالنداء والمنادى هو رسول الله ﷺ وكأنها تقول من خلال هذا التخصيص بالرسالة: إنني خالفت ما أمرتنا به في رسالتك ولابد من العقاب. ولم تصرح المرأة بفعل الزنا تجنبًا لهذا الأمر الكريه، وإنما حالها دل عليها، وقالت في إيحاء وإيماء لهذا الحال "أصبت حدًا فأقمه علي" أي: ارتكبت ما يلزم به الحد، وذلك من باب "المجاز المرسل" وفعل الأمر في قولها "فأقمه علي" ليس أمرًا حقيقيًا، وإنما هو طلب والتماس تلتمسه من رسول الله ﷺ، ويدل على شجاعة فائقة وعلى إخلاص النية لكي تطهر من تبعة هذا الذنب في الآخرة، والحديث في رواية أخرى يصرح بفعل التطهير من الذنب . قالت: "طهرني".

وأمام هذا الاعتراف وهو سيد الأدلة: يتجلى موقف الرسول الكريم ﷺ وهو كما وصفه ربه ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[1] حيث لم يقم عليها الحد فورًا، وإنما أرجأه إلى أن تضع حملها، ولم يسجنها، ولم يقيدها بالسلاسل وإنما أمر وليها بأن يحسن إليها والأمر بالإحسان هنا يحمل دلالات كثيرة، وينبئ عن روعة البيان النبوي ومراعاته لمقتضى الحال: فقوله: "أحسن إليها" يموج بكثير من ألوان الرعاية والحماية والدفاع

---

(١) سورة التوبة، جزء من آية: ١٢٨.

عنها ضد قالة السوء والذين يلمزون ويغمزون من الأهل والجيران، والذين يشوهون سيرة الناس، ويخوضون في أعراضهم.

ونلاحظ توالي وقائع هذا الحدث الخطير من خلال عطف الكلمات والأفعال بحرف الفاء: ولنتأمل هذه السمة الأسلوبية فالمرأة تستعمل إقامة الحد فتقول: "أصبت حدًا فأقمه علي". والراوي ينقل سرعة استجابة رسول الله ﷺ حيث يقول: "فدعا نبي الله ﷺ وليها" فقال: وبعد أن وضعت يقول الراوي: "ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ فشدت عليها ثيابها".

إن توالي وقائع الحدث هنا يفصح عنه الأسلوب الذي يميز البيان النبوي الكريم.

ونلاحظ هدوء الإيقاع الأسلوبي، وبطء الحدث بعد قوله: "فشدت عليها ثيابها"، استعدادًا لإقامة الحد يقول الراوي: ثم أمر [أي رسول الله] بها فرجمت فبعد الاستعداد لإقامة الحد تأتي ثمَّ لتعلن عن التروي والتأني، ربما لإعطاء هذه المرأة فرصة للرجوع عن أقوالها، وربما لعدم ترويعها ولكن بعد أن أصدر رسول الله أمره بدأ التنفيذ الفوري "ثم أمر بها فرجمت".

وفعل الرجم مبني للمجهول لأن المقصود هو تنفيذ العقوبة وإقامة الحد، وليس المراد تحديد القائم بالرجم، أو تحديد الذي يُقِمْ الحدّ، والبناء للمجهول في فعل الرجم يدل على أن الرسول ﷺ لم يحضر الرجم، ولم يشارك فيه لأن الحد ليس انتقامًا شخصيًا وإنما هو تكفير وتوبة نصوح، والرسول ﷺ لا يريد الاقتداء به في ضرورة حضور الإمام إقامة الحد لئلا يتوهم البعض أن الهدف هو الرغبة في الانتقام وليس التوبة وتنفيذ ما أمر به الله عز وجل.

ولنتأمل جلال المشهد وجمال الموقف في ختام هذه الواقعة حيث ينشأ حوار بين رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن صلى رسول الله على هذه المرأة: يقول عمر في سؤال ودهشة: "تصلي عليها يارسول الله وقد زنت"، وقال العلماء إن هذا السؤال بدر من عمر لاستكشاف حكمة صلاته ﷺ عليها مع أنه قد وقع منها أمر يقتضي إهمال أمرها والإعراض عنه.

ويعطي رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في العفو والصفح الجميل، ويفتح أبواب الرجاء أمام من زلّت أقدامهم، وانخرطوا في سلك العاصين ويقول لعمر مبينًا له ما خفي عنه من أمر التوبة النصوح "لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل.

واقتران الجملة النبوية المبشرة بقد التي تفيد التحقيق واللام التي تفيد التوكيد يؤكد مضاعفة الثواب وعظيم الأجر، والاستفهام مع أفعل التفضيل، والمادة اللغوية في "أفضل" والتعبير بقوله: "جادت بنفسها لله عز وجل" كل هذه الوسائل الأسلوبية تؤكد ثبات الأجر، وقبول التوبة وتفتح أمام كل من يقترف ذنبًا أو يرتكب معصية أو يكسب إثما أو خطيئة - الباب على مصراعيه للتوبة النصوح وما أحوج الكثير من أبناء هذه الأمة في العصر الحديث إلى المواجهة الحقيقية مع النفس الأمارة بالسوء، وما أكثر الغافلين المبتعدين عن دوحة الإيمان ظلال الباقيات الصالحات وما أحوج هؤلاء إلى الاقتداء بهذه المرأة التي انتصرت على شيطان الخطيئة، واستيقظت من غفلة الرذيلة وطهرت نفسها وجادت بها لله عز وجل فكان جزاؤها الجنة ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم حد الزنا، وبم يثبت، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن أحد الأمور التي تثبت بها جريمة الزنا الإقرار، وإن اختلفوا في عدد مرات الإقرار المطلوبة هنا فالحنفية والحنابلة: يشترطون أن يكون أربع مرات كالشهادة عليه، والمالكية والشافعية: يكتفون في الزنا بالإقرار مرة واحدة.

---

(١) سورة آل عمران ١٤٧.

(٢) تبيين الحقائق، الزيلعي ١٦٦/٣، شرح فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٢١٣/٥، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي الخطابي ٢٩٤/٦، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش لعليش ٢٥٦/٩، مغني المحتاج للشربيني ٤٥٢/٥، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٤٣٠/٧، المغني، ابن قدامة ٦٠/٩ وما بعدها، الفروع، ابن مفلح ٧٧/٦.

الثاني: إقامة حد الزنا على الحامل، وقد اتفق الفقهاء[١] أيضًا على أن الحامل لا يقام عليها الحد حين حملها بل تدفع إلى وليها حتى تضع وتكتمل مدة رضاع مولودها، أو توجد مرضعة يقبلها المولود، سواء كان الحمل من الزنا أم من الزوجية، لأن المولود لا ذنب له في جريمة أمه، ولأنه روح يجب المحافظة عليها بغض النظر عن كونه جاء من طريق حرام أم من طريق حلال.

الثالث: حكم الصلاة على المرجوم، وقد اختلف الفقهاء في حكم الصلاة على من مات بالرجم هل يصلى عليه أم لا؟ فذهب الجمهور من العلماء[٢] إلى أنه يصلى عليه لأنه يُصلّى على كل مسلم إلا أهل البدع المكفرة، وذهب المالكية[٣] إلى أنه لا يصلي الإمام على من مات بالرجم، أو بسبب الحد الذي يقيمه عليه، ويصلي عليه الناس، وقال الزهري لا يصلى على المرجوم مطلقًا[٤].

والراجح أنه يصلى عليه لأنه مسلم وارتكابه للكبيرة وإقامة الحد عليه لم يخرجه من الإسلام، وصلاة الجنازة تكون لكل مسلم.

الحكم الرابع: قال النووي: (يستحب لأهل المريض ومن يخدمه الرفق به واحتمال الصبر على ما يشق عليه من أمره، وكذلك من قرب موته بسبب حدٍّ أو قصاص

---

(١) تبيين الحقائق، الزيلعي ١٧٥/٣، وشرح فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٢٤٥/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي الخطابي ٢٩٥/٦، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش للشيخ عليش ٢٦٥/٩، ومغني المحتاج للشربيني ٤٥٧/٥، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٤٣٤/٧، والمغني، ابن قدامة ٤٧/٩ وما بعدها.

(٢) المبسوط، السرخسي ٥٢/٢، والعناية على الهداية، البابرتي ٢٢٨/٥، والجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ١٥١/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٢/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١٢٥/٤، والمغني، ابن قدامة ٢٢٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٢٣/٢.

(٣) المدونة الكبرى عن رواية سحسنون عن ابن قاسم، الإمام مالك الصبحي ٥٠٨/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد بن أبي يوسف العبدري ٥٦/٣.

(٤) نيل الأوطار، الشوكاني ٦٠/٤.

ونحوهما، ويستحب للأجنبي أن يوصيهم بذلك، لحديث عمران بن الحصين أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ ..." الحديث[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: إقامة الحدود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوبة الصادقة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحفاظ على ستر عورة المرأة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حماية النفس، وإقرار حق الحياة للإنسان.

أولاً- من أهداف الدعوة: إقامة الحدود:

تهدف الدعوة الإسلامية من جملة ما تهدف إلى خمسة مقاصد هي: حفظ الدين وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ المال[٢]، ومن وسائل الحفاظ عليها: تشريع الزواجر والحدود، وقد ورد في الحديث الإشارة إلى حد من الحدود وهو: حد الرجم فعن أبي نجيد عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة أتت رسول الله ﷺ وهي حبلى من الزنى... ثم أمر بها فرجمت".

فالإسلام جاء للحفاظ على طهارة المجتمع ونقائه، لذا وضع وسائل وطرقًا بإمكانها أن تحد من الإجرام وتضييق الخناق عليه، وتحدّ من انتشاره، وتمنعه من رفع رأسه عاليًا في المجتمع تلك هي الحدود والتعزيرات، التي وضعها التشريع الإسلامي على الجرائم، وأودع فيها من قوة الكبت والمنع، ما تبطل به الدوافع إلى الإجرام والبواعث له، حتى وصفها العلماء بقولهم (إنها -أي الحدود والتعزيرات- موانع قبل الفعل وزواجر بعده) أي أن العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل، وإيقاعها بعده يمنع العود إليه[٣].

وبذلك ينحسر الفساد والمعصية في المجتمع، ولذلك اقتضت الحكمة تشريع

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، شرح المهذب في اختصار السنن الكبير، الذهبي ٧٧/٥، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي ١٦٢، وانظر: الحديث رقم ٩١٤ من رياض الصالحين.

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ٦٠.

(٣) واقعية التشريع الإسلامي وآثارها، زياد بن صالح لوبانغا، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٨٥/٢.

الحدود حسمًا للفساد وزجرًا عن ارتكابه، ليبقى العالم على نظم الاستقامة، فإن إخلاء العالم عن إقامة الزاجر يؤدي إلى انحرافه، وفيه من الفساد ما لا يخفى، ولذا قال صاحب الهداية: والمقصد الأصلي من شرعه الانزجار عما يتضرر به العباد[١].

إن الدعوة الإسلامية تربي في نفوس الناس حب الخير وفعله، وتنفرهم من الشر وتبغضه إليهم ﴿...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾[٢]، وقد رتب الله الجزاء الحسن لمن فعل الخير، والعقاب الشديد لمن فعل الشر، عناية منه بهذا الإنسان حتى ترتفع نفسه عن الوقوع في الآثام، ولتقرب كثيرًا من الخير وتفعله، وقد أقام الإسلام عقوبات لمن ارتكب شيئًا من المحرمات الكبيرة، صيانة لروحه وحفاظًا على ماله وعرضه ونفسه ودينه وعقله، ومراعاة لحقوق المجتمع العامة[٣].

وقد شرعت العقوبة لمنع الناس من ارتكاب الجرائم، فإن هم ارتكبوها وقعت عليهم فلا يعودون مرة أخرى لارتكابها، ولذلك يقال: إن العقوبات موانع قبل الفعل زواجر بعده.

العقوبة في الإسلام علاج للمجرم وكفارة لذنبه وبالتالي فهي علاج نفسي للقلق الذي يصيبه عن توبته[٤]، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَىٰ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إلاَّ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَفَىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ فَعُوقِبَ بِهِ، فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ فَسَتَرَهُ اللّهِ عَلَيْهِ، فَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللّهِ، إنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ))[٥].

---

(١) ابن عابدين، ١٤٠/٣، نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٣١/١٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٢٤.

(٤) الحدود في الإسلام، د. أحمد فتحي بهنسي ص ٩-١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٧٨٤، ومسلم ١٧٠٩.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَصَابَ مِنْكُمْ حَدًّا، فَعُجِّلَتْ لَهُ عُقُوبَتُهُ، فَهُوَ كَفَّارَتُهُ. وَإِلاَّ، فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ))[(١)(٢)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوبة الصادقة:

بين النبي ﷺ في الحديث فضل توبة الإنسان إذا صدق فيها، وأنها أوسع من المعاصي التي أتى بها، ففي الحديث لـمَّا رجمت المرأة "صلى عليها فقال له عمر: تصلي عليها يا رسول الله وقد زنت؟ قال: "لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل" فالتوبة الصادقة دليل الإيمان الصادق[(٣)]، ومعية المؤمنين قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٤)] والتوبة الصادقة هي التوبة النصوح التي أمرنا الله بها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[(٥)] قال قتادة: هي الصادقة الناصحة[(٦)].

والتوبة معناها: الرجوع من الأوصاف المذمومة في الشرع إلى الأوصاف المحمودة فيه، وهي الإنابة إلى الله ولزوم طريق الطاعة والاستقامة[(٧)].

وقد حث الإسلام على التوبة وعلى أن تطلب مباشرة من الله سبحانه وبدون واسطة، وأنّ بابها مفتوح، وأنها مقبولة إذا كانت صادقة نصوحًا ما لم تصل الروح إلى الحلقوم أو تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢١٠٩).

(٢) الحدود في الإسلام، د. أحمد فتحي بهنسي ص ٩ - ١٠.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ١٢٧٧/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤٦.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ١٠٨/٢٣.

(٧) التوبة، أحمد عز البيانوني ٣٠/١.

حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]، وفي معرض حث الإسلام على التوبة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

فما من مخلوق إلا وقدر الله عليه أن يرتكب إثمًا ويقترف خطأ -باستثناء الأنبياء- وما من مخلوق إلا وقد أمر بالتوبة إلى الله، والرجوع عما اقترفه من الآثام، والاستغفار منها، والإنابة إلى الله سبحانه، وهذا ما يتمشى مع فطرة الإنسان، وطبائعه التي ركبت فيه، وهو ما جاءت به نصوص الشريعة بتقريره وتأكيده[٥]، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ))[٧].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٤) سورة التحريم، آية: ٨.

(٥) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن الربيعة ٤١٣ - ٤٢.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٦٢٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٩).

(٧) أخرجه مسلم ٢٧٤٩.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((للّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا))[١].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[٢].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((أنَّ ناسًا من أهل الشِّركِ كانوا قد قَتَلوا وأكثروا، وزَنَوْا وأكثروا، فأتَوا محمدًا ﷺ فقالوا: إنَّ الذي تقولُ وتَدعو إليه لَحَسن، لو تُخبِرُنا أنَّ لما عملنا كفَّارةً. فنزل ﴿والذين لا يَدْعونَ مَعَ الله إلهًا آخَرَ، ولا يَقتلونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ الله إلاّ بالحقّ، ولا يزْنون﴾[٣] ونزلَ ﴿قل يا عبادي الذين أسرَفوا علَى أنفسهم لا تَقنَطوا من رحمةِ الله﴾[٤]))[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحفاظ على ستر عورة المرأة:

إن مما دعا إليه الإسلام وأكد عليه: الحفاظ على ستر عورة المرأة وعدم تكشفها، حتى ولو في مقام تنفيذ العقوبة وإقامة حدٍّ من حدود الله، وورد في الحديث "فأمر بها نبي الله ﷺ فَشُدَّت عليها ثيابها" أي جمعت أطرافها لتستتر، وذلك لئلا ينكشف ثوبها في تقلبها وتكرر اضطرابها[٦] فالإسلام لم يكتف بحماية الإنسان في حالة حياته، بل كفل له الاحترام بعد مماته[٧] ففي هذا الحديث لم يرض لهذه المرأة أن تتكشف ويعبث الناظرون بأعينهم في جسدها حتى في وقت إقامة الحد عليها. وقد أمر المولى تبارك وتعالى بستر العورات فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٨

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٩٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٩٠، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٥.

(٧) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٧.

أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...﴾[1] إلخ الآية، فستر العورة واجب على المسلم والمسلمة وهذا مما يؤكد على أهمية حرص المرأة المسلمة على ستر عورتها، وعدم السفور، والتزام الحشمة والوقار، وعدم تقليد غير المسلمات في السفور والتبرج.

رابعًا- من أهداف الدعوة: حماية النفس وإقرار حق الحياة للإنسان:

لقد أجلّ النبي ﷺ إقامة الحد على المرأة حتى تضع "فدعا نبي الله ﷺ وليها فقال: أحسن إليها، فإذا وضعت فآتني بها" فالإسلام قرر حق الحياة والرعاية، وحماه بالتربية والتوجيه والتشريع والقضاء، واعتبر الحياة هبة من الله لا يجوز لأحد أن يسلبها غيره ولم يفرق الإسلام في حق الحياة بين أبيض وأسود، ولا بين شريف ومشروف، ولا بين حر وعبد، ولا بين رجل وامرأة، ولا بين كبير وصغير، حتى الجنين في بطن أمه له حرمة لا يجوز المساس حتى بالجنين الذي جاء عن طريق غير مشروع؛ ولذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لولي المرأة: "فإذا وضعت فآتني بها" كل هذا رعاية لحق الجنين لأنه لا ذنب له فيما جنته أمه أو اقترفه أبوه[2] قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3]. وقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[4] فكل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شيء من الذنوب فإنما عليها وزرها، لا يحمله عنها أحد، وكما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه[5].

وهذا مما يظهر عظمة الإسلام في صيانته للحقوق، وكفالته للضمانات اللازمة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٢) المرجع السابق ٨٤، ٨٥.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٨.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٥/٧.

الحديث رقم (٢٣)

٢٣- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس[١]، وأنس بن مالك[٢] رضي الله عنهم أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إلاَّ التُّرَابُ، وَيَتُوب اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

وأنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن كلمات هذا الحديث النبوي تشع بهالات الحقيقة، وتنطق بحقيقة الطبع الإنساني الراغب في التزود من متع الحياة، وتحقيق الرغبات مهما كانت الوسائل، وهذه الحقيقة ليست واقعًا مطلوبًا ولا مفروضًا، ولكنها طبع مركوز في فطرة الإنسان وعليه أن يقاوم هذه الغريزة التي تركض خلف زينة الحياة الدنيا وما تقدمه من وسائل وغايات.

وهذا الواقع الذي يدعو الحديث إلى مقاومته عن طريق التوبة والعمل الصالح يوضح القرآن الكريم بعض ملامحه التي تجذب كثيرًا من طلاب المتع، وأرباب الأهواء والبدع حيث يقول الله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٣٦، ومسلم ١٠٤٩/١١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٥٧.

(٢) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦٤٣٨، ومسلم ١٠٤٨/١١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٥٦.

(٣) تنبيه: اللفظ الذي أورده المؤلف هو لحديث أنس، واللفظ للبخاري. ثمَّ إن المؤلف جمع بين الحديثين في لفظ واحد، وفرقهما المنذري في ترغيبه.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤.

والأسلوب في هذا الحديث النبوي ينطق بالدلالة التي نجنيها من الكلمات، ومن توظيف الأدوات النحوية في تقديم المعنى المراد فالحديث يتكون من ثلاث جمل تشع بكثير من المعاني في إيجاز بليغ، وصياغة يسيرة تصل إلى كل من يستمع أو يقرأ في غير عناء ولا كد وتجمع بين الجزالة والرقة.

ولنتأمل دلالة الجملة الأولى حيث يكشف الرسول ﷺ عن الطبع الإنساني وعدم قناعته بما يقدره الله له، ولكن دائمًا يرجو المزيد والمزيد، وقد أفصحت الصياغة التي جاءت في قالب الشرط والجزاء، عن هذا المعنى الدقيق العميق وأداة الشرط لو وهي أداة امتناع لامتناع، وكأن هذا النموذج الذي لا يقنع بما يقسمه الله له هو من النماذج المستحيلة في عالم السلوك المعتدل الذي يحكمه الاتزان والرضا والعطاء والتعبير بقوله " لابن آدم" يرشد إلى أن هذا طبع بشري ولا يقتصر على شعب دون آخر، ولا على قبيلة معينة، أو عنصر محدد؛ وتخصيص الذهب هنا فيه إيحاء بأن الإنسان يحرص على كل شيء، ولا يقنع بأى شيء، وقد صور الشاعر العربي ذلك فقال:

ما كل ما فوق البسيطة كافيًا وإذا قنعت فبعض شيء كافي[1]

وإذا كان الذهب لا يشبع نهم الإنسان للمال فهل يشبعه شيء آخر؟؟!.

وتصاغ الجملة الثانية في أسلوب القصر، "ولن يملأ فاه إلا التراب" وهذا الأسلوب فيه سخرية وتهكم على هؤلاء الطامعين الذين لم يتعظوا بما يجري لغيرهم من جميع الأمم، وهذه الجملة كناية عن حال هذا المغتر الطامع فهو مهما أوتي من أموال يظل حريصًا على الدنيا، حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وهذا كما يقول صاحب دليل الفالحين حكم غالب النوع الإنساني: الحرص على الدنيا.

والجملة الثالثة تضع أمام كل الراغبين في العودة إلى منطقة التوازن والسماح والتقوى منافذ الرجاء وأبواب التوبة، ويقول رسول الله ﷺ "ويتوب الله على من تاب".

ودلالة الفعل المضارع في هذه الجملة المباركة يفيد الاستمرار "فالله يتوب على من تاب" في كل حين.

---

(١) يتيمة الدهر ١/٧٠.

ومنطوق هذا الحديث يضع أمامنا مفهومه، فالمنطوق يسخر من المتكالبين على متع الدنيا، والمفهوم مقترن بالزهد والقناعة، والإنفاق والحرص على اتباع تعاليم الكتاب والسنة، وهذه أهم ملامح الشخصية المسلمة، التي يجب أن يتحلى بها كل من ينطق بشهادة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حب الإنسان للمال.

ثانيًا: من مهام الداعية: التعرف على طبائع النفوس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قبول الله تعالى لتوبة التائب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حب الإنسان للمال:

بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث حقيقة من حقائق النفس البشرية وهي حب المال والسعي في طلبه فالإنسان مجبول على حب المال والسعي في طلبه وجمعه، قال ابن عثيمين: "إن ابن آدم لن يشبع من المال، ولو كان له واد (أحب)، أي: طلب أن يكون له واديان، ولا يملأ جوفه إلا التراب، وذلك إذا مات ودفن وترك الدنيا وما فيها حينئذ يقتنع؛ لأنها فاتته[1].

ولقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بالتكاثر وانشغال الإنسان به حتى الموت، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[2]، "أي: شغلكم الاشتغال بالأموال والعدد والمباهاة بها عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر، وتركتم كل شيء، روي عن مطرِّف عن أبيه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ أَلْهكُمُ التَّكَاثُرُ قَالَ: ((يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي. مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟ وما سِوَى ذلِكَ فهو ذاهبٌ وتارِكُهُ للناسِ))[3]، وقال ابن

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٦/١ - ٦٧.

(٢) سورة التكاثر، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٥٩.

عباس رضي الله عنهما: (قرأ النبي ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، قال: تكاثر الأموال: جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الأوعية"[١].

والنهي عن التكاثر بالمال لا يعني زرع البغض والكراهية للمال وإنما المراد أن يطلبه الإنسان من مصادره الشرعية وينفقه في مصارفه الشرعية، وأن لا يتملك المال من قلب الإنسان وإنما يجعله الإنسان في يده لا في قلبه.

لقد أشار الإسلام إلى أن المال من مقومات الحياة الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٢].

وأمر الإسلام بطلب الرزق، والسير في الدنيا لجمع المال وتحصيله بشرط أن لا يقسو القلب على طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

فهذه الآيات تبيح جمع المال وطلب الرزق، وفي هذا عناية بالجانب المادي في حياة الإنسان، ولكن ينبغي أن لا يطغى جمع المال على روح الإنسان، فيصبح جمع المال هدفًا عنده، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ))[٥].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتهُ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثمَّ قال: ((يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٦٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) أخرجه أحمد ٤/١٩٧ رقم ١٧٧٦٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ٢٩/٢٩٩.

أخذَهُ بَسخاوةِ نفسٍ بوركَ له فيه، ومن أخذَهُ باشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ. اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى)). قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، والذي بَعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا بعدَكَ شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا. فكان أبو بكرٍ ﷺ يَدعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقبلَه منه. ثمَّ إن عمرَ ﷺ دعاهُ ليعطِيَهُ فأبى أن يَقبلَ منهُ شيئا، فقال عمرُ: إني أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمينَ على حكيمٍ أني أعرِضُ عليهِ حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخُذَه، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا منَ الناسِ بعدَ رَسولِ اللّهِ ﷺ حتى تُوُفِّي[1].

وعن الزبير بن العوام ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((لأنْ يأخُذَ أحدكم حبلَهُ فيأتيَ بحُزْمةِ الحطبِ على ظهرِهِ فيبيعَها فيَكفَّ اللّهُ بها وجهَهُ، خيرٌ لهُ من أنْ يسألَ الناسَ أعْطُوهُ أو مَنَعُوه))[2]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ. وَلكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[3].

وجمع المال في الإسلام يقوم على فكرة أن المال في الأصل مال الله والإنسان مستخلف عليه وهو وسيلة للحياة لا هدفًا لذاته، ويجمع المال لأمور منها:

أ- النفقة على النفس والأهل والعيال:

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللّهِ))[4].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: عَادَنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ بنت لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» قَالَ قُلْتُ: أَفَأَ تَصَدَّقُ

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٧٢، ومسلم ١٠٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٤.

بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: ((لاَ، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللّهِ، إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ ...))[1].

ب- النفقة في وجوه البر والخير عامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ويَقولُ الآخَرُ: اللَّهمَّ أعطِ مُمسِكًا تلَفًا))[2][3].

ثانيًا- من مهام الداعية: التعرف على طبائع النفوس:

إن معرفة الداعية بطبائع النفوس والإطلاع عليها يؤدي إلى تيسير الدعوة إلى الله بالوصول إلى الطرق والأساليب الدعوية المناسبة واكتشاف العوامل والأسباب الفاعلة والمؤثرة في جذب النفوس وتشويقها إلى طريق الخير، فالنفس البشرية قد تجذب بالمال والعطاء، وقد تجذب باللين والتدرج، وأحيانًا بالقدوة وعرض النموذج التطبيقي الحي[4]، وغير ذلك، لذا كان على الداعية أن يفيد من علم النفس ليتسنى له التعرف على طبائع النفوس.

ولقد أطلعنا النبي ﷺ في هذا الحديث على ما جبلت عليه النفس البشرية من حبٍّ للمال: (لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان...)، لذا ينبغي على الداعية أن يكون على علم بالنفس البشرية، لأنه سيفيد من ذلك في تعامله مع المدعوين وعلاجه لمشكلاتهم المتعلقة بالجوانب المادية، وقد أفاد النبي ﷺ من هذا الجانب في تأليف قلوب فئة من الناس بالمال، ويمكن الإفادة من هذا الجانب في دعوة المسلمين وغير المسلمين ممن يعانون بعض المشكلات المالية، وقد أفاد المنصرون من توظيف المال

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٩١ - ٤٩٤.

(٤) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٣.

في التنصير، والأولى أن يفيد الدعاة والمؤسسات الدعوية من توظيف المال من خلال الطرق المشروعة التي تعمل على استقطاب المدعوين، وتأليف قلوبهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قبول الله تعالى لتوبة التائب:

إن من فضل الله على خلقه وكمال إحسانه، قبوله توبة من تاب منهم، وقد صرح النبي ﷺ بذلك في الحديث فقال: "ويتوب الله على من تاب"، أي أن الله تعالى يقبل التوبة مع الحرص المذموم الذي ورد في الحديث: (لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان)، وغيره من المذمومات[1]، وفي ذلك إخبار بقبول الله توبة من يتوب إليه، وكما قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[2]، فوصف الله نفسه بالغفار، الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته[3]، لمن ندم على ما صدر منه وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى بأن استمر على الهدى وثبت عليه وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4][5].

وقبول الله عز وجل لتوبة التائب من مظاهر رحمته بعباده، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[6].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٦.

(٢) سورة طه، آية: ٨٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ، ابن الجوزي، ٣١١/٥.

(٤) سورة الأحقاف، آية: ١٣.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٧٦/١٦/٧.

(٦) سورة النساء، الآيات: ٢٦ - ٢٨.

قال ابن القيم: "والتوبة من أفضل مقامات السالكين لأنها أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقها العبد ولا يزال فيها إلى الممات، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به ونزل به، فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما حاجته إليها في البداية كذلك"[١].

إن التوبة عن الذنوب تعتبر الخطوة الأولى في علاج أمراض الشخصية وأسلوبًا من أساليب تطهير النفس، فالاعتراف لله بالذنوب والآثام هي الخطوة الأولى في العلاج وراحة النفس، إلا أن هذه الراحة لا تكون كاملة ومستمرة إلا عن طريق التوبة بالإقلاع عن تلك الذنوب والآثام والعزم على تركها، والمثابرة لإرضاء الله بالعمل الصالح الخالص وتلافي ما فات من الخير. لا كما ينادي به أصحاب المدارس النفسية بالاكتفاء بالاعتراف فقط دون أن يكون هناك توبة وتكفير عن الذنوب. لذا نجد المنهج الإسلامي يرغب في التوبة ويأمر بها. ففي القرآن الكريم آيات عديدة منها: قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٣]، فالإنسان يجب عليه ألا يتوانى في التوبة إلى الله حتى وإن كانت ذنوبه كثيرة، قال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤].

وقد منح الله التائب محبة منه، وهذا يدلنا على فضل التوبة وأهميتها كعلاج لأمراض الشخصية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٩٨/١.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

(٤) سورة النساء آية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

إن التوبة لها آثار حميدة على الإنسان، ومن ذلك:

أ- تفتح أمام الإنسان الطريق الذي حطمته ذنوبه وآثامه، وأصبحت عبئًا ثقيلاً لا يستطيع تحمله في معترك الحياة، تفتح أمامه الأمل في تطهير النفس. إن هذا الأمل يجعله يشعر بالراحة النفسية والنظر إلى الحياة نظرة مختلفة، يسودها التفاؤل بعد أن كانت كلها تشاؤم وخوف ومرارة.

ب- تؤدي التوبة بصاحبها إلى احترام ذاته،وهذا الاحترام يقوي فيه شعوره بذاته، وبعبارة أخرى نستطيع القول: إن التوبة تؤدي إلى تأكيد الذات، وهذا دافع هام في تكوين الشخصية التي تتمتع بقدر كاف من الصحة النفسية.

ج- تؤدي التوبة إلى أن يتقبل الفرد لذاته، بعد أن كان دومًا يعلن الحرب عليها، ويحتقرها، ويحط من شأنها بسبب الآثام والذنوب التي ارتكبها.

إن الشخص الذي يتقبل ذاته لا يتطرف إلى الغرور الزائف، بل يواجه مشكلاته الشخصية بشجاعة وبأسلوب واقعي، إن الشخص الواقعي مستعد لمواجهة الحقائق عن نفسه، وعن عمله، وعن قدراته وظروفه، وعن المجال الذي يعيش فيه، حتى ولو كانت هذه الحقائق مؤلمة. إنه يرى في هذه الصعوبات حافزًا لأن يعمل ويكد ويضاعف من كفاحه أمام الأزمات.

د- تدفع التوبة إلى التحرر من الشعور بالذنب والخوف، وذلك أن الفرد المذنب يشعر بالتعاسة ويحس بالتوتر الذي يعوق نجاحه في أي مجال من المجالات التي يتحرك فيها، نتيجة لخوفه الشديد من الأذى الذي قد يصيبه بسبب الشعور المؤلم بالذنب عما يعتقد أنه عمل خاطئ قام به"[1].

---

(١) الإنسان وصحته النفسية، د. مصطفى فهمي ص ٢٨١ - ٢٨٢.

الحديث رقم (٢٤)

٢٤- وَعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَضْحكُ اللَّهُ سبْحَانُه وتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يقْتُلُ أحدُهُمَا الآخَرَ يدْخُلاَنِ الجنَّة، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سبيلِ اللَّهِ فيُقْتل، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْلِمُ**[1] **فَيُسْتَشْهَدُ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقول علماء البلاغة في وصف بلاغة الكلام وفصاحته: "إن الكلام إذا أشرقت شمس لفظه انكشف لبس معناه"، ومعنى أشرقت شمسه أي كان فصيحًا لما في الإشراق من الانكشاف والظهور، والمراد من قولهم: انكشف لبس معناه، أي يقدم المعنى في إطار بلاغي يبين المعنى ويجليه، وقالوا: لا يستحق الكلام الاتصاف بالبلاغة حتى يسابق لفظه معناه، ومعناه لفظه، فلا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك[3].

والبيان النبوي يتسنَّم ذروة الفصاحة والبلاغة، وهو كما قال الجاحظ لم يسمع بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ[4].

وفي ضوء جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي نقرأ هذا الحديث الشريف، ونستنطق معانيه من خلال مبانيه والحديث يختم به النووي باب التوبة وهو ختام موفق وهو مسك الختام، ويؤكد منهج النووي في ترتيب الأحاديث وهو منهج سديد يكشف

---

(١) (فيسلم) لا توجد عند البخاري، وإنما هو لمسلم.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٢٨٢٦، ومسلم ١٨٩٠/١٢٨.

(٣) انظر كتاب الطراز "المجلد الأول" ليحيى بن حمزة اليمني.

(٤) انظر: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ١٨/٢.

عن بصيرة نافذة، وميل إلى الترغيب أكثر من الترهيب، ولذلك سمَّي كتابه: "رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين" والحديث يبشر حتى غير المسلمين أملاً في إسلامهم، وترغيبًا لهم في التوبة، ويبدأ الحديث ببشارة إلهية تتمثل في اختيار الفعل المضارع "يضحك" إلى الرجلين المتصارعين. فالمسلم المقتول شهيد يدخل الجنة، ولكن كيف يدخل القاتل الكافر الجنة، والأسلوب هنا فيه مفارقة واستغراب، والأفعال الثلاثة في الجزء الأول من الحديث تتوالى في صيغة المضارع "يضحك الله، ويقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة" وهذه الصيغة اللغوية توحي باستمرار الصراع بين المسلمين وغيرهم من الكفار والمشركين، ولكن يظل باب التوبة مفتوحًا، والإسلام يَجُبّ ما قبله؛ ويفسر رسول الله ﷺ هذا التضاد الظاهري في الموقف حين سأله الصحابة: كيف يا رسول الله؟ ولنتأمل أدب الخطاب في لغة الصحابة رضي الله عنهم فهم لم يعترضوا ولكنهم أرادوا معرفة الحقيقة بدليل أنهم قالوا: يا رسول الله؟ ولم يكتفوا بلفظ كيف؟ ويجيب المصطفى ﷺ ويفيد بأن المسلم -وأشار إليه بهذا تكريمًا وتمييزًا له عن غيره- يقاتل في سبيل الله فيقتل ويدخل الجنة؛ ولكن القاتل لا تغلق أمامه أبواب التوبة، ويشاء الله له الخير فيسلم ثم يصبح من جنود الإسلام. ويقاتل مثل صاحبه السابق في سبيل الله ويستشهد، ويكون مصيره الجنة، وهي المأوى والنعيم المقيم، والحديث ينبئ عن واقع مجيد تحقق في زمن البعثة حيث أسلم كثير من المشركين، وصاروا من أقوى المدافعين عن الإسلام، ومن جنوده الأوفياء، ومازال أتباع الملل الأخرى يدخلون في دين الله أفواجا بعد الحروب الدامية؛ والملاحم القتالية التي سجلها التاريخ تشهد بذلك، وكثير من الفرس والروم والمغول والتتار وغيرهم، دخلوا في دين الله أفواجا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات الضحك لله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إثبات الضحك لله تعالى:

صرح النبي ﷺ في الحديث بنسبة الضحك لذات الله العلية فقال: "يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة".

يثبت أهل السنة والجماعة الضحك لله عز وجل -كما أفاده هذا الحديث وغيره- على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي لا يشبهه ضحك المخلوقين، عندما يستخفهم الفرح، أو يستفزهم الطرب، بل هومعنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإن الضحك إنما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمر عجيب يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث كذلك؛ فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاةٌ في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا منّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة؛ كان ذلك من الأمور العجيبة حقًا.

وهذا من كمال رحمته وإحسانه وسعة فضله على عباده سبحانه، فإن المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمنُّ على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام، والاستشهاد في سبيله فيدخلان الجنة جميعًا.

"وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا أو القبول أو أن الشيء حلّ عنده بمحل ما يضحك منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك، فهو نفي لما أثبته رسول الله ﷺ لربه فلا يلتفت إليه"[(١)].

وصفة الضحك لا يلزم من إثباتها تشبيه الله بخلقه -تعالى عن ذلك- لأن صفات الخالق تخصه وتليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم وتخصهم، ولا تشابه بين الصفتين، كما أنه لا تشابه بين ذات الخالق سبحانه، وذات المخلوقين فكما أنّ لله ذاتًا لا تشبه الذوات فكذلك له صفات لا تشبه الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[(٢)(٣)]. صفات تليق بعظمته وجلاله، فلا يجوز لنا أن نتوهم أنها مثل صفاتنا لأن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ص ١٦٩، ١٧١.

الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته عز وجل[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله:

إن الشهادة في سبيل الله لها عظيم الأجر وكبير الفضل، ومن فضلها الذي ورد في الحديث دخول الجنة "يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد" قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: يستفاد من هذا الحديث أن كل من قُتل في سبيل الله فهو في الجنة)[٢]. وذلك لما للجهاد من فضل في حفظ حوزة الإسلام وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار، في سائر الليالي والأيام[٣].

وقد تضافرت النصوص في القرآن والسنة التي تعلي من شأن الشهادة والشهداء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ. لَهَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ. يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا. وَلاَ أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. إِلاَّ الشَّهِيدُ. فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا. لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ))[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (لما بذل الشهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيرًا من حياتهم التي بذلوها، وقال: يشرف البذل بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله مَنْ بذل

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٥٢/١، ٥٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠٠/٢.

(٣) كتاب الاجتهاد في طلب الجهاد، لابن كثير تحقيق: د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان ص ٦١، ٦٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩-١٧١.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٧٧.

نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين)[١].

لقد ضمن الله عز وجل للمجاهد في سبيله وإعلاء كلمته أن يرزقه بأحد الحسنيين كما جاء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٢].

بهذه الصورة الرائعة يصور الرسول الكريم ﷺ أجر الغازي والمجاهد في سبيل الله، ذلك الإنسان الذي ضحّى بنفسه وماله في سبيل رفعة شأن الدين وإعزاز كلمة الله، وأي أجر أعظم، بل أيةُ منزلة أسمى من تلك المنزلة الرفيعة التي خص الله عز وجل بها المجاهدين في سبيله؟ حين قال عنهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

إنها الحياة الأبدية السرمدية في جنان الخلد ودار النعيم هي بعض ما أكرمهم الله عز وجل به، عدا ما أعد لهم من الذكر الحسن في الدنيا حيث تخلّد أسماؤهم في سجل الخالدين فهم أحياء حتى بعد مماتهم، ذكرهم على كل لسان، وحبّهم في كل قلب،

---

(١) أحكام الجهاد وفضائله، عز الدين بن عبدالسلام ٦١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧٦.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.

وهذا هو السر في نهينا عن القول في الشهداء بأنهم أموات لأن الله عز وجل خلّد ذكرهم، ويكفي ذلك شرفًا وفخرًا لهم. وقد بيّن هذا الحديث النبوي الشريف أن الله عز وجل قد تكفل بالجنة لمن جاهد في سبيل الله، مخلصًا عمله لله، مؤمنًا برسله، مصدقًا بوعد الله تبارك وتعالى، وليس هذا الجزاء العظيم إلا للمجاهد الذي يبتغي من وراء جهاده إعلاء كلمة الله، وإعزاز شأن الدين، ولقد سئل الرسول ﷺ عن الرجل الذي يقاتل للشهرة ليعرف أنه شجاع، أو يقاتل للمغنم، أو يقاتل حمية لعشيرته فقال كلمته الرائعة المأثورة: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله...)[1].

وقد ختم ﷺ حديثه بالقسم بأنه لولا أن يقع المسلمون في ضيق وحرج، ولولا المشقة التي ستلحق بالمؤمنين لما تخلّف عن الخروج في غزوة من الغزوات أبدًا، ولكنه لشفقته ﷺ على أمته ترك الخروج في بعض الغزوات.

ولقد تمنى صلوات الله وسلامه عليه أن يقتل في سبيل الله، ثم تعود إليه الحياة فيجاهد ثم يقتل وهكذا لما يعرف من ثواب الشهادة في سبيل الله. فأكرم به من قائد وزعيم وما أجمل كلمة الأديب التركي المسلم: (إذا لم تحترق أنت، ولم أحترق أنا، فمن أين يخرج النور؟) اللهم اجعلنا ممن جاهد في سبيلك ابتغاء مرضاتك"[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده:

إن من فضل الله على عباده توفيقهم لطاعته ودخول جنته وكما هو ظاهر في الحديث "يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد" وهذا من كمال رحمته وإحسانه وسعة فضله على عباده، فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يَمُنُّ على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله فيدخلان الجنة جميعًا[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٢) من كنوز السنة، محمد علي الصابوني ص ١٧٥- ١٧٦.

(٣) شرح العقيدة الواسطية، لابن تيمية ص ٢٠١.

وذلك إشارة إلى حصول الهداية عقب تعلق العناية بالعبد من غير تراخ إذ لا مانع لما أراد سبحانه، وإلى أنه لم يمكث بعد إسلامه زمنًا يقترف فيه شيئًا من موبقات الذنوب، بل عقب إسلامه استشهد فعمل قليلاً وحاز خيرًا كثيرًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد استعمل النبي ﷺ في الحديث أسلوب الترغيب، حيث رغب النبي ﷺ في الجهاد مبينًا أنه يغفر الذنوب ويدخل الجنة "يضحك الله سبحانه وتعالى لرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد" وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يتوب من الذنب الذي اقترفه، وإن كان كبيرة، ولا يؤيسه ذلك من رحمة الله تعالى، فإن الله هو التواب الرحيم، والذنب وإن عظم قدره -كالكبائر- وكثر عدده، إذا قوبل بفضل الله وعفوه كان يسيرًا قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٢] وقال البوصيري:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ... إن الكبائر في الغفران كاللمم[٣]

لذا فينبغي للداعية ألا يقنّط الناس من رحمة الله، وأن يرغبهم بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله بعظيم الخير، وتبشيرهم بحسن المثوبة، وفي ذلك ما يحمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة[٤].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٧. والبيت للإمام البوصيري في البردة قافية الميم. انظر: الديوان ص ٢٤٨.

(٢) سورة النجم، آية: ٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٧.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ١٩٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

خلق الله تعالى الإنسان وجعله مستعداً لفعل الخير والتزود منه، وكذلك اقتراف الشر، ومن رحمته سبحانه أنه لم يترك عباده هملاً، بل ألهمهم وأرشدهم إلى التوبة من المعاصي والإنابة إليه سبحانه، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1]، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتوبة، وجعلها رجاء الفلاح فقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وعدّ المصرُّ على ذنبه ظالماً فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

فالإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان، فهو ليس ملاكاً ولا شيطاناً، بل كائن عاقل رفيع كريم، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى عليين، وفيه من رغبات الجسم وأهواء النفس ما يقرنه بالمزخرفين من الشياطين، .... فمن طبيعته التسامي والارتقاء ومن طبيعته السقوط والالتواء.

فما دامت طبيعة البشر قابلة للوقوع في الذنب، فإن الباب لا يوصد أمام الإنسان، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل المرء في شقاء دائم.

وكان الرسول ﷺ - وقد أعلى الله منزلته وقدره وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- لا يغفل يوماً عن التوبة والاستغفار ويوصي بها أصحابه رضي الله عنهم فمرة يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"، ويقول ﷺ: ((يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة)).

---

(١) سورة الشمس، آيات: ٧-١٠.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

إن التوبة تجديد للإيمان وفي الاستغفار حياة للقلب... والقلب الذي فيه حياة يتدارك الذنب بالتوبة النصوح، فيندم صاحبه على الوقوف في المعصية، ويعجل إلى الإقلاع عنها[1].

إن تربية النفس على التوبة والإنابة إلى الله تعالى، تجعل العبد قريباً من ربه منيباً إليه وما أحوج النفوس إلى هذه النوع العظيم من التربية الإسلامية الواعية، تلك التربية الموضوعية والواقعية التي تتعامل مع النفس على طبيعتها واستعدادها كما خلقها الله تعالى، مزودة باستعدادات الخير واستعدادات الشر، فالتربية الإسلامية تتعامل مع واقع النفس، لأن النفس في نظر التربية الإسلامية ليست ملائكية وليست شيطانية، بل هي مستعدة للخير والشر، لكنها بحاجة إلى توجيهات وإرشادات وإلى فتح أبواب الأمل في رحمة الله، خاصة إذا كثرت المعاصي، وتكاثرت الذنوب عندئذ تكون نفس الإنسان بحاجة إلى الطمع في رحمة الله وعفوه، هذا ما تركز عليه التربية الإسلامية في الأحاديث التي وردت في باب التوبة والتي اشتملت على عدد من المضامين التربوية المهمة والتي من أبرزها ما يلي:

أولاً- التركيز على أسلوب القدوة العملية في التربية الإسلامية:

حيث أراد النبي ﷺ أن يربي أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم على الحرص على التوبة والتزامها فجعل نفسه القدوة العملية في ذلك، مع تسليمنا بالمنزلة الرفيعة التي أنزلها الله تعالى لرسوله الكريم، حيث رفع ذكره وزكاه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغير ذلك مما يصعب استقصاؤه، إلا أن النبي ﷺ يستخدم القسم في تأكيده على أهمية التربية على التوبة، والإنابة إلى الله تعالى، فيقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه"، ويهيب بالناس أن يتوبوا إلى الله، ويجعل من نفسه قدوة في ذلك، لأجل تأصيل عملية تربية النفوس على التوبة، والإنابة إلى الله تعالى، ولا شك أن أسلوب القدوة العملية يعد من أبرز أساليب التربية الإسلامية في التأكيد على النفوس حيث يشعر الإنسان بأهمية هذا الأمر الذي لا تستغني عنه النفس البشرية، نظراً

---

(١) انظر: التربية الروحية الاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ٨٠-٨١.

لاقترافها الذنوب، وعدم سلامتها من الوقوع في المعاصي، ومن ثم فإن النبي ﷺ بيّن أن باب التوبة مفتوح على مصراعيه أمام كل إنسان تعثرت خطاه، واحتاج إلى رحمة الله، ليسارع في التوبة إلى الله والاستغفار، حيث كان النبي ﷺ حريصًا على التوبة ملازمًا لها ليبين للناس بأسلوب عملي أهمية التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ثانياً- التركيز على أسلوب المثل في التربية لبيان قيمة التوبة والإنابة إلى الله تعالى:

إن توبة العبد تؤدي إلى رضوان الله تعالى وفرحته بإنابة عبده، وقد وظّف النبي ﷺ المثل توظيفاً تربوياً رائعاً في تصوير حالة هذا الرجل الذي انفلتت عنه راحلته وعليها طعامه وشرابه حتى استبدَّ به اليأس من إدراكها، فأوى إلى شجرة واضطجع فبينما هو كذلك إذا براحلته فامتلأت نفسه سروراً حتى أخطأ من شدة الفرح... وقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح".

إن النبي ﷺ أراد أن يعمق في نفوس مدى فرحة الله تعالى بتوبة عبده ورجوعه إليه ورحمته به، حتى تتربى الأُمّة على حب التوبة وملازمتها.

ثالثًا- التربية بالقصة:

إن التربية بالقصة مفيدة في عدد من المجالات التربوية التي تعمق في النفوس معاني الصدق، والأمانة، والوفاء، والرحمة، والإيثار، والتوبة، وغير ذلك، وقد بيّن النبي ﷺ - من خلال القصة في باب التوبة- أهمية تربية النفس على التوبة والحرص عليها، والبحث عنها، مهما تعثرت خطا الإنسان، وانحرف عن المسار الصحيح، وضلت به السبل، فلا ينبغي أن يستبد به اليأس ويحلّ به القنوط، بل يُؤمل في رحمة الله، ويطمع في قبوله سبحانه لتوبة عبده، وقد اتضح ذلك من خلال قصة هذا الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً... بل أكمل قتل مائة نفس، وظل يبحث عن التوبة حتى يسّرها الله تعالى له، وقبلها منه، وذلك ما ورد في القصة التي أخبر بها النبي ﷺ.

كل ذلك ليؤصل النبي ﷺ في النفوس حب التوبة ويربيها على أهمية الحرص عليها، وعدم اليأس من الذنوب، واليقين في رحمة الله تعالى ولطفه بعباده.

رابعاً- الحرص على التربية الجادة على التوبة والاستغفار:

إن الإنسان لا يستطيع إدراك أهدافه إلا إذا كان جاداً ومثابراً في بلوغها، إن التوبة بحاجة إلى الصدق والشفافية مع الله تعالى، وإلا فإن الرواسب التربوية -التي كانت سبباً في بعض الذنوب والمعاصي في المراحل السابقة على التوبة-، يمكن أن تكدر صفوها، نظراً للخليط المتنافر من السلوكيات التي لا تنسجم مع التوبة إنه لابد من التخلص من الركام التربوي الذي يتعارض مع أصول التوبة وشروطها، وهذا ما ركز عليه النبي ﷺ في تربيته الجادة لأصحابه رضي الله عنهم، تلك التربية التي ساهمت في انتشالهم من السلوكيات التربوية الخاطئة في المجتمع العربي آنذاك، واستطاع من خلال تلك التربية الجادة أن يقتلع الجذور الاجتماعية والأنماط السلوكية الخاطئة والأفكار والمعتقدات التي عمل الإسلام على اجتثاثها من خلال بيان القيم الإسلامية في مجال العبادات والسلوكيات والآداب التي ينبغي للمسلم أن يتحلى بها في مجال التعامل مع أهل الفضل وغيرهم من الناس وأدب الخطاب وغير ذلك، وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم تربية جادة من خلال التجربة العملية في مقاطعة من تخلفوا عن غزوة تبوك وعدم التعامل معهم، ومنع أصحابه رضي الله عنهم من التواصل معهم حتى تاب الله عليهم.

إن من ثمرات التربية الجادة إعداد المسلم الممتثل لأوامر الله تعالى، لأن التربية تعمل على تهيئة المسلم للقيام بالمهمة التي من أجلها خلق وهي: العبادة لله تعالى، وإعمار هذا الكون من خلال طاعة الله تعالى، واجتناب معاصيه والإنابة إليه سبحانه.

خامسًا- من نتاج التربية الجادة: الامتثال لأوامر الله:

حين استنفر النبي ﷺ أصحابه في غزوة تبوك فتخلّف عن الغزوة من تخلف، وكان ممن تخلف من الصادقين: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، حين سألهم النبي ﷺ عن سبب تخلفهم عن الغزوة، ولم يكن لهم عذر يقبله ﷺ، فأمر بأن لا يكلمهم أحد، وبقوا على هذه الحال يمشون في شوارع المدينة، ويجوبونها وكأنهم يتعاملون مع أشباح وصور، وحين بلغوا أربعين يوماً، أُمروا أن يعتزلوا زوجاتهم فكانت عزلة أكثر، وحصاراً أشد، حتى بلغ بهم الحال إلى ما وصفه الله سبحانه

وتعالى في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. وفي هذه الحالة يجيء كعب بن مالك رضي الله عنه خطاب من ملك غسان يطلب منه أن يلحق به، فيسجره في التنور، ويسلم أمره لله، فجاء الفرج بعد خمسين ليلة. إنها صورة من صور التربية الجادة، والتي تربى عليها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

مما يعكس أثر التربية النبوية وهي في فترة النضج والتمام في العاشرة من الهجرة[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٨.

(٢) انظر: التربية الجادة ضرورة، أ. محمد بن عبدالله الدويش ٤٨-٤٩.

٣- باب الصبر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: ١٥٥]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[الزمر: ١٠]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: ١٥٣]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾[محمد: ٣١]، وَالآياتُ في الأمر بالصَّبْر وَبَيانِ فَضْلِهِ كَثيرةٌ مَعْرُوفةٌ.

الحديث رقم (٢٥)

٢٥- وعن أبي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ الْميزانَ وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للَّه تَمْلآنِ -أَوْ تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاةُ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: هو أبو مالك الأشعري معروف بكنيته مختلف في اسمه اختلافاً كبيراً: فقيل: الحارث بن الحارث. وقيل: عبيد. وقيل: عبيدالله. وقيل: عمرو. وقيل: كعب بن عاصم. وقيل: كعب بن كعب. وقيل: عامر بن الحارث بن هانئ بن كلثوم.

وهو غير أبي مالك الأشعري الذي يروي عنه أبو سلام الأسود وشهر بن حوشب. فهذا يروي عنه عبدالرحمن بن غَنْم الأشعري وغيره.

---

(١) برقم ١/٢٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١. وسيكرره المؤلف برقم ١٠٣٣، و ١٤١٥.

نزل أبو مالك الشام ومات في خلافة عمر بسبب الطاعون الذي وقع هناك.

قال عبدالرحمن بن غنم: طعن معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد[١].

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٢٢: ذكر النووي في الأذكار[٢] عند ذكر حديث أبي مالك الأشعري ((الطهور شطر الإيمان)) – أن اسمه الحارث بن عاصم وهذا وهم، وإنما هو كعب بن عاصم أو الحارث بن الحارث.

غريب الألفاظ:

الطُّهورُ: التطهر. أما بالفتح "الطَّهُور" فهو الماء الذي يُتطهر به[٣].

شطر: نصف[٤].

الميزان: هو الميزان الذي توزن به يوم القيامة الصحائف التي كتبت فيها أعمال العباد، وله كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات[٥].

يغدو: الغُدُوُّ: السَّيرُ أوّل النهار، والمراد يسعى[٦].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٠/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٥٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢٦٦/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٥٤٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤١٦/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٨٠/٤، ٣٢٧/١، و٤٦٩/٣.

(٢) كذا قال الحافظ: في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، وإنما ذكره النووي في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي بكنيته دون اسمه في الحديث رقم ١٣ منه، وإنما ذكر ذلك النووي في رياض الصالحين عند الحديث رقم ٢٥ أول باب الصبر.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر).

(٤) اللسان في (ش ط ر).

(٥) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٢/١٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٠٦٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ د و).

معتقُها: مُحَرِّرُها[١]، وذلك إذا باعها لله تعالى، بطاعته.

موبقها: مهلكُها؛ وذلك إذا باعها للشيطان، بمعصية الله وطاعة الشيطان[٢].

الشرح الأدبي

يجب على كل مسلم أن يقف أمام هذا الحديث النبوي الشريف وقفة تأمل وتدبر وتفكر، لأنه من جوامع كلمه ﷺ وحياة المسلم القولية والفعلية، ومصيره في دنياه وآخرته ونجاته من مغريات الحياة، ورغائب النفس، كل هذه الآفاق التي يتحرك فيها المسلم تشرق فيها أنوار هذا الحديث الشريف، وهذه الأنوار منارات من الهدى واليقين تنطلق منها أشعة النجاة، وبوارق الفلاح وأضواء الأمان والإيمان.

ويتسم البيان النبوي في هذا الحديث بالإيجاز فكل جملة من جمل الحديث تتضمن أسراراً بلاغية، وتوحي بمعان وإيحاءات عديدة، وتفسيرات لغوية، وتحليلات لدلالة الألفاظ ونسق الأساليب، وهذا الإيجاز لم يجعل المعنى غامضاً، ولا البناء اللغوي معقداً وإنما الكلمات تشع ببريق المعاني، وتفصح الدلالات عن كثير من التفسيرات والبُشريات.

وقد قسم العلماء دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام: أحدها: المساواة وهو: أن يكون المعنى مساوياً للفظ ، والثاني: التذييل، وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عنه، والثالث: الإشادة: وهو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ: أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشادة واللمحة[٣].

وأسلوب النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة يجمع بين خاصتي: "المساواة والإشادة" وليست في أحاديثه ألفاظ زائدة على المعنى لأن الزيادة اللفظية تعد عيباً من عيوب فصاحة اللسان العربي.

---

(١) المرجع السابق في (ع ت ق).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير واللسان في (و ب ق).

(٣) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي.

وخاصية الإيجاز في كلام المصطفى ﷺ تعد صدىً مضيئاً وترجماناً قولياً صادقاً لقوله ﷺ ((أوتيت جوامع الكلم))[١].

وقد ألمح إلى هذه الظاهرة الجمالية في الحديث النبوي هند بن أبي هالة: حينما سأله الحسن عن منطق رسول الله ﷺ: فقال في معرض وصفه للمنطق النبوي (ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير)[٢].

ولنتأمل مظاهر الجمال الأسلوبي والأداء البلاغي ومعالم البيان النبوي في هذا الحديث الشريف: وأول مظهر من مظاهر الجمال الأسلوبي.. هو العبارات والجمل القصيرة المتوازية، والسجع غير المتكلف الذي يحدث التأثير الصوتي، وصولاً إلى الدلالة المضيئة، ورغبة في الامتثال لكل قيمة إسلامية أشرقت معانيها في آفاق هذا الحديث الشريف.

وهذه الجمل القصيرة المتوازية التي يضبطها الإيقاع الأسلوبي والمعنوي، يحكمها ويعلي من قيمتها التأثيرية "التوازن" وهو من خصائص البيان النبوي؛ لأن هذا البيان يخاطب العاطفة قدر ما يخاطب العقل، ولا يجور فيه الخيال على الحقيقة ولا يطغى فيه المحسوس على المعقول، ولا يتجه إلى قوم دون آخرين ولا يخضع لمؤثرات بيئية، ولا لحيثيات زمنية، إن الأدب النبوي خطاب شامل للبشرية جمعاء، وهي تستظل بظلال الإسلام في كل زمان وفي كل مكان، مهما اختلفت اللغات، ومهما تباينت الأجناس وتعددت البيئات، فالشعور الإيماني هو الدائرة التي يتحركون في فلكها، وهو المنبع والمجرى والمصب، منبع العقيدة، ومجرى السلوك ومصب الرؤى والإشراقات.

وكل ما في الحديث الشريف ينطق بالتوازن الذي يعد من سمات الشخصية الإسلامية، ولنتأمل هذه الأسرار التعبيرية، والمظاهر الجمالية في صياغة الحديث الشريف.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/٢٨٧.

فلفظ "الطهور" يحمل عدة دلالات: حسب ضبْطه الشكلي، فهو بضم الطاء: يفيد فعل الوضوء نفسه، وبفتح الطاء هو اسم لهذا الفعل؛ والجذر لهذا اللفظ اللغوي من "الطهارة" وهي تدل على النظافة حسية كانت أو معنوية.

وهذه الدلالة اللغوية للطهارة تشارك في توضيح الدلالة الشرعية، فالطهارة شرعاً: فعل ما يترتب عليه إباحة أو ثواب مجرد؛ والمراد بالطهور: في الحديث الشريف هو الوضوء.

ولا يكتمل مدلول "الطهور" ولا يفهم المراد منه إلا بقوله عليه الصلاة والسلام "شطر الإيمان" فالطهور مبتدأ الكلام، وشطر الإيمان الخبر الذي تمت به الفائدة.

وحول تفسير "شطر الإيمان" دارت آراء عديدة، وتأويلات كثيرة. وكلها تؤكد قيمة البيان النبوي وعمق دلالاته، ودقة إشاراته.

فالشطر: معناه: النصف: ولفظ الإيمان: قيل المراد به: الصلاة لا تصح إلا بالوضوء فكان كالشطر، والذين فسروا الإيمان على حقيقته: قالوا: ينتهي تضعيف أجره إلى نصف أجر الإيمان -كما ذكر صاحب كتاب دليل الفالحين-.

وتتعدد دلالة لفظ "الطهور" حيث فسرها بعضهم: الطهور ها هنا: بترك الذنوب.

وحول علاقة الطهور بالإيمان، ودلالة الشطر: قال بعض العلماء: الإيمان نوعان: فعل وترك فنصفه فعل المأمورات، ونصفه ترك المحظورات: وهو تطهير النفس بترك المعاصي، فانظر أخي المسلم إلى هذه الإشعاعات الدلالية، والمقاصد الشرعية التي تشع بها ألفاظ الحديث الشريف، وتراكيبه اللغوية الناطقة بالإيحاء، والتي يقف أمامها العلماء بكل ما لديهم من تفسيرات وآراء.

ولنتأمل هذه الحقيقة الإيمانية: "الحمد لله تملأ الميزان": كيف توحي صياغتها بالبشارات، وكيف تعلن عن الجزاء المضاعف الذي ينتظر المؤمن الذي يحمد ربه في كل المواقف الحياتية.

وهذا الجزاء المضاعف يصوغه المصطفى ﷺ في أوجز عبارة، في جملة واحدة: بدايتها "الحمد لله" وختامها "تملأ الميزان"، وهل هناك ثواب أكمل وأجمل وأعظم من

أن يُملأ ميزان المؤمن.. وهذا كناية عن القبول والرضا والفوز في الدنيا، لأن الحمد كان قرين كل قول وفعل، والفوز في الآخرة وما أعظمه من فوز حين يملأ الميزان، وتتوج بذلك حياة الإنسان.

وحول كيفية هذه الحقيقة: "الحمد لله تملأ الميزان" تعددت آراء العلماء، وتعددت الوجوه والتفسيرات. وهي كثيرة وتؤكد القيمة الأسلوبية والدلالية للبيان النبوي العظيم، ومن هذه الآراء قولهم: وإنما ملأ ثواب هذه الجملة كفة الميزان مع سعتها المفرطة لأن معاني الباقيات الصالحات في ضمنها.

ومن التراكيب الأسلوبية المضيئة بالدلالات والمعاني العميقة قوله ﷺ "أو تملأ ما بين السماوات والأرض".

ولنتساءل لماذا جاء لفظ السماوات في صيغة الجمع، ولفظ الأرض مفردًا؟

ويقول البيضاوي: في تعليل هذه الظاهرة اللغوية إنما جمع السماوات وأفرد الأرض لأن طبقات السماوات متفاصلة بالذات مختلفة في الحقيقة، بخلاف الأرضين.

وقيل في تعليل هذا الثواب العظيم لكل من ينبض قلبه، وينطق لسانه، ويؤيد ذلك سلوكه ويقينه، حيث يكون نهجه في حياته قولاً وعملاً "سبحان الله والحمد لله"، ويقول العلماء وإنما ملأ ثواب ما ذكر ما بين السماء والأرض التي لا يحيط بسعتها إلا خالقها سبحانه؛ لأن العالم كله شاهد بأن الله هو خالقه والقائم بتدبيره، وسبحان الله والحمد لله يتضمنان إثبات الرب الواحد وجميع صفات الجلال والكمال له، ونفى جميع النقائص عنه، فكأن قائلها شاهد لله بذلك.

"والصلاة نور والصدق برهان والصبر ضياء": إن هذه الحقائق الثلاث التي تمثل ثلاثة من مبادئ الإسلام وقد جاءت صياغتها مبشرة للمؤمن الذي امتزجت حركته الحياتية بالتحميد والتسبيح.

وتشبيه الصلاة بالنور وحذف أداة التشبيه، أو أنها على الحقيقة نور: حيث تضيء لصاحبها في ظلمات الموقف يوم القيامة؛ وليس هناك تصوير للصلاة أعظم تقديراً، وأوسع دلالة من هذا التصوير بأنها نور، فهي نور في الحياة، ونور وبرهان ونجاة يوم القيامة.

الصدقة برهان: والبرهان هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً لوضوح دلالتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان.

والصبر ضياء: وأي علاقة توجد بين قيمة الصبر، وهو مسلك إيماني يحتاج إلى مجاهدة ومعاناة، وبين: متعلقات وملابسات الضياء، والضياء في اللغة: هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس، بخلاف القمر فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق، وهنا تكمن المجاهدة في الصبر ومقاومة كل الإحباطات والمعوقات والوساوس، وهذه المقاومة لا تكون إلا بوهج الضياء وقوة اليقين "والقرآن حجة لك أو عليك"، إن هذا الموقف الصارم الذي صيغ في قالب موجز موضوع على كفتى الطباق "لك أو عليك" يضع المسلم أمام مسؤولية مصيرية، ونهاية الحديث لا تحصر هذا المصير في دائرة المسلم، ولكنها توسع الدائرة، فإذا الناس كلهم أمام خيارين، إما أن يبيع نفسه لله فيفوز ويعتق نفسه، أو يكون مصيره الهلاك والبوار.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي نذكر منها:

الأول: حكم الطهارة، وقد ذكر الفقهاء[1] أنها شرط لصحة الصلاة، ثم اختلفوا في كونها عبادة أم لا على قولين، فقال البعض إنها عبادة بناءً على هذا الحديث، وذهب الآخرون إلى أنها ليست عبادة.

الثاني: حكم ذكر الله تعالى: الذكر محبوب مطلوب من كل أحد مرغب فيه في جميع الأحوال، إلا في حال ورد الشرع باستثنائها، كحال الجلوس على قضاء الحاجة، وحال سماع الخطبة[2].

---

(١) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٣٠/١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٦/٦، المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١١٦/١، وشرح العمدة لابن تيمية ٣٢٠/١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٣٥٠/٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٢/٢١، نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٢/١١، ٢١٢.

الثالث: فريضة الصلاة، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة متى كان بالغًا عاقلاً ولا تسقط إلا بالموت فقط.

الرابع: حكم الصدقة، والصدقة أنواع فمنها ما هو واجب وهو الزكاة حيث يطلق عليها صدقة، ومنها ما هو واجب على البدن وهو زكاة الفطر، ومنها الصدقة المفروضة من الشخص على نفسه وهو النذور، ومنها الصدقة المفروضة حقًا لله تعالى وهي الفدية والكفارة، ومنها ما هو تطوع وهذا هو المصطلح الأشهر عند ذكر الصدقة[٢].

وقد ذكر الفقهاء[٣] أن صدقة التطوع سنة ورد بفضلها الكتاب والسنة، وهي مستحبة في جميع الأوقات، وصدقة السر فيها أفضل من صدقة العلانية وفي كل خير، وهي أفضل في وقت الصحة، وفي رمضان، وأوقات الحاجة، وفي كل زمان ومكان فاضل.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الطهور.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الحمد والتسبيح.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة.

---

(١) بدائع الصنائع، الكاساني ٨٩/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٥٦/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٧٨/١، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٧٧/١، ومغني المحتاج ٣١٢/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣٨٧/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٢٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٢١/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٥/٢٦.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٦٢٨/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٠٤/١، ٣١٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٦ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٤٠٥/١، والمغني، ابن قدامة ٣٦٨/٢، والفروع، ابن مفلح ٦٤٩/٢، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٥٤١/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨٩/٢٤، ٣٢٥/٢٦.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر.

سادساً: من موضوعات الدعوة: فضل العمل بالقرآن وخطورة الإعراض عنه.

سابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

ثامناً: من أساليب الدعوة: التشبيه وضرب الأمثال.

تاسعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العمل الصالح.

عاشرًا: من مهام الداعية: حث الناس على فعل ما ينفعهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الطهور:

صرح الرسول ﷺ في الحديث بفضل الطهور وبيان منزلته من الإيمان، فقال: "الطهور شطر الإيمان"، قال القرطبي: (وقد اختلف في معنى قوله عليه الصلاة والسلام: "الطهور شطر الإيمان" على أقوال كثيرة؛ أولاها: أن يقال: إنه أراد بالطهور الطهارة من المستخبثات الظاهرة والباطنة. والشطر: النصف. والإيمان هنا: هو بالمعنى العام. ولا شك أن هذا الإيمان ذو خصال كثيرة، وأحكام متعددة، غير أنها -أي الخصال- منحصرة فيما ينبغي التنزه والتطهر منه، وهي كل ما نهى الشرع عنه، وفيما ينبغي التلبس والاتصاف به، وهي: كل ما أمر الشرع به، فهذان الصنفان عبر أحدهما بالطهارة على مستعمل اللغة، وهذا كما روي مرفوعا: "الإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر".

وقد قيل: إن الطهارة الشرعية لما كانت تُكفر الخطايا السابقة كانت كالإيمان الذي يَجُبُّ ما قبله، فكانت شطر الإيمان بالنسبة إلى محو الخطايا، وهذا فيه بُعد؛ إذ الصلاة وغيرها من الأعمال الصالحة تُكفر الخطايا؛ فلا يكون لخصوصية الطهارة بذلك معنى.

ثم لا يصح أيضاً معنى كون الطهارة نصف الإيمان بذلك الاعتبار؛ لأنها إنما تكون مثلاً له في التكفير، ولا يقال على المثل للشيء: شطره، وقيل: إن الإيمان هنا

يراد به الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[١]، أي: صلاتكم على قول المفسرين، ومعناه على هذا: أن الصلاة لما كانت مفتقرة إلى الطهارة كانت كالشطر لها. وهذا أيضاً فاسد، إذ لا يكون شرط الشيء شطره، لا لغة، ولا معنى. فالأولى: التأويل الأول. والله أعلم.

فإن قيل: كل ما ذكرتم مبنيٌ على أن المراد بالطهور: الطهارة، وذلك لا يصح، لأنه لم يروه أحد فيما علمناه: الطهور بالضم، وإنما روي بالفتح، فإذا هو الاسم على ما تقدم. قلنا: يصح أن يقال: يحمل هذا على مذهب الخليل كما تقدم، ويمكن حمله على المعروف ويراد به استعمال الطهور شطر الإيمان"[٢].

قال ابن رجب الحنبلي: (والصحيح الذي عليه الأكثرون أن المراد بالطهور هاهنا: التطهر بالماء من الأحداث)[٣]، وقال النووي: (ويحتمل أن يكون معناه أن الإيمان تصديق بالقلب وانقياد بالظاهر، وهما شطران للإيمان، والطهارة متضمنة الصلاة فهي انقياد في الظاهر)[٤]، والطهور سبب لمحبة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الحمد والتسبيح:

إن حمد الله واجب على خلقه، وبيّن الرسول ﷺ في الحديث فضل الحمد فقال: "والحمد لله تملأ الميزان"، أي أن هذه الكلمة "الحمد لله" أو هي وما يؤدي مؤداها من الثناء على الله -سبحانه- بصفات كماله تملأ الميزان باعتبار ثواب التلفظ بالحمد مع استحضار معناه، أي الثناء على الله بالجميل الاختياري والإذعان له[٦]، وقد أمرنا الله

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١/٤٧٤ - ٤٧٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٥٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٠.

تبارك وتعالى بحمده في كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[١]، وكان من السنة بدء كل شيء وإنهاؤه بحمد الله، قال قتادة: "افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٢]، وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، فلزم الاقتداء به والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده[٤].

كما بيّن ﷺ فضل تسبيح الله فقال: "وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض"، قال النووي: (وأما معناه فيحتمل أن يقال لو قدر ثوابهما جسماً لملأ ما بين السموات والأرض، وسبب عظم فضلهما ما اشتملتا عليه من التنزيه لله تعالى بقوله سبحان الله: والتفويض والافتقار إلى الله تعالى بقوله: الحمد لله)[٥]، فالتحميد إثبات المحامد كلها لله، ويدخل في ذلك إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلها، والتسبيح: تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات[٦]، ولما اشتمل التسبيح والتحميد على هذه المعاني استحق من الله جزيل العطاء وحسن الثواب.

(فإنْ حَمَد المسلم ربه مستحضراً معنى الحمد في قلبه امتلأ ميزانه من الحسنات فإن أضاف إلى ذلك: سبحان الله، الذي معناه تبرئة الله، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من النقائص، ملأت حسناته -وثوابها زيادة على ذلك- ما بين السماوات والأرض؛ إذ الميزان مملوء بثواب التحميد، وذكر السماوات والأرض على جهة الاغياء -بلوغ الغاية- على العادة العربية، والمراد أن الثواب على ذلك كثير جداً بحيث لو كان أجساماً لملأ ما بين السماوات والأرض)[٧].

---

(١) سورة النمل، آية: ٥٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٧/١٥/٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٠.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٧/٢ - ١٨.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٧٦/١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة:

قال ﷺ مبيناً فضل الصلاة: (والصلاة نور)، قال ابن علان: "ولم يجئ في فعل متعبد به أنه نور في نفسه سوى الصلاة، فهي تضئ لصاحبها في ظلمات الموقف بين يديه كما أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب فتصد عن المهالك وتوصل إلى طريق السلامة كما يستضاء بالنور[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، فهي سبب للانتهاء عن الفحشاء والمنكر وتحمل صاحبها على العمل بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق[3]، وهي سبب لإشراق أنوار المعارف، وانشراح القلب، ومكاشفات الحقائق، لفراغ القلب فيها، وإقباله على الله ظاهراً وباطناً[4].

لقد حدد الله الصلاة وجعل لها أوقاتاً معينة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[5].

فلها ركعات معدودة تؤدى بها هذه الصلوات الخمس دائماً، وقد داوم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، حتى في الحروب، وتواترت أخبارها تواتراً لا يعرف لأي عمل أو عبادة في ملة من الملل، وفي دور من أدوار التاريخ، وتوارثتها الأمة جيلاً بعد جيل،وطبقة بعد طبقة من غير فترة يوم واحد، حتى في أدق ساعاتها وأعظم محنها وأزماتها.

وهذه الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها، وجبات روحية، شرعها الخلاق العظيم، المبدع الحكيم، الذي لا يطبّب النفوس فحسب، بل هو خالقها العليم، وصانعها الحكيم كذلك، فلا بد من الإيمان والخضوع لحكمتها وتشريعها، ولا بد من التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ، والإتيان بها في أوقاتها، التي لا يعلم أسرارها

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٢/١٣/٨.

(٤) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٦/٢.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

وما يظهر فيها من تجليات وإشراقات، وما يتنزل فيها من بركات ورحمات، وما يوجب فيها التعبد لله والسجود له وحده مخالفة لعبّاد الشمس والكواكب، ولعبّاد الأحجار والنار، وقد خضعت الأجيال البشرية، والعقول السليمة، لتوجيهات أطباء البشر ووصاياهم وتحديداتهم، وهم من بني جلدتهم، وفي مستواهم البشري، لتجارب محدودة، أو تخمينات مظنونة وما ظنك بالرب الحكيم؟ ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2].

لقد جعل الله الصلاة فريضة على عباده وفارقاً بين المسلمين وغيرهم وشرطاً للنجاة وحارسة للإيمان، وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[3]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[4]، وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، فقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾[5]، وقال، وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[6]، وقال وهو يحكي أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[7]، وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[8].

---

(١) سورة طه، آية: ٥٠.

(٢) سورة الملك، آية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٣.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٥) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٧) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٨) سورة النساء، آية: ١٤٢.

وهي فريضة دائمة مطلقة على كل مسلم ومسلمة بالعين عاقلين وعلى كل عبد وحر، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام والزكاة، والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أُمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال، وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2][3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

إن الصدقة برهان وحجة على إيمان فاعلها[4]، وهي دليل على صحة إيمان صاحبها، وصدق باطنه مع ظاهره، وهذه المعاني أشار إليها النبي ﷺ في الحديث فقال: (والصدقة برهان) فهي تعني الدلالة على صدق العقيدة وثبوتها، فالأعمال البدنية

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٣ - ٢٧.

(٤) المرجع السابق ٢/٦.

والقولية سهلة ميسورة، أما إخراج المال وهو قرين النفس عن طواعية واختيار فهو الدليل القوي على صدق إيمان من يقوم بهذا البذل ابتغاء رضوان الله تبارك وتعالى[١].

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٢]، قال القرطبي: (قوله: (صدقة) مأخوذ من الصدق إذ هي دليل على صحة إيمان من يخرجها وصدق باطنه مع ظاهره)[٣].

وما ذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين يشمل أفرادهم وجماعاتهم، فهي تطهر نفوس الأفراد من الذنوب ومن أرجاس البخل والدناءة والقسوة والأثرة والطمع وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والعدوان والفتن والحروب، وتزكي أنفسهم أي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية.

كما أن الصدقات والإنفاق عامة له أكبر الأثر في القضاء على الفقر الذي هو أشر أدواء البشر، وبالقضاء على الفقر وقاية للمجتمعات من الانحراف سواء أكان عملاً أو فكراً.

فالفقر يحمل الواقعين تحت سلطانه على إتيان جميع ضروب الشرور للحصول على أخص حاجات الحياة وهو القوت، فالبطون إذا جاعت دفعت أصحابها لاستساغة جميع صنوف الجرائم، وعدت ذلك عملاً مشروعاً، وفي البيئات التي يشيع فيها الفقر تروج جميع المذاهب المتطرفة، وتستحل جميع الأعمال الوحشية للوصول إلى أغراضها[٤].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر:

إن قيام الإنسان بالطاعات واجتنابه المنهيات يحتاج إلى صبر ومجاهدة نفس كما أن تحمل الإنسان ما ينزل به من مصائب ونوائب يحتاج إلى صبر، لذا قرن الله العبادات

---

(١) التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن أحمد الصالح ص ٨٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٩/٨/٤.

(٤) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبّارة ص ٣٤٣.

بالصبر في كثير من المواطن منها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[١]، وأمرنا بالصبر ليتجاوز به الإنسان ما يلم به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]، ولما للصبر من أثر في حياة الإنسان وصفه النبي ﷺ في الحديث فقال: (والصبر ضياء)، قال الطيبي: "والمعنيّ بالصبر: الصبر على طاعة الله وعلى اجتناب معصيته وعلى النائبات والمكاره، أي: لا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمراً على الصواب"[٣].

إن الصبر على طاعة الله وعن معصيته يتجلى في سرعة امتثال العبد لله فيما أمر به واجتنابه فيما نهى عنه، والصبر على الأقدار إنما ينبغي أن يكون ملازماً للإنسان عند وقوع المصيبة وبعدها، بل يصبر عليها منذ الوهلة الأولى، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: مَرَّ النبيُ ﷺ بامرأةٍ تبكي عندَ قبرٍ فقال: اتَّقي اللهَ واصبري: قالت: إليكَ عنِّي، فإنكَ لم تُصَبْ بُمصيبتي. ولم تعرِفه. فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ، فأتتِ النبيَّ ﷺ فلم تجِدْ عندَهُ بَوّابينَ، فقالت: لم أعرِفْكَ. فقال: ((إنَّما الصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأولى))[٤].

ما أشد وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزيز غال، أو ولد حبيب!! إنها لخطب جلل وكارثة عظيمة قد يضيق عنها الصبر ولا تتحملها الأنفس، ولكن الدين داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة. فالمؤمن يعتقد بقضاء الله وقدره، وأن كل ما يحدث في هذه الحياة، من خير أو شر، ومن نفع أو ضر، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابراً محتسباً، طمعاً في مرضاة الله عز وجل، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا

---

(١) سورة هود، آية: ١١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٣) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٦/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٥٢، ومسلم ٩٢٦.

تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١]...

هذه فائدة الإيمان (بالقضاء والقدر) أن تخف المصيبة على قلب الإنسان بسبب اعتقاده أنها بإرادة الله ومشيئته، بينما الكافر ينفد صبره ويضيع رشده، ولربما أضاع حياته أيضاً بالانتحار، لانه ليس لديه ما يسليه أو يعزيه، أو يخفف المصاب عنه، ولقد كان جزاء الصبر عظيماً عند الله، لأنه حبس للنفس على ما تكره، وصون لها عن فعل ما يغضب الله، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الإنسان ولذا كان الثواب عظيماً. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[٢].

سادساً- من موضوعات الدعوة: فضل العمل بالقرآن وخطورة الإعراض عنه:

بعد ما بيّن النبي ﷺ فضل الطهور، وذكر الله من تسبيح وحمد وغيره، والصلاة والصدقة والصبر، ختم تلك الشعب بالقرآن فقال: "القرآن حجة لك أو عليك" فسلك به -أي القرآن- مسلكاً غير مسلكها دلالة على أن القرآن سلطاناً قاهراً وحاكماً فيصلاً، يفرق بين الحق والباطل، حجة الله في الخلق، به السعادة والشقاوة[٣]، فالقرآن حجة لك إن امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، وكان حجة لك في المواقف التي تسأل فيها عنه، كمسألة الملكين في القبر، والمسألة عند الميزان، وفي عقبات الصراط، وإن لم تمتثل ذلك احتج عليك[٤].

وكما رُوي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ...))[٥].

وروى البيهقي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الْقُرْآنُ شَافِعٌ

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) شرح الطيبي، الطيبي ٩/٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٤٧/١.

(٥) أخرجه مسلم ٨٠٤.

مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ))[١].

(ويحتمل أن يراد به: أن القرآن هو الذي يُنتهى إليه التنازع في المباحث الشرعية والوقائع الحكمية، فبه تستدل على صحة دعواك، وبه يستدل عليك خصمك)[٢].

والقرآن بما فيه من أوامر يجب أن تؤدى وتطاع، ونواه يجب أن تجتنب وتترك، وتوجيهات يجب أن تتبع. حاكم للإنسان أو عليه، فعلى كل امرئ أن يطبق القرآن على سلوكه وكل أموره، ويعرض نفسه عليه قبل أن يحاسب به، ويؤاخذ على أساسه[٣].

سابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

تكرر هذا الأسلوب كثيراً في الحديث فرغب النبي ﷺ في الطهور، وذكرِ الله والصلاة، والصدقة، والصبر، ورغب في العمل بالقرآن، ورهب من الإعراض عنه، والعمل بما ينافيه، فقال: (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك)، وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية التي أولاها القرآن والسنة اهتماماً خاصاً، فقد ورد فيهما النصوص الكثيرة التي ترغّب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله، وعدم إهماله من قبل الداعي إلى الله عز وجل[٤].

ثامناً- من أساليب الدعوة: التشبيه وضرب الأمثال:

حيث شبّه النبي ﷺ في الحديث الناس وعلاقتهم بالأعمال الصالحة بمعاملات الناس، فمنهم من يسعى إلى الربح، ومنهم من لا يتطلع إليه، ويغلب عليه كسله وركونه إلى الدعة مما يعود عليه بالخسران، فقال ﷺ: (كل الناس يغدو فبائع

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٢٤، وقال محقق الصحيح: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني (الصحيحة ٢١٠٩).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١/٤٧٧.

(٣) رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥١.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

نفسه فمعتقها أو موبقها)، فالتشبيه وضرب المثل من الأساليب المفيدة في الدعوة، نظراً لما تحدثه في النفس من حركة التفات بارعة، يلتفت بها المرء من الكلام الجديد إلى صورة المثل المأنوس، فيلمح ما بينهما من التشابه أو التطابق، فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح[١].

فلم تكن الأمثال القرآنية والنبوية مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن لها غايات نفسية وتربوية ودعوية حققتها نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض، بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي وتأثير الأداء[٢]، ومن الأمثلة التي ضربها القرآن قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٣].

تاسعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العمل الصالح:

إن العمل الصالح نجاة لصاحبه ورفعة لمنزلته، فرسول الله ﷺ لما بيّن في الحديث جانباً من القربات وبين فضلها ورغب فيها، أتبع ذلك بأن أحداً لا يترك نفسه هملاً، بل لا بد له من عمل يغدو له فقال: (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)، زد على ذلك ما في لفظه: (يغدو) من معاني الإسراع واغتنام الفرصة في عتق النفس والبعد بها عن المهالك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، فهؤلاء سعوا في خلاص نفوسهم وتوجهوا بقلبهم إلى ربهم وطلب ما عنده[٥].

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٦٧ - ٦٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٢٣.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٢ - ١٠٣.

عاشرًا- من مهام الداعية: حث الناس على فعل ما ينفعهم:

إن من أعظم ما يقوم به الداعية هو: حث الناس على فعل الخير، واجتناب الشر، ودعوة الناس إلى تهذيب النفوس، وإصلاح القلوب وإحيائها، وتهذيب الضمائر وتقويم الغرائز، وتوجيه الناس إلى القيم العالية والمبادئ الروحية السامية، والتوجه إلى الله توجهاً صحيحاً[1]، وليكن للدعاة في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة حيث لم يألو جهداً في دعوة الناس وحثهم على فعل الخير وبيان روافده وأسبابه، كما نرى في الحديث من ذكره لكثير من طرق الخير والنجاة.

---

(١) انظر: مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ص ١٢٦-١٢٧.

الحديث رقم (٢٦)

٢٦- وَعَنْ أبي سَعيدٍ سَعْد بْن مَالِك بْن سِنَانٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنهما أَنَّ نَاساً مِنَ الأنصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ فأَعْطاهُم، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِد مَا عِنْدَهُ، ((فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ)) [1]: «مَا يَكُنْ[2] مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يستَعْفِفْ يُعِفَّهُ الله وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

في هذا الحديث النبوي الشريف تتجلى صفة من صفات رسول الله وسجية من سجاياه وهي: صفة العطاء والكرم، وكذلك ينطق الحديث بشمائل النبوة الكثيرة التي أشار إليها القاضي عياض في كتابه الشفا. وقد قال بعد تعداد هذه المناقب التي تجمع بين خصال الجمال والكمال: إنه المصطفى ﷺ لا مريه أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل سيرته وعجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه.

وفي هذا الحديث الشريف يرشد النبي ﷺ في ضوء سجاياه الكريمة، ومن خلال توجيه الخطاب إلى جماعة من الأنصار إلى ما هو الأجدر بالمسلم أن يتحلى به من التعفف عن الحرام وذل السؤال، وإظهار الغنى بالنفس والمال والصبر على شظف العيش حتى يأتي الفرج القريب من رب العالمين[4].

---

(١) الزيادة لا توجد عند مسلم، وإنما هي عند البخاري برقم ٦٤٧٠ بلفظ: (حين نفد كلّ شيء أنفق بيده).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (ما يكون)، وعندهما بعدها زيادة: (عندي).

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٩ واللفظ له، ومسلم ١٠٥٣/١٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٢.

(٤) انظر: المنهل العذب الفرات من الأحاديث الأمهات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ١٢١/٢.

وهذه المعاني التي تهذب سلوك المسلم وتترجم حسن العلاقة بين الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، يفصح عنها البناء اللغوي للحديث الشريف، وتُجليها دلالات الألفاظ والصيغ اللغوية، والأساليب المتنوعة والمتناسقة في هذا البيان النبوي الكريم، فالتأكيد في أول الحديث "أنّ" يدل على تحقق الفعل وواقعية الحدث، ودلالة لفظ "ناساً" مأخوذة عن الأنس، ومن الفعل "أنس" لأنهم يستأنسون بأمثالهم من الصحابة وبالنبي ﷺ.

ولم يحدد الراوي أسماء هؤلاء، وإنما قال من الأنصار للتعميم وعدم تحديد وكشف أسمائهم للستر عليهم؛ ولأن القضية تشمل التوجيه إلى عامة المسلمين وضرورة إعزاز أنفسهم عن مذلة السؤال؛ ولفظة "الأنصار" لفظة جديدة من مصطلحات العقلية الإسلامية عَلَمٌ بالغلبة على أولاد الأوس والخزرج وسموا به لنصرتهم رسول الله ﷺ ودينه.

وحذف المعمول الثاني للفعل سألوا ... يرشد إلى عموم الحاجة، وإلى كرم النبي ﷺ، وتكرار جملة السؤال مع تكرار العطاء متلبساً بفاء العطف التي تفيد الاستجابة الفورية من رسول الله في الحالتين يدل على حلم رسول الله وعلى كرمه وصبره على السائلين، وربما حدث ذلك مراراً وتكراراً.

والفعل أنفق : يختص في دلالته بإخراج الشيء في الخير، وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك.

ولم ينهَرْهم الرسول ﷺ بل خاطبهم في محبة ومودة وحلم، وقال بعد أن نفد ماعنده: "ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم" ومجيء هذه الجملة الواعدة بالعطاء في صيغة الشرط والجزاء تجعل الوعد في مقام التحقق، وكيف لا: والرسول ﷺ هو الصادق الوعد الأمين، وبعد هذا الوعد، يعطيهم درساً في التحمل والصبر، والتوكل على الله، والأخذ بالأسباب: فيقول بعد أن وعدهم بادِّخار الخير لهم وعدم حجبه عنهم:

"ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر".

وهذه الإرشادات النبوية، والتوجهات الإسلامية من شأنها أن تعيد التوازن إلى شخصية المسلم، وتحفظ لها ملامحها وعزتها، لأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

وتأتي هذه التوجيهات في صيغة "الشرط والجزاء"، وتتوالى في توازن أسلوبي عجيب، وفي تنظيم لغوي دقيق، وليس الجزاء هنا مساوياً للعمل، ولكنه أوفى وأجزل، لأن المجازي هو الله، والمكافئ هو الله، فالعفة من الله، والغنى من الله، والصبر من الله، وهو بكل خلق عليم.

ولنتأمل صيغة فعل الشرط، وهي: تدل على المعاناة في التعفف، والمجاهدة في الاستغناء والمشقة والمكابدة في التصبر – وزيادة السين والتاء في يستعفف، ويستغن، والتاء في يتصبر، تجسد العناء والمجاهدة والمشقة، لأن زيادة المبنى في اللغة تدل على زيادة المعنى؛ والزمن اللغوي للشرط والجزاء يعلن عن استمرار المسلم في هذه المقاومة في كل زمان ومكان، حيث جاء الشرط في قالب الفعل المضارع وكذلك الجواب... إعلاناً عن استمرار هذا الواقع، وتنبيها إلى أن المسلم دائماً في حاجة إلى خالقه عز وجل، ولذلك تكرر لفظ "الجلالة" ثلاث مرات مع كل أسلوب من أساليب الشرط، ليزداد اطمئنان كل من يتوكل على الله. ويجاهد ويقاوم كل المعوقات في الحياة، ويسعى على رزقه سعياً كريماً، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ويختم الحديث الشريف بالحث على الصبر، وبأنه أفضل عطاء حيث يقول ﷺ: "وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر" لأن الصبر جامع لمكارم الأخلاق وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له لا إيمان له، وهذا المعنى كما يقول العلماء مبني على أن كل جملة من هذه الجمل الشرطية الثلاث خاصة بفضيلة، وجعل بعضهم معاني هذه الجمل مرتباً كل منها على التي قبلها، وفي ذلك سمة خاصة من سمات البيان النبوي وهي التنظيم الدقيق، والترتيب العميق وتفسير ذلك: أن من يطلب العفة عن السؤال ولم يظهر الإلحاح والمذلة يعفه الله أي يصيره عفيفاً، ومن ترقى عن هذه المرتبة إلى ما هو أعلى من إظهار الاستغناء عن الخلق لكن إن أعطي شيئاً لم يرده يملأ الله قلبه غنى واستغناء بالله عز وجل، ومن ترقى وتصبر وإن أعطى لم يقبل فهو الأعلى مرتبة. فالصبر

جامع لمكارم الأخلاق وليس هناك عطاء خير وأوسع من الصبر، وهو زاد المؤمن في حياته كلها، الصبر مع العمل، والصبر مع السعي على الرزق، والصبر على البلاء، والصبر على النعمة، والصبر على الطاعة، والصبر على الحرمان، وما أوفى جزاء الصابرين حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم سؤال الفقير للصدقة متى كان محتاجاً ولا مال له، وأنه ينبغي لمن سئل أن يعطي ما لم ينفد ما عنده، وله في ذلك الجزاء العظيم من الله سبحانه وتعالى.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أنه يجوز للفقير المعدم[3]، والمدين المغرم[4]، أن يسأل الصدقة للقيام بما عليه من واجب سداد الدين، والإنفاق على أهله ونفسه عند العجز عن الكسب لمرض أو غيره، أو عند عدم كفايته، وإن كان الأفضل له أن يستعفف عن السؤال، وأن يلجأ إلى الله، ويستعين بالصبر حتى يفرج الله عنه، ويشترط للسؤال هنا أن يكون السؤال بقدر الحاجة، وأن لا يذل نفسه بالسؤال، وأن لا يلح فيه، وأن لا يؤذي المسؤول، ويحرم سؤال الصدقة للغني القادر على الكسب، والإنفاق على نفسه وأهله، وإذا سأل الصدقة لم يعط منها، وإذا أخذ وجب عليه ردها، وكره الحنابلة[5] سؤال الصدقة في المسجد والتصدق على السائل فيه.

---

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) بدائع الصنائع، الكاساني ٤٨/٢، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي للخادمي ٢٢٧/٣، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٨٣/٤، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢٠٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٧٢/٢، والمغني، ابن قدامة ٢٧٨/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٧/٢٤ وما بعدها.

(٣) أي الذي لا يملك شيئًا.

(٤) الذي غرم في الصلح بين المتخاصمين.

(٥) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٧٢/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كرم وسخاء النبي ﷺ.

ثانياً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العفة والاستغناء عن سؤال الناس.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان كرم وسخاء النبي ﷺ:

إن الكرم والسخاء من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو دليل حسن الظن بالله تعالى، ويقصد به (إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال لغرض جلباً للنفع أو خلاصاً من الذم فليس بكريم. فالكريم من يوصل النفع بلا عوض)[1]، وقد كان النبي ﷺ أكرم الناس وأجود الناس، وهذا ما أكده نص الحديث في قول الراوي "إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم... إلخ".

قال ابن حجر: (وقوله ﷺ "فلن أدخره عنكم" أي أحبسه وأخبؤه وأمنعكم إياه منفرداً به عنكم، وفيه ما كان عليه ﷺ من السخاء وإنفاذ أمر الله)[2].

وهذا ما أكده الصحابة رضوان الله عليهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس، وأجْوَدَ الناس، وأشجعَ الناس))[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ((كان النبيُّ ﷺ أجْوَدَ الناسِ بالخير، وكان أجْوَدَ ما يكون في رمضانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبريلُ، وكان جِبريلُ عليه السلام يَلقاهُ كلَّ ليلةٍ في رمضانَ حتّى يَنْسَلِخَ، يَعرِضُ عليهِ النبيُّ ﷺ القُرآنَ، فإذا لَقِيَهُ جِبريلُ عليه السلام كان أجْوَدَ بالخيرِ منَ الرِّيح المرسَلَةِ))[4].

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، ٢٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٢٠، ومسلم ٢٣٠٧.

(٤) اخرجه البخاري ١٩٠٢، ومسلم ٢٣٠٨.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: ((بينما أسيرُ مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مَقْفَلَةٌ من حنين فَعَلِقَتِ الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة[1]، فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ، فقال: أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً))[2].

وعن سهيل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقالت: ((يا رسولَ الله، أكسوكَ هذهِ، فأخذَها النبيُّ ﷺ محتاجاً إليها فلبسَها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابةِ فقال: يا رسولَ الله، ما أحسَنَ هذهِ، فاكسُنيها. فقال: نعم. فلما قامَ النبيُّ ﷺ لامَهُ أصحابهُ فقالوا: ما أحسَنتَ حينَ رأيتَ النبيَّ ﷺ أخذَها مُحتاجاً إليها ثم سألتَهُ إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسألُ شيئاً فيَمنَعُه. فقال: رجوتُ برَكتَها حين لَبِسَها النبيُّ ﷺ لعلّي أُكفَّنُ فيها))[3] وفي الاقتداء بكرم النبي ﷺ وسخائه تأليف للقلوب، وكسب لمودتها.

ثانياً- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله وما أُعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر" فحري بالداعية أن يوجه المدعوين إلى ما ينفعهم ممتثلاً في ذلك بقول النبي ﷺ ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[4]، لما في ذلك من عِظم الأجر والفائدة لقوله ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً))[5]. وفي الحديث الذي نحن بصدد شرحه شرحًا دعويًا يوجه النبي ﷺ المدعوين إلى ما ينفعهم من العفة، والاستغناء عن الناس، والتصبر صيانة للكرامة، وترفعًا عن المسألة.

---

(١) اسم شجرة بها شوك.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية التي ينبغي للداعية استخدامها في دعوته مما يشوق النفس إلى ما رغبت فيه فيحملها ذلك على الانقياد والقبول، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، (وقد أفاد الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العفة والاستغناء عن سؤال الناس:

(إن العفة والاستغناء عن سؤال الناس من ثمرات الدين ونتاج الإيمان، وهي دليل كمال النفس وعزها، فضلاً عن أنها ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف)[٢]، ومن أجل ذلك حث النبي ﷺ على التخلق بخلق العفة والاستغناء عن سؤال الناس، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله".

قال ابن حجر: (وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الرد إذا لم يعط ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن اعطى كل سائل)[٣].

ومن أجل ذلك رغب النبي ﷺ في العفة وحث على عدم سؤال الناس فقال: ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ. وَرَجُلٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ ذُو عِيَالٍ))[٤] وقال ﷺ ((مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً وَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً))[٥]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل العفة والاستغناء عن سؤال الناس.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢٨٨٨/٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٤/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٥) أخرجه أبي داود ١٦٤٣، وصححه الألباني ١٤٤٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر" قال ابن القيم: (والصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش)[١]، وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

وقد عظم الله تعالى منزلته وفضله في كتابه العزيز، فأثنى على أهله فقال: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢]، وقد أوجب سبحانه محبته لأهله فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣] وأخبر جل وعلا عن إيجاب الجزاء لأهله بأحسن أعمالهم فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤] وبيّن تعالى أن جزاء أهله بغير حساب، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥])[٦] قال السعدي: (وهذا عام في جميع أنواع الصبر: الصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يسخطها، والصبر عن معاصيه، فلا يرتكبها، والصبر على طاعته، حتى يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد، ولا عد، ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله، أنه المعين على كل الأمور)[٧].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤٦.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٦) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢١-٤٢٢.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٦٧.

الحديث رقم (٢٧)

٢٧- وَعَنْ أبي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأحَدٍ إلاَّ للْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

صُهَيْب بن سِنان الرومي: صحابي مشهور، عَلَم من أعلام الصحابة وفضلائهم، واسمه صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن نفيل بن عامر الرَّبَعِيِّ النَّمَرِيِّ، ونقل الوزير أبو القاسم المغربيُّ أنه كان اسمه عميراً فسماه الروم صهيباً، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سَبَوْه صغيراً حيث كان أبوه وعمه عاملين لكسرى على الأُبُلة، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، أو الفرات من أرض الجزيرة، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيباً، وهو صغير من نينوى من أعمال الموصل، فنشأ بالروم، فنشأ ألّكن، فابتاعه منهم بنو كلب، ثم قدموا به مكة، فاشتراه منهم: عبدالله ابن جُدعان، أو أن صهيباً لما كبر وعقل هرب من الروم فقدم مكة، فحالف عبدالله ابن جدعان، وأقام معه حتى مات عبدالله بن جدعان.

هذا عن اسمه، أما كنيته: "أبو يحيى" فكنّاه بها رسول الله ﷺ، وكان رضي الله عنه من السابقين البدريين الأولين إلى الإسلام، أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً، ورسول الله ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان من المستضعفين بمكة الذين عذبوا في سبيل الله، كما كان أسبق الروم إلى الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((السُّبَّاق أربعة، أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسلمان سابق الفرس، وبلال سابق الحبَش))[2] وكان من أرمى

---

(١) برقم ٢٩٩٩/٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٧٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩/٨، ٧٢٧٨ وقال الهيثمي في ال مع: رجاله رجال الصحيح غير عمارة ابن زاذان وهو ثقة ٣٠٥/٩.

العرب سهماً وأشدهم بأساً، فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

ومن صفاته الخلقية: كان رضي الله عنه أحمر شديد الحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وهو إلى القصر أقرب، كثير شعر الرأس.

وعندما هاجر إلى المدينة تبعه نفر من المشركين فنثل كنانته، وقال لهم: يا معشر قريش تعلمون أني من أرماكم، ووالله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم معي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، فإن كنتم تريدون مالي دللتكم عليه، قالوا: فدلنا على مالك ونخلّى عنك، فتعاهدوا على ذلك، فدلهم عليه، ولحق برسول ﷺ فقال رسول الله ﷺ: رَبُحَ البيع أبا يحيى، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1][2].

وكان في هجرته قد أدرك رسول الله ﷺ بقُباء قبل أن يدخل المدينة، ولما وصل المدينة نزل مع من نزل من العزاب من أصحاب رسول الله ﷺ على سعد بن خَيْثَمة، وكان النبي ﷺ قد آخى بينه وبين الحارث بن الصِّمّة.

ولفضله وثقة إخوانه من الصحابة به وتقديرهم له أثرٌ بيّن، ومما يدل على ذلك أن عمر بن الخطاب أوصى إليه بالصلاة بجماعة المسلمين حتى يتفق أهل الشورى، واستخلف على ذلك ثلاثة أيام، وهذا مما أجمع عليه أهل السيَر والعلمِ بالخبر.

وكان رضي الله عنه ممن اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وأقبل على شأنه، وكان موصوفاً بالكرم والسماحة، فاضلاً، وافر الحرمة، وكان مع فضله وعلو منزلته وارتفاع قدره، صاحب مداعبة وخُلُق حسن، روى عنه أنه قال: جئت النبي ﷺ وهو نازل بقباء، وبين أيديهم رطب وتمر، وأنا أرمد، فأكلت فقال النبي ﷺ أتأكل التمر وأنت أرمد فقلت: إنما آكل على شق عيني الصحيحة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

(٢) أخرجه الطبراني ٢٩/٨ رقم ٧٢٨٩ وقال الهيثمي: رجاله ثقات، ٣٧/٨، ٧٣٠٨، ٣١٨/٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٩١/٤، ٥٧٥٦ وقال: صحيح الإسناد، والنواجذ جوانب الأسنان.

وكان رضي الله عنه من أصحاب الرواية، فله في كتب الحديث (٣٠٧) حديثاً.

مات سنة ٣٨هـ، وقيل سنة ٣٩، وهو ابن ٧٣ سنة أو ٧٠، أو (٨٤)، أو (٩٠) سنة.

مات بالمدينة المنورة، وصلى عليه سعد بن أبي وقاص، ودفن بالبقيع رضي الله عنه[١].

غريب الألفاظ:

سرّاء: النعمة والرخاء والمسرة[٢].

الضراء: كل حالة تضر[٣].

الشرح الأدبي

إن للمؤمن في المنظور الإسلامي صفات وأمارات تشهد بصدق إيمانه، وتؤكد رسوخ عقيدته، لأنه يمتثل في أقواله وأفعاله بكل ما يتطلبه الإيمان من أركان، فالإيمان كما يقول العلماء هو: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.

والمصطفى ﷺ يؤكد حقيقة السلوك الإيماني في مصاحبته للأمور الحياتية، وفي مواجهته واستقباله للأحداث، والمؤمن في كل هذه الحالات ينبض قلبه بالشكر في السراء، وبالصبر في الضراء؛ فالخير دائماً مكافآته، لأنه لا يجحد النعمة، ولا يقنط ولا ييأس أمام المصائب.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا البيان النبوي، ويبدأ الحديث بشعاع من بلاغة المصطفى ﷺ في قوله: "عجباً لأمر المؤمن" فالرسول لا يتعجب عن استغراب، ولكنه يقدر قيمة هذه الصفة في المؤمن فحياته كلها خير، والكلام فيه إيجاز

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٢٢٦/٣-٢٣٠، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٣٩-٣٤١، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣٨/٣-٤١، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦١٨-٦١٩، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٦٨/٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢١٨/٢، ٢١٩، الأعلام، خير الدين الزركلي ٢١٠/٣، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٠٧٣/٢، ١٠٧٨.

(٢) الوسيط في (س ر ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ض ر ر).

واختصار والتقدير أعجب عجباً، وهذا ما يسميه البلغاء: بلاغة الحذف، ولفظ "أمر" يعني الشأن وهو لفظ قليل الحروف، متعدد الدلالات، لأنه يختصر آلاف الحالات التي تتلبث بها حياة المؤمن في كل مراحل حياته؛ في أفراحها وأتراحها.

واختيار لفظ "المؤمن" والعدول به عن لفظ "المسلم" فيه إرشاد وتنبيه إلى أن مرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام، وخير دليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾[1].

وللعلماء في هذه القضية أقوال وآراء نابعة من تقديرهم لقيمة البيان النبوي، وتعدد آرائهم حول بيان المراد من البيان الجامع المانع لرسول الله ﷺ، فقد أُعطي جوامع الكلم، والمراد بالمؤمن هنا الكامل الإيمان وهو كما يقول العلماء. العالم بالله الراضي بأحكامه، العامل على تصديق موعوده.

ومصدر التعجب هو: جمع المؤمن بين ما يظن أنهما متناقضان: وهما السراء والضراء، فهما في الحقيقة خير: لأنهما من تقدير الله عز وجل؛ ولنتأمل تكرار لفظ "المؤمن" في قوله ﷺ: "وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"، ولم يقل إلا له: حيث وضع الظاهر موضع المضمر بدافع الإعلاء من شأن كل مؤمن يتسم بهذه السمة الإيمانية في استقباله لأحداث الحياة، وصيغة القصر تغلف هذه الخصوصية التي اختص بها رسول الله ﷺ المؤمن حين يقصر هذه الصفة على المؤمن وهي صفة "الخيرية" ولفظ "أحد" عام شامل يحوي كل أصناف البشر الخارجين بعيداً عن دائرة "الخير" والمؤمن صفة تنطبق كذلك على الملايين الذين يتسمون بهذا السلوك الإيجابي، وهذه الصفة المتوازنة في الحياة؛ ولنتأمل الجملتين الأخيرتين، فهما قد صيغتا في قالب الشرط والجزاء دلالة على أن المقدمات مهما كانت فإن النتيجة في صالح المؤمن، فهو في السراء شاكر، وهو في الضراء صابر، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: مراعاة النظير في بناء الجملتين، والتوازي والتوازن في ترتيب عناصرهما، وكذلك السجع بين سراء

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٤.

وضراء وشكر وصبر وهو يحدث إيقاعاً وتناغما يجذب السامع، ويدعو إلى التفكير في كيفية الجمع بين هاتين الحالتين المتناقضتين، وهو ما يسمونه الطباق في بلاغة العرب وهو من مظاهر البديع في الأسلوب، وكأن هذه السمات الأسلوبية الجميلة التي تعطي للكلام وهجاً وحسناً وإيقاعاً. وانجذاباً للقارئ، وهي تمثل صورة ذلك المؤمن بين غيره من البشر فأمره كله خير.. وهم لذلك يحبون أن يكونوا مثله، وأن ينالوا مثل أجره من الثواب والجزاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التعجب، والترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حسن حال المؤمن.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الشكر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر على الابتلاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: التعجب، والترغيب:

إن التعجب من الأساليب الدعوية التي يكون بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم: لبيان أهمية وعظم الأمر المدعو إليه، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث (من تعجبه ﷺ لأمر المؤمن، وذلك على وجه الاستحسان؛ لأن أمره كله خير، فإن شكر على نعمة كان خيراً له، وإن صبر على بلية كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن)[1].

أما الترغيب (فهو من الأساليب الدعوية المهمة التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[2]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في شكر الله على نعمه والصبر على ابتلائه وقدره، لما في ذلك من رفع الدرجات وغفران الزلات ونعيم

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٧٩.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

الجنات، وذلك في قوله ﷺ "إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حسن حال المؤمن:

هذا ما أكده نص الحديث، وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (إن المؤمن على كل حال ما قدَّر الله له فهو خير له إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله فكان خيرًا له، فنال بهذا أجر الصابرين، وإن أصابته سراء من نعمة دينية كالعلم والعمل الصالح، ونعمة دنيوية: كالمال والبنين والأهل شكر الله، وذلك بالقيام بطاعة الله عز وجل فيكون خيراً له، ويكون له نعمتان: نعمة الدين، ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسرَّاء، ونعمة الدين بالشكر، وهذا حال المؤمن)[1] وفي ذلك بيان على حسن حال المؤمن.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الشكر:

هذا ما أكد عليه نص الحديث وعظّم منزلته، في قوله ﷺ "... إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له".

(والشكر هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة)[2].

(وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه، فإنه سبحانه هو "الشكور" وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٥٧٥.

(٣) سورة النحل، آية: ١١٤.

وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١]، وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[٢]، وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٨].

وسمى نفسه "شاسكراً" و"شكوراً" وسمى الشاكرين بهذين الاسمين. فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلاً.

وإعادته للشاكر مشكوراً. كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[٩]، ورضى الرب عن عبده به. كقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾[١٠]، وقلة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠-١٢١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ١٧.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٨) سورة لقمان، آية: ٣١.

(٩) سورة الإنسان، آية: ٢٢.

(١٠) سورة الزمر، آية: ٧.

أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه. كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[١])[٢].

وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في شكر الله حق شكره؛ فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا؟ وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً))[٣].

قال القاضي عياض: (وقوله: "أفلا أكون عبداً شكوراً"، الشكر: معرفة إحسان المحسن والتحدث به، وسمي المجازاة على فعل الجميل شكراً؛ لأنها بمعنى الثناء عليه وسطوته على ذلك، والشكر بالفعل أظهر منه بالمقال، وشكر العباد لله: اعترافهم بنعمه وثناؤهم عليه، وتمام ذلك مواظبتهم على طاعته، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤])[٥]، وهذا ما أكده ابن قدامة في قوله: (والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح. أما القلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة. وأما باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وإظهار الرضى عن الله تعالى.

أما الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شُكر العينين أن تستر كل عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه)[٦].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر على الابتلاء:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (والابتلاء في الأصل هو التكليف بالأمر الشاق، لكنه لما استلزم الاختبار إلى من يَجهلُ

---

(١) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٥٧٢-٥٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٣٥٥.

(٦) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ٣٠٥.

العواقبَ ظُنَّ ترادُفُهما، وينقسم الابتلاء إلى قسمين: الأول: الابتلاء بالشر، وهو مناط الصبر. والثاني: الابتلاء بالخير، وهو مناط الشكر، وفيما يتعلق بالنوع الأول -وهو مقصود الحديث- فإنه يشمل الابتلاء بالمحن والكوارث ونقص الأموال والأنفس والثمرات مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وهنا يكون الصبر والرضا هما المقياس الحقيقي للإيمان الصادق)[2].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى أنه يبتلي عباده المؤمنين، أي: يختبرهم ويمتحنهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾[3] فتارة بالسراء، وتارة بالضراء من خوف وجوع، كما قال تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[4].

فإن الجائع والخائف كل منهما يظهر ذلك عليه؛ ولهذا قال: لباس الجوع والخوف. وقال هاهنا "بشيء من الخوف والجوع" أي: بقليل من ذلك "ونقص من الأموال" أي: ذهاب بعضها "والأنفس" كموت الأصحاب والأقارب والأحباب "والثمرات" أي: لا تُغِلّ الحدائق والمزارع كعادتها. كما قال بعض السلف: فكانت بعض النخيل لا تثمر غير واحدة. وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده، فمن صبر أثابه الله، ومن قنط أحلّ الله به عقابه. ولهذا قال: "وبشر الصابرين".

ثم بين تعالى حقيقة الصابرين الذين شكرهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٦/٢٤٤٥-٢٤٤٦.

(٣) سورة محمد، آية: ٣١.

(٤) سورة النحل، آية: ١١٢.

قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[١] أي: تسلّوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملْك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعوان في الدار الآخرة. ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[٢] أي: ثناء من الله عليهم ورحمة.

قال سعيد بن جبير: أي أمنةٌ من العذاب ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٣] قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة "أولئك عليكم صلوات من ربهم ورحمة" فهذان العدلان "وأولئك هم المهتدون" فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل وكذلك هؤلاء، أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً)[٤].

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على عموم فضل الصبر على الابتلاء، بأن جعل عاقبته الجنة، فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال لعطاء: ((أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ. أَتَتِ النَّبِيَّ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ. وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ. قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا))[٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه، فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه))[٦].

وقد بين ابن القيم: (أن هناك ثلاثة أشياء، تبعث المتلبس بها على الصبر في البلاء:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٤٦٧-٤٦٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٦٥٣.

إحداها: ملاحظة حسن الجزاء. وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض؛ وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها؛ ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس موكلة بحب العاجل، وإنما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.

وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من رافق الراحة فارق الراحة (وحصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة)، فإن على قدر التعب تكون الراحة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكريم الكرائم

ويكبر في عين الصغير صغيرها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

والقصد: أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمله باختيارك وغير اختيارك.

والثاني: انتظار روح الفرج. يعين راحته ونسيمه ولذته؛ فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل، وبه -وبغيره- يفهم معنى اسمه "اللطيف".

والثالث: تهوين البلية بأمرين.

أحدهما: أن يعد نعم الله عليه وأياديه عنده. فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه -بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه- كقطرة من بحر.

الثاني: تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه؛ فهذا يتعلق بالماضي؛ وتعدد أيادي المنن: يتعلق بالحال؛ وملاحظة حسن الجزاء، وانتظار روح الفرج: يتعلق بالمستقبل. وأحدهما في الدنيا، والثاني يوم الجزاء[1].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٤٥-٤٤٧.

الحديث رقم (٢٨)

٢٨- وعنْ أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ: لمَّا ثقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جعَلَ يتغشَّاهُ (الكَرْبُ)[١] فقَالتْ فاطِمَةُ رضي الله عنها: واكَرْبَ أبَتَاهُ، فَقَالَ[٢]: «لَيْسَ عَلَى أبيك كَرْبٌ بعْدَ اليَوْمِ» فلمَّا مَاتَ قالَتْ: يَا أبتَاهُ أَجَابَ ربّاً دعَاهُ، يا أبتَاهُ[٣] جنَّةُ الفِرْدَوْسِ مأوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جبْرِيلَ نُنعَاهُ، فلَمَّا دُفِنَ قالتْ فاطِمَةُ رضي الله عنها[٤]: أطَابتْ أنفسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رسُول الله ﷺ التُّرابَ؟ رواهُ البُخاريُّ[٥].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

يتغشّاه: يُلابسه وينتابه[٦].

الكَرْبُ: الشِّدّة والخطب العظيم[٧].

واكرب أبتاه: ما أعظم شدَّتك يا أبتاه[٨].

الفردوس: قال ﷺ: ((إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجَّر أنهار الجنَّة))[٩].

---

(١) أي يشتد به الوجع حتى يصير كالمغشي عليه.

(٢) عند البخاري زيادة: (لها)، وهي لا توجد عند الحميدي.

(٣) عند البخاري زيادة: (من). وهي لا توجد عند الحميدي.

(٤) عند البخاري زيادة: (يا أنس)، وهي لا توجد عند الحميدي.

(٥) برقم ٤٤٦٢. والسياق للحميدي في جمعه ٦٢٤/٢، رقم ٢٠٦٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (غ ش ي).

(٧) الصحاح والوسيط في (ك ر ب).

(٨) انظر: شرح الطيبي، الطيبي ١٧٩/١١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٥٦/٧، وعمدة القاري، العيني ٧٥/١٨، والوسيط ٩١٠.

(٩) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

مأواه: منزله[١].

ننعاه: من نعى الميت: إذا أذاع موته وأخبر به[٢].

تحثوا: أي تهيلوا التراب عليه ﷺ من أجل دفنه ﷺ[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يصور حالة الحزن والرضا بقضاء الله وقدره ساعة احتضار النبي ﷺ، وقمة الصبر تتجلى في مواجهة الكروب، وأي كرب أفدح من فراق الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم النبيين، وهو القدوة الحسنة في مواجهة الشدائد كلها حتى أمام هذه اللحظة التي يضعف أمامها القياصرة والأكاسرة والطغاة والجبابرة وهي لحظة الموت.

ولكن المصطفى ﷺ يواجه سكرات الموت وما أشدها بالامتثال والصبر والفرح بلقاء ربه الذي أرسله رحمة للعالمين، والحديث حوار بين الثلاثة بين خير الخلق محمد عبدالله ورسوله ﷺ وابنته أحب خلق الله إليه، وبين فاطمة رضي الله عنها وأنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ.

وتتعدد عبارات الحديث – فمنها ما كان لأنس رضي الله عنه، ومنها ما تفوه به رسول الله ﷺ، ومنها ما نطقت به فاطمة رضي الله عنها، ولنتأمل كيف صورت دلالة الألفاظ وأبنيتها وقائع هذا الحدث الجلل، والمصاب الفادح، فقول: أنس: "لما ثقل النبي ﷺ" كناية عن شدة المرض والوجع والألم.

ولنتأمل موحيات هذه العبارة الناضحة بالمرارة والأسى، "جعل يتغشاه الكرب"، وهى توحي بأن الشدة من سكرات الموت أحاطت برسول الله ﷺ وكأنها الموج يعلو.. شيئاً فشيئاً ويحيط به من كل جانب، وقيل إن هذه الشدة: لعلو درجته وشرف رتبته،

---

(١) عمدة القاري، العيني ١٨/٧٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٢٨.

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، والوسيط في (ح ث و).

وفي الحديث "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل"[(١)(٢)].

وأي حزن يضارع حزن فاطمة رضي الله عنها وهي ترى أباها في هذه اللحظة فتهتف في سكينة ومحبة وأسى: "واكرب أبتاه" وهذه الصيغة تأتي للندبة.. وتقال في مقام الندب والحزن، وهذا الحزن الذي يستضيء بقضاء الله وقدره يقابله المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء، والفرح باللقاء، لقاء الرحيم الرحمن، حيث يُطَمْئِنُ الأب - النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم - ابنته رضي الله عنها ويغمر مشاعرها بالسكينة والرضا: فيقول: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم". ولنتأمل ماذا وراء لفظ أبيك ووط يُشعه من هالات وعواطف، ولم يقل ليس علي، أو ليس على النبي أو الرسول: وإنما صفة الأبوة هنا يستدعيها المقام ويتطلبها الحال؛ والمشهد الثاني يشرق بهذه العبارات البليغة والكلمات المؤمنة الرصينة، النابعة من صدر مكلوم، وقلب ملتاع، ونفس آلمها الفراق، ولكنها تمزج نُدبتها بالدعاء والرجاء، والاستسلام لحكم القضاء الإلهي.

وما أشد تأثير هذه العبارات في كل النفوس، وما أعظم صدقها في التعبير عن المشاعر وتقديم النافع من الدروس. وتكرار لفظ "يا أبتاه" بما تضمنه من نداء ولهفة، وندبة ورجفة ، يوحي بقوة العاطفة، وشدة المصاب، وألم الفراق . تقول فاطمة: "يا أبتاه: أجاب ربا دعاه، يا أبتاه: جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه".

والمشهد الثالث في الحديث يرصد لحظة دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترى فاطمة رضي الله عنها أباها وهو يُوارَى في التراب، فتقول في أسىً وعاطفة واستسلام، "يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثو على رسول الله صلى الله عليه وسلم، التراب".

وقيل إن أنسًا سكت عن جوابها: رعاية لها، ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك، إلا أنا قهرنا على فعله امتثالاً لأمره.

وهذه اللحظة لم تكن قاسية على فاطمة بنت رسول الله فقط، ولكن الصحابة الأخيار، والكرام الأطهار انتابتهم بعض لحظات الضعف الإنساني في مثل هذه

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٢ رقم ١٤٨١، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٧٨/٣.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٧/١.

المواقف، وأي موقف أجل، وأي مصاب أفدح من مصاب فراق رسول الله ﷺ، حبيب الرحمن والمبعوث رحمة للعالمين، وقيل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه حينما أُخبر بموت النبي ﷺ "أخرس" فجعل لا يكلم أحداً، فيؤخذ بيده ويُجاء به فينقاد، وأما عليّ رضي الله عنه فقيل: إنه ليط بالأرض أي: سقط من قيام كأنما صُرع، فقعد ولم يبرح البيت، حتى دخل أبو بكر، وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كذّب الخبر في أول الأمر وقال: "ما مات" ولكنه بعد ذلك أذعن وصدّق حينما "يتقن" من الخبر وقال حينما أسمعه أبو بكر قول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]. فقال: والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله من قبل، لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الحديث كما حدث. وأن الله حي لا يموت، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم جلس إلى جنب أبي بكر رضي الله عنهما.

وما أصدق هذه الكلمات الوضيئة التي تفوه بها أبو بكر رضي الله عنه وهو يرى لحظة احتضار رسول الله ﷺ فقد دخل رضوان الله عليه -كما يروى- على النبي ﷺ، وهو مُسجَّى بثوب فكشف عنه الثوب وقال: "بأبي أنت وأمي: طبت حياً وميتا.

إن هذا الحديث الشريف يعد أعظم درس في الامتثال والإذعان لأمر الله عز وجل، وما أجدر بكل مسلم أن ينقش هذه الكلمات المضيئة بالصبر والإيمان والامتثال في قلبه، وأن يتخذها نبراساً في كل الشدائد والكروب والمصائب. إنها كلمات فاطمة رضي الله عنها "يا أبتاه: أجاب رباً دعاه، يا أبتاه: من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه.." صلى الله وسلم عليك يارسول الله، وطبت حياً وميتاً وجمعنا الله بك في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣٠.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم التوجع للميت عند احتضاره، وقد ذكر الفقهاء[١] أنه يجوز التوجع للميت عند احتضاره على نحو ما فعلت فاطمة رضي الله عنها في هذا الحديث، وكذا أجاز الشافعية البكاء عليه قبل موته، والأولى عندهم ترك البكاء مع وجوب الاستغفار للمحتضر.

الثاني: حكم ذكر محاسن الميت، وقد ذكر الفقهاء[٢] أنه يجوز تعداد محاسن الميت وذكرها على نحو ما فعلت فاطمة رضي الله عنها، وذكر الحنفية أنه لا بأس بترثية الميت بشعر ونحوه، بشرط عدم الإفراط فيه، وكره الشافعية ترثية الميت بذكر آبائه وخصائله وأفعاله، والأولى الاستغفار له، وذكر الحنابلة أن ما هيج المصيبة من وعظ أو شعر ونحوه فهو من النياحة المنهي عنها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذكر الموت وشدته.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جواز نعي الميت.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان حب فاطمة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٨، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٠٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٠/٥، ونيل الأوطار، الشوكاني ١٦١/٤.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ١٠٨/١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٠/٥، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ١٨٠/٣، والمغني، ابن قدامة ٢١٣/٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٩٢٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٦٣/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٨/٢٢.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ذكر الموت وشدته:

(إن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في كل أحواله، ومعلوم أنه ليس في المخلوقين أحد أحب إلى الله تعالى منه، وقد لقي ﷺ من الموت شدة)[١]، أشار إليها نص الحديث في قول أنس رضي الله عنه "لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه ... إلخ" وهذا ما أكدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((إن رسول الله ﷺ كان بين يديه رَكوةٌ -أو علبةٌ فيها ماء- يَشك عمرُ. فجعل يُدخل يَده في الماء فيمسَحُ بها وجهَهُ ويقول: لاإلهَ إلا الله، إن للموتِ سَكرات. ثم نَصبَ يدَه فجعلَ يقول: في الرفيق الأعلى. حتى قُبِضَ ومالت يدُه))[٢]، وقالت رضي الله عنها: ((مَا أَغْبِطُ أحَداً بَهوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الّذِي رَأيتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رسول الله))[٣]، وفي ذلك بيان عظيم على شدة الموت وسكراته.

قال ابن قدامة: (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب، ولا هول سوى الموت، لكان جديراً أن يتنغص عليه عيشه، ويتكدر عليه سروره، وتطول فيه فكرته، والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات، فانتظر أن يدخل عليه جندي يضربه خمس ضربات، (لكدرت)[٤] عليه عيشه ولذته، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع، وهو غافل عن ذكر ذلك، وليس لهذا سبب إلا الجهل والغرور.

اعلم أن الموت أشد من ضرب السيف. وإنما يصيح المضروب، ويستغيث لبقاء قوته، وأما الميت عند موته، فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه؛ لأن الكرب قد بالغ فيه، وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه، وضعفت كل جارحة فيه، فلم يبق فيه قوة لاستغاثة، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة، وتجذب الروح من جميع العروق، ويموت كل عضو من أعضائه تدريجاً، فتبرد أولاً قدماه، ثم ساقاه، ثم

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ٤٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥١٠ واللفظ له، ومسلم ٢٤٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٨٣).

(٤) في المطبوع (لدكرت) وهو قلب من الناسخ.

فخذاه، حتى تبلغ الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها، ويغلق دونه باب التوبة)[١].

ومما لا شك فيه أن ذكر الموت وشدته، يكون به التزود بالصالحات وترك المنكرات، والاستعداد للقاء رب العباد، قال ابن الجوزي: (يا ابن آدم إلى حسن العمل، بينا أنت في فسحة ومهل، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل، قبل أن يقال فلان عليل، أو مدنف ثقيل، فهل إلى دوائه سبيل، أو على طبيب من دليل، فتدعى لك الأطباء، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك ذلك إلا بلاء. وقد اجتمع عند الإخوان والأحباء، والأهل والأقرباء، وكثر حولك البكاء، ثم يقال: حشْرَج ونفسه توشك أن تخرج، وأنت تعاين الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم، وحل بك القضاء، وخرجت الروح من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فيا لها من سعادة أو شقاء. وأنشدوا:

فلو يكن شيء سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقاً يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين، قبل عرق الجبين، وانتشار العرقين، وقبل مد الشمال وقبض اليمين، وتضعيف قوتك بالأنين، ويكثر حواليك بالبكا والحنينن وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين، ولا ينفعك ما جمعت من الأموال في الشهور والسنين، ثم أنت في قبرك لعملك رهين، إلى يوم عرضك على أسرع الحاسبين. قد تغير جسمك في الجنادل والتراب، بعد تنعمك بدقائق الشباب.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نعي الميت:

هذا ما ورد في الحديث من قول فاطمة رضي الله عنها "يا أبتاه إلى جبريل ننعاه"، والنعي هو الإخبار بموت الميت[٢]. قال ابن هبيرة: (وقولها: "إلى جبريل ننعاه"، تشير بذلك إلى انقطاع

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ٤٢٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٨١/١.

نزول جبريل بوقوع الفرقة بينهما في الدنيا فكأنها تقول: أو أنعي الناس الميت إلى أمثالهم، ننعيه إلى جبريل من أهل السماء، وهذا منها عليها السلام نعت محزون وقولها: ننعاه، فكأنها تقول: لست أنا وحدي أنعاه؛ ولكن أنا والأمة ننعاه[1]. وفي ذلك بيان على جواز نعي الميت. وهذا ما فعله الرسول ﷺ حين بلغه موت النجاشي، فنعاه إلى المسلمين، وفعله حين بلغه وفاة جعفر بن أبي طالب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان حب فاطمة رضي الله عنها للنبي ﷺ:

يظهر ذلك في الحديث من قول فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه، وقولها للصحابة رضي الله عنهم عقب دفنهم لرسول الله ﷺ "أطابت أنفسكم أن تحثُوا على رسول الله ﷺ التراب".

قال ابن حجر: (وأشارت عليها السلام بذلك إلى عتابهم على إقدامهم على ذلك لأنه يدل على خلاف ما عرفته منهم من رقة قلوبهم عليه لشدة محبتهم له، وسكت أنس رضي الله عنه عن جوابها رعاية لها ولسان حاله يقول: لم تطب أنفسنا بذلك، إلا أنا قهرناها على فعله امتثالاً لأمره. وقد قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد "وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا")[2].

ويظهر حب فاطمة رضي الله عنها للنبي ﷺ جلياً من قول عائشة رضي الله عنها: ((دَعا النبيُّ ﷺ فاطمةَ عليها السلام في شكواهُ الذي قُبضَ فيه، فسارَّها بشيء فبَكت، ثم دَعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارَّني النبيُّ ﷺ أنه يُقبَضُ في وَجَعِهِ الذي تُوفِّيَ فيه فبكَيتُ، ثم سارَّني فأخبرَني أني أولُ أهلهِ يتَبَعُهُ فضحكت))[3] وفي بكائها رضي الله عنها لفراق النبي ﷺ وفرحها في أنها أول من يلحق به ﷺ لدليل على حب السيدة فاطمة رضي الله عنها للنبي ﷺ وفيها الأسوة للعلاقة الحسنة بين الأبناء والآباء.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٠٧/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٥٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٣، ٤٤٣٤.

الحديث رقم (٢٩)

٢٩- وعنْ أبي زيْد أُسامَة بن زيد بن حَارثَةَ مولَى رسُول الله ﷺ وحبِّهِ وابْنِ حبِّهِ رضِيَ الله عنهُمَا، قالَ: أَرْسلَتْ بنْتُ النَّبِيِّ ﷺ[1]: (إنَّ ابْنِي قَدِ احتُضِرَ فاشْهدْنَا)[2]، فأَرسَلَ يقْرِئُ السَّلامَ ويَقُول: «**إن للَّه مَا أَخَذَ، ولهُ مَا أعْطَى، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بأجَلٍ مُسمًّى، فلتصْبِر ولتحْتسبْ**» فأرسَلَتْ إليْهِ تُقْسمُ عَلَيْهِ ليأْتينَّها. فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ، وَمُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنَ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنِ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصبيُّ، ((فأقعَدَهُ في حِجْرِهِ))[3] ونَفْسُهُ تَقعْقعُ[4]، فَفَاضتْ عَيْنَاهُ، فقالَ سعْدٌ: يَا رسُولَ الله مَا هَذَا؟ فقالَ: «هَذِهِ رَحْمةٌ جعلَهَا اللَّهُ تعَالَى في قُلُوبِ عِبَادِهِ»[5].

وفي رِوايةٍ[6]: «**في قُلُوبِ منْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ منْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: هو ابن حارثة بن شراحيل.

حِبُّ رسول الله ﷺ، ومولاه، وابن مولاه، ولد بمكة قبل الهجرة ونشأ على الإسلام، لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً، وأمهُ "أمُّ أيمن" حاضنة النبي ﷺ،

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (إليه، أنَّ ابنًا لي قد قبض، فأتنا). ساق الحميدي في جمعه، لفظ الحديث هكذا، ثمَّ قال: (وفي رواية حفص بن عمر، عن شعبة: إن ابني قد احتضر فاشهدنا) ثمّ قال: (وفي رواية حجاج: إن ابنتي قد احتضرت) فاختار المؤلف من بين ألفاظ الروايات الثلاثة لفظ رواية حفص بن عمر، عن شعبة.

(٢) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٦٦٥٥ من رواية حفص بن شعبة.

(٣) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٦٦٥٥ من رواية حفص بن شعبة، تبع المؤلف فيه الحميدي في جمعه حيث قال: (وفي رواية حفص بن عمر: فأقعده في حجره).

(٤) في هذه الرواية عند البخاري زيادة: (قال: حسبته أنه قال: كأنها شنٌّ) أسقطها المؤلف.

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٤)، ومسلم (٩٢٣/١١). وسيكرره المؤلف برقم (٩٢٧).

(٦) أخرجها البخاري (٥٦٥٥) من رواية حجاج بن منهال، عن شعبة، وكذا في (٦٦٥٥) من رواية حفص ابن عمر.

هاجر إلى المدينة واستعمله النبي ﷺ على جيشٍ لغزو الشام وهو في الثامنة عشرة من عمره وكان في الجيش أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، فلم ينفذ الجيش حتى توفي النبي ﷺ، فبادر الصديق رضي الله عنه ببعثهم، وقال أسامة رضي الله عنه: إن النبي ﷺ كان يأخذُني والحسن، فيقول ((اللهم إني أحبُّهُما، فأحِبَّهُما))[1] وقالت فيه عائشة رضي الله عنها: ما ينبغي لأحد أن يبغض أسامة، بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من كان يُحُب الله ورسوله، فليحب أسامة))[2].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُجلّه ويكرمه وما لقيه إلا قال له: السلامُ عليك أيها الأمير ورحمةُ الله! توفي رسولُ الله ﷺ وأنت عَلَيّ أمير.

وقد فرض عمر رضي الله عنه لأُسامة ثلاثةَ آلاف وخمس مائة، وفرض لابنه -عبدالله ابن عمر- ثلاثة آلاف فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لم فضلته عليَّ فوالله ما سبقني إلى مشهد؟ فقال عمر: لأنَّ أباه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيك، وهو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ منك فآثرتُ حب رسول الله على حبِّي.

وقد دخل على رسول الله ﷺ في مرض موته، فجعل رسول الله ﷺ يضع يده عليه ويرفعها فعرف أنه يدعو له[3].

وقد روى له البخاري ومسلم (١٢٨) حديثاً.

وتوفي في سنة ٥٤هـ وهو ابن خمسٍ وسبعين في آخر خلافة معاوية رضي الله عنه[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم ٣٧٣٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٦/٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٣٣/٤٢.

(٣) الترمذي، كتاب المناقب، رقم ٣٨١٣، ضعفه الألباني في الجامع الصغير ١٦٨.

(٤) الطبقات، ابن سعد (٦١/٤-٧١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٦-٤٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٩٤/١-١٩٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٣٥)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٩٦/٢-٥٠٧)، (١٦٧/١-١٦٨)، وتهذيب التذهيب (١٠٧/١-١٠٨)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٩١/١)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٤٣٤/١-٤٣٩).

غريب الألفاظ:

حبّه: محبوبه[١].

احتُضر: دنا موته[٢]، وفي رواية عند البخاري ٧٣٧٧: "ابنها في الموت".

اشهدنا: أي تطلب منه الحضور[٣].

لتحتسب: أي تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح[٤].

تَقَعْقَع: تتحرك وتضطرب[٥].

فاضت عيناه: أي امتلأت عيناه بالدموع حتى سالت على وجهه ﷺ[٦].

الشرح الأدبي

أمام هذا الموقف الإنساني من نبي الرحمة في هذا الحديث الشريف لا يملك أي مسلم محب لله ولرسوله إلا أن يتلو قول الله عز وجل: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[٧].

والحديث يقدم درسًا في الاحتساب والصبر تجاه فقد الأبناء؛ ويجيء بعد الحديث السابق الذي يعد درساً في الصبر تجاه فقد الآباء، وأى أب حضره الموت في الحديث

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ب).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/١٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٧/٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٠٦.

(٥) رياض الصالحين ٦٠.

(٦) انظر: اللسان ٧٦/٩/٥.

(٧) سورة الملك: ١-٢.

السابق؟ إنه خاتم النبيين، وسيد ولد آدم عليه السلام؛ والحديث يصاغ في قالب قصصي، والقصة واقعية، والأشخاص حقيقيون؛ والصبر هو الدرس المستفاد من هذا الحديث الشريف، وهو يتكون من ثلاثة مشاهد تكوِّن في مجموعها هذه القصة الراشدة؛ والمشهد الأول يروي تفاصيله أسامة بن زيد رضي الله عنهما وهو من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، ولأن القصة حقيقية فقد صيغت في إطار الأفعال الماضية؛ ولب القصة هو "الطفل المحتضر" وهو ابن بنت النبي ﷺ وهي زينب رضي الله عنها، وقيل اسمه علي أو عبدالله، والأم ترغب في أن يحضر معها أبوها -رسول الله- هذه اللحظة ليخفف عنها الآلام، ولكن "الجدَّ" وهو رسول الله ﷺ يرسل كلمات تنزل برداً وسلاماً على قلب الأم... وعلى قلب كل أم في مثل حالتها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وعدم حضوره ربما فيه إيحاء بالصبر والاحتساب، وإيماء إلى الرضا بقضاء الله وقدره، وبأن الحضور لن يؤخر الأجل ، فهو معلوم ومحدود.

ولنتأمل الجمال الأسلوبي الممزوج بالعاطفة الإيمانية والموشىَّ بالصبر والاحتساب والتسليم يقول رسول الله ﷺ في رسالته لابنته: "إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شئ عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب".

فالتأكيد، وتقديم لفظ الجلالة في الجملة الأولى والتعبير بلفظ الموصول عن عطاء الله، كل هذه جماليات أسلوبية تؤكد صدق العقيدة والإقرار بحقيقة الموت، وفي العبارة الثانية "وله ما أعطى" أي كل ما نملكه في حياتنا من عطاء الله، حتى المال فنحن مستخلفون فيه، والأولاد هبة من الله ذكوراً كانوا أم إناثاً، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ولنتساءل لماذا قدم الأخذ على الإعطاء؟ مع أن الأخذ متأخر عن الإعطاء، وذلك للاهتمام بما يقتضيه المقام؛ وكل شيء عنده بأجل مسمى وتكمن وراء التعبير بـ"كل شيء عنده" أسرار كثيرة وتأويلات عديدة، فكل شيء عنده بمقدار، وكل شيء بأجل مسمى: الإنسان والنبات، والحيوان وكل ما خلق الله في السماوات والأرض، وكل ما بث فيهما من دابة ،ويجيء الأمر صريحاً بعد هذه المقدمات الثلاث حيث يقول رسول الله ﷺ، "فلتصبر ولتحتسب"، والصبر يكون على مقادير الله؛

ولتحتسب أي: تنوي بصبرها طلب الثواب من ربها، والمشهد الثالث يبدأ بالقسم تقسم عليه ليأتينها ويستجيب الأب لابنته، وكيف لا وهو الرحمة المهداة، والسراج المنير، ولم يكتف بالحضور فرداً، وإنما أحضر معه ثلة من الأخيار وهم سعد بن عبادة، ومعاذ ابن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم؛ وما أعظم هذا المشهد الجليل والصبي يحتضر في حجر رسول الله ﷺ، وتفيض عينا الرسول بالدمع، ويتساءل سعد: ما هذا؟ فيقول الرحمة المهداة: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده.

فالعين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم البكاء على الميت، وأنه لا حرمة فيه متى كان تعبيراً عن حزن ورحمة، ولم يكن سخطاً على حكم الله عز وجل، أو تبرماً من قضائه وقدره، وأنه تعبير عن الرحمة وتنفيث عما يخالج القلب من ألم الفراق للأحبة.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يجوز البكاء على الميت من غير نياحة ولا يجوز التلفظ بألفاظ تدل على السخط والتبرم وذلك لفعل رسول الله ﷺ له، وأنه يحرم البكاء على الميت بصوت عال أو نياحة أو الندب بتعداد محاسن الميت برفع صوت أو أن يفعل فعلاً من أفعال الجاهلية كلطم الخدود وشق الجيوب والنواح وما أشبه ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاسترجاع.

ثانياً: من صفات الداعية: مواساة المدعوين والسعي في تخفيف المصائب عنهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة ورقة قلب النبي ﷺ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) انظر في ذلك: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٩٥/٢، وشرح معاني الآثار للطحاوي ٢٩١/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ٢٥/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ١١/٣، والأم، الأمام الشافعي ١٣٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٧٩/٥، والفتاوى الكبرى لابن تيمية ٦٥/٣، ٣٦٢/٥، والمغني، ابن قدامة ٢١٢/٢، والآداب الشرعية، ابن مفلح ٤/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاسترجاع:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب" وهذا ما رغب فيه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1].

قال السعدي: ("أولئك" الموصوفون بالصبر المذكور "عليهم صلوات من ربهم" أي: ثناء وتنويه بحالهم "ورحمة" عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، "وأولئك هم المهتدون" الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلّت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة والضلال والخسارة، فما أعظم الفرق بين الفريقين "وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين"، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل إذا وقعت، وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابرين من الأجر، ويعلم حال غير الصابر بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً)[2]، وقد ورد في ثواب الاسترجاع، وهو قوله "إنا لله وإنا إليه راجعون" عند المصائب أحاديث كثيرة منها قول أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا - إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ. وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا. قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ. فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْراً مِنْهُ. رَسُولَ اللَّهِ))[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٩١٨.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله: يا ملك الموت، قبضت ولد عبدي؟ قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال: نعم. قال: فما قال؟ قال: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتاً في الجنة، وسموه بيت الحمد))[1]. وكفى بذلك دلالة على عظم فضل الصبر والاسترجاع إلى الله عند المصيبة.

ثانياً- من صفات الداعية: مواساة المدعوين والسعي في تخفيف المصائب عنهم:

هذا ما ظهر جلياً في الحديث في مواساة النبي ﷺ (لابنته زينب)[2] رضي الله عنها في وفاة ابنها.

ومواساة المسلمين من أطيب أخلاق المؤمنين، فبها تكون الألفة بين المؤمنين وعليها تقوى العلاقات بين المسلمين، والنبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة في مواساة المسلمين؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ((إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير))[3] والمواساة أنواع بيّنها ابن القيم في قوله: (مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجُّع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كلّه، فلأتباعه من خلق المواساة بحسب اتباعهم له.

(واستصحاب الداعية لهذه النصوص وتفهمه معانيها وإدراكه أن دين الإسلام يدعو لما فيه تعاطف المسلمين وتآلفهم وترابطهم، يجعله يتفاعل مع الناس، فيواسيهم بالقليل والكثير، ويشاركهم عاطفياً وعقلياً وحسياً، ويتأثر لهم وبهم ويندمج في جماعتهم،

---

(١) أخرجه الترمذي ١٠٢١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٦/٣.

(٣) أخرجه أحمد ٥٠٤، وقال محققو الإسناد: إسناده حسن.

ومما لا شك فيه أن الداعية الموفق هو الذي يستشعر أهمية ذلك في تبليغ الدعوة وتأليف القلوب)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة وشفقة النبي ﷺ:

هذا ما ظهر جلياً في الحديث من قول الراوي "فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُ، فأقعده في حجره ونفسه تقعقع، ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: "هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده" وفي رواية "في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء" والرحمة كما بينها الكفوي: (هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)[٢].

والنبي ﷺ رقيق القلب رحيم الفؤاد، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله: ((دَخلْنا مع رسولِ اللّهِ ﷺ على أبي سَيفٍ القَينِ - وكانَ ظئراً لإبراهيمَ عليه السلام - فأخذَ رسول اللّهِ ﷺ إبراهيمَ فقبَّلَهُ وشَمَّهُ. ثمَّ دَخلْنا عليهِ بعدَ ذلك - وإبراهيمُ يَجودُ بنفسِه - فجعلَتْ عَينا رسولِ اللّهِ ﷺ تَذْرِفانِ. فقال له عبدُ الرحمن بنُ عَوفٍ رضي الله عنه: وأنتَ يا رسولَ اللّهِ؟ فقال يا ابنَ عَوفٍ إنها رحمةٌ. ثمَّ أتبعها بأُخرى فقال ﷺ: إن العينَ تَدمعُ، والقلبَ يحزَنُ، ولا نقولُ إلاّ ما يَرضى رَبُّنا، وإنَّا بفِراقِكَ يا إبراهيمُ لَمحزُونون))[٣].

قال ابن حجر: (قوله: "وأنت يا رسول الله؟" قال الطيبي: فيه معنى التعجب، والواو تستدعي معطوفاً عليه أي الناس لا يصبرون على المصيبة وأن تفعل كفعلهم، كأنه تعجب لذلك منه مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع، فأجابه بقوله "إنها رحمة" أي الحالة التي شاهدتها مني هي رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع)[٤].

---

(١) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، ٦٥-٦٦.

(٢) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي ٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٠٧-٢٠٨.

رابعاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من سؤال سعد رضي الله عنه للنبي ﷺ بقوله: "يا رسول الله ما هذا؟"، وإجابة النبي ﷺ بقوله "هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده" وفي رواية "في قلوب من شاء من عباده"، وذلك عندما فاضت عيناه ﷺ ببكائه على احتضار ابن بنته زينب رضي الله عنها (والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية الهامة التي تجعل المدعو في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة إجابة سؤاله، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1].

وقد أشار نص الحديث إلى أن هذه المعرفة التي يجب اختزانها في الذاكرة وتطبيقها في السلوك هي: (أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولا مكروه بل هو رحمة وفضيلة، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما)[2].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩٧.

الحديث رقم (٣٠)

٣٠- وَعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاَماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَماً يعلِّمُهُ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ فَأَعْجَبَهُ، وَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فقال: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ[1] إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فقال: اليَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فأَخَذَ حجَراً فقالَ: اللهُمَّ إِنْ كان أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فاقتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حتَّى يمْضِيَ النَّاسُ، فرَماها فقتَلَها ومَضى النَّاسُ، فأتَى الرَّاهِبَ فأخبَرَهُ. فقال لهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَوْمَ أَفْضَلُ منِّي، قَدْ بلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وإِنَّكَ ستُبْتَلَى، فإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عليَّ، وكانَ الغُلامُ يبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبرصَ، ويداوي النَّاس مِنْ سائِرِ الأدواءِ. فَسَمِعَ جلِيسٌ للملِكِ كانَ قَدْ عمِيَ، فأتَاهُ بهدايا كثيرَةٍ فقال: ما ههُنَا لك أجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شفَيْتَني، فقال إِنِّي لا أشفِي أحَداً، إِنَّمَا يشْفِي الله تعَالى، فإِنْ آمنْتَ باللَّهِ تعَالَى دعوْتُ الله فشَفَاكَ، فآمَنَ باللَّه تعَالى فشفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فأتَى المَلِكَ فجلَس إليْهِ كما كانَ يجلِسُ فقالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ ردَّ علَيْك بصَرك؟ قال: ربِّي. قَالَ: ولَكَ ربٌّ غيْرِي؟، قَالَ: رَبِّي وربُّكَ الله، فأَخَذَهُ فلَمْ يزلْ يُعذِّبُهُ حتَّى دلَّ عَلَى الغُلاَمِ فجيءَ بِالغُلاَمِ، فقال لهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِك مَا تبْرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ وتَفْعلُ وَتفْعَلُ فقالَ: إِنِّي لا أشْفِي أَحَداً، إِنَّما يشْفِي الله تَعَالَى، فأخَذَهُ فَلَمْ يزَلْ يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فجِئَ بالرَّاهِبِ فقيل لَهُ: ارجِعْ عنْ دِينِكَ، فأبَى، فدَعا بالمِنْشَارِ فوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مفْرِقِ رأْسِهِ، فشقَّهُ حتَّى وقَعَ شقَّاهُ، ثُمَّ جِيء بجلِيسِ المَلِكِ فقِيلَ لَهُ: ارجِعْ عنْ دينِكَ فأبَى، فوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مفْرِقِ رَأسِهِ، فشقَّهُ به حتَّى وقَع

---

(١) لفظ مسلم (كذلك) بدل: (على ذلك).

شقَّاهُ، ثُمَّ جئ بالغُلامِ فقِيل لَهُ: ارجِعْ عنْ دينِكَ، فأبَى، فدَفعَهُ إِلَى نَفَرٍ منْ أصْحابِهِ فقال: اذهبُوا بِهِ إِلَى جبَلِ كَذَا وكذَا فاصعدُوا بِهِ الجبلَ، فإذَا بلغتُمْ ذروتهُ فإنْ رجعَ عنْ دينِهِ وإلاَّ فاطرَحوهُ، فذهبُوا بهِ فصعدُوا بِهِ الجبَلَ فقال: اللَّهُمَّ اكفنِيهمْ بمَا شئْت، فرجَفَ بِهِمُ الجبَلُ فسَقطُوا، وجَاءَ يمْشي إِلَى المَلِكِ، فقالَ لَهُ المَلِكُ: ما فعِلَ بأَصحَابُكَ؟ فقالَ: كفانيهمُ الله تعالَى، فدفعَهُ إِلَى نَفَرَ منْ أصْحَابِهِ فقال: اذهبُوا بِهِ فاحملُوه في قُرقُور وَتَوسَّطُوا بِهِ البحْرَ، فإنْ رَجَعَ عنْ دينِهِ وإلاَّ فَاقْذفُوهُ، فذَهبُوا بِهِ فقال: اللَّهُمَّ اكفنِيهمْ بمَا شِئْت، فانكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفينةُ فغرِقوا، وجَاءَ يمْشِي إِلَى المَلِك. فقالَ لَهُ الملِكُ: ما فعِلَ بأَصحَابُكَ؟ فقال: كفانِيهمُ الله تعالَى. فقالَ للمَلِكِ إنَّك لسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تفْعلَ ما آمُرك بِهِ. قال: ما هُوَ؟ قال: تجْمَعُ النَّاس في صَعيدٍ واحدٍ، وتصلُبُني عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ خُذ سهْماً مِنْ كنَانتِي، ثُمَّ ضعِ السَّهْمِ في كَبدِ القَوْسِ ثُمَّ قُل: بسْمِ اللَّهِ ربِّ الغُلامِ ثُمَّ ارمِنِي، فإنَّكَ إذَا فعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتنِي. فجَمَع النَّاس في صَعيدٍ واحِدٍ، وصلَبَهُ عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سهْماً منْ كنَانَتِهِ، ثُمَّ وضَعَ السَّهمَ في كبدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ، ثُمَّ رمَاهُ فَوقَعَ السَّهمُ في صُدْغِهِ، فَوضَعَ يدَهُ في صُدْغِهِ فمَاتَ.

فقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِربِّ الغُلامِ[1]، فَأُتِيَ المَلكُ فَقِيلُ لَهُ: أَرَأَيْت ما كُنْت تحْذَر قَدْ وَاللَّه نَزَلَ بِك حَذرُكَ. قدْ آمنَ النَّاسُ. فأَمَرَ بِالأخدُودِ بأفْوَاهِ السِّكك فخُدَّتَ وَأُضْرِمَ فِيها[2] النيرانُ وقالَ: مَنْ لَمْ يرْجَعْ عنْ دينِهِ فأقْحمُوهُ فِيهَا أوْ قيلَ لَهُ: اقْتَحمْ، ففعَلُوا حتَّى جَاءتِ امرَأَةٌ ومعَهَا صَبيٌّ لهَا، فَتقَاعَسَت أنْ تَقعَ فِيهَا، فقال لَهَا الغُلاَمُ: يا أمَّاهْ اصبرِي فَإِنَّكَ عَلَي الحَقِّ» رواهُ مُسْلَمٌ[3].

ترجمة الراوي:

صُهَيْب بن سِنان الرومي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧).

---

(١) عند مسلم تكررت ثلاث مرّات.

(٢) (فيها) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٣٠٠٥/٧٣).

غريب الألفاظ:

راهب: هو من اعتزل الناس إلى دير وانقطع للعبادة[١].

دابة: كل ما يدب على الأرض وقد غلب على ما يركب من الحيوان[٢].

ستبتلي: من البلاء وهو المحنة والشدة تنزل بالمرء ليختبر بها ويمتحن[٣].

الأكمه: هو الذي ولد أعمى وقيل: هو الذي أصابه العمى[٤].

الأبرص: هو الذي أصابه البرص وهو بياض يقع في الجسد لِعِلّة[٥].

ذروته: ذروة الجبل: أعلاه[٦].

رجف بهم الجبل: اضطرب وتحرك حركة شديدة[٧].

القُرْقُور: بضم القافين: نوع من السفن، وقال النووي في شرح مسلم: السفينة الصغيرة، وقيل: السفينة العظيمة[٨].

انكفأت بهم السفينة: انقلبت[٩].

الصعيد: المكانُ الواسع[١٠].

تصلبني: صَلَب الجسم: شد أطرافه وعلقه على شيء ما[١١].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ٢٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٤.

(٢) الوسيط ٢٦٨.

(٣) انظر: الوسيط ٧١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ك م هـ).

(٥)الوسيط في (ب ر ص).

(٦) رياض الصالحين ٦٢، واللسان والوسيط في (ذ ر و).

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٢٣.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٢٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ق ر).

(٩) رياض الصالحين ٦٢، والوسيط في (ص ع د).

(١٠) رياض الصالحين ٦٢.

(١١) الوسيط ٥١٩.

جذع: ساق النخلة ونحوها[١].

كنانتي: الكنانة: جعبة صغيرة من جلد للنبْل والسهام[٢].

كبد القوس: مقبضها عند الرمي[٣].

نزل بك حذرك: أي ما كنت تحذر[٤].

الأُخْدود: الشقوق في الأرض كالنهر الصغير[٥].

أفواه السكك: أبواب الطرق[٦].

خُدّت: حفرت[٧].

أُضْرِم: أُوقِد[٨].

تقاعست: توقفت وجبنت[٩].

الشرح الأدبي

هذا الحديث المطول يحتاج إلى تأمل وتدبر وتفكر، فهو ليس مجرد قصة للتسلية أو المتعة، ولكنه يفيض بالدروس والعبر، والحِكَم والمواعظ، ويدعو إلى التأمل في أحوال الخلق، ويحدد المنهج الذي يجب أن يتبع في نشر الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، واتخاذ الوسائل المتعددة ومنها الأسلوب القصصي في توصيل أسس

---

(١) الوسيط ١١٣.

(٢) اللسان والوسيط في (ك ن ن).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٢٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٢٣.

(٥) رياض الصالحين ٦ ٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٢٣.

(٧) الوسيط في (خ و د).

(٨) رياض الصالحين ٦٢.

(٩) رياض الصالحين ٦٢.

الدعوة، وأصول العقيدة إلى الناس، وتحمل الأهوال والشدائد في سبيل الله.

والحديث جاء في قالب قصصي "حقيقي" ولكن لم يحدد الزمان ولا المكان، ولا أسماء الأشخاص، وبعض الكتب ذكرت أسماء بعض الشخصيات التي تضمنتها هذه القصة الهادفة الراشدة الهادية.

والقصة لها بداية ووسط ونهاية، وهي تُعْطي نموذجاً متكاملاً للقصة في الحديث النبوي: حيث يقوم الهيكل العام للقصة النبوية في الأغلب العام على ثلاث دعائم تشكل إطاراً يحدد شكلها القصصي، وهذه الدعائم تبرز لنا في البداية والوسط والنهاية، وهذه التركيبة الهيكلية قائمة على أساس من الترابط العضوي الذي يشد بعضها إلى بعض، بحيث نحس ونحن نقرأ هذه القصص قراءة متعمقة أن هناك خيوطاً منظورة وغير منظورة تؤدي وظيفتها في تحقيق التلاحم بين دعائم هيكل القصة الثلاث[1].

والشخصيات من مكونات القصة الرئيسة هنا، وفي هذا الحديث القصصي تصنع الأحداث عدة شخصيات إنسانية وهي:

الغلام: الذي رفض تعلم السحر.. وتعلم على يد الراهب.. وهو من النصارى.. حيث تقول بعض الروايات إن هذا الراهب كان بنجران – واسم الغلام عبدالله بن تامر، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء.

الراهب: وهو المتعبد من النصارى المتخلي من أشغال الدنيا التارك لملاذّها بالزهد فيها، الصابر على مشاقها المعتزل عن أهلها، ودوره ايجابي في هذه القصة لأنه يمثل جانب الإيمان في مقابل الطغيان والكفر لدى الملك.

الملك: وهو كما يروي ابن عباس: كان بنجران، وكان طاغية يدعي الألوهية، ويقال إنه الذي حرَّق أصحاب الأخدود.

الساحر: وهو رمز الخداع والتمويه والكذب وعدم الثبات وعدم تحمل العذاب لأنه

---

(١) انظر تفصيل سمات القصة النبوية في كتاب القصة في الحديث النبوي د. محمد بن حسن الزير.

دل على الراهب.

جليس الملك: الأعمى الذي شفي على يد الغلام بإذن الله سبحانه ورفض تأليه الملك وآمن بالله سبحانه.

المرأة وابنها الذي تكلم في المهد في نهاية القصة تحدياً للملك: وقال لأمه: اصبري فإنك على الحق ولم يخش النيران.

جموع الناس الذين آمنوا برب الغلام بعد أن رأوا شجاعته وصبره: وهو يقابل القتل بإيمان وصبر واستهزاء بالملك.

وبعض الشخصيات لا تكون من الإنس ولكن قد تشارك في الأحداث بعض كائنات الطبيعة الحية والجامدة. ومنها في هذا الحديث: الدابة، وقد قتل هذه الدابة الغلام بحَجَرٍ، وذلك لأنه أراد أن يثبت أن الراهب أفضل من الساحر، وللسفينة والجبل دور في تعضيد موقف الغلام، وحمايته بفضل تسخير الله لها لحمايته، لأنها من خلق الله، وتسبح بحمد ربها ولكن لا نفقه تسبيحها.

إن هذه الشخصيات شاركت كلها في صنع أحداث هذه القصة، وتأزرت في تكوين مشاهدها المتوالية من بدايتها إلى نهايتها، وهى تتكون من أحد عشر مشهداً، تتوالى كلها في يسر وسهولة وإمتاع وإقناع، مع تعدد العقد والمفاجآت في تطور الأحداث، ولكن النهاية تصور انتصار النموذج الإيماني وتحديه القوي لكل الطغاة المتجبرين.

والمشهد الأول: يمثل بداية القصة، وبدء حكاية الملك الطاغية، ورغبة الساحر الذي كبر في تعليم غلام بعده أصول فن السحر، حتى يضمن استمرار ما عليه من باطل ونفوذ وحظوة لدى الملك الطاغية.

ولكن الغلام يكره الساحر، ويهيئ الله له الراهب... فيتعلم منه تعاليم الدين في هذا الوقت وهو النصرانية.

والمشهد الثاني: يمثل تطوراً في شخصية الغلام حيث يستفيد بعلمه الذي تعلمه، وينقذ الناس من خطر الدابة التي حبست الناس: ويقتل هذه الدابة بحجر، وهذا

الانتصار جاء مقترناً بالإيمان وإثبات بطلان فعل الساحر لأن الغلام دعا وقال: (اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس فرماها فقتلها).

وهذا المشهد يمثل اختباراً حقيقياً لقدرات الغلام، وثقته بالله وفي نفسه، ورفضه لتعاليم الساحر الباطلة.

والمشهد الثالث: يعد ثمرة حقيقية للحدث في المشهد الثاني حيث أقر الراهب للغلام العالم بالأفضلية وقال: "يا ابني: أنت اليوم أفضل مني..." وفي هذا إرشاد لكل معلم بضرورة رعاية تلاميذه، والغبطة والفرح حين يتفوقون، ويخاف الراهب على الغلام ويدرك بفراسته أو بطريق العادة والتجربة أن الغلام سيبتلى، وسيقابل أهوالاً من الكفار والطغاة، ويعاهده أنه إذا ابتلي فلا يدل عليه، ولا يخلف الغلام الوعد، حيث تمسك بالعهد.

والمشهد الرابع: يقدم تجربة ناجحة، واختباراً لقدرات ذلك الغلام: حيث شفى الله على يديه جليس الملك الذي أصابه العمى: وكان الغلام يبرئ الأكمه -وهو الذي ولد أعمى، وكذلك الذي فقد بصره- والأبرص بفضل الله سبحانه وتعالى، وما أجمل هذا السبيل في الدعوة إلى الله: فالغلام يشترط الإيمان بالله ثمناً للشفاء ويقول، وما أصدق قوله مؤكداً منطقة ومنهجه: "إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن الأعمى بالله تعالي فشفاه الله تعالى" ولنتأمل هذه المؤثرات الأسلوبية في تقديم المعنى التأكيد بإنما وقصر الشفاء على الله تعالى، ثم جعل الإيمان شرطاً للجزاء وهو الشفاء، وتوالي فاءات العطف يدل على سرعة الاستجابة.

وفي **المشهد الخامس:** تحتدم المواجهة بين قوى الباطل وأنصار الحق والإيمان، وتحدث المفاجأة للملك حين يرى جليسه ومستشاره قد رُدَّ إليه بصرُه: فيسأله: من رد إليك بصرك، فيقول مستشاره "ربي" فيثور الملك ويوغل في حمأة الباطل ويقول مستنكراً! أولك رب غيري؟ ويعذب مستشاره حتى عرف منه مكان الغلام.

وفي **المشهد السادس:** يبلغ التحدي أقصاه بين الملك والغلام، واعتقد الملك أن الغلام

ساحر، ولكن الغلام يرفض ذلك، ويقول: إنما يشفي الله تعالى، معلنا رفضه لربوبية ذلك الملك الطاغية، ويعرف الملك مكان الراهب الذي علم الغلام، وبصَّره بتعاليم الدين.

وفي **المشهد السابع**: يصمد الحق أمام الباطل، ويفضل الراهب وجليس الملك الموت في سبيل التمسك بالدين؛ لأن الملك طلب منهما الرجوع عن الدين والبقاء على الاعتقاد في ربوبيته ولكنهما أبيا وتمسكاً بدينهما.

ما أهول هذا المنظر الذي ينقل صورة القتل، حيث وُضِع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه!!!.

والمشهد الثامن: يصور ذكاء الغلام وقوة حجته في مواجهة الملك بعد أن نجاه الله من القتل وسخر له الجبل حيث رجف بمن أرادوا قتل الغلام فسقطوا وكذلك : السفينة انكفأت بهم فغرقوا في البحر، وقد نجى الله الغلام.

ليبدأ **المشهد التاسع** وهو تاج المشاهد كلها، حيث استطاع الغلام أن يستدرج الملك من حيث لا يعلم إلى الإقرار والتفوه باسم الله رب الغلام، بعد أن قال له: لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به! ما أعظم الإيمان الذي يقوي القلوب والإرادة.

فالغلام المؤمن يأمر الملك الجبار الكافر، ويستجيب الملك الغبي المغرور؟ ويطل **المشهد العاشر** حيث تجمع الناس في صعيد واحد وصُلب الغلام، وأخذ الملك سهماً من كنانته وأطلقه صائحاً بأعلى صوته "بسم الله رب الغلام، ويموت الغلام المؤمن ولكن دعوته تبقى، وتأثيره يزداد، وإذا بالناس يصيحون في ثقة وإيمان وتحد للملك، آمناً برب الغلام ثلاث مرات.

ما أعظم المشهد، وما أعظم استشهاد الغلام، وما أقوى حجته، ولكن الملك يفقد صوابه، ويأمر بالقتل الجماعي للناس في الأخدود حرقاً، وتكون المفاجأة على لسان صبي في المهد يتحدى الملك وينطق بالحق والشجاعة ويقول لأمه الخائفة من النيران: اصبري فإنك على الحق .. يا أماه جعلنا الله من الصابرين الصامدين الموحدين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم العمل بالسحر وتعليمه وتعلمه، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن العمل بالسحر حرام وكبيرة من الكبائر، وأن الساحر كافر خارج عن دين الله عز وجل، وأنه يقتل متى قدر عليه قبل توبته، وإن اختلفوا في كيفية قتله فقيل يقتل حداً بضرب السيف وقيل يقتل تعزيراً لاقترافه أمراً يخرج عن الملة، واستثنى الشافعي[٢] حالة ما إذا أقر الساحر أنه قتل بسحره شخصاً فقيل عليه الدية فقط في هذه الحالة متى تاب وقال أصحابه يقتل قصاصاً، واختلفوا في حكم تعلم السحر دون العمل به فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة[٣] إلى أن تعلم السحر وتعليمه حرام وكفر مخرج من الملة، واستثنى بعض الحنفية تعلم السحر لرد سحر أهل الحرب فجعلوه فرضاً، وكذا تعلمه للإصلاح بين الزوجين فهو جائز عندهم، ورُدّ هذا من معظم الحنفية.

وذهب الشافعية[٤] إلى أن تعليمه حرام إلا إذا كان للوقوف على حقيقته أو كان

---

(١) تبيين الحقائق، الزيلعي ٢٩٣/٣، وأحكام القرآن للجصاص ٧٢/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ١١٧/٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٤٨/١، وأنوار البروق للقرافي ١٥١/٤، وتبصرة الحكام لابن فرحون ٢٨٤/٢، وفتاوى السبكي لتقي الدين السبكي الشافعي ٣٢٣/٢ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٨٢/٤، ومختصر المزني ص٣٦٣، والسياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٥٤، والفتاوى الكبرى ٦١/١، والمغني، ابن قدامة ٣٥/٩، والفروع، ابن مفلح ١٧٧/٦.

(٢) الأم، الأمام الشافعي ٣٦٣/٨.

(٣) تبيين الحقائق، الزيلعي ٢٩٣/٣، أحكام القرآن للجصاص ٧٢/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ١١٧/٧، أحكام القرآن لابن العربي ٤٨/١، أنوار البروق للقرافي ١٥١/٤، تبصرة الحكام لابن فرحون ٢٨٤/٢، السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٥٤، الفتاوى الكبرى ٦١/١، المغني، ابن قدامة ٣٥/٩، الفروع، ابن مفلح ١٧٧/٦.

(٤) فتاوى السبكي لتقي الدين السبكي الشافعي ٣٢٣/٢ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٨٢/٤، والأم، الأمام الشافعي ٣٦٣/٨.

تعلمه لتحصيل نفع أو دفع ضرر فهو جائز حينئذ.

الثاني: حكم الكذب لمصلحة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الأصل في الكذب أنه حرام، ومع ذلك قد يكون الكذب مباحاً أو واجباً، فالكلام وسيلة إلى المقصود، وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، فإن لم يتأتى تحصيله بغير الكذب جاز الكذب فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الانتفاع بأخبار السابقين ممن ابتلاهم الله.

ثالثاً: من صفات المدعو: الحرص على تعلم العلوم النافعة.

رابعاً: من واجبات المدعو: التبيّن والتثبت.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الثبات على الحق والصبر على الأذى.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله واللجوء إليه.

سابعاً: من مهام الداعية: العمل على نصرة الدعوة.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

قد وردت القصة كوسيلة دعوية هامة في الحديث من قوله ﷺ "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر... إلخ".

(والقصة تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٤٥/١٦، وتبيين الحقائق، الزيلعي ٢٤١/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ٣١٣/٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي على الخرشي ٤١٢/٢، وأنوار البروق للقرافي ٨/٤، وأدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٦١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٣٢٢/٢، وطرح التثريب ٢١٤/٧، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١١/١، ١٩، وغذاء الألباب ١٣٤/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ٩٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٥/٣٤.

وأخلاقهم، وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم الطبعية والزمنية، تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال، ومضيت مع الحوار والنقاش عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم وضقت ذرعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتعاشرهم وتحيا بينهم.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصصي البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعمال القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان، وترفع نبض المشاعر وهي بالميزة الثانية ميزة التنبه والتقبل، تجعل النفوس أوعية مفتوحة، يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار.

فعلى الداعية أن يستمسك بهذه الوسيلة التي من سنة الله تعالى، فالله عز شأنه قد سنها في القرآن الكريم، فقص على رسوله أحسن القصص، وضمنه خير التعاليم والمواعظ تثبيتاً له ولأمته على الحق ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وخير القصص كله، قصص القرآن الكريم، بما فيه وإلى ما فيه؛ فقد أحكمت به عروة العقيدة، واكتمل نظام الأخلاق، واشتدت به أركان الحضارة الإسلامية، فكانت أوفى وأكمل الحضارات...)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الانتفاع بأخبار السابقين ممن ابتلاهم الله:

إن الانتفاع بأخبار السابقين من الذين آمنوا بربهم وثبتوا على دينهم وصبروا على ما كان في ذلك من بلاء؛ لعظيم الفائدة في اتخاذ العبرة والعظة، والتيقن بأن العاقبة في

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٤٤-٤٥، بتصرف يسير.

ذلك لعباد الله المتقين، وهذا ما يستفاد جلياً من نص الحديث، وقد أرشد الحق تبارك وتعالى نبيه وعباده إلى ذلك فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال ابن كثير: (وفي ذلك يقول الله تعالى: وكل أخبار نقصّها عليك، من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم، وكيف جرى لهم من المحاجّات والخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخذل أعداءه الكافرين كل هذا مما نثبت به فؤادك -يا محمد- أي: قلبك، ليكون لك بمن مضى من إخوانك من المرسلين أسوة)[2]، قال القاسمي: (وقوله تعالى "وموعظة وذكرة للمؤمنين" أي عبرة لهم يحترزون بها عما أهلك الأمم، وتذكير لما يجب أن يتدينوا به ويجعلوه طريقهم وسيرتهم)[3]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[5].

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[6].

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٣/٤.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٤/٩/٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١١.

(٥) سورة الروم، آية: ٩.

(٦) سورة غافر، الآيتان: ٢١-٢٢.

قال ابن كثير: (يقول تعالى: أولم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد "في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم" أي: من الأمم المكذبة بالأنبياء، ما حل بهم من العذاب والنكال، مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة، "وآثاراً في الأرض" أي: أثروا في الأرض من البنايات والمعالم الديارات، ما لا يقدر عليه هؤلاء، كما قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[2] أي: ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد، أخذهم الله بذنوبهم، وهي كفرهم برسلهم "وما كان لهم من الله من واق" أي: ما دفع عنهم عذاب الله أحد، ولا رده عنهم راد، ولا وقاهم واق.

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها، فقال: "ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات" أي: بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات "فكفروا" أي: مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا "فأخذهم الله" أي: أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها، "إنه قوي شديد العقاب" أي: ذو قوة عظيمة وبطش شديد، وهو "شديد العقاب" أي: عقابه أليم شديد وجيع. أعاذنا الله منه)[3].

فعلى المرء أن يتخذ العبرة والعظة فيما كان من أخبار السابقين؛ حتى يثبت على دين الله ويصبر على ماكان في ذلك من بلاء ويعلم أن العاقبة في ذلك للمتقين، وهذا ما أكده النبي ﷺ لخباب بن الأرت رضي الله عنه عندما جاءه يشتكي ما أصابه من المشركين طالباً منه ﷺ الدعاء والاستنصار قائلاً: ألا تدعو الله؟ فقعد ﷺ وهو محمر الوجه فقال: ((لقد كان من قبلكم ليُمشَط بمشاطِ الحديد، ما دُون عظامهِ من لحمٍ أو عَصَب، ما يَصرفهُ ذلك عن دينه، ويوضَع المِنشارُ على مفرِق رأسهِ فيُشَقُّ باثنين، ما يصرِفه ذلكَ عن دينه. ولَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ مِن صَنعاءَ إلى حَضرمَوتَ ما يَخافُ إلاَّ اللَّه))[4].

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٢٦.

(٢) سورة الروم، آية: ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٨/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٥٢.

ثالثاً- من صفات المدعو: الحرص على تعلم العلوم النافعة:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ "وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه" (والعلم في اللغة: يطلق على المعرفة والشعور والإتقان واليقين، يقال: علمت الشيء أعلمه علما عرفته، ويقال: ما علمت بخبر قدومه أي: ما شعرت، ويقال: علم الأمر وتعلّمه: أتقنه. واصطلاحاً: هو حصول صورة الشيء في العقل)[١].

(وينقسم العلم تبعاً لفائدته وأهمية الحاجة إليه، فمنه ما تعلمه فرض، ومنه ما هو محرم)[٢].

قال ابن قدامة في بيان العلم الذي هو فريضة على كل مسلم: (اختلفت عبارات الناس في بيان العلم المفروض، والصحيح أن يقال: هو علم معاملة العبد لربه وهو يدخل في باب الاعتقاد والأفعال وهذا العلم المفروض ينقسم إلى قسمين:

فرض عين: وهو ما يتعين وجوبه على الشخص من توحيد الله ومعرفة أوامره وحدوده في العبادات والمعاملات التي يحتاج إليها، وفرض كفاية: وهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام الدنيا:

كالطب والحساب وأصول الصناعات. فلو خلا البلد عمن يقوم بهذه العلوم والصناعات أثم أهل البلد جميعاً وإذا قام بها واحد فقط وكفاهم سقط الإثم عن الباقين)[٣].

ومما لا شك فيه أن كل علم يحصل به عز الإسلام والمسلمين، يكون من أجلِّ العبادات وأفضل الطاعات إلى إرضاء رب العباد. والناظر في السنن الكونية يعلم أنها سنن مطردة لا تتغير ولا تتبدل، فلا تحابي أمة على أمة إلا بقوة مكانتها وعظم شأنها؛

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٢٩٠، ومصادرها.

(٢) المرجع السابق ٣٠/٢٩١.

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ١٩/٢٠.

وذلك لا يكون للأمة الإسلامية إلا بالعودة إلى الإسلام عقيدة وفقهاً وجهاداً، ومن أعظم الجهاد امتلاك معرفة العلوم العصرية معرفة تحفظ لهذه الأمة هيبتها وتحمي بيضتها.

وقد كان في ترك الأمة لهذه العلوم والتخلف عنها، أن أصبح زمام العالم وقيادته بغير أيدي المسلمين، وهذا ما يأباه الإسلام ويرفضه، وتخلف المسلمين في ذلك يرجع إلى تخاذلهم عن فهم كتاب ربهم وسنة نبيهم، ولنضرب "مثالاً في ذلك"[١] فقد أخبر القرآن الكريم "في غير ما سورة"[٢] أن الله تعالى سخر لنا البحر فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

فتقاصرنا عن فهم مراد ربنا؛ بأن إرشاده تعالى بتسخير البحر لنا يعني أن نبلغ أقصى ما يكون في استعماله بما يعز الإسلام ويحمي بيضة المسلمين، وقد فهم غير المسلمين ذلك فأنشأوا المرافئ لصنع السفن وأعدوا حاملات الطائرات، وأبدعوا في إنشاء الغواصات، ونسي المسلمون أنهم في ذلك (أبناء بجدتها)[٤] (فقد ركب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما البحر في جيش عظيم من المسلمين، وكان أول من غزا البحر في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ففتح الله على يديه قبرص سنة ثمان وعشرين من الهجرة)[٥].

وها هوذا عبدالله بن سعد بن أبي السرح في غزوة الصواري سنة أربع وثلاثين يركب البحر ويغزو الروم، قال ابن كثير: (فلما تراءى الجمعان بات الروم يقسقسون ويصلبون، وبات المسلمون يقرأون ويصلون، فلما أصبحوا صف عبدالله بن سعد

---

(١) انظر: كيف نتعامل مع القرآن الكريم، محمد الغزالي ص ٢١.

(٢) سورة النحل، آية: ١٤، سورة فاطر، آية: ١٢.

(٣) سورة الجاثية، آية: ١٢.

(٤) أي: العالمين بالشيء المتقنين له، (المعجم الوسيط، مع اللغة العربية في (ج د د).

(٥) انظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٢٨/١٠، وتاريخ الطبري ٧٢٨.

أصحابه صفوفاً في المراكب، وأمرهم بذكر الله وتلاوة القرآن. قال بعض من حضر ذلك: فأقبلوا إلينا في أمرٍ لم يُر مثله من كثرة المراكب، وتعداد صواريها، وكانت الريح لهم وعلينا، فأرسينا ثم سكنت الريح عنا، فقلنا لهم: إن شئتم خرجنا نحن وأنتم إلى البرفمات الأعجل منا ومنكم. قال: فنخروا نخرة رجل واحد وقالوا: الماء الماء. قال: فدنونا منهم وربطنا سفننا بسفنهم، ثم اجتلدنا وإياهم بالسيوف، يثب الرجال على الرجال بالسيوف والخناجر، وضربت الأمواج في عيون تلك السفن حتى ألجأتها إلى الساحل، وألقت الأمواج جثث الرجال إلى الساحل، حتى صارت مثل الجبل العظيم، وغلب الدم على لون الماء، وصبر المسلمون يومئذٍ صبراً لم يعهد مثله قط، وقُتل منهم بشرٌ كثير، ومن الروم أضعاف ذلك، ثم أنزل الله نصره على المسلمين، فهرب قسطنطين وجيشه -وقد قلّوا جداً- وبه جراحات شديدة كثيرة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك، وأقام عبدالله بن سعد بذات الصواري أياماً، ثم رجع مؤيداً منصوراً مظفراً)[1].

وقد أيد الله تعالى المسلمين بالنصر على عدوهم؛ لاجتهادهم وعدم تخلفهم في معرفة العلوم الدنيوية التي أنشأوا بها السفن، فكانت سبباً في عز الإسلام ونصر المسلمين.

(أما القسم الثاني من العلوم، فهو القسم المحرم الذي لا فائدة فيه بل يكون وبالاً على صاحبه)[2]، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من هذا العلم فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع))[3] (ومن ذلك العلم المحرم، الشعوذة وهي: خفة في اليد كالسحر ترى الشيء بغير ما عليه)[4] وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أُعلمه السحر".

---

(١) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠/٢٣٧، وتاريخ الطبري ٧٣٩.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٢٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٢٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٢٩٣.

وقد أكد الشاطبي على ذلك فقال: (من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو من مُلح العلم، لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا مُلَحه)[١]، ثم بين هذا العلم الذي ليس من صلب العلم ولا مُلحه فقال: (هو ما لم يرجع إلى أصلٍ قطعي ولا ظني وإنما شأنه أن يكر على أصله أو على غيره بالإبطال مما صح كونه من العلوم المعتبرة، والقواعد المرجوع إليها في الأعمال والاعتقادات، أو كان منهضاً إلى إبطال الحق وإحقاق الباطل على الجملة؛ فهذا ليس بعلم؛ لأنه يرجع على أصله بالإبطال، فهو غير ثابت، ولا حاكم، ولا مطرد أيضاً، ولا هو من مُلَحه؛ لأن الملح هي التي تستحسنها العقول، وتَسْتَمْلُحها النفوس؛ إذ ليس يصحبها منفرد، ولا هي مما تُعادي العلوم؛ لأنها ذاتُ أصلٍ مبنيٍّ عليه في الجملة، بخلاف هذا القسم؛ فإنه ليس فيه شيء من ذلك.

هذا وإن مال بقوم فاستحسنوه وطلبوه؛ فلشبهٍ عارضة، واشتباه بينه وبين ما قبله، فربما عدَّه الأغبياء مبنياً على أصل، فمالوا إليه من ذلك الوجه، وحقيقة أصله وهمٌ وتخييل لا حقيقة له[٢].

رابعاً- من واجبات المدعو: التبيّن والتثبت:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟... إلخ".

(وهذا ما فعله سلمان الفارسي رضي الله عنه في استثباته واستبيانه لنبوة النبي ﷺ من قبوله ﷺ للهدية وعدم أكله للصدقة وفي وجود خاتم النبوة على كتفه الشريف ﷺ)[٣]، وفي بيان ذلك قال سلمان رضي الله عنه ((فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي))[٤]، فعلى المدعو أن يسلك طريق

---

(١) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ١/١٠٧.

(٢) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ١/١٢٠-١٢٣.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١/٥١٠.

(٤) أخرجه أحمد ٥/٤٤٢، ٢٧٣٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن ورجاله ثقات ٣٩/١٤١.

الاستبيان والاستثبات وذلك بسؤاله لأهل العلم فيما أشكل عليه ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، ومن جانب آخر أمر الحق تبارك وتعالى عباده بالتبيّن والتثبت إن جاءهم فاسق بنبأ، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[2] أي: (عليكم أن تتثبتوا في خبر الفاسق وعدم أخذه مجرداً فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم)[3]، وفي ذلك بيان على عظم وأهمية التبيّن والتثبيت في حياة المسلم.

خامساً- من موضوعات الدعوة: الثبات على الحق والصبر على الأذى:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه" وأيضاً في قوله ﷺ: "فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق.

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالثبات على الحق والصبر على الأذى فقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4].

قال ابن كثير: (هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له فيمن كذبه من قومه، وأَمْر له بالصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، وَوْعد له بالنصر كما نصروا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ، ثم جاءهم

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ٧٤٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة؛ ولهذا قال: "ولا مبدل لكلمات الله" أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين كما قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2] وقوله: "ولقد جاءك من نبأ المرسلين" أي: من خبرهم نُصروا وأُيدوا على من كذبهم من قومهم، فلك فيهم أسوة وبهم قدوة)[3]. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[4].

وقد أمر النبي ﷺ بالثبات على الحق والصبر على الأذى فقال لآل ياسر عندما كانوا يعذبون ((صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ))[5]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الثبات على الحق والصبر على الأذى في الله.

سادساً- من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله واللجوء إليه:

إن الاستعانة بالله واللجوء إليه هو عز المؤمن وقوته، فبه تزول الصعاب وتمحى العقبات وتحدث الخيرات، ويكون النصر في الدنيا، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قوله ﷺ "ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عند دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: "اللهم أكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا".

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٧١-١٧٣.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٧٠/٤، ٥٦٩٦، وقال: حديث صحيح.

وقد أمر الله تعالى عباده بالاستعانة به واللجوء إليه فقال في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾[1] أي: (اعتمدوا على الله في جلب ما ينفعكم، ودفع ما يضركم، وثقوا بالله، أنه سيتم أمركم)[2] والدعاء هو اللجوء إلى الله والاستعانة به، قال ابن القيم: (وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، وكان أعظم جنده، وكان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء، وكان يقول: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن همَّ الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه)[3].

ومما لاشك فيه (أن الأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحدِّه فقط؛ فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعدًا قوي، والمانع مفقودًا، حصلت به النِّكاية في العدو، ومتى تخلَّف واحد من هذه الثلاثة؛ تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة؛ لم يحصل الأثر)[4].

سابعاً- من مهام الداعية: العمل على نصرة الدعوة:

إن الداعية يعمل على نصرة دعوته وإبلاغها للناس بشتى الطرق الممكنة والوسائل المتاحة، ولو أدى ذلك إلى هلاكه بل إنه يدل على طريقة قتله إذا رأى في ذلك إبلاغاً لدعوته، ونشراً لها بين الناس، ودحضاً للباطل وأهله، وتقويضاً للكفر وحزبه، وهذا ما يتضح جلياً في قصة هذا الغلام الداعية، فكلما نجاه الله من كيد الملك الكافر عاد إليه وواجهه ووقف أمامه ثابتاً شامخاً، لا يرهبه ولا يخافه، معتزاً بدعوته ورسالته، ثم خطا خطوة رآها تنشر دعوته بين الناس، وتجعلهم يؤمنون بها ويعتنقونها، فدل الملك

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ٢٦٣.

(٣) الداء والدواء، ابن القيم ٢٤.

(٤) المرجع السابق ٢١-٢٢.

الكافر على طريقة قتله التي تعلن بكل وضوح أنه على الحق، وأن الملك على الباطل فقال له: (إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني). ففعل الملك ذلك وهو يظن أنه سيقضي عليه وعلى دعوته، لكن خاب أمله، وأُتِي من حيث لم يحتسب، ووقع ما كان يخشاه، فقد آمن الناس برب الغلام وتركوا عبادة الملك؛ لأن الناس لما رأوا ذلك عرفوا صدق الغلام وكذب الملك فقالوا بصوت واحد "آمنا برب الغلام" فردد أشياع الملك على أذنه قولهم: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك. قد آمن الناس" والخلاصة أن الغلام رضي بالقتل من أجل نصرة دعوته والجهاد في سبيل نشرها بين الناس، وقد ضرب لنا سلفنا الصالح أروع الأمثلة في هوان حياتهم عندهم من أجل إبلاغ دعوة ربهم.

وليس أدل على ذلك من قول ابن عباس رضي الله عنه: ((ألا أخبركم بإسلام أبي ذر؟ قلنا بلى. قال: قال أبو ذر: بلغني أن رجلاً بمكة قد خرج، يزعم أنه نبي، فأرسلتُ أخي ليكلّمه، فقلت: انطلق إلى هذا الرجل، فكلمه. فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟ قال: والله، لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر. قلت: لم تشفني. فأخذت جراباً وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم، وأكونُ في المسجد. فمرَّ علي بن أبي طالب، فقال: هذا رجلٌ غريب؟ قلت: نعم. قال: انطلق إلى المنزل. فانطلقت معه، لا أسأله عن شيء، ولا يخبرني!

فلما أصبح الغدُ، جئت إلى المسجد لا أسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء. فمر بي علي، فقال: أما آن للرجل أن يعود؟ قلت: لا. قال: ما أمرك، وما أقدمك؟ قلت: إن كتمت عليَّ أخبرتك؟ قال: أفعل. قلت: قد بلغنا أنه قد خرج نبي. قال: أما قد رشدت! هذا وجهي إليه، فاتبعني وادخل حيث أدخل، فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك، قمتُ إلى الحائط كأني أصلحُ نعلي! وامض أنت.

فمضى، ومضيت معه، فدخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، اعرض علي الإسلام. فعرض علي، فأسلمت مكاني. فقال لي: يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع

إلى قومك! فإذا بلغك ظهورنا، فأقبل. فقلت: والذي بعثك بالحق، لأصرخنَّ بها بين أظهرهم.

فجاء إلى المسجد وقريشُ فيه، فقال: يا معشر قُريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ. فقاموا، فضربت لأموت! فأدركني العباس، فأكب عليَّ، وقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار، ومتجركم وممركم على غِفار! فأطلقوا عني. فلما أصبحتُ، رجعتُ، فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ! فصنع بي كذلك، وأدركني العباس، فأكب علي. فهذا أول إسلام أبي ذر)[1]. فعلى الدعاة إلى الله أن يقتدوا بسلفهم الصالح في إبلاغ دعوة ربهم ونصره دينهم ولو كان في ذلك شيء من أذاهم.

ثامناً- من أساليب الدعوة: الحوار:

قد ورد الحوار كأسلوب دعوي في مجمل نص الحديث، فقد بدأ بحوار الملك والساحر، ثم ثنى بحوار الغلام والراهب، ثم اتبع ذلك بحوار بين الغلام وجليس الملك، إلى أن انتهى بحوار الغلام والملك.

(والحوار كأسلوب دعوي يعد العنصر الأساس للعلاقات الاجتماعية الإنسانية ومنذ خلق الله تعالى آدم فإن كل العلاقات البشرية، النافعة منها وغير النافعة، ابتدأت بمرحلة الحوار، وبالتالي فإن الحضارات الإنسانية المترتبة على هذه العلاقات، إنما هي نتائج طبيعية للحوار الإنساني المعبر عن التفاعل الفكري المتبادل لبني آدم عليه السلام.

ولا شك أن أرقى أنواع الحوار هو حوار الدعوة إلى الله تعالى، ذلك هو حوار الرسل وأتباعهم؛ لفطرة الإنسان، ليجلو عنها ما ران وغبر: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[2])[3].

(فالحوار هو القوة الكبرى في فن العلاقات الإنسانية ... إنه المنهج الوحيد الذي تتحقق به المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٤، ومسلم ٢٤٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٣) مجلة الحكمة، العدد الثامن، ١٤١٦هـ ص ١١.

للفطر السليمة من ناحية، وللتعاليم المحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار الذي يستنير بهذه الفطرة السليمة)[1]. وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من انتصار الغلام في حواره على الملك وأعوانه وإيمان الناس بدعوته إلى الله تعالى.

(١) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ١١٥.

الحديث رقم (٣١)

٣١- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**» فَقَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّه النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِد عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية لمُسْلمٍ: «**تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا**»[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

إليك عني: هو من أسماء الأفعال ومعناه: تَنَحّ وابتعد[3].

الصبر عند الصدمة الأولى: أي عند قوة المصيبة وشدتها[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يُعدُّ واحة مثمرة بالصبر، وهو حديقة من المعاني نتفيَّأ ظلالها، ونستروح نسائمها، وأي ظلال أطهر وأنقى من ظلال نستمدها من أصداء كلمات رسول الله ﷺ؟ وأي نسائم أكثر عبقاً وأطيب ريحاً من نسائم محملة بعطور النبوة، وشذا الرسالة المحمديَّة.

إن هذه الواحة يُعدُّ الصبر أعذب ثمارها، والتقوى أفضل أشجارها، وكلمات المصطفى ﷺ أعظم وأصدق ما نجنيه من عطائها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٣) واللفظ له، ومسلم (٦٢٦/١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٦٢٦/١٥).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٨/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥١٢.

ولنتأمل المؤثرات التعبيرية والمكونات الأسلوبية في هذه الدوحة الباسقة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وما أعظم الدرس الذي يقدمه رسول الله ﷺ في الاحتساب والصبر عبر ذلك الحوار التربوي الهادئ الذي يرسخ بعض أصول المنهج الإسلامي في تبصير الأمة بحقائق الدين وسمات المنهج الرباني، وأصول التصور الإسلامي.

ولنتأمل بداية الحديث وهو يتمثل في مرور النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، وصنيع الرسول ﷺ هنا يؤكد تفقده لأحوال أمته، ووقوفه على أمور رعاياه، واسم المرأة لم يحدد لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولم يحدد اسم الذي تبكي عليه المرأة، ويمكن أن يكون ولدها كما ورد في رواية مسلم.

ويدور حوار حكيم بين النبي البشير النذير وهذه المرأة الثكلى: ولم يُعنفها رسول الله ﷺ ولم يغلظ لها القول. ولكنه قال: "اتقي الله واصبري" والفعلان هنا في صيغة الأمر، والأمر للوجوب، وهما كلمتان ولكنهما تفيضان بالدلالات الكثيرة، ولنتساءل لماذا قُدم فعل الأمر "اتقي" على أمره لها بالصبر، قيل: بأن اتقي الله توطئة لقوله واصبري: كأنه قال لها: (خافي غضب الله إن لم تصبري، واصبري ليحصل لك الثواب)[1].

ولكن المرأة الثكلى لم تستجب لهذا التوجيه النبوي لأنها لم تتعرف على شخصية الرسول ﷺ وهذا يحتاج إلى تأمل: فالنبي لم يتخذ حراساً ولا حجاباً، ولم يكن يلبس ملابس خاصة تميزه عن غيره مثلما يفعل الملوك والرؤساء قديماً وحديثاً، وليس هذا بمستغرب فهو نبي الله الخاتم، وهو القدوة الحسنة، وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، والمرأة ترد في عنف وغلظة: "إليك عني" أي تنح وابعد عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، وهذه الغلظة يقابلها مَنْ بالمؤمنين رؤوف رحيم، بالعفو والصفح والتسامح، وينصرف عنها، وجملة: "ولم تعرفه" في الحديث احتراس: حتى يؤخذ العذر لهذه المرأة

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٦٤.

في مخاطبتها غير اللائقة لرسول الله ﷺ؛ وقيل سألها الفضل بن العباس، هل تعرفينه: فقالت: لا؛ ولنتدبر موقف المرأة حينما عرفت أنه رسول الله ﷺ، يروي مسلم ((أنها أخذها مثل الموت))[1] من شدة الكرب والأسى؛ ولأن الرسول ﷺ يعفو ويصفح ويحلم اطمأنت المرأة وذهبت بنفسها لتعتذر؛ وقصدت باب النبي ﷺ "ولم تجد بوابين"، وهذه العبارة لها دلالتها العظيمة في تقديم ملامح شخصية الرسول ﷺ في حياته ومسكنه ومطعمه ومشربه، وقالت بعد أن شَرُفت بمقابلة خاتم الأنبياء، والله ما عرفتك ولم يعاتبها رسول الله، ولم يوجه لها لوماً ولم يعاقبها، وإنما نطق بالحكمة، وفاه بالحقيقة "إنما الصبر عند الصدمة الأولى"، وجواب النبي ﷺ على طريقة: أسلوب الحكيم، حيث عدل عن الأمر الخاص، والشأن الشخصي إلى معالجة القضية التي يثيرها الحديث وهي: الصبر، وجاء الحث على الصبر في أسلوب القصر، وقيل كأن النبي ﷺ قال لها دعي الاعتذار فإني لا أغضب لغير الله، وانظري لنفسك في تفويتك الثواب الجزيل بعدم الصبر عند مفاجأة المصيبة قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم زيارة القبور، وقد اتفق الفقهاء[3] على أن زيارة القبور مستحبة للرجال لما فيها من التذكير بالآخرة، أما زيارة النساء للقبور فقد اختلف فيها الفقهاء على قولين:

---

(١) أخرجه مسلم ٩٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

(٣) بدائع الصنائع، الكاساني ٣٢٠/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد بن أبي يوسف العبدري ٥٠/٣، والمدخل ٢٥٠/١، والأم، الأمام الشافعي٣١٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٥/٥، والفتاوى الكبرى ٣٩/٣، والفروع، ابن مفلح ٢٢٩/٢، والمحلى، ابن حزم ٣٨٨/٣.

القول الأول: ذهب الحنفية في الأصح[١] والمالكية في قول[٢] والشافعي في وجه[٣] وأحمد في رواية[٤] إلى أن زيارة النساء للقبور جائزة للحديث، وأن النهي عنها في الأحاديث الأخرى نهي تنزيه لا تحريم، بل هي عند الحنفية في الأصح مندوبة كزيارة الرجال لها.

القول الثاني: ذهب الحنفية في قول[٥] والمالكية في قول[٦] والشافعية في وجه[٧] والإمام أحمد في رواية[٨] إلى أن زيارة النساء للقبور غير جائزة وتمنع منها لما فيها من البدع والفتن المحرمة.

الثاني: حكم البكاء على الميت عند زيارة قبره، وقد ذهب جمهور الفقهاء[٩] إلى أن البكاء على الميت عند زيارة القبر جائز متى كان من غير نياحة، ولا التلفظ

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٢١٠، والفتاوى الهندي ٥/٣٥٠.

(٢) المدخل ١/١٥٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٢٣٧.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٨٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري١/٣٣١، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢/١٢٠.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٢/٢٩٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٥٦٢.

(٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٢١٠، والفتاوى الهندي ٥/٣٥٠.

(٦) المدخل ١/٢٥٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٢٣٧.

(٧) معالم القربة في طلب الحسبة ص ٥١، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري ص ١١٠.

(٨) الفتاوى الكبرى ٣/٣٩، الفروع، ابن مفلح ٢/٢٩٩، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٥٦٢.

(٩) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/١٩٥، شرح معاني الآثار للطحاوي ٤/٢٩١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ٢/٢٥، أحكام القرآن لابن العربي ٣/١١، مختصر المزني ص١٣٤، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٧٩، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٥٤، الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٣/٦٥، ٥/٣٦٢، المغني، ابن قدامة ٢/٢١٢، الآداب الشرعية، ابن مفلح ١/٤، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/١٧٣.

بألفاظ تدل على السخط والتبرم، وكره ابن تيمية[١] البكاء على الميت بعد موته أو عند قبره، لأنه يؤذيه البكاء كما وردت بذلك الأحاديث وهو ما عليه الحنابلة في وجه، ولا يلزم من ذلك أن يكون بكاؤهم سببًا لتعذيبه إنما المراد به النياحة المنهي عنها أو شدة البكاء أو إذا وصى بفعل ذلك عن قبره.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الأمر بالتقوى والصبر.

ثانياً: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين وتقدير مشاعرهم.

ثالثاً: من صفات الداعية: التواضع.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

خامساً: من صفات المدعو: التأدب بأدب الإسلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الأمر بالتقوى والصبر:

ورد الأمر بالتقوى والصبر في هذا الحديث في أمره ﷺ لتلك المرأة التي تبكي على ولدها حيث "مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر فقال: اتقي الله واصبري" فالظاهر من قوله "اتقى الله أنه كان في بكائها قدر زائد من نوْحٍ وغيره ولهذا أمرها بالتقوى[٢] قال الطيبي: (قوله "اتقي الله" توطئة لقوله "واصبري" كأنه قيل لا تجزعي وخافي غضب الله[٣] وفي الحديث أرشد النبي ﷺ إلى التحلي بفضيلة خلق الصبر عند المصائب، وعند كل ما يجلب الآلام ويورث المتاعب والأكدار، ولقد وعد الإسلام الصابرين بالأجر العظيم والثواب الجزيل إذا صبروا ورضوا بقضاء الله، طاعة له، وابتغاء مرضاته، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٤].[٥]

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٤٦٥/٣، الآداب الشرعية، ابن مفلح ٤/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٨/٣.

(٣) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٩٦/٣، ٣٩٧.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٥) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٨٠، ٣٨١.

وما أشد وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزيز غالٍ، أو ولد حبيب!! إنها لخطب جلل وكارثة عظيمة قد يضيق عنها الصبر ولا تتحملها النفس، ولكن الدين داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة. فالمؤمن يعتقد بقضاء الله وقدره وأنّ كل ما يحدث في هذه الحياة من خير أو شر، ومن نفع أو ضر، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابراً محتسباً طمعاً في مرضاة الله -عز وجل- وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

هذه هي فائدة الإيمان (بالقضاء والقدر) أن تخفف المصيبة عن قلب الإنسان بسبب اعتقاده أنها بإرادة الله ومشيئته بينما الكافر ينفد صبره ويضيع رشده، ولربما أضاع حياته أيضاً بالانتحار؛ لأنه ليس لديه ما يسليه أو يعزيه، أو يخفف المصاب عنه، ولقد كان جزاء الصبر عظيماً عند الله؛ لأنه حَبْس للنفس على ما تكره، وصون لها عن فعل ما يغضب الله، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الإنسان؛ ولذا كان الثواب عظيماً. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2].

وفي هذا الحديث الشريف دعوة إلى الصبر وتقوى الله لتلك المرأة التي فقدت ولدها، ولكن وقع المصيبة كان عظيماً لذلك، فقد خاطبت الرسول ﷺ بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف، ولكن الرسول ﷺ قابلها بالسماحة والعفو، ولم تلبث أن جاءت تعتذر فقبل الرسول اعتذارها وضرب لها أروع الأمثال في أسلوب النصيحة بقوله: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

---

(١) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

ثانياً- من صفات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين وتقدير مشاعرهم:

إن المتأمل في توجيه النصيحة من رسول الله ﷺ لتلك المرأة التي كانت "تبكي على صبي لها" يلمس اللطف والرفق وعدم التعنيف وتقدير مشاعر الحزن والجزع ومن ثم أمر بتقوى الله والصبر، فلم نر في توجيه الرسول ﷺ لها تعنيفاً ولا زجراً حتى مع إعراضها عنه في بادئ الأمر "فقال لها اتقي الله واصبري، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه".

ولذا ينبغي على الداعية أن يراعي أحوال المدعوين فلقد كان رسول الله ﷺ يُعنى عناية شديدة بأحوال المخاطبين، وكان يهتم اهتماماً بالغاً بمراعاتها أثناء الدعوة والتوجيه والإرشاد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1] قال الشيخ ابن عثيمين في تفسيرها: (فقد كان ﷺ يدعو على بصيرة فيما يدعو إليه، وعلى بصيرة في حال المدعو، وعلى بصيرة في كيفية الدعوة)[2].

ثالثاً- من صفات الداعية: التواضع:

تتضح صفة التواضع في بساطة النبي ﷺ، وعدم وجود الحواجز أو الموانع بينه وبين المدعوين. ومن الشواهد على ذلك في الحديث الذي معنا ما ورد فيه: "فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين" قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد ما كان عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره وملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه الترغيب في احتمال الأذى عند بذل النصيحة ونشر الموعظة[3]؛ فالتواضع من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة، وذلك لأن التواضع يمكنهم من النجاح في دعوتهم، فقلوب المدعوين تحب المتواضع وتنفر من المتكبر، فما أحوج الداعية إلى أن يصل إلى قلوب المدعوين بسهولة ويسر،

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ٣٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٩/٣.

وهذا يكون عن طريق التواضع)[١].

ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ مثالاً حياً وتطبيقاً فعلياً لخلق التواضع، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر، منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كانت ناقةٌ لرسول اللّه ﷺ تسمى العَضْباء، وكانت لا تُسبَق، فجاء أعرابيٌّ على قَعودٍ له فسبَقها، فاشتد ذلك على المسلمينَ وقالوا: سُبِقتِ العَضباءُ، فقال رسول اللّه ﷺ: «إن حقّاً على اللّهِ أن لا يَرفَعَ شيئاً من الدنيا إلا وَضَعَه»))[٢].

قال ابن حجر: (فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع والحث على التواضع والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو في مَحَلِّ الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه، ويقلل منافسته في طلبه، وقال ابن حجر: فيه أيضاً حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه لكونه رضي أن أعرابياً يسابقه)[٣].

إن التواضع يمكّن الدعاة من جميع الأتباع ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير، والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع.

فمن التواضع: طيب الحديث، والتبسم في وجه الناس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا[٤].

وبالجملة فإن التواضع يجعل الداعية محبوباً في قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جداراً وحاجزاً بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله[٥].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٩/١١.

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاء، محمد السيد الوكيل ص ٨١ - ٨٢.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتضح هذا الأسلوب فيما وقع بين النبي ﷺ، وتلك المرأة الثكلى من حوار "فقال اتقي الله واصبري، فقالت: إليكَ عني فإنك لم تصب بمصيبتي، لم تعرفه... فقالت: لم أعرفك، فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى" والحوار فن وأسلوب من أساليب الحديث المشوقة للنفس، وفي مجال الحوار يحسن التأدب والمجاملة والرقة وحسن الخلق مع المحاور معه وعدم الخوض في الفروع التي لا توصل إلى نتيجة[1].

إن الغاية من الحوار في الدعوة هي هداية الناس والحرصُ على إصلاحهم فالحوار ينبغي أن لا يتجه إلى مجرد الإفحام والإلزام، بل يتجه في الكثير الغالب إلى إرشاد الناس والأخذ بأيديهم إلى الحق وتوجيه النظر إلى الحقائق[2].

وقد ذكر لنا القرآن الآداب التي ينبغي مراعاتها في الحوار، ومنها:

أ- العلم، فقد ذم الله عز وجل أهل الكتاب في مجادلتهم في إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[3].

ب- استخدام الأسلوب الحسن في الحوار، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[4].

ففي هذه الآية "أمر الله بالمجادلة بالتي هي أحسن، ومن تأمل الطرق التي نصب

---

(١) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١١٣.

(٢) المعجزة الكبرى "القرآن"، محمد أبو زهرة ص ٢٦٧.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٦٥ - ٦٦.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

الله المحاجة بها مع المبطلين على أيدي رسله رآها أوضح من الحجج وأقوى منها، وأقومها وأدلها على إحقاق الحق وإزهاق الباطل، على وجه لا تشويش فيه، ولا إزعاج"[(١)].

ج- الإنصاف، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

قال أبو السعود: "انظر إلى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد، وحسن التدرج في المحاجة حيث بيّن أولاً أحوال عيسى عليه السلام، وما توارد عليه من الأطوار المنافية للإلهية، ثم ذكر كيفية دعوته الناس إلى التوحيد والإسلام، فلما ظهر عنادهم دُعوا إلى المباهلة بنوعٍ من الإعجاز ثم لما أعرضوا عنها، وانقادوا بعض الانقياد دُعوا إلى ما اتفق عليه عيسى عليه السلام والإنجيل وسائرُ الأنبياء عليهم السلام والكُتب، ثم لما ظهر عدم إجدائه أيضاً أمر بأن يقال لهم: اشهدوا بأنا مسلمون"[(٣)].

د- تنوع الإقناع: تختلف مدارك الناس في عملية إقناعهم، فالبعض قد يصعب إقناعه بسهولة "وهؤلاء لا بد لهم من طريق جدلية تزيل ما لبس الحق عليهم، ويتخذ بها قوة مما يعتقدون، إذ يلزمهم بما عندهم ويفحصهم بما بين أيديهم، ويتخذ ما يعرفون

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبدالرحمن السعدي ص ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٦٤ - ٦٨.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود ٢/٤٧ - ٤٨.

وسيلة لإلزامهم بما يرفضون"[١].

خامساً- من صفات المدعو: التأدب بأدب الإسلام:

ظهر هذا الأدب في قول المرأة معتذرة لرسول الله ﷺ "لم أعرفك" قال النووي: فيه الاعتذار إلى أهل الفضل إذا أساء الإنسان أدبه معهم[٢] فالأدب ومنه الاعتذار، من مكارم الأخلاق، وهو زينة الإنسان؛ لذا كان من الواجب على الداعي والمدعو على حد سواء التأدب بمكارم الأخلاق، فما أحوج المرء إليها قال ابن المقفع: ما نحن إلى ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب، الذي هو لقاح عقولنا، فإن الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مستودعها، وحكى الأصمعى أن أعرابياً قال لابنه: يا بني: الأدب دعامة أَيَّد الله بها الألباب، وحلية زين الله بها عواطل الأحساب، فالعاقل لا يستغني وإن صحت غريزته من الأدب المخرج زهرته، كما لا تستغني الأرض وإن طابت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها، وقال بعض البلغاء: الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب؛ لأن من ساء أدبه، ضاع نسبه، ومن قل عقله ضل أصله[٣].

---

(١) المعجزة الكبرى "القرآن"، محمد أبو زهرة ص ٢٦٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٩٨.

(٣) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي ص ٢٢٦، ٢٢٧.

الحديث رقم (٣٢)

٣٢- وَعَنْ أبي هَرَيرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «**يَقولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الجَنَّة**» رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفيّه: الصفيُّ: الحبيب المصافي المخلص الودَّ، كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان[٢].

احتسبه: صبر على فقده راجياً الأجر من الله على ذلك[٣].

الشرح الأدبي

إننا نقتبس من هذا الحديث الشريف هالات من المعاني التي تشع بكثير من طاقات الإيمان، وإشعاعات اليقين، وهذا الحديث يصطبغ بصبغة خاصة وهو أنه حديث قدسي، وشاهد ذلك أن مقدمة الحديث تقول: يقول الله تعالى: وقال ابن حجر: لابد من بيان الفرق بين الوحي المتلو وهو القرآن، والوحي المروي عنه ﷺ، عن ربه عز وجل، وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية ، وتسمى القدسية، وهى أكثر من مائة.

وقد حدد بعض العلماء الفروق بين القرآن والحديث القدسي في ستة أوجه ومنها: أن القرآن معجز والحديث القدسي ليس معجزاً، وأن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن بخلاف الحديث القدسي، وأن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي فيجوز أن يكون اللفظ من النبي ﷺ.

---

(١) برقم (٦٤٢٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ف و)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٧/١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٧/١١.

والحديث القدسي يلتقي مع الحديث النبوي في أن كليهما لفظه من رسول الله ﷺ مفردات وتراكيب وأساليب وصيغاً وصوراً جمالية، ولكن الحديث القدسي يحكيه النبي حكاية عن الله تعالى، ويسند مضمونه إليه، أما الحديث النبوي فمن كلام النبي ﷺ نفسه[1].

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف.. نجد أنه يتسم بسمة أسلوبية خاصة وهي أنه يتكون في صيغته اللغوية من جملة واحدة ، بحيث لا نستطيع أن نتوقف عند كلمة في الحديث إلا بعد الانتهاء منه فالمعنى لا يتم إلا بنطق آخر كلمة وهي "الجنة" فالحديث كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وقد صيغ في أسلوب القصر عن طريق النفي "ما" والاستثناء "إلا"، والألفاظ التي تتحصن داخل هذا السور اللغوي المحكم تشع بهالات إيمانية وظلال روحانية، ووعود إلهية. وما أعظم الوعد الإلهي الذي ينتهي بصاحبه الموعود إلى الجنة، ولنتأمل السر وراء اختيار هذه الكلمة "لعبدي" بما توحيه من إقرار العبد بعبوديته لله عز وجل وإضافة العبد إلى ياء المتكلم تفيد التشريف والتكليف، لأن المتكلم هو رب العالمين، وإضافة العبد إليه فيه إيماء بأن الله يحمي عبده وينصره ويواسيه في مصائبه، وحين يوصف هذا العبد بالمؤمن فإن هذا الوصف يثبت إضافة العبودية لله عز وجل؛ لأن كل الخلائق عبيد الله، ومنهم الصالحون والطالحون، ولكن الذي يستحق كرم الله هو "العبد المؤمن" ولفظ "عندي" يؤكد حماية الله لعبده، والعندية هنا عندية شرف لا عندية مكان، فالله يتعالى ويتنزه عن المكان والزمان، ولفظ "جزاء" صيغ في قالب النكرة لإفادة العموم والشمول وهو أعظم من أن يحدد إلا إذا كان هذا الجزاء هو "الجنة"، وأسلوب الشرط في قوله عز وجل "إذا قبضت صفيه" يفيد تحقق الشرط لأن إذا أداة شرط تفيد وقوع الحدث، وحذف الجواب يفتح المجال لكثير من التأويلات وفي مقدمتها العلم به وهو الرضا والصبر والاحتساب، وكأن هذه الصفة الإيمانية كالضوء الباهر الذي لا تحجبه

---

(١) انظر: الأحاديث القدسية ١/٤ – ٧.

الغيوم ولا كتل الظلام والأحزان، و"صفيه"، لفظ مشع بكل طاقات الود، ومواثيق الأخوة، وتحديد هذا اللفظ وعدم العدول عنه إلى لفظ الأخ أو الصديق أو الحبيب أو الابن لأن لفظ "صفيه" يجمع كل هذه الصفات المعنوية والحسية؛ ولفظ الجنة يجيء في ختام الحديث الشريف ليبشر كل محتسب صابر راض بقضاء الله وقدره، مهما كان حجم المصيبة، ومهما كانت صلته بمن قبضه الله إليه، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاحتساب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

أولاً- من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يعد الحديث القدسي من مصادر الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته، وما من شك أن نجاح الدعوة يعتمد اعتماداً كلياً على مصادر الدعوة والتي منها الحديث القدسي، والحديث القدسي هو الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، (وهو ما كان معناه من الله ولفظه من عند الله أو من عند النبي ﷺ ولا يتعبد به بخلاف القرآن لفظه ومعناه عن الله تعالى ويتعبد بتلاوته)[2]؛ ومن الأحاديث القدسية ما ورد فيما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ((ما لعبدي المؤمن عندي جَزاءٌ إذا قَبَضتُ صفيَّه مِن أهلِ الدنيا ثمَّ احتَسَبه إلا الجنّة)).

---

(١) سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان ص ١٢٧.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاحتساب:

لقد أرشد الإسلام إلى التحلي بفضيلة خُلق الصبر عند المصائب، وعند كل ما يجلب الآلام ويورث المتاعب والأكدار.

ووجّه الإسلام المؤمنين إلى الرضى بقضاء الله وقدره في كل ما ينجزه القضاء والقدر من أمره، وأبان للمؤمنين أن حكمة الابتلاء في ظروف الحياة الدنيا قد تقضي بأن يكون الابتلاء بالمكاره والمؤلمات، وأنّ ما يأتي به القضاء والقدر مما لا كسب للإنسان فيه ولا مسؤولية عليه به هو خير في حقيقة أمره، وإن كان ظاهره مكروهاً وموجعاً، وإن كان في عرف الناس مصيبة من المصائب؛ وأبان للمؤمنين أنه ما يصيبهم من حسنة فمن فضل الله وواسع رحمته وجوده، وما يصيبهم من سيئة فبسبب من أنفسهم.

ووعد الإسلام الصابرين بالأجر العظيم، والثواب الجزيل، إذا صبروا رضىً بقضاء الله، وطاعة له، وابتغاء مرضاته.

وجاء في الحديث بيان فضل الصبر وأنه لا جزاء له عند الله إلا الجنة ويظهر ذلك من قول الله في الحديث القدسي "ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".

قال أبو الحسن الماوردي: اعلم أن من حسن التوفيق، وأمارات السعادة، الصبر على الملمّات، والرفق عند النوازل، وبه نزل الكتاب وجاءت السنة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]، [2] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ فإن الصابرين بأنفسهم على طاعة الله والتكاليف المنوطة بهم والتقوى ومجاهدة النفس ونهيها عن الهوى وتزكيتها ومحاسبتها ومراقبتها عند الابتلاءات جزاؤهم أن يوفى لهم أجورهم بغير حساب، وقد أطلق الله

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٢٧٦.

البشرى لأهل الصبر على الابتلاء بمصائب الحياة ومصاعبها بأن جزاءهم على صبرهم هو الحصول على صلواتٍ من ربهم ورحمة وهداية إلى الصراط المستقيم بإذن الله[1]، كقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[2].

فدلّ هذا النص على المصائب المؤلمة في الأنفس، أو في الأجسام، أو في الأموال، أو في الثمرات قد تكون نوعاً من الامتحان في ظروف الحياة الدنيا، لقول الله تعالى "ولنبلونكم" والابتلاء هو الامتحان.

وقد أرشد هذا النص إلى التحلي بفضيلة الصبر في مجال الإصابة بالمصائب المختلفة، والتي منها مصائب الخوف، ومصائب الجوع، ومصائب النقص من الأموال، ومصائب النقص من الأنفس، ومصائب النقص من الثمرات.

وأبان النص أن من آداب الصابرين على المصائب التي تأتيهم من عند الله لابتلائهم، وامتحان إيمانهم، واختبار تسليمهم ورضاهم بما يجري به قضاء الله وقدره، أن يقولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، معلنين بهذا أنّ كل شيء هو مملوك لله، وأنه إلى الله يرجع.

واشتمل النص على البشارة من الله للصابرين، إذ يقول تبارك وتعالى فيه: "وبشر الصابرين"؛ وهذه البشارة قد جاءت بأمرين محبوبين عظيمين:

الأمر الأول: أنّ عليهم صلوات من ربّهم.

الأمر الثاني: أنّ عليهم من ربهم رحمة.

وقد استحقوا البشارة بهذا الجزاء الكريم لأنهم هم المهتدون إلى سبيل سعادتهم، وهم السالكون في الطريق القويم.

إنهم لما صبروا ابتغاء مرضاة الله استحقوا أنواعاً من رحمة الله وغفرانه، ومن أجل

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ٣/٣٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

ذلك كان عليهم صلوات من ربهم، ولما أعلنوا رضاهم عن الله، وتسليمهم لما تجري به مقاديره، بقولهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، استحقوا نوعاً آخر خاصّاً من رحمة الله، مضافاً إلى أنواع الرحمات السابقات التي استحقوها بالصبر.

ومن هذا ندرك: أن رحمة الله أنواع كثيرة، وقد أشارت الآية إلى هذه الأنواع بعطف الرحمة على الصلوات من الله، مع أن الصلوات من الله هي أيضاً رحمات منه[1].

ووَصَفَ الرسول ﷺ الصبر بالضياء، فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ... وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده:

إن فضل الله على عباده عظيم لا يُبْلغ منتهاه ولا يمكن لإنسان أن يحصي فضل الله عليه، ومن مظاهر ذلك الفضل أن الله لا يبتلي إنساناً بشيء إلا عوضه خيراً منه وكما جاء في الحديث "يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عند جزاءٌ إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة".

قال ابن حجر: (والمراد بـ "احتسبه" أي: صبر على فقده راجياً الأجر من الله تعالى)[3].

قال ابن عثيمين: (والصفي: من يصطفيه الإنسان ويختاره من ولد وأخ، أو عم أو أب أو أم أو صديق، المهم أن مَنْ يصطفيه الإنسان ويختاره ويرى أنه ذو صلة منه قوية، إذا أخذه الله عز وجل ثم احتسبه الإنسان فليس له جزاءٌ إلا الجنة، وفي ذلك دليل على فضل الله تعالى وكرمه على عباده، فإن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنت وصفيك كلاكما لله عز وجل ومع ذلك إذا قبض الله صفي الإنسان واحتسب فإن له هذا الجزاء العظيم)[4].

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٨١ - ٣٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٧/١١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٣.

فإن العبد إذا سلم أمره ورضي بحكمه وصبر على ما يصيبه كان ثوابه جزيلاً، فمن مات له حبيب أو قريب فصبر ورضي بحكم الله وقاوم الجزع والهلع عند الصدمة الأولى كان جزاؤه الجنة، لأنه تحكم في عواطفه وسيطر على سلوكه ومشاعره، وما ذلك إلا بتأثير الإيمان.

ويؤخذ من هذا الحديث: فضل الصبر وأنه دليل على كمال العبودية وأن جزاءه الجنة.

وفيه: أن الصبر على الأحبة والأخلاء والأصفياء دليل على حصول ملكة الصبر[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٧.

الحديث رقم (٣٣)

٣٣- وعَنْ عائشَةَ رضي الله عنها أنهَا سَأَلَتْ رسولَ اللّه ﷺ عَن الطَّاعونِ، فَأَخبَرَهَا[١] أَنَّهُ كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللّه تعالى عَلَى منْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تعالَى رحْمةً للْمُؤْمنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُون فَيَمْكُثُ فِي بلَدِهِ صَابراً مُحْتَسِباً يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ[٢] إلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ» رواه البخاري[٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الطاعون: مرض وَرَمِيّ وبائيّ[٤].

محتسباً: أي غير منزعج ولا قلقاً بل مسلماً لأمر الله راضياً بقضائه راجياً الأجر منه[٥].

الشرح الأدبي

إن النبي محمداً ﷺ هو طبيب الإنسانية: عقلاً وجسداً وروحاً، وإن البيان النبوي يتضمن إرشادات طبية تعالج الأمراض الجسمية والعقلية والروحية، والطب النبوي شاهد على ذلك، ولا تقتصر أحاديثه -ﷺ- الطبية على فرع من الطب دون غيره، بل إنه تحدث في فروع الطب المتعددة ومنها الطب الوقائي، والطب العلاجي، والطب النفسي، وأصول علم الصحة، وعلم الوراثة.

وهذا الحديث الشريف يعد وثيقة طبية نفسية اجتماعية في إطار العقيدة

---

(١) عند البخاري زيادة: (نبي الله ﷺ).

(٢) عند البخاري: (لن يصيبه).

(٣) برقم (٥٧٣٤).

(٤) الوسيط في (ط ع ن).

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٠٤.

الصحيحة، والتسليم بالقضاء والقدر، والصبر والاحتساب؛ والحديث ورد في صيغة السؤال والجواب، والسؤال يرد من الصدِّيقة بنت الصديق، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والمجيب هو خير مجيب، وهو الذي أُعطي جوامع الكلم، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؛ والمسؤول عنه هو مرض الطاعون. والطاعون كما يقول العلماء هو: بثر مؤلم يخرج غالباً في الآباط مع لهب واسوداد حواليه، وخفقان القلب والقيء. وإجابة الرسول ﷺ لم تكن توصيفاً لحقيقة مرضى الطاعون توصيفاً طبياً، ولا تشخيصاً لأعراضه، وإنما جاءت إجابته عليه السلام تشخيصاً لأثر الطاعون وأسبابه ونتائجه، وقال: "كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء"، وهذه إشارة إلى جانب من جوانب آثار الطاعون ومسبباته، فهو من مظاهر عذاب الله للأمم السابقة، ولكنه تتغير صورته وتتغير آثاره مع المؤمنين، حيث جعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، ولنتأمل المقابلة بين هذين الموقفين المتضادين، كيف يكون الشيء الواحد عذاباً ورحمة؟ عذاباً لقوم ورحمة لآخرين!! ولكن رسول الله ﷺ لا يترك للظن والوهم مساحة في تفكير الإنسان ووجدانه: فيقول: "فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، إلا كان له مثل أجر الشهيد".

فالرحمة تتمثل في ثواب الله لهؤلاء الذين صبروا واحتسبوا ولم يصبهم إلا ما كتب الله لهم.

وعدم الخروج من البلد التي أصابها الطاعون يُعد من الطب الوقائي وله مظاهر كثيرة ومنها تحريم الخمر، وعدم الإفراط في الأكل والشرب، ومن مظاهر الطب الوقائي: "الحجر الصحي"، ومكوث مرض الطاعون في المنطقة المصابة من دلائل "الحجر الصحي"، حتى لا يصاب غيرهم، ويقول ﷺ مؤكداً هذا المعنى: ((إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها))[1]، ويقول: ((فر من المجذوم فرارك من الأسد))[2]؛ وقوله: "فليس من عبد" يدل على

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٢٨، ومسلم ٢٢١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٠٧.

استقصاء كل أصناف الناس وخاصة المؤمنين وحرف الجر: "من"، قبل: "عبد"، يدل على هذا الاستقصاء؛ والتعبير بقوله: "يقع في الطاعون"، والتعبير "بفي"، يجعل الطاعون كأنه لجة يغرق فيها المريض، والمكث جاء في صيغة المضارع ليوحي بالاستمرار في المكوث، ولا يخرج حفاظاً على الباقين من انتشار مرض الطاعون، والصبر والاحتساب في موقع الحال الدائمة، إيحاء بعدم اليأس، وعدم القنوط من رحمة الله، وهو مؤمن بالقضاء والقدر، وبما كتب الله له، ومن كان هذا مسلكه في مواجهة المرض، وكان حريصاً على عدم انتشار هذا المرض بين الآخرين جعل الله له أجراً مثل أجر الشهيد، وما أعظمه من أجر وما أكرمه من جزاء يعطيه الله لمن يشاء.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم من مرض بمرض مُعدٍ كالطاعون وغيره وهل يجوز له الفرار منه أم يمكث في بلد الإصابة صابراً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً ولا يتسبب في الضرر للآخرين؟

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أنه لا يجوز لمن كان في بلد وقع فيها الطاعون أن يخرج منها فراراً منه للأحاديث الواردة في النهي عن ذلك ومنها هذا الحديث ما لم يكن خروجه للسفر دون الفرار، وكذا لا يجوز لمن هو خارج هذه البلد أن يدخلها طالما سمع بالمرض بها، ويجوز الخروج من بلد الطاعون والدخول إليها متى كان ذلك للعمل أو كان الغرض غير الفرار.

وأجاز البعض القدوم إلى بلد الطاعون والخروج منها فراراً[2].

---

(١) انظر في ذلك: شرح معاني الآثار للطحاوي ٣٠٣/٤، وأحكام القرآن للجصاص ٦١٥/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ١٩٨/٧، وأحكام القرآن لابن العربي ٣٠٤/١، وأنوار البروق ٢٥٨/٤، ومختصر المزني ص٥٩١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٩٢/٥، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ٣٠١/٤، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٣٧٠/٣.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٢/٢٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الابتلاء والصبر عليه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الصبر والاحتساب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة اليقين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في هذا الحديث عندما سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها" ولأسلوب السؤال والجواب دور في لفت أنظار المدعوين وإثارة انتباههم وشد أذهانهم لما يقوله الداعية؛ ولأن السؤال من المدعو دليل على حرصه على الفهم والاستيعاب لكل ما يقوله الداعية أو ما يلتبس على المدعو.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الابتلاء والصبر عليه:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لفضل الابتلاء وما ينطوي عليه من رحمة فأجاب عائشة على سؤالها عن الطاعون "أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين"؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولاَحَزَن ولا أذى ولا غَمّ -حتى الشَّوكةِ يُشاكها- إلا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه))[1] والابتلاء من الله خير كله، فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ))[2] إضافة إلى ما في الابتلاء من إظهار حقائق الإيمان من الرضى بقضاء الله وقدره وأن كل ما يحدث في هذه الحياة من خير أو شر، ومن نفع أو ضر، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابراً محتسباً طمعاً في مرضاة الله عز وجل[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٤١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

(٣) من كنوز السنة النبوية، محمد علي الصابوني ص ١٣٣.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الصبر والاحتساب:

لقد نوّه النبي ﷺ بمكانة الصبر والاحتساب وما يثمر عنها من استحقاق الجنة وبلوغ منزلة الشهداء، فقال في الحديث "فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أن لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد" قال ابن عثيمين: (ففيه دليل على فضل الصبر والاحتساب وأن الإنسان إذا صبّر نفسه في الأرض التي نزل فيها الطاعون ثم مات كتب الله له مثل أجر الشهيد[١].

وقد أمرنا الله تعالى بالصبر وبين أنه من أسباب الفلاح فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] أي: اصبروا على ما تبتلون به فإن ذلك تكفيراً للذنوب ورفعاً للدرجات، وطريقاً للفلاح والفوز العظيم المتمثل في دخول الجنة بعد النجاة من النار[٣].

إن المسلم إذا علم أن الله يمتحنه بالمصائب ليختبر مقدار صبره ورضاه عن ربه، وليكتب له الأجر العظيم عنده، فإنه يجد نفسه مدفوعاً لتحمل المصائب بصبر ورضى عن الله.

وحين يعلم أن الله يثيبه فيكفّر عنه من ذنوبه وخطاياه بالمصائب التي يصيبه بها، فإنه يزداد اندفاعه لتحمل المصائب بصبر ورضى عن الله[٤].

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((دَخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يوعَك فقلتُ: يارسولَ الله، إنك توعَكُ وَعْكاً شديداً. قال: أجَل، إني أوعَك كما يوعكُ[٥] رجُلان منكم، قلت: ذلك بأن لك أجرَين، قال: أجَل، ذلكَ كذلك، ما من مُسلم يُصيبُهُ أذىً

---

(١) شرح رياض الصالحين ص ٩٤، ٩٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر جابر الجزائري ص ٤٩، ٥٠.

(٤) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، حبنكة الميداني ص ٣٨٤.

(٥) يتألم من شدة المرض.

-شَوكةٌ فما فوقها- إلا كفَّرَ الله بها سَيِّئاته، كما تَحُطُّ الشجرة وَرقَها))[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة اليقين:

لقد رتب الله عز وجل على اليقين من عظيم الأجر وجزيل المثوبة ما يدل على أهمية قوة اليقين، وقد وردت الإشارة إليه في الحديث في قوله ﷺ "يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له" فاليقين من أسباب الإمامة في الدين ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢] وقد خص الله أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

واليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وتنافس المتنافسون، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغم، فامتلأ محبة لله، وخوفاً منه، ورضى به، وشكراً له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه[٤].

كما أن اليقين يورث الإنسان الزهد فيما عند الناس، ويكسب صاحبه العزة والرفعة ويباعده عن مواطن الذلة والضَّعة، وبالجملة فإن المسلم لا يدرك مناه في الآخرة إلا إذا كان متصفاً بصفة اليقين[٥].

إن الإيمان المجمل الذي هو قول القلب وعمل القلب، لا يتحقق إلا بهذا اليقين. فمن شك في الله أو في رسوله ﷺ وما جاء به من عند الله فهو كافر لا شهادة له ولا إيمان له.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٧، ومسلم ٢٥٧١.

(٢) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٤، ٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٨/ ٣٧٣٠.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله ﷺ كونهم لم يرتابوا أي لم يشكوا، والشك ينافي اليقين والمرتاب من المنافقين الذي قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[2].

وبذلك أخبر الله تعالى عن الكفار حين قالوا لرسلهم: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

وأخبر سبحانه أنهم إذا طلب منهم الإيمان بالبعث قالوا: ﴿مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[4].

ولكن إذا كان يوم القيامة يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[5].

ولهذا جاء وصف القرآن أكثر من مرة بأنه لا ريب فيه، وعن معاذ رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو يقيناً من قلبه، لم يدخل النار))[6].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة تبوك أن النبي ﷺ قال: ((أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله،

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٥.

(٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

(٥) سورة السجدة، آية: ١٢.

(٦) أخرجه أحمد ٢٣٦/٥، ٢٢٠٦٠، وقال محققو المسند: صحيح ٣٨٢/٣٦.

وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ، لاَ يَلْقَى اللّه بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍ، إلا دخل الْجَنَّةِ))، وفي رواية: ((لاَ يَلْقَى اللّه بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ))[١].

وعنه في حديث آخر أن النبي ﷺ قال له: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هذَا الْحَائِطِ[٢] يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ، مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٣].

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: "معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم... وذكر القلب هنا للتأكيد... وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب"[٤].

وهذا اليقين - بهذا المعنى- هو حقيقة العلم بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ.

قال الحسن البصري: "ما طُلِبت الجنة إلا باليقين، ولا هُرِب من النار إلا باليقين، ولا أُديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر على الحق إلا باليقين".

وقال سفيان الثوري: "لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقاً إلى الجنة، وخوفاً من النار"[٥].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه: ((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وبَيْنَ مَعَاصِيكَ ومِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ. ومِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا...)) الحديث[٦].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((سيدُ الاستغفارِ أن تقولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي

---

(١) أخرجه مسلم ٤٤، ٤٥.

(٢) الحائط: حديقة لها سور.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني في صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ١/١٤ - ١٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٥٠٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٣).

لاإلهَ إلا أنت، خلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغفِرْ لي، فإنه لايَغفرُ الذنوبَ إلا أنت. قال: ومن قالها من النهارِ مُوقِناً بها فماتَ من يومهِ قبل أن يمسي فهو من أهلِ الجَنة، ومن قالها من الليلِ وهو موقِنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبحَ فهو من أهل الجنة))[1].

وهذا الإيمان الذي لا شك فيه هو الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، الذي هو الإيمان كله[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١١/٨٣، ٨٤.

(٢) انظر: أعمال القلوب، د. سهل العتيبي، ١/٢٥٣ - ٢٥٩.

الحديث رقم (٣٤)

٣٤- وعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقولُ: «**إنَّ اللّه عَزَّ وجَلَّ قَالَ: إذَا ابْتَلَيْتُ عَبدِي بحبيبتَيْهِ فَصبرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجنَّةَ**» يُريدُ عينيْه، رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ابتُلي بحبيبتيه: عَمِيَتْ عيناه[2].

الشرح الأدبي

إن نعم الله وآلاءه لا تعد ولا تحصى؛ والإنسان مطالب بالتأمل والتفكر في هذه النعم التي تحيط به من كل جانب، وأن خلق الإنسان على هذه الصورة السوية من أجل النعم، ومن أعظم الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل، وقد دعا القرآن الكريم جميع الخلائق إلى النظر والتفكر في مظاهر قدرة الله سبحانه، وفي نعمه الجليلة فقال: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3].

وفي سورة البلد يمن الله على الإنسان ويذكره بنعمة البصر ، ونعمة اللسان،ونعمة العقل، حتى لا يظل سادراً في غيه، وحتى يعترف ويقوم بحق هذه النعمة: يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[4].

وفي ضوء ما أنعم الله به على الإنسان من نعم ظاهرة وباطنة ومنها نعمة البصر. نقرأ

---

(١) برقم (٥٦٥٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٢١.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠-٢٣.

(٤) سورة البلد، الآيات: ٨ -١٠.

ونتأمل هذا الحديث القدسي الجليل الذي يرويه الحبيب المصطفى ﷺ عن ربه عز وجل، ويرويه أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. وجمل الحديث تتكون من ثلاثة أقسام: قسم تفوه به أنس بن مالك رضي الله عنه وهو: "سمعت رسول الله ﷺ"، يقول. ورواية أنس لما سمعه من النبي ﷺ في أمانة وصدق يعد استجابة لرغبة رسول الله ﷺ، في قوله: "نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه"[1].

والفعل "يقول": جاء في قالب المضارع: وهو مع فاعله المحذوف جملة حالية وصاحب الحال هو لفظ النبي ﷺ، وهو في موقع المفعول به للفعل: "سمعت" وقيل أتى بهذا الفعل مضارعاً بعد سمع حكاية للحال الماضية.

وأما القسم الثاني: فهو من قول رسول الله ﷺ، وقد جاء في ثوب التوكيد حيث يقول: "إن الله عز وجل" قال: وهذه الجملة مع التوكيد تجمع بين صفتي العزة والجلال: أي عَزَّ شأنه وجل برهانه، وجمع الرسول بينهما، وهما متقاربان في المعنى. لأن المقام للثناء وكذلك للتمهيد لموضوع الحديث، وهو الجزاء والثواب والتعويض لمن "فقد عينيه" وصبر ولا يقدر على هذا الجزاء وهو الجنة إلا رب العزة والجلال، المتصف بكل كمال، والمتنزه عن كل نقص.

وأما القسم الثالث: فهو النص القدسي: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة".

ولنتأمل الصياغة في هذا الحديث الكريم، إنه جملة واحدة شرطية، مكونة من أداة الشرط "إذاً" وفعل الشرط وجواب الشرط، وأداة الشرط "إذا" وهي تدل على الاستقبال والتحقق، حيث قال النحويون: إنها اسم شرط لما يستقبل من الزمان: خافض لشرطه منصوب بجوابه؛ وهي في ضوء هذه الخصوصية الوظيفية تصلح لملايين الحالات في كل زمان ومكان وفعل الشرط هو "الابتلاء"، والمبتلي هو الله وابتلاؤه رحمة، والمبتلى هو العبد الصابر وقد نسبه الرحمن عز وجل إليه فقال: "عبدي" وأي مقام

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٦٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠).

أشرف وأجل من هذا المقام، فالابتلاء هنا اختبار وليس انتقاماً، ولنتأمل ما وراء هذا التعبير عن العينين بلفظ "حبيبتيه"، قيل لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه، وقيل: إن فاقد العينين، حبيس، فالدنيا سجنه، وهو محروم من مشاهدة آيات الله في الكون، وزينة الحياة الدنيا.

وقد عطف الفعل "صبر" على فعل "الابتلاء" بالفاء إشارة إلى أن ذلك المبتلى لم ييأس ولم يفقد الصبر، ولم تمر به حالة من الانهيار، ولكنه رضي بواقعه وبما قدر له خالق الليل والنهار، ولذلك يجيء جواب الشرط وهو "العوض" مسنداً إلى تاء الفاعل ومن هو: إنه الله الكبير المتعال، صاحب العزة والجلال، وأي عوض وأي مكافأة أعظم وأجل من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: البشارة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الصبر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الله وإكرامه للصابرين.

أولاً- من أساليب الدعوة: البشارة:

إن من أهم الأساليب الدعوية الناجحة: أسلوب التبشير برحمة الله وبفضله في الدنيا والآخرة، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث في تبشير الله لمن فقد حبيبتيه بالجنة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله قال: "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة" وأسلوب التبشير من أبرز الأساليب الدعوية التي استعملها النبي ﷺ، انطلاقاً من تكليف الله تعالى له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

قال ابن رجب الحنبلي في تفسير هاتين الآيتين: "أمر الله رسوله ﷺ في كتابه أن يذكره ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥-٤٦.

وينذر وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[١] والتبشير هو الترغيب وهو يوجب رقة القلوب، وزهداً في الدنيا ورغبة في الآخرة[٢]. إضافة إلى ما تحدثه البشارة من انشراح للصدر وسعادة للقلب وسبب لاستقرار النفس وراحة البال، كما أنها تجلب الطمأنينة وسكون النفس ورفعًا للروح المعنوية، كما أنها تكسب الداعية حب الناس واستئناسهم به[٣].

والتبشير من وسائل التحفيز للإنسان لا سيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلا بد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة، وتعم نفسه البهجة ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي ما زالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها؛ لأن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية، ومُنفرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغاً واضحاً للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الصبر:

إن الصبر فضله عظيم وشأنه كبير، فبه يحصل الثواب وترفع الدرجات[٥] وقد ورد في الحديث أجر الصبر على فقد العينين فقال الله في الحديث القدسي "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة".

ففي الحديث بيان أنه ما من إنسان يقبض الله حبيبتيه -يعني عينيه- فيعمى ثم

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥ - ٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ابن رجب الحنبلي ٢/٩٠. انظر: لطائف المعارف لمواسم العام من الوظائف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٤٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٣/٨١١.

(٤) منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد ص ١١.

(٥) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٦٥، ٢٦٦.

يصبر إلا عوضه الله بهما الجنة؛ لأن العين محبوبة للإنسان، فإذا أخذهما الله سبحانه وتعالى وصبر الإنسان واحتسب فإن الله يعوضه بهما الجنة.

واعلم أن الله سبحانه وتعالى إذا قبض من الإنسان حاسة من حواسه فإن الغالب أن الله يعوضه في الحواس الأخرى ما يُخفف عليه ألم فقد هذه الحاسة التي فقدها، فالأعمى يمن الله عليه بقوة الإحساس والإدراك، حتى أن بعض الناس إذا كان أعمى تجده في السوق يمشي وكأنه مُبصر، يحس بالمنعطفات في الأسواق، ويحس بالمنحدرات وبالمرتفعات، حتى أن بعضهم يتفق مع صاحب السيارة -سيارة الأجرة- يركب معه من أقصى البلد إلى بيته وهو يقول لصاحب السيارة: تيامن تياسر حتى يوقفه عند بابه؛ لأن صاحب السيارة لا يعرف البيت، والله الموفق[1].

قال ابن حجر: والمراد بالصبر: أنه يصبر مستحضراً ما وعد الله به الصابرين من الثواب، لا أن يصبر مجرداً عن ذلك، لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضى تم له المراد[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الله وإكرامه للصابرين:

من فضل الله على عباده إكرامه للصابرين وإجزال المثوبة لهم قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3] وقد ورد في الحديث جزاء الله للون من ألوان الصبر وهو الصبر على ما ينزل بالإنسان من الابتلاء، فإن صبر الإنسان عليه طائعاً ينال المثوبة، وإلا احتمل هماً لازماً وصَبَر كارهاً آثماً، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[4].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢١.

(٣) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٤) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ٢٧٧، ٢٧٨.

وقد جاء في الحديث ثواب الصبر على فقد النظر "إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة" والمقصود بالحبيبتين: المحبوبتان (العينان) لأنهم أحب أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به، أو شر فيجتنبه، وقوله عوضته منهما الجنة (وهذا أعظم العوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها)[1].

إن العباد دائماً في اختبار وابتلاء، والابتلاء تارة يكون بالمال ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاء.

وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن ربه عز وجل أن العبد إذا صبر على العمى وفقد النظر واحتسب ذلك، وتصبّر بما أعد الله له من الثواب على صبره، فلم يتذمر، ولم يشك، ولم تتعقد حياته، أو يكتئب عيشه، إذا كان العبد كذلك عوّضه الله الجنة بصبره على ما قسم الله، وفي ذلك ما فيه من رعاية للمكفوفين وتأنيس لهم وجبر لخواطرهم بما يكون في الآخرة.

ويؤخذ من الحديث: فضل الصبر على كل الأمور، طبيعية ومكتسبة؛ وفيه: أن الجزاء على قدر المشقة والتحمل؛ وفيه: أن الحساب لن يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا اعتبرها؛ وفيه: سعة رحمة الله تعالى وتوجيه الأنظار إلى أن ما يراه الإنسان شراً قد يكون خيراً باعتبار آثاره[2].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢١.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٨.

الحديث رقم (٣٥)

٣٥- وعنْ عطاءِ بْن أَبي رَباحٍ قالَ: قالَ لِي ابْنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما ألا أريكَ امْرَأَةً مِن أَهْلِ الجنَّة؟ فقُلت: بلَى، قَالَ: هذِهِ المْرأَةُ السوْداءُ أَتَتِ النبيَّ ﷺ فقالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وإِنِّي أَتكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّه تعالى لِي قَالَ: «**إن شئْتِ صَبَرْتِ ولكِ الْجنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دعَوْتُ اللَّه تَعالَى أَنْ يُعافِيَكِ**» فقَالتْ: أَصْبرُ، فَقالت: إِنِّي أَتَكشَّفُ، فَادْعُ اللَّه أَنْ لا أَتكشَّفَ، فَدَعَا لَهَا. متَّفقٌ عليْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أُصْرَع: أُصابُ بنوبات الصرع وهو: علّة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة وتشنج في العضلات[2].

أتكشف: أفتضِح بظهور عورتي[3].

الشرح الأدبي

إن المتأمل في هذا الحديث الشريف. يدرك أن المصطفى ﷺ يخاطب أصحابه، ومن حوله على قدر إدراكهم، وهو يعالج أمراضهم، ويصف لهم الدواء الناجع؛ وما أجدر بالمسلمين أن يعودوا إلى اكتشاف أسرار الطب النبوي لأنه يعالج بعض الأمراض العضوية والأمراض النفسية، ومع يقين المسلم في قيمة الطب النبوي عليه أن يأخذ بالأسباب، وأن يذهب إلى الأطباء إذا كانت العلة تقتضي ذلك، وهذا ما أقرَّ به رسول الله ﷺ، ففي مسند أحمد من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك: أن رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦/٥٤) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٥٠٠٩).

(٢) الوسيط في (ص ر ع).

(٣) الوسيط في (ك ش ف).

الله ﷺ، قال: "تداووا عباد الله، فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل معه شفاء إلا الموت والهرم"[(١)].

وهذا الحديث الشريف يقدم درساً في التسلح بالصبر والإيمان، والتوكل على مَنْ بيده مقاليد السماوات والأرض، والسعي إلى التداوي مع التجمل بالسكينة وعدم التردي في مهاوي اليأس والقنوط.

وصيغة الحوار تغلف أسلوب الحديث، وتشوق القارئ والسامع، ومع هذه الصيغة الحوارية تبرز عدة وسائل تأثيرية أسلوبية تعمق من جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي، والحديث يبدأ بداية قصصية تحكي مشهداً من مشاهد الصبر والإيمان، والاحتساب والإذعان، فابن عباس، حبْر الأمة يقول: لعطاء بن أبي رباح في براعة استهلال مستخدماً "ألا" الافتتاحية وهي أداة عرض وذلك لتنبيه السامع إلى ما بعدها، ولم يشأ أن يأتي بالموضوع في أسلوب خبري تقريري فقال: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة" فيجيبه عطاء "بلى"، وتأتي إجابة ابن عباس في صورة حكاية تروي واقع هذه المرأة، فهي في المنظور الدنيوي لا تثير انتباه أحد لأنها امرأة سوداء مصابة بداء الصرع، ولا تعي ولا تدرك حين تأتيها نوبة الصرع شيئاً فينكشف جسمها، فما أشد بلاء هذه المرأة، وما أعظم مصيبتها في نفسها وبدنها، ولكنها لأنها من أهل الجنة تأخذ بالأسباب، ولا تقع فريسة اليأس، ولا تنهزم أمام فتك المرض اللعين، ولا تسلم نفسها لأوهام الشيطان وبراثن الاكتئاب، ولكنها تتوجه إلى رسول الله ﷺ وتعرض عليه مصابها، وتنطق بثلاث جمل تصور واقعها وأملها: فأما تصوير الواقع الأليم فقد شخصته في أسلوب خبري مغلف بالتوكيد إثباتاً للحالة، وبرهاناً على الصدق، فقالت: "إني أصرع"، ثم تكرر التوكيد وتقول "وإني أتكشف" ولنتأمل الفعلين هنا فهما مضارعان يبوحان ويصرحان باستمرار الصرع والتكشف، وبتكرارهما وما أقسى هذا الواقع، وما أشد إيلامه، وما أسوأ آثاره ونتائجه النفسية والعضوية والاجتماعية،

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٧٨، رقم ١٨٤٥٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

وصيغة التفعيل في أتكشف توحي بصعوبة ومرارة الإحساس بهذا الواقع ومعايشته.

فيقول لها الحبيب المصطفى ﷺ وهو يعطيها حرية الاختيار والمشيئة "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك"، وهذا التخيير جزء من العلاج النفسي: حيث تشعر هذه المرأة المهملة الضعيفة بالثقة والإرادة، وبأن الأمر كله مرده إلى الله، فقالت المرأة في سكينة وثقة: "أصبر!!" ولكنها تمر بحالتين: الصرع والتكشف. والصرع حالة ذاتية، ومرض عضوي نفسي يمكن أن يزول، ويمكن أن يبقى ولا مخرج إلا الصبر، ولكن ماذا تفعل أمام الناس حين يتكشف جسمها، ويظهر منها ما حرم الله النظر إليه من جميع بدنها. ولكنها لا تعي ولا تدرك، وتكون مثاراً للسخرية من الآخرين!!!؟ وهذا أمر يحتاج إلى الستر مع الصبر، ولذلك أعادت المشكلة أمام رسول الله، وطلبت منه الدعاء أن لا تتكشف فدعا لها، فرحمها الله واستجاب لنبيه الكريم ومن عليها بالستر والصبر.

فقه الحديث

في هذا الحديث قد أخبرت المرأة عن أنها تصرع، وهذا من المرض، فهل للمريض أن يتداوى من مرضه؟

إن التداوي مشروع من حيث الجملة، لما روى أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: ((نعم يا عباد الله تداوَوْا، فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء أو دواءً إلا داءً واحدًا))[1] فقالوا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: ((الهرم))[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٣٨، وقال حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٦٦٠).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١/١١٦-١١٧، وانظر: حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز ٥/٢١٥، ٢٤٩، والهداية تكملة فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ٨/١٣٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢/٤٤٠، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي ٢/٩٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢/٧٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٤٦٣، وحاشية الجمل ٢/١٣٤، والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٢/٣٥٩ وما بعدها.

وقد ذهب جمهور الفقهاء من "الحنفية والمالكية" إلى أن التداوي مباح، غير أن عبارة المالكية: لا بأس بالتداوي.

وذهب الشافعية والقاضي ابن عقيل وابن الجوزي إلى استحبابه ومحل الاستحباب عند الشافعية عند عدم القطع بإفادته، أما لو قطع بإفادته كعصب محل الفصد، فإنه واجب.

ومذهب الحنابلة، أن تركه أفضل. ونصّ عليه أحمد، قالوا: لأنه أقرب إلى التوكل.

قال ابن القيم: (في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظنّ معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد في هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزًا[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جزاء الصبر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الرغبة في التستر وعدم التكشف.

رابعاً: من صفات المدعو: الرغبة والطمع فيما عند الله تعالى.

خامساً: من مهام الداعية: إعانة المدعوين في حل مشكلاتهم وحثهم على ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث فيما دار بين عبدالله بن عباس وعطاء بن أبي رباح رضي الله عنهما من سؤال وجواب "ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى" فالسؤال

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٥/٤.

والجواب له أثره في استدعاء لفت نظر السامعين، وإثارة انتباههم وشد أذهانهم ورغبتهم في التعرف على إجابة السؤال المطروح وهذا ما بينه ابن عباس رضي الله عنهما في إجابته للسؤال الذي أثاره من خبر تلك المرأة التي بيّن أنها من أهل الجنة. لذا كان السؤال والجواب من الأساليب المفيدة والناجحة في الدعوة إلى الله.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: جزاء الصبر:

لو عرف الناس جزاء وثواب الصبر لفرحوا بالمصائب: من مرض وهمّ وغير ذلك. فهذه امرأة سوداء صالحة يصيبها الصرع، فتسقط غير شاعرة بشيء، وقد ينكشف بعض جسدها، فسألت الرسول ﷺ أن يدعو لها، فبيّن لها أن زوال المرض منها حرمان لها من نعيم الجنة بالصبر، وعليها أن تختار عافية الدنيا المحدودة، أو سعادة الآخرة اللانهائية، فاختارت الصبر لحسن عاقبته، واكتفت بطلب الستر وعدم كشف شيء من عورتها، أو جسدها، فتحقق لها بحسن اختيارها وجميل تصرفها النجاة والنعيم[1].

ولقد صرح النبي ﷺ في الحديث بأن الصبر عاقبته الجنة "إن شئت صبرت ولك الجنة"، قال ابن عثيمين في شرح الحديث: (قوله: "ألا أريك امرأة من أهل الجنة"، يعرض عليه وذلك لأن أهل الجنة ينقسمون إلى قسمين: قسم نشهد لهم بالجنة بأوصافهم، وقسم نشهد لهم بالجنة بأعيانهم.

أ- أما الذين نشهد لهم بالجنة بأوصافهم فكل مؤمن، تقي فإننا نشهد له أنه من أهل الجنة، كما قال الله سبحانه وتعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[3]، فكل مؤمن متقٍ يعمل الصالحات فإننا نشهد أنه من أهل الجنة.

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة البينة، الآيتان: ٧ - ٨.

ولكن لا نقول: هو فلان وفلان لأننا لا ندري ما يختم له ولا ندري هل باطنه كظاهره فلذلك لا نشهد له بعينه.

نقول مثلاً: إذا مات رجل يُشْهد له بالخير قلنا: نرجو أن يكون من أهل الجنة لكن ما نشهد أنه من أهل الجنة.

ب- قسم آخر نشهد له بعينه وهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في الجنة: مثل العشرة المُبشرين بالجنة وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح، والزبير بن العوام رضي الله عنهم.

ومثل ثابت بن قيس بن شماس ومثل سعد بن معاذ ومثل: عبدالله بن سلام، ومثل: بلال بن رباح وغيرهم ممن عينهم الرسول ﷺ.

هؤلاء نشهد لهم بأعيانهم نقول: نشهد بأن أبا بكر في الجنة، ونشهد بأن عمر في الجنة وهكذا. من ذلك هذه المرأة التي قال ابن عباس لتلميذه عطاء بن أبي رباح: (ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى! قال: هذه المرأة السوداء).

امرأة سوداء لا قيمة لها في المجتمع، كانت تُصرع وتتكشف فأخبرت الرسول ﷺ وسألته أن يدعو الله لها فقال لها: إن شئت دعوت الله لك وإن شئت صبرت ولك الجنة؟ قالت: أصبر، وأنها كانت تتألم وتتأذى من الصرع، لكنها صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة. ولكنها قالت: يا رسول الله إني أتكشّف فادع الله أن لا أتكشف. فدعا الله أن لا تتكشف فصارت تُصرع ولا تتكشف.

الشاهد من هذا الحديث قول الرسول ﷺ: (إن شئت صبرت ولك الجنة، فقالت: أصبر)، ففيه دليل على فضيلة الصبر وأنه سبب لدخول الجنة[1].

وقد وردت في القرآن الآيات الكثيرة التي تبين أن الصبر لا جزاء له إلا الجنة قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2] وقال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ص ٩٥ - ٩٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[١] وقال ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[٢] فتلك بعض الآيات التي تبين نتيجة الصبر يوم القيامة[٣] وهي دخول الجنة، والعطاء الواسع، والثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٤].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كل مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلا الصابرون، فإنهم يحثى لهم حثياً)[٥]، وقال ابن الجوزي (إنما يوفى الصابرون الذي صبروا لأجل الله تعالى ما نالهم "بغير حساب أي: يعطون عطاءً كثيراً أوسع من أن يحسب، وأعظم من أن يُحاط به، لا على قدر أعمالهم[٦].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل التستر والحذر من التكشف:

تلك الخصال الكريمة من لوازم إيمان المرأة وحيائها، وفي الحديث طلبت تلك المرأة من الرسول ﷺ أن يدعو لها بعدم التكشف "فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت أصبر، فقالت إني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها".

وقد أمر الله نساء المؤمنين بالحجاب وستر أجسادهن فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٧].

وحذّر النبي ﷺ المرأة من أن تكشف شيئاً من جسمها خارج بيتها فعن أبي المَلِيح

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٥.

(٢) سورة الإنسان، آية: ١٢.

(٣) انظر: أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٢٣٩.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٥) معالم التنزيل، البغوي، ١١١/٧.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ابن الجوزي، ١٦٨/٧.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

قال: دخل نسوة من أهل الشام على عائشة رضي الله عنها فقالت: ممن أنتن؟ قلن: من أهل الشام، فقالت لعلكن من الكورة التي تدخل نساؤها الحمّامات؟ قلن: نعم، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((مَا مِنْ امْرَأَةٍ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا إلاَّ هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله تعالى))[1] أي هتكت الستر وحجاب الحياء وجلباب الأدب، وذلك لأنها مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي[2].

لقد حذر الإسلام من التبرج والسفور أيما تحذير وبيّن أن من تفعل ذلك تدرج نفسها في أصناف أهل النيران، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا. قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا))، وفي رواية أخرى: ((وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عام))[3].

إن هذا الصنف من النساء اللائي خالفن تعاليم الدين وآداب الإسلام فخلعن ملابسهن، وكشفن عن سواعدهن وأفخاذهن، ولبسن الملابس الرقيقة التي لا تستر جسداً، ولا تخفي عورة، وإنما تزيد في الفتنة والإغراء ومَشَيْنِ مِشْيَة فيها التخنث والتكسر، وفيها لفت أنظار الرجال.

ولقد صوّر عليه أفضل الصلاة والتسليم، هؤلاء النسوة وهنّ يتبخترن في الشوارع والطرقات، ويتسكعن في الأسواق والمنتديات، ليس لهن عمل إلا إغراء الرجال، وإفساد الشباب والمراهقين، صورهن بصورة من تتقصد إثارة الفتنة، وإغراء الرجل، حتى ليخيل إلى الناظر أنها - بهذه المشية الخليعة - تدعوه إلى نفسها، وتراوده من أجل عمل الفاحشة بها وهذا هو معنى قوله ﷺ: (مائلات مميلات) أي أنهن مائلات في مشيتهن مميلات لقلوب الرجال يقصدن إثارة الشهوة في قلوبهم، ثم عدّد الرسول الكريم ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠١٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٨٦).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، العظيم آبادي ص ١٦٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١٢٨.

من قبائحهن بأنهنّ يصففن شعورهن حتى يصبح شعر الواحدة منهن مثل سنام الجمال في الارتفاع، وقد وضعت عليه أنواع الزينة، وصبغته بأنواع من الأصباغ المغرية، وكدسته فوق رأسها كأنه شاهق من الجبل، أو سد عال من سدود الصين.

وقد ختم ﷺ هذا الحديث الشريف بما يفزع له قلب الإنسان فقال: (لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها).

وأي عذاب أشد من هذا العذاب أن يحرم الإنسان الجنة ونعيمها وألا يجد ريحها أبداً مع أن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام، اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنك سميع مجيب الدعاء[1].

رابعاً- من صفات المدعو: الرغبة والطمع فيما عند الله تعالى:

إن مما ينبغي أن يتصف به المدعو الرغبة والطمع فيما عند الله تعالى، وفي الحديث مثال على ذلك، وذلك في قول المرأة التي تصرع وقد طلبت منه أن يدعو لها "إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقالت أصبر، فقالت إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها" فاختارت البلاء والصبر لجزيل الثواب المترتب عليهما وقالت: "أصبر" أي على الصرع لأنه يرجع إلى النفس، ولما كان التكشف راجعاً لحق الله تعالى، وإذ هي مأمورة بستر جميع البدن لكونه عورة (قالت إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف فدعا لها)[2].

قال ابن حجر: (وفيه أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[3] لذا ينبغي الحرص على ما عند الله لأنه خير وأبقى قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[4] وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[5] أي ثواب الله في الدار

---

(١) من كنوز السنة، محمد علي الصابوني ص ١١٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١، ١٢٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٠.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٥) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦، ١٧.

الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنيّة فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى، ويهتم بما يزول عنه قريباً ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد؟!(١)

خامساً- من مهام الداعية: إعانة المدعوين في حل مشكلاتهم وحثهم على ما ينفعهم:

لقد عمل النبي ﷺ على إعانة تلك المرأة على حل مشكلتها فأمرها بالصبر، ودعا الله لها بالستر وعدم التكشف وقد خيّر النبي ﷺ تلك المرأة بين الصبر والجنة وبين المعافاة "قالت إني أصرع وإني أتكشف فادع الله تعالى لي، قال إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك" فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله ألا أتكشف فدعا لها" وذلك من حرص النبي ﷺ على المدعوين.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) لذا فإنه مما ينبغي للداعية أن يحرص على إعانة الناس على حلّ مشكلاتهم وقضاء حاجاتهم وتيسير أمورهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٨٢/٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الحديث رقم (٣٦)

٣٦- وعنْ أَبي عبْدِ الرَّحْمنِ عبْدِ اللَّه بنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه قَال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم يحْكي نَبيّاً من الأَنْبياءِ، صلواتُ اللَّهِ وسَلامُهُ عَليْهم، ضَرَبُهُ قَوْمُهُ فَأَدْموْهُ وهُو يمْسحُ الدَّم عنْ وجْهِهِ، يقُولُ: «**اللَّهمَّ اغْفِرْ لِقَوْمي فإِنَّهُمْ لا يعْلمُونَ**» متفقٌ علَيْه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: أحد أعلام الصحابة ومشاهيرهم، وهو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مَخْزوم، حليف بني زهرة، يكنى بأبي عبدالرحمن، له صحبة ورواية، روى له الجماعة، وله في كتب الحديث (٨٤٨) حديثاً.

وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، فكان إسلامه قديماً في أول الإسلام، أسلم حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً ((يرحمك الله فإنك غُليِّمٌ مُعَلَّمٌ))[2].

وضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، فكان عبدالله يَلِجُ عليه[3]، ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذنك عليَّ أن يُرفع الحجاب، وأن تستمع سِوادي حتى أنهاك))[4] وكان يُعرف في الصحابة بصاحب السِّواد والسِّواك.

وهذه الملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جعلته من أقرأ الصحابة للقرآن، وقال صلى الله عليه وسلم: ((استقرئوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل))[5] وقال: ((من أحب أن يقرأ القرآن غَضّاً كما أُنزل فليقرأه

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٧٧، ومسلم ١٧٩٢/١٠٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٤. وسيكرره المؤلف برقم ٦٤٦.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٥٩٨، وقال محققو المسند إسناده حسن ٨٢/٦.

(٣) أي يدخل عليه.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٩.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٦٠.

على قراءة ابن أم عبد))[١] واستمع له النبي ﷺ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقرأ عليَّ القرآن، قال: قلت: آقرأ عليك، وعليك أنزل قال: إني أحب أن أسمعه من غيري))[٢]، وكان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، وكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ سمتاً، فعن عبدالرحمن بن يزيد قال: ((سألنا حذيفة عن رجل قريب السَّمْت والهَدْي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه، فقال: ما أعرِفُ أحداً أقربَ سمتاً وهدياً ودَلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد))[٣] فكان من أعلم الصحابة بالقرآن ودين الله تبارك وتعالى، مما جعل ابن سعد في الطبقات يعده في أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

هاجر عبدالله بن مسعود الهجرتين، وصلى إلى القبلتين، وشهد بدراً وأحداً والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وهو الذي أجهز على أبي جهل[٤]، وبعد وفاة رسول الله ﷺ شهد اليرموك بالشام، وسيره عمر إلى الكوفة ليعلم أهلها أمور دينهم، ثم أمَّره عثمان عليها، ثم عزله، فأمره بالرجوع إلى المدينة.

أما عن صفاته الخلقية فكان نحيف الجسم خفيف اللحم. رُوِي أن النبي ﷺ أمر ابن مسعود فصعد على شجرة يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبدالله فضحكوا من حُمُوشة -دقة- ساقيه، فقال رسول الله ﷺ ((ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبدالله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد))[٥] فكان نحيف الجسم كما يفهم من الحديث، كما كان آدم[٦]، قصيراً، وكان لا يغير شيبة، وكان يحب التطيب، ويكثر منه، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مَرّ من طيب رائحته.

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٨/٢ رقم ٩٧٥٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٤٦٩/١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٦٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٦٢.

(٥) أخرجه أحمد ١١٤/١ رقم ٩٢٠، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٤٤/٢.

(٦) شديدة السمرة.

مات رضي الله عنه بالمدينة المنورة، سنة (٣٢) وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع، وكان الذي صلى عليه هو: عثمان بن عفان وقيل: عمار بن ياسر، وقيل: صلّى عليه الزبير، ودفنه ليلاً بإيصائه بذلك إليه، ولم يعلم عثمان بدفنه فعاتب الزبير على ذلك[١].

غريب الألفاظ:

أَدْمَوْه: أي ضربوه حتى خرج منه الدم[٢].

الشرح الأدبي

ما أجمل أخلاق رسول الله ﷺ، وما أعظم شمائله، وما أرق طبعه، وكيف لا: وقد خاطبه رب العالمين بأسمى خطاب فقال في محكم آيات الكتاب: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

وفي ظلال هذا الحديث الشريف تتجول مشاعرنا، وتتأمل مداركنا، وتقتبس قلوبنا فيوضاً من التسامح النبوي، والخلق المحمدي، والصحابي الجليل عبدالله بن مسعود صاحب سرّ رسول الله ﷺ، وسواكه ونعليه وطهوره في السفر والذي بشره ﷺ بالجنة، هذا الصحابي الجليل يقتبس من شموس أخلاق النبوة هالات من الشمائل والقيم تتموج وتمتد إلى كل نفس تطمح إلى الهداية، وتبحث عن اليقين، هذه الهالات والفيوضات يصورها، عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في إطار المقارنة والموازنة بين ما كابده رسول الله من مشقات، وما لاقاه من قومه من عنت، وبين بعض أنبياء الله من

---

(١) الطبقات، ابن سعد ٢/٣٤٢-٣٤٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٠٧-٤١١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٣/٣٨١-٣٨٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٣٢، ٨٣٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ١/٤٦١-٥٠٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤/٢٨٤، ٢٨٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٣١، ٤٣٢، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤/١٣٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢/١٢٦٦-١٢٧٨.

(٢) الوسيط في (د م و).

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

أولي العزم من الرسل، وقيل هو نوح ﷺ قبل أن ييأس من استجابة قومه ويدعو عليهم.

وهذه الموازنة الراشدة الإيجابية يشير إليها رب العالمين في كثير من آيات القرآن الكريم ومنها ما ورد في سورة آل عمران: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[1].

وفي سورة الأنعام يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾[2].

وتأتي موازنة عبدالله بن مسعود ومقارنته في إطار التشبيه والتوكيد، وهو يشخص موقف رسول الله من معارضيه، ومن الذين طردوه وعذبوه ووقفوا له بالمرصاد في مكة والطائف والمدينة... وغيرها: وهو يعفو ويتسامح، ويدعو لهم بالمغفرة، ويرجو أن يخرج الله من أصلابهم ذرية تعبد الله وتنصر دينه، وقد تحقق رجاء المصطفى المختار، وانتشر الإسلام في جميع الأقطار؛ ومن أصلاب هؤلاء المشركين والكفار، خرجت الجموع المؤمنة الموحدة، التي رفعت راية الإسلام في جميع أنحاء المعمورة بالجهاد، والعلم، والحكمة، والموعظة الحسنة.

ولنتأمل هذه الصورة الواقعية التي تعرض لها رسول الله ﷺ كثيراً في مكة والطائف، وأحد، كما تعرض كثير من الأنبياء عليهم السلام وأي تأثير أقوى في النفس من تأثير هذا المنظر الأليم، وأي مشاعر كانت تتموج في قلب ونفس هذا النبي العظيم أمام هذه الصورة الدامية التي صورها ابن مسعود حيث يقول "كأني انظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبياً من الأنبياء: صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فَأَدْمَوْهُ وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

فداك أبي وأمي يا رسول الله. أي خلق أسمى من هذا الخلق القرآني الكريم، وأي محبة إسلامية تعلو فوق هذه المحبة، إنك تقابل من أسالوا دمك بالدعاء لهم وليس بالدعاء عليهم، لأنه علمك شديد القوى، ولا تنطق عن الهوى، ولذلك دعوت لهم بالمغفرة واستجاب الله لدعائك، وخفف من بلائك، وهؤلاء الذين عذبوك بالأمس، الذين بعد ذلك آزروك وناصروك، ومن أصلابهم خرجت الملايين إلى جميع أقطار المعمورة، يكبرون للرحمن، ويرفعون الأذان، ويأتون إلى البيت الحرام من كل فج عميق، وهم في شوق إلى رضوان الله عليهم، ومحبتك تشرق في قلوبهم وسيرتك الوضاءة تغمر مشاعرهم، وتمتزج بأنفاسهم فأنت الأسوة الحسنة، وأنت الرحمة المهداة، وأنت السراج المنير، وأنت البشير النذير، وقد بشرك الكبير المتعال بالنصر والتمكين، ووعدك بالحفظ وإتمام الدعوة وإكمال الدين وخاطبك مبشراً ومن أصدق من الله قيلا... يقول الله عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[1].

ولقد تأسى بك الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دخل عليه عُيَيْنَة ابن حصن الفزاري، وكان يسمى بالأحمق المطاع، لأنه كان رئيس قومه، وقد أسلم في عهدك يا رسول الله وكنت تتألفه على الرغم من حماقته ليسلم قومه، ولكنه ارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وحارب، ثم رجع إلى الإسلام وحضر بعض الفتوح في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ولكن حماقته لم تفارقه: فحينما دخل على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب واجهه بالتهم وقال: يا ابن الخطاب والله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم بأن يقع به -أي يبالغ في ضربه-، فقال ابن أخيه، الحر ابن قيس الذي استأذن له في الدخول على عمر يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وإن هذا من الجاهلين، وقالوا: فو

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل"[١].

ومن منابع البيان النبوي العذب، ومن فيوضات سيرته العطرة، ومن عبق شمائله الكريمة، وسجاياه الحميدة، تشرق هذه المشاعر التي تصور بعض شمائله وفضائله، وعفوه وتسامحه[٢]:

هو الفقير ويأبى أن تكون له ... جبال مكة في دنيا الورى ذهبا
فنفسه من صفاء الحب معدنها ... والله أغناه بالقرآن حين أبى
وصار في قلبه القرآن ملحمة ... وجدان كل ظم من نورها شربا
فإن مشى كان قرآنا جوانبه ... تفيض بالذكر للقلب الذي نضبا
وإن تحدث فالآيات منطقه ... ترد للكل حقاً كان قد سلبا
ففي تواضعه أسرار حكمته ... هو النبي ولكن يجمع الحطبا
وفي تعاطفه أسرار قوته ... قد أخضع العجم بالقرآن والعربا
وفي تسامحه أسرار هيبته ... والحب في الله قد أحنى له الشهبا

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من صفات الداعية: احتمال الأذى في سبيل الدعوة.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق والشفقة بالمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحكاية:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قول الراوي عبدالله بن مسعود: "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم"، والحكاية من

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٤٢.

(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر شعر د. صابر عبدالدايم.

قولك حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، والحكاية من أساليب الدعوة المفيدة لما فيها من عرض الأحداث القديمة[١] بعثاً للهمم وتحفيزاً للعزائم، ومن المعاني التي تضمنتها الحكاية في هذا الحديث بيان مدى تحمل الأنبياء في سبيل نشر الدعوة وتبليغها وما يتعرضون له من أذى وصبرهم وتحملهم في سبيل الدعوة إلى الله "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عنه وجهه... الحديث" فإن في أسلوب الحكاية والتسلية شرح للمعاني بالأمثلة الحية في الصبر والتحمل في سبيل الإيمان بالله وحده والحفاظ على العقيدة بالثبات عليها، واحتمال أنواع الأذى في سبيلها والتضحية من أجلها بما يملك الإنسان من جاه ومنصب ومال، أو رفض ما يعرض عليه من هذا[٢] ولقد ثبت بالتجربة أن التأسي يهوّن المصاب ويفيد شيئاً من السلوة، قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي[٣]

وما يكون مثل أخي ولكن ... أعزي النفس عنه بالتأسي[٤]

ثانياً- من صفات الداعية: احتمال الأذى في سبيل الدعوة:

في هذا الحديث حكى لنا النبي ﷺ تحمل ذلك النبي لما أصابه "ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه"، قال القاضي عياض: (وفي الحديث بيان ما كانوا عليه صلوات الله عليهم من الحلم والصبر والشفقة على قومهم وأممهم، وأنهم مع فعلهم بهم وأذاهم لهم دعوا بالغفران وعذروهم بالجهل وقلة العلم بما أتوهم به)[٥].

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، مكتبة مكة، ط/١، الرياض: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص ٣١.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٥٩.

(٣) ديوان الخنساء، قافية السين، البحر الوافر التام.

(٤) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ١٩٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/١٦٤.

وقال القرطبي: (وإذا تأمل الفطن هذا الدعاء: "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، في مثل تلك الحال علم معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فإنه ﷺ لم يدع عليهم فينتصر ولم يقتصر على العفو حتى دعا لهم ولم يقتصر على الدعاء لهم حتى أضافهم لنفسه على جهة الشفقة ولم يقتصر على ذلك حتى جعل لهم جهلهم بحاله كالعذر وإن لم يكن عذراً وهذا غاية الفضل والكرم التي لا يشارك فيها ولا يُوصلُ إليها)[2].

ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أعظم الأمثلة في الصبر واحتمال الأذى في سبيل دعوته، وقدأمره الله في كثير من آيات القرآن بالصبر منها قوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] فبعدما ساق الله قصة نوح مع قومه أمر النبي ﷺ بالصبر، قياساً لحاله مع قومه على حال نوح مع قومه، فكما صبر نوح فكانت العاقبة له كذلك تكون العاقبة لك، ﴿فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي اصبر لأن داعي الصبر قائم وهو أن العاقبة الحسنة تكون للمتقين فتكون لك وللمؤمنين معك[4].

ثالثاً- من صفات الداعية، الرفق والشفقة بالمدعوين:

إن من أجمل ما يتصف به الداعي الرفق والشفقة بالمدعوين، وقد حكى لنا النبي ﷺ صورة حية لرفق ذلك النبي بقومه مع إيذائهم الشديد له "ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، وهو يقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" قال النووي: (فيه ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٦/٢١٣.

(٣) سورة هود، آية: ٤٩.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٥/١٢/٩٣.

قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون)[١] وهذا لا يكون إلا من صاحب قلب رحيم، والداعية المسلم يجب أن يكون كذلك تأسياً بالمرسلين، فلا يتعجل النتائج، ولا يغضب من سوء المعاملة والصدود من المدعوين، فالداعية المسلم لا يكون إلا رحيماً، لأنه يدعو إلى الإسلام دين الرحمة، وهو بهذا يظهر أعظم معلم من معالم هذا الدين الذي أمر بالرحمة وحث عليها ورغب فيها وجعل الثواب العظيم لمن اتصف بها وتمثلها واقعاً مُعاشاً في حياته[٢].

قال السعدي: (والله سبحانه وتعالى يحب من عباده أهل الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً، ومع ذلك لا يفوِّت الفرص إذا سنحت ولا يهملها إذا عرضت)[٣].

فما أجمل الإسلام رسالة الهداية والإصلاح، ودين السماحة واليسر، وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو إلى الرفعة واللين في النصح والإرشاد، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية بطريق الرأفة لا الغلظة وبأسلوب اللين لا الشدة.

لقد كان الرفق دَيْدَن دعوة الأنبياء عليهم السلام، فقد دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، استخدم معهم أنواعاً من الأساليب، ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه، لكن المحصلة كانت قليلة، وكذا صبر إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام على لأواء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وعدم عجلة، حتى نصّ القرآن الكريم على توجيه من توجيهات الرب تبارك وتعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما إلى فرعون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٤][٥].

فالقول اللين: هو القول الذي لا خشونة فيه، وإذا كان موسى عليه السلام أُمر بأن يقول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥٩.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) توضيح الكافية الشافية، عبدالرحمن السعدي، الرياض، بدون تاريخ ص ١٢٣.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٥) انظر: صفات الداعية د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٤ - ٥٦.

لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[1]»[2].

ولقد تحلى قدوة الدعاة النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سبباً رئيساً من أسباب نجاحه في دعوته ﷺ ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي المَسْجِدِ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[3].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: ((بينا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[4].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (("إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ

---

(١) سورة البقرة آية: ٨٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٢٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٥٣٧.

لِخَالَتِكَ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِى اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَىْءٍ أو كما قال رسول الله ﷺ))[١].

ولقد حث النبي ﷺ المسلمين عامة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، فمن ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ . وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))[٢].

وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[٤].

فبالرفق تُساس الطباع، ويُعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل، ويزول ما في الصدور ما حلّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أنّ الداء لهذا كلّه بلسم الرفق"[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٥٧ رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٦/٥٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٥) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٧٤ - ٧٥.

الحديث رقم (٣٧)

٣٧- وَعنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الْوَصَب: الْمرضُ[2].

الشرح الأدبي

تتوالى أحاديث رسول الله ﷺ في ميدان الصبر، لأنه سلاح المؤمن في مواجهته لأعباء الحياة فالصبر على ما يلحق بالإنسان من مرض الصرع أو الطاعون، قد أشار إليه رسول الله ﷺ في حديثين سابقين، والصبر على أعباء الدعوة إلى الله، وتحمل حماقة الجاهلين والمعاندين من أهم سمات الداعية ورسول الله هو القدوة في ذلك السبيل، ودعاؤه لمن ضربوه وأدموه خير برهان على ذلك السلوك الراشد القويم.

وهذا الحديث يعد دستوراً عاماً، ومنهجاً قويماً للمسلم في حياته وهو يواجه كثيراً من الأزمات والشدائد .

وتتسم ألفاظ الحديث بالإيجاز والإيحاء، فكل لفظ يشع بدلالات متعددة يمكن أن تمور بها حياة المسلم.

وهكذا البيان النبوي ألفاظه يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، ويقول الرافعي مؤكداً ما قال في العبارة السابقة، من خلال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧٣/٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٩٨).

(٢) بنصه في الترغيب للمنذري (١٧٩/٤).

استقراء بلاغة البيان النبوي: (إذا نظرت فيما صح نقله من كلام النبي ﷺ، على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية رأيته في الأولى أي: الصناعة اللغوية مسدداً اللفظ محكم الوضع ،جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات فخم الجملة واضح الصلة، بين اللفظ ومعناه، واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفاً مضطرياً، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء للمعنى وتأتيا لسره في الاستعمال)[1].

وفي ضوء السمات الأسلوبية السابقة للبيان النبوي نقتبس من كلمات هذا الحديث بعض إشعاعاته وموحياته.

فالحديث كله جملة واحدة تفوه بها رسول الله ﷺ وصيغت في قالب "القصر" عن طريق النفي والاستثناء، فلا يملك قارئ هذا الحديث أن يتوقف عن كلمة في وسطه فالمعنى لن يتم إلا بتمام قراءة الحديث كله، فلا إسهاب ولا إطناب، وإنما الحديث جزل التراكيب، متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه، وهو يطمئن أي مسلم يستقبل أحداث الحياة المؤلمة بصبر وسكينة وتسليم بالقضاء والقدر، بالثواب الجزيل وتكفير الخطايا، بقدر الصبر على البلايا، ولنتأمل هذه الحالات الست التي تكمن في سراديب هذه الألفاظ الموجبة الدالة فالرسول ﷺ يخصص المسلم، ولم يقل الإنسان، لأن المسلم يستقبل هذه الابتلاءات بالصبر والاحتساب، وهو الموعود بتكفير الخطايا، ومضاعفة الثواب والتفسير بالمضارع في قوله: "ما يصيب" إيحاء بدوام هذه الابتلاءات لأنها طبيعة الحياة، ولكنها تتوج عند الصبر بالجزاء الأوفى، والثواب الأجزل.

والنَصَبْ: هو التعب، وهى كلمة عامة تسبح في فضائها كل أنواع الأزمات وما أكثر صنوف البلاء التي يبتلى بها البشر، ومجيء حرف "من" يومئ إلى الاستقصاء، فمهما كان حجم أو نوع ذلك النصب: فالله سبحانه وتعالى يجعله مكفراً للخطايا.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافعي ص ٢٥٤.

ولفظ "الوصب" أعم من "النصب" ولكن بينهما تشابه في اللفظ، وتجانس في الأثر وقيل: "الوصب" هو الوجع الدائم، ويضيف إلى النصب أبعاداً أخرى للآلام؛ "والهم"، هو ما يؤرق الإنسان تجاه مستقبله، والحزن ثمرة التفكير في الماضي الجريح، والأذى لفظ يتسع حقله الدلالي ليشمل كل ما يصيب النفس من مكروه، فتأمل كم يحمل هذا اللفظ من إشارات إلى حالات النفس الإنسانية "والغم" هو نتيجة الحزن الشديد، فهو حين يتمكن من الإنسان يغمى عليه، ويفقد الإحساس بمن حوله، ولكنه يثوب إلى رشده، ويرضى بما قسمه الله، وتأتي النتيجة "وهي" الثواب الإلهي لمن صبر واحتسب، فالله يكفر بسبب ذلك من خطاياه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التبشير.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاحتساب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المصائب مكفرات للذنوب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التسرية والتسلية.

أولاً- من أساليب الدعوة: التبشير:

التبشير من أنجح الأساليب الدعوية، وقد استعمله النبي ﷺ في الحديث، فبشر المسلم بتكفير خطاياه إن صبر على ما يصيبه من آلام نفسية وحسية فقال: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

وقد كان التبشير من لوازم دعوته ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1]، فقوله: (مبشراً) من الأوصاف التي تنطوي على مجامع الرسالة المحمدية والمبشِّر هو المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الخبر المسر لمن يُخْبر به

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

والوعد بالعطية، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة على النذارة، لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته.

وقال السعدي في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾[1]: "هذه الأشياء الخمسة التي وصف الله بها رسوله محمداً ﷺ هي المقصود من رسالته وزبدتها وأصولها التي اختص بها وهي خمسة أشياء: أحدها: كونه (شاهداً) أي: شاهداً على أمته بما عملوه، من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[2]، ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[3]، فهو ﷺ شاهد عدل مقبول.

الثاني والثالث: كونه ﴿مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾، وهذا يستلزم ذكر المبشر والمنذر، وما يبشر به وينذر، والأعمال الموجبة لذلك.

فالمبشَّرون: المؤمنون المتقون، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وترك المعاصي. لهم البشرى في الحياة الدنيا، بكل ثواب دنيوي وديني، رتب على الإيمان والتقوى. وفي الأخرى بالنعيم المقيم.

وذلك كله يستلزم ذكر تفصيل المذكور، من تفاصيل الأعمال، وخصال التقوى، وأنواع الثواب.

والمنذرون: هم: المجرمون الظالمون، أهل الظلم والجهل، لهم النذارة في الدنيا، من العقوبات الدنيوية والدينية، المترتبة على الجهل والظلم، وفي الأخرى بالعقاب الوبيل، والعذاب الطويل.

---

(١) سورة الاحزاب، الآيات: ٤٥ - ٤٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٤١.

وهذه الجملة تفصيلها ما جاء به ﷺ من الكتاب والسنة، المشتمل على ذلك.

الرابع: كونه (داعياً إلى الله) أي: أرسله الله يدعو الخلق إلى ربهم، ويشوقهم لكرامته، ويأمرهم بعبادته، التي خلقوا لها، وذلك يستلزم استقامته على ما يدعو إليه، وذكر تفاصيل ما يدعو إليه، بتعريفهم لربهم بصفاته المقدسة، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وذكر أنواع العبودية والدعوة إلى الله بأقرب طريق موصل إليه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه وتعظيمها، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام. وذلك كله "بإذنه" تعالى له في الدعوة وأمره وإرادته وقدره.

الخامس: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾، وذلك يقتضي أن الخلق كانوا في ظلمة عظيمة، لا يهتدي به في ظلماتها، ولا علم يستدل في جهالاتها. حتى جاء الله بهذا النبي الكريم، فأضاء الله به تلك الظلمات، وعلم به من الجهالات، وهدي به ضلالاً إلى الصراط المستقيم.

فأصبح أهل الاستقامة، قد وضح لهم الطريق، فمشوا خلف هذا الإمام وعرفوا به الخير والشر، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، واستناروا به لمعرفة معبودهم وعرفوه بأوصافه الحميدة، وأفعاله السديدة وأحكامه الرشيدة.

وقوله: "وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً" ذكر في هذه الجملة المبشَّرين، وهم المؤمنون، وعند ذكر الإيمان بمفرده، تدخل فيه الأعمال الصالحة.

وذكر المبشَّرَ به، وهو الفضل الكبير، أي: العظيم الجليل، الذي لا يقادر قدره من النصر في الدنيا، وهداية القلوب، وغفران الذنوب، وكشف الكروب، وكثرة الأرزاق الدارة، وحصول النعم السارة، والفوز برضا ربهم وثوابه، والنجاة من سخطه وعقابه.

وهذا مما ينشط العاملين أن يذكر لهم، من ثواب الله على أعمالهم، ما به يستعينون على سلوك الصراط المستقيم، وهذا من جملة حكم المشرع، كما أن من حكمه أن يذكر في مقام الترهيب العقوبات المترتبة على ما يرهب منه، ليكون عوناً على الكف عما حرّم الله"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٤ - ٦١٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصبر والاحتساب:

إن للصبر على ما ينزل بالإنسان من شدائد وآلام، واحتساب أجر ذلك عند الله تبارك وتعالى فضائل كثيرة منها ما ورد في الحديث بتكفير الخطايا، فقال ﷺ: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

وقد أمرنا الله بالاستعانة بالصبر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى يحب من عباده معالي الأمور، والتخلق بأكرم الصفات، والتي منها: الصبر وهو تحمل النفس مكاره الحياة وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته، والصبر هو عين الراحة وينبوع الفرح إذا احتسبت صابراً خوفاً من الله ورجاء فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[2][3].

إن الحياة صراع بين الحق والباطل، ويفوز في هذا الصراع الأطول نفساً والأكثر احتمالاً: ﴿... وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَ...﴾[4]، ويتواصى أهل الباطل بالصبر على باطلهم: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡ...﴾[5]، ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا...﴾[6]، أفلا يقول أهل الحق للمبطلين: ﴿...وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا...﴾[7]، حتى تتحقق فيهم سنة الله بالنصر والتمكين: ﴿... وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ...﴾[8]، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) انظر: كلمات من نور، ثاني المنصور ص ١١٠- ١١١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٢٠.

(٥) سورة ص، آية: ٦.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٤٢.

(٧) سورة إبرهيم، آية: ١٢.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٣٧.

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ...﴾[١].

كثير من الناس يتعللون بأن طِباعُهم تغلبهم، وأنه ليس لديهم القدرة على التحمل والصبر، ولو جاهد أحدهم نفسه لكظم الغيظ، وعف عن الحرام، ووسع صدره، وقنع بما آتاه الله إياه، وتجلّد على ما ابتلاه به؛ حتى يكتسب هذا الخلق، فقد قال ﷺ: ((ومَن يَستعفِفْ يُعفَّهُ اللّهُ، ومَن يَستغْنِ يُغنِه اللّهُ، ومَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْهُ اللّه...))[٢]، ويوضح هذا المعنى ابن حجر بقوله: (... يصبره الله: أي فإنه يقويه ويمكنه من نفسه حتى تنقاد له، ويذعن لتحمل الشدة، فعند ذلك يكون الله معه فيظفر بمطلوبه)[٣].

والصبر المحمود ما كان بغير تسخط ولا جزع ولا يأس ولا شكوى، وفي هذا المعنى يقول ﷺ: ((ليسَ مِن أحدٍ يَقعُ الطاعون فَيمكثُ في بلدهِ صابراً محتسِباً يعلم أنهُ لا يُصيبهُ إلا ما كتب اللهُ له إلا كان له مثلُ أجرِ شهيد))[٤]، يقول ابن حجر: (صابراً: أي غير منزعج ولا قلق، بل مسلِّمًا لأمر الله راضيًا به)[٥]، وحين أمر رسول الله ﷺ بالصبر في بداية الدعوة أمر بالصبر الجميل ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾[٦].

يقول القرطبي: (والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله)[٧].

والصبر المحمود ما كان فيه تمام التوكل على الله وكمال اليقين به، هذا اليقين الذي يجعل المجاهد مقبلاً غير مدبر، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم، فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل

---

(١) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٦٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٤/١١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٧٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٣/١٠.

(٦) سورة المعارج، آية: ٥.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٤/١٨/٩.

فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله يكفر عني خطاياي؟ فقال: رسول الله ﷺ: ((نعم، إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ...))[١]، وهو الصبر المتجمل باليقين في ساعة المصيبة، بحيث لا يفقد صوابه ولا يهذي بلسانه.

والمجتمع المسلم هو الذي يعم فيه التناصح بالصبر والتواصي به، فحين مرّ رسول الله ﷺ بامرأة وهي تبكي عند قبر قال لها: ((اتَّقي اللّهَ، واصبري))[٢]، وحين أرسلت إليه إحدى بناته تخبره أن ابنها قبض أرسل إليها بقوله: ((إنَّ لله ما أخذَ وله ما أعطى، وكلٌ عندَه بأجَلٍ مُسمًّى، فلْتَصبِرْ ولْتحْتَسِبْ....))[٣].

ولا يزول الخسران عن المجتمع البشري ما لم يكن من صفاتهم: ﴿...وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[٤]، ﴿...وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[٥].

ولأن طعم الصبر مرٌ فلا بد أن يتعهد الإنسان نفسه ويتزود بالصبر الجميل، ومما يعين المسلم على التصبر استحضار ما أعدّ الله للصابرين، من تكفير السيئات ورفع الدرجات وتكثير الحسنات، ففي قصة المرأة التي كانت تصرع أن رسول الله ﷺ خيرها: ((إن شِئتِ صَبرتِ ولكِ الجنة ، وإن شِئتِ دَعَوتُ الله أن يُعافِيكِ. فقالت: أصبرُ))[٦].

ويعين المرء على الصبر والثبات تذكّر سير الصالحين والتأسي بهم، فحين ذُكر لرسول الله ﷺ أن رجلاً قدح في قسمة رسول الله ﷺ قال: ((يرحمُ الله موسى، قد

---

(١) أخرجه الترمذي ١٧١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٩٩).

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٨٤.

(٤) سورة العصر، آية: ٣.

(٥) سورة البلد، آية: ١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٥٦٥٢.

أوذيَ بأكثرَ من هذا فصبرَ))[١]، وقد وجهه القرآن إلى هذا المعنى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ...﴾[٢].

ويهون على النفس استقبال البلاء وتلقي المحن، حين تعلم أن البلاء والصبر على قدر صلابة الدين عند الإنسان وقوته، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ((الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ. يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ))[٣].

وحين يعلم الصابر ما يزيحه الصبر عن كاهله من الذنوب يكون أكثر طمعاً في رحمة الله وأكثر رضى بقدر الله هذا عدا معية الله للصابرين، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤]، وَعَدَ وفاءِ الله بوعده لعباده الصابرين: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[٥]»[٦].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المصائب مكفرات للذنوب:

من فضل الله ونعمه أنه يبتلي عبده بالمصائب، وتكون تكفيراً لسيئاته، وحطاً لذنوبه، وقد بيّن رسول الله ﷺ ذلك في الحديث: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه).

قال القرطبي: (ومقصود هذا الحديث وأمثاله أن الأمراض والأحزان -وإن دقّت- والمصائب - وإن قلت- أُجِرَ المؤمن على جميعها، وكُفِّرت عنه بذلك خطاياه حتى يمشي

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٠٥.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٢٤٩، والحديث حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٩).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٥) سورة الروم، آية: ٦٠.

(٦) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين، محمود محمد الخزندار ص ٨٠ - ٨٥.

على الأرض وليست له خطيئة، كما جاء في الحديث الآخر، لكن هذا كله إذا صبر المصاب واحتسب، وقال ما أمر الله تعالى به في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[1]، فمن كان كذلك وصل إلى ما وعد الله به رسوله من ذلك"[2].

والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائماً، بل هو يوم يُسرُّ ويوم يَحْزنَ، فهو مصاب بمصائب في نفسه وبدنه ومجتمعه وأهله، ولا تحصى المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْراً لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ))[3].

قوله: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير"، المؤمن هنا: هو العالم بالله، الراضي بأحكامه، العامل على تصديق موعوده، وذلك: أن المؤمن المذكور إما أن يُبتلى بما يضره، أو بما يسره؛ فإن كان الأول صبر واحتسب ورضي، حصل على خير الدنيا والآخرة وراحتهما، وإن كان الثاني عرف نعمة الله عليه، ومنته فيها فشكرها، وعمل بها، فحصل على نعيم الدنيا ونعيم الآخرة.

وقوله: "وليس ذلك إلا للمؤمن"، أي: المؤمن الموصوف بما ذكرته؛ لأنه إن لم يكن كذلك لم يصبر على المصيبة ولم يحتسبها، بل: يتضجر ويتسخط، فينضاف إلى مصيبته الدنيوية مصيبته في دينه، وكذلك لا يعرف النعمة، ولا يقوم بحقها ولا يشكرها، فتنقلب النعمة نقمة، والحسنة سيئة -نعوذ بالله من ذلك-)[4].

فإذا أصبت بمصيبة فلا تظن أن هذا الهم أو الألم، ولو كان شوكة لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٤٦/٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٦٣٠/٦.

ورقها، وهذا من نعمة الله[١]، كما قال ﷺ: ((مَامِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، إِلاَّ حَاتَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ))[٢]، وقوله: إلا حات، أي: فتت، وذلك كناية عن إذهاب الخطايا[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التسرية والتسلية:

التسرية بمعنى كشف الألم وإزالته عن الفؤاد، وذلك من أنفذ الأساليب الدعوية إلى قلوب المدعوين، وفي الحديث: سلّى النبي ﷺ المصاب وسرّى عنه ما به من هم وغم ونحوه، ببيان أن جزاء ذلك تكفير خطاياه، فقال: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عنه خطاياه)، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده: قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده، قال: ((لا بأس عليك، طهور إن شاء الله))[٤]، وعن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على أم السائب وهي تزفزف[٥]. فقال: ((مالك؟ قالت: الحمَّى، أخزاها الله، فقال النبي ﷺ: مه، لا تسبيها فإنها تذهب خطايا المؤمن، كما يذهب الكير خبث الحديد))[٦]. وفي ذلك بيان أن الأمراض وغيرها من المؤذيات التي تصيب المؤمن مطهرة له من الذنوب، وأنه ينبغي للإنسان ألا يجمع على نفسه بين ضررين عظيمين: الأذى الحاصل، وتفويت ثوابه[٧]، فأسلوب التسلية والتسرية عن المصابين وغيرهم من أهم الأساليب التي ينبغي على الداعية أن يتبعها إظهاراً لتعاليم الإسلام مجسدة وكدليل على إخلاصه للدعوة وحبه للمدعوين[٨].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٩٩ - ١٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١١٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥١٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٩٩).

(٥) تزفزف: ترتعد، الوسيط في (ز ف ز ف).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥١٦، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٠١).

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤.

(٨) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٢٧٠.

الحديث رقم (٣٨)

٣٨- وعن ابْن مسْعُود رضي الله عنه قَالَ: دَخلْتُ عَلى النَبيِّ ﷺ وَهُو يُوعَكُ فَقُلْتُ يا رسُولَ اللَّه إنَّكَ تُوعكُ وَعْكاً شَديداً قال: «**أَجَلْ إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُم**» قُلْتُ: ذلك أَنَّ لَكَ أَجْرَيْن؟ قال: «**أَجَلْ ذَلك كَذَلك مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شوْكَةٌ فَمَا فوْقَهَا إلاَّ كَفَّر اللَّه بهَا سيئاته، (وَحطَّتْ عنْهُ ذُنُوبُهُ)** [1] **كَمَا تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرقَهَا**» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الْوَعْكُ: مَغْثُ الحُمَّى، وقيل: الْحُمى. وهو الألم الشديد من المرض

الشرح الأدبي

إن أحاديث المصطفى ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضاً، ولابد من قراءتها في ذلك السياق المتكامل، وترتيب مؤلف رياض الصالحين لها نابع من إدراكه لهذه القيمة التكوينية في تكامل دلالات الأحاديث.

فهذا الحديث الذي ينقل مشهداً مهيباً جليلاً مؤثراً وهو مشهد مرض النبي ﷺ له صلة عضوية بالحديث السابق: فهو تطبيق عملي، وتجربة حياتية لما قيل في الحديث السابق من أنواع الابتلاءات، وفي ختام هذا المشهد الحواري يَردُ الحديث السابق، وكأن هذه شفرة أسلوبية وإشادة معنوية لضرورة الربط بين الحديثين.

ولنتأمل هذا الحوار المضيء بالتعاليم النبوية، والتوجيهات الإسلامية، فالرسول ﷺ حتى في لحظة المرض لا يتوانى عن التوضيح والتوجيه والدعوة إلى الله، وشواهد الحوار يعلن عنها تكرار الفعل : فقلت، قال، قلت، قال.

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٨) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧١/٤٥)، إلا قوله: (وحطت عنه ذنوبه) فليس عندهما. وسيكرره المؤلف برقم (٩١٥).

والإيجاز هنا مناسب للمقام والسياق، فالرسول ﷺ يمر بلحظة لا مجال فيها للتفصيل والتفريع، ولذلك جاء كلام ابن مسعود موجزاً، وإجابات الرسول غاية في الإيجاز مع وضوح الدلالة، وبيان المراد.

ولفظ "يوعك" فعل مبني للمجهول، وأعاده ابن مسعود في حواره "إنك توعك وعكاً شديداً"، والوعك: حرارة الحمى الشديدة ووهناً للبدن وإضعافها إياه، وهذا درس في الابتلاء فالأنبياء يضاعف عليهم الوجع، فيضاعف الأجر، كما ورد في الحديث الشريف فيما معناه.

وهذا الحوار الموجز صاحبته عدة ظواهر أسلوبية تقرب المعنى وتوضحه في نفس السامع والقارئ، فالنداء في قول ابن مسعود: "يارسول الله" يدل على اللهفة والأسى لمرض المصطفى ﷺ.

والتأكيد بإنّ المصاحبة لكاف الخطاب "إنك" ثم زيادة التأكيد بمجيء الفعل المطلق مع صفته. "وعكاً شديداً" هذا الأسلوب يفصح عن موقف ابن مسعود وهو الخوف على رسول الله ﷺ وكيف لا وهو: صاحب سر رسول الله ﷺ، وبشره رسول الله بالجنة وقال تكريمًا له: ((رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد))[1].

وإعادة رسول الله ﷺ للألفاظ التي تحمل دلالة الحمى الشديدة وهي "الوعك" وما يدور في دائرتها، يوحي بثقل المرض الذي أشار إليه المصطفى ﷺ "يوعك مثل رجلين من الصحابة". ويربط ابن مسعود بين شدة الحمى ومضاعفة الأجر، ويقره الرسول ﷺ على ذلك في إيجاز يناسب المقام، ويراعي مقتضى الحال: فيقول: "أجل ذلك كذلك"، أي: مضاعفة الأجر مثل مضاعفة المرض، وفي ذلك مواساة لكل مسلم يبتليه الله بأي مرض أو نَصَب أو وَصَب أو هم أو حزن، أو أذى أو غم، ثم يُرسِي الرسول ﷺ قاعدة عامة ومنهجا في الاحتساب والصبر وله ظلاله وقبساته في الحديث السابق، لأن هذه الحالة ليست خاصة بالرسول فقط، وإنما الذي يخصه هو مضاعفة الأجر لشدة المرض، هذا المنهج يتمثل في قوله ﷺ "ما من مسلم يصيبه أذى: شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه، كما تحط الشجرة أوراقها".

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٥٤٣٨، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفي هذه القاعدة ظاهرتان من ظواهر الأسلوب في البيان النبوي وهما: أسلوب القصر ثم التشبيه، والقصر يحدد اختصاص المسلم بهذه الميزة وذلك الثواب، والتشبيه لتقريب المعنى إلى ذهن السامع وتمكينه منه - كما يقرر صاحب الطراز في باب التشبيه، ويرى أن أول أغراض التشبيه: التقرير والتمكين في النفس ولا يسقط من الشجرة إلا الورق التالف، والثمر المعطوب، فكأن المسلم الصابر المحتسب يظل مثل الشجرة الخضراء الوارفة الظلال اليانعة الثمار لا تؤثر فيها العواصف والأنواء، بل تظل دائمة العطاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانياً: من صفات الداعية: الصبر والتحمل وعدم الضجر.

ثالثاً: من خصوصيات النبي ﷺ: تحمل ما لا يطيقه غيره.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: المصائب مكفرات للذنوب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث وذلك من خلال ما دار بين رسول الله ﷺ وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه من حوار، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، قال: أجل... الحديث)، والحوار: نمط من أنماط التعبير تتحدث به شخصيتان أو أكثر، وقد اتسم حديثهم بالموضوعية والإيجاز والإفصاح أو غير ذلك، وهو الطابع الذي يتسق به الكلام بطريقة تجعله يثير الاهتمام باستمرار[1].

لذا ينبغي على الدعاة أن يفتحوا قنوات الاتصال بالمدعوين ومن أهمها الحوار، إذ أن أسلوب الحوار يؤدي دوراً فعالاً ومهماً في الدعوة، ويعطيها الحيوية والحركة ويبعث فيها النشاط[2].

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٢٢.

ولقد استخدم النبي ﷺ في دعوته الحوار في كثير من المواقف، وكان من بين أغراضه وأهدافه: تعليم الصحابة والناس أمور دينهم، ويبدأ الحوار بسؤال من الرسول ﷺ أو بسؤالٍ من أحد أصحابه، يستفيد منه المستمعون لهذا الحوار، والأمثلة على الحوار التعليمي في سنة الرسول ﷺ كثيرة، ومنها ما يأتي:

ما روي عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: ((لَقِيني كعبُ بن عُجرةَ فقال: ألا أُهدِي لكَ هَديةً سمعتُها منَ النبيِّ ﷺ؟ فقلت: بَلى فأهدها لي، فقال: سألْنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله كيفَ الصلاةُ عليكم أهلَ البيت، فإن اللهَ قد علمنا كيفَ نسلِّم. قال: قولوا اللّهمَّ صل على محمدٍ وعَلَى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حَميدٌ مَجيد، اللّهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيد))[1].

دار هذا الحوار بين الرسول ﷺ وأصحابه، فقد سأل الصحابةُ رضي الله عنهم الرسول ﷺ سؤالاً، فأجاب عليهم وعلمهم.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((كُنتُ مع النبي ﷺ فأصبحتُ قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا نبيَّ الله أخبرني بعملٍ يُدخِلني الجنَّة ويُبعِدُني عن النَّار قال: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ. تُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلا ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثُمَّ قَالَ: أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ (قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «رَأسُ الأَمْرِ الإسلام، وعَمودُهُ الصَّلاةُ وذِرْوَةُ سَنَامِهِ) الْجِهَادُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاَكَ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه فقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» قلت: يا رسول الله وإنَّا لمُؤاخَذون بما نتكلَّمُ به؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

دار هذا الحوار بين الرسول ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه وقد علمه الرسول ﷺ أموراً مهمة لكل مسلم[١].

ثانياً- من صفات الداعية: الصبر والتحمل وعدم الضجر:

إن ما يعين الداعية على الاستمرارية في دعوته وتبليغها للناس تجمُّله بالصبر والتحمل وعدم التبرم والضجر، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في تحمله للشدائد كلها بلا استثناء، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فقلت: (يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم..)، فإن تحلي الداعية بالصبر يجعله يتغلب على ما يقابله من عوائق وعقبات، ولقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بالصبر متأسياً في ذلك بإخوانه من الرسل عليهم السلام فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٢].

فما نرى الله عز وجل أوصى رسله بشيء أكثر مما أوصاهم بالصبر، وليس معنى الصبر هنا الاستكانة والذلة والقعود عن الدعوة، والكف عن التفكير في معالجة من يستطيلون بالأذى على الأحرار الأبرياء، وإنما الصبر هنا معناه أن يهضم الداعية ما يلقى من إعراض وعناد، وتحدٍّ وأذى، وأن يروض نفسه ومعدته العصبية على هضم ذلك كله وأن يحسن الاحتمال واستقبال كل شدة بالرضا والتسليم، وحمد الله على كل حال، وطلب المغفرة لمن يجهلون عليه، فإنهم لا يعلمون[٣].

إن الداعية إلى الله عز وجل في أمس الحاجة إلى خلق الصبر، إذ أن نظام الكون اقتضى أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر، ولذلك كان لآدم عليه السلام إبليس، وكان لإبراهيم عليه السلام نمروذ، وكان لموسى عليه السلام فرعون، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[٤].

---

(١) الحوار: "آدابه - تطبيقاته"، خالد محمد المغامسي ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٣١.

فما أحوج الداعية إلى الصبر على هذا البلاء ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

وقد جاء التوجيه لنبينا محمد ﷺ وهو خير الدعاة وإمامهم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[2].

فإذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم فإنه بالنسبة للداعي أشد ضرورة؛ لأن الداعية يعمل في ميدانين: ميدان نفسِهِ، يجاهدها ويحملها على الطاعة، ويمنعها من المعصية، وميدانٍ خارج نفسه وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم؛ لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[3].

ولقد أدرك هذه الحقيقة لقمان الحكيم وهو يوصي ولده وصيته المشهورة والتي نصّ عليها القرآن الكريم ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[4]، ونلاحظ في هذه الوصية المباركة أن لقمان رتب الأمر ترتيباً يحسن بالدعاة مراعاته، حيث بدأها بإعداد النفس وأخذها بالطاعة، ثم ثنى بدعوة الغير ثم أمره بالصبر على ما يصيبه، وتحمل ما يعرض له[5].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صبره وشدة تحمله على ما أصابه في طريق الدعوة فقد ألصقت به ﷺ عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن،

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز ص ٦٠ - ٦١.

(٤) سورة لقمان آية: ١٧.

(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ص ٧٧.

وساحر، ويعلمه بشر... إلخ، وقد كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد وصبر على ذلك ﷺ. وكان من صور صبره ﷺ في دعوته للمشركين ما جاء في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: ((كان الرَّجلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. والله لَيتمَّنَّ هذا الأمرُ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلاّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً»))[2].

ثالثاً- من خصوصيات النبي ﷺ: تحمل ما لا يطيقه غيره:

لقد اختص الله رسول الله ﷺ بما لم يخص به غيره، ومن ذلك ما ورد في الحديث من تحمله ما لا يطيقه غيره، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً، قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٢١٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٥.

لك أجرين؟ قال: أجل ذلك كذلك)، قال القاضي عياض: "والحكمة في إجراء الأمراض وشدتها على نبينا ﷺ، وعلى غيره من الأنبياء، أن ذلك زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم، وأسبابٌ لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم، وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المسلمين، وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر[1].

رابعاً: من موضوعات الدعوة: المصائب مكفرات للذنوب:

إنه لمن فضل الله عز وجل ونعمته على عبده المسلم أن يبتليه بالمصائب، وتكون -إن صبر عليها- تكفيراً لسيئاته وحطاً لذنوبه[2]، وفي الحديث صرح النبي ﷺ بذلك، فقال: (ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته، وحُطّت عنه ذنوبه، كما تحط الشجرة ورقها)، قال الطيبي: "قوله: وحُطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها، وحالة المريض وإصابة المرض جسده، ثم محو السيئات عنه سريعاً بحالة الشجرة، وهبوب الرياح الخريفية، وتناثر الأوراق منها سريعاً وتجردها عنها، فهو تشبيه تمثيلي لانتزاع الأمور المتوهمة في المشبه من المشبه به، فوجه التشبيه: الإزالة الكلية على سبيل السرعة لا الكمال والنقصان؛ لأن إزالة الذنوب عن الإنسان سبب كماله، وإزالة الأوراق عن الشجرة سبب نقصانها[3].

إن من نعم الله تعالى على عبده أن يبتليه بالمصائب فتكون تكفيراً لسيئاته وحطاً لذنوبه، والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائماً، بل هو يوم يُسر، ويوم يحزن، ويوم يأتيه شيء ويوم لا يأتيه، فهو مصاب بمصائب في نفسه، ومصائب في بدنه، ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصى المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن

---

(١) كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ص ٥٣١ - ٥٣٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٩/١.

(٣) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/١٣.

اصابته سراء شكر فكان خيراً له.

فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك ولو كان شوكة لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها وهذا من نعمة الله.

وإذا زاد الإنسان على ذلك، الصبر والاحتساب أي: احتساب الأجر كان له مع هذا أجر. فالمصائب تكون على وجهين:

أ- تارة إذا أصيب الإنسان تذكر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب، وزيادة الحسنات.

ب- وتارة يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويغفل عن نية الاحتساب والأجر على الله بشرط أن لا يضيق ذرعًا أو ينطق كفرًا فيكون في ذلك تكفير لسيئاته، إذاً هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه.

فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر لأنه لم ينو شيئاً ولم يصبر ولم يحتسب الأجر. وإما أن يربح شيئين كما تقدم.

ولهذا ينبغي للإنسان إذا أصيب ولو بشوكة فليتذكر الاحتساب من الله على هذه المصيبة، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى وجوده وكرمه حيث يبتلي المؤمن ثم يثيبه على هذه البلوى أو يكفر عنه سيئاته. فالحمد لله رب العالمين[1] على جزيل عطائه.

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٩٩ - ١٠٠.

الحديث رقم (٣٩)

٣٩- وعنْ أَبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ» رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يصب منه: ضبطوا يُصب بفتح الصاد وكسرها: ومعناه: ابتلاه بالمصائب ليثيبه عليها[٢].

الشرح الأدبي

إن الصبر تاج المؤمن، والاحتساب سلاحه الإيماني الذي يواجه به كوارث الحياة، ويقتحم ميادين المفاجآت، والمؤمن في استقباله لأحداث الحياة أمره كله خير؛ لأنه يدرك مصدر التدبير، ومنابع التقدير، فكل بارقة من بوارق الحياة تستمد أنوارها من الخالق الوهاب، وكل ما يغشى حياة المسلم من سحابات العناء، وغواشي الهموم. فمرده إلى رب الأرض والسماء، وهو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم؛ ولأن المؤمن يستمد من عطاءات ربه ما يقوي عزيمته، ويشحذ إرادته: فأمره كله خير: إن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر.

وحين نتأمل الأسرار التعبيرية التي تجلي واقع المؤمن، وتؤطر سلوكه في مواجهة أحداث الحياة من خلال قراءة هذا الحديث الشريف، قراءة جمالية للوقوف على بعض أسرار البيان النبوي، نرى أن المصطفى ﷺ يجعل الابتلاء بوابة لميدان الخير، والخير هنا ليس مكاسب دنيوية، ولا أمنيات قلبية، ولا خطرات نفسية، وإنما الخير هنا هو

---

(١) برقم (٥٦٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٨٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٢٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١١٣.

مراد الله للإنسان الصابر على البلاء، والراضي بالقضاء، والشاكر على النعماء.

وهذه المكافأة الإلهية للمؤمن الصابر يفصح عنها البناء اللغوي لهذا الحديث الشريف، فالحديث يتكون من سبع كلمات تجمع أنواع الكلم كلها: الاسم والفعل والحرف، وتنتظمه جملة لغوية واحدة، وهذه الجملة صيغت في أسلوب يعلن عن مضمون الحديث وهو مضاعفة الثواب للمؤمن الصابر المحتسب، وأسلوب الشرط والجزاء هو الصيغة المناسبة لأداء المعنى في هذا الحديث الشريف، وكثير من أحاديث المصطفى ﷺ، تجيء في هذا القالب اللغوي الإيحائي، وتلك سمة بلاغية مضيئة تعضد قول عبدالقاهر الجرجاني في تحديد قيمة بلاغة الكلام، وتحديد الطريق إلى استكشافها : فيقول البلاغة: تَوخِّي معاني النحو بين الكلم. وفعل الشرط جاء مضارعاً "يُرد" ليوحي بتحقيق الجزاء وديمومته، وتحقق المراد الإلهي، لأنه لا راد لأمر الله والله يفعل ما يريد، ولفظ الجلالة هنا: وهو الفاعل والقائم بالإرادة، هذا اللفظ يضئ حياة المؤمن، ويسكن في قلبه الخشوع والخضوع، والهيبة والجلال، ويدفع به إلى مقاومة ما يفاجئه من أهوال، وذكر الله في كل المواقف يرسخ قيمة الصبر والسكينة والتوكل على الله في نفس المؤمن مهما كابد وعانى في الحياة، ولفظ "به" حيث اكتفى رسول الله بالضمير، وهو عمدة المعارف ولم يحدد الرسول ﷺ هوية هذا الضمير وجعله يعود على كل ما يحرص عليه الإنسان من بدن ومال وولد ومكتسبات حياتية، والإيجاز من أهم سمات البلاغة النبوية، فهذه الجملة الشرطية لا تحدد شخصاً واحداً، ولا تحدد قيمة واحدة، ولكنها تنطبق على ملايين البشر الذين يستقبلون أقدار الله بالرضا والسكينة.

والمفارقة الأسلوبية والمعنوية تصبغ جو الحديث الشريف: فكيف يكون الخير هو طريق الابتلاء، وكيف يكون الابتلاء ثمرة من ثمار الخير: إنها إرادة الله عز وجل، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[1].

---

(١) سورة محمد، آية: ٣١.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1].

والتعبير بقوله: "يصب منه": جواب الشرط: أى يصيب الله المؤمن ببلاء، والتعبير بقوله: "منه" يفصح عن رحمة الله بعبده الصابر: فالمصيبة تظل جزئية، ولا تشمل كل جوانب الحياة لأن مِنْ للتبعيض: تبارك الله أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الابتلاء.

ثانياً: من أساليب الدعوة: البشارة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الابتلاء:

إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلايا والمحن، فإنّ ردّه ذلك الابتلاءُ والمحنُ إلى ربه، وجمعه عليه وطرحه ببابه، فهو علامة سعادته وإرادة الخير به. والشدَّة بتراء لا دوام لها، وإن طالت، فتقلع عنه حين تقلع، وقد عوض منها أجلّ عوض وأفضله، وهو رجوعه إلى الله، بعد أن كان شارداً عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائياً عنه، وانطراحه على بابه وقد كان عنه معرضاً، وللوقوف على أبواب غيره متعرضاً، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة، وإن ساءته وكرهها طبعه ونفرت منها نفسه، فربما كان مكروه النفوس إلى محبوبها سبباً ما مثله سبب، وقوله تعالى في ذلك هو الشفاء والعصمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2][3].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ص ١٥٣.

فالابتلاء في ذلك هو تطهير للمؤمن ورحمة وتكميلٌ له، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله: "من يرد الله به خيراً يصب من"، قال ابن حجر: (قال الهروي: معناه يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها)[١].

وقد عظّم النبي ﷺ هذا الثواب فقال: ((ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولاحَزَن ولا أذى ولا غَمّ - حتى الشَّوكةِ يُشاكها - إلا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه))[٢]، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ المُسْلِمَ، إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا عنهُ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا))[٣]، وقال ﷺ: ((عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ))[٤].

قال ابن عثيمين: (إن المراد من يصبر على هذه المصائب، فإن ذلك خير له، وذلك في تكفير الذنوب وحط الخطايا، ولا شك أن ذلك خير للإنسان، لأن المصائب غاية ما فيها أنها مصائب دنيوية تزول بالأيام كلما مضت الأيام خففت عليك المصيبة لكن عذاب الآخرة باقٍ والعياذ بالله! فإذا كفّر الله عنك بهذه المصائب صار ذلك خير لك)[٥].

ثانياً- من أساليب الدعوة: البشارة:

ورد ذلك في الحديث من تبشير النبي ﷺ لمن أصابته بلية بالخير والثواب من الله، ويحصل ذلك بصبره ورضائه وتسليم أمره لله، والبشارة من الأساليب الدعوية الهامة التي تبعث على انشراح الصدر وسعادة القلب، وذلك أدعى إلى جلب الطمأنينة وسكون النفس واستقرارها، وقد كان لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فكان ﷺ يبشر أصحابه رضي الله عنهم بعظيم الثواب من الله ويأمر بذلك، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٤١، ٥٦٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/١٠١.

النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن فقال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَن أنْفقَ زَوجَينِ في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنّةِ: يا عَبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاَةِ، ومَن كان مِن أهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، ومَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ من أهلِ الصدّقةِ دُعي من بابِ الصدَقة)). فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ اللهِ، ما على من دُعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: ((نعم، وأرجو أن تكونَ منهم))[٢].

فحري بالدعاة أن يقتدوا برسول الله ﷺ في تبشيره بعظيم الثواب، وحسن الجزاء من الله تعالى؛ وذلك أدعى إلى قبول الدعوة ونفاذها إلى قلوب المدعوين فضلاً عن حملهم على حسن العمل وإخلاصه بين يدي الله.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٩٧، ومسلم ١٠٢٧.

الحديث رقم (٤٠)

٤٠- وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «**لا يتَمنينَّ أَحدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ**[1] **أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فاعلاً فليقُل: اللَّهُمَّ أَحْيني ما كَانَت الْحياةُ خَيراً لِي وتوفَّني إِذَا كَانَتِ الْوفَاةُ خَيْراً لِي**» متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف؛ وميزان قوة المؤمن في قدرته على مواجهة المصائب، وفي يقينه الذي توهج به الحديث السابق وهو أن الابتلاء الإلهي طريق للخير الدنيوي والأخروي، إذا أحسن العبد استقبال مراد الله فيه، وصبر على البلاء، ورضي بالقضاء.

ولكن النفس البشرية تنتابها لحظات الضعف، وتسيطر على أجزاء من تضاريسها المتشبعة – أحياناً، أشباح اليأس، وتسري في شعابها وسراديبها أوهام الظنون، ويفقد بعض الناس تصالحه مع الحياة، فيحاول الهرب من واقعه إلى أودية الخيالات، ومتاهات المفازات، ويبالغ البعض في هروبه من ميدان المجابهة، ويتمنى أن يرحل عن آفاق هذه الحياة؛ ويوغل في أمنياته اليائسة فيتمنى الموت، "ولكن سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار" كما يقول العلماء الأخيار.

ولذلك يتوجه رسول الله ﷺ بالنهي إلى هذه الطائفة المهزومة التي تتكرر في كل زمان، وفي كل مكان، ويقول في أسلوب حاسم جازم مؤكد "لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه".

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (من ضر)، وبهذا اللفظ عنده برقم (٦٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧١) واللفظ له، ومسلم (١٠/٢٦٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٣٣). وسيكرره المؤلف برقم (٥٨٦).

والنهى هنا يحمل في طياته الأمر بعدم الوقوع في شباك هذه الأمنية اليائسة، وجاء الفعل مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة ليفصح عن شدة الأمر، وعظم المسؤولية، وحتمية الكف عن مثل هذه الخواطر والوساوس التي تتحول إلى واقع كئيب مظلم يؤدي بصاحبه إلى اليأس والانتحار والخروج من ملة الإسلام، والموت على الكفر.

ومجيء الفعل في صيغة المضارع يوحي بأن هذا الواقع المتصادم مع الحياة يمكن أن يستمر مع كل الأجيال، وجميع الأمم، ولكن المؤمن القوي قادر على المواجهة، وعلى الصبر، وعلى إسلام الوجه لله، والتسليم بإرادته عز وجل.

ولفظ "أحدكم" حين نتساءل لماذا عدل رسول الله ﷺ عن لفظ المسلم، أو المؤمن، أو العبد، إلى هذا اللفظ: الواحد منكم؟ إن الإجابة تكشف عن قيمة البيان النبوي المضيء بالألفاظ الموحية، والمعاني الصافية، وكأن المصطفى ﷺ يريد أن يبتعد بلفظ المسلم أو غيره من الألفاظ التي يتحدد مدلولها من خلال منطوقها عن جو هذا السلوك اليائس، ولذلك قال "أحدكم"، وكاف الخطاب: تتوجه بهذا الأمر إلى كل من يقرأ ومن يسمع، حتى لغير المسلم، عسى الله أن يتوب عليه ويأخذ بيده إلى آفاق الهداية، ومنارات اليقين وكلمة "ضر" جاءت في ثوب النكرة، لتفيد الشمول والعموم، فهذا اللفظ الموجز يموج بجميع أنواع الابتلاءات التي تصيب الإنسان في نفسه أو ماله، أو من يلوذ به أو نحوه، كما يقول الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وفي التعبير، بـ"يتمنى" دون يسأل، إيماء إلى أنه قد يكون من المستحيل لعدم مجيء حينه، فحصوله حينئذ أى الموت محال، وإن كان بأنواع السؤال، فسوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار[2].

وقال العلماء: يجوز تمني الموت شوقاً للقاء رب العالمين، حيث لا يعرف اليأس طريقاً

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/١٧٣.

للذين أحبوا ربهم، ((ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه))[١].

والتعبير بصيغة الماضي في "أصابه" إيحاء بعدم مصاحبة الضر واستمراره ولكنه عارض زائل، والمؤمن القوي يوقن أن الضر خير.

والجزء الثاني من الحديث جاء في قالب الشرط والجزاء، والجواب جاء في صيغة الأمر "فليقل"، للإيمان بوجوبية هذا السلوك تجاه هذه الحالة النفسية التي يتشوق فيها الإنسان للقاء ربه، والنجاة تمثل في الدعاء والاستنجاد بالله عز وجل: "اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي".

فقه الحديث

بين الحديث أهمية النفس الإنسانية وحرمتها وأن أحد الموبقات الموجبة لسخط الله وعذابه إلقاء النفس في التهلكة، أو تمني الموت والسعي إليه في غير حقه.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه يكره للإنسان أن يتمنى الموت نفسه، على أن المقصود هنا التمني المطلق؛ لأن فيه نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم، وأن التمني هنا إذ أريد به الفرار للآخرة فغير منهي عنه، كخوف الفتنة فغير منهي عنه، على أن يكون بالصيغة الواردة في الحديث؛ لأن فيها نوع تفويض لله تعالى وتسليمًا للقضاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عدم تمني الموت لما يصيب الإنسان من ضر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٧، ومسلم ٢٦٨٣.

(٢) حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز ٤١٩/٦، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٦٤/٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٧/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٤٨/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي لابن حجر ٩٦/٢، والمغني، ابن قدامة ٤١٨/٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩/١٧.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من نهيه ﷺ عن تمني الموت؛ لضر أصاب الإنسان؛ لأن في موته انقطاعاً لعمله الصالح وعدم زيادته، والنهي من الأساليب الدعوية التي يحسن بالداعية استعمالها في توجيه المدعو إلى اجتناب ما فيه هلاكه وهذا ما أفاده نص الحديث وكثر استخدامه في القرآن والسنة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عدم تمني الموت لما يصيب الإنسان من ضر:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "لا يتمنينَّ أحدكم الموت لضر أصابه ... إلخ" وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمنَ عمرُه إلا خيراً))[1].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز أن يتمنى الموت أحد من أجل ضيق نزل به؛ لأن طلبه الموت فرار من قدر الله، ويقاس على هذا أنه من تمناه من غير ضر لم يستحب له ذلك؛ لأن المؤمن إن كان على سبيل عمل صالح فإنه كل وقت في زيادة، وإن كان على غير عمل صالح فإنه يستعجل بتمني الموت ما هو شر له، فأما تمني الموت لخوف الفتنة فقد ذكر عن جماعة من الأخيار إلا إني أخاف أن يكون نفس تمنيهم الموت فتنة، وليس إلا الرضا بما يريد الله عز وجل به عبده)[2].

وهذا ما أكده القرطبي في قوله: (إنما نهى النبي ﷺ عن تمني الموت لأجل الضر؛ لأن ذلك دليل على الضجر والتسخط بالمقدور، وعدم الصبر والرضا، هذا مقصود هذا الحديث، وأما حديث أبي هريرة ففيه: النهيُ عن تمني الموت مطلقاً لضر ولغير ضر، ألا ترى أنه علَّل النهي بانقطاع العمر، فهذان الحديثان يفيدان مقصودين مختلفين لا يُحمل أحدهما على الآخر.

وقوله: "فإن كان لابُد متمنيًا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي" في هذا الحديث دليلٌ على استعمال التفويض وسؤال الخِيَرَة، حتى فيما لابد منه، وهو الموت،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٦٨٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٥/٥١.

وقد كان النبي ﷺ يعلمهم الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمهم السورة من القرآن، فإذا تمنَّى الموتَ، وجزم به، كان قد اختار لنفسه ما لعلَّه ينقطعُ عنه به خير، كما قال ﷺ: ((إن المؤمن لا يزيدُه عُمُرُه إلا خيراً))[١] وقد فسَّر هذا الخير البخاري، فزاد في هذا الحديث فقال: ((لا يتمنى أحدكم الموت، إما محسناً فلعله يزداد حسناً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب))[٢] والاستعتاب: طلب العتبى، وهو الرضا، وذلك لا يحصلُ إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب)[٣].

وهذا ما بينه ابن حجر في قوله: (وفي الحديث إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل يحصل زيادة الثواب، ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال، ولا يرد على هذا أنه يجوز أن يقع الارتداد والعياذ بالله تعالى عن الإيمان لأن ذلك نادر، والإيمان بعد أن تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وعلى تقدير وقوع ذلك -وقد وقع لكن نادراً- فمن سبق له في علم الله خاتمة السوء فلابد من وقوعها طال عمره أو قصر، فتعجيله بطلب الموت لا خير له فيه...، واستشكل بأنه قد يعمل السيئات فيزيد عمره شراً؟ وأجيب بأجوبة: أحدها حمل المؤمن على الكامل وفيه بعد. والثاني أن المؤمن بصدد أن يعمل ما يكفر ذنوبه إما من اجتناب الكبائر، وإما من فعل حسنات أخر، وما دام الإيمان باق فالحسنات بصدد التضعيف، والسيئات بصدد التكفير. والثالث يقيد ما أطلق في هذه الرواية بما وقع في رواية الباب من الترجي حيث جاء بقوله "لعله" والترجي مشعر بالوقوع غالباً لا جزماً، فخرج الخبر مخرج تحسين الظن بالله، وأن المحسن يرجو من الله الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح، وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ولا قطع رجائه[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣/٦ رقم ٢٣٩٧٣، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٣٩٦/٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٧٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٦٤٢/٢-٦٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/١٠.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

ما يستفاد من سياق الحديث في الاستجابة لنهي النبي ﷺ عن تمني الموت لضر أصاب الإنسان، وقد أمر الله تعالى عباده بطاعة نبيه في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[1] وقد رتب الحق تبارك وتعالى على طاعة نبيه حسن الجزاء وعظيم الأجر فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[2] أي: (من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم)[3] وفي ذلك بيان على عِظم وأهمية الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٥٣.

الحديث رقم (٤١)

٤١- وعنْ أبي عبدِ اللَّهِ خَبَّابِ بْن الأَرتِّ رضي الله عنه قال: شَكَوْنَا إِلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ وَهُو مُتَوسِّدٌ بُردةً لَهُ في ظلِّ الْكَعْبةِ، فَقُلْنَا: أَلا تَسْتَنْصرُ لَنَا أَلا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَد كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ لَهُ في الأَرْضِ فيجْعلُ فِيهَا، ثمَّ يُؤْتَى**[1] **بالْمِنْشارِ فَيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجعلُ نصْفَيْن، ويُمْشطُ بِأَمْشاطِ الْحديدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعظْمِهِ، ما يَصُدُّهُ ذلكَ عَنْ دِينِهِ، واللَّه ليتِمنَّ اللَّهُ هَذا الأَمْر حتَّى يسِير الرَّاكِبُ مِنْ صنْعاءَ إِلَى حَضْرمْوتَ لا يخافُ إِلاَّ الله والذِّئْبَ عَلَى غنَمِهِ، ولكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**» رواه البخاري[2].

وفي رواية: «وهُوَ مُتَوسِّدٌ بُرْدةً[3] وقَدْ لقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِين شِدَّةً»[4].

ترجمة الراوي:

خباب بن الأرت: هو خباب بن الأرت بن جندلة التميمي.

من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن عُذّب في الله تعالى فصبر، وكان سادس ستة في الإسلام، وكان أول من أظهر إسلامه مع رسول الله ﷺ، وأبي بكر، وصهيب وبلال وعمار، وسميّة أم عمار رضي الله عنهم، وكان في الجاهلية قيناً[5] يعمل السيوف، فأصابه سِباءٌ فبيع بمكة، فاشترته أم أنمار الخزاعية، وقيل: هو حليف بني زهرة، فلما أسلم استضعفه المشركون، فعذبوه ليرجع عن دينه فصبر ولم يُعط الكفار ما سألوا، فجعلوا يلزقون ظهره بالرَّصْف -وهي الحجارة التي حُميت بالشمس أو النار- حتى ذهب لحم متنِهِ.

وقد سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمَّا لقي من المشركين، فقال خباب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فنظر، فقال: ما رأيت كاليوم ظهر رجل!! قال خباب:

---

(١) لفظ البخاري (ثمَّ يجاءُ)، وكذا عنده برقم (٣٦١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٤٣.

(٣) عند البخاري زيادة: (وهو في ظل الكعبة).

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٥٢.

(٥) القين: الحداد، المعجم الوجيز في (ق ي ن).

لقد أوقِدت لي نارٌ وسحبتُ عليها فما أطفأها إلا وَدَك[١] ظهري.

وكان رضي الله عنه من المهاجرين الأولين، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين تميم مولى خراش بن الصِّمَّة، وقيل جَبْر بن عتيك رضي الله عنهما.

وقد أتى العاصَ بن وائل السهمي حتى يتقاضاه حقاً عنده، فقال العاص: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقال: لا حتى تموت ثم تبعث، فقال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قال خباب: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيك، فذكر خباب ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآية ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[٢][٣].

وقد مات بالكوفة، وهو أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وقال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد موته: رحم الله خباباً، أسلم راغباً، وهاجر طائعاً، وعاش مجاهداً، وابتلي في جسمه، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا.

وقد روى له البخاري ومسلم وغيرهما ٣٢ حديثاً، وتوفي سنة ٣٧هـ وقيل ٣٩هـ[٤].

غريب الألفاظ:

متوسد بردة: البردة: كساء مخطط يلتحف به أو كساء مربع أسود صغير، وتوسد: أي اتكأ أو وضع رأسه عليها[٥].

---

(١) الودك: الشحم والدهن، المعجم الوجيز في (و د ك).

(٢) سورة مريم، آية: ٧٧.

(٣) أخرجه البخاري، رقم (٤٧٣٢).

(٤) الطبقات، ابن سعد (٣/١٦٤-١٦٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٦٥٦)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٢/١٤٧-١٥٠)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٣٣٣)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١/٣٢٣-٣٢٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٢/٣٧٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٥٣٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢/٣٠١)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١/٦٩١-٦٩٥).

(٥) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٨٦، والوسيط ١٠٣١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ١١٣٠.

يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه: المشط: ما يتمشط ويرجل الشعر به، وقد يكون من حديد.

ما دون لحمه وعظمه: أي ما عند عظمه. والمعنى: أن الأمشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم إلى العظم وما يلتصق به من العصب[1].

الأمر: الإسلام[2].

الشرح الأدبي

في ظل الكعبة المشرفة، وفي رحاب البيت الحرام، تتصاعد أنفاس المؤمنين، وتجأر قلوبهم بالشكوى إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله ﷺ، وما أقدس المكان، وما أطهر الزمان، وما أجل الموقف، والشاكون هم ثلة من المسلمين الأولين، والمستمع هو الذي لا ينطق عن الهوى، والذي علمه شديد القوى، محمد بن عبدالله الصادق الوعد الأمين، والشكوى ليست ضعفاً ولا خوراً في الدين، وليست اعتراضاً ولا رفضاً لمنطق الصمود أمام جبروت الطغاة والظالمين، ولكنها شكوى تتضح في هالة الاستنصار، وهذا الاستنصار أي طلب النصر من القوي القهار، يتوجه به المصطفى المختار إلى ربه، لتثبيت أمته في وجه المشركين والكفار، واختيار المكان هنا في ظل الكعبة له دلالة شعورية، وحجة شرعية تتمثلان في صدق الدعاء، واتخاذ القدوة الحسنة، والاستنجاد بمن يقوي العزائم، ويهدي إلى طريق الرشاد.

وفي ظل الكعبة المشرفة يتوجه المؤمن إلى ربه داعياً مستغفراً، ومبتهلا مستنفراً، ولسان حاله يقول:

هنا الركن والحجر الطهور وزمزم ... هنا مشرق الرؤيا.. هنا الحب والمهد

أفيء إلى الأستار أُلْقي مواجعي ... وأحمل أثقالاً ينوء بها الجهد

---

(١) انظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٢٤٠، والوسيط ٨٧١، وشرح الطيبي، الطيبي ٧٠/١١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ١١٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٤/٧.

وتجـــأر أســـراري.. وتنطـــق أدمعـــي بمـا الـنفس تطويـه .. وفي بوحهـا يبـدو
وتظمـــأ أشـــواقي .. وتـــذوي منـــابعي وفي حجـــر إسماعيـــل ينهمـــر الوعـــد
وعـــيني ناجـــت.. واللـــسان مـــشاهد يـرى الـضوء فواحـاً بـه الحجـر الـصلد!!!
هنا الـضوء إيقـاع ... هنـا العطـر سـدرة بهـا تـسبح الأرواح في سـاحها تـشدو
هنـــا أول الأشـــواق مـــن عهـــد آدم هنـــا كـــان ميثـــاق النبـــيين .. والعهـــد
هنـــا البيـــت مثـــوى الآمـــنين تحـــوطهم مـــن الله أمـــلاك .. وتحرســـهم جنـــد
هنـــا تـــشرق الآيـــات أمنـــاً ورحمـــة بكـــل فـــؤاد نبـــضه الـــصدق والـــود
هنـــا الطـــير للإنـــسان يفـــضي بـــسره هنـــا الـــصخر أواب.. وإيقاعـــه حمـــد
هنـــا تخطـــر الأشـــجار في نـــور أمنهـــا وفي ظلـــها الفينـــان.. لا يفـــزع الـــصيد[1]

وحـين نتأمـل جماليـات الأداء الأسـلوبي في هـذا الحـديث النبـوي الـشريف نـدرك أن كل حرف، وكل كلمة، وكل جملة تنبض بالمعنى الدقيق، وتفصح الصياغة اللغوية عن دلالات كثيرة تصور الواقع الأليم، والخطر الجسيم الذي كان يلاقيه القابضون على دينهم، كأنهم يقبضون على الجمر، وراوي الحديث من هذه النماذج الصامدة التي أبت أن تستسلم، وأن تفرط في عقيدتها.

والشكوى تقدم إلى رسول الله في صيغة الجمع، "شكونا إلى رسول الله ﷺ"، وكان خباب من زمرة الشاكين، ولم يحدد نوع الشكوى لأنها ليست شكوى ذاتية فردية خاصة، وليست شكوى بدافع الحاجة وضيق ذات اليد، وليست شكوى من والٍ ظالم أو جار جائر، ولكنها شكوى تعلو فوق كل هذه الرغبات لأنها تنْبع من الحرص على العقيدة، والصمود في وجه أعداء الدين، ومكان الشكوى يعطي دلالة اختيار المكان والزمان في طلب الدعاء، واختيار أولى الألباب الذين يؤازرون، ويناصرون، وعن

---

(١) هذه الأبيات من قصيدة: أشواق حجازية الإيقاع: من شعر د. صابر عبدالدايم، وقد نشرت ب لة: الأدب الإسلامي، و لة الأزهر؛ وملحق الرسالة الإسلامية بجريدة: المدينة السعودية.

الحق يدافعون وطلب الاستنصار أو الدعاء، يأتي في صيغة الأسلوب الإنشائي "الطلبي" ويتكرر لفظ "ألا" مرتين وهي أداة استفتاح أو عرض ليوحي هذا التكرار بشدة رغبة هؤلاء المستضعفين المعذبين في الثبات أو الاستشهاد، ويتكرر التعبير بقولهم، "لنا" مرتين لتصوير هذه اللهفة إلى المؤازرة والمناصرة، وممن تكون من الله الكبير المتعال: الذي يقول للشيء كن فيكون، والذي يعد عباده الصامدين المجاهدين بالنصر المبين حيث يقول عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وعدم التصريح بلفظ "ربك" بعد الفعلين، هو إيجاز بالحذف.. وله دلالة وسر من أسرار البيان النبوي حيث يومئ بل ويرشد ويبين هذا الحذف أنه لا ناصر إلا الله، ولا مجيب للدعاء إلا الله، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[3].

فتأمل أخي المسلم هذه الأسرار اللغوية التي تكمن في كل حرف، وكل كلمة، وكل جملة من البيان النبوي الشريف.

ولنتأمل: إجابة رسول الله، وماذا قال لهم: إنه لم يدع لهم مباشرة، ولم يستنصر لهم ربهم لأن النصر متحقق، والدعاء مستجاب طالما ظلوا صامدين صابرين محتسبين وهم كذلك لأن فيهم بلالاً وخبابا وصهيباً، وياسراً وعماراً وهم الذين أوصى بهم ربهم رسوله محمداً ﷺ فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[4].

لقد قدم لهم رسول الله صورة أشد وأقسى في العذاب من ذلك الذي يلاقونه على أيدي المشركين في مكة.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) سورة الحج، آية: ٣٨.

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٨.

فقال: لقد كان من قبلكم... الحديث، وهذه الصور حقيقية، وليست أمثلة تقريبية: لأن الرسول أكد هذا الخبر في قوله: "لقد" فاللام للتأكيد، وقد للتحقيق، واسم الموصول "من" وما بعده "قبلكم"، يختصر الأمكنة والأزمنة حيث يومئ إلى ما حدث من عذاب في الأمم السابقة، وهذا المشهد التاريخي الذي قدمه رسول الله في هذا الحديث الشريف يجمع بين الواقع الماضي والواقع الآني، والواقع المستقبلي، حيث يصور المثل الأعلى في التضحية والفداء، من أجل العقيدة، وانتصار الحق وليس هناك تعذيب أقسى وأبشع من هذه الصورة التي رواها المصطفى ﷺ، في هذا الحديث الشريف، وهو بهذا التصوير الواقعي الصادق للبطولة والفداء يضع أمام الجماعة المؤمنة في كل عصر وفي كل مكان البشارات والوعود في نصر الله لأمة الإسلام المتمسكة بأصول الإيمان وأركان الإسلام: يقول الله عز وجل: "﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1][2]. ولفظ الرجل للتغليب، وللإشارة إلى أن المؤمنين لابد أن يظلوا صامدين وإيحاءً وتذكيراً بقول الله عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[3]؛ ونلاحظ توالي الفاء في المشهد فيوضع فيجعل نصفين، وقبل ذلك يقول: مصوراً عجلة الكفار في إيقاع العذاب بالمؤمنين "يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها" ويفصل بـ"ثم"، بين الإعداد والتنفيذ، إشارة إلى أن الكفار يرغبون في رجوع المؤمنين عن دينهم، ولكن هيهات: فرسول الله بشرهم بأن الله ناصرهم، وأن الدعوة ستنتشر وقد تحقق الوعد وأجيب الدعاء.

---

(١) سورة الروم، آية: ٤٧.

(٢) انظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم، وانظر: القصة في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بباب الإكراه، وهو: هل يجوز للمسلم إجراء كلمة الكفر على لسانه جراء الإكراه؟

اتفق الفقهاء: على أن الأفضل له أن يصبر على ما أكره به ولا ينطق بهذه الكلمة.

واختلفوا: في حكم من أجراها وأخذ بالرخصة:

جمهور الحنفية، ووجه للشافعية ووجه للحنابلة: على أنه يباح له إظهار اللفظ على معنى المعاريض والتورية صرف اللفظ إلى غير معنى الكفر من غير اعتقاد لمعنى ما أكره عليه فيصير اللفظ بمنزلة الناسي، وذلك لأن حفظ الحياة أعظم في نظر الشارع من أي شيء، لذلك قالوا من أكره بالقتل ولم يسعه أن ينطق بهذا اللفظ فهو آثم[1].

وجه للأحناف والمالكية، ووجه للشافعية وجمهور الحنابلة: على أنه لا يجوز له نطق هذه الكلمة بأي حال وله أن يصبر حتى لو قتل وهو أفضل، وذلك لأن إظهار الكفر محظور من طريق العقل لا يجوز استباحته للضرورات[2].

والصواب جواز النطق إذا كان فيه حفظٌ للحياة أو منعٌ من الهلكة، لأن القرآن عذر هؤلاء ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[3] والرسول ﷺ رفع الحرج عن المستكره كما في الحديث الشريف ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[4].

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٥٥/٢٤، والعناية على الهداية، البابرتي شرح الهداية ٢٧٧/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٢٩١/٢، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام ص ٩٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٨٥/٦.

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥/٢٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد بن أبي يوسف العبدري ٣١٣/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٢٩١/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٨٥/٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٠٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٠/٥، ١٦١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثبات الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للأذى في سبيل نصرة الإسلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الابتلاء سنة الله في المؤمنين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القسم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التبشير بانتصار الإسلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثبات الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للأذى في سبيل نصرة الإسلام:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قول خباب بن الأرت رضي الله عنه: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟" وهذا بيان لما لقيه الصحابة رضوان الله عليهم من شدة العذاب وبؤسه بسبب إيمانهم بالله تعالى، والذي يجعل العيون تقر والقلوب تسعد بهجة وفرحاً، وتحملهم للأذى في سبيل رضوان الله عليهم، فضربوا لنا بذلك أروع الأمثلة في الثبات على دين الله، وقد استفاضت السِيَرُ ببيان صبرهم رضي الله عنهم وثباتهم على إيمانهم، وكان من ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوبكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبوبكر، فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، ....)) الحديث وفيه: ((أما بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأَعْطَوْه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحد))[1].

قال الذهبي: (وروى منصور: عن مجاهد: أول من أظهر إسلامه سبعة، فذكرهم، زاد فجاء أبو جهل يشتم سُمية، وجعل يطعن بحربته في قُبُلها حتى قتلها، فكانت أول شهيدة في الإسلام)[2].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٠٤/١ رقم ٣٨٣٢، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٨٢/٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٠٩/١.

وعن الشعبي قال: (دخل خباب بن الأرت رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحدٌ أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال. فقال خباب: ما هو بأحق مني، إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحدٌ يمنعني، فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجل رجله على صدري. فما اتقيت الأرض-أو قال: برد الأرض- إلا بظهري؛ قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برِص)[1].

وفي رواية: (فقال: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم. قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا ودك ظهري)[2].

وفي ذلك بيان على ثبات الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم لصنوف العذاب من أجل إيمانهم بالله تعالى وفي ذلك عظيم القدوة والأسوة الحسنة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الابتلاء سنة الله في المؤمنين:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه".

فالابتلاء من الله تعالى هو باب من أبواب تمحيص العباد، وإظهار ما كان من صدق حب الله في القلوب، فيميز الله بذلك الخبيث من الطيب، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3] أي: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تبتلوا وتختبروا وتمتحنوا، كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم)؛ ولهذا قال: "ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

---

(١) حياة الصحابة، للكاندهلوي، ٤٥٠ والمراد أن به بياضًا أثر الحرق.

(٢) المرجع السابق ٤٥٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١٤.

البأساء والضراء" وهي: الأمراض؛ والأسقام، والآلام، والمصائب والنوائب ... و"زلزلوا" خوفاً من الأعداء زلزالاً شديداً، وامتحنوا امتحاناً عظيماً، كما جاء في نص حديث خباب بن الأرت)[١]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[٢].

قال القاسمي: (أي أحسب الذين أجرواكلمة الشهادة على ألسنتهم، وأظهروا القول بالإيمان، أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين، بل يمتحنهم الله بضروب المحن، حتى يختبر صبرهم وثبات أقدامهم وصحة عقائدهم. لتمييز المخلص من غير المخلص. كما قال: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[٣] وكقوله: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤] وكل هذه الآيات وأمثالها مما نزل بمكة في تثبيت قلوب المؤمنين، وتصبيرهم على ما كان ينالهم من أذى المشركين "ولقد فتنا الذين من قبلهم" أي من أتباع الأنبياء عليهم السلام، بضروب من الفتن من أعدائهم، كما دون التاريخ اضطهادهم. أي فصبروا وما وهنوا لما أصابهم حتى علت كلمة الله "فليعلمن الله الذين صدقوا" أي في قولهم "آمنا" "وليعلمن الكاذبين" أي فيه: وذلك بالامتحان)[٥].

(وقد حصل من هذاجانب عظيم للصحابة رضي الله عنهم، في يوم الأحزاب، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧١/١.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٢٦/١٣/٨-١٢٧.

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[١] ((ولما سأل هرقل أبا سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: فكيف كان الحرب بينكم؟ قال: سجالاً، يدال علينا وندال عليه. قال: كذلك الرسل تبتلى، ثم تكون لها العاقبة))[٢][٣]. وفي ذلك بيان على أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في المؤمنين.

رابعاً- من أساليب الدعوة: القسم:

يعتبر أسلوب القسم وسيلة هامة من وسائل إبلاغ الدعوة، إذ أنه يبصر الداعية بنفسه، ويعرفه مقامه الكبير، ويطلعه على ضرورة الصبر وعدم اليأس.

والغرض منه هو الاهتمام بالمقسم به، وبيان دوره في الدلالة على الهدف المقصود وهذا ما ظهر في الحديث، فالرسول ﷺ ما أقسم على تمام هذا الدين إلا ليشدّ من عزيمة أصحابه رضي الله عنهم، ويجعلهم يصبرون ويتحملون[٤].

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من قسم النبي ﷺ باتمام الله تعالى لهذا الدين، وذلك في قوله ﷺ: "والله ليتمَّنَّ الله هذا الأمر ... إلخ".

(وأسلوب القسم عرفه الناس قديماً واستعملوه تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق)[٥]، وهذا ما ورد جلياً في الحديث من استعمال النبي ﷺ له في إثبات انتصار الإسلام وتتممة الله تعالى له.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التبشير بانتصار الإسلام:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون".

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٥٧١-٥٧٢.

(٤) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩-٣٣٩.

(٥) المرجع السابق ٣٢٧.

قال د. يوسف القرضاوي: (أعتقد أن حديثنا عن المبشرات بانتصار الإسلام مطلوب -وخصوصاً في هذه الآونة- لأكثر من سبب:

١- هو مطلوب، لأننا مأمورون بصفة عامة أن نبشِّر ولا ننفر، كما نحن مأمورون أن نيُسِّر ولا نعسِّر، فإنَّ النبي ﷺ حينما أرسل معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصية الموجزة الجامعة: ((يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا))[1].

٢- وهو مطلوب، لأن المسلمين عامة -والعاملين للإسلام خاصة- يمرون بمرحلة عصيبة من مراحل تاريخهم المعاصر، وتكاد تغلب في هذه المرحلة عوامل اليأس، ومشاعر الإحباط، وهذا الشعور إذا استسلمت له الأنفس، قتل فيها الهمم، وخدَّر العزائم، ودمَّر الطموحات، وهذه المعاني هي التي تحرِّك الإرادات للعمل، وبذل الجهد.

ومردُّ هذا الشعور الأسود إلى الضَّربات المتلاحقة التي توجه بخبث ومكر -من أعداء الإسلام- إلى الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية، بغية إطفاء نور الإسلام، ووقف حركته، وتمويت يقظته، واستعانوا على ذلك ببعض حكام المسلمين، الذين خوَّفوهم من الصحوة، وحرَّضوهم على الصفوة، وأمروهم بضرب الدعوة.

٣- وهو مطلوب، لأن القوى المعادية للإسلام تريد أن تعلن -بل قد أعلنت بالفعل- على الإسلاميين حرباً نفسية، تُيئسُهُم من الأمل في غدٍ أفضل، والرجاء في مستقبل مشرق. وبدأت حملات مسعورة، تحركها قلوب موتورة، وتقودها أقلام مأجورة، وأبواقٌ مأمورة، تتهم وتلطخ وتشوِّه كل ما هو إسلامي، وتتهم دعاة الإسلام وأبناء الصحوة بالتطرُّف حيناً، وبالعنف أحياناً، وبالإرهاب طوراً، وبالأصول أطواراً، مطلقين على الحركة التي تدعو إلى الإسلام المتكامل - عقيدة وشريعة، ودينا ودولة- (اسم: الإسلام السياسي)، والإسلام الحقيقي لابدّ أن يكون سياسياً.

لهذا كان علينا أن نقاوم هذه الحملات المعادية بسلاح مضاد، وهو نشر الأمل بانتصار الإسلام، وإحياء الرَّجاء في مستقبله، وشحن نفوس الجيل الصاعد بهذا الشعاع الذي يبدّد ظلمات اليأس، وغيوم الإحباط.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

٤- وهو مطلوب كذلك، لأن كثيراً من المتدينين يشيع بينهم فكر مغلوط عن "آخر الزمان" وبعبارة أخرى: عن مستقبل الأمة، وهو مستقبل أقرب إلى السواد، إن لم يكن أسود حالكاً، هو فكر مؤسس على أفهام شاعت لبعض الأحاديث التي وردت في سياق الكلام عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ولكن هذه الأفهام غير سليمة.

لهذا كنا في حاجة إلى تجلية حقيقة "المبشرات" الغائبة عن كثيرين: من القرآن الكريم، ومن السُّنة المشرَّفة، ونشيعها بين المسلمين، حتى نبعث الأمل المحرك للعزائم ونهزم اليأس القاتل للنفوس)[١].

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيزٍ أو بذل ذليل، عزاً يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذلُّ الله به الكفر. وكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية))[٢].

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة، والدين والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب))[٣].

وكان من المبشرات النبوية: عودة الخلافة على منهاج النبوة لقول حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج نبوة ثم سكت))[٤].

---

(١) المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٥-٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٠٣/٤ رقم ١٦٩٥٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٥٤/٢٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٣٤/٥ رقم ٢١٢٢٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٤٨/٣٥.

(٤) أخرجه أحمد ٢٧٣/٤ رقم ١٨٤٠٦، وقال محقق المسند: إسناده حسن ٣٥٥/٣٠.

(والملك العاض -وفي رواية: العضوض- هو الذي يصيب الناس فيه عسف وظلم كأنه له أنياباً تعض. أما ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا.

فهذا الحديث يبشِّر بانقشاع عهود الاستبداد والظلم والطغيان، وعودة الخلافة الراشدة، المتبعة لمنهاج النبوة في إقامة العدل والشورى، ورعاية حدود الله وحقوق العباد)[1].

(١) المبشرات بانتصار الإسلام، د. القرضاوي، ٣٥.

الحديث رقم (٤٢)

٤٢- وعن ابن مَسعُودٍ رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثر رسولُ اللَّه ﷺ نَاساً في الْقِسْمَةِ: فأَعْطَى الأَقْرعَ بْنَ حابِسٍ مئةً مِنَ الإبلِ وأَعْطَى عُيَيْنَةَ (بْنَ حِصْنٍ)[١] مِثْلَ ذلِكَ، وأَعطى نَاساً مِنْ أشرافِ الْعربِ وآثرهُمْ يومئِذٍ في الْقِسْمَةِ. فَقَالَ رجُلٌ[٢]: واللَّهِ إنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ[٣] ما عُدِلَ فِيها، وما أُريد فِيهَا وَجهُ اللَّه، فَقُلْتُ: واللَّه لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فأتيتُهُ فَأخبرته بما قال، فتغيَّر وَجْهُهُ حتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ. ثُمَّ قال: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إذَا لَمْ يعدِلِ اللَّهُ ورسُولُهُ؟**» ثم قال: «**يرحَمُ اللَّهُ موسى قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصبرَ**» فَقُلْتُ: لا جرمَ لا أَرْفعُ إلَيه بعْدها حدِيثاً. متفقٌ عليه[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يوم حنين: حنين وادٍ بين الطائف ومكة المكرمة وهو إلى مكة أقرب (٢٦ كم شرقي مكة) و١١ كم عن حدود الحرم من علمي نجد وفيه وقعت غزوة حنين شوال ٨هـ[٥].

كالصِّرف: هو بكسر الصاد المهملة: وهو صبغ أحمرُ[٦].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد السيرة النبوية العطرة وهو الاحتفاء بالنصر في غزوة حنين، وما أروع هذا المشهد الذي يتصدره رسول الله ﷺ وهو يوزع على الناس ما منَّ الله به عليهم من الغنائم في غزوة حنين، بعد أن تلاقى الجمعان، واشتد

---

(١) الزيادة من المؤلف.

(٢) هو: معتب بن قُشير. تنبيه المعلم (٤٢١).

(٣) لفظ مسلم: (لقسمة)، ولفظ البخاري: (القسمة).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢/١٤٠) ولفظهما سواء.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٥٦.

(٦) رياض الصالحين ٦٥.

الصراع بين المسلمين والمشركين وكاد المسلمون يهزمون لولا تأييد الله لجند الإسلام، وقد أصاب بعضَ النفوس الغرورُ، وقال البعض: لن نغلب اليوم عن قلة؛ ويقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾[1]. ونتلقى من رسول الله درساً في الصبر والشجاعة حين استعاد المسلمون توازنهم وثقتهم في الله وفي أنفسهم. حين دوت صيحة المصطفى المختار في قلب المعركة مثبتاً قلوب أصحابه الأخيار، فقال: أنا النبي لا كذب وأنا ابن عبدالمطلب".

ورجحت كفة المسلمين، وباء المشركون بالخسران المبين، والهزيمة النكراء: وتظل صيحة رسول الله تتحدى كل ظالم جبار.

أنت الحبيب المصطفى والمجتبى ... والله ينصر كل من والاكا

"وأنا النبي ولا كذب، وأنا ابن ... تتحديان عداكا

تتحديان المغمضين قلوبهم ... والرافضين سبيل من قوّاكا

تتكاثران مع الزمان فكلنا ... حرب على من يستبيح حماكا

هي صيحة لك في حُنَيْنٍ حطمت ... جيش الضلال وخلدت دعواكا[2]

ما أعظم حلمك يا رسول الله، وما أقوى حجتك، أبعد هذه الشجاعة ، وذلك اليقين، وهذا الانتصار يجيء من يقدح في حكمك ورؤيتك وموقفك؟ وأنت تؤلف القلوب، وترغب ضعفاء الإيمان، وتستميل أشراف العرب الذين مازالوا يحتكمون إلى الموازين الدنيوية، والمواقف الاجتماعية القبلية، وأي إيذاء أكثر إيلاماً من هذا القول أو هذا الاتهام لرسول الله ﷺ: بعد أن آثر ناسا في القسمة، يقول أحد المعارضين: "والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله".

وما أجمل عفوك يا رسول الله إنك قد صبرت على الإيذاء، ولم تعاقب مثل هذا

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر، د. صابر عبدالدايم، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، من إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

الرجل على ما أبدى من آراء، ولكنك لم تستطع كتمان ما تشعر به من ضيق، فتغير وجهك حتى صار كالدم، ولكنك صبرت. وفي حزم وعدل نطقت فأفحمت، وبنيت فأقنعت ، وقلت في صدق ويقين.

"فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟؟" وهكذا يكون البيان: يزيل الشبهات، ويدحض الافتراءات. فالبيان- كما قال ابن المعتز ترجمان القلوب، وصقل العقول، ومجلي الشبهة، وموجب الحجة والحاكم عند اختصام الظنون، والمفرق بين الشك واليقين، وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المصعب واستقام الأصْيَد، وبُهت الكافر، وسلَّم الممتنع، حتى قوي الحق بأنصاره، وخلا ربع الباطل من عُماره وخير البيان، ما كان مصرِّحاً عن المعنى، ليسرع إلى الفهم تلقيه، وموجزاً ليخف على اللفظ تعاطيه[1].

إن هذه الجملة المشرقة بكل المعاني المضيئة بالقيم الإيمانية كشفت الشبهة، وأزالت الظنون.

وصاغها رسول الله ﷺ في نسيجين لغويين يفصحان عن الموقف، ويعبران عن الضيق الذي شعر به رسول الله ﷺ، ولكنه صبر حرصاً على مصلحة الأمة، والنسيج اللغوي الأول: هو أسلوب الاستفهام الإنكاري تأكيداً لصواب الموقف، وصحة التقسيم، ورداً على هذا المعترض الذي يجهل كثيراً من مقاصد الدعوة، وأهدافها، والنسيج الثاني هو أسلوب الشرط والجزاء، وهذان النسيجان يمتزجان في عبارة، أو جملة متكاملة تحدد الموقف، وتزيل اللبس، في قوله ﷺ: "فمن يعدل! إذا لم يعدل الله ورسوله"، ولنتأمل دقة هذا البيان المحكم؛ حيث جاء بلفظ الجلالة، ونسب العدل إلى الله ثم إليه أي إلى الرسول، لأنه يبلغ عن ربه، ولأنه لا ينطق عن الهوى، ونلاحظ أن جواب الشرط محذوف: وقد دل عليه ما قبل فعل الشرط، وكأن حذف الجواب يعلن عن أنه لا وجود للنظير أو المكافئ في هذا السياق أو المجال، أو في أى مجال آخر فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟!! لا أحد، يكافئهما ويساويهما في ذلك.

---

(١) انظر: زهر الآداب للحصري القيرواني.

والحديث حوار بين عدة أطراف، حوار بين ابن مسعود، ومعتب بن قشير، الذي اعترض على القسمة، وقيل إنه ذو الخويصرة، وهو أبو الخوارج؛ وعدم التصريح باسمه في الحديث لعدم التشهير به، أو لأن القضية ليست قضية أشخاص ولكنها تحديد مواقف، وحسن خطاب لرسول الله ﷺ، وهذا الرجل لم يوفق في هذا الموقف ولم يحسن الخطاب في اعتراضه المشين على تصرف النبي ﷺ.

ومما يدل على تسرعه، وبعده عن الحكمة في القول أنه صاغ اعتراضه في أسلوب القسم والتأكيد، وأنه نفى أن تكون هذه القسمة لوجه الله، وهذا حمق في التصور، وإيغال في الاعتراض:

وقال بعض العلماء في تعليل موقف هذا الرجل الذي لم يفهم سر هذا التقسيم، ورصد صورته الخارجية فقط، يقول مفيداً بأن هذا الاتهام يدل على حجب بصيرة قائله عن مشكاة أنواره ﷺ، وإلا فلو أشرق فيه بعض ذلك النور "أي نور الهداية" لامتلاء قلبه من الخير، وعلم أنه ﷺ الطبيب الحاذق الذي يداوي كل سفيه، ويذهب بحكمته كل ضير وألم، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور[1].

ولقد عالج رسول الله أدواء كثيرٍ من العناصر التي اعتنقت الإسلام حديثاً. تأليفاً لقلوبهم، وترغيباً لهم في الإخلاص للإسلام، والأقرع بن حابس كان من وجهاء العرب، وطالما تصدى للمسلمين، وكذلك عينية بن حصن بن بدر الفزاري، كان من قواد جيش الأحزاب في غزوة الخندق، وله مكانة في قومه وكذلك غيره من أشراف العرب، وضعفائهم الذين آثرهم رسول الله بالزيادة.

وقيل إن اختيار لفظ "ناساً" في سياق هذا الإيثار في القسمة له دلالة تفسر ذلك الموقف وهو أن لفظ "الناس" قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية، وهو: وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة فهذا اللفظ من هذا السياق يحدد المراد من هؤلاء الناس.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/١٧٩.

والحوار الذي دار بين ابن مسعود ورسول الله ﷺ يرشد إلى قيمة الأمانة وصدق الحديث وضرورة تبليغ القائد والراعي بكل ما تموج به أحاديث العامة من إفك وافتراءات تؤثر في المناخ العام، وتثير البلبلة في أوساط المجتمع وكذلك يصور هذا الحوار أدب الصحابة في مخاطبة رسول الله ﷺ؛ ويصور كذلك حرص رسول الله على التئام شمل أمته، وعلى أنه لا يغضب لذاته ولكنه لله تعالى؛ ويعلم أمته درساً في الصبر والثبات ومواجهة الأزمات مهما كانت .فيقول معقباً على موقف هذا المعترض: "يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر"، ويتألم ابن مسعود للإيذاء الذي حدث لرسول الله ﷺ فيقول موضحاً الموقف في هذا السياق، "لا جرم: لا أرفع إليه بعدها حديثاً" إنه الحب لرسول الله ﷺ والخوف عليه من آثار الكلمة السيئة، والفعل المشين، ولكنه ﷺ يعلمنا أعظم الدروس في الصبر والعدالة والشجاعة والفصاحة واليقين.

فقه الحديث

بين الحديث أحكام قسمة الغنائم وأنها إلى الإمام، وله أن يؤثر البعض في القسمة لحكمة يراها، كما فعل رسول الله ﷺ، حين آثر البعض في القسمة تأليفاً لقلوبهم، وترغيباً لهم في الإسلام، وكذا ما يقاس على هذا من أمور يرى الإمام فيها مصلحة المسلمين أياً كانت.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يجوز للإمام أن يؤثر بعض المقاتلين بشيء من الغنيمة لهدف يراه كأن كان أكثرهم شجاعة وثباتاً وفداء، أو كان له دور مؤثر، أو تأليفاً

---

(١) بدائع الصنائع، الكاساني ١١٤/٧ وما بعدها، وتبيين الحقائق، الزيلعي ٢٤٨/٣ وما بعدها، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي لأحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٠/١ وما بعدها، ط/ دار الفكر، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش للشيخ عليش ١٨٠/٣ وما بعدها، ومغني المحتاج للشربيني ١٥١/٤، ١٦٣، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٤٣/٦ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة ٣١٢/٦، ٣١٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٤١/١ وما بعدها، ونيل الأوطار، الشوكاني ٣٤٢/٧.

لقلب جمع منهم لمصلحة المسلمين وتقديمهم على من كان من أجناده قوي الإيمان مُؤثِراً للآخرة على الدنيا وغير ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تأليف قلوب المدعوين بالمال.

ثالثاً: من آداب المدعو: وجوب التسليم بحكم الله ورسوله ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان جزاء من آذى النبي ﷺ.

خامساً: من فقه الداعية: تقديم مصلحة الإسلام على الانتصار لنفسه.

سادساً: من صفات الداعية: الصبر والمصابرة.

سابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثامناً: من آداب المدعو: عدم نقل ما يؤدي إلى الشحناء والبغضاء.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

"الحكاية من قولك: كقولك حَكَيْت فلاناً و حاكَيْتُه فَعَلْتُ مثل فِعْله أَو قُلْتُ مثل قَوْله سواءً لم أُجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية"[1]، وهذا ما ورد في الحديث (من قول ابن مسعود رضي الله عنه حاكياً ما كان يوم حنين من إيثار النبي ﷺ لبعض الناس في القسمة تأليفاً لقلوبهم، وما تبع ذلك من قول)، والحكاية من الوسائل الدعوية الهامة التي يتوصل بها الداعية إلى أعماق قلوب المدعوين، لما في ذلك من ميل النفس إليها وتعلق عين المدعو وأذنه وانتباهه بنسقها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تأليف قلوب المدعوين بالمال:

إن تأليف القلوب بالمال يعد من أهم مداخل الدعوة إلى الله تعالى، فقد يكون المال سببًا في إسلام غير المسلم، أو تثبيت إيمان مسلم، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من تأليف النبي ﷺ لقلوب من كان حديث عهد بالإسلام، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه

---

(١) لسان العرب ٩/١٨/ ٣٠٨، والقاموس المحيط ١١٧٣.

قال: (لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى ناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة).

ونظراً إلى أهمية تأليف القلوب بالمال، نجد أن الحق تبارك وتعالى قد عد ذلك من مصارف الزكاة فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

قال ابن الجوزي: (قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قوم كان رسول الله ﷺ يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم، وكانوا ذوي شرف، وهم صنفان: مسلمون، وكافرون. فأما المسلمون، فصنفان؛ صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة، فتألفهم تقوية لنياتهم، كعيينة بن حصن، والأقرع؛ وصنف كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين، مثل عدي بن حاتم، وأما المشركون، فصنفان؛ صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألفهم دفعا لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل؛ وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أمية"[2].

وقد كان صفوان مشركاً يوم حنين، فأعطاه النبي ﷺ حتى قال: ((وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[3]، ومما لا شك فيه أن الداعي الذي يعطي إذا صار أحب الناس إلى المدعو فإن كلامه يسمع وأمره ينفذ، ونهيه يحترم[4].

وكان من أصناف المؤلفة قلوبهم كما بينها ابن الجوزي، صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم النبي ﷺ تقوية لنياتهم، وليس أدل على ذلك من قول سعد

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٤٥٧/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

(٤) ركائز الدعوة إلى الله تعالى في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ٢٣٦.

ابن أبي وقاص رضي الله عنه : إنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ أعْطى رَهْطاً -وسعدٌ جالسٌ- فتركَ رسولُ اللّه ﷺ رجُلاً هُوَ أَعْجَبُهُم إليَّ. فقلتُ : يا رسولَ اللّهِ ما لَكَ عنْ فُلانٍ؟ فَوَاللّهِ إنّي لأَرَاهُ مُؤْمِناً. فقال: أو مُسْلماً. فسَكتُّ قَليلاً. ثمَّ غَلَبَني ما أعْلَمُ مِنه فعُدتُ لِمَقالتي فقلتُ: ما لَكَ عن فُلانٍ؟ فوَاللّهِ إني لأراهُ مُؤْمناً فقالَ: أوْ مُسلِماً. ثمَّ غَلَبَني ما أعلم منهُ فعُدْتُ لِمَقالَتي، وعادَ رسولُ اللّه ﷺ. ثمَّ قال: ((يا سَعدُ، إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وغيرُهُ أَحَبُّ إليَّ منهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللّهُ في النار))[1].

قال ابن حجر: (وقوله رضي الله عنه : "مالك عن فلان؟" يعني أيُّ سببٍ لعدولك عنه إلى غيره؟...، ومحصل القصة أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفا، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة، وترك جعيلا وهو من المهاجرين مع أن الجميع سألوه، خاطبه سعد في أمره؛ لأنه كان يرى أن جعيلا أحق منهم لما اختبره منه دونهم، ولهذا راجع فيه أكثر من مرة، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين: أحدهما: إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك، وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطى؛ لأنه لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار)[2].

أما ما أورده ابن الجوزي في أن من أصناف المؤلفة قلوبهم، من كانت نياتهم حسنة، فأعطوا تألفاً لعشائرهم من المشركين، فدليل ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه : ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبيَّ ﷺ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إيَّاهُ. فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَوَاللّهِ إنَّ مُحَمَّداً ﷺ لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[3]، فأصبح المدعو بعد تأليف قلبه بالمال داعياً إلى الإسلام، فما أعظم وأجل أثر الإعطاء على القلوب.

وقد بين القاسمي: (أن المؤلفة قلوبهم حكمهم باق؛ لأنه ﷺ أعطى المؤلفة من المسلمين والمشركين فيعطون عند الحاجة. ويحمل ترك عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧، ومسلم ٢٣٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٠٠ - ١٠١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

إعطاءهم على عدم الحاجة إلى إعطائهم في خلافتهم، لا لسقوط سهمهم)[١].

وفي إيضاح ذلك قال د. محمد سعيد البوطي: (ولقد كان اجتهاد عمر رضي الله عنه في هذا متعلقاً بتحقيق المناط، فلقد رأى أن الإسلام وصل شأنه إلى القمة في القوة والمنعة، سواء من الناحية المعنوية المتعلقة بسطوع حجته وبرهانه، أو من الناحية المادية المتعلقة بكثرة أهله وسعة انتشاره... فتبدى له رضي الله عنه أن مناط حق هؤلاء في الزكاة لم يعد متحققاً في عهده، فالإسلام في منعة وعزة لا يحتاج معهما إلى أن يخاطب ودهم بالمال، فألغى عطاءهم موافقة لنص الآية التي ربطت حق عطائهم بتألف المسلمين إياهم)[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: وجوب التسليم بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم:

هذا واضح من تغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن قال المنافق قالة السوء: (والله إن هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟).

فدلّ هذا على: أن المدعو يجب عليه أن يسلم بما حكم الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم سواء أفهم الحكمة أم لم يفهم، وسواء أصابه نفع، أم لم يصبه في الظاهر له، فإن حكم الله ورسوله عدل كله وخير كله.

والأصل في العبادات بالنسبة للمكلف التعبد والامتثال دون الالتفات إلى الحكم والمعاني، وإن كانت ظاهرة في كثير منها، قال ابن عثيمين مقرراً ذلك: (يجب أن نعلم أن ما أمر الله به ورسوله، أو نهى الله عنه ورسوله فهو الحكمة، فعلينا أن نُسلم، ونقول إذا سألنا أحد عن الحكمة في أمر من الأمور: إن الحكمة أمر الله ورسوله في المأمورات، ونهي الله ورسوله في المنهيات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣].

---

(١) محاسن التأويل ٥/٨/٢٤٤.

(٢) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

وسئلت عائشة رضي الله عنها (ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصيام ولا نؤمر بقضاء الصلاة[١]، فاستدلت بالسنة ولم تذكر العلة، وهذا هو حقيقة التسليم والعبادة، أن تكون مسلِّماً لأمر الله ورسوله عرفت حكمته أم لم تعرف، ولو كان الإنسان لا يؤمن بالشيء حتى يعرف حكمته لقلنا: إنك ممن اتبع هواه فلا تمتثل إلا حيث ظهر لك أن الامتثال خيرٌ[٢].

ولله در الفاروق عمر رضي الله عنه حين قال: (فيم الرملان والكشف عن المناكب وقد أطّأ[٣] الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟مع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ)[٤].

ولا يفهم أحد مما سبق أن البحث عن الحكم والمعاني في العبادات التي دلت عليها القرائن ليس بمطلوب، كيف لا وقد ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ شيئاً من ذلك مثل قول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٧].

... ولكن المراد التحذير من التنطع في استخراجها، أو ربط القيام بالتنفيذ والعمل بمعرفتها، والأصل في العادات والمعاملات الالتفات إلى المعاني والبحث عن الحكم، وإن كانت لا تظهر في اشياء منها)[٨].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان جزاء من آذى النبي ﷺ:

---

(١) انظر: البخاري مع فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠١/١، رقم ٣٢١.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٦٥/٤ - ١٦٦.

(٣) أطّأ الله الإسلام: ثبته وأرساه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ط أ).

(٤) أخرجه أبو داود ١٨٨٧، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٢٦٦٢).

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٨) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني ص ١٠٤ - ١٠٥، ضمن سلسلة كتاب المنتدى حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال.

يستفاد هذا مما ورد في الحديث من قول القائل في قسمة النبي ﷺ: (هذه قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله) قال القرطبي: (هذا قول جاهل بحال النبي ﷺ غليظ الطبع، حريص، شره، منافق. وكان حقه أن يقتل؛ لأنه آذى رسول الله ﷺ. وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1])[2].

وخير دليل على هذا ما أخرجه النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن أعمى كان على عهد رسول الله ﷺ وكانت له أم ولد وكان له منها ابنان، وكانت تكثر الوقيعة برسول الله ﷺ وتسبه، فيزجرها فلا تنزجر وينهاها فلا تنتهي، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي ﷺ فوقَعَت فيه فلم أصبر أن قمت إلى المغول فوضعته في بطنها فاتكأت عليه فقتلتها، فأصبحت قتيلاً، فُذكر ذلك للنبي ﷺ فجمع الناس وقال: أنشد الله رجلاً لي عليه حقٌ فَعَل ما فَعَل إلا قام، فأقبل الأعمى يتَدَلْدَل فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت أم ولدي وكانت بي لطيفة رقيقة ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ولكنها كانت تكثر الوقيعة فيك وتشتمك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، فلما كانت البارحة، ذكرتُك فوقعت فيك، فقمت إلى المِغْول فوضعته في بطنها فاتكأت عليها حتى قتلتها، فقال رسول الله ﷺ: ألا أشهدوا أن دَمَها هَدَرٌ))[3].

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: (إنَّ رجلاً سَبَّ أَبَا بكرٍ رضي الله عنه، فقلتُ: أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ يا خليفةَ رسولِ الله فقالَ: لا، ليستْ هذِهِ لأحدٍ بعدَ رسولِ الله ﷺ)[4]، وبلغ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن المهاجر بن أبي أمية -وكان أميراً على اليمامة- قد رفع إليه امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم النبي ﷺ فقطع لسانها ونزع ثناياها، وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع لسانها ونزع ثناياها، فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه: بلغني الذي فعلت بالمرأة التي تغنت بشتم النبي ﷺ، ... ولولا ما سبقتني فيها لأمرتك بقتلها؛ لأن

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١٠٧/٣.

(٣) أخرجه النسائي ١٠٧/٧، وأخرجه أبو داود ٤٣٦١ وصححه الألباني.

(٤) سنن النسائي، ط/ دار الريان للتراث ١٠٩/٧، ١١٠.

حد الأنبياء ليس يشبه الحدود فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد، أو معاهد فهو محارب غادر؛ وأما التي تغنت بهجاء المسلمين: فإن كانت ممن يدعي الإسلام فأدب دون المثلة، وإن كانت ذمية فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروهاً"[1].

"وفي ذلك بيان على أن من سب النبي ﷺ وهو مسلم فإنه يكون مرتداً وفي استتابته خلاف". ويشمل ذلك الحكم كل من سبّ نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، أو استخف بحقه، أو انتقصه، أو نسب إليه ما لا يجوز عليه، كعدم الصدق والتبليغ..

خامساً- من فقه الداعية: تقديم مصلحة الإسلام على الانتصار لنفسه:

إن تمكين الإيمان من القلوب وتحقيق دعوة الإسلام وقيام دولته، غاية عظيمة وهدف جليل، والداعية المحنك هو الذي يوازن بين المصالح والمفاسد، فيسعى إلى تحقيق غايته ولو كان في ذلك صبرٌ على بعض المفاسد، وهذا ما فعله النبي ﷺ -وهو القدوة والأسوة- من عدم قتل من آذاه من المنافقين كما في الحديث الذي نهى فيه عن قتل المنافق.

قال القرطبي: (العذاب في الدنيا لمن آذى رسول الله ﷺ هو: القتل، لكن لم يقتل النبي ﷺ هذا المنافق الذي أظهر ضغن قلبه وخبث نفسه؛ للمعنى الذي قال ﷺ وهومن حديث جابر رضي الله عنه: ((لا يتَحدَّثُ الناسُ أنَّ محمداً يَقتُلُ أصحابَه))[2]، ولهذه العلة امتنع النبي ﷺ من قتل المنافق)[3].

قال النووي: (قوله ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه، وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام ويتمكن

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٦/٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥١٨، ومسلم ٢٥٨٤.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١٠٧/٣.

الإيمان من قلوب المؤلفة ويرغب غيرهم في الإسلام، وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولأنهم كانوا معدودين في أصحابه ﷺ ويجاهدون معه إما حمية وإما لطلب دنيا أو عصبية لمن معه من عشائرهم)[1].

قال البهي الخولي: (هذا هو المعنى المطلوب من الداعية في باب سياسة العقبات تحقيقاً للغاية العظمى، وقد قصّ الله عز وجل على رسوله مثلاً فيه الكثير من التوجيه الحسن في هذه السياسة: فإن موسى عليه السلام لما بلغ أشده واستوى، راعته مظاهر الظلم التي ينزلها المصريون بالشعب الإسرائيلي... وموسى شاب يهيئه الله سبحانه للرسالة، فهو ذو نفس حساسة، تكره الظلم، وتثور على مظاهره، فدخل المدينة مرة على حين غفلة من أهلها ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾[2].

إن الظلم جريمة يجب استئصالها بدون نزاع، وموسى عليه السلام إنما كانت رسالته تخليصَ بني إسرائيل مما كان يقع بهم، فهل سلك موسى بهذا العمل سبيلاً سديداً في علاج هذا الفساد؟

ماذا عاد على الإسرائيليين من قتل المصري المعتدي؟ هل استؤصل الظلم وامتنع

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٥.

(٢) سورة القصص، الآيات: ١٤ - ١٩.

الأذى؟

إن المصري قد يكون له بعض العذر في ضرب الإسرائيلي وظلمه؛ لأنه إنما يجري في ذلك على عادة شائعة موروثة، وسنة مرعية، يرعاها فرعون مصر الأكبر... فإذا أردنا العلاج الصحيح، فلن يكون بعلاج الحوادث الفردية، وإنما بتغيير العادة الشائعة، وإبطال السنة، أو القانون الذي يرعاه فرعون... أما قتل فرد أو عدة أفراد كما حدث من موسى عليه السلام، فهو عمل لا يقرب من الإصلاح خطوة واحدة، وقد نَعَته موسى بأنه من عمل الشيطان.

على أن علاج الفساد بعلاج حوادثه الفردية، كثيراً ما يوقع تحت طائلة القانون، ويغضب مقامات كبيرة لها منفعة في استمراره على ما هو عليه، وحينئذ يعرِّضُ الداعية نفسه لحكم القانون ولبطش الجبارين في غير نفع يعود على الرسالة.

لا نشير بالجبن، ولا بالاستكانة، ولكنا نحب للداعية أن يتسع أفقه العقلي والنفسي، فيعالج مبعث العلة، وأصلها بالحكمة والروية وحسن النظر في مبادئ الأمور ونهاياتها، فذلك هو السبيل الطبيعي للعلاج، أما الوثوب على الحوادث الفردية، ومظاهر الفساد المتفرقة، فشأن البسطاء الذين يذهبون مع حرارة العاطفة دون تقيد بالنظر في عواقب الأمور، وشأن من لا يدخرون أنفسهم لما هو أجل...

وما على الداعية في علاج هذه العقبة الكبرى... إلا أن يستمسك بعزته ويعتصم به، ولا يفرط في رسالته، عليه أن لا يفتر عن الدعوة إليها، وسوف يرى أن فيض الرسالة سيغرق العقبة كما أغرق الله فرعون في نهاية أمره.

ونحن نلاحظ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد ثبت فؤاده بهذا القصص، فلم يعجل عليه السلام بعلاج فردي، بل كان يصلي في الكعبة في جوف الليل. والأصنام تطل عليه بعيونها الجامدة البغيضة، فلم يرفع إليها يداً، ولم يحرك نحوها ساكناً ولو مدّ إليها يداً لما رآه أحد، ولكن ماذا تكون العاقبة؟ تعود الأصنام لما كانت، بل إلى أحسن مما كانت، ويعاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى ولكنه علم أن سبيل العلاج شيء غير هذا، هو الصبر والاستمرار على الدعوة، وتجميع الأنصار وتعبئة القوى، وتقرير العقيدة السليمة

والاحتكام إلى معايير العقل، فلما أن أتى الله باليوم الموعود، كان عليه السلام يشير إلى الصنم بقضيب في يده قائلاً: ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ))[1]، فينكفئ إلى وجهه إلى حيث لا رجعة، إنا لنعلم أن شباب الدعوة المحمدية الأولين، كانوا كثيراً ما يعرضون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثوروا إلى أسلحتهم وأن يهبوا في وجوه أعدائهم، فكان عليه السلام يسكن ثورتهم، ويطلب إليهم أن ينتظروا.. لقد كانوا يعلمون وهم في مكة قبل أن يشرع الجهاد، أنهم موعودون بيوم يحملون فيه السلاح، كانوا يقرأون في القرآن المكي قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، فتهفو نفوسهم إلى هذا اليوم، ولكنه عليه السلام لم يَعْجَل بَعجَلة هؤلاء الشباب، ولم يخف لخفتهم بل كان يطلب إليهم أن يكفوا أيديهم عن هذا الآن ويكتفوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حتى تكتمل القوة، وتنضج الثمرة، وتَطْلُع الأقدار بأيام الله.

ونحن نأثم أشد الإثم إذا نصحنا للداعية في علاج العقبات بغير المنهج الذي سنه الله لرسوله، والتزمه صلى الله عليه وسلم في حكمة وأناة وقوة.

فإذا انتهى الداعية من علاج عقباته، وخلا له الجو وصار سيد أمره شرع في إقامة النظام الذي تريده دعوته، واستقبل مرحلة لا تقل خطورة ومسؤولية عن مرحلة العقبات وما لابسها من مشقات؛ إن لم تتضاعف فيها المسؤولية وتكثر التكاليف.

والداعية في هذه المرحلة يبني أمة ويؤسس دولة، يبنيها على تقوى من الله ورضوان"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٧٨، ومسلم ١٧٨٠.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) تذكرة الدعاة ص ٢٦٨ - ٢٧٢.

سادساً- من صفات الداعية: الصبر والمصابرة:

"قد ابتلي رسل الله -صلوات الله عليهم وسلامه- بعقبات، وأوذوا وهددوا بالقتل والنفي، وغيرهما من ألوان العذاب فكان العلاج الأكبر الذي عالجوا به أمرهم هو الصبر ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾[1][2].

وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: (يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر)، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة للدعاة إلى الله في الصبر والمصابرة، وليس أدل على ذلك من قول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: (هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ من يوم أحُدٍ؟ قال: ((لقد لَقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ إذ عرَضتُ نفسي على ابنِ عبد يا ليل بن عبد كُلال فلم يُجِبني إلى ما أردتْ، فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ، على وَجهِي، فلم أستَفق إلا وأنا بقرنِ الثَّعالب[3]، فرَفَعتُ رأسي، فإذا أنا بَسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمعَ قولَ قومكَ لك وما رَدوا عليك، وقد بعث اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَهُ بما شِئتَ فيهم، فناداني ملكُ الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلكَ فيما شئتَ، إن شِئتَ أن أطبِقَ عليهم الأخْشَبَينِ. فقال النبيُّ ﷺ: بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يَعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ بهِ شيئاً))[4].

وما نرى الله عز شأنه، أوصى رسله عليهم السلام بشيء أكثر مما أوصاهم بالصبر، وليس معنى الصبر هنا الاستكانة والذلة، والقعود عن الدعوة، والكف عن التفكير في معالجة من يستطيلون بالأذى على الأحرار الأبرياء، وإنما الصبر هنا معناه:

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٦٦.

(٣) قال ابن الأثير: هو قرن المنازل، وهو اسم موضع يُحرم منه أهل نجد، وأصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والأثر ص ٧٤٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١٧٩٥.

١- أن يهضم الداعية ما يلقى من إعراض وعناد، وتحد، وأذى؛ بحيث لا يشعر أن هذه العقبات غصة يشرق بها حلقه "لقمة في الزور" فإن ذلك يضايقه، ويصرفه عن حسن علاجها، بل عليه أن يروض نفسه ومعدته العصبية على هضم ذلك كله أما "الغضب" من كل حادث لا يعجبه، فهو بمثابة وقوف "اللقمة في الزور" وهو ما لا يستقيم عليه أمر الدعوة والداعية، فعليه بحسن الاحتمال واستقبال كل شدة بالرضا والتسليم، وحمد الله على كل حال، وطلب المغفرة لمن يجهلون عليه، فإنهم لا يعلمون.

٢- أن يرتقب ما يأتي به الزمن، فللزمن مفاجآته وفرصه التي تجيء بغير ما ينتظر، وقد يجري الله في غضونه من الأحداث والتصرفات ما يهون به شأن هذه العقبات أو يزيلها، وما على الداعية إلا أن يحذر انطفاء حماسته بطول الزمن، بل عليه أن يتخذ مما هضمت أعصابه مدداً لثورته الباطنة وقواه الكامنة، فلا تزيده الأيام إلا قوة على أمره.

٣- أن يتخذ سبيله في غير طريق هذه العقبات، عليه أن يدور حولها ويمضي إلى ما خلفها... عليه أن يمضي في دعوته، يدعو الناس ويجمع حوله الأنصار ويتألف قلوب الجماهير بما يبذل لهم من شتى الخدمات والمنافع والمساعدات، أمامه مفاسد لا يحميها القانون، ولا منفعة لأحد في استمرارها فعليه بعلاجها وإبعاد الناس عنها)[1].

وبذلك يكون الداعية قد اصاب المقصود الحقيقي للصبر والمصابرة.

سادساً- من أساليب الدعوة: القسم:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيد الصحابي رضي الله عنه على تبليغ النبي ﷺ ما كان من قول المنافق بشأن قِسْمته ﷺ، والقَسَم من أساليب الدعوة الهامة التي يكون بها تأكيد الأمر وإثباته في أذهان المدعوين.

ثامناً- من آداب المدعو: عدم نقل ما يؤدي إلى الشحناء والبغضاء:

هذا يستفاد من نص الحديث في قول الصحابي رضي الله عنه: "لا جرم لا أرفعُ إليه بعدها حديثاً"، وهذا الأدب في عدم نقل الأخبار التي تؤدي إلى الشحناء والبغضاء من أهم ما

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

يحفظ على المسلمين وحدتهم، وسلامة صدورهم، فيزدادوا بذلك قوة ومنعة وتماسكاً، وهذا الأدب من أخلاق المؤمنين وشيم الصالحين.

وقد جسد لنا سلفنا الصالح هذا الخلق في أحلك أوقات الأمة ظلاماً، ففي حادث الإفك قالت عائشة رضي الله عنها: (وقلت لأمي يغفر الله لك، تحدّث الناس بما تحدثوا ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً)[1]، وقالت رضي الله عنها: (وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبويَّ، لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً)[2]، فعلى المدعو أن يقتدي بخلق سلفه الصالح في عدم نقل الأخبار التي يحصل بها الشحناء والبغضاء، لأن وحدة المسلمين وسلامة مجتمعاتهم وتماسكها من الأمور التي حث الإسلام عليها.

---

(١) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٩٦/٦.

(٢) المرجع السابق ٥٩٥/٦.

الحديث رقم (٤٣)

٤٣- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بعبْدِهِ خَيْراً[1] عجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وإِذَا أَرَادَ اللَّه بعبدِهِ الشَّرَّ أمسَكَ عنْهُ بذَنْبِهِ حتَّى يُوافِيَ بِهِ يَومَ الْقِيامةِ»[2].

وقَالَ النبيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجزاءِ مَعَ عِظَمِ الْبلاءِ، وإِنَّ اللَّه تعالى إِذَا أَحَبَّ قَوماً ابتلاهُمْ، فَمنْ رضِيَ فلَهُ الرضَا، ومَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ» رواه الترمذي وقَالَ: حديثٌ حسنٌ[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

حتى يوافي به يوم القيامة: أي يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها فيستوفَي حقه من العقاب[4].

الشرح الأدبي

إن العلاقة بين العبد وربه، علاقة أزلية، ووثيقة، تحتاج من العبد أن يوثق عُراها بالطاعات والأعمال الصالحة، و لقد كرّم الله بني آدم، وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضلا.

ويوضح المصطفى ﷺ ما يجب على العبد تجاه ربه في ضوء هذه المنزلة التي منحها الله لآدم والصالحين من ذريته، فقال: "ثلاث من كن فيه : وجد حلاوة الإيمان:

---

(١) لفظ الترمذي: (الخير).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦). وصحّحه ابن القطان في كتابه: النظر في أحكام النظر (٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه. فيه سعد بن سنان: صدوق له أفراد، ولذلك حسنّه الترمذي. وله شاهد أخرجه أحمد (٢٣٦٢٣) عن محمود بن لبيد، قال الهيثمي في ال مع (٢/٢٩١)، والمنذري في ترغيبه (٤/١٧٦): رواه أحمد ورواته ثقات. أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٩١).

(٤) شرح الطيبي، الطيبي ٣/٣١٠.

أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"[١].

وفي ضوء هذه الصلة بين العبد وربه يجب أن يكون موقفنا صحيحاً تجاه أحداث الحياة، وأن يكون استقبالنا لما يحل بنا من ابتلاءات استقبالاً إيمانياً يثق في عدالة الله سبحانه، ويسلم أمره كله إلى بارئه جل وعلا.

ونقتبس من أنوار الحديث الشريف بعض الهالات التي تضيء ظلام النفوس، وتمحو كدر المشاعر، وتبدد غيوم الأسى، وتنقشع أمام وهجها سحابات الأحزان.

يقول الله عز وجل: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ﴾[٢].

وصياغة الحديث الشريف تتفق مع دلالته والمقصد منه، فهو يتكون في قسمه الأول من جملتين شرطيتين، وأداة الشرط "إذا" الدالة على التحقق تتكرر في الجملتين، فالأولى ترد على هذا النحو، "إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا"، والمفارقة تبدو بين دلالة الشرط ودلالة الجواب، وتدعو للتساؤل: كيف يكون الخير هو تعجيل العقوبة في الدنيا، والإنسان يطمح إلى الفرار من أي عقوبة مهما كانت ذنوبه؟؟!! ولذلك يقرن الله الخير بإرادته، ويضيف الرسول ﷺ، لفظ العبد إلى الضمير الذي يعود على لفظ الجلالة، ويقيد العقوبة بقوله في الدنيا، وذلك لأن عقوبة الدنيا أهون وأخف كثيراً كثيراً من عقوبة الآخرة، وعقوبة الدنيا تتنوع وتتعدد وجوهها وتشمل كثيراً من أنواع الابتلاءات وهي كفارة لجنايات العبد، فيوافي القيامة وقد خلص من تبعات الذنب، وعلى العبد المؤمن أن يقابل الابتلاء في الحياة بالصبر والاحتساب: لأن الله يريد به خيراً، والعبد لا يدري!!

وما أعظم المفارقة الأسلوبية التي تدعو للدهشة والتأمل والتفكر والتدبر حين

---

(١) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦.

يعلمنا المصطفى ﷺ هذا الدرس العميق، حيث يجب أن لا نفرح بعدم العقوبة في الدنيا، وعدم وقوع الابتلاءات لكثير من العاصين المجاهرين لأن هذا هو الشر بعينه الذي يغري الإنسان فيتمادى في ضلالاته، وغواياته، ولكن كما قال رسول الله ﷺ: ((وإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته))[1]، ويوم القيامة لا شفيع ولا حسيب ولا مدافع: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[2] ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[3]، وأسلوب الشرط والجواب يناسب منطق الثواب والعقاب: وكذلك المقابلة بين الموقفين موقف الخير وناقدته العقوبة، وموقف الشر وناقدته عدم العقوبة في الدنيا، ولكن الفائز من أحب الله لقاءه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يصيب المؤمن من عقوبة في الدنيا دليل على إرادة الخير به.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تأخير العقوبة دليل على غضب الله تعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرضا والتسليم بما قدره الله تعالى.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الجزع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ما يصيب المؤمن من عقوبة في الدنيا دليل على إرادة الخير به:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا" وأيضاً في قوله ﷺ "إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم" قال المباركفوري: (قوله: "إذا أراد الله بعبده الخير عجل" بالتشديد أي

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٨٦، ومسلم ٢٥٨٣.

(٢) سورة النور، آية: ٢٤.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

أسرع "له العقوبة" أي الابتلاء بالمكاره "في الدنيا" ليخرج منها وليس عليه ذنب ومن فعل ذلك معه فقد أعظم اللطف به والمنة عليه" ...، وقوله ﷺ "إن عظم الجزاء" أي كثرته "من عِظَم البلاء" بكسر المهملة، وفتح الظاء فيهما ويجوز ضمها مع سكون الظاء فمن ابتلاؤه أعظم فجزاؤه أعظم)[١].

وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (إن الإنسان لا يخلو من خطأ ومعصية وتقصير في الواجب؛ فإذا أراد الله بعبده الخير عجَّل له العقوبة في الدنيا: إما بماله أو بأهله أو بنفسه أو بأحد ممن يتصل به، المهم أن تعجل له العقوبة؛ لأن العقوبات تكفر السيئات)[٢]، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك فعن مصعب بن سعيد عن أبيه رضي الله عنه قال: ((قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل: فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة))[٤].

وقال ﷺ: ((ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها))[٥]، وقال ﷺ: ((ما يصيب المؤمن، من وصب، ولا نصب، ولا سقم، ولا حزن، حتى الهم يهمه، إلا كَفَّر به من سيئاته))[٦].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه إعلام النبي ﷺ أمته أن نَصَبها ووصَبَها وسَقَمها وحزنها وهمها يكفر الله به من خطاياها؛ وذلك لأنه لما كانت الدنيا عند الله

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٨٩/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٨/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٩٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٦).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٩٩، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٧).

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٤٠.

(٦) أخرجه البخاري ٥٣١٨، ومسلم ٢٥٧٣.

ليست رضى منه لعباده المؤمنين مقراً له دائماً، وكانت حكمته أن يخرجهم عن هذا المقر الأدنى إلى مقر أعلى؛ فأحل بهم سبحانه من المزعجات ما ينفرهم عنه ويزعجهم منه، وكان من لطفه بهم أن لا يعرض لهم الألم إلا بثواب وثمن هو تكفير السيئات عنهم، فجمع لهم بين تكفير الخطايا والإزعاج عن هذا المقر الأدنى والارتياح للخروج منه إلى دار المقامة)[١]. وهذا أعظم بينة وأقوى دليلاً على إرادة الخير لمن عجلت له العقوبة في الدنيا.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تأخير العقوبة دليل على غضب الله تعالى:

(إذا أراد الله بعبده الشر، أمهل له واستدرجه وأَدَرَّ عليه النعم، ودفع عنه النقم حتى يبطر؛ ويفرح فرحاً مذموماً بما أنعم الله به عليه، وحينئذٍ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته فيعاقبه الله بها أشد العقاب)[٢]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في الحديث من قوله "وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة".

قال المباركفوري (وقوله ﷺ: "أمسك" أي أخر "عنه" ما يستحقه من العقوبة "بذنبه" أي بسببه "حتى يوافي به يوم القيامة" أي حتى يأتي العبد بذنبه يوم القيامة)[٣] قال الطيبي: (والمعنى لا يجازيه بذنبه حتى يجيء في الآخرة متوفر الذنوب وافيها، فيستوفي حقه من العقاب)[٤].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ من الدنيا على معاصيه مَا يحِبُّ، فإنَّمَا هُو اسْتِدْرَاجٌ. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[٥]))[٦].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٢٥٢-٢٥٣.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/١٠٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٨٨٩.

(٤) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣١٠.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٤٤.

(٦) أخرجه أحمد ٤/١٤٥ رقم ١٧٣١١، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٨/٥٤٧.

قال القاسمي: (وقوله تعالى: "فلما نسوا ما ذُكروا به" أي: من البأساء والضراء، أي تركوا الاتعاظ به "فتحنا عليهم أبواب كل شيء" أي: من النعم، كالصحة والسعة وراحة البال والأمن، وصنوف رغائبهم، استدراجاً وإملاءً ومكراً بهم، عياذاً بالله من مكره "حتى إذا فرحوا بما أتوا" من مطالبهم ورغائبهم، مع الشرك "أخذناهم" أي: بالعذاب المستأصل، "بغتة" أي: فجأة بلا تقديم مذكّر، إذ لم يفدهم في المرة الأولى "فإذا هم مبلسون" متحسرون، يئسون من كل خير، ... وقال الحسن البصري: من وسع الله عليه، فلم ير أنه يمكر به، فلا رأي له، ومن قتّر عليه، ولم ير أنه ينظر له، فلا رأي له. ثم قرأ: "فلما نسوا ..." الآية -قال الحسن: مكر بالقوم، ورب الكعبة! أعطوا حاجتهم ثم أُخِذوا.

وقال قتادة: بغت القومَ أمرُ الله، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله، فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون- روى ذلك ابن أبي حاتم-وقال الرازي: قال أهل المعاني: وإنما أخذوا في حال الرخاء والراحة ليكون أشد، لتحسرهم على ما فاتهم من السلامة والعافية)[1]. فعلى المرء أن يحذر من معصية الله ولا يغتر بحلم الله عليه فقد يكون في ذلك هلاكه.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرضا والتسليم بما قدره الله تعالى:

إن الرضا بما قدره الله تعالى والتسليم له، دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام والفوز بالجنان والنجاة من النيران، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "فمن رضي فله الرضا".

قال المباركفوري: (قوله ﷺ "فمن رضي" بما ابتلي به "فله الرضا" منه تعالى وجزيل الثواب)[2]، وبين الطيبي: (أن هذا شرط وجزاء، فَهِم منه أن رضى الله تعالى مسبوق برضا العبد، ومحال أن يرضى العبد عن الله إلا بعد أن يرضى الله عن العبد، كما قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[3] ومحال أن يحصل رضا الله ولا يحصل رضا

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٤/٦/٥٢٩-٥٣٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٨٨٩.

(٣) سورة البينة، آية: ٨.

العبد في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[1] فعن الله الرضى أزلاً وأبداً، سابقاً ولاحقاً)[2].

قال الراغب: (ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه)[3]. (وقيل: ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقيل: رفع الاختيار، وقيل: استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، وهو ترك السخط)[4].

وبين ابن القيم: (أن الرضا كسبي باعتبار سببه، مَوْهبي باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه؛ فإذا تمكن في أسبابه وغرس شجرته: اجتنى منها ثمرة الرضى، فإن الرضا آخر التوكل، فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض: حصل له الرضا ولابد؛ ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم، وتخفيفاً عنهم؛ لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجِنان ومافيها؛ فمن رضي عن ربه رضي الله عنه -بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه- فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضًا قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضًا بعده هو ثمرة رضاه عنه. ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين)[5].

وقال بعد أن ساق حديثين: الأول: قوله ﷺ: ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً))[6]. والثاني: قوله: ((من قال حين يسمع النداء: رضيت

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٢) شرح الطيبي، الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣١١.

(٣) المفردات في غريب القرآن ١٩٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٦٢-٤٦٣.

(٥) المرجع السابق، ٢/٤٥٧-٤٥٨.

(٦) أخرجه مسلم ٣٤.

بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً غفرت له ذنوبه))[١] - (هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته. والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصديق حقاً، وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقاً. فهو على لسانه لا على حاله ...، ثم بين المقصود برضا الربوبية فقال: أن يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه، والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضياً بكل ما يفعل به)[٢].

وقد عظَّم النبي ﷺ جزاء من يرضا عن الله تعالى ويسلم له نفسه فيما أجرى عليه من أقدار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار: ((لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة. فقالت امرأة منهن: أو اثنين يا رسول الله؟ قال: أو اثنين))[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها. إلا أخلف الله له خيراً منها))[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد))[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٦.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٤٩، ومسلم ٢٦٣٢.

(٤) أخرجه مسلم ٩١٨.

(٥) أخرجه الترمذي ١٠٢١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨١٤).

فعلى العبد أن يرضى عن الله وبالله ولله، وأن يسلّم أمره وقلبه وكله لله، فهو تعالى الأعلم بحال عباده، المقدر لهم الخير في الدنيا والآخرة، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد بعد الرضا.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الجزع:

(إن الجزع لدليل على انتفاء كمال الإيمان، وعدم الرضا بالمقدور والعجز عن فعل المأمور)[1]، وقد ذمه الحق تبارك وتعالى في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[2].

قال ابن كثير: (أي إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير)[3]، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله "ومن سخط فله السخط".

قال المباركفوري: ("ومن سخط" بكسر الخاء أي كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضائه "فله السخط" منه تعالى وأليم العذاب، ومن يعمل سوءاً يجز به، والمقصود الحث على الصبر على البلاء بعد وقوعه لا الترغيب في طلبه للنهي عنه)[4].

وقد رهب النبي ﷺ من الجزع بأمر الله تعالى، وعدم الصبر والرضى بقضائه فعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة))[5].

قال ابن حجر: (قوله ﷺ "فجزع" أي لم يصبر على ألم تلك القرحة وقوله ﷺ "فما رقأ الدم" بالقاف والهمزة أي لم ينقطع وقوله ﷺ "قال الله عز وجل: بادرني

---

(١) انظر: نضرة النعيم، ٤٣٥٧/٩.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩-٢٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢٦/٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٨٩/٢-١٨٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٦٣، ومسلم ١١٣.

عبدي نفسه" هو كناية عن استعجال المذكور الموت، وقوله "حرمت عليه الجنة" جار مجرى التعليل للعقوبة؛ لأنه لما استجعل الموت بتعاطي سببه من إنفاذ مقاتله فجعل له فيه اختياراً عصى الله به فناسب أن يعاقبه، ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن الانتفاع بها، وقد استشكل قوله "بادرني بنفسه" وقوله "حرمت عليه الجنة"؛ لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش، لكنه بادر فتقدم، والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار، والجواب عن الأول أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها وإنما استحق المعاقبة؛ لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه.

وقال القاضي أبوبكر: قضاء الله مطلق ومقيد بصفة، فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف، والمقيد على الوجهين مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل، وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلاً، وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لا يقع إلا ما علمه، ونظير ذلك الواجب المخير فالواقع منه معلوم عند الله والعبد مخير في أي الخصال يفعل، والجواب عن الثاني من أوجه: أحدها أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافراً. ثانيها: كان كافراً في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره. ثالثها: أن المراد الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون. رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلاً. خامسها: أن ذلك ورد في سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد. سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك.

سابعها: قال "النووي"[1] ويحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها)[2]. وفي كل ذلك دليل على الترهيب من الجزع وعدم الصبر على قضاء الله، فعلى المرء أن يحذر من ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٧/٦.

الحديث رقم (٤٤)

٤٤- وعنْ أَنَسٍ ﷺ قال: كَانَ ابْنٌ لأبي طلْحةَ ﷺ يَشْتَكي، فخرج أبُو طَلْحة، فَقُبِضَ الصَّبيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحةَ قال: ما فَعَلَ ابنِي؟ قَالَت أُمُّ سُلَيْم (وَهِيَ أُمُّ الصَّبيِّ)[١]: هو أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فرغَ قَالَتْ: وارُوا الصَّبيَّ، فَلَمَّا أَصْبحَ أَبُو طَلْحَة أَتَى رسولَ اللَّه ﷺ فَأَخْبرهُ، فَقَالَ: «**أعرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قال: «**اللَّهمَّ باركْ لَهُما**» فَولَدتْ غُلاماً فقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حتَّى تَأْتِيَ بِهِ النبيَّ ﷺ[٢]، وبَعثَ[٣] مَعهُ بِتمْرَات[٤]، فقال: «**أَمعهُ شيءٌ؟**» قال[٥]: نعمْ، تَمراتٌ فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ فَمضَغَهَا، ثُمَّ أَخذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا في في الصَّبيِّ ثُمَّ حَنَّكَه وسمَّاهُ عبدَ اللَّهِ. متفقٌ عليه[٦].

وفي روايةٍ للْبُخَاريِّ[٧]: قال ابْنُ عُيَيْنَة: فَقَالَ رجُلٌ منَ الأَنْصارِ: فَرَأَيْتُ تَسعة أَوْلادٍ كلُّهُمْ قدْ قَرؤُوا[٨] الْقُرْآنَ، (يعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِ اللَّه الْمولُود)[٩].

وفي روايةٍ لمسلِم[١٠]: ماتَ ابْنٌ لأبي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لأهْلِهَا: لا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بابنِهِ حتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وشَرِبَ، ثُمَّ تَصنَّعتْ

---

(١) هذا من تفسير المؤلف.

(٢) عند البخاري ومسلم زيادة: (فأتى به النبي ﷺ).

(٣) لفظ البخاري: (وأرسلت)، ولفظ مسلم: (وبعثت).

(٤) عند البخاري ومسلم زيادة: (فأخذه النبي ﷺ).

(٥) لفظ البخاري ومسلم: (قالوا).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤/٢٣) ولفظهما سواء.

(٧) برقم (١٣٠١).

(٨) لفظ البخاري: (قرأ).

(٩) ما بين القوسين من تفسير المؤلف.

(١٠) برقم (٢١٤٤/١٠٧، كتاب فضائل الصحابة، باب ٢٠).

تنبيه: هذا الحديث لم يكن في موضعه حسب الترقيم، وإنما أورده مسلم في فضائل الصحابة، ولأجل ذلك لم يوثق أحدٌ ممن عُني بكتاب رياض الصالحين موضعه من صحيح مسلم.

لهُ أَحْسنَ ما كانتْ[١] تَصنَّعُ قَبْلَ ذلكَ، فَوقَعَ بِهَا، فَلَمَّا أَنْ رأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِع وأَصَابَ مِنْها قَالتْ: يا أَبَا طلْحةَ، أَرَايْتَ لَوْ أَنَّ قَوْماً أَعارُوا عارِيتهُمْ أَهْل بيْتٍ فَطَلَبوا عارِيَتَهُم، أَلَهُمْ أَنْ يمْنَعُوهَا[٢]؟ قَالَ: لا، فَقَالَتْ: فاحتسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فغَضِبَ، ثُمَّ[٣] قَالَ: تركتِنِي حتَّى إذَا[٤] تَلطَّخْتُ ثُمَّ أَخْبرتِني بِابْني، فَانْطَلَقَ حتَّى أَتَى رسولَ اللَّه ﷺ فأخْبَرهُ بما كَانَ، فَقَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**بَارِكَ اللَّه لكُما فِي[٥] ليْلتِكُما**».

قَال: فحملَتْ، قَال: وكَانَ رسول اللَّه ﷺ فِي سفَرٍ وهِي مَعَهُ وكَانَ رسولُ اللَّه ﷺ إذَا أَتَى الْمَدِينَةِ مِنْ سَفَرٍ لاَ يَطْرُقُها طُرُوقاً فَدنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَضَرَبَهَا الْمَخاضُ، فَاحْتَبَس عَلَيْهَا أَبُو طلْحَةَ، وانْطلَقَ رسولُ اللَّه ﷺ. قَالَ: يقُولُ أَبُو طَلْحةَ: إِنَّكَ لتعلمُ يَا ربِّ أَنَّهُ يعْجبُنِي أَنْ أَخْرُجَ معَ رسولِ اللَّه ﷺ[٦] وسَلَّم إذَا خَرَجَ، وأَدْخُلَ مَعهُ إذَا دَخَلَ، وقَدِ احْتَبَسْتُ بِما تَرى. تقولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يا أَبَا طلْحةَ مَا أَجِد الَّذي كنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنَا، وضَربهَا المَخاضُ حينَ قَدِمَا فَولَدتْ غُلاماً. فقالَتْ لِي أُمِّي: يا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحدٌ[٧] تَغْدُوَ بِهِ عَلَى رسُول اللَّه ﷺ، فلمَّا أَصْبحَ احتملْتُهُ فانطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رسولِ اللَّه ﷺ. وذَكَرَ تمامَ الْحَديثِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يشتكي: يُعاني المرض[٨].

---

(١) لفظ مسلم: (كان).

(٢) لفظ مسلم: (يمنعوهم).

(٣) لفظ مسلم بالواو.

(٤) عند مسلم بدون: (إذا).

(٥) عند مسلم زيادة: (غابر).

(٦) عند مسلم: (نبيك).

(٧) عند مسلم زيادة: (حتى).

(٨) اللسان والوسيط في (ش ك و).

هو أسكن ما كان: المقصود: أنه مات. ووقع في رواية للبخاري: ١٣٠١: قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح[١].

أصاب منها: جامَعها[٢].

وَارُو الصبيَّ: ادفنوه[٣].

أعرستم: أأعرستُمْ، وحذف همزة الاستفهام تخفيفًا، والإعراسُ هنا: الجماع[٤].

حنّكه: من التحنيك، وهو مضغ الشيء ووضعه في فم الصبي ودلك حنكه به[٥].

تصنعت له: أي تزينت وتجملت له، وفي رواية: "ثم تطيبت"[٦].

قرؤوا القرآن: يعني عن نظر وحفظ[٧].

عاريتهم: العارية: ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك[٨].

تلطخت: أي تنجست وتقذرت بالجماع[٩].

لا يطرقها طروقاً: أي لا يدخلها في الليل[١٠].

المخاض: وجع الولادة وهو الطلق[١١].

احتبس عليها: أي حبس نفسه عليها فأقام معها وتأخر عن ركب رسول الله ﷺ[١٢].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/٣.

(٢) اللسان والوسيط في (ص ي ب).

(٣) اللسان والوسيط في (و ر ى).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر س).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠١/٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ن ك).

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/٣.

(٧) الوسيط في (ق ر أ).

(٨) اللسان والوسيط في (ع ر و).

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ط خ).

(١٠) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٩٣.

(١١) الوسيط في (خ و ض).

(١٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ح ب س).

الشرح الأدبي

هذا الحديث النبوي ليس كلمات توجيهية فقط، وليس تقويماً لأمر حدث تقويماً مباشراً، وإنما هو حكاية واقعية مضيئة بالقيم الإسلامية الجميلة، والآداب الاجتماعية النبيلة، وهذه الحكاية شارك في نسج أحداثها أشخاص حقيقيون، ضربوا المثل الأعلى في التمسك والتحلي بالصبر الجميل، إنهم استضاءوا بنور الله وهدي المصطفى المختار، وهم يقدمون النموذج الإسلامي الحقيقي في الانتصار على المصائب، وفي استقبال قدر الله في جميع الخلائق: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].

فأم سليم: وهي أم الصبي الذي مات: واسمها: سهيلة، وقيل: رميثة، أو مليكة، وتحديد الاسم ليس هو المراد، ولكن الدرس الإيماني الذي قدمته هذه الأم، وتلك الزوجة: هو المقصد الأسنى، والهدف الأقوى، من هذه الحكاية الواقعية التي تظل إلى يوم الدين نبراساً في الصبر، ومثلاً أعلى في الاقتداء.

ولنتأمل أحداث هذه الحكاية ولنحدق في زواياها - وصياغتها، ولننقل شريط تطور الحدث فيها إلى جيلنا، وإلى الأجيال القادمة، كما تناقله جيل السلف، وتوارثه الخلف من الأوائل الذين سبقونا، والحديث يجمع في صياغته بين القول والفعل والتقرير.

ويبدأ الحديث في روايته الأولى بالفعل "كان" إشارة إلى الحكاية التي وقعت، وإيحاءً بأنها ستظل هكذا تروى للأجيال المسلمة القادمة، وابن أبي طلحة: هو عمير، وقيل: كنى رسول الله ﷺ. أبا طلحة بأبي عمير، إيحاء وإنباء بقصر عمر ذلك الغلام الذي دارت أحداث هذه القصة حول حكايته وحدث موته، ولنتأمل الفعل "يشتكي"، وهو كناية عن المرض أى يشتكي الداء والمرض.

والحوار الصادق الذي دار بين الأب: أبي طلحة، والأم: أم سليم، ينبئ عن العاطفة الرقيقة الصادقة من الزوجة تجاه زوجها. في مثل هذه الظروف، فالابن المريض مات،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣٠.

والأب يسأل بعد أن خرج وعاد، مافعل ابني؟ وتجيب الأم في بلاغة وفصاحة وصبر وخشوع، وإيمان واطمئنان، ومحبة وحنان: قائلة: "هو أسكن ما كان" وفي هذه العبارة صدق الحديث، وتخفيف المصاب، وعدم مفاجأة الأب بالخبر المفزع، والتعبير كناية عن الراحة حيث خف ألم النزع، وذهبت دواعي المرض؛ والأم استطاعت أن تكتم مشاعرها الحزينة، وأن تتغلب على انفعالاتها الدفينة، وأن تواجه زوجها بهذه الكلمات العذبة الرصينة، ولم تكتف الأم الثكلى بهذا الصنيع، بل واصلت أداء دورها الإيجابي في توجيه الأحداث، حرصاً على راحة زوجها، واستعداداً لأمر قدره الذي يعلم السر وأخفى: وهو أن الله سيبشرها بغلام يكون فيه العوض والمثوبة والأجر، وهى لا تدرك حقيقة هذا الغيب، ولكنها بفطرتها الإيمانية تتحرك، وتفعل ما يجب على المرأة المسلمة القيام به من طاعة للزوج، ومن إشاعة عبير السكن والمودة والرحمة في أجواء وفضاءات الحياة الزوجية، إنها تقدم العشاء الطيب لزوجها، ولنتأمل سرعة تطور الحدث ثم التريث بعد ذلك في الحديث الشريف، "فقربت له العشاء فتعشى"، ويقول: "ثم أصاب منها"، وذلك كناية عن الجماع، والتعبير بثم يوحي بالتمهل والأناه والتروي، وبأن الأمر لم يكن بلهفة منها، ولكن هو الذي بادر، بعد أن تهيأت بما يناسب مثل هذا المقام وذلك الحال.

وأي عزيمة يتوقد بها قلب هذه الأم؟ وأي إرادة تتجمل بها هذه الزوجة: وهي تصارع أحزانها، وتغالب أوجاعها، ولنتابع هذه القصة العجيبة: فالزوجة لا تكتفي بذلك، ولكنها تواصل أداء دورها.

وتقول بعد ذلك "واروا الصبي"، ويبدأ مشهد جديد من مشاهد أحداث هذه القصة الواقعية: ويدور حوار بين رسول الله ﷺ وأبي طلحة حينما توجه إليه في الصباح.. وأخبره بما حدث، فيقول له رسول الله مبشراً ومهنئاً.. وكأنه يواسيه ويعزيه ولكن في أسلوب إيماني عظيم: قال الرسول له: "أعرستم الليلة"، والجملة استفهامية وهي مثال من أدب النبوة، فهي كناية عن "الوطء" ولكنه لم يصرح بذلك، إشارة إلى ما يجب قوله في هذه المواقف، فإن التلميح يغني عن التصريح، والإشارة تغني عن العبارة.

والكناية من أبدع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيراً مُظِلاً هادفاً موجزاً يخفي تحت ظلاله لطائف مراده.

ويقول أبو طلحة: "نعم"، ويدعو الرسول ﷺ للأم والأب -والزوج والزوجة- قائلاً: "اللهم بارك لهما"، وفي رواية أخرى، قال: "بارك الله لكما في ليلتكما"؛ وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه عليه الصلاة والسلام، وحملت المرأة الصابرة المحتسبة المحبة لزوجها والتي أقنعته بالتمهيد وضرب المثل قبل أن تخبره بخبر وفاة ابنه، وبعد أن أصاب منها، وتحققت نبوءة المصطفى ﷺ، وحلت البركة، وولدت هذه الأم غلاماً، وحنكه النبي ﷺ بالتمر، وسماه عبدالله، ويروي البخاري بأن رجلاً من الأنصار وهو عباية بن رفاعة قال: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرءوا القرآن: يعني من أولاد عبدالله ابن أبي طلحة المولود من تلك الإصابة في هذه الليلة المدعو لها بالبركة من رسول الله ﷺ، فتأمل أخي المسلم جزاء الصابرين المحتسبين، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب.

وفي الحديث في روايتيه كثير من الأسرار التعبيرية، والصور الجمالية، ومنها "الجناس" في قوله: "ثم أخذها من فيه فجعلها في فِّ الصبي"، وهى التمرات التي مضغها رسول الله ﷺ، ورغم تكرار حرف "الفاء"، وحرف "في" ثم الاسم، في "الصبي"، فإن الأسلوب ليس فيه تعقيد، ولكنه سهل ميسور وكأن هذا التكرار وهذا التجانس يناسب هذا الحدث "الطفولي" السعيد، وتكرار الكلمات، والحروف والمشاهد من تقنيات وآليات عالم الطفولة وأدبها وخطابها، وقد أحسن الراوي صنعاً وحديثاً بهذه الكلمات الملائمة المناسبة، والفعل هنا أجمل من القول: لأن النبي ﷺ يأخذ التمرات من الصبي، ويمضغها، حتى تمتزج وتختلط بريقه الشريف، وفمه الطاهر، الذي تفوه بجوامع الكلم، وبلغ آيات الكتاب الحكيم، ويحنك النبي ﷺ الغلام، وتسري بركة الدعاء في شرايينه وأوصاله... ويحقق الله البشرى لأبويه وله بعد ذلك.

وفي الرواية الثانية للحديث: تظهر حكمة الزوجة وتتجلى في طريقة إخبار زوجها بخبر وفاة الصبي بعد أن أصاب منها.

وشاء الله أن تكون هذه الليلة مباركة كما بشرهما رسول الله ﷺ: قالت المرأة لزوجها في تلطف وسكينة: "يا أبا طلحة: أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم، أهل بيت: فطلبوا عاريتهم: ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا. وتأمل صيغة النداء وتعين "الكنية" استمالة لقلب الرجل، ثم هذه الاستفهام المتكرر، "أرأيت؟ ألهم أن يمنعوهم؟" ثم أسلوب الشرط: وأداته: لو: هي أداة امتناع لامتناع: أي أن الأمر على سبيل ضرب المثل والشاهد أو أن التعبير يتضمن دلالة الحدث وهو أن الذين أعيروا الشيء لن يمنعوا صاحب العارية من أن يستردها، وكذلك: أهل الغلام: فابنهم هبة من الله وعارية مستردة، والمعار باق على ملك المعير، فله استرداده متى شاء كما يقول صاحب دليل الفالحين؟ ثم تقول الزوجة والأم لزوجها بعد أن أقنعته عن طريق هذا التمهيد "فاحتسب ابنك" ولم تقل أنه مات لأنه لا راد لقضاء الله، وأن ميزان الإيمان يتجلى في الثبات لحظة استقبال الأحزان.

وقالوا: إن أم سليم كان لها من قوة القلب وثبات الجنان الغاية القصوى، فكانت تشهد الحرب وتداوي الجرحى فاللهم اجعلنا من الصابرين المحتسبين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم المعاريض، فقد أجاز الفقهاء التعريض عند وقوع حالة من الحالات التي يباح فيها الكذب كالإصلاح بين المتخاصمين وإرضاء الزوجة والخدعة في الحرب، وكذا يجوز استخدام المعاريض في مخادعة الظالم المبطل، ولا يجوز استخدامها لمخادعة المحق، ولا تكون المعاريض إلا فيما حرم الشرع من الكذب ولا تكون في غيرها، فلا تجوز في البيع والشراء، والمعاريض كما تكون بالقول تكون بالفعل كما ذكر ابن القيم[1].

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٢٥٩/٣، والمبسوط، السرخسي ٢١١/٣٠ وما بعدها، والفتاوى الهندية ٤٣٦/٦، شرح السير الكبير على مختصر خليل، أبو البركات أحمد بن محمد الدردير ١١٩/١ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ٣١٣/٧ وما بعدها، أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٦٥، ومغني المحتاج ١٨٢/٦، المغني، ابن قدامة ٤٢٠/٩، والفتاوى الكبرى ٧٩/٦ وما بعدها، ١٢١/٦ وما بعدها، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ١٨٧/٣ وما بعدها، والفروع، ابن مفلح ٥٦٣/٦، والآداب الشرعية، ابن مفلح ١٤/١ وما بعدها، ونيل الأوطار، الشوكاني ٣٠٣/٧.

الثاني: حكم تحنيك الصبي وتسميته، وذلك في باب العقيقة. وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يستحب لمن ولد له مولود أن يحنكه بعد ولادته سواء كان القائم بالتحنيك رجلاً أو امرأة، ويكون التحنيك بالتمر اتباعاً لسنته ﷺ، فإن لم يكن تمر فشيء حلو وأولاها عسل النحل، ويسمى المولود في اليوم السابع لولادته، وأفضل الأسماء ما كان فيه اسم الله تعالى كعبدالله وعبدالرحمن وما شابه ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الكناية، والاستفهام والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حسن التوصل إلى الإخبار بما يكرهه الإنسان.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الصبر على المصيبة وعدم الجزع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إجابة دعوة النبي ﷺ.

خامساً: من موضوعات الدعوة: تحنيك المولود.

سادساً: من دلائل النبوة: بركة دعاء النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الكناية، وأسلوب الاستفهام والجواب:

قد ورد أسلوب الكناية في الحديث من قول الراوي "ثم أصاب منها" وفي رواية "فوقع بها" وأيضاً ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ "أعرَّسْتُمُ الليلة؟".

قال القرطبي: (وقوله ﷺ "أعرستم الليلة؟" هو كناية عن الجماع. يقال: أعرسَ الرجل بأهله إذا بنى بها، وكذلك إذا غشيها)[٢]. وذلك من جميل وعظيم أدب الإسلام، قال النووي: (والمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض ...، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي الخطابي ٢٥٦/٣، وشرح الخرشي ٤٨/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري٥٤٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١٤/٨، وطرح التثريب ٢١١/٥ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة ٣٦٥/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٩/٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٧/٥.

لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢] ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٣] وقد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[٤] وكقوله ﷺ ((أنكتها))[٥] وكقوله ﷺ ((أدبر الشيطان وله ضراط))[٦]... إلخ)[٧]. فعلى الداعية أن يكني في ألفاظه عن قبيح الأسماء إن لم يكن هناك مصلحة للتصريح بها.

أما أسلوب الاستفهام والجواب فقد ورد في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: "فلما رجع أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان" وكذلك في قوله رضي الله عنه: "قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا" والاستفهام والجواب من الأساليب الدعوية الهامة التي تجعل المدعو على بصيرة من دينه، فتزيل عنه ما التبس من أفهام، وتكشف له عما خفي عنه، فيعبد الله على بصيرة وعلم وفي ذلك عظم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حسن التوصل إلى الإخبار بما يكرهه الإنسان:

إن حسن التقديم للإخبار بما يكره الإنسان من المصائب ونحوها، من أعظم الأسباب التي يكون بها تهوين المصائب على صاحبها، فضلاً عن تقويته على عدم الجزع وحمله على الصبر.

وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من فعل أم سليم رضي الله عنها، وتعريضها في القول بما

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٤) سورة النور، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٢٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٨، ومسلم ٣٨٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

يؤدي إلى تسكين قلب زوجها -أبو طلحة ﷺ-، وحمله على الصبر وعدم الجزع لموت ابنه، قال أنس ﷺ: "فلما رجع أبي طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان، فقربت له العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي" وفي رواية "فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فقربت إليه العشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها.

فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم، ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا، فقالت فاحتسب ابنك" وقد بين ابن هبيرة هذا الفقه الزاكي والأدب الرائع لأم سليم ﷺ فقال: (وفي هذا الحديث ما يدل على حسن التوصل في تسكين القلوب المنزعجة، كما فعلت أم سليم من توصلها حتى أعلمت أبا طلحة بعد أن قضت هي أربها، فإن أرب أم سليم كان أن تجاهد نفسها حتى تكون مع بعلها، وفي دارها، وولدها ميت، فإن هذا من المقامات العجيبة، ولو كانت قد أعلمت أبا طلحة من قبل أن يقضي أربها لما تم لها مرداها، مما يدل على أن الإيمان هو محرك العقل. والثاني أن أم سليم توصلت بحسن عقلها ونياتها ومجاهدتها نفسها وإعراضها عما يستحسنه أراذل الناس، وسمو همتها، إلى ما يكون هو الحسن عند الله، وعند خيار المسلمين، فآثرت الأعلى حتى قاربت بمقام جمع لها من حسن الصبر، وكريم العزاء، وتجهيل الرجال الذين لا يكونون مثلها، وحسن القول الذي توصلت إلى غرضها به من التعريض العجيب الذي سلمت به من الكذب؛ فقالت ﷺ قول يرضى الله ويمضي رسوله ﷺ ويرضى كل مؤمن يسمع بهذا الحديث إلى يوم القيامة)[1].

وهذا ما أكده القرطبي في قوله: (وقولها: هو أسكنُ مما كان" هذا من المعاريض المغنية عن الكذب؛ فإنها أوهمته: أنَّ الصبيَّ سكنَ ما كان به بلفظ يصلحُ إطلاقه لما

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٥/٦٧.

عندها من موته، ولما فهمه أبو طلحة من سكون مرضه. وهذا كلُّه لئلا تفاجئه بالإعلام بالمصيبة فيتنغص عليه عيشه، ويتكدَّرَ عليه وقته، فلما حصلت راحته من تعبه، وطاب عيشه بإصابة لذته التي ارتجت بسببها أن يكون لهما عوض، وخلف مما فاته عرَّفته بذلك، فبلغها الله أمنيتها، وأصلح ذريتها)[١].

(وفي ذلك دليل على فضل أم سليم رضي الله عنها، وتثبُّتها، وكمال عقلها، وحسن تبعُّلها لزوجها)[٢]، فحري بالمسلمين نساءً ورجالاً أن يقتدوا بفعلها ويهتدوا بهديها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الصبر على المصيبة وعدم الجزع:

هذا ما أكد عليه نص الحديث من فعل أم سليم رضي الله عنها في صبرها على صدمة موت ابنها وتثبُّتها وعدم جزعها. قال ابن مُفلح المقدسي: (قال ابن عقيل في "الفنون": النعم أضياف وقِرَاها الشكرُ، والبلايا أضياف وقِراها الصبر، فاجتهدْ أنْ ترحل الأضياف شاكرةً حُسْنَ القِرَى، شاهدة بما تسمع وترى ...، وقال ابن تيمية: من تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن يُنزِلَ بهم من الشدة والضر ما يلجئهم إلى توحيده فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحداً سواه، فتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك ما هو أعظم نعمة من زوال المرض والخوف، أو الجدب أو الضر، وما يحصلُ لأهلِ التوحيد المخلصين لله الدين فأعظم من أن يُعبِّرَ عنه مقال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه)[٣].

وقد بشر الله تعالى الصابرين وعظّم أجرهم فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٧/٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ٤٦٧/٥.

(٣) الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١٧٨/٢.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

قال ابن كثير: (وقوله تعالى: "أولئك عليهم صلوات من ربهم" أي: ثناء من الله تعالى ورحمة. قال سعيد بن جبير: أي أَمَنَة من العذاب "وأولئك هم المهتدون" قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعم العدلان ونعمت العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحمل وكذلك هؤلاء، أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً)[١].

قال ابن مفلح المقدسي: (وعلى العبد أن يعلم أن الجزع لا يرد المصيبة بل هو مرض يزيدها، وأنه يسرُ عدوه ويسيءُ محبه، وأن فوات ثوابها بالجزع أعظم منها، ومنه بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده واسترجاعه، كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ((إذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قالَ اللهُ لِمَلاَئِكَتِهِ قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيَقُولُ قبضتم ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الجَنَّةِ وسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ))[٢])[٣].

وقال ابن مفلح: (قال عبدالقادر: يا بني، المصيبةُ ما جاءت لتهلك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، يا بني، القَدَرُ سَبُعٌ، والسَّبُعُ لا يأكلُ الميتةَ؛ فالمصيبةُ كيرُ العبد، فإما أن يخرج ذهباً أو خبثاً، كما قيل:

سَبَكْنَاهُ ونَحْسَبُهُ لُجَيْنَا ... فأبدى الكيرُ عن خَبَثِ الحديدِ[٤]

اللجين: الفضة جاء مُصغراً مثل الثُريا وكُمَيت.

واعلم أنه لولا المصائب لبطر العبدُ وبغى وطغى، فيحميه بها من ذلك، ويطهره مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلى بنعمائه كما قيل:

قد ينعمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عَظُمَتْ ... ويبتلي اللهُ بعضَ القومِ بالنعمِ)[٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٨/١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٠٢١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨١٤).

(٣) انظر: الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١٧٨/٢.

(٤) العقد الفريد ٤٢١/٣.

(٥) الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ١٨٢/٢. والبيت في خزانة الأدب ٣٧٧/٢، والعقد الفريد ١٧١/٣.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إجابة دعوة النبي ﷺ:

(لقد كان لرسول الله ﷺ من الدعوات المستجابات ما لا يُحْصى كثرةً مما حفلت به مصنفات الحديث ومدونات السير)[١]، وكان من ذلك ما ورد في نص الحديث من قول الراوي "فقال ﷺ أعرستم الليلة؟" قال: نعم، قال "اللهم بارك لهما"، فولدت غلاماً، وفي رواية "فحملت" ... فولدت غلاماً".

قال القرطبي: (وفي هذا الحديث ما يدل: على إجابة دعوة النبي ﷺ وعلى عظم مكانته، وكرامته عند الله، وكم له منها، وكم! حتى قدحصل بذلك العلم القطعيُّ، واليقين الضروري؛ وذلك: أنه لما دعا لأم سليم وزوجها ولدت له من ذلك الغِشْيَان عبدالله بن أبي طلحة وكان من أفاضل الصحابة)[٢].

وكما ذكرنا أنه قد استفاضت الأدلة على إجابة دعاء النبي ﷺ، وكان مما يؤكد ذلك قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أصابَتِ الناسَ سَنَةٌ على عَهدِ النبيِّ ﷺ فبَينما النبيُّ ﷺ يَخطُبُ في يومِ جُمعةٍ قامَ أَعرابيٌّ فقال: يا رسولَ اللهِ، هَلَكَ المالُ، وجاعَ العِيالُ، فادعُ اللهَ لنا. فَرفعَ يدَيهِ ـ وما نَرى في السماءِ قَزَعةً[٣] فو الذي نفسي بيَدِه ما وَضعَها، حتى ثارَ السحابُ أمثالَ الجبال، ثمَّ لم يَنزِلْ عن مِنبَرِهِ حتى رأَيتُ المطرَ يتَحادَرُ على لِحيتهِ ﷺ. فمُطِرْنا يومَنا ذٰلكَ، وَمِنَ الغَدِ، وَبعَدَ الغَدِ، والذي يليهِ حتى الجُمعةِ الأُخرَى. وَقام ذٰلكَ الأعرابيُّ ـ أو قال غيرُهُ ـ فقال: يارسولَ اللهِ تهدَّمَ البناءُ، وَغَرِقَ المالُ، فادعُ اللهَ لنا. فرفعَ يدَيهِ فقال: اللهمَّ حَوالَينا ولا علينا. فما يُشير بيدِهِ إلى ناحيةٍ منَ السحابِ إلا انفرَجَتْ، وصارتِ المدينةُ مثلَ الجَوْبَةِ. وسالَ الوادي قناةُ شهراً، وَلم يَجِىءْ أَحدٌ من ناحيةٍ إلاّ حدَّث بالجَودِ))[٤] وفي ذلك يقين كامل على أن محمداً ﷺ رسول الله وأن الله تعالى يؤيده ويسدده ويستجيب دعاءه.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٥٣٩/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٧/٥-٤٦٨.

(٣) السحابة الصغيرة.

(٤) أخرجه البخاري ٩٣٣.

خامساً- من موضوعات الدعوة: تحنيك المولود:

إن من الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود تحنيكه عقب الولادة، وهذا ما أكده نص الحديث في قول أنس رضي الله عنه فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ، وبعثت معه بتمرات، فقال: "أمعه شيء؟" قال: نعم، تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في في الصبي، ثم حنكه".

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه حمل الصبي إلى الإمام أو العالم تبركاً به ليحنكه اقتداءً بالنبي ﷺ)[1].

وقال القرطبي: (فلا ينبغي أن يعدل عن ذلك اقتداءً بالنبي ﷺ واغتناماً لبركة الصالحين، ودعائهم)[2].

(والتحنيك معناه مضغ التمرة، ودلك حنك المولود بها؛ وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع، وإدخال الأصبع في فم المولود، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة كالمعقود، أو رائب السكر الممزوج بماء الزهر، تطبيقاً للسنة، واقتداءً بفعله ﷺ.

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ، حتى يتهيأ المولود لِلقم الثدي، وامتصاص اللبن بشكل قوي، وحالة طبيعية. ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركاً به، وتيمناً بصلاح المولود وتقواه)[3].

سادساً- من موضوعات الدعوة: بركة دعاء النبي ﷺ:

هذا ما يؤكده نص الحديث في قول ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن، يعني من أولاد عبدالله المولود.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٥/٦٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥/٤٦٨.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٧١.

قال ابن هبيرة: (وفي الحديث أن النبي ﷺ دعا لهم بالبركة، والبركة في دعاء رسول الله ﷺ تنصرف إلى الدين، فإن الولد الذي ولد لهما كان عالماً قارئاً؛ لهذا قال الأنصاري: فرأيت تسعة من الأولاد كلهم قد قرأ القرآن)[1].

وقد شملت بركة دعاء النبي ﷺ المال والولد كما شملت البركة في الدين وليس أدل على ذلك من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((جَاءَتْ بِي أُمِّي، أُمُّ أَنَسٍ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. وَقَدْ أَزَرَتْنِي بِنِصْفِ خِمَارِهَا وَرَدَّتْنِي بِنِصْفِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ هذَا أُنَيْسٌ، ابْنِي. أَتَيْتُكَ بِهِ يَخْدُمُكَ. فَادْعُ اللّهَ لَهُ. فَقَالَ: اللّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللّهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ. وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوَ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ))[2].

قال النووي: (قوله: "إن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة اليوم" معناه: ويبلغ عددهم نحو المائة. وثبت في صحيح البخاري عن أنس: أنه دفن مع أولاده قبل مقدم الحجاج بن يوسف مائة وعشرون والله أعلم، وهذا من أعلام نبوته ﷺ)[3].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٥/٦٧-٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٨١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٠٤-١٥٠٥.

الحديث رقم (٤٥)

٤٥- وعنْ أَبِي هُرَيرةَ رضي الله عنه أَن رسول اللّه ﷺ قال: «**لَيْسَ الشديدُ بالصُّرَعةِ إنمَّا الشديدُ الَّذي يملِكُ نَفسَهُ عِنْد الْغَضَبِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصُّرعة: من يصرع الناس، وفي النهاية: الصُّرَعَة: المبالغ في الصِّراع، الذي لا يُغلب، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب؛ فإنه إذا مَلَكَها كان قد قهر أقوى أعدائه وشَرَّ خصومه[2].

الشرح الأدبي

إن الصبر لا تنحصر أشعته الهادية في دائرة الابتلاءات فقط بكل ما تموج به من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، فهذه الدائرة يمكن أن يقابل الإنسان طغيان أحداثها بالصبر والاحتساب والتأمل والحكمة والرضا والخشوع، وإنما الصبر تتسع دائرته لتشمل الصبر على النعمة، والصبر على أداء الطاعة، والصبر على مقاومة المعصية، والصبر على مقاومة جموح النفس، والانتصار لها، في المواقف التي يستثار فيها الإنسان، ويظن أن الإهانة لحقت به، وأن معالم شخصيته تتبدد.

والحديث النبوي الشريف يقودنا إلى مجاهدة النفس وهو الجهاد الأكبر، فالنفس أمارة بالسوء.

وغرور القوة يوقع الإنسان في حمأة الباطل، والاغترار بالمظاهر المادية والعنفوان الجسدي، ينسي الإنسان أحياناً، كثيراً من القيم الإنسانية الجميلة مثل التسامح، والتواضع، والاتزان والثبات.

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩/١٠٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٥٢). وسيكرره المؤلف برقم (٦٤٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ر ع)، ورياض الصالحين ٦٧.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين موجزتين ، ولكنهما تفصحان عن المعنى المراد والهدف المقصود ، والجملة الأولى حكم عام، ومبدأ إسلامي وإنساني قويم: وقد صيغ في قالب النفي، والنفي هنا أسلوب يجسد المفارقة بين الشدة والصرعة، حيث يعدل البيان النبوي عن المألوف، ويلجأ إلى ما يسمى بالعدول والانزياح، "في علم الأسلوب"، فالذي ألفه العرب والناس جميعاً أن الشديد هو القوي الجسد المتكامل البنيان وهو الشخص "الصرعة" أي الذي يصرع الناس كثيراً؛ وربما قدرة هذا الشخص الجسدية لا تؤازرها قدرة عقلية، أو رقة شعورية أو حكمة نفسية وقلبية، ولذلك كان بيان الرسول ﷺ محكماً حين قال: "ليس الشديد بالصرعة" ولفظ الشديد يشع بكل ألوان الشدة والقوة على جميع توجهاتها وتصوراتها، ولفظ "الصرعة" على وزن "فُعَله" بضم الفاء وفتح العين، وبنية الكلمة هنا تجسد الفعل، وتوضح الحدث، وتومئ إلى ما ألفه الناس.

أما الجملة الثانية: فهي توضيح للإبهام الذي أثارته الجملة الأولى، وكأنها إجابة عن سؤال نشأ، ومن هو الشديد إذن؟ فأجاب رسول الله ﷺ في أسلوب القصر، كناية عن تلازم الشيئين وإتصاف الشديد بصفة مستقرة دائمة "فهو الذي يملك نفسه عند الغضب" إنما تدل على القصر إيماءً بثبات هذه الصفة، والتعبير بقوله: "يملك نفسه" كناية عن تحكم الإنسان في نفسه ساعة الغضب، لأن الغضب يحمل على الوقوع في أسباب الهلاك في دينه، ومن المفارقات اللغوية المثيرة للدهشة أن الغضب في مدلوله اللغوي يعني الرضا، وكأن الغاضب يرضى عن نفسه حالة هياجه وانفعاله؛ وسبب الغضب – كما يقول العلماء حصول مخالف لمراد الإنسان ممن هو دونه وتحت يده فيحصل منه تلك الحالة المقتضية لفعل ما لا يجوز، من قتل أو ضرب أو سب، وقال: جعفر ابن محمد: "الغضب مفتاح كل شر" قال الحسن: أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرَّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب وقال بعض السلف: الغضبان إذا كان سبب غضبه مباحاً كالمرض والسفر أو الطاعة كالصوم لا يلام عليه ،لأنه لا يؤذي غيره[1].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ص ٣٦٨، ٣٧٤.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الغضب وأثره في التصرفات، وقد ذكر الفقهاء[١] أن الغضب منه المحمود ومنه المذموم، فالغضب المحمود ما كان في جانب الحق والدين، والذب عن الحرم، والعرض، وانتهاك حرمات الدين وما ماثل ذلك، والغضب المذموم ما كان في سبيل الباطل، ويهيجه الكبر والاستعلاء والأنفة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن الغضبان مكلف في حال غضبه ويؤاخذ بما يصدر عنه من كفر وقتل وطلاق وعتاق ويمين وأخذ مال بغير حق وغيره، كما أنه لا يجوز للمفتي أن يفتي في حال غضبه.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم السائدة بين الناس.

ثانياً: من أساليب الدعوة: أسلوب النفي وأسلوب القصر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضيلة كظم الغيظ.

أولاً- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم السائدة بين الناس:

إن من أبرز المهام التي ينبغي أن يقوم بها الداعية: تصحيح المفاهيم السائدة بين الناس وتعديلها في ضوء الشرع وميزانه، وذلك لخطورة انتشار المفاهيم الخاطئة وتأثيرها الشديد على المجتمع؛ لأنها تسهم في تشكيل السلوك الفردي والجماعي لبعض فئات

---

(١) بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٢٦٩/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي للباجي ٢١٤/٧، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٨٣/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٦٥٧/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٨/٣١ وما بعدها.

(٢) رد المحتار ٢٤٤/٣، وأحكام القرآن لابن العربي٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٦٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٠/١، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ٣٢/٨، وحاشية الجمل ٣٢٤/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٣٥/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي للمرداوي ٤٨١/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٩/٣١.

المجتمع، ومن ثُمّ يكون تأثيرها ممتداً إلى الأفراد والجماعات.

لذا كان وجود المفاهيم غير الصحيحة يمثل عائقاً كبيراً أمام الداعية في تبليغ دعوته، وجني ثمارها وتحقيق أهدافها؛ ومن ثمَّ وجب على الداعية أن يصحح هذه المفاهيم حتى يتصرف الأفراد وفق المفهوم الصحيح ويحكموا على التصرفات والأفعال في ضوئه.

وقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل في ذلك فقد صحح مفهوم القوة، فإذا كان الناس يعتقدون أن القوي هو الذي يصرع الناس ويتغلب عليهم، وما يترتب على ذلك من انتشار ثقافة العنف في المجتمع واختفاء روح التسامح والرفق منه، وما في ذلك من أشد الضرر على الفرد والجماعة، لما كان الناس يعتقدون ذلك قام النبي ﷺ بتوجيههم إلى المفهوم الصحيح للقوة، وهو كظم الغيظ وتحمل الأذى والتحكم في النفس ودفعها عن إنفاذ الغضب وكفها عن الاستجابة لمقتضياته من رد العدوان والاقتصاص، أما قوة الجسد والتغلب على الآخرين فليست من القوة في شيء[1].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه نفي رسول الله ﷺ الشدة عن قوة أعضاء الإنسان وإثباتها في عقله الذي يصرع هواه عند الغضب"[2].

كما خاطبهم النبي ﷺ فقال: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟)) فأجابوه بما هو شائع بينهم: ((الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ)) فأجابهم مصححاً ومقوماً: ((لَيْسَ بِذَلِكَ. وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[3]. قال النووي: (تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم، وليس هو كذلك شرعاً بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلّ من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول)[4].

---

(١) انظر: حاشية السندي على مسند أحمد (١٩٨/٣٨).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٨٩/٦.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠٨).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٤.

وفي الحقيقة إذا نظرنا بالعين الفاحصة والفهم الدقيق لوجدنا أن القوة هي القوة النفسية التي تتحكم في الجسد وتوجهه وتضبطه، أما القوة الجسدية التي تتصرف في النفس وتوجهها وتقودها فليست من القوة في شيء؛ لأنها تجعل الإنسان يستجيب لنزعاته وأهوائه واندفاعاته، فيكون ضعيفاً أمامها مقوداً لا قائداً مفعولاً لا فاعلاً، ولذا رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: ((الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ، الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ، الرَّجُلُ الذي يَغْضَبُ فَيَشْتَدُ غَضَبُهُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ وَيَقْشَعِرُّ شَعْرُهُ فَيَصْرَعُ نفسه))[1].

قال الغزالي: (ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولة وعزة نفس وكِبَرْ همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً، حتى تميل النفس إليه وتستحسنه، وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض المدح بالشجاعة؛ والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه. وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل، بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو دليل على ضعف النفس ونقصانها. وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل، فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى أنه يغضب على أهله وولده وأصحابه)[2].

ولا شك أن الإنسان إذا جمع بين القوة النفسية والقوة الجسدية فإنه يكون قد جمع من الخير الكثير.

وعلى نهج تصحيح المفاهيم جاء حديث النبي ﷺ ((أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ؟)) فأجابه الصحابة الكرام بما استقرَّ في وجدانهم من أنه الفقير، فقالوا: ((الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ)) فصحح لهم النبي ﷺ هذا المفهوم فأخبرهم أن المفلس الذي يحق أن يطلق عليه لفظ المفلس هو الذي يأتي يوم القيامة وقد زادت سيئاتهُ عن حسناته، بسبب

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦٧/٥ رقم ٢٣١١٥، وقال محققو المسند: هذا إسناد ضعيف ١٩٦/٣٨.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي ١٦٥٧/٣.

عدوانه على الناس وظلمه لهم[١].

قال النووي: (إن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قلّ مالُه فالناس يسمونه مفلساً. وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسارٍ يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع)[٢].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النفي والقصر:

استخدم النبي ﷺ في هذا الحديث أسلوب النفي والقصر، وذلك لأنه ﷺ أراد أن ينفي المفهوم الشائع للقوة عند المدعوين، فاستخدم أسلوب النفي ((ليس الشديدُ بالصّرَعة))؛ لينزع من النفوس ما استقر فيها.

ثم استخدم ﷺ أسلوب القصر "إنما" ليثبت المفهوم الصحيح للقوة، وليقضي نهائياً على المعنى السائد وينشر المعنى الصحيح، ويُقره في الأفهام والعقول، لتتمثله في أعمالها وأحكامها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضيلة كظم الغيظ:

لما كان الإنسان مدنياً بطبعه يعيش في مجتمع تختلف فيه الطبائع والمشارب والرغبات، فتنشأ الاختلافات وتظهر المنازعات، فتتوافر الأسباب الداعية للغضب، وما يترتب على ذلك من إنفاذه والاقتصاص من المسبب له؛ وما يترتب على ذلك أيضاً من العداوة والشقاق والتنازع والتخاصم بين أفراد المجتمع وجماعاته لما كان الأمر كذلك، فإن كظم الغيظ يبرز هنا ليقطع هذا التسلسل وذلك الترتيب بين دوافع الغضب في النفس وبين إعماله وإنفاذه في أرض الواقع؛ ولاشكّ أن هذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة وقوة نفسية كبيرة.

وقال ابن هبيرة: "والذي أرى أن رسول الله ﷺ ذكر الغضب من أجل أنّ النفس إذا غضبت فإنما يكون ذلك منها لأذى اتصل بها فتفور إلى الانتقام، ولا يكون ذلك في الأكثر إلا على مقدور عليه، فذكر رسول الله ﷺ هذا العارض منبهاً لها أنه إن

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٤.

كان عن خوف أو عن طمع أو عن هوى كان في كل ذلك مكابداً بها منها ما لا يلحق درجة الغضب، لأنها لا تغضب إلا في مقام تظل فيه متسلطة، والمؤمن يذكرها عن استشاطتها بالغضب وما في عاقبة الكظم واطلاع الله عز وجل عليه، مع كونه قد أتى من مساخط الله تعالى أضعاف ما أتاه المسخوط عليه، فأمهل سبحانه وسامح فليمثل في نفسه عفواً بعفو وانتقاماً بانتقام.

وقوله: "الشديد"؛ بالألف واللام المعرفتين، يريد به أن الرجل ذا اللب مسلط عليه الغضب أكثر من غيره؛ لأنه كله حسن وجملته فطنة، فإذا أتى عليه ما يغضبه ثار في طلب الانتقام بجملته وأحس بالمؤذي، فجميع أجزائه حينئذ ينبغي أن تشكر نعمة الله عليه في تعزيز لبه وزيادة حسه، وليكن أشدّ كفًا، كلما كان أشد قدرة ليحظى بالإخلاص في العفو لوجه الله عز وجل"[١].

لذا كان كظم الغيظ من صفات المتقين أصحاب الجنة، فهم ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢]، كما أن الله سبحانه يعظم له الأجر والمكافأة، فأخبر النبي ﷺ أنه ((مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ))[٣]، فيكافئه سبحانه بطريقة تدل على تميزه وعلو مكانته عنده سبحانه، وذلك بأن كافأه أمام الناس يوم القيامة، مباهاة ومفاخرة بفعله، بأن ((دَعَاهُ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤوس الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شاءَ))[٤]، وذلك لأنه لما ضيّق على نفسه في الدنيا بسط الله له الجزاء يوم القيامة.

لذا كان كظم الغيظ صفةً من تحلى بها فاز وربح. فما أحسن أن يتحلى بها المسلمون[٥].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٨٩ - ٩٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧)، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٩٧).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٨/٣٢٣٦-٣٢٤٤.

الحديث رقم (٤٦)

٤٦- وعنْ سُلَيْمانَ بْنِ صُرَدٍ ﷺ قال: كُنْتُ جالِساً مع النَّبي ﷺ، ورجُلان يستَبَّانِ وأحدُهُمَا قَدِ[1] احْمَرَّ وَجْهُهُ. وانْتفَخَتْ أوداجهُ. فقال رسولُ اللَّه[2] ﷺ: «**إنِّي لأعلَمُ كَلِمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عنْهُ ما يجِدُ، لوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجيمِ ذَهَبَ عنْهُ ما يجدُ**». فقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**تعوَّذْ بِاللّهِ مِن الشَّيْطان الرَّجِيمِ**» متفقٌ عليه[3].

ترجمة الراوي:

سليمان بن صُرد: سليمان بن صُرد بن الجَوْن بن أبي الجَوْن، الأَزديُّ السلوليّ الخزاعيّ الكوفي، صحابي ومن الزعماء القادة.

وكان قبل أن يدخل الإسلام يُسمى يساراً فغير النبي ﷺ اسمه كعادته في تغيير الأسماء السيئة إلى الحسنة فسماه سليمان.

له في المرويات خمسة عشر حديثاً وكان ممن سكن الكوفة، وابتنى بها داراً في خزاعة، وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون، وكان رضي الله عنه خيِّراً فاضلاً له دين وعبادة، وفي قومه كان له سن عالية وشرف، وقدر وكلمة فيهم.

وكان ممن شهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الجَمَل وصفين وهو الذي قتل حوشباً ذا طُليم الألهاني بصفين مبارزة ثم اختلط الناس يومئذ، ثم كان ممن كاتب الحسين يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قُتل الحسين قدم هو والمسيب بن نَخْبَه وجميع من خذله على رأس أربعة آلاف سموا بالتوابين فخرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين، وكانوا يطلبون قتل عبيدالله بن زياد، وأن يخرج مَنْ في العراق مِنْ أصحاب ابن الزبير، ويردوا الأمر لأهل البيت، فالتقاهم عبيد الله بن زياد

---

(١) (قد) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦١١٥).

(٢) لفظ البخاري: (النبي).

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٨٢) واللفظ له، ومسلم (١٠٩/٢٦١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦١).

بمكان يُسمى عين الوردة بعسكر مروان فقتل سليمان بن صُرد ومن معه، وكان الذي قتل سليمان بن صُردٍ يزيدُ بن الحصين بن نمير رماه بسهم فقتله وحمل رأسه ورأس المسيب بن نَخْبَة إلى مروان بن الحكم أدهم بن محرز الباهلي، وكان ذلك في سنة خمس وستين في شهر ربيع الأول، وكان سليمان يوم أن قتل ابن ثلاث وسبعين سنة[١].

غريب الألفاظ:

يَسْتَبّان: أي يسبُّ كل منهما الآخر، والسب: الشتم[٢].

الأوداج: واحدها وَدَجٌ: ما أحاط بالعنق من العروق وهما وَدَجَان[٣]، ينتفخان عند شدة الغضب.

الشيطان الرجيم: المطرود عن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى[٤].

الشرح الأدبي

يقدم هذا الحديث الشريف دواء ناجعاً لداء "الغضب"، من خلال موقف عملي، وتجربة واقعية، وهذا الحديث يأتي توضيحاً وتفصيلاً للإجمال والإيجاز في الحديث السابق، وهو ثمرة نافعة نقطفها من رياض الصالحين وكلام سيد المرسلين، وكثير من الأحاديث تصاغ في قالب حواري تشهده مجالس الرسول ﷺ، وتعمر بها مواقفه الراشدة في توجيه عامة المسلمين وخاصتهم إلى سبيل الرشاد ووقائع هذه الجلسة يقدمها الراوي: سليمان بن صرد رضي الله عنه، وكان خيّراً فاضلاً ذا دين وعبادة وشرف في قومه، ويبدأ بقوله: "كنت جالساً مع النبي ﷺ" وأَعْظِم بهذه الجلسة وأَكْرِم بها ولهذه

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٢٩٢/٤، ٢٩٣)، (٢٧/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٩٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٥٤٨/٢، ٥٤٩)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٥٣٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٢٨٤/٣، ٢٨٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩٨/٢، ٩٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٢٧/٣).

(٢) انظر: الوسيط في (س ب ب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و د ج)، والوسيط في (و د ج).

(٤) المفردات ١٩٠.

الجلسة آداب ومقاييس وملامح ومعالم فكان رسول الله إذا تكلم سكت جلساؤه، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره، لا حسب مكانته، لا يقاطع أحدُهم الآخر، ولا يقاطع رسولُ الله أحدهم وكان صبورا حليماً صبراً على الغضب، وحليماً على الجهل، وكان حازماً في رد النفاق، كان صبيح الوجه حسن الصوت، عليه الصلاة والسلام[1].

هذه آداب مجلس رسول الله ﷺ، وهذه شمائله مع أصحابه.. ولكن... ويا للعجب!! هذا المجلس النبوي تقطع سكونَه المهيب وجلالَه الوضاء، هذه السلوكيات من بعض الذين لم يقطعوا أسباب الغضب، والذين ينتصرون لرغبات أنفسهم، ولا يتحكمون في جموح انفعالاتهم، ففي مجلس رسول الله ﷺ الذي تحفه السكينة وتغشاه الرحمة، وتحضره الملائكة نشهد على مرآى ومسمع من رسول الله رجلين يستبّان: أي يسب كل منهما الآخر، وأحدهما بلغ به الغضب ذروته، فظهر أثر الغضب على هيئته، فاحمر وجهه وانتفخت أوداجه، والأوداج ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح.

ولنتأمل موقف مَنْ بالمؤمنين رءوف رحيم؛ هل نَهَرَهُما؟ هل حاكمهما؟ هل أمر بطردهما؟ لا لا، هكذا تكون أخلاق النبوة: إنه عالج الموقف بالحكمة والموعظة الحسنة، وأرشدهما إلى كبح جماح الغضب بالالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من الشيطان الرجيم، لأن الغضب - من الشيطان، والشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، والوضوء مع الاستعاذة والبسملة هو الطريق إلى الانتصار على شيطان الغضب، ولذلك قال رسول الله: في أسلوب التأكيد، ودلالة العلم اليقينية، "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد"، والكلمة هنا: المراد منها الكلام المفيد كما قال ابن مالك، "وكلمة بها كلام قد يؤم"[2]، وهذه الكلمة التي جاءت في صيغة النكرة تدل على العموم والشمول: لأنها حين حددها رسول الله ﷺ، تظل دواءً لآلاف بل وملايين

---

(١) انظر: محمد رسول الله ﷺ، محمد متولي الشعراوي ص ٣١.

(٢) أي يراد أو يقصد بها جمع من الكلام.

الحالات الانفعالية الغضبية في كل الأزمنة وجميع الأمكنة، وسائر الأحوال وهى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأعوذ: معناه: ألجأ وأعتصم بالله، من الشيطان، ومَنْ غير الإله القوي القادر يستطيع حماية الإنسان من أغواء الشيطان؟ والمدلول اللغوي للفظ الشيطان يصور وظيفته ودوره في إضلال البشرية، لأن لفظ الشيطان إما أن يكون من شاط أي احترق، وهذا المدلول ينبئ عن مصير الذين يتبعون وساوس الشيطان، وعن مصير الشيطان نفسه، فمآله الجحيم، وإما أن يكون أصل الكلمة، "شطن"، وتومئ بالبعد عن رحمة الله. أو تكسيل العبد وتصيده بالذنوب، وهكذا يكون العلاج النبوي هو الطريق السوي للقضاء على نزغات الشياطين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الاستعاذة من الغضب، والاستعاذة سنة عند أغلب الفقهاء[1] وقال البعض بوجوبها عند قراءة القرآن وعند الخوف، أما في حالة الغضب فقد ذكر الفقهاء أنه ينبغي لمن غضب أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فإنه علاج لغضبه ومسكن لما تهيج منه كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان مساوئ الغضب.

ثالثاً: من مهام الداعية: تقديم العلاج المناسب للمشكلات.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والتشويق والأمر.

خامساً: من مهام الداعية: التحذير من الشيطان وعداوته للإنسان.

سادساً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل الأخبار الواردة عن النبي ﷺ.

---

(١) بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٢/٢٧٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/١٦٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤/٥.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

لقد بعث الله النبي محمداً ﷺ بالإسلام، وأمره أن يبلغه للناس، فمنهم من أعرض عنه، ومنهم من شرح الله صدره فآمن به وصحبه. فكانوا أصحابه، وكان من أخلاقهم الحرص على مجالسة النبي ﷺ، وذلك للتعلم منه والاقتداء به، وحفظ شريعته ونقلها إلى من بعدهم؛ لذا كانوا أحرص ما يكون على مجالسته ﷺ وملازمته، كما في هذا الحديث: ((كنتُ جالساً معَ النبيِّ ﷺ)).

وقد بلغ من حرصهم على ذلك أنهم إذا شغلهم طلب العيش تناوبوا النزول عليه ﷺ، فينقل من حضر إلى من غاب ما كان من أمره ﷺ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ -وهيَ مِن عوالي[1] المدينةِ- وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَوماً وأَنزِلُ يَوماً، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ))[2].

وكانوا في مجالستهم إياه ﷺ يلتزمون الأدب الرفيع والتبجيل والإجلال له، مع مراقبة أحواله وسرعة الامتثال لأوامره. قال عروة بن مسعود الثقفي واصفاً أحوالهم معه ﷺ في غزوة الحديبية، وقد راعه ذلك: ((والله لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووَفدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكاً قطُّ يُعظِّمُهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمداً، ... إذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، ... وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيماً له))[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان مساوئ الغضب:

كل حالة شعورية تنتاب الإنسان تظهر ملامحها عليه في الأغلب الأعمّ، ومن أشد الحالات الشعورية التي تنعكس على الإنسان ومظهره وهيئته وتصرفاته - حالة الغضب، يظهر ذلك جلياً في خروجه عن شعوره، وفقده السيطرة على نفسه وضبطها،

---

(١) اسم مكان قريب من المدينة المنورة.

(٢) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (٣٤-١٤٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

فضلاً عن تغير شكله وهيئته؛ فيحمر وجهه وتنتفخ عروقه ويضيق نَفَسُه ونحو ذلك. مما قد يكون نذيراً ومقدمة إلى فعل ما لا تحمد عقباه، فيندم بعد ذلك أشد الندم، أو إلى تأثر صحته تأثراً سلبياً قد يكون كبيراً. ومن ثم كان من الموضوعات الجديرة بأن تعالج دعوياً بيان مساويء الغضب التي تؤثر في الجسد والنفس. وهذا ما فعله الصحابي الجليل في هذا الحديث (وأحدهما قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه) وقد وصف معاذ بن جبل أثر ذلك فقال: ((اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا غَضَباً شَدِيداً حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ أَنْفَهُ يَتَمَزَّعُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ))[1].

قال ابن رجب: (إن الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير... قال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر. وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة، قال: ترك الغضب. وكذا فسر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب ... والغضب هو غليان دم القلب طلباً لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلباً للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسبِّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعاً، وكطلاق الزوجة الذي يُعْقِب الندم)[2].

ثالثاً- من مهام الداعية: تقديم العلاج المناسب للمشكلات:

يواجه الداعية كثيراً من المشكلات التي يستطيع بعلمه وحكمته أن يضع لها العلاج المناسب. وفي هذا الحديث رأى النبي ﷺ الرجل قد غضب غضباً شديداً، وقد ظهر ذلك على هيئته وعلى لون وجهه وانتفاخ أوداجه ونحو ذلك. وهذا كله قد يدفعه إلى أن يُنفذ غضبه، فيقتص ممن أغضبه، ومن ثم قد يزداد هذا الغضب ويؤدي إلى

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٠٨٦/٣٦) وأبو داود (٤٧٨٠) وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٢٤) لكن قال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٦٢/١، ٣٦٣، ٣٦٩.

نتائج غير مرضية. لذا سارع النبي ﷺ إلى وضع العلاج المناسب حتى يذهب ما في نفسه من الغضب، فقال: ((لو قال: أعوذُ باللهِ منَ الشيطان الرجيم ذَهبَ عنه ما يَجدُ))، فكان من صفات هذا العلاج أنه يُذهب الغضب وبآثاره الناتجة عنه فيما لو استمرّ وتطور.

وقال ابن رجب: (وكان النبي ﷺ يأمر من غَضِب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب. وتسكنه، ويمدح من ملك نفسه عند غضبه... أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلاَّ فَلْيَضْطَجِعْ))[1]. وقد قيل: إن المعنى في هذا أن القائم متهيئ للانتقام، والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه، فأمره بالتباعد عن حالة الانتقام)[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والتشويق والأمر:

١- التوكيد: في قوله ﷺ: "إني لأعلم كلمةً...". وقد جاء هذا التوكيد مناسباً لحالة التأزم بين الرجلين بسبب التشاتم والتغاضب بينهما، فجاء التوكيد ليكون على مستوى هذا التأزم، ليؤكد أن ما يقوله النبي ﷺ هو الحل المناسب لهذا الموقف.

٢- التشويق: في قوله ﷺ: "إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد..." فقد ذكر النبي ﷺ أن هذه الكلمة تذهب الغضب دون أن يصرح بها مباشرة، وذلك ليدفع السامعين إلى التشوق والتطلع إلى هذا الحل. وقد جاء هذا التشويق مناسباً للحالة النفسية للمدعوين: فهو من ناحية يصرف أذهان السامعين عن الاسترسال مع التشاتم والتسابب. ويدفع المتشاتمين إلى التوقف عن ذلك. كما أنه يثبت هذا العلاج في أذهان المدعوين من ناحية أخرى.

٣- الأمر: وذلك في قول الصحابة للمغضب: إن النبي ﷺ قال: "تعوذ بالله من الشيطان الرجيم".

---

(١) أخرجه أحمد ٢١٣٤٨/٣٥، وأبو داود ٤٧٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٠).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٣٦٤-٣٦٥.

فقد أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، للتغلب على وسوسة الشيطان ومحاولته السيطرة على الإنسان في مثل تلك الحالات من الغضب.

خامساً- من مهام الداعية: التحذير من الشيطان وعداوته للإنسان:

إن مما ينبغي للداعية أن يحرص عليه تحذير المدعوين من الشيطان وعدواته للإنسان، ويقتدي في ذلك بقول النبي ﷺ: "لو قال: أعوذُ باللهِ منَ الشيطان ذَهبَ عنه ما يَجدُ"، وذلك لأن الشيطان عدو الإنسان، فيريد أن يخرجه من ملة الإسلام، فإن لم يستطع ذلك أوقعه في الكبائر، فإن لم يستطع أوقعه فيما دون ذلك. قال النووي: (إن الغضب من نزعات الشيطان، ولهذا يخرج الإنسان عن اعتدال حاله، و يتكلم بالباطل ويفعل المذموم، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح المترتبة على الغضب)[1].

وقد قال الله تعالى محذراً منه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[2] وعلى ذلك فهو لا يفوت فرصة تسنح له في إيقاع المرء فيما لا تحمد عقباه إلا واستغلها. ومن أنسب الحالات التي يستطيع أن يوسوس للإنسان ليدفعه لارتكاب ما حرم الله -حالة الغضب، لأن الإنسان قد يرتكب هذا بزعم رد العدوان عنه، والاقتصاص من المعتدي، وهذا من تلبيس إبليس، فأرشد النبي ﷺ الغضبان إلى الاستعاذة بالله والالتجاء إليه، ليحميه من وساوس الشيطان.

قال الطوفي: (أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي، وهو أن لا فاعل إلا الله، وكل فاعل غيره فهو آلة له، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه-اندفع غضبه، لأنه لو غضب والحالة هذه كان غضبه على ربه جلّ وعلا. وهو خلاف العبودية). قال ابن حجر معقباً على ذلك: (وبهذا يظهر السر في أمره ﷺ الذي غضب بأن يستعيذ من الشيطان، لأنه إذا توجه إلى الله في تلك الحالة بالاستعاذة به من الشيطان، أمكنه استحضار ما

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٥.

(٢) سورة فاطر، أية: ٦.

ذكر، وإذا استمرّ الشيطان متلبساً متمكناً من الوسوسة، لم يمكنه من استحضار شيء من ذلك، والله أعلم)[١].

سادساً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل الأخبار الواردة عن النبي ﷺ:

يتضح ذلك في قولهم للرجل المغضب: إن النبي ﷺ قال: "تعوذ بالله من الشيطان الرجيم" بعد سماعهم قول النبي ﷺ "لو قال: أعوذُ باللهِ منَ الشيطان الرجيم ذَهبَ عنه ما يَجدُ"، وهذا يدل على حرصهم على تبليغ الرجل ما قاله النبي ﷺ لينتفع به هو ومن يأتي بعده. وفي رواية أبي داود: ((فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأْمُرُهُ))[٢] قال ابن حجر: (وليس في الخبر أنه أمرهم أن يأمروه بذلك، لكن استفادوا ذلك من طريق عموم الأمر بالنصيحة للمسلمين).

وهذا الحرص هو الذي حفظ لنا سنة النبي ﷺ نقية، تتدارسها الأجيال على مر العصور وتعمل بها وقد نُفي عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. قال الدكتور عمر سليمان الأشقر: (قد قام الصحابة على دين الله، فحفظوه من الضياع، وبلغوه للعالمين، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، وقد تحققت الشورى في أسمى مراتبها في عهد الخلفاء الراشدين، وكانت الشريعة الإسلامية هي المهيمنة على الأمة الإسلامية، وهي المصرفة لأمورهم، والقائدة لشؤونهم، وقد كان فقهاء الصحابة هم أصحاب الشورى وبيدهم تدبير الأمور، فلم يكن يصدر أمر إلا إذا كان موافقاً للشريعة، وقد كانوا يشجعون المسلمين على مراقبة الحكام وفق مقاييس الشريعة، وكانت نصوص الشريعة غضة طرية لم تدخلها التأويلات والتمحلات المتكلفة)[٣].

جاء في كتاب أصول الإيمان: "الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون وصفوة هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٣٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٨١).

(٣) تاريخ الفقه الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر ص ٦٤.

منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان. فهم حملة هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الدين كله، لأنه وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضاً طرياً عن رسول الله ﷺ مشافهة ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن وفتح الله على أيديهم بلاد الدنيا، فدخل الناس في دين الله أفواجاً"[1].

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٢٧١.

الحديث رقم (٤٧)

٤٧- وعنْ مُعاذ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كظَمَ غيظاً، وهُو قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى عَلَى رُؤُوسِ الْخلائقِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ**» رواه أَبُو داوُدَ، والتِّرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ[1].

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: هو معاذ بن أنس الجهني حليف الأنصار، له ولأبيه صحبة، ونزل مصر والشام وهو والد سهل بن معاذ الذي قال عنه المزي: لين الحديث إلا أن أحاديثه حسان في الرغائب والفضائل.

كان من المجاهدين في سبيل الله بنفسه وماله في عهد النبي ﷺ وبعده؛ مُعلياً كلمة الله ومخرجاً الناس من الظلمات إلى النور وناشراً العدل على ربوع العالم.

قال ابنه سهل: غزوت مع أبي الصائفة [الغزوة وقت الصيف] في زمن عبدالملك بن مروان وعلينا عبدالله بن عبدالملك، فضيّق الناس المنازل وقطعوا الطريق فقال معاذ: أيها الناس إنا غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة كذا وكذا. فضيق الناس الطريق. فبعث النبي ﷺ منادياً فنادى: ((من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له))[2].

ومقتضى ذلك أن وفاته تأخرت إلى ما بعد ٦٥هـ وهي السنة التي تولى فيها عبدالملك الخلافة بعد أبيه مروان[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٧) واللفظ له، والترمذي (٢٠٢١)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. قال العقيلي في الضعفاء الكبير (١٠٣/٣): قد روي بأسانيد صالحة. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٥٩).

(٢) أخرجه أحمد ٤٤١/٣ رقم ١٥٦٤٨، وقال محققو المسند: رجاله ثقات ٤٠٥/٢٤، وأبو داود (٢٦٢٩، ٢٦٣٠) وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٨٩، ٢٢٩٠).

(٣) الطبقات، ابن سعد (٥٠٢/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٥٥ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٨٦/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٢٥٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٣٧/٧) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩٧/٤) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٧٨٤/٣).

غريب الألفاظ:

كظم غيظه: تجرّعه واحتمل سببه وصبر عليه[١].

الحور العين: هن نساء أهل الجنة، واحدتهن حوراء وهي: الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وذلك نهاية في الحسن من العين[٢].

الشرح الأدبي

العفو عند المقدرة من شيم الكرام، وسمات الصالحين، وأرباب النهى، وأولى العزم. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

والصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر، لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً، وليس للإنسان اختيار في بواعث هذا الأذى، ولكن له اختيار في دفعه بالصبر والتحمل والعفو وكظم الغيظ، وذلك إذا أوذي الإنسان بفعل أو قول، أو جُني عليه في نفسه أو ماله، فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً، وتارة يكون فضيلة، ويقول بعض الصحابة تأكيداً لهذا الموقف الإيماني، "ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى"، قال تعالى: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٤].

وفي هذا الأفق الإيماني الوضاء تتوهج أضواء هذا الحديث النبوي الشريف، ترغيباً لكل مسلم في التحلي بهذا الخلق الإسلامي الرفيع، ولغة الحديث وصياغته وكلماته كلها ترغب في العفو والتسامح. فالحديث يرد في جملة شرطية: وركنا: الشرط والجزاء، من كظم غيظاً، وهو قادر، ثم الجواب: دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة... وهذه الصيغة اللغوية تفصح عن تحقق الجزاء والثواب، وهو جزاء

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ع).

(٢) المفردات والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ر).

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

مضاعف، وثواب جزيل.

ومادة كظم مرتبطة بالغيظ، تدل على أن هذا الصابر المحتسب: تجرَّع الغيظ، واحتمل وقائعه وصبر عليه، والغيظ تغير يطرأ على الإنسان عند احتدام الغضب، ولكن صاحب الإرادة القوية والإدراك الإيماني يكتم غيظه، ويقاوم موجات الغضب المحتدمة في نفسه.

وجاء لفظ: غيظاً نكرة، ولم يأت مُعرّفاً لإفادة العموم والشمول، فهو ليس غيظاً واحداً محدداً ولكنه ألوان من الغيظ، وأنواع من الغضب تأتي وتتكرر كثيراً.

وجملة: "وهو قادر على أن ينفذه" في موقع الحال: أي أن ذلك المسلم الذي يكتم غيظه ليس عن ضعف أو هوان أو قلة حيلة لأنه يملك أسباب القوة والانتقام ورد الأذى، ولكنه تحلى بالصبر الجميل، والصفح النبيل، وجواب الشرط هو، "دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق".

وهو ثواب مضاعف، وأجر جزيل، فإذا كان ذلك المؤمن كظم غيظه في موقف أو موقفين وأمام عدد محدود من الخلائق، فالله سبحانه وتعالى يضعه في قمة التقدير، والخلائق جميعاً تشهده يوم القيامة وهو يأخذ جائزته، ويُخيِّر في اختيار ما يريد وما يشاء من "الحور العين"، وما شاء توحي بالاختيارات الكثيرة، وسبحان الله الخلاق العليم، وأي مكافأة أعظم من هذه المكافأة لكل من يحرص على إقامة جسور المودة وهي تتمثل في قول رسول الله ﷺ، "صِلْ من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك"[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٤٨/٤، ١٥٨، رقم ١٧٣٣٤، ١٧٤٥٢، وقال محققو المسند: حديث حسن ٥٧٠/٨، ٦٥٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: الثناء على أهل الأخلاق الطيبة والإشادة بهم.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التبشير.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل كظم الغيظ.

أولاً- من آداب الداعية الثناء على أهل الأخلاق الطيبة والإشادة بهم:

يؤخذ هذا من قوله ﷺ "من كظم غيظه ... دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة.." فإن الله عز وجل يدعو من كظم غيظه وهو قادر على أن يقتص ممن أغضبه. يدعوه على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ليكافئه ويعطيه ثوابه، فيكون هذا أعظم الجزاء وأحسن المكافأة له؛ فإنه يقال في حقه أمام الناس في هذا المشهد العظيم: (هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة)[1].

وإذا كان الله وهو رب العالمين يثني على أهل الأخلاق الطيبة، فإنه حريٌّ بالداعية أن يثني على أهل الفضل ويشيد بهم، إذا كانوا يستحقون ذلك ويُؤمن عليهم الاغترار، فإن في ذلك فائدتين: الأولى: تثبيتهم على هذه الأخلاق إن لم يكن العمل على زيادتها. والأخرى: دعوة غيرهم، لأن يكونوا مثلهم.

وهذا ما فعله النبي ﷺ حين أثنى على عمرو بن تغلب رضي الله عنه الذي قال: إن رسول الله ﷺ أتى بمالٍ أو بسبي فقسمه فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين تركَ عتبوا، فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال: ((إني أُعطي الرجلَ وأَدَع الرجل، والذي أدع أحبُّ إليَّ من الذي أعطي، أعطي أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل اللّه في قلوبهم منَ الغِنى والخير، منهم عُمرو بن تَغلب، فقال عَمرو: ما أحبُّ أنَّ لي بكلمةِ رسولِ اللّه ﷺ حُمْرَ النَّعم))[2].

قال ابن مفلح: (كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من عُجْب ونحوه، وجوازه لمن أمن من ذلك في حقه... فأما من مدح على الفعل الحسن، والأمر المحمود

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٤٤.

(٢) أخرجه البخاري (٩٢٣، ٣١٤٥، ٧٥٣٥). وحُمْر النَعَم هي أفضل أنواع الإبل عند العرب.

ترغيباً في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: التبشير:

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ "دعاه اللهُ سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره من الحور العين ما شاء"، فالداعية يسلك في سبيل إنجاح دعوته التبشير بالثواب العظيم الذي أعده الله للصالحين من عباده؛ وذلك تشجيعاً لهم وحثّاً لهممهم على الاستجابة والطاعة، فإن النفس مجبولة على معرفة ثواب الأعمال التي تكلف بها.

وعن طريق هذا الأسلوب يدفع الداعية المطيعين إلى زيادة الطاعة والإكثار منها، كما يجذب المقصرين والمتخاذلين إلى ساحة الإذعان وميدان التطبيق.

وقد بشر النبي ﷺ في هذا الحديث من يكظم غيظه بالثواب العظيم، ليدعو المسلمين إلى الالتزام بهذا الأدب الرفيع والخلق الكريم.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل كظم الغيظ:

يتضح هذا في قوله ﷺ "من كظم غيظاً... دعاه الله على رؤوس الخلائق..." فقد أبان ﷺ عن فضل كاظم غيظه وهو أن الله يدعوه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد مباهياً ومفاخراً سبحانه وتعالى به، ليعطيه جائزته ومكافأته على فعله، بأن خيره من الحور العين -نساء أهل الجنة- يأخذ أيهن شاء. وهذا (كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة)[٢]. وإنما استحق ذلك كاظم غيظه لأنه قهر نوازع الاقتصاص ودوافع الانتقام في نَفْسه الأمّارة بالسوء، ولم يستجب لها، وارتفع عن رد العدوان وارتقى إلى درجة تحمل الأذى والصبر، فكان مجاهداً لنفسه، فحملته المجاهدة إلى الدرجات العلا، لذا قال ﷺ ((مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْراً عِنْدَ اللَّهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ، كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ))[٣].

---

(١) الآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد ٣/٤٣٦-٤٣٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤١٨٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٧٧).

قال الطاهر بن عاشور: (كظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كظم القربة إذا ملأها وأمسك فمها، قاله المبرد، فهو تمثيل الإمساك مع الامتلاء ولاشك أن أقوى القوى تأثيراً على النفس القوة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها مع الامتلاء منها، دل ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا أكبر من قوى الأخلاق الفاضلة)[١].

إن مما ينبغي للداعية أن يبينه، ويشيد به فضل الله تعالى وكرمه على عباده المؤمنين. ويقتدي بالنبي ﷺ كما في هذا الحديث عندما قال: "دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيّره من الحور العين ما شاء"، فهذا يدل على فضل الله وكرمه على عباده، فهو سبحانه يُثيب على العمل اليسير بالثواب العظيم، كرماً منه ومِنةً، مع أنه سبحانه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، فرتب سبحانه على مجرد كظم الغيظ هذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل، (فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه؟!)[٢].

فكظم الغيظ، وإن كان عملاً شاقاً على النفس، إلا أنه في ميزان تقييم الأعمال لا يبلغ هذا الثواب العظيم الذي أعده الله له، لكن كرماً من الله وتفضلاً على عباده وَعَدهم بهذا الجزاء الكبير، لهذا خاطب النبي ﷺ أصحابه فقال: "لن يُدخِل أحداً منكم عملُه الجنة" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ((وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ مِنْهُ بفضلٍ وَرَحْمَةٍ))[٣]. وصدق الله إذا قال: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٤].

---

(١) التحرير والتنوير، ٩١/٤/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٧١.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧٣) ومسلم (٢٨١٦).

(٤) سورة النساء، آية: ١١٣.

الحديث رقم (٤٨)

٤٨- وعنْ أَبي هُريْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ للنَّبيِّ ﷺ: أوْصِني، قَالَ: «**لا تَغضَبْ**» فَردَّدَ مِراراً قَالَ، «**لا تَغْضَبْ**» رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الغضب يجمع الشر كله، ويلقي بالإنسان في مهاوي الرَّدى، وأوهام الباطل، وربما تحكمت فيه شهوة الغضب فأفسدت عليه حياته، وباعدت بينه وبين رَحِمه.

وربما يدفع الغضب الإنسان إلى ارتكاب الحماقات، وإلى ردَّة الفِعْل العمياء- وكما يقول الشاعر:

مالي غضبت فطار أمري من يدي ... والأمر يخرج من يد الغضبان

والمصطفى ﷺ، يعالج أمراض النفس البشرية، ويداوي كل من أصابه داء من الهم والوسواس، والإحساس بالقهر، والشعور بالظلم، وتسلل داء الغيرة أو اليأس إلى النفس، والغضب من أشد الأمراض السلوكية فتكاً وتدميراً لقواعد السلوك البشري، وتقطيعاً لأواصر المودة والرحمة، والحديث السابق يجعل الذي يكظم غيظه، ويكتم غضبه في الدنيا على رؤوس الخلائق يوم القيامة، ويخيره الله من الحور العين ما شاء.

وهذا الحديث الشريف يُقَّدم في صيغة أسلوبية جديدة: وهى الوصية: وهي تفيد الوجوب وهذه الوصية تشرق كلماتها الموجزة في سياق حواري مقنع، فأبو هريرة رضي الله عنه يروي أن "رجلاً" قال للنبي ﷺ: "أوصني": فمن هو ذلك الرجل؟ ومتى قال للنبي ﷺ ذلك وفي أي مكان طلب هذه الوصية، ولماذا طلبها: كل هذه أسئلة تتحرك في فضاء هذه الوصية الجامعة المانعة التي تعالج داء ذلك الرجل، وحالته ربما تشابه ملايين الحالات الإنسانية في كل زمان ومكان، فاسم الرجل ليس مطلباً ضرورياً لأن القضية ليست ذاتية وإنما هي قضية عامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٤٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٣٩).

ولذلك يأتي طلب الوصية في صيغة الأمر وهي للالتماس والرجاء، وليست أمراً حقيقياً لأن الأمر من الأدنى للأعلى دعاء، ومن الأعلى للأدنى أمر حقيقي واجب التنفيذ، وإذا كان من متساويين فهو التماس، وهذا الرجل مساو للرسول ﷺ في بشريته وإنسانيته، ولكن الرسول ﷺ تعلو درجته بالنبوة والعصمة والرسالة، وبأنه يوحى إليه ، وبأنه لا ينطق عن الهوى وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه أفضل خلق الله تعالى.

وإجابة رسول الله ﷺ، ترد حاسمة جازمة موجزة مقنعة في صيغة النهي: "لا تغضب" وكأن الرجل يشعر بأنه مازال محتاجاً إلى مزيد من الوصايا – ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام يعرف داءه، ويدرك الطريق الصحيح لعلاجه وهو ترك الغضب، وفي ذلك حفاظ على نفسه وبدنه لأن الجسم يتأثر بالغضب الشديد، وتحدث مضاعفات مرضية خطيرة ربما تؤدي إلى هلاك الإنسان، وكذلك تنتشر سموم الغضب وتصيب كل من حول ذلك الغاضب الذي لا يدري عاقبة أمره، وربما يدفعه الغضب إلى تشتيت شمل أسرته، أو تقطيع رحم قرابته، أو الاعتداء على الغير ثأراً لكرامته، أو ظلم الناس صوناً – كما يزعم لعزته أو إذلال الرعية حفاظاً على هيبته، واستمرارا لسلطته، لأن الغضب من نزغات الشيطان، ولذا يخرج الإنسان عن اعتداله فيتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، ولذلك يوصي رسول الله بعدم الغضب لأن ترك الغضب مفتاح الخير كله.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: طلب النصيحة والوصية من أهل العلم.

ثانياً: من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي والتكرار.

أولاً- من آداب المدعو: طلب النصيحة والوصية من أهل العلم:

هذا الرجل ذهب إلى النبي ﷺ وقال له: "أوصني" عدة مرات. قال ابن حجر: (قوله "فردد مراراً" أي: ردد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعم، فلم يزده على ذلك)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٣٦.

وهكذا شأن المدعو دائماً مع أهل العلم الصادقين، يسألهم ويطلب منهم النصيحة، ليستفيد من ذلك في دنياه وآخرته؛ لأنهم أعلم بما يصلحه وبما هو أنسب له وأرفق، ولذا كان هذا السائل حريصاً على أن يعقل الوصية ويفهمها حتى يطبقها خير تطبيق، ففي رواية الترمذي: ((عَلِّمْنِي شَيْئاً وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهُ))[1].

ولاشك أن خير ما يسأله طالب الوصية ما يبعده عن غضب الله وما يدخله الجنة فهذا عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يسأل رسول الله ﷺ: ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل؟ قال: "لا تغضب"[2]. وهذا أبو الدرداء رضي الله عنه يسأله فقال: يا رسول الله دلني على عمل يُدخلني الجنة. قال ((لاَ تَغْضَبْ وَلَكَ الْجَنَّةَ))[3].

وهكذا حال المدعو، يطلب من أهل العلم الأتقياء الصالحين أن يدلوه على طرق الخير الموصلة إلى جنة الرحمن المبعدة عن غضبه عز وجل.

ثانياً- من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى ما ينفعه:

يتضح هذا في قوله ﷺ: "لا تغضب"، فدلّه على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، فنهاه عن الغضب الدنيوي؛ لأنه يؤدي إلى مفاسد جمّة تشمل الظاهر والباطن، وتظهر في اللسان واليد، كما أنها لا تقتصر على الغضبان ومن أغضبه فحسب، بل تمتد كذلك إلى غيره ممن لا يكون له علاقة بسبب غضبه؛ يقول ابنُ حجر في ذلك: (يترتب على الغضب من تغير الظاهر والباطن كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال من غير ترتيب، واستحالة الخلقة حتى لو رأى الغضبان نفسه في حال غضبه لكان غضبه حياءً من قبح صورته، واستحالة خلقته، هذا كله في الظاهر، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر، لأنه يولد الحقد في القلب والحسد، وإضمار السوء على اختلاف أنواعه، بل أولى شيء يقبح منه باطنه وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه، وهذا كله أثره في الجسد.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٧٤/٢ رقم ٦٦٣٥، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢١١/١١.

(٣) ذكره الهيثمي في ال مع ٧٠/٨ وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحد إسنادي الكبير رجاله ثقات.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش الذي يستحي منه العاقل ويندم قائله عند سكون الغضب، ويظهر أثر الغضب أيضاً في الفعل بالضرب أوْ القتل، وإن فات ذلك بهرب المغضوب عليه رجع إلى نفسه فيمزق ثوب نفسه ويلطم خده، وربما سقط صريعاً، وربما أغمي عليه وربما كسر الآنية وضرب من ليس له في ذلك جريمة، ومن تأمل هذه المفاسد عرف مقدار ما اشتملت عليه هذه الكلمة اللطيفة من قوله ﷺ: "لا تغضب" من الحكمة واستجلاب المصلحة في درء المفسدة، مما يتعذر إحصاؤه والوقوف على نهايته، وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الغضب الديني)[1].

ولهذا قال الرجل الذي أوصاه النبي ﷺ بألا يغضب- قال: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[2] وهذا يلزم عنه أنّ (التحرّز منه جماع الخير)[3].

قال ابن رجب: (قوله ﷺ: "لا تغضب" يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء والحلم والحياء والتواضع والاحتمال وكف الأذى والصفح والعفو وكظم الغيظ والطلاقة والبشر ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه، والثاني: أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر الناهي له)[4].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي والتكرار:

النهي في قوله ﷺ: "لا تغضب" وكذلك التكرار منه ﷺ رداً على تكرار الرجل سؤاله: (فردد مراراً)[5] وفي رواية الترمذي (قال: لا تغضب فردد ذلك مراراً، كلُّ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٣٧، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب ١/٣٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣٨/٢٣١٧١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٣٦٢.

(٤) المرجع السابق ١/٣٦٣ - ٣٦٤.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٣٦.

ذلك يقول لا تغضب)[١]، وإنما استخدم النبي ﷺ النهي؛ لأنه في مقام توجيه النصيحة والوصية، كما استخدم التكرار رداً على إعادة الرجل سؤاله، ليؤكد له أهمية عدم الغضب وأثر ذلك في حياة الفرد والجماعة. وكان من عادة النبي ﷺ أنه كان يعيد الكلمة ثلاثاً -أحيانًا- لتفهم عنه. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((إن النبي ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثاً حتّى تُفهمَ عنه))[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٩٥.

الحديث رقم (٤٩)

٤٩- وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**مَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمؤمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ومَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللّه تعالى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**» رواه التِّرْمِذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

البلاءُ: الامتحان والاختبار[2].

الشرح الأدبي

إن المؤمن أمره كله خير، في السراء والضراء، فهو حامد شاكر في زمن السراء، وهو محتسب صابر في زمن الضراء، والشكر جزاؤه موفور، والصبر يتضاعف ثوابه، فهو نصف الإيمان، والمؤمن يسير في ظل شجرة إيمانية ثمارها الشكر والصبر، والحمد والاحتساب، وهذه الشجرة الوارفة الظلال، جذورها تمتد في قلب المؤمن الصبور، وتسري أفياؤها في شرايين المسلم الشكور، فلا يزال العبد في نعمة البلاء.. والمحنة في ظل هذا النعيم تغدو بفضل الله منحة، والابتلاء في ظل الاحتساب يغدو تمحيصاً وعطاء.

والحديث الشريف يصور حياة المؤمن تصويراً واقعياً ممتزجاً بسمات الشخصية الإيمانية، وخصائص التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، فالمسلم تحكم شخصيته، وتؤطر سلوكه عدة أسس تمثل قواعد المنهج الإسلامي، وخصائص الشخصية المؤمنة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩١٣)، وقال الحاكم (١/٣٤٦): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٥٠٠١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ل و).

وهذه الخصائص هي: [الربانية، التوازن، الثبات، الشمولية، الواقعية، الإيجابية، التوحيد، فالمسلم في استقباله لأحداث الحياة وابتلاءات الزمن لا يلجأ إلا إلى الله رب العالمين، ولا يهزمه القلق والشك بل يظل متوازناً في السراء والضراء، ولا تتغير مواقفه وتصوراته ومبادئه؛ بل يظل الثبات هو ميزان حياته، ومنهاج تفكيره في مسيرته ومصيره، وهو لا ينظر من خلال منظور جزئي قاصر بل تظل نظراته للأشياء شمولية سابحة في محيط الإيمان بالقضاء والقدر، وهو مع ذلك يخوض غمار الحياة مؤمناً بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره.

إن هذه القيم المضيئة وهذه السلوكيات الإيجابية في الحياة من سمات المؤمن الذي يتوج مشاعره وتفكيره ومنطقه وسلوكه بالتوحيد، فمصدر قوته وعزته وأمله ينبع من معتقده وهو التوحيد"**لا إله إلا الله محمد رسول الله**"؛ والحديث الشريف يرشد إلى كل المعاني السابقة من خلال كلماته المشعة، وعباراته الرصينة، ودلالاته الموحية الهادية.

فالفعل: ما يزال: يدل على الاستمرار، ويؤكد بأن حياة المؤمن كلها جهاد، ومعاناة، وابتلاءات، وكلمة "البلاء": تشمل جوانب جميع المصاعب والمتاعب، واقتران لفظ "المؤمن" بحرف الباء يوحي بمصاحبة المؤمن للبلاء بكل أنواعه: في نفسه وولده وماله، والبلاء في النفس من أشد أنواع الابتلاءات وهو متعدد الألوان والأشكال، فهو إما أن يكون مرضاً يصيب الجسد، فهو بلاء ذاتي، أو يكون فقراً وضيقاً في الرزق فهو بلاء اجتماعي، أو يكون غربة نفسية ومكانية وزمانية حيث يشعر المؤمن بأنه غريب في تمسكه بأصول دينه، ومعالم عقيدته، وهذا ابتلاء نفسي روحي؛ ويتعدى البلاء هذه الدرجة الذاتية إلى الابتلاء في الولد، من عدم البر، والانحراف عن السلوك الجاد، أو المرض أو الموت، أو الاختلاط بقرناء السوء، أو الإدمان، أو غير ذلك من المعاصي، والابتلاء في المال تتعدد وجوهه، ويظل المؤمن في هذه المحنة حتى الموت، ولكنها في النهاية تتراءى للمؤمن منحة من الله العلي القدير، لأن العبد الصابر المحتسب، يلقى ربه وهو يرفل في الطاعة وما عليه خطيئة واحدة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: إعداد المدعو وتهيئته لتحمل ما يلحق به من ضرر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان أن نزول البلاء كفارة للذنوب.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من مهام الداعية: إعداد المدعو وتهيئته لتحمل ما يلحق به من ضرر:

إن للداعية دوراً بارزاً في الإعداد المعنوي للمدعو وتهيئته لتحمل البلاء والصبر على الضرر، يظهر ذلك في قوله ﷺ "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله..." فالحياة إنما جعلت للاختبار والابتلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[1] فعلى الداعية أن يُعلم المدعوين أن الحياة ليست بالطريق المفروش بالورود والرياحين، وإنما يجتمع فيها الخير والشر والنفع والضر والسعادة والشقاء. وهذا من سنن الله في خلقه وعباده، وسنن الله جارية وواقعة لا تتخلف.

وهذا ما استصحبه النبي ﷺ في بداية دعوته في مكة، فقد شكا إليه المسلمون ما يلقونه من المشركين من شدة وأذى وقالوا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يؤخذُ الرجل فيُحفرُ له في الأرض فيجعَل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضعُ على رأسه فيجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد من دُونَ لحمه وعظمه، فما يَصدُّه ذلك عن دينه. والله ليَتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلا الله والذِّئبَ على غَنمه، ولكنكم تَستعجلون))[2].

وهذا النبي ﷺ يضرب المثل الأعلى والقدوة المثلى للمدعوين في تحمل ما يلحق به من ضرر، فقد لحقه بعض الأذى، فقال: ((رَحِمَ اللهُ موسى. قد أُوذِيَ بأكثرَ من هذا فصبرَ))[3] ولا شك أن إعداد المدعو لهذا فيه من الفوائد الكثيرة فإنه يجعل المدعو

---

(١) سورة محمد، آية: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦١٢.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥) ومسلم (١٠٦٢).

يوطن نفسه على تحمل ما لحق به، فلا تتأثر همته وعزيمته سلباً، وإنما تزداد عزيمته صلابة وهمته قوة ومضاء، وفضلاً عن هذا فإنه يرضى بما نزل به فلا يسخط ولا يتضجر وإنما يسلم الأمر كله لله ومن ثم يرضى الله عنه. قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ))[1].

"قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[2] جفّ القلم ورفعت الصحف وقضي الأمر، كتبت المقادير ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[3]، ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. إن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك ووقرت في ضميرك صارت البلية عطية والمحنة منحة. وكل الوقائع جوائز وأوسمة ((ومن يرد الله به خيراً يصب منه))[4]، فلا يصيبك قلق من مرض أو موت ابنٍ أو خسارة مالية أو احتراق بيت، فإن الباري قد قدّر والقضاء قد حلّ، والاختيار هكذا. والخيرة لله والأجر حصل والذنب كُفِّر"[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان أن نزول البلاء كفارة للذنوب:

إن من المعاني التي ينبغي للداعية أن يرسخها في أذهان المؤمنين أن ما ينزل بالمؤمن من بلاء كفارة للذنوب وهذا ما يجعل المؤمن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى، يتضح ذلك في قوله ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن... حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة" وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لهذا، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((دَخلتُ على رسولِ الله ﷺ وهو يوعَك فقلتُ: يارسولَ الله، إنك توعَكُ وَعْكاً شديداً. قال: أجَل، إني أوعَك كما يوعكُ رجُلان منكم. قلت: ذلك بأن لك أجرَين. قال: أجَل، ذلكَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٣).

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٤٥.

(٥) لا تحزن، عائض القرني، ٢٥.

كذلك، ما من مُسلم يُصيبُهُ أذىً - شَوكةٌ فما فوقها - إلا كفَّرَ الله بها سَيِّئاته، كما تَحُطُّ الشجرة وَرقَها))[١] وقال ﷺ: ((ما يُصيبُ المسلمَ من نَصبٍ ولا وَصَبٍ ولا همّ ولاَحَزَن ولا أذى ولا غَمّ - حتى الشَّوكةِ يُشاكها - إلا كفَّرَ اللهُ بها من خَطاياه))[٢].

وعلى ذلك كان البلاء خيراً للعبد، لأنه لا ينفك غالباً عن ارتكاب الذنوب وفعل السيئات.

كما أن البلاء ينزل على قدر درجة العبد ومنزلته عند ربه، فلا يزال به حتى يكفر عنه كل خطاياه، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قُلْتُ: ((يا رسولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قال: الأنْبِيَاءُ ثُمَّ الأمْثَلُ فالأمْثَلُ: فَيُبْتَلَى العبد عَلَى حَسَبِ دِينِه، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حسب دِينِهِ، فمَا يَبْرَحُ بالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ))[٣].

(وفي هذه الأحاديث -كما يقول ابن حجر- بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألمٍ بسبب مرض أو همٍّ أو نحو ذلك، وإن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنيةً كانت أو قلبية- تكفر ذنوب من تقع له)[٤].

بل إن البلاء ينزل ليعوض النقص في العمل حتى يبلغ العبدُ المنزلة التي كتبها الله له، ففي الحديث: ((إنَّ الْعَبْدَ إذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ الله مَنْزِلَةً لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاهُ الله فِي جَسَدِهِ أوْ فِي مَالِهِ أوْ فِي وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنه))[٥].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

للترغيب أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يحمل المدعوين على الإقبال على

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٧، ٥٦٤٨)، ومسلم ٢٥٧١.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٦)، وابن ماجه ٤٠٢٣ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (١٠/١١٣).

(٥) أخرجه أبو داود ٣٠٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٦٤٩).

الطاعات طمعاً في الأجر من الله تعالى، وهذا واضح في قوله ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة... حتى يلقى الله وما عليه خطيئة" فإنه لما كان البلاء ثقيلاً على النفس شديداً عليها، ذكر النبي ﷺ أن البلاء يكفر الذنوب والخطايا، حتى يُرغّب من وقع به ومن سيقع به على الصبر عليه والرضا بقضاء الله وقدره[1].

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٩٠.

الحديث رقم (٥٠)

٥٠- وَعَنْ ابْنِ عَبَاسٍ رضي الله عنهما، قال: قَدِمَ عُيَيْنَة بْنُ حِصْنٍ[١]، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخيهِ الْحُر بْنِ قَيْس، وَكَانَ مِن النَّفَرِ الَّذين يُدْنِيهِمْ عُمرُ رضي الله عنه، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحابَ مَجْلِسِ[٢] عُمَرَ رضي الله عنه وَمُشاوَرَتِهِ كُهولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخيهِ: يَا ابْنَ أَخِى لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأميرِ فَاسْتَأْذِنْ لى عَلَيْهِ، فاستَأذنَ[٣] فَأَذِنَ لَهُ عُمرُ. فَلَمَّا دخَلَ[٤] قَالَ: هِيْ يا ابْنَ الْخَطَّاب، فَوَاللَّه مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلا تَحْكُمُ فِينَا[٥] بالْعَدْل، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّه تعَالى قَال لِنبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجاهلينَ﴾[سورة الأعراف: ١٩٨]، وإنَّ هَذَا مِنَ الجاهلينَ، وَاللَّه ما جاوَزَها عُمَرُ حِينَ تلاها، وكَانَ وَقَّافاً عِنْد كِتَابِ اللَّهِ تعالى. رواه البخارى[٦].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

القراء: العلماء العباد[٧].

هي: ويقال: هيه وتبدل الهاء الأولى ألفاً فيقال إيه. وهي كلمة تقال لغرضين: الاستزادة من عمل أو حديث. والآخر: الزجر والتهديد والكف. والذي يقتضيه السياق أنه أراد بهذه الكلمة الزجر وطلب الكف لا الازدياد[٨].

---

(١) عند البخاري زيادة: (ابن حذيفة).

(٢) عند البخاري: (الس).

(٣) عند البخاري زيادة: (لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة).

(٤) عند البخاري زيادة: (عليه).

(٥) لفظ البخاري (بيننا).

(٦) برقم (٤٦٤٢)، وسيكرره المؤلف برقم (٣٥٧).

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٣.

(٨) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٣/١٣.

الجزل: الكثير العظيم من كل شيء[١].

هم أن يوقع به: أي يضربه[٢].

كان وقّافاً عند كتاب الله تعالى: أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزه[٣].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد الحياة يتكرر بين الراعي والرعية، ولكن قد لا تتفق النتائج مع المقدمات، فكم من كلمة صدق أطاحت برأس قائلها، وكم من نصيحة مخلصة أودت بحياة مُسْديها.

وقليلة هي المواقف التي يستجيب فيها الراعي لنصح رعاياه، ولكن للنصيحة معالم وسمات، يجب أن تقدم في ثوب جميل، وأن تغلفها الحكمة والقصد النبيل، وأن لا تكون تشويهاً لصورة الحاكم، أو تضخيماً لعيوبه، فالدين نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

ويقدم هذا الحديث الشريف صورة زاهية متموجة بالتواضع والإنصاف من صور عدالة الحاكم وصبره على الرعية؛ ويقدم لوحة من لوحات كظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإعراض عن الجاهلين الذين لم يفقهوا لغة الخطاب الراشد في إسداء النصيحة وهى مراعاة مقتضى الحال، ومعرفة أن لكل مقام مقالاً وأسلوباً يناسب ذلك المقام.

وهذا الموقف الإسلامي يرد في سياق قصة واقعية في أحداثها وأشخاصها؛ وشخصية الفاروق عمر بن الخطاب هى القدوة المثلى في الصبر والتواضع والخضوع للتوجيهات القرآنية، فهو أمير المؤمنين، وهو من هو: زهداً وعدلاً ورحمة وتواضعاً وقوة وشجاعة وحمية لله ولرسوله.

---

(١) الوسيط في (ج ز ل).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

وعلى الرغم من هذه السجايا الكريمة يواجهه عيينة بن حصن الفزاري مواجهة شديدة ويتهمه بما هو منه براء، وعيينة كان قائداً في جيش الأحزاب، وله مكانته في الجاهلية والإسلام.

وأسلم يوم فتح مكة وقيل قبله، وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة، وارتد وأُتي به أسيراً إلى الصديق فأسلم فأطلقه[1].

هذا الرجل مازال يحمل ميراث الرفض والعناد، والكبر، وقد أصابته هذه الخصال بغشاوة حجبت عنه أضواء الشخصية العمرية فلم يبصر ملامحها ولم يدرك عبقريتها، ولم يفطن إلى أبعادها الإيمانية، ولذلك نراه يقول بعد أن أذن له عمر: هي يا ابن الخطاب: فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل! ولنتأمل التشكيل الأسلوبي لهذه العبارة ذات الدلالة الرافضة، إنها لم تلتزم بأدب الخطاب في مواجهة ولى الأمر، ولم تخاطب عمر بلقبه الرسمي: أمير المؤمنين، ولكن الرجل توعد وقال: هي يا ابن الخطاب: وهى؛ كلمة تقال في مقام التهديد، وقيل هي ضمير وبعده محذوف والتقدير: هى داهية، وقوله يا ابن الخطاب: فيه إشارة إلى عدم احترامه لمنصب أمير المؤمنين.

والقسم في قوله: "فوالله ما تعطينا الجزل"، فيه مبالغة مرفوضة حيث يتهم عمر بن الخطاب بمنع العطاء أو بقلّة العطاء؛ والقسم نفسه يغلف التهمة الثانية، "ولا تحكم فينا بالعدل".

ولا يملك أمير المؤمنين إلا أن يغضب من هذا الهجوم السافر الذي يجافي الحقيقة، وهمّ أن يعاقب عيينة، ولكن يأتي دور المشير الناصح، والصاحب الصادق: وهو الحر بن قيس ابن أخي عيينة، وكان عمر يدنيه من مجلسه لأنه من الفقهاء والقراء، وقال الحر: يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، فامتثل عمر، وعفا عن الرجل اقتداء برسول الله ﷺ، وما أجمل

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

العفو عند المقدرة! وما أكرم الصفح الجميل! وما أحوج ولاة الأمور في عصرنا إلى هذه الدروس النافعة الهادية الراشدة!

فقه الحديث

١- ورد في الحديث الأمر بحسن المعاشرة مع الناس، وبذل الجهد في الإحسان إليهم والمداراة معهم، والإغضاء عنهم[(١)].

٢- إذا جهل شخص على الحاكم عمدًا، واستخفافًا بحقه فله تعزيره، وإذا كان غير ذلك: فالإعراض والصفح أولى، كما فعل الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(٢)].

٣- ينبغي على الحاكم أن يقرب أهل الفضل والدين، ويتخذهم مرجعًا للرأي والمشورة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على مجالسة أهل العلم ومشاورتهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الاستئذان.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة آداب الخطاب مع ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والاستشهاد بآيات القرآن الكريم.

خامساً: من صفات الداعية: القدوة الحسنة.

سادساً: من موضوعات الدعوة: التحلي بمكارم الأخلاق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على مجالسة أهل العلم ومشاورتهم:

لقد بين الإسلام فضل مجالسة أهل العلم، والحرص على ذلك، نظراً لتلك الرحمة التي تغشى هذه المجالس كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ عز وجل بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَهَا رِضاً لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٥٩-٢٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/٣٤٧.

لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْحِيتَانِ فِي جَوفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلا دِرْهَماً، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ))[1].

لذا كان عمر رضي الله عنه حريصاً على مجالسة أهل العلم وتقريبهم منه ووجه الدلالة هنا قوله (وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً) لما في مشاورة أهل العلم والرأي من سداد في القصد وصواب في الرأي، وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2] وأثنى الله بها على جماعة المؤمنين فقال ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً كل الحرص على استشارة أصحابه رضي الله عنهم في الأمور التي لم ينزل فيها الوحي مثل استشارته لأهل بدر من المهاجرين والأنصار وغير ذلك مما يؤكد على أهمية مجالسة أهل العلم والرأي ومشاورتهم.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الاستئذان:

إن الاستئذان من الآداب الإسلامية التي ينبغي الالتزام بها خاصة في الاستئذان على أصحاب الشأن والوجاهة وأهل الفضل، ويتضح ذلك في الحديث من خلال طلب عيينة ابن حصن من ابن أخيه الحر بن قيس أن يستأذن له على عمر بن الخطاب، فاستأذن له فأذن له عمر، وكان عمر رضي الله عنه لا يحتجب عن الناس إلا في وقت خلوته، وكان استئذان الحر بن قيس من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى يجتمع عيينة بن حصن به، لذا ينبغي الالتزام بهذا الأدب وحث الناس عليه، لأن الاستئذان من الآداب الاجتماعية التي أدبنا الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٦٤١، والترمذي ٢٦٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٥، وصحيح سنن الترمذي ٢١٥٩).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٨.

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[1].

(فهذه آداب شرعية أدّب الله بها عباده المؤمنين ففي الاستئذان أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده)[2].

إن الاستئذان من الآداب السامية، ومن دواعي البعد عن الريبة والظن ومن أسس الآداب والمدنية الإنسانية، وفي هذه الآيات يوجه الله تعالى عباده المؤمنين إلى أهمية الاستئذان، لأنه أدعى للأنس وإزالة الوحشة، ولذا سمي الإذن أنساً، بدليل قوله تعالى: (فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم)، والاستئذان بقرع الباب أو النداء لمن في البيت، أو التسبيح والتحميد أو صريح الاستئذان وغير ذلك من الصور المشروعة.

ومنع الدخول قبل الاستئذان عام في الرجال والنساء، مع المحارم وغير المحارم وذلك حال المجيئ من خارج السكن وأما حال الإقامة معًا فلا إلا ما ورد به النص إذ كل إنسان له حالات لا يحب أن يطلع عليها أحد، ولو كان والداً أو ولداً، حتى تستأنسوا، وتسلموا على أهلها أي على من فيها، وظاهر الآية أن الاستئذان يحصل ثم السلام، وبعضهم يرى العكس، والبعض يرى أنه إذا رأى أحد في الدار سلم أولاً ثم استأذن، فإن لم ير استأذن أولاً.

ذلكم خير لكم وأفضل، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للسر، وأدعى إلى احترام البيوت والحرمات، ولا تظنوا أن في الاستئذان مذلة، بل هو خير لكم وأزكى، لعلكم تذكرون ذلك فتعملوا بمقتضاه.

---

(١) سورة النور، الآيات: ٢٧ - ٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

فإن لم تجدوا فيها أحداً من ساكنيها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وهذا تعبير دقيق يشير إلى معنى أدق، فربما كان في البيت صاحبه، ولم يرد عليك ولم يأذن لك فيصدق على المستأذن أنه لم يجد أحداً في البيت.

وقد يكون في البيت ما يدعو إلى الدخول بلا إذن كحريق أو حادث أو استغاثة مثلاً وهنا تدخل بلا إذن. ولا حرج عليك.

ومن الآداب أنك عند زيارتك لإنسان، ووجدت الباب مفتوحاً، أن تقف بحيث لا تطلع على شيء في البيت، وروي في الصحيح عن سهل بن سعد رضي الله عنه: ((أن رجلاً اطلعَ من جُحرٍ في دارِ النبيِّ ﷺ -والنبيُّ ﷺ يَحُكُّ رأسَهُ بالمدرَى- فقال: لو علمتُ أنك تَنظرُ لطعَنتُ بها في عينك، إنَّمَا جُعلَ الإذنُ من قِبل البصر))[1]»[2].

وقد تحرى الصحابة رضي الله عنهم الدقة في الامتثال لهذا الأدب والالتزام بآدابه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: (استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، قال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع، فقال: والله لتقيمن عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبيٌّ: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك)[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة آداب الخطاب مع ولاة الأمر:

يبدو ذلك واضحاً جلياً في كلام الحر بن قيس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين: إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[4]

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٢٤، ومسلم ٢١٥٦.

(٢) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٨/٦٠ - ٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

وإن هذا من الجاهلين، فيبدو منه استصحاب الحر بن قيس للتلطف والرفق والابتعاد عن التعنيف والغلظة، فنجده يبتدئ كلامه بقوله: (يا أمير المؤمنين تأدباً معه، ثم يستشهد بآية من القرآن ليكون أدعى للقبول، ثم يعتذر عما بدر من عمه عيينة بن حصن بقوله "وإن هذا من الجاهلين" لذا ينبغي على الإنسان أن يتصف بالتلطف والرفق خاصة مع ولاة الأمر وأصحاب الشأن.

وقد أمر الله بإلانة القول والتلطف فيه فقال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾[1] ففي الآية أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوا أقوالاً تعرب عن حسن النية وعن نفوس ذكية، في كلمة جامعة يقولوا التي هي أحسن واسم التفضيل "أحسن" مستعمل في قوة الحسن، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2] والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً -خاصة مع ولاة أمرهم- بحسن المعاملة وإلانة القول"[3].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والاستشهاد بآيات من القرآن:

يتضح ذلك من خلال استخدام الحر بن قيس في توكيد قوله بـ"إن الله يقول"، ولقوله: "وإن هذا من الجاهلين" لما في التوكيد من دواعي قبول الحق والاطمئنان إليه، كذلك استشهاده بالقرآن وذلك من خلال سوقه لقول الله ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4] وذلك لما جبلت عليه النفوس من تسليم بالأمر إذا شُفِّع بالدليل خاصة إذا كان من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ.

خامساً- من صفات الداعي: القدوة الحسنة:

يستنبط ذلك من قوله (والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٦/١٣١، ١٣٢.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

الله تعالى) فقد أعطانا عمر رضي الله عنه مثالاً حياً يحتذى به في الاقتداء، وذلك مما يجب أن يتسم به من نصب نفسه للإمامة أو الإفتاء والدعوة أو ما شاكل ذلك، ليكون حافزاً لغيره على الالتزام بما يسمع أو يقرأ من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ حيث كان عمر رضي الله عنه نموذجًا رائعًا في الوقوف عند كتاب الله، والسمع والطاعة لأوامر الله تعالى.

لقد غرس الإسلام في نفوس أتباعه أدب الاقتداء بأهل التقى والعلم وبمن يؤخذ عنهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] (وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)[2] وبين الحق تبارك وتعالى الدافع الذي يدفع المسلم إلى التأسي برسوله ﷺ وهو رجاء ثواب الله، والأمن يوم القيامة فقال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.

لقد حث الإسلام أتباعه على الاقتداء بالصلحاء والشرفاء والعقلاء، وفي مقدمة أولئك أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم،وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[4].

قال الحسن البصري: (عظ الناس بعملك ولا تعظهم بقولك).

وقال أيضاً: (الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله وكان ذلك شأنه إذا أراد أن يأمر الناس بشيء بدأ بنفسه ففعله، وإذا أراد أن ينهى عن شيء انتهى عنه، فمن أسرته

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٠.

(٤) سورة الممتحنة، آية: ٦.

نفسه، وأصبح عبدًا لهواه فلا يمكن أن ينكر على الآخرين)[١].

وقديماً قيل: ما خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان، وما خرج من القلب فإنه يستقر في القلب.

وإذا خالف فعل الداعية قوله ربما لم يقتصر الضرر على نفسه، بل تعدى ذلك الضرر إلى غيره، وكان قدوة سوء في المجتمع.

ولهذا ذم الله تعالى مثل هذا السلوك فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

لذا ينبغي على الداعية أن يلتزم بحسن الأخلاق والأعمال وأن يبتعد عن دنيئها، فالداعية إلى الله يكسب لدعوته بسلوكه الحسن، وقدوته الطيبة أكثر مما يكسبه لها بأقواله اللبقة، لأنّ الناس ينظرون دائماً إلى الدعاة كنماذج حيّة لما يدعونه إليه، ويتأثرون بسلوكهم العملي أعظم مما يتأثرون بكلماتهم وخطبهم المثيرة[٤].

سادساً- من موضوعات الدعوة: التحلي بمكارم الأخلاق:

يستنبط هذا من الآية التي استشهد بها الحر بن قيس وهي قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٥] والآية قد جمعت مكارم الأخلاق، لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفواً عن اعتداء فتدخل في ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أو إغضاء عما لا

---

(١) فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبدالحميد البلالي ص ٥٠ - ٥١.

(٢) سورة البقرة، آية ٤٤.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٥.

(٤) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ص ٧٤.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

يلائم فتدخل في ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أو فعل خير واتساماً بفضيلة فتدخل في ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[1] وبهذا جمعت الآية حسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم من شكر لهم على إحسانهم واستقامتهم، وتجاوز عن تقصيرهم، وأمر بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد، ولما كان لابد من أذية الجاهل أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله[2].

لقد أعلى الإسلام مرتبة الأخلاق، وجعل من الدين الخلق الحسن، وأكمل المؤمنين إيماناً أحاسنهم أخلاقاً، إنه الدين الذي أرسى مبادئ الأخلاق ونهى عن دنيئها وسافلها، وبُعث النبي ﷺ ليتمم صالحها ومكارمها، فقال ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ))[3][4].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٢٩/٩/٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٣.

(٣) أخرجه أحمد ٨٩٣٩، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٥).

(٤) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله الحماد، حماد بن محمد الحماد ص ٧.

الحديث رقم (٥١)

٥١- وعَن ابْنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرونَهَا**»، قَالُوا: (يا رسُولَ اللَّهِ فَما تَأمرُنا)[1]؟ قالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحقَّ الَّذي عَلَيْكُمْ وتَسْألونَ اللَّه الذي لكُمْ**» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الأثرة: الانفراد بالشيء عمن له فيه حق، وفي النهاية: الأثَرَة: الاسم من آثرَ يؤثر إيثارًا، أراد أنه يُسْتأثر عليكم فيُفَضَّلُ غيرُكم في نصيبه من الفَيْء[3].

الشرح الأدبي

إن أسلوب الحوار بين الرسول وأصحابه من أجمل الأساليب المقنعة، وهو من وسائل التربية الحديثة، فالنفس الإنسانية قد لا تستجيب للموعظة المرسلة،أو الحكمة المجردة، ولكنها تنفعل بالموقف وتستجيب للأمر المطروح على مائدة الحوار الإيجابي البناء، وما أجلَّ الحوار بين أستاذ الإنسانية وهادي البشرية وبين الصحابة الأخيار! إنه حوار أساسه القواعد الإيمانية، والتوجيهات النبوية، والحوار هنا يأخذ صبغة جديدة، لأنه لا يفتتح بسؤال من الصحابة أو طلاب الهداية كما هي العادة في مثل هذه المواقف، "التحاورية"، ولكن الحوار يبدأ بطرح قضية سلوكية يتنبئ بها رسول الله ﷺ، وهى واقعة لا محالة لأن من أخبر عنها هو الصادق المصدوق ﷺ كما أن وقوعها جزء من تكوينات النفس البشرية، وهي "الأثرة" وحب النفس، والرغبة في المزيد مع الميل إلى تفضيل الذات والاستئثار بحق الغير، وهذا المسلك المعوج بمنأى عن السلوك الإيماني

---

(١) لفظ مسلم: (يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك) وإنما هذا لفظ البخاري (٣٦٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣/٤٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر)، ورياض الصالحين ٦٩.

السوي المتمثل في قول الله جلّ وعلا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، وفي قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

إن هذه القضية الاجتماعية يقدمها سيد الخلق في أسلوب بياني بليغ، وسياق بلاغي حواري محكم، ولنتأمل التشكيل الأسلوبي في عرض هذه المسألة: إن رسول الله ﷺ يتوجه إلى صحابته ولم يحددهم، إيحاءً بأن هذا الخطاب لعامة المسلمين ولخاصتهم حتى يتنبهوا إلى علامات الفتن وأمارات الانحراف، وبدأ الكلام بالتأكيد وقال: "إنها ستكون بعدي أثرة" والتأكيد يحتم الوقوع، وارتباط الضمير بحرف التأكيد يوحي بوقوع هذه المشكلة وغيرها من المخالفات: لأن الضمير لا يعود على مجهول، بل "إنها" والتعبير بالفعل "ستكون" يتضمن أكثر من إشارة بلاغية: فصيغة المضارع تومئ إلى استمرارية هذا السلوك، والاقتران بالسين يدل على قرب الوقوع ولكن بعد وفاة رسول الله ﷺ، ولذلك قال رسول الله "بعدي"، والأثرة: هي الانفراد بالشيء ومنع المستحق من نصيبه أو من بعضه.

وتنكير اللفظ يرشد إلى شيوع هذه الظاهرة وانتشارها لأن النفس الإنسانية في غياب الوازع الإيماني تظل عرضة لنزغات الشيطان ووساوسه، والتعبير بقوله: "أمور تنكرونها" فيه إيجاز وتكثيف لأن كلمة "أمور"، تشمل كل المنكرات والمنهيات وتنكيرها يومئ إلى هذا الشيوع، والأمور المنكرة نشهدها في مجال العقائد والعبادات والمعاملات وما أكثرها وما أبعدها عن التصور العقدي الصحيح!

والتعبير بالمضارع وصيغة الجمع يلقي بالمسؤولية على كل مسلم في موقفه من المنكر وفي حتمية السعي إلى تغييره وإزالته إما باليد أو باللسان أو بالقلب، ولذلك يسأل الصحابة رسول الله: "فما تأمرنا"، واختيار مادة الأمر، يرشد إلى وجوب التنفيذ وعدم التفريط في متعلقات هذا الأمر، ولذلك وضع لهم الرسول المنهج حيث قال: "تؤدون الحق

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم". والتعبير بصيغة الجمع يدل على أن المسؤولية جماعية.

والمادة اللغوية المختارة في الفعل "تؤدون"، تفصح عن قيمة هذا الحق، وهو أمانة يجب أن تؤدي، والتعبير بقوله: "عليكم" يؤكد هذا المفهوم، والطباق بين "عليكم" "ولكم" يرشد إلى الموقفين موقف الواجب والحق الذي يجب أن يؤدى، وموقف الطلب والحاجة وهو لا يتحقق إلا بسؤال الله عز وجل، وسؤال الله عز وجل منهج إسلامي سديد، كما جاء في الحوار بين رسول الله وابن عباس وهو غلام حيث قال له: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله))[1].

وصيغة المضارع في الجملتين تعلن عن استمرار هذا المنهج الذي يبتعد بالإنسان المسلم عن الأثرة وحب الذات، والرغبة في الاستعلاء على الغير وتفضيل النفس.

وهذا الحديث الشريف قد يبدو غريباً إدراجه في باب الصبر، وحين نتأمل مقاصد الحديث وندرك مراميه وأسراره، نعرف أنه يرشد إلى التحلي بالصبر، والانتصار على النفس حين نقاوم الأثرة، ونؤدي الحق الذي علينا. وهو أفق واسع، ومجال ينأى عن التحديد، والمقاومة في هذا الميدان تحتاج إلى إرادة قوية، وعزيمة نافذة.

فقه الحديث

في الحديث الأمر بطاعة أولي الأمر، وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر من الأمراء والحكام ما التزموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وقد نقل النووي عن القاضي عياض وغيره هذا الإجماع[2]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ وقد ذهب جمهور الفقهاء والمفسرين إلى أن المقصود بأولي الأمر في الآية: الأمراء وأهل السلطان والحكم[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩٣/١، والترمذي ٢٥١٦، قال محققو المسند: إسناده قوي، ٤٠٩/٤-٤١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٨٩.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٨/٦ وما بعدها، و انظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٣/٢٨، وشرح رياض الصالحين ١١٨/١-١١٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض ما يحدث بعده.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد.

ثالثاً: من صفات المدعو: الحرص على السؤال عن الأمور المهمة والتفقه في الدين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على السمع والطاعة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الصبر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض ما يحدث بعده:

إن من معجزات النبوة التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ إخباره ببعض الأمور التي ستحدث من بعده، كما في قوله ﷺ: "إنهاستكون بعدي أثرة وأمور ينكرونها" قال ابن عثيمين: (فيه دليل على نبوة الرسول ﷺ لأنه أخبر بأمر وقع، فإن الخلفاء والأمراء منذ عهد بعيد كانوا يستأثرون بالمال فنجدهم يأكلون إسرافًا، ويشربون إسرافًا، ويلبسون إسرافًا، ويسكنون إسرافًا، ويركبون إسرافًا، وقد استأثروا بمال الناس لمصالح أنفسهم الخاصة، ولكن هذا لا يعني أن ننزع يدًا من طاعة، أو أن ننابذهم، بل نسأل الله الذي لنا ونقوم بالحق الذي علينا) ولاشك أن ذلك ينطوي على حكم بالغة من أبرزها تحذير أمته مما يحدث من فتن وأمور يستنكرها المؤمنون، وإرشاده إلى كيفية التعامل مع تلك المتغيرات. فمن معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه إلى نفسه في غير ما آية من كتابه العزيز قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2] ومن المعلوم أيضاً أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه، ذكر الله تعالى عن غير واحد من رسله الكرام أنهم قالوا لأقوامهم

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[١]. وكما جاءت النصوص تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[٢])[٣].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد:

ورد ذلك في قوله ﷺ: "إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها"، وذلك إخبار منه ﷺ وتأكيده بقوله "إنها" وذلك أوقع في قلب المستمع بحصول ذلك الأمر وتيقن القائل به لتأكيده ذلك الأمر؛ مما يحض المستمع على أخذ الأهبة والاستعداد.

ثالثاً- من صفات المدعو: الحرص على السؤال عن الأمور المهمة والتفقه في الدين:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين كل الحرص على السؤال عن الأمور المهمة، ومما يبين ذلك سؤالهم للنبي ﷺ فور إخبارهم بما سيحدث من بعده حيث قالوا: "يا رسول الله فما تأمرنا"، وذلك حتى لا يقعوا في محظور شرعي فيعبدوا الله ويدعوا إليه على بينة من أمرهم وكما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[٤]. وحتى يكونوا على بينة من أمرهم، فلا تختلط عليهم الأمور، ولا يخوضون مع الخائضين، بل يتبعون المنهج الذي انتهجه لهم رسول الله ﷺ، وهذا دليل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على التمسك بالمبادئ الإسلامية الصحيحة في التعامل مع المتغيرات.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

(٢) سورة الجن، آية: ٢٦ - ٢٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ١/٥٤٢، ٥٤٣.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على السمع والطاعة:

إن السمع والطاعة مما يحفظ على الأمة تماسكها وسلامتها من التفرق شريطة الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر. قال النووي في شرحه هذا الحديث: (وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة، ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)[1].

وقد أمرنا النبي ﷺ بالسمع والطاعة في كثير من النصوص ومن ذلك ما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: ((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قَالَ ﷺ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ. وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[2].

قال ابن رجب الحنبلي: (وقوله ﷺ: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة"، فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة بسعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها وهي وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[3].

وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر، إن كان فاجرا عبدالمؤمن فيها ربه وحمل الفاجر فيها إلى أجله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣، ٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٣) سورة النساء، آية: ١٣١.

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، والله إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر"[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: الصبر:

إن مما ينبغي للمسلم أن يتحلى به الصبر، فهو من أعظم أسباب نجاح الدعوات، وهو سبب من أسباب النصر، ومن ألوان الصبر: الصبر على ما يقع من ولاة الأمر من بعض التجاوزات، وهذا ظاهر من قوله ﷺ لما سئل "فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم" فقوله "تؤدون الحق الذي عليكم" أي: بذل المال الواجب في الزكاة والنفس في الخروج إلى الجهاد عند التعيين ونحو ذلك، وقوله "وتسألون الله الذي لكم" بأن يلهمهم إنصافكم أو يبدلكم خيراً منهم[٢].

وفي ذلك حض على الصبر ولزوم الطاعة على كل حال والاستسلام والضراعة إلى الله في كشف ما نزل[٣].

قال ابن عثيمين: (أخبر النبي ﷺ بما يكون بعده من أثرة فقال: (إنها ستكون بعدي أثرة)، والأثرة يعني الاستئثار بالشيء عمن له فيه حق. يريد بذلك ﷺ أنه يستولي على المسلمين وُلاة يستأثرون بأموال المسلمين يصرفونها كما شاؤوا ويمنعون المسلمين حقهم فيها. وهذه أثرة وظلم من الولاة أن يستأثروا بالأموال التي للمسلمين فيها الحق، ويستأثروا بها لأنفسهم عن المسلمين، ولكن قالوا: "فما تأمرنا؟". قال: "تؤدون الحق الذي عليكم" يعني: لا يمنعكم استئثارهم بالمال عليكم أن تمنعوا ما يجب عليكم نحوهم من السمع والطاعة وعدم الإثارة وعدم التشويش عليهم. بل اصبروا واسمعوا وأطيعوا ولا تنازعوهم الأمر الذي أعطاهم الله "وتسألون الذي لكم" أي:

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١١٦ – ١١٧ بتصرف.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٢٥١.

اسألوا الحق الذي لكم من الله. أي: أسألوا الله أن يهديهم حتى يؤدوكم الحق الذي عليهم لكم، وهذا من حكمة النبي ﷺ؛ فإنه عليه الصلاة والسلام علم أن النفوس شحيحة وأنها لن تصبر على من يستأثر عليهم بحقوقهم، ولكنه ﷺ أرشد إلى أمر يكون فيه الخير. وذلك بأن نؤدي ما يجب علينا نحوهم من السمع والطاعة، وعدم منازعة أولي الأمر وغير ذلك، وندعو الله لهم بأن يعطونا حقنا وفي هذا خير.

وقد جاءت الآيات والأحاديث حاضة على الصبر والتخلق به منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] قال الطبري: أي اصبروا على دينكم وطاعة ربكم، وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئاً فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل، ومن ثم يكون الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٢) جامع البيان ١٤٨/٤، ١٤٩.

الحديث رقم (٥٢)

٥٢- وَعن أبي يحيَى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ قال: يا رسولَ اللَّهِ أَلا تَسْتَعْمِلُني كَمَا اسْتَعْملتَ فُلاناً وفلاناً[١]، فَقَالَ: «إِنَّكُمْ[٢] سَتَلْقَوْنَ بَعْدي أَثَرَةً فاصْبِرُوا حَتَّى تلقَوْنِي علَى الْحوْضِ» متفقٌ عليه[٣].

ترجمة الراوي:

أُسَيْد بن الحُضَيْر: هو ابن سماك بن عتيك بن عبدالأشهل.

كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، مقدماً في قبيلته (الأوس) من أهل المدينة، وكان من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم، وكان من السابقين إلى الإسلام وكان إسلامه علي يد مصعب بن عمير، وهو أحد النقباء الاثني عشر، فقد شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، ولم يشهد بدراً، فندم وقال ظننت أنها العير، ولو ظننت أنه غزو ما تخلفت، وقيل: إنه شهد بدرًا. وشهد أحداً وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس عنه ﷺ وجرح سبع جراحات، وشهد الخندق والمشاهد كلها. وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة ﷺ.

وقال فيه رسول الله ﷺ ((نعم الرجل أسيد بن حضير))[٤].

وكان فيه مُزاحٌ وطيب أخلاق، فبينما يحدث القوم ويضحكهم، طعنه النبي ﷺ في خاصرته (بعود فقال: أصبرني، فقال: اصطبر[٥]، قال: إن عليك قميصاً وليس عليَّ قميص فرفع النبي ﷺ عن قمصيه، فجعل يقبل فاحتضنه وجعل يقبل

---

(١) عند البخاري ومسلم: (فلانًا) مرّة فقط، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١٧/٧): ذكرتُ في المقدمة أن السائل أسيد بن حُضير، والمستعمل: عمرو بن العاص، ولا أدري الآن من أين نقلته.

(٢) (إنكم) عند البخاري برقم (٧٠٥٧).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٤٥/٤٨).

(٤) الترمذي، رقم ٣٧٩٥، وصحّحه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٩).

(٥) أي: أقدني من نفسك. قال: استقد. يقال: صبر فلان من خصمه واصطبر. أي اقتص منه. وأصبره الحاكم أي: أقصه من خصمه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ر).

كشحه قال: إنما أردت هذا يا رسول الله)[١] وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فقد كان يقرأ من الليل سورة البقرة فإذا في السماء مثلُ الظُّلة فيها أمثال المصابيح فقال له النبي ﷺ ((تلك الملائكة دنت لِصَوتِك، ولو قرأت لأصبحت ينظُر الناسُ إليها، لا تتوارى منهم))[٢].

وكان أبوبكر رضي الله عنه يكرمه، ولا يقدم عليه أحداً، من الأنصار، وقد شهد فتح المقدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقدم الجابية معه.

وقالت فيه عائشة رضي الله عنها إنه من أفاضل الناس، وقالت أيضاً: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حُضير وعباد بن بشر وروى له البخاري ومسلم (١٨) حديثاً. وتوفي بالمدينة سنة ٢٠هـ[٣].

غريب الألفاظ:

تستعملني: أي تجعلني عاملاً على الصدقة أو على بلد[٤].

الأثَرَةُ: سبق تفسيرها في الحديث السابق بالمعنى نفسه.

الشرح الأدبي

في ظل هذا الحديث الشريف نستروح نسائم الصبر، ونتذوق حلاوة الإيثار، ونتأمل أحوال الخلق، ونستكشف كثيراً من أسرار السلوك الإنساني.

والحديث في صيغته اللغوية والفنية محاورة بين رسول الله ﷺ، ورجل من الأنصار، وقيل هو: أسيد بن حضير نفسه. موضوع الحوار: هو طلب الولاية، وهذا

---

(١) أبو داود، رقم ٥٢٢٤، وقال الألباني حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ٧٩٦، وهو عند البخاري ٥٠١٨ معلقاً.

(٣) الطبقات، ابن سعد (٣/٦٠٣-٦٠٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٤-٤٦)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١/٢٤٠-٢٤٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٥٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١/٣٤٠)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١/٢٦٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/١٧٦)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١/٣٣٠)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١/٤٤٤-٤٤٧).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٧.

الطلب -كما توحي بذلك إجابة رسول الله ﷺ- لم يكن بدافع الرغبة في السيطرة والمنفعة والتسلط، وإنما الحافز هو طلب تحمل المسؤولية. والطالب يرى نفسه أهلاً لذلك، وهو: أسيد بن حضير، وقد شهد له الرسول بالفضل، فقال: "نعم الرجل أسيد بن حضير"[1]. وكان أبو بكر يكرمه ولا يقدم عليه أحدا.

ولذلك نراه يلتزم بآداب الخطاب في حضرة رسول الله، وهذا الالتزام يتجلى في هذا النداء الجميل "يارسول الله" ولم يتقدم بطلبه مباشرة، ولم يطلب الولاية في صيغة الأمر أو الاستفهام، وإنما الطلب يجيء في ثوب ملائم وسياق كريم أقرب إلى الرجاء: "ألا تستعملني".

والمادة اللغوية لهذا الفعل وهي: الاستعمال، ترشد إلى أن الرجل يطلب الولاية من أجل العمل الصالح المفيد، ولم يقل "ألا تؤمرني"، أو "أريد أن تجعلني والياً"، ولكنه طَلَبَ الولايةَ من أجل العمل الدائب النافع في ظل تحمل المسؤولية، وقوله: "كما استعملت فلاناً وفلانا" ليس غيرة ولا طلباً للأثرة ولكن للتدليل على أن نظراءه في الفضل والإخلاص تحملوا المسؤولية، ولم يحدد الراوي اسم فلان وفلان، حتى لا تنشأ شبهة الغيرة، أو يظن بهذا الطالب الأثرة.

وتكملة هذه المحاورة الموجزة تتوهج في إجابة رسول الله ﷺ التي جاءت غير مباشرة، حيث لم يحقق للسائل رجاءه، ولم يرفضه، وإنما وضع قاعدة صادقة شريفة تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية والذاتية لتمتد في شعاب الحياة المستقبلية، ولتقرأ أحداث الحياة المطوية في عالم الغيب، ويحذر الرسول من طلب الولاية من "الأثرة" التي تهزم إرادة كثير من الولاة، فيسعون إلى اغتصاب المواقع، وإلى الصراع والتنافس المريب في ميدان الوصول إلى باب السلطان.

ولذلك يأمر الرسول ﷺ المخلصين من طلاب الولاية بالصبر في مواجهة من يحاولون إزاحتهم عن موقع المسؤولية، أو التشكيك في قدراتهم ونواياهم.

والتعبير بقوله: "حتى تلقوني على الحوض"، إشارة إلى أن الصراع والأثرة سيظلان

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٧٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٩٥٩).

يسيطران على حركة الحياة المائجة بالتقلبات والنوازع والأهواء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

واللقاء على الحوض بشارة من الرسول الكريم لكل الصابرين الذين لا يتبوأون المنزلة اللائقة بهم في دنيا الناس، ويكفيهم لقاء الحبيب المصطفى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ومن شرب من الحوض شربة لم يظمأ بعدها أبداً، كما جاء في وصفه عن رسول الله ﷺ[1].

فقه الحديث

ورد في الحديث أن الرجل قد سأل النبي ﷺ أن يستعمله فقال: "يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانًا وفلانًا؟"، فما الحكم في أن يطلب المرء الولاية؟

لقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه: ((يا عبدالرحمن بن سَمُرة لا تسأل عن الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها))[2]. قال النووي: (في هذا الحديث فوائد منها: كراهة سؤال الولاية سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها)[3].

قال القرطبي صاحب المفهم: (وسببه أن سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه، ومن كان هكذا أوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك، وهذا معنى قوله "وكل إليها"، ومن أباها لعلمه بآفاتها ولخوفه من التقصير في حقوقها، وفرّ منها، ثم ابتلي بها فيرجى له ألا تغلب عليه نفسه، للخوف الغالب عليه، فيتخلص من آفاتها، وهذا معنى قوله "أعين عليها". وهذا كله محمول على ما إذا كان هنالك جماعة ممن يقوم بها، ويصلح لها، فأما لو لم يكن هنالك ممن لا يصلح إلا واحد لتعيّن ذلك عليه ووجب أن يتولاها ويسأل ذلك

---

(١) أخرج البخاري ٦٥٧٩، ومسلم ٢٢٩٢ مرفوعًا: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا".

(٢) أخرجه البخاري ٧١٤، ومسلم ١٦٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٩٧.

ويخبر بصفاته التي يستحقها من العلم والكفاية وغير ذلك، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1][2] وقال القرطبي صاحب التفسير: (فأمّا لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها، وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام، والإخبار والتوكيد، والأمر.

ثانياً: من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض ما سيقع بعده.

ثالثاً: من صفات الداعية: الحكمة في الإجابة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الصبر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الحوض.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام والإخبار والتوكيد والأمر:

أ- الاستفهام في قول الصحابي: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا وفلانًا؟ وقد كشف هذا السؤال عما يدور بداخله وعما يشغله وعن رغبته في الولاية، منتظرًا الإجابة من النبي ﷺ الذي سيرشده إلى ما فيه خيره ونفعه.

ب- الإخبار والتوكيد: يتضح ذلك في قول رسول الله ﷺ "إنكم ستلقون بعدي أثرة" فقد جاء الإخبار مؤكدًا ليبين تحقق وقوع المخبر به، ومن ثمّ يستعد المخاطب بما يناسبه ويلائمه.

ج- الأمر: في قوله ﷺ "فاصبروا" وقد جاء ليرشد المخاطبين إلى ما يفعلونه تجاه

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١٦/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨٥/١١. ولمزيد من التفصيل انظر: تبيين الحقائق، الزيلعي ١٧٦/٤، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٢٨٠/٣، ومعين الحكام، الطرابلسي ص ٩، والعناية على الهداية، البابرتي ٢٦٢/٧ وما بعدها، وتبصرة الحكام، ابن فرحون ١٥/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٠٣/٦، وأحكام القرآن، ابن العربي ٥٩/٣، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ٢٥٣/٢.

الأثرة التي يلقونها من الحكام والولاة.

ثانياً- من دلائل نبوته ﷺ إخباره ببعض ما سيقع بعده:

ذلك من قوله ﷺ: "إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها" قال ابن حجر: (وأشار بذلك إلى أن الأمر يصير في غيرهم فيختصون دونهم بالأموال، وكان الأمر كما وصف ﷺ وهو معدود فيما أخبر به من الأمور الآتية، فوقع كما قال)[1]، وهذا من الدلائل على أنه نبي من عند الله مؤيد بوحيه ومنصور بقدرته ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[2].

فما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى، وهو إعلام من الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، وقد اشتهر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات: قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ مَقَاماً. مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مقَامِه ذلك إلى قِيَامِ السَّاعَةِ. إلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[3].

قال القرطبي: "قلتُ: على أني أقولُ: إن النبي ﷺ كأن الله تعالى قد أعلمه بتفاصيل ما يجري بعده لأهل بيته وأصحابه، وبأعيان المنافقين، وبتفاصيل ما يقع في أمته من كبار الفتن، وصغارها، وأعيان أصحابها، وأسمائهم، وأنه بث الكثير من ذلك عند من يصلحُ لذلك من أصحابه كحذيفة رضي الله عنه وبهذا يُعلم أن أصحابه، كان عندهم من علم الكوائن الحادثة إلى يوم القيامة العلمُ الكثير والحظُ الوافر لكن لم يشيعوها، إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيها شيء من ذلك حدثوا به، ونقضوا عن عهدته"[4].

وقال القاضي عياض عن الأحاديث التي ورد فيها إخباره عما يقع بعده من الغيوب:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٩٨/٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣، ٢٨٩١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٢٢١/٧.

(والأحاديث في هذا الباب، بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته، المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب)[1].

ثالثاً- من صفات الداعية: الحكمة والإجابة:

الملاحظ أن سؤال الصحابي كان مُنْصَبًّا على طلب الولاية "يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانًا وفلانًا" وكان من المتوقع أن تكون إجابة النبي ﷺ مباشرة على سؤال الصحابي، لكنه ﷺ عدل عن ذلك إلى إخباره بما يقع في المستقبل من أثرة واستئثار، "إنكم ستلقون بعدي أثرة" وهذا له من الأولوية ما ليس لسؤال الإمارة. لذا اقتضى الإخبار به والإنباء عنه، وإذا كان أمر الأثرة مما تتحير أمامه العقول وتضطرب الأفئدة ويملؤها الغضب والحنق، فتقع في مفاسد عظيمة في سبيل الحصول على حقوقها، جاء الأمر النبويّ "فاصبروا حتى تلقوني على الحوض".

والمقصود أن في الحديث درسًا بليغًا فيما ينبغي أن يكون عليه الداعية مِنْ حكمة في الإجابة، ومن ألوان هذه الحكمة الإجابة بما هو أولى وأهمّ فيما يخصّ السائل وإرشاده إلى ما يفعل ويعمل فيه. ويلاحظ كذلك أنّ جوابه ﷺ كان فيه بشارة للأنصار: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض" قال القرطبي: (فيه بشارة لهم بأنهم يَرِدُون عليه الحوض، ولعلّهم المشار إليهم بقوله ﷺ: ((إني لأذود الناس عن حوْضي بعصاي لأهل اليمن))[2] فإن المدينة يمانية، وأهلها سبّاق أهل اليمن إلى الإسلام، وهم الأنصار)[3].

ولعله من قبيل الحكمة في الإجابة لِلَفْتِ نظر السائل إلى ما هو أولى بانشغاله واهتمامه، ما وقع من ابن عمر رضي الله عنهما حينما سأله رجل من أهل العراق: عن المُحْرِم يقتل الذباب؟ فقال: أهل العراب يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقال

---

(١) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢/٣٢٩.

(٢) اخرجه مسلم ٢٣٠١، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي عليه.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤/٥٤.

النبي ﷺ: ((هما ريحانتاي من الدنيا))[١] قال ابن حجر: (أورد ابن عمر هذا متعجبًا من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير وتفريطهم في الشيء الجليل)[٢].

والمقصود أنه في بعض الأحيان لا يجيب الداعية على سؤال المدعو مباشرة، وذلك لحكمٍ يراها، منها لفت انتباه المدعو إلى الانشغال بما هو أولى وأنسب له، ونحو ذلك. وهذا مجال رحب فسيح يتفاوت فيه الدعاة بحسب فطنتهم وخبرتهم وحسن تصرفهم، ومما لا شك فيه أنه إذا أحسن الداعية هذه المهارة كان ذلك من الأسباب القوية لنجاحه في دعوته.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الصبر:

ورد الأمر النبويّ صريحًا بالصبر: "اصبروا حتى تلقوني على الحوض" قال ابن عثيمين: (يعني أنكم إذا صبرتهم، فإن من جزاء الله لكم على صبركم أن يسقيكم من حوضه، حوض النبي ﷺ، ففي هذا الحديث: حث على الصبر على استئثار ولاة الأمور في حقوق الرعية)[٣].

وفي الحديث دعوة إلى مواجهة الشدائد بالهمة والصبر والعمل الثابت المفيد وذم الاستئثار بالشيء عن مستحقيه وأنّه مُبعدٌ عن الحوض والثواب يوم القيامة وبيان فضل الصبر والصابرين[٤]، إذ أن الصبر من جميل الأخلاق التي يتحلى بها الإنسان ومن ألوان الصبر في الحديث الصبر على الولاة وما يقع منهم من تجاوزات فبعد أن أخبر النبي ﷺ "إنكم ستلقون بعدي أثرة" قال "فاصبروا" أي على استئثارهم عليكم بما تستحقونه، ولا يكون ذلك داعياً للخروج عليهم أو الثورة على حكمهم أو ما شاكل ذلك، حماية للأمة من معاول الهدم والضعف وصيانة لوحدة الأمة من التفرق والتشرذم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٥٣، ٥٩٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٩٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/١١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٧٠.

استجابة وإعمالاً لقول الله عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: الحوض:

بشّر رسول الله ﷺ الصابرين من أصحابه وأتباعه بلقائه على الحوض "فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"، وهذا يكون يوم القيامة، لذا كان من عقيدة المسلم الإيمان بالحوض وقد جاءت الأحاديث النبوية بإثبات حوض النبي ﷺ حتى عُدَّت من الأحاديث المتواترة، قال السيوطي: (ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًا، منهم الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفاظ الصحابة المكثرون وغيرهم، رضوان الله عليهم أجمعين)[٢] قال ابن أبي العز الحنفي: (والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض، أنه حوض عظيم ومورد كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر)[٣].

ومما لا شك فيه أن الإيمان بالحوض يدفع المؤمن إلى الجدّ والاجتهاد في الطاعة، لأن (هذا الحوض الذي يكون في يوم القيامة -كما يقول ابن عثيمين- في مكانٍ وزمانٍ أحوج ما يكون الناس إليه، لأنه في ذلك المكان والزمان في يوم القيامة يحصل على الناس من الهمّ والغمّ والكرب والعرق والحرّ ما يجعلهم في أشد الضرورة إلى الماء، فيروون من حَوْض الرسول ﷺ)[٤].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتدّ عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم على اختلاف فرقهم -أي الخارجين-، فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلمة المسرفون في

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) نقلاً عن الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، الفوزان ص ٣٣٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٨٠-٢٨١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/ ١١٩.

الجور وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع، ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة، إن كان التبديل في الأعمال، ولم يكن في العقائد)[1].

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ٣٠٦-٣٠٧، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/٤٣-٥٣.

الحديث رقم (٥٣)

٥٣- وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعَدُوَّ، انْتَظَرَ[1] حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُم فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ**» ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[2]: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**» متفقٌ عليه[3]، وبالله التَّوْفيقُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: وهو عبدالله بن علقمة بن خالد بن الحارث بن أبي أَسيد بن رفاعة بن ثعلبة بن هوازن بن أسلم، الأسلمي، كان يكنى بأبي معاوية، ويقال: أبو إبراهيم وبه جزم البخاري، ويقال: أبو محمد، له ولأبيه صحبة ورواية.

وكان من المجاهدين في سبيل الله مع رسول الله ﷺ فقد شهد الحديبية، فهو معدود من أصحاب الشجرة، وشهد خيبر وما بعد ذلك من المشاهد، وقد قال: غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات أو ستًا كنا نأكل الجراد[4]، وقال إسماعيل بن أبي خالد: ((رأيت بيده [أي بيد عبدالله بن أبي أوفى] ضربة على ساعده، فقلت: ما هذه؟ قال: ضُربتها يوم حنين، فقلت له: أشهدت معه حنينًا؟ قال: نعم، وقيل ذلك))[5] بل إن ابن حجر قال: وفي كتاب الجهاد من صحيح البخاري ما يدل على أنه شهد الخندق[6]. ولم يزل مقيماً بالمدينة المنورة حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ ثم تحول إلى الكوفة، وكان قد ابتنى بها داراً في حَيّ -أسلم- وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) لفظ مسلم: (ينتظر).

(٢) لفظ مسلم: (ثمّ قام النبي ﷺ، وقال).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢/٢٠) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١٣٣٣).

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٩٥، ومسلم ١٩٥٢.

(٥) أخرجه أحمد ٣٥٥/٤، ١٩١٣١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٦) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٥/٢.

وكان كُفَّ بصره، وكان يصبغ رأسه ولحيته بالحِنَّاء، وكان له ضفيرتان، مات بالكوفة سنة (٨٦)، أو (٨٦)، وقيل (٨٨)، وهو آخر من مات بالكوفة من صحابة رسول الله ﷺ[(١)].

غريب الألفاظ:

مالت الشمس: زالت عن كبد السماء. وكبد الشيء: وسطه ومعظمه[(٢)].

تحت ظلال السيوف: يعني الجهاد في سبيل الله.

الشرح الأدبي

إن قيمة الصبر في هذا الحديث الشريف تتجاوز الصبر على الابتلاءات الذاتية في الأنفس والأموال والثمرات، وتدخل بنا منطقة الجهاد والمكابدة، والدفاع عن العقيدة ضد البغاة والمحاربين من الكفار والمشركين، والمصطفى ﷺ هو القدوة المثلى والأسوة الحسنة في الشجاعة والفداء، وكان الصحابة يقولون: "كنا إذا حمى الوطيس نتقي برسول الله. وأن الشجاع منا للذي يحاذي به"، وفي رواية "كنا إذا احمر البأس..."[(٣)].

ويقدم هذا الحديث درساً عملياً في خبرة القتال، والتخطيط لإحراز النصر، وينقل إلينا عبدالله بن أبي أوفى مشهداً من مشاهد هذا الصراع بين المسلمين والكفار،

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٨٢، ٣٨٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٨١/٣، ١٨٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٧٤٣، ٧٤٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٩١/٤)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٠٤/٢، ٣٠٥)، والسندي (٤٤٩/٣١).

(٢) الوسيط ٧٧٢، ٨٩٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٥٦/١ عن علي بن أبي طالب > قال: كنا إذا احمرَّ البأس ولقي القومُ القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه"، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ٨٥٨٥ بلفظ: كنا إذا حمي البأس -وفي رواية إذا احمرَّ البأس- ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون منا أحد أدنى إلى القوم منه. والحديث صححه محققو المسند ٤٥٤/٢، وانظر: الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١٨١/١-١٨٢.

ولنتأمل كيف أفصح التشكيل الأسلوبي والبناء اللغوي عن الدلالات الكثيرة المتعددة.

فالتعبير بقوله: "في بعض أيامه" يتجاوز الدلالة الزمنية لليوم المألوف، حيث تدخل دلالة جديدة يفرضها السياق، فالمراد بالأيام هنا، "أيام الحروب"، لأن أيام الحرب تطلق على الأيام التي كانوا يتقاتلون فيها، ولذلك يقول الراوي الذي بايع رسول الله يوم بيعة الرضوان، وشهد خيبر وما بعدها: يقول: "في بعض أيامه"، لأن أيام الرسول ﷺ لم تكن حروباً متواصلة، وإضافة الأيام إلى الضمير العائد على رسول الله ﷺ يضيف دلالة أخرى وهى أن رسول الله ﷺ هو القائد وهو الذي يخطط للدفاع عن العقيدة ونشر راية الإسلام.

والتعبير بالفعل "لقي" يحدد طبيعة هذا اللقاء فهو ليس هجوماً ولا اعتداء وإنما هو لقاء بين الفريقين، وكلمة "العدو" المراد منها، الكافر والمشرك وكل من يتصدى للمسلمين بالإيذاء.

وكلمة "انتظر": تفيد تأخر القتال إلى الوقت الملائم وهو وقت الزوال، وحتى، غائية وما بعدها مترتب على ما قبلها، والجملة بعد "حتى"، شرطية "حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال" وأداة الشرط "إذا" تفيد التحقق والوقوع، والرواية أحداثها واقعية والراوي يحكي ما حدث حقيقة، ولم يحدد اليوم أو الغزوة لأن هذا كان منهج رسول الله في حربه مع أعدائه[1]، وقيل إنه كان يؤخر القتال إلى ميل الشمس ليبرد الوقت على المقاتلة، ويخف عليهم حمل السلاح الذي يؤلم حمله في شدة الهاجرة، وقيل: بل كان يفعل ذلك لانتظار هبوب ريح النصر التي نُصر بها، وفي حديث عند أبي داود عن النعمان بن مقرن قال: "شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب رياح النصر[2][3].

---

(١) أخرج البخاري ٢٩٤٨، ومسلم ٢٧٦٩ من حديث كعب بن مالك >: كان رسول الله @ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها. قال ابن حجر: معنى ورَّى: ستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٤٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٦٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣١٣).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/١٧١

ولنتأمل مقالة رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو...".

إن الخطاب موجه إلى كل الخلائق من المسلمين، ولفظ "الناس" فيه إيحاء بالأنس والإيناس، حتى يتذكر المتقاتلون رابطة الإنسانية بينهم، وأنهم منتسبون إلى أب واحد وأم واحدة.

وأن الإسلام نعمة كبرى، ومنّة فضلى، وأن الناس كلهم لآدم وآدم من تراب. ولذلك ينهي رسول الله عن أن يكون لقاء العدو أمنية، لأن الحروب دمار وخراب، وأن القاعدة الإسلامية تنطلق من قول الله عز وجل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].

وأسلوب الشرط والجواب يغلف المعنى الذي قدمه رسول الله ﷺ في صياغة لقاء الأعداء، وأداة الشرط "إذا" تفيد تحقق التقاء الجمعين؛ لأن أعداء الإسلام يتربصون به الدوائر، ويكيدون له، ويحيكون المؤامرات والدسائس، ولذلك يأتي جواب الشرط في صيغة الأمر بالصبر، والصبر في القتال من أقوى مراتب الصبر وأعلاها منزلة، وصفة الصحابة مع رسول الله أنهم، "صبر في الحرب".

"واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" وهذه الجملة تشع ببريق النصر، وبشارات القوة. وهي كناية عن الاستشهاد في سبيل الخير والحق، ونشر راية التوحيد، وكلمة، "ظلال السيوف" فيها من التصوير والبلاغة ما فيها، ولم يقل تحت قعقعة السيوف أو صليل السيوف، لأن السيوف هنا تحمي الحق، وتحمي الخير، وتقضي على كل باطل ينشر الفساد في الأرض، ويحاول تشويه خيراتها ونهب ثرواتها لاستغلالها في سبيل الشيطان.

وقال القرطبي: (هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ وعذوبته وحسن استعارته وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ المقبولة الوجيزة بحيث يعجز الفصحاء اللسن البلغاء عن إيراد مثله، وأن يأتوا بنظيره وشكله،

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦١.

فإنه استفيد منه -مع وجازته- الحض على الجهاد والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم ببعض حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو ويرتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها)[١].

والظلال توحي بالرحمة والخير، وتوحي بأن القتال والجهاد من أجل الحياة الكريمة القائمة على طاعة الله ومحبة رسوله، وإسعاد المسلم بما أحل الله له من الطيبات في الرزق الحلال.

ويأتي دعاء النبي ﷺ في ختام الحديث إرشاداً للمسلمين بالتوكل على الله وعدم الاغترار بالقوة والكثرة والعدة والعتاد، ولم يدع الرسول على أعدائه بالهلاك لأنه يرجو أن يهديهم الله للإسلام، وقد حدث ذلك حينما أسلم أهل مكة وأهل الطائف، وكثير من أهالي البلاد التي فتحها المسلمون ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

وجمال الإيقاع، والسجع الجميل في الدعاء، وحين تقسيم العبارات، ينبئ عن فصاحة الرسول وعذوبة أسلوبه حتى في وقت الشدة، ولا غرو فقد أوتي جوامع الكلم.

فقه الحديث

في هذا الحديث يمكن ذكر ما يلي:

أ-استحباب القتال بعد الزوال: قال ابن دقيق العيد: (فيه دليل على استحباب القتال بعد زوال الشمس)[٢].

ب-تمني لقاء العدو:

قال النووي: (إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة وهو نوع بغي، وقد ضمن الله تعالى لمن بُغي عليه أن ينصره، ولأنّه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم، وتأوّله

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/١٧١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ٣٧٥.

بعضهم على النهي عن التمني في صورة خاصة وهي إذا شكّ في المصلحة فيه، وحصول ضرر وإلا فالقتال كلّه فضيلة وطاعة. والصحيح الأول)[١].

وقد ذكر القاضي عياض بعض أفراد هذه الصورة الخاصة، فقال: (أو يكون المراد: لا تتمنوا لقاءه على حالة يشك في غلبته لكم أو يخاف منه أن يستبيح الحريم أو يذهب الأنفس والأموال، أو يدرك منه ضرر)[٢].

ج-طلب المبارزة: قوله ﷺ: "لا تتمنوا لقاء العدو، سلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا" قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على منع طلب المبارزة، وهو رأى الحسن البصري)[٣].

وقال القرطبي: (وقد فهم بعض العلماء من هذا الحديث كراهة المبارزة، وبها قال الحسن)[٤] وقال القاضي عياض: (روى عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: يا بني لا تدعونّ أحدًا إلى المبارزة، ومن دعاك إليها فاخرج إليه، فإنه باغٍ، وقد تضمن الله سبحانه وتعالى نصر من بُغِيَ عليه)[٥]. وقال ابن المنذر: (أجمع كل من أحفظ عنه العلم على جواز المبارزة)[٦]. وقال ابن قدامة: (ولم يزل أصحاب النبي ﷺ يبارزون في عصر النبي ﷺ وبعده، ولم ينكر منكر، فكان ذلك إجماعًا)[٧].

وهل يشترط إذن الإمام لطلب المبارزة؟ قال القاضي عياش: (شرط بعضهم فيها إذن الإمام، وهو قول الثوري وأحمد وإسحاق وبعضهم أجازها مطلقًا ولم يشترط فيها أمر الإمام، وهو قول مالك والشافعي، واختلف في ذلك قول الأوزاعي)[٨]، ويبين ابن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٦ وهو موجود بنصه في المعلم بفوائد مسلم ١٢٨/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٢ ، وانظر المغني، ابن قدامة ٣٩/١٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٤/٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٦.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٤/٣.

(٧) المغني، ابن قدامة ٣٨/١٣-٣٩.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٦.

قدامة الحكمة من شرط إذن الإمام: (إن الإمام أعلم بفرسانه وفرسان العدو، ومتى برز الإنسان إلى من لا يطيقه، كان معرضًا نفسه للهلاك، فيكسر قلوب المسلمين، فينبغي أن يفوض ذلك إلى الإمام ليختار للمبارزة من يرضاه لها. فيكون أقرب إلى الظفر وجبر قلوب المسلمين وكسر قلوب المشركين فإنه إذا كان مبارزًا تعلقت قلوب الجيش به وارتقبوا ظفره، فإن ظفر، جبَرَ قلوبهم وسرّهم وكسر قلوب الكفار، وإن قُتل كان بالعكس)[1].

د-السجع في الدعاء: قال القرطبي: (قوله ﷺ "اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" دليل على جواز السجع في الدعاء إذا لم يتكلف)[2].

هـ-الدعاء عند اللقاء والاستنصار: قال النووي: (فيه استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والنهي والأمر والشرط.

ثانياً: من فقه الداعية: مراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة.

ثالثاً: من مهام الداعية: وصية المدعوين بما فيه صلاح أمرهم وتعليمهم ما يحتاجون إليه.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار.

خامساً: من ميادين الدعوة: ساحات الجهاد وميادين المعارك.

سادسًا: من وسائل الدعوة: الجهاد.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والنهي والأمر والشرط:

النداء في قوله ﷺ "يا أيها الناس" وذلك لإعدادهم ولفت انتباههم لما يلقى عليهم بعد ذلك، و إن كان الصحابة رضي الله عنهم قلوبهم قبل أبصارهم معلقة بالنبي ﷺ

---

(١) المغني، ابن قدامة ١٣/٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣/٥٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٩.

ويصيخون الأفئدة قبل الأذان لما يقوله لهم، فيكون المقصود بهذا النداء توكيد إعدادهم ولفت انتباههم.

ويأتي بعد النداء النهي "لا تتمنوا لقاء العدو" ويأتي بعده أمر لتوكيد هذا النهي "واسألوا الله العافية" فإن هذا النهي (نظير سؤال العافية من الفتن)[١]، وبعد ذلك يأتي أسلوب الشرط "فإذا لقيتموهم فاصبروا" ويتبع هذا الشرط بالأمر "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" ليؤكد أمر الصبر في الجهاد، فإنه لا يتصور جهاد بدون صبر ومثابرة، وعلى قدر ذلك يكون الجزاء عند الله وهو الجنة.

ثانيًا- من فقه الداعية: مراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة:

وهذا واضح جليٌ من قول الصحابي عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس قام فيهم ..." الحديث. فلم يقاتل النبي ﷺ وقت اشتداد الحرّ بل أخر ذلك إلى وقت الإبراد ووقت النشاط، قال ابن حجر: (وفي الحديث ... مراعاة نشاط النفوس لفعل الطاعة)[٢] وقد بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب الجهاد: باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أوّل النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس[٣]، قال ابن حجر: (لأن الرياح تهب غالبًا بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدّة السلاح والحرب وزيادة في النشاط)[٤] وقال القرطبي عن ذلك: (إنه كان يؤخر القتال عن الهاجرة إلى أن تميل الشمس ليبرد الوقت على المقاتلة [أي المقاتلين] ويخف عليهم حمل السلاح التي يؤلم حملها في شدة الهاجرة، ولأن ذلك الوقت وقت الصلاة، وهو مظنة إجابة الدعاء)[٥] وقد ذكر البخاري[٦] ذلك مبينًا فقال:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٢، وهو قول ابن بطال.

(٢) المرجع السابق ١٤٤٨/٢.

(٣) فوق الحديثين ٢٩٦٥، ٢٩٦٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٣٣/٢.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٣/٣، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٤/٦.

(٦) أخرجه البخاري ٣١٦٠.

(حتى تهب الأرواح وتحضر الصلوات)[١]. وذكر القرطبي كذلك - تبعًا للقاضي عياض- احتمالاً آخر لانتظار النبي ﷺ للقتال لما بعد الزوال، فقال: (وقيل بل كان يفعل ذلك لانتظار هبوب ريح النصر التي نُصِرَ بها كما قال: "نصرت بالصبا"[٢]، وفي حديث آخر: "أنه ﷺ كان ينتظر حتى تزول الشمس وتهب رياح النصر"[٣]).

وسواء كان تأخير القتال بعد الزوال لكون هذا أنسب للقتال والحرب، أو انتظارًا لهبوب ريح النصر، فإن في هذا مراعاة لنشاط النفوس لفعل الطاعة، فإن كان للسبب الأول فهذا واضح، وإن كان للسبب الثاني فإنه لا شكّ أن إشعار المجاهدين بأن ريح النصر تهب وشعورهم بذلك يدفعهم إلى النشاط والإقبال على القتال إقبالاً شديدًا يجعلهم لا ينصرفون إلا بإحدى الحسنيين: إما النصر أو الشهادة.

ثالثًا- من مهام الداعية: وصية المدعوين بما فيه صلاح أمرهم وتعليمهم ما يحتاجون إليه:

لقد خاطب النبي ﷺ أصحابه قائلاً: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنّة تحت ظلال السيوف"، لقد وصّى النبي ﷺ صحابته المجاهدين بما فيه نفعهم وخيرهم، قال ابن حجر: (وفي الحديث ... وصية المقاتلين بما فيه صلاح أمرهم وتعليمهم بما يحتاجون إليه)[٤].

أ- النهي عن تمني لقاء العدو: قال ابن دقيق العيد: (لما كان لقاء الموت من أشقّ الأشياء وأصعبها على النفوس من وجوهٍ كثيرة، وكانت الأمور المقدرة عند النفس ليست كالأمور المحققة لها، خشي ألا تكون عند التحقيق كما ينبغي فكره تمني

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٤/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٥، ومسلم ٩٠٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٥٥، والترمذي ١٦١٣ من حديث النعمان بن مقرن > قال: شهدت مع رسول الله @ فكان إذا لم يقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر" والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣١٣).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٢.

لقاء العدو لذلك، ولما فيه -إن وقع- من احتمال المخالفة لما وعد الإنسان من نفسه، ثمّ أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة)[١] وفي هذا المعنى يقول ابن بطال: (حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن)[٢] وقال ابن حجر: (ويؤيد هذا النهي بقوله: "وسلوا الله العافية" وأخرج سعيد بن منصور من طريق يحيى بن أبي كثير مرسلاً: "ولا تمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون عسى أن تبتلوا بهم")[٣].

لكن القرطبي يقدّم في بيان الحكمة من هذا النهي هي كون تمني اللقاء مع عدم الاستعداد الجيد للعدو يشكل خطرًا عليهم، فيقول: (قيل: إن فائدة هذا النهي ألا يستخف أمر العدو فيتساهل في الاستعداد والتحرز منه، وهذا لما فيه من المكاره والمحن والنكال ولذلك قال متصلاً "واسألوا الله العافية")[٤] وفي ذلك يقول القاضي عياض: (فيكون المراد بهذا لا تستهينوا بالعدو فتتركوا الحذر والتحفظ على أنفسكم وعلى المسلمين)[٥]، لكن قد يرد إشكال هنا: "إذا كان الجهاد طاعة فتمني الطاعات حسن، فكيف ينهى عنه؟" فلقاء العدو وقتاله طاعة يحصل منه إما الظَّفر بالعدو وإما الشهادة، فكيف ينهى عنه، وقد حضّ الشرع على تمني الشهادة ورغب فيه فقال: "من سأل الشهادة صادقًا من قلبه، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"[٦])[٧].

ويجيب القرطبي عن هذا الإشكال بأن متعلق النهي يختلف عن متعلق الترغيب، فإنما تعلق النهي بما يؤول إليه اللقاء من محن ومكاره ونحو ذلك بسبب عدم أخذ الاستعداد المناسب له في الغالب، أما إذا كان اللقاء يؤول إلى ظفر أو شهادة فهذا

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ص ٣٧٥.

(٢) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٢١.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه بتصرف.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٣٥/٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٦ وهو بنصه في المعلم بفوائد مسلم ١٢٨/٢.

(٦) المعلم ١٢٨/٢.

(٧) أخرجه مسلم ١٩٠٩.

مرغب ومندوب إليه، يقول القرطبي: (لقاء العدو وإن كان جهادًا وطاعة[١] ومحصلاً لأحد الأمرين فلم ينه عن تمنّيه من هذه الجهات، وإنما نهى عنه من جهات تلك الاحتمالات المتقدمة[٢]، ثم هو ابتلاء وامتحان لا يعرف عما تسفر عاقبته، وقد لا تحصل فيه غنيمة ولا شهادة، بل ضد ذلك، وتحريره: أن تمني لقاء العدو المنهي عنه غير تمني الشهادة المرغب فيه، لأنّه قد لا يحصل اللقاء ولا تحصل الشهادة ولا الغنمية [أي تكون الهزيمة] فانفصلا)[٣].

ب- سؤال الله العافية: نهى رسول الله ﷺ أصحابه: "لا تتمنوا لقاء العدو" ثم عقب هذا النهي بأمر "واسألوا الله العافية" قال ابن بطال: (حكمة النهي أن المرء لا يعلم ما يؤول إليه المرء، وهو نظير سؤال العافية، وقد قال الصديق: (لأن أعافى فأشكر أحبّ إليّ من أن أبتلى فأصبر). وقال القاضي عياض: (قال بعضهم: نهى النبي ﷺ أمته عن تمني المكاره، ولهذا قال السلف: الصالح العافيةُ من الفتن والمحن؛ لاختلاف الناس في الصبر، ولهذا قال متصلاً بقوله هذا في الحديث: "واسألوا الله العافية")[٤] وبيّن النووي مدلول كلمة العافية، التي تدل على نفي جميع ما يكره في الدين والدنيا والآخرة، فقال: (وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطل في الدين والدنيا والآخرة)[٥].

ج- الصبر في القتال: لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالصبر عند لقاء الأعداء فقال: "وإذ لقيتموهم فاصبروا" قال القاضي عياض: (حض على الصبر وتوطين النفس في هذا يكون الثبات ويرجى النصر، ومع الهلع تحذر اليد والرجل، ويستولي العدو)[٦] وقال

---

(١) ذكر القرطبي ثلاثة احتمالات، ذكرنا فيما تقدم أولها، ثم قال القرطبي: وكل ذلك محتمل، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٣/٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٣/٣-٥٢٤.

(٣) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٩.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٤/٦.

النووي: (فهذا حث على الصبر في القتال وهو آكد أركانه، وقد جَمَعَ الله سبحانه آداب القتال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1])[2].

د- الحض على الجهاد: وذلك في قوله ﷺ: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" قال القرطبي: (إنه استفيد منه مع وجازته الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه، والحضّ على مقاربة العدو، واستعمال السيوف والاعتماد عليها واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها يقع على العدو، وبعضها يرتفع عنهم حتى كأن السيوف أظلّت الضاربين بها، ويعني: أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخله الله الجنة بذلك)[3] وقال النووي: (معناه: ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيوف في سبيل الله ومشي المجاهدين في سبيل الله، فاحضروا فيه بصدق واثبتوا)[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار:

بعد أن وصّى النبي ﷺ أصحابه وعلمهم بما يحتاجونه، توجه إلى الله بالدعاء فقال: "اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" قال ابن حجر: (أشار بهذا الدعاء إلى وجوه النصر عليهم، فبالكتاب إلى قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٥/٣-٥٢٦، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٤/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩ ، وانظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٣٧٥.

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾[١] وبمجري السحاب إلى القدرة الظاهرة في تسخير السحاب حيث يحرك الريح بمشيئة الله تعالى. وحيث يستمر في مكانه مع هبوب الرياح، وحيث تمطر تارة وأخرى لا تمطر فأشار بحركته إلى إعانة المجاهدين في حركتهم في القتال، وبوقوفه إلى إمساك أيدي الكفار عنهم وبإنزال المطر إلى غنيمة ما معهم حيث يتفق قتلهم، وبعدمه إلى هزيمتهم حيث لا يحصل الظفر بشيء منهم، وكلها أحوال صالحة للمسلمين. وأشار بهازم الأحزاب إلى التوسل بالنعمة السابقة، وإلى تجريد التوكل واعتقاد أن الله هو المنفرد بالفعل[٢]. وفيه التنبيه على عظم هذه النعم الثلاث، فإن بإنزال الكتاب حصلت النعمة الأخروية وهي الإسلام، وبإجراء السحاب حصلت النعمة الدنيوية وهي الرزق، وبهزيمة الأحزاب حصل حفظ النعمتين، وكأنه قال: اللهم كما أنعمت بعظيم النعمتين الأخروية والدنيوية وحفظتهما فأبقهما. وروى الإسماعيلي في هذا الحديث من وجه آخر أنه ﷺ دعا أيضًا فقال: "اللهم أنت ربنا وربهم ونحن عبيدك وهم عبيدك نواصينا ونواصيهم بيدك، فاهزمهم وانصرنا عليهم" ولسعيد بن منصور من طريق أبي عبدالرحمن الحنبلي عن النبي ﷺ مرسلاً نحوه، بصيغة الأمر عطفاً على قوله "سلوا الله العافية، فإن بليتم بهم فقولوا اللهم ..." فذكره وزاد "وغضوا أبصاركم واحملوا عليهم على بركة الله" ... وفي الحديث استحباب الدعاء عند اللقاء والاستنصار)[٣].

خامساً- من ميادين الدعوة: ساحات الجهاد وميادين المعارك:

إن الدعوة لا تقتصر على أماكن العبادة أو على المنابر، وإنما تمتد لتشمل جميع ميادين الحياة حتى أشدها وأثقلها وطأة وهو ميدان الجهاد في سبيل الله، إذ أن الدعوة في هذا الوقت من أهم الأسباب التي تحث وتحفز المقاتلين على الجهاد في سبيل الله والثبات عند لقاء الأعداء، وقد كانت الدعوة هنا في ساحات الجهاد كما هو ظاهر في الحديث.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٤.

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ٣٧٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٤٨/٢ ، شرح الحديثين ٣٠٢٤، ٣٠٢٥، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٥/٦، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥٢٥/٣.

سادساً- من وسائل الدعوة: الجهاد:

لقد حثّ النبي ﷺ على الجهاد فقال: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف" والجهاد يكون موجهًا في المقام الأول إلى أعداء الدعوة الذين يملكون من الأسباب والوسائل ما يستطيعون به محاربة الدعوة الإسلامية وإرهاب أفرادها بل ودفع بعضهم كرهًا إلى الارتداد عن الإسلام. فشُرع الجهاد، حماية للدعوة والمؤمنين بها والراغبين في التعرف عليها، فضلاً عن أهداف وأغراض أخرى لشرع الجهاد، ليس هنا مجال للإشارة إليها وتفصيلها، وإنما يهمنا في المقام الأول هنا أن نبين كيف يكون الجهاد من وسائل تأمين الدعوة وحمايتها. يبين ذلك الدكتور محمد أبو شهبة في معرض حديثه عن أسباب الجهاد وحكمه فيقول: (شرع الجهاد لتأمين دعوة الإسلام، الدين العام الخالد، الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء، ولمساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى، حتى يتمكن النبي ﷺ من تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحي في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[2].

وتأمين المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام عن رضا واطمئنان، وحمايتهم من أذى المشركين، ومنحهم حقهم في الإعلام عن عقيدتهم وهم آمنون، وليس من الحق والعدل أن يدافع أصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة، وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة والشريعة السمحة من غير أن يؤذن لهم في الدفاع عن عقيدتهم ودينهم، فإنه من الظلم البين أن لا يجد الهداة والمصلحون متنفساً لدعوتهم في أرض الله الواسعة وأن يحجر عليهم فلا يستطيعون الإعلان عن عقائدهم، ولا إظهار شعائرهم[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ٢/٧٦ بتصرف.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

شاء الله تعالى ألا تستقيم الحياة على وتيرة واحدة، فالله تعالى يقلب الليل والنهار، ويغير الأحوال ويرفع قوماً ويخفض آخرين، ويعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، والمؤمن يواجه الحياة بكل تقلباتها، وأفراحها واتراحها، ولذا فهو يحتاج إلى عون الله وتوفيقه، ثم إلى المزيد من الصبر الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال حتى يستطيع الصمود في تلك الحياة.

ولذا فإن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالصبر والمصابرة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[1]، وأمر سبحانه بالاستعانة بالثبر والصلاة فقال: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ...﴾[2]، إلخ النصوص التي وردت في الأمر بالصبر والاستعانة به.

وفي هذا الباب -باب الصبر- جملة من الأحاديث النبوية التي وردت في الإشادة بالصبر وبيان فضله، والحث عليه، وحاجة كل مؤمن أن يتربى على مائدة الصبر.

إن الله تعالى أراد إعانة عباده على طاعته، فأمرهم بالصبر من خلال تربية النفس وتهذيبها بالصبر على الشدائد والمصائب، وإن النبي ﷺ بيّن أهمية حرص المؤمن على التزام الصبر والتذرع به، ليوفق لكل خير، بل الخير كل الخير في تربية النفس وترويضها على الصبر، ولذا فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

وحينما يصبح الصبر خلقاً للمؤمن ومنهجاً تشرق نفسه بالرضا والشكر والحمد.

لقد كان من هدي النبي ﷺ تربية أصحابه رضي الله عنهم على الصبر والاحتساب، ومن أبرز المضامين التربوية في هذا الباب -الصبر- ما يلي:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٣) سورة الزمر، آية: ١٠.

أولاً- التربية بالقدوة:

وهي من أعظم أساليب التربية تأثيراً في النفوس، وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الصبر والتحمل وربى أصحابه رضي الله عنهم على ذلك فهو ﷺ الذي صبر واحتسب، وتحمل الأذى والبلاء في سبيل نصرة هذا الدين، وحرص على تربية أصحابه رضي الله عنهم على ذلك، فحينما جاءوا يشكون إليه شدة العذاب من المشركين، بيّن لهم أنه لابد من الصبر على البلاء حتى يمكن الله لهذا الدين وكان قدوتهم في ذلك.

ثانياً- من أهداف التربية الإسلامية: بناء الشخصية الإسلامية السوية:

إن الصبر يسهم إسهاماً كبيراً وعظيماً في بناء شخصية المسلم، من خلال تربية النفس على الصبر وتعويدها عليه، مما يكسبها الثبات والمرونة في مواجهة المصائب والمحن، وقد بيّن الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم أجر الصابر المحتسب، وما ينبغي للمسلم قوله عند وقوع المصيبة كنوع من أنواع الوقاية حتى لا يصاب المسلم بصدمة قوية عند حلول المصيبة التي قد تفقده صوابه، وتدفعه إلى التصرف بخلاف ما يرضي الله تعالى[1]، فبين أجر المؤمن الصابر بقوله: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير...".

ثالثاً: من أساليب التربية الوصية:

وقد استخدم النبي ﷺ الوصية كأسلوب تربوي ناجح، لما له من أثر كبير على سلوكيات المؤمن، حيث أوصى النبي ﷺ من جاءه طالباً وصيته بألا يغضب، وردد مراراً قال: لا تغضب، وفي هذا توجيه تربوي نبوي عظيم لتجنب أسباب الغضب، ذلك لأن الغضب مفتاح لكل شر، فالذي يعجز عن قهر غضبه فهو عن غيره من السلوكيات الخاطئة أعجز...

إن الصبر من الصفات اللازمة لكل إنسان، إذ بدونه لا يستطيع بلوغ ما يريد، وإذا كان الصبر لأي إنسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة، وبلوغ ما يريد، فإن المسلم أحوج من غيره إلى التذرع بالصبر في سائر الأحوال، لأن المسلم مطلوب منه أن يهذب نفسه، ويكفها عن المعصية، لأن في المعصية نوع من لذة النفس، لذا يحتاج الإنسان إلى

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ٢٦١.

قدر كبير من ضبط النفس، وإرادة قوية تكفه عن مقارفة الخطايا[١].

رابعاً: التربية بالتحفيز:

إن التربية بالتحفيز من الأساليب التربوية المهمة في مجال التربية، حيث فطر الله تعالى الإنسان على محبة الخير والاستزادة منه، والحذر من الألم والشقاء وسوء المصير..

ولما كانت سبل الخير محفوفة بالمكاره ومخالفة هوى النفس، وسبل الشر محفوظة بمغريات الأنفس، وفواتن الأهواء والأفكار، كانت إذن أصول التربية تستدعي إيجاد قوة محرضة وجاذبة إلى طريق الهداية، زائدة على الإقناع الفكري المجرد، وتستدعي كذلك إيجاد قوة صادة عن سبيل الشر وطريق الغواية، زائدة بعضها أيضاً على قوة الإقناع الفكري المجرد[٢].

وهاتان القوتان هما الترغيب والترهيب، أو: التحفيز والتحذير، وهما من الأساليب التربوية التي اعتمدها النبي ﷺ، والتربية بالتحفيز تحتوي على الترغيب من خلال القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفتها دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير التي قد ترتفع عن الإنسان الصوارف النفسية التي تصرفه عن فعل الخير إذ تستعطف شهواته مغريات أخرى واقفة في اتجاه سبل الشر المختلفة[٣].

وقد استخدم الرسول ﷺ الترغيب كأسلوب من أساليب التربية والإعداد مصحوباً بتصوير فني رائع لنعيم الجنة، مثيراً الانفعالات الوجدانية والعواطف الربانية[٤]، لأنه ﷺ لم يغفل عن أية طريقة، أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[٥].

ومن أمثلة ذلك ما ورد في أحاديث الباب والتي نذكر منها: أن رسول الله ﷺ

---

(١) المرجع السابق، ٢٧٤-٢٧٥، ٣٣٤.

(٢) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٥٣-٢٥٤.

(٣) انظر: أصول التربية ووسائلها ٢٥٧ وأسس الحضارة الإسلامية ٢٥٣، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية، ٢٢٠.

(٤) انظر: أسس الحضارة ٢٥٤.

(٥) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٥.

قال: ((يَقُولُ اللّه تَعالى: ما لِعَبْدِي المُؤمِنَ عِندِي جَزَاءٌ إذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلاَّ الجَنَّةَ))، وقوله ﷺ: ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ، وَلاَ حَزَنٍ، وَلاَ أَذَىً، وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)).

وقوله ﷺ: ((مَنْ كظَمَ غَيْظاً وهُوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ دعاه اللَّهُ سُبحانَهُ وتَعالى على رؤوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ حتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ الْعِينِ ما شَاءَ)).

وقوله ﷺ: ((مَا يَزَالُ الْبَلاَءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)).

خامساً: تعميق القيم الإيمانية:

تأتي القيم الإيمانية في مقدمة القيم التي يجب تربية النفوس عليها والحرص على التزامها في الحياة، وقد أمر النبي ﷺ بتقوى الله تعالى والصبر في قوله للمرأة التي فجعت بموت ولدها، وهي تبكي بكاء شديد فقال لها: ((....اتق الله واصبري.....)).

وقد بين النبي ﷺ أن من أراد الله به خيراً أصاب منه، وفي ذلك تعميق لقيم الإيمان بالله والرضا بما قدره سبحانه، فالله تعالى لا يريد خيراً إلا بالمؤمنين الطائعين المخبتين، والنبي ﷺ يأمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب، ولاشك أن المؤمن بحاجة إلى تلك تعميق تلك القيم الإيمانية في نفسه، وأن يلزمها بذلك، ومن هنا كان النبي ﷺ حريصاً على تعميق ذلك، وربطه بالمواقف العملية التي قد يتعرض لها المسلم في حياته، فما أكثر صور الابتلاء في الحياة، مما يستلزم المزيد من الإيمان، الذي يكسب النفس الثبات والتسليم والرضا.

سادساً: تعميق القيم الأخلاقية:

النفس الإنسانية بحاجة إلى التربية والتهذيب وغرس القيم الأخلاقية فيها، ولذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم على القيم العليا التي تؤهلهم رضوان الله تعالى، فما أجمل الاستعفاف والاستغناء عن الناس، وما أروع أن يربي المسلم نفسه على ذلك، إن النبي ﷺ أراد أن يعمق قيم الاستعفاف والاستغناء في نفوس أصحابه رضي الله عنهم، حينما جاءه أناس يسألونه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده ثم قال لهم

حين أنفق كل شيء بيده، ما يكن من خير فلن أدخره عنكم، ومن يعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر.

إن الإسلام يستعلي بالمؤمن ويربأ به أن يريق ماء وجهه، أو يفقد عزته بالسؤال، بل يأمره أن يلتمس أسباب العزة والكرامة من خلال استعفافه واستغنائه عن الناس وسعيه في طلب الرزق وأن يكون صاحب اليد العليا.

فحرى بالمؤمن أن يربي نفسه وأولاده وأهله وإخوانه على تلك القيم الأخلاقية النبيلة، ومن القيم الأخلاقية الرائعة التي أراد النبي ﷺ أن يعمقها في نفوس أصحابه وأمته قيمة الصبر والإعراض عن جعل الجاهلين، مثلما حدث في توزيع النبي ﷺ للغنائم يوم حنين وقول الرجل: والله إن هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ تغير وجهه ثم قال: فمن يعدل الله ورسوله؟ ثم قال: يرحم الله موسى فقد أوذي بأكثر من هذا فصبر.

ويتكرر موف آخر مع عمر رضي الله عنه حينما يدخل عليه عيينة بن حصن ويقول له: ((هِي يَا ابنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ بن قَيس: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيهِ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1]، وَإِنَّ هذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ رضي الله عنه حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تعالى)).

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
تقديم معالي الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء، عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي	٥
تقديم معالي أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي	١١
تقديم معالي الشيخ إبراهيم بن عبدالله الغيث الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - سابقاً -	١٧
التعريف بالإمام النووي رحمه الله كتبه شيخ الأزهر أ.د. محمد سيد طنطاوي	٢١
مقدمة رئيس الفريق العلمي أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار	٢٧
مقدمة الإمام النووي رحمه الله	٦٥
١-باب الإخلاص وإحضار النية	٧٠
الحديث رقم (١)	٧٠
الحديث رقم (٢)	٨٩
الحديث رقم (٣)	١٠٢
الحديث رقم (٤)	١١٦
الحديث رقم (٥)	١٢٦
الحديث رقم (٦)	١٣٥
الحديث رقم (٧)	١٥١
الحديث رقم (٨)	١٦٠
الحديث رقم (٩)	١٧٠
الحديث رقم (١٠)	١٧٨
الحديث رقم (١١)	١٨٨
الحديث رقم (١٢)	١٩٩
٢-باب التوبة	٢٢١
الحديث رقم (١٣)	٢٢١
الحديث رقم (١٤)	٢٢٨
الحديث رقم (١٥)	٢٣٨
الحديث رقم (١٦)	٢٤٧
الحديث رقم (١٧)	٢٥٤
الحديث رقم (١٨)	٢٦٠
الحديث رقم (١٩)	٢٦٢
الحديث رقم (٢٠)	٢٧٧
الحديث رقم (٢١)	٢٩٣
الحديث رقم (٢٢)	٣٢٣
الحديث رقم (٢٣)	٣٣٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٤)	٣٤٤
٣-باب الصبر	٣٥٦
الحديث رقم (٢٥)	٣٥٦
الحديث رقم (٢٦)	٣٧٦
الحديث رقم (٢٧)	٣٨٤
الحديث رقم (٢٨)	٣٩٥
الحديث رقم (٢٩)	٤٠٣
الحديث رقم (٣٠)	٤١٢
الحديث رقم (٣١)	٤٣٥
الحديث رقم (٣٢)	٤٤٦
الحديث رقم (٣٣)	٤٥٣
الحديث رقم (٣٤)	٤٦٢
الحديث رقم (٣٥)	٤٦٨
الحديث رقم (٣٦)	٤٧٨
الحديث رقم (٣٧)	٤٨٩
الحديث رقم (٣٨)	٥٠٠
الحديث رقم (٣٩)	٥٠٩
الحديث رقم (٤٠)	٥١٤
الحديث رقم (٤١)	٥٢٠
الحديث رقم (٤٢)	٥٣٤
الحديث رقم (٤٣)	٥٥٢
الحديث رقم (٤٤)	٥٦٢
الحديث رقم (٤٥)	٥٧٧
الحديث رقم (٤٦)	٥٨٤
الحديث رقم (٤٧)	٥٩٤
الحديث رقم (٤٨)	٦٠٠
الحديث رقم (٤٩)	٦٠٥
الحديث رقم (٥٠)	٦١١
الحديث رقم (٥١)	٦٢٢
الحديث رقم (٥٢)	٦٣٠
الحديث رقم (٥٣)	٦٤٠
فهرس المحتويات	٦٥٩

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثاني

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٩٦-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٩٦-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثاني

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٩٦-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٩٦-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٤- باب الصدق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[سورة التوبة:١١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾[سورة الأحزاب:٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[سورة محمد:٢١].

وأما الأحاديث:

الحديث رقم (٥٤)

٥٤- فَالأَوَّلُ: عَن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ ليصْدُقُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً، وإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفجُورِ وَإِنَّ الفجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يهدي: يرشد ويُدلُّ[2].

البر: أصله التوسع في فعل الخير وهو اسم جامع للخيرات كلها، ويطلق على العمل الخالص الدائم[3].

الفجور: أصل الفُجر: الشق. فالفجور شق ستر الديانة، ويطلق على الميل إلى الفساد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧/١٠٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣١٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٤٤).

(٢) الوسيط ٩٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٤/١٠، وانظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ٤٠، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي ٢٣١.

وعلى الانبعاث في المعاصي وهو اسم جامع للشر[1].

الشرح الأدبي

الصدق هالة من النور تحيط بالمؤمن الصدوق، وتنشر حوله أشعة من البهاء والوقار، وتمتد إلى من حوله فتضيء أنفسهم بالثقة والحبور، فالصدق -كما يرى العلماء- هو استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، بألا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله، والكذب ظلمة تغشى النفس فتحجب عنها مصادر النور، ومنابع الهدى، وتصيب حياة الإنسان بالاضطراب، وتنزع الثقة من كل عمل أو قول في مسيرته وصلاته بالناس.

وهذا الحديث الشريف يتصدر باب الصدق في رياض الصالحين، ويفوح عبيره، وتعبق زهوره، والنفس الإنسانية لا تجمل إلا بالصدق والإخلاص، صدق اللسان، وإخلاص النية. وصياغة الحديث اللغوية وتشكيله الأسلوبي يؤكدان أهمية الصدق ودوره في حياة الإنسان ومسيرته الدنيوية ومآله الأخروي. وكذلك يرشد إلى خطورة الكذب وأثره في تدمير العلاقات الاجتماعية وتشويه القيم الإنسانية.

ولو تأملنا الصياغة الأسلوبية في هذا الحديث تأملاً لا يفصل المبنى عن المعنى لاكتشفنا كثيراً من أسرار البيان النبوي، فالحديث يتكون من ست جمل لغوية، وهى تتصاعد في ترتيب منطقي وتنسيق جمالي، وكل جملة تبدأ بالتأكيد بحرف "إن"، ويتكرر هذا الحرف ست مرات، وكأن هذا التكرار تنبيه للمؤمن، وتحصين له من الانزلاق إلى هاوية الكذب والنفاق ومن التفريط في جوهرة الصدق التي تضيء له كل الدروب، وتحميه من النوازل والكروب.

والفعل "يهدي" معناه هنا: يوصل، وهو هنا قريب من الدلالة المألوفة وهى الهداية إلى الطريق الصحيح، أما في جانب الكذب فالفعل "يهدي"، لا يتجاوز مدلوله اللغوي وهو التوصيل؛ لأن الوصول للفجور ليس هداية وإنما زيغ وضلال، ولعل هذا التعبير من باب السخرية من ذلك الكذاب المنافق.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٥٢٤، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ٣٧٣، والوسيط ٦٧٤.

والبر: كلمة جامعة تشمل كل أنواع الخير من الأعمال الصالحة الخالصة من كل مذموم. ولذلك فإن "البر" هو الطريق إلى الجنة، وفيها النعيم المقيم السرمد الذي لا يزول، وقد كرر لفظ "البر" مرتين تأكيداً لأثره في إصلاح النفس، وإصلاح المجتمع والحياة بأسرها.

والأفعال في الحديث تتوالى في نسق لغوي منتظم: صيغة المضارع، إشارة إلى استحضار هذا السلوك الصادق في الحال، والاستقبال استحضاراً دائماً لا ينقطع بانقطاع السبب أو الدافع أو المؤثر.

والتعبير: بـ"حتى" في قلب هذه الجملة: "وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً" يفسر ديمومة هذه الصفة، ومعنى "يكتب" أي يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم. والمراد: إظهار ذلك للمخلوقين، فيلقي الله ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، كما يوضع له القبول.

وصيغة المبالغة: "في صدِّيقًا"، ترشد إلى جمال الصدق، وإلى أن من يحرص على هذه الصفة يهيئ الله له الأسباب للحفاظ عليها، واقتران الفعل، "يصدق باللام" بعد "إن" يضاعف التأكيد، ويكشف عن شدة حرص الإنسان على الصدق والمجاهدة في سبيله حتى ينال الجزاء الأوفى ويكتب عند الله صديقاً.

والجزء الثاني من الحديث يتكون من ثلاث جمل مثل الجزء الأول، ولكن القضية تختلف مع أن البناء اللغوي متشابه، والجمل متناسقة، ولكن "الكذب" هنا هو الخصلة الذميمة التي يحذر منها رسول الله ﷺ، وقد قُدِّم "الصدق" لشرفه ولأثره الإيجابي في الحياة، وأخرَ الكذب لأنه من أقبح الخصال، وأذم الفعال، وأردأ الأقوال.

ولعله جاء في ختام الحديث حتى يحذر المؤمن الصدوق من إغراءات الباطل ووسوسات الشياطين، ويظل متيقظاً خوف الوقوع في شرك الأكاذيب.

والكذب طريق إلى "الفجور" وهو الأعمال السيئة، وكلمة "الفجور"، تتسع دلالتها لتشمل كل أنواع السلوك السيئ والأعمال المشينة، والكذب هو الطريق الموصل إلى ذلك المهوى السحيق، والنفق العميق، والفجور -بكل ما يتضمنه من ضروب الإثم والرذيلة- يقود الإنسان إلى النار وبئس القرار.

والحديث في بنائه اللغوي يتضمن كثيراً من مظاهر الجمال الأسلوبي: ومن سمات الجمال الشمولية وهى السلامة من العيوب، والقصد، والتناسق، والتنظيم.

والحديث يبوح بكل هذه المظاهر الجمالية الأسلوبية، فهو خال من التعقيد اللفظي والمعنوي، وهو خال من تنافر الحروف والكلمات، وصياغته تسير وفق نظام مقصود، وتناسق في التراكيب وتنظيم في العبارات والأدوات.

والمقابلة في الحديث بين موقفين: موقف الصدق، وموقف الكذب، وكلاهما صيغ في ثلاث جمل، وكل جملة تبدأ "بإن" وبعدها المصدر "الصدق أو الكذب" ثم الطباق بين البر والفجور، والجنة والنار، والفعل: "ليصدق"، و"ليكذب" وكذلك الطباق بين صدِّيقاً وكذَّاباً وهما متوافقان في الصيغة النحوية والبلاغية، ولكن لكل منهما دلالة تخالف الدلالة الأخرى، والحديث دستور اجتماعي رشيد يضع أسس السلوك القولي والعملي، وكل حديث صحيح لم يرد ما ينسخه، وكان موضوعه جزءاً من رسالة النبي ﷺ بحيث أصبح في نهاية الأمر تعبيراً عن الإرادة الإلهية، هذا الحديث له في نظر المسلمين نفس السلطة التشريعية والأخلاقية التي للنص القرآني لأنها تنبع من تعاليمه[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الكذب.

فقد ذكر الفقهاء[2] أن الأصل في الكذب أنه حرام، وهو من الكبائر إن كان

---

(١) انظر: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، د. محمد عبدالله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: د. عبدالصبور شاهين.

(٢) انظر في ذلك: المبسوط، السرخسي ١٤٥/١٦، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤١/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الباجي ٣١٣/٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، العدوي ٤١٢/٢، وأنوار البروق، القرافي ٨/٤، وأدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٢٦١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٣٢٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٢١٤/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١١/١، ١٩، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني ١٣٤/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ٩٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٥/٣٤.

في شهادة زور لما فيه من القول بغير حق، وأنه ينبغي للمسلم أن يكون صادقاً في حديثه، وقد يكون الكذب مباحاً أو واجباً، فالكلام وسيلة إلى المقصود، وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، فإن لم يمكن تحصيله بغير الكذب جاز الكذب فيه، وهنا ينظر إن كان تحصيل المقصود واجباً كان الكذب واجباً كما لو اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وسئل إنسان عنه وجب الكذب بإخفائه، وإن كان المقصود مباحاً كان الكذب مباحاً، وإن كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو إصلاح الزوجة وتأليفها إلا بالكذب كان الكذب مباحاً، إلا أنه ينبغي أن يتحرز منه ما أمكن.

ومن الجدير بالذكر أن بعض العلماء، منهم الطبري قالوا: لا يجوز الكذب في شيء أصلاً، قالوا: وما جاء من الإباحة في هذا المرادُ به التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد.

ثانياً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدق.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الصدق طريق إلى الجنة ومرافقة النبيين.

خامساً: من موضوعات الدعوة: ذم الكذب وبيان عاقبته.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضيلة الصدق وحسن عاقبته كما أخبر ﷺ عمن قبح الكذب وسوء عاقبته، وقد أكدّ هذا الإخبار ليكون أوقع عند المخاطب سواءً المصدق بذلك أو المنكر، فيزداد الأول صدقًا على صدق، أما الآخر فقد يصير كالأول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٣.

مصدقاً وإلا فقد أقيمت عليه الحجة.

ثانياً- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم:

والداعية وهو يفعل ذلك يقتدي بالنبي ﷺ، كما يظهر جليًا في هذا الحديث الشريف، فقد بيّن النبي ﷺ فضل الصدق ومذمة الكذب، والغرض من ذلك توجيه أتباعه إلى التحلي بالصدق فهو نافع لهم، وثمرته مرضيته، والابتعاد عن الكذب فهو ضار بهم ضررًا بالغًا في الدنيا والآخرة ويتبع ذلك الاقتداء ويليه اهتمام الداعية بمن يدعوهم ويخاف عليهم مع بذل المستطاع في دعوتهم إلى الله، وتغيير واقعهم إلى ما هو أفضل وأرقى انطلاقاً من السجية التي ينبغي أن تكون ملازمة للداعية، وهي حب الخير التي تنمّ عن كرم النفس وصفاء القلب وسلامته من مساوئ الأخلاق وردئ الخلال، وتلك هي بغية الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء عليهم السلام قال تعالى عن شعيب وما قاله لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1].

قال القاسمي: (قوله: "إن أريد الإصلاح ما استطعت" أي: إصلاح نفوسكم بالتزكية، والتهيئة لقبول الحكمة، ما دمت مستطيعاً متمكناً منه. "وما توفيقي إلا بالله" أي: وما كوني موفقاً للإصلاح إلا بمعونة الله وتأييده. "عليه توكلت" أي: أعتمد "وإليه أنيب" أي: أرجع في السراء والضراء)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدق:

جاء في صريح الحديث بيان فضل الصدق والتخلق به، فقال ﷺ "إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً"، قال القاضي عياض: (قوله: "إن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب عند الله كذاباً": فيه تحريض على تحري الصدق وتجنب الكذب وترك التساهل فيه؛ فإن ذلك يؤدي إلى أمثاله، ويقع فيه ويكثر منه إذا لم

---

(١) سورة هود، آية: ٨٨.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٦/٩/٢٦٣.

يتحفظ من الكذب حتى يعرف به، ويكتب عند الله بالمبالغة في الصدق إذا اعتاده، أو بالكذب إذا اعتاده، فإن فعيل وفعال من "صديق وكذاب" من أبنية المبالغة والكثرة. ومعنى كتبنا هنا: أي حكم عليه وله بذلك وحق له منزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم. وقيل في قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ أي حكم، ويكون هذا إظهار حكمه فيها وإنفاذ قدره له بالشقاوة والسعادة بمقتضى الصفتين، أو كتب ذلك في كتاب ليشهر بالصفتين في الملأ الأعلى، أو يلقى ذلك في ألسنة الناس، كما يوضع القبول والبغضاء، وإلا فقضاؤه المتقدم وكتابه السابق قد سبق فيه بما كان ويكون فيه هذا.

وقوله: "وإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار"، معناه: أن الصدق يهدي إلى البر بالعمل الصالح الخالص من الإثم. والبر اسم جامع للخير كله، وقيل: البر: الجنة وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ ويوصل إليه، والبر يوصل إلى الجنة ويرشد إليها، والكذب يوصل إلى الفجور وأصله الميل عن القصد، وقيل: الانبعاث في المعاصي، ومنه قيل للفاجر: كاذب، وللمكذب بالحق: فاجر. ومعنى: "يتحرى الصدق ويتحرى الأدب": أي يقصده ويعتمده، والحرى: ناحية الشيء)[1].

إن الصدق من الصفات التي لا تكمل شخصية المسلم إلا بها، وقد أمرنا الله بالتزام الصدق والتخلق به، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]. أي: كونوا مع الصادقين والتزموا انتهاجهم الصدق في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خالية من

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٨١ - ٨٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

الكسل والفتور سالمة من المقاصد السيئة مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة[١]، فالصدق ينبغي أن تصبغ به حياة المسلم كلها بلا استثناء في الأقوال والأفعال والأحوال، قال ابن القيم: (والصدق ثلاثة: قول وعمل وحال:

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقته)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الصدق طريق إلى الجنة ومرافقة النبيين:

جاء ذلك وضحاً في صريح قوله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة» أي أن الصدق يهدي ويوصل إلى البر وهو اسم جامع للخيرات كلها ويطلق على العمل الخالص الدائم، وإن البر بدوره يهدي إلى الجنة، قال ابن بطال: مصداقه في كتاب الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[٣]، [٤]، فالصدق يهدي إلى كل عمل صالح خالص من كل مذموم[٥]، فإذا لازم الإنسان الصدق وأخذ نفسه به فإنه يتعوده حتى يصير صديقاً يصدق قوله ويصدق فعله ويصدق حسه وشعوره، ويقوده الصدق وملازمته إلى كل صفة خير وهي البر فيسمو في كل سلوكه وتصرفاته ويصل باستقامته إلى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٨١/٢.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣ .

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٤/١٠.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٤.

الجنة[١]، ومعية النبيين والشهداء المنعم عليهم من قبل الله والمغدق عليهم بفيض رحمته وكريم عطائه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: ذم الكذب وبيان عاقبته:

جاء في الحديث بيان أن الكذب مدعاة لسيء الأخلاق والأعمال، وأنه طريق إلى النار -والعياذ بالله- فقال ﷺ: "وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"، فالكذب يوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة، وقيل الانبعاث في المعاصي[٣].

وفي المعنى جاءت نصوص كثيرة ومنها ما بيَّن بأن الكذب من خصال النفاق وشيم المنافقين، فقال ﷺ: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر))[٤].

فالكذب إذا لازم الإنسان فإنه يسوقه إلى كل شر فيتوصل بذلك إلى النار[٥]، لهذه الأسباب وغيرها عد العلماء الكذب من الكبائر، فذكر الإمام ابن حجر الهيتمي والإمام الذهبي الكذب -الذي لا رخصة فيه- من الكبائر، وأفحش الكذب ما كان

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص٧١.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم، ٥٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٧١.

كذباً على الله عز وجل أو كذبا على رسوله ﷺ[١] إضافة إلى مايؤدي إليه الكذب من مضار سواء أكان على مستوى الأفراد أو على مستوى المجتمعات، فهو وسيلة لدمار صاحبه أمما وأفراداً، ويورث فساد الدين والدنيا، ناهيك عما يصيب صاحبه من خسة ودناءة وذهاب للمروءة والجمال والبهاء[٢]، فالإنسان المشتهر بالكذب يسقط اعتباره وتذهب مهابته، ويصبح هملاً في سقط المتاع[٣].

إن الكذب من الأخلاق المرذولة، والصفات القبيحة، وهو عنوان سفه العقل، وآية سقوط الهمة، وخبث الطوية، والكذاب مهين النفس بعيد عن عزتها المحمودة، قال الماوردي: "والكذب جماعُ كل شر، وأصل كل ذم، لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنه ينتج النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تؤول إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

ولذلك قيل: من قلّ صدقه قلّ صديقه"[٤].

ومن مظاهر الكذب المحرمة: الكذب على الله ورسوله ﷺ والكذب لإفساد ذات البين والكذب لإضحاك السامعين، والكذب في المطالبات والخصومات والكذب للتخلص من المواقف المحرجة. ومن مظاهر الكذب -أيضاً- نقل الأخبار الكاذبة وحذف بعض الحقيقة والتوسع في باب المصلحة والمبالغة في المعاريض والتملق لأرباب الثراء والجاه والكذب على الأولاد ونحو ذلك[٥].

---

(١) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ابن حجر الهيتمي، ص ١٢٤-١٢٥، والكبائر، الذهبي، ص ١٢٨-١٣٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ١١/٥٤٣٠.

(٣) أخلاقية الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ١٦-١٧.

(٤) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٢٦٢.

(٥) انظر: سوء الخلق "مظاهره - أسبابه - علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٤٥ - ٤٦.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يتضح ذلك في الحديث من خلال ترغيب الرسول ﷺ في الصدق بأنه يهدي بصاحبه في النهاية إلى الجنة، وترهيبه من الكذب ببيان سوء عاقبته وأنه يسوق صاحبه إلى النار والعياذ بالله إن أسلوب الترغيب والترهيب من أنفس الأساليب الدعوية لما له من أثر بالغ في النفوذ إلى القلوب وانقياد المدعوين وقبولهم لما يزجى إليهم من قبل الداعية، فالترغيب في الثواب والترهيب من العقاب يحملان النفس على فعل ما أمر الله به سبحانه وتعالى وترك ما نهى عنه، فالترغيب يشوق النفس ويعلي الهمة، والترهيب يخيف ويحذر من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، لذا كان على الداعية إتباع أسلوب الترغيب والترهيب وعدم تركهما أو التركيز على أحدهما دون الآخر فهما كجناحى طائر لا يطير إلا بهما معاً.

ولا شك أن للترغيب والترهيب آثارًا واضحة في نفوس المدعوين، مما يجعل الداعية حريصًا على الإفادة من ذلك في تعامله وتوجيهه وإرشاده للمدعوين.

الحديث رقم (٥٥)

٥٥- الثَّاني: عَنْ أبي مُحَمَّدٍ الْحَسنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ، رضي الله عنهما، قَالَ حفِظْتُ مِنْ رسولِ اللّه ﷺ: «دَعْ ما يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمأنينَةٌ، وَ[1] الْكَذِبَ رِيبةٌ» رواه التِرْمذي وقال: حديثٌ صحيحٌ[2].

ترجمة الراوي:

الحسن بن علي بن أبي طالب: الإمام السيد، ريحانة رسول الله ﷺ وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أمير المؤمنين ولد بالمدينة المنورة في شعبان سنة ثلاثٍ من الهجرة وقيل في نصف رمضانها، ولما ولد رضي الله عنه، جاءه النبي ﷺ، فقال ((أروني ابني، ما سمَّيتُموه؟)) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حرب، فقال النبي ﷺ ((بل هو حسن))[3]، (وعقَّ عنه النبي ﷺ بكبش)[4]، وكان الحسن عاقلاً، حليماً، محباً للخير، فصيحاً، من أحسن الناس منطقاً وبديهة، وكان شبيهاً برسول الله ﷺ، فقد صلى أبوبكر رضي الله عنه العصر يوماً ثم قام وعليٌّ رضي الله عنه يمشيان، فرأى الحسن رضي الله عنه يلعبُ مع الغلمان، فأخذه أبوبكر رضي الله عنه، وحمله على عنقه، وقال: بأبي شبيه بالنبي: ليس شبيهاً بعلي، وعلي رضي الله عنه يضحك[5].

أحبه النبي ﷺ ودعا لمن أحبَّه ((اللهم إني أحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ مَنْ يحبُّه))، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فما كان أحدٌ أحبَّ إلي من الحسن بن علي بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال[6].

---

(١) عند الترمذي زيادة: (إنَّ).

(٢) أخرجه الترمذي (٤٣١٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصحّحه ابن خزيمة (٢٣٤٨)، وابن حبان (الإحسان ٧٢٢)، وقال الحاكم (١٣/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص (٩٩/٤): سنده قويٌّ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٩١). وسيكرره المؤلف برقم (٥٩٣).

(٣) أخرجه أحمد ٩٨/١ رقم ٧٦٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٥٩/٢.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٤١) وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٤٦٦).

(٥) أخرجه البخاري ٣٥٤٢، ٣٧٤٢.

(٦) أخرجه البخاري ٢١٢٢، ٥٨٨٤ واللفظ له، ومسلم ٢٤٢١.

وقال عبدالله بن الزبير رضي الله عنه: رأيتُ الحسن يأتي النبي ﷺ، وهو ساجد، فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته يجئ وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[١].

وقال النبي ﷺ: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[٢].

وقد بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سنة ٤٠هـ، وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فأطاعهم وزحف بمن معه وبلغ معاوية رضي الله عنه خبره، فقصده بجيشه، وتقارب الجيشان في موضع يقال له "مسكن" بناحية من الأنبار، فكره الحسن رضي الله عنه أن يقتتل المسلمون وقال: قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربتُ ويسالمونَ من سالمتُ، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ، فكتب إلى معاوية يشترط شروطاً للصلح ورضى معاوية، فخلع الحسن رضي الله عنه نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية رضي الله عنه سنة ٤١هـ وسمى هذا العام "عام الجماعة" لاجتماع كلمة المسلمين. وتحقق قول النبي ﷺ الذي قال فيه ((إن ابني هذا سيّدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين))[٣]، وانصرف الحسن رضي الله عنه إلى المدينة حيث أقام إلى أن توفي. ويوم أن مات الحسن رضي الله عنه بكى أبو هريرة ونادى بأعلى صوته: يا أيها الناس مات اليوم حِبُّ رسول الله ﷺ، فابكوا فبكى الناس نساءً وصبياناً ورجالاً.

واختلف في سنة وفاته فقيل مات سنة ٤٩هـ، وقيل ٥٠هـ، وقيل ٥١هـ، وقيل غير ذلك، ودفن بالبقيع[٤].

---

(١) قال محققو السير: إسناده ضعيف، السير ٢٤٩/٣ هامش (٣).

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٨١ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٧٥).

(٣) مجمع الزوائد ١٧٥/٩.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١٧٩-١٨٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٣/٢-٢١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٢٧٤-٢٧٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٤٣/٢-١٥٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٠٣/١-٤٠٦)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٤٥/٣-٢٧٩)، والأعلام، الزركلي (١٩٩/٢-٢٠٠)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣٩٢/١-٤٠١).

غريب الألفاظ:

دعْ ما يَريبُك إلى ما لا يريبُك: دع ما تشكُّ فيه إلى ما لا تشك فيه، أو عليك بالصافي من الأمور ودع المشتبه منها[١].

رِيبَة: ترتاب به القلوب فلا تسكن إليه، بل تنفر منه[٢].

الشرح الأدبي

جاء هذا الحديث عبارته موجزة، وألفاظه سهلة، ومعانيه واضحة الدلالة، ولكنها تتسع وتمتد لتشمل كثيراً من الأمور التي تحير الإنسان، وما أكثرها وما أدَقها: في العبادات، والمعاملات والعقائدّ وعن ابن مسعود قال: ما تريد إلى ما يريبك وحولك أربعة الآف لا تريبك؟ وقال عمر: دعوا الربا والريبة، يعني ما ارتبتم فيه وإن لم تتحققوا أنه ربًا.

ومعنى هذا الحديث يرجع إلى الوقوف عند الشبهات واتقائها، فإن الحلال المحض لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب، وهو القلق والاضطراب، بل الحلال تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب، والموجب للشك[٣].

والحديث يتكون من ثلاث جمل واضحة مختصرة : الجملة الأولى تتكون من ثلاثة أفعال وتتنوع. فالفعل الأول: "دع"، وهو فعل أمر بمعنى اترك، والأمر للوجوب، وقيل للندب، لأن توقي الشبهات مندوب على الأصح، والأمر موجه إلى كل مسلم مؤمن حريص على الالتزام بأوامر الشرع ونواهيه، والأمر بذلك موجه إلى ملايين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والفعل الثاني، مضارع مثبت، "يريبك"، والفعل الثالث: مضارع منفي، ومن أسرار التعبير في هذا الحديث الشريف أن الفعل الأول المثبت هو الذي يأمرنا الرسول بتركه وهو ما يتحقق فيه الريب والشك، أما الفعل المنفي "لا

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ي ب)، ورياض الصاحلين ٧٠.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٨٤، ٢٨٥.

(٣) المرجع السابق ١/٢٨٠.

يريبك"، فهو الذي يأمرنا الرسول بالإقدام عليه وفعله في أي ميدان كان، وفي أي زمان، وفي أي مجال، وكاف الخطاب تتعدى دائرة المخاطب الفرد إلى المخاطبين من جميع أمة الإسلام الذين يحرصون على النجاة والطمأنينة.

- والجملتان الثانية والثالثة: تجيئان في الصيغة الإخبارية المؤكدة وهما جملتان اسميتان ثابتتان في الدلالة غير مرتبطتين بزمن لأنهما قاعدتان من قواعد الخلق الإسلامي، فإن الصدق طمأنينة، والصدق هنا صدق نفسي وشعوري وعملي، والكذب مع النفس وعدم تصديق الإحساس يعد ترسيخا للشك والإثم، فرسول الله في هذا الحديث يرشد إلى التحلي بالصدق والبعد عن الكذب.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

ترك ما فيه ريبة، والريبة هي الشك والتردد، وترك ما فيه ريبة أصل عظيم في الورع، يقول الخطابي: كل ما شككت فيه فالورع اجتنابه، ثم هو على ثلاثة أقسام واجب ومستحب ومكروه، فالواجب اجتناب ما يستلزمه ارتكاب المحرم، والمندوب اجتناب معاملة من أكثر ماله حرام، والمكروه اجتناب الرخص المشروعة على سبيل التنطع[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: الاهتمام بسنة النبي ﷺ.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الأخذ بجانب الحيطة والوقوف عند الشبهات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الورع.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٩٣/٤، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧/٧، سبل السلام، الصنعاني ١٥٢/٤، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩٦/٢٣.

خامسًا: من آداب الدعوة: البعد عن الشبهات والتيقن في الأمور.

سادساً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدق وشناعة الكذب.

سابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب والترهيب.

أولاً- من واجبات المدعو الاهتمام بسنة النبي ﷺ:

(السنة كل ما أثر على الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، وهي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع، وعلل النفوس ومشكلات الحياة، وضروب الإصلاح وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم، كما أنه ينبوع بل ينابيع الخلق والمثل، ومكارم الأخلاق التي تتزود منها الإنسانية طول فترة بقائها على وجه هذه المعمورة وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها...، وهي كذلك أساليب للتربية وخطوات للتوجيه...، فضلاً عن أنها منهل للعلم النافع، والفكر الصائب، والزاد الطاهر...، فهي العطاء الغامر والفيوضات الكريمة التي يحتاجها كل مسلم وينتفع بها كل بشر في هذا العالم المضطرب المائج بالأهواء والفتن والحروب والإحن)[1].

وقد كان في سلف الأمة الصالح القدوة والأسوة في الاهتمام بسنة النبي ﷺ (فهاهو ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)[2]، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[3]، وقد ورد هذا الاهتمام بسنة

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١٢٧-١٢٩.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢١٣/٣.

(٣) المرجع السابق ١١٢/٣.

النبي ﷺ في الحديث من قول الصحابي: "حفظتُ من رسول الله ﷺ"، وما ذلك إلا امتثالاً لأمر النبي ﷺ ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[1] ورغبةً في أن يكون ممن دعا لهم النبي ﷺ بقوله: ((نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ))[2] وفي ذلك مسلكاً لحفظ سنة النبي ﷺ وتبليغها إلى الغير فيحصل بذلك كامل الأجر والفائدة. وهكذا استمر حفظ سنة النبي ﷺ عبر الأجيال والأزمان، ومما لا شك فيه أن المدعوين تختلف استعداداتهم لحفظ السنة، ولكن المتفق عليه هو العمل بها وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة وإخراجها من بطون دواوين السنة إلى الحياة حاكمة ومطبقة.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الأمر:

لقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث في أمره ﷺ بترك كل ما فيه شك وشبهة والأخذ بكل ما تسكن إليه النفس وتطمئن وذلك في قوله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". وأسلوب الأمر من الأساليب المباشرة للحث على الامتثال والإذعان، وكان هذا مناسباً للابتعاد عن الشبهات، واجتناب كل ما هو مشكوك فيه، والأخذ بما ليس فيه شك أو ريبة. ومما لاشك فيه أن الأمر من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على إرشاد المدعو وتوجيهه إلى فعل ما يجب عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٦) وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩).

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الأخذ بجانب الحيطة والوقوف عند الشبهات:

مما لا شك فيه أن المؤمن يحتاط لنفسه ويقف عند الشبهات ويتقيها وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك (فالحلال المحض لا يحصل للمؤمن في قلبه منه ريب -والرَّيْبُ بمعنى القلق والاضطراب- بل تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك)[١].

وقد رغب النبي ﷺ في ترك الشبهات واتخاذ الحيطة والورع ورهب من الوقوع فيها فقال: ((إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[٢] وقد كان ﷺ يقول: ((إني لأنقلِبُ إلى أهلي، فأجِدُ التمرةَ ساقطةً على فِراشي فأرفعُها لآكلَها، ثمَّ أخشَى أن تكونَ صدَقةً فأُلقيها))[٣] وقال عمر رضي الله عنه: (دعوا الربا والريبة، يعني: ما ارتبتم فيه، وإن لم تتحققوا أنه رباً)[٤].

وقد خرَّج ابن جرير بإسناده عن بشير بن كعب أنه قرأ قول الحق تبارك وتعالى ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾[٥] فقال لجارية له: إن دريتِ ما مناكبها فأنتِ حُرّة لوجه الله، فقالت: إن مناكبها جبالُها. فكأنما سُفع في وجهه، ورَغِبَ في جاريته، فسألهم، فمنهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء فقال: (الخير طمأنينة، والشر ريبة، فذَرْ ما

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/ ٢٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢، ٢٠٥١، ومسلم ١٥٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٢، ومسلم ١٠٦٩.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب ١/ ٢٨٠.

(٥) سورة الملك، آية: ١٥.

يريبك إلى ما لا يريبك)[١]، وبذلك يتحقق اطمئنان القلب وسكون النفس وكفى بذلك فائدة وكفي بذلك مغنمًا.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الورع:

إن الورع من أصول الدين وقواعده، ومن صوره ترك ما يشك المسلم فيه، وهذا مفهوم من عموم الحديث: قال ابن حجر: (والمعنى إذا شككت في شيء فدعه، وترك ما يشك فيه أصل عظيم في الورع)[٢]، وقال ابن تيمية: (والورع من قواعد الدين)[٣].

وقال أبو عبدالرحمن العمري الزاهد: "إذا كان العبد ورعاً ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه". وقال حسان بن أبي سنان: ما شيء أهون من الورع إذا رابك شيء فدعه. وهذا إنما يسهل على مثل حسان.

قال ابن المبارك: كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: إن قصب السكر أصابته آفة، فاشتر السكر فيما قِبَلَك. فاشتراه من رجل، فلم يأت عليه قليل فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً، قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا إن غلامي كان كتب إليّ فلم أعلمك. فأقلني فيما اشتريت منك، فقال له الآخر: قد أعلمتني الآن وقد طيبته لك، قال: فرجع فلم يحتمل قلبه فأتاه فقال: يا هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب أن تسترد هذا البيع، قال: فما زال به حتى رد عليه)[٤].

وقال البغوي: (وجملة الشبه العارضة في الأمور قسمان: أحدهما هو ما لا يعرف له أصل في تحليل ولا تحريم. فالورع تركه. والثاني أن يكون له أصل في التحليل أو التحريم، فعليه التمسك بالأصل، ولا ينزل عنه إلا بيقين علم، وذلك مثل الرجل الذي يتطهر للصلاة ثم يشك في الحدث، فإنه يصلي ما لم يعلم الحدث يقيناً، وكذلك الماء يجده في الفلاة يشك في نجاسته، فهو على أصل الطهارة. فعليه التمسك به حتى لا يقع

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري ١٢٨/٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٣/٤.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٧٤/١٥.

(٤) المرجع السابق ٢٨٠/١.

في الوسواس... وإن كان أصله الحظر مثل أن يشك في نكاح امرأة أو شراء جارية أو في لحم شاة أنها مذكاة أو ميتة. فلا يحل له شيء منها حتى يتيقن المِلْك والذكاة. وكذلك لو اختلطت امرأته بنساء أجنبيات أو مذكاة بميتات يجب عليه أن يتجنب أكلها حتى يعرف الزوجة والمذكاة بعينها)[١].

خامساً- من آداب المدعو: البعد عن الشبهات والتيقن في الأمور:

إن البعد عن الشبهات يورث الطمأنينة والسكينة، لذا فإن على المدعو أن يبتعد عما يشك فيه ويرتاب، حتى يحفظ دينه، وهذا واضح من عموم الحديث، وفي الحديث زيادة عند الترمذي: ((فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة))[٢]، ولفظ ابن حبان: ((الخير طمأنينة والشر ريبة))[٣].

قال ابن تيمية: (فجعل الطمأنينة ضد الريبة وكذلك اليقين ضد الريب، واليقين يتضمن معنى الطمأنينة والسكون)[٤].

وقال البغوي: (نوع من الاشتباه أن يقع للرجل حادثة يشتبه عليه وجه الحكم فيها بين الحل والحرمة، فسبيله إن كان عالماً أن يجتهد، وإن كان عامياً أن يسأل أهل العلم، ولا يجوز له سبيل الاستباحة من غير اجتهاد أو تقليد مجتهد إن كان عامياً)[٥].

وقد نبه ابن تيمية على مداخل للغلط في فهم الورع فقال: ·يقع الغلط في الورع من ثلاث جهات:

أحدها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام لا في أداء الواجب، فترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة ومع هذا يترك أموراً واجبة عليه من صلة الرحم وحق جار ومسكين وابن سبيل

---

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش ٨/١٥-١٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥١٨.

(٣) أخرجه ابن حبان ٧٢٢.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣/٣٣٨.

(٥) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش ٨/١٦.

ونهي عن منكر وأمر بمعروف، وعن الجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم مما وجب عليه ... وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار.

الثانية: إن كثيراً من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوي تحريمها في نظره واشتباهها عنده ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، مبناها على الورع الفاسد. كحال أهل الوسوسة في النجاسات، وورع قوم يعدون غالب أموال الناس أو كلها محرمة أو مشتبهة، ولهذا يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلح.

الثالثة: جهة المعارض الراجح، فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضي تركه فيلحظه المتورع، ولا يلحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح وبالعكس. وقد تبين أن من جعل الورع: الترك فقط، وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم وأعرض عما فوتوه بورعهم من الحسنات الراجحة، فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه، فإنه قد يعيب أقواما هم إلى النجاة والسعادة أقرب)[1].

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ذكر قاعدة فقهية هي من القواعد الفقهية الكبرى، وهي قاعدة: "اليقين لا يزول بالشك"، قال أحمد الزرقا: (إن هذه القاعدة من أمهات القواعد التي عليها مدار الأحكام الفقهية، وقد قيل: إنها تدخل في جميع أبواب الفقه، والمسائل المخرجة عليها، من عبادات ومعاملات وغيرها، يبلغ ثلاثة أرباع علم الفقه. ومعناها أن ما كان ثابتاً متيقناً لا يرتفع بمجرد طروء الشك عليه، لأن الأمر اليقيني لا يعقل أن يزيله ما هو أضعف منه بل ما كان مثله أو أقوى.

هذا ولا فرق بين أن يكون السابق مقتضياً للحظر أو مقتضياً للإباحة، فإن العمدة عليه في كلتا الحالتين، ولا يلتفت إلى الشك في عروض المبيح على الأول وعروض الحاظر على الثاني.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٠/٢٤٢-٢٤٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٣/١١٠-١١٢.

فمن القسم الأول: ما لو غاب إنسان غيبة منقطعة بحيث لا يعلم موته ولا حياته فإن المعتبر اليقين السابق وهو حياته إلى أن يعلم موته بالبينة أو بموت جميع أقرانه وإن كان احتمال موته قائماً في كل لحظة. فلا يجوز قبل ذلك قسمة ماله بين الورثة، ولو كان له وديعة عند آخر فيجب على المستودع حفظها، فلو أعطاها للورثة يكون ضامناً.

ومن القسم الثاني: ما إذا كان إنسان يعلم أن بكراً مديون لعمرو بألف مثلاً. فإنه يجوز له أن يشهد على بكر بالألف وإن خامره الشك في وفائها أو في إبراء الدائن له عنها، إذ لا عبرة للشك في جانب اليقين السابق.

ومنها ما إذا كان يعلم أن العين الفلانية كانت ملك بكر ثم نازعه فيها أحد، فإنه يجوز له أن يشهد لبكر بأن العين ملكه وإن كان يحتمل أنه باعها لمن ينازعه)[1].

سادساً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدق وشناعة الكذب:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "الصدق طمأنينة والكذب ريبة"، فالصدق تطمئن له النفوس الكريمة وهو دعامة الفضائل ودليل الكمال، وبه وصف الحق تبارك وتعالى نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[2] وقال ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾[3] وهو وصف الأنبياء والمرسلين وبه أمر الحق عباده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4]. وبه تتحقق راحة الضمير، وطمأنينة النفس، والزيادة في الخير والبركة في الكسب؛ وذلك لقوله ﷺ ((البَيِّعانِ بالخيارِ مالم يَتفرَّقا، فإن صَدَقا وبَيَّنا بورِكَ لهما في بيعِهما))[5]، وبالصدق يتحقق الفوز بمنزلة الشهداء، لقوله ﷺ

---

(١) شرح القواعد الفقهية ٨١-٨٢، وانظر: جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي ٢٢٩/١-٢٣٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٥٣٢، ومسلم ١٥٣٢.

((مَنْ سَأَلَ اللّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ، بَلَّغَهُ اللّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ))[١] وفي ذلك دعوة إلى تحري الصدق وبيان عظيم فضله.

أما الكذب فبه الريبة والاضطراب، وقد قبحه الإسلام، ونفّر منه، وجعله من خصال الكافرين، فقال جل شأنه ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[٢] وبيّن الحق تبارك وتعالى سوء عاقبة الكذب فقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾[٣]. وقال ﷺ: ((وإيَّاكم والكذِبَ، فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلَى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلَى النَّارِ وَمَا يزَالُ العبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً))[٤].

(ومن هنا كان العقلاء في عهد النبي ﷺ إذا سمعوا كلامَه وما يدعو إليه، عرفوا أنه صادق، وأنه جاء بالحق، وإذا سمعوا كلام مسيلمة، عرفوا أنه كاذب، وأنه جاء بالباطل، وقد رُوي أن عمرو بن العاص سمعه قبل إسلامه يدَّعي أنه أنزل عليه: يا وبر يا وبر، لك أذنان وصدر، وإنك لتعلم يا عمرو، فقال: والله إني لأعلم أنك تكذب. فينبغي على المرء ألا يعتمد على قول كل قائل...، وإنما يعتمد على قول من يقول الصدق، وعلامة الصدق أنه تطمئن به القلوب، وعلامة الكذب أنه تحصل به الريبة، فلا تسكن القلوبُ إليه، بل تنفر منه)[٥].

سابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب والترهيب:

التوكيد من الأساليب الدعوية الهامة في تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قوله ﷺ "فإن الصدق طمأنية،

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٩).

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٥.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٠٧، ومسلم ١٨٠٩ واللفظ له.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٨٥.

والكذب ريبة" مؤكداً ﷺ على أهمية الصدق وشناعة الكذب.

أما الترغيب والترهيب، فهو أسلوب دعوي ناجع للنفس البشرية في تقويمها لقبول الحق والبعد عن كل ضيق وعذاب وهذا ما ورد في هذا الحديث من ترغيبه ﷺ في الصدق وترهيبه من الكذب بقوله "فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة، (والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة)[1].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

الحديث رقم (٥٦)

٥٦- الثَّالثُ: عنْ أبي سُفْيانَ صَخْرِ بْنِ حَربٍ ﷺ. في حديثِه الطَّويلِ في قِصَّةِ هِرقْلُ، قَالَ هِرقْلُ: فَماذَا يَأْمُرُكُمْ يعْني النَّبيَّ ﷺ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يقول «**اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لا تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً، واتْرُكُوا ما يَقُولُ آباؤُكُمْ، ويَأْمُرنَا بالصَّلاةِ[1] والصِّدقِ، والْعفَافِ، والصِّلَةِ**». متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو سفيان صخر بن حرب: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الأموي القرشي، اشتهر بكنيته (أبو سفيان) وكان يكنى بأبي حنظلة بابنه حنظلة المقتول يوم بدر مشركاً، ولد قبل الفيل بعشر سنين، فكان أسنّ من النبي ﷺ بعشر سنين، وعاش بعده عشرين سنة، وهو والد أم حبيبة زوج النبي ﷺ، قال الزبير بن بكار: وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، زوّجه إياها النجاشي، فقيل لأبي سفيان: إن محمداً قد نكح ابنتك، قال: ذاك الفَحْل لا يُقْرع أنْفُه، يعني أنه كريم لا يرد.

وكان من أشراف قريش وساداتها، ومن الشجعان الأبطال، وكان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم، وكان أحياناً يخرج بنفسه، وكانت إليه راية الرؤساء المعروف بالعقاب، وكان لا يحبسها إلا رئيس، فإذا حميت الحرب اجتمعت قريش، فوضعت تلك الراية بيد الرئيس، وكان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره، قاد قريشاً وكنانة يوم أحد، ويوم الخندق لقتال رسول الله ﷺ، أسلم يوم الفتح، وقصة إسلامه يوم الفتح مشهورة كما جاء في حديث العباس بن عبدالمطلب أنه أتى به وقد أردفه خلفه يوم الفتح إلى رسول الله ﷺ وسأله أن يؤمنه... فشهد وأسلم، ثم سأل له العباس رسول الله ﷺ -أن يؤمن من دخل داره، وقال إنه رجل يحب الفخر والذكر فأسعفه رسول الله ﷺ في ذلك، وقال ((من

---

(١) عند البخاري زيادة: (والزكاة).

(٢) أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣/٧٤).

دخل دار أبي سفيان فهو آمن...))[١] فأبو سفيان نال شرف الصحبة وقبلها شرف المصاهرة، وغفر الله ما كان منه، والله يغفر لمن يشاء وهو أرحم الراحمين.

شهد حنيناً، وأعطاه النبي ﷺ من غنائمها مائة بعير، وأربعين أوقية وَزَنها له بلال، وأعطى ابنيه يزيد ومعاوية، وفقئت عين أبي سفيان يوم الطائف فلم يزل أعور حتى فقئت عينه الأخرى يوم اليرموك، أصابها حجر فشدخها فَعمِيَ، وكان في المعركة ذاتها يقف على الكراديس[٢] فيقول للناس: الله الله فإنكم دارة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم دارة الروم وأنصار المشركين، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك.

قال الذهبي: (وشهد قتال الطائف فقلعت عينه حينئذٍ ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك، وكان يومئذٍ قد حسن إن شاء الله إيمانه، فإنه كان يومئذ يحرِّض على الجهاد ... فإن صحَّ هذا عنه فإنه يغبط بذلك، ولا ريب أن حديثه عن هرقل وكتاب النبي ﷺ يدل على إيمانه، ولله الحمد).

وكان عمر يحترمه وذلك لأنه كان كبير بني أمية.

أما عن صفاته الخَلْقية: فكان رَبْعة دَحْدَاحاً[٣] ذا هامة عظيمة.

مات سنة (٣١) وقيل (٣٢)، وقيل (٣٣)، وقيل (٣٤)، في خلافة عثمان بن عفان، وصلى عليه ابنه معاوية، وقيل: بل صلى عليه عثمان بموضع الجنائز، ودفن بالبقيع، مع بقية صحابة رسول الله ﷺ، وهو ابن (٨٨) سنة وقيل (٩٣) سنة[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني ٧٢٦٤، والبيهقي في الدلائل ٣٢/٥، وسنده حسن، فإن فيه ابن إسحاق وقد صرّح بالتحديث، وقوله ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن" أخرجه مسلم ١٧٨٠.

(٢) الكراديس: واحدتها: الكردوسة: وهي الطائف العظيمة من الخيل والجيش، الوسيط في (ك ر د س).

(٣) الدحداح هو القصير السمين، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير لابن الأثير ص (٢٩٨). والرجل والمرأة "الربعة" وسيط القامة، الوجيز في (ر ب ع).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٨١٣، ٨١٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٩/٣، ١٠، ١٤٤/٦، ١٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦٠٣، وسير أعلام النبوة ١٠٥/٢-١٠٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٤٤٢/٣، ٤٤٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٠٤/٢، ٢٠٥، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠١/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٠٤٣/٢-١٠٤٦.

غريب الألفاظ:

هرقل: ملك الروم وهرقل اسمه ... ولقبه: قيصر، كما يُلقب ملك الفرس: كسرى[(١)].

العفاف: الكف عما لا يحل ولا يجمل من قول أو فعل[(٢)].

الصلة: صلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يوصل[(٣)].

الشرح الأدبي

إن مشاهد السيرة النبوية العطرة تتوالى أطيافها، وتتماوج ألوانها، وتدعونا دائماً إلى التأمل والتفكر والتدبر، وهذا الحديث الشريف مشهد مقنع ومؤثر له ظلاله الندية، وإشعاعاتُه الوضيئة، وله إيقاعه الخاص والمؤثر في النفس والقلب والعقل والروح، لماذا؟ لأن كلماته مروية عن رسول الله ومنقولة عنه على لسان أبي سفيان وهو حين نقل هذه التعاليم النبوية لم يكن مسلماً، ولكنه كان مشركاً، وكان من أشد المعارضين للإسلام، حيث أراد في العام السادس من الهجرة المباركة أن يوضح لهرقل قيصر الروم المبادئ التي يدعو إليها محمد النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك حين كتب الرسول ﷺ، إلى هرقل يدعوه للإسلام، فأرسل هرقل إلى أبي سفيان، يسأله عن التعاليم التي يدعو إليها محمد، ولذلك يجيء الحديث في صياغة "الحكاية" وهو جزء من حديث طويل في قصة "هرقل"، يقول أبو سفيان وهو يحكي مشهداً من مشاهد السيرة العطرة: "قال: هرقل: فماذا يأمركم؟" ولم يقل: فماذا يقول لكم؟ وذلك لأن هرقل يعرف أن كلام الأنبياء أمر واجب التنفيذ، ولذلك نراه يرغب في دخول الإسلام لولا معارضة قومه لذلك كما جاء في هذا الحديث الطويل، ويحكي أبو سفيان في صيغة الفعل الماضي قائلاً: "قلت: يقول" وذلك للدلالة على أن هذا الحوار كان في وقت مضى، ورواه أبو سفيان بعد إسلامه للتدليل على صدق النبي محمد فيما يقول، وكذلك للتدليل على أن أباسفيان لم يكن على حق وهو يعارض النبي ﷺ ويحاربه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤٤/١ وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤٣، والوسيط في (ع ف ف).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤٣.

حتى أسلم يوم فتح مكة. وفي التعبير بقوله: "قلت: يقول" إيحاء أيضاً بعدم اقتناع أبي سفيان وقتها بكلام النبي ﷺ ولكنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. وقدَّم أبو سفيان الأمر بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به؛ لأن هذا الأمر هو أساس عقيدة الإسلام، وهذا ما يرفضه وقتها أبو سفيان، وكان يظن أن هرقل سيوافقه على هذا الرفض، ولذلك عطف على هذه الجملة جملة أخرى تفيد رفضه للتوحيد وسخريته منه حين قال: "واتركوا ما يقول آباؤكم" والتعبير بقوله: "ما يقول" فيه إشارة وإيحاء بأن النبي ﷺ يرغب المشركين في الإسلام، وأن عبادتهم مجرد أقوال مزعومة من الآباء، ولا يجوز أن يظل الأبناء أسرى هذه المزاعم وتلك الأقاويل، ثم قال أبو سفيان: "ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة" والصلاة من أسس الإسلام، ولذلك جاء بعد قوله: "أعبدوا الله" والصدق والعفاف والصلة من أقوى المظاهر الخلقية التي تقوي الصلات بين أفراد المجتمع، وتصلح ما اعوج من السلوك الإنساني".

فقه الحديث

جاء في الحديث الأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة:

- أ- الصلاة: وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة متى كان بالغًا عاقلاً ولا تسقط إلا بالموت فقط.
- ب- الصدق في الحديث: ذكر الفقهاء[2] أن الصدق واجب وأن الأصل في

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ٨٩/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٥٦/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٧٨/١، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٧٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ٣١٢/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٧/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات ١٢٥/١، وكشاف القناع، البهوتي ٢٢١/١.

(٢) المبسوط، السرخسي ١٤٥/١٦، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤١/٤، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الباجي ٣١٣/٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، العدوي ٤١٢/٢، وأنوار البروق، القرافي ٨/٤، وأدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٢٦١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ٣٢٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٢١٤/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١١/١، ١٩، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني ١٣٤/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ٩٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٥/٣٤.

الكذب أنه حرام، ومع ذلك قد يكون الكذب مباحًا أو واجبًا، فالكلام وسيلة إلى المقصود، وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، فإن لم يمكن تحصيله بغير الكذب جاز الكذب فيه.

- ج- العفاف: (عن الأطماع وسؤال الناس): يحرص الإسلام على حفظ كرامة الإنسان وصونه عن الابتذال، فيحرم السؤال على من يملك ما يغنيه عن السؤال من مالٍ أو قدرة على التكسب، أما من كان محتاجًا إلى الصدقة وممن يستحقونها لفقر أو زمانة أو عجز عن الكسب، فيجوز له السؤال بقدر الحاجة بشروط[1].
- د- صلة الأرحام: وقد ذكر الفقهاء[2] أنه يستحب استحبابًا متأكدًا صلة الأرحام سواء كانت قريبة أم بعيدة، ونقل البعض [3] الإجماع على وجوبها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: غير المسلمين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة والالتزام بالأخلاق الحميدة.

خامساً: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

أولاً- من أصناف المدعوين: غير المسلمين:

(إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وترغيبهم في الدخول فيه من أوجب الواجبات ومن أسباب خيرية هذه الأمة، ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[4] وقال

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٤/٣٠.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٦/٧، ١١٨/١٧.

(٣) انظر: كتب ورسائل ابن تيمية في الفقه، شيخ الإسلام ابن تيمية١٨٦/٢٩، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٢٩٣/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1])[2].

(فدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، واجب إسلامي يجدر بالعاملين في الحقل الإسلامي أن ينهضوا به ويولوه حقه من جهدهم وتفكيرهم ووقتهم. بل إن هذا الواجب بالذات هو المهمة الأصيلة الأساسية لكل داعية)[3]، وقد تميزت الدعوة الإسلامية بأنها دعوة عالمية؛ ومما يؤكد ذلك (أن في القرآن الكريم من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان، وجميع الإنس والجن؛ ما لا يحصى إلا بكلفة، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام)[4] وقد دعا النبي ﷺ ملوك الأرض في زمانه، كملك فارس كسرى، وملك الروم هرقل، كما هو منصوص عليه في الحديث.

(فحري بالدعاة إلى الإسلام أن يبذلوا جهودهم في ذلك، وألا يكونوا على هامش الدعوة. فكثير من دعاة الإسلام في هذا العصر غير متفهمين تماماً لطبيعة الأهداف التي يعملون لها، ولا بعد الطريق التي يسيرون فيها، ولحقيقة المتطلبات التي يحتاجها العمل الإسلامي من حياتهم ووقتهم وتفكيرهم، ومن أنفسهم وأموالهم. وهذا ما يجعلهم في كثير من الأحيان أمثلة غير حسنة لما يدعون الناس إليه، ونماذج غير صالحة لما يأمرون الناس به. وبالتالي يجعلهم في حياة الحركة الإسلامية عبئاً ثقيلاً، وأوزاراً تعيق سيرها وتحول دون انطلاقها.

إن فريقاً من هؤلاء يظنون أن تكاليف العمل الإسلامي تسقط عن كواهلهم إذا هم أصدروا كتاباً، أو كتبوا مقالاً، أو ألقوا محاضرة. وآخرين يعتقدون أن مجرد انتسابهم إلى حركة إسلامية وحضورهم اجتماعاتها، ودورانهم في فلكها هو غاية الغايات ومنتهى الأمنيات.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ص ٥.

(٣) انظر: كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن ص ١٤.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ١/٣٣٦-٣٣٧.

إن هؤلاء وأولئك -لا شك- يعيشون على هامش العمل الإسلامي، ولم يدخلوا في الواقع ميدانه الأصيل أو يعيشوا أجواءه الحقيقية.

إن المفهوم الصحيح لتكاليف العمل الإسلامي ينبغي أن يرسخ في أذهان العاملين أنهم مدعوون لتقديم مصلحة الإسلام على كل مصلحة، ومن مصلحة الإسلام نشره وتبليغه لغير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وبيان حاجة الناس إليه)[1].

(وإذا قلنا: إن الناس بحاجة إلى الدين، وإلى الدعوة الدينية، فإنما نعني الإسلام، لا أي تدين مبهم... فالعالم محتاج إلى أن يعرف الله كما عرَّف نفسه إلى عباده في القرآن الكريم. فإن صور الوجود الإلهي بلغت في أسلوب القرآن قمة لم يبلغها كتاب آخر. والنفس الإنسانية لا تدرك أطرافاً في الكمال الأعلى يغرس في أعماقها أروع العقائد، وأرسخ الإيمان إلا إذا اتصلت بهذا القرآن، واستمعت إليه وفتحت أنظارها لهديه.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[2].

والعالم بحاجة إلى أن يعرف "محمداً" ﷺ وأن يدرس سيرته دراسة بعيدة عن الافتراء والتزيد، ليأخذ من الإحاطة بهذه السيرة أمجد درس فيما تستطيع المواهب البشرية بلوغه من خير وفضل وجلالة وسناء.

وسيعرف كل دارس لحقيقة هذا الإنسان الكبير أن المثل التي ذكرها أصحاب النظريات الخلقية العليا قد تجسدت في هذا الرجل واستحالت سنناً وضيئاً هادياً يثير الحب والإعزاز والاقتداء.

العالم محتاج إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات. فإن هذه الحقائق هداية نافعة له، والعمل بها -مجتمعة- يحصل

---

(١) انظر: كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن ١١-١٢.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٠.

خيراً جزيلاً وينفي شراً كثيراً)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من استفهام هرقل وسؤاله عن دعوة النبي ﷺ وما أمر به، وذلك في قول الراوي: "قال هرقل: فماذا يأمركم -يعني النبي ﷺ، أما الجواب فقد ورد في الحديث من قول أبي سفيان بن حرب: "يقول: اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً... "، ومما لاشك فيه أن السؤال والاستفهام عما أشكل والجواب عنه طريق لمعرفة الحق، فضلاً عن استحضار الأذهان لتلقف المعرفة مما يزيد في بيانها وإيضاحها وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به:

إن الإيمان بالله تعالى وتوحيده وعدم الإشراك به هو غاية بعثة الرسل عليهم السلام، لذا كان كل نبي يستفتح دعوته بقول: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[٢]، وهذا ما أكده نص الحديث من قول أبي سفيان: يقول -أي النبي ﷺ- "اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً".

ومما لا شك فيه (أن توحيد الله تعالى والإيمان به هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأناً، وأعلاها قدراً، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه. والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندَّ له.

وبهذا يعلم أن توحيد الأنبياء والمرسلين ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ٢٥-٢٧.

(٢) سورة الأعراف: الآيات: (٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).

القسم الأول: توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله تعالى ربٌّ كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بالإجابة عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، لا شريك له في ذلك.

القسم الثاني: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله وحده بالذل له والخضوع والمحبة والخشوع والركوع والسجود والذبح والنذر، وسائر أنواع العبادة لا شريك له.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله تعالى بما سمى ووصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصه، والإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحانه الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلا.

ولكل قسم من هذه الأقسام الثلاثة دلائل كثيرة من الكتاب والسنة.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحدانية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن لم يأت بهذا جميعه فليس بمؤمن)[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة والالتزام بالأخلاق الحميدة:

هذا ما أكد عليه نص الحديث من قول أبي سفيان إخبارًا عن النبي ﷺ "ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة".

(فالصلاة عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين وشرط النجاة وحارسة

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، إعداد نخبة من العلماء، ٩-١٠.

الإيمان، وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2] وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾[3] وقال، وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[4]، وقال وهو يحكي أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ قَالُواْ ۝ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[5] وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[6].

وهي فريضة دائمة مطلقة على عبد وحر، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمّن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة، والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أُمر بها [أي الصلاة] في ساحة الحرب وميدان القتال، وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ۝ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤-١٥.

(٣) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢-٢٣.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٥) سورة المدثر، آية: ٤٢.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٢.

لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1] وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ولا تسقط هذه الفريضة عن نبي مرسل، فضلاً عن صالح أو عارف، أو مجاهد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[3] ومن رأى أنها تسقط عنه لفضل معرفته ووصوله إلى درجة اليقين و[المشاهدة] أو لحسن بلائه في الإسلام، أو لسوابقه ومآثره الكثيرة، فقدأتلف نفسه وعرَّضها للخطر الأكبر)[4].

وفي ذلك بيان لعظم أمر الصلاة كآكد أركان الإسلام بعد التوحيد بالله تعالى.

أما الصدق (فهو منزلة القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين والطريق الأقوم الذي لمن لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وُضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أراده وصرعه؛ من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته؛ فهو روح الأعمال، ومحك الأحوال، والحامل

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٠١-١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٢٦-٢٧.

على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال؛ وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين، ودرجته تالية لدرجة "النبوة" التي هي أرفع درجات العالمين؛ ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين؛ كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مددٌ متصل ومعين.

وقدأمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[2] فهم الرفيق الأعلى ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده وإحساناً منه وتوفيقاً؛ ولهم مرتبة المعية مع الله، فإن الله مع الصادقين، ولهم منزلة القرب منه؛ إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

وأخبر تعالى أن من صدَّقه فهو خير له، فقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[3].

وأخبر تعالى عن أهل البر، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان، والإسلام، والصدقة والصبر، بأنهم أهل الصدق فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) سورة محمد، آية: ٢١.

وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1]، وهذا صريح في أن "الصدق" بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن "الصدق" هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق. فقال: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[2].

والإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب؛ فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما محارب للآخر.

وأخبر سبحانه أنه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[4] فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله؛ فالصدق في هذه الثلاثة:

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة. فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق)[5].

هذا عن الصدق، أما عن العفاف (فهو الكف عما لا يحل ولا يجمل، يقال: عف الرجل: إذا امتنع عن المحارم والأطماع الدنيئة)[6]، (والعفة من ثمرات الأديان ونتاج

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ١١٩.

(٤) سورة الزمر، آية: ٣٣.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٥-٨.

(٦) انظر: الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي ٦٥٦، ولسان العرب، ابن منظور في (ع ف ف).

الإيمان، وهي دليل كمال النفس وعزها، وهي من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف، فبالتخلق بها تحفظ الأعراض وتصان العورات في الدنيا، وتحصل لذة النعيم في الآخرة)[١].

قال الماوردي: (والعفة نوعان: أحدهما العفة عن المحارم، والثاني العفة عن المآثم، فأما العفة عن المحارم، فنوعان: أحدهما ضبط الفرج عن الحرام، والثاني كفُّ اللسان عن الأعراض، فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرَّةٌ فاضحة، وهتكةٌ واضحة...، وأما كف اللسان عن الأعراض؛ فلأن عدمه ملاذُ السفهاء وانتقام أهل الغوغاء، وهو مستسهل الكف، وإذا لم يقهر نفسه عنه برادع كافٍ، وزاجر صادٍ، تلبط بمعاره، وتخبط بمضارة...، وأما العفة عن المآثم فنوعان أيضاً أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم، والثاني: زجر النفس عن الإسرار بخيانة. فأما المجاهرة بالظلم فعُتُوٌّ مهلك وطغيان مُتْلِفٌ، ويؤول إن استمر إلى فتنة تحيط في الغالب بصاحبها فلا تنكشف إلا وهو بها مصروعٌ.

وأما الإسرار بالخيانة فَضَعَة لأنه بذلّ الخيانة مَهِين، ولقلة الثقة به مستكين. وقيل في منثور الحكم: من يخُنْ يَهُنْ...، هذا ولا يجعل ما يتظاهر به من الأمانة زوراً، ولا ما يبديه من العفة غروراً، فينتهك الزور، وينكشف الغرور، فيكون مع هتكه للتدليس أقبحُ ولمعرَّة الرياء أفضح)[٢].

فالدعوة إلى العفة أمر عظيم، وبها يكون الكمال في الدين، قال محمد بن الحنفية (الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة)[٣].

ومن الأخلاق الحميدة التي أمر بها النبي ﷺ صلة الأرحام، وفي ذلك قول الحق

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢٨٨٨/٧.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي ٣٠٩-٣١٣. ومعنى تلبط: التصق، وَضَعَه: حقارة.

(٣) المرجع السابق ٣١٧.

تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[١] وقد بيّن النبي ﷺ فضل ذلك فقال ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقهِ أو يُنْسَأَ لهُ في أثَرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[٢] وعظّم النبي ﷺ مخالفة ذلك فقال: ((لا يدخل الجنة قاطع))[٣] أي قاطع رحم (والصلة هي صلة الأرحام، وهي كناية إلى الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعفف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وكذلك إن بعدوا وأساءوا، وقطع الرحم قطع ذلك كله ... فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر)[٤].

وفي الدعوة إلى هذه الأخلاق الحميدة بيان لقول النبي ﷺ ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))[٥].

خامساً- من فقه الداعية ترتيب الأولويات:

هذا يظهر في الحديث في دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد أولاً بقوله "اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً" ثم دعوته ﷺ إلى الصلاة، والصدق والعفاف والصلة، فلا شك أن التوحيد هو أصل أصول الإيمان، لذا قدّم في الدعوة إليه، وكان هو المطلوب الأول من المدعوين ثم بعد ذلك يأمرون بمقتضيات هذا التوحيد من عبادات كالصلاة والزكاة ونحوهما، ومن أخلاق كالصدق والعفاف وصلة الأرحام، ومما هو جدير بالذكر أن صياغة الحديث تشير إلى هذا الترتيب، قال ابن حجر: (وفي قوله" يأمرنا" بعد قوله "يقول اعبدوا الله ..."، إشارة إلى أن المغايرة بين الأمرين لما يترتب على مخالفهما، إذ مخالف الأول كافر، والثاني ممن قبل الأول، عاصٍ)[٦] ومما يؤكد

---

(١) سورة النساء: آية ١.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ٨١/٢٢.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٤٥) ص (١١٢).

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٢٦٩/٢.

صحة استنباطنا قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن ((إنكَ تَقْدَمُ على قومٍ أهلِ كتابٍ، فلْيكُنْ أولَ ما تدَعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عَرفوا اللهَ فأخبرهم: أنَّ اللهَ فرضَ عليهم خمس صلواتٍ في يومِهم وليلتَهم))[1]. وقد أشار النووي إلى ذلك بقوله: (إن النبي ﷺ رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم)[2]، فدل ذلك على أهمية ترتيب الأولويات في الدعوة والتعليم.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٣)، ومسلم (١٩).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٧.

الحديث رقم (٥٧)

٥٧- الرَّابِعُ: عَنْ أبي ثَابِتٍ، وقِيلَ: أبي سعيدٍ، وقِيلَ: أبي الْوليدِ، سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، وَهُوَ بدريٌّ، رضي الله عنه، أَن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ اللَّهَ تعالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهدَاء، وإنْ مَاتَ عَلَى فِراشِهِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن حُنيف: هو سهل بن حُنيف الأنصاري الأوسي العوفي، يُكْنى بأبي ثابت، ويقال أبو سعيد، ويقال أبو سعد، ويقال أبو عبدالله، ويقال أبو الوليد.

كان رضي الله عنه من السابقين الأولين، له صحبة ورواية، له في كتب الحديث (٤٠) حديثاً، شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، فهو صحابي أنصاري بدريّ، ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان بايعه يومئذ على الموت، فثبت معه حين انكشف الناس عنه، وجعل ينضح[2] يومئذ بالنبل عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ نَبِّلوا[3] سهلاً فإنه سهل[4]، كما أثنى رسول الله ﷺ على بسالته في القتال، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((دخل عليٌّ بسيفه على فاطمة، وهي تغسل الدم عن وجه رسول الله ﷺ فقال خذيه فلقد أحسنت به القتال، فقال النبي ﷺ إن كنت قد أحسنت القتال اليوم فلقد أحسن سهل بن حُنيف وعاصم بن ثابت، والحارث بن الصِّمة، وأبو دُجانة))[5].

---

(١) برقم (١٩٠٩/١٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٨).

(٢) ينضح أي يرمي، انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ح).

(٣) نبِّلوا أي ناولوه النبل ليرمي، انظر: النهاي في (ن ب ل).

(٤) أخرجه الحاكم ٤٠٩/٣، ٥٧٨٨ عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي، وهو متروك.

(٥) أخرجه الحاكم ٢٤/٣، ٤٣٦٥، ٤٣٦٦، و٤٠٩/٣-٤١٠، ٥٧٩١، ٥٧٩٢، وصححه الحاكم لكن نقل القول، أن المشهور من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة مرسلاً.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عليّ بن أبي طالب، وكان عمر يقول عنه: سهل غير حَزَنٍ. وكان رضي الله عنه من فقراء الأنصار.

وكان حسن الجسم والجلد، أبيض اللون، فعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخَرَّار من الجحفة، اغتسل سهل بن حنيف، وكان رجلاً أبيض، حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مُخَبَّأةٍ[1]، فلُبِطَ[2] بسهل، فأُتي رسول الله ﷺ، فقيل له: يا رسول الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسه وما يُفِيقُ، قال: هل تتهمون فيه من أحد؟ قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة، فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيَّظ عليه، وقال: علام يقتلُ أحدكم أخاه؟ هلا إذا رأيت ما يُعْجِبُك برّكت[3]؟ ثم قال له: اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره[4] في قدح، ثم صُبَّ ذلك الماءُ عليه يصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفئ[5] القدح وراءه ففعل به ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس))[6].

صحب عليّ بن أبي طالب حين بويع بالخلافة، واستخلفه عليّ على المدينة حين خرج إلى البصرة، ثم شهد مع عليّ صفين، كما ولاه عليّ أيضاً على فارس.

مات سهل بن حنيف بالكوفة سنة ٣٨، وصلى عليه عليٌّ وكبر عليه خمساً وقيل ستاً فكأن البعض أنكر ذلك فبين عليٌّ لهم فضله قائلاً هذا سهل بن حنيف، من أهل

---

(١) الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ب أ).

(٢) لُبِطَ أي صُرِعَ وسقط إلى الأرض، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ب ط).

(٣) أي: دعوت بالبركة حاشية السندي على مسند أحمد ٢٥/٣٥٨.

(٤) داخلة إزاره: قيل هو الفرج، وقيل: ما يلي البدن من الإزار، حاشية السندي ٢٥/٣٥٨.

(٥) يكفئ: أي: يقلب، المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) أخرجه أحمد ٣/٤٨٦ رقم ١٥٩٨٠ واللفظ له، وابن ماجه ٣٥٠٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٥/٣٥٥-٣٣٦.

بدر، ولأهل بدر فضل على غيرهم فأردت أن أُعْلِمَكُم فضلهم[١].

الشرح الأدبي

ما أجمل الصدق في حياة الإنسان؛ وما أعظم دوره في الارتقاء بعاطفة الإنسان ومداركه إلى الدرجات العلى؛ فالصدق إيقاع القلوب المؤمنة، والصدق وسام في جبين الصالحين، والصدق نور في وجوه العارفين، والصدق من شيم الشهداء الأبرار الذين أقبلوا على ساحات الجهاد ملبين نداء القوي القهار، العزيز الغفار، وهم يدافعون عن ديار الإسلام ويحمون حرمات المسلمين؛ لذا كان دمهم يوم القيامة عنوان قبولهم، وفي الدنيا عرس حياتهم.

ويكمن سر اختيار صاحب رياض الصالحين لهذا الحديث في باب الصدق في هذا التوجه القلبي الصادق لكل من صدقت نيته وصحت عزيمته وقويت إرادته وهو ينهض لنصرة الإسلام والمسلمين، ويثب في قوة وشجاعة إلى إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.

وكلمات الحديث الشريف مصابيح من نور الهداية، وهى -في إيجازها- تتسع لكثير من الدلالات، وتعلن في صدق وترغيب أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئاً من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتفق له عمله[٢].

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة شرطية تتكون من أداة الشرط وفعل الشرط وجواب الشرط، فالجزاء من جنس العمل، والمقدمة الصحيحة تؤدي إلى النتيجة الصحيحة، والحديث قاعدة عامة تفتح الباب للملايين من أمة الإسلام في كل

---

(١) الطبقات، ابن سعد لابن سعد (٣/٤٧١-٤٧٣)، (٦/١٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٠٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٢/٥٧٢، ٥٧٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٥٤٧، ٥٤٨)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٢/٣٢٥-٣٢٩)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٣/٣٢٣، ٣٢٤)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/١٢٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٣/١٤٢)، وعظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢/٩٦٧، ٩٦٨).

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/١٧٨ .

زمان وفي كل مكان للمشاركة في حماية العقيدة الإسلامية، والحفاظ على حرمات الإسلام.

ولذلك جاء فعل الشرط: "سأل الله تعالى الشهادة"، فهي أمنية ورجاء ومطلب ضروري والتعبير بالفعل، "سأل" أقوى وأكثر إيحاءً وصدقاً، وهو دليل على إخلاص النية وسلامة القصد، وهو غير الفعل، طلب أو أراد، وكلمة "الشهادة" وردت معرفة بأل للتدليل على علميتها وعلى أنها مضمونة الثواب متحققة الجزاء والرجاء. وتقييد السؤال بكلمة "بصدق" للتفرقة بين الذي يطلب أو يرجو وهو غير صادق أو وهو خائف أو من أجل الغنيمة فقط، وجواب الشرط تفصح كلماته، عن المكنون من الجزاء الأوفى لذلك الذي خلصت نيته، وصحت عزيمته، والتعبير بقوله: "بَلَّغَه" أفصح وأقوى في الدلالة من أعطاه أو أثابه. وذلك لأن منازل الشهداء عالية ولا يصل إليها إلا الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه، ولذلك قال: "منازل": ولم يقل: "منزلة"، ويقول رسول الله ﷺ، "والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل تبتغي به درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة، كالجهاد في سبيل الله، ولا ثقل ميزان عبد كدابة تنفق له في سبيل الله أو يحمل عليها في سبيل الله)[1] وذروة سنام هذا الأمر، أي الدين، الجهاد في سبيل الله.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب سؤال الخير)[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده مطولاً، ٢٤٦/٥ رقم ٢٢١٢٢، وقال محققو المسند: صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: "ما شحب وجه...إلخ" فإنه حسن لغيره.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٨/١٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صدق النية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: استحباب سؤال الشهادة في سبيل الله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: عظيم فضل الله على عباده.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل صدق النية:

لقد أخبر النبي ﷺ عن جزاء من سأل الشهادة وكان في ذلك صادقًا، أن الله يبلغه منازل الشهداء ولو مات على فراشه، فقد "أفاد هذا الحديث ثمرة النية الصادقة، وأن من نوى شيئًا من أعمال البرّ أثابه الله عليه ولو قصرت النية عن العمل، والنية الصادقة هي التي لا يشوبها عَرض من أعراض الدنيا ولم يصبها التردد والضعف في العزيمة على الوفاء بها. ومثل هذا الحديث ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه))[(١)(٢)] قال النووي: (ومعناهما جميعًا أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطى من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير)[(٣)] ولعل ما يفسر فضل صادق النية في الخير ومن أعلاه الشهادة، لعل ما يفسر ذلك أنه يكون ليل نهار مشغولاً بهذا الخير يقترب منه كل يوم خطوة بل خطوات، ويدفعه هذا إلى بذل ما في وسعه وطاقته إلى الوصول إليه فهو ينتقل من خير إلى خير.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠٨، ١٥٦.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل ١/٢٩٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢١.

الدنيا والآخرة)[١]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في سؤال الله تعالى الشهادة بصدق لما في ذلك من نيل منزلتها ولو مات المرء على فراشه.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: استحباب سؤال الشهادة في سبيل الله:

قال النووي: عن هذا الحديث وغيره مما في معناه: (وفيه استحباب سؤال الشهادة)[٢] لأنه إما أن ينالها السائل في ساحات القتال والمعارك وإما أن ينالها في الآخرة فيكون مع الشهداء، وذلك بسبب صدقه في طلب الشهادة، والمسلم إذا سأل الله الشهادة في سبيله دلّ ذلك على صدقه في إيمانه وعلى تعلّقه بما يرضي الرب سبحانه وتعالى، وحبّه لما يحب ولو أدى ذلك إلى إتلاف نفسه وماله في سبيل نيل مرضاته، هذا إن قاتل وحارب وجاهد، وإلا فهو مستعدٌ لذلك في كل وقت وكل حين، يترقب أن تحين الفرصة لأن يعلن حبّه لله والمسارعة في مرضاته، وربما كان من المستحسن أن ننقل هنا كلمات نيّرة لابن القيم عن الجهاد، تبين حال المجاهد مع ربه، وهذا يصدق أيضًا على مَنْ يسال الشهادة بصدق، يقول ابن القيم: (وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذروتها، وهو المحك والدليل المفرق بين المحبّ والمدعي، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه؛ متقربًا إليه ببذل أعز ما بحضرته يودّ لو أن له بكلّ شعرة نفسًا يبذلها في حبه ومرضاته، ويود أن لو قُتل فيه ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل، فهو يفدي بنفسه حبيبه ﷺ وعبده ﷺ ورسوله ﷺ، ولسان حاله يقول:

يَفْديكَ بالنَّفْسِ صبٌّ لَوْ يكونُ لَهُ ... أعزَّ مِنْ نَفْسِهِ شيءٌ فَدَاكَ بِهِ

فهو قد سلّم نفسه وماله لمشتريها وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل ثمنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾[٣] وإذا كان من المعلوم المستقرّ عند الخلق أن علامة المحبة

---

(١) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ ١٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

الصحيحة بذل الروح والمال في مرضات المحبوب، فالمحبوب الحق الذي لا تنبغي المحبة إلا له، وكل محبة سوى محبته فالمحبّة له باطلة، أولى بأن يشرع لعباده الجهاد الذي هو غاية ما يتقربون به إلى إلهم وربهم، وكانت قرابين مَنْ قبلهم من الأمم في ذبائحهم وقرابينهم تقديم أنفسهم للذبح في الله مولاهم الحق، فأي حسن يزيد على حسن هذه العبارة، ولهذا ادخرها الله لأكمل الأنبياء وأكمل الأمم عقلاً وتوحيدًا ومحبة لله)[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: عظيم فضل الله على عباده:

(إن الله عز وجل هو أكرم الأكرمين لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير، يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير استثابة)[2]، وليس أدل على ذلك من أنه تعالى يبلغ من سأله الشهادة بصدق منزلة الشهداء وإن مات على فراشه، فكرمه تعالى بعباده وفضله عليهم لا يحده حد ولا يقيد قيد، فهو الوهاب المتفضل بالعطايا والمنعم على عباده بما لا يلزمه، وليس أدل على ذلك من قوله ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً))[3] وقوله ﷺ: ((مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ))[4] وفي ذلك دليل على عظيم فضل الله تعالى وعميم كرمه على عباده.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٢/٤.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، ١/١٠٠، ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٤) أخرجه النسائي ١٧٨٨، وابن ماجه ١٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٠٥).

الحديث رقم (٥٨)

٥٨- الخامِسُ: عَنْ أبي هُرَيْرة ﷺ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «غزا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبياءِ صلواتُ اللّه وسلامُهُ عليهِمْ فَقَالَ لقوْمِهِ: لا يتْبعْني رَجُلٌ ملَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ. وَهُوَ يُرِيدُ أَن يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِها، ولا أَحدٌ بنَى بيُوتاً لَمْ يرفَع سُقوفَهَا، ولا أَحَدٌ اشْتَرى غَنَماً أَوْ خَلَفَاتٍ وهُو يَنْتَظِرُ أوْلادَهَا. فغزَا فَدنَا مِنَ الْقَرْيةِ صلاةَ الْعصْرِ أَوْ قَريباً مِنْ ذلكَ، فَقَال للشَّمس: إِنَّكِ مَأمُورةٌ وأَنا مأمُورٌ، اللهمَّ احْبسْهَا علَينا، فَحُبستْ حَتَّى فَتَحَ اللّهُ عليْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِم، فَجاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لتَأكُلهَا فَلَمْ تطْعمْهَا، فقال: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً، فليبايعنِي مِنْ كُلِّ قبيلَةٍ رجُلٌ، فلزِقتْ يدُ رَجُلٍ بِيدِهِ فَقَالَ: فِيكُم الْغُلولُ، فليبايعنِي قبيلَتُك، فلزقَتْ يدُ رجُلَيْنِ أو ثلاثَةٍ بِيَدِهِ فقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ، فَجاءوا برَأْسٍ مِثْلِ رَأْس بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهبِ، فوضَعها فَجَاءَت النَّارُ فَأَكَلَتها، ((فلمْ تَحل الْغَنَائِمُ لأحدٍ قَبلَنَا))[1]، ثُمَّ أَحَلَّ اللّهُ لَنا الغَنَائِمَ لَمَّا[2] رأَى ضَعفَنَا وعجزنَا فأحلَّها لنَا» متفقٌ عليه[3].

«الخَلِفاتُ» بفتح الخاءِ المعجمة وكسرِ اللامِ: جمْعُ خَلِفَةٍ، وهِي النَّاقَةُ الحاملُ[4].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بُضْع امرأة: البضع يطلق على عقد النكاح والجماع والفرج والمعاني الثلاثة لائقة هنا[5].

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري، وإنما عند مسلم.

(٢) لفظ البخاري: (ثم).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٢٤) واللفظ له، ومسلم (١٧٤٧/٣٢).

(٤) بنصه في الترغيب للمنذري (٣٧٠/٤).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٧١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٢١، وفتح الباري، ابن حجر ٢٥٦/٦.

ولـمّا يبن بها: أي ولم يدخل عليها. والأصل في ذلك: أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قُبة ليدخل بها فيها[1]، وفي رواية عند ابن حبان ٤٨٠٧: "لم يدخل بها".

خَلِفات: بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام: جمع خلفة وهي الناقة الحامل[2].

غُلولاً: الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة في الغنيمة قبل القسمة.

الشرح الأدبي

تتنوع أساليب البيان النبوي في تقديم الموعظة، وكشف سبل الهداية، والإبانة عن المقصود، ومن هذه الوسائل "القصة"، وهي من سبل التشويق والإقناع، والقصة في هذا الحديث الشريف مستمدة من الواقع، وأحداثها يمكن أن تتكرر في كثير من المواقف، والإشعاع الذي تتوهج به هذه القصة هو الصدق وعدم الخيانة، وصدق النية في الجهاد وعدم انشغال بال الإنسان بهمومه الخاصة التي تحول بينه وبين الإقدام والثبات في مواجهة الأعداء، في ميادين القتال.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، ولنحدق في التكوينات الأسلوبية التي تحول الحقائق التاريخية إلى قطعة أدبية ناطقة بالجمال اللغوي والأدبي، تحمل طاقات نورانية من الهداية والتأثير والحكمة والموعظة الحسنة.

- وبداية الحديث تفصح عن جو القصة، وعن ثوبها الفني، فالفعل "غزا" يوضح أن القضية تتعلق بالجهاد والدفاع عن العقيدة، وعدم تحديد اسم النبي يرشد إلى أن الأمر ليس خاصاً بنبي ما، ولكنه قاعدة عامة، وأمر مشترك بين جميع الأنبياء: وهو ضرورة إخلاص النية في الجهاد، وعدم التعلق بشواغل الدنيا، من الأهل، والأموال، والممتلكات الخاصة، وقيل أن النبي هو يوشع بن نون عليه السلام.
- والأحداث في هذه القصة متتابعة متلاحقة، والعطف بالفاء في كل جمل

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩١.

(٢) رياض الصالحين ٧١.

الحديث الشريف يؤكد ذلك حيث ترد الفاء العاطفة في الربط بين الجمل التي تكون في مجموعها أحداث هذه القصة، وفي نهاية الحديث يرد حرف العطف "ثم" ولكن في جملة مغايرة لما سبق، وهي التي توضح ما من الله به على أمة محمد ﷺ حيث أحلت لهم الغنائم، ولم تحل للأمم السابقة فحرف العطف "ثم" في قوله: "ثم أحل الله لنا الغنائم" يرشد إلى هذه الخصوصية التي جاءت بعد مضى زمان طويل من توالي الأمم وتعدد الأنبياء، فتأمل أخا الإسلام وافقه أسرار هذا البيان النبوي الكريم، وهذه الأسرار تكمن في الحروف والكلمات والجمل، وفي بنيان الحديث المتكامل كأنه البنيان المرصوص، والنسيج المتلائم المتلاحم في مبناه ومعناه.

والحديث في القسم الأول منه: تتسم عباراته بجمال التنظيم والتنسيق، وروعة الأداء. فالجمل الثلاث ترد في إطار "النهي" عن الانشغال بالأمور الذاتية الدنيوية في ساح الجهاد.

والسجع والتوازي في بناء الجمل يشكل إيقاعاً أسلوبياً مؤثراً مشوقاً فعلى الرغم من أن المظاهر السلوكية منهي عنها، ولكنها صيغت في أسلوب مؤثر مشوق حتى تكون الاستجابة سريعة، ولنتأمل نهايات هذه الجمل: [ولما يبن بها، لم يرفع سقوفها، وهو ينتظر أولادها].

والأمور التي نهى عنها هذا النبي وهى كذلك منهي عنا في شريعتنا وفي دفاعنا عن ديننا: هي عدم الانشغال بالمرأة في الجهاد، وبخاصة في أول مراحل الارتباط وأول العهد بالزواج، وهذا جانب نفسي اجتماعي عميق لا يهمل البعد الاجتماعي، ولا البعد النفسي في مثل هذه الحالات.

وحتى ما يملكه الإنسان من متاع الحياة وفي ذروته: إعداد البيت الذي يسكنه، ولم يتمه، سيظل مشغولاً بهذا الهاجس: وهو في الجهاد، وربما يطمع في الغنائم وربما يؤديه ذلك إلى "الغلول" الذي سيق من أجله هذا الحديث، فالجهاد يحتاج إلى قلب فارغ من هموم الحياة، ممتلئ يعبير الإيمان، وسحائب الشجاعة والإقدام والرضوان.

وحتى ما يحرص عليه الإنسان من الأنغام وهي في حالة انتظار الولادة.. التي ترمز لاستمرار الرزق ومتاع الحياة، لا يترك المؤمن ذلك إلى الجهاد إذا كان سيظل متعلقاً بما تركه، والأمور الثلاثة تمثل أسس الحياة المادية وهى من مكونات القوة في دنيا الناس.

الزواج والاستقرار "ملك بضع امرأة"، وتشييد المسكن للسكن وإيواء الأبناء، وامتلاك الأموال التي تعن على مواصلة الحياة، ورمز إليهما الحديث بالغنم أو الخلفات.

وهذه الأسس لا يجب أن تحول بين الإنسان وبين الجهاد في سبيل الله وإنما في أوقات محددة تنتهي بزوال السبب، فالرجل عندما يبني بالمرأة ويستقر، والذي يرفع سقوف بيوته، وكذلك الذي يطمئن على أغنامه أو أمواله بصفة عامة. على هؤلاء أن يعودوا للجهاد، وأن يؤدوا واجبهم في الدفاع عن العقيدة وهم فارغو البال من شواغل الحياة الدنيا وعرضها الزائل ولا يقولون: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ولا يقدمون أعذاراً واهية لتخلفهم عن الجهاد.

والتكرار من الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث الشريف حتى يتنبه الغافلون، وحتى يزداد أولوا الألباب تبصرةً وتذكرةً وتفكراً وتدبراً ، والتكرار يتمثل في إعادة بعض الجمل أو الكلمات مثل قوله : [يريد أن يبني بها، ولما يبين بها]، وقوله: ولا أحد بنى، ولا أحد اشترى، [إنك مأمورة، وأنا مأمور].

والخطاب الذي يوجهه النبي للشمس: هو خطاب حقيقي: لأن الشمس مسخرة للإنسان بأمر الله سبحانه، وهى مثل كل الكائنات: تسبح بحمد ربها، ومظاهر الطبيعة في المنظور الإسلامي تستجيب لأمر الله والمساواة بين الشمس والإنسان في الأمر تجيء على سبيل المشاكلة: فجميع الكائنات مسخرة بأمر الله، غير أن أمر الجمادات أمر تسخير وتكوين، وأمر العقلاء تكليف، كما يقول العلماء.

وحبس الشمس من معجزات الأنبياء وكذلك استجابة الدعاء. وتأخير غروب الشمس بفضل الله سبحانه ترشد إلى أن الله ينصر من ينصره، ويقول: وكان حقاً علينا نصر المؤمنين.

- ومن المشاهد المعجزة في هذا الحديث: مشهد النار التي لم تطعم الغنائم.. وهى نار من السماء- كما تقول الروايات، وعدم التهام النار للغنائم علامة على عدم القبول، ويبرق الشعاع الأسنى في هذا الحديث وهو: "النهي عن الغلول"، أي الخيانة في المغنم، وأدرك هذا النبي أن بعض الذين شاركوا في الحرب قاموا بأخذ بعض الغنائم ، وهذا إعجاز أخرجنا الله به أنبياءه واكتشف النبي سر عدم القبول حتى رد هؤلاء الذين خانوا الأمانة ما أخذوه، وأكلته النار: وذلك رمز للقبول. وعلامة للصدق والنية الخالصة، والتوبة النصوح، وحل عقدة هذه القصة يبرق في الجملة الأخيرة التي توضح فضل الأمة الإسلامية وإكرام الله لها حيث أحل لها الغنائم، "ثم أحل الله لنا الغنائم": لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا": وهذا من خصوصيات أمة الإسلام.

فقه الحديث

يبين هذا الحديث أن الغنائم كانت محرمة على الأمم السابقة، ولا يحل لأحد أن يأخذ منها شيئاً، بل كانت تجمع فتجيء نار من السماء فتأكلها فيكون ذلك علامة على القبول وعدم الغلول[1]، ثم كان من رحمة الله بهذه الأمة وتفضيله لها أن أحل لها الغنائم، والغنيمة كما يقول الفقهاء هي اسم للمأخوذ من أهل الحرب على سبيل القهر والغلبة[2]، وقد اتفق الفقهاء[3] على مشروعية أخذ الغنائم وأنها تستحق لكل من حضر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٢/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١١٧/٧، والمغني، ابن قدامة ٣١٣/٦.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١١٧/٧ وما بعدها، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤٨/٣، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٦٦/٣ وما بعدها، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٨٠/٣ وما بعدها، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ١٤٣/٦ وما بعدها، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٥٥/٤ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات ٦٣٨/١ وما بعدها، المغني، ابن قدامة ٣١٣/٦ وما بعدها.

الوقعة وخرج لأجلها سواء باشر القتال أو عهد إليه برباط في مكان معين، فهو كمن يقاتل تماماً، لأن القتال لا يتم إلا بالرباط والتعاون، فكل من خرج للجهاد من المسلمين يستحق سهماً من الغنيمة التي يقوم الإمام بتقسيمها على الغانمين، ويجوز للإمام أن يرضخ للنساء والصبيان منها، وهي تقسم خمسة أخماس[1] أربعة أخماسها للغانمين وخمسها يصرف للفقراء والمساكين والمصالح العامة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة حال المدعوين وتهيئة نفوسهم للدعوة أولاً.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الدعاء وفضل الالتجاء إلى الله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: دلائل قدرة الله تعالى.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ وفضل هذه الأمة.

خامساً: من وسائل الدعوة: القصة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة حال المدعوين وتهيئة نفوسهم للدعوة أولاً:

إن من عوامل التأثير في المدعوين تهيئة نفوسهم ومراعاة أحوالهم وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "فقال لقومه لا يتبعنّ رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها، ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها.

وقد أمرالحق تبارك وتعالى بتهيئة نفوس المدعوين للدعوة فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[2] (فلا ضير من إعطاء

---

(١) شرح معاني الآثار ٢٧٦/٣، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤٨/٣، المدونة ٥٠٣/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ١٧٨/٣، الأم، الإمام الشافعي ١٤٦/٤، الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي ص ١٦١، شرح منتهى الإرادات ٦٣٨/١، المغني، ابن قدامة ٣١٣/٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

المشركين الفرصة لكي تتهيأت نفوسهم لسماع القرآن ومعرفة هذا الدين، لعل قلوبهم تتفتح وتتلقى وتستجيب، فتزكو تلك القلوب، وتطيب تلك النفوس)[١]، وإن كان ذلك في حق غير المسلمين فهو في حق المسلمين أولى، وقد كان النبي ﷺ القدوة والمثل في تهيئة نفوس المدعوين ومراعاة أحوالهم في الدعوة إلى الله (فحينما جاءه عتبة بن ربيعة، لمفاوضته ﷺ استمع إليه حتى انتهى من كلامه ثم قال له: "أفرغت يا أبا الوليد" قال: نعم. قال: "فاسمع مني")[٢].

وفي رواية ذكرها القرطبي قال: ("يا ابن أخي أسمع" ولا يخفى على أحد ما في هذه الملاطفة والتكنية من تهيئة للنفس السامع)[٣]، (وها هو ذا مصعب بن عمير رضي الله عنه سفير الدعوة مبعوث النبي ﷺ بدأ بتهيئة نفوس مدعويه للسماع أولاً، فحينما جاءه كل من زعيمي بني عبد الأشهل، أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما قال لكل منهما أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكرهه، وبهذه الملاطفة والعرض المنصف، هيأ نفسيهما للسماع، فلما سمعا أسلما، وأسلم أقوامهما)[٤]، ومن تهيئة نفوس المدعوين الترحيب بهم والتلطف معهم والثناء عليهم، فعن أبي جمرة قال: ((كنتُ أقعُدُ معَ ابنِ عبّاسٍ، يُجْلِسُني على سَرِيره، فقال: أَقِمْ عِندي حتَّى أَجْعَلَ لكَ سَهْماً مِنْ مالي، فأقمتُ معَهُ شَهرَينِ، ثمَّ قال: إنَّ وفدَ عبدِ القَيْسِ لما أَتَوُا النبيَّ ﷺ قال: «مَنِ القَوْمُ -أوْ مَنِ الْوَفْدُ؟- قالوا: رَبيعةُ. قال: مَرْحَباً بالقَوْمِ -أو بالوفدِ- غيْرَ خَزايا ولانَدامَى»)[٥] قال ابن حجر: (وفيه دليل على جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الفتنة)[٦]. فمراعاة أحوال المدعوين وتهيئة نفوسهم للدعوة

---

(١) التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبدالله المطلق ص ١٥٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، ٤/١٥٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨/٣٩٠.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٥٩ - ٦٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١/١٦٠.

أولاً من أهم عوامل وركائز بلوغ الدعوة ووصولها إلى قلوب المدعوين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الدعاء وفضل الالتجاء إلى الله:

مما لا شك فيه أن الدعاء من صفات عباد الله المتقين، وهو مفزع المظلومين وملجأ المستضعفين وهو دليل الإيمان وحسن الإسلام، وقد أشار الحديث إلى أهمية الدعاء وفضل الالتجاء إلى الله من قوله صلوات الله وسلامه عليه: "فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم أحبسها علينا، فحبست حتى فتح الله عليه".

فالدعاء من أعظم العبادات وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]، [2].

فالدعاء من أقوى أسباب دفع المكروه وحصول المطلوب لقوله ﷺ: ((لاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ. وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ))[3] وقوله ﷺ: ((إِنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ الله بالدُّعَاءِ))[4] والدعاء من أحب الأمور إلى الله تعالى لقوله ﷺ: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى الله تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ))[5]، ويتطلب الدعاء الإخلاص والثقة بالله تعالى واليقين بالإجابة وذلك لقوله ﷺ ((أُدْعُوا الله وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الله لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ))[6] (فينبغي للداعي أن يكون حاضر القلب متفهماً لما يقول، مستشعراً عظمة من يدعوه إذ لا يليق بالعبد الذليل أن يخاطب ربه ومولاه بكلام لا يعيه هذا الداعي وبجملٍ قد اعتاد تكرارها دون

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٤، صححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٥٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٤٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٣).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٢، صححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٤٩).

(٦) أخرجه الترمذي رقم (٣٤٧٩) وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٧٤).

فهم لفحواها، أو أن تجري على لسانه -هكذا- على سبيل العادة)[١]، و(للدعاء آداب وشروط يجب توافرها كي يكون الدعاء كاملاً منها: الثناء على الله قبل الدعاء والصلاة على النبي ﷺ، والإقرار بالذنب والخشوع والرهبة بين يدي الرب، والإلحاح بالدعاء والعزم في المسألة، و استقبال القبلة ورفع الأيدي، وأن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحاً، وذلك فضلاً عن اجتناب الحرام وأكل الحلال...)[٢]. فعلى الداعية أن ينبه إلى عظيم فضل الدعاء وما به من خير وعبادة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: دلائل قدرة الله تعالى:

(فالله عز وجل هو القادر الذي لا يعجزه شيء، بل يستتب له ما يريد على ما يريد، فلا يلابس قدرته عجز بوجه)[٣]، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قوله ﷺ "فحبست الشمس"، فهي القدرة التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحدها حد ولا يمنعها مانع، وبها يخاطب العقل ويرسخ الإيمان فقال جل شأنه ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤] وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ﴾[٥] وقال جل شأنه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[٦].

---

(١) الدعاء، محمد بن إبراهيم الحمد ص٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٧-٥٢.

(٣) الأسماء والصفات، البيهقي، ٥٢/١، ٨١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٢٠.

(٦) سورة الرعد، آية: ١.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ وفضل هذه الأمة:

(قد اختص الله تبارك وتعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم السلام بخصائص كثيرة تشريفاً له وتكريماً مما يدل على جليل رتبته وشرف منزلته عند ربه)[١] وكان من ذلك قوله ﷺ في الحديث "فلم تحلَّ الغنائم لأحدٍ قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم"، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ﷺ ((فضلت على الأنبياء بست" ثم ذكر ﷺ من ذلك ((وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغانِمُ))[٢]. (وفي هذا الحديث دليل على فضل هذه الأمة في اختصاصها بحل الغنيمة، وكان ابتداءُ ذلك من غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[٣].

فأحل الله لهم الغنيمة[٤]، (وقد كانت الأمم قبلنا على ضربين فمنهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن لهم غنائم، ومنهم من أذن له فيه فكانوا يغزون ويجاهدون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل. ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول، وقد منّ الله تعالى على هذه الأمة ورحمها وجبر عجزها وضعفها لشرف نبيها عنده، فأحل لهم الغنائم وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول، فلله الحمد على نعمه تترى)[٥].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظيم فضل هذه الأمة في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[٦] وقال ﷺ ((أنتم

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٤٤٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٨/٦.

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

تُتِمُّون سبعين أُمَّةً، أنتمُ خيرُها وأكرمُها عند الله))[١]، وقال أبو هريرة ﷺ: ((نحن خير الناس للناس، نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام))[٢]، وقد بين الحق تبارك وتعالى سبب خيرية هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ قال القرطبي: (وهذا مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر، زال عنهم اسم المدح، ولحقهم اسم الذم)[٣].

خامساً- من أساليب الدعوة: القصة:

إن القصة من الملامح التي تلازم الداعية وتملأه انفعالاً بدعوته[٤]، (وتمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم الطبعية والزمنية. تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ومضيت مع الحوار والنقاش عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم وضقت ذرعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتعاشرهم وتحيى بينهم، وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان وترفع نبض المشاعر... وهي بالميزة الثانية: ميزة التنبيه والتقبل، تجعل النفوس أوعية مفتوحة، يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٠٠١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٩٩).

(٢) أخرجه البخاري ٤٥٥٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/٢٦٤.

(٤) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ٢٩٣.

وقد بيّن الحق عز شأنه هذه الوسيلة في القرآن الكريم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2])[3] وقد وردت هذه الوسيلة الدعوية الهامة في الحديث من قوله ﷺ "غزا نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه" قاصاً ﷺ ما كان بين هذا النبي عليه السلام وبين قومه، وما كان من حبس الشمس له، وما كان من غلول قومه للغنائم، ولاشك أن لهذه الأحداث والمواقف تأثير كبير في النفوس.

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤-٤٥.

الحديث رقم (٥٩)

٥٩- السادسُ: عن أبي خالدٍ حكيمِ بنِ حزَامٍ ﷺ، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: **«الْبيِّعَان بالخِيارِ ما لم يَتفرَّقا، فإن صدقَا وبيَّنا بورِك لهُما في بَيعْهِما، وإن كَتَما وكذَبَا مُحِقَتْ بركةُ بيْعِهِما»** متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

حكيم بن حزام: هو ابن خويلد بن أسد القرشي، يكنى أبا خالد، هو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ.

ولد في الجاهلية قبل عام الفيل بثلاث عشرةَ سنة، في جوف الكعبة وكان شديد الأُدْمَة، خفيف اللحم شهد حرب الفجار، وكان من أشراف قريش، وعُقلائها، ونُبلائها، وعليه كانت الرّفادة، وكان عالماً بالأنساب وقد شهد بدراً مع الكفار، ونجا مع من نجا، فكان إذا اجتهد في يمينه قال: لا والذي نجاني يوم بدر من القتل، وكان رضي الله عنه في جاهليته محباً للنبي ﷺ، فعن عراك بن مالك أن حكيم بن حزام قال: ((كان محمد ﷺ أحبَّ الناسِ إليَّ في الجاهلية، شهد حكيم الموسم كافراً، فوجد حُلَّةً لذي يَزَنٍ تُباع، فاشتراها بخمسين ديناراً ليهديها إلى رسول الله، فقدم بها عليه المدينة، فأراده على قبضها هدية، فأبى. قال عبيدالله: حسبته قال: "إنا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن، فأعطيته حين أبي عليَّ الهدية))[2].

وقد أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وحُسن إسلامهُ، وغزا حنيناً والطائف قال فيه النبي ﷺ يوم الفتح ((من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن))[3].

قال عروة بن الزبير: إن حكيم بن حزام رضي الله عنه أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢/٤٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٥٩).

(٢) أخرجه أحمد ٤٠٢/٣-٤٠٣ رقم ١٥٣٢٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩/٢٤-٤٠.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٦/٨ رقم ٧٢٦٣ عن عروة بن الزبير مرسلاً، كما أن في إسناده ابن لهيعة وقد احترقت كتبه فحدّث من حفظه فاختلط، انظر: تقريب التقريب ٤٤٤/١.

على مائة بعير، فلما أسلم حمل على مائة بعير وأعتق مائة رقبة، قال: فسألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت أشياء كنت أضعها في الجاهلية؟ كنت أتحنَّث بها - يعني: أتبرر بها؟ فقال رسول الله ﷺ: أسلمت على ما سلف من خير[١].

وكان جواداً، كريماً، باع دار الندوة من معاوية بمائة ألف، فقال له ابن الزبير بعت مكرمة قريش، فقال: ذهبت المكارم يا ابن أخي إلا التقوى، إني اشتريت بها داراً في الجنّة أشهدكم أني جعلتها لله.

وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث بلغت أربعين حديثاً.

وتوفي بالمدينة سنة ٥٤هـ وقيل ٥٠هـ وكان يقول في موته: لا إله إلا الله، قد كنت أخشاك وأنا اليوم أرجوك ربي وقد عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام[٢].

غريب الألفاظ:

البَيِّعان: البائع والمشتري، يُقال لكلٍّ منهما: بائع وبَيِّع[٣].

محقت بركة بيعهما: أي ذهبت بركته وهي زيادته ونماؤه، والمحق: النقص والمحو والإبطال[٤].

الخيار: طلب خير الأمرين من إمضاء عقد وفسحه[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٣٨، ومسلم ١٢٣.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١٠٩/٣، ٦٥/٤، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ١٥٦-١٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٥٨/٢-٦٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي ٤٤/٣-٥١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢٥٨/٢-٢٦٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٣/١-٤٧٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٦٩/٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٧٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٥٩.

(٥) الروض الندي في فقه الإمام أحمد للعلامة البعلي ص ٢١٢.

الشرح الأدبي

هذا الحديث يأتي في ختام باب الصدق. وهو مسك الختام، لأن الصدق ليس في الحديث فقط ولكن صدق الأفعال يأتي ثمرة لصدق الأقوال، وكلا الاثنين لابد أن ينبعا من صدق الجنان، ولذلك يعد الإيمان الصحيح في الذروة من قيمة الصدق؛ لأنه - كما قال العلماء- التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان؛ وكل سلوك في الحياة لابد أن تتضمنه هذه الدائرة الخلقية المحكمة وهى : صدق القلب، وصدق اللسان، وصدق العمل.

وفي وهج هذه الدائرة تتموج أشعة الصدق، ونقتبس من أشعة البيان النبوي الأضواء الهادية لإصلاح العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة، وفي مقدمة هذا الإصلاح ضبط حركة البيع والشراء ضبطاً إيمانياً صحيحاً، لأنها حركة صاخبة مائجة تتحكم في إيقاع الحياة، وهذا التحكم إما أن يضبط ميزان السلوك الاجتماعي، وإما أن يؤدي به إلى الخلل والجور والفساد.

ولذلك يضع المصطفى ﷺ هذه القاعدة المجردة التي تنطبق على كل بائع وكل مشترٍ في جميع الأزمنة والأمكنة التي تضبط حركتها تعاليم الإسلام، وسنة المصطفى ﷺ.

ولذلك يبدأ الحديث بهذه القاعدة "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا"، والمراد بهما البائع والمشتري، والمساواة بينهما في لفظ واحد ترشد إلى أن المسؤولية مشتركة ومتساوية وعليهما بالصدق في النية والقول والعمل، وعليهما بتجنب فساد النية، وكذب اللسان، ومخالفة الأعمال للأقوال، والتعبير بقوله، "بالخيار"، فيه بلاغة وإيجاز، ويرشد إلى أمور متعددة: فالخيار اسم من الاختيار والتخيير أي حرية الموقف قبولاً أو رفضاً للبيع، والتعبير بهذا اللفظ يوحي كذلك بقبول خير الأمرين من الفسخ والإجازة، فالخيرية تكون هي الحكم والمعيار، وليس الهوى الشخصي أو المصلحة الشخصية الضيقة، والتعبير بلفظ "يتفرقا" فيه تصوير حركي.

والجزء الثاني من الحديث ورد في جملتين شرطيتين، ليبين ارتباط جواب الشرط

بفعل الشرط، وأنه لازم عنه، وواقع بوقوعه، فيختار البائعان أي النتيجتين يريدان، فإن أراد البركة كان عليهما الصدق، وأن سلكا طريق الغش والخداع والتدليس رغبة في زيادة المال والإكثار منه، جاءت النتيجة بعكس ذلك تمامًا، وهي المحق والنقص والخسران.

فقه الحديث

هذا الحديث نص في خيار المجلس، وهو نوع من أنواع الخيار التي وردت في الفقه الإسلامي، وقد اختلف الفقهاء في مشروعية خيار المجلس نظراً لاختلافهم في فهم الحديث، والمقصود بالتفرق فيه وكذا اختلافهم في معنى المتبايعين هل هما المتساومان أم المتعاقدان بالفعل؟ وذلك على قولين:

القول الأول: يرى الحنفية[1] والمالكية[2] أن المقصود بالتفرق هنا التفرق بالأقوال لا بالأبدان، ولذا فهم لا يقولون بخيار المجلس ولا يرون مشروعيته، فمتى تم العقد بين البائع والمشتري لزم ولو ظلا مكانهما في مجلس العقد ولم يتفرقا وليس لواحد منهما خيار الرجوع فيه ما لم توجد إقالة من الطرف الآخر.

القول الثاني: للشافعية[3] والحنابلة[4] وأكثر أهل العلم حيث أخذوا بظاهر الحديث، وقالوا بمشروعية خيار المجلس، فيحق لكل من البائع والمشتري الرجوع في

---

(١) درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فراموز الحنفي منلا خسرو ١٧٧/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٨٣/٥، وأحكام القرآن للجصاص ٢٥٤/٢.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤١٠/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٨٤/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي شرح المهذب للنووي ٢٠٥/٩، ط مطبعة المنيرية، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٦/٢، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢٣٥/٢، ط/ دار إحياء الكتب العربية.

(٤) المغني، ابن قدامة لابن قدامة ٥/٤، ٦، والفتاوى الكبرى ٣٩٠/٥، والفروع ٨١/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ٣٦٣/٣.

عقد البيع بعد تمامه ما دام أنهما لم يتفرقا من مجلس العقد بعد، فإن تفرقا وذهب كل إلى حاله لزم العقد وانتهى خيار المجلس.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدق وشناعة الكذب.

رابعاً: من واجبات الداعية: حرصه على إفادة المدعو.

أولاً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

إن اليسر من أهم مظاهر وسمات هذا الدين، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1] ولقوله ﷺ: ((إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ، إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ))[2] وقد ورد بيان التيسير في الحديث من قوله ﷺ "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا" (وهو خيار كل من المتعاقدين في الإقدام على العقد أو الإحجام عنه قبل التفرق وبذلك يتحقق تمحيص الإرادتين وتنقية عنصر التراضي من الشوائب أو استدراكاً لندم قد يقع من أحدهما)[3]، (فلا يفترقان إلا عن تراض بينهما فيما يتعلق بإعطاء الثمن وقبض المبيع وإلا فقد يحصل الضرر والضرار وهو منهي في الشرع، أو المراد منه أن يشاور مريد الفراق صاحبه ألك رغبة في المبيع، فإن أراد الإقالة أقاله)[4] (والإقالة من صور التيسير في الشريعة الإسلامية، ويقصد بها: أن يتم عقد البيع بين طرفين، ثم يندم بعد ذلك المشتري - أو البائع- على إتمام هذه الصفقة لسبب من الأسباب، كأن يستجد له أمر،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ٤٧٩/٣ رقم ١٥٩٣٦ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٨٤/٢٥.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٤٨٩/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٧٩/٢٠، ١٤٦.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي، ١٤٨٣.

فيرى أنه بحاجة إلى أموال لقضاء حاجة ضرورية، أو لها أولوية، أو ما أشبه ذلك فيأتي إلى البائع، ويرغب إليه في أن يحلله من هذا العقد... فموافقة البائع على إلغاء هذا العقد، هو ما يسمى بالإقالة، وقد رغب الإسلام في ذلك تيسيراً وتسهيلاً على الناس)[١] فقال النبي ﷺ ((مَنْ أقَالَ مُسْلِمَاً أقَالَ اللّه عَثْرَتَهُ))[٢] قال صاحب عون المعبود: (أي: غفر زلته وخطيئته)[٣] فالإسلام دين السماحة واليسر فلا حرج فيه على أحد كما قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤] قال القرطبي: (أي وما جعل عليكم في الدين من ضيق...، وهذه الآية تدخل في كثير من الأحكام؛ وهي مما خص الله بها هذه الأمة)[٥]. فينبغي للداعية بيان يسر الإسلام وسماحته للمدعوين، فإن بيان ذلك يعد عاملاً مهماً من عوامل استجابة المدعو وانقياده للدعوة.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب الترهيب:

لقد رغب النبي ﷺ البائعين في الصدق بأن أخبر بجزائه وهو البركة في بيعهما: السلعة والثمن، ولما كانت النفس قد يدفعها حب المال إلى التدليس وكتمان العيوب، رهب النبي ﷺ من ذلك بأن أخبر بأن جزاء ذلك هو محق البركة، فكان الجزاء عكس مقصود الغاش والمدلس.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدق وشناعة الكذب:

(إن الصدق هو الطريق الأقوم الذي يجب أن يسلكه المؤمنون، وبالصدق يتميز أهل الإيمان عن أرباب النفاق، والصدق سيف الله في أرضه الذي ماوضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه؛ من صال به لم تُردّ صولته، ومن نطق به علت

---

(١) الإسلام دين التيسير، صلاح أحمد الشامي ص ٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي، ١٤٨٤.

(٤) سورة الحج (٧٨)

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥١/١٤.

على الخصوم كلمته؛ فهو روح الأعمال، ومحكُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال...، وهو أساس بناء الدين، وعمود فسطاط اليقين)[١]، ومن أجل ذلك رغب النبي ﷺ في تحري إقامته والبعد عن تركه فقال في نص الحديث: ((فإن صَدَقا وبَيَّنا بورك لهما في بَيعهما، وإن كَتَما وكذَبا مُحِقَتْ بركةُ بَيعهما)) (فإن صَدَق البائع في إخبار المشتري مثلاً وبين العيب إن كان في السلعة، وصدق المشتري في قدر الثمن مثلاً وبين العيب إن كان في الثمن تحقق فضل الصدق في حصول البركة)[٢].

فالإخبار عن الشيء على ما هو عليه من اللزوم على المؤمنين من رب العالمين وفي ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣][٤] أي: (اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً)[٥] وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ. فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً...))[٦] (وقد كان النبي ﷺ إمام الصادقين وكانت حياته ﷺ أفضل مثال للإنسان الكامل الذي اتخذ من الصدق في القول والأمانة في المعاملة خطاً ثابتاً لا يحيد عنه قيد أنملة، وقد كان ذلك فيه بمثابة السجية والطبع فعرف بذلك حتى قبل البعثة، وكان لذلك يلقب بالصادق الأمين، واشتهر بهذا وعرف به بين أقرانه، وقد اتخذ ﷺ من الصدق الذي اشتهر به بين أهله وعشيرته مدخلاً إلى المجاهرة بالدعوة)[٧].

---

(١) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥/٣.

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر (٣٨٦/٤).

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٤) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٣/٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٠٩.

(٧) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢٤٧٧/٦.

إذ إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[١] (صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي "يا بني فهر، يا بني عدي"، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"...)[٢] فكان الصدق باباً في نشر الدعوة إلى الله. (وأما الكذب فجماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه)[٣]، ففضلاً عن كونه ماحقاً للبركة في الدنيا كما ورد في نص الحديث، إلا أنه سبب في استحقاق صاحبه النار لقوله ﷺ ((وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً))[٤].

والكذب من الأخلاق المرذولة، والصفات القبيحة، فهو خصلة من خصال النفاق لقوله ﷺ ((آيةُ المُنافِق ثلاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا أُؤْتُمِنَ خان))[٥] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لأن يضعني الصدق -وقلما يضع- أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل). وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن أمنته...، فالكذب لا يصدر إلا عن مهانة النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده، قال الشاعر:

وما شيء إذا فكرت فيه ... بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه ... وأبعد بالبهاء من الرجال)[٦]

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ٢٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٠٩.

(٥) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٦) أدب الدنيا والدين، الماوردي ٢٥٣، ٢٥٥.

وفي ذلك بيان شناعة الكذب وسوء عواقبه، لما فيه من خسة النفس ودناءتها، فحري بالداعية أن يبين فضل الصدق وشناعة الكذب حثاً منه على الامتثال لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

رابعاً- من واجبات الداعية: حرصه على إفادة المدعو:

مما لا شك فيه أن الحافز الحقيقي إلى الدعوة وبذل النصح بما في ذلك من إرشاد المدعوين إلى ما فيه صلاح لهم في الدنيا والآخرة، هو الإيمان بالآخرة وتمثل ما فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء، وللكفار العصاة من عقاب، فذلك هو الحافز الحقيقي إلى دعوتهم، وبذل نصحهم وهو الذي يقلقهم ويكدر صفو عيشهم، حتى لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطاناً على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه الفساد، ويجعلون ذلك موجباً لدعوتهم وإنذارهم وسبباً لقلقهم وإشفاقهم، فيقول القرآن عن نوح عليه السلام وهو أول رسول يذكره القرآن بتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1] ويقول عن هود عليه السلام وهو من أقدم الأنبياء، وقد بعث في قوم تهيأت لهم أسباب العيش، وتوسعت لهم الدنيا، وطابت لهم الحياة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2] ويقول عن شعيب عليه السلام وقد بعث في قوم لان لهم العيش وانتشر في أرضهم الخصب: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[3])[4]، وقد كان النبي ﷺ وهو القدوة والمثل الأعلى أشد الناس حرصاً على

---

(١) سورة هود، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢-١٣٥.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤.

(٤) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٦٥-٦٦.

هداية المدعوين وبذل النصح لهم وهذا ما بينه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2].

فعلى الداعية أن يحرص على إفادة المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه صلاح لهم، مقتدياً في ذلك بحرص الأولين من الأنبياء والصالحين على هداية الناس، وهذا ماورد في نص الحديث من حثه ﷺ على الصدق وترهيبه من الكذب وبيانه ﷺ لما في الإسلام من يسر وسماحة، وفي ذلك إفادة ونفع وتوجيه المدعوين لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سور يوسف، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الصدق قيمة عظيمة في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات، لأن الصدق يتسع باتساع مجالات الحياة وليس الصدق محصوراً في مجال الأقوال، بل مقياس ومؤشر الصدق في مجال الأعمال ومطابقتها للأقوال، وعدم الازدواجية بين الأقوال والأعمال.

لذا أكدَّ النبي ﷺ على حقيقة أن الصدق يهدي إلى البر مؤكداً على أهمية الحرص على الصدق وتحريه في الحياة وميادينها، وتربية النفوس على ذلك حتى يصبح سمتاً لا ينفك عن المؤمن، وفي المقابل يُنفّر النبي ﷺ من الكذب، ومن التلبس به نظراً لآثاره الوخيمة، لأن الإسلام يوجه إلى الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتحريه في كل قضية، لأنه عمود المجتمعات وركنها الركين، يحفظ عليها جوانب حياتها ومقوماتها.

فالصدق في العقائد وفي التبليغ عن الله ورسوله يحفظ على الأمة عقيدتها وهديها، ويمدها بالزاد والقوة من النبع الأصيل، ويحفظ للأمة كرامتها، ويبعدها عن الهوان والضعف.

إن من أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب -الصدق- ما يلي:

أولاً: بيان حقيقة الصدق في حياة الإنسان:

حيث بيّن النبي ﷺ حقيقة الصدق بأنه يهدي إلى البر وإلى طرق الخير التي يحتاج الإنسان إلى سلوكها في حياته، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التنشئة السليمة والصحيحة على تحري الصدق في كافة تعاملات الإنسان، أملاً في النجاة، لأن الصدق مع النفس ومع الناس من الأسباب الأساسية في علاج الكثير من المشكلات، وإن الصدق يُنمِّي ملكة المراقبة للنفس والمحاسبة لها، حتى لا تقع في غوائل الكذب الذي يظنه بعض الناس أنه قد ينقذ الإنسان، ويجعله يظفر بمراده، وفي الحقيقة أن ذلك نوع من الوهم الذي عمت به البلوى، ولذا فإن النبي ﷺ يؤكد على حقيقة الصدق أنه يهدي إلى البر، مما يكون سبباً في دخول الجنة، ويجعل الإنسان يرتقي إلى مصاف الصديقين، والنبي ﷺ يبين الأسلوب الحكيم في البيع والشراء فيقول: البيعان بالخيار ما لم

يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما..

إن التاجر قد يكذب في بيان سلعته وعرض ثمنها، ويعتبر هذا من الذكاء في كسب الربح، وما علم أنه محق وخسارة وعدم ثقة، وأن الصدق ثقة وبركة وأمانة، وهذا مما غفل عنه كثير من المسلمين في معاملاتهم التي تنوعت وتعددت، وتعددت، كذلك ألوان الكذب والخداع، فكان ذلك ممحقة للبركة، في حين أخذ غيرهم بتعاليم الإسلام فربحت تجارتهم وربت، وإن كانوا على غير ملتهم، ولكنهم ساروا على نهج الإسلام[1].

ألا ما أجمل هذا الدين وما أحسنه؟

إنه طريق مفتوح لجميع البشر، وأفق يتطلع إليه الجميع، ليس فيه احتكار للمقامات وليس فيه خصوصيات محجوزة لأناس بأعيانهم، وليس إلا العمل الصالح المبني على التقوى[2].

والصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم القوية، ولذلك صار موصلاً إلى الجنة.

ثانياً: التحفيز على الصدق:

إن من أبرز أساليب التربية تأثيراً على النفوس: التحفيز بالحث على تحرِّي الصدق والتزامه، لأنه درجات والتي من أولها: صدق القصد وهو كما العزم وقوة الإرادة، بأن يكون القلب داعية صادقة إلى السلوك، وبه يتلافى كل تفريط فيصلح من قلبه ما مزقته يد الغفلة.

ثانيها: أن لا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان... فمن عرف نفسه وعرف ربه لم ير نفسه إلا بعين النقصان والتقصير ويعمل على رضا محبوبه.

ثالثها: الصدق في معرفة الصدق، فإن العبد إذا صدق الله رضي الله بعمله وحاله

---

(١) انظر: سلوك المسلم، د. توفيق يوسف الواعي، ٤٧-٤٩.

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢/١٨٨٤.

ويقينه، لأنه قد رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فرضي الله به عبداً، ورضي بأقواله وأعماله القائمة على الإخلاص والمتابعة[1].

ثالثاً: الجد في التعامل مع الأمور:

إن من الآثار التربوية لتحري الصدق في الحياة: الجد في التعامل مع الأمور، لأن التربية على الصدق تجعل المسلم حازماً منجزاً حريصاً على أن يكون عمله مثمراً، وليس في حياته مجال لكثرة الأعذار، ولا يبحث عن المبررات التي تخول له التقاعس في إنجاز الأعمال، أو الأعذار التي تعفيه من القيام بإنجاز الأعمال المنوطة به، لأنه المسلم الجاد يدرك قيمة الوقت، وأنه مسؤول عنه يوم القيامة، والمسلم الصادق عالي الهمة يتطلع إلى معالي الأمور، ويسعى في إنجازها، ويرفض عملياً أن يعطي وكالة للغير نيابة عنه في القيام بأعماله المنوطة به والواجبة عليه، ولقد أثمر ذلك ثماراً عظيماً في حياة الصحابة رضي الله عنهم فكانوا رجالاً رفعوا رايات الإسلام، وتحملوا المسؤولية بأمانة وجد.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢/١٨٨٥.

٥- باب المراقبة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٩-٢٢٠]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُم﴾[الحديد: ٤]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران: ٦]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩] وَالآيات في البابِ كثيرة معلومة.

وأمَّا الأحاديثُ:

الحديث رقم (٦٠)

٦٠- **فالأَوَّلُ:** عَنْ عُمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، قال: «بَيْنما نَحْنُ جُلُوسٌ[1] عِنْد رسولِ اللّه ﷺ، ذَات يَوْمٍ، إذْ طَلع عَلَيْنَا رجُلٌ شَديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى[2] عليْهِ أَثَر السَّفَرِ، ولا يَعْرِفُهُ منَّا أَحدٌ، حتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رَكْبَتَيْهِ إِلَى رُكبَتَيْهِ، وَوَضع كفَّيْه عَلَى فخِذيهِ، وقال: يا محمَّدُ أَخبِرْنِي عن الإسلام؟ فقالَ رسولُ اللّه ﷺ: ((**الإِسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكاةَ، وتصُومَ رَمضَانَ، وتحُجَّ الْبيْتَ إِنِ استَطَعتَ إِلَيْهِ سَبيلاً**)).

قال: صدَقتَ. فَعجِبْنا لَهُ يسْأَلُهُ ويصدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن الإيمانِ. قَالَ: ((**أَنْ تُؤْمِنَ باللّهِ وملائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ، والْيومِ الآخِرِ، وتُؤمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**)). قال: صدقْتَ. قال: فأَخْبِرْنِي عن الإِحْسانِ. قال: ((**أَنْ تَعْبُدَ اللّه كَأَنَّكَ تَراهُ. فإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فإِنَّهُ يَراكَ**)). قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن السَّاعةِ؟ قَالَ: ((**مَا المسْؤُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِن السَّائِلِ**)). قَالَ:

---

(١) هذه اللفظ لا توجد عند مسلم.

(٢) قال النووي: ضبطناه بالياء المثناة من تحت المضمومة، وكذلك ضبطناه في الجمع بين الصحيحين وغيره، وضبطه الحافظ أبو حازم العدوي هنا: "نرى" بالنون المفتوحة. وكذا هو في مسند أبي يعلى الموصلي، وكلاهما صحيح، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٢.

فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟. قَالَ: ((أَنْ تلدَ الأَمَةُ رَبَّتَها، وَأَنْ تَرى الحُفَاةَ الْعُراةَ الْعالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتَطاولُون في الْبُنيانِ))، ثُمَّ انْطلَقَ، فلبثْتُ مليًّا، ثُمَّ قَال: ((يا عُمرُ، أَتَدرِي منِ السَّائِلُ؟)) قلتُ: اللَّهُ ورسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعلِّمُكم دِينَكُمْ)) رواه مسلمٌ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

أماراتها: علاماتها[2].

تلد الأمة ربتها: أي سيدتها ومعناه: أن تكثر السراري حتى تلد الأمة السرية بنتاً لسيِّدها، وبنت السيد في معنى السيد. وقيل غير ذلك[3].

العالة: الفقراء، ومفردها عائل[4].

رِعاء الشاة: الرعاء -بكسر الراء وبالمد- جمع راعي الغنم ويقال فيهم: رُعاة بضم الراء وزيادة الهاء[5].

يتطاولون في البنيان: أي يتبارون ويتنافسون في البناء من أجل المباهاة والفخر[6].

ملياً: أي زماناً طويلاً وكان ذلك ثلاثاً، أي: بعد ثلاث ليال[7].

---

(١) برقم (٨/١). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م ر).

(٣) رياض الصالحين ٧٣.

(٤) رياض الصالحين ٧٣، واللسان والقاموس في (ع ي ل).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٦٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٢.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ط و ل).

(٧) رياض الصالحين ٧٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣.

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث الشريف نستروح نسمات الإيمان، ونشتمّ عبير النبوة، ونتأمل أسرار البيان النبوي الكريم التي يتضمنها هذا الحديث الجامع الذي يعد من جوامع كلمه ﷺ، وأسلوب الحديث يتسم بالشرح والتفصيل، والإقناع والتدليل، وهو مع ذلك في غاية الإيجاز، فلا إسهاب في عباراته، وإنما كل عبارة وراءها معان ومداخل.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، وهو أداء جمالي تربوي قصصي هادف.

فالحديث يبدأ بصيغة السرد والحكاية ويعتمد في بدايته على عنصر المفاجأة والتشويق والدهشة.

والتعبير بقول عمر "بينما نحن جلوس عند رسول الله ذات يوم"، فيه معنى المفاجأة ومعنى الشرط، وهذه القصة واقعية الحدث وليست قصة متخيلة. إنما يروي وقائعها الفاروق عمر رضي الله عنه وأشخاصها هم الأعلى مكانة ورتبة في الخلائق وهم: المصطفى ﷺ وجبريل عليه السلام وبعض الصحابة الأخيار، ودقة الوصف المثير للتأمل والدهشة تتجلى في قول عمر: "إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد".

هذا الوصف فيه مفارقة، لأن الرجل بدا غريباً. فهو ليس من أهل المدينة، ومع ذلك ثيابه نظيفة، وليس عليه مسحة من غبار السفر، وشعره لس أشعث، ورغم ذلك لا يعرفه أحد من الحاضرين.

- والتعبير بقوله: "طلع علينا رجل"، يدل على أنه ظهر بغتة، وهذا التعبير مستعار من طلعت الشمس ولا يذكر إلا فيما له شأن، وذلك مناسب لهذه الشخصية، لأنها في الحقيقة هى شخصية جبريل ﷺ، فقد طلع على الناس طلوع الشمس من خدرها.
- وقال بعض المحققين: طلوعه كذلك يقوي معنى قولهم: "حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن"، والملائكة تتمثل في أحسن الصور،

وتأخذ الزينة، وفي هذا أسوة حسنة لأهل العلم الداعين إلى الله أن يتجملوا من الحلال الطيب بما يحسن منظره ولا يزري بلابسه[1].

- ولنتأمل طريقة جلوس هذا الرجل السائل، حيث جلس من النبي مجلساً يثير تعجب الحاضرين، وذلك لأن جلسته توحي بعدم اكتراث هذا السائل، وبأن هيئته في جلسته هيئة معلّم مهتم بشؤون التعليم والعلم، وهذا ليس شأن السائل المعتاد، ونداؤه لرسول الله "يا محمد" يوحي بعدم التوقير ويثير مزيداً من عجب الحاضرين لمزيد من التشويق ومتابعة ما يدور من حوار وإجابات. وقيل: زيادة في التغريب عند افتتاح الخطاب بالمسألة، وإمعاناً في إيهام السامعين وتعليماً لهم كرر السائل جملة: "أخبرني" أربع مرات في سؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأمارات الساعة، ولفظ "أخبرني" لا يوحي بجهل السائل، وإنما يوحي بمعرفته للإجابة، والقصد من السؤال هو تعليم الحاضرين وكل من يتلقى هذه الإجابات النبوية الدقيقة العميقة، والتعقيب بقول السائل: "صدقت" يؤيد هذا المنحى في تفسير قوله: "أخبرني"، ولذلك تعجب الصحابة: كيف يسأله ثم يصدقه، لأن من شأن السائل أن يكون جاهلاً وغير عارف إجابة السؤال إلا إذا كان في مقام التعليم والتقويم، ويجيبه المصطفى ﷺ موضحاً معالم الإسلام، ومعالم الإيمان وهما متلازمان في العقيدة الصحيحة، وكل معلم وكل ركن من أركان الإسلام الخمسة أسهب في توضيحه الفقهاء وعلماء العقيدة، وتفيض آثارهم العلمية بالذخائر والنفائس في هذا المجال، وكذلك الإيمان يحتاج إلى مجلدات وهى موجودة ومحققة تشرح حقيقته وأركانه ومتعلقاته وهى التي وضحها الحديث الشريف: من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

---

(١) انظر: المختار من كنوز السنة، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان في تفصيل هذا الموضوع.

وقيل: قدم الملائكة على الكتب مراعاة للترتيب الواقع لأنه تعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسل. ولفظ "الملائكة" يفيد معنى توصيل الرسالة، فهم رسل الله إلى أنبيائه.

- والإيجاز البليغ يتمثل في قوله: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، وكذلك الدلالات اللغوية الموحية في تصوير أمارات الساعة تعد من جوامع كلمه ﷺ وفيها نبوءات بما سيحدث، وفيها بشارات بكثرة الفتوحات، وكثرة المخالفات، وفساد الأحوال.
- وعقدة القصة تحل بلحظة التنوير وإضاءة الحدث وهي الكشف عن شخصية السائل وهو جبريل عليه السلام.

فقه الحديث

قال القاضي عياض: "وقد اشتمل على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه. ويقول القرطبي: (فيصلح هذا الحديث أن يقال فيه إنه أم السنة، لما تضمنه من جمل علم السنة)[1]. وفيه من الفقه:

١-تحسين الثياب والهيئة عند الدخول على العلماء والملوك والأدب في مجالستهم:

- قوله: "إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر" قال القرطبي: (فيه دليل على استحباب تحسين الثياب والهيئة والنظافة عند الدخول على العلماء والفضلاء والملوك، فإن جبريل عليه السلام أتى معلّمًا للناس بحاله ومقاله)[2].
- ٢-البدء بالسؤال قبل السلام: قال جبريل عليه السلام: "يا محمد أخبرني عن الإسلام؟" قال ابن حجر: (فإن قيل: فكيف بدأ بالسؤال قبل السلام؟ أجيب بأنه يحتمل أن يكون ذلك مبالغة في التعمية لأمره، أو ليبين أن ذلك غير

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٩٢ – ١٩٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١٣٧/١.

واجب، أو سلم فلم ينقله الراوي، قلت [القائل ابن حجر]: وهذا الثالث هو المعتمد، فقد ثبت في رواية أبي فروة ففيها ((حتى سلم من طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام))[1][2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على مجالسة النبي ﷺ.

ثانياً: من صفات الداعية: الرفق واللين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من واجبات المدعو: التسليم بالحقائق.

خامساً: من موضوعات الدعوة: معرفة أركان الإسلام والإيمان وحقيقة الإحسان.

سادساً: من موضوعات الدعوة: مراقبة الله والإخلاص في عبادته.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: ترك الأمور التي لا تعني الإنسان.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: أمارات الساعة.

تاسعًا: من مهام الداعية: إزالة اللبس والاستغراب عن المدعوين.

عاشراً: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على مجالسة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ...".

قال ابن عثيمين: (وكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون عند النبي ﷺ كثيراً، لأن الرسول ﷺ لا يغيب عن أصحابه رضي الله عنهم أو أهله: إما في البيت: في شؤون بيته ﷺ يحلب الشاة، ويرقع الثوب، ويخصف النعل[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٩٨، والنسائي ٤٩٩٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٣١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٠٤/١.

(٣) انظر في ذلك: ما أخرجه أحمد في مسنده ١٢١/٦.

وإما مع أصحابه في المسجد، وإما ذاهباً إلى عيادة مريض أو زيارة قريب، أو غير ذلك من الأمور التي لا يمضي منها لحظة إلا وهو في طاعة الله[١].

وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ على مجالسته لينالوا شرف مصاحبته وينهلوا من علمه ويتأسوا بأخلاقه وصفاته التي خصه الله بها وجعله خير خلق الله وأعظمهم خُلُقاً قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢] وكذلك ليعلموا أمور دينهم، وكان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حرصاً على أخذ العلم وأمور دينهم عن رسول الله ﷺ لأنه المعلم الأول لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[٣].

ثانياً- من صفات الداعية: الرفق واللين:

يظهر ذلك في قول عمر رضي الله عنه حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. فالرفق واللين من الداعية أمر مطلوب فعليه أن يكون هيناً عطوفاً مشفقاً على الناس، ينظر إليهم على أنه طبيب يعطي كل مريض علاجه الذي يناسبه[٤].

ورسول الله ﷺ كان يحب الحلم والأناة ويعفو ويصفح فلابد أن يقتدي الداعية برسول الله ﷺ الذي ضرب أروع الأمثلة في اللين والرفق بأمته. يقول تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

من الأساليب الدعوية المهمة السؤال والجواب لما لهما من أثر في إثارة انتباه المدعوين

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٦٣/١.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥١.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز أحمد المسعود ٢٨٦/١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

وإقبالهم على ما يقال. ومن الشواهد في الحديث: أن جبريل عليه السلام يسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، ورسول الله ﷺ يجيب.

فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة نظراً لأنه يعمل على جذب انتباه المدعوين، لأجل الإلمام بما يطرح من أسئلة وأجوبة عليها، خاصة إذا كانت متعلقة بأمور الدين والقضايا الأساسية فيه، والأسئلة تثير الرغبة في المدعوين لمعرفة الجواب وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة، العالم بأجوبة المسائل المطروحة[1].

رابعاً- من واجبات المدعو: التسليم بالحقائق:

يظهر ذلك في قول جبريل عليه السلام: "صدقت" فلم ينكر ولم يعارض بل صدق وسلم بالحقائق التي ذكرها رسول الله ﷺ.

فالمدعو مطالب بالتسليم بالحقائق إذا تبينت له: وذلك أن الله تعالى قد أعطى الإنسان عقلاً يميز به بين ما ينفعه وما يضره، وما هو خير، وما هو شر، وقد أرسل الله الرسل والأنبياء، وأنزل معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط. قال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وطالب الله سبحانه أمة الدعوة جميعاً بأن يستجيبوا للرسول محمد ﷺ؛ لأنه يدعوهم لما يحييهم في الدنيا حياة طيبة، ويعطيهم في الآخرة رضا الله. فقال لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٥٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

إن المدعو مطالب بأن يسلم بالحق بمجرد أن يستبين له، ومطالب بأن يكف عن المعصية، ويخرج من ذلها وإثمها، ليستمتع بعز الطاعة وعظيم أجرها عند الله، ومطالب بأن يستمر على طاعته، وأن يستزيد منها ومن فعل الخير. إن المدعو مطالب بذلك كله، وهذا هو الانقياد والانصياع إلى الحق، وهذا هو واجبه الذي لا محيد عنه إلا بهمزات الشياطين من الإنس أو الجن، أو بإغلاق القلب والعقل عن تقبل الحق عناداً أو كبرياء. ومن يفعل ذلك بعد أن يتبين له الحق فإنه يسيء إلى مستقبله مع الله، لأنه لن يفلت من عقاب مخالفة الرسول ﷺ[(١)].

خامساً- من موضوعات الدعوة: معرفة أركان الإسلام والإيمان وحقيقة الإحسان:

يظهر ذلك في سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان. قال رسول الله ﷺ "سلوني"[(٢)] قال النووي: (هذا ليس بمخالف للنهي عن سؤاله، فإن هذا المأمور فيما يحتاج إليه وهو موافق[(٣)] لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٤)].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[(٥)].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٤، ١٥.

(٢) أخرجه مسلم مطولاً برقم ١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي النووي ص ٨٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

والمسلم الذي يجهل أمور دينه يجب عليه أن يسأل العالم بها حتى يعلم حقيقة دينه وأركانه، لأنه يجب على كل مسلم أن يكون لديه إلمام ومعرفة بأركان الإسلام والإيمان والفرق بينهما، وأن يعرف حقيقة الإحسان.

وأن من واجبات الداعية: بيان الأشياء التي يقوم عليها الدين الإسلامي وكذلك الأشياء التي يتحقق بها كمال الدين، وهذا ما فعله النبي ﷺ حينما أخبر عن الإسلام، والإيمان، والإحسان. والدعاة هم الذين حملوا مواريث النبوة، واضطلعوا بأعباء الرسالة. فعليهم أن يقودوا الناس إلى الله، ويوجهوهم إلى وجهة الحق والخير. فتعلو بذلك إنسانيتهم وتسمو مواهبهم ويحققوا معاني الهدى والرشاد[1].

فإن الدعاة إلى الله هم الهداة إلى الله، والدعاة إلى كلمته، والقوامون على دينه، والذائدون عن حرماته، والواقفون على مفترق الطريق يرشدون الحيارى، ويبصرونهم أعلام الطريق.

هؤلاء الذين يبلغون رسالات الله، والذين اصطفاهم الله لحمل أمانته ودعوة الخلق إلى الحق[2]، فينبغي عليهم أن يبينوا للمدعوين أسس الدين وأركانه.

سادساً- من موضوعات الدعوة: مراقبة الله والإخلاص في عبادته:

وهذا ما عبر عنه رسول الله ﷺ بقوله "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فهذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى، لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلا أتى به. فقال ﷺ "اعبد الله في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان" فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يقدم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد،

---

(١) انظر: دعوة الإسلام، السيد سابق، ص ٢٨٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٩٣.

فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك. وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين؛ ليكون ذلك مانعًا من تلبُّسه بشيء من النقائص، احترامًا لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعًا عليه في سره وعلانيته[١].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: ترك الأمور التي لا تعني الإنسان:

يظهر ذلك في سؤال جبريل عن الساعة وإخبار الرسول ﷺ أنّ الخلق كلهم في علمها سواء وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى استأثر بعلمها[٢].

يقول تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: (أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى، فإنه هو الذي يجليها لوقتها أي: يعلم جلية أمرها ومتى يكون التحديد أي لا يعلم ذلك أحد إلا هو تعالى)[٤]. فعلم الساعة يترك لله تعالى ولا يسأل الإنسان إلا فيما يعنيه فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ))[٥].

قال ابن رجب: أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه من قول وفعل، واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال، ومعنى يعنيه: أنه تتعلق عنايته به، ويكون مقصده ومطلوبه[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٣٥/١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٨/٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٨٨/١.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: أمارات الساعة:

قد ذكر رسول الله ﷺ للساعة علامتين:

الأولى: "أن تلد الأمة ربتها" والمراد بربتها سيدتها ومالكتها. وهذا إشارة إلى فتح البلاد، وكثرة جلب الرقيق حتى تكثر السراري ويكثر أولادهن فتكون الأم رقيقة لسيدها، وأولاده منها بمنزلته. فإن ولد السيد بمنزلة السيد، فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها وسيدها[1].

الثانية: "أن ترى الحفاة العراة العالة" أي أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان[2]. وهذه الأمارات من الأشياء التي خص الله عز وجل نبيه بها.

ومن معاني "يتطاولون في البنيان" أن كل قادر يحاول أن يزيد في ارتفاع بنيانه الذي يبنيه حتى يكون أعلى من غيره، في منافسة زائفة لا نهاية لها، ولا هدف من ورائها غير التفاخر والتطاول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والتطاول فيه معنى المنافسة، والمباهاة، والتفاخر، وهو أكثر من التطويل.

وفي هذا الحديث الشريف ذكر المصطفى ﷺ نبوءتين من أشراط الساعة تحققتا بالكامل في العقود المتأخرة من القرن العشرين وما كان أحد يمكن له أن يتخيل - مجرد تخيل - إمكانية وقوعهما: والنبوءة الأولى منهما: "أن تلد الأمة ربتها".

ومن معاني هذه النبوءة النبوية الشريفة أن يسود العالم حثالات البشر من أبناء وبنات الإماء والعبيد، وأبناء الزنا ومجهولي الأنساب بمعنى أن تكون الأم وضيعة الأصل، حقيرة المنشأ، ومعدومة التربية، ثم يصل أبناؤها أو بناتها إلى حكم المجتمعات، ويدعون أمهاتهم فيما هن من هوان وذل وانحطاط.

وقد يكون المقصود بهذا النص النبوي الشريف أن ينتشر عقوق الوالدين، خاصة عقوق الأمهات، وذلك لأن لفظة (الأمة) كما تعني غير الحرة (أي العبدة) وجمعها

---

(١) المرجع السابق ١/١٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٢.

(إماء)، تعني أيضاًأياً من النساء، وبذلك يعني النص أن الناس سوف يصلون إلى زمن يفقدون فيه الاحترام الواجب للوالدين بصفة عامة، وللأم بصفة خاصة فيعاملونها معاملة السيد للخادمة ويهدرون كل ما لها من حقوق، وقد وصل الناس إلى هذا المستوى من نكران الجميل، وغمط الحقوق ولم يكن ممكناً لأحد أن يتصوره أبداً أبداً من قبل عقود قليلة..!!

والنبوءة الثانية في هذا الحديث النبوي الشريف هي: (وأن ترى الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان) وقد تطاولوا!!

ولا يمكن لعاقل أن يتصور مدى التطاول في البنيان الحاصل على سطح الأرض اليوم بصفة عامة، وفي الجزيرة العربية بصفة خاصة، وإن جاز ذلك - وهو لا يجوز - في دول تحتاج إلى شبر من الأرض مثل كل من اليابان وبريطانيا، فلا يجوز أبداً في الصحاري العربية والإسلامية الممتدة لملايين الكيلومترات المربعة، وتكلفة عمارة واحدة من هذه العمارات التي تطاولت في الارتفاع تبنى آلاف الدور، وتنشر العمران على الأرض، تلطف الجو، وتتيح الفرصة لمزيد من الزرع، ولمزيد من المكان لكل من الإنسان، والحيوان، وتخفف الضغط على البيئة، وهي في نفس الوقت أقل كلفة في الإنشاء وفي الخدمة والصيانة والتأمين ضد الحرائق وغيرها من المخاطر، والأمن في حالات الحرروب والزلازل حيث إن مثل هذه العمائر الشاهقة الارتفاع تعتبر نقاط ضعف في حالات الحروب والزلازل لسهولة تدميرها والقضاء على من فيها. هذا غير تأثيرها السيئ على البيئة والإنسان من النواحي البيئية والصحية والنفسية والاجتماعية، فهي تعزل الناس عن بعضهم البعض، وتقطع أو تحد من علاقاتهم، وتشجع على العزلة الاجتماعية والفردية، كما تشجع على الجريمة، وتعزل الناس عن الطبيعة وتفصلهم عن الجيران[1].

وفي الوقت نفسه تلغي الخصوصية وتحرم الأطفال من أماكن لهوهم، وتؤدي إلى ازدحام الشوارع ،وإلى كثرة السيارات بها، وإلى تلوث البيئة، وإلى ضعف الإبصار وإلى العديد من الأمراض الأخرى.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار، ١٥٧/٢ - ١٥٩.

إن كل عربي ومسلم يفرح لانتشار العمران والتقدم المادي في بلاد العرب والمسلمين، ولكنه في نفس الوقت يكره النظام السائد في الإنفاق من أجل التطاول في البنيان في صحاري تحتاج إلى انتشار العمران انتشاراً أفقياً وليس امتداداً رأسياً.

هل يمكن لعاقل أن يبرر هذا التسابق الجنوني على التطاول في البنيان؟ أو يملك النظر إلى هذه الكتل الخرسانية المرتفعة لمستويات مبالغ فيها جداً دون حاجة إلى ذلك إلا أن يفسره بالرغبة في التطاول في البنيان؟ وهل يمكن للناظر إلى القصور الباذخة، والسيارات الفارهة، والإسراف المخل في كل اتجاه إلا أن يدرك حجم المؤامرة على بلادنا العربية والمسلمة لصرف إنفاقها عن الاتجاه الصحيح الذي يهدف إلى بناء الإنسان نفسياً وروحياً، ودينياً، وفكرياً، علمياً وتقنياً، بدنياً وعسكرياً حتى يتمكن من الدفاع عن أرضه ، وعرضه، وماله، ونفسه وولده، ودينه ومقدساته، فلا يكون وما يملك نهباً لقطاع الطريق الدوليين الجدد الذين أغرقوا بلاد العرب والمسلمين في ترف كاذب، وألهوهم عن بناء شعوبهم البناء الصحيح، في الوقت الذي طوروا هم أنفسهم علمياً وتقنياً، وتفوقوا في ذلك تفوقاً كبيراً ليفرضوا إرادتهم على العرب والمسلمين وعلى بقية دول العالم بحد الغلبة العسكرية الجائرة!! [1].

تاسعًا- من مهام الداعية: إزالة اللبس والاستغراب عن المدعوين:

وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما استغرب الصحابة والتبس عليهم أمر جبريل عليه السلام فأزال النبي ﷺ هذا الالتباس والاستغراب بإخباره ﷺ عمر بأنه جبريل جاء يعلمهم أمر دينهم.

وهذا كان شأنه دائماً ﷺ في كل ما التبس على صحابته رضي الله عنهم أو استغربوا له وهو القدوة للدعاة ولعامة المسلمين.

عاشراً- من وسائل الدعوة: التعليم:

إن من الوسائل الدعوية التي تعين الداعية في توصيل دعوته إلى المدعوين: التعليم وقد حفل هذا الحديث بتعليم الأمة أمور دينها من خلال تلك الأسئلة التي طرحها جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وقد أخبر النبي ﷺ "بأنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور

---

(١) المرجع السابق ١٥٩/٢ - ١٦٠.

دينكم". وقال ابن رجب (فمن تأمل هذا الحديث العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف ترجع إليه وتدخل تحته وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث)[١].

ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء، وأن من جهل شيئاً عاداه، فما عليه إلا أن يفتح عقولهم ليسمعوا كلمة الحق ويتبعوا الدين المبين، وليدعوا الناس على بصيرة وفهم. وعلى الداعية أن ينتبه لهذا، ويعلم الناس أحكام الدين، ويعرّفهم بحدود الله، ولا يكتفي منهم بالعاطفة الطيبة... كما لا يكتفي بإلقاء البذرة في الأرض دون تعهدها بالتقشيب والسقي وغير ذلك. فعليه أن يبلغ أن الإسلام دين شامل للحياة وعليه أن يوصي بالاتصال الدائم بكتاب الله فهماً وتدبراً، وسيرة نبيه ﷺ وعليه أن يدعو إلى المحافظة على أركان الدين وأصوله[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ١٣٤.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان يوسف، ٧٥، ٧٦.

الحديث رقم (٦١)

٦١- الثَّاني: عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادةَ، وأبي عبْدِ الرَّحْمنِ مُعاذِ بْنِ جبل رضي الله عنهما، عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: «**اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**» رواهُ التِّرْمذيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ[1].

ترجمة الراويين:

أبو ذر الغفاري: اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً فقيل: جندب بن جنادة، قال بن الأثير: وهو أكثر وأصح ما قيل فيه. والمشهور: جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مُلَيل بن صغير بن حَرام بن غفار، وجاء في سنن ابن ماجه عن أبي ذر قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله وقال: ((يا جنيدب إنما هذه ضِجْعةُ أهل النار))[2] قال ابن حجر: فإن صحّ إسناده فهو صريح في أن اسمه جندب، وهو من كبار الصحابة، وفضلائهم، له صحبة ورواية، روى ٢٨١ حديثاً.

وكان أبو ذر رضي الله عنه قد أسلم قديماً، يقال أسلم بعد ثلاثة وقيل بعد أربعة، فكان خامساً، ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبي ﷺ، ذلك أنّه لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ... تزود وحمل شنَّة له فيها ماء حتى قدم مكة... فجاء النبي ﷺ فطاف بالبيت وصلّى ركعتين خلف المقام، قال أبو ذر: فأتيته، فإني لأول الناس حياه بتحية الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. قال: ((وعليك السلام، من أنت؟))[3] قلت: رجل من بني غفار، فعرض عليَّ الإسلام، فأسلم، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: ((ارجع إلى قومك فأخبرهم

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. ونقل الترمذي عن شيخه في هذا الحديث محمود ابن غيلان أنه قال: والصّحيح حديث أبي ذر أهـ قلتُ: وفيهما انقطاعٌ، وأخرجه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص: ١٣١) بإسناده من طريق الدارمي برقم (٢٧٩٤) ثمّ ذكر له شاهدين وصحّحه. وقال ابن منده في التوحيد (٣٢٨/١): هذا إسناد مشهور، رواه ثقات. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٢٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٧٣، ١٣٢.

واكتم أمرك عن أهل مكة فإني أخشاهم عليك، فقلت: والذي نفسي بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فثار القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه، وقال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام تمر عليهم، وأنقذه منهم))[1]، ثم لحق بقومه فكان هذا أول إسلام أبي ذر رضي الله عنه.

ولما رجع إلى بلاده دعا قومه إلى الإسلام فأسلم بعضهم، ودعا لهم رسول الله ﷺ ولقبيلة أسلم فقال ((غفار غفر الله لها وأسلمُ سالمها الله))[2] وأقام في قبيلة غفار حتى مضت بدر وأحد والخندق -ومع ذلك كان عمر يلحقه بالبدريين- ثم قدم على النبي ﷺ المدينة فصحبه إلى أن مات، ثم خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولي عثمان، ثم سكن الرَّبَذة[3]، حتى مات بها، وكان قد شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد قال النبي ﷺ: ((ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر))، وكان رضي الله عنه ذا علم وافر وأثنى الجميع على علمه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، إذ أنه كان من أوعية العلم المَبّرزين، وعده ابن سعد من الطبقات في أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان كريماً لا يخزن من المال قليلاً ولا كثيراً، رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل كما كان قوّالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم على حِدَّةٍ فيه.

أما عن صفاته الخَلْقية فكان آدمَ[4] طويلاً جسيماً -وقيل كان نحيفاً- كث اللحية.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٢٢، ومسلم ٢٤٧٤، ١٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٨٠١، وابن ماجه ١٥٦، وصححه الالباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٧).

(٣) الرَّبَذة بالراء، وبعدها باء موحدة والذال المعجمة وبالتحريك لها ذكر في أخبار أبي ذر. وكانت قرية عامرة ولكنها خربت سنة ٣١٩هـ بسبب الحروب وتقع في الشرق إلى الجنوب من بلدة الحناكية مائة كيل عن المدينة في الطريق إلى الرياض وبينها وبين مهد الذهب على مسافة ١٥٠ كيلاً. المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص ١٢٥.

(٤) الأُدْمة: السُّمْرة، والآدَمُ من الناس الأَسْمر والجمع أُدْمَانَ، مختار الصحاح في (أ د م).

توفي رضي الله عنه بالرّبْذة سنة (٣١) وقيل سنة (٣٢) وعليه الأكثر، وصلى عليه عبدالله ابن مسعود[١].

معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس أبو عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي. أسلم وسنه ١٨ عاماً، وقد شهد العقبة وشهد بدراً والمشاهد كلها.

جمع الله له الهيبة وجمال الشكل وبهاء المنظر وحسن الأخلاق والإمامة في علم الحلال والحرام وقراءة القرآن.

فقد كان طويلاً أبيض وضئ الوجه حسن الثغر أكحل العينين، كان من أجمل الرجال، ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه، وكان الصحابة إذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا إليه؛ هيبة له.

أحبّه النبي ﷺ وأخبره بحبه، فقال له: يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك[٢].

وقد جمع القرآن في حياة النبي ﷺ[٣] وأمر النبي ﷺ بأخذ القرآن منه، فقال ﷺ: ((خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب))[٤].

وقد شهد له النبي ﷺ بأنه أعلم الصحابة في الحلال والحرام، فقال: ((وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ))[٥].

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٣٥٤/١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١١٠-١١٢)، (٨٠٠-٨٠٢)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٩٦/٦-٩٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١٤٦٦-١٤٦٨)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٦/٢-٧٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٣٠٣/٨، ٣٠٤)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥١٩/٤، ٥٢٠)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٤٠/٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢٠٥٦/٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وغيره وهو الحديث المذكور في الرياض برقم ٣٨٤ وصححه النووي.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٠٣)، ومسلم (٢٤٦٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٩٩) ومسلم (٢٤٦٤).

(٥) أخرجه الترمذي: (٣٧٩٠، ٣٧٩١)، وابن ماجه (١٥٤) وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٥).

وقال عمر: من أراد الفقه فليأتِ معاذ بن جبل. وقال مرة: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ. ولولا معاذ لهلك عمر.

وقد استعمله النبي ﷺ على اليمن ورجع بعد وفاته وكان من أهل مشورة عمر.

ومناقبه كثيراً جدّاً، ومآثره عديدة، يلخصها قول ابن مسعود: إن معاذاً كان أمة قانتاً لله، إن كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام، إن الأمة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ولرسول الله ﷺ، وكذلك كان معاذ بن جبل.

نزل حمص بالشام وكانت وفاته بالطاعون سنة ١٨ وقيل سنة ١٧ وعمره أقل من الأربعين[١].

غريب الألفاظ:

أتبع السيئة الحسنة: أتبع الشيء شيئاً: جعله له تابعاً وألحقه به، والمعنى: إذا فعلت سيئة فافعل حسنة وراءها[٢].

تمحها: تذهب بآثارها وتزيلها[٣].

خالق الناس: خالطهم وعاملهم وعاشرهم[٤].

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٥٨٣/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٥٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٨٧/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٢٥٢، والسير (٤٤٣/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٣٧/٧) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩٧/٤)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٥٨/٧)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٧٨٥/٣).

(٢) انظر: الوسيط ٨١.

(٣) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ١٣٣٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٥٤.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٥٤، اللسان والوسيط في (خ ل ق).

الشرح الأدبي

حين نتأمل صياغة هذا الحديث النبوي الشريف ندرك أنه جاء في قالب الوصية.

وبوارق هذه الوصية تصدر أشعتها الهادية في اتجاهات ثلاثة تحيط بكل ما يحفظ على الإنسان علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالناس، في ظل رؤية إسلامية راشدة.

- وأول إشعاع من أشعة هذه الوصية نقتبسه من قوله عليه الصلاة والسلام، "اتق الله حيثما كنت" وترد الصياغة اللغوية في أسلوب الأمر، والأمر للوجوب، "اتق الله"، والفعل مشتق من الوقاية: أي يقي الإنسان نفسه من غضب ربه وذلك بامتثال أوامره تعالى واجتناب نواهيه، والتقوى لا تكون أسيرة لحظة أو مكان أو مناسبة، وإنما قال المصطفى ﷺ "حيثما كنت".
- والأسلوب هنا شرطي، والجواب محذوف: أي: "حيثما كنت فاتق الله" وهذه قمة المراقبة والخشية؛ فالكينونة تكون في الزمان والمكان، لأن التقوى لابد أن تخالط كينونة المسلم في كل حرف وكل كلمة وكل حركة وكل زمان وكل مكان؛ لأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[1].

والإشعاع الثاني من بوارق هذه الوصية يمثل أفقاً من آفاق الفرج واستمرارية التقوى، وهو الحرص على التوبة والعودة إلى واحة الطاعة وحصن التقوى، وجاء ذلك في أسلوب الأمر وجواب الأمر، وهو يؤكد وجوب هذا المسلك الراشد الذي يتضوأ في هذه الجملة الموجزة التي تحمل المقدمة والنتيجة، والعمل والثواب، (وأتبع السيئة الحسنة تمحها)، والتعبير بـ "تمحها" أكثر تصويراً للموقف والمعنى من تغيرها أو تزلها، وفي هذا اطمئنان لكل من أراد أن يتوب لأن الثواب مضاعف "ويبدل الله سيئاتهم حسنات". والوصية الأخيرة، تمثل الثمرة الحقيقية للتقوى والتوبة وهي ترد في صيغة الأمر الذي يرشد إلى ضرورة إشاعة الخلق الحسن، والعلاقات الحسنة السوية: "وخالق الناس بخلق حسن".

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على تقوى الله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حسن الخلق.

رابعاً: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

جاءت صياغة هذا الحديث الشريف في أسلوب الأمر "اتق الله ... وأتبع السيئة الحسنة ... وخالق الناس..." ولعل ما يفسر استخدام الامر هنا أن هذه المطلوبات الثلاثة مطالب بها كل واحد من المسلمين نظرًا لأهميتها الشديدة ومكانتها السامية، فلا تحتمل تأخيرًا أو تلميحًا، بل يناسبها التصريح والمباشرة، وهذا ما يؤديه الأمر خير أداء.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على تقوى الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "اتق الله حيثما كنت...".

إن التقوى أساس الدين وبها يرتقي إلى مراتب اليقين[1]. وتقوى الله تكون في كل زمان ومكان؛ لأن التقوى من الأمور التي حث عليها الإسلام ورغب فيها وجعلها سبباً لكثير من الخيرات قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

قال السعدي: (أن تقوى الله وسيلة إلى حصول العلم، وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[3] أي علماً تفرقون به بين الحق والباطل)[4].

---

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٥٤/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١].

قال السعدي: (فكل من اتقى الله، ولازم مرضاته في جميع أحواله يثيبه الله في الدنيا والآخرة، ويسوق له الرزق من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به[٢]. وغيرها من الآيات التي ترغب في تقوى الله وتبين أنها سبب في تيسير الأعمال وتكفير الذنوب وحصول المطلوب.

كذلك حث النبي على تقوى الله وأمر بها في كثير من أحاديثه منها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال ((أتقاهم))[٣] وكان يدعو بها ﷺ ويقول ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ))[٤] وغيره مما حث على تقوى الله وذلك لأن الله وعد المتقين بقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[٥]. ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبته: (أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله، و أن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٦])[٧].

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٠٦.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٣٥٣، ومسلم ٢٥٢٦.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٧٢.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) الخبر في المصنف لابن أبي شيبة ٢٥٨/١٣، ورواه من طريقه الحاكم في المستدرك ٣٨٣/٢، وأبو نعيم في الحلية ٣٥/١، وصححه الحاكم، ورده الذهبي بقوله: عبدالرحمن بن إسحاق كوفي ضعيف.

ولما حضرته الوفاة، وعهد إلى عمر، فوصَّاه بوصيةٍ، وأول ما قال له: اتق الله يا عمر.

وكتب عمر إلى ابنه عبدالله: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل، فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك.

واستعمل عليٌّ بن أبي طالب رجلاً على سريَّةٍ، فقال له: أوصيك بتقوى الله الذي لا بدَّ لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإياك من المتقين.

ولما وُلِّي خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، فإنَّ تقوى الله عز وجل خلفٌ من كل شيء، وليس من تقوى الله خلف.

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله والإحسان. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وقال له رجل يريد الحج: أوصني، فقال له: اتق الله، فمن اتقى الله، فلا وحشة عليه.

وقيل لرجل من التابعين عند موته: أوصنا، فقال: أوصيكم بخاتمة سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1].

وكتب رجل من السلف إلى أخٍ له: أوصيك بتقوى الله، فإنها أكرم ما أسررت، وأزين ما أظهرت، وأفضلُ ما ادَّخرت، أعاننا الله وإياك عليها، وأوجب لنا ولك ثوابها.

وكتب رجل منهم إلى أخ له: أوصيك وأنفسنا بالتقوى، فإنها خير زاد الأخرة والأولى، واجعلها إلى كل خيرٍ سبيلك، ومن كل شر مهربك، فقد توكل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون.

وقال شعبة: كنتُ إذا أردت الخروج، قلت للحكم: ألك حاجةٌ، فقال: أوصيك بما أوصى به النبي ﷺ معاذ بن جبل: ((اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٨.

تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)). وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: ((اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغني))[١][٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حسن الخلق:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "... وخالق الناس بخلق حسن".

إن حسن الخلق من الموضوعات ذات الأهمية البالغة في الدعوة الإسلامية، وذلك لأن حسن الخلق أساس عظيم من أسس الأخلاق الإسلامية وقد سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة؟ فقال: "تقوى الله وحسن الخلق"[٣].

قال السعدي: (حسن الخلق ومكارم الأخلاق تحبب العبد إلى أعدائه، وسوء الخلق ينفر عنه أولاده وأصدقاءه. ومن مزايا حسن الخلق أن صاحبه يتمكن من إرضاء الناس على اختلاف طبقاتهم، كل من جالسه وخالطه أحبه، لا يمله الجليس)[٤].

وكذلك رسول الله ﷺ رغّب في حسن الخلق لأن حسن الخلق ينعكس على الفرد وعلى الجماعة. وقد كان رسولنا الكريم أحسن الناس أخلاقاً وقد رغب ﷺ في حسن الخلق فقال: (أَكْمَلُ المؤمنينَ إيماناً أحْسَنُهُمْ خُلُقاً)[٥] إن رسول الله ﷺ هو القدوة لنا في حسن الخلق وسعة صدره وتلطفه مع الناس ورفقه بهم وحلمه مع جهل عليه وقد زخرت السنة بنماذج عظيمة في حسن خلقه ﷺ وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: "كان خلقه القرآن"[٦].

قال ابن رجب: (وقوله: "وخالق الناس بخلقٍ حسن" هذا من خصال التقوى، ولا تتم

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٢١، وفيه العفاف بدل العفة.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٠٥-٤٠٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤ وقال الالباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٠).

(٤) الرياض الناضرة، ص ٧٧، ٧٨.

(٥) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

(٦) أخرجه مسلم ٧٤٦.

التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنصّ له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلمًا لهم ومفقهًا وقاضيًا، ومن كان كذلك، فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيرُه ممن لا حاجة للناس به ولا يخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته وإهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدًا لا يقوى عليه إلا الكمل من الأنبياء والصديقين.

وقال الحارث المحاسبي: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة.

وقال بعض السلف: جلس داود عليه السلام خاليًا، فقال الله عز وجل: مالي أراك خاليًا؟ قال: هجرت الناس فيك يا رب العالمين، قال: يا داود ألا أدلك على ما تستبقي به وجوه الناس، وتبلغ فيه رضاي؟ خالق الناس بأخلاقهم، واحتجز الإيمان بيني وبينك.

وقد عدَّ الله في كتابه مخالقة الناس بخلق حسن من خصال التقوى، بل بدأ بذلك في قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سعيد المقبري قال: بلغنا أن رجلاً جاء إلى عيسى بن مريم عليه السلام، فقال: يا معلم الخير، كيف أكون تقيًا لله عز وجل كما ينبغي له؟ قال: بيسير من الأمر: تحبُّ الله بقلبك كله، وتعمل بكدحك وقوتك ما استطعت، وترحم ابن جنسك كما ترحم نفسك، قال: من ابن جنسي يا معلم الخير؟ قال: ولدُ آدم كلهم، وما لا تحب أن يؤتى إليك، فلا تأته لأحدٍ وأنت تقي لله عز وجل كما ينبغي له.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق أكمل خصال الإيمان، كما خرج الإمام أحمد

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

وأبو داود من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا)) وخرجه محمد بن نصر المروزي، وزاد فيه: ((وإن المرء ليكون مؤمنًا وإنَّ في خلقه شيئًا فينقُصُ ذلك من إيمانه)).

وخرّج أحمد وأبو داود النسائي وابن ماجه، من حديث أسامة بن شريك قال: قالوا يا رسول الله، ما أفضل ما أعطي المرء المسلم؟ قال: ((الخلق الحسن)).

وأخبر النبي ﷺ أن صاحب الخلق الحسن يبلُغُ بخلقه درجة الصائم القائم لئلا يشتغل المريد للتقوى عن حسن الخلق بالصوم والصلاة، ويظن أن ذلك يقطعه عن فضلهما، فخرج الإمام أحمد وأبو داد من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات الصائم القائم)).

وأخبر أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأن صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلسًا، فخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي من حديث أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، قال: ((ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)). وخرج ابن حبان في "صحيحه" في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟" قالوا: بلى، قال: "أحسنكم خلقًا".

رابعاً- من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

إن من أهم ما يجب على الداعية القيام به، وعدم الغفلة عنه، هو الحرص على نفع المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه نفعهم، مثل: أمره بتقوى الله في كل حال، وفعل الحسنات والتخلق مع الناس بالأخلاق الحسنة، وتذكير المدعوين بما يجب عليهم نحو ربهم من تقواه ومراقبته والخوف من عقابه وتذكيرهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. وكذلك حثهم على كسب الحسنات، والبعد عن الذنوب والمعاصي.

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

وكذلك ما يجب عليهم نحو إخوانهم من حسن الخلق وذلك لأن الإسلام ربط بين تقوى الله وحسن الخلق فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة فقال ((تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ))[1] إن من أوجب الواجبات على الداعية حث المدعوين على تقوى الله تعالى، والتزود منها، نظرًا لعموم نفعها في الدنيا والآخرة ولحاجة كل مسلم إلى ذلك، وحاجته أيضًا للأخلاق الحسنة التي تؤهله إلى أعلى المنازل يوم القيامة.

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤، وقال الألباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٠).

الحديث رقم (٦٢)

٦٢- الثَّالثُ: عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يومًا فقال: «يَا غُلامُ إنِّي أُعلِّمكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّه، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، واعلَمْ: أنَّ الأُمَّةَ لَو اجتَمعتْ عَلَى أنْ ينْفعُوكَ بِشيْءٍ، لَمْ يَنْفعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَد كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوك بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بَشَيْءٍ قد كَتَبَهُ اللَّه عليْكَ، رُفِعَتِ الأقْلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ». رواهُ التِّرمذيُّ وقَالَ: حديثٌ حسنٌ صَحيحٌ[1].

وفي رواية غيرِ التِّرْمِذيِّ: «احفظَ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إلَى اللَّهِ في الرَّخَاءِ يعرِفْكَ في الشِّدَّةِ، واعْلَمْ أنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ واعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وأنَّ مَعَ الْعُسرِ يُسْراً»[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

رفعت الأقلام وجفت الصحف: أي كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة بعد فراغ الكاتب من كتابته[3].

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦). قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس (٦٠/١): وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وابن أبي مليكة وغيرهم، وأصحّ الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي أخرجها الترمذي، كذا قاله ابن منده وغيره.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٣١/٩)، والحاكم في المستدرك (٥٤٢/٤). قال السخاوي في المقاصد (ص: ١٥٧): ومن طريق الطبراني أورده الضياء في المختارة، وهو حسنٌ.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف ع)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٤٦.

الشرح الأدبي

- تكمن عظمة منهج الإسلام التربوي في أنه يستند في أساسه على العبادة بمعناها الواسع الشامل، وعلى الصلة الدائمة بالله، فالتربية على أساس العبادة تزود الإنسان دائماً بشحنات متتالية من القوة، وهي مستمدة من قوة الله عز وجل، ولقد وضح الدين الإسلامي أن للعبادة دوراً رئيساً في حياتنا وسلوكنا، وأن هذه العبادة ليست مجرد شعائر تؤدى فحسب، بل إن لها كذلك دورًا إيجابيًا مهمًا في تكوين شخصية الفرد وصقلها: والمفهوم الصحيح للعبادة هو ما أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[1]، فأجاب رحمة الله: بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالعبادة تشمل الفرائض التعبدية كما تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد والأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهود[2].
- وانطلاقاً من هذا المفهوم المتسع للعبادة والسلوك الإسلامي تجئ هذه الوصايا المشرقة في هذا الحديث الشريف والمصطفى ﷺ يتوجه بها في أسلوب تربوي تعليمي إلى عبدالله بن عباس وهو غلام في سن العاشرة وكان قد أردفه خلفه على دابته. وقيل: إن هذه الوصايا الجامعة الرفيعة المقدار، الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر، فيها دليل على أنه ﷺ علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة وكمال الأخلاق وحسن الأحوال.
- وهذه الوصايا المحكمة تؤكد اهتمام الإسلام بالطفولة، وحرص النبي ﷺ على غرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة، وقد ضرب المثل،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤٩/١٠.

وأعطى الأسوة الحسنة في تعليمه لابن عباس، وقال له: "إني أعلمك كلمات ..." الحديث.

وعنايةً من الإسلام بمستقبل الطفل أمر الآباء بحسن رعاية أبنائهم والقيام على تربيتهم وفق مفاهيم الإسلام، وأرشد الآباء إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التي تجعله رجلاً قوياً ثابتاً متزناً في كل خطواته وتحركاته وأقواله وأفعاله.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الذي يعد وثيقة تربوية تعليمية يتأسى بها علماء التربية وهم يخططون لثقافة الطفل وتربيته وتنشئته على أسس صحيحة.

- ورواية الحديث على لسان ابن عباس رضي الله عنهما: ترشد إلى الطريقة التربوية التي كان يعامل بها النبي ﷺ أصحابه وأبناء الصحابة وهى الملاطفة والحرص على تقديم النصيحة في أي وقت حتى وقت ركوب الدابة، وفي ذلك عدم تضييع الوقت، ولكن يجب استغلال كل دقيقة في النصح والتعليم.
- والنداء في قوله ﷺ: "ياغلام" فيه إيناس وتنبيه إلى أهمية ما بعد هذه النداء، والنداء بحرف الياء للإشعار بمزيد من الاهتمام والانتباه، وكذلك لم يحدد اسم الغلام مع أنه معروف وذلك للإشعار بأن هذه الوصايا ليست خاصة بابن عباس وإنما هى موجهة إلى كل من في مثل سنه وإلى كل مسلم بصفة عامة، والحديث -كما يقول العلماء- أصل عظيم في مراقبة الله ومراعاة حقوقه، والتفويض لأمره، والتوكل عليه، وشهود توحيده وتفرده، وعجز الخلائق كلهم وافتقارهم إليه[1].

والتأكيد في قوله: "إني أعلمك كلمات" يرشد إلى أهمية هذه الكلمات القليلة التي يسهل حفظها، وتحديد مصطلح "التعليم" فيه إيذان بوجوب هذا الأمر على كل مسؤول وعالم وأب بأن يتولى مسؤولية تعليم الأبناء وإرشادهم إلى الطريق الصحيح. وقوله "كلمات" في هذه الصيغة المنكرة للإيحاء بقلتها وسرعة حفظها، وذلك من باب الترغيب الذي يوائم العمر الزمني وحاجات الطفولة للتيسير، والتكرار في كثير من

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/ ٢٠٠.

جمل الحديث وكلماته له وظيفة تأثيرية تناسب جو الطفولة، لأن الغلام في هذه السن يحتاج إلى توضيح وتفصيل، والحديث في روايتيه يتكون من عشرة وصايا وفيها يتكرر كثير من الكلمات والجمل، وتتقارب المعاني وتتقابل في هذه الوصايا التربوية الأخلاقية الرائعة.

"احفظ الله يحفظك" هذه الوصية من جوامع كلمه ﷺ، فقد جمعت سائر أحكام الشريعة قليلها وكثيرها، وهي صيغت في قالب الأمر وجوابه، وألفاظها قليلة، ومعانيها كثيرة مترامية، وليس بها لفظ غريب، ولا تركيب ملتوٍ غامض، ولا أسلوب معقد ، وإنما هى تسطع وتتوهج كالشمس في كبد السماء.

"احفظ الله تجده تجاهك"، وهنا يتكرر فعل الأمر، "احفظ الله"، وهو ملازمة تقوى الله، وفي ذلك صلة وتواصل مع الحديث السابق: "اتق الله حيثما كنت". والوصية السابقة كانت للرجال، أما هذه الوصايا فهي للغلام الذي يعد لرجولة كاملة في ظل تعاليم الإسلام، والتعبير بقوله: "تجده تجاهك" أي: تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة.

والوصية الثالثة: "إذا سألت فاسأل الله"، وهذه الوصية في صيغة الشرط والجزاء، وأداة الشرط "إذا" وهى للتحقق، ويرشد ذلك إلى أن الله يحقق للعبد السائل المخلص رجاءه وسؤاله، وكذلك تربي هذه الوصية المسلم على الشجاعة وعدم إراقة ماء الوجه أمام أي مخلوق.

والوصية الرابعة: وهى الاستعانة لا تكون إلا بالله، في ظل سؤال الله الخالص من كل شائبة من الشرك والظنون والأوهام، وتكرار لفظ الجلالة أربع مرات في هذه الوصايا، يؤكد ثبات عقيدة المسلم واطمئنانه إلى حفظ الله وإجابته وإعانته في كل أموره الخاصة والعامة في دنياه وآخرته.

والوصية الخامسة: تغلفها عدة ظواهر أسلوبية ومنها الأمر والتأكيد والشرط والقصر، وهي تؤكد بهذه الأساليب أن النفع لا يكون إلا من الله، ولذلك يجب أن لا يتوهم الإنسان نفعاً خالصاً من أحد، والتعبير بـ"لو" يدل على أن النفع الجماعي من

البشر مستحيل ويكون عدمًا هباء، إذا أراد الله سبحانه وتعالى غيره وقدّر سواه.

والوصية السادسة: تجيء متوازية ومتوازنة في أسلوبها مع الوصية السابقة: ولكن تتغير أداة الشرط وهي "إنْ" لأن وقوع الضرر من الممكنات البشرية، والنفس أمارة بالسوء، وقيل: إن اجتماع الناس على الإمداد والنفع من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الأذى فإنه ممكن. وبين الوصيتين مقابلة أسلوبية وتضاد في المعنى، وهذا التضاد كان من أسباب تغير أداة الشرط، والتضاد بين "لك" و"عليك" يشير إلى ثمرة كل من الوصيتين.

- وبقية الوصايا في الرواية الثانية تحصنها عدة ظواهر أسلوبية مثل الأمر والتكرار والطباق والمقابلة لتأكيد المراد.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجب الدعاة: الاهتمام بالموهوبين وأصحاب العبقريات من صغرهم.

ثانيًا: من الحلول الدعوية العملية لمشاكل التعليم: استخدام الوسائل المتاحة.

ثالثًا: من المهام الدعوية: الحرص على الجمع بين المعلم المتقن والطالب المُجِدُّ:

رابعًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

خامسًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

سادسًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الالتجاء إلى الله تعالى، وسؤاله سبحانه.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الأمور تجري بقدر الله.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: حسن الصلة بالله.

- عاشرًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اليقين في الله.

أولاً- من واجب الدعاة: الاهتمام بالموهوبين وأصحاب العبقريات منذ صغرهم:

إن النبي ﷺ يعرف عبقرية ابن عباس وموهبته وكيف لا وهو الذي دعا له "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل". لذلك حرص النبي ﷺ أن يردفه خلفه على دابته وأن يخصه بهذا الدرس العلمي الجامع النافع.

ثانيًا- من الحلول الدعوية العملية لمشاكل التعليم: استخدام الوسائل المتاحة:

استخدام الوسائل المتاحة: فقد جعل النبي ﷺ من ظهر الدابة فصلاً مدرسيًا متنقلاً، مما يوجب على الدعاة توظيف الوسائل المتاحة في كل بيئة للتعليم والدعوة وفي ذلك تيسير عملية التعليم واستغلال الأوقات التي لا تمر دون فائدة.

ثالثًا- من المهام الدعوية: الحرص على الجمع بين المعلم المتقن والطالب المُجِدُّ:

حيث كان المعلم رسول الله ﷺ وكان الطالب عبدالله بن عباس وإذا توفر للتعليم ذلك وللدعوة خطت الأمة خطوات عظيمة نحو التقدم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

أ- النداء: يعد النداء من الأساليب الدعوية التي لا يستغني الداعية عن الإفادة منها في الدعوة، وقد ورد النداء في هذا الحديث في قوله ﷺ "يا غلام" و(يا) النداء تستعمل لنداء البعيد حقيقة، أو حكماً، ولكن تستعمل مع القريب للتوكيد، وللتنبيه[1]. وهذا ما فعله النبي ﷺ مع ابن عباس في قوله (يا غلام) لشد انتباهه، وتأكيداً لأهمية النصيحة التي سوف يذكرها له.

ب- الأمر: وهو من الأساليب الدعوية المهمة لأنه يدل على أهمية الموضوع، وحرص الداعية على طلبه، ويشعر المدعو بضرورة الاستجابة لهذا الأمر لأهمية المأمور به، وذلك لأن الأمر بالشيء أمر بجميع ما لا يتم الشيء إلا به، وهذا ذكره السعدي[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ ورسول الله ﷺ استخدم أسلوب الأمر في أكثر من موضع في هذا الحديث "احفظ الله... فاستعن بالله.. وأعلم أن الأمة... تعرَّف إلى الله..." وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على تأكيد الأمر على ابن عباس.

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي ص ١٣٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن اللويحق ص ٤٦٦.

خامسًا- من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

من صفات الداعية الحرص على نفع المدعوين ويستنبط هذا من مجموع الوصايا التي أوصى بها ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما في هذا الحديث والتي تبين ما اتصف به النبي ﷺ من حرص على نفع المدعو من خلال جملة الوصايا التي عهد بها إليه والتي تؤكد على أهمية تأسي كل داعية بالنبي ﷺ وحرصه على نفع المدعوين.

قال ابن رجب: (هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كليّة من أهم أمور الدين)[١]. إن هدف الداعية حب الخير للمدعوين، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وحرص الداعية على نفع المدعوين وتحقيق الخير لهم يجعل القلوب تلتف حوله ويقبلون دعوته[٣].

سادسًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

يعتبر التعليم من أهم الوسائل الدعوية وذلك لأن التعليم هو الذي ينقل الدعوة من الداعية إلى المدعو وكذلك ينقل العلم من جيل إلى جيل عن طريق التعليم وقد جعل الإسلام رفعة الإنسان بالعلم قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٤].

وكان التعليم وسيلة دعوة ابن عباس حيث علّمه رسول الله ﷺ من خلالها جملة من الحقائق المفيدة له وهي: حفظ نفسه من المعاصي من أجل أن يحفظه الله، وكذلك الالتجاء إليه، وسؤاله، والاستعانة به، وترك غيره، والاعتماد على الله وحده، وإخلاص

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٦٢/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز: محمد عبدالفتاح الدميري، ص ٦١، ٦٢.

(٤) سورة المجادلة: آية ١١.

العبودية لله تعالى، لذا كان من اللازم للداعية أن يفيد من هذه الوسيلة الدعوية التي جاءت في صورة وصايا عظيمة من النبي لابن عباس رضي الله عنهما وللأمة من بعده.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: الالتجاء إلى الله تعالى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله".

قال ابن رجب: (واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين لأن السؤال إظهار الذل من السائل، والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر وجلب المنافع ... ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده، لأنه حقيقة العبادة... وأما الاستعانة بالله دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وهذا معنى قول (لا حول ولا قوة إلا بالله)[1].

يظهر هذا من قوله ﷺ "واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك..." قال ابن رجب المراد أن ما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه، فكله مقدّر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب من ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعاً[2].

وقد دل القرآن على مثل هذا في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[3]، وفي ذلك تقوية لعقيدة المؤمن، وزيادة في إيمانه، مما يدفع الوساوس والمخاوف التي تسيطر على الإنسان في حياته، وتجعله يخضع لمخلوق مثله، يتملقه وينافقه، ويطلب رضاه، ويخشى غضبه إلى غير ذلك من الأمور التي يتوجس المؤمن من عواقبها، إلا أن يقين المؤمن بأن الأمور تجري بقدر الله يحرره من كافة المخاوف، ويجعله يقبل على الحياة باطمئنان وثقة، لا يرجو إلا فضل الله تعالى.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٨١، ٤٨٢.

(٢) المرجع السابق ٤٨٣، ٤٨٤.

(٣) سورة التوبة: آية ٥١.

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: حسن الصلة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث ويتحقق حسن الصلة بالله بحفظ أوامره واجتناب نواهيه وذكر الله ومعرفته في الصحة والرخاء فإذا اتقى العبد الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته كانت صلته بالله قوية ولا يلجأ إلى الله في شيء إلا أعطاه إياه. قال رسول الله ﷺ: ((إن اللَّهَ تعالى قال: ... وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأَعطينه، ولئن استعاذني لأعيذَنه))[1].

عاشرًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اليقين في الله:

يظهر هذا من دعوته ﷺ إلى الصبر على الشدائد والرضا بالقضاء في قوله ﷺ: "واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك فمهما يصيب المسلم من شدة وكرب فلابد أن يكون على يقين في أن هذا الأمر فيه خير له وأن هذا البلاء سوف يزول ويفرج الله عنه الكرب ويجعل له من أمره يسراً، واليقين يعين العبد على أن ترضى نفسه بما أصابه.

(وتظهر حقيقة اليقين بالله في مراحل الضعف؛ إذ ليس صاحب اليقين من تنفرج أساريره وينشرح صدره، ويتهلل وجهه حين يرى قوة الإسلام وعزة أهله، وبشائر نصره، وإنما يكون اليقين لصاحب الثقة بالله مهما حلك الظلام، واشتد الضيق، واجتمعت الكروب، وتكالبت الأمم؛ لأن أمله بالله كبير ويقينه بأن العاقبة للمتقين، وأن المستقبل لهذا الدين)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٣٥.

الحديث رقم (٦٣)

٦٣- الرَّابعُ: عنْ أَنَس ﷺ قالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، كُنَّا[1] نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقاتِ» رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أدق: أصغر[3].

الموبقات: الذنوب المهلكات[4].

الشرح الأدبي

- إن المسلم يجب أن يتحلى بخلق المراقبة، ويجب أن يرقى إلى مقام الإحسان في العبادة، فالإحسان كما حدده جبريل في حواره مع رسول الله ﷺ هو: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[5]، وهذا التوجه هو السر في إدراج هذا الحديث في باب المراقبة، لأن المؤمن عليه أن لا يستهين بأي أمر فيه أدنى مخالفة أو شبهة تقدح في عقيدته أو سلوكه، حتى يظل قلبه مضيئاً بنور التقوى والخشية والورع والصلة الدائمة بالله عز وجل؛ ولنتساءل: ماذا في صيغة هذا الحديث من كلام النبي ﷺ؟. إن الحديث رواه البخاري وهو من لفظ "أنس بن مالك" ﷺ ولكنه يتفق في معناه مع كثير من أحاديث رسول الله ﷺ ومع كثير من الأمور التي أقرها

---

(١) عند البخاري زيادة: (إن كنا).

(٢) برقم (٦٤٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٣).

(٣) انظر: الوسيط في (د ق ق).

(٤) رياض الصالحين ٧٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ي (و ب ق).

(٥) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.

المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولنتأمل الظواهر الأسلوبية والفنية التي تبرز جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي رواه البخاري.

- وأول ظاهرة تدعونا إلى التأمل والتفكر هي الخطاب الجمعي الذي ورد في أسلوب التوكيد الموجه من أنس الراوي الأعلى، إلى المتساهلين في الأعمال الذين يستهينون بكثير من الصغائر، وهذا الخطاب الجمعي يوحي بأن هذا السلوك سينتشر بين أفراد الأمة، ولذلك يحذر منه أنس عن طريق الإيحاء بقوله: "كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات" أي: المهلكات.

واقتران الفعل "تعملون" باللام زيادة في التوكيد والتنبيه على خطورة هذا السلوك الذي يستهين ببعض الأعمال المخالفة، ومجيء الفعل "تعملون" في صيغة المضارع يوحي باستمرار اقتراف هذه الأعمال، ومن ثم يكون الاعتراض الضمني على ذلك، وتنكير لفظ "أعمالاً" يوحي بشيوع هذا السلوك وكثرته، وكذلك يوحي بعدم إحساس الناس بخطورة هذه الأعمال وأثرها الضار على سلامة عقيدة المسلم وسلامة منهجه في الحياة وهو لا يأبه بنتائج هذه الأعمال غير المرضية.

وتصوير الأعمال بأنها أدق في الأعين من الشعر للمبالغة في عدم إحساس الناس بأضرارها فهي لا تكاد تحس، ولا يكاد يشعر القائمون بها بمدى ضررها لظنهم أنها من المباحات أو من "المسكوت عنه" وهم لا يدركون أنها من الشبهات، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، وتأمل قوله: "كنا نعدها على عهد رسول الله من الموبقات"، فالتعبير بالفعل "كنا" في صيغته الجمعية يدل على أن هذا كان سلوكاً عاماً عند الصحابة وذلك لكمال الخشية الناشئة عن كمال المعرفة[1].

والتعبير بالفعل "كنا" في هذه المادة اللغوية يوحي كذلك بالتحسر على قيمة الورع والخشية التي كادت تضيع في سياق السلوكيات التي تستهين بصغائر الأمور ولا تتقي الشبهات.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧١.

ولفظ: "الموبقات" يعطي دلالة الهلكة، والهلاك هو صفة جامعة لكل أنواع الخسران في الحياة الدنيا والآخرة وتقول العرب: وبقت الإبلُ في الطين إذا وحلت فنشبت فيه، فالصغائر تغرق الإنسان في الذنوب، والموبقات هي الذنوب المهلكات.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من تاريخ الدعوة: الدعوة في العهد المدني.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب من استصغار الذنوب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان ورع الصحابة رضي الله عنهم.

خامساً: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في هذا الحديث في قوله (إنكم لتعملون...) وقد استعمل التوكيد هنا لبيان أن الأعمال التي كان الناس يأتونها بعد رسول الله ﷺ وهي أدنى من الشعر في أعينهم، كان الصحابة رضي الله عنهم يعدونها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات. وقد أفاد التوكيد هنا بيان تلك الحالة التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ من الورع والخشية لله تعالى، وشدة المراقبة لأنفسهم.

ثانياً- من تاريخ الدعوة: الدعوة في العهد المدني:

يظهر هذا في قول أنس رضي الله عنه: "... كنا نَعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ ...".

والعهد المدني هو بداية الدولة الإسلامية وبداية تكوين مجتمع له نظمه، وتشريعاته العظيمة أما العهد المكي فهو عهد تربية وإعداد، وقد ربى رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، واستطاع أن يصوغ منهم مجتمعًا يطبق شرع الله، ويعمل على نشر الإسلام، وإقامة دولته التي كانت نواتها الأولى في المدينة النبوية، وكان يدعو إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

فحينما هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم بدأت الدعوة في العهد المدني، واستمرت عشر سنين، خاض فيها رسول الله ﷺ أشهر غزوات الإسلام، وقاد

أصحابه من نصر إلى نصر، ومن فتح إلى فتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، والتفوا حول نبيهم ومعلمهم، وإمامهم وقائدهم ﷺ يفدونه بأرواحهم، ويؤثرونه على أنفسهم، وكان يفيض عليهم من بره ورحمته وعطفه ورأفته[١].

فمجتمع المدينة كان مجتمعاً مثالياً، تسوده الفضيلة، ويطبق شرع الله، لا مكان فيه إلا لحب الله ورسوله، ونصرة دين الله.

فالعهد المدني عهد مجتمع له نظمه، وتشريعاته العظيمة، فمن نظمه: ذلك الإخاء الإسلامي الذي قام بين المهاجرين والأنصار، وهو أعجب نظام اجتماعي عرفته البشرية.

ومن تشريعاته ما أذن به الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين من قتال المعتدين ومحاربة المعاندين الظالمين، فكان في ذلك تأمين لحرية الدعوة ودفع للعدوان ومنع للفتنة في الدين.

ولم يكن تشريع الجهاد قاعدة من قواعد نشر الدعوة إلى الله وتبليغ الرسالة، وإنما كان علاجاً لمرض فجور الكفر وعتو العناد عند المشركين[٢].

لقد استطاع النبي ﷺ أن ينطلق بالدعوة الإسلامية في العهد المدني وأن يبعث بأصحابه رضي الله عنهم إلى البلدان والأمصار، وأن يرسل الرسائل والكتب إلى الملوك والقياصرة، وكان العهد المدني عهد ازدهار وانتشار للدعوة الإسلامية.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب من استصغار الذنوب:

إن من أساليب الدعوة: الترهيب، وفي هذا الحديث ترهيب من استصغار الذنوب لأن استصغار الذنوب سوف يؤدي بالإنسان إلى المهالك، ولأن الأصل في الإسلام أن الإنسان محاسب على كل شيء صغيراً كان أم كبيراً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٣] وعن عبدالله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ

---

(١) انظر: الأسلوب النبوي في الدعوة، د. الشريف حمدان راجح الهجاري ص ٥٣٤.

(٢) المرجع السابق ٥٣٤.

(٣) سورة الزلزلة: آية ٨.

فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً كمثل قوم تركوا أرض فلاة فحقر صنيع القوم، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا سوادًا فأججوا نارًا، وأنضجوا ما قذفوا فيها))[١].

وقال ابن بطال: المحقرات إذا كثرت صارت كباراً مع الإصرار، وعن أبي أيوب الأنصاري قال: ((إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به، وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقًا حتى يلقى الله آمناً))[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المراقبة لأنفسهم:

يظهر ورع الصحابة رضوان الله عليهم في قول أنس: "... كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات" أي من المهلكات وهذا لا عجب فيه فإن صحابة رسول الله ﷺ أفضل الأمة إيماناً وخلقاً وتمسكاً بالحق وطلباً لرضاء الله عز وجل وقد قال في حقهم رسول الله ﷺ ((خيرُ النّاسِ قَرني...))[٣]؛ لأنهم كانوا ينهلون من معين رسول الله ﷺ، كان القرآن ينزل على النبي ﷺ، فيتلوه عليهم، وكانوا يزنون أنفسهم بميزان الإسلام، يدققون في أعمالهم، ويحاسبون أنفسهم محاسبة شديدة.

خامساً- من واجبات الداعية الحرص على مصلحة المدعوين:

إن من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية حرصه على مصلحة المدعوين وأن يبين لهم حقيقة أفعالهم فإذا كانت خيراً أثنى عليه وإذا كانت شراً نهى عنه وهذا ما فعله الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه عندما رأى الناس لا يتهاونون في بعض الأمور العظيمة، قال ابن عثيمين: (أنس بن مالك من المعمرين، فبقي بعد النبي ﷺ حوالي تسعين سنة، فتغيرت الأمور في عهده رضي الله عنه، واختلفت أحوال الناس وصاروا يتهاونون في بعض الأمور العظيمة في عهد الصحابة رضي الله عنهم)[٤].

---

(١) مسند أحمد ٤٠٣/١ رقم ٣٨١٨ وقال محققو المسند حسن لغيره.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٥١، ومسلم ٢٥٣٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢٣٥/١.

الحديث رقم (٦٤)

٦٤- الْخَامِس: عَنْ أبي هريْرَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ[1] مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ[2])) متفقٌ عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الغيرة: الأَنَفَةُ[4]، وقال ابن حجر: (هي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة)[5].

الشرح الأدبي

- ما أجمل حياة المؤمن وهي تخطر في بساتين الطاعة، وهي تذوق حلاوة ثمار الإيمان وما أرقى السلوك الإنساني الدائر في فلك التصور الإسلامي، والأفق الإيماني؛وهذا السلوك يستجيب دائماً في حركته الحياتية وفي كل أقواله وأفعاله إلى نداء الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾[6].
- وفي ضوء هذا السلوك الإيماني يتوجه هذا الحديث الشريف في مفهومه إلى هؤلاء الذين ينأون عن مقتضيات السلوك الصحيح في ظل الإسلام، ومنطوق الحديث الشريف يصرح بذلك حين يقول المصطفى ﷺ في أسلوب توكيدي. "إن الله تعالى يغار"، وفي رواية أخرى: و"المؤمن يغار".

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (المؤمن).

(٢) زيادة (عليه) عند مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٢٣) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦١/٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٥٣).

(٤) رياض الصالحين ٧٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٧٣١/١.

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢ .

- وفي ذلك بيان لأهمية ابتعاد المؤمن عن محارم الله تعالى، والحرص على فعل الطاعات وتحقيق مرضاة الله، والتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إثبات الغيرة لله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراقبة الله تعالى، واجتناب ما حرّمه سبحانه.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يعد التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستخدمها الداعية في تثبيت أمر من الأمور في ذهن المدعو، وقد استخدم النبي ﷺ التوكيد هنا لإثبات غيرة الله تعالى عند إتيان المرء ما حرم الله عليه. ويظهر أسلوب التوكيد في قوله ﷺ: "إن الله تعالى يغار..." حيث أكد ثبوت الغيرة لله تعالى.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إثبات الغيرة لله تعالى:

ورد في هذا الحديث إثبات صفة الغيرة لله تعالى: "إن الله تعالى يغار" كما وردت في غير ذلك من الأحاديث، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا ((لا أحد أغير من الله، ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه المدح من الله))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: ((يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا))[2] وعن أسماء رضي الله عنها مرفوعًا: ((لا شيء أغير من الله))[3] قال ابن عثيمين عن حديث الباب: (وفي هذا الحديث إثبات الغيرة لله تعالى، وسبيل أهل السنة والجماعة فيه وفي غيره من أحاديث الصفات وآيات الصفات، أنهم يثبتونها لله سبحانه على الوجه اللائق به يقولون: إن الله

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٣٤، ومسلم ٢٧٦٠، ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٢١، ومسلم ٩٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٢٢، ومسلم ٢٧٦٢.

يغار لكن ليست كغيرة المخلوق وإن الله يفرح ولكن ليس كفرح المخلوق وإن الله له ما له من الصفات الكاملة ما يليق به، ولا تشبه صفات المخلوقين)[١].

وأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة كثيرة ويجب على المسلم إثباتها لله تبارك وتعالى على ما يليق بجلاله وكماله، كما أثبتها الله لنفسه في كتابه، وهو أعلم بنفسه من خلقه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته، وهو أعلم الخلق بربه وأكملهم نصحًا وأفصحهم وأبلغهم بيانًا وأتقاهم وأخشاهم له، وليحذر من تعطيل الله من صفاته أو تشبيهها بصفات المخلوقين، لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢])[٣].

ولا يلزم عن إثبات الصفات لله التشبيه والتجسيم فإن من نَفَى صفة من صفاته التي وصَفَ الله بها نفسه كالرضا الغضب والمحبة والبغض ونحو ذلك، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم. قيل له: فأنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيته وأثبته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبتَّه، إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئًا من الصفات قيل له: فأنت تثبت له الأسماء الحسنى مثل حي عليم قدير، والعبد يسمى بهذه الأسماء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما ثبت للعبد، فَقُلْ في صفاته نظير قولك في مسمّى أسمائه)[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراقبة الله تعالى واجتناب ما حرّمه سبحانه:

إن مما يجب على العبد تركه واجتنابه والابتعاد عنه: تلك المعاصي التي تسبب غضب الله تعالى، حيث ثبتت غيرة الله على عباده عند ارتكابهم الفواحش والمعاصي التي حرمها الله عليهم، فينبغي للمؤمن أن يطيع الله تعالى، ويبتعد عن المعاصي التي تسبب غضبه، وتوجب عقابه، وذلك لأن الله حرمها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٢٣٦.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، إعداد نخبة من العلماء ص ٨٩.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ١/٦٠-٦١.

ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ...﴾[١].

قال السعدي (ذكر الله المحرمات، التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي: الذنوب الكبار التي تستفحش وتستقبح، لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا، واللواط، ونحوهما.

وقوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: الفواحش التي تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر، والعجب، والرياء، والنفاق، ونحو ذلك ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الذنوب التي تؤثم، توجب العقوبة في حقوق الله والبغي على الناس، في دمائهم وأموالهم، وأعراضهم، فدخل في هذا: الذنوب المتعلقة بحق الله والمتعلقة بحق العباد[٢]. فمما ينبغي معرفته أن الذنوب والمعاصي ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟[٣].

فعلى المسلم الابتعاد عن هذه المعاصي وغيرها امتثالاً لأمره تعالى وبعداً عن غضبه.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٥٠.

(٣) انظر: الداء والدواء، ابن القيم ص ٦٥.

الحديث رقم (٦٥)

٦٥- السَّادِسُ: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سمِع النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ: أَبْرَصَ، وأَقْرَعَ، وأَعْمَى، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعث إِلَيْهِمْ مَلَكاً، فأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حسنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، ويُذْهَبُ عنِّي الَّذي قَدْ قَذَرنِي النَّاسُ، فَمَسَحهُ فذَهَب عنهُ قذرهُ وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسناً. قَالَ: فَأَيُّ الْمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الإِبلُ (أَوْ قَالَ الْبَقَرُ -شَكَّ الرَّاوِي) [1] فأُعْطِيَ نَاقَةً عُشرَاءَ، فَقَالَ: بارَك اللَّهُ لَكَ فِيها.

فأَتَى الأَقْرعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحب إِلَيْكَ؟ قال: شَعْرٌ حسنٌ، ويذْهبُ عنِّي هَذَا الَّذي[2] قَذِرَنِي النَّاسُ، فَمسحهُ عنْهُ. أُعْطِيَ شَعراً حسناً. قال: فَأَيُّ الْمَالِ. أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْبَقرُ، فأُعطِيَ[3] بقرةً حامِلاً، وقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: أَنْ يرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَري فَأُبْصِرَ[4] النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بصرَهُ. قال: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْغنمُ فَأُعْطِيَ شَاةً والِداً، فَأَنْتجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذا، فكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبلِ، ولَهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلَهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَم.

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبرص في صورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قدِ انقَطعتْ[5] بِيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاَّ باللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، والْجِلْدَ الْحَسَنَ، والْمَالَ، بَعيراً أَتبلَّغُ بِهِ في سفَرِي، فقالَ[6]: الحقُوقُ كَثِيرةٌ. فقال: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقيراً، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ، فقالَ: إِنَّما وَرِثْتُ هَذا المالَ

---

(١) لفظ البخاري: (هو شك في ذلك) بدل: (شكَّ الراوي). ووقع عند مسلم عن شيبان بن فروخ عن همام التصريح بأن الذي شكَّ في ذلك، هو: إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة.

(٢) عند البخاري ومسلم زيادة: (قد).

(٣) لفظ البخاري: (فأعطاه).

(٤) عند البخاري ومسلم زيادة: (به).

(٥) لفظ البخاري: (تقطعت).

(٦) عند البخاري ومسلم زيادة: (له).

كَابراً عَنْ كابرٍ، فقالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى مَا كُنْتَ.

وأتَى الأَقْرَعَ في صورتهِ وهيئَتِهِ[1]، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ما قَالَ لهذَا، وَرَدَّ عَلَيْه مِثْلَ مَاردَّ هَذَا، فَقَالَ: إنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيّرَكَ اللهُ إلى مَا كُنْتَ.

وأتَى الأَعْمَى في صُورتِهِ وهَيْئَتِهِ، فقالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ اليَوْمَ إلاَّ بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذي رَدَّ عَلَيْكَ بصرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا في سَفَرِي؟ فقالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إلَيَّ بَصري، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ ما[2] أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ[3] أَخَذْتَهُ للَّهِ عزَّ وجلَّ.

فقالَ: أَمْسِكْ مالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رُضِيَ اللَّهُ عنك، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ » متفقٌ عليه[4].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأبرص: هو الذي أصابه البرص وهو بياض يقع في الجسد لعلة[5].

أراد الله أن يبتليهم: الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، والمعنى: أن الله قضى أن يمتحنهم ويختبرهم[6].

قذرني الناس: اشمأزوا من رؤيتي فكرهوني واجتنبوني[7].

الناقة العشراء: الحامل[8].

---

(١) (هيئته) لا توجد عند مسلم، وهي عند البخاري.

(٢) لفظ البخاري ومسلم: (لا).

(٣) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (شيئًا).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (١٠/٢٩٦٤) ولفظهما سواء.

(٥) انظر: الوسيط ٤٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٠، وفتح الباري، ابن حجر ٥٧٩/٦.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٥٧٩/٦، والوسيط في (ق ذ ر).

(٨) رياض الصالحين ٧٦.

شاة والداً: أي عرف منها كثرة النتاج، ويقال: حامل[١].

أنتج: وفي رواية فنتج، معناه: تولى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة[٢].

وولّد هذا: هو بتشديد اللام، أي: تولى ولادتها، وهو بمعنى أنتج في الناقة. فالمولّد والناتج والقابلة بمعنى، لكن هذا للحيوان وذاك لغيره[٣].

انقطعت بي الحبال: هو بالحاء المهملة والباء الموحدة، أي الأسباب[٤].

البلاغ، ما يُتَبلّغ ويتوصل به إلى الشيء المطلوب[٥].

أتبلغ به: أي أتوصل به إلى مرادي[٦].

كابراً عن كابر: أي ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه من آبائهم كبيرا عن كبير في العز والشرف[٧].

لا أجْهَدُك: معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذه أو تطلبه من مالي، وفي رواية البخاري: لا أحْمَدك بالحاء المهملة والميم، ومعناه: لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه كما قالوا: ليس على طول الحياة ندم. أي على فوات طولها[٨].

ابتليتم: أي امتحنتم[٩].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل د)، وفتح الباري، ابن حجر ٦/٥٨٠.

(٢) رياض الصالحين ٧٦.

(٣) رياض الصالحين ٧٦.

(٤) رياض الصالحين ٧٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ل غ).

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٨٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١٠.

(٨) رياض الصالحين ٧٦، انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧٠.

(٩) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٠، وفتح الباري، ابن حجر ٦/٥٨١.

الشرح الأدبي

إن القصص في الحديث النبوي مسرح لأنواع النفوس وألوان التجارب التي تمر بالرجال والنساء، والأسلوب في هذه الأحاديث القصصية هو أسلوب القصة الذي يحلو فيه الأطناب، بتكرار بعض العبارات، ولكنه مع ذلك موجز محبوك، جيد الفصل والوصل، متماسك النظم، دقيق الإشارة، وجانب الإيحاء والرمز في القصص النبوي من أدق خصائصه، فهو لا يسهب في الوصف، ولا يُعني بتحديد الزمان ولا المكان، وإنما تصبح القصة أنموذجاً سلوكياً، يتكرر في كل زمان، وفي كل مكان، وثمرة القصة ونتيجتها ضوء إيماني يسير في وجهته من ينشد طريق الحق، وقد يتعظ به من اتبع هواه وشهواته، فهو تصوير لأدواء النفوس البشرية، وعلاج ناجع لهذه الأدواء في ظل المنهج الإسلامي السديد.

وحين نتأمل هذه القصة، التي يحكى وقائعها ويروي أحداثها رسول الله ﷺ، ندرك أنها سيقت للموعظة والهدى، واتخاذ الدروس النافعة من تجارب الحياة، وإدراك أن الناس مجزيون بأعمالهم: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وعناصر القصة تكتمل في هذا الحديث النبوي الشريف، وهي: الشخصيات، والأحداث والمواقف ثم الحوار المصور للمواقف والأحداث، والمعبر عن حركة الشخصية ومعالم تطورها، ثم العقدة والحبكة، والحل أو لحظة التنوير.

والعنصران الزماني والمكاني ليسا ظاهرين في هذا الحديث السردي القصصي، ولكن عنصر الزمن تجلى عن طريق الإيحاء، والإشارة إلى بني إسرائيل، فهي قصة حدثت لثلاثة من بني إسرائيل، ولكن من هم؟ وفي أي مكان؟ وفي أي زمن؟ إن هذه التفصيلات لا تؤدي دوراً في الحديث لأن الدرس المستفاد عام، وهو يفيد أفراد الأمة في كل زمان ومكان.

وشخصيات القصة وردت بالصفات والملامح وليس بالأسماء فهم ثلاثة شخصيات يجمع بينهم المرض: أبرص، وأقرع، وأعمى. وهي أمراض حسية ظاهرة يراها الناس ولهم منها موقف. والشخصية الرابعة في هذه القصة هي شخصية "الملك". الذي بعثه الله

وأرسله لهؤلاء الثلاثة في صورة إنسان له هيئته الحسنة ووقاره، وتظهر عليه مخايل النعمة والجاه والثراء، لأن سياق القصة يفرض ذلك التفسير، فهو يسألهم عن أمنياتهم وهم لا يعرفون أنه ملك أرسله الله.

وقد حدد رسول الله ﷺ الهدف من هذه القصة الواقعية حين قال: "أراد الله أن يبتليهم" أي: يختبرهم، ليعرف الناس ويتعظ أصحاب الحاجات وذوو العاهات حين يمنّ الله عليهم بالشفاء والمال.

والأحداث لا تنفصل عن سلوك الشخصيات وتطور ملامحها ومعالمها، وتتحرك الأحداث في مرحلتين: فالمرحلة الأولى تمثل الوعود والأمنيات، وتحقق هذه الوعود حسب أمنية كل شخصية، ويبدأ الاختبار بالحوار بين الأبرص والملك الذي أتى في صورة إنسان مرتين، وقد تحققت أمنيته حيث أعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، وأصبح يملك وادياً من الإبل، ولكنه لم يشكر النعمة، ولم يعترف بالفضل، ونسي ماضيه ومرضه وفقره حين جاءه الملك مرة أخرى في هيئة رجل أبرص مسكين وكأنه يذكره بماضيه البائس وسأله المساعدة، ولكن الرجل تنكر وادّعى أن الحقوق كثيرة. وهنا تأتي المفاجأة في القصة وهى عقدة كذلك، قال له السائل وقد رآه يرسب في هذا الاختبار: "كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال مكابراً وجاحداً فضل الله "إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر". وقد صيغ هذا الادعاء في أسلوب القصر للتعبير عن مبالغة هذا الرجل في الكذب والادعاء، وتكتمل دائرة الحوار بين الملك (السائل) وذلك الجاحد فيقول له الملك موضحاً لحظة التنوير وحل العقدة "إن كنت كاذباً في دعواك، فصيرك الله إلى ما كنت". وقد كان أي: حدث ذلك . ولكن الحديث ألمح إلى ذلك في نهاية الحديث حين قال الملك للأعمى الذي ظهر في صورة الشاكر الحامد المعطي المعترف بفضل الله عليه: "فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك" أي: الأبرص والأقرع.

والمشهد نفسه يتكرر مع الأقرع ولكنه يرسب في هذا الاختبار وينال سخط ربِّه.

والمشهد الثالث يتكرر مع الأعمى ولكن النتيجة تغاير مصير السابقين، وفي هذا

السرد يتجلى عنصر التشويق والإفادة والموعظة، وما أجمل الشكر! وما أعظم الاعتراف بالفضل! ولنتأمل موقف الأعمى في مقام الشكر حين يجيئه الملك في صورة رجل أعمى ويسأله العطاء ويذكره في سؤاله بماضيه قائلاً له: "أسألك بالذي رد عليك بصرك" فلا يتأفف الرجل ولا يتكبر، ولكن يزداد تواضعاً وشكراً ويعترف قائلاً في صدق وحمد "قد كنت أعمى فردّ الله إلى بصري" ثم يقول للسائل: "فخذ ما شئت ودع ما شئت".

ويتوج الحوار الجميل بهذه النتيجة المثمرة التي أضاءت الموقف وأثبتت أن الرجل أخلص النية لله وراقب الله في السر والعلن ولم يطغه المال، ولم يزده الثراء إلا تواضعاً وحمداً. قال له الملك في لحظة مفاجئة ولكنها سارة مضيئة: "أمسك عليك مالك" وكشف عن نتيجة الابتلاء والاختبار حيث فاز الأعمى الشاكر الحامد، وخسر الاثنان: الأبرص والأقرع، وعادا إلى هيئتهما وصورتهما الأولى: يقول الملك: "فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك".

وهذه القصة قد اكتملت أركانها وعناصرها الفنية من أشخاص وأحداث وحوار وأسلوب وعُقْدَة وحلّ وإشارات زمانية ومكانية. وهذه العناصر تمثل عاملاً مشتركاً بين جميع أنواع القصص، ولكن يضاف إليها في القصة النبوية الحقيقة المضيئة التي تضفي على عناصر القصة النبوية صيغة الجلال والجمال، وتعطيها مذاق الحقيقة، وواقعية الحدث، وقداسة المنبع والإيمان بالغيب، فالمصطفى ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإنما يوحي إليه ربه ويلهمه أسرار البيان وروعة الكلام وعمق المعنى ودقة التصوير.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل للاعتبار.

- ثانياً: من أساليب الدعوة: التوكيد، التنويع، السؤال والجواب، الترهيب.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: القصة.

رابعاً: من آداب الداعية: التعريض عند الحديث عن الأشخاص.

خامساً: من موضوعات الدعوة: تعرض الإنسان للبلاء والاختبار.

- سادساً: من موضوعات الدعوة: الحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والبخل.

- ثامناً: من موضوعات الدعوة التحدُّث بنعمة الله عز وجل وذمّ جحدها.
- تاسعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الكرم والصدقة.
- **أولاً- من تاريخ الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل للاعتبار:**
- يستنبط هذا من قول النبي ﷺ "إن ثلاثة في بني إسرائيل" والحديث عنهم إنما يأتي للاعتبار بالأمم الماضية، وما حدث لهم، وقد أذن النبي ﷺ بالحديث عنهم، كما في الحديث الشريف: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))[1].

قال ابن حجر: (أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)[2].

هذا وقد جاء في مسند أحمد عن ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينا هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال: يا محمد، هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: "الله أعلم" قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ: إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدقوهم[3].

وضابط المسألة في التحديث عن بني إسرائيل أن يقال: "إن أخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٧٥/٦.

(٣) أخرجه أحمد ١٣٦/٤ رقم ١٧٢٢٥، وقال محققو المسند: إسناده حسن. ٤٦٠/٢٨.

١- ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

٢- ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

٣- ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته[١] وعليه يصدق قوله ﷺ ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّداً فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))[٢].

ولا يرى أحمد شاكر التحديث عنهم في تفسير القرآن وما يتعلق بذلك، فيقول: (إن إباحة التحدث عن بني إسرائيل فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيء، وذِكْرُ ذلك في تفسير القرآن و جعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نَقْرِنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفراً)[٣].

وقد أخبر النبي ﷺ بخبر هؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله تعالى، وكانوا من بني إسرائيل، وذلك للاعتبار والتدبر وأهمية مراقبة الإنسان لنفسه وعدم الافتتان بالنعم، والغفلة عن فضل الله تعالى.

ثانياً- من أساليب الدعوة: التوكيد، التنويع، السؤال والجواب، والترهيب:

١- التوكيد: ويظهر هذا في قول النبي ﷺ "إن" ولاشك أن التوكيد له أثر في إقناع المدعو ويعطي دلالة أن الداعية لا يرتاب في ما يقول، ولكنه مستيقن منه.

٢- التنويع: ويتضح هذا من خلال ذكر قصة ثلاثة من بني إسرائيل، ثم ضرب المثل

---

(١) انظر: تعليق محققي مسند أحمد بن حنبل ٤٦١/٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) نقلاً عن تعليق محققي مسند أحمد ٤٦٢/٢٨.

وذلك في قوله "أتى الأبرص في صورته وهيئته" ومما لا يخفى أن التنويع في أساليب الدعوة يساعد على معالجة أحوال المدعوين، من خلال بيان عواقب الأمور، وهذا يختلف باختلاف الوقائع والأحداث.

٣- السؤال والجواب: وهذا ظاهر من خلال الحوار الذي جرى بين الملك والأبرص والأقرع والأعمى، والسؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تعين على فهم الحقائق وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يستخدم هذا الأسلوب مع الصحابة ليكون أدعى للانتباه، وأثبت في قلب السامع.

٤- الترهيب: حيث جاء في الحديث أن كلاً من الأبرص والأقرع عادا إلى حالتهما الأولى، وأن الله سخط عليهما، والنفس البشرية أحياناً لا ترعوي ولا تزدجر إلا عندما تشعر بسوء المصير والمنقلب، ولذا فإن الداعية الحصيف هو الذي يستخدم أسلوب الترهيب في موطنه لزجر النفوس عن المعاصي وعن مخالفة منهج الله تعالى.

ثالثاً- من وسائل الدعوة: القصة:

هذا واضح من سياق الحديث حين يحكى قصة ثلاثة من بني إسرائيل، والقصة وسيلة بيانية ولها دور رئيس في الدعوة إلى الله لأن فيها العبرة والعظة والاعتبار بحال السابقين قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] وبعد الحديث عن أقوام عاد وثمود ونوح وشعيب قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾[2].

قال السعدي: (تلك القرى الذين تقدم ذكرهم نقص عليك من أنبائها ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين وموعظة للمتقين)[3] ويستطيع الداعية من خلال

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٠١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٦١.

القصة أن يقنع المدعوين، ويقدم لهم نماذج على ما يصيب الإنسان من خير إذا أطاع، وما يحيق به من سوء إذا عصى. (تمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئتهم الطبعية والزمنية تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال، ومضيت مع الحوار والنقاش، عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم، وضقت ذرعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتمتاز القصة بأن النفس تميل إليها بما في الإنسان من غريزة حب الاستطلاع، والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب)[1].

رابعاً- من آداب الداعية: التعريض عند الحديث عن الأشخاص:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ "إن ثلاثة في بني إسرائيل" هكذا بالتنكير بدون ذكر لأسمائهم، ذلك لأن الداعية لا يجرح المشاعر، وليس مهمته فضح الناس إنما التركيز يكون على مضمون القصة وما يستفاد منها، خاصة وأن ذكر الأسماء في القصة لا يفيد. يقول الإمام ابن حجر: (وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه، ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك)[2].

خامساً- من موضوعات الدعوة: تعرض الإنسان للبلاء والاختبار:

يتضح هذا من الحديث "أراد الله أن يبتليهم" والإنسان في الحياة معرض للامتحان والاختبار، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] وليس شرطاً أن يكون الابتلاء بالشر، فقد يكون الابتلاء بالخير، كالمال والولد لينظر هل

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٧٥/٦.

(٣) سورة الملك، آية: ٢.

يشكر أم يكفر كما حدث مع هؤلاء الثلاثة قال الله عز وجل: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١] والمعنى (نختبركم بالشدة والرخاء والصحة والسقم، والغنى والفقر، وقيل: بما تحبون وما تكرهون "فتنة" ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما تحبون، وصبركم فيما تكرهون)[٢]. ويستطيع الداعية من خلال هذا الموضوع توطين نفوس المدعوين على الصبر والشكر فيما تكره وتحب. ولقد أخبر القرآن الكريم عن حال الإنسان مع البلاء والاختبار بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾[٣] وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾[٥].

قال علي محفوظ: (إن الإنسان جُبل على الضعف والعجز والقلق وقلة الصبر، كما جُبل على الغرور والبطر والنسيان والتمرد والعتو فإذا نزل به البلاء حمله ضعفه وعجزه على كثرة الدعاء والتضرع وإظهار الخضوع والانقياد، وإذا زال عنه ذلك البلاء وحصل على الراحة استولى عليه النسيان، وغفل عن إحسان الله تعالى إليه، ووقع في الغيّ والعدوان، والجحود والنكران، وهذه الأحوال كلها من نتائج طبيعته إلا من رحم الله وعصمه من هذه الدنايا والنقائص وقليل ما هم، وهم الذين يرجعون إليه تعالى في جميع الأحوال موقنين بأنه وحده سبحانه هو المقدر للأمور حسب علمه وحكمته والمصرِّف لها وفق مشيئته وإرادته فلا جرم إذا أصابتهم السراء شكروا، وإن أصابتهم الضراء

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٥.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٣١٨/٥.

(٣) سورة يونس، آية: ١٢.

(٤) سورة المعارج، آية: ١٩-٢١.

(٥) سورة فصلت، آية: ٥١.

صبروا، وأفنوا إرادتهم في إرادته، وقبلوا حكمه ورضوا بقضائه)[١]. ولذا ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين أن كل واحد معرض للابتلاء في هذه الحياة، سواء عن طريق النعمة أو النقمة، ولكن لابد من الشكر والصبر، وعدم الفتنة.

سادساً- من موضوعات الدعوة: الحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم:

يظهر هذا من الحديث "رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري". يقول الإمام النووي: (وفي هذا الحديث الحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم ما يطلبون ما يمكن، والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم)[٢].

وقد تضافرت النصوص الشرعية في الحث على الرفق بالضعفاء والمساكين، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ ((من لا يَرحمُ لا يُرحَم))[٤] وهذا باب هام يجب أن يطرقه الداعية، ويحث المدعوين عليه. قال الشيخ السيد سابق: (إن غاية الإسلام أن يطهر المجتمع من الفقر، وأن يحفظ للفقراء قواهم البدنية بهذه الرعاية والكفالة فإن لهم أفواهاً ومِعىً وأجساداً، ولهم قلوب ومشاعر وعواطف، ولهم كرامة، ولابد من أن تصان هذه الأجسام، وأن تراعى هذه القلوب والمشاعر، وأن تحفظ هذه الكرامات وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير، والفقر هو أعظم مهدر للكرامة، ولا أن ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار فقد يكون لهم من الملكات والقدرات، ومن القوى العقلية ما يستطيعون بها أن يصلوا إلى القمة من السيادة والقيادة والعلم والعمل)[٥].

---

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ٣٤٧، ٣٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١٠.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٣.

(٥) عناصر القوة في الإسلام ١٢٧.

ومما لاشك فيه أن الرفق بالضعفاء وإكرامهم هدف نبيل، وغاية عظمى من غايات الإسلام ومما أمر به الإسلام فعن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ))[١].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والبخل:

يظهر هذا في الحديث في قوله: "إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر" وهذا كذب وقوله: (الحقوق كثيرة) وهذا من دواعي البخل، ولاشك أن الكذب والبخل من المساوئ الأخلاقية التي حذر منها الشرع، والبخل يوصل إلى الكذب حتى يمنع صاحبه الخير عن الناس يقول الإمام ابن حجر: (وفي الحديث الزجر عن البخل لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى)[٢] وقال القرطبي: (حمله بخله على نسيان منّة الله تعالى، وعلى جحد نعمه وعلى الكذب، ثم أورثه ذلك سخط الله الدائم، وكل ذلك بشؤم البخل)[٣]. وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] وفي الأمر بالصدق واجتناب الكذب قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥] وينبغي للداعية أن يبين مساوئ الكذب والبخل، ويأمر المدعوين بالابتعاد عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

ثامناً- من موضوعات الدعوة التحدث بنعمة الله عز وجل وذمّ جحدها:

لقد تحدث الأعمى بنعم الله عليه فقال: "قد كنت أعمى فرد عليَّ بصري"، قال النووي: (فيه التحدث بنعمة الله وذم جحدها)[٦] وقال القرطبي: (واعتبر بحال الأعمى لما اعترف بنعمة الله تعالى عليه، وشكره عليها وسمحت نفسه بها ثبتها الله عليه، وشكر

---

(١) أخرجه الترمذي ١٧٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٩٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٨١/٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١١٩/٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ٣٤.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٨/١٨/٩.

فعله ورضي عنه، فحصل على الرتب الفاخرة وجمعت له نعم الدنيا والآخرة)[١]. وهذا الإقرار بنعمة الله عز وجل يكون سبباً في رضا الله، ووجه من وجوه الشكر. قال الإمام الراغب: (الشكر تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر الذي هو نسيان النعمة وسترها فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه)[٢]. وقال ابن القيم: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً)[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٤] والمعنى (لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها ولئن كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها "إن عذابي لشديد" وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم على كفرها)[٥] وقال قتادة: (حق على الله أن يعطي من سأله، ويزيد من شكره، والله منعم يحب الشاكرين فاشكروا لله نعمه)[٦].

وقد قال ﷺ ((إنَّ للطاعِمِ الشاكِرِ من الأجرِ، مِثْلَ ما للصائمِ الصابرِ))[٧] وعلَّم النبي ﷺ معاذاً رضي الله عنه أن يدعو بالإعانة على ذكره وشكره ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: ((يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إنِّي لأُحِبُّكَ. فقال: أُوصِيكَ يا معاذ أَنْ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ، أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[٨]. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١١٩/٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني في غريب القرآن ٢٦٥.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٤٤/٢.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٩/٤.

(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي في التفسير بالمأثور، الإمام السيوطي ٤٩١/٨.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٤٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢١).

(٨) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

الله ﷺ: ((إِنَّ اللّه لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[١].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد. وقال مطرف: لأن أعافى فأشكر، أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر. وقال الشعبي: الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، وقال الفُضَيل بن عياض: عليكم بملازمة الشكر على النعم فقلَّ نعمةٌ زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال أيضاً: من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه لم يستتمَّ ذلك حتى يرى الزيادة، وإن من شكر النعمة أن يحدث بها[٢].

تاسعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الكرم والصدقة:

يؤخذ هذا من قوله في الحديث "فخذ ما شئت ودع ما شئت" فكانت النتيجة "فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك" ولاشك أن الصدقة والإنفاق لهما أجر كبير وثواب جزيل قال الله تعالى في وصف المتقين: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[٣] وقال رسول الله ﷺ ((قال الله عز وجل: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك))[٤] وهذا موضوع دعوى واسع يمكن أن يفيد منه الداعية في توجيه المدعوين، وترغيبهم في أبواب الخير، وإعانة المحتاج والفقير، والتحلي بالكرم فقد قال النبي ﷺ في الحديث ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه))[٥] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المُؤمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، والفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ))[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٦/٢٤١٥-٢٤١٧ بتصرف. والقَرَنُ: الحبل الذي يقرن به البعير، الوجيز في (ق ر ن).

(٣) سورة الذاريات، آية: ١٩.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١٨، واللفظ له، ومسلم ٤٧.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٦).

قال حكيم بن حزام: (ماأصبحت صباحاً قط فرأيت بفنائي طالب حاجة ضاق بها ذرعاً فقضيتها إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحاً لم أر بفنائي طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها)[1].

قال الإمام الماوردي: (وعلى من أسعد بجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها المزيد من الأجر أحدها: أن يستسهل المعونة مسروراً، ولا يستثقلها كارهاً، فيكون بنعم الله متبرماً ولإحسانه متسخطاً ... الثاني: مجانبة الاستطالة، وترك الامتنان، فإنها من لؤم الطبع، وضيق الصدر، وفيها هدم الصنيع وإحباط الشكر ... الثالث: ألا يقرن بمشكور سعيه تقريعاً بذنب، ولا توبيخاً على هفوة ... وإن الكريم إذا وجد مصاباً بحوادث دهره: حثه الكرم وشكر النعم على الإسعاف فيها بما استطاع سبيلاً إليه، ووجد قدرة عليه ... وقد قيل لحكيم: هل شيء خير من الذهب والفضة؟ قال معطيهما)[2].

---

(١) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا ١٠٧.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي ٣٢٢، ٣٢٣ بتصرف يسير.

الحديث رقم (٦٦)

٦٦- السَّابِعُ: عَنْ أبي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْموْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَواهَا، وتمَنَّى عَلَى اللَّهِ**» رواه التِّرْمِذيُّ وقالَ حديثٌ حَسَنٌ[1].

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس: هو شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حَرَام الأنصاري الخزرجي البخاريّ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ يكنى بأبي يَعْلى، ويقال: أبو عبدالرحمن المدني، وكان ﷺ من سادات الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، له ولأبيه صحبة، وقد آتاه الله العلم والحلم، قال عبادة بن الصامت ﷺ: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم. كما كان كثير العبادة، والورع، والخوف من الله تعالى. قال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس بن ثابت إذا أخذ مضجعه من الليل، كان كالحبة على المقلى، فيقول: اللهم إن النار قد حالت بيني وبين النوم، ثم يقوم فلا يزال يصلي حتى يصبح، كما كان زاهداً، قال المُفَضَّل بن غسَّان الغَلابي: زهاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعمير بن سعد، وقال سعيد بن عبدالعزيز: فُضِّل شداد بن أوس الأنصاري بخَصْلَتين: ببيانٍ إذا نطق، وبكَظْمٍ إذا غضب، نزل بالشام بناحية فلسطين ببيت المقدس وكان قد ولاه عمر إمارة حمص فلما قُتِل عثمان اعتزل وعكف على العبادة، توفي في أيام معاوية وعَقِبُه ببيت المقدس، وقبره ببيت المقدس، قاله ابن حبان.

أما تحديد سنة وفاته فقيل ٤١، وقيل ٦٤ وقيل ٥٨ وهو المشهور.

مات وهو ابن ٧٥ سنة[2].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩). قال ابن طاهر في الذخيرة (٤٤١٩): رواه أبو بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن شداد بن اوس، وأبوبكر: ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر في هداية الرواة: إسناده ضعيف.

(٢) الطبقات، ابن سعد (٤٠١/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٢٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٦١٣/٢، ٦١٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٥٧٢، ٥٧٣)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٦٠/٢-٤٦٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٣٦٧/٣، ٣٦٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٥٤/٢، ١٥٥)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٥٨/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٠١٤/٢-١٠١٦).

غريب الألفاظ:

الكيس: العاقل[١].

دان نفسه: حاسبها[٢].

الشرح الأدبي

يقدم هذا الحديث صورتين للإنسان وهو يخوض غمار الحياة: إحداهما إيجابية والأخرى سلبية، والصورتان تجيئان في قالب المفارقة التي تدعو إلى التأمل والتدبر، فالصورة الأولى تتشكل من قسماتها ملامح الإنسان العاقل الذي لا يعيش أسير شهواته، ولا تتملكه نفسه، فهو دائماً يحاسب نفسه اتباعاً لقول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٣]، والمفارقة تتجسد في شبهة التضاد بين المبتدأ وهو "الكيس" والخبر وهو جملة "من دان نفسه"، فكيف يكون عاقلاً ويقوم بإدانة نفسه؟ ولكن العجب يزول حين يدرك الإنسان أنه مأمور بتشذيب رغبات النفس، لأن النفس أمارة بالسوء، وقد صور ذلك الشاعر المسلم حين قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ويقول الشاعر الآخر في تصوير النفس وكيفية كبح جماحها:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

فالكيِّس في اللغة: معناه العاقل، والكيْس، بسكون الياء، العقل، والكيس خلاف الحمق، ومن معاني "الكيس": الخفة والتوقد، ولذلك المدلول صلة بحسن الإدراك، ومعرفة العواقب، والذكاء الإيماني هو الذي يبعد صاحبه عن الشبهات

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ي س).

(٢) رياض الصالحين ٧٦.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١ .

ويجعله في حياته بمنأى عن مسالك الشيطان، ودروب العصيان، ويعمل لآخرته. وهذه هي الصفة الثانية "للكيس" الذي يعمل لآخرته كأنه يموت غداً، ويعمل لدنياه كأنما يعيش أبداً ويجعل عقله دائماً مستضيئاً بنور القيم الإسلامية، والتعاليم الربانية.

وأما الصورة الثانية للإنسان فهي تشكل ملامح العجز، وضعف الإرادة، وهي صورة مضادة للصورة الأولى الإيجابية، وما أبعد المسافة بين الصورتين! صورة "الكيس" المؤمن الفطن، وصورة "العاجز" الذي يظن نفسه منطلقاً في الحياة وقادراً على فعل ما تهواه نفسه. وفي الحقيقة إنه ضعيف الإرادة وعاجز عن مقاومة رغبات نفسه مستسلم لأهوائها وهى لا حدّ لها، إنها تقوده إلى مهاوي الردَّى، وما أجمل البيان النبوي في إيجازه وعظم دلالته وقوة تأثيره، حين يصف العاجز بأنه: "من أتبع نفسه هواها" ثم يأتي الوصف الثاني ممتزجاً بالسخرية من ذلك العاجز، الذي يتمنى على الله، ويرجو الفوز في الآخرة، وهو لم يقدم عملاً صالحاً يستحق به ذلك الفوز.

إن هذا الحديث يجري مجرى الحكمة وألفاظه قليلة ولكن معانيه جليلة ودلالاته تتعدد آفاقها. ومن جهات كثيرة يكون إشراقها، والعاقل من استضاء بنورها، والعاجز من عمى عن أسرارها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، الترهيب.

ثانياً: من واجبات الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الكياسة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة في العمل لما بعد الموت.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، الترهيب:

١- الإخبار: ويستنبط هذا من قول النبي ﷺ "الكيس من دان نفسه" فهذا إخبار منه ﷺ عن الكيس، ولاشك أن الإخبار من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في سوق الحقائق إلى المدعوين، ومن أهم شروط الخبر: الصدق حتى يتقبله الناس بقبول حسن، وأخبار النبي ﷺ كلها صادقة، لذا فإن الداعية يعتمد بشكل أساسي على

الأسلوب الخبري في نقل الحقائق للمدعوين.

٢- الترهيب: ويستنبط هذا من قول النبي ﷺ: "والعاجز من أتبع نفسه هواها" حيث وصف الإنسان الذي يتبع هوى النفس ويؤجل التوبة، ويفرط في العمل الصالح بأنه عاجز ولاشك أن صفة العجز ينفر منها المؤمن الصادق، وفي الحديث ترهيب له من الوقوع في مصاف العاجزين باتباع الأهواء والشهوات.

ثانياً- من واجبات الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين:

يظهر هذا من سياق الحديث حيث يجب أن يحرص الداعية على بيان الحقائق للمدعوين لما في ذلك من النصح لهم، وتوجيههم إلى الخير، خاصة وأن مهمة الداعية تقوم على البيان قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

يقول السعدي: (وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، وهذا شامل لتبيين ألفاظه، وتبيين معانيه)[2].

وفي هذا الحديث بيان لواجب من واجبات الداعية: وهو توضيح الحقائق للمدعوين ويتمثل ذلك في بيان أن الكيس أي العاقل من حاسب نفسه وتدبر عواقب الأمور، وأعدّ العدة وتزود بالتقوى واستعد للقاء الله، والعاجز من غفل عن آخرته، وأطلق العنان لشهواته، ولم يحاسب نفسه، ولذا ينبغي للداعية أن يبين هذه الحقائق وأن يوضحها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الكياسة:

ليس الكيس الذي يسير في الدنيا يجمع المال، ويتبع الأهواء بدون النظر إلى عواقب الأمور، ولكن النبي ﷺ يبين أن الكيس الفطن الحقيقي هو (العاقل المتبصر في الأمور، الناظر في العواقب، وهو من دان نفسه أي حاسبها وأذلها واستعبدها وقهرها حتى

---

(١) سورة النحل: آية ٤٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

صارت مطيعة منقادة لأوامر الله ورسوله ﷺ وعمل لما بعد الموت ليصير على نور من ربه فالموت عاقبة أمر الدنيا، فالكيس من أبصر العاقبة)[١]. وقد قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[٢] والداعية الحصيف هو الذي يبين للمدعوين من هو الكيس الحقيقي ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

وفي فضل العقل وحسن استخدامه قال الإمام الماوردي: (اعلم أن لكل فضيلة أساً، ولكل أدب ينبوعاً، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مُدَبَّرة بأحكامه، وألف بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه، وقال الحسن البصري: ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما، وقال بعض الحكماء: العقل أفضل مرجو، والجهل أنكى عدو، وقال بعض الأدباء: صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله، وقال بعض البلغاء: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل)[٤]؛ لذا يحسن بالعاقل أن يتدبر عواقب الأمور، وأن يتزود بالطاعات، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويراقب نفسه مراقبة دقيقة حتى يكون أهلاً لرحمة الله.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة في العمل لما بعد الموت:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "وعمل لما بعد الموت" فواجب الإنسان الكيس العاقل أن يغتنم عمره في الأعمال الصالحة استعداداً للحياة الباقية بعد الموت ذلك لأن العمر يمضي، والموت آت لا محالة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٢١/٢.

(٢) سورة القيامة: آية ١٤، ١٥.

(٣) سورة الشعراء: آية ٨٨، ٨٩.

(٤) أدب الدنيا والدين، الماوردي ١٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٨٥.

قال ابن علان: (والحاصل أن الحزم الإتيان بواجب العبودية من أداء الخدمة، ومحاسبة النفس، حذر مجاوزة الحدود، وعدم الالتفات إلى ذلك بالقلب والركون إليه، بل يكون مع ذلك اعتماده على فضل مولاه سبحانه، وأما ترك أداء مقام العبودية فذلك من رعونات النفس الخفية لاسيما إن أوقعها في ميدان شهواتها الذي فيه هلكها ومحقها)[١].

وقال ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا: فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس[٢].

قال محمد عبدالعزيز الخولي: "فالعاقل حقيقة من قهر نفسه وأخضعها لحكمة عقله وشريعة ربه فهو يحاسبها على كل ما تأتي وما تذر. فإن خيراً ازداد منه وحمد الله وإن كان شراً أناب إليه وعاد على نفسه بالقهر والإذلال حتى تسلك الإمام[٣] المبين ولا تحيد عنه يمنة أو يسرة. وسلوكه بالقيام بالواجب عليه لربه ونفسه وأهله وقومه فذلك ما ينفع لما بعد الموت من بعث وحشر وحساب ونعيم، وعقاب، والحازم من يستعد لهذه الرحلة الطويلة ولذلك اليوم المشهود ولتلك الدار الباقية بنفس يطهرها وخلق طيب يتجمل به وعمل صالح يقدمه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٤]، ذلك الكيس الحاذق.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٩.

(٢) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٥٤.

(٣) الإمام: الطريق الواسع الواضح، الوسيط في (أ م م).

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

أما العاجز المقصر في الواجب فهو الذي لم يأتمّ بهواه فنفسه أسيرة شهواته كلما أهابت به لاقتراف فاحشة لبّى نداءها وكلما أخذت به عن سنن الحق سار وراءها غير مبالٍ بما هو صائر إليه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١].

أما عقله ودينه فمقهوران لشهوته، فهي صاحبة الأمر تصرفه كما تريد فبحَقِ ذلك هو الأحمق وإنه ليزيد حمقاً تمنيه على الله الأماني الكاذبة فهو يعلل نفسه بعفو الله ومغفرته وسعة رحمته أو باستدراك ما فاته آخر حياته، ولم يدر هذا العاجز أن رحمة الله كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين يؤمنون بآيات الله ويتبعون الرسول النبي الأمي ﷺ. لم يدر هذا العاجز أن الموت غائب لا يدري متى يقدم وأنه قد يباغت الناس في ريعان الشباب حيث البنية سليمة والقوة موفورة، فالعاقل يجعل هواه خاضعاً لعقله ومن وراء إذن ربه.

والعاقل لا يتمنى من المكافآت إلا ما يتناسب مع عمله الذي قدمه إن كان له عمل والجنة ثمنها الإيمان والعمل الصالح ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[٢].

وفي الحكم:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر[٣]

والقرآن يمنع التسوية بين الكيس والعاجز ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾[٤].

قال الطيبي: (والعاجز الذي غلب عليه نفسه وعمل بما أمرته به نفسه، فصار عاجزاً لنفسه فأتبع نفسه، وأعطاها ما اشتهته. وقوبل الكيس بالعاجز والمقابل

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٠.

(٢) سورة طه، آية: ٧٥.

(٣) الأدب النبوي ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) سورة محمد: آية ١٤.

الحقيقي للكيس: السفيه الرأي، وللعاجز: القادر ليؤذن بأن الكيس هو القادر، والعاجز هو السفيه (وتمنى على الله الأماني) أي يذنب ويتمنى الجنة من غير توبة ولا استغفار)[١].

وقال ابن الجوزي: (اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً، وإن كانت سبباً للألم والأذى في العاجل، ومنع لذاتٍ في الآجل. فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، وكفى بهذا القدر مدحاً للعقل وذماً للهوى، وبهذا القدر فُضِّل الآدمي على البهائم - أعني ملكة الإرادة- لأن البهائم واقفة مع طباعها، لا نظر لها إلى عاقبة، ولا فكر في مآل وإذا عرف العاقل أن الهوى يصير غالباً، وجب عليه أن يرفع كل حادثة إلى حاكم العقل فإنه سيشير عليه بالنظر في المصالح الآجلة، ويامره عند وقوع الشبهة باستعمال الأحوط في كف الهوى إلى أن يتيقن السلامة من الشر في العاقبة)[٢].

وقال ابن الجوزي أيضاً: "عن معاوية رضي الله عنه قال: المروءة ترك اللذة وعصيان الهوى، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله فيومه يوم صالح. وقال مالك بن دينار: من غلب شهوات الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله وقال أيضاً: بئس العبد عبدٌ همه هواه وبطنه. و قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من هواك فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى، وقال بشر: اعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه، وقال الفضيل بن عياض: من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق)[٣].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، حسين بن محمد الطيبي ٣٥٥/٩.

(٢) ذم الهوى، أبو الفرج بن الجوزي ص ١٣.

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه، ص ٢٢-٢٤ بتصرف.

الحديث رقم (٦٧)

٦٧- الثَّامِنُ: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالاَ يَعْنِيهِ» حديثٌ حسنٌ، رواهُ التِّرْمذيُّ وغيرُهُ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يعنيه: يهمه[2].

الشرح الأدبي

جملة واحدة تستضيء حروفها بنور سنة المصطفى ﷺ، في هذا الحديث النبوي المحكم، وكلماته تتلاقى حول دلالة إسلامية تتموج آثارها، وتتضوأ كلماتها، وتقدم هذه الجملة الحديثية صورة متألقة للسلوك الإسلامي في حياة الناس، وهذا السلوك يعني بأوامر الشرع ونواهيه، ولا يُعني بأي أمر يشوه صورة المسلم أو يبدد طاقته أو يجلب له الهلاك أو يوقعه في الشبهات.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وقال: هذا حديث غريبٌ. وابن ماجه (٣٩٧٦) ولفظهما سواء. ورواه الترمذي برقم (٢٣١٨) عن الزهري، عن علي بن حسين، وقال: وهكذا روى غير واحد من أصحاب الزهريّ، عن علي بن حسين، عن النبي ﷺ نحو حديث مالك مرسلاً، وهذا عندنا أصحُّ من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة، وعلي بن حسين، لم يدرك علي بن أبي طالب. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس (١/٢٨٧): وقد حسّنه المصنف، لأن رجال إسناده ثقات، وقرّة بن عبد الرحمن بن حيويل وثّقه قومٌ وضعفه آخرون، وقال ابن عبد البر: هذا الحديث محفوظٌ عن الزهري بهذا الإسناد من رواية الثقات، وهذا موافق لتحسين الشيخ له، وأما أكثر الأئمة، فقالوا: ليس هو بمحفوظ بهذا الإسناد، وإنما هو محفوظ عن الزهري، عن علي بن حسين، عن النبي ﷺ مرسلاً، كذلك رواه الثقات عن الزهري، منهم مالك في الموطأ، ويونس، ومعمر، وإبراهيم بن سعد، إلا أنه قال: (من إيمان المرء تركه ما لا يعنيه). وممن قال إنه لا يصحُّ إلا عن علي بن حسين مرسلاً: الإمام أحمد، ويحيى بن معين، والبخاري والدارقطني أهـ أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٤٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٤٧.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الموجز المحكم.

إن أول ظاهرة أسلوبية في هذا الحديث هي ظاهرة التقديم والتأخير؛ ففي الحديث عدول عن الترتيب المألوف للجملة: لأن قوله ﷺ: "من حسن إسلام المرء" في موقع الخبر، وقد جاء مقدماً على المبتدأ وهو "تركه ما لا يعنيه"، وتقديم الخبر يسمى في علم الأسلوب الحديث عدول أو انزياحًا عن الترتيب النمطي للجملة، لأن الثمرة المبتغاة هى الحرص على حسن إسلام المرء وحسن الإسلام عبارة عن كماله، وهو أن تستقيم نفسه في الإذعان لأمر الله تعالى والاستسلام لأحكامه، كما يقول صاحب كتاب: دليل الفالحين[1].

والجملة الثانية هي المبتدأ، وحقها أن تكون في أول الكلام، لأن المبتدأ له الصدارة، ولكن التأخير له سره البلاغي، وقيمته الأسلوبية، وهو أن ترك ما لا يعني الإنسان لابد أن يكون مصحوباً بالنية الخالصة التي تحرص على حسن الإسلام، والمراقبة التامة لكل سلوك.

وذلك هو السر في إدراج هذه الحديث الشريف في باب المراقبة، لأن الإنسان قد يترك ما لا يعنيه بدافع مذهبي أو اجتماعي أو فلسفي، ولا يكون ذلك بدافع من الحرص على التعاليم الإسلامية، ولذلك تأتي الإشارة الأسلوبية في التعبير بـ"من"، فهي تبعيضية أي: أن ترك ما لا يعني الإنسان هو جزء من التكوين الجمالي الذي يعطي الصورة الكلية للسلوك الإسلامي. ولنتأمل موجبات هذه العبارة القليلة في ألفاظها "تركه ما لا يعنيه". أي الذي لا يعنيه، فكل الأقوال والأفعال التي لا تشارك في بناء حياة المسلم يتضمنها هذا الترغيب في تركها؛ حفاظاً على صورة المسلم الصحيحة، لأن معنى يعنيه أنه تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية شدة الاهتمام بالشيء، يقال عناه يعنيه: إذا اهتم به وطلبه. وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات أو المشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ

---

(١) ص ١٧٩.

إلى درجة الإحسان، فمن عَبَدَ الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه، فقد حسن إسلامه، ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام، ويشتغل بما يعنيه فيه[1]. فإن العبد إذا شغل بما لا يعنيه فإنه يضيع زمانه ويحاسب على عمل لسانه ويحرم من نعيم الله ورضوانه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من أهداف الدعوة: توجيه الناس إلى الخير.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: ترك المرء ما لا يعنيه أمارة على حسن إسلامه.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء الحديث الشريف في أسلوب الإخبار "من حُسْن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" ولعلَّ السبب في كون صياغة الحديث جاءت في ثوب الإخبار، لعل السبب في ذلك هو أن الحديث جاء ليقرر حقيقة تلقتها العقول والأفهام بالقبول والتسليم، فلا تحتاج إلى توكيد أو أمر أو نحو ذلك، وإنما يكفي في ذلك الإخبار بها، فيفهم المدعوون المراد بذلك، فيعملون بمقتضاها ويلتزمون بها. وهناك وجه آخر لبيان الحكمة من استخدام الإخبار، وهو أنه يناسب فتح باب التنافس واسعًا بين المدعوين، فمما لا شك فيه أن حسن الإسلام يختلف باختلاف المسلمين، فهناك من يكون إسلامه أحسن من غيره، وهكذا، وذلك على قدر طاعة كل مسلم وامتثاله، ومن ذلك تركه لما لا يعنيه، فجاء الإخبار ليحث المدعوين على ترك ما لا عناية لهم به، وكلما كانوا أصدق في ذلك كانوا أحسن إيمانًا، والله أعلم.

ثانياً- من أهداف الدعوة: توجيه الناس إلى الخير:

إن من أهداف الدعوة التي ترمي إلى تحقيقها: توجيه الناس إلى الخير، وتوجيههم إلى ما ينفعهم. وفي هذا الحديث يوجه النبي أمته إلى طريق من طرق حسن الإسلام من

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٩٨.

خلال ترك ما لا يعنيهم، لأن ذلك يجعل المؤمن يهتم ويُعنى بما طلب منه من تكليفات، وينشغل بنفسه وتهذيبها عن الآخرين وهذا ما يهدف إليه الإسلام.

وقال القاري في معنى "تركه ما لا يعنيه" أي: (ما لا يهمه ولا يليق به قولاً وفعلاً، ونظراً وفكراً، وحقيقة ما لا يعنيه ما لا يحتاج إليه في ضرورة دينه ودنياه، ولا ينفعه في مرضاة مولاه بأن يكون عيشه بدونه ممكناً، وهو في استقامة حاله بغيره متمكناً، وذلك يشمل الأفعال الزائدة والأقوال الفاضلة)[١].

وإذا كان اشتغال الإنسان بما لا يعنيه من اللغو فإن الله وصف المؤمنين بأنهم معرضون عن اللغو ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾[٢] ووصف عباد الرحمن بأنهم ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾[٣] يقول القاسمي في تفسير آية سورة المؤمنون: (﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ أي: عن الفضول وما لا يعني من الأقوال والأفعال، معرضون في عامة أوقاتهم، لاستغراقهم بالجد)[٤] ومن هنا وجب على الدعاة إلى الله توجيه الناس إلى ترك ما لا يعنيهم طلباً لحسن الإسلام. وتحذيراً لهم من حرمان الجنان.

قال الطوفي: "فإن قيل: فلم قال: من حسن إسلام المرء على التبعيض، ولم يقل: حسن إسلام المرء".

قلنا: لأن ترك ما لا يعني ليس هو كل حسن الإسلام، بل بعضه، وإنما جميع حسن الإسلام ترك ما لا يعني، وفعل ما يعني فإذا فعل ما يعنيه،وترك ما لا يعنيه فقد كمل حسن إسلامه.

فإن قيل: فلم قال: من حسن إسلامه، ولم يقل من إسلامه؟

قلنا: لأن ترك ما لا يعني ليس هو نفس الإسلام ولا جزءاً منه، بل هو وصفه وهو

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٥٠.

(٢) سورة المؤمنون: آية ٣.

(٣) سورة الفرقان: آية ٧٢.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي ٧/١٢/٧١.

حسنه، وحسن الشيء ليس هو ذاته ولا جزءه.

أما الإسلام نفسه فهو الانقياد لغة، والأركان الخمسة شرعاً فهو كالجسم، وترك ما لا يعني كالشكل واللون له.

واعلم أن كل شيء فإما أن يعني الإنسان أو لا يعنيه، وعلى التقديرين فإما أن يفعله أو يتركه فهي أربعة أقسام:

فعل ما يعني، وترك ما لا يعني، وهما حسنان، وترك ما يعني وفعل ما لا يعني وهما قبيحان.

والذي يعني الإنسان من أمر معاشه ما يشبعه من جوع، ويرويه من عطش، ويستره من ظهور عورته، ويعفه من زنا، وما تعلق بذلك على جهة دفع الضرر لا على جهة التلذذ والتمتع والاستكثار، والذي يعنيه من أمر معاده الإسلام والإيمان والإحسان، والإمعان في ذلك والاستكثار أولى من الإقلال والاختصار.

وهذا الحديث يرجع إلى قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[1]، ونحوه لأن ذلك جميعه مما لا يعنيه. والله عز وجل أعلم بالصواب[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: ترك المرء ما لا يعنيه أمارة على حسن إسلامه:

قال ابن رجب: (وهذا الحديث يدل على أن ترك ما لا يعني المرء من حسن إسلامه، فإذا ترك ما لا يعنيه، وفعل ما يعنيه كله، فقد كمل حسن إسلامه، وقد جاءت الأحاديث بفضل من حسن إسلامه وأنه تضاعف حسناته وتكفر سيئاته، وكثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الإسلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللهَ))[3].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٠.

(٢) التعيين في شرح الأربعين، نجم الدين الطوفي ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩.

فالمضاعفة للحسنة بعشر أمثالها لابدَّ منه، والزيادة على ذلك تكون بحسب إحسان الإسلام، وإخلاص النية والحاجة إلى ذلك العمل وفضله[١].

وقال أيضاً: "وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الأدب، وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح عن أبي محمد بن أبي زيد إمام المالكية في زمانه أنه قال: جماع آداب الخير وأزمته تتفرع من أربعة أحاديث قول النبي ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)[٢]، وقوله ﷺ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)، وقوله ﷺ للذي اختصر له في الوصية: (لا تغْضَب)[٣]، وقوله ﷺ: (المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٤].

ومعنى هذا الحديث: أن من حسن إسلامه ترك ما لا يعنيه من قولٍ وفعلٍ واقتصر على ما يعنيه من الأقوال والأفعال. ومعنى يعنيه: أنه تتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه، والعناية: شدة الاهتمام بالشيء. يقال: عناه يعنيه إذا اهتَّم به وطلبه، وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام، ولهذا جعله من حسن الإسلام فإذا حَسُنَ إسلامُ المرء تَرَكَ ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال؛ فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات.

وإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات، كما قال النبي ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ))[٥]، وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات، وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها؛ فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان، وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه فمن عبدالله على استحضار

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٩٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٦، ومسلم ٤٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٣ واللفظ له، ومسلم ٤٥ مرفوعًا: (لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه).

(٥) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

قربه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه، فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه، فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يستحيي منه.

قال بعضهم: استحي من الله على قدر قربه منك، وخف الله على قدر قدرته عليك.

وقال بعض العارفين: إذا تكلمت فاذكر سمع الله لك، وإذا سكتّ فاذكر نظره إليك.

وقد وقعت الإشارة في القرآن العظيم إلى هذا المعنى في مواضع كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[3].

وأكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام كما أشير إلى ذلك في الآيات الأول التي هي في سورة (ق).

وقال عمر بن عبدالعزيز: (من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وهو كما قال فإن كثيرًا من الناس لا يعد كلامه من عمله فيجازف فيه ولا يتحري)[4].

وحسن الإسلام من وسائل تحقيقه: إمساك اللسان عن الخوض فيما لا يعنيه، فقد

---

(١) سورة ق، الآيات: ١٦ - ١٨.

(٢) سورة يونس، آية: ٦١.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٨١.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٨٨ - ٢٩١.

قال ابن قدامة: "وآفات اللسان كثيرة متنوعة، ولها في القلب حلاوة، ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت، فالصمت يجمع الهمة ويفرغ الفكر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما شيء أحوج إلى طول سجن من لساني.

وقال أبو الدرداء: انصف أذنيك من فيك، فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به. وقال مخلد بن الحسين: ما تكلمت منذ خمسين سنة بكلمة أريد أن أعتذر منها.

ومن أولى آفات اللسان: الكلام فيما لا يعني.

فاعلم أن من عرف قدر زمانه وأنه رأس ماله، لم ينفقه إلا في فائدة، وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني لأنه من ترك ذكر الله تعالى واشتغل فيما لا يعني كان كمن قدر على أخذ جوهرة، فأخذ عوضها مَدَرة[1]، وهذا خسران العمر.

وقد قيل للقمان الحكيم: ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيته، ولا أتكلم بما لا يعنيني.

وقد روي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعاً، فجعل يتعجب مما رأى، فأراد أن يسأله عن ذلك، فمنعته حكمته فأمسك، فلما فرغ داود عليه السلام، قام ولبس الدرع ثم قال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله!![2].

وإذا كان حسن الإسلام له من الفضل والأجر الكثير فيجب على الداعية أن ينبه المدعوين إلى الأمور التي يكون بها حسن الإسلام والتي منها ترك المرء ما لا يعنيه.

---

(١) المدر: الطين اللَّزج المتماسك، والقطعة منه مَدَرة، الوسيط في (م د ر).

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٨٠ - ١٨١.

الحديث رقم (٦٨)

٦٨- التَّاسعُ: عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فيمَ ضَربَ امْرَأَتَهُ**» رواه أبو داود وغيرُه[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

- إن هذا الحديث الشريف يعرض لقضية اجتماعية في ظل القيم الإسلامية الراشدة، وهذه القضية هي العلاقة بين الرجل وامرأته في الإسلام، وهي علاقة وطيدة الأركان متماسكة البنيان. وقد حرص الإسلام على ترسيخ هذه العلاقة، وعلى إقامتها على أسس قوية متينة؛ فجعلها من دلائل قدرة الله وآياته حيث قال عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].
- وفي خطبة حجة الوداع يوصي رسول الله ﷺ المسلمين جميعاً بضرورة رعاية النساء وأن يستوصي الرجال بهن خيراً، فقال وهو ينظم العلاقة الحميمة بين الرجل والمرأة في ظل التعاليم الإسلامية، وهو ينادي الناس جميعاً: «ألاَ واسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيراً، فإنَّمَا هُنَّ عَوانٌ عِنْدَكمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلِكَ، إلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنَّ في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٧) واللفظ له، وابن ماجه (١٩٨٦). قال ابن كثير في مسند الفاروق (١٨٢/١): قال ابن المديني: هذا إسناد مجهول، وداود بن عبد الله الأودي لا أعلم أحدًا روى عنه إلا زهير، وأبو عوانة. وعبد الرحمن المسلي، ويكنى بأبي وبرة: لا أعلم روى عنه غير هذا.

(٢) سورة الروم: ٢٠-٢١ .

المضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُم حَقّاً. ولِنِسَائِكمْ عَلَيْكُمْ حَقاً. فَأَمَّا حَقكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ولاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. ألاَ وحَقهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وطَعَامِهِن»[1].

إن هذه الوصايا النبوية الحكيمة ترشد كل عاقل إلى أن الأمور الزوجية، وأبعاد العلاقة بين الرجل وامرأته تظل في دائرة الكتمان والأمانة، ولا يجوز لمسلم أن يفشي أسرار بيته، وكذلك لا يجوز للمرأة المسلمة أن تذيع أسرار بيتها؛ حفاظاً على هذه الأمانة وحرصاً على أن تظل الحياة متوجة بسياج من السكن والمودة والرحمة، فهذه هي أهم معالم الروضة الزوجية وأهم ثمرات الحياة الأسرية.

- وفي ضوء هذه الأبعاد وهذه التعاليم يمكن أن نعلل السر الذي من أجله نفى رسول الله ﷺ سؤال الرجل: لم ضرب امرأته؟ وفي أي موقف؟ ولأي سبب كان هذا الضرب غير المبرح؟ لأنه وسيلة من وسائل إصلاح الحياة وإعادة العلاقة، وقد يكون السبب سراً من أسرار الحياة الزوجية لا يحسن ذكره، ومن هنا يجئ هذا الحديث في إشاراته وموحياته ليحافظ على جمال العلاقة بين الرجل وامرأته، ولتظل هذه الحياة بكل ملابساتها أمانة بين الزوجين حفاظاً على الأبناء ومستقبلهم، وضماناً لوأد الخلافات، وحرصاً على طاعة الزوجة.
- وقيل: إن السر في عدم السؤال احتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره، بل يترك ذلك إلى الزوج المسلم وإلى مراقبته لمولاه إلا إذا احتاج الأمر إلى جريان الأحكام والرفع إلى الحكام فتبين الأمور[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٩٢٩).

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢١٢.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم ضرب الرجل زوجته تأديباً لها، وقد اتفق الفقهاء على أنه يجوز للزوج تأديب زوجته بالموعظة والهجر والضرب إن لم تستجب للأولين، على أن يكون الضرب خفيفاً يتقي فيه المقاتل والمهانة، كاللكزة ونحوها، وأن يقصد به زجر المرأة وعودتها إلى الحق، فإن فاءت لم يكن له أن يبغي عليها أو يضرب ثانية وإلا ضمن تلفها إن حدث، ويكون تأديب الزوج لزوجته لتركها حقه هو باتفاق الفقهاء كأن تخرج بغير إذنه أو تترك الزينة له مع القدرة عليها، أو تترك الاغتسال من الجنابة، أو لا تجيبه إلى الفراش إذا دعاها إليه، أما ضربها لحق الله تعالى كأن كانت لا تصلي فذهب الحنفية والشافعية إلى أنه لا يجوز له تأديبها لحق الله تعالى، وذهب المالكية والحنابلة إلى جواز تأديبها لحق الله تعالى[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: المحافظة على خصوصيات الحياة الزوجية.

- ثالثاً: من موضوعات الدعوة: عدم التدخل في شؤون الغير.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

جاء الحديث في أسلوب النفي "لا يُسأل الرجل فيم ضرب زوجته" وهو بمعنى النهي، ولعل أسلوب النفي هنا يستنبط منه أن هذا الأمر مقرر وثابت فلا يحتاج معه زيادة في التنبيه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يستنبط منه دفع الرجل إلى مراقبةالله في

---

(١) تكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٩٢/٨، ومجمع الأنهر لداماد أفندي ٦٣٢/٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٢٦١/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٢/٥، وتبصرة الحكام لابن فرحون ٣٤٠/٢، والغرر البهية للأنصاري ١٠٨/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٣/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ٧٩/٦، والمغني، ابن قدامة لابن قدامة ١٥٠/٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/١٠ وما بعدها.

تعامله مع زوجته، فإذا كان يسأل عن ضربه لزوجته، فهذا أدعى لأن يراقب الله فيها، فلا يعاملها إلا بالحسنى. لذا كان أسلوب النفي -في رأينا- هنا أبلغ من النهي، والله أعلم.

- **ثانياً- من موضوعات الدعوة: المحافظة على خصوصيات الحياة الزوجية:**
- يرغب الإسلام دائماً في قيام الحياة الزوجية على الستر فلا الزوجة تنشر سر زوجها، ولا الزوج ينشر سر زوجته وقد وصف الله العلاقة بينهما بأن كليهما لباس للآخر، واللباس إنما يتخذ للستر، قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1] وفي النهي عن سؤال الرجل فيم ضرب امرأته حفظ للستر؛ لاحتمال أن يكون السبب مما يستحيا من ذكره كالامتناع من التمكين ولذا دعا الإسلام إلى معالجة مشكلات الحياة الزوجية بين الزوجين في داخل البيت قال الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].
- وإن فشل هذا التدرج في معالجة المشكلة فلا مناص من الإخبار للغير ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3].
- يقول الطيبي: (وقوله: "لا يسأل" عبارة عن عدم التحرج والتأثم؛ لقوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٥.

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[١] أي أزيلوا عنهن التعرض بالأذى والتوبيخ والتنحي، وتوبوا عليهن، واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن)[٢].

- وبالجملة فهذا الموضوع من الموضوعات الدعوية الهامة التي يجب أن يفطن الدعاة إليه لتوجيه المدعوين إلى حفظ أسرار البيوت، وعدم نشر مشكلاتها حفاظاً على خصوصية الحياة الزوجية.
- **ثالثاً- من موضوعات الدعوة: عدم التدخل في شؤون الغير:**
- وهذا من توجيهات الإسلام لأفراد المجتمع وقد جاء في الحديث الشريف ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ))[٣] ولهذا كان من الآداب الإسلامية ألا يتدخل المرء في شؤون الغير إلا إذا طلب منه ذلك بقصد الإصلاح وحل التنازع، وإبداء الرأي والمشورة، أو بالجملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأما التدخل في شؤون الغير لكشف الأسرار، ونشر المشكلات، والشماتة بالآخرين فهذا مما ينأى الإسلام بأتباعه عنه؛ لأنه ليس من خصال أهل الإسلام؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٤]؛ فلا يتبع الإنسان الخاطر النفسي، والظن العقلي في الحكم على تصرفات الآخرين، قال ابن عاشور: (وهذا أدب خلقي عظيم، وهو أيضاً إصلاح عقلي جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضاً إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة من الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة)[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٦/٣٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور مج٦/١٥/١٠١.

إن المسلم مشغول بحال نفسه، ولا يقحم نفسه في شؤون غيره باحثاً عن عيوبهم، وقضاياهم، وما يعنيهم ومن ثمَّ يربي الإسلام أتباعه على قلة الكلام، وحفظ اللسان، حتى لا يقع فيما يخص الآخرين من أمور.

قال ابن حبان: (جاء عن الفضيل بن عياض أنه قال: شيئان يقسيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل).

وقال سفيان الثوري: (أول العبادة الصمت، ثم طلب العلم، ثم العمل به ثم حفظه، ثم نشره).

قال الأحنف بن قيس: (الصمت أمان من تحريف اللفظ، وعصمة من زيغ المنطق، وسلامة من فضول القول، وهيبة لصاحبه).

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن يلزم الصمت إلى أن يلزمه التكلم، فما أكثر من ندم إذا نطق، واقل من يندم إذا سكت، وأطول الناس شقاء وأعظمهم بلاء من ابتلي بلسان مطلق، وفؤاد مطبق.

واللسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها، ويضع كل خصلة منها في موضعها: هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير وناطق يرد به الجواب، وحاكم يفصل به الخطاب، وشافع تدرك به الحاجات، وواصف تعرف به الأشياء، وحاصد تذهب الضغينة، ونازع يجذب المودة، ومُسلٍ يذكي القلوب ومُعزٍ تردّ به الأحزان.

ولقد أحسن الذي يقول:

ان كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمتُ على سكوتٍ مرة ... فلقد ندمتُ على الكلام مرارا
ان السكوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا
واذا تقرب خاسر من خاسر ... زادا بذلك خسارة وتبارا[1][2]

---

(١) التبار: الهلاك.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يهدف الإسلام إلى تنمية روح المراقبة والمحاسبة الذاتية التي تنبع من داخل الإنسان، وذلك من خلال عدد من المضامين التربوية التي يعمل على ترسيخها في النفس، وبيان المفاهيم الصحيحة والحقائق الإيمانية وأهمية ذلك في تربية النفس على مراقبة الله والخوف منه، ومراعاة حرماته، وحفظ حدوده، والاستعانة به سبحانه.

إن من أبرز المضامين التربوية التي يجدر ذكرها والمتعلقة بأحاديث باب المراقبة ما يلي:

أولاً: التكامل بين الإيمان والعمل الصالح:

من أبرز أهداف التربية الإسلامية العمل على إيجاد التكامل بين الإيمان والعمل الصالح، لأن طريقة عقد الصلة بين الإيمان والعمل الصالح من الطرق التي تتبعها التربية الإسلامية، كما تبدو في ضوء الحديث الشريف في معنى الإسلام والإحسان الذي ورد في الحديث الشريف حيث بيَّن الأصول الثابتة لطريقة التكامل بين الإيمان والعمل الصالح في التربية الروحية.

وفي هذا البيان تكامل الإيمان مع العمل، والتوجه بذلك نحو الخالق، فإحسان العمل عبادة لله، وهذا يشكل أساساً للتكامل، توحد فيه التربية الروحية الإسلامية بين سلوك الفرد "الخارجي الظاهر، وبين إيمانه الباطن وعقيدته الداخلية، بين التصديق بالقلب وعمل الجوارح، بين الإيمان والإسلام"[(١)]. فالإيمان قول وعمل.

وعلى طريق التكامل بين الإيمان والعمل الصالح والإخلاص وأداء الواجب والإنتاج المثمر وإنكار الذات يتم عقد الصلة الدائمة بين الإنسان وبين الله في كل لحظة -في كل عمل وكل فكرة وكل شعور، وذلك عن طريق إثارة حساسية القلب برقابة الله الدائمة عليه وإثارة وجدان التقوى والخشية الدائمة لله، ومراقبته في كل عمل وكل فكرة وكل شعور[(٢)].

---

(١) التربية في الإسلام، د.أحمد فؤاد الأهواني، ص٧٧.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د.عبدالجواد سيد بكر، ١٨٦-١٩٧.

ثانياً: من وسائل التربية الإسلامية: التوجيه المباشر:

إن التوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم، ثم يتابعه المتعلم[١].

وقد قام النبي ﷺ بتوجيه أصحابه رضي الله عنهم توجيهاً مباشراً، ولم يكتف بمجرد ذلك، بل عمل على الربط بين الإيمان والعمل، وتنمية ملكة المراقبة للسلوك والعمل على إيجاد نوع من التوازن الإيجابي، وتلافي واستدراك جوانب النقص والسعي في تكميلها، ومن توجيهاته المباشرة قوله ﷺ لأبي ذر: ((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)).

ثالثاً: تربية النفس على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه:

إن تعميق الامتثال لأوامر الله تعالى، والانتهاء عما نهى عنه سبحانه لمن أهم ما يجب أن يُربَّى عليه المؤمن، وإذا حفظ العبد ربه، فإن الله يحفظه في مصالح دينه ودنياه...

وإن العبد قد يحيطه الله تعالى بأنواع من الحفظ ولا يشعر بها، بل قد يكره ذلك، وهو لا يعلم أن في ذلك مصلحته.... ولا ينبغي أن ينسى العبد ربه في الرخاء ويذكره في الشدة، بل ينبغي أن يتعرف عليه ويراقبه في حال رخائه واطمئنانه، كما أوصى النبي ﷺ بقوله: ((تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشدَّةِ))[٢].

فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات فإن القلم جف بما هو كائن، وإنه لا يقدر أحد على مضرة ونفع إلا إذا كتبه الله تعالى[٣].

إن من الأساليب التربوية التي تساعد في حمل النفس على الامتثال لأوامر الله أسلوب الترغيب، لأن التربية الإسلامية لا تغفل أية طريقة، أو أي أسلوب توجه به الإنسان وترشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته، وهي بذلك تعطيه حقه من التربية،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية ووسائلها، ٢٤٢. أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ٢٨٤.

(٢) رواه أحمد، ٣٠٧/١.

(٣) انظر: التربية الروحية والاجتماعية، د.أكرم ضياء العمري، ٦٤-٦٦.

فالإنسان حسب طبيعته الإنسانية التي حددها التصور الإسلامي فيه جانب الخير وجانب الشر[١].

وقد رغب النبي ﷺ في حفظ العبد لربه بطاعته، واجتناب معاصيه، بأن ذلك يكون سبباً في حفظ الله تعالى للعبد وتوفيقه له، ولاشك أن ذلك يؤثر في النفس تأثيراً إيجابياً، ويحملها على الطاعة طمعاً في تأييد الله وتوفيقه لعبده المؤمن.

رابعاً: تربية المسلم على ترك مالا يعنيه:

إن الأمور التربوية التي ربى الإسلام المسلم عليها: تركه مالا يعنيه لأجل الإفادة من وقته وطاقته وإمكاناته فيما ينفعه من أمور في الدنيا والآخرة، وليس معنى ذلك أن يكون الشخص نفعياً أو أنانياً لا يُعني إلا بما فيه مصلحته الشخصية، بل تربية المؤمن على أن يترك ما لا يعنيه، ولا ينشغل به لئلا يضيع وقته وجهده في أمور تتعلق بالآخرين، ولئلا يحاول التدخل في خصوصياتهم وشؤونهم الخاصة، مما يجلب النفرة والكراهية والعداوة، وهذا لا يتعارض مع مبدأ التعاون مع الآخرين، أو إغاثة الملهوف، بل إن ذلك مما يثاب المسلم على فعله ويأثم على تركه عند القدرة عليه.

إن الإسلام أراد تربية المسلم على تركيزه على ما طلب منه شرعاً وأن يُعني بما أنيط به من مسؤوليات ومهام وأدوار، حتى لا يكن همّه الأكبر في هذه الحياة تعقب الآخرين من أين جاءوا؟ وإلى أين سيذهبون؟... وما شابه ذلك من تدخلات سافرة، وكأنه ليس له قضية أو دور في هذه الحياة إلا معرفة أخبار الناس.

إن من عظمة التربية الإسلامية في المجال الفكري أنها ركّزت ورشّدت طاقات العقل في الأمور النافعة وعدم تبديد طاقاته، لقد كان النبي ﷺ ينهي الصحابة رضي الله عنهم عن الخوض في أمور غير واقعة، أو لا يترتب عليها عمل أو فائدة وكأن ينهاهم عن الأغلوطات وعضل المسائل وكثرة السؤال فيما لم يكن ولا فائدة منه[٢].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د.عبدالجواد سيد بكر، ٣٤٥.

(٢) انظر: أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، د.فاروق حمادة، ٦٥-١٠٥.

وكان ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ))[١].

"إن العقل المسلم عندما فهم طبيعة الدور والمسؤولية المناطة به وعلم المجال الذي يعمل فيه -الكون بما فيه-واستنار بتوجيهات الوحي، ولم يقحم نفسه في الأمور الغيبية التي لا تعنيه، ولم يؤهل للبحث فيها.

عندئذ انطلق العقل المسلم يفكر ويحلل ويستنبط ويستوعب ويبدع....إلخ العمليات الفكرية التي تُرجمت إلى الواقع، فتمخضت عنها الحضارة الإسلامية"[٢] التي أنتجتها العقول الإسلامية التي رباها الإسلام على ترك ما لا يعنيها من مجالات فكرية لا يُجدي البحث فيها مثل: مجال الغيب وغير ذلك من المجالات التي تبدد طاقات العقل مثل: المعارك الفكرية الطاحنة التي أضاعت الفرق الإسلامية طاقات العقول في المساجلات الفكرية فيها، كان من الممكن إثراء الفكر الإسلامي فيها.

ومن هنا جاءت التربية الإسلامية لتربي المسلم على تركه مالا يعنيه.

خامساً: التربية العقلية:

تُعنى التربية الإسلامية بتربية العقل أي تزويده بالمعلومات والمعارف التي تساعد على تكوين الإنسان المسلم العابد الصالح، كما أن عنايتها بتربية الجسد وتربية الروح بهدف خلق الشخصية المسلمة المتكاملة، التي تسهم في بناء المجتمع المسلم.

إن التربية الإسلامية ترمي إلى غرس عدد من القيم في نفس المسلم، ومن أبرز هذه القيم ما يلي:

- قيمة التأمل والتفكر.
- قيمة الدقة والتثبت العلمي.

ويمكن القول أن هناك العديد من القيم التي تتصل بتربية العقل مثل قيم حب البحث العلمي والتحري، ودقة الملاحظة والوصول إلى الحقائق، والنقد والترتيب.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٨٣/١، وابن أبي شيبة ١٨٥/١٠، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٩٥/١.

(٢) انظر: العلاقة بين العقل والوحي وأثرها على الفكر الإسلامي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١١٢.

ويرتبط بكل ذلك قيم خلقية مثل التواضع، وقيم اجتماعية مثل مساعدة الآخرين.

إن من أهداف التربية العقلية التي تتضمنها فلسفة التربية الإسلامية ما يلي:

١- تربية الإنسان المسلم على أسلوب التفكير العلمي.

٢- تربية الإنسان المسلم على حب البحث والسعي وراء الحقيقة.

٣- تربية الإنسان المسلم على أسلوب التفكير التأملي والتعامل مع قوى الكون.

٤- تربية الإنسان المسلم على الاستفادة مما يتعلمه، وذلك باستخلاص النتائج والتطبيق، الذي يستفيد من نتائجه في نفع نفسه، ونفع مجتمعه.

٥- المحافظة على الطاقة العقلية للإنسان وعدم شغل عقله بالتفكير في الأمور الغيبية ليتفرغ للتفكير في أمور الطبيعة المادية[1].

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د.عبدالجواد سيد بكر، ١٩٨-٢٠١.

٦- باب التقوى

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[آل عمران: ١٠٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللّه مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]. وهذه الآية مبينة للمراد مِنَ الأُولى. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾[الأحزاب: ٧٠]، وَالآيات في الأمر بالتقوى كثيرةٌ معلومةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢-٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الأنفال: ٢٩] والآيات في البابِ كثيرةٌ معلومةٌ.

وأمَّا الأَحَاديثُ:

الحديث رقم (٦٩)

٦٩- فَالأَوَّلُ: عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قِيلَ: يا رسولَ اللّهِ مَن أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قال: «أَتْقَاهُمْ» فقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «**فيُوسُفُ نَبِيُّ اللّهِ ابن نَبِيِّ اللّهِ ابن نَبِيِّ اللّهِ ابنِ خَلِيلِ اللّهِ**». قَالُوا: لَيْسَ عن هَذَا نَسْأَلُكَ، قال: «**فعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَب تسْأَلُونِي**[1]؟ **خِيَارُهُمْ في الْجاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسلامِ إذَا فَقُهُوا**» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

معادن العرب: أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها[3].

فقُهوا: بضم القاف على المشهور وحكي كسرُها: أي علموا أحكام الشرع[4].

---

(١) لفظ البخاري: (تسألون).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨/١٦٨) ولفظهما سواء.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د ن)، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٠.

(٤) رياض الصالحين ٧٧.

الشرح الأدبي

- تَسْطع كلمة "أتقاهم" في أفق الحديث الشريف الذي جعله صاحب رياض الصالحين في صدارة باب التقوى، وجاءت صيغة التقوى في قالب: "أفعل التفضيل"، حيث سئل رسول الله ﷺ: "من أكرم الناس؟ فقال: أتقاهم"، فالسؤال ورد في صيغة أفعل التفضيل، وكذلك الجواب ورد مناظراً ومساوياً في المبنى والمعنى، وللكرم دلالات كثيرة ومنها: كثرة الخير ولكن رسول الله ﷺ، كما قال العلماء، أخبر بأكرم الكرم وأعمه، فالكرم ليس عطاءً مادياً فحسب، ولكنه أعم من ذلك وأشمل، وفي اللغة، الكريم: الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل[1].
- والتقوى من الوقاية وهي اتخاذ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره، وللتقوى ثلاث مراتب: الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك، والثانية: التجنب عن كل ما يؤلم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف عليه باسم التقوى في الشرع، والثالثة: أن ينتزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه، وهو التقى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[2]. وفي هذه الدائرة الإيمانية تتحرك سمات ومعالم الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله: أتقاهم، في توضيحه لمن هو أكرم الناس، وفي ذلك موافقة صريحة للنص القرآني: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3].

وفي الحديث ظواهر فنية وأسلوبية كثيرة تفصح عن القيمة الأسلوبية والبيانية للحديث النبوي الشريف.

- والحوار التدريجي أول وسيلة من وسائل الإقناع والإفهام والتعليم، والحديث محاورة عظيمة تربوية توجيهية تعليمية بين الرسول ﷺ وبعض أصحابه،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ك ر م).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

ومن أسرار هذا الحديث أن السائل لم يحدد، وهم مجموعة وليسوا فرداً واحداً، وذلك يشير إلى أن هذه الأسئلة كانت تدور في خلد الكثيرين.

- وعلمهم رسول الله ﷺ عن طريق هذا الحوار، فكما أن للتقوى مراتب، فكذلك للكرم مراتب، وبدأ الرسول بأكرم الكرم وأعمه، فإن من كان متقياً كان كثير الخير في الدنيا، صاحب الدرجات العليا في الآخرة.
- والإجابة الثانية تتدرج في الكرم وتحدد المعالم الشخصية والروحية مع النسب الكريم، وفضل النبوة وكلها تجتمع في شخصية يوسف عليه السلام. وتكرار العبارات والألفاظ، وحذف بعض الجمل، والعطف بالفاء في ربط كلمات الحديث، كلها من وسائل التأثير والإفهام والإقناع، وأدرك الرسول ﷺ مقصد السائلين بعد أن أخبرهم بدرجات الكرم أشملها ثم أخصها، وأوضح أن المعدن الأصيل لا يصدأ، والكريم لا يكون خسيساً وكذلكِ الناس.

فقه الحديث

الجواب بحسب ما يظهر: قال القرطبي: (فيه [أي في الحديث] أن العالم يجوز له أن يجيب بحسب ما يظهر له، ولا يلزمه أن يستفصل السائل عن تعيين الاحتمالات، إلا إن خاف على السائل غلطًا أو سوء فهم فيستفصله)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من واجبات المدعو: السؤال عن معالي الأمور.

ثالثاً: من صفات الداعية: حضور البديهة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل التقوى.

- خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله يوسف عليه السلام.
- سادساً: من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٦/٢٢٧.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر هذا من الحديث ((من أكرم الناس؟)) والسؤال والجواب من أساليب الدعوة التي يتوصل بها الداعية إلى تبليغ رسالته، ولا شك أن السؤال والجواب كأسلوب دعوي يجعل المادة الدعوية تثبت في أذهان المدعوين، ويعين على فهم المراد، ويحدث نوعاً من الحوار بين الداعية والمدعو. قال الدكتور عبدالكريم البكار: "إن أسلوب الحوار والمناقشة والمراجعة كان هو الأسلوب الأكثر انتشاراً في الحلقات العلمية في تراثنا القديم، وحين تراجعت جذوة حب المعرفة في نفوس المسلمين، ودخلوا في عصور التقهقر ساد أسلوب التلقين وصارت عملية الاتصال الدعوي تقوم على طرف واحد هو الداعية أو الخطيب أو المعلم، والمدعوون غير قادرين على المناقشة ومن أسباب ذلك عجز الداعية عن إثارة حماسة المخاطبين، واستخراج الفضول لديهم بسبب عدم اشتمال كلامه على الطارف الجديد الذي يستحق التساؤل والتحاور، ومن هنا كان لابد من تشجيع الناس على طرح الأسئلة[1].

ثانياً- من واجبات المدعو: السؤال عن معالي الأمور:

كثير من الناس يحجم عن سؤال الداعية، أو يسأل فيما لا يعود بنفع، وفي هذا الحديث إرشاد للمدعوين أن يكون السؤال عن معالي الأمور وينفع في أمور الدين والدنيا فقد كان السؤال في هذا الحديث عن أكرم الناس. وقد علّم الله المؤمنين هذا الأدب فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[2] قال الإمام ابن كثير: (هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن ظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها)[3] وواجب المدعوين أن يلتزموا بهذا الأدب القرآني وأن يسألوا عن الأمور التي تنفعهم وتفيدهم في دنياهم وأخراهم.

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار ١٥٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٣.

ثالثاً- من صفات الداعية: حضور البديهة:

ويظهر هذا من الحديث من إجابة النبي ﷺ على سؤال من سأله، وتعدد إجاباته ﷺ وصولاً إلى مقصودهم، وهذا يدل على فطنته وحضور بديهته ﷺ، وهكذا يجب أن يكون الداعي حتى يتمكن من محاورة المدعوين وإقناعهم. "وإذا كان للإيمان ثمرات، وللعلم فاعليته ودوره فإن للذكاء والفطنة أهميتها التي لا تنكر، أو إيجابيتهما التي لا تخفى، وتوفر الذهن الوقاد والعقل السديد ميزة عظمى يتحلى بها الداعية فلا سذاجة تضيع بها معاني الريادة، ولا طيش ولا خفة تطمس معالم الهيبة، بل عقل فطن يرَّجحُ إذا اختلفت الآراء، ويحلل ويدلل إذا فقد الإدراك وغاب التصور ويتقن ترتيب الأولويات، واختيار الأوقات، وانتهاز الفرص والمناسبات، ويحسن التخلص من المشكلات، ويقوى على الرد على الشبهات، والتكيف مع الأزمات[1]. ومن الصفات الواجبة للرسل عليهم السلام الفطنة والذكاء، قال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل التقوى:

هذا واضح من قول النبي ﷺ عندما سئل من أكرم الناس فقال: أتقاهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾[3] وفي الأمر بالتقوى قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] وقال ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[5] وفي بيان فضلها قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[6] وقال جل

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٩٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٩.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٤) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٥) سورة الأحزاب: آية ٧٠.

(٦) سورة الطلاق: الآيتان ٢، ٣.

شأنه: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[١]. والمتقون لهم المكانة العالية عند الله والارتفاع فوق الكفرة والساخرين قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٢]. والمتقون ينالون محبة الله قال الله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣]. والمتقون في معية الله سبحانه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٥]. والمتقون لهم الفلاح قال الله عز وجل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦]، والمتقون ينتفي عنهم الخوف والحزن ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٧]، والمتقون لهم الفوز والبشرى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٨]، والمتقون لهم حسن العاقبة قال تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٩]، وقال جل شأنه: ﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١٠]، والمتقون تتنزل عليهم البركات ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١١].

---

(١) سورة الأنفال: آية ١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٦) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٣٥.

(٨) سورة يونس، الآيتان: ٦٣-٦٤.

(٩) سورة طه، آية: ١٣٢.

(١٠) سورة القصص، آية: ٨٣.

(١١) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله يوسف:

ذلك لأن النبي لما قالوا له: ليس عن هذا نسأل قال: "فأكرم الناس يوسف" يقول الإمام ابن حجر: (الجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح)[١] وهذا يدل على فضل نبي الله يوسف فهو ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق بن نبي الله إبراهيم عليهم السلام. وقد قال له أبوه عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[٢].

قال القرطبي (الاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى، وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى؛ من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث، والسجود له، والنبوة)[٣]. ولقد كان من دعائه عليه السلام ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤]، وآتاه الله الحكم والعلم، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، ومكن الله له في الأرض، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٦].

سادساً- من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين:

يظهر هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم "إذا فقهوا" حيث جعل شرط الشرف في الإسلام بعد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٧٧.

(٢) سورة يوسف، آية: ٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٢٩.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢٢.

(٦) سورة يوسف، آية: ٥٦.

الشرف في الجاهلية بالفقه في الدين يقول ابن حجر: (إن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام، وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً، ثم أرفعهم منزلة ومرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين)[١] وفي فضل الفقه في الدين قال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٢] قال النووي: (وفي الحديث فضل العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله عز وجل)[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[٤]، قال ابن كثير: «أي ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم»[٥].

قال ابن القيم: «وأما فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٦]».

قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه ومجاهد في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبدالله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك: أولوا الأمر هم العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد[٧].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٣٦.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٧) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ١٨.

الحديث رقم (٧٠)

٧٠- الثَّانِي: عَنْ أبي سَعيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا. فينْظُر كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاء. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنةِ بَنِي إسْرَائيلَ كَانَتْ في النسَاء» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

خضرة: غضة ناعمة طرية[2].

الشرح الأدبي

- هذه قطعة أدبية سامقة المعنى، رائعة التصوير، جليلة الألفاظ، جميلة الأداء، تتسم بالإيجاز الذي لا نقص فيه، وبالوضوح الذي لا ضعف في دلالاته ومبانيه، وكان ﷺ لا يستكره في بيانه معنى، ولا يند في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة، ولا تضرب له عبارة، ولا يشوبه تكلف، ولا يشق عليه منزع، وقد نُزه ﷺ عن جميع عيوب الفصاحة، وسلم كلامه من كل عيوبها، وخرج سبكه خالصاً لا شوب فيه. وكما يقول الرافعي: كأنما وَضَعَ يَدَه على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه[3].
- وفي ضوء هذه الخصائص الأسلوبية للبيان النبوي نستكشف جماليات الأداء الأسلوبي والتصويري في هذا الحديث الشريف، ففيه قوة الأسلوب ودقة التصوير، والهداية والإرشاد في إيحاء لا يشوبه غموض، ووضوح لا يعيبه

---

(١) برقم (٢٧٤٨/٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٠٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ض ر)، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٥.

(٣) انظر: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ٢٨٦/٢.

الإلف والفتور، وأول ما يلفت الانتباه هو عنصر التصوير الفني في الحديث الشريف، حيث صور الرسول ﷺ الدنيا بأنها "حلوة خضرة"، أي فاكهة جميلة المذاق جذابة وحسنة اللون، وهذا التصوير يوحي بسطوة إغراء الدنيا مذاقاً ورؤية، ويوحي كذلك بالتحذير من فتنتها، ويوحي كذلك هذا التشبيه بسرعة زوال هذا البريق الدنيوي وذلك المذاق الجميل لأن الفاكهة عمرها قصير، وسرعان ما تذبل وتصفر وتعطب.

والتأكيد في أول الحديث يضاعف من التحذير من هذا البريق المغري وذلك المذاق المفتن. والجملة صيغت في قالب الجملة الاسمية وفي ذلك إيحاء بثبات هذه الصفة المغرية الخادعة.

وتكرار التأكيد ثلاث مرات في الحديث الشريف يرشد إلى حرص النبي ﷺ على مصلحة الأمة، وإلى حتمية ترسيخ المعاني والإرشادات التي جاءت في الحديث الشريف.

والجملة الثانية ترد مؤكدة كذلك، وهي تنبه إلى حقيقة يجب أن لا نغفل عنها وهي أننا مستخلفون في الدنيا، ولسنا مخلدين فيها، والتعبير بالاستخلاف يرشد إلى أمرين: هما: ضرورة القيام بأعباء هذا الاستخلاف لأنه من الله، وأول الأعباء هو حمل الأمانة حملاً صحيحاً والقيام بأداء الواجبات الشرعية. والأمر الثاني: هو الإيحاء بعدم البقاء لأننا مستخلفون، أي جئنا بعد أقوام سابقين، وسيأتي بعدنا اللاحقون، وجملة: "فينظر كيف تعملون"، تحمل من المعاني والدلالات الكثير، وأي اختبار أقسى وأشد من هذا الاختبار الدنيوي الذي يراقبنا فيه الله عز وجل، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والتعبير "بكيف" غير "ماذا"، لأن كيفية أداء العمل والإخلاص والتقوى في الأداء هو السبيل إلى النجاة والنجاح في هذا الاختبار، ويتكرر الأمر بالتقوى: تقوى الدنيا وتقوى النساء؛ لأنهما بوابة الفتن ومصدر الإغراء. ويأتي الدليل على ذلك في نهاية الحديث، فبنو إسرائيل أهلكتهم فتنة النساء، وهذا تحذير وإنذار وتخويف من الفتن القادمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حلاوة الدنيا ونضارتها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: استخلاف الله للناس في الأرض.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الابتلاء والاختبار.

خامساً: من أساليب الدعوة: التحذير من الانبهار بالدنيا.

سادساً: من أساليب الدعوة: الأمر.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من فتنة النساء.

ثامناً: من تاريخ الدعوة: فتنة بني إسرائيل بالنساء.

تاسعاً: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

وهذا واضحٌ في قوله ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها)، حيث أكد النبي ﷺ قوله بـ (إن) وذلك للاهتمام بالمؤكد، وتثبيت المعنى لدى المخاطب، قال القاسمي: (واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، وكلما خفّ التأكيد. وإن توسط الاهتمام توسط التأكيد)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حلاوة الدنيا ونضارتها:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث حلاوة الدنيا ونضارتها، حيث خلق الله تعالى الدنيا وجعلها حلوة خضرة كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ في هذا الحديث، قال النووي: (ومعنى الدنيا خضرة حلوة يحتمل أن المراد به شيئان: أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا. الثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين)[2].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ١/٢٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٥.

كثيراً ما يفتن الإنسان بالدنيا وبزخارفها، ويخلد إلى زينتها ومن ثم حذر الله تعالى منها، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[2].

وقال ابن كثير: (يقول الله تعالى موهناً أمر الحياة ومحقراً لها: (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد)، أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3].

ثم ضرب الله مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة (كمثل غيث)، وقوله: (أعجب الكفار نباته)، أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها، وأميل الناس إليها... ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذّر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير)[4].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٤٥.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤/٨.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: استخلاف الله للناس في الأرض:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: استخلاف الله للناس في الأرض وذلك في قوله ﷺ: (وإن الله مستخلفكم فيها).

فالله تعالى استخلف الإنسان في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد كرم الله الإنسان وأسجد له الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2].

وقد سخر الله تعالى المخلوقات للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وكرم الله بني آدم تكريماً يليق بمكانتهم واستخلافهم في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4].

وإن الإنسان ليس غريباً عن الأرض، لأنه خلق منها، وهو أولى بالخلافة فيها لما لديه من خصائص التكوين[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧١ - ٧٢.

(٣) سورة الجاثية آية: ١٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

(٥) انظر: الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالرحمن إبراهيم المطرودي، ص ٣٥٠ - ٣٦٧.

إن الله تعالى استخلف الإنسان في الأرض ليقيم شرع الله، ويسير على المنهج الذي رسمه له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الابتلاء والاختبار:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث الابتلاء والاختبار فينظر كيف تعملون قال ابن علان: (ومعنى قوله: "فينظر كيف تعملون"، أي من إنفاقها في مراضيه فتثابون، أو في مساخطه فتأثمون، فإن الجزاء إنما يترتب على ما يبدو في عالم الشهادة من الأعمال أو فينظر كيف تعملون، أي أتعتبرون بحالهم وتتدبرون في مآلهم)[2].

والابتلاء سنة من سنن الله في خلقه، لا بد من التمحيص والاختبار والصبر والمصابرة، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[3].

قال عبدالرحمن السعدي: (يخبر الله تعالى عن تمام حكمته، وأن حكمته لا تقتضي أن كل من قال أنه مؤمن وادعى لنفسه الإيمان أن يبقوا في حالة، يسلمون فيها من الفتن المحن، ولا يعرض لهم ما يشوش عليهم إيمانهم وفروعه، فإنهم لو كان الأمر كذلك لم يتميز الصادق من الكاذب والمحقّ من المبطل.

ولكن سنته تعالى وعادته في الأولين في هذه الأمة أن يبتليهم بالسراء والضراء والعسر واليسر والغنى والفقر ونحو ذلك من الفتن.

فمن كان عند ورود الشبهات يثبت إيمانه ولا يتزلزل، ويدفعها بما معه من الحق وعند ورود الشهوات الموجبة والداعية إلى المعاصي والذنوب، أو الصارفة عن ما أمر الله

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٨٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآيات: ١ - ٣.

به ورسوله، يعمل بمقتضى الإيمان، ويجاهد شهوته، دلّ ذلك على صدق إيمانه وصحته)[١]. إنه لا بد من الابتلاء والاختبار والمؤمن صادق الإيمان هو الذي يثبت في ذلك.

خامساً- من أساليب الدعوة: التحذير من الانبهار بالدنيا:

إن من أساليب الدعوة المستنبطة من هذا الحديث أسلوب التحذير، فينظر كيف تعملون فالنبي ﷺ يرهب أمته من الانبهار بالدنيا، والانخداع ببريقها وزينتها ومتعها ولذائذها الأمر الذي قد يورد صاحبه المهالك، خاصة إذا أخذ يرتع في الشهوات والملذات، ولذا فإن النبي ﷺ يحذر المسلم من الركون إلى الدنيا بل ينبغي أن يكون المسلم في حالة من اليقظة والحذر حتى لا يقع في تشرَكها.

وإن أسلوب التحذير يعد من الأساليب الدعوية النافعة في مثل هذه المواطن، حتى يكون رادعاً للإنسان، ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾[٢].

سادساً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضحٌ في قوله ﷺ: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) ولا شك أن أسلوب الأمر الصادر من النبي ﷺ له وقعه المؤثر في نفس المدعو، حيث إنّ النبي ﷺ يأمر باتخاذ الحذر والوقاية واجتناب فتنة الدنيا التي يمكن أن تهلك الإنسان لو أقبل عليها وأهمل الآخرة والعمل لها.

وكذلك الأمر بالحذر من فتنة النساء، واجتناب تلك الفتنة لأنها تورد الإنسان الهلاك، ولذا جاء الأمر من النبي ﷺ اتقاء لخطورة الدنيا إذا أقبل عليها الإنسان إقبالاً كلياً ينسيه آخرته، وكذلك للبعد عن فتن النساء، والوقوع في حبائلهن نظرًا للعواقب الوخيمة المترتبة على ذلك، ومن ثم فإن أسلوب الأمر يعد من الأساليب الدعوية

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٧٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

المؤثرة في نفسية المدعو.

سابعاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من فتنة النساء:

من موضوعات الدعوة المستمدّة من هذا الحديث الحذر من فتنة النساء حيث جاء في الحديث: (واتقوا النساء)، قال النووي: (... فاتقوا الدنيا ومعناه تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن)[١].

قال المباركفوري: ("واتقوا النساء" أي: كيدهن ومكرهن)[٢].

قال أبو العباس القرطبي: (أي واحذرا فتنة النساء، فإنهن أول فتنة بني إسرائيل، وفتنتهن على الرجال أشد من كل فتنة، والمحنة بهن أعظم من كل محنة، لأن النفوس مجبولة على الميل إليهن، وعلى اتباع أهوائهن مع نقص عقولهن، وفساد آرائهن، ومن ملّك قياده سفيه ناقص فجدّه ناكص)[٣].

وقال الدكتور الحسيني هاشم: (وأظهر مظاهر الفتنة في الدنيا النساء لجمالهن وإغرائهن وحنان الرجال الطبيعي لهن، فليحذر الرجال الوقوع في حبائلهن والسكوت على أخطائهن، والانجرار معهن أو بهن إلى المعاصي والحرمات، وفي الحديث الإشارة إلى فتن النساء من العرى وغيره، ووقوع الرجال في الذنب بالسكوت)[٤].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٥].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦/١٧/٩.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٧٧٨/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣١٣/٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٨٣.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٤.

أخبر الله تعالى عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة، وبيّن التفاوت العظيم والفرق الجسيم بين الدارين، فأخبر أن الناس زينت لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس، كل طائفة من الناس تميل إلى نوع من هذه الأنواع قد جعلها أكبر همهم ومبلغ علمهم وهي -مع هذا- متاع قليل[١].

قال ابن عثيمين: ("اتقوا النساء" أي: احذروهن، وهذا يشمل الحذر من المرأة في كيدها مع زوجها، ويشمل أيضاً الحذر من النساء وفتنتهن، ولهذا قال: "فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء". فافتتنوا في النساء فضلّوا وأضلوا -والعياذ بالله)[٢].

ثامناً- من تاريخ الدعوة: فتنة بني إسرائيل بالنساء:

إن مما يستنبط من هذا الحديث تاريخ الدعوة المتعلق بإخبار النبي ﷺ بأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، قال الشيخ محمد تقي العثماني: (وقوله: "فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"، إشارة إلى ما وقع في أرض بلعام في عهد موسى عليه السلام حيث أشار بلعام على قومه بأن يرسلوا النساء إلى عسكر بني إسرائيل، ففعلوا، وزنى بهن بعض بني إسرائيل فابتلوا بالطاعون)[٣].

ولذلك نجد أعداءنا وأعداء ديننا أعداء شريعة الله عز وجل يركزون اليوم على مسألة النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال ومشاركتهن للرجال في الأعمال حتى يصبح الناس كأنهم الحمير لا يهمهم إلا بطونهم وفروجهم -والعياذ بالله- وتصبح النساء كأنهن دمًى أي صور لا يهتم الناس إلا بشكلها، كيف يزينونها؟ وكيف يجملونها؟ وكيف يأتون لها بالمجملات والمحسنات وما يتعلق بالشعر وما يتعلق بالجلد ونتف الشعر والساق والذراع والوجه وكل شيء حتى يجعلوا أكبر همّ النساء أن تكون المرأة كالصورة من البلاستيك لا يهمها عبادة ولا يهمها أولاد.

---

(١) انظر: تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي ص ١٠٢.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٢٤٩-٢٥٠.

(٣) تكملة فتح الملهم ١١/٤٧٢.

وإذا كان بنو إسرائيل ممن فضلهم الله على العالمين وآتاهم من الآيات والطيبات الكثير، إذا كان هذا حالهم فإنهم لما افتتنوا بالنساء وانشغلوا بهن، كان هذا بداية المعاصي والذنوب التي فعلوها واستحقوا بها الطرد من رحمة الله وغضبه، فكأن فتنتهم بالنساء هي أول حلقة طغيانهم وعتوهم وضلالهم، وكأنهم لما استهانوا بهذه الفتنة كان ما وراءها لهم أسهل فوقعوا في الذنوب الكبيرة والآثام المهلكات، وفي ذلك تحذير للمسلمين أن يتقوا فتنة النساء ولا يستهينوا بها حتى لا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل.

تاسعاً: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين

وتظهر تلك الصفة في هذا الحديث الذي نحن بصدده من خلال شفقة وتحذير النبي ﷺ لأمته من الركون إلى الدنيا والوقوع في فتنة النساء، لأن هذه الأمور تفسد على المؤمن دينه، وتؤدي إلى خسارته في الدنيا والآخرة، وتجعله أسيرًا للشهوات، ولذا كان النبي ﷺ مشفقًا على أمته من الوقوع في مثل هذه الفتن، ولذا يحسن بكل داعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في ذلك وفي كافة الشؤون.

لأنه ينبغي أن يكون من أبرز صفات الداعية الخوف والشفقة على المدعوين، ومن ثم فهو ينصحهم ويحذرهم ويبين لهم عواقب الأمور، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال السعدي: (يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله يتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم من والديهم)[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

الحديث رقم (٧١)

٧١- الثالثُ: عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعفافَ والْغِنَى**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

التقى: المفرد: التقاة وهي الخشية والخوف[2].

العفاف: الكف عما لا يحلّ ولا يجمل من قول أو فعل[3].

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث تتنسَّم مشاعرنا عبير المناجاة وتتذوق حلاوة الإيمان، وتتطلع أفئدتنا إلى رضوان الرحيم الرحمن، وأصداء هذا الدعاء الصاعد من قلب الحبيب المصطفى، والنبي المجتبى تسري في شرايين الكون، وتصافح الأحاسيس المؤمنة، فالدعاء يتفوه به لسان مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين، وينبض به جنان خاتم المرسلين، وهو أقرب الأنبياء إلى ربه، وأشد المؤمنين تعلقاً بمولاه فهو لا يفتأ يدعوه في كل ساعة تمر، حتى ترك من أدعيته وابتهالاته الرائعة أدباً عالياً له سماته الجميلة من حرارة العاطفة وقوة الصدق وجمال التعبير.

- ورسول الله هو المثل الأعلى للمؤمن الحقيقي، وهو دائماً يذكر ربه في كل طرفة عين، ويتجه إليه مع كل خفقة قلب، فهو يسبحه ويدعوه إذا أصبح وإذا أمسى، وإذا نام، وإذا استيقظ، وإذا سافر، وإذا رحل، وإذا أكل، وإذا شرب، وإذا سمع الرعد، وإذا نزل المطر، وإذا هبت الريح، وإذا أشرقت

---

(١) برقم (٢٧٢١/٧٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٧٠).

(٢) اللسان والوسيط في (و ق ى).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤٣، والوسيط في (ع ف ف).

الشمس، وإذا بزغ الهلال، وإذا مرض، وإذا عوفي، وإذا فزع، وإذا أمن، وله في ذلك، كما يقول د. محمد رجب البيومي، مأثورات رائعات مشهورات، ترددها كتب الصحاح، وهى من الأدب الصميم لبّ اللباب[1].

- وتشع كلمات هذا الحديث الشريف ببريق الحب الإلهي الذي يتوهج في هذه الضراعة الصادقة الخاشعة التي يتصدرها النداء الضارع إلى الله عز وجل، "اللهم" وهذا النداء أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوض عنه الميم، وما أصدق هذا النداء! وما أجل وأعظم وأسرع الإجابة من الله عز وجل! والداعي والسائل هو خاتم النبيين وإمام المرسلين، ويأتي التأكيد بإن مقترناً بياء المتكلم، "إني" ليؤكد حرص الرسول ﷺ على الدعاء، والتصريح بقوله: "أسألك" فيه خطاب جليل من خاتم المرسلين إلى رب العالمين، وفيه إشعار بحاجة السائل إلى عون المسؤول عز وجل.
- ويسأل محمد ﷺ ربه مزيداً من الهدى والتقى والعفاف والغنى، لأن هذه الخصال من سماته.
- والهدى: تتحرك دلالته في مدارات متعددة والرشاد هو الجامع لكل هذه الدلالات المضيئة، وحين يهتدي الإنسان إلى حقيقة ما يبحث عنه تصبح التقوى منهجه في حياته، فهو في ظل الهداية يحرص على الوقاية من أي سلوك يدفع به إلى حمأة الباطل ومهاوي الردى، وهذا التصور في ظل النماذج البشرية العادية، ولكن في ظل دعاء المصطفى ﷺ يكون الدعاء لطلب المزيد من الهدى والتقى، وكذلك العفاف: وهو التنزه عما لا يباح والكف عنه، وكذلك الغنى وهو غنى النفس.

وهذه المطالب المرجوة يمكن أن يكون سؤال الرسول لربه أن يتحقق له المزيد منها، وأن يهيئ الله سبل تحقيقها لكل فرد من أبناء الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان، لأن هذه الخصال الأربع تعد من المقومات الأساسية لتكوين معالم شخصية

---

(١) انظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، ص ٢٠٠.

المسلم، وهنا تكمن قيمة الإيجاز والإيحاء في هذا الحديث الذي يمثل الدعائم الأساسية للشخصية الإسلامية.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص المؤمن على طلب الهدى والتقى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث العفاف والغنى في حياة المؤمن.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية المال في حياة المؤمن.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النداء والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص المؤمن على طلب الهدى والتقى:

لقد سأل النبي ﷺ ربه الهدى والتقى، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث جواز أن يكون سأل الهدى لأمته إلى يوم القيامة، فإن الهدى مما قال الله عز وجل فيه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[1]، وقد سأل ﷺ مع الهدى التقى، والتقوى نطق قد تكرر في القرآن، وأصل التقوى تقوى الشرك ثم ترتفع في الدرجات، فهي كلمة شاملة إلا أنها راجعة إلى الحذر)[2].

والمؤمنون يدعون ربهم قائلين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[3] قال ابن القيم: (الهداية هي البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق، وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إليه وتزيينه في القلب وجعله مؤثراً له راضياً به راغباً فيه، وهما هدايتان لا يحصل الفلاح إلا بهما)[4].

---

(١) سورة الليل، آية: ١٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٢٨/٢.

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٠/١-٥١.

وقال ابن تيمية: (والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء، فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاته فهو إما من المغضوب عليهم وإما من الضالين، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله)[١].

ويقول ابن الجوزي مبيناً الارتباط بين الهدى والتقى: (تأملت قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٢] قال المفسرون: هداى: رسول الله ﷺ وكتابي، فوجدته على الحقيقة: أن كل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما فقد سلم من الضلال بلا شك وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً، ويبيّن هذا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٣])[٤].

وقال في موضع آخر: (ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[٥] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج)[٦].

ويبيّن الله سبحانه الارتباط بين الهداية والتقوى في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٧] (فالمراد أن القرآن من شأنه الإيصال إلى المطالب الخيرية وأن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٣/٧.

(٢) سورة طه، آية: ١٢٣.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٩٨-١٩٩.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٦) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٧٣.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢.

المستعدين للوصول به إليها هم المتقون، أي هم الذين تجردوا عن المكابرة ونزهوا أنفسهم عن حضيض التقليد للمضلين وخشوا العاقبة وصانوا أنفسهم من خطر غضب الله، والمراد بالمتقين المؤمنون الذين آمنوا بالله وبمحمد ﷺ وتلقوا القرآن بقوة وعزم على العمل به)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على العفاف والغنى في حياة المؤمن:

قد سأل النبي ﷺ ربه "العفاف والغنى"، قال ابن هبيرة: "ثم سأل ﷺ العفاف، والعفاف قد يكون منه العفاف عن الرذائل على كثرتها، ومنه العفاف عن أموال الناس، ومنه العفاف عن سؤال الأجر على تبليغ الحق. ومنه العفاف الذي يؤدي إلى العون عما لا يحل من النظر فما فوقه، ومنه العفاف عما جاوز الكفاية بالمعروف في كل معنى. ثم سأل ﷺ الغنى، وقد جاء عنه ﷺ أنه قال: ((الغَنى غِنى النفس))[٢]. وكذلك هو، وهو الذي سأله رسول الله ﷺ، لأن الغنى مطلق ينصرف إليه، إذ غنى الأعراض قد يكون فقراً من وجوه كثيرة، منها الاشتغال بها، والخدمة لها، والحاجة إلى دوامها وغير ذلك" [٣].

قال النووي: (أما العفاف والعفة فهو التنزه عما لا يباح والكف عنه، والغنى غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم)[٤].

وقد كان النبي ﷺ يحض أصحابه رضي الله عنهم على العفاف وغنى النفس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ، فَأَعْطَاهُمْ. ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ. حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ. وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللّهِ. وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللّهُ. وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللّهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢٦/١/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١ من حديث أبي هريرة > مرفوعاً: (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٢٨/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٩.

عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ))[١].

قال النووي: (في هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا)[٢].

وقال النبي ﷺ: ((لأنْ يأخُذَ أحدكم حبلَهُ فيأتيَ بحُزْمةِ الحطبِ على ظهرِهِ فيبيعَها فيَكفَّ اللّهُ بها وجهَهُ، خيرٌ لهُ من أنْ يسألَ الناسَ أعْطُوْهُ أو مَنَعُوْه))[٣].

قال ابن حجر: (وفيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن ذل الرد إذا لم يُعط ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل)[٤].

وقال الراغب الأصفهاني: (لا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عَدَمِها في اللسان: السخرية والتحسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب. ومن عدمها في البصر: مد العين إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة. ومن عدمها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة وعماد عفة الجوارح كلّها ألا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى)[٥].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية المال في حياة المؤمن:

فقد طلب النبي ﷺ من ربه الغنى، (والغنى -كما يقول النووي- غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم)[٦] ولاشك أن أقوى ما يعين على ذلك أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٧١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٩٤/٣.

(٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٣١٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٩.

بين يدي المسلم من المال ما يجعله مستغنياً عن سؤال الناس والتعرض لهم. فقد قال سعيد بن المسيب: (لا خير فيمن لا يحب المال، يعبد به ربه، ويؤدي به أمانته، ويصون به نفسه، ويستغني به عن الخلق)[١].

وقال ابن الجوزي: (حضرنا بعض أغذية أرباب الأموال فرأيت العلماء أذل الناس عندهم، العلماء يتواضعون لهم ويذلون لموضع طمعهم فيهم، وهم لا يحفلون بهم، لما يعلمونه من احتياجهم إليهم... فالأولى للعالم أن يجتهد في طلب الغنى ويبالغ في الكسب)[٢].

(فلو أنه نظر -كما يقول ابن الجوزي أيضاً- في سير الرجال وابتلائهم وتأمل صحاح الأحاديث عن رؤسائهم، لعلم أن الخليل عليه الصلاة والسلام كان كثير المال حتى ضاقت بلدته بمواشيه. وكذلك لوط عليه الصلاة والسلام وكثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجمع الغفير من الصحابة رضي الله عنهم. وإنما صبروا عند العدم، ولم يمتنعوا من كسب ما يصلحهم ولا من تناول المباح عند الوجود. وكان أبو بكر رضي الله عنه يخرج للتجارة والرسول صلى الله عليه وسلم حيٌّ، وكان أكثرهم يخرج فاضلَ ما يأخذ من بيت المال، ويسلم من ذل الحاجة إلى الإخوان... فالواجب على العاقل أن يحفظ ما معه وأن يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظالم أو مداهنة جاهل)[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء والتوكيد:

أما النداء فقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم"[٤] فهو ينادي ربه ويدعوه خاضعاً متذللاً مقبلاً خاشعاً، فناسب هذا النداء، وفي هذا دعوة للمدعوين إلى الالتزام بهذه الآداب والهيئات عند دعاء الله تعالى، فهو صلى الله عليه وسلم قدوتهم يقتدون به في حلّهم وترحالهم وجميع أحوالهم،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٥٥.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٦٩-٧٠، وقال محققه: يعني يريح نفسه فلا يضطر إلى هذه المداراة أو المداهنة.

(٤) اللهمَّ: كلمة تستعمل في النداء مثل: يا الله، الوسيط (أ ل هـ).

ثم أتبع ﷺ النداء بالتوكيد "إني" ليؤكد حاجته الملحة وحاجة كل مسلم -دعاة ومدعوين- إلى الهدى والتقى والعفاف والغنى، فهي في الحقيقة ملاك أمر المسلم في دينه ودنياه، فهو مع الله مهدي متقٍ ومع الناس عفيف غنيٌّ عنهم، وقد بلغ من حرص بعض الصحابة رضي الله عنهم على العفاف أنه كان ((يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ))[1].

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٣.

الحديث رقم (٧٢)

٧٢- الرَّابعُ: عَنْ أبي طَريفٍ عدِيِّ بْنِ حاتمٍ الطائِيِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يمِينٍ ثُمَّ رَأَى أتقَى للّهِ مِنْها، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، كنيته: أبو طريف. ويقال: أبو وهب، رئيس قبيلة طيء في الجاهلية والإسلام، وأبوه حاتم الذي يضرب بن المثل في الكرم والجود.

كان نصرانياً وأسلم في السنة السابعة من الهجرة -وقيل بعد ذلك- بعد تمنعٍ، فأتى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، وكان النبي يكرمه ويحترمه، قال: ما دخلت على النبي ﷺ قط إلا وسع لي أو تحرك لي. وقد دخلت عليه يوماً في بيته وقد امتلأ من أصحابه فوسع لي حتى جلست إلى جنبه[2].

وحَسُن إسلامه فقال: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على الوضوء، وقال: وما جاء وقت صلاة قط إلا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلا وأنا إليها بالأشواق.

وكان له في أيام الردة الموقف الجليل والعمل العظيم، فقد ثبت على إسلامه ومنع قومه من الردة وجاء بصدقة قومه إلى أبي بكر الصديق، فاستحق ثناء عمر بن الخطاب فيه إذ قال له: ((أسلمت إذ كفروا وأقبلت إذ أدبروا ووفيت إذ غدروا وعرفت إذ أنكروا))[3] ((وإن أول صدقة بيضتْ وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه ﷺ صدقة طيء جئت بها إلى رسول الله ﷺ))[4].

---

(١) برقم (١٦٥١/١٥).

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر وقال محققه: سنده حسن إن شاء الله.

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٩٤).

(٤) أخرجه ٢٥٢٣.

وشارك في الفتوحات، فشهد فتوح العراق وشهد القادسية وفتح المدائن، وانتقل مع خالد بن الوليد من العراق إلى الشام حيث شارك في بعض الفتوحات، وبعثه خالد بخُمُس الغنائم إلى أبي بكر الصديق بالمدينة.

ونزل الكوفة وقاتل مع علي بن أبي طالب وكان من أمراء الجند، فشهد الجمل وصفين والنهروان وذهبت عينه في صفين. وقيل في الجمل.

كان سيداً شريفاً في قومه معظماً عندهم وعند غيرهم متواضعاً خطيباً حاضر الجواب، واشتهر بالكرم، بعث إليه الأشعث بن قيس يستعير منه قدوره، فبعثها إليه وقد ملأها طعاماً وقال له: إنا لا نعيرها فارغة.

وكان رحيماً رقيقاً: كان يفت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات ولهن حق.

روى ٦٦ حديثاً، وعاش طويلاً وعُمِّر فمات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل أكثر. وتوفي سنة ٦٨هـ بالكوفة وقيل غير ذلك[1].

الشرح الأدبي

إن المؤمن صادق في أفعاله وأقواله، والقسم يؤكد صدق الإنسان، ويؤكد مصداقيته وموقعه في نفوس الناس، والمصطفى ﷺ يرسي قاعدة شرعية تحكم منهج المسلم وتوجه سلوكه، وهذا الحديث الشريف يرسي دعائم هذه القاعدة في صياغة لغوية تفصح عن المعنى المراد، حيث جاءت هذه القاعدة في أسلوب الشرط والجواب، والشرط يتكون من جزءين: [من حلف على يمين] والجملة المعطوفة المتعلقة بالشرط "ثم رأى أتقى لله منها"، ثم يأتي الجواب في صيغة الطلب مقترناً بالفاء وجوباً "فليأت التقوى"، وكأن هذه الصيغة اللغوية التي يجب فيها اقتران الجواب بالفاء لأن

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٢٢/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٧٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٧/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٩٦، والسير (١٦٢/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٤٤/٥) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٨٥/٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٢٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٣٣٢/٢).

جملة الجواب طلبية، كأنها ترشد إلى القاعدة الشرعية وهى وجوب العدول عن اليمين التي تتعلق بأمر فيه تقصير أو مخالفة، "كأن حلف ليتركن الصلاة أو ليشربن المسكر"، فيجب على هذا الحالف، الحنث والإتيان بما هو التقوى من فعل المأمور به وترك المنهي عنه[1].

ولنتأمل البناء اللغوي ونحاول إدراك دلالات المفردات اللغوية وما ورائها من أسرار تعبيرية تؤكد جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي.

- فالحديث يتكون من جملة واحدة وهى الجملة الشرطية، وأداة الشرط "من" وهي للعاقل وفي إطارها تموج ملايين الأشخاص، وما لا يعد ولا يحصى من الحالات المماثلة، فكل فرد من أبناء الأمة الإسلامية، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأماكنهم وأزمنتهم، يمكن أن يتعرض لمثل هذا الموقف الذي بينه رسول الله ﷺ وشخص المشكلة ثم حدد الحل، وهو أن يتجه المسلم إلى السلوك الذي من شأنه أن يكون صياغة عملية لصفة التقوى.
- وما أروع الإيجاز والإيحاء في قوله "فليأت التقوى"، وكأن التقوى تجسدت وأصبحت ملاذاً يحتمي به ذلك الذي وقع في شباك وبراثن "اليمين" التي يشوبها الابتعاد عن أفضل الأعمال، واليمين، كما يقول علماء اللغة، الحلف والقسم، وهى مؤنثة، والجمع: أيمن وأيمان وفي الحديث: "يمينك على ما يصدقك به صاحبك"[2]. أي يجب عليك أن تحلف له على ما يصدقك به إذا حلفت له، وقال الجوهري: سميت اليمين بذلك، لأن العرب كانوا إذا تحالفوا ضرب كل امرئ يمينه على يمين صاحبه. وقال بعض اللغويين: قيل للحلف يمين باسم يمين اليد، وكانوا يبسطون أيمانهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا، وجمع الرسول ﷺ بين الحلف واليمين وهما بمعنى واحد تأكيدًا للحلف وهو العقد بالعزم والنية، وحرف العطف "ثم" يوحي بالتأني بين الموقفين وتأمل الموقف الأول في ضوء متعلقات الموقف الثاني،

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢١٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٥٣.

والتعبير بالفعل "رأى" يفيد التحقق واليقين؛ لأن رأى هنا علمية وبصرية والمقصود أنه بعد التأمل والمشاهدة والعلم يرى موقفاً أتقى لله، وأفعل التفضيل في "أتقى" يوحي بأن الموقف كان في المباح، ولكنه رأى الأكثر ورعاً وتقوى وأبعد عن الشبهات والتعبير بقوله "لله" يرشد إلى أن تغير الموقف لا يكون بدافع شخصي أو هوى مذهبي أو كسب مادي، وإنما يكون لله عز وجل نية وقولاً وعملاً.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يلي:

أ- **اليمين التي يقع فيها الحنث:** لا خلاف بين الفقهاء في أن الحنث لا يقعُ إلا في اليمين المنعقدة وقد اتفقوا على أن اليمين تنعقد على المستقبل: كوالله لا أفعل كذا، أو لأفعلن كذا ونحو ذلك فيحنث في هذه اليمين بمخالفتها في المستقبل، فلا يكون الحنث إلا في اليمين التي قصد عقدها على المستقبل[1].

ب- **استحباب الحنث:** قال النووي: (في هذه الأحاديث [أي حديث الباب وغيره مما في معناه] دلالة على من حَلَف على فعل شيء أو تركه وكان الحنث خيرًا من التمادي على اليمين، استحبّ له الحنث وتلزمه الكفارة، وهذا متفق عليه)[2].

ج- **الكفارةُ قبل الحنث:** اختلف الفقهاء في جواز الكفارة قبل الحنث، فقال

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١٥/٣، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٥٧/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٤٠/٤-٢٤١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي ٣/١١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٣٥/٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٧/١٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩١/١١/٦، وانظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١٨/٣، وحاشية ابن عابدين ٦٢/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي ٢٠/١١-٢١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٤٨/٤، والمغني، ابن قدامة ٦٨٢/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٣٠/٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٧/١٨).

المالكية في المعتمد والشافعية: يستحبّ تأخير التكفير عن الحنث، ويجوز التكفير قَبْل الحنث، وقيد الشافعية ذلك بما لو كفّر بغير الصوم ولم يكن الحنث معصية، قال النووي: (جوزها مالك والأوزاعي والثوري والشافعي وأربعة عشر صحابيًا وجماعات من التابعين وهو قول جماهير العلماء لكن يستحب كَوْنها بعد الحنث)[١].

وقال الحنابلة: يجوز التقديم وإن كانت الكفارة صومًا ويستوي التقديم والتأخير في الفضيلة، وقال ابن أبي موسى: التأخير أفضل.

وعند الحنفية: وهو غير المعتمد للمالكية لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث[٢].

وقال النووي: (ودليل الجمهور ظواهر هذه الأحاديث والقياس على تعجيل الزكاة)[٣].

د-**خصال الكفارة:** خصال الكفارة وردت في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾[٤].

- قال ابن كثير: (فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل أجزأ عنه بالإجماع، وقد بدأ بالأسهل فالأسهل، فالإطعام أيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فرقى فيها من الأدنى إلى الأعلى، فإن لم يقدر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢/١١/٦.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ٢٠/٣، وحاشية الدسوقي ١٣٤/٢، وجواهر الإكليل ٢٢٩/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي ١٧/١١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٩٥/٤-٢٩٦، والمغني، ابن قدامة ٧١٤/٨ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/١٨)، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٨/٣٥-٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢/١١/٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨٩.

المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام كما قال تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[1] وقال ابن العربي: (وإنما اختلفوا الأفضل من خلالها، وعندي أنها تكون بحسب الحال، فإن علمت محتاجًا فالإطعام أفضل، لأنك إذا أعتقت لم ترفع حاجتهم وزدت محتاجًا حادي عشر إليهم، وكذلك الكسوة تليه، ولما علم الله غلبة الحاجة بدأ بالمهم المقدّم)[2].

- وقال صالح الفوزان: (ويغلط كثير من العوام فيظنون أنهم مخيرون بين الصيام وبين بقية خصال الكفارة، فيصومون مع قدرتهم على الإطعام أو الكسوة، والصيام في هذه الحالة لا يجزئهم ولا يبرئ ذمتهم من كفارة اليمين، لأنه لا يجزئ إلا عند العجز من الإطعام أو الكسوة أو العتق، فيجب التنبيه لمثل هذا الأمر)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة على المدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: من صفات المدعو: إتيان الأفضل وفعله.

أولاً- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة على المدعوين:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعية: الرحمة والشفقة، نظراً لأهميتها في الدعوة إلى الله تعالى ومما يؤكد ذلك أمر النبي ﷺ من حلف على يمين وقد رأى أن الحنث في اليمين خير، وطريق إلى تقوى الله، فليأت ما يوصله إلى تقوى

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢٧/٥.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٦٤٩/٢-٦٥٠، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٤٠/٨-١٤١.

(٣) الملخص الفقهي ٤٨٢/٢.

الله ويدع ما حلف عليه، وفي هذا رحمة وشفقة بالحالف وبمن يحيط به ممن له علاقة باليمين، لأنّ في ذلك سوقاً للخير لهم، ففي رواية لمسلم ((فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيَتْرُكْ يَمِينَهُ))(١).

ولحديث الباب قصتان توضحان ما سبق، ((جَاءَ سَائِلٌ إِلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، فَسَأَلَهُ نَفَقَةً فِي ثَمَنِ خَادِمٍ أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ إِلاَّ دِرْعِي وَمِغْفَرِي، فَأَكْتُبُ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطُوكَهَا، قَالَ: فَلَمْ يَرْضَ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا وَاللّهِ لاَ أُعْطِيكَ شَيْئاً، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللّهِ لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لِلّهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى» مَا حَنَّثْتُ يَمِينِي))(٢).

والقصة الثانية (أن رجلاً أتاه يسأله مائة درهم فقال: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم؟ والله لا أعطيك ثم قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حلف... فذكر الحديث وقال للرجل: ولك أربعمائة في عطائي)(٣). فلمّا تراجع حاتمٌ عن المضي في يمينه وحنث فيها استفاد هذا السائل صلته وهبته.

وقد قال النبي ﷺ ((وَاللّهِ لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ اللّهُ))(٤).

قال النووي: (معنى الحديث أنه إذا حلف يميناً تتعلق بأهله ويتضررون بعدم حنثه ويكون الحنث ليس بمعصية فينبغي له أن يحنث فيفعل ذلك الشيء، ويكفّر عن يمينه، فإن قال: لا أحنث بل أتورع عن ارتكاب الحنث وأخاف الإثم فهو مخطئ بهذا القول، بل استمراره في عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثماً من الحنث)(٥).

وقال ابن حجر: (ويستنبط من معنى الحديث أن ذكر الأهل خرج مخرج الغالب، وإلا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥١، ١٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٥١، ١٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٥١، ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٢٥، ٦٦٢٦، ومسلم ١٦٥٥. هذا ومعنى يلَجُّ أي يتمادى ويستمر، الوجيز في (ل ج ج)

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٥٥.

فالحكم يتناول غير الأهل إذا وجدت العلة، والله أعلم)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (والأصلح تارة يكون من جهة الثواب وكثرته، وهو الذي أشار إليه في حديث عدي حيث قال: "فليأت التقوى". وقد يكون من حيث المصلحة الراجحة الدنيوية التي يطرأ عليه بسبب تركها حرج ومشقة، وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: "لأن يلج أحدكم بيمينه آثم له عند الله من أن يكفر"، يعني بذلك أن استمراره على مقتضى يمينه إذا أفضى به إلى الحرج -وهو المشقة- قد يفضي به إلى أن يأثم، فالأولى به أن يفعل ما شرع الله له من تحنيثه نفسه وفعل الكفارة)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

إن مما تميزت به الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع السابقة اليسر وعدم التشديد على الناس، ومن مظاهر اليسر في هذا الحديث الذي معنا أمر النبي ﷺ الحالف إذا رأى الخير في غير يمينه أن يأتي الخير ويدع يمينه، ولاشك أن هذا من يسر الشريعة ورفعها الحرج عن المكلفين، جاء في الموسوعة الفقهية: (رفع الحرج: إزالة ما في التكليف الشاق من المشقة برفع التكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتخيير فيه أو بأن يجعل له مخرج، كرفع الحرج في اليمين بإباحة الحنث فيها مع التكفير عنها أو بنحو ذلك من الوسائل، فرفع الحرج لا يكون إلا بعد الشدة خلافاً للتيسير...

واليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصدٌ أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه[٣].

ومن الأمثلة التطبيقية لرفع الحرج ما رواه زهدم الجرمي قال: ((كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَدَعَا بِمَائِدَتِهِ وَعَلَيْهَا لَحْمُ دَجَاجٍ، فَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ، أَحْمَرُ، شَبِيهٌ بِالْمَوَالِي، فَقَالَ لَهُ: هَلُمَّ فَتَلَكَّأَ فَقَالَ: هَلُمَّ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَأْكُلُ مِنْهُ،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٩٢٩/٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٦٣٢/٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٣/١٤، وانظر أيضاً: ٢٨٢/٢٢-٢٩١ في الموسوعة نفسها.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئاً فَقَذِرْتُهُ[١]، فَحَلَفْتُ أَنْ لاَ أَطْعَمَهُ، فَقَالَ: هَلُمَّ أُحَدِّثْكَ عَنْ ذٰلِكَ، إِنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ فِي رَهْطٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ، فَقَالَ: «وَاللّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» فَلَبِثْنَا مَا شَاءَ اللّهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللّهِ بِنَهْبِ إِبِلٍ[٢]، فَدَعَا بِنَا، فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى[٣]، قَالَ: فَلَمَّا انْطَلَقْنَا، قَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: أَغْفَلَنَا رَسُولَ اللّهِ يَمِينَهُ[٤]، لاَ يُبَارَكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّا أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ، وَإِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لاَ تَحْمِلَنَا، ثُمَّ حَمَلْتَنَا، أَفَنَسِيتَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «إِنِّي، وَاللّهِ إِنْ شَاءَ اللّهُ، لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُ عَنْ يَمِينِي، فَانْطَلِقُوا، فَإِنَّمَا حَمَلَكُمُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

قال ابن دقيق العيد: (وقد أكد النبي ﷺ في هذا الحديث الحكم المذكور باليمين بالله تعالى، وهو يقتضي المبالغة في ترجيح الحنث على الوفاء عند هذه الحالة، وهذا "الخير" الذي أشار إليه النبي ﷺ أمرٌ يرجع إلى مصالح الحنث المتعلقة بالمفعول المحلوف على تركه مثلاً)[٦] فكان هذا من رسول الله ﷺ مثالاً تطبيقيًا لبيان يسر الشريعة وسماحتها وانتفاء الحرج عنها.

ثالثاً- من صفات المدعو: إتيان الأفضل وفعله:

قال النووي: (في هذه الأحاديث دلالة على من حلف على فعل شيء أو تركه وكان الحنث خيراً من التمادي على اليمين استحبَّ له الحنث وتلزمه الكفارة وهذا متفق

---

(١) قال القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦٢٧/٤: يعني به: أنه رأى الدجاج يأكل نجاسة فاستقذره، فحلف ألا يأكله لذلك، وظاهر قول هذا الرجل أنه كان يكره أكل ما يأكل النجاسات من الحيوانات، وقد اختلف في ذلك.

(٢) أي غنيمة: انظر شرح مسلم للنووي ١٠٥٠.

(٣) معناه أمر لنا بإبل بيض الأسنمة، شرح مسلم ١٠٤٩.

(٤) معناه: كنا سبب غفلته عن يمينه ونسيانه إياه وما ذكرناه إياها: أي أخذنا منه ما أخذنا وهو ذاهل عن يمينه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٥٠.

(٥) أخرجه البخاري ٣١٣٣، ومسلم ١٦٤٩، ٩.

(٦) إحكام الأحكام، ص ٣٥١.

عليه)[١]. وما يدل على ذلك من حديث الباب "فليأتِ التقوى".

وهكذا حال المسلم دائماً يفعل الأحسن ويأتيه، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢] وقال عز وجل عن عباده ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٣] وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن هو الذي يعرف خير الشرّين)[٤].

ولعله من الملائم هنا أن نذكر أن بعض أصحاب كتب القواعد الفقهية ذكروا ثلاثة أشياء هي نفل ولكنها أفضل من الفرض، فالفرض لاشك أفضل من النفل، لكن الفقهاء نصوا على أن هذه الثلاثة أفضل من الفرض، نظراً لما فيها من نفع وخير كثير، وهي[٥]:

١- إبراء المعسر مندوب أفضل من إنظاره الواجب، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦].

٢- الابتداء بالسلام سنة أفضل من رده الواجب.

٣- الوضوء قبل الوقت مندوب أفضل من الوضوء بعد الوقت وهو الفرض.

وهكذا حال المدعو دائماً يحاول أن يفعل الأحسن والأفضل والأصلح، فإن كان أمامه فعلان أحدهما أفضل من الآخر، فإنه يفعل ما هو أفضل ويدع ما هو مفضول،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٤٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٣) سورة الزمر، آية: ١٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٧٤/٣.

(٥) انظر: الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، السيوطي ص ١٦١، والأشباه والنظائر: ابن نجيم، زين الدين بن إبراهيم ص ١٥٧، وللتوسع انظر فقه الموازنات وأثره في المعاملات المالية، عطية حسين ص ١٢٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

لأن هذا من باب الإحسان، والله يحبّ المحسنين، كما أنه مشعر بقوة إيمانه وبحبّه معالي الأمور وبشرف نفسه، يقول ابن القيم: (النفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة)[1].

(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٥٤.

الحديث رقم (٧٣)

٧٣- الْخَامِسُ: عنْ أبي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلانَ الْباهِلِيِّ ﷺ قال: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يَخْطُبُ في حَجَّةِ الْوداع فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللّه، وصَلُّوا خَمْسكُمْ، وصُومُوا شَهْرَكُمْ، وأَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا**[1] **أُمَرَاءَكُمْ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**» رواه التِّرْمذيُّ، في آخر كتابِ الصلاةِ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح[2].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: هو صُدى بن عجلان بن وهب الباهليُّ.

صاحب النبي ﷺ، وسمع منه، وشهد حجّة الوداع وهو ابن ثلاثين سنة، أرسله النبي ﷺ إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فكذبوه وردوه فقال: فانطلقت وأنا جائع ظمآن، فنمت، فأُتيتُ في منامي بشربة من لبن، فشربتُ ورويتُ وعَظُمَ بطني، فقال القوم: أتاكم رجل من أشرافكم وخياركم فرددتموه؟ قال: فأتوني بطعام وشراب فقلت: لا حاجة لي فيه. إن الله قد أطعمني وسقاني، فنظروا إلى حالي فآمنوا[3].

وكان كثير الصيام هو وامرأته وخادمه، وما كانوا يُلْقَوْن إلا صياماً وما ذلك إلا لقول النبي ﷺ لأبي أمامة ((عليك بالصَّوم، فإنَّه لا مِثْلَ له)) فكان إذا رُئي في داره دُخانٌ بالنهار، قيل: اعتراه ضيف أو نزل به نازل[4]. وكان كثير الذكر لله.

وقد جاء إليه رجل فقال له يا أبا أمامة، إني رأيتُ في منامي الملائكة تُصلّي عليك

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ذا).

(٢) أخرجه الترمذي (٦١٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٥٦٣)، وقال الحاكم (٩/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا نعرف له علة ولم يخرجاه، وقد احتج البخاري ومسلم بأحاديث سليم بن عامر وسائر رواته متفق عليهم.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٧٩/٨، ٨٠٧٣، ٨٠٧٤، والحاكم ٦٤١/٣-٦٤٢، ٦٧٦١، وقال الهيثمي في المجمع ٣٨٧/٩: رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد الأولى حسن، وفيه أبو غالب وقد وثق..

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٨/٥-٢٤٩ رقم ٢٢١٤٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٥٦/٣٦، وقد أخرجه النسائي ٢٢٢٢، ٢٢٢٣ مختصرًا.

كلما دخلت وكلما خرجتَ، وكلما قُمتَ، وكلما جلستَ. قال ﷺ: اللهم غُفْراً، دَعُونا عنكم، وأنتم لو شئتُم صلّت عليكم الملائكةُ، ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1].

وقد روى علماً كثيراً، وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ قال: إنّ هذه المجالس من بلاغ الله إيّاكم، وإن رسول الله ﷺ، قد بلغّ ما أُرسل به إلينا فبلّغوا عنّا أحسن ما تسمعون.

سكن بالشام وتوفي في أرض حمص، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام وقد توفي سنة ٨٦هـ وقيل ٨١هـ، وقد ناف على المائة سنة[2].

الشرح الأدبي

- هذا الحديث باقة من الهدى والرشاد، ومصباح من التعاليم يقود القلوب إلى النجاة في يوم المعاد، وهو نجمة تشرق في فضاء متوهج بالمبادئ والقيم التي أرساها الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع، وفي هذه الخطبة تتجلى معالم البيان النبوي وتتألق أبعاده، فالخطابة فن أدبي كاد يندثر في عصرنا الحديث، وما أحوجنا إلى تأمل النماذج العليا من هذا الفن الأدبي الراقي، إنه فن الإلقاء وفن صياغة الكلمة صياغة آسرة تؤثر في المتلقي، وتأسر أحاسيسه، وتثير انفعالاته وتمتع عقله، وتشبع عاطفته[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.

(٢) الطبقات، ابن سعد (٤١١/٧-٤١٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٤٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٥/٣-١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٦٠٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٥٩/٣-٣٦٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٤٥١/٣-٤٥٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٩/٢-٢١٠)، والأعلام، الزركلي (٢٠٣/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٠٤٧/٢-١٠٥٤).

(٣) انظر: الشرح الأدبي واللغوي لخطبة حجة الوداع في كتاب: الأدب الإسلامي بين التنظير والتطبيق، د. صابر عبدالدايم.

- وللخطابة النبوية خصائص وسمات فنية وأدائية لها دورها في التأثير والإقناع، فقد كان محمد ﷺ يخطب في العرب على هدي القرآن الكريم ليخرجهم من ظلمات الوثنية إلى نور الهداية السماوية، وقد أوتي من اللسن والفصاحة ما ملك به أزمَّة القلوب، وكأنما كانت المعاني موقوفة بشخوصها بين يديه ليختار منها ما تهش له الأسماع وتصغي له الأفئدة.
- ومن الخصائص الأدبية الأدائية لخطابة المصطفى عليه الصلاة والسلام، أنه كان يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين، كما يقول هند بن أبي هالة "ويفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع من الكلم" وقد برأ الله سبحانه رسوله ﷺ من عيوب المنطق الخلقية التي لا تتفق مع جلال الرسالة ومهابة التبليغ، حيث برئ أسلوبه ونطقه من تنافر الحروف ومن التعقيد والمعاظلة ومن الغرابة المستكرهة ومن الألفاظ الوعرة الوحشية في غير قصد أو غرض، كما برئ منطق المصطفى ﷺ في خطابته وأحاديثه من عيوب النطق التي تصدر عن مبالغة وتكلف كسباً لرضا المستمعين واستجلاباً لثنائهم مثل التنطع والتملق والتفيهق وغيرها، وتتسم خطابة المصطفى ﷺ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة، وهو عليه الصلاة والسلام في أسلوبه الخطابي بعيد عن الانفعال الذي ينأى بالخطيب عن دائرة الحقيقة، فكل ما يتفوه به في خطابته صدق وجد وترغيب وترهيب وإرشاد وتشريع وهداية وتبشير[1].

ولنتأمل في ضوء الخصائص والسمات السابقة للخطابة النبوية جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، وهو جزء من الخطبة المباركة في حجة الوداع، وهذه الجماليات الأسلوبية تتمثل في الآتي:

السجع غير المتكلف: حيث عدل رسول الله ﷺ عن الأسلوب المرسل إلى صياغة

---

(١) انظر: الحديث النبوي، رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم.

إيقاعية مؤثرة يؤدي السجع فيها دوراً عميقاً لجذب الأسماع معتمدا على تكرار كاف الخطاب الجمعي حيث تختم الجمل في الحديث بهذا الخطاب المتوازي والمتوازن مع عدم التكلف وعدم الإطناب، وأفعال الأمر نفسها التي تبتدئ بها الجمل وتنتهي جميعها بواو الجماعة في صياغة أقرب إلى السجع غير المقصود.

وحتى لا تطرأ شبهة تكلف السجع جاءت الجملة الأولى غير مسجوعة وهى "اتقوا الله" ثم تتوالى الجمل الأخرى على هذا النسق الإيقاعي الجميل المؤثر: "وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكم، وأطيعوا أمراءكم، تدخلوا جنة ربكم".

الإيجاز وتكثيف العبارة: فالحديث ألفاظه قليلة ولكنه يحض ويأمر بوجوب تنفيذ ثلاثة من أركان الإسلام، وفي رواية أخرى، أربعة أركان حيث قال، "وحجوا بيت ربكم".

- والجملة الأولى "اتقوا الله" مع بقية الحديث تتضمن شهادة التوحيد، وهى الركن الأول من أركان الإسلام، لأنه لن يؤدي هذه الأركان إلا من قال، "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صادقاً مخلصاً، والمصطفى ﷺ يتوجه بهذا الخطاب الجمعي الواجب التنفيذ إلى المسلمين الموحدين الذين ينطقون بشهادة التوحيد ويؤدون كل موجباتها. وطاعة ولي الأمر فيما أحل الله لها دور بارز في استقرار الأمة وتثبيت دعائم أركانها وتقوية أواصر وحدتها والدفع بها إلى مجالات القوة المادية والروحية، وهذه القوة التي تقوم على أسس من التقوى والإيمان وإقامة أركان الإسلام ثمرتها العزة والنصر في الحياة الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة، والحديث يشع ويموج بكل هذه المعاني الراشدة.
- أفعال الأمر المتوالية الصادرة من رسول الله ﷺ (اتقوا، وصلوا، وصوموا، وأدوا، وأطيعوا" هذه الصيغ اللغوية الآمرة تعلن عن وجوب القيام بهذه الأركان، وعدم التهاون في شأنها، والعطف بالواو يدل على مطلق الجمع

بين هذه الأمور ولكن ترتيب الأوامر يتفق مع حديث: "بني الإسلام على خمس ..." الحديث[1]، ويوحي بضرورة أداء هذه الأركان وعدم التهاون في أدائها على الوجه الأكمل. والصلاة لا تسقط عن المسلم العاقل البالغ في أي حالة يمر بها. ويمكن في حالة العجز التام أن يجري أركان الصلاة على قلبه طالما كان عقله سليماً يعي ويدرك ما حوله.

والصيام لا يجب إلا على القادر المكلف، والزكاة لا تجب إلا على من يملك النصاب، وطاعة ولي الأمر، ليست من الأركان ولكنه من الواجبات، ومن هنا ندرك سر هذا الترتيب في جمل الحديث الشريف.

ولم يأت العطف بالفاء؛ لأن أداء الأركان ليس منقطعاً ولا منفصلاً، فيمكن للإنسان المسلم الصوم والصلاة في وقت واحد، وكذلك الحج والصلاة، والزكاة تؤدي عن الإنسان أحياناً وهو يؤدي بعض الشعائر.

والبناء اللغوي في الحديث يدعونا إلى التأمل والتفكر في رصد أسرار البيان النبوي، فالحديث في ظاهره يتكون من ست جمل لغوية تفصيلاً، ولكنه في حقيقته جملة واحدة إجمالاً، لأن الحديث يتكون من الأمر وجواب الأمر، ولا يتم الكلام إلا إذا أتممنا قراءة الحديث، فجملة "اتقوا الله" هي البداية ثم عطف عليها أربع جمل أو خمس جمل، وهي ما بعدها، ثم تجئ الجملة الأخيرة، "تدخلوا جنة ربكم"، وهي بها تتم الفائدة لأن فعلها مجزوم في جواب الأمر، والجواب "وهو دخول الجنة" يحدد ثمرة وجزاء التقوى والصلاة والزكاة والصوم والطاعة.

وإضافة الجنة إلى ربكم يوحي بالفوز والأنس والطمأنينة فهي ليست جنة من جنان الدنيا وهى البساتين المثمرة، ولكنها "جنة الله" واختيار لفظ "ربكم" لتعميق الشعور بالاطمئنان ولترسيخ المفهوم الإيماني وهو أن الله يتولى تربية القلب والشعور والسلوك تربية إيمانية موافقة للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

---

(١) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

ودلالة أفعال الأمر السابقة تشارك في تكوين الوجدان الإسلامي تكويناً صحيحاً حتى يتهيأ لدخول الجنة في ظل رعاية إلهية، وسلوك إيماني خالص، يقول عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: فريضة الصلاة، وقد سبق ذكر حكمها أكثر من مرة ولا داعي للتكرار.

الثاني: فريضة الزكاة، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن الزكاة في الإسلام فرض على القادر المالك للنصاب من الأموال وبالشروط المعتبرة لذلك شرعًا وهناك خلافات كثيرة حول ما يجب فيه الزكاة من الأموال وكيفية وجوبها وغير ذلك من مسائل لا يسمح المقام هنا بذكرها ومحلها كتب الفقه المتخصصة.

الثالث: فريضة الصيام، وقد اتفق الفقهاء[3] على أن صيام رمضان فرض على كل مسلم ومسلمة بالغ عاقل صحيح مقيم ليس به مانع شرعي.

الرابع: حكم طاعة أولي الأمر، وقد أجمع العلماء[4] على وجوب طاعة أولي الأمر

---

(١) سورة ق: ٣١-٣٤.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ٧٥/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٧٨/٢، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٠٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٤٠/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ١٤٨/٣، وشرح منتهى الإرادات ٤٦٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٠٨/٢.

(٣) الاختيار لتعليل المختار ١٦٤/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٣٥١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ٤٢٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٤٥/٢.

(٤) المغني، ابن قدامة ٣/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ١٥٨/٦، وفتح الباري، ابن حجر ٨/١٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي للنووي ٢٢٩/١٢، ونيل الأوطار ٢٠٧/٧ وما بعدها، الدراري المضية للشوكاني ٥٠٦/١، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٣/٢٨ وما بعدها.

من الأمراء والحكام، وأن الخروج عليه محرم، والخارج على الإمام باغ يعاقب بعقوبة البغي حتى يفيء إلى أمر الله، فإن ظهر من الإمام جور فهل يجوز الخروج عليه؟ قال الداودي: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء فإن أحدث جورًا بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه مع الإشارة إلى وجوب نصحه في الله تعالى حتى إن تعرض الناصح لأذى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تقوى الله والمحافظة على الصلوات وصيام رمضان وأداء الزكاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: طاعة ولي الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: جزاء الطائعين الجنة.

رابعاً: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

خامساً: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تقوى الله والمحافظة على الصلوات وصيام رمضان وأداء الزكاة:

لقد حضّ النبي ﷺ على تقوى الله والصلاة وصوم شهر رمضان وأداء الزكاة. أما التقوى فقد جاءت آيات كريمة من القرآن تحض على التقوى فكثيرة تلك الآيات التي نصها ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾[1]. وقال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]. وقال العز ابن عبدالسلام: (التقوى فعل الواجبات وترك المحرمات، وهي وصية الله في الأولين والآخرين)[4].

---

(١) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم، رتبه حسان عبدالمنان ص ٦٤٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام ص ٣٠٠.

أما الصلاة وصيام رمضان وأداء الزكاة فمن أركان الإسلام. قال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَصِيام رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ))[١].

قال النووي: (هذا الحديث أصل عظيم في معرفة الدين وعليه اعتماده وقد جمع أركانه)[٢].

ومن ذلك حديث طلحة بن عبدالله رضي الله عنه: ((جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرَ الرأْسِ يُسمعُ دَوِيُّ صَوتِه ولا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتى دَنا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عنِ الإسلام، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: خَمسُ صَلَواتٍ في الْيَوْمِ والليلةِ. فقال: هَل عَلَيَّ غَيْرُها؟ قال: لا، إلاّ أنْ تَطَوَّعَ. وَصِيامُ شهر رَمَضانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيرُهُ؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. وَذَكرَ له رسولُ اللّهِ ﷺ الزَّكاةَ، قال هلْ عَلَيَّ غَيرُها؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال فأدْبرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يقولُ: وَاللّهِ لا أزِيدُ عَلَى هذا ولا أنقُصُ منه فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ))[٣]. (والمقصود من العبادة تهذيب النفس بالتوجه إلى الله، والخضوع له والانقياد لأحكامه بالامتثال لأمره)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: طاعة ولي الأمر:

لقد أمر النبي ﷺ المسلمين فقال: "وأطيعوا أمراءكم".

قال المباركفوري: (قال القاري: أي الخليفة والسلطان وغيرهما من الأمراء، أو المراد: العلماء أو أعم، أي كل من تولى أمراً من أموركم سواء كان السلطان -ولو جائراً أو متغلباً- وغيره من أمرائه وسائر نوابه إلا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٦، ومسلم ١١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٧/٢٩.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٨٦٠/١.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[١]، قال ابن حجر: (واختلف في المراد بأولي الأمر في الآية[٢]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "هم الأمراء" أخرجه الطبري وإسناده صحيح وأخرج عن ميمون بن مهران وغيره نحوه. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: هم أهل العلم والخير. وعن مجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية: هم العلماء. ومن وجه آخر أصح منه عن مجاهد قال: هم الصحابة رضي الله عنهم، وهذا أخص. وعن عكرمة قال: أبوبكر وعمر. وهذا أخص من الذي قبله، ورجّح الشافعي الأول واحتج له بأن قريشاً كانوا لا يعرفون الإمارة ولا ينقادون إلى أمير، فأمروا بالطاعة لمن ولي الأمر، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ((مَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي)) متفق عليه[٣]. واختار الطبري حملها على العموم وإن نزلت في سبب خاص)[٤].

وذكر العيني (لأولي الأمر منكم) أحد عشر قولاً ثم قال: (الحادي عشر: عام في كل من ولي أمر شيء وهو الصحيح وإليه مال البخاري بقوله: ذوي الأمر)[٥].

وقال ابن عثيمين: (وهذا يشمل أمراء المناطق والبلدان ويشمل الأمير العام، أي: أمير الدولة كلها، فإن الواجب على الرعية طاعتهم في غير معصية الله، أما في معصية الله فلا تجوز طاعتهم ولو أمروا بذلك، لأن طاعة المخلوق لا تُقدم على طاعة الخالق جل وعلا، ولهذا قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ فعطف طاعة ولاة الأمور على طاعة الله ورسوله، وهذا يدل على أنها تابعة، لأن المعطوف تابع للمعطوف عليه لا مستقل)[٦].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) انظر: الآثار في ذلك في جامع البيان، الطبري ١٧٧/٧ وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٢/٢ وما بعدها، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي ٥٠٢/٤ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٠٢/٨.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ١٧٦/١٨.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢٥٥/١.

وإنما أمر النبي ﷺ بطاعة أولي الأمر في غير معصية الله، حتى يحفظ على مجتمع المسلمين استقراره وأمنه، فإن في الخروج على أولي الأمر فساداً كبيراً وخطراً عظيماً.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: جزاء الطائعين الجنة:

قد جعل الله ثواب التقوى والصلاة والزكاة والصيام وطاعة أولي الأمر، دخول الجنة، قال المباركفوري: (قال الطيبي: حكمة إضافة هذا -صلوا خمسكم- وما بعده إليهم إعلامهم بأن ذوات هذه الأعمال بكيفيتها المخصوصة من خصوصياتهم التي امتازوا بها عن سائر الأمم وحثهم على المبادرة للامتثال بتذكيرهم بما خوطبوا به وتذكيرهم بأن هذه الإضافة العملية يقابلها إضافة فضلية هي أعلى منها وأتم وهي الجنة المضافة إلى وصف الربوبية المشعر بمزيد تربيتهم وتربية نعيمهم بما فارقوا به سائر الأمم)[1].

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

وقال النبي ﷺ: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى، قالوا: يا رسولَ الله ومن يأبى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد أَبَى))[4].

"والجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله، وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[5].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٨٥٩-٨٦٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٢.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ٢٣٨.

رابعاً- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

لقد بدأ النبي ﷺ بالحث على تقوى الله ثم الصلاة ثم صوم رمضان ثم أداء الزكاة ثم طاعة ولي الأمر. فلا شكّ أن التقوى هي الذروة من هذه الأعمال فهي المحركة لها والباعثة عليها ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1] والتقوى أكثر ما يدخل الجنة فقد سئل الرسول: ((مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ))[2]. ثم ثنى رسول الله ﷺ بالصلاة، وبعدها صوم رمضان وهكذا رتب النبي ﷺ هذه الخصال حسب أولويتها ودرجتها، فالصلاة عماد الدين وهي لا تسقط بحال عن المكلفين، فضلاً عن أنها عبادة يومية أدائها عمود الإسلام، لذا استحق تقديمها على غيرها، ولما كان عدد من تجب عليهم الزكاة أقل ممن يجب عليهم الصيام، قدم الصيام في الذكر..

كما ختم النبي ﷺ بالأمر بطاعة أولي الأمر، فإذا كانت التقوى وهذه العبادات توفر للإنسان الأمن النفسي، فإن طاعة أولي الأمر توفر الأمن الاجتماعي، ومن ثم يجتمع له الأمنان الداخلي والخارجي.

وكان النبي ﷺ يوجه دعاته إلى ترتيب الأولويات، فقد وجه معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن، وقال له: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ. فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إلى أن يوحدوا الله تعالى. فَإِذَا عَرَفُوا ذلك، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ. فَإِذَا صلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً أَمْوَالِهِمْ))[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

لقد أمر النبي ﷺ المؤمنين قائلاً لهم: "اتقوا الله..." وكان الموقف موقف خطبة فاستخدم النبي ﷺ الأمر ليكون أنسب في إيصال المراد مباشرة صريحاً واضحاً؛

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤، وابن ماجه ٤٦٢٦، وحسنه الألباني (السلسلة الصحيحة ٩٧٧).

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٧٢، ومسلم ١٩.

ليكون الامتثال أسرع، وبيّن ﷺ قيمة هذا الأمر بأن بين عاقبة امتثاله وهو دخول الجنة، فجمع النبي ﷺ بين الأمر والترغيب؛ ليجعل المدعوين أكثر استجابة وأشد امتثالاً لما أمرهم به.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

لقد اهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بتربية المسلمين على التقوى والعمل على تأصيلها في القلوب، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتقوى، وقد كانت التقوى وصية الله للأولين والآخرين، ولذا فإن النبي ﷺ عمل على تنشئة أصحابه رضي الله عنهم وتربيتهم على تقوى الله، ومن ثم فقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على تقوى الله والترغيب فيها والأمر بها وبيان فضلها، ومن جملة هذه الأحاديث ما ورد في هذا الباب -التقوى- الذي اشتمل على عدد من المضامين التربوية والتي من جملتها ما يلي:

أولاً: من أساليب التربية السؤال والجواب:

إن السؤال والجواب من أبرز وأهم أساليب التربية، حيث يبرهن السؤال برهنة عملية على رغبة المتعلم في المعرفة والتعلم ومعرفة ما يجهله من أمور، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ، وكان صدره يتسع لأسئلتهم، ويقوم بإجابتهم بأسلوب تربوي رائع، يعمل فيه على ترسيخ المعاني الإيمانية العظيمة، مثلما ما ورد في الحديث: من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم.

وقد كانت إجابات النبي ﷺ شمولية وجامعة ومركزة وهادفة ومستوعبة للخلفيات الفكرية للسائل، وليس ذلك فحسب، بل تعمل على تعميق الفهم التربوي الواعي لعدد من الحقائق التي يحتاج الناس إلى معرفتها.

ومن الميادين التربوية التي تسعى إلى تزويد المتعلم بالمعرفة الدينية اللازمة له المدرسة: حيث لا ينبغي أن تقتصر مهمة التربية الدينية على إشباع حاجة التلميذ إلى المعرفة الدينية. وإنما ينبغي أن تسعى إلى تزويده بالمعرفة اللازمة له في مستقبل أمره، وإن لم يشعر في هذه اللحظة، أو في الوقت الحاضر بالحاجة إليها، إن التربية عموماً، والتربية الدينية خصوصاً، لا ينبغي أن تكون ضيقة النظرة، لا تتعدى نظرتها مواقع أقدامها، بل ينبغي أن تمد بصرها إلى الأمام فتعطي التلميذ ما يحتاجه في الغد القريب على الأقل، إن لم يكن في الغد البعيد، لأن المدرسة ينبغي أن يكون من أهدافها تعميق معرفة التلميذ بالعقائد الدينية، وبالشعائر الدينية والمعاملات مع الناس وأن تزيد من

فهمه لها، حتى ينمو معرفياً في هذه الجوانب، ولا يثبت عند وضع معين فيها، وإذا كانت هناك دراسة موضوعات بعينها، في مراحل التعليم المختلفة فهي تدرس بعمق معين في مرحلة ثم بعمق أكبر في المرحلة التي تليها وهكذا[١].

ثانياً: التربية على الزهد في الدنيا والحذر من الافتتان بها وبالنساء:

إن من المعالم التربوية التي أراد النبي ﷺ ترسيخها في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أن الدنيا حلوة وخضرة ومبهجة وتغري بالافتتان بها، وما أكثر من يفتن بها ويقع في حبائلها، والأولى بالعاقل أن يدرك حقيقة الدنيا، وأنها إلى زوال وإلى فناء، فلا يكن ذلك باعثاً على الافتتان بها، بل يجب الحذر منها ومن مغرياتها مثل النساء.

ويمثل ذلك حلقة من حلقات التربية النبوية لأصحابه رضي الله عنهم، وكيف كان ﷺ يهتم بالتربية الشاملة، والحديث ليس دعوة للزهد في طيبات الحياة، ولكن دعوة إلى الاعتدال والتوازن في مجالات الحياة الدنيوية المتعددة، ودعوة إلى تقوية الصلة بالله، فلا تتهاوى النفس أمام زخارف الدنيا وزينتها، ولا تفقد اعتدادها بالقيم العليا[٢].

ثالثًا: التربية الروحية للإنسان:

تستهدف التربية الإسلامية: تربية الذات الإسلامية، وهي تربية شاملة ومستمرة، والتربية الإسلامية تعمل على أن ينتفع الإنسان بما يتعلمه، وتستمد تلك التربية شموليتها أو صلاحيتها للإنسان في كل زمان ومكان من شمولية الإسلام، لأن هدفها الإنسان بكيانه متكاملاً وبطاقاته وقدراته كلها، وهي بذلك تعني بالجانب العقلي والروحي والجسمي والخلقي والاجتماعي والجمالي وغير ذلك[٣].

إن هدف التربية الإسلامية هو تنمية وتكوين الإنسان العابد الصالح[٤].

---

(١) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د.إبراهيم محمد الشافعي، ص٥٤.

(٢) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ٤٢٦، ٤٢٧.

(٣) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د.عبدالجواد سيد بكر ص ١٧٠-١٧٦.

(٤) من الأصول التربوية في الإسلام، د.عبدالفتاح جلال ص ٧٩.

-فلسفة التربية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل مصطفى ص ١٤٥.

-التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني ص ٩.

وقد جمعت التربية الإسلامية بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم فهي تعني بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأي نوع على حساب الآخر.

إن من أهداف التربية الروحية تقوية الجانب الروحي للإنسان، حيث حرص الإسلام على نقاء هذا الجانب وطهارته، بحيث يسمو الإنسان فوق رغائب وأغلال المادة[1].

ولذا فإن النبي ﷺ كان يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ))، وكان ﷺ يأمر بتقوى الله وأداء العبادات والتخلُّق بالأخلاق الحسنة مما يساعد على تحقيق تقوى الله وتزكية وتربية النفس.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د.عبدالجواد سيد بكر ص ١٨٢-١٨٤.

٧- باب اليقين والتوكل

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[الأحزاب: ٢٢]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران: ١٧٣-١٧٤]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[إبراهيم: ١١]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّه﴾[آل عمران: ١٥٩]، والآيات في الأمرِ بالتوكلِ كثيرةٌ معلومةٌ. وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٣]: أي كافيهِ. وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال: ٢]، والآيات في فضل التوكل كثيرةٌ معروفةٌ.

وأمَّا الأحاديث:

الحديث رقم (٧٤)

٧٤- **فَالأوَّلَ:** عَن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: **«عُرِضَت عليَّ الأمَمُ، فَرَأَيْت النَّبِيَّ وَمعَه الرُّهيْطُ، والنَّبِيَّ ومَعهُ الرَّجُل وَالرَّجُلانِ، وَالنَّبِيَّ وليْسَ مَعهُ أحدٌ، إذ رُفِعَ لِي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هَذه أُمَّتُكَ، ومعَهُمْ سبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّة بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ»**.

ثُمَّ نَهَض فَدَخَلَ منْزِلَهُ، فَخَاض النَّاسُ في أُولَئِكَ الَّذينَ يدْخُلُون الْجنَّةَ بِغَيْرِ حسابٍ وَلا عذابٍ، فَقَالَ بعْضهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذينَ صَحِبُوا رسول اللّه ﷺ، وقَال بعْضهُم: فَلعَلَّهُمْ الَّذينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا باللّه شيئاً وذَكَروا أشْياء، فَخرجَ عَلَيْهِمْ رسول

اللّه ﷺ فقَالَ: «مَا الَّذي تَخُوضونَ فِيهِ؟» فَأخْبَرُوهُ فقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لا يرقُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطيَّرُون، وَعَلَى ربِّهِمْ يتَوكَّلُونَ» فقَامَ عُكَّاشةُ بنُ مُحْصِن فَقَالَ: ادْعُ اللّه أنْ يجْعَلَني مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أنْت مِنْهُمْ» ثُمَّ قَام رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللّه أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فقال: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الرهيط: بضم الراء تصغير رهط، وهم دون عشرة أنفس[2].

سواد عظيم: السواد هو الشخص والمقصود: أشخاص كثيرة[3].

الأفق: الناحية والجانب[4].

تخوضون: تتفاوضون[5].

يرقون: من الرقية وهي العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات[6].

يسترقون: أي يطلبون الرقية[7].

يتطيرون: من الطِيَرة وهو التشاؤم. وأصلها أنهم كانوا في الجاهلية إذا قصدوا لأمر فإذا رأوا الطير طار يمنة تيمنوا بذلك واستمروا في الأمر، وإذا طار يسرة تشاءموا ورجعوا[8].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠/٣٧٤) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٨٠.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤١٥/١١، والوسيط في (س و د).

(٤) رياض الصالحين ٨٠.

(٥) الصحاح في (ف و ض).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ي).

(٧) انظر: الوسيط في (ر ق ي).

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ي ر)، والمفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١٩٦، وفتح الباري، ابن حجر ٢٢٣/١٠، والوسيط في (ط ي ر).

عُكَّاشه: بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها، والتشديد أفصح[1].

الشرح الأدبي

- ما أجل البشارات التي يهديها المصطفى ﷺ إلى أمته وهي خير أمة أخرجت للناس! وما أعظم الدلائل والبراهين التي يقدمها المبعوث رحمة للعالمين على فضل أمة الإسلام وعلى إكرام الله لها وتفضيلها على سائر الأمم! ونقتبس من هذا الحديث الشريف ومضات متألقة تشع بالأفضلية والخيرية لهذه الأمة المباركة. والحديث يُصدِّر به الإمام النووي باب اليقين والتوكل، وهو بهذا التصدير يعلن ويؤكد أن التوكل واليقين من ثمرات التقوى.
- وأول وصية في الحديث السابق هي: "اتقوا الله"، وجزاء التقوى وما يلزم عنها دخول الجنة، والتوكل على الله -في رأى بعض العلماء- وهو الثقة بالله والإيقان بأن قضاء نافذ واتباع سنة نبيه ﷺ والسعي فيما لا بد منه من مطعم ومشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء.

واليقين في اللغة: العلم الذي لا شك فيه.

وهذا الحديث النبوي الشريف يقدم صورة مشرقة من أساليب البيان النبوي، وهي تموج بالحركة والحوار والمناظرة والجدال بالتي هي أحسن.

- والنهج القصصي هو الوسيلة الفنية التي قدم في إطارها هذا الحديث الشريف، وأول مشهد من مشاهد هذه الصورة القصصية إخبار النبي ﷺ بما رآه في قوله: "عرضت على الأمم" وهذا العرض - كما قال العلماء- يحتمل أن يكون مناماً أي: رؤيا، أو يكون العرض في اليقظة ليلة الإسراء أو غيرها، والتعبير بقوله: "عرضت"، فيه سرّان من أسرار التعبير وهما: بناء الفعل للمجهول؛ لأن الفاعل معلوم وهو الله عز وجل: فهو الذي عرض عليه

---

(١) رياض الصالحين ٨٠.

مشاهد الأمم، والتعبير بمادة العرض يوحي بتعدد المشاهد وتعدد العروض، ويتضح ذلك من قوله ﷺ: "فرأيت النبي... والنبي ... والنبي..." وهذا التكرار يؤكد كثرة المشاهد.

- وليس الأمر إطناباً ولكن التكرار لإظهار الحقيقة، ففي المرة الأولى النبي معه الرهيط: وهو العدد من ثلاثة إلى عشرة أو ما دون العشرة، وفي المرة الثانية يرى النبي معه أقل من ذلك: "الرجل أو الرجلان"، وفي الثالثة النبي ليس معه أحد ولم يحدد الرسول أسماء هؤلاء الأنبياء، لأنهم كثيرون ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1]. ولنتأمل قلة الاتباع، ومعاناة الأنبياء مع أقوامهم ولنشكر الحق سبحانه على أن جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا.
- والمشهد الرابع يخصه الرسول بالتفصيل والتوضيح "إذْ رفع لي سواد عظيم" أي أشخاص كثيرون فظن الرسول أنهم أمته. وفي هذا الظن رجاء وأمنيات أن يجعل أمته أكثر عدداً، ولكن توقع المصطفى ﷺ لم يتحقق وقيل له: "هذا موسى وقومه" وعندما يحكي رسول الله ﷺ لأصحابه هذه المشاهد فهو يشوقهم ويثير مشاعرهم ويهيئهم للبشرى بعد الظنون.
- والتعبير بقوله "ولكن" يصور ما جال بنفوس الصحابة وبنفس الرسول ﷺ، فهي للاستدراك وهو إثبات ما يتوهم نفيه، أو نفي ما يتوهم ثبوته، وما بعد "لكن" يوضح الموقف.

وما أجمل تصوير هذا المشهد الذي لم يره إلا الحبيب المصطفى والنبي المجتبي! هذا المشهد يتجلى في هذه المحاورة المبشرة البليغة الناطقة بالحقيقة الرامزة، "انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم" ويتابع المشهد الجليل، الذي يرويه البشير النذير، "فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر. فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك".

---

(١) سورة غافر، آية: ٧٨.

- فأي فضل أعظم من هذا؟ وأي كرم أفضل من هذا؟ وأي بشارة بالفوز لهذه الأمة أسمى من هذه البشارة؟ والسواد العظيم في الأفق، مشهد حقيقي ولكنه يرمز لحقائق ممتدة ومستقبل آمن، وقد تحققت هذه النبوءة، والفتوحات الإسلامية خير شاهد على ذلك، وقد اتسعت أرجاء الدولة في المشرق والمغرب. والأفقان في الحديث الشريف يوحيان بانتشار الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة كلها شرقاً وغرباً وقد تحقق ذلك، ويعد ذلك من معجزاته ﷺ ونبوءاته التي أكرمه الله بها. والتعبير بلفظ الإشارة، "هذه أمتك" يدل على التحديد والتكريم لأن الله أضاف الأمة إلى كاف الخطاب والمخاطب هو سيد الخلق ﷺ، والمزيد من الكرم يتجلى في تخصيص الله أفراداً من أمة محمد الذين بيّن رسول الله ﷺ صفاتهم بعد ذلك، وهم يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. والقسم الثاني من الحديث تدور فيه مناظرة أخرى ومجادلة بين أصحاب النبي ﷺ في تفسير وتأويل المراد بهؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وكان من الممكن أن يخبرهم الرسول بصورة مباشرة بهؤلاء ولكن البيان النبوي يلجأ إلى التشويق وإلى إثارة ما في نفوس الناس من آراء؛ ولذلك جاء الفاصل بين المحاورتين بـ"ثم" في قوله: "ثم نهض"، وكثير من الجمل عطفت بالفاء والواو، وثم جاءت مرتين فقط، والعطف بثم هنا يعطي مسافة للتفكير والحوار والتفسير والتأويل، ولذلك عبر بالفعل "خاض الناس" والمراد: الكلام المتشعب، وكأنهم تموج بهم الأحاديث من شدة اللهفة على معرفة الحقيقة، وبعد أن خاضوا وتأولوا وتعددت تفسيراتهم واتجهت إلى صحابة رسول الله أو الذين ولدوا في الإسلام، والكل يتمنى أن يكون من هؤلاء المقربين. ولكن المصطفى ﷺ يسألهم سؤالاً تقريرياً "ما الذي تخوضون فيه؟" فأخبروه. فتجيء إجابة المصطفى ﷺ تصحيحًا لمفاهيم كثيرة، وحين يحدد الذين يدخلون الجنة بغير حساب، لا يحصرهم في طائفة محددة، ولا في زمن

معين، فهم ليسوا من الصحابة فقط، وليسوا من الذين ولدوا في عصر البعثة فقط، ولكنهم يمكن أن تشملهم جميع العصور، وجميع الأمكنة في كل الأجيال كذلك؛ لأن صفاتهم هي المعيار والمقياس، فالذي تتحقق فيه هذه الصفات وتلك السلوكيات يكون من هؤلاء. وتكلم عنهم الرسول بصيغة الجمع المخبر عنهم فقال: "هم الذين" ثم أتى بثلاث صفات في صيغة النفي "لا يرقون ولا يسترقون، ولا يتطيرون" والصفة الرابعة هي الجامعة المانعة وفي صيغة الإثبات، وصيغة القصر عن طريق التقديم والتأخير "وعلى ربهم يتوكلون".

- والعنصر الصوتي المتمثل في السجع المتوالي وختام الأفعال المضارعة بواو الجماعة وثبوت النون، يوحي بقوة الأداء واستمرارية هذا السلوك، والمراد أنهم يتركون ما كان من رقى في الجاهلية أو بأية رقى غير شرعية لا تعتمد على الله ولا تفوض أمره إليه.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يلي:

أ- **إباحة المناظرة في العلم:** قال النووي: (قوله "فخاض الناس": أي تكلموا وتناظروا، وفي هذا إباحة المناظرة في العلم، والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة وإظهار الحق)[1].

ب- **الرقى:** اختلف الفقهاء في الرقى: فذهب الجمهور إلى جواز الرُّقْى من كلّ داء يصيب الإنسان بشروط ثلاثة:

أولها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانيها: أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته، لما روى عوف

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي.

ابن مالك رضي الله عنه قال: (كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: "عرضوا على رقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك")[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رقية نرقى بها العقرب وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه، فقال: ((ما أرى بأسًا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه))[٢].

وقال قوم من العلماء: لا تجوز الرقية إلا من العين واللدغة لقول عمران بن حصين رضي الله عنهما: ((لا رقية إلا من عين أو حمة))[٣].

وذهب بعض العلماء إلى أنه تكره الرقى حتى وإن كانت بكتاب الله أو أسمائه وصفاته؛ لأنها قادحة في التوكل على الله، واستدلوا بحديث الباب "هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون" ومن هؤلاء سعيد ابن جبير.

وذهب آخرون إلى كراهة الرقى إلا بالمعوذات.

وفرق قوم من العلماء بين الرقى قبل وقوع البلاء وبعد وقوعه، فقالوا: المنهي عنه من الرقى هو ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٩٩، ٦٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢١٩٩، ٦٢، ٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٠٥ موقوفًا على عمران بن حصين رضي الله عنهما، وأخرجه أبو داود ٣٨٨٤ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعًا إلى النبي ﷺ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٨٩). وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٥٣١/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٣١/٣، شرح الحديث ٥٧٠٥، ٢٥٤٦/٣، شرح الحديث ٥٧٣٥، ٢٥٥٣/٣، شرح الحديث ٥٧٥٢، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧-١٤٢، والقوانين الفقهية ص ٤٥٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٤٤٢/٢، وحاشية العدوي ٤٥٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٣٧/١، والمغني، ابن قدامة لابن قدامة ٤٤٩/٢، وحاشية ابن عابدين ٢٣٢/٥، والموسوعة الفقهية ٩٦/٢٣-٩٨.

ج- التطير: جاء في الحديث عن صفات هؤلاء السبعين "ولا يتطيرون" (وأصل التطير أن العرب إذا خرج أحدهم لأمر قصد إلى عش طائر، فيهيجه فإذا طار الطير يمنةً تيمن به، ومضى في الأمر ويسمونه السانح. أما إذا طار يسرةً تشاءم به ورجع عما عزم عليه، وكانوا يسمونه "البارح" فأبطل الإسلام ذلك ونهى عنه، وأرجع الأمر إلى سنن الله الثابتة، وإلى قدره المحيط ومشيئته المطلقة)[١] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: ((من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك))[٢]. ونقل ابن حجر عن الحليمي: (وكان العرب يتطيرون بصوت الغراب وبمرور الظباء فسموا الكل تطيرًا؛ لأن أصله الأول)[٣].

أما عن الحكم التكليفي للتطير، فإن اعتقد المكلف أن الذي شاهده من حال الطير موجب لما ظنه مؤثر فيه، فقد كفر، لما في ذلك من التشريك في تدبير الأمور، أما إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف والمدبر وحده ولكنه في نفسه يجد شيئًا من الخوف من الشرّ، لأن التجارب عنده قضت أن صوتًا من أصوات الطير أو حالاً من حالاته يرادفه مكروه، فإن وطن نفسه على ذلك فقد أساء، وإن استعاذ بالله من الشرّ وسأله الخير ومضى متوكلاً على الله، فلا يضره ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخذ)[٤] لحديث معاوية بن حكم السلمي قال: قلت: يا رسول الله: منا رجال يتطيرون. قال: ((ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم))[٥].

هذا وقد اتفق أهل التوحيد على تحريم التطير ونفي تأثيره في حدوث الخير أو الشر، لما في ذلك من الإشراك بالله في تدبير الأمور[٦]، والنصوص في النهي عن ذلك

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٥٣/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٣/١٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٠/٢ رقم ٧٠٤٥ وقال محققو المسند: حديث حسن ٦٢٣/١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٥٤/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٥/٣ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٣/١٢.

(٥) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٣/١٢، وقال ابن مفلح: وقد ذكر بعض العلماء أن الطيرة من الكبائر، وما تقدم من أنها مكروهة ذكره غير واحد من الأصحاب لمن الحنابلة والأولى القطع بتحريمها، ولعل مرادهم بالكراهة التحريم، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٦٠/٣.

كثيرة منها حديث: "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر"[١].

أما الفأل الحسن فهو جائز[٢]، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطيّر ويعجبه الاسم الحسن[٣]، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح "الكلمة الحسنة"))[٤].

قال البغوي: (الفأل قد يكون في ما يحسن ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أحبّ النبي ﷺ الفأل، لأنه فيه رجاء الخير والعائدة، ورجاء الخير أحسن بالإنسان من البأس وأقطع الرجاء عن الخير)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما اختص به النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الأمة الإسلامية على الأمم السابقة.

ثالثاً: من مهام الداعية: تعريف المدعو بالحقائق الأساسية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل اليقين والتوكل.

خامساً: من صفات المدعو: السبق إلى تحصيل ما ينفعه في أخراه.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل عكاشة بن محصن رضي الله عنه.

سابعًا: من فقه الداعية: الإجابة الحاسمة إذا اقتضى الموقف ذلك.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الإخبار والتساؤل والتشويق والاستفهام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ما اختص به النبي ﷺ:

يتضح ذلك في قوله ﷺ "عُرِضَت عليّ الأُمم" وقد نصّ على ذلك ابن الملقن فذكر تحت ما اختص به ﷺ من الفضائل والكرامات (المسألة الثالثة والثلاثون: عرض عليه

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠٧، ومسلم ٢٢٢٠.

(٢) حاشية ابن عابدين ٥٥٥/١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٧/١ رقم ٢٣٢٨، وقال محققو المسند: حسن لغيره ١٦٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٥) شرح السنة ١٧٥/١٢، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٨/٢٥-٣٣٠.

الخلق كلهم من آدم إلى من بعده كما علم آدم أسماء كل شيء، ذكره العراقي في شرح المهذب)[١].

وفي صحيح ابن حبان عُنون هذا الحديث تحت عنوان "ذكر عرض الله جل وعلا الأمم على المصطفى"[٢].

وما اختص به النبي ﷺ أنواع:

(أ- الأحكام التكليفية التي لا تتعداه إلى أمته ككونه لا يورث، وغير ذلك.

ب- المزايا الأخروية، كإعطائه الشفاعة، وكونه أول من يدخل الجنة، وغير ذلك.

ج- الفضائل الدنيوية ككونه أصدق الناس حديثاً.

د- المعجزات كانشقاق القمر، وغيره.

هـ- الأمور الخَلْقية، ككونه يرى من خَلْفه ونحو ذلك)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الأمة الإسلامية على الأمم السابقة:

لقد فضل الله الأمة الإسلامية على سائر الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في قوله ﷺ "فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب" قال النووي: (فيه عظم ما أكرم الله سبحانه وتعالى به النبي ﷺ وأمته زادها الله فضلاً وشرفاً)[٤] وذكر ابن الملقن أن من خصائصه ﷺ أنه أكثر الأنبياء أتباعاً[٥].

وقد جاءت أحاديث في هذا المعنى، من ذلك قول النبي ﷺ: ((إنما بَقاؤكم فيمن سلَف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروبِ الشمس، أوتيَ أهل التوراةِ

---

(١) نهاية السول ٢٨٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١١/٤١٤-٤١٥.

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/٣٣٩.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٢٥٧، وانظر روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي للنووي، ٥/٣٣٤-٣٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٤٥.

(٥) نهاية السول، ابن الملقن، ٢٧٠.

التوراةَ فعملوا بها حتى إذا انتصف النهارُ عَجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُوتيَ أهلُ الإنجيل الإنجيلَ فعملوا به إلى صلاة العصرُ ثم عَجزوا فأعطُوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآنَ فعملنا به حتى غَرَبتِ الشمسُ فأعطينا قيراطين قيراطيْن، فقال أهلُ الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنا أكثر عملاً؟، قال اللّه: هل ظلمتكم من أجركم من شيء شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيهِ من أَشاء))[1].

وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: ((قَالَ لَنَا رَسُولُ اللّهِ : «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالَ فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذٰلِكَ. مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلاَّ كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ. أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ))[2].

وقال ابن كثير: (إنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد صلوات الله وسلامه عليه، فإنه أشرف خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يعطه نبياً قبله ولا رسولاً من الرسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه)[3].

ثالثاً- من مهام الداعية: تعريف المدعو بالحقائق الأساسية:

يضطلع الداعية بمهام أساسية في الدعوة إلى الله تعالى، ومن تلك المهام تعريف المدعو بالحقائق الأساسية التي ينبغي له التعرف عليها، فقد خرج عليهم النبي ﷺ وقال لهم: "ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: "هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون"، فقد بين ﷺ صفات هؤلاء الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب بعد أن اختلفت اجتهاداتهم في تحديدهم فكان هذا منه ﷺ بياناً للحقائق الأساسية لهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٢٨، ومسلم ٢٢١ واللفظ له.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٣/٣.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل اليقين والتوكل:

لقد ذكر النبي ﷺ أن صفات هؤلاء السبعين أنهم "لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون".

قال ابن القيم: (إن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، والطيرة نوع من الشرك، ويتوكلون على الله وحده لا غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على الله)[1].

(ويحصل التوكل - كما نقل ابن حجر عن جمهور العلماء- بأن يثق [العبد] بوعد الله ويوقن بأن قضاءه واقع، ولا يترك اتباع السنة في ابتغاء الرزق مما لابد منه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح وإغلاق الباب ونحو ذلك، ومع ذلك فلا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا تدفع ضراً، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى والكلُ بمشيئته، فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب قدح في توكله)[2].

وقال ابن القيم: (التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة)[3] وقال أيضاً: (واليقين قرين التوكل ولهذا فسر التوكل بقوة اليقين. والصواب أن التوكل ثمرته ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[4] فالحق

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ١٠٠. وقال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن الرقية جائزة وتركها توكلاً على الله تعالى أفضل منها، وكذلك الكي فإنه جائز وتركه أحسن. وأما الطيرة فلا تحلّ بحال"، الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦٥/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٤١٧/١١، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٧/١-٤٦٨.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٥١/٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٧٩.

هو اليقين... ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضي به وشكراً له وتوكلاً عليه وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[١].

خامساً- من صفات المدعو: السبق إلى تحصيل ما ينفعه في أخراه:

إن المؤمن مأمور بالسبق لتحصيل ما ينفعه في أخراه، وذلك بالتزود بالأعمال الصالحة، ومن الشواهد على ذلك في هذا الحديث مسلك عكاشة بن محصن عندما قام وقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال ﷺ "أنت منهم ثم قام رجل آخر طلب ما طلبه عكاشة فقال النبي ﷺ: لا سبقك بها عكاشة" فقد سارع عكاشة إلى طلب أن يكون ممن يدخلون الجنة بغير حساب.

وقد وقع ذلك من الصحابة كثيراً، من ذلك سبق عُمير بن الحمام رضي الله عنه إلى الجنة يوم بدر، فقد سمع النبي ﷺ يقول: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: بَخْ بَخْ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخْ بَخْ قَالَ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[٢]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[٣].

قال ابن القيم: (قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحداً سمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو بإحسان)[٤].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٢١/٣.

(٢) جعبة النشاب والنبل، انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ١٧٢.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل عكاشة بن محصن رضي الله عنه:

إن هذا يستنبط من مبادرته إلى سؤال رسول الله ﷺ أن يدعو له أن يكون من هؤلاء السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فأليست هذه المبادرة منه رضي الله عنه دليلاً على فضله؟ يؤيد ما ذهبنا إليه قول القرطبي: (ولقوة يقينه وشدة حرصه على الخير ورغبته فيما عند الله سبحانه، وسبق الصحابة كلهم بقوله: ادع الله أن يجعلني منهم، ولما لم يكن عند القائم بعده من تلك الأحوال الشريفة ما كان عند عكاشة قال له: "سبقك بها عكّاشة")[1] قال ابن كثير: (وكان من سادات الصحابة وفضلائهم)[2] وقال عنه ابن حجر: (كان من السابقين إلى الإسلام وكان من أجمل الرجال وكنيته أبو محصن وهاجر وشهد بدرًا وقاتل فيها، قال ابن إسحاق[3]: بلغني أن النبي ﷺ قال: ((خير فارس في العرب عكاشة)) وقال أيضًا[4]: قاتل يوم بدر قتالاً شديدًا حتى انقطع سيفه في يده فأعطاه رسول الله ﷺ جزْلا[5] من حطب فقال: قاتل بهذا. فقاتل به فصار في يده سيفًا طويلاً شديد المتن أبيض، فقاتل به حتى فتح الله فكان ذلك السيف عنده حتى استشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد سنة اثنتي عشرة[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٩/١.

(٢) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٠١/٩.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٢٩١/١، بتحقيق الساق والإيباري وشلبي.

(٤) المرجع السابق ٢٩٠/٢، وانظر: دلائل النبوية للبيهقي ١٤٦/٥، والبداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٤٦/٥.

(٥) الجزل: أصل الشجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع، الوسيط في (ج ز ل). وهي ما عظم من الحطب ويبس، الوجيز في (ج ز ل).

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٤١١/١١-٤١٢، وانظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٨٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٦٤/٤-٦٥، والسير ٣٠٧/١-٣٠٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٩٢٦.

لما سأل عكاشة بن محصن رضي الله عنه أن يدعو له النبي ﷺ أن يكون من هؤلاء السبعين ألفًا، قال له النبي ﷺ: "أنت منهم" ولما قام رجل آخر وطلب ما طلب عكاشة قال النبي ﷺ "سبقك بها عكاشة" وقد اختلف قول أهل العلم في بيان الحكمة من هذا الجواب النبوي الشريف، قال ابن حجر: (فتحصل لنا من كلام هؤلاء الأئمة على خمسة أجوبة والعلم عند الله تعالى)[١].

ومن هذه الأقوال ما رجحه أهل العلم، وهذا القول يذهب إلى أن النبي ﷺ قال: "سبقك بها عكاشة" حسمًا لمادة السؤال وإغلاقًا لباب الطلب، قال ابن الجوزي: (يظهر لي أن الأوّل سأل عن صدق قلب فأجيب، وأما الثاني فيحتمل أن يكون أريد به حسم المادة، فلو قال للثاني نعم، لأوشك أن يقوم ثالث ورابع إلى ما لا نهاية وليس كل الناس يصلح لذلك)[٢].

وقال القرطبي: (لما لم يكن عند القائم بعده من تلك الأحوال الشريفة ما كان عند عكاشة قال له: "سبقك بها عكاشة" وأيضًا فلئلا يطلب كل من هنالك ما طلبه عكاشة والرجل الآخر، ويتسلسل الأمر، فسدّ رسول الله ﷺ الباب بما قال لعكاشة وهذا أولى من قول من قال: إن ذلك الرجل كان منافقًا، لوجهين:

أحدهما: أن الأصل في الصحابة منحة الإيمان والعدالة، فلا يظن بأحد منهم شيء يقتضي خلاف ذلك الأصل، ولا يسمع ما لا يصح نقله، ولا يجوز تقديره.

والثاني: أنه قلّ أن يصدر مثل ذلك السؤال عن منافق، إذ ذلك السؤال يقتضي تصديقًا صحيحًا ويقينًا ثابتًا، والله أعلم)[٣].

وقال ابن حجر: (وإلى هذا جنح ابن تيمية)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤١٣/١١.

(٢) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر ٤١٢/١١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٤٦٩/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٤١٢/١١.

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الإخبار والتساؤل والتشويق والاستفهام:

أما الإخبار فقوله ﷺ "عُرِضَت عليّ الأُمم" ووظيفة الإخبار هنا بيان الحقيقة وتقريرها وجعلها مسلّمة لدى المدعوين.

أما التساؤل فواضح من رواية البخاري ((يا جبريلُ هؤلاء أمَّتي؟))[1] وذلك كان بعد أن رأى النبي ﷺ عدداً كبيراً من الناس، وذلك التساؤل يدل على حب النبي ﷺ لأمته. أما التشويق فكان دخول النبي ﷺ بيته بعد أن أخبر أن من أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بدون حساب، فكان هذا التشويق دافعاً لأصحابه أن يجتهدوا في تحديدهم وتعيينهم فلما خرج عليهم سألهم "ما الذي تخوضون فيه؟" لكي يعلم ما يخوضون فيه ومن ثم أخبرهم فتشوق عكاشة أن يكون منهم فأخبره أنه منهم على حين أخبر الآخر أن عكاشة قد سبقه.

---

(١) صحيح البخاري ٦٥٤١.

الحديث رقم (٧٥)

٧٥- الثَّانِي: عَنْ ابْن عبَّاس رضي الله عنهما أيْضاً، أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ كانَ يقُولُ: «**اللَّهُم لَكَ أسْلَمْتُ وبِكَ آمنْتُ، وعليكَ توَكَّلْتُ، وإلَيكَ أنَبْتُ، وبِكَ خاصَمْتُ. اللَّهمَّ[1] أعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إلَه إلاَّ أنْتَ، أنْ تُضِلَّنِي أنْت الْحيُّ الَّذي لا تمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يمُوتُونَ**» متفقٌ عليه[2]. وَهَذا لَفْظُ مُسْلِمٍ وَاخْتَصرهُ الْبُخَارِيُ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أنبتُ: أقبلتُ ورجعتُ إليك بالتوبةِ[3].

خاصمت: نازعت[4]، و المراد: خاصمتُ ثقة في نصرك ومؤازرتك لي.

الشرح الأدبي

هذه الدعوات الصاعدة من قلب الحبيب محمد ﷺ يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، كما يقول الرافعي.

وجماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف تمتزج بجلال المعاني، وصدق المناجاة ووهج المحبة الإلهية، وشدة الحاجة إلى فيض القدرة الربانية.

وتتجلى هذه الجماليات الأسلوبية في الظواهر الآتية:

أ-التوازن في البناء اللغوي للحديث، حيث ترد الجمل الست الأولى في بناء متناسق متوازن لا أثر فيه للتكلف ولا للتصنع فهي لم تصنع ولكنها من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة، والتوازن هنا ليس

---

(١) عند مسلم زيادة: (إنِّي).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٧)، ومسلم (٢٧١٦/٦٦) واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن و ب).

(٤) الوسيط في (خ ص م).

استعراضاً أسلوبياً وليس زخرفة لفظية وليس تهويماً في أودية الخيال ومسابح الظنون، بل هو حقائق تلبس أردية الجمال ووقائع تناصر فيها الأفعال الأقوال، والسجع والإيقاع الصوتي من مظاهر ذلك التوازن.

ب-أسلوب القصر عن طريق التقديم والتأخير "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت..." وهذا المنحى الأسلوبي يعد من مظاهر التوازن والإيقاع في البناء اللغوي للحديث الشريف، ويؤكد أنه لا إسلام لغير الله ولا إيمان بغير الله ولا توكل على غير الله.

ج-تكرار كاف الخطاب في بداية كل جملة يؤكد الخشوع والحرص على إجابة الدعاء ، ويؤكد كذلك إخلاص النية وصدق اليقين والتوكل على الله عز وجل، وتنويع أدوات الجر مع مناسبة كل أداة للسياق والمعنى الذي قيلت فيه يرتبط بحسن مخاطبة الله عز وجل، ويفصح عن بلاغة الرسول التي خضعت الأفكار لآيتها وحُسرت العقول دون غايتها ، فالحرف له دلالة ولا يقلّ في تمثيله للمعنى عن الكلمة والجملة في سياق أداء المعنى والمقصد الكامل من الحديث النبوي الشريف.

ولنتأمل عدول الرسول عن التعبير بـ"في" إلى التعبير بقوله "وبك خاصمت" لأن الباء للإستعانة فهو يستعين على الخصم بالله، وذلك أبلغ من التعبير بـ"وفيك خاصمت". وفي ذلك إيحاء بغاية الورع والسمو في مخاطبة الله عز وجل.

أفعال الدعاء كلها ماضية (أسلمت – آمنت – توكلت – أنبت – خاصمت) لأن الإسلام والإيمان الصحيحان لا يتغيران فهما يسكنان قلب المؤمن ويضيئان وجهه ويصلحان أعماله، وكذلك التوكل عزيمة ثابتة تستقر في كيان المسلم لا يعتريها نقص ولا يشوبها خلل. والإنابة لا يتكرر حدوثها بل هي مستقرة متصلة بكل حرف وكل كلمة وكل فعل وكل حركة وكل سكون في حياة المصطفى ﷺ فهو في طاعة دائمة، وقول الرسول ﷺ "وبك خاصمت" فيه إيجاز وإيحاء بتأييد الله له عز وجل ومعنى "بك" أي بما أعطيت من البرهان والحجج القولية أو النصرة ونحوها من الحجج الفعلية، كما يقول صاحب دليل الفالحين.

وفي بداية القسم الثاني من الحديث يتكرر النداء: "اللهم"، وفي هذا الدعاء

استجارة بالله عز وجل واستغاثة بعد أن أقر بكل المبادئ والقيم السابقة في ظل توفيق الله ورعايته ونصرته.

ولنتأمل مقدمة الحديث في قول الصحابي: "إن رسول الله ﷺ كان يقول..." ولم يقل الراوي: "قال" إشارة إلى أن هذا القول وذلك الدعاء كان منهجاً متصلاً ومستقراً في حياة رسول الله ﷺ، فقد كانت هذه الأدعية تجري على لسانه وتنبع من قلبه في كل المواقف. والمصطفى ﷺ يستعيذ ويعتصم ويلتجئ إلى الله من الضلال ليس خوفاً من ذلك ولكن بدافع من الحرص على الطاعة الكاملة، ولذلك لم يقل "أن أضل" لأنه معصوم، ولكنه قال "من أن تضلني"، والجزء الأول من الحديث يعد برهاناً صادقاً على ابتعاد الرسول عن هذه الدائرة، ولكن كل شيء بأمر الله عز وجل، وهو قد أسلم أمره لله وآمن به وتوكل عليه، والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وزيادة من التمكين في الهداية يستجير الرسول بعزة الله عز وجل، ويقدم إقراره بالتوحيد تأكيداً لقدرة الله عز وجل وعزته وحمايته ونصرته للمصطفى ﷺ.

ولنتأمل ختام الحديث الشريف: إنه مناسب للسياق والمقام، وهو برهان على صدق التوجه وقوة الإرادة، وتمكن العقيدة الخالصة، فالله وحده هو الحي الذي لا يموت، ولذلك يجب التوجه إليه وحده لا غيره بالإسلام والإيمان والتوكل والإنابة، والدفاع عن دينه القويم. والجملتان الأخيرتان في الحديث بينهما مقابلة أي تضاد في المعنى ومفارقة في الدلالة والإيحاء ففيهما برهان ساطع على صدق التوكل على الله وحده واليقين بنصرته وعزته؛ فالجن والإنس يموتون، والله حي لا يموت، وهذه المقابلة توحي وترشد إلى عدم الاستعانة بغير الله عز وجل، لأن الذي يموت لا يقدر على حماية نفسه، فكيف يحمي غيره؟ والتعبير بالفعل المضارع في جملة: "والجن والإنس يموتون" يعطي دلالة استمرار حدوث الفناء في عالم الجن والإنس، فهم غير قادرين على حفظ حياة أنفسهم، ولا حفظ حياة غيرهم، ومن غيرهم، فالتوكل كما يعلمنا المصطفى ﷺ، إنما هو على الحي الذي لا يموت؛ فمن اعتز بغير الله ذل، ومن اهتدى بغير هدايته ضل، ومن اعتصم بالله تعالى وتوكل عليه عز وجل.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: الاستعانة بالله تعالى وسؤاله واللجوء إليه والخضوع له والتوكل عليه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الضلال.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: بيان فناء كل المخلوقات وبقاء الحي الذي لا يموت.

أولاً- من آداب الداعية: الاستعانة بالله تعالى وسؤاله واللجوء إليه والخضوع له والتوكل عليه:

فالحديث لوحة مشرقة للتوجه إلى الله والالتجاء إليه والخضوع له، فقوله ﷺ "اللهم لك أسلمت وبك آمنت" معناه: "لك انقدت وبك صدقت" وقوله: و"عليك توكلت" أي: "فوضت أمري إليك"[(١)].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الإسلام درجة أولى والإيمان مقام وراء ذلك، لأنه ﷺ قال: "لك أسلمت"، ثم أتبعه بقوله: "وبك آمنت" فلما بدأ بالإسلام ثم ثنى بالإيمان لم يبق حينذ إلا تبيين ثمرة الإيمان، وهو التوكل على الله، فقال: و"عليك توكلت" ثم لما لم يخل بسر ما يقتضي الإنابة مع ذلك كله، قال بعده: "وإليك أنبت" ثم لما استقر ذلك كله جاء بالحب في الله والبغض في الله، فقال: "وبك خاصمت" وهذا أبلغ من قوله "وفيك خاصمت" لأن ذلك نوع تزكية للنفس، ودعوى قوله: "وبك خاصمت" يتضمن صدق التوكل: والمعنى: أنت مستندي وتفويض الانتصار بالله تعالى، وأنه خاصم في الله، بدليل أنه لا ينتصر إلا فيما يخاصم به فيه)[(٢)].

والنبي ﷺ حاله مع ربه سبحانه هكذا دوماً، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣/٨٤.

وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ. لَبَّيْكَ. وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ. تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي. وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ. وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ))[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل قال: اللهم لك الحمدُ أنتَ نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت قَيَّامُ السمواتِ والأرضِ ولك الحمدُ، أنت ربُّ السمواتِ والأرض ومَن فِيهنَّ، أنت الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، وقولكَ الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، والجنةُ حقٌّ، والنار حقٌّ، والساعةُ حقٌّ، اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبت، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وأخَّرتُ وأسررتُ وأعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنتَ))[2].

قال ابن هبيرة: "قوله: (بك آمنت) يجمع الإيمان بالله والاعتراف أنه لم يؤمن به إلا بتوفيقه"[3].

قال النووي: (ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة مع أنه مغفور له: أنه يسأل ذلك تواضعاً

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١١٢٠، ومسلم ٧٦٩ واللفظ له.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٩/٣.

وخضوعاً وإشفاقاً وإجلالاً، وليقتدى به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين، وفي هذا الحديث وغيره مواظبته ﷺ في الليل على الذكر والدعاء والاعتراف لله تعالى بحقوقه والإقرار بصدقه ووعده ووعيده والبعث والجنة والنار وغير ذلك)[١].

وقال ابن حجر: (قال الكرماني: فيه الإشارة إلى النبوة وإلى الجزاء ثواباً وعقاباً ووجوب الإيمان والإسلام والتوكل والإنابة والتضرع إلى الله والخضوع له. انتهى وفيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الضلال:

لقد استعاذ النبي ﷺ من الضلال فقال: "اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني"، قال ابن هبيرة: "قوله: (أعوذ بعزتك) العزة: تحتمل وجهين: أحدهما الامتناع. والثاني: ارتفاع القدرة، فهو عز وجل عزيز في قلوب أوليائه، فيجوز أن يكون الإضلال فعلاً للعزة،فيكون المعنى: أعوذ بك أن تضلني عزتك، أي تمنعني عظمتك واحتقاري لنفسي أن أسميك أو أصفك بما سميت به ووصفت به نفسك أو سماك ووصفك بك رسلك. ويجوز أن يكون الإضلال عائداً إلى الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣][٤].

فالله سبحانه وتعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٥] وسبحانه ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٥٢٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨/١٣. وانظر: الفوائد، ابن القيم، ١٦٧-١٦٨.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٨٤/٣.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٣.

ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾[١] ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾[٢] لذا كان دعاء المؤمنين قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من أن يضل، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فقالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أُزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))[٤].

وقال ابن القيم: (قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[٥]، والهدى منعه من الضلال، والرحمة منعه من الشقاء، وهذا هو الذي ذكره في أول السورة في قوله: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[٦]، فجمع له بين إنزال القرآن عليه ونفى الشقاء عنه، كما قال في آخرها في حق أتباعه: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، فالهدى والفضل والنعمة والرحمة متلازمات لاينفك بعضها عن بعض، كما أن الضلال والشقاء متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[٧]، والسعر: جمع سعير، وهو العذاب الذي هو غاية الشقاء... ومن هذا أنه

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٩٧.

(٣) سورة الفاتحة، آية: ٦-٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٠٩٤، وابن ماجه ٣٨٨٤ وصححه الألباني. صحيح سنن أبي داود، ٤٢٤٨.

(٥) سورة طه، آية: ١٢٣.

(٦) سورة طه، الآيتان: ١-٢.

(٧) سورة القمر، آية: ٤٧.

سبحانه يجمع بين الهدى وانشراح الصدر والحياة الطيبة، وبين الضلال وضيق الصدر والمعيشة والضنك، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[1][2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان فناء كل المخلوقات وبقاء الحي الذي لا يموت:

لقد أثنى رسول الله ﷺ على خالقه عز وجل بأنه "الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون".

قال ابن هبيرة: (وذلك أن كلّ حي سواه فحياته عارية، وهو الحي الدائم)[3].

قال ابن حجر: (قوله "الجن والإنس يموتون" استدل به على أن الملائكة لا تموت ولا حجة فيه، لأنه مفهوم لقب[4] ولا اعتبار له، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه وهو عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5] مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمّى الجن الجامع ما بينهم من الاستتار عن عيون الإنس)[6].

وقد قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[7] (أي: كل من على الأرض من إنس وجن ودواب وسائر المخلوقات يفنى ويبيد ويبقى الحي الذي لا يموت)[8] وقال ابن القيم: (الفناء في الآية الهلاك والعدم، أخبر سبحانه أن كل

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣١.

(٢) الفوائد المشوفة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٨٥/٣.

(٤) مفهوم اللقب: هو إذا قيد الحكم أو الخبر بالاسم فهل يدل على نفي الحكم عما عداه. وهو ليس بحجة عند جمهور الأصوليين. انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، د. عبدالكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط/١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ١٧٩٩/٤-١٨٠٢.

(٥) سورة القصص، آية: ٨٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٨٢/١٣.

(٧) سورة الرحمن، آية: ٢٦-٢٧.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٧٠.

من على الأرض يعدم ويموت ويبقى وجهه سبحانه، قال الشعبي: إذا قرأت (كل من عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وهذا من فقهه في القرآن وكمال علمه، إذ المقصود الإخبار بفناء من عليها مع بقاء وجهه سبحانه، فإن الآية سيقت لتمدحه بالبقاء وحده، ومجرد فناء الخليقة ليس فيه مدحه إنما المدح في بقائه بعد فناء خلقه)[1].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤/٣١٠.

الحديث رقم (٧٦)

٧٦- **الثَّالِثُ:** عن ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما أيضاً قال: «حسْبُنَا اللَّهُ ونِعْمَ الْوكِيلُ قَالَهَا إبْراهِيمُ رضي الله عنه حينَ أُلْقِى فِي النَّارِ، وَقالهَا مُحمَّدٌ ﷺ حينَ قَالُوا: «**إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً وقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوكِيلُ**» رواه البخارى[1].

وفي رواية له عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «**كَانَ آخِرَ قَوْلِ إبْراهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم حِينَ أُلْقِي فِي النَّارِ «حسْبِي اللَّهُ وَنِعمَ الْوَكِيلُ»**»[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

حسبنا: من حَسْب: اسم بمعنى كافٍ[3].

نِعْم: فعل غير متصرف لإنشاء المدح[4].

الشرح الأدبي

نقتبس من هذا الحديث موقفين جليلين من المواقف الإيمانية التي يتجلى فيها ثبات المؤمن وتوكله على الله ويقينه من نصرة الله له، والتوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين كما يقول صاحب إحياء علوم الدين.

- والموقف الأول هو موقف إبراهيم عليه السلام، حين ألقاه الكفار في النار بعد أن أورد عليهم الحجة القوية، كما جاء في سورة الصافات بقوله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[5]، فقال

---

(١) برقم (٤٥٦٣).

(٢) برقم (٤٥٦٤).

(٣) الوسيط ١٧١.

(٤) الوسيط ٩٣٥. والفعل غير المتصرف أي الجامد الذي لا يشتق منه مثل عسى وليس.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ٩٥، ٩٦.

الكفار بعد أن عجزوا عن الجواب: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾[١]، والجحيم هي النار العظيمة، كما قال الزجاج: كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم، فقال إبراهيم، كما يروي ابن عباس: حسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٢].

- وحين وكل إبراهيم أمره إلى ربه وأيقن أن الله كافيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾[٤]. والمعنى: أن في وقت المحاجة حصلت الغلبة له، وعندما ألقوه في النار فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فصرف الله عنه ضرر النار.
- وأما الموقف الثاني فهو موقف النبي محمد ﷺ وهو يواجه المشركين الذين أرادوا الكيد للإسلام والقضاء على المسلمين، وإذا كان إبراهيم الخليل قال: حسبنا الله ونعم الوكيل في موقف التصدي لعبّاد الأوثان وهو في قلب الجحيم أي النار العظيمة، فإن رسول الله ﷺ قالها بعد غزوة أحد وبعد أن عزم أبو سفيان على الانصراف من المدينة إلى مكة، نادى: يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى فنقتتل بها إن شئت، ولم يخش الرسول هذا التهديد، وخرج أبو سفيان في الموعد المحدد ولكن الله ألقى الرعب في قلبه، وقرر الرجوع بحجة أن العام عام جدب، ولكن نعيم ابن مسعود الأشجعي أخبره أن المسلمين يتجهزون، وقال للمسلمين يذكرهم بما حصل في أحد: أتوكم في دياركم وقتلوا أكثركم، فإن ذهبتم إليهم لم يرجع

---

(١) سورة الصافات، آية: ٩٧.

(٢) سورة الصافات، آية: ٩٩.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٦٩.

(٤) سورة الصافات، آية: ٩٨.

منكم أحد، فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم، ولكن كان للرسول موقف حاسم فيه يقين بالله وتوكل عليه وقال: ((والذي نفسي محمد بيده لأخرجن إليهم ولو وحدي))[1]. وخرج المسلمون إلى بدر الصغرى ولم يلقوا أحداً من المشركين، وباعوا واشتروا بسوق بدر الصغرى، وانصرفوا سالمين غانمين. وكل هذه الأحداث يقدمها هذا الحديث الشريف في إشارات مضيئة موحية تستمد إشعاعها الإيماني وبرهانها اليقيني من قولهم: "حسبنا الله ونعم الوكيل" والمراد بالناس: أبو سفيان وأصحابه ورؤساء عسكره، وكل من يتصدى للهجوم على أمة الإسلام. ومعنى "جمعوا لكم" أي: جمعوا الجموع. والعرب تسمى الجيش جمعاً ويجمعونه جموعاً أي جيوشاً، ولم يخش المسلمون هذه الجموع، وأودع الله قلوب الغالبين في أحد، وهم المشركون، الخوف والرعب، وأودع قلوب المغلوبين القوة والحمية والصلابة وزادهم إيمانا وقالوا في عزة ويقين: "حسبنا الله ونعم الوكيل" أي: كافينا الله. والوكيل، كما قال الفراء: الكفيل والكافي: لأن "نِعْمَ" يكون الذي بعدها موافقاً للذي قبلها، فتقدير الآية يكفينا الله ونعم الكافي"[2] والله تكفل بنصر من ينصره ويؤمن به ويتوكل عليه فقال ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ٦/٢٤٢-٢٤٣، وفي إسناده عطية بن سعد العوفي صدوق يخطئ كثيرًا كان شيعيًا مدلسًا، تقريب تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب للرازي، ج٤.

(٣) سورة الروم، آية: ٤٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله تعالى والالتجاء إليه.

ثانياً: من صفات الداعية: التوكل والاعتماد على الله وحده.

ثالثاً: من صفات الداعية: عدم الخوف والرهبة واليقين بنصر الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله تعالى والالتجاء إليه:

لا يستغنى العبد عن الاستعانة بخالقه، واللجوء إليه في كل الأحوال، وفي شتى الأمور يطلب منه العون والنصر، ويستغيث به في الشدائد. يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما "حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم... الحديث" فقد بين الحديث استعانة والتجاء أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى، وهذا مما ينبغي أن يكون عليه المسلم في كل وقت وخاصة عند الشدة.

وقد أخبر سبحانه بأنه قريب من عباده فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1] وأخبر عن نفسه تعالى بأنه يجيب دعوة المضطر فقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2] وقد كان ذلك حال الأنبياء دائماً يلجأون إلى الله عند الشدائد ويستعينون به؛ فيونس عليه السلام لما التقمه الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وكان ذلك حال موسى عليه السلام ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[4] وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما لجأ إلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧، ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

الله واستعان به أنجاه من النار ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[1] وهذا كان حال نبي الله ورسوله محمد ﷺ وأصحابه فكانوا يلتجئون إلى الله ويستعينون به، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وهذا ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين حتى ينجيهم من كل كربٍ وهمٍّ ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[3]. فينبغي على الداعية أن يدعو الناس إلى الاستعانة بالله والالتجاء إليه.

ثانياً- من صفات الداعية: التوكل والاعتماد على الله وحده:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من عموم الحديث التوكل والاعتماد على الله وحده، وهذا يظهر في توكل واعتماد إبراهيم عليه السلام على الله وحده وكذلك محمد ﷺ.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتوكل والاعتماد عليه وحده فقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[4] أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الله الحي الذي لا يموت أبداً الذي ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5] الدائم الباقي السرمدي الأبدي، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، وهو الذي يتوكل عليه ويفزع

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣، ١٧٤.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٦٣، ٦٤.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢.

إليه، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك[١].

وقد جعل الله تعالى التوكل عليه من صفات المؤمنين فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢] وجعل سبحانه التوكل عليه كافٍ الإنسان فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٣]، وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ فينبغي على الداعية التوكل والاعتماد على الله وحده فهو المعين وهو الكافي والقادر على كل شيء.

ثالثاً- من صفات الداعية: عدم الخوف والرهبة واليقين بنصر الله:

من صفات الداعية التي تظهر من عموم الحديث عدم الخوف والرهبة واليقين بنصر الله عز وجل، وهذا يظهر في عدم خوف إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النار بل كان على يقين بنصر الله عز وجل، وكذلك رسول الله ﷺ لم يرهب جموع الأعداء بل كان على يقين من نصر الله عز وجل وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية وقد ورد في القرآن ما يؤيد ذلك في قصة موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[٤].

قال القرطبي: (لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منهم، ورأت بنو إسرائيل العدو القوي والبحر أمامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء "إنا لمدركون" فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر "كلا" أي لم يدركوكم "إن معي ربي" أي بالنصر على العدو "سيهدين" أي سيدلني على طريق النجاة[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٨/٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ١١.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٦/١٣/٧.

فهذا كان حال أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام لا يرهبون عدو ويخافونه على يقين بنصر الله وإنصافه لهم.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية من التأسي برسل الله وأنبيائه في عدم الخوف والرهبة من شيء، واليقين والثقة بنصر الله فمهما حلك الظلام، واشتد الضيق، واجتمعت الكروب وتكالبت الأمم، لأن أمله بالله كبير ويقينه بأن العافية للمتقين، وأن المستقبل لهذا الدين[1].

فعدم الخوف واليقين في نصر الله المحرك الدائم لهمة الداعية حتى يعمل دون فتور أو كلال وأن يقاوم - في نفسه- نوازع التقاعد، والتخاذل إذا أحس بقوة الباطل وكثر أتباعه.

إنها صفة تجعل الداعية - في أحرج المواقف- يوقن بأن الباطل زهوق، وأن دولته ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة، ومن ثم فهو لا يدخر وسعاً في استغلال كل الطاقات والإمكانات لنصرة دعوته، فإن حدث ولم ير الداعية ثمرة عاجلة لدعوته لم يتسلل إليه اليأس والإحباط بل يوقن بأن الثمرة آتية لاريب فيها، في الوقت والمكان الذي يريده الله تعالى لا الذي يريده الدعاة[2].

---

(١) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص ٣٥.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى (النظرية والتطبيق)، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ص٨٦.

الحديث رقم (٧٧)

٧٧- الرَّابعُ: عَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أفئدة الطَّيْرِ» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أفئدتهم مثل أفئدة الطير: قيل: معناه متوكلون. وقيل: قلوبهم رقيقة[2].

الشرح الأدبي

- ما أجمل البشرى في هذا الحديث الشريف! وما أصدق كلمات المصطفى ﷺ وما أوجزها! فالحديث جملة واحدة مفيدة تتآزر كلماتها في وحدة أسلوبية وموضوعية، فأنت لا تستطيع أن تسكت عند أي كلمة إلا بعد تمام الحديث، وقد صيغ في أسلوب خبري مبشر، واعتمد على تقديم الصورة الأدبية البليغة المناسبة للمقام، وهى واضحة وضوح ضياء الشمس في وسط النهار في ألفاظها ومدلولها، ولكن إيحاءها تتسع أرجاؤه وتتشعب أبعاده. وقد يتساءل بعض الناس: هل هذا الحديث مناسب لإدراجه في باب اليقين والتوكل؟ والإجابة: نعم، ونقتبس هذه الإجابة من بعض أشعة الحديث التي تسري في بيانه ﷺ، وتجعل من الأحاديث حدائق من الضياء والهدى واليقين، وكل ما تموج به هذه الحدائق البيانية من عطر كلمات المصطفى ﷺ يناصر بعضه بعضاً وتومض أجزاؤه بوميض الحق والرشاد، فإذا البيان كله شمس تتوهج بالهدي الإلهي والبيان النبوي.

---

(١) برقم (٢٧/٢٨٤٠).

(٢) رياض الصالحين ٨٠، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٥.

- وهذا الحديث يستضيء بإشراقة اليقين والتوكل في قوله ﷺ: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا"[1] وهؤلاء الأقوام الذين يدخلون الجنة توكلوا على الله حق توكله، وهم في توكلهم وإخلاصهم وضعفهم وقلة حيلتهم مثل الطير، ولكنهم مطمئنون إلى أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الدال الموجز الذي تشكله صورة أدبية بليغة فالتعبير بالمضارع في قوله: "يدخل الجنة" دلالة على الاستقبال، والوعد الصادق: يدخلون الجنة، و"أل" في الجنة للعهد، فهى معروفة ومعدة، ولهم ما يشاءون فيها وقد أُعدت للمتقين، ولفظ "أقوام" جاء منكراً دلالة على الشيوع والكثرة والتنوع وأنهم يتواجدون في كل عصر وفي كل مكان. والأقوام جمع قوم: والمراد منه: الرجال والنساء على سبيل التغليب؛ لأن العرب يطلقون القوم على جماعة الرجال دون النساء، ولكن في القرآن الكريم أريد به الرجال والنساء في أغلب المواضع. ولنتأمل دلالة لفظ الأفئدة وكيف يمتزج المعنى بالمبنى في إعطاء الدلالة والإيحاء المراد من هذا اللفظ في الحديث الشريف، وهل لفظ مثل أنفسهم أو بطونهم أو ذواتهم كان يغني عن اللفظ المذكور؟ لا، لأن الأفئدة جمع الفؤاد والمراد به القلب، وفي أصله اللغوي يرتبط بالشعور والتوهج لأن التفؤد في اللغة هو التوقد، والفؤاد هو القلب لتفؤده وتوقده؛ فهؤلاء الأقوام تتوقد قلوبهم وتتوهج بالإيمان وتسكن وتطمئن إلى فضل الرحيم الرحمن، وقد شبه قلوب هؤلاء الأقوام بقلوب الطير في الصفاء والتوكل على خالق الأرض والسماء وفي ضعف الحال وقلة التدبير. ولكن الطير يسعى ويعمل، وعلى الإنسان أن يعتبر بهذه المخلوقات الضعيفة، ولكنها تقوى بفضل رعاية الكبير المتعال.

والصورة هنا واضحة تدعو إلى التأمل والنظر في خلق السماوات والأرض والاتعاظ والاهتداء، وهى ليست صورة جمالية لتزيين الكلام أو لإظهار الصنعة الفنية، ولكن للإقناع والتأثير والإيمان بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

---

(١) أخرجه أحمد ١/٣٠ رقم ٢٠٥، وقال محققو المسند: إسناده قوي ١/٣٣٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: البشارة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: شدة الخوف من الله وحسن التوكل عليه.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: العلاقة بين حالة القلب ومصير الإنسان.

- **أولاً- من أساليب الدعوة البشارة:**
- إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب البشارة ويظهر هذا في قوله ﷺ "يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير" فبشر رسول الله ﷺ أصحاب القلوب الرقيقة بدخول الجنة.
- ويعد أسلوب التبشير بالخير من أساليب الدعوة المهمة، لما له من أثر في إقبال النفوس وابتهاجها، واشتياقها إلى الخير لما بشرت به؛ فالله سبحانه بعث النبيين مبشرين لأقوامهم حتى يقبلوا على دعوتهم ويسمعوها، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ﴾[1].
- وكان رسول الله ﷺ يستخدم أسلوب التبشير في دعوته وكان يبشر أصحابه بالخير وبشّر عدداً منهم بالجنة وقد أمر بالتبشير فقال: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[2]. فينبغي على الداعية أن يستخدم أسلوب التبشير في دعوته لجذب المدعوين إلى الدعوة وترغيبهم في قبولها.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ في ترقيق القلوب وعدم غلظتها وبيّن أن الذين يدخلون الجنة هم أصحاب القلوب الرقيقة لأنهم أسرع فهماً وقبولاً للخير وامتثالاً له.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٩، ومسلم، ١٧٣٢.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ينبغي على الداعية أن يفيد منها في دعوته حتى يرغّب المدعوين فيها ويجعلهم يقبلون عليها؛ فالترغيب يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التأكيد على شدة الخوف من الله وحسن التوكل عليه:

إن للجنة طرقًا تؤهل من يسلكها للظفر بفضل الله وإنعامه على عباده المؤمنين، ومن هذه الطرق شدة الخوف من الله وحسن التوكل عليه.

وهذا ما نص عليه الحديث في قوله ﷺ "يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير" قال القاضي عياض: (يحتمل أنه أراد: في رقتها وضعفها، كما قال لأهل اليمن: ((أرق قلوبًا، وأضعف أفئدة))[٢] أي: أنها ذات خشية واستكانة سريعة الاستجابة والتأثير بقوارع التذكير، سالمة من الغلظ والشدة والقسوة التي وصف بها قلوب الآخرين[٣]، فيحتمل أنه ﷺ أراد في قوله "مثل أفئدة الطير" الخوف والهيبة. فالطير أكثر الحيوان ذعرًا وفزعًا؛ ولهذا قالوا: أحذر من غراب، وكالطائر الحذر، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٤]، فكأنه يريد بذلك قومًا غلب عليهم الخوف، كما قد روى عن جماعة من السلف وغيرهم ممن أماتهم الخوف، وصدع قلوبهم الوعظ، وفاضت أنفسهم عند سماع الوعد والوعيد، وتذهلت عقولهم عند مشاهدة الهول والحادث الشديد[٥].

قال الطيبي: (وقيل المراد بقوله ﷺ "مثل أفئدة الطير" أي: متوكلون كما ورد ((لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص: ٤٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٣٨٩، ومسلم ٥٢ واللفظ له.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٧٣/٨.

وتروح بطانًا))[١] أقول: قد تقرر في علم البيان أن وجه الشبه إذا أضمر عم تناوله، فيكون أبلغ مما لو صرح به، فينبغي أن يحمل الحديث على المذكورات كلها، ومن ثم خص الفؤاد بالذكر دون القلب[٢].

إن المؤمن بحاجة إلى أن يكون شديد الخوف من الله تعالى حسن التوكل عليه، نظرًا لأن الخوف من الله تعالى يجعل المؤمن ممتثلاً لأوامر الله، حريصًا على مرضاته، ومتوكلاً عليه سبحانه وتعالى، وهذا مما يدل على صدق الإيمان.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: العلاقة بين حالة القلب ومصير الإنسان:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث العلاقة بين حالة القلب ومصير الإنسان، وذلك لأن القلب إذا استنار بنور التوحيد وأدرك ما ينفعه وما يضره انعكست آثاره على سلوك الإنسان، وسلوك الإنسان وعمله هو الذي يكون سبباً في سعادته أو شقاوته، لذلك قال تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[٣]

وقال ابن كثير: (أي: لقي الله يوم القيامة بقلب سليم منيب إليه خاضع)[٤].

وقال رسول الله ﷺ ((ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً : إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ))[٥]، قال ابن حجر: "وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه"[٦]. فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين العلاقة بين حالة القلب ومصير الإنسان ويدعوهم إلى صفاء القلوب وسلامتها.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٠/١، ٢٠٥، وقال محققو المسند: إسناد قوي، رجاله ثقات ٣٣٢/١.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٤٤/١٠.

(٣) سورة ق، آية: ٣٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٠٦/٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٥٦/١.

الحديث رقم (٧٨)

٧٨- **الْخَامِسُ**: عنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رسول اللَّه ﷺ قَفَلَ مَعهُمْ، فأدْركتْهُمُ الْقَائِلَةُ في وادٍ كَثِيرِ الْعضَاهِ، فَنَزَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وتَفَرَّقَ النَّاسُ يستظلُّونَ بالشجر، ونَزَلَ رسولُ اللَّه ﷺ تَحْتَ سمُرَةٍ، فَعَلَّقَ بِهَا سيْفَه، ونِمْنَا نوْمةً، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يدْعونَا، وإذَا عِنْدَهُ أعْرابِيٌّ فقَالَ: «**إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سيْفي وأنَا نَائِمٌ، فاسْتيقَظتُ وَهُو في يدِهِ صَلْتاً، قالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ منِّي؟ قُلْتُ: اللَّه ثَلاثاً**» وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ، متفقٌ عليه[1].

وفي رواية: قَالَ جابرٌ: كُنَّا مع رسول اللَّهِ[2] ﷺ بذاتِ الرِّقاعِ، فإذَا أتينا على شَجرةٍ ظليلة تركْنَاهَا لرسول اللَّه ﷺ، فَجاء رجُلٌ من الْمُشْرِكِين، وسيف رسول اللَّه ﷺ مُعَلَّقٌ بالشَّجرةِ، فاخْترطهُ فقال: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لا**» قَالَ: فمَنْ يمْنَعُكَ مِنِّي؟ قال: «**اللَّه**»[3].

وفي رواية أبي بكرٍ الإسماعيلي في صحيحِه[4]: قال: منْ يمْنعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللَّهُ**» قال: فسقَطَ السَّيْفُ مِنْ يدِهِ، فأخذ رسَول اللَّه ﷺ السَّيْفَ فَقال: «**منْ يمنعُكَ مِنِّي؟**» فَقال: كُن خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ: «**تَشهدُ أنْ لا إلَه إلا اللَّهُ، وأنِّي رسولُ اللَّه؟**» قال: لا، ولكِنِّي أعاهِدُك أن لا أقَاتِلَكَ، ولا أكُونَ مع قوم يقاتلونك، فَخلَّى سبيلهُ، فَأتى أصحابَه فقَالَ: جِئتكُمْ مِنْ عِندِ خيرِ النَّاسِ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩١٠ معلّقا) واللفظ له، ومسلم (٨٤٢/٣١٠).

(٢) لفظ البخاري في المواضع الثلاثة: (النبي).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٣٦).

(٤) رواية أبي بكر الإسماعيلي أوردها الحميدي في الجمع بين الصحيحين (٣١٠/٢، عقب الحديث رقم ١٥٢٦)، وقال: وقد ذكر أبوبكر الإسماعيليّ متنه من حديث أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس -هو اليشكري، والد فليح-، عن جابر.

غريب الألفاظ:

قفل: أي رجع[١].

القائلة: الظهيرة، أو النوم وقت الظهيرة[٢].

العِضاة: الشجر الذي له شوك[٣].

سمرة: السمرة -بفتح السين وضم الميم- الشجرة وهي العظام من شجر العضاة[٤].

اخترط السيف: أي سلّهُ وهو في يده[٥].

آخذ: آسِر[٦].

صلتاً: بفتح الصاد وضمها أي مسلولاً منتزعًا من غمده أو جرابه في رفق[٧].

ذات الرقاع: غزوة ذات الرقاع وقعت في المحرم ٥هـ، سار النبي ﷺ في ٤٠٠ من أصحابه يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان الذين جمعوا لمحاربته، وسميت ذات الرقاع لعصب المسلمين أرجلهم بالخرق، ولقد كان كلُّ ستة نفر على بعير يعتقبونه، فدميت أرجلهم وجرحت، وهي عند نخل شمال خيبر، وقيل على بعد ١٠٠ كم فقط شمال المدينة المنورة[٨].

الشرح الأدبي

- هذا مشهد عظيم من مشاهد اليقين والتوكل التي تثبت شجاعة الرسول ﷺ في مواجهة أعدائه، وهذه الشجاعة مصدرها التوكل على الله عز

---

(١) رياض الصالحين ٨١.

(٢) الوسيط في (ق ي ل).

(٣) رياض الصالحين ٨١.

(٤) رياض الصالحين ٨١.

(٥) رياض الصالحين ٨١. أي أخرجه وانتزعه برفق.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ خ ذ). خير من يأسر ويعاقب.

(٧) رياض الصالحين ٨١.

(٨) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٧٩.

وجل والإيمان به وإسلام الوجه لله. وهذه قصة واقعية تمثل مشهداً من مشاهد السيرة النبوية الحافلة بالمواقف البطولية الجليلة، والمشاهد الإنسانية النبيلة، هذه القصة تتكامل أركانها وأسسها وكأنها أعدت وصنعت وهى لم تعد ولم تصنع من قبل البشر، ولكنها من صنع الخلاق العليم، وفي هذه القصة الحقيقية تتجلى أهم العناصر: وهي الأشخاص، والأحداث والأماكن والبيئة والحوار والعقدة والمفاجأة والحل والنهاية أو لحظة التنوير.

- وشخصية رسول الله ﷺ هي التي تضئ آفاق هذه الواقعة وتقدم النموذج الأعلى في الشجاعة واليقين والتوكل على الله، لأن الأعرابي أخذ سيفه وهو نائم، ثم أيقظه وقال: من يمنعك مني؟ ولم يخف الرسول ﷺ ولم يخش الموت، بل قال لهذا الخائن: الله. ثلاث مرات، وحقاً وصدقاً منعه الله وأعزه وسقط السيف من يد الأعرابي، وهنا يحدث التحول وتبرق المفاجأة، يقول له رسول الله: من يمنعك مني؟ فيستسلم ذلك الأعرابي ويقول: كن خير آخذ. ويعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام فيأبى ولكن يعاهد الرسول على عدم قتاله مع أي قوم ولا يدعو لقتاله، ويعفو عنه الرسول. وتأتي الثمرة: ثمرة العفو والتوكل على الله، يتحول الرجل إلى مشيد بالرسول ﷺ، ويقول لقومه: جئتكم من عند خير الناس. فأي موقف أعظم من هذا؟ وأي سلوك أجمل من هذا وأنبل؟
- وشخصية الأعرابي الذي حاول خيانة الرسول ﷺ ولكنه فشل، والرسول أراد أن يشهد أصحابه هذا الموقف وأن يعلمهم درساً في العفو والتوكل على الله. وشعر الرجل بالخزي والضعف، وشعر الصحابة بالقوة والثبات.
- والصحابة رضي الله عنهم، ومعهم جابر، هم الشاهدون على صدق هذا الموقف وهم المجاهدون الذين استظلوا بالشجر من حرارة الصحراء بعد رجوعهم من غزوة ذات الرقاع.
- والمكان يشارك في صنع وقائع هذه القصة الواقعية وهو ليس مكاناً مريحاً

وإنما هو واد ممتلئ بأشجار العِضاةَ: أي شجر كثير الشوك ضخم، ويختار الرسول ﷺ شجرة من الطلح، وهي السمرة، ليعلق بها سيفه.

- والبيئة قاسية، والحر شديد قائظ، والوقت في منتصف النهار القائلة أو القيلولة، والصحابة راجعون من الجهاد وهو مجهدون، ورسول الله كذلك، وفي خضم هذه المعاناة يحدث هذا الموقف العصيب وينجي الله نبيه الصادق الوعد الأمين، ويجعل له الغلبة والفوز ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[1].

ولكن الرسول في النهاية يعفو عفو القادرين ويصفح الصفح الجميل ويضرب الأنموذج الأعلى والمثل الأوفى في الأسوة الحسنة. والحوار في الحديث الشريف تكتمل أبعاده في الروايات الثلاث، ويتجلى في الرواية الثالثة وهو يفصح عن ثبات موقف الرسول ﷺ وهلع وفزع الأعرابي ثم شهادته واعترافه بفضل الرسول أمام قومه.

وهذا الحديث يعد من معجزات رسول الله التي وقعت أمام الناس للتأييد والتأسي والثقة في نصر الله لهذه الأمة.

- وعلى أمتنا في العصر الحديث أن تواجه أعداءها بهذا الثبات وذلك اليقين، فلله العزة ولرسوله والمؤمنين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة في نشر العلم الذي تعلموه في هذه الرحلة وعدم كتمانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله والاستعانة به.

رابعًا: من صفات الداعية: اليقين في الله وعدم الخوف.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

سادسًا: من صفات الداعية: العفو عند المقدرة.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠ .

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

حيث خرج النبي ﷺ وخرج معه أصحابه ليكون دليلاً عمليًا على أن الجهاد يأتي بالعزة والتمكين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة في نشر العلم الذي تعلموه في هذه الرحلة وعدم كتمانه:

حيث نقل جابر بن عبدالله رضي الله عنه هذه الواقعة بكل ما فيها من فوائد نفعت الأمة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله والاستعانة به:

يظهر هذا في قوله ﷺ لأصحابه عن الأعرابي " إنَّ هذا اخترَطَ سَيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يدِهِ صلْتاً، فقال: من يمنَعُك منِّي؟ فقلتُ: الله -ثلاثاً-".

وفضل التوكل على الله والاستعانة به عظيم قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1] قال السعدي: (من يتوكل على الله" في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك "فهو حسبه" أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه)[2].

والتوكل على الله له فضل عظيم على الإنسان قال رسول الله ﷺ ((لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ. تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً))[3]. هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق قال بعض السلف: (بحسبك من التوسل إليه أن يعلم من قلبك حسن توكلك عليه فكم من عبد من عباده قد فوض إليه أمره، فكفاه منه ما أهمه)[4].

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤، وابن ماجه ٤١٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١١).

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس /٤٩٧.

والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله، والاعتماد عليه. (والتوكل) معنى يلتئم من أصلين: من الثقة، والاعتماد. وهو حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1]، وهذان الأصلان -وهما التوكل والعبادة- قد ذكر في القرآن في عدة مواضع، قرن بينهما فيها. هذا أحدها[2].

فينبغي للداعية حث المدعوين على التوكل على الله، والاستعانة به، حتى يكون لهم معيناً وناصراً، ومخرجاً لهم، وقاضياً لحاجاتهم.

رابعًا- من صفات الداعية: اليقين في الله وعدم الخوف:

يظهر هذا في نومه ﷺ تحت الشجرة وكذلك عندما اخترط عليه الأعرابي السيف فلم يخف، ولكن كان على يقين في الله تعالى، وقال يمنعني منك الله.

فعلى الداعية أن يكون على يقين بالله عز وجل وفي نصره له، ولا يخشى من أحد غيره، وله القدوة والأسوة الحسنة في أنبياء الله عليهم السلام فقد كانوا في أشد المواقف وأصعبها ومع ذلك لم يخافوا ولم يجزعوا، بل كانوا على يقين في الله عز وجل، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يلقى في النار ومع ذلك لم يخف، ولم يتزعزع يقينه في الله فكان جزاؤه أن جعل الله النار برداً وسلاماً عليه قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3] وهذا نبي الله موسى عليه السلام كاد فرعون وجنوده أن يصلوا إليه ومن معه وخاف من معه وقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[4] فلم يخف ولم يرهب ولكنه ثابت على يقينه في الله وإنصافه له. ولنا في رسول الله ﷺ أفضل الأسوة والتآسي في يقينه بالله وعدم خوفه من أحد، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم في شرح منازل السائرين، ابن القيم ابن القيم الجوزية، ١/١٦١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٦٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[١].

فعلى الداعية أن يكون على يقين بالله وثقة في نصره لهذا الدين، فهو يؤمن بأن الإسلام لابد أن ينتصر وتعلو رايته وينتشر في مشارق الأرض ومغاربها مهما مكر أعداء الله ومهما كادوا[٢]، فعلى الداعية ألا يخاف ولا يرهب إلا الله.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

ويظهر هذا في حواره ﷺ مع الأعرابي الذي أراد قتله، والحوار فن وأسلوب من أساليب الحديث المشوقة للنفس والذي يدور حول فكرة أو موضوع محدد بين اثنين، للتوصل إلى نتيجة[٣].

فعلى الداعية أن يحاور المدعوين ويشوقهم إلى دعوته، ولا يكثر الجدل فيما لا فائدة منه، ولابد أن يكون متواضعاً في تحاوره متودداً للمدعوين، مقدراً لهم، حتى يستمعوا له ويقبلوا عليه.

رابعاً- من صفات الداعية: العفو عند المقدرة:

إن من صفات الداعية التي تظهر من الحديث العفو عند المقدرة ويظهر هذا من عفوه ﷺ عمن أراد قتله مع تمكنه منه وقدرته على قتله، ولكن لم يفعل لأن خلقه: العفو عند المقدرة. وقد أمره الله بالعفو والإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٤].

وقد أمر الله نبيه أن يأمر بالمعروف، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وبالإعراض عن الجاهلين، وذلك وإن كان أمراً لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٣.

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، ٦٣، ٦٤.

(٣) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص ١١٣.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٢/٣.

ورسول الله ﷺ ضرب المثل الحي في العفو عند المقدرة ويتجلى ذلك في عفوه ﷺ عن أهل مكة بعد فتحها وهم الذين آذوه وكذبوه وأخرجوه منها وعذبوا أصحابه رضي الله عنهم وقاتلوه وكانوا يتربصون به وبالمسلمين الدوائر ومع ذلك بعد أن منّ الله عليه بفتح مكة وقدر على رد الإساءة والعقاب إليهم أضعاف ما فعلوه معه، ولكنه أبى ذلك وآثر العفو عنهم تكرماً فقال: (يا معشر قريش، ماترون أني فاعل بكم قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم؛ قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء)[1]. وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية فالدعاة هم ورثة الرسل فيجب عليهم أن يتأسوا بهم في دعوتهم.

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٥٥/٤.

الحديث رقم (٧٩)

٧٩- السادِسُ: عنْ عمرَ رضي الله عنه قال: سمعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «لَوْ أنَّكم[1] تتوكَّلونَ على اللّهِ حقَّ تَوكُّلِهِ لرزَقكُم[2] كَما يرزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِماصاً وتَرُوحُ بِطَاناً» رواه الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ[3].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

تغدو خماصاً وتروح بطاناً: معْناهُ تَذْهَبُ أوَّلَ النَّهَارِ خِماصاً: أي ضَامِرةَ الْبُطونِ مِنَ الْجُوعِ، وترْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَاناً: أيْ مُمْتَلِئةَ الْبُطُونِ[4].

الشرح الأدبي

إن منهج المسلم في حياته هو إسلام الوجه لله والتوكل عليه والأخذ بالأسباب والسعي على الرزق وإتقان العمل وتشع كلمات هذه الحديث الشريف بهذه المعاني المشرقة وتتموج بكثير من الرؤى التي تصاحب حركة المسلم وتضيء سلوكياته في الحياة انطلاقاً من يقينه وتوكله على ربه. والتوكل كما قال العلماء ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، والمُسلِّم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه، وقال صاحب

---

(١) عند الترمذي زيادة: (كنتم).

(٢) عند الترمذي: (لرزقتم).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٣٠)، وقال الحاكم (٣١٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق (٦٣٧/٢): رواه علي بن المديني، وقال: لم نجده إلا من هذا الوجه، وإسناده مصريٌّ ورجاله معروفون عند أهل مصر.

(٤) رياض الصالحين ٨٢.

"الإحياء" في بيان حقيقة التوكل: (أعلم أن العلم يورث الحال، والحال يثمر الأعمال، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة، وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين).

والحديث الشريف فيه التوجيه السديد والمنهج الرشيد، ويرويه عمر بن الخطاب، وهو الذي أعطى السائل، ثم ضربه عندما رآه يصر على ذل السؤال، ويترك العمل ويعطل طاقاته ومداركه.

والحديث في صياغته الآسرة يموج بعدة ظواهر أسلوبية تفصح عن مقاصده الشريفة، ومعانيه اللطيفة: هذه الظواهر أنه يتكون من جملتين: جملة شرطية، وجملة حالية. وبينهما تتألق صورة تشبيهية لتقريب المعنى وتوضيح القضية، وأداة الشرط "لو"، تؤدي دوراً في الكشف عن طبيعة النفس البشرية في مقارفتها للأعمال الدنيوية، فالناس في أغلبهم لا يتجملون بصفة التوكل الحقيقي، ولذلك عبر المصطفى عليه الصلاة والسلام، بأداة الشرط "لو" وهى أداة امتناع لامتناع كما يقول النحويون، والبلاغة هي توخي معاني النحو بَيْن الكلم، فتأمل أخي المسلم كيف أفصحت هذه الأداة التي تتكون من حرفين عن المراد والمكنون، والتقدير، كما يقول العلماء، "لو تحقق توكلكم على الله" والجواب ممتنع لامتناع الشرط، لأن التوكل لم يتحقق عند الكثيرين، والرسول صادق الوعد، فلو تحقق التوكل الحقيقي لتحقق وعد الله بالرزق الحلال الفياض، ولنتأمل التأكيد في قوله: "لو أنكم"، ومع التأكيد يأتي الخطاب الجماعي الموجه إلى الأمة كلها، وهذا الخطاب ممتد عبر الزمن وموجه إلى كل مسلم في كل زمان ومكان، والتعبير بصيغة المضارع، "تتوكلون" يفصح عن هذا البعد الدلالي وعن صفة الاستمرار ما دامت الحياة ومادام الناس وزيادة في الحرص على مصلحة الأمة قيد الرسول التوكل بأنه "حق التوكل"، وهو التوكل مع العمل الصالح والسعي الحميد، وهذا السعي إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل بالعبد كدفع الصائل

والسارق والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل بالعبد كالتداوي من المرض، فهذه كلها لا تنافي التوكل إذا أخلص الإنسان النية وأسلم أمره للخالق عز وجل.

ولنتأمل الصورة البلاغية التي تطمئن المسلم على رزقه في حاله توكله حق التوكل وهي صورة الطير، تغدو خماصاً حيث تتحرك وتسبح في الفضاء وتلتقط رزقها من ثمرات الأرض ومما تثمر الأشجار والبساتين وغيرها من الخيرات، وهذا حالها دائماً فحركة الطير ترشد إلى ضرورة العمل "تغدو وتروح"، وهكذا الإنسان يسعى ويتوكل على الله ويسلم أمره لله والله خير الرازقين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أثر التوكل الحقيقي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تكفل الله تعالى بالأرزاق.

ثالثاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التشبيه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أثر التوكل الحقيقي:

يظهر هذا في قوله ﷺ "لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطانا" الحديث.

قال ابن رجب: (هذا الحديث أصل في التوكل، وأنه أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾[1] فلو حقق الناس التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم)[2].

فالتوكل على الله له أثره على حياة الإنسان لأن الإنسان المتوكل على الله يفوض

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٩٦، ٤٩٧.

أمره إلى الله، فهو يجعل الإنسان يرضى بقضاء الله وقدره ويترك الحرص الشديد على الطلب والتكالب على الرزق والشكوى من عدم التوفيق، وقد علمنا الله تعالى في أدعيتنا أن نخصه بالتوكل والاستعانة فلا نستعين بسواه، وذلك في كل صلاة بقوله تعالى في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1] كما أمر رسوله ﷺ بالتوكل عليه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[2] فالتوكل دليل الإيمان[3] ولازمه ومن خلا قلبه من التوكل خلا من الإيمان، لذلك وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4] فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين أثر التوكل الحقيقي على الله، وإن المتوكل الحقيقي يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمنه، ويثق بقلبه[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تكفل الله تعالى بالأرزاق:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث تكفل الله تعالى بالأرزاق فالله سبحانه وتعالى تكفل بأرزاق العباد وقد ورد ما يؤيد ذلك في كثير من الآيات والأحاديث.

قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[7]، قال ابن كثير: (أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات، من سائر دواب الأرض، صغيرها،

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٢) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص ٧٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٨/٢.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٢.

(٧) سورة هود، آية: ٦.

وكبيرها، بحريها، وبريها)[١].

وقال رسول الله ﷺ ((فَإِنَّ نَفْساً لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ))[٢] فما دام العبد حياً، فرزقه على الله، وقد يسره الله له بكسب وبغير كسب، فمن توكل على الله لطلب الرزق، فقد جعل التوكل سبباً وكسباً، ومن توكل عليه لثقته بضمانه، فقد توكل عليه ثقة به وتصديقاً[٣].

فينبغي على الداعية تذكير المدعوين بأن الله سبحانه متكفل بأرزاقهم.

ثالثاً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

ويظهر ذلك في بيانه ﷺ حقيقة التوكل على الله وأنه من أعظم الأسباب في استجلاب الرزق وأن الله سبحانه قد تكفل بأرزاق العباد، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٤] قال السعدي: (الباري تبارك وتعالى تكفل بأرزاق الخلائق كلهم، قويهم وعاجزهم)[٥] وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية مع المدعوين فيبين لهم حقيقة الأشياء ويطمئنهم إلى ما يثق بوجوده من نعم الله لعباده.

رابعاً- من أساليب الدعوة: التشبيه:

ويظهر ذلك في تشبيهه ﷺ التوكل الحقيقي الصادق وأثره في جلب الرزق بتوكل الطير، يظهر ذلك في قوله ﷺ (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) وأسلوب التشبيه أسلوب جميل في الدعوة حيث إنه يقرب المعنى، ويجعله

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠٥/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ٢١٤٤، وصححه الألباني. (صحيح سنن ابن ماجه، ١٧٤٣).

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٨/٢.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٨٤.

واضحاً للمدعوين في صورة هي من واقع الحياة يرونها ويعرفونها، وهذا له تأثير بالغ على المدعوين وإقبالهم على الدعوة.

فينبغي على الداعية استخدام أسلوب التشبيه في دعوته، بما يوضح المعنى ويظهر الخفاء مما يساعد في بيان الحقائق.

الحديث رقم (٨٠)

٨٠- السَّابعُ: عن أبي عُمَارةَ الْبراءِ بْنِ عازِبٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «يا فُلان إذَا أَويْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَقُل: اللَّهمَّ أسْلَمْتُ نفْسي إلَيْكَ، ووجَّهْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفوَّضْتُ أمري إلَيْكَ، وألْجأْتُ ظهْري إلَيْكَ. رغْبَةً ورهْبةً إلَيْكَ، لا ملجَأَ ولا منْجى مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذي أنْزَلْتَ، وبنبيِّكَ الَّذي أرْسلتَ، فَإنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وإنْ أصْبحْتَ أصَبْتَ خيْراً» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية في الصَّحيحين[2] عن الْبرَاء قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «إذَا أتَيْتَ مضجعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ للصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ» (وقُلْ: وذَكَر نحْوَه)[3]: ثمَّ قال: «وَاجْعَلْهُنَّ آخرَ ما تَقُولُ»[4].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: هو ابن الحارث أبو عُمارة الأنصاريُّ.

صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أسلم وهو فتىً مع أبيه، وأراد أن يشارك في غزوة بدر، فردَّه النبي ﷺ لصغر سنه. وقد قال في ذلك استصغرني رسول الله ﷺ يوم بدر أنا وابن عمر، فردَّنا، فلم نشهدها وكنت أنا وابن عمر لِدةً.

وقال: غزوت مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، وسافرتُ مع رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفراً، فلم أرَهُ ترك ركعتين قبل الظهر.

وكان البراء رضي الله عنه قائداً ومن أصحاب الفتوحات، افتتح الريّ (بفارس) سنة أربع وعشرين، ولما ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه جعله أميراً عليها، فغزا أبهر (غربي قزوين) وفتحها ثم قزوين فملكها، وانتقل إلى زنجان فافتتحها عنوة، وشهد غزوة تُستر مع أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٨٨) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠/٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٨٧٣).

(٢) قال الحميدي في الجمع بين الصحيحين (٥٢١/١): وأخرجاه من حديث سعد بن عُبيدة، عن البراء.

(٣) هذا قول الحميدي في جمعه.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٦١٠/٥٦). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٦٤) بتمامه. أورده المنذري في ترغيبه (٨٧٣).

موسى رضي الله عنه، وشهد مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الجملَ وصفّين، وقتال الخوارج.

وقد روى عن النبي ﷺ جملة أحاديث بلغت ٣٠٥ حديثاً. وروى أيضاً عن أبي بكر وعمر، وأبي أيوب، وبلال، وغيرهم رضي الله عنهم. وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير، فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه سنة ٧٢هـ وهو ابن بضع وثمانين سنة[١].

غريب الألفاظ:

أويت إلى فراشك: أي دخلت فيه[٢].

أسلمت نفسي إليك: أي استسلمت وانقدت وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك[٣]. ألجأتُ ظهري: أسندتُه، والمراد: توكلتُ عليك.

الفطرة: أي الحالة الأولى التي خلق الخلق عليها وهي التوحيد والإسلام[٤].

الشرح الأدبي

ما أحوج المسلم إلى الشعور بالاطمئنان في كل حركاته وسكناته! وما أكثر حاجته! إلى تسليم أمره إلى من بيده مقاليد السماوات والأرض، والتضرع والمناجاة من سمات منهج المسلم في حياته: في صحوه ونومه، في حركته وسكونه، في شدته ورخائه، في صباحه وإمسائه، في يقظته وإغفائه.

---

(١) الطبقات، ابن سعد (١٧/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٨٠-٨١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٣٦٢/١-٣٦٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١١٤-١١٥)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩٤/٣-١٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٣٣٢/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢١٥/١-٢١٦)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٥١٥/١).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١١٧/١١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٦، وفتح الباري، ابن حجر ١١٤/١١، اللسان والوسيط في (ل ج أ).

(٤) المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣٣٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ط ر)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١١٥/١١.

والمصطفى ﷺ يعطينا مفاتيح الاطمئنان في هذه العبارات التي تعبق بطيوب الإيمان.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا البيان النبوي الفائق الصادق في معانيه ومبانيه.

أ- والنداء في أول الحديث يعد شعاعاً يضيء الذاكرة، وينبه كل من يحب الله ورسوله، والله ورسوله أحب إليه مما سواهما، والمنادى غير محدد، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول: "يافلان"، وعدم التحديد يوحي بأن هذا التوجيه عام لكل مسلم يسمع هذا النداء أو يقرؤه أو يحفظه في كل زمان ومكان؛ وقيل المنادي: هو أسيد بن حضير، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الأدعية تلهج بها الألسنة، وتنبض بها القلوب المؤمنة في كل مساء، والتعبير بأداة الشرط "إذا" في قوله: "إذا أويت إلى فرشك فقل" يكشف عن بلاغة البيان النبوي، لأن "إذا" للتحقق، ولا تغني عنها أداة غيرها، لأن الكل يأوى إلى فراشه ولا مجال للشك في ذلك.

ب- العنصر الإيقاعي والتوازي الأسلوبي في صياغة الحديث يزيد من جمال لغة الحديث، ويعمق التأثير، ويؤدي إلى سرعة الحفظ؛ لأنها أدعية تقال إذا أوى الإنسان إلى فراشه، ومن مظاهر هذا الإيقاع الصوتي أن الأفعال في العبارات الأربع ماضية ومتوازية في بنائها اللغوي المتناسق، "أسلمت، وجهت، فوضت، ألجأت"، والأفعال كلها تقترن بتاء الفاعل المضمومة، والمعاني لا تتكرر، ولكن كل عبارة لها ظلالها وإشعاعها، وأصداؤها، فإسلام النفس لله يعني إسلام الذات كلها قلباً ونفساً وروحاً وعقلاً، كناية عن التسليم المطلق. وتوجيه الوجه لله كناية عن عدم الانحراف عن الطريق المستقيم والتمسك بالطريق القويم. وتفويض الأمر كناية عن التوكل على الله في جميع الشؤون الدنيوية والأخروية، وألجأت الظهر إليه: كناية عن الاستناد إلى الله والاحتماء بعزته بعد تفويض الأمر إليه، والسجع الجميل بين التراكيب له تأثير عجيب.

ج- تكرار لفظ "إليك" ست مرات لم يحدث رتابة ولا إسهاباً ولكنه لزيادة تأكيد التوكل على الله والتعلق به، لأن كاف الخطاب يتوجه بها إلى من له الكبرياء في

السماوات والأرض ومن يقول للشيء كن فيكون، ويضيف هذا التكرار بعداً صوتياً إيقاعياً يساعد على الحفظ مع الإحساس بشرف وعظمة الانتماء لله عز وجل.

د- الإيجاز البليغ في قوله: "رغبة ورهبة إليك" فالرغبة طمعاً في الثواب، والرهبة خوفا من العقاب. وقيل في هذه الجملة لف ونشر مرتب: فالرغبة تتعلق بتفويض الأمر، والرهبة تتعلق بإلجاء الظهر رهبة من العقاب.

هـ- أسلوب القصر في قوله: لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك، وهذا الأسلوب يؤكد الإخلاص في الدعاء والاعتراف بفضل الله عز وجل، وفي العبارة سجع وجناس وهما من جماليات الأداء الأسلوبي.

و- ختام الحديث يتوافق مع بدايته في البناء اللغوي حيث بدأ بأسلوب الشرط، وختم بأسلوب الشرط، ولكن في الختام جاءت أداة الشرط "إن" وهى احتمالية وليست يقينية، لأن الأعمار بيد الله عز وجل، فالتعبير بـ"إن" أوفق وأدل على صدق وقوة البيان النبوي الجميل.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى ما يستحب للمرء فعله عند الاستعداد للنوم سواء أكانت أذكاراً أم أفعالاً ليكون في معية الله في اليقظة والمنام.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يستحب للنائم حين يضع جسده على الفراش أن يتوضأ، وأن يضطجع على شقه الأيمن، وأن يقرأ ما تيسير له من كتاب الله تعالى وخاصة آية الكرسي وآخر آيتين من سورة البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين، وأن يقول الدعاء الوارد في هذا الحديث، فإن نام على هيئته هذه ومات مات على الفطرة وإن استيقظ أصبح في خير وأصاب خيراً.

---

(١) انظر في ذلك: المدونة ١٣٥، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي شرح الموطأ ٢٦٠/٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٨/٢، ٣٤٥/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٩٤/٨، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح والمنح المرعية ٢٤١/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني شرح منظومة الآداب ٣٧٩/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء، والأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التوكل على الله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذكر.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

لا شك أن التعليم من الوسائل الدعوية المهمة التي يستطيع الداعية من خلالها توضيح أمور الدين والآداب التي ينبغي أن يحرص عليها المسلم، يظهر هذا في تعليم رسول الله ﷺ البراء بن عازب رضي الله عنه ما ينفعه حيث أوصاه النبي ﷺ أن يقول عند نومه: (إذا آوى إلى فراشه، اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك.. إلخ الحديث) وهذا الدعاء يتضمن تفويض الإنسان أمره إلى ربه وأنه معتمد على الله في ظاهره وباطنه ومفوض أمره إليه.

وأمره النبي ﷺ أن يضطجع على الجنب الأيمن؛ لأن ذلك هو الأفضل، وقد ذكر الأطباء أن النوم على الجنب الأيمن أفضل للبدن وأصح من النوم على الجنب الأيسر[1]، والاضطجاع على الجنب الأيمن أسرع إلى الانتباه والقلب متعلق إلى جهة اليمين فلا يثقل في النوم[2]، كما أمره بالوضوء حتى يبيت على طهارة لئلا يبغته الموت فيكون على هيئة كاملة، ويؤخذ منه الندب إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب لأنه أولى من طهارة البدن[3].

وهذا يدل على حرص رسول الله ﷺ على تعليم البراء ما ينفعه وهذا كان شأنه ﷺ مع المسلمين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ٢٦٨/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٣/١١.

(٣) المرجع السابق ١١٣/١١.

عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، قال السعدي: (... وهو ﷺ في غاية النصح لهم والسعي في مصالحهم "حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه)[٢]، وهذا مما ينبغي أن يحرص عليه الداعية في تعليم المدعوين ما ينفعهم.

ثانياً- من أساليب الدعوة: النداء، والأمر:

يظهر أسلوب النداء في قوله ﷺ: "يا فلان..."، وأسلوب الأمر في قوله ﷺ: "... فقل... فتوضأ... ثم اضطجع... وقل... واجعلهن آخر ما تقول"، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي تجذب انتباه المدعو وتعلمه أن الدعوة موجهة إليه فينتبه ويهتم بما يُنادى لأجله.

وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي يتمكن الداعية من خلالها إلى بيان أهمية المأمور به وما يتضمنه من حقائق وفوائد دينية ودنيوية كما في هذا الحديث.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التوكل على الله تعالى:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ للبراء رضي الله عنه فقل: (اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك.. الحديث)، وكل ذلك يدعو إلى التوكل على الله تعالى، ويدل على أهمية وفضل التوكل عليه سبحانه، وقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه حقيقة التوكل[٣]، ففي صحيحي البخاري ومسلم كان يقول في دعائه: ((اللّهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ تَوكلتُ))[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٥]، أي: من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه[٦].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٢٠، ومسلم ٧٦٩.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج ١٦١/١٨/٩.

والتوكل على الله عاصم من الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]، والإيمان بالله تعالى يقتضي التوكل عليه، قال تعالى: ﴿... وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

فينبغي للداعية أن يدعو الناس إلى التوكل على الله، ويبين لهم فضل التوكل عليه سبحانه.

قال ابن القيم: ("التوكل" نصف الدين. والنصف الثاني "الإنابة"؛ فإن الدين استعانة وعبادة؛ فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

ومنزلته: أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين، لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين، وعموم التوكل، ووقوعه من المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، والطير والوحش والبهائم. فأهل السماوات والأرض -المكلفون وغيرهم- في مقام التوكل وإن تباين متعلق توكلهم، فأولياؤه وخاصته يتوكلون عليه في حصول ما يرضيه منهم وفي إقامته في الخلق، ويتكلون عليه في الإيمان، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته، وجهاد أعدائه، وفي محابة وتنفيذ أوامره.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغاً عن الناس.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله منه، من رزق أو عافية أو نصر على عدو، أو زوجة أو ولد، ونحو ذلك.

ودون هؤلاء من يتوكل عليه في حصول ما لا يحبه ويرضاه من الظلم والعدوان وحصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالباً إلا باستعانتهم بالله، وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات؛ ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف، والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم، ويظفرهم بمطالبهم.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٣.

ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله فإن كان محبوباً له مرضياً كانت له فيه العاقبة المحمودة، وإن كان مسخوطاً مبغوضاً كان ما حصل له بتوكله مضرة عليه، وإن كان مباحاً حصلت له مصلحة التوكل دون مصلحة ما توكل فيه إن لم يستعن به على طاعاته"[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذكر:

حيث حرص النبي ﷺ أن يعلم صاحبه ذكر الله عز وجل لما فيه من العطاء والمنح "فاذكروني أذكركم" وفي الحديث القدسي "أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه".

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٥٢ - ٣٥٣.

الحديث رقم (٨١)

٨١- **الثَّامِنُ:** عنْ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه عبدِ اللَّه بنِ عثمانَ بنِ عامِرِ بنِ عُمَرَ بن كعب بن سعد بْنِ تَيْمِ بْن مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْن لُؤيِّ بْنِ غَالِب الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ رضي الله عنه وهُو وأبُوهُ وأُمَّهُ صحابَةٌ رضي الله عنهم، قال: نظرتُ إلى أقْدَامِ المُشْرِكِينَ ونَحنُ في الْغَارِ وهُمْ علَى رؤوسنا. فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أحَدَهمْ نَظرَ تَحتَ قَدميْهِ لأبصرَنا[1]، فقال[2]: «**مَا ظَنُّك يا أبا بكرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثالثُهُما**» متفقٌ عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: هو عبدالله بن عثمان القرشي، ولد بمكة بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وكان رضي الله عنه أبيضًا نحيفًا خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة يخضب بالحناء والكتم. وهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجّهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلاماً وأكملهم إيماناً وأعظمهم عناءً، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هدياً وخلقاً وسمتاً وفعلاً، وهو أبو عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقد رافق النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها.

وكان رجلاً مألوفاً لقومه محبباً سهلاً وكان تاجراً، ذا خلق وكان رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم مما كان منها من خير أو شر، أسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم كثير، وأعتق بلالاً رضي الله عنه ولُقب بالعتيق والصديق لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء.

---

(١) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (أبصرنا تحت قدميه).

(٢) عندهما زيادة: (يا أبا بكر).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

قال فيه النبي ﷺ ((إن من أمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربِّي لاتخذتُ أبابكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقين في المسجد بابٌ إلا سُدّ إلا باب أبي بكر))[1].

وصلى بالمسلمين في حياة النبي ﷺ عندما اشتد المرض برسول الله ﷺ بعد أن قال النبي ﷺ ((مُرُوا أبابكر فيصلِّ بالناس))[2].

وكان ثابت العقل، شديد البأس، له رصانة عقل في أشد المواطن وأحكمها، فشهد الحروب واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع للخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فحارب المرتدين والممتنعين عن الزكاة، وافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق.

وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان أبوبكر سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فقال: "أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم أبوبكر؟ فسكت القوم فقال: ألا تجيبون؟ فوالله لساعة من أبي بكر خيرٌ من مثل مؤمن آل فرعون؛ ذاك رجلٌ كتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه".

ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جدًا، وكان من أعظمها قول الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3] فإن المراد بصاحبه أبو بكر لا نزاع ومن مناقبه رضي الله عنه أن كان له أربعون ألفًا فأنفقها في سبيل الله وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وزنيرة والنهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وأم عبيس.

وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصف الشهر. وله في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٦، ٣٦٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤١٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.

وتوفي في ١٣هـ بالمدينة وهو ابن ثلاث وستين سنة[١].

الشرح الأدبي

- هذا المشهد جليل من مشاهد الهجرة النبوية المباركة، يرويه أبو بكر الصديق في ثقة وفخر واعتزاز، ولِمَ لا وقد شرف الصديق بصحبة خير رفيق وأكرم صديق وهو الصادق الوعد الأمين خاتم الأنبياء وسيد المرسلين: محمد ﷺ. والحديث نجوى إيمانية بين اثنين هما أعظم من عرفت البشرية صدقاً وبراً ومودة ورحمة وشجاعة وتقوى، وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه الصديق المخلص المعين والمحب الأمين خير الأمة بعد رسولها ﷺ. ومكان هذه النجوى الحوارية غار ثور، وهو الملاذ الذي لجأ إليه الصاحبان محمد ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، للاستعداد إلى التوجه إلى المدينة المنورة؛ ليبدأ عهد جديد من أطوار الدعوة الإسلامية، وقبلها نشأ النبي ﷺ في مكة استنبئ على رأس الأربعين من سنة، وقضى ثلاث عشرة سنة يدعو إلى الله قبل أن يهاجر إلى المدينة، فلم يكن في الإسلام أول بدأته إلا رجل وامرأة وغلام، أما الرجل فهو رسول الله ﷺ، وأما المرأة فزوجه خديجة، وأما الغلام فعليٌّ ابن عمه أبي طالب، ثم كان أول النمو في الإسلام بحرٍّ وعبد، أما الحر فأبو بكر، وأما العبد فبلال، ثم اتسق النمو قليلاً ببطء الهموم في سيرها، وصبر الحر في تجلده وكأن التاريخ واقف لا يتزحزح، ضيق لا يتسع، جامد لا ينمو، وكأن النبي ﷺ أخو الشمس يطلع كلاهما وحده كل يوم.

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٥٤/٣، ١٧٠، ٣٤٣، ١٨٧/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٧٧٩-٧٨٠)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٣١٠/٣-٣٣٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٨٠٤-٨٠٥، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢٠٥/٤-٢٠٦، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٨٣/٢-٣٨٤، الأعلام، الزركلي (١٠٢/٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣١٥/١-٣٣٠، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢٦٥/١-٢٨٩.

- حتى إذا كانت الهجرة من بعد فانتقل الرسول إلى المدينة بدأت الدنيا تتقلقل، كأنما مر بقدمه على مركزها فحركها وكانت خطواته في هجرته تخط في الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ، وكانت المسافة بين مكة والمدينة، ومعناها بين المشرق والمغرب[1].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا المشهد الجليل من مشاهد الهجرة المباركة، وكان أبو بكر فصيحاً بليغاً وأُعطى رسول الله جوامع الكلم. والتعبير بالفعل، "نظرت" في مادته اللغوية "نظر" أعم من "شاهدت" لأن النظر يشمل المشاهدة والنظر المصحوب بالتفكير والتأمل، فماذا يكون مصيرهما إذا رآهما المشركون؟.

وتحديد النظر إلى أقدام المشركين يرشد إلى وصولهم ووقوفهم على باب الغار، وبأنهم لم يَرَوا الصاحبين، حيث لم تلتق وجوههم، وإنما رأى أقدامهم، لأن الله صرفهم عن النظر داخل الغاز بما نسج حول باب الغار من نسيج العنكبوت، وأغصان الشجر وهى من المعجزات الإلهية، التي أيد الله بها رسوله ونصره وحماه.

وجملة "وهم على رؤوسنا" تصف حال المشركين وموقعهم، وقبلها جملة، "ونحن في الغاز" تصف حال النبي ﷺ وصاحبه، وبينهما مفارقة تدعو إلى التأمل والدهشة والاستغراب، فالصاحبان المهاجران محاصران داخل الغار، والمشركون على باب الغار يقفون على الصخور وهي مسافة قصيرة، ومساحة قليلة ولكن كما يقول الشاعر:

عناية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

ويقول أحمد شوقي في الإشادة بهذه المعجزة وذلك التأييد الإلهي:

سلْ عصبةَ الشِّركِ حولَ الغار سائمةً ... لولا مطاردةُ المختار لم تُسم

هل أَبصروا الأَثر الوضَّاءَ، أَم سمِعوا ... همْسَ التسابيحِ والقرآن من أَمَم؟

وهل تمثّل نسيجُ العنكبوتِ لهم ... كالغابِ، والحائماتُ الزُّغْبُ

---

(١) انظر: من وحي القلم للرافعي ج٢، مقالة من وحي الهجرة.

فـــأدبروا ، ووجـــوهُ الأَرضِ تلعـــنُهم كباطـلٍ مـن جـلالِ الحـق منهـزِم
لـولا يـدُ اللّـهِ بالجـارَيْنِ مـا سـلِما وعينُـه حـولَ ركـنِ الـدين؛ لم يقـم[1]

ومـا أصـدق الحـوار في القسم الثـاني مـن الحـديث! حيـث ينـادي أبـو بكـر قـائلاً: "يا رسول الله" فناداه بما اختصه الله به من الرسالة والنبوة، والهجرة من أجل حماية الرسالة، ومواصلة طريق الدعوة، وحماية الله له وتأييده لأنه رسول الله وخاتم النبيين.

- ويجيء كلام المصطفى ﷺ ثابتاً راسخاً واثقاً في تأييد الله ونصرته: فيطمئن حبيبه الصديق قائلاً "وما ظنك يا أبا بكر باثنين، الله ثالثهما؟" وهذا الاستفهام لتقرير الحقيقة الثابتة وهي تأييد الله. وحمايته لرسوله الكريم وحفظه للدعوة الإسلامية، لأنه وعد رسوله بذلك.
- وفي هذا الجواب الذي صيغ في قالب الاستفهام تسكين لما حصل للصديق حينئذ من القلق على رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: اليقين والثقة بالله مع الأخذ بالأسباب.

ثانياً: من تاريخ الدعوة: الهجرة.

ثالثاً: من صفات الداعية: التفاؤل والبشر.

رابعاً: من ميادين الدعوة: الغار.

---

(١) انظر: ديوان شوقي، ٦٢٦/١: توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د. أحمد محمد الحوفي.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٠.

أولاً- من صفات الداعية: اليقين والثقة بالله مع الأخذ بالأسباب:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعية: اليقين والثقة بالله. يتضح ذلك في قول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما).

قال النووي: (معناه: ثالثهما بالنصر والمعونة، والحفظ، والتسديد وهو داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1])[2].

قال ابن كثير: (أي معهم بتأييده ونصره ومعونته، وهذه معية خاصة كقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3] وقوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[4] وقول النبي ﷺ للصديق رضي الله عنه وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[5][6].

واليقين والثقة بالله تعالى والتوكل عليه من الأسباب التي تُنال بها الإمامة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[7].

واليقين والثقة بالله تعالى هو حال المؤمنين دائماً فهم ثابتون على يقينهم بعون الله ونصره، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[8].

وإن اليقين والثقة بنصر الله تتجلى في قوله ﷺ: (ما ظنك يا أبا باكر باثنين الله

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١٢.

(٤) سورة طه، آية: ٤٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦١٥/٤.

(٧) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٢٢.

ثالثهما؟)، وكان يقين رسول الله ﷺ وثقته بنصر الله لا يتزعزع، وقد ورد عنه كثير من الأحاديث التي تدل على يقينه وثقته بنصر الله، منها:

حديث سهل بن حنيف عن صلح الحديبية قال: فجاءَ عمرُ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أَلَسْنا على الْحقِّ، وهم على الباطل؟ أَلَيْس قَتْلانا في الْجنَّة، وقتلاهم في النّار؟ قال: فقال بَلَى فقال: ففيم نعْطي الدَّنيَّةَ في ديننا، ونرْجِعُ، ولمّا يحكمِ اللّهُ بَيْننا؟ فقال: ((يا ابن الْخَطاب: إني رسولُ الله، ولن يُضَيِّعني الله أبداً))[1]. ومع يقين الرسول ﷺ بالنصر والثقة في الله تعالى أخذ بالأسباب فأحسن التخطيط بكل خطوات الهجرة بدءًا من استبقاء أبي بكر وعلي ثم أمره أبا بكر بشراء الإبل التي سيركبونها واختيار الدليل والغار وغير ذلك ليعلم الدعاة الأخذ بالأسباب مع حسن الإعداد وتمام اليقين.

قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللّهَ عز جَلّ قال: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بي، إنْ ظَنَّ خَيراً فَلَهُ، وَإنْ ظَنَّ شَراً فَلَهُ))[2]، فليوقن الداعية بنصر الله وعونه ليكون مثالاً وقدوة للمدعوين.

ثانياً- من تاريخ الدعوة: الهجرة:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث: الهجرة، وهي من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة الإسلامية، ذلك لأنه عندما اشتد بالمسلمين الأذى، وضيقت قريش على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه رضي الله عنهم الخناق، حتى أصبحوا يحاربونهم في أرزاقهم، ويحملون قريشاً على مقاطعتهم على وسائل الحياة، ودبّروا لرسول الله ﷺ مؤامرة ليقتلوه وإن كان تدبير الله فوق تدبيرهم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[3]، حين ذاك أذن الله له بالهجرة ومعه صاحبه أبو بكر رضي الله عنه فأنجاهما الله من مكرهم، وكان له في الهجرة خير نصير على

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٤٤، ومسلم ١٧٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٩١ رقم ٩٠٧٦، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٥/٣٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٠.

إعلاء الدين، وحماية الحق[١]، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ كَثِيرًا مُرَٰغَمًا وَسَعَةً﴾[٢]، فبعد الهجرة انتشرت الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة وتنفس المسلمون الصعداء وعلت مكانة الدين وقوي المسلمون.

ثالثاً- من صفات الداعية: التفاؤل والبشر:

يظهر هذا في قوله ﷺ: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟)، عندما قال له أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا فلم يتشاءم بل تفاءل وبشر أبا بكر رضي الله عنه بمعية الله لهما.

فرسول الله ﷺ كان دائماً مبشراً ويحب الفأل ويكره التشاؤم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ))[٤]، فينبغي على الداعية أن يكون متفائلاً مبشراً بالخير محذراً من اليأس والتشاؤم. فيبدأ الناس بالأخبار السارة المروحة للنفوس، المزيلة للهموم فتشحذ منهم العزائم، وتعلو الهمم، فيقبلون على الأعمال الطيبة[٥].

رابعاً: من ميادين الدعوة: الغار

يظهر ذلك في قول أبي بكر رضي الله عنه: ونحن في الغار، والغار من ميادين الدعوة المشهورة في الدعوة الإسلامية وبداية انتشار الدين الإسلامي، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ

---

(١) انظر: دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي، ص ٤١٥ - ٤١٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٠٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٥٣٦، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٤٨).

(٥) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٣ - ١٠٤.

هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ...﴾[١]، أي: عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه[٢].

قال القاسمي: (وقوله تعالى: "فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا" يعني كفار مكة حين مكروا به، فصاروا سبب خروجه، فخرج ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه "ثاني اثنين" حال من ضميره ﷺ أي: أحد اثنين "إذ هما في الغار" بدل من "إذ أخرجه" بدل البعض، إذ المراد به زمان متسع. والغار نقب في أعلى ثور، وهو جبل في الجهة اليمنى من مكة على مسيرة ساعة، مكثا فيه ثلاثاً، ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهما، ثم يسيرا إلى المدنة "إذ يقول" بدل ثان، أي رسول الله ﷺ "لصاحبه" أي أبي بكر "لا تحزن")[٣].

وكان الغار من ميادين الدعوة التي علّم بها الداعية الأول رسول الله ﷺ الأمة في الأخذ بالأسباب، وأخذ أسباب النجاة من وسائل الحذر، وذلك في إيوائه وصاحبه إلى الغار وكذلك علّم الأمة أهمية اليقين والثقة بالله عز وجل، فعندما جزع أبو بكر وخاف من المشركين قال له: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما).

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية فلا يترك ميداناً من الميادين إلا ويستثمره في الدعوة إلى الله تعالى.

فهذا نبي الله يوسف عليه السلام لم يترك الدعوة حتى في السجن.

إن من المواقف الدعوية التي أبرزتها سورة يوسف، ذلك الموقف الفريد الذي تبناه نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبي السجن، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٥/٤.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ٥٦/٨/٥-٢١٧.

نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1].

فهذا الموقف بكل تفاصيله: هناك رجلان يدخلان السجن، ويريان في المنام رؤيا عجيبة، فيتوقان إلى الإطلاع على الحقيقة التي تنطوي عليها هذه الرؤيا، فيريان يوسف عليه السلام بين هؤلاء السجناء، الرجل الوحيد الذي يمكن أن يسعفهم بالحاجة، فيعرضان عليه، وهما يكنّان له كلّ الإجلال والإكبار، والتقدير والإعجاب، ولكن يوسف عليه السلام لا يسرع في الإجابة، ولا يكتفي بإرضاء الحاجة، ولا يستغل هذه الفرصة في تضخيم شخصيته أمام أعينهما، أو في كسب إعجابهما، أو في نيل المصالح الذاتية، بل يقدر هذه اللفتة الكريمة الثمينة من الرجلين، فيستخدمها في نشر الدعوة.

وينفذ إلى الغرض من خلال الأسلوب الذي ينمّ عن أن الكلام الدعوي تفرع من صميم الحديث الذي بدأ فيه من أجل تأويل رؤياهما، ولم يقصده تواً، مما يدل على أمرين مهمين:

الأول: أنه ينبغي للداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة، ترقّب الفلاحين لنزول المطر، واعتدال الجوّ، ومواتاة الطقوس.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦ - ٤١.

الثاني: أنّه إذا أتاح الله له فرصة ما، تلائم عرض الدعوة، فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدراً، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف"[١].

لقد استثمر يوسف عليه السلام هذا الموقف؛ لكونه صاحب هدف سام، ودعوة ربانية، فإنّ الفتيين -لما تقرر عند يوسف عليه السلام أنهما رأياه بعين التعظيم والإجلال، وأنه محسن معلم- ذكر لهما أنّ هذه الحالة التي أنا عليها، كله من فضل الله وإحسانه؛ حيث منَّ عليَّ بترك الشرك، وباتباع ملة آبائي، فبهذا وصلت إلى ما رأيتما، فينبغي لكما أن تسلكا ما سلكت.

ثم صرّح لهما بالدعوة: أأرباب عاجزة ضعيفة، لا تنفع ولا تضر، لا تعطي ولا تمنع وهي متفرقة، ما بين أشجار، وأحجار، وملائكة، وأموات، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون، أم من له صفات الكمال في ذاته وأفعاله فلا شريك له في شيء من ذلك، بل هو القهار الذي انقادت الأشياء لقهره، وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن[٢].

ومن المعلوم أنّ من هذا شأنه ووصفه، خيرٌ من الآلهة المتفرقة التي هي مجرد أسماء، لا كمال لها، ولا فعال لديها[٣].

وفي هذه دلالة على أهمية استثمار الفرص في الدعوة إلى الله وتوظيفها التوظيف الإيجابي المثمر في مجال الدعوة.

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي ص ٩٣ وما بعدها.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٨.

(٣) المرجع السابق ٣٩٨.

الحديث رقم (٨٢)

٨٢- **التَّاسِعُ**: عَنْ أُمِّ المُؤمِنِينَ أُمِّ سلَمَةَ، واسمُهَا هِنْدُ بنْتُ أبي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ المخزومية رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كانَ إذَا خَرجَ مِنْ بيْتِهِ قالَ: «**[بِسْمِ اللَّهِ، توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ]**[1]، **اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أنْ أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أوْ أُزلَّ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَم، أوْ أَجْهَلَ أو يُجهَلَ عَلَيَّ**» حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود والتِّرمذيُّ وَغيْرُهُمَا بأسانِيدَ صحيحةٍ. قالَ التِّرْمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وهذا لَفظُ أبي داودَ[2].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله القرشية المخزومية بنت عمّ خالد بن الوليد رضي الله عنه ولدت في مكة قبل البعثة بنحو سبع عشرة سنة.

وهي من المهاجرات الأول إلى الحبشة وأول المهاجرات إلى المدينة وكانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومي.

تزوجها رسول الله ﷺ سنة أربع من الهجرة وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وأوفرهن عقلاً، وكان عمرها قريباً من خمس وثلاثين سنة.

ولقد صحبت النبي ﷺ في غزوات كثيرة، فكانت معه في غزوة خيبر، وفي فتح مكة وفي حصار الطائف، وفي غزوة هوازن وثقيف، ثم صحبتهُ في حجة الوداع وكانت قد أشارت عليه ﷺ بمشورة أنجت بها أصحابهُ رضي الله عنهم من غضب الله ورسوله ﷺ

---

(١) هذه الزيادة عند الترمذي برقم (٣٤٧٢)، ولا توجد عند أبي داود.

(٢) أخرجه أبوداود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٣) ولفظهما سواء، إلا قوله: (كان إذا خرج من بيته) فهو لفظ الترمذي. وقال الحاكم (١/٥١٩): هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، وربما توهم متوهم أن الشعبيَّ لم يسمع من أم سلمة، وليس كذلك فإنه دخل على عائشة وأم سلمة جميعًا ثمَّ أكثر الرواية عنهما جميعًا. وقد خالف ذلك في علوم الحديث (ص: ١١١) له، فقال: لم يسمع الشعبي من عائشة، وقال علي بن المديني في كتاب العلل: لم يسمع الشَّعبي من أم سلمة. قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/١٦٠): وعلى هذا فالحديث منقطعٌ. فلعل من صحّحه سهّل الأمر فيه؛ لكونه من الفضائل، ولا يقال: اكتفى بالمعاصرة؛ لأن محل ذلك أن لا يحصل الجزم بانتفاء المتعاصرين إذا كان النافي واسع الاطلاع مثل ابن المديني.

وذلك حين أعرضوا عن امتثال أمره في صلح الحديبية، فعندما فرغ رسول الله ﷺ من إتمام صلح الحديبية قال: لأصحابه رضي الله عنهم: ((قوموا فانحروا ثم احلقوا) فما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحدُ دخل على "أم سلمة" فذكر لها ما لقي من الناس من عدم الاستجابة. فقالت رضي الله عنها يا نبي الله!! أتحب ذلك؟ أي: أن يُطيعك أصحابك فيما تأمرهم به؟! فأومأ إليها -أي نعم- قالت أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنكَ، وتدعو حالقك فيحلُقك، فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك -نحر بدنة- ودعا حالقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[1].

وقد بلغ مسندها ثلاث مائة وثمانية وسبعين حديثاً، واتفق البخاري ومسلم لها على ثلاثة عشر.

وتوفيت في شوال، سنة ٥٩هـ[2].

غريب الألفاظ:

أزل أو أُزل: من الزلل وهو الخطأ والذنب، والمعنى: أن أفعل ذنباً أو أُدفع إلى فعله[3].

أجهل أو يجهل عليّ: أي أفعل بالناس فعل الجهال من الإيذاء وإيصال الضرر إليهم أو يفعل بي الناس مثل ذلك[4].

---

(١) أخرجه البخاري، رقم ٢٧٣٢.

(٢) الطبقات، ابن سعد لابن سعد (٨٦/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر لابن عبدالبر (٩٤١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير لابن الأثير (٢٧٨/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (١٨٠٧، ١٨٠٨)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي للذهبي (٢٠١/٢-٢٠٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٥٨٢/٨-٥٨٣)، والأعلام، الزركلي (٩٧/٨-٩٨)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٤٤-١٤٥).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ل ل)، وشرح الطيبي ١٧٦/٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٧٦.

(٤) انظر: شرح الطيبي، الطيبي ١٧٧/٥، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٤٩.

الشرح الأدبي

هذا الحديث تتوهج كلماته وعباراته بأشرف المعاني وأجمل المباني، وهذه الأدعية النابعة من قلب المصطفى ﷺ شموس تضيء آفاق السلوك الإنساني وتنشر أشعة الخير والمودة والرحمة في كل أرجاء الحياة، وتربط حياة الإنسان على الأرض بتوجيه وقدرة خالق الأرض والسماء. وهذه الدعوات من المأثورات التي ينبغي على كل مسلم أن يتفوه بها وأن تكون صاعدة من قلبه مع ترجمتها إلى سلوك إيماني قويم اقتداء بسنة المصطفى ﷺ وعملاً بسنته القولية والعملية، وهى مصابيح إيمانية تنير لكل مسلم طريقه في الحياة وتضيء قلبه بأنوار الهداية، وتتجيه من دروب المفاسد والغواية، وإذا التزم بها المسلمون استقامت أمور حياتهم، وأشرقت بالأخوة آفاق مجتمعهم.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا البيان النبوي الهادي الرشيد، البليغ الموجز.

إنها أدعية يتحصن بها المسلم من مغريات الفتن، ومزالق الشيطان، وما أحوج المسلمين إلى مثل هذه الأدعية وهم يخوضون غمار الحياة، ويصارعون أمواج الشهوات، وطوفان الإغراءات، والمعصوم محمد ﷺ كان يستجير ويدعو ربه مع أنّه قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وماتأخر ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1].

وقوله "بسم الله توكلت على الله": علم المسلم المنهج السديد، فكل عمل لا يبدأ باسم الله فهو أبتر، وهنا بلاغة الحذف، والتقدير: "أتحصن باسم الله" ولا يضر مع اسمه شيء، وقوله: "توكلت على الله" أي: أفوض أمري إليه، وأطلب الاستعلاء بالله تعالى على كل ما نبتغيه في هذه الحياة، وبعد هذا الثناء الذي يبدأ به رسول الله الدعاء وهو يخرج من البيت، يتوجه إلى الله بعد أن تحصن باسمه وتوكل عليه، وينادي: "اللهم" ثم يؤكد الدعاء حيث يلجأ إلى الله ويعتصم به فيقول: "اللهم إني أعوذ بك ..." وكل

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢.

عبارة تتضمن دعاءً موجزاً تكمن وراءه نجاوي وابتهالات ومطالب كثيرة، تتكاثر بمقدار الداعين والطالبين حماية الله، والعائذين به، وكم بكت قلوب، وفاضت عيون، وخشعت نفوس وهي تجأر بهذه الأدعية النبوية الفياضة بالحب والصدق والخشوع والإيمان والتوحيد. وكل دعاء يحمل تحذيراً وإدانة: التحذير من أهواء النفس، ونزعات الهوى، والإدانة لكل مؤثر خارجي يسلب الإنسان نزعة الإخلاص، والتمسك بحبل الطاعة، وهناك بعد ثالث توحي به هذه الأدعية: وهو الخوف من التحول عن طريق الهداية إلى طريق الغواية، وما أجمل إيقاع الكلمات! وما أعظم التأثير الذي يحدثه الجناس والمشاكلة بين الألفاظ! والصيغ اللغوية، مع ضبط الكلمات يحدث تغيراً في المعنى، وتأثيراً في النفس، وشمولاً في الرؤية والموقف؛ فالمصطفى يدعو ربه أن يحميه من الضلال والإضلال، وما أحوج كل مسلم إلى هذا الدعاء! وما أحوجه إلى عون ربه وتأييده! فلا يَزل ولا يُزل، ولا يَظلم ولا يُظلم، ولا يَجهل ولا يُجهل عليه، ونسأل الله إجابة الدعاء في كل صباح ومساء.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الأذكار.

ثانياً: من صفات الداعية: ملازمة الصلة بالله تعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله والاستعاذة به من كافة الشرور.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أثر التوكل على الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الأذكار:

يظهر ذلك من فعله ﷺ الذي أخبرت به أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها من أنه كان إذا خرج من بيته قال: "بسم الله توكلت على الله..." الحديث، وكذلك حديث أنس رضي الله عنه في قوله ﷺ: "من قال يعني إذا خرج من بيته: بسم الله توكلت على الله.. الحديث".

فهذان الحديثان يدلان على أهمية المحافظة على الأذكار وذلك لأن الأذكار من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٨٢ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣).

الأشياء التي يرغب فيها الإسلام، والله يثني على الذاكرين والذاكرات، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١]، ولا شيء يزيل الغفلة عن القلب ويحيى فيه اليقظة الدائمة مثل دوام ذكر الله تعالى حيث تحلّ بالذكر خشية الله ومخافته في قلب الإنسان فإذا همّ بظلم أحد أو بمعصية، فذكر الله ترك ما هم به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢]، وقد وعد الله هؤلاء الوجلين الخائفين الجنة فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٣].

كما أنّ ذكر الله يلين القلب ويمنع قسوته ويملؤه بالتواضع والسكون والطمأنينة والخشوع قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٤]، والذكر يصل الإنسان بخالقه ويعمل على دوام الصلة القلبية بالله عز وجل، ويمنع قسوة القلب، ويزيل ما يعتريه من الغفلة، ويغسل عنه الران، ويملؤه بحب الله ورسوله وحب الإيمان، ويرغّبه في التقرب إلى الله بشتى الطاعات.

ودوام الأذكار من الأشياء التي كان يحرص عليها رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ))[٥].

أي في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو لم يكن[٦].

ولفضل الأذكار وأهميتها شبه رسول الله ﷺ من يذكر ربه بالحي أما من لا يذكره فهو ميت، فقال ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[٧].

---

(١) سورة الاحزاب، آية: ٣٥.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ - ٤١.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٣٧٣.

(٦) انظر: التربية الروحية، د. أكرم ضياء العمري ص ٨٧ - ٨٨.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

فالذكر له فضائل كثيرة منها ما ذكره رسول الله ﷺ في قوله: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[1].

فينبغي على الداعية بيان أهمية المحافظة على الأذكار وفضل ذلك.

ثانياً- من صفات الداعية: ملازمة الصلة بالله تعالى:

من صفات الداعية التي تظهر من هذين الحديثين: ملازمة الصلة بالله تعالى وهذا يظهر من فعله ﷺ في المحافظة على الأذكار إذا خرج من بيته وأمره بها.

فالداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وكل هدفه: تعريف الناس بخالقهم، ليفوزوا بسعادة الدارين، وعليه أن يُمتّن صلته بالله، لتكون دعوته نابعة من قوله وفعله[2].

وقد كان إمام الدعاة -قدوتنا محمد ﷺ- شديد الصلة بالله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطّر رجلاه، قالت عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللّهِ أَتَصْنَعُ هذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟))[3]، فعلى الدعاة ملازمة الصلة بالله والاجتهاد في الطاعات حتى يكونوا أهلاً للدعوة ومحلاً للاقتداء بهم.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل التوكل على الله والاستعاذة به من كافة الشرور:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذين الحديثين فضل التوكل على الله والاستعاذة به من كافة الشرور؛ وذلك لأن من توكل على الله كفاه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٢٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٣٧، ومسلم ٢٨٢٠.

(٤) سورة الطلاق، آية: ٦٥.

ومن استعاذ بالله من الشيطان كفه عنه ورد كيده عنه، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

فينبغي على المسلم التوكل على الله في أمره كله والاستعاذة به من الشر كله، فقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ كثيراً من عذاب النار ومن عذاب القبر[٢]، وأمر المسلمين أن يستعيذوا في تشهدهم من: ((عَذَابِ الْقَبْرِ. وَعَذَابِ النَّارِ. وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، ومن شَرِّ فتنة الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: أثر التوكل على الله:

يظهر هذا في حديث أنس رضي الله عنه قوله ﷺ: (من قال ... بسم الله توكلت على الله... يقال له: هُديت وكُفيت وتنحّى عنه الشيطان)، أي: يناديه ملك فيقول له: هُديت إلى طريق الحق، وكُفيت ما أهمك، ووقيت أي حُفظت من السوء وابتعد عنك الشيطان[٤]، وهذا من آثار التوكل على الله، فينبغي على الداعية أن يدعو المدعوين إلى التوكل على الله تعالى ويبين لهم أثر هذا التوكل في حياتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٥].

قال ابن كثير رحمه الله ("وعلى ربهم يتوكلون"، أي: لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣٢.

(٣) أخرجه مسلم ٥٨٨.

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٧٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٤٨/٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢.

شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان)[١].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٣].

قال السعدي: ("الله لا إله إلا هو"، أي: هو المستحق للعبادة والألوهية فكل معبود سواه باطل، (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)، أي: فليعتمدوا عليه في كل أمر نابهم وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي يعتمد عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، قوة وضعفاً)[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ("حسبنا الله ونعم الوكيل"، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[٥].

إنه التوحيد الراسخ رسوخ الجبال، فالأول إبراهيم عليه السلام عرض على النار ورأى هولها، ونظر إليها وهي مشتعلة عالية، وأجلسوه في المنجنيق الذي من خلاله يقذفونه في النار، فما كان منه إلا أن قال: حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء جزاء توحيده الذي جعله يثق بربه كل هذه الثقة ووطد نفسه على ذلك، علم أن الله معه ولن يضيعه فأوكل أمره إليه، فكان جلّ وعلا نعم الوكيل فأمر ناره

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢/٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٦٣.

أن تكون على عبده برداً وسلاماً حتى لا يؤذيه بردها وهل الجزاء إلا من جنس العمل فقوة التوكل أثمرت هذه المعجزة.

والثاني رسول الله ﷺ حين علم بتوعد الناس له بالجمع وتكثير الأعداء لإرهابه وتخويفه وصده عن نشر دينه، فما اكترث لذلك، وما تزعزعت ثقه وتوكله على الله قيد أنملة، كيف ذلك وهو الذي علّم أصحابه الشجاعة والإقدام وشدة البأس عند ملاقاة أعداء الله، وعلمهم أن النصرة على الأعداء إنما تكون بقوة الإيمان، وحسن التوكل عليه، وأن العدد والعدة لا تفعل شيئاً بدون تجريد التوحيد له عز جل، والتوكل على الله من أهم لوازم التوحيد، فما أجمل مقولة الصديق رضي الله عنه: (أحرصوا على الموت توهب لكم الحياة).

وفي هذا الحديث درس للدعاة إلى الله تعالى، بأن جميع العقبات التي تواجههم في الدعوة إلى الله تعالى لا يملك إزاحتها من طريقهم إلا هو سبحانه، وكفّ هذه العوائق عنا يستلزم تحقيق التوحيد، وصدق اللجوء والتوكل على الله تبارك وتعالى، حتى يقينا شر هذه العوائق والمضايقات وإن لم تزل، يرزقنا الثبات، وأن لا تزيدنا إلا إصراراً في المضي قُدما في هذا الطريق الذي اصطفانا لأجله[1].

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ١١٨ - ١١٩.

الحديث رقم (٨٣)

٨٣- **الْعَاشِرُ:** عنْ أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ يعنِي إذا خَرَجَ مِنْ بيْتِهِ: بِسْمِ اللَّهِ توكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ولا حوْلَ ولا قُوةَ إلاَّ بِاللَّهِ، يقالُ لهُ هُديتَ وَكُفِيت ووُقِيتَ، وتنحَّى عنه الشَّيْطَانُ**» رواه أبو داودَ والترمذيُّ، والنَّسائِيُّ وغيرُهم: وقال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ[1].

زاد أبو داود[2]: «**فيقول: يعْنِي الشَّيْطَانَ لِشَيْطانٍ آخر: كيْفَ لك برجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفي وَوُقِي**»؟.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحوْل: الحركة، يقال: حال الشخص يحول إذا تحرك[3].

الشرح الأدبي

تتماوج أصداء الحديث السابق في محيط هذا الحديث العذب، إن بداية الحديثين صيغة واحدة وهى: "بسم الله توكلت على الله"، والمكان الذي يستحب فيه هذا الدعاء هو "باب البيت" وقت الخروج لسفر أو قضاء مصلحة، والصيغ في الحديث السابق متعددة وشاملة، ولكن هذا الحديث يتضمن بارقة من بوارق البيان النبوي وهي "ثمرة الدعاء"، فإذا أخلص المسلم في الدعاء، وصدق في مناجاة ربه "يقال: له هُديت، وكُفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان". وبناء الفعل "يقال له" للمجهول، ليس للجهل بالقائل، ولكن لتكريم ذلك الداعي المبتهل الذي حدده رسول الله بأحد أنواع المعرفة

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (عمل اليوم والليلة ٩٨٣٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٢٢)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/١٦٤): هذا حديثٌ حسنٌ اهـ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٩).

(٢) في الحديث نفسه في آخره (٥٠٩٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ل).

وهو اسم الموصول مَنْ "من قال" وذلك لتميزه ولأجل أن تكون قاعدة تطبق على ملايين القائلين من المسلمين هذا الدعاء في كل زمان وفي كل مكان، وصيغة البناء للمجهول في "يقال له" توحي بشمول الجزاء واستمراره ودوامه، ولم يقل: "قيل له"، وكأنه كلما تكرر القول تكرر الجزاء، وضوعف الثواب، والله يضاعف لمن يشاء.

وصيغة "لا حول ولا قوة إلا بالله" تنطوي على أسرار بلاغية كثيرة، ومنها أسلوب القصر الذي يفيد تسليم المؤمن بأن الحركة وتغير الأحوال، ومصدر القوة من الله سبحانه وتعالى وليست من مصدر آخر، فالحول في اللغة: "من حال الرجل يحول حولاً" إذا احتال، والحول هو التحرك، وحال الشيء واستحال أى تغير لونه[1]، فالمؤمن عندما يقر بهذه الصيغة فهو يؤمن بأن أي حركة في حياته، وأى تغير في مصيره وأي قوة تأتيه من أي جهة ولأي سبب، لابد أن يكون كل ذلك بأمر الله وإرادته ومشيئته.

وتأتي الأفعال التي تعد من ثمرات الدعاء في صيغة المبني للمجهول، وهي: "هديت وكفيت ووقيت" لترشد إلى أن الجزاء من جنس العمل: فالمؤمن أسلم أمره لله فجزاؤه الهداية والكفاية والوقاية من الشيطان لأنه تحصن باسم الله.

وهداه في اللغة معناه: تقدمه كما يتقدم الهادي المهدي، فعناية الله تسبق خطا المؤمن وتهديه إلى السبيل القويم، ويقال له: كفيت كل همم دنيوي وأخروي: وهذا المعنى يتلاقى مع قول إبراهيم عليه السلام: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ونتيجة الهداية والكفاية تكون الوقاية من حبائل الغواية. وهمزات الشياطين. ويختم الحديث بأعظم الثواب، وأطيب الثمار في قوله ﷺ: "وتنحى عنه الشيطان" والتعبير بالماضي يوحي بأن المؤمن حريص على مقاومة الشياطين، وأن الشيطان لا يستطيع التغلب عليه؛ لأن التحصن باسم الله من أسباب الفوز والنجاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ٢/٢٠٨.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٤)

٨٤- وَعنْ أنَسٍ ﷺ قال: كَان أخوانِ عَلَى عهْدِ النبيِّ ﷺ، وكَانَ أَحدُهُما يأْتِي النبيَّ ﷺ، والآخَرُ يحتَرِفُ، فَشَكَا الْمُحْتَرِفُ أخَاهُ للنبيِّ ﷺ فقال: «لَعلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» رواه التِّرْمذيُّ[1] بإسناد صحيح على شرط مسلمٍ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يحترف: يكتسب ويتسبب[2].

الشرح الأدبي

يرصد هذا الحديث قضية من أخطر قضايا الحياة، وهى العلاقة بين العبادة والعمل، ويظن بعض الجاهلين أن العمل الدنيوي يتنافى مع العبادة وأداء الشعائر على الوجه الأكمل، وهذا وَهْمٌ وسوءُ فَهمٍ للعبادة الصحيحة، والعمل الصالح، فالعبادة عمل تكليفي تشريعي، والعمل الدنيوي ينبغي على كل مسلم في إطار السعي على الرزق والكسب الحلال، والعمل في نظر الإسلام هو الذي ينتج ويأتي بالخير الوافر، ولذا تتجه الوصايا النبوية الكثيرة إلى الحض على العمل، ويتحدث القرآن الكريم عن العمل في آيات كثيرة بلغ عددها ٣٦٠ "ثلاثمائة وستين آية"، ومِنْ أحبِّ ما يقرِّبُ العبدَ إلى ربه أن يتقن العمل الذي يؤديه مهما كان نوعه ((إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))[3][4].

---

(١) برقم (٢٣٤٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. قال الحاكم (٩٤/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ورواته عن آخرهم أثبات ثقات، ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٨٣.

(٣) أخرجه أبو يعلى ٤٣٨٦، وقال الهيثمي في المجمع ٩٨/٤: فيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان وضعفه جماعة اهـ. وقد صححه الألباني في الصحيحية ١١١٣، فلينظر تصحيحه.

(٤) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص ٢٠٨، ٢٠٩، الشركة العربية للنشر والتوزيع: القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ولا تعارض في الحقيقة بين العبادة والعمل الدنيوي؛ لأن العبادة عمل، وإتقانها طريق إلى إتقان العمل الدنيوي، والسَّعي على الرزق سعياً متسلحاً باليقين والتوكل والعلم والخبرة والمعرفة.

- وقصة هذا الحديث تصور نموذجين بشريين وأخوين، لكل منهما طبيعته واهتماماته، أما أحدهما فكان متفقهاً في دينه، يحب أن يستمع إلى رسول الله ﷺ، وهذا الاستماع يعد عَمَلاً عِلْمياً ودينياً لأنه سَيَفْقِه دينَه، وسيفقه أحاديث رسول الله ﷺ، وربما يكون من المحدثين والرواة، وقد قال رسول الله ﷺ: ((رحم الله من سمع مني حديثاً، فبلغه، كما سمعه، فرب مبلِّغ أوعى له من سامع))[1].
- ولذلك نجد موقف المصطفى ﷺ موقفاً حكيماً يعطي للمعرفة قيمتها، وللعمل الدنيوي واليدوي قيمته، وحينما شكا المحترف أى صاحب الحرفة: وهى الصناعة وجهة الكسب، أخاه الذي يأتي النبي ويستمع إلى أحاديثه، ويغشى مجالسه، ولا يشارك أخاه الحرفة، قال له النبي ﷺ قولةً فيها إيناس وترضية وتسلية، وتأييد لهذا المنقطع إلى مجالس النبي ﷺ، قال: "لعلك ترزق به" وهذا رجاء من رسول الله ﷺ أن يرزق الله الأخ صاحب الحرفة بسبب جدّه وإخلاصه، وبسبب معاونته لأخيه الذي تفرغ لتحصيل الهداية والمعرفة، وربما لم تكن لديه الخبرة العملية، أو ربما كانت قواه الجسمية لا تساعده، أو ربما كان انقطاعه لمجالس الرسول عليه الصلاة والسلام، فيه فائدة لغيره من المسلمين، وذلك من صالح الأعمال، وما أشبه ذلك الموقف: بمن يرصد الأموال الضخمة للإنفاق على طلاب العلم، وفي حديث آخر إشارة إلى ذلك التوجه الحضاري في الإسلام حيث يقول: "وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم"[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٥٧، وابن حبان ٦٦-٦٩ وهذا لفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٩٦ مرسلاً، ورواه النسائي موصولاً، انظر: فتح الباري، ابن حجر ١/١٤٢٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل تعلم العلم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل العمل والاحتراف.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل إعانة الغير وكفالة طلاب العلم.

خامساً: من واجبات المدعو: سؤال أهل العلم عن الحلول لبعض المشكلات.

سادساً: من صفات الداعية: التبشير وتقديم حلول للمشكلات.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصة:

في الحديث نقل لنا أنس بن مالك رضي الله عنه قصة ذينك الأخوين الذين كان يحترف أحدهما ويأتي الآخر النبي ﷺ: (كان أخوان على عهد النبي ﷺ وكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ فقال: لعلك ترزق به) والقصة سواء في القرآن أو السنة لا يقصد بها سرد الوقائع وإنما المراد بها الاعتبار والعظة، لذا كانت القصة من أهم الأساليب الدعوية الناجحة، لذا ينبغي على الداعية ألا يهمل أسلوب القصة في دعوته لما يملكه هذا الأسلوب دائماً من الإثارة والجاذبية ما يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر إلى النظر تحريكاً ويهز النفس للاعتبار هزاً[1].

ولقد حفل القرآن الكريم بالكثير من قصص السابقين، كقصة ذي القرنين وأصحاب الكهف وقصة ابني آدم عليه السلام، وكثير من قصص الأنبياء عليهم السلام، وغير ذلك من القصص[2].

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[3].

وذكر القرآن أنّ من أهداف القصة العظة، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٢٩٣، ٣١٤.

(٢) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣٥.

(٣) سورة يوسف، آية: ٣.

ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل تعلم العلم:

لقد أكد متن الحديث ونصه على عِظم وشرف طلب العلم، وضرورة التفاني في تحصيله، فبعد أن اشتكى "المحترف" إلى النبي ﷺ في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته وفي كسب آخر لمعيشته[2]، نظرًا لطلبه للعلم والمعرفة، وذلك في قول أنس رضي الله عنه "كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ" قال له ﷺ: "لعلك ترزق به".

قال المباركفوري: (أي: أرجو وأخاف أنك مرزوق ببركته)[3].

ويكفي بهذا بيان لأهمية طلب العلم وتعلمه، وكيف لا!!! وهو قمة العبادة؛ لأن نفع العلم يتعدى إلى الناس كافة، والعبادة مقصورة على صاحبها، والبون شاسع واسع.

وقد تداول هذا المفهوم في عقول سلف الأمة الصالح، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الدراسة صلاة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: لأن أجلس ساعة فأفقه في ديني أحب إلي من أن أحيي ليلة إلى الصباح، وعن الحسن البصري قال: العالم خير من الزاهد في الدنيا، المجتهد في العبادة، وقال كذلك، من طلب العلم يريد به ما عند الله كان خيرًا له مما طلعت عليه الشمس[4]؛ فالعلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل العمل والاحتراف:

ورد ذلك في الحديث من خلال بيان أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "كان أخوان على

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٣.

(٣) المرجع السابق ٢/١٨٦٣.

(٤) أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، د. فاروق حمادة، ١١١-١١٢.

(٥) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ٤٠.

عهد رسول الله ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف"، أي: يكتسب أسباب المعيشة [١].

وقد حثّ الإسلام أتباعه على الكسب والعمل، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [٢]، فهو سبحانه جعل الأرض ذلولاً، والذلول: المنقاد من كل شيء والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها فامشوا في مناكبها: جوانبها وطرقها وأطرافها ونواحيها فهو سبحانه سهل لكم السلوك فيها وكلوا مما خلقه الله لكم [٣].

وبيّن رسول الله ﷺ أن العمل والكسب عن طريق أي عمل مباح وحتى ولو كان ممتهناً عند بعض الناس خير للإنسان من أن يتكفف الناس، فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لأنْ يأخُذَ أحدكم حبلَهُ فيأتيَ بحُزْمةِ الحطبِ على ظهرِهِ فيبيعَها فيَكفَّ اللّهُ بها وجهَهُ، خيرٌ لهُ من أنْ يسألَ الناسَ أعطُوْهُ أو مَنَعُوْه)) [٤].

قال النووي: (فيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده والاكتساب بالمباحات)[٥].

وعاب القرآن الكريم على من ضاقت عليهم السبل وقترت الأرزاق فاستكانوا لتلك الحال ولم يتحركوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [٦].

إن الإسلام دين العمل والإنتاج، ودين السعي والكسب، والمؤمن مأمور أن يمشي

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٣.

(٢) سورة الملك، آية: ١٥.

(٣) انظر: تفسير الخازن المسمى التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن ٤/٢٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣١.

(٦) سورة النساء، آية: ٩٧.

في مناكب الأرض، ويبحث عن سبل العمل،وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[1].

والمراد بالعمل بذل المجهود والأخذ بأسباب الإنتاج ووسائله. وقد اقتضت سنة الله في الخلق أن لا ينال الإنسان شيئاً مما على الأرض، أو مما في باطنها من نعم وأرزاق وأقوات إلا بجهد يُبذل، وعمل يؤدى.

والعمل نوع من العبادة بمعناها العام، وقد خلق الله الإنسان ليعمر هذه الأرض كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].

ولكن اقتضت حكمة الله في الخلق أن هذه الأرزاق التي ضمنها والمعايش التي ينشرها لا تناسب إلا بعد أداء الشعائر التعبدية، وبعد مراعاة الأولوية كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

هذا هو الترتيب والتوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب، وعزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة لحياة القلب، لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الإمامة الكبرى، وذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، وإذا اختل التوازن وطغت المادة على الروح يجب محاسبة النفس، وإعادة أمور الترتيب والتوازن إلى ميزان الشرع.

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك: وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة هود، آية: ٦١.

(٣) سورة الجمعة، آية: ١٠.

عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[1].

وفي الآية تلميح لهم بما عند الله، وأنه خير من اللهو ومن التجارة، وتذكير لهم بأن الرزق من عند الله، فلا بد من مراعاة الأولوية في العبادة، ولا بد من مراعاة معاني الاعتدال والتوازن في الأمور كلها، وقد يختل هذا التوازن حتى في أحسن الأحوال وأبرك زمان، فعن جابر رضي الله عنه قال: (أقبلت عير ونحن نصلي مع النبي ﷺ الجمعة فانفض الناس إلا اثني عشر رجلاً فنزلت هذه آية: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا ...﴾[2]، وهذا الحادث يكشف عن مدى الجهد الذي بذل في التربية وبناء النفوس حتى تجلت معاني الاعتدال، وحتى انتهت إلى إنشاء الجماعة المباركة التي تشبعت بروح الإسلام، وأدركت معاني التشريع وأسراره والمفاهيم الأولية وترتيبها في العبادات والمعاملات، فسادت وانقاد لها الجميع وتحقق بها الرقي للبشرية جمعاء.

والحادث يصور النفس البشرية بخيرها وشرها ويكشف عن مدى صلاحيتها للفلاح والتزكي بلا حدود مع الصبر والفهم والإدراك والثبات، وهي قابلة بأن تتخلى عن عاداتها البيئية، وتتقبل أحكام وتوجيهات الشريعة عندما تجد الموجه المخلص المتأسي برسول الله ﷺ.

ومن الناس من يحقر بعض الحرف ويستهين بها كما كان الحال عند كثير من العرب الذين يحتقرون الحرف والعمل اليدوي، فلما جاء الإسلام بدل هذه المفاهيم المغلوطة، ورفع من قيمة العمل أياً كان نوعه، وحقر من شأن البطالة والاتكال على الآخرين"[3].

ومن أبرز الأحاديث في ذلك المقام ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لأنْ يَحتَطِبَ أحدُكم حُزمةً على ظَهرِهِ خَيرٌ مِن أن يَسألَ أحداً فيُعطِيَهُ أو

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١١.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١١.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد الأعظمي، ص ٢٥٩ - ٢٦١.

يَمنعَه))[١]. وبعد هذا الحديث الموجز عن فضل العمل والاحتراف المستنبط من الحديث الذي نحن بصدد بيان مضامينه الدعوية، حيث أقر النبي ﷺ هذا "المحترف" الذي جاء يشكو أخاه الذي لا يعمل، وقال ﷺ مواسيًا له "لعلك تُرزق به" وفي هذا إقرار وتشجيع وبيان لفضل العمل والاحتراف الذي يُعد من أبرز و أهم أسباب صيانة كرامة المؤمن وتعففه عن مسألة الناس، وبيان لمكانة العمل والاحتراف التي لا تقل شأنًا في بعض الأحيان عن طلب العلم، لأن صيانة كرامة المؤمن، مسألة عظيمة يجب الحفاظ عليها واليد العليا خير من اليد السفلى.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل إعانة الغير وكفالة طلاب العلم:

في الحديث بيّن رسول الله ﷺ أنّ أصحاب الأموال والأعمال يرزقون بالضعفاء وذوي الحاجة، ومن لهم شاغل عن الاكتساب كطلب علم وغيره، وكما جاء في الحديث: (كان أخوان على عهد النبي ﷺ وكان أحدهما يأتي النبي ﷺ - أي لطلب العلم والمعرفة [٢] - الآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: لعلك تُرزق به) أي: أرجو أنك مرزوق ببركته لأنه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك[٣].

وبيّن النبي ﷺ أن إعانة الغير سبب الرزق والنصر، خاصة إذا كانوا من العاجزين عن الكسب، ويلحق بهم من اشتغل عن الكسب بعلم نافع وغيره، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءَ ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ))[٤].

وفي ذلك توجيه للمسلمين بتحمل القادرين منهم مسؤولية العاجزين، وتدعيم الأخوة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٣/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٦٣/٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٢٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٥٩٤).

في الإسلام، وتقرير للمسؤولية الاجتماعية، ورفع لمكانة المسلمين[١].

خامساً- من واجبات المدعو: سؤال أهل العلم عن الحلول لبعض المشكلات:

يظهر ذلك في سؤال وشكاية الأخ المحترف أخاه إلى رسول الله ﷺ ليفصل بينهما أو يحث الآخر على العمل أو غير ذلك، مما دار في خلد ذلك المحترف، (فشكا المحترف أخاه للنبي ﷺ)، وقد أمرنا الله بالرجوع لأهل العلم إذا جهل الإنسان شيئاً أو استغلق عليه فهمه أو ما شاكل ذلك، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، قال القاسمي: "وفي الآية دليل على وجوب الرجوع إلى العلماء فيما لا يُعلم"[٣]، فإن العبد محتاج إلى معرفة الحق الذي يرضي الله في كل حركة ظاهرة وباطنة، فإذا عرفها فهو محتاج إلى من يلهمه قصد الحق، فيجعل إرادته في قلبه، ثم إلى من يُقدِّره على فعله، ومعلوم أن ما يجهله العبد أضعاف أضعاف ما يعلم، فهو مضطر كل وقت إلى هداية تتعلق بالماضي وبالحال والمستقبل[٤].

سادساً- من صفات الداعية: التبشير وتقديم حلول للمشكلات:

يتضح ذلك من خلال إجابة النبي ﷺ ذلك الأخ المحترف بما يبشره أن إعالته لأخيه طالب العلم سبب للرزق وجلب له، وفي ذلك الجواب من رسول الله ﷺ حل لمشكلة كان من الممكن أن تقع بين الأخوين، وقد ظهر من بوادرها ما جال في صدر الأخ المحترف وإقدامه على سؤال النبي ﷺ.

وفي رجوع الصحابة رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ وإجابته لهم عما يسألون، حث للداعية على التواصل مع المدعوين، ومساعدتهم في حلّ مشكلاتهم وتقديم البُشرى لهم مما يضاعف هممهم في عمل الخير والتعاون على البر والتقوى.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي مج٦/١٠/١١٣.

(٤) فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية النفس على اليقين والتوكل على الله:

إن الإسلام يهدف إلى تهذيب النفس الإنسانية وتربيتها على الإيمان الراسخ والثقة في الله تعالى والاطمئنان إلى رحمة الله تعالى من خلال ما يترسخ في النفس من معالم إيمانية تعمل على تنمية ملكات الخير لدى الإنسان من خلال استعراض بعض النماذج البشرية التي سمت على أنفسها من خلال تلك التربية الروحية التي عملت على ترسيخ اليقين والتوكل على الله وعدم التشكك، أو الاستسلام للقلق النفسي الذي يكون نتيجة لضعف الإيمان، مما يعمل على تسرب اليأس والوساوس إلى النفوس.

ولذا فإن النبي ﷺ يذكر في الحديث: الأمم التي عُرضت عليه فكان النبي من الأنبياء السابقين معه الرهيط، والنبي معه الرجل والرجلان...

ثم بين النبي ﷺ كثرة سواد أمته وهذا الصنف الذي أخبر ﷺ عنه أنه يدخل الجنة بغير حساب، وبيّن ﷺ حيثيات دخولهم الجنة بهذه الحالة -بغير حساب- لأن هؤلاء الذين تربّت أنفسهم على اليقين والتوكل على الله مما رسخ في نفوسهم الإيمان القوي، وقد أثار ذلك روح التنافس لدى الصحابة رضي الله عنهم فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم".

ثانياً: التربية بالتوجيه غير المباشر:

إن التوجيه غير المباشر هو دفع المربي أتباعه لعمل ما دون التصريح به، ولقد كان هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي اعتمدها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه رضي الله عنهم، بل لا تكاد تخلو أحاديثه وتوجيهاته وأقواله من هذا الأسلوب لما له من فوائد جمّة قد لا تتوفر في غيره، ومن فوائده:

١- أن الرسول ﷺ أراد أن يكون الدافع للعمل ذاتياً خالياً من ضغط العوامل الأخرى كالحياء والرياء والعاطفة والمجاملة.

٢- أن ينمّي عند الفرد المسلم القدرة على التصرف السليم واتخاذ القرار الصحيح المناسب.

٣- أن ينشئ الفرد على الثقة بالنفس واستقلال الشخصية حتى إذا فُقد المربي، استطاع المسلم الاستمرار بالعمل الصالح، وأن يشقَّ طريقه بنفسه.

٤- ربما توجد بعض النفوس التي تتثاقل من قبول النصيحة المباشرة، ويصيبها الخجل والإحباط إذا حصل التصريح بالتوجيه والإرشاد، فكان التوجيه غير المباشر دافعاً لما قد يحصل من ذلك.

٥-وقد يكون هناك من الأفراد من يستعظم عدم رضا مربيه، لاسيما إذا كان له مكانة في قلبه مثل رسول الله ﷺ، فيكون التوجيه المباشر ذا أثر سلبي على نفسيته قد يوقعه في القنوط[1].

إن النبي ﷺ كان يحرص دائماً على تربية أصحابه رضي الله عنهم وأمته على اليقين والتوكل على الله تعالى، وذلك من خلال عدد من الوسائط التربوية المناسبة لكل فئة من الناس. فقد كان ﷺ يحرص على الذكر والدعاء بقوله: ((...اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ...)).

وكان يعلم أصحابه ما يقولونه عند مواجهة الشدائد، مما يقوي عزيمتهم، ويعمق اليقين والتوكل في نفوسهم.

إن التربية الإسلامية تعمل على إشباع حاجة الإنسان إلى معرفته الحقيقية بالله تعالى وتنمية قيم اليقين والتوكل والاستعانة بالله تعالى في كل الأحوال.

لقد حرص النبي ﷺ على توجيه أصحابه رضي الله عنهم إلى أهمية الاعتماد على الله تعالى، وذلك من خلال موافقة العملية وأقواله المباشرة وغير المباشرة، ففي حرصه ﷺ على ملازمة الدعاء والاستسلام والتوكل على الله نوع من التوجيه التربوي غير المباشر لأهمية هذا الأمر وملازمته والحرص عليه، لما له من آثار طيبة في حياة المسلم، لأنه بحاجة إلى تأييد الله ونصرته، وهذا مما يقوي العزيمة، ويدفع إلى الجد والاجتهاد وعدم الخوف وعدم التخاذل، فما أكثر ما يواجهه الإنسان في حياته، ويحتاج إلى اليقين والتوكل.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٨٩.

ثالثاً- من أهداف التربية الإسلامية: تعميق معاني التوكل في النفوس:

إن تعميق معاني التوكل على الله في النفوس من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية حيث يؤدي ذلك إلى علاج كثير من المشكلات التي يعانيها الإنسان في حياته، لأنه يبدد القلق ويبعث على الجد والاجتهاد في سائر الأمور، خاصة فيما يتعلق بأمور المعاش في الدنيا، والنبي ﷺ في الحديث يعمق معنى التوكل على الله في أمور الرزق، ويضرب مثالاً بالطير التي تصدق في توكلها فيرزقها من واسع فضله، تغدو خماصاً وتروح بطاناً.

وحديث ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ)) يدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم على الأسباب الظاهرة بقلوبهم، فلذلك يُتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قدر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقولهم لساق الله تعالى إليهم أرزاقهم؛ بأدنى سبب، كما يسوق الطير إلى أرزاقها بمجرد الغدو والرواح، وهو نوع من الطلب أو السعي، لكنه سعى يسير.

والحديث لفتة عجيبة ولمحة نبوية لحقيقة التوكل وبيان لأثره. ومعنى قوله: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ)) أي تعلموا يقيناً أن لا فاعل إلا الله، وأن لا معطي ولا مانع إلا هو، ثم يأتي بعد ذلك سعيكم تجاه سبل العيش، من باب اتخاذ الأسباب لا من باب أن الأسباب هي التي تنشئ النتائج فيُتّكل عليها.

فاتخاذ الأسباب عبادة وطاعة وتحقيق النتيجة قدر من الله، وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها، حينئذ يُرزق كما يرزق الطير، والمؤمن يدرك جيداً أن المقصود بها ليس إهمال الأرض وأسبابها؛ لأنه مكلّف بإحيائها وتعميرها، وإنما المقصود أن لا يعلّق نفسه بها، وأن لا يغفل عن الله في عمارتها ليعمل في الأرض وهو يتطلّع إلى السماء وليأخذ بالأسباب وهو يستيقن أنها ليست هي التي ترزقه، فرزقه مقدّر في السماء ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الذاريات، آيتان: ٢٢، ٢٣.

والمسلم الحق هو الذي يفهم حقيقة التوكل الذي هو جزء من إيمانه وعقيدته، وعليه أن يتخذ من كافة الأسباب طريقاً لتحقيق هذه الغاية.

فالتوكل عند المسلم إذن هو تفويض وعمل مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فالمؤمن يعيش آمناً على رزقه؛ لأن الأرزاق في ضمان الله الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عبده، وقد خلق الأرض مهاداً وفراشاً وبساطاً، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وجعل فيها معايش، ووعد عباده فيها بكفالة الأرزاق، وكرر وأكد وأقسم عليه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[1]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

بهذه الضمانات يعيش المؤمن حياته آمنًا على رزقه، مطمئناً إلى أن الله لن يهلكه جوعاً.

هكذا كان ﷺ يربي أمته على مفاهيم التوكل المطلوب، ثم يختار لذلك مثالاً بديعاً من حياة الطيور وتحركاتها نحو مجالات الحياة، فهي تستيقظ في الصباح الباكر تسبح وتغرد ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3].

وبعد هذه العبادة المحببة تنطلق الطيور من أوكارها إلى ساحات الرزق من المزارع والبساتين، وإلى أماكن الحبوب والغلات، تنشط في البحث عن قوتها طوال النهار، وعندما تبدأ الشمس تميل إلى الغروب تعود إلى أعشاشها في أسراب وصفوف ممتلئة البطون ومنفذة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[4]، فحياة

---

(١) سورة هود، آية: ٦.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) سورة النبأ، آيتان: ١٠، ١١.

الطيور تمتاز بالانتظام في معاني التوكل، وباتخاذ الأسباب، وبالنشاط الدائب. هكذا المؤمن إذا اتخذ الأسباب وأدى الأمانة المطلوبة من العبادات والواجبات وانطلق نشيطاً دؤوباً مؤمناً بربه متوكلاً عليه واثقاً بوعده فيرزق كما يرزق الطير التي تغدو خماصاً وتروح بطاناً[(١)].

رابعاً: التربية بالترغيب:

ما أكثر أنواع التربية الإسلامية -التي تسهم في صياغة وبناء شخصية المسلم- ومن تلك الأنواع: التربية الترغيبية التي من خلالها تتم عملية تربية الإنسان بالترغيب في ثمرة العمل، مما يقوي الدافعية للعمل المُرغّب فيه، والنبي ﷺ رغّب الصحابة رضي الله عنهم والأمة من بعدهم في اليقين والتوكل وقد ورد ذلك في عدد من أحاديث باب اليقين والتوكل مثل قوله ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ)).

وقوله ﷺ: ((يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسلَمَتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ....)).

إنه لمّا كان الإسلام هداية للناس جميعاً وواقعياً في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عُنصر الترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلا لكي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان ودلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، فهنا يبدو جُهْدُ الآباء والموجّهين في الأسرة في تبصير ذرياتهم بطريق الإيمان وتزيينه أمامهم، ثم يأتي دور الأبناء في الاتباع عن يقين والاستقامة عن بيِّنه، لا تقليداً ومحاكاة، بل إقناعاً واعتقاداً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[(٢)].

وليس بغريب - الأمر كذلك- أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر

---

(١) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د.محمد لقمان الأعظمي، ٩٤-٩٦.

(٢) سورة الطور، آية: ٢١.

الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة، وفي المدرسة، وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية، فهي تعتبر أساساً محدداً لبناء شخصية الفرد، تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها وعداوتها، في بيعها وشرائها، في عملها وراحتها، في أفكارها وآرائها، في توجيهها وإرشاداتها، في نصائحها وتحذيراتها، في كل نفس تتنفسه أو طرفة عين تطرفها.

وتبرز أهمية التربية الترغيبية من كونها أسلوب رائع يساعد على نشر مكارم الأخلاق[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ١٨٧.

٨- باب في الاستقامة

قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[هود: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[فصلت: ٣٠-٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأحقاف: ١٣-١٤].

الحديث رقم (٨٥)

٨٥- وَعَنْ أبي عمرو، وقيل أبي عمْرة سُفْيانَ بنِ عبد اللَّه رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يا رسول اللَّهِ قُلْ لِي في الإسلامِ قَولاً لا أَسْأَلُ عنه أَحدًا غيْرك[1]. قال: «**قُلْ: آمَنْت باللَّهِ: ثُمَّ اسْتَقِمْ**» رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

سفيان بن عبدالله الثقفي: وهو سفيان بن عبدالله بن أبي ربيعة بن الحارث الثقفي الطائفي، ويكنى بأبي عمرو، أو بأبي عَمْرَة.

حارب مع قومه في غزوة حنين ضد المسلمين إلا أن الله نجاه من القتل ثم مَنَّ عليه بالإسلام بعدها حيث أسلم مع ممن أسلم في وفد ثقيف.

روى عن النبي ﷺ وكان حريصًا على السؤال عما ينفعه، فسأل النبي ﷺ عن جامع أوصاف الإسلام فأجاب عليه النبي ﷺ بإجابة هي من جوامع كلمه ﷺ كما ورد في نص حديث الباب؛ ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي، قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، وفي حديث أبي

---

(١) زاد مسلم: (وفي حديث أبي أسامة: غيرك).

(٢) برقم (٣٨/٦٢).

أسامة "غيرك" قال: ((قل آمنت بالله ثم استقم))[١].

وكان ممن وهبه الله حكمة وحنكة في سياسة الأمور وإدارة الأعمال فولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الطائف[٢].

غريب الألفاظ:

استقم: قال العلماء: معنى الاستقامة لزوم طاعة الله تعالى[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وقال العلماء في بيان قيمة هذا الحديث ومعرفة فضله وأثره الحميد في تهذيب السلوك، وصحة العقيدة، مع الإيجاز الشديد، يقولون: هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام.

وذلك لأن هذه الحديث مع إيجازه الشديد أرشد إلى كل ما في الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات؛ لأن الإيمان والاستقامة ينطويان ويومضان بكل هذه الأبعاد.

- ويقدِّم الجاحظ معالم فنية دقيقة للبيان النبوي، وهذا الحديث يعد شاهدًا تطبيقيًا على هذه المعالم، حيث يقول الجاحظ محددًا سمات البيان النبوي: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف وألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام"[٤].
- وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في ضوء الحديث ندرك أن وصف الجاحظ دقيق وعميق، وصادق وشائق، فالحديث سؤال وجواب، والسؤال

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٢٩٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٤٩٦/٢، ٤٩٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٥١٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٢٢١/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٨/٢، ٥٩).

(٣) رياض الصالحين ٨٤ الباب (٨).

(٤) البيان والتبيين.

يبدو في ظاهرة أنه يحتاج إلى إجابة مطوَّلة، وإلى كلام كثير، ولكن المصطفى ﷺ الذي أُعطي جوامع الكلم أعطى الجواب المقنع، والدواء الشافي في جملتين قصيرتين لكنهما تحتاجان إلى شروح مطوَّلة، وإلى مجاهدة ومقاومة لكل المغريات والمثبطات.

- وأسلوب الحوار هو الصيغة المقنعة في كثير من الأحاديث النبوية، والحوار بين أبي عمرو سفيان بن عبدالله ورسول الله ﷺ، ويبدأ الحوار بهذا النداء الجميل الذي يفصح عن رغبة السائل وطالب النصيحة في المعرفة، والوصول إلى الحقيقة الساطعة التي لا تحجبها غيوم الحيرة والشك، وهذا النداء "يا رسول الله" يؤكد محبة هذا السائل للرسول ﷺ، بصفته رسولاً ونبيًا وكذلك محبته لشخصه وذاته، والشاهد أنه قال: "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك"، وفعل الأمر "قل" ليس على حقيقة الأمر النحوي ولكنه التماس ورغبة في المعرفة والهداية، ولذلك قال: "قل لي" وتحديد القول بأنه يؤكد حاجته الشديدة إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا. والإيجاز البلاغي يفصح عنه قوله "في الإسلام"، أي: في دينه وشريعته، و"في" تفيد الرغبة في التعمق والفهم، ولذلك لم يقل "عن الإسلام"، وتنكير قولاً يعطي الأهمية لهذا القول: لأنه قول جامع لكل معاني الإسلام في العقائد والعبادات والمعاملات، ويؤيد هذا التفسير: قوله: لا أسأل عنه أحدًا غيرك، أى: لا أحتاج إلى توضيح ولا إلى مزيد من التصريح بعد التلميح، ويجئ الجواب في صيغة الأمر "قل" والأمر يفصح عن الوجوب، وقوله "آمنت بالله" مقول القول، وهو الإقرار بكل متعلقات الإيمان وشروطه التي لابد أن تتحقق، فالإيمان هو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل والأركان، والاستقامة تترجم الإيمان إلى سلوك يتضمن كل ألوان النشاط العملي. ولذلك جاءت الصيغة اللغوية في أسلوب الأمر "ثم استقم". والعطف بـ"ثم" وراءه سر من أسرار النظم في البيان النبوي، وهو أن ترجمة الأقوال

والمعتقدات القلبية إلى سلوك عملي في كل مناحى الحياة تحتاج إلى تأنٍّ ومجاهدة وتفكر وتدبر وصبر واحتساب؛ ولذلك جاء العطف بـ"ثم" لتربط بين الجملتين الجامعتين المانعتين، ولم يقل "واستقم" أو "فاستقم"؛ لأن آفاق المعنى في الحديث تتسع وتمتد إلى ما لا نهاية، ولا بد من الإيمان أولاً ثم تطبيق هذا الإيمان وترجمته إلى سلوك إسلامي رشيد.

- وأصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق وغيره قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[1]. بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره[2]، فمتى استقام القلب على معرفة الله وعلى خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه، والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته ...، وأعظم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان، فإنه ترجمان القلب والمعبر عنه، ولهذا لما أمر النبي ﷺ بالاستقامة -في بعض الروايات[3]- وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه[4]، وفي مسند الإمام أحمد: عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[5][6].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠ .

(٢) انظر: تفسير الطبري: "جامع البيان" ٤٢٣/٢٠.

(٣) وهذه الروايات ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٦/١ وعزاه لمن أخرجها من المحدثين أصحاب الكتب.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ١٧٩.

(٥) أخرجه أحمد ١٩٨/٣، وابن أبي الدنيا في الصمت ٩، وضعّفه محققو المسند: ٣٤٣/٢٠، ١٣٠٤٨.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥١٢/١ بتصرف يسير.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: الاستفسار والسؤال عما يعنيه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعرف على القضايا الأساسية في الدين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستقامة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات.

أولاً- من صفات المدعو: الاستفسار والسؤال عما يعنيه:

إن من أهم ما يجب أن يقوم به المؤمن الاستفسار والسؤال عما يعنيه، وقد ظهر ذلك في سؤال سفيان بن عبد الله رضي الله عنه في سؤاله وطلبه من رسول الله ﷺ أن يقول له في دين الله وشريعته قولاً جامعًا لمعاني الدين، واضحًا في نفسه لا يحتاج إلى تفسير غيره[1]، قائلاً: (قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك)، وحتى يتسنى له عبادة الله والدعوة إليه على علم وبصيرة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2]، أي: قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة والسنة والمنهاج الذي أنا عليه، على بصيرة ويقين منه أنا ومن اتبعني[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التعرف على القضايا الأساسية في الدين:

إن أول ما ينبغي التعرف عليه في الدين قضاياه الكلية والأساسية التي لا يقوم الدين بدونها، ونرى ذلك في الحديث في سؤال سفيان بن عبد الله لرسول الله ﷺ عن الإسلام ككل: قل لي في الإسلام قولاً، وإجابة الرسول ﷺ له مركزًا له على الإيمان والاستقامة عليه: "قل آمنت بالله ثم استقم"، فإن أول ما ينبغي على المسلم أن

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٠٩.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي ٤/٢٩٥.

يتعرف على الإسلام، مصادره وأصوله وأركانه، وأن تكون معرفته به معرفة يقينية عميقة، لا سطحية مضطربة[١]. حتى يتسنى للمؤمن معرفة أصول الدين التي تنبني عليها الفروع ولا شك أن أصول الدين وأسسه إذا كانت صحيحة وواضحة ومستقرة وراسخة في العقل والقلب فإنها تثمر ثمارًا طيبة في مجال السلوك والأعمال مما يؤدي إلى استقامة حياة المؤمن.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله:

مما يدل على فضل الإيمان ما جاء في الحديث من أمر رسول الله ﷺ به، وتقديمه على غيره: "قل آمنت بالله ثم استقم" وفي ذلك دليل على أن من شرط صحة الأعمال الصالحة وقبولها أن تكون مبنية على الإيمان، فلو أن الإنسان عمل بظاهره على ما ينبغي ولكن باطنه خراب، وفي شك واضطراب، أو في إنكار وتكذيب فإن ذلك لا ينفعه[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاستقامة:

أشار الرسول ﷺ إلى فضل الاستقامة في الحديث بذكرها والأمر بها بعد الإيمان (قل آمنت بالله ثم استقم)، فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد[٣]، وقد أمرنا الله بالاستقامة في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[٤]، وهي سلوك المستقيم وهو الدين القيم من غير تعريج عن يمنة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها، الظاهرة والباطنة وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت الوصية بالاستقامة جامعة لخصال الدين كلها[٥].

---

(١) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٢٧٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٥١٠.

(٤) سورة فصلت، آية: ٦.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٥١٠.

وأصل الاستقامة: استقامة القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصديق رضي الله عنه وغيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[1]، بأنهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلب استقامت الجوارح كلها على طاعة الله، فإن القلب هو ملك الأعضاء وهي جنوده فإذا استقام الملك استقامت جنوده ورعاياه[2].

قال القرطبي في شرحه لهذا الحديث: (قوله: "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك" أي: علمني قولاً جامعًا لمعاني الإسلام، واضحًا في نفسه؛ بحيث لا يحتاج إلى تفسير غيرك، أعمل عليه وأكتفي به، وهذا نحو مما قاله له الآخر: علمني شيئًا أعيش به في الناس ولا تكثر علي فأنسى، فقال: ((لا تغضب))[3]، وهذا الجواب، وجوابه بقوله: "قل آمنت بالله ثم استقم"، دليل على أن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، واختصر له القول اختصارًا كما قال النبي ﷺ مخبرًا بذلك عن نفسه.

فروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ...))[4]. فإنه عليه الصلاة والسلام جمع لهذا السائل في هاتين الكلمتين معاني الإسلام والإيمان كلها. فإنه أمره أن يجدد إيمانه متذكرًا بقلبه وذاكرًا بلسانه. ويقتضي هذا استحضار تفصيل معاني الإيمان الشرعي بقلبه، وأمره بالاستقامة على أعمال الطاعات، والانتهاء عن جميع المخالفات؛ إذ لا تتأتى الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضده. وكأن هذا القول منتزع من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[5]، أي: آمنوا بالله ووحدوه، ثم استقاموا على ذلك وعلى طاعته إلى أن توفوا عليها، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: استقاموا والله على طاعته، ولم يروغوا

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/ ٥١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٥) سورة فصلت، آية: ٣٠.

روغان الثعالب. وملخصه: اعتدلوا على طاعة الله تعالى عقدًا وقولاً وفعلاً، وداموا على ذلك)[١].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في أمر رسول الله ﷺ بالإيمان والاستقامة: "قل آمنت بالله ثم استقم"، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من حمل المدعو على الاستجابة لما دُعي إليه، خاصة إذا كان المدعو يكنّ احترامًا للداعي وقبولاً لدعوته.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات:

يتضح ذلك من خلال أمر رسول الله ﷺ بالإيمان الذي هو أس الدين ودعامته ثم الأمر بالاستقامة: "قل آمنت بالله ثم استقم"، لذا ينبغي على الدعاة والمسلمين عامة أن يراعوا الأولويات في دعوتهم وحياتهم، فعلى الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، أن يبدأ بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، ومما يؤكد هذه الأهمية دعوة النبي ﷺ إلى ما هو أهم عما هو مهم في الفترة المكية، ففي هذه الفترة ركز على الإيمان والوحدانية، والتعرف على الله، والرد على مزاعم الدهريين ومنكري البعث وإقامة الحجة عليهم ودحض مفترياتهم حتى إذا دخل القوم حظيرة الإسلام، وخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، جاءت مرحلة المهم، ألا وهي التزام القوم الإسلام على أنه أصول المعاملة، ومبادئ حكم، ومناهج حياة وغير ذلك، وهذا ما ركز عليه في الفترة المدنية[٢].

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ١/٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) انظر: كيف يدعو الداعية، د. عبدالله ناصح علوان، ص ٤٦ - ٤٩.

الحديث رقم (٨٦)

٨٦- وعنْ أبي هُرَيْرة رضي الله عنه : قال قال رسول اللّه ﷺ : «**قَارِبُوا وسدِّدُوا، واعْلَمُوا أنَّه لَنْ ينْجُو أحدٌ منْكُمْ بعملهِ**» قَالوا : ولا أنْت يَا رسُولَ اللّه؟ قال: «**ولا أنَا إلا أنْ يتَغَمَّدني اللّه برَحْمةٍ منْه وَفضْلٍ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قاربوا : المقاربة : القصد الذي لا غُلُوَّ فيه ولا تقصير[2].

سدِّدوا : السداد : الاستقامة والإصابة[3].

يتغمدني: يلبسنيها ويسترني بها ، مأخوذ من غِمْدِ السَّيف وهو غلافه ، يُقال: غمدتُ السَّيف وأغمدتُه[4].

الشرح الأدبي

من إشراقات هذا الحديث الشريف نقتبس بعض الإشعاعات التي تنير لنا طريق الهداية وتأخذ بيدنا إلى واحة النجاة والفوز في الدارين: الدنيا والآخرة.

والحديث يثير تساؤلات كثيرة حول حقيقة العمل الصالح الذي به ينجو الإنسان من مزالق الفتن.

- والإنسان مهما بالغ في أداء الواجبات فإنه لن يصل إلى درجة الكمال، ولن

---

(١) برقم (٢٨١٦/٧٦). وأخرجه أيضًا البخاري (٦٤٦٣). انظر: الجمع للحميدي (١٠٢/٣ ، رقم ٢٢٩٤). تنبيه: لعل الحديث اشتبه على المؤلف بحديث آخر لأبي هريرة ولفظه: (قاربوا وسددوا ، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتّى النكبة ينكبها ، والشوكة يشاكها) رواه مسلم (٢٥٧٤) وأورده المنذري في ترغيبه (٥٠٢٤).

(٢) رياض الصالحين ٨٤ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير في (ق ر ب).

(٣) رياض الصالحين ٨٤ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير في (س د د).

(٤) رياض الصالحين ٨٤ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير في (غ م د).

يستطيع بهذه الأعمال شكر الله عز وجل على نعمه التي لا تُحصى. وفي هذا الحوار بين النبي وصحابته، يعلم المصطفى ﷺ المنهج السديد في أداء العبادة والقيام بالتكاليف فيقول في صيغة الأمر الواجب تنفيذه: "قاربوا وسددوا"، والمقاربة تكون في العبادة والسلوكيات العملية في ضوء المنهج الإسلامي، وهو منهج وسط لا غلو فيه ولا تقصير، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، والسداد: "الإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد" وهذا التعبير "سددوا" فيه تصوير بلاغي، ونزوع إلى التشبيه فالمسلم في عمله مثل الذي يرمي إلى غرض فيصيبه، والمادة اللغوية لهذا الفعل تؤكد هذه الدلالة التي توجه إلى إصابة الغرض، ومن معاني المقاربة التي يرشد إليها الحديث في منهج المسلم (أن يصيب ما قرب من الغرض إذا لم يصب الغرض نفسه، ولكن بشرط أن يكون مصممًا على قصد السداد، وإصابة الغرض، فتكون مقاربته عن غير عمد)[1]، ويدل عليه قول النبي ﷺ في حديث الحكم بن حزن الكُلَفي: ((أيها الناس إنكم لن تطيقوا -أو لن تفعلوا- كل ما أمرتكم به ولكن سددوا وأبشروا))[2].

- والإيجاز في الحديث يحتاج إلى تأمل وتفكر وتدبر، فالمقاربة والسداد في كل ما أمرنا به الله ورسوله يحتاج الكلام فيهما إلى بسط القول وشرح آراء العلماء كلٌ حسب مذهبه ومنهجه، ولكن البيان النبوي واضح كالشمس، سائغ كالماء العذب الفرات، ولذلك لم يسأل الصحابةُ عن كيفية المقاربة وكيفية السداد، ولم يسألوا عن حدود ومجالات كل منهما، ويكفي أن المقاربة هي القصد الذي لا غلو فيه ولا تقصير، وأن السداد هو الاستقامة والإصابة، ولذلك استفهم الصحابة وقالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ وهنا إيجاز ورغبة في المعرفة، أي: ولا أنت ناج بعملك يا رسول

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٥١١/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٩٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٩٧١).

الله، أو لا تنجو أنت، والاستفهام هنا حقيقي لكنه يفصح عن الدهشة والحيرة، ويجيب المصطفى في صدق ومحبة وإخلاص قائلاً: "ولا أنا"، والتعبير بقوله: "يتغمدني" فيه تصوير أدبي يفصح عن المعنى ويجعل الرحمة كأنها غمد، وتوحي برحمة الله الواسعة وعفوه الكريم فيغمر الله عباده، وأولهم المصطفى ﷺ برحمته وعفوه وجوده.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المقاربة والتسديد.

ثالثًا: من مهام الداعية: إعلام المدعوين بالحقائق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حاجة الإنسان إلى فضل الله تعالى.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستفسار والسؤال عما يعنيه.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

إن الأمر من الأساليب الدعوية التي تستخدم لحمل المدعوين على الاستجابة لأمر من الأمور التي ينتفعون بها في دنياهم وأخراهم، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ: "قاربوا وسددوا واعلموا"، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية الناجحة لما فيه من توجيه المدعوين إلى ما فيه الخير وحملهم عليه وترغيبهم فيه.

وقد ورد تكرار أسلوب الأمر كثيرًا في الآيات القرآنية والسنة النبوية المطهرة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1]، (وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، والاستجابة لأوامر الله تحقيقًا لعبودية الله وطاعته"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المقاربة والتسديد:

من مميزات الإسلام أنه راعى في تشريعاته طبيعة الإنسان، وراعى الطاقة المحدودة له، وطبيعة الملل في الإنسان[٢]، فلم يأمره بعبادة لا يطيقها، ولم يأمره بالإكثار منها كثرة تمل منها النفوس وإنما أمر بالمقاربة والتسديد، وكما في الحديث قوله ﷺ: (قاربوا وسددوا)، أي: سددوا في الأعمال؛ أي: اعملوها مسددة لا غلو فيها ولا تقصير، وقاربوا في أزمانها بحيث لا يكون فيها تقصير، ولا تطويل، وأبشروا على ذلك بالثواب الكثير والخير الجزيل[٣]، فالسداد هو الصواب وهو بين الإفراط والتفريط، وقوله (قاربوا) معناه: اطلبوا السداد والصواب واعملوا به، وإن عجزتم عنه فقاربوه أي اقربوا منه[٤]، فإن الإنسان مهما بلغ من التقوى، فإنه لا بد أن يخطئ وتلك طبيعته، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٥]، فالإنسان ليس مطالبًا بمثالية مطلقة، وإنما هو مأمور أن يقارب ويسدد بقدر ما يستطيع[٦].

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[٧]، إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها، فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة[٨]، والمقاربة والتسديد.

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ص ٥٠ - ٥١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٦٣ - ١٦٥.

(٣) المفهم، القرطبي ١٣٩/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٥٠.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٩).

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين ٢٧٤/١.

(٧) سورة فصلت، آية: ٦.

(٨) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥١٠/١.

ثالثًا- من مهام الداعية: إعلام المدعوين بالحقائق:

إن مما يضطلع به الداعية من مهام إعلام المدعوين بحقائق دينهم، حتى يعبدوا الله على بصيرة وبينة مثلما أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن بقوله: ((فادعهم... فأعلمهم... الحديث))[1]، وفي هذا الحديث بيّن الرسول ﷺ أهمية المقاربة والتسديد في العمل، والاجتهاد قدر الطاقة والوسع، وبيّن ﷺ الحقيقة الساطعة: أنه لن ينجو أحدٌ بعمله، حتى النبي ﷺ؛ إلا أن يتغمده الله برحمته، وهذا يُعد من أمانة الدعوة والداعية في كشف الحقائق وبيانها حتى لا يغتر الإنسان بعمله.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حاجة الإنسان إلى فضل الله تعالى:

إن الاعتماد على الله وحده والتسليم إليه في كل الأمور من سمات المتقين، وعلامات الصابرين، وهو سبيل النجاة والفوز بالسعادة، إذا صاحبه العمل بما أمر الله، والنهي عما نهى عنه، فمهما بلغ مقدار العمل، ومهما عظمت قيمة المجاهدة، فإنها لا تؤهل صاحبها لدخول الجنة، أو النجاة من النار، إذا غفل العبد عن الله في عمله، أو ادعى أن له استحقاقًا بهذا العمل، فالنعم كلها من الله، ومنها نعمة التوفيق إلى عمل الخير والمعاونة على إتمامه وإكماله. فلا يرهقن العبد نفسه فوق طاقتها، ولا يبالغ في كمية العبادة وحسابها دون اعتبار بكيفيتها وروحها، وليخلص لله عمله، ولا يعتمد على مجرد العمل في الوصول إلى غايته المقصودة وأمله المرجو. ورحمة الله هي المقصود الأعظم من العمل ليعطي ثمرته، وفضل الله الواسع سبيل النجاة، وبدونه لا نجاة. فليطلبها العبد من ربه وليعمل قدر جهده[2].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث حاجة الإنسان إلى فضل الله ورحمته فقال: (واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل)، أي: إن أعمال العباد الصالحة ليست مما تقتضي دخول الجنة؛ إذ ليست في أنفسها على صفاتٍ تقتضي ذلك، ولا يستحق المكلّف على

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٥٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٩٢ - ٩٣.

الله تعالى بسببها شيئًا؛ إذ لا منفعة له فيها ولا غرض؛ فإنه الغني بذاته؛ الذي لا يستغنى عنه. وكأن هذا نص في الرد على أهل البدع، والمعتزلة في قولهم في قاعدتي التحسين والتقبيح، والاستحقاق العقليين.

وقولهم: "ولا أنت؟" كأنهم وقع لهم: أن النبي ﷺ لعظيم معرفته بالله، وكثرة عباداته؛ أنه يُنجيه عمله، فردّ النبي ﷺ ذلك بأن قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة وفضل"، فسوى بينه وبينهم في ذلك المعنى، وأخبر أنه عن فضله ورحمته لا يُستغنى)[1].

فهو سبحانه يكرم المطيعين والصالحين من عباده ويدخلهم الجنة، فضلاً منه ومنّة، فهو الذي فرض الأعمال ويوفقه إليها ويهدي للإخلاص فيها، ويقبلها برحمة منه وفضل[2]، فالعمل وحده لا يبلغ ما يجب لله عز وجل من الشكر وما يجب على عباده من الحقوق، والإنسان مهما بلغ من المرتبة والولاية فإنه لن ينجو بعمله ولكن يتغمده الله سبحانه العبد برحمته فيغفر له[3].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

يُعد الحوار من الأساليب الدعوية النافعة التي تعمل على إثراء العملية الدعوية، وتفتح الطريق أمام الداعية والمدعو لتقليب الرأي والتعرف على الأدلة في الموضوع الذي يتناوله الحوار، وقد أتاح النبي ﷺ الحوار لأصحابه رضي الله عنهم، في مسألة "كون العمل منفردًا لا يؤهل صاحبه لدخول الجنة" حيث ورد في الحديث: "واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"، والحوار: مناقشة بين طرفين أو أطراف، بقصد تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، والغاية منه إقامة الحجة، ودفع الشبهة، فهو تعاون على معرفة الحقيقة والتوصل إليها ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق

---

(١) المفهم، القرطبي ١٣٩/٧ - ١٤٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٤٩.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٢٧٤.

الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق[١].

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستفسار والسؤال عما يعنيه:

إنه مما ينبغي على المدعو الاستفسار والسؤال عما يعنيه، طلبًا لزيادة في العلم وفقه في الدين، فإن لسان حال ومقال المسلم دائمًا طلب العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢]، دعاءً وطلبًا للتفقه في الدين وتعلمه وتعليمه، بل إن الله ليعدل طلب العلم بالجهاد بأن أمر المسلمين أن تنفر طائفة منهم للجهاد وأخرى للعلم، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣][٤]، ولهذا وغيره وجدنا حرص الصحابة على سؤال النبي ﷺ كما في الحديث الذي معنا: (واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل).

ولا شك أن استفسار المدعو وسؤاله عما يعنيه، يؤدي إلى نوع من القناعة وتصحيح المفاهيم السائدة والمستقرة في ذهنه والتي قد يشوبها بعض الخطأ، ومن ثم فإن المدعو ينتفع انتفاعًا كبيرًا من خلال تلك الاستفسارات والأسئلة التي تجعله على بينة من أمره.

---

(١) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية ص ١١٣ - ١١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: الربط بين القول والعمل:

إن من أبرز الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية الربط بين القول والعمل، لأن المؤمن حينما يتربى على هذا الأمر، يتحلى بالمصداقية والشفافية في التعامل، حتى يُعوِّل في حياته على العمل المطابق لما يعتقده ويؤمن به، ولا يكترث بالشعارات الرنانة، ومن هنا جاءت التربية الإسلامية لتؤكد على أهمية الترابط بين القول والعمل، ولذا لما سُئل النبي ﷺ من أحد الصحابة رضي الله عنهم حيث قال للنبي ﷺ: "قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: قل آمنت بالله ثم استقم".

لقد أكد النبي ﷺ في تربيته لأصحابه رضي الله عنهم على أهمية الترابط بين القول والعمل حتى يتحول الإيمان إلى سلوك وواقع يعيشه المؤمن ويتربى عليه المجتمع.

ثانيًا- التربية على ملازمة الطاعات والطمع في رحمة الله وفضله:

إن التربية الإسلام تتميز بالواقعية والصدق، حيث تحث المسلم على المقاربة في الأعمال وعدم الغلو والتنطع، وتنأى بالمسلم عن المشقة التي تؤدي إلى الانصراف عن العمل، والزهد فيه، ولذا فإن التربية الإسلامية تُعَمِّق في النفوس معاني الاستقامة على المنهج الإسلامي الصحيح، وفي الوقت ذاته تطالب بالوسطية وعدم الغلو، وتربي المسلم على ملازمة الأعمال الصالحة والاستمرار عليها، وعدم التقصير فيها.

وإن من أبرز ما تُعنى به التربية الإسلامية: عدم التعويل المحض على الأعمال وحدها، بل لابد أن يكون واضحًا في نفس المسلم أنه مع قيامه وملازمته للأعمال الصالحة، فإن الأمل في رحمة الله والطمع في فضله هو الأساس في القبول والنجاة والفوز في الدنيا والآخرة، ولذا فقد ربّى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على ذلك حيث قال: "قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" كل ذلك ليؤكد ﷺ على الحقائق التي يجب أن يتربى عليها المسلم وتتربى عليها الأمة الإسلامية، حتى تكون المعالم واضحة في الأذهان.

٩- باب في التفكر في عظيم مخلوقات الله وفناء الدنيا وأهوال الآخرة وسائر أمورهما وتقصير الناس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قال اللّه تعالى: ﴿إنَّمَا أعِظُكُمْ بِوَاحِدةٍ أنْ تقُومُوا للّهِ مَثْنَى وفُرادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[سبأ: ٤٦] وقال تعالى: ﴿إنَّ في خَلْقِ السَّموات والأرْضِ واخْتلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرونَ اللّه قِياماً وَقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ ويَتَفَكَّرون في خَلْق السَّموات وَالأرْضِ ربَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطلاً سُبْحَانَك﴾ الآيات [آل عمران ١٩٠، ١٩١]. وقال تعالى: ﴿أفلا ينْظُرونَ إلَى الإبلِ كيْفَ خُلِقَتْ وإلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعتْ وإلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبتْ وَإلى الأرضِ كيْفَ سُطِحتْ فَذَكِّرْ إنما أنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١٧، ٢١]. وقال تعالى: ﴿أفلَمْ يَسيروا في الأرْضِ فَيَنْظُروا﴾[محمد: ١٠]. الآية والآيات في الباب كثيرةٌ. ومِنْ الأحَاديث الحديث السَّابق:

«**الْكَيِّس مَنْ دَانَ نَفْسَه**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٦٦).

١٠- باب في المبادرة إلى الخيرات

وحثّ من توجّه لخير على الإقبال عليه بالجدّ من غير تردّد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة: ١٤٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣].

وأما الأحاديث:

الحديث رقم (٨٧)

٨٧- **فالأوّل:** عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**بادِروا بالأعْمالِ الصَّالِحةِ، فستكونُ**[1] **فِتَنٌ كقطعِ اللّيلِ الْمُظْلِمِ يُصبحُ الرجُلُ**[2] **مُؤمناً ويُمْسِي كافراً، و**[3] **يُمسِي مُؤْمناً ويُصبحُ كافراً، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدُّنْيا**» رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بادروا بالأعمال: سابقوا وسارعوا[5].

كقطع الليل المظلم: قطع الليل: طائفة منه وجزء، أراد فتناً مظلمة سوداء؛ تعظيماً لشأنها[6].

عَرَض من الدنيا: العَرَض: متاع الدنيا وحُطامها قلّ أو كثر[7].

---

(١) قوله: (الصالحة، فستكون) لا يوجد عند مسلم، ولفظه: (بادروا بالأعمال فتنًا).

(٢) عند مسلم زيادة: (فيها).

(٣) لفظ مسلم: (أو) بدل الواو.

(٤) برقم (١١٨/١٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩١١).

(٥) المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥١.

(٦)النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ط ع).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ع ر ض).

الشرح الأدبي

تتصاعد من كلمات هذا الحديث أشعة كالشظايا تتناثر في فضاءات النفس، وتنذر بالكثير من الشهب التي ستصيب الذين لم يأخذوا حذرهم، ولم يبادروا بفعل الصالحات المنجِّيات من الأعمال، ويتصدر هذا الحديث باب المبادرة إلى الخيرات، والإقبال على الخير بجد من غير تردد.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث المنذر الذي ينبه الناس إلى عدم الاستكانة، وعدم الغفلة.

ويبدأ الحديث بفعل الأمر الجماعي "بادروا بالأعمال الصالحة" وهذا الأمر كلمة واحدة، ولكنها تتوجه إلى الملايين من أمة الإسلام في كل زمان ومكان، والأمر للوجوب، والمبادرة هي الإسراع والتنفيذ، والأعمال الصالحة، ما مقياسها، وما حدودها، وما شروطها؟ إنها كلمة موجزة، ولكنها كالشمس تصدر أشعتها في كل مكان، وتشمل بآثارها كل المنجزات في أي زمان، فالأعمال الصالحة تتسع لتشمل كل ما يقوم به المؤمن من إنجاز دنيوي يكسبه قوة علمية واقتصادية وحضارية، وكل ما يلتزم من أداء العبادات وجميع التكاليف الشرعية: في ظل إخلاص النية، وسلامة القصد، وقوة الإرادة.

والقسم الثاني من الحديث تشخيص وتوصيف لما سيحدث من فتن تذر الحليم حيران، ولذلك جاء التعبير بالفعل المضارع المقترن بالسين "ستكون" ليدل على ما سيحدث في المستقبل من مفاجآت وأهوال. واختيار المادة اللغوية "تكون" له أثر في تأكيد وقوع هذه الفتن، فهي كائنة وثابتة وليست توقعاً أو ظناً، وإنما هي حقيقة كائنة، وعلى الأمة جميعها اليقظة، والمبادرة بالأعمال الصالحة، وتنكير كلمة، "فتن" دلالة على عدم تحديد نوع هذه الفتن أو مكانها، وإنما هي عامة شائعة: لاندري من أين تأتي، ولا كيف تقع، والمادة اللغوية "فتن" تؤكد الخطر الذي تحدثه "الفتن".

ويصور المصطفى ﷺ الفتن كأنها قطع الليل المظلم، وما أروع هذا التشبيه، وما أصدقه، لأنه ينبئ عن توالي الفتن وتجددها: فتن السراء، وفتن الضراء، وهي تحجب

الرؤية الصحيحة، وتعطل الفكر الصائب وتقود الإنسان إلى القلق والاضطراب، ومن أقسى مظاهر هذه الفتن التحول من الإيمان إلى الكفر وهو يحدث للذين لم يبادروا بالأعمال الصالحة؛ فالشيطان يفتنهم في دينهم، ويزين لهم الشهوات؛ فيبيعون دينهم بمتاع الدنيا القليل. والطباق بين الزمنين "يصبح ويمسي" وبين الصفتين "المؤمن والكافر" يحدث مقابلة في الموقف تدعو للتأمل واليقظة والحذر والحرص على النجاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحذر والاحتراز من الفتن.

خامساً: من أساليب الدعوة: التشبيه.

سادساً: من تاريخ الدعوة: وقوع الفتن.

سابعاً: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الفتن.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة الناجحة أسلوب الأمر، وقد جاء في الحديث حيث أمر النبي ﷺ وحث على اغتنام الأعمال الصالحة قبل ظهور ما يمنعها[1] قائلاً: (بادروا بالأعمال)، منتهجاً في إرشاده أسلوب الأمر لما فيه من لفت نظر المدعو إلى أهمية المأمور به، وعدم التفريط به.

ويأتي الأمر في القرآن والسنة لتعظيم شأن المأمور به، وتنبيهاً على وجوب الوفاء به وعدم الإخلال بمقتضاه تحقيقاً لعبودية الله وطاعته[2]، ومن أوامر القرآن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[3].

---

(١) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز آل مبارك ص ٨٣.

(٢) العهد والميثاق، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى الأعمال الصالحة:

لقد أرشد النبي ﷺ المؤمنين وحثهم على المبادرة إلى الأعمال الصالحة فقال: (بادروا بالأعمال، فستكون فتن كقطع الليل المظلم) أي قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة[١]، وفائدة المبادرة بالعمل إمكانه قبل شغل البال والحشد بالفتن، وقطعها عن العمل[٢].

وقد ورد الأمر بالمسارعة والمسابقة في كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقوله: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[٤]، ففي هذه الآية ندب الله عباده إلى المسابقة إلى ما يوجب المغفرة من التوبة والعمل الصالح فإن ذلك سبب الجنة، فقال "سابقوا" أي: سارعوا مسارعة السابقين بالأعمال الصالحة[٥]، وقد طبق السلف الصالح ما جاء في الآية من المسابقة تطبيقاً عملياً في كل شيء.

قال ابن رجب الحنبلي: (وفي قوله: "سابقوا إلى مغفرة من ربكم"، قال مكحول: التكبيرة الأولى مع الإمام، وقال غيره: التكبيرة الأولى والصف الأول[٦]، قال الشوكاني: وهذا من جملة ما تصدق عليه الآية صدقاً شمولياً أو بدلياً)[٧].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء هذا الأسلوب ضمنياً في الحديث حيث أمر النبي ﷺ بمبادرة الأعمال الصالحة ويحمل الأمر في مضمونه ترهيباً من تأخير العمل الصالح خشية أن يحول بينه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٨، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥٢/١٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٠٥/١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٥) فتح القدير، الشوكاني ١٧٥/٥.

(٦) تفسير ابن رجب الحنبلي ٣٨٦/٢.

(٧) فتح القدير، الشوكاني١٧٥/٥.

وبينه بما يحدث من الفتن، والترهيب من أساليب الدعوة المؤثرة في المدعوين، فكما تقاد النفس عن طريق الرغبة تقاد عن طريق الرهبة[١].

وقد وصف الله عباده بالخوف والرهبة منه وأنهم في عباداتهم وتوجههم إلى ربهم يجمعون بين الخوف والرجاء، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، وقد أمر سبحانه باستحضار جانب الخوف من الله خاصة في العبادة، قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[٣]، قال مجاهد: (من القنوت: الركوع والخشوع وغض البصر، وخفض الجناح من رهبة الله، وبين الله تبارك وتعالى أن الرهبة من الله وخشية جانبه إنما يَكون نتاجاً للعلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤]، قال قتادة: كفى بالرهبة علماً)[٥].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحذر والاحتراز من الفتن:

لقد حذر النبي ﷺ من الفتن، وأمر بالتسلح لها والاعتضاد بالعمل الصالح، خشية فوات العمل الصالح على الإنسان، ومن ناحية أخرى لا تتقلب عليه الفتن كهذا الإنسان الذي إذا ما نزلت الفتن به يصبح مؤمناً ويمسي كافراً أو عكسه، فقال ﷺ: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا"، أي: سابقوا بالأعمال الصالحة هجوم المحن المانعة منها، السالبة لشرطها، المصحح لها الإيمان، كما قال: "يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً"، ولا إحالة ولا بُعد في حمل هذا الحديث على ظاهره؛ لأن المحن والشدائد إذا توالت على القلوب أفسدتها بغلبتها عليها، وبما تؤثر فيها من

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، محمد الغزالي ص ٣١٦.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) جامع البيان، الطبري ١/١٩٩.

القسوة، ومقصودُ هذا الحديث الحض على اغتنام الفرصة، والاجتهاد في أعمال الخير والبر عند التمكن منها قبل هجوم الموانع.

وقوله: "يبيع دينه بعرض من الدنيا"، عرض الدنيا بفتح العين والراء: هو طمعها وما يعرض منها، ويدخل فيه جميع المال. قاله الهروي. فأما العرض بإسكان الراء: فهو خلاف الطول، ويقال على أمور كثيرة، والعرض بكسر العين وسكون الراء: هو نسب الرجل وجسمه وذاته. ومقصود هذا الحديث الأمر بالتمسك بالدين، والتشدد فيه عند الفتن، والتحذير من الفتن، ومن الإقبال على الدنيا وعلى مطامعها"[1].

وقال النووي في شرح الحديث: (وصف النبي ﷺ نوعاً من شداد تلك الفتن وهو أن يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب)[2].

"فلا تتباطأ في العبادة ولا تتغافل عن الأعمال الصالحة ولا تُفرط في ساعات الفراغ، بل استغلها فيما يقرب إلى الله من ذكر أو عبادة، فإنك لا تدري ما يحدث في المستقبل، إن الأيام قد تتغير والظروف قد تتبدل، والفتن قد تزداد حلكتها، ويشتد سوادها، فلا يتبين فيها الإنسان وجه الحق، أو لا يستطيع الصبر فيها على الحق، بل قد ينحرف عن دينه، ويكفر بعد إيمانه انسياقاً مع المغريات، وخوفاً من تحمل التبعات والمشقات، وقد يبيع الإنسان بعض أمور الدين في سبيل الكسب المادي، فيغش أو يخون أو يغدر أو يستغل، ليجمع الدنيا ويخسر دينه وليحقق أسباب الهناء المادي الجسدي على حساب روحه ونفسه ودينه وآخرته. فلنحذر الفتن ولنستغل أوقات الأمان"[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: التشبيه:

استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب حيث شبه الفتن بقطع الليل المظلم، فقال: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم" فأخبر أنه ستوجد فتن كقطع الليل المظلم،

---

(١) المفهم، القرطبي ٣٢٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٩٤.

يعني أنها مدلهمة مظلمة لا يرى فيها النور -والعياذ بالله- ولا يدري الإنسان أين يذهب؟ يكون حائراً ما يدري أين المخرج؟)[١]، فالتشبيه يقرب المعاني ويضع صورتها مثيرة لدى المستمع[٢]، ويشبه الأمور المعنوية الخفية بأمور محسوسة تقربها للأذهان بل تكاد تظهرها للعيان[٣].

فضرب الأمثال من وسائل التربية التي اعتبرها الشرع الحنيف وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٥]، (فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة فمن عقل الأمثال سماه الله تعالى في كتابه عالماً)[٦]، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٧].

سادساً- من تاريخ الدعوة: وقوع الفتن:

إن العلم بتاريخ الدعوة يظهر للإنسان ثقل وحجم الشيء الذي يخبر به، ترغيباً أو ترهيباً، فيكون أدعى ما يكون إلى الاستجابة، ومما ورد الإشارة إليه في الحديث وقوع الفتن، قال ابن عثيمين: (والفتن منها ما يكون في الشبهات وهي كل فتنة تبنى على جهل ومن ذلك ما حصل من أهل البدع، ومنها ما يكون من الشهوات بمعنى أن الإنسان يعرف أن هذا حرام ولكن يفعله استجابة واتباعاً لهوى نفسه)[٨]، بل يصل

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢٨٩/١.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش، ص ٣٥٥.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٩٣.

(٤) سورة النور، آية: ٣٥.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٦) الأمثال من الكتاب والسنة، أبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ص ١٦ - ١٧.

(٧) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

(٨) انظر: شرح رياض الصالحين ٢٨٧/١ - ٢٨٨.

الحال بالبعض إلى أن يتنازل عن دينه أو شيء منه مقابل عرض من أعراض الدنيا كما في الحديث: (يبيع دينه بعرض من الدنيا).

سابعاً- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الفتن:

إنه مما يجب على الداعية تجاه المدعوين أن يحذرهم من الفتن، وأن يبين لهم ماهيتها، وسبل البعد عنها واجتنابها، وأن يدعوهم إلى عدم التلبس بأسبابها ووسائلها، حتى يكون المدعوون على بينة منها فيأخذوا حذرهم نتيجة تحذير الداعية لهم تنفيذاً لأمر الله عز وجل: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، واقتداءً برسول الله ﷺ الذي كثيراً ما حذر من الفتن، وبيّن كيفية التعامل معها إذا وقعت، ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي معنا: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم"، ومن ذلك أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ستكونُ فِتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ منَ الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، مَن تَشَرَّفَ لها تَستشرِفْه، فَمن وَجَدَ ملجأً أو معاذاً فَليَعُذْ بِهِ))[2]، "أي: من وجد ملجأ يلتجئ إليه من شرها أو معاذاً فليعتزل فيه ليسلم من شر الفتن"[3].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٤/١٣.

الحديث رقم (٨٨)

٨٨- **الثَّاني:** عنْ أبي سِرْوَعَةَ بكسرِ السين المهملةِ وفتحها عُقبةَ بنِ الْحارثِ رضي الله عنه قال: صليت وراءَ النَبيِّ ﷺ بالمدينةِ الْعصْرَ، فسلَّم ثُمَّ قَامَ مُسْرعاً، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إلى بعض حُجَرِ نسائِهِ، فَفَزِعَ النَّاس من سرعَتِهِ، فخرج عَليهمْ، فرأى أنَّهُمْ قدْ عَجِبوا منْ سُرْعتِه، قالَ: «**ذكرتُ شيئاً من تبْرٍ عندَنا، فكرِهْتُ أن يحبسَنِي، فأمرْتُ بقسْمتِه**» رواه البخاري[1].

وفي رواية له[2]: «**كنْتُ خلَّفْتُ في الْبيتِ تِبراً من الصَّدقةِ، فكرِهْتُ أنْ أُبَيِّتَه**».

ترجمة الراوي:

أبو سروعة النوفلي: وهو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف القرشي المكنى بأبي سروعة النوفلي، وسروعة ضبطها بفتح السين وإسكان الراء عند الأكثر، وقيل بكسر السين مع إسكان الراء. وهو من عداد أهل الحجاز.

وقد اختلط نسبه على البعض فظنوه عقبة بن عامر، وهذا ليس بصحيح كما جزم الكثير، فهو ليس هو وإنما هو أخو عقبة بن عامر لأمه.

وهو الذي قتل خبيباً بن عديّ، ثم شاء الله له بعد ذلك الهداية فأسلم عام الفتح، مات في خلافة الزبير[3].

غريب الألفاظ:

تَخَطَّى رقاب الناسِ: مشى خُطْوَةً[4] قاطعًا صفوف المسلمين بعد صلاتهم.

---

(١) برقم (٨٥١).

(٢) رواها البخاري (١٤٣٠) وزاد في آخرها: (فقسمته).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٨١٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٣١/٦، ١٣٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٩١٩)، (١٤٨١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٣١٧/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٢١/٣، ١٢٢)، (٥٢٦/٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ط و).

التبر: الذهب والفضة قبل أن يُضربا دنانير ودراهم، وقد يُطلق على غيرهما من المعدنيات كالنحاس والحديد والرصاص، وأكثر اختصاصه بالذهب[١].

يحبسني: أي يشغلني التفكر فيه عن التوجه والإقبال على الله تعالى[٢].

الشرح الأدبي

هذا موقف عظيم من مواقف النبوة، ومشهد جليل من مشاهد الرسالة، لا ينسب في مقام العظمة والورع إلا لنبي، ولا يشار إليه في سياق التفرد والقدوة إلا لرسول يبلغ عن ربه.

ومحمد ﷺ، هو المثل الأعلى في كل شيء، في الأخلاق، ونقاء الأصول، والشجاعة، والصدق، والفطانة، والبيان المشرق، والسلوك الأمثل، والعطاء والجود والكرم. وقد خلق محمد بن عبدالله -كما يقول العقاد- ليكون رسولاً مبشراً بدين، وإلا فلأي شيء خلق؟ ولأي عمل من أعمال الحياة ترشحه كل هاتيك الصفات والتوفيقات، وكل هاتيك المناقب والصفات؟ وما من أحد قد أعد في هذه الدنيا لرسالة دينية إن لم يكن محمد قد أعد لها أكمل إعداد[٣].

وهذا الحديث يصور موقفاً عملياً من مواقف الأسوة الحسنة التي يضيء بها رسول الله ﷺ حياة كل مسلم، ويضع أمامه النموذج الأمثل للسلوك الإسلامي القويم.

فالصلاة مناجاة بين العبد وربه، ولكن آثارها تضبط السلوك، وتنهي عن الفحشاء والمنكر، وهذا الأثر الإيماني في تقويم السلوك: هو الدرس الذي نتعلمه من هذا الموقف العظيم، ويروي عقبة بن الحارث وتأتي روايته لهذا الموقف في صيغة الأفعال الماضية، لأنه يسرد حدثاً من الأحداث المؤثرة التي لا تنساها الذاكرة الإسلامية، فالرسول من صفاته التريث والسكينة والهدوء، فلماذا اليوم يصلي ثم يقوم مسرعاً ويتخطى رقاب الناس؟ أمر يدعو للعجب، فأي أمر حدث؟ ولنتأمل هذه الأفعال: "صليت، فسلم، ثم قام

---

(١) رياض الصالحين ٨٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ب ر).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣٩٣.

(٣) عبقرية محمد للعقاد، وانظر: مطلع النور للعقاد، المجلد السابع الأعمال الكاملة، ص ٢١٥-٢١٦.

أو فقام، فتخطى رقاب الناس ففزع الناس، فخرج، فرأى، فقال، فكرهت فأمرت إن الأفعال الماضية المتوالية وحرف العطف، الفاء، يدلان على سرعة الحركة، وعلى المبادرة المصحوبة بالنية الخالصة، والعمل الصالح. ولنتأمل هذه العبارة "فتخطى رقاب الناس" وهو رسول الله ﷺ و"تخطى" تعبير يحدد أن الناس ما زالوا جالسين، بعد انتهاء الصلاة للدعاء وللذكر، أما إذا كانوا واقفين فيقال خرق الصفوف، لكل من يمشي بين الناس.

وكان إسراع النبي ﷺ ليعلم الأمة الإسراع في فعل الخير، ويفسر الرسول ﷺ هذا الموقف الذي أفزع الناس بأنه ذكر بعض أموال الصدقة لم يقسم، فخاف أن يشغله ذلك عن التوجه والإقبال على الله سبحانه وتعالى، والعطف بالفاء في كل جمل الحديث يومئ إلى سرعة الحركة، وحرص الرسول ﷺ على تقسيم الصدقة، يقول: "فكرهت أن أبيته" أي: أتركه في البيت ولا أعطيه لمستحقيه، إنه درس في القيادة والمسؤولية والورع والتقوى، فهل يتعلم ولاة أمور الإسلام؟ وهل يستيقظون؟.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم المكث في المسجد بعد الصلاة، وقد ذكر الفقهاء[1] أن المكث بعد الصلاة ليس بواجب، وإن كان مستحباً المكث فيه قليلاً بعد الفرائض.

الثاني: حكم تخطي الناس في المسجد، وقد ذكر الفقهاء[2] أن التخطي يختلف حكمه باختلاف الأحوال فهو في يوم الجمعة جائز للإمام، إن لم يكن له طريق غيره،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٢، والتاج والإكليل ٤٣٧/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣٦٥/٢، وتحفة المحتاج ١٠٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ٢٠٣/١، والأم، الإمام الشافعي ٢٢٨/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١٨/٤ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة ١٠٠/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ٤١٠/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٧/١١.

وأما غير الإمام فقد ذكر الحنفية والمالكية: أنه يجوز لمن رأى فرجة أن يتخطى إليها ما لم يؤذ أحداً، ويجوز تخطي رقاب من يجلسون على باب المسجد، أما التخطي للحاجة كأن جلس في مكان، أو بدت له حاجة وأراد التخطي لها فهو مباح في الجمعة وغيرها من الصلوات.

الثالث: حكم التفكير في الصلاة في أمر لا يتعلق بها، وقد ذكر الفقهاء[1] أن التفكير في الصلاة في أمر لا يتعلق بها لا يفسدها ولا ينقص من كمالها وإن كان ذلك مكروهاً.

الرابع: إنشاء العزم في أثناء الصلاة على الأمور الجائزة لا يضر[2].

الخامس: حكم الاستنابة مع القدرة على المباشرة، وقد ذكر الفقهاء[3] أن العبادات المالية المحضة، كالزكاة، والصدقات، والكفارات تجوز فيها الاستنابة سواء مع القدرة على المباشرة أو العجز عنها، أما العبادات البدنية المحضة، كالصلاة، والصيام فلا تجوز فيها الاستنابة حال الحياة.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: المسارعة في التحلل من المسؤوليات وأداء الأمانات.

ثانياً: من صفات الداعية: التفرس في أحوال المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إبراء الذمة.

أولاً- من واجبات الداعية: المسارعة في التحلل من المسؤوليات وأداء الأمانات:

إن المسارعة في التحلل من المسؤوليات وأداء الأمانات أمر بالغ الأهمية ويستوجب المسارعة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٢، وشرح الخرشي ٢٩٣/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٨٥/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٥٤٣/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ٦٣/٢، ٩٤، وأنوار البروق ٢٠٥/٢، وفتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٢، وقواعد الأحكام ١٧٢/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ٣٦٠/٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٤/٢.

إليه، وهذا واضح في الحديث من خلال مسارعته ﷺ لدرجة فزع منها الناس، فكما روي عن عقبة: (صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر، فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم، فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال: "ذكرت شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته"، وهذا الذي وقع للنبي ﷺ من جنس ما كان يقع لعمرَ؛ فإن مال الصدقة تشرعُ المبادرة بقسمته بين أهله ومستحقيه، فكان من شدة اهتمام النبي ﷺ بذلك يتذكره في صلاته، فيقوم عقب ذلك مسرعًا حتى يقسمه بين أهله. وهذا كله من اجتماع العبادات وتداخلها، وليس هو من باب حديث النفس المذموم[1]، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بأداء الأمانات إلى أهلها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[2].

يقول ابن كثير رحمه الله ي هذه آية: (يخبر الله تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلوات والزكوات وغيرها، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أُخذ منه ذلك يوم القيامة)[3]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ))[4].

إن الأمانة من علامات استقامة الفطرة وسلامتها من اتباع الهوى، والأمانة لا تقتصر عند مجرد الحفاظ على الودائع وردّها إلى أصحابها وإنما يتسع معناها لأكثر من ذلك فتشمل جميع وظائف الدين والحياة قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٣٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٣٨ - ٣٣٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٢. هذا والشاة الجلحاء هي التي انحسر شعرها من جانبي رأسها، الوجيز في (ج ل ح)، والقرناء هي التي التقى طرفا حاجبيها، الوجيز في (ق ر ن).

وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١].

قال القرطبي رحمه الله (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال)[٢]، كما يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٣]، (والأمانة والعهد: يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس، والمواعيد، وغير ذلك. وغاية ذلك حفظه والقيام به)[٤].

وحين يعم التعامل بالأمانة يؤدي الذي اؤتمن أمانته، سواء اؤتمن على قنطار أو دينار، لأن الله أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، ونهى عن خيانة الله والرسول، وخيانة الأمانات، وجعل من صفات المفلحين أنهم يرعون عهودهم وأماناتهم. والنفوس البشرية بفطرتها تميل إلى الناصح الأمين، وتثق بالقوي الأمين، حتى غير المسلمين يؤثرون الأمين، فقد روي في قصة أهل نجران لما وافقوا على دفع الجزية أنهم قالوا: (إنّا نعطيكَ ما سألتَنا، وابعَثْ معنا رجُلاً أميناً، ولا تبعَثْ معنا إلاّ أميناً. فقال: لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين)[٥]، وأرسل معهم أبا عبيدة.

إن من أغلى ما يرزقه الله للعبد، ولا يحزن بعده على أي عرض من الدنيا، ما جاء في الحديث: ((أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَحِفْظُ الأَمَانَةِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَعِفَّةُ مَطْعَمٍ))[٦]، فالأمانة ركن من هذه الأركان الأخلاقية الأربعة، التي لا يعدلها شيء في الدنيا، بل قد تكون سبباً في إقبال الدنيا على العبد لما يجده الناس فيه.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٢) فتح القدير، الشوكاني ٣٠٨/٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج ٧٣/١٢/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٣٨٠.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٧/٢ رقم ٦٦٥٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٧٣٣، وصحيح الجامع ٨٨٦.

والأمانة صفة مميزة لأصحاب الرسالات، فقد كان كل منهم يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١].

وكانت تلك شهادة أعدائهم فيهم، كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل، حيث قال هرقل: (سألتُك ماذا يأمُرُكم ؟ فزعمتَ أنهُ يأمرُ بالصلاةِ والصِّدق والعفاف والوفاءِ بالعَهدِ وأداءِ الأمانة، قال: وهذه صِفَةُ نبيّ)[٢]، وفي موضع آخر في صحيح البخاري: (..وسألتُكَ هل يَغدرُ؟ فزَعمتَ أن لا، وكذلكَ الرُّسُلُ لا يغدرون...)[٣].

ولئن كانت هذه صفة أصحاب الدعوات فإن أتباعهم كذلك متميزون ولذلك اقترن تعريف المؤمن بسلوكه المميز، حيث قال ﷺ: ((وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[٤].

وإذا تمكنت صفة الأمانة من صاحبها تعامل بها مع القريب والبعيد، والمسلم، والكافر. يقول ابن حجر: (الغدر حرام باتفاق، سواء كان في حق المسلم أو الذمي)[٥]، وكذلك حال المؤمن حتى مع من عُرف بالخيانة، واشتهر بالغدر كما في الحديث: ((أدِّ الأمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ))[٦]، وذلك لأن خطورة السقوط في الخيانة، وفساد الفطرة بنقض العهد، أشد من مجرد مقابلة الخائن بمثل فعله، ولأن السقوط مرة قد تستمرئه النفس وتواصل في منحدر الخيانة.

ثانياً- من صفات الداعية: التفرس في أحوال المدعوين:

إن من الصفات العقلية التي ينبغي أن تتوفر في الداعية الكياسة والفطنة والفراسة وغيرها، وفي الحديث: (فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته)، ففطنته ﷺ

---

(١) سورة الشعراء، آية: ١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٨١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤١.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٧٥، والحديث حسن صحيح انظر: (صحيح سنن الترمذي ٢١١٨).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢١٣/٧.

(٦) أخرجه أبو داود ٣٥٣٥، والحديث حس صحيح، انظر: (صحيح سنن أبي داود ٣٠١٩).

لذلك الأمر: جعلته يزيل هذا العجب في حينه، بقوله ﷺ: "ذكرت شيئًا من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني، فأمرت بقسمته" والصفات العقلية والنفسية تجعل الداعية أهلاً لدعوته، واطمئنان الناس إليه، قال الأبشيهي: (قد يخص الله تعالى بالطاقة الخفية من يشاء من عباده فيفيض عليه من خزائن مواهبه ورزانة عقله وزيادة معرفة)[1]، وذلك مما يرفه حسه ويدقق نظره، فالفراسة منحة ربانية يمنحها الله من يشاء من عباده، وهي من صفات الكمال البشرى للإنسان.

وبالفطنة والفراسة تتميز القدرات الفردية، وتتجلى القدرات العقلية عند الداعية ويتميز به على غيره، وسلفنا الصالح امتلأ تاريخهم بالنماذج التي حباها الله الفطنة وأتحفها بالفهم والفقه، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه يُدني ابنَ عبّاسٍ، فقال له عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: إنَّ لنا أبناءً مثلَهُ، فقال: إنهُ من حيث تعلم، فسأل عمرُ ابنَ عبّاسٍ عن هذه آية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[2] فقال: أجلُ رسولِ اللهِ ﷺ أعلَمهُ إياه، قال: ما أعلم منها إلا ما تعلم)[3].

إن إيضاح الحقائق وإزالة اللبس الذي يلحق بعض المدعوين في بعض المواقف له كبير الأثر في نجاح الدعوة، لما في الغموض واختلاط الأفهام من أثر سلبي للدعوة وفي الحديث تطبيق عملي لهذا: (فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته، فقال: ذكرت شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته)، لذا ينبغي على الداعية أن يكون متهيئاً لأي موقف في كل لحظة[4]، ويكون عنده من القدرة ما يزيل به اللبس ويكشف الغموض، ويصحح الأفهام.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٣١٣٥/٨.

(٢) سورة النصر، آية: ١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٠.

(٤) مواقف الدعوة التعبيرية، د. عبدالله ناصح علوان، ص ١٣٤.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية إبراء الذمة:

إن إبراء الذمة أمام الله تعالى من أهم الأولويات التي يجعلها الإنسان نصب عينيه، ومن الأمور التي ينبغي المسارعة فيها، وكما نجد ذلك في الحديث: (فسلم ﷺ ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: ذكرت شيئاً من تبر عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته)، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث المبادرة إلى فعل الخير وإبراء الذمة، فالإنسان لا يدري متى يفاجئه الموت فيفوته الخير)[1]، والإنسان ينبغي أن يكون كيساً فلا يجعل رقبته رهينة لأحد.

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٢٩١ - ٢٩٢.

الحديث رقم (٨٩)

٨٩- الثَّالث: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجلٌ[1] للنبيِّ ﷺ يومَ أُحُدٍ: أرأيتَ إنْ قُتلتُ فأينَ أنَا؟ قال: «في الْجنَّةِ» فألْقى تَمراتٍ كنَّ في يَدِهِ، ثُمَّ قاتل حتَّى قُتلَ. متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يوم أحد: أي غزوة أحد، وأحد: الجبل الذي كانت عنده الغزوة التي وقعت ٣هـ، وهو جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها، والميل يساوي ١٦٠٩م[3].

الشرح الأدبي

إن المبادرة في الخيرات من صفات المؤمن ومن سمات سلوكه في الحياة، ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة في هذا الميدان الذي يتسع ليشمل كل محاور الحياة وصولاً إلى الفوز بسعادة الدارين، العطاء الدنيوي، والنعيم الأخروي، والمبادرة إلى فعل الخيرات لا تُحْصر في العطاء المادي فقط، ولكنها تظل تتسامى، وتتسع في مجالاتها حتى تصل إلى ذروة العطاء، وهو الجود بالنفس، والإقبال على ميدان الجهاد، والقتال في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة التوحيد، وحماية العقيدة، وصيانة الأعراض والأموال والأنفس.

---

(١) المعلوم أن عمير بن الحمام قتل يوم بدر وحديث مسلم ينص على ذلك "باب ثبوت الجنة للشهيد" وممن نص على ذلك الذهبي في تاريخه ص ٦٥ "المغازي" وقد أزال الحافظ ابن حجر هذا الإشكال فقال: "لم أقف على اسمه وزعم ابن بشكوال أنه عمير بن الحمام وسبق إلى ذلك الخطيب، ... لكن وقع التصريح في حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر والقصة التي في الباب وقع التصريح في حديث جابر أنها كانت يوم أحد فالذي يظهر أنهما قصتان وقعتا لرجلين، فتح الباري، ابن حجر ٤٠٤٧.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٦) واللفظ له، ومسلم (١٨٩٩/١٤٣). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٢٣).

(٣) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩، والوسيط ٨٩٤.

والذين يقتلون في سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله.

ويشع هذا الحديث بأنوار الشهادة، وفيوضات العطاء، ونسائم التضحية في سبيل الله عز وجل من خلال ذلك الحوار القصير في معركة أحد، ورحى الحرب دائرة، والشهداء يشتاقون إلى الفردوس الأعلى، والمجاهدون المقاتلون يتشوقون إلى إحدى الحسنيين إما النصر، وإما الشهادة. ويوم أحد، كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين ومحق به المنافقين، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مستخف بالكفر في قلبه، وكان يوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته[1]، ومنهم حمزة بن عبدالمطلب، وعمرو بن الجموح وغيرهما.

ومن هؤلاء الذي أكرمهم الله بهذه الشهادة أيضاً ذلك الرجل الذي يقال إنه: عمير بن الحُمام بن الجموح بن حرام الأنصاري، وقيل: غيره.

هذا المسلم الشهيد يحاور المصطفى ﷺ ويسأله: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ فالسؤال عن المصير، وليس عن النجاة: فأي شجاعة هذه ؟ وأي إيمان بالله ورسوله يفوق ذلك؟، فيبشره المصطفى ﷺ بأنَّ مصيره "الجنة" ونعم المصير، ونعم الدار دار القرار.

ويبادر الرجل إلى الخير الحقيقي ولا ينتظر حتى ينتهي من أكل تمرات كن في يده، بل يسرع ويقاتل أعداء الإسلام يوم أحد وأصاب الكثيرين، وقاتل وقتل، ثم قُتِل، والتعبير بقوله: "حتى قُتل" يرشد إلى أنه ظل يقاتل وقتاً طويلاً، ويبلي بلاء حسناً في سبيل الله حتى مَنَّ الله عليه بالشهادة والفوز العظيم وأصبح مع الذين أنعم الله عليهم، ومن الذين شهد لهم رسول الله وبشرَّهم، حيث يروى أن رسول الله ﷺ لما أشرف على القتلى يوم أحد، قال: "أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح في الله، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمي جرحه، اللون لون دم، والريح ريح مسك، وانظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن، فاجعلوه أمام أصحابه في القبر"[2]، وعلى الرغم من هزيمة المسلمين في أحد فإن

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/٣٤.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٣/١٠٣-١٠٤، وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/٤٣٣-٤٣٤ فقد جمع المؤلف بين الحديثين فليرجع بتوسع.

الحق سبحانه وتعالى بشرهم بالنصر، وعدهم بالفوز والتأييد وصدق وعده، وهزم الأحزاب وحده، وكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، وفيها مواساة للمسلمين، وإرشاد إلى المنهج الصحيح، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال والعناية بمصيره.

ثالثاً: من صفات المدعو: الحرص على المسارعة إلى بلوغ الجنة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدق مع الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

الاستفهام والبحث وراء المعلومة من الأساليب الدعوية الناجحة، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث في استفهام رجل للنبي ﷺ يوم أحد: (أرأيت إن قُتِلتُ فأين أنا؟) ففي أسلوب الاستفهام حرص على طلب العلم إضافة إلى ما يدل على الاستجابة للداعية وقبول دعوته.

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال والعناية بمصيره:

إن من أهم ما ينبغي أن يتحلى به المؤمن من آداب الحرص على السؤال عما يعنيه في مصيره، وقد أعطانا هذا الرجل صورة حية لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من معرفة بأموره وعناية بمصيره: (أرأيت إن قُتِلتُ فأين أنا؟)، وهذا دليل على حرص الصحابة

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٩-١٤١.

رضي الله عنهم على معرفة مصيرهم والعناية بمآلهم، وليس أدل على ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها: أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإن دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[1])[2]؛ فالصحابة رضي الله عنهم كان من عاداتهم أنهم لا يفوتون الفرصة حتى يسألون النبي ﷺ، لأنهم يستفيدون من هذا علماً وعملاً، فإن العالم بالشريعة قد مَنَّ الله عليه بالعلم، ثم إذا عمل به فهذه مِنّة أخرى[3].

ثالثاً- من صفات المدعو: الحرص على المسارعة إلى بلوغ الجنة:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث من خلال فعل ذلك الرجل: "فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل"، دلالة على ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حب نصر الإسلام والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله[4]، وفي الحديث أيضاً الإرشاد إلى المبادرة بالخير، وألا يشغل عنه بحظوظ النفس[5]، وفي الحديث تطبيق عملي من هذا الصحابي الجليل لمثل قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[6]، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[7]، أي: بادروا وسارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة[8]، وقال:

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣٠٨، وقال الهيثمي في المجمع ٧/٧: "رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران وهو ثقة".

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٢٩٣ - ٢٩٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٧/٤١١.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٧.

(٦) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٢٠٣.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١]، بادروها[٢]، حرصاً على مصادفة الخير والإكثار منه[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

لقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم فضل الجهاد، فحرصوا عليه، وسارعوا إلى ميادينه، وقد ورد في هذا الحديث ما يؤكد ذلك: (قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد أرأيتَ إن قُتلتُ فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات كنّ في يده، ثم قاتل حتى قتل)، فالجهاد ذروة الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة[٤]، ولبيان أهمية الجهاد ذكر القرآن أن الجهاد سبب للبقاء والعزة[٥]، فوصف المؤمنين بقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[٦]، ودليل صدق الإيمان: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٧]، والجهاد أجلّ القُرَب وأقدس العبادات لما فيه من الحفاظ على حق الله والتمكين لدينه.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدق مع الله:

إن الصدق مع الله من أرفع الدرجات وأعلى المراتب، فمن صدق الله صدقه الله، وفي الحديث ما يدلُ على صدق الرجل في طلب الشهادة حيث صدقه الله فأعطاه إياها، قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: "أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل"، فإن صدق النية مع الله يبلّغ بالإنسان ثواب العمل حتى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) زاد المسير، أبو الفرج بن الجوزي ١٥٩/١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٤/٢/١.

(٤) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ٥/٣.

(٥) موسوعة نضر النعيم ١٤٨٨/٤.

(٦) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٧) سورة الحجرات، آية: ١٥.

وإن لم يدرك العمل، كما روى عن سهل بن حنيف عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَأَلَ اللّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ))[1][2]. قال النووي: (والمعنى: إذا سأل الشهادة بصدق أعطي ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير)[3].

وأخبر تعالى أن من صدقه فهو خير له فقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[4] أي: فلو أخلصوا النية وصدقوا الله فيها لكان خيرًا لهم[5].

وقد تكفل الله وأوجب على نفسه مِنَّةً وتفضلاً أن من خرج مجاهداً في سبيله صادقاً النية في ذلك أن يؤتيه إحدى الحسنيين إما دخولاً الجنة أو رجوعاً إلى أهله سالماً غانماً بما نال من أجر وغنيمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((تَضَمَّنَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَاداً فِي سَبِيلِي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللّهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَداً. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[6].

بهذه الصورة الرائعة يصور الرسول الكريم ﷺ أجر الغازي والمجاهد في سبيل الله، ذلك الإنسان الذي ضحى بنفسه وماله في سبيل رفعة شأن الدين، وإعزاز كلمة الله، وأي أجر أعظم بل أية منزلة أسمى من تلك المنزلة الرفيعة التي خص الله عز وجل

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠٩.

(٢) فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ٢٠٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢١.

(٤) سورة محمد، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٧/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦، ومسلم ١٨٧٦ واللفظ له.

بها المجاهدين في سبيله؟ حين قال عنهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

إنها الحياة الأبدية السرمدية في جنان الخلد ودار النعيم، هي بعض ما أكرمهم الله عز وجل به، عدا ما أعد لهم من الذكر الحسن في الدنيا، حيث تخلّد أسماؤهم في سجل الخالدين، فهم أحياء حتى بعد مماتهم، ذكرهم على كل لسان، وحبهم في كل قلب، وهذا هو السر في نهينا عن القول في الشهداء بأنهم أموات، لأن الله عز وجل خلّد ذكرهم، ويكفي ذلك شرفاً وفخراً لهم.. وقد بيّن هذا الحديث النبوي الشريف أن الله عز وجل قد تكفل بالجنة لمن جاهد في سبيل الله، مخلصاً عمله لله، مؤمناً برسله، مصدقاً بوعد الله تبارك وتعالى، وليس هذا الجزاء العظيم إلا للمجاهد الذي يبتغي من وراء جهاده إعلاء كلمة الله، وإعزاز شأن الدين، ولقد سئل الرسول ﷺ عن الرجل الذي يقاتل للشهرة ليعرف أنه شجاع، أو يقاتل للمغنم، أو يقاتل حمية لعشيرته فقال كلمته الرائعة المأثورة: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله...)[2].

وقد ختم عليه الصلاة والسلام حديثه بالقسم بأنه لولا أن يقع المسلمون في ضيق وحرج، ولولا المشقة التي ستلحق بالمؤمنين لما تخلّف عن الخروج في غزوة من الغزوات أبداً، ولكنه لشفقته ﷺ على أمته ترك الخروج في بعض الغزوات.

ولقد تمنى صلوات الله وسلامه عليه أن يقتل في سبيل الله، ثم تعود إليه الحياة فيجاهد، ثم يقتل، وهكذا لما يعرف من ثواب الشهادة في سبيل الله؛ فأكرم به من قائد وزعيم.

اللهم اجعلنا ممن جاهد في سبيلك ابتغاء مرضاتك[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٣، ومسلم ١٩٠٤.

(٣) من كنوز السنة، محمد علي الصابوني، ص ١٧٥ - ١٧٦.

الحديث رقم (٩٠)

٩٠- **الرابع:** عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللّهِ، أيُّ الصَّدقةِ أعْظمُ أجْراً؟ قال: «**أنْ تَصدَّقَ وأنْت صحيحٌ شَحيحٌ تَخْشى الْفقرَ، وتأمُلُ الْغنى، ولا تُمْهِلْ حتَّى إذا بلَغتِ الْحلْقُومَ. قُلت: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كَذَا، وقَدْ كان لفُلان**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شحيح: بخيل[2].

تمهل: تؤخر[3].

الحلقوم: مجرى النفس، أي: إذا بلغت الروح الحلقوم حال الموت[4].

الشرح الأدبي

إن المسلمين في تعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، والمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

وفي ظلال هذه المعاني تتضوأ كلمات هذا الحديث الشريف، ومن ألق البيان النبوي نقتبس بعض الأضواء الهادية الراشدة التي تتوهج بمعاني التكافل الاجتماعي.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الكريم: وأول ما يدعو إلى التأمل في أسلوب هذا الحديث هو صيغة الحوار عن طريق السؤال والجواب، وهذه

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢/٩٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٥١١٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ح ح).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (م هـ ل).

(٤) رياض الصالحين ٨٧.

الصيغة تموج بها كثير من أحاديث المصطفى ﷺ؛ لأن طبيعة الحديث أن يتكون من متحدث ومستمع، ومن أدوات تأثيره والتلاحم بين الطرفين الحوار والمناقشة، وكل حديث يعد رسالة توجيهية إرشادية لها أركانها التي تشارك في إقامة بنيانها اللغوي والدلالي والتأثيري، وهذه الأركان تمثل مقومات الخطاب الشرعي والأدبي حيث يتكون من: مُرْسِلٍ، ومرسل إليه، وسياق، ورسالة، وهذه العناصر الأربعة يتضمنها كل حديث من أحاديثه ﷺ.

وهذا الحديث يبدأ بنداء صادق من أحد الصحابة، وقيل هو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، والنداء بحرف الياء وكأنه نداء للبعيد، ورسول الله ليس بعيداً عنه ولكن ذلك للمهابة والتوقير والتعظيم "يا رسول الله"، ثم بعد النداء يأتي الاستفهام الحقيقي عن المبادرة إلى الخير: وعن الصدقة التي تكون أعظم أجراً؟ وهذا السؤال ألا ينبئ عن البحث عن الأفضل؟ فليس كل من يتصدق يأخذ الثواب الكامل، ولذلك جاء أفعل التفصيل في تحديد نوع الصدقة الأكمل: "أعظم أجراً" فماذا قال النبي ﷺ؟ قال: "أن تصدق وأنت صحيح شحيح" والتضعيف في الفعل "تصدَّق" يوحي بثقل الأمر لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والعرب يجعلون من الألفاظ صورة للأحداث، والطباق بين صحيح وشحيح، يوحي مع السجع بتآلف اللفظين، في تشخيص حالة المتصدق، لأن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره، بخلاف من أيس من الصحة ورأى مصير المال إلى غيره، فإن صدقته ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة[1].

والشح أعم من البخل، وقيل الشح بخل مع حرص، والطباق بين "الفقر والغنى" وبين "تخشى وتأمل" يصور موقفين يتحدان في حالة التصدق وهو الانتصار، على هاجس الفقر، ووهم الغنى، فما نقص مال من صدقة.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/٢٥٤.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم تصرفات المريض في المرض المخوف، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الشخص له حرية التصرف في ماله بالبيع والهبة والوصية وما يشاء في حال صحته، فإذا كان مريضاً مرضاً مخوفاً تعلقت حقوق الورثة بهذا المال، ومن ثم ينفذ من تصرفات المريض مايحتاج إليه في معيشته من مأكل ومشرب ودواء وغير ذلك، أما التصرفات الضارة بالورثة كالصدقات والعطايا فإنها تأخذ حكم الوصية، لا ينفذ منها ما يزيد عن الثلث، فإن تصرف تصرفاً نافعاً لأحد الورثة لم ينفذ منه شيء، لأنه يكون محاباة له ولا يصح احتسابه من الثلث لأن الوارث لا وصية له.

وفي هذا الحديث دليل على أن الصدقة في الصحة أفضل من الصدقة في المرض وإن كان لصدقة المرض ثوابها أيضاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والنهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة مع الصحة والشح.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى فعل الخيرات.

رابعاً: من واجبات الداعية: حث المدعوين على فعل الخير.

خامساً: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والنهي:

١- **السؤال والجواب:** حيث جاء في الحديث "أيُّ الصدقة أفضل" فأجاب ﷺ بـ"أن تصدق

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢٧/٤، ٢٧/١٢، ٩٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١٣٣/٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ١٥٥/٢، وحاشية الدسوقي ٤١٢/٤، وبلغة السالك للصاوي ٥٦٧/٤، ط دار المعارف، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٧/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٢٠٨/٦، وإحكام الإحكام ٣٢١/٢، والمغني، ابن قدامة ١٠٠/٦، ٣٠٤/١٠، ٣٠٦، وشرح منتهى الإرادات ٥٩١/٢، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم ٢٢٩/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣/٧.

وأنت صحيح شحيح" ومما لاشك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة، لأنه يفتح قناة حوار بين الداعية والمدعو، ويصل فيه المدعو إلى الإجابة عن سؤاله مباشرة، ومن أمثلة هذا الأسلوب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[3].

٢- **النهي**: حيث جاء في الحديث "ولا تمهل" أي الصدقة، وقد أفاد النهي في هذا الحديث خطورة تأخير التصدق والتسويف حتى فوات الأوان وهناك لا ينفع الندم.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة مع الصحة والشح:

حيث جاء في الحديث "أن تصدق وأنت صحيح شحيح" قال النووي: (ومعنى الحديث أن الشح غالب في حال الصحة، فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته، وأعظم لأجره، بخلاف من أشرف على الموت وآيس من الحياة، ورأى مصير المال لغيره فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حال الصحة والشح رجاء البقاء وخوف الفقر)[4].

وقال ابن حجر: (لما كانت مجاهدة النفس على إخراج المال مع قيام مانع الشح دالاً على صحة القصد، وقوة الرغبة في القربة، كان ذلك أفضل من غيره)[5].

ولقد جاءت النصوص الشرعية لتحث على الإنفاق والصدقة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[6] وقوله سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الكهف، آية: ٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٥/٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٣].

وقد جعل الرسول ﷺ من يتصدق من السبعة الذين يظلهم الله في ظله ففي الحديث ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: ...، ورجلُ تَصدَّقَ بصدقة أخفاها حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه))[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى فعل الخيرات:

حيث جاء في الحديث "حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان" ولا يخفى أن المسلم يجب عليه أن يبادر إلى الخيرات والعمل الصالح والصدقة فإنه لا يعرف أجله قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾[٥] قال ابن كثير: (يحث الله عباده المؤمنين على الإنفاق في طاعته فكل مفرط يندم عند الاحتضار، ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً، يستعتب ويستدرك ما فاته، وهيهات! كان ماكان، وأتى ما هو آت، وكل بحسب تفريطه، والله عز وجل لا ينظر أحداً بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٥) سورة المنافقون، آية: ١٠، ١١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٣/٨.

والإنسان الحصيف يقدم لآخرته من العمل الصالح: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ﴾[1].

رابعاً- من واجبات الداعية: حث المدعوين على فعل الخير:

حيث وجه النبي ﷺ في الحديث إلى فضل الصدقة حال الصحة والشح "وهذا من الواجبات الملقاة على عاتق الداعية وهي: دلالة المدعوين على أبواب الخير وحثهم على فعله، وقد أمر الله أن يكون في الجماعة المؤمنة من يدعو إلى الخير قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[2].

قال القرطبي: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة، وهو الفارق بين المؤمنين والمنافقين، وأخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه)[3]، ولا شك أن حث المدعوين على فعل الخير من أولويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال ﷺ ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحُ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقُ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحُ لِلشَّرِّ مَغَالِيقُ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مفاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ»[5]. وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ أَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ»[6].

قال السيد سابق: (والخير الذي ندب الله إليه ينتظم كل بر، ويشمل كل عمل

---

(١) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٤٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٤٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٩٦).

صالح فطاعة الله خير، وممارسة الفضائل خير، والإحسان إلى الناس خير وكل عمل ينهض بالفرد، ويرقى بالجماعة فهو خير، والفطر السليمة تهتدي إلى الخير وتشعر به وتنجذب إليه، فالخير هو الكمال الذي تنشده وتسعد به، والدلالة على الخير، وإرشاد الإنسان غيره إلى الحق، لا يقل أهمية عن ممارسة الخير والنهوض به)[١].

خامساً- من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه:

حيث جاء في الحديث "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أي الصدقة أعظم أجراً" وهذا بلا شك من أهم واجبات المدعو، وبهذا أمر الله في القرآن، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] وعلى المدعو أن يتجنب السؤال عما لا يفيد ولا ينفع ففي الحديث ((إِنَّ اللّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثاً: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))[٣].

---

(١) إسلامنا، ١٣٤-١٣٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٧٧، ومسلم ٥٩٣.

الحديث رقم (٩١)

٩١- **الخامس:** عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رسول اللّه ﷺ أَخذَ سيْفاً يوم أُحدٍ، فقَالَ: «**مَنْ يأْخُذُ منِّي هَذا؟**» فبسطُوا أَيدِيهُم، كُلُّ إنْسانٍ منهمْ يقُول: أَنا أَنا. قَالَ: «**فمنْ يأَخُذُهُ بحقِه؟**» فَأَحْجمِ الْقومُ، فقال أَبُو دجانة رضي الله عنه: أَنا آخُذه بحقِّهِ، فأَخَذهُ ففلَقَ بهِ هَامَ الْمُشْرِكينَ». رواه مسلم[1].

اسم أبي دجانة: سماكُ بْنُ خرشة[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أحجم القوم: أي توقفوا[3].

فلق به: أي شق[4].

هام المشركين: أي رؤوسهم[5].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد البطولة في الإسلام، وينقل للأجيال المعاصرة موقفاً جليلاً مهيباً من مواقف الفداء والمبادرة إلى التضحية بالنفس في سبيل الله، وما أعظمها من تضحية! وما أكرمه من فداء!

ورسول الله يأخذ سيفاً ويقول لأصحابه: "من يأخذ مني هذا؟" والاستفهام هنا لإثارة الحمية والتحدي، وإشعال وهج التنافس والمبادرة إلى نيل هذا الشرف، وأي شرف بعد

---

(١) برقم (٢٤٧٠/١٢٨).

(٢) ورد اسمه هكذا في رواية مسلم.

(٣) رياض الصالحين ٨٧.

(٤) رياض الصالحين ٨٧.

(٥) رياض الصالحين ٨٧.

أن يأخذ مجاهد السيف من رسول الله ﷺ؟ وقوله: "مني" لزيادة عنصر المنافسة: فليس السيف من شخص عادي. واسم الإشارة "هذا" يفيد التحديد والتمييز وتعظيم أمر السيف وما يتعلق بكل هذا الموقف.

وما أجمل هذا التصوير الحركي الذي ينقل إلينا المشهد! وكأننا نراه رأى العين، والصحابة يتنافسون في فعل الخير، ويبادرون إلى أخذ السيف للقتال يوم أحد "فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول أنا أنا" ولكن السيف لن يأخذه إلا واحد، فمن هو؟ ويضع الرسول شرطاً وقيداً حين أعاد السؤال مرة أخرى: "فمن يأخذه بحقه" ويعني بهذا الحق أن يقاتل بالسيف، إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت الذي يقاتل به شهيداً[1]؛ وعندما عرف الذين بسطو أيديهم ذلك "أحجم بعضهم". رهبة وخشية وخوفاً، كل حسب طبيعة نفسه، وقوة إيمانه. وأما أبو دجانة فبادر وقال: "أنا آخذه بحقه" وهو يعلم مصيره، ولكن هذا المصير تكريم له، وقبول ما بعده قبول، عند الله عز وجل.

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها، علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفين، ويروى أن رسول الله ﷺ حين رأى أباً دجانة يتبختر قال: ((إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن))[2].

وكان أبو دجانة يحمي الرسول بنفسه، وكان النبل يقع في ظهره، وهو منحنٍ عليه، حتى كثر فيه النبل.

ويروى أن الزبير ابن العوام وجد في نفسه حين سأل الرسول السيف، فمنعه إياه وأعطاه أبا دجانة، وهو ابن عمته صفية، ومن قريش، وقال والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة، قال: "فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار:

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٣٨٥/٦.

(٢) أخرجه ابن إسحاق بدون إسناد كما في سيرة ابن هشام ٧١/٣ بتحقيق: السقا والإبياري وشلبي.

أخرج أبو دجانة عصابة الموت" وقيل: "إن أبا دجانة جعل لا يلقى أحداً إلا قتله"[١]، وقد روى عنه ابن هشام هذه الأبيات في السيرة النبوية بعد أن أخذ السيف وأخرج عصابة الموت:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيُّول[٢] اضرب بسيف الله والرسول[٣]

ويوجز الحديث هذه المواقف في عبارة موجزة حيث يقول: الراوي: "فأخذه ففلق به هام المشركين، وهكذا تكون البطولة في الإسلام شجاعة وحباً وفداءً ودفاعاً عن رسول الله وعن عقيدة التوحيد رغبة في الفوز بدار الخلود.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: إثارة اهتمام المدعوين.

ثانياً: من تاريخ الدعوة: غزوة أحد.

ثالثاً: من مهام الداعية: ضبط الأمور وتحديد المسؤوليات.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبو دجانة رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: إثارة اهتمام المدعوين:

لقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشحذ همم أصحابه رضي الله عنهم وأن يثير اهتمامهم، فأخذ سيفاً ثم قال "من يأخذ مني هذا؟" ولاشك أن حمل السيف وتوجيه السؤال إليهم مما يثير انتباه المدعو، ويعد هذا من الأساليب الدعوية المهمة (وعلى الداعية أن يتبع أفضل الطرق في الدعوة وينتهج أحسن الأساليب التي تثير في المدعوين انتباههم وتجدد لهم نشاطهم ليتوجهوا إلى فكرته، ويتقبلوا مبادئ دعوته)[٤].

---

(١) انظر البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٥٦/٥-٣٥٧.

(٢) الكيُّول: مؤخر الصفوف، البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٥٦/٥-٣٥٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٣٢/٣.

(٤) مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علون، ص ٧١.

ومما يعكس اهتمام المدعوين أن الموطن الذي وجه الرسول فيه السؤال هو مكان للقتال في غزوة أحد مما يجعل المدعوين أشد انتباهاً وتأثراً (فلاشك أن للمكان أثراً على المتلقين مما ينعكس على عملية التلقي والاستيعاب سواء أكان ذلك سلباً أو إيجاباً فعلى الداعية الانتباه لهذا الأمر)[١].

ثانياً- من تاريخ الدعوة: غزوة أحد:

ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد، ولاشك أن غزوة أحد تمثل معلماً بارزاً في تاريخ الدعوة (وقد كانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر، ورجع قَفلُهُم إلى مكة قال أبناء من قتل، ورؤساء من بقي: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، وخرجت قريش بحدها وحديدها وأحابيشها في قريب من ثلاثة آلاف، حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة)[٢]، (واستشار رسول الله ﷺ الناس: أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة؟ فأشار عبدالله بن أُبي بالمقام بالمدينة، وأشار آخرون من الصحابة رضي الله عنهم ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم فنزل رسول الله ﷺ على رأيهم، وسار ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كان "بالشوط"[٣] رجع عبدالله بن أُبي في ثلث الجيش مغضبًا لكونه ﷺ لم يرجع إلى قوله، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه، والرماة يومئذ خمسون رجلاً)[٤] فقال لهم: ((انضحوا الخيل عنا، ولا نؤتين من قبلكم. والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم))[٥] فلاح النصر للمسلمين، وتخلف الرماة عن أمر النبي ﷺ،

---

(١) عدة الداعية المسلم، د. حمدان الهجاري، ص ٣٠.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٣/٣، ٢٤.

(٣) وهو اسم حائط من بساتين المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٩٥.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٨/٥.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢٩/٣.

فانتهز خالد بن الوليد - قبل إسلامه- الموقف، وحقق التفافًا جعل المسلمين في موقف حرج، واستشهد حمزة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما "وبلغ من استشهد من المسلمين يوم أحد سبعين" وعلى الرغم من الانتصار العسكري لقريش، إلا أنها لم تستطع استئصال المسلمين. وقد كسرت فيها رباعية النبي ﷺ وشُجَّ في وجهه)[1] لأجل هذا كانت غزوة أحد علامة بارزة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

ثالثاً- من مهام الداعية: ضبط الأمور وتحديد المسؤوليات:

يتضح هذا في اشتراط النبي ﷺ على من يأخذ السيف أن يأخذه بحقه: (قال القرطبي: يعني بهذا الحق أن يقاتل بذلك السيف إلى أن يفتح الله على المسلمين أو يموت، ولذلك أحجم القوم لما فهموا ذلك فأما أبو دجانة رضي الله عنه: أخذ السيف، وقام بشرطه، ووفى بحقه، وهو يقول:

نضربُ بالسُّيوفِ رؤوسَ قومٍ ... أَزَلْنا هامَهُنَّ عن المقيل

والمقيل: أصول الأعناق)[2]. قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه استحباب توصل الإمام إلى كل ما يشد به عزائم المجاهدين، ويحمي به أنوفهم للحق...، وفيه أيضًا أن المستحب للإمام أن يختار أجود السلاح لأجود الرجال، ولا يترك السلاح الأجود مع الرجل الأدون حتى إن كان ملكًا للرجل، فرأى الإمام أنه لا يغني به صاحبه شيئًا، وغيره يغني به الغناء الواسع وليس ذا سلاح، أمر صاحب السلاح أن يدفع سلاحه إلى هذا الأعزل قصدًا بذلك مصلحة الجميع متوصلاً إلى طيب نفس صاحبه في ذلك، فإنه الأولى كما كان يقول لمن مرّ به انشر كنانتك لأبي طلحة)[3] إن النبي ﷺ بعد أن جعل الأمور لعموم الناس: حدد مسؤولية من يأخذ هذا السيف، حتى لا يقدم عليه أي أحد. وهذا مما يحتاجه الدعاة في العصر الحاضر مما تتطلبه القيادة الناجحة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/٣٣٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢١٨.

(٣) الإفصاح ٥/٣٧٦.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل أبي دجانة رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم:

وهذا الحديث يدل على فضل أبي دجانة قال ابن سعد في الطبقات: (وأبو دجانة اسمه سماك بن خرشة، وآخى رسول الله بين أبي دجانة وعتبة بن غزوان وشهد بدراً، وكانت عليه يوم بدر عصابة حمراء، وهو الذي أخذ سيف رسول الله يوم أحد، وارتجز يقول:

أنـــا الـــذي عاهـــدني خليلـــي ... بالـــشعب ذي الـــسفح لـــدى النخيـــل

ألا أكـــــون آخـــــر الأفـــــول ... اضـــــرب بـــــسيف الله والرســـــول

وعادوه يومًا وهو مريض، وكان وجهه يتهلل، فقيل له ما لوجهك يتهلل، قال ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً. وقتل أبو دجانة شهيداً في سنة ١٢هـ في خلافة أبي بكر الصديق)[١].

وقال ابن حجر: (وأبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة متفق على شهوده بدراً، ولما التحم القتال في أُحد ذبّ عنه مصعب بن عمير حتى قتل مصعب، وأبو دجانة كثرت فيه الجراحة وهو ممن شارك في قتل مسيلمة الكذاب، وثبت ذكره في صحيح مسلم ولما سأل النبي عن حق السيف قال له: لا تقتل به مسلماً ولا تفر به من كافر)[٢].

---

(١) انظر: الطبقات، ابن سعد الكبرى ٥٥٦/٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٤٦٣.

الحديث رقم (٩٢)

٩٢- السَّادس: عن الزُّبيْرِ بنِ عديٍّ قال: أَتَيْنَا أَنس بن مالكٍ رضي الله عنه فشَكَوْنا إليهِ ما نلْقى من الْحَجَّاجِ. فقال: «**اصْبِروا فإنه لا يأْتي زمانٌ إلاَّ والَّذي بعْده شَرٌّ منه حتَّى تلقَوا ربَّكُمْ**» سمعتُه منْ نبيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن بناء هذا الحديث، وطريقة ترتيب روايته غير مألوف، فالحوار الذي دار بين الزبير بن عدي، ومن معه وبين أنس بن مالك، لم يكن في حضرة الرسول ﷺ، ولم يكن في المدينة، وإنما كان بعد وفاة رسول الله ﷺ وفي البصرة حيث مات أنس بن مالك، سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة، والشكوى من الحجاج بسبب ظلمه وتعسفه فقد كان والياً على العراق في عهد، الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، والحديث لم يبدأ بـ "قال" رسول الله ﷺ، وإنما بدأ بشكوى الزبيريين وأصحابه إلى أنس بن مالك من بطش الحجاج، وقوته وعنفه، وقد كان الحجاج على أشد ما تكون القوة في مواجهة الأحزاب المناوئة لبنى أمية مثل: الزبيريين، والشيعة، والخوارج وغيرهم.

ولم يرع حرمة بعض الصحابة أو التابعين، ولم يحفظ لهم سابقتهم في الإسلام، وتشرفهم بصحبة رسول الله ﷺ.

وقد اقتدى الحجاج في قوته وعنفه بزياد بن أبيه الذي كان والياً على البصرة في عهد معاوية ويزيد، وهو صاحب خطبة "البتراء"، وهي التي احتذاها الحجاج وواجه أهل الكوفة بمثلها وأعنف منها، وقال، وهو متقلد سيفه، ومتنكب قوسه، ويضع اللثام على وجهه، وبعد صمت طويل قال:

---

(١) برقم (٧٠٦٨).

أنـــا ابـــن جـــلا وطـــلاع الثنايـــا متـــى أضـــع العمامـــة تعرفـــوني

ثم قال: "يأهل الكوفة إني لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحي، أما والله لألحونكم[1] لحو العصا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، أما والله لتستقيمن على طريق الحق، أو لأدعن لكل منكم، شغلاً في جسده".

وقال أبو الحسن المدائني: (قال الحسن: أوعد عمر فعفاً، وأوعد زياد فابتلى، وقال الحسن أيضاً: تشبه زياد بعمر فأفرط، وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس)[2].

ويقول أنس بن مالك ناصحاً الأمة وكل من يذوق الهول من جور الطغاة والمستبدين أمثال الحجاج: "أصبروا" أي اثبتوا وقاوموا ولا تيأسوا وتواصو بالحق وتواصوا بالصبر، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، فالصبر هنا ليس استسلاماً ولكنه صمود وثبات ومقاومة وقوة ومواجهة متسلحة بالإيمان والتقوى والصبر، ويعلل أنس بن مالك ما يلاقيه الناس من عنت الولاة والحكام، وبطشتهم بأن هذا ما أنبأ عنه رسول الله ﷺ، وأتى بهذه النبوءة في صيغة القصر والتأكيد "فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه" حتى يوم القيامة. ثم حدد مصدر هذا التعليل بأنه سمعه من النبي ﷺ، وهذا الواقع لا يدعو إلى التشاؤم واليأس، ولكن يحتاج إلى صبر؛ لأنه لا يمضي زمن فيه نقص لشيء من السنة أو ابتلاء بشيء من المحن إلا والذي بعده أَشرُّ منه، في ذلك، وهذا واقع دائم، ويحتاج إلى صبر وثبات وتمسك بالعقيدة الصحيحة.

---

(١) لحاه يلحوه شتمه ولحا الشجرة: قشّرها. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي في (ل ح و).

(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: تسلية ومواساة المدعوين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تقلب الأيام والأحوال.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الصبر على الأذى والفتن.

خامساً: من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بفساد الأحوال.

سادسًا: من مهام الداعية: فقه أحاديث النبي ﷺ.

أولاً- من واجبات الداعية: تسلية ومواساة المدعوين:

يظهر هذا من الحديث لما أتوا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكوا إليه ما يلقون من الحجاج فقال: "اصبروا" وهذا واجب الداعية أن يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم ويكون كرجل منهم يتألم لألمهم، ويفرح لفرحهم، ولقد كان هذا من هدى رسول الله ﷺ فعن عثمان بن عفان في خطبة له قال: (إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير)[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إن النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير "يا أبا عُمير ما فعل النغير)[2].

وفي هذا الحديث الذي معنا تتضح أهمية تسلية ومواساة المدعوين، ليشعروا بقرب الداعية منهم قال السيد سابق: (جاء الإسلام ليجمع القلب إلى القلب، ويضم الصف إلى الصف مستهدفاً إقامة كيان موحد ومتقياً عوامل الفرقة والضعف، وليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية والمقاصد النبيلة، والأهداف الصالحة فلا بد من تكوين روابط وصلات بين أفراد المجتمع)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ١/٧٠، رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥٠.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨١.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "اصبروا" ولاشك أن أسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به، ويحفز المدعوين على الاستجابة، خاصة وأن الداعاة من أبرز ما يناط بهم الأمر بالخير والمعروف والنهي عن الشر والمنكر، وأسلوب الأمر من أساليب القرآن ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[١] وقوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢].

ثالثا- من موضوعات الدعوة: تقلب الأيام والأحوال:

يظهر هذا من الحديث "فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه" والمؤمن يجب أن يوطن نفسه على أن دوام الحال من المحال قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٤] قال السعدي: (ومن حكمة الله سبحانه أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة ويوم للطائفة الأخرى، لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا)[٥] والمسلم عند تقلب الدنيا وظهور الفتن فيها الواجب عليه أن يكثر من العبادة ففي الحديث ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[٦].

قال النووي: "والمراد بالهرج: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد"[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤٠.

(٤) سورة النور، آية: ٤٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن اللويحق ص ١١٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٥.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الصبر على الأذى والفتن:

حيث جاء في الحديث "اصبروا" ومما لاشك فيه أن الصبر مطلب للمسلم في حياته وقد أمر الله به نبيه محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3] وبيّن جزاء الصابرين فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4] وبيّن أنه يحبهم إذا صبروا على البلاء والأذى فقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5] وبيّن سبحانه أنه معهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[6].

قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث وجوب الصبر على ولاة الأمور فمع الصبر يحصل اطمئنان النفس والثبات، وانتظار الفرج عبادة تتعبد لله به)[7]. وقد أمر الله المؤمنين بالصبر فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[8] وقد أمر النبي ﷺ بالصبر فقال في الحديث ((اصبروا حتى تلقَوْني على الحَوْضِ))[9] قال ابن القيم: (الصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٢) سورة الروم، آية: ٦٠.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، ١٤٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢٩٩/١.

(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٩) أخرجه البخاري ٣٧٩٢، ومسلم ١٨٤٥.

اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله)[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بفساد الأحوال:

حيث جاء في الحديث "إنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه" قال الإمام ابن حجر: (قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يُعلمَ بالرأي، وإنما يُعلَم بالوحي)[٢]، ولا شك إن إخبار أنس رضي الله عنه بما سمعه من النبي ﷺ من فساد الأحوال وتدنّي الأمور، نتيجة الفتن والاستبداد وضعف الإيمان في النفوس وغير ذلك مما أخبر به ﷺ في هذا المضمار، إن معرفة مثل هذه الأحوال والتغيرات تستوجب التمسك بالمنهج الصحيح المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والبعد عن كافة مظاهر الغلو والتطرف والتنطع وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى انفراط عقد المسلمين، وانتشار الفتن وكثرة الهرج، فما أحوج المسلم إلى البعد عن سبل الضلال، والحذر من الانزلاق في التيارات المنحرفة.

سادسًا- من مهام الداعية: فقه أحاديث النبي ﷺ:

إن أحاديث "الفتن" وما يتعلق بما يسمى "آخر الزمان" أو "أشراط الساعة" يكثر فيها سوء الفهم، ولذا ينبغي التأمل الطويل في معانيها، حتى لا يتخذها الناس وسيلة لقتل كل بذرة للأمل، ووأد كل محاولة للإصلاح والتغيير. وحديث الباب من جنس هذه الأحاديث التي وردت فيه أفهام خاطئة، مما يستدعي أهمية تصحيح هذا الفهم.

فبعض الناس يتخذ من حديث أنس رضي الله عنه "... فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ..." إلخ تُكَأة للقعود عن العمل ومحاولةِ الإصلاح والإنقاذ، مُدَّعيًا أن الحديث يدل على أن الأمور في تدهور دائم، وسقوط مستمر وهوى متتابع، من دَرْك إلى درك أسفل منه، ومن سوء إلى ما هو أسوأ منه. حتى تقوم الساعة على شرار الناس ويلقى الناس ربهم.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٢٦/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٣/١٣.

وآخرون توقفوا في قبول الحديث - بالرغم من صحته-، وربما تعجل بعضهم فردَّه، لأنه في ظنه يدعو:

أولاً: إلى اليأس والقنوط.

ثانياً: إلى السلبية في مواجهة الطغاة من الحكام المنحرفين.

ثالثًا: يعارض فكرة التطور التي قام عليها نظام الكون والحياة.

رابعًا: ينافي الواقع التاريخي للمسلمين.

وخامسًا: يعارض الأحاديث التي جاءت في ظهور خليفة يملأ الأرض عدلاً "وهو الذي عرف باسم المهدي" وفي نزول عيسى بن مريم عليه السلام، وإقامته لدولة الإسلام وإعلاء كلمته في الأرض كلها[1].

وقد بين ابن حجر ما كان عليه السابقون من استشكال لهذا الحديث فبدء بذكر قول ابن بطال: إن هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي وإنما يعلم بالوحي انتهى.

ثم بين استشكال الإطلاق في فهم عموم الحديث بأن كل زمن شر من الذي قبله، وذلك لأن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبدالعزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخبر الذي كان في زمن عمر بن عبدالعزيز، بل لو قيل أن الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدًا فضلاً عن أن يكون شرًا من الزمن الذي قبله.

وقد أجابوا عن هذا بعدة أجوبة:

أ- فالحسن البصري حمل الحديث على الأكثر الأغلب، فقد سئل عن عمر بن عبدالعزيز بعد الحجاج، فقال: لابد للناس من تنفيس.

ب- وقد ذهب البعض إلى تفضيل مجموع عصر الحجاج على مجموع عصر عمر بن العزيز، لكثرة الصحابة في عصر الحجاج، لأن الزمان الذي فيه الصحابة رضي الله عنهم أفضل من الزمن الذي بعده.

---

(١) المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ١٣١.

ج- ثم صحح ابن حجر الرأي الثالث بقول: ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع، والذي ذكر فيه "لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده ولكن لا يأتي عليكم يوم وإلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون" وفي لفظ عنه من هذا الوجه وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها ولكن بذهاب العلماء، ثم يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيُثْلمون الإسلام ويهدمونه[1].

وذهب د. القرضاوي إلى أن ذلك لا ينفي الاستشكال من أساسه، فالنصوص تدل على أن في الغيب أدوارًا للإسلام ترتفع فيها رايته وتعلو كلمته، ولو لم يكن إلا زمن المهدي والمسيح في آخر الزمان لكفى.

والتاريخ يثبت أنه قد جاءت فترات ركود وجمود في العالم أعقبتها أزمنة حركة وتجديد، ويكفي أن نذكر مثلاً مَنْ ظهر في القرن الثامن من العلماء والمجدِّدين -بعد سقوط الخلافة الإسلامية في بغدد، وتدهور الأوضاع في القرن السابع- مثل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وسائر تلاميذه في الشام، والشاطبي في الأندلس، وابن خلدون في المغرب، وغيرهم ممن ترجم لهم ابن حجر في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة".

وفي العصور التي تلت ذلك نجد مثل ابن حجر، والسيوطي في مصر، وابن الوزير في اليمن، والدهلوي في الهند، والشوكاني والصنعاني في اليمن، وابن عبدالوهاب في نجد، وغيرهم من العلماء الأجلاء المجتهدين والأئمة المجدِّدين[2].

وهذا ما جعل ابن حبان في صحيحه يرى أن حديث أنس رضي الله عنه ليس على عمومه، مستدلاً بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت جورًا[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٣/٢٣-٢٤.

(٢) المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ١٣١-١٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣/٢٤.

قال د. يوسف القرضاوي: ولهذا أرى أن أرجح التفسيرات لهذا الحديث ما ذكره الحافظ في "الفتح" بقوله: (ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك، فيختص بهم، فأما مَنْ بعدهم فلم يُقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فَهِمَ التعميم؛ فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهم -أو جلهم- من التابعين)[1].

(١) المبشرات بانتصار الإسلام، د. يوسف القرضاوي، وفتح الباري، ابن حجر ٢٤/١٣.

الحديث رقم (٩٣)

٩٣- **السَّابع:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأَعْمال سبعاً، هل تَنتَظرونَ إلاَّ فقراً مُنسياً، أَوْ غنيّ مُطْغياً، أَوْ مرضاً مُفسداً، أَو هرماً مُفْنداً أَو موتاً مُجهزاً أَوِ الدَّجَّال فشرُّ غَائب يُنتَظر، أَوِ السَّاعة فالسَّاعةُ أَدْهى وأَمر**» رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بادروا بالأعمال: سابقوا وسارعوا[2].

هَرَماً مفنداً: الهَرَمُ: الكبَر. والفَنَد: الخَرَفُ وإنكار العقل لهرم أو مرض والخطأ في القول والرأي وهَرِمَ الرجل هَرَمًا بلغ أقصى الكبر وضعف فهو هَرِمٌ[3].

مجهزاً: يأتي بغتة من غير أن يُقدر معه على توبة ووصية[4].

أمرّ: أكثر مرارة من جميع ما يكابده الإنسان في الدنيا من الشدائد[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب. قال المنذري في ترغيبه (١٤٥/٤): فيه محرر، ويقال محرز بالزاي، وهو واهٍ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٩١٣). وسيتكرر برقم (٥٨٣).

(٢) المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي ٥١.

(٣) انظر: النهاية: في (ج هـ ز)، والقاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي في (ف ن د). والوجيز في (هـ ر م).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٤٤.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٤٤.

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يتسم ببراعة اللفظ وجودة العبارة، وجمال المعنى، وفخامة المبنى، ويقول القاضي عياض: في كتابه "الشفا" في معرض إشادته بفصاحة المصطفى ﷺ: "فجمع له بذلك ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة الحاضرة، ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر، وقالت أم معبد[1] في وصفها لرسول الله ﷺ: (حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن، وكان جهير الصوت، حسن النغمة ﷺ)[2].

وفي ضوء هذه المعالم للبيان النبوي نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي يحض على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

وفي قوله ﷺ: "بادروا بالأعمال سبعاً"، فيه توجيه إلى أن الأمر سباق بين الخير والشر، وبين الصلاح والفساد، والحديث السابق يصور ذلك الصراع بين الأعمال الصالحة، والفتن التي ستكون كقطع الليل المظلم[3]، وهذا الحديث يعدد مظاهر هذه الفتن المتراكمة كظلمات بعضها فوق بعض، ويبدأ الحديث بفعل الأمر "بادروا بالأعمال سبعاً" والأمر للوجوب، والمؤمن لا يجب عليه إلا فعل العمل الصالح، ولذلك عرف الأعمال بأل، وهى للعهد، ويقصد بها الأعمال الصالحة، كما ورد في الحديث السابق، وكأن الأفعال غير الصالحة لا تستحق هذه الصفة، صفة العمل، لأنها لا تثمر شيئاً ذا بال، ولا تقدم نفعاً لأي إنسان بل إنها تضر وتفسد وتظلم الحياة وتنزع منها النور والضياء.

والاستفهام الذي يتصدر بيان هذه المظاهر: "يثير الانتباه واليقظة، وينعى هؤلاء المقصرين الذين لا ينتظرون إلا ما يضرهم، "هل تنتظرون إلا...". والتعبير بالفعل المضارع

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

(٢) الشاف ١٦٤/١ ط/ دار الفكر، بيروت.

(٣) هو الحديث رقم ٨٧ وهو أول حديث في هذا الباب.

في صيغة الجمع يعلن عن استمرار هذا الانتظار الذي لا يجنون من ورائه ثمرة نافعة. وتأتي صيغة المضارع: تجئ صيغة: "القصر" لتعلن أنه لا فائدة ولا ثمرة من هذا الانتظار إلا الوقوع في براثن الفتن.

وهذه المظاهر السبعة للفتن تتسم صياغتها بالتوازي الأسلوبي ومراعاة النظير في حسن تقسيم العبارات في المظاهر الخمسة الأولى، وتنكير الألفاظ الدالة على مظاهر الفتن يدل على عدم التقليل من شأنها، أو التهوين من قيمتها (فقرًا - غنى -مرضاً - هرماً- موتاً" ولفظ "الدجال" و"الساعة" جاءا مُعرفين لأنهما لن يتعددا، وأما المظاهر السابقة فتتعدد حالات كل منها، بتعدد الأشخاص، وتغير المواقف، وإتحاد صيغة الوصف مع الإيقاع الصوتي الذي يحدثه الترنم في التنوين يضاعف من التأثير في نفس السامع، ويحدث الخشية المطلوبة، فالأوصاف كلها جاءت في صيغة اسم الفاعل: الفقر المنسي والغنى المطغي، والمرض المفسد، والهرم المفند أي الذي يؤدي إلى الكذب والخرف والموت الذي أتي بغتةً سريعًا.

وفي ذلك إسناد الفعل إلى المعاني والأحوال المقصودة على سبيل المجاز المرسل× لأنها من أسباب وقوعها، فالفقر بلا إيمان ورضا، يؤدي إلى الجحود والنسيان، والغنى بلا تقوى وشكر، يؤدي إلى الطغيان وجحود النعمة، وإنكار فضل الله عز وجل، والمرض الذي لا يصاحبه صبر واحتساب واستسلام لأمر الله يفسد حياة الإنسان وعقله وبدنه ويمنعه من أداء العبادة على الوجه الأكمل، والهرم وهو كبر السن، يُسلم الإنسان إلى الخرف، والتيه والأوهام والكذب. والموت يقضي على آمال الإنسان وطموحاته، ويخسر كل شيء إن لم يبادر بالأعمال الصالحة.

وكل مظهر من هذه المظاهر السابقة يحتاج إلى عرض أبعاده، وسبر أغواره، وتحليل أسبابه، ورصد نتائجه، ومن هنا ندرك أسرار الإيجاز وبلاغته في هذا الحديث وفي البيان النبوي عامة.

ومن أسرار الجمال التعبيري في هذا الحديث ترتيب أحوال ومظاهر الفتن وكأن بعضها يؤدي إلى البعض الآخر.

والعبارتان الأخيرتان تنفردان بإيقاع خاص، حيث يتغير السجع (غائب ينتظر، أدهى وأمرّ يجئ لفظا الدجال، والساعة معرفين غير منكرين مثل الظواهر الخمسة الأولى، لأنهما - كما قلت سابقًا- لا يتكرران، فالدجال أمره معروف، وهو من علامات اقتراب الساعة، والساعة أماراتها معروفة، وفصلتها السنة النبوية. وأوجز الحديث بعض آثارها: فجاء بفعلي التفصيل: "أدهى وأمر"، أي أنها أدهى وأمر من أمر الدجال، ومن كل المظاهر السابقة: فهى أشد مرارة من عذاب الدنيا وأهوالها، وفي وبداية سورة الحج تحديد لبعض مظاهر هذا الهول، حيث يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

ثالثاً: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما يمنعهم من الطاعة وتخويفهم من الغفلة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والترهيب:

١- **الأمر:** حيث جاء في الحديث "بادروا" ومما هو معلوم أن أسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به، ووجوب تنفيذه خاصةً إذا صدر من الرسول الكريم ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى، وقد كثر في القرآن استخدام أسلوب الأمر لحث المدعوين على الطاعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[3] وقوله جل شأنه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ

---

(١) سورة الحج: ١-٢.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾[١] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي جاء بها أسلوب الأمر.

٢- **الترهيب**: لقد ورد الترهيب من عدد من الأمور التي قد تحول بين الإنسان وقيامه بالأعمال الصالحة، ومن تلك الأمور التي ورد الترهيب منها: الفقر، أو الغنى، أو المرض، أو الهرم، أو الموت أو الدجال. "فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة الناجعة التي تخوف النفس البشرية من الوقوع في المحاذير الشرعية (والترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وكما يكون الترغيب بنيل رضى الله ورحمته فإن الترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[٢] أما عن هدف الترهيب فإن (الترهيب القولي يهدف إلى إنشاء الخوف في قلوب الناس ويستطيع الداعية من خلال الترهيب أن يجعل القلوب ترق وتذوق طعم الإيمان وترى السعادة في عبادة مولاها وطاعته وترى الحرمان في البعد عنه سبحانه)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية المبادرة إلى الأعمال الصالحة:

حيث جاء في الحديث "بادروا بالأعمال سبعاً" قال المباركفوري: (أي سابقوا وقوع الفتن بالاشتغال بالأعمال الصالحة، واهتموا بها قبل حلولها، قال القاري: خرج هذا مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي متى تعبدون ربكم، فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل، وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى؟ لعل أحدكم ما ينتظر إلا غنى مطغياً. والقصد من الحديث الحث على البدار بالعمل الصالح قبل حلول شيء من ذلك)[٤].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضل المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قال الله

---

(١) سورة الحج، آية: ٢٧.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، ٨٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٤٤.

تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1] وقال جل شأنه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[3] ووصف الله من أنبياءه زكريا ويحيى عليهما السلام بقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[4] وبعد أن بين الله نعيم الجنة وما أعده للذين يعملون الصالحات قال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[5] وحث الله سبحانه على الإنفاق والطاعة قبل حلول الموت فقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[6] وفي نفس المعنى جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[7].

ثالثاً- من واجبات الداعي: تحذير المدعوين مما يمنعهم من الطاعة وتخويفهم من الغفلة:

حيث جاء في الحديث "هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً..." ولاشك أن الداعي من أهم واجباته أن يحذر المدعوين من المخالفات الشرعية، ومما يحول بينهم وبين الطاعة وقد وصف الله رسوله في القرآن بقوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٦) سورة المنافقون، آية: ١٠، ١١.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[١] وقد بين النبي ﷺ أن الإنسان مسؤول أمام الله إن تكاسل ففي الحديث ((لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ))[٢].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٦٩).

الحديث رقم (٩٤)

٩٤- **الثامن:** عنه أَن رسولَ اللّه ﷺ قال يوم خيْبر: «**لأعطِينَّ هذِهِ الراية رجُلا يُحبُّ اللّه ورسُوله، يفتَح اللّه عَلَى يديهِ**» قال عمر رضي الله عنه: ما أَحببْت الإِمارة إلاَّ يومئذٍ، فتساورْتُ لهَا رجَاءَ أَنْ أُدْعى لهَا، فدعا رسول اللّه ﷺ عليَ بن أبي طالب رضي الله عنه، فأَعْطَاه إِيَّاها، وقالَ: «**امش ولا تلْتَفتْ حتَّى يَفتح اللّه عليكَ**» فَسار عليٌّ شيئاً، ثُمَّ وقف ولم يلْتفتْ، فصرخ: يا رسول اللّه، على ماذَا أُقاتل النَّاس؟ قال: «**قاتلْهُمْ حتَّى يشْهدوا أَنْ لا إله إلاَّ اللّه، وأَنَّ مُحمَّداً رسول اللّه، فَإِذا فعلوا ذلك فقدْ منعوا منْك دماءَهُمْ وأَموالهُمْ إلاَّ بحَقِّها، وحِسابُهُمْ على اللّهِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فتساورت: هو بالسين المهملة: أي وثبت متطلعاً[2].

الشرح الأدبي

هذا المشهد الواقعي من مشاهد الصراع بين المسلمين واليهود، يرويه أبو هريرة في أمانة وصدق؛ ليظل نبراساً ومنهاجاً للبطولة الإسلامية، وليقدم درساً عملياً في التنافس والمبادرة إلى فعل الخيرات في كل ميادين الحياة، وميدان الجهاد هو الأولى بالتضحية والشجاعة والفداء.

وغزوة خيبر إحدى حلقات الصراع المستمر إلى يومنا هذا بين المسلمين واليهود الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، والذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ﴾[3].

وفي خيبر تحدث معجزات كثيرة، ويستجيب الله لحبيبه محمد ﷺ في مواقف متعددة.

---

(١) برقم (٢٤٠٥/٣٣).

(٢) رياض الصالحين ٨٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.

وأحداث هذه الغزوة وقعت بعد صلح الحديبية، حيث رجع الرسول ﷺ من الحديبية في ذي الحجة وخرج في بقية المحرم إلى خيبر، كما يروي ابن إسحاق[١]، ومن مظاهر التأييد والبشارة في هذه الغزوة أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله، لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء، فلم يجدوا عند رسول الله شيئاً يعطيهم إياه، فقال: "اللهم قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء وأكثرها طعاماً وودَكا، فغدا الناس ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه[٢].

وحين امتنعت بعض الحصون على بعض القواد من الصحابة: قال رسول الله ﷺ: "لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه"، وهذا الوعد يتحصن بالقسم والتأكيد فالتقدير: "والله لأعطين" واسم الإشارة "هذه" فيه تعظيم للراية، وتحديد لها، فهي سواها؛ لأنها راية الإسلام التي يحب أن تظل خفاقة نابضة بالتوحيد، والقوة. ولفظ "رجلاً" جاء في ثوب النكرة للتعميم والتشويق ولفظ "رجلاً" يوحي بالقوة وتحمل المسؤولية والإيمان القوي؛ ولذلك وصف هذا الرجل بأنه يحب الله ورسوله، والله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وهذه الصفة يشترك فيها كثير من الصحابة، ولكن العبارة الثانية وهي: "يفتح الله على يديه" تمثل خصوصية لحال ذلك الرجل الذي يحب الله ورسوله، وقد تنبأ الرسول بأنه يفتح الله على يديه عض حصون خيبر. وقد تحقق هذه الوعد، ونصر الله عبده، وأعز جنده، ويروى أن رسول الله ﷺ: بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته وكانت بيضاء، إلى بعض حصون خيبر فقاتل، فرجع ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل، فرجع ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله[٣].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٣٤٦/٣ وفي سنده مجهول.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام ٢٨٢/٣ بتحقيق: السقا والإيباري وشلبي.

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية ٣٤٩/٣ .

وما أصدق التنافس في الخير بين الصحابة! وعمر رضي الله عنه يتمنى أن يكون هو ذلك الرجل، ويحاول أن يظهر نفسه لرسول الله حيث وثب متطلعاً حباً في التضحية والدفاع عن الإسلام، فيقول: "ما أحببت الإمارة إلا يومئذ" وهو الذي رفض أن يكون ابنه خليفة من بعده، ويختار رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، ولا يغضب عمر، ولا يغضب غيره من كبار الصحابة، ويحدد الرسول لعلي المنهج ويصدر أمره الصارم، حيث يقول له: "امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك"، أي لا يشغلك أي شاغل عن الجهاد[1]، ويشير الرسول إلى الفتح من عند الله. في قوله: "حتى يفتح الله عليك".

ولنتأمل هذا المشهد الإيماني المنهجي، ويصرخ علي متسائلاً ولم يلتفت: "على ماذا أقاتل الناس؟" وهذا السؤال يرشد إلى ضرورة اقتناع الجندي بما يفعل، وإلى ضرورة أن تكون هناك قضية يدافع عنها، ويوضح له الرسول المنهج وهو أن الجهاد يكون من أجل الإقرار بالتوحيد وإعلاء راية الإسلام، وتحقق النصر المبين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم عصمة الأنفس والأموال بنطق كلمة التوحيد، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله فقد عصمت نفسه وماله إلا بحقه، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك فقال: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أنه إذا قال الكافر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣١/٧ وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤٣/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ١٠٠/٧، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ١٤٤/٣ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٦٤/٨، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ٣١/٦، وشرح منتهى الإرادات ٦٢٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٤٠/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٨/٣٠ وما بعدها.

وأن كل ما جاء به محمد حق وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام وهو صحيح العقل أنه مسلم، فهو محمول على حكم الظاهر دون الباطن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشويق، الأمر والنهي.

ثانياً: من واجبات المدعو: التطلع لإدراك الفضل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة علي بن أبي طالب >.

رابعاً: من واجبات المدعو: الاستفسار والسؤال عن الأمور المهمة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الجهاد لإعلاء كلمة الله.

سادساً: من موضوعات الدعوة: حرمة الدماء في الإسلام.

سابعاً: من تاريخ الدعوة: فتح خيبر.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشويق، الأمر والنهي:

١- **التشويق:** ويظهر هذا من قول النبي ﷺ: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه)، وفي هذا الإبهام للرجل، وبيان أنه يحب الله ورسوله تشويق للمدعو للفت انتباهه، "وعلى الداعية أن يكون حسن الأداء، ومن حسن الأداء التشويق، ونعني به قدرة الداعية على جعل الحديث مشوقا بحيث يستمر المدعو في متابعته للداعية لما يرى ويجد فيه من جودة تجذبه إليه فمتى استطاع الداعية أن يستثير اهتمام المدعوين فإنه قد استحوذ على مشاعرهم وتمكن من جذبهم إليه"[١].

٢- **الأمر والنهي:** حيث جاء في الحديث: (امش)، و(لا تلتفت)، ومما لا شك فيه أن الأمر والنهي أسلوب من أساليب الدعوة، وهو أسلوب له دوره الرئيس في شد انتباه المدعوين وإشعارهم بأهمية المأمور به أو المنهي عنه، ومن أساليب الأمر في القرآن الكريم ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢]، وقوله جل شأنه: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[٣]،

---

(١) انظر: عدة الداعية المسلم، د. حمدان الهجاري، ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٣.

ومن أساليب النهي في القرآن قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٢].

ثانياً- من واجبات المدعو: التطلع لإدراك الفضل:

يظهر هذا من قول عمر رضي الله عنه: (ما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ فتساورت لها رجاء أن أدعى لها)، قال الإمام النووي: (إنما كانت محبته لها لما دلت عليه الإمارة من محبته لله ورسوله ﷺ ومحبتهما له والفتح على يديه، وقوله: فتساورت لها، أي: تطاولت لها، أي: أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني)[٣]، والمدعو يجب أن تكون همته عالية لإدراك معالي الأمور، وشرف الأحوال، وهذا تعليم نبوي حميد فقد جاء في الحديث: ((فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ))[٤].

ومما هو معلوم أن (علو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة ومن ظواهره الجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى المعالي، وإنما تعلو قيمة المرء، وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة؛ ذلك أن علو الهمة يستلزم الجد والإباء، ونشدان المعالي وتطلاب الكمال، والهمة العالية لا تزال بصاحبها ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد، وعظيم الهمة يشتد حرصه على الشرف، حتى لا يكاد يشعر بما يلاقيه في سبيله من أنكاد وأكدار، وعظيم الهمة لا يشغل باله أمر صغير، ولا يقلق فكره عمل يسير، بل يقوم بجلائل الأعمال التي تتعصى على أولي القوة من الرجال:

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

فلقد جرت سنة الله في خلقه ألا ينهض بالمقاصد الجليلة، والغايات البعيدة غير النفوس التي عظم حجمها، وكبرت هممها)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: "فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأعطاه إياها"، ولا شك أن هذا يدل على فضل ومنزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الإمام ابن حجر: (هو أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين فرُبي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له أنت أخي ومناقبه كثيرة حتى قال أحمد لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي رضي الله عنه)[2].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه: ((أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى؟))[3]، وقد دلت الكثير من الأحاديث والآثار على فضل علي رضي الله عنه.

ومن ذلك ما جاء في الحديث أن علياً رضي الله عنه كان يقول: (والله إِنَّهُ لَعَهْدُ النبي الأمي إِلَيَّ أَنْ لاَ يُحِبَّنِي إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضَنِي إِلاَّ مُنَافِقٌ)[4]، ولما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وهو شاب ليقضي بينهم قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَدْرَهُ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وَسَدِّدْ لِسَانَهُ)) فَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: فَوَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ بَعْدُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ)[5]، وعن راذان قال: سمعت عليا في الرحبة وهو ينشد الناس: مَنْ

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧ - ١٠٩ بتصرف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة ٦٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٠٦، ومسلم ٢٤٠٤.

(٤) أخرجه مسلم ٧٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٣١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٩).

شَهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، وَهُوَ يَقُولُ مَا قَالَ؟ فَقَامَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ)) (١).

وعن عمرو بن حبش قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه فقال: (لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ بِالأَمْسِ، مَا سَبَقَهُ الأَوَّلُونَ بِعِلْمٍ، وَلاَ أَدْرَكَهُ الآخِرُونَ، إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَبْعَثُهُ وَيُعْطِيهِ الرَّايَةَ، فَلاَ يَنْصَرِفُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ، وَمَا تَرَكَ مِنْ صَفْرَاءَ، وَلاَ بَيْضَاءَ، إِلاَّ سَبْعَمِئَةِ دِرْهَمٍ مِنْ عَطَائِهِ، كَانَ يَرْصُدُهَا لِخَادِمٍ لأَهْلِهِ)(٢).

رابعاً- من واجبات المدعو: الاستفسار والسؤال عن الأمور المهمة:

يتضح هذا من موقف علي رضي الله عنه عندما صرخ وقال: (يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟) ومما لا شك فيه أن الاستفسار والسؤال مطلب قرآني، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، قال السعدي: (ويجب السؤال في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)(٤)، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾(٥)، وبناء على هذا كان من أهم واجبات المدعو أن يستفسر عن الأمور المهمة، وواجب الداعية أن يوجهه إلى الصواب، ويجيبه على ما سأل.

---

(١) أخرجه أحمد ٨٤/١، رقم ٦٤١، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٧١/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/١، رقم ١٧٢٠، وقال محققو المسند: حديث حسن، ٢٤٧/٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

خامساً- من موضوعات الدعوة: الجهاد لإعلاء كلمة الله:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: "قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، والجهاد له فضل عظيم وشرف كبير، وهذا ما دلت عليه النصوص الشرعية ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى آمراً بالجهاد: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2]، وبيّن ثواب المجاهدين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3].

وبيّن أن الجهاد في سبيل الله هو التجارة الرابحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، وجعل الرسول الكريم ﷺ الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ سُئِلَ: أيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فقال: ((إيمانٌ باللّهِ ورَسولِهِ)). قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله)). قيل: ثُمَّ ماذا؟ قال: ((حَجٌّ مَبْرور))[5].

وهذه النصوص السابقة تبين فضل الجهاد في سبيل الله، (ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان كانت منازل الناس عند ربهم في الدنيا والآخرة حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات، فمن حاز قصب السبق منه

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٠.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته عنه، لم يجز تسويته بالمجاهدين، فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، ولقد جاهد النبي ﷺ في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله، وجاهد بقلبه، وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد، وينبغي على المسلم أن يجاهد في الله حق جهاده بأن يستعمل جميع ما أوتي من طاقة في جهاد نفسه وشيطانه وأهل الكفر والنفاق والمنكر في الأرض)[1].

سادساً- من موضوعات الدعوة: حرمة الدماء في الإسلام:

حيث جاء في الحديث: "فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها"، ويدل هذا على حرمة دم المسلم وبهذا جاءت النصوص الشرعية وتوعدت من يقتل مؤمناً متعمداً بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[2]، وجعل من يقتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3].

وبيّن الرسول ﷺ أن الدماء أول ما يقضى فيها، ففي الحديث: ((أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فِي الدِّمَاءِ))[4]، وفي الحديث أيضاً: ((إنَّ الله تعالى حَرَّمَ دِمَاءَكُمْ وأموالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِي هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هذا..))[5].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((أَكْبَرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله،

---

(١) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٣٣، واللفظ له، ومسلم ١٦٧٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٧٨٥.

وقتلُ النفسِ، وعقوقُ الوالدينِ، وقولُ الزورِ))، أَوْ قالَ: ((شَهَادَةُ الزورِ))[١]، وعن الأحنف بن قيس قال: ذَهبتُ لأنْصُرَ هذا الرَّجُلَ، فلَقِيَني أبو بَكرةَ فقال: أينَ تُريدُ؟ قلتُ: أنصُرُ هذا الرَّجُلَ: قال: ارْجِعْ، فإنّي سَمِعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: ((إذا الْتقَى المُسْلِمان بسَيْفَيْهما فالْقاتِلُ والمقتولُ في النار)). فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ هذا القاتِلُ، فما بالُ المقتول؟ قال: ((إنه كان حَريصاً على قتلِ صاحبه))[٢].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ. وَقِتَالُهُ كُفْرٌ))[٣]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللّه أنْ يَغْفِرَهُ إلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً أوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً))[٤]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))[٥]، ومن خلال هذه النصوص القرآنية والنبوية الكريمة يتبين حرمة الدماء في الإسلام، فيجب على الداعية الحصيف أن يسوق هذه النصوص للمدعوين ويذكرهم لإظهار رعاية الإسلام لحرمة دم المسلم.

سابعاً- من تاريخ الدعوة: فتح خيبر:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (يوم خيبر)، ويعتبر فتح خيبر من المعالم البارزة في تاريخ الدعوة إلى الله، "وكانت غزوة خيبر في المحرم سنة (٧ هـ) وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة المنورة في جهة الشمال، وكانت خيبر لها ثمانية حصون، وكان الفتح فيها على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغنم المسلمون منها مغانم كثيرة"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧١ واللفظ له، ومسلم ٨٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٧٥ واللفظ له، ومسلم ١٨٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٧٦، ومسلم ٦٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٢٧٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٨).

(٥) أخرجه النسائي ٣٩٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٧٢٢).

(٦) انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري ٣٦٤.

قال ابن عبدالبر: (وكان الفتح في خيبر على يد عليّ رضي الله عنه، قال ابن إسحاق: وآخر ما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم الوطيح والسَّلالم، وقال موسى بن عقبة: حاصر رسول الله ﷺ حصون خيبر بضع عشرة ليلة، وكان بعضها صلحاً وأكثرها عنوة، وقال ابن إسحاق: وقسم رسول الله ﷺ أرض خيبر كلها لأنه غلب على جميعها عنوة. وحاصر رسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنهم الوطيح حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل)[1].

وقال محمد الغزالي معقباً على فتح خيبر: (ولا ريب أن الهزيمة التي أصابت بني إسرائيل في خيبر قضت على كيانهم العسكري في الجزيرة قضاءً تاماً، ومدَّ الإسلام رواقه على هذه الأرض، بعد أن ظلت حيناً من الدهر في أيدي اليهود، يعيشون عليها كما يشتهون، والعظة التي نستخلصها من هذه المعارك وما أعقبها من جلاء أن الأرض لله يورثها من يشاء، وهو لا ينتزعها من قوم، ويعطيها آخرين محاباة، كلا، ولكن الأمة التي تفسد على النعمة تسلبها، ثم تساق النعمة إلى من يقدرها ويشكر الله عليها، والأمة التي تتكبر مع الحرية، وتتبطر، تفقد امتلاكها لنفسها وحقها وأمرها، لتقع في إسار الآخرين فيصرفون شؤونها كما يشتهون، وقد طبق هذا القانون بقسوة على بني إسرائيل عندما أهدروا أحكام التوراة وتبعوا الهوى، وطبق بعد ذلك على المسلمين يوم سدروا في الغواية وجحدوا ما لديهم من هداية)[2].

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ٢٠٠.

(٢) فقه السيرة ٣٤٨ - ٣٤٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب[1]

مدخل:

إرادة السبق فطرة بين الناس، وما من إنسان إلا وهو حريص على أن يسبق غيره في ميادين شتى، ومن هذه الميادين ما لا خير فيه ولا نفع، وقد غلب - في زمن العولمة الثقافية - اللهو على غيره من وسائل السبق.

والإسلام حريص على أن يكون السبق في ميدان الخير الذي يعود على الفرد والمجتمع بالخير ووردت الكلمة بصيغة العموم لتذهب النفس فيها كل مذهب فاستبقوا الخيرات ولهذا رأينا منهج الإسلام في الآتي:

أولاً- غرس قيمة المبادرة إلى فعل الخيرات:

إن الآجال قدرها الله تعالى، فهي مجهول للناس، ولذا فإن أجل الإنسان ليس معلومًا، وكذلك فإن الصحة والمال وكل أعراض الدنيا ربما تزول سريعاً، ولهذا فقد حرص النبي ﷺ على تربية صحابته على اغتنام الفرصة لعمل الخير والمسارعة إليه، ولهذا فقد جسَّد النبي ﷺ هذه القيمة قولاً وفعلاً، يقول ﷺ: «بادروا بالأعمال....»، ويقول في الصدقة: «وَلاَ تُمْهِلَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ».

ويقول محذرًا من ضياع الفرصة، وانتهاء الأجل وقيام الساعة: "بادروا بالأعمال سبعًا...."، وأما أفعاله فمنها أنه ﷺ: «صلى العصر ثم انطلق إلى إحدى زوجاته ثم خرج مسرعاً، وعندما سُئل عن ذلك قال: "كنتُ خَلَّفتُ في البيتِ تِبراً منَ الصَّدَقةِ، فكرِهتُ أنْ أُبيِّتَه".

تلك هي روح الإسلام وتنشئته لأبنائه؛ إنها تنشئة على اغتنام فرصة الغني قبل الفقر، والصحة قبل المرض، والفراغ قبل الشغل، والحياة قبل الموت، وإن من يستشعر هذه الروح فإنه سيكون مقداماً إلى الخيرات، ومتولياً عن الآثام، وسرعان ما يتراجع الظالم عن ظلمه؛ إذا علم أن الحياة قد تنتهي وهو على ظلمه، وكذلك فإن العابد

---

(١) رقم (٩، ١٠).

الشاكر يزداد في عبادته وشكره؛ لأنه على يقين بأن كل شيء قد ينتهي في لحظة واحدة، بالمرض أو الفقر أو الموت أو الساعة.

فالشخصية الإسلامية لتيقّنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء، وهي حياة أبدية، فإننا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سبّاقة إلى كل فعل خير، وما ذلك إلا ليكون لها زاداً تتزود بها إلي يوم القيامة، وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل[1].

ثانياً- التربية بالمواقف والأحداث:

ويبدو ذلك جلياً من خلال موقفه ﷺ حين خرج مسرعاً يتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، حتى إن الناس قد فزعوا من سرعته ﷺ، فلمّا عاد سُئل عن ذلك، فقال: "ذَكَرْتُ شيئاً مِنْ تِبرٍ عندنا فكرهتُ أنْ يحبِسَني ..."، وذلك تربية لصحابته بالموقف وليس بمجرد الكلام المباشر فحسب.

ولهذه الطريقة فائدة كبيرة في العملية التربوية؛ فإن المتلقي حين يرى هذا الموقف من أستاذه، وكيف أسرع بعد الصلاة مباشرة، وكيف تركهم ولم يفسِّر لهم الموقف إلا بعد عودته، كل ذلك فيه غرس للمبدأ أو القيمة المراد غرسها بكفاءة تفوق مجرد الوعظ، فإن المرء قد يتذكر الموقف العملي أكثرمن تذكره للكلام المجرد؛ ويكون التقويم أقرب إلى النفع للمتربي إذا اقترن الموقف بالتوجيه والتفسير، مثلما رأينا في هذا الحديث.

إن الناشئ "يتأثر بالمربي من خلال قيامه بأداء العبادات وحرصه عليها واهتمامه بها بطريقة غير مباشرة، بحيث يكون ذلك حافزًا وحاثًّا له على أن يختار هذا السلوك لنفسه، ما دام مربيه الذي يحبُّه ويكبره يفعل ذلك ويحرص عليه"[2].

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي، ص٣٦٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٧٦.

ثالثاً- التربية على خلق الكرم والعطاء:

لقد دعا الإسلام مراراً إلى تغلب الإنسان على حرصه وشُحِّه ببذل ما يستطيع بذله للمحتاجين، متصدِّقاً عليهم، ورافعاً من حالهم من الفقر إلى سدِّ الحاجات الضرورية لهم، ولهذا فقد ربَّى النبي ﷺ صحابته الكرام على البَذْل والعطاء، حتى في حال الفقر، يقول ﷺ: "أن تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى".

تلك من سمات المسلم الحق، والجود والكرم من أساسيات التربية الإسلامية؛ لأن الإنسان "إذا ما اتصف بالسَّخاء زكت نفسه، ولانت عريكتُه، وقاده ذلك إلى أن يترقى في مكارم الأخلاق، ومدارج الفضيلة، فالكريم قريب من كل خير وبرٍّ، ولهذا فقد كان الأكابر يبادرون إلى تلك الخصلَة، ويحرصون كل الحرص على اكتسابها، ويوصون غيرهم بأن يتحلى بها"[1].

رابعاً- التربية على عُلُوِّ الهمَّة:

إن النبي ﷺ حرص على تربية أصحابه رضي الله عنهم وتنشئتهم على علوّ الهمة، وسمو أنفسهم لبلوغ معالي الأمور، فليس يكفي المسلم إلا أعلى الدرجات، وليس يقنعه الفتات، إنما تراه دائماً سامقاً إلى العلا، طالباً بجده واجتهاده وهمته العالية الثريا، وهذا رسول الله ﷺ في إحدى غزواته يأخذ سيفه ويقول: «من يأخذ هذا مني؟»، فيتبادر الصحابة إلى تناوله، ولكنه قال: «فمن يأخذه بحقه؟»، فأحجم الجميع، ولكن أبا دجانة رضي الله عنه بعلو همته أبى إلا أن يكون صاحب هذا السيف، فأخذه وقاتل وقتل المشركين.

وفي فتح خيبر عندما أخبر ﷺ أنه معط الراية لرجل «يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ...» يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا»، حرصاً منه على أن يبلغ أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة.

وإنما تعلو قيمة المرء وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة، ذلك أن علو الهمة

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ص٥٢٥.

يستلزم الجد والإباء، ونشدان المعالي، والترفع عن الدنايا والصغائر ومحقرات الأمور[١].

خامساً: غرس خلق الصبر في نفوس المتربين:

إن غرس الصبر في النفوس من المبادئ التربوية التي أمر بها الإسلام؛ فعندما يُصاب الإنسان بمكروه فإنه يحتاج إلى الصبر، وعندما يحرم خيراً فإنه كذلك يحتاج إلى الصبر، إن العبادات أيضاً تحتاج إلى الصبر، يقول النبي ﷺ: «اصبروا، لاَ يَأْتِي زَمَانٌ إِلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حتى تلقوا ربكم». وليس في ذلك دعوة للتشاؤم بالأيام المقبلة؛ بل هو توطين للنفوس على تحمل المكاره، والصبر عليها، وذلك من واقعية التربية الإسلامية.

إن النبي ﷺ أخبر بأن الشر يتفاقم وينمو كلما مرَّت الأيام، وأمر صحابته الكرام بالتحلي بخلق الصبر، الذي يستطيعون به العبور عبر لجج الابتلاءات، وحمأة المكاره في أيام الظلمات.

قال أبو حامد الغزالي في الصبر وضرورته في جميع الأحوال: "اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: أحدهما: هو الذي يوافق هواه، والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما، فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر"[٢].

سادساً: نشر روح هدي النبي ﷺ في التربية والتعليم، إخبار الإنسان من يحبه بأنه يحبه:

وفي هذا سبيل لتقوية الروابط بين المسلمين وإعلاء قدر أهل الخير "لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسول ويحبه الله ورسوله.

سابعاً: من الأسس العلمية التعليمية ما يلي:

١- توجيه المنهج من المعلم إلى المتعلم.

---

(١) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص١٠٧.

(٢) تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص٣١٠.

٢- قبول المتعلم نصح معلمه وموجهه.

٣- سؤال المتعلم عما أشكل عليه، فعليّ رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماذا أقاتل الناس؟

٤- من حق كل إنسان أن ينال شرف الذكر بالخير، وأن يكون صاحب الفضل في موطن الفضل، ولا يعد هذا أثرةً، بل هو من باب قول الحق: "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".

۞ ۞ ۞

١١- باب المجاهدة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾[المزمل: ٨]: أي انْقَطِعْ إِلَيْه، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[المزمل: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٧٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث:

الحديث رقم (٩٥)

٩٥- **فالأول:** عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللَّه تعالى قال: منْ عادى لي وليًّا. فقدْ آذنتهُ بالْحرْب. وما تقرَّبَ إِلَيَ عبْدِي بِشْيءٍ أَحبَّ إِلَيَ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ: وما يَزالُ عبدي يتقرَّبُ إلى بالنَّوافِل حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحبَبْتُه: كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ به، وبَصره الذي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ التي يَبْطِش بهَا، ورِجلَهُ التي يمْشِي بها، وَإِنْ سألَنِي أَعْطيْتَه[1]، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنه»** رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

آذنته: أعلمته بأني محارب له[3].

افترضت: أوجبت[4].

---

(١) لفظ البخاري: (لأعطينه).

(٢) برقم (٦٥٠٢).

(٣) رياض الصالحين ٨٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ج ب).

النوافل: المفرد: النفل: وهو ما كان زائدًا عن الواجب صدقة كان أم صلاة أم صيامًا أم غير ذلك[١].

استعاذني: روي بالنون والباء[٢]، أي لجأ إلي واعتصم بي[٣].

الشرح الأدبي

من إشراقات هذا الحديث القدسي تنبعث أشعة الهداية وأنوار الولاية، وفيوضات القرب من الله عز وجل، ويعلن الحق سبحانه وتعالى حمايته لأوليائه. والحديث يحدد علامات الولي الذي يستحق دفاع ربه عنه، فمحصلات الولاية أنه لا يُقَرِّب من الله إلا أداء الفرائض الظاهرة، كالصلاة، والزكاة، وترك الفواحش، وأكل أموال الناس بالباطل، والفرائض الخفية: الباطنة كالعلم بالله والتوكل عليه.

ونقتبس من الحديث مظاهر الولاية وعلامة صاحبها، فالولي هو الذي يتعلق بالخالق لا بالمخلوق، وهو الذي يطلب الفضل من الله لا من الناس، وهو الذي يملأ سمعه بذكر الله، وبصره بما يرضى الله، ويبطش بيده في سبيل الله، ويمشي إلى بيوت يذكر فيها اسم الله[٤]، ولا يرتاد أماكن الخنا واللهو والفجور، ولا يسعى في حرام ولا إلى حرام، وهو مستجاب الدعاء، متحقق الرجاء، ينعم بحماية العزيز الجبار، الكبير المتعال.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث القدسي الشريف؛ والحديث تسمو كلماته، وتشرف معانيه، وتسمق مبانيه، وتشع أصداؤه بالهدى الإلهي لأنه صادر عن الله عز وجل، وكل ألفاظ الحديث يتكلم بها الله سبحانه، وشاهد ذلك أن في الحديث أربعة عشر موضعًا فيها ضمائر: ضمير ياء المتكلم أو ضمير هاء الغيبة أو تاء

---

(١) معجم لغة الفقهاء ٤٥٦.

(٢) رياض الصالحين ٨٩.

(٣) الوسيط في (ع و ذ).

(٤) انظر: المنهل العذب الفرات من الأحاديث الأمهات، د. عبد العال أحمد عبد العال ٦/٢٣.

المتكلم، وهي تمثل شرايين الحديث، وأنفاسه ونبضه الحي، الذي يشد السامع، ويؤثر في النفوس المؤمنة. وتكرّر لفظ عبدي مرتين، تكريمًا للمؤمن الذي حظي بمرتبة الولاية والحماية من الله عز وجل. ولفظ "ولي" يمكن تفسيره حسب دلالته اللغوية: فهو إمّا على وزن فعيل بمعنى مفعول، وهو من تولى الله أمره، فلم يكله إلى نفسه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1]. وإما على وزن فاعل وهو من تولى عبادة الله وطاعته، وكلا الوصفين واجب، حتى يكون الولي وليًا، فمن شرط الولي أن يكون محفوظًا وأن يكون قائمًا بحقوق الله على وجه الاستقصاء والاستيفاء، والجار والمجرور لي متعلق بمحذوف حال من "وليا" أي حالة كونه وليًا لي: أي الله، وأصله صفة للولي قدمت عليه[2].

وهذه الجملة المشعة بحماية الله عز وجل لأوليائه صيغت في قالب الشرط والجزاء، ويوحي ذلك بتحقيق الجواب، وهو إعلان الحرب على من يعادي أولياء الله، ومن حاربه الله أهلكه، لأنه لا يغلبه غالب، وأطلق الإيذان بالحرب، وأكد ذلك بقد، ولكن أريد لازمة من باب الكناية بوسائط، لأن من كره حبيب الله خالف الله، ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة، ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله، وفي ذلك تهديد شديد للمعادي، وإكرام بالغ للموالي.

والتعبير بالفعل "عادى لي وليًا" وهو يفيد المفاعلة، أي المعاداة من الجانبين، ويوحي بأن الولي يعادي مع أن شأنه الحلم والصفح عمن يجهل عليه، وهذا الإيحاء ليس على إطلاقه، لأن المعادلة لا تنحصر في الخصومة الدنيوية التي تتسم بها معاداة من يعادي الأولياء، فالمعاداة من الولي تكون لله تعالى، وفي الله أي من أجل حماية الدين، والدفاع عن القيم والأخلاق الإيمانية، أما الجانب الآخر فهو غير ذلك، وقيل إن "فاعل" هنا وهى

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٦ .

(٢) انظر: المنهل العذب الفرات من الأحاديث الأمهات، د. عبد العال أحمد عبد العال ٦/٢١.

وزن الفعل "عادى" بمعنى فعل: كراقب وآخذ، فتكون العداوة من جانب واحد، كما تكون المراقبة والمؤاخذة من جانب واحد.

وتكرار لفظ "إلىَّ" ثلاث مرات في الجملتين الثانية والثالثة يرشد إلى عظم هذه القربات، وقد تكررت مرتين في الجملة الخاصة بالفرائض، ومرة واحدة في الجملة الخاصة بالنوافل، وفي ذلك إرشاد وإفادة بأن الفرائض أحب الأعمال إلى الله، والفرض كالأصل والأساس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال للأمر، وتبجيل لأمر الله وتعظيم له، وانقياد إليه، فكان التقرب بذلك أعظم العمل، فالفرائض تنتج القرب، والنوافل تكمله، ولذلك قيل: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور، وروي "أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة"[1].

ولأن التقرب إلى الله يحتاج إلى مجاهدة ومكابدة فقد جاءت لغة الحديث موافقة لذلك وموحية به، في قوله: "وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" فالفعل "ما يزال" يفيد الاستمرار ولذلك لا بد من المداومة على النوافل وهي التطوعات من جميع أصناف العبادات الظاهرة: كقراءة القرآن، والصلوات، والذكر الدائم، والباطنة كالزهد والورع والتوكل والرضا، ولذلك أضاف الله لفظ عبد إلى نفسه "عبدي" تشريفًا وتكريمًا، ويزداد الشرف بما يوحيه لفظ إليّ، حيث يرشد إلى إخلاص النية والصبر والمجاهدة في سبيل ذلك، ولفظ "حتى" يدل على الغاية، ويرشد إلى أن حب الله للعبد لا يأتي إلا بعد مجاهدة وتقرب وإخلاص والتزام بأداء الفرائض، وإكثار من النوافل الظاهرة والباطنة، ولفظ "حتى" يتوهج بكل هذه المعاني والإيحاءات.

وعندما يفوز العبد بمحبة خالقه يحصل على أعظم الجزاء، وقد صيغ هذا المعنى في قالب الشرط والجواب، وما أعظم ذلك الثواب الذي لا يعدله ثواب آخر! ولنتأمل جمال الأداء الأسلوبي المشع بكثير من المعاني والفيوضات: "كنت سمعه الذي يسمع به،

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١ /٢٦٢.

وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها".

وتتعدد الدلالات في تفسير المراد من هذه العبارات المشرقات بمحبة الله لعباده المقربين، فالسمع في الحديث بمعنى المسموع، والبصر بمعنى المبصر، فحواس الإنسان الظاهرة بفضل محبة الله تراقب الله عند السمع، وتذكره عند البصر، وتخشاه عند البطش، وتتقيه عند المشي كأنها تراه. وقيل: في الكلام مضاف محذوف والأصل: "كنت حافظ سمعه، وحافظ بصره، وحافظ يده ورجله: فلا يسمع، ولا يرى، ولا يعمل، ولا يسعى إلا فيما أحله الله وشرعه" وما أجمل ختام الحديث بهاتين الجملتين المتناسقتين بناء نحويًا، وإيقاعًا صوتيًا، وتأكيدًا على إكرام أولياء الله وعباده المقربين! فالله يعطيهم إذا سألوا ويعينهم ويجيرهم إذا استجاروا به.

والحديث كله في صيغة الإفراد إرشاد إلى أن كل إنسان مسؤول عن نفسه، فكل نفس بما كسبت رهينة، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. فاللهم اجعلنا من عبادك المقربين وأوليائك المحبين، آمين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فعل الفرائض والنوافل، وقد ذكر الفقهاء[1] أن الأصل المطرد أن الفرض أفضل من النفل، واستثنوا من ذلك صورًا كان النفل فيها أفضل، عدّها بعضهم ستًا ومنها: إبراء المعسر، فهو نفل، ولكنه أفضل من إنظاره الذي هو فرض، ورد بأن الإبراء يشمل الإنظار وزيادة، فلم يفضل فيه النفل الفرض، ومنه أيضًا ابتداء السلام فهو سنة، ورده فرض، ومع ذلك كان الابتداء أفضل، وكذا الأذان سنة، وهو أفضل من الإمامة التي هي فرض كفاية أو فرض عين على ما رجحه النووي في هذا الشأن، والوضوء قبل الوقت سنة، وفي الوقت فرض، وهو قبل الوقت أفضل منه في الوقت وغير ذلك.

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٤٥ وما بعدها، غمز العيون والبصائر ٤٤٨/٤، أنوار البروق ١٢٢/٢ وما بعدها، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني ٢٨٦/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ١٢٥/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حب الله تعالى لأوليائه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: فضل التقرب إلى الله بالنوافل.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حب الله تعالى لأوليائه:

يظهر هذا من قوله في الحديث: "من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب"، قال ابن حجر: (المراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، قال الفاكهاني: وفي الحديث تهديد شديد، لأن من حاربه الله أهلكه، وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله، وقال الطوفي: لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى، تولاه الله بالحفظ والنصرة)[1].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على حب الله تعالى لأوليائه، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2]، وبيّن سبحانه وتعالى أنه خص المؤمنين بولايته: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[3]، وأخبر سبحانه أنه يدافع عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[4]، وبيّن محبته وولايته للصالحين: ﴿إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5]، وطمأن المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[6]، ولحب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١١/ ٣٥٠.

(٢) سورة يونس، آية: ٦٢.

(٣) سورة محمد، آية: ١١.

(٤) سورة الحج، آية: ٣٨.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٩٦.

(٦) سورة المائدة، آية: ٥٥.

الله لأوليائه بشر المؤمنين المطيعين بأن الملائكة تنزل لبشارتهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[1].

وفي بيان معنى المولى الذي يستحق هذا الثواب والفضل من الله، قال ابن القيم: (ومن فناء خواص الأولياء والمقربين أن الولي لا يحب إلا في الله، ولا يبغض إلا فيه، ولا يوالي إلا فيه، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعطي إلا له ولا يمنع إلا له، ولا يرجو إلا إياه، ولا يستعين إلا به، فيكون دينه كله ظاهرًا وباطنًا له، ويكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، فلا يُوادُّ من حادّ الله ورسوله، ولو كان أقرب الخلق إليه بل:

يعادي الذي عادى من الناس كلهم ... جميعًا ولو كان الحبيب

وحقيقة ذلك: فناؤه عن هوى نفسه وحظوظها بمراضي ربه وحقوقه، والجامع لهذا كله: تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، علمًا، ومعرفة، وعملاً، وحالاً، وقصدا"[2].

ومن خلال ما سبق يتضح حب الله تعالى لأوليائه المطيعين له المستجيبين لأمره، الواقفين عند حدوده، الملتزمين بالفرائض والنوافل.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به..."، وهذا مما يرغب الإنسان في طاعة الله ومرضاته، لينال حب الله، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المهمة؛ لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى المنفعة والثواب، وأسلوب الترغيب يشجع الإنسان على الطاعة أملاً في ثواب الله، "والمقصود بالترغيب في الشرع: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وهو يأتي حسب الأحوال، والنفوس، والمواقف، فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور ذكر

---

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٣١٤ - ٣١٥.

الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[١]، ولذا فعلى الدعاة استخدام هذا الأسلوب في الدعوة والموازنة بينه وبين أسلوب الترهيب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التقرب إلى الله بالنوافل:

حيث جاء في الحديث: "وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه"، قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث أن من أتي بما وجب عليه وتقرب بالنوافل، لم يُردّ دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم، وأن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبًا لله، لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية)[٢]، وما من شك في أن هذا الحديث يشير إلى أن كثرة نوافل العبادات بعد الفرائض كالصلاة النافلة ونحوها، وصوم التطوع والصدقات المستحبة ونموها من نوافل العبادات، تؤدي إلى إجابة دعاء هذا المتقرب إلى ربه بالنوافل بعد الفرائض.

"لقد شرع رسول الله ﷺ سنن الصلوات الرواتب، ورغّب المصلين فيها، وحثهم على المواظبة عليها بقوله وفعله، والحقيقة أن العناية بها، والحرص عليها لدليل على الاهتمام الكبير بشأن الفروض الخمسة التي جعلها الله على المؤمنين كتابًا موقوتًا، والعكس بالعكس فإن التهاون بها، والتفريط فيها وسيلة إلى التقصير في الفرائض، أو الإضاعة لها لأن دعوة الشيطان مرحلية، ذلك بأن يأتي إلى المصلى، ويزهده في السنن الرواتب بحجة أنها لا يترتب على تركها عقاب، حتى إذا أقنعه بذلك واقتنع، انتقل به قطعًا إلى تأخير الفرائض عن أوقاتها المحددة، وصلاتها في البيوت، ولا يزال به حتى يقطع الصلة التي بينه وبين الله"[٣].

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث فضل النوافل، وأنها توصل إلى محبة الله، ويعتبر من أولى مهام الداعية إرشاد المدعوين إلى ما فيه نفعهم ومصلحتهم، وقد قال النبي ﷺ في

---

(١) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٥٣/١١.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد محمد هادي مدخلي، ص ١٨٨.

الحديث: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[١].

ولقد بيّن النبي ﷺ في الحديث الذي معنا ما فيه نفع المدعوين من خلال بيان فضل التقرب بالنوافل والمداومة عليها، "ومن الفوائد الجليلة والمقاصد الحسنة الدنيوية والأخروية للمحافظة على الفرائض والنوافل أن فاعلها ينال رعاية الله حفظه، ومعيته ومحبته، وفاعلها ينال الرضا من الله، ودخول جنته في تلك الرياض الناضرة والأنهار الجارية، وفوق ذلك كله النظر إلى وجه الكريم الرحمن فإن نوافل الصلاة من القربات التي ترفع العبد درجات، وتكفر عنه السيئات والخطيئات"[٢].

والواجب على الدعاة الهداة إلى الله: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على نفع المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، فإن من طبيعة الداعي أنه حريص على قومه وعلى منفعتهم، قال الله تعالى عن إمام الدعاة ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد محمد هادي مدخلي، ص ١٩٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الحديث رقم (٩٦)

٩٦- **الثاني:** عن أَنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيمَا يرْوِيهِ عنْ ربهِ عزَّ وجَلَّ قال: «**إِذَا تقرب الْعبْدُ إِليَّ شِبْرًا تَقرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا، وإِذَا تقرَّب إِلَيَّ ذراعًا تقرَّبْتُ منه باعًا، وإِذا أَتانِي يَمْشِي أَتيْتُهُ هرْوَلَة**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

باعًا: الباع في اللغة: مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالاً[2].

هرولة: يقال في اللغة: هرول: أي أسرع: بين العدو (الجري) والمشي[3].

الشرح الأدبي

إن من أمارات صحة الإيمان وصدقه أن يكون الله ورسوله أحب للمؤمن مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله. وحين نتأمل هذا الحديث القدسي، ونسبح في أنواره، ندرك أنه ثمرة إيمانية نقتطفها من حديقة الحديث السابق الذي حدد الطريق إلى محبة الله عز وجل، وهو أداء الفرائض والنوافل على الوجه الأكمل، والمؤمن بذلك يسلك الطريق المستقيم حيث يستحق موالاة الله عز وجل ويكون من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من ثلاث جمل، يجمع بينها التناسق العجيب، والبناء المحكم. وهذا الاستواء في الشكل اللغوي يؤازره المعنى المبشر، والوعد الصادق بمضاعفة الثواب، وازدياد القرب من المعطي الوهاب. وهذه الجمل الثلاث وعود ربانية،

---

(١) برقم (٧٥٣٦).

(٢) الوسيط في (ب و ع).

(٣) وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (هـ ر و ل)، وفتح الباري، ابن حجر ٥٢٢/١٣.

وبشارات إلهية، يعد الله عباده الصالحين بتحققها، ومما يدل على هذا التحقق صياغتها اللغوية، حيث جاءت كلها في قالب الشرط والجواب، وهي في مضمونها تقدم الجزاء المضاعف على العمل المتقن الخالص لوجه الله عز وجل، وأداة الشرط "إذا" تشارك، باختيارها لتكون أداة للشرط، في تحقق الوعد لأنها تفيد ذلك، والسياق الذي ترد فيه يكون محاطًا بالتحقق، والشواهد اللغوية والقرآنية والحديثية تنهض بذلك، واختيار لفظ "العبد" وتكراره في هذا السياق الذي يشع بهالات القرب من الله عز وجل يرشد إلى أن الطريق إلى محبة الله عز وجل هو الإقرار بالعبودية، والقيام بكل متعلقاتها.

وفي الحديث إشارات لغوية تنبض بأمارات الحب الإلهي، وبعظمة الإحساس لدى العبد برعاية الله له ويتجلى ذلك في تكرار هذه الألفاظ (إليَّ، إليه، إليّ، منه، أتاني، أتيته).

ومما يؤكد رعاية الله سبحانه لعباده المؤمنين المقربين تكرار مادة التقرب أربع مرات، للترغيب في محبة الله والعمل على التقرب الدائم إلى الله عز وجل، وما أعظم كرم الخالق في إثابة المخلوق! فالثواب مضاعف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عبده المؤمن.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: قرب الله من عباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط والترغيب والتشويق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عبده المؤمن:

إن من أبرز موضوعات الدعوة في هذا الحديث، بيان فضل الله تعالى على عبده المؤمن، فقد أخبر النبي ﷺ عن ربه عز وجلّ أنّه يعامل عبده بما هو أهله من الفضل والكرم (فدليل مبلغ كرامته سبحانه وتعالى لمن أدمن على طاعته أن ثوابه على عمل

العبد الضعف، وأن الكرامة مجاوزة حده إلى ما يثيبه الله تعالى)[١].

وقال ابن تيمية: (وهو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبًّا لله، والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له. وإن كان جزاء الله لعبده أعظم، كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال: "من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة")[٢].

وقد جاءت آيات كثيرة وأحاديث عديدة توضح فضل الله تعالى على عبده المؤمن، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[٤] ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[٥].

وقال الله تعالى مخاطبًا المؤمنين ومذكرًا بحالهم يوم بدر وتفضله عليهم بالنصر والعزة بعد أن كانوا في ذلة وهوان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: ((إنَّ اللّه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٢/١٣ بتصرف يسير.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩١/٥.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٩، الجمعة، آية: ٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤٣، غافر، آية: ٦١.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٦) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣-١٢٦.

كتبَ الحسناتِ والسيِّئات ثم بينَ ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يَعملْها كتبها اللّهُ له عندَهُ حسنَة كاملة، فإن هوَ هم بها فعَمِلها كتبها اللّه له عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائةِ ضعف إلى أَضعافٍ كثيرة ومن هم بسيِّئةٍ فلم يعملها كتبها اللّهُ له عِنْدَهُ حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملَها كتبها اللّه له سيئة واحدة))[1].

قال ابن حجر رحمه الله: (قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة، لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة؛ لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: قرب الله من عباده:

وهذا واضحٌ من الحديث. قال ابن تيمية: (وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره. فكلما تقرب العبد باختياره، قدر شبر زاده الله قربًا إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع، فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به. وهو المثل الأعلى، وهذا -أيضًا- لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محبًّا لما أحب الرب، مبغضًا لما أبغض مواليًا لمن يوالي، معاديًا لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه. وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده. فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة)[3].

وقال كذلك: (ثم قرب الرب من عبده، هل هو من لوازم هذا القرب؟ كما أن المتقرب إلى الشيء الساكن كالبيت المحجوج والجدار والجبل، كلما قربت منه قرب منك. أو هو قرب آخر يفعله الرب، كما أنك إذا قربت إلى الشيء المتحرك إليك تحرك أيضًا إليك، فمنك فعل ومنه فعل آخر، هذا فيه قولان لأهل السنة)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٦/١١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٤/٣.

(٤) المرجع السابق ٣٥٠/٣.

وقال أيضًا: (وقوله: "من تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة" فقرب الشيء من الشيء مستلزم لقرب الآخر منه، لكن قد يكون قرب الثاني هو اللازم من قرب الأول، ويكون منه أيضًا قرب بنفسه، فالأول: كمن تقرب إلى مكة أو حائط الكعبة، فكلما قرب منه قرب الآخر منه، من غير أن يكون منه فعل، والثاني: كقرب الإنسان إلى من يتقرب هو إليه كما تقدم في هذا الأثر الإلهي، فتقرب العبد إلى الله، وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة مثل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾[1] ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨﴾[2] ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾[3] ﴿وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾[4].

((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افتَرَضْته عليه))[5] الحديث. وفي الحديث ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ))[6].

وفي الحديث الصحيح: ((إن الله يدنو عشية عرفة))[7] الحديث. فهذا القرب كله خاص، وليس في الكتاب والسنة قط قرب ذاته من جميع المخلوقات في كل حال، فإذا تبين ذلك، فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله، والروح لها عروج يناسبها، فتقرب من الله تعالى بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب، فيكون الله عز وجل منها قريبًا قربًا يلزم من قربها، ويكون منه قرب آخر كقربه عشية عرفة وفي جوف الليل وإلى من تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا[8].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٨٨.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٨.

(٤) سورة النساء، آية: ١٧٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٧) أخرجه مسلم ١٣٤٨.

(٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣/١٤٨-١٤٩.

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

لقد بيّن النبي ﷺ في الحديث فضل الله العظيم على عباده المؤمنين، فإنه سبحانه يجازي على العمل القليل بالثواب العظيم، وأن العمل الصالح يقرب العبد من ربه فيرضى عنه سبحانه ويجتبيه. ومن هذا القبيل حديث التبكير إلى صلاة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَن اغتسَلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الْجنابةِ ثم راحَ فكأنَّما قرَّب بَدَنَةً، وَمَن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأَنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأَنما قرَّب كَبشًا أَقْرَنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأَنما قرَّب دَجاجةً، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأَنما قرَّبَ بيضةً. فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكر))[1].

ومن ذلك قوله ﷺ في وصف المسيح الدجال: ((إن ربكم ليسَ بأعور، وإنه أعورُ العينِ اليمنى كأنَّ عينَهُ عنبةٌ طافية))[2].

كما من قبيل بيان الحقائق قول النبي ﷺ عن دم الحيض الذي يصيب النساء: ((هَذَا أَمْرٌ كَتَبَهُ اللّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ))[3]، قال ابن عثيمين: (الحيض دم طبيعة، ليس دمًا طارئًا أو عارضًا، بل هو من طبيعة النساء، لقول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: (إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم) أي كتبه قدرًا، بخلاف الاستحاضة فهي دم طارئ عارض كما قال النبي ﷺ في الاستحاضة: ((إنَّهَا دَمُ عِرْقٍ))[4]، فإذا عرف الإنسان مكتوب عليه وعلى غيره، فإنه يهون عليه"[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٨٨١ واللفظ له، ومسلم ٨٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٠٢، ومسلم.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤، ومسلم ١٢١١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٧، ومسلم ٣٣٣.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به وخرّج أحاديثه: عمر بن سليمان الحفيان ١/٥٥٤.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط والترغيب والتشويق:

لقد ورد الشرط في الحديث في لفظة "إذا" وذلك ليبين الجزاء المترتب على فعل الشرط، ومن ثمَّ يجعل المدعو منتبهًا مشدودًا إلى معرفة جواب الشرط، فإذا عرفه ازداد إقبالاً على إقبال، ومسارعة على مسارعة، لأن الجزاء يكون تقرب الله سبحانه وتعالى إليه، وفي هذا ترغيب ما بعده ترغيب، وتشويق ما بعده تشويق للامتثال، فالجزاء ليس ملذات حسية ونعمًا مادية، وإنما هو قرب الله سبحانه وتعالى، وهذا جزاء ما أعظمه وما أجمله وما أحلاه.

الحديث رقم (٩٧)

٩٧- **الثالث:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمتانِ مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» رواه البُخَارِيُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

مغبون: الغبن: أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء[٢]، والمراد: أن من لا يستعملها فيما ينبغي فقد غُبن لكونه باعهما ببخسٍ.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، فهو قليل المبنى، كثير المعنى. والإيجاز هو: تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة - كما يقول الأديب أحمد حسن الزيات- ثم يقول: "والإيجاز غالب على أسلوب الرسول؛ لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل، وقوة الروح، وقوة الشعور، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ، ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه[٣] وفي أحاديثه.

وفي ضوء هذه القيمة البلاغية والأدبية للإيجاز في الحديث النبوي نتأمل بعض أسرار الجمال التعبيري في هذا الحديث النبوي الشريف، والحديث متماسك البناء، فهو في رأي بعض العلماء جملة واحدة، مكونة من مبتدأ وخبر، وبدل ومبدل منه، فالمبتدأ "نعمتان"، والنطق بهذه الكلمة يحتاج إلى تكملة المعنى، وتوضيحه وإضاءته،

---

(١) برقم (٦٤١٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ٣٥٧، وشرح الطيبي ٢٨٣/٩.

(٣) انظر: وحى الرسالة: أحمد حسن الزيات ١٩/٣: وانظر البيان النبوي د. محمد رجب البيومي، ص ٧٥.

فما هاتان النعمتان؟ وقبل أن تأتي الإجابة على السؤال يضع المصطفى ﷺ توصيفاً لهاتين النعمتين بأنهما "مغبون فيهما كثير من الناس".

والأمر يحتاج إلى توضيح وجلاء فكيف يتفق وصف النعمة مع الغبن؟ والنعمتان هما الصحة والفراغ. إن جملة "مغبون فيهما كثير من الناس" جملة جزئية تدور أشعتها داخل دائرة الجملة الكبرى: فـ"مغبون" خبر مقدم، وكثير مبتدأ مؤخر، وهذه الجملة المكملة، هي المعنى المشع بتمام فائدة الكلام، و"الصحة والفراغ" بدلان من قوله "نعمتان" وهما تفصيل بعد الإجمال. وقيل هي: جملة مستقلة، ولكنها تدور في دائرة الجملة الكبرى؛ لأن المعنى لا يتم إلا بدونها، والتقدير "هما الصحة والفراغ"، فالجملة -هنا وفق هذا الرأي- استئناف لبيان النعمتين، ففيه كذلك التفصيل بعد الإجمال.

وفي ضوء هذا التحليل للتركيب اللغوي ندرك أن البيان النبوي متين السبك، ولا يجور فيه المبنى على المعنى، ويتسم بالوحدة الموضوعية والعضوية في كثير من شواهده، وللنعمة دلالات كثيرة، فهي تشع بالمعاني التي تغمر الناس بنعم الله عز وجل، وقيل: النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على وجه الإحسان إلى الغير.

ودلالة كلمة "مغبون" - تتسع حسب اشتقاقها اللغوي- لتشمل الدلالة الحسية المحدودة، والدلالة المعنوية التي تتسع لكثير من التفسيرات: فمغبون إما مشتق من الغبْن بسكون الباء، وهو النقص في البيع، وإما من الغبَن بفتح الباء، وهو النقص في الرأي، فكأنه قال: هذان الأمران "الصحة والفراغ"، إذا لم يستعملا فيما ينبغي، فقد غبن صاحبهما فيهما: أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته، فإن الإنسان إذا لم يعمل الطاعة في زمن صحته ففي زمن المرض من باب أولى، وكذلك شأنه في الفراغ[1] واستثمار الوقت.

وما أدق الصورة الأدبية في الحديث الشريف! وهذه الصورة تتشكل من دلالة كلمة "مغبون"، وكأن الدنيا سوق: فمن باع دينه بعرض من الدنيا فهو الخاسر والمغبون، ومن بادر إلى الأعمال الصالحة، واستثمر صحته ووقته في إنجاز كل مفيد لنفسه ولغيره مع الإيمان الصادق، فهو الرابح، وهو الفائز في دنياه وآخرته.

---

(١) انظر: المنهل العذب الفرات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ٦/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الصحة والفراغ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن صحته وفراغه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الصحة والفراغ:

هذا ما أكده نص الحديث، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (وقوله "نعمتان" تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة، وقيل هي: المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير "والغبن"[1] بالسكون وبالتحريك، وقال الجوهري: هو في البيع بالسكون وفي الرأي بالتحريك، وعلى هذا فيصح كل منهما في هذا الخبر فإن من لا يستعملهما فيما ينبغي فقد غبن لكونه باعهما ببخس ولم يحمد رأيه في ذلك.

قال ابن بطال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا صحيح البدن فمن حصل له ذلك، فليحرص على أن لا يغبن، بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره: امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون. وأشار بقوله "كثير من الناس" إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طولُ السَّلامةِ والبقا ... فكيف ترى طولُ السلامة يفعلُ؟

يرد الفتى بعد اعتدالٍ وصحّةٍ ... يَنُوءُ إذا رَامَ القيامَ ويحْمل[2]

---

(١) والغبن في اللغة: الغلب الخدع والنقص، وفي الاصطلاح: عبارة عن بيع السلعة بأكثر مما جرت العادة أن الناس لا يتغابنون بمثله إذا اشتراها كذلك. انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٨/٣١، ومصادرها.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٣٤/١١.

وفي هذا المعنى قال ابن هبيرة: (أراد ﷺ أن من أصح الله جسمه، وفرغه من شواغل هذه الدنيا، فلم ينفق صحته الواقعة في طرف من الزمان فارغ عن شاغل له في أربح التجائر، وأعلى المكاسب من معاملة الله سبحانه وتعالى في أعلى المقامات التي وعد عليها سبحانه بأنه يحب أهلها، ويكرمهم، ويقدمهم منه، فإنه مغبون. وفيه دليل على أن الصحة نعمة فلا ينبغي أن يختار عليها البلاء.

وفيه أيضًا دليل على أن الفراغ نعمة، فإذا فتح به فلا ينبغي أن يختار عليه عمل دنيا، فإذا أنعم الله تعالى على عبد من عباده بصحة في بدنه، وفراغ في وقته، فلم ينفق هذه الصحة في هذا الفراغ لله سبحانه فقد غبن، ومن ذلك أنه إذا خلا في وقت دون وقت، فينبغي له أن ينفق ذلك الوقت الفارغ من شغل الدنيا في شغل الآخرة، ولا ينتظر بعمل الآخرة أن يتفرغ له في كل أوقاته، ولذلك فإن أعوزته الصحة التامة فلينفق مما آتاه الله منها، ولا يقفل بقية النعمة عنده[1].

قال ابن حجر: (وقال الطيبي[2]: ضرب النبي ﷺ للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان، ومجاهدة النفس وعدو الدين، ليربح خيري الدنيا والآخرة وقريب منه قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3] الآيات. وعليه أن يجتنب مطاوعة النفس، ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح. وقوله في الحديث "مغبون فيهما كثير من الناس" كقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4] فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية.

---

(١) الإفصاح، عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢١٣/٣.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٨٤/٩.

(٣) سورة الصف، آية: ١٠.

(٤) سورة سبأ، آية: ١٣.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف في أول نعمة الله على العبد فقيل: الإيمان، وقيل: الحياة، وقيل: الصحة، والأول: أولى، فإنه نعمة مطلقة، وأما الحياة والصحة: فإنهما نعمة دنيوية، ولا تكون نعمة حقيقة إلا إذا صاحبت الإيمان وحينئذ يغبن فيها كثير من الناس أي يذهب ربحهم أو ينقص، فمن استرسل مع نفسه الأمارة بالسوء الخالدة إلى الراحة فترك المحافظة على الحدود والمواظبة على الطاعة فقد غبن، وكذلك إذا كان فارغًا فإن المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ فإنه يرتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجة)[1].

وإذا كان الغبن في المعاملات المادية (يمكن تداركه وتعويضه)[2]، إلا أن الغبن في الصحة والفراغ لا يمكن تداركه البتة، مما يدفع ذلك إلى الغيرة على الوقت والتمسك بكل دقيقة ممكنة وإنفاقها فيما ينفع الإنسان في دنياه وأخراه، بحيث يكون الوقت نافعًا له لا ضارًا، قال ابن القيم: (إن الغيرة على وقت فات هي غيرة قاتلة، فإن الوقت وحيٌّ التقضي -أي سريع الانقضاء- أبيُّ الجانب، بطيء الرجوع، والوقت عند العابد هو وقت الأوراد، وعند المريد هو وقت الإقبال على الله، والجمعية عليه، والعكوف عليه بالقلب كله، والوقت أعز شيء عليه، يغار عليه أن ينقضي بدون ذلك، فإذا فاته الوقت لا يمكنه استدراكه البتة، لأن الوقت الثاني قد استحق واجبه الخاص، فإذا فاته وقت فلا سبيل له إلى تداركه)[3]، ومن أجل ذلك حرص السلف على حفظ الزمان واتقاء إضاعته فيما لا فائدة فيه من الزيارات ونحوها.

قال ابن مفلح: (قال ابن الجوزي: رأيت العادات قد غلبت على الناس في تضييع الزمان، فهم يتزاورون فلا ينفكون عن كلام لا ينفعُ وغيبة، وأقله ضياع الزمان. وقد كان القدماء يحذرون من ذلك، قال الفضيل: أعرف من يعد كلامه من الجمعة إلى الجمعة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١١/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/١٤١.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٤٩.

ودخلوا على رجل من السلف، فقالوا: لعلنا شغلناك، فقال: أصدقكم، كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم.

وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا؛ لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن صحته وفراغه:

هذا ما يستفاد من سياق الحديث الشريف، وقد بين الحق تبارك وتعالى إن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن النعم التي أنعم الله بها عليه، فقال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢] (أي: لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك)[٣]، وفي ذلك قال النبي ﷺ ((إِنّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ القيامَةِ - يَعْنِي العَبْد مِنَ النَّعِيمِ- أَنْ يُقَالَ له أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ونُرْوِيكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ))[٤]، وقال ﷺ: ((لاَ تَزُولُ قَدَمَاَ عبد يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عن عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه))[٥]، وفي ذلك بيان على قيام مسؤولية الإنسان عن صحته وفراغه.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء الحديث بصيغة الإخبار ليبين للمدعوين حقيقة معروفة ومشهورة بينهم لا يكادون يختلفون عليها، وهي أن كثيرًا من الناس يضيعون أوقاتهم ويفرطون في استخدام ما وهبهم الله من صحة وقوة، فتجدهم ما بين وقت ضائع، وجسم كسلان لا يكاد يتحرك إلا إلى الشهوات الحيوانية، كالطعام والشراب ونحو ذلك، ومن بلاغة

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٤٥٦-٤٥٧.

(٢) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٧٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٧٤).

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٧٠).

الرسول ﷺ أن صاغ هذه المعاني بصيغة الإخبار، ويستفاد من ذلك حث المدعوين أصحاب القلوب الحية والضمائر اليقظة على عدم التفريط في نعم الله العظيمة، وآلائه الجليلة، واستخدامها في إرضاء الرب سبحانه وتعالى وفيما يعود عليهم بالنفع والفائدة في أخراهم ودنياهم.

لوم أصحاب القلوب البليدة والضمائر الغافلة على تفريطهم في نعمتي الوقت والفراغ، كما يلزم عن هذا إنذارهم بما يترتب على هذا التفريط من خسران وهلاك، وندم وقت لا ينفع الندم، ولا يفيد التحسر.

الحديث رقم (٩٨)

٩٨- **الرابع:** عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تتَفطَّرَ قَدمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ، لِمْ تصنعُ هذا يا رسولَ اللَّهِ، وقدْ غفرَ اللَّه لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأخَّرَ؟ قال: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أكُونَ عبْدًا شكُورًا؟**» متفقٌ عليه[1]. هذا لفظ البخاري.

ونحوه في الصحيحين من رواية المُغيرة بن شُعْبَةَ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

المغيرة بن شعبة: هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، ولد في الطائف، وأسلم قبل عمرة الحديبية وشهدها، وبيعة الرضوان، كنّاه النبي بأبي عيسى[3].

اشتهر بالدهاء والرأي، كان يقال له: مغيرة الرأي. وقال الشعبي والزهري: كان من دهاة العرب. وقال الطبري: كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجًا.

ووقف في عمرة الحديبية يحمي النبي ﷺ، ويراقب من حوله من الوافدين، فجاء عروة بن مسعود الثقفي، وكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة معه السيف، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أخّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ[4].

وكان يحمل الإناء الذي فيه وضوء النبي ﷺ، فكان يصب الماء للنبي ﷺ وهو يتوضأ[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٠/٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩/٧٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٦٣) وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤١٥٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٥) أخرجه البخاري ١٨٢، ومسلم (٧٥-٢٧٤).

شارك في الفتوحات، وشهد فتوح الشام والعراق، وذهبت عينه في معركة اليرموك.

ونظرًا لكفاءته التفاوضية والإدارية والقيادية: كان رسولاً للخلفاء، والقواد، وسفيرًا لهم، أو واليًا.

ولاه عمر بن الخطاب على البصرة، ففتح عدة بلاد حولها وعزله ثم ولاه الكوفة وأقره عثمان على الكوفة.

وهو أول من وضع ديوان البصرة، فكتب أسماء أهلها من أجل العطاء. كما كان أول من سلّم عليه بلقب الأمير في الإسلام.

ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها، وحضر مع الحكمين أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وبعد أن اجتمع الناس على معاوية بايعه فولاه الكوفة، فلم يزل بها حتى مات سنة ٥٠هـ. يبلغ مسنده ١٣٦ حديثًا[١].

غريب الألفاظ:

تتفطر قدماه: أي تتشقق[٢].

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا الحوار الإيماني العميق بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ! وما أجل الدروس التي يتعلمها المسلمون من ذلك الحوار المشحون بكل طاقات الصدق والصبر، والمجاهدة والشكر! فالمؤمن في ضوء إيمانه بخالقه، سائر دائمًا في طريق الخير والرشاد بين منارتي الشكر والصبر.

وبداية الحديث تصوير لمشهد واقعي من حياة الرسول ﷺ وهو "التهجد"، حيث كان يقوم ﷺ من الليل في صلاة التهجد حتى تتشق قدماه، وتتورم، وذلك ليس في

---

(١) الطبقات، ابن سعد (٢٨٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٦٥ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٢٣٨/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٠ والسير (٢١/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٩٥/٧) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٣٤/٤)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٧٧/٧)، وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ (١٨٢٤/٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ط ر).

ليلة واحدة ولكن التعبير يدل على مداومة الرسول ﷺ على هذا القيام، وعلى هذه المجاهدة في العبادة، فالفعل "يقوم" يدل على الاستمرار، والتعبير "بحتى" يرشد إلى بلوغ الغاية، وكأنه كان لا يكف عن التهجد إلا بعد أن يشعر بالألم، ويظهر ذلك في بدنه من خلال تشقق القدمين، وتتعجب عائشة رضي الله عنها، وتسأله في أدب ووقار ورغبة في معرفة المزيد من الأمر وتقول: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ لأن النبي ﷺ معصوم، وكل الأنبياء معصومون كذلك، ويقول القاضي عياض، فيما يختص بالأمور الدينية، والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار أو بقصد واختيار: كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار، وكله في الحقيقة عمل وفعل، ولكن جرى رسم المشايخ أي العلماء بتفصيله إلى ثلاث أنواع، عقد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات، بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها، والنبي ﷺ، وإن كان من البشر يجوز على جبلته، ما يجوز على البشر، فقد قامت البراهين القطعية، وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار أي لعصمة الله تعالى له ولجميع الأنبياء منها، وعلى غير الاختيار: أي لكرامتهم على الله سبحانه فيها[1].

وإجابة النبي ﷺ وقد تضمنت والاستفهام وفاء السببية، والتعبير بالفعل "أحب" وتحديد العبودية في لفظ "عبْد" وصيغة المبالغة في "شكور"، والمصدر الصريح "أن أكون"، وكل هذه الظواهر أسلوبية أشرقت بها إجابة المصطفى ﷺ. لتؤكد محبة النبي لربه وشكره له ولتعلم المسلمين درسًا عميقًا في استقبال النعم التي أنعم الله بها عليهم وهي لا تعد ولا تحصى، فاللهم اجعلنا من الشاكرين.

---

(١) انظر: شرح الشفا للقاضي عياض، الملا علي القاري ٢/١٧٤.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث إلى حكم صلاة التطوع في الليل، وأنها لا حد لها، وإنما تترك لمقدرة كل شخص، ولما كان النبي ﷺ أعبد الناس فقد اختلف الفقهاء في فرض قيام الليل عليه، فقيل: إنه كان فرضًا عليه دون أمته وهو ما عليه أكثر أهل العلم، ومنهم الشافعي في قول، وكثير من المالكية، والطبري، وذهب بعض العلماء ومنهم مجاهد بن جبر والشافعي في قول إلى أن قيام الليل لم يكن فرضًا عليه ﷺ[(١)].

أما باقي المسلمين فقد اتفق الفقهاء على مشروعية صلاة الليل، وأنها ليست فرضًا عليهم، بل هي: سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحب عند الشافعية، والتطوع في صلاة الليل غير محدد بوقت ولا عدد ركعات معين، ولذا اختلف الفقهاء في عدد ركعاته، فذهب الحنفية إلى أن منتهى ركعاته ثمان ركعات، وذهب المالكية: إلى أنها عشر ركعات وقيل اثنتا عشرة، وقال الشافعية: لا حصر لعدد ركعاته، وقيل: غير ذلك[(٢)].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢٩٠/٤ وما بعدها، ٣٥٥/٤، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٧/٢ وما بعدها.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم لابن نجيم ٤١/٢، وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني للكاساني ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ محمد بن أحمد بن محمد عليش ٣٣٩/١ وما بعدها، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٣٥/٣، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي للرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات للبهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، المغني، ابن قدامة ٤٤٠/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٤٣٥/١ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الحرص على أداء النوافل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قيام الليل وشكره لله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص عائشة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن اجتهاده في قيام الليل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حقيقة الشكر.

أولاً- من صفات الداعية: قيام الليل وشكر الله تعالى:

إن من أبرز الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الداعية: حرصه على أداء النوافل والتي من جملتها قيام الليل والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القُرب. وفي هذا الحديث تطبيق عملي للحرص على التقرب إلى الله تعالى بالنوافل، وبيان أن شكر الله لا يتوقف عند مجرد التلفظ به وإنما لا بد أن يتجسد عمليًا كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[1]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورا)، إن قيام الليل الوقود الأساسي في موكب الدعوة إلى الله، فصلاة الليل لا يعدلها زاد ولا مدد، فهي تمد الدعاة وترفدهم وتزودهم بطاقات وإمكانات فوق مستوى التصور والتقدير، فصلاة الليل تعد الداعية ليكون عبدًا ربانيًا، موصولاً بالله، مشرق النفس، نيِّر القلب، حاضر الذهن، متقد الفكر[2].

إضافة إلى ما في قيام الليل من استجلاب محبة الله تعالى، وقد جاء ذلك في الحديث القدسي: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ))[3].

---

(١) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٢) قوارب النجاة في حياة الدعاة، فتحي يكن ص ١٨٠، وص ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه، وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ما عدا الفرائض من أجناس الطاعات.

إن أداء النوافل من دلائل إخلاص العبد لله تعالى، فالنوافل لا عقوبة في تركها، فإذا ما فعلها العبد، فإنه يفعلها بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله عز وجل، (فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض. فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل،وتلاوة القرآن، والأذكار الموظفة، وغير الموظفة والصيام، وقضاء حوائج الناس، وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل. والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل؛ فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله عز وجل، تحرك بالغيبة والنميمة، والبذاءة واللغو وغير ذلك، وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلا شك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروى بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، تتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قيام الليل وشكره لله:

لقد تضافرت الأخبار في بلوغه ﷺ في عبادة ربه ما لم يبلغه غيره، فكانت طاعته لربه وشدة عبادته على قدر علمه بربه عز وجل[2]، وفي الحديث دليلُ مدى مبالغته ﷺ في عبادته لربه: (كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه)، أي: حتى تتشقق قدماه"[3].

وعندما سألته عائشة رضي الله عنها عن مبالغته في العبادة مع ما قد غفر له من ذنبه، أجابها بقوله: (أفلا أكون عبدًا شكورًا؟)، فلقد تصورت عائشة رضي الله عنها أن المغفرة سبب لتخفيف

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص ١٨٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩/٣.

العبادة، فبين لها ﷺ أن المغفرة لا ينبغي أن تكون سببًا للتقليل من العبادة بل هي السبب في الإكثار منها، قال ابن حجر: (في قوله: "أفلا أكون عبدًا شكورًا، الفاء في قوله: أفلا أكون للسببية، وهي محذوف تقديره أأترك تهجدي فلا أكون عبدًا شكورًا، والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرًا فكيف أتركه؟ ففي الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة لربه والخشية منه والشكر له)[1].

إن شكر الله سبحانه لا يقتصر على مجرد التلفظ باللسان، بل لا بد أن تظهر آثاره على جوارح الإنسان وأركانه ولذا كان أمر الله لداود وآله بقوله: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2].

قال ابن قدامة: (الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح. أما بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة. وأما باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وإظهار الرضى عن الله تعالى. وأما الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته فمن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه)[3].

وقال ابن القيم: (والشكر على ثلاثة أضرب:

أ- شكر القلب وهو تصور النعمة.

ب- وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم.

ج- وشكر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[4]، معناه: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله، وقيل: شكرًا مفعول لقوله: "اعملوا" وذكر اعملوا ولم يذكر اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٢٠.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ٢٧٧.

(٤) سورة سبأ آية: ١٣.

بالقلب واللسان وسائر الجوارح)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص عائشة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن اجتهاده في قيام الليل:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ خاصة أزواجه والمقربين إليه أحرص ما يكونون على سؤال النبي ﷺ عن كل ما يعن لهم، ويرونه من أحواله ﷺ، وفي سؤال عائشة رضي الله عنها عن سر اجتهاده في العبادة مثال لذلك، فقالت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فلقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مجبولة على حب العلم، شغوفة بسؤال رسول الله ﷺ عن كل ما لا تعلمه، ومن دلائل ذلك ما روي عن ابن أبي مليكة أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٢] فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[٣]، وفي ذلك تعليم وبيان أن الأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من أمور الدنيا وذلك مما غرسه الإسلام في أتباعه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]. وذلك إيجاب على طلاب العلم والمعرفة أن يسألوا ويستوضحوا حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم[٥].

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ، الراغب الأصفهاني، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) سورة الانشقاق آية: ٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ١٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حقيقة الشكر:

جاء في الحديث البيان العملي لرسول الله ﷺ لمعنى الشكر وذلك باجتهاده في عبادة ربه، وعندما سألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك قائلة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟، قال ابن حجر: (وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان)[1].

وقال القرطبي رحمه الله: (ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفًا من الذنوب وطلب للمغفرة والرحمة فمن تحققه أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورًا، ومن ثم قال الله عز وجل: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2]، أي: قلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين وفي ذلك دليل على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية)[3].

ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ وعباداته مثلاً تطبيقيًا لحقيقة الشكر، الذي يجمع بين شكر الجنان والأركان والأقوال، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (إن كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا)، وما روي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: ((كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا جَاءَهُ أَمْرُ سُرُورٍ أَوْ بُشِّرَ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شَاكِرًا لله))[4].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: ((رَبِّ أَعِنِّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي وَلاَ تَنْصُرْ عَلَيَّ وَامْكُرْ لِي وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٠.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٥٠٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٧٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٥١٦).

وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوْ مُنِيبًا. رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٥٢).

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٦.

الحديث رقم (٩٩)

٩٩- **الخامس:** عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسولُ اللّه ﷺ إذَا دَخَلَ الْعشْرُ أحيا اللَّيْلَ، وأيقظ أهْلهْ وجدَّ، وشَدَّ المِئْزَرَ» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

العشر: المراد: العشر الأواخر من شهر رمضان[2].

شدّ المئزر: المئزر: الإزار وهو كناية عن اعتزال النساء، وقيل: المراد تشميره للعبادة يقال: شددت لهذا الأمر مئزري: أي تشمرت وتفرغت له[3].

الشرح الأدبي

وفي ظلال هذا الحديث يضوع عبير النبوة، وتهب نسائم المجاهدة وبشائر القوة، وقوة الإيمان هي ما يطمح، إليه المسلم، وهى الغاية المنشودة، والمنارة المرجوة.

إن أم المؤمنين عائشة: الصديقة بنت الصديق تروي مشهدًا مضيئًا من مشاهد السيرة النبوية العطرة، وهذا المشهد نموذج واقعي من نماذج السنة العملية، فهاهو ذا رسول الله ﷺ - وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- يقابل هذا الإكرام الإلهي الجليل بالشكر الجميل والجزيل، والشكر ليس كلمات تقال، لكنه أفعال تؤكد وتجمل الأقوال.

وللعشر الأواخر فضل عظيم، فهي ختام شهر الصوم، ورمضان توَّجه الله بالفضل والإحسان فقال عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[4]. وأي فضل أعظم من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١٢٢٥).

(٢) رياض الصالحين ٩٠.

(٣) المرجع السابق ٩٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

هذا؟ ومَنْ غير رسول الله ﷺ يدرك أسرار وفضائل الصوم؟ ومن غيره ﷺ يحرص على إحياء ليالي العشر الأواخر من رمضان؟ ولا غرو فقد (جعل الله الصوم حصنًا لأوليائه وجُنَّة، وفتح لهم به أبواب الجنة، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها، قوية المنَّة)[1].

والأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف يصور حرص المصطفى ﷺ على العبادة وإحياء الليل، ومداومة الذكر، والاعتكاف، واجتناب كل ما يصرف الإنسان عن العبادة والاستعداد لها في هذه الليالي التي شرفت بليلة القدر، وهى خير من ألف شهر، والتعبير بأداة الشرط "إذا" يفيد التكرار والمداومة والمواظبة، وأنه لا يدع العشر الأواخر دون أ، يجدّ في العبادة ويجتهد.

والأفعال المتوالية في تتابع وتجمع بينها حروف العطف، ترشد إلى الحركة والنشاط في العبادة. وعبارة إحياء الليل، فيها تصوير أدبي يومئ إلى أن الليل بدون العبادة كأنه كائن ميت منقطع الأثر، فالليل بالعبادة تدب فيه الحياة، ومن سمات هذه الحياة: إيقاظ الأهل، والجد، وشد المئزر، والتعبيرات توحي بمعان كثيرة، وترشد إلى أمور عدة. ومنها: التفرغ للعبادة في العشر الأواخر، وعدم التكاسل والتهاون، وعبارة وشد المئزر، قالوا: هي كناية عن اعتزال النساء في هذه الأيام المباركة، وقيل المراد: التشمير للعبادة، والتفرغ لها، والمصطفى ﷺ هو القدوة الحسنة، وعلى كل مسلم أن يقتدي بهذا السلوك النبوي الرشيد؛ لأن الصوم من العبادات التي اختصها الله بالفضل، ونسبها لنفسه، وهذا الفضل يرجع إلى أمرين - كما يقول صاحب الإحياء- أحدهما: أن الصوم كف وترك، وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل، والثاني: أنه قهر لعدو الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان، لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل، ولما كان الصوم على الخصوص قمعًا للشيطان استحق التخصيص بالنسبة

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٤٢٢/١.

إلى الله عز وجل[١]. وهذه قمة المجاهدة، ومحمد ﷺ هو المثل الأعلى في كل شيء.

فقه الحديث

أشار الحديث إلى فضل العشر الأواخر من شهر رمضان وأنها من أفضل أيام العبادة، ولذا كان رسول الله ﷺ يجتهد في العبادة فيها فيقوم الليل ويكثر من الصدقات وقراءة القرآن والتهجد ويوقظ أهله ليتهجدوا.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه يستحب زيادة الاجتهاد في العبادة والطاعات في العشر الأواخر من رمضان، بالإكثار من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن تأسيًا بالنبي ﷺ فقد كان يجتهد فيها ويحث على ذلك، ولأنها في قرب خروج العبادة، والأعمال بخواتيمها.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: العمل على تعهد أهله بفعل الطاعات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الأوقات المباركة.

أولاً- من وسائل الدعوة: القدوة الحسنة:

إن القدوة الحسنة تعد من أبلغ وسائل الدعوة، وأشدها تأثيرًا في النفوس، وقد كان النبي ﷺ قدوة حسنة لكافة المؤمنين، ومن الشواهد على ذلك في ذلك الحديث قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر".

---

(١) إحياء علوم الدين ٤٢٤/١.

(٢) المدخل لابن الحاج ٢٩٤/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي للنووي ٤٢٣/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري للأنصاري ٤٢٠/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي للرملي ١٨٤/٣، وسبل السلام للصنعاني ٥٩٣/١، ونيل الأوطار، الشوكاني ٣٢٠/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٣٠ وما بعدها.

فالنبي ﷺ قدوة للمسلمين ومثل للسائرين إلى رب العالمين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] والنبي ﷺ حث المسلمين ورغبهم في قيام رمضان فقال لهم: ((مَنْ قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا، غُفِرَ له ما تَقدَّم مِنْ ذَنْبِه))[2].

فكان ﷺ أول القائمين المحتسبين، ولم يكتفِ بذلك فحسب، بل إنه ﷺ أيضًا اجتهد اجتهادًا كبيرًا وجدّ في العمل واشتدّ فيه. فأحيا ليله -وهو وقت النوم والخلود إلى الراحة- بالطاعة من صلاة وذكر ونحو ذلك. فكان ذلك أبلغ في إنجاح دعوته.

وهكذا حال الداعية فالناس معلقة أبصارهم به، فإن صدّق عملُه قوله استجابوا له وأذعنوا، وإن خالف لم يلتفتوا إلى قوله، بل كان من دعاة السوء الذين قال فيهم ابن القيم: (جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلمُّوا قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق)[3].

أما النبي ﷺ فقد ضرب لنا القدوة والمثل الأعلى في موافقة العمل القول، وذلك في شأنه كله، وسنكتفي بضرب مثال واحد يدل على المقصود، فقد حث أصحابه على قتال الأعداء وجهادهم، فكان وهو القائد أول المقاتلين وأقربهم إلى العدو، وأثبتهم في لقائه، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى إِلَى الْقَوْمِ مِنْهُ))[4].

ويوم حنين ثبت وتقدم نحو الأعداء وقت أن ولى المسلمون هاربين. قال العباس بن عبد المطلب: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين... فلما التقى المسلمون والكفار ولّى

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٥٩.

(٣) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٩٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٦/١ رقم ١٣٤٧، وأبو يعلى ٣٠٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٥٤/٢.

المسلمون مُدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قِبَلَ الكفار[١].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، في عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا"[٢].

يتجلي ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "وأيقظ أهله" (أي: للصلاة والعبادة ليئلا تفوتهم فضيلة هذه المواسم المباركات، وهذا من كمال نصحه لهم، فينبغي لقيّم البيت أن ينشّط أهله ويرغبهم في العبادة لا سيما في المواسم الفاضلة)[٣]. فإذا كان النبي ﷺ يرغب أصحابه رضي الله عنهم في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة[٤]، إلا أنه كان مع أهله يوقظهم، ولا يترك أحدًا منهم قَدَرَ على القيام إلا أيقظه، قالت زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا بقي من الشهر عشرة أيام لم يذر أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه[٥].

وذلك لأن الناس تنظر إلى أهل الداعية كما ينظرون إليه، لأنهم ألصق الناس به، وأولاهم وأجدرهم بأن يعملوا مثل ما يعمل، فكانوا هم الاختبار الأول لنجاح الداعية، كما أن الداعية يتحمل المسؤولية عنهم فيجب أن يقوم بها ((كُلّكم راعٍ وكلكم مَسؤولٌ عن رَعيّتهِ))[٦]. وعلى هذا النحو نزلت بعض آيات القرآن، قال تعالى مخاطبًا النبي: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٧] قال القرطبي: (أمره تعالى بأن يأمر أهله

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٠٨، ومسلم ٢٣٠٧.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٢١/٣.

(٤) أخرجه مسلم (٧٥٩).

(٥) أخرجه محمد بن نصر المروزي: مختصر قيام الليل ص ٢٤٧ وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف. وقد ذكره ابن حجر في الفتح ٣١٦/٤ وعزاه له وللترمذي.

(٦) أخرجه البخاري ٨٩٣ ومسلم ١٨٢٩.

(٧) سورة طه، آية: ١٣٢.

بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها ويلازمها، وهذا الخطاب للنبي ﷺ ويدخل في عمومه جميع أمته وأهل بيته على التخصيص)[١]، وخاطبه الله تعالى فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢] فقام ﷺ فدعا قريشًا فاجتمعوا فعمّ وخصّ فقال: ((يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيَ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ...))[٣].

كما خاطب الله تعالى المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[٤].

ولهذا استحق التعاون بين الأهل على العمل الصالح، استحق الثناء من النبي ﷺ والدعاء، فقال ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: اغتنام الأوقات المباركة:

يستنبط ذلك من قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله إذا دخل العشر أحيا الليل..." فشهر رمضان من الأوقات المباركة، ففيه نزل القرآن، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٦]، كما أن النبي ﷺ أخبر - كما مر قريبًا- أن من قامه إيمانًا واحتسابًا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، مج٦/١١/٢٦٣.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤).

(٤) سورة التحريم، آية: ٦.

(٥) أخرجه أبو داود ١٣٠٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٦٠).

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

غفر له ما تقدم من ذنبه، فضلاً عن أن فيه ليلة القدر التي نزل فيها القرآن ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[١] التي هي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٢].

كما أن النبي ﷺ أخبر أن ((من قامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ لهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ))[٣]، ولهذا كان النبي ﷺ يغتنم هذه الأوقات لفضلها وبركتها، فكان يعتكف ابتغاء ليلة القدر، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: ((اعتَكفَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ من رَمضانَ واعتَكَفْنا معَهْ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أَمامَكَ. فاعتَكَفَ العَشرَ الأوسَطَ فاعتَكفْنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أمامَك. قام النبيُّ ﷺ خطيبًا صَبيحةَ عِشرينَ مِن رمضانَ فقال: مَن كان اعتكَف معَ النبيِّ ﷺ فلْيَرجِعْ فإنِّي أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، وإني نُسِّيتُها، وإنها في العَشْرِ الأواخِرِ في وِترٍ))[٤].

لذا كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالا يجتهد في غيره[٥]، ومن مظاهر هذا الاجتهاد الاعتكاف، فكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[٦]، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ بَعْدَهُ))[٧] وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((فلما كان العامُ الذي قُبِضَ فيه اعتكَفَ عشرينَ يومًا))[٨].

قال عبدالله البسام: (نلخص خصائص هذه العشر المباركات [أي العشر الأواخر من رمضان] بهذه الفقرات بدون أدلتها فهي معروفة وقريبة ولله الحمد:

---

(١) سورة الدخان، آية: ٣.

(٢) سورة القدر، آية: ٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠١، ومسلم ٧٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨١٣، ومسلم ١١٦٧.

(٥) أخرجه مسلم ١١٧٥.

(٦) أخرجه البخاري (٢٠٢٥) ومسلم ١١٧١.

(٧) أخرجه البخاري ٢٠٢٦، ومسلم ١١٧٢.

(٨) أخرجه البخاري ٢٠٤٤.

أولاً: كان ﷺ يجتهد فيها بالعمل أكثر من غيرها، والاجتهاد فيها لا يختص بعبادة خاصة، بل يشمل الاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وتلاوة وذكر وصدقة وغيرها.

ثانيًا: كان ﷺ يوقظ فيها أهله للصلاة والذكر، حرصًا على اغتنام هذه المواسم الطيبات، فإنها غنيمة لا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوتها ويهملها فتذهب عليه سدى.

ثالثًا: كان يعتكف في هذه العشر، ليتمتع بهذه الخلوة لله تعالى، ويسعد بلذيذ مناجاته، ويبتعد عن كل ما يشغله ويقطعه عن هذهالخلوة بربه تعالى.

رابعًا: أرجى ما تكون ليلة القدر في هذه العشر المباركات، لذا كان ليلها أفضل ليالي العام، فينبغي تلمسها في هذه الليالي عسى أن يوفَّق لها المؤمن، فيحصل له الخير الوفير، فهي "ليلة مباركة" وهي "خير من ألف شهر".

والقصد أن هذه الليالي المباركات التي هي الختام المسكي لصوم الشهر ليال عظيمة، وفوائدها وعوائدها جسيمة، ولا يفرط فيها إلا المحروم من الخير، ممن سفه نفسه، وأكبر من ذلك أن يقضيها بالمجالس المحرمة والاجتماعات الآثمة، نسأل الله تعالى السلامة)[1].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٣/٢٢١ - ٢٢٢.

الحديث رقم (١٠٠)

١٠٠- السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «المُؤمِن القَوِيُّ خيرٌ وَأحبُّ إلى اللّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا ينْفعُكَ، واسْتَعِنْ باللّهِ وَلاَ تَعْجَزْ. وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلاَ تقلْ: لَوْ أنِّي فَعلْتُ كانَ كَذَا وَكذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قدَّرَ اللّهُ، ومَا شَاءَ فَعَلَ، فَإنَّ: (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

تكمن قيمة الإنسان المسلم في قوة إيمانه، وثبات جنانه، وعفة لسانه. والمصطفى عليه الصلاة والسلام يرسى قاعدة إسلامية في الجملة الأولى من هذا الحديث، وهذه القاعدة تتمثل في معيار القوة في الإسلام، وهى: قوة الإيمان، والتي بها يشتد عزم المؤمن، وتقوى إرادته، ومما يرشد إلى ثبات هذه القاعدة أنها صيغت في أسلوب خبري، والجملة اسمية، وهى غير مرتبطة بزمن ينتهي، ولكنها توحي بأن المؤمن القوي في كل شيء قوله وعمله، وإرادته، وبنيانه، وتفكيره وتخطيطه لمعالم حياته واقعًا ومستقبلاً، هذا المؤمن القوي معالمه واضحة وثابتة في كل زمان ومكان، وهو يستحق التكريم من الله عز وجل فهو خير عند الله من المؤمن الضعيف، وهو كذلك أحب وأقرب إلى الله من المؤمن.

وفي القسم الثاني من هذا الحديث الشريف يتحول نوع الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء، والشرط والجواب.

وكأن سائلاً سأل: وكيف تتحقق القوة في حياة المؤمن؟ وتأتي الإجابة من المصطفى ﷺ مشعة بالمنهج الإسلامي السديد، حيث يقدم لنا عدة قواعد تشريعية تصلح من أمر دنيا المسلم، وتقوده إلى النجاة والفوز في الآخرة، وهذه القواعد الأربعة،

---

(١) برقم (٣٤/٢٦٦٤).

تصدر في صيغة فعل الأمر في ثلاثة منها، والقاعدة الرابعة تصاغ في أسلوب الشرط والجواب، ثم تصاغ متعلقاتها في صيغة تجمع بين الخبر والإنشاء، لتوحي بتكامل منهج المؤمن وشموليته.

والقاعدة الأولى تتوهج دلالتها وتنبثق من كلمات هذه الجملة "احرص على ما ينفعك" وهي جملة موجزة ولكنها تشمل منابع القوة ومصادرها فالحرص أي بالطلب بوعى وخبرة وعلم، واتخاذ كل الوسائل الشرعية والعلمية لتحقيق النفع العام، واستحضار كل ما يقوى الإنسان في مجال دينه ودنياه، ويجب أن لا يفرط في ذلك. والقاعدة الثانية توثق علاقة المؤمن بربه وهو يحصل ما ينفعه في دنياه وآخرته "استعن بالله ولا تعجز" فالاستعانة بالله تصاغ في قالب فعل الأمر، فهي أمر واجب التنفيذ. وحتى لا يقع المسلم فريسة للتواكل والكسل ينهاه الرسول ﷺ عن العجز والضعف، وترك الأمور تسير هكذا بدون عمل، لأن العمل والسعي من مصادر القوة، والتوكل على الله يضع العمل في دائرة المنهج الإيماني السديد، وتأكيدًا لهذا المنهج الرباني في تقوية المؤمن وإعداده لمجابهة الحياة ومتقلباتها، ينهى المصطفى ﷺ المؤمن من تسرب الشك والقلق والوهم إلى نفسه، ولكن عليه أن يقابل الأحداث بالرضا والإيمان بالقضاء والقدر، وعليه أن يفكر في استعادة الثقة بنفسه، وتجديد قدراته، وإغلاق جميع المنافذ التي يتسرب منها الشيطان إلى نفسه، ولفظ "لو" وما يتعلق به شرطه وجوابه يفتح للشيطان الطريق إلى نفس المؤمن، ويتسرب الضعف إلى كيانه، كله، فإن لو تفتح عمل الشيطان، أعاذنا الله منه ومن شره.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قوة الإيمان.

ثانيًا: من مهام الداعية: بذل النصح للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التسليم بقضاء الله وقدره.

رابعًا: من مهام الداعية: سد الذرائع المؤدية إلى الشر.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر والنهي والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل قوة الإيمان:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث، فضل قوة الإيمان التي ينبغي أن تتوافر في المؤمن فتمده بالزاد الروحي العظيم الذي يستطيع من خلاله أن يستعلي على الأمور الدنيوية ويتزود لآخرته، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في هذا الحديث في قوله ﷺ "المؤمن القوى خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف" والمراد بالقوة هنا قوة الإيمان التي تؤدي إلى فضائل الأعمال وأحسنها وأعلاها، قال النووي: (المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والعزيمة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك)[1].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن من المؤمنين القوي والضعيف؛ فإن في كلٍ خير؛ إلا أن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وذلك لأن المؤمن القوي ينفه نفسه وينفع غيره؛ وربما تعدَّت منفعته إلى أهله وقومه وأمته). والمؤمن الضعيف قد يقتصر على نفسه، وأخاف على ضعفه أيضًا أن يضعف عن حفظ نفسه؛ ولأن المؤمن القوي يعرض له أن يكسر حزب الشيطان بقوله إذا قال، وبفعله إذا فعل.

والمؤمن الضعيف أخاف عليه في مواطن يضعف فيها، فيكون كاسرًا لحزب الحق، والقوة في الإيمان أن يعمل المؤمن بعزائم الشرع في مواطنها، وأن لا يجبن عن الأخذ برخص الشرع في مواطنها، وأن لا يترك المسلمين من يده، حافظًا لدينهم، ومهتمًا بهم، ذَكَرهم وأنثاهم، عالمهم وجاهلهم، مهتمًا بتدبير العامة، عالمًا بأسرار الخاصة، إن كان ذا أمرٍ، وإلا قال لكل ذي لبٍ إنه يصلح أن يكون ذا إمرة. وأما المؤمن الضعيف فعلى ضدّ ذلك قانعًا بأن يسلم بنفسه)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٧٧.

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٤٤/٨.

ولذلك تجد المؤمن القوي عالي الهمة صلب العزيمة شديد المسارعة إلى فعل الخيرات فيكون له في المواقف الخطيرة اليد العليا والقدح المعلى وقصب السبق، مثال ذلك ما فعله بلال بن رباح رضي الله عنه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((أوَّل مَنْ أظهرَ إسلامَهُ سَبْعَةٌ: رسولُ الله، وأبو بكرٍ، وعمارٌ، وأمُّهُ سُمية، وصُهَيْبٌ، وبلالٌ، والمِقْدَادُ، فأما رسولُ الله فمنَعَهُ الله بعمِّهِ أبي طالب، وأما أبو بكرٍ فمَنَعهُ الله بقومِهِ، وأما سائرُهُمْ فأخذهُم المشركونَ، وألبسوا أَدراعَ الحَديد، وصَهَرُوهُمْ في الشَّمْسِ، فما مِنهمْ أحدٌ إلا وَاتاهُمْ على ما أرادُوا إلا بلال، فإنَّه هَانَتْ عليهِ نفسُهُ في الله، وهانَ على قومِهِ، فأخذُوهُ، فَأعطَوْهُ الوِلْدانَ، فجَعَلُوا يَطُوفونَ بهِ في شِعَابِ مكةَ، وهو يقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ))[1].

ومثال ذلك أيضًا أبوبكر رضي الله عنه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبقُ أبابكر إن [أي ما] سبقته يومًا. فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبوبكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: بذل النصح للمدعوين:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ: "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" فالنبي ﷺ نصح المسلم -والدين النصيحة- بأن يكون شديد الحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة مع طلب العون والإعانة من الله، وألا يكون عاجزًا عن فعل الطاعة، قال النووي: (معناه: احرص على طاعة الله تعالى، والرغبة فيما عنده وطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة)[3].

قال ابن هبيرة: (أما قوله: (ولا تعجز) فإنه لا يحسن بالمؤمن أن يعجز؛ وقد بقي في الأمر مطلع لاحتيال)[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٣٢/٦، وابن ماجه ١٥٠، وابن حبان ٧٠٨٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٧٨، والترمذي ٣٦٧٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٧٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٧٧.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٤٤/٨.

ولذلك كان النبي ﷺ يستعيذ من العجز لضرره الشديد على المسلم وإسلامه، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ))[1] قال النووي مبينًا ضرر العجز والكسل: (أما العجز فقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف، وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه.. واستعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشَرَعَه أيضًا تعليمًا)[2].

ولهذا روي عن النبي ﷺ وصف العاجز بأنه من اتبع هوى نفسه وأطلق لها العنان تفعل ما تفعل من الشهوات والملذات ومع ذلك هو يتمنى أن يعفو الله عنه ويدخله الجنة فقال: ((الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ))[3] كما حث على أن يكون المسلم متصدقًا ولا يعجز عن ذلك إن هو استطاع، فقال: ((الأَيْدِي ثَلاَثَةٌ: فَيَدُ اللهِ العُلْيَا، وَيَدُ المُعْطِي التي تَلِيها، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى، فَأَعْطِ الفَضْلَ وَلا تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ))[4].

وقال ابن القيم رحمه الله: (طالبُ الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا؛ فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس"[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٤٥٩، وابن ماجه ٤٢٦٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٠).

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٤٩ صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٥١).

(٥) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٨٣.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التسليم بقضاء الله وقدره:

إن مما يبعث على السكينة والراحة النفسية التسليم بقضاء الله وقدره، وتفويض الأمر لله تعالى ومن الشواهد على ذلك من الحديث قوله ﷺ: ((وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل) فقدر الله نافذ لا رادّ له، وواقع بالعباد لا محالة (رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1]، فكان من خلق المؤمن الصالح التسليم بقضاء الله وقدره (وهو إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص ثم إيجادها فعلاً على وفق المراد)[2] فهو يستحضر دائمًا قول النبي ﷺ: ((وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ. فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هذَا دَخَلْتَ النَّارَ))[3].

وإنما طولب المسلم بالإيمان بالقضاء والقدر لما في ذلك من المنافع الجمة التي تعود عليه، يوضح ذلك ابن رجب الحنبلي فيقول: (إن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذٍ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذمّ الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعًا، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا وإفراده بالاستعانة والسؤال له وإخلاص الدعاء في حال الشدة والرخاء)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ط/٢، دار القلم، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ٧٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٦٩٩، وابن ماجه ٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٦٢).

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٨٤-٤٨٥.

لذا كان الرضا بالقضاء والقدر طريقًا إلى رضا الله عز وجل، أما السخط فلا يؤدي إلا إلى غضبه سبحانه وتعالى: ((فَمَنْ رَضِيَ، فَلَهُ الرِّضَا. وَمَنْ سَخِطَ، فَلَهُ السُّخْطُ))[1]، وقد ورد عن علي بن أبي طالب قوله: ((مَنْ رَضِيَ بِقَضَاءِ اللَّهِ جَرَىٰ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَهُ أَجْرٌ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ جَرَىٰ عَلَيْهِ، وَحَبِطَ عَمَلِهِ))[2].

لذا كان الإيمان؛ بالقضاء والقدر له من الثمار الطيبة الكثير، من ذلك:

١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدّره من أسباب ذلك الخير والنجاح، فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله وقدره، فسيصبر على ذلك ويحتسب"[3].

ولذا كان هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي يجب أن يعالجها الداعية ويوضحها للمدعوين، لما في ذلك من سعادة لهم في الدنيا والآخرة.

رابعًا- من مهام الداعية: سد الذرائع المؤدية إلى الشر:

إن من أبرز المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية سد الذرائع المؤدية إلى الشر ويستنبط ذلك من قوله ﷺ "فإنّ لو تفتح عمل الشيطان"، فالإنسان عندما يقع له ما يكره فإنه في الغالب يسترجع الأحداث ويفكر في الوقائع، ومن ثم يحدِّث نفسه بأنه لو فعل كذا لوقع الأمر على خلاف ما حدث، وهذا باب واسع يأتي من قبله الشيطان للإنسان، فيوسوس له، ومن ثم قد يحمله على عدم التسليم بالمقدور، فضلاً عن كونه ينشغل بالماضي فلا يستطيع الخروج من أسره. فجاء الشرع فسدَّ هذا الباب.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٩٦، وابن ماجه ٤٠٣١، حسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥٦).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق كما في كنز العمال ٨٥٣٩.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ٢٤٨ - ٢٤٩.

أما من سلّم بالقدر وفكّر فيما وقع ليأخذ العبرة والعظة، ويستدرك ما فاته ويجتهد في فعل الطاعات واجتناب المعاصي، ويتزود بتقوى الله تعالى، فهذا لا بأس به ولا يدخل في النهي.

قال السبكي: (وقد تأملت اقتران قوله ﷺ "احرص على ما ينفعك" بقوله: ((إِيَّاكَ وَاللَّوْ))[1] فوجدت الإشارة إلى محل "لو" المذمومة وهي نوعان: أحدهما في الحال ما دام فعل الخير ممكنًا فلا يترك لأجل شيء آخر، فلا تقول "لو أن كذا كان موجودًا لفعلت" مع قدرته على فعله ولو لم يوجد ذاك، بل يفعل الخير ويحرص على عدم فواته. والثاني: من فاته أمر من أمور الدنيا فلا يشغل نفسه بالتلهف عليه، لما في ذلك من الاعتراض على المقادير وتعجيل تحسر لا يغني شيئًا، ويشتغل به عن استدراك ما لعله يجدي، فالذم راجع فيما يئول في الحال إلى التفريط وفيما يئول في الماضي إلى الاعتراض على القدر وهو أقبح من الأول)[2].

ومن هذا القبيل نهى الشرع عن بيع الغرر[3]، لأن ذلك قد يئول إلى المنازعة والتخاصم والاختلاف بين المتبايعين، فالغرر ما يحتمل الوجود أو عدمه[4]. مثل بيع الثمار قبل بدو صلاحها، وذلك لأنه قد يحتمل أن تهلك الثمرة قبل ذلك فيقع التنازع بين البائع والمشتري، فالبائع يقول قد بعت ثمرتي وقد كانت على الشجر. والمشتري يقول: دفعت مالاً دون أن أقبض السلعة، فسدًا لهذا الباب نهى النبي ﷺ عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها[5].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر والنهي والتعليل:

فأما الترغيب ففي قوله ﷺ "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤١٦٨، صححه الألباني (صحيح ابن ماجه ٣٣٦١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٣/١٣ ونقله ابن حجر ملخصًا.

(٣) أخرجه مسلم ١٥١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه: (نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة عن بيع الغرر).

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٩/٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٢١٩٤، ومسلم ١٥٣٤.

فهذا إخبار عن أن القوة في الإيمان يحبها الله، ومن معايير التفاضل بين المؤمنين عند الله تعالى، وهذا دافع لكل مؤمن أن يكون قويًا في إيمانه حتى ينال الدرجات العليا من حب الله تعالى.

وأما الأمر: فقوله ﷺ "احرص، واستعن بالله، قل" لينبه المسلم على أهمية ما يؤمر به من الحرص على ما ينتفع به في الدنيا والآخرة، والاستعانة بالله تعالى في كل الأحوال والأفعال والأوقات والتسليم بقضاء الله وقدره. وأما النهي فقد ورد في قوله ﷺ: "ولا تعجز" لينبه المخاطب إلى أن يحذر من هذا الأمر لما في ذلك من الضرر الذي يلحق به من العجز والقعود والكسل.

وأما التعليل فقوله ﷺ "فإن لو تفتح عمل الشيطان" وذلك ليقنع المخاطب بفائدة ما أمره به أو نهى عنه، فيزداد حرصًا على حرص على الامتثال والطاعة.

الحديث رقم (١٠١)

١٠١- السابع: عنه أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «حُجِبتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ، وحُجِبتْ الْجَنَّةُ بَالمكَارِهِ» متفقٌ عليه[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: «حُفَّت» بَدلَ «حُجِبتْ» وهو بمعناهُ: أيْ: بينهُ وبيْنَهَا هَذا الحجابُ، فإذا فعلَهُ دخَلها.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

حجبت: بمعنى حفت: أي بينه وبينها هذا الحجاب فإذا فعله دخلها[٣].

حُفَّت: أحيطت[٤].

الشرح الأدبي

تموج كلمات هذه الحديث الشريف بإشعاعات لا متناهية من الإرشادات، والتوجيهات، ولكنها كامنة في جملتي الحديث كما تكمن الأنوار في "أسلاك الكهرباء" فالناظر يراها مصمتة جامدة، ولكنها تمور بشحنات من الطاقة لا يطيقها أي إنسان، فهذا الحديث يتكون من ست كلمات، ولكنها تفتح أمام المسلم جميع المجالات، وتضعه أمام طريقين لا ثالث لهما: إما النار فيكون الخسران والبوار، وإما الجنة فيكون الفوز ونعم الفوز بدار القرار، ويرى القرطبي أن هذا الحديث، من الكلام البليغ الذي انتهى في البلاغ نهايته، وذلك أنه مَثَّل المكاره بالحفاف في رواية

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٧)، واللفظ له، ومسلم (١٨٢٢/١).

(٢) تنبيه: أورد مسلم الحديث بإسنادين، ساق لفظ الأول وفيه: (حفت) بدل: (حجبت) في الموضعين، وفي الموضع الثاني لم يسق اللفظ بل قال: بمثله.

(٣) رياض الصالحين ٩١.

(٤) الوسيط في (ح ف ف).

مسلم، وبمعناها هنا "الحجاب" وهو الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إلى ذلك الشيء إلا بعد أن يُتَخَطَّى، ثم يقول موضحًا قيمة الصورة الأدبية التي تتسع مدلولاتها، وتتكاثف أشعتها في هذا الحديث الموجز: وفائدة هذا التمثيل، أي التشبيه التمثيلي: أن الجنة لا تُنال إلا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها، وأن النار لا يُنَجَّي منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها[1].

وتتسم لغة الحديث بالمفارقة التي تثير الحس، وتلفت الانتباه، وتدعو للتأمل والتفكر والتدبر.

فالنار مرتبطة بالعذاب والهلاك، ولكنها في الحديث تُصوَّر بأنها محاطة بسياج من الرغبات والأهواء والمتع التي يحبها الإنسان؛ وذلك يدعو إلى التعجب والحذر واليقظة، والجنة أمل كل إنسان طائع ملتزم بما أمر الله تعالى ولكنها في الحديث يحوطها ويحف بها سياج من المكاره. وهى المعاناة والمجاهدة والمشقة والصبر على أداء الطاعات، وذلك أمر يدعو إلى قوة التحمل والاستعداد لمواجهة كل العقبات والتحديات والإغراءات، ولنتأمل هذه الإشعاعات التي تصدر من هذه الكلمة "الشهوات" إنها الأشياء المشتهيات، وما أكثر ما يشتهيه الإنسان في حياته، وسميت بذلك على الاستعارة للتعلق والاتصال، كما يقال للمقدور قدر، وللمرجو رجاء، وللمعلوم علم، وفي تسميتها بهذا الاسم فائدتان: أنه جعل الأعيان التي ذكرت في آية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[2] شهوات: مبالغة في كونها مشتهاة محروصًا على الاستمتاع بها، وثانيتهما، أن الشهوة صفة مسترذلة مذمومة، والمكاره التي حُفَّت بها الجنة ليست مذمومة، ولكنها أمور تحتاج إلى المجاهدة والمعاناة والصبر والالتزام، وقد وعد الله تعالى المتقين بالفوز بنعيم الجنة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[3].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٢٦٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) سورة النبأ، الآيات: ٣١ - ٣٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من صفات الداعية: بذل النصح للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حبس النفس عن الشهوات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

يستنبط هذا من قوله ﷺ: "حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره". قال ابن حجر: (وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها)[1]. وقد فضل الله عز وجل رسوله ﷺ بجوامع الكلم، فقال ﷺ: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ...))[2] ومعنى جوامع الكلم: (أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني)[3]. قال الزهري: (جوامع الكلم -فيما بلغنا- أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك)[4].

وقال القاضي عياض: (وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتبُ ومنها ما لا يُوازى فصاحةً ولا يبارى بلاغةً)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٧/١١، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥٢.

(٢) أخرجه مسلم (٥٢٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٦١/١٣.

(٤) ذكره البخاري في صحيحه إثر الحديث ٧٠١٣. وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٣/١.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى اليحصبي ٥٤٤هـ ١٦٣/١. وانظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٤٥٩/١-٤٦١.

وقال ابن رجب الحنبلي: "فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان:

أحدهما: ما هو في القرآن: كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾[1]. قال الحسن: (لم تترك هذه الآية خيرًا إلا أمرت به ولا شرًا إلا نهت عنه)[2].

والثاني: ما هو في كلامه ﷺ وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه)[3].

ثانيًا: من مهام الداعية: بذل النصح للمدعوين

إن من مهام الداعية المستنبطة من هذا الحديث: بذل النصح للمدعوين، ففي قوله ﷺ "حجبت" نصحٌ، فهذا إخبار عن حقيقة، أو يحتمل أن يكون خبرًا قصد به النهي[4]. وعلى كلا التقديرين فإن المقصود بذل النصيحة للمدعوين، بأن يحذروا من اتباع الشهوات وارتكابها، بالرغم من ميل النفس إليها وتمتعها بذلك، لأن من فعل ذلك فهو آخذ بطريقه إلى النار. وأما من أراد الجنّة فعليه فعل المكاره والصبر عليها وإن كانت شاقة على النفوس صعبة عليها، ولما كان هذا الأمر يلتبس على بعض الناس نبّه ﷺ عليه ونصح به، وعلى ذلك يحمل قوله ﷺ: ((مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ))[5].

قال ابن حجر: (فكأنه ﷺ قال: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر عنها بالمكروهات ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم)[6].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٤٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي ١٠٣/٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٥/١.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٣٢٨/١١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٥٠، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٩٣).

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٨/١١.

فكان ﷺ - وهو إمام الدعاة- مبصِّرًا للمدعوين بما ينفعهم وبما يضرهم، فمثله ﷺ كمثل الوالد الشفيق مع ولده. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما أنا لَكُمْ مِثْلُ الوالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ))[1].

وصدق الله تعالى إذ وصف حال النبي ﷺ -وهو سيد الدعاة- مع المدعوين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حبس النفس عن الشهوات:

إن النفس البشرية كما وصفها الله سبحانه وتعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[3]، لذا فهي تنزع وتميل إلى الشهوات والملذات مع أن مآلها الهلاك والبوار والخسران. أما المرء العاقل فهو من حبس نفسه عن اقتراف الشهوات وتجنبها وتجنب الطرق المؤدية إليها، وسارع إلى الخيرات وصبر عليها وجاهد نفسه على فعلها.

لذا كان طريق الجنة -كما أخبر النبي ﷺ- الصبر على المكاره، وطريق النار الوقوع في الشهوات والانغماس فيها.

قال ابن هبيرة: (قوله: "حفت الجنة" أي: أحيطت بالمكاره، وذلك أن المكاره هي ما يكرهه الآدمي من خروج مال عن يده في صدقه، أو فجعة بحميم له، أو خروج نفسه بالجهاد في سبيل الله أو ذهاب عِرضه مع من يعضُه[4]، أو صبر على لذة محرمة لأجل الله، أو احتساب طعام وشراب وفراق زوجة في صيام لأجل الله تعالى، أو رغبة عن وطء

---

(١) أخرجه أبو داود ٨، والنسائي ٤٠، وابن ماجه ٣١٣، صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٢).

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) سورة يوسف، آية: ٥٣.

(٤) يعضه: يقذفه بالباطل، الوسيط في (ع ض هـ).

أهل بقصد إلى الحج، أو صبر على برد ماء في إسباغ وضوء في شدة برد لأجل الله تعالى، إلى غير ذلك.

كما (حفت النار) أي أحيط بها (بالشهوات)، فجعل جانب منها يدخل إليه من شهوة الزنا، وجانب يدخل إليها بأكل الربا، وجانب منها بشرب الخمر، وجانب منها بالغدر، وجانب بالنميمة، وجانب بالغيبة إلى غير ذلك"[١].

وفي المقابل فإن من اتبع الشهوات استحق أن يطلق عليه العاجز، كما روي عن النبي ﷺ: ((والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني))[٢].

لذا فإنه يحرم من النعمة في الآخرة إذا عجل باقتراف المحرم في الدنيا، قال ﷺ: ((مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ. إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ))[٣] وفي رواية عند مسلم "حُرمها في الآخرة فلم يسقها" وقال ﷺ: ((لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ))[٤]، وقال ﷺ كذلك: ((من لبس الذهب من أمتي فمات وهو يلبسه حرم الله عليه ذهب الجنة))[٥].

أما من أمسك نفسه عن الشهوات وجاهدها -مع شدة هذه المجاهدة- فإنه يكون من الصادقين في إيمانهم، ومن أصحاب الدرجات العليا، فهذا النبي يوسف عليه السلام، يمتنع على امرأة العزيز، وقد دعته إلى نفسها فاستحق ثناء الله عليه، بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٦]. وهذا هو الرجل الذي يكرمه الله يوم القيامة، فيظله الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظله. وذلك لأنه كفَّ نفسه عن الحرام، خوفًا من الله، قال ﷺ:

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٣٨٨/٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٥٩، وابن ماجه ٤٢٦٠، ضعفه الألباني، (ضعيف سنن ابن ماجه ٩٣٠).

(٣) أخرجه البخاري ٥٥٧٥ ومسلم ٢٠٠٣ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٣٤ ومسلم ٢٠٦٩.

(٥) أخرجه أحمد ١٦٦/٢، ٦٥٥٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٦) سورة يوسف، آية: ٢٤.

"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظلّه" فذكر منهم ((ورجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ فقال: إني أخافُ اللَّهَ))[1].

قال ابن القيم: (قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[2] علّق سبحانه الهداية بالجهاد؛ فأكملُ الناس هدايةً أعظمهم جهادًا.

وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سُبُل رضاه الموصلة إلى جنته. ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد.

قال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سُبُل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنًا، فمن نُصر عليها نُصر على عدوه، ومن نُصرت عليه نُصر عليه عدوه)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

وذلك بذكر الجنة والنار، فحذر ﷺ من الشهوات المحرمة التي تؤدي إلى النار، ورغب ﷺ في فعل المأمورات التي يشق فعلها على النفس فذكر أنها تؤدي إلى الجنة وتوصّل إليها. وذلك ليهون على النفوس احتمال المشقة في إتيانها، ويعظم من أمر المحرمات وإن سهل على النفس اقترافها.

ولا شك أن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يحسن بالداعية أن يفيد منها في دعوته، لما في ذلك من آثار إيجابية محمودة تؤثر في نفوس المدعوين.

إن الترهيب والترهيب من الأساليب الدعوية المجدية والتي لها أكبر الأثر في قبول الدعوة والامتثال بها، لماله من فوائد دعوية عدة منها:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٣) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٩١.

١- أن الترغيب (يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى، كما أن الترهيب يورث الخوف من عذاب الله عز وجل، ويولد الرهبة حتى تصير طبعًا في الإنسان توصله إلى تقوى الله عز وجل.

٢- أن الترغيب يولد الأمل ويبعث على النشاط والعمل للآخرة، والترهيب يعجل بتوبة التائبين حتى لا يدركهم الموت وهم عصاة.

٣- الترغيب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان، والترهيب يزود المؤمن بما يدفع به إغواء الشيطان فيقلع عن المعاصي)[1].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٢١٥٦/٦، ٢١٩٥.

الحديث رقم (١٠٢)

١٠٢- **الثامن:** عن أبي عبد الله حُذَيْفَةَ بن اليمانِ رضي الله عنه، قال: صَلَّيْتُ مع النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ ليْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبقرة، فقُلْت يرْكَعُ عِندَ المائة، ثُمَّ مضى، فَقُلْت يُصلِّي بهَا في رَكْعةٍ، فَمَضَى. فَقُلْت يَرْكَع بهَا، ثمَّ افْتتَح النِّسَاءَ، فَقَرأَهَا، ثمَّ افْتتح آلَ عِمْرانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرأُ مُتَرَسِّلاً، إذَا مرَّ بآيَةٍ فِيها تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وإذَا مَرَّ بسؤالٍ سَأل، وإذَا مَرَّ بتَعَوذٍ تَعَوَّذَ، ثم ركع فَجعل يقُول: «**سُبحانَ رَبِّيَ الْعظِيمِ**» فَكَانَ ركُوعُه نحْوا مِنْ قِيامِهِ ثُمَّ قَالَ: «**سمِع اللَّهُ لِمن حمِدَه، ربَّنا لك الْحمدُ**» ثُم قَام قِيامًا[1] طوِيلاً قَريبًا مِمَّا ركَع، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «**سبحان رَبِّيَ الأعلَى**» فَكَانَ سُجُوده قَرِيبًا مِنْ قِيامِهِ» رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن حُسَيْل العبسي.

من نُجبَاء أصحاب النبي ﷺ، وهو صاحبُ سِرّ رسول الله ﷺ، وقد أسلم رضي الله عنه مع أبيه، وأراد شهود بدرٍ، فصدّهما المشركون، وقالوا: إنكم تريدون محمدًا ﷺ، فقالا: ما نُريدُ إلا المدينة، فأخذوا العهد عليهما: على أن ينصرفا إلى المدينة ولا يقاتلا مع النبي ﷺ، فأخبرا النبي ﷺ، فقال: ((نَفي بعهدهم، ونستعين الله عليهم)) ﷺ[3].

وشهد أُحدًا وما بعد ذلك من المشاهد، ولقد قُتِل أبوه يوم أحد بعد أن أخطأ به المسلمون، فجعل حذيفة رضي الله عنه يقول لهم: أبي، أبي، فلم يفهموا حتى قتلوه، فقال حذيفة رضي الله عنه: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فزادت حذيفة عند رسول الله ﷺ خيرًا، وتصدق حذيفةُ عليهم بديتهِ.

---

(١) (قيامًا) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٧٧٢/٢٠٣). وسيكرره المؤلف برقم (١١٨٢).

(٣) أخرجه مسلم، رقم (١٧٧٨).

وقد آخى رسول الله ﷺ بين حذيفة وعمَّار رضي الله عنهما، وكان رضي الله عنه يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، وقد أسرَّ النبي ﷺ إليه أسماء المنافقين، وضبط عنه ﷺ الفتن الكائنة في الأمة، وقد ناشده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: أأنا من المنافقين؟ فقال حذيفة رضي الله عنه: لا، ولا أُزكي أحدًا بعدك[1].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا مات ميّت، يسأل عن حذيفة رضي الله عنه، فإن حضر الصلاة عليه، صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر.

وقد ولاه عمر رضي الله عنه على المدائن "بفارس" وكانت عادته إذا استعمل عاملاً كتب في عهده (وقد بعثتُ فلانًا وأمرته بكذا) فلما استعمل حذيفة كتب في عهده (اسمعوا له وأطيعوا).

وكان رضي الله عنه من الشجعان الفاتحين، شهد الحرب بنهاوند، فلما قُتِلَ النعمان بن مقرن أمير ذلك الجيش أخذ الراية، وكان فتح همذان والريّ والدينور على يده، وشهد فتح الجزيرة وقال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ذاك امرؤ عَلِمَ المعضلات والمفصّلات وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالمًا.

بلغت أحاديثه عن النبي ﷺ ٢٥٥ حديثًا.

وفي وفاته قال: اللهم إني لم أحب الدنيا لحفر الأنهار ولا لغرس الأشجار؛ ولكن لسهر الليل وظمأ الهواجر، وكثرة الركوع والسجود، والذكر لله عز وجل كثيرًا، والجهاد في سبيله، ومزاحمة العلماء بالركب.

وتوفي سنة ٣٦هـ بالمدائن[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٢) الطبقات، ابن سعد (٣١٧/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١٣٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٧٠٦/١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٢٦٢)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (٣٦١/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٧٣/٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٦٧/١)، والأعلام، الزركلي (١٧١/٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٦٢٥/١-٦٣٢).

غريب الألفاظ:

مترسلاً: يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه: إذا لم يعجل[(١)].

نحوًا: مِثْلاً[(٢)].

الشرح الأدبي

إن الصلاة عماد الدين: من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، وهى الركن العملي الأول بعد شهادة "أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"، ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[(٣)]. ونقتبس من هذا الحديث الشريف ومضات من سنة المصطفى ﷺ ونتعلم كيف كان يصلي صلاة التهجد ، وكيف كان دائم الابتهال والتضرع إلى الله عز وجل.

والمشهد الذي يرويه حذيفة بن اليمان في هذا الحديث مشهد واقعي، وليس موعظة قولية، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تروي في حديث سابق أن النبي ﷺ: كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وراوي الحديث مشهود له بالصدق والورع، فهو أحد الرقباء النجباء، وأحد الفقهاء أهل الفتوى، وصاحب سر رسول الله ﷺ، وفي الحديث إشارة إلى أن الصلاة هنا صلاة التهجد، لأنه قال: "ذات ليلة"، ولم يحدد فرضًا محددًا، وما أعظم هذه القدوة التي يقدمها رسول الله ﷺ في طاعته لربه، وفي مناجاته لخالقه، وفي التقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل، ويقول القاضي عياض في معرض الإشادة برسول الله ﷺ، وخوفه من ربه، وطمعه في ثوابه: وأما خوفه من ربه، وطاعته له، وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه: أي بمقدار معرفته بعظمته، ومَن مِن الخلق، أجمعين أعظم معرفة بالله وأكثر وأشمل محبة لله تعالى من حبيبه ومصطفاه محمد بن عبدالله.

---

(١) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٢٥٠/٣ وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر س ل)، ومعجم لغة الفقهاء ١٠٧، والوسيط في (ر س ل).

(٢) انظر: الوسيط ٩٠٨.

(٣) سورة النساء: ١٠٣.

ﷺ، ويروي أبو ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إني أرى ما لا ترون، وأسمع مالا تسمعون))[١]، أي أبصر ما لا تبصرون من عجائب الملكوت، وأسمع ما لا تسمعون من غرائب أخبار عالم الجبروت[٢].

وفيوضات هذا الحديث تتجلى وتموج بالزهد والورع والتقوى والخشية والرهبة والأسوة الحسنة.

وحذيفة بن اليمان، يُصوِّر صلاة رسول الله ﷺ تصويرًا واقعيًا ممتزجًا بالمحبة والدهشة والتأمل، والصياغة تعتمد على التشويق، وتنبئ عن محبة حذيفة بن اليمان لرسول الله ﷺ، فهو يصغى في خشوع إلى تلاوة رسول الله ﷺ حين افتتح بسورة البقرة، وكان الراوي صادقًا مع نفسه وشعوره حين قال، فقلت: يركع عند المائة، أي الآية المائة، لأن هذا الحد من القراءة يناسب طاقة المسلم المتهجد ذي الطاقة الإيمانية المألوفة، ولكن إيمان رسول الله ﷺ، ومحبته لربه. لا يعلمها إلا خالقه، ولا يكافئها إلا رازقه.

ويظل: حذيفة بن اليمان، يحدث نفسه، قائلاً: ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها.

ويصف القراءة قائلاً: "يقرأ مترسلاً، أي مرتلاً بتبيين الحروف وأداء حقها، وهذه الخاصية من خصائص البيان النبوي، ومن سمات النطق عند رسول الله ﷺ، فمن صفاته أنه كان ضليع الفم، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، وكان يستعمل جميع فمه إذا تكلم، ولقد كانت العرب تتمادح بسعة الفم وتذم بصغره، لأن السعة أدل على امتلاء الكلام، وتحقيق الحروف، وجهارة الأداء، وهذه الخصائص كلها تنبعث أشعتها من قوله "يقرأ مترسلاً"، ويسهب حذيفة في وصف طريقة الأداء عملاً وقولاً في صلاة رسول الله ﷺ وطريقة قراءة القرآن، فهو يسبح ويتعوذ، ويسأل: كلما قرأ آية تشع بالتسبيح والتعوذ والسؤال: وهذا يرشد إلى التفكر في آيات الله تعالى وتدبر

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣١٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٢).

(٢) انظر: شرح الشفا للقاضي عياض، شرح: الملا على القاري، ٣١٢/١ – ٣١٣.

معانيها، ويصف طريقة الركوع والسجود مع ما فيهما من أقوال، وهذا الحديث نموذج لمحبة النبي لربه وطاعته لخالقه، والمجاهدة الخالصة في العبادة والتقرب إلى الله تعالى.

فقه الحديث

أ- الترتيب بين السور في القراءة في الصلاة وغيرها:

قال النووي: (وقوله "ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران" قال القاضي عياض: (فيه دليل لمن يقول: إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي ﷺ بل وكّله إلى أمته بعده، قال: وهذا قول مالك وجمهور العلماء واختاره القاضي أبو بكر الباقلاني، قال ابن الباقلاني: هو أصح القولين مع احتمالهما. قال: والذي نقوله: إن ترتيب السور ليس بواجب في الكتاب ولا الصلاة وفي الدرس ولا في التلقين والتعليم. وإنه لم يكن من النبي ﷺ ذلك نص ولا حدٌّ تحرم مخالفته، ولذلك اختلف ترتيب المصاحف مصحف عثمان. قال: واستجاز النبي ﷺ والأمة بعده في جميع الأعصار ترك ترتيب السور في الصلاة والدرس والتلقين قال: وأما على قول من يقول من أهل العلم أن ذلك بتوقيف من النبي ﷺ حدوه لهم كما استقر في مصحف عثمان، وإنما اختلفت المصاحف قبل أن يبلغهم التوقيف والعرض الأخير، فيتأول قراءته ﷺ النساء أولاً ثم آل عمران هنا على أنه كان قبل التوقيف والترتيب. وكانت هاتان السورتان هكذا في مصحف أبي. قال: ولا خلاف أنه يجوز للمصلي أن يقرأ في الركعة الثانية سورة قبل التي قرأها في الأولى، وإنما يكره ذلك في ركعة ولم يتلو في غير صلاة. قال: وقد أباحه بعضهم وتأول نهي السلف عن قراءة القرآن على من يقرأ من آخر السورة إلى أولها. قال:ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة بتوقيف من الله تعالى على ماهي عليه الآن في المصحف، وهكذا نقلته الأمة عن نبيها ﷺ هذا آخر كلام القاضي عياض، والله أعلم)[1].

ب- الترسل في القراءة والتسبيح إذا قرأ آية فيها تسبيح سبح، والسؤال إذا مر بآية

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٢٦-٥٢٧.

فيها سؤال والتعوذ إذا مرّ بآية فيها تعوذ.

قال النووي: (وقوله "يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ" فيه استحباب هذه الأمور لكل قارئ في الصلاة وغيرها ومذهبنا استحبابه للإمام والمأموم والمنفرد)[1].

ج- قول سبحان ربي العظيم في الركوع: وقول سبحان ربي الأعلى في السجود.

قال النووي: (قوله "ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم وقال في السجود سبحان ربي الأعلى" فيه استحباب تكرير سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود، وهو مذهبنا ومذهب الأوزاعي وأبي حنيفة والكوفيين وأحمد والجمهور. وقال مالك لا يتعين ذكر الاستحباب)[2].

د- تطويل الاعتدال عن الركوع: قال النووي: (قوله "ثم قال سمع الله لمن حمده" ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ثم سجد" فيه دليل لجواز التطويل عن الركوع وأصحابنا يقولون لا يجوز ويبطلون الصلاة)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ، والاقتداء به.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: آداب تلاوة القرآن الكريم.

ثالثًا: من صفات الداعية: الخشوع والخضوع لله وحمده والثناء عليه.

رابعًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

---

(١) المرجع السابق ٥٢٧.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها، وانظر لمزيد من التفصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٢/٢٣، ٢١٠/٢٤، ومراجعها الإكليل ٥١/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٢٠٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٦٤/١، ١٦٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١١/٣-٤١٢.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على تتبع أحوال النبي ﷺ والاقتداء به:

وذلك في قول حذيفة رضي الله عنه: "صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة..." فالنبي ﷺ قدوة وأسوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] وطاعته من طاعة الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2].

ومن ثم حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ للاقتداء به، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ: ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك[4].

قال ابن حجر: (وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته)[5].

وقال ابن هبيرة: (وإنما فعل ذلك لأنهما كانا يقضيان من الكسب فرضًا واجبًا، ويتعلمان من العلم فروضًا لازمة، ففعلا بحسن تدبيرهما أن يقضي هذا وقتًا في كسبه، ويخلفه هذا في تعلم العلم والإتيان بخبر الوحي، ويفعل الآخر مثل فعل صاحبه، فيقضيان الفرضين ويدركان الأمرين)[6].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي ﷺ عندها؛

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩، ومسلم ١٤٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٤/١، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٣٣.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٢٨/١.

لأنظر كيف صلاة النبي ﷺ بالليل[١].

ذكر ابن حجر من فوائد هذا الحديث أن فيه (بيان فضل ابن عباس رضي الله عنهما وقوة فهمه وحرصه على تعلم أمر الدين، وحسن تأتّيه في ذلك)[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ رسولَ اللّهِ خَرَجَ في جَوْفِ الليلِ، فصلّى في المسجدِ، فصلّى رِجَالٌ بصلاتِهِ، فأصبحَ الناسُ يتحدَّثُونَ بذلكَ، فاجتَمعَ أَكثرُ منهمْ، فخرجَ رسولُ اللّهِ في الليلَةِ الثّانيةِ فصلّى، فَصلّوْا بصلاتِهِ، فَأَصْبَحَ الناسُ يَتذاكَرُونَ ذلكَ، فَكَثُرَ أهلُ المَسْجِدِ في الليلةِ الثالثةِ، فَخَرَجَ فَصلّى بهِمْ، فَصلّوْا بصلاتِهِ، فلمّا كانتِ الليلةُ الرّابعةُ عَجَزَ المسجدُ عن أهلِهِ...))[٣].

أما ابن عمر رضي الله عنهما فقال عنه الزبير بن بكار: كان يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ[٤].

فعلى المسلم أن يحرص أشد الحرص على تتبع أحوال النبي ﷺ؛ ليقتدي به في حياته وأمره كله، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون، وهم خير القرون.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: آداب تلاوة القرآن الكريم:

وذلك في قول حذيفة: "يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل وإذا مرّ بتعوذ تعوذ".

فالقرآن كلام الله عز وجل، لذا كان على قارئه أن يتحلى بآداب تلاوته، التي شرعت من أجل تعظيمه وإجلاله[٥]، ومن أهم هذه الآداب التدبر والتفهم، قال

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٥٢، ومسلم ٧٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٢٤ واللفظ له، ومسلم ٧٦١.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني في تمييز الصحابة، ابن حجر ٨١٠.

(٥) انظر: الأذكار، يحيى بن شرف النووي١٢٧-١٣٤، والتبيان في آداب حملة القرآن، له كذلك، والبرهان في علوم القرآن: محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٤٩/١/١-٤٦٧، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم٢٩٢/١-٣١٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/١٣-٢٦٠.

السيوطي: (وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[2]، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يَلْفِظُ به، فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب)[3].

ثالثًا- من صفات الداعية: الخشوع والخضوع لله وحمده والثناء عليه:

يستنبط ذلك من قول حذيفة رضي الله عنه: "فافتتح البقرة... إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح..." ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم... ثم قال: سمع الله لمن حمده..." فإن ذكر الله من صفات أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[4].

قال ابن هبيرة: (وفيه أيضًا من الفقه أنه إذا كان في صلاة فمرت به آية رحمة فشاء أن يسألها الله تعالى مغتنمًا ما في القرآن من مناسبة الطلب سألها، فإن القرآن وحي مجدد، وإذا مرّ به بآية فيها تسبيح الله تعالى فإنه يسبح الله بما روي في الأخبار، وليعلم أنه في مقام كريم لا يلائمه المطالب الدنيا، وإذا مرّ بآية عذاب للكافرين استعاذ بالله تعالى من مثل أن يقرأ قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[5]، فيقول الحديث المروي[6] وهو: ((اللّهمَّ إني ظَلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ، فاغفِرْ

---

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٣) الإتقان ٢٩٩/١-٣٠٠، وانظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد ٩٠٩/٣-٩١٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٥) سورة غافر، آية: ٥٥.

(٦) هكذا في المطبوع من الإفصاح، والغالب على الظن أن هناك سقطًا، ويحتمل أن يكون: "وإذا مرّ بآية عذاب استعاذ بالله تعالى من العذاب، ومثل أن يقرأ قوله عز وجل "واستغفر لذنبك" فيقول الحديث المروي ...".

لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إنك أَنتَ الغفور الرَّحيم))[١]، ومثل أن يأتي قوله عز وجل: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٢]، فيقول ههنا: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك"، وفي مثل قوله سبحانه في ذكر تسبيحه -سبحانه وتعالى-: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٣]، وقد سبق أن معنى قولنا: "سبحان الله" أنه تنزيه له عز وجل عن كل ما لا يجوز عليه، ثم يقول: "وبحمده" أي وبحمده سبحتُه، ولذلك يقول: "سبحان الله العظيم". وهذا فلا أراه إلا في النافلة.

فأما الفريضة فيقصرها على أذكارها مع التفكر في كل ذكر من أذكارها، فإنها حاوية شاملة جامعة، وليكن في إنجازه بها مبادرًا الوسواس.

وفي هذا الحديث من الفقه جواز تطويل الركوع والسجود، وهذا فإنما يستحب مع أمن الضرر فيه، فإن خاف ضررًا يؤول إلى أذًى في سمعه أو بصره أو رأسه أو بدنه فلا يستحب له ذلك"[٤].

وكان ﷺ خاشعًا خاضعًا لله حامدًا إياه مثنيًا عليه حق الثناء، ومن الشواهد على ذلك ما روى عبدالله الشخير رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء"[٥].

وقال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: كنت أبيت عند باب النبي ﷺ فأعطيه وضوءه فأسمعه الهَوى من الليل[٦] يقول: سمع الله لمن حمده، وأسمعه الهوى من الليل يقول: الحمد لله رب العالمين[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) سورة نوح، آية: ١٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢/٢٣٧.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٠٤ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٧٩٩).

(٦) الهوى: الحين الطويل من الزمان، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ا).

(٧) أخرجه الترمذي ٣٤١٦، وابن ماجه ٣٨٧٩ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢٩).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما واصفًا صلاة النبي ﷺ في الاستسقاء: إن رسول الله ﷺ خرج متبذلاً متواضعًا متضرعًا حتى أتى المصلّى فلم يخطب خطبتكم هذه، ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير[1].

فما أجدر أن يتحلى الداعية بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، فهذا من علامات صدق الإيمان ومن طرق النجاح في دعوته[2].

رابعًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

ويمكن أن نلحظ ذلك في قول حذيفة "يقرأ مترسلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبح..." فقد تعلّم حذيفة هذه الآداب عن طريق فعل النبي ﷺ إياها في الصلاة.

فرأينا حذيفة رضي الله عنه يضرب لنا المثل الحي وفيما يجب أن يمتثل به التلميذ وطالب العلم من حسن استماع وتتبع لما يقوله أستاذه وما يسوقه إليه من معلومات سواء أكان ذلك بأسلوب مباشر كالتلقين أو بأسلوب غير مباشر عن طريق الممارسة العلمية، كما نجد ذلك في الحديث حيث صلى النبي ﷺ وقراءته القرآن وعمله بمقتضى الآيات من تسبيح وتحميد واستغفار ونحو ذلك.

لقد اهتم الإسلام بالعلم وتعليمه اهتمامًا لا نظير له، لذا كان التعليم أهم الأسس الفعلية التي تقوم عليها الدعوة الإسلامية.

(إن الأمة الإسلامية: إذا جاز أن تسمى بأسماء معينة توضح جوانبها وتفسر حقيقتها وتبين أهدافها، فإن من أهم الأسماء التي تبرز وتعلو وترتفع أمام الإنسان، إنها أمة العلم وأمة التربية القويمة، بل أمة الأستاذية في هذا المجال، وصدق الله العظيم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3].

وليس عجيبًا بعد ذلك، أن يعرف الإنسان، أن الإسلام قد أعلن دعوته منذ اليوم

---

(١) أخرجه الترمذي ٥٥٨، وابن ماجه ١٢٦٦ وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٤٦).

(٢) انظر: نضرة النعيم ٣/١٧٥٣-١٧٨١، ١٨٢٤-١٨٣٧، ١٩٦١-٢٠١٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

الأول بل منذ اللحظة الأولى، بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[1])[2].

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، د. توفيق الواعي، ص ٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣)

١٠٣- **التاسع:** عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: صلَّيْت مع النَبيِّ ﷺ لَيلَةً، فَأَطَالَ الْقِيامَ حتَّى[1] هَمَمْتُ أَنْ أجْلِسَ وَأدعَهُ. متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف، درس نبوي جديد في الخشوع والخضوع، ومنارة إيمانية من منارات الهدى والرشاد.. التي أضاءها بخُلُقه وعبادته المبعوث رحمة للعالمين، وراوي الدرس من الصحابة الأخيار، والكرام الأبرار، عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، صاحب المآثر الجليلة في تاريخ الدعوة الإسلامية، وهذا الدرس يعيد ذاكرتنا إلى الحديث السابق الذي يرويه، حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ حيث فصل وأوضح سر التطويل في صلاة التهجد التي كان يصليها رسول الله ﷺ، حيث قرأ سورة البقرة، ثم سورة النساء، ثم سورة آل عمران، وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضًا، كما قال العلماء، فإن الحديث النبوي الشريف يوضح بعضه بعضًا، ويجب على المسلم أن يتأمل النصوص الحديثية المتشابهة.. والتي تدور أشعتها الهادية في فلك واحد، وقضية واحدة، فإن الأحاديث يكمل بعضها بعضا، والروايات المتعددة للحديث: من شأنها أن تزيل اللبس أحيانًا وتوضح الغموض أو التناقض الظاهري الذي ينشأ من اختلاف بعض الروايات في الألفاظ والعبارات والموازنة بين الروايات في تأنٍ ورويَّة تؤدي إلى نتائج علمية وشرعية دقيقة.

ولنتأمل ما وراء كلمات ابن سعود من معان وأدب مع رسول الله ﷺ، إنه يصف صلاة رسول الله ﷺ بقوله: فأطال القيام، والوصف ليس ناشئًا عن حكاية أو رواية، ولكنه كان مشاركًا في الصلاة: حيث يقول: "صليت مع النبي ﷺ ليلة"، وفي هذا

---

(١) عند البخاري ومسلم زيادة: (هممتُ بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣/٢٠٤). وسيكرره المؤلف برقم (١١٧٦).

إشارة وتنبيه إلى أن الصحابة ﷺ كانوا يشاركون رسول الله ﷺ صلاة التهجد، أحيانًا مثل حذيفة بن اليمان، وعبدالله بن مسعود، وعائشة ﷺ بدليل قولها: "أحيا الليل وأيقظ أهله".

وحين يثقل القيام على ابن مسعود لطول الوقت يهم بالجلوس نظرًا لتعبه، ولكنه لا يفعل، ويظل قائمًا متحملاً المشقة، ويصف تفكيره في الجلوس بأنه أمر سوء أي فعل سيئ، أي فاسد، وقيل: كان ابن مسعود قويًا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ، وما همَّ بالقعود إلا بعد طول كثير ما اعتاده، ولم يقعد تأدبًا مع رسول الله ﷺ.

وهذه الإطالة في الصلاة قد تكون خصوصية لرسول الله ﷺ ولا يطيقها غيره، ولكنها تشير وترشد إلى ضرورة الخشوع في الصلاة، وأمارات ودلائل الخشوع متعددة وبغيرها لا تؤتى الصلاة فائدتها، ولا يجني المصلي ثمرتها، ومن هذه الدلائل -كما يقول صاحب كتاب إحياء علوم الدين- حضور القلب، والتفهم، والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء، وحضور القلب في الصلاة المراد منه: أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له، ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل والقول مقرونًا بهما، ولا يكون الفكر جائلاً في غيرهما، والتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ، فالمصلى عليه استحضار بعض ما توحي به المعاني في الصلاة. لأن ذلك هو السبيل إلى التعظيم والهيبة والرجاء والحياء، وهكذا كانت صلاة رسول الله ﷺ: فهو يقرأ مترسلاً: ويسبح ويسأل ويتعوذ: ويطيل الركوع والسجود، رزقنا الله محبته ومحبة سنته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: مخالفة المأموم للإمام في فعله، وأنها معدودة في الأمور السيئة، كما ذكر ابن حجر[1]، ولكن إذا شق على المقتدي القيام في فريضة أو نافلة وعجز عنه جاز له

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٩/٣.

باتفاق العلماء القعود في الصلاة، لأن التكليف بقدر الطاقة ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها[١].

الثاني: أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار وألا يخالفوا بقول أو فعل ما لم يكن حرامًا[٢].

الثالث: تطويل صلاة الليل، ففي الحديث دليل على استحباب تطويل صلاة الليل[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إجلال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ.

ثالثًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل:

يستنبط ذلك من قول ابن مسعود رضي الله عنه: "صليت مع النبي ﷺ ليلةً...". وقد تضافرت الآيات والأحاديث على الترغيب في قيام الليل وبيان فضله؛ فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[٤] وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾[٥] (أي كانوا يهجعون زمانًا قليلاً من

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢١٨/١، والعناية للبابرتي ٣/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣/٢، والتاج والإكليل ٦٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠١/٤، ٢٠٧، والغرر البهية ٣٠٤/١، والفروع ٤٥/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ٣٠٥/٢، والمحلى ٩٠/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦١/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٣/٦، وإحكام الأحكام ٦٠/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح والمنح المرعية ٢٥٦/٣ وما بعدها.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٣/٦.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٥) سورة الذاريات، آية: ١٧.

الليل، ولاشك أن هذا وصف للمتقين بأنهم عاملون مخلصون؛ فالليل وإن كان وقت راحة ونوم، فهم لا يهجعون فيه إلا قليلا، ويكابدون العبادة في أوقات الراحة والبعد عن الناس، وعند سكون النفس، وعدم اشتغالها بالدنيا)[١].

أما الأحاديث فهي كثيرة، من ذلك قول النبي ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[٢]. وقد ورد في السيرة النبوية ما يدل على حب الصحابة لقيام الليل، قال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع، فأصيبت امرأة من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، وجاء زوجها وكان غائبًا، فحلف ألا ينتهي حتى يهريق دمًا في أصحاب محمد ﷺ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً فقال: "من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟" فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله. قال: فكونوا بفم الشِّعْب قال: وكانوا نزلوا إلى شعب من الوادي.

فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيكه: أوله أو آخره؟ قال: اكفني أوَّله. فاضطجع المهاجري، فنام وقام الأنصاري يصلي وأتى الرجل فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم[٣] فرماه بسهم فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائمًا. ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، وثبت قائمًا. ثم عاد له بثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهبَّ صاحبه[٤] فقال: اجلس فقد أُتيتُ، فوثب. فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذروا به[٥] فهرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله ألا أهببتني قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى

---

(١) التفسير الواضح، مج٣/٢٧/٨٦-٨٧.

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٣) الربيئة: العين والطليعة الذي ينظر للقوم، لئلا يدهمهم عدو. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٣٨.

(٤) أي: أيقظه. حاشية السندي على مسند أحمد بن حنبل ٢٣/٥٣.

(٥) أي: علموا وأحسوا بمكانه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٠٩.

أنفذها، فلما تابع الرمي ركعت فأرْيتُك، وايم الله لولا أن أضيِّع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها[١].

قال العز بن عبدالسلام: (أسباب قيام الليل مخافة أو رجاء أو محبة أو مهابة مانعة من النوم، وكذلك تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فمن لم يكن عنده شيء من ذلك ثقل عليه قيام الليل)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إجلال الصحابة للنبي ﷺ:

يستنبط ذلك من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "حتى هممت بأمر سوء" قال النووي: (فيه أنه ينبغي الأدب مع الأئمة والكبار، وأن لا يخالفوا بفعل وقول ما لم يكن حرامًا، واتفق العلماء على أنه إذا شق على المقتدي في فريضةٍ أو نافلةٍ القيامُ وعجز عنه جاز له القعود وإنما لم يقعد ابن مسعود للتأدب مع النبي ﷺ)[٣].

وقد ورد في القرآن الأمر لأصحاب النبي ﷺ بتبجيله وإجلاله، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٤] فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا حدّث النبي ﷺ حدّثه كأخي السرار لم يُسمعه حتى يستفهمه[٥].

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ((وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ، إِجْلاَلاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ))[٦].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٣/٢١٨-٢١٩ ومن طريقه أبو داود ١٩٨، وأحمد في المسند ٢٣/١٤٧٠٤، وابن خزيمة ٣٦ والدارقطني ١/٣٢٣-٢٢٤ والحاكم ١/١٥١-١٥٧، والبيهقي في السنن ١/١٤٠، ٩/١٥٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٨٢).

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، ٣١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٢٧.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨٤٥، ٧٣٠٢.

(٦) أخرجه مسلم (١٢١).

فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا محبين للنبي ﷺ مجلّين له، وهم خير القرون والقدوة لغيرهم[١].

قال القاضي عياض: "واعلم أن حرمة النبي ﷺ بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته، وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه وسنته، وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته، وتعظيم أهل بيته وصحابته"[٢].

ثالثًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

وذلك في سؤال أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه: "وما هممت به؟" قال ابن حجر: (وفيه تنبيه على فائدة معرفة ما بينهم من الأحوال وغيرها، لأن أصحاب ابن مسعود ما عرفوا مراده من قوله: "هممت بأمر سوء" حتى استفهموه عنه، ولم ينكر عليهم استفهامهم عن ذلك)[٣].

ومن مواقف السيرة التي تدل على ذلك: سؤال الحباب بن المنذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ يوم بدر عن منزله الذي نزله فقال: ((يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال، بل هو الرأي والحرب والمكيدة))[٤].

إن من أكبر أبواب العلم، وأعظم أسبابه: السؤال عما يخفى على الإنسان، وقد أمر الله تعالى من وقف عليه شيء أو لم يكن له سابق علم بالسؤال عما يجهل والاستيضاح عما يشكل، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصًّا بالسؤال عن حالة الرسل

---

(١) انظر: حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي ١٣٨٤هـ ص ٤٥٠ وما بعدها.

(٢) الشفا ٤٠٢/٢، وانظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ص ١٧٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٤/٣.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في السيرة ٢٧٢/٢ بإسناد منقطع، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤ ترجمة الحباب رضي الله عنه.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يُؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه.

وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهيٌ عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهيٌ له أن يتصدى لذلك)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

من الأساليب الدعوية المفيدة التي تثري العملية الدعوية، وتعمل على تجلية موضوعات الدعوة، أسلوب السؤال والجواب، حيث تكون الفرصة مواتية للمدعو أن يسأل عما خفي عليه، أو ما احتاج إلى مزيد بيان وإيضاح فيه، فيتمكن الداعية من الإجابة التي تلبي حاجة نفس المدعو.

وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده ورد السؤال لابن مسعود رضي الله عنه حيث قيل له: "وما هممت به؟". فأجاب رضي الله عنه: "هممت أن أجلس وأدعه".

إن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الرئيسة في تبليغ الدعوة إلى الناس وتأثيرها فيهم، (وما أكثر الأساليب الحوارية والاستجوابية التي انتهجها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم حين كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى، ومن ذلك: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار)[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

وما هذا الأسلوب الحواري الذي انتهجه نبينا محمد ﷺ مع من يلتقي بهم ويدعوهم إلا ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكائهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى[1].

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٩٧.

الحديث رقم (١٠٤)

١٠٤- العاشر: عن أنس رضي الله عنه عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «**يتْبعُ الميْتَ ثلاثَةٌ: أهلُهُ ومالُه وعمَلُه، فيرْجِع اثنانِ ويبْقَى واحِدٌ:**[1] **يرجعُ أهلُهُ ومالُهُ، ويبقَى عملُهُ**» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن رحلة الإنسان في هذه الحياة تظل متوزعة بين ثلاثة دوائر، حيث تتحرك اهتمامات الإنسان، وحيث تتجه مناشطه وأهواؤه ومنازعه، وهذه الدوائر أجملها البيان النبوي في الأهل والمال والعمل، وكل دائرة من هذه الدوائر الحياتية تتضمن ضروبًا من التفكير.. والنشاط... والتخطيط والإعداد: تفني عمر الإنسان، وتحصد أيامه.

وبمقدار ما أرشد القرآن الكريم والرسول ﷺ إلى العناية بالأهل.. وحسن رعايتهم، بما فيهم الزوجة والأبناء .. وكل من يعولهم المسلم، وكذلك أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض، بمقدار ما حذر من فتنة الأولاد، لأنهم يكونون أحيانًا من أسباب الغفلة واللهو ونسيان العبادة، كما قال الله عز وجل عن المنافقين: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾[3]، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[5].

---

(١) لفظ البخاري ويبقى معه واحد، وعنده وعند مسلم زيادة بعد ذلك: "يتبعه أهله وماله وعمله".

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٥/٢٩٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٢٧).

(٣) سورة الفتح، آية: ١١.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٤.

(٥) سورة التغابن، آية: ١٥.

والمال من أعظم مظاهر الافتتان بعرض الدنيا، ومن أخطر الأبواب التي تغري الإنسان بالولوج إلى عوالم الغرور والإغراء. والجحود، والمسلم يطهر ماله بالصدقة، ويحصنه بالزكاة وفي أموالهم حق معلوم: للسائل والمحروم.

والعمل الصالح هو الميزان الحقيقي الذي يضبط حركة الحياة، وهو المقياس الصحيح في رعاية الأهل وحسن تنشئة الأبناء، والمداومة على صلة الرحم وذوي القربى.

وفي ظل هذه المعاني المشرقات تتحرك كلمات هذا الحديث الشريف، وتسبح أطياف معانيه الباهرات، وتنطلق أصداء إشعاعاته الراشدات الهاديات.

ولنتأمل المشهد الأخير في كتاب الحياة: حيث يصوره الحديث الشريف وكأنه مشاهد أمامنا.

وهو مشهد يتكرر ملايين المرات بقدر عدد الموتى إلى يوم الدين، وما أجمل هذا التشخيص الذي لجأ إليه المصطفى ﷺ، فالأهل والمال والعمل، كلهم متساوون في الحركة والتبعية، وهم يشاركون في جنازة الميت، وهم يشاهدون جميعًا ساعة الدفن، والميت يوارى في ظلام القبر، وكأن المال كائن حي يتحرك ويسمع ويعي، ويستحضر: كيف جمعه صاحبه؟، وفيم أنفقه؟، وأين ركزه؟ ولماذا كنزه؟ والمفارقة التي تتشكل من عناصرها حياة الإنسان تتجسد في هذا المشهد الأخير، فالأهل الذين ضيَّع الميت حياته من أجلهم، وخاض غمار الحياة، وخلط العمل الصالح بالآخر السيئ ويتمتعون بما تركه من إرث ويتركون الميت وحيدًا في ظلام القبور! والمال كذلك لا يدفن مع صاحبه ولكن يرجع ليستقر في أيدي الآخرين من الورثة وغيرهم، والتعبير بالفعل "يرجع" له دلالته التي تنبه كل إنسان، وترشده إلى مصيره، وبأن المال عرض زائل يصاحب الأحياء ولا يصحبهم إلى قبورهم بعد الموت، وقد تكرر الفعل "يرجع" مرتين لتأكيد معنى زواله عن صاحبه، وتكرر الفعل "يبقى" مرتين لتأكيد بقاء العمل: وهو ما يقدمه الإنسان في حياته من سلوك طيب وفعل حسن، وحرص على اكتساب المال من مصدر حلال، واتقاء الله تعالى في رعاية الأهل، فبالعمل الصالح ينجو الإنسان ويفوز بالجنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تحسين العمل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مجاهدة النفس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأخبار، والتفصيل بعد الإجمال:

أ- **الإخبار:** ويتبين ذلك في الحديث من خلال إخبار النبي ﷺ بما سيحدث للميت من اتباع أهله وماله وعمله له، ويرجع الكل باستثناء عمله، وذلك الإخبار يجعل المدعو على بينة من أمره، وبصيرة من أحواله، فيصحح أوضاعه ويحاسب نفسه ويعقد مصالحة مع ربه، ويتزود بالعمل الصالح، ويستعد لهذا الأجل المحتوم واليوم الذي سيلقى فيه ربه.

ب- **التفصيل بعد الإجمال:** فالرسول ﷺ أجمل في الحديث ما يتبع الميت بقوله "يتبع الميت ثلاثة"، ثم فصل بقوله: "أهله وماله وعمله"، أجمل في قوله "فيرجع اثنان ويبقى واحد" ثم فصل ذلك على سبيل الاستئناف البياني ((يرجع أهله وماله ويبقى عمله)) ليكون أقر في النفس وأمكن لأنها يجيئها التفصيل وقد اشتاقت إليه)[1].

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من أهم واجبات الداعي أن يُبيّن الحقائق للمدعوين؛ حتى تكون الفرصة سانحة لهم لاستدراك ما فاتهم، والاستعداد لهذا اليوم، ففي الحديث بيّن الرسول ﷺ ما يحدث للميت بعد موته من انصراف كل شيء عنه إلا عمله وما قدمت يداه (فالإنسان إذا مات تبعه المشيعون له من أهل وولد، وما أعجب الدنيا وأخسها وما أدناها، يتولى دفن الإنسان مَنْ هو أحب الناس إليه، ثم ما يلبث ويرجع تاركًا له بلا أنس، ولا يبقى معه إلا عمله ينفرد به إلى يوم القيامة)[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ص ٢٣٣.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٢٨/١.

وفي هذا الحديث دليل على أن الدنيا - كل زينة الحياة الدنيا ترجع، ولا تبقى معك في قبرك، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ترجع، من الذي يبقى؟ فقط العمل، فعليك يا أخي أن تحرص على الصاحب الذي يبقى ولا ينصرف مع من ينصرف، وعليك أن تجتهد حتى يكون عملك عملاً صالحًا يؤنسك في قبرك إذا انفردت به عن الأحباب والأهل والأولاد.

كما أن فيه حث على تحسين الإنسان العمل؛ ليكون أنيسًا له بعد الموت، وأن العاقل يُعِدُّ للآخرة، ويُؤثر أمورها على الدنيا، كما يحمل الحديث في طياته الدعوة إلى عدم التعلق الشديد بالدنيا[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على تحسين العمل:

يستنبط من هذا الحديث الدعوة إلى تحسين العمل ليكون أنيس الإنسان في قبره، فإن كان صالحًا فنعم الأنيس، وإن كان غير ذلك فبئس الجليس، وقد جاء هذا المعنى في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في صفة المسألة في القبر، وفيه "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة... ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح".

وقال في حق غير المؤمن ((وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ (الْوُجُوهِ) مَعَهُمْ الْمُسُوحُ حتى يَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ» «ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ أُخْرُجِي إِلَى سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ، قَالَ: فَتَفْرَقُ فِي جَسَدِهِ، قَالَ: فَتَخْرُجُ فَيَنْقَطِعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ، كَمَا تُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُوهَا فَإِذَا أَخَذُوهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسُوحِ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلإٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلاَنُ ابْنُ فُلاَنٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ١٠٢.

كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حتى ينْتَهِي بِهَا إلى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ»؛ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[1]» قال: «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سِجِّين فِي الأَرْضِ السُّفْلَى وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا» قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2]» قال: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ الْمَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هاها، لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هاها لاَ أَدْرِي، قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: افْرُشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلاَعُهُ وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ وَقَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ))[3].

فالأهل والمال نفعهم قاصر على الحياة الدنيا، وفي الآخرة وعقب الموت يجد الإنسان نفسه وحيدًا فريدًا لا أنيس يؤنسه ولا صاحب يواسيه ويسليه إلا عمله وما قدمت يداه، فليحرص على تحسين عمله، والتزود بصالح الأعمال.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مجاهدة النفس:

ففي الحديث إشارة من النبي ﷺ أن عمل الإنسان هو الباقي له، وذلك في قوله ﷺ: (يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله)، وذلك دعوة إلى طلب العمل الصالح وهذا يوجب مجاهدة النفس، بأن يشتغل المرء بامتثال الأوامر واجتناب المنهيات، فإذا أمر بأمر، أو نهي عنه فيتعين عليه

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٢) سورة الحج، آية: ٣١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٨٧/٤، ٢٨٨، رقم ١٨٥٣٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٠٣/٣٠.

الاعتناء به والاهتمام في فهمه والوقوف على معانيه يعبد ربه على بينة من أمره، وأن يبذل قصارى جهده في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما ينهى عنه، ويصرف همته إلى ذلك لا يدع لنفسه ثغرة أو مدخلاً يتسرب إليه منها السآمة أو الملل.

ويتذكر أنه لن يأخذ من الدنيا شيئًا، ولا يخرج منها بشيء إلا بعمله، فإذا نسيت أيها الإنسان الموت وشناعته والفراق وصعوبته، وغرتك الحياة الدنيا ونعيمها، فتذكر من سبقك بها، وتلذذ بها، وغره نعيمها، وخدعه حسنها. هل خلد فيها، هل دامت له؟ هل ذهب بشيء؟ تذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، تذكر صورهم وكيف أخذهم الموت من مناصبهم وأحوالهم، وكيف محا التراب محاسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم، وكيف رملوا نساءهم، ويتموا أولادهم، وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم، وقد كانوا يؤملون في طول العيش والبقاء، ونسوا أنهم زرع الفناء.

ركنوا إلى قوة الشباب، ومالوا إلى الضحك واللهو، وغفلوا عن الموت وأهواله، والقبر وأحواله، فإذا هم بعد القوة تهدمت أرجلهم، وبعد النطق أكل الدود ألسنتهم، وبعد الضحك أكل التراب أسنانهم، تذكر الموت قبل أن تندم فلا يفيدك ندمك، وقبل أن تزل قدمك، ويسلمك أهله وخدمك، ويفارقك حبيبك وقريبك، ويتخلى عنك ولدك ونسيبك، فلا أنت للدنيا عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة[1].

إن هذه المعاني تجعل المؤمن يحرص أشد الحرص على مجاهدة نفسه والاستعداد للقاء الله بالعمل الصالح، والإيمان الصادق والتوبة النصوح.

إن جهاد النفس مقدَّم على غيره، وأصل له، فإذا لم يجاهد الإنسان نفسه أولاً لتفعل ما أُمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له، متسلط عليه، لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى

---

(١) كتاب "الله" أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٥٩٥.

يجاهد نفسه على الخروج.

وجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا علم إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالِمَ لا يستحق أن يُسمى ربانيًا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات[1].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ٣/٥-١٠.

الحديث رقم (١٠٥)

١٠٥- الحادي عشر: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**الجنة أقربُ إلى أحدِكُم مِنْ شِراكِ نَعْلِهِ، والنَّارُ مِثْلُ ذلِكَ**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

شراك نعله: سير النعل على ظهر القدم[2].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ في خطابه لأمته حريص عليها، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ومن دلائل هذه الحرص على مصلحة كل فرد في هذه الأمة إرشادهم إلى صلاح دينهم ودنياهم، وإلى طرق النجاة من مزالق الدنيا وأبواب جهنم، والفوز بالحسنى في الآخرة وبجنة عرضها السموات والأرض: أعدت للمتقين.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الموجز، إنه قليل الكلمات كثير المعاني، ليس في ألفاظه غموض، ولكنه عميق الدلالة، دقيق الإشارة، فائق العبارة.

فأي ترغيب للمؤمن أجمل من هذا التشويق إلى الجنة؟ وإلى تلمس الطريق إلى الفوز بها، وأي وضوح أكثر إشراقًا من هذا التعبير "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله".

وهذا التعبير من قبيل الكناية: وهو كناية عن القرب واليسر، ووجه الأقربية أن يسيرًا من الطاعة قد يكون سببًا في دخول الجنة، ومثله من المعصية يكون سببًا في،

---

(١) برقم (٦٤٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٠٦).

(٢) الوسيط في (ش ر ك).

والكناية من أبدع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيرًا هادفًا موجزًا يخفي تحت ظلاله لطائف مراده[١].

وربما يتساءل البعض: ما سر إدراج هذا الحديث في باب المجاهدة؟، وإجابة السؤال تكشف عن الأسرار الكامنة في قلب كلمات هذا الحديث الشريف: لأن المجاهدة لا تكون بالمبالغة في العبادة فقط، ولكنها تكون أكثر ما تكون في مجاهدة النفس، ومجاهدة الوساوس، ومجاهدة الإحساس بعدم جدوى بعض الأعمال، ومجاهدة الخواطر التي تنأى بالإنسان عن طريق العمل الصالح، ونحن نقتبس من الحديث كثيرًا من الومضات الراشدة، وفي مقدمتها أنه لا ينبغي للمرء ألا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه، ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله تعالى بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها، وأشار بعض العلماء إلى سر آخر من أسرار هذا التعبير المجازى لقرب الجنة، وقرب النار فقال: أراد قرب الجنة لمن كان كافرًا فأسلم، وقرب النار لمن عكس ذلك[٢]. وهذا التفسير ليس هو المراد فقط من بلاغة الرسول ﷺ في الحديث، وإنما هو من المعاني والدروس المستفادة من هذا البيان النبوي البليغ.

والمعجم اللغوي هنا مشتق من البيئة، وقريب من الفهم، وهو لا يستعصى على فهم الآخرين، وإنما يفهمه كل من يسمعه، ولذلك جاء الخطاب عامًا غير محدد بفئة في قوله: "الجنة أقرب إلى أحدكم"، وما أروع الإيجاز في هذا البيان النبوي البليغ، فالناس جميعًا في كل زمان وفي كل مكان لا يخرجون عن أحد الطريقين، إما طريق الجنة، أو طريق النار، فتأمل كيف أوجز المصطفى ﷺ مصير كل هذه الملايين من الأمم المتعاقبة في هذه الكلمات القليلة المشعة بالدلالات العظيمة والجميلة، وتأمل هذا التبشير الفياض بالترغيب في جنة عرضها السموات والأرض، والترهيب من نار لا تبقي لا تذر، ولم يصرح بلفظ القرب في سياق الحديث عن النار للإيحاء بالتنفير والكراهة والترهيب.

---

(١) انظر: الحديث النبوي: من الوجهة البلاغية، د. عز الدين السيد، ص ١٦٦

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٢٧٢/١ - ٢٧٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا :من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الطاعة موصلة إلى الجنة، والمعصية مقربة إلى النار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عدم احتقار القليل من الخير أو احتقار القليل من الشر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

سادسًا: من مهام الداعي: حسن العرض للدعوة.

أولاً- من أساليب الدعوة الإخبار:

يتضح ذلك في الحديث من إخبار النبي ﷺ بقرب الجنة والنار، وسهولة الوصول إليهما، وأن أقل العمل الصالح موصل إلى الجنة، وأن القليل من العمل السيئ قد يكون سببًا في تردي صاحبه في النار، فقال ﷺ: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك؛ حيث أخبر النبي ﷺ أن الجنة والنار قريبتان من الإنسان، وأنهما أقرب إليه من شراك نعله، وأسلوب الإخبار هنا جاء مناسبًا جدًا، وذلك لأن النبي ﷺ يقرر حقائق ثابتة ليس المجال هنا مجال إثبات وتدليل لأن هذا مقرر مسلم به، وإنما المقام هنا ترغيب وتحذير، أي مقام عمل وامتثال لا تدليل وبرهان، كل هذا ليرغب في عمل الجنة، ويحذر من عمل أهل النار؛ لأن من مهام الداعي بيان الحقائق للمدعوين وإخبارهم بها، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، ويُثمر عن ذلك تحفيز الهمم وشد الأرز، والدفع إلى طاعة الله واجتناب معاصيه". وذلك من أهم الأمور الواجبة المنوطة بالداعية ومهمته؛ إذ أن الإعلام بدين الله تعالى وإخبار الناس به ودعوتهم إليه فريضة مستمرة ينهض بها العلماء، ويضطلع بأعبائها المسلمون في تكاتف وتعاون يجعل من عملهم استمرارًا لعمل رسول الله ﷺ وجهاده في سبيل الدعوة[1]، التي أذن الله باكتمالها

---

(١) مشكلات الدعوة والدعاة، د. محمد حسين الذهبي، مطابع دار الشعب، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها، القاهرة، ص ٩.

وأوجب إبلاغها للناس، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

إن الإسلام ليس ملكًا لنا، وإنما هو أمانة الله في أعناقنا، ومن الوفاء بالأمانة تبليغها وإعلام الناس بها، فالإعلام بشرع الله ودينه إلى الناس كافة أمانة عظيمة، والمسلمون جميعًا -خاصة الدعاة إلى الله- مطالبون بالوفاء بهذه الأمانة وتأديتها على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى)[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث ورد ذلك في قوله ﷺ: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله" فشراك النعل قريب جدًا من الإنسان، ويضرب به المثل في القرب، وترهيبًا في الجملة الثانية "والنار مثل ذلك" وذلك أن الإنسان ربما يتكلم الكلمة الواحدة من رضوان الله تعالى فتكون سببًا في دخول الجنة، وربما يتكلم الكلمة لا يلقي لها بالاً وهي من سخط الله، فتكون سبب في أن يهوى في نار جهنم[3]. وكما جاء في صريح قوله ﷺ: ((إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يرفَعُه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط اللّه لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[4].

ولما كان للترغيب والترهيب من أثر بالغ في استجابة النفوس واستقامتها كان أهم وأعظم أساليب الدعوة إلى الله تعالى، إذ أن (النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ- لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حثُّ المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه)[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ١٠١-١٠٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٢٩/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٨، ومسلم ٢٩٨٨.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، د. صالح بن عبدالله بن حميدة وآخرون، ٢١٢٧/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الطاعة موصلة إلى الجنة والمعصية مقربة إلى النار:

وشبه ﷺ قربهما بقرب شراك النعل من الإنسان، فقال "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله وكذلك النار" فطلبهما ليس صعب المنال، وليس هناك من المشقة ما يحول بين الإنسان وبين مصيره، قال ابن مالك: ووجه الأقربية أن يسير الطاعة قد يكون سببًا لدخول الجنة ومثله من المعصية في النار، وقال السعد الكازوروني في شرح المشارق: أراد قرب الجنة لمن كان كافرًا فأسلم، وقرب النار لمن عكس، وكذا لمن أتى الكبائر[1].

وقال ابن بطال: وفي الحديث أن الطاعة موصلة إلى الجنة وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة و المعصية قد تكون في أيسر الأشياء، فينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها، ولا السيئة التي يسخط عليه بها، وقال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة، والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية[2].

فهذا الحديث يتضمن ترغيبًا وترهيبًا، يتضمن ترغيبًا في الجملة الأولى، وهو قوله: "الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله"، وشراك النعل هو السير الذي يكون على ظهر القدم، وهو قريب من الإنسان جدًا ويضرب به المثل في القرب، وذلك لأنه قد تكون الكلمة الوحدة سببًا في دخول الجنة، فقد يتكلم الإنسان بالكلمة الواحدة من رضوان الله عز وجل لا يظن أنها تبلغ ما بلغت، فإذا هي توصله إلى جنة النعيم.

ومع ذلك فإن الحديث أعم من هذا، فإن كثرة الطاعات واجتناب المحرمات من أسباب دخول الجنة، وهو يسير على من يسره الله عليه، فأنت تجد المؤمن الذي شرح الله تعالى صدره للإسلام يصلي براحة وطمأنينة وانشراح صدر ومحبة للصلاة، ويزكي كذلك، ويصوم كذلك، ويحج كذلك، ويفعل الخير كذلك، فهو يسير عليه سهل

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ص ٢٣٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣٢٩/١١.

قريب منه، وتجده يتجنب ما حرمه الله تعالى عليه من الأقوال والأفعال وهو يسير عليه.

وأما -والعياذ بالله- من قد ضاق بالإسلام ذرعًا، وصار الإسلام ثقيلاً عليه، فإنه يستثقل الطاعات، ويستثقل اجتناب المحرمات، ولا تصير الجنة أقرب إليه من شراك نعله.

وكذلك النار، وهي الجملة الثانية في الحديث وهي التي فيها التحذير، يقول النبي ﷺ: (والنار مثل ذلك)، أي أقرب إلى أحدنا من شراك نعله، فإن الإنسان ربما يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً وهي من سخط الله فيهوي بها في النار كذا وكذا من السنين، وهو لا يدري وما أكثر الكلمات التي يتكلم بها الإنسان غير مبال بها، وغير مهتم بمدلولها، فترديه في نار جهنم، نسأل الله العافية[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عدم احتقار القليل من الخير أو احتقار القليل من الشر:

إن فعل الطاعات من أسباب دخول الجنة كما أنّ فعل المعاصي واقتراف الذنوب يكون سبباً في دخول النار، ومن ثم كان على المدعو ألا يزهد في قليل الطاعة، ولا يستهين بالقليل من الشر، وهذا ما يبيّنه الحديث. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن الطاعة موصلة إلى الجنة وأن المعصية مقربة إلى النار، وأن الطاعة والمعصية قد تكون في أيسر الأشياء... فينبغي للمرء ألا يزهد في قليل من الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه، فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها)[2].

وجاء هذا الحديث في صحيح ابن حبان تحت عنوان: "ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك استحقاره اليسير من الطاعات والقليل من الجنايات"[3].

قال المناوي: (قيل: وجه الأقربية أن يسيراً من الخير قد يكون سبباً لدخول الجنة وقليلاً من المنكر قد يكون سبباً للنار. فينبغي الرغبة في كل أسباب الجنة وتجنب

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٣٢٩/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٩/١١.

(٣) صحيح ابن حبان ٦٦١.

جميع أسباب النار، وعلى هذا فالقرب معنوي وإلا فالجنة فوق السماوات السبع قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[1] وثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء)[2].

ويمكن الاستئناس في هذا الموضع بحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن العبد ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم"[3].

قال ابن حجر: قال ابن عبدالبر[4]: (الكلمة التي يهوى صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر وزاد ابن بطال: بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سبباً لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها. والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلومًا)[5].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

إن من حكمة الشرع أن جعل الجزاء من جنس العمل، فمن عمل خيراً وجد الخير، ومن عمل الشر وجده، وهذا واضح من الحديث. قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه تمكين الله عز وجل عبده من العمل للجنة والنار، وأنه في حالة قرب من الدارين،

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) فيض القدير ٣/٣٦٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٤٧٨، واللفظ له ومسلم، ٢٩٨٨، مختصراً.

(٤) التمهيد ٢٣/٣٩٧ موسوعة شروح الموطأ، ونص كلامه: "أنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم ليرضيه بها فيما يُسخط الله عز وجل، ويزين له باطلاً يريده من إراقة دم أو ظلم مسلم ونحو ذلك مما ينحط به في حبل هواه، فيبعد من الله وينال سخطه؛ وكذلك الكلمة التي يرضى بها الله عز وجل عند السلطان الجائر، ليصرفه عن هواه ويكفه عن معصية يريدها، يبلغ بها أيضاً من الله رضواناً لا يحسبه".

(٥) فتح الباري، ١١/٣١٧، وقد ذكر ابن حجر أقوالاً أخرى لعلماء آخرين فلتنظر وينظر كذلك شرح مسلم، ٧١٧.

فإن أطاع الله فالجنة أقرب إليه من شراك نعله، وإن عصى الله تعالى فالنار أقرب إليه من شراك نعله)[١].

قال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: معنى الحديث أن تحصيل الجنة سهل بتصحيح القصد وفعل الطاعة والنار كذلك بموافقة الهوى وفعل المعصية)[٢].

وقال الطيبي: (ضرب العرب مثلاً بالشراك[٣]، لأن سبب حصول الثواب والعقاب، إنماً هو بسعي العبد ويجري السعي بالأقدام، وكل من عمل خيراً استحق الجنة بوعده، ومن عمل شراً استحق النار بوعيده، وما وعد وأوعد منجزان فكأنهما حاصلان)[٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[٥].

قال القرطبي: (المعنى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وقيل: هي لام العاقبة "أي في ليجزي": أي ولله ما في السموات وما في الأرض. أي وعاقبة أمر الخلق أن يكون منهم مسيء ومحسن، فللمسيء السوءى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة"[٦].

وقال النبي ﷺ: ((حُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَوَاتِ، وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ))[٧].

قال ابن حجر: (وقوله "حفت" من الحفاف وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٨٩/٢.

(٢) فتح الباري، ٣٢٩/١١.

(٣) وقد نقل الطيبي قول ابن الأثير في النهاية: الشراك أحد سيور النعل التي تكون على وجهها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٧٧.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٣/٥-١٢٤.

(٥) سورة النجم، آية: ٣١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٩/ ١٠٥-١٠٦، بتصرف يسير. وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٠/٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٨٧، ومسلم ٢٨٢٢ واللفظ له.

إلا بتخطيه، فالجنة لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره والنار لا ينجي منها إلا بترك الشهوات)[١].

سادسًا- من مهام الداعية: حسن العرض للدعوة:

ففي الحديث نجد أن الرسول ﷺ قدم ما يتعلق بالجنة على ذكر ما يتعلق بالنار، جذبًا للنفوس وتأليفًا للقلوب، وهذا المنهج واضح أيضًا في غالب آيات القرآن، يقدم الجنة على النار ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾[٢] يقدم المغفرة على العقوبة ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾[٣]، يقدم الخير على الشر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٤] فينبغي على الداعي أن ينحو هذا المنحى تأليفًا للقلوب ورغبة في نشر الدعوة، فإن الحديث إذا بدأ بالخير سكن إليه القلب وأقبلت عليه النفس ويُعد ذلك لونًا من ألوان حسن عرض الدعوة وترغيب المدعوين.

إن حسن العرض يجعل ما يقوله الداعية يستقر في نفوسهم، ويتغلغل في سلوكهم وحياتهم اليومية، دون شعور بالكلفة أو العناء.

إن القيم الخيرة -عامة-لا تُفرض على الناس فرضًا، لكنها تجذبهم إليها جذبًا، فيتمثلونها، ويضحون في سبيلها عن طيب خاطر وخضوع تام، وجاذبية الداعية تكمن في التكامل بين جوانب شخصيته وأسلوبه وموضوعه، والظرف الذي يتحدث فيه وشعور الناس بالحاجة والارتياح لما يقال[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٨/١١.

(٢) سورة القارعة، الآيات: ٦-١١.

(٣) سورة غافر، آية: ٣.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، د. عبد الكريم بكار، ص ١٥٧.

الحديث رقم (١٠٦)

١٠٦- **الثاني عشر:** عن أبي فِراس رَبيعةَ بنِ كَعْبٍ الأسْلَمِيِّ خادِم رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أبيتُ مع رسول اللَّه ﷺ، فآتِيهِ بوَضوئِهِ، وحاجتِهِ فقال: «**سلْني**»[1] فقُلْت: أسْألُكَ مُرافَقَتَكَ في الجنَّةِ. فقالَ: «**أوَ غَيْرَ ذلِكَ؟**» قُلْت: أسْألُكَ مُرافَقَتَكَ في الجنَّةِ. فقالَ: «أوَ غَيْرَ ذلِك[2]؟» قُلْت: هو ذاك. قال: «**فأَعِنِّي على نَفْسِكَ بكَثْرةِ السجُودِ**» رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

ربيعة بن كعب الأسلمي: وهو أبي فراس بن كعب الأسلمي.

كان من أهل الصُّفَّة، خدم النبي ﷺ، وكان يلزم رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وصَحِبه قديمًا، وعُمِّر بعده، ونزل بعد موته في بلاد أسلم على بريدٍ من المدينة، وبقي إلى أيام الحرة.

وله في الكتب حديثًا واحدًا، يسأل فيه النبي ﷺ مرافقته في الجنة، وتوفي بالحرة، سنة ٦٣هـ من ذي الحجة[4].

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: الصفة مكان مُظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، إبان العصر النبوي بعد الهجرة يأوى إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[5].

---

(١) لفظ مسلم: (سَلْ).

(٢) عند مسلم مرّة واحدة فقط، وقد ورد مكررًا عند البيهقي في السنن الكبرى (٢/٤٨٦).

(٣) برقم (٢٢٦/٤٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (٥٥٢).

(٤) الطبقات، ابن سعد ٢/٣٧٦، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٢٣٢، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٢/٢٦٨-٢٦٩، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٤٠٤، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي ٢/٤٧٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١/٦٠٠.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

وضوئه: الماء الذي يتوضأ به [١].

الشرح الأدبي

ما أجمل ذلك الحوار الإنساني بين الرسول ﷺ وخادمه، ربيعة بن كعب الأسلمي، إنه حوار توجيهي إرشادي، يتعلم منه المسلمون وغيرهم كيفية معاملة العامل والأجير والخادم، وهذا سلوك حضاري يرسى قاعدته رسول الله ﷺ ولقد وضع عليه الصلاة والسلام دستورًا كريمًا في معاملة العمال، ورعايتهم والسهر على مصالحهم، والتكافل معهم بكل الطرق التي تدفعهم إلى العمل بإخلاص ودقة، وطلب مساعدتهم فيما يشق عليهم بقدر المستطاع أيا كانت منزلتهم في مختلف طبقاتهم دون استعلاء عليهم ولا تعاظم: إذ يقول: "إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم [٢].

والحوار هنا يتسم بالعطف والرعاية من جانب الرسول ﷺ لخادمه، ويتسم كذلك بالصدق والسمو في طلب المكافأة والأجر من جانب ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه.

والعطف بالفاء في جمل الحديث المتتابعة يوحي بحرص كل من المتحاورين على إرضاء الآخر حبًا ومودة واحترامًا : ويبدأ الحوار من جانب رسول الله ﷺ ليكافئ خادمه على إخلاصه وصدقه فيقول له: "سلني" وفعل الأمر هنا ليس على حقيقته : لأن الرسول ﷺ، يريد أن يكافئه فطلب منه أن يحدد ما يريد من أجر أو عطاء، وتأتي إجابة ربيعة على غير ما يتوقع السامع، فهو لم يطلب درهمًا ولا دينارًا، وإنما تسامى في طلبه، واتسعت أمنياته، وتجاوزت أفق الأجر المادي إلى أفق أعلى من الرغبات، وهو أفق صحبة رسول الله ﷺ ومرافقته في الجنة مثلما كان يرافقه في الدنيا، وتحديد لفظ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ض أ).

(٢) أخرجه البخاري ٣٠، ومسلم ١٦٦١.

المرافقة فيه إيحاء بالقرب فهو كناية عن الاقتراب من رسول الله ﷺ في الجنة، ولذلك لم يقل أكون معك، وزيادة في الأنس والاطمئنان والحرص على تلبية رغبة ربيعة ابن كعب يعاود الرسول ﷺ الحوار فيقول: "أو غير ذلك" وهذا ليس ضنًا بالمطلب السابق، ولكنه الحرص على ذلك الخادم المحب: لأن مرافقة رسول الله ﷺ تحتاج إلى مجاهدة ومشقة... وعبادة متواصلة.

وفي التعبير إيجاز بالحذف والتقدير أترجع عن سؤالك هذا لأنه مُشقٌ لا تطيقه وتسأل غيره.

والتعبير باسم الإشارة ذلك يوحي بأن هذا المطلب عزيز وبعيد المنال ... ولا ينال بالعمل اليسير.

ويدرك: ربيعة مغزى محاورة الرسول ﷺ له، ويصر على مطلبه الأسمى، ورجائه الأعلى، ولا يغير منه شيئًا، ويقول: هو ذاك، واسم الإشارة هنا للقريب: وفيه إيحاء بأن الأمر يسير وأن ربيعة سيتحمل كل التبعات والتكاليف حبًا في مرافقة رسول الله ﷺ، ويستجيب الرسول له، ولا يعده وعدًا مجردًا من العمل: ولكن يفتح أمامه سبيل الوصول لهذه المرتبة فيقول في بلاغة ومحبة وصدق "أعني على نفسك بكثرة السجود".

فقه الحديث

فيه دليل على أن السجود أفضل من القيام[1] وسيأتي تفصيل المسألة في الحديث التالي (١٠٧).

---

(١) نيل الأوطار ٩٢/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم وتفانيهم في خدمة الرسول ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: كرم وسخاء الرسول ﷺ.

ثالثًا: من صفات المدعو: التطلع إلى معالي الأمور.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جهاد النفس.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم وتفانيهم في خدمة الرسول ﷺ

يتضح ذلك من خلال قول خادم رسول الله ﷺ، وهو: أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي: "كنت أبيت مع رسول الله ﷺ" أي: "على باب بيته لأداء خدمته"[1]، ومن قوله "فآتيه بوضوئه وحاجته" إذ أنه لم يوجد على وجه البسيطة مَنْ أحبه أصحابهُ مثل ما أحب الصحابةُ رسول الله ﷺ، هذا الحب دفعهم دفعًا إلى أن يحرصوا على خدمته متفانين فيها، ومنهم راوي هذا الحديث أبو فراس ربيعة بن كعب الأسلمي، فكان من الملازمين لخدمة رسول الله ﷺ.

وإذا كان الله تعالى قد أراد بأصحاب رسول الله ﷺ خيرًا، بأن يسّر لهم صحبته وخدمته ورعاية حقوقه، فإن ذلك لا ينقطع بوفاته ﷺ، فالقيام بحقه والتأدب معه قائم إلى قيام الساعة من محبته ودفاع عن سنته ونشر لدعوته، (فمن الأدب معه ﷺ محبته وتقديم ذلك على محبة الناس أجمعين حتى النفس والولد والوالد، ومن الأدب معه تعظيمه بغير غلو، وتعظيم سنته وامتثال أمره وخفض الصوت عند قبره ﷺ وسماع سنته، وتصديق فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، والاعتقاد الكامل بأن هديه أكمل الهدي، وأن الشرع الحنيف أكمل الشرائع، والاعتقاد بأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ص ٢٣٤.

أتاه اليقين، والدفاع عن شريعة الإسلام، وعن هديه ﷺ بكل القوى الممكنة من الحجج والبراهين والأدلة والمال والعلم وغير ذلك، وعدم السكوت عمن انتقص شخصيته الكريمة أو سلوكه القويم أو شريعته السمحة وعدم تقديم قول أحد من المخلوقين أو فعله على قوله ﷺ)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: كرم وسخاء الرسول ﷺ:

ويتجلى ذلك في قوله ﷺ لأبي فراس ربيعة بن كعب: "سلني" على إطلاقها بما تحتويه الكلمة من إطلاق وعموم لجميع مطالب الدنيا والآخرة، الحسية والمعنوية، وذلك إرادة منه ﷺ في مكافئته على خدمته، فهو ﷺ أكرم الخلق وأجودهم القائل: ((مَن صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فإِنْ لَم تَجِدُوا ما تُكَافِئُوا بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُم قَدْ كَافَأْتُموهُ))[٢] فدل ذلك على أفضلية الكرم والجود والاعتراف بالجميل والثناء عليه، كل ذلك وغيره من الصفات الحسنة التي ينبغي للداعية أن يتجمل بها، وأن تكون سجية له مما يكون له بالغ الأثر في تأليف قلوب المدعوين وقبولهم لدعوته، وأن يتأسى في ذلك برسول الله ﷺ.

لقد كان ﷺ قدوة في الجود والكرم والسخاء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة لا يُوازى ولا يُبارى، وصفه بهذا كل من عرفه، روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ. وكان إذا لقيه جِبريلُ عليه السلام أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ))[٤].

---

(١) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ص ١٨، ١٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٦٨).

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٤) أخرجه البخاري ٥، ومسلم ٢٣٠٨.

وقالت خديجة رضي الله عنها في صفته ﷺ مخاطبة له: ((وتحملُ الكَلَّ، وتَكْسِبُ المَعْدومَ))[١].

لقد أوتي نبينا ﷺ خزائن الأرض، ومفاتيح البلاد، وأُحلت له الغنائم، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام والعراق، وجُلب إليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها، وأهدى إليه، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهمًا، بل صرفه مصارفه، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، وقال: ((مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي أُحُدًا ذَهَبًا. تَأْتِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. إِلاَّ دِينَارٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ عَلَيَّ))[٢].

وأتته دنانير فقسّمها، وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتى قام فقسمها، ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله[٣]، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده، فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن، والبُرد الغليظ، ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب، ويرفع لمن لم يحضره، فأنت ترى رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه وإنفاقه على مستحقيه[٤].

ثالثًا- من المدعو: التطلع إلى معالي الأمور:

ونرى ذلك ونلمسه في قول أبي فراس لرسول الله ﷺ "أسألك مرافقتك في الجنة" فمع أن النبي ﷺ حباه بقوله "سلني" على إطلاقها الذي يشمل حوائج الدنيا والآخرة إلا أنه لم يُلقِ لحوائج الدنيا بالاً، وتطلع إلى الآخرة، وأنه لم يكتف بمجرد طلب دخول الجنة وإنما طلب أجمل ما فيها، وهو مرافقة رسول الله ﷺ، دفعه إلى ذلك ما غرسه النبي ﷺ في نفوس الصحابة من توجيه أنظارهم وأفئدهم إلى معالي الأمور، من هذه

---

(١) أخرجه البخاري ٣، ومسلم ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٤ ومسلم ٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩١٦.

(٤) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، ص ٢٧٢ - ٢٧٥.

التوجيهات قوله ﷺ ((في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة))[1].

إن التطلع إلى الأفضل ومعالي الأمور وعلو الهمة من الأخلاق الرفيعة والغايات النبيلة، قال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن. والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل)[2].

(إن الإسلام دين العزة والكرامة، ودين السمو والارتفاع، ودين الجد والاجتهاد، فليس دين ذلة ومسكنة، ولا دين كسل وخمول ودعة.

ولذلك فالإسلام يحض على علو الهمة، ويحث المسلمين على التحلي بهذا الخلق، ويوجههم إلى طرق اكتسابه، ويحرص على تربيتهم عليه، ويبين لهم جميع الطرق الموصلة إليه)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جهاد النفس:

يستنبط ذلك من قول الرسول ﷺ "أعني على نفسك" إذ أن النفس البشرية ليست سهلة الطاعة والانقياد، وإنما تحتاج إلى جهاد هو من أعلى مراتب الجهاد وأشار إلى ذلك ابن القيم ذاكرًا مراتب جهاد النفس بأنها أربع:

إحداها: أن يجاهدها على التعلم، ثانيها: أن يجاهدها على العمل به، ثالثها: أن يجاهدها على الدعوة إليه، رابعها: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله،

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٣٣٥.

(٣) الهمة العالية: معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١١٩.

فإن استكملها صار من الربانيين)[1].

إن من كياسة الإنسان وفطنته أن يجاهد نفسه، وأن يحاسبها، ولا يترك لها الحبل على الغارب فتورده موارد التهلكة ومواطن الشرور، والإسلام عندما يأمر بمجاهدة النفس إنما يريد تكوينًا صالحًا للفرد وبناء فاضلاً للمجتمع وتغتمر السعادة وتنتظم أفراده المحبة والأخوة والوئام.

إنها تربية الإسلام المجيدة، التي تعتني بالفرد، تعتني بسلوكه وأخلاقه، تعتني بنزعاته ورغباته، بميوله واتجاهاته، فتوجهه الوجهة الصالحة، التي تكفل له السعادة في الدنيا، والراحة في الآخرة، وتجعل منه عضوًا نافعًا في المجتمع، وإنسانًا مثاليًا يعيش بين إخوانه وأقرانه عيشة الشرفاء، الذين يعرفون ما لهم وما عليهم، فلا يظلمون ولا يعتدون... ولا يحاولون أن يسلكوا الطريق الملتوية التي يزينها لهم الشيطان!!

والناس في تعاملهم مع نفوسهم ينقسمون إلى صنفين اثنين:

أولهما: صنف عرف غاية وجوده في هذه الحياة، فجدّ واجتهد وكافح وناضل، وحاسب نفسه على ما قدمت من أعمال، فزجرها عن الشر ودفع بها نحو الخير وسما بها إلى درجات الكمال.. وهذا الصنف من البشر هم الصفوة، هم الأخيار الأطهار، هم "العقلاء" الذي أدركوا سر هذه الحياة، فتزودوا من دنياهم لآخرتهم، ووقفوا عند حدود الله، فكفوا جوارحهم عن الآثام والموبقات، وابتعدوا عن المحرمات والشهوات، ونظروا إلى الدنيا نظرة البصير العاقل، الواعي المتدبر، الذي لم تؤثر فيه عواصف المدنية الهوجاء، ولا أساليبها الماكرة الخادعة. وهناك مَنْ أدركوا حقارة الدنيا الفانية، فأقبلوا على الآخرة بصدق إخلاص، وإيمان ويقين، وأجهدوا أنفسهم في طاعة الله تعالى، فكانوا من السعداء الأبرار!

والصنف الآخر هم الذين أخطأوا الفهم الصحيح للحياة... ولم يدركوا سر وجودهم فيها فساروا مع أهوائهم، وعاشوا لشهواتهم، وظنوا الحياة خالدة لهم، فلم يعرفوا من الدنيا إلى التمتع باللذائذ والشهوات، ولم يدركوا منها إلا كما يدرك الحيوان الأعجم

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ٣/١٠.

من العيش في سبيل الطعام، والشراب، والشهوة ولسان حالهم يقول:

إنمـــا الـــدنيا طعـــام وشـــراب ومنـــام

فـــإذا مـــا فـــات هـــذا فعلـــى الـــدنيا الـــسلام

إنهم (عبيد) البطون، و(عبيد) الشهوات، الذين أصبح لهم نسب عريق مع البهائم والحيوانات ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1]... وصدق الله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

هؤلاء هم الذين يسيرون مع أهوائهم، لا يفكرون في حساب ولا عقاب، ثم يطمعون في رحمة الله تعالى مع أنهم لم يقدموا لآخرتهم شيئًا. لقد عاشوا لشهواتهم، وعاشوا لبطونهم، لا يعرفون سرًا للحياة إلا التمتع بشهواتها الفانية غير مفكرين بمستقبل أو مصير.. وهؤلاء - لعمر الحق- هم الخاسرون النادمون، الذين فرطوا في جنب الله، فأساءوا إلى أنفسهم وأوردوها موارد الهلكة... فيا لهم من بلهاء، ويا لهم من أناس مغفلين!![3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة:

إن الإكثار من التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة مطلب عظيم، وقد أمر به النبيُّ ﷺ في قوله: "أعني على نفسك بكثرة السجود" أي الصلاة ليزداد من القرب ورفعة الدرجات حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها، ولا يُعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب ((ألا رجل يأتيني بخبر القوم الله معي يوم القيامة))[4] لأن هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[5] لأن هذه المعية

---

(١) سورة محمد، آية: ١٢.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٤٤.

(٣) من كنوز السنة، محمد علي الصابوني، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٩.

هي النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة على مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم)[١].

وإنما كان السجود والإكثار منه يرتفع بصاحبه إلى تلك الدرجات العلا، لأن (السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها، وهو: وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن) [٢].

والأمر بكثرة السجود في الحديث موافق لمثل قول الله عز وجل ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ أي صَلِّ لله، فالسجود يُعبِّر به عن الصلاة، واقترب أي تقرب إلى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة، وإذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء، إذ أن أقرب ما يكون الإنسان لربه وهو ساجد قال العلماء: وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة وله العزة التي لا مقدار لها فكلما بَعُدتَ من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره لله در القائل:

وإذا تذللت الرقاب تواضعًا ... منا إليك فعزها في ذلها[٣]

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٢/٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٨٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٠/٢٠/١٢٨.

الحديث رقم (١٠٧)

١٠٧- **الثالث عشر:** عن أبي عبد اللّه ويُقَالُ: أبُو عبْدِ الرَّحمنِ ثَوْبانَ مولى رسولِ اللّهِ ﷺ قال: سمِعْتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: «**عليكَ بِكَثْرةِ السُّجُودِ**[1]، **فإنَّكَ لَنْ**[2] **تَسْجُد للّهِ سجْدةً إلاَّ رفعكَ اللّهُ بِهَا درجةً، وحطَّ عنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**» رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: هو أبو عبدالله، مولى رسول الله ﷺ، سُبِيَ من أرض الحجاز فاشتراهُ النبي ﷺ وأعتقه، فلزم النبي ﷺ، وصَحِبَه وحفظ عنهُ كثيرًا من العلم، وطال عُمره، واشتهر ذِكْرُه.

وأصله من أهل السَّراة، وهي: موضع بين مكة واليمن، وقيل من حمير من اليمن.

وكان لا يسألُ أحدًا شيئًا، بعد أن سمع النبي ﷺ يقول: ((من تكفلَ أنْ لا يسأل أحدًا شيئًا فأتكفل لهُ بالجنة)) فقال له أنا يا رسول الله[4] وقد روى عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ١٢٨ حديثًا.

وبعد أن توفي النبي ﷺ خرج ثوبان رضي الله عنه إلى الشام، فنزل الرّملة (في فلسطين) وابتنى بها دارًا، ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها دارًا وتوفي بها سنة ٥٤هـ[5].

---

(١) عند مسلم زيادة: (لله).

(٢) لفظ مسلم: (لا).

(٣) برقم (٢٢٥/٤٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (٥٤٩).

(٤) أخرجه أحمد ٢٧٥/٥ رقم ٢٢٣٦٦، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٠/٣٧.

(٥) الطبقات، ابن سعد (٤٠٠/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١٠٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ١٦٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥/٣-١٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٤٨٠/١-٤٨١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٤١٨/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٧٦/١)، والأعلام، الزركلي (١٠٢/٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٥٤٧/١-٥٤٨).

غريب الألفاظ:

الدرجة: المنزلة[١].

حَطَّ عنك خطيئة: وضعها وأنزلها[٢].

الشرح الأدبي

إن الصلاة لوقتها من أحب الأعمال إلى الله عز وجل، وإن السجود من علامات الخشوع والخضوع، فهو مظهر من مظاهر الانقياد والتسليم، والمحبة والتعظيم.

والحديث الشريف هنا يضع علامات الهدى والرشاد أمام المؤمن وهو سائر في طريق الطاعة والمجاهدة، وثوبان مولى رسول الله ﷺ يروي ما سمعه، وهو مثل أنس بن مالك وربيعة الأسلمي... وغيرهم من الذين كانوا يَشْرُفُون بخدمة النبي ﷺ يقدمون القدوة الحسنة: حيث لا يقتصر عملهم على أداء واجباتهم المنوطة بهم تجاه رسول الله ﷺ ولكنهم من الصحابة، ويقومون بدورهم في رواية أحاديث رسول الله ﷺ، خدمة للدعوة.

وكان ثوبان رضي الله عنه يوضح بعض المسائل للناس حين يسأل عن مسألة أو أمر ما، ومن خلال ما سمعه من رسول الله ﷺ كان يجيب ويوضح، وهذا الحديث شاهد على ذلك، فقد روى: أن معدان بن طلحة قال: أتيت ثوبان: فقلت: أخبرني بعمل أعمل به يدخلني الله به الجنة، أو قال: بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سأله فسكت، ثم سأله الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال عليك بكثرة السجود...[٣] الحديث.

والحديث يبدأ: بقوله: "عليك" وهو اسم فعل بمعنى خذ وهو يفيد الوجوب والإلزام، وكاف الخطاب تفيد التحديد والمسؤولية الشخصية عن العمل المؤدي، والتعبير بـ"على"

---

(١) اللسان والوسيط في (د ر ج).

(٢) اللسان والوسيط في (ح ط ط).

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٨.

يرشد إلى تحمل المسؤولية كذلك، ودلالة اللفظ ووظيفته يرشدان أن الأمر والوجوب، و"كثرة السجود" تعبير يوحي بأن الكثرة في السجود مع الإخلاص والإتقان ضرورة للمؤمن، وطريق لخلاصه من الأوضار والذنوب، وقوله بكثرة السجود: أبلغ وأدل على المراد من التعبير بقوله: بالسجود الكثير، وثمرة كثرة السجود تصاغ في أسلوب القصر..، ويتصدر الجملة التأكيد المصحوب بكاف الخطاب، إنك، والقصر هنا أداته: النفي والاستثناء، وتتوهج هذه الجملة بكثير من البشارات والثواب المضاعف، فإنك لن تسجد لله: سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة.

وقوله: "لله" فيه توجيه وإرشاد إلى أن السجود لا يكون لا لله عز وجل، خالصًا متقنًا، لا يشوبه نفاق أو رياء أو شرك، وقوله سجدة بالإفراد يرشد إلى مضاعفة الثواب، لأنه أمر بكثرة السجود ومع كل سجدة واحدة يرفع الله المؤمن درجة، ويحط عنه خطيئة، وترغيبًا في الثواب والأجر، وضمانًا له يحدد الرسول ﷺ مانح الدرجة وهو الله عز وجل، والممنوح له وهو الساجد حيث قال: "رفعك" محددًا كاف الخطاب، وحدد مصدر وسبب المنح، وهو السجدة في قوله: بها: أي بسببها: والبديع في الأسلوب يضفي عليه بهاءً وزينة وزخرفًا وجلاء للمعنى من خلال المقابلة بين الموقفين والمقامين: مقام الإكرام والإثابة: ورفع الدرجة، ومقام الغفران والصفح حيث يحط عنه خطيئة مع كل سجدة، وللسجود فضائل لا تحصى، ويرى أن عليًا بن عبدالله بن عباس كان يسجد في كل يوم ألف سجدة، وكان عمر بن عبدالعزيز لا يسجد إلا على التراب، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: "ما آسى على شيء في الدنيا إلا على السجود".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم السجود، وأنه من أعظم القربات إلى الله تعالى، ولذا فقد اختلف الفقهاء هل التطويل في القراءة في النفل أفضل أم كثرة السجود أفضل على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١] والمالكية في قول[٢]، والشافعية في الأصح[٣] والحنابلة في وجه[٤] إلى أن التطويل في القراءة والقيام أفضل من كثرة الركوع والسجود في صلاة النفل لفعله ﷺ.

القول الثاني: ذهب محمد بن الحسن في رواية نقلت عنه[٥] والمالكية في قول هو الأظهر[٦] والحنابلة[٧] والشافعية في وجه[٨] إلى أن كثرة السجود أفضل مستدلين بهذا الحديث.

القول الثالث: هما سواء، وروي هذا عن جماعة.

وتوقف الإمام أحمد في المسألة ولم يقض فيها بشيء[٩].

قال ابن حجر[١٠]: والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٥٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني ٢٩٥/١، وأحكام القرآن للجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، وشرح معاني الآثار ٢٨٣/١.

(٢) شرح الخرشي ١٦/٢، وحاشية الدسوقي ٣١٩/١، وبلغة السالك ٤١٤/١.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٠/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠.

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٤٤٠/١، وشرح منتهى الإرادات ٢٤٧/١.

(٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٩/٢، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فراموز الحنفي منلا خسرو ١١٦/١.

(٦) شرح الخرشي ١٦/٢، وحاشية الدسوقي ٣١٩/١، وبلغة السالك ٤١٤/١.

(٧) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٤٤٠/١، وشرح منتهى الإرادات ٢٤٧/١.

(٨) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٠/٣.

(٩) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٠/٤، و نيل الأوطار٩١/٣.

(١٠) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٩/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والحصر والقصر، والتوكيد.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تعهّد الأهل والأقربين بالموعظة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التقرب إلى الله عز وجل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والحصر والقصر، والتوكيد:

لقد تضمن هذا الحديث عددًا من الأساليب الدعوية مثل: الأمر في قوله: "عليك بكثرة السجود" والحصر والقصر في استخدامه للفظتي "لن" و"إلا" في قوله: "لن تسجد لله سجدة إلا" إضافة إلى ذلك تأكيده بإنَّ التي تفيد التوكيد، ولاشك أن هذه الأساليب الدعوية تدل على حب الخير للمدعو، وأهمية ما أمر به الرسول ﷺ من كثرة السجود، لبيان فضل السجود في رفع الدرجات وحطّ الخطايا.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تعهّد الأهل والأقربين بالموعظة:

يتضح ذلك من توجيه النبي ﷺ هذه النصيحة لثوبان مولاه، ومن النص السابق لأبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادمه، فإذا كان الداعي مكلفًا بأن يدعو الناس جميعًا فالأجدر به أن يبدأ بدعوة أهله وذويه إلى الله تعالى ويحثهم على الاستجابة لأوامر الله تعالى، والانتهاء عما نهى عنه سبحانه، وانطلاقًا من قول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] وقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

(أي: حث أهلك على الصلاة وأزعجهم إليها من فرض ونفل، والأمر بالشيء، أمر بجميع ما لا يتم إلا به فيكون أمرًا بتعليمهم ما يصلح الصلاة، ويفسدها، ويكملها.

"واصطبر عليها" أي: على الصلاة بإقامتها، بحدودها، وأركانها، وخشوعها، فإن

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

ذلك مشق على النفس، ولكن ينبغي إكراهها وجهادها على ذلك، والصبر معها دائمًا، فإن العبد إذا أقام صلاته على الوجه المأمور به، كان لما سواها من دينه أحفظ وأقوم، وإذا ضيعها كان لما سواها أضيع، ثم ضمن تعالى لرسوله الرزق، وأن لا يشغله الاهتمام به عن إقامة دينه فقال: "نحن نرزقك" أي: رزقك علينا، قد تكفلنا به، كما تكفلنا بأرزاق الخلائق كلهم، فكيف بمن قام بأمرنا، واشتغل بذكرنا؟! ورزق الله عام للمتقي وغيره. فينبغي الاهتمام، بما يجلب السعادة الأبدية، وهو: التقوى، ولهذا قال: (والعاقبة) في الدنيا والآخرة (للتقوى) فمن قام بها، كان له العاقبة)[1].

إن تعهد الأهل والأقربين بالموعظة وحثهم على طاعة الله عز وجل من مظاهر قيام المؤمن بتلك المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه أهله وأسرته، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عنه رعيته، قال: وحسبت أن قد قال "والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته"))[2].

إن أهم ما يواجه الآباء بالنسبة للأبناء مسؤوليتهم عن تنشئتهم على العقيدة الصحيحة، والالتزام بأحكام الدين والخلق الكريم وأداء العبادة، ويأتي بعد ذلك تعليمهم العلوم التي يحتاجون إليها في شؤون دينهم ودنياهم، وسبب فساد الولد يعود إلى عاملين هما:

- إهمال تربيته وتركه للعوامل الخارجية.
- أو فساده بتلقينه مبادئ الهدم وتنشئته عليها.

إن الطفل عجينةً بيد والده، يشكلها كيفما شاء. إن المعارف التي يمكن أن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

يتعلمها الإنسان لا يحصرها حدٌّ، فعلى الوالدين أن يختاروا لأولادهما أهمها وأنفعها في الدنيا والآخرة، وليس هذا الكلام مقصورًا على الأولاد، بل إنه يشمل كل من يكون في ولاية الرجل من زوجة وإخوة وأم وتلاميذ ومرؤوسين[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التقرب إلى الله عز وجل:

الحث على التقرب إلى الله تعالى، من الموضوعات التي يجب أن يُركز عليها في الدعوة إلى الله تعالى ومن شواهد ذلك قوله ﷺ "فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة".

قال القاضي عياض: (وقوله لثوبان: "سل" فسأله مرافقته في الجنة فقال له: "أو غير ذلك؟": قيل: لعله عليه السلام فَهِم من المساواة معه في درجته وذلك ما لا ينبغي لغيره، فلذلك قال له: "أو غير ذلك" أي سل غير هذا، فلما قال له الرجل: هو ذاك، قال له: "أعني على ذلك بكثرة السجود" ليزداد من القرب ورفعة الدرجات حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها فإن السجود معارج القرب،ومدارج رفعة الدرجات، قال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾[٢]، وقال ﷺ: (لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة) ولأن السجود غايته التواضع لله، والعبودية له،وتمكين أعز عضو في الإنسان وأرفعه وهو وجهه من أدنى الأشياء وأخسها وهو التراب، والأرض المدوسة بالأرجل والنعال[٣].

والحديث فيه دليل على أن كثرة السجود أفضل من طول القيام وهي مسألة اختلف العلماء فيها: فذهبت طائفة إلى ظاهر هذا الحديث، وذهبت طائفة أخرى إلى أن طول القيام أفضل؛ متمسكين بقوله ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلاَةِ طُولُ الْقُنُوتِ))[٤]، وفسروا

---

(١) انظر: من هدي النبوة، تأملات في عدد من جواع الكلم، د. محمد بن لطفي الصباغ ص ٣٨٨-٣٩٠.

(٢) سورة العلق، آية: ١٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤٠٣.

(٤) أخرجه مسلم ٧٥٦.

القنوت بالقيام كما قال تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[١]، ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي، والصحيح من فعل النبي ﷺ: أنه كان يطول في قيام صلاة الليل، وداوم على ذلك إلى حين موته، فدلّ: على أن طول القيام أفضل. ويحتمل أن يقال: إن ذلك يرجع إلى حال المصلي. فربّ مصل يحصل له في حال القيام من الحضور والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، ورب مصل يحصل له في السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام، فيكون الأفضل في هذه الحال التي حصل له فيها ذلك المعنى الذي هو روح الصلاة[٢].

لقد وضع النبي ﷺ في الحديث الجزاء والثواب نصب عين المخاطب وأودعه في ذهنه ليكون دافعًا له على المسارعة إلى الخيرات، فأرشده إلى التقرب إلى الله بكثرة السجود، وهو موافق لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[٣] أي اسجد لربك واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه[٤] وبين ﷺ ماذا يحدث للإنسان من الأجر فيما إذا سجد وهو أن يحصل له فائدتان عظيمتان:

الفائدة الأولى: أن الله يرفعه بها درجة، يعني منزلة عنده وفي قلوب الناس، ويزيده في الثواب.

والفائدة الثانية: أن الله يحط بها ويكفر الخطايا.

والإنسان يحصل له الكمال بزوال ما يكره، وحصول ما يحب، فرفع الدرجات مما يحبه الإنسان، والخطايا مما يكره الإنسان، فإذا رفع له درجة وحط عنه بها خطيئة فقد حصل على مطلوبه، ونجا من مرهوبه[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٢) المفهم، القرطبي ٢/٩٢ - ٩٣.

(٣) سورة العلق، آية: ١٩.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٦٠.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٣٣٢.

الحديث رقم (١٠٨)

١٠٨- **الرابع عشر:** عن أبي صَفْوانَ عبدِ اللّه بن بُسْرٍ الأسلَمِيِّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ مَن طالَ عمُرُه وَحَسُنَ عملُه**» رواه الترمذي، وقال حديثٌ حسنٌ[1].

«بُسْر»: بضم الباءِ وبالسين المهملة.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: وهو عبدالله بن بُسْر المازِنيّ من مازن بن منصور بن عكرمة، الأنصاري، يكنى أبا بُسْر، ويقال أبو صفوان له صحبة ورواية، له في كتب الحديث (٥٠) حديثًا، صلى إلى القبلتين، وضع النبي ﷺ يده على رأسه ودعا له، صحب النبي ﷺ هو وأبوه وأمه وأخوه عطية، وأخته الصمَّاء، زارهم النبي ﷺ وأكل عندهم، ودعا لهم، فعن عبدالله بن بُسر المازني رضي الله عنه قال: بعثني أبي إلى رسول الله ﷺ أَدْعوه إلى طعام، فجاء معي، فلما دنوت من المنزل أسرعت، فأعلمت أبويَّ فخرجا فتلَقَّيا رسولَ الله ﷺ ورحبا به، ووضعنا له قطيفة كانت عندنا زِئْبُريَّة فقعد عليها، ثم قال أبي لأمي: هات طعامك، فجاءت بقصعة فيها دقيق قد عَصَدَته بماء وملح، فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ فقال: ((خذوا باسم الله من حواليها وذروا ذروتها، فإن البركة فيها، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، وفضل منا فضلة، ثم قال رسول الله ﷺ اللهم اغفر لهم وارحمهم، وبارك عليهم، ووسع عليهم في أرزاقهم[2].

وبشره النبي ﷺ بطول العمر حتى مائة سنة، فعن أبي عبدالله الحسن بن أيوب الحضرمي قال أراني عبدالله بن بُسر شامة في قرنه، فوضعت إصبعي عليها، فقال: وضع رسول الله ﷺ إصبعه عليها، ثم قال: لتَبْلُغَنَّ قَرْنًا" قال أبو عبدالله: وكان

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

تنبيه: الحديث اختصره المؤلف. أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٢٥).

(٢) أخرجه أحمد ١٨٨/٤ رقم ١٧٦٧٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ذا جُمَّة))[١].

وكان يصفر رأسه، ولحيته، وهو حاسر عن رأسه، ولم يُر عليه عمامة ولا قلنسوة شتاءً ولا صيفًا، قال جرير بن عثمان: رأيت ثياب عبدالله بن بسر مشمَّرة، ورداءه فوق القميص، وكان إذا مرَّ بحجرٍ على الطريق نحَّاه.

نزل الشام وسكن حمص، وكان أميرًا عليها، ختم الله له بخاتمة حسنة فمات وهو يتوضأ، فعن أم هاشم الطائية قالت: رأيت عبدالله بن بُسْر جالسًا يتوضأ، فبينا هو يتوضأ إذ خرجت نفسه[٢].

مات بحمص سنة (٩٦) أيام سليمان بن عبدالملك وعمره مائة سنة، وقيل مات سنة (٨٨)، وهو ابن (٩٤) سنة، وهو آخر من مات بالشام من الصحابة[٣].

الشرح الأدبي

إن الناس في هذه الحياة مجزيون بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، والإيمان دائمًا مقرون بالعمل الصالح، ولا إيمان بدون عمل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٩/٤ رقم ١٧٦٨٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ٢٣٥/٢٩.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر (٥٠/١٢)؟

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٨٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (١٨٥/٣، ١٨٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (٧٤٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٩٤/٤)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٠٨/٢) والسندي (٢٢٠/٢٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٧٤/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١١٦٤/٢-١١١٦).

(٤) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٥.

ويقول عز وجل في السورة نفسها بعد ذلك ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[1].

وفي ضوء هذه المفاهيم القرآنية تتموج دلالات هذه الحديث الشريف، وهو من جوامع كلمه ﷺ: فهو يتكون في بنائه اللغوي من جملة اسمية واحدة ركناها المبتدأ: خير الناس.

والخبر: "من طال عمره وحسن عمله" وللألفاظ إشعاعات دلالية، وموحيات معنوية توجيهية.

فقوله: "خير الناس" أي: أفضل الناس وأخيرهم عملاً وسلوكًا ومعتقدًا، وأكرمهم عند الله تعالى.

ولفظ الناس يفتح آفاقًا رحبة أمام البشر جميعًا ليسبحوا في أجواء هذه الخيرية، وينعموا بالإسلام والإيمان والإحسان ليكونوا في منظومة "خير أمة أخرجت للناس"، فالحديث يخاطب البشرية جمعاء، ويدعوهم من خلال هذه الموعظة الحسنة، والحكمة البليغة، والقول المقتصد الجامع المانع، من طال عمره وحسن عمله، وقوله ﷺ: وحسن عمله بعد قوله: طال عمره يفيد: حسن العمل... مع كثرته: لأن العمل الحسن... مقترن في الحديث بطول العمر، والحسن، والإحسان: في العمل إيجاز ينطوي على كثير من الدلالات والتفسيرات، فالأعمال تدخل في مُسمَّى الإسلام، ومسمى الإيمان، كما يقول العلماء، وكذلك أعمال الجوارح الظاهرة، وأعمال الجوارح الباطنة: فيدخل في أعمال الإسلام، وفي حسن العمل، إخلاص الدين لله تعالى، والنصح له ولعباده، وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد، وتوابع ذلك من أنواع الأذى.

ومن مظاهر حسن العمل: الحب في الله والبغض فيه، والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وقال ابن

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

عجلان: لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله، والنية الحسنة، والإصابة.

وإن الدين كله يرجع إلى فعل المأمورات، وترك المحظورات، والتوقف على الشبهات[1].

إن بلاغة الحديث النبوي هنا تكمن في هذا الإيجاز المشع بالمفاهيم والدلالات المفتوحة على كثير من آفاق الحياة والسلوك والمعتقدات، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، والعمل الحسي اليدوي، والعمل العقلي، والشعوري، وقد رفع القرآن العمل إلى ذروة شامخة تشرف من فوق رُبَاها على ما عداها من القيم الإنسانية وذلك أنه جعلها في هذه القواعد الثلاث:

الأولى: العمل هو: الأساس والسبب الظاهر للوجود الإنساني، ذاته.

الثانية: العمل هو: الميزان الذي تقيم الذات الإنسانية نفسها على أساسه.

الثالثة: العمل هو: القانون الكلي الذي يدفع الإنسانية نحو التطور والارتقاء فيكفل بهاءها، ويحفظ عليها وجودها[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار بفضل طول العمر مع طاعة الله تعالى.

ثانيًا: من واجبات الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل الصالح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استثمار العمر في طاعة الله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار بفضل طول العمر مع طاعة الله تعالى:

ويتضح ذلك في مجمل الحديث وهو إخبار الرسول ﷺ بأن قيمة العمر بما فيه من عمل صالح، وذلك ليزداد الإنسان من العمل والإحسان، ويستدرك ما فاته من تقصير، ليكون العُمر حافلاً بطاعة الله تعالى.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ١-٢٧.

(٢) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص ٢١٠.

ثانيًا- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من واجبات الداعي بيان مسالك الخير وما ينتفع به، المدعو حتى يكون على بصيرة من أمره، ويستثمر عمره في طاعة الله، والتقرب منه سبحانه، من هنا أرشدنا النبي ﷺ في عموم الحديث بقوله: "خير الناس من طال عمره وحسن عمله" حتى يحرص المسلم على اغتنام عمره في طاعة الله ومرضاته.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل حسن العمل:

وقد نبهنا الله تبارك وتعالى إلى إحسان العمل وأمرنا به، فقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ﴾[1] بل إن الله ليجعل الغاية من خلق الكون، إماتةً وإحياءً: إحسانَ العمل فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] أي أحكم وأتقن وأحسن عملاً وأكثر إخلاصًا وأبعد عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله، وكأن المفروض أن يكون عمل الإنسان دائرًا بين الحسن والأحسن، لا بين الخير والشر[3].

وقد ضمن الله لمن أحسن عمله أن يحفظ له أجره ولا يضيع عليه ثوابه فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[4].

(وإحسان العمل أن يريد العبد بعمله وجه الله تعالى متبعًا في ذلك شرع الله، فهذا العمل لا يضيعه الله، بل يحفظه للعاملين، ويوفيهم من الأجر بحسب أعمالهم)[5].

إن مما ينبغي غرسه في نفوس الناس الشعور بقيمة الوقت، (والمؤمن هو أعمق الناس إحساسًا بقيمة الوقت، فالله سبحانه سائله يوم الجزاء عن عمره فيم أفناه وعن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) سورة الملك، آية: ٢.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي٣/٢٩/٧٠.

(٤) سورة الكهف، آية: ٣٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٢٦.

شبابه فيما أبلاه، فهو لهذا يضن بوقته أن يضيع في عبث، أو يبعثر في مهب الرياح الهوجاء، إنه رأس ماله الوحيد فكيف يضيعه ويبقى صفر اليدين؟ إن الوقت نعمة يجب أن تشكر بالانتفاع بها، ولا تكفر بالتفريط فيها، وقد قال عمر بن عبدالعزيز: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما)[1] لذا كان من الواجب على العاقل أن يحسن استثمار عمره، إذ (أن مجرد طول العمر ليس خيرًا للإنسان إلا إذا حسن عمله، ومن ثم كره بعض العلماء أن يُدعى للإنسان بطول البقاء، قال: لا تقل أطال الله بقاءك إلا مقيدًا، قل أطال الله بقاءك على طاعته، لأن طول البقاء قد يكون شرًا للإنسان)[2] إذا عايشه الإنسان مجرد قضاء وقت وتمتع كتمتع الأنعام.

إن عمر الإنسان فرصة له، إن لم يستغله في العمل الصالح كان وبالاً عليه يحاسب على أساسه، ويُسأل عنه، فالعبرة ليست بطول العمر، بل بحسب العمل، فعمر قصير مع عمل صالح خير من عمر طويل مع عمل فاسد، وأفضل الناس من أطال الله له المهلة ومَدَّ له في الاختبار فاستغل ذلك في صالح الأعمال فجعل من عمره ذخيرة وغنيمة ولم يجعله حملاً وإصرًا[3].

إن عمر الإنسان ووقته هو رأس ماله، وإن ساعات العمر هي أنفس ما عني بحفظه، فنحن نعيش في زمن محدود، ليل ونهار يتعاقبان بانتظام، ليس يطغى أحدهما على الآخر، وحياة مقسمة تقسيمًا محدوداً، صبًا، فشباب فكهولة فشيخوخة، ثم إن هذه الحياة محدودة، فإذا جاء الأجل فلا مفر من الموت.

وما فات من الزمن لا يعود، فالصبا إذا فات فات أبدًا، والشباب إذا مرَّ مرَّ أبدًا والزمن المفقود لا يعود أبدًا[4].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٣٣٢/١، ٣٣٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٤٠.

(٤) انظر: الهمة العالية، معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٤١، ٢٤٢.

ثم إن العبرة ليست بطول العمر، إنما باستثماره وملئه بالأعمال الصالحة النافعة، (فقيمة الوقت تكمن فيما يملأ به، وبالحدث الذي يحصل خلاله، لا بشيء آخر، لذلك فالاستخدام الأمثل، فالوقت وطريقة صرفه هما عنوان النجاح وشرط أساس لحصوله.

إن المسلم مسؤول أمام خالقه عن أوقاته وخاصة عن أوقات شبابه، وجعل الله سبب الفوز بالجنان ما أسلف الإنسان في أيامه الخالية في الدنيا، كما أن الوقت في حياة المسلمين قيمته التي تتباين بحسب الأحداث الحاصلة أو الشعائر التعبدية المفروضة خلاله، فقيمة الوقت في المنظور الإسلامي لا تقاس بمجرد الكم المادي فحسب، بل بمدى الفاعلية الذي يخلف استثماره نفعًا للناس[1].

(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، ص ١٠٢-١٢٠.

الحديث رقم (١٠٩)

١٠٩- الخامس عشر: عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: غَاب عمِّي أَنَسُ بنُ النَّضْرِ رضي الله عنه، عن قِتالِ بدرٍ، فقال: يا رسولَ اللَّه غِبْتُ عن أوَّلِ قِتالٍ قَاتلْتَ المُشرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أشْهَدَنِي قتالَ المشركين لَيُرِيَنَّ اللَّهُ ما أصنعُ، فلما كانَ يومُ أُحدٍ انْكشَفَ المُسْلِمُون فقال: اللَّهُمَّ[1] أعْتَذِرُ إليْكَ مِمَّا صنَع هَؤُلاءِ يَعْني أصْحَابَه وأبرأُ إلَيْكَ مِمَّا صنعَ هَؤُلاَءِ يعني المُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سعْدُ بْنُ مُعاذٍ، فَقالَ: يا سعْدُ بْنَ معُاذٍ الْجنَّةُ ورَبِّ الكعْبة[2]، إنِى أجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قال سعْدٌ: فَمَا اسْتَطعْتُ يا رسول اللَّه ما صنَعَ.

قالَ أنسٌ: فَوجدْنَا بِهِ بِضْعًا وثمانِينَ ضَرْبَةً بالسَّيفِ، أوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أو رمْيَةً بِسهْمٍ، ووجدْناهُ قَد قُتِلَ وَمثَّلَ بِهِ المُشرِكُونَ فَما عرفَهُ أَحدٌ إلاَّ أُخْتُهُ ببنَانِهِ.

قال أنسٌ: كُنَّا نَرى أوْ نَظُنُّ أنَّ هَذِهِ الآيَة نزلَتْ فيهِ وَفِي أشْباهِهِ: [مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صدقُوا ما عَاهَدُوا اللَّه علَيهِ] [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها. متفقٌ عليه[3].

قوله: «**لَيُرِيَنَّ اللَّهُ**» رُوى بضم الياءِ وكسر الراءِ، أي لَيُظْهِرنَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، ورُوِى بفتحهما، ومعناه ظاهر، واللَّه أعلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

قتال بدر: أي غزوة بدر وهي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ وانتصر فيها المسلمون، وسميت بذلك لأنها وقعت عند ماء بدر بين مكة والمدينة، وبينه وبين المدينة ١٥٠كم[4].

---

(١) عند البخاري زيادة: (إنِّي).

(٢) لفظ البخاري: (النضر) بدل: (الكعبة).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٣/١٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٣١٩).

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

ليرين الله: روى بضم الياء وكسر الراء: أي ليظهرن الله ذلك للناس، وروى بفتحهما، ومعناه ظاهر والله أعلم[١].

يوم أحد: أي غزوة أحد، وأحد الجبل الذي كانت عنده الغزوة التي وقعت ٣هـ، وهو جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها والميل يساوي ١٦٠٩م[٢].

أبرأ: أي أتخلّى وأتخلص[٣].

ريحها: رائحتها[٤].

دون أحد: دون ظرف مكان منصوب وهو بحسب ما يضاف إليه فيكون بمعنى تحت وفوق وخلف وأمام وقبل[٥].

بضعًا: البضع -بكسر الباء وفتحها- ما بين الثلاثة والعشرة[٦].

مَثَّل به: مثّل بفلان: نكل به بجدْع أنفه أو قطع أذنه أو غيرهما من الأعضاء[٧].

بنانه: البنان: أطراف الأصابع، واحدته: بنانة[٨].

أشباهه: الأشباه: المفرد: الشبه وهو المثل[٩].

---

(١) رياض الصالحين ٩٣.

(٢) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩، والوسيط ٨٩٤.

(٣) الوسيط ٤٦، وانظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ٤٥.

(٤) الوسيط ٣٨١.

(٥) الوسيط ٣٠٥.

(٦) معجم لغة الفقهاء ٨٨.

(٧) الوسيط ٨٥٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٥٥.

(٨) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ن ن).

(٩) الوسيط ٤٧١.

الشرح الأدبي

ينقل إلينا هذا الحديث مشهدًا جليلاً من مشاهد الجهاد والمجاهدة في حماية الدعوة الإسلامية، وهو مشهد حقيقي يصور حرص الصحابة رضي الله عنهم على حماية رسول الله ﷺ وحماية الإسلام والتصدي للمشركين دفاعًا عن العقيدة، وإعلاء لراية الإسلام.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحوار الصادق بين رسول الله ﷺ وأنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر، خادم رسول الله ﷺ، ويبدأ الحديث بجملة خبرية تحكي واقعًا وهو غياب أنس بن النضر عن قتال بدر.

وهذا الغياب ربما كان لعذر أو لظرفٍ خارج عن إرادة أنس بن النضر، فأراد أن يعوض هذا الغياب، بحضور صادق، وتضحية في سبيل الله تعالى، حيث يكون من المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله تعالى فيقتلون ويُقْتلون دفاعًا عن دين الله تعالى واستشهادًا في سبيله، وهذا الطريق هو أشمل طرق المجاهدة.

وتوجه أنس بن النضر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، وناداه في صدق ومحبة "يا رسول الله"، وبعد هذا النداء الذي يفيض بالمحبة والرغبة في تعويض ما فاته من شرف المشاركة في القتال يوم بدر.

نشهده يُقرُّ ويتعهد أمام رسول الله ﷺ بأنه سيجاهد، ويقاتل.. ويبلى بلاءً حسنًا، ولم يُفصِّل القول، ولكن لجأ إلى الإيجاز والإجمال، وما أدق ذلك الإيجاز، وما أعظمه لأنه أشهد الله عليه أمام خاتم الأنبياء والمرسلين، وتشع هذه العبارة المشرقة بكثير من الإيحاءات والتفسيرات، "ليرين الله ما أصنع"، فأي صدق بعد هذا القول، وأي نية خالصة بعد هذا العهد، وأي عزيمة أمضى من ذلك بعد هذا الوعد؟

وبلاغة الحذف تضيء قسمات العبارات والجمل، وتأخذنا إلى مجالات وأسرار يفيض بها الحديث النبوي الشريف، لأن الكلمة التي يستدعيها السياق، ويوحي بها الموقف لا يجمل الكلام بذكرها ، فقول الراوي: "غاب عمي... عن قتال بدر"، أي قتال المشركين في بدر... وذلك إشارة إلى غزوة بدر الكبرى، وما حدث فيها من معجزات وتأييد إلهي، ونصر مؤزر، ولم يحدد أنس بن النضر رضي الله عنه اسم الغزوة: فقال: "غبت عن

أول قتال قاتلت المشركين"، وذلك تجنبًا للإقرار بالغياب في يوم بدر، وهذا واقع لا يحبه أنس بن النضر رضي الله عنه فكم كان يتمنى أن يشارك في هذه الغزوة الكبرى، وكلمة "أول" توحي بأن هناك قتالاً سيدور بعد ذلك بين المسلمين والمشركين، وهذا رجاء يطمح إليه هذا الصحابي الجليل، الفارس الصادق، والمجاهد الصابر ، وحذف الجار والمجرور بعد ، قاتلت المشركين، أي فيه، وهذا الحذف يمكن أن يكون لمنع التقييد بالمكان أو الزمان، وكأن هذا الصحابي يتمنى أن يظل المسلمون في رباط إلى يوم القيامة – كما قال رسول الله ﷺ، فلم يشأ أن يقيد قتال المشركين ويحدده من خلال الزمان والمكان أو الاسم، وفي قوله: "لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع"، مظاهر بلاغية كثيرة تضيء المعنى، وتعمق الدلالة، وتوحي بكثير من المقاصد، فاللام هنا موطئه للقسم: والتقدير والله لئن، والقسم يدل على التأكيد والصدق.

والجملة يمتزج فيها القسم بأسلوب الشرط والجواب، ولكن القسم له الصدارة لأنه الدليل، الذي يقودنا إلى صدق النية، وشدة المجاهدة، والرغبة القوية في الدفاع عن الإسلام.

ولذلك حذف الشرط، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه، وتزاحم الأساليب وتداخلها يصور ما عليه أنس بن النضر من شوق للقتال، ومن دوافع تحفزه إلى ذلك.

وتكرار لفظ الجلالة يؤكد صدق النية، وقوة الإرادة، وصدق التوجه، واللفظ تكرر في هذه الجملة التي تداخل فيها القسم مع الشرط (لئن الله، ليرين الله ما أصنع)، واسم الموصول "ما" مع جملة الصلة "أصنع" يموجان بكثير من المعاني والمقاصد والله هو الأعلم بذلك، وأنس نراه بهذا التعبير قد أجمل وأوجز...، ولم يشأ أن يفصل .. لأن التفصيل غير مناسب للمقام ولا السياق، ويمكن أن يندرج في باب الرياء، والادعاء، وأنس بن النضر من الصحابة الأخيار الصادقين الأبرار ويظل أنس ينتظر اليوم الذي سيشارك فيه ويقاتل المشركين ويُطل الإيجاز الأسلوبي.

وتحذف تفصيلات كثيرة عن غزوة أحد ومقدماتها وملابساتها، وقصة الرماة، ومخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ. عن غير قصد -وإنما كان فرحًا بالنصر واستبشارًا بأخذ الغنائم- ثم حدثت الهزيمة حين احتل المشركون الجبل الذي كان عليه الرماة بعد أن تركوه، وشغلوا بجمع الغنائم.

هذه الأحداث كلها يوحي بها ذلك التعبير البليغ، "فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون" وهو تعبير موجز إيحائي نقتبس منه إشعاعات كثيرة تضيء المواقف، وتفسر الأحداث.

ويتوجه أنس بن النضر إلى ربه مناجيًا ومتضرعًا ... وفرحًا مستبشرًا لأن الوعد قد صدق، والعهد الذي أخذه على نفسه أمام رسول الله ﷺ سيتحقق، وفي هذه المناجاة يعتذر، ويبرأ ولنتأمل هذه الأسرار اللغوية، وهذه الحاسة الأدبية البلاغية، فلكل مقام مقال، إنه جاء بفعل "أعتذر" في مقام اعتراضه على ما صنع المسلمون من تخلٍ عن مكانهم الذي حدده رسول الله ﷺ، وذلك لأنهم لم يتعمدوا الإضرار، ولم يخونوا الرسول ﷺ، وإنما كان اجتهادًا منهم، وقد أخطئوا في ذلك، فهو يقدم العذر ويطلب الصفح عن أصحابه، ولكنه يبرأ مما صنع المشركون من اعتداء وقتال لرسول الله ﷺ، وبعد هذه المناجاة وذلك التضرع، تحين ساعة اللقاء ويتحول العذر الكلامي إلي فعل ناجز، وعمل بطولي فائق، وتحقيق لقوله: "ليرين الله ما أصنع"، ويشرق هذا الحوار، القصير بين سعد بن معاذ وأنس بن النضر، فيقول أنس وهو في غاية القوة والاستعداد للقتال، والفرح بالاستشهاد: مخاطبًا سعد وكأنه يحثه ويحث كل مسلم على أن يحذو حذوه طلبًا للنصر أو الشهادة "يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر.. إني أجد ريحها من دون أحد" وبلاغة الحذف هنا تضاء بها المعاني وتشرق بها الدلالات والتقدير، أريد الجنة، أو مطلوبي الجنة، وحسب تقدير المحذوف يكون ضبط "الجنة".

"وأجد ريحها من دون أحد" كناية عن قرب الجنة وقرب الاستشهاد: والفوز وتحقيق الوعد، فرحًا بأن الله سَيُرِي المشركين ما صنع، وقد وعد أنس فأوفى، ويقاتل ويعلم الله وحده ما بذله من قتال، وما تحمله من أذى، وهو يقابل كل هذا بالمجالدة

والمجاهدة، ويصرع كثيرًا من المشركين، ويُقْتل فرحًا مستبشرًا.

ويُمثل به المشركون، ويتمزق جسده وهو به بضعة وثمانون ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رميه بسهم، وتغيب ملامحه، ولا تعرفه إلا أخته حيث عرفته بأطراف أصابعه، وذلك شاهد على اهتراء الجسد وتمزقه، ولكنه فاز بالرضوان والفردوس الأعلى من الجنة، وهو من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد أظهر الله تعالى صنيعه للناس، وكافأه بالجزاء الأوفى.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بذل النفس في سبيل الله وإشهاد الله على ذلك.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: غزوة أحد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النداء والتشويق والتوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تضحيات الصحابة رضي الله عنهم وجهادهم لنشر الدعوة.

سادسًا: من ميادين الدعوة: ساحات القتال.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

لقد كانت غزوة بدر معلمًا واضحًا في تاريخ الدعوة، حيث أيّد الله تعالى المؤمنين بالنصر العظيم على المشركين، وثبّت الذين آمنوا، وألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، وهُزم المشركون، فكان ذلك فتحًا جديدًا في تاريخ الدعوة، حيث تغيّرت موازين القوى، وقويت شوكة المسلمين، وتاقت نفوسهم للجهاد في سبيل الله عز وجل.

(وغزوة بدر هي الغزوة والمعركة الفاصلة الأولى في تاريخ الإسلام، وهي أول مراحل الكفاح الجدي الدامي الذي خاضه الإسلام ضد الشرك)[1]، (فأعز الله فيه الإسلام وأهله، ودفع فيه الشرك، وخرب محله، مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فَرَسان وسبعون بعيرًا، والباقون مُشاة، ليس

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، ١/٧٧.

معهم من العدد ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ مابين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائدة، فأعز الله رسوله ﷺ، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيَّض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان، من سنة سنتين من الهجرة، ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]، أي قليل عددكم ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعُدد)[2].

ولم يقصد النبي ﷺ في خروجه بادئ الأمر بجيش المسلمين إلا عير قريش، قال ابن إسحاق: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعل الله ينفلكموها)[3] وذلك لقاء ما تركوا من أموالهم في مكة، فخف بعضهم لذلك، وتثاقل آخرون، فعن عبدالله بن كعب قال: ((سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحدًا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد))[4].

(فالتقى الظلام بالنور، والكفر بالإيمان، والباطل بالحق، والتقت الجاهلية بالإسلام، فجاء الحق، وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا)[5].

قال د. محمود شيت خطاب: (ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة، كيوم بدر، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة، بعد أن بدّل الإسلامُ العقولَ والنفوس من حال إلى حال، وكيف لا!! وقد كان النبي ﷺ هو

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١١/٢.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٥٦/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٥١، ومسلم ٢٧٦٩.

(٥) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت خطاب.

القدوة والأسوة لأصحابه بالأعمال لا بمجرد الأقوال، فكان ﷺ مثالاً شخصيًا رائعًا لأصحابه في التضحية والفداء)[١].

وفي المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة! خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف! وفي يوم بدر تسابق المسلمون إلى الشهادة، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يموت قبل صاحبه، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله، وكان الشهيد يردد، وهو يحتضر: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٢].

هكذا كان جنود الرسول ﷺ يؤثرون على أنفسهم مع ما كان بهم من خصاصة، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم، بل يؤثرون عقيدتهم على أنفسهم، فيتسابقون إلى الشهادة، فيقول أحدهم للآخر: "هنيئًا لك الشهادة"، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن: "الحمد لله الذي أكرمهم بالشهادة".

وهؤلاء قادةٌ وجنودًا، يبنون للمستقبل، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة، ويعتبرونه عبادة لا تجارة، ويعتبرونه غاية لا وسيلة!

كانوا إخوة في الله، يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وكانوا كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا، وكانوا كالجسد السليم المعافى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!

كان انتصار المسلمين في بدر، إيذانًا بمولد دولة الإسلام عمليًا، فقاد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح والمدنية والنور قرونًا طويلة.

وكانت انتصارهم بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك.

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام، وكانوا أعداءً فألف الإسلام بين قلوبهم، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الإسلام منها، فأصبح العرب

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٦١٣/١، البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٦/١.

(٢) سورة طه، آية: ٨٤.

بالإسلام "وحدة" رصينة، و"دولة" عظيمة و"أمة" متماسكة "وقوة" ضاربة وجدت لها متنفسًا بالفتح الإسلامي العظيم، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا، وتحضر العالم، وتمدن الناس، فامتدت دولة الإسلام من سيبريا شمالاً إلى فرنسا غربًا إلى الصين شرقًا إلى المحيط جنوبًا.

كانوا ضعفاء، فأصبحوا أقوياء، وكانوا أعداء، فأصبحوا إخوة، وكانوا مستعبدين، فأصبحوا فاتحين)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بذل النفس في سبيل الله وإشهاد الله على ذلك:

لقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد وبذل نفوسهم وأموالهم في سبيل الله تعالى، وكانوا حريصين على الشهادة أشد من حرصهم على الحياة، وهذا ما جعل أنس بن النضر رضي الله عنه يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين، ليرين الله ما أصنع".

قال ابن هبيرة: (وفي هذا الحديث بيان وذكر بلاء أنس بن النضر رضي الله عنه، وعلو مقامه في جهاد الأعداء، وأنه لما غاب عن بدر، وهي أول المشاهد استدرك أي استدراك بفعلته هذه حتى قال سعد بن معاذ -الذي اهتز العرش عند موته- الذي قال: إني ما استطعت ما صنع، وحتى توجد فيه بضع وثمانون بين رمية وضربة وطعنة)[2].

وما ذلك إلا لعظم أجر الشهادة في سبيل الله، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3] (فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين،

---

(١) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت، بتصرف يسير.

(٢) الإفصاح، عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٥٦/٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩-١٧٠.

وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم، وقد اختلف العلماء في هذا المعنى، فالذي عليه المعظم ما ذكرناه...، وأن أرواحهم في أجواف طير خضر، وأنهم يرزقون في الجنة، ويأكلون، ويتنعمون، وهذا ما صح به النقل)[١] فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُم، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ))[٢] حيث ذكر الله عز وجل توفيق للشهداء في شهادتهم وما ساقه إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياءً مقربين معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها، ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة، بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به، وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء[٣] فقد جمع الله للشهداء بين نعيم البدن بالرزق ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم الله من فضله فتم لهم النعيم والسرور، ومما سبق أن بذل النفس في سبيل الله من أسمى الطاعات وأعظمها أجرًا[٤].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: غزوة أحد:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "فلما كان يوم أحد" (وقد كانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي٣/٥/٤٠٨-٤٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٥٢٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٩).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٤.

أشرافهم يوم بدر، ورجع قَفلُهُم إلى مكة، قال أبناء من قتل، ورؤساء من بقي: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، وخرجت قريش بحدّها وحديدها وأحابيشها في قريب من ثلاثة آلاف، حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة)[1]، (واستشار رسول الله ﷺ الناس: أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة؟ فأشار عبدالله بن أُبي بالمقام بالمدينة، وأشار آخرون من الصحابة رضي الله عنهم ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم، فنزل رسول الله ﷺ على رأيهم، وسار ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كان "بالشوط"[2] رجع عبدالله بن أبي في ثلث الجيش مغضبًا لكونه ﷺ لم يرجع إلى قوله، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سبعمائة من أصحابه، والرماة يومئذ خمسون رجلاً)[3] فقال لهم ((انضحوا الخيل عنا، ولا نؤتين من قبلكم. والزموا مكانكم، إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم))[4] فلاح النصر للمسلمين، وتخلف الرماة عن أمر النبي ﷺ، فانتهز خالد بن الوليد -قبل إسلامه- الموقف، وحقق التفافًا جعل المسلمين في موقف حرج، واستشهد حمزة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما "وبلغ من استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون" وعلى الرغم من الانتصار العسكري لقريش، إلا أنها لم تستطع استئصال المسلمين.

رابعًا- من أساليب الدعوة: النداء والتشويق والتوكيد:

لقد اشتمل هذا الحديث على عدد من أساليب الدعوة مثل النداء والتشويق والتوكيد، فالنداء من أساليب الدعوة التي يحصل بها لفت الانتباه، وحث المدعو على أهمية ما يُدعى إليه، ويظهر ذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه "يا سعد"، ومن أساليب الدعوة الهامة أسلوب التشويق لما فيه من حمل النفس على فعل الأمر المدعو إليه،

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٣/٣، ٢٤.

(٢) وهو اسم حائط من بساتين المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش و ط).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٨/٥.

(٤) أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢٩/٣.

وسرعة الاستجابة لذلك، ويظهر ذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: "الجنة ورب الكعبة"، ومن أساليب الدعوة التي تضمنها الحديث: أسلوب التوكيد لما فيه من إثبات المعنى في نفوس المدعوين وأذهانهم، والتأكيد على أهميته. وذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه "إني أجد ريحها من دون أحد"، ويمكن للداعية أن يفيد من هذه الأساليب حسب مناسبتها لموضوعاته الدعوية.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تضحيات الصحابة رضي الله عنهم وجهادهم لنشر الدعوة:

لقد أبلى الصحابة رضي الله عنهم بلاءً حسنًا في سبيل نشر الدعوة، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وديارهم، وتركوا الديار والأوطان، وسارعوا إلى ساحات الجهاد، ونصرة الإسلام، لأن طريق الدعوة ليس طريقًا ممهدًا وإنما تكثر فيه الابتلاءات، وقد يقتضي ذلك تقديم تضحيات، فمن أجل ذلك شرَّع الحق تبارك وتعالى الجهاد وحث عليه، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ومن الشواهد التي تؤكد تضحيات الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث ما أبلى به أنس بن النضر رضي الله عنه في غزوة أحد. ويظهر ذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: "فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، ومثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه.

ومما يؤكد تضحيات الصحابة رضي الله عنهم وجهادهم في نشر الدعوة، قول أنس رضي الله عنه: ((بَعَثَ النبيُّ ﷺ أقوامًا مِن بني سُلَيم إلى بني عامرٍ في سَبعينَ، فلمّا قدموا: قال لهم خالي: أتقدَّمُكم، فإن أمَّنوني حتّى أُبلِّغهم عن رسولِ الله ﷺ، وإلا كنتم مني قَريبًا، فتقدَّمَ فأمَّنوهُ، فبينما يُحدِّثُهم عن النبيِّ ﷺ إذ أوْمَؤوا إلى رجُلٍ منهم فطعنَهُ فأنفَذَهُ، فقال: اللهُ أكبرُ، فُزْتُ وربِّ الكعبة، ثمَّ مالوا على بقيَّةِ أصحابهِ فقتلوهم إلا رجلٌ أعرجُ صَعِدَ الجبلَ، قال همام: وأراهُ آخرَ معه، فأخبرَ جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ أنهم قد لَقوا ربَّهم، فرَضِيَ عنهم وأرضاهم، فكنّا نقرأ: أن بلِّغوا قومَنا، أنْ قد لَقينا ربَّنا، فرَضِيَ عنّا وأرضانا. ثمَّ نُسِخَ بعدُ، فدَعا عليهم أربعينَ صَباحًا، على رِعلٍ وذَكْوانَ،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

وبني لِحيانَ وبَني عُصَيَّةَ، الذينَ عَصَوُا الله ورسولَه ﷺ))[1]، ومما لاشك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم هم الرعيل الأول والسلف الصالح والقدوة الحسنة للأمة في نشر دين الله والقيام بدعوته، مما يوجب على الدعاة اتباع نهجهم والسير على خطاهم في بذل النفس والمال لنشر دين الله تعالى ودعوته.

سادسًا- من الميادين الدعوية: ساحات القتال:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في بيان ما دار في ساحات القتال بين المسلمين والمشركين في غزوة أحد، وساحات القتال هي التي فيها تتم الدعوة بالفعل، وفي ذلك عظيم الأثر في بيان القدوة الصادقة مما يؤثر في نفس المدعو، ويبرز جهود أصحاب رسول الله ﷺ، في سبيل نشر الدعوة، وكيف كانوا ينافحون عن هذا الدين ويضحون بكل نفيس في حياتهم.

ولم يكن هدف الجهاد الأوحد هو القتال وإنما كان يصاحب ذلك الدعوة إلى الله سواء دعوة غير المسلمين إلى الإسلام قبل القتال أو وعظ المجاهدين بعضهم بعضا بالصبر على لقاء العدو.

ومن شواهد ذلك ما قام به عمرو بن العاص رضي الله عنه في دعوة راهب مصر قبل فتح مصر، ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أنه لما استكمل عمر رضي الله عنه والمسلمون فتح الشام بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر، وأردفه بالزبير بن العوام رضي الله عنه، فاجتمعا على باب مصر، فلقيهم أبو مريم جاثليق مصر، الأسقف أبو مريام في أهل الثبات، بعثة المقوقس صاحب اسكندرية لمنع بلادهم.

فلما تصافوا، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "لا تعجلوا حتى نعذر إليكم" ليبرز إلى أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد؛ فبرز إليه، فقال لهما عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنتما راهبا هذه البلاد، فاسمعا إن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدى إلينا كل الذي أمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة، وكان مما أرمنا ب الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المنعة وقد أعلمنا أنا مُفْتحوكم، وأوصانا

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠١، ومسلم مختصرًا ٦٧٧.

بكم، حفظًا لرحمنا بينكم، وأن لكم إن أحبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ومما عهد إلينا أميرنا "استوصوا بالقبطيين خيرًا فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرًا لأن لهم رحمًا وذمة. فقالوا: قرابة بعيدة لا يصل مثلها إلا الأنبياء، معرفة شريفة[١].

فيتضح لنا من ذلك المثل العملي الذي احتفظ به التاريخ ونقله إلينا ما كان عليه السلف الصالح من (الاهتمام دعوة غير المسلمين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم، كما كانوا يعتنون آنذاك بالتناصح فيما بينهم والتواصي بالصبر والثبات والترغيب في الجهاد والزهد في الدنيا والمسارعة إلى الجنة ونعيمها)[٢] ومن تلك الأمثلة ما قام به المسلمون في غزوة اليرموك بالتواصي فيما بينهم بالصبر والثبات، فذلك معاذ بن جبل يجعل يذكر الناس ويقول: يا أهل القرآن ومستحفظي الكتاب وأنصار الهدى والحق، إن رحمة الله لا تنال، وجنته لا تُدخل بالأماني، ولا يؤتى الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدِّق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣] فاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم فرارًا من عدوكم وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه ولا عز بغيره.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: أيها المسلمون غضوا الأبصار، واجثوا على الركب وأسرعوا الرماح فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فوثبوا إليهم وثبة الأسد...[٤].

---

(١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٨٩/١٠، ٩٠.

(٢) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي، ص ٣٣٨.

(٣) سورة النور، آية: ٥٥.

(٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٥٥٥/٩.

الحديث رقم (١١٠)

١١٠- **السادس عشر:** عن أبي مسعود عُقْبَةَ بن عمرٍو الأنصاريِّ البدريِّ رضي الله عنه قال: لمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدقةِ كُنَّا نُحَامِلُ (عَلَى ظُهُورِنا)[1]. فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُراءٍ، وجاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فقالُوا: إنَّ اللَّه لَغَنِيٌّ عَنْ صاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ﴾[التوبة ٧٩] الآية. متفقٌ عليه[2].

«**ونُحَامِلُ**» بضم النون، وبالحاء المهملة: أَيْ يَحْمِلُ أَحَدُنَا على ظَهْرِهِ بالأجْرَةِ، وَيَتَصَدَّقُ بها.

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري مشهور بكنيته، وقد شهد العقبة مع السبعين من الأنصار شابًا وكان أصغرهم.

أُخْتُلِفَ في نسبته: البدري: فأكثر أهل السير على أنه لم يشهد بدرًا، وإنما سكنها أو نزل ماءها فنسب إليها، لكن البخاري جزم في صحيحه أنه شهدها[3].

وما عدا ذلك فقد شهد أُحدًا، والمشاهد، والمغازي كلها.

وكان معدودًا من علماء الصحابة، وكان يُفتي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عُرف بعزة النفس والمنعة قال عن نفسه: كنت رجلاً عزيز النفس حمي الأنف لا يستقلّ مني أحد شيئًا: سلطان ولا غيره.

قاتل مع علي بن أبي طالب عندما وقع الخلاف بينه وبين معاوية، واستعمله على

---

(١) الزيادة عند مسلم عقب الحديث رقم (١٠١٨/٧٢، بدون رقم) قال: وفي حديث سعيد بن الربيع، قال: (كنا نحامل على ظهورنا).

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٦) واللفظ له، ومسلم (١٠١٨/٧٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤١٩).

(٣) صحيح البخاري (٤٠٠٧).

الكوفة، وكان يود أن يصطلح الفريقان وكان يقول: عليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع الأمة على ضلالة حتى يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر.

مات بعد سنة أربعين، وقيل مات بالكوفة وقيل مات بالمدينة[١].

غريب الألفاظ:

نحامل: بضم النون وبالحاء المهملة: أي يحمل أحدُنا على ظهره بالأجرة ويتصدق بها[٢].

مراء: من الرياء، وهو أن يظهر الإنسان من نفسه خلاف ما هو عليه ليراه الناس؛ وذلك من أجل السمعة والشهرة بينهم[٣].

صاع: الصاع: وحدة من وحدات المكاييل وهو عند جمهور العلماء يساوي ٢١٧٢ جرامًا، أي ما يقل قليلاً عن الكيلوجرامين والربع[٤].

الشرح الأدبي

إن المنهج الإسلامي يفتح أمام كل صاحب جهد آفاق الإبداع والإتقان لتقديم المزيد من المجال الذي يتقنه المسلم، وكل ما يقدمه المسلم مهما قل شأنه ووزنه المادي: مقبول عند الله تعالى إذا كانت النية خالصة، وكان في العمل نفع للإسلام والمسلمين، وفيه نفع كذلك للناس جميعًا.

وفي ضوء هذا المنهج السوي نقرأ ونتدبر ونستجلي ما وراء الكلمات والأحداث في

---

(١) الطبقات، ابن سعد (١٦/٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٦١ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٢٨٠/٦) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني ٩٢١ والسير (٤٩٣/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (١٩٩/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٢٦/٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٤٠/٤).

(٢) رياض الصالحين ٩٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، ومختار الصحاح في (ر أ ى)، ومعجم لغة الفقهاء ٢٠٤.

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء ٢٤١، ٤١٩.

هذا الحديث الشريف.. حيث يعرض الراوي لنموذجين من المسلمين استجابا لدعوة القرآن الكريم إلى التصدق، وأقدما على التنفيذ بعد حث المصطفى ﷺ على ذلك في قوله ﷺ: "ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم".

وهذه الاستجابة لإخراج الصدقة اتخذت طريقين: أحدهما كان يتسم بالمشقة والقلة.. ومن الذين اتبعوا هذا النهج راوي الحديث، أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وغيره من فقراء الصحابة، حيث كانوا يحملون على ظهورهم بالأجرة ليكتسبوا ما يتصدقون به، وهو تطوع منهم وليس واجبًا، والتعبير بقوله: "نحامل" يومئ بالمشقة والتعب، ومن هؤلاء من تصدق بصاع: وهو نصف ما اكتسبه من عمل يده، فاستقل بعض الناس: وهم: اللامزون، ما تصدق به وقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، وهؤلاء لا يحبهم الله ولا رسوله لأنهم يسخرون من فقراء المسلمين، وجزاؤهم أن الله سخر منهم ولهم عذاب أليم.

ومما يؤكد خطأ منهجهم، وبأنهم غير صادقين في اعتراضهم على قلة الصدقة اتهامهم لمن اتبع الطريق الثاني الذين أكثروا من الصدقات بأنهم مراءون، وعبدالرحمن بن عوف هو الذي تصدق – كما قيل – بأربعين أوقية من الذهب، فاتهمه هؤلاء المنافقون اللامزون بأنه مراء، وهذا اتهام باطل.

وقد كشف الحق سبحانه وتعالى زيف هؤلاء اللمَّازين، وفضح أمرهم، حتى يكونوا عبرة وعظة لغيرهم، في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[1]، وقول الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]، والصدقة في هذا الحديث: ليس المقصود بها، الزكاة، لأن الزكاة واجبة، وهي ركن من أركان الإسلام: والمراد هنا: الصدقات

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٩.

المنثورة، فقد دعا الإسلام إلى الإنفاق عامة، وأعد النفوس للبذل والعطاء: قيامًا بحق الله وحق العباد، وخص ذوي الحاجة في الجماعة الإسلامية بالذكر والحض على البر بها في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وتصرفاته وذلك ما يسمى الصدقات المنثورة: أي أنها تكون من غير تحديد لمقدارها المعطي، ولا تعيين للمعطي له، ولا إلزام للمعطي فيها مطلقًا، بل الدافع إليها قوة الإيمان، وكمال اليقين، فيما عند الله تعالى وهو خير وأبقى[1]، وفي ذلك تماسك وتعاطف بين أبناء الأمة الإسلامية، وقوة لها وهيبة لها أمام أعدائها المتربصين بها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المسارعة في الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على التنافس في البذل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان عداوة المنافقين للمؤمنين وخطرهم على الدعوة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: المسارعة في الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن مما يستنبط من الحديث المسارعة في الامتثال لأمر الله ورسوله، حيث كان الصحابة رضي الله عنهم سبّاقين في هذا المجال، خاصة عند نزول آية الصدقة، فقد ورد في هذا الحديث ما يؤكد ذلك من قول الراوي: "كنا نحامل على ظهورنا" وقد كان ذلك طبعًا وعادة في حياة الصحابة رضي الله عنهم امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[2] وامتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ﴾[3] وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيْهَا مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنا وَيُصْبِحُ كَافِرا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))[4].

---

(١) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص ١٤٧.

(٢) سورة الأنفال، آية:٢٤.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٧.

(٤) أخرجه مسلم ١١٨.

قال النووي: (معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أن يمس مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب)[1]. فالمبادرة إلى الأعمال والمسارعة في الامتثال لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ واجب على كل مؤمن امتثالاً لقول الحق: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على التنافس في البذل:

إن من أهم ما ترمي إليه الدعوة استثارة همم المدعوين للتنافس في البذل والعطاء، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم قدوة في ذلك، ومن الشواهد على تنافسهم ما ورد في هذا الحديث من قول الراوي: "فجاء رجل فتصدق بشيء كثير... وجاء رجل آخر فتصدق بصاع" وذلك طمعًا فيما عند الله من الثواب وعظيم الأجر، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[4] وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((اتَّقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ))[5] وقال: ((الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))[6] فكان ذلك دافعًا للصحابة رضي الله عنهم في الحرص على بذل الصدقات امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[7].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٣) سورة سبأ، آية: ٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.

(٥) البخاري ١٤١٣، ومسلم ١٠١٦.

(٦) أخرجه الترمذي ٦٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٠٨).

(٧) سورة المطففين، آية: ٢٦.

وكما أن الصدقة إنما شرعت لسدّ حاجة المعوزين، فهي كذلك من أعظم الأسباب للتمهيد للدعوة وقبولها عند من تعرض عليه تأليفًا لقلبه، أو مواساة أو ما شاكل ذلك، وقد جعل الله تعالى للمؤلفة قلوبهم قسمًا من مصارف الزكوات، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ومن يقرأ السيرة النبوية يجد أن النبي ﷺ كان يعطي عطاءً جزيلاً عما كان له أكبر الأثر في قبول دعوته ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أعطى رهطًا وسعد جالس فيهم، قال سعد رضي الله عنه "فترك رسول الله ﷺ منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلي، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ والله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ "أو مسلمًا" قال فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا"، فقال رسول الله ﷺ "أو مسلمًا" قال: فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمنًا، فقال رسول الله ﷺ "أو مسلمًا" إني لأعطي الرجل غيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله في النار على وجهه"[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه، فقال أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر"[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان عداوة المنافقين للمؤمنين وخطرهم على الدعوة:

إن من شواهد عداوة المنافقين للمؤمنين ما ورد في الحديث على لسان بعض الناس "... فقالوا مراء، وجاء رجل آخر فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا" وذلك للتشكيك في إخلاص المنفقين والباذلين للمال فقاموا بلمزهم، إنه عندما (جاء رسول

---

(١) سورة النور، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧، ومسلم ٢٣٧ واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

الله ﷺ إلى المدينة المنورة، كان أهلها على أهبة المناداة بعبدالله بن أُبَيٍّ مَلِكًا عليهم، فتغير مجرى الحوادث على غير ما يهوى هذا الرجل، فأقام مدة وحوله جماعة من أنصاره وأصدقائه، يقلبون الأمور ويبتغون الفتن لرسول الله ﷺ، ولكن الله أعز جنده، وأيد دينه، فأقبل بعضهم على بعض منذ يوم بدر، وقالوا: هذا أمر قد توجّه... ورأوا الناس يدخلون في دين الله، ويقبلون على رسوله بالسمع والطاعة والمحبة، فكرهوا أن يظلوا وحدهم، فدخلوا في الإسلام ظاهرًا، وبقيت قلوبهم على جحودها وغيظها... فكانوا يقومون بمهمة "الطابور الخامس" لليهود ولغير اليهود من أعداء رسول الله ﷺ؛ فأعلم الله رسوله بنبأ هؤلاء المنافقين، بصفة عامة لا خاصة، ليأخذ حذره، فقال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾[1] ثم زاده معرفة بهم فقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[2].

وقد كان موقف المنافقين من المسلمين، أحقر موقفًا وأخس نفسًا من المشركين واليهود، فليس كالنفاق آفة تحلق المروءة والرجولة، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[3].

وتتلخص أساليب هذه الحرب السرية في الأنواع الآتية:

أ- استهزائهم بالمطوعين من المؤمنين في الصدقات، فمن أعطى جزيلاً رموه بالرياء؛ ومن أعطى قليلاً؛ لأنه لا يجد إلا جهده، سخروا منه، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول الراوي لما نزلت آية الصدقة: كنا نحامل على ظهورها، فجاء رجل فتصدق بشيء

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠١.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٥.

كثير فقالوا: مراءٍ .... إلخ.

ب- إضعاف شأن المسلمين في الحروب، وهؤلاء المنافقون أقدر من غيرهم على القيام بهذه المهمة، فقد دخلوا في الإسلام، وأظهروا الإخلاص لنبيه، وأتقنوا دورهم، حتى إن عمر رضي الله عنه نفسه لم يكن يعرف عن أكثرهم إلا الصلاح والورع. فكان هؤلاء "الصلحاء الأكابر" يقعدون عن الخروج للقتال، أو يستأذنون في القعود. فإذا رآهم من هو أقل منهم من العامة، اقتدى بهم وأدركه شيء من الفتور والتثاقل. وكانوا كذلك يشيرون على غيرهم بالقعود معهم، فيقعد من يقعد، ويخرج إلى القتال من يخرج مخالفًا مشورتهم، فإذا قتل قالوا: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وكان بعض هؤلاء المنافقين يخرج ولكنه يعود من الطريق. ويقول: والله ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ فإذا رجع، رجع معه طائفة كبيرة من الجيش (كما حصل يوم أحد)[2]... فإذا خرجوا ولم يرجعوا من الطريق سعوا بالفتنة. وبثوا روح التخاذل في الجيش؛ كما حصل في غزوة تبوك، إذ قال بعضهم (يظن هذا "يعني رسول الله" أنه يفتح قصور الروم وحصونها، هيهات هيهات. ويقول آخر: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال)[3]، وصدق الله العظيم: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾[4].

ج- كانوا ينتهزون كل فرصة سانحة للوقيعة بين المسلمين، وإثارة الفتن في صفوفهم.

في غزوة بني المصطلق (تدافعَ غلامان على الماء أحدهما لرجل من المهاجرين والآخر لرجل من الأنصار ... فصاح المهاجري: يا للمهاجرين، وصاح الأنصاري: يا للأنصار ... وسمعهما عبدالله بن أبيٍّ رأس المنافقين، فلم يتركها تمر دون أن يستغلها في الوقيعة التي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٨.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/٢٥-٢٦.

(٣) المرجع السابق ٤/١٦٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤٧.

يريد، فقال: قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه، إلا كما قال القائل: (سمن كلبك يأكلْك) ... ثم أقبل على من في مجلسه، وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم - أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها ... والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ...)[1].

وأرادها الرجل فتنة بين المهاجرين والأنصار، ولكن الله أحبط كيده، وحفظ جنده من التفرقة، بتصرف حكيم بارع لرسول الله ﷺ (فصلته كتب السيرة)[2].

د- محاولة الغض من جلال الرسالة بالاستهزاء برجالها، واختراع الأراجيف في حقهم، فهذا عبدالله بن أُبي يخترع حديث الإفك، ويتولى كبره؛ وهو ضربة موجهة للإسلام بطريق غير مباشر ... فإن شكّ الناس في عرض عائشة رضي الله عنها[3].

وقالوا عن النبي ﷺ: إنه أُذُن، كلما قال له أحد شيئًا صدقه، فإذا قيل له ضده صدقه أيضًا.

كل هذا، وهم معدودون من المسلمين، لا يستطيع أحد أن ينكر عليهم إسلامهم، لأنهم يقولون بألسنتهم "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وتحت ستار هذه الشهادة يأتون ما يأتون من الجرائم، فإذا سئلوا اعتذروا، أو أنكروا وأقسموا.

أما موقف النبي ﷺ من هذه الفئة فقد كان يترك إلى الله سرائرهم، ويعاملهم بما يبدو من ظواهرهم. جاءه منافق ليتوب من نفاقه، فقال: ((يا رسول الله، الإيمان على لساني، والنفاق في قلبي ولا أذكر الله إلا قليلا، فقال عليه السلام: اللهم اجعل له لسانًا

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/٢٣٦-٢٣٧، البداية والنهاية، ابن كثير، ٦/١٨٤-١٨٥.

(٢) وهو ما بينه ابن إسحاق في قوله: ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ يشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبدالله ابن أبيّ". السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/٢٣٨.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، ٣/٢٤٦.

ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وارزقه حبي وحب من يحبني، وصير أمره إلى خير. فقال الرجل: يا رسول الله إنه كان لي أصحاب من المنافقين، وكنت رأسًا فيهم، أفلا آتيك بهم؟ فقال عليه السلام: من أتانا استغفرنا له، ومن أصر فالله أولى به، ولا تخرقن على أحد سترًا))[1].

وقد بين النووي: (أن حلم النبي ﷺ وتركه لبعض الأمور المختارة، وصبره في ذلك على بعض المفاسد؛ إنما كان لغاية عظيمة وحكمة جليلة؛ هي ألا يترتب على ذلك مفسدة أعظم، وقد كان ﷺ يتألف الناس، ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم؛ لتقوى شوكة المسلمين، وتتم دعوة الإسلام، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى ولإظهارهم الإسلام، وقد أمر بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)[2].

ولعل في هذا التلخيص، ما يعين المدعو على فهم ما ورد في نص الحديث من عداوة المنافقين للمؤمنين.

---

(١) أخرجه الطبراني ٣٤٧٥، وقال الهيثمي في المجمع رجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ في الإصابة، إسناد لا بأس به.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٥.

الحديث رقم (١١١)

١١١- السابع عشر: عن سعيد بنِ عبد العزيزِ، عن رَبيعةَ بنِ يزيدَ، عن أَبي إدريس الخَوْلاَنيِّ، عن أَبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنَادَةَ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يَرْوِى عَنِ اللَّهِ تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُم ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جائعٌ إِلاَّ مَنْ أطعمتُه، فاسْتطْعموني أطعمْكم، يا عبادي كلكم عَارٍ إلاَّ مِنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتقَى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ فِي مُلكي شيئًا، يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنكُمْ كَانوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّه، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ».

قَالَ سعيدٌ: كان أبو إدريس إذا حدَّثَ بهذا الحديث جَثَا عَلَى رُكبتيه. رواه مسلم[1].

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

---

(١) برقم (٢٥٧٧/٥٥).

غريب الألفاظ:

تظالموا: أي لا تتظالموا والمراد: لا يظلم بعضكم بعضًا[١].

صعيد واحد: الصعيد: وجه الأرض والمرتفع من الأرض والموضع الواسع[٢].

المخيط: الإبرة[٣].

جثا على ركبتيه: جلس على ركبتيه[٤].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث القدسي الجليل يضيء آفاق الحياة، ويرشد الناس إلى سبل النجاة، ويغرس الأمل في قلوب الحيارى الذين أنساهم الشيطان أنفسهم، وأنساهم استحضار الشكر على نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى.

والمنارات الإرشادية الهادية تتوهج أضواؤها في آفاق هذا الحديث الجامع لكثير من أبواب الهداية والمعرفة، وأول ما يصلح ذات البين بين العباد هو القضاء على الظلم.. ولذلك جاء النهى الإلهي عن ذلك في قوله: "فلا تظالموا"، وهذا النهى جاء مقنعًا مسببًا لأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٥]، وحرم الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرام على كل عبد أن يظلم غيره، مع أن الظلم في نفسه محرم مطلقًا: هو نوعان إحداهما: ظلم النفس وأعظمه الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦]، والثاني ظلم العبد لغيره، وهو المذكور في هذا الحديث[٧]، وقوله: "فلا تظالموا"،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٢.

(٢) الوسيط في (ص ع د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ي ط).

(٤) النهاية، والوسيط في (ج ث و).

(٥) سورة فصلت، آية: ٤٦ .

(٦) سورة لقمان، آية: ١٣ .

(٧) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ١٦٦.

نهى عن رد الظلم بالظلم، ونهى عن الحرص على دفع الظلم بظلم أقسى وأشد منه، وفي ذلك إيحاء بالعفو والتسامح كما في الدعاء، اللهم اعف عمن ظلمني وأعط من حرمني، والأفق الثاني من آفاق الهداية والنجاة في هذا الحديث هو حرص الله عز وجل على هداية عباده، وحتى ينجيهم من الضلال ناداهم في رفق ومحبة ورحمة بعد أن بيّن لهم واقعهم: فهم كلهم معرضون للضلال إلا من هداه الله، وأمر الحق سبحانه وتعالى عباده بطلب الهداية، وعبر عنه بالاستهداء إشارة إلى ضرورة مقاومة النفس، ومجاهدة الشيطان، وهذا الحديث هو ختام باب المجاهدة، ويوحي ذلك بأنه جامع لسبل المجاهدة والمقاومة. وأي مجاهدة أعظم وأقوى من الاستعانة بالله تعالى والتحصن بقوته وعزته من سبل الغواية والضلال، وقيل: إن في طلب الهداية من الله: اعترافًا من العبد على نفسه بالعبودية ولمولاه بالربوبية، وهذا مقام شريف لا يتفطن له إلا الموفقون.

والأفق الثالث من آفاق النجاة والمجاهدة والصلة بالله عز وجل هو التوكل على الله، وطلب الرزق منه سبحانه وتعالى: فخزائنه لا تنفد، وعطاياه لا تنضب، وكرمه لا ينتهي، "وكلكم جائع"، واقع حقيقي لأن الإنسان في الحياة لا يستطيع إشباع نفسه إلا بالعمل.. والتحصيل والكسب، وهذا العمل لابد أن يكون مصحوبًا بشعور ويقين العبودية لله تعالى، لأنه مالك السموات والأرض، وهو يسخر كل ما في هذا الكون للإنسان من نبات وحيوان، وطير، وجبال، وبحار، وأجرام وكواكب، وكلها من مصادر رزق الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ﴾[3]، والتعبير بصيغة التفعيل، فاستطعموني: أطعمكم، يرشد إلى حتمية الكد والتعب، والسعي، واستغلال الطاقات الكامنة في الأرض.. وما عليها، وفي

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٢.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٦٤.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

السموات وما فيها، كما قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1].

والأفق الثالث من آفاق النجاة والصلة بين العبد وربه: هو طلب الستر والإيواء، لأن الإنسان الذي يفقد مسكنه وملبسه وطعامه.. يفقد مقومات الحياة الأساسية.

وطلب الكسوة من الله... من سبل المجاهدة والمكابدة في الحياة، لأن الإنسان مهما سعى وحصَّل في الحياة المادية وهو يفتقد الشعور الإيماني.. فإنه سيظل عاريًا لا يجد ما يستره في حياته إذا فقد المقومات المادية التي زين للناس حبها وعبر عنها القرآن الكريم بالشهوات.

ويفتح الله تعالى باب التوبة لعباده، وهذا هو الأفق الأعلى من آفاق النجاة..والطريق إليه: الاستغفار وهو مفتاح الخير في الدنيا والآخرة، ويقول الله عز وجل: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2].

وحتى لا يظن الواهمون بأن نداء الله لعباده في كل الأمور السابقة فيها إنقاص لعزة الله، وملكوته أكد الحق سبحانه وتعالى: بأنه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وإنما كل النداءات السابقة من أجل إنقاذ الإنسان من الضلال والهلاك والغواية والجحود والعصيان، ويطمئن الحق سبحانه ملايين العباد في كل زمان ومكان بأن مُلْكه لا يزول، وأن عطاءه لا ينفد، وأن المتقين هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة، وأن الفجار هم الخاسرون، وإن وهموا أنهم أحسنوا الأعمال، وزينوا الأقوال.

ويختم الحديث ختامًا جميلاً كريمًا حيث يفيض الله تعالى بعطاياه على جميع عباده المخلصين الداعين والسائلين، بالإجابة والعطاء كل حسب مسألته وحاجته، وملكه هو هو في عطائه لا ينقص منه شيء.

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف وهي تمتزج بالمعنى، وتساعد على الفهم، وتقوي التأثير وهي:

أ- النداء والتكرار: في قوله: يا عبادي: وقد تكرر هذا النداء عشر مرات، وفي كل مرة تتجلى قدرة الله تعالى ورحمته بعباده الطائعين المجاهدين، والتعبير بقوله: "يا عبادي" فيه إشعار بحتمية العبادة، وبأن الله تعالى هو الخالق وهو يحفظ عباده الذين لا يعبدون من دون الله شيئًا، والتكرار لمزيد من التأكيد، وكذلك إضافة العباد إلى ياء المتكلم وهو الله عز وجل فيه تشريف لهم، ووعد بالرعاية والحفظ لأنهم عباده، عباد الرحمن.

ب- الاستثناء والمقابلة بين الألفاظ والمواقف والمعاني، وقد تكرر هذا الاستثناء ثلاث مرات، والمستثنى هو مَنْ شملته رحمة الله عز وجل، والمستثنى منه يمثل قاعدة عامة للسلوك البشري الذي ضل طريق الفطرة، وزين له الشيطان طريق الغواية، كما قال تعالى على لسان إبليس: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، فالعباد كلهم ضالون إلا من هداه الله، وكلهم جائعون إلا من أطعمه الله، وكلهن عارون إلا من كساه الله.

ج- الأمر وجوابه: وقد تكرر ثلاث مرات بعد جملة الاستثناء، وفي ذلك إلزام بوجوب الفعل المطلوب وليس الأمر اختيارًا (فاستهدوني أهدكم، فاستطعموني أطعمكم، فاستكسوني أكسكم، وتكرر مرة بعد ذلك.

د- المشاكلة الأسلوبية وتناسق البناء التعبيري، فالجمل الثلاث التي ورد فيها الاستثناء فيها تناسق تعبيري ومشابهة في بناء الجمل مع تكرار "كلكم" لتأكيد شمول القاعدة، ولكن عند التنبيه إلى الأخطاء تغير ذلك النسق الأسلوبي، فلم يقل: كلكم تخطئون لأن من البشر مَنْ هم معصومون ولا يخطئون وهم الأنبياء، وجاء التعبير يقول: "إنكم تخطئون"، مصحوبًا بالتأكيد والزمن المضارع ليرشد إلى وجود الخطأ واستمراره، ولكن الاستغفار والمجاهدة تزيل ذلك الخطأ فالله يغفر الذنوب جميعًا.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦ .

٥- أسلوب الجواب والشرط: وأداته "لو" وهى أداة امتناع لامتناع، وجاءت صيغ الشرط في سياق تفرد الله تعالى بعزته وجبروته، وتكررت ثلاث مرات مع التأكيد وتكرار كلمات: أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، إشارة إلى عموم الخلق وجميع الكائنات.

و- أسلوب القصر: وقد ورد في سياق تصوير ثبات ملك الله عز وجل وأنه لا ينقص بالسؤال، والتشبيه هنا للتمثيل وتقريب المعنى وتوضيحه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الظلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الدعاء وبيان فضله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار وبيان فضله.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان غنى الله تعالى عن عباده.

سادسًا: من أساليب الدعوة: التمثيل لتقريب الأفهام.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: مراقبة الله في الأعمال.

ثامنًا: من أهداف الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من الأساليب الدعوية التي يكون بها لفت انتباه المدعوين، فضلاً عن استحضار أذهانهم؛ لبيان أهمية الأمر المدعو إليه، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث القدسي من قوله تعالى "يا عبادي".

ففي هذا الحديث العظيم الشريف يتجلى اللطف الرباني، والعناية الإلهية بالخلق، ويبدو هذا من أمور عدة وردت في الحديث، منها تكرار هذا النداء الندي الرائع الحنون الرؤوف: يا عبادي يا عبادي، فقد تكرر عشر مرات، ولهذا النداء وقع كبير عند أصحاب القلوب الشفافة والأرواح النامية، يتيهون لسماعه ويطربون له وتهتز أوتار

قلوبهم وأعماق مشاعرهم حين يلامس هذا النداء مسامعهم[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الظلم:

إن الظلم من موجبات غضب الجبار، وتخريب الديار، به يكون فساد الأمم وانهيار الدول (فالله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، وإن كانت مؤمنة)[٢]، وقد كان الظلم سببًا لهلاك الأولين (بعد أن منعوا الحق حتى اشتُريَ، وبسطوا الجور حتى افتُديَ)[٣]، ومن أجل ذلك حرمه الحق على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا، وهذا ما ورد في نص الحديث، من قوله تعالى: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا" (والظلم وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حق الغير، ومجاوزة حد الشارع)[٤].

وهو كما قال الراغب على ثلاثة أنواع: (الأول: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥] وإياه قَصَد بقوله ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦] والثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٧] وبقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٨] والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[٩] وقوله: ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾[١٠] وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم

---

(١) من هدي النبوية، د. محمد بن لطفي الصباغ، ص ٨٣.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ٢٨/٦٢-٦٣.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/١٧٩.

(٤) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، الكفوي، ٥٩٤.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٦) سورة هود، آية: ١٨.

(٧) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٨) سورة الشورى، آية: ٤٢.

(٩) سورة فاطر، آية: ٣٢.

(١٠) سورة القصص، آية: ١٦.

للنفس، فإن الإنسان في أول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه)[١].

وقد توعد الحق تعالى الظالمين فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٢] (وفي ذلك وعيد للظالم وتعزية للمظلوم)[٣]، وقال تعالى في بيان عاقبة الظالمين ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥] وقال النبي ﷺ مؤكدًا ومرهبًا من الظلم ((اتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنها ليسَ بينَها وبينَ اللهِ حِجاب))[٦].

وقد بين ابن القيم: (أن الظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحو ذلك، بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها)[٧].

فعلى المرء أن يجتنب الظلم جهده.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٣١٧.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٧٠٤/١٣.

(٤) سورة يونس، آية: ١٣.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٤١.

(٦) أخرجه البخاري ١٤٩٦.

(٧) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض ٢٧١.

ولله دَرُّ القائل:

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فالظُّلمُ آخِرُهُ يأتيكَ بالنَّدَمِ
نامَتْ عُيُونُكَ والمظلُومُ مُنتبهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ، وَعَيْنُ اللهِ لم تَنَمِ

وقيل:

يا أيها الظَّالمُ في فعلِهِ ... فالظُّلمُ مردودٌ على من ظَلَمْ
إلَى مَتَى أنتَ وحتَّى متى ... تَسلُو المُصيباتِ وتنسى النِّقَمْ

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الدعاء وبيان فضله:

مما لا شك فيه أن الدعاء من أجلّ أنواع العبادات لما فيه من إلقاء الهمِّ على الرب لحسن الظن بالقرب (وهو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله، والاستكانة له، وما شرعت العبادات إلا للخضوع للباري وإظهار الافتقار إليه)[1]، ومن أجل ذلك حث الحق -تبارك وتعالى- عليه، وأمر به في نص الحديث فقال "فاستهدوني أهدكم..." وقال: فاستطعموني أطعمكم. وقال: فاستكسوني أكسكم، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على الدعاء وأهميته، فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[3] (وهذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه؛ أنه ندب عباده إلى دعائه، وتكفل لهم بالإجابة، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيُّ آدم حين يُسألُ يغضب)[4]

وقد أكد النبي ﷺ على أهمية الدعاء ووجوب القيام به فقال: ((الدُّعَاءُ هُوَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٩٨/١١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٣/٧.

العِبَادَةُ))[١] وقال: ((لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ))[٢] وقد رغب النبي ﷺ في القيام به فقال: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ))[٣] وقال ((مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِمَأْثَمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إذًا نُكْثِرُ. قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ))[٤] (فالدعاء إن صادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألح عليه المسألة، وتملّقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدَّم بين يديْ دعائه صدقة، فإن الدعاء لا يكاد يُرد أبدًا)[٥].

فالدعاء أفضل العبادات لأن من خلاله تظهر عبودية الإنسان وانكساره أمام خالقه سبحانه، ويضرع المؤمن إلى ربه يرجو رحمته ويخاف عذابه، ويسأله من فضله سبحانه، ولاشك أن فضل الدعاء واسع، لا يمكن أن نستقصيه في هذا المجال، ولكن حسبنا في ذلك أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بالدعاء ووعدهم بالاستجابة فينبغي إخلاص الدعاء لله تعالى وحضور القلب.

إن الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلعة والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة، وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٧١٤ وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٣٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٤).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٣، قال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٨٢٧).

(٥) الداء والدواء، ابن القيم، ٢٧-٢٨.

إذا شكا، ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعنيه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة، والعزم والثقة والرضا[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار وبيان فضله:

للاستغفار فضل عظمي، وأثر كبير في مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وجلب الأرزاق، وقد أمر به تعالى في نص الحديث فقال "فاستغفروني أغفر لكم" وفي ذلك تأميل الراجين، وتأنيس المذنبين، بمغفرة الغفور الرحيم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣] وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤] ومن أجل ذلك أمر تعالى عباده بالاستغفار فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥] وقال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦] وهو سبب رفع العذاب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٧].

وبالاستغفار تكون الرحمة من الله تعالى، والإمداد بالأموال والأولاد، قال تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[٨].

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

(٨) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٢.

وقد حث النبي ﷺ على الاستغفار وأهمية لزومه، فقال: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي. وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ، فِي الْيَوْمِ، مِائَةَ مَرَّةٍ))[١] وقال ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللّهِ. فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ))[٢] وقال ﷺ: ((واللّهِ إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّة))[٣] (واستغفاره ﷺ تشريع لأمته)[٤]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللّه ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مَائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[٥] قال النووي: (ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج، وللتوبة ثلاثة شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم عزمًا جازمًا أن لا يعود إلى مثلها أبدًا، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو: رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراء منه)[٦]، وفي ذلك بيانٌ على أهمية الاستغفار وضرورة الحث عليه، (فعن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفى، وإذا توعد تجاوز وعفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)[٧].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان غنى الله تعالى عن عباده:

(فالله هو الكامل بما له وعنده فلا يحتاج معه إلى غيره، وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة -أي الغنى- لأن الحاجة نقص، والمحتاج عاجز عن ما يحتاج إليه إلى أن يبلغه

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٠٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/١١.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٢).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩٢.

(٧) الأذكار، النووي، ٤٥٢.

ويدركه، وللمحتاج إليه فضل بوجود ما ليس عند المحتاج، فالنقص منفي عن القديم بكل حال، والعجز غير جائز عليه ولا يمكن أن يكون لأحد عليه فضل إذ كل شيء سواه خلق له وبدع أبدعه لا يملك من أمره شيئًا، وإنما يكون كما يريد الله عز وجل، ويدبره عليه، فلا يتوهم أن يكون له مع هذا اتساع لفضل عليه)[١]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله تعالى: "لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا..." فالله غني عن عباده لقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢] أي: (إن ملكه جميع الأشياء وهو الغني عما سواه، وكل شيء فقير إليه، وعبد لديه)[٣]، (فالله عز وجل لا ينتفع بأحد ولا يتضرر بأحد لأنه غني عن الخلق جل وعلا، وإنما خلق الخلق لحكمة أرادها تبارك وتعالى؛ خلقهم لعبادته)[٤].

سادسًا- من أساليب الدعوة: التمثيل لتقريب الأفهام:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في تقريب الأفهام من الحديث في قوله تعالى في الحديث القدسي: "ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر" قال النووي: (إن المقصود من ضرب المثل بالمخيط في البحر هو تقريب الأفهام بما شاهدوه في البحر من عِظَم، وفي الإبرة من صغر)[٥].

ومما لاشك فيه أن التمثيل لتقريب الأفهام من أساليب الدعوة المهمة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦] وقال جل ذكره: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٧].

---

(١) كتاب الأسماء والصفات، أحمد بن حسين البيهقي ٧٥/١، وقد نقله عن الحليمي.

(٢) سورة لقمان، آية: ٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٣/١٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٤٦/١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٣.

(٦) سورة النور، آية: ٣٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

فعلى الداعية أن يضرب الأمثال لبيان المعاني، وتوضيحها في الأذهان، حتى يكون المدعو على بينة من أمره، وهذا مما يسهم في نجاح الداعية في دعوته، ويعمل على إزالة اللبس والغموض.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: مراقبة الله في الأعمال:

من أسماء الله تعالى الرقيب، قال الحليمي: (هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص أو يدخل عليه خلل من قبل غفلته عنه، وقال الزجاج: الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1])[2]، وقد ورد ذلك في الحديث من قوله تعالى: "إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها" قال السعدي: (فالله هو الرقيب المطلع على العباد في حركاتهم وسكونهم وسرهم وعلنهم وجميع الأحوال مراقبًا لهم فيها، مما يوجب على العباد مراقبته، وشدة الحياء منه بلزوم تقواه. وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3])[4]. أي حافظًا عليما[5].

ثامنًا- من أهداف الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين:

إن مما يستفاد من عموم هذا الحديث القدسي بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، أن حرّم الظلم على نفسه، وجعله محرمًا بينهم، وهداهم إلى الطريق المستقيم، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن تلك النعم أن منّ عليهم

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي ١٣٨/١.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٩.

(٥) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ص ٢٠٨.

بالطعام والشراب، وكسا عريهم، وتفضل عليهم بالعفو والمغفرة والتجاوز عن الهفوات والزلات، فالله تعالى واسع الفضل، يغفر الذنوب ويستر العيوب، وهو الغني عن عباده، وهو المطلع عليهم المُحصي لأعمالهم وإن من أوجب الواجبات شكر المنعم سبحانه على تفضله وإنعامه ولزوم التوبة والاستغفار ومحاسبة الإنسان لنفسه قبل أن يحاسب ومراقبة الله في السر والعلن ورجاء رحمته سبحانه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تأخذ التربية في الإسلام مظاهر شتى منها:

أولاً- التربية بالترهيب:

يظهر هذا الأسلوب في الحديث القدسي الذي رواه النبي عن ربه عز وجل، يقول الله تعالى: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، وفي هذا الحديث ترهيب من الله تعالى لعباده أن يعادوا أولياءه ويؤذوهم، وأعظم بها من رهبة تقع في نفوس المتلقين، والمقدمين على إيذاء عباد الله الصالحين، حين يعلمون أنهم بذلك يحاربون الله تعالى! وأي قوة لهم تعصمهم من الله؟ وأي عدة وأي عتاد ذلك الذي يقف أمام الجبار المنتقم سبحانه؟

واحترام أولياء الله الصالحين، من قضى منهم ومن بقى حياً أمر واجب على كل مسلم، فإن هؤلاء عظموا الصلة بالله تعالى، وقد لا تكون لهم قوة ظاهرة، بل إن مظهرهم قد يكون الضعف والاستسلام، مما يجرئ السفهاء عليهم، فما جزاء هؤلاء السفهاء إلا أن يفاجئوا بقوة خارقة لهؤلاء، تردعهم وتوقفهم عند حدودهم، إنما قوة الله تعالى، الذي يوعد من اجترأ على هؤلاء بالحرب والنكال.

ولقد أكد التربويون على أن من عوامل نجاح الترهيب مصدر هذا الترهيب، فكلما كان المصدر قوياً كان للترهيب أثره عند الإنسان[1]، وأي مصدر أقوى وأكثر تخويفاً للإنسان من ربه عز وجل؟.

ثانياً- التربية بالترغيب:

لقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي، من أجل حث المسلمين على عبادة الله وطاعته، ففي الحديث: يبين جزاء التقرب إلى الله تعالى بالنوافل يقول ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، ويقول عليه السلام فيما يرويه عن رب العزة سبحانه وتعالى: «إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ....»،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٥.

ويقول: "عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً....".

ولا يخفى على ذي بصيرة أن طاعة العبد فيما يؤمر تكون آكد وأقرب إلى قلبه إذا علم جزاءها عند الله، ولهذا استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب، فما أعز على قلب المؤمن إذا علم أن الله يحبه! وما أسماها غاية يتطلبها أن يتقرب إليه الله كما يتقرب هو إلى الله تعالى! وما أحب إلى نفسه أن تُغفر له خطيئته ! ولهذا تراه يرغب في العمل من أجل ما سيلقاه من الجزاء عند الله تعالى، ويسعى لينفذ أوامر الله ويتقرب إليه بالنوافل الزائدة على الفرائض المكتوبة.

(ولما كان الإسلام هداية للناس أجمعين، وواقعياً في جوانبه العملية، كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عنصر الترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما يهديهم إلى الخير ويدعوهم إلى الفضيلة.... وليس بغريب أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي.... فهي تعتبر أساساً محدداً لبناء شخصية الفرد، تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها..)[1].

ثالثاً- التربية بالقدوة:

الرسول ﷺ قدَّم للمتربين قدوة في سلوكه وأعماله وعبادته، ولم يكتفِ بالتوجيه والوعظ فقط؛ فكان يُرِي الصحابةَ الكرام منه المثل الأعلى الذي يتأسون به، فإنه -فيما ترويه عائشة[2] يروي أنه صلى ﷺ صلى بهم صلاة فقرأ البقرة والنساء وآل عمران، وأطال الركوع والسجود، وكذلك فإن هذا المثل قدَّمه لعبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، حين طالت الصلاة، فهمَّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يترك الصلاة لطولها.

لقد أراد النبي أن يربي صحابته بالقدوة؛ حتى يكون مثلاً أعلى لهم يتأسون به

---

(١) تربية الأبناء والبنات، خالد العك، ص١٨٧.

(٢) كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وعندما سألته عن ذلك الاجتهاد، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: "أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟".

وقد ثبت أنه ﷺ كان في العشر الأواخر من رمضان يزداد عملاً واجتهاداً.

ويقتدون؛ ورغم أن ذنوبه مغفورة، إلا أنه ظل على عبادته وتقواه؛ ليكون ذلك نبراساً للمسلمين جميعاً: أن يجتهدوا في العبادة والطاعة.

إن القدوة الطيبة "هي أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة، حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات؛ ذلك أن المرء يحب المحاكاة من تلقاء نفسه.... إن المناهج التربوية تظل حبراً على الورق، حتى تتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض، وما لم تتحول إلى بشرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته مبادئ المنهج ومعانيه فإنها تبقى نظريات"[(١)].

رابعاً- التربية بالتوجيه المباشر:

وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في عدة أحاديث في هذا الباب، وذلك يجسد الأساس التربوي الأول للنبوة، ألا وهو التبليغ عن الله عزوجل، وفي هذا الأسلوب يوجه النبي ﷺ الأمر أو النهي أو غير ذلك إلى المتربين مباشرة، يقول ﷺ: "احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ. وَلاَ تَعْجِزْ ..."، ويقول: "يتبع الميت ثلاثة ..." ويقول ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ".

وبهذه الطريقة يصل المطلوب إيصاله إلى عقول المتلقين بأيسر السبل وأقصرها، وهذه الأمثلة للتربية بالتوجيه المباشر، يحاول فيها "تصحيح الأخطاء، والحث على صالح العمل، وتحويل طاقات الإنسان نحو الفضائل، واستثمار قدراته بجوانب الخير، وجعل ذلك عادة مستديمة له"[(٢)].

خامساً: التربية العقدية:

من أساسيات التربية الأساسية الاهتمام بالجانب العقدي للمسلم، ومن الجوانب العقدية في أحاديث هذا الباب: الإيمان بالقضاء والقدر، يقول ﷺ: "إِنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فعلتُ كذا وكذا. ولكن قل: قَدَّرَ اللّهُ ..."، تلك هي عقيدة المؤمن في قضاء الله وقدره، أن يؤمن بأن كل شيء بيد الله، وما أشد ارتياحه وسكينته إذا

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٨٥ بتصرف.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص ٢٨٨.

تحلّى بالإيمان بقدر الله، وأنه متصرف في كل شيء، وأنه ما مُنِع الإنسان الخير إلا لحكمة يعلمها الله، وأنه ربما ابتلي بشيء يحسبه شراً، وفي أعطافه الخير الجزيل في الدنيا والآخرة!

والإيمان بالقدر يقوي عزم الإنسان؛ فالمؤمن إذا ناقش الأمور ورجَّح بينها واستشار غيره، واستخار ربه، يمضي فيما عزم عليه دون تردد أو خوف، فهو يدرك يقيناً بأن جميع الأحداث الواقعة تكون في علم الله وبقدره... ولن يندم أو يتحسر على ما فات[1].

سادساً: التربية بذكر القصة:

إن لهذا الأسلوب التربوي فائدة كبيرة، فإنه ينقل إلينا كثيراً من صور الحياة عند الصحابة، وكيف كانوا يتصرفون في أمورهم وحياتهم، وفي هذا الباب وردت قصة أنس بن النضر رضي الله عنه وغيابه عن غزوة بدر، ومشاركته في غزوة أحد، وكيف كانت نهاية جهاده في سبيل الله وصدقه: أن نال الشهادة في سبيل الله تعالى.

ومن خلال هذا الباب أيضاً ترد قصة أخرى للرجل الذي تصدق بصدقة كبيرة، فقال المنافقون: مُراءٍ، وجاء غيره فتصدق بالقليل، فقالوا: الله غني عن ذلك، فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ الآية[2].

إن هاتين القصتين تحملان صورتين من صور صحابة رسول الله ﷺ؛ أولاهما: تجسد روح المجاهدة في سبيل الله، وترسم قدوة حسنة لجهاد الصحابة وإخلاصهم في الحرب ضد المشركين، وتعكس ثواب الله تعالى للمجاهدين، أما الثانية: فإنها تمثل كيف كان الصحابة الكرام يسارعون في الإنفاق في سبيل الله ويجودون بما في أيديهم قليلاً كان أو كثيرًا. ففي القصتين تربية للمؤمنين وأي تربية؟

ولهذا الأسلوب التربوي أثر في النفس، كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين: أولهما: المشاركة الوجدانية، فالمستمع يتابع

---

(١) التربية الإسلامية، "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد عطية، ص٧٥، ٧٦ بتصرف.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

الأشخاص ويتفاعل معهم، والطريق الثاني: أن يضع المتلقي نفسه مكان الأشخاص، فإن كانوا في موضع الرفعة والتميز، تمنى لو كان في موقفهم، وإن كانوا في موقف يثير الازدراء والكراهية حمد لنفسه أنه ليس كذلك، وبهذا تؤثر القصة تأثيراً توجيهياً، يرتفع بقدر ما تكون القصة بليغة ومؤثرة[1].

سابعاً- التربية الإيمانية:

من جوانب التربية الرئيسة في هذا الباب التربية الإيمانية، وفيها تقوية للإيمان بالله تعالى، واليقين بقدرته، وغناه، ويقول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ . فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ ... يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. ... لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ... لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، ... كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ ... مَا زَادَ ذَٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً ... لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ. وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ... فَسَأَلُونِي. فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ. مَا نَقَصَ ذَٰلِكَ مِمَّا عِنْدِي».

ذلك الحديث يجسد عظمة الله تبارك وتعالى، وقدرته المطلقة على كل شيء، فهو يعطي ويمنع، ولا يفقره رزقه لنا، ولن تزيد ملكه عبادتُنا، ولن ينقصها معصيتنا، إنها قدرته تعالى، واستغناؤه التام عن عباده، بل هم المحتاجون إليه في كل وقت وحين، هو صاحب الفضل عليهم، وهم عباده الأذلاء المحتاجون.

وتعظيم الله تعالى ومعرفة قدره "هو الأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد ... وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس، ويملك صاحبه العلم الصحيح فإنه يسلم له اعتقاده، فلا يتردد في تصديق كتابه وسنة نبيه، والتزام الأوامر وترك المنهيات، ولا يتعلق قلبه بغير الله، ولا يتجه لمخلوق، فيصفو اعتقاده، ويستقيم عمله، ويجعل للمخلوقين منزلتهم التي يستحقونها[2].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٤١، ٤٤٢ بتصرف.

(٢) تربية الشباب، محمد الدويش، ص٥٤ بتصرف يسير.

ثامناً: تصحيح مفهوم الولاية في الإسلام وفتح هذا الباب لكل مجتهد، وإبطال كون الولاية نسباً أو مصاهرة بل هي عمل ومجاهدة، فكل من يتولى أوامر الله ونواهيه بمعانيها الواسعة، فهو ولي الله، فإن لازم على ذلك فالله يتولى أمره.

والسبيل إلى ولاية الله تكون بما شرعه الله لا بما ابتدعه الناس، وذلك بالقيام بالتكاليف الشرعية، وإتباع ذلك بالسنة والتي تجبر القصور في الفرائض.

تاسعاً: مما ينبغي تربية أولادنا عليه فضلاً عن إلزام أنفسنا به:

القوة واستشعار العزة ورفض الدونية، وقد صرح الرسول ﷺ بقوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، وجاء النص مطلقاً لتذهب النفس فيه كل مذهب في حدود المشروع، فقوة الفكر والعلم والبدن والتملك والحجة والجدل كل ذلك من القوة المحمودة التي توظف لخدمة الإسلام.

والمسلم مطالب بترك الشك واللجوء إلى اليقين، لأن فتح باب الشك لن يفضي إلى خير، وسيجعل صاحبه محل تردد وعدم استقرار.

إن رسول الله ﷺ كان يستخدم "لو" في بعض الأحاديث لا على سبيل الشك والتردد، بل على سبيل الاسترجاع أو الإخبار، وكم ورد عنه "لو أن قومك حديثوا عهد بالجاهلية..."، وعندما ذكر حِلف الفضول قال: "ولو دعيت به في الإسلام لأجبت".

إن من منهج الإسلام تعليم أبنائه على مراجعة النفس فيما مضى، والنظر في نتائج المراجعة، بشرط أن لا يقف الإنسان إلى جواره يبكي حاله ويشكو أمره، لأن عجلة الحياة تدور، والوقوف عند حد الماضي يجعل القاطرة تدوس من يقف في طريقها، وهذا من عمل الشيطان الذي يجعل الإنسان يضيع وقته وعمره في علة السببية.

❁ ❁ ❁

١٢- باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧] قَالَ ابن عباس والمُحَقِّقُونَ: معناه أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديث الَّذي سنذْكُرُهُ إنْ شاء الله تَعَالَى، وقيل: معناه ثماني عَشْرَة سَنَةً، وقيل: أرْبَعينَ سَنَةً، قاله الحسن والكلبي ومسروق ونُقِلَ عن ابن عباس أيضًا. وَنَقَلُوا أنَّ أَهْلَ المدينَةِ كانوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أربعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعِبادَةِ، وقيل: هُوَ البُلُوغُ. وقوله تَعَالَى: ﴿وجَاءكُمُ النَّذِيرُ﴾ قَالَ ابن عباس والجمهور: هُوَ النَّبيّ ﷺ، وقيل: الشَّيبُ، قاله عِكْرِمَةُ وابن عُيَيْنَة وغيرهما. والله أعلم.

وأمَّا الأحاديث:

الحديث رقم (١١٢)

١١٢- **فالأوَّل:** عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أعْذَرَ اللَّهُ إلى امْرِىءٍ أخَّرَ أجلَه حتى بلَغَ سِتِّينَ سنةً**» رواه البخاري[1].

قال العلماءُ معناه: لَمْ يتْركْ لَه عُذْرًا إذ أمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يُقال: أعْذَرَ الرَّجُلُ إذا بلغَ الغاية في الْعُذْرِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أعذر الله إلى امرىء: فسّره النووي، وفي النهاية: حيث أمهله هذه المدة ولم يعتذر[2].

---

(١) برقم (٦٤١٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٢١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ذ ر).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي في إيجازه تتسع مسافات الرؤى والأفكار، وفي إطنابه تتجمع آفاق الحياة وتتلاقى أرجاء الأقطار، ولا يعرف التاريخ غير محمد ﷺ -كما يقول الرافعي- رجلاً أفرغ الله وجوده في الوجود الإنساني كله، كما تنصب المادة في المادة، لتمتزج بها، فتحولها، فتحدث منها الجديد، فإذا الإنسانية تتحول به وتنمو بهديه وتعاليمه، والإنسانية قطعت دهرها بين اثنين: أحدهما: فتح لها طريق المجيء من الجنة، والثاني: فتح لها طريق العودة إليها مع الذين سبقوه من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

كان في آدم سر وجود الإنسانية، وكان في محمد سر كمالها[1].

في ظلال هذه المعاني نستروح نسمات الرشاد والهدى التي تهب علينا من أجواء هذا الحديث الشريف الموجز، لأن الإنسان في حياته لا يشعر بكَرِّ الليالي وتعاقب الأيام.

والمصطفى ﷺ ينبه كل الغافلين الذين استهوتهم مغريات الحياة، حتى هزمهم الشيب، ولم يأخذوا من شبابهم لهرمهم، ولا من صحتهم لسقمهم، ولم يتأملوا قول المصطفى ﷺ: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ))[2].

هؤلاء الغافلون ينبههم النبي ﷺ في هذا الحديث الذي يفتتح به صاحب رياض الصالحين باب في الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر، ويأتي هذا التنبيه في صورة إنذار موجز حيث يقول في بلاغة وإيحاء: "أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة".

والمعنى الذي نقتبسه من هذا الحديث الشريف هو أن الله لم يترك لهذا الصنف من الناس عذرًا للندم وهو لا يندم ولا يتوب، حيث أمهله هذه المدة وأطال عمره وعاش الرجل ستين سنة، وهو لم يبادر بالأعمال الصالحة، ولم يدرك أنه لا ينتظر بعد ذلك أو قبل ذلك، إلا فقرًا منسيًا أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدا، أو هرمًا مفندا، أو موتًا

---

(١) انظر: الرافعي، وحي القلم، ج٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٢.

مجهزا، أو الدجال أو الساعة.

وقيل إن هذا التعبير في قوله: "أعذر الله إلى امرئ..." الحديث، فيه حث على إدراك ما فات من الطاعة والمبادرة بالأعمال الصالحة، والتوبة النصوح قبل فوات الأوان، فلم يعد أمام الإنسان عذر بعد الستين يبعده عن دائرة الطاعة: فقد حل به النذيران: الشيب والهرم، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[1]، وقال بعض العلماء: طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغتر بطول العمر، وكل ما أتى به الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات يملأ الفراغ في حياة المسلم فالصلاة ميزان إيماني لكل مواقيت الحياة، وهى تنهي عن الفحشاء والمنكر، والصوم سر بين العبد وربه، وهو إحساس بالزمن الذي خلقه الله، وامتثال لأمر الله تعالى في تنظيم ذلك الزمن بما يعود بالنفع على الإنسان: صحيًا واجتماعيًا وروحيًا، والزكاة مظهر من مظاهر الشكر على نعم الله تعالى، وتعاطف بين أفراد الأمة، والحج تاج المسلم، ومعرفته ببينة الإسلام الأولى، معرفة إيمانية يقينية. وهل لإنسان عذر إذا بلغ الستين ولم يذق حلاوة هذه العبادات...؟!!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقامة الحجة من الله تعالى على العباد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الأجل في طاعة الله تعالى.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد جاء الحديث بصيغة الإخبار ليقرر حقيقة تكون حجة على المدعوين، ويثبت في أفئدتهم هذه الحقيقة، بحيث لا يكون أدنى شك عندهم في ثبوتها والجزاء عليها، وهذا الإخبار أبلغ في إيصال الرسالة الدعوية إلى المدعوين من أي أسلوب أخر، فهو

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٧.

إخبار بمعنى الترهيب والتحذير لكي ينتبه المدعوون إلى نعمة الله تعالى عليهم في أعمارهم وأوقاتهم وأنهم مسؤولون عن ذلك ومحاسبون عليه وخاصة من امتد به العمر إلى الستين عامًا.

إن أسلوب الإخبار وإعلام الناس بالحقائق خاصة الدينية منهامن أهم وظائف الداعية ومهامه، فما أحرى بالدعاة بتوطين النفس على مواجهة المصاعب والمتاعب في سبيل قيامهم مقام الرسل في تبليغ الدعوة، فعلينا معاشر المسلمين -خاصة الدعاة منا- أن نبلغ بديننا مشارق الأرض ومغاربها، وعندئذ فقط يحق لنا أن نردد باطمئنان قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾[1] وسبيلنا في ذلك هو سبيل المصطفى ﷺ إعلام وإخبار ينطلق من القرآن يلتزم الصدق ويرتبط بالحق لا خضوع فيه لغير الله، يعتمد على المكاشفة والمصارحة في العرض والإنصاف في المجادلة[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إقامة الحجة من الله تعالى على العباد:

إن من لطف الله تعالى بالخلق، أن أعذرهم وأنذرهم ببلوغ الستين من الأجل، (فطول العمر حجة من الله على العباد)[3]، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة.

قال ابن حجر: (قوله "أعذر الله" الإعذار إزالة العذر، والمعنى أنه لم يبق له اعتذار كأن يقول لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به، يقال أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه. وإذا لم يكن له عذر في ترك الطاعة مع تمكنه منها بالعمر الذي حصل له فلا ينبغي له حينئذ إلا الاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية، ونسبة الإعذار إلى الله مجازية، والمعنى: أن الله لم يترك للعبد سببًا في الاعتذار يتمسك به. والحاصل أنه لا يعاقب إلا بعد حجة...، وقال ابن بطال: إنما كانت الستون حدًا لهذا

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٩.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ١٠٧-١٠٨.

(٣) ذكره ابن كثير عن قتادة في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٥٥/٦.

لأنها قريبة من المعترك، وهي سن الإنابة والخشوع، وترقب المنية فهذا إعذار بعد إعذار لطفًا من الله بعباده حتى نقلهم من حالة الجهل إلى حالة العلم، ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة، وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أُمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليتمثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية)[١].

وقد بين ابن هبيرة: (أن في هذا الحديث من الفقه: أن العمر القصد الذي يتجاوز عن أم الشبيبة، ويسلم من توهين الهم، هو سن الكهول، ما بين الأربعين إلى الستين، فإذا أمهل الله عبده حتى جاوز زمن الصبى والحداثة، وسن الشبيبة، ودخل في الكهولة، فقد أعذر إليه؛ لأنه لا يبقى بعد هذا من العمر إلا ما لا يؤثر فيه النقص، ويستولي عليه الضعف، فلا يكون تركه ما يترك عن قدرة عليه، بل عن عجز عنه، ولا يأخذ ما يأخذ إلا (اضطرارًا به)[٢].

وفي ذلك بيان على إقامة الحجة الكاملة من الله تعالى على عباده، وكيف لا وهو القائل: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[٣] (أي الحجة التي تقطع عذر المحجوج وتزيل الشك عما نظر فيها)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: اغتنام الأجل في طاعة الله تعالى:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، قال ابن حجر: (وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل. وأصرح من ذلك ما أخرجه الترمذي بسند حسن إلى أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه ((أعمار أمتي ما بين الستين إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٤/١١.

(٢) وقد ورد في المطبوع من الإفصاح بلفظ "إضرارًا"، وما أثبتناه هو الأنسب في رأينا. والله أعلم. الإفصاح ٣٢٧/٧-٣٢٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢٨/٧/٤.

السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك))[١] قال بعض الحكماء الأسنان أربعة سن الطفولية، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالب ما يكون ما بين الستين والسبعين فحينئذ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة)[٢].

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٣].

ولقد حث النبي ﷺ على اغتنام الأجل في طاعة الله لما في ذلك من ربح وفلاح فقال: ((اغتَنِمْ خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمِكْ، وصحَتك قبل سَقَمِك، وغِناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك))[٤]. وقال ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنا وَيُمْسِي كَافِرا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنا وَيُصْبِحُ كَافِرا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))[٥]، (وفي ذلك حثٌّ منه ﷺ على العبادة في الأعمال، وضرورة اغتنام الأجل في طاعة الله تعالى)[٦].

(فالزمن نعمة جُلَّى ومنحة كبرى، لايدريها ويستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((نعمتان مغبون فيهما كثير

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٥٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٥).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٤/١١.

(٣) سورة المنافقون، الآيتان: ٩-١٠.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٧١٦، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه مسلم ١١٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٨.

من الناس: الصحة والفراغ)[١] فأفاد الحديث أن المستفيدين من ذلك قِلَّة، وأن الكثير مفرط مغبون.

وقد كان السلف الصالح ومن سار على نهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير، سواءٌ في ذلك عالمهم وعابدهم، فقد كانوا يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات، ضنًا منهم بالوقت، وحرصًا على أن لا يذهب منهم هدرًا.

نُقل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد: أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له: عامر بن عبد قيس: أمسك الشمس. يعني أوقف لي الشمس واحبسها عن المسير حتى أكلمك، فإن الزمن متحركٌ دائب المضي، لا يعود بعد مروره، فخسارته خسارة لا يُمكن تعويضها واستدراكها، لأن لكل وقتٍ ما يملأه من العمل.

قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي، ولم يزد فيه عملي. وقال الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: إن الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: يا ابن آدم، إنما أنت أيام، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك. وقال أيضًا: أدركتُ أقوامًا كانوا على أوقاتهم أشدَّ منكم حرصًا على دراهمكم ودنانيركم)[٢].

وقال الذهبي: (قال عبدالرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدًا ما قدر أن يزيد في العمل شيئًا ... وقال موسى بن إسماعيل التبوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكًا لصدقت، كان مشغولاً: إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبِّح، أو يصلي، وقد قسَّم النهار على ذلك...، قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة وهو في الصلاة، رحمةُ الله تعالى عليه.

وقال عفَّان: قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة، لكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله تعالى منه)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٢.

(٢) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٤/٤٤٧-٤٤٨.

(فعلى المرء أن يغتنم أجله في طاعة الله ولا يخيل له أن الأيام ستفرغ له في المستقبل من الشواغل، وتصفو له من المكدِّرات والعوائق، وأنه سيكون فيها أفرغ منه في الماضي أيام الشباب، ولكن الواقع المشاهد على العكس من هذا أيها الأخ العزيز: كلما كبرت سنك، كبرت مسؤولياتك، وزادت علاقاتك، وضاقت أوقاتك، ونقصت طاقاتك، فالوقت في الكبر أضيق، والجسم فيه أضعف، والصحة فيه أقل، والنشاط فيه أدنى، والواجبات والشواغل فيه أكثر وأشد! فبادر ساعات العمر وهي سانحة، ولا تتعلق بالغائب المجهول، فكلُّ ظرفٍ مملوءٌ بشواغله وأعماله ومفاجآته.

ولما أدركت الشيخوخة وأمراضُها أبا عثمان الجاحظ الأديب المشهور، كان ينشد هذين البيتين متحسرًا متألمًا من تقاعد الضعف والكبر والمرض به:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ ... كما قد كنتَ أيامَ الشبابِ

لقد كذَبَتْك نفسُكَ ليس ثَوْبٌ ... دَرِيسٌ كالجديدِ من الثيابِ

فالعاقل الموفق من يملأ كل لحظة وثانية من حاضر عمره ووقته بفائدة أو عمل صالح، وقد كره عمر بن الخطاب رضي الله عنه التعطل والبطالة وإضاعة الزمن سدى! فقال: إن لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً - أي فارغًا- لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة!

ورحم الله الوزير الصالح والعلامة الفقيه الأديب الأريب: يحيى بن هبيرة، البغدادي الحنبلي، المولود سنة ٤٤٩، والمتوفى سنة ٥٦٠، شيخ الإمام ابن الجوزي، إذ يقول:

والوقتُ أنفَسُ ما عُنِيتَ بحِفظِهِ ... وأراهُ أَسهَلَ ما عليك يضيعُ)[1]

رابعًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ على إقامة الحجة الكاملة من الله على العباد وعدم إبقاء عذر لمعتذر، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في بيان الحقائق للناس ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ٧٩-٨٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وفي الاقتداء بالنبي ﷺ الفائدة وكمال الأجر في إفادة المدعوين فيما غاب وخفي عنهم، خاصة وأن الإنسان قد ينخرط في مجالات الحياة وهو يركض وراء جمع المال، وتستهلكه رغباته الدنيوية التي لا تنقضي وقد يدركه الموت وهو على هذه الحالة، لذا فإنه من الأهمية بمكان أن يقوم الداعية ببيان الحقائق للمدعوين، ويستحثهم على المسارعة إلى اغتنام العمر في طاعة الله تعالى ومرضاته.

الحديث رقم (١١٣)

١١٣- **الثاني:** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان عمر رضي الله عنه يُدْخِلُنى مَع أشْياخ بْدرٍ، فَكأنَّ بعْضَهُمْ وجدَ فِي نفسه فقال: لِمَ تُدْخِلُ هَذا معنا ولنَا أبْنَاء مِثْلُه؟ فقال عمرُ: إنَّهُ من حيْثُ علِمْتُمْ، فدَعَانى ذاتَ يَوْمٍ فَأدْخلَنى معهُمْ، فما رأَيْتُ أنَّه دعانى يوْمئِذٍ إلاَّ ليُرِيهُمْ قال: ما تقولون في قول اللَّه تعالى: ﴿إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفَتْحُ﴾[الفتح: ١] فقال بَعضُهُمْ: أمِرْنَا نَحْمَدُ اللَّهَ ونَسْتَغْفِره إذَا نُصِرنَا وفُتِحَ علَيْنَا. وسكَتَ بعضهُمْ فلم يقُلْ شيئًا فقال لي: أكَذلك تقول يا ابنَ عباس؟ فقلت: لا. قال فما تقول؟ قلت: هُو أجلُ رسولِ اللَّه ﷺ، أعْلَمَه له قال: ﴿إذا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والْفتحُ﴾ وذلك علامة أجلِك ﴿فَسَبِّحْ بِحمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إنَّه كانَ تَوَّابًا﴾[الفتح: ٣] فقال عمر رضي اللَّه عنه: ما أعْلَم منها إلاَّ ما تَقُول. رواه البخارى[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أشياخ بدر: الأشياخ المفرد: الشيخ، وهو من أدرك الشيخوخة وهي غالبًا عند الخمسين أو هو ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة. وأشياخ بدر: أي من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار وكانت في رمضان وكانوا قد شاخوا وكبرت سنهم أيام عمر رضي الله عنهما[٢].

وجد في نفسه: غضب[٣].

---

(١) برقم (٤٩٧٠).

(٢) انظر: الوسيط ٥٠٢، وفتح الباري، ابن حجر ٦٠٧/٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٦٠، والوسيط ١٠١٣.

الشرح الأدبي

تتعدد وتتجلى في البيان النبوي فنون أدبية كثيرة تنبئ عن مطابقة هذا البيان لمقتضى الحال، وبأن لكل مقام مقالاً يناسب السياق، ومن هذه الفنون: فن الخطابة، وفن الرسائل، والقصة والأقصوصة، والمكاتبات والمعاهدات، والمحاورات، وهذا الحديث الشريف يقدم لونًا طريفًا من ألوان البيان النبوي العام الشامل الذي يتضمن القول والفعل والإقرار والهيئة والصفة، وهذا اللون هو: فن المناظرة والاحتجاج، وهو فن أدبي اشتهر به العرب، واتسمت به البيئات العلمية والدينية في عصور ازدهار الثقافة الإسلامية، في عصر النبوة، وعصر الخلافة الراشدة، والعصر الأموي والعباسي، وللمناظرة في الحديث النبوي سمة تنفرد بها، وهى أنها لا تلجأ إلى المحاجة الباطلة، ولا إلى تزييف الحقائق، لأن النبي ﷺ لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفَلْج أي الفوز إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، وقد انتهج هذا النهج أصحابه الأخيار وفي مقدمتهم أشياخ بدر، والفاروق عمر، وعبدالله بن عباس الذي يروي قصة هذا الحديث الذي يرسى قاعدة شرعية من قواعد المنهج الإسلامي، وهى معيار الأفضلية والتقديم، وهذا المعيار يقتضي أنه بمقدار فقه الرجل في دينه تكون أفضليته بين القوم.

وعمر بن الخطاب يعرف قدر عبدالله بن عباس، ولذلك كان يدخله مع كبار الصحابة وهم أشياخ بدر في المشورة والمهمات، وذلك لعظيم قدره بما تحلى به من فقه في الدين، وعلم بكتاب الله تعالى.

وقد كان مُسمًّى البحر لسعة علمه، واعترض بعض الصحابة وقيل الذي اعترض عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو من أشياخ بدر، واعتراضه ليس قدحًا في شخصية ابن عباس رضي الله عنهما وإيمانه، وإنما كان لصغر سنه، ولكن عمر: يطبق النهج الإسلامي، ويقتدي برسول الله ﷺ فيقول: "إنه من حيث علمتم".

ولم يفصِّل عمر رضي الله عنه القول: لأن الصحابة يعرفون مكانة ابن عباس، ويعلمون أنه من بيت النبوة، ومنبع العلوم ومصدر الآراء السديدة، وأراد عمر أن يقنع القوم بما قال،

فعقد هذه المناظرة الموجزة حول المراد من سورة النصر، أو السبب القريب لنزولها، فأجاب بعض الصحابة إجابة صحيحة في عمومها لكن خصوص السبب لم يفطنوا له، وبعضهم سكت، والذين أجابوا قالوا: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وهذا رأي صائب لأنه لا يتصادم مع النص القرآني، ولكن عمر رضي الله عنه يسأل عن إيحاء السورة ، والمقصد الأكبر والمباشر المرتبط بأحداث الدعوة، وشخصية الرسول ﷺ وسأل ابن عباس عن فهمه للمراد من هذه السورة في ذلك الوقت، فأجاب ابن عباس قائلاً: هو أجلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له، فأيد عمر كلامه، وقال: ما أعلم منها إلا ما تقول، ولم يعترض أشياخ بدر، ولم يتعصبوا لرأيهم، ولم يجادلوا إلا بالتي هي أحسن، وهذا من أدب المناظرات في المنهج الإسلامي، والحوار البليغ الهادف، والمجادلة بالتي هي أحسن، والإقناع بالحسنى، وبالدليل؛ هو ما يميز هذه المناظرة التي تعلمنا درسًا في أدب الحوار في الإسلام، وترشدنا إلى منهج الإسلام في تفضيل الرجال، وتقديمهم، والاستئناس بمشورتهم، والعمل بكلامهم.

وقيل إن عمر رضي الله عنه بعد أن سمع إجابة ابن عباس قال: كيف تلومونني عليه بعد ما ترون؟ وقيل إن ابن عباس قد شهد له النبي ﷺ بعد أن أدرك المقصود من هذه السورة وقت نزولها، وفهم أنها نَعْيٌ لرسول الله ﷺ فقال: لقد أوتى هذا الغلام علمًا كثيرًا.

وروى أنه لما نزلت هذه السورة خطب النبي ﷺ وقال: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار لقاء الله تعالى.

ويؤكد صاحب مفاتيح الغيب، على أن رأي ابن عباس رضي الله عنهما دقيق وصائب ويدلل على ذلك بعدة وجوه وهي:

أ- قال بعضهم إنما عرفوا ذلك ، لما رُوي أن الرسول ﷺ خطب عقيب السورة وذكر التخيير.

ب- أنه لما ذكر النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجًا دل ذلك على حصول الكمال والتمام، وذلك يعقبه الزوال، كما قيل:

إذ تم شيء دنا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تمّ

ج- أنه أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار مطلقًا، واشتغاله به يمنعه عن الاشتغال بأمر الأمة، فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل، وذلك يوجب الموت وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: السورة نعي لرسول الله ﷺ، وقال نُعيت إليه نفسه.

د- قوله تعالى: "واستغفره" تنبيه على قرب الأجل، كأنه يقول: قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للأمر، ونبهه به على أن سبيل العاقل إذا قرب أجله أن يستكثر من التوبة.

هـ- كأنه قيل له، كان منتهى مطلوبك في الدنيا هذا الذي وجدته، وهو النصر والفتح والاستيلاء، والله تعالى وعدك بقوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾[1]، فلما وجدت أقصى مرادك في الدنيا، فانتقل في الآخرة لتفوز بتلك السعادة الأبدية[2].

وثبت أن رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة كان يكثر من قوله: (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي)[3]، وفي رواية: (أستغفرك وأتوب إليك)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عباس رضي الله عنهما.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مشاورة أهل العلم.

ثالثًا: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم والأعراف الخاطئة عند الناس.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من وسائل الدعوة: البرهان والاستدلال.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: أدب الخلاف.

---

(١) سورة الضحى، آية: ٤.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، تفسير سورة النصر.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٤، ٢١٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عباس رضي الله عنهما:

لقد تميز ابن عباس رضي الله عنهما بمكانة عظيمة بين أصحاب رسول الله ﷺ، لا لكونه ابن عم رسول الله ﷺ فقط، وإنما أيضًا لعلمه وفقهه ودقته في الاستنباط، وما أكثر الشواهد على ذلك، ومنها استنباطه في هذا الحديث أن أجل رسول الله ﷺ قد دنا، وذلك من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: "إذا جاء نصر الله والفتح" "وذلك علامة أجلك..." قال الإمام الذهبي: ابن عباس هو حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير)[1].

وقد دل هذا الحديث على مكانته رضي الله عنه في فهم وتفسير كتاب الله تعالى فهو الذي ضمه النبي ﷺ إلى صدره وقال ((اللّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتابَ))[2] وقد دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم فقّهه في الدين وعلّمْه التأويل))[3].

(وقد عرف عمر بن الخطاب مكانة ابن عباس رضي الله عنهما في عالم الصحابة العلماء الفتيان، فكان - كما نرى في الحديث- يؤثره ويقرب مجلسه، وعمر كما نعلم من أكابر الصحابة العلماء، ومن أخيارهم، وحسبك بعمر شاهدًا على فضله وجلال قدره، كما كان يحضره مشاهِدَه مع الأكابر من ذوي شورا من أجلَّة الصحابة وأعيانهم.

لقد كان ابن عباس رضي الله عنهما من السابقين في العلم، والمُجلّين في الفهم، حتى بلغ به منزلة عليا شهد بمكانتها القاصي والداني والحاضر والبادي، بل ألقوا رحال علمهم امامه، وسلموا إليه زمام المسائل. قال عبد الله بن أبي الهذيل: أردن الخروج، فعلم بي أهل الكوفي، فجمعوا مسائل، ثم أتوني بها في صحيفة، فلما قدمت على ابن عباس رضي الله عنهما: خرج فقعد الناس فما زال يسألونه حتى ما بقي في صحيفتي شيء إلا سألوه عنه)[4].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣/٣٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٥٦.

(٣) أخرجه أحمد ١/٣١٤ رقم ٢٨٧٩، وقال محققو الإسناد: إسناده قوي على شرط مسلم ٥/٦٥.

(٤) انظر: علماء الصحابة رضي الله عنهم، د. أحمد خليل جمعة، ص ٣٠، ٥٧.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مشاورة أهل العلم:

يظهر ذلك في الحديث من مشاورة عمر رضي الله عنه لذوي الرأي من الصحابة رضي الله عنهم فيما أشكل عليه، وقد أمر الله تعالى نبيه بالشورى لتكون شرعة ملزمة لمن بعده، وقد جعلها الله ثمة صفة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1][2] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[3].

(فكان ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطبيبًا لقلوبهم؛ ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم، ومن ذلك مشاورته ﷺ لأصحابه يوم بدر في قوله: "أشيروا عليّ أيها الناس" فقالوا: (يا رسول الله لو استعرضت بنا عُرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك مقاتلون، وشاورهم - أيضًا- أين يكون المنزل؟ حتى أشار المنذر بن عمرو المعتق ليموت -بالتقدم إلى أمام القوم، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السَعْدَان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فترك ذلك.

وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

---

(١) سورة الشورى، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٣٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

وقال ﷺ في قصة الإفك: "أشيروا عليَّ معشر المسلمين في قوم أبنُوا أهلي ورموهم، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبَنُوهُمْ بمن -والله- ما علمت عليه إلا خيرًا")[١].

ومن عظيم مكانة الشورى في الإسلام أنه سميت سورة باسمها وفي ذلك بيان على أهمية هذا الأمر وعِظمه.

ثالثًا- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم والأعراف الخاطئة عند الناس:

هذا ما فعله الفاروق عمر رضي الله عنه في بيان أن العلم لا يكون مرتبطًا بالسن، بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء (وذلك عندما كان يدخل ابن عباس رضي الله عنهما على صغر سنه مع أشياخ بدر لمشاورتهم فوجد منهم الغضب على ذلك)[٢]، قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على أن فهم الرجل يلحقه بذوي الأسنان، وإن كان حدثًا وقد يبرز عليهم)[٣]. فحري بالداعية أن يصحح المفاهيم الخاطئة مقتديًا في ذلك بالنبي ﷺ، فقد كان ﷺ مصححًا للمفاهيم الخاطئة لدى أصحابه رضي الله عنهم ومن ذلك قوله ﷺ للصحابة: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[٤].

وقوله ﷺ: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))[٥] وقوله ﷺ: ((ليس الغنى، عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس))[٦]، وقد استفاضت الأدلة في ذلك، بما يؤكد أهمية قيام الداعية بتصحيح ما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٩/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٠٧/٨.

(٣) الإفصاح، عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٥١/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٥) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

(٦) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

كان من أفهام وأعراف خاطئة؛ حتى يكون المدعو على بصيرة من دينه.

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية الهامة في استحضار أذهان المدعوين ولفت انتباههم، فضلاً عن وضعهم في حالة استعداد فكريّ ونفسيٍّ لمعرفة ما يكون من إجابة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فعلى الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حدٍّ ممكن[1]، وهذا ما سلكه عمر رضي الله عنه في سؤال أشياخ بدر، وإجابتهم، وإجابة ابن عباس رضي الله عنهما.

خامسًا- من أساليب الدعوة: البرهان والاستدلال:

إن البرهان والاستدلال من الأساليب الدعوية التي يحتاجها الداعية في دعوته، وإن القرآن الكريم بيَّن تلك المنهجية العلمية التي ينبغي للداعية أن يسلكها، وذلك حينما طالب القرآن اليهود والنصارى أن يأتوا ببرهان على ادعائهم بأنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى فقال: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] ومن ثم فإن الداعية بحاجة إلى الإفادة من أسلوب البرهان والاستدلال، لأنه يساعد على تبليغ دعوته وإثباتها بما يؤكد وصولها إلى المدعو وهذا ما سلكه عمر رضي الله عنه وظهر من قول ابن عباس رضي الله عنهما "فما رأيت أنه دعاني يومئذٍ إلا ليُرِيَهُمْ".

سادسًا- من موضوعات الدعوة: أدب الخلاف:

(إن الخلاف أمر وارد نظرًا لاختلاف العقول والأفهام، فهو من طبيعة البشر أو من لوازم طبيعتهم)[3] وهذا ما ظهر من الحديث في اختلاف فهم الصحابة رضي الله عنهم لقوله

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١١١.

(٣) فقه الائتلاف قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي ، محمد محمد الخزندار ص ٢١.

تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ولكن هذا الخلاف تم في أدب جمّ من الصحابة رضي الله عنهم، فلم يؤد إلى شقاق أو خصام، بل تم في جو من الحب والود. وهذا من خلق الصحابة رضي الله عنهم وفقههم (لأنه قد يترتب على الخلاف فرقة وتناحر، ومتى تفرقت الأمة سهل على أي عدو أن يتحكم بالمسلمين ويذلهم، فالجماعة رحمة، والفرقة عذاب)[1].

وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا، فإن في الفرقة التناحر، وعندئذ يسهل على أي عدو أن يتحكم بالمسلمين ويذلهم[2]، يقول ابن تيمية عن تجربة أهل زمانة: وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشائخها وأمرائها وكبرائها، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرقوا فسدوا وهلكوا، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا)[3].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، ١٤/١٥٠-١٥١.

(٢) نظر: فقه الائتلاف، محمد محمود محمد الخزندار، ص ٢٥.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣/٤٢١.

الحديث رقم (١١٤)

١١٤- **الثالث:** عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: ما صلَّى رسولُ اللّه ﷺ صلاةً بعْد أنْ نزلَتْ عليْهِ ﴿إذَا جَاءَ نصرُ اللّهِ والْفَتْحُ﴾ إلاَّ يقول فيها: «**سُبْحانك ربَّنَا وبحمْدِك، اللّهُمَّ اغفِرْ لي**» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية الصحيحين عنها: كان رسول اللّه ﷺ يُكْثِر أنْ يَقُول فِي ركُوعِه وسُجُودِهِ: «**سُبْحانَكَ اللّهُمَّ ربَّنَا وَبحمْدِكَ، اللّهمَّ اغفِرْ لي**» يتأوَّل الْقُرآن[2].

معنى: «يتأوَّل الْقُرآنَ» أيْ: يعْمل مَا أُمِرَ بِهِ فِي الْقُرآنِ فِي قولِهِ تعالى: ﴿فَسبِّحْ بِحمْدِ ربِّكَ واستَغْفِرْهُ﴾.

وفي رواية لمسلم: كان رسولُ اللّه ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقولَ قبْلَ أنْ يَمُوتَ: «سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وبحمْدِكَ، أسْتَغْفِركَ وأتُوبُ إلَيْكَ».

قالت عائشةُ: قلت يا رسولَ اللّه! ما هذِهِ الكلِمَاتُ الَّتي أرَاكَ أحْدثْتَها تَقولها؟ قال: «جُعِلَتْ لِي علامةٌ فِي أمَّتي إذا رَأيتُها قُلتُها ﴿إذَا جَاءَ نَصرُ اللّهِ والْفَتْحُ﴾ إلى آخر السورة»[3].

وفي رواية له: كان رسولُ اللّه ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «**سُبْحانَ اللّهِ وبحَمْدِهِ. أسْتَغْفِرُ اللّه وَأتُوبُ إلَيْه**». قالت: قلت: يا رسولَ اللّه، أرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللّهِ وبحمْدِهِ، أسْتغْفِر اللّه وأتُوبُ إليْهِ؟ فقال: «**أخبرني ربِّي أنِّي سَأرَى علامَةً فِي أُمَّتي فَإذَا رأيْتُها أكْثَرْتُ مِن قَوْلِ: سُبْحانَ اللّهِ وبحَمْدِهِ، أسْتَغْفِرُ اللّه وَأتُوبُ إلَيْهِ: فَقَدْ رَأيْتُها: ﴿إذَا جَاءَ نَصرُ اللّهِ والْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مكَّةَ، ﴿ورأيْتَ النَّاس يدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أفْوَاجًا، فَسبحْ بحمْدِ ربِّكَ واسْتَغفِرْهُ إنَّهُ كانَ توَّابًا﴾**»[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٩/٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٢١٧/٤٨٤) ولفظهما سواء.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨/٤٨٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٠/٤٨٤).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يتأول القرآن: معنى "يتأول القرآن": أي يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[1].

الشرح الأدبي

إن البنيان النبوي كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ويأخذ بعضًا بحجز بعض.

وبين هذا الحديث والحديث السابق ترابط عضوي، واتفاق دلالي، وهما يندرجان في باب واحد وهو ، في الحث على الازدياد من الخير، والخير في هذا الحديث نقتبسه من سنة المصطفى ﷺ القولية والعملية، حيث يستجيب النبي محمد ﷺ لأمر خالقه بالتسبيح والتحميد والاستغفار، شكرًا لله عز وجل على نعمة النصر والفتح المبين.

وتقدم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ثمرة هذا الشكر على لسان المصطفى ﷺ في صيغة القصر التي تفيد الاستقصاء.. وطريق القصر هنا، النفي، في قولها: "ما صلى،... والاستثناء في قولها ، إلا يقول...".

وأسلوب القصر هنا تؤازره بلاغة الحذف.. لأن الكلمة التي يشع بها المفهوم ليس لها قيمة جمالية أو تأثيرية في المنطوق، والبيان النبوي يتسم بالإيجاز والإيحاء وعدم الحشو، والبعد عن التطويل، فقد حذف المفعول من قول عائشة رضي الله عنها: "ما صلى رسول الله ﷺ"، والتقدير صلاة، ولكن الحذف أكثر بلاغة وإيحاء... لأن فعل الصلاة يتضمن المعقول، والحدث يتضمن المحدث، وفي بعض الروايات وردت كلمة صلاة وقد تكون للتوضيح فهي مفعول مطلق يفيد التأكيد على الحدث، والتعبير بقولها "إلا يقول فيها" يفيد استمرار القول مع تكرار الحدث وهو الصلاة، لأن صيغة المضارع في "يقول" توحي

---

(١) رياض الصالحين ٩٦.

بذلك، ولفظ "فيها" يدل على أن هذا القول في داخل الصلاة، وليس قبلها أو بعدها، حيث كان النبي ﷺ، يقول ذلك في ركوعه وسجوده: "سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي".

وكلمة سبحانك تتضمن إيجازًا لأن تقدير الكلام، سبّحت سبحانك، ومادة السَّبح فيها معنى البعد، أي: أن العبد ينزه ربه ويبتعد به عما لا يليق به من كل نقص، وإضافة سبحان إلى كاف الخطاب الموجه لله عز وجل تدل على شرف العبودية، والاحتماء بعزة الله عز وجل.

والنداء في قوله: "ربنا" حذف منه حرف النداء للإحساس بالقرب من الله عز وجل، وصيغة الجملة في هذا النداء "ربنا"، ترشد إلى أن هذه الصيغة من خصائص الدعاء لدى الأمة كلها، وأن هذه الصيغة يجب اتباعها اقتداء بسنة المصطفى ﷺ وقوله "وبحمدك"، فيه إيجاز كذلك لأن الواو للحال، أو للعطف، أو زائدة، وفي كل نوع للواو يكون توجيه المعنى، وكله صحيح ودال على المراد.

وقيل: قُدِّم التسبيح على التحميد؛ لأن التسبيح تنزيه عن النقائص، التحميد ثناء بصفات الكمال، والمغفرة ثمرتها المرجوة.

فقه الحديث

١- الدعاء في السجود: الحديث دليل على جواز الدعاء في الركوع كان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن وقد ترجم البخاري على هذا الحديث في صحيحه باب الدعاء في الركوع[1]. قال ابن حجر: (قيل: الحكمة في تخصيص الركوع بالدعاء دون التسبيح أن الحديث واحد أنه قصد الإشارة إلى الرد من كره الدعاء في الركوع كمالك، وأما التسبيح فلا خلاف فيه، فاهتم هنا بذكر الدعاء لذلك، وحجة المخالف الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية ابن عباس مرفوعًا، وفيه ((فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما

---

(١) الحديث ٧٩٤ الباب ١٢٣.

السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم))[١] لكنه لا مفهوم له، فلا يمتنع الدعاء كما لا يمتنع التعظيم في السجود، وظاهر حديث عائشة رضي الله عنها أنه كان يقول هذا الذكر كله في الركوع وكذا السجود)[٢].

٢- ما يقال في الركوع والسجود: قال النووي: (مذهبنا [أي المذهب الشافعي] ومذهب الأوزاعي وأبي حنيفة والكوفيين وأحمد والجمهور: استحباب تكرير سبحانه ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود، وقال مالك: لا يتعين ذكر الاستحباب)[٣].

٣-التسبيح في الركوع والسجود: قال النووي: (اعلم أن التسبيح في الركوع والسجود سنة غير واجبه، هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي والجمهور، وأوجبه أحمد وطائفة من أئمة الحديث لقوله ﷺ: ((فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل))[٤] ولقوله ﷺ: ((صلوا كما رأيتموني أصلي))[٥] وأجاب الجمهور بأنه محمول

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٩/١ ط/ بيت الأفكار، وجاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٣/٢٣: ذهب المالكية إلى كراهة الدعاء في الركوع، وذهب الشافعية إلى استحباب الدعاء في الركوع، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١١/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٦٥/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٢٧ ، وجاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٢/٢٣: وذهب المالكية إلى أن التسبيح في الركوع مندوب بأي لفظ كان، والأولى سبحان ربي العظيم وبحمده أهـ، وانظر: مراجع الموسوعة، الدر المختار ٣٣٢/١، ومراقي الفلاح، وحاشية الطحطاوي عليه ١٤٤، ١٤٥، وجواهر الإكليل ٥١/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٢٠٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٦٤/١، ١٦٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١١/٣، ٤١٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٣٤٧/١، والمغني، ابن قدامة ٥٠١/١، ٥٠٣.

(٤) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣١.

على الاستحباب، واحتجوا بحديث المسيء صلاته فإن النبي ﷺ لم يأمر به ولو وجب لأمره به)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الامتثال لأمر الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والاستغفار.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستفسار عما أشكل عليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: علم النبي ﷺ بدنو أجله.

سادسًا: من صفات الداعية: القدوة الحسنة.

أولاً- من أساليب الدعوة: أسلوب القصر:

من أساليب الدعوة أسلوب القصر، ويظهر هذا الأسلوب في استخدام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لفظ (ما) ثم لفظ (إلا) وقد دل هذا الأسلوب على أن رسول الله ﷺ بعد نزول ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[٢] ما صلى صلاة إلا قال فيها: "سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"، حيث امتثل لأمر ربه وكان مداومًا على ذلك لا يتركها في صلاة من صلواته.

ثانيًا- من صفات الداعية: الامتثال لأمر الله:

من صفات الداعية الحق الامتثال لأمر الله أولاً، ثم دعوة الناس إلى ذلك، لأن من أهم ما يؤثر في المدعو استشعاره للقدوة في الداعية؛ لأن الناس من شأنهم النظر في

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٨٥ ، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/٢٤ ومراجعها، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤١٠/٣، والبدائع ١٦٢/١، وحاشية ابن عابدين ٣١٢/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني ١٦٩/١، وحاشية العدوي ٢٣٧/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد النفراوي المالكي ٢١٠/١، والمغني، ابن قدامة ٢١٠/١.

(٢) سورة النصر، آية: ١.

أعمال وسلوكيات من يدعوهم إلى الخير، فإن وجدوا فيها وقوفًا عند حدود الله وما يدعون إليه فإن ذلك يكون باعثًا على الاتباع، أما الأخرى فيهم لا يلقون للأقوال بالاً، ولا يعيرون أي اهتمام[1]، لذا فإنه على الداعية أن يمتثل لأمر الله ويلتزم بتعاليمه ويستقيم على منهجه، ويظهر الامتثال لأمر الله في هذا الحديث في حرص النبي ﷺ بعد نزول سورة (النصر) والأمر الذي ورد فيها بالتسبيح والتحميد على مداومة التسبيح والتحميد والاستغفار.

فإن في الامتثال لأمر الله تعالى والاستجابة له الحياة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[2] والمراد بالاستجابة: الطاعة والامتثال، "لما يحييكم" من علوم الديانات والشرائع، لأن العلم حياة، كما أن الجهل موت، قال الشاعر:

لا تعجبن الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن[3]

وقال السعدي: (في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم، وهو الاستجابة لله وللرسول ﷺ أي الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والاستغفار:

حرص النبي ﷺ على مداومة التسبيح والتحميد والاستغفار، وكذلك حثه عليهم يدل على فضلهم، فعن سعد بن وقاص قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ص ٢٦٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) مدارك التنزيل، النسفي، ص ٤٠٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٨.

علمني كلامًا أقوله. قال: "قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحانه الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم" قال: فهؤلاء لربي، فما لي. قال: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1] وقال ﷺ "استكثروا من الباقيات الصالحات" قيل وما هن يا رسول الله؟ قال: ((التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوّة إلا بالله))[2].

وقال ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...))[3].

والاستغفار سبب لحصول الخيرات ونزول البركات، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[4].

خامسًا- من واجبات المدعو: الاستفسار عما أشكل عليه:

إن من واجبات المدعو الاستفسار عن الشيء الذي أشكل عليه ولم يدر سبب استحداثه، أو لما فعله الداعية، وهذا ما فعلته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ عندما قالت: (قلت: يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أحدثتها تقولها؟) لأن استفسار المدعو عما أشكل عليه يعمل على إثراء العملية الدعوية، ويُجد نوعًا من التواصل بين الداعية والمدعو، ويعطي برهانًا على اهتمام المدعو بما يسمعه، ويؤكد على حرصه على فهم أمور دينه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: علم النبي ﷺ بدنو أجله:

من الأمور التي دلت على دنو أجل الرسول ﷺ نزول سورة (النصر) وعرف الرسول

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٢) أخرجه أحمد ٧٥/٣ رقم ١١٧١٣ وقال محققو المسند حسن لغيره ٢٤١/١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠، ١١، ١٢.

ﷺ ذلك فكان يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار، وعندما سئل عن ذلك قال ((جعلت لي علامة في أمتي إذا رأيتها قلتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى آخر السورة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما (أن عمر سألهم في قوله تعالى ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل: أو مثل ضُرِب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه)[1].

وعن سعيد بن جبير (عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر.... قال: ما تقولون في قوله الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا: قال فما تقول؟ قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح -وذلك علامة أجلك- فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا...)[2].

نزلت سورة النصر في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع[3]. فكان ذلك مما أعلمه بدنو أجله ﷺ.

وقال ابن رجب: (أول ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة "إذا جاء نصر الله والفتح". وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل كان يعلم رسول الله ﷺ متى يموت؟ قال: نعم. قيل: ومن أين؟ قال: إن الله تعالى جعل علامة موته في هذه السورة: "إذا جاء نصر الله والفتح"، يعني فتح مكة "ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا"، ذلك علامة موته، وقد كان نعى نفسه إلى فاطمة رضي الله عنها.

فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد، إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجًا فقد اقترب أجلك، فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار،

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٦٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٧٠.

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني، في فتح الباري، ابن حجر ٦٠٨/٨ وعزاه لأبي يعلى.

فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله ﷺ نفسه، فأخذ في أشد ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة)[1].

وكان يعرض القرآن على جبريل مرة، فعرضه ذلك العام مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنا كنا أزواجَ النبيِّ ﷺ عندَهُ جميعاً لم تُغادر منا واحدة، فأقبلَتْ فاطمة عليها السلام تمشي، لا واللهِ ما تخفى مِشيتها من مِشيةِ رسول الله ﷺ. فلما رآها رحَّبَ قال: مرحباً بابنتي، ثم أجلَسَها عن يمينه - أو عن شمالهِ- ثمَّ سارَّها، فبكت بكاءً شديداً ، فلما رأى حُزنها سارَّها الثانية. فإذا هي تضحك. فقلت لها -أنا من بين نسائه- خَصَّك رسولُ الله ﷺ بالسرِّ مِن بيننا ثم أنتِ تَبكين. فلما قام رسولُ الله ﷺ سألتها عما سارَّكِ؟ قالت: ماكنتُ لأفشِيَ على رسول الله ﷺ سرَّه، فلما تُوُفِّيَ قلت لها: عزَمتُ عليكِ ـ بما لي عليكِ منَ الحقّ ـ لما أخبرْتني. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرَتْني قالت: أما حينَ سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أنَّ جبريلَ كان يعارضه بالقرآن كلَّ سنةٍ مرَّة، وإنه قد عارَضني به العامَ مرَّتين، ولاأرى الأجلَ إلا قدِ اقترب، فاتقي اللّهَ واصبري، فإني نعمَ السلَفُ أنا لكِ. قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيت. فلما رأى جَزَعي سارَّني الثانيةَ قال: يا فاطمة ألا ترضَينَ أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين؟ أو سيدة نساء هذه الأمة))[2].

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان كل عام، فاعتكف في ذلك العام عشرين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنه كان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين))[3].

---

(١) انظر: لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ١٩٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٨٥، ومسلم ٢٤٥٠.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٣٦ رقم ٨٤٣٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط البخاري ١٤/١٥٥.

سابعًا- من صفات الداعية: القدوة الحسنة:

القدوة الحسنة من أهم وسائل الدعوة إلى الله وأكثرها فاعلية؛ يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

قال السعدي: الأسوة نوعان أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ فإن المتأسي به، مالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة كقول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[2]. وإن الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر. فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ[3].

فالقدوة الحسنة تنطبق على من يتبع ما جاء به محمد ﷺ. وطبقًا لذلك يكون متبوعًا في كلامه وأفعاله، ويكون متبوعًا إما لسبب تفوق بعلم أو بعبادة أو لقدمه في طريق الحق، وكلها تندرج تحت إتباع الرسول ﷺ وعلى مقدار الأتباع تزداد نسبة الإتباع أو تنقص[4].

وتظهر أهمية القدوة للداعية في الاقتداء بالنبي ﷺ الذي عندما علم بدنو أجله ونزلت سورة "النصر" وأُمر بالتسبيح والتحميد والاستغفار كان أول من لبى الأمر وداوم على التسبيح والتحميد والاستغفار فكان قدوة للأمة عامة وللدعاة خاصة.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٢٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٠٩.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ١/ ٢٠، ٢١.

الحديث رقم (١١٥)

١١٥- **الرابع:** عن أنسٍ ﷺ قال: إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ تَابعَ الوحْيَ على رسول اللّه ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ، حتَّى تُوُفِّي أكْثَرَ مَا كَانَ الْوَحْيُ. متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تابع الوحي: أي أكثر إنزاله[2].

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث، أنس بن مالك ﷺ وهو من أكثر الصحابة قربًا من النبي ﷺ، وهو لا يقدِّم موعظة، ولا يحدد قواعد شرعية، ولكن الحديث يوضح حقيقة أصولية لها في تاريخ الإسلام تأثير قوي.. وهى اكتمال عقد الدعوة الإسلامية وعدم انقطاع الوحى إلا بعد أن أكملت جوانب الشريعة، وتمت معالم العقيدة، ويتضح ذلك في قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[3]، وقيل إن معنى إكمال الدين في هذه الآية التي لم تكن آخر آية أنزلت، أي إكمال أحكامه، وحلاله وحرامه، فلم ينزل بعدها شيء من الفرائض والتحليل والتحريم، وقيل: إن ما نزل بعدها: إنما هو من آيات الوعظ والتقدير لما سبق من الأحكام، لا لإنشاء أحكام جديدة[4].

والحديث موجز ويصاغ في جملة واحدة تبدأ بالتأكيد دلالة على صدق الحدث وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٢)، ومسلم واللفظ له (٣٠١٦/٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٤/٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣ .

(٤) انظر: المختار من كنوز السنة المحمدية، د. محمد عبدالله دراز، ص ١، ٣.

تتابع الوحى وكثرته قبيل وفاته ﷺ، وذلك حتى لا يبقى شيء من التعاليم الإلهية لم يبلّغ به النبي ﷺ، ولم يبلغها إلى أمته، وإلى الناس كافة.

وفي الحديث ألفاظ مشعة تنسق إشعاعاتها مع جو الحديث وفضائه المفعم بالجلال والجمال، ومن هذه الكلمات المشعة بالجلال، لفظ الجلالة "الله" وبعده فعلان هما "عز وجل"، وهما مناسبان: لأنه لا يوحي إلا الله عز وجل، فالفعل "عز" معناه غلب فلا يغالب على مراده، ومن أقدر من الله! ومن أعز من الله! يقدر على إنزال جبريل، وإرسال الرسل، وتكليف الرسل بالرسالات، والفعل، "جل" يرشد إلى أننا لا ننسب إلى الله تعالى ما لا يليق بشأنه، ولا نكذب بالرسل، ولا ندعي عليهم، ولا نتشكك في الوحى؛ وللوحى دلالة في اللغة ودلالة في الشرع.

فالوحى: اسم مصدر بمعنى الإيحاء أو الشيء الموحى به، والإيحاء لغة هو: الإعلام بالشيء سرًا، ولذلك كانت الكناية والإشارة والرمز والكلام الخفي كل ذلك يسمى وحيًا.

وإذا أطلق الوحى في لسان أهل الشرع انصرف ذلك إلى الوحى الصادر من الله تعالى، الوارد إلى الأنبياء، فهو أخص من المعنى اللغوي، بخصوص مصدره ومورده.

والوحى الشرعي بكل أنواعه يصاحبه علم من الموحى إليه بأن ما ألقى إليه حق معصوم من عند الله تعالى، ليس من خطرات الأوهام، ولا من نزغات الشيطان، وهذا العلم يقيني ضروري، لا يخالجه شك ولا يتولد من مقدمات[1]. ولنتأمل هذا الجلال الذي يغمر هذا الحديث الشريف الذي يرويه الفاروق عمر واصفًا صورة من صور الوحي، وهو ما يحصل بمحادثة الملك للرسول ﷺ غير متمثل في صورة بشرية، يقول عمر رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ إذا نزل الوحي مجمع عند وجه كدوي النحل، فأنزل عليه يومًا، فمكثنا ساعة فسرى عنه، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وأرض عنا ..."

---

(١) انظر: المرجع السابق ١، ٣.

الحديث[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تتابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: كثرة نزول الوحي قبل وفاة الرسول ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب التوكيد حيث أكد أنس رضي الله عنه بقوله (إن الله) ثم أخبر بعد ذلك بتتابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ، وهذا يدل على حرص أنس بن مالك رضي الله عنه على التوكيد والإخبار عن ذلك. وأسلوب التوكيد والإخبار من الأساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يستعمل أسلوب التوكيد في الأمر الذي يريد الداعية أن يخبر به المدعوين، وفي هذا الحديث أراد أنس رضي الله عنه أن يؤكد ويخبر بتتابع الوحي على النبي ﷺ قبل وفاته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تتابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته:

إن الله عز وجل اصطفى من خلقه أنبيائه وأنزل عليهم كتبه وشرائعه بواسطة وحيه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٢] إلا أن الله عز وجل شاء أن يميز نبينا محمدًا ﷺ على الأنبياء جميعهم فختمهم به، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[٣].

وكان الله عز وجل ينزل الكتب على الأنبياء جملة وأنزل القرآن على نبيه ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

منجمًا، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[1] أي أنزلناه شيئًا بعد شيء لا جملة واحدة، إذ أنزله الله "على مكث" أي تطاول في المدة شيئًا بعد شيء، "ونزلناه تنزيلا" مبالغة وتأكيد بالمصدر المتقدم أي أنزلناه نجمًا بعد نجم[2].

والحديث الشريف الذي معنا ويؤكد أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة وإنما نزل متتابعًا، "إن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ..." أي والي، أي الشيء بعد الشيء، وقال ابن حجر: (إن الله تابع على رسوله ﷺ الوحي قبل وفاته: أي أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ، والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة قد كثرت وكثُر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك)[3].

وكذلك كثر نزول الوحي قبل وفاة النبي ﷺ ليتم الله دينه ويكمل نعمته ويبلغ كامل شريعته للمسلمين قبل أن يقبض رسول الله ﷺ. قال تعالى بعد أن أتم ما أراد من تبليغ الرسالة ونصره الإسلام ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: كثرة نزول الوحي قبل وفاة الرسول ﷺ:

إن من تاريخ الدعوة إلى الله: كثرة نزول الوحي قبل وفاة الرسول ﷺ، لقد كان نزول الوحي في مدة بعثته ﷺ التي استغرقت ثلاثة وعشرون عامًا متتابعًا كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بُعثَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجرَ عَشرَ سنينَ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين))[5] ولكن قبل وفاة النبي ﷺ تتابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٠٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/١٨٧، ١٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٦٢٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩٠٢.

أكثر ما كان عليه الوحي كما أخبر أنس بن مالك في الحديث الذي معنا.

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كان يَعرِضُ على النبيِّ ﷺ القرآنُ كلَّ عام مرَّةً، فعرض عليه مرَّتَين في العام الذي قُبِضَ فيه، وكان يعتكِفُ في كلِّ عامٍ عشرًا، فاعتكَف عِشرين في العام الذي قُبض فيه))[1].

ولقد كان نزول الوحي وتتابعه من المسائل المؤثرة في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ إذ أن الرسالة لما أوشكت على التمام وكملت الرسالات وتم الدين كثر نزول الوحي وتتابع على رسولنا ﷺ تأنيسًا له وتكريمًا وإعلاء لشأنه وتعظيمًا ورحمة للأمة وللخلق أجمعين، حيث تكاثرت البركات الإلهية والتوجيهات الربانية، وكأنما كان الوحي يودع الدنيا ويواسيها في مصابها الأليم، حتى توفي الرسول ﷺ فانقطع الخير وذهب الهناء ولم يبق من ضياء إلا ما تركه من سنته الشريفة القائمة مقامه والمبلغة رسالته، من استنار بها نجا ومن تنسم عبيرها حظي ببركته ﷺ[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ١١٠.

الحديث رقم (١١٦)

١١٦- **الخامس:** عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُبْعثُ كُلُّ عبْدٍ على ما مَاتَ عليْهِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث النبوي الشريف يُدرجه صاحب رياض الصالحين في ختام باب، "في كثرة طرق الخير والحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر".

وهو يتضمن بشارة وتحذيرًا، فالبشارة لكل عبد مؤمن مات وهو متلبس بطاعة الله عز وجل عبادة وقولاً وسلوكًا ونية صالحة ، والتحذير لكل عبد عاصٍ غافل عن طرق الخير لاهٍ، ومنصرف إلى شواغل الحياة. ولا يدري بأى أرض يموت ولا في أى ساعة يأتيه الأجل، والحديث قليل في مبناه كثير في معناه، فهو جملة لغوية واحدة، ولكنها تموج وتشع بجماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي ، فبناء الفعل لمجهول في قوله: "يُبْعث" إرشاد إلى أن البعث بيد الله عز وجل فهو معلوم عند أولي الألباب، ولا يجهل ذلك إلا من لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، فهم في جهلهم كالأنعام بل هم أضل، وأولئك هم الغافلون.

وقوله "كل عبد" فيه إيجاز وتكثيف: لأن هذا القول يشمل كل من خلقهم الله من الناس أجمعين فهم عبيد الله، وهم جميعًا ذكورًا وإناثًا مسؤولون عما كلفهم الله به، ولنتأمل هذه الصورة المتماوجة بالملايين من أنواع البشر الذين يموتون، كل على وضع وحال يخالف وضع الآخر، وكل بقدرة الله عز وجل، يبعث على ما مات عليه، ففي الحديث، كما يقول العلماء، تحريض للإنسان على حسن العمل، وملازمة السنة

---

(١) برقم (٢٨٧٩/٨٤).

المحمدية في سائر الأحوال، والإخلاص لله تعالى في الأقوال والأعمال ليموت على تلك الحالة الحميدة فيبعث كذلك[١].

فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين؟ وانظر إلى نفسك - كما قال صاحب إحياء علوم الدين- بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين، ولما حضرت معاذًا الوفاة قال: "اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجْري الأنهار، ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلَق الذِّكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته : واحزناه، فقال: بل: واطرباه! غدًا نلقي الأحبة: محمدًا وحزبه.

وقال أبو بكر وهو يحتضر حينما دخل عليه سلمان الفارسي وقال ياأبا بكر، أوصنا فقال: إنا الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك.

وقال ﷺ مؤكدًا المراد من هذا الحديث الذي نحن بصدده، "إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية، إن كان من أهل الجنة فمن الجنة، وإن كان من أهل النار فمن النار، ويقال: هذا مقعدك، حتى تبعث إليه يوم القيامة"[٢]، فاللهم ابعثنا على الإسلام والإيمان والإحسان، واجعلنا من أهل الجنة والغفران.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المداومة على فعل الطاعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقرير حقيقة البعث.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حث المسلم على ملازمة الطاعة والحذر من المعاصي.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٧٩، ومسلم ٢٨٦٦.

أولاً- موضوعات الدعوة: المداومة على فعل الطاعة:

إن المسلم بحاجة إلى المداومة على الطاعات، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن لأنه لا يدري متى يدركه الموت، ومن ثم فإن الإنسان بحاجة إلى استشعار مراقبة الله تعالى له. قال ﷺ ((اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))[١] وعلى المسلم ذكر الموت، وذكر لقاء ربه، وقد أوصى النبي ﷺ بكثرة ذكر الموت فقال: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ يَعْنِي الْمَوْتَ))[٢].

وأمر بعدم التأني في طاعة الله فقال ﷺ ((التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ، إِلاَّ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ))[٣] أي أن التأني في كل شيء إلا في عمل الآخرة ففي تأخير الخيرات آفات[٤].

وقد حثّ النبي ﷺ على المداومة على الطاعات فقال: ((... وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ))[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ جوامع الكلم:

إن من الأشياء التي خص الله بها رسوله ﷺ جوامع الكلم، قال ﷺ ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ...))[٦].

أي: أن كلامه ﷺ قليل اللفظ كثير المعاني[٧].

وسياق هذا الحديث يدل على أن الرسول استخدم فيه جوامع الكلم حيث استخدم القليل من الألفاظ للدلالة على الكثير من المعاني التي تحتاج إلى تفصيل فذكر أن

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٢٥).

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨٦.

(٥) أخرجه مسلم ٧٨٢.

(٦) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٠٣.

العبد يبعث على ما يموت عليه، لذا ينبغي للداعية أن يفيد في دعوته من منهج النبي ﷺ من خلال الإيجاز والتركيز وعدم الإطناب، حتى يستطيع المدعو تكوين صورة ذهنية عن الموضوع الذي يتناوله الداعية.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقرير حقيقة البعث:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يبعث كل عبد على ما مات عليه".

والبعث للدار الآخرة في يوم الجزاء حقيقة مقررة، وستوضع موضع التنفيذ إذا جاء أجلها المحدد في علم الله، فالبعث أمر واقع لا محالة، ستعود فيه الحياة التي بليت ورَمَّت، وليس ذلك ببعيد ولا مستغرب على قدرة الله الذي خلق السماوات والأرض؛ وخلقهن أكبر من خلق الناس!!

أو ليس الذي ابتدع خلق الإنسان على غير مثال سبق، بقادر على إعادة كل فرد من أفراد نوعه، بعد موته وفناء جسده؟! بلى إنه لقادر[1].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[2].

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ولذا فإن قضية البعث والإيمان بها من أهم أركان الإيمان التي يقوم عليها بناء العقيدة بعد قضية وحدانية الله تعالى، والإيمان بما في اليوم الآخر وعلاماته من الإيمان بالغيب، الذي لا يدركه العقل، ولا سبيل إلى معرفته إلا بالنص عن طريق الوحي، وقلَّ أن تمر على صفحة من القرآن، إلا وتجد فيها حديثًا عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب[3].

رابعًا- من أهداف الدعوة: حث المسلم على ملازمة الطاعة والحذر من المعاصي:

إن حسن خاتمة العبد فضل عظيم ينعم الله عز وجل به على من رضي من عباده، ومن أراد له السعادة في الآخرة، وذلك لأن بعض الناس قد يحرصون على الطاعة، ثم

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٦٥١.

(٢) سورة الحج، آية: ٧.

(٣) أشراط الساعة، د. يوسف عبدالله يوسف الوابل ص ٢٧.

يعتريهم التقصير فينغمسون في المعاصي، ولا يدرون كيف تكون النهاية، وقد بيّن النبي ﷺ أهمية ملازمة الطاعة والحذر من المعاصي، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه وقلوب العباد بين أصبعي الرحمن يقلبها كيف يشاء؛ فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رَسولُ الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقولَ: يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَم، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ))[1]. ومما يبعث على الحذر من المعاصي ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((... إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ. حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَيَدْخُلُهَا))[2]. وهذا الحديث تصريح بأن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة[3].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

التجارب خير زاد للإنسان في هذه الحياة، وكلما طال العمر كلما كثرت التجارب والمشاهدة، والعاقل من يعتبر بغيره، ومن بلغ الأربعين فقد بلغ أشده، ومن أدرك الستين فقد انتفى عذره، ومن جاوزها إلى الثمانين فقد تجاوز الاعتذار. لهذا بيّن الرسول ﷺ حال الناس إذا طالت بهم الحياة ونص على أن خيرهم من يوظف عمره في طاعة ربه ويحسن عمله، وقد جعل الرسول ﷺ من نفسه قدوة، حين أكثر من الاستغفار والتوبة، وأخذ من القرآن ما أمر أن يأخذ به "فسبح بحمد ربك واستغفره". ولا يكتفي في هذه الفترة أو غيرها بالعمل، بل لا بد من حسن الظن والاعتقاد، فالمرء يبعث على ما مات عليه، ويمكن توظيف ذلك تربوياً فيما يلي:

أولاً- التربية على الازدياد من الخير، وخاصّة في أواخر العمر:

إن أحاديث الباب التي ساقها النووي ترشد إلى أنه ينبغي على الإنسان أن يزداد من الخير والعمل الصالح في حياته، وبخاصة في أواخر حياته وعمره، فإذا كان الإنسان عليه أن يجعل يومه خيرًا من أمسه وغده خيرًا من يومه، فإنه أحوج ما يكون إلى ذلك في أواخر عمره: وقت الخاتمة والنهاية، لأن الأعمال بالخواتيم والاعتبار بها. فإذا حسنت الخاتمة كان هذا رجاء في صلاح ما قبل الخاتمة، ونحن نرى في التربية على الازدياد من الخير وبخاصة في أواخر العمر من الفوائد ما لا يخفى، من ذلك:

أ- جعل الحياة حلقاتٍ متواصلة من العمل النافع والفعل الصالح، فإذا كان الصِّبا للتعلم والتدرُّب واكتساب المهارات والخبرات، وإذا كان الشباب وقت العمل والاجتهاد والكدّ والسعي وإثبات الذات، فإن كبر السنّ لا يكون منفصلاً عما سبقاه ولا منقطعًا بل وثيق الصلة بهما متين العلاقة، فهو مرحلة أيضًا للعمل والاجتهاد، وليس هذا فحسب بل إنه أيضًا يكون مميزًا بشدة السعيّ وقوة العزم وصدق الاجتهاد والجدّ، لا يمنعه عن ذلك مرض أو كبر أو غير ذلك من العوائق، وهكذا تكون حياة الإنسان حلقات متواصلة من التميز والمثابرة والاجتهاد، وحياة بهذه الصفة حياة نافعة مثمرة طيبة

يزداد بها الخير، ويقلّ بها الشرّ.

ب- الشيوخ هم من عركتهم الحياة وعركوها وخبروا الحياة وخبروها، واجتازوا مراحلها المختلفة واكتسبوا من الخبرات أثمنها ومن المهارات أفضلها ومن القدرات أحسنها، لذا كان لهم من المكانة عند الشباب والفتيان ما لهم، فعيونهم معلّقة بهم يراقبونهم ويتطلعون إلى أفعالهم، وتأخذهم الرغبة العارمة في الاقتداء بهم. فإذا رأوهم على صلاح حاولوا أن يكونوا مثلهم، وإذا رأوهم على غير ذلك تأثروا بهم وفعلوا أفعالهم.

ومن هنا كان حرص الشيوخ على الازدياد من العمل الصالح لا يعود عليهم بالنفع فحسب، بل يتعدَّى أيضًا إلى غيرهم من الشباب والفتيان الذين يرغبون في أن يجعلوهم قدوة لهم، يسيرون على منوالهم ويخطون على طريقهم.

ثانيًا- من مهام المربي: إفساح المجال أمام الشباب الواعد:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كان عمر رضي الله عنه يُدْخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وَجَد [أي غضب] في نفسه، فقال: لِم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه من حيث علمتم". وفي هذا دلالة واضحة جلية على إفساح عمر بن الخطاب رضي الله عنه المجال لابن عباس رضي الله عنهما ذلك الشاب النابه، أن يحضر مجلس مشورته حيث أكابر الصحابة رضي الله عنهم، ويدلي برأيه مع رأيهم، ويُشير كما يشيرون، ويبدي وجهة نظره كما يبدون، ونحو ذلك.

وفي هذا حثٌّ لأهل التربية وغيرهم أن يهتموا بالشباب، وخاصة النابغ والنابه منهم، حتى يكونوا على أتمِّ الاستعداد لأن يتسلموا الراية من آبائهم، فيقوموا بها خير قيام ويضطلعوا بها خير اضطلاع، فيزيدوا إنجازات السابقين عليهم ويضيفوا إليها، لا أن يكونوا عبئًا وكلاً عليها.

ولعل ما يؤكد ذلك أن الأمم المتقدمة هي التي تحرص أشد الحرص على إعداد الشباب للمهام الجسام والحرص على تولية النابهين منهم ما يناسبهم من مسؤوليات ومهام، ولا يكون ذلك حكرًا على الشيوخ وكبار السنّ الذين رضوا بما هم فيه بل

وحاربوا كل محاولة للتغيير نحو الأصلح والأنفع، فتجد لهذا الأمم المتقدمة حيّة تتواصل فيها الأجيال تواصلاً مفيدًا، فتجد الكبار يعطون خبراتهم الثمينة إلى هؤلاء الشباب، الذين بدورهم يكونون حريصين أشد الحرص على أن يكونوا سواعدهم اليمنى في تنفيذ خططهم وبرامجهم، تجد الراية تنتقل من جيل إلى جيل بسلاسة ويسر، وكل جيل يبني إلى ما سبق من بناء. وبهذا تتقدم الأمم وتتكون القيادات المؤثرة والقدوات الصالحة والنماذج المبهرة.

والخلاصة أنّه على أهل التربية أن يتعهدوا الشباب النابهين النابغين، ويفسحوا المجال لهم لإبراز قدراتهم ويحققوا إنجازاتهم.

ثالثاً- التربية على الامتثال لأوامر القرآن الكريم:

قالت عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن.

ومعنى: يتأول القرآن أي يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾[1].

وفي رواية لمسلم: "كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه" قالت: قلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه. فقال: أخبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب، فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

أي أن النبي ﷺ كان يعمل بما أمره الله به في القرآن الكريم فيقف عند حدوده، فما كان من أمر عمله وما كان من نهي انتهى عنه وتركه.

---

(١) سورة النصر، آية: ٣.

وفي هذا حثّ لأهل التربية والمربين أن يربوا أتباعهم على ذلك، فيقفوا عند كتاب الله تعالى، وأن يتصفوا كما اتصف السلف الصالح بأنّهم وقّافون عند كتاب الله، كما ثبت في وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((كَانَ وقّافًا عند كتاب الله تعالى))[1]. ولو نجح أهل التربية في ذلك وجعلوا من يقومون بتربيتهم وقّافين عند كتاب الله سبحانه وتعالى، لكان في ذلك كل الخير لهم ولغيرهم، وذلك أن كتاب الله إنما نَزَلَ ليطبق في دنيا الناس ويحكم عليهم وعلى أفعالهم، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2].

رابعاً: ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ندرك تربوياً وتعليمياً ما يلي:

جواز جلوس الصغير مع الكبير في مجلس العلم.

جواز إظهار السبب الذي دعا ولي الأمر إلى اتخاذ القرار الذي لم يعتده الناس.

الإسلام لا يعرف الطبقية الاجتماعية، وقضى على تقاليد الجاهلية، فلم تكن تأذن بجلوس الصغير مع الكبير فضلاً عن أن يتكلم حضورهم.

ليس بلازم أن يجيب الإنسان عن كل سؤال طرح أمامه، فمن توفر عنده علم أجاب، ومن لم يتوفر عنده علم يمسك وينتظر الإجابة.

التدافع في الإجابة غير محبب، وذلك لإعطاء الفرصة للآخرين ليتكلموا بما ظهر لهم، ثم يكون التعقيب على الإجابة.

على المعلم أن يكون على الإجابة الصحيحة من بين الإجابات المطروحة، وذلك في قول عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٤٢، ٧٢٨٦.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٩.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٤-باب الصدق	٥
الحديث رقم (٥٤)	٥
الحديث رقم (٥٥)	١٦
الحديث رقم (٥٦)	٢٩
الحديث رقم (٥٧)	٤٥
الحديث رقم (٥٨)	٥٢
الحديث رقم (٥٩)	٦٤
٥-باب المراقبة	٧٧
الحديث رقم (٦٠)	٩٢
الحديث رقم (٦١)	٩٢
الحديث رقم (٦٢)	١٠٤
الحديث رقم (٦٣)	١١٣
الحديث رقم (٦٤)	١١٨
الحديث رقم (٦٥)	١٢٢
الحديث رقم (٦٦)	١٣٨
الحديث رقم (٦٧)	١٤٦
الحديث رقم (٦٨)	١٥٤
٦-باب التقوى	١٦٥
الحديث رقم (٦٩)	١٦٥
الحديث رقم (٧٠)	١٧٣
الحديث رقم (٧١)	١٨٣
الحديث رقم (٧٢)	١٩١
الحديث رقم (٧٣)	٢٠٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
٧-باب اليقين والتوكل	٢١٧
الحديث رقم (٧٤)	٢١٧
الحديث رقم (٧٥)	٢٣٣
الحديث رقم (٧٦)	٢٤٢
الحديث رقم (٧٧)	٢٤٩
الحديث رقم (٧٨)	٢٥٤
الحديث رقم (٧٩)	٢٦٢
الحديث رقم (٨٠)	٢٦٨
الحديث رقم (٨١)	٢٧٦
الحديث رقم (٨٢)	٢٨٧
الحديث رقم (٨٣)	٢٩٦
الحديث رقم (٨٤)	٢٩٨
٨-باب الاستقامة	٣١٣
الحديث رقم (٨٥)	٣١٣
الحديث رقم (٨٦)	٣٢١
٩-باب في التفكر في عظيم مخلوقات الله	٣٢٩
١٠-باب في المبادرة إلى الخيرات	٣٣٠
الحديث رقم (٨٧)	٣٣٠
الحديث رقم (٨٨)	٣٣٨
الحديث رقم (٨٩)	٣٤٧
الحديث رقم (٩٠)	٣٥٤
الحديث رقم (٩١)	٣٦١
الحديث رقم (٩٢)	٣٦٧
الحديث رقم (٩٣)	٣٧٦
الحديث رقم (٩٤)	٣٨٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
١١-باب المجاهدة	٣٩٩
الحديث رقم (٩٥)	٣٩٩
الحديث رقم (٩٦)	٤٠٨
الحديث رقم (٩٧)	٤١٥
الحديث رقم (٩٨)	٤٢٢
الحديث رقم (٩٩)	٤٣٢
الحديث رقم (١٠٠)	٤٤٠
الحديث رقم (١٠١)	٤٤٩
الحديث رقم (١٠٢)	٤٥٧
الحديث رقم (١٠٣)	٤٦٩
الحديث رقم (١٠٤)	٤٧٧
الحديث رقم (١٠٥)	٤٨٤
الحديث رقم (١٠٦)	٤٩٣
الحديث رقم (١٠٧)	٥٠٣
الحديث رقم (١٠٨)	٥١١
الحديث رقم (١٠٩)	٥١٨
الحديث رقم (١١٠)	٥٣٢
الحديث رقم (١١١)	٥٤٢
١٢-باب الحث في الازدياد من الخير في أواخر العمر	٥٦٣
الحديث رقم (١١٢)	٥٦٣
الحديث رقم (١١٣)	٥٧٢
الحديث رقم (١١٤)	٥٨١
الحديث رقم (١١٥)	٥٩١
الحديث رقم (١١٦)	٥٩٦
فهرس المحتويات	

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثالث

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٣

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٥٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٩٧-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٩٧-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٣- باب في بيان كثرة طرق الخير

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة:٢١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّه﴾ [البقرة:١٩٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[الجاثية: ١٥] والآيات في الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا وهي غيرُ منحصرةٍ فنذكُرُ طرفًا مِنْهَا:

الحديث رقم (١١٧)

١١٧- **الأوَّل**: عن أَبي ذرٍّ جُنْدَبِ بنِ جُنَادَةَ رضي الله عنه قال: قلت يا رسولَ اللّه، أيُّ الأعْمالِ أفْضَلُ؟ قال: «**الإيمانُ باللّهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قال: «**أنْفَسُهَا عِنْد أهْلِهَا، وأكثَرُهَا ثَمَنًا**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أفعلْ؟ قال: «**تُعِينُ صَانِعًا أوْ تَصْنَعُ لأخْرَقَ**» قُلْتُ: يا رسول اللّه أرَأيتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعملِ؟ قال: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَن النَّاسِ فَإِنَّها صدقةٌ مِنْكَ على نَفسِكَ**» متفقٌ عليه[1].

«**الصانِعُ**» بالصَّاد المهملة هذا هو المشهور، ورُوِي «ضَائعًا» بالمعجمة: أيْ ذَا ضَيَاعٍ مِنْ فقرٍ أوْ عِيالٍ، ونحو ذلكَ «والأخْرَقُ»: الَّذي لا يُتقنُ ما يُحاوِلُ فِعْلَهُ.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

أَنْفَسُهَا: الأنفس: الأعظم قيمة[2].

صانعًا: بالصاد المهملة هذا هو المشهور وروي ضائعًا بالمعجمة: أي ذا ضياع من فقر أو عيال ونحو ذلك[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (١٣٦/٨٤) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٩).

(٢) الوسيط ٩٤٠، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٧/٥.

(٣) رياض الصالحين ٩٨.

الأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله[١].

الشرح الأدبي

إن منهج الحوار والجدال بالتي هي أحسن: هو المنهج الإسلامي السديد، وهو منهج تربوي رشيد؛ والمسلم من واجباته الشرعية طلب العلم، والتفقه في الدين، والقاعدة الإسلامية التي تحكم هذا المنهج تتمثل في قوله ﷺ "خيركم من تعلم العلم وعلمه"[٢].

ونقتبس من هذا الحديث ومضاتٍ إيمانية، وقضايا حياتية حَرَصَ أبو ذر رضي الله عنه على تعلمها من رسول الله ﷺ وهو خير معلم لأنه لا ينطق عن الهوى.

وهذا الدرس التعليمي جاء في قَالَبٍ حواري واقعي بين المصطفى ﷺ وأبي ذر رضي الله عنه، وهو يطرح عدة قضايا ترتبط بعقيدة المسلم وحياته العملية وطبيعة حركته في المجتمع، ويبدأ الحوار بسؤال عقب نداء حميم يفيض بأدب الصحابة رضي الله عنهم مع الحبيب المصطفى ﷺ حيث يتوجه أبو ذر إلى الرسول ﷺ قائلاً: "يا رسول الله"، ثم يسأل عن أفضل الأعمال، وصيغة السؤال تفصح عن أهمية العمل في الإسلام، وجاءت الأعمال جَمْعًا دلالة على تنويع العمل والإكثار منه، وتجيء إجابة المصطفى ﷺ، جامعة بين قمتين من قمم المنهج الإسلامي، قمة يعلو ذُرَاها الإيمان، وهو العقيدة الصحيحة النابعة من القلب التي لا يشوبها رياء ولا تصنّع ولا غلو ولا شطط، وقمة تعْلو بالحياة إلى آفاق العزة والشموخ والإباء، وهى قمة الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد بالأنفس، والأموال، وإعداد العدة التي ترهب أعداء الله تعالى وأعداء الأمة والمنافقين والمتآمرين، والمشككين في ثوابت العقيدة ومعالمها.

وأداة العطف "الواو" وهي لمطلق الجمع ترشد إلى أن الإيمان والجهاد متلازمان، كل منهما يُقَوِّى بالآخر، فلا جهاد يُقبل وهو بمنأى عن دائرة الإيمان، ولا إيمان يُعز أصحابه

---

(١) رياض الصالحين ٩٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٢٧ بلفظ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

ويجعلهم في منعة من غير دفاع عن العقيدة، وجهاد في سبيل الله تعالى لتقوية شوكة الإسلام.

والسؤال الثاني: يأتي متناسقًا مع الأول في صياغته وموازيًا له: حيث قال أبو ذر رضي الله عنه: أي الرقاب أفضل؟ وهذا السؤال يثير قضية: العتق وتحرير الرقيق في الإسلام.

والإسلام دين الحرية والمساواة، وكثير من تعاليمه شرعت لتحرير الرقاب، وإعطاء الحرية لكل إنسان، وجاءت إجابة المصطفى ﷺ لترسي قاعدة من قواعد المنهج الإسلامي في الإنفاق، وهى تتبع من قول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1].

فالمؤمن لا ينفق إلا أحسن ما عنده؛ ولذلك صيغت هذه الأفضلية في قَالَب، أفعل التفضيل؛ فقال: "أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنًا" وقد حذف صدر الجواب اكتفاءً بمجيئه في السؤال، والتقدير: أفضل الرقاب، ولذلك جاء بثلاثة ضمائر تعود على الرقاب، لتذكير السامع والقارئ مع كل ضمير عائد بهذا النفيس المعتق، والتعبير بقوله: أنفسها، يدل على دقة الاختيار والحرص على عتق الأرفع قدرًا وثمنًا والأجود في الطبيعة والهيئة والقدرات والخبرات، والمال النفيس هو: المرغوب فيه.

ويستمر هذا الحوار التعليمي الإيماني لأنه ليس حوارًا خاصًا.. بل هو حوار يضيء لكل مسلم طريق الحياة، ويرشده إلى أفضل الأعمال وإلى كيفية تقديم الأجود والأعلى، ويأتي السؤال الثالث في صورة الشرط الذي حذف جوابه؛ اكتفاء بمنطوق الشرط، حيث قال: فإن لم أفعل...؟ وبلاغة الحذف هنا تتضح في عدم تصريح أبي ذر رضي الله عنه بأنه لا يعتق الرقاب، حيث عدل عن قوله: فإن لم أعتق... إلى قوله: فإن لم أفعل؟ حتى لا يظن أن يعزف عن عتق الرقاب.

والمراد إذا لم يكن لديَّ قدرة على العتق، أو لم يكن عندي رقاب، فما الطريق إلى تحصيل الثواب ومضاعفة الأجر، وتأتي إجابة المصطفى ﷺ، لتفتح الطريق أمام

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

كل من يعقد النية لإنجاز العمل الصالح؛ فالأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، وأرشد الرسول ﷺ أبا ذر رضي الله عنه إلى أحد طريقين... نافع في الحياة، ومن شأنه تقوية الصلات بين أفراد الأمة، والعمل على تماسك بنية المجتمع الإسلامي، قال له: تعين صانعًا أو تصنع لأخرق، وهذا منهج اجتماعي يقوم على التعاون على البر والتقوى، ويُقَوِّى دعائم الكيان الإسلامي، ويجعل المجتمع كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضًا.

والصناعة: هي العمل المتقن الذي يستثمر من خلاله أفراد الأمة الطاقات الكامنة في الأرض وخيراتها، واستغلال كنوز الجبال، وثروات البحار، والطاقات الهائلة الكامنة، في طبقات الفضاء والأفلاك والأجرام السماوية، وهى من مصادر الرزق؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1].

"أو تصنع لأخرق" أي: تُعلِّم قليل الخبرة الذي يجهل كيفية إتقان صناعته، تعلمه وتصنع له حتى يتعلم، وذلك مبدأ اجتماعي حضاري يرقى بالمجتمع الإسلامي إلى قمة الحضارة والتقدم.

والتعبير بصيغة المضارع في قوله: "تعين صانعًا أو تصنع لأخرق"، يرشد إلى ضرورة الاستمرار وتكرار المساعدة والتعليم، ولا يكتفي الإنسان بحالة واحدة، ولكن يظل هذا الصنيع منهجًا مستقرًا دائمًا وثابتًا يقوم به كل مسلم قادر ولديه خبرة في مجاله الذي يتقنه قولاً وعملاً.

والحوار يتسم بالتدرج المنطقي حيث يبدأ بالأهم والأشمل وهو: الإيمان والجهاد، ثم يجيء السؤال عن العتق الذي يكفل للإنسان الحرية، ثم السؤال عن البديل أو الطريق إلى تحصيل الثواب إذا انتهى الرق، أو إذا لم يمتلك الإنسان ما يعتقه، وهنا يأتي التكافل والتعاون بين أفراد الأمة، ثم يكون السؤال وهو في حالة الضعف عن العمل في قوله: "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل"، وكرر هنا النداء: "يارسول الله" ثم يأتي

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٢.

الاستفهام تأدبًا مع رسول الله ﷺ، ويقترن السؤال بصيغة الشرط.. مع حذف الجواب: أو فماذا أفعل: إن ضعفت عن بعض العمل.

والدقة الأسلوبية تكمن في قوله: "بعض العمل"، إشارة إلى أهمية العمل، فالعمل الخيري تتسع مجالاته، وتتعدد آفاقه، ويؤكد الرسول ﷺ ذلك حين يرشده إلى أفق جديد فسيح من آفاق العمل الإيماني : وهو كف الشر عن الناس، ومعاملتهم بالحسنى، ونشر ثقافة المحبة والأخوة والتراحم، وهذا السلوك يعود بالنفع على الشخص نفسه أولاً: ثم على غيره ثانيًا: حيث قال رسول الله ﷺ: "فإنها صدقة منك على نفسك".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: مشروعية الجهاد: ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وأنه أفضل الأعمال إلى الله عز وجل، ولا يتعين الجهاد إلا في حالات معينة كأن يعينه الإمام أو يهاجم العدو أرض قوم كما سبق القول.

والثاني: العتق، فالإسلام دين يحض على الحرية ويعمل من أجلها، ولذا جعل عتق الرقاب من أفضل الأعمال، وجعله كفارة لكثير من الأعمال كحنث اليمين والقتل والفطر في رمضان والظهار وغير ذلك، وأوجب على المولى أن يطعم العبد مما يطعم

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام ٤٣٤/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٩٧/٧، ٩٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٤٧/٣، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ عليش ١٣٥/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦/٦، ٧، نهاية المحتاج، الرملي ٤٥/٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو١٦٢/٩، والفروع، ابن مفلح ١٦٠/٦.

ويكسوه مما يكتسي وألا يكلفه ما لا يطيق[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يعنيه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل عتق الرقاب.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعاون على البر والتقوى.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: تعدد طرق الخير.

ثامنًا: من صفات الداعية: الصبر والصدق في النصح والإرشاد.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أساليب الدعوة المهمة أسلوب السؤال والجواب حيث إنه يعطي الفرصة للمدعو أن يسأل ليجيبه الداعية، ويدل على أهمية السؤال والجواب حرص صحابة رسول الله ﷺ على السؤال، وحرص الرسول ﷺ على الإجابة، وهو أسلوب مفيد للداعية حيث يشعر بقرب المدعو منه، والاستفادة من علمه فيما خفي من أمور تهمُ المسلم في حياته.

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٤/٤٥ وما بعدها، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤/٢٣٨ وما بعدها، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ عليش ٩/٣٧١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٦/٣٢٥ وما بعدها، ونهاية المحتاج، الرملي ٨/٣٧٧ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦/٤٤٥ وما بعدها، وكشاف القناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤/٥٠٩ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي، البهوتي ٢/٥٧٧ وما بعدها.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يعنيه:

يظهر ذلك في قول أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه: "قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟...).

حيث ينبغي للمدعو أن يحرص على السؤال عما يعنيه، وأن يأخذ الإجابة من أهل العلم، وقد أمر القرآن بسؤال أهل العلم والتخصص قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. قال السعدي: (هذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[2].

وهذا كان شأن صحابة رسول الله ﷺ إذ كانوا حريصين على سؤاله وأخذ العلم منه في جميع أمور الدين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الإيمان بالله...".

إن الإيمان بالله فضله عظيم على الإنسان، وذلك لأنه يحقق وجل القلوب من ذكر الله، وخشوعها عند سماع ذكره، ويعمل على تحقيق التوكل على الله، والخوف منه في السر والعلن، والرضا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً، واستشعار قرب الله من العبد، ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله ﷺ على محبة ما سواهما، والمحبة في الله والبغض في الله والعطاء له، والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

الحسنات والفرح بها، والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء، وحسن الخلق، ومحبة ما يحبُّه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين، خصوصًا الجيران، ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم، والحزن بما يحزنهم[١]. فكل ذلك وغيره يدل على فضل الإيمان بالله.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... والجهاد في سبيله".

وللجهاد في سبيل الله فضل عظيم على الأمة الإسلامية وعلى المجاهدين في سبيله قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢] فالفساد قائم لو لم يشرع الجهاد.

قال السعدي: (من جملة الأدلة على رسالته، هذه القصة، حيث أخبر بها وحيا من الله، مطابقًا للواقع، وفي هذه القصة عبر كثيرة: منها: فضيلة الجهاد في سبيله، وفوائده، وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين، وحفظ الأوطان، وحفظ الأبدان والأموال)[٣].

وقال ﷺ في فضل الجهاد والمجاهدين: ((لَرَوحةٌ في سبيلِ الله أو غَدوةٌ خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها، ولَقابُ قَوسِ أحدكم منَ الجنةَ أو مَوضعُ قِيدٍ - يعني سَوطَهُ - خيرٌ منَ الدُّنيا وما فيها. ولو أنَّ امرأةً من أهلِ الجنةِ اطَّلَعَت إلى أهل الأرض لأضاءَت ما بينهما ولَمَلأَتْهُ رِيحًا، ولَنَصِيفُها[٤] على رأسِها خيرٌ منَ الدنيا وما فيها))[٥]. وقال ﷺ ((ما

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١١٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٩٠.

(٤) النصيف: الخمار، لسان العرب في (ن ص ف).

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٩٦، ومسلم ١٨٨٠.

اغبرَّتا قدَما عبدٍ في سبيلِ اللهِ فتمسَّهُ النار))[١].

وقد نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "لأن أقف موقفًا في سبيل الله مواجهًا للعدو ولا أضرب بسيف ولا أطعن برمح ولا أرمي بسهم أفضل من أعبد الله ستين سنة لا أعصيه".

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لحرس ليلة أحب إلي من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلها في المسجد الحرام وعند قبر النبي عليه السلام[٢].

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل عتق الرقاب

يظهر ذلك في قول أبي ذر: "أي الرقاب أفضل؟" وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنفسها عند أهلها...".

فالعتق أفضل القرب إلى الله تعالى، فقد جعله كفارة لجنايات كثيرة، وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاكًا لمعتقه من النار فقال: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنْ النَّارِ حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهَا))[٣]. وذلك لأنه تخليص للآدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه وتكميل أحكامه وتمكنه من التصرف في نفسه على حسب إرادته واختياره[٤].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعاون على البر والتقوى:

يظهر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "تعين صانعًا أو تصنع لأخرق".

والأصل في مجتمع المسلمين أنه مجتمع تعاون وتكاتف وتعاضد، ولكن باتجاه الخير والبر والتقوى، وبعيد عن الشر والإثم والعدوان[٥].

وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع، لأن غير الصانع مظنة الإعانة فكل أحد يعينه غالبًا. بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعته يُغفل

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١١.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٥٣٥/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧١٥، ومسلم ١٥٠٩.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٦/٢٩.

(٥) هذه أخلاقنا، محمد محمد الخزندار ص ٢١٤.

عن إعانته. فهو من جنس الصدقة على المستور[١]. وفي إعانة الصانع قد تعود الفائدة على المسلمين باستمراره في مهنته أو تطويرها، وتقوية اقتصاد الأمة.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: تعدد طرق الخير:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: تعدد طرق الخير، لأن سياق الحديث يرشد إلى كثرة طرق الخير حيث ذكر رسول الله ﷺ أفضل الأعمال ولم يقصرها على عمل معين، بل عدد الأعمال ونوّعها بحيث يتأتى لكل مسلم عمل ما يستطيعه فمن لم يستطع أعلاها استطاع دونها، أو أن يكف شره عن الناس وهذا إن دل فإنما يدل على يسر الشريعة ورحمتها بالمسلمين، وإشارة أيضًا إلى أهمية كف الأذى عن المسلمين.

ثامنًا- من صفات الداعية: الصبر وسعة الصدر والصدق في النصح والإرشاد:

الصبر من الصفات المهمة التي ينبغي للداعية التحلي بها. فالصبر من أعظم الأسباب التي يستطيع بها الداعية، تخطي العقبات والصعاب والسير في طريق الدعوة، لأن الدعوة إلى الله عز وجل تحتاج إلى مزيد من الصبر والمصابرة نظرًا للعقبات التي تعترض مسيرة الداعية؛ ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ...﴾[٢]. والحديث يدل على صبر النبي ﷺ وسعة صدره فقد سأله أبو ذر أكثر من مرة وراجعه، ومع ذلك لم يغضب بل صبر وأجاب عليه.

وأرشده إلى أفضل الأعمال وتعددها وأنها مُيسّرة، وفي استطاعة كل مسلم يريد الخير من الله عز وجل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٨/٥.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

الحديث رقم (١١٨)

١١٨- الثاني: عن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه أيضًا أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يُصْبِحُ على كلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صدقَةٌ، فَكُلُّ تَسبِيْحةٍ صَدقةٌ، وكُلُّ تحْمِيدَةٍ صدقَةٌ، وكُلُّ تهْلِيلَةٍ صَدَقةٌ، وكلُّ تَكْبِيرةٍ صَدَقَةٌ، وأمْرٌ بالمعْرُوفِ صدقَةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صدقَةٌ. ويُجْزِئُ مِنْ ذَلكَ رَكعَتَانِ يرْكَعُهُما مِنَ الضُّحى» رواه مسلم[1].

«السُّلاَمَى» بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المفْصِلُ.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

سلامي: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المفصل[2].

تهليلة: هلّل الرجل قال: لا إله إلا الله[3].

يجزئ: يكفي[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث صلته بالحديث السابق تتعلق بالمعنى والمبنى، فالراوية هو أبو ذر رضي الله عنه، والحديث السابق ينتهي بقوله: "فإنها صدقة منك عن نفسك"، ويفصل هذا الحديث القول في كيفية التصدق على النفس، والنفس هي الذات بكل ما تتكون منه من مكونات مادية ومعنوية، وقراءة الحديث يجب أن تكون عبر منظور كلي شمولي فكلها تنبع من مشكاة النبوة، وأفق اليقين، ولنتأمل كيف أرشد النبي ﷺ الناس إلى تأمل ذواتهم، والنظر في أنفسهم، وكيف يؤدون الشكر والحمد على هذه النعم

---

(١) برقم (٨٤/٧٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤)، وسيكرره المؤلف برقم (١١٤٢)، و (١٤٣٤).

(٢) رياض الصالحين ٩٨.

(٣) الوسيط في (هـ ل ل).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ج ز ى).

التي أنعم الله تعالى بها علينا، مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

ويبدأ الحديث بإرشاد الناس، وإرشاد المسلم بصفة خاصة إلى ضرورة التعاون والتآزر في الحياة، وإلى الحمد والشكر في مقابل النعم التي أنعم بها الله على عباده، ومن هذه النعم، نعمة الخلق والإيجاد، فكل جزء في الإنسان له دوره في الحياة، ولذلك يجب أداء الشكر والحمد حتى مفاصل الإنسان التي لا يتحرك إلا بها يجب على الإنسان أن يتصدق شكرًا لله تعالى عليها، والصدقة تكون كل يوم... لأن التعبير بقوله: "يصبح" يفيد ذلك، وصيغة المضارع تومئ إلى التكرار والاستمرار، والتعبير بقوله: "على كل سلامى من أحدكم صدقة"، يفيد الوجوب، ويرشد إلى ضرورة القيام بهذه الصدقات، التعبدية، التي فصلها رسول الله ﷺ بعد ذلك، ولنتساءل: ما معنى السلامى؟ ولماذا هذا اللفظ: دون غيره، إن السلامى في الأصل عظم يكون في فِرْسِن[2] البعير، والحديث يشير إلى أن على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة، وقيل: السلامى: عظم في طرف اليد والرجل، وكنى بذلك عن جميع عظام الجسد، والسلامى جمع، وقيل: هو مفرد.

وقد ذكر علماء الطب أن جميع عظام البدن مائتان وثمانية وأربعون عظمًا تسمى السمسمانيات، وبعضهم يقول: هي ثلاث مائة وستون عظمًا: يظهر منها للجسد مائتان وخمسة وستون عظمًا، والباقية صغار لا تظهر وتسمى، السمسمانية.

ومعنى الحديث: أن تركُّب هذه العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون ذلك شكرًا لهذه النعمة، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢١.

(٢) فرسن: طرف خف البعير، لسان العرب في (ف ر س ن).

فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[١]. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢]، قال: (النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار: يسأل الله تعالى العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم)[٣].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، وكيف رغب رسول الله ﷺ الناس في الإكثار من الشكر والحمد والذكر، وذلك حين أفصح عن المراد من هذه الصدقات، فهي ليست دراهم ولا دنانير... ولكنها تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وصلاة يتطوع بها الإنسان في وقت الضحى.

وهذا النهج لكل مسلم فقيرًا كان أم غنيًا، وإذا كان لدى الإنسان ما يتصدق به من المال أو الأنعام أو الزروع والثمار... فالله تعالى يقبل منه ذلك. ولكن الشكر يبدأ بإتقان العبادة وأداء الفرائض والنوافل والقيام بهذه الصدقات التعبدية، التي تزيد القلب خشوعًا وتزيد النفس خضوعًا، وتزيد الروح إشراقًا وسطوعًا.

وعن بريدة رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه صدقة، قال: ومن يطيق ذلك يانبي الله؟ قال: النخاعة في المسجد تدفنها صدقة، والشيء تنحيه عن الطريق صدقة، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزيك))[٤].

ومن سمات الترغيب في هذا السلوك الإيماني: جمال الصياغة في هذا الحديث، وتكرار لفظ الصدقة، حيث كررت هذه الكلمة سبع مرات: تذكيرًا للمؤمن وترغيبًا له، وحثًا على مزيد من العبادة والتصدق المعنوي والمادي شكرًا لله تعالى وحمدًا له على نعمه.

---

(١) سورة الانفطار، الآيات: ٦-٨.

(٢) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٢١٢.

(٤) أخرجه أبو داود، ٥٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٣٦٥).

والتناسق في بناء الجمل من سمات ذلك الترغيب، فالجمل الست التي تعقب الجملة الأولى: كلها تتكون من مبتدأ وخبر، وتتسقان في بنائهما اتساقًا كاملاً، فالمبتدأ هو لفظ "كل" في الجمل الأربع، والخبر هو لفظ "صدقة" والمضاف إلى لفظ كل: هو الثمرة المطلوبة، وهو: المقصود من التعبير عن الشكر والحمد، وهذه الألفاظ تتحد في صيغتها اللغوية فكلها مصادر رباعية في صيغة "التأنيث" ذات إيقاع صوتي موحد، حيث تناسقت لغويًا، واشتقاقيًا وإيقاعيًا... ونحويًا (تسبيحة – تهليلة – تحميدة – تكبيرة) وهذه الصيغ كلها تتضمن لفظ الجلالة.. وتموج بمعانٍ عديدة، وتفصح عن داخل الإنسان المُفْعَم بنور الإيمان، فما أسمى وما أجلَّ المشاعر والقلوب والألسنة التي تلهج وتجأر بهذه الصيغ الجليلة صباح مساء (سبحان الله، ولا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر).

والتنكير في قوله: "وأمر بالمعروف صدقة"، يدل على كل موقف يؤمر فيه بالمعروف هو صدقة، وتتكاثر الصدقات بتعدد المواقف، وكذلك "ونهى عن المنكر" صدقة، حيث يدل التنكير في "نهى" على تكاثر الصدقات بتعدد مواقف النهى، والتعريف في قوله: "المعروف، والمنكر" للدلالة على أن كلاً منهما واضح بيِّن، ولا لبس في أي منهما، فالمعروف: ما أمر به الشرع، والمنكر: ما أنكره الشرع، وخاتمة الحديث تشير إلى فضل صلاة الضحى لأنها تؤكد صلة العبد بربه، ووقتها ظاهر للناس، وهو مَظِنَّةُ الاشتغال بأمور الدنيا، وهى مع ما تقدم من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير تعبر عن موقف الشكر الأكمل، وموقف الحمد الأفضل.

والحديث في مبناه ومعناه يفصح عن جمال السلوك الإيماني حيث يتسم بالتناسب والتوازن والتجانس وهذه المقاييس انعكاس لجمال فكر المؤمن، وجمال علاقته بربه، وجمال التعبير عن ذلك الشكر.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الذكر: وقد بين الفقهاء[1] أن الذكر مستحب من كل أحد ومرغب فيه في جميع الأحوال إلا في الأحوال التي ورد النهي عنه فيها كما في حال قضاء الحاجة ووقت الخطبة من صلاة الجمعة، وقد يكون الذكر واجبًا كما في تكبيرة الإحرام وقراءة القرآن، وكما في التسمية عند الأضحية، وفي رد السلام عند من يقول بوجوبه، وقد يكون الذكر حرامًا إذا تضمن شركًا بالله تعالى كما كان في أذكار الجاهلية.

الثاني: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد اتفق الفقهاء[2] على مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن اختلفوا في حكمه على أقوال عدة، فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية لا

---

(١) شرح معاني الآثار، الطحاوي ٨٥/١، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ٢٣٠/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٥٤/١ وما بعدها، والأم، الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره ٦٨/١، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٢٠١/٢ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٧/٢، ٤٦٥/٣، ٤٧٠، ٤٧٩/٤ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٠٩/١، ٣٢٧، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٦/٣، ٢١٠/٥، والفروع، ابن مفلح ٥٥٤/١.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٣٦١/١، ٤٤/٢ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٢٩/١، وأنوار البروق، القرافي ٢٥٧/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٥٣٨/٤، وأحكام القرآن، ابن العربي ٢٠٤/١، ٣٤٩، ٣٨٣، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر ٢١٧/٩، والأحكام السلطانية، الماوردي، تحقيق: خالد عبداللطيف علي ص ٣٠٣، ٣٠٨ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٨٠/٤، وأدب الدنيا والدين، الماوردي ص ٩٥ وما بعدها، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٥٥/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٥/١، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم ص ٢٠١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٢٤٨/٦ وما بعدها.

الأعيان فمتى قام به البعض سقط عن الباقين.

وذهب البعض إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين في بعض المواضع، وهي إذا كان المنكر في موضع لا يعلم به إلا هو وكان متمكنًا من إزالته، وكذا من يرى المنكر من زوجته أو أحد أولاده، وكذا والي الحسبة لاختصاصه بذلك.

وذهب ابن شبرمة والحسن البصري إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نافلة لا فريضة.

وذهب بعض الشافعية إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأخذ حكم الفعل ذاته، فهو واجب في الواجب فعله أو تركه، ومندوب في المندوب فعله أو تركه وهكذا.

وذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن النهي عن المنكر يكون مشروعًا متى كان يزول ويخلفه ضده أو يقل وإن لم يزل كلية، ويكون موضع اجتهاد ممن يقوم به إن كان يخلفه ما هو مثله، أما إن كان يخلفه ما هو شر منه فإنه يكون حرامًا.

وذهب أبو علي الجبائي من المعتزلة إلى أن المنكر يجب النهي عنه، أما الأمر بالمعروف فهو يأخذ حكم ما يأمر به، فهو واجب في الواجب ومندوب في المندوب.

والراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

الثالث: حكم صلاة الضحى، وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن صلاة الضحى

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٥٩/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٢٩٤/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٤٧٧/٣، ٥٥٩، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٦٧/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٣٧١/٢ وما بعدها، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٣/٤، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٢٤٢/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٨/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤٣٧/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٤٣/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٩٠/٢.

من النوافل المستحبة التي حض عليها رسول الله ﷺ، وقال بعض المالكية وأكثر الشافعية إنها سنة مؤكدة، ووقت صلاة الضحى حين ترتفع الشمس، وليس لها عدد معين من الركعات، وأكثر الفقهاء على أن أقلها ركعتان وأكثرها ثماني ركعات، وقال الإمام مالك في رواية، وبعض الشافعية، والإمام أحمد في رواية أكثرها اثنتا عشرة ركعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على شكر النعم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على شكر النعم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يصبح على كل سُلامي صدقة...".

ولقد أنعم الله تعالى على الإنسان بالنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[1].

وأمر سبحانه عباده المؤمنين بشكر هذه النعم ووعد بالزيادة قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2]. أي: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي. فحقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم[3].

وكان رسول الله ﷺ أحرص الناس على شكر نعم الله عليه. فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقلت له: لِمَ تصنع

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٤٣/٩/٥.

هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[١].

وقال الطيبي: (إن كل عظم من عظام ابن آدم يصبح سليمًا من الآفات باقيًا على الهيئة التي يتم بها منافعه وأفعاله، فعليه صدقة شكرًا لمن صوره، ووقاه عما يغيره ويؤذيه)[٢]. فينبغي على المسلم الحرص على شكر نعم الأعضاء وغيرها من النعم.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

إن هذا الأسلوب من الأساليب الدعوية البليغة التي تعمل على جذب انتباه المدعو وتشويقه إلى سماع ما يقوله الداعية من تفصيل لما أجمله، وقد ذكر النبي ﷺ الصدقة ثم فصَّل في نوعها والشاهد على ذلك قوله (يصبح على كل سلامي صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة.. إلخ الحديث) وهو أسلوب من الأساليب الدعوية التي تعمل على شد انتباه المدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله:

بعد أن ذكر رسول الله ﷺ ما ينبغي للمؤمن من شكر الله على نعمه وآلائه، بيّن أن المسلم يستطيع أداء هذه الصدقات والشكر على هذه النعم بذكر الله عز وجل وجعل وسيلة ذلك التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وفضل ذكر الله عظيم على المسلم، فهو يوصله إلى أعلى الدرجات وأسمى الغايات قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] قال السعدي: ("الذاكرين الله كثيرًا" أي: في أكثر الأوقات، خاصة الأوراد المقيدة، كالصباح والمساء، أو بالصلوات المكتوبات)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩ و ٢٨٢٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وغيره١٧١/٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٢.

وقال رسول الله ﷺ ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[١].

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من الأشياء التي تميزت بها الأمة الإسلامية وسبقت بها الأمم، وكانت خير أمة الناس أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى:

أشار الحديث إلى فضل ركعتي الضحى وأنهما تكفيان عن غيرهما من الأشياء التي ذكرت، وذلك لأن في الصلاة استعمالاً للأعضاء كلها في الطاعة والعبادة، فتكون كافية في شكر نعمة سلامة هذه الأعضاء[٣]. وفي ذلك دليل على عظم فضل صلاة الضحى وكبير موقعها[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أَوْصَانِي خَلِيلي بِثَلاَثٍ: بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى. وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ))[٥]. وفي هذا حث على ركعتي الضحى لتحصيل فضلها.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٨٦/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ١١٨٧، ومسلم ٧٢١.

الحديث رقم (١١٩)

١١٩- الثَّالثُ عنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمالُ أُمَّتي حسَنُهَا وسيِّئُهَا، فوجَدْتُ في مَحاسِنِ أعْمالِهَا الأذَى يُماطُ عن الطَّرِيقِ، وَوجَدْتُ في مَساوِئ أعْمالِها النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ» رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

يماط: يُنَحَّى ويُبْعد[٢].

النخاعة: ما يخرجه الإنسان من حلقه من البلغم[٣].

الشرح الأدبي

إن مصدر الجمال في هذا الحديث الشريف ينبع من حرص النبي ﷺ على أمته، وبمقدار صلاح الأعمال تسمو قيمة ذلك الجمال، والقرآن الكريم يرشد المسلمين إلى هذا المصدر التشريعي الذي يضئ جوانب العلاقة المكتملة بين النبي محمد ﷺ وأمته... وهى خير أمة أخرجت للناس، حيث يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

ومن كمال حرصه ﷺ، وجمال ارتباطه بأمته أنه يشرع لأفرادها، ويفصل لهم القول في تبيان أحسن الأعمال ويأمرهم بها، وتبيان أسوأ الأعمال، وينهاهم عنها.

---

(١) رقم (٥٥٣/٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (م ي ط).

(٣) الوسيط في (ن خ ع).

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

ولنتأمل صيغة هذا الحديث الشريف... وهى صيغة مستقبلية في ثوب الماضي، فكيف تعرض الأعمال وهى لم تقع بعد؟!!! إن هذه الصيغة تنبئ عن تكريم الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ، لأنه يخبره بمعايير الأعمال الحسنة، ومعايير الأعمال السيئة، وجاء الفعل مبينًا للمفعول: لأن الفاعل معلوم وهو الحق سبحانه وتعالى إما مباشرة أو عن طريق الوحى، وللوحى أنواع متعددة ويقول الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[1].

وإضافة لفظ "أمة" إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ فيه تشريف لهذه الأمة التي أكرمها الله تعالى برسالة الإسلام، ونبوة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

والطباق بين "حسنها وسيئها"، فيه إرشاد إلى ضرورة الموازنة بين النوعين، والعاقل هو الذي يختار الأحسن، ولذلك قدم: الأحسن من الأعمال على غيره.

وتكرار الفعل "وجدت" يفصح عن صحة الحكم، وصدق القول، والتعبير بالفعل "وجدت" يعطي دلالة، رأيت، ولكن "وجدت" أدق في التعبير، فالأعمال كأنها كائنة وشاخصة أمامه ﷺ والتعبير "بفي" في قوله: "في محاسن أعمالها" يفيد البعضية والجزئية وعدم الانفصال عن بقية الأعمال؛ لأن محاسن الأعمال كثيرة وفي قلب هذه الأعمال ما يظنه الناس يسيرًا سهلاً لا يهتم به أحد وهو "إماطة الأذى عن الطريق"، وهذا سلوك اجتماعي وحضاري يمثل مَعْلَمًا من معالم المنهج الإسلامي وارتباطه بحياة الناس، وكذلك نظافة المسجد تعادلها في قيمتها نظافة الطريق، فالنخاعة في المسجد ربما يغفل عنها الناس، ولكن دفنها والحرص على نظافة المسجد وتجميله من جلائل الأعمال، فليتأمل كل مسلم حياته وسلوكه في ضوء هذا البيان النبوي الجميل، فالإيمان جمال... وجلال وكمال، وطاعة للكبير المتعال.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٤١، ٤٢.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم إماطة الأذى عن الطريق: وقد ذكر الفقهاء[١] أنه يندب إزالة الأشياء المؤذية عن المسلمين، ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق، فمن وجد شيئًا في طريق المسلمين يضرهم فإنه يندب له أن يميطه، وذكروا أنه لا يجوز لأحد أن يضر المسلمين في طريقهم بأي وجه وإلا ضمن ما تسبب فيه بفعله.

الثاني: حكم التنخم في المسجد: وقد ذكر الفقهاء[٢] أنه ينبغي للمسلمين تنزيه المساجد عن كل ما يشوبها من سوء أو ما يؤذي المصلين أو ينفرهم كالرائحة الكريهة أو النخامة في المسجد، واختلفوا في حكم التنخم في المسجد على آراء ثلاثة، فذهب الحنفية[٣] إلى أنه يكره أن يبزق على حيطان المسجد أو بين يديه على الحصى أو أن يتمخط، وإن فعل كان عليه أن يزيلها أو يدفنها، وذهب المالكية والحنابلة[٤] إلى أنه لا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٩٩/٨، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي١٤٤/٦ وما بعدها، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ٤٧٤/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٤٣/٦، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٣٢/١، ١٢٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ٣٠٤/٢، و مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ٣٥٤/٣، والقواعد الفقهية، ابن رجب الحنبلي ص ٢٠٣ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٣٥٦/٢، وما بعدها.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي١٦٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢١٦/١، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ١٩١/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٣٨/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١١٥/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٣/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ١٤٠/٢، ٦٩/٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٩٧/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٧١/١، والفروع ٤٨٢/١.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي١٦٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢١٦/١.

(٤) المدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ١٩١/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٣٨/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١١٥/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٩٧/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٧١/١، والفروع، ابن مفلح ٤٨٢/١.

يجوز البصاق في المسجد على الحصير وله أن يبصق تحته، أو يبصق في طرف ثوبه، فإن كان المسجد محصبًا فله أن يبصق فيه ويدفنها، ولكن لا يبصق عن يمينه ولا عن يساره إن كان هناك أحد، وإنما يبصق أمامه ويدفنها.

وذهب الشافعية[1] إلى أنه يحرم التنخم في المسجد، وإن فعل فعليه أن يدفنها.

وكذا ذكر الفقهاء أن من السنة لمن رأى نخامة في المسجد أن يزيلها اقتداء بفعله ﷺ في هذا الشأن وتنزيهًا للمساجد عما ينفر من الأشياء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب والترهيب، والتنبيه بالأدنى على الأعلى.

ثانيًا: من مهام الداعية: تنبيه الناس إلى وجوه الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إماطة الأذى عن الطريق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: المحافظة على نظافة المسجد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحفاظ على البيئة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، الترغيب والترهيب، والتنبيه بالأدنى على الأعلى:

أ- الإخبار: أسلوب مهم من أساليب الدعوة حيث يخبر الداعية المدعوين بالحقائق التي يعلمها، ويتحرى فيها الصدق، وأما أخبار الأنبياء فكلها صادقة لأن من صفاتهم الصدق، وهم يبلغون الوحي عن الله عز وجل، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن أعمال أمته التي عرضت عليه.

ب- الترغيب والترهيب: إن الترغيب يشجع على الإقبال على العمل، والترهيب يخوف من الإقدام على الأعمال المنهي عنها، وفي الحديث جعل النبي ﷺ إماطة الأذى من محاسن الأعمال وهذا ترغيب، وجعل عدم دفن النخاعة من مساوئ الأعمال وهذا ترهيب، وبين الترغيب والترهيب تكون أعمال الخير قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٣/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ١٤٠/٢، ٦٩/٣.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

ج- التنبيه بالأدنى على الأعلى: حيث نبه النبي ﷺ في محاسن الأعمال على أقلها ليدخل فيه ما فوقها، من باب أولى، ونبه في مساوئ الأعمال على أدناها ليدخل فيه أيضًا ما فوقها، وهذا أسلوب من أساليب الدعوة يتخذه الداعية في عرض دعوته حيث ينبه بالأدنى على الأعلى من غير تصريح.

ثانيًا- من مهام الداعية: تنبيه الناس إلى وجوه الخير:

إن المهام الأساسية للدعاة إلى الله أن يرشدوا الناس إلى طرق ووجوه الخير ليتعرفوا عليها، لأن الإنسان قد يعرض عن الخير لجهله به، وبالأجر الذي عليه، ومن هنا يتوجب على الداعية تنبيه الناس إلى وجوه الخير ليقدموا عليه، كما أرشد النبي ﷺ في الحديث إلى فضل إماطة الأذى من الطريق، وحذر من ترك النخاعة في المسجد وكما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[1].

قال النووي: (والحديث فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل إماطة الأذى عن الطريق:

لقد رغّب الإسلام في إماطة الأذى عن الطريق؛ حيث جعل النبي ﷺ في الحديث إماطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال، وسبب لمغفرة الله عز وجل فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَينما رجلٌ يَمشي بطريق وَجَدَ غُصنَ شَوكٍ على الطريقِ، فأَخَّرَهُ، فشكرَ اللّهُ لهُ، فغفَرَ له))[3]. وجعل النبي ﷺ إماطة الأذى إحدى شعب الإيمان قال رسول الله ﷺ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ))[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٩١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

قال الإمام النووي رحمه الله: (والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو مدر أو شوك أو غيره، والمقصود تنحيته وإبعاده)[١]. وهناك الكثير من الأدلة الشرعية التي تبين فضل إماطة الأذى عن طريق المسلمين، فيجب على الداعية بيانها للناس، وتذكير الناس بها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: المحافظة على نظافة المسجد:

المساجد في الإسلام لها قدسيتها واحترامها ومكانتها، ومن هنا وجه الشارع الحكيم إلى ضرورة المحافظة على نظافة المسجد، وإبعاد القاذورات عنه، ولذا جعل النبي ﷺ من مساوئ الأعمال أن تكون النخاعة في المسجد ولا تدفن.

قال النووي: (وهذا ظاهره أن هذا القبح والذم لا يختص بصاحب النخاعة بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أو حك ونحوه)[٢] وبين النبي ﷺ أن البصاق في المسجد خطيئة فقال: ((البُصاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُها دَفْنُهَا))[٣] وأرشد إلى المحافظة على نظافة المسجد فقال: ((إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا الْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))[٤] وبناء على ذلك فإنه يجب على الداعية إرشاد المدعوين إلى ضرورة المحافظة على نظافة المسجد وعدم إلقاء القاذورات فيه.

خامسًا- الحفاظ على البيئة:

إن حث النبي ﷺ على إماطة الأذى عن الطريق، وتنفيره من ترك القاذورات أو مظاهر التلوث يعد من أهم أسباب الحفاظ على سلامة البيئة، ويتضح حرص الإسلام على المحافظة على البيئة من خلال دعوة الإسلام لإماطة الأذى من الطريق العام، ومن خلال الدعوة أيضًا للمحافظة على دور العبادة من القاذروات، حيث يدعو الإسلام بتعاليمه إلى الحفاظ على البيئة من التلوث، ويكفي في ذلك النهي عن التغوط في طريق

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧.

(٢) المرجع السابق نفسه ٤١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤١٧، ومسلم ٥٥٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٥.

الناس وظلهم وموارد الماء ففي الحديث أن رسول الله قال: ((اتَّقُوا الَّلاعِنَيْنِ. قالُوا: وَما الَّلاعِنَانِ يارَسُولَ الله؟ قال: الَّذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ أوْ ظِلِّهِمْ))[1] فعلى الداعية أن يستحضر هذه المعاني، ويبرز سبق الإسلام وتفرده في أمور النظافة والطهارة والحفاظ على البيئة والمجتمع.

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩.

الحديث رقم (١٢٠)

١٢٠- **الرابع** عنه: أنَّ ناسًا[١] قالوا: يا رسُولَ اللَّهِ، ذَهَب أهْلُ الدُّثُور بالأجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أمْوَالِهِمْ قال: «**أوَ لَيْس قَدْ جَعَلَ[٢] لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ[٣]: إنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وكُلِّ تَكْبِيرةٍ صدقة، وكلِّ تَحْمِيدةٍ صدقةً، وكلِّ تهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وأمرٌ بالمعْرُوفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عنِ المُنْكر صدقةٌ وفي بُضْعِ أحدِكُمْ صدقةٌ**» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ أيأتي أحدُنَا شَهْوَتَه، ويكُونُ لَه فيها أجْرٌ؟، قال: «**أرأيْتُمْ لو وضَعهَا في حرامٍ أكَانَ عليهِ[٤] وِزْرٌ؟ فكذلكَ إذا وضَعهَا في الحلاَلِ كانَ لَهُ أجْرٌ**» رواه مسلم[٥].

«**الدُّثُورُ**»: بالثاءِ المثلثة: الأموالُ، واحِدُها: دَثْرٌ.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الدثور: فسرها النووي، وفي النهاية: المالُ الكثير[٦].

فضول أموالهم: الفضول جمع، مفرده: الفضل: وهو ما زاد عن الحاجة[٧].

التهليلةُ: قول: "لا إله إلا الله" مرةً واحدةً.

البُضْع: يطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه وكلاهما تصح إرادته هنا[٨].

---

(١) عند مسلم زيادة: (من أصحاب النبي ﷺ).

(٢) عند مسلم زيادة لفظ الجلالة.

(٣) (به) لا توجد عند مسلم.

(٤) عند مسلم زيادة: (فيها).

(٥) برقم (١٠٠٦/٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٠٢).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ث ر).

(٧) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٤١، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ٥٧١، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي ٦٨٣.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤١.

وزر: الوزر: الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق على الذنب والإثم[١].

الشرح الأدبي

إن التنافس في المبادرة إلى فعل الخيرات من أهم خصائص الشخصية المسلمة التي تتسم معالمها بالثبات والتوازن والإيجابية والشمولية والواقعية والربانية والتوحيد.

وهذه السمات التي تميز طبيعة التفكير في شخصية المسلم تقود المسلم إلى التنافس بمنأى عن المَوْجِدة والحقد، وإلى المبادرة إلى فعل الخيرات والتأسي بالغير في إنجاز الأعمال الصالحات، ونقتبس من هذا الحوار الصادق بين النبي ﷺ وبعض الصحابة وَمَضَات من التنافس الكريم الجميل في تبيان طرق الخير المتعددة.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: فهو يبدأ بالتأكيد على هذا المشهد الواقعي حيث يقول: "إن ناسًا"، وفي رواية أخرى: "إن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ": حيث تحدد هذه الرواية: هوية هؤلاء الناس وهم من فقراء الصحابة، والتعبير بقوله: "ناس"، يشير إلى دلالة هذه الكلمة وأثرها الاجتماعي والنفسي: وهي أصلها: أناس، وهي مأخوذة من أنس، لأنهم يأنسون بأمثالهم، واختيار هذا اللفظ دون غيره في هذا السياق يوحي بأن هؤلاء الذين يبحثون عن طرق الخير، ويرغبون في مضاعفة الأجر، يغبطون غيرهم، ولا يحقدون عليهم: لأنهم يتسمون بالأنس والرضا.

وهم من الصحابة الفقراء الذين كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم، وكان حزنهم يتضاعف على فوات الصدقة بالأموال التي يقدر عليها الأغنياء ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته[٢].

ولذلك توجه هؤلاء بهذا النداء الصادق الحميم: "يا رسول الله: ذهب أهل الدثور بالأجور".

والدثور: هي الأموال التي تحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم، وفي اللغة: الدثور:

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (وزر).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٢٠٤-٢٠٥.

الأموال، واحدها، دَثْر، ووجه الموازنة والمنافسة: أن الفقراء والأغنياء يتساوون في العبادة لأنهم جميعًا من الصحابة الطائعين المصلين والصائمين، ولكن الأغنياء، يتصدقون بفضول أموالهم، ولم يتركهم الرسول ﷺ في حيرتهم، ولكنه دلهم على طرق جديدة للخير، وفتح لهم أبوابًا متعددة للتصدق، لأن بعضهم ظن أن لا صدقة إلا بالمال وهم عاجزون عن ذلك، فأخبرهم النبي ﷺ أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة[1].

ويتساءل رسول الله ﷺ مجيبًا عن سؤالهم الضمني، وكأنهم قالوا ماذا نفعل حتى نلحق بأهل الدثور في الفضل. وفي التنعم بأجر الصدقة، فقال لهم رسول الله ﷺ مؤكدًا لهم أن الله تعالى فتح لهم منافذ كثيرة للتصدق المعنوي، وهو لا تشوبه شائبة وأتى ذلك التأكيد في أسلوب استفهامي: وحذفت إجابتهم: حيث خاطبهم متسائلاً أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به؟... وكأنهم: أجابوا قائلين: بلى، فيطمئنهم رسول الله ﷺ على أن الله تعالى جعل لهم ما يتصدقون به، وهو عطاء دائم وفي متناولهم.

وحدد الرسول ﷺ لهم سبعة طرق للتصدق: وهى تجمع بين العبادة والمتعة الشخصية، والتعاون مع أفراد المجتمع، فأما العبادة ففي التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل، وهى صيغ ترتبط بحياة المسلم في إصباحه وإمسائه، وفي غدوه ورواحه، وفي تلبيته ودعائه، وفي خَشْيته ورجائه، ولها في حياة المسلم دور مؤثر حيث تربطه دائمًا بالخالق جل وعلا. وأما التعاون على البر والتقوى والنزعة الإصلاحية. فتتمثل في حرص المسلم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو سلوك إيماني اجتماعي يربط المسلم بحركة الحياة، ويجعله مؤثرًا وفاعلاً في بيئته، وللأمر بالمعروف طرق كثيرة، وكذلك النهى عن المنكر له طرقه المتعددة، وهى إما باليد أو باللسان أو بالقلب، وتكرار مادة التصدق تسع مرات يرشد إلى قيمة هذا السلوك، وجاء لفظ "الصدقة"

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢٠٤-٢٠٥.

سبع مرات للدلالة على تعدد طرق الخير... وليس للإحصاء، وقد تعجب هؤلاء الصحابة من قوله: "وفي بُضع أحدكم صدقة"، لأن هذا العمل متعة شخصية، فكيف يكون صدقة، والصدقة تؤول إلى إنسان آخر، ويقنعهم الرسول ﷺ؛ حيث يواجههم بسؤال يقنعهم ويذهب دهشتهم حيث قالوا: "أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر"، فيسألهم رسول الله ﷺ مجيبًا وموضحًا: "أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر؟" وحذفت إجابتهم لأنها واضحة ومعروفة، وحذفها يوحي بكراهة الألفاظ التي تنوء بعبء وجرم ذلك الفعل القبيح، ويوحي ويقرر حرمة هذا العمل، وفي ختام الحديث يزف الرسول ﷺ المكافأة الخالصة من الله عز وجل لهؤلاء الذين عفوا أنفسهم وصانوا شرفهم، وقاوموا إغراءات النفس، وإغواء الشياطين ولم يلوثوا أنفسهم بارتكاب هذه المعصية التي تنشر الفاحشة في المجتمع، وتُقوِّض صَرْح الأخلاق، وتهدم بنيان الفضيلة، وتعلي من شأن الرذيلة.

وكثرة الصيغ الاستفهامية في الحديث تفصح عن الطبيعة الحوارية التعليمية التي كان يلجأ إليها المصطفى ﷺ في تعليم أصحابه، وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سُرق له منه صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا ينقصه أحد إلا كان له صدقة))، وفي رواية له أيضًا: ((فلا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة))[1].

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٥٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار، والتوكيد، والاستفهام، والتقرير.

ثانيًا: من مهام الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التنافس في الخير والعمل الصالح.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح وسائر الأذكار.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار، والتوكيد، والاستفهام، والتقرير:

١- **الحوار:** إن الحوار يعد من أهم الأساليب الدعوية التي يمكن أن تثري العملية الدعوية، حيث يؤدي إلى فتح آفاق التفاعل بين الداعية والمدعو، وقد اشتمل هذا الحديث على الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ والسائلين، وهو أسلوب جيد من أساليب الدعوة يربط المدعوين بالداعية، ويشجعهم على عرض ما لديهم من أفكار وتقويمها وتصويبها من قبل الداعية.

٢- **التوكيد:** ويظهر في قول النبي ﷺ "إن بكل" ولاشك أن التوكيد له أثر في إقناع المدعو، ويجعل الداعية متمكنًا من مقولته، واثقًا مما يقول مما يعطي انطباعًا إيجابيًا لدى المدعو.

٣- **الاستفهام:** ويؤخذ من سؤال النبي لهم "أو ليس قد جعل الله لكم" وسؤال الصحابة رضي الله عنهم: "أيأتي أحدنا شهوته" والاستفهام من الأساليب المهمة في الدعوة حيث تعرض مضامين الدعوة في صورة سؤال وجواب، والداعية الموفق يستطيع أن يفيد من هذا الأسلوب في بيان الأحكام الشرعية وغيرها.

٤- **التقرير:** إن من الأساليب الدعوية التي يمكن للداعية أن يفيد منها أسلوب التقرير، وذلك بأن يقرر الداعية بعض المفاهيم التي لا يختلف عليها العقلاء ويقرها الشرع حتى يصل إلى حكم يريد بيانه للمدعوين، ويظهر هذا من قول النبي ﷺ "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟" وهذا أسلوب شائق من أساليب الدعوة حبذا

لو استخدمه الداعية ليطمئن إلى قناعة المدعوين بما يقول.

ثانيًا- من مهام الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

إن من مهام الداعية التي تدل على فهمه للمدعوين، مراعاة ظروفهم وأحوالهم في خطابه الدعوي الموجه لهم والذي يجب أن يتناسب معهم، وفي الحديث الذي معنا الآن نجد أن السائلين لرسول الله ﷺ كانوا فقراء، ويرغبون في الصدقة؛ ولذا أرشدهم النبي إلى بعض أبواب الصدقة التي لا تكلف مالاً وهي التكبير والتحميد وسائر الأذكار، وهذا يتناسب مع حال المدعوين وظروفهم، ومن هنا وجب على الداعية الحصيف أن يكون جوابه على حسب حال السائل، فمن فاتته الصدقة بالمال فليرشده إلى الصدقة بالأعمال الصالحة.

ثالثًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

إن سؤال المدعو عما خفي عليه يعد برهانًا على حرصه على فهم أمور دينه، ومعرفة بعض المسائل حتى يكون مقتنعًا بما سمع، عارفًا بالعلة والحكم الشرعي فيما استشكل وخفي عليه، وفي الحديث لما قال رسول الله ﷺ "وفي بضع أحدكم صدقة" ورغم أن القائل هو رسول الله ﷺ ولكن هذا لم يمنعهم عن السؤال "أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر" قال الإمام النووي: (وفي الحديث جواز سؤال المستفتى عن بعض ما يخفى من الدليل إذا علم من حال المسئول أنه لا يكره ذلك ولم يكن فيه سوء أدب)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التنافس في الخير والعمل الصالح:

لقد كان التنافس في الخير والعمل الصالح ديدن الصحابة رضي الله عنهم، فلم تمنعهم قلة المال أن يغبطوا إخوانهم الأغنياء، ويبحثوا عن سبل وطرق توصلهم إلى درجات إخوانهم المتصدقين المنفقين، وفي هذا يكون السباق والتنافس، وقد أمر الله بهذا في القرآن فقال: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[2] وجعل ذلك من صفات أهل الخشية والإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[١].

قال القرطبي: (﴿يسارعون في الخيرات﴾ أي في الطاعات كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغرفات، وكل من تقدم في شيء فهو سابقه إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (سبقت لهم من الله السعادة؛ فلذلك سارعوا في الخيرات، وقيل المعنى: وهم من أجل الخيرات سابقون)[٢] وعلى الداعية أن يثير الحماس في نفوس المدعوين، ويحثهم على التنافس في الخير والأعمال الصالحة.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده:

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين أن يسّر لهم سبل تحصيل المثوبة، فحثهم على التسبيح والذكر والتحميد، وأعطى الأجر على فعل المباحات إذا صحت النية، ولهذا تعجب الصحابة رضي الله عنهم "أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر" وهذا من فضل الله على عباده قال النووي: (وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة، ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعًا من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة)[٣] قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[٤].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح وسائر الأذكار:

لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بفضل التسبيح والذكر، وأن الإنسان يُثاب على ذلك لأن له بكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وقد أمر الله بذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾[٥] قال السعدي (يأمر الله تعالى المؤمنين

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٣/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤١.

(٤) سورة الشورى، آية: ١٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

بذكره ذكرًا كثيرًا من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير، وغير ذلك من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك أن يُلازمَ الإنسان أوراد الصباح والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك في كل الأحوال وجميع الأوقات، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح)[1].

وقد بين النبي ﷺ فضل ذكر الله في أحاديث كثيرة منها ما جاء عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ. وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ))[2] وقال ﷺ: ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[3].

ومن ثمّ فإنه ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين على فضل الذكر والتسبيح.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦١٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

الحديث رقم (١٢١)

١٢١- **الخامس**: عنه قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «**لاَ تَحقِرنَّ مِن المعْرُوفِ شَيْئًا، ولَوْ أنْ تلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[٢].

وجه طلق: منطلق ضاحك منبسط[٣].

الشرح الأدبي

إن طرق الخير تتعدد، ومنافذه تتفتح لكل مؤمن تَخْلُص نيته، وتصفو سريرته، اتباعا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾[٥].

وإن العلاقات بين أفراد الأمة الإسلامية تقوم على التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وتَلَمُّسِ الأسباب والوسائل التي تقرب ما بين النفوس، وتزيل الشبهات، وتقضي على كل مثيرات النزاع، وأسباب الخصام، رغبة في نشر أريج المحبة والوئام.

وحين نتأمل أفق الدلالة في هذا الحديث الشريف نجده يؤكد هذا المنحى، ويرشد إلى ضرورة التعرف على مسالك الخير التي تصلح ذات البين، وتجعل من أفراد الأمة كيانا متماسكًا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

---

(١) برقم (٢٦٢٦/١٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٦٧). وسيكرره المؤلف برقمي (٦٩٥)، و (٨٩٣).

(٢) اللسان والوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ط ل ق).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي يتسم بالإيجاز والدقة والإيحاء، إن الذي يرويه أبو ذر رضي الله عنه حيث يقول: "قال لي النبي ﷺ"، ولو تأملنا منهج الإمام النووي في ترتيب الأحاديث لوجدنا أنه يأتي بعدة أحاديث للراوي الواحد في باب واحد في كثير من أبواب الكتاب... وفي هذا الباب وهو بيان كثرة طرق الخير يأتي بخمسة أحاديث من رواية أبي ذر رضي الله عنه... وكلها ترشد إلى كثرة طرق الخير.

وتهدي إلى الوسائل والأسباب التي تؤدي إلى ارتياد هذه الطرق، وهذا الحديث يقودنا إلى طريق من طرق الخير، ربما يغفل عنه الناس، أو يجهلونه، أو يستقلونه، وهو: البشاشة، وحسن المقابلة، ومراعاة الذوق الاجتماعي، في ظل التعاليم الإسلامية، ويبدأ الحديث بأسلوب النهى، والفعل المضارع المؤكد حيث يقول المصطفى ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا"، والنهى هنا موجه إلى أبي ذر رضي الله عنه في سياق خصوصية الخطاب، ومحدودية الواقعية، ولكن هذا النهى عن احتقار القليل من المعروف موجه إلى كل مسلم يؤمن بالله تعالى ورسوله رضي الله عنه، ويؤمن بقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

والتأكيد في هذا السياق يرشد إلى حتمية العدول عن هذا النهى... والإقدام على فعل الخير والمعروف مهما قل، و"المعروف" كلمة تتسع دلالتها، وتحمل في جذرها اللغوي كل إرهاصات معانيها، فهي تشمل كل أنواع الخير، وكل الطرق الموصلة إليه، وجاء لفظ "المعروف" معرّفًا إشارة إلى تقريره وثبوته وأنه مألوف، كما قال العلماء.

وفي الحديث السابق صُوِّر الأمر بالمعروف بأنه صدقة... وهذا مجاز لمشابهة الصدقة له: أي أن للمعروف أجرًا كأجر الصدقة في الجنس لأن الجميع صادر عن رضا الله تعالى مكافأة على طاعته إما في القدر أو الصفة -كما يقول صاحب كتاب دليل الفالحين- وكلمة "شيئًا" توحي بضرورة تلمس أي طريق وأي فعل لإنجاز الخير، وتحصيل المعروف مهما قل؛ حتى الكلمة الطيبة، وحتى التبسم في وجه الصديق -

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

وعدم العبوس في وجهه، والبشاشة والتراحم والمودة- كلها من وسائل الخير، ومن المصابيح التي تضئ سبيل المؤمن في حياته الواقعية، وفي علاقاته الاجتماعية، وفي معاملاته الأسرية، والتعبير بالمصدر المؤول: "أن تلقى" يوحى بضرورة استمرار هذا الفعل البشوش، واختيار مادة "لقى"، للشعور بالإيناس واللقيا... وعدم الهجر والفرقة.

وكلمة "أخاك" تحمل كل ما يمكن في لفظ الأخوة من قيم ومشاعر لا تبددها الأحداث، وذلك مصداقًا لقوله الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وقول رسول الله ﷺ: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره))[2].

وما أروع هذا التعبير النبوي: بوجه طلق أو طليق، أى ضاحك مستبشر، وقل ما تشاء في تفسير الأثر الطيب الذي تحدثه طلاقة الوجه، وبشاشة المؤمن، وتبسمه في وجه أخيه: إنها مفاتيح القلوب، ومصابيح المحبة والمودة بين المؤمنين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أعمال الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على فعل المعروف ولو كان قليلاً.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب إدخال السرور على المسلم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بتيسير طرق الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

لقد ورد أسلوب النهي في قول النبي ﷺ "لا تحقرن" ولاشك أن النهي له أثر على المدعو في أهمية ترك المنهي عنه، وأدعى إلى اجتنابه، ذلك لأن النهي يشعر بالترهيب، وفي النهي: جذب لانتباه السامع ليتطلع إلى معرفة المنهي عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤٢.

(٢) رياض الصالحين ٩٨.

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أعمال الخير:

يجب على الداعية أن يتفقد المدعوين، ويراعي ظروفهم وأحوالهم، ويتعهدهم بالنصح والإرشاد لأعمال الخير، فمن كان فقيرًا لا يستطيع الصدقة والإنفاق يرشده ويدله إلى أمور من أبواب الخير التي لا تكلفه مالاً، ويؤجر عليها ويثاب، وفي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه إلى أن لا يحقر من المعروف شيئًا ولو كان يسيرًا، ولو كان مجرد طلاقة الوجه، وهذا من مهام الداعية أن يرشد الناس ويدلهم على أعمال الخير.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على فعل المعروف ولو كان قليلاً:

إن من توجيهات الإسلام أن يحرص المرء على فعل المعروف سواء أكان قليلاً أم كثيرًا، وذلك حتى يفوز برضوان الله، ويجب ألا يحقر المعروف لصغره أو قلته فقد يكون هو المتقبل عند الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))[1].

قال السندي: (وظاهر الحديث يدل على أن الأجر على قدر حال المعطي لا على قدر المال المعطى، فصاحب الدرهمين حيث أعطى نصف ماله في حال لا يعطي فيها إلا الأقوياء يكون أجره على قدر همته، بخلاف الغني فإنه ما أعطى نصف ماله، ولا في حال لا يعطي فيها عادة)[2]. ولقد جعل الله عز وجل في فعل الخير الفلاح للمؤمن فقال في كتابه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] والمدار في الأعمال على القبول عند الله تعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: استحباب إدخال السرور على المسلم:

إن من الموضوعات الدعوية المستنبطة من هذا الحديث: إدخال السرور على المسلم، ومن أقل صوره: أن تلقاه بوجه طلق مسرور، لا أن تلقاه بوجه عابس مكفهر، وكان هذا هو إرشاد النبي ﷺ في الحديث "ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" وهذا فيه من

---

(١) أخرجه النسائي ٢٥٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٣٦٧).

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (الجامع الصغير)، السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة ٦٢/٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.

السرور والإسعاد للمسلم ما فيه، ومن أجل هذا منع الشرع الحنيف أي تصرف يؤدي إلى ترويع المسلم وتخويفه وإفجاعه، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ ((لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا))[١] وبلغ الترهيب من ترويع المسلم أن منع الرسول ﷺ ذلك ولو على سبيل اللعب فقد جاء في الحديث ((لاَ يأْخُذْ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لاَعِبًا أو جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ))[٢]. وهذه النصوص تفيد أهمية إدخال السرور على المسلم، والترهيب من ترويعه.

قد يظن المرء أن هذا التصرف يسير لا يثاب عليه، ولكن من توجيهات الشرع الحنيف نلمس أن طلاقة الوجه من صنائع المعروف، وأن طلاقة الوجه من الصدقة فقد قال رسول الله ﷺ ((كلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وإنَّ مِنَ المعروفِ أنْ تَلْقَى أخاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))[٣].

قال المباركفوري: والمراد بالصدقة الثواب، فإن قارنته النية أجر صاحبه جزمًا، وإلا ففيه احتمال، وفي الحديث إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه، فلا تختص بأهل اليسار مثلاً، بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة، ومن جملة أفراد المعروف أن تلقى أخاك المسلم بوجه طلق منبسط متهلل)[٤].

هذا وقد جعل الله من صفات أهل الجنة يوم القيامة أن وجوههم منبسطة متهللة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾[٥] وعلى الداعي أن يستحضر هذه المعاني وهذه النصوص الشرعية ليبين للمدعوين فضل طلاقة الوجه والأجر عليها.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بتيسير طرق الخير:

من رحمة الله بخلقه أنه لم يجعل الخير في عمل واحد، أو قول واحد، ولكنه

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٨٤).

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٧٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٠٥).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٤٧/٢.

(٥) سورة عبس، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

سبحانه يسَّر طرق الخير وجعلها متعددة، وكل إنسان يفعل منها ما يتوافق مع حاله ومقدرته، وهذا من فضل الله عز وجل ورحمته، قال الله عز وجل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] ومن صور الرحمة إعطاء الأجر والثواب على العمل اليسير، فمجرد أن يلقى المسلم أخاه بوجه طلق يؤجر، ويكون أتى بابًا من أبواب المعروف طالما أنه صادق النية في عمله هذا وتصرفه، وواجب الداعية إبراز هذا الجانب للمدعوين ليطلعوا على عظيم فضل الله ورحمته، وليتسابقوا إلى أبواب الخير حتى ينالوا رضا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

الحديث رقم (١٢٢)

١٢٢- السادس: عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ علَيْهِ صدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ: تعدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ في دابَّتِهِ، فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أوْ ترْفَعُ لَهُ علَيْهَا متَاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صدَقةٌ، وبِكُلِّ خَطْوَةٍ تمْشِيها إلى الصَّلاَةِ صدقَةٌ، وَتُميطُ الأذَى عَن الطرِيق صَدَقةٌ» متفق عليه[١].

ورواه مسلم أيضًا من رواية عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسُول اللَّه ﷺ: «إنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إنْسانٍ مِنْ بني آدم علَى سِتِّينَ وثلاثمائَةِ مَفْصِلٍ، فَمنْ كَبَّر اللَّه، وحمِدَ اللَّه، وَهَلَّلَ اللَّه، وسبَّحَ اللَّه واستَغْفَر اللَّه، وعَزَلَ حَجرًا عنْ طَرِيقِ النَّاسِ أوْ شَوْكَةً أوْ عظْمًا عن طَرِيقِ النَّاسِ، أوْ أمر بمعرُوفٍ أوْ نهى عنْ مُنْكَرٍ، عَددَ[٢] السِّتِّينَ والثَّلاَثمائة[٣]، فَإنَّهُ يُمْسِي[٤] يَوْمئِذٍ وَقَد زَحزحَ نفْسَهُ عنِ النَّارِ»[٥].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سلامى: السلامى بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المفصل[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩/٥٦) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٥). وسيكرره المؤلف برقم (٢٤٨).

(٢) عند مسلم زيادة: (تلك).

(٣) عند مسلم زيادة: (السلامى). وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه، فتبعه عليه المؤلف.

(٤) قال مسلم: قال أبو توبة: وربّما قال: (يُمْسِي)، فالأول: (يمشي)، والثانية: (يمسي). قال النووي في المنهاج (٩٣/٧): ووقع لأكثر رواة كتاب مسلم، الأول: (يمشي) بفتح الياء وبالشين المعجمة، والثاني: بضمها وبالسين المهملة، ولبعضهم عكسه، وكلاهما: صحيحٌ.

(٥) أخرجه مسلم (١٠٠٧/٥٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٠٤).

(٦) رياض الصالحين ٩٨.

تعدل بينهما: تصلح بينهما بالعدل[١].

متاعه: المتاع: كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأداة والمال[٢].

تميط: تُنحى وتُبعد[٣].

هلّل: أي قال: لا إله إلا الله[٤].

زَحْزَح نفسه: أبعدها ونحّاها[٥].

الشرح الأدبي

إن شكر المنعم على نعمه التي لا تحصى من سمات الشخصية الإسلامية، ومن علامات الإيمان الصحيح.

والفكرة التي نقتبسها من هذا الحديث الشريف تشع بهذه الخاصية من خصائص المسلم في علاقته بربه وفي بصره بنفسه وتأمله في أحوال الخلق، والأفكار البليغة تتصف عادة، بالقوة والجدة، والتحديد والتسلسل، فإذا عرضت هذه الأوصاف الجيدة على بيان محمد ﷺ... فماذا أنت واجد؟ يقول د. محمد رجب البيومي موضحًا هذا التساؤل أجل كان محمد ﷺ صاحب فكر قوي متسع شامل في وقت كان فيه بلغاء المنابر بالجزيرة العربية، لا يكادون يخرجون عن واقعهم القبلي المحدود، ومحمد ﷺ منذ تسنم منبر الدعوة وهو يحلق بأمته في أفق لا انتهاء له، وإن سامعيه لينظرون إليه مرتفعًا في أجوائه العالية، وكلهم راغب أن يرتفع معه حيث يحلق، وما كان هذا الارتفاع الشاهق إلا هتافًا بالمثل الإسلامية التي دعا إليها، ليعيد إلى الإنسانية كرامتها، وينأى بها عن حضيض الخرافة، والفسق، والوأد، وعبادة الأوثان.

---

(١) رياض الصالحين ١٤٧.

(٢) الوسيط ٨٥٢.

(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والوسيط في (ن ح و).

(٤) الوسيط في (هـ ل ل).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ح ز ح).

نطالع أفكار محمد ﷺ التشريعية، وأهدافه الخلقية، وأحاديثه الإنسانية، وأخباره الغيبية، فنجد ما لا يؤلف في عصره، ولا يعهد في قومه[١].

وحين نتأمل بداية هذا الحديث الشريف ندرك أن الفكرة المشرقة التي تتألق في أفق هذا البيان النبوي لا عهد للعرب بمثلها، ولم يُسبق إليها رسولُ الله ﷺ، فهل سمع العرب قبل هذا في خطبهم أو رسائلهم أو وصاياهم أو أشعارهم بمثل هذا التعبير البليغ الإيماني السديد، كل سلامى من الناس عليه صدقة، أى على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة، والسلامى اسم لأصغر ما في البعير من عظام.

وفي الرواية الأخرى: حددت السلامى بالمفاصل: وهى: ستون وثلاثمائة مفصل. ولنتأمل هذا التحديد في قوله ﷺ: "من الناس" ولم يقل من كل مسلم: لأن الناس جميعًا تغمرهم هذه النعم، وبها يتحركون، وبواسطتها يعيشون، ولكن كثيرًا منهم لا يشكرون.

فهذا التعبير دعوة إلى جميع الناس للشكر.. وتأمل خلق النفس، ومكونات الجسد، فكلها آيات بينات: كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٢]، فأي بلاغة هذه؟ وأي سموق في المعنى، وبهاء في اللفظ، ودقة في الدلالة، واتساع في الرؤية، وهى ليست ترفًا أسلوبيًا ولا صنعة بديعية، ولا صورة فنية محلقة، ولكنها بيان نبوي رشيد، وبلاغ إلى الناس سديد، وإرشاد إلى طرق للخير جديدة، تلم شعث المسلمين، وتصلح ذات بينهم.

وبعد هذا الإجمال يأتي التفصيل ليفتح الآفاق أمام شكر المنعم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وكأن العبد مطالب كل يوم بأن يؤدي صدقات معنوية وحسية شكرًا لله تعالى على كل مفصل من مفاصله.

والعظام هى المرحلة قبل النهائية في خلق الإنسان حيث تتحول المضغة إلى عظام، ثم

---

(١) انظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي ص ٢١٦-٢١٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٥٣.

يقول الله سبحانه: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1].

وفي رواية أخرى تربط بين نعمة الخلق، وفضيلة الشكر والتصدق: يقول الرسول ﷺ: "على كل مَيْسم من الإنسان صدقة أو صلاة"، في رواية البزار، وقال بعضهم يريد بالميْسم، كل عضو على حدة، مأخوذ من الوسم وهو العلامة، إذ ما من عظم ولا عرق ولا عصب إلا وعليه أثر صنع الله عز وجل، فسبحان الله والحمد لله، والتعبير بقوله: "عليه" يوحي بأن هذا الأمر واجب على كل مسلم. وقال بعض العلماء: إن الشكر على درجتين: إحداهما واجب وهو أن يأتي بالواجبات ويتجنب المحرمات فهذا لابد منه، ويكفي في شكر هذه النعم. وقال أبو حازم الزاهد: ((شكر الجوارح كلها أن تكف عن المعاصي، وتُسْتَعمل في الطاعات)).

والدرجة الثانية من الشكر: الشكر المستحب: وهو أن يعمل العبد بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم بنوافل الطاعات: وهذه درجة السابقين المقربين[2]. وهي التي أرشد إليها النبي ﷺ في الأحاديث التي وردت في باب: كثرة طرق الخير.

وبيان المصطفى ﷺ مشحون بطاقات الصدق والتفاعل والتعاون على البر والتقوى.

وذلك طابع المسلم.. ويجب أن يكون الطابع العام للبشرية كلها.. لأن الرسول ﷺ أرسل للناس كافة، وأرسل رحمة للعالمين، وهذا الطابع يتجدد كل يوم... مع شروق الشمس في كل صباح جديد، فالمسلم يتذكر نعمة الله تعالى عليه... وقوله: "كل يوم..." يرشد إلى المسؤولية المتجددة المتكررة، وحين نتأمل نوعية هذه الصدقات التي تمثل طرق الخير المتعددة نرى أنها من عوامل إصلاح المجتمع المسلم، ومن عوامل تقدمه ونظافته وتجميله، وأول طريق من طرق الخير هو الإصلاح بين المتخاصمين، وعبر الرسول ﷺ، بالمقصد والهدف والثمرة من الإصلاح حيث قال: "أن تعدل بين الاثنين"،

---

(١) سورة المؤمنون: ١٤.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٢١٥ - ٢١٦.

فتأمل... المعاني الكامنة في قلب هذا التعبير النبوي الكريم وهو العدل، والتعبير بصيغة المضارع. يومئ إلى استمرار هذه الفضيلة في كل صباح جديد، وهذا الشكر العملي لابد أن يؤازره الشكر القولي، والنصح والإرشاد، فالكلمة الطيبة صدقة، ولنتأمل الدلالة الفسيحة والشاملة لهذه الكلمة التي تحمل كل وجوه الخير الكلمة الطيبة حيث تكمن في كيانها المشع كثير من الصفات الحسنة، ومنها الصادقة - الأمينة -الراشدة -العادلة -الواضحة -المحايدة -الحانية -المخلصة... الخ. كل هذه الإشعاعات الدلالية نقتبسها من شمس هذه الكلمة المتوهجة (الطيبة)، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهى تصلح ما اعوج من سلوك الإنسان، وتؤلف بين القلوب، ولذلك رغب رسول الله ﷺ في المشى إلى الصلاة، والصلاة في المساجد، حيث يتلاقى المؤمنون، ويقفون صفًا كالبنيان المرصوص، يناجون ربهم، ويؤدون ما افترضه عليهم ويدعونه خوفًا وطمعًا، ويتكرر هذا اللقاء كل يوم خمس مرات، فهل يجد الشيطان سبيلاً إلى قلوبهم؟؟!!.

وهل يجد الخلاف له مكانًا بين صنوفهم؟ وهذا التردد ذهابًا وإيابا إلى المساجد.. يغرس في نفس المسلم ملكة التطهر والنظافة لأن الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك؛ هذه الطاعة تقود الإنسان إلى فعل سلوكي اجتماعي حضاري وهو الحفاظ على البيئة من الأذى والتلوث والطريق أحد معالم البيئة، وإماطة الأذى عنه فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، وإماطة الأذى تعبير شامل موجز يشمل كل ما يعوق حركة الإنسان في الشارع من زحام وفوضى، وفضلات، وعدم التزام بقواعد المرور، وآداب السلوك، والأعراف والتقاليد العامة.

إن الصدقات التي وعدنا بها رسول الله ﷺ هى قمة الترغيب في إصلاح أحوال الأمة فهل نستجيب؟

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي ومن ذلك:

الأول: الإصلاح بين الناس، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الصلح بين الناس مشروع في الجملة وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع، وذكر ابن عرفة[٢] أن الصلح في الجملة مندوب، ولكن قد يكون واجبًا عند تعين مصلحته، ومكروهًا أو حرامًا لاستلزامه مفسدة واجبة الدرء أو كان صلحًا يحل حرامًا أو يحرم حلالاً.

الثاني: حكم إماطة الأذى عن الطريق، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١١٩).

الثالث: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١١٨).

الرابع: حكم الصدقة، والصدقة أنواع فمنها ما هو واجب وهو الزكاة حيث يطلق عليها صدقة، ومنها ما هو واجب على البدن وهو زكاة الفطر، ومنها الصدقة المفروضة من الشخص على نفسه وهو النذور، ومنها الصدقة المفروضة حقًا لله تعالى وهي الفدية والكفارة، ومنها ما هو تطوع وهذا هو المصطلح الأشهر عند ذكر الصدقة[٣].

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٣٣/٢٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٤٠/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٨٠/٥، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٥/٧ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢١٤/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، الأنصاري ١٣٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٦٢/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٠٨/٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٣٩/٢.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٨٠/٥، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٥/٧ وما بعدها.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٣٢٥/٢٦.

وقد ذكر الفقهاء[1] أن صدقة التطوع سنة ورد بفضلها الكتاب والسنة، وهي مستحبة في جميع الأوقات، وصدقة السر فيها أفضل من صدقة العلانية وفي كلٍ خير، وهي أفضل في وقت الصحة، وفي رمضان، وأوقات الحاجة، وفي كل زمان ومكان فاضل.

الخامس: حكم ذكر الله تعالى، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد، والترغيب.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: وجوب شكر النعم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإصلاح والعدل بين الناس.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة التسبيح وسائر الأذكار.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعاون بين الناس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في الإخبار عن عدد مفاصل الإنسان.

أولاً- من أساليب الدعوة: الخبر، والتوكيد، والترغيب:

١- الخبر: حيث أخبر الرسول ﷺ أن كل سلامي من الناس عليه صدقة، والخبر فيه دلالة على ما ينبغي فعله، أو إخبار عن أمر واجب على المدعو، وأخبار الأنبياء كلها صادقة، وهكذا يجب أن تكون أخبار الدعاة إلى الله، وعندئذٍ يتقبلها الناس بقبول حسن.

٢- التوكيد: حيث ورد في قوله ﷺ في الحديث: "إنه خلق كل إنسان"

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٦٢٨/١، وأحكام القرآن، ابن العربي ٢٠٤/١، ٣١٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٦ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٥/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٦٨/٢، والفروع، ابن مفلح ٦٤٩/٢، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٥٤١/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨٩/٢٤، ٣٢٥/٢٦.

والتوكيد من الأساليب الدعوية المهمة، حيث يشعر المدعو بأن الداعية على ثقة بما يقول، وبما يدعو إليه، والتوكيد يدلل على أهمية الموضوع الذي يتناوله الداعية.

٣- الترغيب: حيث جاء في الحديث "فإنه يمسي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النار" ولاشك أن الترغيب يعطي المدعو حافزًا وباعثًا على فعل الخير حيث يدرك مدى الثواب والأجر الذي يحصّله على فعله وعمله، لأن النفس البشرية تحب الخير وتميل إليه، وترغب في معرفة المنافع والفوائد التي تعود عليها، والداعية عندما يستخدم أسلوب الترغيب لاشك أنه يحبب المدعوين، ويعمل على استقطابهم واستمالة قلوبهم.

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الخير:

إن من مهام الداعية إلى الله أن يعرف الناس طرق الخير ويرشدهم إليها، ذلك أنه قد توجد أبواب من الخير يجهلها بعض الناس، ولذا فقد جاء في القرآن على لسان رسل الله أنهم نصحوا لأقوامهم وأرشدوهم إلى الخير، والعاقبة تقع على المقصرين ومن ذلك ما جاء على لسان نوح عليه السلام ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وعلى لسان صالح عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[2] وخاطب الله نبيه ﷺ وقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3] وبناء على هذا كان واجب الدعاة الأول الإرشاد والبيان والبلاغ. وفي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ المدعوين إلى طريق الخير من خلال وسائط متعددة منها: العدل بين اثنين، وإعانة الآخرين، والكلام الطيب، والمشي إلى الصلاة وغير ذلك.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: وجوب شكر النعم:

لقد وجه النبي ﷺ المؤمن إلى شكر نعم الله تعالى عليه، وأن كل سلامي من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٧٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الناس عليه صدقة، وهذا من قبيل الشكر لنعمة الله عز وجل قال الله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[١] ووعد عباده الشاكرين بالزيادة فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٢] وأخبر بأن الشاكرين قليلون قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٣].

قال ابن علان: وعلى الإنسان المكلف حق مؤكد في أداء شكر سلامة أعضائه وأتى بقوله "كل يوم تطلع فيه الشمس" دفعًا لتوهم الاكتفاء في أداء شكر نعم هذه الأعضاء بالإتيان بما في الحديث مرة، فنبه على أن ذلك مطلوب من الإنسان كل يوم شكرًا لسلامتها فيه[٤]، وقد أرشد النبي ﷺ في الحديث إلى أن شكر سلامة الأعضاء لا يكون باللسان فحسب، وإنما لا بد من بذل المعروف، وإعانة الناس، وفعل الخير فهذا هو الشكر الحقيقي. فشكر العبد لله: "نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات)[٥].

قال المناوي: (الشكر شكران:

الأول: شكر باللسان وهو الثناء على المنعم.

والآخر: شكر بجميع الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق، والشكور الباذل وسعه في أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا)[٦].

وقد قرن الله سبحانه عبادته بالشكر في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) سورةإبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢٥٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٢/٢/١.

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٧) سورة العنكبوت، آية: ١٧.

قال السعدي: (قوله: "واشكروا لي" أي على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب إقرارًا بالنعم واعترافًا، وباللسان ذكرًا وثناء، وبالجوارح طاعة لله وانقيادًا لأمره، واجتنابًا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادتها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]) [2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الإصلاح والعدل بين الناس:

ذكر النبي ﷺ أن من أوجه الصدقات المطلوبة من المسلم كل يوم أن يعدل بين اثنين ويصلح بينهم، وقد جاء الأمر بهذا في القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾[3] "وفي هذه الآية تقرير لما أمر الله به من الإصلاح إذ لحمة الإيمان وقرابته أقوى من لحمة النسب وقرابته، والأخوة في الإسلام قوية الأواصر متينة الصلة، والناس حينما يرون أخوين في النسب اقتتلا أسرعوا في فض النزاع. ويبين الله هنا أن صلة الإيمان أقوى من صلة النسب. وتقوى الله هي العلاج العام الذي يمنع النزاع، ويفك الخصام وهي سبيل الرحمة وطريق النجاة[4].

قال الطيبي: (إن إصلاح ذات البين سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة عند الله -سبحانه- فوق ما ينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه)[5]. فواجب الدعاة تنبيه الناس إلى أهمية الإصلاح بين الناس بالعدل.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٧.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي٣/٢٦/٦١.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢١٣.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حيث جاء في الحديث أن من أبواب الخير "أمر بمعروف أو نهي عن منكر" وهذا من أسباب خيرية الأمة الإسلامية قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] قال الإمام ابن كثير: (يخبر سبحانه وتعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، وإنما حازت هذه الأمة قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه)[2].

ومن أعظم الأمور الصالحة التي يقوم بها المسلم هو التواصي بالحق كما قال الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3] وتغيير المنكر يكون على قدر الوسع والطاقة ففي الحديث ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[4].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح وسائر الأذكار:

حيث جعل النبي ﷺ التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح والاستغفار من الأذكار التي تزحزح الإنسان عن النار، ولقد كان من هدي النبي ﷺ أن يذكر الله في كل أحواله ومدح الله أهل ذكره فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[5] والاستغفار سبب لزيادة الرزق والقوة قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾[6] وقال ﷺ للرجل الذي قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليَّ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٩٤.

(٣) سورة العصر، آية: ٣.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٦) سورة هود، آية: ٥٢.

فأخبرني بشيء أتشبث به؟ قال: ((لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ))[١].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعاون بين الناس:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من الحديث فضل التعاون بين الناس، لأن التعاون سمة من سمات المجتمع المسلم، ويظهر هذا في قول النبي ﷺ "وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة". وهذا من آداب الإسلام حيث إن القوي يساعد الضعيف، والغني يعين الفقير، والصحيح يحنو على المريض، وقد حث الله على التعاون فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٢].

قال القرطبي: (وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى، أي ليُعن بعضكم بعضًا، وتحاثوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عما نهى الله عنه، وامتنعوا منه، قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضا الله، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته. والتعاون يكون بوجوه: العالم بعلمه فيعلمهم، والغنى بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة)[٣].

وفي الحث على التعاون قال ﷺ: ((إن المؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا))[٤]. فيجب على الدعاة إحياء هذه المعاني في نفوس المدعوين.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في الإخبار عن عدد مفاصل الإنسان:

أشار الحديث إلى صورة من صور الإعجاز العلمي في السنة النبوية، حيث جاء في الحديث أن في جسم الإنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً، وهو ما قرره العلم الحديث: (إن هذا الحديث ينقلنا إلى علم التشريح الوصفي المبني على المشاهدة والحساب والدقة فيها فجسم الإنسان مكون من الهيكل العظمي الذي يكون أساس هذا الجسم، وحركة

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٧).

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٦/٦/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٥.

الإنسان ترجع في حد ذاتها إلى المفاصل التي تجعلها سهلة ميسرة، ولقد جاء هذا الحديث ليبين أن في جسم الإنسان ثلاثمائة وستين مفصلاً، وجاءت العلوم الحديثة لتقرر ما سبق أن قرره وأخبر به ﷺ فبذلك كان الإعجاز العلمي لرسول الله ﷺ واضحًا حين أعلمنا بمقدار المفاصل الموجودة في جسم الإنسان حين كان من المتعذر على أي إنسان أن يخبر بمثل ذلك)[1].

قال د. زغلول النجار: "واضح من حديث رسول ﷺ أن المقصود بالسلامى هي المفاصل التي يمكن للعظام أن تتحرك عبرها. ومن معاني الحديث الشريف أن على المسلم أن يقدم الشكر لله تعالى على ما وهبه من هيكل عظمى منتصب القامة مستقيم، ميزه الله تعالى به عن جميع الخلائق، وكونه من عدد هائل من العظام الكبيرة والدقيقة والغضاريف،وجعل بين كل عظمتين منها مفصلاً يتيح لهذا العدد الهائل من العظام حماية الأجزاء اللينة من جسم الإنسان ودعمها، وأعطاه في نفس الوقت قدرًا من مرونة الحركة تسمح للإنسان بالوقوف، والجلوس، والاضطجاع، والانحناء والتثني، والبسط والقبض وغير ذلك من الحركات التي مكنت الإنسان من العديد من المهارات، ومن قبيل الشكر لله تعالى الخالق البارئ المصور فإن على كل مسلم عابد لله وشاكر لأنعمه أن يقدم عن كل مفصل من تلك المفاصل صدقة في كل يوم يصبح فيه، تقديرًا لهذه النعمة الكبرى، وتعبيرًا عن شكر الله سبحانه وتعالى عليها، والتي بدونها ما كان من الممكن للإنسان أن يستمتع بوجوده في هذه الحياة،وتعظيمًا لروعة الخلق في تصميم تلك العظام ومفاصلها بهذه الدقة الفائقة التي تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة وبديع الصنعة، وإحكام الخلق.

والأمر المعجز في هذا الحديث أن يذكر فيه المصطفى ﷺ عدد مفاصل جسم الإنسان بهذا التحديد الدقيق (ثلاثمائة وستون مفصلاً) في زمن لم يكن متوفرًا فيه للإنسان أدنى علم بتشريح جسم الإنسان، أو أدنى معرفة بعدد عظام هيكله، وعدد

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١/٧٠، ٧١.

المفاصل فيه، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة، وفي بيئة بدوية لا تعرف العلم ولا التحقيق ولا التدوين!! حدث هذا في أوائل القرن السابع الميلادي، ونحن الآن في أوائل القرن الحادي والعشرين، والغالبية الساحقة من الناس لا تعرف عدد المفاصل في جسد كل منهم، بل إن عددًا كبيرًا من أساتذة طب وجراحة العظام في مطلع القرن الحادي والعشرين لا تعرف بالضبط عدد العظام أو عدد المفاصل في جسم الإنسان، وقد سألت عددًا منهم فتراوحت إجاباتهم بين المائتين والثلاثمائة عظمة، وبين المائة والثلاثمائة مفصل.

ولكن د. حامد أحمد حامد ذكر في كتابه المعنون بالعنوان الجميل: (رحلة الإيمان في جسم الإنسان) أن عدد المجموع الكلي للمفاصل في جسم الإنسان هو بالضبط ثلاثمائة وستون مفصلاً كما قرره رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة، وأوضح د. حامد تفصيل هذا العدد على النحو التالي:

(أولاً: بالعمود الفقري ١٤٧ مفصلاً كما يلي:

٢٥ مفصلاً بين الفقرات.

٧٢ مفصلاً بين الفقرات والأضلاع.

٥٠ مفصلاً بين الفقرات عن طريق اللقيمات الجانبية.

ثانيًا: بالصدر ٢٤ مفصلاً كما يلي:

٢ مفصل بين عظمتي القص والقفص الصدري.

١٨ مفصلاً بين القص والضلوع.

٢ مفصل بين الترقوة ولوحي الكتف.

٢ مفصل بين لوحي الكتف والصدر.

ثالثًا: بالطرف العلوي ٨٦ مفصلاً كما يلي:

٢ مفصل بين عظام الكتفين.

٦ مفاصل بين عظام الكوعين.

٨ مفاصل بين عظام الرسغين.

٧٠ مفصلاً بين عظام اليدين.

رابعًا: بالطرف السفلي ٩٢ مفصلاً كما يلي:

٢ مفصل للفخذين.

٦ مفاصل بين عظم الركبتين.

٦ مفاصل بين عظام الكاحلين.

٧٤ مفصلاً بين عظام القدمين.

٤ مفاصل بين عظام الركبة.

خامسًا: بالحوض ١١ مفصلاً كما يلي:

٤ مفاصل بين فقرات العصعص.

٦ مفاصل بين عظام الحُقّ.

١مفصل الارتفاق العاني.

المجموع: ١٤٧ + ٢٤ + ٨٦ + ٩٢ + ١١ = ٣٦٠ مفصلاً.

وهذه المفاصل المتحركة في جسم الإنسان والتي تعطي لهيكله العظمي ومن ثم للجسم كله القدرة على الحركة بمرونة عالية هي المقصودة بتعبير السلامى، أما الفواصل الثابتة كتلك الموجودة بين عظام الجمجمة فلا تدخل في عداد السلامى التي هي المفاصل التي تتم عبرها حركة العظام.

ولولا الفواصل التي هيأها ربنا تبارك وتعالى لتتحرك غالبية عظام الهيكل الصلب لإنسان عبرها؛ ما استطاع الإنسان مجرد الحركة، ولو تعطل مفصل واحد لعانى للإنسان من عطله آلامًا عديدة وواجه مشاكل ومصاعب جمة.

من هنا كانت وصية رسول الله ﷺ للإنسان بضرورة شكر الله تعالى في كل يوم تطلع فيه الشمس عليه بعدد هذه السلامى في جسده على الأقل، إن لم يكن أكثر من ذلك، فمهما قدم الإنسان من ذكر وشكر وصدقات، فإنه لا يمكن أن يوفي شكر الله تعالى ولو على سلامى واحدة من الثلاثمائة والستين التي خلقها ربنا تبارك وتعالى في جسده.

والسؤال الذي يفرض نفسه: من غير الله الخالق يمكن أن يكون قد علم رسولنا محمدًا ﷺ أن كل إنسان قد خلق على ستين وثلاثمائة مفصل؟ ومن الذي كان يمكن أن يضطره للخوض في أمر غيبي كهذا؟ لولا أن الله تعالى قد أيده بعلم من عنده سابق لعلوم كل البشر، ليبقى هذا العلم الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى في محكم كتابه، أو ألهمه خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فذكره في حديث صحيح منسوب إليه كهذا الحديث الشريف الذي نحن بصدده شاهدًا له بالنبوة والرسالة إلى يوم الدين)[1].

وعلى الدعاة إلى الله استخراج هذه المعاني، وهذه الصور من الإعجاز ليزداد الذين آمنوا إيمانًا من جانب، وليقف المخالفون على لون من ألوان الإعجاز العلمي الذي حفلت به السنة النبوية المطهرة، لأن هناك فريقًا من الناس، لا يسلمون بالأدلة النقلية، ولا يعترفون إلا بالحقائق العلمية المحسوسة، وهذا ما يجعل الحاجة إلى توظيف الإعجاز العلمي في الدعوة إلى الله ضرورة ملحة، ينبغي الاهتمام بها في هذا العصر الذي نعيشه، خاصة مع غير المسلمين.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١٣٨/٢ - ١٤٣ بتصرف.

الحديث رقم (١٢٣)

١٢٣- السابع: عنه عن النَبيِّ ﷺ قال: «منْ غدَا إلى المَسْجِدِ أو رَاحَ، أعدَّ اللَّهُ لَهُ في الجنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدا أوْ رَاحَ» متفقٌ عليه[١].

«النُّزُل»: القُوتُ والرِّزْقُ ومَا يُهَيَّأ للضَّيفِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نُزَلاً: فسرها النووي[٢]، وفي النهاية: "ما عند الله من الأجر والثواب"[٣].

الشرح الأدبي

إن المسجد في الإسلام له مكانته السامية، ووظيفته الهادية، وهو ملتقى الأفئدة المؤمنة، والمساجد بيوت أذن الله تعالى أن ترفع، وأن يذكر فيها اسمه ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٤].

والمسجد مرتبط بأداء فريضة الصلاة، وبالاعتكاف، وبقراءة العلم وتلقي دروسه، فهو مدرسة المسلمين الأولى، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي شاهدان على هذه المكانة التي أعطاها الإسلام للمسجد، وهما لهما أفضليتهما مع المسجد الأقصى، حيث لا تُشدُّ الرحال إلا إلى هذه المساجد الثلاثة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩/٢٨٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٥٤).

(٢) رياض الصالحين ٩٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ز ل).

(٤) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

ويشع هذا الحديث بأنوار الترغيب، وأطياف التقريب، ويتصل بما قبله في الحديث السابق حيث ينص الحديث الذي سبق شرحه على أن بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة.

والحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتضمن فضل الصلاة وفضل المسجد ولكن عن طريق الإيحاء والتلميح وليس عن طريق الإنباء والتصريح: حيث يرشد الحديث إلى التكبير والتحميد والتهليل والتسبيح والاستغفار، وكلها تتضمنها الصلاة، وهى من الصدقات -وقيل من الصلوات- التي يؤجر عليها الإنسان حين يشكر من خلال أدائها نعمة الله تعالى على أن خلقه وسواه.

وفي هذا الحديث الموجز يبشر المصطفى صلى الله عليه وسلم كل مؤمن يرتاد المساجد، والناس يشهدون له بالإيمان لإخلاصه في مسعاه، وغدوه ورواحه،ولذلك نقتبس من الحديث بعض ملامح الجمال الأسلوبي الذي يزيد المعنى جلاء وبهاء، وسمات ذلك البهاء، وآية ذلك الجمال: الإيجاز، والبعد عن الغموض والإلغاز، فالحديث تنظمه جملة واحدة، لكنها مبشرة واعدة، والجملة في بنائها اللغوي تتكون من الشرط والجواب، وأداة الشرط، "من" وهي أداة غير خاصة بفرد واحد وإنما تمثل قاعدة تصلح لكل من يقوم بهذه الحركة الإيمانية إلى يوم الدين، ومن هنا تبرز لنا بجلاء خاصية العموم والشمول في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، والتعبير بالفعل "غدا" يصور حركة الذهاب والمشى إلى المسجد، والمراد به السير أول النهار، ويراد به في الحديث من صلاة الفجر، وإطلاق لفظ المسجد بدون تخصيص أو إضافة يرشد إلى أن المراد عموم المسجد أي مكان الصلاة المهيأ والمعد لذلك، وقوله: "أو راح" فيه إشارة إلى تعدد الغدو والرواح. لأن المسلم لن يظل قابعًا في المسجد طيلة يومه، وإنما يغدو لأداء الفروض أو الاعتكاف أو القراءة أو تدريس العلم أو طلبه في المسجد، ثم يذهب الإنسان إلى السعي على رزقه واكتساب عيشة، ولتتأمل هذا الطباق بين غدا وراح، وقد كرر مرتين للتأكيد على ثبوت الجزاء الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الطباق يوحي كذلك بضرورة انشغال المسلم صباحًا ومساءً بالمسجد، تمسكًا بأداء الفروض الخمس، والتعبير بقوله، "كلما غدا أو راح"،

يوحي بتكرار السعي والمشي إلى المساجد ذهابًا وإيابًا، والثواب جزيل والأجر مضاعف؛ وكيف لا وهو من إعداد الله عز وجل، وماذا بعد هذا التكريم الإلهي وقد أعد لعبده الغدّاء الرّوّاح نزلاً في الجنة: وهو القوت والرزق وما يُهيأ للضيف، وأَكْرِمْ بضَيْف يتولى الله تعالى ضيافته وأكرم بنُزل يمنحه الله تعالى لمن يحب ويهبهم رضوانه وجنته.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب إلى المسجد للعبادة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد جاء الترغيب في قوله ﷺ: "أعد الله له في الجنة نزلاً" وذلك لمن يغدو إلى المسجد أو يروح، ولاشك أن النفس تقبل على العمل إذا وجدت الأجر والثواب كبيرًا، ويجب على الدعاة أن يستخدموا أسلوب الترغيب في تحبيب الناس إلى الخير، وحثهم عليه ببيان الجزاء على الأعمال، ليكون ذلك باعثًا للنفس على الإقبال على الطاعات، وللأعضاء أن تنشط في عمل الصالحات. لهذا كان أسلوب الترغيب (من الأساليب الضرورية بالنسبة للداعية، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا)[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

لا يفتأ الداعية أن يرشد الناس إلى الخير، ويحثهم عليه، ويذكرهم بثواب الله، وهذه من المهام الأساسية للدعاة إلى الله، أن يعملوا على إرشاد الناس إلى الخير قال الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وقال ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[3] وقال

---

(١) دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) سورة الأعلى، آية: ٩.

سبحانه ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[١].

وفي هذا الحديث أرشد رسول الله ﷺ إلى فضيلة الذهاب إلى المسجد والتردد عليه كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ((... ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد))[٢].

وهكذا حال الداعية دائمًا يفتح أبواب الخير للناس، ويبرز ثواب الله للطائعين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب إلى المسجد للعبادة:

لقد بيّن النبي ﷺ فضل الغدو والرواح إلى المسجد بالنُزل في الجنة مما يستحث الهمم، ويقوي العزائم على إدراك هذا الفضل.

قال ابن حجر (وظاهر الحديث حصول الفضل لمن أتى المسجد مطلقًا، لكن المقصود منه اختصاصه بمن يأتيه للعبادة، والصلاة رأسها، والثواب حاصل بكل غدوة وروحة أي ذهاب ورجوع)[٣] ولقد كان الذهاب إلى المسجد له هذا الفضل لأنه أحب البلاد إلى الله ففي الحديث ((أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا))[٤] قال الإمام النووي: (وأحب البلاد إلى الله مساجدها لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك. والمساجد محل نزول الرحمة والأسواق ضدها)[٥]، وفي فضل الذهاب إلى المسجد قال رسول الله ﷺ ((بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦] وخص الله أهل الإيمان بعمارة بيته فقال سبحانه ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) سورة الغاشية، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٤/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٧٢.

(٦) أخرجه أبو داود ٥٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٢٥).

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1]. فواجب الدعاة استحضار هذه النصوص وتذكير الناس بها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده:

يتضح هذا مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من الأجر الكبير على الغدو والرواح إلى المسجد، وهذا من فضل الله ورحمته بالعباد فإنه يضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها قال سبحانه: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾[2]، ومن رحمة الله عز وجل أن جعل من كفارة الخطايا ورفع الدرجات مجرد الذهاب إلى المسجد ففي الحديث ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّهِ! قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[3]. فمن الموضوعات الدعوية المهمة تذكير الناس بفضل الله ورحمته على عباده ليكون ذلك أدعى في الإقبال على العبادة.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥١.

الحديث رقم (١٢٤)

١٢٤- **الثامن:** عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «**يا نِسَاء المُسْلِماتِ لاَ تَحْقِرنَّ جارَةٌ لِجارتِهَا ولَوْ فِرْسِنَ شاةٍ**» متفقٌ عليه[١].

قال الجوهريُّ[٢]: الفِرْسِنُ مِنَ الْبعِيرِ: كالحافِرِ مِنَ الدَّابَّةِ، قال: ورُبَّمَا اسْتُعِير في الشَّاةِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فِرسِن: قال الجوهري: الفِرْسِن من البعير كالحافر من الدابة. قال: وربّما اسْتُعير في الشاة[٣].

الشرح الأدبي

تتوهج كلمات هذا الحديث الشريف بإثارة قضية اجتماعية جادة لها أثرها في إذكاء روح التعاطف والتحاب والتسامح والمودة والرحمة بين أفراد المجتمع المسلم. وهذه القضية هي مراعاة حق الجار، وإشاعة ظاهرة التهادي بين الجيران؛ لأن هذا السلوك يقرب ما بين النفوس، ويَسْتلُّ السخائم من القلوب، وينزع الأحقاد من الصدور، وصلةُ الجارِ بالجارِ، قد أرساها الإسلام على قاعدة المودة فيما شرع للجوار من حقوق: فأوصى القرآن الكريم بالجار في أكثر من آية، وقرن وجوب الإحسان بالجار قريبًا أم بعيدًا بوجوب عبادته وعدم الشرك به ووجوب الإحسان للوالدين.

وكذلك أوصى رسول الله ﷺ بالجار في عدة أحاديث، فمرة ينفي الإيمان عن الذي لا يأمن جاره بوائقه، ومرة يعدّ إكرام الجار من علامات الإيمان بالله تعالى واليوم

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٦)، ومسلم (١٠٣٠/٩٠) ولفظهما سواء.

(٢) الصحاح (٢١٧٧/٦، باب النون، فصل الفاء).

(٣) رياض الصالحين ١٠٠.

الآخر، ومرة يصف من يؤذي جاره بالخيبة والخسران، ومرة يعظم ويؤكد ما للجار من حرمة وحقوق فيقول: "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[(١)] [(٢)].

والوصية بالجار في هذا الحديث الشريف يتوجه بها رسول الله ﷺ إلى النساء، وهذا التوجه له دلالته وإيحاؤه؛ لأن كثيرًا من الخلافات تطرأ بين النساء لأوهى الأسباب، ومعظم النار من مستصغر الشرر كما قال الشاعر العربي، وترغيبًا للنساء في التراحم والتواد يوصيهم الرسول بهذه الوصية التي تفتح طريقًا من طرق الخير يغفل عنه الناس، وهو قبول الهدية القليلة في مظهرها وثمنها، لأن العبرة بالنية المصاحبة للهدية، ولو كانت الهدية فِرْسِن شاة: أي أقل شيء، وهذا التعبير كناية عن القلة: وقال الجوهري -وهو من علماء اللغة الكبار- الفِرْسِن من البعير كالحافر من الدابة، وربما استعير في الشاة، وتتنوع الهدايا، وتختلف قيمتها باختلاف العصر، وتطور العادات والتقاليد التي تحكمها طبيعة البيئة ويظل التوجيه النبوي رمزًا لحسن استقبال الهدية والصدقة والعطية مهما قل شأنها، ولنتأمل بعض أسرار البيان النبوي التي يشع بها هذا الحديث الشريف في ضوء البناء اللغوي، ومن هذه الأسرار: أن الحديث يبدأ بالنداء، وحرف النداء الياء، ويرشد ذلك الأسلوب إلى أهمية القضية، وإلى تواصل دورها في نشر ثقافة المحبة والتراحم، وإلى ضرورة الإصغاء إلى ما بعد النداء، والمنادَى: النساء المسلمات... وهذا التعبير تعددت توجيهاته الإعرابية، وكذلك تعددت دلالاته حسب تقدير البنية اللغوية، فلفظ "نساء"، منصوب لأنه منادى مضاف: من إضافة الصفة إلى الموصوف: فالرسول لم يناد أيَّ نساء، ولكنه خص النساء المسلمات بهذا النداء وهى إضافة، وهى إشارة إلى أن الجارة المسلمة لها ثلاثة حقوق إذا كانت ذات رحم، ولها حقان إذا كانت غير قريبة، وقيل في الحديث بلاغة الحذف، والتقدير، يا نساء الأنفس المسلمات، ووجه بعض العلماء الحديث توجيهًا آخر، وقال المراد بالأنفس هنا الرجال: فالنساء هنا زوجات المسلمين، والدلالات كلها متقاربة، وبنية الحديث اللغوية تفصح عن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٥، ومسلم ٢٦٢٥.

(٢) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٦٤ - ٦٥.

تعدد هذه الدلالات التي تثرى المعنى، وتعمق الهدف، وتأتي الجملة الثانية في الحديث: في صيغة النهى.. مع التأكيد، ويجمعهما الفعل المضارع، إشارة إلى استمرار هذا السلوك، وهو عدم استقلال الهدية أو الصدقة، والنهى في الحديث موجه إلى التي تُعطِي فلا تحرم نفسها من لذة العطاء بسبب قلة المُعْطَى، فربما يكون أثره كبيرًا وجميلاً ونافعًا، وكذلك الصيغة يمكن أن تتوجه إلى من تأخذ الهدية: فلا تحقرن شيئًا يُعطى لها؛ لأن العطاء والتهادي والتصدق من سمة المؤمن، ورفض العطية ربما يؤدي إلى القطيعة، والإسلام دائمًا يحرص على تماسك بنية المجتمع الإسلامي في ضوء المودة والتراحم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الهدية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدم احتقار شيء من المعروف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التوادد والتحابب بين المسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النداء والنهي والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب الهدية:

للهدية تأثير إيجابي عظيم على أنماط التعامل بين الناس، خاصة إذا كانت خالصة ومجردة من الرغبة في تحصيل المنافع المادية، ولذا فإن النبي أهاب بعدم احتقار الهدية في قوله ﷺ: "لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرس شاة".

قال ابن حجر: (وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير، لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت)[1].

وقال عبدالله البسام: (في الحديث الترغيب في فعل الخير والحث عليه وأن هذا من خلق المسلمين والمسلمات، فهم الذين ينبغي أن يتصفوا بهذه الصفة الكريمة، وفي الحديث فضل الهدية لما تحدثه في نفوس المتهادين من سلّ السخائم والعداوات وجلب المودة والمحبة)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٢-٦٥٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٢٧٨/٤.

وقد بيّن النبي ﷺ الحكمة من الهدية فقد روى الترمذي هذا الحديث بلفظ: ((تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ، ولا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنَ شَاةٍ))[١].

وقال النبي ﷺ: ((تَهَادَوْا تَحَابُّوا))[٢].

وذلك لأن الهدية تزيل ((الحقد والضِّغن والعداوة والتوقد من الغيظ، أي: أنها تزيل العداوة وتزيد المحبة))[٣].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهدون إلى النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها: إن الناس كان يتحرون بهداياهم يوم عائشة؛ يبتغون بها أو يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ[٤].

وكان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[٥]. قال ابن حجر: (أي يعطي الذي يهدي له بدلها، والمراد بالثواب: المجازاة وأقله ما يساوي قيمة الهدية)[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عدم احتقار شيء من المعروف:

إن الإسلام يؤكد على أهمية تعميق أواصر المودة والمحبة بين الناس، ومن مظاهر ذلك عدم احتقار شيء من المعروف كما يتضح في قوله ﷺ "ولو فرسن شاة" قال النووي: (وهذا النهي عن الاحتقار معناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجودَ عندها، بل تجود بما تيسر وإن كان قليلاً -كفرسن شاة- وهو خير من العدم)[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢١٣٠، وضعف الألباني الزيادة التي في أوله (ضعيف سنن الترمذي ٣٧٨)، لكن قال محققو المسند: ١٤٢/١٥ بعد أن أوردوا عدة شواهد له وحكموا على هذا الحديث بهذه الزيادة بأنه حديث حسن-قالوا: ولا يخلو إسناد واحد من هذه الشواهد من ضعف.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤ من حديث أبي هريرة وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد ١٤٢/١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥٧٤، ومسلم ٢٤٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٨٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/٥.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٢ - ٦٥٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٤/٥ - ٢٣٥.

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه ألا يحقر قليل المعروف، فإنه لا يحقره إلا قليل العلم، فإنه إذا نظر إلى ما يتقبل الله تعالى منه لم يسغ له احتقار شيء يتقبله الله تعالى)[١].

قال عبدالله البسام: (في الحديث أن المُهدي لا يستحقر تقديم الهدية، وإن كانت قليلة حقيرة، فالمدار على معناها، والمقصود منها أثرها المعنوي لا ذاتها ونفعها المادي فقط، لأنها مهما قلّت وتضاءلت فإنها تشعر بالمودة والإخاء، وفيه دليل على أن المعروف والعمل الصالح إذا قصد به وجه الله تعالى وقصد منه معانيه الكريمة، فإن أثره عند الله عظيم... وإذا كانت صدقة على فقر فإنها تنفع الفقير وإن قلت، وتزيد حسنات المحسن بحسب ما يصحبها من نية صالحة قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[٢]، وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((اتَّقوا النارَ ولو بِشقِّ تَمرةٍ))[٣])[٤].

ونستطيع أن نستخرج من القرآن الكريم الآيات، ومن السنة الأحاديث التي تحض على عدم احتقار شيء من المعروف:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٥].

وجاء في أسباب نزول هذه الآية ما رواه سعيد بن جبير مرسلاً قال: لما نزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٦] كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٦/٢٧١.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٤/٢٧٨.

(٥) سورة الزلزلة الآيتان: ٧ - ٨.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٨.

يعطوه التمرة والكِسرة فيردونه ويقولون: ما هذا بشيء، إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه. وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك... فرغبهم في القليل من الخير أن يعملوه، فإنه يوشك أن يكثر، وحذرهم اليسير من الشر، فإنه يوشك أن يكثر[١].

أما في السنة فقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تحض على عدم احتقار شيء من المعروف، من ذلك قوله ﷺ: ((اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فإن لم يكن فبكلمةٍ طيِّبة))[٢]. قال ابن حجر: (وفيه إشارة إلى ترك احتقار القليل من الصدقة وغيرها)[٣].

وقال النبي ﷺ لأبي ذر: ((لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ))[٤].

قال النووي: (فيه الحث على فضل المعروف وما تيسر منه وإن قل حتى طلاقة الوجه عند اللقاء)[٥].

ومن المواقف الجلية المذكورة في السيرة التي تبين ما يفعله القليل من المعروف في النفوس ما كان من شأن كعب بن مالك رضي الله عنه عندما أُخبر بتوبة الله عليه بعد غزوة تبوك، فعندما ذهب إلى النبي ﷺ في المسجد وحوله الصحابة رضي الله عنهم قام طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وصافحه وهنأه فكان كعب يقول: لا أنساها لطلحة[٦].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٤/٨، والدر المنثور للسيوطي ٥٨٨/١٥، وقد ساق ابن كثير إسناده وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٤٠، ومسلم ١٠١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٣/١١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التوادد والتحابب بين المسلمين:

هذا يحتمله النهي في قوله ﷺ "لا تحقرن..." قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمرٌ بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت، فيتساوى في ذلك الغني والفقير)[١].

كما يحتمل أن يكون النهي للمهُدية ويحتمل أن يكون للمُهدَى إليها، فلا تحتقر ما يُهْدَى إليها، قال ابن حجر: (ولا يمتنع حمله على المعنيين)[٢].

قال عبدالله البسام: "إن الهدية تذهب الحقد والعداوة بين المتعادين، وتجلب السرور والمودة في نفس المهدى إليه، فصار من فوائدها جلب المودة ورفع العداوة، وكفى بهذا فائدة، فإن هذا هو هدف الإسلام في نهجه إلى جلب الخير ومنع الشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٣]، ومحاولة سلّ السخائم والعداوات بين الناس لا سيما بين الأصدقاء والأقرباء هذا خلق سام كريم، وهو صعب على النفوس، لا يوفق له إلا أصحاب النفوس العالية، والقلوب الكريمة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤][٥].

فالحديث يحضّ على التوادد والتحابب بين المسلمين عن طريق الهدية ولو كانت يسيرة، وقد جاءت آيات وأحاديث تحث على نشر هذه الصفة بين المسلمين، من ذلك قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[٦] قال البغوي:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/١٠ وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٢-٦٥٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/٥.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤ - ٣٤.

(٥) توضح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٢٧٦/٤ - ٢٧٧.

(٦) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(متعاطفون متواددون بعضهم لبعض، كالولد مع الوالد)[١].

ومن الأحاديث: قال النبي ﷺ: ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكىٰ عُضو تَداعىٰ له سائرُ جسَده بالسّهَرِ والحُمّىٰ))[٢] قال ابن حجر: (التوادد تفاعل من المودة، والود والوداد بمعنًى، وهو تقرب شخص من آخر بما يحب)[٣] (كالتزاور والتهادي)[٤]. لذا كان من أولى الصفات التي يحاول الداعية أن يغرسها في نفوس المدعوين التوادد والتعاطف والتحابب بينهم[٥].

رابعًا- من أساليب الدعوة: النداء والنهي والتوكيد:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب النداء "يا نساء المسلمات" لينبه على أهمية ما يكون بعد هذا النداء، ثم استخدم ﷺ النهي "لا تحقرن..." مع توكيده بالنون، ليدل على خطورة هذا النهي، ومن ثمّ يسارع المخاطبون بتجنبه والابتعاد عنه والعمل بضدّه.

---

(١) معالم التنزيل "تفسير البغوي" ٣٢٣/٧-٣٢٤، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٢/١٦/٨-٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٣/١٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٤/١٠ وانظر بهجة النفوس "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي١٥٧/٤/٢-١٥٨.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١٣٤٣/٤-١٣٥١.

الحديث رقم (١٢٥)

١٢٥- التاسع: عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسبْعُونَ، أوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شَعْبَةً: فَأفْضلُهَا قوْلُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عنِ الطَّرِيقِ، وَالحيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمانِ**» متفقٌ عليه[1].

«**البضْعُ**» من ثلاثة إلى تسعةٍ، بكسر الباءِ وقد تفْتَحُ. «**والشُّعْبَةُ**»: القطْعة.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بضع: البضع من ثلاثة إلى تسعة بكسر الباء وقد تفتح[2].

الشعبة: القطعة[3].

إماطة الأذى: أي تنحيته وإبعاده وإزالته[4].

الشرح الأدبي

إن خُلُق الحياء في الإسلام من أرقى الصفات التي ينطوي عليها سلوك المسلم في أقواله وأعماله، والمصطفى ﷺ في هذا الحديث الشريف يرغب المسلمين في التمسك بخلق الحياء، وهذا الترغيب يبزغ في التصوير البياني الجميل الذي يشدنا إلى تأمل دلالات هذا الحديث الشريف، حيث: يشبه الرسول ﷺ الإيمان الكامل بشجرة ذات أغصان وثمار، والتصديق يمثل جذرها الثابت وجذعها الراسخ، ولما كانت الشجرة لا

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥/٥٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٧١). وسيكرره المؤلف برقم (٦٨٨).

(٢) رياض الصالحين ١٠٠. وفيه أقوال أخرى ينظر المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ص ٥٠.

(٣) رياض الصالحين ١٠٠.

(٤) ينظر المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٢٨، ٢٣٩ وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/٥.

قيمة لها ولا ثمرة إلا بفروعها، فالإيمان كذلك لا يؤتي ثماره ولا ينجي من النار إلا إذا اتبعت الأوامر، واجتنبت النواهي، ويرغبنا الرسول ﷺ بصفة خاصة في شعبة من شعب الإيمان قد نغفل عنها أو تدفعنا الطبيعة البشرية إلى إهمالها، وهى الحياء أصل الفضيلة والباعث عليها، ولذا قال النبي ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وأفضل شعب الإيمان قول لا إله إلا الله، وهى شهادة التوحيد لأنها القاعدة الأساسية للإيمان.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف وأول ما يلفت قارئ هذا الحديث عُنْصر التصوير في هذا الحديث؛ حيث يشبه الرسول ﷺ الإيمان بالشجرة الطيبة ذات الشُّعَب والأغصان المتعددة وهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء: تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

وحين نتأمل دلالات الألفاظ في الحديث الشريف ندرك أنها قليلة في مبناها كثيرة في معناها، وأنها تدرج هذا الحديث الشريف في جوامع كلمه ﷺ.

فتحديد العدد بقوله: "بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة"، المراد به التكثير والمبالغة، لأن المراد هو تكميل النفس بصلاح المعاش المؤدي إلى تحسين المعاد كما قال صاحب دليل الفالحين.

ومما يدل على عدم التحديد لفظ "البضع" لأنه غير محدد في ضوء تعريف العلماء له: فالبِضْع كما قال الزجاج: بكسر الباء، وقيل: بفتحها هو: القطعة من العدد المبهم المقيد بما بين الثلاث إلى التسع، وقال الفراء: هو خاص بالعشرة إلى التسعين، وكلمة "شعبة" تشع بأضواء الدلالات المتعددة، وفي ضوء تفسير العلماء وتأويلهم ومحاولة حصرهم لشعب الإيمان تكمن قيمة الإيجاز في الحديث النبوي.

وقال ابن حبان: عددت كل طاعة عدها الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته: فإذا هي تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص، وهذا التحديد بعيد عن الواقع، لأن شعب الإيمان لا تتناهى في تفاصيلها وفروعها فالشعبة ليست خصلة واحدة ولكنها تضم خلالاً وخصالاً كثيرة.

وبعض العلماء حاول تحديدها تفصيلاً فقال وهو يُؤوِّل الشعبة بالخصلة، قال: وقد

رأيتها - أي هذه الشعب- تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب: المعتقدات والنيات تشتمل على أربعة وعشرين خصلة، وأعمال اللسان تشتمل على سبع خصال، وأعمال البدن تشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان وهى خمس عشرة[1]، ومنها ما يتعلق بالاتباع وهى ست خصال، ومنها ما يتعلق بالعامة وهى سبع عشرة، وهذا الإحصاء ليس هو المراد الحقيقي ولكنه اجتهاد، والأولى عدم التحديد لأن الحديث جاء التعبير فيه بلفظ الشعبة.

والحياء: شعبة من الإيمان، ولنتساءل لم خص الرسول ﷺ الحياء بالذكر بعد أن حدد أفضل الشعب وهى : قول: لا إله إلا الله، ثم حدد أدناها أي أقربها إلى سلوك الناس إماطة الأذى عن الطريق؟

إن التحديد هنا ينبئ عن أهمية الحياء في استكمال معالم شخصية المسلم، فهو خلق يلازمه في كل حركاته وسكناته، والدلالة اللغوية والشرعية للحياء تضيئان هذه القيمة، وتجليان هذا السلوك القويم، فالحياء في اللغة: تَغَيُّر وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه، أو انحصار النفس من خوف ارتكاب القبائح، وخلق المسلم يأبى التبجح والمجاهرة بالمعاصي، وتعمد إيذاء الآخرين، وهذا المدلول اللغوي الذي يتطابق مع السلوك الإنساني والإسلامي تعضده الدلالة الشرعية، فالحياء في منظور الشرع، خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذوي الحقوق.

وأهمية الحياء تكمن في دوره المؤثر في توجيه سلوك الجماعة المؤمنة: حيث يؤدي إلى المحاسبة الذاتية، واحترام مشاعر الغير، في ظل خشية الله تعالى، ومراقبته في السر والعلن.

وحتى لا يختلط الحياء بالضعف والسكوت عن الحق، قسم العلماء الحياء إلى نوعين: **أحدهما**: ما كان خلقًا وجبلة غير مكتسب وهو من أَجَلِّ الأخلاق التي يمنحها الله تعالى العبد ويجبله عليها، ولهذا قال ﷺ: ((الحياء لا يأتي إلا بخير))[2].

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٠٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ٣٧.

والنوع الثاني: ما كان مكتسبًا من معرفة الله تعالى ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، -وهذا كما قال العلماء- من أعلى خصال الإيمان، بل هو من أعلى درجات الإحسان، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وأن تذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله[1].

وفي ضوء هذا المفهوم المتسع الدلالة للحياء في ضوء الشرع، وفي ضوء صحيح الأحاديث: يزول كل لبس في تصرف بعض الناس حيث لا يقدمون على قول الحق، ولا يعترضون على المنكر، ولا يغضبون لانتهاك حرمات الله تعالى، ولا يَهِبّون للدفاع عن كرامتهم إذا ما استبيحت أموالهم أو أعراضهم.

فهذا كله ليس من الحياء في شيء، فالحياء في مفهومه الشرعي: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذوي الحقوق، أما الحياء الذي يمنع من قول الحق، أو الذي يؤدي إلى التقصير في حق ذوي الحقوق، أو إلى ضياع المستحقات والتفريط في ثوابت الأمة، ومعالم عقيدتها: فذلك عجز ومهانة، وضعف واستكانة، والمؤمن ليس عاجزًا، ولا مهينًا، ولا ضعيفًا ولا مستكينًا، ولكنه يتباهى بعزته، ويسمو بكرامته، ويحتمي بعقيدته، ويعلن في ثبات ويقين عن قوته، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.

وقيل: إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل، وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده: فليس هو من الحياء، وإنما هو ضعف وخور وعجز، وأرفع الحياء من الله تعالى - كما قال بعض العلماء- هو: أن لا يراك حيث نهاك، فاللهم هب لنا حياء الصالحين الأقوياء، وانفعنا بما علمتنا، وعلمنا بما ينفعنا، وزدنا علمًا.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعدد شعب الإيمان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء.

ثالثًا: من أهداف الدعوة الإسلامية: تعبيد العباد لله رب العالمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعدد شعب الإيمان:

الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالأركان[١]، وشعب الإيمان خصاله وأجزاؤه[٢]. قال النووي: (وقد نبّه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته وأدناها ما يتوقع ضرره من إماطة الأذى عن طريقهم)[٣] وقال ابن حجر: (هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن: فأعمال القلب فهي المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده، بأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر... وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد وتلاوة القرآن وتعلم العلم... وأعمال البدن وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، ومنها ما يختص بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهير حسًا وحكمًا... ومنها ما يتعلق بالاتباع وهي ست خصال: التعفف بالنكاح والقيام بحقوق العيال وبرّ الوالدين... ومنها ما يتعلق بالعامة وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل...).

ثم قال: (فهذه تسعٌ وستون خصلة ويمكن عدُّها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/١-٦٩، وانظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٣٨٥/١-٣٨٩ وما بعدها. والإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٣٥٣/٦ - ٣٦٤.

وقال ابن هبيرة عن خصال الإيمان: "إنها جميعها إنما تتشعب عن الإيمان الذي هو التصديق، فهو على نحو عين تتشعب عنها شعب، يكون انبعاث كل شعبة عنها، فهي تمده وتبعثه وهو يدل عليها ويفصح عنها، وذلك كله دليل قاطع على أن الإيمان قول وعمل ونية"[١].

ثم ذكرها ثم قال: "ذكر رسول الله ﷺ هذه الخصال كلها ليحرض المؤمن على جمعها، إلا أنه بحمد الله ليس فيها شيء من الترهبن ولا الابتداع في الأقوال والأحوال، فمن أراد الله به خيرًا جمعها له، أو جمع له منها حسب حاله"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء:

إن الحياء والإيمان قرناء لا ينفك أحدهما عن الآخر، قال ﷺ ((الإيمان والحياء قرناء فإذا رفع أحدهما رفع الآخر))[٣] والحياء لا يأتي إلا بخير ولا يستغني المؤمن عن الحياء في كافة أحواله، وما يدل على فضل الحياء أنه شعبة من شعب الإيمان، كما في قوله ﷺ: "والحياء شعبة من الإيمان".

وقد خاطب النبي ﷺ أصحابه فقال: ((اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّه حَقَّ الحَيَاءِ ». قال: قُلْنَا: يَا نَبِيَّ للَّه إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالحمدُ للَّه، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنْ الاسْتِحَيَاءَ مِنَ اللَّه حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَى يَعْنِي مِنَ اللَّه حَقَّ الْحَيَاءِ))[٤].

قال النووي: (حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو هذا)[٥].

ولذا قال النبي ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ))[٦] وفي رواية لمسلم: "الحياء خير

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٣٥٤/٦.

(٢) المرجع السابق ٤٠٦/٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢/١ وصححه كما صحّحه الألباني في صحيح الترغيب ٢٦٣٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧ وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٤/١، ٥٣٩/١٠.

(٦) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧.

كله" أو قال ((الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْر))[١].

كما أن الحياء خصلة تزين صاحبها وتجمل عمله، قال النبي ﷺ ((ما كَانَ الفُحْشُ في شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ))[٢].

قال ابن هبيرة: (لما كان الحياءُ ناشئًا عن عقل، عرف قبح القبيح الذي قبحه الشرع، فاستحيا من إتيانه، وكان المؤمن قد جبله الله على الحياء من حيث إنه سبحانه وتعالى استنفد وسع العبد بالحياء من تواتر فضل الله في الطاعة، أضعاف ما يستنفد به وسع أهل القحة[٣]، بالسياط، فجبلهم على الحياء لأنه سبحانه وتعالى ترك[٤] سياط سوق عباده إليه استحياءهم منه، فكان هذا من أركان الإيمان)[٥].

ومن المواقف التي تدل على الحياء ما وقع من أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: ((وكنتُ أنقل النَّوَى من أرض الزُّبير التي أقطَعَهُ رسولُ الله ﷺ -على رأسي- وهي مني على ثُلثَي فَرسَخ[٦]: فجِئتُ يومًا والنَّوَى على رأسي، فلقيتُ رسولَ الله ﷺ ومعهُ نَفَرٌ من الأنصار، فدَعاني، ثم قال: إخْ إخْ[٧]، ليحمِلَني خَلفَه، فاستحيَيتُ أن أسيرَ معَ الرِّجال، وذكرتُ الزُّبيرَ وغَيرَتَه ـ وكان أغيَرَ الناس ـ فَعَرَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أني قد استحييتُ، فمضى))[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٦١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٠٧).

(٣) جاء في القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٢٣٥: القح: الخالص من اللؤم والكرم، والجافي من الناس وغيرهم، والمقصود: أهل الجفاء المبارزين بالمعاصي الذين لا حياء عندهم.

(٤) هكذا في المطبوع والغالب على الظنّ أن هناك سقطًا أو تحريفًا، ويمكن أن تستقيم العبارة بأن نضع مكان كلمة "ترك" كلمة "جعل"، والله أعلم.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٣٩٥/٦.

(٦) الفرسخ مقياس من مقاييس المسافات مقداره ثلاثة أميال، ويساوي نحو خمسة كيلومترات ونصف. انظر: معجم لغة الفقهاء ٣١١، والوسيط ٦٨١.

(٧) إخ إخ: بكسر الهمزة وسكون الخاء كلمة تقال للبعير لمن أراد أن ينيخه، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٤/٩.

(٨) أخرجه البخاري ٥٢٢٤، ومسلم ٢١٨٢.

ولفضل الحياء كان من الموضوعات الجديرة بمعالجة الداعية وتوجيه المدعوين إلى التحلي بها[١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: تعبيد العباد لله رب العالمين:

من الأهداف الأصلية للدعوة الإسلامية: تعبيد العباد لرب العالمين، وجعل تلك العبودية خالصة لله تعالى، ومن الشواهد على ذلك في الحديث قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله..." قال النووي: (وقد نبّه ﷺ على أن أفضلها التوحيد المتعين على كل أحد، والذي لا يصح شيء من الشعب إلا بعد صحته)[٢].

"لذا فإن الإيمان بالله عز وجل هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنًا، وأعلاها قدرًا، بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه، راجعة إليه، مبنية عليه، والإيمان بالله عز وجل هو الإيمان بوحدانيته سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فهذه أصول ثلاثة يقوم عليها الإيمان بالله، بل إن الدين الإسلامي الحنيف إنما سمي توحيدًا، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ندّ له"[٣].

وقد جاءت نصوص كثيرة من القرآن والسنة تدل على أن الهدف الأول للدعوة الإسلامية هو تعبيد العباد لله رب العالمين وإفرادهم إياه بالعبادة.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٤] فهذه هي (الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته المتضمنة لمعرفته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه)[٥].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١٧٩٥/٥ - ١٨١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٩.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]. وبعث رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم كتابًا فيه ((أمّا بعدُ فإنّي أدْعُوكَ بدعايةِ الإسْلام، أسلِمْ تَسلَمْ، يُؤتِكَ اللّهُ أَجْرَكَ مَرَّتين. فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسيِّين ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[2]... الحديث بطوله[3] وفيه قول أبي سفيان جوابًا عن سؤال هرقل: ماذا يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم...)).

وقد تمثل الصحابي رِبْعي بن عامر هذا الهدف خير تمثيل عندما أجاب رستم قائد الفرس في موقعة القادسية (١٤هـ) عندما سأله: ما جاء بكم؟ فأجابه ربعي فقال له: (الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)[4].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

لقد أجمل النبي ﷺ شعب الإيمان "بضع وسبعون شعبة" ثم فصل بعضها، فذكر أفضلها وأدناها وما هو منها "الحياء". ولا شك أن هذا الإجمال يشدّ المدعو ويجذب انتباهه لذكر التفصيل، فيعي ما يقال ويفهمه ويُدْركه.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧، ومسلم ١٧٧٣.

(٤) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ٥٢٠/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٢٢/٩، وانظر: حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: نايف العباس، ود. محمد علي دولة ٣١ - ١٢٦.

الحديث رقم (١٢٦)

١٢٦- العاشر: عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليْهِ الْعَطَشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فيها فَشَرِبَ، ثُمَّ خرج فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فقال الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ[1] بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه». قَالُوا: يا رسولَ اللَّه إنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِم أَجْرًا[2]؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ» متفقٌ عليه[3].

وفي رواية للبخاري[4]: «فَشَكَر اللَّه لهُ فَغَفَرَ لَه، فَأَدْخَلَه الْجنَّةَ».

وفي رواية لَهُما[5]: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطيف بِركِيَّةٍ قَدْ كَادَ يقْتُلُه الْعطَشُ إذْ رأتْه بغِيٌّ مِنْ بَغَايا بَنِي إسْرَائيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فاسْتَقت لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ فَغُفِر لَهَا بِهِ».

«الْمُوقُ»: الْخُفُّ. «وَيُطِيفُ»: يَدُورُ حَوْلَ «رَكِيَّةٍ» وَهِيَ الْبِئْرُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

كلب يلهث: أي أخرج لسانه من حرٍّ أو عطش[6].

الثرى: التراب الندي[7].

---

(١) (قد) لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (هذه البهائم لأجرًا).

(٣) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤/١٥٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٠٧).

(٤) برقم (١٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥/١٥٥) ولفظهما سواء.

(٦) الوسيط ٨٤١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ر ى).

فيه: فمه[١].

رقى: صعد. يقال رقى في السُّلم: صعد فيه[٢].

كبد رطبة: أي كل كبد حيَّة والمراد: رطوبة الحياة، أو لأن الرطوبة لازمة للحياة فهو كناية[٣].

يطيف بركية: يُطيفُ: يَدُورُ حَوْل "رَكيَّة" وهي البئر[٤].

بغي: البغي: الفاجرة تتكسب بفجورها[٥].

مُوقها: الموق: الخف[٦].

الشرح الأدبي

إن طرق الخير تتعدد المسالك إليها، وتتجاوز الاهتمام بالإنسان إلى الرأفة بالحيوان، والمحافظة على النبات، وحسن إقامة البنيان، والحفاظ على جمال العمران.

ونقتبس من هذا النص النبوي الكريم مشهدًا من مشاهد العطف والرحمة التي يتسم بها الخلق الإسلامي في تعامله مع الكائنات الأخرى، وكائنات الطبيعة بصفة عامة لأنها من مظاهر قدرة الله عز وجل، والطبيعة كتاب مفتوح نقرأ فيه أسرار الكون، ونستشف منه جمال الحياة، وهي في منظور التصور الإسلامي مسرح التأملات، ومصدر الجمال الكوني، وترجمان القدرة الإلهية، ومنبع السعادة الإنسانية، وللطبيعة الكونية والحية حظ كبير من التقدير والتوجيه الإلهي في سر جمال هذا الكون[٧].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ١٢٥١.

(٢) الوسيط في (ر ق ي).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٥/٥١).

(٤) رياض الصالحين ١٠١.

(٥) الوسيط في (ب غ ي).

(٦) رياض الصالحين ١٠٠-١٠١.

(٧) انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبدالدايم.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف. نجد أنه صيغ في قالب القصة الواقعية.

ويعرضها المصطفى ﷺ في صورة حكاية قصيرة هادفة تدعو للدهشة والتأمل والموعظة، والرحمة، وفي هذا الحديث -كما قال العلماء- الحض على الإحسان إلى الحيوان المحترم، وهو مالا يؤمر بقتله فيحصل بسقيه والإحسان إليه الأجر سواء كان حرًا أو مملوكًا له أو لغيره، وقيل إن أصل الحديث مبني على إظهار الشفقة لمخلوقات الله تعالى من الحيوانات، وإظهار الشفقة لا ينافي إباحة قتل المؤذي فيسقى ثم يُقْتل، وذلك في ضوء الرأي القائل بأن الإسلام أمر بقتل الكلاب، وكيف تقدم هذه القصة نموذجًا للشفقة بالحيوان، والحيوان فيها هو الكلب؟ وقيل: إن الرجل كان من بني إسرائيل، فهي قصة من وقائع تاريخ الأمم السابقة، ولم يحدد اسم الرجل، ولا مكانه، ولا زمانه، لأن العبرة بالدرس المستفاد من هذه القصة وهو ترسيخ جانب الرحمة والعطف على الحيوان، وكل ما في الكون من كائنات، لأنهم أمم أمثالنا، كما يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1].

وتتكون هذه القصة من ثلاثة مشاهد متناسقة ومتكاملة: المشهد الأول يصور حالة ذلك الرجل ماشيًا في الطريق، ولم يحدد الطريق ولكنه جاء نكرة، بطريق حتى يظل رمزًا لكل حالة مماثلة، ويشتد على الرجل العطش، ويكاد يقتله الظمأ، ولكن الله سبحانه وتعالى يأتيه بالفرج حيث يجد بئرًا، فينزل يشرب منها، ثم يخرج.

وفي توالي العطف بالفاء في هذا الحديث دلالة على سرعة الحركة، وعلى شدة اللهفة، وعلى سرعة توالي الأحداث، والمشهد الثاني يأتي مفاجئًا، وإذا الفجائية، تقدم هذه المفاجأة المذهلة التي تدعو للموازنة والمقارنة لدى النفس المؤمنة الرحيمة، والمفاجأة تبدو في مشاهدة هذا الرجل لكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، وعدم العطف بين

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

الفعلين يلهث ويأكل، لأنهما وصفان للكلب، واللهاث وأكل الثرى المبلل إطفاءً للظمأ كانا في وقت واحد، فإلغاء العطف يصور حالة الكلب في لهاثه وأكله الثرى، ودلالة الفعل، "يلهث" تصور حالة الكلب وحركته التي تدل على شدة معاناته من الظمأ، فالفعل "يلهث" يفيد في بعض معانيه، أن الكلب يرتفع نَفَسُه وينخفض بين أضلاعه أو يخرج لسانه، وله دلالة حركية أخرى وهى أنه مع هذا اللهاث يبحث بيديه ورجليه في الأرض، وجملة يأكل الثرى، تؤكد مدى المعاناة التي يشعر به ذلك الحيوان، فالجملة إما وصف ثانٍ للكلب، أو حال من ضميره العائد عليه، فاعل يلهث، أو الجملة تصور حال الكلب: لأنه رغم أنه نكرة، ولكنه تخصص بالوصف، وهذه التأويلات الدلالية تنبع من ثراء لغة الحديث، وهى لغة صاحب البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها.

وتكملة المشهد الثاني تتم في صورة حوار داخلي، وحديث نفسي حيث يوازن الرجل بين حالته السابقة وحال ذلك الكلب، فيقول مؤكدًا مِثْلية الحالة، وفي الوقت نفسه يؤكد استحضار الشعور بالشفقة والرحمة "لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني"، والعبارة محصنة بالظواهر الأسلوبية التي تستدعي الرحمة والشفقة، ومنها التأكيد باللام وقد، واللام تشعر بالقسم، واسم الإشارة هذا يفيد التحديد، واهتمام الرجل بهذا الحيوان، والتصريح بلفظ الكلب في هذه الرواية مع اسم الإشارة يزيد الأمر تحديدًا، وفي رواية أخرى يحذف لفظ الكلب اكتفاء باسم الإشارة، لأنه يحدد المراد حيث لا لبس ولا غموض، لأن اسم الإشارة كالضمير يعود على أقرب مذكور، والتعبير بهذا وهو للقريب، ولم يعبر بذلك، إيحاء بالقرب والاهتمام، وأن حالة الكلب قريبة من حال ذلك الرجل وقت عطشه، والتصريح باسم الموصول "الذي" ينبئ عن تماثل الحالة، وذلك يستدعي شدة الإحساس بما يمر به ذلك الحيوان الأعجم وهو الكلب، ويكتمل المشهد اكتمالاً حركيًا عمليًا، وتحذف بعض تفاصيل المشهد حيث لم يذكر الحديث أن الرجل بعد ما خرج نزل مرة أخرى، ولكنه قال: "فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب".

والفاء في قوله: "فملأ" تنبئ عن سرعة الرجل ولهفته لإنقاذ ذلك الحيوان، ولكن بعد أن ملأ خفه.. يحتاج إلى الصعود من البئر.. مع الحفاظ على الخف وبداخله الماء، والأمر يحتاج إلى جهد، ولذلك جاء التعبير "بثم" في قوله: "ثم أمسكه بفيه... ثم رقى"، ودلالة "ثم" وهى تفصح عن حالة البطء قليلاً والتراخي حسب السياق، ومطابقة لمقتضى الحال ولنتصور الرجل صاعدًا من البئر، وهو يتسلق الحجارة، ويخاف أن يسقط منه خفه، ويداه مشغولتان بالإمساك بالصخور في حالة الصعود، ولذلك قال المصطفى ﷺ: "ثم رقى" بفتح الراء وكسر القاف أي صعد: فأي جهد بذله الرجل، وأي مشقة تحمل! وأي شعور قاده إلى ذلك المسلك! إنه الشعور الإيماني الذي يعمقه رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه، وفي نفوس المسلمين جميعًا تجاه الحيوان رفقًا ورحمة ورأفة، وعقب الصعود مباشرة: تأتي الفاء عاطفة في قوله: "فسقى الكلب" حيث لم يتوان، ولم يتأخر، والجزاء من الحق سبحانه وتعالى كان سريعًا ومضاعفًا: ويتضوأ ذلك الثواب في أجمل مكافأة من الحق سبحانه وتعالى، وهى الشكر والغفران، حيث يقول الحبيب المصطفى ﷺ: "فشكر الله له"، فغفر له، فأدخله الله الجنة، ولنتأمل توالي الجمل في إيقاع سريع، وترتيب بديع، والعطف بالفاء. يفصح عن هذه السرعة، والأفعال الماضية في صيغتها، المستقبلية في حكمها مع ذلك الترتيب يفصحان عن خاصية التنسيق والتنظيم، وتكاتف المبني مع المعنى في أسلوب الحديث النبوي الشريف، فشكر الله للعبد ثمرته والمغفرة ثمرتها الجنة.

والمشهد من القصة يفصح عن الدرس الذي نتعلمه من هذا الحديث الشريف، وهو محاورة بين النبي ﷺ وأصحابه، ولم يحدد الحديث هؤلاء الذين سألوه، لأن القضية عامة شاملة، والدرس موجه إلى كل مسلم يحرص على المنهج الإسلامي، ويتساءل هؤلاء الذين سمعوا القصة ابتغاء التعلم والإفادة: "وإن لنا في البهائم أجرًا"، والاستفهام محذوف، ويعلن عنه السياق والنطق، ولم يأت السؤال عن الكلب وإنما عن البهائم، إشارة إلى العطف والرأفة بالحيوان بصفة عامة، وتجئ إجابة المصطفى ﷺ أكثر عمومًا وشمولاً فيقول: "في كل كبد رطبه أجر" وذلك كناية عن الحياة، وعن ضرورة العطف على كل أنواع الكائنات لأنها من خلق الله تعالى، وهو الخلاق العليم.

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه المدعو: الاتعاظ وأخذ الحكمة مما يمرّ به من شدائد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرفق بالحيوان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده الرحماء.

رابعًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي.

خامسًا: من وسائل الدعوة: القصة.

سادسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من فقه المدعو: الاتعاظ وأخذ الحكمة مما يمرّ به من شدائد:

لقد أحس الرجل بالعطش وشدته فسعى في إزالته بأن شرب من البئر، ولما رأى كلبًا قد أصابه الجهد والتعب من شدة العطش، وظهر ذلك عليه واضحًا وذلك بأن أخرج لسانه وأصبح يأكل التراب الذي أصابه الندى، لما رأى ذلك عرف مقدار ما أصاب الكلب من شدةٍ، لأنه قد أصيب بمثلها، فسعى بكل جهده أن يزيل عطش الكلب فنزل البئر وملأ خفه ماءً ثم صعد وقدمه إلى الكلب. وهكذا اتعظ هذا الرجل بما أصابه وأثمر ذلك في تصرفاته وأفعاله، فأفاد نفسه وأفاد غيره ورضي عنه ربُّه.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: اعتراض الشدائد للإنسان في أوقاته، وهي وإن كانت شدة في وقتها، فإنها سيقلبها الله نعمة في وقت آخر، فإن ذلك الإنسان لما اشتد به العطش ذكر به غيره، فعرفه مبلغ الظمأ من الظمآن، فأوى إلى ذلك الكلب حين رآه في مثل حاله، فكان ذلك سببًا لرحمته الكلب، ورحمة الله به، من حيث إنه ابتلاه أولاً حتى راضه وأدبه، فجعل رياضته تلك سببًا لرحمته خلقه، فرحمه الله سبحانه وتعالى)[1].

وهكذا حال المدعو دائمًا يستفيد مما يمر به ويأخذ العظة والعبرة من ذلك، حتى يحقق النفع لنفسه في دنياه وآخرته.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٦/٤١١ - ٤١٢.

ولذا قالوا: إن من حكمة صيام رمضان أن يشعر الصائمون بجوع الجياع واحتياج المحتاجين، فيسارعوا إلى إشباعهم، وسد خلتهم.

لكن بعض المدعوين قد ينسى ما أصابه من شدة عند أول فرج يصيبه، فتجد أحدهم يشكو من الظلم وضياع حقه وعدم قدرته على استرداده، فإذا منّ الله عليه بأن أرجع الله إليه حقه، وأصبح له سلطة على الناس أذاقهم الظلم والجور وأكل حقوقهم وسلبهم ما يملكون، ونسي ما كان فيه من شدة وفاقة وذل، وأصبح الناس بلسان حالهم ومقالهم يقولون: رب يوم بكيت منه فلما ذهب بكيت عليه.

ولا شك أن من حاله كذلك فإنه لم يستفد شيئًا مما مرّ به من شدائد وكروب، بل إنه صدر للناس شدائده وكروبه، وعاملهم بما كان يُعامل ويشكو منه، فهذا قلبه قاس يُخشى عليه إن لم يتب.

لذا فإن على المدعو ذي الفطنة والذكاء أن يأخذ العبرة والعظة من مواقف حياته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الرفق بالحيوان:

لقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بالرفق والرحمة بالناس وبالحيوان؛ لأن الإسلام دين الرحمة والرفق، ومن ثم فإن الله تعالى يجزل عطاءه لمن يتعامل بالرفق والشفقة ومما يؤكد ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة" و"في كل كبد رطبة أجر" قال ابن حجر: (أي الأجر ثابت في إرواء كل كبد حية، قال الداودي: المعنى في كل كبد حي أجر وهو عام في جميع الحيوان)[1]. وقال النووي: (فيحصل الثواب بسقيه والإحسان إليه أيضًا بإطعامه وغيره سواء كان مملوكًا أو مباحًا وسواء كان مملوكًا له أو لغيره)[2].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الرحمة في القلوب حتى للبهائم سبب خير وأجر واستعطاف لرب السماء والأرض، فإنه يرحم من عباده الرحماء. وفيه أن رحمة الدواب -حتى الكلاب التي لا أجر في اقتنائها بل وزر- فيها أجرٌ، فدل على أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٥١ - ٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٩٨، وقد خصصه النووي بالحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله.

رحمة ما هو أكرم منها من الدواب كالشاة، وغيرها فيها أجر، فذكر ذلك على عادته في الإتيان بجوامع الكلم، فقال: "في كل كبد رطب أجر")[١].

ومن ناحية أخرى فإن من عذب حيوانًا بحبسه حتى مات فإنه يعذب في النار، لقول النبي ﷺ: ((عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ ربَطَتْها حتى ماتَت فدخَلَتْ فيها النارَ، لا هي أطعَمَتْها ولا سقَتْها إذ حبَسَتها ولا هيَ ترَكتها تأكلُ من خَشاش الأرض))[٢].

قال النووي عن المرأة: (الصواب أنها كانت مسلمة وأنها دخلت النار بسببها)[٣].

(ولا خلاف بين الفقهاء في أنه يجب على المالك إطعام بهائمه وسقيها وريها ولو كانت مريضة لا ينتفع بها؛ لحديث ابن عمر مرفوعًا: "عذبت امرأة في هرة..." كما يحرم أن يحمله ما لا يُطيق، لأن فيه تعذيبًا له)[٤].

(ومما ورد في الرفق بالحيوانات النهي عن صبرها وتعذيبها، وبيان فضل ساقيها والإنفاق عليها، سواء أكانت من الأنعام أم من غيرها... ومعنى صبر البهائم كما قال العلماء أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى (لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا)[٥]، أي لا تتخذوا الحيوان غرضًا ترمون إليه كالغرض "أي الهدف" من الجلود وغيرها...

وأما النفقة على الحيوان رفقًا ورحمة به، فقد اتفق الفقهاء على وجوب الإنفاق على المملوك منه ديانةً، واختلفوا في الإجبار عليها والقضاء بها على من عنده بهيمة لا ينفق عليها، مع اتفاقهم جميعًا على وجوبها ولزومها عليه... وتذكر كتب الحنابلة أيضًا أنه يحرم على مالك الدابة أن يحملها ما لا تطيق حمله، لأن الشارع منع تكليف الإنسان والحيوان ما لا يطيق، ولأن فيه تعذيبًا للحيوان الذي له حرمة في نفسه وإضرارًا به.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٤١٢/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٨٢، ومسلم ٢٢٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٩٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٢/٦.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٣٣٧/١٨.

(٥) أخرجه مسلم ١٥٩٧.

ويحرم أن يحلب من لبنها ما يضر بولدها، لأن كفايته واجبة على مالكه، ويسن للحالب أن يقصّ أظفاره لئلا يجرح الضرع إلى غير ذلك مما ذكروه في هذا الباب)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده الرحماء:

إن رحمة الله واسعة يجزلها لعباده الرحماء الذين يستمطرون رحمة الله برحمة مخلوقاته، فلقد رحم الله هذا الرجل الذي سقى الكلب، وأجزل له المثوبة بإدخاله الجنة مع أنه عمل عملاً يسيرًا، فهذا دليل على عظم ثواب الله، وأنه يكافئ على العمل اليسير بالثواب العظيم؛ مِنَّةً منه وفضلاً. قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: أن لطف الله عز وجلّ ورحمته عباده، أن بغيًا من البغايا المسرفات على نفوسهنّ بفجورهن مدة عمرها، رحمت في وقت واحد كبدًا رطبة، جعل مكان ذلك لها وسيلة إلى الله عز وجل، فأسقط عنها ما كان منها في عمرها، لإنابة لحظة في رحمة دابة غير كريمة، فكيف رحمة الآدميين المسلمين؟ فجعل الله عز وجل هذا حيث قدره وقضاه منبهة لعباده إلى يوم القيامة"[٢].

وقد ورد كثير من الآيات والأحاديث تدل على هذا المعنى. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣]. وقد نقل القرطبي عن ابن عباس وابن مسعود قولهما: (إن هذه الآية إحدى الآيات التي هي خير مما طلعت عليه الشمس)[٤].

وقال الرسول ﷺ: ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً. يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للّهِ فِي الدُّنْيَا. حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ. لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا))[٥].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٢٢/٢٩٥ - ٢٩٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٦/٤١٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٥١٩٧.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٠٨.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ. ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً... وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً))[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث بيان فضل الله العظيم على هذه الأمة، لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحد الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم الحسنات)[2].

و"مما يفرح العبد المسلم ما في الشريعة من الثواب الجزيل والعطاء الضخم، يتجلّى ذلك في المكفرات العشر، كالتوحيد وما يكفره من الذنوب. والحسنات الماحية كالصلاة والجمعة إلى الجمعة والعمرة إلى العمرة والحج والصوم، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة. وما هناك من مضاعفة الأعمال الصالحة كالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومنها التوبة تجب ما قبلها من الذنوب والخطايا. ومنها المصائب المكفرة فلا يصيب المؤمن من أذىً إلا كفَّر الله به من خطاياه. ومنها دعوات المسلمين له بظهر الغيب، ومنها ما يصيبه من الكرب وقْت الموت. ومنها شفاعة المسلمين له وقت الصلاة عليه، ومنها شفاعة سيد الخلق ﷺ ورحمة أرحم الراحمين تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[3] ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[4])[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٦/١١، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠٤/٢ - ٣٠٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٨.

(٤) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٥) لا تحزن، عائض القرني ص ٢٨٤.

رابعًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

يتضح هذا في قول الصحابة للنبي ﷺ "يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرًا؟" فقد سألوا النبي ﷺ حتى يعلموا ما جهلوا ويتضح لهم ما خفي عنهم ويزول عنهم ما عجبوا منه ومن ثم يعملون بما أرشدهم إليه النبي ﷺ.

ومثال ذلك ما وقع من عمير بن الحُمام في غزوة بدر، فقد سمع رسول الله ﷺ يقول: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض. فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال: بخ بخ[1]. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك بخ بخ. قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قَرَنه[2]، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة. فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قُتل[3].

خامسًا- من وسائل الدعوة: القصة:

لقد استخدم النبي ﷺ هنا القصة لتبليغ الدعوة، والقصة لها تأثير لا ينكر في نفوس المدعوين، (حيث تمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم... حتى لكأنك تراهم رأي العين وتسمع منهم سمع الأذن وتعاشرهم وتحيا بينهم. وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها... والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان وترفع نبض المشاعر، وهي بالميزة الثانية تجعل النفوس أوعية مفتوحة يصب فيها الداعية ما يشاء، فيبلغ القرار)[4].

---

(١) قال النووي: فيه لغتان: إسكان الخاء وكسرها منونًا، وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٢) القرن - بالتحريك: جعبة من جلود تشق ويجعل فيها النُّشاب وهي النبل. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٧٤٩، والوسيط في (ق ر ن).

(٣) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤ - ٤٥.

لقد جاءت القصة في هذا الحديث لتوضح أهمية الرفق في التعامل مع الحيوان فضلاً عن الإنسان حتى إن ذنوب البغايا تغفر برحمة الحيوان فما بالنا برحمة الإنسان؟

سادسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد سأل الصحابة رضي الله عنهم وأجابهم النبي ﷺ، وهذا الأسلوب المباشر يؤتي ثماره المرجوة في المواقف التي تلائمه وتناسبه. وقد استخدمه النبي ﷺ كثيرًا جدًا، لأن السؤال والجواب يعمل على إيجاد نوع من الحوار المثمر والبنّاء بين الداعية والمدعو، ويعمل على حثّ المدعو وحمله على السؤال عن كل ما يعنّ له في الموضوع الدعوي المطروح، ويمكنه من الحصول على الإجابة المباشرة من الداعية، ويعطيه فرصة لمراجعة الداعية والاستفسار عن الجزئيات التي قد تغيب عنه، ويحتاج فيها إلى مزيد بيان وإيضاح.

الحديث رقم (١٢٧)

١٢٧- الْحادي عشَرَ: عنْهُ عن النبي ﷺ قال: «لَقَد رأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجنَّةِ فِي شَجرةٍ قطَعها مِنْ ظَهْرِ الطَّريقِ كَانَتْ تُؤْذِي الْمُسلِمِينَ» رواه مسلم[١].

وفي رواية[٢]: «مرَّ رجُلٌ بغُصْنِ شَجرةٍ عَلَى ظَهْرِ طرِيقٍ فَقَالَ: واللَّهِ لأُنَحِّينَّ هذا عنِ الْمسلِمِينَ لا يُؤْذِيهُمْ، فأُدْخِلَ الْجَنَّةَ».

وفي رواية لهما[٣]: «بيْنَما رجُلٌ يمْشِي بطريقٍ وجد غُصْن شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ، فأخَّرَه فشَكَر اللَّهُ لَهُ، فغفر لَهُ».

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ظهر الطريق: الظهر من معانيه: طريق البرّ وما غلظ من الأرض وارتفع[٤].

الشرح الأدبي

ما أجمل تعاليم الإسلام؟ وما أجمل وصايا الرسول ﷺ في الحفاظ على البيئة، والحفاظ على جمال الطرق التي يسلكها الناس، وطرق الخير لا تتناهي ولكنها تتجدد بتجدد الزمان والإنسان.

وربما يظن بعض الناس أن العطاء والبذل هما الأفق الوحيد للخير، والحديث الذي معنا يبدد هذا الظن، لأن من الخير أن تَجْتَثَّ الفساد، وأن تزيل الأدران، وأن تقضي على كل ضار خبيث.

---

(١) برقم (١٢٩/١٩١٤) بعد حديث: (٢٦١٧، كتاب البر والصلة). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٨٣).

(٢) برقم (١٢٨/١٩١٤). أوردها المنذري في ترغيبه (٤٣٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٢٧/١٩١٤)، و (١٦٤/١٩١٤، كتاب الإمارة). أوردها المنذري في ترغيبه (٤٣٨٣).

(٤) القاموس، والوسيط في (ظ هـ ر).

والحديث الشريف تستضيء حروفه بتعاليم النبي ﷺ، وهذه التعليمات لم تصدر في صورة أمر نبوي، أو نهى تشريعي، ولكنها قدمت في صيغة خبر يتضمن فعلاً خبريًا ثم جزاء هذا الفعل وهو الجنة؟ هذا الفعل هو إماطة الأذى عن الطريق، ولكن الأذى هنا ليس فعلاً قبيحًا وليس قاذورات: وإنما هو عائق يعطل السير، ويؤذي المارة، ويربك حركة المرور في لغة العصر وهو: شجرة: في وسط الطريق.

إن التوجيه النبوي الكريم يدعو إلى ضرورة: إماطة الأذى عن الطريق، والشجرة التي قطعت: قطعها الرجل من ظهر الطريق، وفي رواية أخرى ورد أنه غصن شجرة على ظهر طريق، أو غصن شوك على الطريق في رواية ثالثة، فالفعل هنا ليس إزالة للخير، ولا قطعا للشجر وهو في مكانه المعد على جانبى الطريق، وإنما الشجرة في هذا السياق تمثل أذى يجب إماطته عن طريق الناس حتى لا يكون مصدر إزعاج أو إيلام أو يكون عائقًا عن السير، وقضاء المصالح.

ولنتأمل بداية هذا الحديث الشريف: وهى بداية يغلفها التأكيد والإشعار بالقسم عن طريق "اللام وقد" في قول الحبيب المصطفى ﷺ: "لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة"، والفعل رأى يتضمن المشاهدة والعلم، وهما كذلك لأن هذا الخبر من رسول الله ﷺ يفيد دخول الرجل الجنة بمجرد نيته للفعل الجميل، وعدم تحديد الرجل ومجيئه نكرة يفيد العموم: حتى لا يتوهم أحد أنها حالة خاصة: بل هي قاعدة عامة: فأي رجل يقدم على مثل هذا الفعل الجميل فهو يفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، والتعبير بقوله: "يتقلب" كناية عن النعيم المقيم، وإيحاء بدوام ذلك الثواب لأن صيغة المضارع تفصح عن ذلك فالجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[1].

والحديث في صياغته يحمل البشرى بالجنة لكل مسلم يميط الأذى عن الطريق، لأن الرسول ﷺ قدم المكافأة والجزاء الأوفى على الفعل الحسن وذلك للترغيب

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٥.

والتبشير بأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا، وختام الحديث دعوة إلى القضاء على كل الظواهر والعوائق التي تؤذي المسلمين: حتى يعيش الناس سعداء آمنين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي، وهو حكم إزالة الأذى عن الطريق: يندب إزالة الأشياء المؤذية للمسلمين أينما وجدت، فقد اعتبر الرسول ﷺ إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان بقوله: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق))[(١)][(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إماطة الأذى.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: القصة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل إماطة الأذى:

إن المدعو يحرص أشد الحرص على نفع نفسه ونفع أهله ومجتمعه، لأن في ذلك إرضاء لرب العالمين كما أن في ذلك الثواب الجزيل الذي أعدّه الله لمن فعل ذلك، وهذا الحديث خير دليل على ذلك كما في قوله ﷺ: "يتقلب في الجنة في شجرة قطعها كانت تؤذي المسلمين" وقوله "فأدخل الجنة". فقد أدخل الله سبحانه وتعالى الرجل الجنّة، لإبعاده الأذى وإماطته عن الطريق. وقد روى هذا الحديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: كانت شجرة في طريق الناس تؤذي الناس فأتاها رجل فعزلها عن طريق الناس قال: قال النبي ﷺ: ((فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ فِي ظِلِّهَا فِي الجَنَّةِ))[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٢/٣٥٦.

(٣) أخرجه أحمد ٣/١٥٤ رقم ١٢٥٧١ وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في الشواهد ٢٠/٣٤.

قال ابن هبيرة: (وقوله: "يتقلب في الجنة" يعني: يذهب منها حيث شاء، كما يقال: يقلب المسافر في الأرض)[١].

وقال النووي: (فيه فضيلة إماطة الأذى عن الطريق وهو كل مؤذٍ، وهذه الإماطة أدنى شعب الإيمان)[٢]؛ لأن الطريق -كما قال ابن هبيرة-: (لما كانت يمرّ فيها المسلم والكافر، والعاصي والطائع، فرأى المؤمن أن إماطته الأذى عنها يثيره إيمانه، ليسهل سبيل المؤمنين، فإن مرّ بها غيرهم كان ذلك على حكم التبع لهم، فكان ذلك من خصال الإيمان)[٣].

وقد ذكر النبي ﷺ أن إماطة الأذى من محاسن أعمال أمته، قال ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ))[٤].

قال ابن هبيرة: (وذلك أن المسلم يمرّ بالطريق وفيها حجر ربما يتأذى به الرجل الضرير أو غيره، فيرفعه من مكانه فيعتد الله تعالى له به، حتى إنه أرى نبيه ﷺ ذلك، وكذلك السيئات حتى النخامة في المسجد التي لا تدفن، ويشير بهذا إلى أنه إذا انتخم الرجل في المسجد كان هذا منه سيئة إلا أنه لو دفنها كفرها، فكأنه لم يكتب عليه سيئة في الأول حتى أخلّ بتداركها في الثاني، فكتبت، وفي هذا الحديث ما يدلّ على أنه لا يجوز أن يحتقر من البر شيء، ولا يستصغر من الإثم شيء، وإن قلّ)[٥].

كما جعل ﷺ إماطة الأذى من الصدقة فقال: ((وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ))[٦].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٥٩/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٤، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٢/٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٤٠٦/٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ١٨١/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

قال العز بن عبدالسلام: (إماطة الأذى إحسان إلى كل من يمر بالطريق، ويعمّ ما تتأذى المارة به من الشوك والأحجار والجيف والأقذار)[١].

وقال ابن حجر: (ومعنى كون الإماطة صدقة أنه تسبب إلى سلامة من يمر به من الأذى، فكأنه تصدق عليه بذلك فجعل له أجر الصدقة)[٢].

قال الدكتور الحسيني هاشم: (إزالة الأذى من طريق المسلمين بردم حفرة صغيرة قد تقلب سيارة أو مستنقعًا قد يجلب أمراضًا أو حجرًا قد يصيب السائرين أو شوكًا أو مسمارًا قد يمزق الجلد. كل ذلك سبيل إلى الثواب والنعيم المقيم ذلك لأنه فوق قيمته البسيطة يعبر عن حرص على المسلمين وحب لهم ورغبة في نفعهم وإزالة الشر عنهم. وإذا كان الثواب في إزالة ما يؤذي فمن البديهي أن يكون العقاب في أقل أذى يتسبب الإنسان في حدوثه لأي من المسلمين)[٣].

فإن من آذى الناس بأن قطع شجرة بغير حق من طريقهم وهم ينتفعون بها أدخله الله النار، قال النبي ﷺ: ((مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً[٤] صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ))[٥] قال أبو داود: هذا الحديث مختصر، يعني: ((مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ))[٦].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: القصة:

لقد ذكر النبي ﷺ قصة هذا الرجل وما فعله وما الجزاء الذي كافأه الله به، ولاشك أن المدعو إذا سمع هذا بادر إلى امتثال مضمون القصة، فأماط الأذى عن طريق المسلمين، لينال مثل الثواب الذي ناله هذا الرجل.

---

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال: العز بن عبدالسلام ص ٢٠٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٨.

(٤) السدر: شجرة النَّبق واحدته سِدْرة، الوسيط في (س د ر).

(٥) أخرجه أبو داود ٥٢٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦٤).

(٦) أخرجه أبو داود ص ٧٨٤.

الحديث رقم (١٢٨)

١٢٨- **الثَّاني عشَر:** عنْه قالَ: قَال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَنْ توضَّأ فأحسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أتَى الْجُمعةَ، فَاستمع وأنْصتَ، غُفِر لَهُ ما بيْنَهُ وبيْنَ الْجُمعةِ وزِيادةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، ومَنْ مسَّ الْحصا فَقد لَغَا**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغا: أي قال اللغو، وهو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود[2].

الشرح الأدبي

تموج ألفاظ هذا الحديث النبوي، وتتوهج حروفه بأسرار الصلاة، وفضل صلاة الجمعة، فالصلاة ميزان حركة المؤمن في حياته، بالمحافظة عليها يضبط أوقاته، وينتظم إيقاع حياته، ويكتسب الدقة في أعماله، فالصلاة أعظم العبادات شأنًا وأوضحها برهانًا وأكبرها أثرًا في تطهير القلوب وتصفية النفوس، ولذلك جعلها الشارع أعظم الشعائر وعماد الدين، فأوصى بها الصغار والكبار، وحذر غاية التحذير من التفريط والتهاون فيها لتكون ملكة راسخة في النفوس، وصبغة متمكنة منها، مسيطرة عليها، حتى تمنعها من اقتراف الذنوب بسلطانها القاهر وبما تورثه وتتركه في النفوس، من الخشية والمراقبة لله تعالى[3].

والحديث الشريف يحث على التهيئة الكاملة لأداء صلاة الجمعة. وهى منارة المسلم في كل أسبوع حيث يلتقي المسلمون في المسجد الجامع، ويستمعون لخطبة الجمعة، ويعودون بعد صلاتهم، وقد غفر لهم ما بين الجمعتين، ويزيدهم الله تعالى فضلاً من

---

(١) برقم (٨٥٧/٢٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٥).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥٩، ٥٦٢، النهاية، والوسيط في (ل غ و).

(٣) انظر: المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات ج١، د. عبدالعال أحمد عبدالعال.

عنده يوضحه رسول الله ﷺ في قوله: "وزيادة ثلاثة أيام".

ويفسر العلماء سر هذه الزيادة فيقولون: (معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فيه هذه الأفعال الجميلة من وضوء أو غسل وتطهر وتطيب واستماع وإنصات في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها. ودلالة ذلك أن العبد الذي أحسن عمله في يوم واحد يكافأ بعشرة أيام من ربه مغفرة ورضوانًا. وربما يقفز إلى الذهن سؤال: لماذا سمى هذا اليوم الذي يقع بين الخميس والسبت بيوم الجمعة. (وقد كان يسمى في الجاهلية: يوم العَروبة: بفتح العين، وقيل في ذلك عدة أقوال يجمعها، الجذر اللغوي لمادة "جمع"، فقيل: لأن خلق آدم جمع فيه: وهذا أصح الأقوال -كما قال العلماء- وقيل: لأن أسعد بن زرارة جمع الأنصار بالمدينة قبل مقدم النبي ﷺ إليها في ذلك اليوم وصلى بهم وذكرهم فسموه الجمعة حين اجتمعوا إليه، وقيل: سمى بذلك لاجتماع الناس للصلاة فيه، وقيل لأن كمال الخلائق جمع فيه)[1].

ولنتأمل بعض أسرار البيان النبوي في هذا الحديث الشريف.. وفي مقدمة هذه الأسرار: كلمة: الجمعة، ولم يقل يوم الجمعة أو صلاة الجمعة، وإنما صرح بهذا اللفظ دون غيره للترغيب في الإسراع إلى هذه الفريضة التي تنفرد بهذه الميزة وهى اجتماع الناس في المسجد الجامع، والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين شرطيتين: الأولى توضح كيفية التهيؤ لصلاة الجمعة وكيفية الاستماع والأداء، والثانية توضح الوجه الآخر.. وهو تحذير لمن يخالف آداب الصلاة والاستماع والإنصات، والجملة الأولى الشرطية تعم ستة أفعال ماضية: منها خمسة في جملة فعل الشرط، وفعل واحد في جواب الشرط: وهو "غُفر"، وقد بني للمفعول: لأن الفاعل معلوم وهو الله الغفور الرحيم، وأفعال جملة فعل الشرط: تتوالى في ترتيب دقيق، وتناسق عميق على هذا النحو: "من توضأ فأحسن الوضوء"، والعطف هنا بالفاء لأنه لا فاصل بين الوضوء وإحسان ذلك الوضوء فهما متلازمان، والفعل الثالث يعطف بثمّ، ليعطي مساحة زمنية للمشى إلى

---

(١) المرجع السابق، ج٢، وانظر: لسان العرب، لابن منظور في (ج م ع).

المسجد في قوله: "ثم أتى الجمعة" أي في المسجد، والعطف بالفاء في قوله: "فاستمع" يرشد إلى سرعة الإصغاء وعدم الانشغال بأمور الدنيا، والعطف بالواو في قوله: "وأنصت" يرشد إلى أن الإنصات من آداب الاستماع فهما يكملان بعضهما ولا مجال للترتيب بينهما، والجملة الشرطية الثانية: "ومن مس الحصا فقد لغا"، تُنّبه: كل من حضر واستمع وأنصت إلى عدم الانشغال بأمور الحياة واللهو والعبث بما حوله من أشياء أو التحدث مع غيره، والتعبير بقوله: "مس الحصا"، في غاية الدقة. فأي انشغال مهما قل شأنه يُضَيّع الثواب: حيث يرتكب صاحبه اللغو، وهو العمل الباطل المذموم المردود.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صلاة الجمعة، وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكر بالغ عاقل حاضر صحيح، فلا يجوز لمن لا عذر له أن يتخلف عنها وإلا كان آثمًا لتركه فرض عين، وحكى الخطابي عن بعض العلماء قولاً أن صلاة الجمعة فرض على الكفاية.

الثاني: حكم الإنصات لسماع الخطبة، وقد اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين، فذهب المالكية[٢] والحنابلة[٣] والشافعي في القديم[٤] إلى أن من حضر الجمعة من

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٦٣/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٦٦/٢، وشرح منح الجليل ٤٣٤/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٣٦/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٠٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١/٢.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٧٨/٢، وشرح منح الجليل ٤٤٧/١.

(٣) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٧/٢.

(٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٥٣/١.

المسلمين يجب عليه الإنصات للخطيب حين خطبته ولا يتحدث مع غيره، فلو تكلم بأي كلمة فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له.

وذهب الحنفية إلى أن الكلام أثناء الخطبة مكروه[١] وكذا عند الشافعي في الجديد يسن عدم الكلام ولا يحرم[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الوضوء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: آداب صلاة الجمعة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: نشر العلم الشرعي.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الوضوء:

الوضوء مفتاح الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: "لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ"[٣] ومن هنا حث الإسلام على تحسينه والإتيان به تامًا، وذلك ببيان فضل ذلك، كما هو واضح في هذا الحديث. فقد بيّن ﷺ فضل تحسين الوضوء بقوله: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام".

قال ابن هبيرة: (لأن الحسنة بعشر أمثالها، فكانت الأيام الثلاثة متممة للعشر)[٤].

قال النووي عن تحسين الوضوء: (أي يأتي له تامًا بكمال صفته وآدابه)[٥]. وقال كذلك: (وفيه استحباب تحسين الوضوء ومعنى إحسانه: الإتيان به ثلاثًا ثلاثًا ودَلْك

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٦٧/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٢٦٣/١ وما بعدها.

(٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٥٣/١.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥، ومسلم ٢٢٥.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٦٣/٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

الأعضاء وإطالة الغرة والتحجيل وتقديم الميامن والإتيان بسننه المشهورة)[١].

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ في فضل تحسين الوضوء كذلك، منها:

قال النبي ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ))[٢].

كما أخبر ﷺ أن أمته تعرف يوم القيامة بآثار الوضوء بسبب الغرة والتحجيل، فقال ﷺ: ((إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ))[٣]. وبهذا يعرف النبي ﷺ أمته، فقال له الصحابة: أتعرفنا يومئذ؟ قال: ((نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا[٤] لَيْسَتْ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ))[٥].

جاء في الموسوعة الفقهية: (إطالة الغرة والتحجيل أن يتجاوز المتوضيء موضع الفرض في غسل الوجه واليدين والرجلين... ومعنى غرًا محجلين: بيض الوجوه واليدين والرجلين كالفرس الأغر: وهو الذي في وجهه بياض، والمحجل وهو الذي قوائمه بيض)[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: آداب صلاة الجمعة:

صلاة الجمعة لها أهمية كبيرة في الإسلام، ومن دلائل هذه الأهمية كثرة الآداب التي يطلب فعلها استعدادًا لها وفي أثنائها من ذلك قوله ﷺ: "ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت... ومن مس الحصا فقد لغا"، فقد بيّن ﷺ بعض ما يجب على المصلين. فقد ذكر النووي أن في ذلك دليلاً (على وجوب الإنصات والنهي عن الكلام في حال الخطبة)[٧] وقال: (قوله ﷺ "من مس الحصا فقد لغا" فيه النهي عن مس الحصا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٦، ومسلم ٢٤٦.

(٤) قال النووي: السيما هي العلامة وهي مقصورة وممدودة لغتان. ويقال: السيميا، بياء بعد الميم مع المد.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٧.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٣٦٩/٤٣، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥٩.

وغيره من أنواع العبث في حال الخطبة، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح في الخطبة)[١].

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يتضمن استعمال أدب الجمعة، ويدل على أن الغسل لها ليس بواجب، ويأمر بالاستماع للخطبة، ويحث على القرب من الخطيب ويحرض على الإنصات. فأما مس الحصا فإنه يحدث صوتًا يلفت الحاضرين عن سماع الخطبة، فكأن فاعل ذلك قد تكلم)[٢].

وقد جاءت آيات وأحاديث تبين واجبات صلاة الجمعة وشروطها وآدابها من ذلك: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾[٣] أي: (إذا نادى المؤذن للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة واتركوا البيع وكذلك الشراء وجميع ما يشغلكم عنها... وفي الآية دليل على وجوب حضور الجمعة واستماع الخطبة)[٤].

كما بيّن النبي ﷺ بعض سننها فقال: ((لا يَغتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمعةِ ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِن طُهرٍ ويَدَّهِنُ من دُهنِهِ أَو يَمسُّ من طِيبِ بيتِهِ، ثمَّ يخرُجُ فلا يُفرِّقُ بينَ اثنينِ، ثمَّ يصلِّي ما كُتِبَ له، ثمَّ يُنصِتُ إذا تكلَّمَ الإمامُ، إلاّ غُفِرَ له ما بينَهُ وبينَ الجُمعةِ الأُخرى))[٥].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: نشر العلم الشرعي:

لقد حضّ الإسلام على تعلّم العِلْم وتعليمه ونشره بيْن الناس، وكان من وسائل ذلك:

---

(١) المرجع السابق ٥٦٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٦٣/٨.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) التفسير الميسر: إعداد نخبة من العلماء ص ٥٥٤.

(٥) أخرجه البخاري ٨٨٣ من حديث سلمان الفارسي ﷺ، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٩/٨-١٢٤ والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٩٢/٢٧-٢١٠.

خطبة الجمعة، وهذا واضح في قوله ﷺ: "فاستمع وأنصت" وذلك أثناء الخطبة، قال القرطبي: (في هذا الحديث ما يدل على وجوب الإقبال على استماع الخطبة والتجرد لذلك، والإعراض عن كل ما يشغل عنها)[١]، وقد قال تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] قال ابن العربي: (والمراد بالذكر مجموع الصلاة والخطبة)[٣]، وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: ((كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس))[٤].

قال النووي: (فيه دليل للشافعي في أنه يشترط في الخطبة الوعظ والقرآن)[٥]، فلما كان حضور الجمعة والاستماع إلى الخطبة واجبًا، كان في ذلك دلالة على أن من أهداف هذا الاجتماع للخطبة والصلاة: نشر العلم الشرعي الذي يلقيه الخطيب على آذان المصلين. قال ابن القيم عن خطبة الجمعة: (يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنابه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها)[٦].

وقد جاءت آيات وأحاديث تبين أهمية نشر العلم الشرعي بين المسلمين، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٧] قال الطاهر بن عاشور: (كانت هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوبًا على الكفاية)[٨] وقال السعدي: (وهذه الآية

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٤٨٧/٢.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩٠.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبدالله ٥٤٣هـ، تحقيق علي محمد البجاوي، ١٨٠٥/٤.

(٤) أخرجه مسلم ٨٦٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٤.

(٦) زاد المعاد ٣٩٨/١.

(٧) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٨) التحرير والتنوير مج٥/١١/٦١.

توضح فضيلة العلم خصوصًا الفقه في الدين وأنه أهم الأمور وأن من تعلم علمًا فعليه نشره وبثه في العباد ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي ينمى)[١].

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ...))[٢].

ومن مواقف السيرة التي تدل على نشر العلم الشرعي، بعث النبي ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه مع الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى إلى المدينة يفقه أهلها ويُقرئهم القرآن[٣].

وأخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ علينا مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أمِّ مكتومٍ وكانوا يُقرِئونَ الناسَ...))[٤].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في قوله ﷺ "غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام" وذلك ليرغب في إحسان الوضوء والإنصات إلى خطبة الجمعة وعدم اللغو، وللترغيب أثر بعيد في الدعوة، لأنه (لما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقر به عينه وتطمئن به نفسه كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله)[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢ وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في دلائل النبوة للبيهقي ٤٣٨/٢ بإسناد معضل.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٢٤.

(٥) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

الحديث رقم (١٢٩)

١٢٩- الثَّالثَ عَشر: عنْه أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «إذَا تَوضَّأَ الْعبْدُ الْمُسْلِم (أو الْمُؤْمِنُ) فغَسلَ وجْهَهُ، خرج مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خطِيئةٍ نظر إلَيْهَا بعينهِ مَعَ الْماءِ (أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْماءِ) فَإذَا غَسَل يديهِ خَرج مِنْ يديْهِ كُلُّ خَطِيْئَةٍ كانَ بطشتْهَا يداهُ مع الْمَاءِ (أو مع آخِرِ قَطْرِ الْماءِ) فَإذَا غسلَ رِجليْهِ خَرجَتْ كُلُّ خَطِيْئَةٍ مشَتْها رِجْلاه مع الْماءِ (أوْ مع آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ) حَتَّى يخْرُج نقِيًا من الذُّنُوبِ» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بطشتها يداه: البطش: الأخذ الشديد من كل شيء والمعنى: اكتسبتها يداه[2].

الشرح الأدبي

إن عنصر الترغيب من أهم ميزات الدعوة إلى الإسلام اتباعًا لقول الله عز وجل: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[3]. والمصطفى ﷺ يمهد الطريق أمام كل مسلم للتمسك بدينه، والمحافظة على عقيدته، والتخلص من صغائر الذنوب، والحرص على اجتناب الكبائر، والوضوء نور يسعى به المؤمن في حياته ليزداد وضاءة وإشراقًا، وطاعة وإيمانًا، ويروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل))[4].

---

(١) برقم (٢٤٤/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٢٩).

(٢) النهاية، والقاموس في (ب ط ش)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٦، ومسلم ٢٤٦.

وحين نتأمل هذا الحديث نجده يتفق مع الحديث الذي نحن بصدده حيث يرغب الرسول ﷺ في إسباغ الوضوء والمداومة عليه، والمحافظة على سننه وآدابه، إذ جعله الله تعالى سببا في نور ينبعث من أعضائه وبخاصة من مواضع الغرة والحجال إذ تشع بالنور يوم القيامة ويسعى مع أصحابه كما ورد في القرآن الكريم: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[1]. فمن رغب في وفرة نوره وانتشار ضوئه ومضاعفة القوة المشعة عنده فليسبغ وضوءه، وليوسع من دائرة غسله في الرأس والرجلين، كما قال صاحب المنهل العذب الفرات.

ولنتأمل في ضوء هذا التكريم الإلهي والتقدير النبوي لهؤلاء الغر المحجلين، من آثار الوضوء، بعض أسرار البيان النبوي في هذا الحديث الشريف، والحديث ثمرته المغفرة وخروج العبد المسلم نقيًا من الذنوب والخطايا.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من ثلاث جمل شرطية تتكامل في ترتيبها اللغوي وتتناسق مع ترتيب أركان الوضوء، ومع الترتيب القرآني لها: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[2]. والجملة الأولى ترشد إلى غسل الوجه بكل مكوناته، والثانية ترشد إلى غسل اليدين "الذراعين" إلى المرفقين، والثالثة ترشد إلى غسل الرجلين، وغسل الرأس ربما يتضمنه غسل الوجه، ويوضح ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أيضًا وذكر فيه الغر المحجلين.

وظاهرة التكرار تسيطر على الحديث الشريف: وهو ينبئ عن الترغيب والتعليم... والتفصيل الدقيق، وهذا الترغيب ممتزج بكثير من الوسائل التي تدفع إلى المزيد من الوضوء لأن الخطايا تخرج من أعضاء الإنسان، ويبقى بعد ذلك نقيًا من الذنوب، وأداة الشرط: "إذا" وهي تفيد التحقق، فالثواب متحقق لأنه وعد من الله عز وجل، وقد

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦.

تكررت "إذا" مع كل جملة شرطية حيث وردت ثلاث مرات، وجملة الشرط تتكرر بألفاظها حتى تنبه المسلم إلى حتمية هذه الأركان، ووجوب القيام بها، ولذلك وردت على هذا النحو، إذا توضأ... فغسل وجهه، و، فإذا غسل يديه، و، فإذا غسل رجليه.

وجملة جواب الشرط تتكرر بالصياغة نفسها وبالفعل نفسه: مع تغيير اسم عضو الوضوء، وفعل الجواب: هو "خرج" ويتوالى الجواب على هذا النسق التعليمي المبشر، "خرج من وجهه كل خطيئة"، و"خرج من يديه كل خطيئة"، و"خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه"، ولنتأمل تكرار عبارة كل خطيئة، وذلك لغرس الطمأنينة في نفس المسلم الذي أسبغ الوضوء وصلى وأحسن أداء الصلاة، والتعبير بلفظ: "خرج" فيه تجسيد للخطايا وكأنها خالطت العين، وامتزجت باليد، وصاحبت الرجل، وأصبحت ممتزجة بشرايين كل من اقترفها، ولكنها تخرج مرغمة مهزومة من جوارح المسلم، لأن قلبه يرفضها، ودينه يأباها، والوضوء مع الصلاة يقضي عليها، ويرى القرطبي: أن العبارة مستعارة المقصود بها الإعلام بتكفير الخطايا ومحوها، ويرى بعض العلماء أن الظاهر حمل التعبير على الحقيقة: لأن الخطايا تؤثر في الباطن والظاهر سوادًا يطلع عليه أرباب الأحوال والمكاشفات، والطهارة تزيله.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث إلى الوضوء الذي هو مقدمة لابد منها للصلاة ولا تصح الصلاة بدون طهور من وضوء أو تيمم عند فقد الماء أو عدم القدرة على استعماله.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الوضوء له فرائض لا يصح إلا بها واتفقوا على أن من

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٣/١ وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٧٩/١ وما بعدها، وحاشية الدسوقي ٨٥/١ وما بعدها، وتحفة المحتاج ١٨٩/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٠/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥٠/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨٣/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٢/٤٣ وما بعدها.

فرائض الوضوء غسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، واختلفوا بعد ذلك في بقية الفرائض فمنهم من زاد فرائض أخرى كالنية والتدليك والترتيب والموالاة وغيرها، ومنهم من قال ببعضها فقط.

وفي الاستدلال بهذا الحديث: اختلف الفقهاء في الوضوء بالماء المستعمل وهو الذي قد تُوضئ به مرة فقال أبو حنيفة والشافعي وأصحابهما[1]: لا يتوضأ به، ومن توضأ أعاد، ليس بماء مطلق، وعلى من لم يجد غيره التيمم، لأنه ليس بواجد ماءً. وورد عن المالكية روايتان[2]، الأولى: لا يتوضأ به إذا وجد غيره من الماء، ولا خير فيه فإذا لم يجد غيره توضأ به ولم يتيمم لأنه ماء طاهر ولم يغيره شيء، الثانية: أنه يجوز التيمم لمن وجد الماء المستعمل[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الحرص على بيان ما ينتفع به المدعو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الأعضاء تكون سببًا في فعل الخطايا.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء:

للوضوء فضل عظيم بيّنه رسول الله ﷺ في قوله: "إذا توضأ المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها ..." إلخ الحديث.

قال الطيبي: (قوله: "خرج" جواب الشرط والفاء في "فغسل" مرتبة له على الشرط،

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: حاشية ابن عابدين ١/٣٤٨-٣٥٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي شرح المهذب ١/٦٤-٧٦.

(٢) انظر: مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١/٩٢-١٠٠.

(٣) انظر: الاستذكار ٢/١٩٩.

أي إذا أراد الوضوء فغسل خرج من وجهه كل خطيئة وقوله: "كل خطيئة نظر إليها" أي نظر إلى سببها، إطلاقًا لاسم المسبب على السبب مبالغة، وكذا في البواقي، فإن قلت ذكر لكل عضو ما يختص به من الذنوب، وما يزيلها عن ذلك العضو، والوجه مشتمل على العين، والفم، والأنف، والأذن، فلم خصت بالذكر دونها؟ قلت: العين طليعة القلب ورائده، فإذا ذكرت أغنت عن سائرها. وقوله "يداه" و"رجلاه" كلها تأكيدات تفيد مبالغة في الإزالة)[1].

قال ابن عثيمين: (والوضوء أمر الله به في كتابه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾. هذا الوضوء تُطَهَّر فيه هذه الأعضاء الأربعة؛ الوجه، واليدان، والرأس، والرجلان، وهذا التطهير يكون تطهيرًا معنويًا. أماكونه تطهيرًا حسيًّا فظاهر؛ لأن الإنسان يغسل وجهه، ويديه ورجليه، ويمسح الرأس، وكان الرأس بصدد أن يُغسل كما تُغسل بقية الأعضاء، ولكن الله خفف في الرأس، لأن الرأس يكون فيه الشعر، والرأس هو أعلى البدن، فلو غسل الرأس ولا سيما إذا كان فيه الشعر، لكان في هذا مشقة على الناس، ولا سيما في أيام الشتاء، ولكن من رحمة الله عز وجل أن جعل فرض الرأس المسح فقط، فإذا توضأ الإنسان لا شك أنه يطهر أعضاء الوضوء تطهيرًا حسيًّا، وهو يدل على كمال الإسلام حيث فرض على معتنقيه أن يطهروا هذه الأعضاء التي هي غالبًا ظاهرة بارزة. أما الطهارة المعنوية وهي التي ينبغي أن يقصدها المسلم: فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه؛ خرجت كل خطايا نظر إليها بعينيه. وذكر العين -والله أعلم- إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ؛ فقد يتكلم الإنسان بكلام حرام، وقد يشم أشياء ليس له حق أن يشمها، ولكن ذَكرَ العين؛ لأن أكثر ما يكون الخطأ في النظر؛ فلذلك إذا

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/١١.

غسل الإنسان وجهه بالوضوء خرجت خطايا عينيه، فإذا غسل يديه خرجت خطايا يديه، فإذا غسل رجليه خرجت خطايا رجليه، حتى يكون نقيًّا من الذنوب. ولهذا قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ يعني ظاهرًا وباطنًا، حسًّا ومعنًى: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] فينبغي للإنسان إذا توضأ أن يستشعر بهذا المعنى أن وضوءه يكون تكفيرًا لخطيئاته، حتى يكون بهذا الوضوء محتسبًا الأجر على الله عز وجل[2].

وقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين فضل الوضوء، منها: ما ورد عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[3].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه توضأ ثم قال: إني رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا ثم قال ((مَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[4] فقد جعل رسول الله ﷺ الوضوء سببًا في غفران ما تقدم من ذنب المؤمن المتوضئ وكذلك جعل الوضوء علامة لأمته يوم القيامة.

يظهر مما سبق فضل الوضوء وأهميته للمسلم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من واجبات الداعية: الحرص على بيان ما ينتفع به المدعو:

وهذا واضح في بيان رسول الله ﷺ لفضل الوضوء فقال: "إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة..." ولا شك أن بيان ما يكفر الله به الذنب مما ينتفع به المدعو. وقد بين النبي ﷺ أثر الوضوء في مغفرة الذنوب، ولذا يجب على الداعية أن يحرص على ما يحقق النفع للمدعو، ومن ثم فقد حرص النبي ﷺ على بيان فضل الوضوء لأمته، وأثره في مغفرة الذنوب، ولا غرو في ذلك لأنه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٣٧١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٩.

ﷺ رؤوف رحيم بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: ("حريص عليكم" أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[٢]. وقال تعالى حكاية عن عبده ورسوله نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣] وعن نبيه هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٤] فرسل الله جميعًا ومن يقتدي بهم من الدعاة حريصون على بيان ما ينتفع به المدعوون وعلى هدايتهم إلى الخير.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الأعضاء تكون سببًا في فعل الخطايا:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: فعل الخطايا من خلال أعضاء الجسد، حيث بين رسول الله ﷺ خروج الخطايا من أعضاء الإنسان بالوضوء وهنا يبين أن أعضاء الإنسان هي التي يرتكب بها الذنوب، فإن لم يحفظها ويعمل ويتوب إلى الله كانت شاهدة عليه. وهذا ما قرره القرآن الكريم وبين أن هذه الأعضاء تشهد على الإنسان يوم القيامة بما اقترفت من آثام وذنوب.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥] قال القرطبي: (والمعنى: يوم تشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان. وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به "وأيديهم وأرجلهم" أي: وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا)[٦]. وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٤١/٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٦٢.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٦٨.

(٥) سورة النور، آية: ٢٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٠/١٢/٦.

أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

وكذلك بين رسول الله ﷺ أن الأعضاء تكون سببًا في وقوع الذنوب حيث قال: ((كُتِبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى. مُدْرِكٌ ذٰلِكَ لاَ مَحَالَةَ. فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ. وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ. وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ. وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ. وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا. وَالْقَلْبُ يَهْوَىٰ وَيَتَمَنَّىٰ. وَيُصَدِّقُ ذٰلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ))[٣].

قال القرطبي: (قوله: "فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى" يعني أن هواه وتمنيه: هو زناه. وإنما أطلق على هذه الأمور كلها: زنا؟ لأنها مقدماته، إذ لا يحل الزنا الحقيقي في الغالب إلا بعد استعمال هذه الأعضاء في تحصيله)[٤].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث رغّب رسول الله ﷺ في الوضوء وبيَّن أنه سببٌ في رفع الخطايا عن المسلم، ويُعد الترغيب فيما يكفر الذنوب من الأمور المحببة للنفوس خاصة مع كثرة ذنوب الإنسان. ومن أجل ذلك رغّب الله تعالى عباده في عمل الطاعات ورغب في التوبة من الذنوب من أجل غفرانها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٥] ورغب رسول الله ﷺ في كثير مما يكفر الذنوب، منها الصلاة والجمعة وغيرها قال ﷺ ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَتِ الْكَبَائِرَ))[٦].

---

(١) سورة يس، آية: ٦٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٥٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٦/٦٧٤.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٣.

فينبغي للداعية استخدام أسلوب الترغيب في الأعمال التي تكون سببًا في تكفير الذنوب، فإنه يفتح باب الأمل في رحمة الله ورضوانه والفوز بجناته، وهذا له تأثير كبير في إقبال المدعوين على الله وطلب مرضاته والبعد عن معاصيه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده:

إن فضل الله عظيم على عباده المؤمنين؛ حيث إنه سبحانه بيّن سبل التخلص من الذنوب، فقد جعل الوضوء سببًا في تكفير ذنوب المسلم، فقال رسول الله ﷺ: "إذا توضأ العبد المسلم -أو المؤمن- فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه ..." إلخ الحديث؛ فرحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شيء، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فالله سبحانه يغفر ذنوب عباده ويتجاوز عنها قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] فالله لا يعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعهامن الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة[3]. وفضل الله على عباده عظيم حيث بيّن لهم ما يغفر ذنوبهم ويزيد حسناتهم، ومن رحمته بعباده أنه تعالى يقبل توبتهم واستغفارهم.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذَ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩/٢٤/٤٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٥٨.

يدل هذا الحديث على رحمة الله بعباده، وفضله عليهم، وذلك بغفران ذنوبهم عندما يتوبون منها، ويرجعون إليه بالتوبة والاستغفار.

الحديث رقم (١٣٠)

١٣٠- الرَّابعَ عشرَ: عنه عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّلواتُ الْخَمْسُ، والْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعةِ، ورمضانُ إِلَى رمضانَ مُكفِّرَاتٌ لِمَا بينَهُنَّ إِذَا اجْتنِبَت الْكَبائِرُ» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أعظم البشارات التي يقدمها النبي محمد ﷺ إلى أمته، وما أكثر طرق الخير التي يرشد إليها كل مَنْ يتطلع إلى الاستكثار من العمل الصالح، وكل من يقهر وساوس الشيطان ومسالكه، ويطمح إلى طَرْق أبواب التوبة، والدخول في طاعة الله تعالى، والسير في حماه، والاستجابة لهداه، وهذا الحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه مع تسعة أحاديث أخرى في باب بيان كثرة طرق الخير، يفتح أمام المسلم طرقًا عديدة للتطهر من أدران الذنوب، وهذه الطرق تضيئها مصابيح الصلاة، ومنارات الصوم...، وحين نتأمل صياغة الحديث الشريف ونحدق في مفرداته وتراكيبه ندرك أن المسلم أمامه متسع زماني يمتد عبر العام كله ليتراجع عن خطاياه، ويلتزم بما أقره به الله تعالى، وأرشده إليه رسول الله ﷺ وأول منارة من منارات الطاعة هى المحافظة على الصلوات الخمس، وهى تغسل قلب المؤمن، وتطهره من دنس المعاصي، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسًا، ما تقول ذلك يُبْقى من درنه؟ قالوا: لا يُبْقى من درنه شيئًا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا[2].

ووجه التمثيل في هذا الحديث يتفق مع ثمرة الحديث الذي نحن بصدده، حيث يقول ابن العربي، إن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء

---

(١) برقم (٢٣٣/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٤٦)، و (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد من أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنبًا إلا أسقطته، وقال ابن حجر: إنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الصلوات الخمس فمن لم يفعلها لم يعد مجتنبًا للكبائر لأن تركها من الكبائر فتوقف التكفير على فعلها، وبذلك تكون هى المكفرة للخطايا التي تقع فيما بينها[1].

وإذا كانت الصلوات الخمس مكفرات ما بينهن، كما أخبر الصادق المصدوق، وهذا التكفير اليومي يجعل المسلم يقابل يومه الجديد طاهرًا مستبشرًا مستغفرًا، فإن الجمعة أى صلاة الجمعة إلى الجمعة، تَجْتثُّ الصغائر التي اقتحمت حياة المسلم وهو في غمرة انشغاله بأمور الحياة... وهَوْشات الأسواق.

وهذه النعمة الإلهية والبشارة المحمدية تتضوأ في حديث آخر يرويه سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث يقول: قال رسول الله ﷺ: ((من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طُهر ثم ادَّهن أو مس من طيب، ثم راح فلم يُفرِّق بين اثنين فصلى ما كُتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى))[2].

وتتسع مساحة الزمن، وتتعدد أبواب الرجوع والتوبة والعمل الصالح، ولا تظل أسيرة اليوم الواحد، ولا الأسبوع الواحد، وإنما تظلل العام كله، وتتجدد هذه الحالة الإيمانية كل يوم، وكل أسبوع، وكل شهر، وكل سنة، وتتوهج هذه البشارة في قول رسول الله ﷺ ورمضان إلى رمضان، أي وصوم رمضان إلى صوم رمضان في العام التالي: كل هذه البشارات والأبواب التي سبقت تظل بدايات بلا ثمرات في البناء اللغوي، وتجئ الثمرة في قوله، "مكفرات ما بينهن"، وهذه الجملة تتم بها فائدة الكلام فهي الخير المنتظر، وهى الثمرة المرجوة، ولكن هذه الثمرة محاصرة بشرط يقيدها ويمنع التمتع بها وهو اجتناب الكبائر، فالغفران مشروط باجتناب الكبائر، والمسلم الذي يداوم على الصلوات الخمس، ويحرص على أداء صلاة الجمعة وهو متوج بتاج الطاعة طيلة أيام الأسبوع، ثم يظل متسلحًا باليقين وهو يخوض غمار الحياة، حتى يجئ رمضان فيصومه

---

(١) انظر: المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات ٢٧٨/١.

(٢) أخرجه البخاري ٩١٠.

إيمانًا واحتسابًا، ويفوز بمغفرة الله تعالى ورضوانه، ويبدأ مرحلة جديدة، وعامًا جديدًا وهو في نعمة الطاعة، ولذة التقوى، وصمود المؤمن في مواجهة نزغات الشياطين.

هذا المسلم المحفوف بهذه الهالات الإيمانية لن تجد الكبائر لنفسه طريقًا، ولن تقوى على اقتحام عالمه المحصن بأركان الإسلام الثابتة الراسخة.

ولذلك يشرق في هذا الحديث سر من أسرار التعبير النبوي، وهذا السر يكمن في قوله ﷺ: "إذا اجتنبت الكبائر"، ولم يقل إن اجتنبت أو لو اجتنبت، لأن إذا تفيد التحقق، فالكبائر تجتنب ولا وجود لها في سلوك كل مسلم يؤدي الصلوات الخمس، وتقوده هذه الصلوات إلى أداء صلاة الجمعة، وكلها لا تبقى من درنه شيئًا، ويمحو الله تعالى بهن الخطايا، وتقوده هذه الرحلة التطهيرية الإيمانية مع الصلوات إلى رمضان وإلى الصيام: وهو سرّ بين العبد وربّه.

وتأخير جملة الشرط "إذا اجتنبت الكبائر"، من أسرار البيان النبوي، لأن هذا التأخير يوحي ويرشد إلى أن ما سبق من طاعات هو الطريق إلى اجتناب الكبائر.

وأما الذي لا يجتنب الكبائر... مع هذه الطاعات... فإنه لا يكون صادقًا مخلصًا في طاعته، وإنما هو مراءٍ في أفعاله، وغير صادق في أقواله، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له.

وربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم أى مصل، ليس له من قيامه إلا التعب والسهر.

وبعض العلماء فصّل القول في قوله ﷺ: "مكفرات ما بينهن" حيث أشار البلقيني أن الناس أقسام:

من لا ذنب له مطلقًا وهذا له رفع الدرجات، ومن له صغائر بلا إصرار فهى المكفرة باجتنابه الكبائر، إلى موافاة الموت على الإيمان، ومَنْ له صغائر مع الإصرار فهي التي تكفر بصالح الأعمال، ومن له كبائر وصغائر، فالمكفر بصالح العمل الصغائر فقط، ومن له كبائر فقط فيكفر منها على قدر ما كان يكفر من الصغائر.

ونص الحديث واضح... ويضئ الطريق أمام كل مسلم، والتقسيم السابق من باب

التفصيل والخلاف بين العلماء، ولكن الحديث النبوي واضح وصريح، ولا مجال للتأويل أمام هذا القول الفَصْل، وفي ختام الحديث الشريف، (مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة يوم الجمعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة شهر رمضان.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان ما يكفر الذنوب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تفضيل بعض الأوقات.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب الكبائر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة:

إن الصلاة ركن من أركان الإسلام وقد فرضها الله تعالى على عباده المؤمنين وأمرهم بإقامتها والمحافظة عليها وعدم التفريط فيها وبيّن فضلها وقام رسول الله ﷺ ببيان فضل الصلاة في قوله: "الصلوات الخمس..."؛ فالصلاة أفضل العبادات بعد الإيمان بالله عز وجل، وقد ورد في فضلها الكثير من الآيات والأحاديث التي تبين فضلها؛ فهي سبب من أسباب الهداية والإعانة على مواجهة الصعاب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] لقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية بالصلاة، لأن الصلاة هي عماد الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فالصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[2].

إن الصلاة لها فضائل لا يمكن حصرها فهي تكون سببًا في البعد عن المنكر

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٧.

والفواحش، وسببًا في تكفير الذنوب، وبابًا عظيمًا من أبواب الخير ورضا الله عز وجل.

وقال رسول الله ﷺ ((رَأْسُ الأَمْرِ الاْسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ))[١].

ولفضل الصلاة ومكانتها كانت آخر ما أوصى به النبي ﷺ قبل مفارقته الدنيا فقال: ((الصَّلاَةَ. وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))[٢] فالصلاة لا يساويها عمل ولا يصل إلى منزلتها أي أمر آخر لأنها ركن من أركان الدين الثابتة على المسلم فلا تسقط عنه بحال من الأحوال. فهي فريضة الله على عباده، وهي عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين، وشرط النجاة، وحارسة الإيمان[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة يوم الجمعة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "والجمعة إلى الجمعة...". إن يوم الجمعة يوم عظيم في اجتماع المسلمين في بيت من بيوت الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٤].

وحكمة الله عظيمة في جعل هذا الاجتماع على الطاعة في أفضل أيام الأسبوع الذي قال فيه رسول الله ﷺ ((يوم دعيت إليه الأمم قبلنا فضلت عنه وهدانا الله له))[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦١٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه رقم ٢٦٩٧ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢١٨٢).

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٨٧٦ ومسلم ٨٥٥.

(٦) أخرجه مسلم ٨٥٤.

ومنَّ الله فيه على عباده المؤمنين بساعة إجابة للدعاء كما ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: ((فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وَهوَ قائمٌ يُصلِّي يَسأَلُ اللهَ تعالى شيئًا إلا أَعطاهُ إيّاهُ))[١]. وصلاة الجمعة والمحافظة عليها تغفر الذنوب كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله: ((لا يَغتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمعةِ ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِن طُهرٍ ويَدَّهِنُ من دُهنهِ أَو يَمسُّ من طِيبِ بيتهِ، ثمَّ يخرُجُ فلا يُفرِّقُ بينَ اثنينِ، ثمَّ يصلِّي ما كُتِبَ له، ثمَّ يُنصِتُ إذا تكلَّمَ الإمامُ، إلاّ غُفِرَ له ما بينَهُ وبينَ الجُمعةِ الأُخرى))[٢]. قال ابن القيم: (إنه اليوم -أي يوم الجمعة- الذي يستحب أن يتفرغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم، سلمت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلمت له، صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة شهر رمضان:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث فضيلة شهر رمضان وذلك في قوله ﷺ: "ورمضان إلى رمضان..." والذي قال فيه الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٤]. قال ابن كثير: (يمدح تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن الكريم فيه وكما اختصه بذلك)[٥]. قال الشيخ السعدي: (أي:

---

(١) أخرجه مسلم ٥٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٣.

(٣) زاد المعاد ٣٩٨/١.

(٤) سورة البقرة، من آية: ١٨٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠١/١.

الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان،والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة، وأهل الشقاوة.

فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسمًا للعبادة، ومفروضًا فيه الصيام، ولذلك قرره وبيَّن فضيلته[١].

وهذا الشهر الكريم له فضائل وخصائص عظيمة يختص بها عن بقية شهور العام. من هذه الفضائل أن الله اختصه بفريضة الصيام الذي هو من أفضل الأعمال المقربة إلى الله سبحانه وتعالى وأجلها. فهو سبب لمغفرة ما تقدم من الذنوب قال رسول الله ﷺ ((مَنْ صامَ رَمَضانَ إيمانًا، واحْتِسابًا، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّم مِنْ ذَنْبه))[٢] ومن مزايا الصيام ما جاء في قول رسول الله ﷺ: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ. الحَسَنَةُ بعَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...))[٣] فشهر رمضان شهر عظيم تكثر فيه البركات والخيرات وفيه تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار وتكثر طاعات المسلمين وتقل ذنوبهم.

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان ما يكفر الذنوب:

ينبغي للداعية إلى الله أن يبيِّن للمدعوين الأشياء التي يتحقق الخير بفعلها، وتكون سببًا في تكفير ذنوبهم. فقد حرص رسول الله ﷺ على بيان فضل المحافظة على الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وكذلك فضل رمضان وما أعطى الله فيه عباده من الخيرات، وذلك من أجل أن يعلم المسلمون مدى رحمة الله بهم، وأنه تعالى يغفر ذنوب عباده إذا لجئوا إليه، وطلبوا مغفرته، وتحيّنوا الأوقات التي خصها الله بقبول الدعاء

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠١٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٤، ومسلم ١١٥١.

وفضلها على غيرها من الأوقات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١]. قال السعدي: (الذنوب التي دون الشرك، قد جعل الله لمغفرتها أسبابًا كثيرة كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة. وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن دون ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تفضيل بعض الأوقات:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، فقد ميّز الله سبحانه بعض الأوقات بخصائص روحية معينة، فضلها بها على غيرها، فقد جعل الله لبعض الشهور فضلاً على بعض قال تعالى: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٥].

كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٦] وأقسم بالعشر، وهي عشر ذي الحجة على الصحيح. وكذلك تفضيل يوم الجمعة على باقي أيام الأسبوع وجعله عيد الأسبوع وكذلك تفضيل الثلث الأخير من الليل.

فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بالطاعات، عسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة القدر، آية: ٣.

النار وما فيها من اللفحات[١].

سادسًا-من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب الكبائر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الصلوات الخمس، ... مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

قال ابن عثيمين: (يعني أن الصلوات الخمس تكفر الخطايا من بين صلاة الفجر إلى الظهر، ومن الظهر إلى العصر، ومن العصر إلى المغرب، ومن المغرب إلى العشاء، ومن العشاء إلى الفجر. فإذا عمل الإنسان سيئة وأتقن هذه الصلوات الخمس، فإنها تمحو الخطايا، لكن قال: "إذا اجتنبت الكبائر" يعني اجتنبت كبائر الذنوب.

وكبائر الذنوب هي: كل ذنب رتب عليه الشارع عقوبة خاصة، فكل ذنب لعن النبي ﷺ فاعله فهو من كبائر الذنوب، وكل شيء فيه حدٌّ في الدنيا كالزنا، أو وعيد في الآخرة كأكل الربا، أو فيه نفي إيمان مثل: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٢] أو فيه براءة منه مثل: ((من غشنا فليس منا))[٣] أو ما أشبه ذلك فهو من كبائر الذنوب.

واختلف العلماء في قوله ﷺ: "إذا اجتنبت الكبائر" هل معنى الحديث أن الصغائر تكفر إذا اجتنبت الكبائر، إنها لا تكفر إلا بشرطين وهما: الصلوات الخمس، و اجتناب الكبائر، أو أن معنى الحديث أنها كفارة لما بينهن إلا الكبائر لا تكفرها، وعلى هذا فيكون لتكفير السيئات الصغائر شرط واحد هو إقامة هذه الصلوات الخمس، أو الجمعة إلى الجمعة، أو رمضان إلى رمضان، وهذا هو المتبادر، والله أعلم، أن المعنى: أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها إلا الكبائر فلا تكفرها، وكذلك الجمعة إلى الجمعة، وكذلك رمضان إلى رمضان، وذلك لأن الكبائر لا بد لها من توبة خاصة، فإذا لم يتب توبة خاصة، فإن الأعمال الصالحة لا تكفرها، بل

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، رجب الحنبلي ص ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١.

لابد من توبة خاصة[١].

وقد بيّن المولى تبارك وتعالى أهمية اجتناب المسلمين للكبائر فقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب، وأدخلناكم الجنة، ولهذا قال: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾)[٣].

وقال السعدي: (وهذا من فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين، وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات، وأدخلهم مدخلاً كريمًا، كثير الخير وهو الجنة، المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكبًا كبيرة، كالصلوات الخمس، والجمعة وصوم رمضان، كما قال النبي ﷺ: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

وأحسن ما حُدَّت به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه)[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣٧٢/١.

(٢) سورة النساء، آية: ٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧١/٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٧٦.

الحديث رقم (١٣١)

١٣١- **الْخَامسَ عشر:** عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: **«ألا أدلُّكم على ما يَمْحُو اللّهُ بهِ الْخَطايا، ويرْفَعُ بهِ الدَّرجاتِ؟»** قالوا: بلى يا رسُولَ اللّهِ، قال: **«إسباغُ الْوُضوءِ على الْمَكَارِهِ وكَثْرةُ الْخُطَا إِلَى الْمسَاجِدِ، وانْتِظَارُ الصَّلاةِ بعْدِ الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ»** رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إسباغ الوضوء: أسبغ وضوءه: وفّى كلّ عضو حقه في الغَسْل[٢].

المكاره: جمع مَكْرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه كشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك[٣].

الرباط: الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها. أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله. ويكون الرباط مصدر رابطتُ: أي لازمتُ. وقيل: الرباط ههنا اسم لما يُربط به الشيء. أي: يشد، ويعنى أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم[٤].

الشرح الأدبي

إن التوبة منهج إسلامي، وسلوك إيماني، فالمسلم يراجع نفسه، ويلومها على ما اقترفت من خطايا، وما أقدمت عليه من ذنوب، ولكن التوبة ليست قولاً لا يصحبه عمل، وإنما هى في واقع المسلم سلوك وأمل، وندم على ما فَرَّطَ في جنب الله تعالى،

---

(١) برقم (٢٥١/٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٣١)، و (١٠٦٠).

(٢) الوسيط في (س ب غ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ك ر هـ)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ب ط)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٧.

وأَوْبةٌ إلى طريق الطاعة حتى منتهاه، وإقامة للصلاة، وإيتاء للزكاة، وصوم رمضان إيمانًا واحتسابًا وخشية لله تعالى، وأداء لكل أركان الإسلام أداءً يرضي عنه رب العالمين، ورسوله الذي اجتباه واصطفاه.

ومحو الخطايا، ورفع الدرجات، ليس بالتأوهات والكلمات، ولكن المصطفى ﷺ يضع أمام كل مسلم. هذه المنارات التي يستضئ بها المؤمن.. ومنها الصلاة، فهى كما جاء في حديث آخر نور ينتشر في أرجاء حياة المؤمن، وفي أقطار نفسه، وآفاق قلبه وفكره، "والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء".

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف.

وأول ظاهرة أسلوبية: هى ظاهرة الحوار: حيث يتوجه النبي ﷺ إلى أصحابه مبشرًا بالمغفرة، ومحو الخطايا ورفع الدرجات، ويبدأ الحوار باستفتاح مُشوِّق ومُرغِّب، واستفهام يحث على الاستجابة وعلى المزيد من الفائدة، ومع الاستفتاح المبشر، والاستفهام المرغب، يتوهج الخطاب الجمعي، لأنه للأمة كلها، في كل زمان وكل مكان، واختيار الفعل "أدلكم"، ينبئ عن وجود المدلول، مع وجود الدال، وكذلك الدليل، وفي ذلك إيحاء بالتيسير، وحرص المصطفى ﷺ على محو الخطايا ورفع الدرجات، وقَدَّمَ محو الخطايا، لأنه هو الطريق إلى رفع الدرجات، والفعل "يمحو": يحتمل معنيين أو يوحي بدلالتين: وهما: إما أن يكون محو الخطايا: من ديوان الحفظة، كما قال بعض العلماء، أو أن يمحو بمعنى، يغفر، والدرجات: كلمة يَتَّسع معناها، وتعظم دلالتها، وهى تنبئ عن كرم الله سبحانه وتعالى للعبد الذي التزم بطاعة ربه، فالله يجعله في الدرجات العلى من الجنة، ويرزقه في الدنيا وضاءة الإيمان وهيبة الطاعة، ومحبة عباده المؤمنين، ولنتأمل تلهف الصحابة إلى معرفة الإجابة، وإدراك الدليل، حيث قالوا: بلى يارسول الله، والمراد: دلنا على ذلك يارسول الله، "وبلى" تأتي إجابة للاستفهام الذي تعقبه أداة نفى "ألا"، فهي لإيجاب النفي المذكور في السؤال.

والإجابة تَفْصِحُ عن ثلاثة منارات كلها تتوهج في طريق واحد: هو: إقامة الصلاة، ويبدأ المصطفى ﷺ بالوضوء، ثم الذهاب إلى المسجد، ثم أداء الصلاة... وانتظار

الصلاة التي بعدها.

ولم يأت الأسلوب مباشرًا أو آمرًا أو إحصائيًا، ولكنه جاء مرغبًا وواعدًا بالمزيد، وشارحًا كيفية الأداء المصحوب بالنية الخالصة، فقوله: "إسباغ الوضوء على المكاره"، ينبئ عن ضرورة استيعاب كل أعضاء الوضوء بالغسل والمسح واستيفاء آدابه ومكملاتها، وتحمل المشاق في سبيل ذلك، ولا يترك الوضوء الكامل لأدنى ملابسة وأقل عذر، وقوله "على المكاره"، يفصح عن ذلك تمام الإفصاح، وتأمل هذه الموجبات الكثيرة، والمعاني الغزيرة، التي أوحى بها اختيار لفظ إسباغ الوضوء، إنها تتضمن فرائض الوضوء، وسننه وآدابه، وذلك أسرار البيان النبوي البليغ.

ولفظ "إسباغ"، يرشد إلى الماء، الذي يتطهر به الإنسان، وهو عنصر أساسي في الطهارة لا يقوم عنصر آخر مقامه، فبه يطهر المؤمن من الحدث الأصغر، والحدث الأكبر، والماء طهور لا ينجسه شيء كما ورد في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو حديث صحيح، وقال ابن حجر إسناده حسن، وفي حديث آخر يقول: ((إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث))[1]، وفي رواية: لم ينجسه شيء[2].

وخصوصية التطهر بالماء من أسرار البيان النبوي، والإعجاز العلمي في السنة النبوية الشريفة، حيث يقول العلماء المحدثون، يتصف الماء بالطهورية، أى جمعه بين الطهارة والتطهر، لأنه أى الماء الجاري، غير صالح لنمو العوامل المرضية، وتكاثرها فيه، وهو عامل مهم في تلفها وإبادتها، وتخليص الناس منها بعد فترة وجيزة من الزمن، وذلك بآليات متعددة، ووظائف حددها العلم الحديث ومنها:

إنه لا يحوي العناصر الغذائية اللازمة لنمو العوامل المرضية، ومن ثَمَّ يحد من نشاطها، ويسبب ضمورها وموتها.

إن درجة حرارة الماء لا تناسب عادة ما تريده هذه العوامل وتتطلبه من أجل نموها،

---

(١) أخرجه أبو داود ٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٥٦).

(٢) أخرجه أبو داود، ٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٥٨).

فهي تفضل حرارة تعادل حرارة الجسم أو ما يقاربها، وهي = ٣٧° درجة مئوية.[١]

والمنارة الثانية، في طريق المغفرة ورفع الدرجات.. تجيء بعد إسباغ الوضوء: وتتمثل في حركة المؤمن والسعي إلى الصلاة، دائمًا في كل يوم، ولذلك جاء التعبير النبوي موحيًا بذلك حيث قال: "وكثرة الخطا إلى المساجد"، وفي أحاديث كثيرة تفصيل لذلك، وتوضيح هذا الأمر، وجلاء له.

والمنارة الثالثة، في طريق النجاة والمغفرة ورفع الدرجات: هي: الصلاة... وهى ثمرة الوضوء، وكثرة الخطا، وما أعظم فوائد هذه الثمرة، وما أجلَّ مقاصدها، وتأمل البلاغة النبوية الكامنة في قلب ذلك التعبير السهل الممتنع، "وانتظار الصلاة بعد الصلاة"، فهل يصلي الإنسان الفريضة ثم ينقطع عن عالم الصلاة وجَوِّها الروحي التأملي؟؟ أم يظل كما قال المصطفى ﷺ قلبه معلقًا في المساجد ؟ إن الواقع الإيماني والسلوك الإسلامي يستجيب لما أمر له رسول الله ﷺ أمرًا ضمنيًا، حيث يظل قلب الإنسان متعلقًا بالصلاة، ومنشغلاً بها، وهو في المسجد إذا كان لديه الوقت الكافي، أو كان في بيته أو في السوق، أو في أي مكان آخر، إنه لا ينقطع عن الصلاة، والاستعداد لها، والعمل بما تتطلبه من التزام بالطاعات، وانتظار للوقت اللاحق، أيا كان صباحًا أو مساءً.

ولنتأمل قول رسول الله ﷺ: فذلكم الرباط... والخطاب هنا للصحابة، ولكل الأمة الإسلامية، ولم يقل فذلك الرباط، لأن المخاطب هنا، وهو مجموع الأمة: هو المقصود: لأن الحديث بدأ بخطاب جميع أفراد الأمة كلها "ألا أدلكم" واسم الإشارة: يحدد المقصود وهو القيام بتنفيذ ما سبق التنبيه إليه والتدليل عليه، وكلمة "الرباط"، تعلن وتفصح عن المجاهدة في هذا الطريق، لأن الرباط هو: ملازمة الثغور لحماية ديار الإسلام من هجمات الأعداء، وقال العلماء: إن الالتزام بهذه الأمور الثلاثة هو الرباط الذي عناه رسول الله ﷺ، لأنه: من أعظم القهر لأعدى عدو الإنسان وهى نفسه

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في كتاب: الإعجاز العلمي في السنة النبوي، د. صالح ابن أحمد رضا، ١/٤٧٤-٤٧٧.

الأمارة بالسوء، وقمع شهوتها، وقلع مكائد الشيطان من جميع أجزائها، فإن هذه الأعمال -المذكورة في الحديث- تسد طرق الشيطان والهوى عن النفس وتقهرها، وتمنعها من قبول الوساوس والشهوات فكانت هي الرباط الحقيقي وهو الجهاد[١].

والمعاني السابقة كلها من موحيات الأسلوب النبوي، البليغ الفريد، المشع بالمعاني المتعددة والتي نستوحيها من قوله ﷺ: "فذلكم الرباط".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم إسباغ الوضوء، وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه إن أريد بالإسباغ تعميم الأعضاء الواجب غسلها فهو واجب، وإن أريد به الزيادة والتوفية فهو مندوب.

الثاني: حكم صلاة الجماعة، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (١٠).

الثالث: كثرة الخطا إلى المساجد، وقد ذكر الفقهاء[٣] أن من الأعمال المستحبة التي يحصل بها للمكلف فضيلة كثرة الخطا إلى المساجد، وكثرة الخطا يكون ببعد الدار عن المسجد ويكون بكثرة التكرار عليه.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣١٦/١.

(٢) شرح فتح القدير ٢٦/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٤/١، وشرح الخرشي ١٣١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٦٠/١، وحاشية الجمل على شرح المنهج ١٣٠/١، وحاشية البيجرمي ١٤٧/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٤١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٦/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥١/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٦٦/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ١٨٥/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٤٣/٣، ١٤٤/٤ وما بعدها.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٥/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٠/٤، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢٥/٢.

الرابع: حكم انتظار الصلاة بعد الصلاة، وقد ذكر الفقهاء[١] أن من الأعمال المستحبة للمكلف انتظار الصلاة في المسجد بعد الصلاة كما في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويطلق على الجلوس في المسجد انتظارًا للصلاة اسم الرباط أخذًا من هذا الحديث[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشويق.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل كثرة الخُطا إلى المساجد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة لوقتها.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل مجاهدة النفس.

سابعًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشويق:

أسلوب التشويق من الأساليب الدعوية المفيدة التي تدل على قدرة الداعية على جذب انتباه المدعوين. ويظهر أسلوب التشويق في هذا الحديث عندما بدأ النبي ﷺ قوله (بألا...) وهي للتنبيه حيث لفت انتباه المدعوين ثم قال ﷺ (على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات) فشوّق ﷺ إلى سماع حديثه وكذلك رغبهم في إتيان هذا العمل الذي سوف يذكره، وهذا يدل على إجادة استخدام الألفاظ في التشويق، وكذلك براعة الاستهلال فتكون هذه الكلمات القليلة مشتملة على عدة أساليب من

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٥/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٠/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ٣٦٥/٢، والفروع، ابن مفلح ١٣٤/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٩/٢.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٧٦/٢٢.

أساليب الدعوة فاشتملت على أسلوب (لفت الانتباه وأسلوب التشويق وأسلوب الترغيب) وهذا يدل على بلاغة الرسول ﷺ وقوة بيانه وإجادة توظيفه للكلمات وهذا ما ينبغي أن يتعلمه الداعية ويعمل به، مقتديًا في ذلك برسول الله ﷺ.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات"... إلخ الحديث.

إن من واجبات الداعية إرشاد الناس إلى الخير، لأن دعوته إذا لم تتضمن الخير للمدعوين لا تكون في مصلحتهم، ومن هنا ينفر منها الناس ويعتبرونها خصمًا لهم فيقفون لها بالمرصاد، ويحرضون على خصومتها ويحضون على محاربتها[1].

وإرشاد المدعوين إلى الخير هو شأن الرسل عليهم السلام وشأن الدعاة إلى الله. قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۝٤٢﴾[2] ودعاء الصالحين دائمًا أن يكونوا أئمة في الخير قال تعالى عنهم: ﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾[3] أي: أئمة يقتدون في الخير بنا[4].

ويظهر إرشاد المدعوين إلى الخير في الحديث في دعوته ﷺ لأمته إلى ما يمحو خطاياهم ويرفع درجاتهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا... إسباغ الوضوء على المكاره" قال القرطبي: (قوله: "إسباغ الوضوء على المكاره" أي: تكميله

---

(١) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ٢٤١.

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٧٤.

(٤) تفسير البغوي، ٩٩/٦.

وإيعابه مع شدة البرد وألم الجسم ونحوه)[١]. وقال ابن عثيمين: (إسباغ الوضوء على المكاره، يعني إتمام الوضوء في أيام الشتاء، لأن أيام الشتاء يكون الماء فيها باردًا، وإتمام الوضوء يعني إسباغه فيحصل بذلك مشقة على النفس، فإذا أسبغ الإنسان وضوءه مع هذه المشقة، دل ذلك على كمال الإيمان فيرفع الله بذلك درجات العبد، ويحط عنه خطيئة)[٢].

وقد ورد حث رسول الله ﷺ على إحسان الوضوء وبيّن فضل ذلك فقال: ((لاَ يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ. فَيُصَلِّي صَلاَةً. إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ الَّتِي تَلِيهَا))[٣].

وقال أيضًا ﷺ: ((مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ))[٤].

فالحث على إحسان الوضوء وإسباغه أمر ضروري للمسلم حتى يحصل له الثواب والفضل الذي وعد به النبي ﷺ.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل كثرة الخُطا إلى المساجد:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وكثرة الخُطا إلى المساجد...".

قال القاضي عياض: (كثرة الخطا تكون ببُعْد الدار وكثرة التكرار)[٥].

وقال ابن عثيمين: (كثرة الخطا إلى المساجد، يعني أن يقصد الإنسان المساجد، وذلك في الصلوات الخمس، ولو بَعُد المسجد، فإنه كلمَّا بَعُد المسجد عن البيت ازدادت حسنات الإنسان، فإن الإنسان إذا توضأ في بيته، ثم خرج منه إلى المسجد لا يخرجه إلا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٥٠٧/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٣٧٢/١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٥) إكمال المعلم ٢٧٠.

الصلاة، لم يخط خطوة واحدة إلا رفع الله له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة)[١].

فقد جعل الله سبحانه المساجد بيوته وأنعم على عباده بأن جعل المشي إليها سببًا في محو الخطايا ورفع الدرجات، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[٢] أي: خطاهم إلى المساجد[٣].

وقال رسول الله ﷺ ((إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ))[٤] وبين ﷺ أن الخُطا إلى المساجد ترفع الدرجات وتمحو الخطايا فقال: ((...إذا تَوضَّأَ فأَحسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرَجَ إلى المسجدِ لا يُخرِجهُ إلاّ الصلاةُ، لم يَخْطُ خُطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجةٌ وَحُطَّ عنه بها خَطِيئةٌ...))[٥].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة لوقتها:

لاشك أن المحافظة على الصلاة لوقتها تدل على مدى التزام المسلم وحرصه على مرضاة الله تعالى، ورغبته في حصول المثوبة والفضل، وقد حثّ النبي ﷺ على أهمية ذلك فقال في الحديث: "وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط".

قال ابن علان: ("وانتظار الصلاة" أي: وقتها أو جماعتها. "بعد الصلاة" منفردًا أو في جماعة، وذلك بأن يجلس في المسجد، أو في بيته، أو سوقه، أو شغله لانتظارها، وذلك لتعلق فكره وقلبه بها، فهو دائم الحضور والمراقبة غير ملْتَهٍ عن أفضل العبادات البدنية بشيء)[٦].

وقد مدح الله تعالى الذين يحافظون على الصلاة فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآيات ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٧] أي يواظبون عليها في

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٣٧٣.

(٢) سورة يس، آية: ١٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٥٦٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٧، ومسلم ٣٦٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢٧٠.

(٧) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٩.

مواقيتها[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله، أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: ((الصلاةُ عَلَى وَقتِها))[٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله عَزَّوَجَلَّ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلاَّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى الله عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ))[٣].

فالمحافظة على الصلاة في وقتها من أسباب مغفرة الله تعالى لذنوب العبد، وهي من أحب الأعمال إلى الله فينبغي للمسلم أن يحافظ على الصلاة في وقتها.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل مجاهدة النفس:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ "فذلكم الرباط" قال شبير العثماني: (في قوله: "فذلكم الرباط" إلخ بكسر الراء، يقال رابطت أي: لازمت الثغر، وهو أيضًا لما يربط به، وسمي مكان المرابطة رباطًا. قال القاضي: إن هذه الأعمال هي المرابطة الحقيقية، لأنها تسدّ طرق الشيطان على النفس، وتقهر الهوى، وتمنعها من قبول الوساوس، فيغلب بها حزب الله جنود الشيطان، وذلك هو الجهاد الأكبر، وذلكم إشارة إلى أن ما ذكر من الطاعات والخصال المذكورة هو الرباط المذكور في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[٤] والرباط الجهاد أي: ثواب هذه كثواب الجهاد، إذ فيه مجاهدة النفس بإذاقتها المكاره والشدائد، كما في الجهاد)[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٣/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٧٠، ومسلم ٨٥.

(٣) أخرجه أبو داود ١٤٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٨).

(٤) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٥) موسوعة فتح الملهم ٤٩١/٢.

إن مجاهدة النفس وإخضاعها لطاعة الله وبعدها عن هواها وصدها لوساوس الشيطان وتعويدها الصبر عند الشدائد أمر مطلوب، وله أثر عظيم على المسلم قال ابن بطال: جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل[١]. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٢].

ولنا في رسل الله المثل الأعلى والقدوة الحسنة في مجاهدة النفس، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٣]. وهذا نبينا محمد ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولم يركن إلى نفسه، فكان كما أخبرت به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان إذا صلى، قام حتى تفطر رجلاه فقالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ((يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟))[٤].

سابعًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

إن وسيلة التعليم من الوسائل المهمة في مجال الدعوة إلى الله تعالى بالنسبة للداعية والمدعو أيضًا، لأنه من خلال التعليم يستطيع الداعية بيان الأمور للمدعوين، ويستطيع المدعو أيضًا أن يستوعب ويفهم ما خفي عليه من أمور الدين أو ما جهله، وتتضح أهمية هذه الوسيلة في الحديث الذي معنا من خلال قيام تعليم النبي ﷺ أصحابه فضل إسباغ الوضوء، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة والمحافظة عليها وكذلك فضل مجاهدة النفس، وبيان أن ذلك يمحو خطاياهم ويرفع درجاتهم.

وهذا كان دأب النبي ﷺ دائمًا مع أصحابه، حيث إنه كان حريصًا على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٥/١١.

(٢) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٣) سورة يوسف، آية: ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨٧٣، ومسلم ٢٨٢٠ واللفظ له.

تعليمهم أمور دينهم، ويدل على ذلك ما رواه أبو رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: ((انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه، فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتمها))[1].

فلولا أن تعليم الناس أمور الإسلام أمر ضروري ولا يحتمل التأخير لما ترك رسول الله ﷺ خطبته ونزل لتعليم السائل.

فعلى الدعاة إلى الله أن يعلموا الناس أحكام الإسلام، ويعرفونهم بحدود الله وبيان تفاصيل الدين[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٤٣.

الحديث رقم (١٣٢)

١٣٢- السَّادسَ عشرَ: عن أَبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ صلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجنَّةَ» متفقٌ عليه[١].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

«البرْدَانِ»: الصُّبْحُ والْعَصْرُ[٢].

الشرح الأدبي

إن من أفضل الأعمال: الصلاة لوقتها، وهذه الأفضلية مردودها وخيرها يعود بالنفع على المسلم في جميع أوقاته، صباحًا ومساءً، فالصلاة صلة بين العبد وربه، وهذه الصلة فيها أقوال، وأفعال، وقراءة وركوع وسجود، ومناجاة صادقة في كل حركة من أركان الصلاة القولية والعملية.

ونقتبس من هذا الحديث الموجز قبسات من الوعود النبوية الصادقة، وأشعة من فيوضات الجزاء الأوفى، والنعيم الأكبر في جنة أعدت للمتقين، ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾[٣].

والحديث يتكون من جملة لغوية واحدة، وهى جملة شرطية، تتكون من خمسة ألفاظ، وفعل الشرط، "صلى البردين"، الجواب: "دخل الجنة"، والصلاة هنا ليست مطلقة ولكنها مقيدة بزمنين: ينشغل الناس فيهما، ويصيبها الكسل أحيانًا: وهما:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥/٢١٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٦٤١). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٤٨).

(٢) رياض الصالحين ١٠٢، ٤٠٠.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٣.

وقت الصبح ووقت العصر.

وبراعة الأسلوب النبوي تتجلى في إطلاق هذا المسمّى على هذين الوقتين: ولكن ما العلاقة بين هذه الصفة، وبين طبيعة هذين الوقتين، قيل: هذان الوقتان سميا بردين لأنهما يصليان في بَرْدى النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحر.

وربما يرجع السرّ في تفضيل هذين الوقتين إلى أنهما تتلاقى فيهما الملائكة، ويشهدون المصلين، ويشهدون لهم عند ربهم؛ كما جاء في الحديث الشريف الذي يرويه ((أبو هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون))[1].

والحكمة في اختيار هَذَيْن الوقتين أن العبد إذا حافظ عليهما، وأحدُهما في وقت شغله وهو العصر، والصلاة الأخرى في وقت يغلب فيه النوم كان أهلاً لأن يفاخر به أمام الملائكة، ولأنه يكون على غيرهما أشد محافظة، ولذلك تشهد لهم الملائكة بالمحافظة على الصلاة لوقتها وخاصة في البردين. فتقول الملائكة حينما يسألهم الحق سبحانه وتعالى وهو أعلم بهم، "كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون".

والتفسير اللغوي للحديث يفتح دلالة أخرى لها صلة بكيفية الصلاة وعدد فروضها في بعض مراحل التشريع حيث يرى بعض العلماء أن "من" اسم موصول وليست شرطية، والمراد: أن من صلى الفرضين في هذين الوقتين دخل الجنة؛ لأن الصلاة كما يقول العلماء: فرضت أولاً ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ويروى عن عائشة أم المؤمنين ﵂ أنها قالت: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٥، ومسلم ٦٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٠، ومسلم ٦٨٥.

ويرى بعض العلماء أن المراد بالبردين، الصبح والعشاء، لأنهما يكونان في طقس معتدل، وهواء بارد بمعزل عن شدة الحرارة، وفي وقت العشاء يكثر النعاس فيثقل البدن بواسطته مع الامتلاء بالعشاء فتشق الصلاة، فمن صلاها مع ذلك استحق دخول الجنة، وكذلك صلاة الفجر تكون عند النوم ولذته والاستغراق فيه، فمن قاوم ذلك الكسل، وانتصر على الشيطان الذي قال له عند النوم، عليك ليل طويل فارقد، وذكر الله تعالى، وتوضأ وصلى دخل الجنة، وأصبح نشيطًا طيب النفس، والبشارة النبوية نلمح تحققها في التعبير بصيغة الماضي عن المستقبل مما يدل على التحقق، لأن الله تعالى وعد بذلك وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، فدخول الجنة متحقق -إن شاء الله- بعونه وفضله وإرادته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى وقتين من أوقات الصلاة وهما صلاة الصبح وصلاة العصر كما ذكر الفقهاء[1] وبردا النهار هما طرفاه حين يطيب الهواء وتذهب فورة الحر وشدته، ولأداء هذين الفرضين في وقتهما عظيم الأجر عند الله تعالى.

ولا خلاف بين الفقهاء[2] على أن صلاة الصبح يبدأ وقتها عند طلوع الفجر الصادق وآخره عند جمهور الفقهاء طلوع الشمس، أما صلاة العصر فيبدأ وقتها عند جمهور

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٩/٣، ٣٠٧/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٨٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٩٨/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ٣٠٥/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٢٩/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٨٩/١ وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٧٩/١ وما بعدها، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المصري ١٦٤/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٨١/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١١٥/١ وما بعدها، وتحفة المحتاج ٤١٧/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٤٢/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤٩/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧١/٧ وما بعدها.

الفقهاء من حين الزيادة على المثل، وعند أبي حنيفة من عند الزيادة على المثلين، وذهب أكثر المالكية إلى تداخل وقتي الظهر والعصر، فلو أن شخصًا صلى الظهر عند صيرورة ظل كل شيء مثله، وآخر صلى العصر في هذا الوقت، كانت صلاتهما أداء، وخالف في ذلك ابن حبيب وابن العربي.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلاتي الفجر والعصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الأفضل من الأعمال.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل صلاتي الفجر والعصر:

إن مما يظهر من هذا الحديث فضل صلاتي الفجر والعصر، وذلك في قوله ﷺ: "من صلى البردين دخل الجنة"، قال ابن حجر: (قوله: "من صلى البردين" بفتح الموحدة وسكون الراء تثنية بَرْد، والمراد: صلاة الفجر والعصر. وقال الخطابي: سميتا بردين لأنهما تصليان في بردي النهار وهما طرفاه حين يطيب الهواء تذهب فورة الحر)[1]. وقال ابن علان: (ووجه تخصيصهما بالذكر أن وقت الصبح يكون عند النوم ولذته، ووقت العصر يكون عند الانشغال بتتمات أعمال النهار وتجارته وتهيئة العشاء، ففي صلاته لهما لم يمنع ذلك من إتيانه بجميع الصلاة الأخرى، وإنه إذا حافظ عليها كان أشد محافظة على غيرهما، فالاقتصار عليها لما ذكر، لا لإفادة أن من اقتصر عليهما بأن أتى بهما دون باقي الخمس يحصل له ذلك، لأنه خلاف النصوص)[2]. ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ: ((لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٥٣٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

غُرُوبِهَا))[١]، يعني الفجر والعصر. "أي: لن يدخل النار من عاهد وحافظ على هاتين الصلاتين ببركة المداومة عليهما"[٢].

وعن جرير قال: "كنا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - ليلة البدر - فقال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ. لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٣]، وقبل طلوع الشمس، أي: صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي: صلاة العصر[٤]. وخص هذين الوقتين لاجتماع الملائكة فيهما ورفعهم أعمال العباد ولئلا يفوتهم هذا الفضل العظيم[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة المهمة: الترغيب، ويظهر أسلوب الترغيب في هذا الحديث في الترغيب في صلاتي الفجر والعصر، ببيان أن ذلك يدخل من حافظ عليها الجنة، فينبغي للداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في دعوته، لأنه يعمل على ترغيب المدعو في تحصيل الثواب والفضل ومسارعته إلى فعل الطاعات؛ (لأن الأصل في الترغيب أن يكون بنيل رضى الله ورحمته، وجزيل ثوابه في الآخرة، وهذا نهج الرسل الكرام كما بينه القرآن وجاءت به السنة النبوية المطهرة)[٦].

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان الأفضل من الأعمال:

إن من واجبات الداعية في الدعوة إلى الله بيان الأفضل من الأعمال، وهذا ما كان

---

(١) أخرجه مسلم ٦٣٤.

(٢) المفهم، القرطبي ٢/٢٦٢.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ٥٥٤، ومسلم ٦٣٣.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤١.

(٦) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

يعلمه رسول الله ﷺ لأمته، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال: ((فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ - ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[1]، فإن أنواع الجنة كلها سعادة ونعيم ولكن رسول الله ﷺ بين الأفضل لأمته وحثهم على طلبه، وقد بين الأفضل من الصلوات في هذا الحديث (صلاتي الفجر والعصر)، وعلة التفضيل تعاقب الملائكة، قال رسول الله ﷺ: ((يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلاَئِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسْأَلُهُمْ -وهوَ أَعلمُ بهم-: كيفَ تَركتُمْ عِبادِي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصَلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصَلُّون))[2].

فالصلاة كلها خير وعظيمة الأجر، ولكن الأفضل منها ما ذكر. فعلى الداعية إلى الله أن يبين الأفضل من الأعمال ويحث المدعوين على القيام به، وهذا لا يمنع الإتيان بالمفضول أيضًا، لأن الإتيان به لا بديل عنه، فإذا كانت الدعوة في هذا الحديث بإتيان صلاتي الفجر والعصر والمحافظة عليهما، فهذا لا يمنع من الدعوة إلى باقي الصلوات والمحافظة عليها، لأن الصلاة لا تسقط عن المسلم المكلف بحال من الأحوال، ولكن المراد بيان فضل هذين الوقتين.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٠، ٧٤٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦، ومسلم ٦٣٢.

الحديث رقم (١٣٣)

١٣٣- **السَّابعَ عشَر:** عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إذَا مرِضَ الْعبْدُ أوْ سافَر كُتِب لَهُ مِثْلُ ما كانَ يعْملُ مُقِيمًا صحيحًا**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن ميزان صحة العمل يقاس بالنية الصالحة، والعمل الذي لا تصحبه نية وإرادة لا قيمة له في المنهج الإسلامي: لأن النية في اللغة نوع من القصد والإرادة، وفي اصطلاح العلماء تأخذ دلالة النية ظلالاً من الدلالة اللغوية، ولكن القصد يرتبط باللّه عز وجل: فالنية الخالصة معناها، تميز المقصود بالعمل: وهل هو للّه وحده لا شريك له، أم للّه وغيره؟.

وهذا الحديث الشريف يوضح الكرم الإلهي، والثواب الرباني لكل عبد أخلص نيته، وقام بالعمل الصالح عملاً بقول اللّه عز وجل: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

وما أعظم فضل اللّه تعالى، وما أكرمه وهو يفتح طرق الخير أمام الصالحين الأبرار الأخيار، وهذا الفضل الإلهي يقدمه رسول اللّه ﷺ تقديمًا فيه ترغيب، وفيه حَفْزٌ لأصحاب الهمم وإن كانوا من ذوي الحاجات، أو كانوا من الذين يكابدون عناء السفر، وقد صيغ هذا الحديثُ في قالب الشرط والجواب، دلالة على تحقق الثواب ومضاعفته؛ حيث يعرض المصطفى ﷺ حالتين يمر بهما بعض المؤمنين، إحداهما: حالة المرض، والأخرى حالة السفر، وفي الحديث إيجاز.. لأن حالة المرض تستدعي عدم

---

(١) برقم (٢٩٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٠١٣).

(٢) سورة العصر: ١-٣.

القيام بالعبادة على الوجه الأمثل، فالمرض: هو حالة من العجز عن أداء العبادات على الوجه الأكمل، فكم من مريض يشتاق إلى الذهاب للمسجد، ولكن لا يستطيع، وكم من مريض يتمنى أن يصوم رمضان، ويَنْعم بطاعة الله تعالى، وهو يؤدي هذه الفريضة التي تمثل سرًا بين العبد وربه، ولكن لا يقدر، وكم من مريض يتحرق شوقًا إلى شد الرحال إلى المسجد الحرام، للحج أو العمرة، وإلى شد الرحال للمسجد النبوي.

والمريض في كل هذه المواقف بنية خالصة لله تعالى وحده لا شريك له.

وكذلك العبد المسافر سفرًا يبتعد به عن أداء الصلوات مع الجماعة في المسجد، ويمنعه أحيانًا من أداء الصوم على الوجه الأكمل، وقد شرع الإسلام لكل من أَلَمَّ به مرض، ولكل من أرهقه السفر، الرخص المشروعة مثل قصر الصلاة، والجمع بين الفروض، والإفطار في رمضان ثم القضاء بعد ذلك حسب آراء الفقهاء في هذه الحالات.

ولذلك يأتي، جواب الشرط، مطمئنًا كل مسلم يحول المرض بينه وبين أداء العبادات على الوجه الأكمل، وكل مسافر تحول ظروف السفر بينه وبين ممارسة العبادة وأدائها أداءً كاملاً مثل المقيم، وهذا الاطمئنان يأتي جازمًا حاسمًا في قوله ﷺ: "كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا"، والتعبير بلفظ "كتب" أي: كتب الله تعالى له، وهذا وعد صادق، وثواب حاسم مضاعف من الله عز وجل، ولم يقل: كتب له مثل المقيم، وإنما يكتب له مثل الأجر والبر الذي يكتب له وهو يعمل مقيمًا صحيحًا، وفي ذلك إشارة إلى أن العبد لابد أن يقوم بالأعمال الصالحة، وأداء العبادات على الوجه الأكمل وهو يتمتع بالصحة والقوة، ويتمتع بنعمة الاستقرار والإقامة.

ومنطوق الحديث يوضح الوجه الإيجابي للمسلم في حِلِّه وسفره، وفي صحته ومرضه، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهذا المنطوق يشع بمفهوم يجب التنبه له وهو أن الذي لا يعمل صالحًا وهو مقيم صحيح، لا يستحق أي ثواب وهو مريض أو مسافر، لأنه لم يُقدِّمُ الخير، ولم يتعرف إلى الله تعالى في الرخاء، فلا يستحق أي ثواب أو جزاء من الكبير المتعال.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رحمة الله ولطفه بعباده.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الحرص على الأعمال الصالحة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رحمة الله ولطفه بعباده:

إن من الشواهد التي تؤكد رحمة الله بعباده في هذا الحديث قوله ﷺ: ((إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا)) قال ابن عثيمين: (يعني أن الإنسان إذ كان من عادته أن يعمل عملاً صالحًا، ثم مرض فلم يقدر عليه فإنه يكتب له الأجر كاملاً والحمد لله على نعمه)[1]؛ لأن الله عز وجل أرحم الراحمين بعباده، لطيف رحيم يضاعف لهم الحسنات ويمحو عنهم السيئات، ويثيب على نية الخير وإن لم يعمل، ولا يعاقب على نية الشر إلا إذا عمل، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى، قال: ((إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة))[3].

وتظهر رحمة الله ولطفه بعباده في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها بسبب مرض أو سفر بأن جعل له أجر الطاعة كأصلح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣٧٤/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٤) انظر فتح الباري، ابن حجر ١٥٩/٦.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة المهمة أسلوب الترغيب، ويظهر الترغيب في حثّ النبي ﷺ المسلمين على ثبات النية على طاعة الله عز وجل، حتى إذا عرض له عارض من مرض أو سفر يكون له ثواب الطاعة حالة القيام بها، وأسلوب الترغيب يرغّب المدعو في الإقبال على طاعة الله والمحافظة عليها، لينال ثواب ذلك دائمًا. فينبغي للداعية أن يحرص على ترغيب المدعوين في إخلاص النية في استمرار طاعة الله حتى يحصل لهم استمرار الثواب عليها.

ثالثًا- من واجبات المدعو: الحرص على الأعمال الصالحة:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، قال ابن عثيمين: (وفي هذا تنبيه على أنه ينبغي للعاقل ما دام في حال الصحة والفراغ أن يحرص على الأعمال الصالحة، حتى إذا عجز عنها لمرض أو شغل؛ كتبت له كاملة، فينبغي على المسلم أن يغتنم صحته، ويغتنم فراغه في العمل الصالح حتى إذا شُغل عنه بمرض أو غيره، كتب له كاملاً ولله الحمد، ولهذا قال النبي ﷺ: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ))[1] وقال ابن عمر: (وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[2] فإن الإنسان ينبغي له في حال الصحة أن يغتنم الفرصة، حتى إذا مرض كتب له عمله في الصحة، وأن يحرص ما دام مقيمًا على كثرة الأعمال الصالحة، حتى إذا سافر كتب له ما كان يعمل في الإقامة)[3]. لذا يجب على المدعو أن يكون حريصًا على الأعمال الصالحة. قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[4] والأعمال الصالحة كثيرة من عبادات ومعاملات فإذا قام بها المدعو ملاحظًا الطاعة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٣٧٤-٣٧٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩.

لربه والانقياد لشرعه مبتغيًا بها وجه الله، كان من أصحاب الأعمال الصالحة[١].

وقد حث النبي ﷺ على الحرص على الأعمال الصالحة فقال: ((احرص على ما ينفعك))[٢].

وحرص المدعو على العمل الصالح يجعله يستمر في طاعة الله، ويجعل الله عز وجل يكثر من نعمه على عبده، فإذا تخلف عن العمل الصالح لعذر أنعم الله عليه بثواب هذا العمل كما كان يعمله في حالته الأولى، وهذا أدعى للمسلم أن يحرص على دوام العمل الصالح.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية:

وهذا ما يظهر من قوله ﷺ ((إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا)) فنيّة العبد أن يداوم على عمل الطاعة لولا المانع الذي منعه[٣] فيكون ثوابه مستمرًا استمرارًا لنيته على طاعة الله.

وقال ابن تيمية: (إن هذا الحديث دليل على أن يكتب له مثل الثواب الذي كان يكتب له في حال الصحة والإقامة، لأجل نيته له، وعجزه عنه بالعذر.

وهذه قاعدة الشريعة: أن من كان عازمًا على الفعل عزمًا جازمًا وفعل ما يقدر عليه منه، كان بمنزلة الفاعل. فهذا الذي كان له عمل في صحته وإقامته عزمه أن يفعله، وقد فعل في المرض والسفر ما أمكنه، فكان بمنزلة الفاعل كما جاء في السنن (من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح -أي ذهب إلى المسجد- فوجد الناس قد صلوا، أعطاه الله عز وجل مثل أجر من صلاها، لا ينقص ذلك من أجرهم "أجورهم" شيئًا)[٤].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٩/٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٢٨).

وكما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ: ((إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم)) قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: ((وهم بالمدينة، حبسهم العذر))[١].

وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[٢] فهذا ومثله يبين أن المعذور يكتب له مثل ثواب الصحيح، إذا كانت نيته أن يفعل، وقد عمل ما يقدر عليه[٣].

فالنية لها فضل عظيم على المسلم لحصول الثواب واستمراره، قال رسول الله ﷺ ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...))[٤] فنية العبد إذا كانت خير أثابه الله عليها وإن لم يعمل العمل الذي ينويه.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٢٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٣/٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ١، ٢٤٠١، ٢٥٢٩، ومسلم ١٩٠٧.

الحديث رقم (١٣٤)

١٣٤- الثَّامنَ عشَرَ: عنْ جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «كُلُّ معرُوفٍ صدقَةٌ» رواه البخاري[١].

ورواه مسلم[٢] مِن رواية حذَيفَةَ رضي الله عنه.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يتسم بالإيجاز مع الإقناع والإمتاع، وكل كلمة تموج بدلالات لها في النفس بريق وإشعاع، ولها في تقويم السلوك إرشادات وبراهين، وحجج وأدلة تأخذنا إلى حق اليقين.

وكان النبي ﷺ في بيانه كأنما تكاشفه اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأَسَدَّهم لفظًا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عرف لكانوا نقلوه وتحدثوا به واستفاض فيهم.

والحديث الذي نتأمل أسراره البيانية، ونقتبس أشعته الدلالية، يبدو واضحًا كالشمس في معناه، سهلاً كالماء العذب الجاري في مبناه "كل معروف صدقة" إنها ثلاث كلمات لا خفاء فيها، ولا غرابة تحجب معناها، ولا تعقيد في مبناها، ولكن: القيمة البيانية تكمن في هذه الإشعاعات التي تتوهج بها كلمة "معروف" فما دلالة هذه الكلمة، وما آفاقها وما معالمها، وما مظاهرها، وما آثار المعروف الاجتماعية، والنفسية؟

---

(١) برقم (٦٠٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٩٨، و ٢٩٢٥، و ٣٩٦٩) من حديث جابر من غير طريق البخاري.

(٢) برقم (١٠٠٥/٥٢).

والمعروف في دلالته العامة الشاملة هو: كل ما يفعل من أعمال البر والخير، وليس لذلك نهاية، لأن أعمال البر لا تتناهى، وهي تتجدد بتجدد الأزمان والشخصيات والمواقف، وحين نتأمل أبعاد الدلالة اللغوية لهذه الكلمة "معروف" نجد أن المعروف في اللغة ضد المنكر. وكل عمل مشروع وصالح، ونابع من الحس الإيماني، والتصور الإسلامي يُسمى معروفًا، وكأن العمل الصالح، لا يحتاج إلى تحديد لأنه معروف للجميع، والبر كما قال رسول الله ﷺ: ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، ففي الحديث عن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله ﷺ قال: "البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب..."[(١)]، وفي رواية أخرى عند مسلم، "البر حسن الخلق"[(٢)].

فالمعروف وهو "البر" أفق فسيح من الإيمان يتضمن جميع الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله تعالى وإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الأقدار كالمرض والفقر، وعلى الطاعات كالصبر على لقاء العدو[(٣)].

والجذر اللغوي للمعروف هو مادة "عرف" وهي في بعض دلالاتها تعني الرائحة الطيبة، فالعرف: هو الشذا والرائحة الطيبة، والمعروف: في ظل هذه الدلالة: ينتشر أثره في الناس، وكأنه المسك الذي يُعطّر ألسنة الناس بالثناء على كل من يقدم على فعل الخير. والعُرْف هو الجود والكرم، وكل أعمال البر تتضمن الجود والكرم.

والعُرْف: اسم لموج البحر، وكأن هذه الدلالة اللغوية تضفى على المعروف شبها بينه وبين موج البحر، لأن في البحر غزارة وسعة وهو رمز للكرم والعطاء، وكذلك المعروف، لا تتناهى آثاره، ولا تطفأ أنواره، ولا تدرك أسراره، وأعظم سر يقودنا إلى التأمل والتفكر في الحديث الشريف الموجز أنه يجعل المعروف صدقة: قال: "كل معروف صدقة"، والصدقة في اللغة ما أعطيته في ذات الله تعالى، وهي في الحديث تعني الثواب والجزاء الحسن الذي يغمر صاحب العطاء، لأنه أحسن العمل وقَدَّم المعروف.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٤/٤، رقم ١٧٧٤٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ص ٢٧٩/٢٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٣.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٩٩/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والعموم والشمول.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كثرة وتعدد أبواب الخير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عدم احتقار شيء من المعروف.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والعموم والشمول:

١- الإخبار: حيث أخبر النبي ﷺ أن كل عمل يستحسنه الشرع هو من قبيل الأعمال الصالحة المتقبلة، فأسلوب الإخبار فيه جلاء للحقائق وتحفيز للهمم، وتذكير لمن نسي، وتنبيه للغافل.

٢- العموم والشمول: يتضح ذلك في كلمة: "كل" التي تفيد الشمول والإحاطة والعموم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "كل معروف صدقة" حيث عبر رسول الله ﷺ باللفظ القليل عن المعنى الكثير، فالمعروف يشمل كل الطاعات والقربات التي يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وهذا من خصائصه ﷺ التي اختصه الله بها، فإن مما اختص الله تعالى به نبيه ﷺ: جوامع الكلم، ومن شواهد ذلك ما ورد في صريح قوله ﷺ ((بعثت بجوامع الكلم...))[1] وجوامع الكلم (أن تقع المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة)[2] بمعنى (إيجاز الكلام في إشباعٍ من المعنى فالكلمة القليلة منها تتضمن كثيرًا من المعاني وأنواعًا من الكلام)[3] فنجده ﷺ في كلمات معدودة ذكر جميع أنواع الخير وثوابها لذا ينبغي على الداعي مراعاة الإيجاز وعدم الإطناب في الكلام، حتى لا يشرد

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٧٧، ومسلم ٥٢٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٤٩/٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٤٣/١٠.

بأذهان المدعوين، فكثير الكلام ينسى بعضه بعضًا، وإنما الكلمة البسيطة ذات المعاني الجمة التي تجد طريقًا إلى القلب وثباتًا في الذهن.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كثرة وتعدد أبواب الخير:

من فضل الله عز وجل أن عدَّد أبواب الخير حتى يتيسّر للمسلم تحصيل الثواب والتقرب إلى الله تعالى، فأبواب الخير لا تقتصر على ذوي اليسر وإنما يستوي فيها الغني والفقير، أي: يستطيع تحصيل ثوابها أهل اليسار ومن هم من مستوري الحال والفقراء، لذلك قال ﷺ: "كل معروف صدقة".

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: دل هذا الحديث على أن كل شيء يفعله المرء أو يقوله من الخير يكتب له به صدقة، وقال ابن أبي جمرة: يطلق اسم المعروف على ما عرف بأدلة الشرع أنه من أعمال البر سواء جرت به العادة أم لا، قال ابن حجر: وفي هذا الكلام إشارة إلى أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه، فلا تختص بأهل اليسار مثلاً، بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بلا مشقة)[1].

وبيّن النبي ﷺ في الحديث أن الثواب والخير لا يقتصر على ميسوري الحال وإنما يمتد ليشمل الجميع ويحوي كل عمل، فقال ﷺ: (كل معروف صدقة) أي: كل ما يُفعل من أعمال البر والخير كان ثوابه كثواب من تصدق بالمال[2].

وقال ابن عثيمين: (المعروف ما يتعارف الناس على حسنه، أو ما عرف في الشرع حسنه إن كان مما يتعبد به لله، فهو ما عرف في الشرع حسنه، وإن كان مما يتعامل به الناس؛ فهو مما تعارف الناس على حسنه، وفي هذا الحديث: "كل معروف" يشمل هذا وهذا، فكل عمل تتعبد به إلى الله فإنه صدقة، كما ورد في حديث ((كلُّ تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تحميد صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونه يعن المنكر صدقة))[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤٦٢/١٠.

(٢) المفهم، القرطبي ٤٨/٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

وأما ما يتعارف الناس على حسنه: فهو أيضًا ما يتعلق بالمعاملة بين الناس، فكل ما تعارف الناس على حسنه فهو معروف، مثل: الإحسان إلى الخلق بالمال، أو بالجاه، أو بغير ذلك من أنواع الإحسان. ومن ذلك: أن تلقى أخاك بوجه طلق لا بوجه عبوس، وأن تلين له القول، وأن تدخل عليه السرور[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عدم احتقار شيء من المعروف:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "كل معروف صدقة" قال: شبير العثماني: وفيه أنه لا يحتقر شيئًا من المعروف، وأنه ينبغي أن لا يبخل به، بل ينبغي أن يحضره[٢]. إن مما ينبغي أن يكون واضحًا في ذهن المسلم عدم احتقار شيء من المعروف، لأن فضل الله واسع وكرمه على عباده كبير، فهو سبحانه الذي ينمّي الصدقات ويضاعف الحسنات ويُجزل المثوبة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٣] وقال ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣٧٥/١.

(٢) موسوعة فتح الملهم، محمد تقي الدين العثماني ٩٤/٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٤) سورة الزلزلة، الآيات: ٦-٨.

الحديث رقم (١٣٥)

١٣٥- التَّاسع عشر: عنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إلاَّ كانَ ما أُكِلَ مِنْهُ لهُ صدقةٌ[١]، وما سُرِقَ مِنْه لَه صدقَةٌ، ولا يرْزؤه أَحَدٌ إلاَّ كَانَ له صدقةٌ» رواه مسلم[٢].

وفي رواية له[٣]: **«فَلا يغْرِس الْمُسْلِم غرسًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إنسانٌ ولا دابةٌ ولا طَيرٌ، إلاَّ كانَ له صدقَةٌ إلَى يَوْمِ الْقِيَامة»**.

وفي رواية له[٤]: **«لا يغْرِس مُسلِم غرْسًا، ولا يزْرعُ زرْعًا، فيأْكُل مِنْه إنْسانٌ وَلا دابَّةٌ ولا شَيْءٌ إلاَّ كَانَتْ لَه صدقةٌ»**.

ورويَاه جميعًا مِنْ رواية أَنَسٍ رضي الله عنه[٥].

قولُهُ: «يرْزَؤُهُ» أي: يَنْقُصهُ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يرزؤه: أي ينقصه[٦].

دابة: الدابة: كل ما يدب على الأرض وقد غلب على ما يركب من الحيوان[٧].

---

(١) عند مسلم زيادة: (وما أكل السبع منه فهو له منه صدقة، وما أكلت الطيرُ فهو له صدقة)، وهذه الزيادة لا توجد عند المنذري في ترغيبه، فتبعه عليه المؤلف.

(٢) برقم (١٥٥٢/٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٢١).

(٣) برقم (١٥٥٢/١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٢١).

(٤) برقم (١٥٥٢/٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٢١).

(٥) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، ومسلم (١٥٥٣/١٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٢٢) وساق لفظه.

(٦) رياض الصالحين ١٠٢.

(٧) الوسيط ٢٦٨.

الشرح الأدبي

يتضوأ هذا الحديث النبوي بأبعاد التكافل الاجتماعي، ويتوهج بتحديد وترسيخ العلاقة بين الإنسان والطبيعة الحافلة بالكائنات التي خلقها الله لتيسير الحياة للإنسان على وجه الأرض من نبات وحيوان وطير... وكل ما خلقه وأودعه أسرارًا وعجائب لا تنتهي.

والحديث في مقصده الأَسْنى ينضح بالتفاعل الإيماني بين الإنسان والكائنات الأخرى، لأنها من خلق الله تعالى، وهذا التفاعل ليس طاقات من المشاعر مشحونة بالشجن أو الفرح أو غير ذلك، ولكنه تفاعل عملي، يشكله التصور الإيماني، والحس الإسلامي، والتنفيذ الواقعي، وهو عمارة الأرض وتشجيرها وزراعة الأشجار التي تصلح غذاء للإنسان والحيوان والطير، وكل ما يدب على وجه الأرض، وهذا الغرس النافع لا يظل قاصرًا على المنفعة الخاصة لغارسه بدافع التملك وغريزة التمسك بثمرة الجهد الذاتي.

ولكن الحديث يحث على أن كل ما أكل من هذا الغرس فهو صدقة يُثاب عليها صاحب هذا الزرع أضعافًا مضاعفة إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، وذلك في حالة ما إذا كان صاحب هذا الغراس مختارًا متطوعًا، وحتى في حالة عدم معرفته أو عدم رضاه حين يُسرق من هذا الزرع، وهو يحتسب ذلك عند الله تعالى، فإن المسروق يحسب صدقة، وعلى السارق إثم عمله، ولصاحب الزرع ثواب جزيل، إذا احتسب ذلك عند الله تعالى، والثواب مضاعف كذلك إذا تعرض الثمر للنقص بأى وسيلة على وجه التصدق أو الإكرام، أو بطريق الغصب أو غير ذلك، ويقابل صاحب هذا الثمر هذه المواقف بالرضا والاحتساب، فالجزاء مضاعف، والثواب جزيل.

وسر هذا التقدير الإلهي لصاحب العطاء الذي تتعدد صوره هو أن ذلك المسلم يدرك أن هذا الغرس وثماره ومنافعه ونتائجه من آيات الله عز وجل، وما أعظم هذه الآيات التي يرشدنا إليها الحق سبحانه في سورة يس حيث يقول: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ

أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي سورة الواقعة يرشدنا الحق عز وجل إلى حقيقة ساطعة، وهى أن ثمرة الغرس من فضل الله تعالى، وقدرته وحكمته، والمسلم الواعي والمدرك لأبعاد المنهج الإسلامي يتفهم هذا البعد الإيماني في تعامله مع آيات الله تعالى ونعمه التي لا تُحصى بقول الله عز وجل: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[2].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي والأدبي في هذا الحديث النبوي الشريف، وهو ينطوي على عدة ظواهر أسلوبية وفنية متعددة من خلال طريقة نظمه وتشكيل تراكيبه واختيار كلماته ومنها:

أ-يتكون الحديث الشريف من ثلاث جمل تتناسق في تركيبها -وفي طريقة صياغتها، ويكمن في هذا التناسق سر جمالها وتأثيرها: فالجملة الأولى صيغت في أسلوب القصر، وكذلك الجملة الثالثة: والقصر في الجملتين طريقه واحد وهو: النفى والاستثناء: ودلالة هذه الصيغة هو تأكيد الثواب الذي وعد به رسول الله ﷺ وكذلك تشجيع كل صاحب زرع على إعطاء كل محتاج، وعلى التسامح والعفو إذا وجد محصول زرْعه ناقصًا، والجملة الثانية لم تأت في هذه الصيغة البلاغية وهى: صيغة القصر. وعدل بها عن الشكل الأسلوبي فيما قبلها وما بعدها: لأن الفعل فيها مرفوض.. لأنه سرقه، وهو مسلك غير شرعي، والسارق يُقام عليه الحد، ولذلك لم يؤكد المصطفى ﷺ هذا السلوك ولم يجمله عن طريق القصر... وإنما أتى بالجملة

---

(١) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٦.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٦٥.

مجردة حتى من الفاعل، "وما سُرق منه له صدقه"، فالفاعل مجهول لأنه مرفوض، وقد حذف احتقارًا له ورفضًا لمسلكه، وفي الوقت ذاته يقدّر صاحب هذا الغرس الذي آتي أكله طيبًا ويثاب، ويحسب له هذا المال المسروق صدقة فهل بعد هذا تكريم، وهل بعد ذلك تشجيع على البذل والعطاء: وما أصدق وما أجمل دعاء المصطفى ﷺ اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا..

ب- التعبير بالفعل الماضي، المبني للمجهول في قوله: "وما سرق منه" يوحي بأن هذا السلوك لن يتكرر، وبأنه حدث انتهى، وفاعله مجهول، وليس هذا من سمات المسلم، وتأمَّل ووازِن بين صيغة هذا الفعل الماضية المبنية للمجهول، وصيغة الفعلين في الجملتين: الأولى والثانية (يغرس) "ولا يرزؤه أحد". ستجد سرًا من أسرار البيان النبوي وهو أن الصياغة اللغوية تفصح عن المقاصد والتوجيهات النبوية، ففي الجملة الأولى الفعل، محبب، والسلوك جميل، ولذلك قال: "ما من مسلم يغرس غرسًا"، وتحديد لفظ المسلم له جماله وبهاؤه وأسراره، لأن العمل الصالح ينبع من العقيدة الصحيحة، وجاءت صياغة الفعل في قالب الفعل المضارع، إرشادًا إلى استمرار هذا الصنيع وتكاثره، وزيادة "مَنْ" للاستقصاء والتعميم، فهى زائدة ولكنها تتضمن ألف فائدة، وفي الجملة الثالثة: جاء التعبير بالفعل المضارع المنفي "لا يرزؤه"، دلالة على تكرر مثل هذا الموقف، ومنه ما هو محمود فقد يكون نقص المال عن طريق الإعانة أو المساعدة في العلاج أو نفقات البيت أو المساهمة في العُرس أو كفالة اليتيم، والقاعدة الشرعية تقول: "ما نقص مال من صدقة". والفاعل هنا عام وهو كلمة "أحد" ولم يقل من المسلمين، وذلك لأن هذا الرزء في المال قد يكون نتيجة سلوك غير إسلامي وهو غصب المال، أو إلحاق الضرر به من إحراق أو تلف أو فساد أو غير ذلك من وجوه الضرر، فتأمل أيها القارئ دقة التعبير النبوي، وعمق الإحساس بوظيفة الكلمة، واتساع آفاق الدلالة وموحياتها، وقد يكون المستفيد الذي نقص المال بسببه غير مسلم من أهل الذمة يعيش في كنف المسلمين.

ج- وتأمل السر الكامن في بناء الفعل "أُكِل" للمجهول، فإشاعات التعبير هنا غيرها في (سُرِق) فبناء الفعل للمجهول، في هذا السياق فيه إيحاء بعموم التصدق، وعدم

المن، ويمكن أن يكون الأكل الحلال بدون علم صاحب الغرس، وقد يكون الآكل إنسانًا محتاجا وليس سارقا أو يكون حيوانًا أو طيرًا أو أي كائن يتضور من الجوع أو العطش، وقد ورد في الروايات الأخرى ما يشير إلى ذلك، "لا يغرس أحدٌ من المسلمين غرسًا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير"[1] .... الحديث.

د- التكرار في الحديث: وهو من أسرار البيان النبوي، فهو ليس إطنابًا، وليس ألفاظا زائدة، ولكن له وظيفته البلاغية، والدلالية: ولنتأمل تكرار كلمة: "صدقة" ثلاث مرات: وتأتي في ختام كل جملة، وذلك لترغيب كل مسلم في خلق العطاء، والتسامح وإعانة المحتاجين، ومع الترغيب يأتي التكرار لتأكيد الثواب، ومضاعفة الأجر، وتكرار لفظ "منه" مرتين، ولفظ "له" ثلاث مرات: تكريم لصاحب العطاء، وتأكيد لثوابه، وتحديد له عن طريق الضمير وهو أعرف المعارف، فما أعظم فضل الله تعالى، وما أبلغ كلام رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل الزرع والغرس وأنه من أفضل الأعمال الدنيوية وأكثرها أجرًا لما يقوم عليها من أمر ابن آدم وغيره من الطير والحيوان وأن كل ذلك له صدقة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أن الزراعة من أفضل أنواع الكسب، وأنه

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٥٢.

(٢) انظر في ذلك: بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ١٤١/١، وشرح الخرشي على مختصر خليل، أبو عبدالله الخرشي ٤١٧/٧، والمدخل إلى الشرح الشريف، ابن الحاج العبدلي ٣/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المصري ١٢٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٧/٦، ٦٤/٩، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ١٧١/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٥٦٩/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٩١/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١٣/٦، و مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ١٦٧/٢، والمحلى، ابن حزم ٤٢/٧.

يستحب الإكثار من الزرع والزراعة ما لم تشغل عن الجهاد، وذلك لما في الزراعة من الصدقات فلا يأكل منها طير أو إنسان أو حيوان إلا كانت له صدقة، وإن كانوا متفقين على أن أفضل الكسب ما كان عن طريق الجهاد، ثم ما كان بعمل اليد ومنها الزراعة والغرس.

وقال القرطبي: الزراعة من فروض الكفاية، فيجب على الإمام أن يجبر الناس عليها وما كان في معناها من غرس الأشجار[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتنويع، والتنكير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسلام أساس صحة وقبول الأعمال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كثرة طرق الخير وتعدد روافد الثواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على عمارة الأرض.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتنويع، والتنكير:

١- الإخبار: حيث أخبر النبي ﷺ بثواب الزرع وعمارة الأرض وثواب الانتفاع بهذا النتاج سواء نوى الزارع أم لم ينو، وأن فضل الله تعالى على الإنسان واسع، حيث تعددت روافد الأجر والمثوبة له.

٢- التنويع: ويظهر ذلك في استعماله ﷺ لفظة "أو" ونوّع بين ما يخرج من الأرض وفرّق بينه من كونه زرعًا أو غرسًا، إذ أن الزرع غير الغرس.

٣- التنكير: فنكر كلمة "مسلم" وأوقعها في سياق النفي "ما" وزاد كلمة "من" التي تفيد الاستغراق، واستعمل أسلوب الحصر والقصر باستخدامه "ما" النافية و"إلا"، وخص الغرس والزرع وعم الحيوان، ليدل على سبيل الكناية على أن أي مسلم كان حرًا أو عبدًا مطيعًا أو عاصيًا يعمل أي عمل من المباح، ينتفع بما عمله أي حيوان كان، يرجع نفعه إليه ويثاب عليه[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠٦/٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني لابن حجر ٦/٥، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠٤/٤.

ثانيًا- الإسلام أساس صحة وقبول الأعمال:

إن النبي ﷺ بيّن في الحديث أن الإسلام شرط قبول الأعمال واستحقاق ثوابها، فقال ﷺ: "ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه صدقة..."، وإنما خصّ المسلم بالذكر لأنه ينوي عند الغرس غالبًا أن يتقوى بثمرة ذلك الغرس المسلمون على عبادة الله تعالى، ولأن المسلم هو الذي يحصل له ثواب، وأما الكافر فلا يحصل له بما يفعله من الخيرات ثواب، وغايته أن يُخفف العذاب عنه، وقد يطعم في الدنيا ويُعطى بذلك[1]. قال ابن حجر: (قوله: "ما من مسلم" أخرج الكافر لأنه رتب على ذلك كون ما أكل منه يكون له صدقة، والمراد بالصدقة الثواب في الآخرة، وذلك يختص بالمسلم، نعم ما أكل من زرع الكافر يثاب عليه في الدنيا كما ثبت من حديث أنس عند مسلم، وأما من يقول يخفف عنه بذلك من عذاب الآخرة فيحتاج إلى دليل، ولا يبعد أن يقع ذلك لمن لم يرزق في الدنيا وفقد العافية)[2].

ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ في هذا الحديث خصص الثواب بالمسلم، في قوله: (ما من مسلم)، بل إنه في بعض الروايات من حديث أنس أنه رأى غرسًا فسأل عن دين من غرسه ثم ساق الحديث ((فعن أنس بن مالك أن نبي الله دخل نخلاً لأم مبشر امرأةٍ من الأنصار فقال رسول الله ﷺ من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر...))[3] أما غير المسلم لو أُكِل من زرعه فيثاب عليه في الدنيا، أما في الآخرة فلا أثر لعمله كما صرح بذلك القرآن ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾[4] وقال ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ

---

(١) المفهم، القرطبي ٤/٤٢١.

(٢) يقصد به قوله ﷺ: "إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة" يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجري بها. أخرجه مسلم ٢٨٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٥٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٨.

مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كثرة طرق الخير وتعدد روافد الثواب:

لقد جاء في الحديث الحض على الغرس، وبيان اختصاص الثواب على الأعمال بالمسلمين دون غيرهم، وبيان أن المسبب للخير له أجرٌ بما نُفع به، سواء أكان من أعمال البر أو مصالح الدين[٢]، فقال ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرسًا إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة وما أكل السبع منه فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة).

كما أن الحديث فيه دليل على تنوّع أسباب الثواب، وكثرة طرق الخير، وأن ما انتفع به الناس من الخير فإن لصاحبه أجرًا وله فيه الخير سواء نوى أو لم ينو، وهذا كقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣] فذكر الله تعالى أن هذه الأشياء فيها خير سواء نوى أم لم ينو، فإن نوى بذلك ابتغاء وجه الله فإن الله يقول فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا) وفي هذا دليل على أن المصالح والمنافع إذا انتفع الناس بها كانت خيرًا لصاحبها وإن لم ينو، فإن نوى زاده خيرًا على خير وآتاه الله تعالى من فضله أجرًا عظيمًا)[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحث على عمارة الأرض:

يتجلى ذلك من خلال بيان النبي ﷺ لثواب الغرس والزرع، وفيه دليل على دعوة الإسلام إلى عمارة الأرض، إذ أن ذلك أحد المقاصد الثلاثة التي من أجلها خلق الإنسان وهي:

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٢) إكمال المعلم، القاضي عياض ٥/٢١٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٣٧٨.

أ- عبادة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

ب- الخلافة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢].

ج- عمارة الكون ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٣] أي طلب منكم عمارتها، وكما في سورة الملك الدعوة إلى الضرب في مناكب الأرض ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٤].

وفي ذلك بيان لشخصية المؤمن الجامعة بين خيري الدنيا والآخرة (فقد يغرق بعض الناس في الخيال فيتصورون المؤمن متواكلاً متكاسلاً أو راهبًا في "ديره" متبتلاً للعبادة منقطعًا عن الحياة، وهذه كارثة على العمل والإنتاج. إن المؤمن يتخذ الدنيا مزرعة للآخرة، والمزرعة تحتاج إلى عمل وسعي، ولكن الثمرة إنما تقطف كاملة في الآخرة وإن أدرك بعضها في الدنيا ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٥]. لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ زُرَاعًا وتُجارًا وصُناعًا متقنين، ولم يقعد بهم إيمانهم بالآخرة عن العمل للدنيا، كيف لا وقد قال رسولهم ﷺ ((إنْ قامَتِ السّاعَةُ وبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فإنِ اسْتَطَاعَ أنْ لا يَقُومَ حَتّى يَغْرِسَها فَلْيَفْعَلْ))[٦]. ولماذا سيغرسها والساعة ستقوم، ولا أمل في انتفاع أحد من الخلق بها؟ إنه تكريم العمل لذات العمل، ولو لم يكن من ورائه نفع وانتفاع[٧] للشخص نفسه الذي يقوم بذلك، وإنما النفع يمتد إلى من بعده من الأجيال، إنها دعوة الإسلام إلى عمارة الأرض، دعوة إلى

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦١.

(٤) سورة الملك، آية: ١٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٦) أخرجه أحمد ١٩١/٣ رقم ١٢٩٨١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٢٩٦/٢٠.

(٧) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠٩، ٣١٠.

العمل والسعي، دعوة إلى الاعتماد على النفس والاكتفاء الذاتي، ولو أن المسلمين طبقوا ما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ حق التطبيق، ما هانوا ولا ذلوا في يوم من الأيام، ولا مدوا أيديهم إلى الغرب يتسولون منه كل شيء، ويعيشون كالأيتام على موائد اللئام.

الحديث رقم (١٣٦)

١٣٦- **العِشْرُونَ:** عنْهُ قالَ: أَراد بنُو سَلِمَة أَن ينْتَقِلوا قُرْبَ المَسْجِدِ فبلَغَ ذلك رسولَ اللَّه ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّه قَدْ**[١] **بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُربَ الْمَسْجِدِ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ يا رسولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذلكَ، فَقالَ: «**بَنِي**[٢] **سَلِمةَ دِيَارَكُمْ، تكْتُبْ آثَارُكُمْ، دِيارَكُم تُكْتَبْ آثَارُكُمْ**» رواه مسلم[٣].

وفي روايةٍ[٤]: «**إِنَّ**[٥] **بِكُلِّ خَطْوةٍ درجةً**» رواه مسلم.

ورواه البخاريُّ[٦] أيضًا بمعناهُ مِنْ روايةِ أَنَسٍ رضي اللَّه عنه.

و«**بنُو سَلِمَةَ**» بكسر اللام: قبيلة معروفة من الأَنصار رضي اللَّه عنهم، و «آثَارُهُمْ» خُطاهُمْ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهدًا جليلاً من مشاهد الحوار بين النبي ﷺ وأصحابه الأخيار الأبرار، والحوار المقنع الهادئ من أساليب الدعوة إلى الله تعالى ومن أساليب المصطفى ﷺ في تبليغ الرسالة اتباعًا لقول الله عز وجل، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٧]، وهذا المشهد الحواري

---

(١) (قد) لا توجد عند مسلم.

(٢) عند مسلم: (يا بني سلمة)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٢٨٠/٦٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٥٧).

(٤) برقم (٢٧٩/٦٦٤). أوردها المنذري في ترغيبه (٤٥٩).

(٥) عند مسلم زيادة: (لكم).

(٦) برقم (٦٥٦).

(٧) سورة النحل، آية: ١٢٥.

الواقعي نموذج للحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وهي سمات جليلة تحلى بها المصطفى ﷺ؛ في كل موقف من مواقفه الرشيدة المقنعة في إقناع أصحابه، وفي مواجهة خصومه، وموضوع الحوار: هو الرغبة في الاقتراب من مسجد رسول الله ﷺ: حيث أراد بنو سلمة ذلك حبًا في كثرة الصلاة بالمسجد النبوي، وهم يدركون أفضلية المسجد بالمدينة؛ فالصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، كما جاء في الحديث الصحيح.

ولنتأمل وقائع هذا الحوار الإيماني البليغ، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي، والظواهر الفنية.

وأول ظاهرة أسلوبية في الحديث هى الصيغة الإخبارية التي صيغ في إطارها الحديث وهى صيغة الحَكْى، حيث يروي جابر بداية الحديث موضحًا رغبة بني سلمة في انتقالهم من منازلهم إلى قرب المسجد، إذا كان المكان خاليًا: فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ولم يحدد الراوي مَنْ الذي أبلغه، لأن الأمر ليس مرفوضًا ولا فتنة، وإنما هو أمر مباح، وكذلك لعدم إثارة شبهة الخلاف، أو أن الرسول ﷺ عرف ذلك عن طريق الوحى -والله أعلم- لأن القضية تتعلق بالقرب أو البعد عن المسجد، وليس بالشخص الذي بَلّغ.

ويدور حوار جميل هادئ مقنع حيث يبدأ رسول الله ﷺ بتأكيد الخبر الذي وصله إذ قال: "إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا، قرب المسجد"، وهل أرسل لهم رسول الله فجاءوا إليه، وحدثهم بذلك، أم ذهب هو إليهم وخاطبهم بهذا الخطاب المشرق الحاني الكريم، إن هذا التفصيل لا ضرورة له في إدراك المقصد الأسنى من هذا الحوار البليغ، وفي أسلوب جَمْعي أجاب بنو سلمة قائلين في أدب وصدق وحسن خطاب لصاحب الرسالة: "نعم يا رسول الله" قد أردنا ذلك، والإجابة تتضمن اعترافًا بالرسالة وحبًا للرسول ﷺ في قولهم: "يا رسول الله قد أردنا ذلك"، ولم يقولوا نعم أردنا ذلك، فهل يمنع الرسول ﷺ إرادتهم؟ إنه ناداهم نداءً إيمانيًا فيه إخوة، وحرصٌ على مضاعفة الثواب لهم، ووعد بالجزاء الأوفى، وجاء هذا الترغيب متضمنًا أسرارًا

تعبيرية تكشف عن جمال البيان النبوي، وعن تأثيره في النفوس، في لفظ واضح، وعبارة مضيئة بالمعاني، حافلة بالدلالات: فبعد النداء الجميل في قوله: "بني سلمة" أي يا بني سلمة: وحَذْف حرف النداء يشعر بشدة حرص الرسول ﷺ على إخبارهم بمراده وهو خير لهم، ولم يُفصِّل القول في رفضه لإرادتهم، ولم يصرح بأن إرادتهم تقلل من ثوابهم المضاعف المنتظر، وإنما صاغ توجيهه النبوي في أسلوب الإغراء وهو مناسب للسياق والمقام، وفي أسلوب: الجواب والشرط، وأسلوب الإغراء مع أسلوب الشرط، تجمَّلا ببلاغة الحذف: فقوله: "دياركم" تقديره: التزموا دياركم: وهو أسلوب إغراء في مصطلح النحويين، وهو ليس أمرًا ملزمًا، وجملة: "تكتب آثاركم" كررت مرتين: لمزيد من الترغيب والإغراء: حيث يفوزون بثواب مَنْ تكثر خطاه إلى المساجد، وبلاغة الحذف تتجلى في هذه الجملة المتكررة "تكتب آثاركم" فالتقدير: إن لزمتم دياركم تكتب آثاركم، أي تكثر خطاكم إلى المسجد وتكتب لكم الحسنات: فمن غدا أو راح إلى المسجد، أعد الله تعالى له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعي: التثبت قبل إصدار الأحكام والتوجيهات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء، والأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الخطا إلى المساجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: امتداد ثواب العمل الصالح.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة في المساجد وحضور الجماعات.

أولاً- من واجبات الداعي: التثبت قبل إصدار الأحكام والتوجيهات:

إن من منهج القرآن الكريم في التلّقي والتوجيه التريث والتثبت، ومما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1] وينبغي للداعية أن يطبق ذلك عمليًا في دعوته، خاصة وأن

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

الدعوة لابد وأن تكون على بيّنة وبصيرة، كما بيّن سبحانه على لسان نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] وهذا المعنى نجده واضحًا جليًا في سؤال النبي ﷺ لبني سلمة في صحة ما نما إلى علمه من إرادتهم التحول عن مساكنهم إلى قرب المسجد فقال لهم ((إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟ فقالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك)).

ثانيًا- من أساليب الدعوة: النداء، والأمر:

فالنداء في قوله "بني سلمة" أي يا بني سلمة (ناداهم استرضاءً عن قصدهم، وإظهارًا لهم عن نياتهم، ولذلك أتبعه بقوله: دياركم) أي الزموا دياركم.

والأمر من الإمام المشفق على رعيته، المشفع بأساليب التطلف واللين، له أكبر الأثر في القبول والاستجابة.

وقد وصف الله عز وجل مبالغة الرسول ﷺ في حرصه على إيصال الخير لأمته، ودفع الأذى عنهم فقال ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] (عزيز عليه ما عنتم أي عزيز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، حريص عليكم أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[3] وهذه الأخلاق النبوية مما ينبغي أن يتخلق بها الدعاة إلى الله تعالى، وأصحاب القرار والتوجيه في المجتمع الإسلامي.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الخطا إلى المساجد:

يظهر ذلك فيما نقله جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، إذ قال: "أراد بنو سلمة أن يقربوا من المسجد، ينتقلوا من ديارهم ومحلاتهم حتى يكونوا قرب مسجد النبي ﷺ، من أجل

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

أن يدركوا الصلوات معه ويتلقوا من علمه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فسألهم، قال: "إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد؟" قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال رسول الله ﷺ: "دياركم تكتب آثاركم" قالها مرتين وبين لهم أن لهم بكل خطوة حسنة أو درجة[١]. وفي هذا الحديث دليل على أن المسلم إذا خرج من بيته قاصدًا أداء صلاة في بيت من بيوت الله فإنه لا يخطو خطوة إلا رفع له بها درجة وحط بها عنه خطيئة، ومن النصوص الدالة على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((صلاة الجميع تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، خمسًا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه، وتصلي -يعني- عليه الملائكة، ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يحدث فيه))[٢].

وفي سنن أبي داود ((إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج إلى الصلاة لم يرفع قدمه اليمنى إلا كتب الله عز وجل له حسنة ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عز وجل عنه سيئة فليُقرِّب أحدكم أو ليبعِّد...))[٣] وبصفة أعم بين النبي ﷺ أن أعظم الناس أجرًا أبعدهم ممشى فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: ((أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى...))[٤].

كما أن أمر النبي ﷺ لبني سلمة بلزوم ديارهم على أخرى تحملهم على مقامهم بمواضعهم، وهو أنه كره أن تترك جهات المدينة عراء، أي: فضاء خالية فيؤتون منها، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾[٥]، اي بموضع خال[٦]، وهذا المعنى أشير إليه

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٧٨/١.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٥٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٦٢).

(٤) أخرجه البخاري ٦٥١.

(٥) سورة الصافات، آية: ١٤٥.

(٦) المفهم، القرطبي ٢٩٢/٢.

في بعض روايات الحديث عند الإمام البخاري، فعن أنس رضي الله عنه: ((أَنَّ بني سَلمةَ أَرادوا أن يتحوَّلوا عن مَنازِلِهم فينزلوا قريبًا منَ النبيِّ ﷺ، قال فكرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يُعْروا المدينة فقال: أَلا تَحتَسبونَ آثارَكم))[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: امتداد ثواب العمل الصالح:

إن العمل الصالح لا يعود نفعه على صاحبه فحسب بل يمتد ليشمل غيره، وهذا المعنى يظهر من قوله ﷺ ((تكتب آثاركم)) (فالمراد بالكتابة: إما كتب صحائف الأعمال وبالآثار والخطا، فالمعنى: أن كثرة الخطى إلى المساجد سبب لزيادة الأجر. وإما كتب ما في السير، والمراد بالآثار ما يؤثر في الكتب المدونة من سير الصالحين، فالمعنى: لزومكم دياركم بعد ممشاكم يكتب في سير السلف وآثار الصالحين، فيكون سببًا لحرص الناس وجدهم واجتهادهم في حضور الجماعات فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة في المسجد وحضور الجماعات:

لقد علم الرسول ﷺ الدافع الذي من أجله همَّ بنو سلمة أن يتحولوا قرب المسجد لحصول الأجر والفضل والاستباق إلى الصلاة، فلم يوافقهم، وفي نفس الوقت لم يرخص لهم في عدم حضور الجماعات أو التأخر عنها مع ما يجدون من طول في المسافة وعنت في السير ومشقة في الطريق، وهذا دليل على أهمية حضور الجماعات بالنسبة للمجتمع الإسلامي، وإنَّ من يقرأ سنة النبي ﷺ ليجد تأكيده وترغيبه في حضور الجماعات في المسجد ويرهب من تركها بل إنه لم يأذن لضرير بعيد المنزل في تركها والصلاة في بيته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله ﷺ أن يُرَخص له فيصلي في بيته فرخص له، فلما ولى دعاه فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم قال فأجب))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٦٥٣.

لذا وجب الاهتمام بصلاة الجماعة وحضورها لما فيها من إظهار شعائر الإسلام، ورمز لتوحد المسلمين في عباداتهم ووجهتهم، إلى غير ذلك من فضائل الجماعة.

الحديث رقم (١٣٧)

١٣٧- **الْحَادي والْعِشْرُونَ:** عنْ أَبي الْمُنْذِرِ أُبيِّ بنِ كَعبٍ رضي الله عنه قال: كَان رجُلٌ لا أَعْلمُ رجُلا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وكَانَ لا تُخْطِئُهُ صلاةٌ. فَقِيل لَه (أَوْ فقُلْتُ لهُ): لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمارًا ترْكَبُهُ في الظَّلْماءِ، وفي الرَّمْضَاءِ. فَقَالَ: ما يسُرُّني أَن منْزِلِي إِلَى جنْب الْمسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَب لِي ممْشَايَ إِلَى الْمَسْجد، ورُجُوعِي إِذَا رجعْتُ إِلَى أَهْلِي، فقالَ رسول اللَّه ﷺ: «**قَدْ جمع اللَّهُ لكَ ذلِكَ كُلَّهُ**» رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ[2]: «**إِنَّ لَكَ مَا احْتسَبْتَ**».

«**الرمْضَاءُ**» الأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْحرُّ الشَّديدُ.

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: هو ابن قيس بن عبيد بن زيد بن النجار.

سيد القراء، ومن كتاب الوحي، ومن أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرًا وأحد والخندق والمشاهد كلها، جمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وكان يفتي على عهده ﷺ، وحفظ عنه علمًا مباركًا، وكان رأسًا في العلم والعمل، شهد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقعة الجابية، وكان يسميه سيد المسلمين ويقول: اقرأ يا أُبي، وكان قد كتب الصلح لأهل بيت المقدس، وأمره عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن فاشترك في جمعه.

وقال له النبي ﷺ ((إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن))[3] وكان النبي ﷺ يُكنّيه بأبي المنذر وذلك بعد أن سأله ﷺ عن أي آية في القرآن أعظم، فقال أُبي رضي الله عنه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[4] فضرب النبي ﷺ في صدره وقال ((لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر))[5].

---

(١) برقم (٦٦٣/٢٧٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٥٦).

(٢) ثاني حديث بعد حديث (٦٦٣/٢٧٨) بدون رقم. أوردها المنذري في ترغيبه (٤٦٢).

(٣) أخرجه البخاري ٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٠.

وكان نحيفًا قصيرًا أبيض الرأس واللحية.

وقد أخرج الأئمة أحاديثه في كتبهم وبلغ مجموعها في الصحيحين وغيرهما (١٦٤) حديثًا، وعده مسروق في الستة من أصحاب الفتيا وكان رضي الله عنه يختم القرآن في ثماني ليالٍ.

وتوفي في خلافة عمر سنة ٢٢هـ بالمدينة، وقيل في خلافة عثمان سنة ٣٠هـ[١].

غريب الألفاظ:

لا تخطئه صلاة: أي لا تفوته[٢] ووقع في مسند أحمد (٢١٢١٦): فكان يحضر الصلوات كلهن مع النبي ﷺ.

الظلماء: الظُّلْمة: يقال ليلة ظلماء: مظلمة وفي سنن أبي داود (٥٥٧): الظلمة[٣].

الرمضاء: الأرض التي أصابها الحرُّ الشديد[٤].

احتسبت: أي طلبت فيه وجه الله وثوابه[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف متصل بالحديث السابق اتصالاً وثيقًا، حيث يتجلى ثواب كثرة الخطا إلى المساجد، والحوار في الحديث السابق كان بين رسول الله ﷺ وبني سلمة، وأوصاهم المصطفى ﷺ بالبقاء في أماكنهم البعيدة عن المسجد رغبة في مزيد

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٩/٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٨/١-١٧١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٢١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٨٩/١-٤٠٠)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (١٥١/١-١٥٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩٧/١-٩٨)، والأعلام للزركلي (٨٢/١)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٤٢٠-٤٢٧).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٨٤.

(٣) انظر: الوسيط ٥٧٧.

(٤) رياض الصالحين ١٠٣.

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٨٤، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

من تحصيل الثواب لهم.

وهذا الحديث الذي تتوهج آخر جملة منه ببشارة المصطفى ﷺ لذلك الصحابي الذي آثر البقاء في مكانه بعيدًا عن المسجد، ولم يستعن على الذهاب للمسجد بدابة تيسِّرُ له الطريق، وإنما آثر المشى حتى يتحصل على أجر ممشاه ذهابًا وإيابًا، ويقول له البشير النذير، والسراج المنير، مؤكدًا تحقيق رغبته، ومضاعفة أجره "قد جمع الله لك ذلك كله".

وهذه العبارة المضيئة بالبشرى النبوية، تأتي تتويجًا للنية الخالصة التي انطوى عليها قلب ذلك الصحابي، والحديث في بدايته إلى ما قبل الجملة الأخيرة يعد مقدمة تمهيدية لهذه البشارة المحمدية، ولكن النص كله يُعد سُنَّة لأن النبي ﷺ أقر ذلك، ووعد الرجل بتحقيق ما أراد وتمنى، ولكن ما اسم ذلك الرجل؟ ولماذا أغفل اسمَه الراوي، ولم يسمه أحد من شرّاح الحديث، والأمر لا يتعلق بشخص واحد، ولكن بأمر شرعي، وموقف تعبدي، وسلوك إيماني عام، فكل مسلم يجب عليه ذلك: ترغيباً في تحصيل الأجر، وكثرة الخطا إلى المساجد حتى يتعود المجتمع على ذلك، ويشهد الأطفال آباءهم وهم يتحركون في كل وقت للصلاة إلى المسجد لأن من أفضل الأعمال: انتظار الصلاة إلى الصلاة، والصلاة لوقتها، وكثرة الخطا إلى المساجد، وأسلوب الحديث يشير إلى بُعْد دار هذا الرجل عن مسجد رسول الله ﷺ، حيث قال الراوي: "لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه" أي: في المدينة وقوله: "لا أعلم" احتراس. فربما يوجد شخص آخر يعلم ويعرف مَنْ هو أبعد من ذلك الرجل عن المسجد، ويدور حوار بين أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا الرجل، حيث يرشده إلى وسيلة تيسر له الذهاب إلى الصلاة، وأشار عليه بشراء حمار يركبه في الظلماء، حيث صلاة العشاء والفجر والمغرب، وفي الرمضاء حيث صلاة الظهر والعصر، والتعبير بالأداة "لو" وهى للتمني في بعض الآراء يبوح بصدق نية أبي بن كعب رضي الله عنه أو الذي حاور الرجل، وحرصه على راحته، وقيل "لو" شرطية وجوابها محذوف والتقدير لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء لكان أجدى وأحسن وأيسر.

وهذا الحذف من سمة البيان النبوي حتى في العبارات التي لم يتحدث بها رسول الله ﷺ، لأن البلاغة: الإيجاز، والحذف أحد مظاهر الإيجاز، وتأتي إجابة ذلك الرجل مشحونة بالمفارقة أي بما لا يتوقع السامع: فيقول: "ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد"، وربما يتوهم القارئ أو المتلقي أن الرجل لا يحب مجاورة المسجد، وهذا وهم خاطئ: لأن مسجد رسول الله ﷺ يأتي في الأفضلية بعد المسجد الحرام، وأكرم الله نبيه بذلك، وشرّف المدينة بهذا التفضيل، والرجل أكد مراده وأمنيته: ورغب في المزيد من الثواب وأن يكتب الله له أجر ممشاه إلى المسجد ورجوعه منه، ويبشره رسول الله ﷺ مؤكدًا له تحقيق أمنيته جزاء مسعاه. وأتى بحرف "قد".. وهى للتحقيق، ثم الفعل "جمع" الدال على المزيد من الثواب، ولفظ الجلالة للتشريف، وكاف الخطاب للتحديد، ولفظ "كل" للتأكيد.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إسداء النصح إلى الآخرين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل الخير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل كثرة الخطا إلى المساجد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على عباده.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

تُعد القصة من أهم وسائل الدعوة، نظرًا لما تحويه من أحداث، وتشتمل عليه من عوامل تأثير يمكن للداعية أن يفيد منها في دعوته، ففي هذا الحديث حكى راوي الحديث قصة رجل لا يعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، ولا تخطئه صلاة...، ولا شك أن القصة من وسائل الدعوة التي تساعد على إقناع المدعوين بما يقول الداعية، وتعطي لهم نموذجًا عمليًا من الأحداث والوقائع التي لها أثر بالغ في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من واجبات الداعية: إسداء النصح إلى الآخرين:

إن من صميم عمل الداعية معايشة الناس ومخالطتهم، والحرص على نفعهم، وإسداء النصح لهم، ويتضح هذا من الحديث: (فقيل له أو فقلت له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء)، وهذا يشعر بقرب الداعية من المدعو وحرصه عليه، ونصحه له، وقد قال رسول الله ﷺ ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[١] قال الإمام النووي: (والنصيحة لعامة المسلمين فإرشادهم إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من أمور دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر...)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل الخير:

يتضح هذا من الحديث في قول الرجل "ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي" فبالرغم أن في ذهابه ورجوعه مشقة عليه من الظلام بالليل، والحر الشديد بالنهار، إلا إنه أبى إلا أن يتحمل هذه المشقة في سبيل الله، وابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] ووعد الله بإيتاء الأجر على العمل الذي يحتسبه الإنسان عند الله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[٤] وفي حرص الصحابة على الخير إنما يستجيبون لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ﴾[٥] وقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ﴾[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١.

(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧، ٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٦) سورة المائدة، آية: ٤٨.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل كثرة الخطا إلى المساجد:

إن من الموضوعات التي يشير إليها الحديث فضل تكثير الخُطا إلى المسجد حيث قال الرسول ﷺ للصحابي: "قد جمع الله لك ذلك كله" قال ابن عثيمين: (ففي هذا دليل على أن كثرة الخطا إلى المساجد من طرق الخير، وأن الإنسان إذا احتسب الأجر على الله كتب له الأجر حال مجيئه إلى المسجد وحال رجوعه منه)[١]. وقد بين النبي ﷺ أن الأجر في الصلاة حسب البعد من المسجد ففي الحديث ((أعظمُ الناسِ أجرًا في الصلاةِ أَبعَدُهم فأبعدُهم مَمشىً، والذي يَنتظِرُ الصلاةَ حتى يصلِّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجرًا من الذي يُصلِّي ثمَّ يَنامُ))[٢] ولما خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: ((بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال: يا بني سلمة ديارَكم تكتب آثارُكم ديارَكم تكتب آثارُكم))[٣].

قال الطيبي: (وكانت ديارهم على بعد من المسجد، وكانت المسافة تجهدهم في سواد الليل، وعند وقوع الأمطار واشتداد البرد، فأرادوا أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره النبي ﷺ ذلك، فرغبهم فيما عند الله من الأجر على نقل الخطى إلى المسجد والمعنى: لزومكم دياركم وبعد ممشاكم يكتب في سير السلف وآثار الصالحين فيكون سببًا لحرص الناس وجدهم واجتهادهم في حضور الجماعات)[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده:

يظهر هذا في إخبار النبي ﷺ "أن الله جمع له ذلك كله" أي: أجر الذهاب وأجر الرجوع وهذا من عظيم رحمته وكرمه بعباده وفضله عليهم: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٣٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٣) أخرجه مسلم ٦٦٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢٢٨.

يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1]. لأن الله تعالى يجزل عطاءه لعباده المؤمنين الطائعين الذين يحرصون على طاعته ومرضاته، وإن ذلك مما ينبغي للداعية أن يوضحه للمدعوين ويستثير هممهم لتحصيله وإدراكه.

(١) سورة الجمعة، آية: ٤.

الحديث رقم (١٣٨)

١٣٨- **الثَّاني والْعشْرُونَ:** عنْ أَبي محمدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَرْبعُونَ خَصْلَةً أَعلاها**[1] **منِيحةُ الْعَنْزِ، ما مِنْ عامَلٍ يعملُ بِخَصْلَةٍ مِنْها رجاءَ ثَوَابِهَا وتَصْدِيقَ موْعُودِهَا إلاَّ أَدْخلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجنَّةَ**» رواه البخاريُّ[2].

«**الْمنِيحةُ**»: أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا ليأْكُل لبنَهَا ثُمَّ يَردَّهَا إِليْهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: عَلَمٌ من أعلام الصحابة، صحابيٌّ بن صحابيٍّ، وهو: عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، السهميُّ، الهاشميُّ، القرشيُّ، يقال: كان اسمه العاص، فغيَّر النبيُّ ﷺ اسمه، وسماه عبدالله، كان يكنى بأبي محمد، وذلك هو الأشهر، ويقال أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو نصير، ولم يكن بينه وبين أبيه في السن إلا إحدى عشرة سنة، وقيل اثنتا عشرة سنة، وقيل عشرين، أسلم قبل أبيه، وهاجر بعد سنة (٧هـ)، شهد بعض المغازي مع رسول الله ﷺ، وشهد مع أبيه عمرو بن العاص فتوحَ الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك، ويوم صفين كان على ميمنة جيش معاوية، واعتذر رضي الله عنه من شهوده صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم وأنه إنما شهدها لعزمة أبيه عليه في ذلك.

وكان عبدالله غزير العلم مجتهدًا في العبادة، ذا مقام راسخ فيهما، حَمل عن النبي ﷺ علمًا جمًا، يبلغ ما أسند إليه (٧٠٠) حديثًا اتفق البخاري ومسلم على (٧) وانفرد البخاري بـ (٨) ومسلم (٢٠) حديثًا وكان من الذين أذن ورخص لهم رسول الله ﷺ أن يكتبوا عنه بعد ما كره للصحابة أن يكتبوا عنه سوى القرآن في حياته ﷺ فعن أبي هريرة أنه قال: ما كان أحد أعلمَ بحديث رسول الله ﷺ مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتبُ بيده ويعيه بقلبه، وكنت أعيه بقلبي، ولا أكتب

---

(١) لفظ البخاري: (أعلاهنَّ).

(٢) برقم (٢٦٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٩٨).

بيدي، واستأذن رسول الله ﷺ في الكتاب عنه فأذن له[١].

كما قرأ لأهل الكتاب كتبهم، وأدمن النظر فيها، وعدَّه ابن سعد في الطبقات من أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

وكان يسرد الصيام ويكثر من قراءة القرآن الكريم، فعنه أنه قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال: فإما ذُكِرْتُ للنبي ﷺ وإما أرْسَلَ إليّ فأتيته، فقال لي: "ألم أُخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟" فقلت: بلى يا نبي الله ولم أُرِدْ بذلك إلا الخير، قال: "فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام" قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك قال: "فإن لزوجك عليك حقًا ولزَوْرِك عليك حقًا ولجسدك عليك حقًا"، قال: "فصم صوم داود نبي الله فإنه كان أعبد الناس"، قال: قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: "كان يصوم يومًا ويفطر يومًا"، قال: "واقرأ القرآن في كل شهر" قال: قُلْتُ: يا نبي الله: إني أُطيق أفضل من ذلك، قال: "فاقرأه في كل عشرين" قال: قلت: يا نبي الله: إني أطيق أفضل من ذلك قال: "فاقرأ في كل عشر"، قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: ((فاقرأ في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجك عليك حقًا ولزَوْرِك عليك حقًا ولجسدك عليك حقًا))[٢]، قال فشدّدت فشُدِّد عليَّ، قال: وقال لي النبي ﷺ: "إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمْر"، قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ: ((فلما كَبِرتُ وَدِدت أني كنت قبلت رُخصة نبي الله ﷺ))[٣].

وكان ممن لهم باع في سياسة الأحوال وإدارة الأعمال، فولاه معاوية الكوفة ثم عزله وولى المغيرة بن شعبة.

أما عن صفاته الخَلْقية، فكان رجلاً طُوالاً، سمينًا، عظيم البطن والساقين،

---

(١) أخرجه أحمد ٤٠٣/٢ رقم ٩٢٣١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٢٧/١٥.

(٢) وعند أبي داود قال لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث "باب في كم يقرأ القرآن، رقم ١٣٩٠ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٢٣٩).

(٣) أخرجه مسلم ١١٥٩.

أحمر، أبيض الرأس واللحية، وعمي في آخر عمره.

مات في ليالي الحرة في ولاية يزيد بن معاوية وكانت لليلتين بقيتا من شهر جمادى الآخرة سنة (٦٣)، وقيل مات بالطائف سنة (٥٥) وقيل بمكة سنة (٦٧) وعمره (٧٢) وقيل بأرضه بالسَّبع من فلسطين سنة (٦٥) وقيل توفي في مصر في النصف من جمادى الآخرة سنة (٦٥) وهو ابن (٧٢)، ودفن بداره إذ لم يستطع أن يخرج بجنازته لشغب الجند على مروان بسبب مقتل الأكدر بن حمامه[١].

غريب الألفاظ:

خصلة: الخصلة: الشعبة والجزء[٢].

المنيحة: فسّرها النووي[٣]، وفي النهاية: أن يُعطيه ناقة أو شاةً ينتفع بلبنها ويُعيدُها، وكذلك إذا أعطاه لينتفع بوبرها وصوفها زمانًا ثم يردُّها[٤].

الشرح الأدبي

إن أبواب الخير لا توصد في أوجه الراغبين في إنجاز المشروعات الخيرية، وإن المصطفى ﷺ يعطي مفاتيح الخير للذين أنعم الله عليهم بالرزق الوفير، والعطاء لا يظل قاصرًا على أرباب المال، ورجال الأعمال، ومَنْ يملكون النصاب وتكتظ جيوبهم بالأموال، ولكن أبواب الخير مُشْرَعة أمام كل صاحب نية خالصة، وصاحب رغبة في

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/٣٧٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٤٢١، ٤٢٢)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٣٤٥-٣٤٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (٨١٢، ٨١٣)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣/٧٩-٩٤)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤/٢٢٢-٢٢٤)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٣٩٣، ٣٩٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٢/١٢٥١-١٢٥٦).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٧.

(٣) رياض الصالحين ١٠٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

العطاء ولو بفِرْسِن شاة، أو إماطة الأذى عن طريق المشاة، فالعطاء ليس مقياسه الكم الوفير، ولكن يقاس بإخلاص النية، وسلامة القصد، وصلاح الضمير، وهذا هو الطريق إلى إصلاح الأمة، والتعاون على البر والتقوى وكشف الغمة.

وهذه الدعوة المتوهجة بمفاتيح أبواب الخير تموج بكثير من جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي.

ولنتأمل الظواهر الفنية والأسلوبية التي تشع بها تراكيب الحديث الشريف، وكلماته النيرة المشرقة.

أ- **يبتدئ الحديث الشريف بقوله ﷺ**: "أربعون خصلة"، والعدد هنا ليس للتحديد، ولكنه يرمز للكثرة.. واكتمال المراد من فعل الخير، لأن العدد : الأربعين، في الإسلام يراد به الاكتمال والقوة والنضج. ومن هنا: قال بعض العلماء: إن الأولى: ألا يُعتنَى بعدِّها، ومعلوم أنه ﷺ كان عَالمًا بالأربعين المذكورة، وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدًا في غيرها من أنواع البر، ، وعدم تحديد هذه الخصال الأربعين من سمات بلاغة الرسول ﷺ، لأن كلامه كما قال الجاحظ: هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، يَبزُّ الخطبَ الطوال بالكلام القصير.

ب- **أعلاها منيحة العنز**: والعطية هنا تأخذ صورة الاكتمال في العطاء وليس في الكم، لأن الدلالة اللغوية لكلمة "منيحة" تفيد ذلك: فهي: أن يعطي المانح العنز للمحتاج ليأكل لبنها ثم يردّها إليه، وتأمل التعبير بالفعل، "يأكل" ولم يقل يشرب، لأن المعطَي هنا بلغ إملاقُه حد العوز، ولم يعد لديه ما يقتات به إلا لبن هذه العنز، ومظهر اكتمال العطية وعلوها: أن صاحبها يسلمها كلها إلى المحتاج ليأخذ منها حاجته حتى يكتفي ثم يردّها إليه، وهى صورة للعطاء الأعلى سموًا ونية وحبًا وتكافلاً، ويقاس على ذلك ما لدى المسلم في العصر الحديث من متاع أو سيارة أو أي آلة ينتفع بها الإنسان، ويعطيها لجاره حتى يقضي حاجته، ويفرِّج أزمته وفي ذلك حث على حتمية التكافل الاجتماعي بين طوائف الأمة، وفي آثار هذا البعد السامي للعطاء يكمن سر الجمال التعبيري في اختيار كلمة "أعلاها" لأن الأعمال بالنيات، وليس بالأرقام والإحصاءات.

وتأمل سر صياغة المصطفى ﷺ بشراه لصاحب هذا العطاء في أسلوب القصر: "ما من عامل يعمل... إلا أدخله الله الجنة" والقصر هنا يطمئن صاحب هذه المنيحة وذلك العطاء إلى فوزه بالجزاء الأوفى والتصريح بلفظ الجلالة "الله": يؤكد ذلك حيث قال: "إلا أدخله الله الجنة"، ولم يقل إلا دخل الجنة، ففضل الله وكرمه يتوجان هذا العمل الجليل الجميل، والتعبير بقوله "ما من عامل" حيث جاءت، "من"، وهي في عرف النحويين زائدة، ولكنها زيادة في الخبر مؤكدة، لتأكيد العموم واستغراقه -كما قال العلماء- والله جل وعلا لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وتنكير لفظ "عامل" للتعميم والشمول، وإيحاء بضرورة العمل الجاد الشريف، وقد حذف النعت والتقدير "ما من عامل مسلم"، لأن ذلك معروف بداهة، والتعبير بالمضارع في قوله "يعمل"، يوحي بضرورة استمرار الأعمال الخيرية النافعة.

وقوله: "بخصلة منها" تبشير بالتيسير، فالخصلة الواحدة تكفي لدخول الجنة إذا كانت مصحوبة بالنية الصالحة رجاء الثواب، وتصديق وعد الملك الوهاب.

فقه الحديث

قال النووي: (تستحب المنيحة، وهي أن تكون له ناقة أو بقرة ذات لبن فيدفعها إلى من يشرب لبنها ثم يردها إليه، لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: (أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز...)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الهبة تمليك العين بلا عوض، والعارية: تمليك المنفعة بلا عوض، والمنيحة الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً ليشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن)[2].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٦/٦، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي مج٤/٩٤/٧، ط دار الكتب العلمية، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٥ وما بعدها ط السلفية.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٩/٢٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحض على أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الظن بالله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: سعة فضل الله ورحمته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

١- الإخبار: حيث أخبر النبي ﷺ عن أربعين خصلة من أبواب الخير من يعمل بها يدخله الله الجنة، وهذا الإخبار من أساليب الدعوة التي ينبغي للداعية اتباعها في دعوته.

٢- الترغيب: من أساليب الدعوة المحببة إلى النفوس أسلوب الترغيب لأنه يحبب النفس في فعل الخير والطاعة وقد جاء في الحديث: ((إلا أدخله الله بها الجنة) وهذا يعطي حافزًا وباعثًا على الإقدام على خصال الخير، وهذا منهج قرآني عظيم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً ۝١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلاً﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحض على أبواب الخير:

حيث أشار النبي ﷺ إلى أربعين خصلة من أبواب الخير أعلاهن منيحة العنز، وذلك ليفتح الباب أمام المدعوين في تلمس أبواب الخير وطرقها. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وقد حض النبي ﷺ على أبواب من أبواب الخير والبر لا تحصى كثيرة، ومعلوم أنه ﷺ كان عالمًا بالأربعين المذكورة، وإنما لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها، وذلك خشية أن يكون التعيين لها مزهدًا في غيرها من أبواب البر قال: وقد بلغني أن بعضهم تطلبها فوجدها تزيد على الأربعين فمما زاده: (إعانة الصانع، والصنعة للأخرق، والستر على المسلم، والذب عن عرضه، وإدخال السرور عليه، والتفسح في المجلس، والدلالة على الخير، والكلام الطيب، والغرس والزرع والشفاعة، وعيادة

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.

المريض، والمصافحة والتزاور، والنصح، والرحمة)[١]. فأبواب الخير وطرقه متنوعة وأعماله متعددة، حتى إن من ألوان الخير أربعين عملاً أعلاها مرتبة وأكثرها ثوابًا إعطاء لبن العنز وصوفها وما إلى ذلك، وما من امرئ يعمل بخصلة خير منها رجاء ثوابها من الله وتصديقًا بما وعد من الأجر إلا أدخله الله بها الجنة فما بالك بمن عمل بها جميعًا؟ وما بالك بمن عمل بما هو أعظم منها رتبة وأكثر نفعًا؟[٢].

وهكذا يجب أن يفتح الداعية أبواب الخير أمام المدعوين ليختار كل واحد منهم ما يقدر عليه ومثال هذا في القرآن قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾[٣]. فذكرت الآية أركان الإيمان الواجبة، ثم بينت وعددت مصارف إنفاق المال في سبيل الله، ثم ذكّرت بفرائض الإسلام الواجبة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل حسن الظن بالله:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ "ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها" وهذا حسن ظن بالله وتكون النتيجة "إلا أدخله الله الجنة" وهذا يؤكد ويبين فضل حسن الظن بالله، لأن المؤمن الحق يثق في ثواب الله ووعده ولقد كان من دعاء أهل الإيمان ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((قال الله عز وجل:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٢٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩٤.

أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني))[١].

قال ابن حجر: (أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به. وقال القرطبي: معنى ظن عبدي بي الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده)[٢] وفي حسن الظن أيضًا قال النبي ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن))[٣] قال النووي: (قال العلماء: معنى حسن الظن بالله تعالى أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفًا راجيًا ويكونان سواء، وفي هذا الحديث تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة)[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: سعة فضل الله ورحمته:

هذا واضح في بيان النبي ﷺ بيان للثواب العظيم الذي أجزله الله لعباده المؤمنين على الأعمال الصغيرة كما ورد في في الحديث "أربعون خصلة..." فهذا من باب رحمة الله سبحانه بالعباد، وتيسيره عليهم وفتح منافذ الخيرات التي بسببها يدخلون الجنة، وواجب الداعية أن لا يقنط الناس من رحمة الله، بل يفتح لهم أبواب الطاعات. وأبواب الرحمة، والعطاء الجزيل من الله تعالى لعباده المؤمنين.

"إن رحمة الله تفيض على عباده جميعًا، وتسعهم جميعًا وبها يقوم وجودهم، وتقوم حياتهم. وهي تتجلى في كل لحظة من لحظات الوجود أو لحظات الحياة للكائنات.

إن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو ليسكب في قلب المؤمن الطمأنينة إلى ربه -حتى وهو يمر بفترات الابتلاء بالضراء، التي تزيغ فيها القلوب والأبصار- فهو يستيقن أن الرحمة وراء كل لمحة، وكل حالة، وكل وضع؛ وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تخلى عنه، أو طرده من رحمته. فإن الله لا يطرد من رحمته أحدًا يرجوها. إنما يطرد

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٠٥. ومسلم ٢٦٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٧/١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ويرفضون رحمته ويبعدون عنها!

وهذه الطمأنينة إلى رحمة الله تملأ القلب بالثبات والصبر، وبالرجاء والأمل، وبالهدوء والراحة، فهو في كنف ودود، يستروح ظلاله ما دام لا يُبعد عنه في الشرود!

والشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يستجيش في حس المؤمن الحياء من الله. فإن الطمع في المغفرة والرحمة لا يجزئ على المعصية - كما يتوهم البعض- إنما يستجيش الحياء من الله الغفور الرحيم. والقلب الذي تجزئه الرحمة على المعصية هو قلب لم يتذوق حلاوة الإيمان الحقيقية!

كذلك فإن الشعور بهذه الحقيقة على هذا النحو يؤثر تأثيرًا قويًا في خلق المؤمن، وهو يعلم أنه مأمور أن يتخلق بأخلاق الله سبحانه وهو يرى نفسه مغمورًا برحمة الله مع تقصيره وذنبه وخطئه، فيعلمه ذلك كله كيف يرحم، وكيف يعفو، وكيف يغفر، كما رأينا في تعليم الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم؛ مستمدًا تعليمه لهم من هذه الحقيقة الكبيرة"[1].

---

(١) انظر: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٢٢.

الحديث رقم (١٣٩)

١٣٩- الثَّالثُ والْعشْرونَ: عَنْ عدِيِّ بنِ حاتِمٍ رضي الله عنه قال: سمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: «اتَّقُوا النار وَلوْ بشقِّ تَمْرةٍ» متفقٌ عليه[١].

وفي رواية لهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سيُكَلِّمُه ربُّه لَيْس بَيْنَهُ وبَينَهُ تَرْجُمَان، فَينْظُرَ أَيْمنَ مِنْهُ فَلا يَرى إلاَّ مَا قَدَّم[٢]، وينْظُر أشأمَ مِنْهُ فلا يَرَى إلاَّ ما قَدَّمَ، وَينْظُر بَيْنَ يدَيْهِ فَلا يَرى إلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فاتَّقُوا النَّارَ ولوْ بشِقِّ تَمْرةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجدْ، فَبكَلِمَة طيِّبَةٍ»[٣].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

غريب الألفاظ:

شِقّ: شِقُّ الشيءِ: نِصْفُه[٤].

الترجمان: بضم التاء وفتحها. هو الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى[٥].

أيمن منه: أي يمينه[٦] ووقع في رواية عند البخاري (١٤١٣): فينظر عن يمينه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦/٦٨) ولفظهما سواء، وزاد مسلم: (فمن لم يجد فبكلمة طيبة). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٧٤) بلفظ مسلم بتمامه. وسيكرره المؤلف برقم (٦٩٣).

(٢) زاد البخاري: (من عمله).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦/٦٧) ولفظهما سواء، إلا قوله: (فمن لم يجد فبكلمة طيبة) قال البخاري: قال الأعمش: وحدّثني عمرو بن مرّة، عن خيثمة مثله، وزاد فيه: (ولو بكلمة طيبة)، وقال مسلم: زاد ابن حُجر: قال الأعمش: عن عمرو بن مرّة، عن خيثمة، مثله، وزاد فيه: (ولو بكلمة طيبة) جمعها المؤلف في لفظ واحد. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٦٤) بدون قوله: (فمن لم يجد فبكلمة طيبة).

(٤) الصحاح في (ش ق ق).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر ج م).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٤١٢/١١).

أشأم منه: أي شماله[١] ووقع في رواية عند البخاري (١٤١٣): ثم ينظر عن شماله.

تلقاء وجهه: تلقاء: ظرف مكان بمعنى جهة اللقاء والمقابلة. والمعنى: مقابلة وجهه[٢].

ووقع في رواية عند البخاري (٦٥٣٩): "ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار".

الشرح الأدبي

ما أكثر طرق الخير، وما أكثر الأبواب المفتوحة للمسلم لكى يفوز بالجنة، وينجو من النار، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣].

والرواية الأولى في هذا الحديث الشريف تدعو المسلمين إلى أن يتقوا عذاب النار، ولو بشق تمرة.

ودلالة التعبير بقوله: "اتقوا النار"، أقوى من الدلالة بأي تعبير آخر، لأن التقوى: من الوقاية والحذر والوقاية في اللغة، الكلاءة والحفظ[٤]، والمصطفى ﷺ يحذر المسلمين جميعًا في صورة أمر والأمر للوجوب، وصيغة الجمع في "اتقوا"، تفيد بأن الأمر والتحذير للأمة كلها بأن يتخذوا ما يقيهم من عذاب النار من صالح العمل والصدقة وأعمال البر.. وهى كثيرة ولا تُحْصَى، والقليل يُجْدي وينجِّى إذا كان مصحوبًا بالنية الخالصة: وذلك يتجلى في قوله، "ولو بشق تمرة" كناية عن القلة التي تُنجِّي.

والإيجاز هنا في المعنى والمبني، واتقاء النار يكون بوجوه كثيرة متعددة متنوعة، وذلك هو الإيجاز في المعنى، أما المبني: ففي قوله ﷺ: "ولو بشق تمرة" حذف تقديره، ولو كان التصدق بشق تمرة فتصدقوا واتقوا النار بها، فالحذف هنا للإيجاز وللترغيب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٤١٢/١١).

(٢) الوسيط في (ل ق ي).

(٣) سورة آل عمران : ١٨٥.

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (و ق ي).

في التصدق، والعمل الصالح الذي يسوق صاحبه إلى الجنة بفضل الله تعالى ورحمته.

ولنتأمل أسرار البيان النبوي في الرواية الثانية: وهي تفصيل لما أُجْمل في الرواية الأولى، وإخبار يقيني للمسلمين بما سيحدث لكل واحد منهم يوم القيامة: يوم تجزى كل نفس بما كسبت، ويأتي هذا الإخبار في أسلوب القصر دلالة على صدق وقوع الخبر، وتأكيد حصوله لكل واحد من الأمة، بل لكل واحد من الخلق أجمعين، ولذلك قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه"، والتعبير بقوله: "من أحد" يفيد الاستغراق والتعميم، ولن يفرَّ أحد من ذلك، والتعبير بقوله: "ليس بينه وبينه ترجمان" يحدد الموقف ويرشد إلى أن الكلام سيكون بدون واسطة ليس عن طريق الرسل أو الملائكة... ولكنه سيكون من الله تعالى لعباده واحدًا واحدًا، ويسمعه كما يريد الله كما سمعه الكليم[1].

وتكملة لهذا المشهد من مشاهد يوم القيامة يصوغ الرسول ﷺ موقف العبد في أسلوب القصر: حيث ترد ثلاث عبارات تُصوِّر حالة العبد وهو يبحث عن دليل للنجاة في موقف الحساب والجزاء، ومع أسلوب القصر نجد المقابلة في تصوير موقف العبد، وهي تجسيد للحيرة والبحث عن أبواب النجاة، وهذه الحيرة تتجلى في هذا البيان النبوي الدال الهادف "فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه"، وتكررا جملة: "فلا يرى إلا" ثلاث مرات، وذلك لترسيخ الاهتمام بالعمل الصالح في نفس المسلم لأنه هو الذي سيُنجِّي صاحبه، وإلا فالنار مصيره، ولذلك ختم هذا الحديث، بالجملة التي وردت في الرواية الأولى ترغيبًا للمسلم في المبادرة إلى فعل الخيرات، وتقديم العمل الصالح حتى إذا كان قليلاً فهو ينجى من النار ولو كان نصف تمرة، وزيادة في الترغيب يفتح المصطفى ﷺ منافذ النجاة أمام العبد الصالح الذي لا يجد نصف تمرة فيقول: "فمن لم يجد فبكلمة طيبة" فأي بشرى أندى من هذا، وأي رحمة إلهية أعم من ذلك، وأي محبة للعبد الصالح

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/٣٢٤.

أعظم من هذه المحبة من الله عز وجل: والكلمة الطيبة توحد المشاعر، وتجمع القلوب وتجعل الأمة كالبنيان المرصوص.

فقه الحديث

قد اتفق الفقهاء[1] على أن الزكاة فرض عين على كل مسلم يملك النصاب وحال عليه الحول أو عند الحصاد في زكاة الزروع والثمار.

أما الصدقة فلا تتوقف على ملك النصاب ولا حولان الحول، بل تقبل في أي وقت، ولها عند الله أجر عظيم، لأنها تبرع محض وليست فرضًا، ولم تتحدد بقدر معين، بل يقبل من كل مسلم ما يستطيع إخراجه من مال، سواء كان نقودًا أو شيئًا عينيًا، ولو كان شق تمرة كما في الحديث الشريف.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والترهيب، والقصر والحصر.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تبيين الحقائق للناس.

ثالثًا: من واجبات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة والإحسان.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الكلمة الطيبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، الترهيب، القصر والحصر:

١- الأمر: ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اتقوا النار ولو بشق تمرة" والأمر من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه من بيان الحقائق للمدعو وحمله على اتباعها والعمل بها.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/٧٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٢٧٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٣٧٨، وشرح منح الجليل ٢/١٠٨، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/١٤٠، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣/١٤٨، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١/٤٩٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٣٠٨.

وقد ورد استخدام الأمر كثيرًا في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها الصريح ومنها غير الصريح، الصريح مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١] وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٢] وغير الصريح كأن يأتي الأمر مجيء الإخبار عن تقرير الحكم نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٣] أو يأتي في صورة مدح الفعل أو مدح صاحبه، نحو: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤] وغير ذلك[٥].

٢- الترهيب: ورد الترهيب في قوله ﷺ: "فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه". والترهيب من أساليب الدعوة، وفيه معنى التخويف، وهو باعث للنفس على الإقدام على الطاعات، ومجانبة المنكرات اتقاءً للنار والعذاب، والترهيب من أساليب القرآن الكريم قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[٦] وعلى الداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في الدعوة ويجمع بين الترغيب والترهيب.

٣- القصر والحصر: لقد ورد ذلك في قوله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه" ولا شك أن القصر والحصر يفيد الاستغراق، أي لن يفلت أحد من هذا الموقف، ويعتبر القصر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية لإقناع المدعوين، لأنه يحمل في طياته معنى التوكيد والتحديد.

---

(١) سورة البقرة، آيةك ٤٣.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٥) انظر: الموافقات، للإمام الشاطبي، ١٤٤/٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٢.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تبيين الحقائق للناس:

يستنبط ذلك من إخبار النبي ﷺ بأنه ((ما من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)) فقد بيّن ﷺ أن الله سيحاسب المؤمنين بلا واسطة، وواجب الداعية عرض الحقائق للمدعوين وإخبارهم بها لأن هذا من أمانة التبليغ، قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[1] وعندما يعلم المدعو بهذه الحقائق يستعد لها، ويعمل على مرضاة الله عز وجل، ويتزود بتقوى الله تعالى، ويحمل نفسه على البعد عن المعاصي، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب. فإن عذاب النار مؤلم، والخوف منها يجب أن يستمر ما دام الإنسان في الحياة. ولما كان دأب العاقلين التأهب للأخطار ومحاولة اجتنابها، فإن على المؤمن أن يحترز من النار ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾ ولقد بين رسول الله ﷺ هول الموقف وأن الله تعالى سيحاسب المؤمنين بلا واسطة. فلا ينفع يؤمئذ إلا العمل ومن أعظم العمل التصدق بما يستطيع الإنسان ولو بنصف تمرة، فإن كان من العاجزين على الإنفاق فلا أقل من الكلم الطيب، والمعاملة الحسنة، ومواساة المساكين وعدم السخرية منهم أو الازدراء بهم[2].

ثالثًا- من واجبات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

من الأهمية بمكان أن يراعي الداعية أحوال المدعوين، وعدم تكليفهم ما لا يطيقونه، ويتضح هذا من قول النبي ﷺ: "فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة" ورغم أن شق التمرة أمر ميسور لكل أحد أن يتصدق به، ولكن النبي ﷺ راعى أنه قد يوجد من لا يملك شق تمرة، فوجهه إلى أمر آخر لا يكلف مالاً وهو الكلمة الطيبة، وهكذا يجب أن يراعي الداعية حال المدعوين، وينوع لهم في بيان طرق الخير ليفعل كل واحد ما يتناسب مع حاله.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٢٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "فاتقوا النار ولو بشق تمرة" وهذا يعني أن التصدق ولو بالقليل يقي الإنسان من النار. هذا وقد جاء الأمر بالصدقة في مواضع عدة من القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[1] وبين الله سبحانه فضل الصدقة والإنفاق في سبيله فقال جلّ شأنه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

قال ابن كثير: (هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، والله يضاعف لمن يشاء بحسب إخلاصه في عمله، والله واسع عليم أي: أن فضله واسع كثير، أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق)[3].

وفي ثواب الصدقة والحث عليها قال ﷺ: ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلُوَّه[4] حتى تكون مثل الجبل))[5] قال ابن حجر: (وضرب المثل بالمهر لأنه يزيد زيادة بينة، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم - لاسيما

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦٩١/١.

(٤) الفلو: المهر وقيل هو كل فطيم من ذات حافر. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٨/٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

الصدقة- فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال، حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل)[١]. وباب فضل الصدقة والثواب عليها باب واسع يجب على الداعية تذكير المدعوين به.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الكلمة الطيبة:

لقد أرشد النبي ﷺ إلى أن من لم يجد شق تمرة يتقي به النار فبكلمة طيبة قال النووي: (وفي الحديث أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار، وهي الكلمة التي فيها تطييب قلب إنسان إذا كانت مباحة أو طاعة)[٢]. قال ابن عثيمين: (والكلمة الطيبة تشمل قراءة القرآن، فإن أطيب الكلمات القرآن الكريم. وكذلك تشمل التسبيح، وكذلك تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشمل تعليم العلم وتعلم العلم، وتشمل كذلك كل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه من القول، يعني إذا لم تجد شق تمرة؛ فإنك تتقي النار ولو بكلمة طيبة. فهذا من طرق الخير وبيان كثرتها ويسرها، فالحمد لله أن شق التمرة تنجي من النار، وأن الكلمة الطيبة تنجي من النار)[٣]. هذا وقد جعل الله الكلمة الطيبة أفضل من الصدقة التي يتبعها أذى قال الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[٤] وقد جعل النبي ﷺ الكلمة الطيبة صدقة ففي الحديث ((الكلمة الطيبة صدقة))[٥] ولاشك أن طيب الكلام، ولين المقال له أثر طيب في نفوس الناس، ويداوي أمراض القلوب، وينزع الشحناء والبغضاء من الصدور ومن أجل هذا استحقت الكلمة الطيبة أن تكون سببًا من أسباب النجاة من النار.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٨/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٨١/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

الحديث رقم (١٤٠)

١٤٠- **الرَّابِعِ والْعشرونَ:** عنْ أَنَسٍ ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنَّ اللّه لَيرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فيحْمدَهُ عليْهَا، أَوْ يشْربَ الشَّرْبَةَ فيحْمدَهُ عليْهَا**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأكْلة: بفتح الهمزة، وهي: المرة الواحدة من الأكل كالغدوة أو العشوة[2].

الشرح الأدبي

إن استقبال نعمة الله في المنهج الإسلامي يكون بالحمد والشكر والاعتراف بفضل المنعم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾[3].

وهذا الاستقبال الإيماني المصحوب بالحمد والشكر يعد من طرق الخير التي يضاعف بها المسلم حسناته، ويرفع بها درجاته، فهي خير قادم إليه، ونافع له، وفي الوقت ذاته ميدان للشكر والحمد، وطريق من طرق الطاعة التي تجعل العبد يفوز برضا خالقه ومانحه العطايا، وواهبه كل ما يملك.

ونقتبس من الحديث النبوي الشريف أصداء هذه المعاني، ونُبْصر في كلماته أطياف الرضا الرباني، وأول شعاع من أشعة هذا الرضا الإلهي يبرق ويسطع في بداية الحديث حيث يبدأ بالتأكيد "بإن"، ثم اقتران الفعل "يرضى" باللام، وهى تزيد الخير تأكيدًا، وهل هناك تأكيد أبلغ من هذا البلاغ النبوي، "إن الله ليرضى عن العبد"،

---

(١) برقم (٢٧٣٤/٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٩٨).

(٢) رياض الصالحين ١٠٤، ٢١٣.

(٣) سورة الأعلى: ٢-٤.

وتقديم التأكيد مع لفظ الجلالة يزيد النفوس اطمئنانًا، والقلوب إيمانًا، فما أعظم أن يرضى اللهُ عن عبده، وما أجلَّ أن يسلك العبدُ المسلك الحميد الذي يجعله أهلاً لهذا الرضا الإلهي العظيم.

ولنتأمل ما يشعُّ به لفظ "العبد" من معان ورُؤًى وأسرار في سياق الرِّضا الرباني، ولم يقل ﷺ: المرء أو الإنسان أو المسلم، لأن هذه الألفاظ تؤدي الدلالات المرادة في هذا السياق، فلفظ: "العبد"، جيئ به للإشعار بأن الكل ينتمي بالعبودية لله عز وجل، وما ربك بظلام للعبيد.

والعبودية تقتضي الحمد والشكر لأن الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ولنتساءل: ما سر الجمال التعبيري في اختيار اسم المرة في قوله: "يأكل الأكلة: أو يشرب الشربة"، إن هذه الصيغة تفصح عن أن الله سبحانه يستحق الحمد على النعمة وإن قلّت، وكذلك: توحي هذه الصيغة بدوام الحمد في كل يوم عدة مرات: لأن الإنسان لا يمتنع عن الطعام والشراب، فالحمد دائم بدوام الحياة، ودوام الرزق، ودوام الإيمان: ومن هنا يتوهج ويشرق في نفوسنا معنى قول رسول الله ﷺ "الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض"[2].

ويستمر الإشعاع الأسلوبي الذي تتوهج به الصياغة الناطقة بالدلالة والعِبْرة، فمجيء الأكل والشرب والحمد في صيغة الفعل المضارع: إشارة إلى استمرار هذا الفعل الذي لا ينقطع ولا يمتنع لأنه من مكونات استمرار الحياة: فالحياة لا تستمر بدون الطعام والشراب، والمؤمن يحمد الله شاربًا وآكلاً، ولذلك كرر الحمد مع الأكل ومع الشرب، والعبد يستشعر نعمة الله، ويستحضر عظمة الله فيحمده في كل وقت: لأن الله سبحانه بمشيئته نما الزرع، ودرّ الضرع، وتكاثر الغذاء، وتفجر الماء، وهو بقدرته

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

سلك الماءَ ينابيعَ في الأرض، وأنزله من السماء فأصبحت الأرض مخضرّة، وتفجرت الينابيع بالماء العذب الزلال، وفاضت الأنهار بموجات السلسبيل السائغ العذب الطهور، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، فاللهم هبنا رضاك، وامنحنا الحمد والشكر على نُعْماك.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام التالية:

١- يستحب لمن أكل أو شرب أن يحمد الله تعالى.

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الحمد منها ما روى مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ والحَمْدُ للهِ تملأُ الميزَانَ وسُبْحَانَ اللهِ والحمدُ لله تملآن أو تملأُ ما بَيْنَ السَّماواتِ والأَرْض))[2].

وأحسن عبارات الحمد: الحمد لله رب العالمين، إذ هي فاتحة الكتاب العزيز ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، وآخر دعوى أهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

وما روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه حيث قال: (كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوّغه وجعل له مخرجا)[5].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) سورة الفاتحة، آية: ١.

(٤) سورة يونس، آية: ١٠.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٨٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان بعض آداب الطعام والشراب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى على عباده.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

لقد جاء في الحديث قوله ﷺ "إن الله" وهذا توكيد على رضا الله تعالى عن العبد الذي يأكل الأكلة ويحمد الله عليها، أو يشرب فيحمده سبحانه، وهو من أساليب الدعوة التي تبين مدى وثوق الداعية مما يقول، وهذا يفيد في إقناع المدعوين، والدلالة على صدق الداعية فيما يخبرهم به.

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن مما ينبغي للداعية أن يوليه اهتمامه بيان رضا الله تعالى عن المؤمن الذي يحمد الله تعالى على نعمه التي منّ بها عليه، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ عن رضا الله سبحانه عن العبد إذا ما حمده عند الطعام والشراب، ولاشك أن معرفة المدعو بهذه الحقيقة تجعله شديد الحرص على التزام الحمد في المواطن كلها لينال رضا الله عز وجل، فيجب على الدعاة ألا يتخلوا عن مهمتهم ووظيفتهم، وهي عرض وبيان الحقائق للمدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان بعض آداب الطعام والشراب:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث بيان بعض آداب الطعام، والتي منها حمد الله سبحانه على نعمة الطعام والشراب، لأن الله يرضى عن العبد الذي يفعل هذا؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها" قال النووي: فيه استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: ((الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع

ولا مُستَغنىً عنه ربّنا))[١]. ولو اقتصر على الحمد لله حصل أصل السنة[٢].

(وفائدة الحمد بعد الطعام أداء شكر المنعم وطلب زيادة النعمة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣] وفيه استحباب تجديد حمد الله عند تجدد النعمة من حصول ما كان الإنسان يتوقع حصوله، واندفاع ما كان يخاف وقوعه، ثم لما كان الباعث هنا هو الطعام ذكره أولاً لزيادة الاهتمام به، وكان السقي من تتمته لكونه مقارنًا له في التحقيق غالبًا، ثم استطرد من ذكر النعمة الظاهرة إلى النعم الباطنة، فذكر ما هو أشرفها وختم به، لأن المدار على حسن الخاتمة، مع ما فيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما، قدرًا ووصفًا ووقتًا، احتياجًا واستغناءً، بحسب ما قدره وقضاه)[٤] إن في تعليم الحمد بعد الطعام والشراب هو تعويد للنفس على شكر الله عز وجل على نعمه وفي الحديث ((الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر))[٥].

قال الطيبي: (إن الشكر نتيجة النعماء كما أن الصبر نتيجة البلاء، وقد ورد أن الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر، وربما يتوهم متوهم أن ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم، فأزيل توهمه به، يعني هما سيآن في الثواب، وفيه وجه آخر وهو أن الشاكر لما رأى النعمة من الله تعالى، وحبس نفسه على محبة المنعم بالقلب، وأظهرها باللسان نال درجة الصابر)[٦].

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة، فيحمده عليها" قال القرطبي: (والحمد هنا بمعنى الشكر ... والحمد

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٥٨.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٣.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٦٢/٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢١).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٦/٨.

يوضع موضع الشكر ولا يوضع الشكر موضع الحمد، وفيه دلالةٌ على أن شكر النعمة نيل رضا الله تعالى؛ الذي هو أشرف أحوال أهل الجنة، وسيأتي قول الله عز وجل لأهل الجنة حين يقولون: "أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقِك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: ما هو؟ ألم تُبيض وجوهنا، وتدخلنا الجنة، وتزحزحنا عن النار؟!، فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا[1]. وإنما كان الشكرُ سببًا لذلك الإكرام العظيم؛ لأنه يتضمَّن معرفة المنعم، وانفراده بخلق تلك النعمة، وبإيصالها إلى المنعَم عليه، تفضُّلاً من المنعم، وكرمًا، ومنَة، وإن المنعم عليه فقير محتاج إلى تلك النعم، ولا غِنى به عنها، فقد تضمَّن ذلك معرفة حق الله وفضله، وحق العبد وفاقته، وفقره، فجعل الله تعالى جزاء تلك المعرفة تلك الكرامة الشريفة)[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى على عباده:

وهذا يدل على أن رضا الله عز وجل يُنال بأدنى سبب، قد ينال بهذا السبب اليسير ولله الحمد يرضى الله عن الإنسان إذا انتهى من الأكل قال: الحمد لله، وإذا انتهى من الشرب قال الحمد لله، ويدل على فضل الله تعالى وكرمه لعباده. ومما يؤيد هذا الكرم ما أعده لعباده من النعيم والجنان نتيجة رضاه عنهم قال الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[4] قال السعدي: (إن الذين اتقوا سخط ربهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٤٩، ٧٥١٨، ومسلم ٢٨٢٩ بلفظ: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا) واللفظ للبخاري.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٦١/٧.

(٣) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٤) سورة النبأ، آية ٣١، ٣٢.

بالتمسك بطاعته، والانكفاف عن معصيته فلهم مفاز ومنجى، وبعد عن النار، وفي ذلك المفاز لهم بساتين جامعة لأصناف الأشجار الزاهية بالثمار، وأعنابًا تتفجر خلالها الأنهار)[1] وهذا كله من كرم الله سبحانه، وواجب الدعاة أن يبينوا للناس فضل الله تعالى وكرمه على عباده المؤمنين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق في تفسير كلام المنان ٨٣٩.

الحديث رقم (١٤١)

١٤١- **الْخَامِسُ والْعشْرُونَ**: عن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صدقةٌ**» قال[١]: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجدْ؟ قالَ: «**يعْمَل بِيَدِيهِ فَينْفَعُ نَفْسَه وَيَتَصدَّقُ**»: قَال: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يستطِعْ؟ قال: «**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْملْهوفَ**» قالَ: أَرأَيْت إِنْ لَمْ يستَطِعْ قالَ: «**يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ**» قالَ: أَرأَيْتَ إِنْ لَمْ يفْعلْ؟ قالْ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صدَقَةٌ**» متفقٌ عليه[٢].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الملهوف: المضطر يستغيث ويتحسر من ظلم أو عجز أو غيرهما[٣].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب: بيان كثرة طرق الخير، وهى طرق مُعَبَّدة بالنيات الصالحة يسلكها المتقون، وأورد النووي خمسة وعشرين حديثًا في هذا الباب، ويختمها بهذا الحديث الحواري الهادف، وهو يعطي نموذجًا للتيسير في الإسلام عملاً بقوله سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤].

ولكن أبواب الخير لا تُسدُّ، وطرقه لا تنتهي مهما ضاقت بالناس سبل الحياة، فالحديث ينير لكل أفراد الأمة الإسلامية سبل التكافل فيما بينهم، ويضئ آفاق

---

(١) لفظ مسلم: (قيل).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٢)، ومسلم (١٠٠٨/٥٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٧٣).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٣ والنهاية، والوسيط في (ل هـ ف).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

التراحم والمودة والعطف بين طوائفهم، وسبيل ذلك هو تكوين ملكة العطاء والتصدق في نفس المسلم بحيث يكون منهجه التعاون والعطاء والنصيحة والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والإمساك عن الشر، وإشاعة عاطفة الخير بين الناس.

وأول ظاهرة أسلوبية في هذا الحديث الشريف: هي ظاهرة الحوار والتدرج المنطقي السديد في عرض وقائع هذا الحوار، وتفصيل قضاياه، ويبدأ الحديث بقاعدة عامة من قواعد المنهج الإسلامي، وقواعد السلوك في حياة المسلم، "على كل مسلم صدقة"، أي في كل يوم شكرًا لله على نعمة الخلق... ويفصِّلُ هذا الإجمال ما روى في حديث آخر، "على كل سلامي من الناس صدقة"، والجملة هنا تغلفها ظاهرة التقديم والتأخير، فكلمة "صدقة" مبتدأ مؤخر و"على كل مسلم"، خبر مقدم، والتقديم هنا يفيد التزام المسلم بذلك، وبأن الصدقة ليست هى الهدف فقط، ولكن لابد أن يكون المتصدق مسلمًا، فالصدقة في غياب العقيدة الصحيحة ليس لها ثمرة إلا المنفعة الدنيوية، ولا قيمة لها عند الله تعالى.

ولفظ: "كل" يفيد الحصر والاستقصاء، فلا يستثني مسلم من ذلك، وباقي الحديث يفصح عن هذا المنهج.

ويسأل الصحابي الذي يحاور رسول الله ﷺ "أرأيت إن لم يجد"، فيرشده نبي الرحمة ﷺ إلى سبيل عملي من سبل العطاء والتصدق وهو العمل باليد، وهو فيه نفع للنفس، وإعزاز لها، ومجال للتصدق مما اكتسب ثمنًا أو أجرة أو ثمرًا.

وتأمل جملة السؤال حيث جمعت عدة أساليب: الاستفهام والشرط، لطلب المزيد من المعرفة، واختيار الفعل، "أرأيت"، مقترنًا بالاستفهام من باب التأدب مع رسول الله ﷺ: وهذا أكثر بلاغة ومواءمة للسياق، ومراعاة لمقتضى الحال من قوله: "فإن لم يجد"، ويتدرج الحوار إلى سبيل آخر من سبل "الخير" في حالة العجز عن التصدق من عمل اليد، وهو التصدق المعنوي عن طريق إعانة ذي الحاجة الملهوف، فالتعاون معه، والوقوف معه في شدته، وقضاء حاجته من طرق الخير الدالة على التراحم والتعاطف بين

أبناء المجتمع الإسلامي، ويتكرر السؤال مرة ثالثة: "أرأيت إن لم يستطع"؟ ولا يغلق نبيُّ الرحمة البابَ بل يفتح مجالاً جديدًا من مجالات الخير والنفع وهو: الأمر بالمعروف بكل صوره، وفي ذلك تيسير على كل مسلم لا يملك المال الكثير ولا يقدر على التصدق من عمل يده، ولا يستطيع إعانة ذي الحاجة لأنه يفتقد مقومات ذلك وليست لديه القدرة على الأمر بالمعروف: فيفتح الرسول ﷺ مجالاً آخر من مجالات التصدق: وهو إصلاح الذات، وتهذيب السلوك الشخصي حيث يمسك الإنسان عن الشر، ويصلح من نفسه، ولا يؤذي غيره، وهذا تصدق وإحسان، ومن الشر ترك الفرائض، والالتزام بها واجب وصدقة أيضًا، ولنتأمل الفروق التعبيرية في جمل الاستفهام التي تخللت الحوار: ففي الجملة الأولى قال: "فإن لم يجد" فاختيار الفعل هنا وهو الإيجاد، مناسب للمقام: لأنه جاء عقب قوله ﷺ: "على كل مسلم صدقة"، وبعض المسلمين لا يجدون مالاً فائضًا عن حاجتهم يتصدقون به.

أما الجملتان: الثانية والثالثة: فعبر السائل بقوله: "أرأيت إن لم يستطع"، وقد عدل عن نفى الإيجاد إلى نفى الاستطاعة، لأن السياق والمقام يقتضيان ذلك: فالذي يعمل بيديه قد لا يستطيع بجهده أن يدخر ما يتصدق به، لأن جهده ضعيف أو صاحب مرض أو صاحب عيال، وينفق كل ما يكسب عليهم، وكذلك في الجملة الثالثة: يجئ التعبير بنفى الاستطاعة مناسبًا: لأن إعانة ذي الحاجة تتطلب القدرة البدنية والعقلية. وربما لا يمتلك بعض المسلمين هذه القدرة التي لا يستطيع بها قضاء حاجات الناس.

وأما في الجملة الرابعة فقال: "أرأيت إن لم يفعل"، فعبر بالفعل، يفعل... ولم يقل يستطيع أو يجد، لأن الأمر بالمعروف هو صدقة قولية لا تحتاج إلى رصيد من المال، ولا إلى قوة بدنية، ولكن تحتاج إلى إرادة، وملكة بيانية، واتجاه إلى النصيحة الخالصة، وبعض الناس لا يقوم بذلك لأنه لا يملك أدوات الإقناع، أو لا يعرف كيف يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر، فهو لم يقم بهذا الفعل المشروع.

وهنا نلمح سرًا من أسرار البيان النبوي، وهو اختياره للفعل "يمسك" في قوله "يمسك عن الشر" فالإمساك... والسكوت والصمت في الإسلام، خير من الفعل والكلام اللذين

يقودان الإنسان إلى الشرور وفي الحديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت"[١].

وهذه الآفاق الخمسة من آفاق الخير والتصدق.. تمثل اتجاهات وطوائف في المجتمع الإسلامي، وكل طائفة تتجه إلى الطريق الذي تستطيع إنجاز الخير من خلاله، ولكن حسب الترتيب الذي قدمه رسول الله ﷺ.

وحين نتأمل ارتباط الأفعال بالزمن اللغوي في هذا الحديث الشريف نجدها كلها أفعالاً مضارعة في الجملة التي يصاغ فيها الجواب، ومجيئها كلها في صيغة المضارع الدال على الحال أو الاستقبال يشير إلى ضرورة عدم انقطاع هذه الأعمال الخيرة، وهذه الصدقات التي تتعدد طرقها حسب حال المتصدق ومقوماته، وهذه الأعمال تظل مرتبطة بحركة الحياة المستمرة، وليست قاصرة على موقف واحد أو جيل واحد، وإنما هي تتجدد مع كل شخص وفي كل زمن إلى قيام الساعة.

والجملة الأولى في الحديث تعد قاعدة ثابتة مستقرة مرتبطة بمنهج المسلم وعقيدته، ولذلك صيغت في قالبِ الجملة الاسمية الدالة على الثبات وعدم التغير والتبدل، وقُدِّم فيها لفظ المسلم مع كل، على لفظ الصدقة للإشعار بأن الإسلام هو الطريق الصحيح لقبول الأعمال.

فمنهج الإسلام يقوم على تهذيب الوجدان، وتنمية الشخصية، والقيام بالواجبات الاجتماعية، وتربية الضمير الحي المستيقظ، وروح الألفة والتآخي، وملاحظة الحقوق بين الناس بعضهم مع بعض، وذلك من شأنه أن يحقق التكافل الاجتماعي السليم، إذ تتلاقى إرادات الآحاد بعضهم مع بعض، فيتكون الاجتماع على محبة الله تعالى وتقواه فيكون المجتمع قويًا مؤتلفًا، لأنه تكوّن من قلوب متآلفة، لا من جسوم متراصة[٢].

وكأن هذا الحديث الحواري الجميل يجمع طرق الخير السابقة في هذا الباب، بما قدمه رسول الله ﷺ من إجابات شافية كافية واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨.

(٢) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٢٣٩.

ولكنه وضوح وإيجاز وتسديد، وحوار منهجي مقنع رشيد.

ولا غرابة في ذلك: فإن أول صفات التعبير في البيان النبوي -كما قال د. محمد رجب البيومي- سهولة المأخذ، وقُرْب المتناول، فإذا تلقى السامع حديثه ﷺ ظن لسلامته ويسره أنه مما تسهل محاكاته، فإذا أراد أن يأتي بمثله طاش وحار، وليس اليسير السهل مما يُمَلُّ على التكرار، ولكنه يتردد ويظل محتفظًا بجدته الطريفة، إذ أن وراءه فكرًا دقيقًا يزن الرأي السديد ميزانًا تامًا ثم يعرضه في يسر قريب المتناول، وهكذا يكون البيان النبوي مشرقًا ومؤثرًا في نفوس سامعيه وقارئيه. كما تشرق الشمس فتوقظ النفوس، وتحيي القلوب وتضيء الآفاق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من صفات الداعية: مراعاة ظروف المدعوين وسعة الصدر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل والاجتهاد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التعاون.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: كف الأذى عن الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب:

١- **الإخبار:** حيث أخبر الرسول ﷺ أن على كل مسلم صدقة، والإخبار أسلوب من أساليب الدعوة، وهو يعين الداعية على تبليغ دعوته، ويلفت انتباه المدعو إلى أن هناك أمرًا أو نهيًا، أو دلالة على الخير ينبغي التعرف عليها والانتباه إليها.

٢- **السؤال والجواب:** حيث تكرر في الحديث: ((أرأيت إن لم يجد؟ أرأيت إن لم يستطع؟ أرأيت إن لم يفعل؟)) وهو من أساليب الدعوة المهمة التي تؤدي إلى نوع من التفاعل والحوار بين الداعية والمدعو، ويتيح الفرصة للمدعوين للسؤال عما خفي عليهم ويتيح لهم معرفة الأدلة والأحكام، وهو كذلك يساعد على فهم المراد من الكلام، لأن الإجابة تنصب على مضمون السؤال، ولذا يجب على الدعاة تفعيل هذا الأسلوب،

حتى يفيدوا منه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من صفات الداعية: مراعاة ظروف المدعوين وسعة الصدر:

فليس كل مسلم قادرًا على إخراج الصدقة، ولذا لما سئل رسول الله ﷺ في هذا قدَّم البدائل التي يمكن من خلالها أخذ أجر الصدقة من غير دفع مال، فأرشد إلى إعانة الملهوف، والأمر بالمعروف، وكف الأذى إلى آخر هذه الأمور التي قد يُظَن أن لا يثاب فاعلها، وفي هذه البدائل التي قدمها رسول الله ﷺ مراعاة لظروف المدعوين وأحوالهم ومقدرتهم، وهذا من حصافة الداعية، أما بالنسبة لسعة صدر الداعية فتلك صفة ينبغي ألا ينفك عنها، خاصة وأن الإنسان قد يملُّ من كثرة الأسئلة الموجهة إليه، وقد يُشْعِر الآخر بتضجره، بيد أن الداعية من أهم صفاته أن يكون واسع الصدر، لا يبدي ضجرًا ولا ضيقًا حتى يشجع المدعوين على السؤال والاستفسار، وفي الحديث قال الرسول ﷺ جملة واحدة ((على كل مسلم صدقة)) وجهت له على أثرها أربعة أسئلة، وفي كل مرة يجيب ويوضح ويبين، ولو أنه ضاق صدره لما استمر المدعو في عرض أسئلته، ولضاعت الفائدة على الجميع، ولذا فعلى الداعية أن يتحلى بسعة الصدر والحلم واللين والرفق وقد قال الله لنبيه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ ((على كل مسلم صدقة))، وفي ذلك حث على الصدقة، فنعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها نعمة المال والصحة و العلم، من أجل ذلك حث النبي ﷺ على التصدق بالمال، فهو عصب الحياة وبه تُيسر وتقضى حاجات الأفراد والجماعات، فإن لم يجد المسلم المال، حثه على أن يعمل عملاً ينتفع به من الذي هو في حاجة إلى المساعدة وقضاء الحاجة، فإن لم يستطع، فتكون صدقته بأن يأمر بالمعروف أو الخير، وهذا باب عظيم فلو تآمر الناس بالمعروف وتناهوا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

عن المنكر لعم الخير وانصلح الحال، فإن لم يفعل، كانت صدقته بمنع شره عن غيره، وفي ذلك حث على الصدقة لأهميتها وثوابها عند الله. وقد بين الله تعالى ثواب الصدقة من المال قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1] وذكر الله سبحانه ثواب المنفق فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

قال السيوطي: (وعن قتادة في الآية قال: هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله الذي افترض عليهم، في غير سرف ولا إملاق ولا تبذير ولا فساد)[3]. ووعد الله بأن يخلف على من يتصدق وينفق، قال سبحانه ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[4]. قال القرطبي: (وما أنفقتم في طاعة الله فهو يخلفه عليكم ويعطيكم بدله إما في الدنيا وإما في الآخرة، والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا تتناهى)[5]. هذا وقد جاء في الحديث أن الصدقة لا تنقص المال قال رسول الله ﷺ ((ما نقصت صدقة من مال))[6] وأرشد إلي أن الصدقة تكفر الذنوب قال ﷺ ((والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[7] (والمراد بالخطيئة أي التي تجر إلى النار ومعنى تطفئها أي: تذهبها وتمحو أثرها)[8]. فهذه النصوص وغيرها تدل على فضل وثواب الصدقة بالمال، وقد بين رسول الله ﷺ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٣/٣٦٠.

(٤) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج٧/١٤/ ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٧) أخرجه الترمذي ٦١٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥٠١).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٨٥٩.

أن ثوابها أيضًا يشمل من يعمل بيده فيتصدق، ومن يعين الملهوف ذا الحاجة ومن يأمر بالمعروف، ومن يكف أذاه عن الناس كما دل الحديث.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحث على العمل والاجتهاد:

جاءت الإشارة إلى هذا في الحديث ((يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق)) وفي ذلك حث على العمل والاجتهاد، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه التنبيه على العمل والتكسب، ليجد المرء ما ينفق على نفسه ويتصدق به ويغنيه عن ذل السؤال)[١]. وهذا يدل على أن الذي يعمل ويجتهد يعود عليه النفع أولاً، وقد أرشد القرآن إلى أن حياة الإنسان كلها كد وتعب ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ۝﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾[٣] وبين ﷺ أن العمل والاجتهاد أفضل من سؤال الناس ففي الحديث ((والذي نفسي بيده، لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه))[٤].

قال ابن حجر: (وفي الحديث الحث على التعفف عن المسألة والتنزه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع، لم يفضل ذلك عليها، ولا خير في السؤال مع القدرة على الاكتساب)[٥] وفي فضل العمل والاجتهاد جاء في الحديث أيضًا ((ما أكل أحد طعامًا خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده))[٦] والنصوص في هذا كثيرة وواجب الداعية أن يوجه المدعوين إلى ضرورة العمل والاجتهاد، وترك المذلة والسؤال.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٦٥٠.

(٢) سورة البلد، آية: ٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٠، ومسلم ١٠٤٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٦) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التعاون:

حيث جاء في الحديث "يعين ذا الحاجة الملهوف" وهذا يدل على أهمية التعاون في الإسلام، ومن أهم أسس التعاون في الإسلام العمل على إيجاد مجتمع فاضل يتجلى فيه الخير والصلاح، تأمر فيه الجماعة بالمعروف وتنهى عن المنكر لحماية المصالح المعتبرة في الشريعة، وأول مظهر لهذا المجتمع وجود رأي عام يتعاون على الخير ودفع الشر[١].

فالتعاون يوجب الذود عن الأخلاق والفضائل، ويوجب على الرشيد أن يهدي الضال وعلى العالم أن يعلم الجاهل فتكون الجماعة في فضيلة ظاهرة تتعاون على الخير ولا تتعاون على شر قط.

وتؤكد الشرائع والنظم أن المجتمع الصالح يجب أن يكون كل أفراده كالشخص الواحد في تعاونهم، إسهامًا في السراء والضراء، ومشاركة في الحال والمآل تتدرج في مراتبها. أولها: أن تقوم بحاجة أخيك من الفائض من مالك، وأعلى ذلك مرتبة أن تنزله منزلة نفسك في قضاء حاجاته عملاً بقول الرسول ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٢] ثم تأتي المرتبة العليا وهي أن تؤثره على نفسك فتقدم حاجته على حاجتك وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] ومن مظاهر التعاون في الإسلام كفالة اليتيم وإكرامه والعطف عليه، وإعانة كل الضعفاء والمحتاجين، فالضعفاء أحوج الناس إلى التعاضد والشفقة والرحمة[٤].

وهذا توجيه إسلامي فريد وقد أمر الله بالتعاون في القرآن فقال ، ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى

---

(١) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة ص ٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) انظر: موسوعة القيم والأخلاق العربية والإسلامية ١٣/٥٣-٥٤.

ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[١]. ومن صور التعاون التي عرضها القرآن ما حدث من موسى عليه السلام عندما أعان الفتاتين على سقي الماء ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[٢] والمعنى (لا نسقي مواشينا حتى يصدر[٣] الرعاء لأنا امرأتان لا نطيق أن نسقي، ولا نستطيع أن نزاحم الرجال، ولأن أبانا شيخ كبير لا يقدر أن يسقي مواشيه، فزاحم موسى عليه السلام القوم ونحاهم عن رأس البئر، فسقى غنم المرأتين)[٤].

ولقد بشر النبي من يكون في حاجة أخيه المسلم بأن الله يكون في حاجته، ففي الحديث ((من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته))[٥] وبين النبي ﷺ أن من يكون في عون أخيه المسلم يكون الله في عونه، ففي الحديث ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))[٦] وواجب الداعية استحضار هذه النصوص، وتذكير المدعوين بها حتى يسود التعاون بين أفراد المجتمع.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: كف الأذى عن الناس:

حيث أخبر النبي ﷺ أن كف الأذى من الصدقات، فقال في الحديث الذي معنا ((يمسك عن الشر فإنها صدقة)) فإن لم يستطع المسلم فعل شيء من الصدقة، والإنفاق في سبيل الله، وقول الحق والأمر بالخير والنصيحة لكل مسلم، فعليه أن يكف شره عن الناس، ويصرف نفسه عن السوء، ولا يتعدى على غيره بيده أو لسانه، فإن ذلك له صدقة[٧]. وقد جاء في آيات القرآن ما يحذر من إيذاء المؤمنين فقال سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٢٣، ٢٤.

(٣) يصدر: أي ينصرف، لسان العرب في (ص د ر).

(٤) معالم التنزيل، الإمام البغوي، مرجع سابق، ٦/٢٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٢٤٤٢. ومسلم ٢٥٨٠.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٧) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني ص ٢٣٨.

يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[١]. قال البغوي ، (معنى الأذى ، هو مخالفة أمر الله تعالى وارتكاب معاصيه، ذكره على ما يتعارفه الناس بينهم فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات من غير أن عملوا ما أوجب أذاهم فيقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا)[٢] وقد جاء في الحديث النبوي ما يدل على فضل كف الأذى عن الآخرين فقد قال رسول الله ﷺ ، ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[٣].

قال ابن حجر: (أراد أن يبين علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه، وهي سلامة المسلمين من لسانه ويده، كما ذكر مثله في علامة المنافق، وذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا)[٤].

وما من شك في أن النصوص الشرعية في هذا الموضوع كثيرة، فواجب الداعية تذكير المدعوين بها.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٢) انظر: معالم التنزيل، ٣٧٦/٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أبواب الخير في الإسلام غير محصورة، والخير ليس قاصراً على باب بعينه، ولا صورة بعينها، وعلى المسلم أن يفيد من هذه الأبواب إن استطاع، فإن لم يستطع فليأت من هذه الأبواب ما استطاع. وقد حثّ الرسول ﷺ على حق الجاهل في السؤال وحقه على العالم في الإجابة، وضرب المثل من صبر المعلم على المتعلم ونوع الإجابة بحسب السؤال ولفت النظر إلى أبواب من الخير لم يألفها الناس. أو لم يروا أنها لون من الخير وذلك بكف شر النفس عن الآخرين. ومن الدروس التربوية نذكر ما يلي:

ويبدو ذلك من سؤالات أبي ذرجندب بن جنادة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ وإجابات الرسول ﷺ عنها، حول أفضل الأعمال، واستفسار جندب عن كل ما يجهله من كلام رسول الله ﷺ، أو عما يريد الزيادة فيه، فقد سأل جندب رسول الله ﷺ: أيُّ العَمَل أفضلُ؟ فقال: «الإِيمَانُ باللَّهِ، والجهادُ في سبيلِهِ». قال: أَيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ فأجاب النبيَّ ﷺ: «أَنْفَسُها عِنْدَ أهلِها، وأكثرُها ثمناً» ...إلخ.

وقد بدا من خلال هذا الحوار حب جُندب رضي الله عنه للاستزادة من العلم وحرصه على ما ينفعه، كما أن النبي ﷺ أفسح له صدره، وأجاب عن أسئلته من غير تضجر ولا ملل.

وقد أيَّد علماء التربية هذا الأسلوب، بل أوجبوا على المعلم المسلم أن يُعود طلابه الحوار والمناقشة؛ ليشحذ أذهانهم، ويقوي الحجة لديهم، ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم؛ حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم، وحتى يفيدهم بذلك[1].

ثانياً- التربية بالترغيب:

إن سائر أحاديث هذا الباب تُرغب في فعل الخيرات، سائر الخيرات، فليس في أعمال الخير ما يحتقر حتى أن يلقى المرء أخاه بوجه طليق، يقول ﷺ: «كُلُّ تَسْبِيحَةٍ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ١٨٣.

صَدَقَةٌ، وَكلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ»، ويقول ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، أي: الجماع في حلال، لأنه لو فعله في حرام لكان عليه وزر، فكذلك يكتب الله له الأجر إذا ترفَّع عن الحرام وأتى ما يرضي لله تعالى.

وفي حديث آخر يقول ﷺ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً ...».

كل هذه الأحاديث ترغب في فعل الخيرات، مستخدمة أسلوباً تربوياً مجدياً ونافعاً لدى المتربين، فما أحرص المؤمن على ما يقربه من الله! وما أشوقه إلى كل عمل يقربه إلى الجنة! وعندما يعلم عاقبة العمل فإنه يزداد فيه، بل إن المرء ربما لا يقدم على عمل الخير إلا إذا رغب في ثوابه وجزائه عند الله تعالى، وقد اتضح لنا من خلال هذه الأحاديث كرم الله تعالى ورحمته بعباده، وكيف جعل لهم الثواب الجزيل في العمل القليل.

وأسلوب الترغيب من الأساليب التي لا يستغنى عنها المربي في أي زمان ومكان؛ لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية ... والترغيب وعد يصحبه إغراء بمصلحة أو متعة آجلة مؤكدة، وينادي المربون باستخدام أسلوب الترغيب؛ لما فيه من تحفيز للمتربي على أداء الأعمال وانتظار عواقبها الحميدة[1].

ثالثًا- غرس قيمة الشكر في نفوس المتربين:

وقد أمر النبي ﷺ بشكر الله على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وحث على ذلك بقوله: «يُصبِحُ على كلّ سلامي منْ أحدكم صدقةٌ»، والسلامي: المفصل، يعني أن المسلم ينبغي أن يستشعر نعمة الله تعالى في كل عضو من أعضاء جسمه، لأنه تعالى هو خالقها وحافظها من الأمراض والحوادث والآفات، فعندما يصبح المرء ممتعاً بها فقد وجب عليه الشكر والثناء على الله تعالى.

وليست الصدقة التي تنبغي على المؤمن مالاً ولا ذهباً ولا فضة فقط؛ إذن لاحتج الناس بأنهم فقراء، وأن ليس لديهم من المال ما يتجاوز حاجاتهم؛ فكيف يتصدقون عن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٤، ٨٥ بتصرف.

أعضاء أجسامهم شكراً لله تعالى؟ وهنا يكون جواب رسول الله ﷺ بقوله: «كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ... إلخ»، بل يقول: «وَيَجْزِي مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ تَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحى» ففيهما يكون المسلم قد شكر ربه على نعمة العافية في البدن.

يقول الحسن البصري: "إن الله يمتّع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قَلبها عذاباً، ولهذا كانوا يسمون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعمة الموجودة، والجالب؛ أنه يجلب النعم المفقودة"[1].

رابعاً- التربية بالتوجيه المباشر:

ومن الأحاديث التي استخدم فيها النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر، قوله ﷺ: «لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً ...»، ففي هذا توجيه للمتربين على أن لا يستصغروا من الخيرات شيئاً، حتى إذا كان الخير مجرد تبسُّم في وجه المسلم.

وطلاقة الوجه "ضد العبوس، تعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال محمد بن حازم:

وَما اِكتَسَبَ المَحامِدَ طالِبوها ... سِمِثلِ البِشرِ وَالوَجهِ الطَليقِ[2]

خامساً- التربية الاجتماعية:

لقد دعا النبي ﷺ صحابته الكرام إلى الترابط الاجتماعي، ظهر ذلك جلياً من قوله ﷺ: "لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"، ويقول ﷺ: "تَعْدِلُ بَيْنَ الاثنين صَدَقَةٌ. وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ... وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ" كل هذه السلوكيات هي سمات المجتمع المسلم، الذي يتبادل كل شيء طيب فيما بين أفراده؛ فالبشاشة والوجه الطليق من العملات الرائجة بين أفراده، وكذلك معونة الناس بعضهم البعض في الأمور البسيطة العادية، كالمساعدة في حمل المتاع، أو مجرد الكلمة الطيبة.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح، ٢٤١٦/٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي ص ١٧٠.

كل هذه السلوكيات ربَّى النبي ﷺ عليها صحابته الكرام؛ لما لها من أثر فعّال في انتشار الرضا والسعادة بين الناس، وربما يكون هذا السلوك هو الفارق بين المجتمع المسلم والمجتمعات المادية الأخرى، التي تدَّعي الحضارة، وربما يُسمع فيها عن شخص يموت في قارعة الطريق فلا يجد من يحمله أو يدفنه، وذلك فارق طبيعي بين التربية الإسلامية الربانية، والتربية المادية الوضعية.

إن العقيدة الإسلامية تحقق التآخي والتآلف بين أفراد المجتمع، وكلما كان المجتمع صحيحاً... حصل بين سلوك أفراد انسجام؛ لأن المصدر واحد والباعث واحد والهدف واحد... وكلما قوي إيمان المسلمين ذابت الفوارق العرقية والمكانية بينهم...[1].

سادساً- التربية على الرفق بالحيوان:

لقد أمر الإسلام بالرفق والرحمة بسائر المخلوقات الحية، ليس الإنسان وحده، بل إن الحيوان هو الآخر نال نصيبه من الحث على رحمته والرفق به، يقول ﷺ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ..." ثم يروي النبي ﷺ كيف أن هذا الرجل لمّا خرج من البئر وجد كلباً يأكل التراب الندي من شدة العطش؛ فما كان منه إلا أن سقى الكلب بخفه، فأثابه الله بأن غفر له وأدخله الجنة.

بل إن القصة نفسها تتكرر ولكن الذي سقى الكلب بغي من بغايا بني إسرائيل، فكان جزاؤها رغم عظم ذنبها أن غفر لها الله وأدخلها الجنة. لأنه رفقت بالحيوان ورحمته، فاستحقت رحمة الله تعالى.

إن الإسلام شديد المؤاخذة لمن تقسو قلوبهم على الحيوان، ويستهينون بآلامه، وقد بيَّن أن الإنسان عظيم القدر يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء... كما بيّن أن كبائر المعاصي تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بإزاء كلب![2].

إن سلوك الرجل أو المرأة التي سقت الكلب لا تُرى نفس تبلغ منها الرحمة بالحيوان

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١١٦.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٢١١.

هذا المبلغ لا تكون رحمتها بالناس أشد، إن هذا العمل ليدل على شعور راق، ورحمة فياضة، سكنت تلك النفس العالية، فكانت لا ريب خليقة بهذا الجزاء، والراحمون يرحمهم الرحمن[1].

وقد ذكر الرسول ﷺ أن من بين المستحقين للجنة رجلاً أماط الأذى عن الطريق، حين قطع شجرة من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين، وآخر وجد غصن شوك على الطريق فأخره فغفر له.

إن الوعي بهذه الأحاديث يدفع المسلمين إلى عدم رمي الزجاجات والمسامير والقاذورات في الشوارع والطرقات، بل يدعو في الوقت نفسه إلى حملها ووضعها في الأماكن المخصصة لها. وإذا كان الغرب قد أخذ بهذه المبادئ، فصارت طرقه مضرب المثل في الجمال وشوارعه مضرب المثل في النظافة، فما هذا بدين عندهم، بل عادات اجتماعية صارت ديناً بمضي الزمن.

وقد أهملنا هذه القيم الدينية فصارت طرقنا وشوارعنا وقرانا ومدننا إلى ما نراه الآن ولا سبيل لتجميل ديارنا إلا بإحياء سنة نبينا.

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٤٢.

١٤- باب الاقتصاد في الطاعة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: ١٨٥].

الحديث رقم (١٤٢)

١٤٢- عن عائشةَ رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخَلَ عليْها وعِنْدها امْرأةٌ قال: منْ هَذِهِ؟ قالت: هَذِهِ[١] فُلانَة تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا قالَ: «**مَهْ عليكُمْ بما تُطِيقُون، فَوَاللَّه لا يَمَلُّ اللَّهُ حتَّى تَمَلُّوا، وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ ما داوَمَ صَاحِبُهُ عليْهِ**» متفقٌ عليه[٢].

وَ«مهْ» كَلِمة نَهْي وزَجْرٍ. ومَعْنى «**لا يملُّ اللَّهُ**» أي: لا يَقْطَعُ ثَوابَهُ عنْكُمْ وَجَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ، ويُعَامِلُكُمْ مُعاملَةَ الْمالِّ حَتَّى تَملُّوا فَتَتْرُكُوا، فَينْبَغِي لكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا ما تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عليْهِ لِيَدُومَ ثَوَابُهُ لَكُمْ وفَضْلُه عَلَيْكُمْ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مَهْ: فسرها النووي[٣]. وفي الوسيط: اسم فعل أمرٍ معناه: اكفُفْ[٤].

لا يمل الله: فسّرها النووي، وفي النهاية: أن الله لا يطّرحُكم حتى تتركوا العمل، فسَمَّى الفعلين مللاً، وكلاهما ليس بملل... على طريقة الازدواج في الكلام[٥].

---

(١) (هذه) لا توجد عندهما. وفلانة هذه: هي الحولاء بنت تُويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزّى، كما في رواية مسلم، و(امرأة من بني أسد) كما في رواية البخاري رقم (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥/٢٢١) واللفظ له.

(٣) رياض الصالحين ١٠٥.

(٤) الوسيط في (م هـ هـ).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ل ل).

الشرح الأدبي

هذا الحديث النبوي فاتحة لباب جديد في رياض الصالحين وهو باب "الاقتصاد في العبادة"، ويراد به الأحاديث التي تتجلى فيها مظاهر التوسط في أداء العبادة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تشدد، في إطار المأثور فعله عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة الأجلاء والتابعين من أهل السلف رضي الله عنهم، وقال الحسن منبهًا إلى يسر الإسلام: نفوسكم مطاياكم، فأصلحوا مطاياكم توصلكم إلى ربكم، فمن وفَّى النفس حقها من المباح بنية صالح العمل، ومَنَعها من شهواتها وحظها كان مأجورًا في ذلك.

والحديث الذي خُتم به الباب السابق يَعدُّ تمهيدًا لمظاهر التيسير في الإسلام: حيث تدرج المصطفى ﷺ في الحوار مع السائل، حتى وصل إلى أن الإمساك عن الشر صدقة، بعد أن نفدت استطاعة المسلم، ولم يجد ما يتصدق به، ولم يستطع أن يدخر من عمل يده، ولم يستطع أن يعين ذا الحاجة، ولم يقم بفعل الأمر بالمعروف، ففتح الرسول ﷺ طرقًا متعددة للبر حسب الاستطاعة، وكذلك العبادة في هذا الحديث الشريف الذي يبدأ به النووي بابه الجديد ليبين من خلاله حرص رسول الله ﷺ على أداء العبادة على الوجه الأكمل مع الابتعاد عن تعذيب النفس: وجلب المشقة لها، وفي قوله: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[1]، خير دليل على هذا المنهج المعتدل.

ولنتأمل جو الحديث... ومقاصده من خلال هذا المشهد الواقعي المضيء بكلمات المصطفى ﷺ وكلمات عائشة أم المؤمنين والصديقة بنت الصديق، والحديث يُرْوَى وكأننا نراه ونسمع ما دار بين النبي وعائشة رضي الله عنها، حيث دخل عليها النبي ﷺ وعندها امرأة، فقال متسائلاً من هذه؟ ولم يتوجه النبي ﷺ بالسؤال إلى المرأة نفسها، ولم يقل من أنت؟ وذلك من أدب النبوة، ومراعاة للمقام فالمرأة في ضيافة عائشة، وحسن الضيافة من حق صاحبتها، وتجيب عائشة رضي الله عنها: "هذه فلانة... وهي أعبد أهل المدينة"، وفي رواية أخرى: "لا تنام تصلي"، ولم يُذكر اسم المرأة في الحديث:

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

لأن الأمر لا يتعلق بذات المرأة: ولكن يتعلق بأمر تشريعي: وهو التوسط في العبادة، وقيل هي: الحولاء بنت ثويب، وتقول: عائشة رضي الله عنها وهي تثني على هذه المرأة، هذه فلانة تذكر من صلاتها، وهذه الجملة تحتمل معنيين في قولها: "تذكر من صلاتها" فالسياق يقتضي أن تكون المرأة هى التي تذكر لعائشة وتخبرها عن صلاتها وطريقتها وكثرتها في ذلك: حيث تقول الرواية الأخرى في مسند أحمد، "لا تنام تصلي"، وهناك رأى يقول بأن فاعل تذكر، "هي"، يعود على عائشة: وهذا بعيد عن السياق لأن الجملة من أولها جواب عن سؤال الرسول ﷺ: من هذه؟ فقالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها.

لذلك جاء تعقيب المصطفى ﷺ موضحًا المنهج الوسط الذي يقتضي الاقتصاد في العبادة: فقال: "مه عليكم بما تطيقون"، والخطاب موجه إلى المسلمين بصفة عامة، حيث لم يتوجه الخطاب إلى المرأة أو إلى عائشة ولم يضع الخطاب في صيغة نون النسوة حيث لم يقل "عليكن" ولكنه خاطب المسلمين بما فيهم الذكور والإناث "ومه" اسم فعل أمر مرتجل، كما قال النحاة: وهو ما لم يستعمل في شيء آخر قبل كونه اسم فعل و "مه" بمعنى اكفف، فالرسول ﷺ بهذا اللفظ المختصر يأمر كل مسلم بالكف عن التشدد، في أداء العبادة تشددًا يقود الإنسان إلى الإجهاد والتعب والمنهج الصحيح يقتضي التسديد والمقاربة والقصد في العبادة، وقوله: "فو الله لا يمل الله حتى تملوا"، من باب المشاكلة في الأسلوب لأن الملال محال على الله تعالى، وجاء القسم في أول العبادة ليؤكد الأمر بالعدول عن المبالغة في أداء الفرائض والنوافل، وحتى للغاية والمعنى يزيل اللبس الذي أحدثته المشاكلة اللفظية فمعناه: لا يمل الله إذا مللتم، وقيل: حتى بمعنى الواو، والتقدير: لا يمل الله وتملون، والجملة الأخيرة توضح المنهج وهو الاعتدال في العبادة، والبعد عن التشدد والمغالاة.

فقه الحديث

إن الإنسان مهما كانت قوته، محدود القدرة والاستطاعة، ينتهي عند مكان معين لا يستطيع أن يبرحه، فهو مخلوق ضعيف تتوقف استطاعته عند حد معين، ولما كان التشريع من عند الله سبحانه خالق هذا الإنسان والذي يعلم ما يستطيعه ومدى قدرته فإنه لم يكلف الإنسان ما لا يطيق، بل جعل العبادات في مقدور كل إنسان، وجعل إتيانه لها متدرجًا مع حالته، فكلما كان ضعيفًا كلما كانت له الرخص.

ولذا فقد اتخذ الفقهاء قول الله عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] أساسًا لقاعدة كلية يعملون بها في الأحكام ونصوا عليها في كثير من كتبهم وعبروا عنها بقولهم "التكليف بحسب الوسع"[2] فالعبد مطالب بعبادة الله عز وجل على قدر طاقته وما يستطيعه، وليس مطالبًا بأن يأتي بما فوق قدرته وطاقته، ففي الصلاة مثلاً يصلي الإنسان قاعدًا إن لم يستطع الوقوف، ونائمًا إن لم يستطع القعود، وبيديه وبما يستطيعه من جسمه حسب حالته وقدرته في المرض والعجز، وفي صلاة النفل يتنفل بقدر استطاعته وما يطيقه، ولا يكلف نفسه فوق طاقته فيمل ويحصل الانقطاع، وقليل دائم خير من كثير منقطع[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) المبسوط، السرخسي للسرخسي ١٨٢/١.

(٣) انظر في ذلك: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٦٦/٢ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٣٣٩/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٥٨/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: تفقد حال أهله.

ثانيًا: من الأساليب الدعوية: الأمر، والقسم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوسطية والاعتدال وعدم الغلو في الدين.

أولاً- من صفات الداعية: تفقد حال أهله:

إن الداعية إلى الله مطالب بتفقد أحوال المدعوين، والسؤال عنهم خاصة إذا افتقدهم، ومن أخص ما يُعنى به الداعية تفقد حال أهله وسؤاله عنهم وعن زوارهم وهذا ما فعله النبي ﷺ بعد دخوله على عائشة رضي الله عنها وكان عندها امرأة فقال لها: "من هذه" وقد بين ابن عثيمين (أنه ينبغي على الإنسان إذا رأى عند أهله أحدًا أن يسأل من هو، لأن من النساء من تأتي إلى أهل البيت تحدثهم بأحاديث يأثمون بها من الغيبة وغيرها)[1] وفي تفقد حال الأهل امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾[2] أي (اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار)[3] وقد أكد النبي ﷺ على أهمية ذلك فقال ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته))[4].

ثانيًا- من الأساليب الدعوية: الأمر، والقسم:

إن من الأساليب الدعوية المهمة التي لها كامل الأثر في لفت انتباه المدعوين، وحثهم على الامتثال لما يُدعون إليه، فضلاً عن استحضار قلوبهم لما تم، من ذلك الأمر والقسم على أمر من الأمور. وقد أشار الحديث إلى هذه الأساليب حيث استعمل النبي ﷺ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣٧٦/١.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٣.

أسلوب الأمر في قوله "مه عليكم بما تطيقون" وقوله: "مه" تعني أمر بالكف، فهي اسم فعل بمعنى اكفف والمعنى أن النبي ﷺ أمر هذه المرأة أن تكف عن عملها الكثير، الذي قديشق عليها وتعجز عنه في المستقبل فلا تديمه، ثم إن النبي ﷺ أمرنا أن نأخذ من العمل بما نطيق فقال: "عليكم بما تطيقون" يعني لا تكلفوا أنفسكم وتجهدوها، فإن الإنسان إذا أجهد نفسه وكلف نفسه ملت وكلت، ثم انحسرت وانقطعت[1].

فأسلوب الأمر أسلوب دعوي كثير الاستخدام، فينبغي على الداعية أن يوظفه فيما يفيد الدعوة فلا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، وأسلوب القسم في قوله "فوالله"؛ حيث أقسم النبي ﷺ وهو الصادق المصدوق، الذي لا يحتاج إلى قسم، ولكنه أقسم ليؤكد على أهمية الأمر، فالقسم كأسلوب دعوي له دوره في أن يجعل المدعو يتعلق بالدعوة، ويؤمن بها، وذلك لإدراكه أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ باليمين[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوسطية والاعتدال وعدم الغلو في الدين:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "عليكم بما تطيقون" أي أن أفضل ما يتعبد به المؤمن للتقرب من الله تعالى هو: التوسط في أمور العبادة، وترك المشقة وأخذ النفس بمنهج متشدد قد يكون بعد ذلك سببًا في الملل والفتور والتفريط؛ لذا أمر الحق تبارك وتعالى بالتوسط والاعتدال في العبادة وعدم الغلو، والغلو كلمة تدور الأحرف الأصلية لها على معنى واحد يدل على مجاوزة الحد والقدر. قال ابن فارس: (الغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاءً، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلوًا، إذا جاوز حدَّه)[3].

قال ابن حجر: (قوله: "عليكم بما تطيقون" أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يطاق من العبادة، ومفهومه

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٣٨٦.

(٢) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٤٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨٧-٣٨٨.

يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق، وقال القاضي عياض: قلت: سبب وروده خاص بالصلاة، ولكن اللفظ عام، وهو المعتبر)[١].

وقد ورد النهي في القرآن الكريم عن الغلو، وجاء الخطاب في النهي موجهًا لأهل الكتاب على وجه الخصوص ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[٢]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣].

قال ابن كثير: (ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًا أو باطلاً، أو ضلالاً أو إرشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤])[٥].

(وهاتان الآيتان وإن تعلقتا بأهل الكتاب ابتداء، فإن المراد منها موعظة هذه الأمة؛ لتجتنب الأسباب التي أوجبت غضب الله على الأمم السابقة)[٦] وكان من أعظم هذه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧١/٢.

(٦) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور ص ٦٠.

الأسباب غلوهم في الدين.

وقد رهّب النبي ﷺ من ذلك فقال ((إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ))[١] وقال ﷺ ((هلك المتنطعون))[٢] قالها ثلاثًا، وبين النووي: (أن المتنطعين هم الغالون المجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم)[٣] وأكد النبي ﷺ على أهمية التوسط والاعتدال في العبادة فقال: ((إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدُلْجَة))[٤] أي: (لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب، وألزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط)[٥].

قال ابن حجر: (قال ابن المنير: فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة)[٦]. (وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن الغلو في الدين والأمر بالتوسط والاعتدال، وفي ذلك بيان بأن الغلو خروج عن المنهج الصحيح في الدين، وتعد للحد، وعمل ما لم يأذن به الله ورسوله)[٧].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٠٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/١.

(٦) المرجع السابق.

(٧) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٤٨.

الحديث رقم (١٤٣)

١٤٣- وعن أنسٍ ﷺ قال: جاءَ ثلاثةُ رهْطٍ إلَى بُيُوتِ أَزْواجِ النَّبيِّ ﷺ يسْأَلُونَ عنْ عِبَادَةِ النَّبيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخبِروا كأَنَّهُمْ تَقَالَّوْها وقالُوا: أَين نَحْنُ مِنْ النَّبيِّ ﷺ قَدْ غُفِر لَهُ ما تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ. قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فأُصلِّي الليل أَبدًا، وقال الآخَرُ: وَأَنا أَصُومُ الدَّهْرَ أبدًا ولا أُفْطِرُ، وقالَ الآخرُ: وأَنا اعْتَزِلُ النِّساءَ فلا أَتَزوَّجُ أَبدًا، فَجاءَ رسول اللَّه ﷺ إلَيْهِمْ فقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كذا وكذَا؟، أَما واللَّهِ إنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ وَأَتْقَاكُم له لكِني أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصلِّي وَأَرْقُد، وَأَتَزَوّجُ النِّسَاءَ، فمنْ رغِب عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّى**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

رهط: الرهط: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه[2]، والمعنى: ثلاثة رجالٍ.

تقالُّوها: استقلُّوها أي: رأى كل منهم أنها قليلة[3].

رغب عن سنتي: أعرض عنها إلى غيرها[4].

سنتي: طريقتي[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٠١/٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦٩).

(٢) النهاية، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، والوسيط في (ر هـ ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ل).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٩.

الشرح الأدبي

إن التوازن من أهم معالم الشخصية الإسلامية، ومن أهم ما يعطى لحركتها في الحياة خصوصية وتفردًا، والتوازن يكون في العبادة، وفي الإنفاق، وفي المعاملات والعلاقات الاجتماعية، وفي كل مناحي النشاط في الحياة، التوازن بين المنطق العقلي والشعور القلبي، والتوازن بين القيم الروحية ومتطلبات الحياة المادية

وذلك كله في إطار التمسك بالكتاب والسنة، والاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأقواله وسيرته الكريمة.

وهذا الحديث الشريف دعوة واقعية إلى منهج التوازن في حياة المسلم اقتداء بالنبي ﷺ.

وهو ليس دعوة قولية، ولكنه مشهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية العطرة، وهذا المشهد جاء في قالبٍ سردي قصصي، ولكنه حقيقي وليس حكايةً للموعظة والاعتبار، فهؤلاء الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته هم: علي بين أبي طالب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم أجمعين، وهم من الصحابة الكرام الأخيار، وقد سألوا بعض زوجات النبي ﷺ أو الخدم، والحديث لم يحدد. وإنما يفهم من سياق الحديث أنهم سألوا مَنْ في بيوت أزواج النبي ﷺ ولذلك جاء الإخبار في صيغة، المبني للمفعول، "فلما أخبرو" أي فلما علموا وعرفوا، ولم يصرِّح الراوي بمَنْ أخبرهم لأن الأمر يتعلق بكيفية العبادة وكمِّها، ويقول النص "كأنهم تقالوها"، ولم يقل: تقالوها فقط، تأدبًا مع رسول الله ﷺ، لأنهم حسبوا أنها قليلة في تصورهم وفي فهمهم.

وقيل: إن الضمير في "تقالوها"، عائد إلى: عَملِ هؤلاء الثلاثة أنفسِهم لاستكثارهم عمل رسول الله ﷺ.

والاستفهام في قولهم: "وأين نحن من النبي ﷺ" يرجح الأول وهو إحساسهم بقلة عبادة رسول الله ﷺ، وهو غير صحيح، والاستفهام كذلك يفصح عن تقديرهم لرسول الله ﷺ، فهو معصوم وهم غير ذلك، ويجب أن يُجدّوُا في العبادة حتى يكونوا في مأمن من سوء العاقبة، حسب تفكيرهم، والتعبير بقولهم: "وقد غفر له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر" على سبيل التشريف وإكرام الله تعالى لرسوله ﷺ، لأنه معصوم، فكيف يرتكب إثمًا أو ذنبًا؟

ويُلزم الثلاثة أنفسَهم بما لا يَلْزمُ المسلمَ القيام به، ويكلفون أنفسهم ما لا يطيقون، ومن أسرار هذا البيان النبوي أن الحديث لم يحدّد الأسماء؛ لأن الأمر يتعلق بالمنهج وليس بالأشخاص، وحتى لا تكون لدى المتلقين وجمهور المسلمين بعد ذلك شبهة المخالفة التي تنسب إلى هؤلاء "الرهط" وهم من الصحابة الأجلاء، وما ألزم به هؤلاء الثلاثة أنفسهم يخرج عن منهج التوازن والاقتصاد في العبادة، فأحدهم ألزم نفسه بقيام الليل أبدًا وتلك مشقة ما بعدها مشقة، والحديث السابق يقول: "عليكم بما تطيقون"، والثاني ألزم نفسه بصيام الدهر أبدًا وهذا خارج عن حدود الاستطاعة والقدرة، والثالث ألزم نفسه بعدم التزوج واعتزال النساء أبدًا، وفي ذلك مخالفة للفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، ولنتأمل أوجه تأكيد هذه الالتزامات الشاقة، فالتعبير بقولهم: "أنا" في كل عبارة، وختام العبارة بكلمة، "أبدًا" ومجيء الأفعال (أصوم - أصلي - أفطر - أعتزل - أتزوج) في صيغة المضارع المنفي، ما عدا "أعتزل"، فهو فعل مثبت؛ كل هذا يؤكد صدق هؤلاء ورغبتهم في القيام بما ألزموا به أنفسهم، ولكن رسول الله ﷺ حينما علم بذلك الأمر: أرشدهم إلى المنهج الصحيح بالحكمة والإقناع مستشهدًا بمنهجه في صلاته وصومه، وحياته الخاصة، وهو أخشاهم لله وأتقاهم له، ومع ذلك يصوم ويفطر، ويصلي ويرقد، ويتزوج النساء، ثم يضع قاعدة شرعية قائلاً: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"، أي فليس من المقتدين بي والعاملين بسنتي، وهكذا يكون توازن المسلم في عبادته ومعاملاته وحياته أسوة بالحبيب المصطفى ﷺ، واتباعًا لسنته الحكيمة الراشدة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم صلاة الليل وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٩٨).

الثاني: حكم صيام التطوع وقد اتفق الفقهاء[١] على أن صيام التطوع متروك لقدرة الإنسان واستطاعته دون مغالاة تعطله عن ممارسة دوره في الحياة.

الثالث: حكم النكاح، وقد اتفق الفقهاء أيضًا[٢] على أن الزواج من سنة النبي ﷺ وأن حكمه الشرعي يختلف باختلاف مريد الزواج، فقد يكون واجبًا، وقد يكون مندوبًا، وقد يكون مباحًا، وقد يكون مكروهًا، وقد يكون حرامًا، أما ترك الزواج نهائيًا مع القدرة عليه فهو رهبنة، ولا رهبانية في الإسلام.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/٧٨، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٢٧٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٤٤٣، وشرح منح الجليل ٢/١٤٩، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣/٢١٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/١٨٥، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١/٤٩٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٣٣٧.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/٢٢٨ وما بعدها، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣/٨٣ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣/٤٠٣ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٣/٢٥٣ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٦/١٧٧ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/٢٠١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/٥ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢/٦٢١ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التعرف على أحوال النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التقرير والقسم والتوكيد والترهيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: ترشيد فهم المدعوين للعبادة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: القصد في العبادة وعدم الغلو.

خامسًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بسنة النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التعرف على أحوال النبي ﷺ في العبادة:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على معرفة أحوال النبي ﷺ خاصة في مجال العبادة، حتى يقفوا على ما كان يفعله ﷺ ليتأسوا به، وهذا دليل على شدة تمسكهم بدينهم وحرصهم على ذلك، ومن الشواهد في الحديث الذي معنا ما ورد في قول الراوي: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ" وهذا مسلك عظيم في حصول الفائدة واتخاذ القدوة وقد كان هذا نهجًا للصحابة رضي الله عنهم فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرنَّ إلى صلاةِ رسولِ الله ﷺ، فطرَحَت لرسولِ الله ﷺ وِسادةً، فنام رسولُ اللَّهِ ﷺ في طُولها، فجعلَ يمسحُ النومَ عن وجهه، ثم قرأ الآياتِ العَشْرَ الأواخرَ من آلِ عمرانَ حتى ختمَ. ثم أتى سقاءً مُعَلَّقًا فأخذُه فتوضأ، ثم قام يُصلّي فقمتُ فصنَعتُ مِثلما صَنَعَ. ثم جئتُ فقمتُ إلى جَنبِه، فوضعَ يدَه على رأسي، ثم أخذَ بأُذني فجعلَ يَفتِلُها. ثم صلى رَكعتَين، ثم صلى رَكعتَين، ثم صلى رَكعتَين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم أوتَرَ))[1] وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على التعرف على أحوال النبي ﷺ في العبادة للتأسي به ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٥٧٠.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التقرير والقسم والتوكيد والترهيب:

فالأسلوب التقريري ورد في الحديث من قوله ﷺ "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ وهو من الأساليب الدعوية التي يُبنى عليها استحضار الذهن ولفت انتباه المدعوين، أما أسلوب القسم فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ "أما والله" والقسم من الأساليب الدعوية التي تسترعي اهتمام المدعوين لبيان عظم المُقسم عليه، وقد ورد أسلوب التوكيد في الحديث من قوله ﷺ "إني" وبه يتم تثبيت وتوكيد ما يُدْعى إليه في أذهان المدعوين، أما أسلوب الترهيب فقد ورد في قوله ﷺ "فليس مني" وبهذا الأسلوب يتم تحذير المدعو من مخالفة ما يُدْعى إليه، وفيه حمله على الامتثال للأمر المدعو إليه.

ثالثًا- من مهام الداعية: ترشيد فهم المدعوين للعبادة:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء".

قال ابن عثيمين: (وقد أرشد النبي ﷺ فهم المدعوين في اعتقادهم أن المشقة في العبادة هي طريق الخشية، وبين ﷺ أن ذلك خلاف السنة، وأن المقياس ما جاء به الشرع ثم بين ﷺ أن الاقتصاد في الطاعة والتوسط بين الغلو والتفريط من سنته ﷺ)[1]، (لذا أنكر عليهم ﷺ هذا التشدد والتعنت، وبيّن لهم وسطية الإسلام وأن الفهم الصحيح للإسلام يقتضي أن يراوح الإنسان في أموره؛ لأن الشدة غير محببة في العبادة، لأنها أدعى للسآمة والملل والنفور، ولكن التوسط مطلوب، حتى يكون ذلك مدعاة للمواظبة والاستمرار، وقد احتسب عليهم النبي ﷺ فيما أرادوا أن يأخذوا به أنفسهم ليرشد فهمهم للعبادة)[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: القصد في العبادة وعدم الغلو:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"، وما كان الأمر بالقصد في العبادة

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ٣٨٨/١.

(٢) انظر: دور الحسبة في حماية القيم الإسلامية، د. محيي الدين عفيفي أحمد ص ٣٦-٣٧.

وعدم الغلو إلا لحكمة عظيمة وفوائد جليلة. قال د. يوسف القرضاوي: (ما كان هذا التحذير من التطرف والغلو، إلا لأن فيه عيوبًا وآفات أساسية تصاحبه وتلازمه. منها: أنه منفر لا تحتمله طبيعة البشر العادية، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه قليل منهم لم يصبر عليه جمهورهم، والشرائع إنما تخاطب الناس كافة، لا فئة ذات مستوى خاص، ولهذا غضب النبي ﷺ على صاحبه الجليل "معاذ رضي الله عنه" حين صلى بالناس فأطال حتى شكاه أحدهم إلى النبي ﷺ، فقال له: ((أفتان أنت يا معاذ؟ وكررها ثلاثًا...))[1]، ومن الحكم العظيمة في ذلك أن الغلو وعدم القصد قصير العمر، والاستمرار عليه في العادة غير متيسر، فالإنسان ملول، وطاقته محدودة، فإن صبر يومًا على التشدد والتعسير، فسرعان ما تكل دابته أو تحرن عليه مطيته في السير. وأعني بهما جهده البدني والنفسي، فيسأم ويدع العمل حتى القليل منه. أو يأخذ طريقًا آخر، على عكس الطريق الذي كان عليه، أي ينتقل من الإفراط إلى التفريط، ومن التشدد إلى التسيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله)[2].

خامسًا- من واجبات المدعو: الاقتداء بسنة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "فمن رغب عن سنتي فليس مني". وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[4]. قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، كما ثبت في

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٣.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٢٩-٣٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية:٣١.

الصحيح عن رسول الله ﷺ: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد))[1] [2]. فعلى المدعو الاقتداء والامتثال لسنة النبي ﷺ لما في ذلك من عظيم الفلاح، وكمال الأجر في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٧١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

الحديث رقم (١٤٤)

١٤٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالَهَا ثلاثًا، رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

«الْمُتَنَطِّعُونَ»: الْمُتعمِّقونَ الْمُشَدِّدُون فِي غَيْرِ موْضَعِ التَّشْدِيدِ[٢].

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث الشريف نستروح نسائم التيسير في المنهج الإسلامي من خلال هذا الوعيد الذي يتوعد به رسولُ الله ﷺ المتنطعين، فهو ينذرهم بالهلاك، وهو إخبار عن مصيرهم أو دعاء عليهم أن يؤولوا إلى هذا المصير.

وقال العلماء في بيان المراد من هذا الوصف الذي يستحق الهلاك وهو "المتنطعون"، في سياق الدلالة المنبثقة من جو الحديث الشريف ومناخ هذا الباب، وهو الاقتصاد في العبادة والاعتدال فيها، والتوازن في حياة المسلم، قال الخطابي: المتنطع: المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه، على مذاهب أهل الكلام، الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم[٣].

وهذا التعمق المكروه نابع من التكلف، والخوض في مسائل لا يُجْدي الخوض فيها ولا يفيد المسلم، وربما تؤدي بصاحبها وقارئها إلى الزيغ والضلال والبعد عن الصراط السويِّ ومدارج الكمال.

---

(١) برقم (٧/٢٦٧٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٣٨).

(٢) رياض الصالحين ١٠٥.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١/٣٣٠.

ولنتأمل جذر هذه الكلمة ومدلولها اللغوي، وارتباطها بلغة العرب صفةً ودلالةً وإيحاءً، فالتنطع في الكلام هو: رمى اللسان إلى نِطْع الفم أى الغار الأعلى؛ مبالغة من المتكلم في إظهار الكلام والتأثير في السامعين، والتَمَطُّق هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى بالفم، والتَفَيْهُق هو: الكلام من أقصى الفم، فالتنطع والتمطق والتفهيق من سمات التكلف والمغالاة.

والمغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم: هم مَنْ أصيبوا بآفة التنطع، ثم استعمل هذا الوصف، المعيب في كل تعمق قولاً وفِعْلاً، بحيث يكون تعمقًا شكليًا لا ثمرة له ولا فائدة تُرجى منه.

والحديث هنا يشمل النوعين اللذين تشملهما دلالة الوصف بالتنطع، الدلالة الحسية وهى الخاصة بالنطق والتكلف فيه، والدلالة المعنوية التي تتضمن الخوض في مسائل شائكة غامضة تحجب الحقيقة وتزلزل الثوابت في نفس المسلم، وتلقيه في جُبٍّ من الحيرة والشكوك والأوهام.

وقد بريء بيان المصطفى ﷺ ونطقه وفكره من هاتين الآفتين، بل من آفات النطق الحسية كلها، حيث بريء من عيوب النطق التي تصدر عن مبالغة وتكلف كسبًا لرضا المستمعين واستجلابًا لثنائهم مثل التنطع، والتمطق والتفهيق، وهذه العيوب التي تصيب حاسة النطق عند كثير من الخطباء والعلماء وعامة الناس، وبعض المفكرين الذين في خوضهم يلعبون، ويشككون عامة الناس وخاصتهم في ثوابت العقيدة، وحقائق التاريخ، هذا كله سَلِمَ منه حديث النبي ﷺ ومنطقه، ويقول مؤكدًا رفضه للتكلُّف في المنطق، وفي كل شيء، وللمبالغة الممقوتة في طريقة إخراج الحروف: ((وإن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون))[1].

وفي ضوء ما سبق من الدلالات اللغوية وموحياتها، وإشعاعاتها تدرك سر هذا الرفض الكامل من رسول الله ﷺ لهذا النموذج الضار، ولا بد أن نتنبه إلى خطورته وأضراره

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٦٤٢).

في المجتمع، وفي فكر الأمة، ومحاولة تشويه معالم الشخصية الإسلامية: عبادةً وفكرًا وأفعالاً وأقوالاً، ولا بد أن نحرص على الاقتداء بالنبي الكريم ﷺ، فمنطقه نابع من إنسانيته ووحى الله عز وجل له، وقبل الوحى كان منطقه جميلاً أمينًا صادقًا متزنًا، ومن وصاياه التي تعد من أسباب النجاة من المهالك: (أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك)) وقوله: ((من تكل فليقل خيرًا أو ليصمت)).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والزجر، والتكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الهلاك عاقبة الغالين.

ثالثًا: من خصوصية النبي ﷺ: أنه أُتي جوامع الكلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الوسطية والتحذير من الغلو.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والزجر، والتكرار:

قد ورد الأسلوب الخبري في الحديث من قوله ﷺ: "هلك المتنطعون" (وفي ذلك إخبارٌ منه ﷺ بهلاك المتشددين في أمورهم الدينية والدنيوية)[1] فهو أسلوب خبري بمعنى الترهيب من الغلو ومجاوزة الحد. وقد ورد أسلوب الزجر في الحديث من قوله ﷺ "هلك" وبه يتم إخافة المدعو وحمله على الامتثال إلى ما يُدعى إليه بما يحقق عظيم الفائدة، أما أسلوب التكرار فقد ورد في الحديث من قول الراوي "قالها ثلاثًا" وفي التكرار لفت للانتباه وحث من الداعية إلى المدعوين على أهمية ما يدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الهلاك عاقبة الغالين:

يظهر ذلك من الحديث في قوله ﷺ "هلك المتنطعون" (والمتنطعون هم الغالون المجاوزون الحد في أقوالهم وأفعالهم)[2]. قال القاضي عياض: (ومعنى هلاكهم: يريد في الآخرة)[3] وقد بين الحق تبارك وتعالى سوء عاقبة المغالين. وذلك في قصة بني إسرائيل

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٨٩/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٠.

(٣) إكمال المعلم ١٦٤/٨.

فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله: (إن الله تعالى أخبر عن تعنت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم، ولهذا لما ضيقوا على أنفسهم ضيَّق الله عليهم، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة كانت، لوقعت الموقع عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم)[2]. قال القرطبي: (وهذه الأوصاف في البقرة سببها أنهم شدّدوا فشدد الله عليهم، ودين الله يُسْرٌ، والتعمق في سؤال الأنبياء وغيرهم من العلماء مذموم، نسأل الله العافية. وروي في قصص هذه البقرة روايات تلخيصها: أن رجلاً من بني إسرائيل وُلد له ابن، وكانت له عجلة فأرسلها في غَيْضة. وقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لهذا الصبي. ومات الرجل، فلما كبر الصبي قالت له أمه -وكان برًا بها-: إن أباك استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها؛ فذهب فلما رأته البقرة جاءت إليه حتى أخذ بقرنيها - وكانت مستوحشة- فجعل يقودها نحو أمه؛ فلقيه بنو إسرائيل ووجدوا بقرئه على الصفة التي أمِروا بها؛ فساموه فاشتط عليهم. وكان قيمتها على ما رُوي عن عكرمة ثلاثة دنانير، فأتوا به موسى عليه السلام وقالوا: إن هذا اشتط علينا؛ فقال لهم: أرضوه في ملكه، فاشتروها منه بوزنها مرة؛ قاله عبيدة. السدي: بوزنها عشر مرات. وقيل: بملء مَسْكِها[3] دنانير)[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٨/١.

(٣) مَسْكِها: أي جلدها، لسان العرب في (م س ك).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج١/١/٤٥٤-٤٥٥.

قال ابن عثيمين: (لو أنهم استسلموا وسلموا الأمر لله وذبحوا أيَّ بقرة كانت، لحصل مقصودهم، لكنهم تعنتوا فشدد عليهم فهلكوا)[١] وفي ذلك بيان أن الهلاك والخسران والتشدد هو عاقبة الغالين.

ثالثًا- من خصائص النبي ﷺ: أنه أتي جوامع الكلم:

هذا مما فضل الله عز وجل به نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء (فقد كان ﷺ يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من قوله "هلك المتنطعون"، (وهي كلمة تجمع كل من تعمق وغالى وجاز الحد في القول والفعل)[٣]، وقد أكد النبي ﷺ خصوصيته في ذلك بقوله: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[٤]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((إِنَّ رسولَ الله ﷺ عُلِّمَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ وجَوَامِعَهُ، أَوْ جوامع الخير وفواتحه))[٥]، وقال السندي: (قوله "فواتح الخير وجوامعه" وفي بعض الروايات "فواتح الخير وخواتمه" وهو كناية عن الخير كله، وأما جوامع الخير فهي الكلمات الجامعة للخيرات)[٦]، وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى))[٧] قال الشافعي: (هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه)[٨]. وذلك دليل على خصوصية النبي ﷺ بجوامع الكلم.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ٣٨٩/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٤١٨/١٢) و(٢٦١/١٣).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، للنووي ١٥٨٠.

(٤) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٥) أخرجه أحمد ٤٠٨/١ رقم ٣٨٧٧، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٤٢٢/٦.

(٦) مسند الإمام أحمد ٤٢٣/٦، هامش ١.

(٧) أخرجه البخاري ١، ٥٤، ومسلم ١٩٠٧.

(٨) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥/١.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: التوسط والاعتدال:

(والوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة، والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم)[١]، وقد ميز الله تعالى بها أمته عن غيرها فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٢] أي: (أن ذلك وصفٌ من الله تعالى بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو، ولا أهل تقصير ولكنهم أهل توسط واعتدال، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها)[٣]، (فالإسلام منهج وسط في كل شيء: في التصور والاعتقاد، والتعبد والتنسك، والأخلاق والسلوك، والمعاملة والتشريع وهذا المنهج هو الذي سماه الله "الصراط المستقيم" وهو منهج متميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من "المغضوب عليهم" ومن "الضالين" الذين لا تخلو مناهجهم من غلو أو تفريط "فالوسطية" إحدى الخصائص العامة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز بها أمته عن غيرها)[٤].

ومن استقراء نصوص الشريعة نجد أنها تدعو إلى الاعتدال، وتحذر من التطرف وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "هلك المتنطعون" أي: (المتشددون في أمورهم الدينية والدنيوية والمتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[٥].

وقد حذر النبي ﷺ ونفر أشد النفور من هذا الغلو فقال: ((إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ))[٦] (وسبب ورود الحديث ينبهنا على أمر مهم، وهو أن الغلو قد يبدأ بشيء صغير، ثم تتسع دائرته، ويتطاير شرره، وذلك أن النبي ﷺ حين وصل إلى المزدلفة في حجة الوداع قال لابن عباس رضي الله عنهما: هلمَّ

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ٦٢٧/٢.

(٤) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٠، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٣٨٩/١.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٠٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٥٥).

القط لي - أي حصيات ليرمي بها في منى- قال: فلقطت له حصيات من حصى الخذف -يعني حصى صغارًا مما يخذف به - فلما وضعهن في يده، قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين... الحديث، يعني: لا ينبغي أن يتنطعوا فيقولوا الرمي بكبار الحصى أبلغ من الصغار، فيدخل عليهم الغلو شيئًا فشيئًا، فلهذا حذرهم)[1]، (وضابط الغلو هو الخروج عن المنهج وتعدي الحد، وعمل ما لم يأذن به الله ولا رسوله ﷺ...، ومن ذلك إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله تعالى عبادة وترهبًا...، وتحريم الطيبات التي أباحها الله على وجه التعبد، أو ترك الضرورات أو بعضها قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[2] وقال: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[3].

ومن ذلك أيضًا الغلو الاعتقادي وهو أشد خطرًا وأعظم ضررًا لما يؤدي إلى الشقاق والانشقاق، وهو المظهر للفرق والجماعات الخارجة عن الصراط المستقيم وذلك كغلو الخوارج والشيعة، ومما لاشك فيه أن الحكم على العمل بأنه غلو، ... باب خطير لا يقدر عليه إلا العلماء الذين يدركون حدود هذا العمل، وتبحروا في علوم العقائد وفروعها لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره، فقد يكون الأمر مشروعًا ويوصف صاحبه بالغلو، وها نحن نرى اليوم أن الملتزمين بشرع الله، المتمسكين بالكتاب والسنة يوصفون بالغلو والتطرف والتزمت ونحوها، ولذلك فإن المعيار في الحكم على الأعمال والأفراد والجماعات هو الكتاب والسنة، وليست الأهواء والتقاليد والأعراف والعقول وما تعارف عليه الناس، وقد ضل في هذا الباب أمم وأفراد وجماعات[4].

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥-٢٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٧-٨٨.

(٤) الوسطية في القرآن، د. علي محمد الصلابي ص ٤٨-٥٢.

الحديث رقم (١٤٥)

١٤٥-عن أَبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولنْ يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلاَّ غَلَبه، فسدِّدُوا وقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، واسْتعِينُوا بِالْغدْوةِ والرَّوْحةِ وشَيْءٍ مِن الدُّلْجةِ**» رواه البخاري[١].

وفي رواية له[٢]: «**سدِّدُوا وقَارِبُوا واغْدوا وروحُوا، وشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجةِ، الْقَصْدَ[٣] الْقصْدَ تَبْلُغُوا**».

قوله: «الدِّينُ» هُو مرْفُوعٌ عَلَى ما لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ. وروِي مَنْصُوبًا، وروِيَ: «لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ».. وقوله ﷺ: «إلاَّ غَلَبَهُ»: أَيْ: غَلَبَه الدِّينُ وَعَجزَ ذلكَ الْمُشَادُّ عنْ مُقَاومَةِ الدِّينِ لِكَثْرةِ طُرقِهِ. «والْغَدْوةُ» سيْرُ أَوَّلِ النَّهَارِ. «وَالرَّوْحةُ»: آخِرُ النَّهَارِ «والدُّلْجَةُ»: آخِرُ اللَّيْلِ. وَهَذا استَعارةٌ، وتَمْثِيلٌ، ومعْناهُ: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعةِ اللَّهِ عز وجلَّ بالأَعْمالِ فِي وقْتِ نشاطِكُمْ، وفَراغِ قُلُوبِكُمْ بحيثُ تَسْتلذُّونَ الْعِبادَةَ ولا تسأَمُونَ مقْصُودَكُمْ، كَما أَنَّ الْمُسافِرَ الْحاذِقَ يَسيرُ فِي هَذهِ الأَوْقَاتِ وَيستَرِيحُ هُو ودابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا، فيصِلُ الْمقْصُود بِغَيْرِ تَعبٍ، واللَّهُ أَعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يشاد الدين: أي يقاويه ويقاومه ويكلف نفسه من العبادة فوق طاقته. والمشاددة: المغالبة[٤].

إلا غلبه: وقوله ﷺ "إلا غلبه": أي غلبه الدين وعجز ذلك المشادُّ عن مقاومة الدين لكثرة طرقه[٥].

---

(١) برقم (٣٩).

(٢) برقم (٦٤٦٣).

(٣) لفظ البخاري: (والقصد) بزيادة الواو.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش د د).

(٥) رياض الصالحين ١٠٦.

سددوا: أي اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة وهو القصد في الأمر والعدل فيه[١].

قاربوا: أي اقتصدوا في الأمور كلها واتركوا الغلوّ فيها والتقصير. يقال: قارب فلان في أموره إذا اقتصد[٢].

الغدوة: سير أول النهار[٣].

الروْحة: سير آخر النهار[٤].

القصد القصد: أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين[٥].

الشرح الأدبي

إن التيسير في العبادات، وفي كل ما يقوم به الإنسان في حياته هو المنهج الإسلامي السديد، وهذا الحديث يرشد صراحةً إلى ذلك؛ حيث يحث النبي ﷺ المسلمين على الإكثار من الطاعات والمداومة عليها برفق ورأفة على النفس والجسم، ويبدأ الحديث بقوله ﷺ: "إن الدين يسر"، وهى جملة خبرية مؤكدة موجزة، والتأكيد هنا مبعثه الرد على منكري مظاهر التيسير في الإسلام، ومَنْ يشاكلهم من المتنطعين في الدين الذين أخبر عنهم في الحديث السابق بقوله "هلك المتنطعون"، بعد أن أجهدوا أنفسهم دون جدوى؛ فإن المنبتَّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، وإذا كان المخاطب غير منكر فالتأكيد للاهتمام بالتيسير، ولمعرفة أن هذا الدين ليس فيه مشقة بخلاف غيره من الأديان السابقة، فإنه كان فيها ذلك كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س د د).

(٢) المرجع السابق في (ق ر ب).

(٣) رياض الصالحين ١٠٦.

(٤) المرجع السابق ١٠٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ص د).

(٦) انظر: المنهل العذب، الفرات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ٩/١.

ومن الأساليب التي تؤكد المعنى وتضيء الدلالة في الحديث: أسلوب القصر: في قوله ﷺ: "ولن يشاد الدين إلا غلبه"، وفي رواية: "ولن يشادّ الدينّ أحدٌ إلا غلبه"، وفي رواية لابن عساكر: ولن يشادّ إلا غلبه، والروايات كلها من خلال أسلوب القصر ترسخ المفهوم الإسلامي، ومنهج التيسير الذي يجب أن ينتهجه المسلم لأنه لن يستطيع أن يبلغ درجة الكمال إذا قام بأكثر مما هو مطلوب منه، وحديث الرهط الثلاثة: خير شاهد على ذلك، ومعنى ذلك أنه لا يتشدد ولا يتعمق أحد في الأعمال ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيصير مغلوبًا والدين غالبًا.

وصيغة المفاعلة في قوله: "يشادَّ"، توحي بالثقل والمغالبة والمجاهدة، لأن المد والتضعيف في يشادّ يعطي للكلمة جرْسًا قويًا، ويشكل صورة للحدث القائم وهو المغالبة بين هذا المتشدد وبين الدين، والدين هو الغالب، وفي التعبير تصوير تمثيلي يجعل من الدين كائنًا محسوسًا قويًا لا سبيل إلى مغالبته، وإنما هو الغالب كما أخبر رسول الله ﷺ.

وحرصًا من المصطفى ﷺ على وجوب اتباع منهجه السوي المعتدل يوجه أربعة أوامر في صورة أفعال متتابعة تعد منافذ للخروج من دائرة التشدد والتنطع والملل فيقول: فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا، وفي الأمرين الأولين إيجاز عن طريق الحذف. وصياغة جديدة، حيث أسلوب الجواب والشرط، والمحذوف أداة الشرط وفعل الشرط، في الجملتين: فقوله: "فسددوا" اختصار مفاده حرص المسلم على السداد، وهو التوسط في العمل من غير إفراط ولا تفريط، والتقدير، إذا بينت لكم ما في المشادة من الوهن فسددوا، وكذلك قوله: "وقاربوا" فيه إيجاز بالحذف. والتقدير: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، والسداد هو: الإصابة في الأقوال والأعمال والمقاصد، والمقاربة القصد الذي لا غلو فيه: أي مجاوزة المأمور به والزيادة فيه ولا تقصير، أي إخلال بشيء منه، وما أعظم البشارة التي يزفها الحبيب المصطفى ﷺ إلى أمة الإسلام حين تلتزم بالسداد والمقاربة، ثم يرشدهم إلى الاستعانة بالأوقات الملائمة للعبادة حيث النشاط والسكون والهدوء، ويقظة الوجدان، وصفاء القلب، فيقول: "واستعينوا بالغدوة والروحة

وشيء من الدلجة"، وفي هذه النصيحة النبوية إرشاد وتقريب للمعنى، عن طريق الاستعارة التمثيلية: حيث استعار الغدوة والروحة وشيئًا من الدلجة: أي: من الليل، لأوقات النشاط وفراغ القلب للطاعة، فإن هذه الأوقات أطيب أوقات المسافر، لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنه المداومة من غير مشقة، وحسن هذه الاستعارة مبعثه أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة[1]، لأن الغدوة هي السير أول النهار، والروحة: السير آخر النهار، والدلجة آخر الليل، وقيل سير الليل كله، والحديث ينص على بعض الليل حيث يقول: "وشيء من الدلجة".

وفي الرواية الثانية وهي مكملة لهذه الرواية: يحبب الرسول ﷺ أصحابه وكل المسلمين في منهج الاعتدال والقصد في العبادة، فيأتي بأسلوب ترغيبي يتفق مع البشارة التي قدمها وهو أسلوب الإغراء.

ويتضمن إيجازًا بالحذف حيث يقول: القصدَ القصدَ تبلغوا، والتقدير الزموا القصد... الزموا القصد... تبلغوا ما تريدون، والتكرار هنا للتأكيد والحرص على اتباع المنهج الإسلامي الصحيح.

ومن جماليات الأداء التعبيري والفني في هذا الحديث، أن الصورة الأدبية فيه ليست معقدة ولا غامضة، ولا متكلفة، وإنما هى قريبة التناول، نابعة من مظاهر البيئة، غير غريبة على المسلم في بيئته العربية أو غيرها من البيئات، والصورة البيانية في الحديث النبوي من صلب المعنى، ولها فاعليتها الفنية، ولا يجد القارئ فيها فتورًا أو افتعالاً، واكتسبت الصورة الأدبية في الحديث النبوي جمالها المعنوي الروحي من كونها معبرة عن رسالة سماوية هي الأحق بالسمو، وهى كبرى الحقائق في الوجود.

ومن يقرأ الصور الحديثية، ويتأملها يجدُ العَفَوية في معالمها ومفاصلها السوية، ويجد الندى، ولا يجد الصخر المنحوت، ويلمح العَفَوية وفاعليتها في تسربها إلى النفس،

---

(١) انظر: المرجع السابق ٩/١.

فليس ثَمَّة قسر بل انهمار ندي، إذ تخرج الصورة بداهة، وتتلقفها الأنفس بداهة وإن لم تستطع فهمها بدقة لأول وهلة في بعض الأحيان، فإنها شفافة طيِّعة، ليِّنةُ العِرَاك أمام من يفتش عن وجه جمالها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من الأساليب الدعوية: التوكيد، والأمر، والتبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اليسر في الإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: القصد والتوسط في العبادة وعدم التشدد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

خامسًا: من مهام الداعية: حرصه على إفادة وتحصيل الخير للمدعوين.

أولاً- من الأساليب الدعوية: التوكيد، والأمر، والتبشير:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة في تقوية الكلام وإقراره في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "إن الدين يسر"، أما الأمر كأسلوب دعوي فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ "فسددوا وقاربوا..." وقوله "واستعينوا"، والأمر من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على حمل المدعو على فعل ما يؤمر به لأهميه وضرورة إذعان المدعو لذلك، وقد ورد التبشير كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "وابشروا" والتبشير والتشويق من الأساليب الدعوية التي تتفق وطبائع المدعوين وحبهم لمن يبشرهم بالخير، مما يساعد الداعية على ترغيب المدعوين وسرعة امتثالهم إلى ما يدعو إليه وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اليسر في الإسلام:

إن من أهم السمات الظاهرة لهذا الدين الحنيف التيسير في العبادة (والتيسير عمل لا يجهد النفس ولا يثقل الجسم. والعسر ما يجهد النفس ويضر الجسم)[2]، (وقد جمع

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد باسوف، الفصل الأول.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢/٣/١٨٥.

الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل)[١].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إن الدين يسر".

(والناظر في نصوص القرآن و السنة وهدي النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، يجدها تدعو إلى اليسر ورفع الحرج، والبعد عن التنطع والتعسير على عباد الله وحسبنا في القرآن قوله تعالى بعد آيات الصيام: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢] وفي آية الطهارة ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٣] وفي آية القصاص وإجازة العفو والصلح فيه: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٤])[٥]، أي: (أن الله تعالى يريد أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه، أعظم تيسير، ويسهلها أبلغ تسهيل. ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات)[٦].

قال د. القرضاوي: (إن كان التيسير مطلوبًا في كل زمن، فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلبًا، نظرًا لما نراه ونلمسه من رقة الدين، وضعف اليقين، وغلبة الحياة المادية على الناس، وعموم البلوى بكثير من المنكرات، حتى أصبحت كأنها القاعدة في الحياة، وما عداها هو الشاذ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، وكل هذا يقتضي التسهيل والتيسير...)[٧].

---

(١) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١٥٨/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) سورة البقرة، ١٧٨.

(٥) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ص ٢١٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩.

(٧) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ٢١٢.

وهذا ما يظهر جليًا في سيرة النبي ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه. وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِهِ في شيء قطُّ، إلا أن تُنتَهَكَ حُرمة الله، فيَنتقمُ بها لله))[1].

وعن أبي مسعود الأنصاري أنه قال: ((قالَ رجل: يا رسولَ الله إنِّي لا أكادُ أُدْرِكُ الصلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بنا فلانٌ، فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ في مَوْعِظَةٍ كانَ أشدَّ غضبًا منهُ يومَئِذٍ، فقالَ: أيُّهَا الناسُ إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِيْنَ، مَنْ صَلَّى بالناسِ فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فِيْهِمُ المريضَ والضعيفَ وذَا الْحَاجَةِ))[2]، (فإذا جاز للإنسان أن يشدد على نفسه طلبًا للأكمل والأسلم، فلا يجوز أن يشدد على جمهور الناس فينفرهم من دين الله من حيث لا يشعر، ومن هنا كان النبي ﷺ أطول الناس صلاة إذا صلى لنفسه، وأخفهم صلاة إذا أمَّ غيره، وقال في ذلك ((إذا أمَّ أحدكم الناس فليخفف، فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء))[3])[4]. وفي ذلك بيان على أن اليسر هو منهج الإسلام في العبادة وغيرها من الأعمال.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: القصد والتوسط في العبادة وعدم التشدد:

مما لاشك فيه أن التوسط والاعتدال مدار الفضائل في كثير من الأمور (فهو القصد المصون عن الإفراط والتفريط)[5]، وهو صفة الأمة الإسلامية لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[6]، وهو أحد خصائص الإسلام، وبه يكون التأسي بالرسول ﷺ وبالأصحاب الكرام. وقد أشار الحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٦، ومسلم ٣٧٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٩٠، ومسلم ٤٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٣، ومسلم ٤٦٧.

(٤) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ٢١١.

(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ٥٣٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

إلى أهمية التوسط والاعتدال وذلك في قوله ﷺ "فسددوا وقاربوا وابشروا".

قال ابن حجر في قوله "فسددوا": (أي الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل، وقوله "قاربوا" أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه، وقوله "وأبشروا" أي بالثواب على العمل الدائم، وإن قل، والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيمًا له وتفخيمًا)[1]، (وقد كان النبي ﷺ حريصًا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، وبين حظ أنفسهم وحق ربهم، بين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى في بعضهم غلوًا في جانب، قوَّمه بالحكمة ورده إلى سواء الصراط، ولما رأى في بعض أصحابه إفراطًا في التعبد والصيام والقيام، على حساب جسمه وأهله ومجتمعه، قال له: ((فإنَّ لجسَدِكَ عليك حقًا وإن لِعَينكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَوجكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَورِك عليكَ حقًا))[2] وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر، والتزم الثاني أن يقوم فلا ينام، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا- قال لهم: ((أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر، وأصلّي وأرقُد، وأتزوجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[3]...، وهكذا تعلم الصحابة رضي الله عنهم أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة. يقول القائد الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا). ولم يشعروا بتعارض قط بين عملهم لدينهم، وعملهم لدنياهم، بل شعروا بالوحدة والانسجام والامتزاج، كانت شعائرهم وواجباتهم الدينية، تعطيهم زادًا وشخصية قوية، يواصلون بها الكفاح لدنياهم. وكانت أعمالهم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٧، ١١٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

الدنيوية، عونًا لهم على أداء فرائضهم الدينية. كانوا يعتقدون أنهم -في عبادتهم ومساجدهم- ليسوا مقطوعين عن الدنيا، كما أنهم - في مزارعهم ومتاجرهم وحرفهم- غير بعيدين عن الدين، فأعمالهم هذه عبادة إذا صحت فيها النية، والتزمت حدود الله)[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

(لقد كان النبي ﷺ يستعين على توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع تحت حسّهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، (وضرب الأمثال ليس مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية تحققت نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الاداء. ومن أهم هذه الأهداف التربوية: تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[٣].

وهذا ما ورد في الحديث من تقريبه ﷺ لمعنى القصد والاعتدال في العبادة (وذلك بضرب المثل في بيان حال المسافر الذي يسير في أول النهار وبعد الزوال وآخر الليل فيصل إلى مقصوده دون مشقة وتعب لتحريه السير في أوقات نشاطه، لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعًا عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة، وكذلك الأمر في العبادة، فالأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع)[٤].

وفي ذلك بيان على أهمية ضرب المثل كأسلوب دعوي في إيصال المعنى وبيانه في أذهان المدعوين.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ١٤٤-١٤٥.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٨.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ٣٣١.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٨/١.

خامسًا- من مهام الداعية: حرصه على إفادة وتحصيل الخير للمدعوين:

قد ورد في الحديث ما يؤكد حرصه ﷺ على إفادة وتحصيل الخير للمدعوين وذلك في قوله ﷺ "واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" (ومما لاشك فيه أن الداعية المسلم متبع للنبي الكريم ﷺ وهو وارثه في مهمته الإرشادية، وعليه أن يتصف بما اتصف به ﷺ، كي يتمكن من أداء مهمته على الوجه المطلوب.

ومن صفاته الكريمة أنه كان شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم وتحصيل الخير لهم. وقد وردت آيات كريمة تصوّر لنا صفته هذه. ومن تلك الآيات: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وقوله عز من قائل: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2].

وليس هذا فحسب، بل كان يتضايق من عدم استجابة الناس للحق حتى كاد يهلك نفسه غمًا وأسفًا عليهم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[3].

ويقول سبحانه أيضًا: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[4].

ويقول عز من قائل أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ[5] نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[6].

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٤) سورة فاطر، آية: ٨.

(٥) باخع: يقول الراغب الأصفهاني: "البخع قتل النفس غمًا، قال تعالى: "فلعلك باخع نفسك" حث على ترك التأسف. المفردات في غريب القرآن ص ٣٨.

(٦) سورة الكهف، آية: ٦.

هذا، وقد بيّن رسول الله ﷺ أيضًا حرصه الشديد على إبعاد أمته عن كل ما يضرّهم بأمثلة رائعة جدًا. ومنها ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا فجعل الجنادب[١] والفراش[٢] يقعن فيها، وهو يذبّهن عنها وأنا آخذ[٣] بحجزكم عن النار وأنت تفلّتون[٤] من يدي))[٥].

وحينما ننظر إلى سيرته المطهرة عليه الصلاة والسلام نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له.

نجده ﷺ يدعو فوق الجبل، وفي المسجد، والطريق، والسوق، وفي منازل الناس في المواسم، وحتى في المقبرة. كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر، وفي الأمن والقتال، وفي صحته ومرضه، وحينما كان يزور أو يُزار.

وكان يوجّه دعوته إلى من أحبوه، ومن أبغضوه، وآذوه، ومن استمعوا إلى دعوته، ومن أعرضوا عنها.

وبعث ﷺ الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكن من الذهاب إليهم بنفسه.

---

(١) الجنادب: جمع جندب، وهو الصرار الذي يشبه الجراد. وقال أبو حاتم: الجندب على خلقة الجراد له أربعة أجنحة كالجرادة وأصغر منها، يطير ويصر بالليل صرًا شديدًا. وقيل غيره. انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٤١٨.

(٢) الفراش هو الذي يطير كالبعوض. وقال غيره: ما تراه كصغار البق يتهافت في النار. انظر: المرجع السابق ١٤١٨.

(٣) آخذ: روي بوجهين: اسم فاعل بكسر الخاء وتنوين الذال. والثاني: فعل مضارع بضم الذال بلا تنوين وهما صحيحان. شرح النووي على صحيح مسلم ١٤١٨.

(٤) تفلتون: رُوي بوجهين: أحدهما بفتح التاء وتشديد اللام. والثاني: ضم التاء وإسكان الفاء وكسر اللام المخففة، وكلاهما صحيح. يقال: "أفلت مني" و"تفلت": إذا نازعك الغلبة والهرب ثم غلب وهرب. انظر: المرجع السابق ١٤١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

واستمرّ ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمِّرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى. صلوات ربي وسلامه عليه)[1].

فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في إفادة الخير وتحصيله للمدعوين ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2] وفي ذلك عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ١٧-١٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (١٤٦)

١٤٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمسْجِدَ فَإِذَا حبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فقالَ: «ما هَذَا الْحبْلُ؟» قالُوا: هَذا حبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ[1]. فقال النَّبِيُّ ﷺ: «[2] حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ» متفقٌ عليه[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

السارِيتين: السارية: الأسطوانة وهي العمود[4].

فترت: أي كسلت عن القيام في الصلاة، ووقع عند مسلم بالشك ((فإذا فترت أو كسلت))[5].

الشرح الأدبي

ما أشد حرص المصطفى ﷺ على أمته، وما أرفقه بها، وهو لا يترك مناسبة أو موقفًا إلا ويحدد للأمة مقصدًا من مقاصد التشريع، وهذا التحديد يتجلى في سلوك عملي، أو توجيه قولي، أو إقرار لفعل سديد، أو رفض لأمر عن السداد بعيد، وهو في كل هذه المواقف يخط للأمة منهج الترغيب، وفي مواقف أخرى يتوجه إلى بعض المغالين بالترهيب، وهو في الحالين على أمته وبالمؤمنين رءوف رحيم.

ونقتبس من هذا الحديث الشريف صرامةَ موقف الرسول ﷺ وشدته في مواجهة بعض الظواهر التي تفصح عن التشدد في العبادة، مع سلامة القصد، وحسن النية ممن

---

(١) (به) لا توجد عند مسلم، وهو عند البخاري.

(٢) عند مسلم زيادة: (لا) وهي ليست عند البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٧٨٤/٢١٩).

(٤) النهاية، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، والوسيط في (س ر ى).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤/٣.

كانوا يقومون بمثل هذا في عهد النبي ﷺ، ومع ذلك لم يتسامح رسول الله ﷺ مع مثل هذه الظواهر التي ربما تتحول بمرور الزمن إلى اعتقاد، وتؤول إلى بدعة، وإلحاق للدين بما ليس فيه.

والحديث يمثل مشهدًا واقعيًا من مشاهد السيرة النبوية، فأحداثها كلها مشاهد تشريعية، وخاصة بعد نزول الوحى وبدء الدعوة الإسلامية، وهذا المشهد يجمع بين السرد والحوار، ثم التوجيه النبوي الآمر والحاسم لتجلية الوجه الأمثل وهو: القصد في العبادة.

فأما السرد فهو ما يحكيه الراوي الأعلى أنس بن مالك رضي الله عنه: حيث يقول راصدًا المشهد الأول من هذه القصة: "دخل النبي المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين"، وفي الجملة السردية هنا بعض الملامح الأسلوبية ومنها: التعبير بالفعل، "دخل"، وهو يدل على التمكن من الدخول، ورؤية مَنْ بالمسجد، ولم يقل جاء النبي، لأن المجيء لا يعني الدخول، ووقته غير محدد، وأل في المسجد للعهد: وهو المسجد النبوي بالمدينة، فالذهن لا ينصرف إلى غيره في ذلك الوقت، والآن كذلك: ولفظ "النبي" وهو مَنْ قام بفعل الدخول، يظل قرينة وشاهدًا على أن المسجد: هو المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

والجملة: السردية الثانية: قوله، "فإذا حبل ممدود بين الساريتين"، والتعبير بإذا الفجائية يفصح عن حقيقة موقف الرسول ﷺ من هذا العمل: وصاحبه الذي قام به، وأل في "الساريتين" للعهد وكأنهما كانا معهودين بين المخاطبين، كما قال صاحب كتاب دليل الفالحين.

ولنتأمل موقف رسول الله ﷺ من هذا الأمر المفاجئ، إنه موقف الحكمة، والتوجيه السديد، حيث يبدأ الحوار الحكيم الهادئ، وهو الجزء الثاني من هذه القصة الواقعية، ويسأل رسول الله ﷺ عن الحبل نفسه، ولم يسأل عن صاحب الحبل، وفي ذلك نأْيٌ عن إحراج صاحبه، وقوله: "ما هذا الحبل": استفهام يجمع بين الدهشة والاستنكار، فوجود الحبل في ذاته يثير التساؤل: كيف وجد؟ ولماذا وجد؟ وتأتي إجابة الحاضرين متسمة بالشمول: حيث أوضحوا لماذا مُدّ الحبل بين الساريتين، وبينوا

صاحبته وهى زينب، وقالوا: هذا حبل لزينب، وفي رواية مسلم "تصلى فإذا افترت تعلقت به"، ومما يدل على شدة استنكار الرسول ﷺ لهذا الصنيع، مجيئه باسم الإشارة في سؤاله مع لفظ الحبل، ولم يقل: لم هذا الحبل، ولكنه قال: ما هذا الحبل.

وكرر الحاضرون اللفظين فقالوا: "هذا حبل لزينب" لتحديد المسؤولية، ورفع الحرج عن الآخرين، وهو عمل في ظاهره مقبول وممدوح: لأنه يدل على التعلق بالعبادة والإكثار من صلاة التنفل والتطوع، ولكن رسول الله ﷺ يرشد أمته كلها ولا يختص زينب بالأمر، فيأمر بحل الحبل، والأمر جماعي "حُلّوه"، رغبة في التيسير، ثم يوضح أن الإنسان يصلى فإذا فتر فليرقد، وليسترح مغفورًا له.

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يلي:

١- التعلق بالحبل في الصلاة: قال ابن حجر: (واستدل به [أي الحديث] على كراهة التعلق في الحبل في الصلاة)[١] وقال في موضع آخر: (التعلق بالحبل عند التعب والاعتماد على العصا ونحوهما، قد رخص فيه بعض السلف)[٢].

٢- القعود عن القيام في الصلاة: قال ابن حجر: (قوله "فليقعد" يحتمل أن يكون أمرًا بالقعود عن الصلاة فيستدل به على جواز افتتاح الصلاة قائمًا والقعود في أثنائها)[٣].

٣- قطع النافلة: قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون أمرً بالقعود عن الصلاة، أي

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٩/١ ط بيت الأفكار.

(٢) المرجع السابق ٧٨٤/١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٠٨/٣٤ ومراجعها ومصادرها: الدر المختار ٤١١/١، ٤١٤، ٤١٥، والكتاب القدوري وشرح اللباب ٦٩/١، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير ٣١٢/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣٤٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٥٨/٣-٢٦٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٥٠/٤-٤٥١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٩/١.

يترك ما كان عزم عليه من التنفل، ويمكن أن يستدل به على جواز قطع النافلة بعد الدخول فيها)[١].

٤- التنفل في المسجد: قال النووي: (فيه جواز التنفل في المسجد فإنها كانت تصلّي النافلة فيه فلم ينكر عليها)[٢] وقال ابن حجر: (فيه جواز تنفل النساء في المسجد)[٣].

٥- إزالة المنكر باليد: قال النووي: (فيه إزالة المنكر باليد إذا تمكن منه)[٤] وقال ابن حجر: (وفيه إزالة المنكر باليد واللسان)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المساجد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر.

ثالثًا: من مهام الداعية: التيسير على المدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: القصد في العبادة وعدم الغلو.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده.

أولاً- من ميادين الدعوة: المساجد:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي "دخل النبي ﷺ المسجد".

(ومما لا شك أن المسجد يعد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، فهو مركز اجتماعهم في صلواتهم خمس مرات في اليوم والليلة، وقد تربى وتعلّم أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد، وانطلقت البعوث منه، وانطلق المد الإسلامي من المسجد ليعم الدنيا كلها شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا. لقد كان المسجد هو الجامعة، فقد انطلقت منه

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٩/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٦٩/١.

جيوش الإسلام للفتح الإسلامي ولإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وقد عظّم الله شأن المسجد ورفعه فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] ومن هنا يتحتم علينا كمسلمين أن نعمل على إعادة دور المسجد في المجتمع الإسلامي باعتباره من أهم الميادين الدعوية إلى الله)[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث في سؤال النبي ﷺ في قوله: "ما هذا الحبل؟ وإجابة الصحابة رضي الله عنهم لذلك في قولهم: هذا حبل، لزينب..." ومما لاشك فيه أن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي تعمل على تجلية الأمور، وتفتح باب الحوار بين الداعية والمدعو، وتعمل على جذب انتباه المدعوين لمعرفة الإجابة وفي ذلك عظيم الفائدة، أما الأمر كأسلوب دعوي فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ "حُلّوه" والأمر من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إرشاد المدعوين وتوجيههم إلى فعل المأمور به.

ثالثًا- من مهام الداعية: الرفق والتيسير على المدعوين:

(إن التيسير سمة ظاهرة في الدين تتجلى في عقائده وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، وقد جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة؛ فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل)[3]، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد" (أي: أن على المرء ألا يكلف نفسه ما لا يطيق بل

---

(١) سورة النور، آية: ٣٦-٣٧.

(٢) انظر: رسالة المسجد، عبدالمعطي بهجت ص ٤٢، ٤٥.

(٣) انظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١٥٨/١.

يعاملها بالرفق واللين دون إفراط أو تفريط)[١].

وقد بين د. يوسف القرضاوي مكانة "التيسير" في هذا الدين بقوله: (التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان وكثرة أعبائه، وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه. وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد، كما أن هذا الدين لم يجيء لطبقة خاصة، أو لإقليم محدود، أو لعصر معين، بل جاء عامًا لكل الناس، في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأجيال، وإن نظامًا يتسم بهذا التعميم وهذه السعة، لابد أن يتجه إلى التيسير والتخفيف، ليتسع لكل الناس، وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال، وهذا ما يحسه ويلمسه كل من عرف هذا الدين، فالقرآن ميسر للذكر، والعقيدة ميسرة للفهم، كما أن الشريعة ميسرة للتنفيذ والتطبيق. ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلفين، كيف وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[٤] كما علّم المؤمنين أن يدعوا ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٥] وقد نفى القرآن كل حرج عن هذه الشريعة، كما نفى عنها العنت والعسر، وأثبت لها التخفيف واليسر. قال تعالى وهو يحدثنا عن رخص الصيام، من الفطر للمريض والمسافر: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٦].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٣٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

وقد جاءت الأحاديث تؤكد هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير نقرأ فيها قوله ﷺ: ((إني أرسلت بحنيفية سمحة))[١] وقوله: ((إنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[٢] وقوله ﷺ لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن: ((يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا...))[٣]. وقد كانت سمة الرسول ﷺ المميزة له في كتب أهل الكتاب هي سمة الميسر، ورافع الآصار، والأغلال التي أرهقت أهل الأديان السابقة، كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[٤])[٥].

(ومن هنا أصبح من القواعد الفقهية الأساسية قاعدة "المشقة تجلب التيسير" وهناك أشياء عديدة اعتبرتها الشريعة من أسباب التيسير والتخفيف، منها السفر، والمرض، والإكراه، والنسيان، والجهل، والعسر، وعموم البلوى، والنقص. ولكل منها أحكام فصلتها كتب الشريعة)[٦]. فعلى الداعية إلى الله أن يسلك مسلك التيسير مقتديًا في ذلك برسول الله ﷺ ومتبعًا لمنهج الدين الذي أمر بالرفق واللين، والتيسير على جميع المسلمين.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: القصد في العبادة وعدم الغلو:

قد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك من قوله ﷺ "ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد"، قال ابن حجر في شرح الحديث (وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال عليها بنشاط)[٧] (فالغلو لا يخلو من جور على حقوق

---

(١) أخرجه أحمد ١١٦/٦ رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي ٣٤٩/٤١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٤٢، ومسلم ١٧٣٢ واللفظ له.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٥) الخصائص العامة للإسلام، ١٧٧-١٧٩.

(٦) انظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد الزرقا، ١٥٧-١٦٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٤٥/٣.

أخرى يجب أن تراعى وواجبات يجب أن تؤدى، وما أصدق ما قاله الحكماء: ما رأيت إسرافًا إلا وبجانبه حق مضيع. وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو حين بلغه إنهماكه في العبادة انهماكًا أنساه حق أهله عليه: ((ألم أُخْبَرْ أَنَّكَ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ؟ قال عبدالله رضي الله عنه فقلتُ: بلى يا رسولَ الله. فقال ﷺ: لا تَفعلْ، صُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَم، فإنَّ لجسدِكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لعَينِكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَوجكِ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَورِكَ "زوّارك" عليكَ حقًا))[1])[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "فإذا تعب فليرقد" وفي ذلك بيان على عظيم رحمة الله بعباده فهو القائل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾[3] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وفي بيان عظيم رحمة الله تعالى بعباده قال ﷺ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ قَدْرَ رَحْمَةِ اللَّهِ لاتَّكَلْتُمْ، قال أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أحسبه قال: عليها))[5].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ على النبيّ ﷺ سَبيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثَديَها تَسقي، إذا وَجدَت صَبيًّا في السبي أَخَذَته فألصَقَتْه ببَطنها وأرضَعَتْه. فقال

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٧٤، ومسلم ١١٥٩.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ص ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٥) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٣/١٠، رواه البزار وإسناده حسن.

لنا النبيُّ ﷺ: أتُرَونَ هذهِ طارحةً وَلدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تَقدر على أن لا تَطرَحهُ. فقال: اللّهُ أرحمُ بعباده من هذهِ بولَدها))[1].

وفي ذلك بيان على عظيم رحمة الله تعالى بعباده. فهو الرؤوف الرحيم، الذي لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٧٥٤.

الحديث رقم (١٤٧)

١٤٧- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا نَعَسَ أَحدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فإن أَحدَكم إِذَا صلَّى وهُو نَاعَسٌ لا يَدْرِي، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ، فيَسُبُّ نَفْسَهُ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يذهب يستغفر: يقصد أن يستغفر[2].

يسب نفسه: أي يدعو على نفسه[3].

الشرح الأدبي

تتقاطر من هذا الحديث أنداء الرحمة، وتشع بوارق الإشفاق، لأن الصلاة مناجاة بين العبد وربه، وهي في مدلولها اللغوي بمعنى: الدعاء والخشوع، وفي مدلولها الاصطلاحي تترجم هذا الخشوع إلى أداء عملي فهي في الشرع: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم، والمؤمن يقف خاشعًا، فارغ البال أمام الكبير المتعال، الذي يعلم السر وأخفى، فلابد أن يكون يقظًا، متنبهًا مدركًا أسرار أقواله، وواعيًا الحكمة من أفعاله. والأقوال قرآن يُتلى في القيام، وتشهُّد يقال في الركعتين الثانية والأخيرة، والتشهد خطاب صادق لله عز وجل ورسوله الكريم، وتحيات مباركات وصلوات طيبات لله عز وجل، واعتراف بربوبيته وألوهيته، وصلاة وتسليم على المبعوث رحمة للعالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢) واللفظ له، ومسلم (٧٨٥/٢٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٩٣٨). وسيكرره المؤلف برقم (١١٨٧).

(٢) انظر: الوسيط ٣١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/١.

فهل في غمرة هذا الخشوع الجليل، وفي فيوضات هذه الأقوال والأفعال المأمور بها من رب العالمين، هل يجوز أن يكون الإنسان غافلاً، أو ناسيًا أو ذاهلاً، لا يعي ما يقول؟ ولا يدري في أي ميدان يصول؟ وهذا ما يرشدنا إليه هذا الحديث الشريف: الذي ترويه الصديقة بنت الصديق: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو يوضِّح ويفصِّل القضية التي أثارها الحديث السابق: حيث أمر رسول الله ﷺ بحلِّ الحبل الذي مدته زينب بنت جحش رضي الله عنها بين ساريتين بالمسجد لتتعلق به إذا تعبت من الصلاة، وهذه مشقة في أداء العبادة ينصح الرسول ﷺ بالابتعاد عنها. وفي هذا الحديث تأتي تعليماته وإرشاداته المضيئة بالتيسير والإشفاق، والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين: إحداهما شرطية، والثانية اسمية مؤكدة، فأما الأولى: فقوله: "إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد: حتى يذهب عنه النوم"، ولنتأمل مكونات هذه الجملة لأنها تجسد المعنى المراد، فأداة الشرط: "إذا" وهى ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، وتفيد التحقيق، ودلالة ذلك أن رسول الله ﷺ ينبه إلى حالات قد تحصل في المستقبل، وقد وقع بعضها فعلاً، ويحدث لكثير من الناس أن يصيبه النعاس وهو يصلي من الإجهاد أو كثرة النوافل والقيام طول الليل، ولذلك جاء بالفاعل عامًا، وقال: "أحدكم"، لإفادة العموم وعدم التحديد الشخصي أو المكاني أو الزماني، وجملة: "وهو يصلي"، في موقع الحال، أي غلبه النعاس حالة كونه متلبسًا بالصلاة، وقال العلماء: يتم صلاته ثم يستريح ويرقد حتى يذهب عنه النوم، والبيان النبوي هنا يتسم بالدقة التعبيرية حيث قال: "إذا نعس"، ولم يقل "إذا نام" لأن النعاس ليس نومًا وإنما هو مقدمة النوم، وعلامته سماع كلام الحاضرين وإن لم يفهم معناه، فهو بين اليقظة والنوم، واللام في "فليرقد"، للأمر، فيجب على المسلم أن لا يصلي وهو فاتر الهمة يغلبه النعاس، ولا يعي ما يقول ولا ما يفعل... لأنه لا صلاة له في هذه الحالة.

وأما الجملة الثانية فهي تعليل للأمر الصادر في جواب الجملة الأولى، والجملة تتكون من إن واسمها وخبرها، فهي يغلفها التوكيد حيث تبدأ "بإن"، ولكن حين نتأمل مكونات جملة الخبر ومتعلقاته، نرى أنه تتداخل فيه عدة جمل وفي مقدمتها،

جملة الشرط، "إذا صلى" ثم الجملة الحالية، "وهو ناعس" ثم جملة الجواب المنفي، "لا يدري"، ثم جملة الإشفاق أو الترجي في قوله واصفًا حال هذا الناعس، "لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه"، وهذا يدل على فقد الإدراك، فهو يرجو من الله تعالى المغفرة، ولكن في حال النعاس لا يدري ماذا يقول: فيدعو على نفسه أو يسبها: فيزيد العصيان على العصيان.

وتداخل الجمل في الجملة الثانية من الحديث يعد رصدًا وتجسيدًا لحال ذلك الغافل الناعس الذي تختلط عليه الأمور، ولا يدري ماذا يفعل ولا ماذا يقول!!؟.

فقه الحديث

١- نقض النوم للوضوء: قال ابن حجر: (قوله "فليرقد" وللنسائي من طريق أيوب عن هشام "فلينصرف" المراد به التسليم من الصلاة، وحمله المهلب على ظاهره فقال: إنما أمره بقطع الصلاة لغلبة النوم عليه، فدل على أنه إذا كان النعاس أقل من ذلك عفى عنه، قال: وقد أجمعوا على أن النوم القليل لا ينقض الوضوء، وخالف المزني فقال: ينقض قليله وكثيره، فخرق الإجماع، كذا قال المهلب، وتبعه ابن بطال وابن التين وغيرهما، وقد تحاملوا على المزني في هذه الدعوى، فقد نقل ابن المنذر وغيره عن بعض الصحابة والتابعين المصير إلى أن النوم حدث ينقض قليله وكثيره، وهو قول أبي عبيد وإسحاق بن راهويه، قال ابن المنذر: وبه أقول لعموم حديث صفوان بن عسّال يعني الذي صححه ابن خزيمة وغيره، ففيه ((إلا من غائط أو بول أو نوم))[1] فسوى بينهما في الحكم، والمراد بقليله وكثيره طول زمانه وقصره لا مباديه، والذين ذهبوا إلى أن النوم مظنة الحدث اختلفوا على أقوال:

أ-التفرقة بين قليله وكثيره، وهو قول الزهري ومالك.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٤٠، والنسائي ١/٨٣، ٨٤، والترمذي ٩٦، من حديث صفوان بن عسال > قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفرًا أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة لكن من غائط وبول ونوم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١/٣٠، ١٨٠٩٣.

ب-وبين المضطجع وغيره، وهو قول الثوري.

ج-وبين المضطجع والمستند وغيرهما وهو قول أصحاب الرأي.

د-وبينهما والساجد بشرط قصده النوم وبين غيرهم وهو قول أبي يوسف.

هـ-وقيل: لا ينقض نوم غير القاعد مطلقًا وهو قول الشافعي في القديم، وعنه التفصيل بين خارج الصلاة فينقض أو داخلها فلا. وفَصَّل في الجديد بين القاعد المتمكن فلا ينقض وبين غيره فينقض.

و-وقد صح عن أبي موسى الأشعري وابن عمر وسعيد بن المسيب أن النوم لا ينقض مطلقًا، وفي صحيح مسلم وأبي داود: ((وكان أصحاب النبي ﷺ ينتظرون الصلاة مع النبي ﷺ فينامون ثم يصلون ولا يتوضؤون))[1] فحمل على أن ذلك كان وهم قعود، لكن في مسند البزار بإسناد صحيح في هذا الحديث "فيضعون جنوبهم، فمنهم من ينام، ثم يقومون إلى الصلاة")[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية النشاط وحضور القلب في العبادة.

ثانيًا: من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التيسير على المكلفين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاحتياط في العبادة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التعليل.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٧٦، وأبو داود ٢٠٠ واللفظ قريب من لفظ مسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١، وانظر لمزيد من التفصيل في: اختلاف الفقهاء في عدّ النوم ناقضًا للوضوء، انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٣٨٧/٤٣-٣٩٣ ومراجعها: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي٩/١-١٠، ورد المحتار مع حاشية ابن عابدين ٩٥/١-٩٦، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير ١٤١/١، وشرح الزرقاني ٨٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٤/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢/٢-٢٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٧٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٩٩/١-٢٠٠.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية النشاط وحضور القلب في العبادة:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية النشاط وحضور القلب في العبادة، حيث يؤكد النبي ﷺ على أهمية النشاط في العبادة وما يترتب على ذلك من حضور القلب؛ لأن ذلك أدعى لاستشعار روح العبادة، ومن ثم الفوز بثمرتها، وهذا يتضح من قوله ﷺ: ((إذا نَعَسَ أَحَدُكم وهوَ يُصلِّي فلْيَرْقُدْ حتى يَذهَبَ عنه النومُ))، قال النووي: "فيه الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع وفراغ قلب ونشاط"[١].

وقد جاءت أحاديث كثيرة تحثُّ على حضور القلب والنشاط في العبادة، مثل قوله ﷺ: ((إذَا نَعَسَ احدُكم في الصلاةِ فليَنَمْ حتى يَعلمَ ما يقرأُ))[٢].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أنه لا ينبغي للإنسان أن يقرأ حتى يعلم ما يقرأ، لأن المراد من القراءة تدبرها، فإذا غلب النوم حال بين التالي [القارئ] وبين المقصود)[٣].

وقوله ﷺ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ[٤]، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ))[٥].

وقوله ﷺ: ((لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ))[٦].

قال النووي: (في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله، لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع)[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣١، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/١.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٢٨٦/٥.

(٤) أي استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبة النعاس، شرح النووي ٥٣٢

(٥) أخرجه مسلم ٧٨٧.

(٦) أخرجه مسلم ٥٦٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤١٩.

وقال عبدالله البسام: (مثل مدافعة الأخبثين، كل ما يشغل باله من ريح في جوفه أو حرّ أو برد شديد أو جوع أو عطش مفرط أو غير ذلك مما يذهب عنه الخشوع وحضور القلب، فإن حضور القلب هو لبّ الصلاة، فإذا لم يوجد فهي صور وأشباح تجزي صاحبها ولكنه لم تُنِله مقام المؤمنين المفلحين الذين هم في صلاتهم خاشعون"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الإشفاق على المدعو:

إن من الصفات المهمة التي يجب أن يتحلى بها الداعية أن يشفق على المدعو، وهذا يتبين بجلاء في قوله ﷺ: "فليرقد حتى يذهب عنه النوم"، فقد أشفق ﷺ على من يصلي حتى غلبه النعاس بأن أمره بأن يرقد حتى يذهب عنه النوم، كما علّل هذا الأمر بما هو آكد في الإشفاق على المدعو، وهو ألا يدعو على نفسه، وقد كان يريد الدعاء لها.

وقال الله تعالى عن محمد ﷺ -وهو إمام الدعاة إلى الله-: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

قال السعدي عن قوله تعالى: "بالمؤمنين رءوف رحيم": (أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم)[٣].

وقال ﷺ: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ))[٤].

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصفة ونجاح الداعية في استخدامها، ما قاله صفوان بن أمية عندما أعطاه النبي ﷺ مائة من النعم ثم مائة ثم مائة، فقال صفوان: "والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض إليّ فما برح يُعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ"[٥].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٥١٣/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٦).

(٥) أخرجه مسلم ٢٣١٣، وانظر: الشفا ١٨٧/١.

قال أبو بكر الآجريُّ عن أخلاق الداعية العالم مع من يربيهم: (فأما أخلاقه مع مجالسيه فصبور على من كان ذهنه بطيئًا عن الفهم حتى يفهم عنه، صبور على من جهل عليه حتى يردّه بحلْم، يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب، لا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم، ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم، فإن تخطى أحدهم إلى خلق لا يحسن بأهل العلم لم يجبهه على جهة التبكيت له، ولكن يقول: لا يحسن بأهل العلم والأدب كذا وكذا، وينبغي لأهل العلم أن يتجافوا كذا وكذا، فيكون الفاعل لخلق لا يحسن قد علم أنه المراد بهذا فيبادر برفعه.. لا يعنف السائل بالتوبيخ فيخجله، ولا يزجره فيضيع من قدره ولكن يبسط في المسألة ليجبره فيها... ويحثه على طلب علم الواجبات مِنْ علم أداء فرائضه واجتناب محارمه، يقبل على من يعلم أنه محتاج إلى علم ما يسأل عنه، ويترك من يعلم أنه يريد الجدل والمراء، يقرب عليهم ما يخافون بعده بالحكمة والموعظة الحسنة، يسكت عن الجاهل حلمًا، وينشر الحكمة نصحًا، فهذه أخلاقه لأهل مجلسه)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التيسير على المكلفين:

إن من موضوعات الدعوة البارزة في هذا الحديث التيسير على المكلفين. وذلك واضح من أمر النبي ﷺ: "يرقد حتى يذهب عنه النوم".

وقد جاءت الآيات والأحاديث تنصُّ على تيسير الله على المكلفين، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]، أي: (يريد الله تعالى بكم اليسر والسهولة في شرائعه ولا يريد بكم العسر والمشقة)[3].

وقد ضرب النبي ﷺ لأصحابه مثالاً عمليًا في التيسير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري (٣٦٠هـ)، تحقيق: أمينة عمر الخراط ص ٥٢، وانظر: المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٦٥ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ص ٢٨.

قام أعرابيٌّ فبالَ في المسجدِ، فتناوَلَهُ الناسُ، فقالَ لهمُ النبيُّ ﷺ: ((دَعوهُ، وهَريقوا على بَولِهِ سَجْلاً من ماءٍ -أو ذَنوبًا منْ ماءٍ- فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[١].

قال ابن حجر: (إسناد البعث إليهم على طريق المجاز لأنه هو المبعوث ﷺ بما ذكر، لكنهم لما كانوا في مقام التبليغ عنه في حضوره وغيبته أطلق عليهم ذلك، إذ هم مبعوثون من قبله بذلك، أي مأمورون، وكان ذلك شأنه ﷺ في حق كل من بعثه إلى جهة من الجهات يقول: "يسروا ولا تعسروا")[٢].

قال ابن هبيرة: (كل شيء يكون فيه الأمر بين أمرين، فإن الأحسن بمن يريد توخي أوامر رسول الله ﷺ أن يختار أيسرهما على أعسرهما)[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاحتياط في العبادة:

إنّ الاحتياط في العبادة من الموضوعات التي يجدر بالداعية أن يهتم بها، وقد اتضح ذلك جليًا في قوله ﷺ: ((لعلّه يستغفر فيَسبّ نفسه))، قال النووي: (قال القاضي [عياض]: معنى يستغفر هنا: يدعو[٤])[٥]، وقال ابن حجر: (معنى يسب: يدعو على نفسه)[٦]، وصرّح بذلك النسائي في روايته: (لعله يدعو على نفسه، وهو لا يدري)[٧]، وقال ابن حجر: (وفيه الأخذ بالاحتياط؛ لأنه علّل بأمر محتمل)[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١، والحديث (يسروا ولا تعسروا)، أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٢٣٠/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/١.

(٥) إكمال المعلم ١٥١/٣: ولفظه: ومعنى (يسب نفسه) عندي هنا: الدعاء عليها، لأنه إذا ذهب يستغفر ويدعو لنفسه وهو لا يعقل ربما قلب الدعاء فدعا على نفسه).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣١.

(٧) أخرجه النسائي ١٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٥٦)

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/١.

وقد جاءت أحاديث ترشد إلى العمل بالاحتياط، خشية الوقوع فيما يضرّ وإن كان أمرًا محتملاً.

من ذلك قوله ﷺ: ((لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ))[1].

وقال النبي ﷺ: ((إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا[2] بِكَفِّهِ. أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ))[3].

خامسًا: من أساليب الدعوة: التعليل:

لقد ذكر ﷺ علة نهيه فقال: (لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)، ولا شك أن تعليل الحكم يثبته في سمع المدعو وقلبه، لأنه يزيده اقتناعًا على اقتناع، وقد سلك القرآن الكريم والسنة الشريفة هذا المسلك في الدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[4].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "نهى رسول الله ﷺ أن تُزوج المرأةُ على العمة والخالة؛ قال: ((إِنَّكُنَّ إذا فَعَلْتُنَّ ذلِكَ قَطَعْتُنَّ أَرْحَامَكُنَّ))[5].

لذا فإن أسلوب التعليل من الأساليب الدعوية التي يجدر بالداعية أن يفيد منها.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

(٢) النصل: حديدة الرمح والسهم والسكين، والجمع: نصال وأنصل ونصول، الوسيط في (ن ص ل).

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٢، ومسلم ٢٦١٥ واللفظ له.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) أخرجه ابن حبان ٤١١٦، والطبراني في الكبير ١١٩٣١، وقال محقق صحيح ابن حبان: حديث حسن، وانظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ١٦٧/٣.

الحديث رقم (١٤٨)

١٤٨- وعن أَبي عبد اللَّه جابر بن سمُرَةَ رضي الله عنهما قال: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النبيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ[١]، فَكَانَتْ صلاتُهُ قَصدًا وخُطْبَتُه قَصْدًا. رواه مسلم[٢].

قولُهُ: (قَصْدًا): أَيْ بَيْنَ الطُّولِ وَالْقِصَرِ.

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: هو جابر بن سمرة بن جُنادة بن حُجَير العامري السُّوَائي، أمه أخت سعد بن أبي وقاص، له ولأبيه صحبة مشهورة.

كان من حملة العلم، روى عن النبي ﷺ وجماعة من الصحابة: منهم أبوه وخاله سعد وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب.

له مواقف جليلة ومشاهد عظيمة مع النبي ﷺ؛ فقد قال: صليت مع النبي ﷺ أكثر من ألفي صلاة[٣].

وقال كذلك: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة[٤].

وروى ابن سعد أن النبي ﷺ رآه في الشمس فقال له: تحول إلى الظلّ فإنه مبارك[٥].

وظلّ على جهاده بعد وفاة النبي ﷺ، فقد شهد فتح المدائن، وشهد عمر بن الخطاب وهو يخطب بالجابية [قرية من أعمال دمشق].

---

(١) عند مسلم: (النبي)، ولا توجد عنده (الصلوات).

(٢) برقم (٨٦٦/٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣٥-٨٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٥٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٨٦).

(٥) ذكره المزي في تهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤٢٤/١) وعزاه لابن سعد، لكن لم أعثر عليه في المطبوع من ترجمته في الطبقات الكبرى، ابن سعد.

وقد نزل الكوفة وابتنى دارًا بها. وتوفي بها ٧٤هـ. وقيل: ٧٣هـ وقيل: ٧٦[١].

غريب الألفاظ:

قصدًا: أي بين الطول والقصر[٢].

الشرح الأدبي

إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، إن منهج التيسير في الإسلام من شأنه أن يحبب الإنسان في المداومة على الطاعة، حتى لا يتسرب الملل إلى النفس، كما أخبر المصطفى ﷺ، والحديث الذي يرويه جابر بن سمرة رضي الله عنه، شهادة مرئية ومسموعة من صحابي جليل شَرُف بالصلاة مع رسول الله ﷺ، ورأَى رَأْىَ العين، وعلم علم اليقين، كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في معظمها، لأنه كان يطيل أحيانًا في صلاته، وكيف كانت خطبته، وهذا الحديث يعد درسًا للدعاة والخطباء المعاصرين الذين يطيلون في صلاتهم، وفي خطبهم، ولا يدركون حاجات الناس وظروفهم. والقصد في الصلاة: لا يعني الإخلال بها، ولكن معناه: أن يأتي المصلي بمكملاتها ومسنوناتها من غير طول ولا قصر: لأن القصد هو الاعتدال وهو بين الطول والقصر، والمصطفى ﷺ هو القدوة الحسنة، والمثل الأعلى في كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا، وكان يراعى حاجات الناس، وظروفهم الخاصة، فإن فيهم الضعيف وذا الحاجة، (وعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٤/٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ١١٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٨٨/١) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ١٦٤. والسير (١٨٦/٣) وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤٢٤/١) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٨٠/١) والأعلام (١٠٤/٢) وموسوعة عظماء حول الرسول (٥٥١/١).

(٢) رياض الصالحين ١٠٧.

الصبي، فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)[١].

والتعبير بقوله "الصلوات" يفيد أن جابر بن سمرة رضي الله عنهما كان كثيرًا ما يصلي مع رسول الله ﷺ، ويؤيد ذلك ما رواه مسلم حيث يقول جابر بن سمرة رضي الله عنهما: والله لقد صليت مع رسول الله أكثر من ألفي صلاة[٢]، ولذلك جاءت "الصلاة" جمعًا ولم تأت مفردة، ولم يأت الفعل "أصلي"، مجردًا من المعمول، حتى لا يفهم أنها كانت صلاة قليلة، وكذلك لم يقل، "كنت أصلي الصلوات الخمس"، حتى لا يظن أنه كان مداومًا على ذلك في كل الأوقات وفي جميع الأيام، والواقع غير ذلك، فتأمل: دقة التعبير، وسر صيغة الجمع، ودلالة عدم تقييد الصلاة بنعت "الخَمْس"، وإضافة الصلاة إلى الضمير، العائد على رسول الله ﷺ في قوله: "فكانت صلاته قصدًا": يفيد التخصيص... فإذا كانت الصلاة الخاصة برسول ﷺ الله قصدًا- فهل نُغَالي نحن، وهل نطيل نحن؟

وللصلاة أسرار وفوائد جمة، ونشير إلى نَزْر يسير منها يعود على الإنسان بالنفع: حيث يقول جابر بن سمرة رضي الله عنهما "كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع حتى تطلع الشمس حسناء"[٣]، أي طلوعًا حسنًا، وجاء في حديث آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقعد أذكر الله وأُكبِّره وأحمده وأُسبِّحه وأُهلِّله حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق رقبتين أو أكثر من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس، أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل»[٤]، وهذان الوقتان لهما أثر ناجع في نشاط الإنسان ومزاجه وصحته، وهما الغدوة والرّوحة التي أشار إليهما في حديث سابق، وفيهما يمكن، كما قال العلماء أن نستفيد من أشعة الشمس بفعل تأثير الأشعة فوق البنفسجية حيث يتكون فيتامين (د) تحت الجلد، ولهذا الفيتامين

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٢) أخرجه مسلم ٨٦٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٦٠).

(٤) أخرجه أحمد ٢٥٥/٥ رقم ٢٢١٩٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ص ٥٣٢/٣٦.

أدوار بيولوجية منها: تنظيم الأنسولين في البنكرياس، ونمو خلايا النخاع العظمي، ونمو خلايا البشرة في الجلد[١]، وغير ذلك الكثير، فتأمل واحْرص على الاقتداء بالنبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأوقات صلاته... وكيفية ذكره لله سبحانه ومواقيت ذلك.

وأما خطابة المصطفى ﷺ للجمعة وغيرها: فكانت قصدًا، أي بين الطول والقصر، بحيث توفي بالغرض، وهو قد أوتى جوامع الكلم، وتتسم خطابته بالدقة والوضوح وعدم المبالغة، والبعد عن الانفعال الذي ينأى بالخطيب عن دائرة الصدق والحقيقة، فكل ما يتفوه به الرسول ﷺ في خطابته: صدق وجدّ، وترغيب وترهيب، وإرشاد وتشريع، وهداية وتبشير، فرسول الله ﷺ في بيانه وخطابته كما قال الجاحظ: لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبزُّ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يحتج في خطبه، ومواعظه إلا بالصدق، فسبحان مَنْ علّمه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاقتصاد في الطاعة.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

رابعًا: من فقه الداعية: القصد في الموعظة.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ:

لقد تواتر حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به. وقد ورد في هذا الحديث ما يؤكد هذا الحرص مما هو واضح في قول الصحابي: "كنت أصلي مع

---

(١) انظر: كتاب الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار، د. صالح بن أحمد رضا، وكتاب: في رحلة الإيمان، د. حامد أحمد حامد.

(٢) سورة النجم: ٣-٤.

النبي ﷺ الصلوات..." فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على الاقتداء بالنبي ﷺ والعمل بمثل ما يعمل، وقد فاضت الأحاديث عنهم بذلك[١]. فمن هذا القبيل: ما ورد عن أمية بن عبدالله بن خالد أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن؟ فقال له ابن عمر: يا ابن أخي، إن الله عز و جل بعث إلينا محمدًا ﷺ ولا نعلم شيئًا، وإنما نفعل كما رأينا محمدًا ﷺ يفعل[٢].

وعن همام بن الحارث قال: رأيت جرير بن عبدالله [البجلي] رضي الله عنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه ثم قام فصلّى، فسئل فقال: رأيت النبي ﷺ صنع مثل هذا[٣].

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤] كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٥] قال محمد بن علي الترمذي: (الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل)[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الاقتصاد في العبادة:

إن من موضوعات الدعوة الجلية في هذا الحديث: أهمية الاقتصاد في العبادة ويتبين ذلك من قول الصحابي: "فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا". وقال النووي: (قصدًا: أي بين الطول والقصر)[٧].

---

(١) انظر الشفا، ٢/٣٧١-٣٨٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٦٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٨٧٤).

(٣) أخرجه البخاري ٣٨٧، ومسلم ٢٧٢.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) الشفا ٢/٣٧١.

(٧) رياض الصالحين ١٠٧.

وقد جاءت نصوص الشريعة الإسلامية تحثُّ على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها، فلا يصيبها التفريط المضيِّع أو الإفراط المضيِّق، وقال ابن عثيمين: (والقصد: معناه التوسط، الذي ليس فيه تخفيف مخل ولا تثقيل ممل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته، مِئِنَّة من فقهه))[١] أي: علامة على فقهه ودليل عليه، والذي يؤخذ من هذين الحديثين أنه لا ينبغي للإنسان أن يحمل نفسه ويشق عليها في العبادة، وإنما يأخذ ما يطيق)[٢].

إن رسول الله ﷺ مر على رجل يصلي على صخرة فأتى ناحية مكة فمكث مليًّا ثم انصرف فوجد الرجل يصلي على حاله فقام فجمع يديه ثم قال: ((يا أيها الناس عليكم بالقصد ثلاثًا، فإن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا))[٣] قال ابن حجر: (القصد سلوك الطريق المعتدلة)[٤].

وقال النبي ﷺ: ((إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة))[٥].

قال شرف الحق العظيم آبادي: (الاقتصاد: سلوك القصد في الأمور القولية والفعلية والدخول فيها برفق على سبيل يمكن الدوام عليه)[٦].

ثالثًا- من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

ما أجمل أن يكون الداعية رفيقًا بالمدعوين، ولقد كان النبي ﷺ أرفق الناس بالناس، وهذا ما يستنبط من قول الصحابي: "فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا"، فإن النبي ﷺ إذا كان فيما بينه وبين نفسه، أو في صلاة غير الفرض، يطيل

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٣٩٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤١٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٠٠.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٧٧٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٩٦).

(٦) عون المعبود ٢٠٧٥.

الصلاة، ويتعمق فيها، أما في صلاة الفريضة فكان يقصر ويكتفي فيها بما يحقق المقصود منها من غير طول ولا قصر، ولا يطيل الخطبة بل يجمع المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، ويكتفي بالحديث عن موضوع واحد أو التوجيه لهدف واحد، حذرًا من المبالغة وتوجيهًا لعدم التشديد على الناس وتحذيرًا من تنفير المسلمين عن الدين[١].

لأن من الصفات الواجب توافرها في الداعية الرفق بالمدعوين، وقد تظاهرت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، قال تعالى لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢].

قال ابن كثير: (هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)[٣].

(فإذا كان موسى أُمر - كما يقول القرطبي- بأن يقول لفرعون قولاً لينًا، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه)[٤].

ومن المواقف التي تبيّن رفق الرسول ﷺ بالمدعوين وأثره في استجابتهم له وإقبالهم على ما يقول، ما رواه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: ((بينا أنا أصلّي مع رسول الله ﷺ إذا عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثُكْلَ أُمِّيَاه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم[٥] فلما رأيتهم يصمِّتونني سكتُّ. فلما صلّى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني[٦] ولا ضربني ولا شتمني، قال: إن

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٣١.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج٦/١١/٢٠٠.

(٥) يعني فعلوا هذا ليسكتوه، شرح النووي ٤٠٩.

(٦) أي: ما انتهرني، شرح النووي ٤٠٩.

هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية....))[١] فأقبل يسأل النبي ﷺ ليعرف أمور دينه والنبي ﷺ يرشده ويهديه.

قال النووي: (فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)[٢].

ويقول القاضي عبدالرحمن بن نصر الشيزري الشافعي أثناء حديثه عن آداب المحتسب: (وليكن من شيمته الرفق، ولين القول، وطلاقة الوجه، وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه، فإن ذلك أبلغ في استمالة القلوب، وحصول المقصود. قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[٣]، ولأن الإفراط في الزجر ربما أغرى بالمعصية، والتعنيف بالموعظة تمجه الأسماع)[٤].

وهكذا، فإن النفوس مجبولة على حب من يحسن إليها، ويتلقاها بالرفق واللين، ويبسط لها في المحيا، ولا يضيق بعجزها وجهلها وتقصيرها. فهل وعى الدعاة الدرس؟

رابعًا- من فقه الداعية: القصد في الموعظة:

إن من فقه الداعية القصد في الموعظة، اقتداءً بالنبي ﷺ الذي وصف الصحابي خطبته فقال: "وخطبته قصدًا"، قال ابن حجر: (أي لا طويلة ولا قصيرة)[٥].

وقال ابن هبيرة: (أما قصر الخطبة فإنه يكون أدعى لحفظ ما يذكر فيها، ولئلا يقول كلامًا منشورًا لا يتيسر الاحتراز في حدوده، فإذ أقلّ منه كان قمينًا أن يسلم

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩، وانظر: الشفا ١/١٨٧-١٨٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٠٣.

وينفع، وهذا فهو في الأكثر، فإن احتاج الخطيب إلى أن يطيل لذكر حادثة جرت أو نائبة، أو إبانة عن صورة لا بدّ من إبانتها، لم يكره ذلك إن شاء الله تعالى)[١].

وقد كان القصد في الموعظة من فعل النبي ﷺ وصحابته من بعده. قال شقيق بن سلمة الأسدي: ((كنا جلوسًا عند باب عبدالله [ابن مسعود] ننتظره فمرَّ بنا يزيد بن معاوية النخعي فقلنا: أعلمه بمكاننا، فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبدالله فقال: إني أخبرُ بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملَّكم، إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة))[٢]. وفي رواية للبخاري: ((كان عبدالله يُذكّر الناس كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟))[٣].

قال النووي: (في هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها)[٤]، وقال ابن حجر: (قال الخطابي: المراد أنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل)[٥].

وقال ابن حجر كذلك: (وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم، ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل، ويقتدى به في ذلك، فإن التعليم بالتدرج أخف مؤنة وأدعى إلى الثبات من أخذه بالكد والمغالبة)[٦].

خامسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر هذا من وصف الصحابي رضي الله عنه لخطبة النبي ﷺ "وخطبته قصدًا" (والخطبة وسيلة ممتازة للدعوة لتبليغ الرسالة أو إيضاح فكرة معينة، ومن مرامي الخطبة حمل

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ١٣٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨، ٦٤١١، ومسلم ٢٨٢١ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣١/١١.

(٦) المرجع السابق ٢٣٢/١١.

المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها، فيتحمس لها ويتقدم لفدائها بالنفس والنفيس عند الحاجة)[1].

وقد استخدم النبي ﷺ الخطبة - وسيلة دعوية - في بيان مبادئ الإسلام للصحابة رضي الله عنهم، حيث تُعد الخطبة وسيلة مؤثرة في مجال الدعوة، نظرًا لأن الداعية يخاطب من خلالها العقل والحس، ويراعي في ذلك الجوانب الفنية، والتي من أبرزها الإيجاز والقصد والوضوح، وعدم الإسهاب الذي يبعث على الملل والانصراف عن الداعية، ولقد رسم النبي ﷺ المنهج الصحيح للدعاة في القصد في الخطبة وتخول الناس بالموعظة، فما أجدر بالدعاة أن يتأسوا به ﷺ في هذا المجال.

---

(١) الدعوة إلى الله: الرسالة والوسيلة والهدف، الدكتور توفيق الواعي ص ٢٧١.

الحديث رقم (١٤٩)

١٤٩- وعن أَبي جُحَيْفَةَ وَهبِ بْنِ عبد اللَّه رضي الله عنه قال: آخَى النَّبيُّ ﷺ بَيْن سَلْمَانَ وأَبي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاء مُتَبَذِّلَةً فقالَ: ما شَأْنُكِ؟ قالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرداءِ ليْسَ له حَاجةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدرْدَاءِ فَصَنَعَ لَه طَعَامًا، فقالَ لَهُ: كُلْ. فَإِنِّي صَائِمٌ، قالَ: ما أَنا بآكلٍ حَتَّى تأْكلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْداءِ يقُوم. فقال لَه: نَمْ فَنَام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُوم فقالَ لَه: نَمْ، فَلَمَّا كان من آخرِ اللَّيْلِ. قالَ سلْمانُ: قُم الآنَ، فَصَلَّيَا جَمِيعًا، فقالَ له سَلْمَانُ: إنَّ لرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لنَفْسِكَ عَلَيْكَ حقًّا، ولأهلِك عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّه، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكر ذلكَ لَه، فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سلْمَانُ» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: وهو وهب بن عبدالله أبو جُحَيفة، من صغار الصحابة.

قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره، ولما توفي النبي ﷺ كان أبو جحيفة لم يبلغ الحُلُم، ولكنه سمع رسول الله ﷺ، وروى عنه.

وقد أكل ثريدة بلحم يومًا، وأتى النبي ﷺ وهو يتجشأ فقال له النبي ﷺ ((اكفُف عليك جُشاءَك أبا جُحيفة، فإن أكثرهم شبعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا يوم القيامة)) فما أكل بعد ذلك ملء بطنه حتى فارق الدنيا، وكان إذا تعشى لا يتغدى، وإذا تغدى لا يتعشى[2] وقال: رأيتُ رسول الله ﷺ ورأيتُ هذه منه، وهي بيضاء، وأشار إلى عَنْفَقتِه[3]، فقيل له: مثل من كنت يومئذ؟ قال: أَبْري النَّبل وأريشها[4]، [5] وقال رأيت رسول الله ﷺ، وكان الحسن بن علي يُشبهه.

---

(١) برقم (١٩٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٨٩٢٤، والحاكم في المستدرك ١٦٧/٥ رقم ٧٢٢٢، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واللفظ للطبراني.

(٣) والعَنفَقَة: هي الشعر الذي تحت الشفة السفلى، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ف ق).

(٤) وأريشها: أي أجعل للنبل ريشًا.

(٥) أخرجه البخاري ٣٥٤٥، ومسلم ٢٣٤٢.

وأحبّهُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووثق به، فولاه شرطة الكوفة لما ولي الخلافة وجعله على بيت المال، وشهد مع علي بن أبي طالب مشاهده كلها، وكان علي رضي الله عنه يسميه وهب الخير، وكان إذا خطب علي بن أبي طالب قام أبو جحيفة تحت منبره رضي الله عنهما.

وتوفي في ولاية بشر بن مروان بالكوفة، سنة ٧٤هـ وقيل ٧٢هـ[١].

غريب الألفاظ:

متبذِّلة: تاركة ثياب الزينة ولابسة ثياب المهنة[٢].

الشرح الأدبي

إن إشراقة هذا الحديث الشريف تتوهج في الجملة الأخيرة التي أيد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف سلمان الفارسي حيث قال: "صدق سلمان" فمن سلمان؟ ولماذا صدق؟ وفيم صدق؟

إن سلمان الفارسي رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، وهو صاحب المشورة والرأي في غزوة الخندق، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لقد اتسع من العلم"[٣].

وهذا الفقه في الدين وفي القضايا والشؤون الاجتماعية يتجلى في نصيحة سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما، "إن لربك عليك حقا، وإن لنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه".

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦٣/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٧٥٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٧/٦-٤٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٣٨٧)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢٠٢/٣-٢٠٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٣١/٤)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤٩٧/٧)، والأعلام للزركلي (١٢٥/٨)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١٩٨٣/٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ذ ل)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٨/٤.

(٣) ذكره الهيثمي في المجمع ٣٤٣/٩، ٣٤٤ مطولاً، ونسبه إلى الطبراني في الأوسط وأخرجه ابن سعد ٦٠/١/٤، ٦١ عن طريق عبدالله بن نمير عن الأعمش به.

وهذه الوصايا الجامعة التي صدق فيها سلمان ﷺ كما شهد بذلك المصطفى ﷺ خطاب لأبي الدرداء ﷺ، ولكل مسلم يطمح إلى حياة ينعم فيها بالتوازن والاستقرار والثبات.

وتأتي هذه الوصايا في إطار الرؤية الاجتماعية التي تنطلق من تعاليم الدين الإسلامي، وفي سياق القضاء على ظاهرة التشدد في أداء الشعائر والعبادات، ولم تأت هذه الوصايا في صورة مواعظ مجردة، أو حكم وأمثال سائرة؛ وإنما نبعث من تجربة حياتية وحكاية واقعية، قام بسرد حوادثها أشخاص حقيقيون مُحدَّدُون، وهذه الحالة السردية يرتب أحداثها ومشاهدها أبو جحيفة وهب بن عبدالله ﷺ، وعناصر الحكْى، تتمثل في طريقة السَّرْد، وفي تتابع الأفعال الماضية المتتالية على النحو (آخى النبي – فزار سلمان – فرأى أم الدرداء، فقال: قالت، فجاء، فصنع، فقال له... إلخ، هذه الأفعال المتتابعة التي تتوالى أحداث هذه الحكاية الواقعية من خلالها.

وتبدأ أحداث هذه الحكاية بحقيقة اجتماعية وشرعية وهى المؤاخاة بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء ﷺ، وهذه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أعظم الإنجازات التي قدمها الإسلام في مجال النهوض بالمجتمع الإنساني، والمجتمع الإسلامي هو الأنموذج الأعلى في ذلك؟ وقيامًا بواجبات الأخوة يزور سلمان أخاه في الله أبا الدرداء، فيرى أم الدرداء وهى زوجة أبي الدرداء غير متهيئة لزوجها وتلبس ثياب المهنة التي تعمل بها في بيتها وأعمالها الأخرى، وكلمة "متبذلة" تفصح عن هذا المعنى، وتصور هذه الحالة، وتوحي بحقيقة العلاقة بين أبي الدرداء وزوجته، ويحاورها: سلمانُ قائلاً: ما شأنك، وهو سؤال فيه تأدب ولطف وإيحاء باستنكار ما عليه هذه الزوجة من إهمالها لنفسها، ويأتي الجواب في غاية السمو والإيحاء، وعدم التصريح بحقيقة المشكلة، وتأمل هذه الجملة التي تشع بكثير من الدلالات والمعاني تقول: "أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا"، ولم تقل زوجي، حتى لا تكون الشكوى صريحة، وقولها: "ليس له حاجة في الدنيا" أكثر تلميحًا وإيحاء من قولها ليس له رغبة في النساء، وقد آثرت التعبير بلفظ الدنيا، حتى تنأى عن مظنة الاتهام، أو كُرْه ما يقوم به من عبادة، لأن

مقابل هذه العبارة، أن تقول: "وله حاجة في الآخرة" وهذا مطلب محمود، وأمل معقود.

ولا يقف سلمان رضي الله عنه موقفًا سلبيًا، وإنما يراعي حق الأخوة، ويسعى لإصلاح ذات البين، وإقناع أبي الدرداء رضي الله عنه بالاقتصاد في العبادة، وإعطاء أهل بيته حقهم، ولم يتوجه بالنصيحة المباشرة الجافة، والأوامر التي تثقل على النفس، ولا تجد لها صدى عند الآخر، ولكنه تناول معه الطعام وأقنعه بالأكل، وكان صائمًا تطوعًا، وعندما أقبل الليل... وأراد أبو الدرداء رضي الله عنه أن يواصل ليله بنهاره، قال له سلمان: نم، فنام مرتين، رغبة في إراحة بدنه، واستعداده للقيام والتهجد آخر الليل، وقاما آخر الليل: وصليا جميعًا: وبعد هذا الحوار الأخوي، والتوجيه الصادر من قلب يحب أخاه، وبعد استجابة أبي الدرداء لكل ما قاله سلمان: قال سلمان، وأكد عباراته: وكرر كلمة "حقًا" للأهمية: "إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: صلاة التطوع وقيام الليل، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٩٨).

الثاني: اتفق الفقهاء[١] على أن أحد أهم مقاصد النكاح الاستمتاع بين الزوجين فعلى الزوج أن يأتي زوجته ولا يهملها، وإذا كان الزوج عنينًا[٢] أو مجبوبًا[٣] ولا يستطيع

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٣٢٢/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٣٤/٤، وشرح منح الجليل على مختصر خليل، الشيخ عليش ٣٧٩/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٩/٦، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣٣٩/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٥/٥، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي، البهوتي ٦٧٥/٢.

(٢) العُنَّة: عجز يصيب الرجل فلا يقدر على الجماع، المعجم الوسيط، باب العين.

(٣) المجبوب: المقطوع الذكر، المعجم الوسيط، باب الجيم.

إتيان زوجته وإعفافها، فإن لها أن تطلب الطلاق منه للضرر الواقع عليها لأن الزواج هنا لم يحقق الهدف منه، ولم يتم به مقصد رئيسي من مقاصده.

وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة فقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يجب على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها متى طلبها، ولم يكن ثمة مانع شرعي عندها مهما كانت الظروف والأحوال، فإن امتنعت كانت ناشزًا وجاز له تأديبها بما يراه مصلحًا لها، فلا يحق للزوجة أن تمتنع عن المعاشرة لقيامها الليل متى طلبها زوجها، لأن هذا حق له عليها فلا يضيع الحق بالنفل.

الثالث: حكم من يفطر في صوم التطوع، وقد اختلف الفقهاء في لزوم صوم التطوع على رأيين، فذهب الحنفية[٢] والمالكية[٣] إلى لزوم صوم التطوع بالشروع فيه وأنه يحرم قطعه بدون عذر وإذا قطعه وجب عليه قضاؤه، وذهب الشافعية[٤] والحنابلة[٥] إلى أن صوم التطوع غير لازم، ويجوز لمن صام تطوعًا أن يفطر في أي وقت ولو بدون عذر، وإن كان من المستحب إتمامه والمكروه قطعه[٦]، ومتى قطعه يستحب قضاؤه ولا يجب.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨٤/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٣٣١/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١١/٤، وشرح منح الجليل ٣٧٩/٣، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣٣٩/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٩/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٧٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٥/٥.

(٢) شرح معاني الآثر ١٠٧/٢، والمبسوط، السرخسي ٦٨/٣ وما بعدها.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٤٤٥/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٣٥٦/٣.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٩/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٣٠/١.

(٥) الفروع، ابن مفلح ١٣٢/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٥٣/٣.

(٦) وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٩٦/٢٨ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأخوة في الله.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الاطمئنان على أحوال إخوانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إكرام الضيف.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إعطاء كل ذي حق حقه.

سادسًا: من آداب المدعو: سؤال أهل الذكر والعلم.

سابعًا: من مهام الداعية: تقويم تصرفات المدعوين.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: بيان يسر تعاليم الإسلام.

تاسعًا: من وسائل الدعوة: الزيارة.

عاشرًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأخوة في الله:

إنّ الأخوة في الله تعلُو على أخوة النسب وترتفع، لأنها مبنية على أسس أمتن وقواعد أثبت، لذا عمل النبي ﷺ على ترسيخها بين المسلمين وتفعيلها في الواقع كما يتضح في هذا الحديث من قول أبي جحيفة رضي الله عنه: ((آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء)). وذلك ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويشد بعضهم ببعض، قال ابن حجر: (قال السهيلي: آخى ﷺ بين أصحابه رضي الله عنهم ليذهب عنهم وحشة الغربة ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث [بينهم] وجعل المؤمنين كلهم إخوة، وأنزل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] يعني في التوادد وشمول الدعوة)[2].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٧/٧.

وقال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي في الدين والحرمة لا في النسب)[١] فإن (الإيمان قد عَقَدَ بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق، ما إن لم يفضل الأخوة ولم يبرز عليها، لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها)[٢].

ولما آخى النبي ﷺ بين الصحابة رضي الله عنهم ضربوا أروع الأمثلة قيامًا بحقوق الأخوة ورعاية لها[٣]. فعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: (لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي. وانظر أي زوجتيّ هويت نزلت لك عنها فإذا حلّت تزوجتها)[٤].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الاطمئنان على أحوال إخوانه:

إنّ مما يثبت الأخوة بين المدعوين ويزيد الألفة بين قلوبهم والمحبة بين أرواحهم أن يطمئن كل واحدٍ منهم على أحوال إخوانه وأن يتفقد أخبارهم، وقد فعل ذلك سلمان رضي الله عنه عندما رأى أم الدرداء رضي الله عنها وقد تركت لبس ثياب الزينة[٥] فسألها: "ما شأنك؟"، وذلك ليعرف حال أخيه وحالها، اطمئنانًا وتقديمًا للعون والنصح، قال ابن حجر: (في هذا الحديث... جواز مخاطبة الأجنبية، والسؤال عما يترتب عليه المصلحة وإن كان في الظاهر لا يتعلق بالسائل، وفيه النصح للمسلم)[٦]. ويقتدي المدعو في ذلك بالنبي ﷺ.

فقد كان ﷺ يطمئن على أحوال أصحابه رضي الله عنهم. فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج٨/١٦/٣٢٢.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري: محمود بن عمرص ١٠٣٧-١٠٣٨.

(٣) انظر الأحاديث الواردة في الأخوة وآدابها، في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٥/٧، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٩٢/٢-١١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٤٨.

(٥) انظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٨/٤.

(٦) المرجع السابق ٢٤٩/٤.

قال: (خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة فأبطأ بي جملي، فأتى عليّ رسول الله فقال لي: ((يا جابر)). قلت: نعم. قال: ((ما شأنك؟)) قلت: أبطأ بي جملي وأَعْيَا فتخلفتُ. فنزل فحجنه بمِحجنه[1] ثم قال: ((اركب)) فركبت فلقد رأيتني أكفُّه عن رسول الله ﷺ، فقال: ((أتزوجت؟)) فقلت: نعم. فقال: ((أبكرًا أم ثيبًا؟)) فقلت: بل ثيب. قال: ((فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟)) قلت: إن لي أخوات فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن وتمشطهن وتقوم عليهن)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إكرام الضيف:

إن من الصفات التي حث الإسلام على التحلي بها إكرام الضيف، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم القدوة في ذلك، فقد أعد أبو الدرداء طعامًا لأخيه سلمان رضي الله عنهما وقال له: كل فإني صائم.

وهذا فيه إكرام لضيفه وعناية به وإعزاز له، ولاشك أن إكرام الضيف من محاسن الأخلاق، وقد جاء الإسلام بالحث عليها والأمر بها، فقد قال النبي ﷺ عن إكرام الضيف: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[3].

قال النووي: ((معنى الحديث أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام ضيفه وبرّه... والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين))[4].

وقال ابن هبيرة: "لما كان الضيف من حيث إنه يأوي إلى مضيفه في حالة يتعين على المضيف أن يقوم منها بمبلغ وسعه، إيمانًا بأن الله سبحانه وتعالى سيخلف عليه ما أنفق على ضيف قَصَدَه، لا قرابة بينه وبينه، ولا يرجوه ولا يخافه، بل من حيث إنه يأوي إليه، فكان ذلك من خصال الإيمان"[5].

---

(١) المحجن: عصا فيها تعقف يلتقط بها الراكب ما سقط منه. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٩٧، ومسلم ٥٧-٧١٥ كتاب الرضاع.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣ بتصرف يسير.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٣٩١/٦.

جاء في الموسوعة الفقهية: (تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق، وسنة الخليل عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده. وقد رغب فيها الإسلام، وعدّها من أمارات صدق الإيمان)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف من الموضوعات التي اهتم بها الإسلام اهتمامًا كبيرًا جدًا، وحضّ أتباعه على القيام بها، وقد قام الصحابة بهذا خير قيام كما يتضح في هذا الحديث، فقد أمر سلمان أبا الدرداء بالمعروف فرفض الأكل الذي قدمه إليه حتى يأكل معه أبو الدرداء، ثم أمره بالنوم حين قام يصلي في أوله أو بعده، فلما كان آخر الليل أيقظه فصليا ثم أخبره بما يجب عليه وأنه يجب أن يُعطي كل صاحب حق حقه "فأعط كل ذي حق حقه". ويريد بذلك حق زوجته عليه، وذلك لأن إهمال حق الزوجة يؤدي إلى مفسدة أكبر من المصلحة العائدة من القيام بالنوافل من صلاة وصيام.

فقد قام سلمان بحق الأمر بالمعروف مع أخيه أبي الدرداء، وقد قال الله عن المؤمنين والمؤمنات: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٢] وجعله النبي ﷺ صدقة فقال: ((وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة))[٣].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس أدل على ذلك من قول أبي بكر الصديق في خطبته عندما ولي الخلافة (أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٢٨/٣١٦ ومصادرها.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٣) أخرجه مسلم ٧٢٠.

فقوِّموني، الصدق أمانة والكذب خيانة)[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إعطاء كل ذي حق حقّه:

لقد حَرَص الإسلام على إعطاء كل ذي حق حقَّه، وإيصاله إليه دون نقصٍ أو اعتداء، لأنّ الإسلام دين العدل، وهذا يتضح من قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء رضي الله عنهما: "فأعط كل ذي حق حقه" قال ابن حجر: (وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة الواجبة أو المندوبة الراجح فعلها على المستحب المذكور)[٢].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا أن يعطي كل صاحب حق حقَّه، لذا أمر عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما رآه مفرِّطًا في بعض الحقوق، بسبب صومه النهار وقيامه الليل، أمره بما يجعله قادرًا على القيام بحقوق أصحاب الحقوق، فقال له: ((لا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا وإن لزورك عليك حقًا))[٣].

وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم دومًا، يعطي كل ذي حق حقه، فلا يفرط في حقوق ولا يغالي في حقوق، بل هو وسط، إنه يوازن بين الحقوق فلا يضيع حقًا ولا يهمله، إنّه يعرف الحقوق التي عليه، فيجدّ في أدائها على أحسن ما يكون دون إفراط ولا تفريط.

سادسًا- من آداب المدعو: سؤال أهل الذكر والعلم:

إن أهم طرق المعرفة سؤال أهل العلم، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال النبي ﷺ، وهذا واضح من قول الراوي: ((فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له))، وفي رواية

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٩/٨، ٤١٥/٩. وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح. وانظر الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي ٨٥٦هـ، تحقيق: د. مصطفى عثمان صميدة، وانظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٥٢٥/٣-٥٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١٨٢-١١٥٩.

الترمذي: ((فأتيا النبي ﷺ فذكر ذلك))[١].

وقد أرشد القرآن إلى وجوب سؤال أهل العلم فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] (والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين)[٣].

وقد نعى النبي ﷺ على من أفتى بدون علم ولم يرجع إلى أهل العلم لسؤالهم، فقال في الرجل المجروح الذي سأل أصحابه عن التيمم فأفتوه بأن يغتسل، فاغتسل فمات- قال: قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال))[٤].

قال شرف الحق العظيم الآبادي: (إنما قاله زجرًا وتهديدًا والعي الجهل، والمعنى أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[٥].

سابعًا- من مهام الداعية: تقويم تصرفات المدعوين:

إن من مهام الداعية تقويم تصرفات المدعوين وأفعالهم حتى يبين لهم الصحيح من غيره، والحق مما سواه، وهذا يتضح من قول النبي ﷺ "صدق سلمان" فقد أثنى النبي ﷺ على قول سلمان، وهذا معناه أنه موافق للشرع، بخلاف ما إذا كان غير موافق فإن النبي ﷺ لن يقرّه.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية تقويم لتصرفات المدعوين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: (ألا رجل يُضيفه هذه الليلة يرحمه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤١٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٢٧٢.

(٤) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق العظيم آبادي ١٨٥.

رسول الله لا تدَّخريه شيئًا قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: ضحك الله أو عجب من فعالكما، فأنزل الله ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ومن ناحية أخرى فإن النبي ﷺ لم يرض عن بعض أفعال المدعوين فقومها، من ذلك ما رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا. فقال: أكل ولدك نحلت مثله؟ قال: لا. قال: فارجعه[2]. وفي رواية: ((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)). قال: فرجع أبي فردّ تلك الصدقة[3].

قال الشيخ عبدالله البسام: "قال العلماء: يجب الإنكار على من خالف ففضّل أولاده على بعضهم في الهبة، لأنه حيف وظلم، والنبي ﷺ أنكر على بشير هذا ما لم يكن التخصيص أو التفضيل لمسوِّغ شرعي يدعو إلى ذلك، فإن كان ثم مسوِّغ فلا بأس"[4].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: بيان يسر تعاليم الإسلام:

إن من أهم خصائص شريعة الإسلام اليسر وبُعدَها عن التشدد تمام البعد، فلا حرج فيها ولا مشقة، يتضح ذلك من أمر سلمان رضي الله عنه أبا الدرداء رضي الله عنه بأن ينام عندما أراد القيام، وأن يُفطر وقت صيامه النفل، وذلك لكي يقوم بالحقوق الأخرى التي عليه وتصديق النبي ﷺ لما أمر به سلمان وثنائه عليه.

وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على يسر الإسلام وتعاليمه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[5] أي: (يريد الله تعالى بما شرعه

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩ والحديث أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ٤٨٨٩، ومسلم ٢٠٥٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٨٦، ومسلم ٩-١٦٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٨٧، ومسلم ١٣-١٦٢٣.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٤/٢٦٤.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٨.

لكم التيسير وعدم التشديد عليكم لأنكم خلقتم ضعفاء)[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: ((ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه))[٢] قال النووي: (فيه استحبابه الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا)[٣].

تاسعًا- من وسائل الدعوة: الزيارة:

يسلك الداعية كل وسيلة مشروعة لتبليغ دعوته، من ذلك الزيارة كما في الحديث، قول الراوي: "فزار سلمان أبا الدرداء" قال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله وزيارة الإخوان والمبيت عندهم)[٤]. والزيارة وسيلة ناجحة يستخدمها الداعية لأنها تحمل قدرًا كبيرًا من التواد والقرب والخصوصية. وقد كان النبي ﷺ يزور أصحابه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط، فصلّى عليه ودعا لهم[٥]. قال ابن حجر: (في الحديث استحباب الزيارة ودعاء الزائر لمن زاره وطعم عنده)[٦].

عاشرًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ذلك في قول سلمان رضي الله عنه لامرأة أبي الدرداء رضي الله عنها "ما شأنك" وجوابها "أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا" فعلم سلمان رضي الله عنه حال أبي الدرداء رضي الله عنه عن طريق السؤال والجواب ثم قدم نصحه لأبي الدرداء رضي الله عنه، وقد أثنى النبي ﷺ على هذا النصح.

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٢، وانظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٨٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/١٠.

الحديث رقم (١٥٠)

١٥٠- وعن أبي محمد عبد اللّهِ بن عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ أنِّي أَقُول: وَاللّهِ لأَصومَنَّ النَّهارَ، ولأَقُومنَّ اللَّيْلَ ما عشْتُ، فَقَالَ رسُول اللّه ﷺ: «**أَنْتَ الَّذِي تَقُول ذلك؟**» فَقُلْت له: قَدْ قُلتُه بأَبي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ اللّه. قَالَ: «**فَإِنك لا تَسْتَطِيعُ ذلِكَ، فَصُمْ وأَفْطِرْ، ونَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحسنَةَ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وذلكَ مثْلُ صِيامِ الدَّهْرِ**». قُلْت: فَإِنِّي أُطيق أفْضَلَ منْ ذلكَ. قالَ: «**فَصمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**»، قُلْت: فَإِنِّي أُطيق أفْضَلَ مِنْ ذلكَ، قَالَ: «**فَصُم يَوْمًا وَأَفْطِرْ يوْمًا، فَذلكَ صِيَام دَاود** ﷺ، **وَهُو أَعْدَل الصِّيَامِ**»[1].

وَفِي رواية[2]: «**هوَ أَفْضَلُ الصِّيامِ**».

فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلكَ، فقال رسول اللّه ﷺ: «**لا أَفْضَلَ منْ ذلك**»[3].

[4]وَلأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الثَّلاثَةَ الأَيَّامِ الَّتِي قال رسولُ اللّه ﷺ أَحَبُّ إِليَّ منْ أَهْلِي وَمَالِي[5].

وفِي روايةٍ[6]: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصومُ النَّهَارَ وتَقُومُ اللَّيْلَ؟**» قلت: بلَى يَا رسول اللّهِ. قال: «**فَلا تَفْعل: صُمْ وأَفْطِرْ، ونَمْ وقُمْ فَإِنَّ لجَسَدكَ عليْكَ حقًّا، وإِنَّ لعيْنَيْكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لزَوْجِكَ عليْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإِنَّ بحَسْبكَ أَنْ تَصومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بكُلِّ حَسَنَةٍ عشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِن ذلك صِيَامُ الدَّهْرِ**» فشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يا رسول اللّه إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً، قال: «**صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللّهِ داوُدَ وَلا تَزِدْ عَلَيْهِ**» قلت: وما كَان صِيَامُ داودَ؟ قال: «**نِصْفُ الدهْرِ**» فَكَان عَبْدُ اللّهِ يقول بعْد مَا كَبِر: يا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصةَ رسول اللّه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١٨١/١١٥٩) واللفظ له، من رواية سعيد، وأبي سلمة.

(٢) أخرجها البخاري (١٩٧٦) من رواية شعيب، عن الزهري.

(٣) أخرجها البخاري (١٩٧٦)، ومسلم (١٨١/١١٥٩) من رواية سعيد، وأبي سلمة.

(٤) قبلها عند مسلم زيادة: (قال عبد الله بن عمرو).

(٥) أخرجه مسلم (١٨١/١١٥٩) من رواية يونس عن الزهري، وهذه الزيادة ليست عند البخاري.

(٦) أخرجه البخاري (١٩٧٥) من رواية الأوزاعيّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة وحده.

وفي رواية[١]: «أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يا رسولَ اللَّهِ، ولَمْ أُرِدْ بذلِكَ إلاَّ الْخَيْرَ.

قَالَ[٢]: «فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ داودَ، فَإِنَّه كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ».

[٣]«وَاقْرأْ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ» قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيق أَفْضل مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأه فِي كُلِّ عِشرِينَ» قُلْت: يَا نبيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيق أَفْضَل مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ» قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيق أَفْضلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «فَاقْرَأْه فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ» فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، وقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لاَ تَدْرِي لَعلَّكَ يَطُول بِكَ عُمُرٌ» قَالَ: فَصِرْت إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي قَبِلْت رخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ.

وفي رواية[٤]: «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عليْكَ حَقًّا».

وفي روايةٍ[٥]: «لا صَامَ من صَامَ الأَبَدَ» ثَلاثًا.

وفي روايةٍ[٦]: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّه تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صَلاةُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يومًا ويُفْطِرُ يَوْمًا، [وَلا يَفِرُّ إِذَا لاقَى]»[٧].

---

(١) أخرجها مسلم (١١٥٩/١٨٢) من رواية عكرمة بن عمّار، عن يحيى بن أبي كثير.

(٢) هذا من الأحاديث التي نقلها المؤلف عن الحميدي في جمعه، وهو يورد الحديث كفقرات مستقلة بحذف بعض المكررات، والمؤلف يدرجه فيما قبله، فيوهم القارئ بتواصل الفقرات، وليس كذلك، ولأجل ذلك ننبه على كلّ فقرة مستقلة.

(٣) هذه الفقرة مستقلة، ذكر قبلها الحميدي، قوله: (وفيه).

(٤) أخرجها مسلم (١١٥٩/١٨٣) من رواية حسين المعلم، عن يحيى.

(٥) أخرجها البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩/١٨٦) من رواية ابن جريج، عن عطاء.

تنبيه: تكررت في المطبوع من صحيح مسلم ثلاث مرات، وفي هامش الكتاب في نسخة مرَّتين، وكذا عند البخاري مرَّتين، وفصَّله الحميدي في جمعه (٤٢٨/٣) فقال: في حديث أبي عاصم، عن ابن جريج، وهو عند البخاري: مرَّتين. وفي رواية عبد الرزاق، عن ابن جريج، وهو عند مسلم: ثلاثا.

(٦) أخرجها البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩/١٩٠) دون قوله: (ولا يفرُّ إذا لا قى) قال الحميدي في جمعه (٤٣٠/٣) وأخرجاه مختصرًا جامعًا من رواية عمرو بن أوس الثقفيّ.

(٧) ما بين المعكوفين لا يوجد عندهما.

وفي رواية[١] قَالَ: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حسَبٍ، وكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ (أي: امْرَأَة ولَدِهِ) فَيسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ لَهُ[٢]: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رجُل لَمْ يَطَأْ لنَا فِرَاشًا ولَمْ يُفَتِّشْ لنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طالَ ذَلِكَ عليه ذكَرَ ذلِكَ[٣] لِلنَّبِيِّ ﷺ. فقَالَ: «**الْقَني به**» فلَقيتُهُ بَعْدَ ذلكَ[٤]، فَقَالَ: «**كيفَ تَصُومُ؟**» قُلْتُ: كُلَّ يَوْم، قَالَ: «**وَكيْفَ تَخْتِمِ؟**» قلتُ: كُلَّ لَيلة.

وذَكَر نَحْوَ مَا سَبَق: وكَان يقْرَأُ عَلَى بعْض أَهْلِه السُّبُعَ[٥] الَّذي يقْرؤهُ يعْرضُهُ مِن النَّهَارِ لِيكُون أَخفَّ علَيهِ باللَّيْل، وَإِذَا أَراد أَنْ يَتَقَوَّى أَفْطَر أَيَّامًا وَأَحصَى، وصَام مِثْلَهُنَّ كَراهِيةَ أَن يتْرُك شيئًا فارقَ علَيهِ النَّبِي ﷺ.

كُلُّ هذِه الرِّوَايات صحيحةٌ مُعْظَمُهَا فِي الصَّحيحيْنَ وقليلٌ منْهَا فِي أَحَدِهِما[٦].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

بأبي أنت وأمي: الباء متعلقة بمحذوف: اسم أو فعل، والتقدير: أنت مفدي أو أفديك[٧].

زورك: زائرك[٨].

---

(١) أخرجها البخاري (٥٠٥٢) من حديث أبي عوانة، عن مغيرة، عن مجاهد.

(٢) (له) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي.

(٣) (ذلك) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي.

(٤) (ذلك) لا توجد عند البخاري.

(٥) عند البخاري زيادة: (من القرآن بالنهار، و).

(٦) عزونا كلَّ فقرة مستقلة إلى من أخرجها، سواء اتفقا على إخراجها أو انفرد أحدهما برواية بعضها، وكل هذه الروايات نقلها المؤلف من كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/٤٢٨-٤٣٠).

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٦٨.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

الأبد: الدهر[١].

بعلها: زوجها[٢].

لم يطأ لنا فراشًا: أي لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا[٣].

لم يفتش لنا كنفًا: أي لم يدخل يده معها كما يدخل الرجل يده مع زوجته في دواخل أمرها، وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها[٤].

السُّبُع: جزء من سبعة، والمقصود سُبُع القرآن[٥].

الشرح الأدبي

تتعدد روايات هذا الحديث الشريف وهذا التعدد لا يعني التعارض، ولكنه يضيف بعض مظاهر التشدد التي يظنها البعض من وسائل التقرب، ومن معالم الورع والتقوى، ولكن رسول الله ﷺ حريص على أمته، وبالمؤمنين رءوف رحيم، وهو يعرف قدرات الناس، ولا يرضى أن تكون العبادة طريقًا للملل أو الضعف الجسماني، أو سببًا في تأزم العلاقة بين الزوج وزوجته، وبين الرجل وضيوفه وأبنائه، فالعبادة طاعة وتقرب إلى الله عز وجل، وهي شكر لله على ما أنعم به على عباده الحامدين الشاكرين، والروايات الخمس كلها ترشد إلى القصد في العبادة، وإلى أن التيسير في العبادات طريق إلى إتقانها والمداومة عليها، وهذا التيسير الذي أرشد إليه النبي كثيرًا، يجيء في هذا الحديث في قالب حواري مُشوِّق: فيه الإمتاع والإقناع، وفيه الترغيب والترهيب، وفيه التيسير والتبشير.

والحوار بين رسول الله ﷺ وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وعبدالله بن

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ب د).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ع ل).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٧١٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ش)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٧١٤.

(٥) انظر الوسيط ٤١٤.

عمرو أسلم قبل أبيه، وكان كثير العلم مجتهدًا في العبادة، تلاء للقرآن، وكان أكثر الناس أخذًا للحديث والعلم عن رسول الله ﷺ، وقد أقرّ أبو هريرة رضي الله عنه بذلك حيث قال: "ما كان أحد أكثر حديثًا عن رسول الله مني إلا عبدالله بن عمرو بن العاص، وكان يكتب ولا أكتب".

ولذلك حين نقرأ هذا الحوار البليغ الذي يُصر فيه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما على أخذ نفسه بالمشقة في العبادة: ويقول: "إني أطيق أفضل من ذلك"، لا تتعجب ولا تستغرب حين نتعرف على صفاته وأحواله، فبعد موت رسول الله ﷺ، قال وهو يستكثر من عمل الخير ويزيد فيه، "الخير أعمله لله اليوم أحب إلي من مثليه مع رسول الله ﷺ، لأنا كنا مع رسول الله تهمنا الآخرة، ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم مالت بنا الدنيا"[1].

وفي ضوء هذه السمات والخصائص التي كان يتسم بها: عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: نستطيع أن ندرك أسرار كثير من الدلالات والمعاني التي تنبثق من هذا الحوار الكريم، انبثاق العطر من الأزهار، وانبثاق الضوء من الشموس والأقمار.

فالقسم والتأكيد في قوله: "والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت"، يفصح بجلاء عن إخلاص النية وصدق التوجه، والتصميم على التنفيذ لأنه أقسم بالله عز وجل، وقوله "ما عشت" أي طيلة حياتي: وفي ذلك إلزام للنفس بالمشقة، وإجهاد للبدن، ولكنَّ عبدالله هل يستطيع الإبرار بالقسم، على الرغم من الضعف والمشقة؟؟؟!!!.

ويأتي توجيه الرسول ﷺ له في صورة استفهام حيث قال: "أنت الذي تقول ذلك"، وحذف أداة الاستفهام يدل على حرص الرسول ﷺ على توصيل المعنى في أسرع وقت، مع نبْرة التقرير والإشعار بعدم الموافقة على هذا النهج.

ولم ينكر عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، لأنه لم يفعل منكرًا. ولكنه يبالغ في الطاعة ويشق على نفسه، ويظن أن ذلك هو النهج الأقوم والأمثل: فقال في أسلوب مرغب: وعاطفة صادقة، ومحبة لرسول الله ﷺ، وأتى بـ"قد" في أول القول، ومزج إجابته

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٢٢/١.

بالدعاء للنبي ﷺ وذلك للإشعار بأنه مستعد لافتداء النبي ﷺ وكأنه يقول: إن هذه المشقة في الطاعة شيء يسير، وإنه يتمنى أن يفدى رسول الله ﷺ بنفسه، ولنتأمل هذا الجواب الذي يشرق بهذه المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ: "قد قلته: بأبي أنت وأمي يا رسول الله"، ويستمر الحوار الأجمل والأحسن والأصدق، حيث لا يعنفه رسول الله ﷺ وكيف: وهو ينزع إلى الترقي في العبادة، وفداء رسول الله بنفسه دفاعًا عن العقيدة الإسلامية، ولكن يقول له في صيغة مؤكدة "إنك لا تستطيع ذلك"، ثم يوجهه إلى المنهج المعتدل، وإلى القصد في العبادة: وهو توجيه عام وشامل للأمة كلها: وجاء في صيغة الأمر... حيث قال: "فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر".

والعبارة الأخيرة ترشد إلى أن المسلم إذا صام ثلاثة أيام من الشهر تحسب له بثلاثين يومًا فكأنه صام الشهر كله.

وحين يداوم على صيام هذه الأيام الثلاثة؛ فكأنه صام الدهر كله أى حياته التي قضاها عابدًا متبتلاً قوامًا صوّامًا في رفق ويسر.

ولنتأمل هذا التدرج في الحوار، وقوة إرادة عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، ورغبته في الإكثار من العبادة، حيث رغب في المزيد، وقال للنبي ﷺ: "إني أطيق أفضل من ذلك"، ويفتح له النبي ﷺ بعض أبواب الخير ولا يمنعه من الاستزادة، ولا يَضِيقُ صدره لعدم استجابته لما أبداه له في الحوار من مظاهر التيسير ومضاعفة الثواب، ويقول له: "فصم يومًا وأفطر يومين"، فيقول عبدالله: "فإني أطيق أفضل من ذلك"، فيفتح له الرسول ﷺ بابا جديدًا من أبواب الخير والترقي في العبادة بناء على رغبته، ولا يمنعه من الاستزاده: ويقول له: "فصم يومًا وأفطر يومًا"، ثم يرغبّه في هذا السبيل القويم ويقول حتى يقتنع عبدالله "فذلك صيام داود، وهو أعدل الصيام". وفي رواية للبخاري: وهو: "أفضل الصيام"، وذلك لأن النفس تكتسب في يوم الفطر من القوى ما يجبر به ما لحقها من وَهَنِ الصوم، فتدوم على العمل، فيقول عبدالله: بعد هذا الترغيب من النبي ﷺ، وبعد هذا التدرج في الإقناع، والصبر على هذه المحاورة بدافع من حب النبي له،

وخوفه عليه حيث قال له: "إنك لا تستطيع" يقول عبدالله في صيغة التأكيد: "إني أطيق أفضل من ذلك"، وهنا يُحْسم الحوار.. ويكون موقف النبي ﷺ جازمًا وصريحًا ومقنعًا حرصا على مصلحة الأمة حيث قال: "لا أفضل من ذلك"، والجواب فيه إيجاز حيث حذفت كلمات عديدة، والإيجاز هنا يعطي دلالة الحزْم والجزْم والحسْم والقوْل الفَصْل، وكأن النبي ﷺ يقول: من خلال هذه الإجابة الحاسمة لا مناقشة ولا حوار، فقد انتهى الأمر.

ونهاية الحديث تشرق بحقيقة وقيمة البيان النبوي، وترشد إلى ضرورة الأخذ بمنهج التيسير في الإسلام، في ضوء توجيهات النبي ﷺ، لأن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما بعد أن كبر، وضعفت همته لضعف جسده، أدرك أن الذي اختاره رسول الله ﷺ من البداية هو المنهج السديد، والقول الرشيد: وهو الاكتفاء بصيام ثلاثة أيام في كل شهر، وهي في ثوابها وأجرها تساوي ثلاثين يومًا: والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم.

ولذلك يدرك عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما حكمة رسول الله ﷺ، واتساع رؤيته، وثاقب نظره، وصدق قوله، حين قال له مؤكدًا وقوله الصدق: "إنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم... الخ"، ويقول عبدالله بعد ما طَعَن في السن: مقرًا بصواب منهج القصد في العبادة "ولأن أكون قبلتُ الثلاثة الأيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلى من أهلي ومالي"، فصلَّى اللهُ وسلم عليك يا رسولَ الله، وأنت القائل: "إن الدين يسر ولن يشاد الدينَ أحدٌ إلا غلبه"[1]، وعَبدُ اللهَ رضي الله عنه بعد أن خاض تجربة الحياة، وأقام على الطاعة والتزم بصوم يوم وإفطار يوم: أدرك في آخر العمر أن هذه مشقة وأخذ للنفس بالشدة، وتمنى أن يكون قد استجاب لما عرضه عليه المصطفى ﷺ من تخفيف وتيسير، وفي الروايات الأخرى لهذا الحديث تفصيل لأسباب التيسير والابتعاد عن المشقة في العبادة: ومنها: مراعاة حقوق الغير، وإيجاد بعض الوقت لقضاء متطلبات الحياة، ورعاية الزوجة والأولاد، وحسن استقبال الضيوف، لأن المؤمن لا يعيش معزولاً، بل يجب

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩، واللفظ له، ومسلم ٢٨١٦.

أن تكون حركته في المجتمع إيجابية فاعلة: يألف ويؤلف، يزور ويُزار، يُعلِّم ويتعلَّم، يعمل للناس ويعملون له، يستثمر ماله وينفقه في مشاريع الخير، ويعين المحتاجين، والضعفاء.

وهذه المعاني والسلوكيات تتوهج بها هذه التوجيهات التي صيغت في أسلوب التوكيد، وتكرر فيها لفظ "حقًا"، لزيادة التأكيد على ضرورة أداء هذه الحقوق والواجبات: وما أصدق هذا التوجيه النبوي الكريم الذي يحض على القصد في العبادة "صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لولدك عليك حقًا"، وقال رسول الله ﷺ لعبدالله، "إنك لا تَدْري لعلك يطول بك عمر" يقول عبدالله فصرت إلى الذي قال؟ وقد مات وعمره اثنتان وسبعون سنة في عام ثمانية وستين من الهجرة، في مصر وقيل بالطائف، ومات وهو ضعيف كما أخبره رسول الله ﷺ ولذلك قال: فلما كبرتُ وددتُ أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: أحكام قيام الليل، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٩٨).

الثاني: حكم صوم التطوع، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١٤٣).

الثالث: حكم صيام الدهر، وقد اختلف الفقهاء في حكمه، فذهب الجمهور من الحنفية[١] والمالكية[٢] والحنابلة[٣] وبعض الشافعية[٤] إلى أن صوم الدهر مكروه لما

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/٧٩، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي١/٣٣٢.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٤٤٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ٣/٣٧٦.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣/٥٣، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥/٣٧٨، والفروع، ابن مفلح ٣/١١٤.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/٤٤١.

فيه من المشقة والضعف وشبه التبتل المنهي عنه، ولأنه يصير الصوم طبعًا له ومبنى العبادة على مخالفة العادة، وذهب الشافعية[١] إلى أن صوم الدهر جائز متى لم يخف ضررًا ولم يفوت حقًا، والمراد بصوم الدهر سرد الصوم في جميع الأيام إلا الأيام التي لا يصح صومها كالعيدين وأيام التشريق، وقال الغزالي هو مسنون[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: الاستفهام من المدعو عما بلغه عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات الداعية: الشفقة على المدعو.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الموازنة والاقتصاد في فعل الطاعات.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في التوسط والتنفير من التشدد والتعمق في العبادات.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: تأدب الزوجة مع زوجها.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار والتوكيد والأمر والنفي والتعليل.

أولاً- من مهام الداعية: الاستفهام من المدعو عما بلغه عنه:

على الداعية أن يستوضح من المدعو ما بلغه عنه، حتى يرشده إلى الطريق الصحيح، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ في قوله لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "أنت الذي تقول ذلك؟" بعد أن أخبره أبوه عمرو بن العاص رضي الله عنه[٣] وفي رواية "ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟" وفي رواية في الصحيحين "فإما أرسل إليّ وإما لقيته"[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤١/٦ وما بعدها، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٣٢/١.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤١/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٧/٢٨.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٠/٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٧، ومسلم ١٨٦-١١٥٩.

قال ابن حجر: (ويجمع بينهما بأن يكون عمرو توجه بابنه إلى النبي ﷺ فكلمه من غير أن يستوعب ما يريد من ذلك ثم أتاه إلى بيته زيادة في التأكيد)[١].

وقد فعل ذلك النبي ﷺ مع الثلاثة الذين سألوا عن عبادته، وعزموا على المبالغة في عبادتهم، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟))[٢].

فبادر ﷺ إلى علاج الخلل الذي وقعوا فيه، وبيّن لهم أن ما عزموا عليه خلاف سنته ﷺ، وأن طريقته ﷺ التوسط والبعد عن الإفراط والتفريط.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ:

لقد تواتر واشتهر حب الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ، فقد كانوا على أتم الاستعداد لأن يضحوا من أجله بالغالي والنفيس، كما يتضح هنا في هذا الحديث من قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "قد قلته بأبي أنت وأمي يا رسول الله" قال ابن حجر: (الباء متعلق بمحذوف اسم أو فعل، والتقدير أنت مفدى أو أفديك [بأبي وأمي]. واستدل به على جواز قول ذلك. وزعم بعضهم أنه من خصائصه ﷺ)[٣].

كما يدل على هذا الحب خير دلالة ويوضحه خير توضيح ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((كنا قعودًا حول رسول الله، معنا أبوبكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يُقْتَطَعَ دوننا[٤] وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا[٥] للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد، فإذا ربيع[٦] يدخل في جوف حائط بئر خارجة فاحتفزت[٧] كما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣ واللفظ له، ومسلم ١٤٠١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٢٩.

(٤) أي يصاب بمكروه من عدو، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٢.

(٥) أي بستانًا وسمي بذلك لأنه حائط لا سقف له. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٢.

(٦) الربيع: الجدول وهو النهر الصغير، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

(٧) احْتَفَزْتُ: بالزاي وليس بالراء كما جاء في الأصل، واحتفزتُ: أي تضاممت ليسعني المدخل إلى الشرح الشريف، ابن الحاج العبدلي. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي للنووي ١/٢٣٦.

يحتفر الثعلب فدخلت على رسول الله ﷺ فقال: أبو هريرة؟ قلت: نعم...))[١].

قال النووي: (وفيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من القيام بحقوق رسول الله ﷺ وإكرامه والشفقة عليه والانزعاج البالغ لما يطرقه، وفيه اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم، والاعتناء بتحصيل مصالحه ودفع المفاسد عنه)[٢].

ثالثًا- من صفات الداعية: الشفقة على المدعو:

وذلك في قوله ﷺ: "فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر ونم وقم..." وقوله ﷺ: "فلا تفعل، صم وأفطر ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا..." وفي رواية "وإن لولدك عليك حقًا". قال النووي: (حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قد جمع مسلم طرقه فأتقنها، وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم، وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها)[٣].

وقد قال القاضي عياض: (ومن شفقته على أمته تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم، كقوله ﷺ: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء))[٤]...)[٥]. ففي هذا الحديث (بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرفق بأمته ﷺ)[٦].

رابعًا- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد بعث الله محمدًا ﷺ رحمةً للعالمين، فكان يرشدهم إلى ما هو أنسب وأرفق بهم. فكان أعرف من أنفسهم بما يصلحهم ويناسبهم، لذا كان على المدعو ان

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٤٦٠/٢ رقم ٩٩٢٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٢/١٦.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض١٨٨/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٧ وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٧/٢.

يستجيب لما يرشده إليه ويدلّه عليه، ومما يؤكد ذلك قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (فشددت فشدّد عليّ، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال: صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه" قلت: وما كان صيام داود؟ قال: نصف الدهر. فكان عبدالله يقول بعدما كبر: يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ. وفي رواية: إنك لا تدري لعلك يطول بك عمرٌ. قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ. فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله ﷺ.

قال ابن حجر: (قال النووي: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ فشق عليه فعله لعجزه، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له، فتمنى أن لو قبل الرخصة فأخذ بالأخف)[1].

ولعل من هذا القبيل ما رواه سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ قال: حَزْن[2]. قال: أنت سهل. قال: لا أغيّر اسمًا سمّانيه أبي. قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الموازنة والاقتصاد في فعل الطاعات:

الإسلام دين الوسطية، فهو وسط بين الإفراط والتفريط، سمته الموازنة بين فعل الواجبات والمندوبات، بحيث لا يطغى جانب على آخر، لذا حرص الإسلام أشد الحرص على الموازنة بين الأعمال، كما يتضح في قول النبي ﷺ: "فلا تفعل صم وأفطر ونم وقم فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقًا...". وفي رواية في الصحيحين: "إنك إن فعلت ذلك هجمت له العين ونفهت[4] له النفس... فصم صوم داود كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٥٨-٢٥٩، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١٧.

(٢) الحَزْن: بفتح المهملة وسكون الزاي: ما غلظ من الأرض، وهو ضد السهل، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٩٠، ٦١٩٣.

(٤) بكسر الفاء أي تعبت وكلّت. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٦٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٧٩، ومسلم ١٨٧-١١٥٩.

قال الخطابي: (المؤمن لم يُتعبد بالصوم فقط وإنما تعبد بأنواع من العمل كالجهاد والحج ونحوهما، فإذا استفرغ جهده في الصوم فبلغ حد غور العين وكلال البدن انقطعت وبطلت سائر أبواب العبادة، فأمره ﷺ بالاقتصاد في الصوم ليستبقي بعض القوة لسائر الأعمال)[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الترغيب في التوسط والتنفير من التشدد والتعمق في العبادات:

إن دين الإسلام أبعد الأديان عن التشدد والتعمق في العبادات، لأنه دين يُراعي الإنسان في كل أحواله وشؤونه من نشاط وملل وإقبال وفتور ونحو ذلك. كما أنه يعرف أن التعمق في العبادات قد يؤدي إلى عكس المطلوب من نحو ترك واجب أو واجبات أو بعض الطاعات، لذا رغّب الإسلام في التوسط في فعل الطاعات، كما يتضح في قول النبي ﷺ: "لا تستطيع ذلك فصم وأفطر...".

وواضح كذلك في قول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما "فشددت فشدِّد عليّ" فكان عبدالله يقول بعدما كبر: "يا ليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ". قال النووي: (حاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون عليه ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو ترك بعضها، وقد بيّن ذلك بقوله ﷺ: "عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"[٢].

وفي الحديث الآخر: "أحب العمل إليه ما داوم صاحبه عليه"[٣] وقد ذم الله تعالى قومًا أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها، فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[٤])[٥].

---

(١) أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري: الخطابي حَمْد بن محمد، تحقيق د. محمد بن سعيد آل سعود، ٩٧٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٢، ومسلم ٧٨٣.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، ٧١٨.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: تأدب الزوجة مع زوجها:

إن من الأخلاق الجديرة بأن تتحلى بها الزوجة -وخاصة المسلمة- أن تتأدب مع زوجها ليس في تعاملها معه فحسب، بل في الإخبار عن حاله أيضًا إذا اقتضى الأمر ذلك، وقد ضربت الصحابيات المثل الأعلى في هذا الخلق، وتلك الصفة، يوضح ذلك قول زوجة عبدالله: "نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا منذ أتيناه"، فقد تأدبت في الإخبار عن زوجها مع أنه كان مقصرًا في حقها.

ومن هذا القبيل ما حدث لإبراهيم عليه السلام مع زوجتيْ ابنه إسماعيل عليه السلام ((فقد جاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشَرٍّ نحن في ضيقٍ وشدة فشكت إليه. قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال لها: "ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك" فطلقها وتزوج أخرى فجاء إبراهيم بعد ذلك فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت:نحن بخير وسعة. وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء. قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يثبت عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال: ذلك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك))[1].

وتأدب الزوجة مع زوجها ينبع من ضمن ما ينبع من فضله عليها وإحسانه إليها، حتى أن النبي ﷺ قال: ((لَوْ كُنْتُ آمرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا))[2] قال المباركفوري (لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها، فإن السجدة لا تحلّ لغير الله)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ١١٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٩٢٦).

(٣ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٨٣/١.

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الحوار والتوكيد والأمر والنفي والتعليل:

أما الحوار فواضح من الحديث الذي دار بين النبي ﷺ وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وأما التوكيد فقسم عبدالله رضي الله عنه: "والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ماعشت" ليؤكد عزمه على ذلك وتصميمه عليه، وقول النبي ﷺ: "إنك لا تستطيع ذلك، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وإنك لا تدري لعلك يطول بك عُمُرٌ".

وأما الأمر فأمر النبي ﷺ عبدالله: "صم وأفطر ونم وقم..." وأما النفي فقول النبي ﷺ: "لا أفضل من ذلك" و"لا صام من صام الأبد".

وأما التعليل فقوله ﷺ: "فلا تفعل فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقًا...". وقوله ﷺ عن داود عليه السلام: "كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفر إذا لاقى".

الحديث رقم (١٥١)

١٥١- وعن أَبي ربْعِيٍّ حنْظَلَةَ بنِ الرَّبيعِ الأُسيديِّ الْكَاتِبِ، أَحدِ كُتَّابِ رسول اللَّه ﷺ قال: لَقيني أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فقال: كَيْفَ أَنْتَ يا حنْظلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحانَ اللَّه ما تقُولُ؟، قُلْتُ: نَكُونُ عِنْد رسول اللَّه ﷺ يُذكِّرُنَا بالْجنَّةِ والنَّارِ كأَنَّا رأْيَ عين، فَإِذَا خَرجنَا مِنْ عِنْدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عافَسنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعاتِ نَسينَا كَثِيرًا. قال أَبُو بكْرٍ رضي الله عنه: فَواللَّهِ إِنَّا لنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فانْطلقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حتى دخَلْنَا عَلى رسول اللَّه ﷺ. فقُلْتُ نافَقَ حنْظَلَةُ يا رسول اللَّه، فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**ومَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يا رسولَ اللَّه نُكونُ عِنْدكَ تُذَكِّرُنَا بالنَّارِ والْجنَةِ كَأَنَّا رأْيَ العَيْنِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسنَا الأَزوَاج والأَوْلاَدَ والضَّيْعاتِ نَسينَا كَثِيرًا. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لصَافَحتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُم وفِي طُرُقِكُم، وَلَكِنْ يا حنْظَلَةُ ساعةً وساعةً**» ثَلاثَ مرَّاتٍ، رواه مسلم[1].

قولُهُ: (**رِبْعِيٍّ**) بكسر الراء. وَ(**الأُسَيِّدِي**) بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مكسورة مشددة. وقوله: (**عَافَسْنَا**) هُوَ بالعينِ والسينِ المهملتين أي: عالجنا ولاعبنا. وَ(**الضَّيْعاتُ**): المعايش.

ترجمة الراوي:

حنظلة بن الربيع الأسيدي: هو ابن الربيع بن صيفيّ التميمي، وهو ابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب يقال له "حنظلة الكاتب" لأنه كان من كتاب النبي ﷺ، وكانت الكتابة في العرب قليلة، وقد أرسله النبي ﷺ إلى أهل الطائف: ليخيرهم بين الصلح والحرب؟ فلما توجه إليهم قال رسول الله ﷺ ((ائتمّوا بهذا وأشباهِهِ))[2] وشهد

---

(١) برقم (١٢/٢٧٥٠).

(٢) فيما ذكره ابن إسحاق كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص (٣٠٤).

مع خالد بن الوليد رضي الله عنه حُروبَه بالعراق، ثم قَدِمَ مَعَه دَوْمة الجَنْدل من كُور دمشق ثم أتى معه إلى سُوى -وهو ماء لبهراء من ناحية السماوة- ووجَّهَهُ خالدٌ بالأخماس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وشهد القادسية، وهو ممَّن تخلف عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قتال أهل البصرة يوم الجمل، وجُلُّ حديثه عند أهل الكوفة، وقد ترك الكوفة وخرج منها إلى قرقيسيا -بين الخابور والفرات- وقال: لا أقيم ببلد يُشتم فيه عثمان رضي الله عنه، وكان معتزلاً للفتنة.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وجاء عنه حديثان، وتوفي بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولما توفي جزعت عليه امرأته، فنهتها جاراتها، وقالت: إن هذا يُحبطُ أجرك، فقالت:

تعجَّبْ دَعدُ لمخزونةٍ ... تبكي على ذي شيبة شاحب
إن تسأليني اليوم ما شفَّني ... أخبرك قولاً ليسَ بالكاذبِ
إنَّ سوادَ العينِ أودى به ... حُزْنُ على حنظلةَ الكاتب

وتوفي في إمارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[1].

غريب الألفاظ:

عافسنا: قوله "عافسنا": هو بالعين والسين المهملتين أي: عالجنا ولاعبنا[2].

الضيعات: المعايش[3]، وفي النهاية: مفردها ضَيْعَة، وضَيْعَةُ الرجل ما يكون منه معاشه؛ كالصَّنْعَةِ والتجارة والزراعة وغير ذلك[4].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١٣٨-١٣٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٨٤-٨٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (٣٠٤)، الأعلام للزركلي (٢/٢٨٦)، تهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٢/٣١٨-٣١٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٥٠٦).

(٢) رياض الصالحين ١١٠.

(٣) رياض الصالحين ١١٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض ي ع).

الشرح الأدبي

إن الدرس الذي نتعلمه من هذا الحديث الشريف: هو الحرْص على الطاعة، ومحاسبة النفس وإخلاص النية لله، والاقتداء برسول الله ﷺ.. مع الابتعاد عن المغالاة والشدة في العبادة.

وهذه الرسالة التوجيهية نتلقاها عَبْر ذلك الحوار الصادق بين اثنين من كبار الصحابة، وهما أبو بكر الصديق، وحنظلة بن الربيع الأسيِّدي، "الكاتب"، وهو من كتاب الوحْى، وهذه منزلة عظيمة وأفضلية لحنظلة في الإسلام، والحوار لم يُعدّ إعدادًا مُسبَّقًا ولكن صنعه الحدث المتمثل في حرص حنظلة على إخلاص العمل، وصدق النية، وكمال المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة.

والرواية هنا لم تُسْرد في صيغة الغائب، ولكن جاءت على لسان المتكلم: وهو حنظلة، الراوي الأعلى، ثم يتصاعد الحوار، وتتنوع الأساليب، وتتعدد الأسئلة، وتأتي الإجابات مثيرة للتساؤل والدهشة، لأن قضية الحوار هي: اتهام حنظلة لنفسه، ولمن على شاكلته بالنفاق وهو غير ذلك، وهذا الاتهام على غير المألوف، لأن المعهود أن الذي يحكم بالنفاق على شخص هو شخص آخر، بناء على سلوكيات تُلقي به في دائرة النفاق، وحينئذ يكون الاتهام صحيحًا، وأحيانًا يكون الاتهام تجنيًا حين يبني على رؤية غير صائبة، وشواهد وأدلة عن ساحة الصدق غائبة.

ويبدأ الحوارُ بمشهد أخوي إنساني، ومسلك يترجم معنى الأخوة في الإسلام، حيث يسأل أبو بكر حنظلة حين لقيه، "كيف أنت يا حنظلة"، والسؤال فيه إيجاز وعموم وشمول حيث يريد أبو بكر أن يطمئنَّ على أحوال حنظلة كلها، وجمع في هذا السؤال المشحون بطاقة المحبة والأخوة بين ضمير المخاطب المفرد، "أنت"، واسم صاحبه، "حنظلة"، "كيف أنت يا حنظلة"، والنداء كذلك في هذا الاستفسار عن أحوال حنظلة، هذه السمات الأسلوبية تُكوِّن وتُجمِّل الرسالة الأخوية التي بثها وأرسلها الصديق رضي الله عنه إلى صاحبه "حنظلة، وهى من معالم الأخوة في الإسلام، ولنتأمل: بماذا أجاب حنظلة، إن إجابته تجيء على غير المعهود، وفيها انزياح وعدول عن الجواب المتوقع، حيث تكلم عن نفسه، بصيغة الغائب، وهنا التفات من المتكلم إلى الغائب، فقال: نافق حنظلة،

وهذه الصيغة التي أجاب بها توحي بأن إنسانًا آخر يتكلم عن حنظلة: ويحكى خبره لأبي بكر، وهذا العدول عن الصيغة المتوقعة، قد يكون باعثها رفض حنظلة للتكلم بنفسه عن هذه الخصلة، أو هذه الحالة من النفاق التي ظن أنها تمكنت منه، فكره أن يقول: نافقْتُ أو وقعتُ في النفاق، أو أن هذه الصيغة لتحديد الإدانة، وتحديد اسم المدان مبالغة في التأنيب.

ويتصاعد الحوار... ويتساءل أبو بكر الصديق في تعجب واستغراب ودهشة، حيث يقول سبحان الله ما تقول؟ وتصدير الاستفهام هنا بقوله، سبحان الله، مناسب للسياق، وللمقام، لأن سبحان من معانيها التنزيه، والبُعْد وكأنه لمعرفته بحنظلة يقول إن الله سبحانه وتعالى المتصف بكل كمال، والمنزه عن كل نقص يجعل حنظلة في مأمن من النفاق: ويجعله في منعة منه وابتعاد عنه، فصيغة السؤال توحي بتبرئة أبي بكر لحنظلة.

ومن سمات إحكام الحوار تكرارُ: "قال"، "وقُلْتُ"، بين حنظلة وأبي بكر الصديق، ويشرح حنظلة لأبي بكر السبب الذي دفعه إلى اتهام نفسه بالنفاق، وهو نفاق بمنأى عن خصال النفاق المعهودة، حيث يوازن بين شعورهم وخوفهم ورهبتهم في مجلس رسول الله ﷺ حين يذكرهم بالجنة والنار، وكأنهم يشاهدون مظاهر النعيم في الجنة، وصور العذاب في النار ويرونهما رأى العين، وهذه، الدقة في الوصف، والأمانة في التبليغ تحدث الخشية والرهبة والخوف والتقوى.

وخوف حنظلة، واتهامه لنفسه بالنفاق ناشئ من زوال هذه الخشية، وتلك الرهبة حين يخرجون من عند رسول الله ﷺ حيث ينشغلون بالزوجات والأولاد والضيعات: فينسون كثيرًا من هذه الطاقات الشعورية التي غمرتهم وهم في حضرة المصطفى ﷺ.

ولنتأمل: كيف صاغ "حنظلة" شرحه للظروف والملابسات التي أدت به إلى هذا الموقف في مواجهة النفس، إنه عدل عن صيغة المتكلم المفرد إلى صيغة الجَمْع للإشارة إلى أن هذه حالة جماعية، وليست حالة خاصة بحنظلة وحده: والأفعال الآتية في صيغتها الجماعية تفصح عن ذلك التوجه، وكأنه يشير إلى أن كثيرًا من الصحابة على هذه الشاكلة، ولذلك نجد الأفعال ترد على هذا النحو. (نكون عند رسول الله، يذكرنا

بالجنة والنار، فإذا خرجنا من عند رسول الله، عافَسْنا الأزواج والأولاد، فنسينا كثيرًا).

ويؤيد أبو بكر ما قاله حنظلة وما ارتآه من تغير الحالة الشعورية بعد انتهاء مجلس رسول الله ﷺ وهذا التأييد ليس إقرارًا بالنفاق... ولكن هذا هو واقع النفس الإنسانية في مواجهتها للأعباء الحياتية.

ويُقْسم أبو بكر، ويؤكد أنه ينتابه الشعور نفسه، وقال مُطَمئنًا: حنظلة، "فو الله إنا لنلقى مثل هذا".

واكتمالاً للدرس، وتعميقًا للفائدة: لا يكتفي أبو بكر بهذا الإقرار... ومثله بمنأى عن النفاق بكل صوره، يذهب مع حنظلة إلى رسول الله ﷺ لمزيد من المعرفة، والاطمئنان: وهذا هو المنهج الإسلامي السديد؛ ومرة أخرى يكرر "حنظلة اتهامه لنفسه" أمام رسول الله ﷺ: حيث قال: "نافق حنظلة يا رسول الله"، ولنتأمَّل موقف رسول الله من هذا الاتهام... وهو غير معهود ولا مألوف من مثل حنظلة، "وهو من كُتّاب الوحى"، وتأتي إجابة المصطفى ﷺ هادئة متزنة لا يشوبها انفعال أو تقريع لحنظلة الذي اعترف بالنفاق، حيث قال له، "وما ذاك"، أي ما الذي جَعَلَك ترْمي نفسك بالنفاق، أى ما الدليل على صحة كلامك: وفي هذا التساؤل إشارة إلى براءة حنظلة من هذه التهمة الذاتية!!، فأعاد عليه، "حنظلة"، ما قاله لأبي بكر في صيغة الجَمْع، وكذلك في صيغة الخطاب للنبي ﷺ وهذا التكرار لهذه الصيغة مع العدول عن صيغة الجمع وكذلك في صيغة الخطاب للنبي ﷺ وهذا التكرار لهذه الصيغة مع العدول عن صيغة الغائب إلى صيغة المخاطب، يوحي برغبة حنظلة في مخاطبة النبي ﷺ ومحادثته في زَمنٍ أطْول بدافع من المحبة والتقدير والتشرف بمخاطبة رسول الله ﷺ وقمة الإحساس والشعور الصادق تتجلى في ذلك التعبير وهو يصف حال الصحابة رضي الله عنهم وهم يستمعون لرسول الله ﷺ وهو يذكرهم بالجنة والنار: يقول: كأنا رأي العين أي كأننا نرى مشاهد النعيم في الجنة، وصور العذاب في النار مشاهدة حقيقية، فيحصل لنا من ذلك كمال الخوف والمراقبة والتفكير في المآل والإقبال، على الآخرة، ثم يقول ويصور تغير الحالة الشعورية التي تنسى كثيرًا من معالم خوفها ورهبتها ووجلها في غمرة انشغالها بالأموال والأولاد والزوجات... وأمور الحياة المتشابكة "فإذا خرجنا من

عندك، عافَسْنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا"، عافسنا أي: عالجنا ولاعبنا.

ويُطمْئن المصطفى ﷺ: حنظلة وأبا بكر، وكل مسلم: أخلص النية، وعمل صالحًا، ولم يشرك بعبادة ربه أحدًا، فيقول: والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، وفي هذا البلاغ النبوي الذي جاء في أسلوب القسم، بشارة من رسول الله للسابقين المقربين الذين تثبت قلوبهم، ولا تتغير أحوالهم، وهؤلاء السابقون المقربون تصافحهم الملائكة على فرشهم وفي طرقهم، ثم يبشر رسول الله حنظلة، ويناديه بعد البشارة السابقة التي جاءت في أسلوب الشرط؟ والأداة، "لو"، هي: أداة امتناع لامتناع، إشارة إلى أن هذا الصنف قليل ونادرٌ وأما الواقع -والذي يتفق مع جبله البشر، والفطرة التي فطر الله الناس عليها- فيتضح في قول رسول الله ﷺ لحنظلة، "ولكن ياحنظلة: ساعة وساعة" وكرّرها ثلاث مرات، أي ساعة لأداء العبودية، وساعة للقيام بما يحتاجه الإنسان: وفي هذا القول تبرئة لحنظلة من تهمة النفاق، وبشارة له بصواب موقفه، وسلامة عقيدته، وموافقتها لفطرته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الاشتغال بالأمور الدنيوية وأعمال الكسب، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن أفضل الكسب ما كان عن طريق الجهاد ثم ما كان بعمل اليد ومنها التجارة والزراعة والغرس والصناعة ورعي الأغنام وما إلى ذلك، وإن كانوا قد اختلفوا في أفضلها بعد الجهاد في سبيل الله.

---

(١) انظر في ذلك: بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ١٤١/١، وشرح الخرشي على مختصر خليل، أبو عبدالله الخرشي ٤١٧/٧، والمدخل إلى الشرح الشريف، ابن الحاج العبدلي ٣/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المصري ١٢٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٧/٦، ٦٤/٩، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ١٧١/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٥٦٩/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٩١/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١٣/٦، و مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ١٦٧/٢، والمحلى، ابن حزم ٤٢/٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما يخاف منه على نفسه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الخوف والرجاء.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التيسير في تكاليف الإسلام.

سادسًا: من صفات الداعية: التيسير على المدعوين.

سابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والسؤال والجواب والقسم والنداء والتكرار.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

إن الداعية الناجح هو الذي يخصص جزءًا من وقته لتفقد أحوال المدعوين، حتى يطلع على أحوالهم ويعرف ما يشغلهم، فيصحّح مايحتاج إلى تصحيح ويصوّب ما هو صَوَاب وحق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ذلك أداة لتأليف قلوب المدعوين وكسب ودهم، مما يجعلها تقبل ما يقوله الداعية وتعمل على امتثاله وتطبيقه. فضلاً عن أن عددًا غير قليل من المدعوين يعرض له ما يقطعه عن التواصل مع الداعية وإخباره بما يشغله، فكان قيام الداعية بهذا التفقد سدًّا لهذا الخلل ومراعاة لهذا الأمر، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم - وهم خير القرون-يتفقدون حال بعضهم بعضًا، كما يتضح من قول أبي بكر رضي الله عنه "كيف حالك يا حنظلة؟". فقد سأل أبوبكر حنظلة رضي الله عنهما عن حاله، ليطمئن ويقوم بواجب الأخوة، فيقدم العون والنصح إن كان هناك مجال لذلك، فضلاً عن تقريب القلوب وتأليفها.

وقد كان النبي ﷺ يسأل عن أصحابه ويتفقد أحوالهم: من ذلك سؤاله وهو بتبوك عن كعب بن مالك رضي الله عنه فقال: ((ما فعل كعب بن مالك؟))[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

بل فعل النبي ﷺ ذلك مع الكفار حتى دخلوا الإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خيرٌ يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان بعد الغد، فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك. فقال: أطلقوا ثمامة، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي...))[1].

قال ابن حجر: (وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه)[2].

ثانيًا- من آداب المدعو: السؤال عما يخاف منه على نفسه:

إن المدعو قد تعرض له في حياته من الأمور ما يخاف منه على دينه ونفسه، فإن هو سكت سكت على أمر عظيم قد يؤدي به إلى ما لا تحمد عقباه في دنياه وآخرته، ومن ثم كان الواجب عليه أن يسأل أهل العلم حتى يبيّنوا له حقيقة ما فيه. ومن ثم يعرف ما يجب عليه فعله إزاء هذا الأمر. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم - وهم خير القرون-يسألون النبي ﷺ عما يخافون منه على دينهم، وهذا واضحٌ من قول حنظلة رضي الله عنه: فانطلقت أنا وأبوبكر رضي الله عنه حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت: "نافق حنظلة..": فحنظلة خاف على نفسه أن يكون وقع منه النفاق، لذا أخبر أبا بكر بما يجول في نفسه طالبًا النصح والتقويم، كما أنهما انطلقا إلى النبي ﷺ ليخبراه بما أهمَّهما وخافا على نفسيهما منه.

وقد كان هذا فعل الصحابة رضي الله عنهم، فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٧٢، ومسلم ١٧٦٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٦٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

قال ابن أبي جمرة عن هذا الحديث: (فيه النظر في حكمة الله تعالى في عباده كيف يُعطي لكل شخص ما شاء الله أن يقيمه فيه، يؤخذ ذلك من أنه عز وجل حبب للصحابة رضي الله عنهم سؤالهم له ﷺ عن وجوه الخير كي يقتبسوها ويكونوا بابًا لها، وحبب لهذا الصحابي رضي الله عنه سؤاله له ﷺ عن وجوه الشر؛ كي يحذرها ويكون سببًا في سدها عمن قدَّر الله تعالى له النجاة منها)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ المثال الأعلى في البلاغة والذروة السامقة في الفصاحة، به يقتدي أبلغ البلغاء، وينهج نهجه أفصح الفصحاء، وصدق أحمد شوقي إذ قال في وصفه:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة ... حديثك الشهد عند الذائق الفهم[٢]

فكان ﷺ إذا تكلم وضّح الأمر خير توضيح مع البلاغة الناصعة والفصاحة المشرقة. وهذا ما شهد به المعاصرون له من العرب، وهم أهل البلاغة والفصاحة، كما يتضح هذا من قول حنظلة رضي الله عنه: ((نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي عين)) والمعنى: (أي نراهما رأي عين)[٣]. فقد وصف النبي ﷺ الجنة والنار وصفًا دقيقًا آخذًا بالألباب حتى يخيل للسامع أنه يراهما بعينه، وهذا أدعى للترغيب في الجنة والتخويف من النار.

وقد حذا النبي ﷺ في ذلك حذو القرآن فقد قال ﷺ: ((من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾))[٤].

---

(١) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٤/٢٦١.

(٢) الشوقيات ١/١٩٧، المكتبة التجارية الكبرى.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٤٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٥٣).

قال المباركفوري: (جعلت الشيء رأي عينك وبمرأى منك: أي حذاءك ومقابلك بحيث تراه، أي كأنه يراه رأي العين)[١]. قال القاضي عياض: (وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع، وبداعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الخوف والرجاء:

أما الخوف فواضح من قول حنظلة رضي الله عنه "نافق حنظلة" وإخبار أبي بكر رضي الله عنه أنه يلقى مثل ما يلقى حنظلة، قال النووي: (قوله "نافق حنظلة" معناه: أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا. وأصل النفاق إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقًا)[٣].

وقال القرطبي: "إنكار منه على نفسه لما وجد منها في خلوتها خلاف ما يظهر منها بحضرة النبي ﷺ فخاف أن يكون ذلك من أنواع النفاق، وأراد من نفسه أن يستديم تلك الحالة التي كان يجدها عند موعظة النبي ﷺ ولا يشتغل عنها بشيء"[٤].

أما الرجاء فمستنبط من قول النبي ﷺ ((ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)) فإن العبد يرجو عفو الله ورحمته وقت غفلته ونسيانه وتقصيره. قال النووي: (فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك. "وساعة وساعة"، أي: ساعة كذا، وساعة كذا))[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٠٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٥٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٧/٦٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١١.

وقد قال تعالى في صفة المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1] (أي: ترتفع جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله عن فراش النوم يتهجدون لربهم في صلاة الليل، يدعون ربهم خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التيسير في تكاليف الإسلام:

إن الإسلام دين يسر لا عسر، يراعي أحوال النفس ومتطلباتها وحاجاتها، فلا يرهقها من أمرها عسرًا وشدة، ولا يتركها في الوقت نفسه هملاً دون تكاليف وتوجيهات، بل كلّفها بما تطيق وتحتمل، فلا هو قطعها عن الدنيا وفرغها للآخرة، بل جمع لها أمر الدارين، الدنيا والآخرة، وذلك واضح في قوله النبي ﷺ: ((والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم لكن يا حنظلة ساعة وساعة)).

اتضح ذلك التيسير في جمع الإسلام بين العمل للآخرة والعمل للدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[3] أي: (والتمس فيما أتاك الله من الأموال ثواب الدار الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا ولا تترك حظك في الدنيا، بأن تتمتع فيها بالحلال دون إسراف)[4].

سادسًا- من صفات الداعية: التيسير على المدعوين:

النفس البشرية تأنس إلى من ييسر لها الأمر ويسهل لها الشأن بما لا يبلغ درجة التفريط والتضييع والتهوين، فقد جبلت على حب التيسير والنفرة من التعسير والتشديد، لذا كان من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية التيسير في مكان التيسير، وهو يفعل ذلك مقتديًا بالنبي ﷺ، كما يتضح من هذا الحديث، فهو ﷺ

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٤١٦.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٣٩٤.

لم يطلب من حنظلة أن يداوم على الحالة التي عليها معه عندما ينقلب إلى شؤون دنياه، بل أقرّه على حاله التي يشكو منها وهوّن عليه وقال له: "لكن ساعة وساعة".

قال القرطبي: "قول أبي بكر رضي الله عنه: (والله إنا لنلقى مثل هذا) رد على غلاة الصوفية الذين يزعمون دوام مثل تلك الحال، ولا يعرِّجون بسببها على أهل ولا مال، ووجه الرد أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل الناس كلّهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، ومع ذلك فلم يدَّع خروجًا عن جبلّة البشرية، ولا تعاطى من دوام الذِّكر وعدم الفترة ما هو خاصة الملائكة... وسر ذلك أن هذا العالم الإنساني متوسط بين عالمي الملائكة والشياطين، فمكّن الملائكة في الخير بحيث يفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون. ومكن الشياطين في الشرِّ والإغواء بحيث لا يغفلون، وجعل العالم الإنساني متلونًا، فيمكنه ويلوّنه، ويفنيه ويبقيه، ويشهده ويفقده. وإليه أشار صاحب الشفاعة بقوله: (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة)"[1].

والتيسير صفة إذا تحلّى بها الداعية أتى بثمار طيبة تضاف إلى رصيد الدعوة وإنجازاتها، فالله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2].

وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يسأله الناس في الحج فيسهِّل عليهم وييسِّر. فعن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح. فقال: اذبح ولا حرج. فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمى؟ قال: ارم ولا حرج. فما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج[3].

فهذا الحديث دليل على (سماحة الشريعة وسعتها في أحكامها وعباداتها فلا ضيق ولا عنت)[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٧/٦٧ - ٦٨.

(٢) البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣، ومسلم ١٣٠٦.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام، عبدالله البسام ٣/٣٧١.

سابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والسؤال والجواب والقسم والنداء والتكرار

أما الترغيب والترهيب فبذكر الجنة و النار "رأي عين"، أما السؤال فقوله ﷺ "وما ذاك؟" ثم جوابه ﷺ عمّا أهمَّهم وشغلهم.

وأما القسم فقوله ﷺ "والذي نفسي بيده" لتأكيد المقسم عليه وشدة أهميته، والنداء "يا حنظلة" (تقرير على الحالة التي كان عليها حنظلة وأنكر عليها، ومن ثم ناداه باسمه تنبيهًا على أنه كان ثابتًا على الطريق المستقيم وما نافق قط)[1]. وأما التكرار فقول الراوي "ثلاث مرات" وذلك (تأكيدًا لتأثير القول حتى يزيل عنه ما اتهم به نفسه)[2].

ولا شك أن استخدام هذه الأساليب الدعوية المختلفة والمتنوعة يُؤتي ثماره المرجوة ويساعد على امتثال المدعوين واستجابتهم لما يرشدهم إليه الداعية. فما أجمل أن ينوّع الداعية في استخدام أساليبه الدعوية بحسب الأحوال والأشخاص والمواقف، لينجح في توصيل رسالته الدعوية إلى المدعوين.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٣٤/٤.

(٢) المرجع السابق ٣٣٤/٤.

الحديث رقم (١٥٢)

١٥٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النَّبيُّ ﷺ يَخْطُبُ إذا هُوَ برجُلٍ قائِمٍ، فسأَلَ عَنْهُ فقالُوا: أَبُو إسْرائيلَ نَذَر أَنْ يَقُومَ فِي (الشَّمْس) [1] وَلا يقْعُدَ، ولا يستَظِلَّ ولا يتَكلَّمَ، ويصومَ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ولْيَستَظِلَّ ولْيُتِمَّ صوْمَهُ» رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يختم به النووي باب "في الاقتصاد في العبادة"، وقد أورد (١١) أحد عشر حديثًا في هذا الباب، وكل حديث يعد صورة من صور التيسير والاقتصاد في العبادة، ومن تجليات هذا التيسير أن النبي ﷺ كان يدعو إلى ذلك ويأمر الذين يشقون على أنفسهم في العبادة، بأن يرفقوا بأنفسهم، وأن يقْتصدوا: حتى يتذوقوا حلاوة الطاعة، وحتى يكونوا بمنجاة من الملل والسأم، والعنت والإرهاق، وعبدالله بن عمرو بن العاص اعترف بذلك بعد أن كبر... وكان قد اختار لنفسه بعد حوارٍ مع رسول الله أن يصوم يومًا ويفطر يومًا طيلة حياته، ولم يكتف بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وذلك ما أشار عليه به النبي ﷺ وبعد أن كبر، عرف أنه شق على نفسه، وقال، فلما كبرت وددت أني كنتُ قبلتُ رخصة نبي الله ﷺ.

وهذا الحديث يعرض مشهداً من مشاهد العنف والتشدد في العبادة، بل وإلزام النفس بما لا يلزم في الشرع، وهذا أمر مردود، والمشهد تتجلى ملامحه والنبي ﷺ يخطب، فإذا به يرى رجلاً قائمًا والناس جلوس يستمعون إلى الخطبة، وهذا مشهد

---

(١) هذه الزيادة ليست في البخاري، وإنما عند الحميدي في جمعه (١٠٨/٢، رقم ١١٦٠). وقال الحافظ في الفتح (٣٧٢/١٥) في رواية الخطيب في المبهمات: (ويقوم في الشمس).

(٢) برقم (٦٧٠٤).

غريب مفاجئ، والبداية الأسلوبية للحديث، توحي بهذه الغرابة، وتلك المفاجأة: حيث يقول ابن عباس: بينا النبي يخطب إذا هو برجل قائم. "وبينا" في اللغة أصله "بين" زيدت عليه الألف بإشباع فتحة النون، وقيل، بينما، في بعض الروايات، وهو من الظروف الزمانية الملازمة للإضافة، وهذا يفيد المفاجأة، لأن إذا جاءت بعد ذلك.

وتتجلى حكمة النبي ﷺ في عدم زَجْر الرجل، وعدم توجيه الخطاب المباشر إليه لأن المقام مقام تشريع وتعليم، وقد لا يدرك الرجل أن ما فعله غير صائب، وإنما يظن أن هذا يقربه إلى الله أكثر، ويجعله قريبًا من النبي أكثر.

ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يسأل أحدًا بعينه، ولم تأته الإجابة من شخص محدد، وجاءت الإجابة في صيغة الجمع، "فقالوا" حيث كان يعلم الكثير بموقفه وحالته: وهو: من الأنصار واسمه "يُسَيْر، وكنيته "أبو إسرائيل"، والسياق يقتضي أنه كان حديث عهد بالإسلام: لأن النبي لم يعرفه، والرجل "نذر" والنذر واجب الأداء، ولكن في هذه الحالة: لا يجب الوفاء بالنذر، لأنه ألزم نفسه بما ليس يلزم في العبادة التي يقوم بها، فقد نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، وهذه مشقة لم يأمرنا الإسلام بها، فالصوم له واجباته وسننه وآدابه، وليس منها: تعذيب النفس والوقوف في الشمس، والصوم عن الكلام.

والتفصيل في الأسلوب هنا ليس إسهابًا ولا تزيدًا: في قوله: "ولا يقعد ولا يستظل"، فمجيء هذين الفعلين لتأكيد ما قام به الرجل، وإصراره على ذلك، حيث يضيف إلى مشقة الصيام، مشقات كثيرات لم ترد في الشرع مثل الوقوف في الشمس وعدم القعود، وعدم الكلام، وعدم اللجوء إلى ظل الشجر، والوقوف في لهيب الشمس فأي إرهاق هذا وأي غلو في أداء العبادة.

ولذلك جاء تعبير النبي ﷺ حاسمًا قال: "مروه" والأمر للوجوب، ثم جاء بأربعة أفعال مضارعة مجزومة بلام الأمر: لإفادة وجوب التنفيذ والعدول عن هذا النهج المتشدد حتى في العبادة أو محبة رسول الله، والوقوف لاستماع خطبته، ولنتأمل موجبات هذه الكلمات النبوية المشرقة بهالات التيسير، والتبشير، "مروه، فليتكلم، وليستظل،

وليقعد، وليتم صومه"، فالصوم هنا هو العبادة والقربة، وقيل: إن النذر بالسكوت ليس قربه في شريعتنا.

ويفصل ابن رجب الحنبلي القول في هذا الأمر فيقول: إن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها أو نهيها، فمن كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقًا لها فهو مقبول، ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود.

ثم يقول: وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقًا؟ ويستشهد ابن رجب بموقف هذا الرجل ويقول: فأمره النبي عن طريق أصحابه، أو أمره، مباشرة أن يقعد ويستظل ويتكلم وأن يتم صومه.

فلم يجعل قيامه وبروزه في الشمس قربة يوفى بنذرهما، وقد روى أن ذلك كان في يوم جمعة عند سماع خطبة النبي ﷺ وهو على المنبر، فنذر الرجل أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ما دام النبي ﷺ يخطب، إعظامًا لسماع خطبة النبي ﷺ؟ ولم يجعل النبي ﷺ ذلك قربة يوفى بنذره[1].

فالقصد في العبادة، منهج إسلامي يقوم على الاعتدال والاتزان، والالتزام بالضوابط الشرعية، والأحكام الفقهية، مع الابتعاد عن المبالغة في العبادة، وإعطاء كل ذي حق حقه. كما ورد في الحديث الذي رواه أبو جحيفة وهب بن عبدالله، وقول سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: "فأعط كل ذي حق حقه"، وقال النبي ﷺ: "صدق سلمان".

وما أشبه، "أبو إسرائيل" في موقفه بموقف الذين سألوا عن عبادة النبي: وكأنهم تقالّوها، فلجأوا إلى التشدّد في العبادة ظنًا أن ذلك سيقربهم إلى الله أكثر، فلقنهم الرسول درسًا نبويًا كريما في الالتزام بالمنهج الإسلامي المعتدل الذي يعطي كلَّ ذي حق حقَّه، حتى تعمر الحياة، وينعم الناس بعطاء الله، ويهتدوا إلى معالم النجاة،

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٧٧، ١٧٨ بتصرف.

ويبتعدوا عن التقليد، والمحاكاة، لأقوال المبتدعين والمتنطعين، والمتفيهقين الغواة.

ولنتأمل هذا السلوك النبوي الرشيد، والمنهج المحمدي السديد، حيث يقول: ((إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1].

فقه الحديث

إن النذر أمرٌ يفرضه الإنسان على نفسه، أو هو التزامه لله تعالى شيئًا بقوله لا بنية مجردة[2]، وهو فعل معلق على حدوث أمر معين، وقد يكون غير معلق، ولكن النذر في الإسلام لا يكون إلا بخير.

وقد اتفق الفقهاء[3] على جواز نذر القربة وأن من نذر شيئًا فعليه أن يفعله ما لم يكن معصية، ففي هذه الحالة لا يجوز له أن يفعله، ومن نذر ما ليس بقربة لم يلزمه النذر، ولا يصير قربة بالنذر، كمن نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم، فهنا لا يجب عليه الوفاء بنذره بل عليه أن يعدل عن نذره، وإذا جمع في النذر قربة وغيرها صح النذر في القربة وبطل في غيرها كما ورد في هذا الحديث. وليس عليه كفارة؛ لأنه لا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله، ونقل الإجماع في ذلك ابن قدامة.

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠٦٣، ومسلم، ١٤٠١.

(٢) الفروع، ابن مفلح ٣٩٥/٦.

(٣) انظر في ذلك: المبسوط، السرخسي ١٢٨/٣ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٨٢/٥ وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي١٥٣/٣، وأحكام القرآن، الجصاص ٣٥٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣١٨/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٠/٣ وما بعدها، وأحكام القرآن، ابن العربي ٢٧/٤ وما بعدها، الأم، الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره ٢٧٨/٢، ٧٣/٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٣٨/٨ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٦٩/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٧٥/٣، وإعلام الموقعين ٢٩٥/٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ٢٨١/٨ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٦٥/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من مهام الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين.

ثالثًا: من واجبات الداعية: التحري والتثبت قبل الإنكار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: القصد والاعتدال في الطاعة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: رحمة ويسر الإسلام.

سابعًا: من صفات الداعية: الشفقة والرفق بالمدعوين.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

تعد الخطبة من وسائل الدعوة، وقد ورد ذلك في الحديث في قول ابن عباس رضي الله عنهما: بينما النبي ﷺ يخطب، وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته لكثرة فائدته، وعظيم جدواه. ذلك أن الخطابة تساعد على الاتصال الجماعي وكانت خطبة النبي ﷺ في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش.

وكان ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه، ويعالج الموضوعات التي تحتاج إلى بيان وتوضيح وكانت خطبته ﷺ تتضمن كل ما هو مفيد من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب، وغير ذلك مما يعمل على ترسيخ مبادئ الإسلام في نفوس المسلمين، ومعالجة القضايا التي تحتاج إلى علاج.

وكان ﷺ بأخلاقه العظيمة لا يعيب ولا يشتم ولا يجابه فردًا بأمر خاص. وهكذا جمع النبي ﷺ مزايا الخطيب القدوة[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين:

من مهام الداعية الانتباه لأفعال المدعوين بأن يكون على بصيرة بأفعال المدعوين في

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩-٤٢١.

دعوته قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1]. والشاهد على ذلك من الحديث: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه.... فعلى الداعية أن يتبصر أحوال المدعوين وأخلاقهم وعوائدهم وطباعهم وأعرافهم، وما يصلح لهم ما يقبلون عليه ويتقبلونه وما ينفرون عنه، فيعطي لكل حال ما يناسبه[2]. وينتبه إلى أفعالهم فإذا كانت صحيحة أقرها وإن كانت غير ذلك صححها، فالداعية يقوم بمتابعة أفعال المدعوين والانتباه إليها، وهذا كان شأن النبي ﷺ في دعوته لأصحابه منتبهًا لأفعالهم، ما رأى من خير أقره وما رأى من خطأ نهاهم عنه وهداهم إلى الصواب.

ثالثًا- من واجبات الداعية: التحري والتثبت قبل الإنكار:

يظهر ذلك في سؤاله ﷺ أولاً عن سبب وقوفه قبل نهيه عن الوقوف. وهذا الفعل يؤكد على أهمية التثبيت والتريث قبل الإنكار والتوجيه حتى تكون المعالجة مناسبة، وقد أمر الله تعالى بالتبّين فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟﴾[3].

قال القرطبي: (أي تأملوا، وقرأ حمزة (فتثبتوا)[4]. وقال السعدي رحمه الله: "يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يتبينوا، ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.

فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة.

فالواضحة البينة، لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكلة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين..

فإن التثبت في الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف عن شرور عظيمة،

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب بن نواب الدين، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٣هـ ص ٩٨.

(٣) سورة النساء، من آية: ٩٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٧/٦/٣.

فإن به يعرف دين العبد، وعقله، ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها، قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي...

وإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر، ويتبين الرشد والصواب"[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٢]. يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين[٣]. فعلى الداعية أن يتثبت ويتحقق قبل إنكاره للمنكر، ثم بعد ذلك يقوم بواجبه حيال إنكار المنكر[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: القصد والاعتدال في الطاعة:

الإسلام دين الوسطية يحب القصد والاعتدال في الطاعة وفي كافة الأمور قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٥] ولا يظنن أحد أن القصد خلاف السنة، أو أن الغلو زيادة في التقوى، فإن رسول الله ﷺ استنكر على من عزم على الغلو في الصيام أو القيام أو الانقطاع عن الشهوة، وأفهمهم أن التوسط هو الأتقى: ((أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني))[٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/ ٣٧٠.

(٤) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ٣٠٨-٣١٠.

(٥) سورة البقرة، من آية: ١٤٣.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

فالقصد في العبادة يرغب فيها، أما الغلو فإنه ينفر عن الطاعة قال رسول الله ﷺ ((عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا))[١] قال ابن حجر: أي: اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق[٢].

وقال النووي: بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع[٣].

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع ذلك الرجل حيث أمره بالاقتصاد في الطاعة وإتيان ما يستطيع وترك عدم الكلام وعدم التظلل.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

من الأساليب الدعوية المهمة أسلوب الأمر، ويظهر أسلوب الأمر في هذا الحديث في قوله ﷺ ((مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)). وأسلوب الأمر من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يستغنى الداعية في دعوته عن استعمال هذا الأسلوب لبيان الأمور التي يجب على المدعوين القيام بها مما أمر الله تعالى ورسوله به، وأسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية ما أمر به لتنفيذه.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: رحمة ويسر الإسلام:

الإسلام دين الرحمة واليسر، وهذا من سماته التي تميز بها على سائر الأديان، فاليسر والرحمة أقرتهما الشريعة الإسلامية ودعت إليهما، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤] أي مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير، وسهله بغاية السهولة فما أمر وألزم إلا بما هو سهل على النفوس لا يثقلها، ولا يؤودها[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣، ومسلم ٧٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٠.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٩٦.

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ ((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه))[٢]. وحكمة هذا اليسر الذي جاءت به الشريعة أن الله جعل هذا الدين دين الفطرة، وأمور الفطرة مستقرة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والعنف، وقد أراد الله عموم هذه الشريعة ودوامها فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلاً، ولا يكون ذلك إلا إذا انتفى عنها الغلو والعنف[٣].

ويظهر يسر الشريعة ورحمتها في هذا الحديث عندما أمره رسول الله ﷺ بالتكلم والاستظلال مع أنه كان نذر عدم ذلك لأن الله لا يرضى تعب عباده أو عذابهم.

سابعًا- من صفات الداعية: الشفقة والرفق بالمدعوين:

إن اتصاف الداعية بالشفقة والرفق من أعظم أسباب النجاح في الدعوة، وقد بيّن رسول الله ﷺ فضل الرفق فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه))[٤].

فينبغي على الداعية أن يكون مشفقًا على المدعوين رفيقًا في التعامل معهم، حتى يألفوه وتقوى صلته بهم، ولهذا نجد رسول الله ﷺ عندما علم بنذر هذا الرجل أمره بتركه شفقة عليه ورفقًا به.

ولا شك أن الشفقة والرفق وغيرهما من صفات الرحمة بالمدعوين تسهم في نجاح الداعية في دعوته.

يقول فتحي يكن: (ومن أسوأ ما ابتلي به الإسلام في هذا العصر، دعاة جبلوا على التعسير في كل شأن، وكأن اليسر ليس من الإسلام في شيء.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩.

(٣) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ص ٣٥-٤٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

فهم في الصلاة معسرون، وفي الوضوء معسرون، وفي اللباس معسرون، وفي بيوتهم معسرون، وفي المأكل معسرون، وفي البيع والشراء معسرون، وفي عمل الدعوة معسرون... وهم في كل ذلك مخالفون للنهج النبوي الصحيح.

ثم إن هؤلاء لا يتقيدون بمنطق الأولويات، ولا يفرقون في الموقف بين ما هو فرض أو واجب أو سنة، وبين ما هو حرام أو مكروه، ولا بين ما فيه نص أو اجتهاد ... فتراهم يكيلون للناس الاتهامات، فيكفرون هذا، ويفسقون ذاك، وكأن الله قد نصبهم حكامًا على الأمة، يقضون فيها بكل ما هو صعب وعسير، فيضيقون سعة الإسلام، ويحجرون مرونة الشريعة، وينفرون الناس من الدين)[1].

---

(١) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، فتحي يكن ص ٣٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الإسلام سهل ميسر، لا يفرض الرهبنة ولا يأذن بها، ولا يسمح في نفس الوقت بترك التكاليف الشرعية، بل نصوصه محكمة "فاتقوا الله ما استطعتم"، وندرك من أحاديث هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الاعتدال في العبادة:

إن أحاديث هذا الباب تدور جميعها حول هذا المضمون؛ لأن الإسلام جاء ديناً وسطاً، فلا هو بالمتشدد تشدد الرهبان والأحبار، ولا هو بالمفرط تفريط من حرَّفوا الدين وتركوا ما يشق عليهم أداؤه؛ إنما جاء الإسلام بالعبادة المعتدلة، التي لا يصعب على المرء المداومة عليها.

وبهذه الوسطية والاعتدال أوصى النبي ﷺ صحابته الكرام، ورباهم بشتى السبل لإرساء مبدأ الوسطية والاعتدال، يقول ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ»، ولقد جاء للنبي ﷺ ثلاثة رهط؛ زعم أحدهم أنه يصلي ولا ينام، وزعم الآخر أنه يصوم ولا يفطر، والثالث أنه لا يقرب النساء، وأعلمهم أن سنته هي التوسط والاعتدال، وقال: «فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني»؛ لأن دين الله تعالى لن يشاده أحد إلا غلبه.

وعندما أوصى سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما، بحق ربه ونفسه وأهله، وأن العبادة ينبغي أن تكون معتدلة، أثنى النبي ﷺ على كلامه، وقال: «صدق سلمان».

ولقد كان التشدد سبباً لندم عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حيث رخّص له النبي ﷺ في قراءة القرآن في عشرين يوماً، وعشرة أيام، فأظهر أنه يطيق أكثر من ذلك، فرخص له النبي في ختمه في سبعة أيام، فلما طال به العمر وضعفت قوته، ندم أنه لم يأخذ برخصة النبي ﷺ.

فقد شرع الإسلام من العبادات ما يزكي به نفس الفرد، ويرقى به روحياً ومادياً، ويقيمها على أساس من الأخوة والتكافل، دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض؛ فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت.... ولا يقرّ الإسلام ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية[1].

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي ص ٢٨ بتصرف يسير.

ثانياً- من سمات التربية الإسلامية: الواقعية:

إن أهم ما يميز المنهج النبوي في التربية، الواقعية؛ فلم يكلف النبي ﷺ صحابته بما لا يستطيعون، بل إنه كلفهم بالمستطاع؛ وأكثر من ذلك أنه أباح للمريض تخفيف بعض الأركان في العبادة، كالصلاة والصيام والحج، ... كذلك كان ﷺ في سائر حياته واقعياً، يجسد سمة رئيسة في الدين الإسلامي وهي الإنسانية والبشرية.

فالإنسان له رغبات يحترمها الإسلام ويقيم لها وزناً، ولهذا فإن النبي ﷺ عاتب الثلاثة الذين أعلنوا خروجهم على الفطرة الإنسانية وذهبوا مذهباً فيه التشدد والإفراط، فقال لهم ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ إِني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكني أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِني».

ويقول ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلا غَلَبَه»، وعندما تشدد أبو الدرداء في العبادة، وهجر زوجته من أجل القيام والصيام نصحه سلمان بأداء سائر الحقوق الإنسانية الفطرية الواقعية، دون مساس بحق الله وحق نفسه، فأقر النبي ﷺ هذا النصح، وقال: «صدق سلمان».

والتربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان كما هو: لحماً ودماً، وفكراً وشعوراً وانفعالاً ونزوعاً ... وعلى هذه الحياة الواقعية المتوازنة يربي الإسلام المسلم، فلا يدعه يغرق في اللهو إلى رأسه، فلا يبقى له شيء لربه، كما لا يدعه يغلو في التعبد فلا يبقى له شيء لقلبه[1].

ثالثاً- التربية بالتوجيه المباشر:

ويبدو ذلك في قوله ﷺ: «فسَدِّدُوا، وقارِبوا، وأبشِروا، واستَعينُوا بالغُدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة»، فقد وجّه النبي ﷺ الأمر مباشرة إلى صحابته، دون استخدام وسيطة تربوية أخرى، وقد اختار النبي ﷺ هذا الأسلوب ليكون كلامه محمولاً على جهة الأمر، وإصلاح المسلك، وليبين أهمية هذا التوجيه، و الأخذ به؛ لأن ذلك هو روح

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٦٨.

الإسلام ورسالته في الوسطية والاعتدال.

وقد كانت توجيهاته ﷺ يحاول من خلالها تصحيح الأخطاء والحث على صالح العمل، وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال، واستثمار قدراته بجوانب الخير، وجعل ذلك عادة مستديمة له[١].

رابعاً- التربية على الموازنة بين الحقوق والواجبات:

لقد ربى النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم على الموازنة بين الحقوق والواجبات في حياتهم، فلا يطغى أداء واجب على نيل حق، ولا العكس، بل إن المسلم ينبغي أن يتسم سلوكه في الحياة بمراعاة سائر الحقوق والواجبات المكلفين بها.

ولهذا فقد نصح سلمان الفارسي أبا الدرداء بقوله: «إنَّ لِربِّك عليكَ حقاً، ولنفْسِكَ عليكَ حقاً ولأهلِكَ عليكَ حقاً فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه»، وقد قال النبي ﷺ: «صَدَقَ سَلمانُ»؛ وذلك ليؤدي المسلم سائر واجباته وينال حقوقه، بتوازن واعتدال.

إن التربية الإسلامية المتوازنة لاتقتصر على سائر العبادات وحدها؛ بل هي أعمق من ذلك؛ فهي منهج كامل للحياة في سائر جوانبها[٢].

خامساً- التربية بالنصيحة:

لقد احتوى هذا الباب على حديث استخدم فيه سلمان الفارسي رضي الله عنه أسلوب النصيحة في توجيه أخيه أبي الدرداء رضي الله عنه إلى واجباته وحقوقه في الدنيا، فقال له: «إن لربك عليك حقاً...» وفي هذا الحديث مسلك تربوي يعتمد على حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وهو النصيحة.

وعندما رأى سلمان رضي الله عنه سلوك أبي الدرداء من العزوف عن الدنيا والزهد في متاعها، والانصراف بكليته إلى العبادة والصيام والقيام، كان من الممكن أن يغضي عن ذلك طرفه، ويتركه وشأنه، ولكنَّ تعاليم الإسلام تقتضي إسداء النصح إلى من

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٨٨.

(٢) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد عطية ص ٢٥ بتصرف.

يستحق، حتى يتحقق قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

إن النصيحة للمسلمين تتمثل في إرشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وأخراهم، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما جهلوه، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ونحو ذلك، ونصيحة المسلمين فرض كفاية على من هو أهل لها، وهي واجبة قدر الطاقة البشرية، ما دام هناك أمل في قبولها، والمسلم لا ييأس، ولا يخشى في سبيلها أذى لا يحتمل، فإن خشيه فهو في سعة[2].

سادساً- الدين اتباع وليس ابتداعاً:

ليس لمسلم حق في إضافة شيء إلى الدين ابتداءً من قبل نفسه، فما كن من الدين بالرأي ولا بالهوى، بل هو وحي يوحي.

وفرق كبير بين الإضافة إلى النص وبين الاجتهاد في فقه النص، فالإضافة إلى النص غير مأذون بها، والاجتهاد في فقه النص مدعو إليه، والذين رأوا أن يحملوا أنفسهم على الطاعة من غير طريق النص لم يقبل الرسول ﷺ منهم ذلك، ولم يأذن لهم بفعل هذا، وصرح أن الخروج عن النص خروج عن السنة، بل هو خروج عن مبادئ الإسلام.

إن هدي الرسول ﷺ في هذا الجانب قد حال دون الزيادة أو النقصان في الإضافة إلى التكاليف الشرعية أو الحذف منها، ولو فتح هذا الباب ما إغلق، وما علمنا إلى أي مدى تنتهي الأمور.

سابعاً: من وسائل التربية - الصحبة:

فقد صحب سلمان أبا الدرداء فلما أعد له طعاماً أبي أن يأكل، إلا أن يشاركه فأقام له الدليل العملي على حق الضيف وعلى أن المتطوع أمير نفسه.

ثم لفت نظره إلى حق جسده عليه، فهو من مادة وروح، ولكل حظه من الدنيا،

---

(١) سورة العصر، آية: ٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٢ بتصرف يسير.

"وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك".

ثم طبق معه حق الجسد في النوم وحق الروح في العبادة ولفت نظره إلى حق أهله، وبهذا يتبين لنا أثر الصحبة الطيبة على السلوك والمحاكاة، وإقرار النبي ﷺ لكل قول أو فعل لا يخالف نصاً، فضلاً عن أن يكون متفقاً معه.

١٥- باب في المحافظة على الأعمال

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[النحل: ٩٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[الحجر: ٩٩].

وَأَمَّا الأَحاديث فمنها:

حديث عائشة: وَكَانَ أَحَبُّ الدِّين إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ. وَقَدْ سَبَقَ في البَاب قَبْلَهُ[١].

الحديث رقم (١٥٣)

١٥٣- وعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيْل، أَو عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأه ما بينَ صلاةِ الْفَجرِ وَصلاةِ الظهرِ، كُتب لَهُ كأنما قرأَهُ مِن اللَّيْلِ»** رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

حِزْبه: الحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد[٣].

---

(١) تقدم برقم (١٤٢).

(٢) برقم (١٤٢/٧٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ز ب).

الشرح الأدبي

يفتتح النووي بهذا الحديث بابًا جديدًا من أبواب رياض الصالحين: وهو "في المحافظة على الأعمال الصالحة وترك التهاون بها، والتساهل فيها"، ومجيء هذا الباب عقب الباب السابق.. وهو "الاقتصاد في العبادة" له دلالة وثمرة طيبة "لأن المحافظة على الأعمال الصالحة لن يتم إلا بإتقان العبادة والبعد عن التشدد والغلو والتطرف، والالتزام بالمنهج السوي المعتدل وهو الاقتصاد في العبادة لأن التشديد قد يؤدي إلى ترك العبادة المذموم"[(١)].

ويستشهد النووي بآيات عديدة فيها الحث على المحافظة على الأعمال الصالحة، وفي مقدمة الباب تتضوأ معاني ودلالات هذه الآية الكريمة حيث يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[(٢)].

وتقول عائشة رضي الله عنها في سياق الحديث عن رسول الله ﷺ وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه.

وفي ظلال هذا الحديث الشريف نستروح نسمات الإيمان، ومن وهج كلماته المضيئة نقتبس قطعًا من نور الهداية، ونستشرف آفاق الرشاد، ونهتدي إلى الوسائل التعبدية التي تنجينا من سبل الغواية، ولنتأمل صفات الصالحين وسماتهم فهم: قوام الليل وفرسان النهار، لا تحجبهم العبادة عن إتقان وإنجاز أمورهم الحياتية، ولا تلهيهم الدنيا عن المداومة على أداء شعائرهم الدينية، وقراءة أورادهم وأحزابهم التعبدية، والقيام بصلاة الليل ومناجاة الخلاق العليم، والتضرع إليه في أوقات الرخاء، حتى يرفع عند الشدائد البلاء، ويكون معهم في السراء والضراء.

والحزب المراد في الحديث هو: ما يجعله الإنسان على نفسه من الصلاة وقراءة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢٩٨.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٦.

القرآن وغيرهما من مظاهر التقرب إلى الله عز وجل، وفي القرآن حث على ذلك النهج في حياة المسلم: حتى يظل قلبه رطبًا بذكر الله عز وجل، ويظل قلبه معلقًا في المساجد، وتظل نفسه متسلحة بالإرادة الإيمانية القوية التي تقاوم نزغات الشياطين، ووسوسات الضالين، وشبهات الملحدين، وأكاذيب وافتراءات الكفار الجاحدين.

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1].

ويقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

ويُرغب المصطفى ﷺ كل مسلم في هذا النهج القويم، ويفتح باب العفو والتسامح .. ومضاعفة الثواب لمن داوم على القيام بحزبه من الليل، ثم يبشر كل من ألم به عارض من نسيان أو نوم.. ونسي حزبه أو شيئًا منه بأنه إذا قرأه وأنجزه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له وثبت له أجره، مثل إثباته عند قراءته له بالليل.

ولنتأمل صياغة هذا الحديث: فهو جملة واحدة شرطية: وأداة الشرط: "مَنْ"، وفعل الشرط "نام"، وجواب الشرط "كتب له".

وهذه الصياغة المنطقية توحي بأن كل مسلم عليه أن يجعل لنفسه حزبًا تعبديًا في جزء من الليل، من قراءة وصلاة ومناجاة، وإذا كان هذا الأمر ليس فرضًا فهو من صفات المسلم وخصائصه، وهو من الأمور التي تكمل بها معالم شخصية المسلم وهويته.

والفعل: "كتب"، مبني للمفعول، لأن المعطي موجود وهو العزيز الوهاب يضاعف

---

(١) سورة الإسراء، الآيات: ٧٨-٧٩.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٥-١٦.

لمن يشاء، وأولياؤه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى في مجال بيان ثواب المتقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

فقه الحديث

قال الشوكاني: (المراد هنا: الورد من القرآن، وقيل: المراد ما كان معتاده من صلاة الليل. والحديث يدلّ على مشروعية اتخاذ ورد في الليل وعلى مشروعية قضائه، إذا فات بسبب النوم أو عذر من الأعذار، وأن من فعله ما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كان كمن فعله في الليل)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التخفيف والتيسير على المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على العبادة.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين ورفع الحرج عنهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التبشير بالثواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التخفيف والتيسير على المدعوين:

إن التخفيف والتيسير على الناس من أهم ما تميزت به الشريعة الإسلامية، وهذا ما يحبب الإسلام للناس لأنه يراعى أحوالهم، ومما يؤكد ذلك في هذا الحديث قوله ﷺ: ((من نام عن حزبه من الليل أو عن شيء...)) لأن للتخفيف والتيسير على المدعوين أثرًا كبيرًا في قبول الدعوة، نظرًا لكون النفس البشرية تميل إلى التخفيف واليسر وتكره كل صعب. والإسلام دين اليسر ورفع الحرج قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3].

---

(١) سورة الذاريات: ١٧-١٨.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ٤٩٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

لذا ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين فضل التخفيف والتيسير الذي جاء به الإسلام، وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما أخبر أن من نام عن حزبه يستطيع تدارك ذلك قبل صلاة الظهر وله الأجر، وهذا تيسير على المسلم الذي نام عن حزبه وهذا التيسير إعانة على طاعة الله.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على العبادة:

إن المحافظة على العبادة والمداومة عليها لها أثر عظيم في حياة المسلم، لأنه يكون موصولاً بالله تعالى مقبلاً عليه ذاكرًا له، ولذا فإن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يأتوا من الأعمال ما في طاقاتهم ووسعهم حتى يمكنهم الاستمرار على ذلك. وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كان لرسول الله ﷺ حصير وكان يُحَجِّرُه[1] من الليل فيصلي فيه، فجعل الناس يصلون بصلاته، ويبسطه بالنهار، فثأبوا ذات ليلة، فقال: (يا أيها الناس! عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دُووِمَ عليه وإن قل) وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه))[2].

قال النووي: (القليل الدائم خير من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر، والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم، وحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة)[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أيضًا أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله قال: ((أدومه وإن قل))[4]. ولهذا نجد أن رسول الله ﷺ جعل وقت إدراك الورد ما بين الفجر والظهر من أجل المحافظة على العبادة.

---

(١) يُحَجِّرُهُ: أي حوط موضعًا في المسجد بحصير ليسرُه، ليصلي فيه ولا يمر بين يديه مارٌ، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢ واللفظ له.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٦٥، ومسلم ٧٨٢.

ثالثًا- من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين ورفع الحرج عنهم:

ويوضح ذلك قوله ﷺ: "من نام عن حزبه من الليل ..." إلخ الحديث.

إن رفق الداعية بالمدعوين ورفع الحرج عنهم من أسباب نجاح الداعية في دعوته إذ يجعل المدعو يقبل دعوته ويحبه وينجذب إليه في دعوته، يؤيد ذلك ما ورد عن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيمًا رفيقًا فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم))[1] فالناس في حاجة لمن يرفق بهم ويعطف عليهم في آلامهم وعلى أخطائهم، وعلى حماقاتهم بشيء من سعة الصدر، فهذا كفيل بتحقيق نتائج عظيمة في قبول دعوة الداعية.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده:

بيّن هذا الحديث فضل الله على عباده بأن جعل الذي ينام عن حزبه أي ورده في العبادة، فلم يفعله أو فعل جزءً منه ولم يتمه، جعل الله له بدلاً عنه من وقت صلاة الفجر إلى صلاة الظهر وله الأجر كأنما قرأه من الليل. وهذا فضل من الله على عباده من أجل التوسعة عليهم في العبادة ومن أجل تدارك العبد لنسيانه وتقصيره. قال رسول الله ﷺ ((من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها))[2]. وقال ﷺ: ((إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحًا))[3].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التبشير بالثواب:

يعد التبشير بالثواب من أساليب الدعوة، ويوضح ذلك قوله ﷺ ((... كتب له كأنما قرأه من الليل)) والتبشير بالثواب يعد من أساليب الدعوة الناجحة، لفرحه المدعو بما بشر به وإقباله، ولهذا بشر النبي ﷺ أهل بدر برضوان الله عنهم وغفران ذنوبهم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٦٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٩٦.

وأنهم من أهل الجنة، وبشر ﷺ أصحابه بعدما أصابهم الضنك والشدة من تجمع الأحزاب للقضاء عليهم ورجوعهم خائبين منهزمين، بأنهم لن يستطيعوا أن يغزوهم مرة أخرى، وأن الكثرة ستكون للمؤمنين: فعلى الداعية استخدام أسلوب التبشير بالثواب لما له من أثر في الاستجابة، لأن المدعو إذا بشر بالثواب كان ذلك مرغبًا له في المواظبة على العبادة والاجتهاد فيها.

الحديث رقم (١٥٤)

١٥٤- وعن عبدِ اللَّه بنِ عمرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ: «يَا عبْدَ اللَّه لا تَكُنْ مِثلْ فُلانٍ، كَانَ يقُومُ اللَّيْلَ فَتَركَ قِيامَ اللَّيْل» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

إن قيام الليل من سمات التقوى التي يحرص عليها المسلم، ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، وقيام الليل تدريب للعبد على مداومة الذكر والطاعة والتأمل. واستجلاء معالم القدرة الإلهية في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وكل مظاهر الجمال في الكون من سماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، وقطع متجاورات، وجنات من أعناب وزرع ونخيل: صنوان وغير صنوان.

كل هذه المشاهد الكونية يتأملها المؤمن، وفي صلاته يسجد لله شكراً واعترافاً بهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، وهي مسخرة للإنسان، يستمد منها الخيرات، ويتقوى بأسبابها على مواجهة الأخطار والمسؤوليات؛ وفي سورة طه تشرق هذه المعاني النيِّرات، حيث يقول الله عز وجل: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[2].

وروى عن علي بن أبي طالب، أنه قال: الخير كله مجموع في أربعة، الصمت والنطق والنظر والحركة، فكل نطق لا يكون في ذكر الله فهو لغو، وكل صمت لا يكون

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩/١٨٥) ولفظهما سواء. قال ابن حجر في الفتح (٣٨/٣): لم أقف على تسميته في شيء من الطُّرق، وكأن إبهام مثل هذا لقصد السترة عليه، ويحتملُ أن يكونَ النبي @ لم يقصد شخصًا معيَّنًا، وإنما أرادَ تنفير عبد الله بن عمرو من الصنيع المذكور أهـ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٣). وسيكرره المؤلف برقم (٦٩٢)، و (١١٦٥).

(٢) سورة طه، آية: ١٣٠.

في فكر الله فهوُ سَهْو، وكل نظر لا يكون في عبرة فهو غفلة، وكل حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة[١]، فرحم الله عبداً جعل نُطقه ذكراً، وصمته فكراً، ونظره عبراً، وحركته تعبّداً، ويسلم الناس من لسانه ويده.

وحين نتأمل هذا التوجيه النبوي الحكيم للصحابي التواب القوام "عبدالله بن عمرو بن العاص"، نجده درساً كريماً في ضرورة المحافظة على قيام الليل.. لأنه يقود المؤمن إلى طريق العبادة الصحيح، حيث المناجاة والضراعة والتأمل.

والمؤمن الذي يستجيب لنداء الرسول ﷺ ولا يترك قيام الليل ابتغاء مرضاة الله، واعترافاً بفضله، وشكراً لآلائه، لن يكون نطقه إلا ذكراً، ولا صمته إلا فكراً، ولا نظره إلا عبراً، ولا حركته إلا تعبداً.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: إنه وصية يقدمها رسول الله ﷺ، وتبدأ الوصية بالنداء مع تحديد اسم المنادى وهو عبدالله بن عمرو بن العاص: حيث يقول: ياعبدالله، والنداء يلقي بمزيد من الاهتمام والمسؤولية على المنادى، ويرشد إلى أهمية الأمر وقيمته في الإسلام وهو "قيام الليل"، ثم يعقب أسلوب النداء أسلوب النهى في قوله ﷺ "لاتكن مثل فلان".

والمثلية هنا ليست مطلقة ولكنها في أمر محدد: وهو ترك قيام الليل، وهذا الأسلوب فيه الترغيب والبعد عن مواجهة "عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما"، بالأمر مباشرة: فلم يقل: لا تترك قيام الليل حتى لا يفهم منه أن قيام الليل واجب.

وكذلك نجد عدم تصريح الرسول ﷺ باسم الرجل الذي كان يقوم الليل: فيتركه: وقال الحافظ العسقلاني: وكأن إيهام مثل هذا القصد الستر عليه، ثم قال: ولا ينبغي أن يبالغ في الفحْص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به[٢]، وهذا من آداب الإسلام، ومن كريم شمائل المصطفى ﷺ ومن سبل الحكمة والموعظة الحسنة في

---

(١) الفَتْرة: الانكسار والضعف، لسان العرب في (ف ت ر).

(٢) فتح الباري، ابن حجسر العسقلاني ٤٦/٣.

الدعوة إلى الله، والجملة الثالثة في الحديث: تتضمن فعلين، أحدهما ماضي "كان"، والثاني مضارع "يقوم" الليل، والماضي يرشد إلى زمن القيام ويوحي بعدم وقوعه في الحاضر، والفعل "يقوم" يوحي بأن هذا الرجل كان يداوم على قيام الليل ثم انقطع، وتكرار لفظ "الليل" مقترناً بالقيام، إرشاد وتأكيد لأهمية هذه العبادة واستحباب الدوام عليها، لأنها تقرب العبد من ربه، وتفتح له آفاق المناجاة والتضرع والدعاء، والتأمل الإيماني في ملكوت الأرض والسماء.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم قيام الليل وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٩٨).

الثاني: حكم المداومة على الطاعات، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يستحب أن يكون للإنسان طاعات يداوم عليها، فإن نشط طولها وإن لم ينشط خففها، ويستحب لمن أراد قيام الليل أن يعتاد منه قدراً يغلب على ظنه بقرائن الحال أنه يداوم عليه، ويكره بعد ذلك تركه أو النقص منه لغير ضرورة، كما يكره لمن اعتاد التهجد تركه لغير عذر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والنهي.

ثانياً: من آداب الداعية: الحرص على شعور الآخرين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة الأعمال الصالحة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضيلة قيام الليل.

خامساً: من مهام الداعية: استثارة همم المدعوين.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٣٧/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤٤٢/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٣٥٠/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٩/١٤ وما بعدها، ١٢١/٣٤ وما بعدها.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والنهي:

إن من الأساليب الدعوية المهمة التي يحسن بالداعية الإفادة منها أسلوب النداء، الذي يُشعر المُنادَى بنوع من الخصوصية والاهتمام، مما يدفعه إلى التفاعل والاستجابة والاهتمام، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في الحديث الذي معنا في قوله: (يا عبدالله)، وكذلك أسلوب النهي ويظهر من قوله (لا تكن..) وهما من الأساليب الدعوية المفيدة.

والنهي من الأساليب الدعوية التي يستخدمها الداعية لحمل المدعو على الانتهاء عن الأمور التي نهى الشرع عنها وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وحريٌ بالداعية أن يوظف هذا الأسلوب في دعوته

ثانياً- من آداب الداعية: الحرص على شعور الآخرين:

إن من أهم ما يجب أن يتنبه إليه الداعية مسألة مراعاة شعور الآخرين وعدم إحراجهم أو خدش كرامتهم خاصة أمام الناس، وكان النبي ﷺ قدوة للمسلمين عامة، والدعاة خاصة في مراعاة شعور الآخرين، والشاهد على ذلك في هذا الحديث في قوله ﷺ: (... مثل فلان)، فلم يذكر اسمه حرصاً على مشاعره ورغبة في عدم التشهير به.

وهذا كان شأنه ﷺ في الحرص على مشاعر الآخرين ويؤيد ذلك أمثلة كثيرة من أحاديث النبي ﷺ منها ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا بَالُ أقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أبْصَارَهُمْ في صَلاَتِهِمْ، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ في ذَلِكَ فقال: لَيَنْتَهِيَنَّ[1] عن ذَلِكَ أوْ لَتُخْطَفَنَّ أبْصَارُهُمْ))[2].

ومثاله قصة العامل الذي استعمله على الصدقة فجاء حين فرغ من عمله فقال: هذا لكم وهذا أُهديَ لي. فصعِدَ المنبر، ثم قال: ((ما بالُ العامِلِ نبعثُهُ فيأْتي فيقول: هذا لكَ وهذا لي..))[3]، ولم يذكر اسمه حرصاً على مشاعره في عدم التشهير به وهذا ما ينبغي

---

(١) في الأصل: لَيُنْتَهَيَنَّ.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٧٤.

أن يكون عليه الداعية في دعوته.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة الأعمال الصالحة

ويظهر ذلك من عموم الحديث (يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فتركه).

قال ابن حجر: (فيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة)[١].

ومداومة الأعمال الصالحة من الأشياء التي حث عليها النبي ﷺ ويؤيد ذلك.

ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: ((أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ))[٢].

وعن علقمة قال: ((سَأَلْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قَالَ قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ كَانَ عَمَلُ رَسُولِ اللّهِ ؟ هَلْ كَانَ يَخصُّ شَيْئاً مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لاَ. كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً. وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ يَسْتَطِيعُ؟))[٣].

قال النووي: (العمل القليل الدائم خيرٌ من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة، والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيراً)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضيلة قيام الليل:

قيام الليل ومجافاة المضاجع دأب الصالحين، وقد كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه، وكان غاية في الشكر لأنعم الله تعالى عليه، ولذا فإن لقيام الليل فضلاً عظيمًا في حياة المسلم، وإن هذا الحديث يفيد في عمومه فضل قيام الليل، قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٨٢.

(٣) أخرجه مسلم ٧٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٠.

تعالى في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

قال السعدي: (أي ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة إلى ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم وهو: الصلاة في الليل ومناجاة الله تعالى)[٢].

وقال تعالى في وصف المتقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣]، أي: كابدوا قيام الليل، فلا ينامون إلا أقله، ونشطوا فمدوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر[٤].

وأما الأحاديث فمنها:

قوله ﷺ: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[٥].

وقال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ))[٦].

ومما يدل على فضيلة قيام الليل حرص النبي ﷺ عليه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تَتفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: ((أَفَلا أحبُّ أن أكونَ

---

(١) سورة السجدة آية: ١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق في تفسير كلام المنان ٦٠٣.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٧/٧.

(٥) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٥٤٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٤)، والحاكم في المستدرك ٣٠٨/١، وقال: صحيح على شرط البخاري.

عبداً شكوراً))[١].

فحري علي الداعية أن يبين للمدعوين فضيلة قيام الليل ويحثهم عليه، ويكون قدوة في نفسه متأسياً في ذلك برسول الله ﷺ.

خامساً- من مهام الداعية: استثارة همم المدعوين:

لا شك أن استثارة همم المدعوين، ودفعهم إلى التنافس في الخيرات من المهام الأساسية في حياة الداعية، ويتضح ذلك من قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((يَا عَبْدَ اللّهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَه)).

واستثارة همم المدعوين للطاعة والعبادة من المهام التي ينبغي للداعية أن يوليها اهتمامه، حيث كان رسول الله ﷺ يستثير همة أصحابه رضي الله عنهم لعبادة الله تعالى يؤيد ذلك ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ))، قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللّهِ، بَعْدَ ذٰلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ١٨١٩، ١٨٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١١٢١، ومسلم ٢٤٧٩.

الحديث رقم (١٥٥)

١٥٥- وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كان رسولُ اللّه ﷺ إذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنْ اللَّيْلِ مِنْ وجعٍ أَوْ غيْرِهِ، صلَّى مِنَ النَّهَارِ ثنْتَى عشْرَةَ ركعةً. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن الصلاة نور يتوهج في حياة المسلم، ويشرق هذا النور في قلبه فلا تتسرب إليه دياجير المعاصي، ويتألق هذا النور في وجهه فإذا به يقطر بشراً ووضاءة، وترى الناس يقبلون عليه في صدق ومحبة يتنسمون أشذاءه، ويستروحون أفياءه.

وهذا النور يجعل للمؤمن في النفوس قبولاً، فهو بنور الصلاة يَخْطر في دائرة الذين قال الله فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[2].

ومحمد ﷺ: نبي الرحمة، وصاحب الشفاعة، وهو الأسوة الحسنة، في أقواله وأفعاله، وهيئته، وصفاته، تروي السيدة عائشة: وهى الصديقة بنت الصديق، خبراً عن كيفية قضاء صلاة الليل إذا فاتته عليه الصلاة والسلام، فتقول: في صيغة الحكاية، والأسلوب الخبري، كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل: "من وجع أو غيره، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة" والحديث في بنائه اللغوي جملة واحدة كبرى، تتضمن خبراً عن رسول الله، وهذا الخبر يعد حكماً شرعياً، ولكن كيف صيغ هذا الخبر الموجز: إنه يتكون من كان واسمها وخبرها وهذه الصياغة توحي بأن هذا كان قليلاً ما يحدث، والتعبير بالفعل كان: وهو فعل ماضٍ ناقص - يومئ إلى ذلك، وخبر كان هو جملة شرطية... فهو خبر جملة، وهذه الجملة تتكون من أداة الشرط "إذا"، ثم

---

(١) برقم (٧٤٦/١٤٠). وسيكرره المؤلف برقم (١١٨٣).

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

فعل الشرط "فاتته"، ثم جواب الشرط وهو، "صلى من النهار... إلخ"، واختيار أداة الشرط "إذا" يفيد وقوع هذا الأمر وهو: "فَوْت صلاة القيام" ولكن التعبير يوحي بأن هذا كان ليس عن عمد، ولكن بسبب وجع أو عذر أهم من الوجع، والتعبير بقولها، "فاتته"، يفصح عن أن الرسول ﷺ، لم يترك صلاة القيام كما جاء في الحديث السابق: فترك صلاة القيام، وفرق بين التعبيرين، فالصلاة الفائتة تكون على غير تعمد، ولذلك أسند الفوت إليها، وكأنها هي التي تركته على سبيل المجاز اللغوي، أما الترك ففيه القصدية والتعمد.

وقيل إن صلاة رسول الله ﷺ في النهار هي: جبر لفضيلة قيام الليل وليست قضاء، لأن صلاة رسول الله من الليل أكثر من هذا العدد، ومما يؤيد ذلك رواية السيدة عائشة في صفة صلاة رسول الله في قيام الليل، فتقول: "كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا"[1]، وكان رسول الله ﷺ لا يمل من عبادة ربه وإن أضرّ بدنه، ولكنه كان في بعض الأوقات لا يستطيع الصلاة من الليل: بسبب عذر مرضي أو غيره من الأعذار التي لا يستطيع لها دفعاً، وتعويضاً لذلك وجبراً: كان يصلي من النهار ثنتي عشرة ركعة، حتى يُعلِّمَ أمته كيف يتقربون إلى الله بالنوافل، وكيف يشكرون الله على نعمه، وكيف تكون قلوبهم معلقة في المساجد؛ وفي هذا الدعاء الذي ترويه عائشة عن رسول الله خير دليل على هذه الأسوة الحسنة، فقد كان رسول الله يدعو في صلاته، وما أجدر بكل مسلم أن يداوم على هذا الدعاء. «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ. وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٠، واللفظ له، ومسلم ٧٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم قضاء صلاة الليل، وقد اختلف الفقهاء في حكم قضاء التطوع من الصلوات في الليل أو غيره، فذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والحنابلة في قول إلى أن النوافل لا تقضى - فيما عدا سنة الفجر-، وذهب الشافعية في الأظهر أنه يقضي فائت الليل ما لم يطلع فجره، وقيل لا تقضى، وقيل تقضى ما لم يصل الفرض الذي بعده، وقال ابن حامد من الحنابلة تقضىَ جميع السنن الرواتب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان بعض أحوال النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المحافظة على النوافل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر أسلوب الإخبار في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "كان رسول الله إذا فاتته... إلخ".

حيث أخبرت عن فعل النبي ﷺ إذا فاته قيام الليل. وهو من الأساليب المفيدة في الدعوة، لبيان حال النبي ﷺ عندما كانت تفوته صلاة الليل لمرض أو غيره، حيث كان يصلي من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولاشك أن هذا الأسلوب يفيد في بيان أحوال النبي ﷺ للاقتداء.

وقد حَرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أفعاله ﷺ لأنهم يعلمون أن رسول الله ﷺ القدوة. قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) درر الحكام شرح غرر الأحكام ١٢٢/١، وشرح الخرشي ٢٦٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٣٣/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢٤/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ١٩١/٢، والأشباه والنظائر للسيوطي ص ٤٠١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٥٧/١٢ وما بعدها.

(٢) سورة الأحزاب، آية : ٢١ .

قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله، وأفعاله وأحواله)[١].

فصحابة رسول الله ﷺ كانوا حريصين على نقل أفعاله، وممن اهتم بذلك زوجاته رضي الله عنهن وذلك لأمر الله عز وجل لهن بذلك قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[٢] فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي ﷺ، ويسمعن من أقواله، حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعملوا ويقتدوا به[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان بعض أحوال النبي ﷺ:

يظهر من سياق الحديث بيان بعض أحوال النبي ﷺ وهي محافظته ﷺ على صلاة الليل، فلا يترك قيام الليل إلا لعذر، وقد أمره الله عز وجل بذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو: التغطي من الليل، وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٥] وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل[٦].

فإذا فاته قيام الليل كان يصلي من النهار ثنتي عشرة ركعة وذلك لفضلهن، فكأنه إذا فاته ثواب شيء أدرك ذلك بثواب شيء آخر له ثواب عظيم، ويدل على

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

(٢) سورة الأحزاب، من آية: ٣٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٤/١٤/٧.

(٤) سورة المزمل، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٢٤٩/٨.

فضلهن قوله ﷺ ((ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة. أو إلا بُني له بيت في الجنة))[1].

فعلى الداعية بيان أحوال النبي ﷺ للمدعوين ليقتدوا به ويتعلموا منه.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المحافظة على النوافل:

من موضوعات الدعوة التي تبرز من هذا الحديث المحافظة على النوافل، ويظهر ذلك من قول عائشة رضي الله عنها (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته صلاة الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة).

والمحافظة على النوافل لها فضل عظيم بالنسبة للمسلم في تحسين صلته بالله ومحبة الله له ورضاه عنه، ويؤيد ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ ((إن الله تعالى قال...، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينه، ولئن استعاذني لأُعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته))[2].

فعلى الداعية أن يعمل على حث المدعوين للمحافظة على النوافل والتقرب بها إلى الله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النفس تمل العمل، وتميل إلى الكسل، حتى إن العبادات في بعض الأحيان يجري عليها ما يجري على غيرها من الأعمال، ولهذا حرص الرسول ﷺ على تربية المسلم على الآتي:

أولاً- التربية على تزكية النفس وتهذيب الروح:

تهذيب الروح وتزكية النفس من الغايات التي حرص النبي ﷺ على تحقيقها؛ ولا يكون تحقيق هذه الغاية السامية إلا من خلال أداء الفرائض والواجبات وحدها، بل إن الأمر يتطلب الاجتهاد والعبادة، وقيام الليل، ولهذا فقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وقد نصح عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بقوله: «لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ». بل إنه كان إذا فاتته الصلاة من الليل، عوَّض ذلك فصلَّى في النهار اثنتي عشرة ركعة.

وقد اتخذت هذه النوافل أحياناً عند بعض الناس صفة المداومة عليها، حتى إن النبي ﷺ قال: "مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، ...، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ ..."؛ وذلك حتى يحتفظ المجتهدون باجتهادهم الدائم في العبادة وتزكية النفس، فلا عذر يمنعهم، ولا مانع يقلل عزيمتهم وهدفهم السامي في الإحسان وتصفية الروح.

والتزكية تتم من خلال عدة طاعات، منها: الصلاة "وهي وسيلة عظمى في تزكية النفس، وهي في الوقت نفسه علم وميزان على التزكية، فهي وسيلة وغاية في نفس الوقت، فهي تعمق معاني العبودية والتوحيد والشكر، وهي ذكر وقيام وركوع وسجود وقعود.."[1]. ومنها: تلاوة القرآن، وهي "مهذبة للنفس من جوانب شتى: فهي تعرف الإنسان على المطلوب منه، وتثير عنده كل المعاني المرادة من تزكية النفس، وهي تنور القلب، وتذكره.... وإنما يفعل القرآن فعله إذا رافقت تلاوته آداب الباطن في التأمل

---

(١) تزكية الأنفس، سعيد حوى ص ٣٣.

والخشوع والتدبر[١].

ثانياً- التربية بالنصيحة:

لقد خص النبي ﷺ بعض صحابته الكرام بالنصيحة الفردية، التي تبدأ خاصة، تكتنفها خصوصية النصيحة، وما فيها من مودة وإخاء، ورفق من الناصح إلى المنصوح، و النصيحة النبوية سرعان ما تصل إلى الأمة جميعها مثلما وصلت إلى أول منصوح بها، فقد نصح النبي ﷺ عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قائلاً: «يَا عَبْدَ اللّهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ».

وفي هذا النصح تأكيد على أهمية قيام الليل، والتحذير من دُنو الهمة مرة أخرى وتركه، وقد ذكر له النبي ﷺ مثالاً للذين يجب أن لا يكون مثلهم؛ لأنهم بدأوا بقيام الليل ثم تركوه، محرومين أجره ومثوبته، والتذكير والتواصي "من أساليب التربية الإسلامية، التي بدت خلال أحاديث المربي الرسول ﷺ، وفي طريقة النصيحة والتواصي دعوة كل مسلم إلى أن يكون مربياً يعلم أخاه المسلم[٢].

ثالثاً- من سمات التربية الإسلامية: اليسر والمرونة:

لقد تميز الإسلام بمراعاة الإمكانيات البشرية، واعتبار نقاط الضعف التي تعتري الإنسان؛ من المرض، والضعف، والنوم، وغير ذلك، ولهذا فقد رخَّص النبي ﷺ لمن ترك نافلة كان قد داوم عليها، في أن يؤديها وقتما يتأتى له ذلك، فمن نام عن قراءة القرآن بالليل جاز له القراءة ما بين الفجر والظهر، وكذلك كان يفعل النبي ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاَةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ...".

وذلك تماشياً مع روح التربية الإسلامية، وتسهيلاً على المسلم أداء العبادات والنوافل والقربات، ولم يهدف الإسلام في تشريعه إلى إعنات الناس وتكليفهم ما يشق عليهم،

---

(١) المرجع السابق ٧٧.

(٢) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٢ بتصرف يسير.

ولم يتخذ من وسائل علامات الخضوع والانقياد له أن يحملهم فوق ما يطيقون، ولكنه شرع من ذلك ما هو في حدود الطاقة البشرية متجنباً ما فيه كلفة ومشقة، ولو كان ذلك في دائرة قدرتها[1].

❁ ❁ ❁

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٢٤.

١٦- باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾[النجم:٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرِ﴾[الأحزاب:٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩] قَالَ العلماء: معناه إِلَى الكتاب والسُنّة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّه﴾[النساء:٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللّهِ﴾[الشورى: ٥٢-٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب: ٣٤]، والآيات في الباب كثيرة.

وَأما الأحاديث:

الحديث رقم (١٥٦)

١٥٦- فالأَوَّلُ: عنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«دَعُونِي ما تَرَكتُكُمْ: إِنَّما أَهْلَكَ من كَانَ قبلَكُم (كَثْرةُ)[1] سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ، فَإِذا نَهَيْتُكُمْ عنْ شَيْءٍ فاجْتَنِبُوهُ، وَإِذا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُمْ»** متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) (كثرة) لا توجد عند البخاري، وإنما عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٧/٤١٢).

الشرح الأدبي

إن الخطابة فن قولي وأدبي يقصد به إلى التأثير في نفوس المتلقين عن طريق استمالة قلوبهم، ومخاطبة عقولهم، وللخطيب أدوات تأثيرية في مقدمتها جذب انتباه السامعين، وإيقاظ ضمائرهم، وإثارة مشاعرهم، بما يلقيه الخطيب من عبارات لها إيقاعها المؤثر في صياغتها، وفي نسيج كلماتها وحروفها وفي إلقائها أيضًا، وفي تلوين الصوت جهرًا وهمسًا، وعلوًا، وانخفاضًا، وغير ذلك من وسائل تأثيرية متعددة؛ واتخذ الرسول ﷺ من الخطابة أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة، ثم اتسعت ميادين الخطابة في المدينة المنورة حيث ظل رسول الله ﷺ يواصل دعوته ويرسى أسس المجتمع المسلم، حتى استقرت الأمور، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وهذا الحديث الشريف جزء من خطبة نبوية جليلة، ألقاها النبي ﷺ لتوضيح بعض أركان الإسلام ومنها الحج: حيث قال: "يا أيها الناس: قد فرض الله عليكم الحج فحجوا: فقال رجل: أكل عام يارسول الله؟ فسكت الرسول : حتى قالها الرجل مرارًا، فقال رسول الله: لو قلت نعم: لوجبت ولما استطعتم، ثم قال: دعوني ما تركتكم.." الخ الحديث.

فالحديث ورد في سياق موقف فيه لبس من جهة السائل، واستفسار فيه إلحاح من جانبه، وعدم الاستجابة المباشرة للأمر، والمصطفى ﷺ، لم يجعل الإجابة محددة، ولم يحصرها في الرد على شخص بعينه، لأن الأمر يتعلق بقاعدة شرعية، وليس حلًا لمسألة شخصية، وقد وضع الرسول قاعدة لاستقبال الأوامر والنواهي، وهى التسليم والعمل الصالح، وترك المحاجة والمجادلة وكثرة السؤال- اتباعًا لقول الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[2].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

والحديث تضمن في صياغته عدة جمل لغوية، وتشكل من عدة أساليب تآزرت كلها في توصيل المعنى، وإفهام الأمة، وتوضيح المنهج الصحيح في استقبال الأوامر والنواهي.

وقد بدأ الحديث بصيغة الأمر في قول الرسول ﷺ وهو يجيب السائل "دعوني ما تركتكم" وهو أمر موجه للأمة كلها في كل زمان وكل مكان، والأمر هنا يتضمن النهى عن كثرة السؤال والإلحاح في ذلك: حتى لا يثقل الأمر على الناس فلا يستطيعون القيام بما فرض عليهم، والجملة الثانية، جاءت خبرية في صيغة القصر، عن طريق "إنما"، وهى تَحْصُر المعنى وتؤكده، ويقيم الرسول دليلًا على أن كثرة السؤال وكثرة الاختلاف تؤدي إلى الهلاك، كما وقع لبني إسرائيل وغيرهم من الأمم مثل عاد وثمود، وقوم نوح؛ والتعبير بقوله: "من كان قبلكم"، يشع بالمعاني الكثيرة ولكنه يتسم بالإيجاز الشديد: حيث تنبئ هذه الجملة عن مصير كثير من الأمم السابقة: وهو الهلاك والدمار بسبب الجدال والاختلاف وعدم التسليم، وأما الجملتان الثالثة والرابعة فقد صيغتا في أسلوب الشرط والجواب، وهما قاعدتان من قواعد الإسلام الشرعية، وأداة الشرط فيهما، إذا، وهى تفيد التحقق: فالنهى في الجملة الأولى متحقق وكذلك الأمر في الثانية، وجواب الشرط في الأولى فعل أمر هو "اجتنبوه"، وهذه المادة اللغوية ترشد إلى وجوب الابتعاد عن كل ما نهى عنه رسول الله ﷺ، ولم يقل "انتهوا عنه"، حتى لا يظن أنهم كانوا يقترفون هذا الأمر المنهي عنه سابقًا.

والتعبير بقول "عن شيء" يفيد الاستقصاء، ويرشد إلى أن المؤمن لا يستهين بأى شيء فيه مخالفة كبيرًا كان أو صغيرًا، والتعبير عن المنهي عنه بلفظ "شيء" يوحي بالنُّفور وعدم احترام ذلك الشيء المحرم، وذلك لحقارته – ومن هنا ندرك سر التعبير بقوله: "فاجتنبوه"، ولم يقل "فانتهوا عنه".

والجملة الرابعة: فيها عدول عن طبيعة اللفظ إلى لفظ فيه تكريم وإيحاء بوجوب الالتزام والتنفيذ، حيث قال: "وإذا أمرتكم بأمر"، ولم يقل "بشيء" لأن المأمور به: أمر شرعي، وفيه صلاح للأمة والفرد، ولفظ "أمر" يوحي بضرورة القيام به لأن الأمر للوجوب في

الفرائض والواجبات، وجواب الشرط "فأتوا منه ما استطعتم" يفصح عن منهج التيسير في الإسلام، حيث لم يقل عليه الصلاة والسلام فالتزموا به أو فأتمروا به، وإنما جعل الاستجابة في حدود الاستطاعة. وقال العلماء في بيان فأتوا منه ما استطعتم أي أطقتم ، لأن فعله هو إخراجه من العدم إلى الوجود ، وذلك متوقف على شروط وأسباب، كالقدرة على الفعل ونحوها ، وبعضها يستطاع، وبعضها لا يستطاع، فكان التكليف بما يستطاع منه: وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1][2].

فتأمل هذا البيان النبوي البليغ، وتأمل كيف أفصحت الكلمات والأساليب والصياغة عن المعاني الجليلة، والمقاصد الكريمة التي تتألق في أفق هذا الحديث النبوي الشريف.

فقه الحديث

يندرج تحت هذا الحديث كثير من الأحكام الفقهية والأصولية، ويكفي قول النووي عن قوله ﷺ: "وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"، قال النووي: (هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام)[3]، وفيما يلي بعض الأحكام الفقهية، ولمن أراد التوسع فليراجع فتح الباري[4] لابن حجر وجامع العلوم والحكم لابن رجب[5]:

١-قوله ﷺ: "دعوني ما تركتكم" يستدل به على أن جميع الأشياء على الإباحة حتى يثبت المنع من قبل الشارع[6]، وقال الدكتور علي أحمد الندوي عن القاعدة الفقهية: "الأصل في الأشياء الإباحة"، قال: (هذه قاعدة أصولية فقهية معروفة، يستند

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦ .

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٥٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٧ .

(٤) ٣٢٥٦-٣٢٥٨.

(٥) ١/٢٣٨-٢٥٧ الحديث التاسع.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٢٥٧.

إليها في تحقيق كثير من الأحكام، وبناها الفقهاء على نصوص شرعية كثيرة تدل على رسوخها وأثرها في الفقه الإسلامي وهي من الأصول القويمة الدالة على اليسر والسماحة في التشريع الإسلامي)[١].

٢-النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك: فقوله ﷺ "إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" قوله هذا استدل به -كما قال ابن حجر- على النهي عن كثرة المسائل والتعمق في ذلك. قال البغوي في شرح السنة: (المسائل على وجهين أحدهما: ما كان على وجه التعليم لما يحتاج إليه من أمر الدين فهو جائز بل مأمور به؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وعلى ذلك تتنزل أسئلة الصحابة عن الأنفال والكلالة وغيرهما، ثانيهما: ما كان على وجه التعنت والتكلف، وهو المراد في هذا الحديث، والله أعلم. ويؤيده ورود الزجر في الحديث عن ذلك وذم السلف، فعند أحمد في حديث معاوية: ((أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات))[٣] قال الأوزاعي: (هي شداد المسائل) وقال الأوزاعي أيضًا: (إن الله إذا أراد أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه المغاليط؛ فلقد رأيتهم أقلّ الناس علمًا) وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: (المراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل)[٤] وقال ابن العربي: (كان النهي عن السؤال في العهد النبوي خشية أن ينزل ما يشق عليهم، فأما بعد فقد أمن ذلك، لكن أكثر النقل عن السلف بكراهة الكلام في المسائل التي لم تقع)، قال: (وإنه لمكروه إن لم يكن حرامًا إلا للعماء فإنهم فرعوا ومهدوا فنفع الله من بعدهم بذلك، ولا سيما مع ذهاب العلماء ودروس العلم) انتهى ملخصًا. وينبغي أن يكون محل الكراهة للعالم إذا شغله ذلك عما هو أعم[٥] منه، وكان ينبغي تلخيص ما يكثر

---

(١) جمهرة القواعد الفقهية ٤٣٨/١ القاعدة ٤٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤٣٥/٤، وأبو داود ٣٦٥٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٩٣/٣٩، ٢٣٦٨٨.

(٤) هذه الأقوال وغيرها ذكرها ابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢٤٧/١-٢٤٨.

(٥) كذا في المطبوع من فتح الباري، ابن حجسر العسقلاني ولعل الأقرب إلى الصواب هو "أهم" والله أعلم.

وقوعه مجرداً عما يندر، ولا سيما في المختصرات ليسهل تناوله، والله المستعان)[١].

٣-الإكراه على المعصية: ففي قوله ﷺ: "فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه" نهي عام كما يقول ابن حجر في جميع المناهي، ويستثنى من ذلك ما يكره المكلف على فعله كشرب الخمر، وهذا على رأي الجمهور. وخالف قوم فتمسكوا بالعموم فقالوا: الإكراه على ارتكاب المعصية لا يبيحها، والصحيح عدم المؤاخذة إذا وجدت صورة الإكراه المعتبرة. واستثنى بعض الشافعية من ذلك الزنا، فقال: لا يتصور الإكراه عليه. وكأنه أراد التمادي فيه، إلا فلا مانع أن ينعظ[٢] الرجل بغير سبب، فيكره على الإيلاج حينئذٍ فيولج في الأجنبية، فإن مثل ذلك ليس بمحال، ولو فعله مختارًا لكان زانيًا، فتصوَّر الإكراه على الزنا. واستدل به من قال لا يجوز التداوي بشيء محرم كالخمر ولا دفع العطش به وإساغة لقمة من غصّ به، والصحيح عند الشافعية جواز الثالث؛ حفظًا للنفس، فصار كأكل الميتة لمن اضطر، بخلاف التداوي فإنه ثبت النهي عنه نصًا، ففي [صحيح] مسلم عن وائل [بن حُجر] رفعه: ((إنه ليس بدواء ولكنه داء))[٣] ولأبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه رفعه: ((لا تتداووا بحرام))[٤] وله عن أم سلمة مرفوعًا: ((إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها))[٥]، وأما العطش فإنه لا ينقطع بشربها ولأنه في معنى التداوي، والله أعلم، والتحقيق أن الأمر باجتناب المنهي على عمومه ما لم يعارضه إذن في ارتكاب منهي كأكل الميتة للمضطر)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥٨/٣، وانظر أمثلة للأسئلة المنهي عنها في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٤١/١-٢٤٤.

(٢) نعظ ذكره نَعْظًا ونعوظًا: قام. والناعوظ: الذي يهيِّج النعْظ، وأنعظ الرجل والمرأة: علاهما الشَّبَق. القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن ع ظ).

(٣) أخره مسلم ١٩٨٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٧٤.

(٥) أخرجه أبو يعلى ٨٩٦٦، وابن حبان ١٣٩١، والبيهقي ٥/١٠، وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان بتحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥٧/٣.

٤- العجز عن فعل المأمور به كله والقدرة على بعضه:

قال ابن رجب: (وفي قوله ﷺ: "وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" دليل على أن من عجز عن فعل المأمور به كله وقدر على بعضه فإنه أتي بما أمكنه منه، وهذا مطرد في مسائل:

أ-منها الطهارة، فإذا قدر على بعضها وعجز عن الباقي، إما لعدم الماء أو لمرض في بعض أعضائه دون بعض، فإنه يأتي من ذلك بما قدر عليه، ويتيمم للباقي، وسواء في ذلك الوضوء والغسل على المشهور.

ب-ومنها الصلاة، فمن عجز عن فعل الفريضة قائمًا صلّى قاعدًا، فإن عجز صلى مضطجعًا، وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: ((صلّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب)) ولو عجز عن ذلك كله أومأ بطرفه وصلّى بنيته، ولم تسقط عنه الصلاة على المشهور.

ج-ومنها زكاة الفطر، فإذا قدر على إخراج بعض صاع، لزمه ذلك على الصحيح فأما من قدر على صيام بعض النهار دون تكملته، فلا يلزمه ذلك بغير خلاف، لأن صيام بعض اليوم ليس بقربة في نفسه، وكذا لو قدر على عتق بعض رقبة في الكفارة فلا تلزمه، لأن تبعيض العتق غير محبوب للشارع بل يؤمر بتكميله بكل طريق[1].

وقال ابن حجر: (وقال غيره [أي غير النووي]: فيه أن من عجز عن بعض الأمور لا يسقط عنه المقدور وعبّر عنه بعض الفقهاء بأن الميسور لا يسقط بالمعسور، كما لا يسقط ما قدر عليه من أركان الصلاة بالعجز عن غيره، وتصح توبة الأعمى عن النظر المحرم والمجبوب عن الزنا، لأن الأعمى والمجبوب قادران على النوم فلا يسقط عنهما بعجزهما عن العزم على عدم العود، إذ لا يتصور منهما العود عادة فلا معنى للعزم على عدمه، واستدل به على أن من أمر بشيء فعجز عن بعضه ففعل المقدور أنه يسقط عنه ما عجز عنه)[2].

د-اجتناب المنهيات وفعل المأمورات:

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٥٦-٢٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٢٥٧.

قال ابن رجب: (وقوله ﷺ: "إذا نهيتكم عن شيء فاجتنوبه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" قال بعض العلماء: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر، لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيّد بحسب الاستطاعة، وروى هذا عن أحمد. ويشبه هذا قول بعضهم: أعمال البر يعملها البر والفاجر، وأما المعاصي فلا يتركها إلا صديق.

والظاهر أن ما ورد من تفضيل ترك المحرمات على فعل الطاعات، إنما أريد به على نوافل الطاعات، وإلا فجنس الأعمال الواجبات أفضل من جنس ترك المحرمات، لأن الأعمال مقصودة لذاتها، والمحارم المطلوب عدمها، ولذلك لا يحتاج إلى نية بخلاف الأعمال، ولذلك كان جنس ترك الأعمال قد يكون كفرًا كترك التوحيد، وكترك أركان الإسلام أو بعضها ... بخلاف ارتكاب المنهيات فإنه لا يقتضي الكفر بنفسه. ويشهد لذلك قول ابن عمر: لرد دانق[1] حرام أفضل من مائة في سبيل الله. وعن بعض السلف قال: ترك دانق مما يكره الله أحب إلي من خمسمائة حجة، وقال عمر بن عبدالعزيز: ليست التقوى قيام الليل، وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء ما افترض الله، وترك ما حرم الله، فإن كان مع ذلك عمل، فهو خير إلى خير، أو كما قال.

وقال أيضًا: وددت أني لا أصلي غير الصلوات الخمس سوى الوتر، وأن أؤدي الزكاة ولا أتصدق بعدها بدرهم، وأن أصوم رمضان ولا أصوم بعده يومًا أبدًا، وأن أحج حجة الإسلام ثم لا أحج بعدها أبدًا، ثم أعمد إلى فضل قوتي فأجعله فيما حرم الله عليّ فأمسك عنه.

وحاصل كلامهم يدل على أن اجتناب المحرمات -وإن قلت- أفضل من الإكثار من نوافل الطاعات، فإن ذاك فرض، وهذا نفل)[2].

---

(١) الدانق سدس الدرهم والساقط المهزول. المعجم الوسيط في (د ن ق).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٥٢-٢٥٤، وانظر: الفوائد لابن القيم ص ١٧٣-١٨٦، وقال: هذه مسألة عظيمة لها شأن، وهي أن ترك الأوامر عند الله من ارتكاب المناهي وذلك من وجوه عديدة، ثم ذكر ثلاثة وعشرين وجهًا للتدليل على ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الاختلاف.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: ضرورة الامتثال لأمر النبي ﷺ.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ جوامع الكلم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: العمل قدر الطاقة والوسع.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر أسلوب الأمر في هذا الحديث في أكثر من موضع هي: "دعوني... فاجتنبوه... فأتوا...".

إن استعمال النبي ﷺ لأسلوب الأمر في هذا الحديث يدل على أهمية المأمور به، من حيث ضرورة الامتثال لما أمر به النبي ﷺ، وما في ذلك من مصلحة متحققة للمدعوين في الاستجابة لما أمروا به.

دل حديث الباب على النهي عن السؤال عما لا يُحتاج إليه مما يسوء السائل جوابه وهذا ما تراه في قوله ﷺ: "دعوني ما تركتكم: إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ... إلخ"[1].

وقد تعددت الأحاديث النبوية في تأكيد هذا المعنى وترسيخه، وكان منها قول أبي هريرة رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: "أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا"، فقال رجل: أكلَّ عام يا رسول الله! فسكت حتى قالها ثلاثًا. فقال رسول الله

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/ ٢٤٠-٢٤١.

ﷺ: "لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم"، ثم قال: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ..." إلخ[١].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ذروني ما تركتكم" يعني: لا تكثروا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مقيَّدةً بوجهٍ ما ظاهرٍ وإن كانت صالحة لغيره. وبيان ذلك: أن قوله: "فحجوا" وإن كان صالحًا للتكرار، فينبغي أن يُكتفى بما يصدق عليه اللفظ، وهو المرةُ الواحدةُ، فإنها مدلولة للَّفظ قطعًا، وما زاد عليها يتغافل عنه، ولا يكثر السؤال فيه لإمكان أن يكثر الجواب المترتب عليه، فيضاهي ذلك قصة بقرة بني إسرائيل التي قيل لهم فيها: اذبحوا بقرة. فلو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ، وبادروا إلى ذبح بقرة -أيِّ بقرة كانت- لكانوا ممتثلين، لكن لما أكثروا السؤال كثر عليهم الجواب، فشددوا، فشدد عليهم، فذُمُّوا على ذلك، فخاف النبي ﷺ مثل هذا على أمته، ولذلك قال: "فإنما هلك من كان قلبكم بكثرة سؤالهم"، وعلى هذا يحمل قوله: "فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" يعني: بشيءٍ مطلقٍ. كما إذا قال: صُمْ، أو صلِّ، أو تصدَّق. فيكفي من ذلك أقلُّ ما ينطلق عليه الاسم فيصوم يومًا، ويصلِّي ركعتين، ويتصدق بشيءٍ يُتصدَّق بمثله. فإن قيَّد شيئًا من ذلك بقيود، ووصفه بأوصاف لم يكن بدٌّ من امتثال أمره على ما فصَّل وقيَّد، وإن كان فيه أشدُّ المشقات، وأشق التكاليف. وهذا مما لا يختلف فيه إن شاء الله تعالى أنه هو المراد بالحديث[٢].

ومما يؤكد على ترسيخ هذا المعنى، قول أنس رضي الله عنه: "سئل رسول الله ﷺ حتى أحْفَوْهُ المسألة[٣] فغضب فصعد المنبر، فقال: "لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم"، فجعلت انظر يمينًا وشمالاً فإذا كل رجل لافًّا رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٣/٤٤٧-٤٤٨.

(٣) وأحفوه في المسألة: استقصوا عليه، الإفصاح، ابن هبيرة، ٥/٣٣.

كان إذا لا حى[١] الرجال يدعى لغير أبيه، فقال: يا رسول الله، من أبي؟ قال: "حذافة" ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ رسولاً، نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله ﷺ: "ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط، إنه صُوِّرت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط"[٢].

وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[٣])[٤].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث، أن غضب رسول الله ﷺ إنما كان لتكثيرهم الأسئلة عما لا يصلح، فظهر رسول الله ﷺ على المنبر ظهورًا قال فيه قولاً يستدل به كل عاقل على أنه لم يمسك عما كانوا يسألونه عنه إلا لمصلّحتهم فحسب، وقد نطق بهذا القرآن في قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾)[٥].

لذادلت هذه الأحاديث على النهي عن السؤال عما لا يُحتاج إليه مما يسوءُ السائل جوابه مثل سؤال السائل؛ هل هو في النار أو في الجنة، وهل أبوه من ينتسب إليه أو غيره، وعلى النهي عن السؤال على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم.

وقريب من ذلك سؤال الآيات واقتراحها على وجه التعنت لما كان يسأله المشركون وأهل الكتاب، وقد قال عكرمة وغيره: إن الآية نزلت في ذلك.

ويقرب من ذلك السؤال عما أخفاه الله عن عباده، ولم يُطلعهم عليه، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح.

---

(١) "كان إذا لاحى" الملاحاة المنازعة والخصومة، المرجع السابق.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٧٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٦٢.

(٥) الإفصاح ٣٢/٥.

وقد كان النبي ﷺ ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال[١].

ولم يكن النبي ﷺ يُرخِّصُ في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه، يتألفهم بذلك، فأمَّا المهاجرون والأنصار المقيمون بالمدينة الذين رسخ الإيمانُ في قلوبهم، فنهوا عن المسألة[٢].

فعن نواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ((أقمت مع رسول الله ﷺ بالمدينة سنة، ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ...)) إلخ[٣].

قال النووي: (معناه: أنه أقام بالمدينة كالزائر من غير نقله إليها من وطنه لاستيطانها وما منعه من الهجرة وهي الانتقال من الوطن واستيطان المدينة إلا الرغبة في سؤال رسول الله ﷺ عن أمور الدين، فإنه كان سمح بذلك للطارئين دون المهاجرين وكان المهاجرون يفرحون بسؤال الغرباء الطارئين من الأعراب وغيرهم، لأنهم يحتملون في السؤال ويعذرون ويستفيد المهاجرون الجواب كما قال أنس رضي الله عنه في الحديث الذي ذكره مسلم في كتاب الإيمان. وكان عجبًا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأل ونحن نسمع[٤])[٥].

وكان من أهم أسباب نهي النبي ﷺ عن كثرة السؤال عدم حصول التشديد لقوله ﷺ "إن أعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من سأل عن شيءٍ لم يحرم، فحرم من أجل مسألته" وقد زعم بعض الناس أن ذلك كان مختصًا بزمن النبي ﷺ[٦] لما يخشى حينئذ من تحريم ما لم يحرم، أو إيجاب ما يشق القيام به، وهذا قد أمن بعد وفاته ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٧٧، ومسلم ٥٩٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/ ٢٤٠-٢٤٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٣٣-١٥٣٤.

(٦) أخرجه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

قال ابن رجب: (إن هذا الزعم ليس وحده هو سبب كراهة المسائل، بل له سبب آخر، وهو الذي أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ولكن انتظروا، فإذا نزل القرآن، فإنكم لا تسألون عن شيءٍ إلا وجدتم تبيانه. ومعنى هذا: أن جميع ما يحتاج إليه المسلمون في دينهم لا بدَّ أن يبينه الله في كتابه العزيز، ويبلِّغ ذلك رسوله عنه، فلا حاجة بعد هذا لأحدٍ في السؤال[1] ولا سيما قبل وقوعه والحاجة إليه، وإنما الحاجةُ المهمة إلى فهم ما أخبر الله به ورسوله، ثم اتباع ذلك والعمل به، بل وبذل الوسع في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الأوامر واجتناب ما يُنهى عنه، وتكون همته مصروفة بالكلية إلى ذلك، لا إلى غيره.

وهكذا كان حال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان في طلب العلم النافع من الكتاب والسنة ولكن...

إذا كانت همة السامع مصروفة عند سماع الأمر والنهي إلى فرض أمور قد تقع،وقد لا تقع، فإن هذا مما يدخل في النهي، ويثبط عن الجد في متابعة الأمر. وقد سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر، فقال له: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله، فقال له الرجل: أرأيت إن غلبت عليه؟ أرأيت إن زُوحمت؟ فقال له ابن عمر: اجعل، "أرأيت"، باليمن، رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله[2].

ومراد ابن عمر رضي الله عنهما أنه لا يكن لك هم إلا في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا حاجة إلى فرض العجز عن ذلك أو تعسره قبل وقوعه؛ فإنه قد يفتر العزم عن التصميم على المتابعة، فإن التفقه في الدين، والسؤال عن العلم إنما يُحمد إذا كان للعمل، لا للمراء والجدال.

وقد روي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه ذكر فتنًا تكون في آخر الزمان، فقال له عمر رضي الله عنه: متى ذلك يا علي؟ قال: إذا تُفُقه لغير الدين، وتُعُلِّم لغير العمل، والتمست الدنيا بغير الآخرة.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٦١٠.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، وتتخذُ سُنةً، فإن غيرت يومًا قيل: هذا منكر؟ قالوا: ومتى ذلك؟ قال: إذا قلت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثر قراؤكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة.

ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السؤال عن الحوادث قبل وقوعها، ولا يجيبون عن ذلك، قال عمرو بن مرة: خرج عمر على الناس، فقال: أحرِّج عليكم أن تسألونا عن ما لم يكن، فإن لنا فيما كان شغلاً. وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لا تسألوا عما لم يكن، فإني سمعت عمر رضي الله عنه لعن السائل عما لم يكن[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن الاختلاف:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث النهي عن الاختلاف حيث بيّن ﷺ أن الاختلاف كان سببًا في هلاك الأمم السابقة، فعلى المسلمين البعد عنه حتى لا يكون سببًا في هلاكهم.

لذا أمر الله سبحانه المسلمين بالاجتماع وعدم التفرق والاختلاف، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

فأمر الله عز وجل بأن يكونوا جميعًا على الاعتصام بجامعة الإسلام، الذي كان سبب نجاتهم مما كانوا عليه قبله[3].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٤٤-٢٤٥، باختصار.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٣-١٠٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور٢/٤/٣٢.

ونهى عن التفرق والاختلاف اللذين كانا عليها الأمم السابقة، مما كان سببًا في هلاكهم. فحري بالداعية أن يبيّن للمدعوين خطورة الاختلاف، نظرًا لما يترتب عليه من نتائج سلبية من التفرقة والحزبية التي ينهى الإسلام عنها، لأنها تجلب العداوات التي تصل إلى حد الاقتتال والتناحر بين الأمة كما حدث في الأمم السابقة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: ضرورة الامتثال لأمر النبي ﷺ:

من موضوعات الدعوة التي تبرز من هذا الحديث ضرورة الامتثال لأمر النبي ﷺ ويظهر ذلك من قوله: "فإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم".

والامتثال لأمر النبي ﷺ أمر واجب على المسلمين جميعًا، لقوله تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر[3].

فعلى الداعية أن يبيّن للمدعوين ضرورة الامتثال لأمر رسول الله ﷺ وأن أمره هو أمر من عند الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[4].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر أسلوب الترهيب في هذا الحديث في ترهيبه ﷺ من كثرة السؤال والاختلاف، وبيان أن ذلك كان سببًا في هلاك الأمم السابقة، فعلى المسلمين أن يحذروا من خطورة الوقوع فيه. والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة والتي يمكن أن يفيد منها الداعية فيما يخدم موضوعات الدعوة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ جوامع الكلم:

إن مما يؤكد خصوصية النبي ﷺ في الإيجاز ما ورد في قوله ﷺ: ((فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم)) قال الإمام النووي: هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرة جماعة من تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه، والمقصود التنبيه على أصل ذلك[1].

وجوامع الكلم التي أعطيها رسول الله ﷺ من خصائصه التي خصه الله بها فكان كلامه قليل الألفاظ كثير المعاني والفوائد.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: العمل قدر الطاقة والوسع:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث العمل قدر الطاقة والوسع، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "فأتوا منه ما استطعتم" أي: افعلوا قدر استطاعتكم[2]. وقال ابن رجب: (وفي ذلك دليل على أن من عَجَزَ عن فعل المأمور به كله، وقدر على بعضه فإنه يأتي بما أمكنه منه، وهذا مطرد في مسائل منها الطهارة، والصلاة، وزكاة الفطر، والحج)[3].

فالله سبحانه لا يأمر إلا بالمستطاع[4]. قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[5] أي: لا يكلف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٨٣٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٦/١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٥٦/١ باختصار.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٧.

(٥) سورة البقرة من آية: ٢٨٦.

إليهم[١]. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢] أي مشقة وعسر، بل يسره غاية التيسير[٣].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٤] يأمر تعالى بتقواه التي هي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة[٥]. فعلى الداعية أن يبين للمدعوين يسر الدين وسعته ولطفه بهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٧٣٧.

(٢) سورة الحج، من آية: ٧٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٩٦.

(٤) سورة التغابن، من آية: ١٦.

(٥) المرجع الساب ص ٨٠٤.

الحديث رقم (١٥٧)

١٥٧- الثَّاني: عَنْ أَبي نَجيحٍ الْعِرْباضِ بْنِ سَارِيَة رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رسولُ اللَّه ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُون، فقُلْنَا: يا رَسولَ اللَّه كَأَنَّهَا موْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا. قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللَّه، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وإِنْ تَأَمَّر عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حبشيٌّ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيرى اخْتِلافًا كثِيرا. فَعَلَيْكُمْ بسُنَّتي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالَةٌ**» رواه أبو داود، والترمذي[1]، وقال حديث حسن صحيح.

«**النَّواجِذُ**» بالذال المعجمة: الأَنْيَابُ، وقيلَ: الأَضْرَاسُ[2].

ترجمة الراوي:

العرباض بن سارية: هو العرباض بن سارية السُّلمي كنيته: أبو نَجيح. كان من السباقين إلى الإسلام، أسلم هو وسبعة من بني سليم هو أكبرهم فبايعوا النبي ﷺ.

كان فقيرًا، فعاش مع أهل الصفة بالمسجد، حتى إذا جاءت غزوة تبوك والمسلمون في شدة وحاجة. جاء هو وجماعة من الصحابة الفقراء إلى النبي ﷺ ليجهزهم للغزو، فاعتذر لهم النبي ﷺ عن عدم تمكنه من ذلك، فبكوا بكاءً شديدًا لأنهم سيحرمون من الجهاد في سبيل الله، فسمُّوا البكائين. وفيهم نزل قوله تعالى[3] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦). صحّحه ابن حبان (الإحسان ٥)، وقال الحاكم (٩٥/١): هذا حديث صحيحٌ ليس له علة. وقال ابن كثير في تحفة الطالب (٤٦): وصحّحه أيضًا أبو نعيم الإصبهاني، وقال الأنصاري في ذم الكلام (١٢٢/٣): هذا من أجود حديث في أهل الشام وأحسنه. ونقل أيضًا عن أبي العباس الداغولي أنه قال: حديث العرباض هذا صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٥٨). وسيكرره المؤلف برقم (٧٠٢).

(٢) بنصه في الترغيب والترهيب، المنذري (٩٥/١).

(٣) انظر: الدر المنثور (٤٨٧/٧) وفي خصوص العرباض بن سارية صحّ أنه نزل فيه ذلك وهذا في أول الحديث المذكور له في الرياض، وقد أورد النووي قول النبي ﷺ فقط.

ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[١].

وكان يخشى على نفسه الرياء فكان يقول: لولا أن يقول الناس فعل أبو نجيح فعل أبو نجيح يعني نفسه.

وكان مجاهرًا بالحق لا يخشى أحدًا، أعطى معاوية بن أبي سفيان المقداد حمارًا من المغانم فقال له العرياض: ما كان لك أن تأخذه، ولا أن يعطيك، كأني بك في النار تحمله. فرده المقداد، نزل الشام وسكن حمص وتوفي سنة ٧٥هـ وقيل قبل ذلك[٢].

غريب الألفاظ:

وجلت: الوجل: الفزع[٣].

ذرفت منها العيون: ذرفت العين تَذْرِف: إذا جرى دمعها[٤].

تأمَّر عليكم: أي صار أميرًا عليكم[٥].

النواجذ: بالذال المعجمة: الأنياب وقيل الأضراس[٦].

عضوا عليها بالنواجذ: هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين؛ لأن العض بالنواجذ عضٌّ بجميع الفمّ والأسنان[٧].

---

(١) سورة التوب، آية: ٩٢.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٧٦/٤) (٤١٢/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٩٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٩/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٠٢، والسير (٤١٩/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (١٥٠/٥)، والتهذيب (٨٩/٣) وموسوعة عظماء حول الرسول (١٣٣٨/٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ج ل).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ ر ف).

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٣٥.

(٦) رياض الصالحين ١١٣.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ض ض). وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٣٦.

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي هو في القمة من البلاغة العربية، وهو الأنموذج المتكامل الفريد للبيان العربي الدال المفيد لأنه من توفيق الله وهدايته، وتوجيهه ورعايته، ويتصل سموق هذا البيان بأسباب تكوينه ونشأته ﷺ فقد نشأ وتقلب في أفصح القبائل وأخلصها منطقًا، وأعذبها بيانًا، فكان مولده في بني هاشم، وأخواله في بني زهرة، ورضاعه في بني سعد بن بكر، ومتزوجه في بني أسد، ومهاجرته إلى بني عمرو ، وهم الأوس والخرزج من الأنصار، وهذه النشأة الإنسانية الصحيحة التي صاحبت المصطفى ﷺ في جميع أطوار حياته بفضل توفيق الله ورعايته صبغت أحاديثه وبيانه الكريم بصفات كريمة، ودقائق نفيسة.

وفي ضوء هذه الخصائص الفنية والجماليات الأسلوبية التي يتسم بها البيان النبوي الكريم، يبدأ العرياض بن سارية هذا الحديث الشريف بالإشادة بموعظة رسول الله ﷺ: ويصفها بأنها موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، ويقول ابن رجب الحنبلي: البلاغة في الموعظة مستحسنة، لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها، والبلاغة هى: التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، واتصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها وأفصحها وأحلاها لذي أسماع، وأوقعها في القلوب وكان النبي ﷺ يقصر الخطبة ولا يطيلها بل كان يبلغ ويوجز[1].

ومنبع البلاغة في هذا الحديث الشريف يتمثل في حسن اختيار الكلمات، ودقة انتقاء الأساليب وتنوعها، والحوار المفيد بين النبي وأصحابه، والصدق في النصيحة، والدعوة إلى العمل الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة، وأول شعاع من أشعة هذه البلاغة النبوية هو "الأسلوب الجَمْعي" في الوعظ والخطاب بصفة عامة فلم يقل العرباض "وعظني رسول الله"، ولكنْ قال: "وعظنا"، لأن النبي ﷺ أرسل إلى الناس كافة.

والسياق هنا يقتضي الموعظة الجماعية: لأنه يوصي أصحابه وكل المسلمين بعد

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١١١.

ذلك في كل زمان وكل مكان.

والتنوين في "موعظة" مع مجيئها في صيغة النكرة، للتعْظيم والتعميم فهى موعظة جليلة عامة شاملة ووصفها بأنها بليغة لا يتعلق بالبلاغة الأسلوبية فقط، ولكنها بما تضمنته من إرشادات ونصائح وتوجيهات قد وصلت إلى القلوب والأسماع، وبلغت المراد، وأتت بالثمرة: لأن البلاغة من التبليغ والإبلاغ.

وبلاغة الأداء الصوتي، وتمثل المعنى، وقوة التأثير من خصائص بيانه الكريم في أحاديثه وخطبه ووصاياه ومواعظه، فقد كان النبي ﷺ يتغير حاله عند الموعظة كما قال جابر، كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه، وعلا صوته، واحْمّرت عيناه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم[1].

ومن مظاهر بلاغة الأسلوب "التقديم والتأخير" في قوله: "وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون"، لأن العيون لا تبكي ولا تذرف الدمع من خشية الله إلا إذا وجلت القلوب، واستشعرت ثقل الذنوب، واشتاقت إلى عفو ورحمة علام الغيوب.

وفي قوله: "كأنها موعظة مودّع فأوصنا، دلالة على أنه ﷺ قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودّع، فإن المودِّع يستقصي ما لم يستقص غيره في القول والفعل. والتشبيه هنا متماثل بين طرفي التشبيه فهو تشبيه المعنوي بالمعنوي، أو تشبيه حالة رسول الله في موعظته البليغة المستقصية بحال من يودع أبناءه، ويوصيهم بما ينفعهم، وبما يحفظ عليهم أنفسهم وأموالهم.

والأمر في قول الصحابة، "فأوصنا" ليس على حقيقته، ولكنه التماس، لأن الأمر الحقيقي يكون من الأعلى للأدنى، أما إذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء، مثلما نقول في دعائنا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا.

وإذا كان بين متساويين فهو التماس ورجاء، ورسول الله مثلنا في البشرية ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[2] وجاءت وصيته ﷺ بمنأى عن أسلوب الأمر إلا

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٧.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

في وصيته بضرورة التمسك بالسنة، فقال: "عضوا عليها بالنواجذ".

وأول بنود هذه الوصية هو "تقوى الله" وهى وصية جامعة مانعة ، تفصح عن قيمة الإيجاز في الحديث النبوي، فقد جمع النبي ﷺ، في هذا كل ما يحتاج إليه من أمور الآخرة: لأن التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وتكاليف الشرع لا تخرج عن ذلك.

والبنْد الثاني من هذه الوصية: هو "السمع والطاعة"، لولي الأمر حتى وإن كان عبْدًا حبشيًا؛ وقيل إن هذا من عطف الخاص على العام لأن من مظاهر التقوى: "السمع والطاعة"، وقيل يحتمل أنه من عطف المغاير من حيث إن أظهر مقاصد التقوى انتظام الأمور الأخروية، والإمامة التي تستوجب السمع والطاعة، أظهر مقاصدها انتظام الأمور الدنيوية، ويقول ابن رجب الحنبلي: (فهاتان الكلمتان تجمعان سعادة الدنيا والآخرة، أما التقوى فهي كافلة سعادة الدنيا والآخرة لمن تمسك بها، وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معاشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم، وطاعة ربهم)[1].

ويُطلع الرسول أصحابه على حقائق ستقع في المستقبل، ومنها الاختلاف الكثير، وتشعبُ المذاهب والفرق، وكثرة التأويل وانتشار البدع والخرافات، ويقول العلماء في هذا التوجيه والتحذير أن من معجزاته ﷺ إخباره بما يقع بعده من كثرة الاختلاف وغلبة المنكر، وهذا الإنباء عن وقوع الاختلاف الكثير في جميع الأمور الدينية والدنيوية، قدّمه رسول الله ﷺ في صيغة التأكيد، وفي إيجاز شديد دالّ مفيد، وقوله: "فسيرى اختلافًا كثيرًا"، يشمل كل أوجه الاختلافات التي نشأت بين المسلمين في جميع المجالات السياسية والعقدية والاجتماعية، والعلمية، وغير ذلك.

وفي ختام الحديث: يقدِّم المصطفى ﷺ للمسلمين مفاتيح النجاة من فتن الخلافات، وظلمات الشبهات فيأمر المسلمين جميعًا بالتزام السنة النبوية، التي سار عليها الخلفاء الراشدون بعده، ؛ وهذا إعجاز آخر من معجزاته ﷺ لأنه أخبر عما

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١١٦، ١١٧.

سيقع في المستقبل، وما أخبر به حدث، وسار الخلفاء الراشدون على نهجه وسنته، ثم انقلبت الأمور وصارت حكما عضوضًا، وفي قوله: "عضّوا عليها بالنواجذ"، فيه أمر بشدة التمسك بالسنة كما يحرص الإنسان على طعامه، ويعض عليه بالنواجذ حتى يستسيغه ويهضمه فينفعه، وفيه تشبيه المعقول بالمحسوس، وإشارة إلى الفهم الصحيح للسنة ومدارستها دراسة جيدة حتى تصبح مستساغة كالطعام المهضوم النافع، ويحذر الرسول من البدع والأهواء وتشويه المعالم الدينية المستمدة من الكتاب والسنة ووصف "البدعة بأنها ضلالة"، وهذا قول موجز يشمل كل أنواع البدع المذمومة التي ليس لها أصل في الشريعة، والله الموفق.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم طاعة الإمام، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٥١).

الثاني: المقصود بالبدعة والسنة وحكمهما، وقد اختلف الفقهاء[1] في مفهومهم للبدعة، فمنهم من وسع في مدلولها حتى أطلقها على كل مستحدث من الأشياء لم يوجد في الكتاب والسنة سواء أكان محمودًا أم مذمومًا، وسواء أكان في العبادات ومن هؤلاء الشافعي والنووي والعز بن عبدالسلام، والقرافي والزرقاني من المالكية، وابن عابدين من الحنفية، وابن الجوزي من الحنابلة، وابن حزم الظاهري، وهي تنقسم عندهم إلى أقسام عدة، فمن البدع الواجبة الاشتغال بمثل علم النحو، ومن البدع المحرمة مذهب المرجئة والقدرية والجبرية والخوارج، ومن البدع المندوبة صلاة التراويح

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: بريقة محمودية للخادمي ٨٧/١ وما بعدها، وأنوار البروق، القرافي ٢١٧/٤ وما بعدها، وحاشية العدوي على الخرشي ١٢٦/١، والمدخل ١٦٠/١، ٢٥٩/٤، ٢٧٧، والفروع، ابن مفلح ١٦١/٦ وما بعدها، ٥٦٧/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٢٣/١٠ وما بعدها، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٢٠٤/٢ وما بعدها، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤٢/٢، ٢٢/٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٤٠٢/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/٨ وما بعدها.

في المساجد، وبناء القناطر والمدارس وغيرها، ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزيين المصاحف، ومن البدع المباحة المصافحة عقب الصلاة والتوسع في المباح من المأكل والمشرب والملبس[(١)].

ومنهم من ذم البدعة مطلقًا سواء أكانت في العبادات أم العادات، وقرروا أن البدع كلها ضلالات، ومن هؤلاء مالك والشاطبي والطرطوشي، والإمام الشمني والعيني من الحنفية، والبيهقي وابن حجر العسقلاني وابن حجر الهيتمي من الشافعية، وابن رجب الحنبلي وابن تيمية من الحنابلة.

وقد اتفق الفقهاء على أن البدعة في العقيدة محرمة، وقد تصل إلى درجة الكفر متى خالفت معلومًا من الدين بالضرورة.

أما البدعة في العبادات فقد تكون محرمة، كبدعة الصيام في الشمس، والخصاء للانقطاع للعبادة، وقد تكون مكروهة كالاجتماع عشية عرفات للدعاء لغير الحجيج، وزخرفة المساجد[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الوعظ، والوصية، والأمر، والتحذير، والتوكيد.

ثانيًا: من آداب المدعو: حضور الذهن وإعمال العقل والتفاعل مع الداعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التقوى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية السمع والطاعة.

خامسًا: من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار بوقوع الاختلاف الكثير.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التمسك بالكتاب والسنة وسنة الخلفاء الراشدين المهديين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من محدثات الأمور والبدع.

ثامنًا: من صفات الداعية: الحرص على هداية الناس.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٨/٢١ وما بعدها.

(٢) المراجع السابقة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الوعظ، والوصية، والأمر، والتحذير، والتوكيد:

أ- الوعظ: ويؤخذ ذلك من قول العرباض بن سارية: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة"وقوله: "كأنها موعظة مودع"، والموعظة من أهم الوسائل الدعوية وقد أمر الله بها فقال: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[1]، وشرط أن تكون حسنة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[3].

ب- الوصية: ويؤخذ ذلك من قول الصحابة رضي الله عنهم "فأوصنا" وقوله ﷺ: ((أوصيكم)) فنجد أن الصحابة رضي الله عنهم حرصوا على وصية رسول الله ﷺ لهم وأجاب النبي ﷺ مطلبهم فأوصاهم بأن يستمسكوا بما ينفعهم ويعصمهم من الزلل والردى.

ج- الأمر: في قوله ﷺ: "عليكم بسنتي".

د- التحذير: في قوله ﷺ -محذرًا من الإحداث في الدين-: "وإياكم ومحدثات الأمور".

هـ- التوكيد: ويظهر ذلك في توكيد كلامه ﷺ ليأخذ مكانه في القلوب في قوله: "وأنه من يعش" و"فإن كل بدعة ضلالة". ولا شك أن هذا التوكيد يعمل على إقرار وترسيخ ما تم التوكيد عليه فيما يتعلق بالاختلاف الكثير الذي سيراه من يعش بعد النبي ﷺ، وما يتعلق بشأن البدع وأنها ضرب من ضروب الضلال والزيغ، مما يستلزم اجتنابها وعدم إتيانها.

ثانيًا- من آداب المدعو: حضور الذهن وإعمال العقل والتفاعل من الداعية:

يظهر ذلك في اندماج الصحابة رضي الله عنهم مع كلام رسول الله ﷺ وتأثيره فيهم في قوله: ((ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب))، وهذان الوصفان بهما مدح الله

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية ٦٥/٣.

المؤمنين عند سماع الذكر[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٢].

أما حضور البديهة فيستنبط من قوله: "كأنها موعظة مودع فأوصنا"، يدل على أنه كان قد أبلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها، فلذلك فهموا أنها موعظة مودع، ولربما كان قد وقع منه ﷺ - تعريض في تلك الخطبة بالتوديع[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التقوى:

لقد أمرنا الله بتقواه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٤]، وبين المراد بهذه الآية بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٥]، فتقوى الله خشيته ظاهرًا وباطنًا والعمل بموجبها[٦].

ومن ثمرات التقوى ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٧].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "يجعل له مخرجًا": ينجيّه من كل كرب في الدينا والآخرة، وقال عمر بن عثمان الصدفي: "ومن يتق الله فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه، يخرجه من الحرام إلى الحلال، ومن الضيق إلى السعة، ومن النار إلى الجنة (ويرزقه من حيث لا يحتسب)، من حيث لا يرجو[٨]، ومن ثمرات التقوى أيضًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٢/٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٤/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٥) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٦) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ١٦٨/٤/٢.

(٧) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٩/١٨/٩ - ١٦٠.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[١]، مخرجًا في الدنيا والآخرة، ويكفر عنكم سيئاتكم: يمحوها، ويغفر لكم: يسترها عن الناس[٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورًا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٣].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية السمع والطاعة:

قد أمر النبي ﷺ بالسمع والطاعة في الحديث "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي"، أي: وإن كان المؤمر عليكم عبدًا حبشيًا فلا تستنكفوا عن طاعته، فأطيعوه مخافة إثارة الفتن[٤]، فالسمع والطاعة لولاة الأمر انتظام لمصالح العباد في الدنيا وإظهار لدين الله تبارك وتعالى.

خامسًا- من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار بوقوع الاختلاف الكثير:

فقال ﷺ: "وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا"، قال ابن رجب الحنبلي: "وهذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات". وذلك يعد من دلائل نبوته ﷺ[٥].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التمسك بالكتاب وسنة الخلفاء الراشدين المهديين:

(لقد كان الرسول ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة، وقبيل وفاته بعد صلاة الصبح وعظ أصحابه رضي الله عنهم موعظة بليغة مؤثرة اضطربت لها القلوب ودمعت من قوة تأثيرها العيون، وأحس الصحابة بأن الرسول ﷺ أطال فيها وعمم وأرشد إلى أكثر الأمور كأنه يودعهم ويوشك أن يفارقهم.. ولعلهم لمحوا ذلك من ثنايا كلامه فطلبوا وصية

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٢ - ٤٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الفيروز آبادي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٣٥.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٢٠.

جامعة، فأوصاهم بالتزام التقوى في كل قول وفعل، والسمع والطاعة للأمراء ما دام ذلك في طاعة الله تعالى، وحذرهم من التنافس على الإمارة، لئلا تضيع الأمة بين الفتن والدسائس والحروب زمن الاختلاف وكثرته في الآراء والمفاهيم وفي الأفعال والتصرفات، وبيّن لهم أن سبيل النجاة من ذلك كله اتباع السنة من أقواله وأفعاله وتقريراته وعزائمه وصفاته الخَلْقية والخُلقية وكذلك سنة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم - قيل: وعمر بن عبدالعزيز- حيث استمر عصر الصحابة أفضل العصور إلى آخر عهد علي رضي الله عنه. هذه السُنة هي طريق الخلاص الوحيد، على الإنسان أن يحافظ عليها بأقصى ما يستطيع كما يفعل من أمسك بنواجذه -أضراسه- شيئًا وعض عليه لئلا ينزع منه)[1].

ونهى عن الافتراق والاختلاف وأمر بالتمسك بسنته ﷺ وأصحابه)[2]، فقال: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين"، أي: التزموا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم إما لعملهم بها أو لاستنباطهم واختيارهم إياها[3].

وحث على شدة التمسك بها بقوله: "عضوا عليها بالنواجذ"، والنواجذ جمع ناجذة أي الضرس، وقيل: هو مرادف السن، وهذا الأمر كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها، وقال الخطابي: (وقد يكون معناه أيضًا الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه)[4].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من محدثات الأمور والبدع:

لقد أمرنا النبي ﷺ بالالتزام بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وحذرنا من محدثات الأمور والبدع، من ذلك ما جاء في الحديث: ((إياكم ومحدثات الأمور فإن كل

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/١٢٠.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الفيروز آبادي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٣٥.

(٤) انظر: عون المعبود، المباركفوري ص ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦.

بدعة ضلالة))، والمحدثات جمع محدثة، والمراد بها البدع والضلالات من الأفعال والأقوال، يعني كل خصلة أتى بها جديدًا فهي مخالفة للسنة وكل مخالفة للسنة ضلالة[١]، وقال مالك: قال عمر بن عبدالعزيز: "سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر في أمرٍ خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا"[٢].

ثامنًا- من صفات الداعية: الحرص على هداية الناس:

وصف الله عز وجل الداعي الأول رسول الله ﷺ بقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[٣]، ويظهر ذلك واضحًا جليًا في الحديث وكيف أن الرسول ﷺ رسم للأمة سبل النجاة انطلاقًا من حرصه عليهم فأمرهم باتباع السنة، "فعليكم بسنتي"، والبعد عن البدع "وإياكم ومحدثات الأمور"، وأمرهم بالسمع والطاعة "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة" فينبغي على الداعي أن تتضاعف اهتماماته بالناس، وأن يواليهم بالنصح والإرشاد قاصدًا نجاتهم وسعادتهم، محاولاً دائمًا بيان مصلحتهم، فرسول الله ﷺ في موالاته النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترك للمسلمين وللدعاة خاصة ثروة طائلة تمدهم بالدين كله[٤].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٦/١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٢٣/٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤٥٩ - ٤٦٠.

الحديث رقم (١٥٨)

١٥٨- الثَّالِثُ: عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه أَن رسول اللَّه ﷺ قالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يدْخُلُونَ الْجنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبِي». قِيلَ: وَمَنْ يَأْبى يا رسول اللَّه؟ قالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنَّةَ، ومَنْ عصَانِي فَقَدْ أَبِي**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن ألفاظ النبوة منبعها القلب المتصل بجلال الخالق، فهى لا تصدر إلا عن صدق ويقين، لا يشوبها زيف، ولا يكدرها رياء، فهى صورة سوية لنفس صاحبها ﷺ.

والمعاني التي صورتها هذه الألفاظ مستمدة من البيان القرآني العظيم، فكل ما جاء به المصطفى ﷺ لا ينفصل عن الجو القرآني، ولا يتصادم معه لأن البيان النبوي إما أن يفصل ما أجمله القرآن أو يوضح مشكلاً، أو يخصص عامًا، أو يقيد مطلقًا.

فالبلاغة النبوية: إن لم تكن من الوحى ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، كما يقول الرافعي.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجد أن المبني يتوهج بالمعنى، وأن صياغة الأسلوب، ونظم التراكيب، والعلاقات بين الكلمات والجمل، كلها تشارك في تقديم المعنى وإفهامه للناس: مع الإيجاز... والإيحاء، والبعد عن الإسهاب والإطناب.

والحديث من مقاصده الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها، والالتزام بما جاء به رسول الله من أفعال وأقوال، ولكن لم يأت التوجيه مباشرًا صريحًا مثلمًا جاء في أحاديث ووصايا سابقة، وجاء الحث على التمسك بالسنة في قالب حواري ترغيبي: حيث

---

(١) برقم (٧٢٨٠).

تضمنت الجملة الأولى وعدًا صادقًا من الرسول ﷺ، بأن كل أمته يدخلون الجنة، ولفظ "كل" يفيد العموم والشمول، وبه يبتدئ الكلام في هذا السياق، ولا يتم إلا بالخبر الذي يحدد مصير الأمة كلها وهو البشارة بدخول الجنة، "يدخلون الجنة".

وإضافة "أمة" إلى ياء المتكلم: أى إلى رسول الله ﷺ: تشريف لهذه الأمة بانتسابها إلى خاتم النبيين والمرسلين، وفيها إرشاد إلى أنه لا يستحق هذا التشريف إلا من يحافظ على السنة وآدابها: فأمته، خير أمة أخرجت للناس، والانتساب هنا في دائرة الطاعة، فهم بمقدار ما يطيعون الله ورسوله بمقدار ما يكون انتماؤهم إلى رسول الله ﷺ، ويأتي الاستثناء في قوله: "إلا من أبى" مُفصحًا عن هذه الحقيقة، حتى لا يتوهم المقصرون والعاصون أنهم من أصحاب هذا الوعد، فالانتماء لهذه الأمة ليس جغرافيًا، ولا زمنيًا، ولا عشائريًا، ولا قبليًا، وإنما الانتماء بالإيمان والطاعة.

والإيجاز هنا في قوله: إلا من أبى: أى امتنع: والتقدير، فهو يدخل النار، وأبي في اللغة يدل على الامتناع والكراهية، وينشأ حوار وتساؤل: عن معيار، "الإباء" في هذا السياق، "قيل: ومن يأبى يارسول الله"، وبناء الفعل للمجهول في قيل، يفصح عن أن المراد ليس تحديد السائل، ولكن تحديد معالم هذه القضية لأن الفعل "يأبى" متسع الدلالة متشعب المفهوم، والاستفهام هنا حقيقي "ومن يأبى"، والنداء فيه تأدب مع رسول الله وحرص على التعلم ومعرفة الحقيقة، وهنا في هذا الفعل "يأبى" وضع للسبب موضع المسبب، لأنه أطلق لفظ الإباء وأراد استحقاقه للنار.

وجاءت إجابة الرسول جامعة مانعة موجزة، وصاغها في أسلوب الشرط والجزاء، "من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"، فالصياغة اللغوية ملائمة للسياق، والموقف الشرعي من هذا المسلك الذي استحق صاحبه عليه الطرد من رحمة الله عز وجل، ومما يدل على ضرورة التمسك بالسنة إسناد الطاعة إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ، وكذلك المعصية في قوله: من أطاعني، ومن عصاني، فطاعته هى الالتزام بالكتاب والسنة، وعصيانه عدم المحافظة على تعاليم الكتاب وتعاليم السنة النبوية.

ولم يصرّح الرسول بقوله: فقد دخل النار، نفورًا من ذكر النار، واحتراسًا من

تحديد المصير، وفتحًا لباب الأمل والتوبة أمام هؤلاء الذين فرّطوا في تعاليم الكتاب والسنة: فقد يتوبون، ويعودون إلى دوحة الإيمان، ويفوزون برضا الرحيم الرحمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التعميم والاستثناء.

ثانيًا: من واجبات الداعي: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: وضوح الألفاظ.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان جزاء الطائعين وعاقبة المخالفين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التعميم والاستثناء:

وذلك في قوله ﷺ: "كل أمتي يدخلون الجنة" وهذه الجملة تفيد العموم والشمول ثم استثنى منها العصاة والمعرضون عن طاعة الله ورسوله ﷺ فقال: "إلا من أبى" ثم وضح أسباب الجزاء والحرمان فقال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".

ثانيًا- من واجبات الداعي: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من الواجبات التي يضطلع بها الداعي: دعوة الناس إلى الخير وإلى كل ما هو نافع لهم في حالهم ومآلهم، وقد أخبر الله نبيه ﷺ الداعي الأول بأنه يهدي ويدل الناس على صراط الله المستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، والداعي إنما يدل الناس إلى الخير لأنه أخ لهم استظهر عليهم بالنصح والتوجيه[3].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤٧٧.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يتضح ذلك من خلال سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ بقولهم: ومن يأبى يا رسول الله؟ وإجابته بقوله: ((من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)) والسؤال والجواب من أساليب الدعوة الناجحة، وذلك لأنه يستدعي لفت انتباه السامعين وشد أذهانهم، وإن أسلوب السؤال ينمّ عن اهتمام المدعو بما يسمعه، ويدل على حرصه على الفهم والاستيعاب، وإن الجواب يؤدي إلى تعميق المعاني في الأذهان.

رابعًا- من أساليب الدعوة: وضوح الألفاظ:

إن وضوح الألفاظ مما يعين المدعو على الفهم، لأن الغموض في الألفاظ يؤدي إلى تعذر الفهم والمتابعة من المدعو للداعية؛ لذا كانت ألفاظه ﷺ واضحة لأنه ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، كان ﷺ قوله فصلاً يفهمه كل من يسمعه، مختارًا لأعذب الألفاظ وأقلها غرابة وأسهلها فهمًا متجنبًا للتعقيد اللفظي والمعنوي متجافيًا عن التكلف والتقعر في كلامه[1]، فكان ﷺ يكره التشدق والثرثرة والتفيهق في الكلام، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: ((الْمُتَكَبِّرُونَ))[2].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

لقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في الحديث فرغّب في طاعته بدخول الجنة، ورهب من عصيانه بالحرمان من دخولها، (والترغيب والترهيب يكونان بما أعده الله لعباده في الدنيا والآخرة من الثواب والعقاب، ولا ريب أن أسلوب الترغيب والترهيب من أهم الأساليب الدعوية لأنه يخاطب النفس البشرية مباشرة فيدلف إلى داخلها، ويؤثر في

---

(١) دراسة دعوية لبعض خطب الرسول ﷺ، سيد محمد بن محمد الحسيني ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٩١).

مناحيها مرغبًا لها في فعل الخير محذرًا لها من فعل الشر مبينًا النتائج والآثار المترتبة على ذلك)[١].

(والترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة وإنما هو تنشيط للهمم وتشجيع للطاعات وشحذ للعزائم، كما أن الترهيب ليس يأسًا أو قنوطًا أو رهبة تشل التفكير وإنما هو تحذير من الأخطاء ودلالة على الصواب)[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان جزاء الطائعين وعاقبة المخالفين:

إن من أهم ما تتميز به الشريعة الإسلامية البيان والوضوح للأعمال والنتائج المترتبة عليها فمن أطاع الله فقد فاز ومن عصاه فقد خسر وعُرف مآله، ففي الحديث بيان جزاء الطاعة وهو دخول الجنة "كل أمتي يدخلون الجنة" وعقوبة المعرض "إلا من أبي" وبين الرسول ﷺ ذلك المعنى بقوله: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".

ومن تصفح القرآن والسنة يجد هذا المنهج واضحًا من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾[٤].

---

(١) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ١٤٢١هـ، ص ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) الدعوة إلى الله: "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢١٤.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٧.

الحديث رقم (١٥٩)

١٥٩- الرَّابعُ: عن أَبي مسلمٍ، وقيلَ: أَبي إِيَاسٍ سلَمةَ بْنِ عَمْرو بن الأَكْوَعِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ بِشِمَالِهِ، فقالَ: «**كُلْ بيمِينكَ**» قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قالَ: «**لا استطعتَ**» ما منعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ، فَمَا رَفعَها إِلَى فِيهِ، رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: سلمة بن عمرو بن سنان بن عبدالله من بني عامر بن الأكوع يكنى بأبي مسلم، وقيل أبو إياس، وقيل أبو عامر.

كان من أشد الناس بأسًا وشجاعة وعدوًا فكان يسبق الفرس عَدْوًا، أول مشاهده الحديبية، وقيل إنه شهد مؤتة وغزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات.

شهد بيعة الرضوان وبايع النبي ﷺ عند الشجرة على الموت ثلاث مرات في أول الناس وفي أوسطهم وفي آخرهم. وهو الذي أسر الثمانية الذين نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾[2] وهو ممن غزا إفريقية في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كما كان رضي الله عنه محسنًا خيِّرًا وحظي بالقرب من رسول الله ﷺ، فكان ﷺ يقربه ويستغفر له، قال: ((أردفني رسول الله ﷺ مرارًا ومسح على وجهي مرارًا واستغفر لي ولذريتي عدد ما بيديّ من الأصابع[3]، وأصيب يوم خيبر في ساقه فنفث فيه رسول الله ﷺ ثلاث نفثات فما اشتكى منها بعدها))[4].

وكان من الذين عهد إليهم بالفتيا والتحديث بالمدينة منذ وفاة عثمان وحتى توفي سلمه رضي الله عنه أما عن مسكنه فقد نزل بالمدينة ثم تحول إلى الرَّبَذة بعد قتل عثمان،

---

(١) برقم (٢٠٢١/١٠٧). وسيكرره المؤلف برقم (٦١٣، و ٧٤٠).

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٤.

(٣) مجمع الزوائد، الهيثمي (٣٦٣/٩).

(٤) انظر مختصر تاريخ ابن عساكر (٨٣/١٠، ٨٩).

وتزوج بها وولد له، إلا أن الله شاء له أن يموت بالمدينة ويقبر فيها، فقبل أن يموت بليال نزل إلى المدينة فمات بها وكان ذلك سنة أربع وسبعين على أرجح الأقوال، وكان قد ابتلاه الله بكف البصر قبل أن يموت، فصبر واحتسب ذلك عند الله تبارك وتعالى، وكان عمره لما مات أربعًا وتسعين سنة، وقيل أربعًا وثمانين، وقيل ثمانين سنة[1].

الشرح الأدبي

إن سلوك المسلم يجب أن يظل في إطار المحافظة على السنة وآدابها، وسنة المصطفى ﷺ ليست أقوالاً فقط، ولكنها أقوال وأفعال: وهي تمثل في مجموعها منهجًا إسلاميًا محدد المعالم، ويجب أن يُقْتدى به في كل أمور الحياة.

وفي ضوء هذا الحديث الشريف، نقتبس من السلوك النبوي الراشد درسًا في آداب الطعام والشراب وهو درس عملي واقعي، يرويه أبو إياس، سلمة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه، حيث يحكى أن رجلاً أكل عند رسول الله بشماله، أى تناول طعامه بيده اليسرى وهذا مخالف لسنة الرسول وطريقته في تناول الطعام، وفي موقف آخر يعلمنا رسول الله ويعلم أبناءنا الطريقة الصحيحة في تناول الطعام، وذلك حين قال لعمر بن أبي سلمة حين كان غلامًا: وكانت يده تطيش في الصَّحْفة، قال في توجيه كريم، وأمر حليم: "يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك"[2]، يقول: عمر بن أبي سلمة فما زالت تلك طعمتي بعد.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/٣٠٥-٣٠٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٠٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٥١٧، ٥١٨)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٢٥، ٥٢٦)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣/٣٢٦-٣٣١)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٣/٢٥١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٧٤، ٧٥)، والسندي (٢٧/٢٠)، والأعلام (٣/١١٣)، و موسوعة عظماء حول الرسول (٢/٩٤٨-٩٥٢).

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

فما أجمل هذا النصح النبوي السديد، وما أجمل هذه الاستجابة الفورية من ذلك الغلام الطائع الرشيد، ولا غرو فهو ربيب رسول الله بعد أن تزوج أم المؤمنين، أم سلمة رضي الله عنها.

ولنقارنْ بين هذا الموقف الجميل، وموقف ذلك الرجل الذي تأبى وتكبّر، ورفض الاستجابة إلى توجيه الرسول الكريم، حينما قال له: "كل بيمينك"، فقال في أنفة وعناد: لا أستطيع، وهو غير صادق في ذلك؛ ومن آداب الأكل: البدء بالتسمية، والأكل مما يلي الإنسان، وتناول الطعام باليمين.

وهذا الرجل قيل إنه: يسر ابن راعي العير الأشجعى، وهو لم يدرك سر التوجيه النبوي، ولم يعرف الحكمة من ذلك، فاليمين في الغالب أقوى من الشمال وأمكن منها، وقيل لأنها مشتقة من اليمن بمعنى البركة، فهى وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينًا، وأما اليسرى فقد نهى الرسول عن تناول الأكل بها، لأن النجاسات تعلق بها، وتعالج بها.

والحديث في صياغته الأسلوبية يتسم بالحوار القصير الذي يصور الحدث خير تصوير، وينقله إلى المتلقي كأنه مشهد يتحرك أمام كل مستمع وقارئ.

وكما يقول العلماء: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في الحركة مضاد له في الاتجاه، جاء رَدُ الفعل من الرسول قويًا ومناسبًا لحالة هذا الرجل الذي عانَدَ وتكبر، ولم يطع الأمر، وادّعى انه لا يستطيع أن يأكل بيمينه، ولأن الرسول ﷺ يدرك حقيقة موقفه، ويعرف أنه ليس لديه عذر يمنعه من الأكل باليمين، دعا عليه، قائلاً: لا استطعت، وهنا "مطابقة المقال لمقتضى الحال"، كما يقول علماء البلاغة حيث لا يجدي أي نصح مع هذا الرجل الذي تعمد مخالفة الحكم الشرعي بلا عُذر، وجُملة، "ما منعه إلا الكبر"، فيها تأييد لذلك الدعاء عليه: وقد صيغت في "أسلوب القصر" إيحاء بشدة تمسك الرجل بهذه الخصلة الذميمة، فلا يوجد مانع من عذْر أو قطع يد أو سَهْو أو جَهْل يمنع الرجل إلا كبره وعناده، ولذلك جاء دعاء الرسول عليه مناسبًا: وعبرة لغيْره: واستجاب الله لموقف نبيه ﷺ، وأيَّده بهذه المعجزة حيث أصيب الرجل بالعَجْز التام في يده اليُمْنى، وشُلّت، وما وصلت إلى فيه بعد ذلك، فسبحان الله وتبارك اسمه:

أعزّ نبيّه، وشرح صدره، ورفع ذكْره، وحبّب للناس سُنَّته، وقوى حجته، وأجاب دعوته، وبلغ للعالمين رسالته.

فقه الحديث

١- جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر:

قال النووي: (فيه جواز الدعاء على من خالف الحكم الشرعي بلا عذر)[١].

٢- استحباب تعليم آداب الأكل:

قال النووي: (وفيه استحباب تعليم الآكل آداب الأكل إذا خالفه، كما في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما[٢])[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الرسول ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التيمن في الأكل.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ والعمل بسنته.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ذم الكبر.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: استجابة دعوة النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الرسول ﷺ:

يظهر ذلك جليًا في قول الراوي: "إن رجلاً أكل عند النبي ﷺ"؛ فرسول الله ﷺ قد بلغ الغاية في الجود والكرم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناسِ، وكانَ أَجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حِينَ يلْقاهُ جِبرِيلُ، وكانَ يلقاهُ في

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي مج٧/١٣/١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢، ١٠٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/١٦٣.

كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فَيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرَسولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَة))[١]، وقد أمر نبيه بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٢]، أي: أعط وتصدق وأكثر من ذلك ولا تمتن أي لا تعد ما أعطيته كثيرًا فتمسك عن الازدياد فيه أو تتطرق إليك ندامة على ما أعطيت، فقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وقد عرف بذلك حتى قبل الرسالة لأن الله قد هيأه لمكارم الأخلاق[٣].

والكرم لا يقتصر معناه عند مجرد الإنفاق بل لا بد من سخاوة نفس؛ فالكرم كما قال ابن مسكويه: "إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثير النفع، وقيل هو إفادة ما ينبغي لا لغرض، فمن يهب المال لغرض جلبًا للنفع أو خلاصًا من الذم فليس بكريم فالكريم من يوصل النفع بلا عوض"[٤]، فالكرم من أهم صفات الداعية حيث يقرب القلوب النافرة ويمهد العقول للطاعة[٥]، لذا كان الكرم من أهم صفات الداعية -في حدود قدرته- لما له من عظيم الأثر على دعوته وتأليف القلوب وإقبالها عليه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

لقد استعمل النبي ﷺ أسلوب الأمر في قوله ﷺ لذلك الرجل الذي أكل بشماله: (كل بيمينك) ويعد هذا الأسلوب من الأساليب الدعوية المهمة التي تشعر المدعو بأهمية ما يؤمر به.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التيمن في الأكل:

يظهر فضل التيمن وأهميته في أمر النبي ﷺ في أمره لذلك الرجل "كل بيمينك"،

---

(١) أخرجه البخاري ٦.

(٢) سورة المدثر، آية: ٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٩٨/٢٩/١٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٣٢١٤/٨.

(٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي بن صالح المرشد ص ١٢٤.

والرسول ﷺ لا يأمر إلا بما هو خير وأفضل، والتيمن بمعنى الابتداء باليمين في الملبس والمطعم وغير ذلك والتيمن كما قال النووي: (قاعدة مستمرة في الشرع، وهي إنما من باب التكريم والتشريف، كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها)[١].

ومن هذه الأمور التي يستحب فيها التيمن الأكل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ. وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ. وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ)) وفي رواية: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ. فِي نَعْلَيْهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ))[٢].

رابعًا- من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ والعمل بسنته:

إن من أوجب الواجبات التي تجب على المدعو السمع والطاعة لتوجيهات النبي ﷺ وقد أخطأ ذلك الرجل عندما تكبر على الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ في الحديث (كل بيمينك) وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاستجابة له سبحانه ولرسوله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٣]، أي: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول إذا دعاكم إلى ما يحيي دينكم ويعلمكم، وإلى ما يحيي به قلوبكم[٤]، وحذرنا الله من مخالفة رسول الله ﷺ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥]، أي:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤، وانظر: موسوعة نضرة النعيم ١٤٢٢/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٨٠، ومسلم ٢٦٨ واللفظ له.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨٩/٧/٤.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

ليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا أن تصيبهم فتنة في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ذم الكبر:

إن الكبر خلق مذموم ومآله غير محمود، وفي الحديث رأينا كيف أن الكبر منع الرجل من الأكل بيمينه استجابة لأمر رسول الله ﷺ فدعا عليه الرسول ﷺ واستجيبت دعوته، فما رفع يده إلى فمه مرة أخرى، إضافة إلى ما يئول الكبر بصاحبه إلى النار وبئس المصير، فعن حارث بن وهب أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟)) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ((كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ)). ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟)) قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ((كُلُّ عُتُلَ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[٢]، قال الحافظ ابن حجر: (وأعظم الكبر أن يتكبر على ربه بأن يمتنع من قبول الحق والإذعان له بالتوحيد والطاعة)[٣].

(والكبر إذا استولى على الإنسان يمنعه من الإصغاء لنصح أو القبول لتأديب، لذا كان من الواجب على الداعي والمدعو على السواء الابتعاد عن الكبر والاتصاف بصفات عباد الله من التواضع وخفض الجناح ولين الجانب، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤])[٥].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: استجابة دعوة النبي ﷺ:

ففي الحديث أمر النبي ﷺ الرجل بأن يأكل بيمينه فامتنع تكبرًا وتعلل كذبًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٧، ومسلم ٢٨٥٣ واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٨٩.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي ص ٢٣١.

بقوله: "لا استطيع" فدعا عليه النبي ﷺ بدعوة من جنس كلامه قائلاً: "لا استطعت"، فاستجيبت دعوته ﷺ، وذلك من دلائل نبوته ﷺ وإكرام الله له، وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) الكثير من النماذج التي دعا فيها الرسول ﷺ لأناس أو عليهم فاستجيبت دعوته ﷺ[1]، إذا علم ذلك فينبغي على الداعي والمدعو الالتزام المطلق بما ورد في سنة رسول الله ﷺ وليحذرا كل الحذر من التصرف في السنة بالزيادة أو النقصان، فقد دعا النبي ﷺ على من نحا هذا المنحى، ودعوته مستجابة كما رأينا في الحديث، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[2]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا - أي قاصدًا الكذب عليَّ لغرض من الأغراض لا أنه وقع فيه خطأ أو سهوًا - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[3]، أي: فيلتخذ منزله منها.

---

(١) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر البيهقي ٦/٨٣ - ٢٥٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٤، وقال عنه الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه٣٠، وقال عنه الألباني: حديث صحيح، بل متواتر، انظر: (صحيح سنن ابن ماجه، الروض النضير ٧٠٧، ٨٨٥، الصحيحة ١٣٨٣).

الحديث رقم (١٦٠)

١٦٠- الْخامِسُ: عنْ أَبي عبدِ اللَّه النُّعْمَانِ بْنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما، قال: سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّه بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**» متفقٌ عليه[١].

وفي روايةٍ لِمُسلمٍ[٢]: كان رسولُ اللَّه ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كأَنَّمَا يُسَوي بهَا الْقِداحَ، حَتَّى (إِذَا)[٣] رأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ ثُمَّ خَرَجَ يَومًا، فقامَ حتَّى كَادَ أَنْ[٤] يكبِّرَ، فَرأَى رجُلا باديًا صدْرُهُ[٥]، فقالَ: «**عِبادَ اللَّه لَتُسوُّنَّ صُفوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّه بيْن وُجُوهِكُمْ**».

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي. له ولأبيه صحبة، وخاله عبدالله بن رواحة.

وهو أول مولود ولد للأنصار بعد هجرة النبي ﷺ، ولد على رأس أربعة عشر شهرًا من قدوم رسول الله ﷺ المدينة، لذا كان من صغار الصحابة.

سكن العراق والشام. وكان من أمراء معاوية بن أبي سفيان فولاه الكوفة مدة ثم ولي قضاء دمشق ثم ولي إمرة حمص.

كان مشهورًا بالفصاحة والبلاغة والخطابة، قال سماك بن حرب: كان النعمان بن بشير -والله- من أخطب من سمعت من أهل الدنيا يتكلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦/١٢٧) ولفظهما سواء. وسيكرره المصنف برقم ١٠٩١، أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥).

(٢) برقم (٤٣٦/١٢٨). وسيكرره المصنف برقم ١٠٩١، أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥).

(٣) (إذا) لا توجدُ عند مسلم.

(٤) (أن) لا توجدُ عند مسلم، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٥) عند مسلم زيادة: (من الصف)، وهي لا توجد عند الحميدي (٥٠١/١، رقم ٨٠٨).

من كلامه: إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه: البَطرَ بأنعم الله والفخر بعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله.

قيل في مدحه:

فلم أر للحاجات عند انكماشها كنعمان -أعني ذا الندى- ابن بشير

يبلغ مسنده ١٢٤ حديثًا، ومات ٦٤هـ وقيل: ٦٥ وقيل: ٦٦.

وهو الذي تنسب إليه معرة النعمان بلد أبي العلاء الشاعر، كانت تعرف بالمعرة ومرّ بها النعمان فمات له ولد فدفنه فيها فنسبت إليه[١].

غريب الألفاظ:

كأنما يسوى بها القداح: القداح - بكسر القاف- هي خشب السهام حين تنحت وتبرى. واحدها: قدح بكسر القاف. معناه: يبالغ في تسويتها حتى تصير كأنما يقوّم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها[٢].

عقلنا: فهمنا[٣].

باديًا: ظاهرًا[٤].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٣/٦) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٧٢٣ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣١٠/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٢٨. والسير ٤١١/٣، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٣٣٧/٧) والتهذيب (٢٢٨/٤) والأعلام (٣٦/٨)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١٨٩٥/٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق د ح)، والمفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٥٦.

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي في (ع ق ل).

(٤) الوسيط في (ب د و).

الشرح الأدبي

إن صلاة الجماعة مظهر من مظاهر وحدة الأمة وقوتها، وهى ترجمة حقيقية للمساواة بين أفراد الأمة، فالكل في موقف الخشوع والخضوع أمام الخالق عز وجل، قلوبهم تنبض بالإيمان، وألسنتهم تفيض بذكر الملك الديان، وجوارحهم تسكن في يقين واطمئنان. وهم في هذا الموقف الجليل متساوون، ومتراصّون: لا فرق بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين عربي وأعجمى إلا بالتقوى والإخلاص في العبادة، والمتقون المخلصون لهم الحسنى وزيادة.

ونقتبس من هذا الحديث الشريف كثيرًا من فيوضات المنهج الإسلامي في تربية المسلمين، وتثبيت قواعد الانضباط في نفوسهم حتى يصير هذا الانضباط مقياسًا لحياتهم... في كل شؤونها.

والصلاة هي ميزان ذلك الانضباط السلوكي، والتوازن الاجتماعي، والتآلف الوجداني، بين طوائف الأمة وأجيالها، والمسْجد هو المدرسة الجامعة التي تستقبل هذه الوفود، وتهيئهم لاستقبال أحداث حياتهم استقبالاً إيمانيًا منضبطًا يؤكد أن هذه الأمة في ظلال هذا الالتئام والانضباط، هي خير أمة أخرجت للناس.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي والتصويري في لغة هذا الحديث الشريف.

ويبدأ الحديث بقول رسول الله "لتسون صفوفكم"، وهذه البداية توحي بالأهمية، وبأن الأمر جد ويجب التنبُّه لذلك: لأن هذا التعبير تضمَّن القسم والأمر والتأكيد، فاللام هنا تشعر بالقسم، والقسم مقدر وتقدير الكلام "والله لتسون صفوفكم"، وحين يقسم رسول الله ويأمر ويؤكد، ويسوق الكلام في إيجاز فإن التنفيذ لابد أن يكون واجبًا، ولم يكتف رسول الله بذلك. بل أردف هذه الجملة ذات الدلالة المؤكدة بجملة أخرى تضمنت الوعيد الشديد، والعقاب الأليم، إذا لم يوحد المسلمون صفوفهم، وإذا لم يلتزموا بما أمر به رسول الله ﷺ فقال: "أو ليخالفن الله بين وجوهكم"، وهذا التعبير البلاغي يفيض بأوجه كثيرة من وجوه البلاغة ومنها، التوكيد، والقسم، وتعدد الدلالة تبعًا لتعدد تفسير وتوضيح المعنى في ضوء ما توحي به الصياغة اللغوية.

وأول سمة بلاغية هى الإيجاز. ففي الحديث بعض العبارات المحذوفة التي تفهم من السياق، وتقدير الكلام بعد الجملة الأولى وقبل قوله، "أو" أي ليكونن منكم التسوية أو ليخالفن الله بين وجوهكم، وبعد ذلك كلام محذوف يتم به المعنى ويُفهم من السياق أي إن لم تُسَوّوا، والبلاغة الإيجاز، والبيان النبوي هو الأنموذج الأمثل للبلاغة بعد القرآن الكريم.

وتتعدد دلالات هذا التعبير النبوي، "ليخالفن الله بين وجوهكم"، وقال العلماء إن الوجه إذا حمل على العضو المخصوص فالمخالفة حسيَّة، وهى تكون إما بحسب الصورة الإنسانية، أو جعل المقدم وراء، وإن حمل لفظ الوجه على ذات الشخص فالمخالفة بحسب المقاصد، ويحتمل هذا الوعيد النبوي دلالة أخرى وهى "أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب"، ويعضد هذا التفسير الدلالي رواية أخرى للحديث وهى: "ليخالفن الله بين قلوبكم"، وهناك دلالة أخرى حيث قال الحافظ: "ويحتمل أن يراد بالمخالفة في الجزاء، فيجازى المسوِّي بخير، ومن لا يسوِّي بشَرّ".

وتعدد الدلالات هنا ليس بينها تصادم، ولا تناقض.. وكلها تنبض بالمقصد الصحيح وتفصح عن قيمة البيان النبوي الذي يعد من خصوصية المصطفى ﷺ حيث يقول: "أعطيت جوامع الكلم"[1]، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٢٣.

فقه الحديث

إن صلاة المرء في جماعة تفضل صلاته منفردًا بسبع وعشرين درجة، وذلك لما فيها من إظهار شريعة الإسلام، وإعلاء لكلمة الله عز وجل، ومن أحكام صلاة الجماعة تسوية الصفوف بالنظر يمينًا، وإكمال الصف الأول فالأول، فإن كان هناك نقص فليكن في الأخير.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه إذا انعقدت صلاة الجماعة من عدد من الرجال والنساء، فالسنة أن يقف الإمام أمام المقتدين به، وأن ينبه الإمام على تسوية الصفوف قبل أداء الصلاة وبعد الإقامة، وأن يؤخر المتقدم من المصلين، وينبه الغافل عن التسوية، ويذكر بذلك بقوله أتموا الصفوف وساووا بينها وسدوا الفرج فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف في الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أثر الالتزام بالتوجيهات النبوية.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود١٥٨/١ وما بعدها، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٧٣/١ وما بعدها، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ١٦٠/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٧٩/١، والأم، الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره للشافعي ٢٣٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٣/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٢٨/١ وما بعدها، وإحكام الأحكام ٢١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٧٥/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٣١/٥، والفروع، ابن مفلح ٤٠٨/١.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

جاء القسم في الحديث في قوله ﷺ "لتسونَّ صفوفكم" قال البيضاوي: (هذه اللام في "لتسون" هي التي يتلقى بها القسم، والقسم هنا مقدر ولهذا أكده بالنون المشددة)[١]. (والقسم كأسلوب للدعوة يؤدي إلى التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبهما معًا، الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها)[٢]. وقد أحس العرب بأهداف القسم ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء[٣]

والنفار من معانيه: المحاكمة[٤]، والجلاء بمعنى وضوح البينة[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف في الصلاة:

جاء الحث على تسوية الصفوف في الصلاة في نصوص كثيرة منها الحديث الذي معنا، ومنها ما رواه أبو داود بسنده أن رسول الله ﷺ قال ((أقيموا الصفوف -أي عدلوها وسووها وتراصوا فيها[٦]- وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله))[٧] وبين ﷺ أن تسوية الصفوف في الصلاة موافقة لفعل الملائكة وتشبهًا بهم فجاء من حديث جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا تصفُّون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال يتمون

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ابن حجر العسقلاني، ٢/٢٤٢.

(٢) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٤٣.

(٣) مستلزمات الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٢.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٣١.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ١٦٢.

(٦) عون المعبود، المباركفوري ص ٣٢١.

(٧) أخرجه أبي داود، ٦٦٦. وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٦٢٠).

الصفوف الأول ويتراصون في الصف))[١].

وقد حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف بنفسه – لما لذلك من أهمية-بقوله وفعله، بقوله مثل أمره بإقامة الصفوف بقوله في الحديث ((لتسون صفوفكم)) وفي قوله ((استووا ولا تختلفوا))[٢] إلى غير ذلك من النصوص وبفعله كما في رواية الحديث الذي معنا ((كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح حتى إذا رأى أنا قد عقلنا عنه)) وما روى عن أبي مسعود قال: ((كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا-أي يسوي مناكبنا في الصفوف ويعدلنا[٣]-في الصلاة))[٤] وذلك يحمل في طياته أهمية تسوية الصفوف، وعدم الاستهانة بها، ودعوة إلى عدم التفريط في شيء من الإسلام حتى ولو كان في أعين الناس هينًا.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

أسلوب الترهيب ظاهر في الحديث في قوله ﷺ "لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" قال ابن حجر: (واختلف في الوعيد المذكور فقيل هو على حقيقته والمراد تحويل خلق الوجه عن وضعه بجعله موضع القفا أو نحو ذلك)[٥] وقال النووي: (والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما يقال: تغير وجه فلان عليَّ أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه عليّ، لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن)[٦]. قال ابن حجر: (وقال القرطبي: معناه تفترقون فيأخذ كل واحد وجهًا غير

---

(١) أخرجه مسلم، ٤٣٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٤٣٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٦.

(٤) أخرجه مسلم، ٤٣٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٨.

الذي أخذ صاحبه، لأن تقدم الشخص على غيره مظنة الكبر المفسد للقلب الداعي إلى القطيعة. والحاصل أن المراد بالوجه إن حمل على العضو المخصوص فالمخالفة إما بحسب الصورة الإنسانية أو الصفة أو جعل القدام وراء، وإن حمل على ذات الشخص فالمخالفة بحسب المقاصد. أشار إلى ذلك الكرماني. ويحتمل أن يراد بالمخالفة في الجزاء فيجازى المسوي بخير ومن لا يسوى بشر)[1]. وذلك ترهيب من الاستهانة بالصفوف في الصلاة والاختلاف فيها، وذلك مما يدفع المصلين إلى مراعاة آداب الصلاة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أثر الالتزام بالتوجيهات النبوية:

إن الالتزام بالتوجيهات النبوية له فضل وثواب عظيم في الدنيا والآخرة، ذلك الاتحاد والبعد عن مظاهر الفرقة، إذ أن في تسوية الصفوف اتحاد وألفة وتواضع. قال ابن حجر: قال القرطبي: (لأن تقدم الشخص على غيره مظنة الكبر المفسد للقلب الداعي إلى القطيعة)[2].

كذلك من الثمار تدريب وتعويد الإنسان على النظام في ميادين الحياة (وبناء الأمة وإعدادها للجهاد في سبيل الله فإن الذي يستوي في صفوف الصلاة من السهولة عليه بمكان التراص في صفوف الجهاد)[3] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[4] ملتصق بعض في بعض، وقال ابن عباس:مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض وقال قتادة: (ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه؟ فكذلك الله عز وجل يحب أن لا يختلف أمره، وإن الله صف المؤمنين في

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجسر العسقلاني ٢/٢٤٣.

(٣) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم الهلالي، ١/٢٤٢.

(٤) سورة الصف، آية: ٤.

قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به)[1]. لذا ينبغي على الداعي بيان تلك الآثار والثمار التي يجنيها الناس إذا التزموا بسنة رسول الله ﷺ، مما يكون له عظيم الأثر في الدعوة إلى الله عز وجل.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٨/٨.

الحديث رقم (١٦١)

١٦١- السَّادِسُ: عن أَبي موسى رضي الله عنه قال: احْتَرق بيْتٌ بالْمدينَةِ عَلَى أَهلِهِ مِنَ اللَّيْل فَلَمَّا حُدِّث رسول اللَّه ﷺ بِشَأْنِهِمْ قال: «**إِنَّ هَذِهِ النَّار**[1] **عَدُوٌّ لكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**» متَّفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن المسلم يجب عليه أن يحافظ على ما أنعم الله به عليه مِنْ نعم لا تُعد ولا تُحصى، فعليه واجب شرعي بالحفاظ على النفس والمال والعرض والدين والأرض، والوطن وكل ما يجسد ملامح هويته، وأبعاد شخصيته.

وربما يتساءل بعض الناس: لماذا أدرج هذا الحديث في باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها، وذلك لأنه ربما يبدو .. بعيدًا عن ميدان السنة الذي ألفناه، ولكن حين نتأمل الموقف ندرك أن السنة النبوية تشمل كل ما يحفظ على المسلم حياته ودينه وعرضه.. وشخصيته، وكل ما يجعله عزيزًا في حياته، قويًا في وثباته، صارمًا في قراراته.

والحياة الاجتماعية في التصور الإسلامي حياة واقعية ولا تتصادم مع فطرة الإنسان الصحيحة التي فطر الله الناس عليها، ومن أهم المبادئ الإسلامية: عدم الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، واتخاذ الوسائل إلى الحفاظ على النفس، والأبناء، والمتاع والمسكن، والبيئة.

وفي ضوء هذا المنظور الإسلامي نقرأ هذا الحديث الشريف، ونستجلي أسراره، ونقطف أثماره، وندرك سر إدراجه في باب المحافظة على السُنَّة وآدابها.

---

(١) عندهما زيادة: (إنما) وهي لا توجد عند الحميدي.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٤)، ومسلم (٢٠١٦/١٠١). وسيكرره المؤلف برقم (١٦٥٥).

والحديث ليس موعظة قولية، ولا حكمة إرشادية، ولكنه درس عملي، تمخضت عنه تجربة واقعية حيث أُخْبر رسول الله أن بيتًا احترق بالمدينة على أهله من الليل، ولم يحدد الراوي: من أهل البيت، ولم يحدد الشخص الذي أبلغ الرسول ﷺ؟ ولم يحدد: متى حدث هذا الاحتراق ؟ وفي أى مكان؟.

وذلك لأن القضية ليست متعلقة بأشخاص، أو مكان محدَّد، أو أمر شرعي يتعلق بالحدود والفرائض، ولكن القضية تتعلق بالمحافظة على الأنفس جميعها، وهى قضية ذات ملامح سلوكية اجتماعية تتكرر في كل زمان وكل مكان، وتتكرر وتتعدد ويتعدد الأشخاص والبيوت: في أي بيئة، وأي زمن، ولذلك يأتي البيان النبوي عامًا وشاملاً: حيث يخاطب الأمة كلها، ولم يخاطب أهل البيت ولا ذويهم ولا جيرانهم، ولكن أرسى قاعدة حياتية مصيرية حين قال: "إن هذه النار عدو لكم"، والتحسينات الأسلوبية تؤكد هذه العداوة: فالعبارة تبدأ "بإن" المؤكدة، ثم يجيء اسم الإشارة "هذه" قبل النار، لمزيد من التأكيد والتحديد، ومزيد من الانتباه والاستعداد لمقاومة هذا العدو، واتخاذ الوسائل والأسباب للنجاة منه، ولم يقل، "إن النار عدو لكم"، ولكن قال: "إن هذه النار"، أي جنس النار.

والنار تتعدد ألوانها وتتجدد صفاتها، وعلى المسلم أن يتقي هذه النار بكل وسائل النجاة والمقاومة.

ويضع الرسول ﷺ قاعدة النجاة من هذه النار المحسوسة التي تسبب الإيذاء والهلاك والاحتراق فيقول: "فإذا نمتم فأطفئوها عنكم"، وأسلوب الشرط هنا يفصح عن حقيقة ثابتة، حيث ينام الناس ولا يستطيعون أن لا يناموا: ولذلك جاء التعبير بأداة الشرط "إذا"، والأمر هنا للوجوب إذا كان الضرر متوقعًا كما حدث الاحتراق في بيت هؤلاء الذين لم يأخذوا بأسباب الوقاية.

وتصوير النار بأنها عدو: فيه تنبيه للمسلم بضرورة الحذر من النار الدنيوية، واتقاء نار الآخرة، التي لا تبقى ولا تذر، والتي صورها القرآن أبلغ تصوير في كثير من سور القرآن الكريم: كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا

وَزَفِيرًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٣].

فاللهم إني أسألك الجنة، وأستجير بك من النار، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.... آمين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم ترك النار الموقدة في البيت، وقد ذكر الفقهاء أنه يسن لمن عنده نار موقدة في بيته أن يطفئها عند نومه لئلا يصيبه منها ضرر، فهذا الحديث يدل على شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته إذ يعلمهم ما ينفعهم ويبعد عنهم الضرر في معاشهم ومعادهم، ولذا فإن هذه السنة وهي إطفاء النار عند النوم من السنن التي ينبغي المحافظة عليها كما قال النووي، وهو عام يدخل فيه السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة فإن خيف بسببها حريق دخلت في ذلك، وإن حصل الأمن منها كما هو الغالب فلا بأس بها لانتفاء العلة، وقال القرطبي:جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة، ويحتمل أن تكون للندب، ولا سيما في حق من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر[٤].

وخالف ابن حزم[٥] في ذلك فجعل إطفاء النار عند النوم فرضًا أخذًا بظاهر الأمر أنه على الوجوب، والراجح ما ذهب إليه الجمهور، والله أعلم.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ٨١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي للنووي ١٢٧٩، وشرح الزرقاني على موطأ مالك ٣٨٢/٤، وعون المعبود، شمس الحق العظيم آبادي ١٠٨/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٣٤/٥.

(٥) المحلى، ابن حزم ٥١٨/٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر.

ثانيًا: من واجبات الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من النوم مع عدم إطفاء النار.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأنفس والأموال.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر:

استعمل النبي ﷺ أسلوب التوكيد في قوله "إن هذه النار عدو لكم" ليقع في نفس المدعو موقع القبول والاقتناع، والأمر في قوله "فإذا نمتم فأطفئوها" والأمر هنا للإرشاد وقد يكون للندب، وهذا الأمر فضلاً عن كونه إرشادًا لمصلحة دنيوية، فهو في نفس الوقت يفضي إلى مصلحة دينية، وهي حفظ النفس المحرم قتلها، والمال المحرم تبذيره[1]، وفي الحديث بيان من رسول الله ﷺ لسبب هذا الأمر بقوله: "إن هذه النار عدو لكم" وفي رواية أخرى: ((فإنَّ الفويسقةَ ربما جرَّتِ الفَتيلةَ فأحرقَتْ أهلَ البيت))[2]، وهذا مما ينبغي أن يحرص عليه الداعي من بيان للأسباب والملابسات والنتائج، مما يجعل المدعوين مقبلين على الدعوة.

ثانيًا- من واجبات الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم:

إن مما ينبغي أن يُعنى به الداعية تحذير المدعوين مما يضرهم، وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة الذي بلغ الغاية في الحرص على مصلحة المؤمنين والخوف عليهم وتحذيرهم من المضار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فقوله" عزيز عليه ما عنتم" أي يعز عليه الشيء الذي يَعَنّتُ أمته ويشق عليها، وقوله: "حريص عليكم" أي على هدايتكم

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٩/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٩٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[١]، فهو يحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه[٢].

فإذا ما استشعر المدعوون حرص الداعي على مصلحتهم وخوفه عليهم مما يكره فإن ذلك يؤدي إلى اقبالهم بقلوبهم عليه وعلى الدعوة، ويكون باعثًا على استجابتهم له، مما يؤدي إلى النتائج الطيبة في مجال الدعوة إلى الله في نفوسهم، مما يكون له جميل الأثر على دعوته.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من النوم مع عدم إطفاء النار:

لقد أمر الرسول ﷺ بإطفاء النار عند النوم فقال: "فإذا نمتم فأطفئوها عنكم"، واستجابة لأمر الله عز وجل بأخذ الحذر وتوقي سبل التهلكة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٣]، والحذر هو توقي المكروه[٤]، وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يتخذ الاحتياط في الأمور التي يخشى شرها، ومن ذلك الأمر بإطفاء النار عند النوم، فالنار كما قال ﷺ (عدو) وذلك إذا لم يحسن الإنسان ضبطها وقيدها، وإذا فرط فيها أو تعدى[٥]، ويقاس على ذلك في عصرنا الحديث أخذ الحذر والاحتياط من مصادر الطاقة كالبنزين والغاز والكهرباء وغيرها، فيجب الاحتراز من كل ما يخشى ضرره، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٧١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١١٧/٥/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢٩٢/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأنفس والأموال:

من أهم المقاصد التي من أجلها جاءت شريعة الإسلام الحفاظ على الكليات الخمس، ومنها: الحفاظ على الأنفس والأموال، فالأنفس "هبة من الله لا يجوز لأحد أن يسلبها غيره"[١]، ولا للإنسان أن يفرط فيها أو يتساهل في وسائل وقايتها والحفاظ عليها، ولا غرو أن نجد رسول الله ﷺ في الحديث يأمر بإطفاء النار، (فإن نمتم فأطفئوها عنكم)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٢]، وفي نفس الوقت دعوة إلى حفظ الأموال من تطرق الهلاك والفساد إليها، ويؤخذ ذلك من الحديث: (احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل)، فالمال عصب الحياة وزينة الدنيا، وهو من أجل نعم الله على عباده، يصلح دينهم ودنياهم[٣]، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٤]، والمال من أهم الأسباب التي تعين الإنسان على إقامة شعائر الدين، وذلك من فضل الله، فعندما اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ أن الأغنياء شاركوهم أعمالهم وزادوا عليهم بالعبادات المالية، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: ((ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ))[٥].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٦٣.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) أخرجه مسلم ٥٩٥.

الحديث رقم (١٦٢)

١٦٢- السَّابِعُ: عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ مَثَل مَا بعَثني اللَّه بِهِ مِنَ الْهُدَى والْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَاب أَرْضًا فكانَتْ [١] طَائِفَةٌ طَيبَةً، قبِلَتِ الْمَاءَ فأَنْبَتتِ الْكلأَ والْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّه بها النَّاس، فَشَرِبُوا مِنْهَا وسَقَوْا وَزَرَعوا. وأَصَابَ [٢] طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينَ اللَّه، وَنَفَعَه ما بعَثَنِي اللَّه به، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمثلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأْسًا وِلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفقٌ عليه [٣].

«فقُهَ» بِضم الْقَافِ عَلَى الْمَشْهُورِ، وقيلَ: بكَسْرِهَا، أَيْ: صارَ فَقِيهًا.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

غيث: الغيث: المطر [٤].

طائفة: الطائفة: القطعة من الشيء [٥].

الكلأ: العشب: رطبه ويابسه [٦].

العشب: الكلأ الرطب. ولا يقال له حشيش حتى يهيج [٧].

---

(١) عند مسلم زيادة: (منها).

(٢) عندهما زيادة: (منها).

(٣) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢/١٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٨٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٨٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٧٤.

(٦) الوسيط ٧٩٤.

(٧) الوسيط ٦٠٢.

أجادب: مفردها: جَدَب وهو الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء[١].

قيعان: مفردها قاع: وهو الأرض المستوية التي لا تنبت[٢].

فَقُه: بضم القاف على المشهور وقيل بكسرها: أي صار فقيهًا[٣].

من لم يرفع بذلك رأسًا: أي أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع[٤].

الشرح الأدبي

إن التصوير الأدبي والفني في البيان النبوي يجمع بين الجمال والجلال، وبين المهابة والحلاوة، وبين الإقناع والإمتاع، يغذي العقول، ويمتع الأسماع.

ومفهوم الصورة في الحديث النبوي يلتقي مع النماذج العلا في الإبداع الأدبي الإنساني في كثير من جوانبه، ولكن يبقى تفرد الحديث النبوي بخصوصية العموم والشمول، وتميزه بالعاطفة الإنسانية المتزنة الثابتة التي تُقدَّم في صورة أدبية دالة موحية، موشاة بألفاظ رائقة، ومعانٍ فائقة، وآفاق شائقة.

وجماليات الأداء الفني والأسلوبي في هذا الحديث الشريف تتوهج في هذه الصورة الأدبية التي تتكئ على التمثيل والتشبيه، وتصور واقع الأمة في استجابتها للدعوة، واتباع تعاليم المصطفى ﷺ، والانتفاع المثمر بهذه التعاليم السماوية.

والحديث الشريف، عن طريق التشبيه التمثيلي، يوضح أن الذي يُنْتَفع بعلمه الواصل إليه قسمان من الناس:

القسم الأول: ينتفع بثمرات علمه ونتائجه كأهل الاجتهاد والاستخراج والاستنباط: وهؤلاء جاء تصويرهم من خلال توظيف الطبيعة المحيطة بالناس، حتى تكون الصورة مؤثرة وقريبة ومفهومة للجميع، وذلك في قوله ﷺ: "كمثل غيث أصاب أرضًا":

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢١٢/١) والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د ب).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢١٢/١) والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي ع).

(٣) رياض الصالحين ١١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢١٣/١).

فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فَعِلْمُهُم مثل الأشجار المثمرة التي تؤتي أكلها كل حين، ويظل مصدر نفع للناس.

والقسم الثاني: يُنتفع بعين علمه كأهل الحفظ والرواية، والحاصل أنه ﷺ شبه ما أعطاه الله من أنواع العلوم بالوحى الجلي أو الخفي بالماء النازل من السماء في التطهر وكمال التنظيف، والنزول من العلو إلى السفل، ثم قسم الأرض بالنظر إلى ذلك الماء قسمين: قسم هو محل الانتفاع، وقسم لا انتفاع فيه، وكذا قسم الناس بالنظر إلى العلم قسمين على هذا الوجه[1]، قسم كالأرض الصلبة الثابتة التي تحتفظ بالماء، حيث ينتفع الناس، ويشربون ويسقون ويزرعون، وهؤلاء الذين ينتفعون بثمار العلم، والقسم الثاني: مثل القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، وهؤلاء هم الذين لم يستجيبوا للعلماء، ولم يعملوا بهدى السماء، وقد كنىَّ رسول الله عن هذا النوع بأنه "لم يرفع بذلك رأسًا"، وقيل هذا تصوير للعالم الذي لم يعمل بعلمه، والطائفة الثالثة هم الذين وصفهم الرسول وحدّد أنموذجهم وهو "لم يقبل هدى الله الذي أرسل به" وهو رجل فات عنه التعلّم والتعليم.

والتشبيه التمثيلي في هذا الحديث يوضح خاصية دقيقة من خصائص الجمال والبيان في الحديث النبوي، وهى توافق عناصر التشبيه، وعدم تنافرها أو تناقضها، فماء السماء طاهر ونظيف، وهو نازل من العلو، وهذه الصفات تتفق مع ما أراد المصطفى ﷺ توضيحه وبيان قيمة ما أرسل به، وما بعث به للناس من هداية، فهو من وحى السماء، وهو طاهر في جوهره، وفي غرضه، وهو نظيف المقصد، يحيي موات النفوس والقلوب، ويهدي الناس إلى طريق الخير، والرخاء والهداية، وإلى الصراط المستقيم، وينقذهم من حياة الجدب، والشقاء والظلام[2].

والحديث يفيض بأسرار تعبيرية تُقرِّب المعنى، وتزيد الأمر وضوحًا، وتؤثر في

---

(١) انظر: حاشية السندي على متن البخاري ص ٢٦، صحيح البخاري.

(٢) انظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم.

المتلقي، ومن هذه الأسرار: بدءُ الحديث بالتأكيد.. وتوضيح المعاني عن طريق التشبيه القريب من واقع الناس، حيث يقول المصطفى ﷺ: إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ولفظ مثل: يعني الحال أو الصفة.

وقدَّم الهدى على العلم، لأن الهدى هو طريق العلم النافع النابع من التصور الإسلامي، والتوجه الإيماني.

وجاء التعبير بلفظ الغيث، ولم يقل "كمثل مطر" لأن الغيث مطر محتاج إليه يغيث الناس عن قلة المياه، وقد كان الناس متحيرين قبل بعثته ﷺ حتى أغاثهم الله بوابل علومه[1].

وقد جمع عليه الصلاة والسلام بين الكلأ والعشب الكثير، وذلك لأن الكلأ - كما يقول العلماء- مختص بالرّطب إلا أنه ما يتأخر نباته ويقل، والعشب ما يتقدم نباته ويكثر، ولهذا وصف العشب بالكثير.

والأجادب: جمع أجدب أو جمع جَدَب: والمعنى من الجدْب ضد الخصب في بعض الآراء.

والصورة في هذا الحديث الشريف قدمت المعنى في أبهى معرض، وأجمل زينة، وقد اكتملت معالم الصورة كما يرى القاضي الجرجاني، حيث يذهب إلى أن من معالم الكمال في الصورة، أن تكون مهمة اللفظ فيها ليست للكشف عن المعنى فحسب، بل لابد أن يصير حلوًا رشيقًا، أحظى في القلب، وأوقع في النفس، ولا يرى اللفظ إلا ما أدى إليه المعنى، ولكنه أحلى وأرشق، وأحظى وأوقع، والكلام فيها لا يصور الغرض فقط ولكنه ينبغي أن يكون ذا واقع قوي يشنف الآذان، ويستولى على القلوب، كما تشد مناظر الطبيعة الفاتنة إليها النواظر فلا ترى غير الجمال فيها[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان : محمد بن علان الصديق الشافعي، ٣٦١/١.

(٢) انظر: الوساطة للقاضي الجرجاني، والصورة الأدبية، د. علي علي صبح.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والتشبيه والتمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم والعلماء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل نشر العلم الشرعي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإعراض عن العلم والهدى.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والتشبيه والتمثيل:

أ- **التوكيد**: حيث جاء في الحديث "إن" وهي تفيد التوكيد، وما من شك في أن التوكيد من أساليب الدعوة المهمة حيث يقنع المدعوين بما يقوله الداعية، ويلفت انتباه المدعوين إلى أهميته.

ب- **التشبيه والتمثيل**: حيث جاء في الحديث: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث" فإن المعاني أحيانًا تكون غامضة، فيأتي التشبيه والتمثيل لتقريب المعنى إلى الأذهان، ولذا فإن أسلوب التشبيه والتمثيل من أساليب الدعوة التي لا يستغنى عنها الداعية في توضيح المعاني، وترسيخها في أذهان المدعوين، وقد شبه ما جاء به من العلم والهدى بالغيث الذي ينزل على الناس. قال الإمام ابن حجر: (قال القرطبي وغيره: ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه. فكما أن الغيث يحي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت)[1]، وقد سمى الله عز وجل ما بعث به محمدًا ﷺ من الهدى والعلم نورًا فقال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] وجعل من يتبع هديه ورسالته له نور يمشي به في الناس،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٢/١.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٥، ١٦.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[1] وامتن على المؤمنين ببعثته ﷺ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

قال القاسمي: (لقد أنعم الله على المؤمنين ببعثة النبي ﷺ من جنسهم، عربي مثلهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته، والانتفاع به. ولما لم ينتفع بهذا الإنعام إلا أهل الإسلام خصوا بالذكر، وإلا فبعثته ﷺ إحسان إلى العالمين كما قال الله ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3] يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي، ويطهرهم من الذنوب والشرك بدعوته، وإن كانوا قبل بعثته في ضلال ظاهر من عبادة الأوثان، وأكل الخبائث، فنقلوا ببعثته ﷺ من الظلمات إلى النور، وصاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة فعظمت المنة لله تعالى عليهم بذلك)[4] والنصوص في فضل بعثته ﷺ كثيرة، وعلى الدعاة تذكير الناس بها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل العلم والعلماء:

لقد بين النبي ﷺ فضل العلم والعلماء، وحث على الانتفاع بالعلم، وبين فضل من تفقه في الدين حيث شبهه ﷺ بالأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. قال الإمام النووي: (وفي الحديث فضل العلم والتعليم وشدة الحث عليهما، وذم الإعراض عن العلم)[5] هذا وقد تواترت النصوص الشرعية في فضل العلم و العلماء قال

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٢٨٤/٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٧.

الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢] وقال جل شأنه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣].

قال ابن الجوزي: (يرفع أهل الإيمان على من ليس بمنزلتهم من الإيمان، ويرفع الذين أوتوا العلم على من ليس بعالم، وهذا الرفع قد يكون في الآخرة فهو إخبار عن ارتفاع درجاتهم في الجنة، وقد يكون في الدنيا بارتفاع مجالسهم فيكون ترتيبهم فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (أيها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات)[٤] وقال صلى الله عليه وسلم في فضل الفقه والعلم ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين))[٥] وقال أيضًا: ((من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة))[٦] وواجب الدعاة حث الناس على العلم والتعلم من خلال هذه النصوص الشرعية.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل نشر العلم الشرعي:

حث النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية نشر العلم الشرعي، ونفع الناس بذلك، حتى يكون المسلم على بينة من أمور دينه، وفي هذا الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس)) قال النووي: (والنوع الثاني من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها، فينتفع بها الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة،

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة المجادلة، آية ١١.

(٤) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٨/١٩٣-١٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧١، مسلم ١٠٣٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

ولا رسوخ لهم في العقل يستنبطون به المعاني والأحكام، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم، أهل للنفع والانتفاع، فيأخذه منهم فينفع به فهؤلاء نفعوا بما بلغهم)[١].

ولقد مدح الله الذين يستمعون العلم ويستجيبون له فقال جلّ شأنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[٢] وقال ﷺ في الحديث: ((تسمعون ويسمع منكم، ويُسمع ممن يسمع منكم))[٣] ودعا ﷺ بالنضارة لمن يبلغ عنه فقال: ((نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه))[٤]. وبذلك يحصل ظهور العلم وانتشاره، ويحصل التبليغ وهو الميثاق المأخوذ على العلماء، ومعنى الحديث الدعاء بالنضارة وهي النعمة والبهجة، قال السيوطي: قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن جابر: (ألبسه الله نضرة وحسنًا وخلوص لون وزينة وجمالاً، أو أوصله الله لنضرة الجنة نعيمًا ونضارة، قال سفيان بن عيينة: ما من أحد يطلب حديثًا إلا وفي وجهه نضرة)[٥].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الإعراض عن العلم والهدى:

يتضح ذلك من قول النبي ﷺ ((ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) قال ابن حجر: (ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها)[٦] وقال النووي: (والنوع الثالث من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها فهي لا تنتفع بالماء

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٧.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧- ١٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٦٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣١٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣١٠٨).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق العظيم آبادي ١٥٦٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٢/١.

ولا تمسكه لينتفع بها غيرها، وكذا النوع الثالث من الناس ليست لهم قلوب حافظة ولا أفهام واعية فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ولا يحفظونه لنفع غيرهم)[١].

ويظهر من هذا خطورة الإعراض عن العلم والهدى، حيث بين الله مصيرهم فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[٢] وحكى عن حسرتهم يوم القيامة، فقال جلّ شأنه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٣] وتوعد الله من يعرض عن ذكره وهدي نبيه بالمعيشة الضنك فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٣) سورة الملك، آية: ١٠.

(٤) سورة طه، آية: ١٢٤.

الحديث رقم (١٦٣)

١٦٣- الثَّامِنُ: عن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مثَلِي ومثَلُكُمْ كَمَثَلِ رجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فيهَا، وهُوَ يذُبُّهُنَّ عَنهَا، وأَنَا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عَنِ النارِ، وأَنْتُمْ تَفَلَّتُوْنَ مِنْ يَدِي**» رواه مسلمٌ[1].

«**الْجَنَادبُ**»: نَحْوُ الجَراد والْفَرَاشِ، هَذَا هُوَ المَعْرُوفُ الَّذِي يَقعُ في النَّار. «**والْحُجَزُ**»: جَمْعُ حُجْزَةٍ، وهِي معْقِدُ الإِزَار والسَّراويلِ[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الجنادب: نحو الجراد والفراش، هذا هو المعروف الذي يقع في النار[3].

الفراش: الطير الذي يلقى بنفسه في ضوء السراج واحدتها: فراشة[4].

يذبهن عنها: يمنعهن ويطردهن عنها[5].

الحجز: جمع حُجزة وهي: معقد الإزار والسراويل[6].

تفلتون: يقال أفلت مني وتفلت: إذا نازعك الغلبة والهرب ثم غلب وهرب[7].

---

(١) برقم (٢٢٨٥/١٩). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٥١).

(٢) بنصه في الترغيب والترهيب، المنذري (٣٥١/٤).

(٣) رياض الصالحين ١١٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٩٩.

(٥) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ١٦٤.

(٦) رياض الصالحين ١١٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

الشرح الأدبي

إن الصورة البيانية في هذا الحديث تتكئ على التشبيه التمثيلي مثل الحديث السابق، وذلك لتقريب المعنى، وقوة التأثير، فالصورة البيانية في الحديث النبوي، حين نطيل التأمل في استكشاف معالم الجمال والجلال فيها، ندرك أنها تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحًا في الخاطر، وجلاء في الذهن، لتستحيل أفكاره الهادية دمًا خالصًا يترقرق في عروق المسلم، ونورًا يمتد في عقله وبصره، ونفسًا يتردد في رئتيه، وذلك بعض ما يفيض به البيان الساحر والأدب الرفيع[1].

والصورة الأدبية في هذا الحديث تجيء في صياغة أخرى مشابهة ولكنها أوضح وأشمل في حديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ: "إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يَجْجُزُهُنَّ ويغلبنه فيتقحمن فيها، فأنا آخذٌ بحُجَزِكُمْ عن النار وأنتم تَقَحَّمون فيها"[2].

إن الروايتين تكملان هذه الصورة التي نتمثلها أمامنا في كل عصر مكتملة الجوانب، ساطعة المشاهد، أفعالاً وحركات سريعة متلاحقة، وصراعًا ومغالبة بين الهوى والهدى: الهوى المُرْدي الذي يغري الجنادب والفراش ويجذبهن إلى النار، والهُدَى الإلهي الذي يبلغه محمد إلى الناس. فينجيهم من الهلاك، ويقودهم إلى جنة عرضها السموات والأرض.

وهذا الصراع بين الهوى المرْدي، والهُدَى المنْجي، يكشف عن النوازع الخفية التي تدفع إلى الشر المرْدي، وبعضها يكون خيراً فينتصر على النزعات الشيطانية، وينجو ويفوز بالرحمة الإلهية وهذه النوازع التي جسَّدتها هذه الصورة الفنية تنتقل بإحساسنا إلى حالنا وحال النبي ﷺ، فنرى أنفسنا في صراع الهوى الغالب للهدى الرحيم، ممثلاً

---

(١) انظر: البيان النبوي: د. محمد رجب البيومي ص ٢٥٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

ومجسدًا في صورة ذلك الفراش الأحمق الذي يضحي بالحياة في اندفاع قاهر ثمنًا غاليًا للامح براق، فإذا اجتذبه مَنْ بالمؤمنين رءوف رحيم إليه حفاظًا على حياته، غلبه الهوى على نفسه فاقتحم المهالك، وهذا شأن العاصين والضالين.

وهنا نحاول أن نفهم هذه المفارقات، وأن نقيس حركاتنا وأنفاسنا مع هذا الساهر الحريص، فنرى كل كبيرة تغرينا بالبريق، يصرعنا فيها الهوى، ويجذبنا منها المصطفى ﷺ يأخذ بحجزنا مكررًا الزجر، مقررًا الحرمة مؤكدًا النداء، ونحن العاصين ما أشقانا وما أتعسنا حين نغلبه فنقتحم النار، ونتفلت من يده مهرولين مسرعين إلى ميدان الهلاك.

وقد عمَّقت جوانب الصورة الأدبية هنا وجَمَّلتها وسائل أسلوبية كثيرة تنبئ عن فصاحة المصطفى ﷺ فهنا كرر لفظ "مثل" مضافًا إلى نفسه الكريمة مرة في ياء المتكلم "مثلي" وإلى أمته مرة أخرى في ضمير الخطاب "ومثلكم" لأن الصورة تعرض حالين مختلفين: حال حكيم رءوف، وحال أحمق جامح. فليست حاله عليه السلام كحال أمته، إذا استهواها الشيطان فغلبها، ولهذا كان الكلام على اللف والنشر المرتب، والذي يلقب فيه التشبيه بالملفوف، وقد حصل الاكتفاء بالتكرار عن التفصيل في الآخر.

وليس لفظ "مثل" في البيان الكريم أداة تشبيه لأنه بمعنى الحال والصفة، وإنما الأداة الكاف والجمع بينهما وبين مثل للدلالة على تشبيه الهيئات، والأحوال تمثيلاً، إذ لو دخلت الكاف على رجل لتوهم بادئ الرأى مشبهًا به أفرادًا.

وارتباط جواب "لما" بشرطها في الرواية الثانية يشير إلى ارتباط السبب بالمسبب في الوجود، ووصف الدواب المشار إليها للتحقير، وارتباط إشارة القريب الداني المنزلة بالموصول وصلته في قوله، "وهذه الدواب التي تقع ... إلخ"، يشير إلى العادة والطبع الغالبين اللذين هما بحاجة كبيرة إلى التهذيب والمقاومة والكبح، وتكرار العبارة، "تقع في النار"، في الرواية الثانية، يجعلها جوابًا لفعل الشروع، تقع فيها، ويشير إلى الاستسلام وعدم التدبر لما هو معتاد، والنظر إلى ما يجري من الردى.

ومما يزيد الصورة في الرواية الثانية تأثيرًا مجيئها في أسلوب القصر في رواية أبي هريرة: حيث جاءت "إنما" في أول الحديث الشريف، لتصبح الصورة واقعية، ويظل الصراع دائرًا بين حرص المصطفى ﷺ، على نجاة أمته وبين تغلب الهوى على كثير من أفراد هذه الأمة، حتى يصل بهم هذا الهوى إلى النار التي يتقلبون فيها في حياتهم وآخرتهم، وعطف الجمل "بالفاء" يوحي بترتيب الأحداث وتعاقبها وسرعتها.

ومجيء الحديث في أسلوب القصة المتعاقبة أحداثها، والمكثفة في أهدافها وآثارها، يوحي بأنها قصة الأجيال كلها، ففيها تشخيص لأدواء النفوس، وتصوير لرحمة المصطفى ﷺ، وحرصه الشديد على مداواة هذه الأنفس المرضى، ولنتأمل هذا التعبير التصويري العميق: "وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي"، وفي الرواية الثانية: يقول: "فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تقتحمون فيها"، والتعبير بقوله: "تفلتون من يدي"، وقوله "يقتحمن"، يدل على الإصرار من الجانب الآخر على الوقوع في حمأة الباطل، وقوله: وأنا آخذ بحجزكم يصور مشهدًا من مشاهد الصراع الدائم، فالضالون يكثرون، ويعاندون، وبرغم إصرارهم على ما هم فيه يحرص الرسول ﷺ على صدهم عن الوقوع في ظلمات الإثم والتردي في أودية النيران.

وتمتد هذه الصورة عبر الأزمنة والأمكنة، وتَسْري في ضمير الأجيال، ويظل البيان النبوي يأخذ بحجز الجماعات التي يتملكها الهوى، ويغالبها الشيطان، فإذا بها تلمح ضوء النجاة يبرق في كلمات المصطفى ﷺ، وفي ما جاء به من الآيات البينات وحيًا وتبليغًا عن ربه عز وجل. وصدق رسول الله ﷺ وهو يرشد الأمة في كل زمان وكل مكان إلى ميراثهم الحقيقي وهو الكتاب والسنة ففيهما العصمة من الزيغ والضلال، حيث يقول ﷺ، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي أبدًا، كتاب الله وسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد ونعيمًا لا ينفد ومرافقة محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والترهيب.

ثانيًا: من مهام الداعية: الحرص على المدعوين والشفقة عليهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل اتباع السنة.

أولاً- من أساليب الدعوة التمثيل والترهيب:

أ- التمثيل: يتضح من قول النبي ﷺ في الحديث: "مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ"، إن أسلوب التمثيل من الأساليب الدعوية التي يستخدمها الداعية لتقريب المعاني إلى الأذهان من خلال ضرب المثل، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التمثيل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾[1].

ب - الترهيب: ويستنبط من قول النبي ﷺ: ((وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ))، وهو تخويف من النار ومن ورودها، ولا شك أن أسلوب الترهيب له دوره في كبح جماح النفس، وكفها عن الشهوات بتخويفها وترهيبها، وعلى الدعاة إلى الله الموازنة بين الترهيب والترغيب، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: الحرص على المدعوين والشفقة عليهم:

يظهر هذا في قول النبي ﷺ: "وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي"، ولقد وصف الله نبيه في القرآن بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، قال الطاهر بن عاشور:

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(جاءت هذه الآية من السورة تذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال. ومن أخصها حرصهُ على هداهم، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفًا رحيمًا بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل، ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله ﷺ)[1]، وقد جاء في الحديث ما يدل على شفقته على أمته ورحمته بهم: ((وإني أنا النذيرُ العُريان، فالنَّجاء))[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشبيه:

يستنبط هذا من قوله ﷺ في الحديث: (وأنتم تفلتون من يدي)، قال النووي: (شبه ﷺ تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله)[3].

وقال الطيبي: (واعلم أن تحقيق فهم الحديث متوقف على معرفة معنى حدود الله، ذلك أن حدود الله هي محارمه ونواهيه، ورأس المحارم حب الدنيا وزينتها، واستيفاء لذاتها وشهواتها، فيؤخذ منه أن الإنسان إلى النذير أحوج منه إلى البشير، وذلك أن جبلة الإنسان مائلة إلى الحظوظ العاجلة دون الآجلة، فأوجب قلعها أولاً ليتمكن من مجرى ما يزلفه إلى الله تعالى، ومن ثم قيل: التحلية بعد التخلية)[4].

وقال ابن حجر: (شبه تهافت أصحاب الشهوات في المعاصي التي تكون سببًا في الوقوع في النار بتهافت الفراش بالوقوع في النار اتباعًا لشهواتها، وشبه ذبه العصاة عن المعاصي بما حذرهم به وأنذرهم بذب صاحب النار الفراش عنها، وقال القاضي عياض:

---

(١) التحرير والتنوير مج/٥/١١/٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٨/١.

شبه تساقط أهل المعاصي في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا)[١]، هذا وقد دلت نصوص القرآن على خطورة المعصية واتباع الشهوات قال الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل اتباع السنة:

يستنبط هذا من سياق الحديث، لأن في اتباع هدي النبي ﷺ نجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

وحث الرسول الكريم ﷺ على اتباع سنته وحذر من الإعراض عنها فقال: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ مِني))[٥]، وقال في الحديث أيضًا: ((... فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[٦]، ومن هذا يعلم فضل اتباع سنة رسول الله ﷺ، وأن فيها النجاة من النار، وعلى الدعاة أن يربطوا الناس بقدوتهم الأولى ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٧].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٦/١١.

(٢) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (١٦٤)

١٦٤- التَّاسعُ: عَنْهُ أَنْ رسولَ اللَّه ﷺ أَمَر بِلَعْقِ الأَصابِعِ وَالصحْفةِ، وقال: «**إِنَّكُم لا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا** [1] **الْبَرَكَةَ**» رواه مسلم [2].

وفي رواية لَهُ [3]: «**إِذَا وَقَعتْ لُقْمةُ أَحدِكُمْ. فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطانِ، وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمَنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعهُ، فَإِنَّهُ لا يدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةَ**».

وفي رواية لـه [4]: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ، فَلْيُمِطْ مَا كَان بِهَا مِنْ أَذًى، فَلْيأْكُلْها، وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**».

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الصَّحْفة: إناء من آنية الطعام [5].

فليمط: فليُبعد وينحِّ [6].

---

(١) لفظ مسلم: (أيّه).

(٢) برقم (٢٠٣٣/١٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩). وسيكرره المؤلف برقم (٧٥٠).

(٣) أخرجها مسلم (٢٠٣٣/١٣٤). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٩٠).

(٤) أخرجها مسلم (٢٠٣٣/١٣٥) وزاد في آخره: (فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنّه لا يدري في أيّ طعامه تكون البركة). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٩١).

(٥) الوسيط ٥٠٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ي ط).

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا الدرس النبوي وما أجمله، وما أعظم آثاره الاجتماعية والصحية والاقتصادية، إنه درس واقعي في ضبط حياة المسلم، وتنظيم إيقاعها، وحركتها، وإن آداب الطعام هي أول ما يحرص عليه المسلم في حياته اقتداء برسول الله ﷺ، وكذلك وردت الروايات المتعددة التي ترشد المسلم إلى تجميل سلوكه، وكبح جماح غروره، ومقاومة شيطان الإسراف والغرور والشهوة الذي يتمكن من النفس البشرية حين تبتعد عن واحة السنه العطرة، فتحرم من قطف ثمارها النضرة؛ والحديث في رواياته الثلاث يوحي ببُعد المؤمن عن الإسراف في الطعام، وعدم الشبع، لأن الرسول يأمر بلعق الأصابع والصَّحْفة التماسًا للبركة، وهذا السلوك الإيماني لا يكون إلا في حالة قلة الطعام، حيث لا يضع المسلم أمامه ما يفيض عن حاجته ثم يرمي به بعد ذلك، في أكوام الفضلات، وهو صالح للغذاء، ألم يفكر المسلم في الذين يتضورون جوعًا، ولا يجدون ما يسد رمقهم، وكذلك الذين تنزل بهم الكوارث والزلازل، وتجرفهم الأعاصير والأوبئة والأمراض.

إن كل مسلم عليه واجب ومسؤولية تجاه أخيه المسلم، ومن آداب الطعام: ما ورد في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: "المؤمن يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"[1] والمراد أن المؤمن يأكل بآداب الشرع فيأكل في مِعًى واحد، بقدر حاجته، ولا يلقي شيئًا زائدًا في الفضلات، وكأنه يلقيها للشيطان، والمؤمن في اقتصاده وحرصه على آداب الطعام: لا يترك بقايا من طعام على يديه، أو في الإناء، ولكن تأسيًا برسول الله ﷺ، يلعق أصابعه والصَّحفة، وإذا وقعت منه لقمة: لا يتركها تأففًا وتكبرًا وإسرافًا ولكن يأخذها ويميط الأذى عنها وينظفها ثم يأكلها، لأنه إذا ألقى ببقايا الأكل الصالح في القمامة، فهو يلقي به للفساد والتعفن، وكل الطرق التي يرمز إليها، "الشيطان"، وأما الكافر فهو يأكل بمقتضى الشهوة والشدة، والنهم فيأكل

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٩٣، ومسلم ٢٠٦١.

في سبعة أمعاء، وذلك كناية عن الجشع والإسراف، والتبذير، وعدم الاقتصاد، وهو لم يأخذ بالمنهج الإسلامي الذي يقر بأن طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة، وإن أحسن ما أكل المؤمن في ثلث بطنه، وشرب في ثلث، وترك للنفس ثلثًا، كما أرشد النبي ﷺ.

ومعالم الأسلوب في هذه الروايات تقدم هذه المعاني في بلاغة واضحة، وتراكيب بالمعاني بائحة، حتى تستجيب لها النفوس الرابحة، فالرواية الأولى تبدأ بجملة خبرية مؤكدة يسوقها الراوي ليؤكد أمر الرسول ﷺ بلعق الأصابع، والصحفة، وهو أمر للندب ولكنه يتضمن الفوائد الجليلة ، والجملة الثانية جاءت مؤكدة: وهى من كلام نبي الرحمة ﷺ حيث يوجه المسلمين إلى منابع البركة وهى غير محدودة ولكنها في هذا السياق، يراد بها: ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى، وممارسة الحياة حسب المنهج الإسلامي.

والرواية الثانية صيغت في قالب الجواب والشرط: والجواب تضمن ست جمل تُفصِّل آداب الطعام، وتحدد في إيجاز ما يجب على المسلم فعله حين تسقط لقمة من يده، وهذه الجمل الست اقترنت بأدوات كثيرة تحتم الالتزام بالسنة وآدابها في تناول الطعام.

ومن هذه الأدوات: أداة الشرط "إذا"، وهى للتحقق، وكل من يتناول طعامًا يتساقط منه الكثير على الأرض أو المائدة، وبعد الطعام تبقى بقايا صالحة، ولكن يلقى بها كثير من الناس في سلال المهملات.

فتصبح مرتعًا للأوبئة والحشرات، والروائح الكريهة، ولذلك جاءت صياغة هذه الجمل جازمة حاسمة فجواب الشرط مقترن بلام الأمر، "فليأخذها"، ثم يأتي أمر آخر للحفاظ على الصحة البدنية، والصحة النفسية في قوله عليه الصلاة والسلام، "فليمط ما كان بها من أذى"، ثم بعد ذلك أتي الأمر الثالث في قوله، "وليأكلها.."، ثم يأتي النهى عن الإسراف والتبذير والبطر والجحود. الذي يؤدي إلى مسالك الشيطان، وقوله: "ولا يدعها للشيطان" جملة موجزة تشع بكل أطياف التحذير من الانزلاق إلى مهاوى الفساد، والمشاركة في إشاعة جَوِّ الترف والفساد، ولعق الأصابع رُبَّما يبدو غير مألوف في المجتمع المعاصر، حيث يتناول الناس الطعام بالملاعق، ولا يأكلون بأيديهم، ولكنَّ

المحافظة على السنة وآدابها تتمثل في الاقتصاد في الطعام، وعدم إبقاء بقايا الأكل في الأواني والملاعق، وفوق المناضد والمفارش، وقد أرشد الرسول ﷺ إلى ذلك في أسلوبه البديع، ونظمه البليغ، حيث قال محذرًا "إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه".

وقد روى أن ابن أبي ماسويه قال: "لو استعمل الناس هذه التوجيهات لسلموا من الأمراض والأسقام ، لأن أصل كل داء التخم"، وقيل: إن قلة الغذاء يوجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك.

والحديث في رواياته الثلاث يوحي ويرشد إلى حتمية الاقتصاد في الغذاء، والبعد عن الإسراف، والحرص على عدم الإكثار من الطعام حتى لا يبقى منه شيء فيفسد، وهناك طوائف تتضور جوعًا، ولا تجد ما يسد رمقها.

يقول رسول الله ﷺ فيما يرويه المِقْدام بن مَعْد يكَرِب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطن بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه))[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم لعق الأصابع والصحفة وإماطة الأذى عن اللقمة الساقطة وأكلها، وقد ذكر الفقهاء[2] أنه يسن أن لا يهمل المرء في الطعام ويلعق الصحفة فإنه لا يدري أين البركة، وإن وقعت من يده لقمة فليمط الأذى عنها

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٣٩).

(٢) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٣٧/٥، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٤٣/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المصري ٣١٦/٢، والمدخل إلى الشرح الشريف، ابن الحاج العبدلي ٢٢٢/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي العدوي ٤٦٢/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٧٥/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ١٢٥/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ١٨٦/٨، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٦١٧/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٢١/٦.

ويأكلها ولا يدعها للشيطان، وفي هذا محافظة على النعم من الزوال والضياع، وتقييد لها بالشكر، فإن لم يستطع أكلها أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

وقال ابن حزم وبعض الفقهاء[1] إن لعق الأصابع من الطعام وإماطة الأذى عن الساقط من الطعام وأكله وعدم إلقائه فرض اتباعًا لهديه ﷺ في هذا الحديث، وأخذًا بظاهر الأمر فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، الشرط، والأمر، والنهي، والتعليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إثبات البركة في الطعام.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الامتثال لأوامر النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل بسنة النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والشرط، والأمر، والنهي، والتعليل:

١- **التوكيد**: حيث جاء في الحديث "إنكم لا تدرون" "إن الشيطان" ولا شك أن التوكيد أسلوب من أساليب الدعوة التي تساعد على إقناع المدعوين، وإشعارهم بأهمية ما يقوله الداعية.

٢- **الشرط**: جاء في روايات الحديث "إذا وقعت لقمة أحدكم" والشرط من أساليب الدعوة، وفيه لفت انتباه المدعوين إلى جواب الشرط لزيادة اهتمامهم به، وهو من قبيل التنويع في أساليب الدعوة، وبيان بعض المعاني التي يريد الداعية أن تكون واضحة في ذهن المدعو.

٣- **الأمر**: وقد ورد ذلك في أكثر من موضع في الحديث في قوله ﷺ: "فليأخذها" "فليمط" "فليأكلها" ومن المعلوم أن أسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به، مما يستدعي مزيدًا من العناية والاهتمام بما أُمر به، والأمر أسلوب قرآني ومنه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

---

(١) المحلى، ابن حزم ١١٧/٦، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٦١٧/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

٤- **النهي**: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ "ولا يدعها" "ولا يمسح" والنهي من أساليب الدعوة حيث يتطلع المدعو إلى معرفة المنهي عنه، ليعمل على اجتنابه وعدم إتيان ما نهى عنه، ولذا فإن النهي من الأساليب الدعوية التي لا يستغنى عنها الداعية.

٥- **التعليل**: وهو أسلوب مهم من أساليب الدعوة حيث يساعد على إقناع المدعو، وقد علل النبي ﷺ في الحديث الأمر بلعق الأصابع بقوله: "إنكم لا تدرون في أيها البركة" قال صاحب تحفة الأحوذي: (والمراد أنه لا يدري في أية أصابعه تكون البركة حاصلة)[١] وقد جاء في القرآن في علة الصيام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢] وفي النهي عن الزنا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[٣] وفي تحريم الخمر ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[٤]. قال د. يوسف القرضاوي: (وينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع في النفس موقع القبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى، كقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٥] وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٦] وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٧] وفي الحج: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[٨].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٦٤/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٨) سورة الحج، آية: ٢٨.

فإذا كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيرًا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرءًا عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون.

وهناك محذورات ينبغي التنبّه لها:

وأود أن أنبه هنا في مقام تعليل الأحكام إلى بعض المحذورات التي يتورط فيها بعض الدعاة ومنها:

١- المبالغة في تعليل العبادات:

المبالغة في تعليل العبادات بأمور دنيوية، وربطها بها ربطة العلة بالمعلول، مع الغفلة عن حقيقة كبيرة يجب التنبيه عليها، وهي أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد، لا طلب الأدوات والوسائل، فهي مرادة لذاتها بغض النظر عما وراءها من منافع وثمرات. بل هي الغاية من خلق المكلفين كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] بل المقصود الأول من خلق هذا العالم كله علويه وسفليه: أن يعرف الناس ربهم بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا. كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[2].

والمبالغة في هذا الجانب قد تؤدي ببعض الناس إلى أن يقول: إذا كان هدف العبادات تربية الضمائر، وتزكية الأنفس، وتقويم الأخلاق، فعندنا وسائل أخرى توصلنا إلى هذا الهدف. وقد يقول بعض آخر ما قاله بعض الفلاسفة من قبل.

٢- التعليل بأمر غير جامع ولا مانع:

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الطلاق، آية: ١٢.

ومن المحذورات أن يعلل الحكم الشرعي بأمر غير جامع، بمعنى أنه لا ينطبق على كل الحالات، ولا مانع، بمعنى أنه ينطبق على غير المعلل مما لم يأخذ حكمه.

مثال ذلك: تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات، فقد يردّ رادّ بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، أما الخنازير التي تربى في حظائر خاصة، ويشرف عليها مختصون يعنون بأمرها، فلا يتفق معها هذا التعليل.

وكذلك إذا قال قائل: إنما حرم لحم الخنزير، لأن اعتياد اكله يورث فقدان الغيرة على النساء والحرمات، كما هو مشاهد لدى الأوربيين الذين يدينون بالمسيحية، فهذا التعليل قد ينقض بأن ذلك قد يكون مرده للبيئة والتربية أكثر من رده إلى لحم الخنزير، بدليل أن النصارى في صعيد مصر وفي البلاد الشرقية عامة لا تنقصهم الغيرة.

كما أن اليهود في الغرب، وهم يحرمون الخنزير، يسلكون في أمر الغيرة ما يسلكه مواطنوهم من المسيحيين.

ونحو ذلك: أن تجعل علة التحريم ما اكتشف من ديدان شديدة الخطر على صحة الإنسان كالدودة الشريطية أو الوحيدة. فقد قالوا: إن هذه الديدان توجد في لحوم الأبقار أيضًا، وقد أحل الشرع أكلها!

ولهذا لا يجوز للداعية المجازفة بالتعليل في مثل هذه الأمور ما لم يكن تعليلاً ثابتًا محكمًا مطردًا في كل الأحوال، تقوم عليه الأدلة العلمية الناصعة، التي لا مطعن فيها.

وإلا فحسب الداعية أن يقول: إن الله لم يحلّ إلا طيبًا، ولم يحرم إلا خبيثًا، ولم يشرع شيئًا إلا لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وعدم العلم بها لا ينفي وجودها، فإن علمنا أعجز من أن يحيط بكل حكمة الله تعالى في شرعه أو في خلقه.

وإذا كان العلم البشري - بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من نزول القرآن- قد اكتشف في لحم الخنزير ديدانًا خطرة، لم يكن يعلم أحد بها يوم قال القرآن في لحم الخنزير: إنه رجس. فما يدرينا ماذا سيكشفه العلم في الغد القريب أو البعيد؟

على أن هناك حكمة جلية في إخفاء الله تعالى بعض حكمه وأسرار شرعه وخلقه عنا نحن المكلفين. وذلك ليتم الابتلاء، وتظهر حقيقة العبودية للخالق، ويعرف من يتبع

الرسول ممن ينقلب على عقبيه، ويتبين من يطيع ربه، ومن لا يطيع إلا عقله، فهنامفرق طريق بين المؤمن وغير المؤمن.

٣- الاقتصار على التعليلات المادية:

من المحذورات في ذكر الحكم والعلل: الاقتصار على التعليل بالأمور المادية الحسية. وخصوصًا فيما يتعلق بالعبادات الشعائرية، كالوضوء والصلاة والصيام والحج ونحوها.

فالوضوء في نظر بعض الذين يتحدثون عن الإسلام أو يكتبون حكمته: النظافة والصلاة في نظر هؤلاء حكمتها: تمرين الجسم على الرياضة والحركة واتباع النظام. والصيام في نظرهم إنما فرض لإراحة المعدة شهرًا في كل عام.

والحج في نظرهم ليس إلا رحلة كشفية، للتدريب على احتمال المشاق.

وجهل هؤلاء إن مثل هذه التعليلات تفتح عليهم أبوابًا لا يقدرون على إغلاقها، فقد يقول لهم قائل: إنني أستطيع أن أحقق النظافة بغير الوضوء.

وقد يقول ثان: أنا أستطيع أن أمرن جسمي رياضيًا بغير الصلاة، بالتمرينات المنظمة المدروسة، يشرف عليها مدربون فنيون.

ويقول ثالث: إنني قادر على إراحة المعدة بغير الصيام.

ويقول رابع: إنني أستطيع أن أقوم برحلات كشفية أتدرب فيها على المشقات، ولكن بغير الحج إلى بيت معلوم في زمن معلوم.

وهكذا، تكون هذه التعليلات -إذا لم تصغ صياغة دقيقة حكيمة موزونة- سلاحًا في أيدي الذين يريدون أن يتفلتوا من تكاليف الدين وشعائره)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إثبات البركة في الطعام:

يتضح هذا في قوله ﷺ: "إنكم لا تدرون في أيها البركة" قال النووي: (معناه والله أعلم: إن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه أو في ما بقي في أسفل القصعة أو في اللقمة الساقطة،

---

(١) ثقافة الداعية ٨٣-٨٨ باختصار.

فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة وثبوت الخير والإمتاع به. والمراد هنا والله أعلم: ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى وغير ذلك)[١].

وإذا ثبتت البركة في الطعام فيجب المحافظة عليها قال الطيبي: (من سنن الأكل لعق اليد محافظة على بركة الطعام وتنظيفاً لها)[٢]. والبركة لا تحصل إلا بالإيمان والتقوى قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] وتحصل البركة أيضًا بالتسمية فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبي ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله: أما إنه لو سمى كفاكم))[٤] وتحصل البركة أيضًا بالإضافة للتسمية بالاجتماع على الطعام ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه))[٥].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الامتثال لأوامر النبي ﷺ:

إن الغاية التي يسعى إليها الداعية هي حمل المدعوين على الامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ لذا كان من الواجب على المدعو أن يستجيب لما يسمعه من الأوامر التي ورد ذكرها في القرآن والسنة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٦] وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٨٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٨/٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٤) أخرجه الترمذي ١٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥١٤).

(٥) أخرجه أبو داود، ٣٧٦٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣١٩٩).

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[١].

قال ابن كثير: (مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، واتقوا الله في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه)[٢].

وقد ثبت في الصحيحين أن الرسول ﷺ قال: (إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه))[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمل بسنة النبي ﷺ:

يتضح من سياق الحديث فضل العمل بسنة النبي ﷺ ففيها الخير والرشد، ومن يلتزم هدي النبي ﷺ في الطعام فإنه ينال البركة، ولا يجعل للشيطان على طعامه من سبيل، وقد قال الله في فضل طاعة النبي ﷺ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾[٤] وقال ﷺ: ((كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى))[٥]. وقال ابن عون: (ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه، ويدعوا الناس إلا من خير))[٦].

قال ابن عثيمين: (ومن آداب الأكل التي جاءت في الحديث أن الإنسان إذا فرغ من أكله فإنه يلعق الصحفة ويلعق أصابعه، يعني يلحسها حتى لا يبقى فيها اثر الطعام،

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٦٨/٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، مسلم ١٣٣٧.

(٤) سورة النور، آية: ٥٤.

(٥) أخرجه البخاري، ٧٢٨٠.

(٦) علقه البخاري قبل الحديث رقم ٧٢٧٥، قال ابن حجر: وصله محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة، والجوزقي من طريقه، ووصله ابن القاسم اللالكائي في "كتاب السنة" من طريق القعنبي، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/١٣.

فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة، فهذان أدبان:

الأول: لعق الصحفة، والثاني: لعق الأصابع، والنبي ﷺ لا يأمر أمته بشيء إلا وفيه الخير والبركة.

ولهذا قال الأطباء: إنّ في لعق الأصابع من بعد الطعام فائدة وهو تيسير الهضم؛ لأن الأنامل هذه فيها مادة تفرزها عند اللعق بعد الطعام تيسر الهضم، ونحن نقول هذا من باب معرفة حكمة الشرع فيما يأمر به، وإلا فالأصل أننا نلعقها امتثالاً لأمر النبي ﷺ، وكثير من الناس لا يفهمون هذه السنة، تجده ينتهي من الطعام وحافته التي حوله كلها طعام، تجده أيضًا يذهب ويغسل دون أن يلعق أصابعه، والنبي ﷺ نهى أن يمسح الإنسان يديه بالمنديل حتى يلعق وينظفها من الطعام ثم بعد ذلك يمسح بالمنديل، ثم بعد ذلك يغسلها إذا شاء.

كذلك أيضًا من آداب الأكل: أن الإنسان إذا سقطت لقمته على الأرض فإنه لا يدعها؛ لأن الشيطان يحضر للإنسان في جميع شؤونه، كل شؤونك: من أكل، وشرب، وجماع، أي شيء يحضره الشيطان، فإذا لم تسمّ الله عند الأكل شاركك في الأكل، وصار يأكل معك، لهذا تنزع البركة من الطعام إذا لم يسم عليه، وإذا سميت الله على الطعام، ثم سقطت اللقمة، يعني طاحت من يدك؛ فإن الشيطان يأخذها، ولكن لا يأخذها ونحن ننظر؛ لأن هذا شيء غيبي لا نشاهده، ولكننا علمناه بخبر الصادق المصدوق ﷺ يأخذها الشيطان فيأكلها، وإن بقيت أمامنا حسًّا، لكنه يأكلها غيبًا، هذه من الأمور الغيبية التي يجب أن نصدق بها. ولكن رسول الله ﷺ دلنا على الخير فقال: (فيأخذها وليمط ما بها من أذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان)، خذها وأمط ما بها من أذى من تراب أو عيدان أو غير ذلك ثم كلها ولا تدعها للشيطان. والإنسان إذا فعل هذا امتثالاً لأمر النبي ﷺ وتواضعًا لله عز وجل وحرمانًا للشيطان من أكلها، حصل على هذه الفوائد الثلاث: الامتثال لأمر النبي ﷺ، والتواضع، وحرمان الشيطان من أكلها. هذه فوائد ثلاث، ومع ذلك فإن أكثر الناس إذا سقطت اللقمة على السفرة أو على سماط نظيف تركها وهذا خلاف السنة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أنه لا ينبغي للإنسان أن يأكل طعامًا فيه أذى؛ لأن نفسك عندك أمانة، لا تأكل شيئًا فيه أذى، من عيدان أو شوك أو ما أشبه ذلك، وعليه فإننا نذكر الذين يأكلون السَّمك أن يحتاطوا لأنفسهم؛ لأن السمك لها عظام دقيقة مثل الإبر، إذا لم يحترز الإنسان منها، فربما تدخل إلى بطنه وتجرح معدته أو أمعاءه وهو لا يشعر"[1].

وعلى الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس فضل العمل بسنة النبي ﷺ.

(١) شرح رياض الصالحين ١/ ٤٣١.

الحديث رقم (١٦٥)

١٦٥- الْعَاشِرُ: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَامَ فينَا رسولُ اللّه ﷺ بمَوْعِظَةٍ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ محشورونَ إِلَى اللّه تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٣] أَلا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلائِقِ يُكْسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إبراهيم ﷺ، أَلا وإِنَّهُ سَيُجَاء بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمال فأَقُولُ: يارَبِّ أَصْحَابِي، فيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُول كَما قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قولِهِ: ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٧، ١١٨] فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مرْتَدِّينَ عَلَى أَعقَابِهِمْ مُنذُ فارَقْتَهُمْ» متفقٌ عليه[١]. «غُرْلاً» أَيْ: غَيْرَ مَخْتُونِينَ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

غرلا: فسَّرها النووي، ومفردها أَغْرَل، والمؤنثة غَرْلاء[٢].

ذات الشمال: أي إلى جهة النار[٣].

مرتدين على أعقابهم: راجعين إلى الكفر كأنهم رجعوا إلى ورائهم، والأعقابُ مفردها عقب، وهو عظم مؤخر القدم[٤].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الشريف بعض مشاهد يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٥]، وكثير من سور القرآن الكريم تموج بالمشاهد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٠/٥٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٤١).

(٢) رياض الصالحين ١١٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٣٩٢/١١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (ع ق ب).

(٥) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

المتعددة التي تُعْني بتصوير أحوال الناس يوم القيامة، وتتوالى عدة سور قرآنية لتعرض هذه المشاهد عرضًا يجمع بين الترغيب والترهيب، ويصور مشاهد الثواب، ومشاهد العقاب، ولنتأمل السور التالية تأملاً إيمانيًا وأسلوبيًا وبلاغيًا لندرك ماذا ينتظرنا في هذا اليوم الذي هو كما قال تعالى: ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، هذه السور هي الحاقة والمعارج ثم القيامة، والإنسان، والمرسلات، والنبأ، والنازعات، وعبس، والتكوير، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج.

وفي هذا الحديث الشريف تتوهج ظاهرة أسلوبية لا تتكرر في كثير من الأحاديث، ولا ترد بمثل هذه الكثافة وهى ظاهرة، التناصُّ القرآني، فالحديث الشريف تزدان كلماته وجمله بالآيات القرآنية، وبعضها يأتي مكملاً لجمل الحديث الشريف، وشاهدًا على صدق كلام رسول الله ﷺ.

فالحديث موعظة بليغة كما يقول ابن عباس: وهذه الموعظة تبصر المسلمين بمصيرهم يوم القيامة، وينادي الرسول ﷺ الناس جميعًا في قوله: "يا أيها الناس: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا.

ثم أردف هذا التحذير الذي يتضمن الحقيقة التي يغفل عنها كثير من الخلق فيظلون سادرين في غيهِّم، ويوم القيامة يجدون أنفسهم وقد افتقدوا ملابسهم وأموالهم وسُلبَت منهم زينة الحياة الدنيا، ورد الله إليهم الجزء الذي قطع في الختان، فهم يحشرون كما خلقوا أوّل مرة، ويعادون كما كانوا في الابتداء لا يفقد منهم شيء حتى الغُرْلة : وهى ما يقطع ساعة الختان من الصبي.

وبَعْد هذا النداء يأتي النص القرآني ليؤكد هذا الوضع الذي يبعث عليه الناس جميعًا حيث يقول الله عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٧.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

وفي ختام الحديث: يأتي النص القرآني شاهدًا على حرص الرسول على أمته، وندائه لربه داعيًا ومستجيرًا: قائلاً: يارب أصحابي: فيقال له في أسلوب توكيدي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، ورغم هذا يحرص الرسول ﷺ على مصلحة أمته، ويترك أمرهم إلى الله عز وجل راجيًا لهم المغفرة والعفو لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، قال تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1].

وفي الحديث يرد التوكيد "بإن" ست مرات: لأن الأمر جّد ولا رجوع فيه: فكل نفس بما كسبت رهينة، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ولنتأمل مواضع التأكيد في الحديث: "إنكم محشورون، "إنا كنا فاعلين"، "إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم"؛ "ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي"، فيقال: "إنك لا تدري"، فيقال لي: "إنهم لم يزالوا مرتدين".

وظاهرة التكرار تومض في الحديث لتثبيت الخبر، وإنذار الناس ليعودوا إلى رشدهم، فالنداء يتكرر مرتين: نداء للناس لليقظة والعمل الصالح، ونداء لله للعفو والتسامح، وتتكرر، "ألا" الاستفتاحية مرتين: للحث على التنبيه واليقظة، والاستعداد لليوم الآخر.

وظاهرة الحوار بين محمد وربّه من أجل أمته، تعطي الأمل في نفوس الكثيرين للفوز بشفاعة النبي المختار في ضوء عملهم الصالح وعقيدتهم الصحيحة.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١١٧، ١١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة، والنداء، والتوكيد، والترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقرير حقيقة البعث والحشر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الناس في الحشر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله إبراهيم عليه السلام.

سادسًا: من صفات النبي ﷺ: الشفقة والرحمة بالأمة.

سابعًا: من خصوصيات النبي ﷺ: الإخبار ببعض المشاهد الواقعة يوم القيامة.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يستنبط هذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما: "قام فينا" ولاشك أن الخطبة من وسائل الدعوة المهمة حيث تعتمد على مخاطبة شرائح متعددة من المدعوين، وتعتمد على مخاطبة الوجدان، وعلى الوعظ وتذكير الناس بالأسلوب الحسن، وتعتمد الخطبة أيضًا على الترغيب والترهيب كما "أن الخطبة وسيلة جيدة للتبليغ، وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي، أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معاني معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها"[(١)].

١- **الموعظة**: وتعتبر الموعظة من أساليب الدعوة المهمة وقد جاء في الحديث "قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة" حيث إن الموعظة ترقق القلب القاسي، وترد الفؤاد الجافي (ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق، وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم، وعمل الواعظين -في أغلب الأحيان- هو ذلك التذكير النافع. وهو تذكير لا يستغني عنه الناس يومًا)[(٢)].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤.

(٢) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٣.

وعلى الداعية أن يراعي البلاغة في موعظته، قال ابن رجب (والبلاغة في الموعظة مستحسنة، لأنها أقرب إلى قبول القلوب واستجلابها والبلاغة هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها وأفصحها وأحلاها للأسماع، وأوقعها في القلوب)[1].

٢- **النداء**: جاء في الحديث "يا أيها الناس" ولا شك أن النداء أسلوب محبب للنفوس، وهو أدعى لانتباه السامعين، ويشعرهم بالقرب من الداعية، ويهيئ الأذهان لمعرفة ما بعد النداء.

٣- **التوكيد**: حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: "إنكم محشورون" وقد جاء هنا مع أحد الحقائق وهي قضية الحشر والبعث للتدليل على أنه واقع لا محالة، ولاشك أن التوكيد يعطي مصداقية للخبر، وله دوره الرئيس في إقناع المدعوين.

٤- **الترهيب**: وهو يعتبر من أساليب الدعوة التي تقود النفس إلى الخير، ويكفكف تطلعها إلى الشهوات وجاء في الحديث "ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال" وفي هذا ترهيب من الردة في الدين، وتخويف من الابتعاد عن سنة النبي الأمين ﷺ والتخويف والترهيب بالنار يستغرق جزءًا كبيرًا من نصوص القرآن والسنة، فعلى الدعاة توظيف هذه النصوص والجمع بين الترغيب والترهيب في الدعوة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقرير حقيقة البعث والحشر:

لقد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة بقوله: "إنكم محشورون إلى الله" وقد تكاثرت النصوص القرآنية في تقرير حقيقة البعث والحشر، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١١/٢.

(٢) سورة الحج، آية: ٥.

وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[١] وأمر الله نبيه أن يقسم على وقوع البعث، فقال جلّ شأنه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٢].

قال ابن كثير: (يخبر تعالى عن المشركين والكفار والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون فقل لهم: لتخبرن بجميع أعمالكم، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها وذلك على الله يسير أي: بعثكم ومجازاتكم)[٣]. وأخبر سبحانه أن حكمته وقدرته تأبى أن يترك الإنسان مهملاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب فقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٤] وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْيِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٥].

قال ابن أبي العز الحنفي: (إن من نقله من النطفة إلى العلقة، ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس، والقوى والعظام والمنافع وأحكم خلقه غاية الإحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية، أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته)[٦].

---

(١) سورة طه، آية: ٥٥.

(٢) سورة التغابن، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٣٦/٨.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.

(٥) سورة القيامة، آية: ٣٦-٤٠.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، شعيب الأرنؤوط ٥٩٦/٢.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الناس في الحشر:

لقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن الناس يحشرون "حفاةً عراة غرلاً" قال ابن حجر: (حفاة: أي بلا خف ولا نعل قال ابن عبدالبر: يحشر الآدمي عاريًا، ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد. فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف، وقال أبو الوفاء بن عقيل: حشفة الأقلف موقاة بالقلفة فتكون أرق، فلما أزالوا تلك القطعة في الدنيا أعادها الله تعالى ليذيقها من حلاوة فضله)[1]. ومن الآيات التي تبين حقيقة وهيئة الناس في الحشر قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[2] (أي إعادتنا للخلق مثل ابتدائنا لخلقهم، فكما ابتدأنا خلقهم، ولم يكونوا شيئًا كذلك نعيدهم بعد موتهم)[3].

وورد في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ: يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ قال: الأمر أشد من أن يهمهم ذاك))[4] قال النووي: (والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم)[5].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله إبراهيم عليه السلام:

حيث جاء في الحديث بأنه أول الخلائق يكسى يوم القيامة. وهذا فيه من الفضل ما فيه، وقد جاء في القرآن بيان لفضل نبي الله إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[6] وقال الله عنه أيضًا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾[7].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩١/١١، ٣٩٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٢٧، ومسلم ٢٨٥٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦٤.

(٦) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٥١.

وخصه الله ببناء البيت فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1] وجعله الله أمة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وأمر نبينا ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام فقال جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] وجعل الله من يعرض عن ملة إبراهيم عليه السلام من السفهاء فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[4] وآتى الله ذريته الكتاب والحكمة فقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[5].

وشرع لنا الصلاة في مكان قيامه وهو يبني البيت فقال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ﴾[6] ووصفه الله بأنه صديق نبي فقال جلّ شأنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[7] وبأنه حليم منيب فقال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[8] وهذا بالإضافة إلى كونه أول الخلائق يكسى.

---

(١) سورة الحج، آية: ٢٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٠.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٣٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٧) سورة مريم، آية: ٤١.

(٨) سورة هود، آية: ٧٥.

قال ابن حجر: (إن الحكمة في خصوصية إبراهيم عليه السلام بذلك لكونه ألقي في النار عريانًا، وقيل لأنه أول من لبس السراويل، ولا يلزم من خصوصيته بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به، ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة)[١]. وعلى الدعاة إلى الله إبراز مكانة الأنبياء وفضلهم، ليجد الناس فيهم القدوة الصالحة فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٢].

سادسًا- من صفات النبي ﷺ: الشفقة والرحمة بالأمة:

تتضح شفقة النبي ﷺ في قوله: "يارب أصحابي" ولاشك أن نبينا الكريم شفوق رحيم على أمته، كيف وقد وصفه الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] ومما يؤكد على شفقته على أمته قوله ﷺ: ((لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة))[٤].

ومما جاء في الحديث أيضًا أن النبي رفع يديه وقال: ((اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك))[٥] قال النووي: (هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد، منها بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة، ومنها بيان عظيم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٤٩.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٨٨٧، و مسلم ٢٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٠٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٤١.

سابعًا- من خصوصيات النبي ﷺ: الإخبار ببعض المشاهد الواقعة يوم القيامة:

إن من خصوصيات النبي ﷺ إخباره ببعض ما يقع يوم القيامة، حيث أخبره الله تعالى بما سيقع يوم القيامة من تلك المشاهد والأحداث، وهذا لا يكون إلا للنبي ﷺ ومن دلائل نبوته، والحكمة في ذلك الاستعداد ليوم القيامة، وما فيه من أهوال وشدائد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كانت عندَه مَظلمةٌ لأخيهِ فلْيَتحللهُ منها، فإنه ليس ثمَّ دينارٌ ولا درهم، من قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناتهِ، فإن لم يكن له حسَناتٌ أُخِذَ من سيِّئاتِ أخيهِ فطُرِحَتْ عليه))[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُخلَصُ المؤمنونَ من النارِ، فيُحبسونَ على قنطرة بينَ الجنة والنار، فيقتصُّ لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنةِ، فوالذي نفْسُ محمَّد بيده لأحدُهم أهْدى بمنزله في الجنةِ منه بمنزلهِ كان له في الدنيا))[2]

وقال ﷺ أيضًا: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ))[3]، فكان في الإخبار عن هذه المشاهد منه ﷺ ليكون أدعى لدى الناس في الاستعداد والعمل الصالح.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

يظهر هذا في أن المخالفين التاركين للعمل بالكتاب والسنة يؤخذ بهم ذات الشمال كما جاء في الحديث، ولقد حذر الله من مخالفة أمر نبيه فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4] وجعل الله طاعة نبيه من طاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٣٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٤٢٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩٧٢).

(٤) سورة النور، آية: ٦٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٠.

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق))[1].

(١) أخرجه البخاري ٧٢٨٣.

الحديث رقم (١٦٦)

١٦٦- الْحَادِي عَشَرَ: عَنْ أَبِي سعيدٍ عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه، قال: نَهَى رسولُ اللَّه ﷺ، عَن الخَذْفِ وقالَ: «**إِنَّهُ لا يقْتُلُ الصَّيْدَ، ولا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ، ويَكْسِرُ السِّنَّ**» متفقٌ عليه [(١)].

وفي رواية [(٢)]: أَنَّ قريبًا لابْنِ مُغَفَّلٍ خَذَفَ، فَنَهَاهُ وقال: إِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ نَهَى عن الخَذْفِ وقَالَ: «**إِنَّهَا لا تَصِيدُ صَيْدًا**» [(٣)] ثُمَّ عادَ فقالَ: أُحَدِّثُكَ أَن رسولَ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّم، نَهَى عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ [(٤)] تَخْذِفُ؟ لا أُكَلِّمُكَ أَبدًا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: هو عبدالله بن مُغفَّل المزني كنيته أبو سعيد وقيل: أبو زياد وقيل غير ذلك.

له ولأبيه صحبة وقد مات أبوه في حياة النبي ﷺ قبل فتح مكة.

شارك في المغازي فشهد غزوة الحديبية وكان ممن بايع النبي ﷺ قال: إني لآخذ بغصن من أغصان الشجرة أظلِّلُ به النبي ﷺ وهم يبايعونه [(٥)].

ولما أعلن النبي ﷺ أنه متوجه إلى تبوك لقتال الروم، ودعا المسلمين إلى التجهز للغزو، أتى عبدالله وجماعة من الصحابة الفقراء إلى النبي ﷺ ليجهزهم، فاعتذر لهم النبي بأنه لا يجد ما يحملهم عليه، فتولوا هو ومن معه ولهم بكاء شديد، حتى أطلق عليهم البكائون، ونزل قوله تعالى [(٦)] ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٥٤/٥٥).

(٢) أخرجها مسلم (١٩٥٤/٥٦) من رواية سعيد بن جبير.

(٣) عند مسلم زيادة: (ولا تنكأ عدوًّا، ولكنها تكسر السنَّ وتفقأ العين) واختصره المؤلف.

(٤) لفظ مسلم: (ثمّ تخذف) بدل: (ثمّ عدتَ تخذف) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١/٣٦٠، رقم ٥٧٣).

(٥) أخرجه أحمد ٥/٣٤ رقم ٢٥٤٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٣٤/١٦٧.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/١٦٥)، وتفسير الطبري (١١/٦٢٤)، والدر المنثور (٧/٤٨٥).

(٧) سورة التوبة، آية: ٩٢.

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلَّ قابضًا على راية الجهاد، فقد شارك في فتح مدينة تُسْتَر[١]، وكان أول من دخلها من المجاهدين.

وكان من فقهاء الصحابة وعلمائهم، فكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقهوا أهلها، فنزلها واختط دارًا بها قرب المسجد الجامع وسكنها بعد أن كان يسكن المدينة.

روى عن النبي ﷺ أحاديث بلغت ٤٣ حديثًا، ولما مات أوصى بأن يصلى عليه الصحابي أبو برزة الأسلمي. وسنة وفاته ٥٩هـ وقيل غير ذلك[٢].

غريب الألفاظ:

الخذف: هو رَمْيك حصاة أو نواة تأخذها بين سبابتيك وترمي بها أو تتخذ مِخذفة من خشب ثم ترمي بها الحصاة بين إبهامك والسبابة[٣].

ينكأ العدو: يكثر فيهم الجراح والقتل[٤].

الشرح الأدبي

إن الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها يعد من ألزم الواجبات التي يحرص عليها المسلم في منهجه الحياتي، وميزان حياة المؤمن هو التزامه بما أتى به محمد البشير النذير ﷺ، وما نهى عنه من سلوكيات وأقوال تتصادم مع تعاليم السنة والقرآن الذي

---

(١) بلدة معروفة من بلاد الأهواز بفارس فتحت ٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٢/٥٠٥).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٧/١٣-١٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤١١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٣٩٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٣٧، والسير (٢/٤٨٣)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤/٢٩٥)، والتهذيب (٢/٤٣٨)، والأعلام (٤/١٣٩)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٢/١٢٨١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ذ ف).

(٤) المرجع السابق في (ن ك أ).

أنزل من لدن حكيم خبير.

ونلمح في أفق هذا الحديث الشريف وميضًا من هدْي النبي ﷺ، وهو هدْي حكيم عميق، إذ يضع القدوة المثلى، ويحدد معالم الطريق، ويرشد إلى كيفية التعامل مع ظواهر الحياة، تعاملاً يتسامى فوق إلف العادة، وتحكم التقاليد، والحرص على سلامة إيقاع السلوك، وتوازن حركة الإنسان بين جموح العاطفة، ورزانة العقل، وصدق الشعور، ورقة الإحساس.

ويبدأ الحديث بجملة إخبارية من الراوي إذ يقول: نهى رسول الله ﷺ عن "الخذف"، والخذف كلمة غريبة ولكنها ليست ثقيلة على السمع، ولا ثقيلة في النطق، وليس بها تنافر حروف، فهى كلمة فصيحة دالة على الحدث، "فالخذف" كما يقول صاحب القاموس المحيط كالضَّرب وهو رميك بحصاة أو نواة أو نحوهما تأخذها بين سبابَتيْك: تخذف به أو بمخذفةٍ من خشب[1].

ثم يوضح الراوي سبب نهْى الرسول عن هذا العمل لأنه عمل غير مُتقن، وهو ليس أداة من أدوات الصيد التي تستعمل حفاظًا على الصيد، وعملاً بقول رسول الله ﷺ: "إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة"[2].

وللصيد آداب وطرق.. يجب اتباعها حتى يظل الصيد بعيدًا عن إزهاق الروح، وإفساد الحياة ولذلك يأتي تعليل النهى عن الخذف في جملتين يأتيان في إطار التوكيد، حيث تبدأ كل منهما "بإن" المؤكدة مع اقترانها بالضمير العائد على الخذف، وعلى الرغم من اتفاق الجملتين في "التوكيد" فإنهما يتقابلان ويتضادان، فالجملة الأولى تأتي في أسلوب النفى وتتكون من جملتين فرعيتين، فعلهما مضارع "إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو"، أي لا يؤدي مهمة ناجحة، ولا يحقق الغرض المطلوب.

والجملة الثانية في بنائها وتكوينها اللغوي تتماثل مع الجملة الأولى، ولكنها مثبتة

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٨٠٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

وليست منفيَّة.

والإثبات هنا ليس صيغة مُرْضية أو محبَّبة، لأنه إثبات لبعض أوجه الضّرر والتشويه والفساد وهذا ما ينهي عنه رسول الله ﷺ، فالخذف الذي ينهي عنه رسول الله يقول: إنه يفقأ العين، ويكسر السن، وهذا الأثران الضّاران من معالم التشوه الإنساني.

وهما في سياق التصدي للعدو، ومجالدة الخصوم، لا يقودان إلى النصر الكامل، ولا يقصمان ظهر العدو، وقد يلحق هذا الأذى بالأبرياء، والأطفال، والشيوخ، والنساء، ولا يصيب الأعداء، ولنتأمل: ولنفتش عن السر الكامن في تماثل وتناظر الأفعال في الجملتين: فالأفعال كلها مضارعة على هذه الصورة المتحركة: "لا يقتل الصيد، لا ينكأ العدو، يفقأ العين، يكسر السن".

وهذه الأفعال الحركية تفصح عن استمرارية هذه الحالة وتحركها، ولكنها حركة داخل إطار الثبات الذي أفصحت عنه الجملتان الاسميتان، وهو ثبات مرفوض، لأنه من ظواهر الضعف والفساد، والتخاذل والكساد، ولذلك نهى عنه رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

١-الخذف: قال الأزهري: الرمي بالحصى الصغار بأطراف الأصابع، وقال مثله الجوهري. وقال المطرزي: وقيل: أن تضع طرف الإبهام على طرف السبابة. وخص بعضهم به الحصى، ويطلق على المقلاع أيضًا. ورمي الجمار يكون بمثل حصى الخذف، وهي صغار، وحصى الخذف الصغار مثل النوى[1].

وقد اختلف الفقهاء في حكم الخذف:

- فمنهم من ذهب إلى أن الخذف محرم على الإطلاق، قال القاضي عياض: (نهى

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٩/٤٧ وانظر مراجعها: لسان العرب ومختار الصحاح والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، وفتح القدير ٢/٣٨١، وحاشية الجمل ٢/٤٦٢، وحاشية الدسوقي ٢/٥٠، و فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٥٤٧٩ ص ٦٨.

عن الخذف؛ لأنه ليس من آلات الحرب التي يتحرز بها، ولا من آلات الصيد لأنها ترضّ[١] وقتيلها وقيذ[٢]، ولا مما يجوز اللهو به مع مافيه من فقء العين وكسر السن)[٣].

- ومنهم من نظر إلى ما يمكن أن يكون فيه من مصلحة، قال النووي: (في هذا الحديث النهي عن الخذف، لانه لا مصلحة فيه ويخاف مفسدته، ويلتحق به كل ما شاركه في هذا، ثم قال: وفيه أن ما كان فيه مصلحة أو حاجة في قتال العدو، وتحصيل الصيد فهو جائز، ومن ذلك رمي الطيور الكبار بالبندق إذا كان لا يقتلها غالبًا بل تدرك حية وتذكى فهو جائز)[٤].

وقال ابن حجر: ("صرح مجلي في الذخائر" بمنع الرمي بالبندقة[٥] وبه أفتى ابن عبدالسلام وجزم النووي بحلّه، لأنه طريق إلى الاصطياد. والتحقيق التفصيل: فإن كان الأغلب في حال الرمي ما ذكر في الحديث امتنع، وإن كان عكسه جاز، ولا سيما إن كان المرميّ مما لا يصل إليه الرمي إلا بذلك ثم لا يقتله غالبًا. وقال الحسن [البصري] بكراهة رمي البندقة في القرى والأمصار. ومفهومه أنه لا يكره في الفلاة، فجعل مدار النهي على خشية إدخال الضرر على أحد من الناس، والله أعلم)[٦].

وفي شرح منتهى الإرادات: (كره تقي الدين الرمي ببندق مطلقًا لنهي عثمان، قال ابن منصور وغيره: لا بأس ببيع البندق يرمى بها الصيد لا للعب)[٧].

---

(١) رضَّه: رضًّا: كسره فهو مرضوض ورضيض، المعجم الوسيط في (ر ض ض).

(٢) الموقوذ: الشديد المرض المشرف على الموت، والموقوذ من الشاء: التي وقذت بالعصا [أي ضربت] حتى ماتت، والوقيذ: الذي يغشى عليه لا يدري أميت هو أم حيّ. والشديد المرض المشرف على الموت. والوقيد من الشاء: الموقوذة. انظر: المعجم الوسيط في (و ق ذ)، و معجم لغة الفقهاء ٤٧٩.

(٣) إكمال المعلم ٣٩٣/٦ بتصرف.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٢.

(٥) قال ابن حجر: "وأما البندقة فمعروفة تتخذ من طين وتيبس فيرمى بها"، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤٠/٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤٠/٣-٢٤٤١.

(٧) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤١٨/٣.

هذا وقد ذكر الفقهاء ما يدل على جواز الرمي بالأحجار في حال القتال أو في حال التدريب، أو المسابقة بعوض[(١)].

٢-جواز هجران من خالف السنة:

قال النووي: (في الحديث هجران أهل البدع والفسوق منابذي السنة مع العلم وأنه يجوز هجرانه دائمًا، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام، إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ومعايش الدنيا)[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والتوكيد، والتعليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان حرمة الخَذْف.

ثالثًا: من واجبات المدعو: بيان هدي النبي ﷺ في الأمور.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والتوكيد، والتعليل:

١- **النهي**: حيث جاء في الحديث "نهى رسول الله" والنهي من أساليب الدعوة التي ترهب المدعو، وتحجزه عن الوقوع في الخطأ، وتعطي دلالة على أهمية عدم إتيان الأمر المنهي عنه.

٢- **التوكيد**: لقد جاء في قوله ﷺ "إنه لا يقتل" والتوكيد يفيد في إقناع المدعو، ويدلل على أهمية ما يقول الداعية.

٣- **التعليل**: يعد التعليل من أساليب الدعوة التي تجيب على التساؤلات التي يمكن أن تدور في نفس المدعو، كما يعمل التعليل على إزالة اللبس أو الغموض أو التردد الذي

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٤٨/٩ ومراجعها: الشرح الصغير ٣٥٦/١، والمهذب ٤٢١/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٨٤/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤٠/٣.

قد يوجد لدى المدعو، وقد بيّن النبي ﷺ علة نهيه عن الخذف فقال: "إنه لا يقتل الصيد ولا ينكأ العدو..." وهذا البيان لعلة النهي حتى لا تبقى شبهة في ذهن السامع.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النهي عن الخَذْف:

ورد النهي عن الخذف في هذا الحديث، قال ابن حجر: (والخذف أن يرمي بحصاة أو نواة بين سبابتيه، أو بين الإبهام والسبابة، أو على ظاهر الوسطى وباطن الإبهام، وقيل في حصى الخذف أن يجعل الحصاة بين السبابة من اليمنى والإبهام من اليسرى ثم يقذفها بالسبابة من اليمين قال المهلب: أباح الله الصيد على صفة فقال: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾[1] وليس المرمي بالبندقة ونحوها من ذلك، وإنما هو وقيذ، وأطلق الشارع أن الخذف لا يصاد به لأنه ليس من المجهزات، وقد اتفق العلماء -إلا من شذ منهم- على تحريم أكل ما قتلته البندقة والحجر. وإنما كان كذلك لأنه يقتل الصيد بقوة راميه لا بحده)[2].

ثالثًا- من واجبات المدعو: بيان هدي النبي ﷺ في الأمور:

يستنبط ذلك من قول ابن مغفل لقريبه لما رآه يخذف: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، وهذا من أهم واجبات المدعو أن ينتفع في نفسه وينفع غيره، ويذكره بهدي النبي ﷺ وقد قال النبي ﷺ ((بلغوا عني ولو آية))[3] وقال ﷺ أيضًا: ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما صمام الأمان في أي مجتمع، وهما أساس فلاح الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، وجعل الله من صفات المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢]، وتطبيقًا لهذا المبدأ قام الصحابي بالنهي عن الخذف مذكرًا بنهي النبي ﷺ عنه، وهذا ما يؤكد استجابة أصحاب رسول الله ﷺ وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[٣].

قال النووي: (واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم، لاسيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩.

(٤) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠١.

(٦) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

واعلم أن الأجر على قدر النصب، ولا يتركه أيضًا لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه، فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقًا، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته، وإن أدّى ذلك إلى نقص في دنياه، وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته، وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه، وإنما كان إبليس عدوًا لنا لهذا، وكانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها)[2].

لذا ينبغي لكل مسلم أن يعمل على إحياء هذه الشعيرة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والالتزام بالأوامر الشرعية والانتهاء عما نهى عنه الشرع، والاستجابة لذلك طمعًا في رضا الله تعالى.

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢ - ٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٥.

الحديث رقم (١٦٧)

١٦٧- وعنْ عابسِ بن ربيعةَ قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بنَ الخطاب رضي اللّه عنه، يُقَبِّلُ الْحَجَرَ (يَعْنِي الأَسْوَدَ) [١] ويَقُولُ: إِني أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ ولا تَضُرُّ، ولَوْلا أَنِّي رأَيْتُ رسولَ اللّه ﷺ، يُقَبِّلُكَ ما قَبَّلْتُكَ، متفقٌ عليه [٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

إن كل مظاهر هذا الكون الفسيح تشهد بعظمة الله وقدرته، وتنطق بجلاله وعظمته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [٣]، وقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [٤].

وفي ضوء هذا التوجيه القرآني نستجلي بعض أسرار هذا الحديث الذي يرويه عابس بن ربيعة ناقلاً موقف عمر بن الخطاب من تقبيل الحجر الأسود، وهو يُعدُّ من السنة الفعلية، حيث اقتدى عمر وتأسى برسول الله ﷺ في هذا الفعل الإيماني؛ والحجر في إدراكنا القريب جماد لا يسمع ولا يبصر، ولكن عمر رضي الله عنه يخاطبه، وكأنه يسمع كلمات عمر، ويعي ما يريد حيث يقول: إني أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

وفي الأساليب العربية كثيرًا ما يخاطب البلغاء الظواهر الطبيعية الجامدة،

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠/٢٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

ويشخصونها وكأنها كائنات حية تبادلنا الود، وتصغى لكلماتنا، وتتفاعل مع نجوانا، ونبثها همومنا وشكوانا على سبيل الاستعارة، ومثل هذا كثير في الشعر والنثر، وهو دليل على الصحة النفسية والتذوق الجمالي، وبرهان على الوفاء الغامر لجميع المخلوقات، والبيان النبوي يقودنا إلى هذا الأفق من آفاق الجمال الأسلوبي في لغتنا العربية التي شرفها الله بنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وما أرق هذا التعبير، وما أعظمه، وما أجمله حيث يروي أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن أُحدًا جبل يحبنا ونحبه"[1].

فخطاب عمر للحجر الأسود ومضة من وهج البيان النبوي في استجلاء معالم القدرة الإلهية التي أبْدعَتْ هذا الكون بما فيه من آيات باهرات تأسر أولى الألباب، وتدفعهم إلى بيان منبع الحكمة وفصل الخطاب.

وبيانُ عمر يتضمن جملتين: أولاهما خبرية تبدأ بالتوكيد، ويتوسطها التوكيد للدلالة على يقين عمر من أنه لا ينفع ولا يضر إلا خالق الكون، وقدم: النفع على الضَّرر، لأن بعض الناس يعتقدون خطأ أن بعض المخلوقات تجلب لهم النفع، فيتوهمون كثيرًا من الأمور، ويقبلون على كثير من السلوكيات المرفوضة، وتتحول عاداتهم الواهمة المثلومة إلى عقائد مزعومة؛ وقال الطبراني: إنما فعل عمر ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الأحجار كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان، وقول عمر رضي الله عنه لا يقدح في أفضلية الحجر الأسود، ومكانته في التشريع الإسلامي، واحتفاء الرسول ﷺ به.

ولنتأمل صياغة الجملة الثانية حيث تعلن عن تسليم عمر للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيه، وهى قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله، ولو لم نعلم الحكمة فيه[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٨١، ومسلم ١٣٩٢.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣١٦، ٣١٧.

والجملة صيغت في قالب الجواب والشرط، وتضمنت التوكيد "بأن" مثل الجملة الأولى: وأداة الشرط هي "لولا"، وهي أداة امتناع لوجود، فتقبيل الحجر موجود بفعل رسول الله ﷺ، ويضيف عمر إلى التأكيد "بإن" الرؤية التي تعضّد موقفه، حيث شاهد رسول الله ﷺ وهو يقبل الحجر، ولذلك يمتنع جواب الشرط: وهو عدم تقبيل عمر، وثمرة هذه الصياغة هو التقبيل اتباعًا لا ابتداعًا، وفي رواية: ولكن رأيت رسول الله بك حَفيًا، رضى الله عن عمر ورزقنا اتباع سنة رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

إن الطاعة الكاملة لما أنزل الله عز وجل وما شرع على لسان نبيه ﷺ من أهم سمات المسلم، وهذا ما ظهر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو يعلم تمامًا أن الحجر لا يضر ولا ينفع ولكنه نفذ ما رأى رسول الله ﷺ يفعله.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب للطائف تقبيل الحجر الأسود بدون صوت إن استطاع ودون مزاحمة لأحد، فإن كان في الطواف زحام وخشي الطائف إيذاء الناس فالأولى أن يترك تقبيل الحجر الأسود واستلامه، لأن استلام الحجر سنة وترك إيذاء الناس واجب فلا يهمل الواجب لأجل السنة، فمن لم يستطع استلام الحجر وتقبيله يشير إليه بيده دون تقبيل اتباعًا لسنة النبي ﷺ، ومن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه ومناسكه صحيحة.

---

(١) المبسوط، السرخسي للسرخسي ٩/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود١٣٠/٢، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي للإمام مالك بن أنس ٣٩٦/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل شرح مختصر خليل، المواق ١٥١/٤، وإحكام الأحكام ٧٠/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي للنووي ٤٠/٨، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، الأنصاري ٣١٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو١٨٢/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٥/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٠٧/١٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقبيل الحجر الأسود.

ثالثًا: من مهام الداعي: بيان السنة والحث عليها بالطريقة العملية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان حرص عمر رضي الله عنه على الاقتداء بالنبي ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

لقد استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأسلوب، فأكد كلامه في قوله (إني أعلم أنك حجر) واستعمال الداعية لهذا الأسلوب يعطي دلالة على أهمية الأمر الذي يؤكد عليه، مما يجذب انتباه المدعو ويثير اهتمامه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل الحجر الأسود:

من السنة التي ندب الشرع إليها لمن زار البيت الحرام وطاف بالكعبة تقبيل الحجر الأسود، ومما يدل على ذلك استلام النبي ﷺ له وتقبيله وتأسي عمر بذلك ويظهر ذلك في الحديث "ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك"، وبين الرسول ﷺ أن استلام الحجر سواء باليد أو بعصا أو تقبيل، تكفير للخطايا فعن ابن عبيد بن عمير عن أبيه أن ابن عمر كان يزاحم على الركنين زحامًا ما رأيت أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يفعله فقلت يا أبا عبد الرحمن، إنك تزاحم على الركنين زحامًا ما رأيت أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يزاحم عليه، فقال إن أفعل؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن مسحهما كفارة للخطايا))[1].

وفي فضله أيضًا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر ((والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق))[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ٩٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٦٦)

(٢) أخرجه الترمذي ٩٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٦٨).

ثالثًا- من مهام الداعي: بيان السنة والحث عليها بالطريقة العملية:

إن البيان وإيصال الحقائق للمدعوين له طرق متعددة، من أهمها البيان بالطريقة العملية ليسهل على المخاطبين التأسي والاقتداء، وإنه لمن دقة ذكاء عمر وبالغ فقهه أن قرن قوله بالعمل فقال وقت تقبيله للحجر: "أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك" وهو بذلك يقتدي برسول الله ﷺ الذي بين للأمة تنفيذ الشرائع بالطريقة العملية فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر يقول لنا ((خذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه))[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان حرص عمر رضي الله عنه على الاقتداء بالنبي ﷺ:

لقد ضرب عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم المثل في الاقتداء برسول الله ﷺ ومن هذا المنطلق استلم عمر رضي الله عنه الحجر مبينًا للناس أن استلامه اتباعٌ لفعل رسول الله ﷺ، قال الطبري: إنما قال عمر ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباعًا لفعل رسول الله ﷺ لا لأن الحجر ينفع ويضر بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان[2]. وبذلك رأينا من عمر حرصه على الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وذبه عنها، وتحذير الناس من المفاهيم الخاطئة التي يلقيها الشيطان في قلوبهم.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التأسي بالنبي ﷺ:

لقد أمرنا الله سبحانه بالاقتداء بنبيه ﷺ ورغبنا في ذلك فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3] (والأسوة القدوة،

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٠٦٣ ص ٢٤٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٧٣٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وما يتأسى به ويُتَعزّى به، فيقتدى به في جميع أفعاله ويُتَعَزّى به في جميع أحواله، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي يرجو لقاء الله بإيمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال)[١]. (فالواجب التأسي برسول الله ﷺ والاقتداء به في أعماله فالرسول الكريم مَثَلٌ في العبادة والشجاعة والإقدام والصبر والمثابرة على النوازل فهو المؤمن الواثق بالله المتوكل عليه، وفي ذلك إرشاد للناس حيث يجب عليهم أن يأتموا بالنبي ﷺ في كل شيء فهو المثل الأعلى المثل الكامل ﷺ)[٢].

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أرفع الأمثلة في الاقتداء المطلق برسول الله ﷺ مثل تقبيل عمر للحجر الأسود، والأمثلة في ذلك كثيرة – فعن سعيد بن جبير قال كنا مع ابن عمر حيث أفاض من عرفات إلى جمع فصلى بنا المغرب ومضى ثم قال الصلاة فصلى ركعتين ثم قال هكذا فعل رسول الله ﷺ[٣] وعن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر في سفر فمر بمكان فحاد عنه فسئل لم فعلت؟ فقال رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت[٤].

لذا ينبغي على الناس دعاة ومدعوين أن يلتمسوا سنة رسول الله ﷺ ويقتفوا أثره، إحياءً لسنته ونقلها إلى من بعدهم. إضافة إلى محبة الله قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥] وعلو الدرجات ورفعة المنزلة يوم القيامة ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٦/١٤/٧.

(٢) انظر: التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ٨٠/٣.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢ رقم ٤٤٥٢، وقال محققو المسند إسناده صحيح ١٧/٨ - ١٨.

(٤) أخرجه أحمد ٢/٣٢ رقم ٤٨٧٠، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٤٧٤/٨ - ٤٧٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

السنة هي وديعة الرسول ﷺ لدى الأمة وهي خير مصدر للتربية، ومن هديها ما يلي:

أولاً- التربية بالعبرة:

لقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي لتزويد المتربين بخبرة السابقين عليهم، حتى لا يقعوا في أخطائهم، ولهذا الأسلوب فائدة جليلة، وهي أن يستقي المتربي التجربة دون شقاء، وكذلك من فوائدها: معرفة أحوال السابقين من الأمم، يقول ﷺ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»، وفي هذا نهي عن كثرة السؤال والاختلاف على النبي ﷺ؛ لأن ذلك كان سبباً في هلاك الأمم السابقة، وأدى بهم إلى التغيير والتبديل في دينهم.

إن التربية بالعبرة "أسلوب تربوي، يقوم على انتقال الذهن من قصة أو واقعة مشهودة أو محكية إلى ما يقابلها أو يشابهها أو يناظرها من أحوال الناس أو المتعلمين، أو إلى ما يتوقع أن تؤول إليه أحوالهم، أو أحوال شعب ما أو مجتمع ما، أو أمة ما، قياساً على هذه القصة، لأن مقدمتها وأحوال أبطالها تشبه ما عليه هذا الفرد المعتبر أو هذا الشعب أو المجتمع، فيجب أن يكون المصير والمآل متشابهاً؛ كما تشابهت المقدمات"[1].

ثانياً- التربية بالوصية:

وقد ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ....»، والمعهود في الوصية أنها تكون لمن قارب الموت، ولهذا فقد قال له الصحابة رضي الله عنهم: «كأنها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ»، وقد كانت وصية ﷺ مرتكزة على الأمور الرئيسة التي عليها وحدة الأمة، فقد أوصى بتقوى الله تعالى، والسمع والطاعة لولي الأمر وإن كان الأمير عبداً حبشياً، وأوصى بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه والاعتصام بهما وترك المحدثات والبدع والضلالات.

---

(١) التربية بالعبرة، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٧.

"والتذكير بالخير والحق والدعوة إليهما والتنبيه إلى الشر والضرر والنهي عنهما هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية للإنسان المسلم، والتي يحتاجها أي إنسان في كل زمان وفي كل مكان"[١].

ثالثًا- الترغيب والترهيب:

وقد ورد الترغيب والترهيب في قوله ﷺ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد أَبَىٰ»، كما يبدو أسلوب الترهيب في قوله: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». وذلك الأسلوب التربوي يبين به النبي ﷺ جزاء من أطاعه ويرغب في الطاعة؛ لأن جزاءها الجنة، وكذلك يرهب من عصيانه؛ لأنه يُدخل النار.

وفي حديث آخر يُرهب النبي ﷺ من اعوجاج الصفوف في الصلاة، لأنها سبب في اختلاف القلوب والوجوه، أي: اختلاف المذاهب والميول فيما بينهم؛ لأن الإنسان "مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك يرغب أن ينال كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب"[٢].

رابعاً- التربية بالملاحظة:

من أهم وظائف المربي ملاحظة المتربين، والنظر إلى تصرفاتهم، فما وجد فيها من خير أثنى عليه طلباً للزيادة فيه، وتشجيعاً للمتربي، وما رآه سلوكاً خارجاً أو خاطئاً نهي عنه، ليرجع عما يفعل، ولذلك فقد اهتم بالرجل الذي أكل عنده بشماله، وعندما نهاه النبي ﷺ عن ذلك، وأمره أن يأكل بيمينه ادَّعى كبراً أنه لا يستطيع، فما كان منه إلا أن دعا عليه بأن لا يستطيع الأكل بها، وقد استجيبت الدعوة.

ولهذا الأسلوب دور كبير في توجيه المتربي إلى ما يفيده، ويعتبر "من أقوى الأساليب في نمو الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي حقه في الحياة، ويعرف ما له وما عليه.... وربما أتى المتربي أخلاقاً غير سوية، ولذلك فهو محتاج إلى مراقبة وملاحظة دائمة"[٣].

---

(١) فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٢/٧٢٧ بتصرف.

خامساً- التربية الوقائية:

لقد اهتم النبي ﷺ بكل صغيرة وكبيرة في حياة المسلم، ولهذا فإنه حرص على ما يفيده، ونهى عما يؤذيه، وما ذلك إلا لحبه الصادق للمسلمين، فقد أمر بإطفاء النار قبل النوم، وقال: «فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ»؛ وذلك لاحتمال اضطرامها ونشوب الحريق في البيت كله، وهذا ما يحذر النبي ﷺ صحابته الكرام منه.

وكذلك فقد نهى النبي ﷺ عن قذف الحصا بالإبهام، لأنه لا فائدة مجدية من ورائه، فهو يؤذي الإنسان لأنه كما قال ﷺ: «يَفْقَأُ الْعَيْنَ وَيَكْسِرُ السِّنَّ»، وإذا كان في التدريب على الرماية فائدة، فإنما تكون في حرب العدو أو الصيد، وهذا النوع من اللهو لا قيمة له، يقول ﷺ: «إنه لا يقتلُ الصيدَ ولا يَنكأ العدُوَّ»، ولوقاية المارَّة من الإصابة، فقد نهى النبي ﷺ عن قذف الحصا بهذه الطريقة.

إن الوقاية أصل من أصول التربية ، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، وهي ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذا المحصول نفسه ما تنتهي إليه في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية"[1].

وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف، والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلم، وهي بمثابة جُرعة وقائية، إن أُخِذَت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة لهلاك المحقق"[2].

سادساً- التربية بضرب المثل:

يضرب النبي ﷺ المثل في تشبيه أمر دعوته وتقريبها إلى عقول المتلقين، يقول ﷺ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ...»، ثم يشبه الذين اهتدوا بهديه كالأرض الطيبة التي آتت أكلها، والذين ضلوا عن سبيله ولم يفيدوا بهديه، بالأرض القيعان، التي لا تنتفع بالمطر، ولا تمسك ماءً، ولا تفيد الناس

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، د. عبدالحليم عويس ٣١٩/١ بتصرف يسير.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني ص ٢٥٦.

ولا تشرب من آبارها البهائم.

وفي حديث آخر يشبه النبي ﷺ نفسه وصحابته بالرجل الذي أوقد ناراً فاجتمعت حولها الفراشات والجنادب، تريد أن تقع فيها، والرجل يذهبهن عنها، وهي تتفلت من يده.

والأمثال "تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فتقبله العقول؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا وضعت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقيقة وتعرض الغائب في معرض الحاضر"[1].

سابعاً- من الأساليب التربوية: التربية بالهجر والإعراض:

وقد استخدم هذا الأسلوب عبدالله بن مغفل مع قريبه الذي لم يمتثل لنهيه عن الخذف، فنهاه سرًا، مذكراً إياه بحديث النبي ﷺ، ولكنه عاد إليه مرة أخرى، فقال له: «أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُ ثُمَّ عُدْتَ تخذف لا أكلمك أَبَدًا»، وربما كان هجره لقريبه موقوتاً بانتهائه من سلوكه، وقد استخدم الصحابي الجليل هذا الأسلوب؛ لعلمه بفائدته الكبيرة في تقويم السلوك الخاطئ، والقضاء على التصرفات السيئة.

"ولا شك أن هذا الأسلوب سيكون فاعلاً... إذا لم يجد معه استخدام الأساليب التربوية الأخرى... وأصر الناشئ على ممارسة السلوك غير المرغوب فيه، ولكن شريطة أن يكون الهجر والإعراض موقوتين... ولا تزيد عن ثلاثة أيام؛ لأن ذلك يدخل في عموم نهيه ﷺ عن الهجر فوق ثلاثة أيام"[2].

وفي الباب عناية ورعاية النبي ﷺ لأجل سلامة الإنسان وسلامة الحيوان، حين نهى عليه السلام عن الرمي بالخذف، وهي حصاة ترمى بالسبابة والإبهام، إما لصيد حيوان أو طير أو لإيذاء وممازحة ولأن الضبط فيها غير متقن، ولأن جمعها من الصغر بما لا يصيد، ولكنه قد يفقأ العين أو يكسر السن أو يدمي الوجه كان النهي عنه.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني ص ٤٢٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، أمين أبو لاوي ص ٢٠٤، ٢٠٥ بتصرف يسير.

ويلحق بهذا في زمننا الرمي بالنبل ومسدسات الخردة وغير ذلك من الألعاب النارية التي من شأنها إحداث بعض الحروق أو غير ذلك، ورمي السهام، كل هذا لا يقتل ولكنه يضيب الإنسان، فضلاً عن الترويع للآخرين، وهو من المنهي عنه شرعاً.

إن بيان هذا النهي للناشئة مما ينبغي اعتباره وعلينا أن نقدم للأولاد من اللعب ما ينمي الذكاء ويحرك القدرات العقلية ولا يضر الآخرين في نفس الوقت.

كما أن مثل هذه الوسائل الترفيهية بحق الأطفال هي وسائل لتبديد رأس المال لأن المنتج غير عربي ولا إسلامي في كثير من الأحيان، وليس له أي مردود إيجابي سوى فرصة الناشئة والتي يمكن استبدالها بحكمة بغيرها من وسائل الترفيه النافعة.

١٧- باب في وجوب الانقياد لحكم الله

وما يقوله من دُعِيَ إلى ذلك وأُمِرَ بمعروف أو نُهِيَ عن منكر

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[النساء: ٦٥]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١].

وفيه من الأحاديث: حديث أَبي هريرة المذكور[1] في أول الباب قبله، وغيره من الأحاديث فِيهِ:

الحديث رقم (١٦٨)

١٦٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رسولِ اللّه ﷺ: {للّهِ ما في السَّمواتِ وَمَا فِي الأرض وإن تبدوا مافِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفوهُ يُحاسبْكُمْ بِهِ اللّه} الآية [البقرة ٢٨٣] اشْتَدَّ ذلكَ عَلَى أَصْحابِ رسول اللّه ﷺ، فأَتوْا رسول اللّه ﷺ، ثُمَّ برَكُوا عَلَى الرُّكَب فَقالُوا: أَيْ رسولَ اللّه كُلِّفْنَا مِنَ الأَعمالِ مَا نُطيقُ: الصَّلاَةَ وَالْجهادَ وَالصِّيام وَالصَّدقةَ، وَقَدَ أُنْزلتْ عليْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلا نُطيقُهَا. قالَ رسولُ اللّه ﷺ: «**أَتُريدُونَ أَنْ تَقُولوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتابَين مِنْ قَبْلكُمْ: سَمِعْنَا وَعصينَا؟ بَلْ قُولوا: سمِعْنا وَأَطَعْنَا غُفْرانَك رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمصِيرُ**»[2] فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَومُ وَذَلقَتْ[3] بِهَا أَلْسِنتهُمْ، أَنْزلَ اللّه تَعَالَى في إِثْرِهَا: ﴿آمنَ الرَّسُولُ بِما أُنْزِلَ إِليْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤمِنونَ كُلٌّ آمنَ بِاللّه وَملائِكَتِهِ وكُتبِه وَرُسُلِهِ لا نُفرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالوا سمعْنَا وَأَطعْنا غُفْرَانكَ رَبَّنَا

---

(١) تقدم برقم (١٥٦).

(٢) عند مسلم زيادة: (قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).

(٣) لفظ مسلم: (ذلت).

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فعلُوا ذلك نَسَخَهَا اللَّه تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّه نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَو أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: نعَمْ ﴿رَبَّنَا ولا تُحَمِّلْنَا مَالا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿واعْفُ عَنَّا واغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْت مَوْلانَا فانْصُرنَا عَلَى الْقَومِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نعَمْ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بركوا على الركب: جلسوا على ركبهم[2].

اقترأها: قرأها[3].

ذلقت بها ألسنتهم: سهلت وانقادت، والمعنى: أكثروا من قراءتها واعتادوا قراءتها[4].

إثرها: بعدها[5].

نسخها: نسخه: أي أزاله وغيره وأبطله وأقام شيئاً مقامه[6].

---

(١) برقم (١٢٥/١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ك).

(٣) الوسيط في (ق ر أ).

(٤) الوسيط في (ذ ل ق).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٣٤١.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن س خ).

الشرح الأدبي

تتجلى في هذا الحديث الشريف الصلة العضوية والموضوعية بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فالمصطفى ﷺ لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وألفاظ النبوة منبعها القلب المتصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، كما يقول الرافعي، فالبلاغة النبوية ليست من الوحى.. ولكنها جاءت من سبيله، وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هى من دليله.

والبيان النبوي لا ينفصل عن البيان القرآني: فهو يفصل مجملاً، أو يوضح مشكلاً، أو يخصص عاماً، أو يقيد مطلقاً، وهذه المعالم التي توضح جوانب الصلة بين القرآن والحديث النبوي الشريف... تتجلى وتسطع جوانبها في هذا الحديث النبوي الذي يعد نموذجاً لاندماج النص القرآني في سياق النص النبوي للإقناع والاستشهاد والاطمئنان، وهذا الحديثُ ينفرد بسمة بارزة في كتاب رياض الصالحين، حيث يتفرد وحده بباب من أبواب هذا الكتاب، وهو كما أورده الإمام النووي (باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى ، وما يقوله: "مَنْ دعي إلى ذلك، وأُمر بمعروف أو نُهي عن منكر).

وتشرقُ في بداية الحديث ظاهرة ملفتة وهى: سرعة استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لما تتنزل به الآيات من تعاليم وانقيادهم لحكم الله تعالى؛ ولذلك حينما نزلت عليهم هذه الآية: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[2].

فزعوا وأصابهم القلق لحرصهم على الطاعة، وشعورهم بأن مضمون الآية فوق طاقتهم، فكيف يحاسبون على ما يضمرونه ؟ وكيف يتحكمون في خواطرهم ووساوسهم، وهذا الفزع أشار إليه الراوي في بلاغة موحية حيث قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول

---

(١) سورة النجم، آية: ٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

الله ﷺ، ثم تتحول هذه الشدة الشعورية، وهذا الإحساس بالخوف وعدم تحمل هذه المسؤولية لأنها فوق الطاقة، إلى حركة محسوسة تصور حجم هذا القلق، حيث "بركوا على الركب"، وهى عادة الخائف الوجل، ولنتأمل صورة هؤلاء الجاثين على ركبهم، وهم ينادون مستعطفين طالبين الرأفة.

والنداء تتصدره "أي" وهى حرف لنداء القريب، والقرب هنا حسي ومعنوي، يوحي بالاستعطاف، وقد صرّح الصحابة بما يفزعهم ويقودهم إلى الإحساس بالتقصير في الطاعة حيث قالوا: قد أُنْزلت عليك هذه الآية ونحن لا نطيقها، ويقول المازري، "اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم على دفْعه من الخواطر التي لا تكتسب، فلهذا رأوه من باب ما لا يطاق".

ولنتأمل كيف قابل رسول الله هذا الموقف بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن، وبالإقناع الجميل، حيث واجههم باستفهام إنكاري، ولكنَّه مقنع ومرشد إلى الطريق السويّ، قال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، والتعبير بقوله: أتريدون أن تقولوا، فيه إشعار بأنهم: لم يقولوا ذلك، وهذا التعبير أقرب إلى الحكمة في الخطاب من قوله: أتقولون: مباشرة، فتأمل دقة هذا الخطاب النبوي الذي يجمع بين الترغيب والترهيب؛ وبلاغة الحذف تتجلى في قوله: "سمعنا وعصينا"، والتقدير سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وحَذْف متعلقات الأفعال يفسح المجال للتفسير المتعدد، والتأويل الدلالي، المتسع والمتنوع، والأمر كذلك في قوله: سمعنا وأطعنا، ولكن البون شاسع: بين السماع الرافض عند أهل الكتابين، والسماع الوامض من أهل النورين: الكتاب والسنة: أوثق مصدرين، وأطهر منبعين، لكل مكلف بالدعوة من الثقلين.

ويتحول الخوف من التقصير إلى يقين في ظل رحمة العلي القدير، حيث أعاد القوم قراءة الآية التي وجلت منها قلوبهم، فاطمأنوا وانقادت بالاستسلام بها ألسنتهم، وكافأهم الله بخواتيم سورة البقرة، وبذلك انكشفت الكُرْبة عن المسلمين في تأولهم أمر الخواطر. ويقول القرطبي في ختام تفسيره للآية الأخيرة في سورة البقرة: خرج هذا

مخرج التعليم للخلق كيف يدعون ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى قاعدة فقهية مهمة تعرض لها الفقهاء وهي قولهم: "التكليف على قدر الاستطاعة" ومثلوا لها بأمثلة عدة، فمثلاً اتفق الفقهاء[2] على مشروعية المسح على الخفين للمسافر وهو رخصة.

واتفقوا أيضًا[3] على جواز الفطر للمريض والشيخ الكبير والمسافر والحامل والمرضع التي تخشى على ولدها من التلف.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦ .

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٨/١ وما بعدها، وتبيين الحقاق ٤٥/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣١٨/١ وما بعدها، وشرح منح الجليل ١٣٤/١ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٧/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٩٨/١ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو١٧٤/١ وما بعدها، والفروع، ابن مفلح ١٥٨/١ وما بعدها.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٢/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٩٦/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٤٤٧/٢ وما بعدها، وشرح منح الجليل ١٢٠/٢ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٨٥/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٦٨/٢ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٧٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٠٩/٢.

وكذا قصر الصلاة في السفر[1]، والمسح على الجيرة للمصاب، وغير ذلك من أحكام ورخص امتلأ بها التشريع الإسلامي تيسيرًا على الناس ورحمة بهم، فمثل هذه الأحكام كانت مستندة على قاعدة التكليف على قدر الطاقة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الالتزام بما ورد في القرآن الكريم.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الاستفهام، والتحذير، والدعاء.

ثالثاً: من تاريخ الدعوة: موقف أهل الكتاب مما جاء به الرسل عليهم السلام.

رابعاً: من واجبات المدعو: الاستجابة والانقياد لأوامر الله ورسوله.

خامساً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده وتخفيفه عنهم.

سادساً: من موضوعات الدعوة: وقوع النسخ في القرآن.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية، ورفع المشقة والحرج.

ثامناً: من خصائص الدعوة الإسلامية: الواقعية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الالتزام بما ورد في القرآن الكريم:

حرص الصحابة رضي الله عنهم كل الحرص على الالتزام بما جاء في كتاب الله تعالى وأشفقوا من عدم قيامهم بما أمرهم الله به أو الالتزام بما طلب منهم ((فأتوا رسول

---

(١) المبسوط، السرخسي للسرخسي ٢٣٥/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود ٩١/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٣٨/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٣٩/٢ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٤٠١/١ وما بعدها، والأم، الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره للشافعي ٩٦/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي للنووي ٢١٠/٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٤٩/٥، والفروع، ابن مفلح ٥٤/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو٤٧/٢ وما بعدها.

الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق:الصلاة والجهاد والصيام والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها)) دفعهم إلى ذلك توجههم إلى ربهم رغباً ورهباً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[١] واستجابة لأمر الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الاستفهام والتحذير والدعاء:

إن من أساليب الدعوة في هذا الحديث الاستفهام والتحذير، وقد ورد هذا في قوله ﷺ مخوفاً لهم من قطيعة العصيان وامتناع قبول الأوامر (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم - أي اليهود والنصارى- سمعنا وعصينا)[٣].

الدعاء: وذلك في قوله: "غفرانك ربنا" وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٤] الآية، فالدعاء من الأساليب الدعوية المهمة لما له من أثر عظيم في حصول المطلوب، وترقيق قلوب المدعوين واستجابتهم.

ثالثاً- من تاريخ الدعوة: موقف أهل الكتاب مما جاء به الرسل عليهم السلام:

في حديث القرآن عن أهل الكتاب نجد إنصافه للمؤمنين منهم فقال: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٥] هؤلاء الأكثرون لسان حالهم في استقبالهم أوامر الله، سمعنا وعصينا قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[٦].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٣١٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٦.

لقد لعب اليهود والنصارى أدواراً مهمة في التكذيب والتشكيك، وزعموا أنهم لن يؤمنوا برسالة محمد ﷺ حتى يأتيهم بمعجزات قد أتى بها الأنبياء السابقون، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[1].

وقد نقض القرآن دعواهم وأبطلها... وأقام عليهم البراهين المتنوعة، كل واحد منها ملزم لهم بتصديق النبي محمد ﷺ في كل ما يقوله، قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

لقد تحداهم القرآن أن يثبتوا ذلك بطريق صحيح ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ فلم يستطيعوا إخراج التوراة، لأن ما فيها سوف يفضحهم ويكشف كذبهم.

ولا شك أن في هذا التحدي البرهان القاطع بصدق النبي ﷺ، أما النصارى فالبراهين الملزمة لهم بتصديق النبي محمد ﷺ كثيرة جداً منها: حادثة المباهلة مع نصارى نجران في مسألة المسيح ابن مريم، وإن عدم دخول النصارى في المباهلة تسليم منهم واعتراف بنبوة محمد ﷺ[3].

وقد حذر الله المؤمنين أن يحذوا حذوهم، وبين أن من مقومات الإيمان السمع والطاعة ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٣-٩٤.

(٣) انظر: مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي ص ٢٨٢-٢٩٣.

وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١]. ومع بيان القرآن لمواقف أهل الكتاب تجاه الدعوة أمر الله ألا تعدو مجادلتنا معهم، المجادلة الحسنة إلا من اعتدى منهم وظلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[٢].

ولقد اشتمل خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين – من أهل الكتاب وغيرهم- على ألطف الأساليب في جداله مع المخالفين واختار العبارات الرقيقة، لأن ذلك أدعى إلى الأنس بالخطاب وعدم إثارة العصبية، لذا كان خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قائماً على الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والترغيب والترهيب، واحترام الآخرين، واللين والرفق، وغير ذلك مما يبعث على الهداية والاستجابة وعدم النفور[٣].

وذلك كله يندرج تحت المنهج العام للدعوة والذي أمر به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤].

رابعاً- من واجبات المدعو: الاستجابة والانقياد لأوامر الله ورسوله:

يتضح ذلك في استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأوامر الله وانقيادهم لها في قوله فلما اقترأها القوم وذلّت بها ألسنتهم - أي أقرت وانقادت - وقالوا سمعنا وأطعنا، إذ أنه من صفات المؤمنين التسليم المطلق لأوامر الشرع ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٥] (فلا يجدون في أنفسهم حرجاً من حكمه يصرفهم عن تحكيمه أو يسخطهم من حكمه بعد

---

(١) سورة النور، آية: ٥١.

(٢) سورة العنكبوت، آية : ٤٦ .

(٣) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ١١٢-١٢٦.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

تحكيمه)[١] إذ أن الإعراض من صفات المنافقين الذي وصمهم الله بالظلم والخروج عن طاعة الله قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٨ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُواْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ۝٤٩ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده وتخفيفه عنهم:

من فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية، أن خفف عليها وأحل لهم ما حرم على غيرهم، ومن الأمثلة على ذلك تحريم طيبات على بني إسرائيل جزاء ما اقترفوه من آثام وتلبسوا به من ظلم قال تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾[٣].

ومن أمثلة فضل الله قوله ﷺ ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))[٤] وعطاء الله لرسوله عطاء للأمة جمعاء، إلى غير ذلك من التخفيف في مجالات الشريعة.

وبذلك استجاب الله دعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾[٥] أي (ولا تثقل علينا من العمل ما لا نطيق فتعذبنا)[٦] إضافة إلى تجاوزه عما صدر منهم بدون قصد أو نسيان استجابة

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ١١١/٥/٢.

(٢) سورة النور، الآيات: ٤٨-٥٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري، ٣٣٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج٤٢٧/٣/٢.

لدعائهم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وقال رسول الله ﷺ ((إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))[١].

سادساً- من موضوعات الدعوة: وقوع النسخ في القرآن:

الأصل في النسخ (أن يكون الشيء حلالاً إلى مدة ثم ينسخ فيجعل حراماً، أو حراماً فيجعل حلالاً، أو يكون محظوراً فيجعل مباحاً، أو مباحاً فيجعل محظوراً، والنسخ يكون في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والإباحة والمنع، وهو على ضروب، منها ما جاء في الحديث وهو أن يزال الحكم ويبقى المنسوخ متلواً، كما روى مجاهد ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[٢] قال نزيل حكمها ونثبت خطها)[٣] وفي الحديث نجد أن الله نسخ ما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[٤]، بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٥]، وذلك لون من ألوان رحمة الله عز وجل بالمؤمنين.

سابعاً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية ورفع المشقة والحرج:

امتازت شريعة الإسلام باليسر والرفق بشهادة قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٦] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٧] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٨] ولذلك كان من قواعد الفقه العامة (المشقة تجلب التيسير)،

---

(١) أخرجه ابن ماجه، ٢٠٤٣. وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة، ١٦٦٢).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، أبو جعفر النحاس ٤٢٨/١١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٧) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

و(المشقة مظنة الرخصة) و(ضبط المشاق المسقطة للعبادة مذكور في الأصول)[١].

ثامناً- من خصائص الدعوة الإسلامية: الواقعية:

وهذا واضح في الحديث حيث خفف الله عن الأمة وتجاوز لها عما جرى في نفسها بدون قصد وعزم، ووضع الإصر، والتكليف بما يطاق والتجاوز عما وقع من المكلف خطأً أو نسياناً أو تحت وطأة السيطرة والإكراه.

ويستدل من الحديث الذي معنا، أن الله عفا عن الأمة الإسلامية ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢] وعدم المؤاخذة عما يصدر من خطأ أو نسيان ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٣] وتخفيف الأثقال والتكليف في حدود المقدور ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[٤]. فشريعة الإسلام جاءت في نطاق القدرات البشرية إذ أنها من عند الله الذي يعلم ما يصلح للبشر، والذي يعلم السر والخافية[٥].

لقد راعى الإسلام الواقع في كل ما دعا إليه الناس من عقائد وعبادات وأخلاق وتشريعات.

ونشير إلى ما جاء في الحديث من الإشارة إلى مراعاة واقع الإنسان في العبادة والتشريع، فلقد جاء الإسلام بعبادات واقعية، لأنه عرف ظمأ الكائن الروحي في الإنسان إلى الاتصال بالله، ففرض عليه من العبادات ما يروي ظمأه، ويشبع نهمه، ويملأ فراغ نفسه، ولكنه راعى الطاقة المحدودة للإنسان، فلم يكلفه ما يعنته

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٣٥/٣/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار.

ويحرجه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[١].

ومن الشواهد على ذلك مراعاة الإسلام للظروف الطارئة للإنسان كالسفر والمرض ونحوهما، فشرع الرخص والتخفيفات التي يحبها الله، وذلك مثل صلاة المريض قاعداً أو مضطجعاً على جنب حسب استطاعته، وتيمم الجريح إذا كان استعمال الماء للغسل أو الوضوء يضره، وغير ذلك، وهذه الرخص وغيرها، كلها رعاية لواقع الناس، وتقدير لظروفهم المتغيرة، وتيسير من الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، [٣].

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٦٣-١٦٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأسئلة في كثير من الأحيان مفاتيح للخير، وكم من سؤال سأله الصحابة فكان الخير فيه للأمة، وقد دلت الأسئلة على وحدة تكوين الإنسان ووجود قاسم مشترك في الغرائز والانفعالات، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالدين أو الخوف.

إن سؤال الخائف حق له، وإن الجهل بأمر ديني يوجب الاستفهام عنه، وإن إيضاح ما في السرائر خير من كتمها حتى لا تكون الضغائن وذلك فيما يلي:

أولاً- غرس روح الانقياد لله تعالى:

ويبدو ذلك جلياً من موقف صحابة رسول الله ﷺ، حين نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، وذهبوا إلى رسول الله ﷺ يشتكون تكليفهم ما لا يطيقون، لأن المرء لا يمكن أن يتحكم في تفكيره وهواجسه، فكيف يحاسب عليه، إلا أن رسول الله ﷺ أمرهم أن يقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[2]؛ حتى لا يكونوا مثل الهالكين السابقين من اليهود والنصارى، الذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[3]، فما كان من الصحابة الكرام إلا أن ذلوا وخضعوا لأمر الله.

وبعد هذا النجاح في اختبار الله تعالى لهم في الخضوع له سبحانه عفا عنهم، وأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٩٣.

ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[١].

إن هذا الانقياد يدل على مدى تعظيم صحابة رسول الله ﷺ لجلال الله وأمره سبحانه، وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى تستقيم حياة الإنسان بشرع الله تبارك وتعالى؛ فالذي يعظم الله تعالى لا يقدم بين يدي قوله وقول رسوله، ولا يتردَّد في تصديق الأخبار والتزام الأوامر، وترك المنهيات، ولا يتعلق قلبه بغير الله... فيصفو اعتقاده، ويستقيم علمه[٢].

ثانياً- التربية على الدعاء:

من سمات التربية الإسلامية ربطها المتربي بالله تعالى، وحث النبي ﷺ المسلمين على اللجوء إليه، والدعاء له في كل الأحوال، ولهذا فقد جاءت آيات القرآن الكريم التي وردت في حديث هذا الباب تعليماً للمسلمين بعض الدعاء، بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾، وهذه دعوات تعلم المؤمن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن يؤوب إلى ربه ويسأله دائماً، لأن البلاء لا يرفعه إلا الدعاء.

والدعاء ثمرة المعرفة بالله والإيمان بمنهج القرآن وفكرته، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء؛ ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها... والدعاء هو سبيل القوة الحقة، فلا يقضى على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بفقدان السند المعين... وفي إحساس المؤمن يحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج: إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والرضا[٣].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش ص ٥٤ بتصرف.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٣٢٢-٣٢٥.

ثالثًا- من سمات التربية الإسلامية: إيجابية المتربي:

لم يكن المربي الأول يغلق باب المراجعة والمناقشة على صحابته الكرام؛ لأن ذلك من شأنه عدم إقناع المتربي بالمبدأ أو القيمة التي يؤمر بها، وفي هذا الباب تظهر إيجابية الصحابة رضوان الله عليهم، عندما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، فذهبوا إلى النبي ﷺ وعبّروا له عن تخوفهم ووجدهم على أنفسهم بسبب هذه الآية؛ وذلك تأديب للمتعلمين المتربين على محاورة المعلم وسؤاله عما يريدون السؤال عنه، وأن لا يتقبل المتربي المعلومات دون تمحيص لها، وقد علم الصحابة بعد أن شكوا إلى رسول الله ﷺ أن هذه الآية إنما هي اختبار من الله تعالى وابتلاء؛ حتى لا يكونوا كاليهود والنصارى الذين قالوا سمعنا وعصينا، إنما كان جواب الصحابة رضي الله عنهم: سمعنا وأطعنا، حتى رفع الله عنهم هذا البلاء.

وفي الحديث دليل على أن من سمع شيئاً لا يعلمه فليراجع فيه حتى يعرفه ليتبين حقه من باطله، لأنه قد يكون فيه مصلحة لا يعرفها فيكون رده وجهله سبباً لحرمانه من تلك المنفعة، ولذلك قال العلماء: من جهل شيئاً عاداه، وكان رسول الله ﷺ يحض أصحابه على فهم أمور دينهم فيأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه[2].

رابعاً- من خصائص التربية الإسلامية: المرونة واليسر:

إن من مظاهر يسر التربية الإسلامية تسهيل التشريعات على المسلمين، ومراعاة طاقاتهم وقدراتهم، ولهذا فقد نسخ الله تعالى قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[3]، ونزل قوله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]؛

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٣٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

وذلك لضعف البشر وعجزهم، يقول تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[١]؛ وذلك حين خفف على المسلمين هذا الحكم، وذلك لأن الإسلام إنما راعى بشرية الإنسان وضعفه وكلفه من العمل ما يستطيع؛ حتى يمكنه المداومة عليه.

إن التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان وكثرة أعبائه، وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنفاً ولا رهقا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد[٢].

لقد جاء الإسلام بالتيسير ورفع الحرج، (فليست العبادة فيه انقطاعاً عن الدنيا وأهلها، بل هي تفاعل مع الدنيا وأهلها، وفقاً لمنهج الله الذي أراده ديناً للناس كافة، ملائماً لكل الأزمان والأجيال والعصور، فالعبادة في الإسلام معتدلة ومقدورة لكل إنسان بكل سهولة ويسر)[٣].

خامساً- التربية على الانقياد لحكم الله:

إن الانقياد لحكم الله مانع من أي فراغ داخلي يسمح بغير حكم الله فمن لم يخضع لله خضع لغيره، ومن لم يرضى حكم الله رضي حكم غيره، وهذا يجلب على صاحب الشقاء والبلاء، ولهذا مدح الله المسلمين بأنهم: "قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير".

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي ص ١٧٧.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٣٤.

١٨- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلال﴾[يونس: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩] أي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١] وَالآياتُ فِي البَابِ كَثِيرةٌ مَعلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأحادِيثُ فَكَثِيرَةٌ جداً، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ فَنَقْتَصِرُ عَلَى طَرَفٍ مِنْهَا:

الحديث رقم (١٦٩)

١٦٩- عن عائشةَ رضي الله عنها، قالت قال رسولُ اللّه ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ**» متفقٌ عليه[١].

وفي رواية لمسلمٍ[٢]: «**مَنْ عَمِلَ عملاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُو ردٌّ**».

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ردٌّ: أي مردود عليه يقال: أمر ردّ إذا كان مخالفاً لما عليه أهل السنة. وهو مصدر وصف به[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧/١٧١٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧٤). وسيكرره المؤلف برقم (١٦٤٩).

(٢) برقم (١٨/١٧١٨). أورده المنذري في ترغيبه (٧٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر د د).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ لأنه قليل لفظه: كثير معناه، فالإيجاز سر بلاغته، والوضوح منبع حكمته، وسهولة الألفاظ مطلع إشراقته، وكيف لا؟ وهو كما يقول ابن رجب الحنبلي: "أصل عظيم من أصول الإسلام"، كما أن حديث "الأعمال بالنيات"، ميزان للأعمال في باطنها، وهو ميزان للأعمال في ظاهرها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو مردود على عامله، وكذلك من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء.

فهذا الحديث بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره فهو غير مردود[1].

ومنطوق الحديث يموج بالدلالة الظاهرة، ومع ذلك تظل هذه الدلالة الظاهرة في حاجة للتأمل والكشف عن الدلالات الكامنة والمختبئة خلف الكلمات المشعة بكثير من المسائل والقضايا والاحتمالات.

فالحديث الذي وصف بأنه أصل عظيم من أصول الإسلام يتكون بناؤه اللغوي من جملة واحدة، وهذه الجملة أثارت كثيراً من خلافات وآراء الفقهاء حول المقبول والمردود من العبادات، وحول المقبول والمردود من المعاملات، وحول المقبول والمردود من مسائل العقيدة.

والجملة يفصح بناؤها اللغوي عن المنهج الإسلامي الصارم في ضبط المسائل العقدية والعبادية والمعاملاتية ، فالجملة الحديثية هنا صيغت في قالب: الشرط والجزاء، وهو قالب لغوي يجمع ثلاثة أطراف: أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط: والشرط في الإسلام معيار ومقياس لصحة كثير من الأمور، فكل مسألة وكل فريضة لها شروط أدائها ولها واجباتها، وفي ظل هذا المنهج نقرأ هذه الصياغة اللغوية قراءة مرتبطة بالمنهج، ومفصحة عن مبدأ الثواب والعقاب.

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٧٦، ١٧٧.

وأداة الشرط "مَنْ" وهى للعاقل وفي ضوء المنهج الصحيح هو العاقل البالغ المكلف المسؤول عن أعماله، وهو من يمتلك القدرة على الإحداث والإضافة، ولكنه في ظل المنهج: إحداث مبتور، وإضافة موؤدة.

ولنتأمل الفعل "أحدث" وهو لفظ جامع يشمل كل ما يحاوله المبتدعون، والمشككون، والمدعون من تشويه لمعالم هذا الدين، وهم كثيرون ويظهرون في كل عصر.. وما زالوا يطلون بسمومهم من كهوفهم كالأفاعي، ولكن الله يحمي دينه وأولياءه، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والتعبير بلفظ "أحدث" أبلغ وأكثر إشعاعًا ودلالة من أي لفظ أخر مثل: عمل أو أضاف أو ابتدع، والمصطفى ﷺ يقول: "وشر الأمور محدثاتها".

والتعبير "بفى" وهى تدل على الظرفية والتمكن يفيد بأن هذا المحدث المرفوض يمكن أن يتغلغل في كيان الشريعة ويقتحم معالمها، حتى يظن الواهمون أن هذا المُحْدث من الأصول التي يجب الحرص عليها، وهذا أمر بالغ الخطورة.

وتأمل ما يفيض به لفظ "أمرنا" من المعاني: فالأمر هو الدين، ولفظ "الأمر" يوحي بالخصوصية التي تحتم عدم التفريط، والإضافة إلى "نا" الدالة على الجمع، تؤكد هذه الخصوصية وتضيف بُعْداً جديداً، وهو وجوب مقاومة كل بدعة، وكل محاولات المارقين الذين يُشوهون معالم الدين في مقالاتهم، وخطبهم وكتبهم وخططهم ومؤامراتهم.

ولفظ الإشارة "هذا": يضفي دلالة جديدة وهى البعد الحسِّي لهذا الأمر فكأنه لخصوصيته وتميزه ومَنَعته أصبح كائناً يشار إليه: وهو ماثل بفيوضاته وينابيعه في الكتاب والسنة، وفي ما استقر عليه علماء الأمة الأخيار، من كبار الأئمة المجتهدين.

وتأمل هذا القول "ما ليس منه"، إنه يفيد العموم والاستقصاء، في العبادات بكل فروعها، والمعاملات بكل أنواعها.

فقه الحديث

يعد هذا الحديث أساساً لرد كل ما هو مخالف لشريعة الإسلام من الأمور المستحدثة، والأحكام الخارجة عن روح التشريع وقواعده، وهو أحد الأصول التي يقوم عليها التشريع الإسلامي كما يقول ابن تيمية[١].

وقد استند الفقهاء على هذا الحديث في كثير من الأحكام، ومن تلك الأحكام مثلاً إبطال جميع العقود الممنوعة[٢] وعدم جواز الطواف بقبره ﷺ أو الاتكاء عليه[٣]، وفسخ البيع الواقع وقت صلاة الجمعة عند من يقول بذلك[٤]، وعدم جواز بناء مسجد بمقبرة أو إضاءة المقبرة بسرج أو قناديل[٥] وأداء صلاة العيد بأذان أو إقامة حيث تصلى بدونهما[٦] والطلاق في الحيض أو الطهر الذي يجامعها فيه[٧] وغير ذلك من أحكام امتلأت بها كتب الفقه الإسلامي.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من البدع ومحدثات الأمور.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثاً: من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعاً: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم.

خامساً: من واجبات المدعو: الالتزام بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٦/١، إعلام الموقعين ٢٨٩/١.

(٢) إحكام الأحكام ٢٦٩/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٥٧/٨.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٤/٤.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر ٩٧/٢.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ٥٨/٣.

(٧) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ١٩١/٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٦٤/٣.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من البدع ومحدثات الأمور:

إن تحذير النبي ﷺ من البدع ومحدثات الأمور واضح في عموم الحديث: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"، ففيه نهى عن البدع ومحدثات الأمور التي ليس لها أصل في الشرع، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[1]، إذ هما ضدان وبترك أحدهما يقع الآخر، والحق ما جاء به الكتاب والسنة نصاً واستنباطاً قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، أي الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[2]، أي عن دينه[3].

قال ابن حجر: (هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده، فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه"، وقال الطوفي: "هذا الحديث يصلح أن يسمى نصف أدلة الشرع)[4].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها كما أن حديث الأعمال بالنيات ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن الله ورسوله فليس من الدين في شيء"[5].

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، وتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشرع موافقًا لها فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو

---

(١) سورة يونس، آية: ٣٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ، ابن علان ص ٣٢١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٧/٥.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٧٦/١.

مردود[١]، ولا قيمة لعمله، ويصدق فيه قول الله عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٢]. فمن تقرَّب إلى الله بعمل، لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله، فعمله باطلٌ مردودٌ عليه، وهو شبيهٌ بحالِ الذين كانت صلاتهم عند البيت مُكاءً وتصدية، وهذا كمن تقرَّب إلى الله تعالى بسماع الملاهي، أو بالرقص، أو بكشف الرأس في غير الإحرام، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسولُه التقرُّب بها بالكلية.

وليس ماكان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقًا، فقد رأى النبي ﷺ رجلاً قائمًا في الشمس، فسأل عنه، فقيل: إنه نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل وأن يصوم، فأمره النبي ﷺ أن يقعد ويستظل، وأن يتم صومه[٣]، فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربةً يُوفي بنذرهما. وقد روي أن ذلك كان في يوم جمعة عند سماع خطبة النبي ﷺ[٤] وهو على المنبر، فنذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ما دام النبي ﷺ يخطب، إعظامًا لسماع خطبة النبي ﷺ، ولم يجعل النبي ﷺ ذلك قربة توفي بنذره، مع أن القيام عبادةٌ في مواضع أخر، كالصلاة والأذان و الدعاء بعرفة، والبروز للشمس قربةً للمحرم، فدلَّ على أنه ليس كلُّ ما كان قربة في موظن يكون قربة في كل المواطن، وإنما يتبع في ذلك ما وردت به الشريعةُ في مواضعها.

وكذلك من تقرَّب بعبادة نُهي عنها بخصوصها، كمن صام يوم العيد، أو صلَّى في وقت النهي[٥].

---

(١) المرجع السابق ١/١٧٧.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧٠٤.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١١٨٧١، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٣/٤٤، والخطب البغدادي في الأسماء المبهمة ص ٢٧٤.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٧٨.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يستنبط هذا من عموم الحديث الذي يخبر عن إبطال جميع الأمور المنهية والتي لا أصل لها في الدين، وعدم حصول ثمرتها المترتبة عليها، إذ أنه ما بني على باطل فهو باطل، وما بني على غير أصل فلا بقاء له، وبهذا أشار النبي ﷺ أن أي شيء ليس له سند ظاهر أو خفي من الكتاب والسنة فهو عمل باطل مردود[1]، وبيان بطلان العمل وعدم وجود ثمرة له في حد ذاته ترهيب من التدخل في دين الله والاختراع فيه. وإن الترهيب والتخويف من عقاب الله وانتقامه ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، فالمقصود الأصلي من الترغيب والترهيب هو طاعة الله عز وجل وفعل مراضيه ومحبوباته، وترك مناهيه ومكروهاته[2].

ثالثاً- من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين:

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة الحسنة أرسله ربه هادياً إلى صراطه المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[3]، وفي هذا الحديث بيان منه ﷺ إلى المعتبر من الأعمال، وهو ما كان معتمداً على أصل ديني، أما من عمل، أو أحدث أو سن في الإسلام رأياً لم يكن له من الكتاب والسنة سند ظاهراً أو خفي ملفوظ أو مستنبط فهو مردود عليه[4]. لذا ينبغي للداعية أن يجتهد في بيان الحقائق للمدعوين ولا يتوانى في ذلك متأسياً برسول الله ﷺ، لأن المدعو بحاجة إلى ذلك وتلك من المهام المنوطة بالداعية.

رابعاً- من خصوصيات النبي ﷺ جوامع الكلم:

إن الله تعالى حبا نبيه ﷺ بالنعم الكثيرة ومنها جوامع الكلم وخصه ببدائع

---

(١) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي ص ٢٠٠٥.

(٢) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي ص ٤٠.

(٣) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وغيره١/٢٩٤.

الحكم، وكما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((بُعثتُ بجوامع الكلم))[١]، قال الزهري: (جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، وجمع المعاني الكثيرة في الكليمات الجامعة الوجيزة، ومن هذه الجوامع حديث: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"، ذلك الحديث والكلمات المعدودة، اعتبره العلماء أصلاً عظيماً من أصول الإسلام)[٢]، وقال النووي: (هذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات)[٣]، إلى غير ذلك من النصوص التي تدلل على إعطاء النبي ﷺ (جوامع الكلم) وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعنى[٤].

خامساً- من واجبات المدعو: الالتزام بما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

إن في مضمون ومفهوم هذا الحديث دعوة من النبي ﷺ إلى الالتزم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد أمرنا الله بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٥]، أي ردوا ذلك الحكم إلى كتاب الله أو إلى رسوله بالسؤال في حياته، أو بالنظر في سنته بعد وفاته ﷺ، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة وهو الصحيح ومن لم ير هذا اختل إيمانه[٦]، إذ أن الاعتصام بالكتاب والسنة والالتزام بهما عاصم من الضلال والزلل فقال ﷺ: ((وإني قَدْ تَرَكْتُ فِيكُم ما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٧٧، ومسلم ٥٢٣.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٥٥ - ٥٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٥/٢٦٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٥/٢٦٠.

كِتَابَ اللهِ))[١].

وفي هذا الحديث اقتصر على الكتاب لأنه مشتمل على العمل بالسنة لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣]، فيلزم من العمل بالكتاب العمل بالسنة[٤].

وفي حديث العرباض بن سارية يقول ﷺ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[٥]، قال مالك: قال عمر ابن عبدالعزيز: (سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة على دين الله، وليس لأحد تبديلها، ولا تغييرها، ولا النظر في أمر خالفها من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا)[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) عون المعبود، العظيم آبادي ص ٨٥٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٢٣/٢.

الحديث رقم (١٧٠)

١٧٠- وعن جابرٍ رضي الله عنه، قال: كان رسولُ اللّه ﷺ، إذَا خَطَب احْمرَّتْ عيْنَاهُ، وعَلا صوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبهُ، حتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ ومَسَّاكُمْ**» وَيقُولُ: «**بُعِثْتُ أنَا والسَّاعةُ كَهَاتيْن**» وَيَقْرنُ بين أُصْبُعَيْهِ السبَابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيرَ الْحَديثَ كِتَابُ اللّه، وخَيْرَ الْهَدْى هدْيُ مُحمّد ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدثَاتُهَا وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**» ثُمَّ يقُولُ: «**أنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ. مَنْ تَرَك مَالا فَلأهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً، فَإِليَّ وعَلَيَّ**» رواه مسلم[١].

وعنِ الْعِرْبَاض بن سَارِيَةَ رضي الله عنه، حَديثُهُ السَّابِقُ في بابِ الْمُحَافَظةِ عَلَى السُّنَّةِ[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

العرباض بن سارية: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٧).

غريب الألفاظ:

منذر جيش: المنذر: المعلم الذي يعرف القوم بما يكون قد دهمهم من عدّو أو غيره وهو المخوف أيضاً[٣].

أولى: أفعل تفضيل بمعنى الأحق والأجدر والأقرب[٤].

ضياعاً: الضياع: العيال وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً، فسمى العيال بالمصدر كما تقول: مات وترك فقراً: أي فقراء[٥].

---

(١) برقم (٨٦٧/٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٧٥).

(٢) تقدم برقم ١٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ذ ر).

(٤) الوسيط ١٠٥٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض ي ع).

الشرح الأدبي

إن للخطابة أهمية قوية وتأثيرية في الإسلام، وهى فن أدبي يقصد به إلى التأثير في نفوس المتلقين عن طريق مخاطبة قلوبهم وعقولهم، وللخطيب أدوات تأثيرية: في مقدمتها جذب انتباه السامعين، وإيقاظ ضمائرهم، وإثارة مشاعرهم بما يلقيه الخطيب من عبارات لها إيقاعها المؤثر في صياغتها وفي نسيج كلماتها وحروفها، وفي طريقة إلقائها، وفي تلوين الصوت جهراً وهمساً، وعلواً وانخفاضاً وغير ذلك من وسائل تأثيرية متعددة، وتتسم خطابة المصطفى ﷺ، بالدقة والوضوح وعدم المبالغة، فالخطبة نسيج متلاحم من الفكر التشريعي الواضح على هدى التعاليم القرآنية.

وفي ضوء هذه الخصائص الأدائية لفن الخطابة نقرأ هذا النص النبوي البليغ وهو يصور شدة هول انتظار الساعة، فهي كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1].

وبلاغة الحديث هنا ليست بلاغة قولية فقط.. ولكنها بلاغة توصيل، وبلاغة مراعاة مقتضى الحال، ومع بلاغة الكلمة تبهرنا بلاغة الإشارة، وبلاغة الهيئة وملامح الوجه التي تفصح عن الخطر، وتجسّد الإشفاق على الأمة من أهوال يوم القيامة، أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى.

ولنتأمل بداية الحديث: حيث يبدأ بوصف الراوي: لحال الرسول ﷺ وهيئته وهو يخْطب في سياق تذكيره للناس بيوم القيامة، وهذا الوصف يركز على الصفات الحسّية، ثم يسوق صورة بيانية وهى في إطار التشبيه التمثيلي توضيحاً للموقف، وجلاءً للصورة، وتأكيداً للرهبة والخشية.

ويأتي وصف هيئة الرسول ﷺ في صيغة شرطية وأداة الشرط "إذا" وجواب الشرط يتضمن ثلاث جمل تتآزر في تشكيل ملامح الهيئة التي كان عليها رسول الله وقت

---

(١) سورة النحل، آية: ٧٧ .

الخطبة، وهذه الهيئة تجسد تأثره بالموقف وانفعاله به، وحرصه الشديد على نجاة أمته.

كان رسول الله ﷺ إذا خطب: احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، وقال العلماء في تعليل هذا التغير، لما يتجلى على رسول الله ﷺ من بوارق الجلال، ولوامع أضواء الأنظار، وشهود أحوال أمته، وتقصير أكثرهم في امتثال ما يصدر عنه.

وتأتي الصورة التشبيهية لتوضيح هذا الموقف، ولتقربه إلى الأفهام، حيث يصور ويمثل حاله ﷺ -في إنذاره بمجيء القيامة وقرب وقوعها، وتهالك الناس فيما يؤذيهم- بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منه، وهو يحذرهم قائلاً صبحكم العدو مغيراً عليكم ومساكم كذلك.

فكما أن هذا لشدة اعتنائه بحال قومه يرفع صوته، وتحمّر عيناه، ويشتد غضبه من تغافلهم عما يستأصلهم ويهلكهم. كذلك حال رسول الله ﷺ لشدة حرصه على أمته، وعظم رأفته ورحمته بهم ، وخوفه عليهم من الساعة وأهوالها[1].

وبعد هذه المقدمة التوضيحية التي أضاء بها "الراوي" جو الحديث ومهّد لكلام رسول الله ﷺ نجد المصطفى ﷺ، يجمع في حديثه بين خاصيتين بلاغيتين وهما: بلاغة القول، وبلاغة الإشارة، فيقول مشيراً إلى قرب قيام الساعة: "بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه: السبابة والوسطى" ويقول: أما بعد: "والإشارة في الحديث فكر وفن، وقد أشار إلى ذلك، هند بن أبي هالة في سياق وصفه لمنطق رسول الله ﷺ حيث قال: إذا أشار.. أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه.

فالإشارة في الحديث النبوي كانت أحياناً بديلاً من اللغة، وليست وليدة اختناق الفكرة.

وللإشارات والحركات والأفعال دلالة عميقة في إيضاح المعاني، وترسيخها في النفس، ودارس الحديث النبوي يرى من ذلك الشيء الكثير الذي يدل على اهتمامه

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٧٤-٣٧٥.

البالغ ﷺ بوسائل الإيضاح في تعليم أمته، وشغل الحاسّة مع العقل.

وبَعْد هذا التوضيح والتصريح مع الإشارة البليغة في قوله: بعثت أنا والساعة كهاتين (السبابة، والوسطى) يرشد النبي الكريم ﷺ أمته إلى طريق النجاة، ويدلهم على المعالم الصحيحة لهذا الطريق، وفي إشارته عَبْر هذه الصيغة، "ويقرن بين أصبعيه السّبابة والوسطى" تلميح وإيحاء: بأنه ليس هناك نبي بينه وبين الساعة، فهو خاتم الأنبياء، كما أن ليس هناك أصبع بين السبابة والوسطى -كما يقول القاضي عياض- وفي ذلك توجيه وإنذار إلى كل عاقل مكلف بضرورة الإيمان بالله ورسوله ﷺ، فهو خاتم النبيين وإمام المرسلين.

وهذه هي الإشارة الضوئية الكبرى على طريق النجاة، ثم يُفصِّل المصطفى ﷺ هذه المعالم والإشارات بَعْد الإبهام والإجمال. فيقدم خمس جمل مؤكدة، وكلها تشدد على ضرورة التمسك بالكتاب والسنة، والابتعاد عن مهاوي البدع، ومزالق الانحرافات، وتبدأ الجملة مؤكدة بإن، ثم تعطف عليها بقية الجمل مع حذف "إن"، ولكن يظل التوكيد سارياً في نسيج الكلمات، وترتيب الجمل يتسم بالتناسق ومراعاة البدء بالكتاب ثم السنة، ثم التنفير من كل ما يخالفهما، وفي مقدمة ذلك المحدثات في الدين، والبدع في المعتقدات والعبادات.

وبناء الجمل في هذا الجزء من الحديث فيه تناسق وجمال في الجملتين الأوليين، وكأن هذا التناسق اللغوي البديع صورة لتناسق العقل المؤمن، والقلب السليم: في استقبالهما لآيات الكتاب الكريم، والهدى النبوي الحكيم.

واختلف التناسق اللغوي في قوله: "وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة": لأن هيأة المعاني تغيرت، وملامح المضمون تبدلت، ولذلك لم تتماثل الصيغ اللغوية، ولم تتوافق إلا في التأكيد وبناء الهيكل اللغوي، المكون من "إن" المحذوفة واسمها وخبرها.

ومن أسرار التعبير وجمالياته: كلمة "الهدى"، حيث قال العلماء إنها ترد على وجهين في النطق حسب الضبط: فإن قلنا "إن الهَدْىَ هَدْى محمد" بفتح الهاء وسكون الدال، فالمعنى: أحسن الطرق طريقه، والهَدْى هنا معناه الطريق، وإذا قلنا "الهُدي" بضم

الهاء، فمعناه الدلالة والإرشاد، وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد.

ثم يُتّوج الحديث بخاتمة حاسمة جازمة تتضمن ثلاث جمل مشعة ببوارق النجاة، وأضواء النبوة، ووجوب اتباع المصطفى الحبيب، وما أجمل هذا التكليف الذي نأى عن صيغة الأمر حيث يقول الرسول، "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه".

وليس المراد شخص محمد ﷺ ولكن تعاليمه وسنته، والاقتداء به، وحبّه الذي يؤكد حرص المؤمن على طاعة الله وطاعة رسوله، ولنتأمل كرمه عليه السلام حين قال: "من ترك ديناً أو ضياعاً -أي عيالاً- فإليّ وعليّ"، أي يقضى الدين ويعول الأبناء، وأما من ترك مالاً فلأهله، فورثته أحق به، وليس بعد هذا حرص على مصلحة الأمة، ولا غرو فهو الرحمة المهداة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم قضاء دين الميت من بيت المال[1]، فقد اختلف الفقهاء في قضاء دين الميت من بيت المال إن لم يكن في ماله وفاء تبعاً لاختلافهم في قضاء رسول الله ﷺ لأموال المدين الميت، فقد قيل كان يقضيه من سهم المصالح، وقيل كان يقضيه من ماله الخاص، فمن قال بالأول قال يقضي من بيت المال، ومن قال بالثاني قال لا يقضي من بيت المال، وهل القضاء كان واجباً عليه؟ وجهان، قال ابن بطال: وهكذا يلزم المتولي لأمر المسلمين أن يفعله بمن مات وعليه دين، فإن لم يفعل فالإثم عليه إن كان حق الميت في بيت المال يفي بقدر ما عليه وإلا فبقسطه.

الثاني: حكم البدعة، وقد سبق الكلام عنها تفصيلاً في الحديث رقم (١٥٧).

---

(١) شرح الخرشي ١٥٩/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٩٦/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ٢٢٨/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥/٦، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ٢٨٤/٥، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٨٩/٢.

الثالث: انتقال تركة الميت إلى أهله بعد قضاء الديون، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن تركة الميت تنتقل إلى الورثة بوفاة المورث بما لها وما عليها من ديون، وأن أول ما يستخرج من التركة بعد تجهيز الميت ودفنه ديون الميت، ثم وصاياه، ثم يوزع الباقي على الورثة حسب الأنصبة المقررة شرعاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بتتبع أحوال النبي ﷺ.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثالثاً: من صفات الداعي: التفاعل مع قضايا الدعوة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الإنذار.

خامساً: من وسائل الدعوة: الإشارة.

سادساً: من موضوعات الدعوة: قرب قيام الساعة.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: وجوب التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثامناً: من موضوعات الدعوة: بيان خطر البدع والأمور المستحدثة.

تاسعاً: من خصائصه ﷺ: أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بتتبع أحوال النبي ﷺ:

اهتم الصحابة رضي الله عنهم بكل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو ما يظهر على ملامحه ﷺ من آثار الانفعالات النفسية وغيرها كاشتداد الغضب وغيره، وفي الحديث نجد أن الراوي سجل كل ما رآه من ذلك كاحمرار العين (واحمرت عيناه"، وكعلو الصوت "وعلا صوته" واشتداد الغضب "واشتد غضبه" ونبرة صوته

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي٦/٢٣٠، وتكملة البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨/٥٥٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٦/٤٠٦ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٩/٥٩٣، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٦/٣ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/٧ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢/٥٠٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤/٤٠٣ وما بعدها.

"كأنه منذر حرب"، وإشارته "أنا والساعة كهاتين" وحركة الأصابع المشار بها "ويقرن بين أصبعيه" إضافة إلى حفظه لكلماته ﷺ وذلك كله من بالغ اهتمام الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

لقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر الدعوة لكثرة فائدتها وعظيم جدواها ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، وكانت الخطبة من أبرز الوسائل التي استعملها النبي ﷺ بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا[1]، دلالة على اهتمامه ﷺ بالخطبة، لأنها من وسائل الاتصال مع المدعوين أو المخاطبين؛ لأن الخطبة تتنوع بتنوع موضوعها، ومن أبرز مجالاتها: مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً- من صفات الداعي: التفاعل مع قضايا الدعوة:

يتضح ذلك من تفاعل النبي ﷺ مع خطبته، حيث ظهر أثر ذلك على ملامحه ﷺ، حيث احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه" لما يتجلى عليه من بوادر الجلال ولوامع أضواء الإنذار حتى يبدو "كأنه منذر جيش"، أي مخبر بجيش العدو الذي يخاف[2]، لذا ينبغي على الداعي أن يتفاعل مع القضايا التي يعالجها لما لذلك من آثار إيجابية على المدعوين، مما يدل على حضور الداعية وتأثره بالموضوع الذي يتناوله.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الإنذار:

إن لأسلوب الإنذار أثرًا فاعلاً في الدعوة إلى الله تعالى، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في إنذاره بمجيء القيامة وقرب وقوعها وتهالك الناس فيها بحال من ينذر قومه عن غفلتهم بجيش قريب منه يقصد الإحاطة بهم بغتة "حتى كأنه منذر جيش، يقول في إنذاره صبحكم ومساكم العدو مغيراً عليكم"[3].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٢٢.

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٢٢.

خامساً- من وسائل الدعوة: الإشارة:

لا شك أن وسيلة الإشارة من الوسائل التي تعين على بيان المعاني وإيصالها للمدعو لذا كان النبي ﷺ يستعين بالإشارة والحركة فإذا أشار: أشار بيده، وإذا تعجب قَلَبَها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه[1].

سادساً- من موضوعات الدعوة: قرب قيام الساعة:

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث "بعثت أنا والساعة كهاتين"، قال القاضي عياض: "يحتمل أنه تمثيل لمقاربتهما وأنه ليس بينهما إصبع أخرى كما أنه لا نبي بينه وبين الساعة، ويحتمل أنه لتقريب ما بينهما من المدة وأن التفاوت بينهما كنسبة التفاوت بين الإصبعين تقريباً لا تحديداً"[2].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: وجوب التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ:

لقد أمرنا الله تعالى بالتمسك بالكتاب والسنة في كثير من الآيات منها قوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾[4].

وبين النبي ﷺ في الحديث: أن خير ما يهتدى به هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ "فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، لأن في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ عصمة من الضلال والزلل، وفلاح ونجاح في الدنيا والآخرة؛ لأن الكتاب والسنة بيّنا المنهج الصحيح الذي يجب أن يتبعه المؤمنون، والذي من خلاله تتحقق طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

---

(١) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٦.

(٣) سورة النور، آية: ٥٤.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

ثامناً- من موضوعات الدعوة: بيان خطر البدع والأمور المستحدثة:

لقد بيّن النبي ﷺ خطورة الأمور المستحدثة والبدع في قوله "وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" ومن ضروب خطورة البدع:

أ- الابتداع ضلالة، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ (١).

ب- الابتداع خروج عن اتباع النبي ﷺ وقد أمرنا باتباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ (٢).

جـ- الابتداع تفريق للأمة الإسلامية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ (٣).

د- الابتداع طعن في الإسلام، فكأن الإسلام لم يكمل، وكمل بالبدع، كيف؟ وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٤).

هـ- الابتداع إعراض عن تحكيم الكتاب والسنة، واتباع الأهواء وتحكيم الأهواء لها، إذ أن الواجب كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (٥)(٦).

تاسعاً- من خصائصه ﷺ: أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم:

لقد صرح النبي ﷺ بذلك في الحديث "أنا أولى بكل مؤمن من نفسه" وقد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم،

---

(١) سورة يونس، آية: ٣٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٤٤٥ - ٤٤٧.

فحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم وجعله متكفلاً بفقرائهم وضياعهم، فقال ﷺ: "ما من من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1] فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه"[2][3]، قال الطاهر بن عاشور: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، أي أولى بكل مؤمن من نفس ذلك المؤمن، أي هو أشد ولاية أي قرباً، وهو قرب معنوي يراد به آثار القرب من محبة ونصرة"[4]، فإذا كان الأمر كذلك فواجب على المؤمنين أن يكون رسول الله ﷺ أحب إليهم حتى من أنفسهم، وأن يكون حكمه أنفذ عليهم من حكم أنفسهم، وحقه أثبت لديهم من حقوق أنفسهم، وتكون أنفسهم فداء له، وأجسامهم وقاية له من كل شر"[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٨١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٨٠.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢١/٨/٢٦٦.

(٥) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢١/٣/٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

من الآداب التربوية في هذا الباب:

أولاً: لم يلق رسول الله ﷺ ربه حتى نزل عليه قول الحق سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣]..

وقد أخذ الرسول ﷺ من الصحابة إقراراً وضحاً بيناً في حجة الوداع حين قال: (وإني مسؤول عنكم فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد إنك بلغت وأديت).

فنحن أمام دين كامل تام من حيث التلقي والكمال والبلاغ، كلمة اليوم ليست قاصرة على يوم التنزيل أو يوم التلاوة، بل كل يوم تتلى فيه هذه الآية هي مرادة في معناها، وكأن القرآن الكريم ينطق صباح مساء كل يوم بهذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [سورة المائدة:٣].

وإذا كان الدين قد كمل، والنعمة قد تمت فما علينا بعد إلا الاتباع لا الابتداع، وكل من رأى شيئاً يضاف إلى الدين، فقد افترى على الله كذباً، وخرج من ربقة الإسلام، لأنه يصف الله بهذه الصورة أو بهذا المعتقد وهو الجهل فضلاً عن مصادمته لنص القرآن.

والرسول ﷺ قد جمع في أحاديث الباب بين التعليم بالقول وبين استخدام الإشارة كوسيلة إيضاح ولم تكن الوسيلة من العجائب أو الغرائب، بل فرق بين إصبعيه السبابة والأوسط.

ثانياً- مصادر التربية الإسلامية: الكتاب والسنة:

ويبدو ذلك من قوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا...»، وقوله: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَىُ مُحَمَّدٍ ﷺ». وفي ذلك توجيه من النبي ﷺ بالتزام كتاب الله وسنته؛ لأن فيهما النجاة والهدي في الدنيا والآخرة، وينبغي أن يهتم المربون بغرس هذه القيمة الجليلة في نفوس المتربين؛ وهي الاهتداء بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ حتى لا تتنازعهم السبل وما أكثرها؛ ذلك بأن المصدرين لم يتركا صغيرة

ولا كبيرة في حياة المؤمن إلا أورداها.

فالقرآن الكريم منبع هداية وإرشاد، ويحتوي على آيات تهدي للحق، وتعاليم تعمق الوعي الأخلاقي، وتدعم القيم والمسئولية الاجتماعية، وتزكي النفوس، وتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة...، وتعد السنة النبوية التطبيق العملي للقرآن الكريم في مجال التربية وفي غيرها من مجالات حياة المسلمين أفراداً وجماعات، لذا يرجع إليها المربون المسلمون عند تحديد أهداف التربية لصياغة الغايات النهائية والأهداف التربوية للتربية الإسلامية[1].

ثالثاً- التربية بالموعظة:

لقد كان ﷺ القدوة والمثل في أداء الخطبة، وقد روى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، ... حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، ...»، وفي ذلك دليل على قوة تأثير خطابته على المتلقين، بل إنهم ليشعرون أنهم يكادون يلقون الجيش، أو أن الأمر عظيم يكاد يحدق بهم.

والموعظة الحسنة من الأساليب التربوية الناجحة ذات الدور الكبير في التربية والإعداد والتوجيه وتصويب السلوك شريطة أن تكون بالأسلوب المحبب والوجه المقبول، فيستعمل التبشير والوعد بالخير مع النفوس المقبلة، ويستعمل الإنذار والوعيد مع النفوس المعرضة المدبرة[2].

إن الخطيب القدير يصف الليل وصف الظهيرة فتحس أنك تحت أما الدجى، وتحت أجنحة الدباجير، ويصف النهر فتلمس ثياباً وأن تبتل وأنت ناد عن النهر، ويصف جيش الأعداء البعيد فتنظر إلى مطالع الجبال كأن الطلائع أقبلت والكتائب دنت[3].

تلك هي براعة النبي ﷺ في موعظته لصحابته الكرام، وتربيته إياهم بالموعظة، ولقد استخدم إلى جانب هذه الإشارات الجسدية «احمرار العين، وعلو الصوت،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٥١، ٥٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني ص ٣٨١.

(٣) هكذا حدثنا الزمان، عائض القرني ص ٢٣٣.

واشتداد الغضب»، استخدم الإشارة بيده أيضاً، فكان يقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وذلك استحضار للصورة أمام المتلقين، حتى يشعروا أن الساعة قد ألمت بهم، وتأكيداً على دنوها منهم، وبعثته في آخر الزمان.

إشارته بيده بهذا الشكل تعد وسيلة، تعليمية وتربوية، لها فائدة تتمثل في تقريب مستويات الخبرة للمتلقي، وتوفر الأساس المادي المحسوس للتفكير، وتقلل من أخطار التعلم اللفظي وتثير اهتمام المتربي، وتجعل الخبرات مترسخة[1].

وقد كان لحركته وإشاراته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تلفت النظر، وتنبه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر، وعلى ذلك فاستخدام الرسول ﷺ للحركات المعبرة وسيلة تعليمية إنما لأنها أوقع في نفس السامع، وقد كان استخدام ﷺ للحركات المعبرة على عدة صور، من أهمها: تغير ملامح وجهه وتغير جلسته، والإشارة بالأصابع والإشارة باليد[2].

رابعاً- من أهداف التربية الإسلامية: تحقيق التكافل الاجتماعي:

وقد أرسى النبي ﷺ هذا المبدأ، عندما قال: «مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ»، وفي هذا الحديث يؤسس ﷺ لواجب من واجبات ولي الأمر، التي يجب عليه التزامها؛ لأنها من واجباته الأساسية؛ ذلك الواجب هو كفالة اليتامى، بتسديد ديونهم، ورعايتهم والقيام عليهم، وليست هذه الرعاية من أجل منفعة عاجلة أو آجلة؛ بل إن من ترك أبناءه أغنياء فليس على ولي الأمر إلا حماية أموالهم، حتى يتسلموها حال كبرهم تامة غير منقوصة.

وقد عد الماوردي حفظ حقوق العباد ورعاية أموالهم من الواجبات الأساسية، التي يلزم الخليفة أو الإمام القيام بها؛ "لِتُصَانَ مَحَارِمُ اللَّهِ عَنْ الانْتِهَاكِ، وَتُحْفَظَ حُقُوقُ عِبَادِهِ مِنْ الإِتْلافِ وَالاسْتِهْلاكِ"[3].

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ١٣١ بتصرف.

(٢) الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة، د. عبدالرحمن بن محمد بلعوص العدد ١٣ ص٤٦٣.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي ص ١٦.

خامساً- التربية بالانفعال والحركات المعبرة:

ليس بالكلام المباشر وحده يوصل المربي المبادئ والمعلومات إلى نفوس المتربين؛ بل إن هذا الخطاب يحتاج إلى مدعمات سياقية، ليست لفظية، ولكنها حالية، تتعلق بحالة المربي أثناء أداء المعلومات إلى المتربين، ومن ذلك ما رود عن النبي ﷺ أنه كان «إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ. حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ»، إن احمرار العين وعلو الصوت واشتداد الغضب، وظهور المربي على هذه الحال المنفعلة أثناء الأداء يصبغ الحديث بصبغة الجدية، ويجعل نفوس المتلقين تستعد لكل ما يقال، وتستبين أهميته، بل إن ذلك له أكبر الأثر في تركيز المتربين واستيعابهم كل ما يقال.

إن أداء الخطاب يحتاج إلى استخدام هذه الأدلة الجادة في التربية؛ لأن المربي إذا وقع انفصال بين خطابه وبين حالته الشعورية -كأن يرهب المتربين من عاقبة ترك الصلاة وهو يبتسم أو يضحك- يورث في نفوس طلابه عدم الاقتناع بما يقول، وبالتالي إهماله، وهذا مؤداه أن يذهب جهده سدى لا جدوى من ورائه.

وهذه الطريقة في الأداء تؤدي إلى نجاح العملية التربوية؛ لأن التفاعل التربوي يمثل عنصراً مهماً في العملية التعليمية؛ حيث يعكس العمق والحيوية التي تكتسبها المعلومات والخبرات المنقولة للمتعلم، ويعكس المدى البعيد لأثر المتربي استيعاباً وتطبيقاً، هذا إضافة إلى الإسراع في العملية التربوية، بدون التفاعل بفقد المعلم صفته التربوية الإنسانية ويتحول إلى موظف رسمي لا فرق بينه وبين الموظف الذي يتعامل مع الأوراق والمعاملات اليومية[1].

❁ ❁ ❁

(١) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز طه النغيميشي ص ٢٥٣ بتصرف يسير.

١٩- باب فيمن سن سنة حسنة أو سيئة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[الأنبياء: ٧٣].

الحديث رقم (١٧١)

١٧١- عَنْ أَبِي عَمرٍو جَرير بنِ عبدِ اللّه رضي الله عنه، قال: كُنَّا في صَدْرِ النَّهارِ عِنْد رسولِ اللّه ﷺ فَجاءهُ قومٌ[١] عُراةٌ مُجْتابي النِّمار أو الْعَباءِ. مُتَقلِّدي السُّيوفِ عامَّتُهمْ (بل كلهم)[٢] مِنْ مُضرَ، فَتمعَّر وجهُ رسولِ اللّه ﷺ، لِما رَأى بِهِمْ مِنْ الْفاقة، فدخلَ ثُمَّ خرج، فَأمر بلالًا فَأذَّن وأقَامَ، فَصلَّى ثُمَّ خَطبَ، فَقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خلقكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدةٍ﴾ إِلَى آخرِ الآية: ﴿إِنَّ اللّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وَالآيةُ (الأُخْرَى)[٣] الَّتِي في آخر الْحشْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللّه ولْتنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمتْ لِغَدٍ﴾ تَصدَّق رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّه مِنْ صَاعِ تَمرِه حَتَّى قَالَ: وَلوْ بِشقِّ تَمْرةٍ. فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كادتْ كَفُّهُ تَعجزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجزتْ، ثُمَّ تَتابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعامٍ وَثِيابٍ، حتَّى رَأَيْتُ وجْهَ رسولِ اللّه ﷺ، يَتهلَّلُ كَأَنَّهُ مذْهَبَةٌ، فقال رسولُ اللّه ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلام سُنةً حَسنةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وأَجْرُ منْ عَملَ بِهَا مِنْ**[٤] **بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ ينْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، ومَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سيِّئةً كَانَ عَليه وِزْرها وَوِزرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بعْده، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزارهمْ شَيْءٌ**» رواه مسلم[٥].

---

(١) عند مسلم زيادة (حفاة)، وليست عند الحميدي فلم يوردها المؤلف.

(٢) قوله: (بل كلهم) لا يوجد في الصحيحين، وهو عند الحميدي في جمعه (٣٢٧/١، رقم ٥٠٦)، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٣) الزيادة لا توجد عن مسلم.

(٤) (من) لا توجد عند مسلم.

(٥) برقم (١٠١٧/٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤).

قَوْلُهُ: «مُجْتَابي النِّمارِ» هُو بالجيمِ وبعد الألِفِ باء مُوَحَّدَةٌ. والنِّمَارُ: جمعُ نَمِرَة، وَهِيَ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّط. وَمَعْنَى «مُجْتابيها» أَي: لابِسِيهَا قدْ خَرَقُوهَا في رؤوسهم. «والْجَوْبُ»: الْقَطْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالْوَادِ﴾ أَيْ: نَحَتُوهُ وَقَطَعُوهُ. وَقَوْلُهُ «تَمَعَّرَ» هو بالعين المهملة، أَيْ: تَغَيرَ. وَقَوْلُهُ: «رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ» بفتح الكاف وضمِّها، أَيْ: صَبْرتَيْنِ. وَقَوْلُهُ: «كَأَنَّه مَذْهَبَةٌ» هو بالذال المعجمةِ، وفتح الهاءِ والباءِ الموحدة[1]، قَالَهُ الْقَاضي عِيَاضٌ[2] وغَيْرُهُ. وصَحَّفَه بَعْضُهُمْ فَقَالَ: «مُدْهُنَةٌ» بِدَال مهملةٍ وضم الهاءِ وبالنون، وَكَذَا ضَبَطَهُ الْحُمَيْدِيُّ[3]، والصَّحيحُ الْمَشْهُورُ هُوَ الأَوَّلُ. وَالْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ: الصَّفَاءُ وَالاسْتِنَارَة.

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: هو الشَّليل بن مالك بن قسر اليماني.

وهو سيِّدُ قبليته، كان إسلامه قبل السنة العاشرة من الهجرة، وقد بايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم ((فما حجبه النبي ﷺ عن ذلك، ولا رآه ﷺ إلا تبسّم في وجهه))[4]، وقد بسط له النبي ﷺ عرض ردائه، وقال: "على هذا يا جرير فاقعد"، وقال النبي ﷺ عنه لأصحابه: ((إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه))[5]، وقال ﷺ: ((يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفجّ، رجلٌ من خيرِ ذي يَمَن، على وجههِ مسحةُ ملك))[6] وقال له النبي ﷺ ((ألا تكفيني ذا الخلصة؟ -وهي الكعبة اليمانية التي كانت باليمن وقيل إنها اسم الصنم نفسه- فقال جرير: يا رسول الله إني رجل لا أثبتُ على الخيل، فصكَّ رسول الله ﷺ في صدره، وقال ((اللهم ثبتْه،

---

(١) الترغيب والترهيب، المنذري (١/١١٣).

(٢) مشارق الأنوار (١/٣٣٩).

(٣) الجمع بين الصحيحين (١/٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٢٢، ومسلم ٢٤٧٥.

(٥) مجمع الزوائد للهيثمي، ٩/٣٧٢.

(٦) أخرجه أحمد ٤/٣٦٠ رقم ١٩١٨٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣١/٥١٦.

واجعله هاديًا مهديًا)) فقال جرير: فخرجت في خمسين من قومي فأتيناها، فأحرقناها[١].

وكان رضي الله عنه حسن الصورة، قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جرير يوسف هذه الأمة، وقال له: يرحمك الله، نِعْمَ السيد كنتَ في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام، وقدّمه عمر بن الخطاب في حروب العراق على جميع جيله وقد نهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن سب جرير رضي الله عنه وقال، جرير منّا أهل البيت وقد سكن الكوفة، وأرسله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فلما وقعت الفتنة بين الرجلين -عليهما الرضوان- خرج جرير إلى قرقيسيا، وسكن بها حتى مات.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث بلغت نحو مائة حديث. وتوفي سنة ٥٤هـ، وقيل ٥١هـ[٢].

غريب الألفاظ:

صدر النهار: أوله[٣].

مجتابي النمار: فسّرها النووي[٤].

العباء: كساء مشقوق واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٢/٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٨٥-١٨٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (١٢٠-١٢١)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٤٤٥/١-٤٤٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٩٦/١-٢٩٧)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٢٨٩/١-١٢٩٠)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٢٩/١-٥٣٠)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٥٦٢/١-٥٦٤).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ص د ر).

(٤) رياض الصالحين ١١٩.

(٥) الوسيط في (ع ب أ).

تمعَّر: فسَّرها النووي[١].

الفاقة: الحاجة والفقر[٢].

دينارٍ: الدينار: عملة نقدية من الذهب ووزنها ٤,٢٥ جرامًا[٣].

درهمه: الدرهم: قطعة نقدية من الفضة ووزنها ٢,٨١٢ جرامًا. أي ما يزيد قليلًا عن ثلاثة جرامات من الفضة إلا ربعًا[٤].

صاع: الصاع: وحدة من وحدات المكاييل وهو عند جمهور العلماء يساوي ٢١٧٢ جرامًا، أي ما يقل قليلًا عن الكيلو جرامين والربع[٥].

بره: البر -بالضم- القمح[٦].

صُرّة: ما يجمع فيه الشيء ويشد[٧].

كومين: فسَّرها النووي[٨].

كأنه مُذهبة: فسَّرها النووي[٩].

الشرح الأدبي

إن المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا؛ ومن أضواء هذا الحديث المشعة بالرحمة والبر والتعاون نقتبس كثيرًا من الدروس الحياتية، والخبرات العملية، والتعاونية في سبيل التعاون على البر والتقوى، وثمرة هذا الحديث المطوَّل

---

(١) رياض الصالحين ١١٩-١٢٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف و ق).

(٣) معجم لغة الفقهاء ١٨٩.

(٤) انظر معجم لغة الفقهاء ١٨٥.

(٥) انظر معجم لغة الفقهاء ٢٤١، ٤١٩.

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي ٥٦.

(٧) الوسيط في (ص ر ر).

(٨) رياض الصالحين ١٢٠.

(٩) رياض الصالحين ١٢٠.

تُقدمُ إلينا في خاتمته وكأنها القطوف الدانية، وهى الجزاء الأوفى لمن سنَّ سُنَّة حسنة في الإسلام، والعقاب الأشد لمنْ سن سنَّة سيئة في الإسلام، ولكن حين نتأمل متن الحديث نجده قد مهّد لهذه القضية بمهادٍ واقعي عملي، ثم بشاهدين من آيات القرآن الكريم يقيمان الدليل على أن الإنسان أخو الإنسان لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره.

ويجيء هذا التمهيد في صورة سرْديّة واقعية إذ يحكي الراوي هذا المشهد في حضرة رسول الله ﷺ، حيث كان بعض الصحابة في صدر النهار أى أوله، وهذا تعبير جميل المحيا. يتفق مع طبيعة هذا الجَمْع الذي حَضَر إلى رسول الله ﷺ كما قال بعض العلماء للتشرف برؤياه، واستمطار الفيوض الإلهية من سحب مُحيّاه، وبينما هم في هذا المجلس المنير بكلمات المصطفى المجتبى وسنته الشريفة، جاءه أي جاء إلى الرسول ﷺ ولم يقل جاءنا، أو جاءهم، وإنما المجيء كان لرسول الله، طلبًا للمعونة والهداية والبر، ولكن الذين جاءوا كانوا من الفقراء وصوّرهم الحديث تصويرًا واقعيًا فيه دقة الوصف، وبراعة اللفظ، وواقع هؤلاء القوم يغني فيه الحال عن المقال، فهم عراة، والعُرْى هنا كناية عن شدة الفاقة، فليس لديهم ما يسترهم في حياتهم من المال أو الجاه، أو القليل من متع الحياة، وليس على أجسادهم إلا "النّمار"، جمع نمرة. وهى كساء من صوف مخطط يلبسه الفقراء من الناس؛ وقوله مجتابى "النمار أو العباء" فيه رصد دقيق لهيئة هؤلاء القوم: لأن ما يلبسونه قطعة واحدة من الصوف الخشن، وقد قطعوها أو خرقوها لتدخل في رءوسهم، وهم على الرغم من هذه الفاقة الشديدة يتقلدون سيوفهم، إيحاءً بأن المسلم يجب أن يظل قويًا عزيزًا حتى في أشد حالات الفاقة.

وما أعظم موقف المصطفى ﷺ، وما أرق قلبه، وما أسمى عاطفته.. وهو يرى هؤلاء القوم وهم من مضر، والمضريون مشهورون بالقوة والمنعة؛ فكيف بهؤلاء القوم المضريين وقد تكالبت عليهم الأيام، وعضهم الفقر بنابه، ولذلك شعر الرسول ﷺ بالأسى لحالهم، والعطف عليهم لما حلّ بهم، وظهر هذا الشعور على وجهه حيث تغير، وحَسَب رواية الحديث، تمعَّر وجه رسول الله ﷺ.

ومادة الفعل اللغوية: "مَعَر"، تتفق وحالة هؤلاء الفقراء، فالفعل: "أمعر": معناه: افتقر

وفنى زاده، وحين نقول: "أمْعَرت الأرض": أى لم يكن فيها نبات أو قلّ نباتها، ويقولون: معَّر وجْهَهُ أى: غيره غيظًا فتمعَّر، ويقولون: به مُعْرة: أى اللون الذي يضرب الحُمْرة، والممعور: المُقَطَّب غضبًا[1].

ويحكي الراوي ويصور ما قام به رسول الله ﷺ تجاه هؤلاء الناس حيث يقول: "فدخل ثم خرج فأمر بلالًا فأذن وأقام فصلى ثم خطب"، وهذه الجمل في صياغتها تنقل الحدث، وترصد الحركة، وتفصح عن شدة وسرعة اهتمام الرسول بأمر هؤلاء القوم، فالعبارة لا تتجاوز سطرًا واحدًا، ولكنها تتضمن سبعة أفعال ماضية، وهى في تواليها تضع مشهدًا متكاملًا لما قام به الرسول ﷺ لإنقاذ هؤلاء الناس ومن على شاكلتهم من طوائف الأمة في كل زمان وكل مكان، والأفعال تتوالى على هذا النمط، (فدخل، ثم خرج، فأمر، فأذّن، وأقام، فصلّى، ثم خطب، فقال).

وحروف العطف هنا تتصدرها: "الفاء"، وهى للترتيب والتعقيب، ولها هنا دلالة الإسراع لإنقاذ هؤلاء القوم من فاقتهم وعوزهم، وحرف العطف "ثم" يأتي في موقعه الملائم "فدخل أي بيته ثم خرج" وذلك يوحي بالأناة والتمهل والتفكير في أمر هؤلاء الناس، وبعد أن خرج أمر بلالًا فأذن بلال، وعطف فعل الإقامة على الأذان جاء بالواو، لتدل على الأناة بين الأذان والإقامة حسب الوقت الذي حددته السنة النبوية الشريفة.

وبدأ المصطفى ﷺ الخطبة بآيات من القرآن الكريم تقرر أن الناس جميعًا أبوهم واحد، وأمهم واحدة "آدم وحواء" قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة: مَعَر. ص٤٧٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الحشر، آية: ١٨.

وآية سورة النساء تختم بقوله سبحانه: "إن الله كان عليكم رقيبا" ووجه مناسبة هذه الآية للموقف الخاص بهؤلاء القوم أصحاب الفاقة، كما يقول صاحب دليل الفالحين: "إن فيها اتحاد الناس في خلقهم من نفس واحدة، ثم الأمر باتقاء الأرحام، وقرنه باتقاء الله الدال على أن صلتها من الله تعالى بمكان، وختمها بقوله تعالى:"رقيبا"، لتحمل هذه المراقبة كل غنى على سد خُلة المحتاج لا سيما الرحم، لأن من رأى شقيقه، ورحمه في غاية الحاجة ولم يصله، كان قاطعًا لرحمه وقرابته غير متق لله ولا مستحضر لكونه رقيبًا عليه.

والآية الثانية: في الخطبة اقتبسها الرسول ﷺ من سورة الحشر؛ فيها غاية الحث على ما في الآية التي قبلها وهى الأولى من سورة النساء.

وجاء الأمر بالتصدق في صياغة خبرية في قوله: تصدّق رجل، والخبر هنا أبلغ من الأمر، لدلالته على الوقوع، وكذلك للإيحاء بعدم الإجبار على التصدق، وجَعْل هذا الفعل الخيري في دائرة الاختيار، لمزيد من الصدق وحسن النية، وسلامة القصد، وتحديد منابع الصدقة، جاءت صياغته متآلفة مع الصدق الشعوري، والإسراع في إخراج الصدقة لإنقاذ أصحاب الفاقة، وجاء التنوع متواليًا متواصلاً، لا توقف تواصله حروف العطف، بل جاءت هذه المنابع المتنوعة متدفقة مسرعة على هذا النحو، تصدق رجل أى: ليتصدق رجل: من ديناره ، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشق تمرة،وجاء "رجل" في صيغة النكرة: لأنه وضع موضع الجمع لأن المراد كل الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ ومَنْ في هذا الجزء من الحديث للجنس والتقدير، ببعض ما عنده من هذا الجنس، وفي هذا الجزء كذلك بلاغة الحذف، : فقيل كل نوع من هذه المصادر والمنابع يسبقه لفظ رجل: والتقدير: تصدق رجل من ديناره، ورجل من درهمه، ورجل من ثوبه... إلخ، أي: تصدق رجل مِنْ ... إلخ.

والإيجاز من سمات بلاغة النبوة، وهى البلاغة الإنسانية التي خضعت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، ولقيت دعوة الرسول الكريم الاستجابة الفورية من الصحابة رضي الله عنهم: وبدأ بالتصدق رجل من الأنصار، ولم يحدد اسم الرجل.. لأن العبرة هنا

تتمثل في الاستجابة لدعوة الرسول ﷺ والتعاون والتنافس من أجْل إنقاذ ضعاف المسلمين ، وذوي الحاجات، الذين وقعوا فريسة الفقر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ ٢٤ مَّعۡلُومٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[1]. وتهلل وجه رسول الله حتى صار كأنه "مذهبة" لما توهج به ملامحه من صفاء واستنارة.

والحديث خير درس في التكافل الاجتماعي، والرسول هو القدوة الحسنة، فقد كان أجود بالخير على الناس من الريح المرسلة، ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، حتى مات وليس عنده درهم ولا دينار، وقد أوقف كل أرض كانت قد صارت إليه من الغنائم على رعاياه الضعاف من هذه الأمة، لأن معونة هذه الطبقات المحتاجة حماية للأمة من الفتن، وحفظ لكيانها الاجتماعي من الانحلال، بل في ذلك إنشاء قوة عظيمة للأمة، فعسى أن يكون منهم نوابغ ورجال مؤمنون نافعون.

ولا عجب أن اهتم القرآن والرسول بتلك الطبقات المحتاجة، وجعل الصدقة عليها من سُبل الإيمان والحياة الطيبة، التي تكفل للفرد والجماعة سعادة الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم البدعة، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (١٥٧).

الثاني: حكم الصدقة وسؤال الصدقة بالنسبة للفقير المعدم، حيث اتفق الفقهاء[2] على أنه يجوز للفقير المعدم، والمدين المغرم، أن يسأل الصدقة للقيام بما عليه من واجب سداد الدين، والإنفاق على أهله ونفسه عند العجز عن الكسب لمرض

---

(١) سورة المعارج، آية: ٢٤.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/٤٨، بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٣/٢٢٧، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، الأنصاري للأنصاري ٤/٨٣، حاشيتا قليوبي وعميرة ٣/٢٠٠، كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٣٧٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢/٢٧٨.

أو غيره، أو عند عدم كفايته، وإن كان الأفضل له أن يستعفف عن السؤال وأن يلجأ إلى الله ويستعين بالصبر حتى يفرج الله عنه، ويحرم سؤال الصدقة للغني القادر على الكسب والإنفاق على نفسه وأهله، وإذا سأل الصدقة لم يعط منها، وكره الحنابلة[1] سؤال الصدقة في المسجد والتصدق على السائل فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: الشفقة والتأثر لأحوال المدعوين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على بذل الصدقة وإعانة إخوانهم المحتاجين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي ﷺ.

خامسًا: من صفات المدعوين: الاستجابة والمسارعة إلى بذل الخير.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل السنة الحسنة في الإسلام.

سابعًا: من وسائل الدعوة: جمع الناس والخطبة.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالقرآن الكريم والترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

لقد كان حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ من الأمور التي تواترت واشتهرت. فقد كانوا رضوان الله عليهم يهجرون الأوطان والأهل والأرض والمال من أجل لقائه والجلوس بين يديه، يتعلمون أمور دينهم ويقتدون به في سائر أحواله ويقتبسون من نوره ويتشرفون بصحبته وهو ينشر الإسلام ويقيم دولته. وهذا الأمر لا يحتاج إلى تدليل وبرهان حتى ندلل عليه ونبرهن، وإنما ذكرناه لكونه ورد في هذا الحديث كما هو واضح من قول جرير بن عبدالله رضي الله عنه: "كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ".

وقد قال الله تعالى في صفة أصحاب النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٣٧٢.

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١].

ولشدة حبهم وحرصهم على هذه المجالسة ذكّر النبي ﷺ الأنصار بها لما علم أنهم غضبوا من إعطائه ﷺ المؤلفة قلوبهم أموالاً كثيرة ولم يعطهم شيئًا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رحالكم برسول الله؟ فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. فقالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا))[٢].

ثانيًا- من صفات الداعية: الشفقة والتأثر لأحوال المدعوين:

إن الداعية لا يعيش لنفسه فقط، وإنما يعيش أيضًا في مجتمع إنساني تختلف فيه أحوال الناس غنىً وفقرًا وقوة وضعفًا ونحو ذلك. وهو إزاء هذا الاختلاف يتأثر بظروف أهل الحاجة والفقر والعوز، لأنهم أولى الناس بتأثره واهتمامه وعنايته. وهو بهذا الاهتمام وتلك العناية يدعو المدعوين -ولو بطريق غير مباشر- إلى سد حاجة المحتاجين وإغناء ذوي الفقر والعوز. وهو يفعل هذا اقتداء بإمام الدعاة محمد ﷺ الذي كان عونًا للفقراء والمساكين، كما يتضح في هذا الحديث من قول جرير رضي الله عنه: (فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة. (وتمعر: أي تغير)[٣]. وقال القرطبي: (تغيّر لما شق عليه من فاقتهم)[٤].

وقد كان هذا شأن النبي ﷺ مع المحتاجين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء. فقال: من يضيف هذا الليلة رحمه الله))[٥].

---

(١) سورة النور، آية: ٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٤٧، ومسلم ١٠٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٦٢/٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ٤٨٨٩، ومسلم ٢٠٥٤.

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على بذل الصدقة وإعانة إخوانهم المحتاجين:

إن النفس البشرية تحتاج إلى التذكير دومًا بماعليها فعله والقيام به، فهي وإن كان الأمر ماثلاً أمام عينيها إلا أنها تكون أسرع في الاستجابة إذا ذكرت به ونبهت عليه. وهنا يأتي دور الداعية الذي عليه أن يسارع إلى تذكير المدعوين وحضهم على الإنفاق على المحتاجين وبذل العون لهم. وعندما يقوم الداعية بهذا فإنه يكون أدّى مايجب عليه وذكّر الأغنياء بأن يؤدوا ماعليهم تجاه الفقراء، كما أنه ساعد الفقراء في التوصل إلى سدّ خلتهم وحاجتهم، وكل هذا يعود على المجتمع بالأمن والسلام والمحبة والتوادّ. لذا حث النبي ﷺ، وهو إمام الدعاة، المدعوين وحضهم على بذل الصدقة، فقال: (تصدق رجل من ديناره): قال ابن علان: (خبر بمعنى الأمر وهو أبلغ لدلالته على الوقوع، أي ليتصدق)[1].

وقد كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الإنفاق على الفقراء والمحتاجين، فعن ثمامة بن حَزْن القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان فاطّلع عليهم اطّلاعةً فقال: "ادعو صَاحِبَيْكم اللذين أَلَّباكم عليَّ، فدُعيا له فقال: نشدْتُكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال: من يشتري هذه البقعة من خالص ماله، فيكون فيها كالمسلمين وله خير منها في الجنة؟ فاشتريتها من خالص مالي، فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا رُومة، فقال رسول الله ﷺ من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدُلِيِّ المسلمين وله خير منها في الجنة؟ فاشتريتها من خالص مالي، فأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم[2].

وفي رواية للترمذي: هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٢٦.

(٢) أخرجه أحمد ٧٥/١ رقم ٥٥٥، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٥٥٨/١-٥٥٩ واللفظ له، والترمذي ٣٧٠٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٢١).

نفقة متقبلة؟ والناس مجهدون معسرون فجهزت ذلك الجيش قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياء عددها[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة لأوامر النبي ﷺ:

إن الله عز وجل اصطفى محمدًا ﷺ، واصطفى له أصحابه الذين كانوا خير القرون والأجيال، وإنما استحقوا ذلك لكونهم أشد الناس اتباعًا له، فكان إذا أمرهم ائتمروا وإذا نهاهم انتهوا. وممّا يدل على ذلك هذا الحديث، فقد أمرهم النبي ﷺ بالصدقة "فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفُّه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس...".

وقد كان الصحابة أسرع الناس امتثالاً لأمر النبي ﷺ وقد فاضت الأحاديث بذلك، من ذلك ما رواه يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم دون الأعراض إلى جبل بناحية المدينة، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ وقد كان حنظلة بن أبي عامر الثقفي هو وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فعلاه شداد بالسيف حتى قتله. وقد كاد يقتل أبا سفيان، فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم حنظلة تغسله الملائكة فسلوا صاحبته. فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهائعة فقال رسول الله ﷺ فذاك قد غسلته الملائكة[2].

خامسًا- من صفات المدعوين: الاستجابة والمسارعة إلى بذل الخير:

إن من الصفات الطيبة التي يجدر أن يتحلى بها المدعو، الاستجابة لدعوة الإنفاق والمسارعة إلى الإنفاق، وكذلك يكون شأنه في فعل الخير، لأن هذا يدل على حسن إسلامه وصدق إيمانه، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم أسرع الناس إلى فعل الخير وذلك واضح في قول الراوي: "فجاء رجل من الأنصار بصرّة.... ثم تتابع الناس.. حتى رأيت وجه

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٦٩٩ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٩).

(٢) أخرجه ابن حبان ٧٠٢٥ والحاكم ٢٠٤/٣-٢٠٥ والبيهقي ١٥/٤ وقال محقق صحيح ابن حبان: حديث صحيح.

رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة".

قال القرطبي: (شبه صفاء وجهه بإشراق السرور بصفاء هذاالماء المستنقع في الحجر أو بصفاء الدهن، وسروره بذلك فرحٌ بما ظهر من فعل المسلمين ومن سهولة البذل عليهم ومبادرتهم لذلك، وبما كشف الله من فاقات أولئك المحاويج)[١].

والمسارعة إلى فعل الخير من صفات المؤمنين، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٢] ولما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾[٣] جاء أبو طلحة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ وإن أحب أموالي إليّ بَيْرَحاء[٤] وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله ﷺ: ((بخٍ ذلك مال رابح ذلك مال رابح...))[٥].

فإذا ما اتصف الناسُ بالتنافس في فعل الطاعات، فهذا يُحدث إقبالاً على الخير وإكثارًا منه ونشرًا للفضائل والصفات الطيبة، وسدًّا لحاجات الفقراء والمساكين، كمايتضح في هذا الحديث، فيتضح من قول الراوي: "ثم تتابع الناس...".

وقد قال الله عن الجنة وهي التي يتوصل إليها بالطاعات: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٦].

قال القاسمي: (أي فليرغب الراغبون بالاستباق إلى طاعة الله تعالى. قال ابن جرير: التنافس أن ينفس الرجل على الرجل بالشيء يكون له، ويتمنى أن يكون له دونه. وهو

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٦٣/٣.

(٢) المؤمنون، آية: ٦١.

(٣) آل عمران، آية: ٩٢.

(٤) بيرحاء: بئر من آبار المدينة أو أرض محببة إلى أبي طلحة.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٦١، ومسلم ٩٩٨.

(٦) سورة المطففين، آية: ٢٦.

مأخوذ من الشيء النفيس، وهو الذي تحرص عليه نفوس الناس وتطلبه وتشتهيه. وكأن معناه في ذلك: فليجدّ الناس فيه وإليه. فليستبقوا في طلبه ولتحرص عليه نفوسهم[١].

وقال الرازي: إن مبالغته تعالى في الترغيب فيه تدل على علوّ شأنه، وفيه إشارة إلى أن التنافس يجب أن يكون في مثل ذلك النعيم العظيم الدائم، لا في النعيم الذي هو مكدّر سريع الفناء)[٢].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتنافسون في فعل الطاعات، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت: ((اليوم أسبق أبابكر إن سبقتُه يومًا، فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله قال: وأتى أبوبكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا))[٣].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل السنة الحسنة في الإسلام:

إن المبتدئ بالخيرات له فَضْلٌ كبير، فهو من ناحية قد حاز قصب السبق بفعله هذا، كما أنه في الغالب قد تغلّب بعد جُهدٍ على بعض المعوقات التي كان يمكن أن تعيقه عن المسابقة إلى هذا الفعل، كما أنه أصبح قدوة لغيره لأن يفعلوا مثله، لهذا كان له أجر عظيم، كما هو واضح في قول النبي ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء)).

قال النووي: (فيه الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات. وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله "فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها، فتتابع الناس" وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفاتح لباب هذا الإحسان)[٤].

---

(١) جامع البيان، الطبري ٢٤/٢٢٠.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ١٧/٩٧.

(٣) أخرجه أبو داود ١٦٧٨، والترمذي ٣٦٧٥، وحسنه الألباني (صحيح أبي داود ١٤٧٢).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٦.

ومن هذا القبيل ما فعله الصحابي خبيب بن عدي رضي الله عنه حينما قدمته قريش بمكة للقتل فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي من جزع من الموت لزدت، فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو[1].

وقال القرطبي مبينًا أوجه تفضيل الصحابة رضي الله عنهم على من جاء بعدهم: (ثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فعل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظهم منه أكمل حظ وثوابهم فيه أجزل ثواب، لأنهم سنُّوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"، ولا شك في أنهم الذين سنُّوا جميع السنن وسابقوا إلى المكارم)[2].

وقال ابن حجر عن بعض فضل خديجة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: (ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت أن "من سنَّ سنة حسنة..." وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكلٍّ منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل)[3].

وبالمقابل فإن من سنّ سنة سيئة وابتدأ بها فقد اقتحم باب شرٍّ بجرأته وسهله على غيره، وأزال جدار الهيبة الذي كان يحجز الناس عنه، ومن ثم كان المبتدئ بهذه السنة السيئة عليه وزره ووزر من عمل بها، لأنه مهدها لهم وعبّد طريق فعلها واقترافها.

سابعًا- من وسائل الدعوة: جمع الناس والخطبة:

أما جمع الناس فهذا واضح من قول الصحابي "فأمر بلالاً فأذن" ولاشك أن الأذان

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠٨٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٥٠٢/١ - ٥٠٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٧، وقد ذكر ابن حجر هذا الكلام بعد قولٍ للقرطبي صاحب المفهم، لكن لا ندري هل هذا من كلام القرطبي أم من كلام ابن حجر؟ وهذا الكلام غير موجود في المطبوع من المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٣١٩/٦.

جمع للناس للصلاة، وهذا ما جاء في الحديث "ثم صلّى" أما الخطبة "ثم خطب" فقد كانت وسيلة مباشرة تناسب الموقف الذي لا يناسبه إلا الإسراع إلى التصدق على هؤلاء المحتاجين والمبادرة إلى إغنائهم وسد خلتهم.

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالقرآن الكريم والترغيب والترهيب:

فقد بدأ النبي ﷺ خطبته بذكر آيات من القرآن تذكر بالأخوة وتذكر بيوم القيامة وما أعده الإنسان لذلك اليوم، وقد كان هذا الاستشهاد في موضعه، والنبي ﷺ سيد البلغاء، وقد استجاب المدعوون لما ندبهم إليه رسول الله ﷺ.

أما الترغيب والترهيب فهو في آخر الحديث، فقد رغب النبي ﷺ في فعل السنن الحسنة والابتداء بالخيرات وبيّن أجر من فعل ذلك وثوابه العظيم، ومن ناحية أخرى رهّب من الابتداء بالأمور المستقبحة والمبتدعات لما في ذلك من العقاب الوخيم لمن فعل ذلك.

قال القرطبي: (يُفيد الترغيب في الخير المتكرر أجره بسبب الاقتداء، والتحذير من الشر المتكرر إثمه بسبب الاقتداء)[1]، وقال ابن الجوزي: (فليجتهد الإنسان في فعل خير يلحقه ثوابه بعد موته، وليحذر من فعل شر يدركه إثمه بعد تلفه)[2].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٦٣/٢.

(٢) معاني الصحيحين ٢٥٤/١ [مخطوط] نقلا عن تعليق د. فؤاد عبدالمنعم أحمد على الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٨/٨.

الحديث رقم (١٧٢)

١٧٢- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**ليس مِنْ نفْسٍ تُقْتَلُ ظُلمًا إلاَّ كَانَ عَلَى ابنِ آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دمِهَا، لأَنَّهُ كَان أَوَّل مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

الكفل: النصيب[2].

الشرح الأدبي

إن حياة الإنسان أمانة استودعها الله إياه، وهو مكلف بالحفاظ على هذه الحياة، وعدم ارتكاب ما يلقي بالنفس إلى التهلكة، وعدم الإقدام على قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، والجنايات في نظر الإسلام هي المحظورات الشرعية التي زجر الله عنها بحد أو تعزيز، وهى إما إتيان فعل منهي عنه، أو ترك فعل مأمور به، فإن ذلك في نظر الإسلام جريمة لما يترتب عليها من الضرر الكبير في نظام الجماعة، أو بعقائدها أو بحياة أفرادها، أو بأموالهم وأعراضهم ومشاعرهم، وقد شُرع العقاب على الجريمة لمنع الناس من اقترافها، ما دام النهى عن الفعل أو الأمر بإتيانه لا يكفي وحده لحمل الناس على إتيان الفعل أو الإقلاع عنه[3].

وفي ضوء هذا المنظور الإسلامي للحفاظ على النفس الذاتية والغيرية نستجلي أسرار الحديث وجمالياته التعبيرية، لأن جريمة القتل العمد من أكبر المحرمات، وأخطر الجرائم، وأشدها إخلالاً بالأمن، وأكثرها تسببًا للاضطراب والفوضى في المجتمع،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢١) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٧/٢٧). أورده المنذري في ترغيبه (٩٦).

(٢) الوسيط في (ك ف ل).

(٣) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٨٧-٨٨.

ولذا كانت من السبع الموبقات التي عدها النبي ﷺ في حديثه الشريف.

ومنطوق الحديث يضاعف من حجم جريمة القتل، ويضاعف من عقابها، لأن القاتل الأول وهو قابيل ابن آدم ، يتحمل وزر كل دم أزهق بغير حق، فكل جرائم البشرية تعود إلى منبعها الأول، وهو الذي سن سنة سيئة في التاريخ الإنساني، ومن هنا يرتبط هذا الحديث بوشائج موضوعية ومصيرية بالحديث السابق، وهو يعد أنموذجًا تطبيقيًا للوجه المرفوض الذي يؤصل للسنن السيئة، وهو عليه وزْرها ووزْر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، وابن آدم القاتل هو الذي استن سنة سيئة.

ولذلك يقول رسول الله في هذا الحديث: "ليس من نفس تقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها".

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الجامع، وأول ظاهرة أسلوبية تتمثل في أسلوب القصر الذي غلّف صياغة هذا الحديث الشريف، وأسلوب القصر يؤكد أن المسؤولية تقع على من سن سنة سيئة وهو أول من سن القتل ظلمًا، وكل من ارتكب جناية أو ابتدع ذنبًا أو اقترف إثمًا، وقلده مَنْ بعده في ذلك فلابد أن يتحمّل وزْر ما جَنته يداه، وما أشاعته سلوكياته من آثام انقاد فيها لهواه، والحرف "من" في منظور النحاة: حرف زائد ولكن له وظيفة بلاغية أسلوبية: فهو لتأكيد استغراق النفس، ويدل على الاستقصاء: أي ليس هناك نفس آلت إلى هذا المصير إلا وابن آدم يتحمل وزر دمها ويلحق به العقاب الأليم.

وبناء الفعل للمجهول "يُقْتل" يوحي بأن القاتل يحاول التخفي، ويتستر دائمًا على جريمته، ولكن مهما فعل فإن دم القتيل لن يفارق سيرته ولا ظله، وسيظل يطارده حيًا وميتًا وكيف لا.. والقاتل الأول يتحمل ويحمل بعض دم هذا القتيل، وهى قصة تتكرر في كل جيل، وكل مكان. وقوله "ظلمًا" احتراس : لأن القتل يمكن أن يكون في ساحة المعركة فيفوز الإنسان بالشهادة، ويمكن أن يقتل الإنسان قصاصًا، وهناك القتل "الخطأ" وهناك القتل "شبه الخطأ" .

وعدم التصريح باسم قابيل لأنه معروف لكل ذي لب، ولا يخفى على ذي عينين،

واسم القاتل ليست له ثمرة نافعة في هذا السياق، وقد يكون عدم التحديد للإيحاء بأنَّ كل مَنْ قام بمثل هذا العمل فهو يقتدي بقابيل، وعليه الوزْر الذي نشب بأظفاره في سيرة ابن آدم الأول، والحديث يدعو إلى المؤاخاة بين المسلمين، وإلى أن يحافظ المسلم على أخيه المسلم، فكل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، كما أوصى بذلك المبعوث رحمة للعالمين، محمد ﷺ الصادق الوعد الأمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرمة القتل بغير حق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من سن السنن السيئة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس.

رابعًا: من أساليب الدعوة: القصر والترهيب والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرمة القتل بغير حق :

لقد صان الإسلام النفس البشرية، وعمل على الحفاظ عليها بكل طريق ممكن، وحرم الاعتداء عليها ظلمًا وعدوانًا، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ "ليس من نفس تقتل ظلما..".

وقد تضافرت النصوص من القرآن والسنة بتحريم القتل بغير حق ظُلمًا وعدوانًا، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] أي: (بسبب جناية القتل هذه شرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض بمحاربة شرع الله، فكأنما قتل الناس جميعًا فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله، وأنه من امتنع عن قتل نفس حرمها الله فكأنما أحيا الناس جميعًا، فالحفاظ على حرمة إنسان واحد حفاظ على حرمات الناس كلهم)[2].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ١١٣.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر قال: ((الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور))[١].

قال عبدالله البسام: (حرص الشارع الحكيم الرحيم على بقاء النفوس وأمنها فجعل لها من شرعه حماية وصيانة، فجعل أعظم الذنوب بعد الشرك قتل النفس التي حرّم الله قتلها، وبهذا حفظها من الاعتداء عليها)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من سنّ السنن السيئة:

إن الإقدام على فعل السنن السيئة والمسارعة إليها لأمر خطير جدًا، فهو يهوّن من شأن اقتراف المعصية والذنوب، فضلاً عن العمل على شيوعها وانتشارها في المجتمع، ومن ثم يستحق من فعل ذلك العقاب الشديد، ذلك واضح في عظم الذنب الذي ينال ابن آدم القاتل، حيث أخبر النبي ﷺ بأن ابن آدم الأول "كان أول من سن القتل".

قال القرطبي: (وقوله: "لأنه أول من سن القتل" نصٌّ على تعليل ذلك الأمر؛ لأنه لما كان أول من قتل، كان قتله ذلك تنبيهًا لمن أتى بعده، وتعليمًا له. فمن قتل كأنه اقتدى به في ذلك، فكان عليه من وزره. وهذا جار في الخير والشر؛ كما قد نصّ عليه النبي ﷺ في الحديث المتقدِّم بقوله: ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ ثَوَابُهَا وَثَوَابُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٣].

وبهذا الاعتبار يكون على إبليس كفلٌ من معصية كل من عصى بالسجود؛ لأنه أول من عصى به. وهذا - والله أعلم - ما لم يتب ذلك القاتل الأول من تلك المعصية؛ لأن آدم عليه السلام أول من خالف في أكل ما نُهي عنه، ولا يكون عليه شيء من أوزار من عصى بأكل ما نهي عنه، ولا شربه ممن بعده بالإجماع؛ لأن آدم عليه السلام تاب من ذلك، وتاب الله

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٣، ومسلم ٨٨.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ١٦٦/٥ - ١٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١٧، من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

عليه، فصار كأن لم يجن؛ فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. والله تعالى أعلم.

وابن آدم المذكور هنا هو: قابيل، قتل أخاه هابيل لما تنازعا تزويج إقليمياء، فأمرهما آدم أن يقرّبا قربانًا، فمن تُقبل منه قربانه كانت له، فتُقبل قربان هابيل فحسده هابيل فقتله بغيًا وعدوانا. وهكذا حكاه أهل التفسير)[١] [٢].

قال ابن حجر: (قال المهلب: هذا الباب والذي قبله في معنى التحذير من الضلال واجتناب البدع ومحدثات الأمور في الدين، والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين انتهى. ووجه التحذير: أن الذي يحدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر، ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسدة، وهو أن يلحقه إثم من عمل بها من بعده، ولو لم يكن هو عمل بها، بل لكونه كان الأصل في إحداثها)[٣].

وقد جاءت نصوص من الكتاب والسنة تحذر من ابتداع السنن السيئة وإحداثها.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾[٤].

قال مجاهد: حملهم ذنوب أنفسهم وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف ذلك عمن أطاعهم من العذاب شيئًا[٥].

وقال النبي ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا))[٦].

---

(١) عند الآيات ٢٧ - ٣١ من سورة المائدة.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيى الدين مستو وآخرين ٤١/٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٥/١٣، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٣.

(٤) سورة النحل، آية: ٢٥.

(٥) أخرجه ابن جرير ٢٠٠/١٤ وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٤١/٩.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس:

إن المحافظة على النفس البشرية من القضايا التي أولتها الدعوة الإسلامية أهمية كبرى، ودعت إلى المحافظة عليها بسن التشريعات التي تكفل حمايتها وصيانتها من الاعتداء عليها، كما هو واضح في الحديث. فقد نصّ الحديث على حرمة القتل ظلمًا، لأنه رتب على ذلك الإثم والذنب، والمحافظة على النفس من الضرورات الخمس التي جاء الشرع بحفظها، وخاطبت الدعوة المدعوين ليحافظوا عليها[١].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب))[٣]. (إن حفظ النفس هو المقصد الضروري الكلي الثاني، ومعناه: المحافظة على حق النفس البشرية في الحياة والسلامة والصحة والكرامة والحرمة الجسدية والعقلية والروحية، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٤]، ويقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٥].

ولأجل حفظ النفس شرعت أحكام شرعية كثيرة منها: منع القتل بغير حق، وتشريع القصاص ومنع التمثيل والتشويه، ومعاقبة المحاربين وقطاع الطرق الذين يستخفون بحرمة النفس الإنسانية وكرامتها، ومنع حرق أجساد الموتى، ولزوم إكرامها بالغسل والتكفين والدفن، وكذلك منع الاستنساخ البشري والتلاعب بالجينات والمتاجرة بالأعضاء والخلايا البشرية، والنهي عن التشريح بلا مصلحة شرعية لازمة ومعتبرة، هذا وقد أمر الله عز وجل بأخذ ما تقوم به النفس وتحيا من لزوم تناول

---

(١) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ٦٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

(٥) سورة التين، آية: ٤.

الغذاء السليم والعلاج القويم، والشراب والكساء)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: القصر والترهيب والتعليل:

أما القصر فأداته في الحديث "ليس وإلا" النفي ثم الاستثناء، وهذا يوضح خطورة ما فعله ابن آدم الأول الذي قتل وتجرأ على ذلك، ومن ثم استحق العقاب العظيم.

أما الترهيب فإنه يستنبط من مضمون الحديث، فإنه يرهب من خطورة القتل نصًّا، ويفهم منه خطورة سن الأمر السيئ الذي لا يقتصر على فاعله الأول فقط، بل يمتد ليشمل أيضًا من فعله بعده، وهذا بدوره يضيف ذنبًا إلى الفاعل الأول، لأنه كان البادئ بذلك.

وأما التعليل فواضح من قوله ﷺ "لأنه أول من سن القتل" وفائدة هذا التعليل الترهيب من ابتداع الأمور المستقبحة، والابتداء بها، والجرأة على اقتحامها.

---

(١) المقاصد الشرعية: تعريفها وأمثلتها وحجيتها، د. نور الدين بن مختار الخادمي ص ٩١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإسلام يجعل الفقراء في ذمة الأغنياء، وأولى الناس بحل مشاكلهم ولي أمر المسلمين، فإن لم تحل مشكلة الفقراء في حدها الأدنى - المطعم والمشرب والملبس - أثم الجميع، ومن أسس التربية في هذا الباب:

أولاً- غرس خلق البذل والعطاء:

وذلك من خلال وقوفه ﷺ خطيباً في الناس، من أجل أن يتصدقوا من أموالهم لهؤلاء الفقراء الذين جاءوا من مضر، وعليهم علامات الفقر المدقع، فتمعر وجهه ﷺ وخطب في الناس: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ»، حَتَّىٰ قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وبهذا يبين النبي ﷺ أن العطاء ليس له حد أدنى؛ فكل إنسان يمكنه أن يتصدق مما معه، وإن كان ما يملك صاعاً من تمر أو بر، بل ولو لم يكن عند المرء إلا تمرة واحدة، فإنه يتصدق بنصفها.

وأصل العطاء في الإسلام أن المرء يثق بما عند الله تعالى، وأنه سوف يزيد المال إذا تصدق منه، وكذلك فإن سد حاجة المحتاج من المبادئ الإسلامية الأصيلة التي غرسها الإسلام في نفوس المسلمين، حتى لا يكون فقير ولا محتاج ولا جائع بين المسلمين إلا وعنده ضروريات الحياة الأساسية من الطعام والكساء.

إن من يقضي حوائج الآخرين ويفرج كربهم، إنما يدَّخر ذلك لنفسه ولعقبه من بعده، فالأيام دول، وخير ما يُدَّخر لتقلبات الزمان هو المعروف الذي يبذله الإنسان لأخيه الإنسان[1].

والبذل والمساعدة والمعونة من أفضل الأعمال وأكثرها نبلاً، وأجلها فائدة، وهذه السجايا الرفيعة يبعث عليها حب الخير للناس، وإيثار الصلاح لهم، وهذه الأفعال الحميدة تعود بنفعين: نفع على فاعلها في اكتساب الأجر، وجميل الذكر، وحسن

---

(١) موسوعة مكارم الأخلاق، ٢٦/١٥.

الثناء، ونفع على المُعَان بها، في التخفيف عنه، والمساعدة له، في تفريج كربته، وكشف غمته، وإدخال السرور إلى قلبه[١].

ثانياً- التربية بالممارسة العملية:

وذلك في موقف الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من خطبته ﷺ وتذكيره بحاجة هؤلاء المحتاجين، فما كان إلا أن قام كل واحد منهم إلى ما يملك، وعلى قدر استطاعته، فأعطى مما لديه، فجاء رجل من الأنصار بصرة كبيرة تكاد يده تعجز عن حملها، ووضعها، ثم ما لبث الصحابة أن تصدقوا بالطعام والثياب، حتى اجتمع كومان من الطعام والثياب، وتلك ممارسة للفضيلة وليس مجرد إيمان قلبي بها.

إن الصحابة الكرام ضربوا بفعالهم المثل الأروع في البذل والعطاء وإغاثة الملهوف، فحق على كل مسلم أن يتأسى بهم، وبما صنعوه مع هؤلاء الفقراء، الذين قدموا من مضر، وعليهم علامات الفاقة والعوز.

ولا شك أن الممارسة العملية "من طرق التربية الفعّالة، وميزتها أن التغير في السلوك يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزاً، فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمداً في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي على البارد بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر"[٢].

إن التعليم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية؛ فالإيمان قول وعمل، وقد مارس الجيل الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان، وذلك لقربهم من ينبوع الوحي، وراح الجيل الثاني (التابعون) يحاكي الصحابة في ممارستهم السنة، وهكذا دواليك حتى يومنا هذا[٣].

---

(١) السابق، ٢٩/١٥.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٣) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٧.

ثالثاً- التربية على التكافل الاجتماعي:

إن موقف النبي ﷺ الذي سلكه مع فقراء مضر يدل دلالة قاطعة على منهج التربية الإسلامية في إرساء مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراده، فالغني يساعد الفقير، ولا يتركه يتكفّف الناس، لأن المسلم أخو المسلم ومن أعان أخاه المسلم في كربته فإن الله في عونه، ولهذا فقد علم الصحابة الكرام هذا المبدأ ودعوه، وترسخ في نفوسهم، فأخرجوا من مالهم لمساعدة الفقراء، حتى أن أحدهم جاء وهو يحمل صرة أعياه حملها ليقدمها إلى هؤلاء المساكين.

ولقد حث النبي ﷺ كل مسلم على هذا المبدأ، مهما كانت درجة غناه أو فقره، حتى الذي يملك ثمرة واحدة، فعليه أن يقسمها بينه وبين أخيه الجائع ليسد حاجته، ويشبع جوعه.

لقد جاء الإسلام بهدي ورحمة، وتعاليم تعالج مشكلات الفرد والمجتمع علاجاً يقتلع الداء من الجذور، لا مجرد علاج سطحي بمسكنات وقتية، تخفّف الألم ساعة من الزمن، ولا تستأصل جرثومة المرض... إن نظرة الإسلام إلى الفقر وعلاجه له، ووسائله في علاجه، ورعايته لحقوق الفقراء، وكفالته لحاجاتهم المادية والأدبية تجعله مذهباً متميزاً من كل مذهب آخر[1].

رابعاً- التربية بالترهيب:

لقد رهّب النبي ﷺ من أن يكون المرء أسوة لغيره في عمل الشر، وذلك بمجاهرته به، وسنّه للناس، فقال ﷺ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْها...»، وذلك أنه كان أول من شرع القتل وعلمه للناس، فاستحق أن ينال وزر القتلة جميعاً من بعده؛ دون أن ينقص من وزرهم شيء، وذلك الترهيب وجهه النبي ﷺ حتى لا يقع أحد في هذه الجريمة المنكرة، فيكون وزره مضاعفاً إذا اقتدى به أحد غيره.

---

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٦، ٧.

إن الترهيب "هو العنصر الذي يمثل القوة الصادّة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام؛ وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقاً حذراً.... وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافاً نهائياً، وتكتسب خلق الزهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إجراءاتها آسرة، ومثيرة لرغباتها وأهوائها[1].

❁ ❁ ❁

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص ٢٥٥.

٢٠- باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾[القصص: ٨٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة:٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾[آل عمران:١٠٤].

الحديث رقم (١٧٣)

١٧٣- وعن أَبي مسعودٍ عُقبَةَ بْن عمْرٍو الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مثلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

إن الترغيب في عمل الخير من أهم معالم المنهج الإسلامي، وقد وعد الله سبحانه كل من يُقْدم على عمل الخير أن يضاعف له الثواب إلى سبعمائة ضعف، وهو يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

وما أجمل هذه الكلمة "الخَيْر" وما أعظم دلالاتها، إنها تتوهج وتشع بكل عمل صالح جليل، وكل سلوك بشري نبيل، وكل قول صادق جميل، وما أكثر الطرق التي يرتادها الصالحون لعمل الخيرات، وما أجلّ النتائج التي تبزغ كالشموس من آفاق المكرمات والمساعي الطيبات، والحديث الشريف يقودنا إلى دروب الخير المضيئات، وإلى حقول الهدى المثمرات، وهى دروب الذين يخشون ربهم، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾

---

(١) برقم (١٨٩٣/١٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٤).

أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[١].

ولنتأمل في ضوء هذا التصور الإسلامي لمصطلح "الخير" وما تتجمع حوله من دلالات وما تنطلق منه من إشعاعات، لنتأمل دلالته في سياق هذا الحديث الشريف الذي يتسم بالإيجاز والبلاغة، فالحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة، وهى جملة شرطية، "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، ومنطوق الحديث يعد الدال على الخير بالأجر والثواب الذي يقوم به فاعل الخير.

ومفهوم الحديث يتضوأ بمدلول لابد أن يفطن إليه الناس وهو: أنه لا يدل على فعل الخير إلا من كان فعل الخير أو قوله من سماته في الحياة قولاً وفعلاً وسلوكًا.. ولذلك يستحق الأجر على هداية الغير إلى الخير، والخير كما جاء في أساس البلاغة، هو العمل الكريم، وهو من صفات رسول الله ﷺ، فرسول الله خيرته من خلْقه، ويقال: هو من أهل الخير، والخير هو الكرم، ويقال: هو كريم، الخير والخيم: وهو الطبيعة[٢].

وألفاظ الحديث قليلة في مبناها كثيرة في معناها.. وأداة الشرط "مَنْ" للعاقل، وهى تفصح عن طبيعة ذلك الدال على فعل الخير، وهى العقل والعلم والحكمة، والموعظة الحسنة المرغبة.

والفعل "دل" ترشد مادته اللغوية إلى أن النائي عن فعل الخير كالتائه في مفازة متشعبة ومترامية الأطراف، وحين يجد من يرشده إلى "الخير"، يهتدي إلى الطريق الصحيح بفضل الدليل الصادق الأمين.

واختيار لفظ "على" أعمق في دلالته من لفظ "إلى" في هذا السياق لأن "على" تفصح عن وضوح الدلالة، وعن تحديد هذا الخير الذي استُدل عليه، أما "إلى" فالمدلول يحتاج إلى جهد حتى يصل إلى المدلول عليه، وهو "الخير" المراد، ومجيء كلمة "خير" في صيغة النكرة يعطي للمدلول اتساعًا في التصور والمفهوم.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧-٦١.

(٢) انظر: أساس البلاغة للزمخشري، مادة (خ ي ر).

فكل فعل جميل أو قول كريم هو خير عميم، ويأتي جواب الشرط حاسمًا جازمًا، حيث يَعُد هؤلاء الدالين على فعل الخير بأن لهم أجرًا مساويًا لأجر من فعل الخير أو اتصف به، وكلمة "فاعله" تفصح عن حتمية القيام بفعل الخيرات واتباع النصيحة، والاستجابة لكل من يدل على الخير، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدلالة على الخير.

ثانيًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده.

رابعًا: من أهداف الدعوة: نشر الخير في المجتمع.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الدلالة على الخير:

إن الإسلام يحث على نشر الخير بين المدعوين، وذلك للفوائد العميمة والمنافع الكثيرة التي تعود على الفرد والمجتمع من وراء ذلك، ومن طرق نشر الخير الدلالة عليه، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ "من دل على الخير فله مثل أجر فاعله"، فقد رتب الشرع الثواب على الدلالة على الخير فدل ذلك على فضله. والحديث له قصة. فقال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أُبْدِع بي[2] فاحملني فقال: ما عندي. فقال رجل: يا رسول الله أنا أدلُّه على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[3].

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٢) هو بضم الهمزة ومعناه: هلكت دابتي وهي مركوبي، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم)[١].

وقال الصنعاني: (دلّ الحديث على أن الدلالة على الخير يؤجر بها الدال عليه كأجر فاعل الخير.. والدلالة تكون بالإشارة على الغير بفعل الخير، وعلى إرشاد ملتمس الخير على أنه يطلبه من فلان والوعظ والتذكير وتأليف العلوم النافعة، ولفظ خير يشمل الدلالة على خير الدنيا والآخرة، فلله در الكلام النبوي، ما أشمل معانيه وأوضح مبانيه، ودلالته على خير الدنيا والآخرة!)[٢].

ولا شكَّ أن الدلالة على الخير من قبيل نفع الناس وحب الخير لهم، وقد قال النبي ﷺ ((أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة- شهرًا... ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام))[٣].

ثانيًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن الداعية لا يدخر جهدًا في دلالة المدعوين على ما ينفعهم، لأنه يحب الخير لهم ولأنه قائدهم إلى الفلاح للدنيا والآخرة، وهو معلمهم ومرشدهم وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما في هذا الحديث، وذلك واضحٌ في إخبار النبي ﷺ أن من دلَّ على خير كان له مثل أجر فاعله، ولا شك أن هذا نفع للمدعوين للدَّال على الخير والمدلول عليه، فضلاً عمن حَصَل له الخير.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥. وقال ابن الجوزي: "فيه إشكال: وهو أن يقال: الدلالة كلمة تقال وفعل الخير إخراج مال محبوب، فكيف يتساوى الأجران؟ فالجواب: أن المثلية واقعة في الأجر، فالتقدير لهذا أجر كما أن لهذا أجرًا.. وإن تفاوت الأجران". معاني الصحيحين ٤٠٢/١ مخطوط، نقلًا عن تعليق الدكتور فؤاد عبدالمنعم علي، الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ١٧٧/٨ - ١٧٨.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ص ٩٤٦ - ٩٤٧.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٦٤٦/١٢، وحسنه الألباني (السلسلة الصحيحة ٩٠٦).

وقد وصف الله تعالى ما يبلغه رسول الله ﷺ للمؤمنين بأنه ﴿تُحْيِيكُم﴾، ولاشك أن هذا أعظم النفع والفائدة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1] ففي ذلك "تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم"[2].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرّ ما يعلمه لهم))[3] قال ابن عثيمين: (كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان منهم النصيحة لأقوامهم، يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذرونهم منه، وهكذا يجب على أهل العلم وطلبة العلم أن يبينوا للناس الخير ويحثوهم عليه، ويبينوا الشر ويحذروهم منه؛ لأن علماء هذه الأمّة ورثة الأنبياء، فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي ختمت النبوة به، فلم يبق إلا العلماء الذين يتلقون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والتحذير منه)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده:

خلق الله الخلق وتفضل عليهم سبحانه بنعمه الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى، فهم يحيون بفضله ويدخلون الجنة بفضله، ويثيبهم على العمل بفضله كما هو واضح من هذا الحديث أن الله أعطى – بفضله ومنّه-من دلَّ على خيرٍ، أعطاه ثواب من فعله، دون أن يشترط في ذلك أن يفعله، قال النووي: ((والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا))[5].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور، مج٤/٩/٣١٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٩٦٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

والله سبحانه وتعالى ذو الفضل العظيم والمن الكثير على عباده. قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1] قال القرطبي: (إن الجنة لا تنال ولا تدخل إلا برحمة الله تعالى وفضله)[2].

وقال النبي ﷺ لأصحابه: ((لن يدخل أحدًا منكم عملُه الجنة: قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضلٍ ورحمة))[3] فالله فضله على عباده عظيم لا يحصى ولا يعدُّ.

رابعًا- من أهداف الدعوة: نشر الخير في المجتمع:

جاء الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضيق إلى السعة، ومن الظلم إلى العدل، وفي جملة واحدة: إنما جاء الإسلام بالخير للبشرية جمعاء، وخير دليل على ذلك أنه لم يكتف بدعوة المدعوين إلى فعل الخير لينالوا الثواب المترتب على ذلك فقط، وإنما دعاهم أيضًا إلى أن يدلُّوا غيرهم على الخير، لينالوا ثواب من فعله، وفي هذا تحفيز مابعده تحفيز إلى فعل الخير.

إن جعل الثواب لمن دل على الخير حافز للمدعوين على نشر الخير وإشاعته في المجتمع والتعاون على ذلك والتكاتف.

قال عبدالله البسام: (وحديث الباب يدل على أن من دلّ على خير، سواء أكان من خير الدنيا أو خير الآخرة أن له من الأجر مثل أجر من فعل، من غير أن ينقص من أجر المقتدي به شيء، وإنما هو أجر بسبب كونه قدوة في الخير وأسوة في عمل الإحسان. ومن أفضل الأعمال الصالحة التي يتعدى نفعها وتبقى ثمارها هو العلم النافع، الذي هو شرع الله تعالى من أصوله وفروعه، وما أعان على فهمه، فمن نشر هذا العلم فقد

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مج٩/١٧/٢٥٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

ضرب بسهم وافر من القدوة الحسنة، والدلالة على الصراط المستقيم، وقدأخرج الناس - بإذن الله تعالى - من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية والرشاد، ونال بهذا عظيم الأجر من الله تعالى فقد قال ﷺ: ((لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[(١)(٢)].

وقد جاءت نصوص من الكتاب والسنة تحضّ على نشر الخير بين الناس. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[(٣)] قال ابن عاشور: (الضمير في ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾ للمسلمين، أي ليُعن بعضكم بعضًا على البر والتقوى، وفائدة التعاون تيسير العمل وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر حتى يصبح ذلك خلقًا للأمة)[(٤)].

وقال النبي ﷺ: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[(٥)].

قال النووي: (السلام أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... ،ورفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله، لا يتبع فيه هواه ولا يخصّ أصحابه وأحبابه به)[(٦)].

ولا شك أن هذا كله يؤكد أن إفشاء السلام من طرق نشر الخير في المجتمع وإشاعته بين الناس، ولذلك حضّ عليه النبي ﷺ وحثّ عليه.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٠١، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٦/٢٦٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) التحرير والتنوير، مج٣/٦/٨٧-٨٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٠٣-١٠٤.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الدلالة على الخير وبذل الوسع في ذلك وإنفاق الجهد فيه، بأن جعل لمن دل على الخير ثواب من فعله، وفي هذا تحفيز وشحذ لهمم المدعوين وتشجيع لهم على فعل الخير والدلالة عليه والتنافس في هذا المجال.

الحديث رقم (١٧٤)

١٧٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أَن رسولَ اللّه ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِم شَيْئًا، ومَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنقُصُ ذلكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الدعوة إلى الله هي مفتاح كل خير، ومغلاقُ كل شر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر من معالم شخصية المسلم ومعالم منهجه الحياتي، فهو على قدر استطاعته – يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

والمؤمن في استقباله للمعروف هاش باش، لا يقبِّح معروفًا، ولا ينصر منكرًا، وهو في استقباله للمنكر رافض في ظلال النية الصادقة، والعزيمة المحققة على محو هذا المنكر وتغييره إما باليد في حال القدرة على التغيير، أو رفض هذا المنكر وتغييره بنشر الوعْي بين جماهير الأمة وإرشادهم إلى الطريق الصحيح بما يملك الداعية من طلاقة لسان، وعذوبة بيان، وقوة تأثيرية، وخبرة معرفية شرعية.

وإذا لم يملك المسلم القدرة على التغيير باليد أو إصدار القرار والقوانين التي تغير، فليخاطب الناس ولينشر بينهم الوعى الصحيح، وليرشدهم إلى الطريق السوي، والمنهج الجلي.

وإذا لم يملك هذا الداعي القدرة المادية، ولم تكن لديه القدرة البيانية، والخبرة العلمية، والملكة الدعوية فليس أمامه إلا الإنكار بالقلب، فالشعور مَرْصد المؤمن، وميزان استجابته للأشياء.

---

(١) برقم (٢٦٧٤/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٨٤).

ومن حديقة هذا الحديث الشريف نقتطف هذه الثمرات الدانية التي نضجت في دوحة هذا الحديث المباركة، وهذا الحديث مشحون بكثير من الطاقات المحفزة إلى فعل الخير، والدعوة إلى الله بالحسنى مثل الحديث السابق.

ولتتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، وهى جماليات تنبع من حسن اختيار الألفاظ، ودقة موقعها من نظم الجملة، ودرجة التحامها بباقي كلمات الحديث الشريف والبلاغة كما قال: عبدالقاهر الجرجاني هى: توخي معاني النحو بين الكلم.

وأول ظاهرة أسلوبية في هذا الحديث هي صياغته في قالب الجملة الشرطية، فهو يتكون من جملتين شرطيتين، أولاهما تبشر الداعين إلى الهدى بالأجر الجزيل مثل أجر الذين تبعوهم، والثانية تنذر العاصين والملحدين الداعين إلى الضلال، وهم يبوءون بالخسران المبين، ويلحق بهم الإثم والويل والثبور.

وكلمة "هدى" موجزة ولكنها تتسع في مدلولها لتشمل كل عمل من أعمال البر، والعبادات، والمعاملات والعقائد، وكلمة "إلى" ترشد إلى ضرورة الحركة في الدعوة، وإلى قصدية التوجه الصادق والمسعى الحميد إلى نَشْر الهدى والتعبير بالفعل كان في قوله "كان له من الأجر" يتجاوز الوظيفة الإعرابية للفعل وهو فعل ماضٍ ناقص.

و"كان" هنا ليست ناقصة الدلالة، وإنما في هذا السياق تفيد الثبات وتأكيد الحكم لأنه قضاء الله وحكمه.

و "له" في هذا السياق المبشر تفيد الملكية والاختصاص، وهى تقابل "عليه" في سياق الإثم، وفي قوله "مثل أجور" من تبعه، جاءت كلمة "أجور" جمعًا لترشد إلى مضاعفة أجر الداعي إلى الهدى، وأن هذا الأجر يتزايد كلما زاد عدد المستجيبين لهذه الدعوة، وعدد الذين اهتدوا، وزادهم الله هدى.

وعبر بقوله، "من تبعه" لأن اتباع الخير واجب، والاتباع في الشرع يفيد أن المتبوع على حق، وفي اللغة يقولون تابعه على كذا: أي: وافقه عليه، ويقولون تبعت النحل تُبَّعها وهو يَعْسوبها الأعظم. وتبعت الأغصان الريح.

والحديث تكمن دلالته في اتكائه على عنصر المقابلة بين جناحى المعنى المراد توصيله. فالطرف الأول يتمثل في الدعوة إلى الهدى واتباع هذه الدعوة، ثم الأجر الذي يتضاعف بعدد المدعوِّين، والطرف الثاني المقابل للأول والموازي له هو الدعوة إلى "ضلالة" ثم الإثم الذي يلحق بهذا الداعي، ويتزايد كلما زاد عدد الضالين والمغضوب عليهم، وهذان الطرفان المتناقضان يمثلان بؤرة الصراع بين الخير والشر، وبين الهدى والضلال.

والتضاد اللفظي الذي يجسد هذا الصراع يتجلى في هذه الثنائيات الضدية: "هُدىً - ضلالة"، و"الأجر - الإثم"، و "أجور- آثام"، و"كان له - وكان عليه".

والتعبير بقوله "كان له" في سياق الدعوة إلى "الهدى" يوحي بالملكية والاختصاص والمثوبة والتكريم والتعبير بقوله: "كان عليه في سياق الدعوة إلى ضلالة" يفصح عن شدة الوزر، وتحمل عقاب الدعوة إلى ضلالة، لأنه لم يكتف بأنه يسنّ سنة سيئة في الإسلام ، بل حاول الدعوة إلى الضلال .. فعليه وزر دعوته ووزر كل من عمل بها مهما تكاثر العدد، وتعددت البيئات ، وتوالت الأزمنة.

والتعبير بقوله "من الأجر" في سياق "الهدى"، يشير إلى التبشير بالثواب والترغيب في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والتعبير بقوله "من الإثم" في سياق الضلالة للتحذير من هذه الدعوة، والإفادة أن العقاب ملازم للإثم: والتعبير بالإثم: لتذكير صاحبه بجرمه، وتنفيره منه، والإثم يستلزم العقاب الأليم.

والتوازي الأسلوبي بين طرفي الحديث في قوله: "لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا". وقوله: "لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا"، فيه إيحاء بالعدالة في الحساب، وأنه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]. وقال سبحانه تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى وشناعة الدعوة إلى ضلالة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى وشناعة الدعوة إلى ضلالة:

إن الدعوة إلى الهدى لها أجر عظيم، كما أن الدعوة إلى الضلالة عليها إثم عظيم، وهذا واضح جليٌّ في الحديث "من دعا إلى هدى ... ومن دعا إلى ضلالة..." فإن من دعا إلى هدىً لم ينل ثواب ذلك فقط، وإنما يناله أيضًا مثل ثواب من تبعه، فهذا فضل عظيم ومنقبة كبرى. ومن ناحية أخرى فإن من دعا إلى ضلالة لم يلحقه إثمه فحسب، وإنما يحمل أوزار من تبعه وعمل بضلالته كذلك، وهذا خزي كبير وعار أليم.

قال النووي: (فيه أن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور متابعيه أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو غير ذلك)[1].

وقال ابن هبيرة: (إن قوله ﷺ: "من دعا إلى هدى" فإن هدى هنا نكرة، يعني هدىً من الهدى، فإنّ ذلك الداعي له أجر دعائه، وأجر دعاء كل داع يدعو إلى الله إلى ذلك الهدى بعده، ولا أرى أن رسول الله ﷺ أتى بذكر هدى نكرة إلا إشارة منه إلى أن هدى الله عزوجل كبيرٌ واسعٌ، فيكون منه ما لم يكن قد ذكر إلى أنه يستنبط من الأذكار المروية، ويعرف من آثار الله في عباده، ودلائله في صنائعه، والفوائد من كتابه والأسرار في كلام رسول الله ﷺ فيكون ذلك الهدى الذي يدعو إليه العبد له أجره، وأجر كل من يدعو به.

وأما الضلالة: فإن من يدعو إليها بكلمة خبيثة أو عقد إشكال أو نابضة شك أو

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٣، وانظر: فتح الباري: ٣١٥/١٣.

طليعة حيرة؛ فإنه عليه إثمها وإثم كل من يضل بها إلى يوم القيامة، ليؤخذ منه ما يؤخذ، ثم يبقى له بقية، وينهض به إلى الخير والسلامة"[١].

وقد جاء في القرآن الكريم الإخبار بعاقبة الداعين إلى الضلالة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[٢]. فقد أخبر (أنهم غير ناجين من حمل تبعات لأقوام آخرين وهم الأقوام الذين أضلوهم وسولوا لهم الشرك والبهتان على وجه التأكيد بحملهم ذلك)[٣].

وأكد النبي ﷺ هذا المعنى، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ فأمسك القومُ ثم إن رجلاً أعطاه فأعطى القوم، فقال النبي ﷺ: من سن خيرًا فاستُنَّ به كان له أجره ومن أجور من يتبعه غير منتقصٍ من أجورهم شيئًا، ومن سنَّ شرًا فاستُنَّ به كان عليه وزره ومن أوزار من يتبعه غير منتقصٍ من أوزارهم شيئًا))[٤].

فعلى الداعية أن يحذر من الضلالة والدعوة إليها، ويؤيد ويعضد الدعوة إلى الهدى والرشاد.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاعتصام بالكتاب والسنة:

إن الاعتصام بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هو طريق الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة. كما أن الخسران يكون بعدم التمسك بهما، لهذا حضّ الرسول ﷺ على التمسك بالكتاب والسنة وحذر من البعد عنهما. وذلك واضح في قوله ﷺ "من دعا إلى هدى ... ومن دعا إلى ضلالة..." فالهدى ما كان من القرآن الكريم والسنة والضلالة

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٨/٨.

(٢) العنكبوت، الآيتان: ١٢-١٣.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، مج٢٢١/٢٠/٨.

(٤) أخرجه أحمد ٣٨٧/٥ رقم ٢٣٢٨٩، وقال محققو المسند: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن ٣٢٥/٣٨.

ما خالف الكتاب والسنة.

ولقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبين خطورته على الأمة في الدارين. ولتحقيق ذلك أُمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله تعالى في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[2] وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة.

وإن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وإن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[3] فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

وطاعة رسوله ﷺ، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له.ولهذا قال: ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1].

قال ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خذوا سنته، وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله. وقوله: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾. قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ﴾[2] فما حكم به الكتاب والسنة، وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟

ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، أي: ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة، ومن لا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، أي: وأحسن عاقبة ومآلاً كما قال السدي وقال مجاهد: وأحسن جزاء. وهو قريب)[3]. وفي كتاب الله آيات كثيرة وردت

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيقك سامي بن محمد السلامة ٢/٣٤٥-٣٤٦.

في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور)[١].

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق:

إن المدعوين بحاجة دومًا إلى أن تكون الحقائق أمامهم واضحة جلية، وهذه إحدى مهام الداعية، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما هو مستنبط من هذا الحديث الشريف، فقد بيّن النبي ﷺ جزاء الداعي إلى هدى والداعي إلى ضلالة، وبيّن حقيقة أن جزاءهما لا يكون محدودًا بفعلهما فقط بل يكون ممتدًا أيضًا ليشمل الجزاء المترتب على من اتبعهما، فيكون جزاؤهما عظيمًا جدًا.

قال ابن عثيمين: (في هذا دليل على أن المتسبب للشيء كالمباشر له، فهذا الذي دعا إلى الهدى تسبب فكان له مثل أجر من فعله، والذي دعا إلى السوء أو إلى الوزر تسبب فكان عليه مثل وزر من اتبعه)[٢].

وقد كان بيان الحقائق مسلك الأنبياء مع المدعوين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: ((مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس هذا والله حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شفع أن يشفَّع. فسكت رسول الله ﷺ ثم مرّ رجل فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين. هذا حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يُشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٢٩٣-٢٩٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٤٦٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا))[١].

قال ابن حجر: (إن جهة تفضيله إنما هي لفضله بالتقوى، وليست المسألة مفروضة في فقير متق وغني غير متقٍ بل لا بد من استوائهما أولاً في التقوى)[٢]. ومن هذا القبيل أيضًا ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللّه مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ))[٣].

قال النووي: (هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ جمع فيه مايخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم)[٤].

فعلى الداعية أن يبين الحقائق للمدعوين حتى تتضح لهم، فيأتوا من الأعمال ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ويجتنبوا من الأفعال ما يكون لهم خزيًا في الدارين.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الدعوة إلى الهدى بأن أخبر بثوابها الجزيل، وخوف ورهب من الدعوة إلى الضلالة بأن أنبأ بإثمها العظيم. وبهذا الأسلوب حث المدعوين على التزام الهدى والدعوة إليه وحثهم كذلك على تجنب الضلالة والدعوة إليها والعمل بها.

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠٩١، ٦٤٤٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٢/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٣٥، ومسلم واللفظ له ٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٩.

الحديث رقم (١٧٥)

١٧٥- وعن أَبي العباسِ سهل بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أَن رسولَ اللَّه ﷺ قال يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا**[1] **رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّه عَلَى يَدَيْهِ، يُحبُّ اللَّه ورسُولَهُ، وَيُحبُّهُ اللَّه وَرَسُولُهُ**» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوْكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أصبحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ اللَّه ﷺ: كُلُّهُمْ يَرجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فقال: «**أَيْنَ عليُّ بنُ أَبي طالب؟**» فَقيلَ: يا رسولَ اللَّه هُو يَشْتَكي عَيْنَيْه قال: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**» فَأُتِي بِهِ، فَبَصقَ رسولُ اللَّه ﷺ في عيْنيْهِ، وَدعا لَهُ فَبَرأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجعٌ، فأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول اللَّه أُقاتِلُهمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يجِبُ مِنْ حقِّ اللَّه تَعَالَى فِيهِ، فَواللَّه لأَنْ يَهْدِيَ اللَّه بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمَ**» متفقٌ عليه[2].

قوله: «يَدُوكُونَ»: أَيْ يخُوضُونَ ويتحدَّثون، قوْلُهُ: «رِسْلِكَ» بكسر الراءِ وبفَتحِهَا لُغَتَانِ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة من بني الخزرج، الأنصاريُّ، الساعديُّ يكنى بأبي العباس، ويقال: أبو يحيى المدني.

حكى ابن حبان أنه كان اسمه حزنًا فغير النبي ﷺ كعادته في تغيير الأسماء السيئة إلى الحسنة اسمه من حزنٍ إلى سهل، وكان يصغر لحيته.

وهو من مشاهير الصحابة، وله رواية، وروى له الجماعة، له في كتب الحديث (١٨٨) حديثًا. توفيَّ رسولُ الله ﷺ وسهل ابن خمس عشرة سنة، وعاش حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه، وعذبه الحجاج عذابًا شديدًا بالحديد، روى عن سهل أبو هريرة، وسعيد بن المسيب، والزهري، وغيرهم.

---

(١) (غدا) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما هي عند الحميدي في جمعه (١/ ٥٥٠، رقم ٩٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦/٣٤) واللفظ له. وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم (١٣٨١).

ومات سهل رضي الله عنه بالمدينة المنورة، وقيل هو آخر من مات بالمدينة، وكان ذلك سنة (٨٨) وقيل (٩١)، ومات وهو ابن مائة سنة، وقيل ابن إحدى وتسعين سنة[١].

غريب الألفاظ:

يدوكون: فسرها النووي[٢].

على رسلك: رسلك: بكسر الراء وبفتحها لغتان والكسر أفصح. والرسل: الرفق والتؤودة. يقال: افعل كذا على رسلك: ائتد ولا تعجل[٣].

الشرح الأدبي

إن مشاهد السيرة النبوية تحفل بجلائل الآثار، وعظائم الأمور والأخبار، وكل مشهد من هذه المشاهد يدعو إلى التأمل العميق، والتتبع الدقيق، ومن أجل هذه المشاهد ما يرصد وقائع الفتوح، وملاحم الغزوات، وقصص البطولات، ومآثر الشهداء.

وهذا الحديث تصور كلماته العطرة، بعض مشاهد السيرة النضرة، وتقدم لشباب الإسلام أنموذجًا فذًا للبطولة والفداء، وغزوة خيبر هي مَيْدان الاختبار، وهى الشاهد على فروسية هذا البطل المغْوار علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد سار المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة، بعد رجوعه من الحديبية، وهذه الغزوة تمثل إحدى حلقات الصراع بين المسلمين واليهود في عصر النبوة، وهم لا ميثاق لهم ولا ذمة، وفي هذه الغزوة كان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يامنصور أمت أمت.

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يكن فتح، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٣٠٨، ٣٠٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٧٥/٢، ٥٧٦)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٤٨)، تهذيب الكامل (٣٢٤/٣، ٣٢٥)، السندي (٣٣٢/٢٤)، الأعلام (١٤٣/٣).

(٢) رياض الصالحين ١٢١.

(٣) رياض الصالحين ١٢١، والوسيط في (ر س ل).

رضي الله عنه فقاتل، فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. ويبدأ الحديث في سرد وقائع تسليم الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا لا يَعْني اعتراضًا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لأنهما قاما بدورهما وأبلْيا بلاءً شديدًا، وكلهم من الصحابة الأخيار.

والقسم في بداية الحديث في قوله "لأعطين الراية غدًا"، يفصح عن نية المصطفى ﷺ الصادقة، وعزيمته القوية في تحقيق النصر على اليهود بمشيئة الله سبحانه، وبمواصلة حصار خيبر، وفتح باقي حصونها بعد الكفاح والنضال والجهاد الذي قدمه الشيخان، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وتنكير لفظ رجلاً لتعظيم ذلك الرجل ولتعظيم الدور الذي سيقوم به، وتتمثل في هذا الحديث معجزتان من معجزات رسول الله ﷺ الأولى في قوله "يفتح الله على يديه"، وقد تحقق النصر المبين على يهود خيبر بمشيئة الله تعالى، وشجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستبسال جنود الإسلام وفتح الله على يَدي عليٍّ خيبر كما أنبأ رسول الله ﷺ. والفتح المبين، والنصر على الأعداء في أي عصر وأي مكان مرهون بمَنْ يمسك الراية ويتولى القيادة، ومن معالمه وصفاته القيادية أنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، والمراد من محبة العبد لله ورسوله، امتثال أوامرهما، واجتناب مناهيهما، والمراد من محبة الله للعبد توفيقه لمرضاته وإنابته، وشجاعة الصحابة وإخلاصهم نَجدهُ في شوقهم إلى معرفة ذلك الرجل، وكلهم يتمنى أن يكون هو ذاك، وهو الذي يُعْطي الراية، ويدور حوار بين المصطفى ﷺ وهؤلاء الصحابة المتشوفين إلى الفوز بهذا الشرف الكبير، ويقول رسول الله أين علي بن أبي طالب، فيقولون: هو يشتكي عينيه، وتتجلى المعجزة الثانية وهي شفاء علي بن أبي طالب: حيث دعا له الرسول فَبَرَأ كأن لم يكن وجع.

ويدور الحوار بين القائد الأعلى نبي الأمة ﷺ، وحامل الراية الفارس الفقيه علي بن أبي طالب، الذي جمع الوصفين، وحاز الشرفين المتلازمين، حيث حظى بمحبة الله ورسوله ﷺ فهم يحبونه وهو يحبهم.

ويتوجه علي بن أبي طالب بالسؤال والاستفهام إلى رسول الله ﷺ وهو واثق من

النصر والفتح، لأن الرسول بشره بذلك فيقول: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، أى: هل أظل أقاتلهم حتى يدينوا بالإسلام؟

وتأتي إجابة رسول الله ﷺ لتوضح المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله حتى في أشد حالات القتال والصراع، ويأمره رسول الله بالتدرج في إقناع الناس، وتعريفهم بمعالم الدين الجديد، والابتعاد عن العنف، ويبدو هذا المنهج في قوله: "انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم": أي تمهل، وتأن في الحركة، ولا تدمّر بيوتهم، ولا تحرق أشجارهم، ولا تقتل أطفالهم ولا نساءهم ولا شيوخهم، والتعبير بقوله: "ثم" قبل قوله: "ادعهم إلى الإسلام": يرشد إلى التمهل وإعطاء الوقت الكافي لهم للتفكير في الإقبال على الدين الجديد راضين مقتنعين.

ويتضح الأمر ويزداد جلاء حين يأمره رسول الله أمرًا صريحًا بضرورة تثقيفهم وتعريفهم بالإسلام حيث قال: "وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه". وحتى لا يظن أن الحرب لا تكون إلا للغلبة وتحصيل الغنائم، يقسم رسول الله ﷺ موضحًا أن الهداية والتعريف بالإسلام هما هدف المسلم، وهما ثمرة المغازي والفتوحات: يقول المصطفى لعلي بن أبي طالب، ولكل من يتصدى للدعوة ويدافع عن حياض الإسلام، ويحمي حمى الدين. "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم".

وحين نتأمل صياغة الحديث الشريف نجد أن الجمل تتوالى وتتلاحق ويكثر العطف بحرف "الفاء" وهو للترتيب والتعقيب، وذلك في المواقف التي تستدعى السرعة والتنفيذ، ويتجلى ذلك في لهفة الصحابة على من يعطي الراية، وفي سؤال الرسول ﷺ عن علي: "فقال: أين علي"؛ وفي إجابة الصحابة، "فقيل: يا رسول الله...الخ"، وفي قوله: "فأرسلوا إليه"، وفي سرعة واستجابة سريعة: يقول الراوي: "فأتي به"، وهنا كلام محذوف، وتفصيل يوحي به المقام، ويغني عنه السياق، ولم يمهله رسول الله ﷺ، ولكن في لحظة شفى، وقيل فأعطاه الراية، فقال علي، فالعطف بحرف "الفاء" يصور سرعة الحركة، وتوالي الأحداث، وحرص الصحابة على سرعة الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ.

وقد قام علي بن أبي طالب بما أمره به رسول الله ﷺ، بعد أن أدّى أبو بكر

دوره، وأدّى عمر دوره في هذه الغزوة، وقد صدق الشاعر أبو الفضل الوليد حين صور فضل الصحابة الأجلاء- فقال:

صحابته الأبرار خير صحابة ... وأنصاره الأبطال والشرفاء
فمن كأبي بكر عفافًا وحكمة ... وتقوى إذا ما عُدّت الرؤساء؟
ومن يشبه الفاروق تحت عباءةٍ ... هرقل اشتراها والحرير كساءُ؟
لقد كان جبارًا فصار بعدْله ... أبًا للرعايا فاغتنى البؤساء
ومن مثل عثمان تُقًى وتعبدًا ... إذا عُرض القرآن والشهداء؟
ومن كعليٍّ نجدةً وبلاغةً ... تمناهما القواد والخطباء
به ثبت الإسلام واعْتز أهله ... فدانت له الفرسان والأمراء[1]

وقد شاء الله أن يجلي اليهود عن خيبر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أرسل الفاروق إلى "يهود" فقال: "إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم، قد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان: فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود، فليأتني به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم[2]، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[4].

---

(١) انظر: ديوان أبي الفضل الوليد، دار الثقافة.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام ص ٣/٣٧١.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٤) سورة الحج، آية: ٣٨.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم دعوة الكفار إلى الإسلام قبل القتال، وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه إذا دخل المسلمون دار الحرب فحاصروا مدينة أو حصنًا، شرع لهم دعوة الكفار إلى الإسلام، فإن امتنعوا دعوهم إلى الجزية إن كانوا ممن تقبل منهم الجزية.

ولكن هل تجب عليهم الدعوة؟ اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء، فذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يجب دعوة الكفار إلى الإسلام قبل القتال لمن لم تبلغهم الدعوة، ولا يجب إن بلغتهم لكن يستحب، وذهب المالكية والهادوية إلى أنه يجب تقديم الدعوة لمن بلغتهم الدعوة ومن لم تبلغهم، وذهب البعض إلى أنه لا تجب الدعوة مطلقًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يكونوا ممن يحبهم الله ورسوله ويحبون الله ورسوله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: دلائل نبوة النبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

رابعًا: من صفات الداعية: الحرص على هداية الناس.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والتشويق والسؤال والجواب والأمر والقسم.

---

(١) المبسوط، السرخسي ٣٠/١٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود١٠٠/٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨١/٥ وما بعدها، وشرح معاني الآثار، الطحاوي ٢٠٩/٣، وشرح منح الجليل ١٤٤/٣ وما بعدها، وأحكام القرآن، ابن العربي ١٤٧/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٦٤/٨، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٧٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠/٣، والفروع، ابن مفلح ١٩٧/٦، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ٢٧٢/٧ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٤٣/١٦ وما بعدها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على أن يكونوا ممن يحبهم الله ورسوله ويحبون الله ورسوله:

إن المؤمن يحرص أشد الحرص على محبة الله ورسوله، وعلى أن يعمل من الأعمال ما يوصله إلى أن يحبه الله ورسوله، ولقد كان الصحابة ﷺ، وهم أكمل المؤمنين إيمانًا، أشد الناس حرصًا على الأمرين معًا. كما هو واضح من قول الصحابي: "فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها" بعد أن سمعوا النبي ﷺ يقول: "لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً... يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" وجاء في حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ: "فتطاولنا لها"[١].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال عمر بن الخطاب ﷺ: ((ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها[٢] رجاء أن أدعى لها))[٣] وفي حديث بريدة ﷺ: ((فما منا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه))[٤].

وذلك لأن حب الله ورسوله من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٥].

وقال الرسول ﷺ: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما....))[٦].

وقال عبدالله بن هشام ﷺ: ((كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي

---

(١) أخرجه مسلم ٣٢-٢٤٠٤.

(٢) معناه تطاولت لها: أي حرصت عليها: أي أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧٠.

(٣) أخرجه مسلم ٣٣-٢٤٠٥.

(٤) أخرجه البيهقي في الدلائل ٤/٢١٠، وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦/٢٦٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٦) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

ﷺ: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر))[١].

فعلى الداعية أن يدفع المدعوين إلى فعل الطاعات التي تدل على أنهم يحبون الله ورسوله.

قال العز بن عبدالسلام: (محبة الله وسيلة إلى أن يعامله العبدُ معاملة المحبّ لحبيبه، في المبادرة إلى طاعته والمسارعة إلى كل ما يرضيه واجتناب كل ما يسخطه والتحرز من أسباب سخطه والاحتياط لأسباب رضاه، مع البكاء والقلق والشوق والأرق وغير ذلك من آثار المحبة، وينبغي أن تكون آثار محبته أشد من آثار كل محبةٍ وأعظم، وأن لا يشبهها شيء، كما أن المحبوب لا يشبهه شيء، وهو السميع البصير)[٢].

(ومحبة رسول الله ﷺ أشرف من محبة سائر العباد، وهي وسيلة إلى أن يطاع طاعة المحبوب، وكلما قوي التعلق بالحبيب قوي حب المتعلقين به والمنتسبين إليه)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: دلائل نبوة النبي ﷺ:

(أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات ما يدل على صدْق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة على الناس فلا يبقى لأحدٍ عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[٤])[٥].

ومن دلائل نبوة النبي ﷺ في هذا الحديث إعلامه بأن الله تعالى يفتح حصون خيبر على يدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشفاء النبي ﷺ عيني علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن كان يشتكيهما، قال النووي: (في هذا الحديث معجزات ظاهرات لرسول الله

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٣٢.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ٥٩.

(٣) المرجع السابق ٦٠.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١/٥٢٠.

ﷺ قولية وفعلية، فالقولية إعلامه بأن الله تعالى يفتح يدي علي، فكان كذلك، والفعلية بصاقه في عينه وكان أَرْمَدَ فَبَرَأَ من ساعته)[١]. فهاتان معجزتان تدلان على نبوة محمد ﷺ وأن الله بعثه للناس وأيده بالمعجزات.

وقد كثرت الوقائع التي تدل على نبوة النبي ﷺ كثرة بالغة وقد ألف فيها العلماء كتبًا مستقلة[٢]، ومن هذه الدلائل مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آيةً، فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[٣].

قال القاضي عياض في باب خصائصه ﷺ ومعجزاته: (نيتُنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ القطع أو كاد... وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله- لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو ابن عمّ الرسول ﷺ وزوج ابنته فاطمة البتول رضي الله عنها، وسيف الله المسلول، له فضائل كثيرة ومناقب عديدة في الإسلام، كما هو واضحٌ في هذا الحديث، فقد أعطاه النبي ﷺ الراية؛ فدل هذا على أنه يحبه الله ورسوله وأنه يحب الله ورسوله. فكان هذا منقبة له.

قال ابن هبيرة: (إنّ هذا حق لا شك فيه فإن عليًا رضي الله عنه كان يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لأنه كان من المؤمنين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧١.

(٢) مثل كتاب دلائل النبوة للبيهقي كما أفردها ابن كثير بالذكر في البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير بمساحة كبيرة تحت عنوان: كتاب دلائل النبوة ٨/٧٠٠، ٩/٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨٦٨، ومسلم ٢٨٠٢.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٢٧٣.

وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[١]، وممن شهد له رسول الله ﷺ أن حبّه إيمان وبغضه نفاق[٢])[٣].

وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه مناقبه كثيرة، قال ابن حجر: (قال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في عليّ)[٤].

من ذلك قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في فضائل علي رضي الله عنه: ذكرت ثلاثًا قالهن له رسول الله ﷺ: لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلَّفه في بعض مغازيه، فقال له علي رضي الله عنه: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال: ادعو لي عليًا.. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾[٥] دعا رسول الله ﷺ عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: ((اللهم هؤلاء أهلي))[٦].

قال النووي: (وفيه فضائل ظاهرة لعلي رضي الله عنه وبيان شجاعته وحسن مراعاته لأمر رسول الله ﷺ وحبه الله رسوله وحبهما إياه)[٧].

قال السيوطي: (وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة. وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها وأحد السابقين إلى الإسلام،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٧٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم ٣٤٩/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٩/٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٣٧٠٦ مختصرًا، ومسلم ٣٢-٢٤٠٤ وهو لفظه.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبي ﷺ، وهو أول خليفة من بني هاشم وأبو السبطين، أسلم قديمًا بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة: إنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه ... وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة. وله في جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبي ﷺ اللواء في مواطن كثيرة)[1].

فما أجمل أن يعالج الداعية فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبلاءه في الإسلام وعلو مكانته فيه، لكي يقتدي به المدعوون.

رابعًا- من صفات الداعية: الحرص على هداية الناس:

إن من أهم الصفات التي يتحلى بها الداعية حِرصه على هداية الناس إلى الحق، والأنبياء عليهم السلام -وهم أئمة الدعاة- إنما مهمتهم هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على القيام بهذه المهمة كلما أمكن ذلك، كما هو واضح في الحديث، وذلك في قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم"، فالنبي ﷺ أخبر عليًّا أن هداية رجل واحد إلى الإسلام أفضل من أنفس الأموال وأقيمها.

قال البغوي: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك أجرًا وثوابًا من أن تكون لك حمر النعم)[2].

قال ابن حجر: (يؤخذ منه أن تألف الكافر حتى يسلم أولى من المبادرة إلى قتله)[3].

وقال النووي: (وفي هذا الحديث فضيلة العلم والدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة)[4].

---

(١) تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطي، وهي طبعة مصورة ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) شرح السنة ١١٢/١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٦/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

وقد قال الله تعالى عن إبراهيم وابنه إسحاق وحفيده يعقوب وهم من سادة الدعاة: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[1].

ومن الأمثلة البليغة لحرص الداعية على هداية الناس ولو كان ذلك بقتله، ما أخرجه مسلم عن قصة الغلام والراهب والساحر والملك الكافر، وفيه قول الغلام للملك: ((إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ماهو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني. فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل الملك ذلك فقال الناس: آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس))[2].

فعلى الداعية أن يبذل جهده وطاقته لهداية الناس.

خامسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والتشويق، والسؤال والجواب، والأمر والقسم:

أما التوكيد فقول النبي ﷺ "لأعطين هذه الراية غدًا..." ليؤكد أنه يعطي الراية لرجل توافرت فيه هذه الصفات.

أما التشويق فقوله ﷺ: "لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله علي يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" فالنبي ﷺ أبهم الصحابي ليشوقهم إلى أن يكونوا جميعًا إياه يوضح هذا "فبات الناس يدوكون" فإن عيّنه النبي غدًا عرفوا قدره ومكانته وفضله.

قال البغوي: (يدوكون أي يخوضون وأصله من الدوك، شبه الأمر فيه بمن دقّ شيئًا ليستخرج لبّه ويعلم باطنه)[3]، وقد عيّنه ﷺ عن طريق السؤال: أين علي بن أبي طالب؟

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

(٣) شرح السنة ١١٢/١٤.

أما الجواب فقد كان مترتبًا على سؤال عليّ ﷺ: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فبين له النبي ما يفعله.

والأمر هو قول النبي ﷺ "انفد على رسلك"، وأما القسم فقول النبي ﷺ: "فوالله..." ليؤكد أهمية هداية الناس إلى الإسلام وإدخالهم فيه وجعلهم يعتنقونه.

الحديث رقم (١٧٦)

١٧٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه أَنْ فَتًى مِنْ أَسْلَمَ قال: يا رسُولَ اللَّه إِنِّي أُرِيد الْغَزْوَ ولَيْس مَعِي مَا أَتجهَّزُ (بِهِ)[١]؟ قَالَ: «ائْتِ فُلانًا، فإنه قَدْ كانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ» فَأَتَاهُ فقال: إِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الذي تجَهَّزْتَ بِهِ، فقال: يا فُلانَةُ أَعْطِيهِ الذي تجَهَّزْتُ بِهِ، ولا تحْبِسِي مِنْهُ[٢] شَيْئًا، فَواللَّه لا تَحْبِسِينَ مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الدين، وهو تاج حياة المؤمنين، ففي ميدان الجهاد تبزغ كل شموس العبادات، ومن قلب المجاهد تنطلق أفراس القوة، ومعالم الفتوة، فهو يحمي بدمه شهادة التوحيد، ويصون باستشهاده حرمات المساجد، وأعراض المسلمين، وتاريخ الإسلام، ومعالم العقيدة، فالإسلام، كما يقول الرافعي: دين يعلو بالقوة، ويدعو إليها، ويريد إخضاع الدنيا وحكم العالم، ويستفرغ همته في ذلك، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف، ولكن للارتفاع بالأضعف إلى الأقوى، وفرق ما بين شريعته وشرائع القوة، أن هذه إنما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها، وتلك تعمل للتفريق، والإسلام يعمل للمساواة، وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس الاستعباد، وغلبة الفضيلة في ظل الإسلام وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية[٤].

---

(١) (به) لا توجد عند مسلم، وإنما هي عند الحميدي في جمعه (٢/٦٤٦ رقم ٢١٢٦).

(٢) لفظ مسلم: (عنه) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٣) برقم (١٣٤/١٨٩٤). وسيكرره المؤلف برقم (١٣١٠).

(٤) انظر: وحي القلم للرافعي، ج١.

وفي ضوء هذا التوجه لمعيار القوة في الإسلام، وفلسفة الجهاد وبواعثه، نقرأ ونستكشف أسرار التعبير في هذا الحديث الشريف: فالحديث يصور مشهدًا من مشاهد الفداء، والاستعداد للجهاد دفاعًا عن العقيدة وترسيخًا لمبدأ القوة الإيمانية.. ويبدأ الحديث بمحاورة بين النبي ﷺ وفتى من قبيلة أسلم وهى قبيلة مشهورة: وبعد الإسلام كان بها كما يقول الرواة: خلق كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء ورواة الحديث، وتبدأ المحاورة بنداء رقيق مهذب من الفتى وكأنه استنجاد برسول الله حيث نادى: يارسول الله ثم يؤكد مَطْلبه ويَعْرِض حاجته، ويحدّد مطلبه بالإرادة دليلاً على صدق العزيمة، فيقول: إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به، ويدرك الرسول ﷺ: صدق نيته وصحة عزيمته: فيدله على الطريق الصحيح ويأمره بالذهاب إلى أحد الصحابة ليستعين بعدته للغزو: لأنه ألم به مرض أقعده عن الخروج إلى الجهاد.

وأسلوب المصطفى ﷺ يفصح عن الاستعداد القوي لهذا الرجل قبل مرضه ولكن فاجأه المرض: حيث يقول الرسول مؤكدًا "فإنه قد كان تجهز فمرض"، فاجتماع المؤكدات: "إنَّ" "وقَدْ" ومجيء الفعل "كان" مع صيغة تفعّل في تجهّز، كل هذا يعلن عن قوة استعداد الرجل، ولكن يفاجئه المرض، والعطف بالفاء في قوله: فمرض، يفصح عن مداهمة المرض له.

ويتولى العطف بالفاء في قوله: "فمرض، فأتاه: فقال": للدلالة على سرعة الحركة، وتشوق هذا الفتى الأسلمي للقتال في سبيل الله، ومع هذه اللهفة، وذلك الشوق لا ينسى الفتى أدب التحية في الإسلام، ولا ينسى حُسْنَ الطلب، وجمال اللقاء: ويتجلى ذلك في مبادرته للرجل قائلاً: رسول الله ﷺ يقرئك السلام: وهذه الجملة تشعر بالاطمئنان، والراحة والسكينة، وذلك من سمات الأدب النبوي الذي تربى عليه الصحابة الأخيار، لينُ الحديث، وصدقُ القول، وبشاشة المُحَيَّا.

ولم يتوجه هذا الفتى بالأمر مباشرة إلى ذلك الرجل المريض مراعاة لشعوره، ولكن جعل الأمر بالإعطاء في دائرة قول رسول الله ﷺ حيث بدأ بالسلام ثم ثنى وقال:

ويقول: أعطني الذي تجهزت به، واختيار مادة "العطاء" لها مدلول نفسي وفني وأسلوبي فالعطاء هبة عن رغبة واختيار وليس قسْرًا، ولم يقل له سلِّمني أو هات ما عندك، وإنما قال له: أعطني، وهذا من أدب الحوار في الإسلام، ومن سمات بلاغة الحديث حيث يراعى مقتضى الحال، والقاعدة تقول: لكل مقام مقال، ويستجيب هذا الصحابي من فَوْره ويأمر امرأته أن تعطيه كل عُدّة الحرب، وينهاها أن تحبس شيئًا ويقسم بأنها إذا حبست شيئًا لن يبارك لها الله فيه، إنه مشهد من مشاهد الإيثار والعطاء، والصدق والوفاء.

فقه الحديث

قال النووي: (في الحديث أن ما نوى الإنسان من صرفه في جهة برٍّ فتعذرت عليه تلك الجهة، يستحبّ له بذله في جهة أخرى من البرّ ولا يلزمه ذلك ما لم يلتزمه بالنذر)[1].

كما يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي في باب الجهاد، وهو شرط وجوب الجهاد، فلا يجب الجهاد إلا على مستطيع من ناحية الركوب والزاد، وإذا فقدت هذه الأشياء فلا يجب الجهاد، لكن إن وجدها بملك أو بذلٍ وجب عليه الجهاد[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الدلالة على فعل الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على تنفيذ أمر النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على البذل في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجهاد في سبيل الله:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد وهذا يظهر في قول أنس رضي الله عنه: إن فتى من أسلم قال: "يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٧/١٣، ٣٥.

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٧٩١٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٤/١١٥.

ما أتجهز به"، فحرص الصحابة على الجهاد في سبيل الله مضرب الأمثال.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على الجهاد امتثالاً لأمر ربهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد نابع من إيمانهم بالله رسوله، ورغبة فيما عند الله تعالى، وقد أخبر الله بما أعده للمجاهدين في سبيله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]، قال ﷺ: ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[3].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله، بكاء الرجال حزنًا على حرمانهم من الجهاد، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[4].

قال مجاهد: نزلت في بني مقرن من مزينة.

قال محمد بن كعب: كانوا سبعة نفر؛ من بني عمرو بن عوف: سالم بن عوف، ومن بني واقف: هرمي بن عمرو، ومن بني مازن بن النجار: عبدالرحمن بن كعب، ويكنى أبا ليلى، ومن بني المعلى: سلمان بن صخر، ومن بني حارثة: عبدالرحمن بن يزيد، أبو عيلة، وهو الذي تصدَّق بعرضه فقبله الله منه، ومن بني سلمة: عمرو بن عَنَمةُ وعبدالله بن عمرو المزني.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٠، ٧٤٢٣.

(٤) سورة التوبة، آية: ٩٢.

وقال محمد بن إسحاق في سياق غزوة (تبوك): ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم، من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبدالرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن الحمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبدالله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبدالله بن عمرو المزني، وهرمي بن عبدالله أخو بني واقف،وعرباض بن سارية الفزاري، فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة، فقال: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

قال لي مَنْ أُحِبُّ والبيْن قد حَلَّ ودمعي مرافِقٌ لشهيقي
ما تُرى في الطريق تصنع بعدي؟ قلتُ: أبكي عليك طول الطريق

هذا والله بكاء الرجال.. بكاؤهم على موطن يفوز فيه الإنسان المسلم بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله"[2].

فحرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد وإخلاصهم جعلهم يفتحون البلدان وينشرون الإسلام ويدعون إلى الله على بصيرة.

ثانيًا- من واجبات الداعية: الدلالة على فعل الخير:

إن من واجبات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث، الدلالة على فعل الخير، ويظهر هذا من قوله ﷺ: (ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض).

حيث دلّه ﷺ على من يجهزه للجهاد في سبيل الله، والدلالة على فعل الخير كان صفة من صفات النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/١٩٩-٢٠٠، والسيرة النبوية، ابن هشام ٤/١٥٧-١٥٨.

(٢) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسين العفاني ١/٣٣٧.

وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]، قال القرطبي: (يسارعون في الخيرات التي يعملونها مبادرين غير متثاقلين)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٣]، فيجب على الداعية أن يسارع إلى الخير ويدل على فعله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين أشد الحرص على الامتثال لأوامر النبي ﷺ، ويظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول: (أعطني الذي تجهزت به، فقال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي منه شيئًا).

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على تنفيذ أمر رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٤]، وقد أمرهم ربهم بالامتثال لأمر رسوله ﷺ وتنفيذه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٥]، فعلى الداعية أن يبين للمدعوين مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على تنفيذ أمر الرسول ﷺ والاقتداء به وأن يدعوهم إلى اتباع سنة رسول الله ﷺ والاقتداء به، وانتهاج نهج صحابة رسول الله ﷺ.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على البذل في سبيل الله:

يتضح ذلك من قول الرجل الذي أرسله إليه رسول الله ﷺ: "يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي منه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه".

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٤.

(٢) الجامع لأحاكم القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/١٧٦ - ١٧٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

والبذل في سبيل الله له ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، قال ابن كثير: (هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف)[2].

أما البخل وهو عدم الإنفاق في سبيل الله ومسك اليد عنه فهو صفة المنافقين، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[3]، "ويقبضون أيديهم" أي: عن الإنفاق في سبيل الله[4].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين فضل الإنفاق في سبيل الله وبركته، وسوء البخل وعاقبته.

ويدل على فضل الإنفاق في سبيل الله حرص الصحابة رضي الله عنهم عليه، فهذا أبو بكر رضي الله عنه ينفق جميع ماله في غزوة تبوك وعمر رضي الله عنه ينفق نصفه.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللهِ، لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا))[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٤) المرجع السابق ١٧٢/٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٦٧٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي).

وهذا عثمان بن عفان ﷺ يجهز جيش العسرة من ماله الخاص، فعنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((مَن جهَّزَ جيشَ العُسرةِ فلهُ الجنة، فجهَّزتُه))[1]. لذا كان للبذل ثمرات تمثلت في حل مشكلة ذوي الحاجات بين الصحابة ﷺ كما أنها كانت سببًا في تنفيس الكرب، والمشاركة الوجدانية، والمساعدة المادية، وهذا يعبر عن حقيقة الأخوة الإيمانية في الواقع، ويبرز معاني الوحدة القائمة بين المؤمنين[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٧٨.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ٥/٤٧، ٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن روح الجماعة تؤثر على الأفراد لا محالة، وأن العقل الجمعي يفرض نفسه لا إرادياً على آحاد الأفراد، وقد حث الرسول ﷺ على أن يتوجه أفراد المجتمع إلى فعل الخير، فمن تعذر عليه ذلك لضيق ذات اليد أو لعجز معرفي ودعا غيره إلى فعل هذا ففعل كان له من الأمر مثل أجر من حثه على هذا من غير أن ينقص من أجره.

وكما أن الداعي إلى الخير يؤجر كما يؤجر فاعله، فإن الداعي إلى السوء يتحمل وزر كل سوء دعا إليه، وإن وقع من غيره. وقد نص الرسول ﷺ على أنه ما من نفس تقتل إلا وكان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن القتل. وعلى الإنسان أن يتصور ما يلحق به من أجر و وزر من جراء فعله. ومن وسائل التربية ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب:

لقد رغّب النبي ﷺ في الدلالة على الخير والدعوة إليه بقوله: «مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»؛ حتى يصير الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخيرات سلوكاً محموداً لدى المسلمين، فإنهم إن يفعلوا ذلك فإن الله سيثيبهم بمثل أجر المستجيبين لدعوتهم، دون نقص من أجور العاملين عند الله.

ولعلَّ الإنسان إذا أمر بالدعوة إلى الخير دون إيماء بالثواب، لعله يتقاعس ولا يسعى إلى ما أمر به، ولكن النبي ﷺ هنا لم يتبع أسلوب الأمر، لاسيما والأمر يخص الآخرين ولا يخص الشخص نفسه، فربما سأل سائل. وماذا يفيدني إذا دللت على الخير؟ وماذا يصيبني سوى إرهاق نفسي من أجل الآخرين؟

من أجل تجنب هذا الشعور لدى المسلم بأنه يعمل دون أجر، فقد رغّب النبي في هذا الفعل، دونما أمر، بل اكتفى ببيان الثواب؛ لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في النعيم والرفاهية، وللترغيب وعد يصحبه، وإغراء بمصلحة أو متعة آجلة مؤكدة[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٤.

وأي ثواب أفضل من ثواب الله وأجره!

ثانياً- التربية بالترهيب:

ويتبدّى ذلك في الترهيب من الدلالة على الشر والدعوة إليه بقوله: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، وذلك تخويف من مغبة الوقوع في الدعوة إلى الشر، فذلك فعل الخاطئين، الذين يحبون أن يشيع الفساد في المجتمع، بأن يدعوا إليه بالقول أو الفعل، فيقتدى بهم ضعفاء النفوس، ويقتدى بالآخرين غيرهم، حتى يعم ذلك الضلال الذي دعا إليه الفاعل الأول، وهو يحصد ذنبه وذنوب هؤلاء جميعاً، دون أن تنقص آثامهم.

فأي مجازف ذلك الذي يدعو إلى الضلالة بعد ذلك الترهيب من جانب النبي ﷺ، بعد أن أطلع المسلمين على عقاب الله لتلك الفعلة المشينة؟ إنه إن يفعل ذلك بعد هذا الترهيب، فإنه يستحق العقوبة العاجلة والآجلة.

ولقد ثبت لعقلاء الناس "أن الحضارة الغربية بإشاعتها الفاحشة وإبرازها للفتنة والغواية عرَّضت مجتمعاتها لأخطار كبيرة؛ تتمثل في انهيار الأسرة وكثرة الأبناء الذين لا يُعرف لهم آباء، بالإضافة إلى انتشار جرائم الجنس والسرقة والقتل، وقد عجزت قيادات الحضارة الغربية عن معالجة هذه الأخطاء"[1].

وذلك كله من جراء الدعوة الأولى للفساد، ولهذا كان تخويفه ﷺ وترهيبه من الدعوة إليه، وإشاعته.

ثالثاً- التربية بالتشويق:

وذلك سبيل سلكه رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، عندما قال لأصحابه: "لأُعطِيَنَّ الرَّايةَ غداً رَجُلا يَفتَحُ اللَّهُ عَلى يَدَيْهِ"، "فباتَ الناسُ يُدوِكُون ليلَتَهمْ أيُّهم يُعطاها؟" أي يختلفون فيما بينهم ويموجون، ويضربون الاحتمالات، مطلعين إلى ذلك السعيد الذي ينال هذا الشرف الكبير، وتنفتح على يديه خيبر.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٢٨٦، ٢٨٧.

ولقد اتبع هذا النبي هذا الأسلوب لهدف بعيد؛ لعله أراد إعلاء همة أصحابه بالاشتياق لهذا الأمر والاستعداد له، ثم بإعلاء شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لما قدم في سبيل نشر الدعوة من تضحيات، ولما له من سبق في الإسلام.

وقد فعل صلى الله عليه وسلم ذلك؛ لأن التشويق نوع من التحفيز، له علاقة بالترغيب،.. فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به، والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه[1].

رابعاً- التربية على علو الهمة:

ويظهر ذلك في اهتمام الصحابة بمن سيعطي الراية، عندما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه سيعطيها رجلاً "يفتح الله علي يديه" إن هِمَهَم العالية المتطلعة إلى المعالي؛ جعلت كلا منهم يرجو أن يكون هذا الرجل.

وحين دعا داعي الجهاد وتجهز الناس للحرب، جاء فتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله، إني أريد الغزو، وليس معي ما أتجهز به..."، فقد أبت همته العالية أن يقعد متكئاً على فقره وعوزه؛ إنما سعى للغزو والجهاد؛ حتى ينال الثواب في الدنيا والآخرة، فكانت عاقبة نيته الحسنة أن دله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابي لديه عدة الحرب ولكنه مريض، فذهب إليه وأخذ العدة وحارب، ولم يستسلم للظروف الصعبة التي قد تمنع الكثيرين ممن ضعفت هممهم عن التغلب عليها.

خامساً- التربية بالممارسة العملية:

ليس بالقول وحده وصلت المبادئ التربوية إلى الأمة، ولكن الممارسة العملية كانت من الأساليب التربوية الكثيرة التي منها نتعلم، وبها نقتدي، ويتبدى ذلك في موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستجابته للنبي صلى الله عليه وسلم عندما أمره بحمل الراية، وأيضاً في موقف الصحابي الذي أراد الجهاد وأعوزه المال والعدة، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا إليه، ما أصابه، وتلك ممارسة عملية لإبلاغ القائد في المعركة بكل ما يجري لأفراده

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني ص ٢٢٣.

جيشه، حتى يتمكن من حل مشكلاتهم؛ مثلما فعل النبي ﷺ مع ذلك الرجل، بأن دلَّه على ما يتجهز به

هذا، ويعد أسلوب التربية بالممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية؛ وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم.... وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة[1].

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

٢١- باب في التعاون على البر والتقوى

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة: ٢]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ١-٢] قَالَ الشافعي كلامًا معناه: إنَّ النَّاسَ أَوْ أكثرَهم في غفلة عن تدبر هذهِ السورة.

الحديث رقم (١٧٧)

١٧٧- عن أَبي عبدِ الرحمن زيدِ بن خالدٍ الْجُهَنيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه ﷺ: «مَنْ جهَّزَ غَازِيًا في سَبيلِ اللّه فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: يكنى أبا عبدالرحمن، وقيل أبا طلحة.

سكن المدينة، وشهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح.

روى عن النبي ﷺ، وعن عثمان، وأبي طلحة، وعائشة رضي الله عنهم وروى عنه ابناه خالد، وأبو حرب، ومولاه أبو عمرة، وعطاء بن رباح، وعطاء بن يسار وغيرهم. وبلغت أحاديثه التي رواها عن النبي ﷺ ٨١ حديثًا، واختلف في مكان ووقت وفاته وسنه اختلافًا كثيرًا، فقيل إنه توفي بالمدينة وقيل بمصر، وقيل بالكوفة.

وكانت وفاته سنة ٧٨هـ قال البغوي: مات سنة ٦٨هـ وقيل مات قبل ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه بالمدينة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٩٥/١٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٠٨).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر (٢٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٥٥/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٤٩)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٧٦/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦٤/١-٦٦٥، والأعلام للزركلي (٥٨/٣).

غريب الألفاظ:

خلف غازيًا: قام عنه بما كان يفعله بعده[1].

الشرح الأدبي

يفتتح النووي بهذا الحديث الشريف: باب التعاون على البر والتقوى، وقمة التعاون تكون في مواجهة الأعداء الذين يتربصون بالأمة الدوائر، والذين يُهَّددون ديار الإسلام، وهذا الحديث له صلة عضوية وموضوعية بالحديث السابق، ويعد مكافأة لذلك الرجل المريض الذي أعطى عدته وجهازه، الفتى الأسْلمي، وكأنه قام بالغزو والجهاد ، وهذا الحديث يؤكد ذلك الجزاء الأوفى فالنبي محمد ﷺ يحض أمته على التضامن والتساند إذا ما دعا داعي الجهاد في سبيل الله، فيجعل لمن يجهز الغازي ويهيئ له الأسباب والوسائل ببذل المال أو غيره من سلاح وعتاد مثل أجر الغازي، وكذلك من قام على أولاد المجاهدين وأهليهم، وتعهد بيوتهم بالرعاية والنفقة حتى ينتهي القتال، فله مثل أجر المجاهدين ولا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئًا، وهكذا تصبح الأمة عند الخطر كتلة واحدة مترابطة متعاونة، يعمل كل فرد منها على قدر طاقته في الميدان الذي يجيده، وهو يطمئن ويعتقد أن له أجر الجندي في ميدان القتال.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين شرطيتين، وهذا البناء يشي بتحقق الجزاء، فالجملة الأولى تعد وتبشر كل من شارك في الإعداد للجهاد بالمال والسلاح والطعام ورفع الروح المعنوية، والقضاء على الشائعات والعمل على توحيد الصفوف، وهذا الذي يحث ويحض على الجهاد وتجهز المجاهدين له أجر المجاهد، وجواب الشرط جاء مؤكدًا "بقد" التي تدل على التحقيق: حيث قال رسول الله "فقد غزا" أي: كأنه قام بالغزو في سبيل الله، وفي هذا التعبير اللغوي استعارة تبعية من تشبيه التسبُّب في الغزو بالغزو الواقع بجامع تساوى الأجر في كل. واستعير الغزو للتسبب واشتق منه غزا بمعنى: تسبب في الغزو أو شجع عليه.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

وقوله: "في سبيل الله" قيد لصفة الغازي: وقيد للأجر الذي يستحقه من يجهز ذلك الغازي، لأن الذي يغزو في سبيل جاهه أو قبيلته، أو استرداد ملك له أو طمعًا في الثروة والمكاسب المادية أو توسيع رقعة ملكه ... فهو ليس في سبيل الله، وكل من يشارك في ذلك يتحمل وزْره وتبعته، والجملة الثانية جاءت على نسق الجملة الأولى وهي شرطية كذلك، ولكنها تلقى الضوء على حماية الجبهة الداخلية، وتجعل الغازي مطمئنًا على ماله وولده، ويقاتل وهو على يقين أن أولاده في خير، ولذلك قال رسول الله "في أهله بخير"، وهذه الخيرية صفة جامعة مانعة تشمل كل أنواع الرعاية والحماية.

وفي رواية أخرى يتأكد ذلك الجزاء الأوفى "من جهز غازيًا في سبيل الله فله مثل أجره، ومن خلف غازيًا في أهله بخير أو أنفق على أهله فله مثل أجره"، وهذا الثواب الجزيل مرده إلى الفعل الجميل، لأن الجهاد هو ذروة سنام الدين كما ورد في الحديث الشريف، "وذروة سنامه الجهاد"[(١)]، فهو أفضل الأعمال بعد الفرائض: وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله أي العمل أفضل ؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله"[(٢)].

وللحديث رواية أخرى حيث روى ابن ماجه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلفظ ((من جهز غازيًا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع))[(٣)]، وقال العلقمي: أفادت هذه الرواية: أن الوعد المذكور مرتب على إتمام التجهيز، وهو المراد بقوله: حتى يستقل وأنه يستوي معه في الأجر إلى أن تنقضي تلك الغزوة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[(٤)].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٦١٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري، ٢٥١٨، ومسلم، ٨٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٧٥٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه، ٦٠٣).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٧٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإعانة على الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان ما يحصل به الخير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالمال في سبيل الله.

خامسًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على التعاون والتكافل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإعانة على الجهاد في سبيل الله:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث الإعانة على الجهاد في سبيل الله وذلك في قوله ﷺ "من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا" ففي هذا بيان لأهمية إعانة الغازي على الجهاد في سبيل الله، لما لذلك من الثواب العظيم الذي يعادل ثواب الغزو، وذلك؛ لأن الغازي لا يتأتى منه الغزو إلا بعد أن يكفي ذلك العمل فصار كأنه يباشر معه الغزو[1].

والإعانة على الجهاد لها ثواب عظيم تكون بالمال وغيره× لأن المال يجهز به الجيش من عداد وأدوات ولوازم الحرب كما فعل ذو النورين عثمان رضي الله عنه عندما جهز جيش العسرة، وكان الرسول ﷺ يدعو لمن يجهز جيش العسرة فقال ﷺ ((من جهز جيش العسرة فله الجنة))[2] والإعانة قد تكون معنوية، بأنه يخلف المجاهد في أهله ويحمل مؤونتهم، يحريض على القتال كما كان يحرض الرسول المسلمين في حفر الخندق[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب الترغيب حيث رغب ﷺ في تجهيز الغازي في سبيل الله، وكذلك خلفه في أهله، وأن من يفعل ذلك كأنما غزا، ومن ثم

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/٥٩، ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٧٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣٤، ومسلم ١٨٠٥.

فإن لهذا الأسلوب أثره الطيب على نفوس المدعوين.

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان ما يحصل به الخير:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أن من واجبات الداعية بيان ما يحصل به الخير حيث بيّن رسول الله ﷺ أن من لا يستطيع الجهاد لعذر يستطيع أن يحصل على أجر الغازي بتجهيزه بما أنعم الله عليه من مال، ومن لا يملك مالاً باستطاعته أن يخلف الغازي في أهله بخير، فيكون قد بيّن ﷺ ما يحصل به الخير للجميع، فعلى الداعية إلى الله أن يقتدي به ﷺ في بيان ما يحصل به الخير.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالمال في سبيل الله:

من موضوعات الدعوة فضل الجهاد بالمال، وهذا يستنبط من قوله ﷺ "من جهز غازيًا...) فالتجهيز يكون بما يحتاجه من سلاح وعداد للحرب.

فمن رحمة الله بعباده أنه لم يضيق عليهم فيما فرضه عليهم، بل جعل التيسير سمة ظاهرة من سمات دين الإسلام، ويتضح الأمر بجلاء في هذا الحديث، حديث زيد بن خالد رضي الله عنه: (من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا... إلخ) في هذا دليل على مشروعية تجهيز الغزاة في سبيل الله، وأن ذلك يقوم مقام الجهاد في سبيل الله، وأن الجهاد أنواع وأصناف متعددة منها:

النوع الأول: الجهاد بالمال: وهذا ما أشار إليه الحديث سابقًا، ويتحقق بإحدى حالتين في الغالب:

الحالة الأولى: أن يجاهد المؤمن بنفسه وماله في سبيل الله فيقوم بشراء السلاح وشراء ما يحتاجه من زاد وراحلة ونحوه، ويخرج بنفسه معتمدًا على ماله في النفقة وإعداد العدة، وهذا ما أكده القرآن الكريم وأمر به في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

الحالة الثانية: أن يجاهد بماله دون نفسه في سبيل الله، وهذا ما تضمنه حديث زيد ويكون الجهاد بالمال مُسْقِطٌ على صاحبه فريضة الجهاد بالنفس عند عدم القدرة على الجهاد بالنفس كمرض أو عذر مانع ولتحقيق مثل أجر المجاهد إذا قام المجهز بإعطاء المجاهد جميع التكاليف من نفقة وتجهيزات، بل قد يكون الجهاد بالمال بتجهيز الغزاة في بعض الأماكن والأزمان في حق بعض الأشخاص أولى من الجهاد بالنفس، وذلك مثل أن يوجد شباب لهم خبرة وتدريب ومعرفة بالمسالك والدروب، وليس معهم ما يتجهزون به للجهاد، ويكون صاحب المال له قدرة على الإنفاق في سبيل الله، وله خبرة بطرق تنمية المال، وليس له معرفة بأمور الجهاد في سبيل الله، فجهاده بالمال بتجهيز من ذكرنا أولى وأنفع للأمة من جهاده بنفسه بمفرده.

إن كثيرًا من البلدان الإسلامية في هذه الأيام أحوج ما يكون للمال لتجهيز المجاهدين للدفاع عن النفس والعرض والدين وما يجب الدفاع عنه عمومًا.

إن الفرض الواجب حاليًا تجهيز المدافعين لمقاتلة المحتلين الغاصبين لبلدان المسلمين، إنه يجب على أصحاب الأموال، والقادرين على الإنفاق، تجهيز من يقدرون على تجهيزه بما يستطيعون، من عتاد وتأهيل وتدريب، ووقف أرصدة مالية لمن يرونه أهلاً للجهاد في سبيل الله في اي بقعة من بقاع الأرض، ويكون الواجب أشد وجوبًا وأعظم أجرًا في الإنفاق لإعانة وتجهيز المدافعين عن أنفسهم ودينهم وأهليهم أمام قوات الاحتلال الغاصبين.

إن الفرض الواجب على القادرين على الجهاد في سبيل الله لا يسقط إلا على من قام بالجهاد بنفسه وماله، أو بتجهيز غيره للجهاد تجهيزًا كاملاً من ماله الحلال ابتغاء مرضاة الله، ودون أي مقابل أو عرض من عرض الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

النوع الثاني: الجهاد بالنفس في سبيل الله، قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ

---

(١) سورة الليل الآيتان: ١٩ - ٢٠.

إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

وهو الأصل، والجهاد بغير النفس كالمال ونحوه فرع عن الأصل، وقد يقوى الفرع ويضعف الأصل، فيقوم الأقوى مقام الأضعف وينوب عنه في أداء الواجب تحقيقًا لبذل الجهد المقدور عليه في سبيل الله.

وقد بين فضل الجهاد بالمال المولى عز وجل في قوله: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢].

قال السعدي: (أي كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية في جهاد الكفار)[٣].

وبين فضل الجهاد في سبيل الله النبي ﷺ فقال: ((من أنفق نفقة في سبيل الله كُتب له سبعمائة ضعف))[٤].

فينبغي على الداعية إلى الله أن يبيّن للمدعوين أن المال نعمة منّ الله بها عليهم، وأن عليهم استخدامها فيما يرضيه ويُعلي دينه، وعليهم عدم استخدامها فيما يغضبه ويوجب سخطه.

خامسًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على التعاون والتكافل:

إن من مهام الداعية حث المدعوين على التعاون والتكافل، وتظهر هذه المهمة في بيانه ﷺ طريق التعاون والتكافل في تحقيق الجهاد في سبيل الله، إما بالنفس وهو

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٤.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٨٥، ٢٨٦.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٣٢٦).

الغازي، أو بالمال وهو المجهز له، وإما بالرعاية وهو من يخلفه في أهله، وهو يحقق التعاون والتكافل.

فالإسلام دين شامل ينظم علاقات المجتمع كلها، ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من التعامل الرفيع والتعاون البديع، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] أي لاخير في كثير من المتناجين إلا من أمر منهم بصدقة أو معروف، وهو كل ما أمر الله به من أعمال البر والخير، أو إصلاح بين المختصمين ليعودوا إلى أُلفتهم واجتماع كلمتهم، وهؤلاء إذا ابتغوا بأعمالهم رضاه أثابهم أجرًا عظيمًا، وتظهر فائدة التكافل في الجهاد بأنه يوجب سدّ حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون القيام بعمل يسد عجز العاجزين، كما أنه يربي النشء تربية تظهر فيهم القوة، والحرص على الموت قبل الحرص على الحياة[2].

فحري بالداعية حث المدعوين على التعاون والتكافل داخل المجتمع الإسلامي ودعوتهم إلى البر والخير.

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ص ٢٤٧، وموسوعة القيم ومكارم الأخلاق ٣٦/١٣، ٣٧.

الحديث رقم (١٧٨)

١٧٨- وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللّه ﷺ، بَعَثَ بَعْثًا إِلى بَني لِحيانَ مِنْ هُذَيْلٍ فقالَ: «لِيَنْبعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

البعث: الجيش[2].

لينبعث: ليخرج[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يفتح صفحة مضيئة من صفحات البطولة والجهاد، وما أعظم هذه الصفحات، وما أكثرها في تاريخ الإسلام الذي شاده المسلمون، وروَّوا بدمائهم حقول العقيدة، وأشجار الإسلام، وهذه الصفحة تكتب سطورها المجيدة وصية رسول الله ﷺ حين أراد أن ينشر الإسلام في بني لحيان من هذيل، وأن يَهْدي هذه القبيلة إلى نور اليقين، وأن يخرجهم من ظلمات الوثنية وأسْر الشياطين.

ويبدأ الحديث بصيغة التوكيد من الراوي في قوله: "إن رسول الله بعث بعثًا إلى بني لحيان من هذيل".

والتعبير بالفعل الماضي "بعث" هو من باب التعبير عن المستقبل في صيغة الماضي: لأن الراوي يحكي عما أراد الرسول ﷺ فعله، وكيف يكون إرسال البعث قبل تنظيمه؟

---

(١) برقم (١٨٩٦/١٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٧).

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ع ث).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

ولفظ "البعث": من الألفاظ الدالة على الحدث، وهو هنا يوُحي بالغَزو والبدء في التحرك لفتح بلاد بني لحيان.

والدلالة اللغوية تؤكد ذلك: لأن البعث معناه الرسول: والجمع بُعَثان، والبَعْث: من دلالاته: بَعْث الجند إلى الغزو، والبعث: هم القوم المبعوثون المشُخْصَوُن.

والبعث كذلك: يكون بعثًا للقوم يبعثون إلى وجه من الوجوه مثل السَّفْر والرَّكْب، وقولهم: كنت في بعث فلان أى في جيشه الذي بعث معه؛ والبعوث: الجيوش[1].

وصيغة الأمر في قول رسول الله ﷺ تفيد الوجوب في قوله: لينبعث من كل رجلين: أحدهما، والأجر بينهما، وهذا الحديث يعد ثمرة للحديث السابق: فقد وعد الرسول ﷺ بأنه "من خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا"، وفي هذا الحديث يتأكد هذا الوعد الحق في قوله: "والأجْر بينهما": أي أجرهما متساوٍ في الفضل والمقدار.

والتعبير بالكناية يغلف أسلوب الحديث: فقوله ﷺ: "لينبعث من كل رجلين" لايقصد منه تحديد الرجلين ولكن المراد لينبعث من كل قبيلة نصف عددها من الرجال، ويمكن أن يكون تحديد لفظ "الرجلان" للإشارة بأن النساء والأطفال والشيوخ والعجزة لا يجب عليهم القتال: فهم خارج دائرة الأمر بالانبعاث. وقوله: "الأجر بينهما"، إشارة إلى المساواة التامة بين من قاموا بالغزو دفاعًا عن الإسلام، ونشرًا لعقيدة الإسلام، وبين هؤلاء الذين جهّزوهم أو خلفوهم في أهلهم بخير، وحافظوا على أموالهم وأعراضهم، وكل ممتلكاتهم.

وفي هذه الإشارة التي تحدد من كل رجلين رجلاً، إرشادٌ إلى وجوب الجهاد على الرجال البالغين المكلفين القادرين، وإرشادٌ إلى ضرورة أن لا يذهب الجميع إلى ساحة الجهاد، بل لابد أن يبقى مجموعة من الرجال لصيانة الأعراض، والمحافظة على الحرمات، والقيام بمسؤولياتهم تجاه أطفالهم ونسائهم، وما يحتاجه المجتمع في حركته التي تُقوِّى جبهته الداخلية، وتصد أي تسلل للمعتدين، وتحيط أي فتنة داخلية.

---

(١) انظر: لسان العرب في (ب ع ث).

فما أعظم هذا التخطيط النبوي، وما أدقَّ وما أعمق هذه الرؤية الشمولية في أشد المواقف حرجًا، ولا غرو، فالمصطفى ﷺ هو القائد الهادي، والبشير النذير، والسراج المنير، يعرف كيف تدار الأمور، وكيف تساس الجيوش، وكيف تعد الفتوح، وقد أمده الله بجندٍ من عنده، فنصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، قال الله عز وجل: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعاون على البر والتقوى.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث أسلوب الأمر ويظهر في قوله ﷺ "لينبعث..." وهو من الأساليب الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث إنه يدل على أهمية المأمور به وضرورة استجابة المدعو له.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعاون على البر والتقوى:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث فضل التعاون، وذلك في قوله ﷺ "لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما" حيث أراد الرسول ﷺ حصول الجهاد والمحافظة على الأمن في المجتمع المسلم وذلك؛ لأنه لو خرج جميع الرجال لأحدث ذلك فراغًا في البلاد والمدن مما يغري بالسطو والاحتلال، ومن ثم فإنه ينبغي توخي الحذر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[2] أي لا تخرج السرايا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٢) سورة النساء، من آية: ٧١.

إلا بإذن الإمام ليكون متجسسًا لهم، عضُدًا من ورائهم، وربما احتاجوا إلى درئه[١].

فخلف بعض المسلمين في الأهل حال الحرب، حث عليه النبي ﷺ، وفعله مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين خلفه رسول الله ﷺ في أهله في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله أتدعني مع النساء والصبيان، فقال ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))[٢]. لذا ينبغي مراعاة هذه الأمور.

ثالثًا- من واجبات المدعو: الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ:

من واجبات المدعو المسلم الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ وقد طالب الله سبحانه أمة الدعوة بأن يستجيبوا للرسول محمد ﷺ؛ لأنه يدعوهم لما يحييهم في الدنيا حياة طيبة، ويعطيهم في الآخرة رضا الله[٣] فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٤].

والاستجابة المأمور بها في هذا الحديث، عدم خروج جميع الرجال للجهاد، لما فيه من حماية المجتمع وأمنه وسلامته، فلابد من الاستجابة له؛ فينبغي على الداعية إلى الله أن يبيّن للمدعوين أهمية الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ لأن طاعة النبي من طاعة الله التي فيها النعيم المقيم في الآخرة، والتي هي الحياة الدائمة، ومن تمام طاعة الله طاعة رسوله وتحقيقها، ولن يحصل ذلك إلا عن طريق الاتباع والحرص على الكمال فيه[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٣/٥/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٠٦، ومسلم ٢٤٠٤.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٥.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي ٣٩٠/٢.

الحديث رقم (١٧٩)

١٧٩- وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ فقال: «**مَنِ الْقَوْمُ؟**» قالُوا: المُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قال: «**رسولُ اللَّه**» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قال: «**نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الروحاء: موضع في طريق الجحفة يعرف اليوم باسم (الشُفَيّة) وهي من عمل الفُرْع تبعد ٧٤ كم عن المدينة المنورة وتقع على الطريق المعبد بين المدينة وبدر[2].

الشرح الأدبي

إن أسلوب الحوار من سمة الأدب النبوي، ومن خصائص المنهج الإسلامي في الدعوة إلى الله، والحوار بالحسنى يحدث تفاعلاً بين المتحاورين، وتجاوبًا مقنعًا بين المتحادثين، وهو يشحن العقول بطاقات التأمل والتدبير، ويملأ القلوب بباقات الأحاسيس والتفكير، ويحدث تقاربًا في الرؤى المتباعدة، وينشئ تواصلاً بين الخواطر المتصادمة.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، ندرك أنه حوار واقعي، ينبع جماله السرديّ من واقعيته التي صنعت الحدث، وحددت المكان، ولا يصنع الحدث إلا من خلال الشخصيات، ولا يَعْمر المكان إلا بتفاعل الشخصيات مع الأحداث، وفي هذا الحديث ينشأ هذا الحوار القصير الجميل بين رسول الله ﷺ وجماعة من المسلمين الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولم يتعرفوا على رسول الله

---

(١) برقم (١٣٣٦/٤٠٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٤).

(٢) أطلس الحديث النبوي ١٩٦.

ﷺ، وبؤرة الحوار تركزت حول شعيرة الحج، بعد أن تعرف رسول الله على القوم، وهم عرفوا رسول الله ﷺ، وفي الحديث إشارة صريحة إلى تحديد مكان الحوار وهو "الروحاء"، وهى محل بقرب المدينة، وزمان الحوار كان في حجة الوداع، كما يقول العلماء حيث لقى رسول الله ركبًا بالروحاء في حجة الوداع.

ومن سمات أدب التحية في الإسلام أن الرسول ﷺ هو الذي بدأ بالسلام على الركْب، ثم بدأهم بالسؤال: من القوم.

ولم يقل: من أنتم ؟ لأن السؤال عن انتمائهم وليس عن نسبهم ولا قبيلتهم: فالإسلام هو معيار الأخوة والافتخار، وما أجمل قول الشاعر:

أبى الإسلام لا أب لي سواه ... إذا فخروا ببكر أو تميم

ولذلك لم يقل لهم: من أي قوم أنتم؟ وتجيء الإجابة مناسبة للسياق ومطابقة لمقتضى الحال حيث قالوا: "المسلمون" وفي هذه الإجابة حذف ومجاز: فالتقدير نحن قوم من المسلمين: ولكن جاءت الإجابة بالأهم وبالثمرة المطلوبة: "المسلمون"، والكلام فيه مجاز مرسل: حيث أطلق الكل وأراد البعض، فقد أرادوا أن يقولوا: نحن قوم من المسلمين.

وفي سياق سؤال القوم للرسول ﷺ: جاء سؤالهم عن شخصه وليس عن قومه: فقالوا: من أنت ؟ لأنه هو الذي بادرهم بالسؤال: وقد اطمأنوا حين أجابوه.. ولم يجدوا في وجهه تغيرًا بل وجدوا ارتباطًا واطمئنانًا وبريقًا يشدهم ويجذبهم، ولم يحدد الرسول ﷺ اسمه: بل حدّد صفته، لأن الصفة هي التي تناسب الموقف، وتزيد القوم اطمئنانًا وسكنًا وأمنًا قال "رسول الله"، ونتيجة لهذا السكن الذي حل في قلوبهم.. فرح القوم.. واستبشروا، والحديث أجمل ذلك لأنه من فضول الكلام، وتسأله امرأة من الركب معها صبى صغير "ألهذا حج" وهذا السؤال هو مركز فكرة الحديث الشريف، فيبشرها رسول الله ﷺ ويقول: "نعم".. وتزداد البشارة ويقول: "ولك أجر"، فالحج صحيح، ولكنه تطوع.. ولا يغني عن حجة الإسلام، ولفظ "الحج" يعطي دلالة "القصد" ولكن هذا القصد تخصص بالقصد إلى عظيم، أو القيام بأمر كبير: وهو قَصْد الكعبة والطواف حولها قبل الإسلام، والعرب كانوا يدركون أن في الحج معنى

تكفير الذنوب، وهو المعنى الذي عرف للكلمة في دلالتها الإسلامية فيما بعد، ولكن الحج في الإسلام له أركانه وواجباته وسننه، وتطورت دلالة كلمة "الحج" في الإسلام بكل ما تحمل هذه الشعيرة من آداب وقيم وتعاليم، وقد ورد الفعل "حج" وما اتصل به في ثلاث عشرة آية في القرآن الكريم.

وهذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وهذه المرأة يشع بمدلول كلمة الحج في الإسلام، وينبئ عن إدراك هذه المرأة لدلالة وثمرة الحج وهو قصد البيت الحرام لأداء النسك، وثمرته تتمثل في قول المصطفى ﷺ "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كما ولدته أمه"[1] فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

فقه الحديث

إن الحج أحد الأركان التي بني عليها الإسلام، وهو فرض على المستطيع فقط ويسقط عن العاجز عنه لمال أو صحة أو غير ذلك.

والحج فرض عين على المسلم البالغ العاقل المستطيع فمن شروط وجوبه البلوغ، ولكن إذا كان مع الرجل أو المرأة ولدها غير البالغ فهل يحج معها وهل يكون حجه صحيحًا؟

اتفق الفقهاء[2] على أن الصبي إذا حضر الحج كان لوليه أن يحرم ويلبي عنه

---

(١) أخرجه البخاري١٥٢١ ، ومسلم ١٣٥٠.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود٢/١٢٠، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٣٤٠، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام الأصبحي ١/٣٩٩، وحاشية الدسوقي ٢/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢/٤٨٧ وما بعدها، والأم، الإمام الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره ٢/١٢١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧/٣٧، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٣/٢٣٦، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٢٠٧ وما بعدها، والفروع، ابن مفلح ٣/٢١٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١/٥١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٧١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٦٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية١٧/٢٨.

ويحج معه ويكون الثواب لوليه، لأن من شروط الحج البلوغ، فإذا بلغ وجب عليه حجة الفريضة، وشذت طائفة[١] فقالت إذا حج الصبي أجزأه ذلك عن حجة الإسلام، ولم يلتفت العلماء إلى قولها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات الداعية: السؤال عن هوية المدعو إذا اقتضت الحاجة.

ثالثًا: من واجبات المدعو: اغتنام الفرص.

رابعًا: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحج.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإعانة على الطاعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر أسلوب السؤال والجواب في هذا الحديث في أكثر من موضع هي فقال: "من القوم"؟ قالوا المسلمون. فقالوا من أنت؟ قال: "رسول الله"... فقالت ألهذا حج؟ قال: "نعم ولك أجر" وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب المهمة في الدعوة من أجل استجلاء الأمور واستبانتها.

ثانيًا- من واجبات الداعية: السؤال عن هويّة المدعو إذا اقتضت الحاجة:

إن مما يجب على الداعية فعله استجلاء الأمور والسؤال عما يجهل إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ لأن الرسول ﷺ سأل "من القوم؟" يخشى أن يكونوا من العدو فيخونوا أو يغدروا، أما إذا لم تدع الحاجة إلى ذلك فلا حاجة له أن يسأل، لأن ذلك قد يكون داخلاً فيما لا يعنيه و((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[٢].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٧/٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧١/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية٢٨/١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي،١٨٨٦).

ولكن إذا دعت الحاجة فيسأل حتى يكون على بينة من الأمر وعلى بصيرة[١]. وذلك لأن الداعية له طاقة معينة في المعرفة ولن يحيط بكل شيء، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى، لذا يجب على الداعية البحث عن إجابات لما يجهل، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال، كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين[٢].

ثالثًا- من واجبات المدعو: اغتنام الفرص:

من واجبات المدعو التي تظهر من هذا الحديث اغتنام فرصة وجود العالم، لأن القوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رسول الله، جعلوا يسألونه فينبغي على المدعو أن يغتنم فرصة وجود الداعية من أجل أن يسأله عما أشكل عليه لما في ذلك من منفعة كبيرة للمدعو[٣]. وليس أدل على ذلك من اغتنام للفرصة فعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما علم بمبيت المصطفى ﷺ عند خالته ميمونة فذهب وبات قال: ((بت في بيت ميمونة ليلة والنبي ﷺ عندها لأنظر كيف صلاة رسول الله ﷺ بالليل))[٤].

فقد حرص ابن عباس رضي الله عنه على أن يتعلم من النبي ﷺ وضوءه وصلاته وكيفية ذكره وقد تعلم أيضًا في هذه الليلة دعاء "اللهم اجعل في قلبي نورًا ..." كما ذكر العلماء أن فيه دليلاً على جواز السهر من أجل التعلم[٥].

رابعًا- من خصوصيات النبي ﷺ جوامع الكلم:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "نعم ولك أجر" حيث أجاب ﷺ السائلة بقليل من الألفاظ لبيان ما تريد معرفته دون استطراد. وذلك من جوامع الكلم وهو من خصوصيات النبي ﷺ التي فضّله الله تعالى بها على غيره من الأنبياء، فكان يتكلم

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٢/٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هشام علي أحمد ص ١٢٣ بتصرف.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/٣٧٧.

(٤) أخرجه مسلم ٧٤٥٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٨٢، ٤١٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ٢/١٧٨.

بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني[١]. وقد جاءت السنة مؤكدة على هذه الخاصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي المغانم وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون))[٢]. والله عز وجل قد أعطى المصطفى ﷺ مفاتيح الكلام، وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة، والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم، ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه قال العز بن عبدالسلام: (ومن الخصائص أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته)[٣].

فينبغي على الداعية أن تكون إجابته قصدًا دون استطراد ما دام القليل من الكلام يؤدي المراد، وخير الكلام ما قل ودل.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحج:

ويظهر هذا من سؤال المرأة عندما قالت: ألهذا حج؟ فقال ﷺ "نعم ولك أجر".

والحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو فرض على المسلم القادر مرة واحدة في العمر قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٤] وهو من أفضل الأعمال وأكثرها ثوابًا قال رسول الله ﷺ ((أفضل الجهاد حج مبرور))[٥] وقال ﷺ: ((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))[٦]. لأنه اقترن بالشوق إلى لقاء الله عز وجل؛ لأن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤١٨، ١٣/٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ١/٤٥٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٥٢٠، ٢٧٨٤.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٤٩.

المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة، والبيت مضاف إلى الله عز وجل، فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة، فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل بالجنة، والإنسان في الغالب الأعم يشتاق إلى ربه أشد شوق، فيحتاج إلى شيء يقضي به شوقه فلا يجده إلا الحج. لأجل ذلك فإنه ينبغي للداعية أن يبين للناس فضل الحج وثوابه.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإعانة على الطاعة :

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث فضل الإعانة على الطاعة حيث بيّن رسول الله ﷺ للمرأة التي تسأل عن حكم حج ابنها أن حجه صحيح، ولها أجر، جزاءً لها على إعانة ابنها على الحج الذي لا يجب عليه لأنه ليس مكلفًا.

والإعانة على الطاعة لها ثواب عظيم، ومن ذلك ما ورد عنه رسول الله ﷺ في قوله: ((من جهز غازيًا في سبيل فقد غزا ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا))[1] حيث جعل للمعين على الجهاد ثواب المجاهد، فحري بالداعية أن يبين فضل الإعانة على الطاعة وثوابه.

وفي الحديث فائدة تتمثل في: أن فعل المرأة مع صبيها يعد تمرينًا على التعلم، وفعل الطاعات[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٤٣، ومسلم ٤٩٠٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٧.

الحديث رقم (١٨٠)

١٨٠- وَعَنْ أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «**الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ الذي يُنَفِّذُ ما أُمِرَ بِهِ، فَيُعْطِيهِ كَامِلاً مَوفَّرًا، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إلى الذي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ**» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية[2]: «**الذي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ**» وضَبطُوا «**المُتَصدِّقَيْنِ**» بفتح القاف مع كسر النون على التَّثْنِيَةِ، وعَكْسُهُ عَلَى الجمْعِ وكلاهُمَا صَحِيحٌ.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

موفَّرًا: أي كاملاً تامًّا من غير نقصان[3].

الشرح الأدبي

إن البناء اللغوي في هذا الحديث كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا: وهو كما يقول الجاحظ: كلام ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام.

والحديث يتكون من جملة لغوية واحدة طرفاها: المبتدأ والخبر: فهى جملة اسمية تأخذ صفة الثبات: فالصفة التي يحض عليها الحديث لابد أن تكون مستقرة دائمة وهى صفة الأمانة والإخلاص في الإعطاء، ولذلك يجسد التشكل اللغوي ثبات المعنى المراد، فالصفة مستقرة، والحدث لا يتغير بتغير الزمن، ويعرض الحديث لصفة الأمانة، والعطاء عن طيب نَفْس، وعدم إبطال الصدقات بالمنِّ والأذى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣/٧٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١٤٩).

(٢) أي بدل: (ينفذ) كما في الرواية التي تقدمت تخريجها، وفيها: (الأمين الذي ينفذ، وربّما قال: يعطي).

(٣) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي في (و ف ر)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣١.

ويبدأ الحديث بقول رسول الله ﷺ: "الخازن": وهو القائم على حراسة المال والمكلف بإعطاء الصدقة لمن يستحق، وهذا الخازن يرصد الحديث الشريف له عدة صفات تميز شخصيته، وتحدد نمط هذه الشخصية وأبعادها في ظلال المنهج الإسلامي، فالخازن كما حدد مقومات شخصيته الرسول ﷺ "مسلم، أمين، ينفذ ما أمر به، يعطيه كاملاً موفرًا، طيبة به نفسه، يدفعه إلى الذي أمر له به".

وهذا الخازن الذي يتمتع بهذه المقومات الشخصية في مجال إعطاء الصدقة هو أحد المتصدقين: أي يكتب له ثواب الصدقة، ولكن هذا الثواب يقل ويكثر حسب تعبه، وبقدر بشاشته في الإعطاء، وبقدر تمتعه بالصفات السابقة.

وجماليات الأداء الأسلوبي تكشف عن أسرار كثيرة في تقديم المعنى، وإضاءة العلاقات الحميمة بين أطراف العلاقة الإنسانية الجميلة القائمة على التعاطف والعطاء والمحبة، بين المتصدق، والمتصدق عليه، والذي يتولى تقديم الصدقة. وأول صفة لهذا "الخازن" هي الإسلام، ثم الأمانة، فقد يكون مسلمًا ولكنه يفتقد صفة الأمانة: فينقص من العطاء، ويستأثر بأجوده أو يبعض منه طمعًا وشحًا وحسدًا.

والتعبير بقوله: "ينفذ ما أمر به" يرشد إلى أن إعطاء الصدقة كاملةً يدخل دائرة الوجوب ولا مجال فيه للاجتهاد، فهذا الخازن ليس إلا منفذ لما يُؤمَر به، وفي ذلك اقتداء بالأسوة الحسنة، بنبينا محمد ﷺ، اتباعًا لقول الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1].

وتحديد لفظ "أُمِرَ" في صيغة الفعل الماضي المبني للمجهول، يؤكد أن الإعطاء الكامل أمر واجب التنفيذ، ولا يأتي الأمر من شخص محدد بل هو أمر شامل يلتزم به كل خازن أمين، لأن هذا أمر شرعي، وليس أمرًا يخضع للمناسبة أو السياق أو الزمن أو البيئة، واختيار صيغة المضارع في قوله "ينفذ" يوحي باستمرار الصفة وتجددها، وكذلك صيغة المضارع في قوله "يعطيه" يوحى باستمرار صفة العطاء،

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

والعطف بالفاء يرشد إلى سرعة العطاء، ومجيء لفظ "كاملاً" بمادته اللغوية، ونصبه للحالية يؤكد حتمية الأمانة الكاملة، ثم يأتي لفظ "موفّرًا" منصوبًا وهو حال ثان ليؤكد عمق الأمانة، وحتمية إيصالها غير منقوصة ماديًا أو معنويًا، والحال الثالثة: تتعلق بالخازن نفسه، في قوله "طيبة بها نفسه"، أي يخلو ذلك الخازن من الحسد والحقد والضغينة وهو يعطي، وهذه حالة نفسية يحرص عليها الإسلام، فالظاهر لا يكفي، وإنما لابد من الوازع القلبي، والشعور بالغبطة ساعة العطاء، والتعبير بالفعل "يدفعه" يومئ إلى طريقة الإعطاء وهي: الهمة والنشاط والخفة، وكأنه دَيْن يجب أداؤه، والعطف "بالفاء" يوحي بالسرعة وعدم التراخي، وصيغة المضارع تنبئ عن الاستمرار والتجدد مع كل فعل مماثل، في أى زمن، وفي أى بيئة إسلامية، وهذا من سمات الشمول والاستيفاء في البيان النبوي، ويختم الحديث بالثمرة المرجوة حيث تتم فائدة الكلام السابق، ويتضوأ الإشعاع الذي توهجت به الصفات السابقة للخازن الأمين المسلم، وثوابه الجزيل: هو أنه يرقى إلى درجة أحد المتصدقين، وهو عند الله من المقبولين الفائزين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بأجر الوكيل في الصدقة، وقد ذكر الفقهاء[1] أن الوكيل في الصدقة أحد المتصدقين إذا أمضاه بشرطه، وله من الثواب مثل ثواب من تصدق دون أن ينقص من ثوابه شيء، ويحق له أن يأخذ أجره من الصدقة من تحت يده فيقبض من نفسه، قال ابن رجب: (والوكيل في الصدقة لا يأكل منها شيئًا لأجل العمل). والحديث يدل أيضًا على أن المشاركة في الطاعة توجب المشاركة في الأجر.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٣/٦، والفروع، ابن مفلح ٦٠٨/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ١٩٦/٤، وقواعد ابن رجب ص ١٣١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٣٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأمانة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الطاعة والامتثال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية سلامة القلب ونقاء الصدر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من واجبات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأمانة:

إن ما يستنبط من عموم هذا الحديث فضل الأمانة حيث ذكر ﷺ ذلك في قوله "الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ما أُمر به، فيعطيه كاملاً موفرًا طيبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أُمر له به أحد المتصدقين" الحديث.

فبيّن ﷺ أن المسلم المؤتمن الذي يؤدي الأمانة كاملة كما أُمر، يكون له مثل ثواب المتصدق، وهذا دليل على فضل الأمانة، وعلى فضل التنفيذ وعدم التفريط فيها[1]، لأنه من الأمانة الاهتمام بأن يحفظ المستأمنون ما تحت أيديهم من حقوق لغيرهم حتى يؤدوها إلى أصحابها وهي على حالتها حينما استؤمنوا عليها، ما لم يكن مرور الزمن يغير منها بصفة طبيعية معلومة، والأمانة مرتبطة بمبدأ الحق لذا تجدها مدفوعة بمبدأ الحق تجاه حقوق الآخرين، كما يجب التنويه إلى أن الأمانة يجب أداؤها إلى الذين لا يملكون وثائق تثبت حقهم عليها وهم أصحابها[2].

وللأمانة في الإسلام فضل عظيم، فقد جعل الله سبحانه من علامات الفلاح أداء الأمانات قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[3] قال السعدي: (أي مراعون لها، ضابطون، حافظون، حريصون على القيام بها وتنفيذها)[4].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٢/٣٨١.

(٢) الوجيز في الأخلاق الإسلامية ٢٧٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٩٧.

وقد أمر بها رسول الله ﷺ فقال: (أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك)[١] والأمانة صفة مميزة لأصحاب الرسالات، فقد كان كل منهم يقول لقومه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[٢] فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين فضل الأمانة وأهميتها لهم، حتى تعم الأمانة في التعامل وتعم الثقة بين المسلمين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الطاعة والامتثال:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث فضل الطاعة والامتثال، ويظهر هذا في قوله ﷺ "الخازن المسلم الأمين الذي ينفذ ما أمر به" حيث أطاع وامتثل لأمر ولي أمره فيما أؤتمن عليه، والطاعة والامتثال لولي الأمر واجبة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ: ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة))[٤]. قال الشيخ العراقي: (هذا الحديث مفيد لوجوب طاعة الأمراء والعلماء وأولي الأمر، و السبب في ذلك اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم، ويستنتج من ذلك أن من أطاع الأمير فقد أطاع الله، لأنه أطاع الرسول ﷺ ومن أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، وتجب الطاعة في ما يقتضيه العلم والمعروف، وحرمت طاعتهم في غير ذلك[٥]. فينبغي على الداعية بيان وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله، وفضل إعانتهم على البر والتقوى، حيث بيّن هذا الحديث أن من أعان على البر كان له مثل

---

(١) أخرجه الترمذي ١٢٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠١٥).

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن ، عبدالرحمن بن الحسين العراقي، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام الشوكاني ٢٧١/٧.

ثواب فاعله أو الآمر به.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية سلامة القلب ونقاء الصدر:

إن من موضوعات الدعوة التي في هذا الحديث أهمية سلامة القلب ونقاء الصدر ويدل على ذلك قوله ﷺ "طيبة به نفسه".

وسلامة القلب ونقاء الصدر من الأمور التي دعا إليها الإسلام قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[1] قال السعدي: (إذا صح القلب من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه وتفسد بفساده)[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ((قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد))[3].

فسلامة القلب ونقاء الصدر[4] تفرض على المسلم أن يتمنى الخير للناس، ويكره لهم الشر، فينبغي على الداعية أن يدعو المسلمين إلى سلامة القلب ونقاء الصدر من الغل والحسد، حتى لا يحمل أي منهم لأخيه حسدًا أو غلاً أو كراهية.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الترغيب ويدل على ذلك ترغيبه ﷺ في أداء الأمانة على الوجه المطلوب أداؤها عليه.

---

(١) سورة يونس، من آية: ٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٢٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩٧).

(٤) شرح سنن ابن ماجه ٣١١/١.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الضرورية في الدعوة إلى الله حيث يقوم الداعية بتشويق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبول الحق والثبات عليه، وبيان أن ذلك له فيه فائدة في الدنيا والآخرة[١].

خامسًا- من واجبات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

إن مما ينبغي للداعية أن يحرص عليه نفع المدعوين، ويظهر حرصه ﷺ على نفع المدعوين في هذا الحديث في أنه بيّن فضل أداء الأمانة كاملة وثواب ذلك، وبين أن ذلك فيه نفع للمؤدي.

والحرص على نفع المدعوين فيه محبة الخير لهم كما يحبه الإنسان لنفسه، ويقول رسول الله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٢] يقول الصنعاني: (إنه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب أحدكم لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه من الخير، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له مثل حصول ذلك من جهةٍ لا يزاحمه فيها، بحيث لا تُنقص النعمة على أخيه شيئًا من النعمة عليه، وذلك سهل على القلب السليم، عسر على القلب الدغل، عافانا الله)[٣]؛ فينبغي للداعية أن يحب الخير لإخوانه المسلمين، ويحرص على نفعهم، لأن ذلك يدل على كرم النفس، وصفاء القلب، وتقدير المسؤولية الملقاة على عاتقه.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، إسماعيل الصنعاني ٢/٦٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قد يتعذر على الإنسان القيام بفعل ما، فيقوم غيره به، كالجهاد مثلاً، ويقوم صاحب العذر برعاية أهل القائم بالفعل فيكون في الأجر معه سواء. والسنة النبوية تلفت النظر إلى مسؤولية المقيم تجاه المسافر، والحاضر تجاه الغائب، فليست الفرصة متاحة لإساءة استخدام غيبة رب البيت، بل العلاقة محددة شرعاً: "ومن خلف غازياً في أهله في غزا". والتفاوت الاجتماعي في العمل من هدي القرآن والسنة، فلم يرب الإسلام أبناءه على القتال، ولم يربهم على العمل الدنيوي، بل فاوت بين أفراد المجتمع لاستقامة مسيرة الحياة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ [سورة المزمل:٢٠]. من المفاهيم التربوية نذكر:

أولاً- التربية الجهادية:

إن الجهاد في سبيل الله من الأعمال العالية في الإسلام، ولهذا فقد خصّها النبي ﷺ ببيان فضلها في كثير من الأحاديث، وفي هذا الباب يعمم النبي ﷺ ثواب الجهاد؛ ليصل إلى الذين يجهزون الغزاة بالعدة والعتاد، يقول ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللّهِ فَقَدْ غَزَا»، بل ويشمل الثواب الذين يقومون على أُسر المجاهدين بالرعاية أثناء الحرب، يقول ﷺ: «وَمَنْ خلَّفَ غَازِياً فِي أَهلِهِ بخيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

وقد حثَّ النبي ﷺ على إعانة المجاهدين، تعميقاً لقيمة الجهاد في سبيل الله، وتربية للمسلمين على تقديم العون والمساندة للمجاهدين بكل السبل، وعلى قدر الإمكانات، فمن لم يستطع الجهاد فأمامه أن يجهز الغزاة، ومن لم يقدر على تجهيزهم، فإن أمامه فرصة أخرى لينال الثواب؛ وهي أن يتعهد أهل المحارب بالرعاية حال غيابه.

إن على المربين أن يغرسوا حب الجهاد في نفوس المتلقين؛ لأن "منزلة الجهاد منزلة عظيمة، ومرتبته مرتبة كريمة، لا يحظى بأجرها وثوابها إلا الصادقون المتقون، الذين سلكوا الطريق القويم، مهتدين بآيات رب العالمين، ومقتدين بسنة النبيين، فوفاهم الله أجرهم وآتاهم ثوابهم، فكانوا من المنعمين الخالدين في جنات رب العالمين"[١].

ثانياً- غرس خلق التعاون في نفوس المتربين:

إن المرء قد يقبل على العمل، ولكن يعجزه القيام به وحده، ولهذا فقد اهتم النبي ﷺ بحث المسلمين على التعاون فيما بينهم، خاصة في الجهاد في سبيل الله، يقول: «مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللّهِ فَقَدْ غَزَا...»، ويقول: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا. وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا»، وذلك إذا كانا فقيرين لا يستطيعان التجهيز بالعدة والدابَّة للحرب، فلا مانع أن يتعاونا ويجمعا إمكاناتهما المحدودة، ليجهزا أحدهما، وحينها يكون الأجر للطرفين.

وذلك المسلك القويم دعا إليه القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢]. ولا يخفى على ذي بصيرة ما في التعاون من فائدة كبيرة تعود بالنفع على المجتمع بأسره، فتنجز الأعمال الكبيرة التي تعيي الأفراد من القيام بها، تنجز هذه الأعمال بالجماعة، وقد قال ﷺ: «يدُ الله مع الجَمَاعَةِ»[٣].

والتعاون خلق يحرص عليه المؤمن، بتقديم العون إلى الناس، ولا تتحكم فيه مشاعر شخصية، أو مواقف عارضة[٤].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٢٨٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٦٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٦٠)

(٤) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخذندار ص ١٥٤.

ثالثاً: التربية بالحوار والمناقشة:

وهو من الوسائل البارزة في أحاديث هذا الباب، فإن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالرَّوحاء، فدار هذا الحوار:

قال ﷺ: «مَنِ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللّهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيّاً فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ».

إنها طريقة مثلى لاستقاء المعلومات ومعرفة المجهولات، وفي سؤال المرأة وإجابة رسول الله سبيل تربوي إلى التعليم بالحوار، فإن المرأة عندما جهلت شيئاً من أمر دينها لم يسكتها الحياء عن السؤال، ولكنها سألت فأجابها المربي الأول ﷺ بما تريد.

وعلى المعلم المسلم أن يعوّد طلابه الحوار والمناقشة..... وعليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستوياتهم؛ حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم، وحتى يفيدهم بذلك[1].

رابعاً- تربية الأطفال على أداء العبادات:

وذلك في سماحه ﷺ للطفل الصغير بالحج، بل بشَّر أمه بأن لها أجراً عند الله تعالى؛ لأنها ربَّت ابنها على العبادة والتعلق بشعائر الله، وفي ذلك من الدعوة إلى تربية الأولاد وتنشئتهم على عبادة الله منذ الصغر، حتى يشبوا وقد شبَّ الإيمان في قلوبهم.

وحيث إن الحج مثل الصوم والصلاة يعود الطفل على هذه العبادات ليعتاد الصلة بالله تعالى ومناجاته، والاستجابة لأوامره، وليتهيأ للتكيف الذي ينتظره عند بلوغه، فلا يجده صعباً وشاقاً عليه، وإنما مألوفاً لديه، والحج يجمع مشقات العبادة كلها، بالإضافة إلى أنه يجمع لذاتها جميعها، فإذا ما حج الصبي، فهذه بشارة على سلوك الطاعة لله في المستقبل إن شاء الله[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٣ بتصرف يسير.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٢٣٥.

خامساً- غرس خلق الأمانة في نفوس المتربين:

الأمانة من شيم المؤمن التي ربى النبي ﷺ عليها أصحابه الكرام، ورغب فيها ترغيباً، فقد عدّ الخازن الأمين الذي يتحلى بالأمانة من المتصدقين، رغم أنه لم يتصدق على صاحب المال الأساسي، والطرف الثاني المراد تسليم المال إليه، يقول ﷺ: "الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الأَمِينُ الَّذِي يُنْفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ ... أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ".

والأمانة شاملة لكل ما استرعى الله تعالى للإنسان من جوارح، وأداؤها واجب شرعي، يتحتم على كل مسلم أن يحفظها، ولا يخون حتى من خانه[1].

ولقد حرص النبي ﷺ على تعميق قيمة الأمانة في نفوس المسلمين؛ لأن وجودها في المجتمع يعني السلامة والصفاء، ونقيضها الخيانة التي هي سبب الأزمات والغش والخديعة، إذ يرتبط بفقدان الأمانة قلة الإنتاج في الأعمال، وضعف المستوى في الأداء، في مختلف الحرف من الأعمال، وفقدانها تكسد التجارة وتتعثر بين الناس؛ لانعدام الثقة في المعاملات[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١٩٢.

(٢) المرجع السابق ١٩٢.

٢٢- باب النصيحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: إخبارًا عن نوحٍ ﷺ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[الأعراف: ٦٢]، وعن هود ﷺ: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف: ٦٨].

وأما الأحاديث:

الحديث رقم (١٨١)

١٨١- فَالأَوَّلُ: عن أَبي رُقيَّةَ تَميمِ بنِ أَوْس الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» **قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»** رواه مُسْلم[(١)].

ترجمة الراوي:

تميم بن أوس الداري : هو تميم بن أوْس بن خارجة، ويكنى أبا رقية، بابنةٍ له تسمى رقية لم يولد له غيرها.

وهو صحابي، مشهور في الصحابة، كان نصرانيًا، وراهب أهل عصره، قدم المدينة وأسلم في سنة تسع من الهجرة، وقد حدّث عنه النبي ﷺ على المنبر بقصة الجسّاسة في أمر الدجال[(٢)].

وقد أقطعه النبي ﷺ قرية عينون "بفلسطين" وكتب له كتابًا بذلك وكان قد سكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان كثير التهجد، فقد قام ليلة حتى أصبح بآية من القرآن، فيركع، ويسجد ويبكي وهو يقول: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[(٣)]، وكان

---

(١) برقم (٥٥/٩٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٣٧).

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٢.

(٣) سورة الجاثية، آية: ٢١.

يختم القرآن في سبع.

وقال فيه ابن سيرين: إنه كان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ. وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، وأول من قصَّ القصص في عهد عمر بن الخطاب فأَذِن له.

وكان له كرامات، شهد بعضَها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، ومنها أنه ذات يوم خرجت نار بالحرَّة، فجاء عمرُ إلى تميم، فقال له: قم إلى هذه النار!؟ فقال تميم: يا أمير المؤمنين! ومَنْ أنا؟ وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه، فانطلقا إلى النار، فجعل تميم يحوسها بيده حتى دخلت الشِّعَب، ودخل تميمُ خلفها، فجعل عمر يقول: ليس مَنْ رَأى كمن لم يَرَ!! قالها ثلاثًا[1].

وقد روى عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ١٨ حديثًا.

وتوفي بفلسطين سنة ٤٠هـ، وقبره ببيت جبرين[2].

لأئمة المسلمين وعامتهم: أئمة المسلمين: من يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات. وعامة المسلمين: من عدا ولاة الأمر[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وعليه مدار الإسلام -كما قال العلماء- وقيل: هذا الحديث أحد أرباع الإسلام؛ وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، تطل علينا معان متجددة، ونقتبس من دلالات كلماته الإفرادية، ومن

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، ٨٠/٦.

(٢) طبقات ابن سعد (٤٠٨/٧-٤٠٩)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٤٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٩٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٢٨/١-٤٢٩، والأعلام للزركلي (٨٧/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء لرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس، ومجدي السيد أمين (٣٩٨/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٥٩/١)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٤٢/٢-٤٤٨)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٥٣٥/١-٥٣٧).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٩.

دلالاته التركيبية إشعاعات معرفية، وتوجيهات نبوية، وقيم سلوكية، ومنارات روحية.

وأول ما يلفت انتباه القارئ والمتلقي: هو صيغة الحوار في هذا الحديث الشريف: وفي ظلال هذا الحوار يتوهج حرص الصحابة على الاستفادة والتعلم، ونتعلم نحن المسلمين جميعًا من توجيهات المصطفى ﷺ ومن حرصه على الإفهام والتوضيح والتصريح بعد التلميح، والتفصيل بعد الإجمال، والجملة الأولى: الدين النصيحة، في أدائها الأسلوبي، وجمالها اللغوي تتضمن عدة دلالات إفرادية لكل من لفظ الدين، ولفظ النصيحة ثم تتضمن دلالة تركيبية تومئ إلى الثمرة المرجوة من التوجيه النبوي الكريم، ولنتساءل: ما الدلالة اللغوية لكلمة الدين؟ وكيف ترتبط هذه الدلالة المتنوعة بالآفاق والمقاصد المطلوبة في الحديث الشريف حين نتعرف على المدلول اللغوي للفظ "النصيحة".

إن كلمة "الدين" تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه فنقول "دانه"، وتارة من فعل متعد باللام: فنقول: "دان له"، وتارة من فعل متعد بالباء فنقول، "دان به"، وباختلاف الاشتقاق تختلف الدلالة التي تعطيها الصيغة فإذا قلنا: "دانه دينًا"، عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه وساسه، وقهره، فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك، والتصرف بما هو من شأن الملوك: من السياسة والتدبير والحكم والقهر والمحاسبة والمجازاة ومن ذلك ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[1]، أي يوم المحاسبة والجزاء، وفي الحديث: "الكيِّس من دان نفسه"[2] أي: حكمها، وإذا قلنا دان له، أردنا أنه أطاعه وخضع له: فالدين هنا هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع وعبارة "الدين لله"، يصح أن يفهم منها كلا المعنيين: الحكم لله، أو الخضوع لله، وهذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له، "دانه فدان له"، أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع، وإذا قلنا "دان بالشيء" كان معناه: أنه اتخذه دينًا ومذهبًا: أي اعتقده: أو تخلق به، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة التي يسير

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١٢٥/١ رقم ١٩١، والترمذي ٦٣٨/٤ رقم ٢٤٥٩، وابن ماجه ١٤٢٣/٢ رقم ٤٢٦٠.

عليها المرء نظريًا أو عمليًا.

ولا يخفى أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضًا للاستعمالين قبله: لأن العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ويلتزم اتِّباعها.

فكلمة الدين في دلالاتها المتعددة في لغتنا وفي عقيدتنا الإسلامية تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له فإذا وصف بها الطرف الأول كانت خضوعًا وانقيادًا، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمرًا وسلطانًا، وحكمًا وإلزامًا وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة، أو المظهر الذي يعبر عنها[1].

ومن منطق الخضوع والانقياد، يشعر المسلم تجاه خالقه بالحب والتسليم المطلق، والاقتناع والرضا بكل ما يصدر عن الخالق عز وجل: من أقوال وأفعال وأحكام، فالدين له أثره الذي لا ينكر في تهذيب سلوك الإنسان، وتقويم نفسيته، وكل سلوك غير سوي، وكل انحراف عن الصراط المستقيم، ليس بينه وبين الدين ارتباط مهما ادعى الأدعياء، وتقوَّل المتقوِّلون: يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

وهذا السلوك الإسلامي يتبع من "النصيحة الخالصة"، التي جعلها الرسول عماد الدين وقوامه، وقال "الدين النصيحة"، وهذا الأسلوب من باب "الحصر المجازى، دون الحقيقي"، لأنه أريد المبالغة في مدح النصيحة حتى جعلت كل الدين، وإن كان الدين مشتملاً على خصالٍ كثيرة غيرها، كما عليه شراح السنة النبوية.

وحين نتأمل الدلالة اللغوية لكلمة "النصيحة" نجد أنها لا تتصادم مع الدلالة المرادة في الحديث الشريف وهى التوجيه والإرشاد، والإيمان بالله إيمانًا صحيحًا، واتباع ما

---

(١) انظر: كتاب الدين د. محمد عبدالله دراز بتصرف، وانظر: لسان العرب، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (دي ن).

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥٣.

أمر به الله في كتابه، وما جاء به نبيه من أوامر ونواهٍ، وتصفية العقيدة من كل ما يشوبها، والحرص على أداء العبادات أداءً مكتملاً دون خلل أو نقصان أو ابتداع.

فالنصيحة كلمة جامعة: معناها: حيازة الخير للمنصوح له: ويقال: إنها من وجيز الأسماء، ومختصر الكلام، وأنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى العبارة عن معنى هذه الكلمة.

والنصيحة في اللغة لها دلالتان: إحداهما أنها مأخوذة من نَصَح الرجُل ثوبه: إذا خاطه: وهنا بلاغة وجمال أسلوبي تعبيري: حيث شبه فعل الناصح فيما يتحراه للمنصوح له بسد الخيّاط خلل الثوب وإصلاحه، فالنصيحة التي جلى معالمها رسول الله ﷺ في بيانه الرائع الجامع: تصلح الخلل الذي يتسرب إلى عقيدة المسلم وسلوكه ومنهجه في الحياة، وتصحح موقفه من ربه، وتؤصل علاقته بالقرآن الكريم، وبرسول الله ﷺ وتقيم جسرًا من المودة والمحبة والصداقة والمشورة الصالحة بين المسلم وأئمة المسلمين وعامتهم، وكأن كل فرد منهم يقوم بنصيحة الآخر في صدق ومحبة، ومودة وإخلاص.

وأما الدلالة اللغوية الثانية: فقد قيل إن النصيحة مأخوذة من نَصَحْتَ العسل إذا صفيته من الشمع، وفي هذه الدلالة جمال أسلوب، وجمال سلوكي، وجمال تتوهج به هذه الجملة المضيئة التي تفوه بها الحبيب الناصح الأمين: محمد بن عبدالله الذي أرسله الله رحمة للعالمين، حيث قال: "الدين النصيحة".

وقد شبه تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الخلط، وفي ضوء هذه الدلالة اللغوية نقول: إن الإيمان بالله، وبكتابه، وبرسوله، يجب أن يكون صحيحًا وجميلاً كالعسل المصفى في ظل النصائح الهادية، والتوجيهات الراشدة، التي تصدر من أرباب النهى، وأصحاب البصائر، وأُولِي العلم الذين يدركون: متى ينصحون، وكيف ينصحون، وبماذا ينصحون، والنصيحة لأئمة المسلمين، لا تكون بالمبالغة في بيان أخطائهم، ولكن، بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، والحرص على إصلاح أخطائهم، وإرشادهم بالحسنى إلى المنهج الصحيح، والنصيحة لعامة المسلمين آفاقها متعددة، ومقاصدها متنوعة،

ومراميها متسعة وفي ضوء الدلالة اللغوية: يحرص الناصح على إرشاد العامة إلى كل ما يجبر الخلل الذي يراه في أفعالهم وأقوالهم، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادلهم بالتي هي أحسن، حتى يُصفيَّ أقوالهم، ويهذب أفعالهم، ويجمل سلوكهم، وتصبح أعمالهم كالعسل المصفَّى، وكالثوب الجميل: في ظل النصيحة الصادقة الخالصة.

ورحم الله عبدًا، جعل نُطْقه ذكرًا، وصمته فكرًا، ونظره عَبَرًا، وحركته تعبدًا، ويسلم الناس من لسانه ويده. اللهم آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ في جوامع الكلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة وأهمية النصيحة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على فهم ما غاب عنهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب:

فالإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "الدين النصيحة"، حيث أخبر النبي ﷺ بحقيقة لا يستغنى عنها المسلم، وهي النصيحة وأهميتها وحاجة الفرد والمجتمع إليها، لما في ذلك من الخير العظيم، أما السؤال والجواب (فهو أسلوب دعوي يجذب المدعوين ويلفت انتباههم، فضلاً عن وضعهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة ما يكون من إجابة)[1]، ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (الدين النصيحة قلنا لمن؟ قال... إلخ).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ في جوامع الكلم:

(قد اختص الله تبارك وتعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ دون غيره من الأنبياء عليهم السلام بخصائص كثيرة، تشريفًا وتكريمًا، مما يدل على جليل رتبته وشرف منزلته

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د.عبدالرحمن حبنكة ٢/٥٩.

عند ربه)[١]، وكان من ذلك اختصاصه ﷺ بجوامع الكلم (فكان ﷺ يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني)[٢]، وقد دلت السنة المطهرة على هذه الخاصية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فضلت على الأنبياء بست)) ثم ذكر ﷺ من ذلك: ((أعطيت جوامع الكلم))[٣] وقد ظهرت هذه الخصوصية في الحديث من قوله ﷺ: "الدين النصيحة".

وقد بين النووي ذلك فقال نقلاً عن الخطابي إن: (النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفي بها العبارة عن معنى هذه الكلمة)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة وأهمية النصيحة:

(مما لاشك فيه أن النصيحة شأنها عظيم فهى لب الدين وجوهر الإيمان، بها يكون صلاح المجتمع؛ إذ تشاع فيه الفضيلة، وتستر فيه الرذيلة، من قام بها على وجهها يستحق الإكرام لا اللوم والاتهام، لما فيها من التواصي بالحق وبالصبر ونحوهما مما يكفل حياة مستقرة للمجتمع الإسلامي)[٥]. (والنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً، وتشمل النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٦]. وقد أشار نص الحديث إلى تعظيم النبي ﷺ لأمر النصيحة وذلك في قوله ﷺ الدين النصيحة: (أي أن النصيحة عماد الدين وقوامه

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٤٤٩/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦١/١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٣٥٠٨/٨.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢/١.

كقوله ﷺ "الحج عرفة"[١] أي: عماده ومعظمه عرفة)[٢] (وذلك أن المسلمين إذا تركوا التناصح والتشاور فيما بينهم فسد حالهم وضيعت كثير من السنن الحميدة وحلت محلها البدع الخبيثة ونقضت عرى الإسلام عروة بعد عروة وحل الشقاق والفساد محل الود والوفاق)[٣].

وقد ذكر الله في كتابه عن الأنبياء عليهم السلام أنهم نصحوا لأممهم فقال الله عز وجل إخبارًا عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[٤]، وقال تعالى إخبارًا عن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾[٥]، وقال تعالى في سورة الحجرات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[٦]، ومن تمام الأخوة المناصحة، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٧].

قال ابن رجب (يعني إن من تخلف عن الجهاد لعذر، فلا حرج عليه بشرط أن يكون ناصحًا لله ورسوله في تخلفه فإن المنافقين كانوا يظهرون الأعذار كاذبين، ويتخلفون عن الجهاد من غير نصح لله ورسوله... والنصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة، ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضًا...، وأما النصيحة لكتاب الله، فشدة حبه وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، وشدة العناية لتدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه

---

(١) المستدرك ٣٥/١ رقم ١٧٠٣، والترمذي ٢٣٧/٣ رقم ١٨٩، والنسائي ٢٥٦/٥ رقم ٣٠١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

(٣) النصيحة ومكانتها في الإسلام، الأمين الحاج محمد أحمد ص ٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٦٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٦٨.

(٦) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٧) سورة التوبة، آية: ٩١.

عنه، ويقوم به له بعدما يفهمه.

وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته، فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته، وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته. وأما بعد وفاته: فالعناية بطلب سنته، والبحث عن أخلاقه وآدابه، وتعظيم أمره، ولزوم القيام به، وشدة الغضب، والإعراض عمن تدين بخلاف سنته، والغضب على من ضيّعها لأثرة دنيا، وإن كان متدينًا بها....

وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم ...، وأما النصيحة للمسلمين، فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم...، ونصرتهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم)[1]، (فحاجة الإنسان للنصيحة كحاجته للأكل والشرب والهواء، لا غنى له عنها؛ لأنها هي التي تبين الطريق وتبصر الإنسان بأخطائه وما يحيط به من مخاطر ومهالك، والمسلم كله محتاج إلى النصح حاكمًا كان أو محكومًا، رجلاً كان أو امرأة، عالمًا أو متعلمًا، صديقًا كان أو عدوًا.

وما النصيحة إلا كلمة طيبة وموعظة حسنة، فهي إذن تحتاج إلى شروط وأهم تلك الشروط: الإخلاص، والعلم بما ينصح به وينهى عنه، والرفق، والتلطف بمن ينصحهم ويذكرهم ولو كانوا من أئمة الكفر ودعاة الضلال، فقد وصى الله موسى وهارون عندما أمرهما أن يذهبا إلى فرعون بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، فكيف إذن بأخوة العقيدة ورفقاء الدرب؟)[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٢٠-٢٢٢.

(٢) سورة طه، آية: ٤٤.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٤) النصيحة ومكانتها في الإسلام، الأمين الحاج، ٧٠٦.

وقد أفرد ابن رجب رسالة في الفرق بين النصيحة والتعيير أورد فيها شروطًا للنصيحة (قال فيها نقلاً عن: الفضيل إن المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير ورحم الله الشافعي إذ يقول في هذا المعنى:

تَعَمَّدني بِنُصْحِكَ في انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِي النَّصِيحَةَ في الْجَمَاعَه
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لا أَرْضَى اسْتِمَاعَه
وَإِنْ خَالَفْتِنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلاَ تَغْضَبْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَه)[1]

فعلى الداعية أن يراعى شروط النصيحة عند القيام بحقها لما في ذلك من إحلال الرحمة والود مكان القسوة والشقاق، وفي ذلك عظيم الفائدة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على فهم ما غاب عنهم:

ورد في الحديث حرصهم رضي الله عنهم على معرفة ما غاب عنهم وذلك في قولهم رضي الله عنهم قلنا لمن؟ وكان حرصهم رضي الله عنهم في ذلك نهجًا يُحتذى به؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك))[2] .

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالحرص على فهم ومعرفة ما غاب عن المرء حتى يكون على بصيرة من دينه فيعبد ربه على هدى وبينة، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، قال السعدي: (إن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إلى العلماء في جميع الحوادث، وفي ضمنه، تعديل لأهل العلم، وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأنه

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير، ابن رجب الحنبلي، بدون تاريخ طبع، المكتبة القيمة، مصر والسودان ص ٣٩. والأبيات للإمام الشافعي من ديوان قافية الهاء.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٣.

بذلك يخرج الجاهل من التبعة)[١]. وقد أكد النبي ﷺ على الرجوع إلى العلماء وسؤالهم فقال: «ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنة الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥)، والعيّ: الجاهل.

الحديث رقم (١٨٢)

١٨٢-الثَّاني: عَنْ جرير بْنِ عبدِ اللَّه ﷺ قال: بَايَعْتُ رَسولَ اللَّه ﷺ عَلى: إِقَامِ الصَّلاَةِ، وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكلِّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

الشرح الأدبي

حين نتأمل متن هذا الحديث.. تأملاً فاحصًا ندرك أن كلماته كلها.. تخلو من البيان النبوي، فليس لرسول الله ﷺ في نظمه كلمة واحدة، ولكنه مع ذلك يُعدُّ من السنة النبوية الشريفة، لأن السنة النبوية الشريفة، إما قول أو فعل أو تقرير أو هيئة أو صفة.

وإذا أطلق الحديث أريدُ به، ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خَلْقية أو خُلُقيَّة، وقد يراد به ما أُضيف إلى صاحبى أو تابعي، ولكن الغالب أن يقيد ما أريد به غير النبي ﷺ.

وهذا الحديث: بَيْعة صادقة، وعهد مُوَثَّق: من صاحبى جليل، هو جرير بن عبدالله لرسول الله ﷺ، وقد شرُفَتْ هذه البيعة الخيِّرة بموافقة وتأييد المصطفى ﷺ.

وهى ليست بيعة بالحكم، ولا بالولاية. ولكنها بيعة أعم وأشمل، إنها بيعة في عنق كل مسلم، وهي التعهد أمام رسول الله ﷺ بإقامة أركان الإسلام، والمحافظة عليها، وهي بيعة لها شروطها ولها آدابها، ولها مواثيقها، والتعبير بقوله: "بايعت" أقوى وآكد في الالتزام، من قوله: تعهدت أو التَزْمتُ، لأن البيعةَ تتضمن كل وسائل الولاء والاتباع والتنفيذ والالتزام، والمحافظة، ولم يكَن جرير أو من يُبَايع: بل في القرآن الكريم تخليد وتسجيل "لبيعة الرضوان" في سورة الفتح، وهى بيعة كاملة باتباع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦/٩٧) ولفظهما سواء، وسيعيده المصنف برقم ١٢١٥. أورده المنذري في ترغيبه (٣٤١٢).

الإسلام : والذود عنه، والوقوف في وجه أعدائه، وصد كل من يحاول تشويه معالم الدعوة، والفوز بإحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشَّهادة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

وفي سورة الممتحنة يأتي تفصيل لبيعة النساء، ويأمر الله رسوله ﷺ، بمبايعتهن والاستغفار لهن، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وتأكيدًا لهذه البيعة يصوغها الراوي في صيغة المتكلم، والجملة الفعلية، "بايعتُ"، والمبايعة كانت لرسول الله ﷺ؛ ومواثيق البيعة تتمثل في ركنين كبيرين من أركان الإسلام، وهما الصلاة، والزكاة، ثم النصح لكل مسلم، ومن أسرار الجمال التعبيري قوله: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفي سياق الصلاة: جاء بقوله: "وإقام": لأن الصلاة تحتاج إلى حركة وجهد وعزيمة، وتتضمن قيامًا وركوعًا وسجودًا، وقراءة، وخشوعًا وهذا للفظ الذي يتضمن الهمزة الزائدة في أوله يرشد إلى ضرورة النصح والعمل على ضرورة أن تظل الصلاة منارة المؤمن، ونبراسه المضيء الذي لا يخبو وهجه، والفعل: "أقام الصلاة" يؤدي دلالة أعم وأشمل من قولنا: قام بالصلاة، ولفظ: "إيتاء"، مناسب للزكاة: لأنها إعطاء، وإعانة للفقراء والمحتاجين.

ولفظ "إقامة" مصدر، وكذلك لفظ "إيتاء" مَصْدر، ولذلك إيحاء ودلالة حيث تظل إقامة الصلاة مَصْدرًا للمسلم في كل أمور حياته، وكذلك إيتاء الزكاة يظل مصدر للتراحم والمودة والتكافل بين المسلمين.

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

والنصح لكل مسلم جملة موجزة تتضمن قبسًا من قوله ﷺ، "الدين النصيحة" صلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه الكرام الأخيار.

فقه الحديث

النصح للكافر: قال ابن حجر: (التقييد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يُدْعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب إذا استشار. واختلف العلماء في البيع على بيعه ونحو ذلك، فجزم أحمد أن ذلك يختصّ بالمسلمين، واحتج بهذا الحديث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البيعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة والزكاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل النصيحة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحافز الحقيقي في النصح لكل مسلم..

خامسًا: من صفات المدعو: الحرص على الالتزام بفعل الطاعات.

أولاً- من وسائل الدعوة: البيعة:

البيعة هي (المعاقلة والمعاهدة على الأمر)[2] وقد بين الحق تعالى أهمية ذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[3] أي (أوفوا بما بايعتم به النبي ﷺ على الإيمان والنصر)[4]، فالبيعة من الوسائل الدعوية الهامة التي تبين أهمية ما بويع عليه، بما يسترعي ذلك انتباه المدعوين وحثهم على الامتثال لما بويع عليه، وقد ورد في الحديث ما يدل على ذلك في قول الراوي: "بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٩/١، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٥/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩٧/١٥.

والنصح لكل مسلم".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة والزكاة:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قول الراوي: بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. فالصلاة والزكاة من أركان الدين ودعائمه وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: ((بني الإسلام على خمس)) ثم ذكر من ذلك ((إقام الصلاة وإيتاء الزكاة))[١]، وقد أمر الحق تبارك بهما في عدد من الآيات فقال: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٢] وما ذلك إلا لعظم أهمية ومكانة الصلاة والزكاة فالصلاة هي آكد أركان الإسلام، والفارق بين الكفار والمسلمين. وهي عمود الدين، لقوله ﷺ: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد))[٣]، لذا كانت أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلاَتِهِ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»[٤].

وهي كما قال النبي ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ»[٥]. (وهذه الصلوات الخمس تؤدي في أوقاتها المعينة التي حدّدها الله فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٨.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٤٣، ٨٣، ١١٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢١١٠).

(٤) أخرجه النسائي ٤٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٤٥١).

(٥) أخرجه النسائي ٤٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٤٤٧).

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

ولها ركعات معدودة تؤدي بها هذه الصلوات الخمس دائمًا، وقد داوم عليها رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم- مدة حياته، حتى في الحروب، وتواترت أخبارها تواترًا لا يعرف لأي عمل أو عبادة في ملة من الملل، وفي دور من أدوار التاريخ، وتوارثتها الأمة جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة من غير فترة يوم واحد، حتى في أدق ساعاتها وأعظم محنها وأزمانها.

وهذه الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها، وجبات روحية، شرعها الخلاق العظيم، المبدع الحكيم، الذي ليس بطبيب النفوس فحسب، بل هو خالقها العليم وصانعها الحكيم كذلك، فلابد من الإيمان والخضوع لحكمتها وتشريعها، ولابد من التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ، والإتيان بها في أوقاتها، التي لا يعلم أسرارها وما يظهر فيها من تجليّات وإشراقات، وما يتنزل فيها من بركات ورحمات، وما يوجب فيها التعبّد لله والسجود له مخالفة لعبّاد الشمس والكواكب، ولعبّاد الأحجار والنار، وقد خضعت الأجيال البشرية، والعقول السليمة، لتوجيهات أطباء البشر ووصاياهم وتحديداتهم، وهم من بني جلدتهم، وفي مستواهم البشري، لتجارب محدودة، أو تخمينات مظنونة وما ظنك بالرب الحكيم؟ ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[2])[3].

وقد كانت الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والاطّراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع، المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، فهو في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في

---

(١) سورة طه، آية: ٥٠.

(٢) سورة الملك، آية: ١٤.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٢٣، ٢٤.

الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: «وجعل قرة عيني في الصلاة»[١]. وقوله لمؤذنه بلال: «يابلال أقم الصلاة، أرحنا بها»[٢])[٣].

وفي ذلك بيان على عظم وأهمية الصلاة كآكد أركان الإسلام، وفي ذكر الزكاة في نص الحديث يكون الإشعار بمكانتها وأهميتها، فهي الركن الثالث في الإسلام، وقد أمر الله تعالى بأدائها وإخراجها لحكم جليلة وغايات نبيلة، "فحكمتها الأساسية الأولى، هي حكمة تزكية النفس من الشح والحرص، والأثرة وحب المال، ومنع حقوق الفقراء وقسوة النفس، وتزكية المال وتنميته، وحلول البركة فيه برضا الله سبحانه وتعالى وقبوله، وبفضل مواساة الفقراء الضعفاء، وانعطاف قلوبهم ورقتها، ودعائهم.

وقد ذكر الله هذه المصلحة الأساسية، ونوه بها في القرآن، ويكاد القرآن يقتصر عليها، فقال مخاطبًا للرسول ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤] وقال مقارنًا بين الربا والزكاة: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[٥] وقد أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ((إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم))[٦].

وتلي هذه المصلحة الأساسية مصلحة الجماعة والمجتمع، وهي كفالة المجتمع، الكفالة اللازمة الضرورية، وسد حاجات الفقراء الطبيعية البدائية، وتهيئة كل عضو

---

(١) أخرجه النسائي ٣٩٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٢٩.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الروم، آية: ٣٩.

(٦)أخرجه أبو داود، ٤٦٦٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود، ٣٦٣).

من أعضاء المجتمع لأسباب الحياة الشريفة التي يستطيع بها القيام بحقوق الله وحقوق النفس، والوصول إلى الكمال المطلوب، والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم)[١].

ومن أجل تحقيق هذه المصالح، رهَّب الحق تبارك وتعالى من تَقَاعَس عن أداء الزكاة ومنع إخراجها فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[٢] وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أحمى عليه في نار جهنم فيجعل صفائح، فيكوى بها جنباه وجبينه، حتى يحكم الله بين عباده، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة))[٣].

ثالثًا- موضوعات الدعوة: بيان فضل النصيحة:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة في هذا الحديث بيان فضل النصيحة، من حيث حاجة كل مسلم إليها، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي ((والنصح لكل مسلم)) وقد بين النبي ﷺ أن من حقوق المسلم على المسلم ست ثم ذكر منها ((وإذا استنصحك فانصح له))[٤].

والنصيحة كما ذكرها ابن رجب عن أبي عمر: (تعني كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً)[٥] (ومتى قام أهل العلم والفضل بواجب النصح فيما بينهم ومناصحة من هم في حاجة إلى ذلك. اتضحت معالم الدين واستنارت النفوس بأحكامه وحكمه وأسراره وارتفع مؤشر الوعي الديني والثقافي بين أفراد

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ١١٢، ١١٣.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٩٨٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢.

المجتمع وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1])[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان الحافز الحقيقي في النصح لكل مسلم:

هذا مما يستنبط من نص الحديث، وفي بيان حقيقة هذا الحافز قال أبو الحسن الندوي: (إن الإيمان بالآخرة وتمثل ما فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء، وللكفار من عقاب، هو الحافز الحقيقي للدعاة في دعوتهم وبذل نصحهم، وهو الذي يقلقهم ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم، ويجعلهم لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطانًا على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه الفساد، ويجعلون ذلك موجبًا لدعوتهم وإنذارهم وسببًا لقلقهم وإشفاقهم، فيقول القرآن عن نوح عليه السلام- وهو أول رسول يذكره القرآن بتفصيل- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[3].

ويقول عن هود عليه السلام - وهو من أقدم الأنبياء، وقد بعث في قوم تهيأت لهم أسباب العيش، وتوسعت لهم الدنيا، وطابت لهم الحياة-: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4].

ويقول عن شعيب عليه السلام -وقد بعث في قوم لانَ لهم العيش وانتشر في أرضهم الخصب-: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[5])[6].

---

(١) سورة العصر.

(٢) النصيحة شروطها وآدابها، د. عبدالرب نواب الدين، ط/١، دار القلم، بيروت: ١٤١٥هـ ص ١٥٦.

(٣) سورة هود، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢-١٣٥ .

(٥) سورة هود، آية: ٨٤ .

(٦) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ٦٥- ٦٦، بتصرف يسير.

فعلى الداعية أن يعي بقلبه وعقله هذا الحافز فلا يترك وسعًا ولا يبقى جهدًا إلا ويبذله في النصح لكل مسلم.

خامسًا- من صفات المدعو: الحرص على الالتزام بفعل الطاعات:

يستنبط هذا مما ورد في الحديث من مبايعة الراوي للنبي ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، وفي الحرص على الالتزام بفعل الطاعات لبيان على تحقيق الاستجابة لله وللرسول وفي ذلك عظيم الأجر، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2].

قال السعدي: (لما بيّن تعالى، الحق من الباطل، ذكر أن الناس على قسمين: مستجيب لربه، فذكر ثوابه، وغير مستجيب، فذكر عقابه فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي، وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلها، ومن المناقب أفضلها. ومن الثواب العاجل والآجل، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[3]. فعلى المدعو أن يحرص على أداء الطاعات وفعل المأمورات، إرضاءً لرب العباد؛ وفي ذلك دخول الجنات وعلو الدرجات.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٢٦.

(٢) سورة الرعد، آية: ١٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٧٠.

الحديث رقم (١٨٣)

١٨٣- الثَّالثُ: عَنْ أَنَس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يُرسي هذا الحديث الشريف قاعدة إسلامية راسخة تقوم على أسس الأخوة الإيمانية، وهذه القاعدة ثابتة الأسس، قوية الأركان: لأنها شُيِّدت على دعائم الأخوة الإسلامية.

وجوهرها "الحبُّ" وهذا الحب ليس محصورًا في مشاعر ذاتية، وفنية، وليس رهين عواطف تحكمها العصبية، أو يؤطرها الهوى، والنزعات الشخصية، وإنما ذلك الحب يتسامى، ويتحصن بالإيثار، والتوازن، انطلاقًا من القاعدة التي تقول: المؤمن مرآة أخيه.

واسترشادًا بالآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

والحديث في بنائه اللغوي: يبدأ بالنفى، وهو ليس نفيًا لشيء مكروه، ولكنه نفى للإيمان ، وهذه البداية تثير الانتباه وتدعو للتفكير واليقظة، والتساؤل: وماذا بعد قوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم" فالجملة لم يكتمل معناها وكلمات الحديث تتراص وتتآزر كالبنيان المرصوص يشد بعضها بعضًا، والحديث يعد جملة دلالية واحدة، تتضمن في جوانبها المشرقة عددًا من الجمل التي تتكون منها الدلالة الكبرى للحديث، وهى المحبة الخالصة لكل مؤمن.

فالحب من أمارات الإيمان ولفظ "أحدكم" عام وشامل : وكاف الخطاب هنا

---

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥/٧١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٤٣).

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

يتوجه بها الرسول ﷺ إلى كل هذه الملايين التي أنعم الله عليها بالتوحيد، وأظلها بالإسلام، وثبتها بالإيمان في كل عصر، وكل جيل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

و"حتى" تفيد الغاية وهى توحي بأن المؤمن مهما جد في إيمانه، ومهما قطع الأشواط في هذا السبيل فإنه لن يفوز بالإيمان الكامل إلا إذا وصل إلى مرتبة الإيثار، والإحساس بالغير.

والفعل المضارع في قوله ﷺ "حتى يحب" يوحي باستمرار هذا المنهج، وذلك السلوك، وتجددهما، وهذه مرتبة لا يبلغها إلا من ينتصر على نفسه، وعلى رغباته الدنيا، وعلى "الأنا" المتحكم في ذاته، والتعبير بلفظ "لأخيه" فيه دلالة على رابطة الإيمان القوية، فإن الروابط القائمة على قيم الإسلام أقوى من روابط النسب، وصلات العصب، لأن المؤمنين إخوة في ظل المنهج الإسلامي، والتعبير بقوله "ما يحب لنفسه"، واسم الموصول، "ما" يتضمن كل ما يتمناه الإنسان لنفسه، وهذا السلوك يحدث توازنًا بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ويوثق الروابط بين أبناء الأمة، والطريق إلى محبة الناس، وإيثارهم، والانتصار على شح النفس هو محبة رسول الله ﷺ. والذين يحبهم رسول الله ﷺ قد حدد معالم شخصيتهم في قوله ﷺ: "ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا الموطأون أكنافًا، الذي يألفون ويؤلفون"[1] وهذه الصفات الثلاثة تعد معالم مضيئة للمؤمن الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه وهذه الثلاثة وإن ائتلفت ورجع بعضها إلى بعض فإنها تتميز وتنفرد كل واحد بشيء من المعنى فقوله: "أحاسنكم أخلاقًا" كلمة شاملة لكل ضروب الأخلاق التي تستوعب كل صلات الإنسان بغيره، ومن القول والفعل، ومن الصدق، والوفاء والبر والعدل، والكرم، والمروءة والنجدة، والإيثار والمعونة، وصلة الأرحام، ومساعدة الضعيف والإعانة على

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/٢٣٥ رقم ٤٨٥، ومسند أحمد ٢/١٨٥.

نوائب الدهر، وغير ذلك مما لا يستطاع حصره، وتشمله كلمة الأخلاق، وكلمة "أحاسنكم" جمع أحسن، والمطلوب ليس الخلق الحسن، وإنما الخلق الأحسن.

ومن أمارات الحب ودلائله التي يدعو إليها الحديث: هذه الصفة الإيمانية التي تقرب المؤمن من مجلس رسول الله يوم القيامة، وهو شرف لا يسمو إليه شرف آخر، ورتبة لا تعلوها رتبة، والطريق إليها أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

وأن تكون من الذين قال فيهم المصطفى ﷺ "الموطأون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون"، ورسول الله ﷺ الذي يجعل هذا الخلق سبيل الوصول إلى محبته ومجالسته هو نفسه ﷺ مثل رائع في هذا فقد كان يفيض بالرأفة والرحمة، وكان عليه السلام على خلق عظيم، وبهذا وصفه ربه: قال سبحانه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وكأنه عليه السلام يدعو أمته لأن تكون على شاكلته ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: أسلوب الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية حب الخير للمؤمنين.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: ترسيخ الإيثار في النفوس وتحريرها من الأنانية.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: أسلوب الترهيب:

و(الترهيب (أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها)[3]. وهذا ما ورد في الحديث من الترهيب في عدم اكتمال إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، ٢٣٢/١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية حب الخير للآخرين من المؤمنين:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية حب الخير للمؤمنين؛ لأجل تحقيق التلاحم والتماسك بين المسلمين، ويظهر ذلك في قوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وقد بين ابن حجر ذلك فقال: (والمحبة إرادة ما يعتقده المرء خيرًا والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات)، وقال نقلاً عن النووي: (إن المحبة هي الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضر)[١].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه بذلك فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢] قال السعدي: أي: (ألن لهم جانبك، وحَسِّن لهم خلقك، محبة، وإكرامًا، وتوددًا)[٣]. وفي ذلك قال ابن رجب: (إن هذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين التي هي من جملة الدين كما قال ﷺ ((الدين النصيحة))[٤])[٥] (وإن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه)[٦]، (فإذا زال ذلك عنه انتفى عنه كمال الإيمان)[٧]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير))[٨].

وفي حب الخير للآخرين من المؤمنين امتثالاً لقوله ﷺ ((مثل المؤمنين في توادهم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٤/١.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٠٥.

(٦) المرجع السابق ٣٠٣.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٤/١.

(٨) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٣٥، وقال محقق الصحيح: إسناده صحيح.

وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))[١] وقد رغب النبي ﷺ في ذلك فقال: ((فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه))[٢] قال النووي: (وقوله ﷺ "وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه" هذا من جوامع كلمه ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[٣]. وفي ذلك بيان على أهمية حب الخير للآخرين من المؤمنين.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: ترسيخ الإيثار في النفوس وتحريرها من الأنانية:

إن مما يستنبط من الحديث فيما يتعلق بأهداف الدعوة: ترسيخ الإيثار في النفوس وتطهيرها من الشح والأنانية ومن الشواهد على ذلك ما ورد في قوله ﷺ "حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"؛ (فالإيثار دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، به تحصل الألفة والمحبة بين الناس، وهو دليل سخاء النفس وارتقائها، فضلاً عن كونه طريقًا موصلاً إلى الفلاح لأنه يقي الإنسان من داء الشح فيكون سببًا في عتق الإنسان من النار)[٤] (والإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبةً في الحظوظ الدينية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة)[٥] وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٦] أي: (يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٤.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح ٣/٦٤٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/١٨/٢٦.

(٦) سورة الحشر، آية: ٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٧٠.

(وقد أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسلَ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله ﷺ ((ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله؟)) فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله عز وجل، أو ضحك من فلان وفلانة))، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1].

قال ابن القيم: (وضابط الإيثار: أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك دينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يفسد عليك وقتًا يعني: أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، مثل أن تطعمهم وتجوع، وتكسوهم وتعرى، وتسقيهم وتظمأ، بحيث لا يؤدي ذلك إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، ...، وكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلا تؤثر به أحدًا، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم...، ولا يستطاع الإيثار إلا بثلاثة أشياء أولها: تعظيم الحقوق؛ فإن من عظمت الحقوق عنده قام بواجبها، ورعاها حق رعايتها، واستعظم إضاعتها، وعلم أنه إن لم يبلغ درجة الإيثار لم يؤدها كما ينبغي، ثانيها: مقت الشح. فإنه إذا مقته وأبغضه التزم الإيثار؛ فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار. ثالثها: الرغبة في مكارم الأخلاق وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره؛ لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق)[2].

رابعًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من المهام الأساسية التي يضطلع بها الداعية، إرشادَ المدعوين ودلالتهم إلى ما يتحقق به إيمانهم، وقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "لا يؤمن أحدكم حتى

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٨٩، ومسلم ٢٠٥٤.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٥٥-٥٨ بتصرف يسير.

يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، وقيام الداعية بذلك وحرصه عليه يكون من باب النصيحة التي أمر بها النبي ﷺ: فعن تميم الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[1].

قال النووي: (... وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم)[2].

وفي دلالة المدعوين إلى ما يتحقق به إيمانهم عظيم الأجر وذلك لقوله ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[3].

(ومما لاشك فيه أن الداعية مُتبع النبي الكريم ﷺ في مهمته الإرشادية... وقد كان ﷺ شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم...، وقد استمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى صلوات ربي وسلامه عليه، وما أكثر المواقف في سيرته المطهرة التي يتجلى فيها حرصه الشديد على إرشاد المدعوين وإخراجهم من الظلمات إلى النور وإبعادهم عن كل ما يعرضهم لغضب الرب وعذابه)[4]، وكان من ذلك صعوده ﷺ على الصفا ((فجعل يُنادي: يا بني فِهر، يا بني عَديّ -لبطونِ قُرَيشٍ- حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يَستطعْ أن يَخرجَ أَرسل رسولاً ليَنظرَ ما هو، فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ، فقال: أرأيتَكُم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) انظر: الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ١٧، ١٩.

تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلاّ صِدقًا. قال: فإني نَذيرُ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ...))[1].

فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2] وفي ذلك كامل الفائدة وجزيل الثواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حب الخير للآخر فرض كحب الإنسان الخير لنفسه، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يعيش هذا الشعور وعلينا كعلماء إسلام أن:

١/ نقدم النصيحة للآخرين إذا قصروا بحق هذا الدين وذلك بعد التزامنا الذاتي، حتى لا تخالف أقوالنا وأفعالنا فلا نجد صدى لدعوانا.

٢/ الإكثار من بيان منزلة السنة ومكانتها وتصحيح مفهوم العمل بها وإقامة الدليل على حجيتها والدفاع عن الشبهة المثارة بحقها.

٣/ تقديم النصح لولي الأمر بصيغة العموم ولكل مسؤول في أي موقع حتى لا يكون مما لا يحمد من جراء عدم النصح.

٤/ ينبغي مراعاة آداب النصح من حيث: توفر العلم بما ينصح به، وكون الناصح ملتزماً بما يدعو إليه وينصح به، وكذلك عدم إحراج المنصوح، فلا يقدم النصيحة في الملأ، لأنها في المأ تكون نصيحة للمنصوح، كما أن التلطف في الخطاب مطلوب حتى لا تكن النفرة من المنصوح وأظهار الأثر المترتب على الاستجابة، لأن النفس تميل إلى الخير العاجل. ومن المفاهيم التربوية ما يلي:

أولاً- التربية بالنصيحة:

إن النصيحة من أساليب التربية التي امتاز بها الأسلوب النبوي في التربية مثلما سادت هذه الطريقة لدى الأنبياء السابقين، يقول تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[1]، ويقول على لسان هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2].

ولقد جسدت هذه الطريقة جوهر الإسلام في التواصي بالحق، ولهذا فقد قال ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ؛ لأنها تبرز صحة المجتمع، وترابطه وتآذره فيما بين أفراده،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦٨.

والنصيحة من أسس الإسلام التي كان الصحابة الأولون يبايعون الرسول ﷺ عليها في أول إسلامهم، ولهذا قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، ...، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ».

وهذه الطريقة في التربية طريقة قديمة قدم الإنسان نفسه، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضاً مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم[1].

ثانياً- التربية بالحوار والمناقشة:

وهذا من الأساليب التي بدت في محاورته لصحابته؛ عندما قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، فسألوه: «لِمَنْ» فأجابهم: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ ...».

ولقد استخدم النبي ﷺ؛ هذا الأسلوب بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم، وإعدادهم إعداداً إسلامياً صحيحاً، وهو أسلوب يدفع المتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك؛... وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه؛ ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة[2].

ثالثًا- التربية على الوفاء بالعهد:

من أخلاق المسلم التي يحرص عليها دائماً رغم كل الظروف: الوفاء بالعهد؛ فتلك هي الصفة التي تكشف عن معادن الرجال وتمكن الإيمان من قلوبهم، ولهذا كانت مبايعة النبي ﷺ عهداً ملزماً لصحابته بالوفاء به طيلة حياتهم، فهذا جرير بن عبدالله رضي الله عنه يقول: رضي الله عنه: « بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، .....». ثم عدَّد بنود المبايعة التي أبرمها مع رسول الله عندما أعلن إسلامه، وقد مدح الله تعالى الذين يوفون بالعهود

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ١٩٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٤٤٦، ٤٤٧.

في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾[١]. وهي من صفات المؤمنين.

قال محمد الغزالي: (إذا أبرم المسلم عقداً فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى موثقاً فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليه كما ينتهي الماء عند شُطْآنه، فيعرف بين الناس بأن كلمته ميثاق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها؛ فالعهد لابد من الوفاء به، كما أن اليمين لابد من البرّ بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مأثم)[٢].

رابعاً- التربية على خلق الإيثار:

من واجبات المؤمن تجاه أخيه المؤمن أن يربط بينهما خلق الإيثار، الذي حرص النبي ﷺ على تعميق جذوره في نفوس صحابته، حتى ربطه بالإيمان في قوله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، وذلك هو المنهج الرباني الذي دعا إليه القرآن وعضدته السنة الشريفة، يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣]، وتلك هي صفات المؤمنين الأولين لمن أراد أن يتأسى.

إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجماعة لا تقف عند تهذيب السلوك، بل إنها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة، ذلك أنها تربط قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس أو اللغة أو الحوار[٤].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٦.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٣-باب في بيان كثرة طرق الخير	٥
الحديث رقم (١١٧)	٥
الحديث رقم (١١٨)	١٥
الحديث رقم (١١٩)	٢٤
الحديث رقم (١٢٠)	٣١
الحديث رقم (١٢١)	٣٩
الحديث رقم (١٢٢)	٤٥
الحديث رقم (١٢٣)	٦١
الحديث رقم (١٢٤)	٦٦
الحديث رقم (١٢٥)	٧٤
الحديث رقم (١٢٦)	٨٣
الحديث رقم (١٢٧)	٩٥
الحديث رقم (١٢٨)	١٠٠
الحديث رقم (١٢٩)	١٠٨
الحديث رقم (١٣٠)	١١٨
الحديث رقم (١٣١)	١٢٨
الحديث رقم (١٣٢)	١٤٠
الحديث رقم (١٣٣)	١٤٦
الحديث رقم (١٣٤)	١٥٢
الحديث رقم (١٣٥)	١٥٧
الحديث رقم (١٣٦)	١٦٧
الحديث رقم (١٣٧)	١٧٤
الحديث رقم (١٣٨)	١٨١

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣٩)	١٩٠
الحديث رقم (١٤٠)	١٩٨
الحديث رقم (١٤١)	٢٠٥
١٤-باب الاقتصاد في الطاعة	٢٢١
الحديث رقم (١٤٢)	٢٢١
الحديث رقم (١٤٣)	٢٢٩
الحديث رقم (١٤٤)	٢٣٧
الحديث رقم (١٤٥)	٢٤٤
الحديث رقم (١٤٦)	٢٥٦
الحديث رقم (١٤٧)	٢٦٥
الحديث رقم (١٤٨)	٢٧٤
الحديث رقم (١٤٩)	٢٨٤
الحديث رقم (١٥٠)	٢٩٧
الحديث رقم (١٥١)	٣١٢
الحديث رقم (١٥٢)	٣٢٥
١٥-باب في المحافظة على الأعمال	٣٤٠
الحديث رقم (١٥٣)	٣٤٠
الحديث رقم (١٥٤)	٣٤٧
الحديث رقم (١٥٥)	٣٥٤
١٦-باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها	٣٦٢
الحديث رقم (١٥٦)	٣٦٢
الحديث رقم (١٥٧)	٣٧٩
الحديث رقم (١٥٨)	٣٩١
الحديث رقم (١٥٩)	٣٩٦
الحديث رقم (١٦٠)	٤٠٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٦١)	٤١٣
الحديث رقم (١٦٢)	٤١٩
الحديث رقم (١٦٣)	٤٢٨
الحديث رقم (١٦٤)	٤٣٥
الحديث رقم (١٦٥)	٤٤٨
الحديث رقم (١٦٦)	٤٥٩
الحديث رقم (١٦٧)	٤٦٨
١٧-باب في وجوب الانقياد لحكم الله	٤٧٩
الحديث رقم (١٦٨)	٤٧٩
١٨-باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور	٤٩٦
الحديث رقم (١٦٩)	٤٩٦
الحديث رقم (١٧٠)	٥٠٥
١٩-باب فيمن سنة سنة حسنة أو سيئة	٥١٩
الحديث رقم (١٧١)	٥١٩
الحديث رقم (١٧٢)	٥٣٥
٢٠-باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة	٤٥٦
الحديث رقم (١٧٣)	٥٤٦
الحديث رقم (١٧٤)	٥٥٤
الحديث رقم (١٧٥)	٥٦٣
الحديث رقم (١٧٦)	٥٧٦
٢١-باب في التعاون على البر والتقوى	٥٨٨
الحديث رقم (١٧٧)	٥٨٨
الحديث رقم (١٧٨)	٥٩٦
الحديث رقم (١٧٩)	٦٠٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٨٠)	٦٠٧
٢٢-باب النصيحة	٦١٨
الحديث رقم (١٨١)	٦١٨
الحديث رقم (١٨٢)	٦٢٩
الحديث رقم (١٨٣)	٦٣٨
فهرس المحتويات	٦٤٩

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الرابع

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٩٨-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٩٨-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الرابع

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٩٨-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٩٨-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٢٣- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[آل عمران: ١١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[التوبة:٧١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة: ٧٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الحجر:٩٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٥] وَالآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث:

الحديث رقم (١٨٤)

١٨٤- **فالأَوَّلُ:** عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: سمِعْتُ رسُولَ اللّه ﷺ يقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكراً فَلْيغيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطعْ فبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبقَلبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

---

(١) برقم (٤٩/٧٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٩٧).

غريب الألفاظ:

المنكر: كل ما قبَّحَهُ الشَّرْعُ وكرِهَهُ وحَرَّمَهُ[1].

الشرح الأدبي

يتصدر هذا الحديث الشريف باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، في كتاب رياض الصالحين، وحين نتأمل نص الحديث ندرك أنه لم يرد به الأمر بالمعروف صراحة، ولكن برغم ذلك، فالنهى عن المنكر وتغييره هو في حقيقته التزام بالمعروف، وتمسك به: لأن المعروف معلوم وموجود، والمنكر مجهول، والأمر بالمعروف: أمر بكل فعل يعرف بالشرع والعقل حسنه، كما قال العلماء فتغيير المنكر: هو إزالته والعمل على بقاء المعروف قولاً وعملاً وسلوكاً ونية.

والحديث الشريف يتكون من أربعة جمل: الثلاثة الأولى منها تتضمن الأمر بتغير المنكر، حسب القدرة والإمكانات المتاحة، إما باليد أو باللسان أو بالقلب، وهذا الترتيب لا يعني انفصال كل مرحلة عن الأخرى، لأن التغيير باليد يكون في حال القدرة، وعدم إحداث فتنة أو ضرر بنفسه أو غيره، والذي يغير بيده، قادر على التوعية والإرشاد والنصح، وكذلك قلبه لا ينبض بالرضا عن هذا المنكر، ولكن يرفضه بقلبه ولسانه، ويغيره بيده.

والبناء اللغوي في الحديث الشريف يوحي بالمعاني والمقاصد التي نتعلمها من هذا التوجيه النبوي الكريم.

فالجمل الشرطية الثلاث: تتضمن الأمر بالتغيير، والأمر للوجوب. وفي رواية أخرى تعبر عن التغيير بالجهاد، ثم قال: "وليس ذلك من الإيمان حبة خردل".

ويبدأ الحديث بجملة الشرط: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"، والفعل رأى هنا له دلالتان: فهو بمعنى شاهد أو علم، وحسب الدلالة يكون التصرف والتغيير بالوسائل المناسبة حسب العصر وحسب البيئة والسياق الملائم، والخطاب في منكم،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ك ر).

موجه إلى كل مسلم حريص على دينه، وحريص على عدم تحقير نفسه، لأن الذي يحقر نفسه هو الذي يرى أمرًا لله عليه فيه مقال ثم لا يقول فيه: كما أخبر رسول الله ﷺ، فالخطاب هنا كما قال العلماء لمعشر المكلفين القادرين المسلمين: إنه خطاب لجميع الأمة: حاضرها بالمشافهة، وغائبها بطريق التبع، ولفظة منكراً جاءت في صيغة النكرة: دلالة على الشيوع وعدم تحديد أمر منكر محدد، بل كل مخالفة لأمر الشرع هى منكر يجب تغييره باليد وباللسان وبالقلب، والمنكر في اللغة خلاف المعروف على معناه الأصلي وهو المعرفة بالشيء، والمنكر في دلالته اللغوية: هو المجهول غير المعلوم، وكأن الأمر المخالف للشرع: لا وجود له إلا عند أهل الفجور والفسوق الذين لا يستجيبون لما أمر الله به، ولا ينتهون عما نهى عنه.

وتطورت دلالة الكلمة في ظل الإسلام من دلالة الجَهْل بالشيء إلى عدم قبوله ورفضه، وصارت في الإسلام مصطلحاً على كل أمر أو على كل سلوك أو خلق مرفوض، وفي القرآن الكريم ورد الفعل "نكر" ومشتقاته في سبع وثلاثين آية، وقد ذكرت كلمة "المنكر"، وحدها في ست عشرة آية، وتقابلت مع كلمة "المعروف" في تسع آيات منها، وكلمة "المعروف" أكثر ما وردت في القرآن أنها ضد المنكر، والمعروف كما قال العلماء: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه، وقد فسرته معاجم اللغة بمعان عامة منها أنه الجود وأنه النصفة، وحسن الصحبة مع الأهل والناس جميعاً، وأنه الصبر، وقالوا إن المنكر ضد ذلك كله[1].

وفي الحديث إيجاز بالحَذْف وهو من سمات البيان النبوي: فالجملة الثانية تقديرها في الجواب: فليغير بلسانه، أي بالموعظة والتوعية وكل ما يقدر عليه من جميل الكلام، وقوة الإقناع، والترغيب والترهيب، والجملة الثالثة تقديرها، فإن لم يستطع التغيير باليد أو باللسان فليغير بقلبه: أى يرفض المنكر رفضاً نفسياً وشعورياً، ولا

---

(١) انظر: لسان العرب مادة: عرف، وانظر التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة، ص ٣٠٩-٣١٤.

يحضر مجلساً فيه شبهة: وهذه أدنى مرحلة من مراحل التغيير والتغيير معناه: إزالة المنكر، وإيجاد المعروف بكل السبل المتاحة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبق الكلام عنه تفصيلاً في الحديث رقم (١١٨).

الثاني: مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يرى جمهور الفقهاء[1] أن المراتب الأساسية لهما ثلاث، اتباعاً لهذا الحديث وهي الإنكار باليد أو اللسان أو القلب، فمن وسائل الإنكار: التعريف بالرفق واللطف ليكون أبلغ في الموعظة والنصيحة وخاصة لأصحاب الجاه والسلطان، وأعلى مراتب الأمر والنهي اليد، فيقوم بكسر آلات الباطل وبريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله، ويأخذ على يد الغاصب ويعيد المغصوب لمالكه فإذا ما انتهى الأمر بشهر السلاح وجب الرجوع إلى السلطان، وعلى كل لا يسقط الإنكار بالقلب عن المكلف باليد واللسان أصلاً إذ هو كراهة معصية وهو واجب على المكلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: درجات إنكار المنكر.

رابعاً: من صفات المدعو: الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٤٧/٢ وما بعدها، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٨٣/١، وأنوار البروق، القرافي ٢٥٥/٤ وما بعدها، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٢٢٥/١ وما بعدها، والمحلى، ابن حزم ٤٢٣/٨ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/٦ وما بعدها.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والأمر:

الشرط من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لمعرفة جوابه، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط المتمثلة في قوله ﷺ: (من)، وعلى فعل الشرط في قوله ﷺ: (رأى)، وعلى جواب الشرط في قوله ﷺ: (فليغيره)، أما الأمر كأسلوب دعوي فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (فليغيره)، وبه يحمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بما في ذلك عظيم الفائدة، وكمال الأجر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(مما لا شك فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، وهو صمامُ أمن الحياة وضمان سعادة الفرد والمجتمع، به يهيأ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب والفضائل وتختفي فيه المنكرات والرذائل ويتربى في ظله الضمير العفيف والوجدان اليقظ، وهو سر أفضلية هذه الأمة لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1])[2]، وقد أشار نص الحديث إلى أهمية الائتمار بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره... إلخ)، "والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المحسنات والمقبحات"[3]، أما المنكر "فهو كل ما قبحه الشرع وحرّمه ونهى عنه"[4].

وقد دلّت نصوص الشريعة الإسلامية على أهمية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٥٣٩/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٣/٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور ٢٣٣/٥.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، أي: "لتكون هنالك فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"[٢]، وقوله تعالى: (وأولئك هم المفلحون)، "فالفلاح مختص بالقائمين به المباشرين له ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظاً للأمة الإسلامية"[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[٥].

وقد أمر النبي ﷺ بذلك ورهّب من تركه، فقال: ((والذي نفسي بيدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أو لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهِ فتَدْعُونَّهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ))[٦]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النقصُ على بَنِي اسرائيلَ، كانَ الرجلُ يَلْقَى الرجلَ فيقولُ: يا هَذَا اتَّقِ الله وَدَعْ مَا تَصنَعُ، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لكَ، ثم يَلْقَاهُ مِنَ الغدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذلكَ أَنْ يكونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ، فلمَّا فَعَلُوا ذلكَ ضَرَبَ الله قلوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ))، ثم قالَ ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ** ﴾ إلى قوله: ﴿فاسقون﴾[٧] ثم قالَ: ((كَلاَّ والله، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظالمِ ولَتَأْطِرُنَّهُ على الحَقِّ أَطْراً وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْراً))[٨].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٩١.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٤/٢٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٥) سورة الحج، آية: ٤١.

(٦) أخرجه الترمذي ٢١٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٧٦٢).

(٧) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٨١.

(٨) أخرجه أحمد ٣٧١٢، وقال محققو المسند: صحيح الإسناد.

"فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين عليهم السلام، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفَتَرةُ، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثُّلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنَّة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدّاً بقربة تتضاءلُ درجات القرب دون ذروتها"[(١)].

ومما لا شك فيه "إن قيام المسلم بواجبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة على دينه، والدفاع والحفاظ على القيم الإسلامية وإحيائها، كل ذلك من شأنه أن يحافظ على قوة المجتمع وسلامته وتماسكه، وتأمينه من غضب الله وحلول النقم عليه، فضلاً عن معرفة المجتمع موقعه من الله تعالى، هل هناك قرب، أم بعد عن الله، هل يغار المسلم حينما تنتهك محارم الله، أو يتعدّ على حدود الله تعالى، إلى غير ذلك من الأمور التي يستشعرها المجتمع الصحيح المعافى"[(٢)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: درجات إنكار المنكر:

قد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك من قوله ﷺ: "فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"، قال النووي: (قال القاضي

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١١٩٢/٣.

(٢) انظر: دور الحسبة في حماية القيم الإسلامية، د. محي الدين عفيفي أحمد، ص ٤٧.

عياض: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله"، وذلك تغييراً باليد - فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده، اقتصر على القول باللسان والوعظ بالتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك غير بقلبه وكان في سعة)[١].

"فالحاصل أن مقتضى التوجيه النبوي الوارد في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يدلّ على أن التغيير باليد هو الأصل الذي يبدأ به، فإن تعذر القيام به خشية ما يفوت من مصالح أعظم أو وقوع مفاسد أكبر فإنه يُنتقل إلى ما دونه من التغيير باللسان ثم بالقلب... وفي مسألة التغيير للمنكر باليد خاصة، إذ جعلنا ذلك لكل أحد، وفي كل منكر، فإن ذلك يجر من المفاسد الشيء الكثير جداً"[٢].

قال ابن تيمية: (وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق، ويجلد الشارب، ويقيم الحدود لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك، فهذا ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر...)[٣].

"فمسألة التغيير باليد مع وجود القدرة مشروطة بعدم ترتب مفسدة أكبر من جراء الاحتساب فإذا رأى أنه لا يتمكن من تغييره بيده إما لعدم قدرته على ذلك أو خشية ترتب مفسدة أكبر من المصلحة المرجوة انتقل بعد ذلك إلى المرتبة الثانية، وهي: الإنكار باللسان.. وإنما ينتقل إلى هذه المرتبة إذا عجز عن التي قبلها وهي الإنكار باليد.. فتسقط عنه، وهذه المرتبة أيسر ولا شك.. ثم اعلم أن الذي ينبغي في هذه المرتبة هو التغيير بحسب قول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٥.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خالد بن عثمان السبت ص ٣٢٥ - ٣٣٢.

(٣) مختصر الفتاوى المصرية، بدر الدين محمد بن علي البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٥٧٩.

وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[١] فإن عجز المحتسب عن القيام بهذا الواجب انتقل إلى ما دونه وهو المرتبة الثالثة، وهي: الإنكار بالقلب وهو أدناها... ولا رخصة لأحد في تركه البتة... بل يجب أن يكون كُرْه المنكر وبُغْضُه تاماً مستمراً... أما إذا كان القلب لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر فإن هذا دليل على موته"[٢].

كما جاء في الصحيح من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودا عُودا. فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ. وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ. حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا. فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ. وَالآخَرُ أَسْوَدُ مِرْبَادا كَالْكُوزِ مُجَخِّيا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرا. إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ))[٣].

وقد دلّ نص الحديث على لزوم هذه المرتبة وذلك بقوله ﷺ: "وذلك أضعف الإيمان" قال ابن تيمية: (... فأما القلب فيجب بكل حال؛ إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: وذلك أدنى - أو أضعف الإيمان... وقيل لابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ ميّتُ الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان)[٤]، وفي ذلك بيان على درجات إنكار المنكر التي يجب على من قام بذلك أن يراعيها ويقتدي بها حتى لا يترتب منكر وضرر أشد وأكبر مما هو موجود.

رابعاً- من صفات المدعو: الائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر:

وفي ذلك استجابة لله ولرسوله بما يعود على المدعو بعظيم الأجر وجزيل الثواب قال

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خالد السبت ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٤٤. والصفا: الحجر العريض الأملس الذي لا يعلق به شيء، والمِرْباد: موطن تجمع الإبل ومحل خزن التمر ومكان جمع الكتب، والكوز مجخيا: أي فارغًا ليس به شيء، انظر: المعجم الوجيز في (ص ف ر، ر ب د، ج خ ى).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٨/١٢٧.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[1]، قال القاسمي: (الاستجابة بمعنى الإجابة، قال:

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجِيبْ فَلَمْ يَستجيبهُ عِنْدَ ذلكَ مُجِيبُ

يريد: فلم يجبه...، والمراد بها الطاعة والامتثال)[2].

وقال القرطبي: (قال مجاهد والجمهور: المعنى: استجيبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهٍ؛ ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية)[3].

وقال السعدي: (إن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، وقوله تعالى: "إذا دعاكم لما يحييكم"، وصف ملازم لكل ما دعا اللهُ ورسولُه إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح، بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله ﷺ على الدوام ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه"، فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء"[4].

فعلى المدعو أن يأتمر ويستجيب لما يعرض عليه من معروف وينتهي عما ينكر عليه من منكر لما في ذلك من كامل الاستجابة لله ورسوله.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي ٣٣/٨/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٨٤/٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٨٠.

فضلا عن عظيم الثواب المتمثل في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[2].

(١) سورة الرعد، آية: ١٨.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٦.

الحديث رقم (١٨٥)

١٨٥- **الثَّاني:** عن ابنِ مسعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**مَا مِنَ نَبِيٍّ بعَثَهُ اللَّه في أُمَّةٍ قَبْلِي، إلاَّ كان لَه مِن أُمَّتِهِ حواريُّون وأَصْحَابٌ يَأْخذون بِسُنَّتِهِ ويقْتدُون بأَمْرِه، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِنْ بعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقُولُون مَالاَ يفْعلُونَ، ويفْعَلُون مَا لاَ يُؤْمَرون، فَمَنْ جاهدهُم بِيَدِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جاهدهم بقَلْبِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، ومَنْ جَاهَدهُمْ بِلِسانِهِ فَهُو مُؤْمِنٌ، وليس وراءَ ذلِك مِن الإِيمانِ حبَّةُ خرْدلٍ**» رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

الحواريون: هم خلصان الأنبياء وأصفياؤهم، والخلصان الذين نقوا من كل عيب[٢].

تخلُفُ: أي تحدث[٣].

خُلوفُ: جمع خَلْف بإسكان اللام وهو الخالف بِشَرٍّ[٤].

حبّة خردل: زِنَة حبَّة الخردل، وهو نبات بري يُساوي وزن حبته سدس وزن حبة الشعير، والمراد: ليس وراء ذلك من الإيمان شيء[٥].

الشرح الأدبي

ما أجمْل البيان النبوي، وما أجلَّ وأعظم البشارات التي يقدمها للذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، ونقتبس من أنوار هذا الحديث الشريف إشعاعات هادية يتألق وميضها في آفاق الترغيب والترهيب، وتتصل هذه الآفاق بما يشع

---

(١) برقم (٥٠/٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٠٦).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (خ ر د ل).

في الحديث السابق من توجيهات النبوة، إلى تغيير المنكر بكل ما نملك من قوة، القوة المادية أو القوة البيانية أو القوة الشعورية، والمؤمن القوى هو الذي يمتلك كل هذه القوى، وهو خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

ولنتأمل في تدبّر وإخلاص: جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، إن البداية تثير الانتباه حيث تصاغ هذه البداية في أسلوب القصر، وهذا الأسلوب يوضح المعنى المراد ويزيده جلاء في النفس: فكل الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله قبل محمد ﷺ كان لهم: من أمتهم حواريون وأصحاب وهذا المعنى الذي أكده وثبته أسلوب القصر: تزيده جلاءً ظواهر فنية وأسلوبية متعددة ومنها قوله : "ما من نبي" و"من" هنا زائدة، وقيل هذا الحرف مزيد لاستغراق النفى: أى ليشمل الحصر، أو القصر جميع الأنبياء والرسل: أو غالب الرسل.

ولنتساءل: من هم الحواريون؟ ومن هم الأصحاب وهل هما بمعنى واحد، ولماذا عطف أحدهما على الآخر، والعطف يقتضي المغايرة؟ الواقع أن الدلالة تختلف فالحواريون كما قال الأزهري وغيره: هم خُلْصان الأنبياء وأصفياؤهم، والخلصان: هم الذين نقوا من كل عيب. أما الأصحابُ فهم من الصحبة، أي الخلطة والملابسة على جهة المحبة، فهم أعم من الحواريين، لأن الحواريين في بعض الآراء هم: الأنصار أو المجاهدون، أو الذين يصلحون للخلافة بعد الأنبياء – كما يقول صاحب دليل الفالحين.

وهؤلاء الحواريون والأصحاب: يأخذون بسنة النبي أو الرسول، ويقتدون بأمره وهاتان الصفتان من أخص خصائص الأتباع والأصحاب، والتعبير بقوله: يأخذون بسنته: أدق وأشمل من التعبير بـ "يعملون" لأن الأخذ بالسنة فيه عمل بالسنة، وفيه إرشاد الغير إلى العمل بها، فهم لا يكتفون بأنفسهم وإنما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والتعبير بالمضارع، (يأخذون، ويقتدون)، في سياق الحكاية أو الإخبار عن الماضي، للدلالة على المداومة على اتباع السنة، وللدلالة على استمرار الحواريين والأصحاب مع الرسل في كل زمن أو مع غالب الرسل.

وفي القسم الثاني من الحديث: ينبه المصطفى ﷺ أمته إلى كيفية انحراف الأمة

عن الطريق الصحيح ويحذر من هذا السلوك الذي يخالف منهج السلف من الحواريين والأصحاب، ويبدأ بقوله: ثم، إنها تَخْلُف من بعدهم خلوف: يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون.

والتعبير بـ "ثم" يفيد تباعد الزمن، ويوحي بأن الخَلَف تناسي ما عليه السلف: وهذا ما أقره القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾[1].

وفي التعبير بـ"ثم" إشراقه أسلوبية أخرى نبه إليها صاحب "دليل الفالحين" وهي من ثمرة التأمل الإيماني في جماليات البيان النبوي، حيث يقول: ("ثم" أتى بها، لتراخي رتبة المعطوف بها عما قبله، فتأمل سمت هذا الكلام، وتأمل جمال هذا التخريج البلاغي: فما قبل ثم: هم الحواريون والأصحاب، وما بعدها، هم الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون، وشتان ما بين الفريقين: فتأمل ماذا أضاف التعبير بثم وبماذا أوحى؟).

وألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، كما قال الرافعي، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، وفي ضوء هذا التواصل المشرق بين البيان القرآني، والبيان النبوي: نتأمل: قوله ﷺ: ثم إنها تخلف من بعدهم: خلوف يقولون مالا يفعلون، إن المعنى هنا نابع ومستمد من قول الله عز وجل: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2]، والشاهد في قوله عليه السلام: تخلف من بعدهم خلوف، و"خلوف" جمع خلف بإسكان اللام وهو الخالف بشرّ: وهو ما يتفق مع دلالة الآية الكريمة، ودلالة الحديث الشريف، أما: خلف بفتح اللام، فهو الخالف بخير، على الأشهر.

فالكلمة بمادتها اللغوية، وبضبطها الصحيح: تفصح عن المعنى المراد: وهذا من أدق أسرار لغتنا العربية وهي لغة القرآن الكريم، حيث يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٩.

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١].

وتأمل صيغة المضارع التي سيطرت على هذا القِسْم من الحديث: حيث قال ﷺ: ثم إنها تخلف، ولم يقل "خَلَفتْ" إيحاءً باستمرار الانحراف عن المنهج الصحيح، وفي ذلك زيادة في تحذير أمته لأن هذا الصنيع ربما يتكرر بعد تباعد العهد بين زمن الأصحاب الأخيار وزمن هؤلاء "الخَلْف" الذين يقولون مالا يفعلون: مثل من سبقهم من الأمم السابقة، ولذلك جاءت صيغة المضارع في قوله في هذه الأفعال الأربع وهى من الأفعال الخمسة، يقولون: مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، للدلالة على استمرار هذا الصنيع مع كل نبي ورسول.

ولذلك يأتي القسم الثالث من الحديث محذراً من هذا النهج المخالف، وداعياً إلى جهاد هؤلاء ومن على شاكلتهم باليد وباللسان وبالقلب، وتوالت الجمل الداعية للجهاد وهى ثلاث جمل في صيغة الشرط: وتكرر الفعل جاهد ثلاث مرات: للتأكيد على الثبات على منهج السلف من الحواريين والأصحاب، ورفض منهج هؤلاء الذين انحرفوا عن الطريق المستقيم.

وتكرر جواب الشرط في الجمل الثلاث بصيغة واحدة تكررت فيها صفة المؤمن، ثلاث مرات، حيث قال فهو "مؤمن ففعل" الشرط: "جاهدهم" كرر ثلاث مرات، وجواب الشرط: فهو "مؤمن": كرر ثلاث مرات، وهذا التكرار بشارة لكل من أمر بالمعروف، وقاوم المنكر، وجاهد المنحرفين الضالين.

وهذا التنويع في طرق الجهاد يدل على أن الجهاد في المفهوم الإسلامي، والبيان القرآني، والبيان النبوي، تتسع دلالته حيث تعني هذه الكلمة، كل ما يستطيع المسلم أن يبذله من جهد في سبيل إعلاء كلمة الحق، فليس الجهاد في الإسلام مقصوراً على حمل السيف، بل يتعداه إلى حمل القلم وبذل المال، وبذل الكلمة الحرة الشريفة في الميادين التي تجدي فيها الكلمة[٢]، والجهاد بالقلب: من أدق وأخفى صور الجهاد، لأن

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢.

(٢) انظر: المنظور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم.

الأعمال بالنيات، والجهاد باليد، وباللسان وبالقلم لابد أن يكون ناتجاً من القلب: حيث العقيدة الخالصة، والشعور الإيماني الصادق.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٨) أنه قد اتفق الفقهاء على مشروعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن اختلفوا في حكمه على أقوال عدة سبق بيانها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية اتباع النبي ﷺ والأخذ بسنته.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: خطورة الانحراف عن المنهج الصحيح.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الحث على مجاهدة المخالفين للشرع.

سادساً: من موضوعات الدعوة: تنوع درجات إنكار المنكر.

سابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

لقد جاء في الحديث ما يدل على ذلك في قوله ﷺ "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب" وهذا يفيد اختصاص الأنبياء بالحوارين والأصحاب، وأسلوب القصر من الأساليب الدعوية التي تلفت انتباه المدعوين على أهمية ما اختص به الأنبياء.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصحابة رضي الله عنهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم هم مفخرة الإنسانية، وخير جيل عرفته البشرية، نصر الله بهم نبيه ﷺ، فأقاموا الملة وحفظوا السنة، وهذا ما أكده نص الحديث من قوله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته

ويقتدون بأمره». وقد عظم النبي ﷺ فضلهم وحفظ لهم قدرهم، فقال: ((النجوم أمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون))[١].

قال النووي: (إن الأمنة هي الأمن والأمان)[٢] وقال ﷺ في تأكيد عظم فضل أصحابه رضي الله عنهم: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه))[٣].

قال القاضي عياض: (ويقتضي ذلك تفضيلهم على من سواهم بتضعيف أجورهم؛ ولأن إنفاقهم كان في وقت الحاجة والضرورة وإقامة الأمر وبدء الإسلام، وإيثار النفس، وقلة ذات اليد ونفقة غيرهم بعد الاستغناء عن كثير منها مع سعة الحال، وكثرة ذات اليد؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرة ذات النبي ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذلك جهادهم وأعمالهم كلها، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾[٤]، هذا فرق ما فيهم أنفسهم من الفضل وبينهم من البون، فكيف لمن يأتي بعدهم؟ فإن فضيلة الصحبة واللقاء ولو لحظة لايوازيها عمل ولا ينال درجتها شيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٥])[٦].

(وسب أصحاب النبي ﷺ وتنقصهم أو أحد منهم من الكبائر المحرمة والفواحش المنكرة، سواء من لابس الفتن منهم وغيره؛ لأنم مجتهدون في تلك الحروب متأولون،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١.

(٤) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧/٥٨٠.

وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وذكر أنه من آذاه وآذى الله فإنه لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً)[١].

(والصحابة رضوان الله عليهم هم أعز مأثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية من بين مآثر النبوة، فكان كل فرد منهم نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرة وشرفاً للنوع الإنساني، لا توجد صورة من المصور الإنساني العالمي الواسع، بل في الكون كله، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

إن إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الفطرية، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم، وتذوقهم للعبادة وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال فيه للشك)[٢].

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء)[٣].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبة له وهو يتحدث عن أصحاب محمد ﷺ:

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٨٠/٧، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٦.

(٢) انظر: صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، أبو الحسن الندوي، ٢٦، ٢٧.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند إسناده حسن ٨٤/٦.

(لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ ، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب)[١].

ويقول في خطبة ثانية: (أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال، فَوَلَهوا وَلَهَ اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفّاً صفّاً، بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون بالموتى، مُرْه[٢] العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين. أولئك إخواني الذاهبون! فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية اتباع النبي ﷺ والأخذ بسنته:

إن اتباع النبي ﷺ والأخذ بسنته، أحد ركائز دين الإسلام وأساسياته، بل إن ذلك من أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة في ذلك، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره".

وقد استفاضت النصوص الشرعية الصحيحة في إيجاب ذلك على المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الراضي، تحقيق: د. صبحي الصالح ص١٤٣، نقلاً عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، أبو الحسن الندوي، ٣٠، ٣١.

(٢) مُرْ العيون من البكاء: أي سقط ما بها من كحل، وخمص البطون: أي ضامري البطون، المعجم الوجيز في (م ر هـ، خ م ص).

(٣) نهج البلاغة، الشريف الراضي، ١٧٧، ١٧٨، نقلاً عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ، الندوي، ٣١.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[1].

(واتباع النبي ﷺ هو الاقتداء والتأسي به في الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك، بعمل مثل عمله، على الوجه الذي عمله ﷺ، من إيجاب أو ندب أو إباحة أو كراهة أو حظر، مع توفر القصد والإرادة في ذلك.

ويكون الاتباع للنبي ﷺ في الاعتقادات: بأن يعتقد العبد ما اعتقده النبي ﷺ على الوجه الذي - اعتقده من ناحية الوجوب أو البدعية، أو لكونه من أسس الدين أو ناقضاً لأصله، أو قادحاً في كماله.... إلخ، من أجل أنه اعتقده ﷺ.

ويكون الاتباع للنبي ﷺ في الأقوال: بامتثال مدلولها، وما جاءت به من معاني، لا أن تكرر ألفاظها وتردد نصوصها فحسب، فمثلاً: الاتباع لقوله ﷺ: ((صلُّوا كما رَأَيْتُمُوني أُصَلِّي))[2]. يكون بالصلاة كصلاته، والاتباع لقوله ﷺ: ((لا تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا))[3]. بترك الحسد والنجش، والاتباع لقوله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ))[4]. بنشر الإنسان لعلمه الصحيح النافع وعدم كتمانه له.

كما يكون الاتباع للنبي ﷺ في الأفعال: بأن نفعل مثل فعله، على الوجه الذي فعله، من أجل أنه فعله.

فقولنا: (مثل فعله)؛ لأنه لا تأسي مع اختلاف صورة الفعل وكيفيته.

وقولنا: (على الوجه الذي فعله): معناه المشاركة في غرض ذلك الفعل ونيته، إخلاصاً، وتحديداً للفعل من حيث كونه واجباً أو مندوبا؛ لأنه لا تأسي مع اختلاف الغرض والنية، وإن اتحدت صورة الفعل.

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٤٣، ومسلم ٢٥٦٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢١٣٥).

وقولنا: (من أجل أنه فعله)؛ لأنه لو اتحدت الصورة والقصد ولم يكن المراد التأسي والاقتداء فإنه لا يكون اتباعاً.

ولتوضيح الاتباع في الفعل: لو أردنا أن نقتدي بالنبي ﷺ في صومه فلابد أن نصوم على الصورة التي صامها ﷺ، بحيث نمسك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، بقصد التقرب إلى الله تعالى، فلو أمسك أحدنا عن بعض المفطرات فقط لم يكن متبعاً، كما لو أمسك في جزء من الوقت فقط لم يكن متبعاً.

كما لابد أن نصوم على الوجه الذي صامه ﷺ من ناحية القصد بحيث نريد بصيامنا وجه الله تعالى، وصيام الواجب أداء أو قضاء أو نذراً، أو النفل،- كالقصد الذي صام لأجله ﷺ.

كما لا بد أن نصوم من أجل أنه صام ﷺ؛ ولذا لا يعد الشخص متأسياً بشخص آخر- غير النبي ﷺ- يشاركه في الصورة والقصد إذا كان كل منهما يعمل ذلك امتثالاً لأمر الله تعالى واتباعاً لرسوله ﷺ.

ويكون الاتباع للنبي ﷺ في التروك: بأن نترك ما ترك، على الصفة والوجه الذي ترك، من أجل أنه ترك، وهي القيود نفسها في الاتباع في الأفعال.

ولتوضيح ذلك: قام النبي ﷺ بترك الصلاة عند طلوع الشمس، فيترك المتأسي الصلاة في ذلك الوقت على الوجه الذي ترك النبي ﷺ، لأجل أنه ترك)[1].

وقد جعل الحق تبارك وتعالى اتباع النبي ﷺ والأخذ بسنته شرطاً لقبول العبادات، قال ابن رجب: (فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب؛ فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء)[2]، وهذا

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ١٠/٤٠٩، واتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، ٩٣، ضمن بحوث حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٧٦.

ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))[١].

قال النووي: (قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود ومعناه، فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمة ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات ...، وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به)[٢].

وقد جعل الحق تبارك وتعالى اتباع النبي ﷺ والأخذ بسنته دليلاً على محبته تعالى، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

يقول ابن تيمية: (ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾، قالت طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾ الآية، فبيّن سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله؛ فإن هذا الباب تكثر فيها الدعاوى والاشتباه)[٤].

ويقول ابن كثير: (هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٥.

(٣) سورة آل عمران آية: ٣١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٨١/١٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

وقال ابن القيم: (﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها؛ فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم، فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة، ومحبته لكم منتفية)[١].

ويقول: (ثباتها أي محبة الله إنما يكون بمتابعة الرسول في أعماله وأقواله وأخلاقه، فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها، وبحسب نقصانها يكون نقصانها)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: خطورة الانحراف عن المنهج الصحيح:

قد أشار الحديث إلى هذا الانحراف فقال ﷺ "ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون" وقد بين الحق تبارك وتعالى خطورة الانحراف عن المنهج الصحيح فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] قال ابن كثير (أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً أن تصيبه فتنة من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك)[٤].

وقال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ بهذه الآية احتج العلماء على أن الأمر للوجوب. ووجهها أن الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة أمره، وتوعد بالعقاب عليها بقوله: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فتحرم مخالفته، فيجب امتثال أمره. والفتنة هنا القتل؛ قاله ابن عباس، وقال عطاء: الزلازل والأهوال. جعفر بن محمد: سلطان جائر يسلط عليهم . وقيل: الطبع على القلوب بشؤم مخالفة

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٢/٣.

(٢) المرجع السابق ٣٧/٣.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٠/٦.

الرسول. والضمير في "أمره" قيل هو عائد إلى أمر الله تعالى، قاله يحيى بن سلام وقيل: إلى أمر رسوله عليه السلام)[١]، فعلى المرء أن يحذر مخالفة النبي ﷺ، وأن يجتهد في اتباع هديه ﷺ فهو والله الفلاح في الدنيا والآخرة.

خامساً- من موضوعات الدعوة: الحث على مجاهدة المخالفين للشرع:

قد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك من قوله ﷺ "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل" وهذا ما حث عليه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وقد رهب ﷺ من مخالفة ذلك فقال:"والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[٣].

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: ((أَلاَ تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ، مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ. فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ. فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا. فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا. فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا. فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ، يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الأَيْدِي وَالأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ، عِنْدَهُ غَداً. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَتْ. صَدَقَتْ. كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟))[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/١٢/٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٩، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٦٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٠١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الألباني، ٣٢٣٩).

"فقيام المسلم بواجبه في الاحتساب والغيرة على دينه والدفاع والحفاظ على القيم الإسلامية، كل ذلك من شأنه أن يحافظ على قوة المجتمع وسلامته وتماسكه وتأمينه من غضب الله، وحلول النقم عليه لأن الحسبة هى صمام الأمان في المجتمع، ومن خلالها يعرف المجتمع موقعه من الله تعالى فيما يتعلق بالقرب أو البعد لأن المجتمع المريض هو الذي يغرق في الشهوات، وتتلاشى فيه القيم الإسلامية لأن ترك الحسبة ومجاهدة المخالفين للشرع مؤشر خطير في المجتمع المسلم"[١].

سادساً- من موضوعات الدعوة: تنوع درجات إنكار المنكر:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن". (فهذا نص صريح من المصطفى ﷺ بأن المغير للمنكر لا يلزمه إزالته بطريقة واحدة، بل عليه أن يغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أقل الأحوال)[٢]، وقال الجصاص في ذلك: (إن إنكار المنكر على هذه الوجوه الثلاثة على حسب الإمكان، ودل على أنه إن لم يستطع تغييره بيده فعليه تغييره بلسانه، ثم إن لم يكن ذلك فليس عليه أكثر من إنكاره بقلبه)[٣]، (ويشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون قادراً على الأمر والنهي وتغيير المنكر، فإن كان عاجزاً فلا وجوب عليه إلا بقلبه أى: يكره المعاصي وينكرها ويقاطع فاعليها)[٤].

سابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(إن الترهيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها إخافة المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وفي ذلك عظيم الفائدة، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة،

---

(١) انظر: دور الحسبة في حماية القيم الإسلامية، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ٤٧.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د.عبدالعزيز أحمد المسعود، ٥٠٠-٥٠١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٣٦/٢.

(٤) التشريع الجنائي، عبدالقادر عودة، ٤٩٧/١ .

وهو من الأساليب الناجحة للنفس الإنسانية التي جبلت على حب النفور من الضيق والعذاب)[1]. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من قوله ﷺ: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، حيث أفاد الترهيب من عدم إنكار المنكر، وبيان أن الإيمان في لزوم إنكاره ولو بالقلب.

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦-٨٧.

الحديث رقم (١٨٦)

١٨٦- **الثالثُ:** عن أَبي الوليدِ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قال: «**بايعنا رسول اللّه ﷺ على السَّمعِ والطَّاعَةِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وَعلى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وعَلَى أَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ**[1].

(**إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدكُمْ مِنَ اللّه تعالَى فيه بُرهانٌ**) [2]، **وعلى أن نقول بالحقِّ أينَما كُنَّا لا نخافُ في اللّه لَوْمَةَ لائمٍ**» متفقٌ عليه[3].

(المَنْشَط والمَكْره) بفَتْحِ مِيميهما، أَيْ: في السَّهْلِ والصَّعْبِ. (والأَثَرةُ: الاخْتِصاصُ بالمُشْتَرك، وقَدْ سبقَ بيَانُها. (بوَاحاً) بفَتْح الْبَاءِ المُوَحَّدة بعْدَهَا وَاوثُمَّ أَلِفٌ ثُمَّ حاء مُهْمَلَةٌ أَيْ ظَاهِراً لاَ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلاً.

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: صحابي مشهور، وعلم من أعلام صحابة رسول الله ﷺ واسمهُ: عُبَادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس الأنصاري الخزرجي، وكان يكنى بأبي الوليد المدني، له صحبة ورواية، له في كتب الحديث ١٨١ حديثاً، وله في الصحيحين ستة، وانفرد كل منهما بحديثين.

شهد العقبة الأولى والثانية، فكان أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ وكان أحد نقبائهم الاثني عشر فكان نقيباً على القوافل من بني عوف بن الخزرج، وبعد هجرة المهاجرين إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي مَرْثَد الغَنَوي، وله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩/٤١، كتاب الإمارة، باب ٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٩٨).

(٢) الزيادة من رواية البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩/٤٢) قال الحميدي في جمعه (٤١٥/١، رقم ٦٦٦): وقد أخرجا هذا المعنى من حديث جنادة، عن عبادة، وزاد متصلاً بقوله: ولا ننازع الأمر أهله، قال: إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان).

(٣) أخرجه البخاري (١٧٠٩)، ومسلم (١٧٠٩/٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٩٨). **تنبيه:** جمع المنذري في ترغيبه بين لفظي الحديث، وتبعه عليه المؤلف.

جهادٌ كبير مع رسول الله ﷺ فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فهو صحابي عَقَبيٌّ نقيبيٌّ أنصاريٌّ بدريٌّ، وشهد فتح مصر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

استعمله النبي ﷺ على بعض الصدقات وجَمَعَ رضي الله عنه القرآن كله في صدره حفظاً على عهد رسول الله ﷺ فكان يعلم أهل الصُفَّة القرآن، ولما فتح الله على المسلمين بلاد الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر أنه قد احتاج أهل الشام إلى مَنْ يعلمهم القرآن ويفقههم فأرسل معاذاً وعبادة وأبا الدرداء، فأقام عبادة بفلسطين، كما ولي إمارة رَبَعِ المَدَرِ، وذُكِر أن أبا عبيدة ولاه إمرة حمص ثم صَرفه.

وكان رضي الله عنه من أشد الناس ورعاً وحِلماً ولطفاً بغيره، أما عن صفاته الخِلْقِية: فكان طوالاً، جسيمًا، جميلاً، وقال سعيد بن عفير كان طوله عشرة أشبار. ذكر أن عبادة بن الصامت لما حضرته الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن -يعني الدار- ثم قال: اجمعوا لي مواليّ وخدمي، وجيراني، ومن كان يدخل عليَّ فتجمعوا له فقال: إن يومي هذا لا أُراه إلا آخر يوم يأتي عليّ في الدنيا وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة، فأُحَرِّجُ[1] على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص قبل أن تخرج نفسي فقالوا: بل كنت والداً، وكنت مؤدباً، وما قلت لخادم سوء قط، فقال أغفرتم لي ما كان مني لكم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم أشهد، ثم قال: فاحفظوا وصيتي "أُحَرِّجُ على إنسان منكم يبكي عليّ، فإذا خرجت نفسي فتوضئوا وأحسنوا الوضوء ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي ثم يستغفر لِعُبَادَه ولنفسه، فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2] ثم أسرعوا بي إلى حفرتي ولا تُتْبِعُنِّي ناراً، ولا تضعوا تحتي أرجواناً.

---

(١) أي أقول لا حرج من الإقدام على أخذ الحق، المعجم الوجيز في (ح ر ج).

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

مات بالرَّملة من أرض الشام، وقيل مات ببيت المقدس وقبره إلى الحائط الشرقي يعني بيت المقدس، مات سنة ٣٤ وقيل ٤٥هـ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة[١].

غريب الألفاظ:

المنشط: فسرها النووي[٢]، وفي النهاية: هو الأمر الذي تنشط له وتخفُّ إليه وتُؤثر فعله[٣].

المكره: فسرها النووي[٤]، وفي النهاية: هو الأمر المكروه[٥].

الأثرةُ: فسرها النووي في عقب الحديث[٦].

بواحاً: فسرها النووي في عقب الحديث[٧].

الشرح الأدبي

في ظل هذا الحديث الشريف: نستروح نسمات مشهد بيعة العقبة الأولى، وهي من المواقف والمشاهد التي كان لها الأثر العميق في تَثْبيت أركان الدعوة الإسلامية، وترسيخ دعائم دولة الإسلام، ويروي عبادة بن الصامت: وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أنهم بايعوا الرسول ﷺ أو الرسول بايعهم: أن يسمعوا ويطيعوا له ﷺ، ولغيره من ولاة الأمر في جميع الأحوال إلا في حال وقوع الكفر الصريح من ولي الأمر الشرعي فلا

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٤٦/٣، ٦٢١/٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٥٨/٣، ١٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٧٨، ٦٧٩، وسير أعلام النبلاء ٢٨٥/٢، ٢٨٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦١/٤-٦٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٨٥/٢، ٢٨٦، والأعلام ٢٥٨/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول ١١٣٥/٢-١١٤٢.

(٢) رياض الصالحين ١٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش ط).

(٤) رياض الصالحين ٦٩، ١٢٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر هـ).

(٦) رياض الصالحين ٦٩، ١٢٥.

(٧) المرجع السابق.

سمع ولا طاعة؛ ولبداية الحديث رواية أخرى عن عبادة بن الصامت حيث: قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال: "فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة ..." الحديث.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، وهذا الجمال يكمن سره في تعدد دلالة الألفاظ، وتتعدد المعاني وتتسع تبعاً للدلالة اللفظية، وربما يكمن سر التعبير الجمالي في طريقة النظم: أى العلاقة بين الكلمات، وتعدد الصيغ، والاشتقاقات اللغوية، وتعدد الأساليب، وموحيات كل أسلوب؛ وأول ما يلفت الانتباه: بداية الحديث في هذه الرواية بالفعل بايعنا: والفعل بفتح العين، يعطي دلالة: العهد والمراد: دعانا رسول الله ﷺ إلى المبايعة فبايعناه، والمراد عاهدناه: ففيه استعارة تبعية، وأطلق على المعاهدة: المبايعة: لأن كلاً من المتعاهدين يمد يده للأخر لأخذ العهد، كما أن كلا من المتبايعين يمد يده لصاحبه، وقيل سميت مبايعة لما فيها من المعاوضة لما وعدهم الله من عظيم الجزاء، وحركة العين في الفعل، بايَعَنا، تحدد القائل لباقي عبارات الحديث: فسكون العين يجعل باقي كلمات الحديث من كلام عبادة بن الصامت، وفتح العين يرشد إلى أن الحديث إلى نهايته من كلام المصطفى ﷺ.

والجمع بين السَّمع والطاعة: له سرٌّ بلاغي دقيق: فالسمع: هو الإصغاء إلى الحديث: والمراد هنا: الإصغاء إلى الأمر مع قبول النفس له، وهذا يستتبع العمل به وهو الطاعة، وأما السمع بدون قبول النفس فلا يستتبع الطاعة: قال تعالى: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾[1].

ومواثيق هذه البيعة تتجلى في هذه العهود الأربعة: السمع والطاعة، والمبايعة على استئثار الأمراء بحظوظهم، وهو معنى "الأثرة" في قوله: على أثرة فينا، والمبايعة على أن لا ينازعوا الأمر أهله، وعلى أن يقولوا الحق أينما كان.

وتكرار الحرف "على"، في بداية كل عَهْد: يوحي بصدْق العهد، والالتزام بالمسؤولية، "والعسر واليُسْر"، و"المنشط والمكره" كناية عن الطاعة في جميع الأحوال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٩٣.

لأن طاعة ولي الأمر واجبة إلا إن أظهروا الفسُوق أو الكفر البواح، أو البراح.

"وعندكم من الله فيه برهان"، أي نص صريح من القرآن أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل؛ وهذه العهود تضمن بقاء الأمة عزيزة قوية متماسكة البنيان ثابتة الأركان.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بحكم طاعة الإمام ومتى يجوز الخروج عليه، وقد أجمع جمهور العلماء[1] على أن طاعة أولي الأمر من الأمراء والحكام واجبة في كل زمان ومكان في المنشط والمكره، وأن الخروج عليه محرم، والخارج على الإمام باغ يعاقب بعقوبة البغي حتى يفيء إلى أمر الله، فإن ظهر من الإمام جور فهل يجوز الخروج عليه؟ قال الداودي: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البيعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: قول الحق وعدم الخوف.

أولاً- من وسائل الدعوة: البيعة:

جاء في هذا الحديث في قول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: "بايَعَنَا رسولُ الله على السمع

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٨/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/١٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٩/١٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٠٧/٧ وما بعدها، والدراري المضية للشوكاني ٥٠٦/١ والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٣/٢٨ وما بعدها.

والطاعة" والبيعة وسيلة من وسائل الدعوة وهي تعني المعاقدة والمعاهدة على الأمر[١]. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٢] قال ابن عاشور: (أي أوفوا بما بايعتم به النبي ﷺ على الإيمان والنصر)[٣] ولاشك أن البيعة من الوسائل الدعوية التي تحمل المدعوين على الامتثال بما بايعوا عليه، ويستفاد من ذلك مدى التزام الصحابة رضي الله عنهم بالسمع والطاعة في العسر واليسر واستجابتهم للنبي ﷺ، وحرصهم على مرضاة الله ورسوله ﷺ، وهذا مما ينبغي للدعاة إلى الله أن يركزوا عليه حتى يتأسى المدعوون بأصحاب النبي ﷺ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

يستنبط هذا مما ورد في الحديث: "وعلى أن لا ننازع الأمر أهله" قال الإمام ابن حجر: (أي لا تنازع في الملك والإمارة، وإن اعتقدت أن لك في الأمر حقاً فلا تعمل بذلك الظن، بل اسمع وأطع، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة)[٤].

قال النووي: (ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولاياتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تَرَوْا منهم كفراً بواحاً، ومنكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين)[٥].

هذا وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾[٦] وبين رسول الله

---

(١) النهاية، لابن الأثير ص ٩٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩٧/١٥/٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

ﷺ وجوب طاعة ولي الأمر وأن هذه الطاعة لا تكون في المعصية ففي الحديث ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وأكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ في الحديث "إلا أن ترو كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" هذا وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب خيرية هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٢] ومن صفات الجماعة المؤمنة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٣].

وحث رسول الله ﷺ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففي الحديث ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[٤] قال الإمام الصالحي: (وتضمن الحديث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب ثلاث الأولى إزالته باليد وذلك يكون لمن كان له سلطان يُخاف والثانية إزالته باللسان وهذه يتصف بها العلماء، والثالثة من لم يكن له سلطان ولا هو من أهل العلم فينكر بقلبه)[٥]. ولا شك أن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٣٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي، تحقيق: د. مصطفى عثمان صميدة ص ٦٨.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: قول الحق وعدم الخوف:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية قول الحق وعدم الخوف والشاهد على ذلك من الحديث في قوله "وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم" قال الإمام النووي: (معناه نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر في كل زمان ومكان، الكبار والصغار، لا نداهن فيه أحداً ولا نخافه هو، ولا نلتفت إلى الأئمة ففيه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأجمع العلماء على أنه فرض كفاية)[١].

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[٢] وقد جاء في الحديث ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر))[٣] قال شرف الحق العظيم آبادي: (إنما صار ذلك أفضل الجهاد؛ لأن من جاهد العدو كان متردداً بين رجاء وخوف لا يدري هل يغلِب أو يُغلب وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٢.

(٣) أخرجه أبوداود، ٤٣٤٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥٠).

(٤) عون المعبود على سنن أبو داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي ١٨٨٣.

الحديث رقم (١٨٧)

١٨٧- الرَّابع: عن النعْمانِ بنِ بَشيرٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ القَائِمِ فِي[١] حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا على سفينةٍ فصارَ[٢] بعضُهم أعلاهَا وبعضُهم أسفلَها وكانَ الذينَ فِي أسفلها إذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنا خَرْقاً وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجوْا ونجوْا جَمِيعاً**» رواهُ البخاري[٣].

القَائمُ فِي حُدودِ اللَّه تعَالى» مَعْنَاهُ: المُنْكِرُ لها، القَائمُ فِي دفعِهَا وإِزالَتِهَا والمُرادُ بالحُدودِ: مَا نهى اللَّه عَنْهُ: «اسْتَهَمُوا»: اقْتَرعُوا.

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٤).

غريب الألفاظ:

القائم في حدود الله: أي المنكر لها القائم في دفعها وإزالتها[٤].

حدود الله: فسرها النووي[٥].

الواقع فيها: أي الذي يقع في الحرام عمدًا.

استهموا: فسرها النووي[٦].

وإن أخذوا على أيديهم: أي منعوهم من الحفر[٧].

---

(١) لفظ البخاري (على) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٥٠١/١، رقم ٨٠٩)، وكذا عند المنذري.

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (فأصاب) والمثبت عنده برقم (٢٦٨٦). وكذا هو عند المنذري.

(٣) برقم (٢٤٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٠٥).

(٤) رياض الصالحين ١٢٥.

(٥) رياض الصالحين ١٢٥.

(٦) رياض الصالحين ١٢٥.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٩/٥.

الشرح الأدبي

إن الصورة البيانية في الحديث النبوي حين نطيل التأمل في استكشاف معالم الجمال والجلال فيها ندرك أنها، كما يقول د. محمد رجب البيومي، تلج بالمعنى إلى شعاب النفس فتزيده وضوحاً في الخاطر، وجلاء في الذهن، لتستحيل أفكاره الهادية دماً خالصاً يترقرق في عروق المسلم، ونوراً يمتد في عقله وبصره، ونفساً يتردد في رئتيه، وذلك بعض ما يفيض به البيان الساحر والأدب الرفيع.

وجمال التشبيه في هذا الحديث ينْبع من تصويره الرمزي لواقع الناس، وطريقة تعاملهم مع أوامر الله ونواهيه، وكيفية استقبالهم لحدود الله، والمحافظة عليها، وهذا التشبيه التمثيلي يقسم الناس إلى ثلاث فرق، وهو مستمد من مشاهد البيئة وواقع الناس، فالذين أرادوا غرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، أى العاصي الذي يستهين بالحدود ويتعداها: ثم ما عدا هذا الفريق وهم قسمان: إما قائم في حدود الله: أي يقيم الحدود ويذب عن المحارم، ويحافظ على الأنفس والأعراض والأموال؛ وإما مداهن، وهو المرائى الذي يضيع الحقوق، ولا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر.

وحين نتأمل أطراف الصورة الأدبية ودلالتها وجمالها وقيمتها في إصلاح الواقع: ندرك أن الحياة مثل هذه السفينة: أو لثقل عمارة الأرض في ضوء التصور الإسلامي، تتجلى في هذه السفينة: أما الحياة المثلى فتتجلى في الإبحار الموفق، وهكذا تبرز رموز شتَّى تشع بها كلمة "السفينة"، وعملها، وما يحيط بها وكونها طابقين، فهؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً في عدم تكلف مشاق الصعود، وعدم إحراج وإرباك القوم في الأعلى، منهجهم فاسد: لأنهم يتخذون من الإفساد المتمثل في خرق السفينة طريقاً للحياة، وهو في حقيقته طريق للموت وإهلاك الأمة، فإن منعهم الآخرون سَلِمَت السفينة من الغرق، وفاز الراكبون جميعاً بالنجاة والحياة، والثقب المقترح رمز للفساد الذي ينم عن غباوة يتمتع بها الفسقة في كل عصر، وهو خرق للعقل كما هو خرق للسفينة[1].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد باسوف ص ١٦٠-١٦١.

وهذه الصورة الأدبية الواقعية تأتي في إطار النزعة القصصية: فهى تسرد حدثاً رمزياً يمكن أن يتكرر في كل عصر وفي كل مكان: وكثرة الأفعال الماضية مع العطف بالفاء، والحوار الداخلي: من الدلائل الفنية على أن هذه الصورة صيغت في قالب الحكاية وهى مشحونة بالحدث والشخصيات. والحبكة القصصية، والمفارقة التصويرية، والحل الذي يأخذ الجميع إلى طريق النجاة وهو مقاومة الفاسدين والكسالى، والجهلاء، وهذه المقاومة تشع بها الدلالة في قوله ﷺ: "وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا جميعاً"، والعطف "بالفاء" يوحي بسرعة الأحداث ووجوب سرعة الإصلاح والمقاومة، وتكثر جمل الشرط في هذا الحديث إيحاء بأن النتائج رهن المقدمات، والجزاء من جنس العمل وجاء التعبير بأداة الشرط "إذا" مناسباً. في مقام طلب: السقيا: في قوله: "إذا استقوا من الماء مَرُّوا على مَنْ فوقهم"، لأن الماء سر الحياة، ولا يستغنى عنه مخلوق، "وإذا" تدل على التحقق: ولا مجال للشك في طلب السقيا، وإنما الخلل في المنهج والوسيلة التي أرادوا بها، الاستسقاء، وهى خرق السفينة.

وأداة الشرط "لو" جاءت في سياقها وموضعها لأنها أداة امتناع لامتناع، حيث امتنع جواب "لو"، وهو الحصول على الماء لاستحالة الوسيلة، وهى خرق السفينة، فبقيت أمنية هؤلاء في دائرة: المرفوض والمحرَّم، لأنها منفعة تجر خراباً وهلاكاً، وهى في الظاهر تتخذ من المراعاة والخوف على الغير قناعاً تخفي وراءه أطماعها المهلكة... وهذه فئة تتواجد في كل عصر، وعلى الأمة أن تأخذ على أيديهم، وأن تردهم إلى صوابهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[1].

وتأمل اختيار أداة الشرط "إن" في الجملتين الأخيرتين من الحديث: فهو اختيار دقيق وعميق.

ولا غرو، فالقائل أفصح العرب، وهو الذي أوتى جوامع الكلم، وهو صاحب البلاغة الإنسانية التي خضعت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها: المصطفى ﷺ، والسر اللغوي والبلاغي في اختيار "إن" في هذا الجزء من هذا الحديث، يكمن في دلالة "إن" فهي تفيد

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

الاحتمال وعدم اليقين، والشك في وقوع الحدث أو الشرط والجواب.

وواقع الناس واستقبالهم للفتن والأحداث: يؤيد ذلك، لأن كل الناس لا يتركون الفاسدين يعيثون في الأرض فساداً، فبعضهم يقاوم، وبعضهم يداهن، وبعضهم يستسلم، فالأمر ليس يقينياً، لأن الطبيعة البشرية في مقاومتها للشر ليست على وتيرة واحدة.

وكذلك قوله: "وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً"، فالبعض يقوم بواجبه في مقاومة الضلال والفسوق، والبعض يركن إلى السلبية والانعزالية، والبعض يرضى ويستكين لهؤلاء المارقين.

فالتعبير بأداة الشرط "إن" يفصح عن دقة البيان النبوي، وعمق فهم النفس البشرية.

ولذلك لم يختم الحديث بالأمر الجازم، وإنما ختم بالتخيير الذي صور بحركة متقطعة، لا هؤلاء نقبوا، ولا هؤلاء منعوا، فالحديث مبني على محورين، وينتهي بخاتمة مفتوحة تدعو للتوقع وإعمال الفكر، وإثارة الخشية من الغرق والموت وسط مياه من كل الأطراف.

وما أعمق التصوير وما أجمله في هذا الحديث الشريف: إنه مستمد من الصورة القرآنية الفريدة الرائعة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم الأخذ على أيدي المفسدين وعدم المجاملة في ترك الحدود وذلك؛ لأن التهاون في هذا الأمر مغبته كبيرة وعاقبته أليمة على الجميع، ولذا فقد اتفق

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٢.

الفقهاء[١] على أنه لا يجوز للإمام التنازل عن الحد ولا إسقاطه بعد وجوبه ولا تجوز الشفاعة في حد من حدود الله أو العفو عنها حالة ثبوتها عند الحاكم، فإن تعافوا فيما بينهم ولم يبلغوا الحاكم فلا بأس في ذلك.

الثاني: حكم العمل بالقرعة وقد اتفق الفقهاء[٢] على أن القرعة مشروعة ويعمل بها، وأنه متى تعينت المصلحة في جهة أو ظهر الحق دون خفاء لم يشرع العمل بالقرعة، فإن تساوت الحقوق ولم يظهر وجه الحق جاز العمل بالقرعة كما في القسم بين الزوجات، والقسمة بين الشركاء، وعتق أحد العبيد عند عدم تعيين أحدهم بالذات وغير ذلك، واختلفوا فيما تجري فيه وما لا تجري فيه من الأحكام مما لا مجال لتفصيله هنا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على حدود الله.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الأخطار التي تهدد المدعوين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أولاً- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

إن الداعية بحاجة إلى عدد من الأساليب الدعوية، التي يستطيع من خلالها بيان

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢١٢/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٣/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٥٨٧/١، والزواجر عن اقتراف الكبار ٢١١/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٣١/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٤/٨، والسياسة الشرعية لابن تيمية ص ٨٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٢٠/٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٢٨/٧.

(٢) المبسوط، السرخسي ٤/١٥، والفصول في الأصول للجصاص ٢٠٤/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٣٤٦/١، ٦٥٣/٢، والمدونة ٤٠٨/٢، وتبصرة الحكام ١١٢/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٥٨/١، والأم ٤/٨، وقواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ٩٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٠/٦، والطرق الحكمية لابن القيم ص ١٨١، ٢٤٥، والفروع، ابن مفلح ٥٣٥/٥، والقواعد لابن رجب الحنبلي ص ٣٤٨ وما بعدها وفيه حصر لمسائل القرعة في المذهب الحنبلي.

المعاني والمضامين الدعوية التي يريد توضيحها للمدعوين، ولعل من أهم أساليب الدعوة التي لا يستغنى عنها الداعية: أسلوب ضرب المثل، وقد ورد استعمال المثل في القرآن والسنة لبيان المعاني وتقريبها إلى أذهان المدعوين، ومن الشواهد على ذلك في الحديث الذي معنا ما ورد في قوله ﷺ: "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم" ولا يخفى أن العقول تتفاوت في الفهم فيأتي أسلوب ضرب المثل الواقعي المحسوس ليقرب المعنى إلى الأذهان، وهذا يعتبر من أساليب الدعوة الهامة، لما له من تأثير حيث تبقى صورته ثابتة في النفس مما يزيد درجة الإقناع لدى المدعوين، وكثيراً ما استخدم القرآن هذا الأسلوب مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[1] وقوله جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾[2]. والنصوص النبوية كثيرة في ضرب المثل لتقريب المعاني إلى الأفهام.

قال ابن عثيمين: (وفي هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ دليل على أنه ينبغي لمعلم الناس أن يضرب لهم الأمثال ليقرب لهم المعقول بصورة المحسوس، وكم من إنسان تشرح له المعنى شرحاً كثيراً وتردده عليه فلا يفهم، فإذا ضُرِب له مثلٌ بشيء محسوس يعرفه، فهم)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على حدود الله:

إن من الشواهد على أهمية الحفاظ على حدود الله ما ورد في الحديث في قوله ﷺ "مثل القائم في حدود الله والواقع فيها" ولقد بين الله سبحانه وتعالى أنه يجب الحفاظ على حدود الله قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[4]، وقال جلّ شأنه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[5]. وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٤٩٨/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[٢].

ولما قام أسامة بن زيد رضي الله عنه يريد أن يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت فقال رسول الله ﷺ: ((يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها))[٣] وقال ﷺ: ((أقيموا حدود الله في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم))[٤].

ومن خلال هذه النصوص يتبين أهمية الحفاظ على حدود الله وإقامتها.

ثالثاً- من واجبات الداعية: بيان الأخطار التي تهدد المدعوين:

حيث جاء في الحديث: "فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً" ولذا فمن ألزم واجبات الداعية بيان الأخطار التي تهدد المدعوين لأن الداعية يجب أن يكون حريصاً على المدعوين. وقد قال الله تعالى عن رسول الله ﷺ ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾[٥]، وفي الحديث الشريف بيّن الرسول الكريم ﷺ خطورة عدم المحافظة على المدعوين، ولقد كان شأن الأنبياء دائماً النصح لأقوامهم، قال الله عن صالح عليه السلام: ﴿ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[٦].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

---

(١) سورة الطلاق، آية: ١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣، ١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧٨٨، ومسلم ١٦٨٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٢٥٤٠، وحسنه الألباني (صحيح سن ابن ماجه ٢٠٥٨).

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٧٩.

إن من أخطر ما يعصف بالمجتمعات والأمم تركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ويكون سبباً في حلول اللعنة، كما حدث في بني إسرائيل حيث أخبر سبحانه في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[1].

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله ﷺ "فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا" قال ابن حجر: (وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه، وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها، وفي الحديث استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف وتبيين العالم الحكم بضرب المثل)[2].

وقال المباركفوري: (ومعنى الحديث: إنْ مَنَع الناسُ الفاسق عن الفسق نجوا ونجا من عذاب الله تعالى، وإن تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد، حل بهم العذاب وهلكوا بشؤمه وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾[3] أي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم)[4]. وقد حذر الرسول الكريم ﷺ من خطورة هذا الأمر فقال: ((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم))[5].

لذا يجب على الداعية تحذير المدعوين وتعريفهم بخطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨-٧٩ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٩/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٥/٢.

(٥) أخرجه الترمذي، ٢١٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٧٦٢).

الحديث رقم (١٨٨)

١٨٨- **الخامِسُ:** عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَة هِنْدٍ بنتِ أَبي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَراءُ فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُونَ فَمَنْ كَرِه فقَدْ بَرِىءَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ» قالوا: يا رَسُولَ اللَّه أَلاَ نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلاَةَ**» رواه مسلم[1].

مَعْنَاهُ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ ولَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَاراً بِيَدٍ وَلا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الإِثْمِ وَأَدَّى وَظِيفَتَهُ، ومَنْ أَنْكَرَ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ المعصيةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وتابعهم، فَهُوَ العَاصي.

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٣).

الشرح الأدبي

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من واجبات المسلم التي لا يجوز التهاون في التمسك بها؛ وعدم النهى عن المنكر من مسببات العقاب الشديد اتباعاً لقول الله عز وجل: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف يعد من معجزات رسول الله ﷺ، لأنه من باب الإخبار عن المغيب، وكل أي "حدث" أخبر به ﷺ، فهو من معجزاته، وقد جمع أنواع المعجزات والخوارق ومنها العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية.

وإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق للعادة، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة، وقد ثبت أنه كان معلوماً من حال النبي ﷺ كما يقول القاضي الباقلاني، في كتابه إعجاز القرآن، إنه كان أميا لا يكتب، ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفاً من حاله أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب

---

(١) برقم (١٨٥٤/٦٣) وزاد مسلم: (أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه).

(٢) سورة المائدة: ٧٩.

المتقدمين وأقاصيصهم وأبنائهم وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، وقد علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحى.

وحين تتأمل المضمون وصياغته في هذا الحديث الشريف نُدرك هذه الحقائق التي أنبأ عنها رسول الله ﷺ، وهى تتمثل في هؤلاء الذين يتولون أمور الناس ورعايتهم، ولكنهم أصموا آذانهم، وأغلقوا عيونهم، وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، ورانت على أبصارهم غشاوة، فظلوا سادرين في غيهم، لا يقومون بحق الرعية، ولا يتقون الله في حقوق الناس، ولا يصغون لقول المصطفى ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[1]، ولكن كيف تستقبل الأمة هذا المروق.

يبدأ الحديث بالتأكيد وضمير الشأن: إشعاراً بجدية الأمر وأهميته وصدقه وواقعيته، والتعبير بالفعل: "يستعمل" في صيغة الفعل المضارع المبني للمجهول، والمادة اللغوية "عمل" يوحي بوظيفة هذا الأمير وهو العمل لصالح الرعية، ولكن هؤلاء الأمراء: يحيدون عن النهج السوي، ولا يقومون بواجبهم، وكثير منهم، كما أخبر رسول الله أكلوا الحقوق، وظلموا الرعية: وهم يتكررون في كل عصر.. ومنهم ذلك الوالي الذي شكاه الشاعر الراعي النميري، إلى عبدالملك بن مروان، لأنه كان يختلس كثيراً من أموال الزكاة لنفسه، فقال:

خليفة الرحمن إنا معشر ... حنفاء نسجُد بكرةً وأصيلا

عربٌ نرى لله في أموالنا ... حقّ الزكاة منزلاً تنزيلا

إن السعاة عصوك يوم أمرتهم ... وأَتَواْ دواهي لو علمت وغولا

فارفع مظالم عيلت أبناءنا ... عنَّا وأنقذْ شِلْونا المأكولا

وهذا الشاعر، من الذين أنكروا بلسانهم، ورفعوا شكواهم إلى الخليفة، ولم يسكت عن حقه، وتنكير كلمة "أمراء" ترشد إلى عدم التحديد، وتوحي كذلك بتجاهل هذا الصنف الذي لا يراعي الحرمات، ولا يؤدي الحقوق، والإنكار يستلزم

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

الاعتراض باللسان أو باليد، ولكن الكره يعد مرحلة أدنى من ذلك حيث لا يقدر بعض الناس إلا على الشعور بالكره وعدم الرضا عن هؤلاء الأمراء والولاة والعمال، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم.

وفي الحديث: إيجاز بالحذف في كثير من عباراته: فكل فعل له متعلقاته المحذوفة: وهذا الحذف يفتح المجال للتفسيرات المتعددة التي تكمن وتشع في قوله: "تعرفون... وتنكرون، فمن كره... فقد برئ، ومن أنكر... فقد سلم، ومن رضي.. وتابع...".

والخبر في الجملة الثالثة محذوف: لدلالة الحال وسياق الكلام على أن هذا القسم ضد ما أثبته لقسيميه.

والحوار بين الصحابة ورسول الله ﷺ حول هذه القضية يبرهن على وجوب الإنكار، ومجابهة هؤلاء الولاة وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة، حيث قال الصحابة: يا رسول الله: ألا نقاتلهم؟.

فإذا برسول الله يجيبهم: "لا"، ولكن ذلك يظل مشروطاً بإقامة هؤلاء الأمراء للصلاة، منعاً للفتنة وحرْصاً على توحيد الأمة، ورغبةً في إصلاح أمر هؤلاء، وهذه هي الثمرة المرجوة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، السؤال والجواب.

ثانياً: من دلائل النبوة: الإخبار عما سيقع في مستقبل الأيام.

ثالثاً: من واجبات المدعو: إنكار المنكر حسب طاقته.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة.

خامساً: من مهام الداعية: التحذير من إثارة الفتن.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والسؤال والجواب:

١- **التوكيد**: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ "إنه" وهذا مما يفيد حدوث الأمر الذي أكّد عليه النبي ﷺ وعلى أهمية الاستجابة لما أمر به النبي ﷺ في هذا

الشأن[١]. والتوكيد أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، وهذا الأسلوب من الأشياء التي هديت إليه فطرة الإنسان ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب كوسيلة دعوية تجعل هذا الأمر المؤكد عند المرء عادة مستحكمة في أعماق قلبه ونفسه.

٢- **السؤال والجواب:** لقد جاء في الحديث في سؤال الصحابة رضي الله عنهم: (قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم)؛ ومما هو معلوم أن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية الناجحة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يؤدي إلى وجود الحوار والتفاعل بين الداعية والمدعوين، ويجب على الداعية أن يتسع صدره للإجابة على تساؤلات المدعوين، وتقديم الحلول لمشكلاتهم؛ لأن المدعو حينما يسأل يريد أن يزيل أي لبس أو غموض في نفسه، كما يريد أن يتعرف على آلية التعامل خاصة في القضايا الخطيرة التي قد تترتب عليها الفتن، إن لم تكن المعالم واضحة في أذهان المدعوين حسبما ورد في القرآن والسنة؛ لذا وجب على الداعية أن يبين المنهج الإسلامي الصحيح في التعامل مع مثل هذه الأمور.

ثانياً- من دلائل النبوة: الإخبار عما سيقع في مستقبل الأيام:

يستنبط ذلك من قول النبي ﷺ في الحديث "إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون" قال ابن علان: (أي تجعل الملوك عليكم أمراء عمالاً فتعرفون بعض أعمالهم لموافقتها ما عرف من الشرع وتنكرون بعضها لمخالفتها ذلك، وهذا من باب الإخبار عن المغيب فكان كما أخبر به ﷺ فهو من معجزاته)[٢].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة تخبر عما سيقع في المستقبل، وهذا من دلائل نبوته فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٣٠١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ٣٤٩٠.

وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ))[١].

ثالثاً- من واجبات المدعو: إنكار المنكر حسب طاقته:

إن كل مسلم مطالب بإنكار المنكر بالطريقة المشروعة والمناسبة التي لا يترتب عليها منكر أشد، وهذا ما بينه الحديث: (فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم). قال النووي: (معناه من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه وليبرأ، والإثم والعقوبة على من رضي وتابع، وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت بل إنما يأثم بالرضى به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه)[٢]. وقد بيّن النبي ﷺ درجات إنكار المنكر ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة:

إن من الشواهد التي تدل على أهمية الصلاة وإقامتها والحفاظ عليها ما جاء في الحديث أنهم لما سألوا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال "لا ما أقاموا فيكم الصلاة" ولاشك أن الصلاة لها المكانة السامقة في الإسلام فقد أمر الله تعالى بإقامتها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٤] وأمر بالمحافظة عليها فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٥] ونبه إلى ضرورة الخشوع فيها فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٦] وتوعد من يضيعها فقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ

---

(١) أخرجه مسلم ٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلمو، ١١٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٦) سورة المؤمنون، آية: ٢.

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[١] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٣]. والصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى والبقاء في حظيرة الإسلام، والانخراط في سلك المؤمنين، وذلك لأن الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف، والطلب، والالتجاء، والاعتصام، والدعاء، والمناجاة لله تعالى[٤].

ولقد بين الرسول الكريم فضل الصلاة فقال ﷺ: ((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))[٥] وقال ﷺ: ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ. يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ))[٦] وحذر الرسول من تركها فقال ﷺ: ((بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة))[٧] وقال ﷺ أيضاً: ((الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ))[٨]. والنصوص الشرعية كثيرة ومتعدة في بيان أهمية الصلاة.

خامساً- من مهام الداعية: التحذير من إثارة الفتن:

إن المحافظة على سلامة وأمن المجتمع المسلم مسؤولية عامة يجب أن تتضافر كل الجهود لتحقيقها، خاصة الدعاة إلى الله تعالى، الذين يجب عليهم أن يَحُولُوا دون زعزعة الأمن في المجتمع، ويحثوا المدعوين على أهمية الحفاظ على سلامة المجتمع.

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) سورة المدثر، الآيتان، ٤٢، ٤٣.

(٤) الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة، أبو الحسن الندوي ص ٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٦) أخرجه مسلم ٦٦٨.

(٧) أخرجه مسلم ٨٢.

(٨) أخرجه الترمذي، ٢٦٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٣).

ومما يؤكد ذلك في الحديث أن النبي ﷺ لما سئل وقيل له: "ألا نقاتلهم؟ قال: لا. ما أقاموا فيكم الصلاة". وهذا نهي لكل مسلم وإبعاد له عن الفتن، ولا يخفى ما في قتال الحاكم من الهرج والمرج وإراقة الدماء. قال الإمام النووي: (وفي الحديث أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام)[1].

وقال ابن عثيمين: (ودل الحديث على أنهم -أي الأمراء- إذا رأينا منهم ما ننكر، فإننا نكره ذلك وننكر عليهم، فإن اهتدوا فلنا ولهم، وإن لم يهتدوا فلنا وعليهم وأنه لا يجوز أن نقاتل الأمراء الذين نرى منهم المنكر، لأن مقاتلتهم فيها شر كبير، ويفوت بها خير كثير إلا أن النبي ﷺ شرط ذلك بشرط قال: ما أقاموا فيكم الصلاة. فدل ذلك على أنه إذا لم يقيموا الصلاة فإننا نقاتلهم)[2].

والإنكار على الحكام يكون بالأسلوب الذي يتناسب مع مكانتهم ويحفظ هيبتهم ويعمل على استقطابهم واستجابتهم، ولهذا وجب على الداعية التحذير من إثارة الفتن.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١/٥٠٠.

الحديث رقم (١٨٩)

١٨٩- **السَّادسُ:** عن أُمِّ الْمُؤْمِنِين أُمِّ الْحكَم زَيْنبَ بِنْتِ جحْشٍ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعاً يقُولُ: «**لا إِلهَ إِلاَّ اللَّه، ويْلٌ لِلْعربِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتربَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِن ردْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجوجَ مِثْلُ هذِهِ**» وَحَلَّقَ بأُصْبُعه الإِبْهَامِ والَّتِي تَلِيهَا. فَقُلْتُ: يَا رسول اللَّه أَنَهْلِكُ وفِينَا الصَّالحُونَ؟ قال: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**» متفقٌ عليه[١].

ترجمة الراوي:

زينب بنت جحش: وهي زينب بنت جحش بن رئاب من بني خزيمة، أم المؤمنين وإحدى شهيرات النساء في صدر الإسلام وهي أسدية، وكان اسمها برة فلما دخلت على رسول الله ﷺ سماها زينب، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس للهجرة، وكان عمرها وقتئذ خمساً وثلاثين سنة، وكانت قبله عند زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ وهي التي نزل فيها ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[٢].

روت عن النبي ﷺ أحد عشر حديثاً وروى لها الجماعة.

وفي بيان فضلها قال النبي ﷺ لأزواجه ((أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً))[٣] أي أكثركن صدقة فكانت هي وقال النبي ﷺ لعمر عنها ((إنها أوَّاهَةٌ))[٤].

كما وصفتها السيدة عائشة رضي الله عنها بالوصف الجميل في قصة الإفك وأن الله عصمها بالورع وقالت عنها يوم أن توفيت لقد ذهبت حميدةً، متعبدةً، مُفْزَع اليتامى والأرامل.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٩)، ومسلم (٢/٢٨٨٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٠٧).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة (١١)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة (١٠١)، والنسائي، كتاب الزكاة (٥٩).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤/١٦٩٥).

وكان عطاؤها اثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً فجعلت تقول اللهم لا يدركني هذا من قابل فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها وفي أهل الحاجة فبلغ ذلك عمر فقال: هذه امرأة يراد بها خير، وكانت رضي الله عنها امرأة صنّاع اليدين، فكانت تدبغ وتَخْرِز وتتصدق به في سبيل الله وكانت كما وصفتها السيدة أم سلمة رضي الله عنها صوامة قوامة.

وكانت رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ بأنها بنت عمته، وبأن الله زوجها له وهن زوجهن أولياؤهن.

وهي أول من مات من نساء النبي ﷺ سنة عشرين وهي بنت خمسين، وقيل عاشت ثلاثاً وخمسين سنة، وصلى عليها عمر بن الخطاب، ودفنت بالبقيع، ويقال هي أول امرأة صنع لها النعش وحملت به من موتى العرب، وكانت الحبشة تحمل به فلما رآه عمر قال: ((نعم خباء الظعينة))[1] رضي الله عنها وعن سائر أزواج النبي ﷺ.

غريب الألفاظ:

ويل: الوَيْلُ: الحُزن والهلاك والمشَقَّةُ[2].

الردم: هو السد الذي بناه ذو القرنين - بقطع- الحديد[3].

الخبث: أي الفسق والفجور[4].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٠٩/٨، ١١٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠٦، ٩٠٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٦٥/٥، ٦٩٥٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٦٩٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٧/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٤/٤)، والأعلام، الزركلي (٦٦/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٨٥٢/٢-٨٥٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ي ل).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٧٧/٢.

(٤) المرجع السابق ١٧٧٧/٢.

الشرح الأدبي

ما أجل هذا المشهد وما أعظم تأثيره، إنه مشْهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية المضيئة بالأحداث والمواقف والبطولات والنبوءات؛ هذا المشهد ينقل حواراً بين رسول الله ﷺ وأم المؤمنين زينب بنت جحش، وهى التي تقول زوجني الله من السماء، وكانت تفخر بذلك على نساء رسول الله ﷺ، وللحوار في ختام الحديث مقصد آخر، وهو التنبيه إلى ضرورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى لا يقع الناس فريسة الهلاك والدمار إذا كثر الخبث، حيث لا يمنع من وقوع الهلاك وجود صالحين، وهذا الحديث مثل الحديث السابق يعد من معجزات رسول الله ﷺ حيث أطلعه الله سبحانه على أمور مستقبلية جعل أخبارها، وذِكْرَ أحداثِها على لسانه ﷺ تأييداً لصدق نبوته، ودليلاً على صحة رسالته. وهذه الأحداث بعضها وقع في حياة النبي ﷺ، وبعضها وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ وبعضها يتنبأ بالمستقبل، وستقع بمشيئة الله وإرادته، ومنها: أحداث الفتن المستقبلية، وأحداث قيام الساعة، ومن ذلك التنبؤ بخروج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف نجد الراوي يصور دخول المصطفى ﷺ على أم المؤمنين "فزعاً" يقول: "لا إله إلا الله"، ولا يفزع الرسول إلا لأمر جلل، ونبأ عظيم، والفزع هنا ليس خوفاً على ضياع مال، ولكنه الخوف على ضياع الأمة؛ وشهادة التوحيد التي تفوه بها رسول الله في هذا المقام.. تعيد الاطمئنان إلى كل من يقلقه الخوف، ويقضي مضجعه، "الفزع" وهى دعوة إلى الاحتماء بشرع الله عز وجل وإلى التمسك بعقيدة التوحيد، والعمل بكل مقتضياتها، ومقاصدها: فهى باب النجاة، وهي الطريق إلى الوقوف في ثبات أمام الطغاة، والغزاة؛ وهذا الخطر الجسيم تفصح عنه هذه الصيحة النبوية المنذرة، "ويل للعرب من شر قد اقترب"، والإيقاع الصوتي المتمثل في السجع الجميل يجعل التأثير أقوى وأعمق في النفوس: ولفظ "ويل" يقال في سياق العذاب والهلاك، وقد خُصّ العرب بذلك، لأن القرآن نزل بلغتهم، والرسول عربي، وصحابته عرب غالباً وهم الذين حملوا لواء الدعوة

إلى مشارق الأرض ومغاربها، وعليهم أن يظلوا: في رباط إلى يوم القيامة، وعليهم أن يستعدوا لمواجهة الأخطار، وأن ينبهوا المسلمين في جميع الأقطار، وإشارة الرسول ﷺ إلى "يأجوج ومأجوج"، تعد من سمات البلاغة النبوية: وهى بلاغة الإشارة التي أومأ إليها هند بن أبي هالة في تصوير منطق المصطفى ﷺ حيث يقول: "إذا أشار ... أشار بكفه كلها"، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى.

والإشارة التي تومئ إلى اقتراب يأجوج ومأجوج وتغني عن اللغة تبدو جلية في هذه العبارة، "فتح اليوم ردم من يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بأصبعيه: الإبهام والتي تليها"، أي جعل السبابة في أصل الإبهام وضمها حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير، كما جاء في تحفة القاري، والسؤال في ختام الحديث يُجسد حرص الصحابة رضي الله عنهم على النجاة: ولكن الهلاك يكون إذا كثر الخبث.

والخبث: كلمة واحدة ولكنها تتضمن كلَّ سبل الانحراف، ومظاهر الفساد، وطرق الضلال، نسأل الله النجاة والفوز بالجنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها على وصف أحوال النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الفزع.

ثالثاً: من مهام الداعية: تحذير الناس من الشر.

رابعاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للناس.

خامساً: من موضوعات الدعوة: من خصائص النبي ﷺ الإخبار عن بعض المغيبات.

سادساً: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان شؤم المعصية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها على وصف أحوال النبي ﷺ:

لقد كان لأمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- دور عظيم في الدعوة إلى الله تعالى،

حيث قمن -رضي الله عنهن- ببيان ووصف أحوال النبي ﷺ ليتسنى للأمة الاقتداء به ﷺ، ويتضح هذا من رواية أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً، ولا شك أن هذا يدل على حرصها رضي الله عنها على وصف أحوال النبي ﷺ، وتتبع تصرفاته، وذلك باعتبار أن رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة كما قال الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، وهناك مواطن يكون فيها النبي ﷺ بعيداً عن أصحابه رضي الله عنهم، كأن يكون عند إحدى زوجاته كما وقع في هذا الحديث.

إن ذلك يُسهم في بيان كيفية تعامل النبي ﷺ مع الأمور، وإيضاح عدد من الجوانب التي اضطلعت ببيانها أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- وكثيراً ما سُئلن من أصحاب رسول الله ﷺ عن عدد من الأمور وهديه فيها فأجبن على ذلك، مما أتاح الفرصة للاقتداء به ﷺ في كافة الظروف والأحوال.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الفزع:

إن لذكر الله تعالى فضلاً عظيمًا، فبه تطمئن القلوب، وتغفر الذنوب، ولذا فإن رسول الله ﷺ كان دائم الذكر في كل حال مما يحمل على التأسي به ﷺ، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في الحديث في قول زينب بنت جحش رضي الله عنها: (دخل عليها فزعاً وهو يقول: لا إله إلا الله) ولا شك أن ذكر الله أمان عند الفزع، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

قال ابن عثيمين: (قال النبي: لا إله إلا الله في هذه الحال التي كان فيها فزعاً متغير اللون تثبيتاً للتوحيد، وتطميناً للقلوب لأن التوحيد هو القاعدة التي تبنى عليها جميع الشريعة)[3]، وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ، لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهِ. وَأَفْضَلُ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٥٠١.

الدُّعَاءِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ))[١]، ولا شك أن النصوص القرآنية والنبوية كثيرة في هذا الموضوع، مما يؤكد على أهمية فضل ذكر الله تعالى في كل حال، لا سيما عند الفزع.

ثالثاً- من مهام الداعية: تحذير الناس من الشر:

إن من المهام الأساسية التي يضطلع بها الداعية تحذيرَ الناس من الشر، وقد حرص النبي ﷺ على تحذير أمته من الشر وإنذار الناس، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في هذا الحديث في قوله ﷺ: (ويل للعرب من شر قد اقترب).

قال ابن حجر: (خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، ثم توالت الفتن بعد ذلك، وترتب على قتله من القتال بين المسلمين ما اشتهر واستمر، أو يكون المراد الإشارة بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده ﷺ فكثرت الأموال ووقع التنافس الذي جر الفتن)[٢].

وقال ابن علان: "ويل: كلمة تقال عند الحزن، والعرب هم خلاف العجم وخصص بهم لأن معظم مفسدتهم راجع إليهم، والتحذير من شر عظيم قد اقترب زمنه"[٣]، ولذلك قال الله عز وجل محذرًا من الشر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٤] فهذا دليل على الوقاية من الأخطار وأخذ الاستعداد لكل خطر من أي شر. ولذا فإن من المهام الأساسية المنوطة بالداعية تحذير المدعوين من الشر وتوجيههم لأسباب الوقاية منه بتقوى الله والعمل الصالح، وإذا علم شراً أو ضرراً أن يحذر الناس منه.

رابعاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للناس:

إن من الحقائق التي أشار النبي ﷺ إليها في هذا الحديث ما ورد في قوله: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها)، ومعلوم أن مهمة النبي ﷺ البيان والبلاغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٦٥).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٥/١٣.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ٣٥٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١.

رَّبِّكَ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]. لقد حرص الرسول ﷺ على إظهار وبيان الحقائق للناس. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فهذا شاهد ظهر منه أن القرآن شهد للنبي ﷺ بأنه إمام الدعاة في إظهار وبيان الحقائق.

قال ابن عثيمين: (لقد بيّن النبي ﷺ هذا الوعيدَ والشرَّ للعرب وهو الذي يحصل بيأجوج ومأجوج وفي إشارته بالسبابة والإبهام ما يعني أنه جزء ضعيف ومع ذلك فإنه يهدد العرب...)[٣]، وقد أشار القرآن إلى إفساد يأجوج ومأجوج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، ويتضح من هذا أن من واجب الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

خامساً- من موضوعات الدعوة: من خصوصية النبي ﷺ الإخبار عن بعض المغيبات:

لقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن بعض المغيبات إذ قال: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها)، ولا شك أن هذا من خصائص النبي ﷺ، وهذا الإخبار من عند الله سبحانه الذي يعلم غيب السماوات والأرض، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٥]، وقال النبي ﷺ عن نفسه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[٦]، ولا شك أن إخباره عن أمور ستقع في

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٥٠٢/١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٩٤.

(٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٨٨.

المستقبل، أو قد وقعت بالفعل يعتبر من دلائل نبوته وخصائصه ﷺ.

سادساً- من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه:

يستفاد هذا من سؤال أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: يا رسول الله (أنهلك وفينا الصالحون)، قال ابن حجر: (وكأنها فهمت من فتح القَدْر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكا عاما لهم)[1]، ولقد وجه القرآن الكريم المسلم أن يسأل عما ينفعه، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان شؤم المعصية:

إن مما يستنبط من هذا الحديث بيان شؤم المعصية، وأنها تكون سبباً في الهلاك العام، ويجب التحذير من جملة المعاصي كبيرها وصغيرها لتكون زاجرة عن اقتحام حمى المعاصي والآثام الموجبة للهلاك والبعد والطرد عن دار السلام، وللخزي والهوان والذلة والخسران والبوار والدمار والوبال والعثار لا سيما في دار القرار[3]. ومن الشواهد على ذلك ما قاله النبي ﷺ بعد أن سئل: (أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم. إذا كثر الخبث).

قال ابن عثيمين: (الصالح لا يهلك وإنما هو سالم ناج لكن إذا كثر الخبث هلك الصالحون لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[4]، والخبث هنا يراد به شيئان: الأعمال الخبيثة والبشر الخبيث فإذا كثرت الأعمال الخبيثة السيئة في المجتمع ولو كانوا مسلمين فإنهم عرضوا أنفسهم للهلاك وإذا كثر فيهم الكفار فقد عرضوا أنفسهم للهلاك أيضاً)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١١٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ص ٢٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٥٠٢.

وقال النووي: (الخبث فسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل: المراد الزنا خاصة، وقيل: أولاد الزنا، والظاهر أنه المعاصي مطلقاً، والمعنى أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون)[1]، وفي هذا ما يدل على شؤم المعصية وأنها سبب في الهلاك، وبشؤم المعصية يعم الهلاك الصالحَ والطالحَ. وكتب عمر بن عبدالعزيز لبعض عماله محذرًا من شؤم المعصية ومفاسدها: قال: (أما بعد فإذا مكنك الله القدرة من ظلم العباد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تفعل بهم أمرًا من الظلم إلا كان زائلاً عنهم - أي بموتهم- باقيًا عليك -أي عاره وناره- في الآخرة)[2].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٢.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ص ٢٣.

الحديث رقم (١٩٠)

١٩٠- السَّابعُ: عنْ أَبي سَعيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِيَّاكُم وَالْجُلُوسَ في الطرُقاتِ**» فقَالُوا: يَا رسَولَ اللَّه مَا لَنَا مِنْ مَجالِسنَا بُدٌّ، نَتحدَّثُ فِيهَا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلاَّ الْمَجْلِس، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قالوا: ومَا حَقُّ الطَّرِيقِ يا رسولَ اللَّه؟ قال: «**غَضُّ الْبَصَر، وكَفُّ الأَذَى، ورَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بالْمعْروفِ، والنَّهْيُ عنِ الْمُنْكَرِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

بُدٌّ: عوض أو مفر[2].

الشرح الأدبي

إن للمكان في الإسلام حُرْمة وقيمة يجب أن لا يستهين بها المسلم، والطرقات أماكن عامة يرتادها الجميع، وهى صورة للحياة الواقعية: حيث لا تنتهي حركة الأحياء، ولا يسكن إيقاع الحياة، فالناس يجيئون ويذهبون، ويغْدون ويَرُوحُون، يَسْعَون على أرزاقهم، ويقضون حوائجهم، فالطرقات معابر السالكين، يجب أن تُصان حرماتُها، وأن تُؤدي حقوقُها، ولذلك في هذا الحديث الشريف يحذر الرسول ﷺ أصحابه، ويحذر كل مسلم من الجلوس في الطرقات لأنها تجر إلى الحرام من الفتنة بالمارات، وإلحاق الأذى بالمارين، والسكوت عن المنكر، وعدم الأمر بالمعروف[3].

والجلوسُ بلا عمل، مفْسدَة ومضيعة للأمل، وانهزام أمام إغراءات العابثين،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩) واللفظ له، ومسلم (١١/٢١٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٠٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٦٢٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب د د).

(٣) انظر: المنهل العذب الفرات: د. عبدالعال أحمد عبدالعال. ج٣.

واستجابةٌ لهمزات الشياطين، وتعطيل للقوى الإنسانية، وتكاسل عن الإنجازات الفردية والجماعية.

فالحديثُ من التوجيهات النبوية الرشيدة، والدروس الاجتماعية السديدة، ولذا قال: عبدالله بن الزبير، المجالسُ حِلَقُ الشيطان إن يروا حقاً لا يقومون به، وإن يروا باطلاً لا يدفعونه.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي، والبناء اللغوي في هذا البيان النبوي الذي يرشد كل أفراد الأمة إلى جمال السلوك، وحُسْن التصرف، ومراعاة حقوق الآخرين، والأخذ على يد اللاهين والعابثين؛ واتساقاً للمبني مع المعنى يبدأ المصطفى ﷺ الحديث بأسلوب التحذير، وهو من أساليب اللغة التي تأتي في سياق التنبيه على أمر مكروه لاجتنابه والابتعاد عنه، فالصيغة اللغوية تتفق مع الدلالة والفكرة النابعة من توجيهات المصطفى ﷺ حيث يقول: "إياكم والجلوس في الطرقات".

وهذه الصيغة اللغوية أدق في توصيل المعنى من أي صيغة أخرى مثل أن يقال: لا تجلسوا في الطرقات، والخطاب هنا للصحابة وللجماعة المسلمة كلها في أي زمان وفي أي مكان. ومجئ الضمير منفصلاً وهو معمول لفعل محذوف تقديره احذروا تلاقي أنفسكم والجلوس على الطرقات.

والحوار من وسائل الجدال بالتي هي أحسن وهو من سمات البيان النبوي حيث يعلّم الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن طريق الحوار والسؤال والجواب حتى يستجيب الناس وهم على بصيرة من أمرهم، وفقه في دينهم، واطمئنان لسلوكهم، ومن خلال الحوار تبين للصحابة أن النهى هنا والتحذير ليس على جهة التحريم، وإنما هو للتنزيه، ولذلك حينما قال الصحابة ما لنا بدٌّ: إنما هي مجالسنا نتحدَّث فيها، سمح لهم رسول الله ﷺ بشرط أن يعطوا الطريق حقها، وهذا السماح تحصنه الصياغة اللغوية حيث تجمع بين أسلوبين لغويين هما أسلوب الاستثناء وأسلوب الشرط، وفي ذلك إيحاء بأن الأمر ليس هيناً، وأن هذا السماح محفوف بالمكاره، ومقيد بالشروط التي يجب

تَنْفيذها، "فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه"، أي إذا امتنعتم عن الجلوس إلا في مجالس الطريق ... إلخ، وما أجمل هذه السلوكيات التي يأمر بها رسول الله، وينهى عن سلوكيات أخرى غير جميلة "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر"، وهذه الجمل يوشيها التناسق والتوازن في بنائها اللغوي، فهي كلها مصادر مضافة إلى ما بعدها، وكأن هذا التناسق صورة لتوازن سلوك المؤمن، وتناسق أفعاله، والعدول عن صيغ الأمر في هذه الخصال التي هي حق الطريق إلى صيغة المصدر وهي: غض، وكف، ورد، والأمر، والنهى، إيحاء بأن هذه السلوكيات من ينابيع شخصية المسلم، ومن مصادر شخصيته المتوازنة.

فقه الحديث

إن أمر المسلم كله ينبغي أن يكون مبنياً على فعل الخير وحب الخير للغير والبعد عما يغضب الله عز وجل، والطريق جعلت لمصالح الناس فلا ينبغي لأحد أن يتخذها مجالس للاطلاع على العيوب، وتتبع العورات، واغتياب الناس.

فإن أبى البعض إلا أن يجلس على الطريق فليعط الطريق حقها من غض البصر وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يبعد أذاه عن الطريق.

وقد اهتم الفقهاء[1] بالأحكام المتعلقة بالطريق فقالوا بحرمة البول على الطرق التي يمر بها الناس، وكذا نهوا عن حفر الآبار أو إنشاء الأشرعةُ التي تضر بالمارة ومن فعل ذلك كان عليه إزالة ما فعل، وإن تضرر أحد من فعله كان عليه الضمان، وغير ذلك من أحكام. ولقد اهتم بذلك باب الصلح في الفقه الإسلامي.

---

(١) انظر في ذلك مثلاً: المبسوط، السرخسي ٢٠٠/٢٣، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٧/٥، والمدونة لمالك ٦٦٥/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٧/١، ٣٤٥، وأحكام القرآن، ابن العربي ٢٦١/٤، والأم للشافعي ٣٠٦/٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٢/٢، والأحكام السلطانية للماوردي ص ٣١١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٢٩/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٠٣/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التحذير، والسؤال والجواب.

ثانياً: من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم.

ثالثاً: من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الطريق.

أولاً- من أساليب الدعوة: التحذير، والسؤال والجواب:

١- **التحذير:** لقد ورد التحذير في قول النبي ﷺ: إياكم والجلوس، وهي صيغة وأسلوب تحذير، ومما هو معلوم أن التحذير أسلوب دعوي يستخدمه الداعية، لبيان خطورة أمر من الأمور حتى يتنبه المدعو، وينتهي عن إتيان ما حُذر منه، ويستخدم هذا ويعرف خطورة المحذر منه، قال ابن عثيمين: (هذه الصيغة صيغة تحذير يعني: أحذركم من الجلوس على الطرقات، وذلك؛ لأن الجلوس على الطرقات يؤدي إلى كشف العورات، وربما يفضي إلى الكلام والغيبة فيمن يمر، ولذا حذرهم من الجلوس)[1].

٢- **السؤال والجواب:** لقد وردت تلك الصيغة في هذا الحديث في سؤال الصحابة رضي الله عنهم: "وما حق الطريق؟" ويعتبر أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة إذ يعين المدعو على فهم المقصود والمراد، وهو كذلك يدلل على تفاعل المدعو مع الداعية والسؤال في الشرع محمود، ويُعد من المؤشرات الإيجابية التي تبرهن على مدى استعداد المدعو للاستفادة من الداعية، طالما كان السؤال مشروعاً، والمدعو ليس لديه عناد أو مكابرة أو هوى. ولهذه الوسيلة قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لسبب أو أكثر[2].

ثانياً- من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم:

إن الداعية يجب أن يكون حريصاً على المدعوين، وعلى تقديم النفع لهم، ودفع ما

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٥٠٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٥٨ بتصرف.

يضرّ بهم، وفي الحديث ما يؤكد على اهتمام النبي ﷺ بالمدعوين؛ لأنه لما رأى أن في الجلوس في الطرقات قد تحدث مفاسد شرعية حذر المدعوين من هذا الضرر ونهاهم عن الجلوس، ولما بينوا أنهم لا يستطيعون تركها أرشدهم إلى حق الطريق، قال ابن علان: (وقوله: إياكم تحذير والنهي للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، وفي قوله فأعطوا الطريق حقه إشارة إلى تأكيد تلك الأمور والاهتمام بها)[1]. لما فيها من آداب يجب أداءُها من غض للبصر وامتناع عن أذى المارة وإكرام المارة برد السلام وأمر بمعروف ونهي عن منكر.

ولقد كان دَيْدَنُ أنبياء الله تحذير أقوامهم من عواقب الأمور فجاء على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾[2] وجاء على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾[3] وهكذا يجب أن يكون حال الداعية دائماً يحذر المدعوين مما يضرهم، ويشفق عليهم من المعاصي ومن عقوبتها.

ثالثاً- من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه:

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ حريصين على معرفة أمور دينهم والعمل بما يعلمونه، ولذلك يجب على المسؤول أن يتسع صدره للأسئلة والإجابة عليها وللمناقشة البناءة المنصفة، لأن السائل يريد اكتساب المعرفة وفهم ما عليه[4]. ولذا فإنه لما أمرهم النبي ﷺ بأن يعطوا الطريق حقه قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله" وهذا مما يجب على المدعو أن يسأل عما يجهل من أمور الشرع وقد أمر الله بذلك في القرآن، قال

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ٣٥١.

(٢) سورة هود، آية: ٦٤.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤.

(٤) فقه الدعوة إلى الله ٤٨، ٥٨.

تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١] ومن المواقف التي أنكر فيها الرسول ﷺ عدم السؤال ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي ﷺ أُخْبِر بذلك فقال: ((قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال))[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الطريق:

لقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث حقوق الطريق فقال: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر). وهذه الحقوق لها شواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية.

١- غض البصر: وقد جاء الأمر به في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٣] وحذر النبي من إطلاق النظر فقال لعلي رضي الله عنه ((لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة))[٤].

٢- كف الأذى: حيث قال رسول الله ﷺ ((الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله))[٥]. ولما قال أبو برزة يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به قال: ((أمط الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ))[٦].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) سورة النور، آية: ٣٠، ٣١.

(٤) أخرجه أبو داود ٢١٤٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٨٨١).

(٥) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦١٨.

٣- رد السلام: وقد جاء توجيه القرآن في ذلك ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[١] وجعل الرسول الكريم رد السلام من حقوق المسلم ففي الحديث حق المسلم على المسلم خمس: ((ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[٢].

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد جاء الأمر به في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣] وذم تاركيه فقال جلّ شأنه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٤] ووجه النبي ﷺ أمته إلى الالتزام به فقال: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[٥].

قال النووي معلقاً على هذه الحقوق: (هذا الحديث كثير الفوائد وهو من الأحاديث الجامعة وأحكامه ظاهرة، وينبغي أن يجتنب الجلوس في الطرقات لهذا الحديث، ويدخل في كف الأذى اجتناب الغيبة وسوء الظن، وإحقار بعض المارين وتضييق الطريق وكذا إذا كان القاعدون ممن يهابهم المارون أو يخافون منهم ويمتنعون من المرور في أشغالهم بسبب ذلك لكونهم لا يجدون طريقاً إلا ذلك الموضع)[٦].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٧٨، ٧٩.

(٥) أخرجه مسلم ٤٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣٧.

الحديث رقم (١٩١)

١٩١- الثَّامنُ: عن ابن عباس رضي الله عنهما أَن رسولَ اللَّه ﷺ رأى خَاتماً مِنْ ذَهَبٍ في يَد رَجُلٍ[١]، فَنَزعَهُ فطَرحَهُ وقَال: «**يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيجْعلهَا في يَدِهِ**» فَقِيل لِلرَّجُل بَعْدَ مَا ذَهَبَ رسولُ اللَّه ﷺ: خُذْ خَاتمَكَ، انتَفعْ بِهِ. قَالَ: لا واللَّه لا آخُذُهُ أَبَداً، وقَدْ طَرحهُ رسول اللَّه ﷺ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فطرحه: أي ألقاهُ[٣].

الجمرة: القطعة الملتهبة من النار[٤].

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا الدَّرْس الواقعي النبيل، وما أجمل هذا التوجيه النبوي الجليل، ومن يَقْدرُ على تغيير المنكر باليد غير مَنْ لا ينطق عن الهوى، ومَنْ أكثر إقناعاً من رسول الله ﷺ.

ومن أشدّ صرامةً من رسول الله في إقامة الحدود، وإقرار الحقوق، وإزالة المنكرات، وإطفاء الشبهات، وهذا الحديث لا يشرق فيه الحوار بين رسول الله والذين معه في هذا الحدث المخالف.

لأن ما رآه المصطفى المختار، لا يناسبه الحوار ولا يجدى معه الاختبار، فلبس الذهب حرام على الرجال: حلال للنساء، وكما قال العلماء: "لا اجتهاد مع النص".

---

(١) عن الدمياطي، أنه طلحة بن عبيد الله. تنبيه المعلم (٨٧٥).

(٢) برقم (٢٠٩٠/٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٥٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٣٤.

ولذلك يبدأ الحديث بالفعل "رأى" أي شاهد وتحقق، ولم يقل سمع أو علم، وإنما لا بد من التبين والتثبيت، ويؤيد ذلك نص الحديث السابق، من رأى منكم منكراً... الحديث، فالظن ليس معياراً للحكم وتحديد الخاتم بأنه من ذهب في يد رجل لتحديد علة التحريم وسبب الحكم، فالنهى ليس عن لبس الخاتم، وإنما النهى عن نوعية الخاتم، ولذلك حدد الذهب، لأنه حرام، إذا جَعَلَه الرجل زينة له، والصياغة اللغوية تفصح عن سرعة تغيير الرسول ﷺ لهذا المنكر: حيث جاء العطف بالفاء مرتين في قول الراوي، "فنزعه فطرحه"، ولم يترك الرسول ﷺ للرجل مساحة من الاختيار أو الاستجابة، ولم يقل: "انزعه"، لأنَّ الأمر حدوث للفعل في المستقبل، ويمكن للرجل أن لا يستجيب أو يتلكأ في تنفيذ الأمر، ولنتأمل كيف جاء اعتراض الرسول على هذا السلوك الذي لا يليق بالرجال، ولا يُنبئ عن الكمال والجمال، إن الرسول ﷺ، لم يردف قيامه بنزع الخاتم وطرْحه بالأوامر والنواهي، ولكنْه عمد إلى توصيف الحدث والتنفير منه في إطار مغلف بالتعريض والسخرية والترهيب، والتصوير الأدبي الدقيق: فالخاتمُ جمرةٌ من نارٍ يعْمَد بعض الناس إلى جعلها في يده، وليس هناك أبلغ من هذه الصورة في نقل الإحساس بفداحة الجرمُ، ولذْع الإحساس بالذنب، وهل هناك من يستطيع تحمل وضْعِ جَمْرةٍ من نار في يده، واكتفى المصطفى ﷺ بهذه الصورة ليتعظ كل من تراوده نفسه وتدفعه إلى ارتكاب مثل هذه الحماقات المترفة، وقيل: هذا الكلام على الحقيقة حيث قالوا: بأن هذا الخاتم نار في الآخرة، وقيل: إنه محمول على المجاز: أي يئول بلابسه لعظم إثمه على أن يجعل النار في محله، لأن الجزاء يكون على قدر الذنب، وحسبه، والتعبير بقوله: "فيجعلها في يده" المراد به في أصبعه.

وفيه مجاز مرسل حيث أطلق الكل وأراد الجزء؛ وبناء الفعل للمجهول في قوله. "فقيل للرجل" لأن الأهم هو الحكم الصحيح في هذه المسألة، والمقول له يمكن أن يكون أنموذجاً لكل من يقدم على مثل هذا السلوك، وتكرر فعل الأمر مرتين في قولهم: "خذ خاتمك: انتفع به" للدلالة على أن النهى ليس عن الخاتم بعينه، ولكن النهى عن لبس الرجال للذهب، ولكن يمكن الانتفاع به، وبملايين الخواتم التي يعطل الناس

قيمتها الاقتصادية والاستثمارية، وتظل مجمدة في أيديهم، ودورتها الاقتصادية معطلة، ويمكن أن تعود هذه القيمة بالنفع على الفقراء، وعلى الدولة في كل مرافقها، وهذه قيمة حضارية يعلي من شأنها الإسلام، وختام الحديث يفصح عن حرص الصحابي على التأسي بأمر رسول الله ﷺ وهذه مبالغة في امتثال أمر النبي ﷺ ومن حق المسلم الانتفاع بالذهب في كل آفاق حياته العامة التي ينتفع بها جميع الناس إلا ما ورد النهي عن الانتفاع به فيه فليس له أن يبرر الانتفاع به.

فقه الحديث

يبين هذا الحديث حكم لبس الذهب بالنسبة للرجال وهو حديث صريح في الحرمة هنا وقد أجمع الفقهاء على حرمة ذلك على الرجال[١]، لكن:

-نقل ابن حجر قولٌ: بأنه مكروه للرجال كراهة تنزيهية، لكن قال بأن هذا القول انقرض واستقر الإجماع بعده على التحريم[٢].

-قال أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم بالإباحة! لكن هذا القول "شاذ" أو أنه لم يصله إخبار السنة بالحرمة؛ لأن الناس مجمعون بعده على خلاف قوله وهذا القول ذكره ابن حجر في الفتح[٣].

-أما عن جواز اتخاذ فص ذهب في الخاتم: جمهور الفقهاء على أنه يحرم من جملة تحريم الذهب اتخاذ فص ذهب، لكن ما نقل عن أحمد والحنفية في جواز ذلك ظاهره الجواز لكنه خطأ؛ لأنهم قالوا بالجواز في الجواهر الثمينة وليس الذهب[٤] والحنفية قالوا ليس الذهب الخالص بل المخلوط بغيره كالطرز [٥].

- أما النساء فيحل لهن التختم بالذهب ولبس الحرير.

---

(١) الإجماع لابن عبدالبر ص ٣٥٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣١٧/١٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥١/١، والفروع، ابن مفلح ٤٦٧/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي الرحباني ٩٤/٢.

(٥) الإجماع، ابن عبدالبر ص ٣٥٣، والعناية شرح الهداية ٢٤/١٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: الانتباه إلى أحوال المدعوين.

ثانياً: من مهام الداعية: إنكار المنكر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تغيير المنكر باليد.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: تحريم خاتم الذهب على الرجال.

خامساً: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي ﷺ.

سادساً: من أساليب الدعوة: بيان الحكمة والترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: الانتباه إلى أحوال المدعوين:

كما أن المدعوين تكون أعينهم معلقة بالداعية تراقب أحواله وتصرفاته وشؤونه، فإن على الداعية من ناحية أخرى أن يكون منتبهاً غير غافل عن أحوال المدعوين، ذلك ليقوّم ما يحتاج إلى تقويم ويقرّ ما هو صحيح وصواب، ويفعل كما فعل النبي ﷺ في هذا الحديث وغيره، فعندما رأى النبي ﷺ الرجل يلبس خاتماً من ذهب، فنزعه منه وألقاه، لذا كان على الداعية أن ينتبه إلى أحوال المدعوين حتى يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد كان النبي ﷺ يعرف ما يصلح المدعوين ويهديهم إلى طريق الحق والرشاد، ومن المواقف ذات الدلالة البليغة على ذلك ما رواه سلمان الفارسي رضي الله عنه في قصة إسلامه الطويلة، وفيها: ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قال: وقد تبع جنازة من أصحابه، عليه شملتان[1] له، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف إني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم، فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلت،

---

(١) الشملة: شُقّة من الثياب ذات خَمْل يتوشح بها ويتلفع، وكساء من صوف أو شعر يتغطى به ويلتف به. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ل).

فقصصت عليه حديثي، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه)[١].

ومن أبلغ الأدلة على انتباه الداعية لأحوال المدعوين ما روته صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفاً. فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً. فَحَدَّثْتُهُ. ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ. فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي. وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((عَلَى رِسْلِكُمَا. إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ)) فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ. وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا)) أَوْ قَالَ: ((شَيْئاً))[٢].

قال النووي: (الحديث فيه فوائد منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٣]، فخاف ﷺ أن يلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكان، فإن ظنّ السَوْء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم، وفيه أن من ظن شيئاً من نحو هذا بالنبي ﷺ كفر)[٤].

ثانياً- من مهام الداعية: إنكار المنكر:

على الداعية أن يبادر إلى إنكار المنكر، فقد نزع النبي ﷺ خاتم الذهب من يد الرجل وألقاه، وهذا ما فعله النبي ﷺ فكان ذلك منه ﷺ إنكاراً لهذا المنكر.

وقد قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٥]، أي: ولتكن منكم -أيها المؤمنون- جماعة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وهو الدعوة إلى الإسلام وشرائعه وتنهى عن المنكر، وهو كل ما

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٣/٥ رقم ٢٣٧٣٧، وقال محققوه: إسناده حسن ا. هـ. وقد ذكروا من أخرجه من المحدثين فلينظر هناك ١٤٦/٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ومسلم ٢١٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٦١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

خالف هدي النبي ﷺ وأولئك هم الفائزون بجنات النعيم"[١]، وقد قال النبي ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قالوا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٢].

قال النووي: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم... وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص)[٣].

وإن إنكار المنكر هو الذي يحفظ على المجتمع قيمه وأخلاقه ومبادئه السليمة الصحيحة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تغيير المنكر باليد:

إن المنكر يجب أن يغير ويزال، وما دام في الإمكان تغييره باليد فإنه يغير بشرط ألا يترتب على ذلك مفسدة أكبر منه، وهذا واضح من الحديث، فقد نزع النبي ﷺ خاتم الذهب من يد الرجل، قال النووي: (فيه إزالة المنكر باليد لمن قدر عليها)[٤].

وقال ابن هبيرة: (فيه دليل على أن من رأى منكراً في يد شخص جاز له نزع المنكر من يده، وإنما استجاز طرحه من مكان لا يعدم ملتقطاً ينتفع به، إذا لو كان رميه إياه في مضيعة لا يراه آدمي أو في بحر لا يمكن استخلاصه لم يجز لأنه مال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال)[٥].

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٢.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٢/٣. أما نهي النبي ﷺ عن إضاعة المال، فأخرج البخاري ٥٩٧٥، ومسلم ٥٩٣ من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعاً: (إنّ اللهَ حرّم عليكم عُقوقَ الأُمّهاتِ، ووَأْدَ البناتِ، ومَنَعَ وهات. وكرِهَ لكم قيلَ وقال، وكَثْرَةَ السّؤالِ، وإضاعةَ المالِ).

وقد جاءت النصوص بإنكار المنكر باليد لمن قدر على ذلك.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[1].

(أي: وتا الله لأمكرن بأصنامكم وأكسرها بعد أن تتولوا عنها ذاهبين، فحطم إبراهيم الأصنام وجعلها قطعاً صغيرة وترك كبيرها كي يرجع القوم إليه ويسألوه فيتبين عجزهم وضلالهم وتقوم الحجة عليهم)[2].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمِرْبَدِ[3] فَخَرَجْتُ مَعَهُ فَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَتَأَخَّرْتُ لَهُ فَكَانَ عَنْ يَمِينِهِ وَكُنْتُ عَنْ يَسَارِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ فَتَنَحَّيْتُ لَهُ فَكَانَ عَنْ يَسَارِهِ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِرْبَدَ فَإِذَا بِأَزْقَاقٍ[4] عَلَى الْمِرْبَدِ فِيهَا خَمْرٌ - قَالَ ابْنُ عُمَرَ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْمُدْيَةِ[5] قَالَ وَمَا عَرَفْتُ الْمُدْيَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ - فَأَمَرَ بِالزِّقَاقِ فَشُقَّتْ ثُمَّ قَالَ: لُعِنَتِ الْخَمْرُ وَشَارِبُهَا وَسَاقِيهَا وَبَائِعُهَا وَمُبْتَاعُهَا وَحَامِلُهَا وَالْمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ وَعَاصِرُهَا وَمُعْتَصِرُهَا وَآكِلُ ثَمَنِهَا))[6].

فعلى من يقدر على تغيير المنكر باليد أن يبادر إلى ذلك بشرط ألا يؤدي تغييره المنكر إلى ارتكاب منكر أشد.

قال ابن عثيمين: (معلوم أن هناك فرقاً بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين تغيير المنكر، لأن تغيير المنكر يكون من ذي سلطة قادر، مثل الأمير ومن جعل له

---

(١) سورة الأنبياء: الآيتان: ٥٧ - ٥٨.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٣) الْمِرْبَد: قال السندي: بكسر ميم وفتح باء، موضع يجعل فيه التمر لينشف، ومربد الغنم: موضع على ميلين من المدينة، حاشية السندي على مسند أحمد ٢٨٩/٩ - ٢٩٠.

(٤) بِأَزْقَاقٍ: جمع زق - بكسر فتشديد: السقاء. حاشية السندي.

(٥) الْمُدْيَةِ: بالضم والكسر، وقيل: بتثليث الميم. هي السكين، حاشية السندي.

(٦) أخرجه أحمد ٧/٢ رقم ٥٣٩٠ وقال محققوه: حديث حسن والمرفوع منه صحيح بطرقه وشواهده ٢١٨/٩.

تغييره، ومثل الرجل في أهل بيته، والمرأة في بيتها وما أشبه ذلك، فهذا له السلطة أن يغير بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، أما الأمر فهو واجب بكل حال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب بكل حال، لأنه ليس فيه تغيير، بل فيه أمر بالخير ونهي عن الشر، وفيه أيضاً دعوة إلى الخير والمعروف وإلى ترك المنكر)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: تحريم خاتم الذهب على الرجال:

إن لبس الذهب حرام على الرجال، وذلك لأن النبي ﷺ قد نزع خاتم الذهب من يد الرجل وطرحه، وقال: "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار..." قال النووي: (فيه تصريح بأن النهي عن خاتم الذهب للتحريم)[٢].

وقال ابن هبيرة: (في هذاالحديث من الفقه: تحريم خاتم الذهب)[٣].

وقد جاءت أحاديث كثيرة بتحريم لبس الذهب على الذكور، من ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ أخَذَ حَرِيراً فَجَعَلَهُ في يَمِينِهِ ، وَأخَذَ ذَهَباً فَجَعَلَهُ في شِمَالِهِ، ثُمَّ قال: إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي))[٤].

قال النووي: (أجمع المسلمون على إباحة خاتم الذهب للنساء، وأجمعوا على تحريمه على الرجال...)[٥].

والمسلم أمام الأحكام الشرعية يسلّم بها ويمتثل ويذعن لها ويخضع سواء علم الحكمة من ورائها أو لم يعلم، فهناك نوع من الأحكام الشرعية يطلق عليها التعبديات وهي -كما جاء في الموسوعة الفقهية-: (الأحكام الشرعية التي لا يظهر للعباد في تشريعها حكمة غير مجرد التعبد، أي التكليف بها، لاختبار عبودية العبد، فإن أطاع

---

(١) شرح رياض الصالحين ٥٠٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٢/٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٢٢).

(٥) الإجماع لابن عبدالبر ص ٣٥٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٩/١٠ - ٣٣٠.

أثيب وإن عصى عوقب، والمراد بالحكمة هنا: مصلحة العبد من المحافظة على نفسه أو عرضه أو دينه أو ماله أو عقله. أما مصلحته الأخروية -من دخول جنة الله تعالى والخلاص من عذابه- فهي ملازمة لتلبية كل أمر أو نهي، تعبدياً كان أو غيره... هذا وقد اختلف الفقهاء في أن التعبديات شرعت لنا لحكمة يعلمها الله تعالى وخفيت علينا، أو أنها شرعت لا لحكمة أصلاً غير مجرد تعبد الله للعباد واستدعائه الامتثال منهم، اختباراً لطاعة العبد لمجرد الأمر والنهي من غير أن يعرف وجه المصلحة فيما يعمل، بمنزلة سيد أراد أن يختبر عبيده وأيهم أطوع له، فأمرهم بالتسابق إلى لمس حجر، أو الالتفات يميناً أو يساراً مما لا مصلحة فيه غير مجرد الطاعة، قال ابن عابدين نقلاً عن الحلية: أكثر العلماء على القول الأول، وهو المتجه بدلالة استقراء تكاليف الله تعالى على كونها جالبة للمصالح وارثة للمفاسد)[1].

خامساً- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي ﷺ:

إنما بعث الله محمداً ﷺ ليطاع، فمن أطاعه فاز ومن عصاه خسر، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على امتثال أوامر النبي ﷺ، ذلك واضح في قول الراوي: فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ".

قال النووي: (فيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله ﷺ واجتناب نهيه وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة)[2].

قال ابن عثيمين: (من فوائد هذا الحديث أيضاً: بيان كمال صدق الصحابة رضي الله عنهم في إيمانهم، فإن هذا الرجل لما قيل له: خُذ خاتمك انتفع به، قال: لا آخذ خاتماً طرحه النبي ﷺ، وذلك من كمال إيمانه رضي الله عنه، ولو كان ضعيف الإيمان لأخذه وانتفع به، ببيع أو إعطائه أهله أو ما أشبه ذلك)[3].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢/٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٥٠٧.

وقد وردت أحاديث وآثار كثيرة تبين امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأوامر النبي ﷺ، من ذلك ما حدث في غزوة الأحزاب، فقد أمر النبي ﷺ حذيفة رضي الله عنه أن يأتيه بخبر المشركين، فقال: ((اذْهَبْ. فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ))[١]، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[٢]، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ. فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ[٣]، فَوَضَعْتُ سَهْماً فِي كَبِدِ الْقَوْسِ[٤]، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللّهِ: ((وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ)) وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ. فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ[٥]. فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللّهِ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا[٦].

وعن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهم قال: (كان للعباس رضي الله عنه ميزاب على طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبح للعباس فرخان، فلما وافى الميزاب صبّ ماء بدم الفرخين، فأصاب عمر، وفيه دم الفرخين، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه، ثم جاء فصلّى بالناس، فأتاه العباس، فقال: والله إنه للموضع الذي وضعه النبي ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس رضي الله عنه)[٧].

---

(١) أي: لا تفزعهم علي ولا تحركهم عليّ، والمراد: لا تحركهم عليك فإنهم إن أخذوك كان ذلك ضرراً عليّ لأنك رسولي وصاحبي، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٧.

(٢) أي: لم يجد البرد الذي يجده الناس، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٧.

(٣) أي: يدفئه ويدنيه منها، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٧.

(٤) مقبضها، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٧.

(٥) هو بضم القاف وكسر الراء، أي: بردت، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٨.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٧) أخرجه أحمد ١/٢١٠ رقم ١٧٨٩، وقال محققو المسند: حسن ٣/٣٠٩.

سادساً- من أساليب الدعوة: بيان الحكمة والترهيب:

أما بيان الحكمة فواضح من قول النبي ﷺ: "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار..." فقد بين النبي ﷺ سبب نزع الخاتم من الذهب وإلقائه وطرحه، وهذا البيان يثبت في النفوس الحكمة ويجعلها تزداد اقتناعاً به على اقتناع وامتثالاً على امتثال، وأما الترهيب فوصف خاتم الذهب بأنه جمرة من نار، فبين ﷺ عاقبة التختم بالذهب والجزاء على ذلك، وفي هذا تخويف لمن فعل فيقلع ويكف، ولمن لم يفعل فيمتثل ويبتعد ولا يقدم على ذلك.

الحديث رقم (١٩٢)

١٩٢- **التَّاسِعُ:** عَنْ أَبِي سعيدٍ الْحسنِ البصْرِي أَنَّ عَائِذَ بن عمْرٍو رضي الله عنه دخَلَ علَى عُبَيْدِ اللَّهِ بن زيَادٍ فَقَالَ: أَيْ بنيَّ، إِنِّي سمِعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقولُ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعاءِ الْحُطَمَةُ**» فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ، فَإِنَّمَا أَنت مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال: وهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ؟ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيرِهِمْ، رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عائذ بن عمرو: وهو عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني، يكنى أبا هُبيرة البصري.

له صحبة، روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر الصديق، روى له الثلاثة، البخاري ومسلم والنسائي، له في البخاري حديث موقوف عليه وفي مسلم حديثان، شاركهما عنه النسائي، شهد بيعة الرضوان، وجاهد مع رسول الله ﷺ أصيب يوم خيبر، فدعا له رسول الله ﷺ وشفي ببركة رسول الله ﷺ فعنه أنه قال ((أصابتني رمية وأنا أقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم خيبر في وجهي فسالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري إلى ثَندُوتَيَّ[2] دعا لي، قال الراوي: فكان عائذ يخبرنا بذلك، فلما هلك غسلناه، نظرنا إلى ما كان يَصِفُ لنا من أثر يد رسول الله ﷺ إلى مُنتهى ما كان يقول لنا من صدره، فإذا غُرَّةٌ سائلةٌ كغُرة الفرس))[3].

وكان رضي الله عنه من صالحي الصحابة، بالغ الكرم والعطاء فذُكر أنه زوَّج في غَدَاةٍ واحدة أربعين رجلاً من مُزَينة - قومه- كل امرأة على ألف، كما كان بعيداً كل البعد عن إيذاء غيره فذكر ابن حجر أنه كان لا يُخرج من داره ماءً إلى طريقٍ من ماء

---

(١) برقم (١٨٣٠/٢٣).

(٢) الثَّندُوتان للرجل كالثديين للمرأة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ن د).

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي (٤١٢/٩)؟.

سماءٍ ولا غيره، فرؤى له أنه في الجنة فقيل بم؟ قال: بكفه أذاه عن المسلمين، وكان قد سئل عن ذلك في حياته فقال: لأن أصب طستي في حجرتي أحب إليّ من أن أصبه في طريق المسلمين، وكان قد سكن البصرة، وابتنى بها، ومات بها وقبره في البصرة معروف، مات سنة (٦١) في إمارة عبيدالله بن زياد أيام يزيد بن معاوية، وصلى عليه (أبو بَرْزة الأسلميُّ) وكان قد أوصى بذلك لئلا يصلى عليه عبدالله بن زياد[١].

غريب الألفاظ:

الرعاء: جمع راعٍ[٢].

الحُطُمة: أي العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها، بل يحطمها في ذلك وفي سقيها ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها[٣].

النخالة: ما بقي في الغربال بعد نَخْل الدقيق[٤]، والمراد: لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم[٥].

ومن فقه الترجمة: أن الزواج الجماعي على نفقة الغير أمر عرفه الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم عائذ بن عمرو.

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٨٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٤٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٥٠، ٦٥١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٢/٤، ٤٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٧٥/٢)، والسندي (٢٤٠/٣٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١١١٨/٢، ١١١٩).

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ع ي).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن خ ل).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٦.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يقدمه: الحسن البصري في سياق مواعظه التي يسوقها للحكام والولاة، حتى يستجيبوا لأمر المصطفى ﷺ في وجوب تغيير المنكر. وهم قادرون على ذلك، وفي الوقت ذاته لابد أن يكون الرِّفق منهجاً لهم، وإذا لم يستجيبوا لذلك فهم شر الرعاء.

وهذا المضمون الذي يقدمه الحسن البصري يسوقه في ظل هذه الرواية الواقعية أشخاصاً وأقوالاً، والحسن البصري من التابعين الذين أنعم الله عليهم برؤية كثير من الصحابة، ومَنّ الله عليه بشرف الرضاعة من أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث كانت أمه مولاة لأم سلمة، وفصاحته وتقواه تفيضان من هذا المنبع الطهور، ويقر الحسن البصري، بأنه تلقى علمه الذي لم يعهد الناس، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهذه الموعظة التي تتوهجُ في أفق هذا الحديث الشريف يؤطرها الحوار الجاد الصادق بين عبيدالله بن زياد، وعائذ بن عمرو وهو من صالحي الصحابة، واتسم بالورع والزهد، والصدق والإخلاص في النصيحة، ومعيار هذا الإخلاص وذلك الصدق أنه خاطب عبيدالله بن زياد بقوله: أي بُني: وهو والي البصرة، واختيار النداء "أي" يدل على حرص عائذ بن عمرو، على استمالة قلب هذا الوالي واستجابته للموعظة، والتعبير بقوله "بُني"، يفْصح عن عدم خوف عائذ، ولا رهبته، وكذلك ينبئ عن ابتعاده عن ممالأة هذا الوالي ونفاقه، وكان كثير من العلماء يتوجه بالنصح إلى الولاة والخلفاء ومنهم الحسن البصري، وسعيد بن المسيب وغيرهم، وعبيدالله بن زياد كان قاسياً وشديداً في ولايته، تأسياً واقتداء بأبيه زياد بن أبيه، صاحب "خطبة البتراء" التي هدد بها أهل البصرة في بدء ولايته.

واتباعاً للقاعدة البلاغية التي تقول: "لكل مقام مقال" تأتي موعظة عائذ لابن زياد حيث يذكّره بقول رسول الله ﷺ: إن شر الرعاء الحطمة، ثم يقول: "فإياك أن تكون منهم"، والنداء في أول كلامه يرشد إلى ضرورة الاهتمام والانتباه، والتأكيد في قوله: "إني سمعت"، يفصح عن جدية الأمر وخطورته، وتحديد الفعل بقوله: "سمعت"

لمزيد من الإصغاء لأنه سمع هذه الموعظة من رسول الله مباشرة، ولم ينقلها عن راوٍ، فالخبر مثبتٌ يقيناً، وكلام رسول الله يبدأ بالتأكيد "إنَّ" ثم أفعل التفضيل "شر"، أى أكثر الولاة والرعاة، شروراً وفجوراً ولفظ "الحطمة"، في مبناه سر معناه. وفي صياغته سرُّ بلاغته، فالحطم في اللغة الكسر، والحطمة، السنة الشديدة القاحلة الجدباء، والحطمة: الشديدة من النيران، واسم لجهنَّم، أو باب لها، والحُطمة: الراعي الظلوم للماشية يهشم بعضها ببعض[1]. وهذه المعاني اللغوية تتلاقى مع صفات الوالي والراعي العنيف في رعيته: فهو لا يرفق في سوقها ومرعاها، بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره[2]. ويفعل ذلك مع أفراد الأمة ولا يحكم بينهم بالعدل ، ولا يرعى مصالحهم.

وأسلوب التحذير في قوله: "فإياك أن تكون منهم"، يتألق بالصدق والشجاعة في مواجهة هذا الوالي الذي استعلى على النصيحة ولم يصغ لذلك التحذير، واستهان بهذا الصحابي الجليل: وقال مستكبراً أجلس: فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ وهنا التعبير فيه استعارة حيث صور صغار الصحابة بقشور الدقيق ومنهم عائذ، فواجهه عائذ في حدَّة وصرامة واستفهام إنكاري وهو لا يخشى بأسه. وهل كانت لهم نخالة ؟ أى أن أصحاب محمد ﷺ كلهم كالنجوم في الهداية وليس فيهم قشور ولباب وإنما كلهم كرماء فضلاء يحب التآسي بهم، والاقتداء بأفعالهم.

ثم يختم عائذ بن عمرو هذا الحوار وتلك المواجهة بتعريض وسخرية من عبيد الله بن زياد، وكل من على شاكلته من الذين يسخرون من العلماء والوعاظ، ويتمادون فيسخرون من فريق من الصحابة، ويصوغ تعريضه وسخريته في أسلوب القصر، لمزيد من التأكيد والمواجهة، والحرص على الاحتفاظ بهيبة العلماء والناصحين المخلصين يقول الصحابي الجليل، عائذ بن عمرو. "إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم"، وكأنه يقول في تلميح دون تصريح، وعن طريق الإشارة لا العبارة، إنما أنت من النخالة

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي مادة: حطم.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ، ٣٥٤، ٣٥٥.

لأنك لم تشرف برؤية رسول الله ﷺ، ولم تتذوق حلاوة هذه الرؤية، ولم تنعم بشرف الصحبة، ولا بزاد التقوى والأحاديث والمجالس النبوية الشريفة.

والاستعارة من الملامح الفنية في الحديث النبوي ولقد أثبتت الصورة الاستعارية في الحديث النبوي جدارتها كما في الحديث وفي غيره، وحافظت على مقدرتها الفنية على مدى العصور وتملكت ناصية الفن الراقي، واستحوذت على إثارة بالغة للوجدان والخيالات، كما كانت شكلاً فنياً مناسباً لمقاصد الفكرة، فلا يترك إلى شكل آخر، واعتمدت على عنصر المشابهة، وبذلك تنزهت عن الخطل، وأصابت حافة التأثير.

والشكل الاستعاري في الحديث النبوي بصفة عامة غني بتكوينه ومهامه، لأنه يعتمد على المشاهدات، وتقريب المتباعدات تقريباً منطقياً لائقاً بالفكر الديني السامي وغاياته الرفيعة، وهو غني بكونه وسيلة تجسيم وتشخيص، وعامل تنبيه وتأثير، فضلاً عن تبليغ الفكرة كاملة واضحة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: نصح المدعو.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عاقبة الوالي الفظ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم على من بعدهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل والتوكيد والتحذير والاستفهام الاستنكاري والقصر.

أولاً- من مهام الداعية: نصح المدعو:

إن النصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد[٢]. لذا كان من المهام الأساسية للداعية القيام بالنصيحة للمدعوين، كما يتضح في هذا الحديث. فقد دخل عائذ بن عمرو رضي الله عنه على عبيدالله بن زياد والي البصرة وقد كان شديداً على رعيته[٣] وبلّغه حديث النبي ﷺ وحذره من أن يكون من هؤلاء الولاة القساة، لسوء

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد باسوف ص ٢٤٠

(٢) التعريفات، الجرجاني ٢٩٦.

(٣) انظر: الأعلام، الزركلي ١٩٣/٤.

عاقبتهم عند ربهم. فقام الصحابي بواجب النصح تجاه المدعو.

وهذه سمة الدعاة دائماً، نصحُ المدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾[1] وقال تعالى إخباراً عن هود عليه السلام: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[2].

وقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على النصح لكل مسلم، قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[3].

فبالنصح الذي فيه لين ورفق تُصلح أحوال المقصرين ويتوافر العلاج السريع لما يظهر من مخالفات شرعية. جاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب الفقهاء إلى أن النصيحة تجب للمسلمين، قال ابن حجر الهيتمي: يتأكد وجوبها لخاصة المسلمين وعامتهم، وقال الراغب الأصفهاني: عظّم النبي ﷺ أمر النصح، فقال: "الدين النصيحة"[4]. فبيّن ﷺ أن النصح واجب لكافة الناس بأن تتحرى مصلحتهم في جميع أمورهم. وقال المالكية: النصيحة فرض عين سواء طلبت أم لم تطلب إذا ظن الإفادة؛ لأنه من باب الأمر بالمعروف. ونقل النووي عن ابن بطال أن النصيحة فرض كفاية يجزيء فيه من قام به ويسقط عن الباقين[5]. وهي لازمة على قدر الحاجة أو الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه فإن خشي على نفسه أذىً فهو في سعة وقال غيرهم: إن ظاهر حديث "الدين النصيحة" وجوب النصح وإن علم أنه لا يفيد في المنصوح)[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٦٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧، ومسلم ٥٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٠/٣٢٥-٣٢٦.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عاقبة الوالي الفظ:

إن الوالي مع رعيته كالوالد مع أبنائه يقوم على مصالحهم ويرعى أمورهم بالرفق واللين، لذا كانت عاقبة الوالي الفظ الغليظ سيئة. هذا واضح من وصف النبي ﷺ بأنهم شرُّ الولاة، وتحذير عائذُ الصحابيُ رضي الله عنه عُبَيْدَ الله بن زياد من أن يكون منهم.

وقد أخبر الله تعالى عن سوء عاقبة الولاة المتجبرين، من ذلك ما أخبر عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1]. أي: (إن فرعون تكبر وطغى في الأرض وجعل أهلها طوائف متفرقة يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل يذبح أبناءهم ويستعبد نساءهم، إنه كان من المفسدين ونريد أن نتفضل على الذين استضعفهم فرعون في الأرض ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه ونجعلهم يرثون الأرض بعد هلاك فرعون وقومه)[2].

وقد قال النبي ﷺ: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به))[3]. قال النووي: (هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى)[4].

قال الصنعاني: (شق عليهم: أدخل عليهم المشقة أي: المضرة. والدعاء عليه منه ﷺ بالمشقة جزاء من جنس الفعل، وهو عام لمشقة الدنيا والآخرة)[5].

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٤-٥.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ص٣٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٤٠.

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٦٨.

وقال القاضي حسين المغربي: "ورواه أبو عوانة في صحيحه بلفظ: (ومن ولي منهم شيئاً فشق عليهم فعليه بهلة الله. فقالوا: يا رسول الله وما بهلة الله؟ قال: لعنة الله)، والحديث دليل على أنه يجب على الوالي تيسير الأمور على من وليهم والرفق بهم، ومعاملتهم بالعفو والصفح وإيثار الرخصة على العزيمة في حقهم، لئلا يدخل عليهم المشقة، وقد عدّ بعض العلماء مشقة الوالي على من وَلِيَه من الكبائر، وهو صريح حديث أبي عوانة، فإن اللعنة إنما تكون على من فعل الكبيرة"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فَضْلُ الصحابة رضي الله عنهم على من بعدهم:

الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون، وصفوة هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهذا واضح في هذا الحديث، وذلك في قول الصحابي: "وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" قال النووي: (وهذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذي ينقاد له كل مسلم، فإن الصحابة رضي الله عنهم كلهم هم صفوة الناس وسادات الأمة وأفضل من بعدهم وكلهم عدول قدوة لا نخالة فيهم، وإنما جاء التخليط ممن بعدهم، وفيمن بعدهم كانت النخالة)[٢].

وقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٣].

وقال ابن حجر: (والأحاديث الواردة في تفضيل الصحابة كثيرة)[٤] من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه))[٥]. قال النووي: (قال القاضي [أي عياض][٦]: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول "باب

---

(١) البدر التمام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام ٥/٢٨٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٦-١١٨٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧/٥٨٠.

فضائل الصحابة" عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة وضيق الحال، بخلاف غيرهم، ولأن إنفاقهم كان في نصرته ﷺ وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾[1] هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة والتودد والخشوع والتواضع والإيثار والجهاد في الله حق جهاده، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)[2].

فالصحابة رضوان الله عليهم خير القرون وهم القدوة لمن جاء بعدهم[3].

رابعاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل والتوكيد والتحذير والاستفهام الاستنكاري والقصر

أما ضرب المثل فقوله ﷺ: "إن شر الرعاء الحُطَمَة" قال ابن الأثير في تفسير الحُطَمَة: (هو العنيف برعاية الإبل في السَّوْق والإيراد والإصدار، ويُلْقِي بعضها على بعض ويعسفها، ضربه مثلاً لوالي السوء)[4].

وهذا المثل منتزع من بيئة المدعوين فيكون أبلغ في إيصال المعنى وتوضيحه. وقد ورد ضرب الأمثال في الأحاديث كثيراً، مثال ذلك قول النبي ﷺ: ((مَثَلي ومثَلُ ما بعثَني اللّه كمثل رجلٍ أتى قوماً فقال: رأيتُ الجيشَ بعَيني، وإني أنا النذيرُ العُريان، فالنجاءَ النجاء، فأطاعتهُ طائفة فأدلجوا على مَهلِهم فنَجَوا، وكذَّبتهُ طائفة فصبَّحَهمُ الجيش فاجْتاحَهم))[5].

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٦. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٢/١ - ٥٠٣.

(٣) وانظر: فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل ٢٤١هـ، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، والكتاب جزءان. وانظر: مقدمة المحقق.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢١٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

والتوكيد في قول النبي "إن شر الرعاء الحطمة" ليؤكد شر هؤلاء وسوء عاقبتهم. والتحذير: قول الصحابي: "فإياك أن تكون منهم". فهذا تحذير أفاد معرفة مدى ضرر المكروه المتوقع حصوله فيخاف من وقوعه خوفًا يدفعه إلى أخذ الحذر ومباشرة الأسباب لمنع وقوعه وتقليل الضرر[(١)].

والاستفهام الاستنكاري في قول الصحابي: "وهل كانت لهم نخالة؟" ليكون أبلغ في نفي النخالة عن الصحابة رضي الله عنهم[(٢)]. وهذا الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه كما يلقى إليه ليتمكن من فهمه ثم الإجابة عليه.

والقصر في قوله: "إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم" ليؤكد نفي أن يكون في الصحابة نخالة، فكلهم عدول قدوة.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٩٠، ٩١.

(٢) المرجع السابق ٤٤٦.

الحديث رقم (١٩٣)

١٩٣- **الْعاشرُ:** عَنْ حذيفةَ رضي الله عنه، أَنَّ النبي ﷺ قال: «**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالْمعرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّه أَنْ يَبْعثَ عَلَيْكمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجابُ لَكُمْ**» رواه الترمذيُّ[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٤).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقاً، حتى: كأن كلامه يأخذ بمجامع القلوب، ويجذب الأرواح.

ففصاحة لسانه كما يقول الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني: غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يداني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك؟ وقد جعل الله تعالى لسانه سيفاً من سيوفه، يبين مراده، ويدعو به إليه عباده، فهو ينطق بحُكمه عن أمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذِكْره، أفصح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهم إذا وعظ، لا يقول هجراً، ولا ينطق هذراً، كلامه كله يثمر علماً، ويمتثل شرعاً وحكماً، لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته، وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه، وأقام به الحجة على عباده ببيانه، وبيَّن مواضع فروضه وأوامره، ونواهيه وزواجره، ووعده ووعيده وإرشاده، أن يكون أحكم الخلق جناناً، وأفصحهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وفي ضوء هذه الظلال الحديثية، والقبسات النبوية، والإشعاعات المحمدية نقرأ جماليات الأسلوب في هذا الحديث الشريف ونتأمل ما يتوج به تراكيبه العجيبة، ودلالاته الرحيبة، فالمصطفى ﷺ ينذر هذه الأمة ويوقظها ويأمرها بالسعى إلى النجاة والفوز المبين، والطريق إلى ذلك

---

(١) برقم (٢١٦٩). قال المناوي في كشف المناهج (٣٥٧/٤): سنده جيدٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٠٩).

الفوز هو الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والإ فالهلاك هو المصير المحتوم، ولا يجدي الدعاء، ولا ينفع الرجاء.

ولأن الإنذار شديد، يبدأ الحديث بالقسم، وهو ذو صيغة خاصة لا تُقال إلا عند شدائد الأمور، حيث يقول المصطفى ﷺ "والذي نفسي بيده"، وقيل أتى بهذا القسم لتأكيد الأمر بعده، والقسم يسن لمثل ذلك، ثم يؤكد الرسول ما يريد تبليغه للناس وما يقسم عليه، والتأكيد يتضاعف حيث تجتمع لام الأمر مع نون التوكيد الثقيلة في جملتين متصلتين بواو العطف، للدلالة على أنه لا ترتيب ولا فواصل بين هذين الأمرين الواجبين "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر" فالاثنان متلازمان، ولا يجدي أحدهما في غياب الآخر.

والتكليف هنا جاء في صيغة الجمع للتدليل على أن المسؤولية جماعية، وعلى كل علماء الأمة وأفرادها وأمرائها أن يقوموا بهذا الواجب الشرعي: كل حسب طاقته وإمكاناته.

و"أو" عاطفة ولكنها للاختيار بين النجاة والهلاك، والفوز والخسران: فإما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو العذاب الشديد، والعقاب الأليم، والتعبير بقوله: "أو ليوشكن الله"، يوحي بإمهال الله للناس وإعطائهم فرصة للتوبة والرجوع والإنابة، والاستجابة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لأن الفعل "أوشك" من أفعال المقاربة، والمجيء به يعد تنبيهاً وإنذاراً قبل مجيء العذاب علهم يثوبون إلى رشدهم، وهو أبلغ وأنسب للمقام من أن يقال: "أو ليبعثن الله عليكم"، والتعبير بالفعل: "يبعث"، يؤكد هذا الإنذار، ويدعو لليقظة والتنبيه، ويزيده تأكيداً وإحساساً بالخطر، قوله: "عليكم" ولم يقل "لكم"، لأن التعبير بـ "عليكم"، يفصح عن العقاب والنذير الشديد، أما إليكم، فتفيد التبليغ والإرشاد بعيداً عن ظلال الخوف، وتنكير كلمة "عقاباً" للتهويل والتعظيم لأنه غير محدود ولا معروف، والتحديد بقوله: "منه"، يزيد الأمر حسمًا وقوة، لأن المعاقِبَ هو الله، والله شديد العقاب، وبناء الفعل للمجهول في

قولـه: "فـلا يُـسْتجاب لكـم"، لبيـان أن الله لا ينظـر إلى مثـل هـؤلاء، ولا يـزكيهم ولهم عذاب أليم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكـم الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر للحـاكم وغـيره، وقـد سـبق الكلام عنه تفصيلاً في الحديث رقم (١١٨).

الثـاني: حكـم النـصح للإمـام وقـول الحـق عنـده لـو كـان جـائراً، وقـد ذكـر الفقهاء[1] أن النصح للإمام الجائر، وتنبيهه إلى الضرر من أفضل الأعمال حتى عده رسول الله ﷺ من أفضل الجهاد، فإن وجد في نفسه القوة لهذا النصح فعل وإلا سقط عنه، وفي الحديث دليل على أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر متى رجا فيه نفعاً في الدين فبذل فيه نفسه حتى قتل فهو في أعلى درجات الشهداء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سوء عاقبة إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان جزاء مخالفة أمر الله.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القسم والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سوء عاقبة إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(إن الأمر بالمعروف: هو الأمر باتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله، والنهي عن المنكر: طلب الكف عن فعل ما ليس فيه رضى الله تعالى)[2] لذا كان

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٣٦١/١، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٢٥٠/٣، وأنوار البروق ٢٨٢/٤، والمدخل لابن الحاج ٧١/١، وأدب الدنيا والدين للماوردي ص ٩٦، وقواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ١١١/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ١٠٤/٤، ومعالم القربة في معالم الحسبة ص ١٣، والسياسية الشرعية لابن تيمية ص ٢١٩، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٩/١، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٢١٤/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٧/٦.

إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيء العاقبة. وهذا واضح في قول النبي ﷺ "أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم".

قال المباركفوري: (والمعنى: والله إن أحد الأمرين واقع. إما الأمر والنهي منكم، وإما إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان، فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذابٌ وإن لم يكن كان عذاب أليم)[١].

وقد أخبر تعالى بسوء عاقبة بني إسرائيل لإهمالهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[٢] فالله سبحانه يخبر (أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود عليه السلام وهو الزبور وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى وهو الإنجيل، بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله، كان هؤلاء اليهود يجاهرون بالمعاصي ويرضونها ولا يُنْهِي بعضُهم بعضاً عن أي منكر فعلوه. وهذا من أفعالهم السيئة وبه استحقوا أن يطردوا من رحمة الله تعالى)[٣]. (وهذا غاية التشديد إذ علل استحقاقهم للعنة تركهم النهي عن المنكر)[٤].

لذا (فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطُه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد)[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٧٦٣-١٧٦٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٨-٧٩.

(٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ١٢١.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/١١٩٣.

(٥) السابق ٣/١١٩٢. وانظر: نضرة النعيم ٣/٥٢٥-٥٣٩.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان جزاء مخالفة أمر الله:

مخالفة أوامر الله عز وجل لها عواقب وخيمة ونتائج خطيرة، من ذلك أنها قد تؤدي إلى إعراض الله عز وجل عمن خالف أمره، كما هو الحال في هذا الحديث، وذلك واضح في قوله ﷺ "أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم" فقد بيّن النبي ﷺ أن الله يعرض عمن أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا يستجيب لهم إذا دعوه لرفع ما نزل بهم من جزاء لتركهم ما أمرهم الله به.

وقد ورد إعراض الله عن العاصين في بعض الأحاديث: من ذلك ما رواه وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال: ((جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ فقال الحضرمي: يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي، فقال الكندي: هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق. فقال رسول الله ﷺ للحضرمي: ألك بينة؟ قال: لا. قال: فلك يمينه. قال: يا رسول الله إن الرجل فاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء فقال: ليس لك منه إلا ذلك، فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر، أما لئن حَلَف على ماله ليأكله ظلماً ليلقين الله وهو عنه معرض))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[3] ثم ذكر الرجل يطيل السفر[4] أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يا

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٩.

(٢) سور المؤمنون، آية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٤) معناه -والله أعلم- أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٤.

رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك؟))[١].

قال النووي: (أي: من أين يستجاب لمن هذه صفته وكيف يستجاب له؟)[٢].

وقال ابن رجب: (معناه كيف يستجاب له فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد وليس صريحا في استحالة الاستجابة ومنعها بالكلية فيؤخذ من هذا أن التوسع في الحرام والتغذي به من جملة موانع الإجابة وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه، وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعاً من الإجابة أيضاً، وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء الأخيار، وفعل الطاعات يكون موجبا لاستجابة الدعاء ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار، وانطبقت عليهم الصخرة بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودعوا الله بها أجيبت دعوتهم[٣])[٤].

وقد أخبر النبي ﷺ عن رجل جاء المسجد وهو ﷺ مع أصحابه في مجلس علم فأدبر ولم يجلس، أخبر عنه فقال ﷺ: ((أَعْرَضَ فأعرَضَ اللهُ عنه))[٥].

قال ابن حجر: (قوله: "فأعرض الله عنه": أي سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً ويحتمل أن يكون منافقاً واطلع النبي ﷺ على أمره. كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ فأعرض الله عنه إخباراً أو دعاء)[٦].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢١٥، ومسلم ٢٧٤٣.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٧٥ - ٢٧٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦، ومسلم ٢١٧٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٨٩-١٩٠، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٦٢.

(٧) سورة الحشر، آية: ١٩.

قال ابن القيم: (عاقبهم على نسيانهم له بأن أنساهم أنفسهم فنسوا مصالحها أن يفعلوها وعيوبها أن يصلحوها وحظوظها أن يتناولوها ومن أعظم مصالحها وأنفع حظوظها ذكرها لربها وفاطرها، وهي لا نعيم لها ولا سرور ولا فلاح ولا صلاح إلا بذكره وحبه وطاعته والإقبال عليه والإعراض عما سواه، فأنساهم ذلك لما نسوه وأحدث لهم هذا النسيان نسياناً آخر، وهذا ضد حال الذين ذكروه ولم ينسوه فذكرهم مصالح نفوسهم ففعلوها وأوقفهم على عيوبها فأصلحوها وعرفهم حظوظها العالية فبادروا إليها فجازى أولئك على نسيانهم بأن أنساهم الإيمان ومحبته وذكره وشكره فلما خلت قلوبهم من ذلك؛ لم يجدوا عن ضده محيصاً.

وهذا يبين لك كمال عدله سبحانه في تقدير الكفر والذنوب عليها وإذا كان قضاؤه عليها بالكفر والذنوب عدلاً منه عليها فقضاؤه عليها بالعقوبة أعدل وأعدل فهو سبحانه ماضٍ في عبده حُكْمَه، عدل فيه قضاؤُه)[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: القسم والترهيب:

أما القسم والأمر فقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر" وذلك ليؤكد الأهمية القصوى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وخطورته في حياة المسلمين، أما الترهيب فذكره ﷺ العقاب المترتب على إهمال الأمر بالمعروف وإهمال النهي عن المنكر، وذلك ليخوّف ويرهب من اقتراف هذا الشأن.

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم محمد بن أبي بكر ٧٥٢هـ، وهي طبعة مصورة، دار المعرفة، بيروت: ١٣٩٨هـ ص ١٣٥.

الحديث رقم (١٩٤)

١٩٤- **الْحَادي عشَرَ:** عنْ أَبي سَعيد الْخُدريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عندَ سلْطَانٍ جائِرٍ» رواه أبو داود، والترمذيُّ[1]، وقال: حديثٌ حسنٌ.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

جائر: أي صاحب جور وظلم[2].

الشرح الأدبي

إن الجهاد في سبيل الله تتعدّد ألوانهُ، وتتكامل دوافعهُ، وتلتقي مشاربهُ، وكل ما يعلي من شأن العقيدة، ويعلي راية الإسلام، ويحفظ للمسلمين قوتهم ووحدتهم، وعزتهم وكرامتهم، هو جهاد في سبيل الله، أيا كانت الوسيلة، لأن الغاية سامية، والوسيلة مشروعة، فالجهاد بالنفس أو بالمال أو بالنصيحة أو باللسان أو بمواجهة الظالمين، وردع اللاهين العابثين، والحديث النبوي الشريف يتسم هنا بالإيجاز، ولكنه إيجاز غير مخل، فكل كلمة لها ظلالها، ولها إشعاعها، والحديث جملة واحدة، ولكنها تشع بكثير من المعالم والقضايا، وتوحي إلى كل صاحب قلم أن يترك العنان لقلمه كالجواد الجموح الأصيل ليكتب كلمة الحق، وليصول ويجول في ميدان الدعوة وتبصرة الناس وإرشادهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوحي كذلك بل وتوجب على كل صاحب بيان، وقوة حجة، ونصاعة برهان أن لا يتفوه إلا بالحق، ولا يقر إلا بالعدل، لأنه لا يكب الناس في النار على وجوههم، إلا حصائد ألسنتهم، ولذلك يبدأ الحديث بأفعل التفضيل، وبالمادة اللغوية نفسها، "فضل"، فيقول: "أفضل الجهاد": ثم

---

(١) برقم (٢١٧٤) ولفظه: (إنَّ من أعظم الجهاد)، والمثبت لفظ أبي داود (٣٧٨١). قال الحافظ ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص: ١٩٦): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٠١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٧٦٦.

يخبر عن هذا الأفضل بأنه كلمة عدل عند سلطان جائر.

والحديث جاءت صياغته في قالب "الجملة الاسمية"، وخلا من أى فعل مرتبط بزمن، حتى لا تتقيد الدلالة بزمن ما، في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وإنما تظل هذه الحقيقة ثابتة دائمة في كل جيل، وفي كل مكان، فللعلماء كلمتهم، وللدعاة منهجهم، وكلمة العدل تنبه السلطان الجائر، وتردع الوالي الظلوم، وهم الذين صورهم رسول الله في قوله: "إن شر الرعاء الحطمة".

"والكلمة" في الحديث المراد منها النصيحة الصادقة لأئمة المسلمين وعامتهم، وابن مالك يقول: "وكِلْمة بها كلام قد يُؤم"، فالمراد ليس كلمة واحدة، ولكنه موقفٌ فيه مجابهة ومكاشفة ومناصحة.

والحديث يزدان بالمقابلة البديعية بين موقفين أحدهما محمود والآخر مذموم، فالمحمود كلمة العدل، والمذموم السلطان الجائر، وكلمة "عنده"، تفيد التحديد والمواجهة أى في حضرة هذا السلطان تكون حكمة البيان، وفصاحة اللسان، وثبات الجنان، وتحمل المشقة والمكابدة لأن السلطان الجائر ، كالسيف الباتر، قد لا يستجيب للإرشاد، ويظل سادراً في الغي والفساد.

وعلى المجاهد الصبرُ والاحتسابُ ولا يهرب من ساحة الدعوة إلى سبيل الله، بل يقاوم ويصمد في الميدان. فالجهاد كلمة مأخوذة من الفعل: "جهد"، وجهد يجهد جَهْداً: واجْتهد: كلاهما بمعنى جد.

وأصل الجَهْد والجُهْد هو الطاقة، وقيل، الجَهْد: المشقة، والجُهْد: الطاقة، وقال ابن الأثير، تكرر لفظ الجَهْد والجُهْد في الحديث، وهو بالفتح المشقة، وقيل المبالغة والغاية، وبالضم: الطاقة.

وفي القرآن الكريم: ورد الفعل جَاهَد، وما يشتق منه في إحدى وأربعين آية، وقد حمل معنى كل ما في الوسع والطاقة، من قول أو فعل أو بذل في مواجهة الأعداء، ومادة "عدل"، في القرآن الكريم، جاءت تحمل عدة معان ومنها العدل في القول، والعدل في الحكم، والعدل في الإشراك، والعدل : أي الفدية، والعدل بمعنى قصد

الحق في الحكم هو الذي شاع في حياة المسلمين، وصار بعد نزول القرآن أحد القواعد الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام.

فالحاكم الجائر غير عادل وهو في حاجة إلى كلمة عدْل: أي حق في معانيها، نابعة من شعور صادق، ونية خالصة. وهذا هو أفضل إليها "كلمة حق عند سلطان جائر".

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل كلمة الحق عند السلطان الجائر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراتب الجهاد ودرجاته.

رابعاً: من آداب المدعو: السؤال عن معالي الأمور وأفضلها.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب، والسؤال والجواب.

أولاً- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين:

إن الداعية بما عنده من علم يرشد المدعوين إلى ما يكون فيه صلاحهم وفلاحهم، ومن ذلك أن يرشدهم إلى أفضل الجهاد كما في هذا الحديث وذلك في قول النبي ﷺ "كلمة حق عند سلطان جائر" جواباً على سؤال الرجل "أي الجهاد أفضل"، فقد أرشده ﷺ إلى ما سأل عنه وأفاده.

وهكذا الداعية دائماً يرشد المدعوين إلى ما فيه خيرهم ونفعهم: قال الله تعالى: عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[2].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((إن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن، فبلغها أن رسول الله ﷺ أُتي بسبي، فأتته تسأله خادماً فلم توافقه، فذكرت لعائشة رضي الله عنها، فجاء النبي ﷺ فذكرت ذلك عائشة له. فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال: على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صَدْري

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٩٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٩٥).

(٢) سورة غافر، آية: ٣٨.

فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟ إذا أخذتما مضاجعكما فكبّرا الله أربعاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتماه))[١].

فالنبي ﷺ (علمهما - كما قال ابن حجر- ما هو الأولى بحالهما من الذِكْر عوضاً عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذاناً بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور)[٢].

وقال ابن هبيرة: (فيه أن التسبيح خير من خادم، لأنه جمع لها بين تسبيح الله ثلاثاً وثلاثين وحمده ثلاثاً وثلاثين وتكبيره أربعاً وثلاثين يكمل ذلك مائة. فكتب الله به ألف حسنة، ولقد عوضها رسول الله ﷺ بِنِعْم العوض، فإن كل من سبح بهذه التسبيحات عاملاً بهذا الحديث، ممن بلغه ويبلغه إلى يوم القيامة فإن لفاطمة رضي الله عنها بركة من عمله، لأنها هي التي أثارت هذه السنة بسؤالها المبارك، فصار العاملون كلهم بهذا الحديث حيث كانت هي المثير له، خادمين بالثواب الذي يتصل من علمهم إليها من غير أن ينتقص من أجورهم شيء)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل كلمة الحق عند السلطان الجائر:

لقد وصف النبي ﷺ قول كلمة الحق عند السلطان الجائر أنها أفضل الجهاد. وذلك لأنه (جهاد - كما يقول السندي- قلّ من ينجو فيه، وقلّ من يُصوِّب صاحبه، بل الكلُّ يخطئونه أولاً، ثم يؤدي إلى الموت بأشد طريق عندهم بلا قتال بل صبراً[٤]، والله تعالى أعلم)[٥].

وكلمة الحق عند السلطان الجائر تكون (بما أفاد أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر من لفظ أو ما في معناه ككتابة ونحوها)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٣١١٣، ومسلم ٢٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٦/١.

(٤) قتله صبرا: حبسه حتى مات. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٠٦.

(٥) حاشية السندي على سنن النسائي ١٨١/٧.

(٦) عون المعبود على سنن أبو داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي ١٨٨٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٥/٢.

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أمر السلطان الجائر ونهاه فقتله كان سيد الشهداء، قال ﷺ: ((سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله))[١].

وقال أبو حامد الغزالي: (لما علم المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار قَدِمُوا على ذلك موطِّنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى، ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله)[٢].

ومما يذكر في نصح الولاة والأمراء والسلاطين ما ذكر: أن عطاء بن أبي رباح دخل على عبدالملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: أمير المؤمنين؛ اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإن بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين. وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم. واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل. ثم نهض وقام فقبض عليه عبدالملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجةً لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرف[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراتب الجهاد ودرجاته:

سؤال الرجل: أي الجهاد أفضل؟ وجواب النبي ﷺ بأنه كلمة الحق عند السلطان الظالم، دل على أن للجهاد مراتب ودرجات. وكان جهاد الولاة الظالمين بكلمة الحق من أفضل الجهاد، (وإنما صار ذلك أفضل الجهاد - كما يقول الخطابي-؛ لأن من

---

(١) أخرجه الحاكم ١٩٥/٣، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٣٧٤).

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٢٥٦/٣.

(٣) المرجع السابق ١٢٦٠/٣.

جاهد العدو كان متردداً بين الرجاء والخوف لا يدري هل يغلِب أو يُغلب وصاحب السلطان مقهور في يديه فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف)[1].

كما كان أفضل الجهاد؛ (لأن ظلم السلطان يسير في جميع من تحت سياسته وهو جم غفير، فإذا نهاه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثيرٍ بخلاف قتل كافر)[2].

(إن قيمة جهاد الكلمة وبلوغ ممارسها منزلة سيد الشهداء في سبيل الله، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ إنما تعود إلى الأمور التالية:

١- أن الكلمة الشجاعة القوية تعرض صاحبها للمخاطر والمهالك؛ لأن المجاهد في الميدان ضد الكفار يجاهد في معركة جلية، وهو بين احتمالين: نصر وعزة في الدنيا، أو شهادة يذوق فيها الموت مرة واحدة، أما مجاهد الكلمة: فهو فرد أعزل أمام سلطة ذات بأس شديد، واحتمال هلاكه أكثر من سلامته.

٢- المجاهد بالكلمة الصادقة في معركة خفية مبهمة عند الناس، ولاسيما في زمن انتشار البدع وضعف الإسلام وقلة حماته، وبالتالي: فهو يتعرض -ميتاً وحياً-للتشويه والتجريم، فهو عند السلطة التي لا تحكم بالإسلام مرتكب خيانة ومجرم سياسي خطير، فيتسنى لها إلصاق التهم به واستخدام كل الوسائل المؤثرة لديها لتحقيق ذلك من خلال الشرطة، والإعلام، وتحريف الكلم والحقائق. واعتبار قول الحق انحرافاً ورجعيةً، والاحتساب بذلك -في نظرها- فتنة وجريمة وخروج عن السلطة الحاكمة بأمرها.

٣- إن مجاهد الكلمة معرَّض للفتنة أكثر من مجاهد السلاح واليد، والنجاة من الفتنة أشق؛ لأن فتنة التعذيب والسجن قد تسبب الانهيار العصبي والكآبة، فقد ينقلب من صف المصلحين إلى نقيضهم.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٨/٧، وعون المعبود على سنن أبو داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي ١٨٨٣.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٨/٧.

ومن هنا: ندرك مغزى ورود نصوص الجهاد والأمر بالمعروف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]، ومن هذه الآية يفهم أن كلمة الحق واجب عيني على جماعة القادرين من أهل العلم والدراية، كالعلماء ورجال الفكر والمختصين في الميادين التي يشيع فيها المنكر)[٢].

أما جهاد العدو بالسلاح فالآيات والأحاديث في فضله كثيرة مشهورة[٣]، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[٤].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهاد في سبيله))[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها بشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين)[٦].

رابعاً- من آداب المدعو: السؤال عن معالي الأمور وأفضلها:

يتمايز الناس فيما ينشغلون به وبما يسألون عنه[٧]، وكلما كان المدعو شغوفاً

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تأملات في فقه الجهاد، محمد بن عبدالله الشباني، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٠٩ ص ٣٤-٣٥.

(٣) انظر: كتاب الجهاد من رياض الصالحين، الأحاديث ١٢٨٧-١٣٥٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٦) أحكام الجهاد وفضائله: عز الدين بن عبدالسلام، تحقيق نزيه حماد.

(٧) ويقول المتنبي: وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في العين العظيم العظائم.

بالسؤال عن معالي الأمور ليعمل بها، كان ذلك علامة صدق على إيمانه فعلى المدعو أن يسأل عن أفضل الأمور كما في ذلك الحديث. وهذا واضح من سؤال الرجل للنبي ﷺ "أي الجهاد أفضل" فإن الرجل لا يسأل عن فضل الجهاد بوجه عام وإنما يسأل عن أكثر الجهاد ثواباً وأجراً عند الله، وقد أثنى الله تعالى على عباده الذين يتبعون أحسن ما يسمعون.

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] (أي يقدمون الأحسن الذي هو أشد حسناً على الأحسن الذي هو دونه في الحسن ويقدمون الأحسن مطلقاً على الحسن)[2]، (ويدخل تحته إيثار الأفضل من كل نوعين اعترضا، كالواجب مع الندب والعفو مع القصاص والإخفاء مع الإبداء في الصدقة، وهكذا)[3].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، وكذلك عن أكبر الذنوب. فهذا أبوذر رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ: ((أي الأعمال أفضل))[4] وحكى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سُئِلَ هذا السؤال[5] وابن مسعود رضي الله عنه يسأله ﷺ: ((أي الأعمال أحب إلى الله؟))[6] وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يحكي أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ [أي أمور الإسلام][7]، وفي رواية ((أي المسلمين خير؟))[8] وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يقول: ((قالوا يا رسول الله، أي الإسلام

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٧-١٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمدالأمين بن محمد المختار الشنقيطي ٤٨/٧.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٢٠٢/١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١/٨، ومسلم ١٣٦-٨٤.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ١٣٥-٨٣.

(٦) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ١٣٧-١٣٩/٨٥.

(٧) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٦٣-٣٩.

(٨) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٦٤-٤٠ وهذا لفظه.

أفضل؟))[١] وفي رواية ((أي المسلمين أفضل؟))[٢].

وهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يحكي أن رجلاً سأل النبي ﷺ: ((أي الذنب أكبر عند الله؟))[٣]. وإنما سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن أفضل الأعمال ليعلموها ويعملوا بها وعن أكبر الذنوب ليجتنبوها أشد الاجتناب

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والسؤال والجواب:

لقد استخدم النبي ﷺ أفعل التفضيل "أفضل"، ليرغب في هذا العمل ويحببه إلى المدعوين.

والجواب على السؤال أسلوب من أساليب الدعوة استخدمه النبي ﷺ ليوضح ما سأل عنه السائل فيشبع رغبته في العلم ومن ثمّ العمل.

---

(١) أخرجه البخاري ١١، ومسلم ٦٦-٤٢ واللفظ لفظ البخاري.

(٢) أخرجه مسلم ٦٦-٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٦١، ومسلم ١٤٢-٨٥.

الحديث رقم (١٩٥)

١٩٥- الثَّاني عَشَر: عنْ أَبي عبدِ اللَّه طارِقِ بنِ شِهابٍ الْبُجَلِيِّ الأَحْمَسِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رجلاً سأَلَ النَّبيَّ ﷺ، وقَدْ وَضعَ رِجْلَهُ في الغَرْزِ: أَيُّ الْجِهادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةُ حقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ**» رَوَاهُ النسائيُّ[1] بإسنادٍ صحيحٍ.

«الْغَرْز» بِعَيْنٍ مُعْجَمةٍ مَفْتُوحةٍ ثُمَّ راءٍ ساكنة ثم زَاي، وَهُوَ ركَابُ كَورِ الْجمَلِ إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ، وَقِيلَ: لاَ يَخْتَصُّ بِجِلدٍ وَخَشَبٍ[2].

ترجمة الراوي:

طارق بن شهاب البَجَليُّ: وهو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سَلَمة بن هلال بن عوف بن جُشم البَجَليُّ الأَحمَسيُّ، يكنى بأبي عبدالله، وهو في عداد الكوفيين.

أدرك الجاهلية، ورأى النبي ﷺ وهو رَجَلُ، فروى عنه أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وغزوت في خلافة أبي بكر وعمر ثلاثاً وثلاثين أو ثلاثاً وأربعين من غزوة إلى سرية[3].

دعا رسول الله ﷺ لقومه فعن طارق بن شهاب البَجَلي أنه قال: قدم وفد أحمَسَ ووفد قَيْس على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ابدءوا بالأحْمَسيين قبل القيسيين، ثم دعا لأحمَسَ فقال: اللهم بارك في أحمَسَ وخيلها ورجالها، سبع مرات[4].

قال عنه يحيى بن معين "ثقة"، وقال أبو داود: قد رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً، وأرسل عن النبي ﷺ، وقال الإمام ابن حجر في الإصابة إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي على الراجح، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل

---

(١) المجتبى (٤٢٠). وقال المنذري في الترغيب (١٧٨/٣): رواه النسائي بإسناد صحيح. وأورده في ترغيبه (٣٤٠٢).

(٢) بنصه في الترغيب (١٧٨/٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٣٠/٣١) رقم (١٨٨٣٥)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (١٢٩/٣١) رقم (١٨٨٣٤)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

صحابي، وقال أبو حاتم "صدوق" وقال الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء "فأما قول أبي الفرج بن الجوزي ضَعَّفَه علماء النقل فهفوة، فإلى الساعة ما وجدت أحداً ضعفه، وحسبك قولُ المتَعنِّتِ في النقد أبي حاتم فيه" قال "صدوق".

أما عن وفاته فقال الهيثم بن عدي مات أيام الجماجم، وابن البرقي في سنة ٨٢، وعمر بن علي ٨٣، وقيل سنة ٨٤[١].

غريب الألفاظ:

الغرز: فسَّرها النووي، و المراد: أنه أراد السَّفر[٢].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يتفق في معناه وفي لفظه مع الحديث السابق، ولكن الراوي ليس واحداً، وهذا الحديث يتضمن زيادة في مقدمته: وهي أن هذا الحديث لم يقله الرسول ﷺ مشافهة أو مجرداً من السؤال والجواب، حيث يقدمه الراوي في صيغة حوارية، بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة، وفي هذا الحديث إضافة أخرى تتضمن وصف هيئة النبي ساعة ركوبه البعير، مصوراً حال النبي ﷺ حيث قال: وقد وضع رجله في الغرز، فهي جملة خالية من مفعول سأل، والغرز: هو ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: لا يختص بجلد وخشب وهذا الوصف يظهر دقة الصحابة في نقل الهيئة والنص.

والسؤال الذي توجه به ذلك الرجل إلى رسول الله هو: "أي الجهاد أفضل"؟ وهذا السؤال في ذلك السياق يوحي بأن الرسول ﷺ كان يستعد للجهاد، ولذلك سأل

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦٦/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٦٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦٨/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٣٢، ٦٣٣)، وسير أعلام النبلاء (٢٠٤٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٩١/٣، ٤٩٢)، والسندي (١٢٤/٣١).

(٢) رياض الصالحين ١٢٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ر ز).

الرجل عن أفضل الجهاد، وبداية الحديث السابق تقوى من ذلك التفسير، لأن الروايات المتعددة للحديث الواحد يجب الموازنة بينها، والوقوف على أوجه الإتفاق وأوجه المغايرة، فإن بعضها يفسر البعض الآخر.

وإجابة المصطفى ﷺ في هذا الحديث، لم يرد فيها صدر الحديث السابق، "أفضل الجهاد" لأن سؤال الصحابي قد تضمن ذلك، ولذلك لم يكرر الرسول: ما جاء على لسان السائل؟.

وذلك من سمات البلاغة النبوية: حيث اتسمت بالخلوص والقصد والاستيفاء والإيجاز كما يقول الرافعي، ويقول أحمد حسن الزيات، أن أخص ما يميز الأسلوب النبوي الأصالة والإيجاز، فالأصالة هى خصوصية اللفظ وطرافة العبارة، تتجلى فيما كان ينهجه الرسول من المذاهب البيانية، ويرتجله من الأوضاع التركيبية، ويضعه من الألفاظ الاصطلاحية، وبلاغة الرسول من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه، وإنما نعلم خبره، وهل يدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة، وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟[1].

والجملة الحديثية هنا تضمنت "كلمة حق" وفي الحديث السابق جاءت "كلمة عدل"، وهما يتوهجان بكثير من الدلالات، ويتلاقيان في كثير من الإيحاءات والتصورات، "فالحق" في دلالته اللغوية والاصطلاحية كما جاء في القاموس المحيط من أسماء الله تعالى أو من صفاته، وهو القرآن، وضد الباطل وهو الأمر المقضي والعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود الثابت، والصدق، والموت والحزم، "وكلمة الحق" يمكن أن تتضوأ في آفاقها كل هذه الدلالات ، ومن هنا ندرك منبع الإيجاز في بلاغة المصطفى المختار.

وقوله "كلمة عدل" في الحديث السابق، تعطي دلالات كثيرة، وتغرس في قلب المؤمن الثبات والقدرة على المواجهة وقول الحق والنصيحة الخالصة، وقوله هنا "كلمة

---

(١) انظر: وحي الرسالة ٨١/٣.

حق" تؤكد هذا المنهج الصادق الصارم الذي يدفع المؤمن إلى أفضل الجهاد وهو الجهاد بالكلمة، وما أحوج الأمة في هذا العصر إلى أن يجأر علماؤها وحكماؤها بكلمة الحق العادلة: في وجه كثير من الولاة والطغاة الجائرين المستبدين، وهذا أفضل الجهاد لأنه كما يقول صاحب دليل الفالحين، يدل على كمال يقين فاعله، وقوة إيمانه، وشدة إيقانه، حيث تكلم بتلك الكلمة عند ذلك الأمير الجائر المهلك عادة بجوره وظلمه، ولم يخف منه، ولا من جوره وبطشه، بل باع نفسه في سبيل الله، وقدّم أمر الله وحقه على حق نفسه، وقد وردت كلمة الحق في القرآن في مائتين وسبع وعشرين آية، وهى تُعَلى من شأن هذا المنهج الصادق الصارم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٩٦)

١٩٦- **الثَّالِثَ عشَرَ:** عن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا دخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّه وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لك، ثُم يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ (وَهُو عَلَى حالِهِ)[1]، فلا يمْنَعُه ذلِك أَنْ يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وَقعِيدَهُ، فَلَمَّا فعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّه قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ» ثُمَّ قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذلِك بما عَصَوْا وكَانوا يعْتَدُونَ، كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعلُون تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾[المائدة: ٧٨، ٨١] ثُمَّ قَالَ: «كَلاَّ، وَاللَّه لَتَأْمُرُنَّ بالْمعْرُوفِ، وَلَتَنْهوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، ولَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْراً، ولَتقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْراً، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّه بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ» رواه أبو داود، والترمذيُّ[2]، وقال: حديث حسن.

هَذَا لفظ أَبي داود، ولفظ الترمذي، قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**لَمَّا وَقَعَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي المَعَاصِي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعضِهِمْ بِبعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسانِ دَاوُد وعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بما عَصَوا وَكَانُوا يَعتَدُونَ**)) فَجَلَسَ رَسُول الله ﷺ وكان مُتَّكِئاً، فَقَالَ: ((**لا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأطِرُوهُمْ عَلَى الحَقِّ أطْراً**)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

---

(١) قوله: (وهو على حاله) لا يوجد عندهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٣٦) واللفظ له، والترمذي (٣٠٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤١٣) وقال: روياه من طريق أبي عبيدة، عن أبيه، ولم يسمع منه، وقيل: سمع منه، ورواه ابن ماجه ٤٠٠٦ مرسلاً.

غريب الألفاظ:

تَاطِرُوهم: أي تعطفوهم.

ولتقْصُرُنَّهُ: أي لتحبِسُنَّه.

الشرح الأدبي

إن المنهج الإسلامي الصحيح هو مطابقة الأفعال للأقوال، وإذا اختل هذا المنهج فإن حياة المسلم يغزوها الفساد، ويحكمها القلق والاضطراب؛ وفي ظل التمسك بهذا المنهج يُحذر الحق سبحانه جموع المؤمنين من أن ينزلقوا إلى هذه الهوَّة، وإلا فقدوا مصادر العزة والقوة، وفي سورة الصف يأتي ذلك التحذير إشارة إلى أن المنهج هو الطريق إلى تكاتف الجماعة المؤمنة الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]. والفعل المناقض للقول من مظاهر النفاق هو منْهج بني إسرائيل، وإيغالهم فيه، هو الذي زلزل كيانهم، وشتت شملهم، لأنهم كانوا لا يتناهَوْن عن منكر فعلوه، وكانوا ينصحون العاصين نصيحة كلامية، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وكانوا يصاحبون هؤلاء الآثمين، ويجلسون في مجالسهم ويشاركونهم مأكلهم ومشربهم، وأماكن لهوهم.

ويحذر الرسول أصحابه وكل المسلمين أن يكونوا على شاكلة بني إسرائيل حتى لا يكون مصيرهم الفتن والهلاك.

وفي ظل هذا المنهج السَّديد، نتأمل ونتدبر جماليات الأداء الأسلوبي والتصوير الفني، والبناء اللغوي في هذا الحديث الشريف، والحديث يتكون من ثلاثة أقسام... وكلها تتكامل ويشد بعضها بعضاً لتوصيل المعنى وتأكيد المقصد.

والقسم الأول: هو تقديم الأنموذج السلبي المتمثل في بني إسرائيل: حينما حادوا عن المنهج، وخالفت أفعالُهم أقوالهم، وتوظيف أحداث التاريخ، والاقتداء بمصائر الأمم

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

السابقة، إيجاباً وسلباً من خصائص ووسائل الإقناع في المنهج الإسلامي، لأنها شواهد حية، وعبر صادقة.

والقسم الثاني: يمثل ظاهرة من ظواهر التكوين الأدائي في الحديث النبوي، وهى تَضَمّن الأحاديث بعض آيات القرآن الكريم، التي تلتحم بالمعنى وتقوي المبني، وتضاعف من التأثير والإقناع والإمتاع.

وفي قلب الحديث الشريف تشرق آيات من سورة المائدة وهى أصدق شاهد على انحراف بني إسرائيل عن المنهج الإلهي في مقاومة التعدي على حدود الله، ومقاومة الظالمين الآثمين ، الذين يداهنون العصاة، ويتولون الكافرين ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[1].

والقسم الثالث: هو المقصد الأسْنى لهذه الأمة من ذلك الحديث الشريف: ويتمثل في هذه الأوامر الصارمة، والأساليب المؤكدة، والأمر بالأخذ على يد الظالم، وإلا فالمصيرُ معروف: وهو سيكون مثل مصير بني إسرائيل : "ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعن بني إسرائيل".

ويبدأ الحديث بالتأكيد بإنَّ في سياق الإخبار عن بني إسرائيل، وتعليل دخول النقص عليهم وتشتيت شملهم وهو أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: ياهذا اتق الله، ثم بعد ذلك يصاحبه وهو على حاله من الإثم.

وهذه الجملة أيضاً تبدأ بالتأكيد وضمير الشأن أنَّه، ولفظ أول، في الجملة الأولى:

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٧٨-٨١.

يوحي بخطورة هذا المسلك، الإمَّعيَّ: وخاصة من العلماء الناصحين، ويؤيد ذلك ما جاء في الرواية الثانية للحديث، لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم: فلم ينتهوا فجالسوهم، وواكلوهم، وشاربوهم.

وفي الحديث إيجاز بالحذف لإثارة الاهتمام، وإعمال العقل، وكد الفكر، فقوله: كان الرجل يلقي الرجل أي: كان الرجل الناصح العالم، يلقي الرجل الفاعل معصية، والعطف بالفاء في قوله: فيقول: يرشد إلى ضرورة الإسراع في النصيحة، وعدم التأني، وعدم الخجل، ولكن الصدق ينجي، والدين النصيحة.

والنداء بحرف الياء مع اسم الإشارة: يفصح عن أهمية التوجيه والتنبيه، وضرورة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعدول عن حرف النداء "الهمزة"، وهو للقريب إلى الياء وهو للبعيد للإيحاء بأن هذا العاصي سادر في غيه، وكأنه بعيد عن صوت النصيحة، ويحتاج إلى صوت قوي شديد، ونداء كأنه صادر من بعيد.

وقوله: ياهذا، يوحي بالسخرية والتحضير، واسم الإشارة في سياقات أخرى محمودة يدل على التمييز الكامل، أما هنا فالسياق مختلف، وفعلا الأمر "اتق الله ودع ما تصنع"، يزيدان الموقف جلاءً، والأمر تأكيداً، وقدم التقوى على ترك الفعل الآثم، لأن التقوى طريق الصلاح والطاعة، ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[1].

والعطف "بثم" في قوله: ثم يلقاه من الغد، يومئ إلى عدم متابعة هذا الناصح لذلك العاصي، وفي ذلك تقصير، وياليت الأمر يقف عند هذا التقصير، وسوء التدبير، ولكن ذلك العالم الناصح يُهْزَم أمام إغراء المعصية، ولنتأمل هذه المفارقة العجيبة التي تكشف هشاشة موقف علماء بني إسرائيل ومن على شاكلتهم من خطباء الفتنة، وبعض الدعاة المنافقين، المأجورين، والأدعياء الغافلين.

ولنتأمل هذه الصيغة اللغوية التي كررت ثلاث مرات: أكيله وشريبه وقعيده، وهى تدل على المشاركة والمنادمة والمباسطة، والرضا بما يفعل، والوقوع في شرك هذا الفعل

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

الآثم؛ وما أخطر هذا السلوك الذي انتشر في المجتمعات الإسلامية تحت عناوين زائفة، ومسميات راجفة، ودعاوى مجحفة، ومنها الصداقة، والحرية، وعدم الإجبار، والرغبة في التجريب، واكتساب الخبرة.

ولكن الجزاء الأوفى السريع يُفصح عنه العطف بحرف الفاء، وأشار إلى هذا السلوك المنحرف باسم الإشارة "ذلك" في قوله: فما فعلوا ذلك، تضخيماً لهذا الأمر، وتشنيعاً له؛ والعقاب يأتي جواباً للشرط وهو قوله: ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وتأمل وتدبر ما وراء قوله قلوب بعضهم ببعض، إنها تفوح بكل روائح الكراهية والعداء والحسد والتمزق؛ والفعل: ضَرب، يصور ذلك الصراع الكامن في النفوس، وقوله: بعضهم ببعض، يصور التصادم الشعوري، والنفسي والفكري، كما قال تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾[1]. فما أدق هذا الأسلوب، وما أجمله، وما أوجزه، وإنه كما قال صاحبه من جوامع الكلم.

وتتوهج الآيات الكريمات في قلب الحديث كالشمس في كبد السماء، تتماوج دلالاتها الإشعاعية، وتكشف عورات بني إسرائيل الفكرية والسلوكية، وتحذر الأمة الإسلامية من هذا المصير المحتوم.

ويبدأ القسم الثالث: بالزجر والقسم في قوله: كلا والله، حرصاً على الأمة، وخوفاً على مصيرها وكيانها، وتتوالى التأكيدات في الجمل الست التالية.. التي تعد إنذارات للأمة، وأوامر جازمة صارمة: لا تقبل المراء ولا الالتواء، والأوامر صادرة من رسول الله للأمة جمعاء، وجاءت في صيغة المضارع التي تعلن عن وقوع هذه الأحداث المأمور بها في الحاضر والمستقبل: فهى سلوكيات تستمر مع الأمة كلها، لأنها من معالم منْهَجها الثابت الشامل المتوازن الواقعي النابع من الإيمان بالألوهية والربوية إيماناً ثابتاً لا تزلزله العواصف، ولا تهز ثباته الرياح، ولنتأمل هذا الإيقاع الصوتي: الذي يجسد المعنى، ويشخص الفكرة، حيث يتوالى في هذه الأفعال المضارعة التي تبدأ بلام الأمر، وتنتهي

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٤.

بنون التوكيد الثقيلة، "لتأمرن – لتنهون، لتأخذن"، وفي سياق الأمر بالأخذ على يد الظالم نجد الإيقاع الصوتي المؤكد يقترن بضمير الغائب العائد على الظالم: لمزيد من التأكيد على مقاومته ويتصاعد الإيقاع والتوازي الأسلوبي، وتُلْقي الألفاظ بجُرْسها وظلالها على المعنى المراد: حتى يتأصل في النفوس، وتشحذ العقول وتظل الأمة في حالة استنفار، لمجابهة الاستعلاء والاستنكار من قبل الظالمين، وتتكرر عبارة علي "الحق" مرتين في سياق محاصرة الظالم، وإجباره على العودة إلى ساحة العدالة، وواحه الطاعة والسلام، ولنتأمل هذه القوة المعنوية والأسلوبية والإيقاعية في هاتين الجملتين، "ولتأطرنه على الحق أطرًا، ولتقصرنه على الحق قصراً"، إن السجع هنا يشد من عضد المعنى، وهو من بدائع الصياغة، ومن دلائل إحكامها، وختام الحديث يعانق أوله، حيث يؤكد المصطفى تحذيره للأمة من مخالفة المنهج حتى لا يكون مصيرها كبني إسرائيل.

فقه الحديث

١-لعن الكافرين: قال القرطبي: (قوله تعالى "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم" فيه جواز لعن الكافرين وإن كانوا من أولاد الأنبياء، وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم ومعنى "على لسان داود وعيسى ابن مريم" أي: لعنوا في الزبور والإنجيل. فإن الزبور لسان داود والإنجيل لسان عيسى، أي: لعنهم الله في الكتابين)[1].

٢- النهي عن المنكر: قال القرطبي: (قوله تعالى: "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى "كانوا لا يتناهون" أي: لا ينهى بعضهم بعضًا، "لبئس ما كانوا يفعلون" ذم لتركهم النهي، وكذا من بعدهم يذمُّ من فعله فعلهم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٤/٨.

الثانية: قال ابن عطية[١]: (والإجماع[٢] منعقد على أن النهي عن المنكر فرضٌ لمن أطاقه ونهى بمعروف وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه، وقال حذاق أهل العلم: ليس من شرط الناهي أن يكون سليمًا عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا. وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضًا، واستدل بهذه الآية، قال لأن قوله "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه" يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي)[٣].

٣-هجر المجرمين وعدم مجالستهم: قال القرطبي: (وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم، وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود، ترى كثيرًا منهم يتولون الذين كفروا)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: بيان حال بني إسرائيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الإنكار على المخالفين.

رابعاً: من صفات الداعية: الالتزام والائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

سادساً: من أساليب الدعوة: القسم.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: الاعتبار بالأمم السابقة.

ثامناً: من واجبات الداعية: حث المدعوين على القيام والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) المحرر الوجيز "تفسير ابن عطية" ٢٢٩/١.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٨/٦ ومراجعها.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي١٠٦/٨.

(٤) المرجع السابق ١٠٦/٨.

أولاً- من تاريخ الدعوة: بيان حال بني إسرائيل:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث بيان حال بني إسرائيل ويظهر هذا في قوله ﷺ "إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتق الله... الخ الحديث" فبيّن ﷺ حال بني إسرائيل إذ كان علماؤهم ينهوهم عن المنكر فلم ينتهوا فجالسوهم وآكلوهم ولم يعرضوا عنهم لذلك استحقوا اللعن قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: (يخبر سبحانه أنه لعن الكافرين من دهر طويل، فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام، وعلى لسان عيسى ابن مريم، بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه. ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم، فقال: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾. أي: كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوا، فقال: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾)[2].

وقد بالغ القرآن الكريم في ذم العلماء وأولي الأمر من بني إسرائيل على أن الله تعالى قد بوأهم مكانة مرموقة من إصلاح الأمة، ولكنهم قصروا عن أداء مسؤوليتهم. فكانوا يرون الناس حولهم يعصون الله، ويعتدون على غيرهم ولا يفرقون بين الحلال

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٦٠.

والحرم فلا يحاولون تغيير الوضع البتة. يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[١].

قال الرازي وهو يفسر الآيتين: "إن الله تعالى استبعد من أهل الكتاب أنهم ما نهوا سفلتهم وعوامهم عن المعاصي. وذلك يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه، لأنه تعالى ذم الفريقين في هذه الآية على لفظ واحد"[٢].

وليس ذلك فحسب بل اشار الرازي وغيره من المفسرين إلى أن القرآن الكريم قد ذم تارك النهي عن المنكر بأشد مما ذم به مرتكبه فإنه قال في الأول: (يصنعون) بينما اكتفى في الثاني بقوله: (يعملون).

ولذلك رأى علماء الحق دائماً في هذه الآية توبيخاً شديداً لهم، يقول ابن جرير الطبري: (كان العلماء يقولون: ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم منها).

وروى ذلك عن عبدالله بن عباس والضحاك وعطاء أيضاً في تفسير هذه الآية[٣].

وذكر النبي ﷺ فساد بني إسرائيل الاجتماعي وهلاكهم، ثم أوصى أمته فقال: (كلا. والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث خطورة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويظهر ذلك من قوله ﷺ "أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٢) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، الرازي ١٣٨/٣.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٥٥٠/٨، ٥٥١.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال العمري ص ١٩٦ - ١٩٨.

ليلعنكم كما لعنهم" أي: لا تنجون من العذاب حتى تميلوهم عن الباطل إلى الحق وتمنعوهم الظلم[١].

ذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب لصلاح المجتمع واستقامته، وسلامته من الفواحش والمنكرات الظاهرة، فإذا أهملت هذه الشعيرة، ترتب على ذلك فشو المنكرات والمجاهرة بها، وظهور الخبث وكثرته، وكان ذلك دليلاً على تمكن أهل المنكر وقوتهم، وذريعة لاقتداء الناس بهم، وتقليدهم إياهم، وما تزال المنكرات تفشو وتنتشر حتى تتمكن في النفوس، وتصبح أمراً مألوفاً يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير.

وحين يصبح المجتمع بهذه المثابة فإنه يستحق العقوبة العامة والعذاب الإلهي الشامل الذي يحيق بالطالحين والصالحين إلا من كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. أما مجرد الصلاح من غير قيام بواجب الأمر والنهي فإنه لا ينجى من عذاب الله إذا نزل.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٢].

فهذا تحذير من الله تعالى للذين سكتوا عن إنكار المنكر وأقروه بين أظهرهم: أن يعمهم العذاب مع الظالمين وإن كانوا لم يشاركوهم في فعل المنكر[٣].

قال القرطبي: (قال علماؤنا: فالفتنة إذا عملت، هلك الكل، وذلك عند ظهور المعاصي، وانتشار المنكر، وعدم التغيير)[٤].

وقال الشنقيطي: (والتحقيق في معناها: أن المراد بتلك الفتنة التي تعم الظالم وغيره، هي أن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بالعذاب: صالحهم

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٢٣٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في تحقيق الأمن، د. عبدالعزيز بن فوزان بن صالح الفوزان ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٧/٣٩٢.

وطالحهم، وبه فسرها جماعة من أهل العلم، والأحاديث الصحيحة شاهدة لذلك)[١].

قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، لاَ يُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ، حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَلاَ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ))[٢].

وقال أيضاً ﷺ: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه))[٣].

وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل ضرر كبير على الفرد والمجتمع في جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة فينبغي على الدعاة والمدعوين أن يهتموا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل أن يأتيهم أمر لا مرد له من الله[٤].

ثالثاً- من واجبات الداعية: الإنكار على المخالفين:

إن واجبات الداعية التي تستنبط من عموم الحديث الإنكار على المخالفين حيث بين رسول الله ﷺ حال بني إسرائيل وأنكر عليهم صنيعهم وأمر المسلمين بإنكار المنكر حتى لا يأثموا.

وقال ﷺ في بيان ذلك: "إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها" وقال مرة: "أنكرها" ((كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا))[٥].

فهذا الحديث بيَّن أن المسلم الذي يرى الخطيئة لابد أن ينكرها فمن باب أولى الداعية إلى الله؛ لأنه القائم بالدعوة الدال على الخير.

---

(١) أضواء البيان، ١٧١/٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٧٧٢٠/١٩٢/٤، وقال محققو المسند حسن لغيره.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٢٦١٨ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٦١).

(٤) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ٢٤٩/١.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٣٤٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥١).

رابعاً- من صفات الداعية: الالتزام والائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من عموم الحديث الالتزام والائتمار بالمعروف والانتهاء عن المنكر، بأن يكون قدوة للمدعوين فيما يأمر وينهى، أما إذا ترك ما يأمر به من معروف ولم ينته عما ينهى عنه من منكر فهذا ما حذر الله تعالى منه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

قال السعدي: أي: لما تقولون الخير، وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه أو تنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به، فهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؛ أم من أكبر المقت عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟

ولهذا ينبغي للآمر بالخير، أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر، أن يكون أبعد الناس عنه[2].

لأن الداعية إذا لم يتطابق فعله مع قوله، وإن لم يتوافق واقعه مع منطقه؛ فإنه يسيء أكثر مما يحسن، ويضر أكثر مما يصلح، بل ربما كان سبباً في إشاعة المروق والفسوق والمعصية بين الناس لأن بعض الناس؛ يقولون: لولا أن هذا الداعية يعلم في قرارة نفسه أنه لاوزناً لزواجره ومواعظه وتخويفاته، لما أقدم على ما أقدم عليه من مقارفة للمناهي والمفاسد والمنكرات[3].

يقول ابن القيم: علماء السوء، جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت: أقوالهم للناس: هلمُّوا، قالت أفعالهم: لا

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٧٩٦.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية ومعه بحث تمهيدي عنوانه: علامات ضوئية على طريق الدعاة، د. محمد جميل غازي ص ٨.

تسمعوا منهم. فلو كان ما كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له؛ فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قُطاع الطرق[١].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب الترهيب حيث ذكر رسول الله ﷺ حال بني إسرائيل وعدم التزامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[٢] ليحذر أن يرتكب مثل الذي ارتكبوا[٣]. فرهب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورهّب من عدم الامتثال لهما، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المهمة حيث يستخدمه الداعية فيما يريد أن يخوف المدعوين منه ويجعلهم لا يأتونه خشية العقاب.

سادساً- من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب القسم وهذا يظهر في قوله ﷺ "والله لتأمرن..." فأقسم ﷺ على أمته أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية الأمر المقسم عليه وحرص رسول الله ﷺ عليه لأمته لما فيه من خير لهم.

وأسلوب القسم من أساليب الدعوة المهمة في الدعوة إلى الله حيث يُعلم المدعوين بضرورة المقسم عليه وأهميته وحرص الداعية عليه بتأكيده بالقسم عليه.

فأسلوب القسم من الأساليب المؤثرة في الدعوة إلى الله، ذلك لأن الكلام المؤكد أوالذي يحمل صيغة التأكيد ذو تأثير لا يسعنا إنكاره في حياتنا الفردية والاجتماعية، وهذا التأثير لا يتم إلا إذا استندت هذه المؤكدات إلى دعائم قوية، هذه الدعائم موجودة في القسم، كيف لا والقسم إنما يكون بذات عظيمة هي ذات الخالق سبحانه وتعالى[٤].

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٩٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/ ١٦٠.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصرالله محمد نياز ص ١٣٤.

(فإذا ما كان القسم بالعظيم من عظيم دل في وضوح على أن المقسم عليه عظيم)[١].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: الاعتبار بالأمم السابقة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث الاعتبار بالأمم السابقة فقد بين رسول الله ﷺ ما كان عليه بنو إسرائيل لأخذ العبرة من قصصهم والاستفادة من أخطائهم، فإن ما انتقده القرآن على علماء بني إسرائيل وأحبارهم فيه عبرة وموعظة ودرس كبير للأمة المسلمة، ولا سيما العلماء منها. فإنها تؤكد لهم أنهم سوف يتعرضون لسخط الله وعقابه إذا توانوا في أداء واجبهم والقيام بمسؤولياتهم، وتركوا مهمة إصلاح الأمة وأعرضوا عنها، لأن الله تعالى لا يوالي أحداً لذاته، فيحبه على سيئاته كما لا يعادي أحداً لذاته فيبغضه على حسانه[٢]، لذا فينبغي أخذ العبرة من أخطاء الأمم السابقة، وهذا ما نبه عليه المولى تبارك وتعالى، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

قال السعدي: (أي: قصص الأنبياء والرسل مع قومهم ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي: يعتبرون بها، أهل الخير وأهل الشر، وأن من فعل مثل فعلهم، ناله ما نالهم من كرامة، أو إهانة)[٤].

فينبغي للداعية أن يذكر الناس بقصص الأمم السابقة لأخذ العبرة منها ليبتعدوا عن أسباب هلاكهم.

---

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٤٥.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جلال العمري ص ١٩٧.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٦٢.

ثامناً- من واجبات الداعية: حث المدعوين على القيام والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن من واجبات الداعية نحو المدعوين أن يحثهم على القيام والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما أمر به المولى تبارك وتعالى فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: (يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾ أي منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه[2]، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[3].

فالداعية إلى الله من أهم واجباته حث المدعوين على القيام والالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩.

الحديث رقم (١٩٧)

١٩٧- **الرَّابعَ عَشَر**: عن أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه. قال: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تقرءونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥] وإِني سَمِعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّه بِعِقَابٍ مِنْهُ**» رواه أبو داود، والترمذي والنسائيُّ[١]، بأسانيد صحيحة.

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

فلم يأخذوا على يديه: لم يمنعوه عمّا يُريد، كأنهم أمسكوا يدَه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يختم به الإمام النووي باب "في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"، وهو يتلاقى في مضمونه ومقصده مع الأحاديث السابقة، التي تحض الأمة على مقاومة الظلم، وردْع الظالمين، الذين يشوِّهون قيم الحياة الجميلة، ويشيعون الفساد والرذيلة، لأنهم يظلمون أنفسهم، ويظلمون أمتهم، ويشوهون الفطرة الإنسانية، فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، وهو الانتقاص من الشيء: قال تعالى: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾[٣]. أي: ولم تنقص، والدلالة الحسية للكلمة تعني الاضطراب، والانحراف عن

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٣٨)، والترمذي (٢١٦٨، و٣٠٥٨) واللفظ له، والنسائي في الكبرى (١١٠٩٢). قال ابن كثير في التفسير (٢/١١٠): وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلا، ومنهم من رواه عنه به موقوفًا على الصديق، وقد رجّح رفعه الدارقطني في العلل (٤٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ خ ذ).

(٣) سورة الكهف، آية: ٣٣.

الوجْه المألوف، فَقَوْل العرب: ظلم الأرض: أى حفرها في غير موضع حفرها، ويقول العرب: ظلم البعير أي: نحره من غير داء.

وهذه الدلالات اللغوية التي أوردها صاحب القاموس المحيط تؤكد وتؤصل انحراف هذا السلوك البشري الفاسد.

ويبدأ الحديث الشريف بداية تحذيرية لكل مسلك: وهذا التحذير يقدمه الراوي الأعلى للحديث وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث ينبه الناس إلى ضرورة التأمل والتدبر، وإلى فقه المعنى، والوصول إلى المقصد الأسنى من هذه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[1]، وهو يرمي إلى إزالة الشبهة من عقول الذين يقرءون ولا يفقهون، حيث يظنون أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس واجباً، وليس مسؤولية جماعية، الإنسان في مسيرة حياته لا يعير العاصين انتباهاً، ولا يهمه أمر صلاحهم لأنه كما يتوهم ليس مسؤولاً إلا عن نفسه، وأنه استناداً إلى فهمه القاصر، لا يضره من ضل إذا اهتدى، وأراد أبو بكر بعد تضمين الحديث هذه الآية الكريمة أن يقيم الحجة على هؤلاء الواهمين الذين لا يتدبرون القرآن، ولا يفقهون أسراره ومقاصده، فأتى بهذا النص النبوي الذي يوضح المشكل في هذه الآية، ويفصل المجْمل، ويهدي المرتابين، والواهمين إلى المنهج السَوي الصحيح.

ولنتأمَّل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا البيان النبوي الكريم، وهو يتكون من جملة واحدة: وهذه الجملة اسمية، خبرية: تتكون من مبتدأ وخبر، وهذا التكوين يضم في إطاره عدة جمل، جملة الشرط، إذا رأوا الظالم، وبعدها جملة معطوفة، فلم يأخذوا على يديه، ثم تأتي جملة جواب الشرط، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.

وتداخل الجمل المكونة لخبر إن، وتشابكها يوحي بثقل الظلم وفداحته، والتحفز لمقاومته، وهذا التفسير النابع من التشكيل اللغوي، يتفق مع ما قاله عبدالقاهر في دلائل الإعجاز، وهو يؤسس لنظرية النظم حيث يقول الألفاظ مغلفة على معانيها حتى يكون

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، وأداة الشرط هنا "إذا"، وهى للتحقق، وفي ذلك إيحاء وتوجيه بأن رؤية الظالم متحققة، وبأن الظلم موجود، ولابد من مقاومته، والتعبير بالفعل رأوا، يؤكد هذا المعنى، لأن رأى: تحمل دلالتين، المشاهدة، والعلم وكلاهما من شواهد وجود الظلم، والظالمين، وقوله: فلم يأخذوا ، يتضمن وجوب ردع الظالم ورده عن ظلمه: لأن الأخذ على يده أقوى وآكد من المنع، فربما يمتنع ثم يعود ولكن الأخذ على يده ينهي هذه الخصلة المسيئة والسلوك الأهوج، وجواب الشرط تأتي مادته اللغوية موحية برحمة الله بعباده، فالفعل أوشك من أفعال المقاربة، وهو اختيار لغوي من شأنه أن يعطي ويمنح الظالمين فرصة للتوبة والمراجعة، قبل أن يعمهم الله بعذاب من عنده، واختيار الفعل: يعمهم دون غيره، بعد منح الفرصة لهؤلاء الذين لم يأخذوا على يد الظالم، يرشد إلى أن النقمة تعم، والنعم تخص، فالعقاب يقع على الظالم لظلمه، وعلى غيره لإقراره عليه، وقد قدر على منعه، أما المعذور فلا يتناوله بفضل الله هذا المحذور، وتنكير لفظ عقاب لإفادة عموم العذاب، وتعدد ألوانه وأنواعه، وتحديد العقاب بأنه منه أى من الله لإشاعة الرهبة والخشية حتى يرتدع الظالم عن ظلمه ، وحتى لا يفرط الناس في مقاومته كى تستقيم أمور الحياة، وينعم الناس بالأمن والنجاة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الأخذ على يد الظالم ومعونة المظلوم، وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يجب على كل مسلم أن يُعين على وقف الظالم عن ظلمه بما يستطيعه على قدر طاقته، وأن يعين المظلوم حتى يحصل على حقه، وأن الظالم يجوز

---

(١) انظر في ذلك: أحكام القرآن، الجصاص ٢٦٦/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١١٠/٦، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ١٩٠/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٤٩٢/٣، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١١١/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٦/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ١٦٣/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٣/٩، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٧٠/٣، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٢٠، والمحلى، ابن حزم ٣٥٠/١١.

دفعه بما يكفي لردعه فإن لم يرتدع إلا بالقتل جاز قتله كمن راود امرأة عن نفسها ولم تجد سبيلاً للخلاص منه إلا قتله، وكمن قطع الطريق على الناس، أو خوفهم بما يقلقهم وقتل منهم ونال من أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك مما بينه الفقهاء تفصيلاً في حكم دفع الصائل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من واجبات الداعية: تصحيح فهم المدعوين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على نقل ما سمعوه عن رسول الله ﷺ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب النداء وقد ورد في قول أبي بكر الصديق ﷺ: "يا أيها الناس...".

وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية المهمة، فهو يلفت انتباه المدعوين إلى الدعوة ويجعل الداعية يوجه دعوته لمن يريد من المدعوين، فإن أراد الدعوة عامة وجهها عامة كما فعل أبو بكر ﷺ وقال: "يا أيها الناس" وأن أرادها خاصة بشخص وجهها إليه وقال: (يا فلان).

ثانياً- من واجبات الداعية: تصحيح فهم المدعوين:

من واجبات الداعية التي تظهر من هذا الحديث تصحيح فهم المدعوين، فأبو بكر ﷺ قال: (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ لَا

يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [١]، فخاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأويلها فيدعوهم ذلك إلى ترك الأمر بالمعروف فأعلمهم أنها ليست كذلك، وأن الذي أذن في الإمساك عن تغييره عن المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من أجل أنهم يتدينون به، وقد صولحوا عليه، فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه[٢]، فهو بذلك صحح فهم الناس للآية لذا يجب على الدعاة إلى الله تصحيح فهم المدعوين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل ما سمعوه عن رسول الله ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل ما سمعوه عن النبي ﷺ ويظهر ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: (وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول)؛ فالصحابة كانوا حريصين على سماع سنة الرسول ﷺ وحريصين على نقلها، وقد ورد ما يؤيد حرصهم على سماعها دون أن يفوتهم منها شيء فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ- وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَوماً وأَنزِلُ يَوماً، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ....))[٣].

وكانوا كذلك حريصين على نقل ما سمعوه عن رسول الله ﷺ لأنهم يعلمون أنه ﷺ القدوة لجميع الأمة والمعلم لها، فينقلون ما يقول ويفعل حتى تقتدي به أمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٤]، وقد أمر ﷺ بالتبليغ عنه فقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٨٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

قال ابن حجر: "ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ"[١]، فكان صحابته ﷺ ممتثلين لهذا الأمر حريصين على النقل والتبليغ.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن من أساليب الدعوة التي تضمنها الحديث أسلوب الإخبار وهذا يظهر من إخبار أبي بكر ﷺ عما سمعه من رسول الله ﷺ، وأسلوب الإخبار يفيد منه الداعية في إخبار المدعوين بسنة الرسول ﷺ والإخبار عن تعاليم الدين وبحقيقة دعوته فينبغي على الداعية استخدام أسلوب الإخبار في دعوته.

خامساً- من موضوعات الدعوة: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد بيّن أبو بكر ﷺ أن الآية ليس المقصود بها عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان المسلم مهتد، فقد بين أن رسول الله ﷺ ذكر أن عدم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى وقوع عقاب الله على التاركين.

"ووظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع الإسلامي، فبها تصلح أحوال المسلمين العامة والخاصة، وإذا أهمل انتشر الفساد في البر والبحر، وعمّت الفوضى، واضطرب حبل الأمن والأمان، ودبّ الضعف في بنية الأمة وكيانها، وهذا يفضي إلى الهزيمة والخذلان"[٢].

وما أجمل ما قاله الغزالي في هذا الشأن: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. محمد عبدالقادر أبو فارس ص ٢٩،.

العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد)[١].

ومما يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن جعله الله صفة للنبي ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٢]، فهذا بيان لكمال رسالته، فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر وأحلّ كل طيب، وحرّم كل خبيث... وكذلك وصف الأمة الإسلامية بما وصف به نبيها حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤].

ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل حتى تدخلوهم الجنة.

فبيّن الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم؛ لأنهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق[٥].

ومما يدل على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول حذيفة رضي الله عنه: (الإسلام ثمانية أسهم: وذكر منها الأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له)[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١١٩٢/٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، ومعه: بحث تمهيدي عنوانه (علامات ضوئية على طريق الدعاة)، د. محمد جميل غازي ص ٣٣ - ٣٥.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ١٢٥/١.

ومما يدل أيضاً على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بيّنه رسول الله ﷺ من أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صدقة يؤجر المرء على قيامه بها فقد روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي: يا رسول الله ذهب أهل الدُثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال ﷺ: ((أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللّهِ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً. وَكُل تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ))[1].

وقال ﷺ: ((مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلاَ يُسْتَجَابَ لَكُمْ))[2]، فيعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل الأمان والحماية والحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي، فهو بمثابة صمام الأمان الذي يوفر السلامة والحماية للمجتمع، وذلك بالحث على الالتزام بالمعروف وفعله، وترك المنكرات التي تؤثر على سلامة المجتمع[3].

سادساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الترهيب وهذا يظهر في قوله ﷺ: ((إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللّه بِعِقَابٍ مِنْهُ))، حيث رهّب ﷺ من عدم إنكار المنكر ورد الظالم عن ظلمه وبيّن أن ذلك يكون سبباً في عقاب الله لهم، وذلك؛ لأن عدم إنكار المنكر يكون من دواعي اللعنة والعذاب، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٤٠٠٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٢٣٥).

(٣) انظر: دور الحسبة في حماية القيم الإسلامية، د. محيي الدين عفيفي أحمد ص ٣٢.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

وقال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا المُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عُذِّبَ الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ))[1].

والمقصود بالترهيب: كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٢/٤ رقم ١٧٧٢٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الحرية المطلقة لا يعرفها الإسلام والكبت التام لا يقره الإسلام، بل الحرية المنضبطة بضوابط الشرع، ومعايير الالتزام مردها إلى أمرين:

١/ معروف عرفه الناس وأقره الشرع ودعا إليه.

٢/ منكر أنكره الناس وأقره الشرع أو جاء به ابتداءً.

والمسلمون مطالبون تربوياً بما يلي:

التربية على الإيجابية:

قد ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على أن يكونوا إيجابيين إزاء المزالق الأخلاقية للآخرين، فعلى المؤمن أن لا يقف مكتوف اليدين عندما يرى المنكر والباطل يجاهر به؛ بل عليه أن يتحرك بإيقاف هذا المنكر، وسعه ذلك، يقول: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ..."، فإن المسلم لا يليق به أن يكون سلبياً، ولقد أتاح النبي ﷺ لكل المؤمنين على قدر قواهم ومكانتهم أن يغيروا المنكر، باليد أو باللسان أو بالقلب، يقول ﷺ: "فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ".

فالمرء إذا لم يكن إيجابياً غيوراً على الحق فإن ذلك مهدد بضياع الفضيلة، وانتشار الرذيلة، فالغيرة الصادقة تبعث صاحبها على الفضائل، وتنهض به إلى محاربة الفساد بكل صوره، وتأخذ بيده إلى مكافحة المبطل أو المفسد وتقويم عوجه في تثبت وحزم، أما ضعف الغيرة على الحق أو فقدها، فنقيصة تزل بصاحبها إلى الحضيض[1]، وأي حضيض أحط من السكوت على الحق، والسلبية في مواجهة الباطل؟!.

ثانياً- التربية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ ..."، ويقول: "فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ

---

(١) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ٧٥.

مُؤْمِنٌ، ...، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ..."، وذلك السلوك الذي ربى عليه النبي ﷺ صحابته الكرام هو سمة هذه الأمة، التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ولا تزال الأمة بخير ما دامت تأخذ بهذا المبدأ التربوي العظيم، الذي يميزها عن سائر الأمم التي يشيع فيها الضلال والفاحشة، ثم لا يتناهون عما يفعل ضُلالهم، بدعوى الحريات الشخصية، وتحرير المجتمعات من قيود العقائد والانحراف، وتلك هي النتيجة الطبيعية لترك هذا السلوك العظيم "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من طرق التربية الخلقية المباشرة، وهو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي بعث الله لها النبيين أجمعين، ولو طوي بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأهمل، لعطلت النبوة، وفشت الضلالة وشاع الجهل، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد وهلك العباد، فله دور هام في التربية الخلقية والتهذيب، وهو واجب على الناس جميعاً، خاصة أهل العلم منهم، وهذا الأمر أيضاً واجب وجوب كفاية على المسلمين، وهو دليل الصدق في الله والدين ولابد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشفقة والرأفة واللين في القول، وذلك حتى يؤتى ثماره في إحداث الغاية المرجوة من تهذيب الأخلاق[2].

ثالثاً- التربية بضرب المثل:

وقد استعمله النبي ﷺ في تشبيه القائمين على حدود الله والواقعين فيها، يقول ﷺ: "مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، ..."، وقد أراد ﷺ من وراء ضرب المثل في هذا الموضع تصوير الأمر وتقريبه إلى أذهان صحابته رضي الله عنهم، وقد شبه هنا المعنوي بالحسي، أو الغائب بالحاضر، فإن السفينة من

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد عزب ص ٢٦١.

الأشياء التي كانت معروفة لدى الصحابة، خاصة من سافر منهم إلى الشرق أو الغرب، ولهذا ضرب ﷺ المثل بها، حيث اشترك فيها مجموعة من المسافرين، فحل بعضهم بالطابق العلوي، والآخرون في الطابق الذي يلي الماء مباشرة، وإذا أراد الذين هم بأسفلها الماء صعدوا إلى أعلى، وهنا أراد بعضهم طلباً للراحة خرق السفينة للحصول على الماء دون عناء الصعود إلى أعلاها، وهذا فيه من الخطر على الجميع، فلو أخذ الناس على يد هؤلاء ومنعوهم نجا الجميع، وإلا فالهلاك سيكون مصيرهم لا محالة.

وهكذا الحال بالذين يفعلون المنكرات ويخرقون قواعد الدين ويمرقون عنها، فلو نهوا عن المنكر لنجا المجتمع كله من الفساد، ولو تركوا وما يفعلون، فما أقرب أن يضيع المجتمع كله، ويفشو الفساد، مثلما حدث في كثير من المجتمعات في عصرنا الحديث.

ولضرب المثل فوائد جمّة للمتربين، منها[1]:

١-تقريب المعنى إلى الأفهام، وزيادة التوضيح بذكر الشيء الذي تماثله.

٢-تجسيد الشيء المعنوي في صورة حسنة، فتوضح حاله، وتجعله قريباً للفهم.

٣-توضيح المجهول في صورة المعلوم، فنكشف عن حقيقته، وتوضيح حسنه أو قبحه.

٤-تؤثر في النفس تأثيراً واضحاً بذكر المثل الواضح الذي يشجع على العمل أو ينفر منه.

رابعاً- التربية على السمع والطاعة لولي الأمر:

فطاعة الحاكم من الأسس التي ربى النبي ﷺ عليها صحابته الكرام؛ لما في ذلك من أثر على وحدة الأمة وتماسكها، إلا أن يخرج هذا الحاكم عن المعلوم من الدين بالضرورة، وترك الصلاة، فحينها يجب على الرعية الخروج عليه، ومقاتلته، وليس في غير ذلك مبرر للخروج عليه، حتى إن أتى بغير ما يحبون من قسمة الأموال وتعيين الولاة وغير ذلك من الأمور الدنيوية.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٠٦.

وقد جعل الماوردي خروج الإمام عن أساسيات الدين والعدل سبباً في الخروج عليه، وإيقافه عن بغيه، يقول: "وإن كانت أفعاله -يعني الإمام- خارجة عن حكم الدين ومقتضى العدل لم يجز إقراره عليها، ولزمه أن يستنصر من يقبض يده ويزيل تغلبه"[١].

خامساً- التربية بالترهيب:

من الأحاديث التي استعمل فيها النبي ﷺ أسلوب الترهيب، قوله: "وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ..." ففيها تخويف لصحابته من هذا الخطر المحدق بهم؛ خطر يأجوج ومأجوج، وفي ذلك إعداد نفسي للمؤمنين، ليستعدوا لهذا الخطر القادم، من خلال ترهيبهم، وعندما سألته زينب بنت جحش رضي الله عنها: "أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟"، أجابها: "نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ".

وفي موضع آخر يرهب النبي ﷺ من لبس الذهب، عندما نزع الخاتم عن يد لابسه، وقال: "يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ؟"، إنه تخويف من عاقبة لبس الرجال للذهب، فما هذا الخاتم في يد لابسه إلا جمرة من النار، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترهيب حتى يوقف هذا الرجل عن فعله الخاطئ، ويكف عن لبس الذهب، فكان هذا الأسلوب مانعاً له، حيث ترك الخاتم ولم يرض بمجرد بيعه، والانتفاع به، قائلاً: "لاَ. وَاللّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَداً. وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ".

وفي حديث ثالث يُرهب النبي ﷺ من السكوت عن الحق وإقرار الباطل بقوله: "لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ و لَيُوشِكَنَّ اللّه أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ"، لأن السكوت على الباطل يؤدي إلى انتشاره وشيوعه في المجتمع، فعلى المسلمين أن يتواصوا بالحق فيما بينهم، حتى لا يقع عليهم عذاب الله الذي لا رادّ له.

ولأهمية أسلوب الترهيب في العملية التربوية، فقد استخدمه رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية ويغضب الله تعالى، فكان رسول الله ﷺ يربي الصحابة رضي الله عنهم على تجنب المنكرات والوقوع بها[٢].

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٢٠.

(٢) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن عبدالوهاب البابطين ص ٣٨.

سادساً- التربية بالتحذير:

وهو من الأساليب التربوية الهامة التي وردت في أحاديث هذا الباب، وقد استخدم النبي ﷺ أداة التحذير "إياكم" يقول: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، لما فيها من عرضة لاقتراف المعاصي، من الغيبة والنميمة والنظر إلى ما حرم الله، ولهذا حذرهم من الجلوس فيها، إلا بحقها، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورد السلام وكف الأذى وغض البصر.

والتحذير يكون بالتحرز من إتيانٍ أو فعلٍ أو امتناعٍ عنه، لكونه سبباً في غضب الله تعالى وعذابه، أو سبباً في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم، مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك[1].

سابعاً- التربية على الشجاعة:

ويظهر ذلك في أحاديث هذا الباب في موضعين، أولهما: موقف عائذ بن عمرو رضي الله عنه حين دخل على عبيد الله بن زياد فقال: «أي بني....» وعندما قال كلمة الحق عنده وحدثه بحديث رسول الله ﷺ وذكره بالله، استهزأ به عبيد الله، فردّ عائذ بن عمرو كلامه، رغم علمه ببطشه الشديد، وقسوته وجبروته، ولكن شجاعته أبت إلا أن يقول ما يريد دون خوف العواقب.

أما الموضع الثاني فهو قوله ﷺ عندما سئل: أي الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر»، ذلك هديه في التربية على الشجاعة وغرسها في نفوس صحابته الكرام رضي الله عنهم، ولهذا فقد اعتبر الذي يقول كلمة الحق عند السلطان الجائر في منزلة أعلى من المجاهد في سبيل الله بنفسه ودمه؛ لأن الجامع بينهما الشجاعة والفداء والتضحية؛ غير أن الذي يذكر ولي الأمر الظالم بظلمه أكثر شجاعة؛ لأنه ينطق دون غيره، ويخرج من المسالمة والخنوع، بل ومن الراحة، إلى تعريض نفسه لبطش السلطان، وإذا ما أجدت نصيحته ونفعت، فإن النفع يعم الناس جميعاً؛ لأن صلاح السلطان صلاح للرعية كلها.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٤٩.

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربه هو عزة إيمانه، وعزة الإيمان غير كبرياء الطغيان؛ إنها أَنَفَةُ المؤمن أن يصغر لسلطان، أو يتضع في مكان، أو يكون ذنباً لإنسان، هي كبرياء فيها من التمرد بقدر ما، فيها من الاستكانة، وفيها من التعالي بقدر ما فيها من التطامن، فيها من الترفع على مغريات الأرض ومزاعم الناس وأطايب الحياة، وفيها الانخفاض إلى خدمة المسلمين والتبسط معهم، واحترام الحق الذي يجمعه بهم، فيها إتيان البيوت من أبوابها، وطلاب العظمة من أصدق سبلها[١].

ثامناً- التربية بالقصة:

وذلك في ورود قصة بني إسرائيل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ...» ثم يروي ﷺ كيف تحولوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى السكوت على الحق، ثم الانغماس في المعصية حتى فسدوا وقست قلوبهم حتى لعنوا.

وفي هذه القصة من العبرة والعظة ما يفي بإيصال المبدأ التربوي إلى نفوس المتلقين، وأسلوب القصة من أبلغ الأساليب في التربية بالموعظة؛ ففيها سحر يسحر النفوس، سحر قديم قدم البشرية... خاصة إذا أظهرت بشكل واضح المواعظ والعبر التي يراد نقلها للمتعلمين، وإذا كانت المعلومات التي تتضمنها حقيقة وسليمة، وإذا كانت أحداثها مشوقة حتى يظل المتعلمون مشدودين إليها[٢].

تاسعاً- التربية على إسداء النصح لأولياء الأمر:

إن ما ورد في الخبر عن النبي ﷺ وصحابته في إسداء النصيحة لولي الأمر وعدم خشيته، لدلالة قاطعة على حث الإسلام على الإيجابية في التعامل مع ولي الأمر، وأداء واجبه على الرعية، على أن يؤدوا إليه النصح والإرشاد، فهذا عائذ بن عمرو رضي الله عنه يؤدي النصيحة إلى عبيد الله بن زياد، ويبلغه حديث رسول الله ﷺ: «إن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. ». فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ.

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٩٦.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، أحمد محمود الحمد ص ١٩٧-٢٠١ بتصرف.

وذلك لأن النبي ﷺ سئل: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ فأجاب: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». ويقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»؛ فأداء النصيحة لوليّ الأمر، وإن لم يفعلوا ذلك فإنهم مهددون بالعذاب العام من قبل الله عز وجل.

ويجب على العامة أن ينصحوا لولاة الأمر، وأن يأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، ويعينوهم على طاعة الله وإقامة شرعه، وتتعين النصيحة على أهل العلم لأنهم هم أحق بها وأهلها... ولابد أن يبتغي المرء بنصيحته لولاة الأمر ولغيرهم وجه الله ولا يفعل هذا سمعة ورياء، وكذلك يجب عليه أن يكون رفيقاً بمن ينصحهم وأن يكون هدفه الأول والأخير ردهم إلى الحق والصواب، وإعانتهم على إقامة شرع الله، وما فيه من صلاح الرعية[1].

عاشراً- التربية على مراعاة آداب الطريق:

الإسلام أول دين وضع آداباً للطريق، وجعلها فرض عين على كل من يجلس على قارعة الطريق. وإذا كانت النظم الحديثة أنشأت وزارات للبيئة، وعقدت مؤتمرات من أجلها، فإن الرسول ﷺ لم يقف عند حد الصيانة الحسية، بل أوجب الحق الأدبي للطريق ليبقى للإسلام فضل السبق في ميدان التربية والتعليم، وقد اهتم بالطريق من أمرين:

الأمر الأول: رعاية حق الطريق من سبيل المحسوسات، وذلك في قوله: "كف الأذى"، وهي كلمة جامعة لكل صور الأذى، فالحفر والقاذورات وترك المخلفات وإيقاف السيارات في غير ما حدد له من أمكنة كل هذا من باب الأذى.

الأمر الثاني: رعاية حق الطريق من سبيل القيم وذلك بـ:

- غض البصر صوناً ورعاية للحرمات ودرءً لنار الشهوة ورعاية لحقوق الآخرين.

---

(١) النصيحة ومكانتها في الإسلام، الأمين الحاج محمد أحمد ص ٥٤.

- رد السلام وذلك لسيادة روح الخير، لأن إلقاء السلام يعني إعطاء الأمان ممن ألقاه، وعدم إلقائه يعني بقاء روح الشر قائمة به، ورد السلام يراد به إعلان مقابلة السلم بالسلم والأمان بالأمن.
- الأمر بالمعروف حتى ينصبغ المجتمع بهذه الروح "المعروف" وذلك بالدعوة إلى كل خير يمكن فعله ونشر كل فضيلة يتأتى القيام بها.
- النهي عن المنكر لقطع دابر الشر في المجتمع.

٢٤- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف

أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢-٣]، وَقَالَ تَعَالَى إخباراً عن شعيب ﷺ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[هود: ٨٨].

الحديث رقم (١٩٨)

١٩٨- وعن أَبي زيدٍ أُسامة بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيامةِ فَيُلْقَى في النَّار، فَتَنْدلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحا، فَيجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّار فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ مَالَكَ؟ أَلَمْ تَكُن تَأْمُرُ بالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيه، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**» متفق عليه[1].

قولُهُ: «**تَنْدلِقُ**» هُوَ بالدَّالِ المهملة، وَمَعْنَاهُ تَخْرُجُ. و«**الأَقْتابُ**»: الأَمْعَاءُ، واحِدُهَا قِتْبٌ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٠).

الشرح الأدبي

هذه الصورة من صور العذاب يوم القيامة، وهى تنقل إلينا مَشْهداً من مشاهد مصير هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون، وهم العلماء الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وفي القرآن ترد صورتهم منفرة وهم في الدنيا، والصورة نفسها في الحديث الشريف تتطور إلى عذاب أليم، فهم في الدنيا: كمثل الحمار يحمل أسفاراً، وهم في الآخرة: لا يستطيعون إخفاء ما يكتمونه في الدنيا، ويرمز الحديث إلى ذلك بالأمعاء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩/٥١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٢٩).

التي تندلق من بطنه، وهو لا يستطيع منها خلاصاً، ولكن يدور كما يدور في الرحى، فتلتف عليه الأمعاء، فيبقى هكذا يدور، وهى تدور عليه عبرة ونكالاً، وتزداد الصورة عمقاً حين يفاجئه أهل النار الذين كانوا يرتكبون الكبائر في دنياهم وهو ينهاهم: ويستنكر هؤلاء العصاة موقفه، ومصيره، فيعترف بأنه كان من المنافقين وأنه: عاش حياته في تناقض بين المظهر والمخبر، وبين القول والفعل، فيقول في حسرة وندم: "كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه"!!! ولات ساعة مندم.

وهذه الصورة الدقيقة العميقة تسمى "الصورة الحركية الدائرية"، حيث يتوحد المكان مع الزمان، وتتجمع كل خيوط الأحداث، وتتراءى في الصورة معالم التناقض السلوكي، من خلال توظيف معطيات البيئة: حتى تكون الصورة مؤثرة وواضحة.

وتتضمن هذه اللوحة خمسة مشاهد متوالية متعاقبة بفعل الزمان والمكان، الإلقاء في النار، اندلاق الأمعاء، والدوران، اجتماع أهل النار، جواب المرائى في وعظه، والمشهدان الأخيران: حوار في أحشاء النار بين هذا المرائي المنافق. والعصاة الذين كان يعظهم في الدنيا.. ولا يصغون إلى مواعظه الزائفة.

ويتجلى الرعب في مشهد لا يُعْهد في الدنيا، إذ يدور المرء بأمعائه، وكأنه أصيب بصرع، إذ يحار إلى أين يذهب بما رأى من أمعائه، ونجد صفة الإكراه في صيغة الفعلين، يؤتي ويلقى، والبناء للمجهول هنا له ميزتان، إيماء إلى القوة الخارجية التي تصنع ما تصنع، ولفت نظر المتلقي إلى الحدث نفسه لأهميته التصويرية، ويبتدي القبح في مغايرة المشهد للمعهود، وفي تشبيه الدوران بدوران الحمار حول الرحى، مما يزيد في تصوير بهيمية المرائي، وحياته الغريزية، إذ يغدو عبداً لغرائزه، فضلاً عن اندلاق الأمعاء المثيرة للتقزز مع الرعب؛ أما بناء الفعلين الأخيرين في صورة (هذا المرائي "للفاعل") فيشير -كما يقول د. عزالدين السيد- إلى حصولهما منه، فاندلاق الأمعاء إثر انفجار الحاجز، وهو أمر تحدثه القذفة، والدوران بها إثر الصدمة، وهو ما تحدثه الفواجع، وكثيراً ما يحدث تلقائياً عند المباغتة، أما أنها أفعال مضارعة (يلقى - تندلق - يدور...) لم تقرن بالتسويف مع أنها أمور أخروية مستقبلة ، فذلك لاستحضارها في

الحال، كأنها تدرك وتحس، كما يُدْرِك ويحس دورانُ الحمار بالرحى، والتشبيه بأمر يتصل بالحمار لا يكون إلا تقبيحاً، وذلك سر اختياره دون ما يجر الرحى من سائر الحيوانات"[١].

وهذا التصوير القبيح إحدى أمارات تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر، وخالف قوله فعله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اختصاص النبي ﷺ بالإخبار عن بعض مشاهد يوم القيامة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطورة مخالفة القول العمل.

رابعاً: من واجبات الداعية: مطابقة عمله قوله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اختصاص النبي ﷺ بالإخبار عن بعض مشاهد يوم القيامة:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث اختصاص النبي ﷺ بالإخبار عن بعض مشاهد يوم القيامة وهذا يظهر في قوله ﷺ "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق ... الخ الحديث" فقد أخبر ﷺ بما يلقى بعض أهل النار يوم القيامة وهذا من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب المستقبلة وإخباره عنها ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده: قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢] ولكن جاءت أدلة أخرى تفيد: أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه عن طريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم[٣].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد باسوف ص ٦٦٢، ٦٦٣.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١/٥٤٢، ٥٤٣.

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ﴾[1] فإخباره ﷺ عن بعض مشاهد يوم القيامة هو من الإخبار بالمغيبات التي هي بوحي من الله للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته وقد ورد عنه الكثير من أخبار تختص بيوم القيامة وما يحدث فيه منها: قوله ﷺ: ((إنكم مُلاقو الله حفاةً عراةً غُرْلاً))[2] وقوله: ((يعرَق الناسُ يومَ القيامةِ حتى يذهَبَ عَرَقهم في الأرض سَبعين ذراعاً، ويُلجِمهم حتى يَبلغَ آذانهم))[3]. وغيرها من مشاهد يوم القيامة المروية عنه ﷺ مثل ثبوت الشفاعة له ﷺ وأحوال أهل النار وأهل الجنة وكل ذلك من دلائل نبوته التي أيده الله بها ﷺ.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الترهيب، حيث رهب ﷺ من مخالفة القولِ العملَ، وبيّن أن عقاب ذلك إلقاؤه في النار وتعذيبه فيها، وهو ترهيب قوي يخيف الدعاة والمدعوين من مسألة مخالفة القول العمل. فينبغي للداعية استخدامه في تخويف المدعوين من عواقب المعاصي والذنوب مع تذكره ذلك بحق نفسه.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطورة مخالفة القول العمل:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث خطورة مخالفة القول العمل حيث بيّن أن ذلك من أسباب وقوع العقوبة في قوله ﷺ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه. ففي ذلك خطورة مخالفة القول العمل قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾[4] أي أعظم ذلك المقت والبغض عند الله، أي: إن الله يبغض بغضاً

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٢٤، ومسلم ٢٨٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٣١، ومسلم ٢٨٦٢.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ٢، ٣.

شديداً أن تقولوا "ما لا تفعلون" وأن تعدوا من أنفسكم شيئاً ثم لم توفوا به[١].

وفي كتب السنة عشرات الروايات التي تحض على تطابق الظاهر مع الباطن، والقول مع الفعل.. كما تنذر وتحذر المعرضين عن ذلك بالعواقب الوخيمة والعقوبات العظيمة.

وتظهر خطورة مخالفة القول العمل في عدم قبول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخالفه[٢].

فالذي يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، وأخلاقه سيئة لن تكون دعوته مستجابة ولن يلقى إلا الصد والأعراض.

والذي يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله، دون أن يكون مجاهداً أو على ثغرة من ثغور الجهاد لن يتجاوب الناس مع دعوته. والذي يحض الناس على البذل والتضحية والعطاء وهو شحيح لن يلقى أذناً صاغية في الناس أجمعين.

والذي يدعو الناس إلى التواضع وهو مختال فخور، وإلى الإيثار وهو صاحب أثرة، وإلى الصدق وهو كذاب، وإلى الأمانة وهو خائن، وإلى الاستقامة وهو منحرف، وإلى الطاعة وهو عاص، وإلى التماس الحلال الطيب وهو غارق في المحرمات والخبائث. إن إنساناً كذلك قد يتمكن من خداع الناس حيناً ولكنه لن يتمكن من خداعهم في كل حين[٣].

قال أبو العتاهية:

يا وَاعِظَ النّاسِ قد أصْبَحتَ مُتّهَماً ... إذ عِبتَ منهُمْ أُموراً أنتَ تَأتيهَا

كالمُلبسِ الثّوْبَ من عُرْيٍ، عورته ... للنّاسِ باديَةٌ ما إنْ يُواريهَا

وَأعْظَمُ الإثمِ بَعدَ الكُفرِ نعلمه ... في كُلّ نَفسٍ عَمَاها عَنْ مَساويهَا

---

(١) معالم التنزيل، البغوي ١٠٨/٨.

(٢) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، الشيخ: فتحي يكن ص ٢٥.

(٣) المرجع السابق ٢٢-٢٣.

عِرْفانُهـا بعُيُـوبِ النّـاسِ تَبـصِرُها مـنهُمْ، وَلا تُبـصرُ العيـبَ الـذي فيهَـا[١]

رابعاً- من واجبات الداعية: مطابقة عمله لقوله:

من واجبات الداعية التي تظهر من هذا الحديث مطابقة عمله لقوله، ويظهر ذلك من بيان سبب عذاب الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أنه كان لا يطابق عملُه لقوله بل كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه.

فإن من الأمور اللازمة لنجاح الداعية أن يفعل ما يأمر به ويجتنب ما ينهى عنه. والذي لاشك فيه أن الداعية إلى الله لا يستطيع أن ينفذ بدعوته إلى مستمعيه ما لم يكن قدوة حسنة، فعلى الدعاة أن يترسموا منهج الدعوة في كل شأن من شئونهم في أقوالهم وأفعالهم في حياتهم الخاصة والعامة.. في أنفسهم كأفراد، وفي بيوتهم كأزواج وآباء... وهذا ما أكدّ عليه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: ((من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه لسيرته قبل تهذيبه بلسانه، فمعلم نفسه، ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم))[٢].

إن الواجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حريصاً على إصلاح سره كما يجب عليه أن يكون حريصاً على إصلاح جهره... عليه أن يكون صريحاً مع نفسه فلا يخادعها، ومع الناس فلا يرائيهم ولا ينافقهم... وليسمع قول ابن السماك في هذا المعنى: (كم من مذكر بالله ناس لله... وكم داع إلى الله فار من الله... وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله)[٣].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٦٧٢/١.

(٢) مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن ص ٦٩، نقلاً عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ص١٥٥.

(٣) المرجع السابق ص ١٥٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

التربية بالقدوة أشد تأثيراً من التربية بالقول، والانفصال بين القول والفعل بسبب أزمة نفسية عند المستمع، إذا كان ما يدعو إليه الداعي محموداً، فلماذا لم يتحلّ به، وإذا كان مذموماً فلماذا يدعوني إليه، ولأن هذا السلوك يضر أكثر مما ينفع، فقد حرص الإسلام على أن لا يفصل الإنسان بين قوله وفعله، وحسبنا أن الرسول ﷺ ما أمر بأمر إلا وكان أول الملتزمين به، وما نهى عن أمر إلا وكان أول المقلعين عنه.

وعلماء الأمة في هذا الجانب أكثر مسؤولية من غيرهم، فهم خلفاء الرسول ﷺ وهم القدوة وهم الأولى بالاتباع، ولهذا حذر الرسول ﷺ من مخالفة القول بالفعل، ومن هدي الرسول ﷺ أنه شبه ذلك بأسوأ صورة يتصورها الإنسان، ومن المفاهيم التربوية ما يلي:

أولاً- التربية بالترهيب:

في هذا الباب ورد حديث يستخدم فيه النبي ﷺ أسلوب الترهيب على نحو صريح، حيث يبين مصير الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، يقول ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ..»، ثم يصور صورة مرهبة لمصيره، حيث تخرج أمعاؤه من بطنه، ثم يدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا، وعندما يسأله أهل النار عن حاله، يجيب بأنه لم يكن صادقاً في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

إن فعله في الدنيا لم يدخله النار فحسب، بل إنه جعل له عذاباً غريباً، يتعجب منه أهل النار جميعاً، عذاباً شاذاً ومختلفاً، تماماً كشخصيته في الدنيا؛ حيث كان يأمر بالخير ولا يفعله وينهى عن الشر ويفعله، ففضحه الله بين أهل النار.

وتلك صورة يرهب بها النبي ﷺ أمته من عاقبة هذا الفعل؛ حتى يجتنبوه، عندما بيّن عاقبة فاعليها؛ لأن كثيراً من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد... وأنجح علاجات الإصلاح بالنسبة لهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من

تأثرهم بالمرغبات؛ وذلك لأنهم قد يكونون ممن يتأثرون باللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة ويؤثرونها على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة، ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر، لكنهم إذا مثلت المخاوف المخففة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا[١].

ثانياً- التربية على الصدق في الدعوة إلى الله:

فعلى الداعي إلى الله والمربي أن يكون مثالاً للشفافية والنقاء، فهو لا يأمر بمعروف ويتركه، ولا ينهى عن منكر ويأتيه، بل هو مثال صادق وقدوة صالحة؛ كما أن دافعه الإيماني يزجره عن الازدواجية في حياته، والانفصال التام بين أقواله وأفعاله، إن مطابقة الأقوال للأفعال سمة أساسية في المربي، حتى يكون لدعوته الأثر في المتلقين، حين يجدونه يتمثل بكل ما يقول ويأمر نفسه وينهاها قبل أن يأمر الآخرين وينهاهم.

يقول ابن القيم: "علماء السوء من جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلمّوا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدِلاّء، وفي الحقيقة قطاع الطريق"[٢].

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) الفوائد، ابن القيم ص ٨٠.

٢٥- باب الأمر بأداء الأمانة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[الأحزاب: ٧٢].

الحديث رقم (١٩٩)

١٩٩- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا آؤْتُمِنَ خَانَ**» متفقٌ عليه[1].

وفي رواية[2]: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وزعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الصدق من أهم معالم الشخصية الإسلامية، ومن أهم سمات توازنها وأمارات تواجدها وأثرها في حركة المجتمع المسلم، ويَرْصد هذا الحديث الشريف سلوكيات تلقى بالمسلم في دائرة النفاق، وتجرفه إلى الابتعاد عن ملامحه الإسلامية التي وسم الله بها عباده المؤمنين في كثير من سور القرآن الكريم، وتجمعت في صفات عبادالرحمن، في سورة الفرقان.

ويبدأ الحديث بتقرير حقيقة ثابتة عن طريق الجملة الإخبارية الاسمية: "آية المنافق ثلاث".

والآية: هي: العلامة الظاهرة الواضحة لكل ذي لب؛ وجاءت كلمة آية مفردة.. ثم قال: "ثلاث" بعد ذلك والسياق أن يقول: آيات المنافق ثلاث: أي ثلاث خصال، قيل: أفرد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩/١٠٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٢٥). وسيكرره المؤلف برقم (٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٥٩/١١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٢٥). وسيكررها المؤلف برقم (٦٨٩).

الآية على إرادة الجنس: أي جنس الآية أو العلامة وهل للمنافق علامات ثلاث فقط؟؟ إن هناك أحاديثًا أخرى تضيف إلى هذه الخصال خصالاً أخرى، وقبل إن الآية هى أعم من الخصلة والعلامة، فكأن هذه الآيات الثلاث تتضمن كل ما يمكن أن يتصف به المنافق: الذي يتعمد الكذب في الحديث: في أي شأن من شؤون دنياه، ويتعمد إخلاف الوعد في أي مسلك يسلكه وأي طريق يتخذه في أي مكان، وأى زمان، ويتعمد خيانة الأمانة مع سبق الإصرار والترصد، والدلالة اللغوية للنفاق تجسد سلوك المنافق، وترصد حركته في الحياة، فالنفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير، وإبطان خلافه؛ ودلالة النفق في اللغة تتفق مع سلوك المنافق: فالنفق هو : سرب في الأرض له مخلص إلى مكان ؛ فالمنافق يتوهم أنه سينجو بكذبه، وسيغنم بإخلاف الوعد، وسيزداد ثراء وقوة بخيانة الأمانة، وهو أشبه بمن يسرب في النفق ويختفي عن عيون محدثيه أو مواعديه أو مؤتمنيه، وقيل: النافقاء والنفقة: إحدى حجرات اليربوع: يكتمها ويظهر غيرها، فإذا أتى من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي دخل في السرب وهرب، وهل المنافق الذي رسم المصطفى ﷺ معالمه وحدد آيته... في هذه الخصال وغيرها إلا صورة من هذا اليربوع الذي يصمم مسكنه كما يصور المنافق تفاصيل حياته، ومحاوراته وأفعاله مع الله ومع نفسه ومع الناس.

والنفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين: "أحدهما: النفاق الأكبر: وهو أن يظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه؛ والثاني النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك"[1].

والبناء اللغوي للحديث يفصح عن مقاصده، ومعانيه، فهو يتكون من أربعة جمل: الأولى: تحدد أو ترشد إلى ما يفضح المنافق.. وقد حددت في ثلاث خصال في هذا الحديث: ثم يأتي التفصيل بعد الإجمال. في ثلاث جمل شرطية وتلاحظ أن أداة الشرط

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس .

هى: إذا: وهى ظرف لما يستقبل من الزمان: وتفيد التحقق ودلالة ذلك أن هذه الخصال ستظل موجودة لأنها من طبائع البشر الفاسدة: وعلى المسلم أن يقاوم ذلك ما استطاع إليه سبيلاً، والتعبير بلفظ "حَدّث"، أبلغ من "تكلم" لأن التحدّث يفيد المشاركة، حيث يحدث غيره، أما المتكلم فقد يتكلم المرء في عدم وجود من يسمعه.

والتعبير بـ "وعد" أبلغ من أوعد، لأن الوعد لا يكون إلا بالخير، أما أوعد فهي تعني الوعيد، فالمنافق يخلف الوعد في مجال الخير، ولكنه إذا أوعد كما يفهم من صياغة الفعل فإنه ينفذ وعيده، حَيْث الشر والضرر، وبناء الفعل للمجهول في قوله: وإذا أؤتمن خان"، يرشد إلى أن إعطاء الأمانة يكون سرًا ومن غير شهود: ولذلك يخون المنافق هذه الأمانة: وهى كل ما يؤتمن عليه الإنسان من الأقوال والأعمال والأموال والأحوال.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الكذب، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٥٤).

الثاني: حكم الوفاء بالوعد، وقد اختلف الفقهاء في حكم الوفاء بالوعد على أقوال:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١] والمالكية في المشهور[٢] والشافعية[٣] والحنابلة في المذهب[٤] إلى أن الوفاء بالوعد مندوب لا واجب.

القول الثاني: ذهب المالكية في قول[٥] وأحمد في رواية وهو قول ابن تيمية[٦] إلى

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢٩/٢١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٣٢/٥.

(٢) شرح الخرشي ٢٥/٤، وأنوار البروق للقرافي ٧٩/٣.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٨٥/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٨٧/٢.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٤١٥/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٥٢/١١.

(٥) شرح الخرشي ٢٥/٤، وأنوار البروق ٤٧/٤.

(٦) الفتاوى الكبرى ٥٥٤/٥، والفروع، ابن مفلح ٤١٥/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٥٢/١١.

أن الوفاء بالوعد واجب لأن الخلف من صفات المنافقين استدلالاً بهذا الحديث.

القول الثالث: المشهور عند المالكية إلى أن الوعد يلزم إن كان لسبب ولا يلزم لغيره، كما لو قال لغيره تزوج وأعطيك؛ لأنه إذا كان معلقًا على سبب، يظهر منه معنى الالتزام[1] أي يجب الوفاء به.

الثالث: حكم أداء الأمانات والودائع، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن من أودع شيئًا عند آخر كان أمينًا على الوديعة، ويجب عليه المحافظة عليها، وردها إلى صاحبها متى طلبها.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الخصال المذمومة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإنذار والتحذير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر النفاق.

أولاً- من واجبات الداعية: بيان الخصال المذمومة:

من واجبات الداعية في دعوته أن يبين للمدعوين الخصال المذمومة ليجتنبوها، ويظهر ذلك في بيانه ﷺ خصال النفاق فقال: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" ومع جمع الخصال الأخرى التي وردت في غير هذه الرواية.

قال ابن حجر: (وجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث؛ لأنها منبهة على ما عداها، إذا أصل الديانة منحصر في ثلاثة: القول، والفعل، والنية. فنبه إلى فساد القول

---

(١) غمز العيون والبصائر ٢٣٧/٣، والفروع، ابن مفلح ٤١٦/٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١١/٦.

(٢) البحر الرائق ٢٧٥/٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١١/٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤١٩/٣ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٣/٧ وما بعدها، ومغني المحتاج (٨٧٠) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٢٦/٤، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٩٨/٧، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٥٢/٢ وما بعدها، والفروع، ابن مفلح ٤٧٩/٤.

بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف؛ لأن خلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارنًا للوعد)[١].

وقال ابن هُبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن النفاق أصله من النافقاء، وهو أحد حجرة اليربوع، فالكذب يناسبه، والإخلاف يلائمه، والخيانة تطابقه. هذه الأشياء المذكورة ترجع إلى أصل واحد، وهو النفاق الذي تنافيه الأمانة، ويباينه الصدق، ويزايله الوفاء. والمراد من هذا الحديث أن تكون هذه الخلال مستمرة على هذا الشخص، وغالبة على أحواله، فأما إن بدرت منه أو ندر منها شيء لم يخرجه عن درجة الإيمان)[٢].

فينبغي على الداعية أن يبين هذه الخصال المذمومة خشية أن ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٣]؛ فالداعية إلى الله يجب أن يكون مبينًا للخير مطالبًا له ومبينًا للشر ناهيًا عنه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإنذار والتحذير:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الإنذار والتحذير فقوله ﷺ آية المنافق ثلاث ... إلخ الحديث. خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فيفضي به إلى النفاق، لا أن من ندرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق[٤].

فينبغي للداعية إنذار المدعوين مما يخاف عليهم منه، وتحذيرهم من اعتياده فيكون لهم طبعًا ويفضي بهم إلى المعصية؛ فأسلوب الإنذار والتحذير أسلوب يفيد الداعية في بيانه للمدعوين حتى يبيّن لهم معالم الخطر ووجوب اجتنابه.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٦٣، ٢٦٤، رقم ١٩٧٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/١٩١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطر النفاق:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث خطر النفاق حيث بيّن رسول الله ﷺ خصال المنافقين لما فيها من خطر على المسلمين.

وخطر النفاق عظيم، من أجل ذلك أطال القرآن في بيان صفات المنافقين، وأنزل سورة كاملة باسمهم وذكرهم في كثير من آياته، وأكثر من ذكر فضائحهم ليحذرنا من التخلق بخلقهم، ويباعد بيننا وبين الانتساب إليهم، ولم يكتف القرآن بذلك القدر من التحذير بل قال "قاتلهم الله"، وهو دعاء عليهم بالهلاك بعد أن حذرنا منهم وعرّفنا أنهم عدو الأمة اللدود قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾[1] وداؤها العضال وهم طريق نكبتها، وسبب استعباد العدو لها وشقائها في هذه الحياة[2].

فينبغي على الداعية أن ينبه المدعوين إلى خطر النفاق، وخطر التخلق به.

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٤.

(٢) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد أحمد العدوي، دار المعرفة، لبنان: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ص ٤٧٠.

الحديث رقم (٢٠٠)

٢٠٠- وعن حُذيْفَة بنِ الْيمانِ رضي الله عنه، قال: حدثنا رسولُ اللّه ﷺ حَديثَيْن قَدْ رَأَيْتُ أَحدهُمَا، وَأَنَا أَنْتظرُ الآخَرَ: حدَّثنا أَنَّ الأَمَانَة نَزلتْ في جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرآنُ فَعلموا مِنَ الْقُرآن، وَعلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثنا عَنْ رَفْعِ الأَمانَةِ فَقال: «**يَنَامُ الرَّجل النَّوْمَةَ فَتُقبضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيظلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ ينامُ النَّوْمَةَ فَتُقبضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيظَلُّ أَثَرُهَا مِثْل (أثرِ)[1] الْمَجْلِ، كجَمْرٍ دَحْرجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَنفطَ فتَراه مُنْتبرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيءٌ**» (**ثُمَّ أَخذَ حَصَاةً فَدَحْرجَهَا عَلَى رِجْلِهِ**)، **فَيُصْبحُ النَّاسُ يَتبايَعونَ، فَلا يَكادُ أَحَدٌ يُؤدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إنَّ في بَنِي فَلانٍ رَجُلاً أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلَّرجلِ: مَا أَجْلدهُ مَا أَظْرَفهُ، مَا أَعْقلَهُ، وَمَا في قلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إيمانٍ.**

وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بايعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلمًا ليردُنَّهُ عَليَّ دِينُه، ولَئِنْ كَانَ نَصْرانيًا أَوْ يَهُوديًّا لَيُرُدنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيه، وأَمَّا الْيَوْمَ فَما كُنْتُ أُبايعُ مِنْكمْ إلاَّ فُلانًا وَفلانًا» متفقٌ عليه[2].

قوله: (**جَذْر**) بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة: وَهُوَ أصل الشيء وَ(**الوكت**) بالتاء المثناة من فوق: الأثر اليسير. وَ(**المَجْلُ**) بفتح الميم وإسكان الجيم: وَهُوَ تَنَفُّطٌ في اليدِ ونحوها من أثرِ عمل وغيرِهِ. قوله: (**مُنْتَبرًا**): مرتفِعًا[3]. قوله: (**ساعِيهِ**): الوالي عَلَيهِ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٤).

---

(١) الزيادة ليست عندهما، في هذه الرواية، وإنما هي عند البخاري برقم (٧٠٨٦)، وكذا هو عند الحميدي في (١/٢٨٠، رقم ٣٩٤)، والمنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣/٢٣٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٠٥).

(٣) بنصه في الترغيب (٣/٥٩٣).

غريب الألفاظ:

المجلُ: تنَقطٌ في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره. وقيل: هو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة[١].

فنفطت: أي قرحت[٢].

مثقال حبة: أي مقدار شيء قليل[٣].

الخردل: حبّة الخردل سدس حبّة الشعير، والمراد: ليس في قلبه شيءٌ من الإيمان[٤].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الشريف قصة "الأمانة" في رحلتها مع الإنسان، وكيف تحولت من فطرة فطر الله الناس عليها إلى نبض غريب في قلب ضجيج الحياة، وإلى طير مهاجر لا يستقبله إلا فضاء النفوس المؤمنة والقلوب التي عقدت على الإيمان، ولم تتمكن منها وساوس الشيطان، واحتمت بآيات الكتاب، وسنة المصطفى ﷺ.

فالأمانة هنا ليست سلوكًا مؤطرًا بالزمان أو المكان، ولكنها كما قال العلماء "عين الإيمان"، فإذا استمكنت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف، واغتنم ما يرد عليه منها، وجَدَّ في إقامتها.

وقصةُ الأمانة كما يروي تفاصيلها رواية عن رسول الله ﷺ، حذيفة بن اليمان: تبدأ بالمرحلة الأولى وهى تتمثل في الحديث الأول، وقد جاء تصويرها في صورة كنائية" فقوله ﷺ: نزلت في جذر قلوب الرجال، كناية عن أن الأمانة فطرة في الإنسان: قد فطر الله الناس عليها، وهى الأمانة التي حملها الإنسان: وأما السموات والأرض

---

(١) رياض الصالحين ١٣٠، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٩/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٦٩/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٧٠/٢.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧٢.

والجبال: فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، والصورة هنا تحمل كل أصول الفطرة النقيَّة، فالقلوبُ مثل شجرة سامقة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، وما أدق هذا التصوير البياني في قول المصطفى ﷺ: نزلت: أى استقرت في جذر قلوب الرجال، وفي ذلك إيحاء بأن هذه الفطرة مهما ذبلت أغصانها، وجفت ثمارها، ويبست سوقها، فإن جذعها... وجذرها لا يزال ضاربًا في أعماق الفطرة الإنسانية.

والقلة المؤمنة الذين يقبضون على الجمر، ويعضون بالنواجذ على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، هم عصارة هذا الجذر الإيماني الطهور، وهم الذين عَلِمُوا من القرآن معالم تلك الأمانة، وعَلِمُوا من السنة كيف تؤدي الأمانة، وكيف يحملها الإنسان، وينجو من أن يكون فريسة للشيطان، فيظلم نفسه، ويلقى بها إلى مهاوي التهلكة، وينجو من أن يتردى في حمأة الجهل والرذيلة والفساد، والمرحلة الثانية: في قصة: الأمانة: تصور معالمها عدةُ مشاهد تحدد أبعادها الشخصيات والأحداث من خلال التصوير الدقيق الرامز لتفريط الإنسان في الأمانة، والنوم عن الفرائض والواجبات هو من مظاهر الغفلة وهو الطريق إلى المعصية، والتفريط في الأمانة، ولذلك يأتي التشبيه لتوضيح كيفية انطفاء وهج الأمانة في القلوب، ولا يبقى إلا مثل الوكت، وهو سواد يسير، أو أثر يسير، يبقى في القلب دالاً على رسوخ الفطرة في مكونات الإنسان، وتأتي ثم لتربط بين المرحلتين، وهي توحي بأن المرحلة الأولى في هذا الضياع لها زمن طويل ثم تبدأ المرحلة الجديدة، وهي أشد ضياعًا وتضييعًا للأمانة.

ويمكن أن تكون سمة للفرد، أوْسِمةَ في المجتمع، ولذلك يتكرر حدث النوم رمزًا للغفلة والسهد، وضعف الإيمان، والصورة هنا تتحرك وتزداد وضوحًا وتأثيرًا، حتى كأن الأمانة المضيعة مشخصة أمامنا في هذه الصور الواقعية المتتالية، فيظل أثرها مثل المجل: وهو أن يكون بين الجلد واللحم ماء، فهي ظاهرة مرضية تشوه فطرة الإنسان، وتحرق معالمه، ولذلك تأتي الصورة الثانية في ذلك التشبيه الدقيق التصويري الحركي الذي يوحي بأن الشيء قد يرتفع ويخدع الحواس، ولكنه نمو سرطاني، وتفاعل شيطاني تفصح عنه هذه الصورة (كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا،

وليس فيه شيء"، ولتتأمل كثرة صيغ التعجب في سياق هؤلاء الذين يحاولون أن ينأوا بالصفات الخُلقيةُ عن ساحة الإيمان، وتعاليم الإسلام، وهم ليسوا في قلبهم مثقال حبة من خردل من الإيمان.

وقصة الإيمان تختم ختامًا تحذيريًا: حيث فرط أهل الكتاب في الأمانة، ولم يبق إلا القلة التي تحافظ على بيعة المصطفى ﷺ أي على عهده، وهي: القابضة على الجمر، والتي تعض بالنواجذ على الكتاب والسنة، وهم الذين نزلت الأمانة في جذر قلوبهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل كل ما سمعوه من رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منزلة الأمانة وأهميتها وخطورة تضييعها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: اختصاص النبي ﷺ بالإخبار عن بعض ما يحدث في آخر الزمان ومراحل ضياع الأمانة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان وأداء الأمانة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل كل ما سمعوه من رسول الله ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر في هذا الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على كل ما سمعوه من رسول الله ﷺ وهذا يظهر فيما أخبر به حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ: حدثهم حديثين فقال: "قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر...".

وهذا يدل على يقينه وعلمه أن ما أخبر به رسول الله ﷺ سوف يقع لا محالة. فحرص الصحابة رضي الله عنهم لعلمهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

يُوحَىٰ﴾[١] وأن ما أخبر به حق.

وقد ورد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قالَ: ((كُنْتُ أكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَى، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَى فِيهِ فقالَ: أكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إلاَّ حَقٌّ))[٢].

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على كل ما سمعوه من رسول الله ﷺ وذلك من أجل حفظه وتبليغه ومتابعة وقوعه إذا أخبر عن شيء مستقبل كما في هذا الحديث.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: منزلة الأمانة وأهميتها وخطورة تضييعها:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث منزلة الأمانة وأهميتها وخطورة تضييعها، ويظهر هذا من قول حذيفة ابن اليمان حدثنا "أن الأمانة نزلت في جذر..." حيث بيّن ثبوت الأمانة في القلوب، وقال: ثم حدثنا عن رفع الأمانة؛ فبين منزلة الأمانة وأهميتها وخطورة تضييعها.

قال ابن هبيرة: (ومدار هذا الحديث هو التنبيه على الأمانة التي تثبت وتنفع في الدنيا والآخرة هي التي كانت لله ومن أجل الله، وأن الأمانة التي يستعملها الناس لأجل الناس ولحراسة معايشهم ولحفظ أقوالهم بين الناس، ولصلاح دنياهم، فإنها هي التي تقبض من قلوبهم وترفع لارتفاع أسبابها، ولانقضاء ما كانت لأجله، فأما ما كان منها لله تعالى، فإنه لا يزول لدوام الله سبحانه وتعالى)[٣].

فحين تستقيم الفطرة وتسلم من اتباع الهوى تتمثل في صاحبها بخلق الأمانة، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٦٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٩).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢١٤ رقم ٣٩٤.

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[١] يقول القرطبي: (والأمانة تعم جميع وظائف الدين على صحيح الأقوال)[٢] كما يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[٣] (والأمانة والعهد: يجمعان كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس، والمواعيد، وغير ذلك. وغاية ذلك حفظه والقيام به)[٤].

وحين يعم التعامل بالأمانة يؤدي الذي أؤتمن أمانته، سواء أؤتمن على قنطار أو دينار، لأن الله أمر بأداء الأمانات إلى أهلها، ونهى عن خيانة الله والرسول وخيانة الأمانات، وجعل من صفات المفلحين أنهم يرعون عهودهم وأماناتهم. والنفوس البشرية بفطرتها تميل إلى الناصح الأمين[٥].

فالأمانة لها أهمية ومنزلة عظيمة، قال رسول الله ﷺ: ((اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُم، وَأَدُّوا الأَمَانَةَ إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ))[٦].

أما خطورة تضييع الأمانة فقد قال فيها ﷺ ((إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظرِ الساعة))[٧]. وقد أخبر رسول الله ﷺ أنه عندما تضطرب الموازين وتفسد القيم تضيع الأمانة وذلك بقوله ﷺ: ((سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ. يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ. وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيَخُونُ فِيهَا الأَمِينُ. وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٣/١٤/٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٧/١٢/٦.

(٥) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٥١٣.

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٥٨/٤، رقم ٨١٣٠، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٩٦.

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ))[١].

فينبغي على الداعية حث المدعوين على التحلي والتمسك بالأمانة، وبيان منزلتها وأهميتها في الحياة، وبيان خطورة تضييعها.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب التوكيد ويظهر في قوله ﷺ "إن في بني فلان رجلاً أمينًا" حيث أكّد ما يقال فيمَنْ توجد فيه الأمانة بعد رفعها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: اختصاص النبي ﷺ بالإخبار عن بعض ما يحدث في آخر الزمان ومراحل ضياع الأمانة:

إن من موضوعات الدعوة التي تضمنها هذا الحديث إخباره ﷺ عن بعض ما يحدث في آخر الزمان.

وهذا يظهر في بيانه لمراحل ضياع الأمانة فبعد أن بيّن ﷺ نزول الأمانة في جذر أي أصل قلوب الرجال بيّن مراحل ضياعها فقال "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه... إلخ الحديث.

أي أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالْوَكْت وهو اعتراض لون مخالف للّون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط وأخذ الحصاة ودحرجته إياها أراد زيادة البيان وإيضاح المذكور[٢].

وإخباره عن رفع الأمانة من الإخبار بالأشياء المستقبلة التي هي من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته التي خصّه الله بها.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٠٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٦١).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٣.

فقد جاءت الأدلة على أن الله اختُص بمعرفة الغيب وحده ولكن استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل عليهم السلام فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1].

وقد وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بكثير مما يحدث في آخر الزمان. منها قوله ﷺ: ((ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الفُحْش والتَّفَاحُشُ وَقَطِيْعَةُ الرَّحِمِ وَسُوْءُ المُجَاوَرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الخَائِنُ، وَيُخَوَّنَ الأَمِيْنُ))[2]. وغيرها من أخبار آخر الزمان مثل كثرة المفاتن من عري ومال... الخ.

خامسًا- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب ضرب المثل لتوضيح المقال ويظهر ذلك في قوله "فيظل أثرها مثل الوكت... فيظل أثرها مثل المجل" "ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله...). فقد ضرب مثل لرفع الأمانة وبقاء أثرها مثل الوكت أي أثر النار ونحوه، والمجل أثر العمل في الكف[3].

ثم أخذ حصاة ودحرجها على رجله، وذلك لتوضيح المعنى المذكور وزيادة إيضاحه.

وأسلوب ضرب المثل أسلوب مفيد في تقريب المعنى للمدعوين وزيادة إيضاح الدعوة لهم، فينبغي على الداعية أن يستخدم أسلوب ضرب المثل في دعوته لتكون دعوته مبسطة ليس بها تكلف. فلضرب الأمثال أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس - فإن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته - ذلك أن الهدف تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح[4].

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٣/٣ رقم ٦٥١٤، وقال محققو المسند صحيح لغيره ٦٤/١١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٢/١١.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ١٧٧.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان وأداء الأمانة:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث الصلة بين الإيمان وأداء الأمانة، ويدل على ذلك قوله "ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت: لئن كان مسلمًا ليردنه عليّ دينه وإن كان نصرانيًا أو يهوديًا ليردنه علي ساعيه. وفي هذا دلالة على أن المسلم دينه يجعله يؤدي الأمانة، والحاكم المسلم أيضًا بإيمانه يجعل اليهودي والنصراني يلتزمان بأداء الأمانة، فتكون صلة الإيمان بالأمانة صلة وطيدة. فالأمانة صفة مميزة لأصحاب الرسالات، فقد كان كل منهم يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[1].

وكانت تلك شهادة أعدائهم فيهم، كما جاء في حوار أبي سفيان وهرقل حيث قال هرقل: ((سألتُك بماذا يأمُرُكم؟ فزعمتَ أنهُ يأمرُ بالصلاةِ والصِّدق والعفاف والوفاءِ بالعَهدِ وأداءِ الأمانة، قال: وهذه صِفَةُ نبيّ))[2]. قال رسول الله ﷺ: ((لا إيمانَ لِمَنْ لا أَمانَةَ لَهُ))[3]، وقال ﷺ: ((المُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ))[4].

فهذا الحديث ينفي الإيمان عن من لا أمانة له وهذا لضرورة الأمانة لوجود الإيمان.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٨١.

(٣) أخرجه أحمد ١٥٤/٣ رقم ١٢٥٦٧، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٣/٢٠.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٤/٣ رقم ١٢٥٦١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٩/٢٠.

الحديث رقم (٢٠١)

٢٠١- وعن حُذَيْفَةَ، وَأَبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «يَجْمعُ اللّه تَبارك وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤمِنُونَ حَتَّى تَزْلفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ صلواتُ اللّه عَلَيْهِ، فَيَقُولُون: يَا أَبَانَا اسْتفْتحْ لَنَا الْجَنَّةَ، فَيقُولُ: وهَلْ أَخْرجكُمْ مِنْ الْجنَّةِ إلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ[1]، لَسْتُ بصاحبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إبْراهِيمَ خَلِيل اللّه، قَالَ: (فَيأتُونَ إبْرَاهِيمَ)[2]، فيقُولُ إبْرَاهِيمُ: لَسْتُ بصَاحِبِ ذَلِك إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وراءَ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الذي كَلَّمهُ اللّه تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فيقُولُ: لسْتُ بِصَاحِب ذلكَ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسى كَلِمَةِ اللّه ورُوحِهِ، فَيقُولُ عيسَى: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمانَةُ والرَّحِمُ، فَيَقُومَان جنْبَتَي الصراطِ يَمِينًا وشِمالاً، فيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ» قُلْتُ: بأَبِي وَأُمِّي، أَيُّ شَيءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قال: «أَلَمْ تَرَوْا[3] كَيْفَ يمُرُّ ويَرْجعُ في طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الريحِ ثُمَّ كَمرِّ الطَّيْرِ؟ وَأَشَدُّ الرِّجالِ تَجْرِي بهمْ أَعْمَالُهُمْ، ونَبيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصرَّاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجئَ الرَّجُلُ لا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلاَّ زَحْفًا، وفِي حافَتَي الصرَّاطِ كَلالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ وَمُكَرْدَسٌ في النَّارِ».

وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهنَّم لَسبْعُونَ خَرِيفًا، رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

---

(١) عند مسلم زيادة: (آدم) وهي ليست في جمع الحميدي.

(٢) الزيادة ليست عند مسلم.

(٣) عند مسلم زيادة: (إلى البرق).

(٤) برقم (١٩٥/٣٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٢٩).

غريب الألفاظ:

تَزلِف: تقترب[١].

وراء وراء: وهي كلمة تذكر على سبيل التواضع أي: لست بتلك الدرجة الرفيعة[٢].

جنبتي الصراط: جانباه[٣].

حافتي الصراط: جانباه[٤].

الكلاليب: جمع كُلاب، وكَلُّوب وهو حديدة معوّجة الرأس ينشلُ بها الشيء أو يعلق[٥].

خدشُ: هو الأثر في الجلد حين يخدش والجمع: خدوش[٦].

المكردس: الذي جُمِعت يداه ورجلاه وأُلقي إلى موضع[٧].

خريفًا: أي سنة[٨].

الشرح الأدبي

ما أشد حاجة المسلم إلى الشفاعة، وما أكثر احتياجه إلى عفو ربه، ورحمته. وأداء الأمانة على وجهها الصحيح يقتضي أن يظل المؤمن متيقظًا لا تستهويه الغفلة، ولا تهزمه أحوال الحياة، بل لابد أن يظل في رباط إلى يوم القيامة، حتى يستحق شفاعة المصطفى ﷺ، فالإنسان لا ينفعه إلا عمله، ولا يُجدي إلا ما قدمت يداه، في هذا اليوم ﴿يَوْمَ

---

(١) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ز ل ف).

(٢) رياض الصالحين ٢٣٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ل ب).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٢٠.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر د س).

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٨.

يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1].

والحديث الشريف يقدم هذه الحقائق الناطقة بفضل رسول الله ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو صاحب لواء البشارة والنذارة، كما يقول القاضي عياض في كتابه الشفا، وقد خصه الكبير المتعال بفضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة، والاصطفاء والإسراء، والرؤية والقرب، والدنو والوحى، والشفاعة والوسيلة، والفضيلة والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والحوض المورود.

وينقل الحديث لنا مشاهد المؤمنين وهم ينعمون بالقرب من الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وقد خص الرسول ﷺ المؤمنين بهذه المَكْرُمة حيث قال: "فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة"، وقبلها أخبر بأن الله تعالى "يجمع الناس"، ولكن لا ينعم بالقرب من الله إلا المؤمنون، والتعبير بالفعل المضارع، "يجمع" يفصح عن أن هذا الأمر سيحدث في المستقبل: حتى يستعد كل من يؤمن ويعمل صالحاً ويطمح إلى الفوز بالجنة.

وتتعدد مشاهد الحديث وحواراته بين المؤمنين وبين آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- إن هذه المشاهد الحوارية تتجلى فيها وحدة العقيدة، فالدين عند الله الإسلام، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[3].

والحديث في بنائه الفني، وصياغته الأسلوبية يتسم بعدة ظواهر فنية وأسلوبية، ومنها:

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٤-٣٧.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٩٠.

(٣) سورة الشورى، آية: ١٣.

أ-الصياغة القصصية من حيث تسلسل المواقف، والحوارات المتعاقبة بين المؤمنين والأنبياء والرسل.

ب-تسارع المواقف، وتوالي الأحداث: حيث توالت الأفعال المضارعة معطوفة بالفاء إيحاء بسرعة الحركة، ورغبة في طلب الشفاعة التي لا يستحقها إلا من أدى الأمانة وحملها بصدق وَوَصَل الرحم.

ج-النداء والاستعطاف في قول المؤمنين: يا أبانا: استفتح لنا الجنة، أى اسأل لنا من الله فتحها لندخلها، والاستفهام في إجابة آدم: يحمل أنفاس الاعتراف والتوبة، والمحبة لكل المؤمنين، وآدم قد اجتباه ربه فتاب عليه وهدى، والأنبياء معصومون من الكبائر، ومعصومون من الصغائر التي تزرى بفاعلها أو تحط منزلته أو تسقط مروءته.

د-التَكْرَار في كثير من العبارات ومنها قول كل نبي "لست بصاحب ذلك" حتى ذهبوا إلى محمد ﷺ وهو صاحب الشفاعة، وتكرار الفعل "فَيَأْتُونَ" عند وصف مجيئهم للنبي آدم، وإبراهيم وموسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

هـ-تشخيص المعنويات، وتجسيدها مثل الأمانة والرحم، وكأنهما شخصان، يدركان ما يدور حولهما، وفي ذلك إشارة إلى أن صلة الرحم، وأداء الأمانة من مفاتيح الجنة، ومن أسباب الفوز بشرف الشفاعة.

و-تقسيم المؤمنين إلى ثلاث مراتب وهم يمرون على الصراط، وتشبيه كل طائفة حسب درجتها من القبول وإتقان العبادة، فأولهم كالبرق، وثانيهم كمدِّ الريح، وثالثهم كمدِّ الطير.

ز-وصف الصراط وتصويره للترهيب، حتى لا يغفل الناس، وحتى لا ينسوا هذه المشاهد التي قدمها الحديث في أحسن بيان، وأوضح برهان، ترغيبًا في الطاعة، وترهيبًا من المعصية، حتى يفوز المؤمنون بفضل الله ورحمته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات البعث وجمع الخلائق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة النبي ﷺ بين الأنبياء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عظم أمر الأمانة وصلة الرحم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مرور الناس على الصراط.

سادسًا: من واجبات المدعو: التزود بالأعمال الصالحة والاستعداد لأهوال يوم القيامة.

سابعًا: من صفات الداعية: الإشفاق على المدعو.

ثامنًا: من آداب المدعو: سؤال الداعية بأدب واحترام.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: الإخبار عن مشاهد يوم القيامة.

عاشرًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والتقرير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إثبات البعث وجمع الخلائق:

الدنيا دار عمل بلا حساب، والآخرة دار حساب بلا عمل، وشاء الله أن يجمع الناس بعد موتهم للحساب: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[1]، وقد بيّن ذلك النبي ﷺ بقوله: (يجمع الله تبارك وتعالى الناس)، وذلك بعد بعثهم بأرض المحشر، والبعث والنشور من عقيدة المسلم، وقد جاءت بذلك كثير من الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]. أي: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث: الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة طه، آية: ١٥.

(٢) سورة التغابن، آية: ٧.

(٣) سورة الجاثية، آية: ٢٦.

يحييكم في الدنيا ما شاء لكم الحياة، ثم يميتكم فيها، ثم يجمعكم جميعًا أحياء إلى يوم القيامة لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله محييهم بعد مماتهم"[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٢]، و"الحشر هو الجمع"[٣].

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: ((يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذٰلِكَ))[٤].

وإنما يبعث الناس ويحشرون للحساب: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٥].

"إن الحكمة من المعاد الأخروي الذي هو بعث الخلائق أحياء بعد موتهم كما كانوا يوم بدأ الله تعالى خلقهم، هو مجازاة المكلفين منهم بحسب كسبهم الإرادي الاختياري الذي كسبوه في هذه الدنيا، لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٦].

فالناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتًا كبيرًا في أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وفي سعادتهم وشقائهم. فمنهم الظالم الغشوم ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغني الثري ومنهم الفقير الشقي، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن ومنهم المسيء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف، فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيًا للحكمة

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٥٠١.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٧.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة ص ٦٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٦٥، ومسلم ٣٢٢ - ١٩٣.

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

مجانبًا للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله تبارك وتعالى بالبعث والجزاء وحكم بهما، فهما كائنان لا محالة"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة النبي ﷺ بين الأنبياء:

أفضلُ الخلقِ الأنبياءُ عليهم السلام، وأفضلُ الأنبياءِ محمدٌ ﷺ، فهو أكرمهم على الله، وهو صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهذا واضح في قول النبي ﷺ: (فيأتون محمدًا فيقوم فيؤذن له)، مما يدل على أن الله فضّل محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء، وقد قال ﷺ: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[٢].

وهو أول من يبعث يوم القيامة، فقد قال ﷺ: ((لا تُفضلوا بينَ أنبياء الله، فإنهُ يُنفخُ في الصُّورِ فيَصعَقُ مَن في السماوات ومن في الأرضِ إلا مَن شاءَ الله، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أُخرى فأكونُ أولَ مَن بُعِثَ))[٣].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((فأكون أوّلَ مَن تَنشَقّ عنه الأرضُ))[٤].

كما قال ﷺ: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ. وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ))[٥].

وقال النووي: (وهذا الحديث دليل لتفضيله على الخلق كلهم)[٦].

وقال ابن حجر: (وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق؛ لأن الرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم، وقد ظهر فضله في هذا المقام العظيم)[٧].

---

(١) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤١٤، ومسلم ٢٣٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤١٢، ومسلم ٢٣٧٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٢٧٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٣.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/١١.

كما أنه صاحب الشفاعة العظمى وذلك عندما يشفع لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعها أفضل الرسل، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[١]، وقد فسّر المقام المحمود بالشفاعة جمعٌ من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين منهم: حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبدالله وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وقتادة وغيرهم[٢] وقال قتادة: "كان أهل العلم يرون المقام المحمود هو شفاعته يوم القيامة"[٣]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة: ((ثم يُقال: يا محمد ارفَعْ رأسَك، وسَلْ تُعطَه، وقُل يُسمَع، واشفعْ تُشفَّع))[٤].

قال ابن هبيرة عن حديث الباب: (في هذا الحديث من الفقه أن الشفاعة مما يجب الإيمان به، وأنها كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم في أمته، وذلك أن الذنوب قد يتفاقم منها الذنب إلى أن تكون الجناية فيه لا يفي بها مقدار عمل عاملها، ولا حد مقامه، فإذا قابلها مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض جاهه في ذلك المقام المحمود، نهض بها، وكانت مكانته صلى الله عليه وسلم وكريم قدره يغسل ذلك الحوب[٥]، وهذا على ما كان فيه فإنه إظهار لجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الأولين والآخرين، ولا جرم أنه ينتشر كرمه وشرف مقامه حتى يتسع لأهل الجمع كلهم حين يضيق الخجل بالهداة عليهم السلام، فإن آدم عليه السلام يبلغ منه الأمر إلى أن يعترف لذريته بأن خطيئته كانت سبب إخراجهم من الجنة فهو في خجله منهم باق، ولقد كان قمينًا[٦] أن يتدارك ذلك بأن يشفع في يوم القيامة، ولكن

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٢) انظر تلك الأقوال في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ١٥/٤٢ - ٤٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٠٣ - ١١٠، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/٤١٩ - ٤٢٧.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ص ١٧٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٣٤٠، ومسلم ١٩٤.

(٥) الحُوب: الإثم. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ب).

(٦) القمين: الجدير بالشيء. المعجم الموسيط في (ق م ن).

رأى أن ذلك مقام يلائم من شمل أمره الكل، وأن ذلك لا يتحقق إلا فيمن صدق المرسلين، وهو خاتم النبيين ﷺ، وأما إرسال آدم ببنيه إلى إبراهيم عليه السلام فإنه تلويح يشير إلى أن الأمر يتسلسل إلى محمد ﷺ لكن بعد أن يدفعه الواحد منهم إلى الواحد حتى لا يبقى في قلب أحد شك أنه لما أرشد الأنبياء عليهم السلام كلهم إلى محمد ﷺ قام بها وقال: (أنا لها)[1].

وقول إبراهيم عليه السلام: (إنما كنت خليلاً من وراء وراء)، أي من خلف حجاب ومحمد ﷺ اتُخِذ خليلاً بعد أن أسري به.

وقوله في موسى "كلمه الله تكليمًا" فقوله تكليمًا مصدر مؤكدة لقوله "كلَّم" ولو لم يكن الكلام فيه زيادة على الوحي لما قال لهم إبراهيم عليه السلام: "اذهبوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليمًا، إذ أن الأنبياء كلهم قد كان يوحى إليهم. وقول موسى عليه السلام: (لست بصاحب ذلك) عِلْمٌ منه وإشارة إلى أن هذا المقام هو مقام محمد ﷺ الذي وعده الله تعالى به بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[2]، فكأن موسى عليه السلام قال: لست بصاحب ذلك أي أن له صاحبًا اذهبوا إلى عيسى فسيرشدكم إليه، وما كان له أن يدل هو عليه، لأن عيسى بينهما، فيكون غَضًّا مِنْ عيسى عليه السلام، وإنما أمرهم بقصد عيسى عليه السلام ليرشدهم إليه.

وفي حديث آخر أن عيسى عليه السلام يدلهم على محمد ﷺ فيأتون محمدًا ﷺ[3]. وبنفس قول عيسى عليه السلام لست بصاحب ذلك تعيين الأمر لمحمد ﷺ"[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أدب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

إن الأنبياء عليهم السلام هم صفوة الله من خلقه، أكملهم أدبًا وأحسنهم خلقًا، وهذا واضح في الحديث، وذلك أن كل نبي من الأنبياء ما عدا محمدًا ﷺ يقول عندما

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣ (٣٢٦).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٦٥، ومسلم ١٩٣.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٤٥ - ٢٤٧.

يسأله الناس يوم القيامة أن يستشفع إلى ربه: لست بصاحب ذلك، أي: (لست بتلك الدرجة الرفيعة)[١]، وفي حديث أنس رضي الله عنه: (لست هناكم)[٢].

قال القاضي عياض: (هذا يقولونه تواضعًا وإكبارًا لما سُئِله، وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له، بل لغيره)[٣].

وقد استنبط ابن حجر من حديث الشفاعة عدة فوائد، منها: (أن المسؤول إذا لم يقدر على تحصيل ما سئل يعتذر بما يقبل منه ويدل على من يظن أنه يكمل في القيام بذلك، فالدال على الخير كفاعله، وأنه يثنى على المدلول عليه بأوصافه المقتضية لأهليته، ويكون أدعى لقبول عذره في الامتناع)[٤].

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المفاضلة بين الأنبياء، قال أبو هريرة رضي الله عنه: بينما يهوديٌّ يَعرِضُ سِلعَتُه، أعطِيَ بها شيئًا كرهَهُ، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعَهُ رجل منَ الأنصارِ فقامَ فلَطمَ وجهَهُ وقال: تقولُ والذي اصطفى موسى على البشرِ والنبيُّ صلى الله عليه وسلم بينَ أظهُرِنا ؟ فذهبَ إليهِ فقال: أبا القاسمِ، إن لي ذمةً وعهدًا، فما بالُ فلانٍ لَطمَ وَجهي؟ فقال: لم لطمتَ وَجهَهُ ؟ فذكرهُ، فغَضِبَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم حتى رُئيَ في وجههِ، ثم قال: ((لا تُفضلوا بينَ أنبياءِ الله....))[٥].

ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المفاضلة، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦]، فيه تعارض ظاهري، أجاب عنه العلماء بعدة أجوبة[٧] من ذلك قول ابن أبي العز: "إن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٦٥، ومسلم ٣٢٢ - ١٩٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٧/١، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤١٤، ومسلم ٢٣٧٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٢٧٨.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤١٣، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢٥٨/١ - ٢٦٠.

التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس كان مذمومًا.. فإن الله حرّم الفخر. وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[١]، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر أو على وجه الانتقاص بالمفضول"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عظم أمر الأمانة وصلة الرحم:

إن الأمانة وصلة الرحم لهما مكانة كبيرة في دنيا الناس، لذا حضّ الإسلام المدعوين على التحلي بهما، وعظّم من شأنهما، وأخبر بالعاقبة المحمودة لمن تحلى بهما، وبالعاقبة السيئة لمن خلا منهما، هذا واضح في قوله ﷺ: (وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً)، قال النووي: (وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما وكثير موقعهما فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله تعالى، قال صاحب التحرير: في الكلام اختصار، والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما)[٣].

قال ابن هبيرة: (وقوله: "وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط" يريد بهذا قيام الجد، من قولهم قام زيد بالأمر، وكل من أدى الأمانة فيما بينه وبين ربه وبين المسلمين ظهر خفيها وبرز كامنها، فكان في ذلك الموطن لأنها من الإيمان المحض الصرف، فيدفع الله بها الجبال من الزلات والمعاصي، وكذلك الرحم فإنها مما عظم الله تعالى شأنه، وجعلها آمرة[٤] في ذلك الموطن علمًا وحكمة، فإن الرحم من الوالدين والأقربين هي في المعنى تسببت في وجود الآدميين فالله تعالى خلق عبده في ذلك فهو كما قال عز وجل: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[٥]، فإذا رعى الآدمي ما ذرأه الله فيه وجعله إكليلاً

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي الفداء العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء ١٥٩/١ - ١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٨.

(٤) في المطبوع: آمرة، وضبطها هو اجتهاد قد يصيب، ويحتمل أن تكون: أمارة. والله أعلم.

(٥) سورة الشورى، آية: ١١.

عليه من جوانبه كان ذلك من أكرم الصلات وأكثر الوسائل لمن وصلها، كما أنه من أعظم الحُوب لمن قطعها، مثل الأمانة؛ فإن من أداها لله عز وجل كان له الفوز العظيم ومن خانها وأضاعها خسر الخسران المبين، والرحم إنما اشتد الأمر في صلتها ثوابًا، وفي قطعها عقابًا؛ من حيث أن طباع الآدميين لهجة بالحسد من الأقرب فالأقرب، والغيظ من الأدنى فالأدنى، ولأن الأقارب قل ما يخلصون من موجبات الشر والخير في المشاركات والمحاورات والمعاملات ونحو ذلك، فللمسلم على المسلم حق، وللمسلم على المسلم إذا كان ذا رحم حقان، فإذا قطعه فقد قطع حقين كما أنه إذا وصله وصل سببين أكد الأول منهما الثاني)[١].

وقد جاءت النصوص بتعظيم أمر الأمانة والرحم، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢]، أي: "إنا عرضنا الأمانة -التي ائتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وخفن ألا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان، والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه"[٣].

وقد جعل النبي ﷺ ذهاب الأمانة علامة من علامات الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظرِ الساعة)). قال: كيفَ إضاعتُها يا رسولَ اللّه؟ قال: ((إذا أُسنِدَ الأمرُ إلى غير أهلهِ فانتظرِ الساعة))[٤].

وأما ما يتعلق بالرحم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ:

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٢٤٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٤٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٩٦.

نَعَمْ. أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ)). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ. أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]))[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: مرور الناس على الصراط:

يؤمن المسلم بالصراط وأن الناس يمرون عليه، وقد أخبر بذلك النبي ﷺ كما في هذا الحديث وذلك في قوله: (فيمر أولكم كالبرق... ونبيكم قائم على الصراط).

و(الصراط في اللغة: الطريق الواضح. وفي الشرع: جسر ممدود على متن جهنم، يَرِدُه الأولون والآخرون، وهو طريق أهل المحشر لدخول الجنة، وقد دلّت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الصراط قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[3]، ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط. وهو منقول عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وهو حديث طويل في الرؤية والشفاعة، وفيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ثمَّ يؤتى بالجَسْر فيُجْعَلُ بين ظهرَيْ جَهنَّمَ))، قلنا يا رسول اللّهِ وما الجَسر؟ قال: ((مَدحَضَةٌ مَزلةٌ عليه خَطاطيف وكلاليبُ وحسكةٌ مفلطَحَةٌ لها شوكةٌ عُقيفاء تكون بنَجْد يقال لها السعدانُ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والرِّكاب فناجٍ مُسلَّم وناجٍ مخدُوشٌ ومُكَرْدَسٌ في نار جهنَّم حتى يَمرَّ آخرُهُم يُسحب سحبًا))[4].

---

(١) سورة محمد، الآيات: ٢٢ - ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٠، ٤٨٣١، ومسلم ٢٥٥٤ واللفظ له.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٣٩ واللفظ له، ومسلم ١٨٣.

"وقد جاء وصف الصراط في نصوصٍ كثيرة وملخص ما جاء فيها أنه أدق من الشعر، وأحدّ من السيف، "دحض مزلة" لا تثبت عليه قدم إلا من ثبته الله، وأنه ينصب في ظلمة فيعطى الناس أنوارًا على قدر إيمانهم، ويمرون فوقه على قدر إيمانهم على ما جاء في الحديث السابق"[١].

سادسًا- من واجبات المدعو: التزود بالأعمال الصالحة والاستعداد لأهوال يوم القيامة:

إن الدنيا دار عمل بلا حساب، والآخرة دار حساب بلا عمل، لذا كان على المدعو أن يتزود بالأعمال الصالحة التي على قدرها يجتاز المؤمنون الصراط، وقد أخبر النبي ﷺ عن ذلك فقال: (وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم... حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل لا يستطيع السير إلا زحفًا، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ ومُكَرْدَس في النار...).

قال ابن هبيرة: (ومعنى قوله: "كمر البرق" فإنه يجوز أن يكون التشبيه واقعًا بالسرعة ويجوز أن يكون بالنور فإن الناس في ظلمة يوم القيامة، وإنما إيمان المؤمنين ينير لهم، فالبرق أسرع الأشياء ثم الريح بعده، فمن أسرع به في ذلك الموطن عمله حمد سرى ليله، ومن أبطأ به كان متثاقلاً عن الطاعات فأبطأت به)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٣٧- ٢٣، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي الفداء العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء ٢/٦٠٥-٦٠٦، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي ٦٧١هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، دون بيانات أخرى ص ٣٢٩ - ٣٣٥، والبداية والنهاية، ابن كثير ٢٠/٨٠ - ٩١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٤) سورة الحشر، آية: ١٨.

لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴾[١].

قال القرطبي رحمه الله: (وقيل: أي قدمت عملاً صالحًا لحياتي، أي: لحياة لا موت فيها. وقيل: حياة أهل النار ليست هنيئة فكأنهم لا حياة لهم، فالمعنى: يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار فأكون فيمن له حياة هنيئة)[٢].

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن الناس يمرون على الصراط ويكون ذلك بحسب أعمالهم، كما في حديث الباب، وكما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: ((يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ الْبَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الْفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ))[٣].

قال ابن القيم: (طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتديً به فيه يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيّله، زاهدًا في كلّ ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك: هجر العوائد وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب، وعند العوام أن لزوم الأدب مع الحجاب خير من اطراح الأدب مع الكشف"[٤].

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٢٠/٥٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٣١٥٩ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٢٦).

(٤) الفوائد ص ٢٧١ - ٢٧٢.

سابعًا- من صفات الداعية: الإشفاق على المدعو:

إن من الصفات الأساسية التي يتحلى بها الداعية الإشفاق على المدعوين، وذلك لأنه على الداعية أن يسوق الخير لهم بكل طريق ووسيلة ممكنة، وهذا نابع من شفقته عليهم ورحمته بهم، هذا واضح في قول النبي ﷺ: (ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم)[١]، وقد قال الله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ولعل أشد المواقف التي تبين شفقة النبي ﷺ على أمته حديث الشفاعة الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: ((فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي. فَيُؤْذَنُ لِي. فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ الآنَ. يُلْهِمُنِيهِ اللهُ. ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رأْسكَ. وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهْ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهْ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ. ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ. ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا. فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ. وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ. وَسَلْ تُعْطَهْ. وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ لِيَ: انْطَلِقْ. فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ. فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ))[٣].

---

(١) قال ابن هبيرة: "يجوز أن يكون من قول النبي ﷺ يوم القيامة، ويجوز أن يكون من قول حذيفة"، الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٤٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥١٠، ومسلم واللفظ له ١٩٣.

ثامنًا- من آداب المدعو: سؤال الداعية بأدب واحترام:

إن من أدب المدعو وفطنته أن يسأل الداعية بأدب واحترام وإجلال، لأن الداعية هو الذي يرشده لما فيه نفعه ويعلمه ما لا يعلمه، وذلك واضح من أدب الصحابة عند رسول الله ﷺ، وذلك في قول الصحابي للرسول ﷺ متسائلاً: (بأبي وأمي أي شيء كمر البرق)، قال النووي: "معناه: أنت مفدي أو أفديك بأبي وأمي"[(١)].

وقد ورد مثل هذا القول عن الصحابة رضي الله عنهم عندما سألوا النبي ﷺ من ذلك قول أبي ذر رضي الله عنه: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: ((هُمُ الأَخْسَرُونَ. وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)) قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى جَلَسْتُ. فَلَمْ أَتَقَارَّ[(٢)] أَنْ قُمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مَنْ هُمْ؟))[(٣)]، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟))[(٤)].

وقد خاطب الله المؤمنين فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[(٥)].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: الإخبار عن مشاهد يوم القيامة:

لقد بعث الله تعالى محمدًا إلى العالمين وأيده بالمعجزات والدلائل التي تدل على صدق نبوته وأنه مرسل من عند الله تعالى، ومن دلائل نبوته ﷺ إخباره عن بعض الغيبيات كمشاهد يوم القيامة، كما هو الحال هنا، فهذا الحديث كله إخبار عن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤.

(٢) أي: لم يمكني القرار والثبات، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٣٨، ومسلم ٩٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ٢، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢/٣٩٧ - ٤١١.

بعض مشاهد يوم القيامة وعن بعض ما يحدث فيه، وقد كان النبي ﷺ يذكّر أصحابه بالجنة والنار ويصفهما لهم حتى كأنهم يرونهما رأي العين، فهذا حنظلة بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه يقول: ((نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ))(١).

لذا كثرت تلك الأحاديث التي تتكلم عن يوم القيامة وأحداثه وعن الجنة والنار(٢).

ويكفي أن نذكر في هذا المقام قول عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))(٣).

عاشرًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والتقرير:

أما الترغيب: فذكر الجنة، وهذا ترغيب، على حين أن ذِكْر النار: تخويف وترهيب، فتشتاق الأنفس إلى الجنة، وتستعيذ من النار.

أما التقرير فواضح من قول النبي ﷺ جوابًا لسؤال الصحابي: (ألم تروا كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟) ولا شك أن التقرير أبلغ في الإفهام والتوضيح، لأن التقرير يكون مستندًا لشيء يعلمه ويعرفه السائل.

لذا كان على الداعية أن يستخدم هذه الأساليب في دعوته، كلما رأى أنها أنفع في موضعها وأنسب في مكانها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٢) ولقد جمعها المحدثون في كتبهم، فهذا البخاري يدونها في صحيحه، وبخاصة في كتاب الرقاق، ومسلم يفرد في صحيحه كتابًا اسمه صفة القيامة، وقد اعتنى المتأخرون في جمع هذه المرويات في كتب متخصصة من أمثال ذلك كتاب (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة) للقرطبي (٦٧١هـ)، وأفرد ابن كثير (٧٧٤هـ)، جزءًا كبيرًا من آخر كتابه (البداية والنهاية) لذكر هذه المرويات، ومن هذا القبيل كتاب (التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار)، لابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ).

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

الحديث رقم (٢٠٢)

٢٠٢- وعن أَبي خُبَيْبٍ بضم الخاءِ المعجمة عبد اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما قال: لَمَّا وَقَفَ الزبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلاَّ ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وإِنِّي لا أُرَانِي إِلاَّ سَأُقْتَلُ الْيَومَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتَرَى دَيْنَنَا يُبْقى مِنْ مالنا شَيْئًا؟ ثُمَّ قَالَ: بِعْ مَالَنَا واقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بالثُّلُثِ، وَثُلُثِهُ لبنيه، يَعْنِي لبَنِي[1] عَبْدِ اللَّه بن الزبير ثُلُثُ الثُّلُث. قَالَ: فَإِن فَضلِ مِنْ مالِنَا بعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيءٌ فثُلُثُهُ لِبَنِيك[2].

قَالَ هِشَامٌ: وكان وَلَدُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَني الزبَيْرِ خُبيبٍ وَعَبَّادٍ، وَلَهُ يَوْمَئذٍ تَسْعَةُ بَنينَ وتِسعُ بَنَاتٍ.

قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَجَعَل يُوصِينِي بديْنِهِ وَيَقُول: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجزْتَ عنْ شَيءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بمولاي[3]. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ ما أرادَ حَتَّى قُلْتُ يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلاكَ؟ قَالَ: اللَّه. قال: فَواللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلاَّ قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزبَيْرِ اقض عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهُ. قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلاَ درْهَمًا إِلاَّ أَرَضِينَ، مِنْهَا الْغَابَةُ وَإِحْدَى عَشَرَةَ دارًا بالْمَدِينَةِ. وداريْن بالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بالْكُوفَة وَدَارًا بِمِصْرَ.

قال: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الذي كَانَ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ[4] يَأْتِيهِ بالمالِ، فَيَسْتَودِعُهُ إِيَّاهُ، فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لا وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ. وَمَا ولِي إِمَارَةً قَطُّ وَلا جِبَايَةً ولا خَرَاجًا[5] ولا شَيْئًا، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رسول اللَّه[6] صلى الله عليه وسلم، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رضي الله عنهم.

---

(١) لفظ البخاري: (بني) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ البخاري (لولدك).

(٣) لفظ البخاري: (مولاي) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) عند البخاري زيادة: (كان).

(٥) لفظ البخاري: (ولا جباية خراج)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه..

(٦) لفظ البخاري: (النبي) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

قَالَ عَبْدُ اللَّه: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمائَتَيْ أَلْفٍ.

فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبدَ اللَّهِ بْن الزُّبَيْرِ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ[١]: مِائَةُ أَلْفٍ. فَقَالَ: حَكِيمٌ: وَاللَّه مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسعُ هَذِهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَرَأَيْتُكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَي أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أَرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي.

قَالَ: وكَانَ الزُّبَيْرُ قد[٢] اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ ومِائَة أَلْف، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْف ألفٍ وسِتِّمِائَةِ أَلْفَ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيْءٌ[٣] فَلْيُوافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعفر، وكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبعُمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لعَبْدِ اللَّه: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّه: لا، قال فَإِنْ شِئْتُمْ جعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فقال عَبْدُ اللَّه: لا، قال: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، قال عبْدُ اللَّه: لَكَ مِنْ هاهُنا إِلَى هاهُنَا. فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ[٤] مِنْهَا فَقَضَى عَنْهُ[٥] دَيْنَه وَوَفَّاهُ، وَبَقِيَ منْهَا أَرْبَعةُ أَسْهُمٍ وَنِصفٌ.

فَقَدم عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعَنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْن زَمْعَةَ. فقال لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قَوَّمَت الْغَابَةَ؟ قال: كُلُّ سَهْمٍ بِمائَةِ أَلْفٍ قال: كَمْ بَقِي مِنْهَا[٦]؟ قال: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ ونِصفٌ، فقال الْمُنْذرُ بْنُ الزَّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا[٧] سَهْمًا بِمائَةِ أَلْفٍ، وقال عَمْرُو بنُ عُثْمان: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا[٨] سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ. وقال ابْن زمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ مِنها[٩] سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيةُ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قال: سَهْمٌ ونصْفُ سَهْمٍ[١٠]، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ

---

(١) لفظ البخاري: (فقال) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٢) (قد) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٣) لفظ البخاري: (حق)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) (عبد الله) لا يوجد عند البخاري، وهو عند الحميدي في جمعه.

(٥) (عنه) لا توجد عند البخاري.

(٦) (منها) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه في جميع المواضع التي بعدها.

(٧) (منها) لا توجد عند البخاري.

(٨) (منها) لا توجد عند البخاري.

(٩) (منها) لا توجد عند البخاري.

(١٠) (سهم) لا توجد عند البخاري.

بِخَمسينَ ومائَةِ ألف.

قَالَ: وبَاعَ عَبْدُ اللَّه بْنُ جَعْفَرٍ نصيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ. فَلَمَّا فَرغَ ابنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضاءِ دينِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيراثَنَا. قَالَ: وَاللَّهِ لا أَقْسِمُ بيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بالموسم أَرْبَع سِنِين: أَلا مَنْ كان لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ.

فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي الْمَوسمِ، فَلَمَّا مَضى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسم بَيْنَهُمْ ودَفَعَ الثُّلث وكَان للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ[1]، فَأَصاب كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ ومِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْف أَلْفٍ ومِائَتَا أَلْفٍ. رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الزبير بن العوام: صحابي مشهور، وهو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب، القرشي، الأسدي، أحد العبادلة، وهو أول مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، هاجرت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها من مكة وهي حامل به، فولدته في السنة الأولى من الهجرة، وفرح المسلمون بمولده فرحًا شديدًا، وحنّكه رسول الله ﷺ بالتمر ودعا له وبرّك عليه، فعن عروة بن الزبير وفاطمة بنت المنذر بن الزبير قالا: خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت، وهي حبلى بعبدالله بن الزبير فقدمت قُبَاء، فنُفِست بعبدالله بقُباء، ثم خرجت حين نُفِست إلى رسول الله ﷺ ليُحنِّكه فأخذه رسول الله ﷺ منها فوضعه في حِجْره، ثم دعا بتمرة، قال: قالت عائشة: فمكثنا ساعة قبل أن نجدها، فمضغها ثم بصقها في فيه، فإن أول شيء دَخَل بطنه لَرِيقُ رسول الله ﷺ ثم قالت أسماء: ثم مسحه، وصلى عليه - أي دعا له- وسماه عبدالله، ثم جاء وهو ابن سبع سنين أو ثمان ليبايع رسول الله ﷺ، وأمره بذلك الزبير، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآه مُقبلاً إليه ثم بايعه[3].

وكان يكنى بأبي بكر، ويقال أبوبكير، وله كنية أخرى وهي "أبو حبيب"

---

(١) عند البخاري زيادة: (ورفع الثلث)، وهي لا توجد عند الحميدي، وقد تبع فيها المؤلف الحميدي في جمعه.

(٢) برقم (٣١٢٩)، انظر: الجمع للحميدي (١/١٨٢، رقم ١٧٦).

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٠٩، ومسلم واللفظ له ٢١٤٦.

وكان أسنَّ ولده، ولعبدالله بن الزبير رواية. له في كتب الحديث (٣٣) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم على واحد، وانفرد البخاري بستة، ومسلم بحديثين، وكان رضي الله عنه شهمًا ذا أَنَفَةٍ، وكان له لَسَانَةٌ وفصاحة، وكان أطلسًا لا لحية له ولا شعر في وجهه، كما كان صَوّامًا قوّامًا، طويل الصلاة، عظيم الشجاعة، وكان من العلماء المجتهدين، وما كان أحد أعلم منه بالمناسك، وكان من خطباء قريش المعدودين يُشَبَّه في ذلك بأبي بكر، قال عنه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ((أما أبوه فحَواريُّ النبي صلى الله عليه وسلم -يريد الزبير- وأما جَدُّه فصاحب الغار -يريد أبابكر-، وأما أمه فذات النطاقين -يريد أسماء- وأما خالته فأم المؤمنين - يريد عائشة-، وأما عمته فزوج النبي صلى الله عليه وسلم يريد خديجة، وأما عمة النبي صلى الله عليه وسلم - فجدته- يريد صفية، عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن))[1].

حضر موقعة اليرموك مع أبيه، وشهد خطبة عمر بالجابية، كما شهد فتح إفريقية مع عبدالله بن أبي السرح زمن عثمان بن عفان، وشهد الجمل مع أبيه وخالته، وبويع له بالخلافة سنة (٦٤) عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز، واليمن، وخراسان، والعراق وأكثر الشام، وكانت ولايته ٩ سنوات، وحج بالناس ثمان حجج، وجعل قاعدة ملكه المدينة المنورة، وكان نقش الدراهم في أيامه بأحد الوجهين (محمد رسول الله) وبالآخر (أَمَرَ اللهُ بالوفاء والعدل) وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة حتى سيَّروا إليه الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام عبدالملك بن مروان، فانتقل إلى مكة وعسكر الحَجَاج في الطائف، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة بعد أن خذله عامة أصحابه، وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين، وبعد أن قُتِلَ صلبه الحجاج منكوسًا في مكة بمكان يُسمى عقبة المدينة يوم الثلاثاء لسبع عشر خلت من شهر جمادى الأولى سنة ٧٣هـ، وعمره نيف وسبعون سنة[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٦٥.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٩٩-٤٠٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣/٢٤١-٢٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٧٢، ٧٧٣، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣-٣٨٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤/١٣٢-١٣٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٣٣، ٣٣٤، والأعلام ٤/٨٧، والسندي ٢٦/٢٢، وموسوعة عظماء حول الرسول ٢/١١٩٩-١٢٠٨.

غريب الألفاظ:

يوم الجمل: الوقعة المشهورة التي كانت بين علي بن أبي طالب ومن معه وبين عائشة ومن معها ومن جملتهم الزبير بن العوام في جمادى الأولى أو الآخرة ٣٦هـ[١].

وازى: أي ساوى[٢].

الغابة: هي أرض عظيمة شهيرة من عوالي المدينة[٣].

سَلَفٌ: أي ما كان يقبض من أحد وديعة إلا إن رضي صاحبها أن يجعلها في ذمته[٤].

الجباية: أي جمع الدولة من المال المترتب في ذمم الرعيّة من الزكاة والجزية والخراج ونحو ذلك[٥].

السهم: هو الحصّة والنصيب[٦].

الشرح الأدبي

إن الحرص على أداء الأمانة هو الدرس المستفاد من هذا الحديث الشريف الذي يعد تطبيقًا لسنة المصطفى ﷺ، وتنفيذًا لأمر الله عز وجل في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٧].

واتباعًا لأمر رسول الله ﷺ في قوله: "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك".

وهذا الدرس الجليل، والمقصد النبيل يُتَوَّجُ به هذا الحوار المتعدد بين عبدالله بن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (و ز ى).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٥٦.

(٥) معجم لغة الفقهاء ، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٣٨.

(٦) المرجع السابق ٢٢٥.

(٧) سورة النساء، آية: ٥٨.

الزبير وأبيه، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم حيث يختم الحديث بهذا القسم في سياق حرص عبدالله بن الزبير على أداء الأمانة وقضاء الدين الذي كان في عنق أبيه، ولم يقبل أن يقسم الميراث إلا بعد أن يتأكد من ذلك، وظل أربع سنوات ينادي في موسم الحج: "ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلْنَقْضه".

ولنتأمل كيف صيغ هذا الدرس، وكيف قُدِّم لجماهير الأمة المسلمة في هذا السياق الواقعي، المشوق، إنه جاء في صورة قصة حقيقية، ومحاورات واقعية ليست من صنع الخيال: لأن الوقائع والأحداث صحيحة، فموقعة الجمل، من المواقع المعروفة والمشهودة في تاريخ الأمة، وهى أول مواجهة حربية بين المسلمين، كلٌّ يرى أنه صاحب الحق، وكانت بين علي بن أبي طالب ومن معه، وبين عائشة ومن معها: بسبب المطالبة بدم عثمان والقصاص من قتلته، وكانت هذه الموقعة سنة ستة وثلاثين من الهجرة، والزبير بن العوام، كان من الموالين لأم المؤمنين عائشة: أخت زوجه ذات النطاقين: أسماء بنت أبي بكر، والحوارات التي دارت: هى حوارات واقعية بين أشخاص حقيقيين: فعبدالله بن الزبير: تدور بينه وبين أبيه المحاورة **الأولى**، ثم تدور المحاورة **الثانية** بينه وبين حكيم بن حزام، والمحاورة **الثالثة** تدور بين عبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر ابن أبي طالب، والمحاورة **الرابعة** تمتد وتطول حيث تدور بينه وبين أربعة من الصحابة هم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن عثمان بن عفان، والمنذر بن الزبير بن العوام، وعبدالله بن زمعة، والمحاورة **الخامسة** تدور بين عبدالله بن الزبير وإخوته وأمه وزوجات أبيه حول تقسيم الميراث: وأداء الأمانة ، وقضاء الديون، وهذه المحاورات كلها تؤكد حرص عبدالله بن الزبير على تنفيذ وصية أبيه بقضاء الديون وأداء الأمانات إلى أهلها.

وفي الحوار بين عبدالله وأبيه الزبير، يتضح موقف عبدالله بن الزبير من الصراع بين الطائفتين في موقعة الجمل: حيث جاء هذا الموقف في صياغة تنبئ عن الجدِّ، وعن الورع وإسلام الأمر لله لأنها فتنة تذر الحليم حيرانًا، وجاء كلام الزبير مُحصنًا بعدة أساليب تفصح عن هول الأمر، وقرب النهاية: حيث النداء بالياء وهى للبعيد وحيث: أسلوب القصر في جملتين يوضحان موقفه من هذه الحرب، وتوقعه: الموت: (إنه لا يقتل اليوم

إلا ظالم أو مظلوم وإن لاأراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا وإن من أكبر همي لديني): وهذه الجملة المؤكدة هى بؤرة القضية في الحديث، حيث قضاء الدين وأداء الأمانة، ثم يأتي الاستفهام الحائر والقلق: "أفترى ديننا يبقى من مالنا شيئًا"، ثم يأتي، الحل الجازم الحاسم في صورة هذه الوصية الآمرة الواجبة "يا بني بع مالنا واقض ديني"، وحرصًا من الزبير على أداء الأمانة، وقضاء الديون: يستعين بالله ولا يعجز، ويوصي ابنه بالاستعانة بالله والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب، وفي مقدمتها بيع كل ما يملك الزبير، وما أصدق هذا الاعتراف الإيماني الواقعي إذ يقول عبدالله الذي أمره أبوه أن يستعين على قضاء الدين بمولاه، فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير: "اقض عنه دينه، فيقضيه" وهذا الإقرار العظيم تصاحبه عدة أساليب تؤكد معناه، وتُجمل مبناه وهي: القسم وأسلوب القصر، والنداء، والدعاء، ثم تكون الاستجابة الإلهية. والديون لم تكن نتيجة التبذير والإسراف، ولكن كانت بدافع من الورع والخوف على ضياع الأمانة، فكان الزبير يحول كل أمانة إلى قرض ويظل ملتزمًا به حتى لو ضاعت عين الأمانة، وما أصدق هذا المحاورات بين عبدالله بن الزبير وحكيم بن حزام، وعبدالله بن جعفر، ومعاوية بن أبي سفيان، وإخوته، والحوارات كلها تتضافر وتتعاون لتنفيذ وصية ابن الزبير، وقضاء ديونه، وكلهم يحاول أن يشارك في تخفيف العبء، وإرجاع الأمانات والديون، وبارك الله في مال ابن الزبير بفضل استعانته بمولاه، رضي الله عن الزبير وأرضاه وجعل الجنة مثواه هو وابنه عبدالله: حواري رسول الله، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم قضاء دين الميت بعد وفاته، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١٧٠).

الثاني: ذكر ابن حجر أن في الحديث دليلاً على ندب الوصية عند حضور أمر يخشى منه الفوت، وأن للوصي تأخير قسمة الميراث حتى توفي ديون الميت وتنفذ وصاياه إن كان له ثلث، وأن له أن يستبرئ أمر الديون وأصحابها قبل القسمة وأن يؤخرها

بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يخفى أن ذلك يتوقف على إجازة الورثة، وإلا فمن طلب القسمة بعد وفاء الدين الذي وقع العلم به وصمم عليها أجيب إليها ولم يتربص به انتظار شيء متوهم فإذا ثبت بعد ذلك شيء استعيد منه[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الوصية عند حضور الموت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الوثوق بالله والاستعانة به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عِظَم أمر الدَّين.

رابعًا: من آداب المدعو: إرشاد إخوانه لما هو أصلح.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بركة المجاهد في ماله.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الصحابة رضي الله عنهم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على أداء الدَّين.

ثامنًا: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

تاسعًا: من وسائل الدعوة: الإعلان عن أمر ما في جمع من الناس لإبراء الذمة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الوصية عند حضور الموت:

يخرج الإنسان من هذه الحياة بالموت، فتنتهي علاقته بالدنيا، فإذا أحس بدنو الأجل، فإنه يوصي بأهم الأمور التي تشغله، ومنها الدين كما فعل الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهذا واضح من قول عبدالله بن الزبير رضي الله عنه: "لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه فقال: يا بني إنه لا يقتل اليوم إلا ظالمٌ أو مظلوم وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا وإن أكبر همي لَدَيْني ... يا بني بع ما لنا واقض ديني... فجعل يوصيني بدينه..." فقد حثه على أن يقضي دَيْنَه نظرًا لأنه أكبر أمر أهمَّه. وفي رواية الحاكم ((انظر يا بني ديني فإني لا أدع شيئًا أهمَّ إليّ منه))[2] قال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ابن حجر ٦/٢٣٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٦٤ رقم ٥٦٢٠.

ندب الوصية عند حضور أمر يخشى منه الفوت)[١].

وقد كان النبي ﷺ يوصي في مرضه الذي مات فيه؛ فعن جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي رضي الله عنه أنه قال: ((سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً. أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ. إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ))[٢].

وهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموتُ: ((الصَّلاةُ الصَّلاةُ وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ)) حتى جعل رسولُ الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه[٣].

جاء في الموسوعة الفقهية: (الوصية مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول... وأما المعقول. فهوحاجة الناس إلى الوصية زيادة في القربات والحسنات وتداركًا لما فرط به الإنسان في حياته من أعمال الخير.

وحكمة مشروعية الوصية تحصيل ذكر الخير في الدنيا، ونوال الثواب والدرجات العالية في الآخرة، لذا شرعها الشارع تمكينًا من العمل الصالح، ومكافأة لمن أسدى للمرء معروفًا، وصلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وسد خلّة المحتاجين، وتخفيف الكرب عن الضعفاء والبؤساء والمساكين وذلك بشرط التزام المعروف أو العدل، وتجنب الإضرار في الوصية، لقوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرٍّ ﴾[٤])[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٣٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣/١١٧ رقم ١٢١٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٩/٢٠٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٣/٢٢٢-٢٢٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الوثوق بالله والاستعانة به:

إن المؤمن الحق هو من يثق بالله وبما عنده تمام الثقة، ويستعين به عز وجل في جميع أحواله وشؤونه؛ لأن ذلك علامة الصدق والرسوخ في الإيمان. لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس وثوقًا بالله. كما في هذا الحديث. وذلك واضح في قول الزبير لابنه رضي الله عنهما يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي، فقال له عبدالله: من مولاك؟ قال: الله. قال عبدالله: فوالله ما وقعت في كربة من دَيْنه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه.

قال ابن حجر: (وفيه بيان منزلة الزبير عندنفسه، وأنه في تلك الحالة كان في غاية الوثوق بالله والإقبال عليه والرضا بحكمه والاستعانة به)[١]. وقال ابن هبيرة: (وفيه ما يدل على غزارة دينه وثقته بالله عز وجل في أمره ولده بأن يستعين بمولاه الكريم في قضاء دينه)[٢]. والمؤمن دائمًا يثني على الله تعالى ويستعينه، ولسان حاله ومقاله دومًا قولُ الحق: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[٣].

والنبي ﷺ يوصي أصحابه بالاستعانة بالله والوثوق به، فقال: ((احرص عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللّهِ. وَلاَ تَعْجِزْ))[٤] قال النووي: (معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة)[٥].

وقال ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما يوصيه: ((وَإِذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ))[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ، ١/٣١٤.

(٣) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٧٧.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

ومن الأمثلة التطبيقية للثقة بالله، ما فعلته أم موسى عندما ألقته في اليم ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾[١]. (فإن فعلها هذا -كما يقول ابن القيم- هو عين ثقتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه. وجريانه إلى حيث ينتهي أو يقف)[٢].

وقال ابن القيم كذلك: (والاستعانة تجمع أصلين: الثقة بالله والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره - مع ثقته به-لاستغنائه عنه. وقد يعتمد عليه - مع عدم ثقته به- لحاجته إليه، ولعدم من يقوم مقامه، فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به)[٣].

وقال ابن رجب محذرًا من عدم الاستعانة به سبحانه: (ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكَّله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً وهو كذلك في أمور الدنيا)[٤]، (فمن أعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول)[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عِظم أمر الدَّيْن:

إن الاستدانة وإن كانت مباحة إلا أن الإقدام عليها والتوسع فيها بدون حاجة، أمر ينطوي على كثير من الخطورة، سواء في حياة المستدين أو بعد موته، ولذا كان على المسلم أن يكون على حذر من أمر الدين. ويعمل على أن يوصي أن يقضى دينه بعد موته، كما في هذا الحديث. وهذا واضح من قول الزبير: (وإن من أكبر همّي لدَيْني... يا بني بع ما لنا واقض دَيْني) وقال عبدالله بن الزبير: (والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي في الموسم).

---

(١) سورة القصص، آية: ٧.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٠٤/٢.

(٣) المرجع السابق ١٦١/١.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٨٢/١.

(٥) المرجع السابق ٤٨٢/١.

قال ابن حجر: (وفيه شدة أمر الدين، لأن مثل الزبير مع ما سبق له من السوابق وثبت له من المناقب - رهب من وجوه مطالبة من له في جهته حق بعد الموت)[١].

ومن شدة أمر الدين أنه ﷺ كان لا يصلّي على من مات وعليه ديْنٌ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ الْمَيِّتِ، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ مِنْ قَضَاءٍ؟» فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ وَفَاءً صَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَإِلاَّ قَالَ: «صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ»))[٢] قال النووي: (إنما كان يترك الصلاة عليه ليحرض الناس على قضاء الدين في حياتهم والتوصل إلى البراءة منها لئلا تفوتهم صلاة النبي ﷺ، فلما فتح الله عليه عاد يصلي عليهم ويقضي دين من لم يخلف وفاء)[٣].

بل أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يغفر له ذنوبه كلها إلا الدَيْن فقال ﷺ ((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ))[٤] وفي رواية: ((القتل فِي سَبِيلِ اللّهِ يُكَفِّر كُلَّ شَيْءٍ، إلاَّ الدَّيْنَ))[٥].

ومن الأمثلة التطبيقية لقضاء الدين، ما ذكره ابن تيمية أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل ترك مالاً فيه شبهة وعليه دين فسأله الوارث: هل يتورع عن ذلك المال المشتبه؟ فقال له أحمد: أتترك ذمة أبيك مرتهنة؟ فقال ابن تيمية معقبًا: (وهذا عين الفقه، فإن قضاء الدَيْن واجب، ولا يجوز إضرار الميت بترك ذمته مرتهنة، ففي الإعراض عن التركة إضرار الميت وإضرار المستحق، وهذان ظلمان محققان بترك واجبين)[٦].

رابعًا: من آداب المدعو: إرشاد إخوانه لما هو أصلح:

إن من الآداب السامية التي يتحلى بها المدعو هو أن يرشد إخوانه لما هو أصلح لهم وذلك قيامًا بالنصيحة، وهذا ما فعله الزبير مع إخوانه من الصحابة رضي الله عنهم. فقد كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٩٨، ومسلم ١٦١٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٢٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٥٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٨٦، ١١٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٦، ١٢٠.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٥٥ ٢٩/٢٧٩.

الزبير إذا جاءه الرجل بماله ليودعه عنده يقول له: "لا ولكن هو سلف أخشى عليه الضيعة" قال ابن حجر: (فيه مبالغة الزبير في الإحسان لأصدقائه، لأنه رضي أن يحفظ لهم ودائعهم في غيبتهم ويقوم بوصاياهم على أولادهم بعد موتهم، ولم يكتف بذلك حتى احتاط لأموالهم -وديعة أو وصية- بأن كان يتوصل إلى تصييرها في ذمته مع عدم احتياجه إليها غالبًا، وإنما ينقلها من اليد للذمة مبالغة في حفظها لهم)[١]. وقد روى الزبير ابن بكار من طريق هشام بن عروة أن كلاً من عثمان وعبدالرحمن بن عوف ومطيع ابن الأسود وأبي العاص بن الربيع وعبدالله بن مسعود والمقداد بن عمرو أوصى إلى الزبير بن العوام[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بركة المجاهد في ماله:

إن المجاهد الصادق قد نذر حياته وماله في سبيل الله والدفاع عن دينه، لذا فإن الله عز وجل -بكَرَمه ومنّه- يكافئه بفضله العميم، ومن ذلك: البركة في ماله، وهذا واضح جليٌّ في قول عبدالله بن الزبير عن أبيه: وما ولي إمارة قط ولا جباية خراج ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوةٍ مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ولهذا أخرجه البخاري في كتاب "فرض الخمس" تحت باب "بركة الغازي في ماله حيًا وميتًا مع النبي ﷺ وولاة الأمر"[٣].

ويمكن أن يذكر هنا قصة أبي قتادة رضي الله عنه في غزوة حنين قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فبعت الدرع [التي كانت للقتيل الذي قتله] فابتعت به مخرفًا[٤] في بني سَلِمة، فإنه لأول مال تأثلته[٥] في الإسلام[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧٠.

(٢) كما في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦٦.

(٣) كتاب فرض الخمس رقمه ٥٧ والباب رقمه ١٣.

(٤) المخرف، المشهور في ضبطه: فتح الميم وكسر الراء: والمراد به هنا: البستان، انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٢٥.

(٥) أي اقتنيته وتأصلته، وأثلة الشيء: أصله، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٢٥.

(٦) أخرجه البخاري ٢١٠٠ واللفظ له، ومسلم ١٧٥١، ٤١.

قال الراغب الأصفهاني: (البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وسمى بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البِرْكة. والمبارك ما فيه ذلك الخير... ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجهٍ لا يحصى ولا يحصر قيل لكلِّ ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة)[2].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الصحابة رضي الله عنهم:

تحلى الصحابة رضي الله عنهم بالأخلاق العالية والآداب الرفيعة ولا عجب في ذلك فقد كانوا خير القرون، لذا كانوا جامعين لفضائل الأخلاق ومحاسن الخصال، فمن أخلاقهم.

١- المعاونة: وهذا واضح من قول حكيم بن حزام رضي الله عنه: يا ابن أخي كم على أخي من الدَيْن؟ وقال كذلك: فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي.

وقد روى يعقوب بن سفيان من طريق عبدالله بن المبارك أن حكيم بن حزام بذل لعبدالله بن الزبير مائة ألف؛ إعانة له على وفاء دين أبيه فامتنع، فبذل له مائتي ألف فامتنع إلى أربعمائة ألف[3]. قال ابن هبيرة: (وفيه ما يدل على كرم حكيم بن حزام ببذله الإعانة في قضاء دين الزبير ابتداءً منه)[4].

٢- السماحة: وذلك في قول عبدالله بن جعفر رضي الله عنه وكان له على الزبير رضي الله عنه أربعمائة ألف: إن شئتم تركتها لكم... فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون. وقد روى يعقوب بن سفيان في الرواية السابقة أن عبدالله بن جعفر قال: هي لك. قال: لا أريد ذلك قال: فأعطني بها نعليك هاتين أو نحوها. قال: لا أريد. قال: فهي عليك إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن ٤٤.

(٣) نقلًا عن فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٤/١.

قال: لا. قال: فحكمك[١]. قال ابن حجر: (وفيه بيان جود ابن جعفر لسماحته بهذا المال العظيم)[٢].

٣- قوة النفس: قال ابن حجر: (وفيه قوة نفس عبدالله بن الزبير لعدم قبوله ما سأل حكيم بن حزام من المعاونة وما سأله عبدالله بن جعفر من المحالة)[٣].

كل هذا يوضح كيف كانت أخلاق الصحابة رضي الله عنهم، وقد صدق عبدالله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما عندما قال: (أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة)[٤].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على أداء الدَيْن:

إن من علامة المؤمن الصادق حرصه على أداء الدين، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على أداء الدين. وذلك واضح في قول عبدالله بن الزبير: (والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي في الموسم، فلما مضى أربع سنين قَسَم بينهم).

قال ابن حجر عن فوائد هذا الحديث: (إن للوصي تأخير قسمة الميراث حتى توفى ديون الميت، وأن له أن يستبرىء أمر الديون وأصحابها قبل القسمة، وأن يؤخرها بحسب ما يؤدي إليه اجتهاده. والذي يظهر أن ابن الزبير إنما اختار التأخير أربع سنين لأن المدن الواسعة التي يُؤتى الحجاز من جهتها إذ ذاك كانت أربعًا: اليمن والعراق والشام ومصر، فبنى على أن كل قطر لا يتأخر أهله في الغالب عن الحج أكثر من ثلاثة أعوام فيحسن استيعابهم في مدة الأربع)[٥]. وقال ابن هبيرة: (وفيه جواز تأخير قسمة الميراث

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٦٦، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٣١٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧٠.

(٣) المرجع السابق ٦/٢٧١.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني ١/٣٠٥-٣٠٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧٠.

احتياطًا لقضاء الدَيْن كما فعل عبدالله بن الزبير)[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَن أخَذَ أموالَ الناسِ يُريدُ أداءَها أدّى اللهُ عنه، ومَن أخَذَ يُريدُ إتلافَها أتْلَفَهُ الله))[٢]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه الحضّ على ترك استئكال أموال الناس والترغيب في حسن التأدية إليهم عند المداينة وأن الجزاء قد يكون من جنس العمل)[٣].

وقال عبدالله البسام: (وفيه تعظيم حقوق العباد وأموالهم ووجوب التحرز منها والابتعاد عنها إلا بحق)[٤].

ثامنًا- من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

إن على المدعو أن يسأل عما خفي عليه، حتى يتبين له حقيقةالأمر، وهذا واضح في قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال عبدالله: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله.

قال ابن حجر: (إن الزبير قال لابنه: استعن عليه بمولاي. والمولى لفظ مشترك فجوَّز ابن الزبير أن يكون أراد بعض عتقائه مثلاً، فاستفهمه فعرف حينئذٍ مراده)[٥].

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون عما لا يتضح لهم من أمور الدين، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما نزلَت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[٦] شقَّ ذلكَ على المسلمينَ فقالوا: يا رسول اللهِ أيُّنا لا يَظلِمُ نفسَهُ؟ قال: ليسَ ذلك، إنما هو الشركُ، ألم تَسمعوا ما قال لُقمانُ لابنهِ وهو يَعِظُه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٤/١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٥.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٧٢/٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٦.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]))[٢].

تاسعًا- من وسائل الدعوة: الإعلان عن أمر ما في جمع من الناس لإبراء الذمة:

إن الإعلان بالأمر في جمع بين الناس من وسائل الدعوة الفعالة، إذا اقتضى الأمر ذلك، كما هو الشأن في هذا الحديث. فقد نادى عبدالله بن الزبير رضي الله عنه في موسم الحج أربع سنوات: "ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه" (واختار الموسم - كما قال ابن حجر- لأنه مجمع الناس من الآفاق)[٣]؛ فإذا اقتضت المصلحة الإعلان أو الإعلام بأمر من الأمور فلا بأس، وقد آذن أبو بكر رضي الله عنه الناس يوم النحر بمنى أن لا يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((بعَثَني أبو بكرٍ في تلك الحَجَّةِ في مُؤَذِّنينَ يومَ النَّحرِ نُؤَذِّنُ بمنىً أَن لا يَحُجُّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ ولا يطوفُ بالبيتِ عُريان. ثمَّ أردَفَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عليًّا فأَمَرَهُ أن يؤَذِّنَ ببراءة. قال أبو هريرةَ: فأَذَّنَ مَعنا عليٌّ في أهلِ مِنىً يومَ النحرِ: لا يحجُّ بعدَ العامِ مُشركٌ ولا يَطوفُ بالبيتِ عُريان))[٤].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٨، ومسلم ١٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٩، ومسلم ١٣٤٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

كثرت وصايا الرسول ﷺ بالأمانة، وحذر عليه السلام من تفلتها، ونص على أنها نزلت في أصل القلوب، وإنها بمضي الزمن تتفلت شيئاً فشيئاً، وتترك بقية من أثر لها في القلب حتى تأتي اللحظة التي لم يبق منها شيء في قلوب الناس.

وقد شبه الرسول ﷺ أثر الأمانة وأجرى تجربة عملية أمام الصحابة، وفي الباب من الجوانب التربوية التعليمية ما يلي:

أولاً- التربية بالوصف أو التقييم الذاتي:

وقد ورد ذلك في وصفه للمنافق، يقول ﷺ: «آية المنافق ثلاث...»، ثم يعدّد هذه الصفات الثلاث، وهي الكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، رغبة منه ﷺ في إيصال هذه الصفات إلى المسلمين؛ ليحذروا الوقوع فيها، ويحذروا الانخداع بالمنافقين، ويميزوهم بين الناس.

والوصف أو التقييم الذاتي: هو أن يكسب الإنسان علماً تفصيلياً بصفات الخير والشر والمعاني السامية والمعاني الهابطة، والأعمال التي ترضي الله تعالى وتقرب منه وعكسها، فتجعل لديه ميزاناً خاصاً يزن به نفسه ويعرض عليه حاله في أي وقت شاء؛ ليحصل لديه تقويم ذاتي صحيح للوضع الذي هو فيه، وهذا الميزان هو وسيلة تربوية من وسائل الرسول ﷺ وضع المواصفات لأغلب الأمور والقضايا الدنيوية والأخروية، وأمر الجميع بأن يزنوا أنفسهم على ضوئها، فنستطيع أن نزن أنفسنا ونحاسبها من خلال هذه الصفات التي أخبرنا بها[1].

ثانياً- التربية بضرب المثل والتشبيه:

ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ...»، ثم بقوله: «فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ»، ويشبه

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٤٣٤، ٤٣٥ بتصرف يسير.

النبي ﷺ فقدان الأمانة بالتمثيل: "ثم أخذ حصاة فدحرجه على رجله"، وكل هذه طرق في تقريب المعنى إلى قلوب المسلمين، لأن بعض المبادئ التربوية تحتاج لتوصيلها إلى التصوير والتشبيه.

والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس فتقبله العقول؛ لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع المعنى الرائع في عبارة موجزة، ويضرب المثل للترغيب فيما ترغب فيه النفوس، أو التنفير حينما يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس[1].

ثالثاً- التربية بالترهيب:

يقول ﷺ في تصوير النار والصراط: «وَفِي حَافَتَي الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ . مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ...».

إنه لا جدوى من التربية إن لم يستغرقها الترهيب، لأن الإنسان لن يمتنع عن العمل إلا إذا علم أن وراءه شراً محدقاً ينبغي اجتنابه، فإن عمل خيراً نال السرور، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة[2].

رابعاً- من مهام المربي: البيان والإيضاح:

وذلك يظهر في توليه ﷺ تبيان الأمور الظاهرة للمتربين، فضلاً عن إبانته للغيبيات، وتلك خاصية تخص النبي ﷺ وحده، فعلم الغيب عند الله، وقد اطلع نبيه ﷺ على بعض الأمور الغيبية، ويظهر ذلك في أحاديث هذا الباب في عدة مواضع:

أولها: مراحل تضييع الأمانة، يقول ﷺ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ...»، حتى يصل الأمر في نهاية الزمان إلى أن يندر الأمناء، حتى يقول الناس: «إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيناً»، حتى ينزع الإيمان كله من القلوب.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦.

ثانيها: حديثه ﷺ عن يوم القيامة، وما فيه من أهوال، تدفع الناس إلي طلب الشفاعة من الرسل والأنبياء، حتي يقوم النبي محمد ﷺ بالشفاعة.

فإن بيان الحقائق دلالة أكيدة على علم المربي وإحاطته بما يجهله المتلقون، ولاشك "أن زاد العلم والثقافة لا بد منه حتى يجد الناس عند المربي إجابة التساؤلات، وحلول المشكلات، إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضاً يكون قادراً على الإقناع"[1].

خامساً- التربية بالقصة:

من الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ في أحاديث هذا الباب: التربية بالقصة، ويظهر ذلك في حديثه عن يوم القيامة باعتباره حادثًا لا محالة، فكان حديثه عن المستقبل بصيغة الماضي، فكأن هذه القصة في يقين حدوثها وحتمية وقوعها ماضياً وقع لا مستقبلاً ينتظر وقوعه.

ذلك الأسلوب القصصي من الأساليب التربوية الناجحة في إيصال القيم إلى المتربين من خلال أحداث القصة، فضلاً عما يفيدونه من معرفة ما سيقع يوم القيامة، وأهم ما في هذه القصة هو إشارته ﷺ إلى أمرين:

أولهما: أنه صاحب الحظوة والشفاعة عند الله يوم القيامة، ولهذا يشفّعه ويفتح له.

ثانيهما: الإشارة إلى مكانة الرحم يوم القيامة ومكانة الأمانة، وأنهما تكونان على جنبي الصراط يميناً وشمالاً.

والقصة النبوية تشد القارئ، وتوقظ انتباهه دون توانٍ أو تراخٍ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقفها، والتأثر بشخصياتها وموضوعاتها، حتى آخر كلمة فيها؛ ذلك أن القصة تبدأ غالباً وفي شكلها الأكمل، بالتنويه بمطلب أو وعد أو الإنذار بخطر، أو نحو ذلك مما يسمى عقدة القصة، وقد تتراكم قبل الوصول إلى حل هذه العقدة، مطالب أو مصاعب أخرى، تزيد القصة حبكاً، كما تزيد القارئ أو السامع

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٥٧.

شوقاً وانتباهاً، وتلهفاً على الحلِّ أو النتيجة[1].

ومن الجوانب القصصية التي تفيد في العملية التربوية ما رواه عبدالله بن الزبير: «لما وقف الزبير يوم الجمل ...» ثم ذكر وصيته بسداد دينه، واستشهاده في معركة الجمل، وفي القصة حرص شديد من جانب الزبير بن العوام على تسديد ديونه من بعده، رغم أنه كان في خطر الحرب، وبين السيوف والرماح.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٨٩.

٢٦- باب تحريم الظلم والأمر بردِّ المظالم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾[الحج: ٧١].

وأمّا الأحاديث فمنها: حديث أبي ذر رضي الله عنه المتقدم في آخر باب المجاهدة[١].

الحديث رقم (٢٠٣)

٢٠٣- وعن جابر رضي الله عنه أَن رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حملَهُمْ على أَنْ سفَكُوا دِماءَهُمْ واسْتَحلُّوا مَحارِمَهُمْ**» رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الشُح: شدة البخل[٣].

سفكوا دماءهم: السفك: أي الإراقة والإجراءُ لكل مائع، والمقصود من سفك الدماء: القتل وإزهاق الأنفس والاعتداء[٤].

الشرح الأدبي

إن الظلم من أمارات فساد الفطرة الإنسانية، ومن دلائل الانحراف عن الصراط السوي في حياة البشرية، وما شاع الظلم في أمة إلا وكان عاقبتها الهلاك والدمار.

---

(١) برقم (١١١).

(٢) برقم (٢٥٧٨/٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٧٩).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٢٩، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٣.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٣٣.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ اللهَ لَيُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه. قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1])).

وقال أحد الشعراء:

لاَ تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْت مُقْتَدِرًا ... فَالظُّلْمُ مَصْدُرُهُ يُفْضِي إلى النَّدَم

تِنَامُ عَيْنَاكَ والمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لم تَنَمِ

والحديث الشريف في فسيحه اللغوي يبدأ بالأمر الحاسم الواجب التنفيذ: في قول رسول الله ﷺ: اتقوا الظلم، والتعبير بالفعل، "اتقوا" يحمل دلالة التحذير، لأن التقوى من الوقاية وكأن الظلم من موارد الهلاك، والإنسان يتجنب هذه الموارد التي يتردى فيها إن أقدم على الظلم، فالظالم لغيره ليس منتصرًا، ولكنه يظلم نفسه قبل ظلمه لغيره، ويهلك نفسه قبل أن يهلك غيره، بسبب الجور والفساد والظلم، وقد حرم الله الظلم على عباده، ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم، فحرم على كل عبد أن يظلم غيره، مع أن الظلم في نفسه حرام مطلقًا، وهو نوعان: أحدهما: ظلم النفس وأعظمه الشرك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]، والثاني ظلم العبد لغيره.

والجملة الثانية: تأتي تعليلًا للأمر باتقاء الظلم، في قول رسول الله ﷺ: "فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"، وهذا التعليل يأتي في قالب الجملة الاسمية المبدوءة بالتوكيد، دلالة على ثبات المعنى، وعدم تغير هذه الصورة المنفرة للظلم، حيث شبهه الرسول ﷺ بأنه: ظلمات يوم القيامة، وليس ظلمة واحدة، وفي ذلك إشارة إلى أن الظالم لن يكون في زمرة هؤلاء المؤمنين الذين يسعى نورهم بين أيديهم، وبأيمانهم"، وفيه تحذير من المصير الذي سيؤول إليه الظالم، ويسيح في ظلمات بعضها فوق بعض،

---

(١) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

وأرشد المصطفى ﷺ إلى ذلك في قوله: "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلل منها..."[١] الحديث، لأنه إن لم يفعل ذلك سيأتي يوم القيامة وظلمات الظالم تغشاه بمقدار ما ظلم، وبمقدار ما نكب الناس، وفجر في نفوسهم الألم.

والمشاكلة بين لفظ الظلم والظلمات من خلال هذا التشابه في المادة اللغوية يؤكد مصير الظالم في دنياه وآخرته.

والقسم الثاني من الحديث يسير في السياق نفسه: حيث الأمر باتقاء الشح: والأمر جماعي، والشح أشد البخل وقيل هو: البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور، والشح عام، وقيل: البخل يكون بالمال أما الشح يكون بالمال والمعروف، كما ذكر صاحب دليل الفالحين.

وتعليل الأمر باتقاء الشح يجيء في السياق اللغوي الذي جاء فيه تعليل اتقاء الظلم، وهو التأكيد في صيغة الجملة الاسمية، ولكن الآثار المترتبة على الشح أقرب إلى ما يشاهد من عذاب في الدنيا، وهو من شواهد العذاب في الآخرة، فالشح أهلك الأمم السابقة، واسم الموصول "مَنْ" وهو للعاقل يرشد إلى كل إنسان وكل أمة فشا فيها الشح، وغدا منهاجًا لها، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، فالتعبير بـ"من" لا يعني الإفراد، وإنما للدلالة على كل من يهزم أمام شح نفسه، لأن الشح يحمل على سفك الدماء: حرصًا على جمع الأموال، أو السرقة أو الإرث قبل الأوان، والشح يقود إلى استحلال المحارم هربًا من تكاليف ومسؤوليات الزواج، فالشح في ظاهره وباطنه شاهد سلوكي من شواهد ظلم النفس، وظلم الغير، وباب من أبواب الفتن والفساد في الأرض، والهلاك في الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

فقه الحديث

تحريم الظلم: أصل الظلم في اللغة: (وضع الشيء في غير موضعه، والجور يجاوزه الحدّ والميل عن القصد، ثم كثر استعماله حتى سمي كل عسف ظلمًا)[١].

ولا يخرج في الاصطلاح عن معناه اللغوي[٢].

والظلم محرم بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٣].

وأما السنة فمنها: حديث الباب، وحديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي . وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا))[٤]. وقد أجمع الفقهاء على تحريم الظلم[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سوء عاقبة الظلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الشح.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: بيان أسباب هلاك الأمم السابقة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حفظ المقاصد الخمسة.

خامسًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

---

(١) لسان العرب والمصباح المنير وجمهرة اللغة "ظلم".

(٢) فتح القدير ٤٣٣/٥، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٢٦٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٩/٢٩.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨، ١٦٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٠/٢٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٠/٥.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سوء عاقبة الظلم:

إن الظلم يؤدي إلى الفساد والإفساد في الأرض، لذلك كانت عاقبته سيئة، ففي هذا الحديث حذر النبي ﷺ من الظلم، لأنه "ظلماتٌ يوم القيامة".

قال الصنعاني: "الحديث من أدلة تحريم الظلم وهو يشمل جميع أنواعه سواء كان في نفس أو مال أو عرض، في حق مؤمن أو كافر أو فاسق"[(١)].

قال القاضي عياض: (قوله: "الظلم ظلمات يوم القيامة" قيل: إنه ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم. ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد، وبه فسَّروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[(٢)] أي شدائدهما. ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات)[(٣)].

قال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبًا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عن ظلمه شيء)[(٤)].

فالمؤمنون -كما قال عبدالله البسام-: (مستضيئون بنور إيمانهم، ويقولون: ربنا أتمم لنا نورنا، وأما الظالمون لربهم بالشرك أو لأنفسهم بالمعاصي أو لغيره في الدماء والأموال أو العرض، فهؤلاء يمشون في دياجير الظلم فلا يهتدون سبيلاً)[(٥)].

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٩٦١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٨/٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/٥.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٠٥/٦.

وقد وردت آيات وأحاديث تحذر من سوء عاقبة الظلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[1]. أي (ومن يرتكب ما نهى الله عنه من أخذ المال الحرام كالسرقة والغصب والغش معتديًا متجاوزًا حدَّ الشرع فسوف يدخله الله نارًا يقاسي حرَّها وكان ذلك على الله يسيرًا)[2].

وقال النبي ﷺ: ((ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَ فِيهِنَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ، ودَعْوَةُ الْوَالِدِ على وَلَدِهِ))[3].

ومن الأمثلة الفعلية لأثر دعوة المظلوم ما رواه عروة بن الزبير أن أرْوى بنت أويس ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنت آخُذُ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ! قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقه إلى سبع أرضين" فقال له مروان: لا أسألك بيّنة بعد هذا. فقال: اللهم إن كانت كاذبة فَعَمِّ بَصَرَها واقتلها في أرضها. فما ماتت حتى ذهب بصرُها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الشح:

إن الشح من الأخلاق الذميمة التي إذا تمكنت من الفرد والمجتمع أدت إلى نتائج

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٢٩-٣٠.

(٢) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٨٣.

(٣) أخرجه أبوداود ١٥٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٥٩).

(٤) أخرجه مسلم ١٦١٠، ١٣٩، وهو في البخاري (٢٤٥٢، ٣١٩٨)، بدون هذه القصة، وإنما باللفظ المرفوع فقط.

خطيرة، لذلك حذّر النبي ﷺ من الشح، معللاً ذلك بأنه "أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم" قال القاضي عياض: (يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر. ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة. قال جماعة: الشح أشد البخل وأبلغ في المنع من البخل...)[١].

وقد وصف الله سبحانه وتعالى المثبطين عن الجهاد في سبيل الله، بأنهم: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾[٢] أي (بخلاء عليكم أيها المؤمنون بالمال والنفس والجهد والمودة لما في نفوسهم من العداوة والحقد حبًا في الحياة وكراهة للموت)[٣].

كما أخبر ﷺ أن الشح من شر صفات الرجل، فقال: ((شرُّ ما في رجل شُحٌّ هالعٌ، وجُبْن خالعٌ))[٤]. قال ابن مفلح: (أصل الهلع: الجزع والهالع هنا ذو الهلع ومعناه: أنه إذا استُخرج منه الحق الواجب عليه هلع وجزع منه، والجبن الخالع هو: الشديد الذي يخلع فؤاده من شدته)[٥].

كما أخبر النبي ﷺ أن الشح من أسباب الهلاك كما في حديث الباب وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ((ثلاثٌ مهلكاتٌ، وثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ كفّاراتٌ أمّا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٨/٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ١٩.

(٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٤٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٥١١ من حديث أبي هريرة وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٢).

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي ٧٦٣هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ٣٠٣/٣.

المهلِكاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وهَوَىً مُتَّبعٌ وإِعْجَابُ المَرْءِ بنفْسِهِ...))[١]. قال ابن رجب: (قال طائفة من العلماء: الشحُّ هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلّها ويمنعها من حقوقها، وحقيقته شره النفس إلى ما حرّم الله ومنع منه، وألا يقنع الإنسان بما أحل الله من مال أو خرج أو غيرهما، ... فمن اقتصر على ما أبيح له فهو مؤمن، ومن تعدّى ذلك إلى ما منع منه فهو الشح المذموم، وهو منافٍ للإيمان ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الشح يأمر بالقطيعة والفجور وبالبخل. والبخل هو إمساك الإنسان ما في يده، والشح: تناول ما ليس له ظلمًا وعدوانًا من مال أو غيره حتى قيل: إنه رأس المعاصي كلّها)[٢].

قال الصنعاني: "(فإن قلت) وما حقيقة البخل المذموم وما من أحد إلا وهو يرى نفسه أنه غير بخيل ويرى غيره بخيلاً وربّما صدر فعلٌ من إنسان فاختلف فيه الناس فيقول جماعةٌ: إنه بخيل ويقول آخرون: ليس بخيلاً فما حدُّ البخل الذي يوجب الهلاك وما حدُّ البذل الذي يستحقُّ به العبد صفة السخاوة وثوابها؟ قلت: السخاء هو أن يؤدي ما أوجب الله عليه والواجب واجبان: واجب الشرع وهو ما فرضه الله تعالى من الزكاة والنفقات لمن يجب عليه إنفاقه وغير ذلك، وواجب المروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب العادة والمروءة فإن منع واحدًا منهما فهو بخيل لكن الذي يمنع واجب الشرع أشد بخلاً، فمن أعطى زكاة ماله مثلاً ونفقة عياله بطيبة نفسه ولا يتيمم الخبيث من ماله في حق الله فهو السخي.

والسخاء في المروءة أن يترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات وغيرها فإنّ ذلك مستقبح ويختلف استقباحه باختلاف الأحوال والأشخاص وتفصيله يطول فمن أراد استيفاء ذلك راجع

---

(١) أخرجه البزار -كما في كشف الأستار ٨٠- وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ٥٢٥، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ٩٦١، وحسنه الألباني بمجموع طرقه وشواهده (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٨٠٢).

(٢) شرح حديث "ما ذئبان جائعان" ضمن مجموع رسائل ابن رجب الحنبلي: أبو الفرج عبدالرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ١/٦٩-٧٠.

الإحياء[١] للغزالي. واعلم أن البخل داء له دواءٌ وما أنزل الله من داءٍ إلا وله دواء، وداء البخل سببه أمران: الأول: حب الشهوات التي لا يتوصل إليها إلا بالمال وطول الأمل، والثاني: حب ذات المال والشغف به وببقائه لديه فإن الدنانير مثلاً رسولٌ يُنَال بها الحاجات والشهوات فهو محبوب لذلك ثم صار محبوبًا لنفسه لأن الموصل إلى اللذات لذيذٌ فقد تقضى الحاجات والشهوات وتصير الدنانير عنده هي المحبوبة، وهذا غاية الضلال فإنه لا فرق بين الحجر والذهب إلا من حيث أنها تقضى به الحاجات. فهذا سبب حب المال، ويتفرع منه الشحُّ وعلاجه بضده فعلاج الشهوات القناعة باليسير وبالصبر وعلاج حب المال وطول الأمل، الإكثار من ذكر الموت، وذكر موت الأقران والنظر في ذلك طول تعبهم في جمع المال ثم ضياعه بعدهم وعدم نفعه لهم، وقد يشح بالمال شفقة على من بعده من الأولاد. وعلاجه أن يعلم أن الله هو الذي خلقهم فهو يرزقهم وينظر في نفسه فإنه ربما لم يخلّف له أبوه فلسًا ثم ينظر ما أعده الله تعالى لمن ترك الشح وبذل ماله في مرضاة الله تعالى، وينظر في آيات القرآن المجيد الحاثّة على الجود المانعة عن البخل، ثم ينظر في عواقب البخل في الدنيا فإنه لا بدّ لجامع المال من آفات تُخرجه على رغم أنفه وذل أمره، فالسخاء خيرٌ كله ما لم يخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه.

وقد أدب الله تعالى عباده أحسن الآداب فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٢]، فخيارُ الأمور أوسطها وخلاصته أنه إذا وجد العبدَ المالَ أنفقه في وجوه المعروف بالتي هي أحسن ويكون بما عند الله أوثق منه بما هو لديه وإن لم يكن لديه مال لزم القناعة والتكفف وعدم الطمع"[٣].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٤/١٨٠٦-١٨١٠.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٦٢، ٨/٢٨٠ - ٢٨٢، وانظر: إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٤/١٨١٠ - ١١٨٤.

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: بيان أسباب هلاك الأمم السابقة:

إن المسلم يأخذ العظة والعبرة من قصص الأمم السابقة، حتى لا يقع فيما وقعوا، مما أدى إلى هلاكهم وفنائهم، لذا أخبر النبي ﷺ المسلمين أن من أسباب هلاك مَنْ قبلنا من الأمم الشُحَ لأنه دفعهم إلى أن يستحلوا ما حرّم الله، واستباحوا القتل والتقتيل. وإنما ذكر النبي ﷺ ذلك لكي نأخذ العظة والعبرة فلا نفعل ما فعلوا حتى لا نتعرض للهلاك مثلهم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

قال عبدالله البسام: (يدل الحديث على التحذير من الشح والبخل، فإنه صار سبب هلاك الأمم السابقة، حملهم على الحرص على المال وعلى الاعتداء على أموال غيرهم، فصارت الحروب والفتن التي صارت سبب هلاكهم واستحلال محارمهم، وهذا هلاك في الدنيا. كما أنه سبب للهلاك الأخروي، فإن الاعتداء على مال الغير والاعتداء على محارمه وسفك دمه من أكبر الظلم وأشد الإثم، وهذه المعاصي هي سبب الهلاك في الآخرة وعذاب النار)[2].

وقد كان ﷺ يذكر أصحابه بأسباب هلاك الأمم السابقة، فلما جاءه أسامة ابن زيد رضي الله عنه يشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، قال له: ((أتَشفَعُ في حدٍ من حُدودِ الله ؟ ثم قام فاختطَبَ ثم قال: إنما أهلكَ الذين قبلَكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهمُ الشريفُ تَركوه، وإذا سرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ))[3].

قال النووي: (ذكر مسلم في الباب: الأحاديث في النهي عن الشفاعة في الحدود، وأن ذلك سبب هلاك بني إسرائيل)[4].

وقال عبدالله البسام: "إن إقامة الحدود على الضعفاء وتعطيلها في حق الأقوياء،

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٠٥/٦، وانظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام، للقاضي المغربي ٢٧٥/٥ - ٢٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٨٣.

سبب الهلاك والدمار، والشقاوة في الدارين"[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: حفظ المقاصد الخمسة:

إن الغاية من تكاليف الشريعة الإسلامية حفظ المقاصد والكليات الخمس، لذا حضت على كل ما يحفظها في الوجود، ومنعت من كل ما يعطل حفظها، كما هو الأمر في هذا الحديث. وذلك واضح جلي في تحذير النبي ﷺ من الظلم والشح، فإن ذلك دفع الأمم السابقة إلى الاعتداء على النفس وما حرم الله تعالى.

قال الشاطبي: (تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية. والثاني: أن تكون حاجية. والثالث: أن تكون تحسينية... والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.. ومجموع الضروريات خمسة وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل. وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة[٢].

وقال الغزالي: (وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها، يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع، التي أريد بها إصلاح الخلق، لذلك لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر)[٣].

خامسًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم:

إن علم الداعية يتيح له معرفة ما ينفع المدعوين وما يضرهم، فيرشدهم إلى نفعهم ويحذرهم مما يضرهم يتضح ذلك في قول النبي ﷺ: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات... واتقوا الشح..." فقد حذر النبي ﷺ أتباعه من الظلم والشح. وقد كان النبي ﷺ

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣١٥/٥.

(٢) الموافقات: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، بعناية مشهور بن حسن آل سلمان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعوية: ١٤٢٤هـ، ١٧/٢-٢٠.

(٣) المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي ٢٨٨/١.

يحذّر أصحابه دومًا مما يضرهم، وقد جاءت أحاديث كثيرة بذلك[١] منها: ((إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ))[٢].

وقد ذكر سبحانه أن الغاية من قيام العلماء والفقهاء بمهامهم، تحذيرهم لأقوامهم من سوء العواقب وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣] أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ففي هذا فضيلة العلم، خصوصًا الفقه في الدين وأنه أهم الأمور وأنه من تعلم علمًا فعليه نشره وبثه في العباد ونصيحتهم فيه فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره الذي ينمى.

وأما اقتصار العالم على نفسه وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وترك تعليم الجهال ما لم يعلمون فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؛ وأي نتيجة من عمله؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علمًا ومنحه فهمًا)[٤].

سادسًا- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ: "اتقوا الظلم واتقوا الشح" والأمر صيغة مباشرة للامتثال وإنما استخدم هنا لخطورة هذين الصفتين السيئتين وأثرهما على الفرد والمجتمع.

أما التعليل فبيان العاقبة السيئة لفعل الظلم والشح، والتعليل يُزيد المخاطب امتثالاً على امتثال، وطاعةً فوق طاعة، فقد بُيِّن له الحكمة من الأمر.

---

(١) انظر على سبيل المثال الفهارس العامة لمسند أحمد بن حنبل ٤٧/٢١٨-٢٢١، فقد ذُكر فيها الأحاديث التي تبدأ بلفظ "إياك، وإياكم، وإياكن".

(٢) أخرجه مسلم ١٦٠٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٢، ٣١٣.

الحديث رقم (٢٠٤)

٢٠٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يقاد: يُقْتَصُّ[2].

الجلحاء: التي لا قرن لها[3].

القرناء: طويلة القرنين[4].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثاني في باب تحريم الظلم، والأمر برد المظالم، ولغة الحديث تتسم بالصرامة والجد والحسم والجزم، لأنها تقدم قضية من أجلِّ القضايا في حياة الناس أجمعين، وهى: عدم التردي في مهاوي الظلم، والوقوف أمام إغراء السطوة والجاه والمال، والعِرْق، والنسب، فكلها من البواعث التي تدفع الإنسان إلى ظلم أخيه الإنسان.

وبعض الغافلين يتوهمون أن القوة الغاشمة، والسلطة القاصمة، من الموانع التي تمنع الظالم من العقاب، وتحميه من غضبة المظلومين، ولكن هذا الوهم، وإن تحقق في مظاهر الحياة الخادعة، وإن لمعت بوارقه في سراب الحركة الحياتية الواهمة، فإن الحق المغتصب لن يضيع، وإن قلوب المظلومين الواجفة لن يجمد نبضها ويدفن في الصقيع.

---

(١) برقم (٢٥٨٢/٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٧٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق و د).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ل ح).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ن).

فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، والظالم لن يظل متحصنًا بالوهم آمنًا من العقاب، والحق سبحانه وتعالى يتوعد الظالمين وينذرهم بالعقاب الشديد، وبأنهم إن أخافوا الناس وأرهبوهم في الحياة الدنيا، فإنهم يوم القيامة مالهم من ولي ولا نصير، وهم في الآخرة كما قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[1].

ولأن الظالمين نهبوا حقوق الناس، وسطوا على أرزاقهم، ولم يرجعوا الحقوق إلى أصحابها: يبدأ الحديث الشريف بتأكيد إرجاع الحق إلى أهله: يوم القيامة.

وقد تضافرت عدة أساليب في هذا الحديث الشريف لتوصيل المعنى المقصود، والهدف المنشود وهو إرجاع الحق إلى أصحابه، ولنتأمل هذه الأساليب اللغوية والفنية التي يشع بها هذا الحديث الموجز في مبناه المتسع في دلالته ومعناه فقوله عليه الصلاة والسلام: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة"، فيه قسم وتأكيد، وبناء للمجهول وإيجاز، وهذه السمات الأربع اجتمعت في كلمة واحدة "لَتُؤدُنَّ" فاللام مؤذنة بقسم مقدر لتأكيد المقام: والتقدير، والله ليؤدِّن الله الحقوق،ومع هذا القسم يأتي التأكيد المتمثل في نون التوكيد الثقيلة، والإيجاز تنبئ عنه الصيغة النحوية وهى: البناء للمجهول، والفاعل ليس مجهولاً ولكنه معلوم ولا يحتاج تعريفًا لأنَّ المؤمنين يعرفون أن الله يوم القيامة، سيعطي كل ذي حق حقه، وأما الظالمون فهم ظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا غيرهم، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2].

فالفعل في صيغته المتضمنة للأداء وهو الإعطاء جاء محصنًا بالقسم والتوكيد والإيجاز والتنويه بمعرفة المؤمنين بعدالة خالقهم، والتعريض بغباء الظالمين حيث ختم

---

(١) سورة غافر، آية: ١٨.

(٢) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧-٢٩.

الله على قلوبهم وأسماعهم، ندركه من خلال صيغة البناء للمفعول "وأل" في "الحقوق"، للعهد والاستغراق، و"الحقوق"، جاءت جمعًا: لأن الحقوق متعددة ومتنوعة بتعدد المظالم، وتعدد المواقف، وتعدد الأزمنة، وتعدد الأمكنة، والتعبير بقوله: "إلى أهلها"، أبلغ في نسبة الحق إلى ذويه، من قوله: إلى أصحابها، لأن صاحب الحق قد يفرط فيه، أما أهله فهم منه وهو منهم فهما كيان واحد، وليسا صاحبين يمكنهما أن يتفرقا، وقوله "يوم القيامة" فيه إنذار للظالمين، وبشارة للمظلومين كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1]، والسجع في نهاية الحديث: والطباق بين صورتي: الجلحاء والقرناء، يؤكد دلالة رجوع الحق: ومع الرجوع يكون القصاص من الظالمين الذين أفلتوا من العقاب في الدنيا، ولكنهم لن يفلتوا من عقاب الآخرة "إن ربك لبلمرصاد".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الحقوق لأهلها.

ثالثًا: من مهام الداعية: بذل النصح للمدعوين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى:

(العدل من أسماء الله الحسنى، وبه قامت السماوات والأرض، وانتظم أمر الخليقة)[2] في الدنيا والآخرة كما هو واضح جليٌّ في قوله النبي ﷺ: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة)، فقد أخبر النبي ﷺ أن يوم القيامة هو يوم تأدية الحقوق إلى أهلها ومعاقبة مغتصبيها، فهو يوم العدل بين الناس والقصاص (حتى يقاد للشاة الجلحاء لوهي التي لا قرن لها] من الشاة القرناء).

قال عبدالرحمن الميداني: "إن الحشر يعم الإنس والجن والملائكة، وكل دواب

---

(١) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/٣٠.

الأرض وطيورها.

أما حشر الإنس والجن فلأنهم مكلفون، وأما حشر الملائكة فليقوموا بوظائفهم وفق سنة الله تعالى في خلقه.

وأما دواب الأرض وطيورها، فقد جاء في إثبات حشرها قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

وقد جاء في كلام الرسول ﷺ ما يدل على الفائدة من حشرها.

فمن ذلك: القصاص من البهائم الظالمة في الدنيا للمظلومة منها.

ونعتقد أن ذلك على مقدار إدراكها لمعنى الظلم الذي لا تقبله نفس من النفوس، مهما قلت مداركها العامة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يومَ القيامة، حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحاء من القَرْنَاء تَنْطحُها)).

ومن ذلك أيضًا: تأديتها وظيفة الشهادة على الناس بحسب مشاهداتها في الدنيا، وتسخيرها لتعذيب العصاة الذين عصوا الله بها في الدنيا، حينما كانت مذلّلة لهم، مسخرة لمصالحهم وحاجاتهم.

ومن ذلك: مشاهدتها عقاب من ظلمها من الناس في الدنيا، وتعويضها عن ذلك طبق قانون العدل الرباني، حتى إذا تمت الحكمة الإلهية من حشرها، يقضي الله عليها بأمره، فتكون ترابًا"[2].

وقد حذّر النبي ﷺ من أن الظلم يؤدي بصاحبه يوم القيامة إلى أن يكون مفلسًا من حسناته بسبب القصاص العادل، فقال ﷺ يخاطب أصحابه: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟)) قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي،

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها ٦٥٤ - ٦٥٥.

يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا، وَقَذَفَ هَـٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا، وَضَرَبَ هَـٰذَا. فَيُعْطَى هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[1].

قال النووي: (حقيقة المفلس هو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه)[2].

وقال ابن هبيرة: (هذا الحديث يقتضي أن القصاص يأتي على جميع الحسنات، حتى لا يبقى منها شيء، فينبغي لمن عليه مظالم أن يستكثر من الحسنات)[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الحقوق لأهلها:

إن الإسلام يحرص أشد الحرص على تأدية الحقوق لأهلها، لذا حثّ المدعوين على ذلك وهذا مستنبط من قوله ﷺ: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة)، فإن الحق إذا لم يؤدَّ إلى صاحبه في الدنيا أُدِّي إليه يوم القيامة، فكان هذا أمرًا بأداء الحقوق والمسارعة إلى ذلك قبل أن تنقضي الحياة الدنيا، وقد وردت آياتٌ وأحاديث تحذر من أن تأخير الحق وعدم أدائه يكون سببًا للعذاب يوم القيامة، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[4]، أي: (والذين يمسكون الأموال ولا يؤدون زكاتها ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة فبشرهم بعذاب موجع يوم القيامة،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٤.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/٨.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

توضع قطع الذهب والفضة في النار فإذا اشتدت حرارتها أحرقت بها جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم، وقيل لهم توبيخًا: هذا مالكم الذي أمسكتموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجع بسبب كنزكم وإمساككم)[١].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أتت امرأتان في أيديهما أساور من الذهب فقال لهما رسول الله ﷺ: ((أَتُحِبَّانِ أَنْ يُسَوِّرَكُمَا رَبُّكُمَا بِأَسْوِرَةٍ مِنْ نَارٍ؟)) قالتا: لا، قال: ((فَأَدِّيَا حَقَّ هَذَا الَّذِي فِي أَيْدِيكُمَا))[٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ مِنَ الْمَقَاسِمِ. ثُمَّ تَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الْبَعِيرِ. فَأَخَذَ مِنْهُ قَرَدَةً. يَعْنِي وَبَرَةً. فَجَعَلَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هذَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ. أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمِخْيَطَ، فَمَا فَوْقَ ذٰلِكَ، فَمَا دُونَ ذٰلِكَ. فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَشَنَارٌ وَنَارٌ))[٣].

قال العز بن عبدالسلام: "إنما شرفت المسارعة إلى الطاعات لأنها أحسن في الطواعية وامتثال الأمر، ولما في المسارعة من أمن فوات الطاعات، فالمسارعة إلى أفضل الأعمال أعلى رتب المسارعات، وكذلك تترتّب المسارعات برتب فضائل الطاعات"[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: بذل النصح للمدعوين:

إن من المهام الأساسية للداعية أن ينصح المدعوين، فيحثهم على ما ينفعهم، ويحذرهم مما يضرهم، وهو إذ يفعل يقتدي بالأنبياء، وإمامهم محمد ﷺ الذي بذل النصح للمدعوين في هذا الحديث بأن أخبرهم أن الحقوق سوف تؤدى إلى أصحابها يوم القيامة، وفي هذا نصح لهم، كما نبّه ﷺ على ذلك بأن قال: (حتى ليقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)، قال النووي: (وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة)[٥].

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ص ١٩٢.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٨/٢ رقم ٦٦٦٧ وقال محققو المسند: حديث حسن صحيح ٢٤٨/١١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٨٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه).

(٤) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد خالد الطباع ٣٠٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٤.

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام - مقام نصح المدعوين بما قد يغيب عن أذهانهم - بما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما من أن عبد الله بن أبي سلول - رأس المنافقين - قال معرِّضًا بالنبي ﷺ: واللَّهِ لئن رجَعنا إلى المدينةِ ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فقال عمرُ بنُ الخَطاب رضي الله عنه: دَعني يا رسولَ الله أضرِبْ عُنُقَ هذا المنافقِ، قال النبيُّ ﷺ: ((دعهُ، لا يتَحدَّثُ الناسُ أنَّ محمدًا يَقتُلُ أصحابَه)) [(١)].

قال النووي: (فيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفًا من أن يترتب على ذلك مفسدة أعظم منه، وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام ويتمكن الإيمان من قلوب المؤلفة قلوبهم، ويرغب غيرهم في الإسلام، وكان يعطيهم الأموال الجزيلة لذلك، ولم يقتل المنافقين لهذا المعنى)[(٢)].

ولا بأس هنا بإيراد ما رواه ابن إسحاق عن أمر عبد الله بن أبي سلول بعد هذا، فقد روى: "وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين بلغه ذلك من شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلتَه يوم قلتَ لي أقْتُلُه، لأُرعِدَت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته؛ قال عمر رضي الله عنه: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري"[(٣)].

قال النووي: (وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم وسد خلاتهم ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥١٨، ومسلم ٢٥٨٤، ٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٥.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ٣/٣٠٥، وقد رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة وهو من صغار التابعين فتكون روايته معضلة.

كبيرهم ورحمة صغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف رضي الله عنهم من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والترهيب:

أما التوكيد فقوله ﷺ "لتؤدن"[2]، وذلك ليؤكد أمر تأدية الحقوق وخطورته، وأما الترهيب فذكره ﷺ: "يوم القيامة"، وما يستحضره الذهن من أهواله وشدائده، وكذلك ذِكْره القود من الشاة القرناء للجلحاء، وفي كل هذا ترهيب من أكل الحقوق واغتصابها من أهلها، والخلاصة: أنه ترهيب من الظلم.

وتأتي أهمية الترهيب في تحذير الإنسان من الانغماس في الشهوات والاعتداء على حدود الله تبارك وتعالى، فإن الإنسان "لما كان يعيش في الدنيا ويشاهدها ويحس بها ويتعرض لإغراءاتها مما قد يجره إلى الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة، وظلم النفس أو الغير، فلا بد إذن من تنفير المدعوين من إيثارها على الآخرة لا من الفرار منها جملة مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها.

ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب -أسلوب الترغيب والترهيب- في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبل الداعي المسلم[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١.

(٢) انظر: شرح ابن عقيل، عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دون بيانات أخرى، ٣٠٩/٢.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧-٤٤١.

الحديث رقم (٢٠٥)

٢٠٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَتحدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْن أَظْهُرِنَا، وَلاَ نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوداع، حَتَّى[1] حمِدَ اللَّه رسول اللَّه ﷺ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَر الْمسِيحَ الدَّجَالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «**ما بَعَثَ اللَّه مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ: أَنْذَرَهُ نوحٌ وَالنَّبِيُّون مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ إنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فما خفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ**[2] **إِنَّ رَبَّكُمْ لَيس بأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أعورُ عَيْن الْيُمْنَى، كَأَنَّ عيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِيَةٌ.**

ألا إن اللَّه حرَّم عليْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوالكُمْ، كَحُرْمَةِ يوْمكُمْ هذا، فِي بلدِكُمْ هذا، فِي شَهْرِكُم هذا ألاَ هل بلَّغْتُ؟ » قَالُوا: نَعَمْ، قال: « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثًا ويْلَكُمْ أَوْ: ويحكُمْ، انظُرُوا: لا ترْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» رواه البخاري[3]، وروى مسلم بعضه[4].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بين أظهرنا: بيننا[5].

أطنب: أكثر في ذكره[6].

---

(١) (حتى)، و(رسول الله ﷺ) لا توجدان عند البخاري في هذه الرواية، وهما عند الحميدي في جمعه (١٩١/٢، رقم ١٢٩٥).

(٢) عند البخاري زيادة: (إنَّ ربكم ليس على ما يخفى عليكم ثلاثًا). وهي ليست عند الحميدي في جمعه، فتبعه عليه المؤلف.

(٣) برقم (٤٤٠٢ - ٤٤٠٣).

(٤) أخرج مسلم (٦٦/١٢٠) طرفًا منه، وهو قوله: (ويحكم، أو: قال: ويلكم، لا ترجعوا بعدي كفّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقد أخرج البخاري (٦٠٤٣) هذا الطرف منه في موضع آخر من حديث محمد بن زياد أيضًا عن جده.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ظ هـ ر).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ن ب).

عنبة طافية: أي ناتئة ناشزة[١].

كفَّارًا: لا بسي السلاح، يُقال كفَر فوق دِرْعِه، فهو كافر: لبس فوقها ثَوْبًا، كأنه أراد بذلك النهي عن الحرب[٢].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يعد النموذج الأعلى للبلاغة العربية بعد البيان بالقرآن الكريم، فهو قبس من أضواء الذكر الحكيم، وهو نموذج سام للبيان العربي الدال المفيد، ويكفي أنه صاحبه قد أوتي جوامع الكلم.

وفي خطبة حجة الوداع، تتجلى معالم البيان النبوي، وتتألق أبعاده، فالخطابة فن أدبي كاد يندثر في عصرنا الحديث، وما أحوجنا إلى تأمل النماذج العليا من هذا الفن الأدبي الراقي، إنه فن الإلقاء، وفن صياغة الكلمة صياغة آسرة تؤثر في المتلقى، وتأسر أحاسيسه، وتثير انفعالاته، وتمتع عقله، وتشبع عاطفته، وحين نتأمل هذه الخطبة في نصوصها الكاملة، ورواياتها المتعددة نجدها كنزًا من الأساليب المضيئة بالإيمان، والناطقة بأدق أسرار لغتنا العربية الفصحى، لغة القرآن الكريم.

وفي ظلال هذا الحديث الشريف: نتأمل ونقتبس ما وراء الكلمات من معان ومقاصد وأهداف، وما توحي به مقدمة الحديث من أثر جليل، ومقصد جميل، والحديث يفيض بهذه الظواهر الفنية والأسلوبية:

١-قول ابن عمر: "ولا ندري ما حجة الوداع"، وهو يؤكد هذا المعنى حينما قال مصورًا حال الصحابة رضي الله عنهم وهم لا يدرون ما هذه الحجة؟ والكلام ليس على عمومه، ولكن المراد هو غياب هذا الاسم عنهم، لأنه لم يكن مشهورًا لديهم: وقيل: كأنه شيء ذكره النبي ﷺ فتحدثوا به، وما فهموا أن المراد من الوداع، وداع النبي ﷺ حتى وقعت وفاته بعد ذلك بقليل: فعرفوا ذلك، وهذا من معجزات النبي ﷺ، وإخباره عن بعض الأمور الغيبية.

---

(١) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ١٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

٢-تقديم الحمد على الثناء في قوله: حتى حمد الله وأثنى عليه، وقيل: قُدِّم لفظ الجلالة للاختصاص، وقيل إن الحمد هنا مناسب للموقف، لأن المصطفى ﷺ يحمد ربه على قضائه وقدره، وعلى قرب أجله، وهو في هذا الموقف لم يجزع، ولم ييأس، ولم يتوجه بالشكوى إلى ربه أو الدعاء بطول العمر، ولكنه: أثنى على ربه، واستقبل هذا الأمر بالرضا والتسليم والبشارة، ثم بدأ يحذر أمته من فتنة المسيح الدجال: مخافة أن يرجعوا كفارًا متحاربين.

٣-لفظ المسيح يحمل في مادته اللغوية المعنى المراد منه والذي يتضمن خصائصه ووظيفته في إضلال الناس، وقيل في تفسير الاسم: لأنه يمسح معظم الأرض، أى: يقطعها في أيام معدودة، حتى يضل الناس، وقيل لأنه ممسوح من كل خير: أى مبعود ومطرود، ولذلك جاء وصف : الدجال مصورًا لوظيفته وهيئته.

٤-قوله: "فأطنب في ذكره"، أكثر دقة من قوله مثلاً: "أسهب"، لأن الإطناب محمودٌ إذا كان المقام يستدعيه أما الإسهاب، فهو غير محمود.

٥-أسلوب القصر في قوله: "ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته"، يؤكد صدق خبر مجيء المسيح الدجال، ولفظ "من" يدل على الاستقصاء.

٦-التأكيد والشرط في تصوير هيئة الدجال ينبه كل مؤمن إلى حتمية الحذر، وضرورة المقاومة، وعدم الضعف أمام إغراءات فتن المسيح الدجال. وهى تتعدد وتتلون، وتغرى ضعاف الإيمان بسرابها الخادع: وورد التأكيد أكثر من مرة في هذا السياق بإن وكأن في قوله: "وإنه إن يخرج فيكم، إن ربكم ليس بأعور، وإنه أي: المسيح، أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، وهذه الصورة التشبيهية مع التأكيد والشرط تعد مثيرات ومنبهات أسلوبية كى يتحصن المسلم بدينه أمام هذه الفتن.

٧-التكرار: ويمتزج التكرار بالتوكيد في قوله: "ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا"، وتكرار اسم الإشارة يفسر لنا حرص رسول الله ﷺ على حرمة الدم للمسلم، وحرمة مال المسلمين، وحرمة الأماكن المقدسة، وثمرة ذلك الحرص: المحافظة على البلد الأمين،

واستقراره وأمنه بما فيه من أناس وطير وشجر وحيوان، فكلها من خلق الله، والإنسان مطالب بأن لا يظلم أخاه الإنسان، وكذلك لا يظلم الطير والنبات والحيوان، في هذا البلد الأمين، والآمن.

٨-في ختام الحديث يتوهج الاستفهام والحوار والتكرار والتحذير والنهى: حتى يظل المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وهم بمنجى من فتنة المسيح الدجال: وقوله: "ويحكم أو ويلكم"، إنذار للأمة وتحذير لها.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من فتنة الدجال.

ثالثًا: من مهام الداعية: وصف الأمر بما يتميز عن غيره.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حفظ النفس وحفظ المال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن قتال المسلم.

سادسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

سابعًا: من أساليب الدعوة: القصر، والتوكيد، والتنبيه، والتشبيه، والتقرير، والنداء والتكرار، والتحذير، والأمر والنهي.

أولاً- من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

كانت حجة الوداع في السنة العاشرة، قال ابن كثير: (ويقال لها حجة البلاغ وحجة الإسلام وحجة الوداع، لأنه ﷺ ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام لأنه ﷺ لم يحج من المدينة غيرها، وسميت حجة البلاغ لأنه ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه عليه الصلاة والسلام، فلما بيّن لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل عليه وهو واقف بعرفة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ

دِينًا﴾[١])[٢].

وقال النووي: (إن النبي ﷺ ودّع الناس فيها وعلمهم في خطبته فيها أمر دينهم وأوصاهم بتبليغ الشرع فيها إلى من غاب عنها)[٣]، (وكان هذا إيذانًا بإكمال الدين وإتمام النعمة وبلوغ الرسالة غايتها)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من فتنة الدجال:

كان النبي ﷺ كثيرًا ما يحذر أصحابه رضي الله عنهم وأمته فتنة الدجال، وذلك لخطورة فتنته وشدة أمره على من يدركه ويعاصره، وهذا واضح في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "فأطنب في ذكره وقال: ما بعث الله من نبي إلا أنذره أمته؛ أنذره نوح والنبيون من بعده"، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ما بُعِث نبيٌّ إلا أنذَرَ أمتهَ الأعورَ الكذابَ، ألا إنه أعورُ وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعْوَر، وإنَّ بين عينيه مكتوبٌ: كافر))[٥].

وقد وردت أحاديث كثيرة تبين أمر الدجال وتحذر من فتنته[٦]، من ذلك ما رواه النواس بن سمعان: ((ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ. حتى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذلك فِينَا. فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَداةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ. حتى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ. إِنْ يَخْرُجْ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ. وَإِنَّ يَخْرُجْ، وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ. وَاللّهُ خَلِيفَتِي على كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ. عَيْنُهُ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣. والحديث في نزول هذه آية في يوم عرفة أخرجه البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

(٢) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٠٤/٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٩/٢/١.

(٤) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي ص ١٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٧١٣١، ومسلم ٢٩٣٣.

(٦) انظر: الأحاديث في ذلك: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٦٥٨-٦٧٥، والبداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير "الفتن والملاحم" ١١٣/١٩-٢١١.

طَافِئَةٌ. كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العزى بْنِ قَطَنٍ. فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ. إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ. فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً[1]. يَا عِبَادَ اللّهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا. يَوْمٌ كَسَنَةٍ. وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ. وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ. وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ فذلك الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لاَ. اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ. فَيَأْتِي على الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ. فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ. وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ. فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ[2]. ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ. فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ. فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ. فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ. وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ[3] ....))[4].

قال النووي: (قال القاضي عياض: هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى: من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء

---

(١) العيث: الفساد أو أشد الفساد والإسراع فيه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٧.

(٢) وأسبغه: أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمدّه خواصر لكثرة امتلائها من الشبع، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٧.

(٣) يعاسيب النحل: هي ذكور النحل وقال القاضي عياض: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٧، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٩/٤٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٣٧.

والنظار خلافًا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافًا للجبائي المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقًا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. وهذا غلط من جميعهم، لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه، ولهذه الدلائل وغيرها لا يغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفًا من أذاه، لأن فتنته عظيمة جدًا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله، ولهذا يقول له الذي يقتله، ثم يحييه: (ما ازددت فيك إلا بصيرة)[(١)]، [(٢)].

ثالثًا- من مهام الداعية: وصف الأمر بما يتميز به عن غيره:

يقع التشابه بين كثير من الأمور في نفوس المدعوين، وهنا يأتي دور الداعية بأن يوضح الأمر بما يميزه عن غيره ويوضحه، بحيث يقع في نفوس المدعوين، واضحًا جليًا لا لبس فيه. وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور عينه اليمنى، كأنها عنبة طافية".

قال ابن حجر: (إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالِم والعامي، ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادعى

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٨٢، ومسلم ٢٩٣٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٧٥/٩، ٤٧٦، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٤.

الربوبية وهو ناقص الخلقة - والإله يتعالى عن النقص- علم أنه كاذب، وزاد مسلم[١] في رواية يونس والترمذي[٢] في رواية معمر: قال الزهري: (فأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال يومئذ للناس وهو يحذرهم ((تَعَلَّمُون أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ))[٣]. وعند ابن ماجه[٤] نحو هذه الزيادة من حديث أبي أمامة، وعند البزار من حديث عبادة بن الصامت. وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب؛ لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك[٥].

وقال ابن كثير عن ملخص سيرة الدجال: (هو رجل من بني آدم خلقه الله تعالى ليكون محنة واختبارًا للناس في آخر الزمان فيضلُّ به كثيرًا ويهدي به كثيرًا، وما يضل به إلا الفاسقين)[٦] وقبله قال النووي: (إنه شخص ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى ... كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك)[٧].

ويمكن أن يستأنس لما ذكر من أن من مهام الداعية توضيح الأمر بما يتميز به عن غيره، بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾[٨] أي: (إن الذين يتعاملون بالربا قالوا: إنما البيع مثل الربا في أن كلاً منهما حلال ويؤدي

---

(١) صحيح مسلم ١٦٥، ٩٥.

(٢) سنن الترمذي ٢٢٣٥.

(٣) قال النووي: قال المازري: هذا الحديث فيه تنبيه على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، وهو مذهب أهل الحق، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٣، والمعلم بفوائد مسلم ٤٤٥/٢.

(٤) سنن ابن ماجه ٤٠٧٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٣/١٣.

(٦) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٠٣/١٩، وانظر في صفته ٢٠٨/١٩-٢١٦.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩٤.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

إلى زيادة المال، فأكذبهم الله وبين أنه أحل البيع وحرم الربا؛ لما في البيع والشراء من نفع للأفراد والجماعات ولما في الربا من استغلال وضياع وهلاك)[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: حفظ النفس وحفظ المال:

إن الشريعة جاءت بحفظ المقاصد الخمسة، منها حفظ النفس وحفظ المال، كما جاء في هذا الحديث فقد قال النبي ﷺ: "إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا... لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض" فقد حذر النبي ﷺ من الاعتداء على الأنفس والأموال، وقد روى أبوبكرة رضي الله عنه هذا الحديث فذكر أن النبي ﷺ قال: ((أيُّ يومٍ هذا؟ فَسكَتْنا حتى ظَنَنّا أنه سيُسَمِّيهِ سوى اسْمِه. قال: أليسَ يومَ النَّحر؟ قلنا: بلى. قال: فأيُّ شَهرٍ هذا؟ فسَكَتْنا حتى ظَنَنا أنه سيُسَمِّيه بغيرِ اسمِهِ، فقال: أليسَ بذي الحِجَّة؟ قال: فإنَّ دِماءَكمْ وأموالَكم وأعْراضَكمْ بَينَكم حَرامٌ كَحرْمةِ يومِكم هذا، في شَهرِكمْ هذا، في بَلَدِكمْ هذا))[٢].

قال القرطبي: (سؤاله ﷺ عن الثلاثة، وسكوته بعد كل سؤال منها كان استحضارًا لفهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا" وهذا منه ﷺ مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء، وزيادة في التنفير عن الوقوع فيها، لأنهم كانوا قد اعتادوا فعلها، واعتقدوا حليتها)[٣].

قال النووي: (المراد بهذا كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك)[٤]، وقال ابن حجر: (إن تحريم البلد والشهر واليوم كان ثابتًا في

---

(١) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٧/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٧٥.

نفوسهم مقررًا عندهم بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها فطرأ الشرعُ عليهم بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم)[١] ومن ثم (فإن التشريع الإسلامي يجعل من حياة الإنسان وبدنه وماله وعرضه، أشياء مقدسةً أو حرمات)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن قتال المسلم:

المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، فضلاً عن أن يقاتله، لأن ذلك يتنافى مع الأخوة التي أثبتها الشرع ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣]، لذا نهى النبي ﷺ عن أن يقاتل المسلمون بعضهم بعضًا، ووصف الفاعلين لهذا بأنهم كفار، فقال: ((لا تَرجِعوا بَعدي كُفّارًا، يَضرِبُ بَعضُكم رِقابَ بَعضٍ)) ، وفي هذا الوصف ترهيب ما بعده ترهيب لأن يقاتل المسلمون بعضهم بعضًا، كما قال ﷺ: ((سِبابُ المسلِم فسوقٌ وقتالُه كفرٌ))[٤].

قال ابن عبدالبر: (ومثل هذا كثير من الآثار التي وردت بلفظ التغليظ، وليست على ظاهرها عند أهل الحق والعلم؛ لأصول تدفعها أقوى منها من الكتاب والسنة المجتمع عليها والآثار الثابتة أيضًا من جهة الإسناد)[٥].

وذكر النووي عدة أقوال في تفسير قوله ﷺ: "لا ترجعوا كفارا"، منها: الرابع: (أنه فعل كفعل الكفار) أي: لا تتشبهوا بالكفار في قتل بعضكم بعضًا"[٦]، ثم قال النووي: (وأظهر الأقوال الرابع وهو اختيار القاضي عياض)[٧].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩١.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، تعريب د. عبدالصبور شاهين ص ٢٧٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨، ومسلم ٦٤.

(٥) التمهيد ٢٣/٣٦٤ موسوعة شروح الموطأ.

(٦) شرح السنة ١٠/٢٢٢.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/٤٨.

ولفظ القاضي عياض: "نهاهم عن التشبيه بالكفار في حالة قتل بعضهم بعضًا ومحاربة بعضهم لبعض، وهذا أولى مما يتأول عليه الحديث"[١].

والمقصود أن المؤمن أبعد الناس عن فعل ما يشبه فعل الكفار لأن الله تعالى أكرمه بالإيمان والإسلام، وإلا فكيف يكون أثر العقيدة على سلوكه وأفعاله إن هو تشبه بهم وأتى مثل أعمالهم فرفع السيف في وجه أخيه وقاتله واعتدى على حرماته كما يفعل الكافر مع الكافر وغير الكافر؟

إن المسلم له حرمة يجب أن تصان بكل الوسائل والطرق ويمنع من الاعتداء عليها بشتى السبل الممكنة، كما أن شعار المسلمين فيما بينهم يجب أن يكون الحفاظ على هذه الحرمات وتعظيم حقها.

سادسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن من وسائل الدعوة ذات التأثير الكبير والفعال، الخطبة، وقد استخدمها النبي ﷺ كثيرًا، كما في هذا الحديث، قال ابن عمر رضي الله عنهما: "حمد الله رسول الله ﷺ وأثنى عليه ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره..." قال ابن حجر: (وهذا يدل على أن هذه الخطبة كلها كانت في حجة الوداع وقد ذكر الخطبة في حجة الوداع جماعة من الصحابة لم يذكر أحد منهم قصة الدجال فيها إلا ابن عمر، بل اقتصر الجميع على حديث "إن أموالكم عليكم حرام..." الحديث)[٢]. وقال النووي: (علمهم في خطبته أمر دينهم وأوصاهم بتبليغ الشرع فيها إلى من غاب عنها)[٣].

إن الخطبة وسيلة جيدة للتبليغ، وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معانٍ معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٣٢٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة[١].

سابعًا- من أساليب الدعوة: القصر والتوكيد والتنبيه والتشبيه والتقرير والنداء والتكرار والتحذير والنهي:

أما القصر فقول النبي ﷺ "مابعث الله من نبي إلا أنذره أمته" وهذا يؤكد عظم فتنة الدجال، لذا حذّر كل نبي أمته من اتباعه، وأما التوكيد فـ"وإنه.. وإن.. وإنه.. وإن" كل هذا ليؤكد مضمون الجملة ومفهومها لدى المخاطب.

وأما التنبيه فقوله ﷺ "ألا إن الله حرم ...." لينبه على أهمية حرمة الدماء والأموال. وأما التشبيه فقوله ﷺ "كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا"، واستخدم ﷺ هذا التشبيه ليوضح هذه الحرمة، لأن حرمة اليوم والشهر كانت أثبت في أذهان السامعين[٢].

أما التقرير فقوله ﷺ: ألا هل بلغت؟ وجوابهم عليه: قالوا: نعم، وذلك (ليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه)[٣].

وأما النداء فقوله ﷺ: "اللهم[٤] اشهد" وقد أكد ﷺ ذلك (بإشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا أنه قد بلغ ما أرسل إليهم به)[٥].

("اللهم اشهد ... اللهم اشهد... اللهم اشهد". وما أعظمها من سعادة!؟ سعادة رسول الله ﷺ بشبابه الذي أبلاه وعمره الذي أمضاه في سبيل نشر شريعة ربه جل جلاله، وذلك حينما ينظر فيرى حصيلة الجهد الذي قدَّم والعمر الذي بذل، أصواتًا ترتفع وتعج بتوحيد الله، وجباهًا تعنو ساجدة لدين الله وقلوبًا خفاقة تجيش بحب الله. ألا ما أسعد حبيب الله إذ ذاك بذكرى ما لقيه من ظمأ الهواجر، وشتات السفر في القفار، وعذاب

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤.

(٢) انظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩١.

(٣) السابق ١/١٩١.

(٤) اللهم: أصله يا الله، وأبدل حرف النداء ميمًا في الآخر.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٧١٠.

السخرية والإيذاء، في سبيل هذا الإيمان الذي شاده فوق أرض الله!

ولا والله، ما كان ذلك شهادة تلك الآلاف المحتشدة من حولك فحسب ولكنها شهادة المسلمين في كل جيل وعصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تعلن بلسان حالها ومقالها: نشهد يا رسول الله أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجزاك الله عنا خير ما جوزي نبي عن أمته)[1].

أما التكرار فكان بقوله ﷺ "اللهم اشهد" ثلاثًا، والتحذير كان في قوله ﷺ "ويلكم أو ويحكم"، فالويل (حلول الشر أو كلمة عذاب. والويح قيل بمعنى الويل)[2].

وأما الأمر فقوله ﷺ: "انظروا".

وأما النهي فقوله ﷺ "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض".

ولا شك أن هذه الأساليب الدعوية مفيدة في بابها، ولذا يحسن بالداعية أن يُفيد منها، مراعيًا في ذلك مناسبة هذه الأساليب للقضايا التي يتناولها الداعية، حتى ينجح في حسن العرض والبيان والإقناع وإزالة أي غموض أو لبس لدى المدعوين.

---

(١) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ي ل).

الحديث رقم (٢٠٦)

٢٠٦- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**)) متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

طُوِّقَهُ: خسف الله به الأرض فتصير البُقعة المغصوبة منها في عنقه كالطَّوق[2].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز من أدق خصائص البيان النبوي، ومن أصدق الدلائل على سمو بلاغة المصطفى ﷺ، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي ندرك أن الإيجاز في مبناه هو الطريق إلى اتساع مداه، وعمق معناه، وقد ينشأ اتساع المعنى من تعدد دلالات الكلمة الواحدة، ومن تعدد آراء العلماء في الوصول إلى المقصد، والوصول إلى مضمون الرسالة الموجهة عَبْر ذلك الخطاب الذي شيدته لغة الحديث الشريف، والحديث تشكله، جملة لغوية واحدة، وهى الجملة الشرطية ... حيث الأداة "مَنْ" وهي للعاقل، وكأن ذلك إشارة إلى أن الذي أكرمه الله بنعمة العقل حري به أن ينأى عن الوقوع في دائرة الظلم المظلمة، وجملة الشرط هي "ظلم قيد شبر من الأرض"، وهي ترشد وتحذر من الاستهانة بأي سلوك ظالم مهما صغر حتى لو كان قدر شبر من الأرض، وكلمة "قيد" معناها: قَدْر، ولكن المصطفى ﷺ عَدَل عن لفظ "قدر" واختار لفظ "قيد" حتى لا يلتبس لفظ، قدر في دلالته هنا بدلالاته في سياقات أخرى، مثل الشرف والعظم، وغير ذلك، أما "قيد" فهي تعطي دلالة: القيد، والطوق، والعقاب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢/١٤٢) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٨١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط و ق).

ويمكن أن يشير هذا اللفظ إلى القود، وهو القصاص، من ذلك الظالم "والأرض" اختيار يوحي بأن الظلم محرم في أى مكان، وفي أي زمان، من أي جنس وأي لون، وأي مذهب: فالأرض لا تكون إلا بما يعمرها من الخلق في تحركاتهم الحياتية المتدافعة.

ويأتي جواب الشرط: مصورًا مصير هذا الظالم تصويرًا دقيقًا عميقًا من خلال المادة اللغوية للفعل "طوق" ومن خلال بناء هذا الفعل للمجهول: لأن الله سبحانه هو الذي يلحق به ذلك العقاب، فمصدر العقاب معلوم، ولا يظن أن لهذا العقاب مصدرًا آخر، وضمير الغائب المتصل بالفعل: يفصح عن حتمية ذلك العقاب: فلم يفصل بين المعاقب: وفعل العقاب بأي فاصل: فتأمل هذه الدقة اللغوية، في هذا الكلام الجامع.

وهذه الدلالات المتعددة كلها صحيحة، وهي تنبع من الثراء اللغوي، والاتساع الدلالي في قوله: "طوقه من سبع أرضين"، فالألفاظ هنا لها ظلال تموج بالمعاني المشرقات، ولها ثمار تعطى أكلها لكل من تفتح قلبه لهذي الآيات البينات، ويقول العلامة: أحمد محمد شاكر: في القرآن الكريم -وفي الحديث النبوي الشريف- فيهما وحدهما تبلغ الفكرة في نفسها، ثم بتعبيرها وألفاظها، ثم بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشجة بها ثم بتنسمها في ألفاظها وكلماتها نسمة الروَّح العطِر في جو السَّحر، ثم فوق ذلك البساطة واللين والتقارب والتعاطف بين هذه المعاني كلها: يبلغ كل هذا مبلغًا يكون منه ما هو كنسيم الجنة في طيبه ونعمته، ويكون منه ما هو كحدِّ المواسي في علائق القلوب، ويكون منه ما هو كالنار تستعر وتتلذَّع، ويكون منه ما ينتظم البنيان الإنساني البليغ المتفهم فيهزه هز الزلزلة أعصاب الأرض، وبهذا كان القرآن معجزًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبمثله كان حديث الرسول ﷺ: هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال"[1].

---

(١) من مقال في مجلة المقتطف: عدد يوليو سنة ١٩٣٤: للتعريف بكتاب مفتاح كنوز السنة، للمحدث: أحمد محمد شاكر.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الغصب، وهو: الاستيلاء قهرًا وظلمًا على مال الغير عقارًا كان أو منقولاً وحرمانه منه، والمال أحد الكليات الخمس التي اهتم الشرع الشريف بحفظها وحمايتها من أي اعتداء أو الاستيلاء عليها بدون وجه حق.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الغصب حرام لما فيه من الاعتداء على مال الغير الذي تكفل الشرع بحفظه، ويجب على الغاصب رده متى كان باقيًا على حالته، ومتى تلف المغصوب بأي سبب فإن الغاصب يكون ضامنًا له.

قال ابن حجر[2]: وفي الحديث تحريم الظلم والغصب وتغليظ عقوبته، وإمكان غصب الأرض، وأنه من الكبائر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم.

ثالثًا: من مهام الداعي: بيان عواقب الأمور.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٤٣/٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٢/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٧٣/٥، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٤٢/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٣٦/٢، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٥٩/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٤٣/٣، والزواجر عن اقتراف الكبائر ٤٣٤/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٩٦/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٤١/٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/٥.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

اشتمل هذا الحديث على أسلوب الترهيب، حيث رهّب النبي ﷺ من الظلم، وبيّن عاقبته، فقال: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين" والمقصود بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، لأن بعض النفوس لا تُساس إلا من خلال الترهيب الذي يكون باعثًا على البعد عن المعاصي والحذر منها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[1].

إن استخدام أسلوب الترهيب في الدعوة -مع الاقتصاد فيه- له من الفوائد الكثيرة التي تعود بالأثر الإيجابي على الدعوة والمجتمع، ومنها:

-إن الترهيب يجعل العصاة والمستهترين يقفون على حقيقة ما لهم في الآخرة.

-يزود المؤمن بما يدفع من إغواء الشياطين فيقلع عن المعاصي.

-يعجل بتوبة التائبين حتى لا يدركهم الموت وهم عصاة.

-الترهيب يورث الخوف من عذاب الله عز وجل، ويولد الرهبة حتى تصير طبعًا في الإنسان توصله إلى تقوى الله عز وجل[2].

-يبين الآثار المترتبة على بعض الجرائم في الدنيا فيمنع من وقوعها وذلك كالحدود والتعزيرات.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم:

لقد حذر النبي ﷺ من الظلم في أحاديث كثيرة -ومنها هذا الحديث الذي معنا- حتى ولو كان شيئًا بسيطًا، فقال ﷺ: (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين)، والظلم من الأعمال السيئة التي جاء التصريح في النهي عنها وبيان عقاب الله

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٢١٩٥/٦.

عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[١]، فتأخير العذاب ليس رضا من الله بأفعالهم بل هي سنة الله في إمهال العصاة[٢]، وقال: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[٣].

أي: ليس لهم قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع لهم[٤]، وصرح الله بتحريم الظلم فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا... الحديث))[٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... الحديث))[٦].

فإن العدل سبب لبقاء الأمم وسؤددها، والظلم سبب لفنائها وانهيارها، قال ابن تيمية: (ينصر الله الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة)[٧] فإذا ساد العدل في المجتمع كان له أعظم الأثر في كافة نواحي الحياة: في القضاء وفي الحكم وفي مختلف النواحي الاجتماعي بحيث تتاح الفرص المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي، وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة فيه، كل يحصل على حقه دون زيادة أو نقصان[٨].

وأرشد رسول الله ﷺ إلى التحلل من الظلم إن وقع فيه إنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من كانت عندَه مَظلمةٌ لأخيهِ فلْيَتحللهُ منها، فإنه ليس ثمَّ دينارٌ ولا درهم، من قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناتهِ، فإن لم يكن له حسَناتٌ أُخِذَ من

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٦/٩/٥.

(٣) سورة غافر، آية: ١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٧.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٨.

(٧) الحسبة، ابن تيمية ص ١٧٠.

(٨) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٦٨.

سيِّئاتِ أخيهِ فطُرِحَتْ عليه))[١]، لذا ينبغي على الداعي والمدعو اجتناب الظلم اجتنابًا لموارد التهلكة، وتحذير المدعوين من الوقوع فيه.

ثالثًا- من مهام الداعي: بيان عواقب الأمور:

من المهام الأساسية التي يضطلع بها الداعية بيان عواقب الأمور، وتحذير المدعوين من مغبة تلك العواقب، وفي الحديث بيّن ﷺ عاقبة الظلم ترهيبًا منه وترغيبًا وإرشادًا إلى اتخاذ العدل طريقًا ومنهاجًا، فقال: ((مَن ظَلَمَ قيدَ شِبرٍ منَ الأرضِ طُوِّقَهُ مِن سبعِ أرَضينَ))، وكأنه ذكر الشبر إشارة إلى استواء القليل والكثير في الوعيد[٢].

قال الخطابي: (قوله: "طُوِّقَه" له وجهان: أحدهما أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقة، الثاني معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقا في عنقه)، وقيل: معناه كالأول، لكن بعد أن ينقل جميعه يجعل كله في عنقه طوقا ويعظم قدر عنقه حتى يسع ذلك، وقيل: يكلف أن يجعله له طوقًا ولا يستطيع ذلك فيعذب بذلك، وقيل: إن معنى التطويق: تطويق الإثم والمراد به أن الظلم المذكور لازم له في عنقه لزوم الإثم[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[٤].

وفائدة الإخبار بالعواقب (أن يتنبه الإنسان فيأخذ في الأسباب التي تخلص من تلك العواقب والأهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان، وإدخاله دار الكرامة بمنه وكرمه)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٥/٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ١٢٥/٥.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٣.

(٥) انظر: المرجع السابق ٤٠٢/١١.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال:

من المقاصد الرئيسة لشريعة الإسلام أنها تحفظ للإنسان دينه ونفسه وعرضه، وعقله وماله، وفي الحديث الذي معنا إشارة إلى حفظ مال الإنسان وحرمة أخذه بغير حق وبيان عاقبة ذلك، فقال ﷺ: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوق من سبع أرضين" وفي الحديث تحريم للظلم والغصب وأخذ مال الغير بغير حق وتغليظ عقوبته[١].

ومن ثم فقد حرم الإسلام كل ما فيه ضرر بأموال الغير فحرم الربا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٢]، حرم تطفيف المكاييل والتلاعب بالموازين: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾[٣]، حرم السرقة وحد لها حدًا رادعًا من الاعتداء على أموال الغير، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[٤]، حرم أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[٥].

يتناول الباطل الغصب والنهب والتدليس والغش والرشوة وغير ذلك، وذلك كله مناف للخلق الكريم وجالب للضرر بالآخرين وسبب من أسباب اضطراب الأمن العام، فضلاً عن أنه كسب من غير جهد[٦]، وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرا، يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: ((وَإِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاكٍ))[٧].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/٥، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٨.

(٣) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٣.

(٤) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٦) انظر: عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق ص ١٠٨ - ١١٠.

(٧) أخرجه مسلم ١٣٧.

فأكل أموال الناس بالباطل حرمه الإسلام تحريمًا قاطعًا، حتى وإن استولى عليها بطريقة لا يتمكن المجتمع بتوجيه أصابع الاتهام إليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض لأن ذلك جناية على نفس الآكل وجناية على الأمة التي هو أحد أعضائها، لا بد أن يصيبهم سهم من كل جناية تقع عليها، ولذا اختار الله لفظ "أموالكم" للإشعار بوحدة الأمة وتكافلها، فمال البعض هو مال الكل، لأن المال عصب الأمة، فكان لزامًا على الجميع أن يتكاتفوا لصيانته والمحافظة عليه.

ومعنى قوله تعالى: "وتدلوا بها إلى الحكام" أي ولا تلقوا بها إلى الحكام رشوة لهم، فالاستعانة بالحكام على أكل المال بالباطل محرم؛ لأن حكم الحكام لا يغير الحق ولا يحله للمحكوم إذا كان محرمًا عليه.

وإذا كان الله قد حرم آكل أموال الناس عامة، نراه في موضع آخر يشدد هذا المنع في فئات خاصة منها:

-تحريم أكل أموال اليتامى ظلمًا، والوعيد لمن يفعل ذلك بالعقوبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2].

-وذم الله رجال الدين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٤.

فهذه الآية حذرت من الأحبار والرهبان الذين يأخذون أموال الناس بغير حق، ويقاس على ذلك ما يبذله كثير من الناس لمن يعتقدون أنه عابد قانت لله ليدعو لهم عند الله في قضاء حوائجهم، فالدعاء مطلوب دون أخذ الأموال.

-ومنها ما يأخذه سدنة قبور الأولياء من الهدايا والنذور التي يحملها إلى تلك المواضع من لا يعقلون معنى التوحيد المجرد، كل هذا مما حاربه الإسلام[1].

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبَّارة ص ٣٣٥، ٣٣٦.

الحديث رقم (٢٠٧)

٢٠٧- وعن أَبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّه لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يُملي للظالم: الإملاءُ: يمهله ويؤخِّره ويُطيل عمره[2].

لم يُفلته: أي لم ينفلت منه. ويجوز أن يكون بمعنى: لم يُفلِته منه أحد. أي: لم يخلّصه[3].

الشرح الأدبي

إن القانون الإلهي هو ميزان العدالة بين الناس، والناس مجزيون بأعمالهم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وهذا العدل الإلهي لا يترك الظالم سادرًا في غيِّه، ولا التقى يئن تحت وطأة الظلم، وجبروت الظالمين، وإن هذا الحديث الشريف يؤكد هذا المنهج الرباني الذي لا تستقيم حركة الحياة إلا في ظلاله الوضيئة، وتعاليمه الهادية العطرة المضيئة، فالظالم تقوده أوهامه إلى استمراء الظلم والتوغل في بواديه، حين يرى نفسه آمنًا في سربه وفي بدنه وذويه.

وحين يَصُمُّ أذنيه عن أن تستمع لأنين المظلومين، ويغلق عينية كي لا تشاهد عذابات المحرومين، وكأن الحقوق التي سلبها غدت من ممتلكاته الموروثة، ومن نفائسه ومدخراته المكنونة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣/٦١) ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م هـ ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ل ت).

ولكن هيهات، هيهات، فإن ربك لبالمرصاد ، ولا يظلم ربك أحدًا ، وفي هذا الحديث الشريف يتحدد مصير هؤلاء الظالمين السادرين في غيِّهم، والغارقين في ضلالاتهم، ولم يفيقوا من سباتهم، ولم يرتدعوا، ولم يتخلصوا من غواية طريقهم الآثم، ولم يبصروا نور الهداية في آفاق أحلامهم.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين: إحداهما: إخبارية اسمية مؤكدة.. تحمل صدق الخبر، وتأكيده ... مع الإشعار بالقسم إيذانا بجدية الأمر، وخطورة المصير، وإنذارًا بأنه لا طريق للعودة يتلمسه الظالمون، بعد أن أمهلهم الله، وأفسح لهم طريق التوبة والنجاة، وتتمثل هذه الرؤى في قول رسول الله ﷺ: "إن الله يملى للظالم"، وفي رواية "ليملى" أي يمهل الظالم، ولا يعاجله بالعقوبة الوقتية حتى يثوب إلى رشده، ويعود إلى السلوك السوي، والطريق المستقيم، والتعبير بالفعل المضارع يملى، يوحى باستمرار الظالم في سلوكه، وإمهال العزيز الجبار له، ولكنه لم يستيقظ من غفوته، ولم يرجع عن سطوته، ولم يَحْتَّم بحول الله وقوته، فكان مصيره كما حددته الجملة الثانية من الحديث وهى، "فإذا أخذه لم يفلته"، وأداة الشرط "إذا" تفيد التحقق، فجواب الشرط محقق لتحقق فعل الشرط، وفعل الشرط "أَخَذَه"، يفيد العقاب على الذنب: ولكنه عقاب أليم: لأن الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]، والآخذ هو الله: وهو على كل شيء قدير، وجواب الشرط يتجلى في قوله: "لم يفلته"، أي: لا يدفع عنه الهلاك أبدًا، وقيل إن النفي في جواب الشرط، للتأبيد إن كان هذا الظالم كافرًا.

والآية الكريمة تشير إلى أن الظلم قد يكون سلوكًا جماعيًا، وقد يكون منظمًا بدافع التخطيط لنهب الأموال، أو الأعراض، أو الأنفس، أو الثمرات: ويقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]، وقد

---

(١) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٢.

قص علينا القرآن أن الله عاقب بعض خلقه الذين عَتَوْا عن أمره بسبب الظلم، وأكلوا أموال الناس بالباطل: فقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1]، وأكل مال اليتيم باب من أبواب الظلم، وهو يقود إلى أبواب جهنم، حيث توعدهم الله بذلك، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2].

ويقول رسول الله ﷺ ترغيبًا في قطع الطريق على الظلم والظالمين، وفتحًا للطريق أمام الراغبين في العودة إلى واحة النجاة، ورياض الحياة، "كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه"[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحذير الظالمين من مكر الله.

رابعًا: من مهام الداعي: تبصرة المدعوين بعواقب الأمور.

خامسًا: من آداب الداعي: الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

استعمل النبي ﷺ أسلوب التوكيد في الحديث لتوكيد حقيقة كلامه فقال: (إن الله ليملى للظالم)، وتأكيد الداعي لكلامه يأخذ منه الداعي لنفسه ولأتباعه

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٠-١٦١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٥٦٤.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٦.

ولأعدائه، أما لنفسه فإنه يداوم على الإيمان والعمل ويوصي بالحق ، ولأتباعه يدلهم على طرق الخير والتمسك بها ولأعدائه يعلم أنهم من الضالين الهالكين ويحذرهم مما هم فيه[١].

وقد استخدم القرآن الكريم التوكيد كثيرًا في تقريره لكثير من القضايا وعرضها على الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب واضحًا في الحديث، حيث رهّب الظالم من مكر الله وأن الله إذا أخذ ظالمًا بعقوبة لم يفلته، فقال ﷺ: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) والترهيب من أهم الأساليب الدعوية، وأن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا في قلب إنسان وصل إلى النجاة، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٤]، أي: "يسارعون في عمل القربات وفعل الطاعات ويدعوننا رغبًا فيما عندنا ورهبًا مما عندنا"[٥]، والترهيب هو التخويف والتوعد والمقصود به في الشرع كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه، والترهيب أنسب ما يكون مع أولئك الذين يلهثون

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٣٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٣) سورة النحل، آية: ٥١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/ ٣٧٠.

وراء الشهوات ويجرون وراء المادة ويشغفون بالمنكر، فيقرعهم الترهيب ويوقظهم التخويف من عواقب ما هم فيه[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تحذير الظالمين من مكر الله:

جاء التحذير من مكر الله في الحديث، لأنه لا يأمن مكر الله تعالى إلا من غفل عن الحقيقة وأورد نفسه موارد التهكلة والخسران، فإن أَخْذ الله شديد وعَذَابه أليم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢]، أي عقوبته موجعة غليظة[٣]، فعلى الإنسان الظالم ألا يغتر بنفسه، ولا بإملاء الله له، فإن ذلك مصيبة فوق مصيبته، لأن الإنسان إذا عوقب بالظلم عاجلاً فربما يتذكر ويتعظ ويدع الظلم، لكن إذا أملى له واكتسب آثامًا أو ازداد ظلمًا ازدادت عقوبته[٤].

وقد جاء الحديث مبينًا أن ترك الظالم بدون عقوبة ليس إهمالاً ولا نسيانًا وإنما إملاء وإمهالاً فقال ﷺ: "إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته...".

قال القاضي عياض: (أي أن الله يمهل للظالم ويؤخر ويطيل له المدة، "فإذا أخذه لم يفلته" أي: لم يطلقه ولم ينفلت منه، وقيل يكون معناه: أي لم يخلصه أحد منه.

وقد حذر الله من أن يُؤمن مكره، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾[٥]، أي يأتيهم عذابنا ونكالنا ليلاً وهم نائمون ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[٦]، أي في حال شغلهم وغفلتهم ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٦/٩/٥، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢٤/٢ - ٢٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٩٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٩٨.

يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١]، ولهذا قال الحسن البصري: (المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن)[٢].

فإن العبد المؤمن لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفًا وجلاً، أن يبتلى ببلية، تسلب ما معه من الإيمان، وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة.

رابعًا- من مهام الداعي: تبصرة المدعوين بعواقب الأمور:

إن الداعي بالنسبة للمدعوين، كالراعي لرعيته والأب لأولاده لا يرى خيرًا إلا دلهم عليه ولا شرًا إلا حذرهم منه، ويبين لهم عاقبة كليهما؛ ولذا نجد الرسول ﷺ يبين لنا هذا المنهج الذي نسير عليه فيما يتعلق باجتناب الظلم وعاقبة الظالم التي يكون فيها هلاكه ونهايته الأليمة، وقدأمر الله نبيه بإنذار الظالمين، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾[٣]، ونهانا الله عز وجل عن مجرد الميل والركون إلى الظالمين ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ولا تميلوا إلى الذين ظلموا ولا تستعينوا بهم فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم"[٥].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٠٠.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٤٤.

(٤) سورة هود- آية: ١١٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٣٥٤.

خامسًا- من واجبات الداعية: الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة:

إن مما يجب على الداعية الالتزام به في معالجته لموضوعات الدعوة، الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة، لأن ذلك مما يوثق كلامه ويكسبه نوعًا من المشروعية نظرًا لما يلتمسه من الشواهد من القرآن والسنة، وفي هذا الحديث الذي معنا يستشهد النبي ﷺ على كلامه بآية من كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1]، فالاستدلال والإثبات وتأييد الكلام بالدليل هو عمود الخطاب وقطبه[2]، وأعلى الأدلة وأعظمها وأولاها بالتقديم نصوص القرآن الكريم، فالقرآن الكريم أعظم سلاح يستعمله الدعاة إلى الله سبحانه في دعوتهم للناس والتأثير فيهم[3].

إن الاستشهاد بالنصوص الشرعية له وقع كبير في نفوس المدعوين لا سيما إذا كانوا مسلمين، لذا لا بد للداعية أن يعيش مع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ليأخذ منهما زادًا لقلبه ويقتبس منهما نورًا لعقله، ويستمد منهما ريًا لروحه، ثم يمد الآخرين بعد ذلك من فيض هذا الري وذلك النور، ومما ينبغي أن يلفت النظر إليه في هذا المجال حسن الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة، فإن الداعية إذا أحسن الاستدلال بالنص ووضعه في موضعه أزاح كل شبهة وقطع كل تعلة وأخرس كل معارض، فلا دليل بعد القرآن[4]، ولا كلام لبشر بعد رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٢) انظر: الخطابة "أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب"، الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٠٥.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله بالقرآن الكريم، د. خالد القريشي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد ٣١، رجب ١٤٢١هـ ص ٢٧٣-٢٧٨.

(٤) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٢١، ٣٠.

الحديث رقم (٢٠٨)

٢٠٨- وعن مُعاذٍ رضي الله عنه قال: بعَثَنِي رسولُ اللَّه ﷺ فقال: «**إنَّكَ تَأْتِي قوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَاب، فادْعُهُمْ إِلَى شَهَادة أَنْ لا إِلَهَ إلاَّ اللَّه، وأَنِّي رسول اللَّه فإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ**[1] **افْترضَ علَيْهم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يومٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَأَعلِمْهُمْ أَنَّ اللَّه قَدِ افْتَرَضَ عَلَيهمْ صدَقَةً تُؤْخذُ مِنْ أَغنيائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى**[2] **فُقَرائهم، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فَإِيَّاكَ وكَرائِمَ أَمْوالِهم، واتَّقِ دعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْس بينها وبيْنَ اللَّه حِجَابٌ**» متفقٌ عليه[3].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

كرائم أموالهم: أي نفائسها[4].

الشرح الأدبي

هذه وصية من أبلغ الوصايا في بيان المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه: بعثه رسول الله ﷺ، أميرًا على اليمن، وأوصاه بهذه التعاليم الواضحة حيث المنهج الصحيح الذي يتدرج في إقناع الناس، واستمالة قلوبهم، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: وأول مظهر من مظاهر الجمال في هذا البيان النبوي أنه يبدأ بخطاب معاذ بن جبل رضي الله عنه: في صيغة التأكيد: "إنك"، لتحديد المسؤولية، وعدم التفريط فيها، ومع أن الحدث مستقبلي فإن الفعل "تأتي"، لم يقترن بما يدل على التسويف: السين أو

---

(١) (قد) لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (في) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١/٣٩٨، رقم ٦٤٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩/٢٩) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٩) وبرقم ١٠٧٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر م).

سوف، للإشعار بضرورة الإسراع في القيام بهذه المهمة، وأنها ليست من الأمور المؤجلة أو المسوَّفة، ولنتساءل: لماذا نكر كلمة "قومًا"، ولماذا: لم يحدد هؤلاء القوم: وهم معروفون بأنهم أهل اليمن؟ إن عدم التحديد هنا عن طريق أدوات التعريف أو تعيين هؤلاء القوم للإشعار بأن معالم هذا المنهج ثابتة لكل قوم يُدْعَوْن إلى الإسلام في كل مكان، وحتى لا يقع في الوهم، أن هذه التعاليم خاصة بأهل اليمن، وخصص القوم بأنهم من أهل الكتاب: حتى يستعد معاذ بن جبل رضي الله عنه لمحاورتهم وإقناعهم: لأنهم أهل علم سابق، وإذا دعوا بالحكمة والموعظة الحسنة فلن يعاندوا مثل المشركين.

وفي قوله ﷺ: "فادعهم" إيجاز بالحذف، والإيجاز هنا مناسب للمقام، لأن المقام لا يحتاج إلى تفصيل والمهم هو: التبليغ والتوصيل، والتقدير: فإذا أتيتهم فادعهم؛ وقد رُتِّبت القواعد التي سيبلغها إلى هؤلاء القوم لبيان الأهم فالأهم، فالمسلم لابد أن يبدأ بأول الواجبات، وهو التلفظ بكلمة الشهادة مُصَدِّقًا بها، فالشهادة ركن، وفرض على الجميع تصديقًا بالجنان، وإقرارًا باللسان، وهى أسس الإيمان، والصلاة لا تسقط عن الإنسان إلا إذا كان مجنونًا، ويؤمر بها وهو صبي ابن سبع سنين، ويضرب على تركها وهو ابن عشر سنين، أما الزكاة فلا تجب إلا على من يملك النصاب، فالذين يؤدون الزكاة أقل بكثير من المصلين، وقد يتساءل سائل: لماذا اقتصر الحديث على هذه الأركان الثلاثة، ولم يشر إلى الصوم أو الحج: وهما قد شرعا في ذلك الوقت؟ قال بعض العلماء الحكمة في ذلك: أن الأركان الخمسة منها ما هو اعتقادي وهو الشهادة، وبدني وهو الصلاة، ومالي وهو الزكاة، فاقتصر في الدعاء عليها ليفرع الركنين الآخرين عليها، فإن الصوم بدني محض كالصلاة، والحج بدني مالي، يجمع في الشبه بين الصلاة والزكاة[1].

وقيل إنه من باب التدرج في الدعوة، واتباعًا لسنة التدرج في دعوة الرسول ﷺ حيث أمر بإعلان التوحيد أولاً ثم الصلاة ثم الزكاة.

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ١/٤٤٧.

وتتوالى بعد ذلك وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه في صيغة: "الشرط والجواب"، وفي تدرج منطقي، وتسلسل إقناعي وجاءت أداة الشرط "إن" ، في كل الجمل الثلاثة: وهذه الأداة بدلالتها غير اليقينية تفصح عن طبيعة القوم، وتكشف عن استجابة البعض، ورفض البعض، وهذا هو الواقع الذي يكون عليه الناس، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فانظر السر الكامن وراء اختيار الحرف، وليس الكلمة أو الجملة، وفي الجملة الثانية تجيء كلمة "هم" ضمير الغائب العائد على هؤلاء القوم، ومع أنه لم يذكر في الجملة الأولى: للإيحاء بوجودهم، وأيضًا لتأكيد أنهم أطاعوا: لأن الكلام يتضمن إيجازًا بالحذف: والتقدير، فإن أطاعوا -هم- أطاعوا، والصدقة هنا: المراد بها الزكاة، وسميت صدقة لأنها تدل على صدق إيمان باذلها؛ والتعبير بالفعلين: ترد وتُؤْخَذ، يرشد إلى وجوب الأخذ من الأغنياء، وإعطاء الفقراء حسب القواعد الشرعية، ولا يترك الأمر اختيارًا، وأسلوب التحذير في قوله: "فإياك وكرائم أموالهم"، ينبه إلى عدم أخذ أى مال زائد عن النصاب من نفائس أموالهم.

وأسلوب الأمر في اتقاء دعوة المظلوم، فيه تحذير للولاة وللحكام بعدم الجور على الأغنياء مع الحرص على الفقراء.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث:

١-قبول خبر الواحد ووجوب العمل به.

٢-وفيه أن الوتر ليس بواجب، لأن بعث معاذ إلى اليمن كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل بعد الأمر بالوتر والعمل به.

٣-وفيه من السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال.

٤-وفيه أنه لا يحكم بإسلام أحد إلا بالنطق بالشهادتين. وهذا مذهب أهل السنة.

٥-وفيه أن الصلوات تجب في كل يوم وليلة.

٦-وفيه بيان عظم تحريم الظلم وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويبالغ في نهيهم عن الظلم ويعرفهم قبح عاقبته.

٧-وفيه أنه يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل يأخذ الوسط ويحرم على رب المال إخراج شرّ المال.

٨- وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر ولا تدفع أيضًا إلى غني من نصيب الفقراء.

٩- واستدل به الخطابي وسائر أصحابنا على أن الزكاة لا يجوز نقلها عن بلد المال لقوله ﷺ "فترد في فقرائهم" وهذا الاستدلال ليس بظاهر، لأن الضمير في فقرائهم محتمل لفقراء المسلمين ولفقراء أهل تلك البلدة والناحية. وهذا الاحتمال أظهر.

١٠- واستدل به بعضهم على أن الكفار ليسوا بمخاطبين بفروع الشريعة من الصلاة والصوم والزكاة وتحريم الزنا ونحوها لكونه ﷺ قال: "فإن هم أطاعوا لذلك أن عليهم ..." فدلّ على أنهم إذا لم يطيعوا لا يجب عليهم، وهذا الاستدلال ضعيف. فإن المراد أعلمهم أنهم مطالبون بالصلوات وغيرها في الدنيا. والمطالبة في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها يزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، ولأنه ﷺ رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام، وبدأ بالأهم فالأهم، ألا تراه بدأ ﷺ بالصلاة قبل الزكاة ولم يقل أحد أنه يصير مكلفًا بالصلاة دون الزكاة، والله أعلم.

ثم اعلم أن المختار أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، هذا قول المحققين والأكثرين. وقيل: ليسوا مخاطبين بها. وقيل: مخاطبون بالنهي دون المأمور، والله أعلم.

١١- قال النووي: ("فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم" قد يستدل بلفظة "من أموالهم" على أنه إذا امتنع من الزكاة أخذت من ماله بغير اختياره، وهذا الحكم لا خلاف فيه، ولكن هل تبرًا ذمته ويجزيه ذلك في الباطن، فيه وجهان لأصحابنا، والله أعلم)[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج١/١/١٧٦-١٧٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: إرسال الرسل والكتب وإيفاد البعثات الدعوية.

ثانيًا: من فقه الداعي: مراعاة الفروق بين المدعوين.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب).

رابعًا: من مهام الداعي: تبصير المدعوين بحقائق وأصول الدين.

خامسًا: من فقه الداعي: مراعاة الأولويات في الدعوة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: توقي دعوة المظلوم.

أولاً- من وسائل الدعوة: إرسال الرسل، والكتب وإيفاد البعثات الدعوية:

من الوسائل الدعوية التي أفاد منها النبي ﷺ في دعوته إرسال الرسل والكتب، وكان ﷺ ينتقي الرسل الذين كانوا يوفدون من قبله إلى الأقوام، فقد اختار مصعب بن عمير رضي الله عنه حين أرسله إلى المدينة قبل الهجرة، واختار معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن، وفي هذا الحديث يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ فقال: (إنك تأتي أهل الكتاب) وينبغي أن يلاحظ أن وسيلة إرسال الكتب والرسل وإيفاد البعثات الدعوية أفاد كثيرًا في تبليغ الدعوة وهي وسيلة صالحة للعصر الحديث.

إن إرسال الرسل وإيفاد البعثات الدعوية مما تفرضه عالمية الدعوة على أتباعها من المسلمين، فما دمنا نعتقد أن الإسلام رسالة عالمية، وما دام على وجه الأرض غير مسلم فإن أمانة تبليغ دعوة الإسلام إلى غير المسلمين تقع علينا نحن المسلمين بوجه عام، وعلى الدعاة بوجه خاص"[1].

وذلك ليس ببدع من الدعوة، فقد كان من أبرز وسائل الدعوة التي استخدمها النبي ﷺ في نشر دعوته إرسال الرسل وبعث الكتب، فقد أرسل رسول الله ﷺ دحية الكلبي إلى هرقل أمير بصرى - وهي مدينة بين الشام والحجاز- يدعوه إلى الإسلام، كما أرسل إلى سائر الملوك ومختلف الأمصار، فأرسل كتبًا إلى كسرى

---

(١) تاريخ الدعوة إلى الله، آدم عبدالله الآلوري ص ٢٦٣.

وقيصر وإلى النجاشي وغيرهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى"[١]. وأظهرت هذه المكاتبات والرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والرؤساء مدى انتشار الدعوة، وإيمان الناس واستجابتهم[٢] والتعريف بدعوة الإسلام.

ثانيًا- من فقه الداعي: مراعاة الفروق بين المدعوين:

إن مراعاة الفروق بين المدعوين جاءت في الحديث إلى اعتباره والأخذ به، وذلك من خلال بيان الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل نوعية المدعوين الذين سيدعوهم مما يجعله يختار الأسلوب الأمثل الذي ينجح معهم فقال: (إنك تأتي قومًا أهل كتاب) لذا ينبغي التأكيد على مراعاة الفروق لما يتطلب ذلك من جهد وفكر وقدرة على الإبداع وانتقاء الأساليب والوسائل الدعوية التي تناسب المدعوين[٣].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب):

في الحديث وجه النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى فئة من غير المسلمين وهم أهل الكتاب، فقال: (إنك تأتي قومًا أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب وأغلب، وإنما نبهه على هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لإفحامهم لأنهم أهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الأوثان[٤]، فقوله: إنك تأتي قومًا أهل كتاب) كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم بالجملة[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٤.

(٢) انظر: خاتم النبيين، محمد أبو زهرة، ١١٧٨/٢.

(٣) انظر: المنهج والفروق الفردية، د. فتحي الديب ص ٧٥.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ٣٨٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٩/٣.

وليتخير الأسلوب الأحسن في مناقشتهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، ووجه الوصاية بالحسنى في مجادلة أهل الكتاب أنهم مؤمنون بالله غير مشركين به فهم متأهلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة ولأن آداب دينهم وكتابهم أكسبتهم معرفة طريق المجادلة فينبغي الاقتصار في مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذرًا من تنفيرهم[2].

رابعًا- من مهام الداعي: تبصير المدعوين بحقائق وأصول الدين:

لا ينبغي التعرض للفرعيات والتفصيلات إلا بعد بيان أصول الدين وكلياته الكبرى، ويتضح ذلك من توجيه النبي ﷺ لمعاذ لدعوة أهل الكتاب إلى الإسلام من خلال أركانه العظام فبدأ بالتوحيد وثنى بالصلاة ثم ذكر الزكاة: (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، بل إنه ليلاحظ أنه لم يذكر الزكاة والحج، قال الكرماني مجيبًا على ذلك: "بأن اهتمام الإسلام بالصلاة والزكاة أكثر ولأن الصلاة والزكاة إذا وجبتا على المكلف لا يسقطان عنه أصلاً بخلاف الصوم، فإنه قد يسقط بالفدية، والحج فإن الغير يقوم مقامه، والصوم بدني محض، والحج بدني مالي، فكلمة الإسلام وهي شاقة على الكفار والصلوات شاقة لتكررها والزكاة شاقة لما في جبلة الإنسان من حب المال فإذا أذعن المرء لهذه الثلاثة كان ما سواها أسهل عليه بالنسبة إليها"[3].

خامسًا- من فقه الداعي: مراعاة الأولويات في الدعوة:

في الحديث نجد أن الرسول بدأ بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٤٢٢.

غيرهما إلا بهما[١]، ثم ذكر الصلاة ورتب عليها الزكاة لأن الذي يقر بالتوحيد ويجحد الصلاة يكفر بذلك فيصير ماله فيئًا فلا تنفعه الزكاة، وتمام القول أن الرسول ﷺ بدأ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة[٢].

(فينبغي على الداعية أن يعنى بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك، متأسيًا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو أصل من السلوك العملي)[٣]، وهذا الأمر يتجلى في الحديث في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: "إنك تأتي قومًا أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..."، فنجد في الحديث أن رسول الله ﷺ يعلم معاذ بن جبل رضي الله عنه كيفية مراعاة الأولويات وتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، واتباع أسلوب التدرج في التبليغ، فما ورد من تدرج في التبليغ ومراعاة الأولويات في الحديث ليس إلا إرشادًا نبويًا، بل تدبيرًا إلهيًا يتجاوز الحالة الخاصة في تحويل أهل الجاهلية من واقع جاهليتهم الباطلة إلى الحياة الإسلامية، وكل واقع بعيد عن الإسلام"[٤].

إن المتمعن في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه يرى أنه قد تدرج في وصيته له بدعوة أهل اليمن، من الأهم إلى المهم، فاول ما أوصاه بالدعوة به هو الدعوة إلى التوحيد، ومرتكزها، وأساسها: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم أوصاه بالعبادة، والدعوة إلى بقية أركان وشرائع الإسلام؛ كالصلاة، والزكاة.

---

(١) المرجع السابق ٣/٤٢٠.

(٢) المرجع السابق ٣/٤٢٠.

(٣) صفات الداعية، أ. د. حمد بن العمار ص ١٠٩.

(٤) انظر: التدرج بين التشريع والدعوة، د. يوسف يوسف محي الدين أبو هلالة ص ٢٨.

ثم أوصاه بمعاملة الناس بالحسنى، وعدم أخذ أموالهم بالإكراه، ودون طي نفس، ورضا منهم.

ثم أوصاه بالأخلاق الحميدة، والمسالك والتصرّفات العالية الرفيعة أثناء الدعوة ومخالطة الناس، وذلك باحترامهم، وعدم ظلمهم، وتحقيق العدل والإخاء والمساواة بينهم.

ولا شك أن نهج النبي ﷺ في وصيّته لمعاذ بهذه الكيفية البديعة، وتنبيهه إلى التدرج في الدعوة، والبدء بالأهم فالمهم، وإعطاء كل مسألة وأمر ما يستحق من العناية والأهمية، ليدل دلالة واضحة على الحكمة النبوية العالية في الدعوة، والنظرة الحصيفة في ما ينفع الناس ويمكث في الأرض.

ومن هنا ينبغي أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة، والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه، وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها، فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا كذلك، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل، أو تعصف بالشجرة الرياح، وهذا ما يوضحه قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[1].

ولا شك أن المتتبع لدعوة المصطفى ﷺ يجد هذا الأمر جليًا واضحًا فيها، فقد أمضى ﷺ ثلاثة عشر سنة في مكة وهو يدعو الناس إلى التوحيد، وقوله: "لا إله إلا الله" قبل دعوتهم إلى الصلاة والزكاة والصوم والحج وبقية شرائع الإسلام الأخرى، وما

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٣-٢٧.

ذاك إلا لأهمية هذا الأصل العظيم، وهذا الركن الركين، الذي ما إن يتثبت في القلوب، وتأتلف عليه الصدور حتى يثمر الثمرات اليانعة الطيبة بإذن الله[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: توقي دعوة المظلوم:

جاء ذلك في وصية الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل في الحديث: (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) وذلك التذييل للحديث لاشتماله على هذا الظلم الخاص من أخذ كرائم الأموال وعلى غيره مما يتعلق بالمزكى وعلى هذا المظلوم وغيره قوله: (فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) تعليل للاتقاء وتمثل لمن يقصد إلى السلطان متظلمًا فلا يحجب عنه [٢]، قال أبو العباس القرطبي: (ويستفاد من الحديث: تحريم الظلم، وتخويف الظالم وإباحة الدعاء للمظلوم عليه، والوعد الصدق بأن الله تعالى يستجيب للمظلوم فيه، غير أنه قد تعجّل الإجابة فيه وقد يؤخرها إملاءً للظالم، كما قال ﷺ "إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٣]))[٤])[٥].

وقد حذرنا النبي ﷺ من الظلم عامة وبين عاقبته في الدنيا والآخرة فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))[٦]. قال القاضي عياض: (قوله: "الظلم ظلمات يوم القيامة" قيل: ظاهره أنه

---

(١) انظر: منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه معاذ بن جبل >، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٦/٤.

(٣) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٣.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٨٤/١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، وقد تكون الظلمات هنا الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1] أي: شدائدهما، وقد تكون الظلمات ها هنا عبارة عن الاتكال بالعقوبات عليه)[2].

إن الظلم من أسوأ الأخلاق التي تنخر في كيان المجتمعات وسبب من أسباب انهيارها وانفراط عقدها، قال ابن تيمية: (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وأن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)[3].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٨/٨.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/٨ - ٧٣.

الحديث رقم (٢٠٩)

٢٠٩- وعن أَبي حُميْد عبْدِ الرَّحْمن بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: اسْتعْملَ النَّبيُّ ﷺ رَجُلاً مِن الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قال: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهدِيَ إِلَيَّ[1] فَقَامَ رسولُ اللَّه ﷺ على الْمِنبرِ، فَحمِدَ اللَّه وأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قال: **«أَمَّا بعْدُ فَإِنِّي أَسْتعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ على الْعمَلِ مِمَّا ولاَّنِي اللَّه، فَيأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَت إِلَيَّ، أَفَلا جلس في بيتِ أَبيهِ أَوْ أُمِّهِ حتَّى تأْتِيَهُ إِنْ كَانَ صادقًا، واللَّه لا يأْخُذُ أَحدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حقِّهِ إلاَّ لَقِيَ اللَّه تَعالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، فَلا أَعْرفَنَّ أَحدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّه يَحْمِلُ بعِيرًا لَهُ رغَاءٌ، أَوْ بَقرة لَهَا خُوارٌ، أَوْ شاةً تيْعَرُ.**

ثُمَّ رفَعَ يَديْهِ حتَّى رُؤِيَ بَياضُ إِبْطيْهِ فقال: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» ثلاثًا، متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو حميد الساعدي: هو عبدالرحمن بن سعد بن المنذر.

اختلف في اسمه، وغلبت عليه كنيته، يعدّ في أهل المدينة، له صُحبة ورواية وقد شهد أُحدًا وما بعدها.

وقد روى عنه من الصحابة، جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، ومن التابعين عروة بن الزبير، وعباس بن سهل، ومحمد بن عمرو بن عطاءَ، وخارجة بن زيد بن ثابت، وغيرهم.

وتوفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أو أول خلافة يزيد[3].

---

(١) البخاري رقم (٢٥٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٧٩)، ومسلم (١٨٣٢/٢٧) واللفظ له. والسياق للحميدي في جمعه (٤٦٩/١، رقم ٧٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (١١٥٦).

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧٥/٦-٧٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٤٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٤٥٦)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٩٤/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥١٤/٤).

غريب الألفاظ:

الرغاءُ: صوت الإبل[١].

الخُوار: صوت البقر[٢].

تَيْعرُ: أي تصيح[٣].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف -كما يقول د. محمد أبو موسى، من أصول الإسلام في الحكم، ورعاية المصلحة العامة، واحترام الحق والعدل في إدارة شؤون الناس، وسياسة مصالحهم، ويؤكد ضرورة ابتعاد من يتولى أمرًا من الأمور العامة عن كل شبهة، ووجوب أمانته، وترفعه عن كل المغريات التي يتساقط فيها من ليسوا أهلاً لولاية الأمر.

ومكونات الحديث الشريف هنا تشمل مقدمة تضيء سياقات الحديث، وتكشف كثيرًا من الأمور التي أومأ إليها رسول الله ﷺ، ولم يصرح بها في كلامه الشريف، فالراوي أبو حميد الساعدي رضي الله عنه يقول: "استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له: ابن اللتبية على الصدقة"، والتعبير بالفعل "استعمل" يوضح أن هذا الوالي أو العامل على جمع الزكاة: كلف بالعمل من قبل النبي ﷺ، والرجل من الأزد وهم من أشرف القبائل وقيل هم: أُسْد الله في الأرض: يريد الناس أن يضعوهم، ويأبى الله إلا أن يرفعهم".

وهذا العامل لما قدم قال: "هذا لكم، وهذا أهدي إلي"، وهذه الجملة فيها إيجاز شديد، وتخليص الكلام وتجريده للغرض المقصود منه، والعبارة تطوى خلف ألفاظها، وفي مكامن مقاصدها أحداثًا وأحوالاً، ورؤى واجتهادات وآراء أجملها صاحبها في هاتين الجملتين، وقد نص في الجملة الثانية على أن الشيء الخاص به: هدية: حسب اجتهاده، ولم يقل لي فقط، لأنه لم يقم بشرائها من ماله الخاص، ولم يكن يحسب

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر غ و).

(٢) المرجع السابق في (خ و ر).

(٣)المرجع السابق في (ي ع ر).

أنها رشوة، لأنه من الصحابة رضي الله عنهم الذين شرفوا بتكليف رسول الله لهم بالعمل على الصدقة.

وقيل إن رسول الله ﷺ حينما علم بذلك، قام عشية بعد الصلاة على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال... الحديث.

ويلاحظ أن رسول الله ﷺ كان صارمًا في هذه المواجهة، وجاءت لغته ممزوجة بالتعريض والحدة والغضب وهو يُعلّم كل من يتولى أمر المسلمين الدرس الحقيقي، والمسلك الشرعي: في تدبير أمر الرعية، وفي الحفاظ على الحقوق وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وعدم التربح من الجاه والسلطان.

وهذه اللغة الجادة ذات الإيقاع الشديد تناسب المقام، وتتوجه بالوعيد إلى كل من يفرط في الأمانة، ويسعى جاهدًا لمصلحته الذاتية وإهمال شؤون الأمة، وكلام رسول الله ﷺ تجد له نغمة خاصة ويجرى فيه تيار خاص، وتشوبه روح مشبوبة حين يرى شرخًا ولو قليلاً في بناء حياة الناس، ويرى ريبة ولو كانت شائبة فيمن يقومون على مصالحهم، وتحقيق الحق والعدل، وشرع الله فيهم[1].

ورسول الله ﷺ لم يحدد اسم الرجل، وإنما حدد وظيفته وهى العمل على الصدقة أو ولاية أمور الناس، لأن المراد هو التحذير من مثل ذلك سواء فيه القائل أو غيره، وهذا من مزيد فضله وحسن خلقه، وكذلك لتحذير كل من يتولى المسؤولية من أن يقوم بمثل هذا التصرف حرصًا على مصلحة الأمة، والأمر ليس مواجهة بين رسول الله وابن اللتبية، ولكنه مواجهة بين المنهج الصحيح، والمنهج المعوج، بين منهج الأمانة ومنهج الخيانة، ولذلك في هذه الرواية: يأتي الحديث عن ابن اللتبية بضمير الغائب، من باب التعريض، ولذلك لم يثبت أن هذا العامل: تمسك بما قال: بل أذعن للحق، واستجاب لكلام المصطفى ﷺ، وتشتد المواجهة بين الموقفين حين يستفهم رسول الله في إنكار ودهشة، ويقول:"أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان

---

(١) انظر: شرح أحاديث من صحيح البخاري، د. محمد أبو موسى: ص ٢٦٢-٢٧٥، مكتبة وهبة، القاهرة.

صادقًا"، ثم يختم الحديث بهذه الصورة التي تفضح أمر كل مسؤول أو حاكم ينهب أموال رعيته ويدعى أنها من مخصصاته، حيث يقسم رسول الله ﷺ أن من يفعل ذلك سيلقى ربه وهو يحمل على رقبته كل ما سرقه من حقوق الأمة، وتحديد نوع المحمول: الإبل، والبعير، والغنم، وللرمز بها إلى غيرها مما ينهبه الكبار من أموال الرعايا والضعفاء.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم هدايا العمال، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن هدايا العمال حرام وغلول، وأن من استُعمل على شيء كالقضاء أو جمع الزكاة أو غير ذلك من أعمال الدولة لا يحل له أن يأخذ شيئًا من أحد متى كان المقصود منه الرشوة، وأخذ أي شيء من الناس لييسر لهم عملاً دون وجه حق يكون رشوة محرمة وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي، قال النووي: وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول لأنه المطلوب في ولايته وأمانته[2]، أما الهدية لأجل المودة بعيدًا عن العمل فلا بأس بها، وفي ذلك تفصيل كثير ذكره الفقهاء في أبواب الفقه المختلفة كالزكاة والقضاء والشهادة.

---

(١) انظر في ذلك: المبسوط، السرخسي ٦٧/١٦، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٦/٧، وأحكام القرآن، الجصاص ٦٠٨/٢ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١١٨/٥، وتبصرة الحكام لابن فرحون ١٥/١، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٥٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٠٠/٤، والفروع، ابن مفلح ٤٤٧/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١١٨/١٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٩/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/٢٢، ٣٠٨/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٩/١٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين.

ثالثًا: من واجبات الداعي: التعميم في النصيحة وعدم التشهير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الرشوة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: القسم والتحذير.

سادسًا: من وسائل الدعوة: الدعاء ورفع اليدين.

سابعًا: من وسائل الداعية: البلاغ.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

تعد الخطبة من الوسائل الدعوية التي لا يستغني عنها الداعية، حيث يستطيع من خلال الخطبة أن يتواصل مع المدعوين وأن يوجههم ويبيّن لهم المنهج الصحيح الذي ينبغي السير عليه، وأن يحذرهم من مغبة الوقوع في الحرام، ويذكرهم بأهمية تقوى الله، وغير ذلك من الموضوعات التي تحفل بها الخطب حسب مناسبتها ومراعاة مقتضى الحال وقد جاء في هذا الحديث: (فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...)، ومن ثمّ فإن النبي ﷺ رأى أهمية ومناسبة معالجة هذا الموضوع الخطير الذي يتوهمه بعض الناس، ويظنون أنه من حقوقهم وهدية لهم، لا تخص الأموال العامة، فاستعمل النبي ﷺ الخطبة كوسيلة دعوية لبيان حقيقة هذا الأمر والتحذير من هذا المنزلق الخطير الذي قد يقع فيه بعض الناس.

إن الخطبة وسيلة جيدة للتبليغ، وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معانٍ معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، كما ينبغي على الداعي أن يكون كلامه بسيطًا واضحًا، لأن الذين يسمعونه ليسوا في مستوى واحد من العلم والقدرة على فهم الخطاب فإذا اختار الأسلوب البسيط الواضح والعبارات

القصيرة انتفع بها الجميع وفهمها الجميع[١].

ثانيًا- من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين:

من المهام الأساسية للداعية بيان الحقائق للمدعوين، وفي هذا الحديث الذي نحن بصدده يبين النبي ﷺ الحقائق واضحة للمدعوين، ويؤكد على حرية حرمة الرشوة تحت أي مسمى مما قد يتوهمه البعض بأنه هدية، ويبين أن ما يُدعى هدية ما كانت لتأتي لو قعد في بيت أبيه وأمه، وإنما أعطيت له بسبب المنصب أو الوظيفة التي يشغلها، وهذا مما يجب الحذر منه، وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ حرمة الرشوة والهدايا إلى العمال فقال: (فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا)، وذلك قيامًا بمهمة البيان التي كلفه الله تعالى بها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

ثالثًا- من واجبات الداعي: التعميم في النصيحة وعدم التشهير:

إن مراعاة شعور الآخرين وعدم تجريحهم أو التشهير بهم في النصح يعد من عوامل قبول النصيحة والاستجابة، وهذا ما يجب أن يهتم به الداعية في نصحه للناس، وقد راعى النبي ﷺ ذلك فلم يفضح الرجل وإنما قال: (فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذا هدية أهديت إلي)، فلم يصرح باسم القائل لأن مراده التحذير من ذلك العمل السيء المحرم، وهذا من مزيد فضله وحسن خلقه ﷺ[٣]، لذا ينبغي على الداعي في نصيحته الإسرار إذا كان المنصوح شخصًا بعينه، وحين يجهر بالنصح لا يسمى شخصًا بعينه ولا يذكر اسمًا، بل يفعل كما

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ٣٨٩.

كان يفعل رسول الله ﷺ[١]، من التعميم وعدم التشهير (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الرشوة:

لقد بيّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث حرمة الرشوة وتقديم الهدايا للعمال، فقال: (أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة)، وذلك تمييزًا للرشوة وآخذها يوم القيامة لمزيد قبحها[٢].

وقد لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ((لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالمُرْتَشِيَ))[٣]، وهي تندرج تحت أكل أموال الناس بالباطل، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

قال الطاهر بن عاشور: (فالآية دلت على تحريم أكل الأموال بالباطل، وعلى تحريم إرشاء الحكام لأكل الأموال بالباطل، والرشوة من أهم ما تصدى الإسلام لتأسيسه تغييرًا لما كانوا عليه في الجاهلية، فالرشوة حرمها الله تعالى بنص هذه الآية)[٥]. وهي من الكبائر، قال الذهبي: (وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ...﴾[٦] أي: لا تصانعوهم بها

---

(١) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٨١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ٣٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٥٨٠، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠٥٥).

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٥) التحرير والتنوير مج١/٢/١٩١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقًا لغيركم وأنتم تعلمون أن ذلك لا يحل لكم)[١].

خامسًا- من أساليب الدعوة: القسم، والتحذير:

أكد النبي ﷺ كلامه في الحديث بالقسم فقال: (والله لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة)، والقسم من أساليب الدعوة، تأكيد لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمعًا للانتباه حول غاية، ومن هنا كانت أهمية القسم[٢] لما فيه من فائدة عظيمة في تبليغ الدعوة كما استعمل النبي ﷺ أسلوب التحذير في الحديث من الرشوة ببيان أنه يأتي بإثمه يوم القيامة وبما أخذه، تعبيرًا له وتحقيرًا لشأنه وفضيحة له[٣].

سادسًا- من وسائل الدعوة: الدعاء ورفع اليدين:

في الحديث توجه الرسول ﷺ رافعًا يديه مشهدًا الله على تبليغه للناس، وتقريرًا للناس على ذلك، وكما جاء في الحديث: (ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه) فقال: (اللهم هل بلغت) وقد أمر الله عباده بالتوجه إليه بالدعاء ووعدهم بالإجابة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٥]، والمعنى: وإذا سألوك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك[٦]. والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، والقرب نوعان: قرب يعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

---

(١) الكبائر، الذهبي ص ١٤٢، ١٤٣.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٣) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ٣٨٩.

(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠٨/٢/١.

فمن دعا الله بقلب حاضر ودعاء مشروع، ولم يمنع ما نع من إجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصًا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: يحصل لهم الرشد، الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم البغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة[1].

سابعًا- من أساليب الدعوة: البلاغ:

لقد قام النبي ﷺ بالبلاغ خير قيام كما هو ظاهر في الحديث وأشهد الله على ذلك وأقر الحاضرون بتبليغ الرسول ﷺ عن ربه ويبدو ذلك واضحًا في الحديث، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: (اللهم هل بلغت) والبلاغ إنما هو تنفيذ لأمر الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رسالته﴾[2].

فالوظيفة الأساسية للرسل عليهم السلام هي تبليغ الناس الرسالة التي حمّلهم الله تعالى إياها، وهذه الرسالة وإن كانت مفرداتها كثيرة إلا أنها تتمحور في النهاية حول قضية جوهرية ونهائية، وهي تذكير الناس وتنبيههم لساعة الوقوف بين يدي الله تعالى وما تتطلبه النجاة في يوم الحساب من تبعات وتكاليف على مستوى الإيمان، وعلى مستوى العمل سلبًا وإيجابًا، وقد عبّر لنا القرآن الكريم بجلاء عن ذلك الهدف المحوري من بعث الرسل عليهم السلام حين قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[3]، إن الإحساس بيوم التلاق وتبعاته هو الذي ينبغي أن يسيطر على مشاعر الناس حتى يستقيموا على الشريعة ويعمروا الأرض ويتراحموا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة غافر، آية: ١٥.

بينهم، والأنبياء عليهم السلام وأتباعهم من الدعاة إذ يقومون بالبلاغ يكونون قد قاموا بالعمل الأساس الذي تبرأ به الذمة أمام الله.

وهناك آيات كثيرة تدلّ على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[2]»[3].

(١) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار ص ١٤٨ - ١٥٠.

الحديث رقم (٢١٠)

٢١٠- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَه مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ[١]، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْه مِنْه الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يكُونَ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مظْلمتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سيِّئَاتِ صاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عِرضه: جانبه الذي يصونُه من نفسه وحسَبه ويُحامي عنه أن يُنتَقَص ويُعاب[٣].

فليتحلّله: يسأله أن يجعله في حِلّ من قِبله[٤].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذه الدعوة المحمدية، وما أحوج الذين وجهت هذه الدعوة إليهم إلى الاستجابة القلبية والفعلية، قبل أن يقفوا في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون، ويجدون أنفسهم أمام أصحاب الحقوق، لا مالاً يملكون، ولا جاهًا به عن أنفسهم يدافعون، ومن هذا الواقع تأتي دعوة الرسول ﷺ إلى أداء الحقوق في الدنيا قبل أن يعجز الظالم عن أدائها من نوعها في الآخرة.

ولنتأمل كيف أفصح التشكيل اللغوي عن هذه المعاني الجليلة، والمقاصد النبيلة، والبيان النبوي في هذا الحديث الشريف يتكون من ثلاث جمل، وكلها تنتمي لدائرة أسلوبية واحدة، وهي: دائرة الشرط والجزاء، وهذه الصيغة الأسلوبية تتوافق تمامًا مع

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (من كانت له مظلمة لأخيه) والمثبت لفظ البخاري برقم (٦٥٣٤).

(٢) برقم (٢٤٤٩)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٤٧/٣، رقم ٢٥٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٨٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل).

جو الحديث، ومناخ المعاني، وفضاء الدلالة، فالحديث دعوة إلى رد المظالم إلى أهلها، وإلا فالجزاء من جنس العمل كما تُقرر ذلك القاعدة القرآنية: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1].

والجملة الأولى أو الإشراقة الأولى في أفق هذا الجو الداعي إلى التحلل من المظالم، والتوبة إلى الله تمثل حرص الرسول ﷺ على أمته، فهو بالمؤمنين رءوف رحيم: ولذلك أطلق هذه الصيحة التي تدوي في سمع كل مسلم، وقلب كل مؤمن: في كل الأجيال، وعلى مر الزمان، "من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم"، وكم استجاب لهذه الدعوة الصادقة من ملايين المسلمين، وكم أُنصف بسببها من المظلومين الضعفاء المنكسرين، فهي دعوة لنصرة المظلومين، ولإنقاذ الظالمين من أنفسهم، واللغة هنا تدعو للتأمل: فقوله: "من كانت له مظلمة"، يثير التساؤل: هل المظلمة للظالم أم للمظلوم؟ قال العلماء: إن "له" هنا بمعنى "على"، أي من كانت عليه مظلمة، أو بمعنى "عند"، بدليل الرواية هنا، من كانت عنده مظلمة لأخيه.

ويبقى التعبير النبوي هو الأدق، لأن المظلمة تضرُّ الظالم أكثر من ضرر المظلوم، فمصير الظالم غضب العزيز الحكيم، ومصير المظلوم هو إنصاف الحكم العدل، واللطيف الخبير له، ولذلك يقتص المظلوم من الظالم يوم القيامة، فالتعبير النبوي: "له"، يتوهج بكل هذه الإيحاءات والإشراقات، فهى على حقيقتها أو بمعنى عليه أو عنده، والعِرْض: موضع المدح والذم من الإنسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو في من يلزمه أمره، وقوله "أو مِنْ شيء" يفتح الطريق أمامنا لاستقصاء المظالم التي تتعدد وتتلون ولفظ "مِنْ" يدل على هذا الاستقصاء.

فكل ما ينال الإنسان من إساءات فعلية أو قولية، وكل ما يلحق به من أذى في نفسه أو عرضه أو ماله أو سيرته يُعد ظلمًا.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

وجواب الشرط دقيق في عبارته: عميق في دلالته، "فليتحلله منه" أي أن يجعل نفسه في حل مما فرط، وقيل معناه يستوعبه ويقطع دعواه عنه، والجملتان الثانية والثالثة: شرطيتان كذلك، ولكنهما تفيضان بالجزاء العادل، والإنصاف الكريم لكل مظلوم، وهما كذلك تحددان مصير الظالمين الذين لم يستجيبوا لدعوة المصطفى ﷺ، حيث يكون القصاص العادل يوم تُجزى كل نفس بما كسبت، وأداة الشرط "إن"، تدين هؤلاء الظالمين لأنها تفيد التشكيك في رصيدهم من العمل الصالح، وكذلك في الجملة الثالثة توحي بالتشكيك في رصيدهم من الحسنات ولو جاء التعبير بـ"إذا"، فلن يكون مناسبًا للسياق، وما هكذا تكون بلاغة النبوة الفائقة، والفائز والمنتصر في نهاية الحديث ويوم القيامة هو "المظلوم"، لأنه يأخذ من العمل الصالح للظالم، وتوضع عنده إلى عمله: فتزيد أعمال الصالحة، وتنقص أعماله الظالم، ويزداد إكرام الله لهذا المظلوم، حيث يضع الله عنه سيئاته في الدنيا ويطهره منها ثم يضيفها إلى سيئات الظالم فتزداد سيئاته ويكون مصيره جهنم وبئس القرار.

فقه الحديث

(الاستحلال بمعنى طلب جعل الشخص في حلٍّ، قد يكون واجبًا، كالاستحلال من الغيبة، إن علم بها المغتاب، وقد يكون مباحًا، كاستحلال الغاصب من المغصوب بدلاً من ردّ المغصوب)[1]، وقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: ((كفارة من اغتبته أن تستغفر له))[2].

قال الصنعاني: (والحديث دليل على أن الاستغفار من المغتاب لمن اغتابه يكفي ولا يحتاج إلى الاعتذار منه، وفصلت الهادوية والشافعية، فقالوا: إذا علم المغتاب وجب

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٧/٣ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٣/٥، ٢٦٤، وشرح الروض ٣٥٧/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي الرحباني ٢١٠/٦، ومدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٩٠/١، ٢٩١.

(٢) أخرجه الحارث بن أبي أسامة ١٠٨٧ زوائد مسند الحارث.

الاستحلال منه، وأما إذا لم يعلم فلا يستحب أيضًا، لأنه يجلب الوحشة وإيغار الصدر. إلا أنه أخرج البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "من كانت عنده مظلمة لأخيه في عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم ..." الحديث، وهو دال على أنه يجب الاستحلال وإن لم يكن قد علم إلا أنه يحمل على من قد بلغه ويكون حديث أنس ﷺ فيمن لم يعلم ويقيد به إطلاق حديث البخاري)[1].

وقال البسام: (وطلب الحل ممن اغتب قد يزيد الأمر شرًا وقد يثير فتنًا وعدوانًا، فصار الواجب بحث المغتاب أن يستغفر لمن اغتابه، ويدعو له ويذكر محاسنه في المجالس التي اغتابه فيها، وعند الأشخاص الذين عابه عندهم فهذا العمل مع الندم والعزم على عدم العودة يكون سببًا للتوبة النصوح وبراءة الذمة مع عِرض المسلم، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعي: حث المدعوين على التحلل من المظالم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى التحلل من المظالم وإبراء الذمة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى بين الخلائق.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس والعرض والمال.

أولاً- من مهام الداعي: حث المدعوين على التحلل من المظالم:

يتضح ذلك من حث الرسول ﷺ على التحلل من المظالم فقال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم" (لأن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، بل يستوفي الحقوق ويردها لأصحابها وقد حث النبي ﷺ الناس على المسارعة إلى التحلل من المظالم، قبل أن يؤخذ من حسناتهم ويعطى

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٨١.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٦٣/٦.

لمن ظلموهم، فإن فنيت الحسنات أُخذ من سيئات المظلومين وطُرح على الظالمين ثم يُطرح بهم في النار، ومن هذا المنطلق حث النبي ﷺ على التحلل من المظالم لأنه كما وصفه ربه[١] ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

فلشدة حرص رسول الله ﷺ على الأمة ورحمته بهم وجه إليهم هذا الإرشاد في صيغة الأمر، وكما هو واضح في الحديث بالأمر من التحلل من المظالم في قوله: "من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم" لما في صيغة الأمر من حث وإسراع حثيث في التزام المدعوين بتنفيذ ما وجه إليهم من أوامر وإرشادات. وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الأمر في كثير من الآيات، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣] وقوله: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾[٤] واستخدام أسلوب الأمر في الحث والحض على الفعل فيه تنبيه بوجوب العمل بمقتضى الأمر وعدم الإخلال به، وفي ذلك تحقيق لعبودية الله وطاعته، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى التحلل من المظالم وإبراء الذمة:

أمر الإسلام بكف الأذى عن الآخرين وبين رسول الله ﷺ أن من كمال الإسلام أن يكف المسلم أذاه عن الآخرين، فعن عبدالله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ

---

(١) انظر: النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٦١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر ص ٥٠، ٥١.

قال: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه))[١] لكن من وقعت منه زلة ووقعت منه مظلمة على غيره وجب عليه التحلل منها كما في الحديث الذي معنا "فليتحلله منه اليوم" قبل أن يأتي يوم لا يتقاضى فيه بالدينار والدرهم وإنما بالحسنات والسيئات "إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" وذلك هو الإفلاس بعينه كما وضح ذلك رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا، وَقَذَفَ هَـٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا، وَضَرَبَ هَـٰذَا. فَيُعْطَىٰ هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[٢]. قال النووي: (معناه: أن هذه حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه: مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث. فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى بين الخلائق:

إن الله سبحانه منزّه عن الظلم، وعن ترك ظالم يفلت بظلمه دون عقوبة وعدل الله يتضح في الحديث في المقاضاة بين خلق الله "إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه" قال ابن حجر: (ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٤] لأنه إنما يعاقب

---

(١) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٤.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٨.

بسبب فعله وظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده)[١] وقال الطيبي: قال المازري: زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارضٌ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وهو باطل وجهالة بينة، لأنه إنما عوقب بفعله ووزره، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت حسناته أخذت من سيئات خصومه فوضعت عليه، فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه[٢].

خامسًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس والعرض والمال:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية: الحفاظ على سلامة النفس وصيانة العرض والمحافظة على المال، لأن هذه الأمور بمثابة الكليات التي من خلالها تتحقق الحياة الكريمة. هذا بالإضافة إلى العقل والدين الذي يعد الأساس في تلك الكليات وكما هو واضح في الحديث الذي معنا ("من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه" في محل الحال بيان لمظلمة أومن شيء" من عطف العام على الخاص فتدخل فيه اللطمة ونحوها")[٣]. إن الحفاظ على الضرورات الخمس "الدين والنفس والعقل والنسب والمال" هو هدف الدعوة الإسلامية، فكل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواه وزواجر وعقوبات كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد[٤]، يقول الشاطبي في الموافقات: هذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[٥] وإن دعوة الإسلام للحفاظ على حياة الإنسان وكرامته لمن أكبر الأسباب لانتشار الدعوة إلى الله عز وجل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٢/٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٣/٩.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ٣٩٠.

(٤) انظر مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ٦٠.

(٥) الموافقات ١٨/٢.

الحديث رقم (٢١١)

٢١١- وعن عبد اللّه بن عَمْرو بن الْعاص رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ، والْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللّه عَنْهُ**» متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

للبيان النبوي أثره العميق في الكشف عن خبيئات النفوس، واستجلاء العبر والعظات والدروس، وهذا الحديث الذي اشتمل على جوامع معاني الكلم والحكم فبين ﷺ أن المسلم هو: الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده فيحفظ للعباد حقوقهم، وبين ﷺ أن المهاجر هو: من هجر ما نهى الله عنه، وأنه لا خير في هجرة الأجسام، ما لم تصحبها الهجرة عن الحرام.

وفي ظل هذه المعاني الفائقة، والدلالات الشائقة نتلمس جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي: وهى من سمات فصاحة المصطفى ﷺ.

والحديث تكونه جملتان اسميتان: تتماثلان في البناء، وتتوازيان في نمط التركيب اللغوي، فالمبتدأ الأولى هو "المسلم"، وهو اسم فاعل من أسلم، والخبر اسم الموصول "مَنْ"، وما بعده جملة الصلة، وكذلك المبتدأ في الجملة الثانية هو "المهاجر"، وهو اسم فاعل، والخبر اسم الموصول "من" وما بعده جملة الصلة وهذا التوازي الأسلوبي، يعد صورة لسلوكيات المسلم الثابتة المتوازنة لأن: هاتين الصفتين من خصائص الشخصية المسلمة في كل زمان وكل مكان.

وتكرار مادة "سلم" في الجملة الأولى ثلاث مرات يعد تأكيدًا لوجود ظلال ومقاييس صفة المسلم وهى في أرقى تصور لها تتمثل في السلام والأمن والأمان، وكذلك تجسد اللغة حب التقارب والألفة من خلال هذا الجناس الاشتقاقي بين المسلم، وسلم،

---

(١) أخرجه البخاري (١٠) واللفظ له، ومسلم (٦٤/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٠١).

وخص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس، وعبر به دون القول: ليشمل من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء، وكذلك لأن اللسان يخرج منه ومما حوله من أجزاء الفم، ثمانية عشر حرفًا، وحروف الحلق الستة لا تخرج من اللسان، وكذلك حروف اللين، ولذلك قال رسول الله ﷺ: "أمسك عليك لسانك"، وقال: وهل يكب الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم، وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال يحصل بسببها، إذ بها البطش والقطع والوصل والأخذ والمنع، واليد المعنوية لها حضورها في جو الحديث، ولابد أن تكف عن إيذاء الناس ومن سمات وجودها، سلطة الحاكم، والاستيلاء على حق الغير بغير حق، وقدم اللسان على اليد لأن الإيذاء به أنكى وأعم لأنه يتناول الحاضرين والغائبين والأحياء والأموات.

وما أجل المعاني، وما أكثر المنهيات التي تشع بها هذه الجملة الموجزة، فالمهاجر: من الهجر وهو الترك ولكن: هجر المعاصي أبلغ من تركها: فالهجر ترك مع النفور، وهو توبة نصوح، وقيل: الهجرة حزبان: هجرة ظاهرة، وهى الفرار من مواطن الفتن، وباطنة: وهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء، والمسلم الصادق في هجرة دائمة صادقة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتنبيه بالأدنى على الأعلى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان علامة المسلم، وعلامة المهاجر.

ثالثًا: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على كمال الالتزام بالإسلام.

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار - التنبيه بالأدنى على الأعلى:

١- **الإخبار:** حيث أخبر الرسول ﷺ عن ماهية المسلم، والمهاجر، فقال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" ولا شك في أن الإخبار أسلوب من أساليب الدعوة التي من خلالها يتعرف المدعوون على أمور دينهم، وحقائق إسلامهم، ولقد كان أعظم ما تميز به الإسلام مصداقية أخباره حيث

لا يعتورها كذب، وهذا من أهم ما يجب أن يحرص عليه الداعية أن تكون أخباره كلها صادقة حتى يُؤَثِّر في المدعوين ويصل بهم إلى مرحلة الإقناع.

٢- **التنبيه بالأدنى على الأعلى:** وهو أسلوب من أساليب الدعوة حيث يعبر الداعية عن ضرورة الاهتمام بأمر أصغر ليشمل في داخله الإشارة إلى الأعلى من باب أولى، وفي هذا الحديث جعل النبي ﷺ وصف المسلم يطلق على من يكف أذاه عن إخوانه، رغم أنه يدخل في وصف المسلم من تكون علاقته بربه طيبة، قال الإمام ابن حجر: (ويحتمل أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه، لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان علامة المسلم وعلامة المهاجر:

يشير الحديث الشريف إلى علامة المسلم، وأنه هو من سلم المسلمون من لسانه ويده، وهذا يبين أن الإسلام عبادة ومعاملة مع الخلق، قال الإمام ابن حجر: (قال الخطابي: المراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى أداء حقوق المسلمين)[٢]، فعلامة المسلم التي يعرف بها كف الأذى عن المسلمين، قال الطيبي: (والإسلام أن يكون مع الاعتراف باللسان اعتقاد بالقلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، فمن أسلم وجهه لله وهو محسن، ورضي بما قضى الله وقدر، لم يتعرض لأحد، وكف أذاه عنهم بالكلية لا سيما عن إخوانه المسلمين فذلك المسلم الكامل[٤]، وجاء في رواية مسلم "أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال من سلم المسلمون من لسانه ويده"، قال النووي: (قال العلماء قوله: أي الإسلام خير؟

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣١.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١١٨/١.

معناه أي خصاله وأموره وأحواله؛ وقوله ﷺ "من سلم المسلمون من لسانه ويده" معناه: من لم يؤذ مسلمًا بقول ولا فعل، وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها)[١].

هذا وقد جاء التحذير من إيذاء المؤمنين بالقول أو الفعل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٣]، وقال ﷺ في الحديث: ((مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا))[٤].

وأما علامة المهاجر فلا يقتصر معناه على مَنْ ترك داره في مكة وهاجر إلى المدينة بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه من المحرمات والكبائر والموبقات حتى وإن كانت الهجرة بمعناها الظاهر قد انقطعت وهي الهجرة إلى المدينة.

قال ابن حجر: (وهذه الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة، فالباطنة : ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، والظاهرة: الفرار بالدين من الفتن، وكأن المهاجرين خوطبوا بذلك لئلا يتكلوا على مجرد التحول من دارهم حتى يمتثلوا أوامر الشرع ونواهيه، ويحتمل أن يكون ذلك بعد انقطاع الهجرة لما فتحت مكة تطييبا لقلوب من لم يدرك ذلك، بل حقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه)[٥].

ومن خلال ما سبق تتضح علامة المسلم، وعلامة المهاجر فعلى الدعاة إلى الله حث المدعوين على بلوغ هذه الدرجات، والربط بين القول والعمل ليصبح الإسلام مطبقًا في جميع معاملات الناس فيما بينهم.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٠.

ثالثًا- من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جمع ﷺ معنى المسلم، والمهاجر في جملتين، وهذا من جوامع الكلم، وهذا من خصوصيات النبي ﷺ، ومما فضله الله به على غيره من الأنبياء، قال ابن منظور: (أعطاه مَفاتِيحَ الكَلِم، وهو ما يَسَّر الله له من البَلاغة والفصاحة والوُصول إلى غوامض المعاني، وبدائع الحِكَم، ومَحاسِن العِبارات والألفاظ التي أُغْلِقَت على غيره وتَعذَّرت عليه)[1].

وقال القاضي عياض: (وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة...)[2].

وقال القاضي عياض في شرحه لهذا الحديث: (وقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، أي: الكامل الإسلام، والجامع لخصاله من لم يؤذ مسلمًا بقولٍ ولا فعلٍ. إذ أكثر الأفعال بالأيدي فأضيفت عامتها إليها. وهذا من جامع كلامه، وفصيحه، ومحاسنه، ولا يفهم من هذا أن من ليس بهذه الصفة ليس بمسلم. وهو كما يقال: المال الإبل، والناس العرب، على التفضيل لا على الحصر)[3]. وعلى هذا كان من خصوصيات النبي ﷺ جوامع الكلم ومفاتحه.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحث على كمال الالتزام بالإسلام:

يجتهد الداعية دائمًا للارتقاء بالمدعوين في العبادة والطاعة، والالتزام بآداب الإسلام، وفي هذا الحديث إشارة إلى الحث على كمال الالتزام بالإسلام باجتناب إيذاء المسلمين، وحسن معاملتهم، وهجر السوء من الأقوال والأفعال والأعمال، قال الإمام النووي: (ومعنى الحديث: من لم يؤذ مسلمًا بقول ولا فعل، وخص اليد بالذكر لأن

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ٢/٥٣٧.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/١٦١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٢٧٦ - ٢٧٧.

معظم الأفعال بها، وقوله ﷺ: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" قالوا معناه: المسلم الكامل، وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، وكمال الإسلام والمسلم متعلق بخصال أخر كثيرة، وإنما خص ما ذكر لما ذكرناه من الحاجة الخاصة)[١].

وقال القرطبي: (وقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"، أي: من كانت هذه حاله كان أحقَّ بهذا الاسم وأَمْكَنَهم فيه، ويُبيّن ذلك: أنه لا ينتهي الإنسان إلى هذا حتى يتمكَّن خوفُ عقاب الله تعالى من قلبه ورجاء ثوابه، فيُكسبه ذلك ورعًا يحمله على ضبط لسانه ويده، فلا يتكلم إلا بما يعنيه، ولا يفعل إلا ما يسلمُ فيه، ومن كان كذلك فهو المسلم الكامل، والمتّقي الفاضل. ويقرب من هذا المعنى بل يزيدُ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: ((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[٢]، إذ معناه: أنه لا يتمُّ إيمانُ أحدٍ الإيمان التام الكامل حتى يضمَّ إلى سلامة الناس منه إرادته الخير لهم، والنصح لجميعهم، فيما يحاوله معهم. ويُستفاد من الحديث الأول: أن الأصل في الحقوق النفسية والمالية المنع، فلا يحلّ شيء منها إلا بوجهٍ شرعي، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم)[٣].

والداعية الحصيف هو الذي يرتقي بالمدعوين وإيمانهم ليصلوا أعلى درجات الكمال من خلال تعريفهم بالخصال التي بها يكمل إسلام المرء.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ٢٢٤/١.

الحديث رقم (٢١٢)

٢١٢- وعنه رضي الله عنه قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ فقال رسول الله ﷺ: «**هُوَ فِي النَّارِ**» فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فوَجَدُوا عَبَاءَة قَدْ غَلَّهَا. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

الثَّقل: متاع المسافر[2].

غلَّها: الغُلول: السرقة من الغنيمة قبل القسمة[3]، وفي النهاية: كلُّ من خان في شيءٍ خفيةً فقد غلَّ[4].

الشرح الأدبي

إن الأمانة من سمات الشخصية الإسلامية، وهي ترجمان صدق المؤمن، وعنوان شخصيته، وخيانة الأمانة من الكبائر التي تلقى بالإنسان إلى التهلكة، وتقذف به في قرار سحيق، وتنتهي به إلى جهنم، وبئس المصير. والحديث مشهد من مشاهد الواقع، يقص حكاية هذا الشخص الذي خان الأمانة، وأخفى "عباءةً" من المغنم، ولم يكشف عن ذلك، وظن أنه قد فاز، ولكن خاب ظنه، وساء سعيه، وكانت عاقبته أن رسول الله ﷺ وهو البشير النذير، قال عقب موته: إنه في النار، وهنا تكمن عقدة القصة ويموج التساؤل في عقول الصحابة رضي الله عنهم، لماذا حكم الرسول ﷺ بذلك. وما قصة

---

(١) برقم (٣٠٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ل ل).

هذا الرجل؟ وما الذي فعله وأخفاه، وهو الذي يقوم بعمل يتشرف فيه بحراسة دابة رسول الله ﷺ في القتال؟ وكيف أقدم على هذه الكبيرة؟ ولماذا لم يتب عنها؟

إن هذا الحديث يشترك فيه الراوي مع نص كلام رسول الله ﷺ، وفيه كذلك تحديد لاسم الشخصية، وفيه إخبار عن الصحابة بضمير الغائب، "واو الجماعة"، ولم يُحدد أسماءهم.

والقصة هنا: مشهد واقعي وليس تاريخيًا، ولا غيبيًا ولا مستقبليًا: وعناصر السرد تتجلي في لغة الحديث، وطريقة النظم، والعلاقات بين الكلمات والجمل، واختيار المفردات وأدوات الربط.

فالحديث يبدأ بالفعل "كان"، حيث يقدم الراوي لحديث رسول الله ﷺ فيقول: "كان على ثَقَل النبي رجل، يقال له كركرة، فمات"، وهذه البداية تدل على أن هذا المشهد رواه الراوي بعد عهد طويل، وساقه للتذكرة والموعظة والعبرة، وقوله، "على ثَقَل النبي"، خبر كان، واسمها، "رجل"، وهو مؤخر، وقد قدم شبه الجملة وهى الخبر المقدم به حتى يستثير الانتباه، ويلفت الأنظار إلى وظيفة هذا الرجل التي لم يستفد منها، ولم يعمل بمقتضيات هذه المكانة التي جعلته قريبًا من رسول الله ﷺ، والثقل: هو ما يثقل حمله من الأمتعة، كما يقول الشاعر في مدح علي زين العابدين بن الحسين.

حمَّال أثقال أقوام إذا فُدِحُوا ... حُلو الشمائل تحلُو عنده نَعَمُ

والثقل: المراد به هنا أنه كان يمسك دابة رسول الله ﷺ في القتال، وقيل إن كركرة هذا، كان نوبيًا، أهداه إلى رسول الله هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة فأعتقه.

وقول رسول الله ﷺ هو في النار، فيه إضمار لاسم الرجل لأنه لم يقل إن كركرة في النار، بل قال: هو، حتى يظل الأمر مبهمًا، لأنه ليس خاصًا بكركرة وحده، ولكن كل من على شاكلته يلقى المصير نفسه، هو في النار، ويمكن أن نفسر عدم تحديد الاسم، بأن في ذلك تركًا لمشيئة الله إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، كما قال العلماء، والمراد بقوله: فذهبوا ينظرون إليه هو تساؤل الصحابة رضي الله عنهم

عن السبب الذي من أجله قيل هو في النار!!، والنظر هنا ليس لشخص كركرة، ولكن إلى عمله والتدبر فيه .

والعطف بالفاء في جمل الحديث تفصح عن سرعة توالي مشاهد هذا الحدث على هذا النحو، (فمات - فقال - فذهبوا - فوجدوا)، وهذا يدل على عدم التمهل في الوصول إلى الحقيقة، والفعل الماضي له سيطرته في الحديث إيحاءً بأن هذا المشهد قد حدث، ولا يستحب تكراره، وقوله: "قد غلها": أي أخفاها، والغلول هو: الخيانة في المغنم، وفي ذلك تأكيد على ضرورة الأمانة ورد المظالم وعدم ظلم النفس والغير.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الغلول في الغنائم وأنه منهي عنه شرعًا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الغلول من الغنيمة أو الأخذ منها لأي سبب حرام، واستثوا من ذلك الطعام والشراب له والعلف لدابته، فإن أخذ المقاتل شيئًا قبل القسمة وتاب وجب عليه رده، أما إذا لم يرده حتى اكتشف عنده فإنه يكون غالاً، وقد اختلف الفقهاء في حكمه على قولين:

القول الأول: ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية[2] وهو أن الغال يؤدب، ويعزر دون أن تقطع يده أو يحرق متاعه، ولكن ذهب المالكية إلى أن هذا الحكم قبل الحوز أما بعد فمن سرق النصاب يقطع.

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢٧/١، وشرح السير الكبير ٤٤/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٦٣/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٩٨/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٩٤/١، والأم ٢٦٥/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٩٩/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٢٥٨/٧، والفروع، ابن مفلح ٢٣٧/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٨٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٤٥/٩.

(٢) المبسوط، السرخسي ٢٧/١، وشرح السير الكبير ٤٤/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٦٣/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٩٨/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٩٤/١، والأم ٢٦٥/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٩٩/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٢٥٨/٧.

القول الثاني: وهو للحنابلة والأوزاعي والحسن ومكحول[١] ويرون أن الغال يحرق متاعه كله إلا المصحف والسيف وما فيه روح.

والراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لأن السنن والآثار الثابتة في هذا الشأن تدل على أن الغال يعاقب في الدنيا بالتعزير وفي الآخرة بالعذاب الشديد دون أن يثبت حرق متاعه.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من دلائل النبوة: إخباره ﷺ بمر خفي على أصحابه رضي الله عنهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الغلول قليله وكثيره.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

مما لا شك فيه أن القصة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، وكانت في القرآن الكريم -ولا زالت- مصدر العبرة والعظة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾[٢]، فالقصة تقدم نماذج حية عملية للاتعاظ والعبرة والادكار، "إن القصة تصور نواحي الحياة المختلفة فتعرض الأشخاص والحركات والأخلاق والأفكار والاتجاهات، فهي بهذا تحرك الوجدان، وترفع نبض المشاعر، وهي كذلك تميل النفس إليها فتجعل النفوس أوعية مفتوحة يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار"[٣]، وقد جاء في الحديث قصة هذا الرجل وهو كركرة فيجب على الداعية أن يجعل من

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٢٣٧/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٨٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٤٥/٩، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٨/١٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤.

القصة وسيلة للتحذير من مثل هذه الأفعال التي وقع فيها هذا الرجل، ولعلاج بعض المشكلات المتعلقة بعدم الاحتراز من الغلول.

ثانيًا- من واجبات الداعية: الإخبار عن الحقائق:

حيث أخبر النبي ﷺ عن هذا الرجل، وهو كركرة أنه في النار، ومن هنا كان من أهم واجبات الداعية الإخبار عن الحقائق التي جاءت في القرآن والسنة ليجد الناس فيها العظة والعبرة فكما أمر الله رسوله بالتبليغ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، فإن الدعاة إلى الله كذلك مطالبون بالبلاغ والبيان للناس فقد قال رسول الله ﷺ: ((بلّغوا عني ولو آيةً))[2].

قال ابن حجر: (وقوله في الحديث: "ولو آية"، أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[3]. وقال: ﷺ في الحديث أيضًا: ((نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ))[4]، ولذا كانت وظيفة الداعية ترتكز على الإخبار عن الحقائق وعرضها للناس.

ثالثًا- من دلائل النبوة: إخباره ﷺ بأمر خفي على أصحابه رضي الله عنهم:

لقد أخبر النبي ﷺ عن كركرة لما مات بأنه في النار فلما ذهبوا ينظرون إليه وجدوه قد غلّ عباءة، ولا شك أن هذا من دلائل النبوة حيث أخبر الله نبيه بذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5]، وأخرج الإمام البيهقي في دلائل النبوة قصة شبيهة بقصة كركرة، فعن زيد بن خالد الجهني أنَّ رجلاً مِنْ أصحابِ النبيِّ تُوفّي يَوْمَ خَيبر، فذكروهُ لرسولِ اللّهِ فقالَ: ((صَلُّوا على صَاحِبِكُمْ))، فتغيَّرتْ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠).

(٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

وجوهُ القَوْمِ مِنْ ذلِكَ، فقالَ: ((إنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ في سَبِيلِ اللَّهِ))، ففتحنا متاعَهُ، فوجدنا خَرَزًا مِنْ خَرَزِ اليهودِ لا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث ذَكَر النبي ﷺ أن هذا الرجل في النار لأنه غلّ، ولا شك أن هذا أسلوب من أساليب الدعوة، والترهيب يمنع النفس من الوقوع في الأخطاء الشرعية حيث "إن الترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[٢]، ومما يجدر بالداعية أن يوازن بين الترغيب والترهيب فيستخدم كلاً في موضعه.

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[٤].

وتأتي أهمية استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة، أن الإنسان مفطور على حب ما ينفعه ويرغب في الحصول عليه، وينفر عما يضره ويحرص على الابتعاد عنه، ويُغتنم ذلك في الدعوة، فيُرغب العبد في الخير ببيان نفعه له ويُحذر عن الشر بذكر وباله عليه.

وقد كان النبي ﷺ يكثر من الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٥] ففي هذه

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٤/٢٥٥.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٦.

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٦.

الآية الكريمة جاء الأمر الإلهي للنبي الكريم ﷺ للقيام بالدعوة بثلاثة أساليب أحدها الموعظة الحسنة المقترنة بالترغيب والترهيب [١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الغلول قليله وكثيره:

هذا ما دلت عليه النصوص الشرعية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [٢].

قال القرطبي: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة حاملاً له على ظهره ورقبته، مُعذّبًا بحمله وثِقَله، ومَرعُوبًا بصوته، ومُوَبَّخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد، وهذه الفضيحة التي يوقعها الله بالغال نظير الفضيحة التي توقع بالغادر في أن ينصب لواء له يوم القيامة، والغلول كبيرة من الكبائر) [٣]. كما تدل عليه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فهو من أعظم الذنوب وشر العيوب [٤].

ودلت الأحاديث الصحيحة على تحريم الغلول، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ. فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: ((لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ. يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا. قَدْ أَبْلَغْتُكَ...)) [٥].

والغلول كثيره وقليله حرام فقد أهدى لرسول الله ﷺ عبدٌ أسود يقال له مدعم فبينما مدعم يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم فقتله، فقال الناس هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: ((كَلاَّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ

---

(١) انظر: ركائز الدعوة، د. فضل إلهي ص ١٨٠، ١٨١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٢٥٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٣١.

خَيْبَرِ مِنَ المَغَانِمِ لم تُصِبْهَا المَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا))، فَلَمَّا سَمِعُوا ذٰلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ))، أَوْ قال: ((شِرَاكَان مِنْ نَارٍ))[1].

والغلول له صور متعددة ومظاهر متنوعة، المشهور منها: الغلول في الفيء أو الغنائم. ومن الغلول أيضًا الغلول في الزكاة وهدايا العمال، والاختلاس من الأموال العامة وكذا اغتصاب الأرض أو العقار أو ما أشبه ذلك، وهذه الصور وأشباهها من الغلول المحرم إذ يترتب عليه تعطيل المصالح العامة ويفقد الفقراء والمساكين جزءًا من حقوقهم التي كفلها الشارع فضلاً عن أن الغلول يورث الكراهية ويضيع الحقوق ويفقد الثقة بأصحابه ويبعد صاحبه عن الجنة ويجلب عليه العار والشنار[2].

هذا وإن موضوع الغلول وتحريمه من الموضوعات المهمة التي يجب أن يطرقها الدعاة، حتى يكون الناس على بينة من أمورهم، فقد يستهين البعض بأخذ ما ليس له طمعًا وتهاونًا وجشعًا وغير ذلك، ويغفل عن عاقبة ذلك الذي يكون سببًا في دخول النار، ولقد استشرى هذا الداء العضال في فئة من المسلمين تستحل ما حرم الله من أكل أموال الناس بالباطل، وغلّ حقوقهم ومتاعهم مع عدم المبالاة بذلك الأمر الخطير مما يستلزم بيان خطره من قِبل الدعاة إلى الله وتحذير الناس منه.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٧١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣٥٨).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١١/٥١٣١، ٥١٤١.

الحديث رقم (٢١٣)

٢١٣- وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بنِ الحارثِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّه السَّمواتِ والأَرْضَ: السَّنةُ اثْنَا عَشَر شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُم: ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدة وَذو الْحِجَّةِ، والْمُحرَّمُ، وَرجب الذي بَيْنَ جُمادَي وَشَعْبَانَ، أيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**» قلْنَا: اللَّه ورسُولُهُ أَعْلَم، فَسكَتَ حَتَّى ظنَنَّا أَنَّهُ سَيُسمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قال: أَلَيْس ذَا الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بلَى: قال: «**فأيُّ بلَدٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللَّه وَرسُولُهُ أَعلمُ، فَسَكَتَ حتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سيُسمِّيهِ بغَيْر اسْمِهِ. قال: «**أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ الحرمَ؟**» قُلْنا: بلَى. قال: «**فَأَيُّ يَومٍ هذَا؟**» قُلْنَا: اللَّه ورسُولُهُ أَعْلمُ، فَسكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّه سيُسمِّيهِ بغيْر اسمِهِ. قال: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى. قال: «**فإِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وأَعْراضَكُمْ عَلَيْكُمْ حرامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا في بَلَدِكُمْ هَذا في شَهْرِكم هَذَا، وَسَتَلْقَوْن ربَّكُم فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلا فَلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فلعلَّ بعْض من يبْلغُه أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَه مِن بَعْضِ مَنْ سَمِعه**» ثُمَّ قال: «**أَلا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلا هَلْ بلَّغْتُ؟**» قُلْنا: نَعَمْ، قال: «**اللَّهُمْ اشْهدْ**»[1] متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

مُضر: هي قبيلة عربية وأضيف رجب إليها؛ لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من سائر العرب[3].

أعراضكم: جمع عِرض: جانبُ المرء الذي يصونُه من نفسه وحسبه ويُحامي عنه أن يُنْتَقَص أو يُعابَ[4].

---

(١) قوله: (اللهم فاشهد) عند مسلم (١٦٧٩/٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩/٢٩) والسياق بتمامه للحميدي في جمعه (٣٦٢/١، رقم ٥٧٧).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (م ض ر)، ودليل الفالحين، ابن علان ٣٩٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يستمد أشعته الهادية، ومعانيه السامية من آفاق خطبة حجة الوداع وهى خطبة من جوامع كلمه ﷺ، وتفيض بالقيم الإسلامية، والتعاليم الشرعية، وهذه القيم وتلك التعاليم يصوغها الرسول ﷺ في أسلوب سهل واضح مبين، لا عوج فيه ولا التواء، إنه كما قال الجاحظ، كلام قد حُفَّ بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، وقد فاضت هذه الخطبة بالأسرار التعبيرية، والقيم الجمالية والأساليب الموحية، ولنتأمل هذه الأسرار التعبيرية في هذا الحديث الشريف وهو قبسات من خطبة الوداع، فالحديث يبدأ بهذه الجملة التي غلفها التأكيد "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض"، والتأكيد هنا ليس مجرد حلية لفظية ولكنه يقرر حقيقة شرعية وهى وجوب التزام المسلمين بالمحافظة على أيام الله، وعلى المواقيت التي حددها الله عز وجل في كتابه الكريم اتباعًا لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]، ثم يوضح الأمر في الآية التالية حيث يقول عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[2].

فالتأكيد يرشد المسلمين إلى أن الزمان استقر واستدار وثبت وتحدد، وعاد في انقسامه إلى الأعوام، والعام في انقسامه إلى الأشهر المعدودة المعهودة إلى الموضع الذي اختار الله وضعه عليه، وجاء هذا التوضيح في مناسبة الحج، حتى لا يظل الناس متبعين نهج الكافرين في النسيء، والتغيير في نظام الأشهر الحرم، وإحداث البلبلة والاضطراب، "يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليوطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٧.

الله"، وهذا التأكيد من مقاصده: ثبات أشهر الحج، اتباعًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[1].

وكان العرب في الجاهلية إذا احتاجوا إلى الحرب في رجب استحلوه وأخروا حرمته للشهر بعده، ونادوا بذلك في قبائل العرب، وجعلوا حساب الحج تابعًا لذلك، ولذلك أبطل القرآن النسيء وجعله زيادة في الكفر.

وأفصح الرسول عن مراده، وحدد للمسلمين المواقيت تحديدًا واضحًا معتمدًا على الأرقام، وتحديد أسماء الأشهر فقال: السنة اثنا عشر شهرًا، ثم حدد الأشهر الحرم تحديدًا قاطعًا: ثلاث متواليات: (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم).

ثم زاد الأمر تحديدًا في قوله: "ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" ونسب شهر رجب إلى مضر، لأن هذه القبيلة كانت تحافظ على تحريم "رجب" أشد من سائر العرب، وزيادة في الدقة والتحديد قال: "الذي بين جمادى وشعبان"، وهذه الزيادة بيان لعظم شأن هذا الشهر، وكذلك لإبطال وتجريم النسيء الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية، حيث كانوا: إذا احتاجوا للحرب في رجب جعلوه حلالاً، وجعلوا شعبان رجبًا، وبنوا عليه حساب حجهم.

وتمتزج عدة أساليب في الجزء الباقي من الحديث لتوصيل المعنى عن طريق التشويق والإقناع، وتأكيد القيم والمقاصد الإسلامية في نفوس المسلمين، فالحوار بين رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يتوهج عبر وسائل وأساليب تعبيرية ومنها الاستفهام والتأكيد، والتكرار، فالرسول يسأل: أي شهر هذا، وأي بلد هذا، وأي يوم هذا؟ وتتكرر الإجابة التي تترجم آداب الصحابة والتزامهم بما يأمرهم به قرآنهم، ونبيهم، (الكتاب والسنة)، فيقول عقب كل سؤال: الله ورسوله أعلم، وفي ذلك إشارة لكل مسلم أنه لا رأي له خارج آفاق النص القرآني، والبيان النبوي، فالله ورسوله أعلم، وتكررت ثلاث مرات في الحديث، وتكررت عبارة: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه للإفصاح عن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

عنصر التشويق إلى معرفة الحقيقة، ويمتزج التكرار بالتوكيد في قوله: "إن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا"، وتكرار اسم الإشارة يوضح حرص الرسول ﷺ على حرمة الأماكن المقدسة، وضرورة حمايتها، والدفاع عنها، ويؤكد الرسول ﷺ وصاياه للأمة، حتى يشعر المسلمون بالمسؤولية وحتى يحافظوا عل دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: الأشهر الحرم، فقد أجمع الفقهاء[1] على أن الأشهر الحرم هي هذه الأشهر المذكورة في الحديث، ولكن اختلفوا في الأدب المستحسن في كيفية عدها على قولين هل يبدأ في العد بالمحرم أم يبدأ بذي القعدة، وجماهير الفقهاء يبدأون بذي القعدة وهم يذكرون الأشهر الحرم وأما السنة الهجرية فتبدأ بالمحرم.

الثاني: حرمة نفس الغير، فقد اتفق الفقهاء[2] على أنه لا يجوز قتل النفس بغير حق وإذا كانت النفس مسلمة فالحرمة أشد.

الثالث: حرمة مال الغير فقد اتفق الفقهاء[3] على حرمة مال المسلم فلا يجوز

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٣/١، ١٦٨/١١.

(٢) المبسوط، السرخسي ٨٤/٢٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٣١/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٧٨/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٣٧٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٤ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٥٣/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥ وما بعدها.

(٣) المبسوط، السرخسي ٥٠/١١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٢/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٧٣/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٧٥/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٣٦/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٢/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٩٦/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٤/٦.

غصبه ولا سرقته ولا أخذه بغير حق.

الرابع: حرمة عرض المسلم، فقد اتفق الفقهاء[١] على أن قذف المسلم كبيرة تستحق الحد فيجلد المرء لأجلها ثمانين جلدة إن كان حرًا، وأربعين إن كان عبدًا.

الخامس: تبليغ العلم، قال النووي: قوله ﷺ ليبلغ الشاهد الغائب فيه وجوب تبليغ العلم، وهو فرض كفاية فيجب تبليغه بحيث ينتشر[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، السؤال والجواب،والتشبيه، وضرب المثل.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأشهر الحرم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس المسلم وعرضه وماله.

خامسًا: من واجبات المدعو: تبليغ العلم ونقله عن العالم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الظلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، السؤال والجواب، التشبيه وضرب المثل:

١- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث "إن الزمان" ولاشك أن التوكيد أسلوب من أساليب الدعوة، يدلل على أهمية ما يقوله الداعية، وينبه المدعوين إلى ضرورة الاهتمام به كما أنه يضيف بعدًا آخر، وهو ثقة وقناعة الداعية بما يقول مما يؤثر تأثيرًا إيجابيًا على المدعوين.

٢- **السؤال والجواب:** وقد تكرر في الحديث سؤال النبي ﷺ أي شهر هذا؟ أي

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٠٦/٩، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٩/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٩٨/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢٠٩/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٣٥/٤، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٢٠/٩، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٥٢/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩/١١.

بلد هذا؟ أي يوم هذا؟ وهذا كله لإيجاد نوع من الحوار بينه وبين المدعوين لجذب انتباهم وتفاعلهم مع ما يطرح من أسئلة ثم كان السؤال التقريري لهم: أليس ذا الحجة؟ أليس البلدة؟ أليس يوم النحر؟ وذلك لإقامة الحجة على المدعو بتقريره على الإجابة، وما من شك في أهمية السؤال والجواب كأسلوب من أساليب الدعوة إذ يعين الداعية على تبليغ ما يقول، ويعمل على شدّ انتباه المدعو لمعرفة الجواب أو طرح السؤال.

٣- **التشبيه، وضرب المثل:** جاء في الحديث "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا". وهذا التشبيه وضرب المثل من قبيل الحرص على زيادة الإفهام للمدعو، وتقريب المعنى إليه ذلك لأن المدعوين ليسوا على نسق واحد في الفهم، وهذا مما يدل على أهمية التشبيه كأسلوب من أساليب الدعوة يجب أن يستخدمه الدعاة نظرًا لتعدد أصناف المدعوين وتباين أفهامهم.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة:

قد يشيع في المجتمع بعض الأخطاء والتصرفات الغير شرعية، وهنا يأتي دور الداعية في تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة، والأعراف السائدة، ومن ذلك ما كان يحدث في الجاهلية من تغيير الأشهر الحرم بتقديمها أو تأخيرها، وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن هذه الأشهر ثابتة لا تتغير - ذو القعدة، ذو الحجة، المحرم، رجب - ومن هنا يبرز دور الداعية في القيام بتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى فئات من الناس، ومعالجة ذلك بالطريقة المناسبة، وقد نبه القرآن الكريم إلى أمر الأشهر الحرم، وما يحدث فيها من تغيير وتبديل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾[1].

قال السعدي: (النسيء ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم رأوا

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٧.

بآرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم التي حَرُم القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه، أحلو فيه القتال، وجعلوا الشهر الحلال حرامًا فهذا كما أخبر الله عنهم أنه زيادة في كفرهم وضلالهم لما فيه من المحاذير منها:

أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه، ومنها: أنهم قلبوا الدين فجعلوا الحلال حرامًا، والحرام حلالاً ومنها: أنهم موَّهوا على الله بزعمهم، وعلى عباده، فلبسُّوا عليهم دينهم واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستقرار عليها يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة فحصل من الغلط والضلال ما حصل)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأشهر الحرم:

لقد جاء النص على فضل الأشهر الحرم في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾[2]. قال الإمام الشوكاني: (ذلك الدين القيم أي كون هذه الشهور كذلك، ومنها أربعة حرم هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح، والعدد المستوفى فلا تظلموا في هذه الأشهر الحرم أنفسكم بإيقاع القتال فيها والهتك لحرمتها)[3]. ولفضل الأشهر الحرم شرع الله في أول الإسلام تحريم القتال فيها بقوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾[4]، قال ابن رجب الحنبلي: (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرمًا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٩٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) فتح القدير، الشوكاني ٢/٣٥٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر فيهن أعظم)[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس المسلم وعرضه وماله:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الحفاظ على نفس المسلم وعرضه وماله، وقد أوصى الرسول ﷺ بذلك في الحديث حيث قال: "فإن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا" وقد دلت نصوص القرآن الكريم على حرمة نفس المسلم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢]. ودلت على حرمة ماله قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٣] وعلى حرمة عرضه قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٤].

قال السيد سابق: (إن الله كرّم الإنسان: خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، وجعله خليفة عنه، وزوّده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي، وارتقاء روحي، ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه، ويبلغ غايته، إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة، وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام حق الحياة، وحق التملك، وحق صيانة العرض، وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو وطنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٢٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٤) سورة النور، آية: ٤.

بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[1] ولما خطب الرسول ﷺ في حجة الوداع جعل حرمة دم المسلم وماله كحرمة الشهر الحرام والبلد الحرام)[2].

خامسًا- من واجبات المدعو: تبليغ العلم ونقله عن العالم:

حيث قال النبي ﷺ في الحديث "ألا ليبلغ الشاهد الغائب" قال النووي: (فيه وجوب تبليغ العلم وهو فرض كفاية فيجب تبليغه بحيث ينتشر)[3]. وقال الرسول ﷺ في الحديث ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[4] وهكذا يجب أن يكون المدعو مبلغًا للعلم الذي تعلمه.

فلعل الله عز وجل أن يهدي به أحدًا فيكون الأجر والثواب لمن بلغ العلم فعن سهل ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: ((لأَنْ يُهدَى الله بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم))[5].

قال ابن عبدالبر: (قال علي رضي الله عنه: لم يؤخذ على الجاهل عهد بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهد ببذل العلم للجهال، لأن العلم كان قبل الجهل. وعن ابن القاسم قال: كنا إذا ودّعنا مالكًا يقول لنا: اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلّموه ولا تكتموه. وعن عبدالرحمن بن مهدي قال: كان مالك بن أنس يقول: بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة كما يسأل الأنبياء يعني عن تبليغه. وعن سليم بن عامر قال: كان أبو أمامة يحدثنا فيكثر ثم يقول: عقلتم؟ فنقول: نعم، فيقول: بلغوا عنا فقد بلغناكم، يرى أن حقًا عليه أن يحدث بكل ما سمع، وعن جعفر بن برقان قال: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز: أما بعد، مُرْ أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله عز وجل في

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٦٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٧٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٤٢ واللفظ له، ومسلم ٢٤٠٦.

مجالسهم ومساجدهم والسلام. ويقال: ما صِينَ العلم بمثل العمل به وبذله لأهله وقالوا: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن ينقصها ألا تجد حطبًا وكذلك العلم لا ينقصه الاقتباس منه، ولكن فقد الحاملين سبب عدمه)[١].

وإذا كان تبليغ العلم من باب النصيحة للمسلمين فقد قال رسول الله ﷺ ((ثَلاثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[٢]. وتبليغ العلم مما يؤجر عليه المرء بعد موته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ. وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لاِبْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٣].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الظلم:

يتضح ذلك من خلال توجيه النبي ﷺ إلى حرمة الدماء والأموال والأعراض وقد دلّ القرآن على تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤] وفي الحديث القدسي عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا...))[٥]. وبيّن الله سوء عاقبة الظالمين يوم القيامة فقال سبحانه: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٦].

وحذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال في الحديث: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١/٤٩٢-٤٩٧ بتصرف.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨).

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٣١.

ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))[١] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ لَيُملي للظالم، حتى إذا أخذَه لم يُفلِتْه. قال ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢]))[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ...))[٤].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (قال عمر بن عبدالعزيز: إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك[٥]. قال أبو العتاهية:

أمـــا والله إن الظلـــم لـــؤم ... ومـــا زال المـــسيء هـــو الظلـــوم
إلى ديَّـــان يـــوم الـــدين نمـــضي ... وعنـــد الله تجتمـــع الخـــصوم
ســـتعلم في الحـــساب إذا التقينـــا ... غـــدًا عنـــد الإلـــه مـــن الملـــوم[٦]

وفي بعض المأثورات: إذا كان يوم القيامة يجتمع الظلمة وأعوانهم ومن ألاق لهم دواة، وبرى لهم قلمًا فيجعلون في تابوت ويلقون في جهنم)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٨.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٨٦، ومسلم ٢٥٨٣ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٢ واللفظ له، ومسلم ٢٥٨٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٤٩٢٤/١٠.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٤٩٢٥/١٠ ونسب الشعر إلى الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٨١/١ وهو في الكامل في التاريخ ٣٥٨/٥، والحماسة البصرية ٤٢٢/٢.

(٧) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٤٩٢٦/١٠ ونسبه إلى بصائر ذوي التمييز ٥٤٣/٣.

لقد نهى الله عن الظلم كافة في جميع الأوقات والأماكن وعلى جميع الأحيان خاصة في الأوقات التي عظم فيها شأن الظلم كالأشهر الحرم التي جاء فيها الحديث ونهى الله فيها عن الظلم، وقد أشار الله في آية النسيء أن ظلم الإنسان في الحقيقة إنما هو ظلم لنفسه، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[1] فقد قسم العلماء الظلم إلى ثلاثة أقسام وهي في النهاية تصب في ظلم الإنسان لنفسه، قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2] وإياه قصد بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4] وبقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[5].

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[6].

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فالإنسان في أول ما يهُم بالظلم فقد ظلم نفسه[7].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٣) سورة هود، آية: ١٨.

(٤) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٢.

(٦) سورة فاطر، آية: ٣٢.

(٧) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني ص ٣٥٨.

الحديث رقم (٢١٤)

٢١٤- وعن أَبي أُمَامةَ إِيَاسِ بنِ ثعْلَبَةَ الْحَارِثِيِّ رضي الله عنه أَن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِيءٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّه لَه النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فقال[1] رجُلٌ: وإِنْ كَانَ شَيْئًا يسِيرًا يا رسولَ اللَّه؟ فقال: «**وإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**» رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري: واسمه: إياس بن ثعلبة، من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، حليف الثعلبي، الحارثي، التلويّ الأنصاري، حليف بني حارثة.

له صحبة، روى عن النبي ﷺ وعن عبدالله بن أنيس الجهني، إلا أنه لم يكن من المكثرين، وروى له الجماعة سوى البخاريُّ، لم يشهد بدرًا بسبب رعايته لأمه في مرض وفاتها، فعنه ((أن رسول الله ﷺ أخبرهم بالخروج إلى بدر، وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار، أقم على أمك يا ابن أخت، قال: بل أنت أقم على أختك، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ، فأمر أبا أمامة بالمُقام على أمه، وخرج بأبي بُرْدة، فقدم النبي ﷺ وقد توفيت فصلى عليها[3] ولم يؤرخ لأبي أمامة حياته ومماته[4].

غريب الألفاظ:

الأراك: نوع من الشجر يُستاك بأغصانه[5].

---

(١) عند مسلم زيادة: (له).

(٢) برقم (١٣٧/٢١٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٤٦). وسيكرره المؤلف برقم (١٧١٥).

(٣) الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٢/١، ٢٧٣)، حديث رقم (٧٩٢)، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: سنده جيد.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٧١، ٧٧٢)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٥/٦، ١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٤٢٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٣٥/٨، ٢٣٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٨٢/٤، ٤٨٣).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢.

الشرح الأدبي

إن من مقاصد الإسلام الشرعية والحضارية السعى في تحصيل الأموال بالطرق والوسائل المشروعة والاعتدال في صرفها، "ونهى الإسلام كذلك عن احتباس الأموال واكتنازها، ونهى عن تحصيلها بالطرق التي لا خير فيها صيانة لها عن الشر والفساد، وحفظًا لمال الغير من السرقة والانتهاب، وقد جعل الإسلام أخذ المال دون رضا صاحبه وطيب نفسه أكلاً له بالباطل يجب التحرز منه، فقال رسول الله ﷺ "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[1]، وقال: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا[2][3]، والحديث السابق أكد على هذا المنهج في سياق وصايا المصطفى ﷺ للمسلمين في خطبة حجة الوداع.

ويؤكد هذا الحديث على وجوب اتباع هذا المنهج، وهو المحافظة على حقوق الغير، ولكن الأسلوب في هذا الحديث جاء تحذيريًا مشددًا العقوبة على كل من يعتدي على حق المسلم وغير المسلم الذي يعيش في كنف المسلمين وحمايتهم، ولأن الجزاء من جنس العمل، ولأن المصطفى ﷺ في بيانه البليغ يأتي المَبْني مجسدًا للمعنى، وكاشفًا طبيعته، ومحددًا سمته، فإن هذا الحديث جاء في صيغة الشرط والجواب، فالنتائج ثمرة المقدمات والجواب انبثاق حتمي عن فعل الشرط، وكذلك العقوبات تكون بقدر حجم المخالفة في السلوكيات.

ولنتأمل بداية هذا الحديث في قول رسول الله ﷺ "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة"، "ومَنْ" هنا أداة شرط للعاقل: وفعل الشرط الذي يجلب العقوبة هو اقتطاع حق المسلم أو غير المسلم الذي يحتمي بالمسلمين،

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٥٦٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١٢١٨.

(٣) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٢٣٥.

ومادة الاقتطاع توحي بالأخذ الشديد، وبتر جزء من حقوق الغير، وكأن هذا الحق المعنوي والمادي صور في هيئة، وصور في كيان متكامل، وسلبه أو نهبه أو إنكاره، يعد اقتطاعًا له من كيانه وجسده: وكأنه عضو اقتطع من جسد، ومهما تمتع به آخذه، فإنه سيظل في حنين إلى حمى صاحبه، وإلى العودة إلى جسده الأصلي،وكلمة حق تتضمن دلالات كثيرة: فكل ما يملكه الإنسان هو حق له: المال، والمتاع، والأبناء، والزوجة، والأنعام والتجارة، وكل ما يكتسبه في حياته هو حق له، ولا يحل لأحد أن يقتطع هذا الحق من بنيانه المتكامل.

والإيجاز في هذه الكلمة يجعلها تشع بكثير من التفسيرات والدلالات، وتقييد المرء بأنه مسلم، لتمييز المسلم عن غيره، وللإشعار بالمحافظة على حقوقه، ومع ذلك فغير المسلم يحب كذلك المحافظة على حقوقه إذا كان يتمتع بالأمن وحسن الجوار في بلاد الإسلام؛ وقوله "بيمينه"، للإشعار بتعمد هذا الأخذ، ويسبق إصراره على ارتكاب هذا الجرم الخطير، وهذه الحيثيات التي تؤكد إصرار ذلك الذي سلب حق غيره تمثلت في فعل "الاقتطاع"، وليس القطع، فالصيغة تدل على قسوة الأخذ، ومقاومة المأخوذ منه، وهذا المأخوذ هو حق، وحق أخيه المسلم، وقد أُخِذ باليمين، لكل هذا وبسببه: أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، إذا لم يتب توبة نصوحًا، والجملة الثانية سؤال من الراوي وقد صيغت في أسلوب الشرط، ولكن حذف الجواب إيجازًا لأن العقاب معروف ولا جدال فيه "وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله"، والجواب المحذوف: فهل العقاب كذلك؟ وتأتي الإجابة من رسول الله في صيغة الشرط والجواب، ولَكِنْ جواب الشرط محذوف، إيجازًا، وإيحاءً بأن العقاب ثابت؛ وأن النجاة تكمن في رد الحقوق إلى ذويها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم اليمين كدليل للإثبات، وقد اتفق الفقهاء[١] على أن اليمين أحد أدلة الإثبات في الدعاوى، ويجب على القاضي أن يأخذ بها وأنها تتوجه للمنكر عند عدم البينة من المدعي تطبيقاً للحديث الشريف الوارد في هذا الشأن فإن حلف المنكر قُضي له بيمينه.

الثاني: حرمة اليمين، فقد ذكر الفقهاء أنه يحرم الحلف كذبًا لاقتطاع حق الغير، ومن فعل ذلك مستحلاً له فهو كافر ومخلد في النار، ومن فعله غير مستحل فقد ارتكب ذنبًا كبيرًا يحرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين[٢].

الثالث: هل يبيح حكم الحاكم للإنسان ما ليس له؟ اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين، فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة وأبي ثور ومحمد بن الحسن إلى أن حكم الحاكم لا يبيح للإنسان ما ليس له، وإنما يظل الحال على ما كان عليه قبل القضاء به من حل أو حرمة، وذهب أبو حنيفة إلى أن حكم الحاكم يبيح له ما لم يكن له، وينفذ حكمه ظاهرًا وباطنًا[٣]، والراجح رأي الجمهور، لأن

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٤/٤، والمبسوط، السرخسي ١١٨/١٦، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٠٥/٢، ٢٤٢/٦، والمدونة ٣٧٩/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٢٩/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٨٦/٤، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٤٢/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٩٢/٤، والطرق الحكمية لابن القيم ص ٦٧، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٧١/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١/٢.

(٣) شرح معاني الآثار، الطحاوي ١٥٥/٤، وأحكام القرآن، الجصاص ٣٤٤/١ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٨٦/٥، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٦٤/١، الأم ٤١٢/٨، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ١٣٠/٧، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٠٥/١٠، والفتاوى الكبرى ٥٦٣/٥، والفروع، ابن مفلح ٤٩٠/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٢/٢.

الحاكم يحكم بالظاهر فلا يبيح ما كان حرامًا.

الرابع: حرمة حقوق المسلمين من مال وغيره، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٢١٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، الترهيب، السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة غصب حقوق الآخرين.

ثالثًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يجهل.

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب، والسؤال والجواب

١- **الشرط**: حيث جاء في الحديث "من اقتطع..." وما من شك في أن الشرط أسلوب من الأساليب الدعوية المهمة، حيث يلفت انتباه المدعو إلى معرفة جواب الشرط، ويبين كذلك ارتباط الجزاء بالعمل إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

٢- **الترهيب**: حيث قال النبي ﷺ في الحديث: "... فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة" والترهيب أسلوب دعوي يعمل على الزجر وحمل النفس على الطاعة، ويخوفها من الظلم والمعصية، وقد كثر في القرآن الكريم استخدام هذا النوع من الأساليب ومنه قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[1] ويحسن بالداعية أن يفيد من الترهيب في علاجه للموضوعات الدعوية التي تتطلب ذلك.

٣- **السؤال والجواب**: ويتضح هذا من سؤال الرجل للنبي ﷺ (وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟) ويعتبر السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي تسهم في بيان الحقائق، وإقرارها في أذهان المدعوين، لأنه يحقق التفاعل والحوار بين الداعية والمدعو، وتتوجه فيه المعلومة مباشرة إلى السامع، وعلى الدعاة إلى الله استخدام هذا الأسلوب لشد انتباه المدعوين، وإيجاد قنوات حوار فيما بينهم.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٥٠.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة غصب حقوق الآخرين:

لقد حذر النبي ﷺ من الاعتداء على حقوق الآخرين وغصبها في الحديث فقال: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة". قال القاضي عياض: (إنما كبرت هذه المعصية بحسب اليمين الغموس، التي هي من الكبائر الموبقات، وتغييرها في الظاهر حكمة الشرع واستحلاله بها الحرام، وتصييرها المحق في صُورة المبطل والمبطل في صورة المحق، ولهذا عظم أمرها وأمر شهادة الزور، وإيجاب النار فيها على حكم الكبائر، إلا أن يشاء الله أن يعفو عن ذلك لمن يشاء، وتحريم الجنة عند دخول السابقين لها والمتقين، وأصحاب اليمين، ثم لابد لكل موحد من دخولها، إما بعد وقوف وحساب أو بعد نكال وعذاب.

وتخصيصه هنا المسلم، إذ هم المخاطبون، وعامة المتعاملين في الشريعة لا أن غير المسلم بخلافه، بل حكمه حكمه في ذلك)[1]، وقال الإمام النووي: "وتقييده بالمسلم ليس يدل على تحريم حق الذمي، بل معناه أن هذا الوعيد الشديد وهو أنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان لمن اقتطع حق المسلم، وأما الذمي فاقتطاع حقه حرام، لكن ليس يلزم أن تكون فيه هذه العقوبة العظيمة، وفي هذا الحديث بيان غلظ تحريم حقوق المسلمين، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره لقوله ﷺ ((وَإِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاكٍ))[2] وقد دلت نصوص الشرع على حرمة غصب حقوق الآخرين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾[3]. وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾[4] قال ابن عاشور: (والبغي المحرم هو الاعتداء على حق الغير بسلب أموالهم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٣٤/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

أو بأذاهم، والكبر على الناس من البغي، وقد كان البغي شائعًا في الجاهلية فكان القوي يأكل الضعيف)[١]. ويعتبر هذا الموضوع من الموضوعات المهمة التي تستلزم توعية الناس بها.

جاء في الموسوعة الفقهية: (والغصب لغة: هو أخذ الشيء ظلمًا وقهرًا، واصطلاحًا: الاستيلاء على حق الغير عدوانًا أي بغير حق، والغصب حرام إذا فعله الغاصب عن علم لأنه معصية، وقد ثبت تحريمه بالقرآن والسنة والإجماع. ويتحقق الغصب بمجرد الاستيلاء أي إثبات يد العدوان على الشيء المغصوب بمعنى إثبات اليد على مال الغير بغير إذنه، ولا يشترط إزالة يد المالك، وليس المقصود من الاستيلاء، الاستيلاء الحسي بالفعل، وإنما يكفي الحيلولة بين المال وبين صاحبه، ولو أبقاه بموضعه الذي وضعه فيه)[٢].

والغصب ظلم للغير، وقد حذر النبي ﷺ من عاقبة الظلم كما جاء في الحديث الذي معنا، وهذا واجب الداعية أن يبين للناس مساوئ الظلم حتى يجتنبوه، وقد بين الله في القرآن أن الظالمين لا نصير لهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[٣] وأن النار هي نهاية الظالمين ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] وأنهم لا فلاح لهم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٥] وأن الله أعدَّ لهم نارًا ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ﴾[٦]. وبناء على هذه النصوص واجب على الداعية أن يحذر المدعوين من غصب حقوق الغير لأن ذلك من أبشع الظلم.

---

(١) التحرير والتنوير مج٤/٨/١٠٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/٢٢٩-٢٣٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٣٥.

(٦) سورة الكهف، آية: ٢٩.

ثالثًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يجهل:

حيث جاء في الحديث فقال رجل: "وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟" وهذا حق المدعو أن يسأل عما يجهل حتى لا يقع في محرم، وليتحرز عن المعاصي ولا يمنع الإنسان الكبر أو الحياء عن السؤال والعلم فقد قال رسول الله ﷺ: ((من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين))[١]. وقد أمر الله بالسؤال لأهل الذكر فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

أي أهل العلم، فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم، في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يُخْرِج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، وأفضل أهل الذكر: أهل هذا القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة وأولى من غيرهم بهذا الاسم ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾[٣] أي القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة[٤].

قال د. عبدالكريم البكار: (إن الناس يحتاجون إلى إقناع بضرورة تعلم المراجعة والمشاركة في عملية التعلم والتفهم للموضوعات المطروحة، وهم بحاجة إلى تدريب على ذلك، والترحيب باستجابتهم لهذه الدعوة بدل ما يحصل الآن من الحرص على صمتهم واستماعهم لما يلقى عليهم، ولخصوصية خطبة الجمعة فمن الممكن أن يجلس الخطيب دقائق بعد صلاة الجمعة لمناقشة بعض المسائل التي وردت في الخطبة والاطمئنان إلى أنها فهمت على الوجه الصحيح ولسماع وجهات النظر الأخرى)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

(٥) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ١٥٥.

الحديث رقم (٢١٥)

٢١٥- وعن عَدِي بن عُمَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللّه يَقُول: «**مَن اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَل، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولا يَأْتِي بِهِ يوْمَ الْقِيامَةِ**» فقَام إلَيْهِ رجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصَارِ، كأَنِّي أَنْظرُ إلَيْهِ، فقال: يا رسول اللّه اقْبل عني عملَكَ قال: «ومالكَ؟» قال: سَمِعْتُك تقُول كَذَا وَكَذَا، قال: «**وَأَنَا أَقُولُهُ الآن: من اسْتَعْمَلْنَاهُ**[1] **عَلَى عملٍ فلْيجيء بقَلِيلِهِ وَكَثِيرِه، فمَا أُوتِي مِنْهُ أَخَذَ ومَا نُهِي عَنْهُ انْتَهَى**» رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عَدي بن عُمَيْرة: هو عَدي بن عُميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم الكندي كنيته: أبو زرارة.

له ولأخيه العُرْس [بضم العين وسكون الراء] صحبة، فقد وفدا على النبي ﷺ فأسلما وأقطعهما مسكنهما.

وكان سبب إسلام عَدي أنه كان بأرضهم حبرٌ من اليهود فقال لهم: إني أجد في كتاب الله أن أصحاب الفردوس قومٌ يعبدون ربهم على وجوههم، فمكثوا فترة حتى بلغهم بعثة النبي ﷺ فتذكر حديث الحبر فخرج إليه ﷺ فوجده هو ومن معه يسجدون على وجوههم فأسلم.

نزل العراق وسكن الكوفة، وكان مُجلاً لكبار الصحابة لا يقع فيهم ولا يقيم ببلدٍ تنال منهم، لما قتل عثمان بن عفان وجد بعض أهل الكوفة يقعون فيه وينالون منه ويشتمونه، فقال قومه بنو الأرقم: لا نقيم ببلدٍ يشتم فيها عثمان. فانتقلوا إلى الشام حيث أنزلهم معاوية بن أبي سفيان الجزيرة.

لم يرو عَدي إلا اليسير من الحديث. وقد اختلف في وفاته مكانًا وزمانًا: فقيل: مات بالجزيرة. وقيل غير ذلك. وهو والد عدي بن عدي من ثقات التابعين وقد ولي قضاء

---

(١) عند مسلم زيادة: (منكم).

(٢) برقم (١٨٣٣/٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١١٥٥).

الجزيرة أيام عمر بن عبدالعزيز[١].

غريب الألفاظ:

المخْيَط: أي الإبرة[٢].

الغُلُول: أخذ الشيء خُفْيَةً وخيانةً[٣].

الشرح الأدبي

نقتبس من هذا الحديث ومضات من التوجيهات النبوية، وإشعاعات من التعاليم المحمدية.

وهذه الومضات تشرق في آفاق المسؤولية التي يتحملها الولاة والقواد، وأولوا الأمر بصفة عامة ومنهم في عصرنا الحاضر، الولاة والأمراء والمحافظون، ورؤساء المصالح والدواوين الحكومية، والقيام بأعباء هذه المسؤولية تحدد إطار هذه القاعدة المنهجية في سياسة الرعية، والتي قدمها خاتم الأنبياء المبعوث رحمة للعالمين، في قوله: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ويتوهج هذا الحديث بكثير من الدلالات والأساليب التي تؤطر مسؤولية كل من يتولى أمرًا من أمور المسلمين في كل زمان وكل مكان، ولذلك يبدأ الحديث بتأصيل هذه القاعدة التي أرساها رسول الله ﷺ محددًا مصير كل من يفرط في الأمانة، وكل من يقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، وكل مسؤول يستغل موقعه ووظيفته استغلالاً مريبًا ويخص نفسه بمخصصات ومزايا لا تعطى لغيره ولا يجد محاسبًا ولا رقيبًا،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٥/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٧٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٤/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٩٩، ٩٠٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٤٧/٥)، والتهذيب (٨٧/٣).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ل ل).

وتشديدًا في العقوبة يصوغ المصطفى ﷺ هذه القاعدة في صيغة الشرط والجواب فيقول: "من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مِخْيَطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة"، والتعبير بهذه الصيغة "استعملناه"، يوحي بوجوب القيام بالعمل المنوط بالمكلف به، وحتمية القيام بواجبات هذه المسؤولية، وأداء الحقوق لمستحقيها، ولم يقل الرسول ﷺ: استعملته، لأن الولاية تكون تكليفًا من الأمة وفق تعاليم الكتاب والسنة، فالرسول لم يكلف هذا العامل بمطلب شخصي، ولكنه كلفه بمسؤولية رعاية الأمة، والمحافظة على حقوقها، وقوله "منكم"، يدل على أن العامل والوالي والمسؤول لا بد أن يكون مسلمًا، وأن لا يكون مترفعًا ولا متكبرًا، فالناس في الإسلام كلهم سواسية كأسنان المشط.

وتنكير لفظ "عمل"، يفيد الشمول والعموم: فأى عمل قليل أو كثير يجب أن يقوم به العامل عليه خير قيام، وقوله "فكتمنا مخيطًا فما فوقه"، يدل على أن المخالفة في الشيء الصغير، تعدل في العقوبة ارتكاب الكبائر في هذا المجال الذي يحتم على كل والٍ أن يرعى مصالح الأمة، ولا يستأثر بشيء لنفسه، ولا يقول: هذا لكم وهذا أهدي إلي، ولا يكتم شيئًا مما جمعه من الزكاة أو الغنائم أو الموارد، ولذلك رمز المصطفى ﷺ إلى قلة الشيء المختلس أو المغتصب أو المسروق أو المنهوب بقوله "مخيطا" وهو الإبرة، وجواب الشرط يأتي محددًا العقوبة في صرامة وحسم مصدرًا بفعل الكينونه، الذي يجسد العقوبة، ويشكل المصير، "كان غلولاً يأتي يوم القيامة"، والغلول: هو إخفاء الشيء وكتمانه، ولكن هذا الذي أخفاه يكون يوم القيامة عنوان فضيحة هذا المختلس، وذلك الغال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1].

والحوار في قلب الحديث بين الرسول ﷺ والأنصاري يعد ثمرة صادقة لهذا التوجيه النبوي، لأن الرجل شعر أنه غير أهل لهذه المسؤولية، وأنه أراد أن يستقيل من عمله لأنه لم يقم بواجبه خير قيام، ويسأله الرسول عن السبب، فيقول: سمعتك تقول:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

كذا وكذا، وهذا تعبير فيه كناية عن أمور كثيرة، يمكن أن تتكرر في كل زمان وكل مكان، ثم يختم الرسول ﷺ حديثه بثلاث جمل شرطية يتوازن فيها العمل مع الجزاء، والجواب مع الشرط، ويحدد ما يجب على كل مسؤول فعله تحديدًا موجزًا واضحًا ويكرر ما بدأ به الحديث تأكيدًا للمعنى، وحرصًا على مصلحة الأمة، من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره، فما أوتى منه أخذ، وما نهى عنه انتهى.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم هدايا العمال وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٢٠٩)، وبَوَّبَ النووي هذا الحديث ونحوه تحت عنوان تحريم هدايا العمال، وقال: وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول، لأنه المطلوب في ولايته وأمانته[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الغلول.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الانقياد للأحكام الشرعية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى الأمانة والحذر من الخيانة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإمام عن أموال الأمة.

سادسًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأموال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب، والسؤال والجواب:

١- **الترهيب:** حيث جاء في الحديث أن من يكتم شيئًا من أموال المسلمين يأتي به يوم القيامة، ولا شك أن الترهيب من أساليب الدعوة التي لها دور في كف النفس عن الحرام، وأخذها بالحزم، ويبين عواقب الأمور للمدعو.

"إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٩/١٢.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[١]، والدعاة إلى الله مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه، ومن أدوات الترغيب: بيان فضل ذكر الله وتسبيحه وتحميده وفضل المحافظة على الصلاة، وفضل الإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم. ومن أدوات الترهيب التخويف بالله ومن الله وحسابه وعقابه وناره وملائكته وعذاب القبر وسؤاله"[٢].

٢- **السؤال والجواب:** ويظهر من الحديث في قوله: (ومالك؟) والسؤال والجواب أسلوب من أساليب الدعوة يعطي للمدعو فرصة للاستفسار عما يجهل، ومعرفة مدى توافق تصرفاته وأعماله مع الشرع الحنيف.

قال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، ذلك أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، فإذا كان لديه علم بالأجوبة عليها أجاب، وإلا طلب تأجيل الإجابة حتى يستوثق من الجواب الصحيح"[٣].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٥٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الغلول:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ (كان غلولاً يأتي به يوم القيامة) وقد نص الشرع الحنيف على حرمة الغلول، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١]، قال السعدي: (والغلول هو الكتمان من الغنيمة، والخيانة في كل ما يتولاه الإنسان وهو محرم إجماعًا؛ بل هو من الكبائر كما تدل عليه هذه الآية فالغلول من أعظم الذنوب وشر العيوب، ومن غلّ يأت به حامله على ظهره حيوانًا كان أو متاعًا أو غير ذلك يعذب به يوم القيامة)[٢].

وحذر النبي ﷺ من الغلول فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ. فَذَكَرَ الْغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ. ثُمَّ قَالَ: ((لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ. يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا. قَدْ أَبْلَغْتُكَ))[٣]، قال النووي: (أصل الغلول الخيانة مطلقًا، ثم غلب على الخيانة في الغنيمة، وأجمع المسلمون على تغليظ تحريم الغلول وأنه من الكبائر)[٤].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الانقياد للأحكام الشرعية:

يتضح هذا من قول الرجل الأنصاري: (يا رسول الله أقبل عني عملك) وذلك بعد ما سمع تحذير النبي ﷺ من الغلول، وهذا شأن المسلم دائمًا سرعة الاستجابة والانقياد لحكم الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]، وأمر الله بهذه الاستجابة فقال

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٣١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٧.

(٥) سورة النور، آية: ٥١.

سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[1].

قال ابن كثير: (قال البخاري: استجيبوا، أي: أجيبوا (لما يحييكم) أي: لما يصلحكم. وقال مجاهد: (لما يحييكم)، أي: الحق. وقال قتادة: (لما يحييكم) أي: هو هذا القرآن فيه النجاة والتقاة والحياة. وقال السدي: (لما يحييكم) ففي الإسلام إحياؤهم بعد موتهم بالكفر)[2].

وقال السعدي في تفسير: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول ﷺ، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه والاجتناب لما نهيا عنه والانكفاف عنه والنهي عنه.

وقوله: "إذا دعاكم لما يحييكم" وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّه. وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ))[4].

قال ابن القيم: (وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنّ بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة)[5].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤/٤ - ٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٥) زاد المعاد ٣٧/١.

وقد بيّن ﷺ أن إيمان المسلم مرتبط بانقياده ومتابعته للرسول ﷺ: ((لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حتى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))[١].

قال النووي: (قال الخطابي: لم يرد به حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لأن حب الإنسان نفسه طبع، ولا سبيل إلى قلبه فمعناه: لا تصدق في محبتي حتى تفنى في طاعتي نفسك، وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك. قال ابن بطال: ومعنى الحديث: أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استُنقذنا من النار، وهُدينا من الضلال)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى الأمانة والحذر من الخيانة:

حيث قال النبي ﷺ: (من استعملناه على عمل فليجئ بقليله وكثيره) وهذا تنبيه من النبي ﷺ إلى الأمانة وأهميتها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٣]، قال القاسمي: (هذه الآية من أمهات الآيات المشتملة على كثير من أحكام الشرع، قال أبو السعود: في تصدير الكلام بكلمة التحقيق، وإظهار الاسم الجليل، وإيراد الأمر على صورة الإخبار من الفخامة، وتأكيد وجوب الامتثال به، والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم المكلفين قاطبة، كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد)[٤].

وحذر الله من الخيانة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٥]، وجعل الرسول الكريم ﷺ من علامة المنافق خيانة

---

(١) أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٢٤٣/٥/٣.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

الأمانة، ففي الحديث: ((آيةُ المُنافِق ثلاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا أؤْتُمِنَ خان))[١].

وفي الحث على أداء الأمانة جاء عن يوسف بن ماهك المكي قال: كُنْتُ أكْتُبُ لِفُلاَنٍ نَفَقَةَ أيْتَامٍ كَانَ وَلِيَّهُمْ فَغَالَطُوهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ فأدَّاهَا إلَيْهِمْ فَأَدْرَكْتُ لَهُمْ مِنْ مَالِهِمْ مِثْلَيْهَا. قالَ قُلْتُ: أقْبِضْ الأَلْفَ الَّذي ذَهَبُوا بِهِ مِنْكَ. قالَ: لاَ. حَدَّثَني أبي أنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((أدِّ الأمَانَةَ إلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمنهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[٣].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: "والأمانة من كمال الإيمان وحسن الإسلام، يقوم عليها أمر السماوات والأرض، وهي محور الدين وامتحان رب العالمين، وبالأمانة يحفظ الدين والأعراض والأموال والأجسام والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة، والأمين يحبه الله ويحبه الناس، ومن أعظم الصفات الخلقية التي وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٤]، والمجتمع الذي تفشو فيه الأمانة مجتمع خير وبركة"[٥].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإمام عن أموال الأمة:

الإمام بحكم موقعه ومنصبه مسؤول ومحاسب عن أموال الأمة ففي الحديث الشريف: ((ألاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ. وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. فَالأَمِيرُ الَّذي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ،

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠١٨).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٢٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٨).

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٤٢٥/٣.

وَهُوَ مَسْوولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))[١]، وفي تفريطه في أموال الناس يكون غاشًا لهم مضيعًا لحقوقهم، وقد جاء في الحديث: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ))[٢].

قال النووي: (وفي هذا الحديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته، والاجتهاد في مصالحهم، والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم)[٣].

ولا شك أن المناصب أمانة، واستغلالها خيانة، وقد قال الرسول الكريم ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))[٤]، وقد حذر النبي ﷺ من استغلال المنصب في جمع مال أو ثروة أو قبول هدية أو رشوة فلما استعمل ابن اللتيبة - رجلاً من الأزد - على الصدقة فجاء بالمال فدفعه إلى النبي ﷺ فقال: هَذَا مَالُكُمْ. وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَفَلاَ قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَتَنْظُرَ أَيُهْدَى إِلَيْكَ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلاَّ جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ))[٥]، وهذا يدل على الترهيب الشديد من استغلال المناصب.

سادسًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأموال:

إن الحفاظ على الأموال هدف رئيس من أهداف الدعوة باعتبار أن حفظ المال من الكليات أو الضرورات الخمس التي يؤمر بحفظها والدفاع عنها، قال الشاطبي: (ومجموع الضرورات خمسة وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)[٦]، ومن هنا نص

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٣٢.

(٦) الموافقات في أصول الشريعة ٢/ ٨ - ٩.

القرآن على حرمة أكل المال بالباطل، قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[1]، ونص على عقوبة القطع لمن يتطاول على مال الآخرين: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال الرسول الكريم ﷺ: ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا))[3]، وواجب الداعية إبراز هذه الأهداف وتعريف الناس بها.

(إن الإسلام الحنيف كما احترم حق الحياة فإنه كذلك احترم حق الملكية واعتبره حقًا مقدسًا، لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه، ولهذا حرّم السرقة والغصب والربا والغش وتطفيف الكيل والوزن والرشوة، واعتبر كل مال أخذ بغير سبب مشروع أكلاً للمال بالباطل، وقد قضى الإسلام بقطع يد السارق التي من شأنها أن تباشر السرقة، وفي ذلك حكمة بينة، إذ أن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم. والتضحية بالبعض من أجل الكل مما اتفقت عليه الشرائع والعقول، كما أن في قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس، فلا يجرؤ أن يمد يده إليها، وبهذا تحفظ الأموال وتصان. ومما يؤكد حرص الإسلام على المحافظة على أموال الناس، وتقديسه لهذا الحق أنه هدد الذين يتلاعبون بالمكاييل والموازين بالويل والهلاك، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[4])[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩.

(٤) سورة المطففين، الآيات: ١ - ٣.

(٥) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٧٣ - ٢٧٥ بتصرف.

الحديث رقم (٢١٦)

٢١٦- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لمَّا كان يومُ خيْبرَ أَقْبل نَفرٌ مِنْ أَصْحابِ[١] النَّبيِّ ﷺ فَقَالُوا: فُلانٌ شَهيدٌ، وفُلانٌ شهيدٌ، حتَّى مَرُّوا علَى رَجُلٍ، فقالوا: فلانٌ شهيد. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**كلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّها أَوْ عبَاءَةٍ**» رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

خيبر: مجموعة من الحصون تقع شمال المدينة المنورة بـ ١٧٠ كم على الطريق منها إلى الشام فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة في أول المحرم ٧هـ مع فَدْك ووادي القُرى وتيماء[٣].

في بُرْدَة: بسبب بُردةٍ، وهي كساءٌ تلبسه الأعراب[٤].

عباءة: كساء عريض يُلبس فوق الثياب[٥].

الشرح الأدبي

إن الغزوات في عهد المصطفى ﷺ هي تاج الفخار لكل مسلم، وهي التي بسببها وفّق جندُ المسلمين إلى نشر العقيدة الإسلامية في أرجاء المعمورة، وقد سميت الغزوات بعد ذلك بالفتوحات؛ وفتح مكة هو الفتح الأعظم، وهو الفتح المبين، وهو الذي بشر به الله نبيه محمدًا ﷺ. وسورة الفتح لم تزل فيوضاتها تتجلى وتشرق في كل قلب ينطوي على عقيدة خالصة، يتخذ من التوحيد منهجًا وسلوكًا ملتزمًا بخصائص

---

(١) لفظ مسلم: (من صحابة النبي).

(٢) برقم (١١٤/١٨٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠١٣).

(٣) انظر: أطلس الحديث النبوي ١٦٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ب أ).

التصور الإسلامي.

وغزوة خيبر، من الغزوات التي ظهرت فيها البطولات الإسلامية، والتي لقن فيها المسلمون اليهود دروسًا، وأذاقوهم الويل، وذلك لما قام به بنو قريظة من خيانة للعهد، ونكث للوعود.

وقد خرج النبي ﷺ إلى خيبر في بقية المحرم سنة سبع أو سنة ست من الهجرة، وظل يحاصرها سبع عشرة ليلة إلى أن فتحها في صفر من نفس السنة، ولما انصرف من الحديبية، نزلت عليه سورة الفتح فيها بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾[1]. يعني خيبر، فقدم المدينة في ذي الحجة فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم.

ولنتأمل هذا الحديث الشريف وما يتضمنه من مشاهد هذه الغزوة التي ارتفع فيها لواء الإسلام، وثبتت راية العقيدة، وارتفع صوت سلمة بن الأكوع بهذه المناجاة، وذلك الدعاء الصاعد من القلب: إذ ينادي:

اللَّهُمَّ! لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ، فِدَاءً لَكَ، مَا اقْتَفَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... إنَّا إذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا

وَبِالصِيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا[2]

والحديث يرصد مشهدًا حواريًا بين رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم حول الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وهم أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ورأى الصحابة رضي الله عنهم مصارع الشهداء، فشهدوا لهم وقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد، ويقرهم الرسول على ذلك، ولفظ "فلان"، كناية عن اسم يُسمَّى به المحدث عنه، والشهداء

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٠.

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٦٥، ط دار العقيدة للتراث، الاسكندرية.

كانوا كثيرين، وأسماؤهم معروفة في كتب التاريخ والسير، وبطولاتهم مضيئة، ومواقفهم جريئة، ولكن الرسول لم يقر الصحابة رضي الله عنهم على شهادتهم لأحد القتلى، الذين سقطوا صرعى في يوم خيبر، وقال حينما مروا على رجل: فقالوا فلان شهيد: فقال النبي: كلا، أي: انته وانزجر عن هذا القول، والحكم له بالشهادة.

ويوضح المصطفى ﷺ السبب في عدم فوز هذا الرجل بالشهادة: ولم يسم الرجل: حرصاً على عدم فضح أمره بعد موته، والسبب أنه: كتم شيئًا مما جاءه من الغنائم حيث أخفى: بردة أو أخفى عباءة، وجزاؤه أن الرسول شاهد مصيره وهو النار وبئس المصير وتأكيدًا لهذا المصير: بدأ الرسول عبارته بالتأكيد وياء المتكلم: ولم يقل: هو في النار، وإنما قال: رأيته في النار، نعوذ بالله من ذلك ونسأله الفوز والنجاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من مهام الداعية: تصحيح ما التبس على الناس من أخطاء.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم التسرع في إصدار الأحكام.

خامسًا: من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ عن مصير أحد الناس.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الغلول وخطر الخيانة.

سابعًا: من أساليب الدعوة: الزجر والترهيب.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة خيبر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان يوم خيبر "وقد كانت غزوة خيبر في أواخر المحرم للسنة السابعة من الهجرة، وخيبر مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع تقع على بعد مئة ميل شمال المدينة جهة الشام، وكان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألف وأربع مئة مقاتل ما بين فارس وراجل)[1].

---

(١) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٣٥٨.

قال ابن اسحاق: (فلما أشرف النبي ﷺ على خيبر قال لأصحابه قفوا، ثم قال: اللهم رب السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها. أقدموا باسم الله)[١].

"وقد أتى رسول الله ﷺ خيبر ليلاً وكان إذا أتى قومًا بليل لم يُغر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود "بمساحيهم، ومكاتِلهم"[٢]، فلما رأوه قالوا: محمد والله، "محمد والخميس"[٣]، فقال النبي ﷺ خربت خيبر، إنا إذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين"[٤].

قال ابن سعد: (فوعظ رسول الله ﷺ الناس، وفرق بينهم الرايات، وابتدأت المعارك بين رسول الله ﷺ وأهل خيبر – وقد تحصنوا بحصونهم- وأخذ المسلمون يفتحونها حصنًا حصنًا: إلا الحصنين الأخيرين: الوطيح، والسُّلالم، فقد حاصرهما رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة)[٥].

وأخرج البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأُعطينَّ هذهِ الرايةَ غدًا رجلاً يَفتحُ الله على يدَيه، يُحبُّ اللّهَ ورسولَهُ ويحبُّه اللّهُ ورسولُه. قال: فبات الناسُ يدوكون لَيلتهم: أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبح الناس غَدوا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يَرجو أن يُعطاها، فقال: أينَ عليُّ بن أبي طالبٍ؟ فقيل: هوَ يا رسولَ الله يَشتكي عينَيه. قال: فأرسَلوا إليه فأتيَ به فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأَ حتى كأنْ لم يكنُ به وَجَع، فأعطاهُ الرايةَ. فقال عليّ: يا رسولَ الله،

---

(١) أخرجه ابن اسحاق في السيرة النبوية، ٢٧٦/٣ وإسناده ضعيف.

(٢) قوله: بمساحيهم: بمهملتين جمع مسحاه وهي من ألآت الحرث، ومكاتلهم: جمع مكتل وهو القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره. فتح الباري، ابن حجر، ٥٣٥/٧.

(٣) قوله محمد والخميس: أي محمد والجيش. فتح الباري، ابن حجر، ٥٣٥/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤١٩٧. ومسلم ١٣٦٥.

(٥) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٠٦/٢، وفقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد البوطي، ٣٥٩.

أُقاتِلُهم حتى يكونوا مِثلنا. فقال ﷺ: انفُذْ على رِسلك حتى تنزلَ بساحَتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم من حقِّ اللّهِ فيه، فوالله لأنْ يَهدِيَ الله بك رجُلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[1].

قال سملة رضي الله عنه: ((... فأعطاه ففتح عليه))[2].

وغنم المسلمون كل ما في تلك الحصون من الأموال.

(أما ذانك الحصنان، فقد ظل المسلمون يحاصرونهما، حتى إذا أيقن من فيهما بالهلاك، سألوه ﷺ أن يخرجهم ويجليهم ويحقن دماءهم ويتركوا له الأموال، فوافقهم رسول الله ﷺ على ذلك.

ثم إنهم سألوا رسول الله ﷺ أن تبقى خيبر تحت أيديهم يعملون فيها ويزرعونها لأنهم أعرف بأرضهم وأعمر لها. ولهم شطر ما يخرج منها، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال لهم: عَلَى أنَّا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم)[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد أسلوب الإخبار في الحديث من قول الراوي رضي الله عنه: "أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ" والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، لاسيما إن صادف ذلك إخلاصًا وصدقًا مما يساعد على نفاذ ما يدعو إليه ويخبر عنه إلى قلوب المدعوين وفي ذلك عظيم الأجر والفائدة.

ثالثًا- من مهام الداعية: تصحيح ما التبس على الناس من أخطاء:

يتضح ذلك فيما ورد في الحديث من قول النبي ﷺ: "كلا إني رأيته في النار في بردة غلها"، وبيّن ابن عثيمين: (أن قول النبي ﷺ: "كلا" يعني أنه ليس شهيدًا لأنه غلَّ هذا الشيء البسيط فأحبط جهاده وصار في النار، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢١٠، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٠٩، ومسلم ٢٤٠٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢٨٦/٣.

يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[١]. وفي ذلك تصحيح لما التبس على الناس من إطلاق لفظ الشهيد على كل من قتل في معركة بين المسلمين والكفار)[٢]، فعلى الداعية أن يصحح ما التبس على الناس من أخطاء مقتديًا في ذلك بالنبي ﷺ وممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾[٣].

رابعًا- من آداب المدعو: عدم التسرع في إصدار الأحكام:

هذا ما يظهر من سياق الحديث، وقد بين ابن عثيمين ذلك فقال: إن في هذا الحديث دليل على أنه لا ينبغي لنا أن نحكم على شخص بأنه شهيد، لاحتمال أن يكون غل شيئًا من الغنائم أو الفيء ولو غل قرشًا واحدًا، ولو مسمارًا زال عنه اسم الشهادة، وكذلك لاحتمال أن تكون نيته غير صواب، بأن ينوي بذلك الحمية أو أن يُرى مكانه"[٤]، فعلى المدعو ألا يتسرع في إصدار الأحكام علينا أن نفرق بين الحكم عليه والشهادة منا له.

خامسًا- من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ عن مصير أحد الناس:

يتضح ذلك في قوله ﷺ "كلا إني رأيته في النار" وهذا من دلائل نبوته ﷺ ومما يؤكد ذلك قول سهل بن سعد رضي الله عنه: ((إن رسولَ الله ﷺ الْتقى هو والمشركونَ فاقتَتَلوا، فلمّا مالَ رسولُ الله ﷺ إلى عسكرِهِ ومالَ الآخرون إلى عسكرِهم، وفي أصحابِ رسولِ الله ﷺ رجُلٌ لا يَدَعُ لهم شاذَّةً ولا فاذَّةً إلا اتَّبَعَها يَضرِبُها بسيفهِ، فقالوا: ما أجْزَأَ منّا اليومَ أَحَدٌ كما أَجزَأَ فلان، فقال رسولُ الله ﷺ: «أما إنه من أَهلِ النارِ»، فقال رجلٌ منَ القَومِ: أَنا صاحِبهُ، قال فخرَج معهُ كلَّما وَقَفَ وقَفَ معهُ، وإذا أسرعَ أسرَع معهُ، قال: فجُرِحَ الرجُلُ جرحًا شديدًا، فاستعجلَ الموتَ، فوَضَعَ نصلَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٥٥٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/ ٥٥٠.

سيفهِ في الأرضِ وذُبابَهُ بينَ ثدْيَيهِ، ثمَّ تحامَلَ على سيفِهِ فقتلَ نَفسَه، فخرجَ الرجُلُ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أشهد أنكَ رسولُ الله، قال: «وما ذاكَ؟» قال: الرجلُ الذي ذكرتَ آنفا أنهُ مِن أهلِ النار، فأعظمَ الناسُ ذلك، فقلتُ: أنا لكم بهِ، فخرجتُ في طلبهِ، ثمَّ جُرح جُرحًا شديدًا، فاستعجَلَ الموتَ فوَضعَ نَصلَ سيفهِ في الأرض وذُبابهُ بينَ ثَدييْهِ ثمَّ تَحامَلَ عليهِ فقتَل نَفسَهُ. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «إنَّ الرجُل ليَعملُ عملَ أَهلِ الجنَّةِ فيما يبْدو للناسِ وهو من أهلِ النار، وإنَّ الرجُلَ ليَعملُ عملَ أَهلِ النارِ فيما يَبدو للناسِ وهو من أهلِ الجنة»[1] وفي ذلك بيان على نبوته ﷺ.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الغلول وخطر الخيانة:

هذا ما ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة". قال النووي: (إن الغلول هو الخيانة في الغنيمة خاصة، وقال غيره هى الخيانة في كل شيء)[2]، وقد رهب الحق تبارك وتعالى من ذلك فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (إن هذا تهديد شديد ووعيد أكيد)[4]، فالآية بينت عظم جرم الغلول من الغنيمة فهو محرم تحريمًا قاطعًا، لأنه سرقة في مال الله، وبينت أن النبي ﷺ لا يمكن أن يغل هو، أو يقر غلول أحد، أو يسكت عنه، والغلول الأخذ من الغنيمة خفية، وإذا كان لا ينطبق عليه حد السرقة لأن مال الغنائم ليس في حرز مثله، ولأن المحارب له شبة حق فيه، والحدود تدرأ بالشبهات، إلا أن الله شدد في عقوبته في الآخرة وقد بين النبي ﷺ في الحديث شدة العقوبة بقوله: "كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة" فهذا غلول مهما تكون قيمته[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٩٨، ومسلم ١١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥١/٢.

(٥) انظر خاتم النبيين، محمد أبو زهرة، ١٠٨٢/٢.

قال السعدي رحمه الله: الغلول هو الكتمان من الغنيمة، والخيانة في كل ما يتولاه الإنسان، وهو محرم إجماعًا، بل هو من الكبائر كما تدل عليه هذه الآية الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبي أن يغل، لأن الغلول- كما علمت من أعظم الذنوب وشر العيوب[1]، وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في قوله: "إياكم والغلول، فإن الغلول خزى على صاحبه يوم القيامة"[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قام فينا النبيُّ ﷺ فذكرَ الغُلولَ فعظَّمهُ وعظَّم أمرَه، قال: لا أُلفينَّ أحدَكم يومَ القيامةِ على رقَبتهِ فرَس لهُ حَمْحَمة، يقول: يا رسولَ اللهِ أغِثني، فأقولُ: لا أملِكُ لكَ شيئًا، قد أبلغْتُك، وعلى رقبتهِ بعير لهُ رُغاءُ يقول: يا رسولَ اللهِ أغثْني، فأقول: لا أملِك لكَ شيئًا، قد أبلغتك. وعلى رقبتهِ صامِت فيقول: يا رسولَ اللهِ أغثْني، فأقولُ: لا أملكُ لكَ شيئًا، قد أبلغتك. أو على رقبتهِ رقاع تخفقُ، فيقول: يا رسولَ اللهِ أغثني، فأقول: لا أملكُ لكَ شيئًا قد أبلغتك"[3]، وفي ذلك بيان عظيم على حرمة الغلول والخيانة في الأموال العامة.

سابعًا- من أساليب الدعوة: الزجر والترهيب:

الزجر من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين إلى ما صدر عنهم من أخطاء، فضلاً عن استحضار أذهانهم لمعرفة ما يصح فعله، وقد ورد الزجر كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "كلا"، أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "إني رأيته في النار"، "ومما لا شك فيه أن الترهيب من أنجح الأساليب الدعوية للنفس البشرية في كونها قد جبلت على النفور من الضيق والعذاب، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة"[4]، وهذا ما ورد في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٢.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٣٣٠ رقم ٢٢٧٩٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٧/٤٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٧٣، ومسلم ٩٨٧، ١٨٣١.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ٤٢١.

الحديث من ترهيبه ﷺ من الغلول وبيان أن عاقبة صاحبه في النار، وذلك من قوله ﷺ: "إني رأيته في النار".

الحديث رقم (٢١٧)

٢١٧- وعن أَبي قَتَادَةَ الْحارثِ بنِ ربعي ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ أَنَّهُ قَام فِيهمْ، فذَكَرَ لَهُمْ: أَنَّ الْجِهادَ فِي سبيلِ اللَّه، وَالإِيمانَ بِاللَّه أَفْضلُ الأَعْمالِ، فَقَامَ رَجلٌ فقال: يا رسول اللَّه أَرَأَيْت إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّه، تُكَفَّرُ عنِي خَطَايَايَ؟ فقال لَهُ رسولُ اللَّه ﷺ: «**نعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّه وأَنْتَ صَابِرُ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيْرَ مُدْبِرٍ**» ثُمَّ قال رسول اللَّه ﷺ: «**كيْف قُلْتَ؟**» قال: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيل اللَّه، أَتُكَفَّرُ عني خَطَاياي؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نَعمْ، وأَنْت صابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقبِلٌ غَيْرَ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْن فَإِنَّ جِبْرِيلَ قال لِي ذلِكَ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: هو أبو قتادة بن رِبْعي الأنصاري الخزرجي، مختلفٌ في اسمه، والمشهور أنه الحارث فارس رسول الله ﷺ[2] شهد أحدًا وشهد ما بعدها، وكان له بلاء كبير في المغازي والمعارك، فقد كان رجل المهام الخاصة الصعبة، وكان يختار أشد الأعداء قوة يبادرهم فيقتلهم، لذا استحق أن يقول عنه النبي ﷺ في غزوة ذي قَرَدٍ [اسم مكان]: ((كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة))[3]. ولما رأى يوم حنين رجلاً من المشركين قد علا المسلمين قصده، قال: فاستدرت له حتى أتيته من ورائه فضربته بالسيف على حبل عاتقه[4] فأقبل عليّ فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلني... الحديث[5].

وكان يحرس النبي ﷺ ويرعاه ويكلؤه في السفر، فقد خرج معه ﷺ فقال:

---

(١) برقم (١١٧/١٨٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٣١٥).

(٢) أخرجه مسلم ١٨٠٧، ١٣٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٠٧، ١٣٢.

(٤) حبل عاتقه: هو ما بين العنق والكتف قاله النووي شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (٦/٥١).

(٥) أخرجه مالك في الموطأ (١٨٩٦) والبخاري (٣١٤٢) ومسلم (٤١-١٧٥١).

بينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابْهَارَّ الليل [أي انتصف] وأنا إلى جنبه فنعس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته فأتيتهُ فدعمته[١] من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهوّر الليل [أي ذهب أكثره] مال عن راحلته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل [أي يسقط] فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال: حفظك الله بما حفظت به نبيّه[٢] وفي رواية: حفظك الله كما حفظتنا منذ الليلة لا أُرانا إلا قد شققنا عليك[٣].

وفي عهد الخلفاء ظلّ رجلَ المهامِ الجسيمة، فقد بعثه عمر بن الخطاب في جيش لقتال الفرس، فقتل ملكهم بيده.

وكان بعض الصحابة يرونه أفضل منهم وأخير، قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: أخبرني من هو خير مني -أبوقتادة- أن رسول الله ﷺ قال لعمار: ((تقتلك الفئة الباغية))[٤]، ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وولاه على مكة.

وقد اختلف في وفاته: فقيل: توفي بالكوفة ٣٨هـ وصلّى عليه عليٌّ. وقيل: ٤٠. وقيل: توفي بالمدينة ٥٤. ورجح الحافظ ابن حجر أنه متأخر عن وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥].

---

(١) أي أقمت ميله من النوم وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها. شرح صحيح مسلم، للنووي (١٥٧/٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣١١-٦٨١).

(٣) أخرجه أحمد ٣٠٢/٥ رقم ٢٢٥٧٥، وقال محققو المسند: رجاله ثقات ٢٦٧/٣٧.

(٤) أخرجه مسلم (٧٠-٢٩١٥).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٥/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٤/٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٣٦، والسير (٤٤٩/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٠٢/٨)، والتهذيب (٥٧٣/٤)، و الأعلام (١٥٤/٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٢٠٨٠/٣).

غريب الألفاظ:

تكفّر: تستر وتغفر[١].

محتسب: مبادر إلى تحصيل الأجر بالتسليم والصبر[٢].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يجمع بين دقة المعنى وسهولة اللفظ، وقوة الإقناع، وحسن الإمتاع، وكل حديث يتزيَّ بزيٍّ بياني مشوق، ومع تعدد الأحاديث في المعنى الواحد فإن القارئ لا يشعر بالملل، ولا يتسرب إليه أي خاطر من شبهة التكرار المعيبة، ولكنه التكرار المفيد، ففي كل حديث يشرق معنى جديد، ويتوهج مقصد فريد، وذلك ينشأ من تجديد في الصياغة، ومن تنويع في الأساليب، ومن إضافة بعض الكلمات والجمل والصور التي تكسب الحديث إلقاءً صادقًا، وتأثيرًا شائقًا ، وإقناعًا فائقًا.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يقدم درسًا في قيمة الجهاد في الإسلام، ومكانة الشهداء عند الله وعند الناس، وأثر هذه القيمة في غرس الإحساس بالإباء والعزة في نفس كل مسلم، والدفع به إلى الدفاع عن عقيدته ونفسه وماله وعرضه ووطنه، وكل ما يقوى هذا الدين، ويحفظ له مكانته بين العالمين، وأول ظاهرة أسلوبية تدعو للتأمل والتفكر: هي ظاهرة الحوار، فالحديث حوار واقع بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة رضي الله عنهم، وهذا الحوار يفصح عن تأصيل المنهج التربوي في الإسلام، وعن اتساع صدر رسول الله ﷺ لكل التساؤلات والاستفسارات: لأن إجابته تشريع، ورأيه حكم، وإتباع آرائه غنم، ومخالفتها غرم، والحوار كان في سياق خطبة من خطب الرسول ﷺ، وكأن الحوار أصبح جزءًا من الخطبة، ولم يعترض الرسول ﷺ: لأن المقام مقام تعليم وتشريع، وليس مقام إنشاء وتقريع.

وللراوي دور في توصيل كلمات رسول الله ﷺ وقوله: "قام فيهم" ترشد إلى أن

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٢) المرجع السابق في (ح س ب).

المقام كان للخطابة، والراوي تتسق روايته عن قيمة الجهاد مع سماته الشخصية فهو فارس رسول الله ﷺ، كما يقول العلماء، والجملة التي رواها الحارث بن ربعى في بداية الحديث جاءت في إطار التوكيد وهى جملة اسمية: ثابتة الدلالة في أن الجهاد والإيمان بالله أفضل الأعمال وقيل على تقديره من أفضل الأعمال.

وتبدأ المحاورة بين أحد الصحابة رضي الله عنهم وبين رسول الله ﷺ حول علاقة الجهاد بتكفير الخطايا، لأن الرجل ظن أن المذنب لا يجاهد، أو لا يقبل منه جهاده إذا ارتكب خطأ، ولكن الحق سبحانه يفتح باب التوبة لكل مسلم، يعود إلى حديقة الإيمان، والتوبة هنا ليست قولاً فارغًا من المضمون العملي، والدليل الحركي، ولكنها توبة عملية يبرهن عليها الاستشهاد في سبيل الله، والدفاع عن راية الإسلام، وجاء سؤال الرجل في صيغة الجواب والشرط التي صدرت بالاستفهام وصدر جوابها بالاستفهام الحقيقي الذي يتوج بما يتمناه الرجل وهو أن تكفر عنه خطاياه إن قتل في سبيل الله، وبني الفعل "تكفر" للمعلوم، لأن الفاعل غير مجهول لأي مؤمن: فالله غافر الذنب وقابل التوب ولا يكفر الذنوب إلا الله.

ويُطمئن رسول الله ﷺ هذا الصحابي المشوق للجهاد والاستشهاد والتوبة: ولكن مواجهة الأعداء، والإقدام على الاستشهاد له شروط وهى: الصبر والاحتساب، والإقبال، وعدم الإدبار، وهذه الصفات المطلوبة جاءت في صيغة اسم الفاعل (صابر – محتسب – مقبل – غير مدبر) حتى يتأكد صدق النية، والقيام الحقيقي بالفعل، ويتكرر الحوار مرة ثانية، وتأتي الإجابة مطمئنة ولكنها تشير إلى ضرورة رد الحقوق وقضاء الديون.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ومن عليه دَيْن حالّ أو مؤجل لم يجز له الخروج إلى الغزو إلا بإذن غريمه، إلا أن يترك وفاءً أو يقيم به كفيلاً، أو يوثقهِ بَرهْنٍ، وبهذا قال الشافعي ورخص مالك في الغزو لمن لا يقدر على قضاء دينه. لأنه لا تتوجه المطالبة به ولا حبسه من أجله، فلم يمنع من الغزو كما لو لم يكن عليه دين. ولنا أن الجهاد

نقصد منه الشهادة التي تفوت بها النفس، فيفوت الحق بفواتها، وقد ورد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن قتلت في سبيل الله صابرًا محتسبًا تكفر عني خطاياي؟ قال: ((نعم إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك)) رواه مسلم[١].

وأما إذا تعيّن الجهاد فلا إذن لغريمه، لأنه تعلّق بعينه، فكان مقدمًا على ما في ذمته كسائر فروض الأعيان، ولكن يستحب له أن لا يتعرض لمظان القتل من المبارزة والوقوف في أول المقاتلة، لأن فيه تقريرًا بتفويت الحق، وإن ترك وفاءً أو أقام به كفيلاً فله الغزو بغير إذن. نص عليه أحمد، في من ترك وفاءً، لأن عبدالله بن حرام أبا جابر بن عبدالله خرج إلى أُحُدٍ وعليه دين كثير فاستشهد وقضاه عنه ابنه بعلم النبي ﷺ ولم يذمّه النبي ﷺ على ذلك ولم ينكر فعله بل مدحه، وقال: ((ما زالت الملائكة تظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه))[٢] وقال لابن جابر: ((أشعرت أن الله أحيا أباك وكلّمه كفاحًا[٣]))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥/١١٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٩٣، ومسلم ٢٤٧١.

(٣) كفاحًا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ح)، والحديث أخرجه الترمذي ٣٠١٠، و ابن ماجه ١٩٠، ٢٨٠٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٣/٢٧-٢٨، وانظر: اختلاف الفقهاء في ذلك في (٤٤١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/٢٢١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢/١٧٥، وجواهر الإكليل شرح مختصر خليل، صالح عبدالسميع الآبي الأزهري ١/٢٥٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٨/٥٦، ٥٧، وروضة الطالبين ١٠/٢١٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٣٥-١٣٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد في سبيل الله والإيمان به عز وجل.

ثالثًا: من صفات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم لما ينفعهم.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.. والاستدراك.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: إخلاص النية لله تعالى في الجهاد.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على أداء الدين.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن مما يستنبط من هذا الحديث الخطبة، حيث وردت الإشارة إليها في قول الراوي: "إن رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر لهم"، (والخطبة من وسائل الدعوة المهمة التي يستطيع الداعية من خلالها تبليغ دعوته للمدعوين بشكل مباشر فضلاً عن أنها أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل فهي أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس، وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته لكثرة فائدته، وعظيم جدواه)[1].

وعلى الداعية في خطبته مراعاة بعض الأمور المهمة منها: الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية لها من قِبل الرسول الكريم والرسل الكرام - صلوات الله وسلامه عليهم- والصحابة الكرام رضي الله عنهم، فإن ذكر التطبيق يجعل معنى الآية والحديث مشهودًا محسوسًا.

- يستعين بالقصص الواردة في الكتاب والسنة ولا بأس من تصوير المعاني بشكل

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها وسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩، وانظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان، ص ١٠٦.

قصصي وضرب الأمثال.

-أن لا يطيل في الخطبة إلا إذا اقتضت الضرورة إطالتها.

-أن يكون كلام الداعي بسيطًا واضحًا لأن الذين يسمعونه ليسوا في مستوى واحد من العلم والقدرة على فهم الخطاب، فإذا اختار الأسلوب البسيط الواضح والعبارات القصيرة انتفع بها الجميع وفهمها الجميع.

-على الداعية أيضًا في خطبته أن لا يسرع في كلامه، ولا يرفع صوته بلا حاجة[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد في سبيل الله والإيمان به عز وجل:

لقد ورد في الحديث ما يدل على ذلك من قوله ﷺ: (إن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال)، وفي بيان ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

قال السعدي: (هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجلّ مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم.

وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل معتبر، ويسمو إليه كل لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: (تؤمنون بالله ورسوله).

ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به، المستلزم لأعمال الجوارح التي من أجلّها الجهاد في سبيله، فلهذا قال: (وتجاهدون في

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٧٤-٤٧٦.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٢.

سبيل الله بأموالكم وأنفسكم)، بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد دين الله، وإعلاء كلمته.

وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك وإن كان كريهًا للنفوس، شاقًا عليها، فإنه (خير لكم إن كنتم تعلمون)، فإنه فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر، وانشراحه.

والخير الأخروي، بالفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة فقال: (يغفر لكم ذنوبكم) وهو شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله، والجهاد في سبيله مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر.

(ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)، أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها كل من كل الثمرات.

(ومساكن طيبة في جنات عدن)، أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع وحسن بناء وزخرفة.

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءآهم أهل الجنة، كما يُتَرَاءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي، أو الغربي.

وحتى إن بناء الجنة بعضه من لَبِنٍ ذهب، وبعضه من لَبِنٍ فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد، والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقرّ به أعينهم.

ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه، ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه.

وتبارك الجليل الجميل، التي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما

يبهر عقول الخلق، ويأخذ بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، الذي من جملتها، أنه لو رأى العباد الجنة، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هنأهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وفرحها بترحها.

وسميت جنة عدن لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدًا، ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، هو الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكر بقوله: (وأخرى تحبونها)، أي: يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: (نصر من الله) لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح.

(وفتح قريب) تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين)[1].

ثالثًا- من صفات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم لما ينفعهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في دلالته ﷺ على الخير وإرشاده المدعوين لما فيه النفع والصلاح لهم في الدنيا والآخرة، وذلك في بيانه ﷺ لأفضل الأعمال، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[2].

وحثّ النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[3]، وفي ذلك عظيم الأجر والفائدة.

رابعًا- من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه:

قد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك من قول الراوي: (فقام رجل فقال: يا رسول الله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٩٧ - ٧٩٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطايا؟) وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستفهام عما أشكل وخفي عن المرء حتى يكون على بصيرة من دينه، فيعبد الله على علم، فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

قال السعدي: (إن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث وفي ضمنه تعديل لأهل العلم، وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجهل من التبعة، فدلّ على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم والاتصاف بصفات الكمال)[٢].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والاستدراك:

إن السؤال والجواب والاستدراك من الأساليب الدعوية التي تعمل على لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لمعرفة ما يكون من جواب وما يعقب الاستدراك من بيان، وقد ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث من قول السائل: (أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟) فقال له رسول الله ﷺ: (نعم... إلخ) وقد ورد أسلوب الاستدراك في الحديث من قوله ﷺ: (كيف قلت؟).

سادسًا- من موضوعات الدعوة: إخلاص النية لله تعالى في الجهاد:

(النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها. والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى))[٣]، ثم بيّن في الجملة الثانية أن العامل ليس من له عمله إلا ما نواه. وهذا يعم العبادات والمعاملات، والأيمان، والنذور، وسائر العقود والأفعال)[٤].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

وهذا ما أكده النبي ﷺ في الحديث من قوله: "وأنت صابر محتسب"، قال القاضي عياض: (وقوله للذي سأله في تكفير خطاياه إن قتل في سبيل الله، قال: "نعم إن قتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر" فيه: أن الأجر في ذلك لمن صدقت نيته، واحتسب أجره ولم يقاتل حمية، ولا طلب دنيا، ولا طلب ذكر وثناء، وأن من قُتِل مُدْبرًا - أي فارًا- فإنه ليس له من هذا الأجر شيء)[١].

وقال النووي: (والمحتسب هو المخلص لله تعالى فإن قاتل لعصبية أو لغنيمة أو لصيتٍ أو نحو ذلك فليس له هذا الثواب ولا غيره)[٢].

وهذا ما أكده النبي ﷺ، فعن أبي موسى رضي الله عنه: جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: الرجُلُ يُقاتلُ للمَغنم، والرجُلُ يُقاتلُ للذِّكر، والرَّجلُ يقاتلُ ليُرَى مكانهُ، فمَنْ في سبيلِ اللهِ؟ قال: ((مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا فهو في سبيلِ الله))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ، وَهُوَ يُرِيدُ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ أَجْرَ لَهُ))، فَأَعْظَمَ ذلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفْهِمْهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضَ الدُّنْيَا؟ قَالَ: ((لاَ أَجْرَ لَهُ))، فَأَعْظَمَ ذلِكَ النَّاسُ، وَقَالُوا: عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ: رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: ((لاَ أَجْرَ لَهُ))[٤].

وفي ذلك بيان على أهمية إخلاص النية لله تعالى في الجهاد حتى ينال المرء عظيم الثواب من الله.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٣/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٥١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٦)

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله:

لقد ورد في هذا الحديث ما يدل على فضل الشهادة في سبيل الله في قول الراوي: (فقام رجل فقال: يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: (نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر)، قال النووي: (وفي الحديث هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين، وإنما يكون تكفيرها بهذه الشروط المذكورة وهو أن يقتل صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ عِظم فضل الشهادة في سبيل الله فقال: ((إنَّ أرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ في طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ أو شَجَرِ الْجَنَّةِ))[٢]، وقال ﷺ: ((للشَّهِيدِ عندَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ في أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ (الْعِينِ)، وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ مِنْ أقَارِبِهِ))[٣].

فالشهادة في سبيل الله تعالى من أسمى الغايات وأجلّ الأمنيات، وحري بالمرء أن تتوق نفسه لنيلها، وأن يحدّث قلبه بطلبها، لعل الله بكرمه عليه ومنته أن يكرمه بها، فإن وجد اللهُ تعالى من عبده صدقًا وعزمًا في ذلك، بلّغه منازل الشهداء وإن مات على فراشه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ))[٤]، وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ اللّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ))[٥]. قال النووي: (والمعنى أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٦٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٩).

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٠٨.

(٥) أخرجه مسلم ١٩٠٩.

فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نية الخير)[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على أداء الدين:

لقد أشار الحديث إلى عظم ذلك الأمر في قوله ﷺ: (نعم وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين)، قال القاضي عياض: (وقوله: "إلا الدين" فيه تنبيه على أن حقوق الآدميين والتبعات التي للعباد لا تكفرها الأعمال الصالحة، وإنما تكفر ما بين العبد وربه، ويكون هذا فيمن له بقضاء ما عليه من الدين وأتلفه على صاحبه عن علم أو عزة من ذمته وملائه، واستدانة في غير واجب، وتحذيرًا وتشديدًا لمن يسارع لإتلاف أموال الناس بهذا الوجه)[٢]. (وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم هذا الأمر فكانت أطول آية في كتاب الله آية الدين وقد أمر فيها -سبحانه وتعالى- بكتابته فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾[٣]، لما في ذلك من حفظ للحقوق)[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية أداء الدين، وقد أشار ابن عثيمين (إلى أن الحديث يدل على أن الشهادة إذا قاتل الإنسان في سبيل الله صابرًا محتسبًا مقبلاً غير مدبر، فإن ذلك يكفر عنه خطيئاته وسيئاته إلا الدّين، إذا كان عليه دَيْن فلا يسقط بالشهادة لأنه حق آدمي، وحق الآدمي لا بد من وفائه)[٥].

وفي تأكيد ذلك قال محمد بن جحش: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا حَيْثُ تُوضَعُ الْجَنَائِزُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ قِبَلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ خَفَضَ بَصَرَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا أُنْزِلَ مِنَ التَّشْدِيدِ)). قَالَ: فَعَرَفْنَا وَسَكَتْنَا حَتَّى إِذَا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٣/٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٢١/١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين ٥٥١/١.

كَانَ الْغَدُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: مَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نَزَلَ؟ قَالَ: ((فِي الدَّيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قُتِلَ رَجُلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ، ثُمَّ عَاشَ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ))[1].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٤١٢ رقم ٢٢٥٩، وقال: حديث صحيح الإسناد.

الحديث رقم (٢١٨)

٢١٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسولَ اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «**أَتَدْرُون من الْمُفْلِسُ؟**» قالُوا: الْمُفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فقال: «**إنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقيامةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وزَكَاةٍ، ويأْتِي وقَدْ شَتَمَ هذا، وقذَف هذَا وَأَكَلَ مالَ هَذَا، وسفَكَ دَم هذَا، وَضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذَا مِنْ حسَنَاتِهِ، وهَذا مِن حسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حسناته قَبْلَ أَنْ يقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عليْه، ثُمَّ طُرِح في النَّارِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المتاع: كل ما يُنتفع به ويُرغب في اقتنائه، كالطعام، وأثاث البيت، والسلعة ونحو ذلك[2].

سفك: سفك الدماء: الإراقة والإجراء لكل مائع، والمقصود: القتل وإزهاق الأنفس والاعتداء[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يعرض لنماذج بشرية تعيش في ازدواجية سلوكية، ومفارقة حياتية، فهم يظنون أن العبادة محصورة في زمانها ومكانها، ووقت أدائها، وهم في انفصال حقيقي بين أداء عبادتهم وإيقاع حياتهم فالصلاة لديهم أقوال وأفعال: مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، ولكن في معترك الحياة يفتقدون ثمرة الصلاة، ولا يتورعون عن ارتكاب الفحشاء والمنكر، وهم لا يدركون القاعدة الإسلامية التي

---

(١) برقم (٢٥٨١/٥٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٨٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ت ع).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ف ك).

صاغها رسول الله ﷺ في قوله موضحًا حقيقة المنهج الإسلامي في ضرورة الارتباط بين العبادة والسلوك "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له"، وكذلك الصيام ليس مجرد إمساك عن الطعام والشراب، ولكن اللسان يصوم، والعين تصوم، واليد تصوم، وكل جوارح الإنسان تصوم: أى تمسك عن اقتراف الآثام، وارتكاب المحرمات، والابتعاد عن الإضرار بالمسلمين وغيرهم من أهل الكتاب الذميين، وكذلك الزكاة ليست مقدارًا من المال يدفع في غياب النية الصالحة، وفي غياب السلوك الرشيد القويم.

وفي هذا الجو المشحون بهذه المفارقات، والسلوكيات المرفوضة، وحالة الازدواج التي تسيطر على حياة كثير من المسلمين وهم في غفلتهم سادرون، وفي ظنونهم لاهون، وعن الحقيقة الباهرة معرضون!! تشرق دلالات هذا الحديث الشريف، الذي يبدأ بسؤال حقيقي وإرشادي من رسول الله ﷺ، حيث يقول لأصحابه محذرًا ومنبهًا "أتدرون من المفلس"، وهذا السؤال فيه تشويق يشد السامع ويدعوه إلى الانتباه، والبحث عن الإجابة الصحيحة، وقد أجاب الصحابة رضي الله عنهم بما يعرفون من أمور الدنيا المشاهدة والمحسة، ومن خبراتهم وتجاربهم الحياتية، ولكن إجابة رسول الله ﷺ جاءت على غير ما يتوقعون، فالمفلس حسب المنظور المادي، هو الفقير الذي لا درهم له ولا متاع، ولكن هذا التوصيف للمفلس لا يعد في المنظور الإيماني ، ولا في التصور الإسلامي إفلاسًا: لأن الفقير قد يكون غنيًا في نفسه، قانعًا برزقه، متمتعًا بنعم كثيرة غير المال، قد أنعم الله عليه بها مثل الصحة، وراحة البال، ونجابة الأبناء وحب الناس، والبركة في الرزق، والقناعة بالقليل، وليس كل ذي مال غنيًا في نفسه، متمتعًا بالسكينة والرضا، بل يظل بعضهم في حاجة إلى المزيد، وفقره بين عينيه لا يقنع بما حصله من مكاسب، بل يطمع في تحصيل المزيد من الرغائب، وبعض الناس يعلن إفلاسه وهو لا يدري، فهو يعيش في ازدواجية سلوكية بين عبادته وعمله، إنه دائم العبادة، ولكنه في غياب عن تطبيقها والانتفاع بثمارها فهو يصلي ولا ينهي عن الفحشاء والمنكر، وهو يزكي ويصوم، ولكن لا يتورع ولا يطهر جوارحه، وتظل حياته مرآة منكسرة،

وعلاقته بالآخرين مشوهة لأنه لا يتوانى عن الشتم والقذف وسفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل.

وهذه الصورة السلبية للمسلم في حياته قُدمت في إطار أسلوبي مشحون بكثير من طاقات التأثير والإقناع ومنها السؤال والجواب، في بداية الحديث، والتأكيد في صدر إجابة رسول الله ﷺ، وتكرار اسم الإشارة ست مرات لتحديد الطوائف الذين ظلمهم بسلوكياته الفاسدة، وكذلك توالي الأفعال الماضية في سياق توصيف الحالة التي يأتي عليها ذلك المفلس يوم القيامة، حكاية وتصويرًا لماضيه الضال في دنياه التي انتهت على هذا النحو: (وقد شتم، وقذف، وأكل، وسفك، وضرب)، ويوم القيامة يقتضي منه المظلومون: بأخذ حسناته، ثم يتحمل بعض خطاياهم إذا فنيت حسناته، وقوله "فطرحت عليه"، يصور مدى ثقل هذه الخطايا، ومصيره الإفلاس حيث فقد رصيده من الحسنات، وزاد رصيده من السيئات والخطايا، ومثواه النار وبئس القرار.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة وبيان الحقائق للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم والوقوع في المحرمات.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأموال والأنفس والأعراض.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى بين الخلائق.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد السؤال والجواب كأسلوب دعوي مهم في الحديث من قوله ﷺ: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع..."، (والسؤال والجواب من أساليب الأداء البياني التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين ووضعهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب

على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن)[١].

ثانيًا- من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة وبيان الحقائق للمدعوين:

إن من واجبات الداعية المستنبطة من هذا الحديث، تصحيح المفاهيم التي تشيع بين الناس وبيان حقيقة الأمر فقد سأل النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم عن المفلس؟ فقالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع.. ولكن النبي ﷺ صحح ذلك الفهم الخاطئ فقال: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا... إلخ".

قال النووي: (إن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال، ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسًا وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المنقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار)[٢]، فعلى الداعية تصحيح ما التبس من أخطاء في أذهان المدعوين وبيان حقيقة الأمور لهم مقتديًا في ذلك بهدى النبي ﷺ وممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم والوقوع في المحرمات:

هذا ما أشار إليه سياق الحديث، حيث بين أن الظلم للإفلاس المهلك يوم القيامة، فقال ﷺ "إن من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار" (فهذا أحق باسم المفلس، إذ تؤخذ منه أعماله التي تعب في تصحيحها

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٥٨-٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

بشروطها حتى قبلت منه، فلما كان وقت فقره إليها أخذت منه ثم طرح في النار، فلا إفلاس أعظم من هذا ولا أخسر صفقة ممن هذا حاله، ففيه ما يدل على وجوب السعي في التخلص من حقوق الناس في الدنيا بكل ممكن والاجتهاد في ذلك، فإن لم يجد إلى ذلك سبيلاً فالإكثار من الأعمال الصالحة، فلعله بعد أخذٍ ماعليه تبقى له بقية راجحة، والمرجو من كرم الكريم لمن صحت في الأداء نيته، وعجزت عن ذلك قدرته أن يرضى اللهُ عنه خصومَه، فيغفر للمطالِب والمطلوب ويوصلهم إلى أفضل محبوب[1].

وقد رهب الحق تبارك وتعالى من ذلك فقال في الحديث القدسي "يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا"[2]. وقال ﷺ: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[3]، قال النووي: (قال القاضي: قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم، وبإيمانهم ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4]، أي: شدائدهما ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات)[5].

وقال ﷺ، محذرًا من الظلم والوقوع في المحرمات: (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)[6]، وفي ذلك بيان على أهمية التحذير من الظلم والوقوع في المحرمات.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ٥٦٣/٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٣.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٤٩.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأموال والأنفس والأعراض:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته... إلخ". وقد أوجب الشرع الحدود والقصاص حماية للأموال والنفس والأعراض، فقال تعالى في حماية الأنفس: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]. وفي الحفاظ على الأموال وحمايتها قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]. وفي الحفاظ على الأعراض قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[3].

وقد أكد النبي ﷺ حماية ذلك في حجة الوداع فقال: "إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا"[4]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحفاظ على الأموال والأنفس والأعراض كهدف من أهداف الدعوة الواجب تحقيقها.

لقد جاء الإسلام بآدابه وأحكامه الشرعية، وهي كلها ترجع إلى المحافظة على أمور خمسة: الدين والنفس والمال والعقل والنسل، وذلك لأن الدنيا التي يعيش فيها الإنسان تقوم على هذه الأمور الخمس، ولا تتوافر الحياة الإنسانية الرفيعة إلا بها، ولهذا كان تكريم الإنسان في المحافظة عليها، فالدين لا بد منه للإنسان الذي تسمو معانيه الإنسانية به، فلا بد أن يسلم له دينه من الاعتداء.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) سورة النور، آية: ٤.

(٤) أخرجه مسلم ١٢١٨.

والمحافظة على النفس هي المحافظة على حق الحياة العزيزة الكريمة والمحافظة على النفس تقتضي حمايتها من كل اعتداء عليها بالقتل أو قطع الأطراف أو الجروح، كما أن من المحافظة على النفس المحافظة على الكرامة الإنسانية بمنع القذف والسب، وغير ذلك من كل أمر يتعلق بالكرامة الإنسانية.

والمحافظة على المال تكون بمنع الاعتداء عليه بالسرقة والغصب ونحوهما وتنظيم التعامل بين الناس على أساس من العدل والرضا، وبالعمل على تنميته ووضعه في الأيدي التي تصونه وتحفظه، وتقوم على رعايته، فالمال في أيدي الآحاد قوة للأمة كلها، ولذا وجبت المحافظة عليه بتوزيعه بالقسطاس المستقيم، وبالمحافظة على إنتاج المنتجين وتنمية الموارد العامة، ومنع أن يؤكل بين الناس بالباطل وبغير الحق الذي أحله الله تعالى لعباده.

ويدخل في المحافظة على المال كل ما شرع للتعامل بين الناس من بيوع وإجارات، وغيرهما من العقود التي يكون موضوعها المال[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان عدل الله تعالى بين الخلائق:

"إن الله تعالى هو الحق العدل الذي لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول إلا الحق ولا يفعل إلا الحق"[2]، وهذا ما أكده نص الحديث في عدله تعالى عند حكمه بين عباده يوم القيامة، واقتصاصه من الظالم للمظلوم، وإعطاء كل ذي حق حقه، وذلك من الحديث في قوله ﷺ: "فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه"، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[3].

قال السعدي: (يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا

---

(١) انظر: أصول الفقه، محمد أبو زهرة ص ٣٦٦-٣٦٩.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، ١٤١/١، نقلاً عن الحليمي.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

جمعهم يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن به الحسنات والسيئات "فلا تنقص نفس"، مسلمة ولا كافرة "شيئًا" بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها)[1]. وفي ذلك بيان على عدل الله تعالى بين الخلائق.

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

قد ورد الترهيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "ثم طرح في النار"، وقد بين د. علي عبدالحليم (أن الترهيب هو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[2].

وهذا ما ورد في الحديث من ترهيبه ﷺ من الظلم والوقوع في المحرمات.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٧٣.

(٢) فقه الدعوة ١/٢٣٢.

الحديث رقم (٢١٩)

٢١٩- وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَنَا بشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحنَ بحُجَّتِهِ مِنْ بَعْض، فأَقْضِي لَهُ**[1] **بنحْو ما أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**» متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

ألحن: أعلم[3].

الجُحَّة: الدليل والبرهان وما يدل على صحة الدعوى[4].

الشرح الأدبي

يبدأ هذا الحديث ببارقة من بوارق البيان النبوي تتوهج كلماتها بكثير من الإيحاءات والدلالات، وهذه البارقة المشعة تصاغ في أسلوب القصر والتأكيد، ولكن التساؤل الذي يموج بعقل كل من يتدبر الحديث هو، ما علاقة هذه البداية بالقضية التي ينبه إليها الحديث: وهى أخذ حق الغير، بالطرق المشروعة ظاهرًا، وهذا كأنه قطعة من النار، فما بالنا إذا كان الحق مغتصبًا ومنهوبًا!!. إن هذه البداية التي تؤكد مثلية الرسول لنا في البشرية في قوله ﷺ: "إنما أنا بشر"، تشير إلى أنه لا يعلم الغيب ولا يدرك ما يخفيه المتخاصمان عنه فيقضي بما يسمع: أى حسب الشواهد والأدلة الظاهرة.

وإنما ابتداء الحديث بهذه الجملة تنبيهًا على أن السهو والنسيان غير مستبعد عن

---

(١) (له) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٢٤٥٨)، وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٦٩)، ومسلم (١٧١٣/٥)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٩/٤، رقم ٣٤٤٦).

(٣) رياض الصالحين ١٣٩.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥٤.

الإنسان، وأن الوضع البشري يقتضي أن لا يدرك من الأمور إلا ظواهرها، وقد بين الرسول ﷺ في الحديث أنه كباقي البشر يقضي بينهم برأيه فيما لم ينزل عليه فيه وحي.

وفي البارقة الثانية يتكرر التأكيد مع الإيحاء بضرورة الصدق في القول، وعدم إخفاء الشواهد والأدلة حتى لاتغيم الرؤية أمام القاضي، والقاضي هنا محمد رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين، وهو الذي قال: ((يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها. وقال لأسامة بن زيد رضي الله عنهما أتشفع في حدٍ من حدود الله))[1]. يقول: "وإنكم تختصمون إلي"، ومادة الافتعال الكائنة في الاختصام ترشد إلى تفاعل الخصومة بين الطرفين أو بين جميع أطراف الخصومة، وكل يدعى أنه صاحب الحق فالفعل "اختصم" يفصح عن هذه المشاركة والتأكيد في بداية الجملة "إنكم" وخطاب الجمع وواو الجماعة في "تختصمون"، كل هذا يرشد إلى أن القضية ليست قضية فردية: ولكنها قضية جماعية، وهى تتكرر في كل زمان ومكان، أمام القضاة والولاة وفي المحاكم، والجملة الثالثة في ترتيبها التصاعدي الناتج عن إيحاء الجملتين السابقتين، "ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض" عقدة القضية، وبؤرة المفارقة، فقوله: "ألحن" أي ألسن، وأفصح وأبين كلامًا وأقدر على الحجة، وللحن عند العلماء دلالتان: إحداهما مذمومة والأخرى محمودة، فالمذمومة تتمثل في صرف الكلام عن سننه الجاري عليه بإزالة الإعراب والتصحيف، والخطأ في نطق الكلام، والمحمودة، تتمثل في إزالة الكلام عن التصرح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، كما قال الشاعر العربي، "وخير الحديث ما كان لحنًا"، ولكن مدلول اللحن في الحديث ظاهره محمود، وباطنه مذموم: لأن القدرة على الإبانة والإفصاح هنا في غير موضعها: تحجب الحقيقة عن القاضي، وتتمثل هذه الظاهرة في قول رسول الله ﷺ "فأَقْضِي له بنحو ما أسمع"، والفاء تدل على الإسراع في إصدار

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٨٨.

الحكم، وقوله بنحو ما أسمع يحدد مصدر الدليل الذي استند إليه رسول الله ﷺ وهو الكلام الظاهر الذي سمعه، وهو كلام لا يطابق الحقيقة، ثم يحذر رسول الله ﷺ الأمة كلها من الانزلاق إلى هذه الهاوية: وهى تزييف الحقائق، وتزوير الكلام، والكذب في الادعاء، فيقول: "فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار"، وما أدق هذا التعبير، وما أعظمه في إشاعة الإحساس بالأخوة الإيمانية في قوله: "بحق أخيه"، ولم يقل بحق غيره، وهذا الحق المسلوب الذي شبهه الرسول بقطعة من النار تضع أمام كل من يخادع ويضلل العدالة مصيره المحتوم، وفي ذلك تحذير لكل من يسعى عن طريق القضاء الذي لا يعتمد إلا على ظواهر الأمور، للحصول على حق أخيه في الإسلام، ويمكن أن يكون الحصول على هذا الحق المزور بالتدبير والترصد مع سبق الإصرار: عن طريق المحامين الذين يتحايلون ، ويجمعون الأدلة والوثائق عن طريق التزوير، وشهادات الزور، أو التهديد، أو الرشوة، وغير ذلك من صور الكذب والتضليل، وقد تفشت هذه الظاهرة في المجتمعات المعاصرة؛ وتظل كلمات المصطفى شموسًا وأقمارًا تضيء آفاق نفوسنا وحياتنا المظلمة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: قضاء القاضي بما يظهر له، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن القاضي يحكم بما يراه من ظاهر الأمور والأدلة ويجتهد في ذلك، ولا يكون مقيدًا له إلا الأدلة الواضحة، فالبينة على من ادعى واليمين على من أنكر.

الثاني: هل يبيح حكم الحاكم للإنسان ما ليس له؟ وقد سبق الكلام عنها

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٠/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥/٧ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٢٤/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢٢٠/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٠٦/٤، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٣٩/١٠، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥١٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٤/٦.

تفصيلاً في الحديث رقم (٢١٤).

الثالث: قضاء القاضي بعلمه، ولا خلاف بين الفقهاء[1] في أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه في الحدود الخالصة لله تعالى، كالزنا وشرب الخمر، أما قضاؤه بعلمه في حقوق الآدميين فقد اختلف الفقهاء فيه، فذهب المالكية والشافعية في وجه والحنابلة في المذهب والشعبي وشريح وإسحاق وأبو عبيد إلى أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه في حقوق الآدميين، سواء في ذلك علمه قبل الولاية وبعدها، وذهب أبو يوسف ومحمد والشافعية في الأظهر والإمام أحمد في رواية إلى أنه يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه سواء في ذلك علمه قبل الولاية وبعدها، وقيد الشافعية ذلك بشروط: أن يكون مجتهدًا وجوبًا، ظاهر التقوى والورع ندبًا.

والراجح في رأيي ما ذهب إليه الشافعية من تقييدهم الجواز بالشروط المذكورة سابقًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان بشرية النبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن حكم القاضي لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم وعواقبه.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد أسلوب الإخبار في الحديث من قوله ﷺ: (إنما أنا بشر، وإنكم

---

(١) رد المحتار ٤٣٨/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦/٧ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٨٥/٥، وأنوار البروق ٤٧/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٨٦/٨، والفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي ٢٩١/٤، والفروع، ابن مفلح ٤٦٩/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٥/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٣/١.

تختصمون إليّ... إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على بيان وتوضيح دعوته للمدعوين بما يوضح لهم كل ما أشكل عليهم وخفي عنهم فيحصل كامل الفائدة، ولا سيما إن صادف ذلك إخلاصًا وصدقًا من الداعي في تبليغ دعوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان بشرية النبي ﷺ:

لقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إنما أنا بشر"، قال القاضي عياض: (وقوله: "إنما أنا بشر" تنبيه على حالة البشرية، وأن البشر لا يعلمون من أمور الغيب والبواطن إلا ما يطلعهم سبحانه عليه، وأنه يجوز عليه في أمور الظاهر التأثر بقول القائل، وفيه أن حكمه ﷺ بين الخلق إنما كان على الظاهر، وإن كان باطن أمرهم بخلافه، فقضى باليمين وبالشاهدين حكمة من الله تعالى من ذلك، ليتعلم منه أمته طريق الحكم ويقتدى به في القضاء، ولو شاء الله لأطلعه على سرائر الخصمين ومخفيات ضمائر المدعيين، فيتولى الحكم بمجرد يقينه، ويقضي بقطع مغيبه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة، ولكن لما أمر الله سبحانه أمته باتباعه والاقتداء به في أقوال وأفعاله، وكان هذا مما يخص الله تعالى به لم يكن للأمة سبيل الاقتداء، في شيء من ذلك، ولا قامت حجة بقضية من قضاياه، لأنا لا نعلم بما أوحي به فيه إليه، ولا ما اطلع من أمر الخصمين عليه بحكمه هو، إذ المكنون من علم الله، فأجرى أحكامه ﷺ على الظاهر، الذي يستوي فيه هو وغيره من البشر؛ ليصح اقتداء أمته به في قضاياه، ويأت ما أتو من ذلك على علم من سنته، واعتماد على علمه، إذ البيان بالفصل إجلاء فيه من القول وأرفع لاحتمال اللفظ[1].

وقال ابن عثيمين: (إن في هذا الحديث دليل على أن الرسول ﷺ بشر مثلنا، ليس ملاكًا من الملائكة، بل هو بشر يعتريه ما يعتري البشر بمقتضى الطبيعة البشرية، فهو ﷺ يجوع ويعطش ويبرد ويحتر، وينام ويستيقظ، ويأكل ويشرب، ويذكر وينسى كالبشر تمامًا، وقد أمره الله عز وجل أن يعلن هذا للملأ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥/٥٦١.

أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[١]، فلست إلهًا يعبد ولا ربًا ينفع ويضر، بل -عليه الصلاة والسلام- لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا)[٢]، وفي ذلك دليل على بشرية النبي ﷺ.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن حكم القاضي لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً:

يستنبط هذا من الحديث في قوله ﷺ: (فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار)، وفي ذلك قال ابن حجر: (وفي الحديث أن من أدعى مالاً ولم يكن له بينة، فحلف المدعى عليه وحكم الحاكم ببراءة الحالف، أنه لا يبرأ في الباطن، وأن المدعي ولو أقام بينة بعد ذلك تنافي دعواه سمعت وبطل الحكم، وفيه من احتال لأمر باطل بوجه من وجوه الحيل حتى يصير حقًا في الظاهر ويحكم له به أنه لا يحل تناوله في الباطن ولا يرتفع عنه الإثم بالحكم)[٣].

وقال ابن عثيمين: (بل يزداد إثمًا لأنه توصل إلى الباطل بطريق باطل فيكون أعظم ممن أخذه بغير هذا الطريق)[٤]، وفي ذلك بيان على أن حكم القاضي لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالاً.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم وعواقبه:

يستنبط هذا من عموم الحديث، والظلم من موجبات غضب الجبار وتخريب الديار، به يكون فساد الأمم وانهيار الدول، "فالله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة"[٥]، "وقد كان الظلم سببًا لهلاك الأولين بعد أن منعوا الحق حتى اشتُري وبسطوا الجور حتى افتُدي"[٦].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٥٥٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٦/١٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٥٥٣/١.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/٢٨ - ٦٣.

(٦) الآداب الشرعية، ابن مفلح المقدسي ١٧٩/١.

لذا رهب الله عز وجل من الظلم فقال: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[١]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، وقد بيّن الحق تبارك وتعالى، سوء عاقبة الظلم فقال: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[٣]، وقد بيّن النبي ﷺ سوء عاقبة الظلم فقال: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٤].

قال ابن القيم: (والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك به، فإن الله لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله. وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشرك، فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها)[٥].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إذا خَلَصَ المُؤمنونَ مِنَ النارِ، حُبِسُوا بقَنْطَرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيتقاصُّون مظالمَ كانتْ بينَهُمْ في الدُّنيا))[٦].

وقال ابن الجوزي: (والظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم

---

(١) سورة الفرقان، آية: ١٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٢١.

(٣) سورة طه، آية: ١١١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢٧١.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٤٠.

حيث لا يغني عنه ظلمه شيئا)[١].

ولله درُّ القائل:

أمـــا واللّـــهِ إن الظلـــمَ لـــؤمٌ ... ومـــا زالَ المـــسيءُ هُـــوَ الظلـــومُ

إلى ديـــانِ يـــومِ الـــدينِ نمـــضي ... وعنـــدَ اللّـــهِ تجتمـــعُ الخـــصومُ

ســـتعلمُ في الحـــسابِ إذا التقينـــا ... غـــدًا عنـــد الإلـــهِ مـــن الملـــومُ[٢]

فعلى المرء أن يتجنب الظلم جهده، وأن يسعى إلى رد المظالم.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قوله ﷺ: "فإنما أقطع له قطعة من النار"، والترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام[٣].

وتأتي أهمية استخدام أسلوب الترهيب لملائمتها لطبيعة كثير من الناس، وذلك لأن من الأنفس من لا ترجع إلا بالزجر، وإذا كانت النعم تسبب الغفلة فإن الترهيب يبعث اليقظة في كثير من الأحيان، وكم يفكر الناس في أشياء ثم يتذكرون النتائج السلبية المترتبة عليها فيقلعون عنها مباشرة، وقد استخدم الأنبياء أسلوب الترهيب كوسيلة لردع النفس عن الغواية وعن اتباع خطوات الشيطان، لما تضمنت الشرائع أحكامًا للترهيب، كالحدود والقصاص وبعض العقوبات المقدرة على بعض المعاصي التي تُرتكب ردعًا وزجرًا[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٢١/٥.

(٢) الآداب الشرعية، ابن مفلح ٢٠٤/١، والأبيات في الكامل في التاريخ قافية الواو ٣٥٨/٥، والحماسة البصرية ٤٢٢/٢ ونسبه لأبي العتاهية.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٥٧.

(٤) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص ١٤٢.

الحديث رقم (٢٢٠)

٢٢٠- وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال قال رسولُ اللّه ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرامًا**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

في فسحة: في سعة[2].

الشرح الأدبي

إن المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، وكل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، والإسلام في ظل هذا المنهج الداعي إلى المحافظة على الحقوق، حدد أمهات الجرائم وكبائر المعاصي، وهى التي يضطرب بها الأمن، ويفسد المجتمع، وفرض لها عقوبات معينة، تقلل من وقوعها، وهذه الجرائم ترجع إلى الجناية على النفس والمال والعرض والنسب والعقل والدين والنظام العام، وحين نتأمل فضاءات المعنى، وآفاق الدلالة في هذا الحديث الشريف ندرك حرص الرسول ﷺ على صيانة الأرواح والأجساد، والنفس بصفة عامة، وبرغم أن الكبائر متعددة، والجنايات كثيرة، فإن المصطفى ﷺ جعل من سفك الدماء، وقتل النفس مفتاحًا لكل شر، ومغلاقًا لكل خير، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3].

---

(١) برقم (٦٨٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٨٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٩٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٢.

والحديث في صياغته اللغوية جملة واحدة لا يتم المعنى إلا إذا أكملنا قراءة الحديث: وهو جملتان في التركيب اللغوي: ولكن المعنى لا يتم إلا بترابط الجملتين، قراءة ونطقا، فمقدمة الحديث تعلن عن بشارة الرسول ﷺ للمؤمن بأنه في سعة من دينه، أى أنه يحظى برحمة ربه، ومغفرته، حتى لو ارتكب بعض الكبائر، فإنه لن ييأس من رحمة الله وسحائب رضوانه، وشآبيب عفوه إذا أقدم على التوبة، أما إذا أقدم على القتل العمد، وأصاب دمًا حرامًا، فإن أبواب الرحمة تطفأ في عينيه أنوارها، وتتهاوى من الآفاق أقمارها ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

والحديث يبدأ بأداة النفي "لن"، وهى حرف يفيد النفي والاستقبال، بالاتفاق، ولا يقتضي تأبيدًا خلافًا للزمخشري في أنموذجه، ولا تأكيدًا خلافًا له في كشافه، كما يقول ابن هشام في قطر الندى، فـ"لن" تفيد الاستقبال: وتفيد التأبيد والتأكيد عند الزمخشري، والفعل "يزال" بعدها مضارع يفيد الاستمرار، فالمؤمن يظل في سعة من دينه، وأمامه أبواب الرحمة والمغفرة مشرعة، وختام الحديث في قوله: "ما لم يصب دما حرامًا" فإذا قتل نفسًا بغير حق ضاقت عليه المسالك، ودخل في زمرة الآيسين من رحمة الله.

وفي الحديث بلاغة الإيجاز بالحذف... فختام الحديث يفضي إلى كلام محذوف يفسره ما قبله، والتقدير فإذا أصاب دمًا حرامًا ضاقت عليه المسالك، ودخل في زمرة الآيسين، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.

وتعد جريمة القتل العمد من أكبر المحرمات، وأخطر الجرائم، وأشدها إخلالاً بالأمن، وأكثرها تسببًا في الاضطراب والفوضى في المجتمع، ولذا كانت من السبع الموبقات التي عدها النبي طالبًا اجتنابها، بقوله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات: قيل وما هن يارسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

وأكل الربا وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات"[١].

ولفظ "المؤمن" في الحديث فيه إشارة إلى أن المؤمن يجب أن يكون حذرًا من إغراء النفس، ووساوس الشيطان، حتى لا ينطفئ وهج الإيمان في قلبه، وحتى لا يتمكن منه ظلام المعاصي فيطرد النور من روحه ونفسه.

وإذا كان المؤمن في غير مأمن من هذه الفتنة، فما بال الذي فقد حصانة الإيمان، ووقع فريسة الشيطان، فاللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة.

فقه الحديث

يبين هذا الحديث أن النفس الإنسانية لها حرمة كبيرة حتى أن التعدي عليها بغير حق يعد من أكبر الذنوب وأعظم الخطايا، بل يظل المسلم في فسحة من دينه يستغفر الله عما فعل ويغفر الله له ما لم يصب دمًا حرامًا فيزهق نفسًا بدون وجه حق.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه لا يجوز قتل أي حي ولو كان غير مسلم بدون حق، ومن قتل مسلمًا بغير حق كان عليه القصاص، وإن كان خطأ فعليه الدية، وفصلوا في ذلك تفصيلات واسعة في باب الجنايات.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ٨٩.

(٢) المبسوط، السرخسي ٨٤/٢٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٣١/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٧٨/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٣٧٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٤ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٥٣/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس بغير حق.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حفظ النفس.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[١]، وقال ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله...)) إلخ[٢]، وقال ﷺ: ((...وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوى بها في جهنم ... إلخ))[٣]. والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كلٌ حسب ما يناسبه[٤]، (وعليه فإن الإسلام قد جعل هذا الأسلوب طريقًا إلى دعوة الناس وتذكيرهم وتبصيرهم بما يؤول إليه أمرهم: إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر)[٥]. وقد ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه"، (أي في سعة من دينه)[٦]. أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ما لم يصب دمًا حرامًا".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس بغير حق:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ "لن يزال المؤمن في فُسْحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا".

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٧٨.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٥) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر، ١٢/١٩٥.

قال ابن حجر: (قوله ﷺ: "في فُسْحة" بضم الفاء وسكون المهملة وبحاء مهملة أي سعة.

وقوله ﷺ: "من دينه" كذا للأكثر بكسر المهملة من الدين، وفي رواية الكشميهني: "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدًا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور. وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل)[1].

وفي ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما: (إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه)[2].

(وقال ابن العربي: ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي، فكيف بقتل المسلم، فكيف بقتل الصالح)[3].

وقد عظم الحق تبارك وتعالى حرمة نفس المؤمن ورهب من الاعتداء عليها فقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[4].

قال ابن كثير رحمه الله: (وفي ذلك تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في أكثر من آية في كتاب الله)[5]، حيث يقول

---

(١) المرجع السابق ١٢/١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٦٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ١٢/١٩٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٧٦.

سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[١]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا. "من ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء"[٣].

قال النووي: (فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضي فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها)[٤].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))[٥].

قال المباركفوري: (قوله: "لزوال الدنيا" اللام للابتداء "أهون" أي: أحقر وأسهل "على الله" أي: عنده "من قتل رجل مسلم")[٦]. قال الطيبي: (الدنيا عبارة عن الدار القربى التي هي معبر للدار الأخرى، وهي مزرعة لها، وما خلقت السموات والأرض إلا لتكون مسارح أنظار المتبصرين، ومتعبدات المطيعين، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾[٧]، أي بغير حكمة بل خلقتها لأن

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٦٤، ومسلم ١٦٧٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٧٤.

(٥) أخرجه الترمذي ١٣٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١١٢٦).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٣٢٥/١.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

تجعلها مساكن للمكلفين، وأدلة لهم على معرفتك. فمن حاول قتل من خلقت الدنيا لأجله فقد حاول زوال الدنيا)[١].

وفي ذلك بيان على عظم جرم قتل النفس بغير حق.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: حفظ النفس:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: حفظ النفس البشرية، "فالإنسان إذا ما دخل في دين الله فإنه يصبح في مأمن، قال ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه. فَإِذَا قَالُوا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّه))[٢]، فإذا دخل الإنسان في دين الله ونطق بالشهادتين فإنه يعصم دمه وماله حتى يتبين منه ما يناقض ذلك من أنواع الردة، فيقام عليه حد المرتد، لقوله ﷺ: ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))[٣]، فدم المسلم حرام، رتب الله عليه وعيدًا في الآخرة لمن استباحه، ووعيدًا في الدنيا، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤].

فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده، أن يجازي صاحبه بجهنم بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح وحصول الخيبة والخسار[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥٥/٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٩٩، ومسلم ٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ١٥٧.

وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى وعظيم منزلته؛ لأنه دخل في دين الله، وأصبح من عباد الله، فمن تعدى عليه فقد توعده الله بهذا الوعيد، وقد كتب الله على اليهود في التوراة: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

وذلك لعظمة حرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى، وقد بين الحق تبارك وتعالى أن الخسران هو جزاء من خالف ذلك فقال في قصة ابني آدم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل))[3]. وذلكم يدل على عظمة حرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى.

أما حكم القاتل في الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى أمر بالقصاص منه، وذلك بأن يقتل القاتل حفظًا للدماء، وصيانة للأنفس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[4].

"وكُتِبَ" معناه: فرض، فقتل القاتل فرض إلا إذا عفا ولي الدم عن القصاص، قال

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآيات: ٢٧-٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٣٥، ومسلم ١٦٧٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وهذا بيان للحكمة الإلهية في تشريع القصاص، لأنه بالقصاص تحصل حياة المجتمع، فإذا قتل القاتل فإن الناس يأمنون على دمائهم وأنفسهم، أما إذا لم يقتل القاتل، فإن هذا يصبح خطرًا على المجتمع، وقد جعل الله القصاص حياة؛ لأنه يسبب الحياة وإن كان موتًا للمقتص منه لكنه حياة للبقية، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]، وكانوا في الجاهلية يقولون: "القتل أنفى للقتل"، يعني: قتل الجاني أنفى لقتل الآخرين، بمعنى: أنه يمنع قتل الآخرين، ولكن الله عز وجل جاء بعبارة يعجز عنها البشر. ففي القصاص حماية للنفوس البريئة من الاعتداء عليها، وفيه منع أيدي العابثين والمجرمين من سفك الدماء، وهذا واقع مشاهد في البلاد التي يقتص فيها من القاتل، والمشاهد فيها استتباب الأمن، وقلة القتل، أما البلاد التي لا ينفذ فيها القصاص ويكتفي فيها بالسجن أو الغرامة، فالدماء فيها مراقة، والأمن فيها مختل، والعيش فيها نكد؛ لأنهم عطلوا هذا الحد العظيم، وإن كانوا ينتسبون إلى الإسلام، لهذا أصبح مجتمعهم مضطربًا قلقًا، لأنه لا يعوض عن القصاص شيء من العقوبات مهما كانت القسوة فيها؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"[3]. فبين تعالى الحكمة العظيمة في مشروعية القصاص بأنه حياة، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رُؤى القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٩ .

(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ٢/١٢١-١٢٣.

الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية فيها من النكاية والانزجار ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكّر "الحياة" لإفادة التعظيم والتكثير.

ولما كان هذا الحكم لا يعرف حقيقته إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة خصهم بالخطاب دون غيرهم[(١)].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث من قوله: "لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا" فعلى الداعية أن يبين الحقائق للمدعوين وهذا من النصيحة التي أمر بها النبي ﷺ، فقال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((للَّه وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[(٢)]. وتحملاً لأمانة التبليغ للدعوة الإسلامية وبيان حقائقها للناس، فينبغي على كل داعية أن يعلم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم والإيمان أن يقوموا بهذا الواجب وأن يتكاتفوا فيه، وأن يبلغوا رسالات الله إلى عباد الله، وهذا أفضل الخير الذي يدعو إليه المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

الحديث رقم (٢٢١)

٢٢١- وعن خَوْلَةَ بِنْتِ عامِرٍ الأَنْصَارِيَّةِ، وَهِيَ امْرَأَةُ حمْزَةَ رضي اللَّهُ عنه وعنها، قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ فِي مالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

خولة بنت عامر الأنصارية: وهي خولة بنت قيس بن ثعلبة الأنصارية.

تزوجت حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه فولدت له يعلى وعمارة وابنتين، ثم خلف عليها بعد حمزة حنظلة بن النعمان بن عجلان، فولدت له محمدًا أسلمت وبايعت النبي ﷺ، ولها صُحبة ورواية.

وكان رسول الله ﷺ يزور حمزة في بيتها، فقالت له: يا رسول الله بلغني عنك أنك تحدث أن لك يوم القيامة حوضًا ما بين كذا إلى كذا، قال النبي ﷺ ((أجل وأحب الناس إلي أن يَرْوي منه قومُك)) قالت: فقدمتُ إليه بُرمةً فيها خُبْرَةُ -أو خزيرة[2] فوضع رسول الله ﷺ يدَه في البُرمة ليأكل، فاحترقت أصابعُه فقال: "حَسٍّ" ثم قال: "ابنُ آدم إن أصابهُ البرد، قال حَسٍّ وإن أصابهُ الحرُّ قال: حَسٍّ"[3].

وكان رضي الله عنها عدادها في البصريين[4].

---

(١) برقم (٣١١٨).

(٢) الخبرة: الإدام، وقيل: هي الطعام من اللحم وغيره، والخزيرة: لحم يقطع صغارًا، ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج، ذُرَّ عليه الدقيق. قاله ابن الأثير في النهاية: ص ٢٦٢.

(٣) أخرجه أحمد ٦/٤١٠ رقم ٢٧٣١٦، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الصحيح ٤٥/٢٩٧.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨/٤٤٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٩٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧/٩٠)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٥٣٠-٥٣١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٧١-٦٧٢، وموسوعة عظماء حول الرسول (١/٧٢٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٦٧٨).

غريب الألفاظ:

يتخوضون: يتصرفون[(١)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يختم به الإمام النووي باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم، وهذا الختام يعد إنذارًا ووعيدًا لكل ظالم لنفسه، وظالم لغيره، ولكل من لا يصون الحقوق، ويظل سادرًا في العقوق، لا يسأل نفسه: من أين اكتسب ماله، وفيم أنفقه، ولماذا سلب حق أخيه، وأهان أهله وذويه، وتخوَّض بغير حق في مال الله، ولم يتعرف على مسالك النجاة، وأصاب الدم الحرام، وتوهم أن التعدي على أعراض الناس بالسب والقذف يخيفهم ويجعله مهاب الجناب، ولكنه خاب مسعاه، وباء بسخط من الله، وجاء يوم القيامة وهو من المفلسين، ورُدَّ الحق إلى المظلومين، وهو قد غَدَاَ وقودًا للنار، وبئس القرار، وحين نطيل التأمل في الأحاديث الثلاثة التي ختم بها هذا الباب، نجدها أنها تنتهي بالوعيد، وتحدد مصير الظالمين، فالمفلس يوم القيامة يتحدد مصيره بأنه "طرح في النار"، بعد أن تحمل عن مظلوميه خطاياهم وطرحت عليه الأوزار، والمؤمن يظل في مأمن من غواية الشيطان حتى إذا أصاب دمًا حرامًا يظلم نفسه وغيره ويلقي الله مكتوبًا بين عينيه: أيس من رحمة الله.

وهذا الحديث الذي يُختم به هذا الباب ينذر الذي يتخوضون في مال الله بغير حق بأن لهم النار يوم القيامة، ولغة الحديث تفصح عن مقاصده وأهدافه، وتوحي بجو الشدة والمصير المظلم الذي يؤول إليه الظالمون المعتدون الآثمون المتخوضون في مال الله بغير حق وهم غافلون، والحديث من خلال صياغته في ثوب الجملة الاسمية، وهي جملة واحدة "إن واسمها وخبرها"، يؤكد ثبات هذا المصير: لأن الجملة الاسمية من سماتها ثبات الحدث، وعدم تحركه إلا من خلال حركية بعض الأحداث داخل دائرة الثبات، فالحكم الثابت لمن يتخوضون في مال الله بغير حق: أن لهم النار يوم القيامة، ولا مجال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٥٣.

للجدال في ذلك، إلا إذا تابوا وردوا المظالم، ويعضد هذا الثبات: التأكيد في أول الحديث بـ"إن"، والتأكيد هنا ليس للحكم عليهم ولكن لبيان إصرارهم على سلوكهم الضال، وتنكير اسم إن "رجالاً" فيه إيحاء بكثرتهم، واحتقارهم، وإيحاء بعدم الاغترار بمظهرهم الخادع في مسيرة الحياة، والرجال والنساء في ذلك سواء، ولكنه ذكر "الرجال" للتغليب، ولأن الرجل هو المسؤول: وله القوامة، فعقابه أشد، وحسابه أقوى وأنكى.

والتعبير بالفعل المضارع في صيغة الجمع يفصح عن استمرار هؤلاء الرجال في مسلكهم، فهذا هو طابع حياتهم، وسمة منهجهم في معاملاتهم وحركتهم الحياتية، والتعبير بـ"في" يوحي بغرقهم في هذه اللجة ومادة الفعل "تخوَّض" مع الحروف الزائد للافتعال: تعلن عن كثرة الحركة، وشدة الجهد والمعاناة في هذا المجال، وتصوِّرهم كأنهم يصارعون الموج، ومال الله: كأنه بحر فياض، تهدر موجاته بالأرزاق وهم يُجدفون في قلب هذا الموج المتلاطم: لينهبون أرزاق الناس، ويعتدون على حقوق الآخرين فالفعل: خاض: في اللغة يعطي دلالة خوض الماء ويقال: خاض الغمرات: أى اقتحمها، والفعل كذلك يوحي بالإيذاء والاعتداء، وكأنه سيف يخوض في دماء الضحايا والمظلومين: حيث يقول العرب: خاض بالسيف: أي حركة في المضروب، والمخاضة، ما جاز الناس فيه مشاة وركبانًا فتأمل وتبصر إيحاءات ودلالات هذا الفعل "يتخوضون"، وذلك من أسرار البيان النبوي، وبلاغة المصطفى ﷺ: فهو لا ينطق عن الهوى: إن هو إلا وحى يوحى ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القسمة في الغنائم، وقد سبق الحديث عنها، وهذا الحديث يصح الاحتجاج به على شرطية القسمة في أموال الفيء والغنيمة بحكم العدل واتباع ما ورد في الكتاب والسنة، وأن من أخذ من الغنائم شيئًا بغير قسم الإمام كان

عاصيًا، وفيه ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئًا بغير حقه أو يمنعوه من أهله[١].

كما أنّ في الحديث دليلاً على أنه يحرم على من لم يستحق شيئًا من مال الله بألا يكون من المصارف التي عينها الله تعالى أن يأخذه ويتملكه وأن ذلك من المعاصي الموجبة للنار[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، الترهيب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التعريض في القول.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة تصرف الولاة في أموال المسلمين بغير حق.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال.

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن رجالاً" ويعد التوكيد أسلوبًا دعويًا مهمًا يستعمله الداعية في المواطن التي تستلزم ذلك، إذ يبين به الداعية أهمية ما يقول، ولذا يؤكده، ويزيد في إقناع المدعوين.

٢- الترهيب: وهو أسلوب ناجع من أساليب الدعوة فأحيانًا لا تنزجر النفس عن المعاصي والشهوات إلا بالتخويف والترهيب، والداعية الحصيف هو الذي يستخدم هذا الأسلوب في موطنه المناسب، وشاهده من الحديث "فلهم النار يوم القيامة".

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التعريض في القول:

يعد هذا الأسلوب من الأساليب الدعوية الناجحة التي يستعملها الداعية للحفاظ على مشاعر الآخرين ولعدم التشهير بهم، ولقد كان هذا هدي رسول الله ﷺ فدائمًا يعرض ولا يصرح ويقول "ما بال أقوام يفعلون كذا" وفي الحديث الذي معنا سلك نفس النهج فقال: "إن رجالاً يتخوضون.." هكذا بالتنكير وبدون أن يحدد من هم وما أسماؤهم ليتعلم منه الدعاة هذا الأسلوب في التعريض في القول وعدم التجريح

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢١٩.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤/١٩٢.

والتشهير، لأن ذلك أدعى للاستجابة والامتثال ويقرب بين الداعية والمدعو ويؤلف ولا يفرق.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة تصرف الولاة في أموال المسلمين بغير حق:

في هذا الحديث يبين الرسول حرمة من يفعل هذا، وأنه ليس له في الآخرة إلا النار وقد جاء في التحذير من هذا أيضًا قول النبي ﷺ: ((إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَرُبَّ مُتخوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ النَّارُ))[1]. وفي الحديث الذي معنا "إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة" أي يتصرفون في مال المسلمين بالباطل، وهو أعم من أن يكون بالقسمة وغيرها، وقوله: "من مال الله" مُظْهرًا قام مقام المضمر إشعارًا بأنه لا ينبغي التخوض في مال الله ورسوله ﷺ والتصرف فيه بمجرد التشهي، وقوله: "ليس له يوم القيامة إلا النار" حكم مرتب على الوصف المناسب وهو الخوض في مال الله، ففيه إشعار بالغلبة[2].

(وأصل الخوض المشي في الماء وتحريكه ثم استعمل في التلبيس بالأمر والتصرف فيه أي رب متصرف في مال الله بما لا يرضاه الله أي يتصرفون في بيت المال، ويستبدون بمال المسلمين بغير قسمة، وقيل هو التخليط في تحصيله من غير وجه كيف أمكن وهذا ليس له جزاء يوم القيامة إلا دخول جهنم وهو حكم مرتب على الوصف المناسب وهو الخوض في مال الله تعالى)[3]. وقال ﷺ: ((مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ))[4].

والمعنى: (من جعلناه عاملاً على عمل من أعمال الولاية والإمارة فأعطيناه رزقًا ومقدارًا معينًا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول أي خيانة في الغنيمة وفي مال الفيء)[5]. هذا

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٤).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٥٢/٦، ٢٥٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧١/٢.

(٤) أخرجه أبوداود ٢٩٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٥٥٠).

(٥) عون المعبود على سنن أبو داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي ١٢٥٢.

وقد ضرب الصحابة الكرام أروع الأمثلة في الاحتراز من أموال المسلمين فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لمّا استُخلِفَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ قال: لقد عَلِمَ قَومي أنَّ حِرْفَتي لم تَكنْ تَعجِزُ عن مَؤُونةِ أهلي، وشُغِلتُ بأمرِ المسلِمينَ فسيأكلُ آلُ أبي بكرٍ مِن هذا المالِ وأحترِفُ للمسلِمينَ فيه))[1].

قال ابن حجر: (أشار أبوبكر بذلك إلى أنه كان كسوبًا لمؤونته ومؤونة عياله بالتجارة من غير عجز، تمهيدًا على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه)[2]. روى ابن سعد في الطبقات عن عائشة قالت: (لما مرض أبوبكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي قالت فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستانًا له فبعثنا بهما إلى عمر فقال: رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده)[3].

ويعتبر هذا الموضوع من الموضوعات الدعوية المهمة التي يجب إبرازها، ومعالجتها بالطريقة المناسبة والتحذير من خطر أكل الحقوق لأن ذلك مما يورد الإنسان المهالك يوم القيامة.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية: الحفاظ على المال باعتبار أن ذلك من الكليات الخمس التي يجب حفظها وصيانتها، ومن هنا كانت دعوة الإسلام للحفاظ على المال العام، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: (وأكل الأموال على نوعين: نوع بحق، ونوع بباطل ولما كان

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٤.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٩٢/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

المحرم هو أكلها بالباطل قيده الله تعالى بذلك فيدخل فيه أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة والمعاوضات المحرمة، والغش في البيع والشراء والإجارة فكل هذا ونحوه من أكل الأموال بالباطل فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه حتى ولو حصل فيه النزاع والارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من الحاكم، يريد أكلها بالباطل بحجة غلبت حجة المحق وحكم له الحاكم بذلك فإن حكم الحاكم لا يبيح محرمًا، ولا يحلل حرامًا، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة، ولا شبهة، ولا استراحة فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون أكلاً لمال غيره بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد في نكاله)[1].

ولما استعمل النبي ﷺ ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ فقام النبي ﷺ على المنبر ثم قال: ((ما بالُ العامِلِ نبعثُهُ فيأْتي فيقول: هذا لكم وهذا لي، فهلاّ جلسَ في بيت أبيهِ وأمِّه فينظُرُ أيُهدَى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاءَ به يومَ القيامةِ يحمله على رقبتِهِ، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تَيْعَر - ثم رفعَ يديهِ حتى رأينا عفْرتي إبطَيه - ألا هل بَلَّغتُ؟ ثلاثًا))[2].

وكل هذا يدل على حرص الإسلام على صيانة المال العام لأن ذلك من مقاصد الشريعة. فالمال أحد المقاصد الخمسة التي عني الإسلام بالمحافظة عليها، فمقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة[3].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧١٧٤.

(٣) المستصفى، للغزالي، ص ٢٨٧، نقلاً عن كتاب أصول الفقه، محمد أبو زهرة، ص ٣٦٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

من هدي الإسلام بيان عاقبة الفعل وإبراز الأثر المترتب عليه، والإسلام يختلف في هذا الجانب عن غيره، فالعقوبة في كل الأساليب التربوية دنيوية، أما الإسلام فيجعل العقوبة دنيوية وأخروية، ويحمل الفرد والجماعة المسؤولية تجاه المجتمع بحق المنجيات والمهلكات.

ولتربية المسلمين على ذلك كانت الأساليب التالية:

أولاً- التربية بالوعظ والخطابة:

يتضح استخدام أسلوب الخطابة في خطبته في حجة الوداع، حيث بدأ النبي ﷺ الخطبة بحمد الله والثناء عليه، ثم شرع في عناصر الخطبة الأخرى، فتناول المسيح الدجال وأطنب في ذكره، وبيان صفاته ،ثم تطرق إلى الحديث عن حرمة الدماء والأموال بين المسلمين، والتي تساوى عند الله حرمة البيت الحرام والشهر الحرام، ثم وجه السؤال إليهم: «أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، قَالَ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، ثم حذر صحابته في خطبته النبوية البليغة أن يرجعوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض.

لقد احتوت هذه الخطبة علي عنصر الوعظ الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل، وقدمت للمتلقين الترغيب والترهيب الذي يفطر أهل الإيمان بالله والجزاء على الأعمال الخيرة في الآخرة، فإن هؤلاء هم الذين يتقبلونه ويتعظون به، فتخشع له قلوبهم، ويتحرون العمل به، قبولاً لتأديب ربهم، وطلباً للانتفاع به في الدنيا، ورجاء في مثوبته ورضوانه في الآخرة[1].

ثانياً- التربية بالترهيب:

إن هذا الأسلوب التربوي بكاد يستغرق أحاديث هذا الباب، الذي يحرم فيه النبي ﷺ الظلم ويحذر منه، وليس أبلغ من أسلوب الترهيب في زجر الظالمين، وتخويف

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٢٦ بتصرف يسير.

المسلمين أن يقعوا في ظلم العباد، يقول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»، وفي حديث آخر يقول: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»، ويقول: «إن الله يملى للظالم...»، وحيناً يخبر النبي ﷺ عن مصير الظالم يوم القيامة؛ حيث يؤخذ من حسناته ويعطى للمظلوم فإن فنيت حسناته أخذ من سيئات المظلومين فطرحت عليه ثم طرح في النار.

ذلك هو المصير الأكيد لمن ظلم غيره حتى في أقل شيء، حتى الرجل الذي كان مسئولاً عن أمتعة النبي ﷺ، لما مات سئل عنه رسول الله ﷺ فقال: «هو في النار»، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلّها..... ويقول ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ...»، وعندما سئل الرسول ﷺ عن قدر الشيء المسلوب، قال: «وَإِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاكٍ».

وهكذا يبين رسول الله ﷺ مصير الظالمين؛ لأن الظلم ليس مجرد انتهاك لما حرَّم الله تعالى، بل إن فيه أخذاً لحق الآخرين وتسبباً في إيلامهم وحزنهم، وذلك ما نهى عنه الإسلام، ولو نظرنا إلى هذه التربية الربانية وقارناها بما كان عليه العرب قبل الإسلام لرأينا المفارقة الكبيرة؛ فقد كان الجاهليون يتفاخرون بالظلم ويعدونه مقدرة على الغلبة، بل إن شعراءهم كانوا يوردون ذلك في شعرهم، يقول عمر بن كلثوم التغلبي متفاخراً:

بُغَاةً ظَالِمِينَ وَمَا ظُلِمْنَا ... وَلكِنَّا سَنَبْدأُ ظَالِمِينَا

وَنَشْرَبُ إنْ وَرَدْنَا المَاءَ صَفْواً ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدَراً وَطِينَا

فأين هذه السلوكيات البهيمية الغابيّة من قيم الإسلام السامية العالية؟

ولهذا فقد كان تحريم النبي ﷺ للظلم رادعاً، مستخدماً فيه الترهيب من عواقبه؛ لأن الرسول ﷺ يريد أن يجتث جذور الظلم من النفوس اجتثاثاً، ويرغب في العدل والإنصاف.

ثانياً- التربية على أداء الحقوق:

لقد حث النبي ﷺ المسلمين على أداء الحقوق لبعضهم البعض؛ ونهى عن أخذ

حقوق الغير بغير حق، يقول ﷺ: «وَاللَّهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلاَّ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ....»، بل إنه ﷺ عندما سئل في حديث آخر عن قدر الشيء المسلوب، وأنه ربما يكون شيئاً يسيراً فقال: «وَإِنْ قَضِيبا مِنْ أَرَاكٍ».

إن غلول أحد الصحابة لعباءة كانت عنده لأحد الناس، جعله في النار.

لقد حمى الإسلام الملكية الخاصة فيها حماية كاملة، ومنع الغصب، وشدد في منعه[1]، يقول ﷺ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

ثالثاً- التربية بالتحذير:

ومن الأساليب التربوية التي وردت في أحاديث هذا الباب في النهي عن الظلم: أسلوب التحذير، وقد استخدمه ﷺ بطريقتين: الأولى: بقوله: «اتقوا»، يقول ﷺ: «اتقوا الظلم... واتقوا الشح»، والثانية باستخدام أداة التحذير «إياك»، يقول ﷺ: في وصيته لمعاذ عندما ولاه بعض النواحي: «وإياك وكرائم الأموال».

عندما يكون الخطر من العمل محتملا، فإن واجب المربي توجيه المتلقين إلى الابتعاد عنه، وتحذيرهم منه، وتبصيرهم بخطورة عاقبته، ويكون التحذير في كل ذلك ببيان وتوضيح هذا الشيء، ثم بيان الضرر الذي ينتج عنه ثم ذكر العقاب له في الدنيا والآخرة[2].

رابعاً- التربية بالتدرج:

إن للتدرج في الخطوات التربوية أثراً كبيراً في نفس المتلقي واستجابته، لأنه ما زال غضاً يافعاً، فلابد من التدرج معه، ونقله من مرحلة إلى أخرى، وتخطيط أي قضية أو هدف، يمر بمراحل وخطوات[3]، يرسمها المربي ويعمل على تنفيذها.

ذلك ما استخدمه النبي ﷺ في وصيته لمعاذ بن جبل، حين أرسله إلى اليمن، فقال

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام، سيف الدين حسين شاهين، ص٦٠.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص٢٦٥.

(٣) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٢٣.

له: « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْما مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه. وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ...، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً ...، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ...».

ذلك هو الأسلوب النبوي في تربية حديثي الإسلام، فالبداية تكون بالدعوة إلى الإسلام والشهادتين، ثم الدعوة إلى الصلاة، ثم الدعوة إلى الزكاة، ولا تأتي مرحلة إلا وقد تمت السابقة عليها، تدرج استخدمه رسول الله ﷺ حتى يتوثق الإسلام، ويقوى في نفوس من اعتنقوه.

خامساً- التربية بالتعريض:

لم يكن النبي ﷺ يصرح أحيانا، باسم من أخطأ؛ حرصًا منه على مشاعره ومكانته بين الناس، إنما كان يستخدم أسلوب التعريض في التنويه بخطئه، فكان يستعمل قوله: «مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا؟»؛ لأن التبصير بالخطأ وتصويبه أولى عنده من الخطأ الفردي الذي وقع فيه أحد صحابته الكرام، وذلك ظاهر في موقف ابن اللتبية، حين تولى الصدقة، وعاد ليستأثر لنفسه بهدية، ويقول: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن صعد المنبر وقال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل ...» الحديث.

وذلك مسلك تربوي حميد، ينبغي على المربين الأخذ به في العملية التربوية؛ لأن التصريح باسم المخطئ يفضحه أمام الآخرين، وينقص مكانته لديهم، وربما كان لذلك نتيجة عكسية؛ فإن حاله قد يزداد سوءاً على سوئه، ويسترسل في خطئه، ولهذا فالنبي ﷺ كان من هديه: إذا رأى شيئاً من أصحابه أو بلغه عنهم شيء وأراد أن يدلهم على الحق فيه أنه كان لا يصرح بأسمائهم، ولكنه يلمح فيستر عليهم، ويحصل مقصوده من النصح[1]. دون هتك لأستار أراد الله أن يسدلها.

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٧٩.

سادساً- التربية بالحوار والسؤال والجواب:

وقد ورد السؤال والجواب في هذا الباب على طريقتين:

الأولى: سؤال النبي ﷺ وإجابة أصحابه، وذلك في حجة الوداع، حين سأل ﷺ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، «أَيُّ بَلَدٍ هذَا؟»، «أَيُّ يَوْمٍ هذَا؟»، كل ذلك يسأله لصحابته وهم يسكتون ظانين أنه سيسميها بغير أسمائها، وتكون المفاجأة بأنها ما تزال تحتفظ بأسمائها، غير أنه أراد أن يؤكد لهم حرمة الشهر، وحرمة البلد وحرمة اليوم، ولهذا استخدم السؤال من أجل تأكيد الصفة التي تعارف عليها الناس من الحرمة للدماء والأموال.

الثانية: يكون السؤال فيها موجهاً من أحد الصحابة إلى النبي ﷺ بغرض المعرفة والتحصيل، فقد سأل النبي ﷺ رجل فقال: «يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ ...».

وهذه الطريقة في التربية هي طريقة الحوار، ولها كثير من الفوائد في العملية التربوية، منها[1]:

١-عرض الموضوع عرضاً حيوياً، مما لا يدع مجالاً للملل، بل يدفع السامع أو القارئ إلى الاهتمام والتتبع.

٢-إيقاظ العواطف والانفعالات مما يساعد على تربيتها وتوجيهها نحو المثل الأعلى.

سابعاً- التربية بتصحيح المفاهيم:

غزت المفاهيم الأجنبية الثقافة الإسلامية في ثقافتنا المعاصرة، واستبدل تجار المعاصي المصطلحات الإسلامية بمصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان، فعبروا عن الرشوة بالإكرامية، الهدية، التحية، دخان، وهبة، بقشيش...

إن تصحيح مفهوم الرشوة وبيان منزلتها فرض عين على المسلمين، وإن كل ما يُدفع لجلب منفعة أو درء مضرة و رشوة، وإن هذا الأسلوب إن ساد غابت الفضيلة وفشت الرذيلة وضاعت الحقوق وسادت الرأسمالية وضاع الفقراء واستأسد الأغنياء.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٦٧.

كما أن هذا الخلق يسبب أزمة نفسية لدى أصحاب القيم الذين يعملون ولا يأخذون، فيعيشون في صراع نفسي بين فقد مدقع، وترف عند الآخرين مفزع، كما يدفع أصحاب المصالح إلى صراع نفسي وألم ذهني، أيستبقون رضى الله ثم رضى رسوله، فلا يدفهون رشوة ولا يستجيبون لداعي المعصية في وقت تؤخر فيه حقوقهم، لأنهم لا يدفعون، أم يدفعون ليدركوا حقوقهم في وقت يخالفون فيه ربهم؟

إن هذا السلوك - إن فشا في المجتمع الإسلامي أو غيره - سيفضي إلى هلكة لا محالة، وإذا أراد الإنسان أن يعرف حكم ما قُدّم له عليه أن يسأل نفسه هذا السؤال: لو لم أكن في هذا الموقع هل كان هذا المال يأتيني؟

❁ ❁ ❁

٢٧- باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[الحج: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة: ٣٢].

الحديث رقم (٢٢٢)

٢٢٢- وعن أَبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الْمُؤْمنُ للْمُؤْمِن كَالْبُنْيَانِ يَشدُّ بعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِه. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن الصورة الأدبية في الحديث النبوي الشريف تجلى المعنى، وتجسد الهدف، وتقرب المقصد إلى أذهان السامعين: وهي بمنأى عن التعقيد اللفظي، والغموض البياني: وهى تجسِّم المعنويات وتستمد من البيئة عناصرها حتى يكون التأثير قويًا، والاستجابة سريعة.

والتجسيم في الصورة الحديثية قائم على اللغة المجازية البلاغية، ومستعين بصور الطبيعة الجامدة والمتحركة، فنراه يجسم التشبيه والاستعارة والكناية ليحقق الحديث إقناع العقل وإمتاع الحس[2].

---

(١) البخاري (٢٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٥/٦٥).

(٢) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي: د. أحمد باسوف، ص ٤١٦.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: نجد أنه قائم على التشبيه التمثيلي الذي يؤكد طبيعة العلاقة بين المؤمنين، ويحدد حتمية الترابط بين طوائف الأمة الواحدة الذين وحدتهم العقيدة، وشدت من أزرهم مشاعر الإيمان، والانتماء إلى الواحد الديَّان، فهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وهذه الصورة الجمالية تتعانق معها الصورة التعبيرية والبنية اللغوية فالجملة: مبتدأ وهو "المؤمن للمؤمن"، وهذا المبتدأ يحتاج إلى ما يكمِّل دلالة الجملة، ويتمم المعنى، كما أن المؤمن في حالة انتمائه لأخيه المؤمن، في حاجة إلى الالتئام والاكتمال والتوحد، ويجيء الخبر المتمم للبناء اللغوي وهو "كالبنيان"، وذلك الخبر هو نفسه الذي يجسد حالة الاكتمال المعنوي والواقعي والحسي.

ولا يصمد البنيان إلا بتماسك لبناته، وتجاذب ذراته، وتعاطف مكوناته.

والجملة الثانية: "يشد بعضه بعضًا": لا تنفصل عن جو التماسك، ومناخ الترابط، ولكنها هي التي تؤكد هذا التماسك، فهى مستأنفة لبيان وجه الشبه، وصيغة المضارع هنا ترشد إلى ضرورة استمرار هذا الترابط بين أفراد الأمة وجماعاتها، وبين الدول الإسلامية: فهم أمة واحدة، والجملة الرابعة: "وشبك بين أصابعه"، تضفي على الصورة طابع الحركة، والتوضيح بالإشارة وذلك تقريب لوجه التشبيه وبيان للتداخل: كما يقول صاحب دليل الفالحين، وهل هناك أشرف وأسمى وأقوى من أن تكون الأمة متشابكة متحدة وهى في اتحادها ونقائها تحاكي أصابع المصطفى ﷺ: وهو مَنْ هو: فضلاً وشرفًا، وقوة وحكمة، وبلاغة وعصمة، وفطنة، وصدقًا وأمانة، يقول القرطبي: هذا تمثيل يفيد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصرته، وأن ذلك أمر متأكد لا بد منه.

فالصورة البيانية هنا: تحض على التآخي الإسلامي، وقد أضحى هذا التآخي -في ظل هذه الصورة- ظاهرًا مريبًا، ويمكن أن نقول: صار ملموسًا، وصار المؤمن إلى جانب أخيه المؤمن لبنة متينة، والمتانة هى التمسك بأوامر الدين، والانزجار عن نواهيه، ولو لا متانة اللبنة لفقد البناء تماسكه، وهذا يعني أن الإسلام يوفق بين خيرية الذات

والخيرية تجاه المجتمع، والتوازن بينهما يدل على عافية وقوة، والإخلال بأحد الطرفين مدعاة لانحسار وزوال، ويحض هذا الحديث من خلال هذه الصورة التشبيهية، على الحب، وينفي الأنانية والأثرة كما تذوب هذه اللبنة في البناء، ولا يعطي قيمة للذات المفردة -كما صنعت الفلسفات الكافرة- فلا قيمة لها إلا داخل هذا التشكيل البنائي الذي يوطد مفهوم الإسلام وروح الجماعة[1]، وما أجمل أن يكون هذا الحديث في بداية باب تعظيم حرمات المسلمين والتعاون على البر والتقوى، والتلاؤم والتماسك بين الأفراد والجماعات في الأمة الإسلامية هو الطريق إلى وحدة الأمة وقوتها، واستعادة أمجادها وفتوحاتها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، التشبيه والتمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعاون بين المسلمين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التراحم والملاطفة والتعاضد.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان حقوق المدعوين بعضهم على بعض.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، التشبيه والتمثيل:

١- **الإخبار:** حيث أخبر النبي ﷺ بكون المؤمن للمؤمن كالبنيان، والإخبار أسلوب دعوي مهم يقوم على تعريف المدعوين بأمور دينهم، وإخبارهم بحقائق الإسلام. ومن أهم ما ينبغي أن يتوافر في الخبر مصداقيته لكسب الثقة لدى المدعوين، وهذا يلزم الداعية أن يعرض حقائق الإسلام من خلال أخبار القرآن والسنة إذ يتوافر فيهما الصدق وقد قال الله عن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3] وأما السنة

---

(١) المرجع السابق ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

الصحيحة فهي وحي الله قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]. وحذر رسول الله ﷺ من الكذب عليه في أخباره وأقواله وأحواله ففي الحديث: ((من كذبَ عليَّ متعمدًا فليَتبوَّأْ مَقعدَهُ منَ النارِ))[2]. فعلى الدعاة استصحاب أسلوب الخبر لنشر الدعوة الإسلامية وتعريف المدعوين بربهم.

٢- **التشبيه والتمثيل:** يستخدم أسلوب التشبيه والتمثيل لتقريب المعاني إلى المدعوين، وتوصيل المعنى المراد لهم ولذا استخدم النبي ﷺ في الحديث أسلوب التشبيه عندما قال: "كالبنيان" والتمثيل عندما "شبك بين أصابعه" زيادة في إيضاح الصورة للمدعوين. قال الميداني: (ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام تقريب الصورة الغائبة، وذلك بوضعها في صورة مشهودة النظير، أو في صور متخيلة في أذهان المخاطبين، ودلائل هذا في القرآن والسنة كثيرة منها قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[3] ففي أخيلة الناس صورة بشعة مرعبة لرؤوس الشياطين فجاء تقريب صورة طلع هذه الشجرة الخبيثة بأنه يشبه أبشع وأقبح صورة تتخيلونها وهي رؤوس الشياطين)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعاون بين المسلمين:

جاء في الحديث أن "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا" وفي هذا حث على التعاون بين آحاد المسلمين، قال القاضي عياض: (وقوله: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" فيه الحض على تعاون المسلمين، وتناصرهم، وتآلفهم، وتوادّهم، وتراحمهم، وتمثيله ﷺ في ذلك بالبنيان وفي الحديث الآخر كالجسد تمثيل صحيح،

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٣) سورة الصافات، آية: ٦٢-٦٥.

(٤) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١٤٨-١٤٩.

وتقريب للأفهام في إظهار المعاني في الصورة المرتبة، فيجب على المسلمين امتثال ماحض عليه رسول الله ﷺ من ذلك والتخلق به[١]. وقال النووي: (هذا الحديث ونظراؤه أحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام)[٢].

وقد أمر الله بالتعاون والتعاضد في القرآن فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٣] والمعنى (من واجبكم أن تتعاونوا بينكم على فعل البر والتقوى لأن التعاون عليها يكسب محبة تحصيلها، فيصير تحصيلها رغبة لهم فلا جرم أن يعينوا عليها كل ساع إليها، وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقًا للأمة)[٤].

ومن صور التعاون التي أبرزها القرآن ما حكاه على لسان ذي القرنين ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٥] وما حكاه عن بناء البيت من قبل نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٦].

وجاء في صحيح البخاري قصة بناء البيت بطولها وفيها (... ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني بأمر أن أبني هاهنا بيتًا - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٦/٨، ٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٨٧/٦/٣، ٨٨.

(٥) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٧.

رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني)[١].

هذا وقد حثت السنة النبوية على التعاون فقال رسول الله ﷺ في الحديث: "المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"[٢]. والنصوص الشرعية كثيرة في بيان فضل التعاون لما له من أهمية في تحقيق الوحدة بين المسلمين. فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغمر بطنه أو اغبرَّ بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأُلَى قد بَغَوْا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته: أبينا أبينا)[٣].

قال ابن أبي الدنيا: "قال عطاء بن أبي رباح: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا نسوا فذكروهم. وقال أبو جعفر بن صهبان: كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية التودد، والثالثة قضاء الحوائج، وقال أبو حمزة الشيباني لمن سأله عن الإخوان في الله من هم؟ قال: العاملون بطاعة الله عز وجل المتعاونون على أمر الله عز وجل وإن تفرقت دورهم وأبدانهم وقال ابن المعتز: من اتخذ إخوانًا كانوا له أعوانًا)[٤].

ثالثًا- الحث على التراحم والملاطفة والتعاضد:

إن مما يستنبط من عموم الحديث الحث على أهمية التراحم والتعاضد والملاطفة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١٠).

(٣) أخرجه البخاري ٤١٠٤، ومسلم ١٨٠٣.

(٤) الإخوان لابن أبي الدنيا، ص ١٢٤-١٢٧ نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٣/١٠٢٦-١٠٢٧.

والشفقة بين المسلمين، وقد أمر الله نبيه في القرآن بذلك فقال له: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[٢] قال البغوي: (يعني لو كنت جافيًا سيء الخلق قليل الاحتمال غليظ القلب) قال الكلبي: (فظًا في القول غليظ القلب في الفعل لنفروا وتفرقوا عنك)[٣].

لقد أمر الإسلام بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة وفي قلبه لهم عطف مذخور وبر مكنون، فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع.

وقد وصف الله تعالى المجتمع المؤمن بأنه متماسك بهذا العطف المتبادل، فقال عن أهله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى أَعِزَّةٍ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٤] وقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٥] والإسلام كله رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم، وقد قال تعالى لرسول ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٦] وسور القرآن الكريم مفتتحة بـ"بسم الله الرحمن الرحيم" باستثناء سورة التوبة.

إن القسوة في خُلُق إنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ أمة دليل فساد خطير، فلا عجب إذا حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسق عن أمر الله وسر الشرور عن صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) معالم التنزيل، البغوي ١٢٤/٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1])[2].

وقد ضرب الرسول ﷺ القدوة والمثل الصالح في الحث على التراحم والملاطفة فعن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنّ رجلاً أتى النبيّ ﷺ يَتقاضاهُ فأغلَظ، فهمّ بهِ أصحابهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ دَعوهُ فإنّ لصاحبِ الحقّ مَقالاً. ثمّ قال: أعطوهُ سِنًّا مِثلَ سنّهِ، قالوا: يارسولَ اللهِ، لا نجِدُ إلاّ أمثَلَ مِن سنّه، فقال: أعطوهُ، فإنّ من خيرِكم أحسنَكم قضاءً))[3]. وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ. إِنِ اشتكى رَأْسُهُ، تداعى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ))[4]. وربط رسول الله ﷺ بين رحمة الله ورحمة الناس فقال: ((لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ الناسَ))[5]. والرحمة هنا يراد بها عموم الرحمة المشروعة، ومن الرحمة الواجبة كف الأذى عن المسلمين، وإغاثة الملهوف، وفك العاني وإحياء المضطر واستنقاذ الغريق والواقع في هلكته وتسميته. ومن ذلك: سد خلة الضعفاء والفقراء من الواجبات.

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان حقوق المدعوين بعضهم على بعض:

الحياة سلسلة من الحقوق والواجبات فما من حق لشخص إلا وهو واجب على آخر، ولذا وجب على الداعية إبراز هذه الحقوق وبيانها للمدعوين، حتى يلتزم كل طرف بما عليه، ويتحقق تماسك المجتمع فيما بينه، وإن الناظر المتأمل في نصوص القرآن والسنة يرى بيانًا للحقوق والواجبات، وتنظيمًا دقيقًا لعلاقة الفرد مع ربه، ومع نفسه ومع الآخرين وعلى الدعاة استخراج هذه النصوص والاستفادة من معطيات ومقررات القرآن

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٠٦، مسلم ١٦٠١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١١، مسلم ٢٥٨٦.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣٧٦، مسلم ٢٣١٩.

الكريم وتعريف المدعوين بها لتعميق روح الاتحاد والتآلف مما يكون له أثره الفاعل في تقوية البناء الاجتماعي للأمة الإسلامية. (ولا ريب أن أقوى عوامل نهوض الأمم هو اجتماع القلوب، واتحاد الكلمة فما تمسكت به أمة إلا ظهر سلطانها وقويت شوكتها، ودامت دولتها، وبلغت في الرقي ورغد العيش أقصى الغايات، وأرفع الدرجات. وما تفرقت أمة واختلت كلمتها وتنازعت في أمرها إلا اضمحل سلطانها، وضعفت قوتها، ودالت دولتها وتبدل عزها ذلاً ورفعتها ضعة وانحطاطًا، وكان من نصيبها: الفشلُ والخسرانُ المبين لهذا أمر الله بالائتلاف والاتحاد ونهى عن التفرق والتنازع)[1].

قال الماوردي: (واعلم أن الدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مُسعدة، ولا عن كافة ذويها معرضة، لأن إعراضها عن جميعهم عطب، وإسعادها لكافتهم فساد لائتلافهم بالاختلاف والتباين، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون، فإذا تساوى حينئذٍ جميعهم لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا فيذهبوا ضيعة، ويهلكوا عجزًا وأما إذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالمعونة متواصلين بالحاجة لأن ذا الحاجة وصول، والمحتاج إليه موصول)[2].

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ٤٨٩.

(٢) أدب الدنيا والدين ١٣٥.

الحديث رقم (٢٢٣)

٢٢٣- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، ومَعَه نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصالِهَا بِكفِّهِ أَنْ يُصِيب أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**» متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

النَّبل: أي السهام، والجمع نِبال وأنبال[2].

نصالها: جمع نصل: حديدة الرمح والسهم والسكين[3].

الشرح الأدبي

تنطلق من هذا الحديث أشعة الرحمة، وأنوار التآلف، ومصابيح المودة والأخوة، وهذه الأشعة الإيمانية تتماوج مع ما في الحديث السابق من حقيقة التآلف الإيماني، والتوحد العضوي فيما بين المسلمين فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وكذلك تتصل أشعة هذا الحديث بما بعدها من مشاعر وأحاسيس بالتماسك والتآزر في الحديث التالي الذي يجعل من المسلمين جسدًا واحدًا، وكائنًا متوحدًا في التواد والتراحم والتعاطف، فهم في ظلال الحق فرد مُجَّمعٌ، وهم في مقابلة الشدائد جمع مُوحَّد، وهذا الحديث يحيل هذه المشاعر وتلك الأحاسيس إلى سلوك عملي، ومنهج حياتي: فالمؤمن يخاف على أخيه المؤمن، ويحرص على سلامته، ولذلك يقدم رسول الله ﷺ هذا المنهج الوقائي في إشاعة الأمن والسلامة بين أبناء الأمة عن طريق صيغة

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥/١٢٣)، والسياق للحميدي في جمعه (٣٠١/١، رقم ٤٣٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ب ل).

(٣) المرجع السابق في (ن ص ل).

لغوية تجسد المعنى، وتفصح عن مكنونه وثمراته المرجوة.

وهذه الصيغة هي: صيغة الشرط والجواب، والحديث كتلة واحدة وكأنها صورة لتوحد الأمة، ويجمع الحديث بين المساجد والأسواق في ضرورة المحافظة على أمن الناس، وسلامتهم من الأخطار، فالمساجد يتجمع فيها الناس للعبادة.. وتلقي العلم النافع، والأسواق تموج بالحركة الحياتية التي لابد منها للبيع والشراء والسعى على الرزق، ويزدحم فيها الأفراد، وتختلط فيها الأمور، ولذلك يقول المصطفى ﷺ: "إياكم وهوشات الأسواق"[1]، وعلى الرغم من ذلك فإن المصطفى ﷺ حرص على سلامة أفراد الأمة في المساجد والأسواق، وحذر من فوضى استعمال السلاح، والألعاب، وغير ذلك من الأمور التي تعود بالضرر على الناس.

وقال: "من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل: فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه" والتحذير يأتي لمن يمر ولو بجزء يسير من السوق أو المسجد، والذين يرتادون المساجد، ويمشون في الأسواق، ويبيعون ويشترون هم أولى بهذا التحذير، وذلك النهى، ولذلك يوحي قوله: "في شيء" بوجوب الحذر حتى لو كان المرور قليلاً زمانًا ومكانًا، "ومن" تفيد التبعيض، والجزئية، ومجيء "مساجدنا وأسواقنا"، في صيغة الجمع المتكلم، إرشاد إلى وحدة الأمة، وتماسكها، وإيحاء بعدم تفرقها وانقسامها إلى طوائف وفرق وشيع: وكل يدعى أنه صاحب الحق، وأن له أسواقًا خاصة، ومساجد خاصة، وقد توحي هذه الصيغة بأن هذا التحذير يشمل غير المسلمين الذين يمرون بحمى المساجد، وأسواق المسلمين وفي يدهم السلاح أو النبل، وجملة "ومعه نبل"، حالية: فهى تصور ذلك المار وهو متشح بما معه من نبل أو غير ذلك من أنواع السلاح، وجواب الشرط جاء في صيغة المضارع المقترن بلام الأمر، فهو أمر صريح، يوحي بوجوب استمرار الإمساك والقبض على النصال: وهى الحديدة التي في رأس السهم، أو تأمين

---

(١) أخرجه أحمد ٤٥٧/١ رقم ٤٣٧٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٣٨٠/٧. وهوشات الأسواق: اضطرابها وهياجها.

السلاح أيا كان نوعه، والتعبير بـ "على"، يفيد الاستعلاء والتمكن من السلاح حتى لا ينطلق منه ما يؤذي المسلمين، ويزهق أرواحهم، وفي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير مخافة أن يصيب أحدًا من المسلمين منها -أي بسببها- فمن هنا للتعليل، والحديث من خلال صيغته اللغوية، والعلاقات بين الكلمات، وطريقة النظم درس إيماني واجتماعي: من دروس النبوة في ضرورة تعظيم حرمات المسلمين، ودعوة إلى انضباط الحركة في دور العبادة، وفي الأسواق: والمحافظة على الأرواح، وإشاعة ثقافة الأمان والنظام في آفاق المجتمع الإسلامي.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بالمحافظة على السلاح المحمول لئلا يؤذي أحدًا من المسلمين في المساجد أو الأسواق.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أنه يجب على من دخل المسجد أو السوق وهو يحمل سلاحًا أن يقبض على نصله ولا يجعله مُشْرَعًا فيؤذي أحدًا من المسلمين، ويطبق الأمر نفسه على الأسلحة الحديثة حيث يجب تأمينها لئلا تؤذي أحدًا من الناس، وذكر ابن حجر[2] أنه يستحب ذلك، والأولى القول بالوجوب لما فيه من توقي وقوع الضرر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، الأمر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفوس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حث المسلمين على مراعاة عوامل السلامة والأمان.

---

(١) شرح معاني الآثار، الطحاوي ٢٨٠/٤، الأم للشافعي ٢٥١/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٥/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٥٤٦/١.

الأول- من أساليب الدعوة: الشرط، الأمر:

١- الشرط: حيث جاء في الحديث "من مَرَّ" ومما لا شك فيه أن الشرط أسلوب من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو إلى جواب الشرط، مما يؤدي إلى شد انتباه المدعوين.

٢- الأمر: ورد الأمر في هذا الحديث في قوله "فليمسك" ويعد أسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تشعر المدعو بمدى أهمية المأمور به، ويكون أدعى لتنفيذه.

ثانيًا- من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

من الصفات التي تعمل على تحقيق التواصل بين الداعية والمدعو، الشفقة التي يتحلى بها الداعية، وتجعله حريصًا على إسداء الخير للمدعوين، وفي هذا الحديث تظهر شفقة النبي ﷺ في قوله: "فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء" وقد وصف الله نبيه في القرآن بأنه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] قال السعدي: (يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق وواجبٌ على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيزه)[2]. وخاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال له: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3] وهكذا يجب أن يكون الداعية.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفوس:

يتضح هذا في توجيه النبي ﷺ للقبض على النصال حتى لا تصيب أحدًا من المسلمين، حيث قال ﷺ: "من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء" فأمر ﷺ في الحديث بأخذ النصل وهي حدائد السهام وبين العلة في قوله "أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء" أي مخافة أن يصيب، ولئلا يصيب، وفي ذلك بيان لصورة من صور رحمته ﷺ بأمته حيث خشي عليهم، برأفته بالمؤمنين ورحمته بهم، ما يصيب بعضهم منها من خدش أو أذى عند مروره من غير قصد، وألا يتأذى بعضهم من بعض بمثل هذا القدر[(١)].

ويعتبر الحفاظ على النفس من مقاصد الإسلام الكبرى، ومن الضرورات الخمس التي يجب المحافظة عليها، وفي سبيل هذا قرر الإسلام حد القصاص قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٢)] وجعل الإسلام من يقتل نفسًا واحدة فكأنما قتل الناس جميعًا قال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[(٣)]. قال ابن كثير: (ومن قتل نفسًا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعًا لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار)[(٤)]. وقال ﷺ ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ . دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))[(٥)].

---

(١) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٩٤/٨، ٩٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٢/٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

قال السيد سابق: (وقد شرع الله سبحانه، القصاص وإعدام القاتل، انتقامًا منه، وزجرًا لغيره وتطهيرًا للمجتمع من الجرائم التي يضطرب فيها النظام العام، ويختل معها الأمن، ولم تفرق الشريعة بين نفس ونفس، فالقصاص حق، سواء أكان المقتول كبيرًا أم صغيرًا، رجلاً أم امرأة فلكل حق الحياة، ولا يحل التعرض لحياته بما يفسدها بأي وجه من الوجوه، وحتى في قتل الخطأ لم يُعف الله تعالى القاتل من المسؤولية، وأوجب فيه العتق والدية وهذه العقوبة المالية إنما أوجبها الإسلام في القتل الخطأ احترامًا للنفس حتى لا يتسرب إلى ذهن أحدٌ هوانُها، وليحتاط الناس فيما يتصل بالنفوس والدماء، ولتسد ذرائع الفساد حتى لا يقتل أحد أحدًا، ويزعم أن القتل كان خطأ ومن شدة عناية الإسلام بحماية الأنفس أنه حرم إسقاط الجنين بعد أن تدب فيه الحياة، إلا إذا كان هناك سبب حقيقي يوجب إسقاطه، كالخوف على أمه من الموت ونحو ذلك)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حث المسلمين على مراعاة عوامل السلامة والأمان:

حيث وجه الرسول ﷺ إلى أخذ وسائل الاحتياط إذا صادف دخول المسجد بسلاح بالقبض على النصال، فقال ﷺ: "من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نصالها بكفه أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء" وفي هذا شيء من الآداب التي شرعها الإسلام، وهو الإمساك بنصال النبل ويقاس عليها جميع الأسلحة وما شاكلها من المؤذيات والقواطع عند إرادة المرور بين الناس في مسجد أو سوق أو غيرهما[2]. وفي هذا تعليم للمسلمين لأخذ وسائل الاحتياط للحفاظ على النفوس، وهذا لا ينافي التوكل على الله، وإنما هو من قبيل الأخذ بالأسباب وقد قال الله عن ذي القرنين ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[3]، ولقد وجه الرسول ﷺ إلى مراعاة عوامل السلامة والأمان مثل ما جاء في الحديث: ((غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الْبَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً، وَلاَ يَفْتَحُ بَابًا، وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً.

---

(١) إسلامنا ٢٧١-٢٧٢.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٥٥٨.

(٣) سورة الكهف، آية: ٨٩.

فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرُضَ عَلَىٰ إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللّه، فَلْيَفْعَلْ. فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ))[1].

قال النووي: (هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والأدب الجامعة لصالح الدنيا والآخرة فأمر النبي ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسبابًا للسلامة من إيذاء الشيطان، فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء، ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إذا وجدت هذه الأسباب)[2].

ويجب على الدعاة أن يوجهوا المدعوين إلى أخذ وسائل الاحتياط والسلامة والأمان في أمور الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٧٨.

الحديث رقم (٢٢٤)

٢٢٤- وعن النُّعْمَانِ بنِ بشِيرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**مثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَداعَى لهُ سائِرُ الْجسدِ بالسهَرِ والْحُمَّى**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

تداعي: أي دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في الألم[2].

الحمى: علة يَسْتَحرُّ بها الجسم[3].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الشريف المؤمنين بالجسد في حركتهم الحياتية، وتطلعاتهم المستقبلية، وإعدادهم القوة لمواجهة أعدائهم، وتكاتفهم في مواجهة الأزمات والمؤامرات الداخلية والخارجية، فالمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وحين نتأمل جماليات البناء اللغوي والجمالي في هذا الحديث الشريف نجد أنه قدم صورة جمالية في إطار التشبيه التمثيلي، والصورة التشبيهية تضع بين قارئها أو سامعها معطياتها بلا مواربة، وتسعى إلى إغناء أبعادها بتفصيلاتها الداخلية والألوان والمحسوسات الأخرى، كما يقول د. فايز الداية، ويكثر في الحديث النبوي، أن يقدم التشبيه القائم على التمثيل صورًا حركية رائعة في مكان، وإن كان مختزلاً في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦/٦٦).

(٢) فتح البارري ٤٥٤/١٠.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح م ى).

مكان آخر، كما يقول صاحب كتاب الصورة الفنية في الحديث النبوي.

وكلمات الحديث تتآزر مع الصورة التشبيهية في تقديم الصورة المثلى التي يجب أن يكون عليها المؤمنون في حركتهم الحياتية الشاملة مودة وتعاطفًا وتراحمًا، فكلمة "مَثَلَ" تعني صفة: أي صفة المؤمنين كصفة الجسد في تماسكه الشعوري والنفسي والحسي، فلا انفصال بين المؤمنين في أي حال من الأحوال، حتى لو انفصلت أمة وتوهمت قوتها في استقلالها وانفصالها، فإن الضياع مصيرها، والهلاك عنوانها، والضعف ثمرتها، وواقع الأمة الإسلامية الآن خير دليل على التفكك والضعف والهوان، وتحديد المؤمنين في هذه الصورة إرشاد إلى ضرورة إخلاص المسلم في تطبيق معالم عقيدته، لأن الإيمان هو: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، فلا يكفي أن يرفع المسلم شعار إسلاميته، ولكن لابد من هذه الدائرة التكاملية: التصديق بالقلب، والنطق باللسان، ثم العمل والتنفيذ لكل ما أوجبته الشريعة: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1].

والتعبير بقوله: "توادهم"، بهذه الصيغة التي أضفى عليها الإدغام شدة وتماسكًا يوحي بتماسك الأمة وترابطها فصورة اللفظ التعبيرية والإيقاعية هي صورة للمعنى المراد والهدف المقصود، فالتوادد تفاعل من المودة وهي: تَقَرّبُ شخصٍ من آخر بما يحب. فالإيقاع الصوتي: يجسد تماسك الأمة وترابطها في النكبات وفي المسرات.

وقد فرق العلماء بين التواد، والتراحم، والعطف: حتى لا يتوهم البعض أن في الحديث إسهابًا، أو ترادفًا معيبًا، وكيف؟؟، والنبي المصطفى ﷺ أفصح العرب، وقد أعطى جوامع الكلم، فالتراحم: المراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، لا بسبب شيء آخر، والتوادد، المراد به: التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، والتعاطف: إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف طرف الثواب عليه ليقويه[2]، وهذا التفريق الدقيق بين هذه المواد اللغوية، يجعلها تفيض بأبعاد متعددة تحكم العلاقة بين المؤمنين،

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٤.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ٤٠٦.

وهي: البعد الإيماني في تراحمهم، والبعد الاجتماعي في توادهم، والبعد الإنساني التكافلي في تعاطفهم، وفي الحديث من خلال هذه الصورة إعجاز طبي في قوله: "تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، فلو أردنا أن نتخيل أن الجسد قد تداعى لهذا العضو بالسهر والحمى، لما استطاع الخيال أن يحيط إلا بحركة الأطراف، وهذا لا يفي بالمعنى، فهل تبقي الصورة ساكنة، ففي الحديث كما يقول أحد الباحثين، إشارة إلى الغدد اللمفاوية المتوزعة في الجسم، والمتكاثفة في الثنايا، وعندما يصاب الجسم بأي أذى، ولو كان جرحًا طفيفًا أو خدشًا تعمل هذه الغدد على زيادة إفراز نوع من الكريات البيضاء التي تقاوم الجراثيم والالتهابات من خلال مادة تدعى الانترلوكيد[1]، والحمى والسهر في الحديث يشير إلى ذلك، وقد شبه ﷺ الإيمان بالجسد وأهله بالأعضاء، لأن الإيمان أصل وفروعه التكاليف، والجسد أصل كالشجر وأعضاؤه كالأغصان، فالحديث صورة صادقة لواقع الأمة الإسلامية.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التراحم والمودة بين المسلمين.

ثالثًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية وفضل وحدة الصف.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه:

حيث شبه النبي ﷺ المؤمنين في ترابطهم بالجسد الواحد، فقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ولا شك أن أسلوب التمثيل والتشبيه يقرب المعنى إلى أذهان المدعوين، قال القاضي عياض: (فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية)[2].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف، ص ٤١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٧/٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٥٤/١٠.

قال الشيخ علي محفوظ: (لضرب الأمثال أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس؛ فإن المقصود من ضرب الأمثال: أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته، ذلك بأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب في الإيمان إذا كان مجردًا عن ضرب مثل له لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد إذا مثل بالنور أو بشجرة طيبة. ولاشك أن إبراز المعاني باختصار في معرض التمثيل ابتداءً أو مجيئه في أعقاب المعاني وعلى أثرها لإيضاحها وتقريرها آكد وقعًا في القلوب وأبلغ أثرًا في النفوس)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التراحم والمودة بين المسلمين:

من الموضوعات الدعوية المهمة موضوع التراحم والمودة بين المسلمين، فقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ..." وقد جاءت الوصاية بها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[٢] قال ابن كثير: (كان من المؤمنين، العاملين صالحًا، المتواصين بالصبر على أذى الناس، وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث ((الرّاحِمونَ يَرْحَمُهُمْ الرّحمن، ارْحَمُوا أَهْلَ الأرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السّماءِ))[٣] فالمتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين)[٤]. هذا وقد جاءت الرحمة بمعنى الألفة والمحبة بين أهل الإيمان قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[٥].

وقد حث رسول الله ﷺ على التراحم بين المؤمنين فقال في الحديث ((رحمَ الله

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ١٧٧-١٧٨.

(٢) سورة البلد، آية: ١٧.

(٣) أخرجه أحمد ١٦٠/٢، رقم ٦٤٩٤، وقا ل محققو المسند: صحيح لغيره ٣٣/١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٠٩/٨.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٧.

رجُلاً سَمحًا إذا باعَ، وإذا اشترَى، وإذا اقتَضى))[١].

وفي هذا الحديث جعل النبي ﷺ المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضًا كما يعطف الثوب عليه ليقويه، وفي الحديث تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا)[٢]، ولا شك أنه من خلال التراحم والتعاطف والتلاطف تتحقق معاني الأخوة الإيمانية التي أمر الله بها.

لقد أمر الإسلام بالتراحم، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة وفي قلبه لهم عطف مذخور وبر مكنون، وقد وصف الله تعالى المجتمع المسلم بأنه متمامسك بهذا العطف المتبادل، فقال عن أهله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣] وقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤])[٥].

(إن الإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء، والحجر الصلد فإن حقيقة الإنسان ليست في هذا الغلاف الطيني من لحم ودم وعظم، وإنما هي تلك اللطيفة الربانية والجوهرة الروحية التي بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر ويتألم ويرحم هي القلب الحي.

ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب حي مرهف لين رحيم يتجاوب به والأحداث والأشخاص، فيرق للضعيف ويحنو على المسكين ويمد يده إلى الملهوف،

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٠٧٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٥) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ٢٠٥.

وهذه الرحمة الدافقة الشاملة أثر من آثار الإيمان بالله واليوم الآخر ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويلين الأفئدة القاسية[١].

ثالثًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من أهم واجبات الداعية تقديم النفع للآخرين وإرشادهم -دائمًا- إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وقد بشر النبي ﷺ من يدل على الخير ويرشد إليه بقوله: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٢]، قال النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما من يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٣]. وحينما يستشعر المدعوون حرص الداعية على نفعهم وإرشادهم إلى الخير فإنهم يقبلون عليه، ويستجيبون لموعظته لأنهم لمسوا فيه الحرص على مصلحتهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل وحدة الصف:

مما لا شك فيه أن الاتحاد قوة والتفرق ضعف، وهذا الحديث يشير إلى أهمية وحدة الجماعة المؤمنة ووحدة الصف الإسلامي، وقد بين الله أن من عوامل الوحدة والاتحاد تحقيق معاني الأخوة الإسلامية واستشعارها فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤] وأمر المسلمين أن يعتصموا بكتاب ربهم لتحقيق وحدتهم فقال جل شأنه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[٥] وذكرهم أن من نعم الله عليهم التأليفَ بين قلوبهم فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٤٣-٢٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[١] وأرشد أنه سبحانه يحب وحدة الصف فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٢] ونهى الله عز وجل عن التفرق والاختلاف فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣]. وذم المتفرقين فقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾[٤] وقال سبحانه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[٥].

وحث الرسول الكريم على وحدة الجماعة المؤمنة فقال ﷺ: ((يدُ الله مع الجَمَاعَةِ))[٦] وقال أيضًا: ((عَلَيْكُمْ بِالْجَماعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَماعَةَ))[٧] وقال أيضًا: ((المؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا))[٨]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثًا فَيَرْضَىٰ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ. وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))[٩].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الصف، آية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.

(٥) سورة الروم، آية: ٣١، ٣٢.

(٦) أخرجه الترمذي ٢١٦٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٥٩).

(٧) أخرجه الترمذي ٢١٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٥٨).

(٨) أخرجه البخاري ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

(٩) أخرجه مسلم ١٧١٥، واللفظ له وبعضه عند البخاري برقم ٥٩٧٥.

إن تكاثر هذه النصوص القرآنية والنبوية يدل على أهمية وفضل وحدة الصف مما يستلزم أن يقوم الدعاة إلى الله باستحضار هذه النصوص، وبيان مضامينها للمدعوين ليتحقق للأمة الإسلامية الاتحاد والاجتماع.

إن من أبرز مظاهر الوعي في الأفراد شعورهم بحق الجماعة عليهم، وتصرفهم في حدود التعاون الاجتماعي، حتى يكون المجتمع كبناء متراصٍّ لا تجد فيه ثغرة ولا خللاً، وبهذا المقياس يقاس رقي الأمم وخلود الحضارات وعظيمة الديانات.

إن الإسلام يحتل مكان الصدارة بين الديانات التي تدعو إلى التعاون وتحارب العزلة والإنكماش، وتقوي صلة الفرد بالمحيط الذي يعيش فيه عن طريق العبادة والتربية والتشريع[1].

---

(١) انظر أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ص ٤١، ٤٢.

الحديث رقم (٢٢٥)

٢٢٥- وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قبَّل النَّبيُّ ﷺ الْحسنَ بن عَليٍّ رضي الله عنهما، وَعِنْدَهُ الأَقْرعُ بْنُ حَابسٍ، فقال الأَقْرَعُ: إنَّ لِي عَشرةً مِنَ الْوَلَدِ ما قَبَّلتُ مِنْهُمْ أَحدًا فنَظَر إِلَيْهِ رسولُ اللَّه ﷺ فقال: «**مَن لا يَرْحمْ لا يُرْحَمْ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أروع هذا المشهد الإنساني الجميل، وما أجمل القيم التي يغرسها المصطفى ﷺ في نفوس الصالحين من أبناء أمته، وهذه القيم الإسلامية التي تمثلت في سلوك النبي ﷺ تتصدرها قيمة الرحمة بالأبناء والعطف عليهم، ومعاملتهم بالحسنى، وحسن تنشئتهم لأنهم ثمرة مستقبل هذه الأمة، وهم أشجارها الصاعدة، ونجومها الواعدة، وفرسانها القادمون، وعلماؤها الآتون من رحم الجِدّ والمثابرة والحب والإخلاص.

والمشهد الجميل في هذا الحديث يؤكد رقة النبي ﷺ ومحبته لحفيده الحسن بن علي، وابن بنته فاطمة رضي الله عنهم، وما أحوج الأمة الإسلامية وهي ترسي دعائم حضارتها، وتؤسس أركان قوتها إلى إعداد الأبناء إعدادًا نفسيًا وشعوريًا وجسمانيًا وعاطفيًا قويًا وجميلاً، ولن يكون ذلك كذلك إلا إذا اتخذنا منهج المصطفى ﷺ قدوة لنا في كل مناحي حياتنا وفي مقدمة هذه الاهتمامات: أن نحسن التعامل مع أبنائنا ومع الأطفال بصفة عامة، وقد عنى الإسلام بمستقبل الطفل، وأمر الآباء برعاية الأبناء، وأرشدهم إلى ضرورة إكساب الطفل المهارات والقدرات التي تجعل منه رجلاً قويًا ثابتًا متزنًا في مستقبله، وفي عهد الشباب والفتوة، وكان المصطفى ﷺ هو القدوة والنموذج الأعلى في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨/٦٥)، والسياق للحميدي في جمعه (٦٨/١، رقم ٢٢٤٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٤٢). وسيكرره المؤلف برقم (٨٩٤).

والحديث في ضوء هذا المنهج التربوي السديد -يبدأ بالفعل: "قبَّل"، وعنده "الأقرع ابن حابس"، فالمصطفى ﷺ يُقبل حفيده أمام الناس، ولا يتوارى من ذلك، وهو بهذا السلوك يرسى قاعدة من قواعد السلوك التي يجب أن تسود حتى تترسخ عاطفة الحب والتنشئة الصحيحة، والعلاقات الجميلة بين الآباء والأبناء، وبين أبناء البيت الواحد، وبين أبناء الأمة كلها.

وحينما يرى الأقرع بن حابس هذا المشهد الفطري الجميل: يبادر ويسرع فيقول: وهو يبدي اعتراضه على هذا المشهد المؤثر "إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا" وهذا الاعتراف المُنْكر يبديه صاحبه في أسلوب التوكيد، وكأنه يتفاخر بذلك، وقيل: إن هذا السلوك من ذلك الرجل، يرجع إلى أنه من أهل البادية، وهم أهل غلظة وجفاء، وقد أنكر الرسول ﷺ ذلك، وبدا هذا الإنكار في قولة الراوي، وهو ينقل حركة رسول الله ﷺ، وطريقة اعتراضه على إقرار الأقرع بن حابس، يقول الراوي: "فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال" والعطف بالفاء في "فنظر، وقال" يرشد إلى سرعة إنكار الرسول لهذا السلوك المرفوض، وهذه العاطفة المتجمدة تجاه الأبناء، وقول رسول الله ﷺ: من لا يَرْحم لا يُرْحم، يعد قاعدة عامة، وعبارة موجزة تحمل كثيراً من الدلالات، وهى من جوامع كلمه ﷺ، وتتنوع الدلالة حسب التأويل اللغوي، فمن اسم موصول وما بعدها، صلة الموصول[1]، أو أداة شرط وما بعدها فعل الشرط وجواب الشرط: ولكن الثمرة في النهاية أن من لا يرحم الناس فلن يستحق رحمة الله سبحانه.

فقه الحديث

يتعرض الحديث لصفة من الصفات التي يتحلى بها المؤمنون حقًا وهي صفة الرحمة بالصغير فمن لا يرحم لا يرحم، ومن لا يوجد في قلبه رحمة بالناس وخاصة صغارهم لا يؤمن على شيء.

---

(١) انظر: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د. صابر عبدالدايم، ص ٢٠٤-٢٢٨، مبحث: أدب الطفولة.

وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يجوز، بل يسن للرجل تقبيل ولده الصغير على الرأس والجبهة والخد، وكذا ولد قريبه وصديقه ذكرًا كان أو أنثى -غير مكلفة- على سبيل الشفقة والرحمة واللطف، فإن كانت هناك شهوة في التقبيل فهو حرام لخروجه عن معناه المشروع له.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

ثانيًا: من صفات الداعية: القدوة الحسنة.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة.

رابعًا: من واجبات المدعو: الإخبار عن حاله ومعرفة مدى مطابقته للشرع.

خامسًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة بالمسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته:

الأولاد هم مهجة القلب، وأغلى ما في الحياة، وقد جاءت الشريعة الإسلامية مراعية لهذه المحبة وهذه الشفقة. وقد طبق النبي ﷺ ذلك من خلال محبته للحسن والحسين رضي الله عنهما؛ حيث قال أبو هريرة رضي الله عنه: "قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي..." قال ابن حجر: (قال ابن بطال تعليقًا على باب رحمة الولد وقبلته ومعانقته[٢] يجوز تقبيل الولد الصغير في عضو منه وكذا الكبير عند أكثر العلماء ما لم يكن عورة)[٣]. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يقبل ابنته فاطمة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما رأيت

---

(١) انظر في ذلك: بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٣/٧٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٧٧، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣/١١٤، وحاشية الجمل على شرح المنهج للعجيلي ٤/١٢٦ ١٣/١٣٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رقم ١٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٦٤٢.

أحدًا كان أشبه سمتًا وهديًا ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة رضي الله عنها، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها))[١].

وكذلك كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقبل ابنته عائشة رحمة وشفقة عليها؛ فعن البراء رضي الله عنه قال: ((دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فأتاها أبوبكر فقال لها، كيف أنت يا بنية؟ وقَبّل خدها))[٢].

وقال ابن عثيمين في حديث الباب: (ففي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يستعمل الرحمة في معاملة الصغار ونحوهم وأنه ينبغي للإنسان أن يقبل أبناءه وأبناء بناته، وأبناء أبنائه، يقبلهم رحمة بهم، واقتداءً برسول الله ﷺ، أما يفعله بعض الناس من الجفاء والغلظة بالنسبة للصبيان، فتجده لا يمكن صبيه من أن يحضر إلى مجلسه، ولا يمكن صبيه من أن يطلب منه شيئًا وإذا رآه عند الرجال انتهره فهذا خلاف السنة وخلاف الرحمة)[٣].

ثانيًا- من صفات الداعية: القدوة الحسنة:

للقدوة أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى، ومن الشواهد على القدوة الحسنة في هذا الحديث تقبيل النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه مما يدل على رحمته ﷺ وشفقته وحنانه على الصغار وأثر ذلك في نفوسهم، والنبي ﷺ هو القدوة الأول، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٤].

قال القرطبي: (الأسوة القدوة. والأسوة ما يتأسّى به؛ أي يُتعزَّى به. فيُقْتدَى به في جميع أفعاله ويُتَعزّى به في جميع أحواله)[٥]، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥١).

(٣) شرح رياض الصالحين ٥٦٣/١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٥/١٤/٧.

لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ[١]. ومن هنا كان على الداعي أن يكون قدوة للمدعوين في جميع تصرفاته وأحواله.

وقد ذم الله بني إسرائيل لمخالفة أقوالهم وأفعالهم، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢]، وحسب الداعية قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٣].

قال ابن القيم: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقًا كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدِلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق)[٤].

وما من شك في أن الداعية الذي يريد أن يصل بدعوته إلى أعماق قلوب المدعوين فلا بدّ وأن يقدم لهم من سيرته الحسنة وسلوكه الطيب ما يبرهن به لهم على صدقه في دعوته وفيما يرشدهم إليه.

(إن للقدوة الحسنة والمطابقة والتلازم بين القول والفعل أهمية كبيرة، ولذا فلا مناص لكل داعية أن يبذل غاية جهده ليكون قدوة حسنة في كل مجال، وأن يجعل أفعاله ترجمة لأقواله، وأن تكون أقواله مؤكدة لأفعاله فينال محبة القلوب، ويصل إلى قناعة العقول، ويحظى قوله وفعله وإرشاده ونصحه بالرضى والقبول)[٥].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٦٠٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٤.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ٢ - ٣.

(٤) الفوائد ص ٨٠.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ٤١.

إن القدوة الحسنة لها أثرها في الرعاية والتوجيه أكثر من القول أو الكلمة، فالرجل في أسرته والمرأة في أهل زوجها وولده، والعامل في مال غيره، كلٌّ من هؤلاء يحدث بسلوكه العملي الأثر النافذ في توجيه من يرعاه، والمجتمع كله ليس إلا رجلاً في أسرته وامرأة في أهل بيت زوجها وولده وعاملاً في مال غيره.

والاستجابة للقيادة التي تنيرها القدوة الحسنة أبقى وأسلم من تلك التي يحمل عليها الإكراه[1].

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة:

يتبين هذا من تقبيل النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما مما يدل على رحمته وشفقته، فينبغي على الداعية أن يحرص على الرحمة والشفقة بالصغار سواء أكانوا أبناءه، أم أولاود أبنائه وبناته أم من الأجانب، لأن هذا يوجب الرحمة، وأن لديه قلبًا يرحم الصغار، وكلما كان الإنسان بعباد الله أرحم، كان إلى رحمة الله أقرب وقد قال النبي ﷺ "من لا يرحم لا يرحم" فدل ذلك على أنه ينبغي للإنسان أن يجعل قلبه لينًا عطوفًا رحيمًا[2]. فالرحمة والشفقة فضيلة، والقسوة رزيلة. والرحمة تكون بالأبناء وأثرها تقبيل ومعانقة، كما صنع الرسول ﷺ بالحسن. وتأديب وتربية وإجابة رغائب - ما دامت في سبيل المصلحة، وإبعاد من الشر وتكون بالآباء والأمهات وأثرها قول كريم، وصنع جميل، وطاعة في غير معصية وخدمة صادقة: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[3]، وتكون بالأقرباء، وأثرها بر وصلة، وزيارة ومودة، وسعى في مصلحة، ودفع مضرة فعلى الداعية أن يتخلق بخلق الرحمة والشفقة لما لها من أثر في نشر الدعوة إلى الله"[4]. وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا

---

(١) انظر: خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر، د. محمد البهي ص ١٢٤.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١١٦٨/٢.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٤.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٢٢.

غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ...﴾[١].

قال السعدي: (أي برحمة الله لك ولأصحابك منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك)[٢]، وما أحوج الدعاة الآن أن يتصفوا بالرحمة والشفقة ليقبل عليهم المدعوون، ويسمعوا قولهم، وقد قال الله تعالى آمرًا موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣].

(إن كمال العلم في الحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس، وهو هادئ النفس مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق فتنفر منه القلوب وتشمئز منه النفوس، ولو كان الداعي سيء الخلق جافيًا قاسي القلب فأغلظ لهم في القول تفرقوا عنه، وانصرفوا من حوله فحرموا الهداية بأنوار دينهم فعاشوا وماتوا جهلاء وذلك هو الشقاء، وهو سببه وعلته)[٤].

رابعًا- من واجبات المدعو: الإخبار عن حاله ومعرفة مدى مطابقته للشرع:

حيث أخبر الأقرع بن حابس أن له عشرة من الولد ما قبّل منهم أحدًا، وهذا من واجبات المدعو أن يخبر عن حاله وأفعاله للداعية، ويرى هل هي مطابقة للشرع الحنيف أم لا، وذلك لأن الإنسان قد يقع في بعض الأخطاء الشرعية عن جهل، ولو أنه سأل في الدين وأخبر عن حاله لعرف موقع الصواب من الخطأ في تصرفاته، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢١.

(٣) سورة طه، آية: ٤٤.

(٤) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ٩٤.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٣.

ولذا فإن من أوجب الواجبات على المدعو أن يعرض حاله على الشرع ليعرف مدى قربه أو بعده منه، وليدرك موقعه الحقيقي من الشرع، هل حياته وسلوكياته مطابقة للشرع أم بعيدة عنه، وليحاسب نفسه ويصحح مساره، ويستدرك ما فاته من تقصير فهذا مما لا يستغني عنه كل مؤمن.

خامسًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

ويتضح هذا من توجيه النبي ﷺ إلى الرحمة بقوله: "من لا يرحم لا يُرحم"، وبهذا يتأكد على الدعاة ضرورة الحرص على إرشاد المدعوين، ولهم على ذلك الأجر والمثوبة، ففي الحديث الشريف: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)) [(١)]، ومن هنا كانت مهمة وواجب الداعية هي الدعوة إلى الخير والإرشاد إلى الفلاح.

سادسًا- من أساليب الدعوة: الشرط، الترهيب:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث "من لا يرحم" والشرط أسلوب من أساليب الدعوة، وهو يحمل في داخله معنى التشويق، ويشدّ انتباه المدعوين إلى معرفة جواب الشرط، وأسلوب الشرط فيه أيضًا بيان ارتباط الجزاء بالعمل كارتباط الجواب بالشرط.

٢- **الترهيب:** وذلك من قوله ﷺ "من لا يرحم لا يُرحم" قال ابن حجر: (من لا يكن من أهل الرحمة فإنه لا يرحم، وقد يكون المراد أن الذي يفعل هذا الفعل من عدم تقبيل الأولاد فإنه لا يرحم)[(٢)].

ولا شك أن هذا الترهيب يدفع المدعوين إلى الإقبال على العمل، ذلك لأن أسلوب الترهيب في الدعوة يحمل النفس على الطاعة، ولكن يجب على الدعاة أن يوازنوا بينه وبين الترغيب، كما هو منهج القرآن الكريم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٤٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة بالمسلمين:

يتضح هذا من مضمون الحديث، فمما لا شك فيه أن من موضوعات الدعوة المهمة الشفقة والرحمة بالمسلمين، وإن الناظر المتأمل ليجد أن بعثة النبي ﷺ في ذاتها كانت رحمة لجميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [(١)]، قال القاسمي: (وما أرسلناك بهذه الحنيفية والدين الفطري، إلا حال كونك رحمة للخلق فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين، وفي جعله نفس الرحمة مبالغة جلية فكل من لحظ بعين الحكمة والاعتبار، علم حاجة البشر كافة إلى رسالة خاتم النبيين، وأكبر مِنّة مَنّ الله بها على العالمين إذ أرسل إلى البشر رسولاً ليعتقهم من أسر الأوثان، ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد إلى نور الإيمان، وينقذهم من النار والعار، ويرفع عنهم الآصار، ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال، ويرشدهم إلى صراط الحق)[(٢)].

هذا وقد وصف الله الجماعة المؤمنة، والصحابة الكرام رضي الله عنهم بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [(٣)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((جَعَلَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ. فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ. وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا. فَمِنْ ذٰلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ. حَتَّىٰ تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ))[(٤)].

وإذا كان الأمر كذلك فإنه من الضرورة بمكان أن تشيع الرحمة والشفقة بين المسلمين حتي ينالوا رحمة الله، ويحنو القوي على الضعيف، والغني على الفقير، والقادر على العاجز ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) محاسن التأويل ٢٩٨/١١ - ٢٩٩.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٠٠، ومسلم ٢٧٥٢.

(٥) سورة البلد، آية: ١٧.

إن الرحمة إن حلت في حياة الأفراد سادت المجتمع الفضيلة، لأن الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع، وهي متبادلة الحركة صعودًا ونزولاً، فالفرد الذي يرحم ذاته، سيصل إلى الكفاية والقناعة، فيُصدِّر شعوره بالرحمة إلى الآخر، وهكذا ترتفع قيمة الرحمة من الأسفل إلى الأعلى، وإذا كانت الرحمة واجبة على الفرد فالفرد بحاجة إلى مثل يدِّعم المثل الإيماني فيه، وهذا المثل يأتي من الحاكم الذي يتوجب أن يكون عدلاً رحيمًا رؤوفًا كما كان الرسول ﷺ وخلفاؤه، فصلاح الحاكم يعني صلاح الفرد وصلاح الفرد يعني صلاح المجتمع، وبالتالي فإن صلاح المجتمع يشف عن عدالة الحاكم ورحمته بمن ولي عليهم[1].

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بين صنيتان بن تنباك وآخرون، ٧٥/٢٦.

الحديث رقم (٢٢٦)

٢٢٦- وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قدم ناسٌ مِن الأَعْرابِ عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: أَتُقبِّلونَ صِبيْانَكُمْ؟ فقال: «نَعَمْ» قالوا: لَكِنَّا واللَّه ما نُقَبِّلُ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّه نَزعَ مِنْ قُلُوبِكُمْ[1] الرَّحمَةَ» متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الأعراب: هم سكان البادية، المفرد أعرابي[3].

الشرح الأدبي

تتماوج أشعة هذا الحديث الشريف مع الحديث السابق في أفق دلالي واحد، وفي دائرة توجيهية واحدة، حيث يحرص رسول الله ﷺ على إعطاء القدوة والأسوة الحسنة في تنشئة الأطفال في ظل الحنان والعطف والمودة والرحمة، وقد قبَّل رسول الله ﷺ، الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس.

وهذا الحديث يكمل القصة نفسها، كما يقول كثير من العلماء، فهؤلاء الذين قدموا من الأعراب: كانوا من تميم، ورئيسهم الأقرع بن حابس، لأن الحوار يكمل بعضه بعضًا، وأبو هريرة رضي الله عنه روى مشهدًا من مشاهد هذه القصة الواقعية، والسيدة عائشة رضي الله عنها روت مشهدًا آخر أو أكملت الحوار الذي بين رسول الله ﷺ، ووفد تميم من الأعراب حول هذا الشأن: وهو الحنو على الأبناء، وتقبيلهم لمزيد من الإيناس، والإشعار بالحنان والعطف والبنوة.

ولا غرابة في ذلك فالشيماء أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة كانت كما يقول

---

(١) لفظهما: (قلبك) بالإفراد.

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٨)، ومسلم (٢٣١٧/٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٤٣).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١١٣، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٥٧.

الرواة، تقبله وترقصه في مهده وهو لم يزل طفلاً رضيعًا وتقول له:

هـــذا أخ لـــي لم تلـــده أمـــي

ولـــيس مـــن نـــسل أبـــي وعمـــي

فأنْمـــه الله فيمـــا تُنْمـــي[1]

والحسن البصري العالم الزاهد كان يداعب ابنه ويناديه وهو يلاعبه ويقبله:

يـــا حبـــذا أرواحـــه ونفَـــسُه

وحبـــذا نَـــسمُه ملمـــسُه

والله يبقيـــه لنـــا ويحرسُـــه

حتـــى يجـــر ثوبـــه ويلبـــسُه[2]

ويروي أن رسول الله ﷺ: دخل عليه عمه الزبير بن عبدالمطلب وهو صبي فأقعده في حجره وقال له:

محمـــدٌ بـــن عَبْـــدم عـــشت بعـــيش أنعـــم

ودولـــة ومغـــنم في فـــرع عـــزٍّ أسْـــنم

مكـــرَّم ... معظـــم[3]

والشواهد السابقة تؤكد المنهج السديد في تربية الأبناء في ظل رعاية أبوية وحنان من الأهل كلهم، حسب تعاليم الإسلام.

والحديث الشريف يموج بأسرار تعبيرية كثيرة وفي مقدمتها هذا الحوار الواقعي بين رسول الله ﷺ ووفد تميم، ونتيجة الحوار تؤكد على سلبية منهج هؤلاء الأعراب الذين نزع الله من قلوبهم الرحمة، وتؤكد كذلك سلامة المنهج النبوي السديد، منهج

---

(١) السيرة الحلبية ١/١٦٧.

(٢) الغناء للأطفال عند العرب، د. أحمد عيسى بك.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ج٤، والأمالي للقالي ٢/١١٧.

محمد رسول الله ﷺ والذين معه: فهم: أشداء على الكفار رحماء بينهم، ولفظ "ناس" يمكن توجيهه حسب ما يدل عليه من طبيعة الإنسان فقيل هو مأخوذ من "أَنِسَ" كفرح: لأنهم يأنسون بأمثالهم، فاللفظ "يعطي" دلالة الأنس والرحمة وقيل مأخوذ من "أَنَس" بفتح النون كضرب، وهو الظهور: لأنهم ظاهرون مبصرون أي مشاهدون، وقيل أصل هذه الكلمة من ناس: يَنُوس: إذا اضطرب: وهذه الدلالة تتطابق مع طبيعة هؤلاء الأعراب الذين قست قلوبهم ونزع الله منها الرحمة، فهم مضطربون في سلوكهم لا يقدرون على مقاومة غلظتهم وجفائهم، ولذلك أنكروا على رسول الله ﷺ تقبيل أبنائهم: وقالوا: أتقبلون صبيانكم، والاستفهام هنا إنكاري، فقال الصحابة رضي الله عنهم: نعم، وتأتي إجابتهم مغلفة، بالاستدراك، "لكنا"، والنفي "ما نقبل"، والحذف: أي أطفالنا، والحذف هنا يوحي بأنهم لا يقبلون أحدًا بدافع العطف والود والشفقة، وفي ذلك مزيد من الإدانة لهم، وتأتي إجابة رسول الله ﷺ في ثوب الاستفهام الإنكاري منكرًا عليهم هذا الصنيع، وبأنه لا يملك أن يغير طبيعتهم القاسية.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالصغار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والعطف على الأولاد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الغلظة والقسوة مع الأولاد.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب السؤال والجواب، ويظهر السؤال في قول الأعرابي: أتقبلون صبيانكم؟ والجواب في قوله ﷺ: (نعم).

وهو من الأساليب الدعوية المفيدة في الدعوة حتى يتمكن المدعوون من السؤال عما يريدون معرفته، ويمكن الداعية من الإجابة بالحقيقة فينبغي على الداعية أن يشجع المدعوين على السؤال عما يجهلون.

فإن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه، ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، فإذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه.

فإن طارحي الأسئلة، إذا كان دافعهم إلى طرح أسئلتهم ما يعانونه من مشاكل فكرية أو نفسية أو اجتماعية في حياتهم، فلا بد أن يكونوا متلهفين لمعرفة الحل الأمثل لها، فيفتحون كل أبواب قدراتهم الفكرية ومشاعرهم النفسية، لتلقف الإجابات عليها، والنظر بإمعان.

وحين تكون الإجابات مقتبسة من أحكام الدين باجتهادات سليمة مشرقات واضحات الأدلة، فإنها تقع في نفوسهم في مواقع الرضا والتسليم والاقتناع[1].

ثانيًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالصغار:

إن من صفات الداعية الرحمة والشفقة بالصغار، وتظهر هذه الصفة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية من الحديث فقد أجاب رسول الله ﷺ بأنه يُقَبِّلُ الصبيان وهذا من رحمته وشفقته عليهم، وَوَصَفَ من لا يُقَبِّلهم بأنه منزوع الرحمة.

والتقبيل معروف. ويبين الحديث أن تقبيل الصغار من سنة رسول الله ﷺ، وتشير وقائع الحديث لخصوصية تقبيل الصغار لاحتياج الصغير لمظاهر الميل والعطف واللين واللطف والرقة والرأفة وتبين الواقعة جانب من رحمة النبي ﷺ بالصغار وقد كانت رحمته ﷺ عامة لكل من يستحق الرحمة من الخلق.

(والطفل ضعيف في حاجة إلى الرحمة والشفقة فإذا شبع الأطفال من رحمة الكبار شبوا أسوياء صالحين)[2]، فينبغي على الداعية أن يكون رحيمًا بالأطفال شفيقًا عليهم وله في ذلك المثل والقدوة الحسنة في رسول الله ﷺ فقد ورد في رحمته وشفقته بالأطفال الكثير من الأحاديث منها:

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٢) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ١٣٣.

عن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيتُ رسولَ اللّه ﷺ مع أبي وعليَّ قميصٌ أصفرُ، قال رسولُ اللّه ﷺ: سَنَه سَنه، قال عبدُ اللّه وهي بالحبشية: حسنة. قالت: فذَهبتُ ألعبُ بخاتم النبوَّةِ، فزَبرَني[1] أبي. قال رسولُ اللّه ﷺ: دَعْها. ثم قال رسولُ اللّه ﷺ: ((أبلِي وأخْلِقي، ثم أبلي وأخلقي، ثم أبلي وأخلقي)). قال عبد اللّه: فبقِيتْ حتى ذكر.. يعني من بقائها))[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ. فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ. وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا. فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ))[3]، قال النووي: (فيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والعطف على الأولاد:

يستنبط هذا من عموم الحديث: (فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: نعم، قالوا: ولكنا والله ما نقبل! فقال: أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة) فيفهم من عموم اللفظ فضل الرحمة والعطف على الأولاد، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلَتِ ابنةُ النبيِّ ﷺ إليه: إنَّ ابنًا لي قُبِضَ، فأتِنا. فأرسلَ يُقرِئُ السلامَ ويقول: إنَّ للّه ما أخذَ وله ما أعطى، وكلٌّ عندَه بأجَلٍ مُسمًّى، فلْتَصبِرْ ولْتحْتَسِبْ. فأرسلَتْ إليهِ تُقسمُ عليه لَيَأْتِيَنَّها. فقامَ ومَعَهُ سَعدُ بنُ عُبادة ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ وأُبَيُّ بنُ كعبٍ وزَيدُ بنُ ثابتٍ ورِجالٌ. فرُفِعَ إلى رسولِ اللّه ﷺ الصبيُّ ونفْسُهُ تَتَقعْقَعُ ـ قال: حسِبتهُ أنَّهُ قال: كأنَّها شَنٌّ ـ ففاضَتْ عيناهُ، فقال سَعدٌ: يا رسولَ اللّهِ ما هذا؟ فقال: هذِه رحمةٌ جَعَلها اللّهُ في قُلوبِ عِبادِهِ، وإنَّما يَرحَمُ اللّهُ مِن عبادِه الرُّحماءَ))[5]، فرحمة المسلم للأولاد وعطفه

---

(١) زبرني: أي نهرني ومنعني.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٦، وعوالي المدينة: القرى المجاورة لها (ظئره) أي زوج مرضعته (قينًا) أي: حدادًا.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٨٤.

عليهم تجعل الأولاد يحبونه ويسمعون كلامه فعلى الداعية أن يكون رحيمًا بالأولاد عطوفًا عليهم حتى يقبلون دعوته، ويعمل على إشاعة الرحمة بين المدعوين، حتى تعم آثارها بين الصغار والكبار.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث: أسلوب الترهيب، ويظهر في قوله: "أو أملك إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة" حيث رهّب ﷺ من عدم رحمة الأطفال وبيّن أن من لا يُقَبّل الصبيان ويرحمهم منزوع الرحمة من قلبه فينبغي على المسلمين أن يرحموا الصبيان طلبًا للرحمة.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من الغلظة والقسوة مع الأولاد:

إن مما يستنبط من عموم الحديث الحذر من الغلظة والقسوة مع الأولاد لأن ذلك ينزع الرحمة من القلب مما ينعكس على الصبيان أيضًا، (ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلب الأبوين، شعور الرحمة بالأولاد، والرأفة بهم، والعطف عليهم، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد، وفي إعدادهم وتكوينهم أفضل النتائج، وأعظم الآثار. والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة، يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية. ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد، وفي تخبطهم في أوحال الشذوذ، ومستنقعات الجهل والشقاء)[1]. وقد حذر النبي ﷺ من عدم رحمة الصبيان، فقال: ((لَيْسَ مِناَّ مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا...))[2].

فالغلظة والقسوة مع الأولاد أمر منفر لهم ومخيف فلا بد من البعد عنه حتى يكونوا غير خائفين بل يجب التلطف والرأفة بهم.

فعلى الداعية أن يبين علاقة الآباء بالأبناء، وأنها لا تقوم على القسوة والشدة بقدر ما تقوم على الرأفة والرحمة.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، د. عبدالله ناصح علوان ٤٩/١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٦).

الحديث رقم (٢٢٧)

٢٢٧- وعن جرير بن عبد اللّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَنْ لا يرْحَم النَّاس لا يرْحمْهُ اللّه**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

الشرح الأدبي

في ظلال الحديث نتنسَّم عبير الرحمة المهداة، ونبصر وهج أخلاق السراج المنير، والبشير النذير، محمد بن عبدالله، النبي المجتبى، والحبيب المصطفى، والرحمة المهداة: ولا غرو.. فقد كان ﷺ كما يقول أبو بكر القسطلاني، مع أصحابه وأهله، ومع الغريب والقريب من سعة الصدر، ودوام البشر وحسن الخلق، والسلام على من لقيه، والوقوف مع من استوقفه، والمزح بالحق مع الصغير والكبير أحيانًا، وإجابة الداعي، ولين الجانب، حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا الميدان لا تجد فيه إلا واجبًا أو مستحبًا أو مباحًا، فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيئوا بنور هدايته في ظلمات الجهل ويقتدوا بهديه ﷺ، وكان ﷺ يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حِجره.

وفي وهج هذه الأخلاق الرفيعة، والشمائل البديعة، نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: الذي اتسم بالإيجاز في لفظه، والاتساع في معناه فهو قاعدة من قواعد الإسلام في إقامة أسس العلاقات بين البشر جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، بل بين الإنسان وجميع الكائنات التي خلقها الله لإفادة البشرية، وعمارة الكون.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٦)، ومسلم (٢٣١٩/٦٦) والسياق للحميدي في جمعه (٢٣٤/١، رقم ٤٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٣١).

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة، لكنها تشكل سلوكيات الإنسان في كل زمان ومكان.

ولفظ "الناس" يرشد إلى اتساع آفاق المعنى، فالرحمة ليست للمسلم فقط ولكنها لكل إنسان خلقه الله من ذكر وأنثى، ولكن شريطة أن يأمن المسلمون جانبه، وأن لا يعتدى على حرمات المسلمين.

والجذْرُ اللغوي للفظ "الناس" يعطي دلالات كثيرة تفسر كثيرًا من طبائع البشر: كما أوضحت في شرح الحديث السابق، "والْ" هنا للعهد، وقال العلماء: إن الناس خصوا بالذكر اهتمامًا بهم، وإلا فالرحمة مطلوبة لسائر المخلوقات حتى الدواب والبهائم، ففي كل كبد رطبة أجر، والشواهد كثيرة على ذلك في التاريخ والواقع.

ومن أسرار البيان النبوي في هذا الحديث، أن التوجيه الإعرابي فيه متعدد، وتتنوع الدلالة حسب التنوع الإعرابي، ونوعية الجملة، وهذا من الأسرار الخفية في بلاغة النبوة، فجملة الحديث يمكن أن تكون اسمية، ويمكن أن تكون شرطية.

فإذا كانت "مَنْ" اسم موصول: بمعنى الذي فهى مبتدأ وما بعده صلة: وجملة "لا يرحمه الله" خبر المبتدأ، وهى بهذه الصيغة تعلن عن ثبات هذه القاعدة حيث قال العلماء إنها صارت كضرب المثل: وكلام النبوة أعظم دلالة، وأعمق تأثيرًا من ضرب الأمثال، لأنه من وحى الكبير المتعال، وعلى هذا التقدير: فالفعل يرحم مرفوع في الموضعين.

وقيل إن "من" شرطية: والفعلان "يَرْحم لا يُرْحَم" مجزومان: وجواب الشرط ينفي الرحمة من الله للعبد الذي أقدم على فعل الشرط وهو عدم رحمة الناس، وقيل يمكن أن يكون الفعل الأول مجزومًا والثاني مرفوعًا وتقديره: من لا يكون من أهل الرحمة فإنه لا يرحم.

وقال العلماء في توجيه المعنى في هذا الحديث حسب التوجيه اللغوي: عدة توجيهات منها. المراد: من لا تكون فيه رحمة الإيمان في الدنيا لا يرحم في الآخرة، أو: من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه لا يرحمه الله لأنه ليس عنده عهد، فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال، والثانية بمعنى الجزاء، أي لا يثاب إلا من عمل

صالحًا، ويحتمل أن تكون الأولى الصدقة والثانية البلاء أي لا يسلم من البلاء إلا من تصدق، ومن لا يرحم الرحمة التي ليس فيها شائبة أذى لا يرحم مطلقًا ؟ ولا ينظر الله بعين الرحمة إلا إلى من جعل في قلبه الرحمة ولو كان عمله صالحًا، وفي ضوء هذه التوجيهات قال العلماء: وينبغي للمرء أن يتفقد نفسه في هذه الأوجه كلها فما قصر فيه لجأ إلى الله تعالى: في الإعانة عليه[1]. وهكذا نتلقى بلاغة النبوة بما فيها من الإيجاز وقوة التعبير، وشدة التماسك وجوامع الكلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الرحمة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير الناس مما قد يضرهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: خطورة عدم الرحمة بالناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الرحمة:

من موضوعات الدعوة في هذا الحديث أهمية الرحمة وتظهر من قوله ﷺ: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"، (فالرحمة هي رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور. تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم، والعطف عليهم، وكفكفة دموع أحزانهم وآلمهم. وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين)[2]. إن الرحمة لها أهمية عظيمة على المجتمع المسلم إذ بالرحمة يشعر المسلمون بالمحبة والمودة بعضهم ببعض، لذلك قال رسول الله ﷺ: ((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[3]، والإنسان الرحيم بخلق

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ج٢، حديث ٢٢٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٣٦٥/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

الله يرحمه الله، قال ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ ...))[١].

أما من لا يرحم الناس لا يرحمه الله، قال ابن بطال: (الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم: المملوك منها وغير المملوك)[٢].

وحكم ﷺ على من افتقدوا الرحمة بأنهم هم الأشقياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ))[٣].

ورحمة المؤمن لا تقتصر على إخوانه المؤمنين، وإنما هي ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعًا إنها رحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن وحده هو الذي يرحمه، ويتقي الله فيه، ويعلم أنه سبحانه سيحاسبه ويسأله إذا قصر في حقه أو تسبب في إيذائه، وقد أعلن النبي ﷺ أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلبًا فغفر الله لها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ. قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ. فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا. فَغُفِرَ لَهَا))[٤][٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب الترهيب، ويظهر ذلك من ترهيبه ﷺ لمن لا يرحم الناس، بأنه لن يكون أهلاً لرحمة الله، لأن من لم ينل رحمة الله يكون قد خسر الدنيا والآخرة، فحري بالداعية أن يستعمل أسلوب الترهيب في الزجر عن افتقاد الرحمة، (ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٤٢، والترمذي ١٩٢٣، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٨).

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٦٧، ٣٣٢١، ومسلم ٢٢٤٥ واللفظ له. والنزع استخراج الماء من البئر والموق خف غليظ يلبس فوق غيره، المعجم الوجيز في (م و ق).

(٥) انظر: تربية الأولاد، عبدالله ناصح علوان ص ١/٣٦٥ - ٣٦٦.

(٦) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

ثالثًا- من مهام الداعية: تحذير الناس مما قد يضرهم:

إن من مهام الداعية تحذير الناس مما قد يضرهم ويستنبط هذا من بيانه ﷺ أن ترك الرحمة يضر بهم ويجعلهم لا ينالون رحمة الله عز وجل.

فتعاليم الإسلام تفرض على المنتمين إليها ضرورة القيام بواجب تحذير الناس مما قد يضرهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وتتبوأ هذه المهمة في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وجد، وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة، ولا داعية[2].

وله في هذا القدوة في رسول الله ﷺ إذْ كان دائمًا يحذر صحابته مما قد يضرهم ويدعوهم إلى ما يفيدهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: خطورة عدم الرحمة بالناس:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من قوله ﷺ: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)، خطورة عدم الرحمة بالناس.

فمن آثار عدم الرحمة في المجتمع انتشار الجفاف لينابيع الرحمة، وهذا ما يتنافى مع ما أمر الله به عباده من التراحم والعطف والشفقة، ولذا نجد من الناس من هو فظ غليظ، لا يتراخى، ولا يتألف، ولا يلذُّ إلا المهاترة والإقذاع، ولا يتكلم إلا بالعبارات النابية التي تحمل في طياتها الخشونة والشدة، والغلظة والقسوة. وذلك كله مدعاة للفرقة والعداوة، ونزغ الشيطان وعدم قبول الحق.

فهذا نبي الله محمدٌ ﷺ مع أنه مرسل من الله، ومؤيد بالوحي، ومع أنه جاء بالهدى ودين الحق - قال ربه عز وجل في حقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3][4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) سوء الخلق، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١٤.

الحديث رقم (٢٢٨)

٢٢٨- وعن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال: «**إذا صلى أَحدُكُمْ للنَّاسِ فلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الضَّعِيفَ وَالسقيمَ والْكَبِيرَ. وإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيطَوِّل ما شَاءَ**» متفقٌ عليه[1].

وفي روايةٍ[2]: «**وذَا الْحاجَةِ**».

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صلى أحدكم للناس: أي بالناس وكان إمامًا لهم.

السقيم: أي المريض[3].

الشرح الأدبي

إن الصلاة لها دور كبير في تنظيم حياة المسلم، وفي ترسيخ علاقته بربه وبالناس، وفي تخليصه بين وساوس الشيطان، وهواجس القلق، وأطياف الاضطراب، لأنها صلة روحية وفعلية من العبد وربه، فالمسلم يتهيأ لاستقبال الصلاة وهو طاهر نظيف، طاهر الثوب والبدن والمكان، والوضوء من الوضاءة وهى الحسن والنظافة، وهو شطر الإيمان وبعد هذا الاستعداد النفسي والبدني والذهني يقف المسلم خاشعًا في سكينة وهدوء وتأمل في مصلاه، مستحضرًا جلال ربه، وجماله وكماله وعفوه وحلمه وكرمه وصفحه، وكل ما في النفس من قلق وفزع ووساوس يُنزع حين يعلن المسلم دخوله في أنوار الصلاة، ويقول: الله أكبر ويفتتح... صلاته بالحمد... والثناء على الله، والإقرار بالعبودية والاستعانة بالله وطلب الهداية والاهتداء إلى الصراط المستقيم، صراط الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٣) واللفظ له، ومسلم (٤٦٧/١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤٦٧/١٨٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

في هذا الجو الإيماني المفعم بالسكون والجلال، والخشوع والجمال... يرشدنا المصطفى ﷺ إلى ضرورة إشاعة الطمأنينة في نفوس المصلين، وإلى تعظيم حرماتهم، ومراعاة أحوالهم، حتى لا يتسرب الضعف البشري إلى النفس المؤمنة، وحتى لا يجد الضعيف في الصلاة عبئًا يضاعف من معاناته، فيزهد شيئًا فشيئًا في صلاته، ويحرم من دعواته ومناجاته، وحتى لا يفر السقيم من بين صفوف الجماعة حين يعجز عن إتمام الصلاة، فيحرم الثواب، ويحيط به الفزع خوفًا من العقاب، وربما يغلبه اليأس ، ويقهره الشيطان، فيهجر الصلاة، فيبوء بالخسران والخذلان، ويتلقفه أعوان الشيطان، فيرد موارد التهلكة، ولا يستطيع العودة إلى حدائق الصلاة، وواحات النجاة.

وكذلك الكبير ... وهو الطاعن في السن.. الذي بلغ من العمر أرذله، وكاد أن لا يعلم من بعد علم شيئًا إنه في حاجة إلى رحمة ربه وعونه، ولكن ربما يقعده التطويل في الصلاة عن ذلك، وربما يحرم من صلاة الجماعة في المسجد لأنه يعاني من أمراض الشيخوخة، وما أدراك ماهيه؟ إنها تراكمات السنين، وأعباء الشقاء المزمن والصراع المرير في ميدان الحياة، ومتاهات العمر الضنين.

والمصطفى ﷺ وهو الرحمة الهداة، وهو كما قال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، يرشد أئمة المسلمين وعلماءهم إلى هذه القضية التي تعظم حرمات المسلمين وترغبهم في العبادة، والصلاة عماد الدين وهى رأس الأمر وعموده. ومع ذلك فهو يأمر كلّ من يؤم المصلين بالتخفيف، ولذلك تأتي صياغة الحديث اللغوية في جملتين تمثلان موقفين متقابلين ومتماثلين: فالتقابل بين موقفين متغايرين: وهما التطويل والتخفيف، والتماثل هو صلاة الجماعة، في الموقفين، ولذلك اتحدت أداة الشرط وهي: "إذا" في الجملتين: لأن الصلاة واجبة. وإذًا تدل على التحقق فجواب الشرط وهو التخفيف في الموقف الأول لابد أن يتحقق: لتحقق فعل الشرط ووجوده وجوبًا وهو الصلاة، والجملة

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الثانية أداة الشرط فيها "إذا" لأن فعل الشرط تحقق وجوبًا وهو الصلاة، وكذلك جواب الشرط وهو التطويل متحقق اختيارًا لذلك قال "فليطول ما شاء" لأنه يصلي وحده، وقال: "لنفسه"، فتأمل كيف دلت الصياغة اللغوية على المقاصد والأحكام الشرعية المتعلقة بالصلاة، وفي الحديث إيجاز بالحذف في قوله: "صلى ... للناس"، أي صلى إمامًا للناس، وحرف اللام أغنى بدلالته عن اللفظ المحذوف، وقوله: "أحدكم" ولم يقل الإمام، حتى لا يظن أن الإمامة تخص قومًا دون آخرين، فكل من اكتملت لديه شروط الإمامة، فهو صالح لها، وجملة، "فإن فيهم..." تعليلية: لبيان أصناف الناس الذين من أجلهم أمر بالتخفيف، فالدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه. والله الموفق.

فقه الحديث

لا شك أن على الإمام في الصلاة مدارًا كبيرًا، ولذا اهتم الفقهاء بشروط ومراتب الأئمة ومن تلك الشروط: أن يكون فقيهًا حتى يستطيع التعرف على أحوال الناس فيخفف عنهم متى وجد داع متأسيًا في ذلك بالرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم حيث كانت صلاته قصدًا دون تطويل أو تقصير، ولذا ينبغي للإمام أن يتوسط في صلاته حين يؤم الناس وإن أراد التطويل في الصلاة فليطول صلاته هو حين يصلي منفردًا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يسن لمن يصلي بالناس أن يخفف في القراءة والأذكار مع فعل الأبعاض والهيئات ويأتي بأدني الكمال، فيأتي بالواجبات والسنن ولا يقتصر

---

(١) انظر في ذلك: حاشية رد المحتار ٥٦٤/١، وطلبة الطلبة للنسفي ص ١١، مكتبة المثنى ببغداد، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٤٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٤/٤ وما بعدها، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٢٨/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢١١/١، والأم ١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٣٣/١، والفتاوى الكبرى ١٢٠/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٧/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٦٣/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٣/٦.

على الأقل ولا يستوفي الأكمل، ما لم يكن المصلون خلفه مؤثرين للتطويل فلا يكره حينئذ لأن المنع لأجلهم وقد رضوا، ويكره أن يسرع الإمام في الصلاة بحيث يمنع المأموم من فعل ما يسن له كتثليث التسبيح في الركوع والسجود، وغير ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اليسر في العبادة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة بالناس.

أولاً- من صفات الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

ويتجلى ذلك في اهتمام النبي ﷺ بمراعاة أحوال المأمومين فقال: (إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف، والسقيم، والكبير).

وقد أمر ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بتخفيف الصلاة مراعاة للمأمومين فقال له: ((أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ. وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ))[1].

فينبغي على الداعية مراعاة أحوال المدعوين في شتى الأمور حتى يقبل الناس على استماعه ولا ينفرون منه.

ومن مظان قبول الدعوة وتأثيرها في قلوب الناس مراعاة الأوقات، والمقصود بها تخير الوقت الملائم للدعوة من حيث فراغ المدعوين واستعدادهم للتلقي، وكذلك المراعاة لأوقات المواعظ والدروس، ومناسبة طول وقتها لأحوال المدعوين، ويندرج تحت ذلك مراعاة استعداد المدعو وبلوغه المرحلة التي يكون فيها الوقت مناسبًا لتفاعله واستجابته.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٨.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموْعِظةِ في الأيامِ، كَراهةَ السَّآمةِ علينا)[1].

ومعنى: يتخولنا: بالخاء، أي: يتعهدنا، والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نَمَلّ، ومعنى: كراهة السآمة، أي: مخافة السآمة والمشقة الطارئة علينا.

قال ابن حجر: (يستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد والعمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة، ولكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكليف، وإما يوم بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة، ليقبل على الثاني بنشاط ورغبة، وإما في يوم الجمعة.

ولا شك أن هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط في ذلك الحاجة مع مراعاة وجود النشاط)[2].

إن أمر المراعاة مهم جدًا في مجال الدعوة، وأنه متشعب حسب أحوال الناس والزمان والمكان، والحقيقة أن المراعاة من أنواع التدرج، لأن المراعاة كثيرًا ما تقتضي ترك أمر لعدم ملاءمته، إما للطبع، أو الفهم، أو الحال، أو غير ذلك، والاستعاضة عنه بغيره حتى يكون مُمهدًا لعرض الأمر المتروك فيأتي في وقته المناسب[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اليسر في العبادة:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث يسر العبادة. قال العيني: (قال ابن بطال: وإنما غضب رسول الله ﷺ لأنه كره التطويل في الصلاة من أجل أن فيهم المريض ونحوه فأراد الرفق والتيسير بأمته، ولم يكن نهيه ﷺ من التطويل لحرمته؛ لأنه ﷺ كان يصلي في المسجد ويقرأ بالسور الطوال كالأعراف، والحاصل أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨، ومسلم ٢٨٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٩.

(٣) الدعوة إلى المضامين الحميدة في الحج، د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي، بحث ضمن بحوث مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٥٥، رجب ١٤٢٧هـ ٢/٥٧٠ - ٥٧١.

التخفيف أو التطويل أمر نسبي يختلف باختلاف الأوقات والأحوال في الإمام والمأمومين)[١].

وقد كان ﷺ يعلم حال من صلى خلفه إما بالوحي، وإما برؤيته له، فقد ثبت أنه ﷺ كان يرى في الصلاة من خلفه كما يرى من أمامه. وقد كان ﷺ يدخل في الصلاة يريد إطالتها فيسمع بكاء الصبي فيتجوز فيها.

أما غير النبي ﷺ فإنه مأمور بالتخفيف إذا أمَّ غيره، إلا أن يحصل له علم بحال من خلفه كمن صلى بجماعة محصورين ليس فيهم من يكره الإطالة فله ذلك[٢].

فلم يكلف الله عباده إلا المستطاع، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]، فأمره ﷺ بتخفيف الصلاة مراعاة لأحوال المأمومين دليل على يسر العبادة في الإسلام فالله عز وجل لا يريد أن يشق على عباده ويعذبهم، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[٤]، بل جعل الله عبادته ميسرة ولم يجعل فيها مشقة وعسرا، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٥]، فينبغي على الداعية إلى الله أن يبين للمدعوين أن الدين كله يسر، وليس فيه كلفة فوق الطاقة والوسع، بل هو مناسب لحال كل مكلف، سواء أكان صحيحًا أم سقيمًا، قويًا أم ضعيفًا.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الترغيب وهذا في قوله ﷺ "إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف" والترغيب في تخفيف الصلاة والدعوة يجعل المصلين أو المدعوين يقبلون على العمل، علمًا منهم أن العمل لن يكون فيه مشقة

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني ١٠٥/٢.

(٢) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصافح، ص ١٥٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤٧.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

عليهم، فعلى الداعية إلى الله أن يراعي التيسير والتخفيف حتى يستقطب المدعوين، ويكون مراعيًا لأحوالهم وأعذارهم، ويحث المدعوين على التخفيف على أنفسهم والآخرين ترغيبًا لهم في الدعوة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة للناس:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم هذا الحديث فضل الشفقة والرحمة بالناس ويظهر من طلبه ﷺ الإمام بالتخفيف عن الناس لأن فيهم الضعيف والسقيم والكبير.

والشفقة والرحمة بالناس لها فضل كبير في إيصال الدعوة واتباع الداعية فرحمة الرسول بأمته وشفقته عليهم جعل الناس يتبعونه ويلتفون حوله، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى "بالمؤمنين رءوف رحيم": (أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم من والديهم، ولهذا كان حقه مقدمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه وتوقيره وتعزيزه)[3].

فينبغي على الداعية أن يحرص على الرحمة والشفقة بالمدعوين حتى يحبونه ويقبلون دعوته، فالرحمة كلمة محببة للنفس فيها من التأثير النفسي، الشيء الكثير يتوق الإنسان إليها ويحنو عليها ويرغب فيها، لأنها تشبع فطرته وتواسي ألمه وتوفر له حاجاته، بدونها يتجرد الإنسان من إنسانيته ويوصف بالهمجية والوحشية؛ لأنه لا رحمة

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

لديه وقد وردت أحاديث عديدة تضمنت هذه الكلمة الحبيبة على النفوس "الرحمة" واشتملت عليها فيما صحّ عن رسول الله ﷺ نورد بعضها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))[1].

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادقَ المصدَّقَ أبا القاسم يقول: ((لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِنْ شَقِيٍّ))[2][3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٣).

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٩٢.

الحديث رقم (٢٢٩)

٢٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: إِنْ كَان رسولُ اللَّه ﷺ لَيدعُ الْعَمَلَ، وهُوَ يحِبُّ أَنَ يَعْملَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حين نتأمل هذا الحديث الشريف، ونتمعن في كلماته نجد أنه من كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إخبارًا عن فعل رسول الله ﷺ وعن خصاله الجميلة، وشِيَمِهِ الكريمة، فالحديث من السنة العملية التي تعطي القدوة الفعلية، وقد كان رسول الله ﷺ، كما يقول الماوردي: وهو يذكر خصائص الرسول ﷺ وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته، والمبرهنة على عموم رسالته، ويرى أن الكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه: كمال الخلْق، وكمال الخلُق، وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال، وقد أفاض في شرح هذه الأوجه الأربعة من خلال بسط القول في الفضائل التي اختص الله بها محمدًا ﷺ، وفي سياق الإبانة عن معالم الوجه الرابع وهو فضائل أفعاله، يقول: إنه جمع بين رغبة من استمال، ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته، وقاموا بحقوق دعوته رغبة في عاجل وآجل، ورهبًا من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم إلا بهما، فلذلك صار الدين بهما مستقرًا، والصلاح بهما مستمرا.

وإنه عَدَل فيما شرعه من الدين عن الغلو والتقصير إلى التوسط، وخير الأمور أوساطها وليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيبٌ من سداد.

وأحْكم ما شرع من نص أو تنبيه، وعمَّ بما أمر من حاضر وبعيد، حتى صار لما تحمله من الشرع مؤديًا، ولما تقلده من حقوق الأمة موفيًا، لئلا يكون في حقوق الله

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٨) واللفظ له، ومسلم (٧١٨/٧٧).

زلل، وذلك في برهة من زمانه، لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز، وأنجز وما ذاك إلا بديع معجز.

وفي ضوء هذه الخصال، وتلك الخلال التي اتسم بها النبي ﷺ في أفعاله وأقواله، نقرأ هذا الحديث الشريف، ونتأمل صياغته، ودلالة هذه الصياغة على مراميه ومقاصده، فالحديث يبدأ بـ"أن" التوكيدية المخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف: والتقدير: إنه: أي إن شأن رسول الله ﷺ أن يترك العمل: وهو يحب أن يعمل به، والترك هنا ليس تركًا للعمل الواجب، ولكنه ترك الزيادة في أداء السنن والطاعات وهو مشتاق إلى أدائها، وفي سيرته الكثير من هذه المواقف ومنها ترك الخروج إلى القوم لصلاة الليل جماعة، فعن عروه أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن «رسولَ الله ﷺ خَرَجَ ليلةً مِن جَوفِ الليلِ فصلَّى في المسجدِ، وصلَّى رجال بصلاتهِ، فأصْبحَ الناسُ فتَحدَّثوا، فاجتمع أكثرُ منهم، فصلَّى فصلّوا معَهُ، فأصْبحَ الناسُ فتَحدَّثوا فكثُرَ أهلُ المسجدِ منَ الليلةِ الثالثةِ، فخرَجَ رسولُ الله ﷺ فصلِّيَ بصلاتهِ، فلمّا كانتِ الليلةُ الرابعةُ عَجَزَ المسجدُ عن أهلهِ حتى خَرَجَ لصلاةِ الصبح، فلمّا قضَىَ الفجر أقبلَ على الناس فتشهدَ ثمَّ قال: أما بعدُ فإنهُ لم يَخْفَ عليَّ مَكانُكم. ولكنِّي خَشِيتُ أن تُفرَضَ عليكم فتعجزِوا عنها[1]»، واللام في قول عائشة رضي الله عنها "ليدع" هي الفارقة، كما يقول النحاة: بين إن المخففة من الثقيلة للتوكيد، وإن النافية، ولو لم تجيء اللام: لصار المعنى إلى الضد، وهو عدم ترك العمل، لأن إن في غياب اللام تكون بمعنى ما: النافية: ويكون التقدير: ما كان رسول الله ﷺ يدع العمل، وذلك منافٍ للمراد في هذا الحديث: فتأمل أثر الصياغة في تحديد المعنى، وكم الذي يحدثه حذف حرف أو إثبات حرف من توجيه للمعنى، وتحديد للمراد، وذلك من أسرار جمال العربية وعمقها ولا عجب فهي لغة القرآن الكريم فقد أنزل بلسان عربي مبين.

وتأمل الموقع الإعرابي لجملة "وهو يحب أن يعمل به" إنها في موقع الحال: أي إن حال

---

(١) أخرجه البخاري ٩٢٤.

رسول الله ﷺ هو حال المحب لهذا العمل المتعلق به الراغب فيه: ولكنه من كمال شفقته على أمته بترك ذلك خشية أن يعمل به الناس اقتداء به فيفرض عليهم.

وهذا هو المنهج المعتدل المتوازن الذي ينأى عن الغلو والتقصير، ويتجه إلى التوسط والاعتدال، وتبقى بعد ذلك للمصطفى خصائصه وشمائله، وفضائله التي اختصه الله بها من كمال خلقته، وجمال صورته، وبما أكرمه تعالى من الأخلاق الزكية، والأعمال التعبدية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أنه متى واظب النبي ﷺ على فعل شيء وأمر به كان ذلك دليلاً على وجوبه وعدم جواز تركه، وإن فعله أحيانًا وتركه أحيانًا أخرى كان ذلك دليلاً على أنه سنة لا واجب.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه متى ورد عن النبي ﷺ ما يفيد المداومة على فعل والأمر به ولم يدل دليل على تركه له كان ذلك الفعل واجبًا ولا يجوز تركه ما لم يظهر نسخه أو غير ذلك، وإن نقل عنه ﷺ فعل شيء وداوم عليه ولم يدل دليل على وجوبه، أو نقل عنه فعل شيء مع عدم المداومة عليه كان ذلك دليلاً على جواز الترك وأن الفعل ليس بواجب، ومن ذلك صلاة الوتر، وصلاة الضحى، وصلاة التراويح، والجلوس في المصلى بعد الفراغ من الصلاة، وغيرها.

---

(١) انظر في ذلك: أحكام القرآن، الجصاص ٥٥٩/٣، والمبسوط، السرخسي ١٥٩/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٧٢/١، والمدخل لابن الحاج ٢٩٠/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٧٠/٢، وفتاوى السبكي ١٥٨/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٦٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤٣٧/١، وشرح الكوكب المنير لأبي البقاء الفتوحي ص ٤٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات النبي ﷺ: الرحمة والشفقة بأمته.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان سبب ترك ما اعتاده من عمل.

ثالثًا: من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين.

أولاً- من صفات النبي ﷺ: الرحمة والشفقة بأمته:

لقد كان النبي ﷺ رحيمًا شفيقًا بأمته وكان حريصًا على ذلك ويظهر من هذا الحديث رحمة وشفقة النبي ﷺ بأمته حيث إنه كان يدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.

فرسول الله ﷺ كان أكثر الأنبياء شفقة ورحمة بأمته، وسيرته العطرة مليئة بالمواقف والأحداث الدالة على ذلك، وهذا ما وصفه به ربه جلّ وعلا،فقال سبحانه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

قال ابن زيد: "يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم".

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم"[3].

وقال ﷺ: ((يا أيُّها الناسُ إنما أنَا رحمةٌ مهداةٌ))[4].

وقال ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٣) معالم التنزيل ٣٥٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

فرحمة النبي ﷺ وشفقته بأمته ورد فيها الكثير والكثير ولكن يضيق المقام عن ذكره وسوف يظل ﷺ للمسلمين عمومًا وللدعاة خصوصًا المثل الأعلى والأسوة الحسنة، ما داموا يرجون الله واليوم الآخر[١].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان سبب ترك ما اعتاده من عمل:

إن من واجبات الداعية التي تظهر من هذا الحديث أن يبين للمدعوين سبب تركه ما اعتاد فعله ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليكم) إذ بين سبب تركه ﷺ ما اعتاد من عمل وهذا كان شأنه ﷺ إذا ترك فعل شيء اعتاده.

فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في ذلك فإذا كان اعتاد عمل ما وعرفه الناس عنه ثم تركه لعذر ما، فيبين للناس سبب تركه.

ثالثًا- من صفات الداعية الإشفاق على المدعوين:

من صفات الداعية التي تظهر من هذا الحديث الإشفاق على المدعوين، ويظهر ذلك من تركه ﷺ العمل شفقة بأمته، والشفقة في الداعية من الصفات اللازمة لنجاح دعوته وذلك لأنه يقتدي برسول الله ﷺ حيث كان ﷺ يتحرى الرحمة والشفقة في كافة الأعمال وسائر الأوقات.

وقد وردت في حرص النبي ﷺ على هداية الناس وشفقته عليهم آيات عديدة منها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٤].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٨.

(٣) سورة يوسف آية: ١٠٣.

(٤) سورة الكهف، آية: ٦.

قال السعدي رحمه الله: (ولما كان النبي ﷺ حريصًا على هداية الخلق، ساعيًا في ذلك أعظم السعي، فكان ﷺ يفرح ويسر بهداية المتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺ عليهم ورحمة بهم أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء الذين لا يؤمنون بالقرآن)[١].

(إن الداعية المسلم لا يكون إلا رحيمًا، لأنه يدعو إلى الإسلام دين الرحمة، وهو بذلك يظهر أعظم مَعْلَم من مَعَالِم هذا الدين الذي أمر بالرحمة وحثّ عليها، ورغّب فيها وجعل الثواب العظيم لمن اتصف بها وتمثلها واقعًا معاشًا في حياته، فها هو قدوته ﷺ يدعو لقومه بالرغم مما لقيه منهم من أذى وصل إلى التخطيط لقتله ﷺ إلا أن صاحب الخلق العظيم المبعوث رحمة للعالمين كان يقابل ذلك بقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون))[٢]، وهذا لا يكون إلا من صاحب قلب رحيم، والداعية المسلم يجب أن يكون كذلك تأسيًا برسول الهدى فلا يتعجل النتائج، ولا يغضب من سوء المعاملة والصدود من المدعوين لأنه مهما لقي من مصاعب ومتاعب ومهما واجهته من عقبات لن يبلغ معشار ما لقيه الرسول الكريم ﷺ من جحافل الكفر والعناد في مكة ومن أعداء الحق والخير في مسار الدعوة في مهاجره ﷺ خلال العشر سنوات التي عاشها في المدينة المنورة؛ لذا فإن ممارسة الداعي للدعوة وتذكره ما وقع لإمامه ﷺ يخفف عليه ما يحل به ويقع عليه من أذى، وتحلى الداعية بهذه الصفة المباركة يورثه العفو والصفح والشفقة على المدعوين)[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٧٧، ومسلم ١٧٩٢.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٩٤.

الحديث رقم (٢٣٠)

٢٣٠- وعنْهَا رضي الله عنها، قالَتْ: نَهَاهُمْ النَّبيُّ ﷺ عَن الْوِصال رَحْمةً لهُمْ، فقالوا: إنَّكَ تُواصلُ؟ قال: «إنِّي لَسْتُ كَهَيئَتِكُمْ إنِّي أَبيتُ يُطْعِمُني رَبِّي ويَسْقِيني» متفقٌ عليه[1].

مَعناهُ: يجعَلُ فِي قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرَبَ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن للمصطفى ﷺ مكانة خاصة عند ربه، وقد أيده ربه بالمعجزات الحسية والمعنوية، ووهبه من الصفات والملكات ما لم يهبه لأحد من خلقه، وقد صور أحد الشعراء، وهو يوسف بن محمد الصرصري بعض هذه المعجزات، وساقها مع الموازنة والمقابلة بينها وبين ما حباه الله للأنبياء السابقين فقال[2]:

محمد المبعوث للناس رحمة ... يشيد ما أوهى الضلال ويصلحُ
لئن سبحت صم الجبال مجيبة ... داود أو لان الحديد المصفح
فإن الصخور الصمَّ لانت بكفه ... وإن الحصى في كفه ليسبح
وإن كان موسى أنبع الماء من ... فمن كفه قد أصبح الماء يطفَحُ
وإن كانت الريح الرخاء مطيعة ... سليمان لا تألو تروح وتسرح
فإن الصبا كانت لنصر نبينا ... برعب على شهر به الخصم يَكلَحُ
وإن كان إبراهيم أُعطِيَ خلة ... وموسى بتكليم على الطور يمنح
فهذا حبيب بل خليل مكلّم ... وخصص بالرؤيا وبالحق أشرح

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٧)، ومسلم (١١٠٥/٦١) واللفظ له.

(٢) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٩٩/٦.

وخصص بالحوض العظيم وباللوا ... ويشفع للعاصين والنار تلفح
وبالمقعد الأعلى المقرب ناله ... عطاء ببشراه أقرُّ وأفرحُ

وفي ظل هذه الهبات والمنح الإلهية لخاتم الأنبياء وسيد المرسلين، نفهم ما وراء قول رسول الله ﷺ لأصحابه: "إني لست كهيئتكم: إني يطعمني وبي يسقيني".

وتلك من خصوصيات النبي ﷺ: ويبدأ الحديث بجمله من كلام السيدة عائشة رضي الله عنها وهي راوية الحديث: حيث تقول: نهاهم النبي ﷺ عن الوصال رحمة لهم، ولنتساءل، مرجع الضمير في قولها: "نهاهم"، وأين مكانه في الحديث ؟ إن مرجع الضمير يفهم من السياق: فالضمير يرجع إلى الصحابة رضي الله عنهم، وهم معلومون ومعروفون، ويرجع كذلك إلى كل مسلم يشق على نفسه، ويحاول الوصال في الصوم: فلا يتناول طعام السحور، وأحيانًا يمتنع عن طعام الإفطار، وفي ذلك إلقاء بالنفس إلى التهلكة، ففي الفعل "نهاهم": إيجاز بالحذف: أي نهى الصحابة رضي الله عنهم، وكأن ضمير الغائب في صيغة الجمع يعلن عن وجود الصحابة رضي الله عنهم بحيث لا ينصرف الضمير إلى سواهم، والوصال: هو أن لا يتناول الصائم مفطرًا بين الصومين، وقيل استدامة أحوال الصائم، وكلمة "رحمة" تعليل للنهى عن الوصال، وهى مفعول لأجله.

والحوار بين رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم حول هذه القضية يفسر حرص الصحابة على إتقان العبادة، والاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك، وينشر خوف رسول الله ﷺ على صحابته من الوصال منعًا للأذى والضرر، وللعبارة "إنك تواصل" منطوق ومفهوم، منطوقها واضح، ولكنه ليس المقصود، وإنما هم يريدون أن يقولوا إنك تواصل، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ونحن أولى بذلك لأننا لسنا معصومين: وهذا الصنيع يخفف عنا أوزارنا، وكما جاء كلام الصحابة رضي الله عنهم في صيغة التوكيد في مخاطبة رسول الله ﷺ. جاء كلام الرسول ﷺ مُصدرًا بالتوكيد "إني لست كهيئتكم" أي لست على صفتكم، ثم يتكرر التوكيد وهو يوضح أن ربه يطعمه ويسقيه ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم نوع من أنواع صوم التطوع، وهو صوم الوصال، ومعناه: ألا يفطر بعد الغروب أصلاً حتى يتصل صوم الغد بالأمس فلا يفطر بين يومين، وقال الحنفية هو أن يصوم السنة ولا يفطر في الأيام المنهية.

وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه لا يجوز الوصال في الصوم للنهي عنه، وإن اختلفوا في قوة هذا النهي فجمهورهم من الحنفية[٢] والمالكية[٣] والشافعية في وجه[٤] والحنابلة[٥] كرهه، ولا يكره الوصال إلى السحر عند الحنابلة، وقال الشافعية في المذهب[٦] الوصال في الصوم مكروه كراهة تحريم.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٩/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٥٠/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٣٢/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٦٠/٢، ومواهب الجليل، الحطاب ٤٠٠/٣، وشرح منح الجليل للشيخ عليش ٢٥٠/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ١٣٢/١، والأم للشافعي ١٥٥/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٩/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤١٩/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٥٠/٣، والفروع، ابن مفلح ١١٦/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٥٥/٣.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٩/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٥٠/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٣٢/١.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٦٠/٢، ومواهب الجليل، الحطاب ٤٠٠/٣، وشرح منح الجليل للشيخ عليش ٢٥٠/٣.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٩/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤١٩/١.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٥٠/٣، والفروع، ابن مفلح ١١٦/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٥٥/٣.

(٦) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٥٠/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٩/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤١٩/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الوصال في الصيام والحكمة منه.

ثانيًا: من خصائص النبي ﷺ: الوصال في الصيام.

ثالثًا: من صفات الداعية: رفقه بالمدعوين وخوفه عليهم.

رابعًا: من حقوق المدعو: السؤال عن حكمة النهي.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التخفيف والشفقة على المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن الوصال في الصيام والحكمة منه:

إن من موضوعات الدعوة التي تبرز من هذا الحديث النهي عن الوصال في الصوم ويظهر ذلك من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "نهاهم النبي ﷺ عن الوصال".

لقد بعث الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ وسكب في قلبه العلم والحلم وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرًا[1]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

ومن رحمته ﷺ: نهيه أمته عن الوصال لما في ذلك من المشقة، وحصول المفسدة المترتبة على الوصال، والملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من إتمام الصلاة بخشوعها وأذكارها وآدابها، وملازمة الأذكار وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله[3].

ثانيًا- من خصائص النبي ﷺ الوصال في الصيام:

اختص الله تبارك وتعالى عبده ورسوله محمدًا ﷺ دون غيره من الأنبياء[4]

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٥٠٧/١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٩٠، ونضرة النعيم ٥٠٧/١.

(٤) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبدالله بحر الدين عبدالله ص ١٥٦.

بخصائص كثيرة تشريفًا له وتكريمًا -مما يدل على جليل رتبته وشرف منزلته عند ربه- منها: الوصال، والوصال في الصوم أبيح له ﷺ دون غيره من الأنبياء قال ﷺ لما قيل له إنك تواصل: "إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعني ربي ويسقيني".

قال القاضي عياض: (قال الخطابي: الوصال من خصائص ما أبيح للنبي ﷺ وهو محظور على أمته، وقوله: "إني أبيت يطعمني ربي ويسقيي" دليل على اختصاص النبي ﷺ بالوصال، ومعنى قوله: "يطعمني ربي ويسقيني" فيها وجوه: منها: أنه على ظاهره كرامة له واختصاصًا.

الثاني: أنه كناية عن القوة التي جعلها الله له، وإن لم يطعم ويسق، حتى يكون كمن قام به ذلك.

الثالث: أنه يخلق الله فيه من الشبع والري ما يغنيه عن الطعام والشراب)[1].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لا تواصلوا". قالوا إنك تواصل. قال: ((لستُ كأحدٍ منكم، إني أُطعَمُ وأُسقى))[2].

قال ابن حجر: (واسْتُدِلَّ بمجموع هذه الأحاديث على أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر)[3].

ثالثًا- من صفات الداعية: رفقه بالمدعوين وخوفه عليهم:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث رفقه بالمدعوين، وخوفه عليهم ويظهر ذلك من سبب نهيه ﷺ أمته عن الوصال إنما كان رفقًا بهم وخوفًا عليهم من المشقة المترتبة من الوصال.

والداعية لابد أن يكون رفيقًا فيما يدعو إليه حريصًا على المدعوين، كأنه يحرص على نفسه، وقد أمر رسول الله ﷺ بالرفق وبين أن الله يحبه فقال: ((إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ))[4].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٨/٤ - ٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٦١، ومسلم ١١٠٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٠/٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٢٤.

وقال أيضًا ﷺ: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[١].

فينبغي على الداعية أن يتحلى بالرفق في دعوته، وأن يحرص على مصلحة المدعوين حتى يحبونه ويقبلون على دعوته.

رابعًا- من حقوق المدعو: السؤال عن حكمة النهي:

يظهر ذلك من خلال ما ورد في نهيه ﷺ لهم، فقالوا إنك تواصل؟ وهذا يتضمن سؤال النبي ﷺ عن حكمة نهيه مع إنه يواصل، والسؤال والاستيضاح من حقوق المدعو التي كفلها له الإسلام وأمره بها قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا، حتى أن بعضهم يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[٣].

كما في حديث أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما يقول: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)[٤].

فالمدعو له حق السؤال عما يجهل أو عما أشكل عليه فهمه وغيره إذا أراد العلم بالحقيقة.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التخفيف والشفقة على المدعوين:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث التخفيف والشفقة على

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٤٧.

المدعوين، ويظهر ذلك من نهيه ﷺ عن الوصال مع إنه يواصل تخفيفاً عليهم في العبادة وشفقة عليهم من المشقة. والتخفيف والشفقة من أسس الدين الإسلامي قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] أي: مشقة وعسر، بل يسره غاية اليسر، وسهله غاية السهولة[2]. والشفقة على المدعوين من صفات المصطفى ﷺ فقد كان أكثر الأنبياء شفقة على أمته.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[3] فالتخفيف والشفقة على المدعوين من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية وإقبال الناس عليها، واستجابتهم لها. فعلى الداعية أن ينظر إلى المدعو بروح الناصح الشفيق، المتواضع السمح الرحيم به الذي يتمنى له الخير.

---

(١) سورة الحج، من آية: ٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٩٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الحديث رقم (٢٣١)

٢٣١- وعن أَبي قَتادَةَ الْحارِثِ بنِ ربْعي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّل فِيها، فَأَسْمعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجوَّزَ فِي صلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

فأتجوَّز: أخفف[2].

أشُقَّ: أُثقل وأُتعب[3].

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث نستروح نسمات الرحمة، ونفيء إلى معانيه النيرات، وتجلياته المشرقات، وحرصه على الأمهات وهم يقومون بأداء الصلوات في جماعة مع أصحابه، وصغارهم موجودون، فيتشبث ذهنهم، ويضعف أجرهم بهؤلاء الأطفال، ولذلك يعطي الرسول ﷺ لكل من يصلي بالناس منهجًا واحدًا وهو التخفيف وعدم الإطالة في الصلاة رحمة بأمهات الأطفال، وشفقة عليهن، فأطفالنا هم قرة العين، وانشراح الصدر، ومنبع الفرح والأمل والإشراق.

ولذلك نجد رسول الله ﷺ: لا يطيل في الصلاة وهو راغب في ذلك، ولكنه حينما يسمع بكاء الطفل يخفف من صلاته كراهية أن يشق على الأم.

وهذا الأفق من آفاق التيسير يقدمه المصطفى ﷺ في إطار لُغَوي، وجمال تعبيري يفصح عن الدلالات والمقاصد المرادة في الحديث الشريف.

---

(١) برقم (٧٠٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٩٠.

والحديث يتضمن عدة جمل تنتظم فيما بينها وتكوِّن عِقْدًا من النسق التعبيري، والجمال التركيبي، والبداية تأتي في ثوب الجملة الاسمية المصدرة بـ"إن" المؤكدة المقترنة بياء المتكلم وهو أشرف الخلق محمد ﷺ، ويزيد الجملة تأكيدًا اقترانُ جملة خبر "إن" باللام في أول الفعل "لأقوم"، ويومئ ذلك التأكيد إلى حرص رسول الله ﷺ على الإطالة في الصلاة، حسب رضا المأمومين، أو تكون صلاة فردية وليست جماعية، وجملة، "وأريد أن أطوِّل فيها"، حالية، وهي تصور حال رسول الله ﷺ وهو يرغب في إطالة الصلاة، وفجأة يسمع بكاء الطفل، فيرق قلبه، ويعدل عن التطويل في الصلاة إلى قراءة قصار السور، وأدوات العطف في الحديث تشارك في توصيل المعنى: فالعطف بالواو بين الفعلين، "لأقوم إلى الصلاة وأريد"، يدل على مطلق الجمع، ولا يفيد الترتيب والتعقيب ولا الترتيب والتراخي، لأن القيام إلى الصلاة وإرادة التطويل يكونان في زمن واحد فلا فصل بين القيام والإرادة، ولكن بعد ذلك نجد أن العطف بالفاء في قوله "فأسمع"، وقوله: "فأَتَجَوَّزُ" يفصح عن الترتيب، والتعقيب أو الإسراع، فسماع بكاء الطفل كان وقت الصلاة، وفي الكلام حذف لتفصيلات تفهم من سياق الحديث ومنها البدء في الصلاة ثم القراءة ثم سماع بكاء الطفل، ولذلك عطف الفعل "فأتجوز" أي" أخفف، على ما قبله وهو فأسمع، وهذا التخفيف ليس إخلالاً بأركان الصلاة، وإنما يقرأ بالسورة القصيرة.

وقيل إن رسول الله ﷺ قرأ في الركعة الأولى سورة طويلة، فسمع بكاء صبي فقرأ في الثانية بثلاث آيات، ويأتي التعليل للإفصاح عن اهتمام الإسلام بأمر الطفل وحرصه على أن لا يلحق الأذى بالأم لأن بكاء طفلها يعذبها، وهذا التعليل النفسي والإيماني والاجتماعي تشرق أسراره في قوله ﷺ "كراهية أن أشق على أمه"، والموقع الإعرابي للفظ "كراهية"، يشارك في توصيل المراد والمقصد، فهو مفعول معه أو مفعول لأجله، وفي الحديث تتجلى شفقته ﷺ على الصحابة رضي الله عنهم، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير، وعلى كل مسلم ومسلمة، ورعاية الأبناء والبر بالآباء والأمهات، منهج إسلامي رشيد له دوره في تجميل وجه الحياة وإعمارها ونشر عاطفة الرحمة والمحبة بين

الجميع يقول الشاعر العربي حطان بن المعلي:

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنـــا تمـــشي علـــى الأرض
إن هبـــت الـــريح علـــى بعـــضهم لا امتنعـــت عـــيني عـــن الغمـــض[1]

ويقول ابن الرومي[2]:

وأولادُنـــا مثـــلُ الجَـــوارحِ أيُّهـــا فقـــدناه كـــان الفـــاجعَ البَـــيِّنُ الفَقْـــدِ
لكـــلٍّ مكـــانٌ لا يـــسُدُّ اختِلاَلَـــهُ مكـــانُ أخيـــه في جَـــزُوعٍ ولا جَلْـــدِ
هـــلِ العـــينُ بعـــدَ الـــسَّمْعِ تكفـــي أم الـــسَّمعُ بعـــد العـــينِ يَهْـــدِي

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإقبال على طاعة الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته.

ثالثًا: من صفات الداعية: مراعاة أحوال الكبير والصغير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام.

خامسًا: من واجبات الداعية: الانتباه ومراعاة أحوال المدعوين.

سادسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإقبال على طاعة الله:

شرع الإسلام من العبادات ما يستريح به قلب المؤمن ويجد لذته وحلاوته، ومن أفضل هذه العبادات الصلاة، فإنها مناجاة بين العبد وربه، لذا أخبر النبي ﷺ أنه يريد أن يطوّل فيها لولا إشفاقه على المأمومين من خلفه ومراعاته لأحوالهم، فدلّ هذا على أنه يجب على العبد أن يقبل على ربه في عبادته ويستلذ بذلك ويسعد، ولهذا ترك النبي ﷺ المجال مفتوحًا لمن يصلي وحده أن يطول على حسب نشاطه وإقباله، فقال

---

(١) العقد الفريد ٢/٢٥٧ قافية الضاد.

(٢) ديوان ابن الرومي قافية الياء، أبيات رقم ١٩، ٢٠، ٢١.

ﷺ: ((إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ . فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَالْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ))(١).

قال عبدالله البسام: (يؤخذ منه أنه لو كان العدد محدودًا وآثروا التطويل أنه جائز، لأنهم أصحاب الحق في ذلك، وقد جاءت الرغبة منهم فلا بأس إذن بالتطويل.

أما إذا صلّى وحده فليصل ما شاء، لأن ذلك راجع إلى رغبته ونشاطه، وينبغي تقييده بما لا ينشغل به عن الواجبات)(٢).

لكن السؤال هنا: لما أحبَّ النبي ﷺ التطويل في الصلاة؟

الجواب -والله أعلم-: لأن في الصلاة إقبالاً من العبد بكليته على ربّه، وبيانًا لمدى تعلقه بحبه تعالى وإثباتًا لمدى تلذذه بمناجاته وسعادته بالوقوف بين يديه سبحانه. وذلك فضلاً عن عجز الإنسان عن القيام بحق شكر الله، على نعمه وآلائه التي لا تحصى، والتطويل بيانًا منه على شكره لخالقه؛ لذا أحب النبي ﷺ التطويل في الصلاة.

يقول عبدالله البسام في بيان رائق يأخذ بالقلوب عن الصلوات الخمس: (الصلوات الخمس أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل الأعمال بعدهما لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجَمعها ما تفرق من العبودية، وتضمنها أقسامها وأنواعها، فهي تكبير الله وتحميده تعالى، والثناء عليه وتهليله وحمده، وتنزيهه وتقديسه، وتلاوة كتابه والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وعلى آله، ودعاء للحاضرين وجميع عباد الله الصالحين، وهي قيام وركوع وسجود وجلوس، وخفض ورفع، فكل عضو في البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله تعالى على عباده ليذكرهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٣، ومسلم ٤٦٧.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٢٥٧.

والمجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة إيمان تدفع نفسية افراده على وجه الاستمرار إلى المثل العلى، لئلا ترتبط الأفراد بالحاجات المادية والمصالح الشخصية، مما يؤدي إلى الفساد في الأرض.

إن الإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت فيه مظاهر الاكتئاب، فالصلاة طمأنينة في القلب عند المصائب وراحة للضمير عند النوائب. قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1].

وهي زاجرة عن المنكرات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، ومكفرة للسيئات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3]، فالصلاة رأس القُربات، وغرة الطاعات، لما فيها من تحقيق المناجاة ورفعة الدرجات)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته:

لقد كان النبي ﷺ مشفقًا على أمته أتم الشفقة وأبلغها، فهو القائل ﷺ: ((إنما أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ))[5]، وهذه الشفقة واضحة وذلك في قوله ﷺ في تعليله لتخفيفه الصلاة: (فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)، وقد ورد ذلك التعليل في أحاديث أخرى:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((ما صلّيتُ وراءَ إمامٍ قط أخفَّ صلاةً ولا أتمَّ منَ النبيِّ ﷺ، وإنْ كانَ لَيَسْمعُ بكاءَ الصبيِّ، فيُخفِّفُ مَخافةَ أن تُفْتنَ أُمُّه))[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة هود، آية: ١١٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٧٢/١.

(٥) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٦).

(٦) أخرجه البخاري ٧٠٨، ومسلم ١٩٠ - ٤٦٩.

قال ابن حجر: (أي تلتهي عن صلاتها لاشتغال قلبها ببكائه، زاد عبدالرزاق[١] من مرسل عطاء: أو تتركه فيضيع)[٢].

وفي رواية: ((إني لأدخُلُ في الصلاةِ فأُريدُ إطالتَها، فأَسمعُ بُكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ ممّا أَعلمُ مِن شدَّةِ وَجدِ أُمِّهِ من بُكائه))[٣].

قال ابن حجر: (قوله "وجد أمه" أي: حزنها.. وكأن ذكر الأم هنا خرج مخرج الغالب وإلا فمن كان في معناها ملتحق بها)[٤].

ومن الأمثلة التطبيقية الأخرى لشفقة النبي ﷺ على أمته رفضه لما عرضه عليه ملك الجبال له عندما كذبه قومه واشتدوا في ذلك، قال له ملك الجبال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبق عليهم الأخشبين"[٥]، فقال له رسول الله ﷺ: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[٦]، ففي هذا الحديث - كما يقول ابن حجر- (بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٧])[٨].

وقال القاضي عياض عن تحلّي النبي ﷺ بالشفقة والرأفة في معرض بيان حسن خلقه ﷺ: "وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى في حق

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٢/٣٧٢٢، وفيه: خشية أن تفتتن أمه.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٩ - ٧١٠، ومسلم ١٩٢ - ٤٦٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣٧.

(٥) هما جبلا مكة: أبو قبيس والجبل الذي يقابله، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ٧٣٨٩، ومسلم ١٧٩٥.

(٧) سورة آل عمران آية: ١٥٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٣٦٤، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/١٨٧.

الرسول ﷺ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]، قال بعضهم عن فضله ﷺ: إن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال: (بالمؤمنين رءوف رحيم)"[٣].

ثالثًا- من صفات الداعية: مراعاة أحوال الكبير والصغير:

إن الداعية يدعو جميع المدعوين كبارًا وصغارًا نساء ورجالاً، شيوخًا وأطفالاً ومن ثم كان عليه مراعاة أصناف المدعوين، حتى لا يهتم بصنف على حساب آخر، وإنما يراعي الجميع ويتآلف الجميع، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما في هذا الحديث، فقد جعل النبي ﷺ بكاء الصبي سببًا في تخفيف الصلاة مراعاة لحال أمه، وقد ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: التراجم السابقة بالتخفيف تتعلق بحق المأمومين، وهذه الترجمة تتعلق بقدر زائد على ذلك وهو مصلحة غير المأموم لكن حيث تتعلق بشيء يرجع إليه)[٤]، وفي الحديث: (بيان شفقة النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير)[٥].

ويمكن هنا أن ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس خُلقًا، وكان لي أخٌ يقال له أبو عُمَير- قال أحسِبُهُ فطيمًا - وكان إذا جاء قال: ((يا أبا عمير، ما فعلَ النُّغَير؟[٦] نُغَرٌ كان يلعَبُ به، فرُبما حضرَ الصلاة وهو في بَيتِنا،

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/١٨٧.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٣٦. والضمير في إليه يرجع إلى المأموم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣٧.

(٦) هو تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار ويجمع على نغران، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٢٨.

فيأمر بالبساطِ الذي تحتهُ فيُكنَسُ وينضح، ثم يقوم ونقوم خَلفَه فيُصلِّي بنا))[١].

وقد استخرج بعض العلماء من هذا الحديث ستين فائدة، لخصها ابن حجر فذكر منها: (التلطف بالصديق صغيرًا كان أو كبيرًا، والسؤال عن حاله، وفيه أن الكبير إذا زار قومًا واسى بينهم فإنه صافح أنسًا ومازح أبا عمير ونام على فراش أم سليم وصلى بهم في بيتهم حتى نالوا كلهم من بركته)[٢].

وقال عبدالله البسام: (يجب مراعاة الضعفاء والعجزة في جميع الأمور التي يشاركهم فيها الأقوياء سواء في الأمور الدينية أو الاجتماعية، لأنه الذي يجب مراعاته والعمل به)[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام:

إن شريعة الإسلام هي الشريعة الخاتمة، وهي رسالة عالمية، فهي للناس أجمعين تراعي أحوالهم في جميع الأزمان والأماكن والأحوال، لذا كان من أخص خصائص الإسلام اليسر ورفع الحرج والمشقة، ذلك واضح في الحديث كله: (وأريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه).

ومن الأمثلة التطبيقية ليسر الإسلام ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: إنَّ مُعاذَ بن جبلٍ رضي الله عنه كان يُصلِّي معَ النبيِّ ﷺ ثم يأتي قومَهُ فيُصلي بهمُ الصلاةَ، فقرأ بهم البقرةَ، قال: فتجوَّز رجلٌ فصلى صلاةً خفيفةً، فبلغَ ذلك مُعاذًا فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجلَ فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يارسول الله إنا قومٌ نعملُ بأيدينا، ونَسقي بنواضِحنا[٤]، وإنَّ مُعاذًا صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوَّزتُ، فزعمَ أني منافق. فقال النبيُّ ﷺ: ((يامعاذُ أفتّانٌ أنت؟ ثلاثًا. اقرأ والشمسِ وضُحاها، وسبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلى ونحوَهما))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ٦٢٠٣، ومسلم ٦٥٩، ١٢٥٠، ٢٣١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٦٩٩ - ٦٠١

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٢٥٧.

(٤) النواضح: الإبل التي يستقى عليها واحدها، ناضح، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٠٦، ومسلم ٤٦٥.

قال ابن حجر: (وفي حديث الباب من الفوائد أيضًا استحباب تخفيف الصلاة مراعاة لحال المأمومين... فيه أن الحاجة من أمور الدنيا عذر في تخفيف الصلاة)[١].

وقد قال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: ((أَنْتَ إِمَامُ قَوْمِكَ، فَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ))[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه)[٣].

ومن القواعد الفقهية الكبرى: المشقة تجلب التيسير، قال الدكتور علي الندوي: "هذه إحدى القواعد الجليلة الناطقة بمرونة التشريع الإسلامي الحكيم، ولها أثر عميق جدًا في كثير من الأحكام الشرعية، وهي مستوحاة من النصوص التشريعية الكريمة التي ترشد إلى رفع الحرج عن العباد، وترفيههم عن المشقة البالغة، ومن المعلوم أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع.

وهناك آيات متوافرة من كتاب الله تعالى تعتبر من الأدلة الواضحة البينة على هذا الأصل، وبالاستناد إليها اكتسبت القاعدة خصائص الدليل الشرعي)[٤].

خامسًا- من واجبات الداعية: الانتباه ومراعاة أحوال المدعوين:

إن الداعية يعيش في مجتمع بشري يعجّ بالكثير من الأفكار والاتجاهات التي يكون لها تأثير كبير على نفوس المدعوين، وكلما كان الداعية منتبهًا لهذا كان أنجح في دعوته، وهو في هذا يكون مقتديًا بالنبي ﷺ، كما هو ظاهر في الحديث: (فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)، ومن هذا القبيل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣١.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٣١، والنسائي ٦٧٢، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٢/٢٣٣، وأصله في صحيح مسلم ٤٦٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤/٢١٣.

(٤) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي ١/٢١١.

قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: ((يا عائشةُ لولا أنَّ قومَكِ حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ لأمَرتُ بالبيتِ فهُدِمَ، فأدخَلتُ فيه ما أُخرِجَ منه، وألزقتُه بالأرض، وجعلتُ لهُ بابَينِ بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا فبلغتُ بهِ أساس إبراهيمَ))[1].

قال النووي: (وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام: منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدىء بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيمًا فتركها ﷺ. ومنها فكر ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية، كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك. ومنها تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي)[2].

سادسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والتعليل:

أما التوكيد قوله ﷺ: "إني..." ليؤكد أنه كان يود الإطالة في الصلاة، وأما التعليل فجملة "خشية أن أشق على أمه" ليبين ﷺ سبب تجوزه في الصلاة، وهذا التعليل يوضح شفقته ﷺ ورأفته بأمته، ليقتدي به الدعاة وولاة الأمر من بعده.

---

(١) أخرجه البخاري ١٥٨٦، ومسلم ١٣٣٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٤/٣.

الحديث رقم (٢٣٢)

٢٣٢- وعن جُنْدبِ بن عبد اللّه ﷺ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبحِ فَهُوَ فِي ذِمةِ اللّه، فَلا يطْلُبنَّكُمْ اللّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدرِكْه، ثُمَّ يكُبُّهُ عَلَى وجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّم**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جُنْدُب بن عبدالله بن سفيان: وهو جندب بن عبدالله بن سفيان البَجَلِيُّ، العَلَقِيُّ - والعَلَق: بطن من بجيلة وهو علقة بن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث- أخو الأزد بن الغوث.

قال ابن السكن: أهل البصرة يقولون: جُنْدُب بن عبدالله، وأهل الكوفة ينسبونه إلى جده فيقولون: جندب بن سفيان، ويقال: جندب بن خالد بن سفيان.

يكنى أبا عبدالله، ويُقال: جندب الخير، وجندب ﷺ له صُحبة برسول الله ﷺ ليست بالقديمة، وقد سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة، وكان على عهد النبي ﷺ غلامًا جزورًا، وكان يقول: كُنّا مع النبي ﷺ، ونحن فِتيانُ حَزَاوِرَة[2]، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن حذيفة، وعن أبي بن كعب، وله عدَّةُ أحاديث.

وكان ﷺ من الناصحين لدين الله ورسوله، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فقد أوصى نفرًا من الناسِ فقال لهم: أوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن، فإنه نور بالليل المظلم وهُدى بالنهار، فاعملوا به ما كان من جهد وفاقة، فإن عَرَضَ بلاءٌ، فقدِّموا أموالكم دون دينكم، فإن تجاوزَ البلاء، فقدِّموا أموالكم وأنفسكم دون دينكم، فإن المخروب من خُرِب دينُه، والمسلوبَ من سُلِب دينُه، واعلموا

---

(١) برقم (٦٥٧/٢٦٢).أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٠).

(٢) حزاورة: هو جمع حَزْوَرٍ وحَزورٍ، وهو الذي قارب البلوغ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ز ر).

أنه لا فاقةَ بعد الجنة، ولا غنى بعد النار.

وقد بعث جندب إلى عَسْعَس بن سلامة، زمن فتنة ابن الزبير، فقال له، ارجع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم، فبعث رسولاً إليهم، فلما اجتمعوا قال لهم: (إنَّ رسول الله ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلى قومٍ من المشركين، وأنهُمُ التقوا، فكانَ رجلٌ من المشركين إذا أراد أن يقصد إلى رَجُلٍ من المسلمين قصدَ لَهُ، فقتلَهُ، وإن رجلاً من المسلمين التمس غفلته، قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله. وجاء البشير إلى رسول الله ﷺ فسأله، وأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله فقال: لم قتلته؟ فقال: يا رسول الله، أوجع في المسلمين. وقتل فلانًا وفلانًا، وسمى له نفرًا. وإني حملت عليه السيف، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: ((أقتلته))؟ قال: نعم، قال: ((فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة))؟ قال: فجعل لا يزيد على أن يقول ((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاء يوم القيامة؟))[1].

ثم قال جندب عند ذلك: قد أظلتكم فتنة من قام لها أَرْدَته، قالوا: فما تأمرنا، أصلحك الله، إن دخل علينا مصرنا؟ قال: ادخلوا دوركم، فقالوا: فإن دخل علينا دورنا؟ قال ادخلو بيوتكم، قالوا فإن دخل علينا بيوتنا؟ قال: ادخلوا مخادعكم، قالوا: فإن دخل علينا مخادعنا؟ قال: كن عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل.

سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة مع مصعب بن عمير. أما عن وفاته فقال خليفة مات في فتنة ابن الزبير، وذكره البخاري في التاريخ فيمن توفي من الستين إلى السبعين عامًا. أ هـ وهو إلى حدود السبعين أقرب[2].

---

(١) أخرجه مسلم، رقم (٩٧).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٥/٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٢٠٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١١٢)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٦٦/١-٥٦٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٨٣/١-٤٨٤)، وتهذيب التذهيب (٣١٧/١-٣١٨)، وسير أعلام النبلاء (١٣٣٦/١)، والسندي ٩٤/٣١.

غريب الألفاظ:

ذمة الله: عهده وأمانه وضمانه وحمايته[١].

كَبُه على وجهه: قلَبه وألقاه[٢].

الشرح الأدبي

ما أجمل أن يستقبل المسلم يومه بالصلاة ومناجاة ربه، والتضرع إليه، وهو استقبال متوج بالحماية الربانية، والرعاية الإلهية، فالرسول ﷺ يبشر كل من صلى صلاة الصبح في جماعة - وهي صلاة الفجر- بأنه طيلة يومه في حماية الرحمن الرحيم يحميه من أذى المعتدين، وينذر كل من يتعرض له بسوء بأنه لن يفلت من عقاب الله مهما أمعن في التخفي، وسوف يكبه الله على وجهه في جهنم.

فأي بشارة أعظم من هذه البشارة، وأى حماية أقوى من حماية الله لعباده المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، وفي صلاة الفجر تتجلى أنوار الرضا، وإشراقات الهداية، وأمارات الفوز والفلاح فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلائِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسْأَلُهُمْ -وهوَ أَعلمُ بهم-: كيفَ تَركتُمْ عِبادِي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصلُّون))[٣].

وبيانًا لأفضلية صلاة الفجر: يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((لو يَعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأوَّلِ ثم لم يَجدوا إلاّ أن يَسْتَهِموا عليه لاستهَموا، ولو يَعلمونَ ما في التَّهْجيرِ لاستَبَقوا إليه، ولو يَعلمون ما في العَتَمةِ والصُّبحِ لأتَوهما ولو حَبْواً))[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٧١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٥٥، ومسلم ٦٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

وفي ضوء إشراقات هذين الحديثين الكريمين وغيرهما من الأحاديث، في هذا السياق ندرك أسرار هذه البشارة الإلهية التي بشر بها رسول الله ﷺ كل من صلى صلاة الصبح... فهو في ذمة الله أى في أمانه وعهده: وقال العلماء في بيان علة هذه الأفضلية لصلاة الصبح، خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت ابتداء انتشار الناس في حوائجهم المحتاجين وفي دوامه إلى أمْن بعضهم من بعض، وقال الطيبي: خصت بالذكر لما فيها من الكلفة والمشقة.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي الذي يشارك في إيضاح المعنى في هذا الحديث الشريف: نجد أن الحديث تنظمه عدة جمل، وهى متلاحمة الأجزاء، متشابكة النسيج، تجمعها الوحدة الموضوعية والعضوية، فالحديث لابد أن يقرأ كله حتى نصل إلى مقصده الأسنى، وهدفه الأجلي، والوحدة العضوية من سمات البيان النبوي لأن لكل حديث دائرة محكمة تتضام محاورها وأقطارها، ويستدعى آخرها أولها.

والجملة الأولى في الحديث: جملة شرطية وهى مركز أشعة هذه البشارة النبوية، وهى بشارة للملايين من أبناء الأمة الإسلامية، الذين تمتلئ بهم بيوت الله في عتمة الصباح وتباشير الفجر الصادق، "من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله" وأي أمان أعظم من هذا الأمان الإلهي، والجملة الثانية تحمل التهديد والوعيد لكل من يحاول نقض هذا العهد، وتلك الحماية: حيث ينهي رسول الله ﷺ كل من يسمعه أو يبلغه ذلك الخبر عن التعرض بأي أذى لهذا المؤمن الذي فاز بحماية ربه، وقد وقع النهي عن مطالبة الله إياهم عن نقض العهد وهو توضيح لنتيجة نقض عهد الله بسبب إيذاء هؤلاء المصلين والمراد كما قال العلماء نهيهم عن التعرض لما يوجب مطالبة الله إياهم، فالأسلوب فيه : إيجاز وإشارة إلى أحداث تقع ثم تكون نتيجتها: العقاب وسوء المصير، والضمير في "ذمته" يحتمل أن يكون عائدًا إلى: "مَنْ" اسم الموصول، وهو المصلى.

ويمكن أن يكون المراد بالذمة: الصلاة المقتضية للأمان- كما يقول صاحب دليل الفالحين-: والجملة تتوعد كل من يحاول إيذاء هذه الجماعة المؤمنة: وصيغت في أسلوب التوكيد: ليرتدع هؤلاء الآثمون المعتدون: فإن عقاب الله سيدركهم، مهما

تحصنوا بالجاه والمنصب والمال والعصبية والسلاح، والجملة الأخيرة تحدد مصير كل معتد يسخر من المصلين ويؤذيهم ويعتدي على مساجدهم وحرماتهم، فالله يكبهم على وجوههم في نار جهنم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى ثواب صلاة الصبح ومكانتها وأنه من آكد الفروض التي يطالب الله تعالى بها عبده لأنها ابتداء يومه.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن صلاة الصبح يحين وقتها عند طلوع الفجر الصادق وحتى طلوع الشمس، واختلفوا في الأفضل في صلاة الصبح الإسفار أم التغليس[2]؟ فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن الأفضل تعجيل صلاة الصبح في أول وقتها أي الغلس، فقد كان النبي ﷺ يصلي الصبح فينصرف الناس وقت الغلس حتى لا يعرف النساء بمروطهن من فرط الغَلَس، وهو ما عليه كثير من الصحابة، وذهب الحنفية إلى أنه يستحب الإسفار بصلاة الصبح وتأخيرها إلى أن ينتشر الضوء.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٨٩/١ وما بعدها، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٧٩/١ وما بعدها، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ١٦٤/١ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٧/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣٨١/١ وما بعدها، والأم للشافعي ٩٣/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١١٥/١ وما بعدها، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٤١٧/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٤٢/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤٩/١ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٣٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٥/٣١ وما بعدها.

(٢) الغلس هو ظلام آخر الليل إذا اختلط بضوء الصبح، أو أول الصبح حين ينتشر في الآفاق، والإسفار ظهور الضوء، انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٤/٣١ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الصبح.

ثانيًا: من مهام الداعية: نصح المدعو بما ينفعه وتحذيره مما يضره.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والنهي المؤكد والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الصبح:

الصلاة هي عماد الدين، لها فضل عظيم، وصلاة الصبح لها أعظم الفضل كما يتضح في هذا الحديث فقد أخبر النبي ﷺ أن من صلى الصبح "فهو في ذمة الله" (والذمة قيل الضمان وقيل الأمان)[١].

وقال القرطبي: (أي في أمان الله، وفي جواره أي قد استجار بالله تعالى، والله تعالى قد أجاره، فلا ينبغي لأحد أن يتعرض له بضرٍّ أو أذى، فمن فعل ذلك فالله يطلب بحقّه، ومن يطلبه لم يجد مفرًا ولا ملجأ)[٢].

قال الطيبي: (المعنى: من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا تعرضوا له بشيء يسير، فإنكم إن تعرضتم له يدرككم الله تعالى ولن يفوته -من طَلَب- فيحيط بكم من جوانبكم كما يحيط المحيط بالمُحاط ويكبكم في النار)[٣].

(وإنما خص صلاة الصبح بالذكر لما فيها من الكلفة والمشقة وأداؤها مظنة خلوص الرجل ومنه إيمانه، ومن كان مؤمنًا خالصًا فهو في ذمة الله تعالى وعهده)[٤].

وقد وردت أحاديث في فضل صلاة الصبح: من ذلك قول جرير بن عبدالله رضي الله عنه: ((كنا جلوسًا لَيلةً مع النبيِّ ﷺ فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ، فقال: إنكمُ سَتَرون

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٢٨٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/١٨٤.

(٤) المرجع السابق ٢/١٨٤.

ربكم كما ترون هذا لاتُضامُون في رُؤْيَتِهِ[١]، فإنِ استطعتم أنْ لاتغلَبُوا على صلاةٍ قبْلَ طلوع الشَّمْسِ، وقبل غروبها فافعلوا، يعني: العصر والفجر ثم قرأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[٢]))[٣]. وقال النبي ﷺ ((لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا))[٤].

وقال عائض القرني عن صلاة الفجر: (معيار صلاح الناس، وقيامُهم بالدين، صلاةُ الفجر جماعةً، لأنها في وقت راحة بعد سهر، وإذا أردت أن تعرف الناس في حيِّك فراقبهم في صلاة الفجر، ومما رأيناه وعشناه تخلّف الكثير عن صلاة الفجر مع عدم المبالاة والندم على ما حصل، وما ذاك إلا لموت القلوب، وقضية دعوى التدين والتقوى سهلة لكن العبرة بالعمل والتطبيق، فإذا رأيت الرجل مقيمًا للصلوات الخمس في جماعة ورعًا في منطقه خائفًا من ربه نادمًا على خطئه فهذا الذي يرجى له الخير ويبشر به.

أما المقصر في الصلوات، المعجب بنفسه، الغافل عن تقصيره، فدعواه مردودة عليه ومحبته داحضة وهو من المفلسين،وقد رأينا من يظهر التدين والصلاح فإذا حانت صلاة الفجر خذله شيطانه وهواه ونفسه الأمّارة بالسوء عن حضورها جماعة، فغبن في صفقته وخسر ثقة إخوانه المؤمنين، ولا تمدح لنا أحدًا ولا تزكي لنا عبدًا بل أعماله تمدحه وأخلاقه تزكيه، لأننا مللنا من الثناء على أناس تطبيق الإسلام عندهم باللسان ولكن إذا حَصْحَص الحق في حضور صلاة وصدق في قول ووفاء بوعد وقيام بواجب فإذا الخذلان والفشل والرسوب -قائم بهم- ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥]»[٦].

---

(١) لا تضامون في رؤيته: يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها على تفاعلون وتتفاعلون، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم: الظلم، النهاية: ٥٥٠.

(٢) سورة ق، آية: ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٨١، ومسلم ٦٣٣.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣٤.

(٥) سورة الصف، آية: ٣.

(٦) هكذا حدثنا الزمان ٨٩.

ثانيًا- من مهام الداعية: نصح المدعو بما ينفعه وتحذيره مما يضره:

إن النصيحة (هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد)[١] وهذه هي مهمة الداعية، فإنه ينصح المدعو بما ينفعه ويحذره وينهاه عما فيه ضرره، وفي هذا الحديث اجتمع الأمران. أما النصح فقول النبي ﷺ "من صلى الصبح فهو في ذمة الله" أي في أمانه وعهده. وأما التحذير "فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء... يكبه على وجهه في نار جهنم".

قال الطيبي: (وقع النهي على مطالبة الله تعالى إياهم عن نقض العهد، والمراد نهيهم عن التعرض لما يوجب مطالبة الله إياهم ... ثم أعاد الطلب وكرر الذمة ورتّب عليه الوعيد)[٢].

وقال القرطبي: (قوله: "يكبه في النار": يقلبه فيها على وجهه)[٣].

ويمكن في هذا الموضع الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٤] أي: (يا أيها الذين آمنوا إن مقتضى الإيمان أن تمتثلوا أمر الله، وتبتعدوا عن كل ما يتنافى مع الإيمان الصحيح وخاصة التناجي بالإثم والعدوان، فلا تتناجوا كما يتناجى المنافقون واليهود ولكن تناجيكم المشروع بالبر والتقوى وبالخير الصالح)[٥].

وعلى هذا النحو يحمل قوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها عندما أخبرته أن معاوية

---

(١) التعريفات، الجرجاني ٢٩٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٤/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٨٢/٢.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٩.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٨/٢٨.

ابن أبي سفيان رضي الله عنهما وأبا جهم رضي الله عنه خطباها - قال ﷺ لها: ((أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ[1]، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ. انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ. ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ» فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْت))[2].

قال النووي: (فيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاورة وطلب النصيحة ولا يكون هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة.. وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله. فنصحها بذلك فكرهته لكونه مولىً ولكونه كان أسود جدًا، فكرر النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها وكان كذلك)[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب والنهي المؤكد والتعليل:

أما الترغيب فذكره ﷺ أن من صلّى الصبح كان في أمان الله وعهده وهذا حثٌّ على صلاة الصبح والمحافظة عليها، وأما النهي المؤكد فقوله ﷺ: "فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء" والترهيب في قوله ﷺ "فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم" وهذا أيضًا تصريح وتعليل بحكمة النهي، قال الطيبي: (وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالذمة الصلاة المقتضية للأمان، فيكون المعنى لا تتركوا صلاة الصبح فينتقض به العهد الذي بينكم وبين ربكم فيطلبكم به)[4].

وقال القرطبي: (وهذا وعيد شديد لمن يتعرض للمصلّين وترغيب حضور صلاة الصبح)[5].

---

(١) لا يضع عصاه عن عاتقه: فيه تأويلان مشهوران: أحدهما: أنه كثير الأسفار. والثاني: كثير الضرب للنساء وهذا أصحّ. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٣٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٤٨٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٣٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٤/٢.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٨٢/٢.

الحديث رقم (٢٣٣)

٢٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يظْلِمُه، ولا يُسْلِمهُ، منْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللّهُ فِي حاجتِهِ، ومَنْ فَرَّج عنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللّهُ عنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يوْمِ الْقِيامَةِ، ومَنْ ستر مُسْلِمًا سَتَرهُ اللّهُ يَوْم الْقِيَامَةِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

لا يسلمه: أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه[2].

فَرَّجَ: كشف وأزال[3].

الكربةُ: الغَمُّ الذي يأخذ بالنفس[4].

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ - كما يقول أبو بكر القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية-، أفصح خلق الله، وأعذبهم كلاما، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقًا، حتى كأن كلامه يأخذ بمجامع القلوب ويسلب الأرواح، ففصاحة لسانه غاية لا يُدرك معناها، ومنزلة لا يُدَاني منتهاها، وكيف لا يكون ذلك؟ وقد جعل الله تعالى لسانه سيفًا من سيوفه يبين مراده، ويدعو به إليه عبادة، فهو ينطق بحكمه عن أمره، ويبين عن مراده بحقيقة ذكره، أفصح خلق الله إذا لفظ، وأنصحهم إذا وعظ، لايقول هجرًا، ولا ينطق هذرًا، كلامه كله يثمر علمًا، ويمتثل شرعًا وحكمًا، لا يتفوه بشر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٥٨٠/٥٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٦٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ف ر ج).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته.

وفي ضوء هذه الخصائص والسمات التي يتحلى بها البيان النبوي ويتجلى، نتأمل أسرار التعبير وأوجه الجمال في هذا الحديث الشريف؛ والحديث يدعو إلى تعظيم حرمات المسلم، وإلى المحافظة عليه والتعاون معه على البر والتقوى، وتفريج كربه، وستر عوراته، وعدم التشهير بأسراره التي يؤذيه أن يعرفها أحد.

وهذه المعاني الوضيئة، والقيم النبيلة أفصحت عن جمالها الصياغة اللغوية، وجسدتها الحروف والكلمات والأساليب، فالحديث في بنائه اللغوي يتكون من ست جمل أو ست قواعد من أسس الإسلام؛ فالجملة الأولى اسمية وهى "المسلم أخو المسلم"، وهى قاعدة من قواعد الإسلام التي لا تقبل النقض أو التغيير، حيث قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، ومن خلال الصياغة يتأكد ثبات الأخوة الإسلامية وديمومتها في كل زمان وكل مكان وفي كل بيئة وكل عصر، فاسمية الجملة تؤكد هذا الثبات : لأن الأخوة ليست مرتبطة بحدث ولا زمن متغير: فهي ليست حدثًا طارئًا في الحاضر أو المستقبل، أو حدثًا ماضيًا انتهى إيقاعه، وانطفأ بريقه، وإنما هي قيمة ثابتة، وصيغة راسخة في معالم الشخصية الإسلامية.

والجملتان: الثانية والثالثة بيان وتفصيل لمعيار هذه الأخوة، وهما فعليتان ومسبوقتان بحرف النفي "لا": الذي تكرر قبل كل فعل، "لا يظلمه ولا يسلمه"، وهما للترغيب في تعميق مصداقية الأخوة الإسلامية، وعدم الإقدام على ظلم المسلم لأخيه، وعدم إسلامه لعدو متربص به، بل ينصره ويدفع عنه الظلم، ويدفعه عن الظلم.

والفعلان أَتَيَا في صيغة المضارع، وهذه الصيغة الزمنية المستقبلية ترشد إلى ضرورة استمرار هذا السلوك الإيجابي تجاه كل أخ مسلم، والجمل الثلاث الأخيرة جاءت في صيغة "الشرط والجزاء"، ومضمونها كذلك، وهى تتماثل في أفعال الشرط، وأفعال الجزاء من خلال اتحاد فعل الشرط وجوابه من حيث اللفظ في الجمل الثلاث، وذلك

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

يؤكد ثبات الجزاء الإلهي الحسن، والثواب المضاعف، وتكرار الكلمات في جملتي الشرط والجواب في كل جملة من خلال الصيغ المتماثلة: للتذكير والتنبيه والحث على مزيد من التعاون على البر والتقوى وعلى أن المسلم أخو المسلم.

فلفظ المسلم يتكرر مرتين في الجملة الأولى، وحرف النفي "لا"، يتكرر مرتين في الجملتين، الثانية والثالثة، والفعل "كان" يتكرر مرتين في الجملة الرابعة، وكذلك كلمة "حاجة" تتكرر مرتين في الجملة نفسها، والفعل "ستر" يتكرر مرتين في الجملة الأخيرة، والتكرار يأتي لمزيد من التوكيد والتذكير، والاطمئنان إلى أن الجزاء من جنس العمل، وما عند الله خير وأبقى.

ولفظ "المسلم" جاء مُعرَّفًا في الجملة الأولى: لإرساء قاعدة ثابتة لمعيار الأخوة في الإسلام، فالمسلم أيا كان جنسه أو لونه أو أصله أو لغته أو عِرْقه هو أخو المسلم في أى مكان، وأى زمان، وعبر بلفظ "أخيه" في الجملة الرابعة للتذكير بالأخوة التي توثقت عراها في مُفتتح الحديث، ثم جاء بلفظ "مسلم" في صيغة النكرة: في بقية الحديث لإفادة العموم حتى لا ينصرف الذهن إلى مسلم بعينه، ونكر كلمة "كربة" لإفادة الشمول والعموم، حتى لا ينحصر مفهوم الكربة في حالة خاصة أو ظرف طارئ، وعبر بقوله: "فرَّج" ولم يقل "نفَّس"، لأن التفريج أعظم من التنفيس: فهو إزالة الكربة بالكلية، والتنفيس فيه إرخاء وتهوين، وكرر يوم القيامة مرتين في آخر الحديث لإشاعة الاطمئنان في نفس كل مسلم أعان أخاه وستره بأن الله سيكافئه يوم القيامة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حرمة نفس المسلم وماله وعرضه وأن من أفضل الأعمال تفريج كربة مسلم أو إعانته على ما يصلحه، وأن ستر المسلم من أفضل القربات عند الله تعالى.

وقد ذكر الفقهاء[١] أنه متى وَجَد مسلمٌ آخَرَ في معصية ثم نصحه بالإقلاع عنها فينبغي له أن يستر عليه، ولذا يجوز في الحدود الشهادة والستر والستر أفضل، ما لم يشتهر العاصي بمعصيته أو يكون قد ستر عليه فلم يتب فيستحب حينئذ الشهادة عليه، فقد استثنى الفقهاء من ذلك المتهتك الذي لا يبالي بإتيان المحظورات ولا يتألم لذكره بالمعاصي فلا ينبغي ستره حينئذ، وكذا من الستر المطلوب. أن من رأى ميتًا في حال سيئة فلا يشهر به بل يستر عليه، وغير هذا في كل الأحوال والظروف التي تتطلب الستر.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة مقتضيات الأخوة الإسلامية.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الأخوة الإسلامية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن كل ما يسبب العداوة بين المسلمين.

رابعًا: من فقه الداعية: تذكير المدعوين بعبوديتهم لله.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حفظ الأرواح والأموال والأعراض.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: تحصيل التقوى.

ثامنًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار والنفي والترغيب والنهي والأمر والتكرار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة مقتضيات الأخوة الإسلامية:

الأخوة تقتضي حقوقًا وواجبات، وتتميز الأخوة الإسلامية أن الباعث على أداء

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢١٤/٥، والجوهرة النيرة لأبي بكر العبادي ٢٢٥/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٦٤/٦، والتاج والإكليل، محمد بن يوسف المواق ٤٣٧/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٥١/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٠٨/٢، والفروع، ابن مفلح ٥٤/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٣٤/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٢٣٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٢٣٤، ٢٣٥).

الواجبات والحقوق هو إرضاء الله، طاعة له وإجلالاً، وتعظيمًا له سبحانه، وقد ذكّر النبي ﷺ بمقتضيات هذه الأخوة فقال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه"، وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي: "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله" وعند مسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله".

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن كل مسلم على الإطلاق أخ لكل مسلم، ولا يجوز لغني أن يتعاظم على أخيه الفقير بأن يأنف من مجالسته أو يتكبر عن مؤاكلته، ولذلك يقبح بالمسلم أن يظلم بالإطلاق، ثم إنْ بُلِيَ بأن يُظلم، قبيحٌ أن يَظْلم أخاه، الذي هو جدير بأن يَرْفِده ويُسْعِده، فإذا لم يكن هنالك فلا أقلّ من أن لا يظلمه.

وقوله: "ولا يسلمه": يعني به أنه إذا كان معه في حرب ودهمهم القتال[1] فغير جائز للمسلم أن يفرّ ويسلم أخاه فليصبر معه ليسلَما جميعًا أو يواسي أخاه فيما يكون منه)[2].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3]، فالأخوة الإسلامية هي أوثق رابطة وأقوى صلة بين المسلم وأخيه المسلم، وهي تقتضي حقوقًا بينهما إن قاما بها نمت وزكت، وإلا ضعفت وذوت حتى تموت، فعلى المسلمين مراعاتها وإحياؤها بالقيام بالحقوق والصلات.

وقوله: "لا يظلمه": هذا أقل ما يجب للمسلم على أخيه، والظلم يكون في النفس والعرض والمال، فعلى المسلم تجنب غيظ أخيه، فالمسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

"ولا يخذله": الخذلان هو أن يُظلم المسلم وتقدر على نصره فلا تفعل، بل تتخلى عنه، فإن المؤمن مأمور بنصر أخيه المسلم سواء أكان ظالمًا فتنصره على نفسه وتمنعه

---

(١) في المطبوع: ودهتهم القتال ولم نهتد لصوابه. أما دهمهم القتال فمعناه: غشيهم. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ١١٠٩.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٥/٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

من الظلم، أو مظلومًا فتمنع الظلم عنه، فقد أخرج أبو داود من حديث جابر بن عبدالله وأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرءًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِىءٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ))[1].

قوله: "ولا يحقره": احتقار المسلم لأخيه ناشئ عن الكبر، فقد أخرج مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[2]. فالمتكبر ينظر إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم، ولا يراهم أهلاً لأن يقوم بحقوقهم، ولا أن يقبل من أحدهم الحق إذا ردّوه عليه.

قوله: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم": يعني أن احتقار المسلم أخاه المسلم هو كفايته من الشر، فإنه إنما يحقره لتكبره عليه، والكبر أعظم خصال الشر، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[3])[4].

وقال ابن هبيرة: (فأما قوله: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" ففيه تحذير وأي تحذير من ذلك، لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه، ثم أحسن تقويم خلقه، وسخر ما في السماوات وما في الأرض جميعًا كله لأجله، وأسجد له الملائكة جميعهم، ثم إنه سبحانه سماه مسلمًا ومؤمنًا وعبدًا... فمن حقّر مسلمًا من المسلمين فقد حقّر ما عظمه الله وكافيه ذلك حزنًا، وإن من احتقار المسلم المسلم ألا يُسلّم عليه إذا مرّ به ولا يرد السلام عليه إذا بدأه هو به، وأن يراه دون أن يدخله الله الجنّة أو يبعده من النار أي ليس أهلاً للجنة أو هو من أهل النار.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٨٤، وضعفه الألباني، (ضعيف الترغيب والترهيب ١٧٠٠).

(٢) أخرجه مسلم ٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٣٣٣ - ٣٣٤.

فأما ما ينقمه العالم على الجاهل والعدل على الفاسق فليس ذلك احتقارًا لعين المسلم ولا لذاته، وإنما كراهية للجهل والفسق اللذين اتصف بهما، فمتى فارق الجاهل جهله، وباين الفاسق فسقه، كان ذلك معيار صدق الذي أبدى الشنآن لأجل الله تعالى، بعوده ومراجعته إلى الاحتفال به والرفع لقدره)[١].

والخلاصة أنَّ المسلم يعرف ما يجب عليه تجاه أخيه المسلم فيفعله ولا يتقاعس ولا يتهاون في ذلك، بل يحرص على ذلك أشد الحرص امتثالاً لأمر الله عز وجل ورسوله ﷺ.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على الأخوة الإسلامية:

الأخوةُ بين المسلمين تعادل -إن لم تزد- الأخوة بين الأشقاء، فكل صلة ستقلب إلى عداوة طالما افتقدت الإيمان والتقوى، لأن تقوى الله هي المحك الأساس، والإيمان هو الأصل الذي يجب أن تقوم عليه العلاقة بين المسلمين؛ لذا أمرهم الشرع بأن يتخلقوا بالأخلاق التي تعمق هذه الأخوة في القلوب، كما يتضح من هذه الأحاديث.

قال ابن عبدالبر: (تضمن الحديث تحريم بغض المسلم والإعراض عنه وقطيعته بعد صحبته بغير ذنب شرعي، والحسد له على ما أنعم به عليه، وأن يعامله معاملة الأخ النسيب، وأن لا ينقب عن معايبه، ولا فرق في ذلك بين الحاضر والغائب، وقد يشترك الميت مع الحي في كثير من ذلك)[٢].

وقال ابن العربي: (أصل الفساد البغض فنهى النبي ﷺ عنه، وينشأ عن البغض الإعراض، وهو أول درجات التدابر، ويترتب على الإعراض اختلاف الأهواء، ومروج الأمور[٣]، ففسره مالك بالإعراض، وهوالأصل حتى إذا اجتنب وكان الإقبال يترتب عليه اتفاق الأهواء)[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٧٦/٧ - ٢٧٧.

(٢) التمهيد ١٠٦/٢٢ موسوعة شروح الموطأ. وقد نقلنا كلامه بتصرف ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٣/١٠.

(٣) مروج الأمور: اختلاطها. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ٢٠٥.

(٤) القبس شرح الموطأ ٩٧/٢٢ موسوعة شروح الموطأ.

وقال القرطبي رحمه الله: (قوله: "وكونوا عباد الله إخوانًا" أي كونوا: كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمودة والمواساة والمعاونة والنصيحة)[١].

وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة تحث على تعميق معنى الأخوة الإسلامية وترسيخها في قلوب المسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٣]، (أي أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق)[٤].

وقال النبي ﷺ: ((إن المؤمِنَ للمؤمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا وشَبَّكَ ﷺ أصابعَهُ))[٥].

وقال ﷺ: ((لا يُؤمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[٦].

قال النووي: (هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه)[٧].

وقال ابن تيمية: (فمن كان قائمًا بواجب الإيمان كان أخًا لكل مؤمن ووجب على كل مؤمن أن يقوم بحقوقه، وإن لم يجر بينهما عقد خاص، فإنّ الله ورسوله قد عقد الأخوة بينهما، بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٨]، وقال النبي ﷺ: ((وَدِدْتُ أَنِّي قَدْ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٣٢/٦.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٨/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

(٦) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٦/٨.

(٨) سورة الحجرات، آية: ١٠.

رَأَيْتُ إِخْوَانَنَا))[١])[٢].

وقال كذلك: (فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة)[٣].

وقال النبي ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قال: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ))[٤]. وقال ﷺ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ: أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٥].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[٦]. وعن عبدالله بن عمرو كذلك قال: ((إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»))[٧].

قال النووي: (وفي هذه الأحاديث جمل من العلم، ففيها الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين والكف عما يؤذيهم بقول أو فعل بمباشرة أو سبب والإمساك عن احتقارهم، وفيها الحث على تألف قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم وتوادهم واستجلاب ما يُحَصِّل ذلك، قال القاضي[٨]: والألفة إحدى فرائض الدين

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٩/١٩.

(٣) المرجع السابق ٩٦/٦.

(٤) أخرجه أبوداود ٤٩١٩، والترمذي ٢٥٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٩١٩)..

(٥) أخرجه الترمذي ٢٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٨).

(٦) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٤٠.

(٧) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١.

وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام، قال: وفيه بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف إخلاص العمل فيه لله تعالى، لا مصانعة ولا مَلقًا لمن تعرف دون من لا تعرف، وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع، وإفشاء شعار هذه الأمة والله تعالى أعلم)[١].

قال ابن تيمية: (وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضَهم أولياء بعض، وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمَرَهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ... فمتى ترك الناس بعض ماأمرهم الله به وقعت بينهم العداوةُ والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا ومَلَكُوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن كل ما يسبب العداوة بين المسلمين:

المسلمون أخوةٌ يسودُ بينهم الحبُّ والتوادُّ وتنتشر بين قلوبهم الأُلفة، لذا نهى الإسلام عن كل ما يعرض روابط هذه الأخوة للتفكك والتصدع، فنهى عن الأسباب التي تؤدي إلى نشر العداوة والبغض بينهم، فقد نهى ﷺ عن بيع النبذ والنجش والتصرية ونهى عن بيع الطير في الهواء والسمك في الماء، ونهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، وأن يبيع الحاضر للبادي، وأن يقسم الرجل على سلعته ليغلِي ثمنها كما حرم النميمة والهمز واللمز والغيبة كل ذلك لاستيفاء الأخوّة ونمائها. وهذا واضح من قوله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا)[٣].

قال الشيخ عبدالله البسام: (هذا حديث عظيم فيه جملة من آداب الإسلام الكريمة، التي من شأنها أن يتحبب المسلم لأخيه المسلم، حتى توحد كلمة المسلمين وتجمع صفوفهم وتلم شملهم، وتجعلهم أمة واحدة وأخوة مسلمين.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٧٦/١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٧/٢-٢٥٩.

(٣) تم تخريجه برقم ٢٣٥.

أولها: (لا تحاسدوا): يعني لا يحسد بعضكم بعضًا، والحسد مركز في طباع البشر فالإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، والمنهي عنه هنا منه هو أن يتمنى زوال نعمة العبد عنه، سواء تمناها أن تنتقل إليه أو تمنى مجرد زوالها عن المحسود. وهذا خلق ذميم نهى عنه الشارع الحكيم، بما يسببه من الشرور في الدنيا، ولأنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[1].

ثانيًا: "لا تناجشوا": والنجش معناه أن يزيد الإنسان في السلعة لا لقصد شرائها، وإنما لقصد الإضرار بالمشتري يرفع ثمنها عليه، أو لنفع البائع بزيادة الثمن له، وهو حرام، وإذا تحقق خُيِّر المشتري بين الإمساك ورد المبيع، لما ناله من الخديعة والمكر وزيادة الثمن.

ثالثًا: "لا تباغضوا": نهى عن التباغض بين المسلمين، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة، قال ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، ولا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ على شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[2].

ولهذا المعنى حرم الله تعالى المشي بالنميمة، لما فيها من إيقاع العداوة والبغضاء، ورخص في الكذب في الإصلاح بين الناس.

أما البغض في الله تعالى فهو من أوثق عرى الإيمان وليس داخلاً في النهي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا).

رابعًا: "لا تدابروا": مأخوذ من أن يولي الرجل صاحبه دُبُره ويعرض عنه بوجهه، فقد

---

(١) ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب" أخرجه أبو داود ٤٩٠٣ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ١٩٠٢، كما رواه ابن ماجه ٤٢١٠ عن أنس بن مالك > مرفوعًا، وضعفه أيضًا الألباني في السلسلة الضعيفة ١٩٠١.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: ((لا يَحلُّ لمسلم أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاث، يَلتقيانِ فيصدُّ هذا ويَصدُّ هذا، وخيرُهما الذي يَبدأُ بالسلام))[١].

فالهجر فوق ثلاث محرم لا يجوز، ويحصل إنهاء الهجر بالسلام، وأما الهجر لأجل دين فتجوز الزيادة من غير تحديد، حتى يزول المانع من الهجر، واستُدل على ذلك بقصة الثلاثة الذين خلّفوا[٢]، ويباح على أهل البدع المغلظة والدعاة إلى الأهواء والمبادئ الهدامة وأصحاب المذاهب المضللة.

خامسًا: "ولا يبع بعضكم على بيع بعض": قال الفقهاء: معناه أن يكون قد باع عليه شيئًا فينزل للمشتري سلعته بأرخص ليشتريها، ويفسخ بيع الأول، وهذا إذا كان في خيار المجلس أو خيار الشرط، وكذلك على الصحيح يشمل فيما إذا تم بينهما ولم يبق خيار، وذلك لئلا يحتال المشتري أو البائع على فسخ العقد، ويكون في نفسه عداوة وبغض للعاقد معه.

قوله: "ولا يبع بعضكم على بيع بعض" قد تكاثر النهي عن ذلك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لا يبع المؤمن على بيع أخيه المؤمن))[٣]، وفي رواية لمسلم: ((وَلاَ يَسُومُ عَلَىٰ سَوْمِ أَخِيهِ))[٤].

ولهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَبِعِ الرَّجُلُ عَلَىٰ بَيْعِ أَخِيهِ))[٥]، هذا دليل على اختصاص ذلك بالمسلم دون الكافر، وهو مذهب أحمد والأوزاعي، وذهب كثير من الفقهاء إلى أن النهي عام في حق المسلم والكافر، وأصح القولين أن النهي للتحريم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٧، ومسلم ٢٥٦٠.

(٢) هو حديث كعب بن مالك > أخرجه البخاري ٤٤١٨ ومسلم ٢٧٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٤٠، ومسلم ١٤١٣ بلفظ: (لا يبيع الرجل على بيع أخيه).

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٢٧، ومسلم واللفظ له ١٥١٥، والسَوْم: عرض الثمن بهدف البيع أو الشراء، المعجم الوجيز، مادة (س و م).

(٥) أخرجه البخاري ٢١٣٩، ومسلم ١٤١٢.

"وكونوا عباد الله إخوانا": ذكره النبي ﷺ كالتعليل لما تقدم، فإن في هذه الجملة اللطيفة إشارة إلى أنهم إذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر ولم يبع بعضهم على بيع بعض صاروا إخوة متحابين متآلفين.

ففيه الأمر باكتساب الأشياء التي تجلب المحبة، والمودة والألفة من رد السلام وتشميت العاطس وإجابة الدعوة وعيادة المريض ونحو ذلك من الحقوق التي سنها الإسلام بين المسلمين، لتمكن المودة والألفة بينهم وتوحد كلمتهم)[1].

رابعًا- من فقه الداعية: تذكير المدعوين بعبوديتهم لله:

معنى العبودية: التسليم والخضوع لله سبحانه وتعالى وطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن العبد لا يعصى سيده وإلا أصبح عاصيًا وهذا من سوء أدبه، لذا كان من فقه الداعية وفطنته أن يذكّر المدعوين بكونهم عبيدًا لله تعالى، وإن من مقتضيات العبودية ولوازمها وعلاماتها طاعة الله فيما أمر وفيما نهى. وهو في هذا يقتدي بالرسول ﷺ عندما أتبع خطابه للمدعوين بقوله: "وكونوا عباد الله إخوانًا".

قال الصنعاني: (وبعد هذه المناهي الخمسة حثهم بقوله: "وكونوا عباد الله إخوانًا" فأشار بقوله: "عباد الله" إلى أن من حق العبودية لله الامتثال كما أمر)[2].

وفي رواية عند مسلم: (كما أمركم الله)[3].

قال ابن حجر: (قوله: "عباد الله" أي: يا عباد الله بحذف حرف النداء. وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله فحقكم أن تتواخوا بذلك... ولعل قوله في الرواية الزائدة: "كما أمركم الله" أي: بهذه الأوامر المقدم ذكرها فإنها جامعة لمعاني الأخوة، ونسبتها إلى الله، لأن الرسول مبلغ عن الله... ويحتمل أن يكون المراد بقوله: "كما أمركم الله" الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4]، فإنه خبر عن الحالة التي شرعت للمؤمنين، فهو بمعنى الأمر)[5].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٣٣١ - ٣٣٣.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٧٢.

(٣) بعد الرواية ٢٤ - ٢٥٥٩.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٨٤.

قال ابن القيم: (لله سبحانه على عبده أمرٌ أمر به، وقضاء يقضيه عليه، ونعمةٌ ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة. والقضاء نوعان: إما مصائب وإما معايب وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها، فأحبهم إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها، فهذا أقرب الخلق إليه، وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علمًا وعملاً. فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصًا واقتداءً برسول الله ﷺ وفي النهي اجتنابه خوفًا منه وإجلالاً ومحبّة)[1].

خامسًا- من أهداف الدعوة: حِفظ الأرواح والأموال والأعراض:

وذلك واضحٌ من قوله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعِرضه"، قال عبدالله البسّام: (النصوص في تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم كثيرة صحيحة صريحة، فهو مما علم من الدين بالضرورة، والمتعين على المسلم أن يحترز عن حقوق المسلمين فلا يعتدي عليها، وإذا حصل بيده منها شيء فليردها إن قدر على ذلك، وإلا استحلّ أهلها منها قبل أن يأتي يوم لا يستطيع أداءها إلا من أعماله الصالحة، فإذا نفدت أعماله وضع عليه من سيئات أصحاب الحقوق)[2].

وقال الدكتور عبدالكريم بن علي النملة: (تنقسم المصالح باعتبار أهميتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الضروريات، وهي المصالح التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وصيانة مقاصد الشريعة، بحيث إذا فقدت أو فقد بعضها، فإن الحياة تختل أو تفسد، وللمحافظة على المصالح الضرورية شرع الله حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والمال.

فشرع لحفظ الدين: قتل الكافر المضل عن هذا الدين، وقتل المرتد الداعي إلى ردته، وعقوبة المبتدع الداعي إلى بدعته، وشرع الجهاد.

---

(١) الفوائد، ابن القيم ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٣٤/٦.

وشرع لحفظ النفس: عقوبة القصاص، وعقوبة الدية، ووجوب الأكل والشرب عند الضرورة ولو كان صائمًا، كذلك: شرع اللبس والمسكن، مما يتوقف عليه بقاء الحياة وصون الأبدان من التلف، أو أي ضرر.

وشرع لحفظ العقل: عقوبة شرب الخمر، ووجوب الأكل والشرب اللذين يتوقف عليهما بقاء العقل وسلامة فهمه.

وشرع لحفظ النسل والأنساب عقوبة الزنا، وأحكام الحصانة والنفقات.

وشرع لحفظ المال: عقوبة السرقة، والقواعد المنظمة للمعاملات المختلفة بين الناس لصيانة الحقوق.

ولا يمكن - بأي حال- تفويت هذه الأصول الخمسة، فلابد إذن من مراعاتها؛ لكون كل واحد منها يعتبر ركنًا من الأركان التي لا تقوم الحياة البشرية إلا بها...)[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

إن من قواعد العدل أن يكون الجزاء من جنس العمل، والإسلام دين العدل، فمن قدّم خيرًا وجد خيرًا، ومن فعل شرًا لم يجد إلا شرًا، كما يتضح في هذا الحديث، وذلك في قول النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللّهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). وقال ابن كثير: (وذلك أن الجزاء من جنس العمل)[2]، قال ابن حجر: (وفيه أن المجازاة من جنس الطاعات)[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾[4]. قال ابن كثير: (أي ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ

---

(١) المهذب في أصول الفقه المقارن ١٠٠٤/٣ - ١٠٠٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥/٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[١])[٢]. ومن هذا القبيل قول النبي ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: "لا تُوكِي فيُوكَى عليك لا تُحصِي فيُحْصِي الله عليك" و((أنفِقي، ولا تُحصِي فيُحْصِيَ اللهُ عليكِ، ولا تُوعِي فيُوعِي اللهُ عليكِ))[٣].

قال ابن حجر: (يقال: أوعيت المتاع في الوعاء أوعيه إذا جعلته فيه، ووعيت الشيء حفظته... والإيكاء شد رأس الوعاء بالوكاء وهو الرباط الذي يربط به، والإحصاء معرفة قدر الشيء وزنًا وعددًا، وهو من باب المقابلة، والمعنى: النهي عن منع الصدقة خشية النفاد، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة، لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يُحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يُعطي ولا يحسب)[٤]، وقال أيضًا: (قوله "ولا توعي فيوعى عليك" المعنى: لا تجمعي في الوعاء وتبخلي بالنفقة فتجازي بمثل ذلك)[٥].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: تحصيل التقوى:

إن التقوى هي خير الزاد في الدنيا والآخرة، لذا يحرص المسلم على تحصيلها والتخلق بها، لأنها طريق الفلاح والفوز. ولهذا حضّ القرآن الكريم والسنة المشرفة المدعوين على تحصيل التقوى، كما هو واضح في هذا الحديث. وذلك في قول النبي ﷺ "التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات" قال النووي: (إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته)[٦].

---

(١) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠٥/٧.

(٣) كل هذه الروايات أخرجها البخاري ١٤٣٣، ١٤٣٤، ٢٥٩٠، ٢٥٩١، وهي بنحوها في صحيح مسلم ١٠٢٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/٥. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٥/٢ - ٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٣٨.

وقال عبدالله البسام: (فيه إشارة إلى أن أكرم الخلق عند الله من اتصف بالتقوى لا بالجاه والرئاسة والمال، فرب من يحقره الناس لضعفه وقلة حظه من الدنيا هو أعظم قدرًا ممن له قدرة في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، والتقوى أصلها في القلب فلا يطلع على حقيقتها إلا الله تعالى. وحينئذ فقد يكون ممن له صورة حسنة أو جاهٍ أو رئاسة في الدنيا، قلبه خال من التقوى. ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوء من تقوى الله فيكون أكرم عند الله تعالى)[2].

وقد جاءت الأحاديث تنبه على هذا المعنى: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[3].

وقال ﷺ كذلك: ((ألا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كله، أَلا وهِيَ الْقَلْبُ))[4].

قال ابن تيمية: (وصلاح القلب في أن يصلح له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه. وفساده في ضد ذلك، فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط)[5] وقال كذلك: (إذا كان الإيمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد، فلذلك هو ثمرة ما في القلب)[6].

وقال ابن الجوزي عن كون التقوى أصل السلامة: (اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[7] فتارة فقر وتارة غنى وتارة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٣٣٣ - ٣٣٤.

(٣) أخرجه مسلم ٣٤-٢٥٦٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/٣٨٣.

(٦) المرجع السابق ٧/٢٥.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٤٠.

عز وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي وتارة يشمت الأعادي، فالسعيد من لازم أصلاً واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإنه إن استغنى زانته وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن أُبتلي حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه، لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوافق على الحدود... ولازم التقوى في كل حال فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية، هذا نقدها العاجل والآجل معلوم)[1].

ثامنًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

وذلك في قول النبي ﷺ: "التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات" وفي هذه الإشارة توضيح للأمر وجلاء له وتمييز له عن غيره وبيان لأهميته. ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((الفتنةُ من ها هنا. وأشار إلى المشرق))[2].

تاسعًا- من أساليب الدعوة: الإخبار والنفي والترغيب والنهي والأمر والتكرار:

أما الإخبار فقوله ﷺ "المسلم أخو المسلم"؛ ليقرر حقيقة ثابتة لا تقبل الجدال أو النقض وأكد هذا بأن أعقبه بالنفي "لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله" قال ابن حجر: (هوخبر بمعنى الأمر)[3].

وكذلك الإخبار في قوله ﷺ "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" ليؤكد على شناعة هذا الأمر.

أما الترغيب فقوله ﷺ "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.." وهذا يدفع المخاطب أن يفعل ما يسمع طمعًا في عون الله له وستره يوم القيامة. فضلاً عن قضاء حوائجه.

---

(١) صيد الخاطر: ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، تحقيق د. عبدالرحمن البر ص ١٩٠-١٩١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٩٦، ومسلم ٢٩٠٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

أما النهي فقوله ﷺ "لا تحاسدوا ولا تناجشوا..." ليحذر من فعل هذه الأشياء وأكد ذلك بأن أتبعه بالأمر "وكونوا عباد الله إخوانا" ليُعلم المخاطبين أن هذه المنهيات والمحذورات فعلها يناقض حقوق الأخوة. وأما التكرار فواضح من قول الراوي: "ويشير إلى صدره ثلاث مرات" وفي هذا تنبيه على هذا الأمر وأهميته، وقد استخدم النبي ﷺ التكرار كثيرًا من ذلك حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي "أي أبا بكر"، مرتين: فما أوذي بعدها))[1].

ولا شك أن هذه الأساليب قد وضحت الرسالة الدعوية للمدعوين خير توضيح وخير بيانٍ. وهذا ما يجب أن يحرص عليه الداعية أشد الحرص.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٦١.

الحديث رقم (٢٣٤)

٢٣٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يخُونُه ولا يكْذِبُهُ ولا يخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ عِرْضُهُ ومالُه ودمُهُ التَّقْوَى هَاهُنا، بِحسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخاهُ المسلم**» رواه الترمذيُّ[1]، وقال: حديث حسن.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يخذله: يترك عونه ونُصْرَتَه[2].

العرض: جانب الإنسان الذي يصونُه من نفسه وحسبه ويُحامي عنه أن يُنتقص ويُعاب[3].

يحقِر أخاه: يستهين به[4].

الشرح الأدبي

تتلاقى فكرة هذا الحديث مع ما في الحديث السابق من ترغيب في المحافظة على الأخوة الإسلامية، ولذلك جاءت جملة البداية في الحديثين واحدة، وهي الجملة المفتاحية كما يقول دارسوا الأسلوب في ضوء علم لغة الحديث، وهذه الجملة "المفتاح" هي التي تعطي بدء الإشارة بالدخول إلى عالم هذا الحديث، وتجيء الجمل الثلاث بعد هذه الجملة متماثلة في صياغتها اللغوية فهي كلها أفعال مضارعة مسبوقة بحرف النفي "لا" ومقترنة بضمير الغائب الذي يعود على "المسلم"، وهذه الجمل جاءت لبيان وتعليل

---

(١) برقم (١٩٢٧). سيأتي بعده من رواية مسلم.

(٢) الصحاح في (خ ذ ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ق ر)

الحكم بأن المسلم أخو المسلم، وهى قاعدة إسلامية ثابتة لا تتغير مهما تغيرت الأحوال، وشوهت الأعمال، فالأخوة -كما يقول العلماء- مقتضية للشفقة داعية للمعروف والمنفعة، ومعايير الأخوة ومقاييسها تقتضي أن لا يخون المسلم أخاه المسلم، وأن لا يكذبه، وأن لا يخذله، والنفي هنا يتضمن النهى عن الخيانة، ولكن النفي أبلغ لأن النهى يوحي بأن الخيانة وقعت، ثم جاء النهى عنها.. أما النفي فهو يقتضي انتفاء هذه الصفة وعدم تلوث المسلم بها.

والخيانة إما أن تكون حسيّة مادية، وهى ما يقوم به بعض ضعاف النفوس من إنكار للأمانات، وتضييع للحقوق وإما أن تكون خيانة معنوية وهى عدم الإخلاص في النصيحة، وأن ينقص أخاه حقه الذي عليه من التعاون والتعاضد.

وقوله: "ولا يكذبه"، يعطي دلالات متعددة حسب ضبط الفعل "يكذبه"، وله ثلاث أوجه في الضبط، فإذا كان بفتح الياء، "يَكْذُبُه"، فالمراد أن يخبر المسلم أخاه المسلم خبراً كاذباً، وهذا ذنب كبير، وجرم خطير نهى عنه رسول الله ﷺ، ووصف الله سبحانه المشركين بأنهم كذَبُوا الله ورسوله.

وإذا كان الفعل مضموم الياء والكاف ساكنة والذال مخففة وينطق هكذا، "يُكْذُبُه"، فمعناه أنه: لا يُلقيه للمخبَر بفتح الباء كاذباً: أى لا يوصل إليه الخبر كاذباً، فلا بد من الصدق لأن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار.

وإذا كان الفعل مضموم الياء وساكن الكاف، والذال مُضعَّفة: فتقول: "يُكذِّبه"، فالمعنى: لا ينسبه إلى الكذب[1]، وكل هذه الدلالات تتلاقى في حقل دلاليٍّ واحد وهو نفى الكذب: والأمر بالصدق والإخلاص في القول.

وقوله: لا يخذله، يحمل دلالتين: فالمراد: أن المسلم لا يترك نصرة أخيه المسلم المشروعة سيما مع الاحتياج والإضرار، فالخذلان محرَّم شديد التحريم، والخذلان قد يكون دنيوياً، كأن يقدر على نصر مظلوم ودفع ظالمه عنه فلا يدفعه، أو يكون دينياً:

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ٤٥.

كأن يقدر المسلم على نصح أخيه المسلم بترك غيبة أو نحوها من المخالفات الشرعية فيترك هذه النصيحة حياءً أو ضناً بالنصيحة أو كرهاً أو خوفاً أو نفاقاً.

والجملة الخامسة توضح وتفصل الشأن في سبل المحافظة على الأخوة الإسلامية، فكل المسلم على المسلم حرام.

والإيجاز هنا سر جمال هذا التعبير وبلاغته، فهو قول فصل، وحكم تشريعي لا مراء في صدقه وصحته.

ويزداد الأمر وضوحاً حين يقول: "وعرضه وماله ودمه"، وهى كل ما يتضمنه كيان المسلم، وهي بدل من كل، وبدأ بالعرض، لأنه الحسب والمفاخرة بالآباء وبكل ما يحافظ عليه الإنسان من حرماته، وحرصه على أن لا تنتهك بالسب والغيبة والبهت، وهى أمور ظاهرة في المجتمع والمال يجب أن لا يُغَصب أو يخان فيه، وهو عصب الحياة، ولا قيمة له إذا تلوث عرض الإنسان، ودمه: أى نفسه ولا يتعرض لها المسلم بقتل أو بأى إيذاء يشوه جسد الإنسان، وربما لكثرة الخوض في الأعراض، وانتهاك المال بالسرقة أو غيره يكون أقل، ثم القتل أو استباحة الدماء تكون أقل لخطورتها، جاء هذا الترتيب في الحديث الشريف، وختام الحديث يرشد إلى ضرورة سلامة القلب وإخلاص النية، وهما الطريق إلى الابتعاد عن احتقار المسلم، وتعظيم حرمته وصون كرامته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حرمة نفس المسلم وماله وعرضه، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٢١٣).

الثاني: أداء الأمانة ورد الوديعة، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (١٩٩).

الثالث: حكم الكذب، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٥٤).

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم (٢٣٣).

الحديث رقم (٢٣٥)

٢٣٥- وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لا تَحاسدُوا ولا تناجشُوا ولا تَباغَضُوا ولا تَدابرُوا ولا يبِعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللّه إخْواناً. المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لا يَظلِمُه ولا يَحْقِرُهُ ولا يَخْذُلُهُ. التَّقْوَى هَاهُنا ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امْرِيءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المسلم. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ دمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النَّجش: أن يزيد في ثمن سلعة يُنادى عليها في السوق ونحوه ولا رغبة له في شرائها بل يقصد أن يُغْرى غيرهُ، وهذا حرام[2].

التدابر: أن يعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر والدبر[3].

عرضُه: جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه، ويُحامي عنه أن يُنتَقَص ويُعاب[4].

الشرح الأدبي

إن المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص ويشد بعضه بعضاً، ومثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهذه الصلة القوية بين أبناء الأمة الإسلامية لابد لها من التحصين والتمكين، ويجب أن يتسلح المؤمنون بكل الوصايا والسلوكيات التي تشحن هذه العاطفة الإيمانية

---

(١) برقم (٢٥٦٤/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٧٢).

(٢) رياض الصالحين ١٤٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ج ش).

(٣) رياض الصالحين ١٤٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

بالطاقات الشعورية التي تكسب الكيان الإسلامي مناعة قوية ضد أمراض السلوك، وآفات النفس الإنسانية، ولابد لهذه الصلة الإيمانية من وسائل المقاومة التي تصد عواصف الوسوسات الشيطانية، والنزغات الشهوانية، والرغبات النفسانية التي لا تأبه بالقيم الإسلامية، ولا تعظم حرمات المسلمين.

وفي ظل هذه الرؤية الإيمانية للسلوك الإسلامي يستقبل المسلم هذه الوصايا النبوية التي أشرقت في بداية الحديث الشريف وهي ست وصايا: قدمها لنا رسول الله ﷺ، وكلها وردت في صيغة الجمع، وخمس منها ورد في أسلوب النهي وهي لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، والوصية السادسة جاءت في أسلوب الأمر في قوله: "وكونوا عباد الله إخوانا".

وأول ما نهى عنه رسول الله ﷺ هو التحاسد أي تبادل الحسد: لأن قوله: لا تحاسدوا يدل على المفاعلة والمشاركة: أي لا تتحاسدوا، وهذا التعبير أبلغ من لا تحسدوا، لأن هذه الصيغة تنهي عن تبادل هذه الصفة الذميمة.. وهي كذلك تتضمن النهي عن الحسد من جهة واحدة، وصيغة المفاعلة تشير إلى أن الحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل، ومتع الدنيا.

والحسد أقسام، حسب طبيعة الحاسد وحسب ما يكنه صدره وقلبه من غل وضغينة، فمن الناس من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ومنهم من يسعى في نقل النعمة إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالة النعمة عن المحسود من غير نقل إلى نفسه: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]، [2].

والوصية الثانية هي: النهي عن التناجش، والتناجش في اللغة: إثارة الشيء بالمكر والحيلة والمخادعة، ومنه سمي الناجش في البيع ناجشاً، ويسمى الصائد في اللغة ناجشاً لأنه يصيد الصيد بحيلته عليه وخداعه له، فالوصية هنا في دلالتها اللغوية والشرعية

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٤.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/ ٢٦٠.

تقول: لا تخادعوا ولا يختل بعضكم بعض بالمكر والاحتيال، ومن ذلك النجش في البيع: وهو أن يزيد في السلعة مَنْ لا يريد شراءها، إما لنفع البائع لزيادة الثمن له، أو بإضرار المشتري بتكثير الثمن عليه، وفي ذلك إفساد لحركة البيع والشراء، وإضرار بالاقتصاد، وإخلال بموازين الثقة بين أبناء الأمة الإسلامية، لأن هذا السلوك هو تجسيد للمكر والمخادعة حيث يتعمد هذا الناجش: إيصال الأذى إلى أخيه المسلم إما بطريق الاحتيال، وإما اجتلاب نفعه بذلك، ويلزم منه وصول الضرر إليه، كما يقول صاحب جامع العلوم والحكم[1].

والوصية الثالثة: تقول: "ولا تباغضوا": وعدم التباغض يكون ثمرة لعدم التحاسد، وعدم التناجش فإن هذين "السلوكين" يؤديان إلى التباغض والحديث ينهي عن أسباب التباغض، وهو النفرة عن الشيء لمعنى فيه مستقبح وما أقبح الحسد، وما أقبح التناجش!!. والوصية الرابعة تتضمن النهى عن التدابر وهو المصارمة والهجران ودلالته مأخوذة من أن يولي الرجل صاحبه دبره، ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع، ومن سماته أن يحجب الإنسان عن أخيه النصيحة، ويعرض عما يجب له من حقوق الإسلام كالإعانة والنصر، والتأييد في المواقف التي تحتاج للمؤازرة والتعاون، والوصية الخامسة تنهي عن التدخل في صفقات البيع، وإفساد العقود شراءً وبيعاً، وذلك داء اجتماعي خطير، وشر مستطير.

والوصية السادسة تجيء في صيغة الأمر في قوله: وكونوا عباد الله إخواناً"، وهذه الوصية ثمرة لأن الراوي واحد، والحديثان تجمعهما دائرة السلوك الرشيد والعمل المفيد.

فقه الحديث

أشار هذا الحديث إلى عدة أحكام فقهية:

الأول: النهي عن النجش، وهو الزيادة في السلعة بغير قصد البيع وإنما بقصد خداع المشتري واستثارته ليرفع الثمن بدون وجه حق.

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢/٢٦٤.

وقد اتفق الفقهاء على أن النجش في البيع ممنوع للنهي عنه وإن اختلفوا في قوة هذا المنع بين الكراهة والتحريم، فجمهور الفقهاء من المالكية[١] والشافعية[٢] والحنابلة[٣] يرون أن النجش حرام، والحنفية[٤] يرون أنه مكروه.

وإذا تم هذا البيع فقد ذهب الحنفية[٥] والشافعية في الصحيح[٦] والحنابلة في المذهب[٧] إلى أن البيع يكون صحيحاً ولا يفسخ، وذهب المالكية[٨] والشافعية في وجه[٩] والحنابلة في وجه[١٠] إلى أن المشتري يكون له الخيار بين الإمضاء والرد، واشترط المالكية في هذه الحالة عدم فوات المبيع.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٠٧/٥، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٢٣/١، وشرح الخرشي ٨٣/٥.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١١٣/٢، ومعالم القربة في طلب الحسبة ص ١٣٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٦٢/٦.

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١١/٣، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤١/٢.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٣٣/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٦/٤، والعناية شرح الهداية ٤٧٧/٦.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٣٣/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٦/٤، والعناية شرح الهداية ٤٧٧/٦.

(٦) مغني المحتاج (٨٧٠) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٢/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٤٧٠/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢٢٩/٢.

(٧) الفروع، ابن مفلح ٩٦/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٥/٤.

(٨) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٠٧/٥، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٢٣/١، وشرح الخرشي ٨٣/٥.

(٩) مغني المحتاج (٨٧٠) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٢/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٤٧٠/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢٢٩/٢.

(١٠) الفروع، ابن مفلح ٩٦/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٥/٤.

الثاني: حكم البيع على البيع، وقد اتفق الفقهاء على أن البيع على البيع ممنوع للنهي عنه، وإن اختلفوا في قوة المنع فهو حرام عند جمهور الفقهاء من المالكية[١] والشافعية[٢] والحنابلة[٣]، ومكروه عند الحنفية[٤].

واختلفوا في حكم هذا البيع إذا وقع هل يكون صحيحاً أم لا على قولين.

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٥] والمالكية[٦] والشافعية[٧] والإمام أحمد في رواية[٨] إلى أن البيع صحيح ولا يفسخ، وإن كان البائع على بيع أخيه آثماً لارتكابه الأمر المنهي عنه.

القول الثاني: ذهب الحنابلة[٩] في المذهب إلى أن البيع باطل ويفسخ للنهي عنه، والنهي يقتضي الفساد.

الثالث: حرمة دم المسلم وماله وعرضه، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٥٤).

المضامين الدعوية[١٠]

---

(١) تبصرة الحكام، ابن فرحون ٢/٢٠٠، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٥/١٠٠.

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ٦١، ومعالم القربة في طلب الحسبة ص ١٣٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٦/٦٩.

(٣) الفتاوى الكبرى ٥/١٤٠، والفروع، ابن مفلح ٤/٤٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤/١٤٩.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/٢٣٣، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/٦، والعناية شرح الهداية ٦/٤٧٧.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/٢٣٣، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/٦، والعناية شرح الهداية ٦/٤٧٧.

(٦) تبصرة الحكام، ابن فرحون ٢/٢٠٠، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٥/١٠٠.

(٧) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٣٩، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢/٤٣٨، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢/٢٢٨.

(٨) الفروع، ابن مفلح ٤/٤٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤/١٤٩، ومجموع فتاوى الشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦/٢٩٩.

(٩) الفروع، ابن مفلح ٤/٤٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤/١٤٩.

(١٠) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم (٢٣٣، ٢٣٤).

الحديث رقم (٢٣٦)

٢٣٦- وعن أَنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وما أبلغ هذا التشبيه الذي جاء به البيان النبوي: وهو يصور تماسك الأمة الإسلامية... وكأنها البنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ويتموج هذا الحديث الشريف بفيوضات المحبة والمودة والرحمة، وتكمن مقاصده في قلب حروفه وكلماته، وتسع معالمه وأسراره من ثنايا العلاقات اللغوية والإيحائية بين مكوناته؛ وتأمل بنيانه اللغوي: إنه جملة واحدة، لكنها كالشمس تنتشر أشعتها في السموات والأرضين، وتضيء زوايا الكون كله.

وما أشبه هذه الجملة الحديثية بالشمس في وهجها وإشعاعاتها. ولا غرو فهي نموذج من بلاغة النبوة، بخاصة أنه قد تفوه بها أفصح العرب لساناً، من أوتى جوامع الكلم إنه محمد ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2].

ويرسى الحديث قاعدة من قواعد الإسلام التي لا تستقيم الحياة في غيابها، ولا تصلح أعمال الإنسان إلا في وجودها... وهي المحبة الخالصة في الله بين أبناء الأمة الإسلامية ولا تقتصر هذه المحبة على الكلمات المجنحة الرقيقة، والعبارات المنمقة الرشيقة؛ ولكن المحبة قول وعمل؛ وسلوك رشيد مُوَشًّى بجميل الأمل، واستشراف لما

---

(١) أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥/٧١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٤٣).

(٢) سورة النجم، الآيات: ٣-٥.

تأتي به الأيام من إنجازات مشروعة، وطموحات غير مقطوعة ولا ممنوعة؛ وفي هذه الدائرة الواقعية والمستقبلية لا يتحرك المسلم وحده، ولكن يظل مَوْجةً مضيئة بالحب لكل من حوله وهو يكابد ويصارع الأهواء والرغبات، وهو يجني ثمرة ما أطلقته طاقاته الشعورية والعملية من رجاءات وطموحات.

وفي ضوء هذه الرؤى الإيمانية فتأمل أسرار الجمال التعبيري في هذه البلاغة النبوية في هذا الحديث الشريف، وأول ما نجنيه من ثمرات هذا البيان: هو ذلك الإيجاز البليغ في هذا الحديث، فاللفظ قليل، ولكن المعاني تمتد أشعتها لتصافح شعور كل مسلم في كل زمان وكل مكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وتسري هذه الأشعة في كل قلب ينبض بشهادة التوحيد، وتضيء كل فم ينطق بهذه الشهادة صادقاً مخلصاً عن يقين وتسليم، والحديث يبدأ بالنفي في قوله "لا يؤمن أحدكم"؛ وينتهي بالإثبات: "حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"؛ فالإيمان الكامل لا يتحقق إلا في ظل المحبة الصادقة لكل مؤمن بالله ورسوله، وقوله: "أحدكم"، يفيد العموم: والمراد: ذكراً كان أو أنثى، في أي زمان وفي أي مكان، وإضافة: "أحد"، إلى ضمير المخاطب الجمع يوحي بأن الأمة كلها كالفرد الواحد، فكل واحد منها هو أحد من هذه الأمة، وصيغة الفعل المضارع تعطي دلالة الاستمرار وعدم انحصار النفي في زمن واحد ومكان واحد، فالرسول ﷺ يخاطب الأمة كلها، وقد قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

وقوله "حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" يتضمن معاني عديدة، ولكنها كامنة في موحيات هذه الكلمات، فالإنسان يحب لأخيه ما يحب لنفسه، من الطاعات والمباحات، وسياق الكلام يقتضي أن يبغض لأخيه ما يبغضه لنفسه من كل ما يخاف منه المسلم من الأمراض والأهواء، والوساوس، والتعثر في أمور الحياة، وقيل: وسكت عنه -أي قوله ويبغض لأخيه ما يبغض لنفسه- مع كونه من كمال الإيمان اكتفاء بذكر ضده، وفي الحديث إيحاء وإشعاع بأن المؤمنين كلهم نفس واحدة، وجسد واحد، فالعقيدة واحدة، والتصورات والتعاليم واحدة، والله واحد لا شريك له، وقد وحدت المؤمنين مأدبة القرآن، ووحدهم حب المصطفى ﷺ والاقتداء به، فصلاتهم

واحدة وصومهم واحد، وحجهم إلى بيت واحد وقبلتهم واحدة، وطرق اكتسابهم لأموالهم مصدرها واحد وهو "المكسب الحلال"، وطرق الإنفاق المشروعة تؤطرها معايير واحدة، ومسالك استثمارية المال تخضع لأحكام الشريعة المستمدة من القرآن الكريم، وفي هذا الأفق تتوهج شمس الحب بين المسلمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٨٣).

الحديث رقم (٢٣٧)

٢٣٧- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً**» فقَالَ رَجُلٌ: يَا رسول اللَّه أَنْصرهُ إِذَا كَانَ مَظلُوماً أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قال: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذلِكَ نَصْرُهُ**» رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الحواري بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة رضي الله عنهم، يحدد الإطار الشرعي للمناصرة والمؤازرة بين أفراد الأمة وطوائفها وقبائلها وشعوبها وهو إطار تحكمه علاقة الأخوة الإيمانية، والعاطفة الإسلامية، والصلات والوشائج الأسرية، والاجتماعية في ظل التعاليم والقواعد الشرعية: وفي هذا الحوار المقنع البليغ نجد أن الرجل الذي حاور رسول الله ﷺ لم يحدد اسمه، وذلك لأن القضية في هذا الحديث عامة تتعلق بأمر المسلمين جميعاً، وليست أمراً خاصاً، فالأخوة هنا أخوة الإيمان، التي يمكن أن تجمع في دائرتها الكبرى أخوة النسب، ولذلك بُدئ الحديث بفعل الأمر، "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، والأمر للوجوب، والمأمور هو كل مسلم سمع هذا الأمر أو بُلِّغ بوسائل التبليغ التي تعددت قنواتها، وتنوعت آلياتها.

والنصر يكون بالمؤازرة والدفاع عن المظلوم، وليس الأمر قاصراً على الأفراد، وإنما لابد من تحقق هذا السلوك بين الدول الإسلامية فيما بينها، والوقوف مع أي شعب مسلم ضد كل من يعتدي عليه أو يسلبه حقوقه، ويغتصب عرضه وماله ووطنه، أو يعتدى على حرماته، أو يشوه تاريخه وثقافته، أو يحرف القرآن الكريم، أو ينكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو يعطل حدود الله، ويشكك في أحكامه، وينكر السنة النبوية الشريفة.

---

(١) برقم (٦٩٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٠٥).

وقد يتساءل طلاب العلم والمعرفة والهداية، كيف يقدم نصرة الظالم على نصرة المظلوم؟ والمتوقع عكس ذلك.

والأمر ليس فيه قلب للحقائق: فالمتكلم رسول الله ﷺ وهو قد أوتي جوامع الكلم، فإن رد الظالم عن ظلمه هو قضاء على أسباب الظلم ودواعيه، ونصر الظالم ليس تأييداً له في ظلمه، وإنما هو ردعه ومنعه وحجزه عن هذا الظلم، وقال البيهقي: إن الظالم مظلوم في نفسه: فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى ؟ ، وقال ابن بطال: النصر عند العرب: الإعانة: وتفسير الرسول ﷺ لنصر الظالم بمنعه من الظلم مِنْ تسمية الشيء بما يئول إليه وهو من وجيز البلاغة.

وجاءت أداة الشرط "إذا" في سياق الحديث عن المظلوم، في قوله: "أنصره إذا كان مظلوماً" للإفادة بوقوع الظلم حقيقة وليس احتمالاً لأن "إذا" تفيد التحقق، فالنصر يكون عند تحقق الظلم إنصافاً للمظلوم.

وفي سياق الحديث عن "الظالم" جاءت أداة الشرط "إن" وهى للشك للإفادة بأن وقوع الظلم غير متيقن: فحتى لو كان محتملاً أو ما زال صاحبه في مرحلة التفكير والإعداد والتخطيط: لابد أن يُردع ويقاوم ويمنع من هذا الطريق، ويوحي مجيء هذه الأداة كذلك، بأن المسلم لا بد أن يأبى الوقوع في هذا الشَرَك، وذلك الإثم المبين، فالظلم ظلمات يوم القيامة وهو في الحياة من أمارات الغلو والتطرف والإجرام، وتكرار الاستفهام في قوله: "أرأيت إن كان ظالماً: كيف أنصره ؟؟" للإيحاء بمزيد من المبالغة في الحيرة والتعجب من هذا الأمر الذي استغربه بعض الصحابة رضي الله عنهم، وظن أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقر الأعراف العربية القديمة لأن هذا القول: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، كان على حقيقته في الجاهلية بدافع التعصب القبلي والمنطق الجاهلي.

وهذه العبارة من كلام جندب بن العنبر بن تميم، وأراد بذلك ظاهر القول: وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية.

ولكن الإسلام ألغى هذه العصبية، واكتسبت هذه العبارة دلالات جديدة في ظل تعاليم الإسلام الواضحة، وفي ظل الأخوة الإيمانية الصادقة، والتعبير بالفعل المضارع في

قوله: يحجزه أو يمنعه من الظلم، يجعل من مقاومة الظالمين ومنعهم من الظلم فعلاً مستمراً، وسلوكاً مستقراً، حتى لو كان الظالم أخًا شقيقاً، أو أخاً في العقيدة، وكذلك يكون هذا المنهج بين الطوائف والشعوب والأمم، وينتهي الحديث بأسلوب التوكيد البليغ، فإن ذلك نصره، والنصر يكون بالتوعية والتثقيف، والصدق في النصيحة، والصدّ والرد عن الظلم.

فقه الحديث

يعد هذا الحديث أصلاً في أحكام فقهية كثيرة منها: الدفاع عن الغير عند الاعتداء عليه بغير حق[1]، وقال الشوكاني: (إنه يجب نصر المظلوم ودفع من أراد إذلاله بوجه من الوجوه، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا، وهو مندرج تحت أدلة النهي عن المنكر)[2].

جاء في فتح الباري: (قوله [أي قول البخاري]: فإن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه ولا قصاص، قال الداودي: أراد لا قود ولا دية عليه ولا قصاص. قال: والدية تسمى أرشًا، قلت: والأولى أن قوله "ولا قصاص" تأكيد، أو أطلق القود على الدية، وقال ابن بطال: اختلفوا فيمن قاتل عن رجل خشي عليه أن يقتل فقَتَلَ دونه هل يجب على الآخر قصاص أو دية؟ فقالت طائفة: لا يجب عليه شيء للحديث المذكور، ففيه "لا يسلمه"[3] وفي الحديث "انصر أخاك" وبذلك قال عمر، وقالت طائفة: عليه القود وهو قول الكوفيين، وهو يشبه قول ابن القاسم وطائفة من المالكية، وأجابوا عن الحديث بأن فيه الندب إلى

---

(١) رد المحتار ٦٣/٤، وشرح الخرشي ١١٢/٨، وشرح الزرقاني ١١٨/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٨/٤، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٤/٨، والفروع، ابن مفلح ١٤٨/٦.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ص ١٠٩٩، ط بيت الأفكار.

(٣) هو جزء من حديث متفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه..." أخرجه البخاري ٦٩٥١، ومسلم ٢٥٨٠.

النصر، وليس فيه الإذن بالقتل، والمتجه قول ابن بطال إن القادر على تخليص المظلوم توجه عليه دفع الظلم بكل ما يمكنه، فإذا دافع عنه لا يقصد قتل الظالم وإنما يقصد دفعه فلو أتى الدَفْع على الظالم -أي قتله- كان دمه هدرًا وحينئذٍ لا فرق بين دفعه عن نفسه أو عن غيره)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والاستفهام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستفسار عما خفي عليه.

رابعاً: من أهداف الدعوة: إقامة العدل ورفع الظلم.

أولاً- من أساليب الدعوة : أسلوب الأمر والاستفهام:

لقد ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ "أنصر" والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعي لحمل المدعو على فعل ما يدعى إليه، أما الاستفهام فقد ورد في الحديث في قول الرجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟ وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية التي تعين المدعوين على فهم خطاب الداعية، وإزالة اللبس أو الغموض.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نصرة المظلوم والأخذ على يد الظلم:

لقد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك في قوله ﷺ: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وقد بيّن ابن عثيمين: (أن النصر بمعنى الدفاع عن الغير أي دفع ما يضره)[٢]، وقال ابن حجر: (إن النصر عند العرب يعني الإعانة)[٣]، وقد حرم الحق تبارك وتعالى الظلم فقال في الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً. فَلاَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٩٩/٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٥٨٢/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٨/٥.

تَظَالَمُوا))[١]، وقد أمر النبي ﷺ بنصرة المظلوم فقال: ((أفشوا السَّلاَمَ، وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ، وَاهْدُوا السَّبِيلَ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ نَصَرَ أخاهُ بظَهْرِ الغيبِ نَصَرَهُ اللّه في الدُّنْيَا والآخِرَةِ))[٣]، ورهّب ﷺ من عدم ذلك، فقال: ((مَا مِنْ امْرِىءٍ يَخْذُلُ امْرأً مُسْلِماً فِي مَوَاقِعِ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إلاَّ خَذَلَهُ اللّه فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِن امْرِىءٍ يَنْصُرُ مُسْلِماً فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ اللّه فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ))[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم.

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستفسار عما خفي عليه:

إن استفسار المدعو عما خفي عليه من كلام الداعية، يُعد مؤشراً إيجابياً يؤكد على تواصل المدعو مع الداعية واهتمامه بفهم واستيعاب ما يسمعه، ويتضح ذلك من خلال ما ورد في الحديث من قول الرجل: (يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً كيف أنصره؟) وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالسؤال والاستفسار عما خفى وأشكل فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥]، قال السعدي في ذلك: (أنه أمر من الله لمن لا يعلم بالرجوع إلى أهل العلم، وذلك في جميع الحوادث)[٦]، وبذلك يتحقق عظيم الفائدة للمدعوين.

رابعاً- من أهداف الدعوة: إقامة العدل ورفع الظلم:

إن إقامة العدل ورفع الظلم من أعظم أسباب إرضاء الرب قبل إرضاء الخلق، وذلك

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٢/٤ رقم ١٨٤٨٣، وقال محققو الإسناد حديث صحيح ورجاله ثقات ٤٣٥/٣٠.

(٣) سنن البيهقي ١٦٨/٨، وصححه الألباني في الجامع الصغير ٦٤٥٠.

(٤) سنن البيهقي ١٦٨/٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥٥٦٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

فضلاً عن تحقيق استقرار المجتمع الإسلامي وحصول طمأنينته، وذلك من أعظم أهداف الدعوة التي يكون بها صلاح الحال والبلاد؛ لذا أمر النبي ﷺ بالاجتهاد في إقامة العدل ورفع الظلم، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ: (تحجزه - أو تمنعه - من الظلم).

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالعدل فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، قال ابن كثير: (أي: كونوا قائمين بالحق لله عز وجل، لا لأجل الناس والسمعة، وكونوا "شهداء بالقسط"، أي: بالعدل لا بالجور)[3]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟﴾[4].

وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال: نحلني أبي نحلاً، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: "لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فجاء ليشهده على صدقتي، فقال: ((أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟)) قَالَ: لاَ، قَالَ: ((اتَّقُوا اللّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ))، وقال: ((إِني لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))[5].

قال الماوردي: (إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٢/٣.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٨٦، ومسلم ١٦٢٣.

الألفة ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان.

وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل.

ونُقل عن بعض البُلغاء قوله: إن العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه، واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع، وكثرة الورع. فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به، ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يُبدأ بعدل الإنسان في نفسه، ثم بعدله في غيره. فأما عدله في نفسه فيكون بحملها على المصالح وكفها عن القبائح، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين: من تجاوز أو تقصير، فإن التجاوز فيها جور، والتقصير فيها ظلم، ومن ظلم نفسه فهو لغيره أظلم، ومن جار عليها فهو على غيره أجور.

فأما عدله مع غيره، فقد تنقسم حال الإنسان مع غيره على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عدل الإنسان فيمن دونه، كالسلطان في رعيته، والرئيس مع صحابته، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء:

باتباع الميسور، وحذف المعسور، وترك التسلط بالقوة، وابتغاء الحق في السيرة. فإن اتباع الميسور أدوم، وحذف المعسور أسلم، وترك التسلط أعطف على المحبة، وابتغاء الحق أبعث على النصرة.

القسم الثاني: عدل الإنسان مع من فوقه. كالرعية مع سلطانها، والصحابة مع رئيسها، ويكون ذلك بثلاثة أشياء:

بإخلاص الطاعة، وبذل النصرة، وصدق الولاء؛ فإن إخلاص الطاعة أجمع للشمل، وبذل النصرة أدفع للوهن، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن.

وهذه أمور إن لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر إلى اتقاء من كان يقيه.. وفي استمرار هذا حل نظام شامل، وفساد صلاح شامل.

القسم الثالث: عدل الإنسان مع أكفائه، ويكون بثلاثة أشياء: بترك الاستطالة،

ومجانبة الإدلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإدلال أعطف، وكف الأذى أنصف، وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء، ففسدوا وأفسدوا.

وقد يتعلق بهذه الطبقات أمور خاصة، يكون العدل فيها بالتوسط في حالتي التقصير والسرف، لأن العدل مأخوذ من الاعتدال، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل، وإذا كان الأمر كذلك فإن كل ما خرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروج عن العدل إلى ما ليس بالعدل.

ولست تجد فساداً إلا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل، إلى ما ليس بعدلٍ من حالتي الزيادة والنقصان، وإذاً لا شيء أنفع من العدل كما أنه لا شيء أضرّ مما ليس بعدل"[1].

وفي ذلك بيان على أن إقامة العدل ورفع الظلم من أسمى مقاصد الشريعة التي يجب إقامتها وبذل الأنفس في تحقيقها.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٤١-١٤٢ بتصرف.

الحديث رقم (٢٣٨)

٢٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسول اللّه ﷺ قال: «حقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خمسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ الْمرِيضَ، واتِّبَاعُ الْجنَائِزِ، وإجابة الدَّعوةِ، وتَشمِيت العَاطِسِ» متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلمٍ[2]: «حق الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إذا لقِيتَهُ فسلِّم عليْهِ، وإذَا دَعاكَ فَأَجبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصحْ لهُ، وإذا عطَس فحمِد اللّه فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا ماتَ فاتْبعهُ».

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التشميت: أي الدعاء بالخير والبركة[3].

عاده: أي زاره[4].

الشرح الأدبي

للعلاقات الاجتماعية في ظل الإسلام إيقاعها الجميل، وهو اتباع منضبط نبيل، لا تدفع به إلى الوجود بواعث نفعية، ولا محركات مادية وقتية، ولكنه يصعد من القلوب، وينبض بالحب والوئام، ويعبق بطيوب الأمن والسلام؛ وحين نتأمل هذا الحديث النبوي الشريف نبصر في كل بارقة من بوارقه الخمس ضبطًا لهذا الإيقاع الاجتماعي المتوازن، وتقعيدًا لحركة التفاعل في الحياة بين المسلم وأخيه المسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٠) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٤/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٦)، و (٣٩٨٦). وسيكرره المؤلف برقم (٨٩٦).

(٢) برقم (٢١٦٢/٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٨٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٩١.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٣٥.

فالبداية تعلن صراحة بأن "حق المسلم على المسلم خمس"، والحصر هنا ليس مقصودًا به الاقتصار على هذه الواجبات، وإنما جاء تحديدها لأهميتها في سياق هذا الحديث، وقيل لأن العدد لا مفهوم له، وقيل، لأن محل العمل بمفهومه ما لم يُعلم خلافه فإن الحقوق المتأكدة كثيرة، واقتصر على ما ذكر، إما لأنها المشروعة إذ ذاك، وما عداها شرع بعدها، وإما لأنها الأنسب بحال السامعين بتساهلهم فيها وشدة احتياجهم إليها[1].

والبناء اللغوي للحديث يفصح عن دلالاته، فالمبني وعاء للمعنى، والحديث يتسم في بنائه بالتناسق والتوازن، وهو يتكون من ست جمل، وكلها جمل اسمية، والبداية تفصح عن ثبات هذه المعالم السلوكية في ضبط إيقاع حياة المسلم: حيث يقول المصطفى ﷺ في صرامة وحسم، "حق المسلم على المسلم خمس"، والبداية بهذه الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر، تعلن عن ثبات هذه الحقوق، وعدم ارتباطها بزمن دون آخر، وبعصر دون آخر، ولا مكان دون آخر فهى معالم سلوكية لشخصية المسلم في الماضي والحاضر والمستقبل ، والقديم والحديث، والبادية والحضر، وفي كل البيئات، وبعد هذا الإجمال، يفصل المصطفى ﷺ القول في هذه الخمس في إيجاز وتلميح.

وكل الجمل التي شاركت في بنيان هذا الحديث هي جمل اسمية، وهذا البنيان يفصح عن ثبات هذه الحقوق وضرورة عدم التهاون فيها، أو التقليل من شأنها، وثبات دلالة الجملة الاسمية يوحي بهذه الدلالة الشرعية الصحيحة، ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث أن البناء اللغوي يتسم بالتوازن والتناسق، فكل جملة تتناسق مع الجمل الأخرى في بنائها، وتتوازن في هيئتها: فكل جملة تبدأ بمصدر مضاف إلى معموله، وهو يمثل صورة من صور العلاقات المتنوعة بين المسلمين في حركتهم الحياتية.

وكأن هذا التوازن والتناسق صورة لما يجب أن تكون عليه هذه العلاقات بين المسلمين من توازن وتناسق تنتظم به حياة المسلمين، وبدايات الجمل تتماثل في البناء اللغوي على هذا النسق "رد - عيادة - إتباع - إجابة - تشميت"، والمصادر متنوعة،

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ٤٢١.

فمنها الثلاثي وهو "رد"، ومنها الرباعي وهو "إجابة"، ومنها الخماسي، وهو "اتباع"، ومنها الرباعي المضعف وهو "تشميت"، وتنوع هذه البنى اللغوية من حيث تعدد مصادرها يوحي بتنوع الظروف والحالات التي يحق للمسلم فيها أن يؤازر أخاه، وهو أن يعظم حرماته، وكل هذه الحقوق مع ما ذكر في الرواية الثانية من شأنها أن تشيع الألفة والبهجة بين أبناء الأمة الإسلامية، ونلاحظ أن الحقوق الست في الرواية الثانية، صيغت كلها في قالب الشرط والجزاء، وأفعال الجواب كلها في صيغة الأمر إعلانًا عن أنها واجبات لازمة وأداة الشرط "إذا" تؤكد هذا اللزوم لأنها للتحقق.

فقه الحديث

أشار هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم ابتداء السلام ورده، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن رد السلام من فروض الكفايات فمتى قام به واحد من جماعة أجزأ عنها وإن تركه الجميع أثموا، وإن كان من يرد واحدًا فقد وجب عليه رد السلام، أما ابتداء السلام فقد اختلفوا فيه، فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة في المذهب إلى أن ابتداء السلام سنة وليس واجبًا، وهو سنة على الكفاية فلو كانوا جماعة يكفي سلام أحدهم ولو سلموا كلهم كان أفضل، وذهب الحنفية والمالكية في قول والإمام أحمد في رواية إلى أن ابتداء السلام واجب.

الثاني: حكم عيادة المريض، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم (٦).

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢٩/٢، ٢٧٤/٣٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٤/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٧٩/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي ٥٩١/١، والأم للشافعي ٢٣٤/١، وأحكام القرآن للشافعي ٣٥/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥١/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٧١/٢، ٨٦، ٢١٣/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٣٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٤/١١.

الثالث: حكم اتباع الجنازة، وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن تشييع الجنازة سنة، وقال الزين بن المنير من المالكية: إن اتباع الجنازة فرض على الكفاية فمتى قام به البعض سقط عن الباقين مع ما في ذلك من عظيم الأجر عند الله تعالى.

الرابع: حكم إجابة الوليمة عند الدعوة إليها، وقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو لجمهورهم ويرون أن الإجابة إلى دعوة الوليمة واجبة[٢].

القول الثاني: وهو للحنفية[٣] وقالوا إن الإجابة لوليمة المسلم سنة، فمن دعي إليها فليجب أخاه تطييبًا لخاطره وتقوية للصلاة بينهما.

القول الثالث: لبعض الحنابلة[٤] وقالوا هي فرض على الكفاية.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٣٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣١١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٠٨/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢٩٣/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣١٣/١، ٣٢٦، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٣١/٣، ١٦٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٩/٢، ١٢٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٥٧/١، ٣٧٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٦ وما بعدها.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٤٩/٣، والتاج والإكليل ٢٤١/٥، والأم للشافعي ١٩٥/٦، وأسنى المطالب ٢٤٤/٣، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٥/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٨/٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢١٣/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٧/٢٠.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٨/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣/٦، وأحكام القرآن، الجصاص ٤٠٨/٢.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٢٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٨/٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢١٣/٧.

الخامس: تشميت العاطِس، وقد اختلف الفقهاء[1] في حكمه، فذهب الحنفية والحنابلة في قول إلى أن تشميت العاطِس إذا حمد الله تعالى واجبٌ، وذهب المالكية والحنابلة في المذهب إلى أنه واجب على الكفاية فمتى شمته أحد الحاضرين كفى، وذهب الشافعية إلى أن تشميت العاطس سنة وليس واجبًا، وقال القاضي أبو محمد من المالكية: هو مندوب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حقوق المسلم.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: توثيق عُرى الأخوة الإسلامية.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان ما يحقق الأخوة الإسلامية ويقويها.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حقوق المسلم:

لقد اشتمل هذا الحديث على بيان عدد من حقوق المسلم على المسلم، وذلك في قوله ﷺ "رد السلام" وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس وفي رواية "وإذا استنصحك فانصح له..." وقد بين النبي ﷺ عظم وأهمية هذه الحقوق فقال في إفشاء السلام ((لاتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»))[2]، وبين ﷺ عظم حق عيادة

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٤/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٦/٧، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٣٤٨/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٢٣٠/٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٧٤/٤، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٦/٢، والفتاوى الكبرى ٣٥٩/٥، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٣٤/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٨/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/١٢.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

المريض فقال ﷺ: ((إن الله عز وجل يقول يوم القيام يا ابن آدم مرضت فلم تعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده))[١]، وقد أشار ابن عثيمين إلى: (أن من حق المسلم على أخيه أن يتبع جنازته من بيته إلى المصلى - سواء في المسجد، أو في مكان آخر- إلى المقبرة)[٢].

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ شَهِدَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ))[٣] وفي ذلك حث من النبي ﷺ على أداء هذا الحق لنيل عظيم الأجر، وفي بيان حق إجابة الدعوة قال ﷺ: ((وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ))[٤] وقال أيضًا: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))[٥]، وفي بيان حق المسلم في تشميته إذا عطس، قال ﷺ ((إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ويكرهُ التثاؤبَ، فإذا عَطسَ فحمِدَ اللهَ فحقٌّ على كل مسلم سمعَه أن يشمِّتَه))[٦]؛ وفي بيان عظم حق النصيحة قال ﷺ ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[٧]. قال النووي: (ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله "الحج عرفة" أي عماده ومعظمه عرفة)[٨]. وفي ذلك بيان لحقوق المسلم على المسلم وأهمية القيام بها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٥٨٦/١.

(٣) أخرج البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٣٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٤٣٠.

(٦) أخرجه البخاري ٦٢٢٣.

(٧) أخرجه مسلم ٥٥.

(٨) شرح صحيح مسلم، ١٣٠.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: توثيق عُرى الأخوة الإسلامية:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث في قوله ﷺ "حق المسلم على المسلم خمس...إلخ" وفي رواية "ست"، وفي بيان هذه الحقوق تتوثق عُرى الأخوة الإسلامية بين المسلمين ويتأكد قول النبي ﷺ ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكى عُضوًا تَداعى له سائرُ جسَدِه بالسّهَرِ والحُمّى))[1]، قال ابن حجر: قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمن بالجسد الواحد تمثيل صحيح، وفيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصورة المرئية، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضًا)[2]، وفي ذلك عظيم الأثر في تحقيق وحدة المسلمين وأهمية القيام بها.

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان ما يحقق الأخوة الإسلامية ويقويها:

هذا ما بينه النبي ﷺ من الحديث في قوله "رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، فعلى الداعية أن يبين ما يحقق الأخوة الإسلامية ويقويها ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]، قال السعدي: (أي: على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك)[4].

رابعًا- من واجبات المدعو: الاستجابة والامتثال لتوجيهات النبي ﷺ:

قد "أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[5]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٧.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه)[١]. وقد بين الحق تبارك وتعالى عظيم أجر الاستجابة لأمر الله ورسوله فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٢].

فعلى المسلم أن يستجيب لأمر النبي ﷺ في مراعاته لحقوق المسلمين والاجتهاد في أدائها، حتى ينال عظم الأجر في الدنيا والآخرة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٨٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ١٨.

الحديث رقم (٢٣٩)

٢٣٩- وعن أَبي عُمارة الْبراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنهما قال: أَمرنا رسولُ اللّه ﷺ بسبْعٍ وَنَهانا عَنْ سَبْعٍ: أَمرنا بعِيادة الْمرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجنازةِ، وتَشْميتِ الْعاطِسِ، وَإِبْرارِ الْمُقْسِمِ[١]، ونَصْرِ المظْلُومِ، وَإِجابَةِ الدَّاعِي، وإِفْشاءِ السَّلامِ. وَنَهانا عَنْ خواتِيمَ أَوْ تَختُّمٍ بالذَّهبِ، وَعنْ شُرْبٍ بالفَضَّةِ، وعَنِ المياثِرِ (الحُمْرِ)[٢]، وَعَنِ الْقَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ، متفق عليه[٣].

وفي روايةٍ[٤]: وإِنْشَادِ الضَّالَّةِ -فِي السَّبْعِ الأُولِ-.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالخير والبركة[٥]، بقولنا: يرحمك الله[٦].

إبرار المقسم: إمضاء يمينه وتنفيذها[٧].

المياثرُ: جمع مَيثرة: وهي شيء يُتَّخذُ من حرير ويحشى قطنا أو غيره، ويجعل في السرج وكُور البعير يجلس عليه الراكب[٨].

الإستبرق: الديباج الغليظ أو الثوب الغليظ الذي يكون سداه ولحمته من الحرير[٩].

---

(١) لفظ مسلم: (وإبرار القسم، أو المقسم) واختصره المؤلف.

(٢) هذا اللفظ ليس عند مسلم، وإنما عند البخاري برقم (٥٨٣٨) من حديث سفيان، عن الأشعث.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٣٠)، ومسلم (٢٠٦٦/٣) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (٨٤٧). ورقم (٨٩٥).

(٤) لم أقف على هذه الرواية.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش م ت).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (ش م ت).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ر).

(٨) رياض الصالحين ١٤٤.

(٩) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٧.

الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير[١].

إنشاد الضالة: تعريف الشيء المفقود[٢].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ حريص على أمته، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ ويقول الحق سبحانه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣].

وحين نتأمل آفاق المعنى في هذا الحديث نجدها متعددة، وهي آفاق نبصر فيها سلوكيات المسلم الإيجابية، وكذلك لا تخلو آفاق المؤمن السلوكية من مخالفات وممارسات نهى عنها رسول الله ﷺ، وهذا الحديث الشريف يعد إقراراً من النبي ﷺ بما ورد فيه من قيم وسلوكيات أمر بها رسول الله ﷺ، وكذلك ما ورد فيه من ممارسات وأفعال ذميمة لا يقرها الشرع ولا يعترف بها.

وأسلوب الحديث الشريف من قول البراء بن عازب رضي الله عنه، وقد أورده في صيغة الإخبار حيث قال: "أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع" والحديث هنا يبدأ بهاتين الجملتين: أمرنا ونهانا، وصيغة الجمع هنا ترشد إلى أن جميع الأمة الإسلامية مأمورة بهذه الأوامر، ومنهية عن هذه السلوكيات التي نهى عنها رسول الله ﷺ، والعدد هنا لا يراد منه حصر الأوامر والنواهي في هذه السلوكيات، وإنما هذه الأوامر وتلك النواهي المذكورة هي ما يشيع في قلب المجتمع، وما يحدث بين أبناء الأمة من عادات وعلاقات تنمو وتتكاثر في ظل القيم الإسلامية، وتكرَّر الفعل "أمرنا"، مرة أخرى في بداية تفصيل هذه الأوامر "أمرنا بعيادة المرضى"، ولم يتكرر في باقي المأمورات... لأن كل ما أمر به رسول الله ﷺ يعد أمراً واحداً في قلب دائرة السلوك الإسلامي الذي يتحصن به المجتمع، ويلوذ بمعالم هذا السلوك الحضاري الإيجابي، في ظل التصور الإيماني.

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش د).

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

وعيادة المرضى، كم تترك من آثار حميدة في نفوس هؤلاء المرضى، وربما تكون من أسباب الشفاء والمعافاة، واتباع الجنائز من أعظم مظاهر المواساة بين المسلمين، ومع المواساة تكون العظة، ويكون الدعاء والترحم على الأموات، واتباع الجنائز ليس توديعاً للميت فقط، ولكن أثره يمتد ويتواصل ليشمل رعاية الأيتام الذين رحل عنهم كفيلهم وراعيهم، لأن أهل الميت يطمئنون إلى أنهم لن يكونوا وحدهم في مفازة الحياة بعد موت راعيهم أو أخيهم أو أي راحل من ذويهم، وتشميت العاطس يوحي بأن المسلم لا يشمت في أخيه لأن التشميت أصله إزالة شماتة الأعداء، وقيل معناه، صان الله شوامتك: أى قوائمك التي بها قوامك: فقوام الدابة مثلاً بسلامة قوائمها، وقوائم الإنسان التي بها قوامة الرأس وما اتصل به من عنق وصدر.

وإبرار المقسم بنحو "أقسمت عليك بالله" أو نحو "والله لتفعلن كذا" فيسن له حيث لا مانع تخليصاً له عن ورطة الاستهتار بحقه في الأول، وحنثه في الثاني -كما يقول صاحب دليل الفالحين-[1]؛ وتتعدد آفاق نصر المظلوم وتتشعب أبعاده، وتتنوع معالمه، ولم يقل "إعانة المظلوم"، وقال: "نصر"، لأن المظلوم في حاجة إلى من يرد إليه حقه المسلوب، وهذا يحتاج إلى مجاهدة وقوة، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، يشيعان في المجتمع البهجة والألفة والمحبة.

وحين نتأمل السلوكيات التي نهى عنها رسول الله ﷺ نجد أنها ترتبط بالترف والإسراف والبذخ، والتفاخر، والتكاثر، واللهو والاستغراق في مظاهر الزينة الدنيوية، وهذه المظاهر من التختم بالذهب، والشرب في آنية الفضة، ولبس الحرير والاستبرق، وتقليد الأعاجم: من ظواهر الفساد والدمار.

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٢.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم عيادة المريض واتباع الجنائز: اختلف الفقهاء في حكم عيادة المريض واتباع الجنائز فذهب الشافعية والحنابلة إلى أن عيادة المريض واتباع الجنائز سنة[١]. وذهب بعض الحنابلة إلى أن عيادة المريض واتباع الجنائز فرض كفاية[٢]. وذهب ابن دقيق العيد إلى أن عيادة المريض قد تكون واجبة إذا كان المريض مضطراً إلى من يتعاهده. وأما اتباع الجنائز إن أريد به الصلاة على الميت فهو من فروض الكفاية[٣]. وقال الظاهرية: إن عيادة المريض فرض[٤].

الثاني: حكم ابتداء السلام وتشميت العاطس، ورد السلام: ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن ابتداء السلام وتشميت العاطس واجب على الكفاية[٥]. وذهب الحنفية إلى أن تشميت العاطس يجب لكل مرة، وقيل لا يشمت العاطس أكثر من ثلاث مرات إذا تابع، وقيل يجب التشميت مرة واحدة وما زاد فمندوب[٦]. وإذا عطس والخطيب يخطب فإنه يكره تشميته لأنه ليس بفرض فلا يجوز ترك الفرض لأجله[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣١/١٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري ١٨٧/٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٣٩/١، ٣٥٧، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٥٤/٢.

(٢) الإقناع لطالب الانتفاع، الحجاوي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٠/١، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٩/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٥٤/٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٥/١، ٢٩٦.

(٤) المحلى، ابن حزم ٤٠٢/٣، ٤٠٣.

(٥) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٩/٥. والابتداء بالسلام سنة مستحبة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وهو واجب عند الحنفية ورواية عند أحمد وقول مقابل للمشهور عند المالكية. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦١/٢٥ ومراجعها ومصادرها.

(٦) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٦٩/٢.

(٧) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٩٢/١.

وذهب الشافعية إلى أن تشميت العاطس سنة على الكفاية.

أما رد السلام فهو فرض بالإجماع. فإن كان السلام على واحد كان الرد فرض عين عليه، وإن كان على جماعة كان فرض كفاية في حقهم.

الثالث: حكم إبرار القسم، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه من حلف على غيره أن يفعل واجباً أو يترك معصية وجب عليه إبرار قسمه، لأن الإبرار هنا قيام بحق الله تعالى، ومن حلف على غيره أن يفعل معصية أو يترك واجباً لم يجز إبراره بل يجب تحنيثه لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن حلف على غيره أن يفعل مكروهاً أو يترك مندوباً ندب تحنيثه ولا يبر قسمه، ومن حلف على غيره أن يفعل مندوباً أو مباحاً أو يترك مكروهاً يندب إبرار القسم على سبيل الاستحباب.

الرابع: حكم نصر المظلوم، وقد ذكر الفقهاء[2] أن نصر المظلوم من فروض الكفايات لمن قدر عليه لما فيه من إزالة المنكر ودفع الضرر عن المسلم، قال الشوكاني: يجب نصر المظلوم ودفع من أراد إذلاله بوجه من الوجوه وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً.

الخامس: حكم إجابة الدعوة إلى الوليمة، وقد سبق الكلام عنه في الحديث السابق.

السادس: حكم لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال، وقد سبق الكلام عنه في

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٦٧٥/٣، وشرح منح الجليل ٤٣٤/٤، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٦/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٤١/٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٤٢/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣٠/٦، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي الرحباني ٣٦٧/٦، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٦٨/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٣/٧.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ٤٩٢/٣، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٦/٢، والسياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٢١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٩٣/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣٩٤/٥.

الحديث رقم (١٩١).

السابع: حكم استعمال آنية الذهب والفضة، وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أنه يحرم استعمال أواني الذهب والفضة في الطعام والشراب للرجال والنساء، وذهب الشافعية في قول ضعيف[٢] إلى أن استعمال أواني الذهب والفضة مكروه فقط، والراجح ما ذهب إليه الجمهور لأنه الذي تؤيده الأدلة القوية من السنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والنهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الامتثال لأمر النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تجنب ما نهى عنه النبي ﷺ.

رابعاً: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة أسلوب الأمر، والنهي:

الأمر والنهي من الأساليب الدعوية الرئيسة في توجيه المدعوين وحملهم على الامتثال لأوامر الشرع ونواهيه، وقد ورد الأمر والنهي كأسلوب دعوي هام في الحديث من قول الراوي: "أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع".

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الامتثال لأمر النبي ﷺ:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية الامتثال لأمر النبي ﷺ، وقد ورد ذلك في قول الراوي "أمرنا رسول الله ﷺ بسبع -ثم ذكر- أمرنا بعيادة المريض، واتباع

---

(١) شرح معاني الآثار، الطحاوي ٢٤٦/٤، ٢٤٩، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٣٢/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٠/٦، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٠٨/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي ٩٦/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٠٦/١، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٧/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٥٩/١، والفتاوى الكبرى ٢٩٩/٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٧/١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٩٧/٢.

الجنائز، وتشيمت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام. وفي بيان أهمية الامتثال لأمره ﷺ قال الحق تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾[1] قال ابن كثير: (أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم)[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3]. قال السعدي أي: إن: (من امتثل لأمر الله ورسوله فأدى الأوامر واجتنب النواهي، فلابد له من دخول الجنة، والنجاة من النار)[4]، وهذا ما رغب فيه النبي ﷺ ورهب من مخالفته، فقال: ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله))[5].

قال ابن حجر: (قوله: "من أطاعني فقد أطاع الله" هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[6]. أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره، ويحتمل أن يكون المعنى لأن الله أمر بطاعتي

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٥٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٣٦.

(٥) أخرجه البخاري ٧١٣٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٨٠ .

فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك، والطاعة هي الإتيان بالمأمور به والانتهاء عن المنهي عنه، والعصيان بخلافه)[١].

وفي ذلك بيان على أهمية الامتثال لأوامر النبي ﷺ وطاعته.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية تجنب ما نهى عنه النبي ﷺ:

إن مما يستنبط من الحديث أهمية الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ، وقد ورد ذلك في قول الراوي "ونهانا عن سبع"-ثم ذكر- ونهانا عن خواتيم أو تختم بالذهب، وعن شرب بالفضة، وعن المياثر الحمر، وعن القسى، وعن لبس الحرير والاستبرق والديباج". وفي بيان أهمية تجنب ما نهى عنه النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] أي: (فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً أو ظاهراً "أن تصيبهم فتنة" أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم في الدنيا، بقتل، أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك)[٣]، وقد رهب النبي ﷺ من مخالفة ذلك فقال: ((كُلُّ أُمَّتِى يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ أَبَى. قَالُوا وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ . قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِى دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِى فَقَدْ أَبَى))[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية تجنب ما نهى عنه النبي ﷺ.

رابعاً- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن مما يستنبط من هذا الحديث حرص الداعية واتصافه بإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، وقد اتضح ذلك من أوامر ونواهي النبي ﷺ للمسلمين في هذا الحديث. قال ابن عثيمين: (إن الأوامر التي أمر بها النبي ﷺ كلها خير، والنواهي التي نهى عنها كلها شر، لأن قاعدة الشريعة تأمر بالمصالح وتنهي عن المفاسد)[٥]، وفي قيام الداعية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٢٠.

(٢) سورة النور، آية: ٦٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٥٩٦.

ببيان ذلك وتوضيحه يكون عظيم الأجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً))[1]. فعلى الداعية أن يسارع في ذلك لتحصيل قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المجتمع المسلم يختلف عن غيره من المجتمعات في قوة الرابطة والتعاطف وحسن التعامل واحترام الكبير ورحمة الصغير، كل هذا مدروده إيجابي في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فبقوة الرابطة بين أفراده، والتي سبهها الرسول ﷺ بالبنيان حيث إن لنباته يقوى بعضها بعضاً، ويتحامل بعضها على بعض، ويحمي بعضها بعضاً، وأي فراغ فيها على غير هدي يؤذي سائر اللبنات الأخرى، ومن أجل البيان شبك رسول الله ﷺ بين أصابعه كوسيلة إيضاح بلغة العصر، وفي الآخرة يجلب الرباطُ القوي إسلامياً رحمة الله، ولذلك كان من أساليب التربية:

أولاً- التربية بالتشبيه والتمثيل:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التشبيه والتمثيل لتقريب الفكرة إلى صحابته، وتبسيطها إلى أذهانهم، يقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان...» ثم يمثّل لصحابته هذا الترابط بين المؤمنين فيشبك بين أصابعه، ليوصل إليهم مدى الترابط والتراحم الذي يجب أن يكون بينهم.

ويقول ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ ...»، ووجه الشبه بين المسلمين وبين الجسد أنه: «إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ».

وثمة فائدة كبيرة لهذه الطريقة التربوية؛ لأنها تجمع بين الإقناع والإمتاع لدى السامع؛ لأن ضرب المثل والتشبيه يأتي بصورة حسية تشبه الصورة المراد انتزاعها إن كانت سلبية، وتعديلها إن كانت معوجة، وتعزيزها إن كانت إيجابية ومرغوباً فيها، فيضعها في دائرة الإدراك العقلي؛ وذلك بإشراك الحواس في تحليل تلك الصورة تحليلاً نفسياً؛ من أجل الوصول إلى غرس كراهية الصور السلبية، ومن ثم الإقلاع عنها، أو الوصول إلى حب السلوك الحميد وتمثله علمياً كلما لزم الأمر[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص١٦٣، ١٦٤.

كذلك فإن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر وإيقاظ النفوس وتجديد نشاطها[١].

ثانياً- التربية بالتوجيه المباشر:

قد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في قوله: «مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا ..... وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ...»، وقوله: «إذا صلى أحدكم فليخفف....».

وتلك طريقة تربوية تهدف إلى إيصال القيمة إلى المتلقي من أقصر السبل، ويكون ذلك في الأمور البدهية، أو التي هي من ضرورات الدين، فالأول يتعلق بعدم ترويع المؤمنين، والنهي عن إشهار الأسلحة بين الناس، بل على حامل السيف أن يغمده؛ لأن في ذلك سداً للذرائع وإغلاقاً لأبواب الشر، والثاني: في التخفيف عن المصلين وتقصير الصلاة؛ مراعاة لذوي الحاجات والضعفاء والمرضى.

ومن خلال التوجيه المباشر يكون تصحيح الأخطاء، والحث على صالح العمل، وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال، واستثمار قدراته بجوانب الخير، وجعل ذلك عادة مستديمة له[٢].

ثالثاً- التربية بالمواقف من الأحداث:

ومن خلال هذه المواقف أراد النبي ﷺ إرساء مبدئين: الأول: الرحمة بالأولاد خاصة: وذلك في عدة أحاديث؛ فأولها موقف الأقرع بن حابس عندما تعجب من تقبيل النبي ﷺ الحسن، فقال له النبي ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»، والثاني: أن النبي يقول: «إِنِي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ ... فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِي فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي ...»، فتلك رحمة بالصغار، حرص النبي ﷺ عليها؛ حتى ينشأ الأطفال تنشئة صحيحة، فيكبرون سالمين من العقد النفسية التي تصيب بعض الأطفال الذين قسا عليهم آباؤهم، فكبروا قساة، يكرهون الناس، وما أكثر الحكام الجائرين في كثير من الدول الغربية، والذين تميزوا بالوحشية والدموية ،وكان سبب ذلك أنهم تربوا على

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد، ص٢٩٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢١٨.

القسوة منذ الصغر، فكبروا عليها، وعاملوا الناس بها.

الثاني: الرحمة بالمسلمين عامة؛ تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، ...، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»؛ وذلك رحمة بهم، من خلال ترك بعض العبادات التطوعية؛ خشية أن يعمل بها الناس فتفرض عليهم.

وحسن المعاملة والترفق بالناس من أهم الأساليب التربوية الناجحة والمؤثرة، التي سلكها الرسول ﷺ في التعامل مع من يريد تربيتهم وهدايتهم، وقد ترك ذلك لنا مثالاً طيباً يبين لنا فيه كيف أن الرفق ولين الجانب يفتحان العقول، ويستميلان القلوب، حتى يستطيع المربي أن يقذف بكل ما يريد بذره فيها من القيم والمعاني السامية التي يسعى المصلحون لغرسها في القلوب[1].

رابعاً- من سمات التربية الإسلامية: الواقعية:

وذلك يظهر في نهيه ﷺ عن الوصال -وهو مواصلة الصوم دون إفطار- رحمة بالمسلمين، وعندما سأله الصحابة: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ ...»، والواقعية سمة رئيسية في الإسلام؛ لأنه دين خاتم، فليس فيه ما يصعب فعله على البشر، وليس فيه تكليف للناس فوق طاقاتهم، بل إن الجميع يستطيع أن يؤدي الفرائض والنوافل على قدر استطاعته، ولهذا نهى النبي ﷺ عن مواصلة الصيام؛ لأن في ذلك تكليفاً للنفس فوق استطاعتها، وغلواً أبغضه الإسلام، ونهى عنه.

لقد وجدت التربية الإسلامية من أجل العمل بها وتفعيلها في الواقع العملي في الحياة، ... مع كونها قيماً سلوكية تتفق مع قدرات الإنسان العقلية والوجدانية والجسدية، ولا تخرج عن طاقته الكامنة، يقول تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]، وهذا كله بخلاف التربية عند الآخرين؛ حيث تكلف الإنسان فوق طاقته، أو تطلب منه ما لا يتفق مع فطرته مما لا يمكن تطبيقه[3].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٦٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص٤٤.

خامساً- من المبادئ التربوية الإسلامية: دعم العلاقات الاجتماعية بين المسلمين:

ذلك بارز في أكثر أحاديث الباب، يقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم...»، ويقول: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً...»، ويقول: «حق المسلم على المسلم خمس...»، ويقول البراء بن عازب رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع...».

وكل هذه الأحاديث تحض على التراحم والتعاطف بين المسلمين، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصرة المظلوم... وما إلى ذلك من الأخلاقيات التي تقوي العلاقات الاجتماعية وتعضدها بين المسلمين.

إن الفرد مرتبط ارتباطاً شديداً بمجتمعه، ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع، أو بمعزل عنه؛ فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته، وعلى الفرد واجبات ومسئوليات نحو مجتمعه، كما أن له حقوقاً ينبغي على المجتمع أن يعني بتقديمها له[1].

سادساً- التربية على رحمة الصغير:

إن من سمات الأخلاق الإسلامية الأساسية احترام الكبير ورحمة الصغير والعطف عليه، وقد بدا في هذا الباب حرصه ﷺ على الرأفة بالصغير، يقول ﷺ: «إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ، ...، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي، كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»؛ لأن بكاء الطفل الصغير سيثير شفقة الأم، وبالتالي ستهتم به وتنشغل بإسكاته عن الصلاة، ولهذا فإن النبي ﷺ كان يقصر الصلاة إذا سمع بكاء الطفل الصغير شفقة ورحمة منه به وبوالدته.

لقد ركز النبي ﷺ على الطفولة ووجوب رعايتها وتنشئتها النشأة الصالحة؛ وذلك إكراماً لجوهر الإنسان؛ حتى يجعل من تنشئة الجيل بجنسيه تنشئة لمجتمع يعرف حق الطفولة، ومن يعرف حق الطفولة فقد رفرفت الرحمة بنورها فوق ربوعه[2].

---

(١) دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، عبدالرحمن الغامدي ص٣٦٧.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، إشراف د. مرزوق بن تنباك ٢٦/ ٨٠.

٢٨- باب ستر عورات المسلمين

والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[النور: ١٩].

الحديث رقم (٢٤٠)

٢٤٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يسْتُرُ عَبْدٌ عبْدًا فِي الدُّنْيَا إلاَّ سَتَرهُ اللَّه يَوْمَ الْقيامَةِ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يتصدر هذا الحديث الشريف باب ستر عورات المسلمين، والإمام النووي يجعل في مقدمة هذا الباب: الميثاق الذي لابد أن ينتبه له المسلمون وهو ضرورة المحافظة على حرمات المسلمين، وفي مقدمة متعلقات هذا التعظيم ومعالمه ستر عورات المسلمين، ولذلك بدأ الإمام النووي: بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

والحديث في منطوقه ينزع إلى التبشير والترغيب حيث يبشر رسول الله ﷺ كل من يستر مسلمًا ولا يفضح أمره، ولا يذيع عوراته وأسراره التي يحرص على كتمانها، بأن الله سيستره يوم القيامة ولا يفضحه على رءوس الأشهاد، وما أحوج كل عبد إلى الستر الإلهي في ذلك اليوم.

---

(١) برقم.(٢٥٠٩/٧٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٤١).

(٢) سورة النور، آية: ١٩.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي والأسرار البلاغية في هذا الحديث الشريف: نجد أن الإيجاز هو السمة التي طبعت هذا الحديث بطابعها البليغ، ونسقها العجيب.

فبناء الحديث اللغوي ينبئ بمقاصده، ويعلن عن ثمرته المرجوة، حيث صيغ الحديث كله في جملة واحدة، ولكنها تشع بفيوضات من النعم الإلهية، وتظل أنموذجًا ومنارة لكل عبد مسلم أو معاهَدٍ يعيش آمنًا بين المسلمين: حيث ينعم الناس بنعمة الستر، ويمكنون في بيوتهم وهم آمنون من عيون المتلصصين وألسنة الواشين، وتعريض اللامزين الهمازين، ونقولات المشائين بالنميمة؛ وتأكيدًا لصرامة هذا النهج وحتمية وجوده، يجيء هذا الحديث في صيغة القصر عن طريق النفي والاستثناء، وفي ذلك القصر تأكيد لوعد الله بالستر يوم القيامة.

واختيار الألفاظ الدالة المشعة المائجة بالدلالات والإيحاءات من أسرار بلاغة البيان النبوي، فالفعل "يستر" بمجيئه في صيغة المضارع يعلن عن ديمومة الستر حاضرًا ومستقبلاً، وعدم التفلت منه.

والستر في اللغة من معانيه: الخوف والحياء والعمل، وكأن العبد حين يستر أخاه في الله والإنسانية والوطن، يخاف عليه من إفشاء أسراره الخاصة من عيب أو مرض أو فقر أو أى خصوصيات ذاتية، وهو في ظل هذا الخوف لديه حياء إيماني يمنعه من الخوض في سيرة غيره من عباد الله، واختيار النبي ﷺ للفظ "عبد"، فاعلاً ومفعولاً لفعل الستر، في الدنيا له موحياته وأسراره: فقد جاء في لسان العرب أن أصل العبودية: الخضوع والتذلل، وقال سيبويه، العبد في الأصل صفة، قالوا: رجل عبد: والجمع أعبد وعبيد وعباد وعُبد، ، وابن فارس يرى أن مادة عبد تجمع بين الذل والشدة، حيث يظل العبد في خضوع وتذلل وطاعة لمن يملكه: وما أعظم هذه الصفة في مقام العبودية ففي الإسلام لا معبود إلا الله.

وقال ابن الأنباري: فلان عابد وهو الخاضع لربه، المستسلم المنقاد لأمره، وقال الزجاج: ومعنى العبادة في اللغة الطاعة مع الخضوع، وقال الأزهري: اجتمع العامة على

تفرقة ما بين عباد الله والمماليك، فقال: هذا عبد من عباد الله، وهؤلاء عبيد مماليك، وفي ضوء هذه الأسرار اللغوية ندرك دقة البيان النبوي، وعمق أسراره، وبعد أغواره، وكيف لا، وهو يبزغ من مشكاة الوحى، وينبع من حوارات البيان القرآني، ففي القرآن الكريم مائتان وخمس وسبعون آية ترد فيها كلمة "عبد"، وهي لا تخرج عن الأصل اللغوي المعروف، والدلالة المصاحبة لها في ظل التصور الإسلامي، والقرآن الكريم أضفى عليها صفة التخصيص بعبادة الله عز وجل وحده، ويختم الحديث ببشارة الستر ووعد النجاة يوم القيامة: والستر من الله، وما أعظم هذا الستر، وما أحوج كل عبد إلى ستر المنعم الوهاب، يوم يُحدَّد العقاب ويضاعف الثواب.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بالستر على أهل المعصية ممن يظن توبتهم بالستر، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه متى وجد مُسلم آخَر في معصية ثم نصحه بالإقلاع عنها فينبغي له أن يستر عليه، ولذا يجوز في الحدود الشهادة والستر، والستر أفضل، ما لم يشتهر العاصي بمعصيته أو يكون قد ستر عليه فلم يتب فيستحب حينئذ الشهادة عليه، فقد استثنى الفقهاء من ذلك المتهتك الذي لا يبالي بإتيان المحظورات ولا يتألم لذكره بالمعاصي فلا ينبغي ستره حينئذ، وكذا من الستر المطلوب أن من رأى ميتًا في حال سيئة فلا يشهر به بل يستر عليه، وغير هذا في كل الأحوال والظروف التي تتطلب الستر.

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢١٤/٥، والجوهرة النيرة لأبي بكر العبادي ٢٢٥/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ١٦٤/٦، والتاج والإكليل ٤٣٧/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٥١/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٠٨/٢، والفروع، ابن مفلح ٥٤/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٣٤/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الستر.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على سلامة وطهارة المجتمع.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب:

لقد ورد أسلوب القصر في الحديث من قوله ﷺ "لا يستر... إلا ستره..." وأسلوب القصر من الأساليب الدعوية الهامة التي تحفز المدعوين على فعل الأمر المدعو إليه، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ "إلا ستره الله يوم القيامة". (والترغيب من الأساليب الدعوية التي تشوق المدعو إلى فعل الأمر الذي يُدعى إليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)[1].

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من سَتْر اللهِ تعالى يوم القيامة لمن سَتَر مسلمًا في الدنيا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية فضل الستر:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث أهمية وفضل الستر، حيث ورد في الحديث ما يؤيد ذلك من قوله ﷺ "لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة".

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسلمٍ كُربَةً فرَّجَ الله عنهُ كُربةً من كُرباتِ يومِ القيامةِ، ومَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة))[2].

قال ابن حجر: (معنى قوله "ستر مسلمًا" أي رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه، ومن الستر أيضًا: أن يستتر الإنسان إذا وقع منه شيء.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ٤٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠.

وقال: والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حصل التلبس بها فيجب عليه الإنكار وإلا رفعه إلى الحاكم)[١].

وقال النووي: (المراد بالستر الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة، لأن الستر على هذا يطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله، هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك ولا يحل تأخيرها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة، وأما جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة)[٢]. (فإذا ستر مسلم مسلمًا معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف -وكان كما بين النووي- فهو من أجزل الله له الثواب، ورفع له الدرجات)[٣].

وقد بين الحق تبارك وتعالى فضل الستر بأن جعله صفة له سبحانه وفي ذلك قال النبي ﷺ ((إنَّ اللهَ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحيَاءَ وَالسَّتْرَ))[٤] فمن ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته وفي ذلك قال ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتْبَعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتْبَعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ))[٥] وفي ذلك بيان على أهمية الستر وضرورة التخلق به.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٣.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٨٧).

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٨٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٨٣).

ثالثًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على سلامة وطهارة المجتمع:

إن من أهم وأبرز ما تهدف الدعوة الإسلامية إلى تحقيقه: المحافظة على سلامة وطهارة المجتمع من خلال إشاعة الستر والترغيب فيه، وهذا ما يستنبط من عموم الحديث، ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما في أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سمحاء، فقال النبي ﷺ: "البينة أو حد في ظهرك". فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول "البينة وإلا حد في ظهرك" فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه "والذين يرمون أزواجهم" -فقرأ حتى بلغ- "إن كان من الصادقين" فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول "إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟". ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت، حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت، فقال النبي ﷺ: ((أَبْصروهَا. فإِنْ جَاءَتْ بِهِ اكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ بنِ سَحْمَاءَ فَجَاءَتْ به كَذَلِكَ، فَقَالَ النبيُّ: لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتابِ الله عز وجلّ لَكانَ لَي وَلَهَا شَأْنٌ))[1]، وفي ذلك بيان على عظم هذا الدين في أخذه بكل الأسباب من أجل عدم إقامة حد الزنا إلا ببينة وعلى الستر على المسلمين، وعدم إظهار عوراتهم وفضحهم، لما في ذلك من المحافظة على سلامة المجتمع. "وقد أوجب الحق تبارك وتعالى حفظ الأعراض من التلطيخ والاتهام؛ ولأجل ذلك شرع الله سبحانه وتعالى حد القذف لما في ذلك من المحافظة على سلامة المجتمع، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٤٧.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٤-٥ .

هذا في الدنيا، وهو الجلد ثمانين جلدة، وذلك إذا رمى امرأة أو رجلاً بالزنا، ولم يثبت عليه بأربعة شهداء، يشهدون الشهادة التي بينها الشرع، فإذا شهد الشهداء حكم بالحد على المقذوف، وإلا فإن القاذف يجلد ثمانين جلدة، ويحكم عليه بالفسق، ولا تقبل شهادته، وذلك من أجل تطهير الأعراض من الكلام البذيء والتلطيخ. وفي ذلك حماية وحفاظًا على سلامة المجتمع"[1].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان ٢/١٢٨-١٢٩.

الحديث رقم (٢٤١)

٢٤١- وعنه قال: سمِعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**كُلُّ أمَّتِي مُعَافًى إلاَّ المُجاهرينَ، وإنَّ مِن المُجاهرةِ أن يعمَلَ الرَّجُلُ بالليلِ عملاً، ثُمَّ يُصبحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللّه عَلَيْهِ، فَيقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرهُ ربُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشفُ سِتْرَ اللّهِ**» متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن من أعظم نعم الله على عباده هو الستر عليهم في الدنيا ترغيبًا لهم في التوبة والأوبة إلى طريق الطاعة، ووعده لكل عبد يستر عيبًا وقع منه بالستر يوم القيامة هو الدرس الذي علمه لنا رسول الله ﷺ.

وهذا الحديث تنطلق منه شهب الوعيد لمن حفظه الله من ألسنة الخلق وستر عليه في الدنيا، ولكنه يأبى إلا أن يكشف ستره، ويفضح أمره، ويضاعف وزره، فيبادر بإيذاء نفسه، والكشف عن أفعاله المنكرة، ونواياه المضمرة، فيصبح مضغة في أفواه الغادين والرائحين والنمامين والمغتابين، ولذلك يبدأ الحديث الشريف بصيغة الاستثناء، وتبدأ هذه الصيغة بقوله: "كل أمتي معافى"، وهى جملة تامة مثبتة: تَعِدُ الأمة كلها وهى أمة الإسلام: لأنه قال "أمتي". وفي إضافة الأمة لياء المتكلم وهو خاتم الأنبياء المبعوث رحمة للعالمين: تعظيم وتشريف لهذه الأمة بالانتساب إلى رسول الله ﷺ، وتتضمن كذلك حرص النبي محمد على أمته فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم.

والمبتدأ هو "كل" ، وهو مضاف إلى أمة، وأمة مضافة إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ، والخبر هو الذي تتم به الفائدة، والفائدة هنا هى المعافاة، وهى تعني أنهم كلهم سالمون عن ألسن الناس وأيديهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٠/٥٢) واللفظ له، ومسلم (٢٩٩٠/٥٢).

وهذه القاعدة الكلية تشذ عنها طائفة لا تلتزم بما شرعه الله، من وجوبية الستر وصون الأعراض في الأنفس، وهؤلاء هم المجاهرون الذين يظهرون المعاصي، ويكشفون ما سترهم الله عليه، وهم المستثنى الذي به تتم صيغة الاستثناء لكنهم لا ينقضون القاعدة، ولا يحجبون رحمة الله وعدالته وفضله.

والدلالة اللغوية تتآزر مع الدلالة الاصطلاحية في الكشف عن طبيعة جرم هذه الطائفة التي انحرفت عن الطريق السوي، فالمجاهرة في هذا الحديث يحتمل أن يكون من جاهر بمعنى جهر أي أعلن، والنكتة أى السر والجمال الأسلوبي، يكمن في التعبير بفاعل المبالغة، فالجهر لا يظل أمام فرد واحد ولكنه يتعدى إلى المجاهرة أمام الجميع، وقيل يحتمل أن يكون على ظاهر المفاعلة، أي المجاهرة المتبادلة بين أرباب المعاصي وهم الذين يجاهر بعضهم بعضًا، وبعض الروايات تأتي بألفاظ تجسد فعل المجاهرين وتكشف عن جرمهم حيث يُروي: وإن من "المجانة" أي من المجون والتهتك، وفي رواية لمسلم، "من الإجهار" وهي بمعنى الظهور والإظهار، وتعمَّد افتضاح الأمر، وفي رواية من الهجار، أو الإهجار، وهما بمعنى الفحش والخنا وكثرة الكلام، فهذا التعدد اللفظي في رواية "وإن من المجاهرة"، يعلن عن انحراف هذه الفئة عن الطريق المستقيم، واستحقاقها للعذاب الأليم.

وبدء هذه الجملة بالتأكيد في قوله: "وإن"، يؤكد سوء مصير هؤلاء الذين سترهم الله، وأقدموا على فضح أنفسهم.

والحوار في قلب الحديث جاء في سياق السرد المتضمن تقديم صورة هؤلاء المجاهرين، حيث يصر كل واحد على أن ينادي على الناس، ويتباهى بالمعصية، ويعدد معاصيه، وقوله "يا فلان" كناية عن الذي يتحدث إليه عن معصيته "وكذا وكذا"، من ألفاظ الكنايات، ويمكن أن يكون هذا التصريح بالمعصية ليس قولاً ولكن يسجله صاحبه في مذكراته وقصصه ورواياته كما يفعل كثير من الكتاب والأدباء في بوحهم وأدبهم المكشوف المفضوح، ويسمونه أدب الاعتراف ويدعون أن هذا هو الصدق في "كتابة السيرة الذاتية، وبئس ما زعموا، فالإنسان لا يذيع إلا ما يفتخر به: لا ما

يفضحه!!!، ولا يقدم للناس إلا الصورة المضيئة المشرقة، وليس الصورة المشوهة الملفقة، ولذلك ما أشنع هذا المسلك الخطير حيث بات العبد: يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه، "نسأل الله الستر والعافية والأمن والإيمان".

فقه الحديث

لا شك أن معصية الله عز وجل وارتكاب المحرمات أمر منفر ولكن الأسوأ منه أن يجاهر المرء بفعله بل ويفخر به أحيانًا، وكأنه لا يكفيه الذنب ويريد مضاعفته.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب للمرء متى ألم بشيء من حدود الله أو معاصيه أن يتوب ويقلع عن ذنبه ويستر على نفسه فلا يخبر أحدًا بما فعل حتى لا يتجرأ الغير على معصية الله، فإن جاهر بفعله حل تأديبه وتعزيره، وجاز للناس مقاطعته وهجره وعدم السلام عليه عند كثير من الفقهاء حتى يرجع عن فعله ويقلع عن ذنبه، وكذا لا تقبل شهادة المجاهر بالمعاصي لأنه لا مروءة له وشرط الشاهد المروءة، ومن يتجرأ على الله فهو على عباده أجرأ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة الاستثناء.

ثانيًا: من مهام الداعي: بيان خطر المجاهرة بالمعاصي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الستر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ذم المجاهرة بالسوء.

---

(١) انظر في ذلك: أحكام القرآن، الجصاص ٤٨/٢، وأنوار البروق ٢٣٠/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣١٦/٧، ومعالم القرب في طلب الحسبة للقرشي ص ٣٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٧/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٣١/٤، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ١١٩/٤، والطرق الحكمية ص ١٤٨، والفروع، ابن مفلح ١٨٣/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٣٦/١.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستثناء:

جاء أسلوب الاستثناء واضحًا في الحديث فالرسول ﷺ ذكر حكمًا عامًا يشمل جميع مذنبي الأمة بالعفو بقوله: "كل أمتي معافى" ثم استثنى منهم المجاهرين للفت الانتباه وأخذ الحذر والحيطة من خطر المجاهرة بالذنوب، أو بكشف ستر الله على الإنسان الذي اقترف ذنبًا وستره الله ثم يهتك ستر الله عليه.

ثانيًا- من مهام الداعي: بيان خطر المجاهرة بالمعاصي:

لقد بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث خطر المجاهرة بالسوء والمعاصي لأن ذلك يحرم الإنسان من عفو الله ورحمته فقال ﷺ: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين"، وقوله معافى: من العافية، وهو إما بمعنى عفا الله عنه وإما سلمه الله وسلم منه[1]، وقد يظن ظان أن المجاهرة فعل المعصية عيانًا للناس، فبين رسول الله ﷺ أن ذلك ليس شرطًا، فمن ألوان المجاهرة الإتيان بالمعصية سرًا ثم الإخبار بها، بعد أن ستره الله تعالى، فيقوم بهتك ستر الله عليه، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن معصية الله يزيدها غلظًا أن يجاهر بها فاعلها؛ لأنه يشير بذلك إلى جرأة منه على ربه بمشهد آخرين يجرئهم على مثل ذلك من فعله، فكأنه جعلهم شهودًا عليه بفسقه؛ فإن الحلم على مثل هذا مع مجاهرته يدعو من لم يعص إلى أن يعصي.

وقد سبق من الله تعالى الإنذار الذي شاع وذاع، فلم يقنع هذا العاصي بأن عصى الله سرًا حتى يعرض بفتنة آخرين، ولو كان قد استتر بما ستره الله به لكان أمره أسهل؛ ولكنه لما أبى إلا هتكة ستره استوجب توجه العقوبة إليه؛ لأنه لو قد أخرت عقوبة المجاهر لعرضت قلوب الضعفاء للفتنة في الدين، وقربهم من الشك في أمر الله، فكان استهدافه لسهام الانتقام من حيث مجاهرته بعصيان الله سبحانه وتعالى، فلذلك قال رسول الله ﷺ "كل أمتي معافى إلا المجاهرين"، فإنه يعني أن الطائع قد شملته العافية، وأن من قدرت عليه المعصية فستر ذلك، فإنه في عافية من الله إذ لم يفضح نفسه، وقد رجي له أن يتوب إلى الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٠١.

في السر كما عصاه في السر، فتكون العافية شاملة له.

فأما المجاهر فإنه يجري مجراه مجرى شارب الخمر، لو قد تاب فيما بينه وبين الله عز وجل لسقط عنه الحد، فأما لو قامت البينة عليه عند الحاكم بذلك ثم تاب، لم تكن التوبة مزيلة للحد الذي وجب عليه)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الستر:

يظهر هذا في قوله ﷺ: "كل أمتي معافى" مبينًا فضل الله وستره على عباده، وكراهية هتك ستر الله على الناس، ويشتد غضبه على من يهتك ستر الله عليه بنفسه فاستثناه من ذلك العفو فيقول ﷺ: "إلا المجاهرين" فإنه من الطبيعي أن يخطئ الإنسان وتلك طبيعته نظرًا لدواعي المعصية والمحرض عليها من النفس وغيرها، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٢].

لكن ليس من المقبول المجاهرة بالمعاصي لما في ذلك من حث على انتشارها وذيوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث حيث رهّب النبي ﷺ من المجاهرة بالمعصية ببيان استثناء صاحبها من عفو الله تعالى ومعافاته فقال: (كل أمتي معافى إلا المجاهرين) والترهيب هنا لزجر هؤلاء الذين يجترؤون ويغترون بستره عليهم، فيتباهون بمعصيتهم لله تعالى فيخبرون بها إخوانهم، والدعاة إذا كانوا مطالبين باتباع أسلوب الترغيب والترهيب فإنه ينبغي عليهم أن يلاحظوا اختلاف الطبائع البشرية فمنها ما يجلبها الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٢٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٩).

(٣) سورة النور، آية: ١٩.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦ - ٨٧.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ذم المجاهرة بالسوء:

جاء في الحديث ذم واستنكار من يجاهر بمعصيته لما في ذلك من استخفاف واستهانة، قال ابن بطال: (في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله ﷺ وصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ومن التعزير إن لم يوجب حدا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك)[1].

ومن أجل ردع العصاة من المجاهرة بالسوء والمعاصي كانت هناك بعض العقوبات الأدبية كالهجر، قال القاضي أبو حسين في التمام: (لا تختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفسَّاق الملة، وظاهر إطلاقه لا فرق بين المجاهر وغيره كالمبتدع والفاسق، فينبغي لك إن كنت متبعًا سَنَن من سلف أن كل من جاهر بمعاصي الله لا تعاضده ولا تساعده ولا تقاعده ولا تسلّم عليه بل اهجره ولاقه بوجه مُكْفَهِرٍّ)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٣/١٠.

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٢٥٧/١.

الحديث رقم (٢٤٢)

٢٤٢- وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا زَنَتِ الأَمةُ فَتبينَ زِناهَا فَليجلدْها الحدَّ، ولا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانية فَلْيجلدْها الحدَّ ولا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنتِ الثَّالثةَ فَلْيبعَها ولوْ بحبْلٍ مِنْ شعرٍ**» متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحد: هي العقوبة المَقدَّرة شرعًا[2].

الشرح الأدبي

إن إقامة الحدود في الإسلام من معالم المنهج الذي حدده رسول الله ﷺ تبليغًا عن ربه عز وجل، وهذه الحدود شُرعت صيانة للحرمات، وحفاظًا على الأعراض، وإصلاحًا لعلاقات بين المسلمين، وتثبيتًا للطمأنينة والأمن في نفوس الناس، ففي ظل هذه العقوبات الصارمة يرتدع الضالون المعتدون، ويأمن الطائعون على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وأبنائهم. فعن ثعلبة الخشني رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رخصة لكم ليس بنسيان فلا تبحثوا عنها[3].

وهذا الحديث الشريف من الأحاديث التي وردت في باب ستر عورات المسلمين، وهي أربعة أحاديث، وكلها من رواية الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ويحدد الحديث الحكَمَ الشرعي الذي يطبق على الأمة الزانية في أسلوب واضح محدد، لأن أحاديث

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٥٢، و٦٨٣٩)، ومسلم (١٧٠٣/٣٢)، والسياق للحميدي في جمعه (١١٥/٣ رقم ٢٣٢٢).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥٤.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ١٢/١٠ رقم ١٩٥٠٩.

الأحكام تتسم بالدلالة المحددة التي تنأى عن المبالغة أو التشبيهات والصور المرغبة أو المنفرة حسب السياق؛ وأسلوب الحديث في ظل هذا الطابع الدلالي الدقيق لا يخلو من الإيحاءات والإشارات التي تشع من خلال نظم الحديث والعلاقات بين كلماته، ومن خلال استعمال الأدوات النحوية، فالحديث يتكون من ثلاث جمل شرطية.

وهذا التكوين له صلة بالرسالة التي يوصلها الحديث إلى ولي الأمر، وإلى مالك الجارية، وهى العقوبة المستحقة كما حددها رسول الله ﷺ، لأن العقوبة من جنس العمل، وكذلك صياغة هذه العقوبة تتلاءم مع واقع الجرم والعقوبة المستحقة، فجواب الشرط وهو يعادل العقوبة أو الثواب يترتب على وقوع الشرط وهو يعادل هنا الكبيرة أو جريمة الزنا، ونلاحظ أن الجملة الأولى استخدمت فيها أداة الشرط "إذا" وهى تفيد التحقق إشارة إلى أن هذه المرة الأولى، وأن الزنا قد وقع، لأنه قال "إذا زنت الأمة: وتبين زناها"، وفي الجملتين الثانية والثالثة: وردت أداة الشرط "إن"، ولم يقل، وتبين زناها في الجملتين، وفي ذلك إشارة إلى أن الزنا في المرتين التاليتين يمكن أن لا يقع أو أن من شأنه أن لا يقع لأن الحدود زواجر، والعودة إلى ارتكاب الكبيرة بعد إقامة الحد أمر غريب حيث تتمكن المعصية من نفس صاحبها، وهذا واقع يخالف فطرة المؤمن وطبيعته.

وتكرار جواب الشرط "فليجلدها"، في كل جملة تأكيد على إقامة الحد، وكذلك تحديد لنوع العقوبة وهي: الجلد، وليس الرجم، وتكرار "فليثرب عليها"، مرتين في الجملتين الأولى والثانية، تأكيد لعدم التوبيخ والتحقير لأن إقامة الحد فيها زجر وتغني عن هذا التقريع، وربما نهى الرسول ﷺ عن ذلك حتى يفتح أبواب التوبة أمامها، وحتى لا يتسرب لنفسها كره الحياة والمجتمع.

وإن زنت الثالثة: فليبعها وليها بأبخس ثمن، لأن علاجها مُستعصٍ، وقيل: الأمر بالبيع، مسارعة لمفارقة أرباب المعاصي، وترك مخالطتهم، وقيل في تعليل البيع: لعلها تتعفف عند المشترى بأن يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته، أو بالإحسان إليها، والتوسعة عليها، أو يزوجها أو غير ذلك.

والحدُّ للأمة خمسون سوطًا، وأما الحرة البكر والثيب، فالجلد أو الرجم، ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ، جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ»[1]، وقد أخذ بظاهر هذا الحديث جماعة من العلماء: كما فعل عليٌّ بشراحة الهمدانية، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله ﷺ؛ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[2].

فقه الحديث

إن الزنا جريمة يعاقب عليها التشريع الإسلامي سواء وقع من حرة أو من أمة، لكن الأمة عليها نصف ما على الحرة من العقاب ولا تغرب بعد الجلد، فإن زنت بعد الثانية، فالأولى للمالك بيعها، لأن ذلك يدل على مدى تهاونها بحدود الله تعالى، والبعد عن تعاليم الإسلام ولا خير فيمن يكون هذا حالها.

وقد اختلف الفقهاء في حكم حد الزنا بالنسبة للإماء على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء[3] إلى أن الأمة إذا زنت فعليها نصف ما على الحرة من العذاب فتجلد خمسين جلدة، سواء أكانت محصنة أم لا.

القول الثاني: ذهب ابن عباس وطاووس وأبو عبيد[4] إلى أنه لا حد على الأمة إلا إذا كانت محصنة فإن لم تكن محصنة فلا حد عليها.

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٩/٣، وأحكام القرآن، الجصاص ٤٣٩/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٤٤/٧ وما بعدها، وأحكام القرآن، ابن العربي ٥١٨/١، والأم للشافعي ١٨٦/٦، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٣٩/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤٩/٩، والفروع، ابن مفلح ٦٩/٦.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤٩/٩.

والراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لأنه الذي تؤيده نصوص القرآن والسنة، ومنها هذا الحديث.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعي: تبيين الأحكام.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحري قبل إقامة الحدود وإصدار الأحكام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: العدل وعدم الإفراط في العقوبة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في أهل المعاصي.

خامسًا: من أهداف الدعوة: إقامة الحدود.

أولاً- من واجبات الداعي: تبيين الأحكام:

جاء ذلك واضحًا في هذا الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ حكم الأَمَةِ إذا وقع منها الزنا، وتكرر ذلك منها، بإقامة الحد عليها والزهد فيها، إذ لا خير فيمن استمرأ المعاصي ولم يقلع عنها، وبيان الأحكام أمرٌ إلهي قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فإبلاغ الداعي الدعوة للناس وتبيينها لهم قيام بأمر الله وخلاص لنفسه وإبراء للذمة ووفاء بالميثاق في البلاغ والبيان وعدم الكتمان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحري قبل إقامة الحدود وإصدار الأحكام:

إن القارئ يلمس ذلك واضحًا في الحديث في قوله ﷺ "فتبين زناها" فلا يجوز إقامة حد أو إصدار حكم إلا بعد استفراغ الجهد في التحري والبحث وثبوت البينة بالإدانة، وذلك منهج الإسلام من كل أمر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[١] وفي الآية أمر بالتثبت لأخذ الحيطة[٢] والحذر وقوله "فتبينوا" من التبيين وهو تطلب البيان وهو ظهور الأمر وفي قراءة "فتثبتوا" من التثبت وهو التحري وتطلب الثبات وهو الصدق[٣]، وإن إقامة الحدود تستوجب التثبت بما لا يدع مجالاً للشك، فإن لم يثبت التيقن بما يوجب إقامة الحد سقط ذلك الحد، وذلك مما أجمع عليه الفقهاء، فإن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة[٤]، وكما أثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها في الشبهات)[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: العدل، وعدم الإفراط في العقوبة:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ فليجلدها الحد ولا يثرب عليها أي لا يوبخها ويقرعها بالذنب نحو يا زانية، يا فاجرة لما فيه من الفحش[٦] فإقامة الحدود ليست تشفيًا من المذنب وإنما هي مجرد إقامة لحدود الله وتنفيذًا لأوامره فلا يجوز بأي حال من الأحوال الزيادة عليها حتى ولو بمجرد التقريع والتوبيخ كما نرى ذلك في الحديث في قوله ﷺ "فليجلدها الحد ولا يُثَرِّب عليها". والعدل أمر إلهي قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٧] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[٨].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٢) راجع تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/ ٣٧٠.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مج١٠/ ٢٦/ ٢٣١.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/ ١٣٤.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٤٩٣

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٦.

(٧) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٨) سورة النساء، آية: ٥٨.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الزهد في أهل المعاصي:

يتضح ذلك من خلال ما ورد في الحديث من أمر الرسول ﷺ ببيع الأمة إذا تكرر زناها، ولو بثمن بخس "ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر" فقوله "فليبعها" ندبًا عند الجمهور، وقال داود: وجوبًا، "ولو بحبل من شعر" مسارعة لمفارقة أرباب المعاصي وترك مخالطتهم[١]. قال ابن بطال: فائدة الأمر ببيع الأمة الزانية المبالغة في تقبيح فعلها والإعلام بأن الأمة الزانية لا جزاء لها إلا البيع أبدًا، وأنها لا تبقى عند سيدها زجرًا لها عن معاودة الزنا، ولعل ذلك يكون سببًا لإعفافها، إما أن يزوجها المشتري أو يعفها بنفسه أو يصونها بهيبته[٢].

خامسًا- من أهداف الدعوة: إقامة الحدود:

من مقاصد الشريعة والدعوة الإسلامية إقامة الحدود ردعًا للعصاة وتقليلاً من المعاصي وحفاظًا على المجتمع، وأصل الحد ما يحجز بين شيئين فيمنع اختلاطهما، وحد الدار ما يميزها، وحد الشيء وصفه المحيط به المميز له عن غيره، وسميت عقوبة الزاني ونحوه حدًا لكونها تمنعه المعاودة، أو لكونها مقدرة من الشارع[٣] فكما أن الإسلام يهدف إلى الدعوة إلى التوحيد والحفاظ عليها وإقامة شعائر الدين، فكذلك يهدف إلى المحافظة على أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم، ومن هنا شرع الحدود حتى لا يجترئ أحد على المساس بأحد، فإذا لم يوجد نظام بتلك المقومات لم تجر مصالح الناس على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[٤]. لذا ينبغي على الدعاة حمل الناس على الوقوف عند حدود الله والطاعة لأوامره وترغيبهم في ذلك، والدعوة إلى تنفيذ أحكام الله بمعاقبة المخالفين بالعقوبات الشرعية، وإزالة المفاسد والمنكرات من المجتمع كما يقضي به الإسلام[٥].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤/٤٣٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/٥٩.

(٤) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ٦٠.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٥.

الحديث رقم (٢٤٣)

٢٤٣- وعنه قال: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ برجلٍ قَدْ شرِب (خَمْرًا)[١]، قال: «اضْرِبُوهُ» قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فمِنَّا الضَّارِبُ بيدهِ والضَارِبُ بنَعْله، والضَّارِبُ بثوبهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَال بعْضُ الْقَومِ: أَخْزاكَ اللَّه، قال: «**لا تقُولُوا هَكَذا لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطان**» رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شرب: شرب الخمر. حذف المفعول.

أخزاك الله: أهانك وأذلك[٣].

الشرح الأدبي

بهذا الحديث الشريف يختم النووي باب "ستر عورات المسلمين"، وقد ورد في هذا الباب أربعة أحاديث، وكلها من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وفي الحديث السابق أمر رسول الله ﷺ بعدم توبيخ الأمة الزانية بعد إقامة الحد عليها، وفي ذلك علاج نفسي، وترغيب لها ولمثيلاتها... ولكل من أقدمت على ارتكاب جريمة الزنا بأن باب التوبة مفتوح، وقلوب الناس كذلك لا ترفض مثل هؤلاء العصاة، إن تابو توبة نصوحا، وكذلك ألسنتهم لن تلاحقهم بالتهم والسب حتى يستطيعوا أن يخالطوا الناس، وأن يعيشوا في ظل التوبة، والندم على ما فات، والإقلاع عن المعصية: حياة كريمة تجمل ملامحها الطاعة وعدم التفريط في أوامر الشرع ونواهيه، والحديث الذي نحن بصدده يقودنا إلى درس إنساني واجتماعي وإصلاحي وهو عدم تحقير شارب الخمر إذا أقيم عليه الحد، وتاب وأناب إلى الله، وما أجمل هذا الموقف في علاج المدمنين، وإرشاد

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٦٧٧٧).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ز ي).

السكارى العابثين الذين خدعوا ببريق المتعة، ولذة الرغبة، وضعفوا أمام وساوس الشيطان، من الإنس والجان، فهم في مفازات العصيان، وأودية الخطيئة يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

والحديث في بنائه اللغوي، وصياغته الأدبية، يتضمن ثلاثة مشاهد واقعية حركية تصور الجزاء الصارم الذي لقيه مَنْ أقدم على شرب الخمر، والمشهد الأول يحكيه أبو هريرة رضي الله عنه الراوي الأعلى للحديث، حيث يقول: أُتِيَ النبي صلى الله عليه وسلم برجل قد شرب... قال: اضربوه، فما اسم هذا الرجل؟ ولماذا لم يحدد أبو هريرة اسمه؟، ولماذا لم يواجهه النبي صلى الله عليه وسلم بالتقريع والإدانة، إن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم ينطق باسمه، ولم يحدده أبو هريرة: سترًا عليه: فإقامة الحد يكفي للزجر، أما التشهير به والخوض في سيرته، فهذا ليس من منهج المسلمين، ترغيبًا للرجل في الإقبال على حدائق الطاعة، والإقبال على العبادة، والقضية هنا ليست شخصية ولكنها قضية عامة تعالج أي موقف يماثل هذا الموقف، ولذلك بُنِي الفعلُ للمجهول في قوله: "أُتِيَ النبي برجل"، ولم يُعرف من هذا الرجل، للتعميم، فكل من في موقف مثل هذا سيلقى المصير نفسه، والفعل شرب: اقترن بقد، وهى للتحقيق والتأكيد، إشارة إلى التيقن من ارتكاب الرجل لهذا الجرم، فالحد لا يقام بالظن ولكن لا بد من اليقين، ولم يقل شرب الخمر، لأن الرجل كان في حالة من السكر وعدم الوعى، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل مسكر حرام" والخمر أم الخبائث، فمن شربها: قَتَل النفْسَ، وَزنَى، وربما كفر، ونلاحظ أن الأفعال توالت ولم يفصل بينها بحروف العطف "أتى برجل قد شرب، قال: اضربوه، قال أبو هريرة رضي الله عنه"، هذا التوالي بدون فواصل من الأفعال يوحي بالإسراع في توقيع العقوبة بعد التيقن من وقوعها، وهذا ما يجب تطبيقه عند كل مخالفة حتى لا يستهين الناس بتعاليم الدين، وأما المشهد الثاني فيصوره أبو هريرة رضي الله عنه، حيث استجاب بعض الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: استجابة سرية، ولنتأمل الرجل وهو يتلقى عقوبته ضربًا باليد، وضربًا بالنعل، وضربًا بالثوب، من جموع الحاضرين، إنه مشهد علني يشهده طائفة من المؤمنين: حتى يتم الردع، ويتعظ الآخرون، وَحَدثُ الضرب صِيغَ في قالب اسم الفاعل، ولم يأت في قالب الفعل الماضي أو المضارع، للتدليل على واقعية

الحدث، وحضوره أمام الرسول ﷺ، لأن أبا هريرة رضي الله عنه لا يحكي المشهد وإنما يصوره، وينقله لأنه حدث أمام الرسول ﷺ وكرر قوله "فمنا الضارب" ثلاث مرات مع حذف في الضرب بالنعل والضرب بالثياب، من قبيل الإيجاز وسرعة الإنفاذ، والتكرار لتأكيد الحدث، وسرعة الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ، والمشهد الثالث: يصور أثر المشهدين السابقين في الناس بعد أن تلقى الرجل عقابه، حيث قال بعض القوم: "أخزاك الله"، ولكن رسول الله ﷺ نهاهم عن الدعاء عليه في جملتين صادقتين، لأن رفضهم له يجعله بائسًا ويفتح عليه أبواب الشيطان، والإسلام منهجه الترغيب، وفتح أبواب الرجاء أمام التائبين.

فقه الحديث

يجسد هذا الحديث الشريف معنى ساميًا وراقيًا للتشريع الإسلامي وهو احتواء المذنب بعد معاقبته، ومحاولة إعادته إلى جادة الطريق بدلاً من طرده من المجتمع واعتباره رجسًا يجب البعد عنه والفرار منه، فمع أن هذا الرجل شرب الخمر وأقام عليه رسول الله ﷺ حدها المعروف شرعًا، إلا أنه نهى عن سبه ولعنه، وأن يكون أحد عونًا للشيطان عليه، بل يجب مساعدته للعودة إلى الطريق الصحيح.

وفي هذا الحديث: بيان لبداية تشريع حد الشرب، فمن شرب من المسلمين خمرًا وهو عالم بالحرمة متعمدًا للشرب مختارًا عاقلاً بالغًا وجب إقامة حد الشرب عليه، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن شرب الخمر حرام وأنه موجب للحد سواء أكان المشروب منها قليلاً أم كثيرًا ولو لم يحصل السكر منه، واختلفوا في المقدار الواجب في حد

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٩/٧، والمبسوط، السرخسي ٢/٢٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٥/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣١٧/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢١٢/٢، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٦٦/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٥٨/٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦١/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١١٧/٦.

الخمر على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١] والمالكية[٢] والحنابلة[٣] إلى أن مقدار حد الشرب ثمانون جلدة كالقذف.

القول الثاني: ذهب الشافعية[٤] إلى أن مقدار حد الشرب أربعون جلدة.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور لأنه الذي تؤيده النصوص والآثار وما عمل به الصحابة رضوان الله عليهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: توجيه العصاة وعدم تعييرهم.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: إقامة الحدود.

رابعًا: من واجبات المدعو: إعانة الناس على الخير وعدم إعانة الشيطان عليهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: الأمر، حيث أمر النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بإقامة الحد على شارب الخمر بقوله: "اضربوه"، وتوجيه الخطاب بصيغة الأمر دلالة على أهميته وحث للمخاطب على الإسراع بالإتيان به.

"وقد استخدم القرآن الكريم الأمر في كثير من الآيات التي جاءت آمرة بخير أو ناهية عن شر، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[٥]،

---

(١) المبسوط، السرخسي ٣٠/٢٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٥/٣.

(٢) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٣١٧/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم المالكي ٢١٢/٢.

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٧١/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٠/٤.

(٤) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٢/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١١٧/٦.

(٥) سورة المائدة، آية: ١.

وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه"[١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: توجيه العصاة وعدم تعييرهم وسبهم:

إن من الأهداف التي ترمي الدعوة إلى تحقيقها: توجيه العصاة ونصحهم ومعاملتهم برفق واحترام وعدم انتقاصهم أمام الناس، لأن ذلك يؤدي إلى إحباطهم وشعورهم باليأس والقنوط، وقد نهى النبي ﷺ عن تعيير هذا الرجل الذي أقيم عليه الحد حيث قال له بعض القوم بعد إقامة الحد (أخزاك الله) فنهاهم رسول الله ﷺ بقوله: (لا تقولوا هكذا) إذ أن إقامة الحد: في الأصل إنما هي تقويم لسلوك المخالف لشريعة الله تبارك وتعالى وللحفاظ على سلامة المجتمع المسلم، والحدود حددها الله تبارك وتعالى فلا يجوز الزيادة عليها ولو بمجرد تأنيب أو تقريع، ومن ثم نهى النبي ﷺ بعض الصحابة عندما قالوا للرجل: (أخزاك الله) نهاهم عن ذلك وقال: (لا تقولوا هكذا). وكما جاء في الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا وَلاَ يُثَرِّبْ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ))، فنجد في الحديث أن الرسول ﷺ في أمره عند إقامة الحد نهي عن مجرد الزيادة عليه بالتثريب وهو التوبيخ واللوم على الذنب[٢].

ثالثًا: من أهداف الدعوة: إقامة الحدود

إن من أهداف الدعوة الإسلامية إقامة الحدود، يستنبط ذلك مما ورد في الحديث من أمر الرسول ﷺ بإقامة حد شرب الخمر على ذلك الرجل الذي أتى به وقد شرب خمرًا فقال اضربوه.

فالشريعة بوضعها عقوبة الجلد لشارب الخمر، قد وضعتها على أساس متين من علم النفس، وحاربت الدوافع النفسية التي تدعو للجريمة بالدوافع النفسية المضادة التي تصرف بطبيعتها عن الجريمة، ودعوة الإسلام لإقامة الحدود في أصلها صيانة للمجتمع

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص ٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٩٣.

من مضار المعصية، والتي لا تحصى، فمثلاً الخمر والتي وردت عقوبتها في الحديث أضرارها لا تحصى فهي تفسد العقل والصحة كما تؤدي إلى ضياع المال وضياع الكرامة[١]، إلى غير ذلك من المضارّ.

ورد ذلك المعنى واضحًا في الحديث في نهي رسول الله ﷺ لمن دعا على شارب الخمر بعد إقامة الحد عليه (أخزاك الله) فقال لهم: (لا تقولوا هكذا) أي: لا تقولوا وتدعو بمثل هذا الدعاء، وقوله (لا تعينوا الشيطان عليه) جملة استئنافية لبيان حكمة النهي عن ذلك القول، أي: ادعوا له بالتوفيق والنجاة من الخذلان ولا تكونوا بدعائكم عليه أعوانًا عليه للشيطان[٢].

قال ابن حجر: (وَوجْهُ عونهم الشيطان بذلك، أن الشيطان يريد بتزيينه له المعصية أن يحصل له الخزي فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان)[٣]، ويستفاد من ذلك منع الدعاء على العاصي بالإبعاد عن رحمة الله كاللعن[٤]، وقال ابن عثيمين: (ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا فعل ذنبًا وعوقب عليه في الدنيا فإنه لا ينبغي لنا أن ندعو عليه بالخزي والعار بل نسأل الله له الهداية ونسأل الله له المغفرة)[٥].

---

(١) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة ص ٦٤٩ - ٦٥٠.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/١٢.

(٤) المرجع السابق ٦٩/١٢.

(٥) شرح رياض الصالحين ٦٠٥/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الخطأ من سمات بني آدم، والإسلام كدين للفطرة صرح بهذا، ولهذا حرص على تربية أبنائه على ستر العورات وعدم تتبعها، والأحرار هم الذين يؤلمهم الإخبار بالأمر مع الإعلام بالستر أكثر مما يؤلمهم العقاب.

وإشاعة روح الستر وعدم تتبع العورات فيه مظهر عام مشرق بحق الأمة، وسمعة الدول لا تقل عن سمعة الأفراد.

وفرق بين الستر والشهادة، فإذا دعي الإنسان للشهادة فقد وجبت، وما كان للإنسان أن يعرض عنها بدعوى الستر، لأن في هذا إضاعة للحقوق وإشاعة الباطل. ولهذا كان من الأساليب التربوية ما يلي:

أولاً- التربية الاجتماعية:

لقد اعتنى النبي ﷺ بجانب التربية الاجتماعية في أحاديث هذا الباب، والتي تحث على انضباط المجتمع ونقائه، وخلوه من الأوبئة الأخلاقية المختلفة، التي ينشأ بعضها عن المجاهرة بالمعاصي، يقول ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ"، وأيضًا من جوانب تنقية المجتمع من الأمراض الخلقية: معاقبة الزانية والزاني على فعله؛ حتى لا يكون أسوة لغيره، وأيضًا ليذوق وبال فعلته القبيحة وليرتدع عن فعلها مرة أخرى، يقول ﷺ: "إِذَا زَنَتْ الأَمَةُ ... فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ...".

إن أهم أهداف التربية الاجتماعية هو جعل الناس أسوياء اجتماعيًا، أسوياء في المواقف الاجتماعية المختلفة، أي: أن يقف فيه كل فرد بحسب المعايير الاجتماعية العامة السائدة في مجتمعه... والخروج على هذه المعايير الاجتماعية وعدم مراعاة هذه الأمور في حياته، يعتبر انحرافًا عن السلوك الاجتماعي وشذوذًا فيه[1].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

رغب النبي ﷺ في ستر العبد أخاه المسلم إذا رآه يفعل ذنبًا، فقال: "لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ

---

(١) تربية الأبناء والبنات، خالد العك، ص٢٢٢.

عَبْدًا إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ"، فالمسلك الصحيح أن يستر الأخ علي أخيه ؛ لا أن يفضحه؛ لأن في فضحه إضرارًا به وبعشيرته، ويكون الأمر أكثر إلحاحًا، والستر واجبًا إذا كان المذنب من المعروفين بالتقوى والفضل، وممن يقتدى به؛ لأن هذه ربما تكون زلة وغفلة سرعان ما يفيق منها، وقد قالت العرب: "المشرفي ينبو واللاحقي يكبو"[1]، فما على من عاين هذا الفاضل يسقط في الذنب إلا أن ينصحه.

ولهذا رغب النبي ﷺ في ستره، بأن من ستره ستره الله يوم القيامة، وتلك رغبة يتمناها الجميع، أن يستروا يوم القيامة أمام الخلائق، ولهذا فقد اتبع النبي ﷺ أسلوب الترغيب.

ثالثًا- التربية الوقائية:

وفي طيات هذا الباب، يهتم النبي ﷺ بالتربية الوقائية، ويستخدمها أسلوبًا تربويًا ناجحًا ونافعًا، لاستئصال جذور الفساد قبل نموها، يقول ﷺ: "كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ"، وفي النهي عن المجاهرة بالذنب أو إفشاء المذنب أسراره، وقوله: "فعلت ذلك البارحة"، في ذلك وقاية للمجتمع، وحمايته ضد الشرور والآفات قبل أن يبدأ انتشارها، لأن العاصي إذا أفشى معصيته وجاهر بها، فإنه سيكون قدوة سيئة لغيره من الشباب والأطفال فيفعلون مثل ما يفعل.

وكذلك من التربية الوقائية أمره ﷺ بإقامة حد الزنى وحد شرب الخمر، يقول ﷺ: "إِذَا زَنَتْ الأَمَةُ وَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ..."، ويقول عن شارب الخمر: "اضربوه"، وإقامة الحدود وقاية للفرد والمجتمع من انتشار الرذائل؛ فهي وقاية للفرد لأنها تجلب له الخوف من اقتراف الجرائم الخلقية والوقوع في حبائلها؛ لما ينتظره من ألم العقاب، وهي وقاية للمجتمع لأنها تقلل نسبة الفساد الخلقي، إن لم تقض عليه تمامًا[2].

---

(١) المشرفي: سيف يجلب من المشارف، وينسب إليها، وهو من أجود السيوف، ينبو: يخطئ الهدف، اللاحقي: الجواد الكريم الذي لا يلحق لسرعته، يكبو: يعثر وينكب على وجهه.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٦٤.

رابعًا- التربية بالعقوبة:

تعد العقوبة من الطرق التربوية الناجحة المفيدة في جبّ الفساد من المجتمع، وقد أمر النبي ﷺ بإقامة حد الزنا بقوله: "إِذَا زَنَتْ الأَمَةُ ... فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ...". وكذلك في أمره بجلد شارب الخمر، ولا يخفى على ذي بصيرة أن المذنب إذا عوقب على ذنبه كان ذلك رادعًا له عن أن يعود إليه، وترهيبًا لغيره من أن يقعوا فيما وقع فيه فيعاقبوا بمثل ما عوقب.

وقد شرع الله سبحانه وتعالى العقوبات رغم أنها مكروهة للطبائع؛ لتكون زاجرة لطبع النفس عن اقتراف الآثام والذنوب، وفيها التطهير عن الآثام الناجمة من ارتكاب المعاصي[1].

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٢٦٢.

٢٩- باب في قضاء حوائج المسلمين

قال تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الحج: ٧٧].

الحديث رقم (٢٤٤)

٢٤٤- وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ اللّه ﷺ قال: «**المسلمُ أخو المسلم لا يَظلِمُه ولا يُسْلِمُهُ. ومَنْ كَانَ فِي حاجةِ أَخِيهِ كانَ اللّهُ فِي حاجتِهِ، ومنْ فَرَّجَ عنْ مُسلمٍ كُرْبةً فَرَّجَ اللّهُ عنه بها كُرْبةً من كُرَبِ يومَ القيامةِ، ومن سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ اللّهُ يَومَ الْقِيامَةِ**» متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠/٥٨)، تقدم برقم (٢٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٦٠)، هذا الحديث سبق شرحه كاملاً أثناء شرح الحديث رقم (٢٣٣) لتكراره.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٣).

الحديث رقم (٢٤٥)

٢٤٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «**من نَفَّس عن مؤمن كُرْبة منْ كُرب الدُّنْيا، نفَّس اللَّه عنْه كُرْبة منْ كُرَب يومِ الْقِيامَةِ، ومنْ يسَّرَ على مُعْسرٍ يسَّرَ اللَّه عليْه في الدُّنْيَا والآخِرةِ، ومنْ سَتَر مُسْلِماً سَتَرهُ اللَّه فِي الدنْيا والآخرة، واللَّه فِي عوْنِ العبْد ما كانَ العبْدُ في عوْن أَخيهِ، ومنْ سلك طَريقاً يَلْتَمسُ فيهِ عِلْماً سهَّل اللَّه لهُ به طريقاً إلى الجنَّة. وما اجْتَمَعَ قوْمٌ فِي بيْتٍ منْ بُيُوتِ اللَّه تعالَى، يتْلُون كِتَابَ اللَّه، ويَتَدارسُونهُ بيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عليهم السَّكِينةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمةُ، وحفَّتْهُمُ الملائكَةُ، وذكَرهُمُ اللَّه فيمَنْ عنده. ومنْ بَطَّأَ به عَملُهُ لمْ يُسرعْ به نَسَبُهُ**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نفَّس: أي فرّج وكشف[2].

كربة: الغم الذي يأخذ بالنفس[3].

المعسر: من العسر وهو ضد اليسر. وهو الضيق والشدة والصعوبة[4].

السكينة: الطُّمأنينة والوقار والسكون[5].

غشيتهم: غَطَّتْهُمْ وحوتْهُمْ[6].

حَفَّتهم: طافت بهم ودارت حولهم[7].

---

(١) برقم (٢٦٩٩/٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٥). وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم (١٠٢٤).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٧/٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع س ر).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ك ن).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ش ي).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ف ف).

بطأ به عمله: كان عمله ناقصاً[١].

الشرح الأدبي

هذا الحديث عظيم جليل، جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب والفضائل والفوائد والأحكام، وفيه إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل، كما يقول صاحب دليل الفالحين[٢]، وكذلك صاحب جامع العلوم والحكم، حيث يقول معقباً على الحديث: هذا يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل[٣].

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث، نجد أنه يتكون من سبع جمل أو سبع منارات من الهدي النبوي، وهى كلها تشارك في إقامة مجتمع إسلامي تسوده المحبة والرحمة، وكل جملة في هذا الحديث تعد لبنة في صرح الأخلاق الإسلامية، وشعاعاً وهاجاً من الهداية والتعاطف بين أبناء الأمة رغبة في التئام الشمل ورأب الصدع، وتكاتف وتكافل طوائف المجتمع المسلم، وتجاذب أفراده، وحين نعيد النظر في البناء اللغوي، وفي الكلمات المشعة، والعلاقات فيما بينها نجد أن الجمل الخمس الأولى صيغت في قالب الشرط والجزاء، وهذه الصياغة تتفق مع كل مقاصد الحديث وهى تتجمع في بؤرة دلالية واحدة، هي: "الجزاء من جنس العمل"، ولذلك جاء جواب الشرط في هذه الجمل مماثلاً لفعل الشرط في مادته اللغوية، إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل: ولكن فضل الله أوسع، وجزاؤه أعم وأشمل، ولنتأمل هذا التماثل الموحي بالبشارة والثواب الجزيل.

"من نَفّس عن مؤمن... نَفّسَ الله عنه، ومن يسر على معسر يسر الله عليه، ومن ستر مسلماً، ستره الله".

ويبدأ الحديث بوعد كل مسلم يشارك في تهوين الشدائد والكروب عن أخيه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٩١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٨.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢١٦.

المؤمن، فالكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها، وهذه الصورة التعبيرية مأخوذة من تنفس الخناق كأنه يرخى له الخناق حتى يأخذ نفساً، وكأن الكرب قيود تخنق أنفاس المؤمن، وفي رواية: من فرج، والتفريج أعظم من التنفيس، وقيل: الكربة تقارب أن تزهق النفس، كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه.

وقد حدد في هذه الجملة الكربة بأنها من كرب يوم القيامة، ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة، كما قيل في التيسير والستر لأن الكرب هي الشدائد العظيمة، وليس كل أحد يحصل له ذلك في الدنيا بخلاف الإعسار والعورات المحتاجة إلى الستر، فإن أحدًا لا يكاد يخلو من ذلك ولو بتعسر الحاجات المهمة[1].

ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، وأسلوب الشرط هنا يضيء المعنى، ويوضح الجزاء الأوفى لمن يتصدى لإنقاذ المعسر من ضائقة، فالله سبحانه ييسر عليه أموره في الدنيا والآخرة، فالإعسار كما يكون في الدنيا يكون في الآخرة.

وقد وصف الله يوم القيامة بأنه عسير، والجملة الثالثة تبشر هؤلاء الذين يسترون عورات الناس، ولا يفضحون أمرهم اتباعاً لأمر رسول الله ﷺ فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإيمَانُ قَلْبَهُ لا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنه مَنِ يتّبعَ عوراتهم يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[2]. وما أصدق هذا الوعد الإلهي وهو أن الله في عون العبد طالما كان العبد في عون أخيه، وهذه الجملة تضمنت معنى الشرط؛ ثم يبشر رسول الله طالب العلم النافع المفيد بأن طريق العلم هو السبيل إلى جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

وكل معالم الهدي السابقة يمكن أن تنبثق وتتأصل في قلب كل مسلم بكثرة

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/ ٢٩٦.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٤٢١ رقم ١٩٧٧٦، وقال محققو المسند حديث صحيح لغيره ٢٠/٣٣.

ارتياد المساجد، والتعلم والذكر والمناجاة والدعوات وختام الحديث يؤكد على وجوب العمل الصالح ففيه الفوز والنجاة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم إنظار المعسر والوضع عنه، وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يجب على الدائن أن ينظر المعسر إلى ميسرة متى عجز عن الوفاء بدينه لنص الكتاب على ذلك، ويحرم عليه أن يلازمه أو يتعرض له، بل ويستحب له حينئذ أن يضع شيئاً من دينه عن المدين مساعدة له وإرفاقاً به والوضع عنه أفضل من إنظاره.

الثاني: الستر على المعاصي، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٢٣٣).

١- الاجتماع لقراءة القرآن:

صرح الشافعية والحنابلة بأن الاجتماع لقراءة القرآن مستحب، لحديث الباب. وروى أبو داود أن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه كان يدرس القرآن مع نفر يقرأون جميعًا.

قال الرحيباني من الحنابلة: (وكره أصحابنا قراءة الإدارة، وهي أن يقرأ قارئ ثم يقطع، ثم يقرأ غيره بما بعد قراءته، وأما لو أعاد ما قرأه الأول وهكذا فلا يكره، لأن جبريل كان يدارس النبي ﷺ القرآن برمضان)[2].

وحكى ابن تيمية: عن أكثر العلماء أن قراءة الإدارة حسنة كالقراءة، مجتمعين بصوت واحد.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٦٤٦/١، وبريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ١٤١/٣، وشرح الخرشي على مختصر خليل ٣٠/٦، وأحكام القرآن، ابن العربي ٣٢٦/١، الأم ٢٠٦/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ١٦٣/٦، والفروع، ابن مفلح ٢٩٧/٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٥٨/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٦/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦، ومسلم ٢٣٠٨.

وقال النووي عن قراءة الإدارة: هذا جائز حسن. وقد سئل مالك رحمه الله تعالى فقال: لا بأس به. وصوّبه البناني والدسوقي. لكن صرّح الحنفية والمالكية بكراهة قراءة الجماعة معًا بصوت واحد لتضمنها ترك الاستماع والإنصات ولِلزوم تخليط بعضهم على بعض.

قال صاحب غنية المتملي: يكره للقوم أن يقرأوا القرآن جملة؛ لتضمنها ترك الاستماع والإنصات. وقيل: لا بأس به[1].

٢-تعليم القرآن: قال القرطبي: (فيه ما يدل على جواز تعليم القرآن في المساجد، أما الكبار الذين يتحفظون بالمسجد فلا إشكال فيه، ولا يختلف فيه، وأما الصغار الذين لا يتحفظون بالمساجد فلا يجوز، لأنها تعرض المسجد للقذر والعبث، وقد قال النبي ﷺ ((جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم))[2]).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعي: توجيه أنظار الناس إلى طرق الخير.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على فضائل الأعمال.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل التعاون والتيسير والستر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل السعي لطلب العلم ومدارسته.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: أهمية العمل في بلوغ الجنة.

---

(١) غنية المتملي شرح منية المصلّي ٤٩٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٠٨/١، والتبيان في آداب جملة القرآن ١٢٨، ١٣٤، ومطالب أولي النهي ٥٩٧/١-٥٩٨ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٣٣) وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٧/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٧/٩ ط دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٧٥٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ١٦٤).

ثامناً: من موضوعات الدعوة: فضل مدارسة القرآن وعمارة المساجد.

تاسعاً: من أهداف الدعوة الإسلامية: الترابط والوحدة ونشر العلم.

أولاً- من مهام الداعي: توجيه أنظار الناس إلى طرق الخير:

في ذكر لنا النبي ﷺ في الحديث عدة طرق للخير وروافد للثواب، فهذا حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب[1]، فبين فضل كشف الكرب والتيسير على المعسر والحث على الستر وإعانة الغير والحث على سلوك طرق العلم، والالتفاف حول كتاب الله عز وجل.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغّب النبي ﷺ في الخيرات وبين ثوابها حثاً للهمم وتحفيزاً للعزائم فقال "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة... الحديث" وقد رغبنا الله عز وجل في فعل الخيرات ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] وهذا أمر من الله بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة وحسن المعاملة، كصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق[3]. وأسلوب الترغيب وغرس الرجاء في النفوس فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على فضائل الأعمال:

وهذا ظاهر في هذا الحديث حيث حثنا رسول الله ﷺ على فضائل الأعمال طلباً للثواب والدرجات العلى وقد أرشد الحق إلى فعل الخيرات والإكثار منها فقال تعالى:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٥٩١.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٧/١٧/٣٤٦.

(٤) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٩٥.

﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١] وذلك ندب فيما عدا الواجبات[٢] "لعلكم تفلحون" أي تفوزون بالمطلوب المرغوب وتنجون من المكروه والمرهوب[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل التعاون والتيسير والستر:

ورد في الحديث الدعوة والترغيب في تنفيس الكرب والتيسير على المعسرين وغير ذلك من أبواب الخير فيقول ﷺ "من نفس عن مؤمن كربة"، أي: أزال وفرج "عن مؤمن كربة" وهي ما أَهَمَّ النفس وغم القلب لأن الكربة تقارب أن تزهق النفس كأنها لشدة غمها عطلت مجال التنفس منه، "نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" أي: من شدائدها "ومن يسر على معسر" بإبراء أو هبة أو صدقة أو نظرة إلى ميسرة بنفسه أو وساطته "يسر الله عليه في الدنيا والآخرة" "ومن ستر مسلماً" لم يشتهر بالأذى والضرر على معصية رآها منه فيما مضى "ستره الله يوم القيامة"[٤] وحث الرسول ﷺ بعد هذا التفصيل بصيغة أعم قائلاً: "والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" إجمال لكل خير يستطيع أن يقدمه المسلم ويسوقه لأخيه المسلم فإن تقديم العون والنصرة لمن يحتاج إليها سلوك إسلامي أصيل وخلق رفيع تقتضيه الأخوة الصادقة[٥].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل السعي لطلب العلم ومدارسته:

ورد ذلك في ترغيب الرسول ﷺ في السعي لطلب العلم فقال "ومن سلك طريقاً يبتغي به علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة" ففيه فضل المشي والسعي في طلب العلم ويلزم من ذلك الاشتغال بطلب العلم الشرعي بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩٨/١٢/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٩٦.

(٤) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٢٩.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٤١٩/٢.

كان هذا شرطاً في كل عبادة لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس ويغفل عنه بعض المبتدئين[١]. فإذا تحقق في طالب العلم ذلك "سهل الله له طريقاً إلى الجنة" يرشده إلى طلب الهداية والطاعة الموصلة إلى الجنة، وليس ذلك إلا بتسهيله تعالى، وإلا فبدون لطفه لا ينفع علم ولا غيره أو بأنه يجازيه على طلبه وتحصيله بتسهيل دخول الجنة بأن لا يرى من مشاق الموقف ما يراه غيره وهذا أقرب لظاهر الحديث[٢].

سادساً- من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ جزاء كل عمل من جنسه كقوله، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة. وكذا باقي فقرات الحديث، وذلك يوافق قول الله عز وجل ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾[٣]. فالجزاء من جنس العمل ثواباً وعذاباً كالتنفيس بالتنفيس والستر بالستر والعون بالعون ونظير ذلك في كثير من أحكام الدنيا والآخرة[٤].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: أهمية العمل في بلوغ الجنة:

لا ينبغي لإنسان أن يتكل على حسبه أو ماله أو ما شاكل ذلك فمقياس الفضل عند الله تبارك وتعالى بالتقوى والعمل الصالح قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٥] فإذا كان لابد من التفاضل فليعلم أن التسابق يجب أن يكون بالأعمال الشخصية وليس هناك أفضل من تقوى الله عملاً[٦]. وبيان ذلك في الحديث الذي معنا "ومن بطأ به

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٥٩١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٣٠.

(٣) سورة النبأ، آية: ٢٦.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٣٠.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٦) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٦٥/٢٦/٣.

عمله لم يسرع به نسبه" أي لم يلحقه برتب أصحاب الأعمال الكاملة لأن المسارعة إلى السعادة إنما هي بالأعمال لا بالأحساب قال الشاعر:

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبقى الفخار بنفسه[1]

ثامناً- من موضوعات الدعوة: فضل مدارسة القرآن وعمارة المساجد:

يستنبط هذا مما ورد في الحديث من قوله ﷺ "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" ولفضل مدارسة القرآن كان جبريل عليه السلام يدارس رسول الله ﷺ وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فَيُدارِسه القُرْآنَ))[2].

قال النووي: (ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما)[3]، ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[4].

تاسعاً- من أهداف الدعوة الإسلامية: الترابط والوحدة ونشر العلم:

إن الدعوة الإسلامية لا تقتصر على حفظ مبادئ الشرع في الصدور وكتابتها في السطور، وإنما تبرز هذه المبادئ وتخرجها إلى حيز التنفيذ وتظهرها في ميدان التطبيق ومن أهدافها: ما ورد في الحديث من دعوة إلى الترابط عن طريق التعاون ومد اليد بالخير "والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه"، إلى غير ذلك من روافد الوحدة والترابط في هذا الحديث والحفاظ عليها بما يضمن سلامتها وبقاءها وذلك بنشر العلم

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ٤٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٦٠١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

-خاصة الشرعي-، فالوحدة والترابط لهما أهمية عظمى في حياة الأمة، فتثبت دعائمها وتسود فيها روح التعاون والألفة واحترام الحقوق والتزام الواجبات وتكون مُحَصِّلَة ذلك: مجتمعاً قوياً متآلفاً لا شحناء فيه ولا بغضاء مما يجعل نسيج الأمة كالبنيان يشد بعضه بعضاً[1].

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١٢٣١/٤، ١٢٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المسلم في مجتمعه آمن ومؤمّن عليه، وليس المراد به دفع مبلغ من المال مقابل خدمة معينة لرده حال الحوادث والنوازل.. إلخ. إن التأمين في الإسلام معنى مطلق، يشمل التأمين المادي والأدبي، والتأمين المادي قائم بكفالة الأغنياء للفقراء عن طريق ما وجب شرعاً (الزكاة، الكفارة، النذور) وما هو مسنون (الصدقة، الهبة، القرض الحسن.. إلخ).

والتأمين الأدبي كامن في إشاعة روح التعاون ومد يد المعروف، فالجهلة لا يُستغلون لجهلهم، والزمنى لا يستطيعون طلب الحق إلى من الأصحاء وأصحاب الحاجات كثيراً ما يفتقرون إلى هذا أو ذاك للوصول إلى حقهم.

وقد بين الرسول ﷺ الآثار الإيجابية المترتبة على هذا السلوك، فتفريج كربة من كرب الدنيا يكسب تفريج كربة من كرب الآخرة، ووعد الله لا يتخلف، والتعبير بأسلوب التنكير "كربة" للتنويع وقد يكون للتحقير في نظر الناس، ولكن عند الله لا يضيع القليل أو الكثير، ومن المضامين التربوية:

أولاً- غرس مبدأ الأخوة في الله:

لقد حث الإسلام دائماً على تآخي المسلمين، وحرص الرسول ﷺ على غرس هذه الروح في نفوس المسلمين؛ لأن الإسلام ليس مبادئ تعبدية تربط العبد بربه فحسب؛ بل هو أيضاً معاملات وعلاقات اجتماعية، ومن هنا كان التآخي في الله من المبادئ الأساسية في الإسلام، يقول ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ...»، فمبدأ الأخوة يلزم عنه حسن التعامل معه ، فلا يظلمه ولا يتخلى عنه ويفرج عنه همومه، ويستره إذا زلت قدمه.

والأخوة في الله هي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام، مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية ووشائج الإيمان والتقوى، فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في النفس أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية

من التعاون والإيثار والرحمة والعفو عند المقدرة، واتخاذ مواقف سلبية عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكراماتهم، ولقد حث الإسلام على هذه الأخوة في الله، وبين مقتضياتها وملتزماتها[١].

ثانياً- التربية على التعاون:

التعاون من المبادئ التربوية التي نشّأ الإسلام المؤمنين عليها، يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢]، ولقد تضمنت أحاديث هذا الباب مبدأ التعاون، وتناولت مقتضياته، وهي: الأخوة في الله، وقضاء حوائج المسلمين، وتفريج كربهم، والتيسير على المعسرين، يقول ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ .... مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللّهُ فِي حَاجَتِهِ»، ويقول ﷺ: «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

تلك مقتضيات التعاون، فالمجتمع من المنظور التربوي الإسلامي لابد أن يكون يداً واحداً، متعاونين متآزرين.

والنجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى للمربي عنه، وهو مفتاح تأثيره على الأقربين الذين هم أولى بدعوته من سائر الناس، كما أنه لا غنى له عنه ليعيش حياته الاجتماعية، ومن ثم تبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه القدرة لدى الشباب[٣].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الأخوة في الله، وقضاء حوائج الناس؛ وذلك بأن أخبر أن الجزاء من جنس العمل، يقول ﷺ: «مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللّهُ فِي حَاجَتِهِ». وفي كل معونة يقدمها المسلم لأخيه المسلم يجزيه الله بها مثلها في الدنيا والآخرة، وكذلك من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٢/١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش، ص١٨٧ بتصرف يسير.

ولقد بين النبي ﷺ هذا الجزاء الدنيوي والأخروي لصحابته والمسلمين أجمعين، حتى يكون ذلك باعثاً لهم على فعل ما يأمرهم به، فإن المرء إذا علم أن لعمله جزاءً وثواباً، أقبل عليه، رغبة في نيل هذا الثواب، وذلك من الأسس التربوية التي استخدمها النبي ﷺ في تربية صحابته.

وقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها؛ بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، ونهى نفسه عن طغيانها[1].

رابعاً- من الأماكن التربوية في الإسلام: المساجد

لقد أظهر النبي ﷺ قيمة المساجد، وثواب الجلوس فيها ومدارسة الكتاب والسنة فيها؛ فهي من الأماكن التربوية الأساسية في الإسلام، يقول ﷺ: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى...»، وقد رغّب النبي ﷺ بمدارسة العلم في المساجد بقوله: «إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة...»، وذلك لمكانة المسجد العظيمة في الإسلام، وليس أدل على ذلك من قيام النبي ﷺ ببناء المسجد أول دخوله المدينة.

وقد يتبادر إلى الذهن أن الغرض من بناء المسجد إنما هو أداء الصلاة والعبادة، وهذا في الحقيقة غرض واحد من بين عدة أغراض مختلفة، وليس التعليم أقلها بعد العبادة؛ حيث كان التعليم من أشد الوظائف بروزاً في الدور الذي كان يؤديه المسجد، حيث اعتبر المسجد المكان الطبيعي لتلقي العلم، ومعرفة الشريعة أولًا بأول، فقد كان الرسول ﷺ يعقد حلقات العلم في المسجد ليغشاه كل راغب في العلم[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص١٢١.

٣٠- باب الشفاعة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾[النساء: ٨٥].

الحديث رقم (٢٤٦)

٢٤٦- وعن أَبي موسى الأَشعري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إِذَا أَتَاهُ طالِبُ حاجةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلسائِهِ فقال: «**اشْفَعُوا تُؤجَرُوا ويَقْضِي اللَّه عَلَى لِسان نَبِيِّهِ ما أَحبَّ**» متفق عليه[1].

وفي رواية[2]: «مَا شَاءَ».

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

اشفعوا: الشفاعة هنا: التوسُّط لقضاء حوائج الناس[3].

الشرح الأدبي

ما أشد حرص النبي ﷺ على أمته، وما أرفقه بهم، وما أجمل هذه المواقف الإنسانية المأثورة عن رسول الله ﷺ في تفريج الكروب، وتيسير الإعسار، وإزالة الهموم، وقضاء الحوائج، ومن خصوصيات محمد ﷺ أنه يشفع لأمته عند ربه يوم القيامة، وأن الحق سبحانه وتعالى يقبل شفاعته لمن يستحق الشفاعة ويكون أهلاً لها.

وفي ضوء هذه المنحة الإلهية للحبيب المصطفى ﷺ، نقرأ هذا الحديث مسترشدين بسنة النبي الكريم ﷺ الذي أراد أن يغرس عاطفة الرحمة والمودة في قلوب أمته، وأن يمنحهم فيوضات من التسامي والتراحم في ظلال سنته، وأن يحبب المسلمين في

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧/١٤٥) والسياق للحميدي في جمعه (٣٠١/١، رقم ٤٣٧).

(٢) أخرجها البخاري (١٤٢٣، و ٦٠٢٨).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ع).

الإقبال على التمسك والاهتداء بقدوته.

والحديث يقدمه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في أسلوب سردي.. ولكنه يحكي ويصور مشهدًا واقعيًا حقيقيًا... وهذا المشهد يتكرر كثيرًا في مواقف متعددة.. وهو الترغيب في قضاء حوائج الناس، والسعي عند ولاة الأمر... بالشفاعة لصاحب الحاجة حتى تُقضى حاجته، وتفرج كربته، لأن الولاة والأمراء والرؤساء لا يستطيع الوصول إليهم إلا صاحب شأن، وصاحب جاه أو علم أو مال، وصاحب الحاجة المشروعة في أمس الحاجة إلى قضاء مأربة، وتحقيق مطلبه.

ولذلك يبدأ الحديث بداية تدل على تكرار هذا المشهد حيث يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال" وطلاب الحاجات كانوا يتوافدون على النبي صلى الله عليه وسلم، وأسلوب الشرط في هذه الجملة يرشد إلى تحقق هذا المشهد، لأن أداة الشرط إذًا تفيد تحقق الجواب لتحقق الشرط، فالأمر ليس افتراضًا، ولا احتمالاً، ولكنه واقع ملموس، وقوله: "طالب حاجة"، جاءت في صيغة النكرة المضافة إلى نكرة، وهذه الصيغة جاءت لإفادة العموم والشمول، فكل من قصد الرسول صلى الله عليه وسلم. وطرق باب بيته أو دخل مسجده، وطلب المؤازرة والمعونة، فهو طالب حاجة، وكلمة حاجة تتضمن كل ما يحتاجه الإنسان في جميع شؤون حياته، والتعبير بقوله: "أقبل على جلسائه فقال: اشفعوا تؤجروا"، يوحي بحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عنصر الترغيب لا الترهيب فالإقبال يعني: البشر والإيناس، والمحبة والرحمة، والتعبير بقوله: جلسائه -حيث أضاف الكلمة إلى الضمير العائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيه إشارة إلى قوة المحبة، وشدة المودة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسائه، وجملة اشفعوا تؤجروا، جملة طلبية تضمنت معنى الشرط، والفعل تؤجروا مجزوم في جواب الأمر، والأمر هنا جاء بعد الترغيب والإقبال، وبعد أن قدَّم الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في هذا الشأن، وسعى في قضاء حوائج الناس، وشفع لهم في الدنيا والآخرة.

ولفظ "الشفاعة"، تحمل دلالته اللغوية المعنى المقصود في الحديث الشريف، فالشفاعة المرادة في الحديث هي: أن يستوهب أحد لأحد شيئًا، ويطلب له حاجة،

وأصلها من الشفع ضد الوتر، كأن صاحب الحاجة كان فردًا، فصار صاحب الشفع له شفعًا، أى صارا زوجًا، فالشفاعة تعطي للمشفوع له قوة ومناعة، وهو في ظل هذه الشفاعة لا يشعر بأنه وحده في ميدان الحياة، ولكن معه من يؤازره ويعضده استجابة لأمر رسول الله ﷺ اشفعوا تؤجروا.

والله يفعل ما يشاء، ولا ينتظر طالب الشفاعة تحقيق طلبه، ولكن يترك الأمر لمشيئة الله سبحانه فهو العليم الخبير.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم السؤال للأشياء من أجل الغير، وقد ذكر الفقهاء أنه يجوز للرجل أن يسأل لغيره حاجة عن طريق الشفاعة ويقضي الله بعد ذلك ما يريد، وقال البعض يعرض بالسؤال كما قال النبي ﷺ حين جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار فقال "تصدقوا"[(١)] ولم يقل أعطوهم، قال أبو عمر: قال النبي ﷺ اشفعوا تؤجروا، وفيه إطلاق السؤال لغيره[(٢)].

وقد بنى الفقهاء على هذا الحديث أحكامًا كثيرة، ومن ذلك أنهم أجازوا الشفاعة إلى ولاة الأمور، ومن ذلك الشفاعة في التعزير وكل ما ليس بحد، بل تستحب لهذا الحديث[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٤/٣، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٢/١، والتمهيد لابن عبدالبر ١٢٢/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٠/١٠.

(٣) إعانة الطالبين، عثمان البكري الدمياطي ١٦٨/٤، والإقناع، الشربيني ٥٢٦/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٤/٤، والمنثور في القواعد للزركشي ٢٤٨/٢، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣١/٢٦-١٣٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: حسن استقبال المدعوين والحرص على نفعهم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الاستجابة لحاجات المدعوين والسعي في قضائها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفاعة الحسنة للمسلمين وثوابها.

أولاً- من آداب الداعية: حسن استقبال المدعوين والحرص على نفعهم:

إن من الآداب التي تحبب الداعية إلى المدعوين حسن استقبالهم، وقد كان النبي ﷺ يحسن استقبال المدعوين، ويشعرهم باهتمامه وحفاوته بهم، ومن الشواهد على ذلك في هذا الحديث ما جاء في قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه)، وهذا يبين أن من آداب الداعية حسن استقبال المدعوين، قال ابن علان: (وهذا من مزيد عنايته بصحابته رضي الله عنهم ودلالته على الخير لأمته)[1]، وفي حسن استقبال المدعوين دلالة على تواضعه، وبسط جناحه للمدعوين، (والدعاة إلى الله أحوج الناس إلى خلق التواضع، لأنهم يخالطون الناس ويدعونهم إلى الحق، ومن طبيعة الناس ألا يتقبلوا دعوة أو قول من يتطاول عليهم بعلم أو معرفة أو غنى أو جاه أو حسب أو نسب، وإن كان ما يقوله حقًا وصدقًا)[2].

وما من شك أن التواضع واللين للمدعوين طريق نجاح لكل داع صادق في دعوته، (وإذا كان من المستحيل على الداعي أن يسع من يدعوه بماله، فلا أقل أن يسعه بأخلاقه وتواضعه، فليس من خصلة أحب إلى النفس من التواضع، وعلى الداعي الناجح أن يجعل من رسول الله ﷺ أسوة حسنة في جميع خصاله الكريمة)[3].

وأما الحرص على نفع المدعوين فقد كان النبي ﷺ يحرص على نفع المدعوين

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص٤٣٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٤٩.

(٣) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢٤٤.

بما يقدم أو يبذل لهم من معروف، أو من خلال كونه ﷺ سببًا في جلب وتحصيل الثواب من خلال ما قدموه من معروف، يتضح ذلك من قوله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم إذا جاءه طالب حاجة: (اشفعوا تؤجروا) فكان يحرص على نفع المدعوين، وأن يشركهم في فعل الخير، (والداعية يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده والتزام أوامره، والابتعاد عن نواهيه ويدعو إلى مكارم الأخلاق ويحبب الناس بالخير ويأخذ بأيديهم إليه، أو يحول بينهم وبين اغتيال الشياطين لهم، ولا شك أن الداعية أمره عظيم، لأنه يدعو إلى ما يسعدهم في دنياهم ويجعلهم فائزين في أخراهم، يسوقهم إلى الجنة، ويحول بينهم وبين النار)[١].

ثانيًا- من واجبات الداعية: الاستجابة لحاجات المدعوين والسعي في قضائها:

يستنبط هذا من سياق الحديث، فالداعية هو ذلك الإنسان الذي يتوسم الناس فيه الخير لقضاء مصالحهم وأمورهم، وعلى الداعية أن يستحضر في داخله النصوص القرآنية التي تحفزه على السعي في قضاء مصالح المدعوين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

وأما السنة النبوية فقد جاء في الحديث قوله ﷺ: ((ومَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ))[٤]، وقوله ﷺ: ((وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٥]، ومن مواقف الرسول ﷺ التي تدل على سعيه في قضاء حوائج المدعوين ما جاء عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُبْدِعَ[٦] بِي فَاحْمِلْنِي.

---

(١) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ص ١١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٦) أُبْدِعَ: أي هلكت دابتي وهي مركوبي. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٩/١٣ المطبعة المصرية ومكتبتها.

قالَ: ((لا أجِدُ مَا أحْمِلُكَ عَلَيْهِ وَلكِن ائْتِ فُلانًا فَلَعَلَّهُ أنْ يَحْمِلَكَ))، فأتَاهُ فَحَمَلَهُ، فأتَى رسولَ الله ﷺ فأخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ))[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب:

١- **الأمر:** ورد الأمر في قوله ﷺ: (اشفعوا)، ولا شك أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة، وهو يدل على أهمية المأمور به، ويكون بمثابة الحافز والدافع للمدعوين على تنفيذه والالتزام به.

٢- **الترغيب:** ويتضح من قوله ﷺ في الحديث: (تؤجروا) قال ابن حجر: ("تؤجروا": تعرضوا بذلك للأجر والمعنى: إنكم إن شفعتم حصل لكم الاجر سواء قبلت شفاعتكم أم لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء، أي من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، أي: إن قضيتها أو لم أقضها فهو بتقدير الله تعالى وقضائه)[2].

ولا شك أن الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لأن النفس بطبيعتها تميل إلى الثواب والأجر، (ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفاعة الحسنة للمسلمين وثوابها:

يستنبط هذا من قوله ﷺ: (اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب)، قال النووي: (وفي الحديث استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما، أم إلى واحد من الناس وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٦٥.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٩٣.

ونحو ذلك فهي حرام)[١].

ومما هو معلوم أن أفضل الأعمال أن يكون المسلم سببًا في كشف كربة أو إعانة محتاج، قال ابن حجر: (وفي الحديث الحض على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان ﷺ لا يحتجب)[٢]، وتعتبر الشفاعة الحسنة للمسلم من زكاة الجاه على المسلم كزكاة المال.

قال ابن مفلح: "جاء رجل إلى الحسن بن سهل يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: علام تشكرنا، ونحن نرى أنّ للجاه زكاة كما أن للمال زكاة، ثم أنشأ الحسن يقول:

فرضت عليّ زكاة ما ملكت يدي ... وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا

فإذا ملكت فجُد وإن لم تستطع ... فاجهد بوسعك كلّه أن تنفعا

وقيل أيضًا:

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعةً ... من جاهه فكأنما من ماله[٣]

قال أبو الحسن الماوردي: (والإسعاف بالجاه فقد يكون من الأعلى قدرًا، والأنفذ أمرًا وهو أرخص المكارم يمنًا، وألطف الصنائع موقعًا، وربما كان أعظم من المال نفعًا، وهو الظل الذي يلجأ إليه المضطرون، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون. فهو بالبذل ينمي ويزيد، وبالكف ينقص ويبيد، فلا عذر لمن مُنح جاهًا أن يبخل به، فيكون أسوأ حالاً من البخيل بماله الذي قد يُعِدُّه لنوائبه، ويستبقه للذته، ويكنزه لذريته وبضد ذلك من بخل بجاهه، لأنه قد أضاعه بالشح، وبدده بالبخل، قال بعض الحكماء: اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زواله، وأحسن والدولة لك،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٦٥، ٤٦٦.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/١٦٧.

يُحسن لك والدولة عليك، واجعل زمان رخائك عُدة لزمان بلائك، وبذل الجاه من كرم النفس وشكر النعمة)[1].

(١) أدب الدنيا والدين ٣٢١ - ٣٢٢.

الحديث رقم (٢٤٧)

٢٤٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قِصَّة بريرَةَ وزَوْجِها. قال: قال لَهَا النَّبيُّ ﷺ: «**لَوْ راجَعْتِهِ؟**» قَالتَ: يا رَسُولَ اللَّه تأمُرُنِي؟ قال: «**إنَّما أَشْفَعُ**» قَالَتْ: لا حاجة لِي فِيهِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

إن العلاقة بين الرجل وزوجته علاقة تكاملية، تُقوِّى من دعائمها أسس عديدة منها السكن والمودة والرحمة، ولا تستقيم الحياة الزوجية في غياب الاستقرار النفسي، والتوافق الوجداني، والتكافؤ الاجتماعي، ولا تثمر العلاقة الزوجية ثمارها المرجوة إلا في وجود التعاطف الإنساني النابع من مصدرى المودة والرحمة، فهما جناحا طائر الحياة السعيدة، وهما عنوان المسيرة الزوجية الرشيدة.

وهذا الحديث مشهد واقعي من مشاهد الحياة الزوجية التي فقدت طعم السكن والألفة، وسُلب من آفاقها بريق التكافؤ والتوازن، ولنتأمل تفاصيل هذا المشهد الواقعي... ولننظر الموقف التشريعي الذي قدمه رسول الله ﷺ في هذا المشهد وفي أمثاله، وهى مشاهد تتكرر في كل زمان وفي كل مكان.

والراوي يقول: في قصة بريرة وزوجها: فما أصل هذه القصة؟ وماذا حدث بين بريرة وزوجها، قال العلماء: إن بريرة: كانت مولاة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أعتقت وهى زوجة: لمغيث، وكان مولى لبعض بني مطيع أو بني المغيرة.

وما أجمل هذا الموقف من رسول الله ﷺ، حيث عرض على هذه المرأة التي صارت حرة أن تظل زوجة لمغيث حيث ترجع إليه، ولم يأت هذا الطلب من رسول

---

(١) برقم (٥٢٨٣).

الله ﷺ في أسلوب الأمر وإنما جاء في صيغة اختيارية، ولكنها تحمل رغبة رسول الله ﷺ في الإصلاح، والإبقاء على الرباط الزوجي، ولذلك يحمل قوله ﷺ: "لو راجعتيه"، دلالة التمني أو الشرط، وكلاهما ينأى عن الأمر والجزم، وفي هذا الأسلوب بلاغة تعبيرية وهى بلاغة الحذف، فتقدير الكلام لو راجعتيه لكان أحسن أو لك فيه ثواب.

ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث: اشتماله على الحوار والاستفهام والنداء، والتأكيد فالحديث: محاورة بين النبي ﷺ وبريرة زوجة مغيث، والحوار من أساليب النبي ﷺ في الإقناع والدعوة بصفة عامة، وتكررت في الحديث هذه الصيغ "قال لها النبي: ... قالت: ... قال: إنما أشفع، قالت...".

والنداء والاستفهام في قول بريرة: يارسول الله تأمرني... يرشدان إلى التأدب في الحوار مع رسول الله ﷺ والتقدير: أتأمرني، وإذا كان هذا الموقف أمرًا فهى لا تملك المخالفة، ولابد من الطاعة.

وما أشد حرص رسول الله ﷺ وحبه لأصحابه رضي الله عنهم، وما أعظم حرصه كذلك على أن تكون الحياة الزوجية محصنة بالمحبة والمودة والرحمة والسكن، ولا تكون إرغامًا أو إجبارًا، ولذلك يجيء رد رسول الله ﷺ واضحًا في تواضع وحكمة، ضاربًا المثل، ومؤسسًا للقدوة الحكيمة، والأسوة الحسنة في كل موقف مشابه حيث قال: "إنما أشفع" أي: آمرك استحبابًا ؛ وحينما تطمئن هذه الزوجة إلى أنها في مقام الاختيار، وليس في دائرة الإجبار تتخذ في ضوء ذلك هذا القرار، (لا حاجة لي فيه)، وهذا صدق مع النفس، لأنها لم تشأ أن تستمر الحياة الزوجية في ظل القلق والجفوة، وخفوت المشاعر والروابط النفسية والاجتماعية السليمة.

وقيل في هذا الرد إشارة إلى عذرها في عدم قبول شفاعته ﷺ؛ ورسول الله ﷺ كان حسن العشرة مع أزواجه، وكانت أحواله مع أزواجه تدعو للتأمل والاقتداء، حيث الملاطفة والتوادد والتراحم، وكان لا يأخذ عليهن، ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس عدل أقامه بغير قلق ولا غضب، بل رؤوف رحيم، حريص عليهن، وعلى

غيرهن: عزيز عليه ما يعنتهن، كما يقول الإمام أحمد بن أبي بكر القسطلاني.

فقه الحديث

بين الحديث حكمًا خاصًا بالرقيق، وهو ما إذا أعتقت الأمة وهي متزوجة من عبد فهل تظل زوجة له أم تطلق منه، أم يكون لها الخيار بين البقاء زوجة له أو الطلاق؟ فبريرة هنا كانت متزوجة وأعتقت، فاختارت نفسها، وشفع عندها رسول الله ﷺ لتظل مع زوجها، ولكنها اختارت نفسها وأبت الرجوع إليه، لما علمت أن ذلك شفاعة من الرسول عليه الصلاة والسلام لا أمرًا منه لها، فلو كان أمرًا لأطاعت.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه متى كانت الأمة متزوجة من عبد ثم أعتقت كان لها الخيار بين البقاء معه أو فراقه، فإن مكنته من وطئها وهي عالمة بذلك لم يكن لها الخيار، وكذا إن اختارته هو ثم أرادت فراقه لم يكن لها ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

رابعًا: من مهام الداعية: الإصلاح بين الناس.

خامسًا: من أصناف المدعوين: النساء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: أدب بريرة مع النبي ﷺ.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفاعة.

ثامنًا: من حقوق المدعو: التعبير عن رأيه.

---

(١) انظر: المبسوط، السرخسي ٩٨/٥، وشرح معاني الآثار، الطحاوي ٨٢/٣، والمدونة ٥٣/٢، ٨٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٥٦/٤، والفروق للقرافي ١٤٥/١، والأم للشافعي ١٣١/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٤٦/٧، ٨٨/٨، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٦٥/٥.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

تعد القصة من وسائل الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته، وقد ورد ذكر القصة في هذا الحديث في قول ابن عباس رضي الله عنهما (... في قصة بريرة وزوجها) وإن لتوظيف القصة في الدعوة إلى الله تأثيرًا على نفوس المدعوين، حيث تؤدي إلى تعميق المضامين في النفوس، ومما يساعد على ذلك "الميل الموجود في فطرة الإنسان إلى القصة ولها تأثير ساحر على القلوب سواء أكانت تاريخية أم معاصرة، فالداعية يجب أن يعي هذا الميل فيستخدم القصة في البيان والتربية[1] وإذا كان ما جاء في الحديث هو من قصص الحديث النبوي، فإن قصص القرآن أيضًا له أهمية كبرى في الدعوة، وبيّن الله تعالى الفائدة منه فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2].

ولا شك (أن القرآن العظيم ملئ بالقصص الذي يجد فيه الداعية طريقًا ووسيلة مهمة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تناسب حالة أي مدعو، سواء أكان من علية القوم أو من الضعفاء أو من الأغنياء أو من الفقراء، ولذا فالقصة في القرآن الكريم ركيزة مهمة من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على اليقين النقلي، والإقناع العقلي، والاطمئنان القلبي)[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ "لو راجعته؟" قالت: "يا رسول الله تأمرني؟" والسؤال والجواب أسلوب من أساليب الدعوة التي تساعد على بيان الأحكام وعرض المسائل ويكون بمثابة حوار بين الداعية والمدعو.

قال الميداني: (إن مجالس السؤال والجواب مجالس مفيدة ونافعة جدًا في نشر المعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات

---

(١) دراسات في طرق الدعوة الإسلامية، د. أحمد محمد العدناني، بدون الطبعة ودار النشر: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص ١٧٩.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٢٩.

مفصلات لا غموض فيها ولا التباس، وبشرط أن يكون المجيب على علم مؤكد بالجواب الصحيح)[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٣].

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين:

يتضح هذا من سياق الحديث في رحمة النبي ﷺ بزوج بريرة عندما قال لها: "لو راجعته" وقد وصف الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] ووصف الجماعة المؤمنة بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[٥] وإذا كان الأمر كذلك فواجب الدعاة أن يتمثلوا هذه الرحمة والشفقة مع المدعوين حتى تنجح دعوتهم (فالرحمة صفة كريمة وعاطفة نبيلة تبعث على بذل المعروف، وإغاثة الملهوف وإعانة المحروم، فإن الإسلام يريد أن يطبع النفوس بطابع الرحمة، وأن ينشئهم على هذه الفضيلة، حتى ينعم الناس في ظلها الوارف، ويعيشوا في كنفها آمنين)[٦].

قال د. عبدالكريم البكار: (إن عند الناس من الهموم ما يكفيهم، وهم بحاجة إلى من يواسيهم لا من يعنفهم، وعلينا أن لا ننسى أن البشر مخلوقات عاطفية تجذبهم

---

(١) فقه الدعوة إلى الله ٢/٦٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٦) دعوة الإسلام، السيد سابق، دار الكتاب العربي ص ١٧١.

الكلمة الطيبة، وينفرهم التوبيخ والتقريع، وعند كل واحد منهم من الاعتداد بنفسه ومواهبه وإمكاناته مايجعله يرى في الكلمة القاسية عدوانًا على كرامته ومجاله الخاص، وقد جاء في الأثر عن بعض السلف: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه، والداعية إلى جانب إيثاره الكلمة الرقيقة والأسلوب العذب يؤثر أيضًا التشبيهات الجميلة، ويبتعد عن الأمثال والتشبيهات القبيحة أو المنفرة، وإن من واجبنا أن نشعر المخاطب أننا لا نعتدي على خصوصياته وحريته الشخصية)[1].

رابعًا- من مهام الداعية: الإصلاح بين الناس:

ويستنبط هذا من تدخل النبي ﷺ للإصلاح بين بريرة وزوجها، ويعتبر هذا من أولى مهام الداعية، وإلى الإصلاح جاءت دعوة القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[3] وأمر المؤمنين به فقال جلّ شأنه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾[5].

قال الطبري: (هو الإصلاح بين المتباينين أو المختصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليرجعا إلى ما فيه من الألفة واجتماع الكلمة على ما أذن الله وأمر به)[6]. وقال السعدي:

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ١٥٣-١٥٤.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٨.

(٤) سورة الأنفال، آية: ١.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٧٦/٤.

(ومتى امتثل المسلمون أمر الله فسعوا في حصول الاتفاق، وإزالة العداوات وأسبابها، وكانوا يدًا واحدة في السعي في مصالحهم المشتركة ومقاومة الأعداء، وبتحصيل القوة المادية بكل مقدور ومستطاع، وكان أمرهم شورى بينهم متى عملوا على ذلك كله حصل لهم قوة عظيمة يستدفعون بها الأعداء، ويستجلبون بها المصالح والمنافع، وعاد صلاح ذلك على دينهم وجماعاتهم وأفرادهم، ولم يزالوا في رقي مطرد في دينهم ودنياهم، ومتى أخلوا بما أمرهم به دينهم، عاد الضرر العظيم عليهم، فلا يلومون إلا أنفسهم، وقد وعد الله العز والنصر لمن قاموا بالتقوى، واعتصموا بحبله وتمسكوا بدينه)[1].

خامسًا- من أصناف المدعوين: النساء:

حيث جاء في الحديث الحوار بين النبي ﷺ وبين بريرة، والخطاب الدعوي هنا موجه إلى امرأة، وهذا يعني أن الداعية يتوجه بدعوته إلى النساء كما يتوجه بها إلى الرجال، وعلى هذا جاء القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وجاءت التسوية بين الرجل والمرأة في الجزاء على العمل في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

إن الداعية الحصيف هو الذي يخصص من وقته لعظة النساء ودعوتهن، ففي

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ٥٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

الحديث ((... حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ. فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ . فَقَالَ: تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ...))[١].

قال النووي: (وفي هذه الأحاديث استحباب وعظ النساء، وتذكيرهن بالآخرة وأحكام الإسلام، وحثهن على الصدقة، وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ أو الموعوظ أو غيرهما، وفيه أن النساء إذا حضرن صلاة الرجال ومجامعهم يكن بمعزل عنهم، خوفًا من فتنة أو نظرة أو فكر ونحوه)[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: أدب بريرة مع النبي ﷺ:

يظهر هذا من قول بريرة للنبي ﷺ: يا رسول الله تأمرني؟ (ولا شك أن هذا من أدبها مع الرسول الكريم ﷺ وقال الله تعالى في الأدب مع رسول الله ﷺ بعدم التقديم بين يديه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[٣] وأمر بعدم رفع الصوت فوق صوته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ﴾[٤] وأمر بتخصيصه في الدعاء إليه فقال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضًاۚ﴾[٥] ومنع الاختيار في أقضيته وأحكامه ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾[٦] وحذر من مخالفة أمره فقال جلّ شأنه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٨٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٥.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٧) سورة النور، آية: ٦٣.

وأمام هذه النصوص تأدبت بريرة مع رسول الله ﷺ فقالت: "أتأمرني؟" لأنها تعلم أنه لو كان أمرًا فلا يجوز لها أن تخالف أمره. قال ابن حجر: (في قولها أتأمرني؟ أي تريد بهذا القول الأمر فيجب عليَّ قال: إنما أشفع أي أقول ذلك على سبيل الشفاعة له لا على سبيل الحتم عليك فقالت: لا حاجة لي فيه، أي فإذا لم تلزمني بذلك لا أختار العود إليه)[١].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفاعة:

يؤخذ هذا من قول النبي ﷺ "إنما أشفع" ولا يخفى أن الشفاعة للمسلم لها أجر عظيم وثواب كبير، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[٢]، قال السيوطي: (أخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: من يشفع شفاعة حسنة قال: شفاعة بعض الناس بعض، وعن الحسن: "من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشَفع، وعن عبدالله بن رواحة أنه سأله رجل عن قول الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ قال: يقيت كل إنسان بقدر عمله)[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله: (من سعى في أمر فترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك وإن شرًا كان عليه وزر)[٤] ولذا يحسن بالداعية أن يوظف مكانته وعلاقاته الاجتماعية مع الوجهاء في المجتمع، في الشفاعة الحسنة للفقراء والضعفاء، واليتامى والأرامل والمحتاجين شريطة ألا يؤدي ذلك إلى الإضرار بالآخرين، أو يكون مجحفًا بأحد أو ترجى من ورائه منافع شخصية في صورة خدمات متبادلة أو غيره، إن مما يجب التأكيد عليه في هذا السياق أن تكون الشفاعة خالصة لله تعالى يبتغي بها الداعية مرضاة الله، وألا يكون الدافع إليها حماس شخص أو غيره. بل الغاية من ذلك نفع

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٠/٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٥.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٥٤/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٨/٢.

المسلمين خاصة أصحاب الحاجات والأعذار، لإسعادهم وتفريج كروبهم، رغبة في مرضاة الله تعالى.

ثامنًا- من حقوق المدعو: التعبير عن رأيه:

يتضح هذا من تعبير بريرة عن رأيها كما جاء في الحديث "قالت: لا حاجة لي فيه" قال ابن علان: (أي لا غرض ولا صلاح لي فيه أي في ارتجاعه وفيه إيماء إلى عذرها في عدم قبول شفاعته ﷺ حيث قال: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾[1] وإنها فهمت من شفاعته في ذلك تخييرها، وإطلاق الشفاعة على التخيير مجاز بجامع عدم إيجاب كليهما)[2].

فالمدعو من حقه أن يعبر عن رأيه، طالما أنه لا يعارض نصًا، ولا يخالف أمرًا من أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية.

قال السيد سابق: (إن التفكير هو وظيفة العقل، وبالعقل تميز الإنسان عن غيره من الحيوانات، فإذا تخلى العقل عن وظيفته، فقد تخلى عن أخص خصائصه، ولم يعد له دور في تقدم البشر ورقي الحياة، وحرية التفكير تتناول حرية التعبير، سواء أكان التعبير باللسان، أم بالقلم كما تتناول حرية الرأي والجهر بالحق، ولقد كانت المرأة تمتلك من حرية الرأي ما تخطئ به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أراد أن ينهى عن الغلو في المهور، فقالت له امرأة: يا أمير المؤمنين الله يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3] فقال عمر رضي الله عنه: كل الناس أعلم منك يا عمر، حتى النساء، أصابت المرأة وأخطأ عمر. وعلى كلٍ فقد جاء الإسلام ليطلق العقل من أساره، ويضع عنه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ٤٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٠.

الأغلال التي عطلته زمنًا طويلا)[1].

ومن خلال ما سبق يجب على الداعية أن يتسع صدره لآراء الآخرين، ويتقبل وجهات نظر المدعوين لأن من حق كل إنسان أن يعبر عن رأيه، ويعرض ما يراه فإن كان حقًا وصوابًا يعمل به، وإن كان خطأً يرد.

(١) عناصر القوة في الإسلام ١٣٩-١٤٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في سعي المسؤول لقضاء حاجة السائل. ولو سلك المسؤول في كل مؤسسة ومصلحة هذا السبيل في حدود الاستطاعة لقضى على الرشوة ولانتهى الكثير من الفساد.

لقد امتدح الإسلام الشفاعة ورتب عليا عظيم الأجر، واشترط أن تكون حسنة فهي رجاء محمود، وهي تجري فيما فيه حق للإنسان ليتنازل عن بعض حقه أو كله أو ما فيه مصلحة لتقضى هذه المصلحة.

وينبغي أن لا تتضمن الشفاعة مخالفة شرعية أو ظلمًا بشرياً أو يقترن بأجر مادي.

إن الناس إذا سعوا في مصالح بعضهم قضي الكثير منا على وجه السرعة وحلت المشكلات وحقنت الدماء وسادت الأخوة وذلك مشروط بكون الشفاعة حسنة، ومن المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية على قضاء حاجة الناس:

من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة السعي في قضاء حاجة الناس، وتقديم العون لهم، لأن ذلك يؤدي إلى تعميق المودة والمحبة بين الناس، والقضاء على الضغائن والأحقاد، وتقوية العلاقات بين الناس.

فلقد كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا. وَلْيَقْضِ اللّهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ». فهذه تربية على قضاء الحاجة والسعي فيها سواء قضيت الحاجة أم لا؛ إن الإنسان لا يستغنى عن إخوانه، فهو يحتاج إليهم، ويحتاجون إليه يعينهم ويعينونه، ولذا ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على هذه القيم الاجتماعية النبيلة من التعاون على قضاء حوائج الناس والسعي في ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر، من خلال الشفاعات الحسنة، ولذا كان النبي ﷺ أسوة للأمة في مساعدة المحتاجين، وإغاثتهم، والسعي في تخفيف معاناتهم، مما يبعث على الشعور بالراحة لدى أفراد المجتمع، لأنهم تربوا على القيم الإنسانية النبيلة التي تشعر كل فرد

بأهميته ومكانته في مجتمعه، لأن أحوال الناس لا تستقيم على وتيرة واحدة، بل كثيرًا ما يحتاج بعضهم إلى بعض، ولذا فإن النبي ﷺ أراد أن يربي أصحابه رضي الله عنهم على تقديم العون للآخرين، وقد رغب في ذلك، كما ورد في أحاديث أخرى، بأن أخبر بأن السعي في حاجة الآخرين يكون سببًا في تفريج كرب الدنيا والآخرة[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ نَفَّسَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ على مُعْسِرٍ في الدُّنْيَا يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ...))[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللّهُ فِي حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[3].

ثانيًا- التربية بالحوار:

التربية بالحوار من أساليب التربية الهادفة لما لها من وضع خاص في التربية الإسلامية، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها قال: «قال النبيُّ ﷺ: «لو راجعتِهِ». قالت: يا رسولَ الله تأمُرُني؟ قال: إنما أنا أشْفَع، قالت: لا حَاجَةَ لي فيه»، وهذا مما يؤكد على أهمية الحوار في التربية الإسلامية، وفي تعميق المفاهيم الإسلامية التي تعطى كلاً من الرجل والمرأة الحرية في ممارسة الحقوق المشروعة، دون تدخل بشكل أو آخر وتحفل السنة النبوية بالنماذج الحوارية التربوية التي تعمل على دعم عملية الاقتناع لتعديل اتجاهات السلوك تعديلاً إيجابيًا.

ولقد اهتم المربون المسلمون بالحوار والمناظرة فوضعوا له بعض الشروط. التي تجعله أسلوبًا فعالاً ومن أهمها: أن يكون هدف الحوار لبيان الحقيقة، كما يشترط فيه

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص ٢٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٤٤٢، ومسلم، ٢٥٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

الإلمام بموضوع المناظرة، والتحلي بالهدوء وسعة الصدر، وهذا ما علمنا إياه النبي ﷺ في حديث الجارية[١].

ثالثًا- التربية على احترام الرغبة المشروعة للآخرين:

إن من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية الإقرار بالرغبات المشروعة التي تعد من حقوق الإنسان، واحترام تلك الرغبات وعدم مصادرتها، لأن التربية الإسلامية تقوم على الحرية المقننة لا على القهر والكبت، فلا يمكن في ظل التربية الإسلامية تجاهل مشاعر الآخرين، ومن الشواهد على ذلك قول النبي ﷺ لبريرة في حديث الباب: لو راجعته، قالت يا رسول الله تأمرني، قال: إنما أشفع، فقد كان بإمكان النبي ﷺ أن يأمر بريرة لكن ليس هذا هو المنهج النبوي في التربية، وإنما كان فعل النبي ﷺ شفاعة ووساطة خير، لذلك يؤخذ من هذا التوجيه أيضًا أن شفاعة الإمام للرعية ليست أمرًا واجب النفاذ، وليس كما يحدث الآن، أن كل مسؤول كبير شفاعته أمر واجب، وإلا فلا، ولكن يجوز رد الشفيع وليس في ذلك قدح في الرد أو الشفيع، وفي كل هذا إقامة التربية على الحرية واحترام الرغبات المشروعة للآخرين[٢].

رابعًا- التربية بالقول والفعل:

فالنبيُّ ﷺ حضّ أصحابه على أن يشفعوا ورغبهم في ذلك بأن أخبرهم أن لهم أجرًا على ذلك، والنبيُّ ﷺ نفسه شفع، ومن الملاحظ أنه ﷺ شفع لرجل ليس من علية القوم أو من كبارهم، بل كان من عامة الناس بل كان عبدًا من العبيد، وفي هذا إرشاد لأهل التربية أن يجمعوا بين القول والفعل فلا يخالف فعلهم قولهم ولا يناقض عملهم ما يقولون، لأن من يربونهم أنظارهُم معلقةً بهم، تريد أن تعرف صدقهم فيما يربونهم عليه، فإن صدقوا أطاعوهم وأقبلوا عليهم وإلا أعرضوا عنهم ولم يلتفتوا إليهم.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، ص٨٥.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٢.

٣١- باب الإصلاح بين الناس

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: ١٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[الأنفال: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات: ١٠].

الحديث رقم (٢٤٨)

٢٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**كُلُّ سُلامى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بيْن الاثْنَيْنِ صَدقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعهُ صَدقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيبةُ صدقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» متفق عليه[1].

ومعنى "تَعْدِلُ بَيْنهما": تُصْلح بَيْنَهما بالعَدْل.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السُّلامى: المفَصِل[2].

تُميط الأذى: تُنحيه وتزيلُه[3].

الشرح الأدبي

يتصدر هذا الحديث باب "الإصلاح بين الناس" في كتاب رياض الصالحين، وقد حث الإسلام على إصلاح ذات البين، وشدد المصطفى ﷺ ونبه المسلمين إلى هذا الخلق الكريم، فعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩/٥٦) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل م).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

أُخبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: قالُوا: بَلَى، قالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ))[1].

وقال رسول الله ﷺ لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: "ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: تصلح بين الناس إذا فسدوا وتقرّب بينهم إذا تباعدوا"[2].

وهذا الحديث يأخذ بيد المسلم إلى ارتياد آفاق الشكر، وإلى الاعتراف بفضل المنعم، وإلى القيام بواجب الشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهذا الشكر ليس كلامًا يصقله اللسان، ولا يصحبه العمل الخالص، وإنما هذا الشكر مقرون بكثير من السلوكيات التي يبذلها المؤمن في سبيل التعاون على البر والتقوى، وفي سبيل إعانة كل من يحتاج إلى المعونة المادية أو المعنوية، وهذا الجهد المبذول هو إحساس بالنعم التي منحها الله للإنسان، ومنها ما هو ماثل في تكوينه وأساس صورته الخلقية التي تتشكل منها سائر عظام بدنه ومفاصله، "وقد خلق الإنسان على ستين وثلاثمائة مفصل".

وعلى كل مسلم بل على كل عبدلله تعالى: أن يؤدي أكبر قدر من أعمال الخير، وأنواع الصدقة، "كل يوم تطلع فيه الشمس"، فقد قال ابن الجوزي، معنى هذا الحديث: إن عظام الإنسان هي من أصل وجوده، وبها حصول منافعه إذ لا يتأتى الحركة والسكون إلا بها، فهي من أعظم نعم الله على الإنسان، وحق المنعم عليه أن يقابل كل نعمة منها بشكر يخصها، فيعطي صدقة، كما أعطى منفعة، لكن الله عز وجل لطف وخفف بأن جعل العدل بين الناس وشبهه صدقة، وإعانة المحتاج على حمل متاعه صدقة، والخطوات إلى المساجد لأداء الصلاة صدقة، وكلمة الخير الطيبة صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٤١١١)

(٢) مسند الطيالسي ٤٩١/١ برقم ٥٩٩ وإسناده ضعيف.

(٣) انظر: المنهل العذب الفرات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص٣.

وهذه الآفاق الاجتماعية التي يتأملها كل مسلم، بل كل مخلوق هى من شأنها أن تقيم جسور المحبة والثقة بين أفراد الأمة، فتتوحد مشاعرهم، وتتقارب مشاربهم، وتتآلف خطواتهم، ولذلك كررت الصدقة في الحديث ست مرات: ترغيبًا للناس في الاستكثار من هذه الخصال الخيرة، حتى تصبح سلوكًا يوميًا لا ينقطع بانتهاء الحدث اليومي، ولكن يتجدد مع مشرق كل شمس، وبزوغ كل فجر، فالمسلم يكون حريصًا على أن تبلغ صدقاته الإصلاحية بين الناس، ستين وثلاثمائة صدقة بمقدار، عدد مفاصل جسمه، وسائر أعضاء بدنه، وقول رسول الله ﷺ: "كل يوم تطلع فيه الشمس"، فيه إشارة إلى هذا التوجيه النبوي الكريم: فهي صدقات يومية... يضاعفها إخلاص النية، والحرص على الاقتداء بالسنة النبوية.

والتعبير بقوله: "عليه"، يوحي بالوجوب، ولكنه هنا يفيد الاختيار والترغيب مع الحرص على ذلك حتى يكون الشكر صادقًا وصحيحًا، وليس ألفاظًا يرددها اللسان، ولا ينبض بها الجنان، ولم يقل عليها حيث السلامى مؤنثة لأن الضمير يرجع إلى كل: فالمراد: كل مفاصل الإنسان وليس: السلامى الواحدة، أو المفصل الواحد، أو أن السلامى بمعنى العضو، وسلامة أعضاء الإنسان وحسن هيئتها يوجب الشكر، والشكر برهانه الصدقة، ولذلك قال رسول الله ﷺ "الصدقة برهان"[1]، أي دليل وشعاع يضيء عمل الإنسان، ويترجم إحساسه بالشكر إلى فعل جميل، وإعانة للناس، وإصلاح ذات بينهم.

والجملة الأولى: اسمية: وهى تفيد الثبات: فكل يوم على كل عبد أن يتصدق بأقواله وأفعاله، حتى يؤدي الشكر لله على نعمه وعلى جمال وكمال خلْقه، والأفعال جاءت كلها مضارعة بعد ذلك: لتفيد استمرار هذا السلوك الإيماني وعدم انقطاعه حتى ينعم المجتمع بالألفة والمودة والاستقرار.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٢).

الحديث رقم (٢٤٩)

٢٤٩- وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ رضي الله عنها قالت: سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الْكَذَّابُ الذي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**» متفق عليه[1].

وفي رواية مسلمٍ[2] زيادة، قالت: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إلاَّ في ثَلاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

ترجمة الراوي:

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط: هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط القرشية الأموية، هي أخت عثمان بن عفان لأمه.

أسلمت قديمًا بمكة وبايعت النبي ﷺ لكنها حُبست عن الهجرة ومنعت، إلى أن هاجرت سنة ٧هـ بعد صلح الحديبية. وقيل: إنها هاجرت ماشية من مكة إلى المدينة. فكانت من المهاجرات المبايعات. وهي أول من هاجرت إلى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ.

ولما وصلت المدينة جاء أخواها عمارة والوليد ليردَّاها، وقد كان النبي ﷺ عاهد المشركين على أن يرد إليهم من جاءه منهم مسلمًا، فطلبا من النبي ﷺ إرجاعها فأسرعت أم كلثوم قائلة: يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف ما قد علمت، فتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٠١/٢٦٠٥).

(٢) عقب الحديث رقم (١٠١/٢٦٠٥).

تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[1]

فامتحنها النبي ﷺ وامتحن من بعدها، في أن سبب خروجهن حب الله ورسوله، لا لزوجٍ ولا مال. فإذا قلن ذلك لم يرجعهن إلى الكفار[2].

فظلّت أم كلثوم بالمدينة، ولم تكن تزوجت بمكة، فتزوجها زيد بن حارثة، فلما قتل تزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها، فتزوجها عبدالرحمن بن عوف فتوفي عنها، وتزوجها عمرو بن العاص فماتت عنده في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

كان من الرواة عنها ابناها حميد وإبراهيم ابنا عبدالرحمن بن عوف[3].

غريب الألفاظ:

فينمي: أي يبلغ[4].

والرُخصة: إباحة التصرف لأمر عارض مع قيام الدليل على المنع[5].

---

(١) سورة الممتحنة، الآيتان :١٠-١١.

(٢) ينظر الطبقات الكبرى، ابن سعد ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (١٤/٤١٦-٤١٨).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨/٢٣٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٦١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧/٣٧٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٣٣، والسير (٢/٢٧٦) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٦٠١)، والتهذيب (٤/٧٠١) والأعلام (٥/٢٣١)، وموسوعة عظماء حول رسول الله ﷺ (٣/٢١٦٨).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٣٦٩٢.

(٥) معجم لغة الفقهاء ، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٧.

الشرح الأدبي

إن الصدق في الحديث معيار السلوك الإسلامي الصحيح، وهو من أهم ملامح الشخصية الإسلامية، فالصدق برهان سلامة العقيدة، ومقياس الانضباط الاجتماعي، والتوازن النفسي.

والكذب آفة جسيمة تفتك بأقدار الرجال، وتُذهب عنهم هالة الوقار والكمال، وحين نتأمل هذا النص النبوي الشريف، نجده يثير قضية اجتماعية وإنسانية لها أثرها في توجيه مسيرة الأمم والأفراد، وفي تحديد مصير كثير من الطوائف والشعوب.

وهي وجوب الإصلاح بين الناس، وإشاعة أجواء المحبة فيما بينهم، وحجب كل ما من شأنه أن يثير الفتن والعداوة والبغضاء، بين أفراد المجتمع وزملاء العمل، أو بين أفراد الأسرة نفسها.

والحديث في روايته الأولى يتكون من جملة واحدة لها متعلقاتها ودلالاتها، ويبدأ بنفى صفة الكذب أو إثم الكذب عن الرجل الذي يقوم بإصلاح ذات البين، والتعبير بقوله: "الكذاب" يدل على المبالغة وهو أقوى في الدلالة من "الكاذب"، ومجيء اسم الموصول "الذي" في موقع خبر ليس - وهو من أنواع المعارف ويوحي بالتحديد والتمييز- يدل على هذه القيمة، وذلك القدر في طبيعة ذلك الرجل الصادق فيما يقول: فهو ليس كذابًا: لأنه يخفي أشياء يمكن أن توغر الصدور، وتقطع العلاقات، ولذلك يتوهج هذا التعبير الذي جاء في صيغة المضارع "يصلح بين الناس" باستمرارية هذا النهج الإصلاحي الاجتماعي.

وما أعظم وما أبلغ هذا البيان النبوي: حين يعبر عن وسيلة الإصلاح حيث يقول: "فينمي خيرًا": أي يبلغ خبرًا فيه خير وفيه حرص على عدم إشاعة الفتن، وهذا الحديث الخيِّر يتسرب في هدوء وسكينة ومحبة فالفعل "نمى" بالتخفيف يُستعمل في التبليغ على وجه الإصلاح، أما بالتشديد حين نقول: "نمَّى"... الحديث فيستعمل في التبليغ على وجه الإفساد وكلمة "خيرًا" تتضمن كل الصفات الحسنة التي يتضمنها الحديث: فهى تتضوأ بكثير من التفسيرات والتأويلات، فما أبلغ هذا البيان النبوي الموجز الدقيق الحكيم.

والرواية الثانية تفصل وتوضح ما أجملته الرواية الأولى: حيث تروي أم كلثوم عن رسول الله ﷺ أنه أباح للناس أن يقولوا الصدق، ولكن في أساليب غير صريحة، وربما يظن السامع أنها ليست صادقة، مثل: التورية والتعريض، وتجميل موقف المتخاصمين، والثناء على الزوجة، وإظهار المحبة والتسامح مع الزوج.

وإرباك العدو بالخطط والأقوال والدعايات المضادة التي تفرق صفوفه، وتضعف جنوده.

ففي الحرب لابد من استخدام جميع وسائل الدفاع، وآليات الهجوم، ومنها الأقوال والأناشيد الحماسية، وإشاعة أسرار العدو، وكشف مؤامراته، وخططه، والتهوين من عدته وعتاده، والحرب خدعة كما قال رسول الله ﷺ، والإصلاح بين الناس من وسائل تجميل موقف كل خصم في عين الآخر حتى تقرب المسافات بينهم، وكذلك إبلاغ كل منهما بالثناء من الآخر، وحجب كل كلمة فيها سب وشتم، ومن أعظم الدروس النبوية في إصلاح الحياة الزوجية هو إباحة المجاملة والثناء المتبادل بين الزوجين، واستمرار الإشادة المتبادلة بينهما بمحاسن كل منهما، وإخفاء كل مشاعر النفور، وإظهار الفرح والحبور والسرور. ورسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، كان يحب زوجاته ويعاملهن بالحسنى ويراعى ظروف كل واحدة سنًا، ومكانة، وظروفًا اجتماعية فعائشة رضي الله عنها لأنها كانت صغيرة، كان يُسرِّب إليها بنات الأنصار يلعبن معها[1]، وإذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وشرب، وكان يريها الحبشة وهم يلعبون في المسجد وهى متكئة على منكبه، وهو صادق فيما يقول: صادق فيما يفعل، ولم تحجبه هيبة النبوة عن إسعاد أهل بيته الأطهار.

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٣٠، ومسلم ٢٤٤٠.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الكذب.

وقد سبق القول في الحديث رقم (٥٤) أنه قد اتفق الفقهاء[١] على أن الأصل في الكذب أنه حرام، وهو من الكبائر إن كان في شهادة زور لما فيه من القول بغير حق، وأنه ينبغي للمسلم أن يكون صادقًا في حديثه، وقد يكون الكذب مباحًا أو واجبًا، فالكلام وسيلة إلى المقصود، وكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، فإن لم يمكن تحصيله بغير الكذب جاز الكذب فيه، وهنا ينظر إن كان تحصيل المقصود واجبًا كان الكذب واجبًا، كما لو اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله، وسئل إنسان عنه، وجب الكذب بإخفائه، وإن كان المقصود مباحًا كان الكذب مباحًا، وإن كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو الزوجين إلا بالكذب كان الكذب مباحًا، إلا أنه ينبغي أن يتحرز منه ما أمكن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإصلاح بين الناس.

ثالثًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

رابعًا: من واجبات المدعو: الحرص على متابعة كلام النبي ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحالات التي يجوز فيها الكذب.

---

(١) انظر في ذلك: المبسوط، السرخسي ١٤٥/١٦، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣١٣/٧، وحاشية العدوي على الخرشي ٤١٢/٢، وأنوار البروق للقرافي ٨/٤، وأدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٦١، والزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٢٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٢١٤/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١١/١، ١٩، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ١٣٤/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٩٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٥/٣٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "ليس الكذاب" والنفي أسلوب من أساليب الدعوة التي تعمل على لفت انتباه المدعو إلى معرفة المنفي، وفي هذا الحديث ينفي النبي ﷺ الكذب عن الشخص الذي يصلح بين الناس، ومن أساليب النفى التي جاءت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[2]، وفي الحديث الذي معنا نفى رسول الله ﷺ الكذب عن المصلح، قال ابن علان: (وسلب الكذب عن المصلح لا يستلزم كون ما يقوله كذبًا، لجواز أن يكون صدقًا بطريق التصريح أو التعريض)[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإصلاح بين الناس:

ويتضح هذا من قول النبي ﷺ: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس"، قال الطيبي: (يعني الكذاب المذموم عند الله تعالى الممقوت عند المسلمين، ليس من يصلح ذات البين، فإنه محمود عند الله تعالى وعندهم، وقوله "ينمي خيرًا" يقال نميت الحديث أنميته إذا أبلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت: نميته بالتشديد)[4]، هذا وقد دلت النصوص القرآنية على فضل الصلح بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[6]. قيل: "معناه جنس الصلح خير، فيعلم بهذا أن جميع أنواع الصلح حسنة لأن فيه

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) سورة الكافرون، آية: ٢.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ٤٣٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠٣/٩.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٢٨.

إطفاء الثائرة بين الناس ورفع المنازعات الموبقات عنهم"[١]، وقال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٢].

قال السعدي رحمه الله: (والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض بل وفي الأديان، والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله)[٣].

وقال ابن بابويه: (إن الله عز وجل أحب الكذب في الإصلاح، وأبغض الصدق في الفساد)[٤]، وفي فضل الإصلاح قال ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: قالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ))[٥].

ثالثًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يظهر هذا في توجيه النبي ﷺ إلى الإصلاح بين الناس، ولا شك أن الداعية مصدر نفع للمدعوين، قال تعالى في وصف إمام الدعاة ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٢/٣٦٤.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٦٥.

(٤) منهاج الصالحين، عز الدين بليق ص ٤٢٠.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤١١١).

عَلَيۡهِمۡ﴾[١]، ومن هنا كان من ألزم واجبات الداعية دلالة وإرشاد الناس إلى الخير، قال الماوردي: "ومن آداب العلماء نصح من علموهم، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لعلومهم"[٢].

رابعًا- من واجبات المدعو: الحرص على متابعة كلام النبي ﷺ:

ويتضح هذا من رواية مسلم: (ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث)، والحرص على متابعة كلام النبي ﷺ من واجبات المدعو، لأن الرسول الكريم ﷺ هو القدوة للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[٣]، وأمرنا الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤]، ودعا رسول الله ﷺ بالنضارة لمن يسمع قوله ويتابعه، ففي الحديث: ((نَضَّرَ اللَّه امْرًا سَمِعَ مِنَّا شيئًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[٥].

قال المباركفوري: (قال التوربشتي: النضرة الحسن والرونق، والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر المنزلة بين الناس في الدنيا ونعمه في الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء والنعمة. وقيل: إنه: إخبار، يعني جعله ذا نضرة، وقيل: دعاء له بالنضرة وهي البهجة والبهاء في الوجه من أثر النعمة.

وخص مبلغ الحديث كما سمعه بهذا الدعاء، لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه بالدعاء بما يناسب حاله، وهذا يدل على شرف الحديث وفضله ودرجة

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) أدب الدنيا والدين ٩٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩).

طلابه، حيث خصهم النبي ﷺ بدعاء لم يشرك فيه أحدًا من الأمة، ولو لم يكن في طلب الحديث وحفظه وتبليغه فائدة، سوى أن يستفيد بركة هذه الدعوة المباركة لكفى ذلك فائدة وغنما، وجلّ من الدارين حظًا وقسمًا)[١].

وقال الطيبي: (ويستفاد من قوله في الحديث: "شيئًا"، عموم الأقوال والأفعال الصادرة من النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يدل عليه صيغة "منا" بلفظ الجمع)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان الحالات التي يجوز فيها الكذب:

يظهر هذا من رواية مسلم أنه رخص في ثلاث: "الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها". قال ابن عثيمين:

"**وأما الحالة الأولى:** الحرب فيجوز فيها الكذب وهو نوع التورية، كأن يقول للعدو ورائي جنودٌ عظيمة، وما أشبه ذلك من الأشياء التي يرهب بها الأعداء.

الحالة الثانية: الإصلاح بين الناس بأن يقول للمخاطب غير الواقع، لكن له وجه وصحيح كأن يقول فلان يثني عليك أي على جنسك وأمثالك من المسلمين.

الحالة الثالثة: أي أن يحدث الرجل زوجته وتحدث المرأة زوجها، وهذا أيضًا من باب التورية كأن يقول لها: إني أحبك وإني أرغب في مثلك)[٣].

قال النووي: (لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، واختلفوا في المراد بالكذب المباح فيها ما هو: فقيل: هو على إطلاقه فيجوز قول ما لم يكن في هذه المواضع للمصلحة، وقيل: المراد التورية واستعمال المعاريض لا صريح الكذب)[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٢٥ - ٢٠٢٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/٣٨٩.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٦١٤ - ٦١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٣.

الحديث رقم (٢٥٠)

٢٥٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمِع رسول اللّه ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بالْبَابِ عَالِيةً أَصْواتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شيءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: واللَّهِ لا أَفعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ اللّه ﷺ فقال: «**أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللّه لا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟**» فقال: أَنَا يَا رسولَ اللَّهِ، فَلَهُ أَيُّ ذلِكَ أَحَبَّ، متفقٌ عليه[1].

معنى "تَسْتَوضعُه": يستأله أن يضع عنه بعض دينه. "ويَسْتَرفِقُهُ": يسأله الرفق. "والمُتَأَلِّي": الحالف.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الواقعي الذي حدث أمام بيت رسول الله ﷺ يمثل الصورة السلبية لما يحدث في المجتمع الإسلامي من شقاق وتنابذ، واختلاف حول عَرَض الحياة الدنيا، وهي صورة لم تنقطع بل مازالت تتكرر في ساحات المحاكم، وساحات الهيئات والدواوين الحكومية، ولكن حكمة المسؤول، وفراسة الحاكم العادل تذيب جليد الشقاق، وتهدم أسوار التباغض والنفاق، وترزع المحبة والوفاق.

والإسلام يحب المسلم سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى، سمحًا إذا اقتضى، فالمسلم يعامل الناس والأخوة الإسلامية نصب عينيه لا يغيب عنه معناها، على ضوئها يسير، ووفق منهجها يعطي ويأخذ، ومع ذلك قد يغفل الإنسان ويختلف مع غيره.

وهذا المشهد الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يصور وجهًا من وجوه التنازع بين بعض الصحابة رضي الله عنهم، حيث اشترى أحدهما من الآخر تمرًا على الشجر، فلما أحصى ما فيها وجده قليلاً جدًا، ولم تجمع الأقدار ما يطعم أولاده.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٩/١٥٥٧) ولفظهما سواء.

فطلب من صاحب النخل أن يخفض السعر الذي طلبه، أو أن يترفق به في دفع الثمن، وهذان المطلبان أفصح عنهما الحديث في مقدمته، "وإذا أحدهما يستوضع الآخر، ويسترفقه في شيء".

ولكن المفاوضات لم تنجح، ويصر ذلك البائع على الثمن كاملاً وعاجلاً، فذهبا إلى رسول الله ﷺ وهما في شجارهما وضجيجهما، ووصل صوت الخصوم إلى مَنْ بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقوله "عالية أصواتهما" يصور قوة الشجار وعمق الخلاف، وكثرة الخصوم من جانبي المتنازعين، حيث كان التخاصم من الجانبين بين جماعتين.

وفي لغة الحديث إشارات بلاغية، وسمات جمالية، ومنها: صوت خصوم بالباب، حيث أضاف الصوت وهو مفرد إلى "خصوم" وهو جمع، فهل الخصوم لهم صوت أم أصوات، إن هذه الإضافة في هذه الصيغة اللغوية تصور قوة الضجيج، واختلاط الأصوات، وعدم التمايز بينها: فكأنها أصبحت صوتًا واحدًا مزعجًا مدويًا، وذلك مما يؤذي رسول الله ﷺ، وعلى الرغم من ذلك فإن رسول الله ﷺ لم يغضب لذاته، وإنما أبدى اعتراضه وإنكاره لهذا القسم بالله في غير موضعه، فكيف يقسم إنسان على عدم فعل الخير، حيث يقول: والله لا أفعل: أى لا أنقص الدين، ولا أترفق في طلبه ولا أمهلكم في الدفع!!!.

ولنتأمل كيف أصلح رسول الله ﷺ بين المتخاصمين؟، وكيف قضى على النزاع، وفض الشجار؟، إنه تفوه بجملة واحدة حيث قال: مستفهمًا ومنكرًا ما حدث من قسم على عدم فعل الخير، (أين المتألى على الله لا يفعل المعروف؟) وهذه الجملة أيقظت الحواس الغافية، وأعادت الرجل إلى سكينة الإيمان، وحديقة التسامح والاطمئنان، فقال مستجيبًا لموقف رسول الله ﷺ: متراجعًا عن موقفه المتشدد، أنا يارسول الله: فله أي ذلك أحب، أي تخفيف الدين أو الرفق في استيفائه، وهذه النتيجة الحاسمة السريعة هي صدى إيماني للبيان النبوي الذي أوجزه المصطفى ﷺ في هذه الجملة المشعة بكل دلالات الهدى والإقناع، فقد أعطى الحكم للمتخاصمين بأن على من طلب منه الوضع في الدين أن يستجيب إليه، وعلل هذا الحكم بأنه من المعروف

الذي يحسن شرعًا وعقلاً فعله، فعلى المرء أن ينقاد إليه بدينه وخلقه وعقله، وقد أنب الحالف بأسلوب بديع جميل، دون أن يزعجه أو يثير فيه شيئًا، أو يواجهه بأنه أذنب أو قصر.

وقول رسول الله ﷺ: "أين المتألي، على الله"، أقنع الخصم: بأن هذا القسم غير جائز، ولفظ الجلالة هنا له تأثير قوي في إقناع الرجل بالعدول عن موقفه؛ وكلمة "المعروف" أعادت الرجل إلى توازنه، فهل من صفة المسلم القسم على منع المعروف؟؟!! وقول الرجل: أنا يارسول الله فيه اعتراف بفضل الرسالة، وإذعان لحكم الرسول ﷺ، ولذلك قال: "فله أي ذاك أحب".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الحطيطة من دين المعسر، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يجوز أن يطلب المدين من الدائن أن يضع عنه بعض الدين، ولكن بشرط ألا ينتهي إلى الإلحاح وإهانة النفس أو الإيذاء ونحو ذلك إلا من ضرورة، ويستحب للدائن أن يضع عنه بعضه لما في ذلك من إعانته على قضاء دينه.

الثاني: حكم الحلف على ترك الخير، وقد سبق ذلك في الحديث رقم (٧٢).

الثالث: حكم الشفاعة إلى أصحاب الحقوق، حيث ذكر الفقهاء[2] أنه يجوز الشفاعة إلى أصحاب الحقوق وقبول الشفاعة في الخير، وهي أن يشفع الشفيع لإزالة ضرر أو مظلمة عن مظلوم، أو جر منفعة إلى مستحق ليس في جرها ضرر ولا ضرار.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٩/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٠/١٠، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢١٦/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٨٤/٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣١٩/٨.

(٢) بريقة محمودية في طريقة محمدية وشريعة نبوية في سرية أحمدية، محمد بن مصطفى الخادمي ٢٤١/٣، وأحكام القرآن، ابن العربي ٥٨٧/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٠/١٠، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٨١/٩، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٧٦/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣١٩/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣١/٢٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أحوال النبي ﷺ.

ثانيًا: من مهام الداعية: السعي في الإصلاح بين المتخاصمين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرفق بالغريم والوضع عنه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أحوال النبي ﷺ:

يظهر هذا من قول عائشة رضي الله عنها "سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما". وذلك باعتبار أن النبي ﷺ هو القدوة والأسوة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1] ولهذا كان الصحابة يحرصون على نقل أحوال النبي ﷺ للاقتداء به فعن ابن عمر رضي الله عنهما: ((أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امراته قبل أن يطوف بين الصفا والمروة[2] فقال: قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين، وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3] [4])).

ومن ذلك أيضًا ما جاء عن عابس بن ربيعة قال: ((رَأَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يُقَبِّلُ الْحَجَرَ وَيَقُولُ: إِنِّي لأُقَبِّلُكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ. وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ لَمْ أُقَبِّلْكَ))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩٥، ومسلم ١٢٣٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) يعبر عن السعي بالطواف كما جاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية "والسعي هو المشي بين الصفا والمروة وقد يطلق على السعي الطواف والتطوف وشاهده من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [سورة البقرة، آية: ١٥٨]. انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٢٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٥٩٧، ومسلم ١٢٧١.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يدركون أنه لا سبيل إلى معرفة العلوم والأحكام الشرعية إلامن طريق النبي ﷺ ولذا نقلوا كلامه ووصفوا أحواله قال الإمام ابن القيم: (ولا سبيل إلى معرفة العلم إلا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرحت الكتب السماوية بوجوب طاعته ومتابعته، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولقد كان التلقي عنه بلا وساطة حظَّ أصحابه الكرام رضي الله عنهم الذين حازوا قصبات السبق، ولقد ألقوا رضي الله عنه إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة وقالوا: هذا عهد نبينا إلينا وقد عهدنا إليكم)[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: السعي في الإصلاح بين المتخاصمين:

يستنبط هذا من خروج النبي ﷺ إلى المتخاصمين يقول: أين المتألي على الله لا يفعل المعروف" والداعية في هذا إنما يستجيب لأوامر وتوجيهات القرآن الكريم.

جاء في الدر المنثور: "وعن عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالسًا مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحتُ بين قوم فقال محمد بن كعب: أصبت، لك مثل أجر المجاهدين، ثم قرأ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2]"[3]. وحتى على مستوى الحياة الزوجية، أمر الله بالإصلاح بين الزوجين المتخاصمين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[4] ولما حدث الاختلاف في الأنفال يوم بدر، وجَّه الله الصحابة الكرام إلى ضرورة مراعاة الإصلاح، ونبذ التقاطع والاختلاف، وجاء تعليم القرآن

---

(١) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية ص ١٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٥.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ﴾[1] وأمر الله المؤمنين بالإصلاح بين المتخاصمين فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وبشَّر رسول الله ﷺ سبطه الحسن بن علي رضي الله عنهما بأن الله يصلح به بين المسلمين فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: ((رأيتُ رسول اللهِ ﷺ على المِنْبرِ -والحسنُ بن عليٍّ إلى جَنبهِ- وهوَ يُقْبِلُ على الناسِ مرةً وعليهِ أُخرَى ويقول: إنَّ ابني هذا سَيِّد، ولعلَّ اللهَ أن يُصلِحَ بهِ بين فِئَتَينِ عظيمتَين منَ المسلمين))[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "أين المتألي على الله لا يفعل المعروف؟" والاستفهام أسلوب من أساليب الدعوة والتي تلفت انتباه المدعو إلى أمر مهم، والاستفهام قد يكون تقريريًا وقد يكون إنكاريًا، والاستفهام في الحديث لمعرفة الشخص المتألي حتى توجه له الموعظة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الرفق بالغريم والوضع عنه:

يستنبط ذلك مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "فله أي ذلك أحب" قال الإمام النووي: (وفي هذا كراهة الحلف على ترك الخير وإنكار ذلك، وأنه يستحب لمن حلف لا يفعل خيرًا أن يحنث فيكفر عن يمينه)[4]. وقال ابن حجر: (وقوله فله أي ذلك أحب أي من الوضع أو الرفق، وفي هذا الحديث الحض على الرفق بالغريم والإحسان إليه بالوضع عنه، والزجر عن الحلف على ترك فعل الخير)[5].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٠٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٣/٥.

هذا وقد دلت الأحاديث على فضل الرفق بالغريم والوضع عنه ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ. فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ. لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا. فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ))(١).

وعن أبي قتادة رضي الله عنه طلب غريمًا له فتوارى عنه ثم وجده فقال: ((إِنِّي مُعْسِرٌ. فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ : آللَّهِ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ))(٢).

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا ، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهِ فِي ظِلِّهِ))(٣) وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أنظر معسرًا كان له كل يوم صدقة، ومن أنظره بعد حلّه كان له مثله في كل يوم صدقة))(٤). فعلى الدعاة إلى الله إحياء هذه المعاني وتوجيه الناس لها.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٨، ومسلم ١٥٦٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٣٠٠٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٥١/٥ رقم ٢٢٩٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٦٩/٣٨.

الحديث رقم (٢٥١)

٢٥١- وعن أَبي العباس سهلِ بنِ سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه ، أَن رسولَ اللَّه ﷺ بلَغهُ أَنَّ بَني عَمْرِو بن عوْفٍ كان بيْنهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِحُ بَيْنَهمْ فِي أُنَاسٍ مَعَه، فَحُبِسَ رسول اللَّه ﷺ وَحَانَتِ الصَّلاَةُ، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَى أَبي بَكْرٍ رضي الله عنه فقال: يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ حُبِسَ، وَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَهَلْ لكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاس؟ قال: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ (الصَّلاةَ)[1]، وَتقدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ[2] وكبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رسول اللَّه يمْشِي فِي الصُّفوفِ حتَّى قامَ فِي الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيقِ، وكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لا يَلْتَفِتُ فِي صلاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ (التَّصْفِيقَ)[3] الْتَفَتَ، فَإِذَا رسولُ اللَّه ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رسول اللَّه ﷺ[4]، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يدَهُ[5] فَحمِد اللَّه، وَرَجَعَ القهقرى وَراءَهُ، حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ، فَتَقدَّمَ رسول اللَّه ﷺ، فَصَلَّى للنَّاسِ، فَلَمَّا فرغَ أَقْبلَ عَلَى النَّاسِ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ ما لَكُمْ حِين نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلاَةِ أَخذْتمْ فِي التَّصْفِيقِ؟، إِنَّما التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ. منْ نَابَهُ شيءٌ فِي صلاتِهِ فَلْيَقلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ؟ فَإِنَّهُ لا يَسْمعُهُ أَحدٌ حِينَ يَقُولُ: سُبْحانَ اللَّهِ، إلاَّ الْتَفَتَ. يَا أَبَا بَكْرٍ: ما منعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حِينَ أَشرْتُ إِلَيْكَ؟**» فقال أَبُو بكْرٍ: مَا كَانَ ينبَغِي لابْنِ أَبي قُحافَةَ أَنْ يُصلِّيَ بِالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْ رسولِ اللَّه ﷺ. متفقٌ عليه[6].

معنى «**حُبِس**»: أَمْسكُوهُ لِيُضيِّفُوه.

---

(١) قوله: (الصلاة) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١٢٠١).

(٢) هذا السياق للحميدي في جمعه (٥٤٥/١، رقم ٨٩٩)، وتبعه عليه المؤلف، ولفظ البخاري في هذه الرواية: (فتقدم أبوبكر >، فكبّر للناس).

(٣) قوله: (التصفيق) ليس عند البخاري في هذه الرواية وإنما عنده برقم (٦٨٤).

(٤) عند البخاري في هذه الرواية زيادة: (يأمره أن يصلي)، وعند مسلم: (أن امكث مكانك)، أسقطها الحميدي، وتبعه عليه المؤلف.

(٥) قوله: (يده) ليس عند المؤلف في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٢٦٩٠).

(٦) أخرجه البخاري (١٢٣٤) واللفظ له، ومسلم (٤٢١/١٠٢).

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حُبس: أمسكوه ليضيفوه[١].

ورجع القهقهري: رجع في صلاته إلى الوراء دون أن يستدبر القبلة ولا يتحرفها[٢].

نابكم شيء: أصابكم شيء[٣].

الشرح الأدبي

ما أجمل أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ، وما أعظم رفق الرسول ﷺ بأصحابه، وحرصه عليهم، وحبه لهم.

وهذا الحديث: مشهد من مشاهد السيرة النبوية الحافلة بجلائل الأفعال، وروائع الأقوال، وكيف لا؟ والحديث حوار بين رسول الله ﷺ، والصديق أبي بكر رضي الله عنه، خليفة رسول الله والذي شهد له رسول الله بأنه لو وضع إيمان أبي بكر في كفة وإيمان الأمة كلها في كفة لرجح إيمان أبي بكر، وهو أبو عائشة الصديقة بنت الصديق، وهو مَنْ هو في الدفاع عن الإسلام، والقضاء على المرتدين وما نعى الزكاة حبًا لرسول الله ﷺ، وحفاظًا على معالم العقيدة الصحيحة.

وبداية الحديث الشريف تحدد السياق الذي وضع من أجله هذا الحديث في باب الإصلاح بين الناس حيث: خرج رسول الله للإصلاح بين بني عمرو بن عوف، وهم بطن كبير من الأوس، وكانت منازلهم بقباء، وقد اقتتلوا حتى تداموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فذهب لكي يصلح بينهم، وفي هذا تشريع للإسراع في الإصلاح بين المتخاصمين أو المتنازعين، وقوله "كان بينهم شر" فيه إيجاز شديد لأن كلمة "شر"

---

(١) رياض الصالحين ١٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٣.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن و ب).

نكرة، وهى يمكن أن تطلق على كل أسباب النزاع، وما يؤول إليه من شقاق وخلاف وقتال، وما يؤدي إليه من نتائج وعواقب وخيمة، وأخطار جسيمة، ينتج عنها قطيعة الأرحام، وتفكك الأواصر، وتدمير الممتلكات، وإزهاق الأنفس، وتبديد الأموال والثمرات.

والعطف بالفاء في قوله: "فخرج رسول الله" يوحي بالإسراع في حل النزاع وقوله: "فحُبس رسول الله" أي أمسك المتخاصمون الرسول ﷺ ليضيِّفوه بعد أن تم الصلح فورًا استجابة لرسول الله، وإذعانًا لحكمه وحكمته.

ويحين وقت الصلاة ولم يحضر رسول الله ﷺ: فهل تتأخر الصلاة؟ أم يصلي أبو بكر بالناس إمامًا، ويقتدي أبو بكر برأي بلال حين قال له: "فهل لك أن تؤم الناس"، فقال أبو بكر له: "نعم إن شئت"، ولنتأمل هذا التواضع في خطاب أبي بكر لبلال رغم ما بينهما من فروق في المكانة والوضع، ولكن الإسلام سوى بينهما، وأبو بكر هو الذي يتبع رأي بلال رضي الله عنه، ويقول له: نعم أن شئت؟ فأي أدب هذا، وأي تواضع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في هذا الموقف الجليل.

وتحدث المفاجأة: حين كبَّر أبو بكر ﷺ وبدأت الصلاة: يجيء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف: فماذا يفعل أبو بكر هل يستمر في الصلاة وهذا حقه، ورسول الله ﷺ أشار له بالاستمرار، والناس يصفقون حتى ينتبه أبو بكر لما يحدث.

فيرفع أبو بكر رضي الله عنه يده ويحمد الله على مجيء رسول الله ﷺ ويرجع القهقري، ويعود الهدوء إلى صفوف المأمومين، ويصلي الرسول ﷺ بالناس، وكأن أبو بكر رضي الله عنه بهذا السلوك الإسلامي منع خلافًا كاد أن ينشب في صفوف المسلمين، ومنع جدلاً يمكن أن يثير الفتنة بين ضعاف النفوس أو ملوك المنافقين، ويرشد النبي ﷺ أصحابه إلى المنهج الإسلامي في التنبيه على أمر ما في الصلاة، وهو لا يكون بالتصفيق، فذلك من عادات النساء، وإنما يكون بالتسبيح، وصار هذا شرعًا ومنهاجًا للمسلم.

وما أسمى هذا الحوار بين النبي ﷺ المختار والصديق الصدوق حين يقول رسول

الله ﷺ في مودة ومحبة ونداء أخوي رقيق، "يا أبا بكر ما منعك أن تصلي للناس حين أشرت إليك؟" فقال أبو بكر رضي الله عنه في محبة وتواضع واعتراف بمكانة رسول الله ﷺ وفضله: "ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ"، ومبالغة في التواضع، واعترافًا بقيمة النبوة لجأ أبو بكر إلى استعمال صيغة الغيبة مكان الحضور، وجاء باسم أبيه أبي قحافة، إمعانًا منه في التواضع أمام رسول الله ﷺ، وقد عدل عن قوله: ما كان لي، إلى قوله: "ما كان لابن أبي قحافة"، لأنه أدل على التواضع، وفي الحديث كثير من الفوائد -كما جاء في فتح الباري- ومنها الإصلاح بين الناس، وجمع كلمة القبيلة، وحسم مادة القطيعة، وتوجه الإمام بنفسه إلى بعض رعيته، وفيه مزيد تواضعه ﷺ وجلوسه مع المتخاصمين جبرًا لخواطرهم، وحضور ضيافتهم.

وهكذا يكون منهج النبي ﷺ ومنهج الصحابة في الإصلاح بين الناس، وفي الاعتراف بأهل الفضل لذويه، وفي ضرب الأمثلة النادرة في التواضع، والتسامح والمؤاخاة، وهي من جذور التآلف والاتفاق بين المسلمين، حتى يظلوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: فضل الإصلاح بين الناس: وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (١٢٢).

الثاني: حكم إذا ما تأخر الإمام: حيث يجوز لغيره أن يتقدم ليؤم الناس إذا لم يخف فتنة وإنكارًا من الإمام، وخشي الناس فوت الصلاة في وقتها[1].

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢/٢٨٩، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/١٤٤، ١٤٥، والفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر ١/٢٠٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١/٤٢٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٢١٦.

الثالث: حكم اتصال الإقامة بالصلاة: وقد ذكر الفقهاء [١] أنه لا يصح تقديم الإقامة على وقت الصلاة حيث يشترط لها شرطان، دخول الوقت، وإرادة الدخول في الصلاة، فإن أقام الصلاة، وأطال الفصل، بطلت الإقامة لعدم جواز إطالة الفصل بينها وبين الصلاة.

الرابع: أن المقدم على الإمام عند غيابه أفضل القوم وأصلحهم لذلك الأمر، لأنه يقوم مقام الإمام فاشترط فيه ما يشترط في الإمام[٢].

الخامس: أن المؤذن يعرض التقدم على الفاضل وأن الفاضل يوافقه[٣].

السادس: الفعل القليل في الصلاة: وقد ذكر الفقهاء[٤] أن الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها إلا ما فيه لعب كما لو صفقت المرأة لأمر نابها في صلاتها ببطن اليمين على ظهر اليسار، أو نوى فعلاً كثيرًا واقتصر على القليل.

السابع: حكم الالتفات في الصلاة: وقد ذكر الفقهاء[٥] أنه يكره للمصلي

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٣/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٨/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٤٦٥/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٧/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤/٤، ١٤٥، والفروع، ابن مفلح ٣١٧/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤، والمنثور في القواعد للزركشي ٥٥/٣ وما بعدها، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٩٥/٢، ومغنى المحتاج ٤١٨/١.

(٥) المبسوط، السرخسي ٢٥/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٥/١، والمدونة ١٩٦/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٦٩/١، والفروع، ابن مفلح ٤٨٣/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٢٣/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣٨٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٤/٦ وما بعدها.

الالتفات بالوجه في الصلاة بدون حاجة، ويجوز الالتفات للحاجة، أما الالتفات بالبدن كله فمنهم من كرهه ومنهم من قال تبطل به الصلاة إن حول قدميه.

الثامن: جواز المشي خطوة أو خطوتين في الصلاة، وأن هذا القدر لا يكره إذا كان لحاجة كمن رأى فرجة فشق الصفوف إليها[١].

التاسع: حكم إذا حدث أمر خارج عن الصلاة وأراد المصلي التنبيه عليه: وقد اتفق الفقهاء[٢] على أنه متى ناب المصلي أمر كأن يطرق عليه الباب أحد، أو يكون إمامًا فيسهو في صلاته ويريد المأمومون تنبيهه، أو يريد تنبيه أعمى سيقع في بئر أو حفرة أو غير ذلك، ففي هذه الحالة يختلف الحكم، فإن كان المصلي رجلاً كان التنبيه بالتسبيح لله تعالى، وإن كانت امرأة كان لها أن تنبه بالتصفيق، وكره المالكية التنبيه بالتصفيق ولو من المرأة، وجعلوا التنبيه بالتسبيح من الرجل والمرأة على السواء.

العاشر: حكم استخلاف الإمام لأحد المأمومين في الصلاة إن طرأ له عذر: وقد اختلف الفقهاء في حكم الاستخلاف على قولين:

القول الأول: وذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[٣] والمالكية[٤] والشافعي في

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٨٨/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤، ومغني المحتاج ٤١٨/١.

(٢) الفتاوى الهندية ١٠٤/١، لمجموعة من علماء الهند، والبحر الرائق ١٩/٢، والمدونة ١٩٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله المغربي ٢٩/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٨٠/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين بن الحسن بن عبدالرحمن ٢٤٢/٢، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢١٦/١، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٥٩/١ وما بعدها، وتحفة المحتاج (٢١٢) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ١٤٨/٢ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٠/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٨٦/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٥/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٤/١، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٤/١.

(٤) التاج والإكليل ٤٧٩/٢، وشرح الخرشي ٥٤/٢.

الجديد[١] والحنابلة في المذهب[٢] ويرون أنه يجوز للإمام أن يستخلف غيره من المأمومين متى حدث له ما يمنعه من إكمال الصلاة كحدث أو رعاف أو غير ذلك، ولكن المالكية يقولون إن ذلك مندوب في الصلوات كلها، وواجب على المأمومين في صلاة الجمعة إذا لم يستخلف الإمام لأنه لا يصح صلاتها فرادى.

القول الثاني: وذهب إليه الشافعي في القديم[٣] والإمام أحمد في رواية[٤] إلى أنه لا يجوز الاستخلاف متى حدث للإمام عذر، وإنما يكمل المأمومون صلاتهم فرادى.

والراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأنه ما تؤيده الأدلة، ومنها هذا الحديث الصريح والذي كان في آخر أيامه ﷺ ولم يرد عليه نسخ أو تخصيص.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مسارعة النبي ﷺ في الإصلاح بين الناس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإصلاح بين الناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أداء الصلاة في وقتها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

خامسًا: من صفات الداعية: التواضع.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الحمد عند حصول نعمة للإنسان.

سابعًا: من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم.

ثامنًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

تاسعًا: من واجبات الداعية: الاستفسار عن امتناع المدعو عن بعض الأمور.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٤٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١/٢٥٤، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٢/٤٨٤.

(٢) الفروع، ابن مفلح ١/٤٠٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٣٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، الشيخ منصور البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٣٢١.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٤٤٥، وتحفة المحتاج في شرح المنهاج، ابن حجر الهيتمي ٢/٤٨٤.

(٤) الفروع، ابن مفلح ١/٤٠١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢/٣٣.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مسارعة النبي ﷺ في الإصلاح بين الناس:

يظهر هذا فيما روى أبو العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ بلغهُ أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه)، فمسارعة رسول الله ﷺ في الإصلاح بين الناس، تطبيقًا لما جاء به من دعوة للوحدة والتآلف، والمحبة والمودة، والاجتماع على كلمة واحدة، ونبذ الكراهية والاختلاف والتفرق. فرسول الله ﷺ مبلغ شرع الله ومعلم الأمة الإسلامية وقدوتها، فلا ينتظر منه أن يرى مخاصمة بين مُسلمَيْن ولا يسارع إلى الإصلاح بينهما، فهو الداعي إلى الإصلاح بين الناس، والمبلغ أوامر الله الداعية إلى الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[1].

قال السعدي: (أي أصلحوا ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابر، بالتوادد والتحاب، فبذلك تجتمع كلمتكم ويزول ما يحصل -بسبب التقاطع- من التخاصم والتشاجر والتنازع)[2]، فمسارعة رسول الله ﷺ إلى الإصلاح بين الناس من صفاته الكريمة التي اتصف بها من أجل إشاعة المودة والوحدة بين المسلمين.

فعلى المسلمين أن يسارعوا إلى إصلاح ذات البين، وتقوية الروابط إذا تعرضت لوهن أو ضعف.

إن الكلمة الطيبة التي تجمع الشتات، وتوحد الكلمة، وترأب الصدع، من الخير الذي يتقرب به إلى الله، قال تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٧٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١١٤.

لقد جعل الإسلام الإصلاح بين الطوائف المتخاصمة أمرًا ضمنيًا، ولو لم يتم ذلك إلا بالعنف، محافظة على الكيان العام للجماعة، وإبقاء لعلاقات المودة والإخاء، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

إن إصلاح ذات البين من أهم الأسس التي حرص الإسلام على أن يقيم علاقة الجماعة المسلمة عليها، ليجعل من المسلمين أمة قوية يُحسب حسابها ويرهب جانبها، ويوم أن كان المسلمون ينفذون هذه التعاليم، ويقيمون علاقتهم على هذه القواعد كانت رابطتم أقوى من أن تُحل، ووحدتهم أعصى من أن ينال منها عدو[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإصلاح بين الناس:

يظهر هذا من حرص رسول الله ﷺ على الإصلاح بين بني عمرو بن عوف، قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث فضل الإصلاح بين الناس وجمع كلمة القبيلة وحسم مادة القطيعة ومنه توجه الحاكم بنفسه لسماع دعوى بعض الخصوم إذا رجح ذلك على استحضارهم)[3].

والإصلاح بين الناس من أفضل الأعمال، وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ في قوله: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ))[4].

قال الطيبي: "فيه حث وترغيب على إصلاح ذات البين واجتناب عن الفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٢) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ١٩٠-١٩٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٩٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤١١١).

في الدين، فمن تعاطى إصلاحها، ورفع فسادها، نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ما ينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه"[١].

"إن من الأمور المهمة والواجبة على الدعاة إصلاح ذات البين ورأب الصدع، وتقريب وجهات النظر، وتضييق هوّة الخلاف بين المسلمين عامة والدعاة والعلماء وطلاب العلم خاصة، فإن الله سبحانه يُحبُّ من عباده أن يكونوا مجتمعين على الخير متعاونين على البر والتقوى متحابين متآلفين، فهم يد واحدة على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[٢] [٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أداء الصلاة في وقتها:

(إن الصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى والبقاء في حظيرة الإسلام، والانخراط في سلك المؤمنين لا يعلمه إلا الله تعالى)[٤]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على أداء الصلاة في وقتها، ويظهر هذا في قول الراوي: فحبس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، إن رسول الله ﷺ حُبس وحانت الصلاة فهل تؤم الناس؟ قال: نعم إن شئت، فأقام بلال، وتقدم أبو بكر فكبر وكبر الناس.

فتأخر رسول الله ﷺ عن الصلاة بسبب الصلح لم يجعلهم يؤخرون الصلاة بل صلوا وصلى بهم أبو بكر رضي الله عنه، وفي هذا دليل على حرصهم على أداء الصلاة في أول الوقت، ومعرفتهم فضل ذلك، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: ((الصلاةُ عَلَى وَقتِها))[٥].

فالصحابة رضي الله عنهم هم خير الأمة بعد رسول الله ﷺ وأحرصهم على العبادات

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٣/٩.

(٢) سورة الصف، آية: ٤.

(٣) انظر: نصوص دعوية، د. حيدر أحمد الصافح، ص ١١٦.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ص ٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

والطاعات، وقد ورد عنهم الكثير من الأحاديث والآثار التي تؤكد حرصهم على أداء الصلاة في وقتها ومنها:

عن كعب بن عجرة قال: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مُسْنِدِي ظُهُورِنَا إِلَى قِبْلَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَبْعَةُ رَهْطٍ، أَرْبَعَةٌ مَوَالِينَا، وَثَلاثَةٌ مِنْ عَرَبِنَا، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاةَ الظُّهْرِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ: ((مَا يُجْلِسُكُمْ هَا هُنَا؟)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، قَالَ: ((فَأَرَمَّ[1] قَلِيلاً))، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ، عَزَّ وَجَلَّ؟)) قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّ رَبَّكُمْ، عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلاةَ لِوَقْتِهَا، وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ، أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّ لِوَقْتِهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلاَ عَهْدَ لَهُ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ))[2].

فكان شأن الصحابة رضي الله عنهم المحافظة على الصلاة في وقتها، وكان حنينهم إلى الصلاة، وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، فقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. - إلى أن قَالَ: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[3][4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث: فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك في تقديم الصحابة رضي الله عنهم له لإمامتهم في الصلاة، قال القاضي عياض: (وإرساله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه للصلاة واستخلافه لها وحده ألا يكون سواه أجمل دليل على فضيلة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه، وتنبيه على أنه أولى بخلافته، ولأن الصلاة

---

(١) فَأَرَمَّ: أي سكت قليلاً، انظر: لسان العرب في (ر م م).

(٢) أخرجه أحمد ٤/٢٤٤، رقم ١٨١٣٢، وقال محققو المسند: مرفوعه صحيح لغيره ٣٠/٥٦.

(٣) أخرجه مسلم ٨٤٠.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ص ٣٠.

للخليفة)[١]، وقال النووي: (وفيه فضائل كثيرة لأبي بكر رضي الله عنه، وتقديم الجماعة له، واتفاقهم على فضله عليهم ورجحانه)[٢].

ولفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدمه لإمامة المصلين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ فِي مَرَضِهِ. فَكَانَ يُصَلِّي بِهِمْ))[٣].

وأبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال.

قال السيوطي: (قال العلماء: صحب أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلى حين توفي، لم يفارقه سفرًا ولا حضرًا إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام في الخروج فيه من حج وغزو، وشهد معه المشاهد كلها، وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو رفيقه في الغار، قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٤]، وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع، وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فرّ الناس)[٥].

وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليس منَ الناسِ أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسهِ ومالهِ من أبي بكرِ بنِ أبي قُحافةَ، ولو كنت متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل. سدّوا عني كل خَوخةٍ[٦] في هذا المسجدِ غيرَ خَوخةِ أبي بكر))[٧].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣١٩/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤١٨.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص ٣٣ - ٣٤.

(٦) الخَوْخَة: باب صغير، وأصلها فتح في حائط، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٥/١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٦٧.

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: ((أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تَقُولُ: الْمَوْتَ قَالَ ﷺ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ))[١].

وكان رضي الله عنه من أشد الناس ملازمة لرسول الله ﷺ وغيرة على دينه وعلى شخصه، وكان له التضحيات العظيمة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، ضحى بنفسه وماله ووقته وبكل ما يملك، وكان لرسول ﷺ وزيرًا وكان خليفته بعده رضي الله عنه... وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وفضائله لا تحصى[٢].

خامسًا- من صفات الداعية: التواضع:

إن التواضع -في حقيقته- هو بذل الاحترام والعطف والتقدير لمن يستحقه[٣]. يظهر هذا في إشارة النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بالاستمرار في الإمامة، وهذا تواضع من النبي ﷺ.

والتواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله تعالى وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود وقد أمر نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين[٤]، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

وقد أوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ بضرورة تواضع الناس فيما بينهم فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٦].

فالتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته ومؤثرًا في المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٥٩، ومسلم ٢٣٨٦.

(٢) العشرة المبشرون بالجنة، محمد أحمد عيسى، ص ١٦.

(٣) رسائل الإصلاح، محمد خضر حسين ١/١٢٧.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٥٧.

(٥) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

والتواضع من ألصق الصفات الطيبة بالداعية، فالتواضع دليل على كبر النفس وعلو الهمة، وهو -في الوقت نفسه- سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات.

فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد وينأى به عن الكبر والاستنكاف عن قبول الحق والأخذ به.

ومن هنا يكمل السؤدد ويعلو القدر ويتناهى الفضل. ثم إن التواضع يغري باكتساب المعالي من جهة أن الناس يعجبون بالأكابر والعظماء إذا تواضعوا فيقودهم ذلك إلى محبتهم والاقتداء بهم والسير على منوالهم[(١)].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الحمد عند حصول نعمة للإنسان:

إن الحمد ثمن كل نعمة وهو من أخلاق المؤمنين يظهر ذلك في قول الراوي: "فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده فحمد الله" فحمد الله على قدوم النبي ﷺ، وعلى النعمة التي أحدثت له من الوجاهة في الدين.

قال ابن حجر: (فيه استحباب حمد الله لمن تجددت له نعمة ولو في الصلاة، وفيه الحمد والشكر على الوجاهة في الدين)[(٢)].

فحمد النعمة سبب في كثرتها كما وعد الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[(٣)]، قال ابن كثير: (أي: آذنكم وأعلمكم بوعده لكم لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها)[(٤)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلاَّ كَانَ الَّذِي أَعْطَاهُ أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ))[(٥)].

---

(١) علو الهمة، معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٩٩.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٧٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٧).

والحمد من صفات المؤمنين لأن المؤمن دائمًا حامدًا لله وفي جميع الأحوال، قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[1].

فيجب على الداعية حث المدعوين على حمد الله على نعمه، وعليه أيضًا أن يبين لهم فضل الحمد وعظم ثوابه، فكلمة الحمد يبلغ ثوابها من العظم أن يملأ به الميزان، كما جاء في الحديث عن أبي مالك الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطهور شطر الإيمان والحمد تملأ الميزان وسبحانه والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها))[2].

إن الطاعة سهلة ميسورة على المؤمنين، ويحفزه عليهاما أعده له الله من عظيم الثواب، فما أعظم كرم الله تبارك وتعالى، إنه يعطي على الشيء القليل الثواب الكثير، ألا فلنكثر من ذكر الله تعالى وحمده ولتكن ألسنتنا رطبة بذكره ولنتضرع إلى الله بالدعاء.

إن الترغيب في ذكر الله تعالى وحمده وشكره على نعمائه ترغيب في الثواب العظيم يوم القيامة، لأن حاجة المرء في ذاك اليوم الرهيب إلى ما يثقل ميزانه حاجة شديدة لأن بذلك نجاته من النار الحامية، ولا شك في أن الكمال في الذكر أن يكون الذاكر محققًا معنى الذكر، فإذا قال بلسانه "الحمد لله" كان عليه أن يستقر في أعماق قلبه أن كل أنواع الحمد هي لله، لأن "آل" هذه تدل على الاستغراق.

ومن الحمد ألا يستعمل العبد نعمة آتاه الله إياها في معصية، وألا يقعد عن تسخير هذه النعم في مرضاة الله تعالى[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) انظر: من هدي النبوة، تأملات في عدد من جوامع الكلم، د. محمد بن لطفي الصباغ، ص ٢١، ٢٢.

سابعًا- من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم:

ويظهر هذا في إشارة النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه بالاستمرار في الإمامة، قال ابن حجر: (وأن أمره إياه بالاستمرار في الإمامة من باب الإكرام له والتنويه بقدره)[1]، فرسول الله ﷺ أنزل أبا بكر رضي الله عنه منزلته اللائقة به في هذا الأمر بالاستمرار في الإمامة.

فإنزال الناس منازلهم من الأمور المهمة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وينتبه إليها ويحرص عليها وما ذاك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم وشدهم إلى الإسلام، لا سيما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام، أو كان ذا منزلة مرموقة في الناس، أو كان ذا نعمة معروفًا بها أو كان كفر يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيًا[2].

ثامنًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر هذا في قوله ﷺ: "أيها الناس: ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق؟! إنما التصفيق للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله..."، فبيّن لهم ﷺ الخطأ في تصفيقهم وبيّن لهم العمل الصحيح وهو التسبيح في حق الرجال، وبذلك بيّن لهم حقيقة الشيء وهذا مما يجب أن يقوم به الداعية من التأسي برسول الله ﷺ في بيان الحقائق للمدعوين حتى يأتوها صحيحة كما بينها لهم.

تاسعًا- من واجبات الداعية: الاستفسار عن امتناع المدعو عن بعض الأمور:

ويظهر هذا في قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: (ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت إليك؟) فقد استفسر رسول الله ﷺ من أبي بكر رضي الله عنه عن سبب امتناعه عن تنفيذ أمره، قال ابن حجر: (وفيه سؤال الرئيس عن سبب مخالفة أمره قبل الزجر عن ذلك)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٩٩.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد العمار، ص ١١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٩٩.

فيجب على الداعية إذا أمر بشيء فلم يمتثل المدعو لأمره أن يستفسر عن سبب الامتناع قبل الانكار والزجر حتى يكون على بينة من أمره.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

جوانب الخير في الإسلام متعددة وأبوابه مفتوحة، وإذا تعذر على البعض العلم بها فإن الرسول ﷺ قد جمع الكثير منها ليعلمنا بها ويربينا عليها، وفي حال الالتزام بها ينعم المجتمع ويسعد، وفي حال النأي عنها يشقى ولا ينهض، ومن الوسائل التربوية في هذا الباب:

أولاً- التربية على شكر النعم:

من أهداف التربية الإسلامية بيان أهمية شكر النعم، ومن الشواهد على ذلك في باب الإصلاح بين الناس حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كلُّ سُلامي منَ النَّاس عليه صدقةٌ ..."، فهذا شاهد تربوي أراد النبي ﷺ من خلاله التنشئة على معرفة نعم الله الظاهرة والباطنة، ليكون ذلك دافعاً على شكرها، لأنه ينبغي للعاقل ألا ينظر إلى جانب واحد أو جانبين، وينسى الجوانب الكثيرة للنعم، فلا يجب أن يحمله الجزع من مشكلة معينة إلى عدم الشكر، فالشكر واجب على المؤمن في جميع الأحوال قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1]. وحتى يستشعر المؤمن قيمة وقدر نعم الله عليه فإن النبي ﷺ قال: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ولا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله))[2].

والتربية على شكر النعم من الإيمان، وقد أثنى الله على أهله ووعدهم بأحسن الجزاء، وجعله سبباً للمزيد من فضله وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته واشتق لهم اسماً من أسمائه، فإنه سبحانه هو الشكور، وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليل من عباده قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾. وحقيقته في العبودية، هو ظهور أثر نعمة الله على عباده،

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٦٣.

والشكر على نعم الله واجب على المؤمن، لأن الله تعالى هو الذي تفضل عليه بالنعم، والشكر يتحقق بالعبادة والطاعة، واستعمال النعم على الوجه الذي يُرضي الله تعالى، وشكر الله يتعلق بالقلب واللسان والجوارح: أما القلب فشكره بقصد الخير وإضماره لكافة الخلق، أما اللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، أما الجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى أن شكر العين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه، والشكر باللسان يكون لإظهار الرضا عن الله تعالى، فنعم الله تعالى كثيرة لا تعد ولا تحصى. وواجبنا نحوها هو الشكر والاعتراف بها[1].

ثانياً- التربية بالتوجيه إلى القيم الإيجابية:

إن من أهم ما تميزت به التربية الإسلامية التوجيه إلى القيم الإيجابية التي ترمي إلى بناء الشخصية السوية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، .....». فهذه توجيهات تربوية نبوية ترشد إلى القيم الإيجابية التي ينبغي ترسيخها وحمل النفوس عليها في عملية التنشئة ومتطلباتها، ومن القيم الإيجابية الإصلاح بين الناس بالعدل، وإعانة المسلمين ومساعدتهم ومواساتهم، وهذه التوجيهات تبرز ما تميزت به التربية الإسلامية مما يجعلها زاداً تربوياً للقائمين على شؤون التربية، لأن التربية الإسلامية ينبغي أن يحرص عليها المسلم، وذلك من خلال إقامة العدل في الإصلاح بين الناس، وإعانة المسلمين ومساعدتهم، لما لهذه القيم من شأن عظيم في عملية التربية من خلال التوجيه الذي يؤثر في النفس تأثيراً إيجابياً ويؤثر في السلوك لأنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية لأنهم يقولون: لا يكفي في التوجيه أن

---

(١) التدين والصحة النفسية، د. صالح الضيع، ص٣٠١، المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص ٣٠٤، العقيدة الإسلامية، وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٢٥٨.

تأمر بفعل الشيء بل لابد من توجيه وإرشاد حسب الموقف، ولقد وجه الله تعالى نحو هذه القيم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1][2].

ثالثاً- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الإصلاح بين الناس:

تهدف التربية الإسلامية إلى الحث على الإصلاح بين الناس، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، قوله ﷺ: «... ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ...»، وقول عائشة رضي الله عنها قالت: «سَمِعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، ... فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا ...» وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ بلغه: «أنَّ بني عمرِو بنِ عَوفٍ كان بينهم شر، فخَرَجَ رسولُ اللّهِ ﷺ يُصلِحُ بينهم في أُناسٍ مَعَهُ ...»، هذه شواهد تربوية ظهر منها الحث والإسراع في الإصلاح بين المسلمين، قطعاً للشر وحسماً للقطيعة.

إن على المربي أن يعمل على الاقتداء بالنبي ﷺ ويترسم خطاه في الإصلاح بين الناس وأن يستحث الناس على ذلك من خلال التوجيهات المباشرة وغير المباشرة، والممارسات العملية التي تعمق في النفوس أهمية تلك القيم الاجتماعية العظيمة التي تعمل على تقوية أواصر الصلات بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتقرب وجهات النظر، وتصلح ما فسد من العلاقات بين الناس، ومن هنا جاء حرص ومسارعة النبي ﷺ من خلال توجيهاته وممارساته العملية.

إن الأمة في حاجة ماسة إلى جيوش من المصلحين الذين يسددون ويقاربون، ويصلون، ولا يقطعون، وفي هذا من التربية على الحرص على البناء الاجتماعي والاهتمام بتربية أفراده وتنشئتهم تنشئة سليمة، وما دام المربون لا يألون جهداً في الإصلاح، فما عليهم إلا أن يخلصوا في عملهم[3]، هذا لتكون الثمرة طيبة، ولكي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. شحات الخطيب، ص٢٨٠.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

تؤتى العملية التربوية أكلها، ينبغي للمربين والمصلحين والقائمين على التوجيه أن يعملوا على نشر ثقافة الإصلاح المجتمعي باستنهاض الهمم في هذا المجال من خلال بيان آثاره الطيبة على الفرد والمجتمع، والتأكيد على دوره في النهضة والتنمية والتقدم، كل ذلك لا يتحقق إلا من خلال المجتمعات المتماسكة والدول المترابطة، فما أحوج المجتمعات الإسلامية والدول العربية والإسلامية إلى التماسك والترابط والاستعلاء على الخلافات والنزاعات التي تزكيها القوى المعادية من الدول الغربية من خلال تطبيق السياسة الاستعمارية "فرق تسد، إن العرب والمسلمين بحاجة إلى الوحدة والتماسك لأننا نعيش عصر التكتلات والكيانات القوية ولا مكان في عصرنا للضعفاء، ومن هنا جاءت التوجيهات التربوية النبوية إلى أهمية الإصلاح بين الناس.

رابعًا- تنوع الأساليب التربوية:

يتضح في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عدة أساليب تربوية منها:

أ- الممارسة العملية: وهذا واضح من خروج رسول الله ﷺ إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم وقد خرج النبي ﷺ في أناس معه، والممارسة العملية من الأساليب التربوية التي تتميز بقوة بقاء أثر التعليم وتربط بين الجوانب النظرية والجوانب التطبيقية.

ب- توجيه الأسئلة: وهذا واضح من قول النبي ﷺ لما فرغ من الصلاة: أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق؟

وفي قوله ﷺ كذلك: "يا أبا بكر ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت إليك؟" وتوجيه الأسئلة يفيد في تقويم ما لدى المتعلمين من معلومات مرتبطة بالدرس وفي المناقشة والشرح بين المعلّم والمتعلمين ومعالجة بعض الأخطاء التي قد يقع فيها المتعلمون.

ج- الحوار والمناقشة: وهذا يتضح في الحديث كله: في الحوار بين بلال وأبي بكر رضي الله عنه، وفي الحوار بين النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

ومما لا شك فيه أن الحوار له دور مهم في العملية التعليمية، فهو من الأساليب التي تقوّي دور المتعلم في العملية التعليمية وتعتمد على مبدأ المشاركة بين المعلمين والمتعلمين وفي حجرة الدراسة أو خارجها.

۞ ۞ ۞

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٣-باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٥
الحديث رقم (١٨٤)	٥
الحديث رقم (١٨٥)	١٦
الحديث رقم (١٨٦)	٣١
الحديث رقم (١٨٧)	٣٩
الحديث رقم (١٨٨)	٤٧
الحديث رقم (١٨٩)	٥٤
الحديث رقم (١٩٠)	٦٣
الحديث رقم (١٩١)	٧٠
الحديث رقم (١٩٢)	٨١
الحديث رقم (١٩٣)	٩١
الحديث رقم (١٩٤)	٩٨
الحديث رقم (١٩٥)	١٠٧
الحديث رقم (١٩٦)	١١١
الحديث رقم (١٩٧)	١٢٦
٢٤-باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله	١٤٣
الحديث رقم (١٩٨)	١٤٣
٢٥-باب الأمر بأداء الأمانة	١٥١
الحديث رقم (١٩٩)	١٥١
الحديث رقم (٢٠٠)	١٥٧
الحديث رقم (٢٠١)	١٦٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٠٢)	١٨٤
٢٦-باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم	٢٠٥
الحديث رقم (٢٠٣)	٢٠٥
الحديث رقم (٢٠٤)	٢١٧
الحديث رقم (٢٠٥)	٢٢٥
الحديث رقم (٢٠٦)	٢٣٨
الحديث رقم (٢٠٧)	٢٤٧
الحديث رقم (٢٠٨)	٢٥٤
الحديث رقم (٢٠٩)	٢٦٥
الحديث رقم (٢١٠)	٢٧٥
الحديث رقم (٢١١)	٢٨٢
الحديث رقم (٢١٢)	٢٨٨
الحديث رقم (٢١٣)	٢٩٦
الحديث رقم (٢١٤)	٣٠٨
الحديث رقم (٢١٥)	٣١٦
الحديث رقم (٢١٦)	٣٢٧
الحديث رقم (٢١٧)	٣٣٦
الحديث رقم (٢١٨)	٣٥٠
الحديث رقم (٢١٩)	٣٥٨
الحديث رقم (٢٢٠)	٣٦٦
الحديث رقم (٢٢١)	٣٧٦
٢٧-باب تعظيم حرمات المسلمين ورد حقوقهم	٣٨٩
الحديث رقم (٢٢٢)	٣٨٩
الحديث رقم (٢٢٣)	٣٩٨
الحديث رقم (٢٢٤)	٤٠٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٢٥)	٤١٣
الحديث رقم (٢٢٦)	٤٢٣
الحديث رقم (٢٢٧)	٤٢٩
الحديث رقم (٢٢٨)	٤٣٤
الحديث رقم (٢٢٩)	٤٤٢
الحديث رقم (٢٣٠)	٤٤٨
الحديث رقم (٢٣١)	٤٥٥
الحديث رقم (٢٣٢)	٤٦٥
الحديث رقم (٢٣٣)	٤٧٤
الحديث رقم (٢٣٤)	٤٩٣
الحديث رقم (٢٣٥)	٤٩٦
الحديث رقم (٢٣٦)	٥٠١
الحديث رقم (٢٣٧)	٥٠٤
الحديث رقم (٢٣٨)	٥١٢
الحديث رقم (٢٣٩)	٥٢٠
٢٨-باب ستر عورات المسلمين	٥٣٣
الحديث رقم (٢٤٠)	٥٣٣
الحديث رقم (٢٤١)	٥٤٠
الحديث رقم (٢٤٢)	٤٥٦
الحديث رقم (٢٤٣)	٥٥٢
٢٩-باب قضاء حوائج المسلمين	٥٦١
الحديث رقم (٢٤٤)	٥٦١
الحديث رقم (٢٤٥)	٥٦٢
٣٠-باب الشفاعة	٥٧٥
الحديث رقم (٢٤٦)	٥٧٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٤٧)	٥٨٣
٣١-باب الإصلاح بين الناس	٥٩٧
الحديث رقم (٢٤٨)	٥٩٧
الحديث رقم (٢٤٩)	٦٠٠
الحديث رقم (٢٥٠)	٦٠٩
الحديث رقم (٢٥١)	٦١٦
فهرس الموضوعات	٦٣٧

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الخامس

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٥

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٥٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٩٩-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٩٩-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج٥)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٣٢- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (٢٥٢)

٢٥٢- عن حَارِثَة بْنِ وهْب ﷺ قال: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقولُ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَم عَلَى اللّه لأبرَّه، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**» متفقٌ عليه[(١)].

«**الْعُتُلُّ**»: الْغَلِيظُ الجافِي. و«**الجوَّاظُ**» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة وَهُو الجمُوعُ المنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، وقيلَ: الْقَصِيرُ الْبَطِينُ[(٢)].

ترجمة الراوي:

حارثة بن وهب الخزاعي: هو أخو عبيدالله بن عمر بن الخطاب لأمِّه.

له صحبة برسول الله ﷺ.

يعدُّ من الكوفيين، وله رواية عن النبي ﷺ وعن حفصة بنت عمر "أم المؤمنين" ﷺ وغيرها.

وله في الصحيحين أربعة أحاديث[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٥٣/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٧٢).

(٢) بنصه في الترغيب (٤٧/٤).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٢٤١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦٥٧/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٥/٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٤٢/١)، والطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٦/٦).

غريب الألفاظ:

مُتضعَّف: أي يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في الدنيا[١].

لأبرّه: لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله تعالى بإبراره لأبره وأجابه[٢].

العُتُل: الغليظ الجافي[٣].

الجوَّاظ: هو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته وقيل: القصير البطين[٤].

الشرح الأدبي

إن القوة في الإسلام لها معايير ومقاييس، تتسامى وتعلو فوق المقياس المادي الذي يألفه الماديون، وهم في غياب عن القوى النفسية والروحية التي تكسبها الطاقة الإيمانية وهجًا من الإرادة، ودوافع من العزم والثقة، فدنيا المؤمن، حتى ولو بدا ضعيف البنية، رث الحال، هي الدنيا كلها بشمسها وقمرها كما يقول الرافعي، وإن لم يملك منها شيئًا، ما دامت في قلبه طبيعة السرور، فلا فقر ولا غنى مما يشعر الناس بمعانيه، بل كل ما أمكن فهو في غنى كامل، إذ لم تعد القوة في المادة تزيد بزيادتها، وتنقص بنقصها، بل القوة في الروح التي تتصرف بطبيعة الوجود، وتدفع قوى الجسم بمثل دوافع الطفولة النامية المتغلبة، حتى لتجعل من النور والهواء ما يؤتدم به مع الخبز الفقار، وبذلك لا تتسلط ضرورة على الجسم، كالجوع والفقر والألم ونحوها، إلا كان تسلطها كأنه أمر من قوة في الوجود إلى قوة في هذا الجسم، وهذا الجنس من الناس كالأزهار على أغصانها الخضر.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٩٩٠.

(٢) المرجع السابق ٢/١٩٩٠.

(٣) رياض الصالحين ١٤٩.

(٤) المرجع السابق ١٤٩.

ولقد كان المسلم يضرب بالسيف في سبيل الله، فتقع ضربات السيوف على جسمه فتمزقه، فما يحسها إلا كأنها من قبل أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه، ولم تكن أثقال المسلم من دنياه أثقالاً على نفسه، بل كانت له أسباب قوة وسمو[1].

وفي ضوء هذا التصور لمعيار القوة والضعف في الإسلام نقرأ هذا الحديث الشريف، ونتأمل جمالياته وأسراره التعبيرية وظواهره الأسلوبية، فالحديث يقدم نموذجين: أحدهما من أهل الجنة، والآخر من أهل النار، فهو في مجمله وبنائه، يقوم على المقابلة بين صنفين من الناس، وهما متناقضان في كل سماتهما وملامح شخصياتهما، وقدم رسول الله ﷺ النموذج "الخيِّر" لأفضليته، وهو من أهل الجنة، وأما النموذج الآخر فهو نموذج مرفوض في الدنيا والآخرة، وذلك النموذج قد يخدع الناس بمظهره، وقد يخافون بأسه، ويخشون سطوته، ولكنه في النهاية يلقى مصيره المحتوم.

والحديث يبدأ بقوله ﷺ: "ألا" وهي: حرف استفتاح لتنبيه السامع للكلام الآتي بعده.. وذلك لأهميته، وحتى ينتبه السامعون لهذه الأهمية، التي قد يغفل عنها كثير من الناس، كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[2].

وهذا الاستفتاح كرر مرتين مقرونًا بالاستفهام: حيث جاءت الأداة نفسها في مقدمة القسم الثاني من الحديث.

والفعل: "أخبركم" كرر مرتين، والخطاب للصحابة الذين شَرُفوا بسماع صوت رسول ﷺ، ولكل من يقرأ الحديث أو يسمعه من المسلمين إلى يوم القيامة، ولكل من تبلغه الدعوة، عليه أن يفقه هذا الأمر الدقيق البليغ العميق، والإخبار هنا يحمل سمة الصدق واليقين والتثبت: لأن من ساق الخبر هو الصادق الأمين، الذي لا ينطق عن الهوى، والذي يبلغ عن ربه عز وجل.

---

(١) انظر: وحي القلم "للرافعي"، مقال: حقيقة المسلم، ٢/١٠-١١.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

ويتسم البيان النبوي بالإيجاز، حيث حذف جواب السامعين للعلم بوقوعه، والتقدير: قالوا: بلى، وتأتي إجابة رسول الله ﷺ موشاة ببلاغة الحذف والتقدير: قال: هم، لأن هذه التفصيلات لا تفيد السامع شيئًا: وإنما الثمرة هي معرفة سمات أهل الجنة أو بعض أهل الجنة الذين وعدوا بها، وهم "كل ضعيف متضعف"، والضعيف هنا: هو الذي لا يملك القوة المادية، ولكنه يتسلح بقوة الإيمان والعزيمة والثقة وقوله: "متضعف" بفتح العين المشددة: أي الذي يستضعفه الناس ويقهرونه، لأنه يفتقد المال والجاه والحسب، وهم لا يدرون قدره عند ربه، ولو قلنا: "متضعِّف"، بكسر العين، لأصبح المعنى أعمق وأدق حيث يفيد أنه يخضع لله سبحانه، ويذل له نفسه، ولا يذل نفسه للناس، فهو عزيز بربه، قوي بعقيدته، فهو لو يقسم على الله لأبره، فالله يستجيب لدعائه.

والتعبير بـ"يقسم" في صيغة المضارع يفيد استمرار عناية الله بهذا الصنف من الناس، وإكرامه لهم، وأما أهل النار فهم "كل عتل" وهو الغليظ من الناس الجافي وقيل الكافر، أو السمين والأكول الشروب الذي يفتقد سماحة الإسلام، "والجواظ" هو الجموع المنوع البخيل، والكلمة توحي بكل الصفات الكريهة المنفرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشويق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع والتذلل لله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الصلة بالله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الغلظة والخيلاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشويق:

تضمّن الحديث أسلوبًا من أساليب الدعوة وهو التشويق، يظهر هذا في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل الجنة؟" فشوق أصحابه إلى معرفة أهل الجنة.

وأسلوب التشويق من الأساليب الدعوية التي تشوق المدعوين لكلام الداعية، فالتشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب، لكنه يأتي بعده، فعند حصول الرغبة

في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر ما يشوقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها. وينتج عن ذلك استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة[1].

كما أن التشويق يدل على براعة الداعية في جذب انتباه المدعوين. فمثلاً حينما وقف النبي ﷺ على الصفا ونادى في الناس "يا صباحاه"... فاجتمعوا -ثم لم يفاجئهم بل مهد لهم وتدرج معهم في أسلوب تشويقي جميل- وقال: ((أرأيتُم إن أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرُجُ من سَفح هذا الجَبَل أكنتم مُصدِّقِيَّ؟ قالوا: ما جرَّبنا عليك كذبًا. قال: فإنِّي نَذيرٌ لكم بين يَدَيْ عذاب شديد))[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع والتذلل لله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف" قال القاضي عياض: (وقوله في أهل الجنة: "كل ضعيف متضعف"، هو: صفة نفي الكبرياء والجبروت التي هي صفة أهل النار، ومدح التواضع والخمول والتذلل لله -عز وجل- وحض عليه، فالحديث ذكر بعض علامات أهل الجنة ومنها أن يكون ضعيفًا متضعفًا أي لا يهتم بمنصبه أو جاهه، أو يسعى إلى علو المنازل في الدنيا، ولكنه ضعيف في نفسه متضعف، فهو يرى أن المهم أن له جاه ومنزلة عالية عند الله، لا يهمه أن يكون شريفًا في قومه أو عظيمًا فيهم[3].

وقد وصف المولى عباده المتذللين المتواضعين بأنهم عباد الرحمن، فقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[4].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٣-٢٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٧١، ومسلم ٢٠٨.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٦١٩/١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (إن المؤمنين قوم ذُلل، ذلت منهم -والله- الأسماع والأبصار والجوارح حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة)[1].

والتواضع التذلل لله يكون سببًا لرفعة العبد جزاء من الله على تواضعه وتذلله، قال رسول الله ﷺ ((... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[2]. فينبغي للداعية دعوة الناس إلى التواضع والتذلل لله عز وجل.

إن التواضع خلق الأنبياء والمرسلين، ونعت المتقين والمهتدين، والتكبر خلق الجبابرة الظالمين.

إن التواضع يزيد الشريف شرفًا، ويرفع الوضيع حتى يصل إلى مقامات الأولياء والأصفياء. إنه من تواضع لله تعالى ولعباده كانت جميع اجتماعاته بالناس على اختلاف درجاتهم مغنمًا يكسب بها الخيرات والمثوبة من الله، فإنه يلاقي الناس ويخاطبهم ويجتمع بهم ويعاشرهم بهذه النية الصالحة الفاضلة، وبالكلام اللين الطيب للغني والفقير والشريف والوضيع، لا يرى لنفسه عليهم فضلاً، ويوطن نفسه على ما استطاع من نفع من اجتمع به، فهذه النية وهذا العمل وهذه المعاشرة من هذا المتواضع جميعه قربة يتقرب بها إلى الله ثم يترتب على ذلك محبة الناس وكثرة ثنائهم وأدعيتهم له، وهذا أفضل ما اكتسبه المكتسبون ونافس فيه المنافسون، وكل من سمع بأخلاقه ولو لم يجالسه أحبه ودعا له، فمن أعظم الغبن والخسران، الاستهوان بهذه الأمور الجليلة، والخصال الجميلة، التي لا تدرك وتنال إلا بخلق التواضع والإخلاص[3].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٢/٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي ص ١٠٥-١١٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حسن الصلة بالله تعالى:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث حسن الصلة بالله تعالى. يتضح ذلك من قوله ﷺ "لو أقسم على الله لأبره".

فحسن الصلة بالله تجعل صاحبها واثقًا بالله مهما ضاقت عليه الدنيا، قال ابن قيم الجوزية: (لا يزال العبد منقطعًا إلى الله، حتى تتصل إرادته ومحبته بوجهه الأعلى، والمراد بهذا الاتصال أن تُفضي المحبة إليه وتتعلق به وحده، فلا يحجبها شيء دونه، وأن تتصل المعرفة بأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا يطمس نورها ظلمة التعطيل، كما يطمس نور المحبة ظلمة الشرك؛ وأن يتصل ذكره به سبحانه، فيزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفلة والتفاته في حال الذكر إلى غير مذكوره، فحينئذٍ يتصل الذكر به، ويتصل العمل بأوامره ونواهيه، فيفعل الطاعة لأنه أمر بها وأحبها، ويترك المناهي لكونه نهي عنها وأبغضها[1]. فينبغي أن يحرص المسلمون على حسن الصلة بالله تعالى، وعلى الدعاة الاهتمام بتذكير المدعوين بأهمية حسن الصلة بالله عز وجل.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن الغلظة والخيلاء:

يظهر هذا في قوله ﷺ "ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر"، قال أبو العباس القرطبي: (وعلى الجملة فمقصود هذا الحديث أن أهل الجنة على النقيض من أحوال أهل النار، ألا ترى أنه قابل صفات أهل الجنة وذكر نقائضها في أهل النار، فقال: "وأهل النار كل عتل جواظ مستكبر" والعتل هو الجافي الشديد الخصومة، وقيل هو الأكول الشروب الظلوم، والجواظ هو الجموع المنوع وقال غيره المختال)[2]. فبيّن أن أهل النار هم المستكبرون من أهل الغلظة والخيلاء، فيكون في ذلك نهي عنهم لما فيهما من إثم ومعصية.

---

(١) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٢٨٧.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٩/٧، ١٧٠.

قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾[١]؛ لأن الكبر من أشنع ما يوصف به الإنسان حيث يترك على شخصيته آثارًا سيئة، لأنه خلق ذميم وآفة قاتلة تظهر آثاره جلية، لأن النفس البشرية يدمرها هذا السلوك؛ لذا فعلى المدعو أن يحذر الكبر حتى لا يبعده عن الصواب[٢].

لأن الكبر والتعالي من الخصال المذمومة في الشرع، والعقل، والفطرة. والمتكبر ممقوت عند الله وعند خلقه.

قال ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[٣].

وغمطُ الناس: احتقارهم، وأما بطر الحق، فهو: دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا [٤].

هذه هي حقيقة الكبر بطر الحق: يعني دفعه ورده، وغمط الناس: يعني احتقارهم[٥].

وكذلك يجب البعد عن الغلظة لقوله ﷺ ((من لا يَرحمُ لا يُرحَم))[٦]؛ فينبغي للداعية أن بين للناس مساوئ الغلظة والخيلاء وآثارها السيئة على الفرد والمجتمع وبغض الإسلام لهذا الخلق الذميم.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١.

(٥) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ٦٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٥٢١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٨).

الحديث رقم (٢٥٣)

٢٥٣- وعن أَبي العباسِ سهلِ بنِ سعدٍ الساعِدِيِّ رضي الله عنه قال: مرَّ رجُلٌ على النَبيِّ ﷺ فقالَ لرجُلٍ عِنْدهُ جالسٍ: «**ما رَأيُكَ فِي هَذَا؟**» فقال: رَجُلٌ مِنْ أَشْرافِ النَّاسِ هذا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسول الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «**مَا رأيُكَ فِي هَذَا؟**» فقال: يا رسولَ اللَّه هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَراءِ الْمُسْلِمِينَ، هذَا حريٌّ إِنْ خطَبَ أَنْ لا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هذَا**» متفقٌ عليه[1].

قوله: «**حَرِيٌّ**» هو بفتحِ الحاءِ وكسر الراءِ وتشديد الياءِ: أَيْ حقِيقٌ. وقوله: «**شَفَعَ**» بفتح الفاءِ.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حريٌّ: حقيق[2].

شفع: بفتح الفاء والشفاعة: التوسط لالتماس العفو أو التخفيف من العقوبة عن الغير من غير دليل[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٧) ولم يخرجه مسلم.

تنبيه: نبهنا عدّة مرات أن المؤلف رحمه الله تابع الحميدي في جمعه حتى في السياق في عدد كثير من الأحاديث، وهذا الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٥٣/١، رقم ٩١٥) في المتفق عليه وقال في آخره: ذكره أبو مسعود في المتفق عليه، وتبع الحميدي أيضًا في هذا الحديث ابن الجوزي في جامع المسانيد (٣٢١/٣، رقم ٢٤٣١)، وابن الأثير في جامع الأصول (٢٣٠/٩) فعزياه للبخاري ومسلم. ولم يعزه المزي في تحفة الأشراف (١١٤/٤، رقم ٤٧٢٠) إلا إلى البخاري. وقال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف: قال الحميدي: ذكره أبو مسعود في المتفق، ولم أجده في: (م) أي في صحيح مسلم انتهى. وذكره ابن الجوزي في المتفق (٣٢١/٣، رقم ٢٤٣١)، وأهمل التنبيه الذي ذكره الحميدي، وذكره في إفراد (خ) أي البخاري خلف، والطرقي وغيرهما وهو الصواب.

(٢) رياض الصالحين ١٥٠.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٣٥.

الشرح الأدبي

إن المنهج الإسلامي في تقويم الشخصية لا يُعْنى بالرسوم والحجوم، ولكن يُعنى بالقلوب والفهوم، وأبعاد الشخصية في الإسلام تتكامل وتتلاقى في دائرة واحدة: هي دائرة الإيمان، وهي في جوهرها لا تنفصل عن القاعدة الإسلامية التي تنطلق من منابع السنة النبوية الشريفة حيث يقول المصطفى ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[1]، والمسلم مطالب بالحفاظ على مظهره، وباتخاذ الزينة عند كل مسجد، وبنظافة البدن والثوب والمكان، وبالوضاءة والطهور عند كل صلاة، فهو في مظهره ذو وضاءة إيمانية، وهو في مخبره كالمرآة المجلوة صفاءً ونقاءً، لا تلهيه القشور عن اللباب، ولا تخدعه الأعراض فتنسيه الجوهر، وفي ظل هذا المنهج يجب أن يتشكل تصوره في الحياة، وأن تتشكل رؤيته للناس.

وحين نتأمل ونفقه الدرس النبوي الذي يقدمه هذا الحديث الشريف: من خلال استكشاف أسراره اللغوية وظواهره الأسلوبية والأدبية ندرك أن المصطفى ﷺ أراد أن يبرهن على صدق المنهج الإسلامي وصوابه من خلال هذا الحوار التدريبي التعليمي الواقعي، عبر هذا التشويق، وذلك الإقناع العملي الذي يهدف إلى ضرورة عمق النظر إلى الأشياء، وأن لا يخدع المسلم بسراب الأشكال البراقة، وأن لا يفتن ببريق المناظر والمظاهر المبهرة، والحديث في بنائه الأسلوبي يتكون من مشهدين متقابلين متضادين، والمشهد الأول يتشابه مع الثاني في الإطار العام، ولكنه في تفاصيله يناقضه تمامًا، فالنبي ﷺ يجلس مع أحد الصحابة، وقيل هو أبو ذر الغفاري، وبينما هما جالسان: يمر عليهما رجل من أشراف الناس: أي أغنيائهم وأعيانهم، وقيل هو عيينة بن حصن الفزاري، أو الأقرع بن حابس: وهما لهما مكانتهما الاجتماعية والسياسية، فيقول النبي ﷺ لصاحبه: "ما رأيك في هذا؟" أي ما تقويمك لشخصيته ومكانته، وتجيء الإجابة من منظور دنيوي اجتماعي يحكمه العرف، وتؤكده التقاليد، فقال: "هذا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع".

والأسلوب هنا مصحوب بظواهر فنية تعمق الدلالة، وتنبئ عن اقتناع الرجل بما يقول، حيث بدأ بقوله: رجل من أشراف الناس، وتنكير كلمة "رجل" توحي بالعموم، والشيوع والتعظيم، ولم يكتف بذلك بل قال: "من أشراف الناس"، ثم واصل شهادته وجاء باسم الإشارة وبعدها القسم بالله عز وجل، ثم قوله "حري"، أي حقيق بما سيأتي من خصائص وسمات، وهو جدير وحقيق باحترام الناس، وتقديرهم بناءً على مظهره الشكلي، ووضعه الاجتماعي، ومكانته في قومه، وأتى بموقفين يمثلان البعد الاجتماعي في تقويم الشخصية، فهو لابد أن يستجيب له الناس ويزوجوه، إذا خطب أي فتاة منهم، ولابد أن يقبل الناس شفاعته إذا تقدم وشفع لأحد في أمر ما، ومجيء هاتين الخاصيتين في أسلوب الشرط ينبئ عن حتمية تحققهما، وسكوت رسول الله ﷺ يفيد دلالة عدم رضاه عن هذه الرؤية المقيدة بالضوابط والمعايير الاجتماعية المادية.

والمشهد الثاني يقابل الأول ويناقضه في الرؤية، ولكنه يماثله ويناظره في البناء اللغوي، حيث يمر رجل فقير ليس له جاه ولا منصب: ويكرر الرسول ﷺ سؤاله ما رأيك في هذا؟ فتأتي الإجابة على النقيض من الإجابة السابقة، حيث يقول: هذا رجل من فقراء المسلمين، وقيل هو جعيل بن سراقة الغفاري، وفي ضوء التأثر الشكلي، والتمسك بالمنظور الاجتماعي الضيق يقول: "هذا حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع ..." إلخ، ولكن رسول الله ﷺ يصحح هذا الرأى المحكوم بالعرف والتقاليد، ويرسي دعائم المنهج الإسلامي، ويقول: "هذا خير من ملء الأرض من هذا".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من مهام الداعية: التعرف على رؤية المدعوين لبعض الأمور.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تصحيح وتصويب رؤية المدعوين لبعض الأمور.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان المعيار الصحيح للمفاضلة بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

ويظهر هذا فيما ورد في الحديث: "فقال النبي لرجل عنده جالس"، فحرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ هو حرص على تعلّم أمور دينهم، ونيل الفضل من الله تعالى، لأن مجالسة النبي ﷺ فيها من الفضل والأجر ما لا يعلمه إلا الله. ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم قدره ﷺ فعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه ((وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللّهِ وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ. وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ. وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ))[1] فصحابة رسول الله ﷺ كانوا محبين لرسول الله ﷺ راغبين في مجالسته.

ففي الحديث ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من توقير رسول الله ﷺ وإجلاله[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: التعرف على رؤية المدعوين لبعض الأمور:

يظهر هذا في سؤاله ﷺ لمن جلس معه "ما رأيك في هذا؟" فمن مهام الداعية التعرف على نظرة ورؤية المدعوين لبعض الأمور، حتى يعلم آراء المدعوين ونظرتهم في الناس، وما المقاييس التي يعولون عليها في تقديرهم للناس، حتى يقر ما هو صحيح من آراء ويصحح الخطأ (حتى لا يسترسل المسلم في خطأ وقع فيه أو هوى انساق إليه، لابد له في حياته من وقفات مع نفسه ومع إخوانه، لمراجعة حساباته من جديد، والسير - بعدئذ-على بصيرة)[3]. لقد أراد النبي ﷺ أن يتعرف على نظرة الصحابة للناس والمعايير التي يحتكمون إليها في ذلك، فقام باستطلاع رأيهم في صنفين من أصناف الناس.

ثالثًا- من واجبات الداعي: تصحيح وتصويب رؤية المدعوين لبعض الأمور:

من الواجبات المنوطة بالداعية بيان الصواب في الأمور، وتصحيح التصورات الذهنية

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١.

(٣) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٤٠١.

الخاطئة خاصة فيما يتعلق بأقدار الرجال، والمكانة التي يضعهم الناس فيها، ولذا فإن المقاييس المادية البحتة من مال ووجاهة وحسب ونسب، تعد في نظر السواد الأعظم من الناس هي المؤهلة لرفع قدر الإنسان، وهي التي تجعله يحظى بالاحترام والتقدير، وأن افتقاد هذه الأمور المادية يجعل الإنسان غير جدير بالاحترام.

لقد كانت نظرة بعض المدعوين تنطلق من هذا المنطلق، وهذا ما تبلور في كلام من سأله النبي ﷺ عن رأيه في الرجلين اللذين مرا عليهما أثناء جلوسهما، ثم وجد النبي ﷺ الفرصة مواتية لتصحيح وتصويب تلك الرؤية التي تعوزها الموضوعية في النظر للأمور، فقام بالتصحيح فقال: "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا" إن النبي ﷺ أراد أن يضع الأمور في نصابها الحقيقي، وأن يعلّمنا أقدار الرجال، وأن يبطل المقاييس المادية الفاسدة، والأعراف الاجتماعية البائدة التي تعوِّل على المادة ومظاهرها، وهذا ما جعل الملأ يرفض دعوة الأنبياء ولا يتقبلها، وعجبوا أن يُختار رسلُ الله من بينهم، مع أن في القوم من هو أغنى ولديه رصيد وميراث اجتماعي - في زعمهم-يؤهله للنبوة أفضل من هذا الذي اختاره الله، وهذا ينم عن الجهل المركب في النظر لأقدار الرجال، فالإسلام يعول على الإيمان وتقوى الله وحسن الصلة به، ولا يُعوّل على الأعراف الفاسدة والأسباب المادية.

إن تصحيحه ﷺ لمن أجابه عن رأيه في المارين لتلك الرؤية التي كانت على أساس خاطئ، هو نهجه ﷺ في تصحيح وتصويب رؤية أصحابه للأمور، يؤيد ذلك قوله ﷺ لأصحابه: ((أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

قال النووي: (إن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه: مفلسًا وليس هو حقيقة للمفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقى في النار، فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه)[1].

فصحح رسول الله ﷺ نظرة أصحابه للأمور من حيث الظاهر أو المتعارف وبيّن حقيقة المفلس؛ فينبغي على الداعية التأسي برسول الله ﷺ في تصحيح وتصويب رؤية المدعوين للأمور الخاطئة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان المعيار الصحيح للمفاضلة بين الناس:

يظهر هذا من بيان رسول الله ﷺ أن الغنى والفقر ليس هما الأساس في تقدير الناس أو عدم تقديرهم. وهذا يستنبط من بيانه ﷺ بأن هذا الفقير خير عند الله من ملء الأرض مثل الغني الذي له شرف وجاه في قومه؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الشرف والجاه، والنسب والمال والصورة واللباس، والمركوب، والمسكون، وإنما ينظر إلى القلب والعمل، فإذا صلح القلب فيما بينه وبين الله عز وجل، وأناب إلى الله، وصار ذاكرًا لله تعالى خائفًا منه، مخبتًا إليه عاملاً بما يرضي الله عز وجل، فهذا هو الكريم عند الله، وهذا هو الوجيه عنده[2].

فمعيار التفاضل بين الناس في الإسلام ليس الغنى أو السلطة أو المكانة في القوم ولكن هو التقوى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[3]؛ فجميع الناس في الشرف بالنسبة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٤.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٦٢٢/١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: ((أكرمُهم عند اللَّهِ أتقاهم))[٢]؛ فينبغي على الداعية دعوة الناس إلى تقوى الله عز وجل، وبيان أن التقوى هي أساس التفاضل بين الناس والتقرب إلى الله عز وجل.

إن أخطر ما يصاب به أي مجتمع وينذر بتراجعه وسقوطه، إنما هو اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس، ذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد اختلال القيم أو معايير التفاضل عندهم، فنراهم يفضلون صاحب الدنيا، ويقدمونه حتى لو كان عاصيًا أو بعيدًا عن منهج الله، في الوقت الذي يحتقرون فيه البائس المسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له، حتى وإن كان طائعًا ملتزمًا بهدي الله، ومن يحيا في هذا الجو، يتأثر به لا محالة -إلا من رحم الله- ويتجلى هذا التأثر في احتقار الآخرين والترفع عليهم.

وقد ألمح القرآن والسنة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال رفض هذا المعيار ووضع المعيار الصحيح مكانه، إذ يقول الله سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[٣]، ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[٤].[٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٨٥/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٨٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

(٤) سورة سبأ، الآيات: ٣٥-٣٧.

(٥) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح ص ١٦٨-١٧٠.

وإذ يقول النبي ﷺ لأصحابه في الحديث الذي نحن بصدده لأحد أصحابه وقد مر عليه رجل "ما رأيك في هذا؟ فقال رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذاحري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يسمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

الحديث رقم (٢٥٤)

٢٥٤- وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**احْتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّارُ: فِيَّ الجبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وقَالتِ الجنَّةُ: فِيَّ ضُعفَاءُ النَّاسِ ومسَاكِينُهُم، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُما: إِنَّكِ الجنَّةُ رحْمتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذابِي، أُعذِّب بِكِ مَنْ أَشَاءُ، ولِكِلَيكُمَا عَلَيَّ مِلؤُها**» رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

إن الحوار والاحتجاج هو الأسلوب الذي يؤطر هذا الحديث، ويُقدِّم في قالبه، وهو قالب يناسب مجالات الإقناع، والرد على الشبه التي تثار بين المتجادلين، وفن الاحتجاج من أساليب العربية هو أقرب إلى فن المناظرات، وهذا الحديث مناظرة موجزة بين الجنة والنار، والمناظرة ليست لبيان أفضلية أحد الطرفين، لأن الجنة في الإسلام هي مأوى المتقين، كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾[2]. وهي نعم القرار، والنار أعدت للكافرين، وهى بئس المصير. فالجنة دار السلام، وليس هناك أدنى مشابهة بينها وبين النار.

---

(١) برقم (٢٨٤٧) ولم يسق لفظه تمامًا حيث قال: (احتجت الجنة والنار) فذكر نحو حديث أبي هريرة إلى قوله: ولكليكما عليَّ ملؤها) ولم يذكر ما بعده من الزيادة.

تنبيه: إن مما ينبغي التنبيه عليه: اعتماد النووي على الجمع بين الصحيحين للحميدي إذ إنه أورد الحديث بتمامه في جمعه (٤٦٤/٢، رقم ١٨٠٢) وهذا لفظه، ونقله عنه المؤلف مباشرة، ولو تنبَّه له لمّا ساقه بتمامه؛ لأن مسلمًا ساق جزءًا من الحديث وأحال باقي ألفاظ الحديث إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه قبله برقم (٢٨٤٦/٣٦). ووقع فيما وقع فيه المؤلفُ المنذري في ترغيبه (٤٢٨٥) فساقه بتمامه.

قال الحميدي: بعد أن أورد الحديث بتمامه، قال: لم يزد. أدرجه أيضًا مسلم على حديث قبله لأبي هريرة رضي الله عنه في نحو معناه، ولم يذكر من أوله، إلا قوله: (احتجت الجنَّة والنار) فقط. وهذا الذي أوردنا هو لفظ حديث أبي سعيد على ما بيّنه أبو بكر البرقاني وأبو مسعود الدمشقيّ، انتهى.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

ولذلك يبدأ الحديث بقول رسول الله ﷺ: "احتجت الجنة والنار"، أي كل منهما أدلى بحجته، وقدم الجنة في هذه الجملة: لأن الجنة تقترن بالثواب والعمل الصالح، والكل يطمح إلى دخول الجنة والتقلب في نعيمها، ولكنه في سياق تقديم الحجة قدم النار... حتى يجيء الرد من الجنة مفحمًا مبطلاً أقوال أهل النار الذين يدعون أنهم على حق.

وفي الحديث تشخيص للمعنويات: فالجنة والنار لا تستطيعان التحدث، ولكن المقصود كما يقول الطيبي: حكاية ما يقع بينهما مما اختص به كل منهما، وقيل: إن هذا الحدث على ظاهره، وإن الله تعالى جعل فيهما إدراكًا فتحاجا، وقيل يجوز أن يكون هذا الاحتجاج بين الجنة والنار على وجه التمثيل.

وبماذا تفخر النار؟ إنها تفتخر بأن فيها الجبارين والمتكبرين، وهم الذين يقهرون الغير على مراداتهم على حسب أهوائهم، وتقدم الجنة حجتها، وهي ليست للافتخار، ولكنها لإنصاف ضعفاء الناس ومساكينهم، والحديث السابق نوَّه بهذا النموذج الضعيف، الذي يتقوى بزاد التقوى، ويرى عزه في الإسلام، وقوته في الإيمان.

والجنة هو الاسم العلم، أو الاسم الشخصي، للمكان الذي وعد الله عز وجل عباده المتقين، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من مائتين وأربعين مرة، وقد وصفت الجنة بعدة صفات وردت في القرآن الكريم ومنها "الفردوس، وعدن، والنعيم، والخلد، والمأوى، ودار السلام، وطوبى، والغرفة أو الغرفات".

والنار: هي الاسم العلم على مقر العذاب الذي أعده الله لمن أعرض عن عبادته، ولمن أشرك، وقد وردت في القرآن الكريم صفات للنار مثل: "جهنم، والجحيم، والسعير، وسقر، ولظى، والهاوية، والحطمة، والغاشية".

ويقضي الله بينهما قضاءً عادلاً، فالجنة رحمة الله يرحم بها من يشاء، والنار عذاب الله يعذب بها من يشاء، فالجبارون المتكبرون الذين لم يَدْخل الإيمان في قلوبهم مصيرهم النار، أمَّا ضعفاء الناس ومساكينهم الذين نعموا بالإيمان، وحبب الله إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فمصيرهم الجنة ونعيمها.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "عز الدنيا بالمال وعز الآخرة بالأعمال" ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا وإن اليوم المضمار، وغدًا السباق، والسبقة الجنة، والغاية النار" وهذا الكلام فيه - مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل وواقع التشبيه- سرٌ عجيبٌ ومعنى لطيفٌ حيث لم يقل: السبقة النار كما قال السبقة الجنة لأن الاستباق يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجودًا في النار، لأن الله يعذب بها من يشاء، فهي غاية الجبارين والمتكبرين، أما الجنة فهي رحمة الله يرحم بها من يشاء، جعلنا الله من أهل الجنة وهى نعم دار المتقين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من خصوصيات النبي ﷺ الإخبار ببعض الأمور الغيبية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله في قضائه بين عباده.

خامسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء والمساكين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "احتجَّت الجنة والنار" حيث أخبر ﷺ عن تخاصم الجنة والنار.

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة فبه يخبر الداعية عن دعوته. (فإن من أبرز ما يمتاز به الداعية عن غيره من الناس قيامه وإخباره بالدعوة إلى الله تعالى، وليس معنى هذا أن الدعوة إلى الله تعالى حكر عليه وحده، لا وكلا، فإن الدعوة إلى الله تجب على كل فرد من أفراد المجتمع بحسب قدرته وجهده وطاقته.

فإن الدعوة إلى الله هي أحسن الأقوال عند الله تعالى، ويظهر هذا جليًا وواضحًا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: والمعنى: أي كلام أحسن من القرآن، ومن أحسن قولاً من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ. وقال ابن سيرين والسدّي وابن زيد والحسن هو رسول الله ﷺ، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية يقول: هذا رسول الله، هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا والله أحبُّ أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله.

وقالت عائشة رضي الله عنها، وعكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد رحمهم الله: نزلت في المؤذنين.

قال ابن العربي: والأول أصح، لأن الآية مكية والأذان مدني، وإنما يدخل فيه بالمعنى لا بأنه كان المقصود وقت القول.

وقال الحسن البصري: هذه الآية عامة، وفي كل من دعا إلى الله وهو أحسن الأقوال)[2].[3].

ثانيًا- من خصوصيات النبي ﷺ الإخبار ببعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في إخباره ﷺ عن محاجّة الجنة للنار والنار للجنة وقضاء الله بينهما وهذا من الأمور الغيبية التي اختصه الله بها، وجعلها من دلائل نبوته ومن المعجزات التي أيده الله بها.

وقد أخبر رسول الله ﷺ بأخبار كثيرة عن وصف الجنة والنار وأهلهما، منها قوله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ خَيْمةً مِنْ لُؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلا، في كلِّ زَاوِيَةٍ منها أَهْلٌ ما يَرَوْنَ الآخرينَ، يطُوفُ عليهِنَّ المُؤمنون))[4] ومنها قوله ﷺ ((إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ إِلَىٰ النَّارِ، أُتِيَ بِالْمَوْتِ حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. ثُمَّ

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/١٥/٣٦٠.

(٣) انظر: إعداد الداعية في ضوء سورة فصلت، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨٧٩، ومسلم ٢٨٣٨.

يُذْبَحُ. ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ. فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَىٰ فَرَحِهِمْ. وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَىٰ حُزْنِهِمْ))[1]، والشواهد على إخباره ﷺ بالغيبيات كثيرة وهي خاصة به ﷺ.

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الترهيب والترغيب، أما الترهيب فيظهر في إخباره بأن أهل النار هم الجبارون والمتكبرون، ففي ذلك ترهيب وتحذير من الغلظة والتكبر، لأن مصير من يتصف بهما إلى النار كما أشار الحديث.

وأما الترغيب فيظهر في إخباره ﷺ بأن أهل الجنة الضعفاء والمساكين المتذللون لله تعالى، والمتواضعون له، فيكون ذلك ترغيبًا منه ﷺ في التذلل لله والتواضع.

وأسلوب الترهيب والترغيب من أساليب الدعوة المؤثرة في المدعوين، والحاملة لهم على الامتثال للدعوة وقبولها، ويقصد بالترغيب: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

ويقصد بالترهيب: كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه.

قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

فالترغيب والترهيب على هذا هو: تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة، وتخويفهم من عذاب الله والنار[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله في قضائه بين عباده:

ويظهر ذلك في جعله سبحانه وتعالى النار مثوى للجبارين والمتكبرين، والجنة مثوى للضعفاء والمساكين المتذللين لله.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٥٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

والجنة هي رحمته تعالى يرحم بها من يشاء، والنار عقابه يعذب بها من يشاء، فالله جعل العدلَ اسمًا من أسمائه وهو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

قال ابن عاشور: (القسط هو العدل ... وقد أقام الله القسط في تكوين العوالم على نظمها، وفي تقدير بقاء الأنواع، وإيداع أسباب المدافعة في نفس الموجودات، وفيما شرع للبشر من الشرائع في الاعتقاد والعمل لدفع ظلم بعضهم بعضا، وظلمهم أنفسهم، فهو القائم بالعدل سبحانه، وعدل الناس مقتبس من محاكاة عدله[2]، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[3] أي: أما هو أحكم الحاكمين، الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا، ومن عدله أن يقيم القيامة، فينصف المظلوم في الدنيا ممن ظلمه[4].

خامسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك في بيان رسول الله ﷺ أن أهل النار منهم الجبارون والمستكبرون وأهل الجنة منهم الضعفاء والمساكين؛ فالداعية ناصح ومبيّن للمدعوين، فيجب عليه بيان الحقائق للمدعوين، حتى يأتوا منها ما هو خير لهم ويجتنبوا ما هو شر.

وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[5] وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[6] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور مج٢/٣/١٨٧.

(٣) سورة التين، آية: ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٣٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٣.

وقد كان ﷺ - سيد الدعاة- يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثًا ليتحقق الإيضاح.

فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه))[١].

كما أن أحكامه واضحة حيث تقوم على قاعدة ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[٢] فالخمر والزنا والكذب والخيانة ونحو ذلك كله مما يتفق العقلاء على أنه شر وسوء، وفي المقابل فإن الصدق والأمانة ونظافة السلوك الأخلاقي واحتفاظ الإنسان بعقله ونحو ذلك من الفضائل والمكارم. كلها يقرها العقل البشري بسموها ومكانتها.

والدعوة الإسلامية يجب أن تكون واضحة الأهداف واضحة مع الأتباع[٣].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء والمساكين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر في هذا الحديث فضل الضعفاء والمساكين وهذا يظهر في قوله ﷺ وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، فلفضل الضعفاء والمساكين كانوا من أهل الجنة، ولفضلهم أيضًا أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بملازمتهم وعدم طردهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[٤] ذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلاء عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الأنعام، من آية: ٥٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٥٨/٩.

وأمره بالجلوس معهم فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1] أي: اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشية من عباد الله[2] فوصفهم الله بالعبادة والإخلاص فيها، فالآية فيها الأمر بصحبة الأخيار ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا يحصى[3]، فينبغي على الداعية بيان فضل الضعفاء والمساكين في الإسلام وكرم الله تعالى لهم.

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٢/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٢٥.

الحديث رقم (٢٥٥)

٢٥٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ الْقِيامةِ لا يزنُ عِنْد اللّه جنَاحَ بعُوضَةٍ» متفقٌ عَلَيه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السمين: أي كثير اللحم والشحم في البدن[2].

الشرح الأدبي

إن أقدار الرجال في الإسلام توزن بأعمالهم وليس بأجسامهم، وإن مقياس القوة يكمن في قوة الإيمان، وقوة النفس، وقوة الروح، وأما القوة العضلية فهي لا قيمة لها إلا في صحبة العاطفة الإيمانية، والنزعة الروحية، والاتشاح بالقيم الإسلامية، فالإسلام الذي أعاد تكوين البشرية في ضوء تعاليمه الإلهية، لم يكن في حقيقته إلا إبداعًا للصيغة العملية التي تنتظم الإنسانية فيها، ولهذا كانت آدابه كلها حراسًا على القلب المؤمن، كأنها ملائكة من المعاني، وكان الإسلام بها عملاً إصلاحيًا وقع به التطور في عالم الغريزة، فنقله إلى عالم الخُلُق، ثم ارتقى بالخُلق إلى الحق، ثم سما بالحق إلى الخير العام، فهو سمو فوق الحياة بثلاث طبقات، وتدرج إلى الكمال في ثلاث منازل، وابتعاد عن الأوهام بمسافة ثلاث حقائق -كما يقول الرافعي في مقاله حقيقة المسلم[3].

وفي ضوء هذا التصور لحقيقة المسلم، ومعيار قوته، نقرأ هذا النص النبوي قراءة استكشافية، ونرصد جماليات الأداء الأسلوبي، وروعة البيان النبوي، والتوجيه

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥/١٨) ولفظهما سواء، وزادا في آخره: (اقرأوا إن شئتم: (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا) الكهف (١٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٧٨).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٢٤.

(٣) وحي القلم ٢/٩.

الإسلامي الراشد لكل مسلم يغتر بالمظهر، ويغفل عن المخبر، ويُعْنى بما يملأ البطون فتعيا ذاكرته، وينسى في زحمة الظنون والبطنة، كيف يشحذ الفطنة، ويحتفظ بالكياسة، ويحيا في وهج الفراسة !!.

والحديث في بنائه اللغوي: يبدأ بالتأكيد المقترن بضمير الشأن، وكأن هذه المفارقة بين صورة ذلك العظيم السمين في الدنيا، وصورته في الآخرة وهو "لا يزن عند الله جناح بعوضة"، هي قصة هذه الطائفة من الناس الذين استعبدتهم شهواتهم، وتاهوا في شعاب غرائزهم، وحُرموا لذة الطاعة، وهي قصة تتكرر في كل زمان وكل مكان، تصور حال هؤلاء الذين ألهاهم التكاثر، حتى زاروا المقابر.

والتأكيد في بداية الحديث ينبئ عن حقيقة هذا المصير الذي لاشك فيه، واللام في قوله: "ليأتي" هى المؤذنة بالقسم المقدر قبلها المأتي به لتأكيد الأمر وتقويته، وذلك بالتأكيد مع القسم، مع دلالة الفعل "يأتي"، وكأنه يأتي طائعًا رغم خوفه من العذاب الشديد، وليس بعد هذا إذلال وقهر، لأنه في يوم القيامة، لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى بقلب سليم، ولا تظلم نفس شيئًا، ومن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره، وأي سخرية تفوق هذه السخرية مِن هذا النموذج الذي اغتر بمظهره، وذلك حين يُصور بأنه "الرجل العظيم السمين"، وهى أوصاف دنيوية، فالعظمة هنا من خلال المنظور الدنيوي والبشري الذي اغتر به هذا النموذج وأشياعه، وأي تهكم تبوح به هذه الكلمة "السمين"، إن هذه السخرية من ذلك النموذج يصورها المتنبي في قوله:

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً ... أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

وَمَا انْتِفَاعُ أخي الدّنْيَا بِنَاظِرِهِ ... إذا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأنْوارُ وَالظُّلَمُ

وقوله "يوم القيامة" تحديد لزمان ومكان التفاضل، والتنافس، فلا أنساب في هذا اليوم، ولا تفاضل إلا بالعمل الصالح.

والحديث كله جملة واحدة، تبدأ بتوضيح صورة هذا النموذج في الدنيا، وتنتهي بتصوير حاله في الآخرة يوم القيامة، فهو في ميزان الدنيا: الرجل العظيم السمين، لا يزن عند الله في الآخرة، جناح بعوضة، لأن الأقدار يومئذ بالأعمال وليست بالأحجام

ولا الأموال، ففي الحديث - كما قال العلماء- تنبيه على أنه ليس المدار في الرفعة عند الله والقرب من فضله وساحة جوده بالصور، وإنما ذلك بما يَقِرُّ في القلوب من الأنوار الإلهية، والتجليات الربانية، أَهلَّنا الله لذلك بفضله..آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أساس التفاضل الدين والتقوى.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من أهداف الدعوة: إبطال المعايير والأعراف الفاسدة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والإخبار:

يظهر أسلوب التوكيد والإخبار في قوله ﷺ "إنه ليأتي الرجل..." حيث أكد "بإن" ثم أخبر عن حال الرجل السمين يوم القيامة. وأنه ليس له ثمة قيمة أو وزن، وإنما القيمة والفضل والوزن للأتقياء، الذين كانوا يخافون ربهم ويخشونه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أساس التفاضل "الدين والتقوى":

يظهر هذا في قوله ﷺ "إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة" أي لا يعدلها في القدر والمنزلة، أي لا قدر له[1]؛ حيث بيّن أن وزن الرجل السمين عظيم الجسد لا يزن عند الله جناح بعوضة، وذلك لأن أساس التفاضل هو الدين والتقوى والقلب السليم، لا عِظَم الجسد وزيادته.

قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ))[2]، قال النووي: إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/٣١٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته[١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]؛ أي أكرمكم عند الله أتقاكم، وهو أكثركم طاعة وانكفافًا عن المعاصي، لا أكثركم قرابة وقومًا ولا أشرفكم نسبًا[٣]. فالتقوى هي أساس المفاضلة في الدين الإسلامي، فينبغي للداعية أن يبين للناس فضل الإيمان وتقوى الله وطاعته، والعمل الصالح الذي يثقّل موازين العبد يوم القيامة، حتى يبادر المؤمن إلى التزود بتقوى الله، ويستزيد من الطاعات، ويتجنب فعل المعاصي.

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يستنبط هذا من عموم الحديث، إذ ينبغي للداعية أن يبين للمدعوين حقيقة ما ينفعهم من العمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٤] فعمل الخير هو الذي يجب أن يحرص عليه الإنسان، وينبغي للداعية أن يُحذِّر المدعوين من انغماسهم في ملذّات الحياة وغفلتهم عن طاعة الله تعالى، إنه ينبغي للعاقل أن يهتم بتنعيم قلبه، ونعيم قلب الإنسان بالفطرة، وهي: التزام دين الله عز وجل، وإذا نعُم القلب نعم البدن لا عكس، وقد ينعم البدن ويؤتى الإنسان من الدنيا ما يؤتى من زهرتها، ولكن قلبه في جحيم والعياذ بالله[٥]؛ فينبغي على الداعية بيان حقيقة النعيم والراحة.

رابعًا- من أهداف الدعوة: إبطال المعايير والأعراف الفاسدة:

إن من أهداف الدعوة التي تظهر في هذا الحديث إبطال المعايير والأعراف الفاسدة حيث أبطل رسول الله ﷺ نظرة الناس إلى وزن الرجل وعظم جسده، وبين أن هذا الوزن لا قيمة له عند الله يوم القيامة. لقد عالج الإسلام ما يصيب القيم ومعايير

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٥.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١/٦٢٥.

التفاضل عند الناس من اختلال، فبيّن تعالى أن معيار التفاضل بين الناس هو طاعته وتقواه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾[1] أما من تجرد من تقوى الله ونأى عنها فلا قيمة له ولا وزن مهما أوتي من بسطه في المال والجسم أو الجاه وما شابه ذلك، كما هو واضح في الحديث "إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة".

لقد جاء الإسلام فأبطل كل الأعراف الفاسدة والمعايير المغلوطة، فقد كان الناس في الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفقر، فجاء الإسلام فأبطل هذا العرف الباطل والمعيار الفاسد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾[2]. وكذلك أبطل الإسلام وأد البنات والربا، وحرم الخمر، وأقر كل ما هو صحيح سليم.

وقد حذر ﷺ من إحياء سنن الجاهلية أو التشبه بأهلها، أو موافقتهم في شيء من ذلك، فوقع هذا موقعه من أصحابه رضي الله عنهم ومن تبعهم من القرون المفضلة[3].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣١.

(٣) أهل الجاهلية، محمد بن عبدالوهاب، المقدمة د. يوسف بن محمد السعيد ص ٨، ٩.

الحديث رقم (٢٥٦)

٢٥٦- وعنه أَنَّ امْرأَةً سوْداءَ كَانَتَ تَقُمُّ المسْجِد (أَوْ شَابًّا) فَفقَدَهَا، (أو فقده) رسولُ اللَّه ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عنْهُ)، فقالوا: مات. قال: «**أَفَلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي**» فَكَأَنَّهُمْ صغَّرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ)، فقال: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ**» فدلُّوهُ فَصلَّى عَلَيه[1]، ثُمَّ قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْقُبُور مملُوءَةٌ ظُلْمةً عَلَى أَهْلِهَا، وإِنَّ اللَّه تعالى يُنَوِّرهَا لَهُمْ بصَلاتِي عَلَيْهِمْ**» متفقٌ عليه[2].

قوله: «تَقُمُّ هو بفتحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ: أَيْ تَكنُسُ. «وَالْقُمَامةُ»: الْكُنَاسَةُ. «وآذَنْتُمونِي» بمدِّ الهَمْزَةِ: أَيْ: أَعْلَمتُمُونِي.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تَقُمُّ: تَكْنُس القمامة: الكناسة[3].

آذنتموني: أعلمتموني[4].

صغَّروا أمرها: حقروه ولم يهتموا به[5].

---

(١) لفظ مسلم: (عليها).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦/٧١) وهذا لفظه وهو أتمّ من لفظ البخاري إذ لا يوجد عنده من قوله: (إن هذه القبور، إلخ). قال الحافظ في الفتح (وإنما لم يخرج البخاري هذه الزيادة لأنها مدرجةٌ في هذا الإسناد، وهي من مراسيل ثابت، وبيّن ذلك غير واحد من أصحاب ابن زيد.

(٣) رياض الصالحين ١٥١.

(٤) المرجع السابق ١٥١.

(٥) الوسيط في (ص غ ر).

الشرح الأدبي

إن الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة، والسراج المنير، وقد خاطبه الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]. ووصفه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، وهو البشير النذير، وهو الشاهد والداعي إلى الله بإذنه، ولو جمعت كل أوصافه ﷺ، ونظمتها بعضها إلى بعض، واعتبرتها بأسرارها العلمية، لرأيت منها كونًا معنويًا دقيقًا قائمًا بهذا الإنسان الأعظم، كما يقوم هذا الكون الكبير بسننه وأصول الحكمة فيه، ولأيقنت أن هذا النبي الكريم إن هو إلا معجم نفسي حي ألفته الحكمة الإلهية بعلم من علمها، وقوة من قوتها، لتتخرج به الأمة التي تبدع العالم ابداعًا جديدًا، وتنشئه النشأة المحفوظة له في أطوار كماله:

فنوره من سنا الرحمن مقتبس ... على مدى الدهر والأيام ما احتجبا
وذكره من جلال الله هيبته ... في الجاه والحكم والسلطان ما رغبا
هو الفقير ويأبى أن تكون له ... جبال مكة في دنيا الورى ذهبا
فنفسه من صفاء الخلد معدنها ... والله أغناه بالقرآن حين أبى
فإن مشى كان قرآنًا جوانبه ... تفيض بالذكر للقلب الذي نضبا
وإن تحدث فالآيات منطقه ... ترد للكل حقًا كان قد سلبا
وفي تواضعه أسرار حكمته ... هو النبي ولكن يجمع الحطبا[2]

وفي ضوء هذه السجايا المحمدية الكريمة، وفي ظل هذه الشمائل النبوية العظيمة يتحرك هذا المشهد الإنساني الرائع، والموقف النبوي الساطع، وكأنه الشمس تضيء آفاق السلوك البشري، وتدفئ ذلك الكون بأشعة الرحمة، وأنوار العطف والشفقة؛ وأناشيد المساواة والمحبة.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) ديوان مدائن الفجر، د. صابر عبدالدايم.

إن رسول الله ﷺ: خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسول الله إلى العالمين، لم تشغله أعباء الدعوة عن الاهتمام بأمر امرأة سوداء حازت فضل السبق والرضا الإلهي بعملها اليدوي الخالص لوجه الله، إنها كانت تكنس المسجد، وربما لا يعيرها الآخرون اهتمامًا، فهي في منظورهم الدنيوي من الفقراء الخاملين الذين لا يؤبه بهم، ولا ينظر إليهم، ولكن المصطفى ﷺ فقدها ذات يوم أي لم يرها.. فسأل عنها، وتجيء المفاجأة حيث أخبره الصحابة بأنها قد ماتت: وقيل كان شابًا، ولكن أغلب الروايات ترجح أنها كانت امرأة وتسمى "أم محجن" وهنا تتجلى القدوة الحسنة في استجابة الرسول ﷺ وتلقيه لهذا الخبر الذي سكت عنه الناس، فقال في تساؤل وعتب واهتمام: "أفلا كنتم آذنتموني به"، والاستفهام هنا مع أداة الاستفتاح مع الخطاب المباشر للصحابة: يوحي بعدم رضا رسول الله ﷺ عن هذا السكوت الذي كان دافعه الإحساس بقلة شأن هذه المرأة وهي من ضعفة المسلمين، والراوي يفسر هذا الدافع فيقول "فكأنهم صغروا أمرها"، وظنوا أنها ليست أهلاً لإخبار رسول الله ﷺ بأمرها، لأنها ليست من مشاهير الصحابة والصحابيات، ممن لهم السبق والأيادى في الإسلام.

ولكن رسول الله ﷺ يقدم الدرس العملي، والقدوة الحسنة في الإعلان عن المساواة بين المسلمين، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وقال في صيغة الأمر، "دلوني على قبره"، أي قبر ذلك الشخص: فدلوه فصل عليها، والعطف بالفاء هنا يوحي بالسرعة وعدم التراخي، ويدل على شدة اهتمام الرسول ﷺ بالأمر، وقال: -وقوله فيه الصدق والرحمة والمحبة والعطف والاهتمام بأمر كل المسلمين، الأحياء والأموات- "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها؛ وإن الله تعالى ينورها لهم بصلاتي عليهم".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي يتعلق بصلاة الجنائز:

الأول: حكم الصلاة على الجنازة: وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن الصلاة على الجنازة فرض على الكفاية، فمتى قام به البعض سقط عن الباقين، وذهب أصبغ من المالكية إلى أنها سنة على الكفاية.

الثاني: حكم الصلاة على قبر الميت: وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أنها جائزة إذا كان الميت لم يصل عليه، وقيد الحنفية ذلك بأن لا يعلم أنه تمزق، وقيده الحنابلة بألا تمضي مدة تزيد على شهر وقيل ولو بعد شهر، وروي عن مالك أنه لا يصلي على القبر، وقيل إن دفن بغير أن يصلى عليه أخرج وصلي عليه ما لم يفت.

الثالث: حكم الصلاة على من صلى عليه لمن لم يحضر الصلاة من الناس هل يجوز له ذلك أم لا؟ اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[٣] والمالكية[٤] إلى أنه يكره الصلاة على الميت بعد أن

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٣٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٠٨/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٣/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣١٣/١، وتحفة المحتاج ١٣١/٣، ١٦٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٩/٢، ١٢٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٥٧/١، ٣٧٠.

(٢) المبسوط ٦٧/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٤٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٩/١، وتحفة المحتاج ١٩١/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٢٢/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٥/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢١/٢.

(٣) المبسوط ٦٧/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣١١/١.

(٤) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٤٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٩/١.

صلي عليه، سواء أكان قبل الدفن أم بعده، ولكن يكفي في هذه الحالة الدعاء له بالرحمة والمغفرة، واستثنى الحنفية من ذلك الإمام، حيث يجوز له الصلاة على من صلى عليه.

القول الثاني: ذهب الشافعية[١] والحنابلة[٢] إلى أنه يستحب لمن لم يصل على الميت أن يصلي عليه سواء أكان ذلك قبل الدفن أم بعده.

والراجح: القول الثاني، لما فيه من الرحمة للميت بالصلاة عليه والدعاء له فيها بالمغفرة والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نظافة المسجد.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأمته.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النبي ﷺ على من مات.

سادسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والأمر والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نظافة المسجد:

إن المساجد هي بيوت الله في الأرض، وهي أحب المواضع إلى الله سبحانه[٣]، لذا كان من شأن المسلم الحرص على نظافتها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم وهم أكمل الناس إيمانًا أحرص على نظافتها. وذلك واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "إن رجلاً أسود أو امرأة سوداء كان يقمُّ المسجد" "أي يكنسه"[٤].

---

(١) تحفة المحتاج ١٩١/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٢٢/١ وما بعدها.

(٢) شرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٦٥/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢١/٢.

(٣) قال النبي ﷺ: "أَحَبُّ البلادِ إلى الله تعالى مَسَاجِدُها" أخرجه مسلم ٦٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦١٣.

ووقع في رواية عند البيهقي: ((إنَّ رجلاً كان يَتَتَبَّعُ قَذَى المسجدِ ويَلْقُطُهُ))[١]. ووقع في رواية عند ابن خزيمة ((كانتْ تَلْتَقِطُ الخِرَقَ والعِيْدَانَ من المسجدِ))[٢].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يحث على تنظيف المساجد وكنسها وإخراج ما يؤذي منها حتى ما يقذى العين)[٣].

وجاء في حديث بريدة عند البيهقي: ((أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى قَبْرٍ جديدٍ حديثِ عهدٍ بدَفْنٍ ومعَهُ أبو بكرٍ فقالَ: قَبْرُ مَنْ هَذَا، فقالَ أبو بكرٍ: يا رسولَ الله هَذِهِ أُمُّ مِحْجَنٍ كانتْ مُوْلَعَةً بَلَقْطِ القَذَى من المَسْجِدِ))[٤].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل تنظيف المسجد)[٥].

كل هذا يبين أن من الصحابة رضي الله عنهم من فرغ نفسه للحفاظ على نظافة المسجد والقيام بخدمته.

وقد كان تعظيم المسجد بالخدمة مشروعًا في الأمم السابقة، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الحق حكاية عن أم مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[٦] قال: للمسجد يخدمه[٧]. قال ابن حجر: (قوله "محررًا" أي معتقًا، والظاهر أنه كان مشروعًا عند الأمم السالفة، حتى إن بعضهم وقع منه نذر ولده لخدمته، ومناسبة ذلك لحديث الباب

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق: محمد عطا ٤/٤٧.

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/٢٧٢ رقم ١٣٠٠، وحسن إسناده الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٥٩.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/١٨٨.

(٤) السنن الكبرى ٤/٤٨ وحسن إسناده الحافظ في الفتح ١/٦٥٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٥٩.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣٥.

(٧) علقه البخاري فوق الحديث ٤٦٠ وقال الحافظ في الفتح ١/٦٦٠: هذا التعليق وصله ابن أبي حاتم بمعناه أهـ، وانظر: الدر المنثور ٣/٥١٦.

من جهة صحة تبرع تلك المرأة بإقامة نفسها لخدمة المسجد، لتقرير النبي ﷺ لها على ذلك)[١].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من مساوئ الأعمال النخاعة تكون في المسجد لا تدفن، فقد قال ﷺ ((عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ))[٢] قال النووي: (ظاهره أن هذا القبح والذم لا يختص بصاحب النخاعة بل يدخل فيه هو وكل من رآها ولا يزيلها بدفن أو حك ونحوه)[٣].

ثانيًا- من صفات الداعية: التواضع:

تأنف النفس البشرية ممن كان طبعه الكبر والعجب، والداعية مهمته الأولى توصيل دعوته إلى المدعوين، ولا يكون هذا إلا بأن يكون متواضعًا غاية التواضع، حتى يقبلوا منه دعوته ويهتدوا بهديه، وقد كان النبي ﷺ -وهو إمام الدعاة- رأس المتواضعين، وهذا واضح من سؤال النبي ﷺ عنها أو عنه فقالوا: مات قال: "أفلا كنتم آذنتموني به". قال أبو هريرة رضي الله عنه: "فكأنهم صغروا أمرها أو أمره" وفي رواية عند البخاري ((فقالوا إنه كان كذا وكذا قصتهُ قال: فحقَرُوا شأنَهُ. قال: فدُلُّوني على قبرِه))[٤] وفي رواية عند ابن حبان ((فكأنَّهُمْ اسْتَخَفُّوا شأنَهُ))[٥].

ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((ماتَ إنسانٌ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُهُ، فماتَ بالليلِ، فدَفنوهُ ليلا. فلمَّا أصبحَ أخبروهُ فقال: ما مَنَعَكم أن تُعلِموني؟ قالوا: كان الليلُ فكرِهْنا - وكانت ظُلمةٌ- أن نشُقَّ عليك. فأتى قبرَه فصلَّى عليه))[٦]. وجاء في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٠/١ وانظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٦٥-١٧٦٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) شرح مسلم ٤١٧-٤١٨.

(٤) صحيح البخاري ١٣٣٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٣٠٨٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٤٧ وهذا لفظه، ومسلم ٩٥٤.

حديث بريدة ﷺ: ((فقالوا: كُنْتَ نائمًا فَكَرِهْنَا أَنْ نُهيجَكَ، قال: فَلاَ تَفْعُلوا))[١].

قال النووي: (فيه بيان ما كان عليه ﷺ من التواضع والرفق بأمته، وتفقد أحوالهم والقيام بحقوقهم، والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم ودنياهم)[٢].

وقد بلغ النبي ﷺ في تواضعه مبلغًا كبيرًا، قال أنس بن مالك ﷺ: ((إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت))[٣].

قال ابن حجر: (والمقصود من الأخذ باليد لازمه، وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمّم بلفظ الإماء أي أمةٍ كانت، وبقوله حيث شاءت، أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف، حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة، لساعد على ذلك. وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[٤].

وقد كان أصحابه ﷺ متواضعين، من ذلك ما حكاه سنان بن سملة الهذلي قال: خرجت مع النعمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب ﷺ معه الدِّرة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته فقلت: يا أمير المؤمنين هذا ما تلقي الريح. فنظر إليه في إزاري فلم يضربني. فقلت: يا أمير المؤمنين الغلمان الآن بين يديّ وسيأخذون ما معي. قال: كلا. امش قال: فجاء معي إلى أهلي[٥].

(فلقد كان عمر ﷺ - مع عظم شأنه، ورجاحة عقله، واشتهار عدله وفضله

---

(١) أخرجه البيهقي ٤/٤٨، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ١/٦٥٨.

(٢) شرح مسلم ٦١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢ تعليقًا، وأخرجه أحمد ٣/ ٩٨ رقم ١١٩٤١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٩/٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٠٦، وانظر: نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عدالرحمن بن ملوح ٤/١٢٥٥-١٢٦٨.

(٥) ذكره الكاندهلوي في حياة الصحابة ص ٥٧٠، وعزاه لابن سعد في الطبقات الكبرى.

وتمسكه بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ متواضعًا يحب أن يعرف عيوبه إن كانت له عيوب حتى يصلحها ولا يتمادى في الخطأ، إذ قد يصيب أحدًا بظلم وهو لا يدري، لذلك كان يقول "أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي". ولما اعترضت عليه امرأة اعترف بالخطأ في الحال وقال "كل أحد أعلم من عمر" ولام أصحابه على سكوتهم قائلاً: "تسمعونني أقول مثل هذا القول فلا تنكرونه علي، حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء" أما الآن فلسان حال الرجل منا يقول عكس ما قال عمر، أبغض الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي. إننا لم نرد أحدًا منزهًا من العيوب، والمرء قد لا يرى عيوبه بنفسه، فإذا أرشد إليها عالجها وأصلحها ما دام راغبًا في الخير والإصلاح غير معجب بنفسه، على أن لا يكون الإرشاد بصيغة الشتم والسخرية؛ لأن النفوس تأبى ذلك. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[1])[2].

ثالثًا- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

إن تفقد الداعية لأحوال المدعوين من الأسباب القوية لتقريب الداعية إلى المدعوين، لأن ذلك عنوان صدق على التزامه بدعوته، وعلى أن فعله يطابق قوله، كما أن في ذلك تأليفًا لقلوب المدعوين، ومن ثم يكتب النجاح لدعوته، وقد كان النبي ﷺ كثير التفقد لأصحابه، هذا واضح في سؤال النبي ﷺ عن الصحابية أو الصحابي فلما أخبر بأنه مات قال: "أفلا كنتم آذنتموني".

ففي هذا تفقد من النبي ﷺ لأحوال المدعوين قال ابن حجر: (وفي الحديث... السؤال عن الخادم والصديق إذا غاب)[3].

وقال ابن هبيرة: (فيه افتقاد الصاحب والسؤال عنه مستحب)[4].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) الفاروق عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، محمد رضا ص ٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٨/٧.

وقد جاءت أحاديث في هذا المعنى، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ((إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر فكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير))[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى كان ليقول لأخٍ لي: ((يا أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ))[٢]))[٣].

وقد كان من عادة الصحابة رضي الله عنهم تفقد أحوال الناس والقيام بشأنهم. من ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في حواشي المدينة [أي أطرافها] من الليل فيستسقي لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو خليفة. فقال عمر: أنت لعمري[٤].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتفقد أحوال رعيته، وكان يطوف بالليل عليهم، والقصص في ذلك كثيرة مشهورة، من ذلك أنه (طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء، فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال. يا أمة الله. ما بال هؤلاء الصبية يبكون؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع. قال فما هذه القدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا. أوهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن. فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة[٥] ثم قال: يا أسلم أحمل عليَّ. فقال يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك. فقال لا أم لك يا أسلم. أنا

---

(١) أخرجه أحمد ٧٠/١ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٥٣٢/١.

(٢) النغير: تصغير النغر وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن غ ر).

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٩ وهذا لفظه، ومسلم ٢١٥٠.

(٤) ذكره المتقي الهندي في الكنز ٣٥٦٠٧ وعزاه للخطيب في تاريخ بغداد.

(٥) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق. والجولق عند العامة: الشوال. المعجم الوسيط في (غ ر ر).

أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة، فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة وأخذ القدر فجعل فيها شيئًا من دقيق وشيئًا من شحم وتمر، و جعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر، وكانت لحيته عظيمة والدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، وربض بحذائهم كأنه سبع، ولم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال يا أسلم، أتدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت لا يا أمير المؤمنين، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي.

هذه قصة مشهورة عن طواف عمر ليعلم حال الناس، فكان دائمًا يشعر بالمسؤولية فإنه قال لأسلم "أنا المسؤول عنهم في الآخرة" وكان هذا الشعور رائده في كل أعماله وأقواله)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأمته:

لقد كان النبي ﷺ رحمة للعالمين، ومن ثم كان من الطبعي أن يكون أكثر رحمة بأمته، فقد كان رحيمًا بأمته في كافة الأحوال في حياتهم ومماتهم، ومن ذلك حرصه على الصلاة على هذا الرجل الذي مات ودفن. وذلك في قوله ﷺ "دلوني على قبره فدلوه فصلى عليه، وقال: إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله عز وجل ينورها لهم بصلاتي عليهم".

قال ابن حجر: (وفيه [أي في الحديث]: المكافأة بالدعاء والترغيب في شهود جنائز أهل الخير، وندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لمن لم يصلِّ عليه والإعلام بالموت)[2].

وإنما كانت الصلاة على الميت رجاء أن يغفر الله له، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[3]، قال ابن القيم: (كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي مخالفًا

---

(١) الفاروق عمر بن الخطاب، محمد رضا، ٤١-٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٨.

لسائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت، وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره والسلام عليه والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا)[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النبي ﷺ على من مات:

صلى النبي ﷺ على هذا الميت وبين فضل صلاته ﷺ فقال: ((إِنَّ هذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا. وَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ))[2] وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك من خصائصه ﷺ[3].

وقال عبدالله البسام: (فيه إثبات بركته ﷺ ودعائه، وأن الله تعالى يجعله سببًا في تنوير القبور على أهلها، فالمراد بالصلاة هنا الدعاء، لأنه ﷺ لا يصلي على الموتى كلّهم، ... إن النبي ﷺ لا يستطيع جلب نفع ولا ضر لأحد، ولو كان يملك شيئًا من الأمر لنفعهم بلا دعاء، ولكن الله تعالى يكرمه فيقبل دعاءه لمن أراد إسعاده من خلقه، وفي الحديث إثبات الأسباب، ومن أهم الأسباب الدعاء، لا سيما المستكمل لشروط قبوله واستجابة صاحبه)[4].

قال ابن هبيرة: (في الحديث أن صلاة الرسول ﷺ على الميت تنور له، فمن له

---

(١) زاد المعاد ٤٩٨/١.

(٢) قال ابن حجر: (لم يخرج البخاري هذه الزيادة، لأنها مدرجة في هذا الإسناد، وهي من مراسيل ثابت، بين ذلك غير واحد من أصحاب حماد بن زيد، وقد أوضحت ذلك بدلائله في كتاب بيان المدرج) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/١.

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤/٣، وصحيح ابن حبان ٣٥٧/٧.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٥٠٩/٢.

بصلاة الرسول ﷺ؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[١]، وفيه أن الصلاة على الميت شفاعة في حقه، وكلما كان الشفيع وجيهًا، كانت شفاعته أسرع قبولاً، ورسول الله ﷺ هو الوجيه في الدنيا والآخرة المقبول شفاعته في الجمع كلهم، فما الظن بواحد يصلي عليه ويشفع فيه في صلاته، لأنه شرع لأمته لفظ الشفاعة في الصلاة على الجنازة، فلم يكن ليخلّ به، ولم يكن ليشفع إلا ويشفع)[٢].

وقد صلّى النبي ﷺ على النجاشي لما مات بالحبشة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ ((قد تُوُفِّيَ اليومَ رجُلٌ صالحٌ مِن الحَبشِ، فهَلُمَّ فصلُّوا عليهِ. قال: فصفَفنَا، فصلَّى النبيُّ ﷺ عليهِ ونحنُ صُفوف))[٣].

ولعل ما يوضح فضل صلاة النبي ﷺ على الميت ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبدالله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب فأخذ ثوبه فقال: يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ قال: إن ربي خيرني وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[٤] وسأزيد على السبعين. فقال: إنه منافق. فصلّى عليه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[٥] فترك الصلاة عليهم[٦].

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ - وصلى على جِنَازَةٍ - يَقُولُ:

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٢٠، ومسلم ٩٥٢.

(٤) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٦٩، ومسلم ٢٤٠٠.

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَاعْفُ عَنْهُ وَعَافِهِ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِمَاءٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ. قَالَ عَوْفٌ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللّهِ على ذلك الْمَيِّتِ))[1].

سادسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والأمر والتوكيد:

السؤال واضح من قول الصحابي عن النبي ﷺ فسأل عنها، وذلك بعد أن فقدها ولم تعد تأتي المسجد. وأما الأمر فقوله ﷺ "دلوني" وجاء هذا الأمر ليناسب علمه بموتها ليفيد الإسراع والذهاب إلى قبرها، ثم أكد ظلمة القبور بـ"إن" كما أكد أن الله ينورها بصلاته ﷺ عليهم ليناسب التوكيد الأول. فجاءت أساليب الدعوة موضحة خير توضيح للمضامين الدعوية.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٦٣.

الحديث رقم (٢٥٧)

٢٥٧- وعنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**رُبَّ أَشْعثَ (أغبرَ)** [١] **مدْفُوعٍ بالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسمَ عَلَى اللّهِ لأَبرَّهُ**» رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأشعث: الملبد الشعر غير مدهون ولا مرجل[٣].

أغْبَرَ: لونه كلون الغبار لقلّة تعاهده بالنظافة بسبب فقره وحاجته[٤].

مدفوعٍ بالأبواب: أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له؛ بسبب فقره ورثاثة ثيابه[٥].

لأبره: لأوجد ذلك إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه[٦].

الشرح الأدبي

إن ضعفة المسلمين لهم في الإسلام مكانتهم، وقد أوجب الدين على ولاة الأمور رعايتهم، وجعل الشارع من أبواب الصدقات والزكاة، إعطاء الفقراء والمساكين، وجعل هذا الإعطاء في مقدمة وجوه الإنفاق، وأبواب الصدقات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾[٧].

---

(١) (أغبر) لا توجد عند مسلم، وهي من الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/٣١٢، رقم ٢٧٤٨). وكذا عند المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (٥١٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٣٦/٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٩٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٥٦٠).

(٤) الوسيط في (غ ب ر).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٥٦٠)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

(٧) سورة التوبة، آية: ٦٠.

وقد أشربت روح رسول الله ﷺ وقلبه حب الفقراء والمساكين، فكان كثير النفقات والصدقات عليهم، والحدب والرعاية لأمورهم، ولا يدخر عنهم مالا ولا عتاداً، بل كان يستدين في بعض الحالات لينفق على بعض ذوي الحاجات، وليشارك شعبه في آلامه واحتياجاته.

ولنتأمل آفاق الدلالة، ومنافذ المعنى في هذا الحديث الشريف، في ضوء موقف الإسلام من الطبقات الفقيرة، وذوي الحاجات، والمعاقين، وهو موقف العطف، والرعاية، والحث على العمل والحركة، والسعي على الرزق، واكتساب المال من الطرق المشروعة التي أحلها الله وشرعها للناس.

إن الحديث يبدأ بأداة من أدوات التكثير وهي "رب"، وهى ترد للتقليل أحيانًا، ولكنها في هذا الحديث للتكثير، وقال ابن هشام في "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب"، ليس معناها التقليل دائمًا ، بل ترد للتكثير، كثيرًا، والحديث يلقي الضوء على فئة مهمة، من فئات المجتمع الإسلامي، وهذه الفئة ربما ورد ما يشير إليها في الحديثين السابقين، حيث أشار أحد الصحابة حين سأله الرسول ﷺ عن أحد الرجال، وهو من هذا الصنف، أشعث أغبر، فقال: "هذا حري، إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يُشفّع ... إلخ"، والمرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد وماتت فلم يأبه بها أحد، ولم يبلغوا رسول الله ﷺ بخبرها.

وينصف الرسول ﷺ الرجل ويقول مفضلاً هذا الفقير المؤمن على الشريف الذي يُلبس إيمانه بظلم، ولا يعرف اليقين الطريق إلى قلبه "هذا خير من ملء الأرض مثل هذا".

وينصف المرأة المسكينة التي لقيت الإهمال ممن حولها: ويصلي عليها رسول الله ﷺ، ويعلم المسلمين جميعًا أن صلاته نور ينور القبور المظلمة.

وفي هذا الحديث يُرسي رسول الله ﷺ بعض دعائم المنهج الإسلامي، وذلك التصور في إعطاء الفقراء حقهم ومكانتهم في المجتمع، والصفات التي وسم بها ذلك الإنسان الضعيف المسكين هي ثلاث صفات وهى: (أشعث، أغبر، مدفوع بالأبواب) وهى صفات تصور المظهر الرث الذي ينفر الناس من ذلك الشخص، فصورة الأشعث

ترصد التغير والتلبد في شعر الإنسان، وعدم تناسق الهيئة مما يدل على التعب والإعياء وكأنه لا يجد مأوى يأويه، والوصف بـ "أغبر" يضيف معلمًا آخر من معالم البؤس والفاقة حيث يعلوه الغبار، ويهزمه الإجهاد والإعياء، والوصف الأخير "مدفوع بالأبواب" حيث يأنف منه الناس، ولا يرغبون في محادثته، ويتأففون من استقباله، وذلك لهيئته الرثة، وأثوابه البالية.

إن هذه الأوصاف لا تعني أن الرجل لا يُعنى بنظافة نفسه، ولا يصلي ولا يعرف أمور دينه: إنه يُعنى بكل هذا. ولكن لا يملك ما يقتات به، ولا ما يلبسه أو ما يحسن به مظهره، هذا الرجل الذي لا يلقى القبول في المجتمع كيف لا ينصفه ربه؟ وكيف يرفضه المنهج الإسلامي؟ إنه مقبول عند ربه لأنه ذو عمل صالح، وذو قلب سليم، وأمارة القبول: أن هذا الرجل إذا حلف يمينًا بحصول أمر طمعًا في كرم الله. لأوجد ذلك إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى "أقسم": دعا، ومعنى "أبره": أجاب دعوته، كما يقول صاحب دليل الفالحين[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة، التفاضل بالتقوى والعمل الصالح.

ثالثًا: من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حفظ أقدار أهل الفضل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

إن الضعيف إذا كان تقيًا فإنه يكون عند الله عظيم المنزلة، وإن كان عند الناس حقيرًا لا يلتفت إليه، وقد جاء هذا الحديث ليؤكد هذا المعنى، قال النووي: (ومدفوع بالأبواب أي لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقارًا له، لو أقسم على الله لأبره أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٤٩.

وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل معنى القسم هنا: الدعاء وإبراره إجابته والله أعلم)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((تَحَاجَّتِ الجنة والنّار، فقالت النّار: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرين والمتجبِّرين، وقالت الجنّة: فمالي لايَدخُلني إلا ضُعَفاء الناس وسقَطُهم وعجزهم....))[٢].

قال ابن هبيرة: (أهل الجنة ضعفاء الناس سموا سقطًا على معنى أنهم لا يكرمون بصدر المجالس ولا يفتقدون إذا غابوا، ولا يعرفون إذا حضروا، وهذا هو الأغلب من صفة أهل الجنة)[٣].

قال ابن حجر: ("ضعفاء الناس وسقطهم" بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم -لعظمة الله عندهم وخضوعهم له- في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة، التفاضل بالتقوى والعمل الصالح:

إن الناس في الإسلام سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهذا مما يستنبط من الحديث، فالرجل إذا أقسم على الله أبره، وذلك بسبب تقواه ورفعة مكانته عند الله. فحال هذا الرجل وحال أمثاله أنهم (عند الله عظماء رفعاء الدرجات، لكنهم بالنسبة على ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وخضوعهم له - في غاية التواضع لله والذلة في عباده)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٥٠، ومسلم ٢٨٤٦.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٢/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٥٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/٨.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1]، (أي: لا كرامة بالنسبة لتساوي الكل في البشرية المنتسبة إلى ذكر وأنثى، والامتياز بالشعوب والقبائل إنما يكون لأجل التعارف بالانتساب لا للتفاخر، فإنه من الرذائل، والكرامة لا تكون إلا بالاجتناب عن الرذائل الذي هو أصل التقوى. ثم كلما كانت التقوى أزيد رتبة كان صاحبها أكرم عند الله وأجلّ قدرًا)[2]، (والتقوى معناها: مراعاة حدود الله تعالى أمرًا ونهيًا، والاتصاف بما أمرك أن تتصف به والتنزه عما نهاك عنه)[3].

وقد جاءت أحاديث كثيرة تنصُّ على أن أفضل الناس وأكرمهم عند الله هو أتقاهم، من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أيُّ النَّاسِ أكرَمُ؟ قال: ((أكرمُهم عندَ اللَّهِ أتقاهُم...)) [4].

قال النووي: (أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقيًا كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلى في الآخرة)[5].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ)). قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ. فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: ((هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ. لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلاَ بَغْيَ وَلاَ غِلَّ وَلاَ حَسَدَ))[6].

ثالثًا- من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه:

إن الداعية بما عنده من علم ينبّه المدعوين إلى ما قد يغفلون عنه، وذلك حتى يظهر

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) محاسن التأويل ١٣٧/١٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٥/١٦/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦٨٩، ومسلم ٢٣٧٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥٣.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٩٧).

تأثير ذلك في حياتهم، وفي هذا الحديث ينبه النبي ﷺ المدعوين إلى أن بعض الناس قد يُحتقرون ويُستصغرون لكنهم أصحاب الدرجات العُلى عند الله.

وقد كان ﷺ ينبه على هذا كثيرًا إذا كان الموقف يستلزم ذلك، من ذلك قوله لأبي ذر رضي الله عنه: ((انْظُرْ، فَإِنَّكَ لَيْسَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ، إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى)) [(١)].

وقال ﷺ كذلك: إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، كلكم بنو آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَؤُهُ [(٢)]، لَيْسَ لأَحَدٍ فَضْلٌ إِلاَّ بِالدِّينِ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ بَخِيلاً فَاحِشًا))[(٣)].

وقد قال النبي ﷺ: ((دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ))[(٤)].

قال الطيبي: "أي البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر؛ لأن البغضاء أكثر تأثيرًا في ثلمة الدين، وإن كانت نتيجة الحسد، وقوله: (لا أقول تحلق الشعر) تأكيد لإرادة غير المتعارف من قوله (الحالقة)"[(٥)].

رابعًا- من أهداف الدعوة: حفظ أقدار أهل الفضل:

هذا جلي في الحديث، فإن المدعوين إذا خوطبوا بهذا الحديث، عرفوا لأهل التقوى -وإن كانوا ضعفاء متضعفين- قدرهم وأنزلوهم منازلهم.

وقد حدث نحو هذا في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فقد قال النبي ﷺ: (كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ[(٦)] لا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ).

---

(١) أخرجه أحمد ١٥٨/٥ رقم ٢١٤٠٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٣٢١/٣٥.

(٢) قال السندي: قوله طف الصاع، هو ما قرب من ملئه.. أي: قريب بعضكم من بعض وكلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال، حاشية السندي على مسند أحمد ٥٤٩/٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ١٥٨/٤ رقم ١٧٣١٣، ١٧٤٤٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٦٥١/٢٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٨).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٤/٩.

(٦) الطِّمْر: الثوب الخَلَق البالي، الوسيط ٥٦٥.

(فلما كان يوم تستر، من بلاد فارس، انكشف الناس وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقال له المسلمون: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك، فحمل وحمل الناس معه، فقتل مَرْزبان الزارة من عظماء الفرس، وأخذ سلبه، فانهزم الفرس، وقتل البراء)[1].

(١) أخرجه الحاكم ٢٩٢/٣، وصححه ووافقه الذهبي، وانظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٦، والحديث أخرجه الترمذي ٣٨٥٤، مقتصرًا على المرفوع فقط، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢٨).

الحديث رقم (٢٥٨)

٢٥٨- وعن أُسامَة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قُمْتُ عَلَى بابِ الْجنَّةِ، فَإِذَا عامَّةُ مَنْ دخَلَهَا الْمَسَاكِينُ، وأَصْحابُ الجَدِّ محبُوسُونَ، غيْر أَنَّ أَصْحاب النَّارِ قَدْ أُمِر بهِمْ إِلَى النَّارِ. وقُمْتُ عَلَى بابِ النَّارِ فَإِذَا عامَّةُ منْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**» متفقٌ عليه[1].

«وَالجَدُّ» بفتحِ الجيم: الحظُّ والْغِني. وقوله: «محبُوسُونَ» أَيْ: لَمْ يُؤذَنْ لهُمْ بَعْدُ فِي دُخُول الجنَّةِ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

الشرح الأدبي

إن كلام رسول الله ﷺ يجري مجرى عمله، كله دين وتقوى وتعليم، وكله روحانية وقوة وحياة، وإن لأسلوبه نسقًا هادئًا هدوء اليقين، مبينًا بيان الحكمة، خالصًا خلوص السر، واقعًا من النفس المؤمنة موقع النعمة من شاكرها، كيف لا يكون كذلك؟ وهو أمر الروح العظيمة الموجهة بكلمات ربها ووحيه.

وهذا الحديث نوع من أساليب البيان النبوي المتعددة، وهو تقريب الصورة من باب الترغيب ونقل المشاهد كأنها ماثلة أمامنا، وشاخصة مشاهدة، وأسلوب المصطفى ﷺ يرشد إلى أن الجنة ونعيمها من الحقائق اليقينية التي لا تقبل الشك أو اللبس، فهي من التعبير عن المستقبل في قالب الزمن الماضي، لأن الأمر ثابت ويقيني، ولذلك يُرْوى الحديث في ثوب الحكاية، حيث يقول المصطفى ﷺ، "قمت على باب الجنة"، أي عاينت. وشاهدت الذين يدخلون الجنة، وذلك من باب التبشير وزرع اليقين في قلوب الطائعين المتقين، الذين أمروا أن يسارعوا إلى مغفرة من ربهم، وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٣٦/٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٦٣).

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[1].

ويخبرنا الرسول ﷺ بأن عامة من دخل الجنة المساكين، وهم من ضعفة المسلمين، وهم الضعفاء المستضعفون في الدنيا، الصابرون على الضراء والشاكرون على السراء.

ولنتساءل ماذا وراء قوله: "وأصحاب الجد محبوسون"، والحبس هنا: يعني أنهم ممنوعون من دخول الجنة، فمنعهم ليس لمجرد أنهم أغنياء، لأن الإسلام لا يمقت الغني، ولا يركض وراء الفقر أو المسكنة والفاقة، وإنما لأن الأغنياء أصحاب الجد المذكورين في الحديث، صاروا محبوسين لمنعهم حقوق الله الواجبة للفقراء في أموالهم فحبسوا للحساب لما منعوه، فأما من أدى حقوق الله في ماله فإنه لا يحبس عن الجنة[2].

والمشهد الثاني من الحديث يأتي على النقيض من المشهد الأول: حيث يخبرنا رسول الله ﷺ بأمر أهل النار، ولفظ "غير" يفيد الاستثناء وفي رواية "إلا"، وما بعد الاستثناء يفيد أن المستثني منه وهو ما قبل "غير"، في دائرة القبول "المساكين" وأصحاب الجد المحبوسون الذين سيدخلونها بعد أن يوفوا حسابهم، وينالوا جزاءهم وعقابهم حسب ما ارتكبوه من ذنوب وآثام.

أما أصحاب النار فقد أُمر بهم إلى النار، ويختم الرسول الحديث بصيغة تماثل صيغة البداية ولكنها تتضاد معها في نوعية الجزاء، وتحديد المكان، ففي البداية يبشر ويقول: "قمت على باب الجنة" وفي النهاية ينذر ويحذر ويقول: "وقمت على باب النار، فإذا عامة من دخلها النساء"، وقال العلماء: فالنساء أكثر أهل النار ابتداءً وأكثر أهل الجنة انتهاءً؟ والحديث لا يتوعد النساء، ولا يحكم عليهن بدخول النار، فلن يدخل النار من النساء إلا من ماتت على الكفر أو العصيان والفسوق، والأكثرية

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٤٤٩.

في الحديث لا تعني دخول كل النساء النار، وإنما: لأن النساء عرضة للتفريط في بعض العبادات. والتهاون في بعض الشعائر وهن كثيرًا ما يتعرضن للفتن، والظروف الصحية والاجتماعية التي تبعدهن عن أداء العبادات في إتقان وجد وإخلاص.

وفي أحاديث كثيرة يوصي الرسول ﷺ خيرًا بالنساء ويقول: "استوصوا بالنساء خيرًا"[١]، ويقول: "اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والنساء"[٢]، ويأمرنا الرسول ﷺ باختيار ذات الدين حيث يقول: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الفقراء والمساكين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهل الجنة وأهل النار.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الفقراء والمساكين:

إن عامة أهل الجنة من الفقراء والمساكين، يتضح هذا من قوله ﷺ: (قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين) قال النووي: (في هذا الحديث تفضيل الفقر على الغنى، وفيه فضيلة الفقراء والضعفاء)[٤].

وجاء في حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال: ((انْظُرْ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

(٢) أخرجه أحمد٢/٤٣٩ رقم ٩٦٦٦، وقال محققو المسند إسناده قوي، ١٥/٤١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٩٠.

(٤) شرح مسلم ١٦٠٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٨.

(٥) أخرجه البخاري ٣٢٤١، وهذا لفظه ومسلم ٢٧٣٨ باختصار، وانظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم الجوزية ص ٩٦ - ٩٧، فقد ساق أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

أرْفَعَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ فِي عَيْنَيْكَ. فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ جَالِسٌ يُحَدِّثُ قَوْمًا، فَقُلْتُ: هذَا؟ قال: انْظُرْ أَوْضَعَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ فِي عَيْنَيْكَ. قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا رُوَيْجِلٌ مِسْكِينٌ فِي ثَوْبٍ لَهُ خَلَقٍ، قُلْتُ: هذَا، قَالَ النَّبِيُّ: هذَا خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قَرار الأَرْضِ مِثْلَ هذَا))[1].

وقال عبدالرحمن الحبُلي: ((جَاءَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ إِلَى عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ إِنَّا، وَاللّهِ مَا نَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ. لاَ نَفَقَةٍ، وَلاَ دَابَّةٍ، وَلاَ مَتَاعٍ. فَقَالَ لَهُمْ: مَا شِئْتُمْ. إِنْ شِئْتُمْ رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللّهُ لَكُمْ. وَإِنْ شِئْتُمْ ذَكَرْنَا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ. وَإِنْ شِئْتُمْ صَبَرْتُمْ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَى الْجَنَّةِ، بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا))[2]، قال النووي: (أي أربعين سنة)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بخمسمائة عَامٍ))[4].

قال ابن القيم: (لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب -وهم السبعون ألفًا- وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغنيُّ إذا حوسب على غناه، فوُجد قد شكر الله تعالى فيه، وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف، كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً - فالمزية مزيتان. مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة...)[5].

---

(١) أخرجه أحمد ١٥/٥ رقم ٢١٣٩٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣١٤/٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٥٣، وابن ماجه ٤١٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١٩).

(٥) حادي الأرواح ٩٢ - ٩٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهل الجنة وأهل النار:

إن الإنسان بعد هذه الحياة سيؤول مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، وأهل الجنة لهم صفات كما أن لأهل النار صفات، ومن ثمّ كان على الداعية أن يُبيّن للمدعوين أهل الجنة وأهل النار، ولقد أخبر النبي ﷺ عن عامة أهل الجنة: "فإذا عامة من دخلها المساكين" كما أخبر أن عامة أهل النار "النساء"، وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تذكر أهل الجنة وأهل النار، من ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ. وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ. وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ. وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ[1]، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ[2] أَهْلاً وَلاَ مَالاً. وَالْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ -وَإِنْ دَقَّ- إِلاَّ خَانَهُ. وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ)). وَذَكَرَ الْبُخْلَ وَالْكَذِبَ ((وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ))[3].

قال ابن رجب: (في هذا الحديث جعل النبي ﷺ أهل الجنة ثلاثة أصناف: أحدها: ذو السلطان المقسط المتصدق، وهو من كان له سلطان على الناس، فسار في سلطانه بالعدل، ثم ارتقى درجة الفضل. والثاني: الرحيم الرقيق القلب الذي لا يخصُّ برحمته قرابته بل يرحم المسلمين عمومًا. فتبيّن أن القسمين أهل الفضل والإحسان. والثالث: العفيف المتعفف ذو العيال، وهو من يحتاج إلى ما عند الناس فيتعفف عنهم. وهذا أحد نوعي الجود. أعني العفة عما في أيدي الناس لا سيما مع الحاجة.

وقد وصف الله في كتابه أهل الجنة ببذل الندى وكف الأذى، ولو كان الأذى بحق فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ

---

(١) زبر بفتح الزاي وإسكان الموحدة: أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٦.

(٢) بالعين المهملة مخفف [كذا] ومشددة من الاتباع. وفي بعض النسخ: (يبتغون) بالموحدة والغين المعجمة: أي: لا يطلبون. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وأما أهل النار فقد قسمهم النبي ﷺ في هذا الحديث خمسة أقسام:

الصنف الأول: الضعيف الذي لا زبر له، ويعني بالزبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه في الآخرة من التقوى والعمل الصالح.. وهذا القسم شر أقسام الناس ونفوسهم ساقطة، لأنهم ليس لهم همّ في طلب الدنيا ولا الآخرة، وإنما همّة أحدهم شهوة بطنه وفرجه كيف اتفق له، وهو تبع للناس خادم لهم أو طوّاف عليم سائل لهم.

والصنف الثاني: الخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دقّ إلا خانه، أي: يعني لا يقدر على خيانة ولو كانت حقيرة يسيرة إلا بادر إليها واغتنمها.

الصنف الثالث: المخادع الذي دأبه صباحًا ومساء مخادعة للناس على أهليهم وأموالهم، والخداع من أوصاف المنافقين كما وصفهم الله تعالى بذلك، والخداع معناه: إظهار الخير وإضمار الشر لقصد التوصل إلى أموال الناس وأهاليهم والانتفاع بذلك، وهو من جملة المكر والحيل المحرمة.

الصنف الرابع: الكذب والبخل، وكلاهما ينشأ عن الشح وهو شدة حرص الإنسان على ما ليس له من الوجوه المحرمة، وينشأ عنه البخل وهو إمساك الإنسان ما في يده والامتناع من إخراجه في وجوهه التي أمر بها، وينشأ عن الشح أيضًا الكذب والمخادعة والتحيل على ما لا يستحقه الإنسان بالطرق الباطلة المحرمة.

الصنف الخامس: الشنطير وقد فسّر بالسيىء الخلق، والفحاش هو الفاحش المتفحش، وهو الذي يفحش في منطقه، ويستقبل الرجال بقبيح الكلام من السب ونحوه ويأتي كلامه بالسخف وما يفحش ذكره)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ٢٦١ - ٢٦٥ بتصرف يسير.

ثالثًا- من أصناف المدعوين: النساء:

إن المرأة نصف المجتمع، وهي صانعة رجال المجتمع ونساءه، لذا اهتمت الدعوة الإسلامية بها اهتمامًا كبيرًا جدًا، وبينت لهن الأخطاء التي يقعن فيها وتسبب لهن دخول النار، فقد ذكر النبي ﷺ أن عامة من يدخل النار النساء. وقد جاء في الأحاديث أن النبي ﷺ كان يأتي النساء فيعظهن ويدعوهن، كما أخبر ﷺ عن سبب كثرة الداخلات منهن النار فقال: ((أُرِيتُ النارَ، فإذا أكثرُ أهلِها النِّساءُ يَكْفُرْنَ)). قيل: أيَكفُرنَ باللهِ؟ قال: ((يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، ويَكْفُرْنَ الإحْسانَ، لَوْ أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثمَّ رأتْ منكَ شَيئًا، قالتْ: ما رأيتُ مِنكَ خَيْرًا قَطُّ))[1].

قال ابن حجر: (لفظ العشير المراد به هنا: الزوج... فيه [أي في الحديث] إشارة إلى وجود سبب التعذيب لأنها بذلك كالمصرة على كفر النعمة، والإصرار على المعصية من أسباب العذاب)[2].

وقد كان النبي ﷺ يأمر المؤمنات في يوم العيد بالصدقة [3] حتى لا يكنّ من أهل النار، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ الصَّلاَةَ يَوْمَ الْعِيدِ. فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى بِلاَلٍ. فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ. وَحَثَّ عَلَى طَاعَتِهِ. وَوَعَظَ النَّاسَ. وَذَكَّرَهُمْ. ثُمَّ مَضَى. حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ. فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ. فَقَالَ: ((تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ)) فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ[4] سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ[5]. فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ)) قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ. يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِيمِهِنَّ[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩، ومسلم ٩٠٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/٩.

(٣) انظر: صحيح مسلم ٨٨٤ - ٨٨٩.

(٤) أي: جالسة في وسطهن، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٥.

(٥) السفع: اللون الأسود مشربًا بحمرة فهو أسفع وهي سفعاء، الوسيط في (س ف ع).

(٦) أخرجه مسلم ٨٨٥، ٤.

قال ابن حجر: (قال القرطبي: إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا، والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

إن من أساليب الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: الترغيب والترهيب من خلال ذكره ﷺ الجنة والنار، قال ابن حبان: "اطِّلاعُه إلى الجَنَّةِ والنار معًا كان بجسمِه ونظرِه العِيان، تفضُّلا من اللَّهِ جَلَّ وعلا، وفَرْقًا فرقَ به بينه وبينَ سائرِ الأنبياءِ، فأَمَّا الأَوْصافُ التي وصفَ أنه رأى أهلَ الجنة بها، وأهلَ النارِ بها، فهي أوصافٌ صُوِّرَت له ﷺ لِيَعْلَمَ بها مقاصدَ نهايةِ أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليُرَغِّبَ أمتَه بأخبارِ تلك الأَوصافِ لأهل الجنةِ ليرغَبُوا، ويُرَهِّبَهم بأوصافِ أهل النار لِيَرْتَدِعُوا عن سلوكِ الخِصال التي تُؤَدِّيهم إليها[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/١١.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٩٥/١٦.

الحديث رقم (٢٥٩)

٢٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إلاَّ ثَلاثَةٌ: عِيسى ابْنُ مرْيَمَ، وصَاحِب جُرَيْجٍ، وكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعةً فكانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهَو يُصلي فَقَالَتْ: يا جُرَيْجُ، فقال: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي فَأَقْبلَ عَلَى صلاتِهِ فَانْصرفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وهُو يُصَلِّي، فقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ، فقال: أيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَد أَتَتْهُ وَهُو يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فقال: أيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لا تُمِتْه حَتَّى ينْظُرَ إلَى وُجُوه المومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إسْرائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فتعرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يلْتَفِتْ إلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأوي إلَى صوْمعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نفسها فوقع عليْهَا. فَحملَتْ، فَلَمَّا وَلدتْ قَالَتْ: هُوَ[1] جُرَيْجٌ، فَأَتَوْهُ فاسْتنزلُوه وهدَمُوا صوْمعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونهُ، فقال: ما شَأْنُكُمْ؟ قالوا: زَنَيْتَ بِهذِهِ الْبغِيِّ فَولَدتْ مِنْك. قال: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجاءَوا بِهِ فقال: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي فَصلىَّ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعنَ فِي بطْنِهِ وقالَ: يا غُلامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قال: فُلانٌ الرَّاعِي، فَأَقْبلُوا علَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قال: لا، أَعيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا.

وَبيْنَا صَبِيٌّ يرْضعُ مِنْ أُمِّهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارةٍ حَسَنَةٍ فَقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَل ابْنِي مثْلَ هَذَا، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إلَيْهِ فَنَظَرَ إلَيْهِ فقال: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْتَضِعُ» فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إلَى رسول اللَّه ﷺ وَهُوَ يحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِه السَّبَّابةِ فِي فِيهِ[2]، فَجَعلَ يَمُصُّهَا، قال: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا، وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، وَهِي تَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فقالت أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَنَظَرَ إلَيْهَا. فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا،

---

(١) عند مسلم زيادة: (من).

(٢) لفظ مسلم: (فمه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٨٧/٣، رقم ٢٤١٦).

فَهُنالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثِ[١]، فقالَت: مَرَّ رَجُلٌ حَسنُ الهَيْئَةِ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلنِي مِثْلَهُ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُم يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ سَرَقْتِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجعَلْنِي مِثْلَهَا؟، قَالَ: إِنَّ ذلِكَ[٢] الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلت: اللَّهُمَّ لا تجعَلْنِي مِثْلَهُ، وإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لها زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرقْت، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا» متفق عليه[٣].

«والمُومِسَاتُ»: بضَمِّ الميم الأُولَى، وإِسكان الواو وكسر الميم الثانيةِ وبالسين المهملَةِ وهُنَّ الزَّوانِي. والمُومِسةُ: الزانية.

وقوله: «دابَّةً فَارِهَة» بِالْفَاءِ: أَي حاذِقَةٌ نَفِيسةٌ. «الشَّارَةُ» بِالشِّينِ المعْجمةِ وتَخْفِيفِ الرَّاءِ: وَهِي الجمالُ الظَّاهِرُ فِي الهيْئَةِ والمِلْبسِ. ومعْنى «تَرَاجعا الحديث» أَيْ: حدَّثَتِ الصَّبِي وحدَّثَهَا، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصَّوْمَعَةُ: بيت العبادة عند النصارى ومُتَعَبدُ الناسك[٤].

المومسات: الزواني[٥].

بغيٌّ: المرأة الفاجرة[٦].

طعن في بطنه: وخزه برأس أصابعه[٧].

---

(١) عند مسلم زيادة: (حلقى)، وفي نسخة: (فقالت: يا بني حلقى) ولم يوردها الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ مسلم: (ذاك) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠/٨) واللفظ له، وقال الحميدي في جمعه (١٨٧/٣ رقم ٢٤١٦): لفظ حديث مسلم عن زهير بن حرب، وهو أتمُّ، وأخرجه البخاري مختصرًا.

(٤) الوسيط (٥٢٣)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص (٢٥٠).

(٥) رياض الصالحين (١٥٣).

(٦) الوسيط في (ب غ ي).

(٧) الوسيط في (ط ع ن).

دابة فارهة: حاذقة نفيسة[١].

الشارةُ: الجمال الظَّاهِرُ في الهيئةِ والملبسِ[٢].

فيه: فمه[٣].

تراجعا الحديث: حدثت الصبي وحدثها[٤].

الأمة: المرأة المملوكة خلاف الحرة[٥].

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجد رسول الله ﷺ يتخذ من القصة أسلوبًا مهمًا من أساليب الدعوة، يحملها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة من رعيل الإسلام الأول، ويوجههم من خلالها إلى استلهام هذا الدين عقيدة في الفكر والتصور، وطريقه في السلوك وواقع الحياة[٦].

وهذا الحديث الشريف من نصوص القصص النبوي: وهو قصة تاريخية تتمثل فيها مواعظ ودروس ومعجزات وآيات، وعبر ومفارقات تدعو للتأمل والدهشة، وتغرس في النفوس الإيمان بالله عز وجل والتوكل عليه، وتعطي للضعفاء حقهم، وترشد الناس إلى عدم الانخداع بالمظاهر، وعدم الافتتان بالأشكال.

والقصة تبدأ بالإجمال ثم التفصيل: فمقدمتها تمهيدية تشويقية: حيث أخبر الرسول ﷺ عن المتكلمين في المهد من بني إسرائيل، وهم أكثر من ثلاثة في غير بني إسرائيل، ولم يحك قصة عيسى لأنها ذكرت في القرآن الكريم في سورة مريم، أما

---

(١) رياض الصالحين ١٥٣.

(٢) المرجع السابق ١٥٣.

(٣) الوسيط (٧٠٧).

(٤) رياض الصالحين ١٥٣.

(٥) الوسيط ٢٨.

(٦) القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير.

صاحب جريج: فهو الصبي الذي أنطقه الله عز وجل لكي يبرئ ذلك العابد الزاهد، "جريج" من التهمة.

والقصة في صيغتها القصصية تتسم بطابع السرد والحكي المباشر، وصولاً إلى الحكمة والموعظة التي سيقت من أجلها، وأهم ظاهرة أسلوبية تضفي على هذه القصة الطابع السردي: تكرار الفعل "كان" و"كانت" كثيرًا، وكذلك الفعل: قال، و"قالت"، وكذلك التركيز على صيغة الفعل الماضي في كل أجزاء هذه القصة الحديثية، ولم يرد الفعل المضارع أو الأمر إلا قليلا في سياق الصيغة والموقف المطلوب، مثل: "جعلوا يضربونه"، أو في صيغة الدعاء.

وتكرار النداء الصادر من الأم "يا جريج"، وتكرار الدعاء والنداء من جريج إلى ربه "يا رب": وقيل: "أي ربي"، وهو نداء للقريب، وقد تكرر النداء والدعاء ثلاث مرات، وهذه الصيغ الأسلوبية ترصد انفعال الشخصيات وتلاحق الأحداث، وكذلك العطف بالفاء في أغلب جمل الحديث في كل أجزائه وأحداثه مثل قوله: (فأتت راعيًا، فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج: فأتوه فاستنزلوه... وهدموا صومعته)، هذا التكثيف في العطف بالفاء يعلن عن تلاحق أحداث القصة وتتابعها، وعن شدة الانفعال، وعدم التروي لدى بعض أشخاص القصة.

والقصة في هذا الحديث: قد اكتملت عناصرها الفنية حيث تضمنت التشويق في بدايتها عن طريق الإجمال ثم التفصيل، وكذلك تضمنت الأحداث المتتابعة التي تتمثل في استغراق جريج في العبادة، وعدم انتباهه لنداء أمه المتكرر، ثم تغير موقف الأم ودعائها على ابنها لأنه أهمل في حقها ولم يبرها، ثم مؤامرة البغي على جريج واتهامها له بالزنا وبأن الطفل ابنه، ثم ثورة الناس عليه وهدم صومعته، ثم إظهار براءته على لسان الطفل الذي تكلم في المهد، ثم الشواهد على كياسة الصبي وفراسته، وعدم انخداعه بالمظاهر والصور البراقة، وهو مازال طفلاً في المهد، وذلك درس للكبار قبل الصغار الذين يعقلون كثيرًا من الأمور.

وشخصيات القصة هنا تعد نماذج واقعية من الحياة، ومنها ذات الطابع الخير،

والسلوك الإيماني: وهم: جريج، والصبي، ومنها شخصيات واقعية متأرجحة بين الخير والشر مثل: شخصية الأم التي دعت على ابنها العابد أن يريه الله وجه المومسات، وبنو إسرائيل الذين وافقوا البغي على مؤامرتها؛ والبغي هي نموذج الشر المهلك، والفساد المستشري.

ومنها شخصيات رمزية سيقت للموعظة والتنبيه على ضرورة التفكير الدقيق العميق، والابتعاد عن التعلق بالقشور والطلاء، وشخصية الرجل ذي المظهر الحسن الذي رفض الصبي أن يكون مثله، وشخصية الجارية البريئة المتهمة بالسرقة والزنا، ورغبة الصبي في أن يكون مثلها، والأم كانت ضد رغبته في النموذج الأول والثاني، لأنها تتعامل مع ظواهر الأمور وتغفل عن أسرارها.

وفي القصة كثير من العقد المتمثلة في دعاء الأم على ابنها، وفي إغراء المومس لجريج، وفي اتهامها له بالزنا.

ولكن الحل، أو لحظة التنوير والفرج تشرق حينما يتكلم الصبي: ويعلن براءة ذلك العابد الزاهد، بفضل رعاية الله وحفظه له.

والقصة تفيض بالمفارقات العجيبة في المواقف وتطور بعض الأحداث: ومنها، رفض جريج أن تكون صومعته من ذهب بعد هدمها، وبعد أن اكتشف القوم براءته، وكذلك رفض الصبي أن يكون حسن الهيئة لأن الرجل جبار، ورغبته في أن يكون مثل الجارية المتهمة لأنها، لم تزن ولم تسرق، والمفارقة التي تعد معجزة هي تكلم هذا الصبي في المهد!!!.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم من ناداه أبوه أو أمه وهو في الصلاة كيف يفعل، وقد ذكر الفقهاء أن من أتاه أبوه ليكلمه وهو في نافلة فليخفف ويسلم ويكلمه، وروي نحوه للنبي ﷺ، وكذا إذا نادته أمه فليبتدرها بالتسبيح ويخفف ويسلم، وظاهره أنه لا يجوز له القطع وهو الظاهر، لأنه وإن كانت إجابة أبيه وأمه واجبة، فإتمام النافلة أيضًا واجب، ويمكن الجمع بينهما بالمبادرة بالتسبيح ورفع الصوت به، وتخفيف ما هو

فيه، إلا أن لا يمكن ذلك البتة، فيتعارض حينئذ واجبات يقدم أو كدهما، ولا شك أن إجابة الوالدين أوكد، لوجوبه بالإجماع، وللخلاف في وجوب إتمام النافلة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عظم بر الوالدين.

ثانيًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كيد النساء.

رابعًا: من صفات الداعية: وثوقه بما عند الله والالتجاء إليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: كرامات الأولياء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الابتلاء والحكمة منه.

سابعًا: من واجبات المدعو: عدم الحكم بظواهر الأمور.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: دلائل القدرة الإلهية.

تاسعًا: من وسائل الدعوة: القصة.

عاشرًا: من أساليب الدعوة: القصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عظم بر الوالدين:

إن الوالدين فضلهما عظيم، لذا كان برهما من أوجب الواجبات على الإنسان، كما يتضح من قصة جُريج رضي الله عنه قال النووي: (فيه قصة جريج رضي الله عنه وأنه آثر الصلاة على إجابتها -أي أمه- فدعت عليه فاستجاب الله لها. قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها، لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته، فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه)[2].

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢/٣٧، والتمهيد ٢١/١٠٦، ومختصر اختلاف العلماء ١/٣١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣١.

وقال ابن حجر: (وفي الحديث أيضًا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورًا)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اهتم الإسلام بالوالدين اهتمامًا بالغًا. وجعل طاعتهما والبر بهما من أفضل القربات. ونهى عن عقوقهما وشدد في ذلك غاية التشديد. كما ورد في القرآن المجيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٢]، فقد أمر سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك، والقضاء هنا: بمعنى الأمر والإلزام والوجوب.

كما قرن شكرهما بشكره في قوله سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]. فالشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان ابن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى. ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.

قال القاسمي: (أهم الواجبات بعد التوحيد إذن إكرامهما والقيام بحقوقهما)[٤].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: «الصلاة على أوقاتها» قال: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»[٥]. فأخبر ﷺ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٤) محاسن التأويل ٢١٨/١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

وقدم في الحديث بر الوالدين على الجهاد، لأن برهما فرض عين يتعين عليه القيام به، ولا ينوب عنه فيه غيره. فقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إني نذرت أن أغزو الروم، وإن أبوي منعاني. فقال: أطع أبويك، فإن الروم ستجد من يغزوها غيرك.

والجهاد في سبيل الله فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وبر الوالدين فرض عين، وفرض العين أقوى من فرض الكفاية.

وفي خصوص ذلك أحاديث كثيرة، منها ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الغزو، فقال: «أَحَيٌّ والداك؟» قال: نعم. قال: «ففيهما فجاهد»[1].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل بر الوالدين وتعظيم حقهما وكثرة الثواب على برهما)[2].

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبويّ يبكيان، فقال: ((ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما))[3].

وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً هاجر إلى رسول الله ﷺ من اليمن. فقال: «هل لك أحد باليمن؟» قال: أبواي. قال: «أذنا لك؟» قال: لا. قال: «فارجع فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»[4].

هذا إذا لم يكن النفير عامًا. وإلا أصبح خروجه فرض عين، إذ يتعين على الجميع الدفع والخروج للعدو.

وإذا كان بر الوالدين فرض عين، فإن خلافه يكون حرامًا، مالم يكن عن أمر بشرك أو ارتكاب معصية، حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٤/٦.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٥٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٧).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٤/٣٢-٦٥ بتصرف.

ثانيًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

إن ترتيب الأولويات من حسن فقه الداعية، فهي تمكنه من تحقيق الثمار المرجوة، وإلا تعرضت النتائج للخلل، وربما في بعض الأحيان جاءت النتائج عكسية لما كان يهدف إليه الداعية، كما في هذا الحديث: أن جريجًا قدم صلاة النفل على إجابة أمه وهى واجبة، فعاقبه الله بأن استجاب دعاء أمه. قال ابن حجر: وفيه (أي في الحديث) أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما"[١].

وقال ابن هبيرة: (إن جريجًا كان عبدًا صالحًا، إلا أنه لما دخل عليه من استغراقه في التعبد بالصلاة، كان غير ناظر إلى أن عبادة الله عز وجل في الطرق المشروعة متى أكبّ الإنسان على طريق منها أضر بالبواقي،... فلما أتته أمه فكان كلامه لأمه أفضل عند الله من الصلاة النافلة، فقال: رب، أمي وصلاتي، فأقبل على صلاته وترك أمه، وكان من الفقه أن يقدم أمه، لأن صلاته إنما تكون له، وتكليمه أمه يكون عملاً متعبدًا يشمله ويشمل غيره. فربما كانت أمه قد جاءت في حاجة مهمة، بحيث يجب عليه أن يجيبها عنه، وفيه أيضًا أنها صلة رحم، هي أولى الأرحام بالصلة، فآثر عليها ما لا يتعداه من الصلاة فغلط في الموازنة فخسر)[٢].

وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ. إِلاَّ أَنْ أُسْقِيَ الْحَاجَّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَفْضَلُ مِمَّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ وَقَالَ: لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ اللّهُ عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣]، [٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٠/٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٩.

(٤) أخرجه مسلم، ١٨٧٩.

وأوجب العز بن عبد السلام قطع الصلاة لإنقاذ الغريق ثم قال: (لأن إنقاذ الغرقى المعصومين عند الله أفضل من أداء الصلاة، والجمع بين المصلحتين ممكن بأن ينقذ الغريق ثم يقضي الصلاة، ومعلوم أن ما فاته من مصلحة أداء الصلاة لا يقارب إنقاذ نفس مسلمة من الهلاك، وكذلك لو رأى الصائم في رمضان غريقًا لا يتمكن من إنقاذه إلا بالفطر أو رأى مصولاً عليه[1]، لا يمكن تخليصه إلا بالتقوِى بالفطر، فإنه يفطر وينقذه، لأن في النفوس حقًا لله عز وجل وحقًا لصاحب النفس، فقدم ذلك على فوات أداء الصلاة دون أصله)[2].

وقال ابن تيمية: (إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأمرنا بتقديم خير الخيرين بتفويت أدناهما، وبدفع شر الشرين باحتمال أدناهما)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كيد النساء:

إن موضوعات الدعوة التي يمكن معالجتها في ضوء هذا الحديث، كيد النساء ومكرهن، فقد ورد فيه: "وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم، قال: فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيًا كان يأوي إلى صعومته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج".

قال ابن حجر: (ولم أقف على اسم هذه المرأة، لكن في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنها كانت بنت ملك القرية، وفي رواية الأعرج[4] "وكانت تأوي إلى صومعته راعية ترعى الغنم" ونحوه في رواية أبي رافع عند أحمد[5]، وفي رواية أبي سلمة[6] "وكان عند

---

(١) من سطا عليه عدوانًا ابتغاء نفسه أو عرضه أو ماله. انظر معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص، ٢٤٠-٢٥٠.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: العز: عبد العزيز بن عبد السلام ٦٦/١. وقوله دون أصله، أي دون فوات أصل الفعل وهو قضاء الصلاة والصوم بعد ذلك، والله أعلم. انظر: فقه الموازنات وأثره في المعاملات المالية: عطية مختار عطية حسين، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، مقدمة إلى جامعة عين شمس، القاهرة: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ص ٢٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٣٤/١٥.

(٤) علقها البخاري في صحيحه ١٢٠٦، ووصلها الإسماعيلي وأبو نعيم كما في تغليق التعليق، ٤٤٤/٢.

(٥) مسند أحمد ٣٨٥/٢ رقم ٨٩٩٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٥٤٢/١٤، ٥٤٣.

(٦) مسند أحمد ٤٣٤/٢ رقم ٩٦٠٣، لكن الرواية فيه مختصرة ٣٧٠/١٥.

صومعته راعي ضأن وراعية معزى" ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأنها خرجت من دار أبيها بغير علم أهلها متنكرة، وكانت تعمل الفساد، إلى أن ادعت أنها تستطيع أن تفتن جريجا، فاحتالت بأن خرجت في صورة راعية ليمكنها أن تأوي إلى ظل صومعته لتتوصل بذلك إلى فتنته)[١].

ومما يذكر في هذا السياق ما قاله عثمان بن عفان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث؛ إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس، فعلقته امرأة غوية فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنّا ندعوك لشهادة. فدخل معها فطفقت كلما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر[٢] فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر (فإن أبيت صحت وفضحتك: فلما رأى أنه لابد من ذلك) قال: اسقيني كأسًا من هذا الخمر فسقته كأسًا من الخمر، ثم قال: زيديني فلم يَرِم[٣] حتى وقع عليها وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدًا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه)[٤].

رابعًا: من صفات الداعية: وثوقه بما عند الله والالتجاء إليه

كثيرًا ما يتعرض الإنسان في حياته لمواقف كثيرة قد تزلزل كيانه وتهز ثقته بنفسه، لكن الداعية - وهو من أعلم الناس بالله - أول ما يفعله هو الالتجاء إليه سبحانه والتضرع إليه، والوثوق بما عنده والرجاء في رحمته وعفوه. وهذا واضح في قول جريج: "دعوني حتى أصلي فصلى. فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه، وقال: ياغلام من أبوك؟ قال فلان الراعي..".

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٥٤-٥٥٥.

(٢) الباطية: إناء عظيم من الزجاج وغيره يتخذ للشراب. والجمع: بواط: الوسيط، ٦٢.

(٣) يَرِمْ: أي يبرح، انظر: لسان العرب في (ر ي م).

(٤) أخرجه النسائي ٨/٣١٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٣٥٢، وقال ابن كثير في تفسيره ٨/١٨٩: هذا إسناد صحيح أ. هـ، وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم المسكر برقم (١)، وابن حبان ٥٣٤٨ مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وقال ابن كثير: الموقوف أصح.

قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أن جريجاً لما بلي بهذه البلية وعلم براءته منها، قوي إيمانه بالله عز وجل في أن يكشف كل لبس، فجاء إلى المولود فطعن في بطنه فقال: يا غلام، من أبوك؟ فقال: أبي الراعي، فكفّر بصدق إيمانه وحسن يقينه بالله سبحانه ما كان منه إلى أمه، فأنطق الله الغلام ببراءته، حتى قال: أبي الراعي. ولم يذكر رسول الله ﷺ هذه الحالة إلا منبهًا لكل من جرى عليه تلبيس حتى يتفاقم أمره ويعظم، فإنه ينبغي ألا يستطرح، بل يفزع إلى الله عز وجل، فإنه الذي أنطق المولود حتى بادر يسمع ويرى)[1].

قال ابن حجر: (فيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق، ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه ... وأن المفزع في الأمور المهمة إلى الله تكون بالتوجه إليه في الصلاة)[2].

والوثوق بما عند الله صفات الأنبياء وهم سادة الدعاة. قال تعالى: عن قصة موسى وفرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾[3].

قال القرطبي: (لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى، وقرب منهم، ورأت بنو إسرائيل العدوّ القويّ والبحر أمامهم ساءت ظنونهم، وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء: "إِنَّا لَمُدْرَكُونَ" فردّ عليهم قولهم وزَجَرهم، وذكّرهم وعد الله سبحانه له بالهداية والظفر "كَلاَّ" أي لم يدركوكم "إِنَّ مَعِيَ رَبِّي" أي بالنصر على العدوّ. "سَيَهْدِينِ" أي سيدلّني على طريق النجاة؛ فلما عظم البلاء على بني إسرائيل، ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨١/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٦/٦-٥٥٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٦١-٦٦.

بها، أمر الله تعالى موسى أن يضرب البحر بعصاه... ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ يعني فرعون وقومه"[١].

قال ابن القيم: (واليقين قرين التوكل، ولهذا فسّر التوكل بقوة اليقين. والصواب: أن التوكل ثمرته ونتيجته، ولهذا حسن اقتران الهدى به، قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾[٢]. فالحق هو اليقين. وقالت رسل الله ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[٣]. ومتى دخل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط، وهم وغمٌ، فامتلأ محبّة لله وخوفًا منه ورضى به وشكرًا له وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: كرامات الأولياء:

(الولي في الشرع: هو من اجتمع فيه وصفان الإيمان والتقوى، وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى)[٥]، ومن ثم كان وقوع الكرامات، وهى الأمور الخارقة للعادة، كان ذلك إكرامًا لهم من الله عز وجل[٦]، كما قد وقع في هذا الحديث، وذلك في قول النبي ﷺ: "فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك؟ قال: فلان الراعي".

وذكر ابن حجر عدة روايات ثم قال: "يجمع بين هذا الاختلاف بوقوع جميع ما ذكر، بأنه مسح رأس الصبي، ووضع إصبعه على بطن أمه، وطعنه بأصبعه وضربه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣/٧-١٠٦-١٠٧.

(٢) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

(٤) مدارج السالكين ٢٢١/٣.

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٠٥.

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٨/٣٤.

بطرف العصا التي كانت معه"، ثم قال: "وفيه إثبات كرامات الأولياء ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم"[١].

قال الطحاوي: (ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء ونؤمن بما جاء من كراماتهم. وصح عن الثقات من رواياتهم"[٢]. قال ابن أبي العز في شرح ذلك: "إن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين. كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[٣].

والمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، ولكن كثيرًا من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي. وجماعهما الأمر الخارق للعادة. فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم والقدرة والغنى، وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[٤].

فأمر الرسول ﷺ أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بعدما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويقدر على ما أقدره عليه، ويستغنى عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس. فجميع المعجزات والكرامات

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٥٦-٥٥٧.

(٢) العقيدة الطحاوية المطبوع مع شرحه: شرح العقيدة الطحاوية، ٢/٧٤١-٧٤٥، وانظر: صيد الخاطر، ٤٦٦-٤٦٧، ٥١٥-٥١٦.

(٣) سورة يونس، الآيتان: ٦٢-٦٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

ما تخرج عن هذه الأنواع، ثم الخارق إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهى تحريم، أو نهى تنزيه، كان سببًا للعذاب أو البغض، كالذي أوتى الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا[1] لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة"[2].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الابتلاء والحكمة منه:

الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار، ومن حكم الابتلاء التمييز بين الصادق وغيره، والمؤمن وغيره، كما أن من حكمته كذلك رفع الدرجات وزيادة في الثواب، كما قد جاء في هذا الحديث: "فلما ولدت قالت: هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: زنيت بهذه البغي فولدت منك ...".

قال ابن حجر: (فيه أن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب)[3]. وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[4].

قال ابن الجوزي: (من يرد أن تدوم له السلامة والنصر على من يعاديه والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف ولا فهم التسليم. أليس الرسول ﷺ ينصر يوم بدر، ثم يجري عليه ما جرى يوم أحد؟ أليس يصد عن البيت ويقهر بعد ذلك؟.

---

(١) بلعام بن باعورا: كان من عباد بني إسرائيل لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، رجاه قومه أن يدعو على موسى وقومه، فاستجاب بعد إلحاح فسلخه الله مما كان عليه، راجع كتب التفسير سورة الأعراف، آية: ١٧٥. نقلاً عن تحقيق شرح العقيدة الطحاوية ٧٤٧/٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ٧٤٢/٢-٧٤٧، وقد نقله ابن أبي العز عن ابن تيمية في فتاويه، ١٧٢/٦-١٧٧، وانظر كذلك: شرح العقيدة الطحاوية ٥٠٥/٢-٥١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٥٦/٦-٥٥٧.

(٤) سورة محمد، آية: ٣١.

فلا بد من جيد ورديء، والجيد يوجب الشكر، والرديء يحرك إلى السؤال والدعاء، فإن امتنع الجواب أريد نفوذ البلاء والتسليم للقضاء، وههنا يبين الإيمان ويظهر في التسليم جواهر الرجال، فإن تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا فذلك شأن الكامل، وإن وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضى، فإن الطبع لا بد أن ينفر من المؤذي، دل على ضعف المعرفة، فإن خرج الأمر إلى الاعتراض باللسان، فتلك حال الجهال نعوذ بالله منها... إن الدنيا دار ابتلاء لينظر الله فيها كيف تعملون، ومما يهون هذه الأشياء علم العبد بالأجر، وأن ذلك مراد الحق)[1].

وقال د. يوسف القرضاوي: (الإيمان يهون على المؤمنين البلاء، وعرفوا أن ما ينزل بهم من مصائب ليس ضربات عجماء، ولا خبط عشواء، ولكنه وفق قدر معلوم، وقضاء مرسوم، وحكمة أزلية، وكتابة إلهية، فآمنوا بأنه ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم... ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وعرفوا أن من صفته تعالى أن يقدر ويلطف، ويبتلى ويخفف، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[3].

وعرفوا من لطف ربهم أن هذه الشدائد دروس قيمة لهم، وتجارب نافعة لدينهم ودنياهم، تنضج نفوسهم، وتصقل إيمانهم، وتذهب صدأ قلوبهم (مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء كمثل الحديدة تدخل النار فيذهب خبثها، ويبقى طيبها) وما أبلغ ما قال الرافعي: (ما أشبه النكبة بالبيضة، تحسب سجنًا لما فيها وهي تحوطه، وتربيه وتعينه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تنقف البيضة[4]، فيخرج خلق آخر.

---

(١) صيد الخاطر ٣٨٧-٣٨٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٤) النقف: الفرخ حين يخرج من البيضة. القاموس المحيط في (ن ق ف).

وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته: عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل)[١].

سابعًا- من واجبات المدعو: عدم الحكم بظواهر الأمور:

إن الأخذ بظواهر الأمور دون النظر إلى جوهرها وحقيقتها قد يؤدي في بعض الأحيان إلى نتائج غير محمودة، لذا كان على المدعو ألا يقع في هذا الأمر، كما وقع من المرأة في هذا الحديث، فقد تمنت أن يكون ابنها مثل فلان ذي الشارة الحسنة والهيئة الجميلة وألا يكون مثل الجارية التي يؤذيها الناس، فقد بين لها ابنها - بقدرة الله - أن من تمنت أن يكون ابنها مثله كان جبارًا، وأما المرأة فكانت مظلومة رماها الناس زورًا وبهتانًا. قال ابن هبيرة: (فأما حديث الجارية فإنه قد يتهم الجهال المرأة الصالحة بالزنا والسرقة، وليست من أهل ذلك، فلا ينبغي أن يترك الرجل أهله من أجل أن يقول عدو له أو لهم، أو يطبع الشيطان في أفواه الناس: إنها زانية أو سارقة. ولا يحلّ لمسلم أن يقبل هذا، ولا يؤثر عنده بحال إلا أن يثبت ذلك بثبوت مثله، أو يرى قرائن الأحوال ما يفيده عليه الظن. فيكون لذلك حكمه. فأما مجرد أقوال الأعداء فلا يحل العمل بذلك)[٢]. وقد قال الله تعالى عن قارون واختلاف نظر الناس إليه بحسب الظاهر وبحسب الحقيقة: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾[٣].

أي: "وقال الذين أوتوا العلم" الذين عرفوا حقائق الأشياء ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر أولئك إلى ظاهرها: "ويلكم" متوجعين مما تمنوا لأنفسهم راثين لحالهم منكرين لمقالهم (ثواب الله) العاجل من لذة العبادة ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه،

---

(١) الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي ص ١٦٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٢/٧.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٧٩-٨٠.

والآجل من الجنة وما فيها مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (خير لمن آمن وعمل صالحًا) من هذا الذي تمنيتم ورغبتم فيه، فهذه حقيقة الأمر"[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: دلائل القدرة الإلهية:

إن الله كما وصف نفسه سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢] (والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى)[٣] ودلائل قدرته سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى، من ذلك كلام بعض الأطفال في المهد، وقد أفاد الحديث بأنه "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى بن مريم ..."[٤].

"إننا ندرك بداهة أن الخالق العظيم الذي صدرت عنه هذه الموجودات الكونية ذات القوى الكبيرة، لا بد أن يكون هو ذا قوة وقدرة، ولولا أن يكون ذا قوة وقدرة لم تصدر عنه أشياء لها قوى وقدر، والقدرة: صفة وجودية من شأنها أن يكون لها أثر، كإيجاد الأشياء الممكنة، أو إعدامها، أو التصرف في الموجودات بجمعها أو تفريقها، أو تحويلها أو نحو ذلك. وهذا المعنى هو ما نسميه بصفة القدرة، فالله سبحانه وتعالى قادر مقتدر، وقد وصف الله نفسه بهذه القدرة في القرآن الكريم في عدة آيات كريمات، منها قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥].... ولكن قدرة الله وقوته لا تشبه - من قريب ولا من بعيد- قدراتنا وقواتنا، لأن قدرته تعالى كاملة تتعلق بجميع الممكنات غير مستمدة من شيء، إذ هي من صفات الألوهية. أما قدراتنا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٧٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤. وغيرها من سور القرآن الكريم، انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم، إعداد: حسان عبدالمنان ص ٣٥٢-٣٥٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٣٩٤.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٣/٦.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢.

فهي قدرات محدودة ناقصة مستمدة من غيرها، إذ هي من صفات المخلوقات، وقد جاء في المأثور من أسماء الله الحسنى عشرة[١] أسماء تعود إلى معنى تحقق صفة القدرة الكاملة لله تعالى، وهي: "القوي، والمتين، والقادر، والمقتدر، والواجد في أحد معانيه، والعزيز، والمقيت في أحد معانيه، ومالك الملك، والملك، والوارث"[٢].

تاسعًا- من وسائل الدعوة: القصة:

استخدم النبي ﷺ وسيلة القصة لتبليغ دعوته، وقد ورد ذلك كثيرًا في الأحاديث. وهي وسيلة فعالة لو أحسن استخدامها الداعية المعاصر يقول: الدكتور القرضاوي: (ومما ينبغي للداعية الالتفات إليه والعناية به: القصص القرآني وما اشتمل عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغة، وطريقة القرآن في سرد قصص الماضين لا تعتمد على ذكر التفصيلات، كذكر أسماء الأشخاص والبلدان والتواريخ ونحوها، إنما تهتم برءوس العبر، ورسم ملامح الشخصيات التاريخية، واتجاهات الأحداث ونتائجها، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[٣]. وعند سرد القصة نجد القرآن الكريم يضمنها كثيرًا من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، لتنفذ إلى النفس والعقل عن طريق غير مباشر)[٤].

قال ابن هبيرة: (ولم يذكر رسول الله ﷺ مثل هذا سمرًا قط، بل ليعمل مثل الولد الصالح مع كونه لم يشتغل عنها بمنكر ولا بمحرم، وإنما اشتغل بعبادة فجرى في حقه هذا...)[٥].

---

(١) في الأصل (تسعة) ولكن عدد الأسماء التي ذكرها المؤلف عشرة، فلذلك كتبنا عشرة بحسب المذكور من الأسماء، وهو الظاهر لنا. وإن كان المؤلف أعاد كلمة (تسعة) مرتين، فلا ندري سبب ذلك، والله أعلم.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٦٠-١٦١.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤-٢٥.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨١/٧.

عاشرًا- من أساليب الدعوة: القصر:

وذلك في قوله ﷺ : "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة..." وفائدة القصر الحصر والتأكيد، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث وجوب الإيمان بأنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، حتى إنه قد روي على النبي ﷺ من الأحاديث الواهية أنه قد تكلم غير هؤلاء، ردّ ذلك، وعمل بهذا)[1].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/٧، لكن فيما ذهب إليه ابن هبيرة نظر، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥٣/٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يربي الإسلام أتباعه على معايير للتقييم الصحيح تختلف عن معايير الجاهلية وعن الحضارات الأخرى، كما سبق الحضارات المعاصرة، وقد تأثر المسلمون الملتزمون بذلك.

فالجاهلية كانوا يقدمون هذا أو ذاك على أساس من الجنس أو المال أو الجاه أو الشجاعة... والنظم المعاصرة تقدم المال ثم المنصب ثم الذكاء الاجتماعي، والإسلامي يربي أبناءه على تقييم الناس على أساس من الخلق الحسن، فهو معيار السبق وأساس التقدم في الدنيا والآخرة، ومن منهج التربية في هذا الباب:

أولاً- التربية بالتشويق:

من الأساليب التربوية الهادفة أسلوب التشويق، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل ضعفة المسلمين، قوله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ».

فهذا شاهد تربوي يدل على التشويق استخدمه ﷺ مع أصحابه، وذلك لأن في الشوق "نزوع للنفس إليه وتحفيز لها لأنه عند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها وينتج عن ذلك استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة، نتجت عن هذه الصفة المصحوبة بالشوق"[1].

وهذا الأسلوب قد استخدمه الأنبياء والرسل لأنه يوصل إلى مرضاة الله وجنته، فأولئك الذين هدى الله وبهداهم يقتدي كلُّ السائرين إلى مرضاة رب العالمين[2].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٢٣.

(٢) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد ص ٧٤.

ثانياً- التربية بالمواقف:

من أهم أساليب التربية الإسلامية التربية بالمواقف وتتمثل في أن الحياة مليئة بالمواقف المتتالية التي يمكن أخذ الدرس منها والشاهد على ذلك في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فقالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيكَ في هذَا؟» قالَ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هذَا وَاللّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ ...».

إن المواقف تساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، لأنه إذا ظهر موقف خاطئ من شخص ووضح له ما وقع فيه من خطأ، وفي نفس الوقت وجه التوجيه الإيجابي الحسن الذي كان من المفروض أن يسلكه، فإن لذلك وقعًا على النفس وتأثيراً في السلوك، لأنه يرى النتاج أمامه ويعايشه في نفس اللحظة[1].

والمربي البارع لا يترك المواقف تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس وتهذيبها، ومزايا المواقف -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، ولذلك استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في تربية النفوس[2].

ثالثاً- من أهداف التربية الإسلامية: احترام أهل الفضل والصلاح:

التربية الإسلامية عملت على احترام أهل الفضل والصلاح وتقديرهم، ومن الشواهد على ذلك في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «مَا رَأْيُكَ في هذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هذَا رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ. هذَا أَحْرَى إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أن لا يشفع ..»، وعنه ﷺ: « أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ (أَوْ شَابًّا) فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللّهِ . فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عَنْهُ) فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي». قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ). فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ. فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا»، وقال ﷺ كذلك: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللّهِ لأَبَرَّهُ».

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ١٩٦، أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣٨٤.

فهذه شواهد تربوية ظهر منها أن النبي ﷺ كان يقدر ويحترم أهل الفضل والصلاح كما بين أن مقامات العباد بالأعمال لا بالمظاهر، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يربي أصحابه على احترام أهل الفضل والصلاح لأنهم الأجدر بالاحترام والتقدير بدلاً من تلك المعايير الفاسدة في التقدير على أساس المال والمنفعة الشخصية.

إن من محاسن التربية الإسلامية رعاية واحترام أهل الفضل والصلاح وإنزال الناس منازلهم ونحن بحاجة إلى أن نقدر أهل الصلاح وننزلهم منازلهم وينبغي على المعلم أن يلمس ممن يربيه رعايته لهذا الجانب بتقدير واحترام أهل الصلاح والاعتراف بالفضل والسابقة، وهذا هو أدب المسلم نراه يقدر أهل الفضل والصلاح[1]، ولقد كان احترام أهل الفضل والصلاح هو الأدب الذي ربى عليه النبي ﷺ أصحابه[2].

رابعاً- من خصائص التربية الإسلامية: الموازنة:

من خصائص التوجيه الإسلامي أنه ملائم للفطرة والجبلة الإنسانية ومن الشواهد على ذلك في باب ضعفة المسلمين: ما يستوحي من قصة جُرَيْجُ... قال: «يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاَتِهِ . فَانْصَرَفَتْ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي. فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاَتِهِ ...».

فهذا شاهد تربوي أراد النبي ﷺ منه إبراز خاصية الموازنة في التربية الإسلامية كخاصية يجب أن يربى عليها النشء المسلم والشاهد من هذا أنه لا ينبغي إعمال جانب إيماني أو أخلاقي وترك جانب آخر. فإن فعل ذلك فإن الموازنة تفقد جانباً من ضوابطها، وذلك لأنها تهتم بتربية جميع جوانب الإنسان الخلقية والجسمية والعقلية وتحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية، فلا يطغى جانب على جانب آخر بحيث تجعل الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي[3].

والتربية الإسلامية لا تعمل على تنمية الحياة الآخرة فقط إنما هي تربية توخت

---

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل:، الدويش ص ١٦٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي، ٤٢، ٤٣.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٨.

الاعتدال، فدعت إلى أن يتمتع الإنسان في هذه الحياة الدنيا ولكن في الوقت نفسه عليه أن ينجز الواجبات المترتبة عليه إزاء ربه، فيعبده حق العبادة، وليست العبادة الحقة في أن يقف المرء نفسه عليها دون غيرها وأن يترك أعمال الدنيا بل يهتم بها أيضاً[١].

خامساً- التربية بالقصة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالقصة لما لها من أسلوبها الساحر الذي يسحر النفوس ويشد الخيال إلى متابعة ومشاهدة أحداثها فتؤثر في متتبعها أيما تأثير، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل ضعفة المسلمين قوله ﷺ: في قصة جريج قال ﷺ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ. وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ. وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً ...».

فهذا شاهد تربوي ساقه النبي ﷺ للصحابة عن طريق القصة أراد النبي ﷺ، منها إرشاد الصحابة للخير وما يهدى إليه الدين من سلوكيات وأخلاقيات، "ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب القصة في تحقيق أهدافها لما لها من عظيم الأثر في نفس الإنسان، وخاصة إذا وضعت في أسلوب عاطفي. مؤثر يخاطب العقل والقلب معاً، وتكون هذه القصة ذات قيمة بقدر ما يكون لصاحب القصة من أثر وانتشار (كقصة جريج)، ولذلك استخدمت القصة هنا لغرس بعض القيم الدينية والخلقية، لقدرتها على الإقناع عن طريق التأثير والحضور الوجداني"[٢].

فقارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها بل يتخيل أنه في هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب[٣].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب ص ٧٦، وأصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ٢١٨.

(٢) التربية الإسلامية، د. عماد عطية ص ١٣١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ١٩٠.

سادسًا- من الأساليب التربوية:

وردت عدة أساليب تربوية في أحاديث الباب يستفاد منها في المجال التربوي، ومن جملتها:

أ-المناقشة والحوار: كما في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: "مرّ رجل على النبي ﷺ، فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ ..." الحديث والمناقشة والحوار أسلوب يمثل شبكة من الاتصالات بين المعلم والمتعلمين باستخدام أسئلة مناسبة يتولد عنها النقاش المتبادل.

ب-الممارسة العملية: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقيام النبي ﷺ بالصلاة على قبر الميت الذي لم يعلم بموته.

ج-تمثيل المعاني: وهو عبارة عن قيام المعلم بمحاكاة المعاني المختلفة، وقد ورد ذلك في فعل النبي ﷺ فقال أبو هريرة "فكأني انظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه، فجعل يمصها".

٣٣- باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[الضحى: ٩-١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[الماعون: ١-٣].

الحديث رقم (٢٦٠)

٢٦٠- وعن سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هؤلاء لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ. وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلالٌ وَرَجُلانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نفس رَسُول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿**وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾[الأنعام: ٥٢] رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

لا يجترؤون علينا: أي لئلا تحصل منهم الجرأة علينا فنُعيّر بذلك[٢].

---

(١) برقم (٢٤١٣/٤٦).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٠.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف" مشهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية الفياضة بجلائل الآثار، وجميل الأخبار، والمشهد هنا قصة واقعية حقيقية، أشخاصها معروفون، وبعضهم لم يذكر اسمه مثل أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، لأنهما من أشراف قريش، أما باقي الستة فقد ذكروا في الحديث، وتحديد الأسماء في الأحاديث بهذه الطريقة المحددة قليلاً ما يحدث. لأن المقام هنا يستدعي ذلك، وهم الراوي سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل: وقيل سلمان الفارسي وأبو ذر رضي الله عنهما، وأما هؤلاء الذين قال الله فيهم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، فمنهم: أمية بن خلف الجمحى ومن تابعه، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، وذووهم.

والشخصيات المؤمنة الذين أراد الأغنياء أن يبعدوهم عن الجلوس في مجلس رسول الله ﷺ، هم الذين قال الله فيهم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1]، وأمر رسوله الكريم بأن لا يستجيب لهذه الدعوة التي تكرس الطائفية، وترفع شعار التميز والعصبية، وتفرِّق بين المسلمين، وتجعل الأغنياء أصحاب حظوة ومكانة في الإسلام، وهم لا يستحقونها لأنهم غير مخلصين في انتمائهم للإسلام، أو إقبالهم عليه، ولقد رسمت القصة النبوية، في هذا الحديث، وفي غيره – كثيرًا من النماذج الإنسانية التي حققت في واقعها هذا الجانب القوي الخير الفاضل، والبطل الحقيقي في القصة النبوية: هو ذلك الجانب الفذ في حياة الإنسان، البطل هو الموقف الذي يحقق فيه الإنسان سموه ورفعته، وانتصار الخير والفضيلة فيه، بالمعنى الشامل غير المحدود للخير والفضيلة[2].

وحين نتأمل ما يتضمنه هذا الحديث الشريف من ظواهر أسلوبية، وجمال لغوي،

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) القصة في الحديث النبوي، د. محمد حسن الزير ص ١٧١.

نرى أنه صيغ في قالب الحكاية حيث بدأ الراوي، سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بقوله: "كنا مع النبي ﷺ: ستة نفر"، أي: أنهم حضروا مجلس النبي ﷺ، مع مجموعة من المشركين الذين يعرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام، وتحدث المفاجأة التي تجسد غلظة المشركين، وضيق أفقهم، وتكشف عن منظورهم التسلطي والتعصبي في الحياة، فإذا بهم لا يراعون آداب المجلس.

ويقولون في صيغة الأمر لصاحب المجلس وهو رسول الله ﷺ، "اطرد هؤلاء، لا يجترئون علينا"، وكان ذلك أنفة منهم من مجالستهم لاستصغارهم واحتقارهم واستقذارهم لهم لفقرهم وخمولهم في الدنيا، ونُسب القول في الحديث للكل لرضاهم به، كما يقول صاحب "دليل الفالحين"، وعلى الرغم من غلظة هؤلاء المشركين، وسلوكهم السلوك الجاهلي مع رسول الله ﷺ فإنه لم ينهرهم... ولم يعترض عليهم تأليفاً لقلوبهم، ورغبة في جذبهم للإسلام، وصمت قليلاً ، وصور الراوي هذا الصمت بقوله، "فوقع في نفس رسول الله ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه"، ولكن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم، وحدد الموقف الذي لم يحد عنه رسول الله ﷺ، ولكنه لبث مليًا حتى يتبين الأمر الصالح للدعوة الإسلامية، وقال تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1] . قيل: فنهاه عما همَّ به من الطرد لا أنه أوقع الطرد، وقد كافأ الله هؤلاء الضعفة الذين تحصنوا بإيمانهم، فأثنى عليهم ربهم، وهذه المساواة بين الناس في ظلال العقيدة، أنطقت الشاعر العربي فقال:

إنـي ذكرتـك يـا محمـد ناشـرًا ... روح الأخـوة في بـني الإنـسان

يعلـو بـلال العبـد أشـرف موقـع ... ليـذيع منـه أشـرف الألحـان!!

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

فقه الحديث

الحث على مجالسة أهل الخير، والصالحين الذين يكثرون من ذكر الله تعالى ودعائه، وأنه لا يجوز للإمام طردهم وإخراجهم من مجلسه بناء على طلب أهل الشرك والفجور، بل يحرم ذلك لوجود النهي في الآية، والنهي للتحريم ما لم تكن هناك قرينة صارفة - كما قال أهل الأصول - ولا قرينة صارفة لعدم الحرص على مجالسة الوجهاء، والأغنياء إلا لمصلحة دينية أو دنيوية معتبرة، أما مجرد الجلوس إليهم افتخارًا، فهذا مما لا يحمد عليه المؤمن[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم السابقين إلى الإسلام.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: المشركون.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: بداية الجهر بالدعوة في مكة.

رابعًا: من مهام الداعية: الحرص على مصلحة الدعوة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ثناء الله على المسلمين الضعفاء المخلصين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مُنجمًا.

سابعًا: من أهداف الدعوة: تكريم أهل الفضل والأمر بتقديرهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم السابقين إلى الإسلام:

إن السابقين إلى الإسلام هم من أهل الفضل والمكانة، لأنهم سبقوا إلى الإسلام حين كان معظم الناس على الكفر، ولما تحملوا من الأذى ما لا يتحمله إلا الثابتون المخلصون، يضاف إلى ذلك كونهم مستضعفين. وهذا واضحٌ في قول سعد رضي الله عنه: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر" وسمّى بعضهم فقال: "أنا وابن مسعود وبلال..." وهؤلاء من السابقين إلى الإسلام[2] وهذا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: "ما أسلم أحدٌ إلا في اليوم

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٣٤/٢، ١٣٥.

(٢) انظر تراجمهم: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٨، ٤٩٠، ٨٣٢. وقال ابن هبيرة: "ومن لم يذكر اسمه في هذا الحديث فقد ذكر في حديث آخر، وهم: سعد وابن مسعود وبلال وصهيب وعمّار والمقداد. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/١.

الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام"[١].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢] أي: (والذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين الذي هجروا قومهم وعشيرتهم، وانتقلوا إلى دار الإسلام، والأنصار الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه الكفار، والذي اتبعوهم بإحسان في الاعتقاد والأقوال والأعمال طلبًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى، أولئك الذين رضي الله عنهم، لطاعتهم الله ورسوله ورضوا لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم وإيمانهم، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ذلك هو الفلاح العظيم، وفي هذه الآية تزكية للصحابة رضي الله عنهم وثناء عليهم، ولهذا فإن توقيرهم من أصول الإيمان)[٣].

(وأفضل الصحابة السابقون الأولون في الإسلام من المهاجرين، ثم الأنصار، ثم أهل بَدْرٍ، ثم أهل أحد، ثم أهل غزوة الأحزاب، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، وكلاً وعد الله الحسنى.

وأفضل الصحابة الخلفاء الراشدون أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين، وأبو السبطين علي بن أبي طالب ثم عبدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام حواريّ رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقاص، وأمين هذه الأمة أبو عبيد بن الجراح، وسعيد بن زيد بن نفيل رضي الله عنهم أجمعين)[٤].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: المشركون:

أرسل محمد ﷺ إلى الناس كافة بمختلف عقائدهم ومللهم، وكان منهم المشركون الذين قالوا للنبي ﷺ: "اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا".

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٢٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) التفسير الميسر، إعداد: نخبة من المختصين ص ٢٠٣.

(٤) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٨٥.

(والمشركون الوثنيون: هم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1])[2].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على دعوتهم فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقد بلغ من حرص النبي على دعوة المشركين أنه كان يدعوهم وهم على فراش الموت، فعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبدالمطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ: ((أما واللهِ لأستَغْفِرَنَّ لكَ ما لم أُنْهَ عنكَ...))[5].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: بداية الجهر بالدعوة في مكة:

كان من الطبيعي أن تمر الدعوة الإسلامية في مكة بمراحل تناسب الأحوال والظروف، فكانت في بدايتها سرًا، واستمرت على ذلك ثلاث سنوات، ثم جاءت مرحلة

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦٠، ومسلم ٢٤. وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤/٣٠٤-٣١٤.

الجهر بالدعوة، فعُرف معظم من أسلم مع النبي ﷺ لأنهم كانوا يجالسونه ليتعلموا منه، وكان أغلب هؤلاء من المساكين، فكان هذا يضايق المشركين. وهذا واضح من قول المشركين للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا... فهذا يدل على أن هذا كان بعد الجهر بالدعوة، فقد قال ابن إسحاق: (ثم أمر الله رسوله ﷺ بعد ثلاث سنين من البعثة بأن يصدع بما أمر، وأن يصبر على أذى المشركين، وقال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلُّوا، ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم في قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفرٍ يصلون بشعاب مكة، إذ ظهر عليهم بعض المشركين، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعدٌ رجلاً من المشركين بلَحى جملٍ[1] فشجّه فكان أول دم أهريق في الإسلام)[2].

ثم قال ابن إسحاق: (فلما بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصَدَع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه - فيما بلغني- حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مستخفون)[3].

رابعًا- من مهام الداعية: الحرص على مصلحة الدعوة:

إن الداعية أشد الناس حرصًا على مصلحة الدعوة، لأنها قضية حياته، لذلك هو يسلك كل السُّبل المشروعة في الحفاظ عليها، وهو يفعل ذلك اقتداءً بالنبي ﷺ كما وقع في هذا الحديث، وهذا واضح في قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

---

(١) اللَّحْيُ: العظمان اللذان فيهما الأسنان من كل ذي لَحْيٍ. ولحيا الغدير: جانباه، الوسيط ٨٢٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٥-٢٩٦)، وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤/٩٥.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٩٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

قال القرطبي: (وكان النبي ﷺ إما مال إلى ذلك طمعًا في إسلامهم وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئًا ولا يُنقص لهم قدرًا. فمال إليه فأنزل الآية فنهاه عما همّ به من الطرد، لا أنه أوقع الطرد)[١].

وقال ابن عاشور: (إن رسول الله ﷺ لحرصه على إيمان قريش ليكونوا قدوة لقومهم، ولعلمه بأن أصحابه يحرصون حرصه، لا يوحشهم أن يقاموا من المجلس إذا حضره عظماء قريش، لأنهم آمنوا يريدون وجه الله لا للرياء والسمعة، ولكن الله نهاه عن ذلك وسماه طردًا تأكيدًا لمعنى النهي، وذلك لحكمة: وهي كانت أرجح من الطمع في إيمان أولئك، لأن الله اطّلع على سرائرهم فعلم أنهم لا يؤمنون، وأراد الله أن يظهر استغناء دينه ورسوله عن الاعتزاز بأولئك الطغاة القساة، وليظهر لهم أن أولئك الضعفاء خيرٌ منهم، وأن الحرص على قربهم من الرسول أولى من الحرص على قرب المشركين وأن الدين يرغب الناس فيه، وليس هو يرغب في الناس)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ثناء الله على المسلمين الضعفاء المخلصين:

إن الله سبحانه أنزل فيهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].

وقال ابن هبيرة: "فيه ما يدل على كرامة هؤلاء النفر الستة، فإن هذه الآية قد شهدت لهم (يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)، وفي هذا دليل على أنهم كانوا من أهل محبة الله عز وجل لقصدهم وجهه سبحانه، وذلك أن أطيب الزمان وألذه هو الغدوات والعشيات، فإذا طاب لهم زمانهم تمنوا أن يقطعوه بذكر ربهم سبحانه، وقوله تعالى: (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء)، فإن معناه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٣١/٦/٣.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٤٦/٧/٣، ٢٤٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

غامض[١] شريف. وذلك أنه قال: (ما عليك من حسابهم)، فجعل الحساب لهم لا عليهم، وقال: (وما حسابك عليهم من شيء) وكفى بهذا شرفًا لمن تدبره" [٢].

فقد ذكر الله (المتقين وأمره [أي رسوله ﷺ] بتقريبهم وإكرامهم وألا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك، وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها، والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام وقيل معناه: يصلُّون صلاة الصبح والعصر، ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ ... ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾[٣] وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال: ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى: وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك لا يتعداك إليهم)[٤].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: نزول القرآن منجمًا:

"إن لنزول القرآن الكريم منجمًا [أي مفرقًا] حِكَمًا جليلة وأسرارًا عديدة عرفها العالمون وغفل عنها الجاهلون، ونستطيع أن نجملها فيما يأتي وهي:

أولاً: تثبيت قلب النبي ﷺ أمام أذى المشركين.

ثانيًا: التلطف بالنبي ﷺ عند نزول الوحي.

ثالثًا: التدرج في تشريع الأحكام السماوية.

رابعًا: تسهيل حفظ القرآن وفهمه على المسلمين.

خامسًا: مسايرة الحوادث والوقائع والتنبيه عليها في حينها.

---

(١) كذا في المطبوع.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/١.

(٣) سورة الشعراء، آية: ١١٣.

(٤) الكشاف، الزمخشري ٣٢٩. وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٥٩/٣، والتحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٧/٧-٢٤٩.

سادسًا- الإرشاد إلى مصدر القرآن، وأنه تنزيل الحكيم الحميد:

أما الحكمة السابعة فهي "مسايرة الحوادث والوقائع في حينها" والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق الدرس العملي. فكلما جدّ منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وكلما حصل منهم خطأ أو انحراف، نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي اجتنابه وطلب عمله، ونبههم إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين)[1]. وفي هذا الحديث نزل القرآن ليبيّن للنبي ﷺ ما يجب عليه فعله مع هؤلاء الستة من المسلمين، من الجلوس معهم وعدم طردهم طمعًا في إسلام هؤلاء المشركين. قال ابن كثير: (أي لاتبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفة عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك)[2].

سابعًا- من أهداف الدعوة: تكريم أهل الفضل والأمر بتقديرهم:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من عموم الحديث: تكريم أهل الفضل وتقديرهم فقد قال خباب رضي الله عنه بعد نزول هذه الآية: ((فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم))[3]، وقد قال الله عز وجل لرسوله ﷺ ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[4].

وقال عبدالرحمن بن سهل بن حنيف قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ فخرج

---

(١) التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني ص ٣٢-٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٩/٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٢٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٢٩).

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٨.

يلتمسهم، فوجد قومًا يذكرون الله، منهم ثائر الرأس وجافي الجلد[١] وذو الثوب الواحد. فلما رآهم جلس معهم وقال: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني الله أن أصبر نفسي معهم)[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (إن أتباع الرسل، الذين صدقوهم، وآثروا الله والدار الآخرة على قومهم وأصحابهم قد أودع الله قلوبهم سرًا من أسرار معرفته ومحبته والإيمان به، خفي على أعداء الرسل، فنظروا إلى ظواهرهم، وعموا عن بواطنهم، فازدروهم واحتقروهم، وقالوا للرسول: اطرد هؤلاء عنك. حتى نأتيك ونسمع منك، وقالوا: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾[٣]، فقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. قال الزجاج: المعنى إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعوني في بادي الرأي وظاهره، فليس عليَّ أن أطلع على ما في أنفسهم، فإذا رأيت من يوحد الله عاملته على ظاهره، ورددت علم ما في نفوسهم إلى الله، وهذا معنى حسن.

والذي يظهر من الآية: أن الله يعلم ما في أنفسهم، إذ أهلَّهم لقبول دينه وتوحيده، وتصديق رسله، والله سبحانه وتعالى عليم حكيم يضع العطاء في مواضعه. وتكون

---

(١) المعنى: أن جلدهم أصبح غليظًا من كثرة تعرضه للهواء والشمس، وذلك من قلة ما يجدونه من الثياب يلبسونها. أي أنهم شديدو الفقر والحاجة. فإن من معاني الجافي: الغليظ. القاموس المحيط في (ج ف ا).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٣٨/١٥، ٢٣٩ والطبراني كما في تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٣/٥، وقال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، المجمع ٢١/٧. ولكن عبدالرحمن هذا راوي الحديث قال عنه الحافظ ابن حجر: لا يبعد أن يكون له رؤية وإن لم يكن له صحبة. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٠٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٤) سورة هود، آية: ٣١.

هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. فإنهم أنكروا أن يكون الله سبحانه أهلَهم للهدى والحق، وحَرَمَه رؤساء الكفار، وأهل العزة والثروة منهم. كأنهم استدلوا بعطاء الدنيا على عطاء الآخرة؛ فأخبر الله سبحانه أنه أعلم بمن يؤهله لذلك لسر عنده من معرفة قدر النعمة، ورؤيتها من مجرد فضل المنعم، ومحبته وشكره عليها، وليس كل أحد عنده هذا السر، فلا يؤهل كل أحد لهذا العطاء)[2].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم ٣/٧١٢-٧١٣.

الحديث رقم (٢٦١)

٢٦١- وعن أَبي هُبَيرَة عائِذ بن عمرو المزنِي وَهُوَ مِنْ أهْل بيعة الرضوان رضي الله عنهم: أنَّ أبا سُفْيَانَ أتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبلاَلٍ في نَفَرٍ، فقالوا: مَا أخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ[1] عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أتَقُولُون هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيدِهِمْ؟ فَأتَى النَّبيَّ ﷺ، فَأخْبَرَهُ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعلَّكَ أغْضَبتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضَبتَ رَبَّكَ)).

فَأتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إخْوَتَاهُ، آغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لاَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ. رواه مسلم[2].

قولُهُ: ((مَأْخَذَهَا)) أيْ: لَمْ تَسْتَوفِ حقها مِنْهُ. وقوله: ((يَا أُخَيَّ)): رُوِي بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الخاءِ وتخفيف الياءِ، وَرُوِيَ بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياءِ.

ترجمة الراوي:

عائذ بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩٢).

الشرح الأدبي

إن صحابة رسول الله ﷺ لهم مكانتهم في التاريخ الإسلامي، ولهم دورهم في تأسيس أركان الدولة الإسلامية، وتثبيت دعائمها، وهم نجوم الهداية، ومنارات الاقتداء.

وفي هذا الحديث الشريف تشرق أسماء الصحابة الأجلاء الذين وقفوا بجانب رسول الله ﷺ ينصرونه ويؤازرونه، يتقدمهم في الفضل والسبق إلى الإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وهو الخليفة الأول لرسول الله ﷺ وكان كما يقول العقاد- أليفًا ودودًا حسن المعاشرة، وكان مطبوعًا على أفضل الصفات التي تتألف لها الناس فيألفونه، ومنها التواضع ولين الجانب، فلم يتعال على أحد قط في جاهليته ولا في

---

(١) عند مسلم زيادة: (من عنق).

(٢) برقم (٢٤٠٥/١٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٦٨).

إسلامه، وكان في خلافته أظهر تواضعًا منه قبل ولايته الخلافة، وكان في جاهليته وإسلامه وقورًا جميل السمت يغار على مروءته، ويتجنب ما يريب، وكان لمروءته يتحاشى السقط من الكلام، فلا يتكلم إلا أن يدعوه داع إلى قولة خير فيقولها إذن ويصدق في مقاله [1].

وأما سلمان الفارسي رضي الله عنه: وإخوانه صهيب وبلال رضي الله عنهما وغيرهما قد شهد لهم رسول الله ﷺ بالفضل، وقد ورد في فضلهم الكثير من الأحاديث.

وأبو سفيان أنعم الله عليه بالإسلام، ودخل مع جموع المؤمنين من الناس في دين الله أفواجا يوم الفتح الأكبر.

ويصدق حَدْس أبي بكر في تأليف قلب أبي سفيان، ويعطي الرسول ﷺ الأمان لأبي سفيان حينما أعلن إسلامه والمسلمون على مشارف مكة: ويقول المصطفى ﷺ: ((ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن))[2]، وتشاء الحكمة الإلهية أن يكون أبناء أبي سفيان وأحفاده وأبناء أخيه من القواد الفاتحين بعد ذلك، وأن تكون الدولة الأموية، لها دورها الكبير في انتشار الإسلام في أفريقيا والأندلس، وآسيا، والهند، وباكستان في ظل خلفاء بني أمية، وقادتهم الكبار، والولاة الفرسان.

وفي ضوء هذه الإشعاعات التاريخية، وتلك القبسات النبوية، وتلك الحقائق الباسقة، نتأمل هذا الحديث النبوي الشريف، فزمن الحوار الذي دار بين الصحابة حول مصير أبي سفيان، كان في الهدنة بين الرسول ﷺ ومشركي مكة بعد صلح الحديبية، وأبو سفيان كان كافرًا، ولذلك وصفه هؤلاء الصحابة بأنه عدو الله، وهو وصف محدود بإطاره الزمني لأنه أسلم بعد ذلك، والمواجهة بين أبي سفيان وهؤلاء الصحابة المستضعفين الموالي، تفصح عن دور العقيدة في تقوية إرادة هؤلاء الضعفة، فهم في الإسلام أقوياء بعقيدتهم لا يخشون في الله لومة لائم.

---

(١) عبقرية الصديق، عباس محمد العقاد.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٨٠.

والحوار بين أبي بكر وهؤلاء الصحابة يطلعنا على حكمة أبي بكر رضي الله عنه وعلى حرصه على تأليف قلب أبي سفيان، وقد وصفه بشيخ قريش وسيدها، واستنكر عليهم هذا المسلك معه؟ ولكن رسول الله ﷺ كان حريصًا على عدم إغضاب هؤلاء المستضعفين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، فأقسم ونادى أبا بكر بأنه إن كان أغضبهم فقد أغضب ربه، واستعمال "إن" الشرطية هنا، يوحي بأن غضبهم غير متيقن لأنها لا تفيد التحقق، وينهض أبو بكر في تواضع ومحبة ويناديهم مستغيثًا يا إخوتاه، ويستفهم "أأغضبتكم؟" وتهدأ نفسه ويطمئن حين يقولون له : لا ثم يدعون له بالمغفرة وينادونه يا أخي، وما أجمل هذا الإخاء!!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إرهاب العدو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر رضي الله عنه وحرصه على إبراء ذمته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ... إلخ"، والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين لما لذلك من عظيم الأثر. حيث أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، فهذا أمر من الله الرسول ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ[١]. وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حسن إخباره وتبليغه لدعوته بما في ذلك من صدقه وإخلاصه ﷺ.

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول: "وهو من أهل بيعة الرضوان".

"وقد كانت بيعة الرضوان في السادس من الهجرة من ذي القعدة حيث خرج رسول الله ﷺ معتمرًا في ألف وأربع مائة رجل، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا له[٣]"[٤].

(وقد أراد النبي ﷺ بهذا النسك المنشود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكًا لقبيل يحتكر القيام عليه، ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم عليه السلام...، وإحرام النبي ﷺ وصحبه بالعمرة فحسب -وهم يريدون دخول مكة- آية على الرغبة العميقة في السلم، وعلى الرغبة في نسيان الخصومات السابقة، وتأسيس علاقة أهدأ وأرق، ولكن أبت قريش وتعاهدت ألا يدخل عليهم رسول الله ﷺ مكة أبدًا)[٥].

(وبعد ان أرسلت قريش بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم مكرز بن حفص بن الأخيف، ثم الحليس بن علقة "سيد الأحابيش"، ثم عروة بن مسعود الثقفي، وبعد هذه الوفود كانت "بيعة الرضوان")[٦].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤٦.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٣٠٨، والبداية والنهاية، ابن كثير، ٦/٢٠٧.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٣٢٢-٣٢٤.

(٦) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/٣١٣، البداية والنهاية، ابن كثير، ٦/٢١٠.

حيث كان سبب هذه البيعة العظيمة أن النبي ﷺ: "دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة، ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته.

فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل.

قال ابن اسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا رسول الله الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على ألا نفر.

فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر رضي الله عنه يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل"[1].

وقد أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»[2] وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام، ٣١٥/٢، ٣١٦، البداية والنهاية، ابن كثير، ٢١٤/٦، ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية إرهاب العدو:

قد ورد في الحديث ما يؤكد ذلك من قول الراوي: (إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها)، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بإخافة العدو وإرهابه، فقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

قال ابن كثير: (أي: تخيفون به عدو الله وعدوكم من الكفار)[2]، وقال القاسمي: (دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، إتقاءً لبأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا، عظيمًا، أبيَّ الضيم، قوي القَنَا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابًا متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول، وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به. قبل أن يداهم ما بقى منها بخيله ورجله، فيقضى - والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية"[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٢/٤.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ٨٥/٨/٥ - ٨٦.

وفي القيام بذلك يكون إرهاب العدو، وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ، ففي غزوة أحد خرج أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه يختال في مشيته ويتبختر بين الصفين كعادته المتبعة عند الحرب، فلما رآه النبي ﷺ يختال في مشيته، قال ﷺ: ((إِنَّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ إلا فِي مثل هَذَا الْمَوْطِنِ)) [١]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما قَدِمَ النبيُّ ﷺ لعامهِ الذي استأمَنَ قال: ((ارمُلوا ليرَى المشركونَ قُوَّتهُمْ، وفي رواية إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليُرِيَ المشركين قوته)) [٢]، وفي ذلك بيان على أهمية إرهاب العدو وإخافته، لما في ذلك من حماية بيضة المسلمين وإقامة الدين.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم:

لقد أشار الحديث إلى فضل سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم ويستنبط ذلك من قوله ﷺ: "يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك"، (فبلال رضي الله عنه من السابقين الأولين في الإسلام شهد بدرًا وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة) [٣]، وقال له ﷺ: ((سمعتُ دَفَّ نَعليكَ بينَ يدَيَّ في الجنَّة)) [٤].

أما سلمان رضي الله عنه فهو الذي دلّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وقال فيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهما عندما سئل عنه: (امرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والآخر، وكان بحرًا لا ينزف، وقد جُعل أميرًا على المدائن وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به) [٥].

أما صهيب رضي الله عنه فقد نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [٦] (وذلك عندما أراد أن يهاجر من مكة فمنعه الناس أن يهاجر بماله،

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٧١/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٥٧.

(٣) سير أعلم النبلاء، الذهبي، ٤٣٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٤٣/١، الأعلام، الزركلي ١١٢/٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٠٧.

فترك ماله وهاجر، فأنزل الله فيه هذه الآية، فتلقاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة إلى طرف الحرّة، فقالوا له: ربح البيع. فقال: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم، وما ذاك؟ فأخبروه أن الله أنزل فيه هذه الآية)[١].

فنعم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هم مفخرة الإنسانية، وخير جيل عرفته البشرية، فرضى الله عنهم ورضوا عنه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث أهمية مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم، لمالهم من عظيم الفضل والمنزلة عنه الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث من سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه قائلاً: له يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم أبو بكر رضي الله عنه قائلاً لهم: "يا إخوتاه آغضبتكم..."، ولاشك أن ذلك دليل على أهمية مراعاة الضعفاء وأهل الإيمان والفضل.

(وقد أمر الحق تبارك وتعالى بخفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين)[٢] فقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٣] وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٥]. قال ابن كثير: (إن هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، متعززًا على خصمه وعدوه)[٦]، وفي ذلك بيان على أهمية مراعاة قلوب الضعفاء وأهل الإيمان وملاطفتهم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٦٤/١.

(٢) المرجع السابق ٥٤٦/٤.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٦/٣.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر ﷺ وحرصه على إبراء ذمته:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي "فأتاهم فقال: يا إخوتاه آغضبتكم؟ قالوا: لا؛ يغفر الله لك يا أخي؟ وقد بين ابن عثيمين أن (في ذلك دليل على ورع أبي بكر ﷺ، وعلى حرصه على إبراء ذمته، وأن الإنسان ينبغي له، بل يجب عليه إذا اعتدى على أحد بقول أو فعل، أو بأخذ مال، أو سب أو شتم، أن يستحله في الدنيا، قبل أن يأخذ ذلك منه في الآخرة)[١].

حيث حذر النبي ﷺ من اعتداء أو ظلم المسلم للمسلم فقال: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[٢].

فإن هذا هو المفلس الحقيقي، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المقطع، فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين١/٦٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤.

الحديث رقم (٢٦٢)

٢٦٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا)) وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاري[1].

و((كَافِلُ اليَتيم)): القَائِمُ بأمُوره.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

كافل اليتيم: القائم بأمُورِه[2].

فَرَّجَ بينهما: أي فرّق بين السبابة والوسطى؛ إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى[3].

الشرح الأدبي

إن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا ينبع من منظور العطاء مقابل السلب، ولا يتوجه إلى الفئات التي تتخذ من الإهمال تعلة للعطف، وسبيلاً إلى التسول، لأن الإسلام يحث على العمل والكد والسعي، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[4].

وهذه القاعدة التي يؤسس عليها التكافل الاجتماعي في الإسلام، هي قاعدة إنسانية تلبي حاجة الضعيف، وتؤمن فزع المكروب، وتواسي طوائف المبتلين بأنواع

---

(١) برقم (٥٣٠٤) وزاد في آخره: (شيئًا). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٣٢). تنبيه: لم يورد المنذري الزيادة التي في آخر الحديث، فتبعه عليه المؤلف.

(٢) رياض الصالحين (١٥٤).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٣.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

البلاءات، من العوز والفاقة واليتم والخوف، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، واليتيم في الإسلام له حقوقه التي تستلزم رعايته وتربيته وتعليمه، وهي الحقوق التي منحها الله لكل فرد في حدودها المشروعة في الكتاب والسنة وهذه الحقوق في مجملها تتمثل في: حق الحياة، حق الحرية، حق العلم، حق الكرامة، حق التملك، ويقول الغزالي: إن مقصود الشرع من الخلق خمسة: (أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم ومالهم)، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة.

وكفالة اليتيم في ظل هذه الأبعاد تتحرك لتشمل كل ما يحتاجه ذلك الطفل الذي حرم رعاية أبيه، وحنان أمه وهو من ضعفة المسلمين.

والحديث في بنائه اللغوي ينزع إلى الترغيب وإلى زرع الرحمة بالأيتام في قلوب المسلمين، ويتخذ الحديث نهجًا أسلوبيًا مشوقًا مرغبًا، حيث يبدأ بلفظ "أنا" وهو ضمير المتكلم، ومَنْ المتكلم إنه أشرف المرسلين وخاتم النبيين، والمبعوث رحمة للعالمين، ثم بعد هذا الضمير العلم الأسنى "يعطف كافل اليتيم" عليه، فأي صحبة أسمى من هذه الصحبة، وأي شرف أعظم من هذا التكريم: حين يبشر رسول الله ﷺ بني الأمة بأن كافل اليتيم معه في جنة عرضها السموات والأرض، أعدت للمتقين، ولهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد كما وعد الله عز وجل.

والإشارة في الحديث بالسبابة والوسطى، والتفريج بينهما، تضيف أبعادًا جديدة إلى المعنى، وتقوي من التأثير في نفوس السامعين: فالإشارات في مثل هذه المواقف صور حركية تكني عن مشاعر خلفها، وهي لغة تفوق الكلام في هذا المضمار، لأن الحركة تومئ إيماء لطيفًا، وتهجم إلى العين، وتؤدي بعد ذلك المغزى المتبقي من الحركة.

والإشارة في الحديث فكر وفن، ومن أجل تحقيق مقصد الإبلاغ والتوصيل سعى النبي ﷺ إلى تجسيم الأفكار لمستمعيه لإنشاء جسر من التواصل الفكري، ولسكب الصيغة الفنية التي تحن إليها القلوب في تلقف المضامين الإسلامية.

والأحاديث في استخدام الأصبعين السبابة والوسطى كثيرة في مضمار التوضيح، كما في هذا الحديث، ولقد سكت عن المشبه به، وصار حركة استلفتت الأنظار، وشدتها إلى الأصبعين اللذين يبرزان في المشهد، ويصيران رمزًا لقرب النبي ﷺ ولصوقه بكافل اليتيم، في الجنة، ولنتأمل لفظ "السبابة"، ولماذا أطلق عليها هذا الاسم، وفي رواية "السباحة"، قيل سمى الإصبع بالسبابة: لأنه يسب بها الشيطان، وقيل السباحة، لأنها يسبح بها في الصلاة، ويشار بها في التشهد لذلك.

ويقول القرطبي: مفسرًا دلالة قوله هاتين، إنه معه فيها أى في الجنة وبحضرته، غير أن كلا منهما على درجته فيها، إذ لا يبلغ درجة الأنبياء غيرهم.

ويقول الحافظ العراقي: في بيان قيمة التشبيه في هذا الحديث لعل الحكمة في تشبيه كافل اليتيم بالنبي ﷺ في دخول الجنة أو في علو المنزلة، أو في القرب منه ﷺ: كونه ﷺ من شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم، فيكون كافلاً لهم ومعلمًا ومرشدًا، وكذا كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه: فظهرت مناسبة ذلك[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث[2] إلى نوع من أنواع البر المحمودة، والتي جعل لها الله سبحانه الجزاء العظيم والثواب العميم، وهو كفالة اليتيم والإحسان إليه.

وقد ذكر الفقهاء[3] أن من أعمال البر الواجبة التي ينبغي للمسلم أن يفطن لها ويعملها البر بالفقراء والمساكين، وخاصة الأيتام لما في ذلك من الإحسان إليهم والرأفة

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٦٣، ٤٦٤.

(٢) الحديث رقم (٢٦٢) والحديث رقم (٢٦٣).

(٣) انظر في ذلك: المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٦٨/٧، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤١٩/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٦٨/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٩٣/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٢٨/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/٤٥.

بهم وإعانتهم على الحياة، وما في ذلك من البركة في العمر والرزق إضافة إلى ما يدخره الله سبحانه للفاعل من الأجر العظيم في الآخرة.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل كفالة اليتيم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: رعاية وكفالة الأيتام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قوله ﷺ "أنا وكافل اليتيم في الجنة ... إلخ" وفي رواية "كافل اليتيم أو لغيره... إلخ" وأسلوب الإخبار أو البلاغ من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين. وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال: «بلغوا عني ولو آية»[٢]، وفي ذلك عظيم الأجر لقوله ﷺ: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا))[٣].

أما أسلوب الترغيب فيعمل على ترغيب النفس وتشويقها إلى فعل الطاعات والانقياد لأوامر الله تعالى. وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما»، وفي رواية "أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار الراوي بالسبابة والوسطى.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

ورد ذكر الإشارة واستعمال النبي ﷺ لها في الحديث من قول الراوي "وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، والإشارة من الوسائل الدعوية التي تلفت انتباه المدعوين وتستحضر أذهانهم، وتعمل على بلورة المعاني في أذهان المدعوين، وقد أفادا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٢٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٢٦٣).

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٤.

استعمال الإشارة في هذا الحديث بيان ملاصقة كافل اليتيم وقربه من النبي ﷺ في الجنة، وهذا مما يحمل المدعو على سرعة المبادرة إلى كفالة اليتامى، والإحسان إليهم، وحسن رعايتهم طمعًا في بلوغ تلك المنزلة الرفيعة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل كفالة اليتيم:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما، وفي رواية "كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة... إلخ"، (وكافل اليتيم هو القائم بأمره ومصالحه من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال إنه حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك، وبين ابن حجر أن في الحديث إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسباب إصبع أخرى)[2].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم جزاء إكرام اليتيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[3].

أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكروننا عند الناس، قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١٠.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٥-١٢.

مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب[١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٢].

قال ابن كثير: " قال ابن جرير: ...، عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال: جبل في جهنم. وقال كعب الأحبار: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ هو سبعون درجة في جهنم، وقال الحسن البصري: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ قال عقبة في جهنم، وقال قتادة: إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله عز وجل. وقال قتادة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾..... وقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذي مجاعة...، وقوله: ﴿يَتِيمًا﴾ أي: أطعم في مثل هذا اليوم يتيمًا"[٣]. وفي ذلك بيان على جزيل الثواب من الله تعالى وعظيم العطاء لمن أكرم يتيمًا، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: «من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وفرَّق بين أصبعيه السباحة والوسطى»[٤].

وفي ذلك بيان على أن كفالة اليتيم من أجل أنواع الطاعات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٨/٨.

(٢) سورة البلد، الآيات: ١١-١٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٠٧/٨، ٤٠٨.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٠/١٥ رقم ٢٢١٥٣، وقال محققو المسند صحيح لغير ٤٧٤/٣٦.

رابعًا- من أهداف الدعوة: رعاية وكفالة الأيتام:

إن من الأهداف الدعوية التي ترمى الدعوة إلى تحقيقها، وإشاعتها في المجتمع الإسلامي، رعاية الأيتام وكفالتهم من خلال بيان تلك المنزلة الرفيعة التي أعدها الله تعالى لكافل اليتيم، حيث تضافرت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على بيان أهمية وفضل رعاية الأيتام، والقيام على كفالتهم، ولذا فإن الأمر يعد من أهم أهداف الدعوة الإسلامية، وهذا ما يستنبط من عموم الحديث، وقد بين الله تعالى أخوة المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وأكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[2].

(وقد كان النبي ﷺ أعظم وخير المكفولين، فقد توفي والده قبل أن يولد ونشأ في كفالة جده عبدالمطلب يَلْقَى من الرعاية والعناية ما يعوضه عن فقد أبيه)[3].

قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله ﷺ مع جده عبدالمطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، قال: "ابن إسحاق": فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْر[4]، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه، ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى منهم ذلك: دعوا ابني، فوالله، إنَّ لهُ لَشَأْنًا، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، وَيَسُرُّه ما يراه يصنع"[5]، "وبعد أن توفي عبدالمطلب وعمره ﷺ قد جاوز الثماني سنوات بقليل، انتقلت كفالته - أخذًا بوصية جده- إلى عمه

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٣٢٤٨/٨.

(٤) الجَفْر: الصبي الذي يقوى على الأكل، لسان العرب في (ج ف ر).

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٩٤/١.

الشقيق أبي طالب"[١]، "فنهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه وضمَّهُ إلى ولده، وقدمه عليهم واختصه بفضل احترام وتقدير، فكان لا ينام إلا وهو إلى جواره ويصطحبه معه ما أمكنته الصحبة"[٢].

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في بيان أهمية كفالة اليتيم كأسنى مقاصد الشريعة.

فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، قَالَ: «كُنْتُ مَعَ نَبِيِّ اللّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ. فَأَدْلَجْنَا لَيْلَتَنَا. حَتَّى إِذَا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ عَرَّسْنَا. فَغَلَبَتْنَا أَعْيُنُنَا حَتَّى بَزَغَتِ الشَّمْسُ. قَالَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَّا أَبُو بَكْرٍ. وَكُنَّا لاَ نُوقِظُ نَبِيَّ اللّهِ ﷺ مِنْ مَنَامِهِ إِذَا نَامَ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ. ثُمَّ اسْتَيْقَظَ عُمَرُ. فَقَامَ عِنْدَ نَبِيِّ اللّهِ ﷺ. فَجَعَلَ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ. حَتَّى اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ وَرَأَى الشَّمْسَ قَدْ بَزَغَتْ قَالَ: «ارْتَحِلُوا» فَسَارَ بِنَا. حَتَّى إِذَا ابْيَضَّتِ الشَّمْسُ نَزَلَ فَصَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ. فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لَمْ يُصَلِّ مَعَنَا. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَا فُلاَنُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَنَا؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللّهِ أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ. فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَتَيَمَّمَ بِالصَّعِيدِ. فَصَلَّى. ثُمَّ عَجَّلَنِي فِي رَكْبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ نَطْلُبُ الْمَاءَ. وَقَدْ عَطِشْنَا عَطَشًا شَدِيدًا. فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ إِذَا نَحْنُ بِامْرَأَةٍ سَادِلَةٍ رِجْلَيْهَا بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ[٣]. فَقُلْنَا لَهَا: أَيْنَ الْمَاءُ؟ قَالَتْ: أَيْهَاهْ. أَيْهَاهْ[٤]. لاَ مَاءَ لَكُمْ. قُلْنَا: فَكَمْ بَيْنَ أَهْلِكِ وَبَيْنَ الْمَاءِ؟ قَالَتْ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ قُلْنَا: انْطَلِقِي إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، قَالَتْ: وَمَا رَسُولُ اللّهِ؟ فَلَمْ نُمَلِّكْهَا مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا حَتَّى انْطَلَقْنَا بِهَا. فَاسْتَقْبَلْنَا بِهَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ مِثْلَ الَّذِي أَخْبَرَتْنَا. وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا

---

(١) انظر: خاتم النبيين، الشيخ محمود أبو زهرة، بيروت، المكتبة العصرية، بدون رقم طبعة أو سنة، ١٦٦/١، والرحيق المختوم، المباركفوري، ٦٦، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم، ٣٢٤٨/٨.

(٢) المرجعان السابقان نفسهما، والصفحات نفسها.

(٣) السادلة: المرسلة المدنية والمزادة معروفة وهي أكبر من القربة والمزادتان: حمل البعير سميت مزادة لأنه يزاد فيها من جلد آخر من غيرها. (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١)

(٤) أي: هيهات هيهات، ومعناه البعد عن المطلوب واليأس منه كما قالت بعده لا ماء لكم أي: ليس لكم ماء حاضر ولا قريب (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

مُوتِمَةٌ[١]. لَهَا صِبْيَانٌ أَيْتَامٌ. فَأَمَرَ بِرَاوِيَتِهَا. فَأُنِيخَتْ[٢]. فَمَجَّ فِي الْعَزْلاَوَيْنِ الْعُلْيَاوَيْنِ[٣]. ثُمَّ بَعَثَ بِرَاوِيَتِهَا. فَشَرِبْنَا. وَنَحْنُ أَرْبَعُونَ رَجُلاً عِطَاشٌ. حَتَّى رَوِينَا. وَمَلأْنَا كُلَّ قِرْبَةٍ مَعَنَا وَإِدَاوَةٍ. وَغَسَّلْنَا صَاحِبَنَا. غَيْرَ أَنَّا لَمْ نَسْقِ بَعِيرًا، وَهِيَ تَكَادُ تَنْضَرِجُ مِنَ الْمَاءِ يَعْنِي الْمَزَادَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ: «هَاتُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ» فَجَمَعْنَا لَهَا مِنْ كِسَرٍ وَتَمْرٍ. وَصَرَّ لَهَا صُرَّةً. فَقَالَ لَهَا: «اذْهَبِي فَأَطْعِمِي هذَا عِيَالَكِ. وَاعْلَمِي أَنَّا لَمْ نَرْزَأْ مِنْ مَائِكِ»[٤] فَلَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا قَالَتْ: لَقَدْ لَقِيتُ أَسْحَرَ الْبَشَرِ. أَوْ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ كَمَا زَعَمَ. كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ذَيْتَ وَذَيْتَ. فَهَدَى اللهُ ذَاكَ الصِّرْمَ[٥] بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ. فَأَسْلَمَتْ وَأَسْلَمُوا»[٦].

وقيام النبي ﷺ بذلك لخير دليل على أهمية رعاية وكفالة الأيتام كهدف من أهداف الدعوة.

---

(١) أي: ذات أيتام (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

(٢) والراوية عند العرب: هي الجمل الذي يحمل الماء (شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨١).

(٣) المج زرق الماء بالفم والعزلاء بالمد هو الشعب الأسفل للمزادة الذي يفرغ منه الماء ويطلق أيضًا على فمها الأعلى كما قال في هذه الرواية العزلاوين والعلياوين (المرجع السابق).

(٤) أي: لم ننقص من مائك شيئًا (المرجع السابق).

(٥) الصرم بكسر الصاد أبيات مجتمعة (المرجع السابق).

(٦) أخرجه البخاري، ٣٤٤، ومسلم واللفظ له ٦٨٢.

الحديث رقم (٢٦٣)

٢٦٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((كَافِلُ اليَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ)) وَأَشَارَ الرَّاوِي -وَهُوَ: مَالِكُ بْنُ أَنَس- بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى. رواه مسلم[1].

وقوله ﷺ: ((اليَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيرِهِ)) مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَو الأَجْنَبِيُّ مِنْهُ، فالقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفُلَهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ، والله أعْلَمُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أشعة الدلالة في هذا الحديث تستمد وهجها ومقاصدها من أضواء الدلالة، وبوارق المعاني في الحديث السابق، ولكن الصياغة تختلف من راوٍ لآخر، فراوي الحديث السابق هو سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وهو من رواية البخاري، أما هذا الحديث فهو من رواية مسلم، والراوي الأعلى هو أبو هريرة رضي الله عنه.

والمضمون في الحديثين منبعهما واحد وهو حرص المصطفى ﷺ على ضرورة كفالة اليتيم، وهذا الحديث يبدأ بالكفالة في قوله: "كافل اليتيم له أو لغيره"، فالبدء بصيغة الكفالة يرشد إلى أهمية هذا النهج بين المسلمين، وفي هذا الحديث أيضًا إضافة توضيحية حيث يشير رسول الله ﷺ إلى أن كافل اليتيم لا ينحصر في أقربائه مثل الأم أو الجد أو الأخ أو غيرهم من قرابته، وإنما أبواب الخير مُشْرَعة، وينابيع التراحم مترعة، وكفالة اليتيم مضمار من الخير والرحمة مفتوح لكل سبَّاق إلى المكرمات، حريص على الفوز بصحبة المصطفى ﷺ في أعلى الدرجات، في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويؤكد المصطفى ﷺ على هذا التكريم لكافل اليتيم حين يقول: "أنا وهو، كهاتين في الجنة"، وهو تكريم لا يحظى به إلا من

---

(١) برقم (٢٩٨٣/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٣٣).

أسلم وجهه لله، وأخلص في نيته وكفالته إرضاء لربه، وحرصًا على صحبة النبي ﷺ في دار القرار، ورغبة في مساعدة ضعفاء المسلمين من الأيتام وغيرهم، حتى لا يصيبهم القنوط، ولا يهزمهم اليأس.

فالتكافل الاجتماعي في ظل الإسلام له صور عديدة متجددة، تجسد النزعة الإنسانية والإيمانية في علاقة المسلم بالآخر، ومن هذه الصور الإنسانية ما قرره المصطفى ﷺ مِنْ حق لمن حضر موسم الحصاد من المعدومين واليتامى والمساكين الذين لا يزرعون أرضًا، ولا يقدرون على استئجارها لسبب ما، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[1]. وقال مجاهد إذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم من السنبل، وإذا جذذت فألق لهم من الشماريخ، وإذا درسته وذريته فاطرح لهم منه[2].

وقريب من ذلك من يحضر من اليتامى والمساكين قسمة الميراث وهم ليس لهم حق في الإرث، يجب على الوارثين أن يعطوا هؤلاء من الميراث شيئًا، عملاً بقول الله عز وجل في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾[3].

وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصية، فإن لم تكن وصية، وَصَلُوا لهم من الميراث[4].

وأهم ضابط للتكافل الاجتماعي في الإسلام، هو الشعور بأن المسلم مستخلف في ماله مهما كثر واتسع مجال استثماره، عملاً بقوله عز وجل: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[5]. وعملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[6].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٠/٧/٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٠/٥/٣.

(٥) سورة الحديد، آية: ٧.

(٦) سورة النور، آية: ٣٣.

وهاتان الآيتان تؤكدان أن المال هو لله سبحانه وتعالى، وقد جعل عباده مستخلفين فيه، فهم وكلاء عن صاحب المال، وعليهم أن ينفذوا عقد الوكالة وفقًا لشروطها، ومن قصر في تنفيذ هذه الشروط فهو مسؤول ومحاسب، أما نسبة ملكية المال للإنسان في أكثر من موضع في القرآن فهى نسبة توكيل، واعتماد ظاهرها التمليك، وحقيقتها التفويض الذي يستتبع المحاسبة. فهل يدرك الموسرون ورجال الأعمال سر هذا الترغيب في كفالة اليتيم، وهل يجملون الحياة في وجه اليتامى والمحرومين؟؟، وهل يفقهون سر هذا الدعاء؟

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٢٦٤)

٢٦٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ [(١)].

وفي رواية في الصَّحيحين: ((لَيْسَ المِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غنىً يُغْنِيه، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ)) [(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتعفف: يترك سؤال الناس مع فقره[(٣)].

ولا يفطن به: لا يعلم[(٤)].

الشرح الأدبي

حين نتأمل الجوانب الإنسانية في ميدان تطبيق التكافل في الإسلام، نجد أنها تشمل فئات كثيرة من أبناء الإسلام، ومن غير المسلمين من أهل الذمة، وهم أكبر شاهد على حضارة الإسلام وإنسانيته، ومن أهم الجوانب الإنسانية للتكافل الاجتماعي في الإسلام وجوب رعاية الفقراء والمساكين، وإذا كانت رعاية الفقير واجبًا دينيًا واجتماعيًا في إطار التكافل، فإن لفقراء الأمة ومساكينها حقًا مقررًا في مال الأغنياء نظمته الزكاة، كما جاء في البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام، وكما أقرت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٩/١٠٢)، وزادا في آخره: اقرأوا إن شئتم: "لا يسألون الناس إلحافا".

(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٩/١٠١). أورده المنذري في ترغيبه (١٢١٧).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٥.

ذلك آيات القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الصحيحة، وهو حق لا يجوز تعطيله ولا منعه، ولا الترخص فيه من قبل الحاكم، ولو أدى به الموقف إلى قتال مانعي نعى الزكاة اقتداء بموقف أبي بكر رضي الله عنه حيث قال: والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه[(١)(٢)].

وفي ضوء هذا التصور الإسلامي نتأمل أسرار اللغة التي تقودنا إلى مقاصد هذا الحديث الشريف في روايته، وأول ما يتبادر إلى الذهن هو السؤال عن دلالة المسكين في اللغة... ودلالته في الحديث الشريف وعند الفقهاء، وكيف أفصح البيان النبوي عن هذه الدلالة في صورة بيانية مشرقة واضحة مرغبة؟ فالمساكين المراد بهم في هذا الباب، هم المحتاجون: والفقراء يشملهم هذا التصنيف، ويقول الشافعي: الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، والمسكين على وزن مفعيل: من السكون، ويقول القرطبي: وكأنه من قله سكنت حركاته، فهو لا يملك ما يجعله كثير الحركة والأسفار، وهو كذلك لا يتحرك للسؤال، وقد أشار الحديث إلى ذلك، فالمسكين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يتعفف؛ ومن دلائل هذا السكون أو المسكنة أنه لا يجد غني يغنيه، ولعدم حركته في السؤال والإعلان عن نفسه، لا يفطن له فيتصدق عليه، وهو لا يتقدم ولا يبادر بالسؤال، كما قال رسول الله "ولا يقوم فيسأل الناس" وهو من الذين وصفهم الله في قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[(٣)]. وقال: ﴿تَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[(٤)]، وهو لا يطوف على الناس حيث يعطفون على من يسألهم باللقمة واللقمتين، والتمرة والتمرتين، وفي القاموس المحيط يقال: أسكنه الفقر أي قلل حركته، وقيل: المسكين: الذليل، والضعيف، فالفقير مع

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٠٠.

(٢) انظر: نص البيان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

المسكين تجمعهما دائرة واحدة وهى الحاجة، ولكن المسكين أشد فقرًا من غيره، وهو يتسم بالتعفف، والفقير عند الأحناف كما جاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة: هو الذي يملك أقل من النصاب، أو يملك نصابًا غير تام يستغرق حاجته، أو يملك نصبًا كثيرة غير تامة تستغرق الحاجة، أما المسكين: فهو الذي لا يملك شيئًا أصلاً، فيحتاج إلى المسألة لقوته، أو لتحصيل ما يواري به بدنه، ولكن كثيرًا منهم يتعففون ولا يسألون الناس إلحافًا، فالمدح هنا لهذه الطائفة المتعففة، ليس على عدم سؤالهم المقيد بالإلحاف، فإن السؤال منفي عنهم رأسًا، في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1]، التفعل هنا للتكلف، وليس على معنى أنهم يتكلفون: فإن التكلف مذموم، بل على معنى إنهم ليسوا بأغنياء في الحقيقة، ولكنهم يتكلفون، ويظهرون كأنهم أغنياء تعففًا عن السؤال. والحديث الشريف أوجز كل الدلالات السابقة في قوله ﷺ في أسلوب القصر: وهو قصر الصفة على الموصوف فقال: إنما المسكين الذي يتعفف، وفي قوله: ليس الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان: إيقاع صوتي ومشاكلة لفظية لمزيد من الاهتمام، والتنبيه على ظاهرة لا يعرفها الناس؛ والاستدراك في قوله: "ولكن" لنفي ما يتوهمه الناس عن المسكين، وإثبات مفهوم آخر، وهو ماثل في الصفات التي حددها له الحديث الشريف.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

المقصود بالمسكين والفرق بينه وبين الفقير: اختلف الفقهاء في ذلك فذهب أبو حنيفة، والمالكية في المشهور، ورواية عن أحمد، إلى أن المسكين دون الفقير، لأن الفقير هو الذي له بعض ما يكفيه ويقيمه، والمسكين الذي لا شيء له[2]، واستدلوا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٧/٦، ٥٨، وحاشية الخرشي ٣٢٦/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٢٢/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥٥/٦ وما بعدها.

بقوله تعالى ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[١].

وذهب الشافعية في الأصح، والحنابلة في الصحيح من المذهب، إلى عكس ذلك فقالوا: إن الفقير دون المسكين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾[٢] فسماهم مساكين مع أن لهم سفينة يعملون فيها[٣]، وذهب أبو يوسف وابن القاسم وسائر أصحاب مالك إلى أنهما سواء، لا فرق بينهما في المعنى، وإنما افترقا في الاسم، وذلك لأن المسكنة لازمة الفقر[٤].

وفائدة الخلاف في الفقير والمسكين هل هما صنف واحد أم صنفان تظهر: فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين، فمن قال هما صنف واحد، قال: يكون لفلان نصف الثلث وللفقراء والمساكين نصف الثلث الباقي، ومن قال هما صنفان يقسم الثلث بينهم أثلاثًا[٥].

---

(١) سورة البلد، آية: ١٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ٧٩.

(٣) روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٥٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٢٢/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥٥٥/٦ وما بعدها.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٧/٦، ٥٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٠٥/٣.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٧/٦، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ١٨٣/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤١٢/١٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٦/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: أسلوب القصر.

ثانيًا: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعفف.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تحري وضع الصدقة.

أولاً- من أساليب الدعوة: أسلوب القصر:

ورد أسلوب القصر في الحديث في قوله ﷺ "ليس المسكين الذي ترده التمرة... إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية أخرى "ليس المسكين الذي يطوف على الناس...، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس" والقصر الوارد في الحديث يفيد تخصيص المسكين بأنه الذي يتعفف ولا يجد غنى يغنيه، وهو من الأساليب الدعوية التي تعمل على إرشاد المدعوين.

ثانيًا- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة:

هناك مهام منوطة بالداعية يستطيع تحديدها من خلال المواقف التي تعرض له، أو من خلال المدعوين الذين يتعامل معهم فيعمل على بيان ما يحتاجون إليه، ومن ذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة، ومن مهام الداعية التي تضمنها هذا الحديث قيام النبي ﷺ بتصحيح بعض المفاهيم المتعلقة بحقيقة المسكين، وقد ورد ذلك في قوله ﷺ "ليس المسكين الذي ترده التمرة... إلخ".

قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أراد أن يبين أن المسكين؛ ليس "الشحاذ" الذي "يشحذ" الناس، ترده اللقمة واللقمتان، بل المسكين حقيقة هو الذي يتعفف كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1] هذا هو المسكين حقيقة، لأنه لا يسأل فيُعطى ولا يتفطن له فيعطى)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٤٥/١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية التصدق بالشيء اليسير، حيث ورد ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان"، وقد حث النبي ﷺ على التصدق بأيسر الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب، إلا أخذها الله بيمينه، فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه. حتى تكون مثل الجبل أو أعظم))[(١)].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))[(٢)]. قال ابن حجر: (إنه يتناول الكثير والقليل من الصدقة)[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((دخَلَتِ امرأةٌ معَها ابنتانِ لها تَسألُ، فلم تَجِدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأعطيتُها إيَّاها، فقَسَمَتْها بينَ ابنَتَيْها، ولم تأكُلْ منها، فدخَلَ النبيُّ ﷺ علينا، فأخبرتهُ فقال: مَنِ ابتُلِيَ من هذهِ البَناتِ بشيءٍ كنَّ له سِترًا مِنَ النار))[(٤)].

وهذا مما يؤكد على أهمية التصدق ولو بالشيء اليسير. لعل الله أن يجعل في ذلك النجاة من النيران والفوز بالجنان.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التعفف:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: فضل التعفف في حياة المؤمن، وصيانة كرامته، حيث أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية "لا يقوم فيسأل الناس" وقد بين النبي ﷺ عظم فضل التعفف عن المسألة فقال: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[(٥)]، وقال ﷺ: ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٣٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٤١٨.

(٥) أخرجه أبو داود ١٦٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٤٤٦).

مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ . وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))[١] وهذا فضلاً عن عون الله تعالى لمن يستعفف وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغنِ يُغنِهِ اللهُ))[٢].

قال النووي: (وفي هذا الحديث الحث على التعفف والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا)[٣]، وفي ذلك بيان على فضل التعفف عن المسألة والحث عليه، لما للتعفف من آثار حميدة منها: أن التعفف ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف وهو دليل كمال النفس وعزها[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تحري وضع الصدقة:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث، تحرى المؤمن لوضع الصدقة وبذلها، وهذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "إنما المسكين الذي يتعفف" وفي رواية "ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس"، قال ابن هبيرة: (قد حث الحديث على شدة التفقد؛ ليكون البر واصلاً إلى الأحوج فالأحوج)[٥].

(وقد أوصى الله تبارك وتعالى بالبحث عن الفقراء المتعففين وتعهدهم بالعطاء)[٦]، فقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَآءِ ﴿٢٧٢﴾ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٧].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٦٢.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد وآخرون، ٢٨٨٨/٧.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٢/٦.

(٦) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٤٩٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(فهذا الصنف من الفقراء، أفضل ما وضعت فيهم النفقات لدفع حاجتهم، وإعانة لهم على مقصدهم طريق الخير، وشكرًا لهم على ما اتصفوا به من الصبر، والنظر إلى الخالق، لا إلى الخلق)[1].

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٩٦، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٤٥/١.

الحديث رقم (٢٦٥)

٢٦٥- وعنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ)) وَأَحسَبُهُ قَالَ[1]: ((وَكالقَائِمِ الَّذِي لاَ يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لاَ يُفْطِرُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القائم الذي لا يفتر: يقال: فَتَرَ: فتورًا: أي لان بعد شدة أو سكن بعد حدّة ونشاط[3].

الشرح الأدبي

في دوحة التكافل الاجتماعي تتحرك مقاصد وأهداف هذا الحديث الشريف، حيث يرغب المصطفى ﷺ في إشاعة نزعة التعاطف والتكافل من خلال السعي على رعاية طائفتين من المحتاجين وهما تتمثلان في: "الأرملة والمسكين"، ويشبه رسول الله ﷺ الساعي عليهما، والذي يقوم بمساعدتهما، وقضاء مآربهما بثلاث طوائف من العباد: وهم المجاهدون في سبيل الله، والمصلون الذين يقومون الليل ولا يفترون، والصائمون الذين لا يفطرون.

وهذا التشبيه يربط بين سلوك المسلم العملي وتعاطفه مع الأرامل والمساكين، وثواب المجاهدين الذين يخوضون ساحات القتال ويفوزون بإحدى الحسنين، وبثواب الصائمين الذين يجاهدون شهوتى البطن والفرج، وكل شهوات الجوارح ورغبات النفس ومتعها الحسية، وبثواب المتهجدين الذين يظمئون نهارهم، ويسهرون ليلهم في العبادة

---

(١) الشكُّ من القعنبيّ كما في رواية البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢/٤١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٤٩).

(٣) الوسيط (٦٧٢).

والتهجد، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، ويمكن أن يسمَّى هذا النوع من التشبيه "علاقة" وهو من التشبيهات التي هي بمنزلة مقارنات لطيفة المسعى إلى مقاصد الترغيب والترهيب، وهى نمط خاص بالحديث النبوي، إذ يشبه مقام بمقام بعمل آخر ومثوبة أخرى، وكلاهما من المفاهيم الدينية، وفائدة هذه التشبيهات زرع المشاعر التي تموج في صدر المُشبِّه لتكون في صور المشبه، وفي هذا تحفيز هائل.

وفي الصور التشبيهية التي نتأمل جوانبها في هذا الحديث الشريف تأتي كاف التشبيه في الصورة الأولى في مكانها المناسب، لتعني أن كل طرف قائم بذاته، ولكن الترغيب في الفضائل هو الذي يجعل الأول يصعد إلى مرتبة الثاني، أما وجود مشبه به ثان، فهو دلالة على عظم العطاء الرباني وإطلاقه وعدم تحديده.

وكلمة "الساعي"، تنبئ في معناها على التحرك والمشي السريع المتوالي، فالحركة تومئ إلى الاهتمام الشديد، ويصور الحرف "على" في قوله: "الساعي على الأرملة والمسكين"، الإحاطة التامة بشؤون الأرملة والمسكين من كل جانب، فأنى تلفتا وجدا هذا الساعي الفاضل، الذي وصل إلى مرتبة المجاهد، مع أن الجهاد من أحب الأعمال إلى الله ، وقد وصل هذا الفاضل الساعي على الأرملة والمسكين إلى درجة المصلي الذي لا يتوقف عن الصلاة، والصائم الذي لا يفطر[1].

ودلالة الألفاظ في هذا الحديث تفصح عن كثير من المقاصد والمعاني، فالأرملة هي التي فارقها زوجها، وقال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر، وذهاب الزاد بفقد الزوج، ويقال أرمل الرجل: إذا فنى زاده.

وفي القاموس المحيط: امرأة أرملة: محتاجة أو مسكينة، والأرمل من الأعوام: القليل المطر والنفع، فالكلمة في دلالتها اللغوية، والاصطلاحية تقيد معنى الحاجة، والمسكنة، ولذلك نجد الجمع بين الأرملة والمسكين في هذا الحديث الشريف، وقيل في تفسير سر التشبيه بالمجاهد في الصورة الأولى، شبه به لأن القيام على المرأة بما

---

(١) الصورة الفنية في الحديث النبوي الشريف، د. أحمد ياسوف.

يصلحها ويحفظها ويصونها، لا يتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم، ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يكسلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النية فيه، كما يقول صاحب دليل الفالحين[1].

والصورتان الثانية والثالثة، جاءت صياغتهما في قالب متوازن متناسق حيث تشابهت الجملتان في بنائهما اللغوي، وتناسقتا في صورة تحاكي الشبه بين ثواب الساعي في الخير وثواب المتهجد الذي لا يفتر، والصائم الذي لا يفطر، وهذا الساعي الفاضل لا يفتر ولا تكل همته في مساعدته ورعايته لهذين الصنفين ليلاً ونهارًا، وهو يتحمل المشقة والعناء والمجاهدة كما يتحملها الصائم الذي يتوالى صومه ولا ينقطع.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي بأعمال البر، وهو حكم النفقة على الأرامل والضعفاء والمساكين، وقد ذكر الفقهاء[2] أن السعي على الأرامل والمساكين واليتامى من أفضل طاعات البدن، حتى إنه يعدل الجهاد في سبيل الله في عِظَم الثواب وجزيل الأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتشبيه والتمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل السعي على الأرملة والمسكين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حرصه على دلالة المدعوين على الخير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل المجاهدين في سبيل الله.

خامسًا: من أهداف الدعوة: تحقيق التكافل الاجتماعي.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٤٦٥، ٤٦٦

(٢) انظر في ذلك: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتشبيه والتمثيل:

الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على بيان وتوضيح دعوته للمدعوين بما ييسر لهم فهم ما خفي عنهم من أمور دينهم، وفي ذلك عظيم الفائدة وكمال الأجر، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين.. إلخ"، أما أسلوب التشبيه والتمثيل فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "كالمجاهد في سبيل الله... وكالقائم... وكالصائم"، وأسلوب التشبيه والتمثيل من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تقريب المعاني والمضامين لأذهان المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل السعي على الأرملة والمسكين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"، وأحسبه قال: "وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر"، وإنما شبه الساعي على الأرملة بالمجاهد، لأن القيام على المرأة بما يصلحها وما يحفظها ويصونها، لا يُتصور الدوام عليه إلا مع الصبر العظيم، ومجاهدة النفس والشيطان، فإنهما يُكسِّلان عن ذلك ويثقلانه ويفسدان النيات في ذلك، وربما يدعوان بسبب ذلك إلى السوء ويسوِّلانه ولذلك قلَّ من يدوم على ذلك العمل، وأقل من ذلك من يسلم منه، فإذا حصل ذلك العمل، حصلت منه فوائد كشف كرب الضعفاء وإبقاء رمقهم وسد خلتهم وصون حرمتهم[1]. والساعي كما بينه ابن حجر: (هو الذي يذهب ويجئ في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين والسعي هو العمل)[2].

قال النووي: (والأرملة من لا زوج لها سواء كانت تزوجت أم لا، وقيل: هي التي فارقت زوجها، قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج، يقال: أرمل الرجل إذا فني زاده)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦١٣/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٠/٩، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٣١/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وفي قيام الساعي بذلك يكون مستحقًا لهذا الوعد في كونه كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر)[١]، وفي ذلك بيان على فضل السعي على الأرملة والمسكين.

ثالثًا- من مهام الداعية: حرصه على دلالة المدعوين على الخير:

يتضح ذلك من خلال ما ورد في الحديث من حرصه ﷺ على دلالة المدعوين على الخير، وذلك في قوله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله... إلخ"، وقد بيّن الحق تبارك وتعالى حرص النبي ﷺ على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، أي: حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر[٣].

فعلى الداعية أن يقتدي في حرصه على إرشاد المدعوين إلى الخير بالنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل المجاهدين في سبيل الله:

إن مما يبين فضل المجاهدين في سبيل الله ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "كالمجاهد في سبيل الله"، وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل المجاهدين في سبيله فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٤٧/١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، (وقد بين الحق تبارك وتعالى في ذلك أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة)[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[3].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "تضمن الله لمن خرج في سبيله"، أي: أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[4]، أما الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام فهو الجرح، ويكلم بإسكان الكاف أي يجرح، وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته: أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى)[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦، ومسلم ١٨٧٦ واللفظ له.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، ومَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أو نُكِبَ نَكْبَةً فإنها تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرَ ما كانَتْ لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ ورِيحُهَا كالمِسْكِ))[1]، وفي ذلك بيان على عظم فضل المجاهد في سبيل الله.

خامسًا- من أهداف الدعوة: تحقيق التكافل الاجتماعي:

تضمن هذا الحديث هدفًا من أهداف الدعوة وهو تحقيق التكافل الاجتماعي، ولا شك أن ذلك من الأهداف العظيمة التي ترمي الدعوة إلى تحقيقها، وقد جاء عموم الحديث ليؤكد على هذا الهدف من خلال حثّه ﷺ على السعي على الأرملة والمسكين، وذلك في قوله ﷺ: (الساعي على الأرملة والمسكين... إلخ)، وقد أكد الحق تبارك وتعال على تحقيق هذا التكافل فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

قال السعدي في ذلك: (ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ومما يحصل به التآلف والتوادد، والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض)[3]، فالمؤمنون كما قال ﷺ: ((فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[4]. وبذلك يتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة الإسلامية، الذي حث عليه الإسلام، وجعله سياجًا للمجتمع، وحماية له من مظاهر الفقر والعوز، إن من غايات الإسلام أن يقضي على الفقر ويستأصل شأفته، فلا يبقى فقير مضيَّع، ولا محتاج لا كفاية له، وأن يحفظ للفقراء قواهم البدنية بالرعاية والكفالة، فإن لهم أفواهًا ومعًى وأجسادًا، ولهم قلوب ومشاعر وعواطف، وأن تُراعي هذه القلوب والمشاعر وأن تحفظ هذه الكرامات.

---

(١) أخرجه الترمذي ١٦٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٤٨).

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٤٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير؛ والفقر هو أعظم مهدر للكرامة، ولا أن تضعف جسومهم، والفقر هو أعظم معول لهدم الجسم، ولا أن ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار، فقد يكون لهم من المكان والقدرات، ومن القوى العقلية ما يستطيعون بها أن يصلوا إلى القمة من السيادة والقيادة والعلم والعمل[1].

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٢٤-١٢٧.

الحديث رقم (٢٦٦)

٢٦٦- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا: وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ)) رواه مسلم[1].

وفي رواية في الصَّحيحين، عن أَبي هريرة من قوله: ((بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ[2])) [3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الرابع الذي يرويه أبو هريرة في هذا الباب، ولنتساءل: ما مناسبة مجيء هذا الحديث في روايته الأولى هنا؟

إن الرواية الثانية تفسر ذلك السبب، وتعطي الإجابة الشافية حيث يثير الحديث في روايتيه: ظاهرة الاهتمام بالأغنياء، وإهمال الفقراء، ولكن الأسلوب في الحديث الأول فيه من التلميح والتعريض والإيماء، والضمائر التي لا مرجع لها في الحديث بصورة صريحة. فالضمير في قوله ﷺ: "من يأتيها" يرجع إلى "الفقراء والمساكين"، لأنهم يأتون هذه الموائد نظرًا لحاجتهم إلى الطعام الذي لا يجدونه في بيوتهم، والضمير في "يأباها"، يرجع إلى الأغنياء الذين يدعون ولا يأتون.

ولنتأمل هذه المفارقة العجيبة في هذا السلوك المعوج من أصحاب الولائم، يلهثون وراء الذين يرفضون دعوتهم ولا يحتاجون إلى طعامهم، وفي الوقت نفسه يمنعون ويحرمون من يأتي محتاجًا ذا فاقة وحاجة.

---

(١) برقم (١٤٣٢/١١٠) من حديث سفيان، عن زيادة. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨١).

(٢) لفظ مسلم: (المساكين).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٧٧)، ومسلم (١٤٣٢/١٠٧) من حديث مالك، عن ابن شهاب. والسياق للحميدي في جمعه (١١٧/٣، رقم ٢٣٢٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨١).

ومن خلال هذه المفارقة يتجسد "الشر" الذي وصف به ذلك الطعام، بل هو أشر الأطعمة، كما جاء في هذا البيان النبوي البليغ، حيث بدأ الحديث بأسلوب التفضيل، "شر الطعام" أي: أكثر الطعام شرورًا لأنه لم يقدم ابتغاء وجه الله، ولا لمساعدة الأيتام وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين إحسانًا إليهم وشفقة عليهم، وتواضعًا معهم، كما جاء في عنوان هذا الباب من رياض الصالحين، وقد ورد أنه قيل من عظم غنيًا ذهب ثلثا دينه، وذلك لأن أعمال العبادة باللسان والجنان، والأركان، فهذا الذي حرم الفقراء، وعظم الأغنياء لغناهم فقط وليس لعملهم الصالح، استعمل لغرض نفسه ثلثى ما يستعمل في العبادة، فأثنى عليه بلسانه بالباطل، وأكرمه بجوارحه طمعًا فيما عنده، قالوا: فإن جمع إلى تعظيمه بلسانه وأركانه تعظيمه بجنانه ذهب جميع دينه!!. فأى شر أعظم من هذا، وأى نفق مظلم يستقبل مصير الإنسان أخطر من هذا النفق السلوكي الحياتي في ظل هذا المنهج المعوج.

ولغة الحديث تفصح عن مقاصده، وألفاظه تجسد دلالاته ومعانيه، وتراكيبه تفصح عن ثمراته وآثاره.

فالوليمة: الطعام المتخذ للعرس، ومادتها اللغوية مأخوذة من "الولم"، وهو الجمع وذلك لأن الزوجين يجتمعان ويكونان مجتمعًا واحدًا وذرية متواصلة، وقيل "الوليمة" إصلاح الطعام واستدعاء الناس لأجله، وهى تجمع الناس وتقع على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من زواج وختان، وغيرهما، وهي في العرس أشهر[1].

ولنتأمل هذه المقابلة التي تتشكل من التضاد بين الألفاظ والمواقف، فقوله "يمنعها" يتضاد مع "يدعى إليها"، وقوله: "يأتيها" يتضاد مع: "يأباها"، والمقابلة التي تصنع المفارقة تنشأ من ارتباط الإتيان بالمنع، وارتباط الرفض، بالدعوة والقبول، إنه موقف عجيب غريب كما قال الشاعر.

أريد فلا أُعْطَى، وأُعطي ولم أرد"!!!.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٦، ٤٦٧.

وبناء الفعلين "يمنعها، ويدعى إليها" للمجهول، يرشد إلى رفض هذا السلوك، ورفض صاحبه الذي طعامه: شر الطعام.

وفي القسم الثاني من الحديث: يأتي أسلوب الشرط: ليحدد قاعدة شرعية، وليرشد إلى خير الطعام، وهو الوليمة التي تعد في مواسم الخير والسرور والأعراس، ويدعى إليها الأقارب والفقراء، والأصدقاء بلا تمييز ولا منع، ولا تحيز، ولا رياء، وقيل المراد هنا : الدعوة لوليمة النكاح.

والرواية الثانية: تأتي في أسلوب الذم، "بئس الطعام طعام الوليمة" وهو كذلك شر الطعام، وهنا تصريح بما أومأ إليه في الرواية الأولى: حيث حدد المدعوين وهم الأغنياء، والمتروكين وهم الفقراء، والجملة الثانية بيان لسبب جعل هذا الطعام مذمومًا، ودلالة الفعل "يترك" تؤكد حق الفقير، فالأمر ليس حرمانًا فقط، لأن في اللغة يقولون: ترك حقه إذا أسقطه: فيؤخذ من التعبير، كما يقول صاحب دليل الفالحين[1]: أن للفقراء الحق في ذلك، وأن المانع لهم ساع في إسقاط حقهم، فتأمل بلاغة هذا البيان النبوي العظيم، فهو كما يقول الرافعي: كلام كلما زدته فكرًا زادك معنى، وتفسيره قريب، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك على قدر ما أنت معه، فهو بيان من أعطى جوامع الكلم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم إجابة الدعوة إلى الوليمة، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٢٣٨، ويزيد في هذا الحديث وصفه ﷺ لها بأنها شر الطعام متى دعي فيها الأغنياء وترك الفقراء، ولذا اشترط الفقهاء[2] القائلون بوجوب إجابة الداعي

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٧.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٤٩/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ٢٤١/٥، والأم، الإمام الشافعي ١٩٥/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٤٤/٣، وإحكام الإحكام لابن دقيق العيد ٢٩٥/٢، والفروع لابن مفلح٢٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣١٨/٨، والمغنى٢١٣/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٧/٢٠، ٢٤٥/٤٥.

للوليمة للزوم إجابتها أن لا يظهر من الداعي قصد تخصيص الأغنياء من أجل غناهم، فلو خصهم بالدعوة لأجل غناهم، لم يجب على المدعو إجابة الدعوة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب - الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل إجابة الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالفقراء والحث على إكرامهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب، الشرط:

١- **الترهيب:** حيث قال النبي ﷺ في الحديث: (شر الطعام طعام الوليمة)، وفي رواية: (بئس الطعام طعام الوليمة)، إن الترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[1]. وفي هذا الحديث يرهّب النبي ﷺ من طعام الوليمة الذي يُدعى إليه من يرفضه من الأغنياء، وتترك دعوة من يجيب من الفقراء.

فيجب على الداعية استخدام أسلوب الترهيب في موقعه المناسب (نظرًا لأن هناك بعضًا من الناس، وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف، وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة؛ فكان الترهيب والتخويف مناسبًا لذلك[2].

٢- **الشرط:** ورد الشرط في هذا الحديث في قوله ﷺ: "ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"، ويعتبر أسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين إلى الجواب، ويشد الفكر إلى ترقبه، كما أن الشرط يربط بين العمل والجزاء عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل إجابة الدعوة:

إن مما يستنبط من هذا الحديث أهمية وفضل إجابة الدعوة إلى الطعام وقد ورد ذلك في قوله ﷺ: "ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله"، وقد جاء في القرآن

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

الكريم ما يدل على آداب إجابة الدعوة إلى الوليمة، وذلك عندما تزوج رسول الله ﷺ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، نزل القرآن يعلم آداب إجابة الدعوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[1].

قال ابن عاشور: (ومعنى ذلك لا تحضروا البيوت للطعام قبل تهيئة الطعام للتناول فتقعدوا تنتظرون نضجه، وكذلك البقاء بعد انقضاء الطعام فإنه تجاوز لحد الدعوة لأن الدعوة لحضور شيء تقتضي مفارقة المكان عند انتهائه، لأن تقييد الدعوة بالغرض المخصوص يتضمن تحديدها بانتهاء ما دعي لأجله، وفي هذه الآية دليل على أن طعام الوليمة وطعام الضيافة ملك للمتضيف وليس ملكًا للمدعوين ولا للأضياف، فلذلك لا يجوز لأحد رفع شيء من ذلك الطعام معه)[2]، وقد جاء الأمر بإجابة الدعوة ففي الحديث: ((إذا دُعِي أحدُكُم إلى الوليمة فلْيأتِها))[3]، وفي الحديث أيضًا: ((إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ فَأَجِيبُوا))[4]، وفيه أيضًا: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))[5]، قال النووي: (فالصوم ليس بعذر في الإجابة، فإذا دعي وهو صائم لزمه الإجابة كما يلزم المفطر ويحصل المقصود بحضوره، وإن لم يأكل فقد يتبرك به أهل الطعام والحاضرون وقد يتجملون به، وقد ينتفعون بدعائه أو بإشارته، أو ينصانون عما لا ينصانون عنه في غيبته)[6].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (والحديث يدل على أن إجابة الدعوة واجبة لأنه لا شيء يكون معصية بتركه إلا وهو واجب)[7].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٣.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٨١.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٧٣، ومسلم ١٤٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٤٣٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩٥.

(٧) شرح رياض الصالحين ١/٦٤٨.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالفقراء والحث على إكرامهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، ومما ورد في قوله ﷺ: "يمنعها من يأتيها ويُدْعَى إليها من يأباها"، وفي رواية: "يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء"، شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله، قال أبو العباس القرطبي: (سياق أن الجهة التي يكون فيها طعام الوليمة شر الطعام إنما هي ترك الأولى، وذلك أن الفقير هو المحتاج للطعام الذي إن دعي سارع وبادر ومع ذلك فلا يدعى، والغني غير محتاج ولذلك قد لا يجيب أو تثقل عليه الإجابة ومع ذلك فهو يدعى، فكان العكس أولى، وهو أن يدعى الفقير ويترك الغني، ولا يفهم من هذا القول: أعني الحديث. تحريم ذلك الفعل، لأنه لا يقول أحد بتحريم إجابة الدعاء للوليمة.

ولذلك كره العلماء اختصاص الأغنياء بالدعوة، ومقصود هذا الحديث: الحض على دعوة الفقراء والضعفاء، ولا تُقصر الدعوة على الأغنياء، كما يفعل من لا مبالاة عنده بالفقراء من أهل الدنيا[1].

وما من شك في أن الإسلام اعتنى بالفقراء وحث على إكرامهم في الدعوة والمجلس، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾[2]، وعاتب الله نبيه لما أقبل على الأغنياء وترك الفقراء قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾[3].

(إن أول واجب إنساني نحو الضعفاء والفقراء الرحمة التي تتمثل في الرفق بهم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/١٥٥، ١٥٦.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٣) سورة عبس الآيات: ١ - ٤.

والحنو عليهم، والمساهمة الفعالة في تخفيف آلامهم، ودفع ما ينزل بهم من ضرر وجور، ومحاولة الترفيه عنهم بكل وسيلة ممكنة، فإذا تحجرت القلوب، وغلظت الأكباد، وتنكرت للقيام بهذا الواجب الإنساني، كان ذلك إيذانًا بأن هؤلاء القساة ليسوا أهلاً لأن ينتظموا في سلك السعداء وإنما عني الإسلام بشأن هؤلاء:

أولاً: لأنهم أناس ومن حق الإنسان أن تصان كرامته ويأخذ حقه كاملاً غير منقوص.

ثانيًا: لأنهم يمثلون الأكثرية في كل مجتمع، والمجتمع الصالح لا بد له من رعاية أمثال هؤلاء، لأنهم قوة وثروات بشرية يمكن الانتفاع بها لو أحسنت رعايتها، ووجهت الوجهة الصالحة لاستخراج ما فيها من قوى وطاقات.

ثالثًا: إن رعاية هؤلاء تقي المجتمع من أن يتعرض للهزات التي تؤثر في كيانه، وتقيه شر التمرد عليه)[1].

وهذا الموضوع من الموضوعات الدعوية المهمة فيجب على الدعاة تنبيه المدعوين له وحثهم على إكرام الفقراء.

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٤٩، ٢٥٠.

الحديث رقم (٢٦٧)

٢٦٧- وعن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْن حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أنَا وَهُوَ (كَهَاتَيْنِ)**[1])) وضَمَّ أصَابِعَهُ. رواه مسلم[2].

((**جَارِيَتَيْنِ**)): بنتين.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عال جاريتين: قام عليهما بالمؤونة والتربية ونحوهما[3].

جاريتين: بنتين[4].

الشرح الأدبي

لقد أعاد الإسلام للمرأة مكانتها، وفرض لها حقوقًا، وألزمها بواجبات، تحفظ كرامتها، وتصون عرضها وعزتها، وقال رسول الله: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))[5]، وقد كان المصطفى ﷺ القدوة المثلى في حسن معاملة النساء، وفي حسن عشرتهن، ولين الجانب معهن، ومواقفه المضيئة بجلائل الأقوال والأعمال مع زوجاته وبناته ونساء المؤمنين، تظل نبراسًا لكل من ينشد الحكمة والحقيقة، ولكل من يتصدى لأي دعوة إصلاحية اجتماعية، فكان ﷺ، لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانتِ الأمَة من إماء أهلِ

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وإنما هي عند الترمذي (١٩١٤). تنبيه: أورد المنذري عقب إيراده للفظ الحديث عن مسلم، لفظ الترمذي، وجمع المؤلف بين لفظي مسلم والترمذي.

(٢) برقم (٢٦٣١/١٤٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٦).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٦٧.

(٤) رياض الصالحين (١٥٥).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٨٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٥٧).

المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت)[١]. والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عم بلفظ الإماء: أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت" أي: من الأمكنة، والتعبير باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك، وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر.

وفي ضوء هذه الآثار الجليلة، والمقاصد النبيلة، والسلوكيات الجميلة: نستقبل مقاصد هذا الحديث ودلالاته، ونقرأ ما يكمن من أسرار خلف ألفاظه وعباراته، فالحديث يدعو إلى رفض هذه النزعة الجاهلية التي كانت تتشاءم بولادة البنات، وإغراقًا في التشاؤم، وإمعانًا في الكفر كانوا يدعون إلى وأد البنات: خشية العار والإملاق، وضنًا عليهن بالإنفاق، وخوفًا من تحول الميراث إلى الأغراب فيتفرق المال، وتضعف الأعراق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢].

وقضاءً على هذا السلوك، وذلك المنهج الفاسد: يبشر رسول الله ﷺ كل من قام برعاية بناته وأخواته وعماته، وكل من يتصل به من نسب: ومن إمائه وجواريه، فهو مع رسول الله ﷺ في الجنة يوم القيامة، وضم أصابعه: إشارة إلى شدة القرب والملازمة لرسول الله ﷺ، وفي حديث سابق قيل: وفرج بينهما، دلالة على المصاحبة ولكن في درجة أقل، أما هنا، فالإشارة تعني أن الصحبة قريبة، وأن من يحسن رعاية النساء، ويحسن عشرتهن، ويحافظ عليهن ويصون أعراضهن، فهو في معية النبوة، وطيب الصحبة، وأي فضل أعظم من هذا الفضل العظيم في صحبة النبي الكريم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

والحديث في بنائه اللغوي صيغ في جملة شرطية واحدة: وهذه الصياغة اللغوية تفصح عن تحقق الثواب، ومضاعفه الجزاء، لأن الجزاء من جنس العمل، وألفاظ الحديث ذات دلالات لغوية متسعة تتماوج مع المعنى، وتزيده جلاءً وتأثيرًا: فمعنى: "أعال جاريتين": أي قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما: والعول هو العون: ومنه: عال الرجل اليتيم عولاً: أي كفله وقام به وفي القاموس المحيط: العول: كل ما عالك، والمستعان به، وقوت العيال، وعول عليه معولاً: اتكل واعتمد، والتعبير بحتى يفيد الغائية: أي تظل الرعاية متواصلة حتى سن البلوغ أو الزواج، ويقول القرطبي: ويعني ببلوغهما: وصولهما إلى حال يستقلان بأنفسهما، والتعبير بالجارية: لا يعني: الأمة فقط، ولكن المراد جنس النساء، والجارية في اللغة من معانيها: السفينة، وقيل للأمة جارية على التشبيه لجريها مسخرة في أشغال مواليها، وقيل الجري: بوزن الوصي: الوكيل، لأنه يجري في أمور موكلة، ومنه الجارية لجريانها وخفتها في إنجاز الأمور، وما أعظم صحبة الحبيب محمد ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون.

فقه الحديث

الإحسان أن يكون بأداء الواجب أم زيادة عليه؟

قال ابن حجر: (وقد اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر على قدر الواجب أو بما زاد عليه؟ والظاهر الثاني، فإن عائشة رضي الله عنها أعطت المرأة التمرة فآثرت بها ابنتيها فوصفها النبي ﷺ بالإحسان بما أشار إليه من الحكم المذكور، فدل على أن من فعل معروفًا لم يكن واجبًا عليه، عدّ محسنًا، والذي يقتصر على الواجب، وإن كان يوصف بكونه محسنًا، لكن المراد من الوصف المذكور قدر زائد، وشرط الإحسان أن يوافق الشرع لا ما خالفه، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوجٍ أو غيره، كما أشير إليه في بعض الأحاديث[1]، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله)[2].

---

(١) قال ابن حجر: وفي حديث ابن عباس عند الطبراني: "فأنفق عليهن وزوجهن وأحسن أدبهن"، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٤٢/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٤٢/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل رعاية البنات الأيتام.

ثالثًا: من واجبات الداعية: استثارة همم المدعوين لتحصيل معالي الأمور.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث: (من عال جاريتين)، ولا شك أن الشرط من الأساليب الدعوية التي تحفز المدعوين إلى معرفة الجواب مما يلفت انتباههم، كذلك فإن أسلوب الشرط يقرن بين العمل والجزاء عليه، وواجب الدعاة الاستفادة من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى.

٢- **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: "جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين"، وهذا تحفيز وترغيب للإقدام على الفعل، فالترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1]، ولا شك أن الإنسان مجبول على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، لذا فإنه يحسن بالداعية أن يفيد من ذلك، كما أن (للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد، والقيام بمقتضياتها وشروطها، والترغيب في أركان الإسلام، والترغيب في بقية أنواع الطاعات وأشكالها كبرِّ الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإحسان إلى اليتيم والجار)[2]، والداعية الحصيف هو الذي يعرف متى يستخدم أسلوب الترغيب، ومتى يستخدم الترهيب ويوازن بينهما.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل رعاية البنات الأيتام:

يستنبط ذلك مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين"، ولا شك أن هذا يدل دلالة قاطعة على فضل رعاية البنات

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

الأيتام، قال النووي: (وفي الحديث فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن، ومعنى عالها: قام على أمورهما بالمؤنة والتربية ونحوهما)[١].

وقال ابن عثيمين: (في هذا الحديث فضل عول الإنسان للبنات، وذلك لأن البنت قاصرة ضعيفة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها، فلذلك جعل النبي ﷺ من يحسن إليها رفيقًا له في الجنة، والعول في الغالب يكون بالقيام بمؤونة البدن من الكسوة والطعام وكذلك يكون في غذاء الروح بالتعليم والتهذيب والتوجيه)[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله ﷺ: "جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه" يريد رفاقته معه في الجنة، أو دخوله معه إياها في أول من يدخل وكفى بهذا فضلاً)[٣].

هذا وقد أمر الله في القرآن بالإحسان إلى اليتيم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٤]، وبيّن جزاء من يقصر في حق اليتيم، فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[٥]، وبيّن سبحانه أن من صفات المتقين: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[٦]، وأرشد سبحانه إلى أن من وسائل العتق من النار الإحسان إلى اليتيم: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٧].

ثالثًا- من واجبات الداعية: استثارة همم المدعوين لتحصيل معالي الأمور:

إن من أهم الواجبات التي تجب على الداعي أن يعمل باستمرار لاستثارة همم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٦٥٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/ ١١١.

(٤) سورة الضحى، آية: ٩.

(٥) سورة الماعون، الآيات: ١ - ٣.

(٦) سورة الذاريات، آية: ١٩ .

(٧) سورة البلد، الآيات: ١٣ - ١٦.

المدعوين لتحصيلهم معالي الأمور، يستفاد ذلك مما ورد في عموم الحديث في قوله ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه)، ولا شك أن ذلك تشويق للمدعوين للوصول إلى هذه الدرجة العالية، وهي رفقة النبي ﷺ، فيجب على الداعية أن يرتفع بهمة المدعوين، ويرشدهم إلى أعلى درجات الفضل والثواب على الأعمال، ليكون ذلك أدعى إلى تنفيذها والالتزام بها، قال ابن عثيمين: (وينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقربه إلى الله لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط، بل يلاحظ هذا ويلاحظ ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر)[1]، وهذا منهج القرآن في تشويق أتباعه لبذل أقصى وسعهم في الطاعة والعبادة والامتثال، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[2].

(إن الهمة العالية خلق سام، ومسلك رائع، تحبه النفوس، وتهفو إليه القلوب، وأجمل ما في ذلك الخلق، وأروع ما فيه ما كان مقترنًا بشرف المقصد، ونبل الهدف والغاية فالناس تتفاوت هممهم رفعة وضعة، وتختلف مشاربهم علوًا وحطة، ولكن الشأن كل الشأن فيمن جمع إلى علو الهمة شرف المقصد، ونبل الهدف والغاية، ولا ريب أن أعلا المطالب وأشرف المكاسب هو ما كان لله وفي سبيل الله تبارك وتعالى، ولذلك لما كان مجد الآخرة أعظم المجد، كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمَّ الأكبر للمؤمنين الصادقين، ذوي الهمم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية، وأما الدنيا في نظرهم - مهما بلغت أمجادها - قليلة القيمة في جنب الآخرة، لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل:

إن للتشبيه أثرًا واضحًا في تقريب المعنى للمدعوين، واستحضار الصورة كاملة في الذهن، وقد جاء في الحديث: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/ ٦٥٠.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١١٣ - ١١٤.

كهاتين - وضم أصابعه"، حيث شبّه النبي ﷺ منزلة من عال جاريتين في الجنة بالقرب من النبي بقرب الأصابع من بعضها. وأسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية التي يحسن بالداعية أن يفيد منها في الدعوة.

قال علي محفوظ: (لضرب الأمثال أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس، فإن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته، ذلك بأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحسّ مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح)[1].

فعلى الدعاة الهداة إلى الله تعالى أن يوضحوا ما غمض، ويجلوا ما استتر من خلال استخدام أدوات التشبيه والتمثيل لإفادة المدعوين، وتوضيح الصورة لديهم.

---

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة ١٧٧.

الحديث رقم (٢٦٨)

٢٦٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابنتان لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ (وَاحِدَةٍ)[١]، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: **((مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ابْتُلِيَ: اختبر[٣].

الشرح الأدبي

هذه صورة فريدة من صور التراحم والعطف يفيض بها بيت النبوة، وهذا درس جليل من دروس الإيثار والزهد، تلقنه أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، لكل من يتطاول على الإسلام، وعلى نبيه المختار ﷺ، إن هذه الصورة تنقل إلينا طبيعة الحياة الزاهدة القانعة في بيت النبوة.

وعائشة رضي الله عنها لم تجد غير تمرة واحدة في بيتها، وعلى الرغم من ذلك تجود بها لمن جاءت تتضوَّر جوعًا مع بنتيها... وتسأل المعونة !! وقد سئل النبي ﷺ: عن أحب الناس إليه، فذكر منهم عائشة وأبها أباب بكر رضي الله عنهما، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه ((أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً))[٤].

---

(١) (واحدة) ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٥٩٩٥). تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه، حيث أوردها هكذا.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٩/١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٤).

(٣) الوسيط (٧١).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٦٢.

وقد فارقت عائشة بيت أبيها وهي في نحو العاشرة أو أكبر من ذلك بقليل كما استخلص بعض المؤرخين من مراجعة التواريخ الكثيرة، فإذا هي في تلك السن -كما يقول العقاد- قد وعت ما وعته من الشعر البليغ، والأمثال السائرة، والأخبار النادرة، وقد نضجت لمصاحبة النبي ﷺ والوعيْ عنه، والدراية بالمأثور من كلامه، وكانت بعد ذلك مرجعًا من مراجع الفقه والسنة خليقًا باعتماد الثقات الأجلاء.

إن صاحبة هذا الفضل الواسع، والعطاء الجزيل، والخلق الإسلامي العظيم أم المؤمنين عائشة: التي تروي هذا المشهد الصادق من مشاهد الحياة في بيت رسول الله ﷺ. تقدم لهذا الجيل النموذج الأعلى للمرأة في الإسلام، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، حيث يبدأ الحديث بداية سردية تحكي فيها عائشة رضي الله عنها وقائع هذا الحديث الجليل، حيث تدخل عليها امرأة ومعها بنتان لها تسأل، ولم تذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الاستئذان، مما يفصح عن أن بيت عائشة كان غير محجوب عن الطارقين، بل مفتح الأبواب، كناية عن الكرم والقبول والتواضع والزهد والتقوى، وجملة "ومعها بنتان"، في موقع الحال، وجملة "تسأل" استئناف بياني، حيث يتضمن الكلام هنا إيجازًا بالحذف، وكأن سائلاً يسأل: ما سبب دخول هذه المرأة على عائشة رضي الله عنها، فقيل: جاءت للسؤال أي طلب المعونة والطعام، والمفاجأة غير المنتظرة هو: قول أم المؤمنين "فلم تجد عندها شيئًا غير تمرة!!!" فماذا تعطي؟ وماذا تبقي؟ ولنتأمل ولنتعظ، ولنراجع أنفسنا ونحن نلهث ونشكو وبيوتنا تفيض بالزاد، وما يُلقى في صناديق المهملات، يكفي لإشباع آلاف الجوعى، وما ينفق على مظاهر اللهو والترف وحفلات الاستقبال والتهاني والأعراس يكفي لإنقاذ كثير من الشعوب المسلمة من المجاعات والأمراض، وحروب الإبادة، ولكن لا حياة لمن تنادي!!، إنها تمرة واحدة في بيت عائشة رضي الله عنها، ولا تفكر صاحبة التمرة في الاحتفاظ بها ولكنها تقول: "فأعطيتها إياها"، وحرف الفاء هذا ينقل ويصور طبيعة هذا العطاء وهو، السرعة والإجابة الفورية التي لا تترك للنفس أي اختيار إلا العطاء والإيثار.

ويتعاظم الإيثار، ويتسابق العطاء سريعًا في اللحظة نفسها، حيث قسمت المرأة التمرة بين ابنتيها... ولم تأكل منها!!، وحرف الفاء يطل مرة أخرى حين يقترن بالفعل "قسمت"، ليصور سرعة الحركة من الأم وعدم التفكير في تذوق هذه التمرة.

وتؤكد هذا عائشة رضي الله عنها فتقول في زهو وحب لهذه الأم المعطاء: ولم تأكل منها، والتعبير بـ"ثم" قبل: الفعل "قامت": يفصح عن بطء الأم في الخروج وانتظارها لمزيد من العطاء لأنها في حاجة إلى سد الرمق، وبعد ذلك يتوالى العطف بالفاء ليصور سرعة تتابع مشاهد هذه القصة الواقعية المثالية، فخرجت، فدخل النبي ﷺ، فأخبرته... فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" وتجيء هذه الحكمة النبوية في ختام الحديث: لتبشر كل من يجاهد ويكافح في سبيل إعفاف بناته وصيانة أعراضهن، وصيغة الشرط تجعل البشارة محققة لأن الجزاء من جنس العمل، وعبر عن البنات "بالابتلاء" لأن رعايتهن تحتاج إلى مجاهدة ومعاناة وتحمل، والستر من النار يحصل بالإحسان إليهن، وهو طريق الفوز بالجنة في صحبة النبي ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[1] إلي حكم تربية الأولاد والإحسان إليهم، فإن كن إناثًا فالرعاية في حقهن أوجب، والثواب في تربيتهن أكبر بدلالة هذا الحديث.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن نفقة الأولاد الصغار واجبة على أبيهم، وأن نفقتهم تستمر حتى يقدروا على الكسب، فإن كان الولد أنثى استمرت النفقة لحين الزواج، وإن كان ذكرًا عاجزًا عن الكسب استمرت النفقة عليه.

---

(١) الحديث رقم (٢٦٨) والحديث رقم (٢٦٩).

(٢) المبسوط ٢٢٢/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٠/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢١٨/٤، والمدونة ٣٦٢/٢، والبهجة في شرح التحفة، القاضي أبو بكر الأندلسي ٣٨٣/١، والمهذب للشيرازي ١٥٨/٣، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٦/٨، والعزيز شرح الوجيز ٦٥/١٠، والمغنى٣٧٣/١١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢١٣/٨.

وقد خص الشارع البنات بالذكر لكون الرغبة فيهن أقل، ونفقتهن أكثر، وتربيتهن أكثر صعوبة، والإحسان إليهن مؤثر، لأن المرأة هي المربية للصغار، فكأن الإحسان لها، فيه تأثير عليها في تربيتها لأولادها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التصدق ولو بالقليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مظاهر الرحمة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إخبار النبي ﷺ بما حدث لهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط، الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى البنات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التصدق ولو بالقليل:

للصدقة ثواب عظيم عند الله تعالى، حتى وإن كانت قليلة، لأن الإسلام يأمر بالبذل والإنفاق. وقد ورد في الحديث ما يؤيد ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها" ومما لا شك فيه أن فضل الصدقة وثوابها عند الله كبير، حيث بين الله عز وجل أن من صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾[2] وأخبرنا أن الأبرار استحقوا دخول الجنة، لأنهم كانوا يبذلون الصدقات، ويطعمون الجائعين، فقال سبحانه: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾[3] وبين الله سبحانه أن من أسباب عذاب النار: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٠٤/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٦٨/٧، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٤٣٧/٢.

(٢) سورة المعارج، آية: ٢٤، ٢٥.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٨.

بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[١] ولمَّا سئل أهل النار عن سر دخولهم فيها ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾[٢] وعدَّد لنا صور التكذيب بيوم الدين فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[٣].

ولقد كان من رحمة الله أن من يتصدق ولو بالقليل أو يعمل عملاً صالحًا صغيرًا فإنه يؤجر عليه من الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٤] وبين لنا رسولنا الكريم ﷺ أن الصدقة القليلة قد تقي الإنسان من النار ففي الحديث ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))[٥]. وكل هذه النصوص تبين فضل الصدقة ولو بالقليل، وثواب فاعلها، وأنها سبب في النجاة من النار يوم القيامة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مظاهر الرحمة:

إن من مظاهر الرحمة في هذا الحديث ما ورد في قول عائشة رضي الله عنها: "فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها" ولاشك أن هذا من رحمتها بابنتيها قال المباركفوري: (وتظهر رحمتها أنها أخذت التمرة ولم تستحقرها، ولم تأكل منها مع جوعها إذ يستبعد أن تكون شبعانة مع جوع ابنتيها)[٦].

ولقد دل فعلُ رسول الله ﷺ على فضل الرحمة، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: ((اللهمَّ ارحمْهما فإني أرحمُهما))[٧].

---

(١) سورة الحاقة، آية: ٣٣، ٣٤.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤٢-٤٤.

(٣) سورة الماعون، آية: ١-٣.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٤١٧.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٢٢/٢.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٠٣.

وفي فضل الرحمة والحث عليها قال ﷺ ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ))[١].

وفي التحذير من مجافاتها قال ﷺ: ((لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلاّ مِنْ شَقِيٍّ))[٢].

قال محمد الغزالي: (لقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثى لخطاياه ويستميت في هدايته، وينصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها، فأرسل محمدًا ﷺ وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يديه من السخاوة والندى ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا. إن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة، فهي أبدًا إلى الصفح والحنان أدنى منها إلى الحفيظة والاضطغان. إن القسوة في خلق إنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ أمة دليل فساد خطير، وقد أمر الإسلام بالتراحم العام وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة، وفي قلبه لهم عطف مذخور، وبر مكنون، فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إخبار النبي ﷺ بما حدث لهم:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على إخبار النبي ﷺ بما يحدث معهم من مواقف، لمعرفة هديه ﷺ في ذلك، وشاهد ذلك ما ورد في الحديث "فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته" وما من شك في أن رسول الله ﷺ هو المرجع الأول للمسلمين، ولذا كانوا كثيرًا ما يبتدرون إليه يسألونه ﷺ عما وقع لهم من أحداث ليصحح ويصوب هذه التصرفات؛ ذلك لأن توجيه القرآن للمسلمين ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤] وقد أمر الله بالاحتكام إليه فقال سبحانه وتعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٢٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٧).

(٣) خلق المسلم ٢٠٤-٢٠٥.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[١] وربط الله عز وجل بين محبته سبحانه وبين اتباع نبيه فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢] من أجل هذا كله حرص الصحابة رضي الله عنهم على إخبار النبي ﷺ وإطلاعه على ما يحدث لهم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط، الترغيب:

١- الشرط: حيث جاء في الحديث "من ابتلى من هذه البنات بشيء" ولا شك أن الشرط أسلوب من أساليب الدعوة حيث يلفت انتباه السامع، ويشوقه إلى معرفة جواب الشرط.

٢- الترغيب: ويظهر هذا من الحديث "كن له سترًا من النار" ومما هو معلوم أن الترغيب يحث النفس على الإقبال على الفعل (والنفس تطمع فيما يرغبها من مسعدات وسارَّات ومفرحات، ولذات من منافع ومكاسب وأرباح عاجلات أو آجلات، وأسلوب الترغيب يدور في فلك هذا الموجه الذاتي للنفس، وهو الذي يؤثر في النفس تأثيرًا إيجابيًا نافعًا)[٣].

والداعية الناجح يستطيع من خلال أسلوب الترغيب أن يغوص في أعماق النفس الإنسانية، مبرزًا جوانب الترغيب في الشريعة، لتستقيم النفس على الطاعة.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى البنات:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" ولاشك أن الثواب الوارد في الحديث عظيم، وهو الوقاية من النار بفضل تربية البنات والإحسان إليهن. قال القرطبي: (قوله: "من ابتلي بشيء من البنات فأحسن إليهن كن له سترًا من النار" أي: أحسن إليهن وصانهن وقام بما يصلحهن ونظر في أصلح الأحوال لهن، فمن فعل ذلك وقصد به وجه الله تعالى، عافاه تعالى من النار

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٣/١.

وباعده منها، وهو المعبر عنه بالستر من النار، ولا شك في أن من لم يدخل النار دخل الجنة، قوله: "بشيء من البنات" يفيد بحكم عمومه: أن الستر من النار يحصل بالإحسان إلى واحدة من البنات، فأما إذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر من النار السبق مع رسول الله ﷺ إلى الجنة[١]. وقال النووي: "وإنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة، قال الله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[٢].[٣] قال الإمام ابن حجر: (في الحديث تأكيد حق البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بمصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال)[٤]. ولا يخفى أن مطمح أي مسلم أن ينجو من النار، وهو الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن يحسن إلى البنات.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٣٦، ٦٣٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٥٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٤٣.

الحديث رقم (٢٦٩)

٢٦٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتَهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من مشكاة الحديث السابق، وهو فيما يضيفه من مشاهد يتماوج مع الحديث الذي قبله في دائرة واحدة، وهى دائرة التعاطف والتراحم بين الآباء والأبناء، وبين الأمهات والبنات، فالحديث السابق: لم يكن في حجرة عائشة غير تمرة واحدة، وأعطتها للمرأة السائلة، أما في هذا الحديث فإن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: "جائتني مسكينة تحمل ابنتين لها: فأطعمتها ثلاث تمرات"، ولنتأمل دلالة الألفاظ، وخصائص التراكيب، وطبيعة الأساليب، وما توحي من دلالات ومعان، ومقاصد وغايات.

إنها وصفت المرأة هنا بأنها مسكينة، وأطلقت على التي جاءتها "مسكينة"، والتقدير امرأة مسكينة، وكأن المرأة لشدة عوزها وفاقتها أصبحت المسكنة علمًا عليها، وشارة لها: والدلالة اللغوية للفظ "مسكين" يفصح عن قلة الحيلة، وقلة الحركة، حيث قال علماء اللغة: إنه مأخوذ من السكون، أي ذهاب الحركة، والمسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بُلْغَة من العيش، وقال ابن الأعرابي:

---

(١) برقم (٢٦٣٠/١٤٨) وقد تكلم عليه ابن عمار في علله رقم (٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٥).

المسكين هو الفقير وهو الذي لا شيء له، فجعلهما سواء، وقد سبق توضيح هذه الدلالة بالتفصيل في حديث سابق.

وجملة "تحمل ابنتين لها" صفة لهذه المرأة المسكينة لأن الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال، وفي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير بعد هذه الجملة التي صورت المرأة وهى تحمل ابنتيها، "وهي تسأل" وحذف هذا الفعل كما قالوا لدلالة الحال عليه، وقولها "تحمل ابنتين" يفيد أن البنات مازالوا صغارًا لا يقدرون على الحركة والمشى نظرًا لصغر سنهما، وهذه الحالة أدعى للعطف والتراحم والرثاء والإعانة.

والعطف بالفاء في قول عائشة رضي الله عنها يفيد سرعة الإعطاء وعدم التردد، وكذلك هذه المسكينة لم تتردد في إطعام بنتيها، وهذا الإسراع أفصحت عنه الفاء في قولها: "فأعطت كل واحدة منهما تمرة"، ولكنها حين أرادت أن تأكل تمرتها لم تسرع، وإنما تباطأت لإحساسها بأن بنتيها قد تحتاجان إلى هذه التمرة حبًا فيهما: وإيثارًا لهما.

وهذه هي الفطرة الإنسانية الصادقة، فالآباء والأمهات يؤثرون أبنائهم على أنفسهم، وهذه عاطفة لا تكلف فيها وليس فيها تصنع، والعطف بالواو في قولها: "ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها": يفيد هذا البطء وعدم الإسراع، لأن الواو لمطلق الجمع وليست للتعقيب مثل الفاء، فلنتأمل دلالة الحروف ودورها في إبراز المعنى، وإضفاء الظلال التي تصبغ الموقف بصبغة الحركة أو السكون أو الإسراع أو البطء، ولنتأمل دور الفاء في قولها، "فاستطعمتها ابنتاها"، ثم قولها: "فشقت التمرة"، إن الفاء هنا تنقل إلينا طبيعة الحركة السريعة بين الأم وابنتيها، بعد الحركة البطيئة في رفع الأم التمرة إلى فيها، وما أروع هذا المشهد الذي يقطر حنانًا وأمومة حانية، وعاطفة قطوفها دانية، إنها صورة فريدة من صور الأمومة المشرقة: فالأم ترفع إلى فيها التمرة ولكنها تبصر في عيني البنتين اللهفة إلى هذه التمرة، وسرعان ما تتحول بالتمرة من فمها إلى فم ابنتيها بعد أن شقتها وقسمتها بينهما، وهذا الإيثار الذي تتوجه عاطفة الأمومة يستحوذ على إعجاب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتذكر ذلك الصنيع، وتشيد بهذا الإيثار الجميل لرسول

الله ﷺ: فيبشر المبعوث رحمة للعالمين هذه المسكينة بقوله في صيغة التأكيد والوعد الواجب، بالعتق من النار، والفوز بالجنة، وما أصدق هذا الوعد من رسول الله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار".

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدق والإنفاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة على البنات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما فيه فلاحهم.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

إن من وسائل الدعوة المستنبطة في هذا الحديث: القصة، حيث قصت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على النبي ﷺ فقالت: "جائتني مسكينة" ومما لاشك أن للقصة أهمية كبيرة كوسيلة من وسائل الدعوة (وأهمية القصة تبرز في أثرها في النفس البشرية وما تحدثه فيها من إقناع العقل وإمتاع العاطفة، والقصة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، يجد فيها الداعية ما يناسب حالة أي مدعو، سواء أكان من عِلْية القوم، أو من الضعفاء، أو من الأغنياء، أو من الفقراء، أو من أصحاب المعاصي والأهواء، والقصة في القرآن والسنة تقوم على اليقين النقلي، والإقناع العقلي والاطمئنان القلبي)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة والإنفاق:

يظهر هذا من تصرف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما جاءتها مسكينة فأعطتها ثلاث تمرات، ولا شك أن ثواب الصدقة يضاعفه الله يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

وبيّن الله سبحانه أن الإنسان يجب عليه أن ينفق مما يحب، فقال جلّ شأنه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[١] وأخبرنا سبحانه أن الذي يبتغي بنفقته وجه الله تعالى يحفظه الله من النار، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[٢].

وبين لنا أن ما يقدمه الإنسان من خير مدخر له عند الله، قال جلّ شأنه: ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٣] وحث الله على النفقة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٤].

وحض رسول الله ﷺ في الحديث على الصدقة فقال: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ))[٥] وقال ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تَصدَّقَ أخفى حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه))[٦].

وجاء في الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا))[٧].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٢) سورة الليل، آية: ١٧-٢١.

(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٧) أخرجه النسائي ٢٥٢٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٣٦٧).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشفقة والرحمة على البنات:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار" وهذا يبين فضل الشفقة والرحمة على البنات، ففي هذه الحديث ونظرائه فضل الإحسان إلى البنات والنفقة عليهن والصبر عليهن وعلى سائر أمورهن[١].

وقال ابن عثيمين: (لما رفعت الأم التمرة الثالثة إلى فيها لتأكلها، فاستطعمتاها - يعني أن البنتين نظرتا إلى التمرة التي رفعتها الأم- فلم تطعمها الأم بل شقتها بينهما نصفين، فأكلت كل بنت تمرة ونصف، والأم لم تأكل شيئًا، فلما رحمتهما هذه الرحمة العظيمة أوجب الله لها بذلك الجنة، فدل ذلك على أن ملاطفة الصبيان والرحمة بهم من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار)[٢] وقد جاء في الحديث ((مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاَثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في قوله ﷺ: "إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار" ولاشك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحث المدعوين على فعل الطاعات، وترغبهم في الخير وتحببهم إليه (والداعية المسلم عليه معرفة مواضع الترغيب في القرآن والسنة، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة، وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه وشر، وأسلوب الترغيب محبب إلى النفس فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب)[٤]. إذ أن الترغيب أبرز البواعث التي تحمل على التقوى والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥] وأساس هذا الباعث هو عقيدة الجزاء

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٥٣/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٦٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٥٩).

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٥١٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

والإيمان بالآخرة، وأن الله أعد فيها لكل حسنة ثوابًا ولكل سيئة عقابًا، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1].[2]

خامسًا- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما فيه فلاحهم:

يظهر هذا من إرشاد النبي ﷺ إلى أن تصرفها مما يوجب الجنة، ومن هنا كان من ألزم صفات الداعية إرشاد ودلالة المدعوين إلى ما فيه الخير لهم دائمًا، حتى يقبل عليه الناس (إن اشتمال الدعوة على جوانب الخير التي تملأ حياة الناس أمر مهم، لأن أي دعوةلم تتضمن الخير للمدعوين، لا تكون في مصلحتهم، ومن هنا ينفر منها الناس، ويعتبرونها خصمًا لهم فيقفون لها بالمرصاد)[3]. وبناء على هذا يجدر بالداعية دائمًا أن يدل على الخير ويرشد إلى الفلاح، حتى يجد لدعوته صدى، ولقوله مردود.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما مُنِحُوه جودًا من غير بخل، وأُوتُوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى، ولو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم إليهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً)[4].

---

(١) سورة الزلزلة، آية: ٧، ٨.

(٢) رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها، د. عبدالستار نوير ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ٢٤٠.

(٤) أدب الدنيا والدين ٨٧.

الحديث رقم (٢٧٠)

٢٧٠- وعن أَبي شُرَيحٍ خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيم وَالمَرْأَةِ)) حديثٌ حسنٌ، رواه النسائيُّ[1] بإسناد جيد.

ومعنى ((أُحَرِّجُ)): أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجرًا أكيدًا.

ترجمة الراوي:

أبو شُرَيْح الخُزاعيُّ: واسمه خويلد بن عمرو، وقيل: عمرو بن خويلد، وقيل: هانئ بن عمرو، وقيل: كعب بن عمرو، وقيل: عبدالرحمن بن عمرو، والأول أشهر وهو: خويلد بن عمرو بن صخر بن عبدالعزى بن معاوية، من بني ربيعة، الخزاعيّ، العدويّ ثم الكعبيّ، كانت كنيته "أبو شريح" وبها اشتهر، له صحبة، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، وروى عن ابن مسعود، وروى له الجماعة، أسلم قبل الفتح -وقيل يومه- وكان يحمل أحد ألوية بني كعب بن خزاعة، يوم الفتح، وهو في عداد أهل الحجاز، مات بالمدينة المنورة سنة (٦٨)[2].

---

(١) في السنن الكبرى (٩١٠٤)، وأخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨) وقال البوصيري في الزوائد (١٢١٩): إسناده صحيح، رجاله ثقات كلهم.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢١٢)، (٨٢١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٩٤/٢)، (١٦٠/٦، ١٦١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٤٩٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٣٣/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٣٦/٤)، والسندي (٢٩١/٢٦).

الشرح الأدبي

إن الشريعة الإسلامية تحفظ الحقوق، وتنبذ العقوق، فلكل إنسان حقه المشروع، وقد توعد الحق سبحانه وتعالى الظالمين الذين يتعدون على حدود الله بالخسران المبين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا﴾[2]؛ ونقتبس من هذا الحديث الشريف ومضات من الرحمة المحمدية، وهالات من وصاياه الكريمة، وإنذاراته الحاسمة العظيمة، حيث يحذر المصطفى ﷺ من تضييع حق اليتيم، ويلحق الإثم بمن يسعى في ذلك ، أو يتسبب في ضياع حق المرأة واليتيم، ويحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا، ويزجر عنه زجرًا أكيدًا، واليتيم في الإسلام: من فقد أباه: أو فقد أباه وأمه، وهما جناحاه في هذه الحياة، يحلق بهما بفضل رعايتهما واحتضانهما في آفاق وأجواء طموحاته، ويرجع إليهما في حل مشكلاته وتحقيق رغباته، وحين نتأمل دلالة لفظ اليتيم اللغوية، ندرك أنها تتوافق مع الدلالة الواقعية، فاليُتم بالضم الانفراد، أو فقدان الأب، واليتيم: الفرد، وكل شيء يعز نظيره، والفعل يَتِم: بكسر التاء بمعنى قصر وفتر وأعيا وأبطأ، واليَتْم بفتح الياء وسكون التاء: الهم، وبتحرك: التاء: الإبطاء.

واليتائم في اللغة: رمال منقطع بعضها عن بعض، كما ورد في القاموس المحيط، مادة يتم، فتأمل الدلالات السابقة: إنها كلها ترصد واقع اليتيم المحزن، وتصور إيقاع حياته المنكسر المهموم!!.

وكذلك المرأة في حاجة إلى من يؤازرها، ويعضدها، ويؤنسها، ويحميها، وهي السكن والمودة والرحمة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1].

وفي ضوء هذه المعاني السامية، والعلاقات القائمة على سند من الشرع والفطرة التي فطر الله الناس عليها، نجد أسلوب المصطفى ﷺ يشتد، ووعيده يهدر، وكلماته تبرق وترعد، وتتوعد وتنذر، حيث يبدأ الحديث بالنداء والدعاء، بقوله "اللهم"، وحذف حرف النداء، ومجيء الميم المشددة عوضًا عنه، يعلن عن شدة الوعيد، وقوة التحذير، وكأن رسول الله ﷺ يدعو على من يضيع حق هذين الضعيفين، ويلجأ إلى ربه ليتولى أمر كل مضيع للحقوق حتى يناله العقاب الشديد، والفعل "أُحَرِّجُ" يسبق بالتأكيد في قوله "إني": واسم إن المؤكدة هو ياء المتكلم، وهو رسول الله ﷺ: إنه دفاع خاتم الأنبياء عن حق اليتامى والنساء، في هذه الصيغة المؤكدة.

وصيغة المضارعة في "أحرج" مع تشديد الراء: توحي بالشدة والاستمرار: لأن الحرج هو الإثم، والمبالغة في هذه الصيغة جاءت لكي يرتدع هؤلاء الذين لا يتقون الله في الضعيفين "اليتامى، والنساء".

والتعبير بقوله: "حق" أعم وأشمل من أى كلمة أخرى: فالحقوق كثيرة: مادية ومعنوية وشعورية ونفسية.

وقال العلماء: وإنما حرّج حقهما، وبالغ في المنع منه، لأنهما لا جاه لهما يلتجئان إليه ويحاج عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى؛ ومن الحقوق المضيعة للمرأة: محاولة بعض الناس حرمانها من الميراث: وهذا جرم شنيع، وجرأة على الشرع، وتعد على حدود الله، ومِن الناس من يدعو إلى المساواة في الميراث، وهذا تضييع لحق الشرع، وإهدار لحق المرأة في محيط أسرتها ومجتمعها: لأن الصلات ستنقطع بينها وبين إخوتها وأرحامها، وستنقطع أواصر السكن والمودة والرحمة.

فميراث البنت في الشريعة الإسلامية لم يقصد لذاته، بل هو مرتب على نظام الزواج فيها، لأن للمرأة حقًا واجبًا في مال زوجها وهو حق النفقة، وليس للرجل مثل هذا الحق

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

في مال زوجه، والإسلام يحث على الزواج بل يفرضه، فهو بهذا يضيف إلى المرأة رجلاً، ويعطيها به حقًا جديدًا، فإن هي ساوت أخاها في الميراث مع هذه الميزة التي انفردت بها انعدمت المساواة في الحقيقة، فتزيد وينقص، إذ لها حق الميراث وحق النفقة، وليس له إلا مثل حقها في الميراث إذا تساويا[1].

والدعوات المغرضة التي تدعو إلى المساواة التامة بين المرأة والرجل، هي تضييع لحق المرأة في الرعاية والحماية، والنفقة والمسؤولية، والإسلام كفل لها حقوقها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الدعاء والتحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء واليتامى.

ثالثًا من أهداف الدعوة: رعاية وحماية الضعفاء من اليتامى والنساء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الدعاء والتحذير:

حيث جاء في الحديث: "اللهم إني أحرج حق الضعيفين" وهذا دعاء وتحذير وهو أسلوب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو، وتحذره من اقتراف ما يُحذر منه، ويدل على حرص الداعية على المدعوين، حيث يحذرهم من كل ما فيه مفسدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء واليتامى:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: "اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة"، قال ابن علان: (حق الضعيفين، أي: ما يستحقانه بملك أو غيره كاختصاص، ولذا عبر به دون مال، وليشمل سائر الحقوق المالية وغيرها، واليتيم هو من بني آدم من لا أب له وهو دون البلوغ والمرأة معروفة، وإنما حرج حقهما وبالغ في المنع منه لأنهما لا جاه لهما يلجئان إليه، ويحاجّ عنهما سوى المولى سبحانه وتعالى، فالمعترض لهما كالمخفر لله في عهده فهو حقيق بأنواع الوبال، وهذا بخلاف الكامل من الرجال، فإن الغالب منهم من يعتمد على قوته، أو قوة من يركن إليه، ويعول في أمره عليه من مخلوق

---

(١) وحي القلم، الرافعي ص ٣.

ذي أمر صوري، ومن اعتز بغير الله ذلّ)[١].

هذا وقد دلت نصوص القرآن والسنة على الوصية بالنساء واليتامى، فمن الوصية بالنساء قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢]"، قال الإمام القرطبي: (أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والخطاب للجميع، إذ لكل أحد عِشْرة زوجًا كان أو وليًا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، ومن المعاشرة بالمعروف توفية حقها من المهر والنفقة وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها، فأمر الله سبحانه بحسن صحبة النساء إذا عقدوا عليهن لتكون خلطة ما بينهم وصحبتهم على الكمال، فإنه أهدأ للنفس وأهنأ للعيش)[٣].

ومن الوصية بهن قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤]، ومن وصية النبي ﷺ بالنساء قوله في الحديث: ((لاَ يَفْرَكْ[٥] مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))[٦]، وجاء في الحديث أيضًا: ((واستوصوا بالنساء خَيرًا فإنهنَّ خُلِقنَ من ضِلَع، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضلَع أعلاه، فإن ذَهبتَ تُقيمه كَسَرتَه، وإن تركتَهُ لم يَزَل أعوجَ، فاستَوصوا بالنساء خَيرًا))[٧].

وأما اليتامى فقد أمر الله تعالى بدفع المال إليهم عند الرشد: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٨].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/٩٧.

(٤) سورة الروم، آية: ٢١.

(٥) يفرك: أي يبغض، لسان العرب في (ف ر ك).

(٦) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

(٧) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

(٨) سورة النساء، آية: ٦.

وحذر من أكلها بالباطل فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[١].

وتوعد من يعتدي عليه فقال سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾[٢]، وأمر بحسن معاملته فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[٣]، وجعل من البر الإحسان إلى اليتيم قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾[٤].

وحضّ رسول الله ﷺ على كفالة اليتيم فقال ﷺ: ((أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا))، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا[٥]. وذلك لما كفالة اليتيم من أكبر الأثر في الحفاظ على بناء المجتمع وحمايته من التصدع والانهيار، إضافة إلى ما يجنيه الفرد من الحسنى في الدنيا والآخرة، ومن تلك الثمرات:

- صحبة النبي ﷺ وكفى بها شرفًا وفخرًا.
- كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليل طبع سليم وفطرة نقية.
- كفالة اليتيم تعود على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلاً عن الآخرة.
- كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية، وتسوده روح المحبة والمودة.
- إدخال السرور إلى قلوب الضعفاء واليتامى، ونشر روح السعادة بين أفراد المجتمع لتحقيقه أكبر قدر من العناية نحو الأيتام من الناحية المادية والمعنوية[٦].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠.

(٢) سورة الماعون، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) سورة الضحى، آية: ٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٠٥.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد وآخرون، ٨/٣٢٦٤.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: رعاية وحماية الضعفاء من اليتامى والنساء:

إن حماية الضعفاء هدف رئيس من أهداف الدعوة، حتى لا يتعدى القوي على حق الضعيف، وحتى لا يغتر الإنسان بقوته وسلطانه فيأخذ حق غيره، ومن هنا حذر الشرع الحنيف من استغلال ضعف المرأة واليتيم، وأمر بتوفية حقوقهما، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى في حق اليتيم: ﴿فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾[2].

(إن اليتيم من فقد أباه الذي كان يرعاه بنفسه وماله، ويحبه من أعماق قلبه، ويؤثر مصلحته على مصلحته، وإن مما يذرف الدمع ساعة الموت صبية صغارًا، وذرية ضعافًا، يخلفهم المحتضر وراءه؛ يخشى عليهم إحن الحياة؛ وصروف الدهر، ويتمنى لهم وليًا مرشدًا، يرعاهم كرعايته، ويسوسهم كسياسته، يعزيهم بره وعطفه عن نفسه الراحلة، ويجدون فيه من العناية بمصالحهم ما يخرجهم رجالاً في الحياة يملأون العيون، ويشرحون الصدور، فالذي يكفل اليتيم ويتعهده، وينمي ثروته ويهذب نفسه، ويطمئن والده في جدثه، ويعوضه عنه كافلاً رحيمًا، وراعيًا حكيمًا، فلا جرم أن كان مكانه عند الله عظيمًا، وكان حريًا أن يكون لرسول الله ﷺ في الجنة صاحبًا وقرينًا، يتمتع بما فيها من النعيم، كما متع برعايته اليتيم، وفي هذا ترغيب عظيم في كفالة الأيتام، والعناية بأمورهم سواء أكان الكافل قريبًا أو أجنبيًا أو صديقًا)[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٦.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١١٦.

الحديث رقم (٢٧١)

٢٧١- وعن مصعب بن سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه ، قَالَ: رَأى سعد أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: ((هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ)) رواه البخاريُّ[1] هكذا مُرسلاً، فإن مصعب بن سعد تابعيٌّ، ورواه الحافظ أَبُو بكر البرقاني في صحيحه[2] متصلاً عن مصعب، عن أبيه رضي الله عنه.

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

في ظل المساواة بين أفراد الأمة الإسلامية ينعم كل من أسلم وجهه لله، وأطاع ربه وعصى هواه، وكان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، واتخذ منهجًا سويًا إسلاميًا في ارتياده لآفاق وقضايا الحياة، وهو أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، إن هذا المنهج السوي السديد: هو الطريق الوحيد الذي يجعل الحياة في عين الإنسان، ومن ثم يجد في قلبه وكيانه حلاوة الإيمان.

وإشعاعات هذا الحديث تمتد لتضيء هذا الموقف الذي ارتآه الصحابي الجليل، سعد بن أبي وقاص، وهو من هو في الإسلام: قوة وشجاعة وحميَّة: حيث ظن أن فروسيته وشجاعته، وبلاءه في ميدان القتال يجعل له الحق في أن يكون أفضل من غيره، وأن يأخذ من الغنائم أكثر.

وقد رُوى أنه قال: يا رسول الله أرأيت رجلاً يكون حامية القوم، ويدفع عن أصحابه: أيكون نصيبه كنصيب غيره، فالمراد بالفضل هنا الزيادة من الغنيمة، وليس

---

(١) برقم (٢٨٩٦). قال الحميدي في جمعه (١/١٩٦ رقم ٢٠٢): هكذا أخرجه البخاري منقطعا ومرسلًا من رواية سليمان بن حرب، وجوّده مسعر، عن محمد بن طلحة، عن أبيه، فقال فيه: عن مصعب بن سعد، عن أبيه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٨٢).

(٢) أشار إليه أيضًا الحميدي في جمعه، وقال: وأخرجه أيضًا أبو بكر البرقاني عن مسعر وغيره مسندًا.

مطلق الفضل، وأعلمه رسول الله ﷺ أن مهام المقاتلة سواء، فإن كان القوي يترجح بفضل شجاعته، فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه[١].

والأشعة الهادية التي أضاءت الموقف لسعد بن أبي وقاص، تتألق في إجابة الرسول ﷺ له: ويقتنع ابن أبي وقاص، ولا يماري ولا يجادل، ويرسي المصطفى ﷺ: قاعدة راسخة من قواعد المنهج الإسلامي؛ وهذه القاعدة تصاغ في هذه الجملة الحديثية النبوية، المحكمة السديدة؛ المقنعة الرشيدة، وهي جملة واحدة يتصدرها الاستفهام ويحكم بنيانها أسلوب الاستثناء، الذي يحصر مع الاستفهام النصر والرزق في حماية الضعفاء، وفي رواية النسائي ((إنما يَنْصُرُ الله هذه الأمة بضعيفها بِدَعْوتِهِمْ، وصلاتهم وإخلاصهم))[٢]، والفعلان "تنصرون" "وترزقون" يفيضان بدلالات كثيرة من خلال صيغة المضارع: التي توحي بالاستمرار، وعدم انقطاع هذه الصلة بين إعطاء الضعفاء قدرهم وبين النصر والرزق، وبناء الفعلين للمجهول يتمخض عن سر بلاغي، حيث إن الناصر معلوم، والرازق معلوم وهو الله سبحانه وتعالى مصداقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[٤]، وصيغة الجمع في الفعلين تنبئ عن المسؤولية الجماعية في هذا السبيل، فالأمة كلها مطالبة بالعناية بالضعفاء اليتامى والنساء، والمرضى، والفقراء، والمساكين، وذوي الحاجات، وأصحاب العاهات.

والجيل الأول من الصحابة والتابعين الذين استضاءوا بنور الإسلام، وأشربت قلوبهم حب المصطفى ﷺ، كان جل عنايتهم باليتامى والمساكين والجيران، فعن الحسن البصري قال: "لقد عهدت المسلمين، وإن الرجل منهم يصبح فيقول: يا أهليه يا أهليه، يتيمكم، يتيمكم، يا أهليه، يا أهلية، مسكينكم، مسكينكم، يا أهليه يا أهليه جاركم جاركم، وكانوا يحرصون على إخوانهم ويؤثرونهم على أنفسهم.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٢.

(٢) أخرجه النسائي ٣١٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩٧٨).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٢٦.

(٤) سورة الحج، آية: ٤٠.

وقال الشاطبي: (وتجدهم في الإجارات والتجارات، لا يأخذون إلا بأقل ما يكون من الربح أو الأجر، حتى يكون ما حاول أحدهم من ذلك كسبًا لغيره لا له، ولذلك بالغوا في النصيحة فوق ما يلزمهم، لأنهم كانوا وكلاء للناس لا لأنفسهم، بل كانوا يرون المحاباة لأنفسهم -وإن جازت- كالغش لغيرهم)[١].

والأمة الإسلامية في حاضرها المأزوم، وواقعها المكلوم، لابد أن تبحث عن أبواب النجاة، حتى لا تفقد أسباب الحياة، والنجاة في تمسكها بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، والعض عليها بالنواجز، حتى تعرف معالم الطريق.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[٢] إلى تعظيم أمر الضعيف ورعايته، وعدم المن عليه فقد يرزق الإنسان وينصر به، ولذا فالواجب في المغنم تخميسه، وصرف الخمس إلى من ذكره الله تعالى، وقسمة الباقي بين الغانمين، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الغنيمة لمن شهد الوقعة وهم الذين شهدوها للقتال، قاتلوا أو لم يقاتلوا، ويجب قسمها بينهم بالعدل، فلا يحابى أحد، لا لرياسته، ولا لنسبه، ولا لفضله، كما كان النبي ﷺ وخلفاؤه رضي الله عنهم يقسمونها، وكماجاء في الحديث أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رأى له فضلاً على من دونه فقال النبي ﷺ هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم[٣]، لكن يجوز للإمام أن ينفّل من ظهر منه زيادة نكاية كسرية، بَسَرَت[٤] من الجيش، أو رجل صعد حصنًا عاليًا ففتحه، أو حمل على مقدم العدو فقتله، فهزم العدو ونحو ذلك، لأن النبي ﷺ وخلفاءه رضي الله عنهم كانوا ينفلون لذلك.

---

(١) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ٢٤٣.

(٢) رقم ٢٧١، ٢٧٢.

(٣) انظر: فتاوى ابن تيمية ٢٨/٢٧٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٨٩، والدراري المضية للشوكاني ١/٤٨٩.

(٤) بَسَرَتْ: أي تقدمت للقاء العدو، لسان العرب في (ب س ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة رضي الله عنهم في بعض الأمور.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع:

إن التواضع من الأخلاق الإسلامية الرفيعة التي أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد رود في هذا الحديث الحث على التواضع من خلال قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص "هل تنصرون إلا بضعفائكم" لما رأى أن له فضلاً على من دونه وليس المقصود بالفضل رفعه في المنزلة، وإنما زيادة في قسم الغنيمة، فأعلمه ﷺ أن سهام المقاتلة سواء، فإن كان القوى يترجح بفضل شجاعته، فإن الضعيف يترجح بفضل دعائه وإخلاصه[1].

وقال ابن بطال: (تأويل الحديث أن الضعفاء أشد إخلاصًا في الدعاء، وأكثر خشوعًا في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا، وقال المهلب أراد ﷺ بذلك حض سعد على التواضع، ونفي الزهو على غيره، وترك احتقار المسلم في كل حالة[2] فالتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين، ودليل محبة رب العالمين، وهو طريق موصل إلى مرضاته وإلى جنته[3] وكان التواضع من جملة ماعلمه الله نبيه ﷺ ليجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/٦.

(٢) المرجع السابق نفسه، ١٠٥/٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ١٢٦٨/٤.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

فالتواضع قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع دائمًا يبدو أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة، على حين أن المتكبر يضع نفسه في امتحان دائم، فهو رجل عريض الدعاوى، وعليه باستمرار أن يثبت أنه ليس أقل مما يعرف عنه، وهيهات هيهات أن يتم له ذلك، إن المتواضع كالأرض المنخفضة، تجتمع فيها خيرات السماء، على حين تغادر القمم والسفوح[١].

إن التواضع وخفض الجناح، ولين الجانب، كل ذلك له مكانته في المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا يتكبر فيه فرد، ولا يختال ولا يزهو بنفسه، فإن الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة، فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه، لتعاميه عن عيوبه ونقائصه، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾[٢] ويقول: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[٣].

إن التواضع وخفض الجناح من شأنه أن يوطد العلاقة بين الأفراد، ويجعلهم إخوانًا متعاطفين وخلانًا متناصرين[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقويم النبي ﷺ لفهم الصحابة في بعض الأمور:

إن تقويم النبي ﷺ للأفهام واضح في هذا الحديث من خلال تصحيح النبي ﷺ لذلك الفهم الذي عَرَض لسعد بن أبي وقاص، بأن المقاتل القوي له فضل على من دونه في المنزلة، أو على الأقل في الغنيمة، فصحح النبي ﷺ هذا الفهم وأعاد الأمور إلى

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوى، د. عبدالكريم بكار ص ١٣١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٤) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨٥، ١٨٦.

نصابها قائلاً "هل تنصرون إلا بضعفائكم" وأن هذا الضعيف الذي قد تزدريه الأعين له عند الله من المقام ما لا يتصوره إنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ))[1] أي لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس[2].

وقد كان رسول الله ﷺ لا يرى فهمًا خاطئًا -كما رأى عند سعد بن أبي وقاص في الحديث- إلا وسارع إلى تصحيحه، لذا كان من الواجب على الدعاة تصحيح الأفهام الخاطئة .

كما رأينا ذلك في الحديث في بيان رسول الله ﷺ أن الضعف والقوة من الأمور العارضة المتغيرة، وأن على القادرين مسئولية العاجزين، إضافة إلى ما في ذلك من تدعيم الأخوة بين أبناء الإسلام وتقرير للمسئولية الاجتماعية ورفع لمكانة المسلمين[3] جميعهم دون استثناء لفقير أو ضعيف، (فالضعفاء سبب للنصر، وسبب للرزق، فإذا حنى الإنسان وعطف عليهم، وآتاهم مما آتاه الله، كان ذلك سببًا للنصر على الأعداء، وكان سببًا للرزق، لأن الله تعالى أخبر أنه إذا أنفق الإنسان لربه نفقة فإن الله تعالى يخلفها عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[4]. أي يأتي بخلفه وبدله[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

أشار النبي ﷺ إلى فضل الضعفاء في الحديث فقال "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم" وقد رفع القرآن من شأن الضعفاء وأمر الله نبيه بالصبر معهم فقال

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٠.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٢١٩.

(٤) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٥٣/١.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1].

ففي هذه الآية يأمر الله نبيه ﷺ وغيره أسوته من الأوامر والنواهي: أن يصبر نفسه مع المؤمنين العباد المنيبين فوصفهم بالعبادة والإخلاص، وفي الآية أمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم ومخالطتهم، وإن كانوا فقراء، فإن في صحبتهم من الفوائد ما لا تحصى[2].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٢٤.

الحديث رقم (٢٧٢)

٢٧٢- وعن أَبي الدَّرداءِ عُويمر رضي الله عنه ، قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((ابْغُوني الضُّعَفَاء، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ، بِضُعَفَائِكُمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد جيد.

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري.

حكيم هذه الامة، وسيدُ القراء بدمشق، أسلم يوم بدر، وأحسن البلاء يوم "أحد" فقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ((نعم الفارس عُويمر))[2]، كان عالمًا ومحدثًا، وعابدًا، وهو معدود فيمن قرأ القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وممن جمعه حفظًا على عهده صلى الله عليه وسلم بلا خلاف.

وكان من أفاضل الصحابة، شهد اليرموك وكان قاضي أهله!! وحضر حصار دمشق وسكن حمص، ونقله عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى دمشق وولي بها القضاء، وكان أول قاضٍ بها.

وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمان الفارسي رضي الله عنهما.

وكان قدوةً في أخذه للعلم، فكان يقول: لو أُنسيت آية ثم لم أجد أحدًا يُذكِّرنيها إلا رجلاً ببَرْك الغِماد، لرحلتُ إليه، وكان الصحابة يقولون فيه: أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء، وقال فيه أبوذر رضي الله عنه: ما حملت ورقاءُ، ولا أظلَّت خضراءُ، أعلم من أبي الدرداء.

وكان رجلاً منقطعًا عن الدنيا مقبلاً على الآخرة، فقد جاءه سلمان رضي الله عنه يزوره يومًا، فوجد أمُّ الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك لا حاجة له في الدنيا، يقوم الليل، ويصوم النهار، فجاء أبو الدرداء، فرحَّب به وقرب إليه طعامًا، فقال

---

(١) برقم (٢٥٩٤)، وأخرجه أيضًا الترمذي (١٧٠٢) وقال: حديث صحسن صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٨٣).

(٢) المستدرك، رقم (٥٥٠٠).

له سلمان كل. فقال: إني صائم. قال: أقسمتُ عليك لتفطرن، فأكل معه، ثم بات عنده، فلما كان الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمان، وقال: إن لجسدك عليك حقًا، ولربّك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، صم وأفطر، وصلِّ وائتِ أهلك، وأعطِ كلَّ ذي حق حقه، فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم فصلِّيَا، فأخبر النبي ﷺ بما قاله سلمان، فقال النبي ﷺ ((صدق سلمان))[1].

وقد روى عن النبي ﷺ جلة أحاديث بلغت ١٧٩ حديثًا.

وكانت وفاته في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢هـ وقيل ٣١هـ[2].

غريب الألفاظ:

ابغوني: اطلبوا لي[3].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب "ملاطفة اليتيم والبنات، وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين، والإحسان إليهم، والشفقة عليهم، والتواضع لهم وخفض الجناح لهم.

وبداية الحديث تؤكد حرص الرسول ﷺ على مكانة هؤلاء الضعفة، وتلك الطوائف، حيث يطلب من الصحابة في صيغة الأمر الحاني الهادئ أن يطلبوا له الضعفاء، وذلك ليكتبهم في ديوان المجاهدين، ويستعين بهم؛ وفي رواية يطلب من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٨).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٩١/٧-٣٩٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٩٨-٨٠٠)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٠٢٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٩٤/٦-٩٥) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٤٠/٣-٣٤١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥١٤/٥-٥١٦)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٣٥/٢-٣٥٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٩٨/٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢٠٤٢/٣-٢٠٥٢).

(٣) الوسيط في (ب غ ي).

الصحابة أن يرضوه، وأن يحققوا مطلبه في ملاطفتهم وحسن علاقتهم بهؤلاء الضعفاء، فيقول: "ابغوني في ضعفائكم".

وما أرق هذا الطلب، وما أجمل هذا الخطاب الآمر الذي يرغب الأصحاب الأخيار في احتضانهم ورعايتهم لضعفاء الأمة الأبرار.

وتشع الألفاظ ببريق الدلالة من خلال ضبط الصيغة وإيقاعها، فالفعل "ابغوني" إن كان من الفعل الثلاثي "بغي" فهمزته للوصل مكسورة ولا تظهر في النطق ولا الكتابة، والمراد به مطلق الطلب، وإن كان من الرباعي "أبغي"، فهمزته للقطع، والمراد به طلب الإعانة، والمراد بقول رسول الله ﷺ في ظل هذا التوجيه لصيغة الكلمة وجذرها "أعينوني على طلب الضعفاء".

وما أحرص الرسول ﷺ على أمته، وهو يطلب منهم فتح أبواب الرجاء والأمل لضعفاء الأمة، لأن هذا الاحتواء والأخذ بيد الضعفاء فيه نجاة للأمة، وقد قيل لو لا شيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لصب عليكم البلاء صبًا.

ويختم الحديث بهذه الجملة الفياضة بينابيع الخير والعطاء، والفضل والبر والوفاء، حيث يقول المصطفى ﷺ معللاً طلبه من الصحابة رضي الله عنهم أن يعينوه في رعايتهم للضعفاء: "فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم".

وأسلوب القصر هنا يفيض بدلالة التقدير، والقيمة والأفضلية لهؤلاء الضعفاء، فالنصر والرزق يكاد يكون محصورًا في وجوب مراعاة هؤلاء الضعفاء، وعدم هجرهم؛ والإحسان إليهم دائمًا ومجيء "إنما" في صدر الجملة يؤكد هذه الدلالة، ويوحي بهذا المفهوم.

وفي العبارة إيجاز بالحذف في قوله "تنصرون وترزقون"، والتقدير تنصرون على من يعادونكم، أو تنصرون على جميع العقبات في كل أمور حياتكم، وترزقون المطر والفئ وغيرهما مما تنتفعون به، وغير ذلك من أنواع الرزق التي تتعدد مصادرها، وتتجدد بتعدد البيئات، وتجدد الزمن.

ويقول صاحب دليل الفالحين في ختام هذا الباب: وفي أحاديث الباب الانقطاع إلى الله سبحانه، وإعانة الفقراء، وإغاثة المنقطعين، وعدم رؤية النفس وفضلها على أحد

من العالمين، والحذر من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين الذين لا ناصر لهم ولا معين سوى رب العالمين[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والطلب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تصحيح المفاهيم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والطلب:

ورد ذلك في قوله ﷺ "ابغوني في الضعفاء" أي اطلبوا لي الضعفاء أستعين بهم يقال بغيتك الشيء طلبته لك[٢] وطلب الشيء بصيغة أمر خاصة إذا كان موجهًا من أعلى إلى من هو أدنى منه، فإن ذلك لفت للأنظار وإثارة للانتباه، مما يثير الهمم ويحفز العزائم، ويدفع إلى تنفيذ ما يلقى من أوامر وإرشادات. وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع:

إن التواضع يدل على رفعة الإنسان وعلو مكانته، لأنه يسمو على نفسه وينتصر على زهوها وغرورها، وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ فضل الضعفاء في النصر بإخلاصهم في الدعاء والرجاء، وكذلك في أمور الرزق، وفي هذا الحديث طلب رسول

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٤.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٣٦/٩، تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٧٣، ٤٧٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

الله ﷺ من الضعفاء أن يدعوا للمسلمين بالنصر، وذلك تيمنًا بهم، ولأنهم لانكسار خواطرهم دعاؤهم أقرب إجابة[١] فأراد رسول الله ﷺ بذلك إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه، إرشادًا لأمته إلى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر ونحوه، وأراد بذلك التنبيه على علو درجات المساكين وقربهم من الله تعالى[٢]. وليس معنى دعوة الإسلام إلى التواضع ميلاً إلى الذل والمهانة، فليس هذا بصحيح، فالتواضع انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرِّمه ويقربه. والله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويبغض الضِّعة والمهانة[٣].

إن تخلق المسلم بخلق التواضع من أسباب عزته ورفعته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه))[٤].

قال القاضي عياض: ("وما تواضع أحد لله إلا رفعه" فيه وجهان:

-أحدهما أن الله تعالى يمنحه ذلك في الدنيا جزاء على تواضعه له، وأن تواضعه يثبت له في القلوب محبة ومكانة وعزة.

-والثاني أن يكون ثوابه في الآخرة على تواضعه.

-وقد يكون المراد الوجهين معًا في الدنيا والآخرة[٥].

وقد وعد الله عباده المتواضعين الجنة فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦] حيث أخبر سبحانه وتعالى أن الدار

---

(١) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٣٦/٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٢٥٦/٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩/٨.

(٦) سورة القصص، آية: ٨٣.

الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعبادة المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علوًا في الأرض، أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا بهم ولا فسادًا فيهم[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الضعفاء:

نبه ﷺ في ذلك الحديث على فضل الضعفاء، فقال "ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم" ويضرب لنا القرآن أكبر المثل في رفع شأن الضعفاء وعتاب من أعرض عنهم، حتى ولو كان رسول الله ﷺ كما رأينا في موقف الرسول ﷺ من عبدالله بن أم مكتوم وعتاب القرآن له، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾[2].

قال ابن كثير: (ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله ﷺ كان يومًا يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم -وكان ممن أسلم قديمًا- فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل، طمعًا ورغبة في هدايته، وعبس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر فأنزل الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة)[3].

وهكذا رفع الإسلام من شأن الضعفاء، ووصى بالمساواة بين الناس في كل شيء

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٨/٦.

(٢) سورة عبس، الآيات: ١-١٠.

(٣) المرجع السابق ٣١٩/٨.

ومن ذلك ما ورد في السورة من المساواة في إبلاغ العلم بين الناس من شريفهم ووضيعهم[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تصحيح المفاهيم:

لقد صحح النبي ﷺ أن أسباب النصر لا تقتصر على القوة والمال، ولكن من أسباب النصر والرزق دعاء الضعفاء فقال ﷺ "ابغوني في الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم" أي بسببهم أو ببركة دعائهم[٢]. وفي ذلك رفع لشأنهم وتحذير من التعرض لإيذاء أحد من الضعفاء والمساكين، الذين لا جار لهم ولا كهف سوى رب العالمين[٣] وليس معنى أن الإسلام رفع من شأن الضعفاء أن نخلد إلى الضعف والسكينة[٤]، وإنما طالبنا بالأخذ بأسباب القوة، واستنفاد الطاقة في الإعداد، ويشترك في ذلك الكل، حتى ضعيف الخَلْقة، كل على قدر استطاعة، فخاطب الله عز وجل الجميع بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٥].

والخطاب في الآية يشمل عموم المسلمين دونما تفرقه بين قوي وضعيف، كل حسب طاقته، قال الطاهر بن عاشور: (والخطاب لجماعة المسلمين، وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها، والإعداد في الآية: التهيئة والإحضار، ودخل في (ما استطعتم) كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة)[٦].

---

(١) انظر المرجع السابق، ٣١٩/٨.

(٢) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١٤٩٩/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٤.

(٤) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١١٢، ١١٩.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٥.

(٦) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٥/١٠/٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يربي الإسلام أتباعه على ترك كل تقليد جاهلي لا يتفق مع قيم الإسلام، لقد كان من تقاليد الجاهلية أن الفقراء والضعفاء لا يجلسون في مجالس الأغنياء والأقوياء والوجهاء.

وفي حياة الرسول ﷺ جاءه من المشركين من يطلب منه عدم إحضاره بعض الفقراء معهم؟ فماذا يفعل الرسول عليه السلام؟ هل يترك المسلمين لإسلامهم ليتفرغ هذه الدقائق لدعوة المشركين، أم يجلس ويحمل المشركين على الجلوس مع فقراء المسلمين، أم يدع المشركين ويبقى مع المسلمين؟

نزل النص القرآني ليحسم القضية ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [سورة الأنعام:٥٢].

إننا مطالبون بأن لا يحتقر أحداً وبخاص إذا كان الآخر مسلماً فقد يزدريه الناس في الدنيا وهو أسمى مكانة عند الله من غيره، ومن أحاديث الباب ندرك المضامين التربوية الآتية:

أولاً- التربية على احترام الفقراء والمساكين:

إن من أهداف التربية الإسلامية الهامة التربية على احترام الفقراء والمساكين، لأن التربية الإسلامية تقوم على التواضع، فالمسلم الذي تربى على خلق التواضع وعدم الترفع على الناس، يُكنّ الاحترام والتقدير لهؤلاء الشرفاء الذين لا يملكون مالاً ولا جاهاً - مما يعد من معايير التقدير والاحترام لدى الناس في هذا الزمان-إلا أن تلك الفئات الفقيرة تربطها بخالقها صلات متينة، وهذا ما يجب أن يقوم عليه في تقدير الناس، ولذا أراد النبي ﷺ تربية المسلمين على هذا الخلق، وذلك من خلال المواقف التربوية العملية، ومما يؤكد ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: "كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطْرُدْ هؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا... فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[1]".

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

ثانياً- التربية الاجتماعية:

من أهداف التربية الإسلامية التربية الاجتماعية لأنها تسعى إلى تنمية العلاقات الاجتماعية للفرد وبناء المجتمع الإسلامي، ولقد كان من أهداف النبي ﷺ في السنة النبوية إبراز الجوانب الاجتماعية متمثلة في نماذج تربوية. والتي منها في هذا الباب ما يلي: "لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتانِ"، "شَرُّ الطَّعامِ طَعامُ الْوليمَةِ يُمْنَعُها مَنْ يأتيها ويُدْعَى إليْهَا الأَغْنِيَاءُ"، "من عال جارتين... حتى تبلغها، جاء يوم القيامة..."، "دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ ... فَقَالَ: مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ الْبَنَاتِ ..."، "جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ..."، "اللَّهُمَّ إِنِي أُحَرِجُ عَنْ حَق الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرأَةِ"، "ابغُونِي بِضُعَفَائِكُمْ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ، وَتُرْزَقُونَ في الضعفاء".

فهذه نماذج تربوية اجتماعية أراد النبي ﷺ منها إبراز الجوانب المادية التي تنتج عن تقوية العلاقات الاجتماعية لأن اليتيم والمسكين في حاجة إلى هذه الوقفة الاجتماعية المادية، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال هذه التربية الاجتماعية التي نادت بالوقوف مع هذه الفئة من المجتمع بالتعاون والتخلي عن الصراعات والتناقضات، ولذلك كان من أهداف التربية الاجتماعية التواصل بين الناس وهذا ما أراد النبي ﷺ إبرازه لكي تسود المودة والتعاطف بين الناس وترفع روح المجتمع وتنهض به[1].

ثالثاً- من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

تستمد التربية الإسلامية أصولها من المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، ومن هذه المصادر تشتق أهداف التربية الإسلامية، يظهر ذلك من خلال ما ورد في أحد أحاديث الباب الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: «كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطْرُدْ هؤُلاءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا... فأنزل الله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ...﴾[2]».

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٦٨. والتربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٦٠.

(٢) سورة الأنعام، جزء من آية: ٥٢.

وهذا مما يبين اهتمام القرآن الكريم بتربية المؤمنين من خلال ما حدث مع رسول الله ﷺ من طلب المشركين منه طرد الفقراء والمساكين واستبعادهم من أن تضمهم المجالس معهم، فكانت التربية القرآنية بعدم طرد هؤلاء، فهذا توجيه تربوي عظيم للنبي ﷺ والمؤمنين وللأمة كافة من خلال ما ورد في القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول من مصادر التربية الإسلامية[1].

رابعاً- التربية بالوسائل التعليمية:

الوسائل التعليمية من الوسائل التربوية الهامة لأنها تسهم في تيسير عملية التعلم وتوضيح المعاني وتشرح الأفكار، لعلاقتها بإثارة الحواس، وظهر إبراز هذا الجانب التربوي في استعمال وسيلة (الإشارة) بالأصابع فقد ورد في حديث الباب عندما قال ﷺ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا"، "وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا"، فهذا نموذج تربوي عملي استخدم فيه الرسول ﷺ وسيلة من وسائل التعليم وهي وسيلة الإشارة بالأصبع: "السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى" والوسائل التعليمية لها فوائد التعليم، والتي تتمثل في أنها توفر الجهد في التدريس وتخفف العبء عن كاهل المعلم[2].

خامساً- من الأساليب التربوية:

من الملاحظ أن أحاديث الباب قد تضمنت عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كحديث عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه: "أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟" الحديث.

والحوار له خاصية تربوية مميزة وهي تفعيل تحصيل المتعلمين وجذب انتباههم.

ب-الممارسة العملية: كما تصرفت عائشة رضي الله عنها مع المرأة التي دخلت عليها مع ابنتيها وتصرف المرأة نفسها مع ابنتيها. وهناك كذلك تربية بالمواقف من قبل النبي

---

(١) أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٥١، أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١١.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ١٢٦.

ﷺ بأن بين ثواب هذه المرأة على ما فعلته بابنتيها.

ج-أسلوب الترهيب: كما في قوله ﷺ: "اللهم إني أحرّج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة وأسلوب الترهيب من الأساليب التي تجدي في التعامل مع المواقف التي تستدعي اهتمام المجتمع بها وإلزام كل فرد بالقيام بدوره في المجتمع وتحذير كل فرد من التهاون في القيام بهذا الدور وبيان العواقب التي سوف تعود عليه نتيجة إهماله.

❁ ❁ ❁

٣٤- باب الوصية بالنساء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[النساء: ١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١٢٩].

الحديث رقم (٢٧٣)

٢٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا[١]؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا[٢] فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣].

وفي رواية في الصَّحيحين[٤]: **((الْمَرأةُ كالضِّلَعِ إنْ أقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإن اسْتَمتَعْتَ بِهَا، اسْتَمتَعْتَ وفِيهَا عوَجٌ))**.

وفي رواية لمسلم[٥]: **((إنَّ المَرأةَ خُلِقَت مِنْ ضِلَع، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقة، فإن اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفيهَا عوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَها، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا))**.

---

(١) (خيرًا) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٥١٨٦)، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ البخاري: (شيء) بدل: (ما)، والمثبت لفظ مسلم، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨/٦٠)، والسياق للحميدي في جمعه (١٧٩/٣، رقم ٢٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨١).

(٤) أخرجه البخاري (٥١٨٤) من حديث مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، وهذا لفظه، كما في الجمع للحميدي. وأخرجه مسلم (١٤٦٨/٦٥) من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب، ولفظه: (إن المرأة كالضلع، إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها، وفيها عوجٌ)، كما في الجمع للحميدي.

(٥) برقم (١٤٦٨/٥٩) من حديث سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، كما في الجمع للحميدي. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضِلع: الضلع: عظم من عظام قفص الصدر منحنٍ وفيه عِرَض، والعود فيه اعوجاج وعرض[١].

تقيمه: قوم المعوج: عدَّله وأزال عَوَجه[٢].

عوج: قوله (عوج) هو بفتح العين والواو[٣].

الشرح الأدبي

لقد كرم الإسلام المرأة، وصان حقوقها، وأوجب على الرجل القيام على جميع شؤونها، فالقوامة تكليف ومسؤولية، وليست تحكمًا واستبدادًا كما يتوهمه كثير ممن لا يفقهون حقيقة العلاقة بين الرجال والنساء، فالمرأة إما أن تكون أمًا أو أختًا أو زوجة أو بنتًا، أو تربطها بالرجل قرابة أو غير ذلك من الروابط الاجتماعية، وهذه العلاقات الحميمة ليس من شأنها أن تنشىء العداوة أو البغضاء بين الرجل والمرأة، ولكن بعض المجتمعات في نظامها وأعرافها لا تحتكم إلى شرع الله في ضبط العلاقات السوية بين الرجل والمرأة، فينشأ الخلل، ويستشرى الفساد، وتندلع أسباب الشقاق والعداوة والبغضاء، ووصايا رسول الله ﷺ بالنساء كثيرة ومتعددة، وفي كل وصية يشرق معنى جديد، ومسلك حميد، وتوجيه نبوي سديد، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، نجده وهو يضيء الطريق أمام الرجال، ويوضح لهم السبيل الأقوم للتعامل مع النساء.

---

(١) الوسيط في (ض ل ع).

(٢) الوسيط في (ق و م).

(٣) رياض الصالحين ١٥٧.

نجد الحديث الشريف في أسلوبه وصيغه يفيض بالتوازن، والتعادل، حيث تضمن الحديث أمرين وتأكيدين ، وشرطين، وهذا التوازن في الصيغ، وتلك المساواة في الأساليب، تعد إشارة وإيحاءً بضرورة التوازن في معاملة المرأة، والعدل بين الزوجات: والاحتكام إلى العقل والتروي في استقبال ردود أفعالهن، فالحديث يبدأ بصيغة الأمر "استوصوا بالنساء خيرًا" وينتهي كذلك بالصيغة نفسها، "فاستوصوا بالنساء" وفي هذا المسلك الأسلوبي تأكيد على حسن التعامل مع النساء، وهن على طبيعتهن اللاتي خلقن عليها، وهى عدم الاستواء.

ومن أسرار البيان النبوي أن قوله ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرًا" يحمل أربع دلالات، ويمكن أن تفيض هذه الصيغة بأكثر من ذلك حسب السياق والتفسير الملائم؛ وتعدد الدلالة نتج عن صيغة الاستفعال المتمثلة في زيادة السين والتاء، "استوصوا"، والأمر لكل المكلفين من أمة الإسلام في كل زمان وفي كل مكان.

فالمعنى الأول: اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن: أى تواصوا فيما بينكم واعملوا على تنفيذ هذه الوصايا.

والمعنى الثاني: اطلبوا الوصية من غيركم بهن، ومعنى ذلك أن من يطلب الوصية من غيره عليه أن يكون قدوة في ذلك.

والمعنى الثالث: أن رسول الله ﷺ يقول: اقبلوا وصيتي فيهن، واعملوا بها والأمر للوجوب: فتكون الوصية واجبة.

والمعنى الرابع: ارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن، وكل هذه المعاني مطلوبة ولا تتعارض ولا تتناقض فيما بينها.

وأما التأكيدان، فيردان في الإخبار عن طبيعة المرأة، وهى طبيعة خلقت بها، وليس في إمكانها تغييرها، حيث أكد الحديث على أن المرأة خلقت من ضلع، ثم أكد على أن أعوج ما في الضلع أعلاه، وفي ذلك إشارة إلى تكوين المرأة الذي يختلف عن تكوين الرجل في المزاج والطبع، والهيئة، وطريقة التعامل مع قضايا الحياة ومشكلاتها، وأشار بعض العلماء إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر، وقيل من ضلعه القصير.

قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1].

وقيل: إن قوله: "أعوج ما في الضلع أعلاه": فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها[2]. وأما الشرطان فهما يمثلان العقدة والحل في هذه القضية: حيث قال رسول الله ﷺ فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج.

فالمسلم في تعامله مع المرأة لابد أن يكون حكيمًا، فالمرأة لن تتغير طبيعتها، وإنما يمكن تهذيب هذا الطبع بالعشرة الحسنة والمعاملة الجميلة، ولذلك عبر بأداة الشرط "إن" في الجملتين، لأن النتيجة من الإصلاح غير متيقنة، وكذلك على الإنسان أن لا يترك الأمر على اعوجاجه، بل عليه أن يعالج الأمور ويَسُوسُها في اتزان وثبات ومحبة ومودة ورحمة، حتى تحسن العشرة، استجابة لأمر رسول الله ﷺ "فاستوصوا بالنساء".

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم معاشرة النساء وما يجب لكل من الزوجين نحو الآخر، وقد اتفق الفقهاء[3] على أنه يلزم كلا الزوجين الإحسان إلى الآخر والبر به، فتلتزم الزوجة بطاعة زوجها في كل ما يأمرها به، ما لم يأمرها بمعصية فلا طاعة له لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ويلتزم الرجل بمعاشرة زوجته بالحسنى والبر بها

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٥.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٣٤/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢١٢/٧، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٥٤/٨، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٦٢/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٢٩/٣، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٥٥/٥، والمغنى٢٢٣/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥.

وإكرامها، وعدم إهانتها وسبها أو ضربها، ما لم ترتكب محظورًا فيجوز له حينئذ تأديبها حسبما ورد في الشرع من طرق التأديب، وإكرام الرجل لزوجته لا يعني عدم إيذائها بل تحمل أذاها إن حدث وذلك أكرم الخلق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والتوكيد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: الرجال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

رابعًا: من فقه الداعي: بيان طبائع المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الصبر.

سادساً: من موضوعات الدعوة: مراعاة طبيعة المرأة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والتوكيد:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "استوصوا بالنساء خيرًا" أي تواصوا بهن[1]. قال الطيبي والمعنى أوصيكم بهن خيرًا فاقبلوا وصيتي فيهن، والأظهر أن السين للطلب مبالغة، أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن بخير، ويجوز أن يكون من الخطاب العام أي ليستوص بعضكم بعضًا في حق النساء[2].

والتوكيد في قوله ﷺ للحقائق التي ساقها "فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه" واجتماع الأمر والتوكيد فيه دلالة على أهمية الأمر، ووجوب تنفيذ المدعو ما ألقى على مسامعه من إرشادات.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: الرجال:

إن خطاب رسول الله ﷺ في هذا الحديث موجه للرجال فقال "استوصوا بالنساء خيرًا" وهذا مما يلفت نظر الداعية إلى تنوع دعوته وتوجيهها إلى شرائح المجتمع المختلفة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٦/٦، ٣٠٧.

ولا شك أن الرجال يملكون حق القوامة على النساء. قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[1]، فالزوج قيم على زوجته، والمقصود أن الزوج أمين عليها، يتولى أمرها، ويصلحها في حالها، ويقوم عليها آمرًا ناهيًا كما يقوم الوالي على رعيته [2]، وإنما كان حق القوامة للرجل على المرأة بالتأديب والتدبير والحفظ والصيانة وغير ذلك لأمرين:

أ- لما فضل الله الرجل على المرأة في العقل والرأى (بما فضل بعضهم على بعض).

ب- بما ألزمه الله تعالى من الإنفاق عليها (وبما أنفقوا من أموالهم)[3].

فالقوامة هنا لا يراد بها التغلب والاستطالة والقهر، وإنما هي مراعاة لطبيعة الرجل والمرأة، وإلزام للرجل بما تقتضيه هذه القوامة من بذل المهر والنفقة، وحسن العشرة وصيانة المرأة وما شاكل ذلك.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشبيه:

في هذا الحديث شبه النبي ﷺ ما فطرت عليه المرأة بالضلع الأعوج فقال: "فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج" وبهذا التشبيه البليغ يتضح وجه الشبه لأن المرأة كما وصفها النبي ﷺ خلقت من ضلع أعوج، مما يدل على احتياج المرأة إلى تعامل من نوع خاص كالرفق والرحمة، والحكمة في تقبل بعض التبرم الذي قد يحدث منها في بعض المواقف إلى غير ذلك مما يطرأ على تصرفات المرأة مع زوجها، لأنه حينما يعلم طبيعتها، يمكنه أن يتقبل بعض التصرفات العادية التي تنم عن تلك الطبيعة، التي تحتاج إلى الحكمة والرفق والصبر. والتشبيه وضرب المثل من عناصر الجمال الأدبي الرفيع، وقد استخدم القرآن التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني والمفاهيم في كثير من الآيات،

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ٥٢٣/١٠.

(٣) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ١٨٨/٢.

ومنها قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[1].

فينبغي على الدعاة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، أن ينتفعوا من هذا العنصر، ويهتدوا بهدي كتاب الله وهدي سنة رسول الله ﷺ في ذلك، فكم فيهما من أمثال رائعات[2].

رابعًا- من فقه الداعي: بيان طبائع المدعوين:

في هذا الحديث بين الرسول ﷺ طبيعة المرأة وما فطرت عليه من اعوجاج، وبهذا بين الرسول ﷺ للرجال طريقة معاملتهن، وما يوجب ذلك من صبر عليهن، قال ابن حجر وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها، أو الإشارة إلى أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا يقبله[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الصبر:

أرشد النبي ﷺ الرجال إلى الصبر على نسائهن، وبين لهم طبيعتهن التي جبلن عليها، فالمرأة قاصرة بمتقضى جبلتها وطبيعتها، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها، يعني معنى ذلك أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد، فلا يمكن ذلك وحينئذ تسأم منها وتطلقها فكسرها طلاقها، وفي ذلك توجيه من رسول الله ﷺ إلى معاشرة الإنسان لأهله بالمعروف وأنه ينبغي أن يأخذ منهم العفو وما تيسر كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾[4] يعني ما عفى وسهل من أخلاق الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ

---

(١) سورة الرعد، آية: ١٧.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن الميداني ص ١٢١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٢٥/٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وأيضًا فالمرأة إن كرهت منها خلقًا رضيت منها خلقًا آخر، فقابل هذا بهذا مع الصبر وقد قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]،[2]. أي فعسى أن يكون صبركم مع إمساككم لهن وكراهتهن فيه خير كثير لكم في الدنيا والآخرة، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: هو أن يعطف عليها فيرزق منها ولدًا، ويكون في ذلك الولد خيرٌ كثيرٌ[3]، وفي الحديث الصحيح «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[4].

فالنبي ﷺ يأمر الرجال بالصبر على النساء على ما فيهن من اعوجاج "استوصوا بالنساء خيرًا" فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه" وذلك من حسن العشرة التي أمرنا الله بها قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5] أي على ما أمر الله به من حسن المعاشرة، والآية نبهت على معنيين أحدهما: أن الإنسان لا يعلم وجوه الصلاح، فرب مكروه عاد محمودًا، ومحمود عاد مذمومًا. والثاني أن الإنسان لا يكاد يجد محبوبًا ليس فيه ما يكره، فليصبر على ما يكره لما يحب، وأنشدوا في هذا المعنى:

ومن لم يُغمِّض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

ومن يتتبع جاهدًا كل عثرةٍ ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[6]

سادساً- من موضوعات الدعوة: مراعاة طبيعة المرأة:

شاء الله عز وجل وتجلت حكمته أن يخلق المرأة على طبيعة تلاءم ما كلفت به،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ٦٥٦/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٣/٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

(٥) سورة النساء، آية: ١٩.

(٦) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج بن الجوزي، ٤٢/٢.

من رعاية للأزواج والأولاد وحنو عليهم، فخلقها الله من ضلع الرجل، وليس هذا تنقصًا منها أو قدحًا فيها، وإنما هو تمييز لها عن الرجل، وخلق لها على ما تقتضيه فطرتها وطبيعتها وإلى ذلك أشار الرسول ﷺ في الحديث في قوله: ((فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا الضلْعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ بِه عَوْجَ)).

وفي ذلك إشارة إلى الطبيعة التكوينية للنساء، وهي تغليب الفطرة على العقل، فهو حث للرجال على مخاطبة الفطرة والغرائز، قبل مخاطبة العقل، ودعوة للرجال للصبر على عوج النساء، وذلك لا يعني نقصان المرأة ولا امتهانها ولا كون الرجل أفضل منها لأن الحق يسوى من يشاء مما يشاء وينزله كيف يشاء، وقد كثرت النصوص في القرآن والتي تؤكد على منزلة النوعين من ناحية، وكون المرأة مظهرًا من مظاهر نعم الله على الرجال، فضلاً عن التسوية بينهما في التكاليف والثواب والعقاب وسائر الحقوق والواجبات، وكل إسقاط عن المرأة في جانب التكاليف -أو إرجاء- فهو من باب التخفيف عليها من ناحية، مراعاة لطبيعتها التكوينية ولظروفها الاجتماعية كإسقاط وجوب الجمعة والجماعة والجهاد، مع إعطائها استقلالية ذاتية بمثل ما يعطي الرجل، وما القوامة إلا لتحميل الرجل دوره تجاه المرأة في الرعاية والعناية ودرء الأذى، ورد عادية المعتدى، حتى وإن أدى ذلك لقتله دفاعًا عنها فينال الشهادة[1]، كما جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ))[2].

---

(١) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دراسة تحليلية موضوعية مقارنة، د. بكر زكي إبراهيم عوض، مطبعة أولاد عثمان ص٧٧، ٧٨.

(٢) أخرجه أحمد١/١٩٠ رقم ١٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣/١٩٠.

الحديث رقم (٢٧٤)

٢٧٤- وعن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا[١]، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((﴿إذ انْبَعَثَ أشْقَاهَا﴾ **انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ**))[٢]، ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ[٣]، فَوعَظَ فِيهِنَّ، فَقَالَ: ((**يَعْمِدُ أحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأتَهُ جَلْدَ العَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَومِهِ**)) ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقالَ: ((**لِمَ يَضْحَكُ أحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟!**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٤].

(**وَالعَارِمُ**) بالعين المهملة والراء: هُوَ الشِّرِّيرُ المفسِدُ، وقوله: (**انْبَعَثَ**)، أيْ: قَامَ بسرعة.

ترجمة الراوي:

ابن زمعة: هو عبدالله بن زمعة القرشي.

من أشراف قريش، وهو ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ وكان يأذن رضي الله عنه على النبي ﷺ، ويعدُّ من أهل المدينة، وهو الذي خرج فأمر عُمر بن الخطاب رضي الله عنه بالصلاة حين سمع النبي ﷺ يقول ((مُروا أبابكر أن يصلي بالناس))[٥] فلم يجد أبابكر فأمر عمر، وتوفي النبي ﷺ وهو ابنُ خمس عشرة سنة.

وله في الصحيح حديث يشتمل على ثلاثة أحكام، أحدها في قصة ناقة ثمود، والآخر في النهي عن الضحك مع الضرطة، والثالث عن جلد المرأة.

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (عقر) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٢) عندهما زيادة: (مثل أبي زمعة).

(٣) قال الحميدي في جمعه (٣/٣٦٤): (وذكر النساء، وفي رواية ابن نُمير، عن هشام بن عروة: ثم ذكر النساء).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥/٤٩) والسياق للحميدي في جمعه (٣/٣٦٤، رقم ٢٨٤٧) حيث قال: حديث واحدٌ يجمع ثلاثة معانٍ، فرّقها البخاري في مواضع من كتابه، وجمعها هو ومسلم في موضع واحد، وأخرجاه مفرقًا ومجموعا، من رواية عروة بن الزبير، عن عبد الله بن زمعة.

(٥) أخرجه مسلم ٤١٨.

قُتل يوم الدّار. توفي سنة ٣٥هـ[١].

عقرها: نحرها وذبحها. وأصل العقر: ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم[٢].

انبعث: قام بسرعة[٣].

عارم: والعارم بالعين المهملة والراء: هو الشرير المفسد[٤].

منيع في رهطه: أي قوي ذو منعة يمنعه قومه من الضيم[٥].

يضاجعها: أي يجامعها ووقع في رواية عند البخاري (٥٢٠٤): يجامعها[٦].

الضرطة: ضرط: ضرطًا وضُراطًا: أخرج ريحًا من استه مع صوت[٧].

الشرح الأدبي

إن راوي الحديث يقتبس كلمات من خطبة رسول الله ﷺ، حيث سمع النبي ﷺ يخطب، ويقتبس الراوي ثلاث قضايا من البيان النبوي في هذه الخطبة: أولاها: رصد لأوصاف الذي عقر ناقة صالح حين كذبت ثمود بطغواها: وهو قدار بن سالف أحيمر ثمود، وهو كما حكم عليه الحق سبحانه وتعالى: أشقى قبيلة ثمود، وأشقى الأولين "إذا انبعث أشقاها" ومعنى انبعث قام بسرعة.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/٢٢٠-٢٢١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٠٢-٤٠٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣/٢٤٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤٧٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤/١٣٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٦٣٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، والوسيط في (ع ق ر).

(٣) رياض الصالحين ١٥٨.

(٤) رياض الصالحين ١٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٥٧٦، والقاموس المحيط في (م ن ع).

(٦) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي (٦/٣٠٨).

(٧) الوسيط ٥٣٨.

وهذا الشقي وصفه رسول الله ﷺ بثلاث صفات توحي بالقوة: ولكنها قوة باطشة مفسدة ظالمة، فهو "رجل عزيز" أي قليل المثل ونادر الشبه، ولكن في سلوكه المشين، وعمله الوحشي الذي لا يقدم عليه إلا كل كافر خاسر، وهو "عارم"، أي شرير مفسد، فالعرام: هو القوة والشدة والشراسة، وهذه الصفة حين تقرن بصفة "عزيز" تعطي للعزة دلالة غير محمودة في هذا السياق، لأن الكلمات قد لا يظهر معناها المطلوب والمراد، إلا حين تأنس بجارتها من كلمات، ويسلكن في عقد من التركيب والنظم البليغ.

والصفة الثالثة: "منيع في رهطه" أي قوي ذو منعة: وقومه يمنعونه ويحمونه من الضيم والإذلال.

وأما القضية الثانية: فقد لا تبدو متسقة مع موضوع الخطبة أو مقدمة الخطبة: وهي "الوصية بالنساء خيرًا"، كما جاء في الحديث السابق، ولكن بعد التأمل والتدقيق والتفكر، نجد أن صفات الذي عقر الناقة، وهي صفات غير محمودة، وهى مذمومة في علم السلوك، تشابه صفات ذلك الذي يجلد امرأته جلد العبد، في قسوة، وشدة وادعاء للقوة والفحولة، فوجه الشبه قائم بين الذي عقر الناقة والذي يجلد امرأته عامدًا جلد العبد، غير عابئ بما أمر به الحق سبحانه وتعالى من حسن العشرة وكريم المعاملة، وبما أوصى به رسول الله ﷺ من الرفق بالنساء، والحكمة في معاملتهن، وفهم طبيعتهن اللاتي خلقن عليها، وليس في مقدورهن تغييرها، أو تبديلها، فالجزء الأول من المقدمة تمهيد وإلحاح وإضاءة لما سيوصي به الرسول ﷺ من الرفق بالنساء، والوصية هنا ليست مباشرة، ولكنها توغل في إدراك ما بين الرجل والمرأة من أسرار، فكيف يضربها ويجلدها في قسوة ووحشية، ثم يدنو منها ويعاشرها ويضاجعها من آخر يومه، فهذا سلوك يستبعد من العاقل، والمسلم الذي يفقه أصول دينه، ومعالم عقيدته، كما قال العلماء: كيف يبالغ في ضرب امرأته، ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته، والمضاجعة، أو المجامعة إنما تستحسن مع الميل والرغبة في العشرة، وخاتمة الحديث تنبه على سلوك عام، فالمسلم يجب أن يظل بعيدًا عن السلوكيات التي تُذْهب بمروءته،

وفقده احترام الناس، وتزيل هيبته ووقاره، وهذا الذي يقسو على امرأته ويجلدها ويعاملها معاملة العبد، ربما تقوده هذه السلوكيات التي تذهب بالمروءة والهيبة فيضحك عليه الناس، ويسخرون منه، ونلاحظ أن الراوي ربط بين القضايا الثلاث بحرف العطف ثم، إيحاءً بأن كل قضية تحتاج إلى تأمل وتدبر، وبأن الرسول ﷺ كان في أناءة وتمهل حرصًا منه على الإفادة: حتى يعي السامعون والمسلمون أبعاد القضية كلها، ويدركوا دلالاتها، ومنها حسن معاملة النساء، لأن الإسلام أعطاها حقها، وأباح لها الدين أن تكسب كما يكسب الرجال، ورسول الله ﷺ -كما يقول العقاد في كتابه "عبقرية محمد" جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم، وأمر بمدارة ضعفها ونقصها، وأوجب على الرجل أن يتجمل لامرأته، ويبدو لها في المنظر الذي يروقها، يقول الله عز وجل في محكم كتابه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بضرب الرجل زوجته تأديبًا لها، وقد اتفق الفقهاء[2] على أنه يجوز للزوج تأديب زوجته بالموعظة، والهجر، والضرب إن لم تستجب للأولين، على أن يكون الضرب خفيفًا يتقي فيه المقاتل والمهانة، كاللكزة ونحوها،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) تكملة البحر الرائق، وهو مطبوع في نهاية البحر الرائق، محمد بن الطوري ٣٩٢/٨، ومجمع الأنهر لداماد أفندي ٦٣٢/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٢٦١/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٢/٥ ط٢، دار الشعب، القاهرة: ١٣٧٢هـ، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٣٤٠/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٨/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٣/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٧٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٠/٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/١٠ وما بعدها.

ولا يجلدها جلد العبد، ففي ذلك مهانة لها وانتقاص من كرامتها، وأن يقصد بالضرب زجر المرأة وعودتها إلى الحق، فإن فاءت لم يكن له أن يبغي عليها، أو يضربها ثانية، وإلا ضمن تلفها إن حدث.

وفي هذا الحديث أيضًا النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب، وفيه النهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره، بل ينبغي أن يتغافل عنها، ويستمر على حديثه واشتغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره، ويُظهرُ أنه لم يسمع[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الوعظ.

ثالثًا: من تاريخ الدعوة: ذكر قصة ناقة صالح.

رابعًا: من فقه الداعي: التنويع في الدعوة ومراعاة جميع شرائح المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حسن المعاشرة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الحفاظ على المروءة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن من وسائل الدعوة المستنبطة في هذا الحديث الخطبة، حيث كان النبي ﷺ يستعملها كثيرًا إذا ما عَنَّ له أمر وأراد أن يتحدث إلى الناس فيه، ومن الشواهد على ذلك في الحديث الذي معنا، ما وردت الإشارة إليه في قول الراوي عبدالله بن زمعة "أنه سمع النبي ﷺ يخطب" ولقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر دعوته لكثرة فائدتها وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، ولعل أكبر ما يدلنا على اهتمام النبي ﷺ بالخطابة، أنها أول وسيلة أبرزها بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨٨/١٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٤/١٠.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩، ٤٢٠.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الوعظ:

ورد ذكر الوعظ في هذا الحديث في قوله ﷺ "ثم ذكر النساء فوعظ فيهن" والوعظ أحد الأساليب المهمة التي لها عظيم الأثر في نشر الدعوة، حيث يستطيع الداعية من خلاله أن يؤثر تأثيرًا إيجابيًا في مشاعر المدعوين فيحرك وجدانهم، ويستثير عواطفهم إلى الله تعالى، فتلين قلوبهم وتتبعث آمالهم إلى ما يحبون أن يصلوا إليه[١].

والوعظ أحد الأساليب الرئسية في الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢]، والموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[٣].

ثالثًا- من تاريخ الدعوة: ذكر قصة ناقة صالح:

ورد ذلك في الحديث في قوله (وذكر الناقة والذي عقرها) فإنه مما ينبغي أن يراعيه الداعية أن يفيد الدعوة من تاريخ الدعوة مع الأقوام السابقين.

وقد أورد القرآن قصة ناقة صالح في كثير من المواضع منها قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[٤].

ففي هذه الآيات يخبر الله عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأنزل الله بهم سوء العذاب على السواء فقال: "فسواها" أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء "ولا يخاف عقباها" قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يخاف اللهُ من أحدٍ تبعة[٥].

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، د. البهي الخولي ص ٣٩.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) التفسير القيم، ابن القيم، ٣٤٤.

(٤) سورة الشمس، الآيات: ١١-١٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤١٣-٤١٥.

وجمهور المسلمين على أن الناقة كانت معجزة لصالح عليه السلام وهو ما توافرت عليه الأدلة في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[2].

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[3].

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[4].

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾[5].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾[6].

وندرك من جملة النصوص السابقة النقاط التالية:

أ- أن هذه الناقة آية، أي: دليل على نبوة صالح عليه السلام وأنها على غير ما عهدوا من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٢) سورة هود، آية: ٦٤.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٦) سورة الشمس، آية: ١٣.

الآيات قبلها وهي آية بينة.

ب- أن هذه الناقة فتنة لهم من حيث البعث أو السلوك الواقع منها أو الأثر الناتج عنها.

ج- أنها مضافة إلى الله للتهديد من ناحية وللفت النظر إليها من ناحية ثانية.

د-حرم عليهم مسها بسوء وبين النتيجة المترتبة على المخالفة ﴿فيأخذكم عذاب أليم﴾، ﴿فيأخذكم عذاب قريب﴾، ﴿فيأخذهم عذاب يوم عظيم﴾.

هـ- تقسيم الماء بينهم وبين الناقة، ويبدو أنه أراد بئرًا معينًا أو موردًا خاصًا ﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾، ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر﴾، ﴿ناقة الله وسقياها﴾.

وأما وجه كون الناقة آية، فقد اجتهد فيه المفسرون. ومما أثر عنهم في ذلك:

أ- أنها خرجت من صخرة صماء -مع فصيل لها- قد حددها القوم لصالح عليه السلام.

ب- أنها كانت تشرب سائر المياه في اليوم الذي ترد فيه الماء.

ج- أنها كانت تدر لبنا يعدل الماء الذي تشربه، حتى تغدق على ثمود بأسرها ما يكفيهم.

د- ربط هلاكهم بأذاها إن وقع منهم، وقليله وكثيره في ذلك سواء، بدليل ورود النكرة بعد النهي (ولا تمسوها بسوء).

هـ- أن جميع الحيوانات كانت يوم مجيئها للماء تمتنع من الورود، وكانت يوم غيابها تأتي الماء.

و- أنها تختلف في النشأة عن غيرها من نوعها، من حيث عدم التوالد وكبر الحجم وخروجها عشراء من صخرة صماء.

ويرى بعض العلماء: أن الناقة لم تكن خارقة للعادة من حيث الوجود والتكوين والطبيعة، بل هي ناقة شأنها شأن غيرها من حيث الوجود. حددها صالح كرمز لحرمات الله، وتشديدًا على القوم بعد شدة العنت، وزاد من التضييق عليهم قسمة الماء بينهم، وتحديد يوم خاص بها ترد فيه الماء، ويوم خاص بهم أجمعين. تهكما وتشديدًا وتهديدًا.

ولم يتأثر قوم صالح بتلك الآية ولم يستجيبوا لنصائح صالح عليه السلام فرغم تحذير صالح لهم من مسها بسوء حتى لا يأخذهم عذاب - سبق بيانه - إلا أن القوم قد بيتوا النية على عقر الناقة وقتل صالح، وقتل المؤمنين به معه، بهدف القضاء التام على الدعوة ويمكن إيجاز مواقفهم فيما يلي:

أ- عدم التسليم بكون الناقة آية من آيات الله، مع توافر الأدلة على ذلك حتى وصف القرآن ذلك بالظلم، مع أن القوم لم يبالوا بها ولم يخافوها أو يخافوا النتائج المترتبة على أذاها.

ب- اتهام صالح بالكذب في حديثه عنها مع الإصرار على عقرها.

ج- كان قرار العقر جماعيًا وإن نهض به بعضهم، فكل فعل يرضى عنه الإنسان يثاب ثواب فاعله، ويعاقب عقاب فاعله في الآخرة، وذلك من باب حمل الأمة على فعل الخير، والأخذ على يد الظالم والتوجه نحو الخير العام، وإلا أثمت الأمة جمعاء إذا رضيت بما يفعله الفسقة، ولذلك نسب العقر إليهم جميعًا في قول الحق: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾[1].

وإلى من ابتدأ العقر أو أتمه ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[2]. وصف القرآن ذلك الشخص بالشقاء. قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[3]. كما وصف في السنة بمثل ذلك، وفي الحديث عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا أحدثك بأشقى الناس؟» قال : بلى. قال: «رجلان، أحدهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا ـ يعني قرنه ـ حتى تبتل منه هذه ـ يعني لحيته»[4].

---

(١) سورة الشمس، آية: ١٤.

(٢) سورة القمر، آية: ٢٩.

(٣) سورة الشمس، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) أخرجه أحمد ٢٦٣/٤ رقم ١٨٣٢١، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ٢٥٧/٣٠.

تَحَدَّوْا صالحًا أن ينزل العذاب بهم: وجعلوا نزوله دليل صدقه وإرساله. كبرا منهم وبطرا ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1]. فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه:

منها: أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية.

ومنها: أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم، فاستحقوه من وجهين: أحدهما الشرط عليهم في قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[2]، وفي آية ﴿عظيم﴾ وفي الأخرى ﴿أَلِيمٌ﴾[3]، والكل حق. والثاني استعجالهم على ذلك.

ومنها: أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علمًا جازمًا، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم[4]. قال الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[5]. وهذه الفترة الزمنية هي المفسرة لقول الحق سبحانه ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[6].

ويبدو أن الندم أصاب بعضهم بعد عقر الناقة وتحديد وقت العذاب. ولات حين مناص. قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ﴾[7][8].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٧٧ .

(٢) سورة هود، آية: ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٤) قصص الأنبياء، ابن كثير.

(٥) سورة هود، آية: ٦٥.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٤٣.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٥٧.

(٨) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ٢٤٧-٢٥١.

رابعًا- من فقه الداعي: التنويع في الدعوة ومراعاة جميع شرائح المدعوين:

إن القارئ للحديث ليجد التنويع واضحًا في هذا الحديث، حيث جمع النبي ﷺ بين الخطابة "أنه سمع النبي ﷺ يخطب"، والوعظ "ثم ذكر النساء فوعظ فيهن" وذكر أخبار الأمم الغابرة "وذكر الناقة والذي عقرها" وكما تكلم عن بعض الأمور الاجتماعية المهمة مما يتعلق بعلاقة الرجل بزوجته، وذكر مثالاً: ضرب الرجل لزوجته "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه" حتى مجرد الضحك للضراط "لم يضحك أحدكم مما يفعل" وبذلك نجد أن النبي ﷺ استعمل أكثر من وسيلة، واتبع أكثر من أسلوب، واستغرق شرائح المجتمع، وعالج عددًا من القضايا دون فرق بين كبيرها وصغيرها.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حسن المعاشرة:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه" (وفي هذا الحديث النهي عن ضرب النساء لغير ضرورة التأديب)[1]. وفيه استبعاد ذلك من العاقل أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من يومه أو ليلته، والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع الميل والرغبة في العشرة والمجلود غالبًا ينفر ممن جلده فوقع الإشارة إلى ذلك[2].

وقد جاءت الآيات والأحاديث حاضَّه على حسن المعاشرة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]، والعشرة هنا تتعلق بالنساء والمراد منها توفية حق المرأة من المهر والنفقة وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وألا يكون فظًا ولا غليظًا ولا مظهرًا ميلاً إلى غيرها، وقيل: حسن العشرة مع المرأة أن يتصنع لها كما تتصنع له[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٧٨.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٩٧.

وقال السعدي رحمه الله: (وهذا يشمل المعاشرة القولية والعقلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف من الصحبة الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال، "فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرا" أي ينبغي لكم -أيها الأزواج- أن تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك امتثال أمر الله تعالى وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها أن إجباره نفسه مع عدم صحبته فيه مجاهدة النفس والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك، وربما رُزِقَ منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة، وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور)[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الحفاظ على المروءة:

ورد ذلك في قوله ﷺ في وعظه في ضحكهم من الضرطة قال "لم يضحك أحدكم مما يفعل" وذلك لما في الضحك من ذلك من خوارم المروءة، ولما فيه من هتك للحرمة[2]؛ ففي الحديث نهي عن الضحك من الضرطة يسمعها من غيره، بل ينبغي أن يتغافل عنها، ويستمر على حديثه وانشغاله بما كان فيه من غير التفات ولا غيره ويظهر أنه لم يسمع وفيه حسن الأدب والمعاشرة[3].

وفي ذلك إشارة ضمنية من رسول الله ﷺ إلى المروءة والمحافظة عليها، لما لها من ثمرات (يجنيها صاحبها، ويستلذ بها، فهي تهب صاحبها الرياسة والشرف والمكانة العالية، والمحلة السامية، فيصبح في أعين الناس كبيرًا صاحب هيبة، ويصبح له في أنفسهم مكانة عظيمة، لا يجاريه فيها إلا من كان مثله أو زاد عليه في المروءة)[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٣٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٢.

(٤) المروءة، سيد عاصم علي، مكتبة الصحابة، طنطا: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ص ٢٩.

الحديث رقم (٢٧٥)

٢٧٥- وعن أَبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((**لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**))، أَوْ قَالَ: ((**غَيْرَهُ**)) رواه مسلم[1].

وقولُهُ: ((يَفْرَكْ)) هُوَ بفتح الياءِ وإسكان الفاء وفتح الراءِ معناه: يُبْغِضُ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرأةُ زَوْجَهَا ، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا ، بكسر الراء يفْرَكُهَا بفتحها : أيْ أبْغَضَهَا ، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يفرك: قوله ((يَفْرَك)) هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراء، معناه: يُبغض. يقال: فركت المرأةُ زوجَها وفركها زوجها -بكسر الراء- يفرَكها -بفتحها-: أي أبغضها. والله أعلم[2].

الشرح الأدبي

إن الحياة الزوجية سكن آمن، ومودة صادقة، ورحمة تفيض بالعطف والحنان، والحياة تتقلب بالناس، وتفيض بكثير من معضلات الأمور، وتصادم الآراء، واختلاف الطبائع، وطريقة استقبال الأحداث، والحكم على الأمور المستجدة.

ومن متطلبات الرحمة بين الزوجين أن يصبر كل منهما ، وأن يفهم طبيعة الآخر، وأن تكون المودة والعاطفة منهجًا حياتيًا يؤدي بهما إلى واحات السكينة، وأن يكون التراحم خلقًا بينهما يقود سفينتهما الزوجية إلى شاطئ الاستقرار: في ظل أبوة راعية، وأمومة حانية.

---

(١) رقم (١٤٦٩/٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨٣).

(٢) رياض الصالحين ١٥٨.

وفي ضوء هذا المنهج الإسلامي الذي يؤطر العلاقة بين الزوجين وهما يخوضان غمار الحياة، ويسعيان على رزق أولادهما، ويقومان على تربيتهم وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة بعيدًا عن المنازعات والصراعات، في أسرة متحابة كالشجرة السامقة مهما تفرعت غصونها، واختلفت هيئات أوراقها، فإنها تظل متشبثة بجذورها، منتمية إلى تربتها، تسقى بماء واحد، وتثمر ثمرًا طيبًا، وتؤتي أكلها كل حين، هكذا الأم والأب في دوحتهما الإنسانية وأسرتهما الإيمانية، ولنتأمل قول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[1].

في ضوء هذا الواقع الأسري الجميل نستقبل كلام رسول الله ﷺ، استقبالاً حسنًا كما تستقبل الأرض الظمأى الغيث من بعد القنوط، ولنتأمل دلالات هذا البيان النبوي الكريم وهو: يحث على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وحسن معاملة الرجل المؤمن لزوجته المؤمنة، والحديث يتكون في بنائه اللغوي من جملتين تشعان بكثير من أضواء السلوك الإسلامي الصحيح، فالجملة الأولى "لا يفرك مؤمن مؤمنة"، وهى جملة منفية أو منهية، فإذا كانت اللام نافية: تكون الجملة خبرية، فالرسول ﷺ يخبر كل مؤمن بأنه لا يبغض زوجته المؤمنة، والتعبير بالمضارع في "يفرك" يعلن عن استمرار هذا الخلق السمح، وهو عدم البغض، وقيل إن هذا الأسلوب نهي في أسلوب الخبر، إذا كان الفعل "يفرك" مرفوعًا، ولكنه كما ورد في كثير من الروايات جاء مجزومًا، فاللام هنا: لام النهي، والجملة: إنشائية.

ودلالة النهي هنا: أن المسلم يجب أن لا يبغض زوجته الملتزمة بالسلوك الإسلامي، لأن بغضه فيه جور وظلم، لأنه إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر، ودقة التعبير في الحديث الشريف التي تُجلي المعنى تبدو في قوله: "مؤمن ومؤمنة" فالإيمان شرط في ضبط العلاقة بين الزوجين، فالمرأة العاصية التي لا يكتمل إيمانها تظل خارج دائرة هذه الوصية النبوية، وكذلك الزوج إذا فقد صفات المؤمن فهو فاقد لأهليته وشخصيته

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٧-١٨.

الإيمانية التي أرادها رسول الله ﷺ لأن الإيمان له ثلاثة أركان: التصديق بالجنان، والعمل بالأركان، والإقرار باللسان.

وجاء لفظ مؤمن في صيغة النكرة للتعميم، ليشمل كل النساء المؤمنات في كل زمان وكل مكان، وكذلك يشمل الأزواج المؤمنين من عصر البعثة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في جميع بقاع الأرض، فما أعظم هذا البيان النبوي، ولا غرو، فهو من جوامع الكلم، والمادة اللغوية تتسع لكثير من الدلالات ، حيث دلالة الإيمان، ودلالة: الأمن، ودلالة: الأمان، ودلالة الأمانة، كلها دلالات تموج بالسكن والمودة والرحمة، وكذلك اختيار لفظ "يفرك"، وهو يوحي بالتفرق والتبعثر من قولهم "فرك السنبل" أي: دلكه: فانفرك أي انفرط، ومنه "الفركان"، وهو خاص ببغضة الزوجين، ورجل مُفرَّك تبغضه النساء، وامرأة مفركة، يبغضها الرجال، ومعنى: فاركة، تاركة، فهذا اللفظ الذي اختاره الرسول الكريم لا يغني عنه لفظ غيره: فتأمل!!!.

وأما الجملة الثانية: فهي تعليل للنهي في الجملة الأولى، وهي جاءت في صيغة الشرط والجواب: وأداة الشرط "إن" ، حيث يقول: "إن كره منها خلقًا"، "رضي منها آخر"، لأنها مؤمنة ملتزمة ولا تخلو من الصفات الحسنة، وأداة الشرط تعلن عن عدم التيقن من هذا الخلق المكروه، وربما يكون من سوء القصد أو خطأ التفسير.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي يتعلق بالحياة بين الزوجين، وهو أدب معاشرة الرجل لزوجته، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يلزم الرجل معاشرة زوجته بالحسنى، ويندب له أن يصبر عليها حتى ولو كرهها، إن كان كرهه لها لدمامة أو سوء خلق أو سوء عشرة

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢٣/٧، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٤٠٤/٢ وما بعدها، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٤/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٦/٧، ٢٣٢/٣٤ وما بعدها.

من غير ارتكاب فاحشة، وأن يعمل على مدارة المرأة وألا يطمع في إقامة اعوجاجها كاملاً، ولا بغضها بمجرد كراهة خلق من أخلاقها، فإنها لا تخلو مع ذلك عن أمر يرضاه منها، وإذا كانت مشتملة على المحبوب والمكروه، فلا ينبغي ترجيح مقتضى الكراهة على مقتضى المحبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من صفات الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حسن معاشرة الزوجة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى العدل وضبط العواطف والانفعالات.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأسرة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) وأسلوب النهي من الأساليب المفيدة في الدعوة لما فيها من لفت المدعو إلى مكامن الخطر وحمله على عدم الوقوع فيها، وقد استعمل النبي ﷺ النهي في هذا الحديث، لإبعاد المسلم عن بغض زوجته وكرهها، مما تنتج عنه المشكلات الأسرية من تفكك وضياع للأولاد، ولكن لا بدّ من الحكمة والتريث في الأمور.

أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث الأزواج بقوله: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) إن كره منها خلقًا رضى منها آخر، حفاظًا على الأسرة وحمايتها من أسباب التفكك والتباغض، ولتسودها المحبة والمودة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وفي الآية إشارة إلى السكن الذي هو من الأنس وزوال الوحشة، والمودة التي بمعنى المحبة،

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

والرحمة وهي صفة تبعث على حسن المعاملة[١]، وحفاظًا على هذه المعاني وتلك الثمار نهى رسول الله ﷺ عما يذهبها أو يكدر صفوها فقال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي الآخر).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حسن معاشرة الزوجة:

لقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث الأزواج إلى حسن معاشرة أزواجهن، والحث على الرفق بهن[٢]، فقال: (لا يفرك مؤمن مؤمنة) أي: لا يبغضها (إن كره منها خلقًا رضي منها آخر) بمعنى: أنه إن وجد فيها خلقًا يُكره وجد فيها خلقًا مرضيًا، بأن تكون شرسة الخلق، لكنها دينه أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك[٣]، وذلك أن الإنسان ينبغي عليه أن يوازن بين السيئات والحسنات، وينظر أيهما أكثر وأعظم وقعًا فيغلب ما كان أكثر وما كان أشد تأثيرًا[٤]، فإذا كان هناك شيء سيء فقد تكون هناك أشياء حسنة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٥].

قال البغوي: (قيل: هو ولد صالح، أو يعطفه الله عليها)[٦]، وقال السعدي: (أي ينبغي لكم أيها الأزواج أن تمسكوا أزواجكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرًا كثيرًا، من ذلك امتثال أمر الله وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أن إجباره نفسه مع عدم محبته فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة كما هو الواقع في ذلك وربما رزق منها ولدًا صالحًا نفع والديه في الدنيا والآخرة وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور)[٧].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٧٢/٢١/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٢١.

(٣) المرجع السابق ٩٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٦٥٨/١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٩.

(٦) معالم التنزيل، البغوي، ١٨٦/٢.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٣٨.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى العدل، وضبط العواطف والانفعالات:

في قوله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر) دعوة الإنسان إلى القيام بالعدل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾[1]، يعني: لا يحملنكم بغضهم على عدم العدل، لذا ينبغي على الإنسان أن يعامل مَنْ بينه وبينه صلة من زوجيه أو صداقة أو معاملة، أن يعامله بالعدل، إذا كره منه خلقًا أو أساء إليه في معاملة أن ينظر للجوانب الأخرى الحسنة حتى يقارن بين هذا وهذا، فإن هذا هو العدل الذي أمر الله به رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2][3].

خامسًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الأسرة:

من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية في المجال الاجتماعي: الحفاظ على الأسرة ووقايتها من التفكك، نجد ذلك واضحًا في هذا الحديث في قوله ﷺ: (ولا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي منها آخر)، ففي هذا الحديث إشارة للجانب الوقائي على وقاية المجتمع من المشكلات وأخطارها قبل وقوعها، حفاظًا على تماسك المجتمع وقوته[4]. ويقول الشوكاني: (في هذا إرشاد إلى أن المرأة يجب ملاطفتها والصبر على ما لا يستقيم من أخلاق، والتنبيه على أنهن لا يفيد معهن التأديب الدائم، فلا يبق إلا الصبر وترك التأنيب والمخاشنة لكي تستقيم الأسرة، وفي هذا تقدير وإعمال لأحكام الأنوثة)[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٦٥٨/١ - ٦٥٩.

(٤) انظر: الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري، خالد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز السالم ص ١١١ - ١١٢.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٤/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٦/٧.

الحديث رقم (٢٧٦)

٢٧٦- وعن عمرو بن الأحوصِ الجُشَمي رضي الله عنه : أنَّهُ سَمِعَ النَّبيّ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أنْ حَمِدَ الله تَعَالَى، وَأثْنَى عَلَيهِ وَذَكَّرَ وَوَعظَ، ثُمَّ قَالَ: ((**ألا وَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فَإنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذلِكَ، إلاَّ أنْ يَأتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإنْ أطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبيلاً؛ ألاَ إنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيهِنَّ[1] أنْ لا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ في بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ ألاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحْسِنُوا إلَيْهِنَّ في كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وَقَالَ: (حديث حسن صحيح).

قوله ﷺ "عَوَانٍ" أي: أَسيرات جمع عَانية، بالعين المهملة، وهي الأسيرة، والعَانِي: الأسير. شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج بالأسير "والضرب المبرح" هو الشاق الشديد، وقوله ﷺ "فلا تبغوا عليهن سبيلا" أي: لا تطلبوا طريقًا تحتجون به عليهن وتؤذونهن به، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

عمرو بن الأحوص الجشمي: هو عمرو بن الأحوص الجُشَمي. وعند ابن عبدالبر: عمرو بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب الجشمي الكلابي.

شهد حجة الوداع مع النبي ﷺ وروى خطبته بعرفة، كما في الحديث المذكور، ويقال: إن أمه وامرأته شهدتا معه حجة النبي ﷺ.

وشارك في الفتوحات ونشر دعوة الإسلام، فشهد اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) لفظ الترمذي: (فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن).

(٢) برقم (١١٦٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨٤).

روى عنه ابنه سليمان بن عمرو بن الأحوص، وليس له إلا هذا الحديث الواحد -وهو حديث طويل- وبعضهم يقطعه[١].

غريب الألفاظ:

حجة الوداع: هي الحجة التي حجها النبي ﷺ عام ١٠هـ، وخطب الناس فيها خطبة الوداع وبعدها كانت وفاته ١١هـ. وسميت بذلك لأن النبي ﷺ ودع الناس فيها[٢].

الشرح الأدبي

إن فن الخطابة فنٌّ أدبي يقصد به إلى التأثير في نفوس المتلقين عن طريق مخاطبة قلوبهم وعقولهم، وللخطيب أدوات تأثيرية وفي مقدمتها جذب انتباه السامعين وإيقاظ ضمائرهم، وإثارة مشاعرهم، بما يلقيه من عبارات لها إيقاعها المؤثر، في صياغتها، وفي نسيج كلماتها وحروفها، وفي طريقة إلقائها، وفي تلوين الصوت جهرًا وهمسًا، وعلوًا وانخفاضًا، وغير ذلك من وسائل تأثيرية متعددة، وللخطابة أهمية قوية وتأثيرية في الإسلام، وخطبة حجة الوادع من كنوز البيان النبوي، حيث تتضوأ بالقيم الجمالية والأساليب التعبيرية، والمبادئ المكونة للشخصية الإسلامية.

وهذا اقتباس جليل من هذه الخطبة، حيث اقتطف الراوي هذا الجزء الذي يُرسي فيه رسول الله ﷺ دعائم العلاقة الأسرية بين الرجال والنساء، ويبدأ الحديث بعد التنويه بالحمد والثناء على الله، والذكر والوعظ بالأمر بالاستيصاء بالنساء، وتبدأ هذه الوصية بأداة الاستفتاح"ألا"، وهي يؤتى بها أول الكلام إذا كان المقام يُهتم به، وقد كررت هذه الأداة في الحديث ثلاث مرات، مما يدل على جدية الأمر، واهتمام

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٠٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٧٦/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٥٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٩٣/٥) والتهذيب (٢٥٦/٣).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧٥٦، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢١.

المصطفى ﷺ، ولذلك بعد هذا الاستفتاح يأتي فعل الأمر "استوصوا بالنساء خيرًا" والأمر يدل على الوجوب، وكل زوج عليه واجب الحفاظ على بيته والإنفاق على أسرته؛ وقال "النساء"، وهذا اللفظ: يشمل الزوجة والأخت والبنت والأم: وكل من يجب على الإنسان نفقته ورعايته.

ويأتي التأكيد كثيرًا في هذه الخطبة، وقد ورد تسع عشرة مرة فيها، وقد ورد كثيرًا في هذا الحديث الذي يؤكد على حسن معاملة النساء والرفق بهن، واتباع الطريق الشرعي الحكيم في معالجة كل مسائلهن وخلافاتهن فقوله: "إنما هن عوان عندكم"، فيه تأكيد وقصر وتشبيه، وليس بعد اجتماع هذه المؤثرات الأسلوبية والبيانية اهتمام وعناية بهذا الأمر، فإنما تفيد التأكيد والقصر، وقد شبههن الرسول ﷺ بالأسيرات في قوله: "عوان عندكم"، حيث شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الزوج ووجوب طاعتها له بالأسير، وللأسير كذلك حق يجب أداؤه، وحتى لا يكون الأمر تحكمًا مطلقًا، وتملكًا حانقًا، قيد رسول الله ﷺ هذا التشبيه بقوله: "ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك"، واسم الإشارة يرشد إلى حق الاستمتاع، والطاعة والحفاظ على البيت والأبناء، أما غير ذلك فالمرأة لها عقلها، ولها كيانها، ولها ميراثها، ولها ذمتها المالية، وحقوقها المستقلة، ويشرح المصطفى ﷺ الوسائل التي يقضي بها على كل أي خلاف ينشأ بين الزوجين، وأتى بأسلوب الاستثناء في قوله: "إلا أن يأتين بفاحشة مُبيِّنة" أو مُبيَّنة: وفي الحالتين يجوز للرجل أن يتخذ الوسائل الشرعية التي يصلح بها ذلك الاعوجاج أو يهذبه، وصيغ الإصلاح في أسلوب الشرط والجواب، والأداء "إن" في جملتين، الأولى تشخص الداء وتصف الدواء، "فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن"، والثانية ترصد النتيجة في قوله: "فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا".

وأداة الشرط "إن" يوحي استعمالها بأن مثل هذه الوسائل لا تفيد، ولا تحقق المطلوب في بعض المواقف، لأن بعض النساء لا يرتدعن إلا بالطلاق، حين تستحيل العشرة، ثم تتكرر أداة الاستفتاح "ألا"، في سياق بيان حق النساء على الرجال، وحق الرجال على

النساء، فالرجل من حقه على زوجته أن تحافظ على بيته ولا تستقبل فيه أحدًا إلا بإذنه وفي حضوره، وللنساء حقوق كثيرة، ومنها الإحسان إليهن في كسوتهن وطعامهن، حتى تستقيم أمور الحياة في ظل المودة والرحمة.

فقه الحديث

إن الحياة الزوجية شركة تقوم على التوافق والتفاهم بين الزوجين، ولا يتسنى لهذه الشركة النجاح إلا إذا عرف كل طرف فيها ما له من حقوق وما عليه من واجبات وحرص على أدائها كاملة دون تقصير، فحق الرجل على المرأة الطاعة والعفة، وألا تدخل في بيته من يكره ولا تأذن لأحد بالدخول إلا بإذنه وعلمه، فإن فعلت ذلك لم يكن له عليها شيء، وإن قصرت في ذلك كان له تأديبها باتفاق الفقهاء[1] بما يراه مصلحًا لها من الوعظ والهجر في المضجع ثم الضرب الخفيف إن لم ينفع كل ذلك.

وحق المرأة على زوجها باتفاق الفقهاء[2] أن ينفق عليها سواء أكانت مسلمة أم ذمية ما دامت أنها انتقلت لبيته ولم تمنعه من نفسها، ولا يجوز له التخلي عن هذا الحق أبدًا وإلا كان لها طلب الطلاق.

---

(١) تكملة البحر الرائق، وهو مطبوع في نهاية البحر الرائق، محمد بن الطوري ٣٩٢/٨، ومجمع الأنهر لداماد أفندي ٦٣٢/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٢٦١/٤، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٣٤٠/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٨/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٦٣/٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٧٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٠/٩.

(٢) البناية للعيني ٦٥٩/٥، وتحفة الفقهاء للسمرقندي، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٨١/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمذهب للشيرازي ١٤٨/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٢٦، ٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٧/١١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الحمد والثناء والوعظ.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الخطابة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تأديب الزوج لزوجته.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الأزواج على زوجاتهم وحقوق الزوجات على أزواجهن.

أولاً- من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

من تاريخ الدعوة في هذا الحديث حجة الوداع ويدل على ذلك قول عمرو بن الأحوص الجُشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع.

وحجة الوداع معلم بارز في تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد رسول الله ﷺ وقد كانت حجة الوداع في آخر ذي القعدة للسنة العاشرة من الهجرة حيث، خرج رسول الله ﷺ للحج هو ومن معه من المسلمين، وأقبلت الوفود من كل صوب تُيمّم وجهها شطر البيت العتيق، وهي تعلم أن رسول الله ﷺ في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم، ونظر رسول الله ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تلبي وتهرع إلى طاعة الله، فشرح صدره انقيادها للحق واهتداؤها إلى الإسلام، وعزم أن يغرس في قلوبهم لباب الدين، وأن ينتهز هذا التجمع الكريم ليقول كلمات تبدد آخر ما أبقت الجاهلية من مخلفات في النفوس، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلائق وأحكام[1].

فخطب خطبته الجامعة في جموع المسلمين، ونصحهم وبيّن ما لهم وما عليهم، ثم أتم مناسك الحج معلمًا وهاديًا للمسلمين.

---

(١) انظر: فقه السيرة، محمد الغزالي ص ٤٥٤.

وفي يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة نزل قول الله عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1].

يقول ابن كثير: (هذه أكبر نعم الله عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه، ولا خلف. وقال أسباط عن السدى نزلت هذه الآية يوم عرفة فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله ﷺ فمات[2]. فكانت حجة الوداع مشتملة على المضامين الدعوية الكثيرة التي تعد زادًا للدعاة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الحمد والثناء والوعظ:

من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الحمد والثناء والوعظ ويدل على ذلك قول عمر بن الأحوص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ "... بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه وذكر ووعظ...".

والحمد أسلوب من أساليب الدعوة التي يبدأ بها الدعاة دائمًا، فهو حمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الإسلام.

والثناء أيضًا أسلوب من أساليب الدعوة يثني به الداعية على المولى سبحانه بما يليق من الثناء والتعظيم.

وأسلوب الوعظ والتذكير أسلوب من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته.

ولا ريب أن للموعظة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح أو التذكير أو الترغيب، أو غير ذلك من صفات وأساليب الموعظة الحسنة.

وتتضح أهمية الموعظة في احتفاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بها، واعتناء سلف الأمة الصالح وأخذه بها.

---

(١) سورة المائدة، من آية: ٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/٢٦.

فمن القرآن الكريم نجد قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

ومن السنة المطهرة، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يباشر الموعظة ويقوم بأدائها وكان يتخوّل أصحابه بها مخافة السآمة عليهم[٣].

كما كان يحث على تذكير الناس ونصحهم، ويرغب في ذلك ويجعله من مهمات الدين ولوازمه.

قال ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٤].

وأما اعتناء السلف الصالح بالموعظة فلا يحتاج إلى برهان، وذلك لما زخر به تاريخهم من مواعظ ونصائح تعد غررًا في جبين التاريخ.

فتعد الموعظة وسيلة مهمة من وسائل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، يجني الداعية من وراء الأخذ بهذه الوسيلة خيرًا كثيرًا في اقتفاء أثر الأنبياء والرسل والصالحين، فما من نبي ولا رسول إلا وعظ أمته، ونصح لهم، وبشر وحذر، ورغب وأنذر. قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٥])[٦].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الخطابة:

من وسائل الدعوة في هذا الحديث الخطابة، حيث ورد في هذاالحديث ما يدل على ذلك "في خطبته الجامعة في حجة الوداع".

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٣) انظر: حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في صحيح البخاري ٦٨.

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٦) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٧١-٧٣.

والخطابة وسيلة دعوة مهمة فهي من أقدم الوسائل وأكثرها فاعلية في تبليغ الدعوة وكذلك التأثير في المدعوين.

فالخطابة أداة الدعوة، واللسان الناطق بمحاسنها، تبين للناس ما خفي من الصواب، وتدلهم على الهدى والحق والصلاح، وتحبب الناس في الخير، وتحملهم على فعله وتفند آراء المخالفين، وتجادل الخصوم[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالنساء:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "ألا واستوصوا بالنساء خيرًا..."، والإسلام يوصي بالنساء ويحث على الإحسان إليهن ومعاشرتهن بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله)[٣].

وأمر النبي ﷺ الرجال أن يستوصوا بالنساء خيرًا، وذلك لأن الضعف ملازم للمرأة، فهي تحتاج إلى من يحسن إليها ويرفق بها[٤]. فقال ﷺ: ((اسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضلْعِ أَعْلاَهُ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا))[٥]؛ فينبغي على الداعية أن يوصي بالنساء خيرًا ويذكر وصية الإسلام بهن.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تأديب الزوج لزوجته:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حق تأديب الزوج لزوجته لقوله ﷺ: "... فإن فعلن، فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربًا غير مبرح..." وهذا حق أعطاه الإسلام للزوج على زوجته - دون تعسف أو ظلم- ولكن بحدود وضوابط وضعها

---

(١) طرق الدعوة الإسلامية، د. أحمد بن محمد المدناني ص ٤٠.

(٢) سورة النساء، من آية: ١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤٢.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٣٤٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٣٣١، ومسلم ١٤٦٨.

الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾[1].

قال السعدي: (قال تعالى: "واللاتي تخافون نشوزهن" أي ارتفاعهن عن طاعةأزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل، فإنه يؤدبها بالأسهل فالأسهل "فعظوهن" أي: ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من المعصية، فإن انتهت، فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربًا غير مبرح)[2].

فينبغي للداعية بيان حق الزوج في تأديب زوجته، وبيان حدوده، فلا يكون قاسيًا في التأديب، متسلطًا في استخدام هذا الحق، ويعلم أن هذا التأديب يجب أن يكون على الترتيب لأنه قد ينجح الأول فالأول.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان حقوق الأزواج على زوجاتهم، وحقوق الزوجات على أزواجهن:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث ذكره ﷺ لبعض الحقوق والواجبات التي بين الأزواج، ويدل على ذلك قوله ﷺ "فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون؛ ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن" فبعد ذكره ﷺ لحق الزوج في تأديب زوجته ذكر أن له أيضًا ألا يدخل منزله من يكرهه بدون إذنه. وذكر حقوق الزوجة أن يحسن إليها في الكسوة والطعام، وقد سئل رسول الله ﷺ عن حق المرأة على الزوج؟ فقال: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ))[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٣٤/٢..

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٤٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٥).

الحديث رقم (٢٧٧)

٢٧٧- وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا حق زَوجَةِ أَحَدِنَا عَلَيهِ؟ قَالَ: ((أنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ[1]، وَلاَ تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلاَّ فِي البَيْتِ)) حديثٌ حسنٌ، رواه أَبُو داود[2]، وَقَالَ: معنى ((لا تُقَبِّحْ)) أي: لا تقل: قبحكِ الله.

ترجمة الراوي:

معاوية بن حَيْدة: هو معاوية بن حَيْدة بن معاوية بن صعصعة القشيري، له ولأبيه صحبة، وهو جد بهز بن حكيم المحدث الفقيه. روى عنه ابنه حكيم، وهو جد بهز بن حكيم المحدث المشهور.

قال البخاري: وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه وسأله عن أشياء وروى عنه أحاديث[3].

نزل البصرة. وقيل: إنه غزا خراسان ومات بها غازيًا[4].

---

(١) وزاد: (أو اكتسبت).

(٢) برقم (٢١٤٢). قال الحاكم (١٨٧/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٢٩٠/٨): هذا الحديث صحيحٌ، وألزم الدارقطني في التتبع (ص: ١٣٦) الشيخين تخريج هذه الترجمة، وهي: حكيم بن معاوية، عن أبيه. وقال في علله كما نقله ابن الملقن: إنه حديث صحيح.

(٣) انظر مسند أحمد (٢٠٠١١/٣٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٥/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٠٠/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٨، (٣١٣ ترجمة أبيه) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٧) والتهذيب (١٠٦/٤) والثقات لابن حبان (٣٧٤/٣).

الشرح الأدبي

ما أسمى العلاقة التي تقوم بين الزوجين في ظل القيم الإسلامية، فالمرأة في ظل الإسلام لم تعد فراشًا مستباحًا أو دمية يُتلَهَّى بها، أو عبئًا على المجتمع فتوأد خشية الإملاق، وهربًا من العار، وإنما رد لها الإسلام كرامتها وكيانها، فلم تعد تورث أو توأد، بل شاركت في مسيرة المجتمع الإسلامي الجديد، وأعطاها القرآن قيمتها الإنسانية التي فقدتها في عصور الجاهلية الأولى.

وفي ضوء هذا الواقع الإسلامي نقرأ هذا الحديث النبوي الشريف قراءة تأملية ترصد جماليات الأداء الأسلوبي في البيان النبوي، ونستلخص مقاصد وأهداف الحديث من خلال لغة الحديث، وأسلوبه، وبناء عباراته وتراكيبه، وأول ظاهرة أسلوبية تبرق في هذا الحديث هي: النداء في بداية الحديث، وبعده هذا الحوار المقنع المفيد بين، معاوية بن حيدة رضي الله عنه ورسول الله ﷺ: حيث نادى في تقدير وتصديق ورغبة في معرفة حقوق الزوجة حتى لا يفرط في هذه الحقوق: قال: يا رسول الله ﷺ: ثم سأل "ما حق زوجة أحدنا عليه؟" قال: أي رسول الله ﷺ، ولم يذكر اسم رسول الله ﷺ أو لقبه، وإنما اكتفى بالضمير العائد على رسول الله ﷺ: أي قال: هو: وجعل الضمير المحذوف وجوبًا فاعلاً، وذلك لأن السياق يقتضي أن يكون المجيب هو رسول الله ﷺ، ولا يتوقع غيره، لأنه المسؤول، فبماذا أجاب رسول الله ﷺ على هذا السؤال الذي لم يحصر في إطار حق الزوجة فقط الخاصة بهذا الصحابي، وإنما قال في صيغة عامة شاملة: "ما حق زوجة أحدنا عليه"، فقال المصطفى ﷺ مفصلاً بعض هذه الحقوق، ومنها مأمورات يجب القيام بها، ومنهيات يجب الإقلاع عنها وعدم الزيغ والتردي في أخطائها، فأما المأمور به، فقد جاء في جملتين شرطيتين حيث قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت"، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق فكسوة الزوجة واجبة، وإطعامها واجب، فاستعمال أداة الشرط إذا، في هذا الحديث هو الأبلغ، والأكثر ارتباطًا بالواقع، ونلاحظ أن بداية الجملتين فعلان مضارعان منصوبان، ويمكن أن يؤولا بمصدر، والمضارعية هنا إشارة إلى استمرار هذا النهج

وعدم انقطاعه، لأن المضارع فعل يتوالى حدوثه في الحال والاستقبال، أى الحاضر والمستقبل، ونلاحظ أن فعل الشرط ماضي، "طعمت، واكتسيت"، ولكنهما في إطار الحال والاستقبال، وفي الجملتين تماثل وتشابه، حيث حذف جواب الشرط في كل منهما، وهو يفسر بما قبل أداة الشرط، وفي ذلك إيجاز بليغ عن طريق الحذف، والتقدير، إذا طعمت فأطعمها، وإذا اكتسيت فاكسها، ومع هذه الظواهر الأسلوبية التي ترتفع بلغة الحديث، وهو في ظلها يفيض رقة وترغيبًا، حيث نرى الإيقاع الصوتي المؤثر حيث السجع الجميل غير المتكلف "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت".

وأما المنهيات التي نهى عنها رسول الله ﷺ وهو يجيب على سؤال هذا الصحابي فقد وردت في صيغة الأمر ثلاث مرات، فقال: "ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".

والأفعال هنا مضارعة "ولا تضرب، ولا تقبح، ولا تهجر" وهذه الصيغة ترشد إلى وجوبية استمرار هذا السلوك في التعامل مع الزوجة، فالزوجة إذا ضربها ضربًا خفيفًا غير مبرح لا يضرب الوجه تكريمًا وورعًا لأن الوجه عضو لطيف، والشين فيه شنيع، ولا يقبح ولا يذم خلقة الله، فإن ذم الصنعة ذم لخالقها، وكذلك لا يهجر الزوجة، ويهرب إلى بيت آخر أو زوجة أخرى، وإنما يهجر وهو في البيت، حتى لا يزداد نفور المرأة، وتتسع هوة الخلاف بين الزوجين.

والعطف بالواو في جمل الحديث يرشد إلى أن الحقوق كلها متساوية في الفضل، فالواو لمطلق الجمع، وهى تجمع بين المأمورات والمنيهات، فنسأل الله الأمن والأمان والإيمان.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم نفقة الزوجة، وقد سبق الكلام عنه في الحديث السابق.

الثاني: حكم ضرب الرجل لزوجته، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: معرفة ما عليه من حقوق تجاه زوجته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حقوق الزوجة على زوجها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بمعاشرة النساء بالمعروف.

خامسًا: من أصناف المدعوين: الأزواج.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب السؤال والجواب، وهذا يظهر في قول معاوية بن حيدة رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال "أن تطعمها إذا طعمت... الحديث" وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي تجعل المدعو يسأل الداعية عن كل ما خفي عليه ويمكّن الداعية من بيان حقيقة الأمر؛ لأن المدعوين ينظرون إلى الداعية على أنه طبيب قلوبهم ودواء عللهم، ومن ثمَّ يفصحون له بما يستحيون من ذكره أمام خاصتهم وذويهم.

ولا يلجأ الناس لمثل هذا المسلك، إلا إذا علموا بأن الداعية لديه من القدرة العلمية، والبصيرة النافذة، ما يسد خللهم، ويقيل عثراتهم... ومن ثم كان على الداعية - إذا أراد الفلاح والنجاح لدعوته -أن يكون على فقه في دين الله، وأن يستكثر من فترات عمره كلها في العلم النافع، عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1])[2] حتى يكون أهلاً للدعوة، وقادرًا على إجابة أسئله من يلجأ إلى سؤاله من المدعوين.

ثانيًا- من واجبات المدعو: معرفة ما عليه من حقوق تجاه زوجته:

إن من واجبات المدعو التي تظهر من هذا الحديث معرفة ما عليه من حقوق نحو زوجته، وهذا يظهر في قول معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله ما حق زوجة

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٩٦.

أحدنا عليه؟ والصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سألوا النبي ﷺ فإنما يسألونه ليعملوا لا ليعلموا فقط[١].

فهو حريص على معرفة ما عليه من حقوق، حتى ينقاد إليها ويلتزم بها، ذلك لأن المدعو مطالب بالانقياد للحق وتطبيق منهج الله، وطالب الله سبحانه أمة الدعوة جميعًا بالانقياد للحق والاستجابة للرسول ﷺ فقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٢].

فيجب على المدعو أن يحرص على معرفة ما عليه من حقوق فإذا استبان له الحق كان مطالبًا بأدائه.

والمسلم مطالب أن يأخذ العلم من أهله قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٣].

قال السعدي: (فاسألوا أهل العلم بذلك ... فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم)[٤] فيجب على المدعو أن يكون حريصًا على سؤال أهل العلم والفقه لأنهم أعلم الناس في تخصصهم وحتى يطمئن قلبه.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حقوق الزوجة على زوجها:

من موضوعات الدعوة التي يتضمنها الحديث ذكر بعض حقوق الزوجة وذلك في قوله ﷺ "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت" وحقوق الزوجة على زوجها من الأمور التي أقرها الإسلام قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٦٦٣/١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة النحل، من آية: ٤٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة، ومرجع الحقوق بين الزوجين إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد، وذلك الزمان من مثلها لمثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة، والأحوال، والأشخاص، والعوائد، وفي ذلك دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة والمسكن وكذلك الوطء - الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق، وأما مع الشرط فعلى شرطهما إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً[2].

فمبجرد تمام عقد الزواج وتمكن الزوج من الاستمتاع بالزوجة، يلزم الزوج الإنفاق على زوجته، وتوفير ما تحتاجه من مسكن وملبس، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾[3] وقال ﷺ: ((فَاتَّقُوا اللَّهِ فِي النِّسَاءِ. فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ ... وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))[4]. وقد أجمع العلماء رحمهم الله على وجوب إنفاق الزوج على الزوجة.

قال ابن قدامة: (اتفق أهل العلم على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن إذا كانوا بالغين إلا الناشز منهن... وفيه ضرب من العبرة وهو أن المرأة محبوسة على الزوج يمنعها من الصرف والاكتساب، فلابد أن ينفق عليها)[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٨/١١.

ولا شك أن إنفاق الرجل على زوجته من أعظم أسباب استقرار الأسرة واستدامة الزواج، كما أنه دليل على علو مكانة المرأة ورفيع منزلتها.

ومن حقوق المرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] ولاشك أن المعاشرة لفظ عام يشمل جميع جوانب الحياة الأسرية والتعاملات الزوجية التي تقع بين الزوجين، وبناء عليه فإن الزوج مطالب بأن يحسن إلى زوجته من جهة تحسين الحديث، والتأدب معها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، ومن جهة التجمل لها ومراعاة ما يدخل السرور عليها، والتجاوز عما قد يبدر منها مما يكدر الصفو[2].

فينبغي على الداعية أن يذكر الأزواج بحقوق زوجاتهم عليهم.

إن من موضوعات الدعوة التي دعا إليها الحديث معاشرة النساء بالمعروف وهذا يظهر في قوله ﷺ "... ولا تضرب الوجه ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت".

وقد أمر الله بمعاشرة النساء بالمعروف قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]. وإذا كان الإسلام أعطى الزوج إذا رأى من امرأته نشوزًا وترفعًا عليه. وأنها لا تقوم بحقه، أن يعظها أولاً، ثم يهجرها في المضجع، ثم يضربها ضربًا غير مبرح، فإذا حق له أن يضربها لوجود السبب، فإنه لا يضرب الوجه وذلك للنهي عن الضرب عليه.

ولا يقول لها أنت قبيحه، والنهي عن التقبيح الحسي والمعنوي، فلا يقبحها فيقول: أنت من قبيلة رديئة أو من عائلة سيئة.

ولا يهجر الزوجة علنًا، بل تُهجر في البيت، حتى لا يطلع أحد على ما بينهما[4].

وكل ذلك من المعاشرة بالمعروف التي أمر بها الدين الإسلامي؛ فينبغي على الداعية حث الأزواج على معاملة أزواجهن بالمعروف، وبيان أن ذلك مما أمر به النبي ﷺ.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

(٢) القوامة الزوجية أسبابها - ضوابطها - متقضاها، د. محمد بن سعد بن محمد المقرن، بحث ضمن بحوث مجلة العدل، العدد ٣٢ ص ٢٨، ٢٩.

(٣) سور النساء، من آية: ١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٦٦٣، ٦٦٤.

خامسًا- من أصناف المدعوين: الأزواج:

إن من أصناف المدعوين في هذا الحديث الأزواج، وهذا يظهر من أن معاوية بن حيدة يسأل عما عليه من حقوق كزوج تجاه زوجته.

والأزواج من أصناف المدعوين، لأنهم عنصر أساس من عناصر الأسرة والمجتمع، وقد أعطاهم الإسلام حق القوامة على الزوجة وولاية التأديب، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1].

قال رسول الله ﷺ ((كلكم راع ومسؤول عن رعيته...، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته...))[2].

والإسلام اهتم بدعوة الزوج وبيان ماله من حقوق وما عليه من واجبات، حتى تستقر الحياة الزوجية، وتشيع المودة والرحمة بين الزوجين؛ فينبغي على الداعية الاهتمام بدعوة الأزواج إلى أداء ما عليهم من حقوق لزوجاتهم بالمعروف، وأن يحسنوا عشرتهن وأن يتقوا الله تعالى في العلاقة الموجودة بينهم والتي تقوم على السكن والمودة والرحمة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩٣.

الحديث رقم (٢٧٨)

٢٧٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((**أكْمَلُ المُؤمِنِينَ إيمَانًا أحْسَنُهُمْ**[1] **خُلُقًا، وخِيَارُكُمْ خياركم لِنِسَائِهِمْ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وَقالَ: ((حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن لشخصية المسلم معالم وسلوكيات تصبغها بصبغة الإسلام، وتضفي عليها هالة من الوقار والالتزام والهيبة والانسجام، ومن هذه المعالم، الثبات، والتوازن، وحسن الخلق، والخلق الحسن، ملكة تبعث النفس على أفعال حميدة، واكتساب قيم شريفة؛ يقول الحسن البصري: حسن الخلق: بذل المعروف وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

وحين نتأمل مكونات هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من جملتين أو بارقتين من بوارق ومعالم شخصية المسلم، البارقة الأولى: تشع بقيمة إيمانية تتوهج في سلوكيات المؤمن الذي اكتمل إيمانه وهى حسن الخلق، ولذلك يقول المصطفى ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا".

وهذه البارقة الإيمانية... تعد مقدمة وتمهيدًا للبارقة الثانية، التي تمثل قيمة إيمانية اجتماعية، تعلن عن حياة أسرية هانئة، تنعم بالسكن والمودة والرحمة، وهي حسن معاملة الزوج لزوجته ولأسرته بصفة عامة، حيث يعامل زوجته -كما قال العلماء- بطلاقة الوجه، وكف الأذى، والإحسان إليها، والصبر على أذاها، وكلمات المصطفى

---

(١) لفظ الترمذي: (أحسبهم).

(٢) برقم (١١٦٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٩)، وقال الحاكم (٣/١): هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٢٨).

ﷺ تُجْمل هذه المعاني، وتومض بها في قوله: "وخياركم خياركم لنسائهم"، وفي ذلك أيضًا إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها، وذلك لن يكون إلا بحسن الخلق الذي هو من أمارات كمال الإيمان، وذلك من أسرار تقديم الجملة الأولى في الحديث على الثانية.

والجملتان اسميتان، لا تقيدان بحدث داخل إطار زمني محدد: لأن هاتين القيمتين ثابتتان في سلوكيات المؤمن، وفي منهجه الحياتي في كل مراحل حياته، والجملة الاسمية من خصائصها الثبات بعيدًا عن التغير والتحول والانقطاع، الذي يتسم به الحدث داخل إطار الزمن في الجمل الفعلية.

والحديث في بنائه اللغوي يتسم بالتناسق والتوازن، وكأنه صدى لغوي وتعبيري لسلوك المؤمن الذي اكتمل إيمانه وحسن خلقه، فهو أفضل الخلق في إطار هذا السلوك، ولذلك نرى الجملة الأولى تبدأ بأفعل التفضيل، وهو "أكمل" المضاف إلى "المؤمنين"، ثم يأتي التمييز وهو "إيمانًا"، وهذا التمييز في حقيقة الأمر هو فاعل معنوي، لأن المعنى، اكتمل إيمان المؤمن، وهذا التفضيل هنا "أكمل"، في موقع المبتدأ، ثم نجد الركن الثاني للجملة، يأتي في صيغة أفعل التفضيل كذلك، وهو "أحسن" مضافًا إلى ضمير الغائب العائد على المؤمنين، وحتى يتم التناسق، والتوازن اللغوي الموازي للتوازن السلوكي والنفسي نجد كلمة "خلقًا" وهى نكرة في موقع التمييز، وهى أيضًا فاعل معنوي، تمييز محول عن الفاعل: والمعنى: حسن خلق المؤمن.

ولنتأمل السر التعبيري والدلالي في اختيار لفظ المؤمنين، ولماذا لم يقل أكمل الناس أو أكمل الخلق، لأن بلاغة الرسول ﷺ تفاضل بين مؤمن ومؤمن في هذا السياق، أما غير المؤمن فهو خارج هذا الدائرة التفاضلية إلى أن يتوب ويثوب إلى رشده، وينعم الله عليه بالإيمان، وهو التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان.

وأما البارقة الثانية في هذا الحديث فهي من فيوضات وتألقات البارقة الأولى، فحسن الخلق الناشئ من كمال الإيمان، يقود المرء إلى معاملة أهل بيته معاملة حسنة، وقد كرر الرسول ﷺ: لفظ "خياركم" مرتين لتأكيد قيمة "الخبرية"، وفي هذه

الجملة التفات من الغائب إلى المخاطب، حيث خاطب الرسول ﷺ المؤمنين الذين حسن خلقهم بضرورة استثمار هذا الخلق في محيط الأسرة، ومعاملة النساء معاملة طيبة فيها صدق في المشاعر وتلطف في الحديث، وصبر على عوجهن الذي خلقن به، وحرص على التصالح والوئام، وبعد عن التشاجر والخصام، ويقول العقاد: والمعاملة الطيبة في الزمن الطويل خلق نادر بين الناس، ولكنه في حال الرضا خلق لا يشق فهمه على كثيرين، إلا أن الخلق الذي يشق فهمه على الأكثرين، هو طيب المعاملة عندما تتعرض الحياة الزوجية لأخطر ما يمسها من خطر، وهو المساس بالوفاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت درجات الإيمان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان للنساء.

خامسًا: من واجبات الداعية: حث المدعوين على مكارم الأخلاق.

سادسًا: من أهداف الدعوة: حسن معاملة الزوج لزوجته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب الإخبار ويظهر في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم".

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة، لأنه من خلاله تتم عملية التبليغ. (وذلك لأن الدعوة إلى الله تعالى من الأمور التي لا غنى للبشرية عنها قديمًا وحديثًا، فدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام كانت لإنقاذ الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، ودور الدعاة بيان معالم الدين، وإخبار الناس بحقائقه)[1].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تفاوت درجات الإيمان:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا..."؛ فالإيمان يتفاوت ويتفاضل كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾[1] وليس الناس في الإيمان سواء؛ من الناس من يؤمن بالغيب وكأنه يشاهده شهود عيان، يؤمن بيوم القيامة كأنه الآن في تلك الساعات، يؤمن بالجنة وكأنها ماثلة أمامه، يؤمن بالنار كأنه يراها بعينه، يؤمن إيمانًا حقيقيًا لا يخالطه شك[2].

ومن الناس من يكون مزعزع الإيمان - نسأل الله العافية-كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[3] يعني على طرف "فإن أصابه خير" يعني إن لم يواجه أحدًا يشككه في الدين، ولم يواجه إلا صلحاء يعينونه "اطمأن به" أي ركن إليه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[4] إن أصابته فتنة في بدنه أو ماله، أو أهله، انقلب وجهه واعترض على القضاء والقدر، تسخط وهلك -والعياذ بالله- (خسر الدنيا والآخرة)[5]؛ فينبغي على الداعية دعوة المدعوين إلى ما يزيد إيمانهم ويثبتهم عليه، وينهاهم عما ينقص إيمانهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق:

لما كانت ثمرات الخلق القويم للسلوك الديني وللسلوك الشخصي عظيمة جدًا وكانت عند المقارنة أجلَّ من الثمرات التي تحققها المبالغة في أداء كثير من العبادات المحض.

ولما كانت سلامة النفس من المساوئ الخلقية أهم من سلامة السلوك الظاهر من

---

(١) سورة المدثر، من آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٦٤/١.

(٣) سورة الحج، من آية: ١١.

(٤) سورة الحج، من آية: ١١.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٦٤/١.

طائفة من المعاصي والذنوب الظاهرة، وكان ما يتحقق بحسن الخلق من رضوان الله تعالى أكثر مما يتحقق بالاستكثار من نوافل العبادات المحضة، كالصلاة والصيام والأذكار اللسانية.

لما كان كل ذلك وجدنا النصوص الإسلامية توجه الاهتمام العظيم والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتذكر الخلق الحسن بتمجيد كبير[١]. وهذا يظهر في قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا".

وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه ﷺ إذ قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

وقال ﷺ: ((أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ))[٣] فحسن الخلق يثمر بين المسلمين المودة والرحمة والألفة، فينبغي على الداعية دعوة المدعوين إلى حسن الخلق فيما بينهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان للنساء:

لقد أولى الإسلام النساء اهتمامًا خاصًا، وحث على معاشرتهن بالمعروف والإحسان إليهن. وهذا يظهر في قوله ﷺ "خياركم خياركم لنسائهم".

قال رسول الله ﷺ ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))[٤]، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك[٥]. قالت: ((سابقني النبيّ ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا رَهَقَني اللحم سابقني فسبقني، فقال: هذِهِ بَتِلكَ))[٦].

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٨.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٤، وقال الألباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٠٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٦) أخرجه النسائي في السنن الكبرى برقم ٨٩٤٢، وابن ماجه برقم ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦١٠).

ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله ﷺ فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها، وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار[١] واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ[٢]، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣] فينبغي على المسلمين التأسي برسول الله ﷺ في الإحسان إلى النساء.

خامسًا- من واجبات الداعية: حث المدعوين على مكارم الأخلاق:

من واجبات الداعية التي تستنبط من عموم الحديث الحث على مكارم الأخلاق.

وهذا يظهر من بيانه ﷺ أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، فهو يدعو إلى مكارم الأخلاق ويحث عليها، حتى يكمل الإيمان؛ فالداعية يجب عليه أن يتأسى برسول الله ﷺ في الحثّ على مكارم الأخلاق، وذلك لأن أيَّ مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء، ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة[٤]. فيجب على الداعية حث المدعوين على التحلي بمكارم الأخلاق.

من أهداف الدعوة التي يتضمنها الحديث حسن معاملة الزوج لزوجته، فالدعوة تهدف إلى الخير دائمًا، وتحاول أن يصل الإنسان إلى تمام الخير وكماله، فشرعت لأجله كثيرًا من التعاليم كل منها له هدفه الخاص لتصل في النهاية إلى الهدف الرئيسي الذي ترجوه الدعوة لاتباعها ألا وهو تحقيق السعادة[٥]، وحسن معاملة الزوج لزوجته من الأشياء الي تحقق السعادة الزوجية، وتدعو إلى الاحترام المتبادل.

---

(١) الشعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، انظر: لسان العرب في (ش ع ر).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٣.

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٢٩.

فإن من حقوق الزوجة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] ولاشك أن المعاشرة لفظ عام يشمل جميع جوانب الحياة الأسرية، والتعاملات الزوجية التي تقع بين الزوجين، وبناء عليه فإن الزوج مطالب بأن يحسن إلى زوجته من جهة تحسين الحديث، والتأدب معها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، ومن جهة التجمل لها ومراعاة ما يدخل السرور عليها، والتجاوز عما قد يبدر منها مما يكدر الصفو.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٩.

الحديث رقم (٢٧٩)

٢٧٩- وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذُباب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لاَ تَضْرِبُوا إمَاء الله)) فجاء عُمَرُ رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ في ضَرْبِهِنَّ، فَأطَافَ بآلِ رَسُول الله ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَقَدْ أطَافَ[1] بِآلِ بَيتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كثيرٌ يَشْكُونَ أزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أولَئكَ بخيَارِكُمْ)) رواه أبُو داود[2]، بإسناد صحيح.

قوله: "ذَئِرْن" هو بذال معجمة مفتوحة ثم همزة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون، أي: اجْتَرَأْنَ، قوله: "أطاف" أي: أحاط.

ترجمة الراوي:

من أهل مكة.

مختلف في صُحبته، وله رواية عن النبي ﷺ[3].

إماء الله: الإماء: جمع أمة، أي زوجاتكم[4].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يتسم بدقة العبارة، وصحة المعنى، وسلامة القصد، والمعنى والمبنى يمتزجان في الحديث النبوي الشريف، والفكر والأسلوب يتعانقان في هذا البيان

---

(١) لفظ أبي داود: (طاف).

(٢) برقم (٢١٤٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٨٩)، وقال الحاكم (١٨٨/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥٠/٨): صحيح.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٠٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٦٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٣٨/١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٠١/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٩٦/١).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٩٥٤.

المشرق، ليقدما للبشرية المنهج الإسلامي السديد المنبثق من هدْي القرآن العظيم.

وهذا الحديث يعد نموذجًا للحوار المقنع، والتدرج التشريعي، والحكمة في استقبال المواقف، وإصدار الأحكام، فالحديث في سياق الوصية بالنساء، وبدايته نهي من رسول الله ﷺ عن ضرب النساء، وجاء النهي صريحًا في هذه الجملة المفتاحية التي جاءت في صدر الحديث "لا تضربوا إماء الله".

وتحذف أحداث كثيرة، منها كيفية استقبال مجتمع النساء لهذا الأمر، وكذلك مجتمع الرجال.

فالرجال امتثلوا لأمر رسول الله ﷺ وانتهوا عن ضرب نسائهم، ولكن النساء "ذئرن على أزواجهن" كما أخبر عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ، وجاء إخباره سريعًا بعد أن شاهد ما شاهد من اجتراء النساء على أزواجهن، وهذه السرعة في تعقب الأمور، والحسم، في إنجازها، هي طبيعة عمر فهو شديد في غير عنف، رحيم في غير ضعف، والعطف بالفاء في قوله: "فجاء عمر" هو الذي أوحى بهذه السرعة في إبلاغ رسول الله ﷺ بما يحدث بعد النهي عن ضرب النساء، والتعبير بقوله: "ذئرن النساء" يصور التوتر والقلق والغضب في طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، لأن المادة اللغوية لهذا الفعل تعني الفزع والأنفة والاجتراء والغضب، ومجيء الفعل جمعًا رغم مخالفته للقياس النحوي، وتوافقًا مع لغة "أكلوني البراغيث"، يوحي بأن هذا الغضب جماعي من النساء، فالكلمة في مبناها إضاءة لدلالاتها ومعناها.

ويقال: ذئرت المرأة على بعلها أى نشزت، ويقال : ناقة مُذائر: تنفر من الولد ساعة تضعه أو ترأم بأنفها، ولا يصدق حبها، فانظر دلالات هذه الكلمة، وتأمل إشعاعاتها، وتأمل فصاحة ابن الخطاب: بكلمة واحدة يصور الموقف، ويحدد المشكلة، وينوه بالخطر، ولا غرو فهو الفاروق عمر رضي الله عنه!!!.

ويستجيب المصطفى ﷺ لشكوى عمر رضي الله عنه، وموقفه: ويحكي الراوي: سرعة استجابة رسول الله ﷺ في قوله: "فرخص في ضربهن"، وتأمل: العطف بالفاء وهي للترتيب والتعقيب، وتأمل كذلك التعبير بالفعل "رخص"، ولم يقل أمر، لأن الرخصة

أدق وأنسب وهى للاختيار، وكما قال العلماء في تحديد مفهومها هي تغيير الحكم من صعوبة إلى سهولة للعذر مع قيام سبب حكم الأصل؛ وسبب المنع من الضرب أولاً الرفق بهن، وهو قائم حال إباحته للعذر، وهو دوام الزوجية، والقيام بحقوقها عند من ترك ذلك – كما جاء في دليل الفالحين، فقوله: "رخص في ضربهن" أبلغ وأدق من قوله: أمر بضربهن[1].

ويترتب على هذه الرخصة موقف آخر، وحدث أخطر، وهو أن الرجال لم يستعملوا الرخصة حسب الشرع استعمالاً حكيمًا في ضوء السكن والمودة والرحمة، ولكنهم بالغوا في تطبيق هذه الرخصة الاختيارية، فأطاف بآل رسول الله نساء كثير يشكون أزواجهن، ولفظ "أطاف"، يصور الحركة والحوار، والجدل، والشكوى، وكل ذلك عبر أحاديث تموج بمتعلقات الحدث، وتفاصيل الموقف، والعطف بالفاء في قوله: "فأطاف" يدل على سرعة المواجهة والحركة، ورسول الله ﷺ لم يترك الأمر، ولكنه أسرع بعد معرفته بهذه الشكاوى، وأعاد تشخيص الموقف وتوصيفه للتأكيد على أهميته، وضرورة القضاء على هذه الظاهرة فقال: "ليس أولئك بخياركم"، أي الذين يضربون زوجاتهم ضربًا مبرحًا يلجئ إلى الشكوى والغضب، ليسوا بخياركم: وقال: "خياركم خياركم لنسائهم"[2].

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على حكم فقهي يتعلق بباب نشوز الزوجة، وهو الضرب.

اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز للزوج أن يسلك طريق الضرب مع زوجته إلا بعد الموعظة والهجر، فإن أقامت على النشوز ضربها.

كما اتفق الفقهاء على جواز تأديب الزوجة إذا نشزت، لأن النبي ﷺ أخبر بذلك عندما سؤل عن الضرب، لكنه اختار لهم أن لا يضربوا.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي برقم ١١٦٢ وقال حديث حسن صحيح.

"وضابط الضرب" عند الفقهاء ألا يبلغ حدًا، ولا يكون مبرحًا، ولا دميمًا، يتقي فيه الوجه، فإن لم يأخذ بمحاذير هذا القيد عليه الفدية.

ولا يجوز للزوج ضرب زوجته بغير نشوز، ومتى تركت النشوز لم يحل هجرها ولا ضربها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء.

ثالثًا: من حقوق المدعو: مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في قوله ﷺ: "لا تضربوا إماء الله"، فنهى عن الضرب، وأسلوب النهي يشعر المدعو بأهمية الامتثال في البعد عما نهى عنه، فينبغي للداعية أن يفيد في دعوته من هذا الأسلوب الدعوي.

ثانيًا- من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء:

من صفات الداعية التي تظهر من خلال الحديث مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء وهذا يظهر في نهيه ﷺ عن ضرب النساء، وعندما رأى أن النساء اجترأن على الرجال رخّص في ضربهن، فلما زاد الرجال عن الحد المأمور به من الضرب واشتكت النساء، فبين أن من يفعل ذلك ليس من خيارهم.

إن مما ينبغي للداعية مراعاته في الإفتاء النظر إلى حال السائل، فكم من مسائل تختلف أحكامها باختلاف أحوال الناس، فيصير ما كان مستحبًا بالنسبة لشخص واجبًا على شخص آخر، بل قد يكون الواجب على شخص حرامًا على شخص آخر

---

(١) الأحكام السلطانية الماوردي ٢٦٩، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٣٥/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٨٩/٧، الأم، الشافعي ١٢٠/٥، ٢٠٨، ومختصر المزني ص ٢٩٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٩/٧، والمحلى، ابن حزم ١٧٦/٩.

بسبب اختلاف الأحوال والظروف لكل واحد[١]، فلكل مقام مقال، فعلى الداعية أن يتعرف على نوعية المخاطبين ومشكلاتهم وقضاياهم، وأن يعالج كل قضية في دعوته بما يلائمها، وبذلك يجد الداعية في خطابه مدخلاً إلى نفوس المخاطبين[٢].

فإذا كان قال بفتوى، ثم وجد غيرها خيرًا منها، فعليه أن يرجع إلى الصواب، وهذا ما بينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب القضاء (ولا يمنعك قضاء قضيت به اليوم فراجعت فيه رأيك وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم ولا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي فيه) قال ابن القيم: يريد أنك إذا اجتهدت في حكم ثم وقع لك مرة أخرى، فلا يمنعك الاجتهاد الأول من إعادته، فإن الاجتهاد قد يتغير، ولا يكون الاجتهاد الأول مانعًا من العمل بالثاني إذا ظهر أنه الحق، فإن الحق أولى بالإيثار؛ لأنه قديم سابق على الباطل، فإن كان الاجتهاد الأول قد سبق الثاني والثاني هو الحق، فهو أسبق من الاجتهاد الأول، لأنه قديم سابق على ما سواه، ولا يبطله وقوع الاجتهاد الأول على خلافه، بل الرجوع إليه أولى من التمادي على الاجتهاد الأول[٣]. فيجب على الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في الإفتاء.

ثالثًا- من حقوق المدعو: مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها:

يظهر ذلك في مراجعة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بعدم ضرب النساء، وكذلك شكوى النساء من قسوة ضربهن عندما أباحه صلى الله عليه وسلم، فالإسلام كفل للمدعو الحق في مراجعة الداعية في فتواه لمعرفة عواقبها، وهذا كان حال الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خفي عليهم حكم، أو تضرروا من فتوى والشواهد على ذلك كثيرة، منها:

---

(١) انظر: من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٦٢.

(٢) الدعوة إلى المضامين الحميدة في الحج، د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي، بحث ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٥٥، ٥٦٨/٢.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٨٠.

قوله ﷺ: ((إذا الْتقَى المُسلِمان بسَيْفَيْهما فالْقاتِلُ والمقتولُ في النار. فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ هذا القاتِلُ، فما بالُ المقتول؟ قال: إنه كان حَريصًا على قتلِ صاحبه))[1].

وكذلك مراجعة سعد بن عبادة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾[2]، قال سعد بن عبادة رضي الله عنه -وهو سيد الأنصار- هكذا أنزلت يا رسول الله[3]، ومراجعة الصحابة لرسول الله ﷺ ليست لإنكار الفتوى، بل لمعرفة عواقبها وآثارها عليهم.

فيحق للمدعو مراجعة الداعية في فتواه، حتى يعرف عواقب هذه الفتوى، دون إنكار من الداعية على هذه المراجعة. ويشهد لذلك في حديث الباب، "لقد طاف بآل ببيت محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئكم بخياركم" فهذه شكوى لرسول الله ﷺ ظهر منها طلب النظر في الفتوى التي صدرت من قبل، لأنه وقع عليهن ضرر جراء هذا الضرب.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١، ٦٨٧٥، ٧٠٨٣، ومسلم ٢٨٨٨.

(٢) سورة النور، آية: ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥/٦.

الحديث رقم (٢٨٠)

٢٨٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

متاع: المتاع: كل ما ينتفع به ويُرغب في اقتنائه، كالطعام، وأثاث البيت، والسلعة والأداة والمال، والمراد أنه ينتفع بها إلى وقت معلوم[2].

الشرح الأدبي

ما أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وما أعظم المنن الإلهية، والعطاءات الربانية التي منحها الله لخلقه من الإنس والجان، في الدنيا والآخرة، ومتاع الدنيا متعدد ومتنوع، وهو يتجدد ويزداد كلما تقدم الزمن، وتطورت الاكتشافات، ولكن هذا المتاع مهما تكاثر، ومهما تنوع فهو قليل ضئيل أمام ما يدخره الله لعباده المؤمنين الذين شكروا الله على نعمه عليهم في الدنيا، والتي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[3].

ومتاع الدنيا قد يلقي بالإنسان إلى التهلكة، وقد يأخذ بيده إلى طريق النجاة، وفي سورة آل عمران ينبه الخالق عز وجل عباده إلى أن يفطنوا للنعيم الأبقى في الدار الآخرة، وذلك بالتقوى والعمل الصالح في دنياهم، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[4].

---

(١) برقم (١٤٦٨/٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (م ت ع).

(٣) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥.

والحديث الشريف يبدأ بهذه الجملة المشعة بكثير من التوجيهات والدلالات والإيحاءات: حيث يقول رسول الله ﷺ: "الدنيا متاع"، وكلمة متاع تحمل كل أنواع الزينة في الدنيا، من حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، والجذر اللغوي لهذه الكلمة يفيد الظهور والارتفاع والشدة، والجودة والرجحان، وكل ما سبق من أنواع الزينة يتضمن ذلك، ولكنه لا يكون مجديًا إلا إذا كان متلبسًا بالعمل الصالح: ففي اللغة يقولون: متع النهار متوعًا: أي ارتفع قبل الزوال، ومتع الضحى: أي بلغ آخر غايته، ويقولون: متع السراب: أي ارتفع، ومتع الحبل أي: اشتد، وقالت العرب والماتع: الطويل والجيد من كل شيء، والفاضل المرتفع من الموازين[1].

وفي ضوء هذه الدلالات لمادة "متع" ندرك القيمة البيانية والبلاغية لقول رسول الله ﷺ الدنيا متاع، ومجيء الجملة في إطار الثبات وهو اسميتها، يؤكد أن الدنيا مقترنة بهذا المتاع الذي يتعدد ويختلف من شخص لآخر، ومن زمن لآخر، ولكن هذا المتاع في أفضل صورة له هو المرأة الصالحة، ولذلك قدم رسول الله ﷺ خيرية المتاع على المرأة الصالحة، لأنه إذا وجدت المرأة وهي غير صالحة، كان المتاع فاقدًا لخيريته، وصلاحيته، فالمتاع الحلال كثير... وكله خير، ولكن أفضل متاع هو المرأة الصالحة.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، في (م ت ع).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النكاح في الإسلام، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن النكاح تجرى عليه الأحكام التكليفية الخمسة: فهو واجب على من له شهوة النكاح ويخاف على نفسه الوقوع في الزنا، فيكون النكاح حينئذ عاصمًا له ومحصنًا له من ذلك، فإن كانت عنده الشهوة ولم يخف على نفسه الوقوع في الزنا، فهو في حقه سنة، فإن كانت الشهوة عنده ساكنة كان النكاح في حقه مباحًا، وإن كان يظن في نفسه عدم القدرة على الإنفاق أو الوطء، كان النكاح في حقه مكروهًا، وإن أيقن أنه عاجز عن الوطء ولا يستطيع تحصين امرأته، كان النكاح في حقه حرامًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار بحقيقة الدنيا.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار بحقيقة الدنيا:

ويظهر هذا في قوله ﷺ "الدنيا متاع" والدنيا في حقيقتها متاع زائل، وهذا ما أقره المولى تبارك وتعالى في كتابه قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

---

(١) انظر: في ذلك تفصيلاً: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢/٩٤ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢/٢٢٨ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٣/٤٠٣ وما بعدها، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢/٢١٤ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣/١٠٧ وما بعدها، وتحفة المحتاج ٧/١٨٣ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/٦ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي وما بعدها.

مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: يقول تعالى موهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها (أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتكاثر في الأموال والأولاد). أي أنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2].

ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال: "كمثل غيث" وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، وقوله: "أعجب الكفار نباته" أي:يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها. "ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا" أي: يهيج الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرًا، ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي يصير يبسًا متحمطًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة ثم تكتهل، ثم تكون عجوزًا شوهاء، والإنسان كذلك يكون شابًا في أول عمره طريًا ثم يصير عجوزًا ضعيفًا، ولماكان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة هي الباقية والكائنة، حذر من أمرها، ورغب فيما فيها من الخير. فقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ فالدنيا هي متاع فانٍ غارٌ لمن ركن إليه، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة[3].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥/٨.

وفي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ أن الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة، لأن كل متاع الدنيا سيفنى، إلا أن الزوجة الصالحة هي التي تعين زوجها على طاعة الله وتقواه، وهذا هو الذي سيبقى للإنسان بعد رحيله عن الدنيا.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث الترغيب وهذا في قوله ﷺ "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" الحديث.

فقد رغب رسول الله ﷺ في اختيار الزوجة الصالحة؛ لأنها تكون معينة للإنسان على طاعة الله وقد قال ﷺ ((لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ))[1].

وقد بيّن رسول الله ﷺ الخصال التي تنكح لأجلها المرأة فقال: ((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا ، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))[2].

قال ابن حجر: قوله "فاظفر بذات الدين" المعنى أن اللائق بذي الدين والمروءة، أن يكون الدين مطمع نظره في كل شيء، لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية[3].

ففي ذلك ترغيب في اختيار الزوجة الصالحة لأنها حسنة الدنيا؛ فينبغي على الداعية ترغيب المدعوين في اختيار الزوجة الصالحة، فهي رفيقه الحياة وأم الأولاد، وصلاحها يكون فيه إعانة على صلاح المجتمع.

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

وهذا يظهر في بيانه ﷺ لحقيقة الدنيا وأنها متاع زائل وفان، وخير ما فيه الزوجة الصالحة؛ والداعية ناصح أمين للمدعوين، فيجب عليه أن يبيّن الحقيقة للمدعوين كاملة، وذلك لأن الداعية قدوته في دعوته رسول الله ﷺ وقد قام رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٥).

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٩٠، ومسلم ١٤٦٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٩.

ببيان الحقائق والتي من جملتها أن الدنيا متاع زائل، ولكن خير هذا المتاع، تلك الزوجة الصالحة ذات الدين التي تعين زوجها على التقوى والطاعة، وتذكره بآخرته وبأهمية العمل لها، وهذا من أهم ما ينبغي أن تتوجه إليه همّة المسلم في هذه الحياة؛ فينبغي على الداعية أن يركز على بيان هذه المعاني وغيرها، مما يجدر بيانه من حقائق للمدعوين.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

المرأة في الإسلام مخلوق ضعيف لطيف، والتعامل معها يكون على أساس من الرفق واللين في القول والفعل. ويشبه الرسول ﷺ المرأة بضلع أعوج صلب، إن حرص الإنسان على استقامته كرهاً كسره، وإن تركه لم يزل على عوجه، فكأن الوسطية مطلوبة.

وقد لفت الرسول ﷺ الانتباه إلى لمسة طيبة حين نهى عن ضرب المرأة على عجل وطلبها بعد الضرب في غير وجل، وكلاهما لا ينهض به كريم، لأن الضرب فيه إذلال وامتهان للكرامة، وما أكرم النساء إلا كريم.

وعلينا أن نربي أولادنا على أن المرأة مخلوق مثل الرجل ومشاركة له في النفس الواحدة، وتحكيم العقل لا يتعارض مع الشرع، فمن استباح ضرب المرأة لأدنى سبب، هل يقبل هذا بحق ابنته أو أخته أو أمه، فضلاً عن ذي القرابة القريبة. ومن وسائل التربية في الباب:

أولاً- التربية بالوصية:

تعد التربية بالوصية من أهم أنواع التربية، وذلك عند الحاجة إلى نمط سلوكي معين في التعامل، وهذا ما يحتاجه المربي عند التعامل مع المرأة، لاسيما الرجل مع زوجته، وتلك العلاقة الحميمة بينهما والتي تحتاج إلى نوع من المرونة واللطف، واستصحاب الطبيعة المعوجة للمرأة وتغير مزاجها وتنكرها في بعض الأحيان لحسن عشرة زوجها، ولقد بين النبي ﷺ ذلك الجانب في أحاديث الباب. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اِسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجَ»، وفي الصحيحين: «المرأةُ كالضِّلَع: إن أقمتَها كَسَرتَها ، وإن استمتعتَ بها استمتعتَ بها وفيها عِوَج». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً»، وقوله ﷺ في حجة الوداع: «.. واِسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيْرًا...».

فهذه إشارة تربوية من النبي ﷺ إلى مراعاة أن هذه امرأة ضعيفة فينبغي مراعاة ذلك عند وعظها، ولذلك كرر في الحديث الحث على ذلك، والتأكيد على التوجيه برحمة ورفق، ولذلك ينبغي مداراتها، وفي هذا التوجيه النبوي نكتة تربوية هامة، وهي

معرفة المربي لطبيعة من أراد تقويمه وتهذيبه في مهمته التربوية، ولذلك راعت العملية التربوية ذلك لكي تعتمد على سلامة تلك العناصر، وقيامها على أسس صحيحة، وإلا فإنها لن تحقق الغرض المنشود لأن هناك توجيهات تصلح للرجال دون النساء، فإن من لم يراع ذلك يخفق في العملية التربوية[١].

لذلك كانت الوصية بالمرأة مناسبًا لحالها؛ لما للوصية من وقع في النفس أشد من وقوع الموعظة لأن الوصية تشبه العهد الذي يؤخذ على الإقرار فهذا أسلوب تربوي ناجح[٢].

ثانيًا- التربية بالعقوبة:

التربية بالعقوبة أسلوب تربوي هام من أساليب التربية الإسلامية لأن العقوبة شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم لأن الهدف الذي يجب أن توجه إليه العقوبة هو إصلاح المتربي وتقويم سلوكه، لذلك جاءت التوجيهات النبوية متضمنة هذه الأساليب التربوية العقوبية لكن بالتدرج، ولذلك قال ﷺ: «إلاَّ أَنَّ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنَّ فِي المضَاجِعِ ...» وقال: «ولا تضربوا إماء الله ...». فالرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب كوسيلة من وسائل التربية الإسلامية لتقويم أخلاق الزوج مع زوجته وتعديل السلوك وإصلاح النفس وأنه لم يكن القصد منها الانتقام والتنكيل وإشفاء الغيظ، وهذا الحديث دليل على مشروعية التربية بالعقوبة عن طريق الهجر للزوجة التي بدا منها تقصير في جانب من جوانب الدين ومقاطعتها وترك السلام عليها، وهذا يكون الرسول ﷺ قد أرسى قواعد التربية بالعقوبة كأسلوب تربوي لتقويم الخطأ واستقامة السلوك، لكن نتعلم من هذا الهدي النبوي أن المربي لا يعمد إلى أسلوب العقوبة إلا إذا لم تؤثر الأساليب التربوية الأخرى لأن ذلك مُضر به، وله آثار تربوية خطيرة، كما نتعلم منه أن أساليب العقوبة التربوية تتنوع

---

(١) أصول التربية الإسلامية، الحازمي ص ٢٦٠، ٢٧٠.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، الحمد ص ٧٠. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، ٢٧٤. تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص١١١.

وتتدرج حسب كل حالة معاقبة[١].

ثالثًا- التربية بالترغيب:

من أهم أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب لما فيه من تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة ومؤكدة خيرة خالصة، ولقد اهتم الهدي النبوي بإبراز هذا الأسلوب واعتبره من أكبر الأساليب تأثيرًا على شخصية المسلم، فقال ﷺ مرغبًا في اقتناء المرأة الصالحة: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة...» فهذا هدي نبوي يربي فينا الترغيب في اختيار المرأة الصالحة لأنها ركن من أركان السعادة وعون للزوج على طاعة ربه، باعتبارها من طيبات الدنيا، وأنها سبب في القيام بالعمل الصالح، فالتربية الإسلامية متمثلة في التربية بالترغيب تدل على أن الإسلام دين شامل ليس دين عبادة فقط، بدليل أنه اعتنى بحياة الإنسان في المجتمع وداخل أسرته متمثلة في الحديث الذي معنا، ومن هذا الحديث نتعلم أن التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة، لما لها من أسلوب رائع يساعد على نشر المحبة بين الزوجين، ولما لها من شأن في تحقيق التوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة، وهذا ما أراد إبرازه النبي ﷺ عندما قال: "الدنيا متاع..."، من هنا نتربى ونتعلم أن التربية الإسلامية متمثلة في الترغيب ساعدت على بلوغ أهداف التربية الإسلامية[٢].

---

(١) أساليب التربية والدعوة، د. زياد العاني ص ٧٠، وأصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٢١، وتربية الأولاد في الإسلام ص ١٥٩، وأصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٢٠٤.

(٢) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن العك ص ١٨٦. أصول التربية الإسلامية، د. محمد عزب ص ٢٠٣.

٣٥- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّه﴾[النساء: ٣٤].

وأما الأحاديث فمنها: حديث عمرو بن الأحوص السابق في الباب قبله[١].

الحديث رقم (٢٨١)

٢٨١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: **((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

وفي رواية لهما[٣]: **((إِذَا بَاتَت المَرأةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))**.

وفي رواية[٤]: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: **((والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأبَى عَلَيهِ إلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنها))**.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دعا امرأته إلى فراشة: طلب إليها الجماع[٥].

---

(١) تقدم برقم (٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٠) واللفظ له. أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٤) أخرجها مسلم (١٤٣٦/١٢١). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٥) اللسان والوسيط في (ف ر ش).

الشرح الأدبي

إن صلاح أحوال الناس لا تتم صورته المثلى إلا في ظل التمسك بشرع الله عز وجل، والالتزام بما أمر الله به، وإلا فسدت الأمور، واختلت الموازين، والعلاقة بين الرجل وزوجته في ظل التعاليم الشرعية تظل قوية متماسكة، لا يتسرب إليها الملل، ولا يزلزل قواعدها الشك والقنوط، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[1].

وفي ضوء هذا المنهج الإسلامي نقرأ هذا الحديث الشريف، ونتأمل أسراره، ونستبطن معانيه، ونستجلي أنواره، والحديث غايته سديدة، ومقاصده عديدة، حيث يحرص رسول الله ﷺ على حسن العشرة، وطيب المعاملة بين الرجل وزوجته، حتى في أدق الأمور، وأخفى الأسرار، ويرسي منهجًا سويًا، وهو طاعة الزوجة لزوجها إلا فيما حرم الله، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ومن أمارات هذه الطاعة أن تلبي رغبته في قضاء وطره، وأن تستجيب له حينما يرغب في ذلك وهي لا يمنعها عذر شرعي.

والحديث في بنائه اللغوي: يتكون من جملة واحدة وهى جملة شرطية، ولكنها مفحمة بأسرار تعبيرية، وقيم جمالية تجلي المعنى، وتعلن عن المقصد الأسنى من هذه الرسالة النبوية، التي تنير الطريق لكل زوجة صالحة والتي صورها رسول الله ﷺ في الحديث السابق: بأنها خير متاع الدنيا.

وأداة الشرط هنا: "إذا" وهى للتحقق، لأن المعاشرة الزوجية متحققة في الواقع، وواجبة شرعًا، فالهجر في المضاجع لا يكون إلا في حالة النشوز، ويقول رسول الله ﷺ: ((وفي بضع أحدكم صدقة))[2]، ويدعو رسول الله ﷺ أمته إلى الزواج والإنجاب.

---

(١) سورة النحل، آية: ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

فالتعبير بـ"إذا" في الحديث الشريف يعلن عن مقاصد وأهداف كثيرة، ولو عبر بإن، لكان التعبير غير بليغ، والتعبير بالفعل "دعا"، وهو فعل الشرط، فيه إيحاء بالأنس والترغيب بعيدًا عن الإكراه والإجبار، لأن المعاشرة لا تؤتي ثمرتها إلا بالرغبة والسكن والمودة والرحمة، والمحبة والملاطفة، كما أوصى رسول الله ﷺ، وإضافة المرأة إلى الضمير العائد على الرجل، يرشد إلى أن الرجل لا يدعو أي امرأة، ولكن لابد أن تكون زوجته، فغيرها محرم عليه، فضمير الغائب، في "امرأته"، يقيد الدعوى ويُحض الطلب، ويجعله منحصرًا في الزوجة وليس غيرها، وقوله: إلى فراشه، كناية عن المعاشرة الزوجية، وهي كلمة تُغني عن الجماع، وعما يستحي من التصريح به، وذلك أمر فاش في الكتاب والسنة، وهي من سمات البلاغة النبوية، وهى من أبدع المسالك البيانية. والطرق الأسلوبية، التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيرًا مظلاً هادفًا موجزًا، يخفي تحته لطائف مراده، وقد عرفها العلماء بقولهم، لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه[1]. وفي كلمة "فراشه"، إيحاء بأن على الزوج إعداد فراش الزوجية.

والعطف بالفاء في قوله: "فلم تأته" يوحي بالإسراع في النفور والتمنع من الزوجة، وكذلك العطف بالفاء في قوله: "فبات غضبان عليها" يوحي بالغضب السريع المترتب على ذلك التمنع والتأبي من الزوجة، ولكن إذا لم يغضب الزوج، نظرًا لأن الزوجة لديها عذرٌ، أو أنه تسامح وتحمل، فالزوجة لا تكون عرضة للعقاب ولا للعن الملائكة، أما إذا غضب الزوج، ولم يكن للزوجة عذر أو مانع شرعي، فإنها تستحق العقاب، وهو أن تلعنها الملائكة حتى تصبح، واللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وقوله "حتى تصبح" إشارة إلى أن هذا اللعن مقيد بغضب الزوج، فإذا رضي الزوج نجت المرأة ونجا معها زوجها.

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين السيد ص ١٦٦.

فقه الحديث

إن من أهم مقاصد النكاح الاستمتاع بين الزوجين، ولذا يجب على المرأة إذا دعاها زوجها إلى فراشه، أن تلبي طلبه ولا تمانع في ذلك بدون عذر، وإلا كانت ناشزًا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على انه يجب على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها متى طلبها ولم يكن ثمة مانع شرعي عندها مهما كانت الظروف والأحوال، فإن امتنعت كانت ناشزًا وجاز له تأديبها بما يراه مصلحًا لها.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الكناية، والقصر، والشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة الزوجة لزوجها ما لم يأمرها بمعصية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

خامسًا: من صفات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم.

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الكناية، والقصر، والشرط:

ورد أسلوب الكناية في الحديث من قوله ﷺ "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه"، وقوله ﷺ: "إذا دعا الرجل زوجته لحاجته..." وهو كناية عن الجماع.

وذلك من جميل وعظيم آداب الإسلام، قال النووي: (والمستحب في مثل هذا، الكناية عن قبيح الأسماء، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض...، وبهذا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨٤/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣٣١/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١١/٤، وشرح منح الجليل ٣٧٩/٣، ونهاية المحتاج ٣٣٩/٤، ومغني المحتاج ٣٠٩/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٧٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٥/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٢٨١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٢٨٢، ٢٨٤).

الأدب جاء القرآن العزيز والسنن كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١]. ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[٢]. ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ﴾[٣]. وقد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾[٤]. وكقوله ﷺ: «أنكحتها»[٥]. وكقوله ﷺ: «أدبرَ الشيطانُ ولهُ ضُراط»[٦]... إلخ"[٧].

فعلى الداعية أن يُكنّى في ألفاظه عن قبيح الأسماء، إن لم يكن هناك مصلحة للتصريح بها.

وأما القصر كأسلوب دعوي فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: "لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه... ولا تأذن في بيته إلا بإذنه" والقصر في الحديث الوارد يفيد تخصيص صيام التطوع للزوجة على إذن زوجها، وتخصيص دخول بيت الزوج على إذنه، وهو من الأساليب الدعوية التي بها لفت انتباه المدعوين على أهمية الأمر المدعو إليه، والحرص على القيام به.

أما أسلوب الشرط فهو من الأساليب الدعوية التي تستحضر أذهان المدعوين لمعرفة جواب الشرط، وقد اشتمل هذا الأسلوب في الحديث على أداة للشرط المتمثلة في قوله ﷺ: "إذا" ومن فعل الشرط في قوله ﷺ: "دعا" ومن جواب الشرط في قوله ﷺ: "فلتأته وإن كانت على التنور"، وقد أفاد وجوب طاعة الزوجة لزوجها إذا دعاها إلى فراشه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٢٢.

(٤) سورة النور، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٢٤، ومسلم ١٦٩٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٨، ومسلم ٣٨٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة الزوجة لزوجها ما لم يأمرها بمعصية:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الشريفة، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بوجوب طاعة الزوجة لزوجها فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[١] يعني: (أمراء، فعليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعة، وطاعته: أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله)[٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[٣] أي: (مطيعات لأزواجهن حتى في الغيب تحفظ بعلها بنفسها، وماله)[٤]، وفي بيان وجوب طاعة الزوجة لزوجها وعظم حقه عليها قال ﷺ ((لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ، لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا))[٥].

قال المباركفوري: (قوله ﷺ: "لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" أي لكثرة حقوقه عليها وعجزها عن القيام بشكرها. وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله"[٦]. وقال ﷺ ((لَوْ تَعْلَمُ الْمَرْأَةُ حَقَّ الزَّوْجِ مَا قَعَدَتْ مَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ حَتَّى يَفْرَغَ))[٧]، وبيَّن النبي ﷺ أن طاعته سبب في دخول الجنة فقال: ((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتِ الْجَنَّةَ))[٨]، ثم رهب النبي ﷺ من مخالفة طاعته فقال ﷺ ((ثَلاثَةٌ لاَ

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٩٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٢.

(٥) أخرجه الترمذي ١١٥٩، وقال الألباني: حديث حسن (صحيح سنن الترمذي ٩٢٦)

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١/١١٨٣.

(٧) أخرجه البزار في مسنده ٢٦٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥١٣٥.

(٨) أخرجه البزار كما في كشف الأستار للهيثمي ١٤٦٣، وقال الألباني حديث حسن في آداب الزفاف ص ٢١٤.

تُجاوِزُ صلاتُهمْ آذانَهُمْ: ثم ذكر منهم وامرأةٌ باتتْ وزوجُهَا عليها ساخِطٌ))[١].

وقد بين النبي ﷺ أنه لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد (أي حاضر) إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وذلك لبيان أهمية طاعة الزوجة لزوجها، حتى في أمور النوافل، مثل: صوم التطوع فلم يُحلّ النبي ﷺ للزوجة أن تصوم التطوع إلا بإذن زوجها طالما أنه حاضر في بيته أو في بلدته، وليس مسافراً وكذلك لا يحل للزوجة أن تأذن لأحد بدخول البيت إلا بإذن زوجها وهذا مما أوجبه الإسلام من طاعة الزوجة لزوجها.

وقد بين النبي ﷺ أن وجوب هذه الطاعة تكون ما لم يأمرها بمعصية وفي ذلك قال ﷺ ((لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ . إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))[٢] وفي ذلك بيان على عظم حق الزوج على زوجته وعلى وجوب طاعته.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ "لعنتها الملائكة حتى تصبح" وفي رواية "إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها". (والترهيب ركيزة من ركائز الإيمان، ولازمة من لوازمه: فالإيمان يقتضي الخوف، لذا قيده الله تعالى بالإيمان في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٣]، فجعل الخوف - الرهبة- شرطًا في تحقيق الإيمان، فإذا تحقق الشرط -وهو الخوف- حقق المشروط- وهو الإيمان)[٤]، (والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي: فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس، قطع دابر الشهوات واللذات .... فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة)[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥).

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٤) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم.

(٥) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٥٦/٤.

رابعًا- من أصناف المدعوين: النساء:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وقد اهتم الإسلام بالنساء اهتمامًا عظيمًا، وذلك لما تحظى به من دور عظيم واحترام عال في الشريعة، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة ذاتها. ويكفي القول بأن أول من آمن بالنبي ﷺ من النساء هي "خديجة رضي الله عنها، فالزوجات هن المؤثرات على الأزواج والراعيات للأطفال، ولذا فإن خطاب النبي ﷺ للنساء في هذه الأحاديث الشريفة لبيان حقوق الأزواج على الزوجات، ولحث الزوجة على أهمية القيام بحق زوجها وطاعته، والحذر من معصيته أو مخالفته طالما كان مطيعًا لله تعالى، يخاف الله فيها، لذا أمر النبي ﷺ الزوجة بحسن التبعل لزوجها وطاعته ومراقبة الله تعالى فيه[1].

خامسًا- من صفات الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم:

هذا ما يستفاد من جملة الأحاديث في حرصه ﷺ على دلالة المدعوين إلى ما فيه خير لهم، وفي ذلك قال ﷺ: ((إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه))[2]. وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[3]. قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله)[4]، فعلى الداعية أن يحرص على دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم، لما في ذلك من عظيم الفائدة وجزيل الثواب، وفي هذه الأحاديث يرشد النبي ﷺ النساء إلى ما يحقق بذلك لهن الأجر والمثوبة عند الله تعالى، وذلك من خلال بيانه ﷺ لحقوق الزوج على الزوجة، وأهمية القيام بذلك لنيل رضوان الله تعالى.

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

سادسًا- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾[2]، قال ابن كثير: (فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[3]،[4].

فعلى الزوجة المؤمنة أن تستجيب لأوامر الله عز وجل ورسوله ﷺ في طاعتها لزوجها، وقيامها بحقوقه عليها، ومراقبتها لله تعالى فيه، رغبة في رضوانه سبحانه.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٢٣.

الحديث رقم (٢٨٢)

٢٨٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لامْرَأةٍ أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهدٌ إلاَّ بإذْنِهِ، وَلاَ تَأذَنَ في بَيْتِهِ إلاَّ بإذنِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شاهد: حاضر[2].

الشرح الأدبي

من حق الزوج على المرأة أن تصون بيته، وتحفظ ماله، وتكتم أسراره، وأن لا تدخل داره إلا من رغب ورضي له الدخول، وكذلك للمرأة حقوق على زوجها... وهي كثيرة وفي مقدمتها الإنفاق، والحماية، والعشرة الحسنة، والمعاملة الطيبة، والاختيار الصالح حيث تُخْتار المرأة لكثير من المزايا والمقومات، ولكن الدين في أعلى قائمة هذه الاختيارات: الجمال، والحسب، والنسب، والمال، ولكن وصية رسول الله الآمرة المرغبة تقول: "فاظفر بذات الدين تربت يداك"[3].

وهذا الحديث يعد ثمرة من ثمار هذا الاختيار الراشد، حيث يبين ما ينبغي أن تكون عليه معاشرة الزوجة لزوجها، فلا يحل لها أن تصوم نفلاً وهو حاضر إلا بإذنه، فقد يتضرر بهذا الصوم، ويفوت عليه بعض مقاصده، ولمنزله حرمة لا تنتهك، فلا يجوز

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٢٤/٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٥٢).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش هـ د).

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٩٠.

لها أن تدخل فيه أحدًا أيا كان، وهو حاضر أو غائب إلا بإذنه، فقد يغار على زوجته من الأجنبي، وقد يكون في بيته من القصور والعيوب ما يحرص على إخفائه، ولا يحب أن يراه أقرب الأقربين، والزوجة راعية في مال زوجها، مسؤولة عنه أمام الله، فلا تنفق شيئًا منه إلا بإذنه، فإن أنفقت من غير إذنه الخاص بعد حصول إذنه العام وهي تعلم رضاه فلها أجر بقصدها الخير، وفعلها له، ولزوجها أجر مثله باكتسابه هذا المال لا ينقص بعضهم أجر الآخر شيئاً[1].

والحديث في بنائه اللغوي في هذه الرواية يتكون من جملتين فعليتين، وهاتان الجملتان تؤكد صياغتهما التشدد في حفظ حق الزوج، حيث صيغت الجملة الأولى في أسلوب القصر عن طريق النفي بـ"إلا" والاستثناء، وفي هذا القصر إيحاء بأن حق الزوج لابد أن يصان وأن يقدم على النوافل، والطاعات التي لا تجب عليها، فلو صامت الزوجة بغير إذن زوجها صح الصوم وأثمت، وأمر قبوله إلى الله، كما قال العلماء، وقيل في علة النهي عن الصوم والزوج حاضر إلا بإذنه: لأن من حقه الاستمتاع بها في كل وقت، ولا يبعد أن يكون النهي لما للزوج من حقوق كالتمتع وغيره.

وأما الجملة الثانية: فهي "ولا تأذن في بيته إلا بإذنه"، فهي كذلك في صيغة القصر عن طريق النفي والاستثناء، فالجملتان تحصنان حق الزوج بهذه الصيغة اللغوية، وذلك الأسلوب النبوي الذي يفصح مبناه عن معناه، وفي الجملة الثانية إيجاز بالحذف، فالفعل "تأذن" معطوف على "تصوم" وهو داخل في حيز نفى الحل، والتقدير، ولا يحل لها أن تأذن، والمأذون به محذوف للإيجاز والتعميم، والتقدير أن تأذن في دخول أحد إلى بيته.

---

(١) انظر: المنهل العذب الفرات، د. عبد العال أحمد عبد العال، ج٥، حديث رقم ٣٤٤.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صوم المرأة المتزوجة تطوعًا، وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يجوز للمرأة أن تصوم تطوعًا في أي وقت كالرجل، إلا أنه لا يجوز للمرأة المتزوجة أن تصوم صوم تطوع وزوجها حاضر مراعاة لحقه إلا أن يأذن لها في ذلك، فإن أذن لها في الصوم كان لها أن تصوم، ولو صامت بدون إذنه صح صومها مع الحرمة، ولا تحتاج المرأة إلى إذن زوجها إذا كان غائبًا أو مريضًا أو محرمًا بحج أو عمرة، ويجوز للزوج إذا صامت زوجته تطوعًا بدون إذنه أن يأمرها بالإفطار، وخص المالكية الجواز هنا بالجماع فقط؛ لأن احتياجه إليها الموجب لتفطيرها إنما هو من جهة الوطء فقط.

الثاني: حكم الإذن في البيت، وقد ذكر الفقهاء[٢] أنه يجب على الزوجة استئذان زوجها إن أرادت أن تدخل إليه من تعلم أن زوجها يكره دخوله، ولا يجوز لها أن تأذن في بيت زوجها وهو شاهد إلا بإذنه ما لم تكن هناك ضرورة، لأنه لا يفتات على مالكي البيوت بغير إذنهم.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٠٧/٢، والمدونة لمالك ٢٧٩/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٦٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٥/٦، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٨٥/٤، وتحفة المحتاج ٤٦١/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥٠٠/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٩/٢٨.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٤٢/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٦/٩، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥/٧، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٢/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٨/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٨٨/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٥١/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٢/٣ وما بعدها، ٢٣٠/٨.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٢٨٣)

٢٨٣-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((كلكم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالأمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أهْلِ بَيتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجها وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الخطاب النبوي في هذا الحديث الشريف موجه إلى الأمة كلها... حيث جعل رسول الله ﷺ أبناء الدين الإسلامي شركاء في تحمل التبعات والمسؤوليات العامة، كل واحد فيما أعده الله له، فالعلماء مسؤولون عن التوجيه والإرشاد، وتثقيف المسلمين بأحكام الدين، وإنارة العقول بتعريفها ما لها من حقوق، وما عليها من واجبات، ورجال الشرطة مسؤولون عن استتباب الأمن والمحافظة على الأرواح والأموال، ورجال الجيش مسؤولون عن الدفاع وحماية البلاد والحدود والثغور، والحكام مسؤولون عن توفير العدالة والطمأنينة بين الناس، والأغنياء مسؤولون عن إسعاد الفقراء وكفايتهم المؤنة والحاجة بدافع من الإسلام وكمال الإيمان.

والحديث - كما يقول د. عبدالعال أحمد عبدالعال- من أبرز ما يصور مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام[2].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث الشريف: حيث تفصح المباني عن المعاني، وتبوح الأساليب والتراكيب بكثير من الدلالات والمقاصد التي يرمي إليها الحديث الشريف.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٢٩/٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٥). وسيكرره المؤلف برقم (٣٠٠)، و (٦٥٣).

(٢) انظر: المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ج٣ حديث رقم ١٨٨.

فالراعي: كل من ولي أمر قوم، وهو مستعار من مستلزمات البيئة، حيث لا نجد أشد من حرص الراعي على غنمه وماشيته، فهو يحفظها من التلف والسرقة، ويحرص على إشباعها وأمنها[1]، فالرعية في اللغة: الماشية الراعية والمرعية، وفي الحديث تتطور الدلالة وتتعدد: فالراعي: كما يقول صاحب دليل الفالحين: هو: الحافظ المؤتمن الملتزم بصلاح ما أؤتمن على حفظه، فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه، وقد صيغ الحديث كله في إطار الأسلوب الخبري، وجاءت جمله كلها اسمية لا ترتبط بزمن دون آخر، ولا تنقطع أحداثها، ولا تؤطر في زمن محدد، للدلالة على ثبات هذه القواعد التي أرسى دعائمها الرسول الكريم ﷺ، فالمسؤولية ثابتة ومؤكدة، وهى تتنوع حسب المسؤول والراعي.

ولذلك تكرر لفظ "راع" وهو بصيغة اسم الفاعل: أربع مرات في صيغة المذكر، ومرة في صيغة المؤنث، للتأكيد على شرعية هذه المسؤولية، التي تنبع من حرص الإسلام وحرص رسول الله ﷺ على صورة المجتمع المثلى في ظل القيم والمبادئ الإسلامية؛ ويكرر المصطفى ﷺ جملة البدء"كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته" في ختام الحديث لمزيد من التأكيد والتذكير بعدم التفريط في هذه المسؤولية، وذلك من باب رد العجز على الصدر، إيحاءً بترسيخ هذه القاعدة الثابتة في المنهج الإسلامي.

وفي الحديث: تفصيل بعد الإجمال، وإجمال بعد التفصيل، وهذا من أسرار البيان النبوي الذي يجنح للإفهام والبيان، والتوجيه والإرشاد، في منطق محكم، وبيان جامع، والتفصيل يتمثل في تعدد أوجه المسؤولية والرعاية، فالأمير راعٍ، والرجل راعٍ على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده؛ يقول الخطابي: فرعاية الإمام الأعظم رعايته الشريعة، بإقامة حدودها والعدل في الحكم، ورعاية الرجل أهله، سياسته لأمرهم وإيصال حقوقهم، ورعاية المرأة: تدبيرها لأمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٨٧.

للزوج، والرجل يرعى جوارحه وقواده وحواسه، فيعمل المأمورات ويجتنب المنهيات: فهو راع على جوارحه.

فقه الحديث

يعد هذا الحديث جامعًا لأنواع المسئولية عند الإنسان في كل أعماله، فهو كرجل مسئول عن أسرته وأولاده، وكعامل مسئول عن عمله، والحاكم مسئول عن الأمة، والمرأة مسئولة عن بيتها وأولادها بتربيتهم على الخلق الكريم، وأن تحافظ على ما لزوجها وولده وترعاه بما هو مطلوب منها شرعًا، فالكل راع ومسئول عن رعيته.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الرجل مسئول عن زوجته وأولاده ومواليه، بأن ينفق عليهم ويتعاهدهم بما يصلحهم من مأكل ومشرب وملبس، وكذا على المرأة والرجل تعليم أولادهم أمور دينهم ودنياهم.

كما اتفقوا[2] على أن الإمام مسئول عن الأمة، فكما تجب له الطاعة من الرعية يجب عليه المراعاة لمصالحهم وتعهدها، والحكم بينهم بالعدل.

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٨٠/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، ومجمع الأنهر ٤٨٤/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٥٠/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥١/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٨، والتهذيب ٣٢٠/٦، والعزيز شرح الوجيز ٣/١٠، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٦٩٧/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٥١/٥، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٧٢/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٧٦/٦ وما بعدها، وشرح منح الجليل ١٩٥/٩، والأحكام السلطانية للماوردي ص١٨ وما بعدها، ونهاية المحتاج ٤٠٢/٧، ومغني المحتاج ٣٩٩/٥، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص٢٠ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٨٧/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من الأساليب الدعوية: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المسؤولية.

ثالثًا: من واجبات المدعو: القيام بمسؤولياته.

أولاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

إن أسلوب التفصيل بعد الإجمال من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على توضيح وبيان ما أشكل على المدعوين من كلام الداعية، وقد ورد في الحديث من قوله ﷺ والأمير راع، والرجل راع... إلخ" بعد قوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: المسؤولية:

(إن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية، ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته)[1]، وهذا ما يظهر في الحديث من قوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع... إلخ"؛ فالمسؤولية: (هي ما يكون به الإنسان مسؤولاً ومطالبًا عن أمور، أو أفعال أتاها)[2] (والشريعة الإسلامية لم تُخْلِ أحدًا من المكلفين من المسؤولية... سواء كان ذلك بالنظر إلى الشخصية الطبيعية أو الشخصية المعنوية، بمعنى أنها تعتبر الفرد مسؤولاً مسؤولية تامة عن ذاته، وتحمله نتيجة أفعاله بالنسبة إلى نفسه وبالنسبة إلى الآخرين أيضًا... هذه دائرة... تليها دائرة أخرى أوسع منها مدى: تلك هي مسؤولية الأسرة عن أفرادها الذين هم في رعايتها وتحت إشرافها، ثم الجماعة مسؤولة عن توجيه الأسر التي تمثل الخلايا التي تتكون منها الجماعة ذاتها، وعن سلامة الأفراد الذين يشكلون الجزئيات، التي هي في حقيقتها أجزاء لذلك المجتمع الكبير أو الجسد العام، والدولة بأجهزتها وأنظمتها مسؤولة عن استقامة الأفراد، وسلامة الأسر، وأمن الجماعة،

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، أ. د. محمد لقمان الندوي ص ٢٩٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٣٤٠١/٨.

وتقويم ما يحدث في أي من ذلك من اعوجاج... والرواد وقادة الفكر ورجال الدعوة والمربون مسؤولون عن إصلاح المقاييس، وسلامة الموازين، وإيضاح خطوط السير، ومحاسبون على أي خلل أو فساد أو اعوجاج في ذلك بالنسبة للأفراد أو الجماعات.

فمن ذلك نجد شبكة ذات دوائر متصلة الحلقات، يأخذ بعضها بحجز بعض أخذًا محكمًا، فيظهر لنا منطق الإسلام في جعل المسلمين أمة واحدة مترابطة الأجزاء، ولعلنا في دراستنا للنظرة الإسلامية نحو المسؤولية، لا نجد الإسلام قد أسرف فيها أو تعسف، وإنما يُعِد أفراده إعدادًا دقيقًا، ويهيؤهم بالخبرات الزمنية، والقوى الجسدية والمدارك العقلية، والطاقات الروحية والنفسية، بما يجعلهم قادرين على مزاولة رسالتهم في المجموعة الإنسانية التي يعيشون معها بمقدرة ونجاح، بعد ذلك يجعل كلاً منهم مسؤولاً بقدر ما أتيح له من ظروف، وما تهيأ له من أسباب، أو تذرع به من وسائل، ما يجعله يصل إلى ما يسمى بالتعبير الفقهي بلوغ مرحلة التكليف)[١]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢] وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٤].

قال الشنقيطي: (وهذا صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة)[٥]. (وقد كان من خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام، تحميل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع، بمعنى أن كل فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع، وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتعاون مع غيره لتحقيق هذا المطلوب، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٦]...، وإذا كان الفرد مسؤولاً عن إصلاح المجتمع فما

---

(١) انظر: المسؤولية في الإسلام، محمد زكي الدين حجازي ص ١٠-١٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٢.

(٤) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٥) إيضاح البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٢/٢٩٠.

(٦) سورة المائدة، آية: ٢.

تعليل ذلك؟ ولماذا يطالب الفرد بهذا الواجب مع مطالبته بإصلاح نفسه؟ الذي نراه أن تعليل هذه المسؤولية أو هذه المطالبة، يتمثل فيما يأتي:

أولاً: الفرد يتأثر بالمجتمع: الإنسان كائن اجتماعي يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه، فتمرض روحه أو تهزل، أو تصح وتقوى تبعًا لصلاح المجتمع أو فساده. وقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى هذه الحقيقة. فقد جاء في الحديث الشريف ((ما من مَولودٍ إلاَّ يولَدُ على الفِطرةِ، فأَبَواهُ يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانهِ... إلخ))[1] فالأبوان بالنسبة للصغير، مُجتمعُهُ الصغير الذي يؤثِّرُ فيه، فيدفعه إلى الفساد أو الصلاح، فإذا كان الأبوان ضالّين دفعاه إلى الضلال، وأخرجاه عن مقتضى الفطرة السليمة التي خلقه الله عليها، وإذا كانا صالحين أبقياه على الفطرة التي خلقه الله عليها، ونميًّا فيه جانب الخير. وهكذا شأن المجتمع الكبير في تأثيره في الفرد صلاحًا وفسادًا.

ثانيًا: ضرورة قيام المجتمع الصالح: وقيام المجتمع الصالح ضروري للفرد، لأن المطلوب من المسلم تحقيق الغرض الذي خلق من أجله، وهو عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]...

... ولهذا يجب على كل مسلم مسؤولية تعهد المجتمع الذي يعيش فيه، وإزالة المنكر حال ظهوره أو وقوعه، وأن لا يستهين به، لأن المنكرات كالجراثيم التي تؤثر في الجسد قَطْعًا، وإذا لم تُمرِضِ البعض فإنها تضعف مقاومته، فيسهُلُ عليها فيما بعد التغلب عليه. ولهذا كانت أولى مهمات الدولة الإسلامية، إقامة هذا المجتمع الإسلامي الفاضل، وإزالة المنكرات منه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

ثالثًا: النجاة من العقاب الجماعي: وقيام الأفراد بواجب المسؤولية من إصلاح

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٥٩.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

المجتمع، ينجيهم وينجي المجتمع من الهلاك الجماعي، أو العقاب الجماعي، أو الضيق والضنك، والقلق والشر، الذي يصيب المجتمع، وتوضيح هذه الجملة يحتاج إلى شيء من التفصيل لأهمية الموضوع وخطورته. فنقول: من سنة الله تعالى، أن المجتمع الذي يشيع فيه المنكر، وتنتهك فيه حرمات الله، وينتشر فيه الفساد، ويسكت الأفراد عن الإنكار والقيام بواجب المسؤولية في التغيير، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ قاسية، تعم الجميع، وتصيب الصالح والطالح، وهذه في الحقيقة سنة مخيفة وقانون رهيب يدفع كل فرد لا سيما من كان عنده علم أو فقه أو سلطان إلى المسارعة والمبادرة فورًا لتغيير المنكر دفعًا للعذاب والعقاب عن نفسه وعن مجتمعه)[1].

فالفرد مسؤول عن صلاح المجتمع، ومن باب أولى مسؤول عن صلاح نفسه، وفي ذلك بيان على عظم حق المسؤولية والقيام بها في الإسلام.

ثالثًا- من واجبات المدعو: القيام بمسؤولياته:

(دلت النصوص على أن الإنسان يُسألُ عن كل الأشياء التي جعل الله له سلطانًا عليها، أو قدرة على التصرف فيها، ولو من وجه من الوجوه، أو قدرة تأثير بقول أو عمل أو تفكير، ومسؤولية الإنسان في ذلك تنحصر في حدود استطاعته وقدرته على التصرف أو التأثير: فمن كان باستطاعته العمل، والواجب الديني يُلزمه بالعمل فهو مسؤول عنه، ومن كان باستطاعته إبداء الرأي والفكر والواجب يُلزمه بذلك فهو مسؤول عنه، وهذه المسؤولية تلاحقه منذ يبدأ تكليفه حتى يوافيه أجله، ما لم يسقط التكليف لانعدام شرط من شروطه، وتزداد مسؤوليته كلما ازدادت منح الله له، وتنخفض مسؤوليته بمقدار انخفاض منح الله له)[2].

وقد كان من هذه النصوص المبينة لعظم مسؤولية الإنسان، ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والأمير راع، والرجل راع... إلخ".

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ١٣٢-١٣٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ١٨٣-١٨٤.

(فأبان الرسول ﷺ في هذا الحديث مسؤولية الرعاية المنوطة بكل راع، عظمت دائرة رعايته أم صغرت، ومسؤوليته تكون على مقدار دائرة رعايته ومقدار سلطته فيها)[١].

وقد بدأ النبي ﷺ في بيان مسؤولية الإمام بقوله "الإمام راع ومسؤولية عن رعيته" (والإمام هنا يقصد به الإمام الأعظم، ورعايته تكون بحياطة الشريعة وإقامة الحدود والعدل في الحكم)[٢]. قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣].

(فإمام الناس من ملك أو أمير - راع كفيل. وحافظ أمين مسؤول عن أهل مملكته أو إمارته. فعليه إقامة العدل فيهم؛ وردّ الحقوق لأربابها. واحترام حرياتهم في دائرة الحق والأدب، واستشارتهم في الأمور، والاستماع لنصائحهم والذود عن كرامتهم، والحرص على مصالحهم، والدفاع عن حقوقهم، وفتح الأبواب لمعايشهم، وتذليل السبل لتنمية ثروتهم. والضرب على أيدي المفسدين والتنكيل بالمجرمين الخائنين...، وإن الإمام مسؤول أمام الله عن أمته وجماعته، يُسأل عن كل فرد فيها، وعن كل عمل من أعمالها، يُسأل عن ثروتها موردًا ومصرفًا، وعما عمل لمصلحتها، وسلك لسعادتها، بل يُسأل عن حيوانها: ماذا صنع لراحته. وتخفيف مشقته. وبعبارة أوجز: بقدر ما في يده من الشؤون، وما وكل إليه من الأمور، يكون الحساب وتكون المسؤولية. فلا يلهِ ذو منصب بمنصبه عن القيام بواجبه، ولا يغترن الرؤساء بمظاهر الرياسة من الحيطة والكياسة وإعداد العدة لحساب أحكم الحاكمين)[٤].

(وقد عني الإسلام بالأسرة عناية خاصة، وجعل منها أساس المجتمع، وحتى يتحقق

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣.

(٣) سورة ص، آية: ٢٦.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٤٨-٤٩.

هدف الإسلام في بناء الأسرة على أساس متين، فقد وزع المسؤولية والأعمال توزيعًا جميلاً ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد الواجبات والمسؤوليات على كل من الرجل والمرأة)[١].

وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: "والرجل راع، على أهل بيته؛ والمرأة راعية على بيت زوجها وولده... إلخ". قال ابن حجر نقلاً عن الخطابي: (ورعاية الرجل أهله سياستهم لأمرهم وإيصالهم حقوقهم)[٢]، (فالرجل راع على أهل بيته، فمن أوجب واجباته أن يسعى ويكد وينهض بالكسب، ما يحتاج إليه البيت من مال ونفقة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾[٣]...

... ومن أبرز مسؤولية الرجل أن يتجه بالدعوة أول ما يتجه إلى بيته وأهله وزوجته؛ لأن البيت المسلم هو نواة الجماعة، ونواة البيئة الإسلامية، وهو الخلية التي يتألف منها ومن الخلايا الأخرى ذلك الجسم الحي (المجتمع الإسلامي)، ومن ثم كان القرآن يتنزل للرجال والنساء، وكان ينظم البيوت ويقيمها على المنهاج الإسلامي، وكان يحمل المؤمنين مسؤولية أهليهم، كما يحملهم تبعة أنفسهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[٤])[٥].

(ورعاية المرأة تكون بتدبير أمر البيت والأولاد والخدم، والنصيحة للزوج في كل ذلك)[٦].

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٤) سورة التحريم، آية: ٦.

(٥) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٠٢، ٣٠٤.

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣.

(وبعبارة أخرى: نريد من المرأة بيتًا نظيفًا منظمًا، وولدًا صحيحًا مؤدبًا، ومالاً مرعيًا وطعامًا شهيًا، وثمرًا جنيًا، وطاعة لزوج في معروف، وأدبًا في منطق وكمالاً في نفس. ونظافة في بدن وزي. وفي ولد وخدم، فإن فعلت ذلك فنعمّت الراعية، ونعمت من ترعى، وإن المرأة مسؤولة أمام الله عن هذه الرعية: أقامت بواجبها أم قصرت في حقها، فإن كان القيام فروح وريحان وجنة نعيم. وإن كان التقصير فنزل من حميم وتصلية جحيم. فليتق الله نساؤنا ولا يكن كل همهنَّ الطعام والشراب، وزيارة الأحباب، والتفنن في الزينات، والمشي في الطرقات)[1].

ومن مظاهر المسؤولية التي يتحملها الإنسان، تلك المهام التي بنسد إلى الخدم والعمال والعاملات في البيوت، خاصة المهام المالية، لأنها أمانة يجب أن تؤدى بصدق وإخلاص، لأنه كثيرًا ما يناط بالعمال والخدم عدد من الأمور المالية وغيرها، مما يستوجب استشعار المسؤولية والخوف من الله تعالى، والقيام بما أنيط بهم من أعمال طمعًا في مرضاة الله تعالى، وهذه مجرد أمثلة، وما أكثر المسؤوليات التي تتطلب القيام بها، ومراقبة الله في السر والعلن.

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٥٠.

الحديث رقم (٢٨٤)

٢٨٤- وعن أَبي علي طَلْق بن علي رضي الله عنه : أنَّ رَسُول الله ﷺ ، قَالَ: ((**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ**[1] **زَوْجَتَهُ لحَاجَتِهِ فَلْتَأتِهِ، وَإنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُور**)). رواه الترمذي والنسائيُّ[2]، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

طلق بن علي: وهو طلق بن علي بن طلق -وقيل طلق بن علي بن قيس، وقيل طلق بن ثُمامة- بن عمرو بن عبدالله بن عمرو بن عبدالعزى بن سُحَيم بن مرة، السُّحَيْميِّ، الحنفي، اليماميّ، يكنى أبا علي اليمامي، وهو من الصحابة المشهورين، له صحبة، ووفادة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى عنه الأربعة أصحاب السنن، وكان من الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من حنيفة من اليمامة، فأسلموا وذكره الواقدي باسمه في وفد بني حنيفة.

وفي إسلامه يروي عن نفسه قائلاً: ((خرجنا وفدًا إلى النبي ﷺ فبايعناه وصلينا معه، وأخبرنا أنَّ بأرضنا بيعةً لنا فاستوهبناه من فضل طهوره، فدعا بماء فتوضأ وتمضمض، ثم صبه في إداوة وأمَرَنا فقال: اخرجوا فإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم، وانضحوا مكانها بهذا الماء، واتخذوها مسجدًا، قلنا: إن البلد بعيد، والحر شديد، والماءَ يَنْشَف، فقال: مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبًا.

فخرجنا حتى قدمنا بلدنا، فكسرنا بيعتنا ثم نضحنا مكانها، واتخذناها مسجدًا فنادينا فيه بالأذان، قال: والراهب رجل من طيء، فلما سمع الأذان، قال: دعوةُ حقٍ، ثم

---

(١) لفظهما: (إذ الرجل دعا زوجته).

(٢) أخرجه الترمذي (١١٦٠)، والنسائي في الكبرى (٨٩٢٢) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٦).

استقبل تَلْعَةً من تلاعنا[١] فلم نره بعد)) ولم يؤرخ لوفاته رضي الله عنه[٢].

التنور: الفرن يخبز فيه[٣]، والمراد: وإن كانت تخبز له[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يجيء تاليًا للحديث السابق الذي يؤكد مسؤولية الرجل تجاه بيته، ومسؤولية المرأة تجاه زوجها وأولادها.. وفي ظل القيام بهذه المسؤولية المزدوجة، والرعاية المتكاملة يكون حق الزوج على المرأة أي زوجته، ولذلك تجمع الآية الكريمة بين هذين النموذجين: أنموذج الرجل القوام الراعي لأهل بيته، وأنموذج المرأة الصالحة القانتة الحافظة للغيب حيث يقول الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[٥]. أي بحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب، والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له، أو بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة، والقيام بحفظهن والذب عَنْهن.

وفي ظل هذه الرؤية الإسلامية للعلاقة الزوجية نقرأ هذا التوجيه النبوي الراشد في تحصين العلاقة بين الرجل وزوجته في كل أمور الحياة، ومن أدق هذه الأمور قضاء

---

(١) التلاع جمع تَلْعة وهي في اللغة من كلمات الأضداد، يقع على ما انحدر من الأرض وأشرف منها، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ١١٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣١٦/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٦٨، ٣٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩١/٣، ٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٥٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٧/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/٢، والسندي ٢١١/٢٦.

(٣) الوسيط في (ت ن ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١١٨٣/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٤.

الوطر المتمثل في إشباع الرغبة، وكسر حدة الغريزة، وذلك أمر محبب في الشريعة لأنه -في إطاره الشرعي- يحجب المرء عن ارتكاب الفاحشة، والوقوع في جريمة الزنا وانتهاك الأعراض، والتعدي على الحرمات، ولذلك يقول المصطفى ﷺ "وفي بضع أحدكم صدقة"[1].

والحديث في بناءه اللغوي يؤكد هذه الرغبة، حيث تكوَّن من جملتين شرطيتين: الأولى أداتها "إذا"، وهي للتحقق، وجاءت في سياق دعوة الرجل زوجته للمعاشرة الزوجية، واختيار مادة فعل الشرط "دعا"، تومئ إلى التلطف في الطلب، فالدعوة لا تكون إلا بالرفق واللين والمودة والرحمة، ولم يقل إذا أمر أو استدعى وإنما قال "إذا دعا"، فتأمل ما وراء هذه الكلمة من اللطف والرقة والإيناس ترغيبًا في الاستجابة، وقال "زوجته" ولم يقل: امرأته أو المرأة، وذلك للإشعار بضرورة توفر الأمان الشعوري والنفسي وتنامي شعور المحبة والإحساس بالتزاوج الحقيقي، والاتحاد التام بين هذين اللذين خُلقا من نفس واحدة، وإضافة: زوجته إلى الضمير العائد إلى الزوج. يؤكد أن الدعوة لا تكون لأي زوجة، وكذلك الزوجة لا تستجيب لأي رجل، وتأمل، وراء هذه الكلمة من إيحاءات وإشارات في قوله "لحاجته"، حيث لم يصرح المصطفى ﷺ باللفظ المباشر، حتى لا يفهم أن المقصد هو إشباع الرغبة الحسية فقط، وإنما هو إشباع نفسي وأمان وصْون، ومودة ورحمة، وسكن واطمئنان، ورغبة في التكاثر والتوالد، والإعفاف.

وجواب الشرط في قوله: "فلتأته" يرشد إلى ضرورة الإسراع وعدم التباطؤ أو التمنع في إجابة هذه الدعوة، ولذلك لم يقل فلتستجب له، ولم يقل: فلتلب الدعوة، وإنما الجواب يحمل الاستجابة والتنفيذ: لأن قوله "فلتأته" يدل على الحركة والسعي إلى الزوج، وتجيء الجملة الشرطية الثانية مؤكدة لهذه الاستجابة حيث يصور الرسول ﷺ أنه لابد من إجابة الدعوة حتى في أشد الحالات خطرًا وانشغالاً، فيقول: "وإن

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

كانت على التنور": أي كانت مشغولة بإعداد الطعام وغير ذلك من الأمور الحياتية، وأداة الشرط هنا "إن" وهي احتمالية لا تفيد اليقين: لأن هذه الحالة طارئة: حيث يمكن أن تكون المرأة غير مشغولة ساعة دعوة زوجها، وفي الكلام إيجاز بالحذف حيث حذف جواب الشرط في الجملة الثانية اختصارًا، لأن الجواب السابق دلَّ عليه وأرشد إليه: والتقدير: وإن كانت على التنور فلتأته.

فتأمل هذه الأسرار التي يشرق بها هذا البيان النبوي البليغ في إيجازه واستيفائه، وإحاطته بالمعنى الجميل النبيل.

فقه الحديث[1]

المضامين الدعوية[2]

(١) تم الشرح الفقهي لهذا الحديث (٢٨٤) أثناء الشرح الفقهي للحديث (٢٨١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (٢٨١).

الحديث رقم (٢٨٥)

٢٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: ((لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ، لأمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: ((حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن السجود لا يكون إلا لله عز وجل، وهو من سمات العبادة والخضوع، والطاعة والامتثال، فسجد في اللغة بمعنى: خضع؛ وقيل عين ساجدة أي فاترة، ونخلة ساجدة أي أمالها حملها.

وفي القرآن الكريم ورد فعل سجد وما يشتق منه في أربع وستين آية، يضاف إليها عشرون آية أخرى ذكر فيها كلمة المسجد، وآيتان وردت فيها كلمة مسجدًا، وست آيات ذكرت فيها كلمة مساجد، وقد أسند فعل السجود في القرآن إلى عناصر متعددة من خلق الله، كالملائكة والشمس والقمر والنجم والشجر والإنسان، وكل من في السماوات والأرض، وما في السماوات والأرض، والسجود في الآيات المتعلقة بالظواهر الكونية معناه الطاعة والخضوع لله عز وجل، وهذا المعنى هو معنى مجازي متطور عن المعنى الحسي اللغوي، وهو الانحناء والتطامن، حتى يصل الوجه إلى الأرض، وإذا ذكر السجود اليوم، فهو سجود الصلاة خضوعًا وعبادة لله عز وجل[2].

وفي ضوء هذه الآفاق الدلالية لمصطلح السجود نتأمل هذا الحديث الشريف وهو يحض الزوجة على طاعة زوجها في ظل الأعراف والتعاليم الإسلامية، ولذلك نرى

---

(١) برقم (١١٥٩) وقال: حديث حسن غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٦٢). وقال الحاكم (١٧٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٩٧).

(٢) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

الحديث الشريف يصاغ في جملة لغوية واحدة، وهذه الجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، وهذا القالب يجمل الرغبة في الإقناع: لأن المقدمة الشرطية تؤدي إلى الجواب المترتب على إنجاز الفعل الشرطي، وأداة الشرط التي جاء بها رسول الله ﷺ هي "لو" ، وهى بدلالتها لا تستطيع أداة سواها أن تؤدي وظيفتها ودلالتها وثمرتها في دقة المعنى، فهي أداة امتناع لامتناع، حيث يمتنع الجواب لامتناع الشرط، وهنا يمتنع أن تسجد المرأة لغير الله، وإنما المراد الطاعة والامتثال، وذلك من متعلقات السجود، ومن دلالاته اللغوية، وكذلك جاء أمر الرسول بعدم السجود من أحد لأحد: لأن السجود في المنظور الإسلامي لا يكون إلا لله، وصياغة الحديث تقيد هذا الامتناع عن السجود، ولذلك قال رسول الله ﷺ في إجابته لسؤال قيس بن سعد حينما قال: "أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لِمَرْزُبَانٍ لهم، فقلت: رسولُ الله ﷺ أحقُّ أن يُسْجَدَ له، قال: ((فأتيت النبي ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك. قال: أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا. قال: فلا تفعلوا، لو كنت آمرًا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق))[1].

وتأمل قوله: "لو كنت آمرًا أحدًا"، فهو أكثر احتراسًا وتقييدًا من قوله: لو أمرت أحدًا، حتى لا يقع في الظن أن الأمر بالسجود للبشر يُحتمل وقوعه، فالتعبير بقوله: "لو كنت آمرًا" يحمل دلالة عدم وقوع هذا الأمر، إضافة إلى مجيء "لو" أداة للشرط، والتعبير بقوله "أحدًا"، يفيد: أنه لا يجوز لأي إنسان مهما كانت عقيدته أن يسجد لإنسان آخر، وجواب الشرط: لا يأمر بالسجود، ولكن يوحي بضرورة طاعة الزوجة لزوجها، ومراعاة حقوقه، وحفظه في نفسها وماله وبيته، فهي راعية على بيت زوجها وولده، كما جاء في الحديث الشريف.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٢١٤٠، وقال الألباني: صحيح دون جملة القمر (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٣).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم طاعة المرأة لزوجها، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٢٧٦.

كما اتفق الفقهاء[١] على أن المرأة الناشز لا نفقة لها في مدة نشوزها، لأنها لم تقم بوفاء ما عليها، فتسقط نفقتها لأجل ذلك.

الثاني: حكم السجود لغير الله، وقد اتفق الفقهاء[٢] على أن السجود لغير الله من الأصنام والشمس والقمر، كفر يخرج به الساجد عن الملة إذا كان عاقلاً بالغًا مختارًا سواء أكان عامدًا أم هازلاً، وكذا اتفقوا على أن السجود لغير الصنم كأحد الجبابرة أو الملوك أو أي مخلوق آخر من المحرمات وكبائر الذنوب، فإن أراد الساجد بسجوده عبادة ذلك المخلوق، كفر وخرج بإجماع العلماء.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٢/٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٥٢/٣، والفروق للقرافي ١٣٢/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٥/١، والأم ٢٠٨/٥، وأحكام القرآن للشافعي ٢١٢/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٣٧/٣، والفروع، ابن مفلح ٥٨٥/٥، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٧٥/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٩/٨.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٤٥/١ وما بعدها، ورد المحتار لابن عابدين ٣٨٣/٦، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٦/١، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٢٤٧/٤، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢٩/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٨/٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١١/٢٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: الزوجات.

أولاً- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ النساء إلى عظم حق أزواجهن عليهن فقال "لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" ففي الحديث بيان أن مصلحة المرأة في طاعة زوجها، ما دامت لا تخرج عن إطار طاعة الله تبارك وتعالى، وإن قيام الداعية ببيان حق الزوج على زوجته، وإرشاد الزوجات إلى ما ينفعهن، باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى، يؤكد خيرية هذه الأمة، التي ينتصب المتخصصون من أبنائها للدعوة إلى الله امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] أي يدعون إلى الإسلام وإلى العمل بطاعة الله آمرين بطاعة الله ناهين عن معصيته[2].

وقد حث الإسلام على الدعوة إلى الخير، مبينًا أن الداعي إلى الخير له مثل أجر فاعله، فعن أبي مسعود الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أبْدع بي... أي هلكت دابتي وهي مركوبي فاحملني فقال ما عندي، فقال رجل: يا رسول الله أنا أدله على من يحمله فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[3] وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله[4]. من خلال بيان حق الزوج على زوجته حتى تستقيم الحياة الزوجية ويُعرف قدر كل فرد من أفراد الأسرة وتعرف الحقوق والواجبات.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) انظر: زاد المسير، في علم التفسير، ابن الجوزي، ٤٣٥/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته:

وقد أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث "لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" لكثرة حقوقه عليها، وعجزها عن القيام بشكرها، وفي هذا غاية المبالغة لوجوب إطاعة المرأة في حق زوجها فإن السجدة لا تحل لغير الله[١].

وقد حذر النبي ﷺ الزوجات من كفران العشير، وبيّن أن ذلك من أسباب النار واستحقاقها، فقال ﷺ في حديث طويل: «ورأيت النارَ فلم أرَ كاليوم منْظرًا قَطُّ، ورأيتُ أكثرَ أهلِها النساء، قالوا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: بكفرِهِن. قِيل: يَكْفُرْنَ بالله؟ قال: يكفُرْنَ العَشِير، ويكفُرْنَ الإِحْسَانَ، لو أحسَنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيتُ منك خيرًا قَطُّ»[٢].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: الزوجات:

وجه النبي ﷺ إرشاده في هذا الحديث إلى صنف من أهم أصناف المدعوين، ألا وهو: الزوجات قائلاً: (لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)، فلقد اهتم الإسلام بالنساء، واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣]، والمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، وكان لدعوتهن وهدايتهن عظيم الشأن، فإن هداية المرأة كسب لها وحماية للمجتمع وأخلاقه، ومنع أية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ١/١٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥١٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د.بسام العموش ص ٧٣-٧٤.

الحديث رقم (٢٨٦)

٢٨٦- وعن أم سَلَمَة رضي الله عنها ، قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((**أيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وَقالَ: ((حديث حسن)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

الشرح الأدبي

إن الحياة الزوجية لا تستقيم أمورها ، ولا تثمر بذورها ، إلا في ظل التماسك الأسري، والتعاطف الوجداني، وإحساس المرأة بواجبها الشرعي تجاه زوجها ، واقتناعها بقوامة الرجل، ووجوب طاعته فيما أحل الله، وكذلك الرجل عليه تبعات وواجبات تجاه زوجته وأولاده... وهو راعٍ ومسؤول عن رعيته في ظل القيم الإسلامية ، واتباعًا لتعاليم المصطفى ﷺ.

وفي ضوء هذا المعيار الإسلامي، والتصور الإيماني نتأمل آفاق المعنى، وأسرار الأسلوب في هذا الحديث الشريف، الذي يجعل من طاعة الزوج، ورضاه عن زوجته طريقًا ممهدًا يؤدي إلى دخول الجنة ، وتحت كلمة "راضٍ" التي تصور موقف الزوج من زوجته في حياتها وبعد موتها... نضع كثيرًا من خطوط التأمل، وعلامات التعجب، فهي كلمة تتموج وتشع بصور كثيرة، ومواقف متصلة ، ومعانٍ متعددة ، فالرضا حالة من الطمأنينة والسكون والمحبة ، لا يصل إليها الإنسان إلا بعد تجارب ومواقف حياتية كثيرة، وهذه الزوجة التي فازت برضا زوجها ، لا شك أنها قدمت له الكثير في حياتها من الرعاية ، والطاعة ، والحب والولاء ، وما أصدق الشاعر العربي جرير، حين قال في معرض رثاء زوجته وهو يصور قيمتها وعطاءها:

---

(١) برقم (١١٦١) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الذهبي في الميزان (٤/٩٥ ، في ترجمة: مُساور الحميري): فيه جهالة ، والخبر منكرٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٨٥).

عَمِـرَتْ مُكَرَمَـةَ المَـسَاكِ وَفارَقَـتْ مَـا مَـسَّهَا صَـلَفٌ، وَلا إقْتَـارُ
كانَـتْ مُكَرَّمَـةَ العَـشيرِ وَلمْ يَكُـنْ يَخْـشَى غَوَائِـلَ أُمّ حَـزْرَةَ جَـارُ

ثم يقول:

وَلَقَـدْ أرَاكِ كُـسِيتِ أجمَـلَ مَنظَـرٍ وَمَـعَ الجَمَـالِ سَـكِينَةٌ وَوَقَـارُ
وَالـرّيحُ طَيّبَـةٌ إذا اسـتَقْبَلَتِهَا وَالعِـرْضُ لا دَنِـسٌ وَلا خَـوّارُ
صَـلّى المَلائِكَـةُ الـذِينَ تُخُيّـرُوا وَالـصّالحُونَ عَلَيْـكِ وَالأبْـرَارُ[1]

وهذه الصفات الكريمة، والسجايا الحميدة هي التي تأسر الزوج، وتستولي على رضاه ومشاعره فيظل في شوق إلى زوجته، ويظل قلبه معلقًا بها حتى بعد رحيلها، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيث ظل يثنى على خديجة رضي الله عنها ويشيد بها أمام الأخريات من نسائه، وذلك لأنها صدقته، وآوته، وأمدَّته بمالها، ورزقه الله منها الولد، والحديث فيه إيجاز وبلاغة، وإيماءات وإيحاءات، فهو يتكون من جملة واحدة، وهي جملة شرطية، وأسلوب الشرط دائمًا يفصح عن قيمة الجزاء، وعن جنس العمل، والشرط هنا يتمثل في رضا الزوج عن زوجته في حياتها وبعد موتها، وهو رضا نابع من السلوك الإيماني للزوج والزوجة، وهذا الرضا يكون جزاؤه دخول الجنة، ونعيم الجنة غير محدود، وكيف يُحد؟ وفي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والشرط وجوابه صيغا في قالب الفعل الماضي دلالة على التمكن، وحصول الحدث، وثبات الأجر، فلم يقل ستدخل الجنة، وإنما قال: "دخلت الجنة"، لأن هذا وعدٌ من الله، فهو واقع وثابت لأن الله لا يخلف الميعاد.

---

(١) انظر: شرح هذه القصيدة في كتاب: جماليات النص الأدبي في ضوء القيم الإسلامية، د. صابر عبدالدايم، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٦م ص ٢٤٢-٢٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة الشرط:

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل رضا الزوج عن زوجته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

استعمل النبي ﷺ أسلوب الشرط في هذا الحديث فقال "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض" فقوله "أيما" الشرطية[1] وبين جواب الشرط بقوله "دخلت الجنة" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة المفيدة، التي تحث المدعوين وتُحفز هممهم على فعل الخير واجتناب الشرط، وهو أسلوب كثر استعماله في القرآن والسنة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث رغب النبي ﷺ الزوجة في طاعة زوجها ورضاه عنها بدخول الجنة قائلاً: "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة" لمراعاتها حق الله وحق عباده[4] وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الله، لأن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها، ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٨٩.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١/١١٨٤.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم فيقول: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١] ويقول عن رسول الله ﷺ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢]، ويقول عن رسول الله ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٣].

فرسل الله دعاة جاءوا بوحي ورسالة، وحق وهداية، فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى تبشره الرسل بالهداية، وتسره بالفوز في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عن هدي الله سبحانه أنذروه بالويل والثبور في الدنيا والآخرة، وتوعدوه وأرهبوه بعذاب الله وغضبه عليه[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل رضا الزوج عن زوجته:

في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ فضل الزوج على زوجته، وأنه سبب لأعظم بغية وأفضل رجاء، وهو دخول الجنة، فقال رسول الله ﷺ "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة" وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وصَامَتْ شَهْرَهَا، وحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وأَطَاعَتْ زَوْجَهَا دَخَلَتِ الجَنَّةَ))[٥] فبالطاعة تستقر الحياة الزوجية وتستقيم الأسرة، وينعم أفرادها ويسعدون في دنياهم وأخراهم، والواجب على الزوج أن يراعي الله في هذا الحق، فلا يأمرها إلا بما هو خير وحق، وعليه أن يتحلى بالخلق الرفيع عندما يأمر وينهى، حتى تحصل له الطاعة عن طيب نفس ورضا[٦].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٤) الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الهدف، د. توفيق الواعي ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٥) أخرجه أحمد ١٩١/١ رقم ١٦٦١، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره، (مسند أحمد ١٩٩/٣).

(٦) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ١٤٠.

ولقد أثنى الإسلام على طاعة المرأة لزوجها، وجعل ذلك مؤهلاً لها بأن تكون من خير النساء، إضافة إلى ما يتسبب ذلك في رضا الزوج عن زوجته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أي النساء خير؟ قال التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه فيما يكره في نفسها وماله))[1].

(١) أخرجه أحمد ١٥١/٢ رقم ٧٤٢١، وقال محققو المسند: إسناده قوي، (مسند أحمد ٣٨٤/١٢).

الحديث رقم (٢٨٧)

٢٨٧- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ: قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**)) رواه الترمذي[1]، وَقالَ: ((حديث حسن)).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الحور العين: هن نساء أهل الجنة، واحدتهن حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وذلك نهاية في الحسن من العين[2].

دخيل: الدخيل: الضيف والنزيل[3].

الشرح الأدبي

يعرض هذا الحديث صورة من صور التنافر بين الزوجين، وحالة من حالات النشوز والإعراض من قبل الزوجات، وكأن هذا الحديث يقدم الوجه الآخر للحديث السابق: حيث يرغب الرسول ﷺ الزوجة في السعي إلى تحقيق وإنجاز ما يرضي زوجها عنها وجزاء ذلك الجنة.

وهذا الحديث يتوجه بالتقريع إلى الزوجات اللائي لم يحرصن على رضا أزواجهن، بل يسْعين في إيذائهن، ولذلك يبشر الرسول ﷺ هؤلاء الأزواج بأن الله سيعوضهم بالحور العين اللائي يدافعن عنهم، ويدعون على الزوجات المؤذيات بقتال الله لهن.

---

(١) برقم (١١٧٤). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤/٤٧): إسناده صحيحٌ متصل. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د خ ل).

وفي كثير من سور القرآن الكريم يعد الله عباده المتقين بالحور العين، يقول الله عز وجل في سورة الطور: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1]. وفي سورة الرحمن، وسورة الواقعة، وغيرهما يتكرر هذا الوعد الإلهي الصادق.

ويبدأ الحديث الشريف بصيغة النفي في قوله: "لا تؤذي امرأة زوجها"، ولكن هذا النفي يجيء في سياق أسلوب القصْر: فهو نفي يثبت حالة من حالات الإيذاء، وطريق القصر هنا: النفي والاستثناء وذلك لتأكيد الجزاء الذي يعده الله لمن صبر على الإيذاء، ويتكرر الفعل المتضمن للإيذاء مرة أخرى في نهاية الجملة، ولكنه يجيء في صيغة النهي "لا تؤذيه" وهو نهي صادر من الحور العين دفاعًا عن ذلك الزوج الصالح، ثم بعد هذا النهي الذي جاء عقب جملة القصر للدلالة على تكرار النهي كلما تكرر الإيذاء تجأر الحور العين بهذه الجملة الدعائية، "قاتلك الله" حيث تدعو الحور العين على هذه الزوجة المؤذية لزوجها بأنها سيقاتلها الله، وكأنها حين نشزت وأعرضت وآذت زوجها خرجت عن طاعة ربها، وقيل إن صيغة المفاعلة في هذه الجملة الدعائية للمبالغة لأن المرأة المؤذية لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله، صارت كالمقاتلة له تعالى!!!.

ولفظ الإيذاء أو الأذى يحمل كل ألوان النفور والنشوز، وعدم الطاعة وعدم الرضا ويؤدي إلى القلق والحزن والتقلبات النفسية، والتموجات الغضبية، فيصبح الإنسان كالموج لا يستقر على حال، وفي اللغة الأذي هو الموج وكذلك البعير يقال له: أذٍ: وهو الذي لا يقر في مكان بلا وجع ولا مرض، وهذه حالة تتطابق مع حالة الزوج المؤمن الذي آذته زوجته فصبر واحتسب، ولذلك يكافئه الله عز وجل، والحور العين من نساء الجنة، والحور: جمع حوراء: وهي الشديدة بياض العين: الشديدة سوادها، ويتكرر أسلوب القصر في الحديث في هذه الجملة: فإنما هو عندك دخيل وهذه الجملة من كلام الحور العين، وهى توحي بأن الزوج في ضيافة زوجته، وبأن الحياة قصيرة، ويجب أن يجملها الزوجان، وأن يجعلا منها بستانًا من المحبة والسعادة، والرضا والقناعة،

---

(١) سورة الطور، آية: ٢٠.

والتعبير بالمضارع في ختام الحديث في قول الحور العين على لسان رسول الله ﷺ "يوشك أن يفارقك إلينا"، يوحي بقصر الحياة ويرشد إلى ضرورة إكرام الزوجة لزوجها، وعدم إيذائه، والتعبير بقوله: "يفارقك إلينا" بعد فعل المقاربة الذي يفيد الدنو والإسراع، فيه تهديد ووعيد لهذه الزوجة التي لم ترع زوجها، ولم تحرص عليه، بأن الفراق وشيك، وأنه سينتقل إلى نعيم مقيم، وثواب عظيم، حيث يكون مع الذين أنعم الله عليهم "في جنات النعيم" حيث يقول عز وجل: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحصر والقصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته.

رابعًا: من مهام الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم.

خامسًا: من أصناف المدعوين: النساء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحصر والقصر:

ورد في الحديث استعماله ﷺ النفي والاستثناء، واجتماعهما الذي يفيد الحصر والقصر فقال ﷺ "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجه من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله" أي لا يقع إيذاء من امرأة لزوجها في الدنيا إلا دعت عليها زوجته من الحور العين قائلة قاتلك الله.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث رهب النبي ﷺ في الحديث من إيذاء الأزواج الذي يكون سببًا في دعاء زوجته من الحور العين على تلك المرأة التي كانت سببًا في إيذاء زوجها، ومن الشواهد

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٧-٢٢ .

على ذلك في الحديث الذي نحن بصدده ما ورد في قوله ﷺ: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجه من الحور لا تؤذيه قاتلك الله" أي قتلك أو لعنك أو عاداك، وقد يرد للتعجب كتربت يداك[1] وقال ابن علان: "قاتلك الله" جملة دعائية، والمراد من المفاعلة فيه أصل الفعل، وعبر بها للمبالغة، وأنها لما فعلت ذلك وتعرضت لعقوبة الله صارت كالمقاتلة له فعبر بذلك[2].

ووردت أحاديث عدة ترهب المرأة من إيذاء زوجها أو عصيانه فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إذا دعا الرجل امرأتَهَ إلى فِراشه، فأَبت أن تجِيءَ، لَعَنَتْها الملائكة حتى تُصبح))[3] وفي رواية للبخاري أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ ((إذا باتَتِ المرأةُ مُهاجرةً فِراشَ زوجها لَعَنَتْها الملائكةُ حتَّى ترجعَ))[4]؛ (فالترهيب أسلوب دعوى ناجح يعالج النفس البشرية، وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ومن خلال أسلوب الترهيب، يمكن للداعي عرض الدعوة إلى الله عرضًا يجذب الناس حول الحق، خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الزوج على زوجته:

للزوج الصالح حق على زوجته، ذكر النبي ﷺ ما يؤكد هذا الحق من خلال ما يترتب على إيذاء الزوجة لزوجها في قوله ﷺ "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك" وحق الزوج على زوجته ليس بالشيء الهين، فلا ينبغي الاستهانة به، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بابنة له فقال يا رسول الله هذه ابنتي

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١١٨٩/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري، ٥١٩٣.

(٤) أخرجه البخاري، ٥١٩٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود ٢٣٢/١.

قد أبت أن تتزوج، فقال لها النبي ﷺ أطيعي أباك، فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فقال النبي ﷺ "حق الزوج على زوجته أن لو كانت قَرْحةٌ فلحستها ما أدت حقه" قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبدًا فقال النبي ﷺ ((لا تَنْكِحُوهُنَّ إلا بإذْنِ أَهْلِهِنَّ))[1].

لذا بات معلومًا في الذهن أنه يجب على المرأة المسلمة أن تطيع ربها، ثم تطيع زوجها وتقوم بحقه بالمعروف وأن تحفظ ماله وسره وفراشه[2] إلى غير ذلك مما أوجبه الشرع عليها.

رابعًا- من مهام الداعي: تحذير المدعوين مما يضرهم:

يحذر النبي ﷺ المرأة المسلمة من إيذاء زوجها فيقول: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله" دعاء عليها، وأنّى لها بمعاداة الله وتحمل غضبه، لذا كان من مهام الداعي تحذير المدعوين من مكامن الخطر والإلقاء بالنفس إلى موارد التهلكة.

خامسًا- من أصناف المدعوين: النساء:

في هذا الحديث وجه النبي ﷺ دعوته إلى معشر النساء، يحذرهن من إيذاء أزواجهن، أو التفريط في حقوقهم، مبينًا لهم ومحذرًا لهن من عاقبة ذلك "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا"، والعناية بدعوة النساء وخطابهن عناية بالدعوة وعناية بالمجتمع كله، لذا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ورد فيها الخطاب الدعوي الموجه للنساء، لما لذلك من أهمية، ولما للمرأة من دور اجتماعي وتربوي كبير في المجتمع، فهن راعيات الأطفال ومربيات الأبناء وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم[3]، ومن هنا يتبين لنا أهمية النظر بعين الاعتبار للنساء بأنهن من أصناف المدعوين الذين لا يستهان بهم.

---

(١) صحيح ابن حبان، ٤١٦٤، وقال محقق الحديث: إسناده حسن، ٤٧٢/٩.

(٢) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١٣١/١.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣ - ٧٤.

ولقد أوضح القرآن أن الرجل والمرأة في التكليف والثواب والعقاب سواء، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وفي هذا البيان دلالة على أن أحكام الإسلام يستوي فيها الرجال والنساء، ما عدا ما خصصه الدين بأحد الصنفين[2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٧٣/١٤/٦.

الحديث رقم (٢٨٨)

٢٨٨- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

الشرح الأدبي

إن الحياة تموج بألوان الفتن، والإنسان محاصر فيها بحب الشهوات، ومتعلق بزينتها وبما تتْضح من مغريات وأهواء ومرغبات: من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

والحياة الدنيا في كمال زينتها، وفي قمة إغرائها لعب ولهو وزينة وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد، وهي في هذه الزينة الخادعة كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرًا، ثم يكون حطامًا....!!!! وفي الآخرة عذاب شديد، ومغفرة من الله ورضوان.

إن هذه الفتن المائجة بكل أنواع الشهوات تتصدرها فتنة النساء، فهي كما أخبر المصطفى ﷺ أكثر إضرارًا على الرجال من أي فتنة أخرى، لأن الافتتان بالنساء أشد منه بغيرهن من أنواع الفتن الأخرى.

وهذا الحديث لا يدعو إلى كراهية النساء، ولا إلى عداوتهن، ولا يقدح في طبيعتهن وخلقهن وإنما يدعو إلى التوازن في التعلق بهن، وعدم الانشغال بهن انشغالاً يؤدي بالإنسان إلى التهلكة، ويوقعه في الحرام، وتعطيل حدود الله، وفروضه وواجباته.

والحديث من البيان النبوي الموجز الذي يشع بدلالات كثيرة، ويرشد إلى آفاق سلوكية، ودروس اجتماعية تهدي الحيارى، وترشد السائرين، وتنقد السادرين في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠/٩٧) واللفظ له.

غواياتهم، والغارقين في شهواتهم وضلالاتهم، فهو ينبه ولا يسفه، ويفتح أبواب النجاة،ولا يغلق منافذ التمتع بالحياة، في ظل القيم المرتضاة، والتعاليم المرتجاة، والسلوكيات المبتغاة.

والحديث حين نتأمل بناءه اللغوي نجده يتكون من جملة واحدة، لا يكتمل المعنى إلا بعد قراءتها كاملة.

والتعبير بالماضي في قوله عليه الصلاة والسلام "ما تركت بعدي" والعدول عن التعبير بالمضارع يرشد إلى أن هذه حقيقة كائنة وماثلة، وفي ذلك تحذير لكل رجل، وللمؤمنين خاصة من الاستغراق في خضم فتنة النساء: لأنها من عين الشهوات، وهي الأصل في تكاثر كل أنواع الفتن، والتعبير بقوله "بعدي"، يوحي بأنَّ هذا التحذير الضمني موجه إلى المسلمين خاصة، وفيه كذلك إشارة إلى أن كل رجل بالغ عاقل مكلف عليه أن يدخل في دين الإسلام، وأن يحذر من التردي في حمأة فتنة النساء.

ولفظ: الفتنة من الألفاظ ذات الدلالات المتعددة.. وكلها تتجمع كحزمة الأشعة المكثفة، وتتوهج بكثير من المعاني التي تتوافق مع ما يقصد إليه رسول الله ﷺ من الإشارة إلى أنواع الفتن وفي صدارتها النساء، فالفتنة هي المحنة والابتلاء، والجمع فتن وأصلها من قولك: فتنت الذهب والفضة، إذا أدخلتهما النار لتمييز الجيد من الرديء، والفتن في اللغة: الإحراق، ومنه قوله سبحانه: ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾[1].

ومن معاني الفتنة ودلالاتها: الضلال والإثم والكفر والفضيحة والعذاب وإذابة الذهب والفضة، والإضلال والجنون والمحنة والمال والأولاد، واختلاف الناس في الآراء، ويقال: فتن إلى النساء، أي أراد الفجور بهن، والفتَّان اللص والشيطان"[2]. فهذه المفاهيم اللغوية تتضمن كثيرًا من أنواع الفتن.. وفي مقدمتها فتنة النساء، ولذلك جاءت كلمة فتنة في صيغة النكرة، إشارة إلى ألوان الفتن الأخرى فهي ليست الفتنة الوحيدة، ولكنها أشدها ضررًا وقوله: "هي" لمزيد من التحديد والتخصيص، والتعبير بأفعل

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٣ .

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ف ت ن).

التفصيل في قوله: "أضر" يفصح عن خطورة الانزلاق في مهاوي هذه الفتنة، والتعبير بـ"على" يفيد تحكم هذه الفتنة، واستعلاء ذلك الضرر، ووقوع الرجال في قبضته، وقوله: "الرجال" فيه تعميم، ولم يخصص الضرر بالمؤمنين أو المسلمين، لأن هذه فطرة يشترك فيها الناس جميعًا، وعليهم أن يقاوموا هذا الجموح حتى لا يصيبهم الهلاك، وقوله "النساء": إشارة إلى أن الفتنة قد تكون بما لا يحل للإنسان، ولم يقل الزوجات!!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، التحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطر الفتنة بالنساء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بفتنة الرجال بالنساء من بعده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، الحذر:

أ- **الإخبار:** حيث أخبر النبي ﷺ في الحديث بضراوة الافتتان بالنساء، وذلك على سبيل التحذير قائلاً: "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" وإخبار الداعي المدعوين بمكامن الخطورة وموارد التهلكة، يجعلهم آخذين للحيطة، نائين بأنفسهم عن التهلكة وأسبابها.

ب- **التحذير:** فهذا الحديث في معناه يحمل معنى التحذير الذي وجهه النبي ﷺ إلى الرجال من فتنة النساء، والتحذير بمعنى التخويف، يقصد بذلك التيقظ والاستعداد وأخذ الحذر[1].

وقد أمرنا الله بأخذ الحذر والحيطة في الأمور عامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[2]، وحذرنا من مخالفة الأمر الشرعي سواء في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْ﴾[3]، وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ

---

(١) انظر: المعجم الوسيط ١٦٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان خطر الفتنة بالنساء:

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث خطر الفتنة بالنساء فيقول ﷺ: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء" ففيه أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن[٢] وقد ذكرها الحق تبارك وتعالى في مقدمة الشهوات التي زينت للناس ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٣].

قال ابن الجوزي: (وهذه الأشياء المذكورة قد تحسن نية العبد بالتلبس بها، فيثاب عليها، وإنما يتوجه الذم إلى سوء القصد فيها وبها[٤]، فإذا قصد سوء القصد كانت فتنة وضررها واضح جلي، وقال ابن حجر في قوله: ("زين للناس حب الشهوات من النساء" فجعلهن -أي النساء- من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع، إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك. وقد قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن، وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهم، ومع أنها ناقصة عقل ودين، تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين، كشغله عن طلب أمور الدين، وحمله على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد[٥]. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٦] أي أن هذه الأشياء تفتتن بها النفس، ويجري

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٤) زاد المسير في علم التفسير ٣٦٠/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٩.

(٦) سورة التغابن، الآيتان: ١٤ - ١٥.

عليها البلاء إذا أوثروا على محبة الحق، والله عنده أجر عظيم لمن آثر طاعة الله ومحبته على ما دونه، وأدى حق الله في الأموال[١] وما طلب منه تجاه الأزواج والأولاد.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بفتنة الرجال بالنساء من بعده:

إن ما يستنبط من هذا الحديث خصوصية النبي ﷺ في إخباره بما سيحدث من بعده من افتتان الرجال بالنساء وخطر ذلك، ففي الحديث يتجلى بعض ما اختص به النبي ﷺ بالإخبار ببعض ما يحدث بعده، ومن ذلك شدة خطورة افتتان الرجال بالنساء "ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء" فمن معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما اطّلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء لا يعلمون الغيب ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٣] إلا أنه قد جاءت أدلة تفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم[٤]. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٥]، قال القاضي عياض: ((وهذه المعجزة من جملة معجزات الرسول ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب))[٦].

---

(١) انظر محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٩/١٦/١٨٥، ١٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ١/٥٤٢، ٥٤٣.

(٥) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٦) كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، ١/٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

يحرض الرسول ﷺ على إقامة توازن في العلاقات بين الزوجين، وقد مضى الحديث عن مسؤولية الرجل تجاه المرأة ودوره في رعايتها وعنايتها وحسن التعامل والتعاون معها.

وفي هذا الباب يظهر الرسول ﷺ حق الرجل على امرأته، فذكر الكثير مما ينبغي القيام به. وقد راعى في هذه الحقوق غيرة الرجل وحرمة المرأة ونزغ الشيطان وقالة السوء. ومن المضامين التربوية ما يلي:

أولاً- التربية على أداء الحقوق:

إن التربية على أداء الحقوق دعوة لتقويم سلوك الإنسان وضبط حركته في حياته للتنشئة على هذه الروح الطيبة، لذلك اهتم الرسول ﷺ، بتربية النساء على معرفة حقوق أزواجهن وأدائها، وتربية النفس على التقرب إلى الله تعالى بطاعة الزوج وأداء حقوقه، ومن الشواهد في التربية على أداء حق الزوج ما جاء في أحاديث الباب من حث الزوجة على أداء حقوق زوجها، قال ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». وقال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ ...». وقال: «لا يَحِلُّ لامرَأَةٍ أن تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بإذنِهِ، ...» فهذه توجيهات تربوية لتربية المرأة على أداء حق زوجها وطاعته طمعًا في رضوان الله تعالى فضلاً عن دور هذه التربية في تقوية العلاقة الوثيقة بين الرجل وزوجته، مما ينعكس انعكاسًا إيجابيًا مباشرًا على أفراد الأسرة، ويعمل على حمايتها من الأسباب التي يمكن أن تصدع تماسكها، لأن من أهم وأبرز عوامل التفكك الأسري تساهل الزوجين أو أحدهما في حقوق الآخر مما يؤدي إلى ظهور الخلافات الزوجية، لذلك وضع الإسلام الأسس الزوجية لكي يأخذ منها التوجيهات التربوية الذي تربى في الزوجة معرفة حق زوجها[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٢٥. موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو غدير ص ٢١٥.

ثانيًا- التربية بالترهيب والترغيب:

إن من أساليب التربية الإسلامية الهادفة الترغيب والترهيب، ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب في التربية لما له من الأثر الكبير، وأحاديث الباب تدل على ذلك، فلقد قال رسول الله ﷺ في معرض الحديث عن حق الزوج على زوجته: "فلتأته وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ»، وقال: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً، هِيَ أَضَرُّ، عَلَىٰ الرِّجَالِ، مِنَ النِّسَاءِ». فهذه نماذج تربوية أراد النبي ﷺ إبراز الترهيب كأسلوب تربوي مؤثر لتغيير بعض السلوكيات الخاطئة، وذلك لأن الترهيب فيه من الوعيد عقوبة أو حرمان منفعة، ولذا أبرز النبي ﷺ هذه النماذج التي تدل على الترهيب لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره، وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب أوامر التكليف، فيمتنع عما نهى عنه ويعمل بما أمر به، مما يجعل للترهيب أثراً في سلوكه ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترهيب أثر تربوي متمثل في عامل الخوف، كما أراد النبي ﷺ إبراز الترغيب أيضًا كأسلوب من أساليب التربية من خلال التوجيهات التربوية التي ذكرها النبي ﷺ في معرض الحث على طاعة الزوجة لزوجها، وهذا الثواب العظيم المترتب على تلك الطاعة، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ، دَخَلَتِ الْجَنَّةَ». وهذا مما يجعل المرأة المؤمنة تتوق نفسها إلى الجنة، فتحرص على السلوكيات التي تؤهلها لذلك من خلال طاعتها لزوجها ومراقبة الله تعالى في ذلك، وكذلك حسن رعايتها لبيتها وأولادها، إن الترغيب فيه تحريك للدوافع الخيرة وتنشيطها بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، وهناك فائدة هامة في هذا المضمون وهي أن على المربي أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم بينها فلا يغلب أحدهما على الآخر[1].

ثالثًا- التربية على تحمل المسؤولية:

التربية على تحمل المسؤولية من أساليب التربية الإسلامية الصادقة والتي تهدف إلى تربية الجيل وإعداده، والرسول ﷺ جعل جميع أفراد المجتمع مسؤولين فيه ومكلفين

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. الحازمي ص ٣٩٣. أصول التربية الإسلامية، د. عزب ص ٢٦٣.

بواجبات حيث قال: «كلُّكم راعٍ ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِه... والمَرْأَةُ رَاعِيةٌ عَلى بَيْتِ زَوْجِها وولَدِهِ ...»، فهذا نموذج تربوي أراد النبي ﷺ أن يبرز فيه كيفية تحمل المسؤولية وتقسيم أدوارها، وذلك من باب التربية على الحرص على كل ما هو نافع. وذلك أن إشراك الجميع في تحمل المسؤولية من شأنه أن يشعر كل فرد فيهم بأن عليه دورًا مهمًا يجب أن يحرص على أدائه بكل أمانة، ويجعلهم يندفعون ذاتيًا نحو العمل، والإصلاح، وتلافي الخطأ والانحراف، وفي ظل هذا التوجيه التربوي النبوي تتحدد المسؤوليات، ويزداد التنافس الشريف في العطاء والبذل، وإتقان العمل فيكون المجتمع الإسلامي أعظم قابلية للنمو والتجديد، حيث يتحمل كل فرد من أفراد الأسرة، وكل فرد من أفراد المجتمع دوره الخاص به، ويجتهد في القيام به بالصورة الجادة المناسبة، وبعيدًا عن أي تخاذل، إلا أن للمسؤولية ضوابط تتلخص في أهلية التصرف، العلم الذي يقتضي التميز بين الحق والباطل، والإرادة، وهي القصد والنية دون إكراه أو اضطرار، والاستطاعة للقيام بهذه المسؤولية[1].

رابعًا- التربية بتهذيب اللسان في التعبير عن المعاني الصريحة:

من أهداف التربية الإسلامية تهذيب اللسان والتعبير عن المعاني الصريحة التي يستحيا من ذكرها صراحة بالألفاظ المناسبة، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب حق الزوج على زوجته قوله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، ...». وقال: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، ...». وقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى ...». وقوله: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ ...» هذه توجيهات نبوية للتعود على تهذيب اللسان في الحديث عن العلاقة الزوجية، فقد عبّر النبي ﷺ عنها بكلمة "الفراش" أو "حاجته"، وهذا أدب نبوي تربوي عال ومتميز، لتهذيب الألسنة في التعبير عن المعاني التي يستحيا منها، ولغرس العفة في الألفاظ،

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٢٩٩، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة، د. مانع بن محمد المانع ص ٩٩. التربية الذاتية في الكتاب والسنة، إعداد. هشام على أحمد ص ٥٦.

وتعويد الزوجين والناشئة على ذلك لأن هذه عورات فلا ينبغي الحديث عنها صراحة لأن النبي ربى الصحابة على التزام الستر وإحاطة تلك العلاقة بنوع من السرية التي تتناسب مع حساسيتها، لأنها أمانة عظيمة، ومخالفتها تعد ندالة وانعدام نخوة تستوجب عقاباً شديداً، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»(١).

فهذا التوجيه التربوي يدعو إلى عدم الحديث عن الأمور الجنسية ولا الأمور الشخصية في زوجته ولو حدث لكان عيبًا كبيرًا في رجولته، ولذلك امتدح الله تعالى الزوجات الحافظات لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه، قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾(٢).

فهذه دعوة إلى تهذيب اللسان في التعبير عن المعاني الصريحة في العلاقات الزوجية وعدم الحديث عنها، وليس كما يحدث الآن في وسائل الإعلام من حديث الأزواج صراحة عن علاقتهم مع زوجاتهم(٣).

خامسًا- التربية الخلقية:

لقد قال رسول الله ﷺ: "ما تركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرجال من النساء" وهذا الحديث يدخل ضمن التربية الوقائية التي تهدف إلى حماية المجتمع المسلم من الوقوف فيما هو مكروه وضار له، وذلك من خلال تحذير المسلمين من الفتن والمخاطر التي تحدق بهم، مثل فتنة النساء وبقية الشهوات.

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري، ٨٣١ ص ٢٤٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان وآخرين ٢٧/ ٤٠.

٣٦- باب النفقة على العيال

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾[الطلاق: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾[سبأ: ٣٩].

الحديث رقم (٢٨٩)

٢٨٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينار أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رقبة: الرقبة: العبد أو الأمة[2]، أي: أعتقت به عبدًا أو أمةً[3].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأول في باب "النفقة على العيال" وهو يفتح آفاق التعاون على البر والتقوى، ويعدد مجالات الإنفاق، وذلك من شأنه أن يؤكد قيمة التكافل الاجتماعي بين طوائف المجتمع، ويحدث تقاربًا وتماسكًا بين أفراد الأمة، وتراحمًا وتعاطفًا بينهم، وقد صدق الشاعر العربي حين قال:

---

(١) برقم (٩٩٥/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٧٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٧.

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ فطالَما استعْبدَ الإنْسانَ إحسانُ

وهذا التعاطف والتراحم الذي يدعو إليه الحديث يتضح في ضوء الدعوة القرآنية في آيات كثيرة، ومنها قوله عز وجل: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[1].

وفي ضوء الترغيب في الإنفاق، تأتي هذه الدعوة الكريمة من رسول الله ﷺ إلى التكافل بين أبناء الأمة حتى يتألفوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا..؛ في ضوء هذا نتأمل صياغة الحديث الشريف. وهي صياغة دقيقة لا مجال فيها للتصوير الفني.. ولا التأنق البياني، ولكن على الرغم من ذلك فإن أسلوب الحديث الشريف جمع بين دقة الدلالة، وحسن الترغيب في الإنفاق على المحتاجين، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في هذا الحديث، حسن التقسيم، حيث يتضمن الحديث خمس جمل، والأربع الأولى كلها تبدأ بلفظ واحد وهو "دينار"، وهو المبتدأ الذي به تفتتح الجمل الأربع، ثم بعد هذا المبتدأ تأتي جملة الخبر، وهي تبدأ في ثلاث جمل بالفعل "أنفقته" وفي جملة واحدة يقول "تصدقت به"، وهذا التقسيم وذلك التجانس في بناء الجمل، هو صورة لما يهدف إليه الحديث من تجانس أفراد الأمة، وتوحد مشاعرهم في ظل هذا التعاطف الذي ينبع من قيمة الإنفاق، وثمرة التصدق، وكسر الحواجز بين الأغنياء والفقراء، فالتجانس اللغوي في الحديث يؤدي إلى التجانس الاجتماعي.

والبدء بالنكرة في قوله "دينار" جائز، ومسوغه يتفق مع مقاصد الحديث، وهو إرادة التنويع: أي تنويع مصادر الإنفاق وجهاته، والدينار ليس مقصورًا لذاته بقيمته العددية، وإنما هو رمز لكل ما ينفقه من مال، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي تكرار لفظ "دينار" أربع مرات، وذلك للترغيب في الإنفاق والحث عليه، والدينار ليس مقصودًا لذاته بقيمته العددية، وإنما هو رمز لكل ما ينفق من مال، ولا حدَّ لذلك حسب القدرة المادية للمنفق، وحسب المشروع الذي ينفق عليه، وهي متنوعة ومنها في سبيل الله، وفي

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٧.

دائرة ذلك يتنوع الإنفاق وتتعدد آفاقه، ومنها الإنفاق في تحرير الرقاب من الرِّق، أو بعض الأجراء والخدم، الذين يتعرضون للتعذيب والقسوة، وتكرار الفعل "أنفقته" أربع مرات في صيغة الخطاب الموجَّه إلى كل مسلم منفق متصدق، يؤكد هذا المنهج الترغيبي الذي يحرص عليه رسول الله ﷺ، وفي مجال الترغيب في الإنفاق على المسكين قال: "تصدقت به"، ولم يقل: أنفقته، لأن المسكين لا تجب النفقة عليه، وإنما تجب له الزكاة، أما عتق الرقبة، والإنفاق في سبيل الله، والإنفاق على الأهل، قد يكون واجبًا في مواقف كثيرة حسب ما قاله الفقهاء في هذه المجالات، وأسلوب الحديث ينزع إلى التشويق، حيث لم يقدم الغرض تقديمًا مباشرًا: وهو الإنفاق على الأهل، ولكنه عدَّد أوجه الإنفاق، حتى يفتح المجالات أمام المتصدقين.

وفي النهاية أصدر الحكم، وأبان عن المقصد المراد فقال: "أعظمها أجْرًا الذي أنفقته على أهلك"، والنفقة: المراد بها: سائر المؤن من كسوة ونفقة وسكن، وسميت بذلك إما لذهابها بالموت، وإما لرواجها من نفقت السوق أو من نفق البيع: أي كثر طلابه، وإما لنفادها من نفق الزاد: إذ ذهب لأنه عرضة للنفاد[1].

فقه الحديث

يشير هذ الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم النفقة وأسبابها، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن النفقة تجب بأسباب ثلاثة هي: الزوجية، والقرابة، والملك (الرق).

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩١، ٤٩٢.

(٢) المبسوط للسرخسي ١٨٠/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٥/٤، ومجمع الأنهر ٤٨٤/١، وتبين الحقائق ٥٠/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٨، والتهذيب ٣٢٠/٦، والعزيز شرح الوجيز ٣/١٠، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

الثاني: حكم الإنفاق على الجهاد في سبيل الله وقد اتفق الفقهاء[١] على أن الجهاد كما يكون بالنفس يكون بالمال، فمن لم يستطع أن يجاهد بنفسه، ويخرج للقتال يستطيع كسب مثل أجر المجاهد، بإنفاقه في سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل، ومعاونة المجاهدين في سبيله، بالإنفاق على أهليهم بعد خروجهم للجهاد.

الثالث: النفقة في سبيل الله، وقد اختلف الفقهاء في المقصود بسبيل الله، فذهب الفقهاء وعامة المفسرين إلى أن المقصود بسبيل الله الطرق الموصلة إلى الله، ويشمل جميع القرب إلى الله، إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الجهاد لكثرة استعماله فيه في القرآن، وقال بعض الحنفية سبيل اله طلبة العلم، وقال محمد بن الحسن إنه الحاج المنقطع[٢]، وقيل غير ذلك.

الرابع: حكم الإنفاق في عتق الرقاب، وقد أجمعت الأمة على مشروعية عتق الرقاب، وأنه من الأمور التي يحصل بها القربة إلى الله تعالى، وقد نقل ابن قدامة هذا الإجماع[٣].

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٩٩/٧، والبحر الرائق لابن نجيم ٨٩/٥، ومواهب الجليل للحطاب ٣٤٧/٣، ومغنى المحتاج للشربيني ١٩/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد للبهوتي ٣٦/٣، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦١٨/١.

(٢) المبسوط ٢٠٣/٢، ودرر الحكام ١٨٩/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٣/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٥٤/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٨/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٣٩٨/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٥٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٣/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٧/٢٤ وما بعدها.

(٣) المبسوط ٦٠/٧ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ٤٤٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٣٤/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٨/١٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٩٣/٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٥/٢٩.

الخامس: حكم الإنفاق على المساكين، وقد ذكر الفقهاء[1] على أنه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين، وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من مهام الداعي: الدلالة على أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة ترتيب الأولويات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الترغيب في النفقة على الأهل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب في الحديث فأخبرنا بأن خير ما ينفقه الإنسان وأعظمه أجرًا ما ينفقه على أهله فقال: "دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك"، وإخبار الداعي بأعمال الخير وأفضلها، يجعل المدعو أكثر حرصًا عليها وتحصيلاً لها، كما أن إدراكه لمكامن الخطر وموارد التهلكة، يجعله أكثر حذرًا منها وابتعادًا عنها.

ثانيًا- من مهام الداعي: الدلالة على أبواب الخير:

في هذا الحديث يبين النبي ﷺ عددًا من أبواب الخير والإنفاق والأفضل منها، فيذكر الإنفاق في سبيل الله، والعتق، والصدقة، والإنفاق على الأهل، ويبين أن أفضل

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٤٣٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

ذلك كله الإنفاق على الأهل فقال: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرًا الذي انفقته على أهلك"، وإن دلالة الناس على الخير من أهم ما يضطلع به الداعية من مهام قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1] أي يدعون إلى الإسلام[2]، أصوله وفروعه، وشرائعه، ويأمرون بالمعروف وهو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً، وينهون عن المنكر، وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً وأولئك هم المفلحون، ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بشعائر الدين، فكل من دعا الناس إلى خير، أو قام بنصيحة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة[3].

في هذا الحديث بين النبي ﷺ وذكر أبوابًا من فعل الخير والإنفاق، ثم بين أن أعظم هذه الأبواب أجرًا هو الإنفاق على الأهل فقال "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" فالواجب على الإنسان أن يقدم الأهم على المهم، فالحديث بين فضل الإنفاق على الأهل على غيرهم، لأن الإنفاق على الأهل فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية، وفرض العين أفضل ومقدم على فرض الكفاية؛ فالواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو محتم عليه، ثم بعد ذلك ما أراد من التطوع[4].

لذا ينبغي على المسلمين عامة الاهتمام بترتيب الأولويات دعاة ومدعوين، ويتضح ذلك جليًا في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((إن أول ما أنزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٢/٤/٨٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٦٧٨.

شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدًا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدًا))[١]. وقد أشارت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلى الحكمة في ترتيب التنزيل وأن أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل:

أشار النبي ﷺ في الحديث إلى فضل النفقة على الأهل مبينًا عظيم أجره على غيره فقال "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" والنفقة على الأهل وتعهدهم من الأمانات التي اؤتمن الإنسان عليها قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[٣] فالأولاد والزوجات أمانات عند الأزواج والآباء، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفهم عن جميع المضار والمفاسد[٤]. والإنفاق على الأهل يشمل جميع المؤن من النفقة والسكن والكسوة على من يعول من زوجة وولد وخادم وهي مقدرة بالكفاية[٥]؛ بل إن الإسلام ليعتبر النفقة على الأهل إذا احتسبت صدقة فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً))[٦] حتى مجرد اللقمة يرفعها إلى فم زوجته صدقة، فعن سعد بن أبي وقاص من حديث طويل قال رسول الله ﷺ: ((وإنكَ لن تُنفِقَ نفقةً تبتغي بها وَجَه الله إلاّ أجرتَ بها، حتَّى ما تَجعَلُ في فِي امرأتِكَ))[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٤) انظر: الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٦٧.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣/٥٩٨.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٠٢.

(٧) أخرجه البخاري ١٢٩٥.

خامسًا- من أهداف الدعوة: الترغيب في النفقة على الأهل:

يتضح ذلك من خلال ترغيب النبي ﷺ في النفقة على الأهل، حيث أمر بتقديمهم على غيرهم، وذلك استصحابًا لفقه الأولويات، وتقديم الواجب على غيره فقال: "أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك" فبهم البدء ولهم الأولوية على غيرهم، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا ((فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ))[1] وحذر الإسلام من التقصير في النفقة على الأهل، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بالمرءِ إثْمًا أن يُضيع مَنْ يَقُوتُ))[2] أي من تلزمه نفقته من أهله وعياله، وقال الخطابي: (يريد من يلزمه قوته، والمعنى كأنه قال للمتصدق لا يتصدق بما لا فضل فيه عن قوت أهله يطلب به الأجر فينقلب ذلك الأجر إثمًا إذا أنت ضيعتهم)[3] وقال بكر بن عبدالله: (نفقة الرجل على أهله في كفة الميزان اليمنى، وكفة اليمنى في الجنة، وكان أبو قِلابَة يقول: أيُّ رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيالٍ صغارٍ، فيعفهم وينفعهم الله تعالى ويغنيهم به)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٩٧.

(٢) أخرجه أبي داود ١٦٩٢، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٤).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٧٧٠.

(٤) موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٦٤.

الحديث رقم (٢٩٠)

٢٩٠- وعن أَبي عبد الله، ويُقالُ لَهُ: أَبو عبد الرحمان ثَوبَان بن بُجْدُد مَوْلَى رَسُول الله ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفقُهُ[1] عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبيلِ الله، وَدِينارٌ يُنْفقُهُ عَلَى أصْحَابِهِ فِي سَبيلِ اللهِ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

مولى: خادم[3].

الشرح الأدبي

تتعدد وجوه البيان النبوي، وتتوهج بالمعاني السامقة في كل وجه من هذه الوجوه البيانية، وعلى المسلم أن يقتبس من أساليب المصطفى ﷺ ما يضيء له الطريق، وعليه أن يهتدي بنور الهدي النبوي، وأن يسير في إشعاعاته التي تتألق بالتوجيهات الإلهية، والمعاني القرآنية.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث، ونوازن بينه وبين الحديث السابق، نرى أن هذا الحديث يبدأ بأفضلية الإنفاق على أهل الرجل وعياله، ثم الإنفاق على الدابة في سبيل الله، ثم الإنفاق على الأصحاب الذين نذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، أو نشر الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء المعمورة، أما الحديث السابق فقد نهج مسلكًا بيانيًا آخر وهو: التشويق، رغبة في الوصول إلى قمة التأثير والأفضلية حين

---

(١) عند مسلم زيادة: (الرجل). وهي لا توجد عند المنذري.

(٢) برقم (٣٨/٩٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (و ل ي).

ختم الحديث بالإنفاق على الأهل وقال: إنه أعظم وجوه الإنفاق أجرًا، وليست في بيان رسول الله ﷺ طريقة بيانية أفضل من أخرى، وإنما سياق الحديث هو الذي يعطي للنهج الأسلوبي مذاقه، حسب القاعدة البلاغية التي استنبطها العلماء من أساليب العرب: لكل مقام مقال، ومراعاة مقتضى الحال، وقد وصف الجاحظ كلام النبي ﷺ بأنه الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، ويبين الخطب الطوال، بالكلم القصار.

والحديث يبدأ بأفعل التفضيل، والمادة اللغوية نفسها وهى "فضل" تجسد المعنى المطلوب: فالأفضلية هنا تقدمها الصياغة ، ويجسدها الجذر اللغوي، وهما يقدمان جوهر المعنى الذي أراده رسول الله ﷺ، والأفضلية تبدأ بالإنفاق على الأهل، وقيل بأن الأفضلية تشمل الأنواع الثلاثة التي فصَّلها رسول الله ﷺ في الحديث، وهذا لا يلغي أفضلية الإنفاق على الأهل: لأن رسول الله ﷺ في الحديث السابق بيّن: أنه أعظمها أجرًا .

وهنا يبدأ بالإنفاق على الأهل إشارة إلى أنه أفضل الأفضل، وقال العلماء: إذا أريد مطلق الطاعة في وجوه الإنفاق يكون الأول أفضلها، وقيل بأنه: لا مانع أن الثلاثة وإن كانت أفضل من غيرها، أن يكون أحدها أفضلها، فهو أفضل الأفضل، وتأمل تكرار الفعل "ينفقه" أربع مرات في هذا الحديث الموجز. وهذا التكرار لمزيد من الترغيب في الإنفاق، وللتذكير الدائم بهذه الأبواب المشرعة للإنفاق والعطاء ورعاية الأهل، وللمشاركة في إعداد العدة للدفاع عن العقيدة، وهذه العدة تتمثل في تجهيز آلات الدفاع ووسائل المقاومة التي رمز إليها رسول الله ﷺ بالدابة، ولذلك فسرها العلماء بأنها الدابة التي يركبها أو يحمل عليها ،ويمكن أن يطلق المعنى، ويراد به: الإنفاق على أي وسيلة تعين الإنسان على رزقه ورزق أولاده، وتقدم مجتمعه، والدفاع عن عقيدته وأمته، وكذلك الإنفاق على الأصحاب في سبيل الله، وقوله "في سبيل الله" من المصطلحات الإسلامية المشعة كالشمس في كل اتجاه، وكل أفق يستضيء بالهدي

القرآني، والتوجيه النبوي، فكل جهد مادي أو معنوي يبذله الإنسان طاعة لله، وإعلاء لراية الإسلام، وتقوية للمسلمين فهو في سبيل الله، ولذلك قرن رسول الله ﷺ، الإنفاق على الدابة في سبيل الله، وكذلك الإنفاق على الأصحاب، لأن الإنفاق في هذين البابين ينحرف أحيانًا عن الصراط المستقيم، ولا يكون في سبيل الله، بل في سبل أخرى يقود إليها الهوى ويزينها الشيطان.

أما الإنفاق على الأبناء فهو فطرة إنسانية وهو أشرف الأنواع، ولا يملك الإنسان له دفعًا، ولا يقدر على الامتناع، ولكن يشترط أن يكون من الكسب الحلال، وأن يعين على طاعة الله، وتأمل: صيغة المضارع في مادة الإنفاق، حيث تكرر الفعل أربع مرات في صيغة المضارع، وفي ذلك إرشاد إلى ضرورة استمرار هذا المسلك الإيماني، حيث لا ينقطع ولا يمتنع، لأنه وقود حياة المسلمين وسر نهضتهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على العيال.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير ودلالتهم عليه.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتفصيل بعد الإجمال:

١- **الإخبار:** ورد الإخبار في قوله ﷺ: "أفضل دينار ينفقه الرجل" والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة إذ لا يخلو حال الداعية من إخبار عن أمر من أمور الشرع، أو إخبار لبيان الجزاء على الأعمال وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ عن أفضل النفقة وأنها التي تكون على الأهل والعيال وفي سبيل الله.

٢- **التفصيل بعد الإجمال:** وذلك حيث جاء في الحديث "أفضل دينار ينفقه الرجل" هذا إجمال وإبهام ثم قال "دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته...". وهذا تفصيل وبيان للإجمال السابق، ولاشك أن التفصيل بعد الإجمال، أسلوب يلفت انتباه المدعوين إلى ما يقال، وفي نفس الوقت فيه نوع تشويق للمدعوين لاستحضار ما يقال.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على العيال:

يظهر هذا من الحديث في قول النبي ﷺ "أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله" قال الإمام النووي: (والمقصود الحث على الإنفاق على العيال، وبيان عظم الثواب فيه، لأن منهم من تجب نفقته بالقرابة، ومنهم من تكون مندوبة، وتكون صدقة وصلة، ومنهم من تكون واجبة بملك النكاح أو ملك اليمين، وهذا كله فاضل محثوث عليه وهو أفضل من صدقة التطوع)[١].

هذا وقد دلت نصوص الشرع على فضل الإنفاق قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٢] وقال أيضًا: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾[٣].

وحذر الرسول الكريم ﷺ من تضييع الأولاد وعدم الإنفاق عليهم ففي الحديث ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ، قُوتَهُ))[٤]، إن من أرذل الأخلاق أن يملك الإنسان المال ويمنع منه أهله وأولاده فلا ينفق عليهم منه، (ومن الناس من يجود على نفسه ويبخل على عائلته، فهو يلبس أحسن الثياب، ويأكل ألذ الطعام، حتى إذا كانت نفقة زوجته أو أولاده ضاقت في وجهه السبل، وركبته الهموم والعلل، وتبرم بزوجته وأولاده، وشكى لك ما يلقى في نفقة البيت من عنت وإرهاق، وإنها لصورة بشعة في نظر المروءة والخلق أن يشبع الرجل ويجوع أولاده، وأن يتنعم وتبتئس زوجته، إنه لأمر قبيح في منطق الإنسان، وإن في الحيوان من يؤثر أولاده على نفسه)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٧.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٦.

(٥) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي ص ١٧.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير ودلالتهم عليه:

حيث أرشد النبي ﷺ إلى الأفضل في النفقة، وهذا من مهام الداعية ففي الحديث أرشد النبي ﷺ إلى أفضل أنواع النفقة لتحصيل الخير والدلالة عليه، وقد بينها الرسول ﷺ في النفقة على العيال والأهل وفي سبيل الله، وقد قال النبي ﷺ في الحديث ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[1]، وقد جعل الله في رسالة الإسلام الهداية والرشاد ﴿يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

قال محمد الغزالي: (وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، ذاك ما يفرضه الحق على أصحابه ألا يجعلوه عليهم حكرًا، وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه، وليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار، وإيضاح الخفى وشرح المبهم، فإن فتك الجهل بالناس ذريع، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج، وتخيل إليهم أنهم على صواب، والواقع أنهم موغلون في الضلال، فالعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله، وإبداء صفحته)[3].

رابعًا- من فقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات:

حيث رتب النبي ﷺ أولوية الإنفاق، فبدأ ببيان الإنفاق على العيال، ثم على الدابة في سبيل الله، ثم على الصحبة، وهذا تعليم لمراعاة ترتيب أولويات الأعمال، ومثله حديث النبي ﷺ ((اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى، وابدأْ بمَنْ تَعولُ))[4] قال

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٦.

(٣) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ٣٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٢٧.

ابن عثيمين رحمه الله: (والواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو محتم عليه، ثم بعد ذلك ما أراد من التطوع، فإن الشيطان يرغب الإنسان في التطوع ويزهده في الواجب، فربما يكون عليه دين ويذهب يتصدق على مساكين، أو يذهب للعمرة أو الحج التطوع، وهذا خلاف الشرع وخلاف الحكمة)[1].

والواجب على الداعية أن يراعى ترتيب الأولويات في دعوته، وفي جميع تصرفاته وأعماله، قال العز بن عبدالسلام: (إن الله سبحانه لم يشرع حكمًا من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة تفضلاً منه على عباده. ومن رفقه بنا أنه امرنا إذا اجتمع مصلحتان: قاصرتان أو متعديتان؛ أن نحصلهما، فإن عجزنا عن تحصيلهما حصَّلنا أعلاهما، وإن اجتمعت مفسدتان: قاصرتان أو متعديتان أن ندفعهما، فإن تعذر دفعهما دفعنا أقبحهما وأكثرهما، فنقدم الفرض على النفل، والمضيق على الموسع، والأوجب على الواجب، والأفضل على الفاضل، ونقدم الأرواح على الأعضاء والأبضاع، ونقدم النفقات على الديون، والديون على الهبات والصدقات وسائر التبرعات، وفي الديون والزكوات التي بلغت نصابها خلاف. وإن بذلنا الأموال أو شيئًا من أنواعِ البر قدمنا الرحم والجوار، والضعف والعجز، وشدة الضرورة، ومسيس الحاجة، ونقدم المستور الخامل على المستور السائل، فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم، ومعنا كفاية أحدهم قدمنا الأفضل فالأفضل)[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٦٧٨.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٣٥١-٣٥٢.

الحديث رقم (٢٩١)

٢٩١- وعن أمِّ سلَمَة رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، هَلْ لِي[١] أجرٌ فِي بَنِي أَبي سلَمَة أنْ[٢] أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكتهمْ هكَذَا وَهكَذَا إنَّمَا هُمْ بَنِيّ؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، لَكِ أجْرُ مَا أنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

ولست بتاركتهم هكذا ولا هكذا: أي يتفرقون لطلب القوت يمينًا وشمالاً، بل أنا كافيتهم بحسب الطبع[٤].

الشرح الأدبي

إن الحوار المقنع الممتع من أساليب الدعوة الإسلامية، وهو من أوجه الجدال بالتي هي أحسن، وهو كذلك من طرق الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذا الحديث يعد مشهدًا حواريًا واقعيًا بين رسول الله ﷺ وزوجته أم سلمة التي مات عنها زوجها، وترك لها خمسة أبناء بعد استشهاد أبيهم، وتزوجها رسول الله ﷺ لكي تشعر بمزيد من الاطمئنان بعد رحيل زوجها الذي كان يعول أبناءه.

وقد حرصت أم سلمة على رعاية أبنائها والإنفاق عليهم: لأنهم أبناؤها، وهم يكونون أسرتها الأولى، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء مجتمع الأمة الذي يتكون من مجموعة أسر وهي أساس صلاحه، فإذا صلح الأساس صلح البناء، وإذا تم التكافل بين أفراد الأسرة فقد قام البناء الاجتماعي على أساس متين[٥].

---

(١) عند البخاري زيادة: (من).

(٢) (أن) لا وجد عند مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٦٩)، ومسلم (١٠٠١/٤٧) والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٨/٤ رقم ٣٤٤٣).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٢.

(٥) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ص ١٥٥.

وهذا الحوار بين رسول الله ﷺ وأم سلمة يبدأ بقول أم سلمة راوية الحديث، وهي تقص خبرًا وتكشف عن أمر كان يقلقها، وتريد أن تجد إجابة شافية تطمئن إليها: تقول قلت يا رسول الله، وتأمل هذا التلطف في مخاطبة الرسول ﷺ، والحرص على ندائه بأشرف وصف به، وهو رسول الله المبلغ عن ربه، فهي لم تخاطبه بوصفه زوجها، ولكن بوصفه الرسول الذي يبلغ عن ربه، والذي لا ينطق عن الهوى.

ثم تأمل فحوى هذا السؤال: "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم"، فالسؤال عن الأجر والثواب، وليس عن الإنفاق أهو واجب أم لا: لأن هذا أمر مقرر، وهي لن تمتنع عن ذلك: لأنهم أبناء أبي سلمة وأبناؤها كذلك، ومنشأ هذا السؤال، أنها ربما ظنت أن الإنفاق على الأبناء واجب شرعي، فلا يكون له أجر في ظل ذلك الواجب، وحتى تدفع أي توهم بأنها تسأل عن الإنفاق أهو واجب أم لا؟ قالت: "ولست بتاركتهم هكذا وهكذا..." وهذا التعبير كناية عن أنها لن تتركهم يتفرقون لطلب القوت يمينًا وشمالاً لأن شفقة الأمومة -كما قال العلماء- تحمل على تكلف القيام بما يحتاج إليه الأولاد، ويزداد الأمر جلاءً، وتتأكد قيمة النفقة على العيال، حينما تقول مؤكدة في أسلوب القصر "إنما هم بنيَّ" وكأنها تقول: فكيف أتركهم؟؟!!! ولم تقل فهم بني، وإنما أكدت وحصرت الدلالة وقصرت أولادها على نفسها فقالت: "إنما هم بنيَّ"، وتأتي إجابة المصطفى ﷺ مقنعة كافية شافية، في إيجاز مشع بالهداية والرحمة، لتبعث في نفس أم سلمة الطمأنينة والهدوء والسكينة: لأنها تستجيب للفطرة الصافية التي فطر الله الناس عليها، وهى فطرة الأمومة، مع الاهتداء والاقتداء بكلام رسول الله ﷺ: حيث قال: "نعم لك أجر ما أنفقت عليهم". وفي ظل دلالة "ما" يوجه المعنى، فإذا كانت ما موصولة يكون المعنى: لك أجر قدر الذي أنفقته عليهم، فإذا كانت "ما" وقتية تفيد الزمن كان المعنى لك أجر دائم بدوام الإنفاق عليهم، وكلام رسول الله ﷺ يتموج بالمعاني الشمولية، ويتوهج بالدلالات العديدة، ولا غرو فقد أوتي جوامع الكلام، فكان ﷺ أفصح العرب بشهادة القريب والنائي، عليه الصلاة والسلام.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم نفقة المرأة على أولادها، وهل ذلك واجب عليها أم لا؟، وقد سبق الكلام عمن تجب عليه النفقة للأولاد في الحديث رقم ٢٦٨، أما إنفاق المرأة على أولادها فقد ذكر الفقهاء[1] أن المرأة لا يجب عليها الإنفاق على أولادها، ويجوز لها أن تخرج زكاة مالها عليهم ولها بذلك ثوابها، لأن نفقتهم ليست واجبة عليها ومتى أنفقت على أولادها من مالها كان لها بذلك أجر الصدقة، لكن هذه النفقة إن كانت في وجود الزوج وهو معسر، فإنما تكون دينًا عليه، ترجع به الزوجة عليه عند يسره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأولاد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص أم سلمة رضي الله عنها على تحصيل الأجر.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "هل لي أجر في بني أبي سلمة" ويعتبر أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة إذ أنه يُوجِد نوعًا من الحوار بين الداعية والمدعو. وأم سلمة رضي الله عنها

---

(١) انظر في ذلك: الجوهرة النيرة ٨٩/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٤/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٩/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٧٠/٧.

تسأل في الحديث عن أجر النفقة على أبناء أبي سلمة، وبيّن لها الرسول الكريم ﷺ أن لها أجر ما أنفقت عليهم.

قال عبدالرحمن الميداني: (إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على تساؤلاتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فإن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، فإذا كان لديه علم بالأجوبة عليها أجاب، وإلا طلب تأجيل الإجابة حتى يستوثق من الجواب الصحيح)[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب، قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ...﴾[٢]، وقوله جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[٣].

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل:

يظهر هذا في قول أم سلمة رضي الله عنها "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم" وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤] وجاء في القرآن الكريم أيضًا التوجيه إلى السؤال عند الجهل، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٥].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة ٢/٥٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

وهذا هو منهج الإسلام يعمل على تحريك العقول، وإيقاظ الهمم لتسأل وتعرف أمور دينها، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[١]. قال شرف الحق العظيم آبادي: "أسند القتل إليهم؛ لأنهم تسببوا له بتكلفتهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه، ليكون أدل على الإنكار عليهم وقوله: "قتلهم الله" إنما قاله زجرًا وتهديدًا، وقوله: "فإنما شفاء العي السؤال" هو التحير في الكلام وعدم الضبط، والمعنى: "أن الجهل داء شفاءها السؤال والتعلم"[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأولاد:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ "نعم لك أجر ما أنفقت عليهم" وهذا يدل على فضل النفقة على العيال، وقد وعد الله بأن يخلف على من ينفق قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٣] وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: ((إن كان خرج على ولده صغارًا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان))[٤].

وهذا الإنفاق هو من مسؤولية الإنسان أمام الله، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((كلُّكم راعٍ ومَسؤولٌ عن رَعيَّتِه: فالأميرُ الذي على الناسِ فهو راعٍ عليهم وهو مسؤولٌ عنهم، والرَّجُلُ راعٍ على أهلِ بَيتِه وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأةُ راعيةٌ على بَيتِ

---

(١) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢٩/١٩ (٢٨٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب ص ٣٨٧ رجاله رجال الصحيح.

بَعْلِها وولَدِه وهي مسؤولةٌ عنهم، والعَبدُ راعٍ على مالِ سيِّدِهِ وهو مَسؤول عنه. ألا فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ))[١].

قال السعدي: (الأولاد أمانات عند الوالدين، عليهم القيام بحفظ هذه الأمانات وكفهم عن جميع المضار والمفاسد، فلو كان لك بستان فيه غراس وأشجار، فلاحظته ونميته، لجاء منه ما تؤمله وترجوه، ولو أهملته وضيعته فلا تلومن إلا نفسك، يوم يحصد الزارعون ما زرعوه، كذلك الأولاد وهم غراسك الذي تؤمل نفعه، فقم عليهم بما تستطيعه من التربية الصالحة والملاحظة، وإياك أن تهملهم وتضيعهم فتبوء بسوء العاقبة)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرص أم سلمة على تحصيل الأجر:

حيث جاء في الحديث أنها سألت "هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم" ويظهر من هذا حرص أم سلمة رضي الله عنها على تحصيل الأجر والثواب، ولقد كانت دعوة القرآن للمسلمين دائمًا أن يسارعوا إلى الخيرات، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٣] وأمر الله عزوجل بالاستباق إلى الخيرات قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[٥].

قال ابن كثير: (إن الله تعالى شرع الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله، ثم إنه

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٦٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦٠، ٦١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٥) سورة المائدة، آية: ٤٨.

تعلى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال: "فاستبقوا الخيرات"، وهي طاعة الله واتباع شرعه فإن المعاد والمصير إليه يوم القيامة)[١].

وقال ابن القيم في بيان قول الله عز وجل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[٢]، (أي شغلكم على وجه لاتعذرون فيه والتكاثر تفاعل من الكثرة، أى مكاثرة بعضكم لبعض، وأعرض عن ذكر المتكاثر به إرادةً لإطلاقه وعمومه، وأن كل ما يكاثر به العبد غيره، سوى طاعة الله ورسوله، وما يعود عليه بنفع معاده، فهو داخل في هذا التكاثر، فالتكاثر في كل شيء، من مال أو جاه أو رياسة، أو نسوة أو حديث أو علم، ولاسيما إذا لم يحتج إليه. والتكاثر في الكتب والتصانيف وكثرة المسائل وتفريعها وتوليدها. والتكاثر أن يطلب الرجل أن يكون أكثر من غيره. وهذا مذموم إلا فيما يقرب إلى الله، فالتكاثر فيه منافسة في الخيرات ومسابقة إليها)[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٠/١

(٢) سورة التكاثر، آية: ١.

(٣) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٥٥.

الحديث رقم (٢٩٢)

٢٩٢- وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الَّذي قدمناه في أول الكتاب في باب النِّيَةِ[١]: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ لَهُ: ((**وإنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ في فِيِّ امرأتِكَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث وصية من وصايا الرسول البليغة ذات المغزى الإيماني الاجتماعي، حيث يوصي سعد بن أبي وقاص باستحضار النية الخالصة لوجه الله في كل عمل، وخاصة في وجوه الإنفاق مهما تباينت أشكالها، ومهما تعددت سبلها، حتى ما يتصوره المسلم غير ذي قيمة، أو أنه من الواجبات التي لا يثاب عليها الإنسان، وهو إطعام الزوجة، يؤجر عليه الإنسان.

وفي هذه الوصية إعلاء من قيمة العاطفة المتبادلة بين الزوجين، ودعوة لترسيخ أواصر المودة والرحمة. والمحبة بينهما، وإشارة الرسول ﷺ إلى ذلك يجسدها هذا التعبير التصويري البليغ المحسوس المشاهد " حتَّى ما تَجعَلُ في فِي امرأتِكَ ".

وقد عرف الإسلام للمرأة مكانتها، وحث على حسن معاملتها، والتلطف معها في إطار العلاقة الحميمة الشرعية بين الزوجين، أو بين الأب وابنته، أو بين الأخ وأخته، أو بين الأم وأبنائها، وكلها مستويات من الصلات الحميمة لها متعلقاتها وواجباتها، وكانت المرأة -كما يقول العقاد- متاعًا يورث ويقسم تقسيم السوائم بين الوارثين، فأصبحت بفضل الإسلام ونبيه صاحبة حق مشروع، ترث وتورث، ولا يمنعها الزوج أن تتصرف بمالها وهي في عصمته كما تشاء.

---

(١) تقدم برقم (٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨/٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٧).

ولم يفضل الإسلام الرجل عليها إلا بما كلفه من واجب كفالتها، وإقامة أودها، والسهر عليها.

أما محمد ﷺ فقد جعل خيار المسلمين خيارهم لنسائهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم))[(١)] [(٢)].

وفي ضوء هذه القيمة التي منحها الإسلام للمرأة نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف، حيث يتوجه الرسول ﷺ بالخطاب المباشر إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، والخطاب يأتي في صيغة التوكيد: في قوله: "إنك"، للدلالة على أهمية الأمر، وهو كذلك مهم، لأنه يكشف عن قيمة الإنفاق المصحوب بالنية الخالصة في سبيل الله، ولذلك جاء هذا المضمون الإسلامي في أسلوب القصر، عن طريق النفي والاستثناء، للتأكيد على أن الأجر الكامل، والثواب المضاعف، مقصور على استحضار النية الخالصة في كل عمل، وقد صرح بالعمل المراد في الحديث وهو قوله: " نفقةً تبتغي بها وَجَه الله ".

وحتى لا يتوهم البعض أن الخطاب ينحصر في شخصية سعد، جاءت صيغة الإنفاق في إطار الزمن الحالي والمستقبلي، وهو الفعل المضارع الذي يفيد الحال والاستقبال، فقال: "لن تنفق نفقة... إلا أجرت بها"، فهذه القاعدة لها صفة الثبات والدوام والاستمرار، لأنها منهج إسلامي مستمر مع حركة الإسلام في كل زمان ومكان.

وتنكير كلمة "نفقه" يُلْغي هذا التوهم الذي يحصر النفقة في ظرف محدد، وزمن معروف، وشخص بعينه، وإنما تنكيرها يفيد العموم والشمول، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقال العلماء فيه تعميم للنفقة، باعتبار قلتها وكثرتها، وجللها وحقارتها، وباعتبار مصرفها، وصيغة البناء للمجهول في قوله: "إلا أجرت بها" فيها إيجاز، وفيها كذلك إشعار بأنه لا يعطي الأجر إلا الله، ولكون ذلك معلومًا فلا يحتاج

---

(١) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

(٢) عبقرية محمد، ط/١، العدد الأول، من دار الهلال، كتاب الهلال (رمضان ١٣٧).

إلى إعلام ولا إلى تحديد الفاعل، فقد حذف كما يقول النحويون، للعلم به، ولا يجوز لمسلم أن يتشكك في ذلك، "وحتى" غائية، وهي غاية للعموم المستفاد مما قبله، وكأن المنفق يتدرج في الإنفاق حسب المستوى والسياق: حتى أقل الأمور التي يتصورها الإنسان وهي وضع الطعام في فم الزوجة يثاب عليه الإنسان، وهذه من أدق الصور الاجتماعية رقة وعطفاً، وتفصح عن تقدير الإسلام لقيمة العلاقة الزوجية في ظل تعاليم الإسلام التي تحدد لكل طرف حقوقه وواجباته، مع المشاعر الجميلة، والعواطف النبيلة، التي تعطي للحياة وجهها الجميل النبيل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب:

١- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث: "إنك لن تنفق نفقة" حيث أكد النبي ﷺ قوله "بإن" التي تفيد التوكيد، ليدلل للمدعو أن أي نفقة يراد بها وجه الله يثاب عليها المسلم، والتوكيد أسلوب يبيّن ثقة الداعية فيما يقول، ويؤكد لدى المدعو أهمية ما يقال له أو يخاطب به.

٢- **الترغيب:** ويظهر هذا في قول النبي ﷺ: "إلا أجرت عليها"، وفي هذا ترغيب للمدعو للإقبال على الخير والطاعة، ومما جاء في الترغيب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وبناء على هذا، "فإن الدعوة تحتاج في تبليغها إلى بشارة أصحاب القلوب الطيبة، والنفوس الصافية ليضحوا في سبيلها، ويتحملوا ما قد

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

يتعرضون له من أذى وبلاء؛ فالدعوة إلى الله بأسلوب الترغيب لازم للداعية كي يبلغ رسالة الإسلام؛ لأن الله عز وجل أرسل محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية:

يستنبط هذا من قول النبي ﷺ: "تبتغي بها وجه الله" وهذا يدل على فضل النية الصالحة، قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[٣].

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٥].

وهذه الآيات تشير إلى استحضار النية الصالحة وابتغاء وجه الله عند النفقة.

وقد دلت الأحاديث النبوية على فضل النية، قال ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى))[٦]، قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (وفي الحديث إخبار بأن الإنسان لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرًا حصل له الخير، وإن نوى شرًا حصل له شر، والمراد أن صالح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، وأن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة)[٧].

---

(١) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، د. محمد سعيد البارودي ص ٢٠٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٢.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٦) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٥/١.

والواجب على المسلم استحضار النية الصالحة في جميع أعماله وتصرفاته وأحواله لينال بذلك الأجر الكبير، والثواب الجزيل من الله تعالى.

(إن النية هي انبعاث في القلب تجري مجرى الفتوح من الله، فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها، ومن كان الغالب على قلبه أمر الدين، تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات، فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير، فينبعث قلبه إلى التفاصيل غالبًا، ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه، لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد جهيد، وصلاح الأعمال الموافقة للسنة بصلاح النية، والطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، فأما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله وحده، فإن نوى الرياء صارت معصية، وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة، أما المباحات فما من شيء إلا ويحتمل نية، أو نيات، يصير بها من محاسن القربات، وينال بها معالي الدرجات)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة:

يستنبط هذا من قوله ﷺ: "حتى ما تجعل في في امرأتك" وقد دلت نصوص القرآن على فضل النفقة على الزوجة، قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[2]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3].

قال ابن كثير: (أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم، وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته ويضاحك

---

(١) تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف، جمع وترتيب: أحمد فريد، تحقيق: ماجد بن أبي الليل ص ١٨ - ١٩.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، آية: ١٩.

نساءه)[١]، وقال النووي: (إن زوجة الإنسان هي من أخص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى حصل له الأجر بذلك)[٢].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن مما يؤكد هذا الواجب ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ وتوجيهه حيث وجّه النبي ﷺ في الحديث إلى فضل النفقة على الزوجة والعيال، ولذا كان من أهم واجبات الداعية إرشاد المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه صلاحهم ومنفعتهم، ولقد كان من صفات النبي ﷺ في القرآن ما جاء في قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾[٣]، والحرص على المدعو يكسب الداعية ثقة لدى مدعويه. وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ، أَوْ قَالَ عَامِلِهِ))[٤].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم، ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله، أن له ثوابًا بذلك الفعل، كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

الحديث رقم (٢٩٣)

٢٩٣- وعن أَبي مسعود البدري ﷺ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا، فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يحتسبها: يطلب بها الأجر من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

إن معاني هذا الحديث الشريف تسبح في آفاق المودة والرحمة، وترغب في إشاعة الطمأنينة والسكينة بين أفراد الأسرة الواحدة، وتحث على ضرورة النية الخالصة في الإنفاق حتى على الأهل والأولاد، فالمودة والرحمة-كما يقول د. عبدالعال أحمد عبدالعال-مبدأ إنساني، وخلق إسلامي، يوقظ القلوب ويحركها نحو العطف والشفقة عل بني الإنسان مع بعضهم، ويوفق بين مصالحهم، ويكمل تقديرهم وتعاونهم، على مرافق الحياة، ويساعد على الصدق في تبادل المنافع، ويشعر كلا المتوادين بان مصلحته مرتبطة بمصلحة أخيه، فيسعى ويحرص عليها كما لو كانت مصلحة نفسه الخاصة.

والتواد والتراحم هما الطريق إلى السكن والاطمئنان في مجال الأسرة، ومجال المجتمع، ومن الوسائل التي تترجم هذا الود والتراحم، وتعمق الشعور بالسكن والألفة هو: الإخلاص في العطاء، والإنفاق في ظل هذا الحب الودود، وذلك العطف الرحيم، احتسابًا وابتغاء المثوبة، ورضا الحق سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٠٢/٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٤٠٨/٩).

وفي ظل هذا الأفق المشع بهالات الهدي النبوي، والنهج القرآني نقتبس من الحديث الشريف كثيرًا من الإشعاعات التي تفيض بها الصياغة، ويوحي بها الأسلوب في ضوء نظرية النظم التي أرسى دعائمها عبدالقاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية، حين قال: "إن البلاغة هي توخي معاني النحو بين الكلم"، والحديث في بنائه اللغوي، وتركيبه النحوي يتكون من جملة واحدة، ولكنها كالشمس لها إشعاعاتها الباهرة، ودلالاتها الباصرة، ومعانيها الآسرة، وهذه الجملة الحديثية اتخذت من أسلوب الشرط والجواب إطارًا لها، وفي ذلك إرشاد إلى تحقق الجزاء، ومضاعفة الثواب: لأن الشرط هنا وهو الإنفاق على الأهل: احتسابًا وابتغاء مرضاة الله: يحتاج إلى جواب: وهو الجزاء الذي أعده الله لكل منفق محتسب، حيث جاء الجواب في هذه العبارة النبوية المبشرة في حسم وصدق "فهو له صدقة" ومجيء الجواب في صيغة الجملة الاسمية، يفصح عن ثبات هذا الجزاء، واستقراره، وعدم نقصه، وعدم تحوله، ولذلك قال: "فهو له صدقة" ولم يقل فهو صدقة، واللام هنا مع الضمير تفيد الملكية والأحقية، والله يضاعف لمن يشاء.

ولتأكيد هذا النهج الإسلامي، والسلوك الإيماني، جاءت أداة الشرط "إذا" وهي للتحقق، وهي اسم لما يستقبل من الزمان: خافض لشرطه منصوب بجوابه، وهي تستخدم في الأمور اليقينية، وكأن ذلك إشارة إلى أن الإنفاق على الأهل واجب، وأمر يقيني لا يحتمل الشك، أو الانقطاع، وجملة "يحتسبها" في موقع الحال، حيث يكون المسلم حالة إنفاقه محتسبًا ذلك عند الله، ولا يشوب ذلك الاحتساب طائف من رياء أو منفعة، أو تأفف، أو نذير، أو إحساس بتبادل المنافع أو انطلاق من مذهب اجتماعي، أو تصور فلسفي بشري، وإنما الاحتساب لا يكون إلا ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ولذلك جاء رصد حالة الاحتساب في صيغة الفعل المضارع، إرشادًا إلى ضرورة استمرار هذه الحالة التي تحيط بالمؤمن، وتسكن مشاعره، وتوشي انفعالاته، ولذلك قال العلماء في التعقيب على قوله ﷺ "فهو له صدقه"، أي عظيمة الثواب: لما فيها من أداء الواجب، وصلة الرحم، الوارد فيه من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل؛ سبحانه وتعالى.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النفقة على الأولاد، وما فيه من أجر عظيم رغم أنه واجب عليه، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم ٢٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية في الأعمال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل.

رابعًا: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها" فقد اشترط النبي ﷺ أن يحتسب الإنسان ما ينفق لوجه الله، حتى ينال الأجر والثواب على فعله، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تلفت انتباه المدعوين، وتشوقهم إلى معرفة الجواب، ويدل من وجه آخر على مدى ارتباط الجزاء بالعمل، فعلى الداعية استخدام هذا الأسلوب لشد انتباه المدعوين، وبيان الجزاء على الأعمال إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النية في الأعمال:

يتضح هذا مما جاء في الحديث "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها" قال ابن علان: (إذا أنفق الرجل على أهله الذين تلزمه مؤونتهم وغيرهم يقصد بذلك وجه الله والتقرب إليه، كان له عظيم الثواب، لما في ذلك من أداء الواجب، وصلة الرحم، الوارد فيه من الثواب ما لا يحصيه إلا المتفضل به)[1]. ولاشك أن النية الصالحة لها فضل عظيم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٤٩٤.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[1] وهذه الآية محل دليل لتحقيق معنى الإخلاص وأن الله عز وجل جعل المجازاة لا تقع بمجرد الفعل حتى يبتغي بها وجه ربه الأعلى[2]. وأمر الله بإخلاص النية في العبادة ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3].

وقال شرف الدين الدمياطي: (والشرط العام في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها، هو الإخلاص، وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى الهلاك أقرب وقال سهل بن عبدالله التستري: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل، والعمل كله هباء إلا بالإخلاص، فإن أردت إحراز الثواب، وحسن المآب، فاجتهد في الإخلاص)[4].

وقال ابن رجب الحنبلي: (قال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرًا وإن لم تنصب، وعن بعض السلف قال: من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا حسنت نيته حتى باللقمة. وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية، وقال الفضيل بن عياض: إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك)[5].

جاء في الموسوعة الفقهية: "أعمال المكلفين إما مطلوبة أو مباحة، ولما كان المباح لا يتقرب به إلى الله تعالى، فلا يفتقر إلى النية، إلا إذا قصد المكلف الثواب عليه، فإنه يفتقر إلى النية، والمطلوب من الأعمال إما مطلوبة الترك أو مطلوبة الفعل. فالمطلوب الترك لا يفتقر إلى النية إلا إذا شعر المكلف بالمنهي عنه، ونوى تركه لله تعالى، فإنه يحصل له مع الخروج عن العهدة الثواب لأجل النية، والمطلوب الفعل هي الأوامر، فمنها

---

(١) سورة الليل، آية: ١٩-٢١.

(٢) حاشيتا قليوبي وعميرة ١/١٦٠، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١/١٥١.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح، شرف الدين بن خلف الدمياطي ص ٤٨٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧١.

ما يكون صورة فعله كافية في تحصيل مصلحته، كأداء الدين والودائع ونفقات الزوجات والأقارب، فإن المحصلة المقصودة من هذه الأمور انتفاع أربابها، وهي تتحقق بمجرد امتثال الأمر، ولا تتوقف على قصد الفاعل لها، فيخرج الإنسان عن عهدتها وإن لم ينوها، ومنها ما تكون صورة فعله ليست كافية في تحصيل مصلحته المقصودة منه، كالصلوات والطهارات والصيام والنسك، فإن المقصود منها تعظيمه تعالى بفعلها، والخضوع له في إتيانها، وذلك إنما يحصل إذا قصدت من أجله سبحانه وتعالى، فهذا القسم هو الذي أمر فيه الشرع بالنيات، وهذا في الجملة[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الأهل:

يظهر هذا مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة" ويظهر من هذا فضل النفقة على الأهل والعيال. قال الإمام النووي: (ويؤجر على نفقته إذا احتسبها وأراد بها وجه الله وطريقه في الاحتساب بأن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على الزوجة والأطفال وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم، وأن غيرهم ممن ينفق عليه مندوب إلى الإنفاق عليهم، فينفق بنية أداء ما أمر به، وقد أمر بالإحسان إليهم)[2].

وقد جعل النبي ﷺ النفقة على الأهل والأولاد من أولى النفقات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أمر النبي ﷺ بالصدقة، فقال رجل: يا رسول الله عندي دينار قال: تصدق به على زوجتك أو زوجك قال عندي آخر قال تصدق على خادمك قال عندي آخر قال: أنت أبصر))[3] قال شرف الحق العظيم آبادي: (قال الخطابي هذا الترتيب إذا تأملته علمت أنه ﷺ قدم الأولى فالأولى والأقرب فالأقرب، وهو أنه ﷺ أمره أن يبدأ بنفسه ثم بولده؛ لأن ولده كبعضه فإذا ضيعه هلك، ولم يجد من ينوب عنه في الإنفاق عليه، ثم ثلث بالزوجة وأخرها عن الولد، لأنه إذا لم يجد ما ينفق عليها فرق

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود ١٦٩١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٣).

بينهما، وكان لها من يمونها من زوج أو ذي رحم تجب نفقتها عليه، ثم ذكر الخادم؛ لأنه يباع عليه إذا عجز عن نفقته)[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

حيث وجه النبي ﷺ في عموم الحديث إلى ما فيه الأجر والثواب من الله عز وجل، وهكذا يجب أن يكون الداعية، وأن يشعر المدعوين بالحرص عليهم وعلى مصلحتهم (فعلى الداعية أن يكون كالغيث أينما وقع نفع، من أجل أن تظهر ثمرات جهده على جميع طوائف المجتمع، فإن قصر في القيام بواجبه نحو دينه ودعوته، عاش لا يسمع به ولا يراه أحد، ويكون قد أساء إلى نفسه ودعوته)[٢].

ونماذج دعوة الأنبياء عليهم السلام تبين مدى حرصهم على مصلحة أقوامهم ودعوتهم إلى الدين الحق، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما كان من نبي الله نوح عليه السلام وصبره على دعوة قومه، قال ابن كثير: (اشتكى نوح عليه السلام إلى ربه عزوجل ما لقى من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين سنة، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فلم يترك دعاءهم في ليل ولا نهار، وكلما دعاهم إلى الحق ليقتربوا فروا منه وحادوا عنه، وسدوا آذانهم لئلا يسمعوا، واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له، ولقد نوع نوح عليه السلام عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم)[٣].

إن الداعية الناجح هو الذي يحرص على مصلحة المدعوين، بأن يبين لهم الأجر والثواب على الأعمال، ويدلهم على كل ما فيه خير ونفع، ومؤمن آل فرعون - كما حكى القرآن خبره وشأنه - أبان عن كثير من الأجر نظير الإيمان، ولاشك ان هذا فيه مصلحة للمدعو، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٧٦٩.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، النظرية والتطبيق، د. طلعت محمد عفيفيص ١٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٢/٨.

سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1].

(١) سورة غافر، الآيات: ٣٨-٤١.

الحديث رقم (٢٩٤)

٢٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((كَفَى بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ)) حديث صحيحٌ، رواه أَبُو داود وغيره[1].

ورواه مسلم في صحيحه[2] بمعناه، قَالَ: ((كَفَى بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

من يقوت: من تلزمه نفقته من أهله وعياله وعبيده[3].

الشرح الأدبي

لقد حرص الإسلام على إقامة العلاقات القوية بين أفراد الأسرة الواحدة وأفراد الأمة كلها، وأوجب على الأب والأم رعاية الأبناء والقيام بتيسير كل سبل الرعاية والحماية والإنفاق لأبنائهم، لأن الأسرة هي الطاقة التي ينفذ منها الناشئ إلى المجتمع، ويرى فيها الأشخاص الذين يقتدي بهم، وينهج نهجهم، وفي الأسرة تتحدد طباع الصغار وأفكارهم وعواطفهم، على قدر ما يسود الأسرة من نظام واستقرار، يجعل منها منبتًا للنشء الصالح، والعمل الطيب، ومن هنا تأتي أهمية الأسرة في بناء المجتمعات، فكلما كانت الأسرة قوية ذات تماسك ومناعة، كانت الأمة المكونة منها كذلك، ذات ضعف وانحلال.

وفي ضوء هذه المكانة للأسرة التي يحرص عليها الإسلام لتظل الأمة ناهضة قوية

---

(١) أخرجه أبوداود (١٦٩٢)، والنسائي في الكبرى (٩١٣٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٤٠)، وقال الحاكم (٤١٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣١).

(٢) برقم (٩٩٦/٤٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق و ت).

متماسكة، نتأمل كلمات هذا الحديث الشريف، ونستجلي أسراره، وهو من أحاديث الترهيب، لأنه يتوجه بالإنذار والوعيد إلى هؤلاء الذين يفرطون في الأمانة، ولا يقومون بواجباتهم تجاه من يعولون من الزوجة والولد والوالد، وممن تجب عليهم نفقتهم، والأحاديث السابقة كلها في باب "النفقة على العيال"، تدور في دائرة الترغيب، والوعد الحسن بالثواب الجزيل.

وحتى لا يغفل الناس عن الوجه الآخر، وهو حبس القوت عن الذين يجب لهم العطاء، ينبه رسول الله ﷺ ويحذر هؤلاء الذين يضيعون قوت من هم في ظل رعايتهم وكفالتهم، وهناك طوائف كثيرة تتردى في هذا المزلق، ولا ترعى ذويها حق الرعاية، ومن هنا ينشأ التفكك الأسري.

ولذلك نرى رسول الله ﷺ في صياغة الحديث يحاكي هذا الجو المحبط الذي يُوتِّر العلاقة بين الراعي ورعيته في الأسرة أو في المجتمع، فربما يُضيع الحاكم قوت شعبه، وربما بتهوره يؤدي بهم إلى الجوع والكوارث، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات.

ولذلك قال رسول الله ﷺ "المرء" ولم يقل: الأب، أو غير ذلك من الصفات المحددة، وكلمة "المرء" تطلق على أي مسئول: يتولى رعاية أسرة أو طائفة أو قبيلة أو دولة، في أي عصر، وفي أي مكان: ومن ظواهر الالتواء الأسلوبي الذي يحاكي الالتواء السلوكي مجيء المفعول به في صورة غير مألوفة، حيث اقترن بالباء الزائدة: وهي لها دور في ترسيخ الإثم وتعظيم الجرم، فلم يجيء منصوبًا مباشرة، وإنما حجبت الباء الزائدة علامة النصب، وأصبحت مقدرة.

وكذلك قوله "إثمًا" فهو تمييز محول عن الفاعل، والتقدير كفى المرء في عظم الإثم إثم وتضييع من يقوت.

فكأن الفاعل حُوِّل عن صورته إلى صورة أجْلى وأكثر بيانًا، وهي صيغة التمييز، لمزيد من التنبيه على فداحة هذا الجرم.

وقال ابن رسلان: أي لو لم يكن له من الإثم إلا هذا لكفاه لعظمه عند الله تعالى.

وفاعل كفى في الحديث لم يأت في صياغة مألوفة، وإنما جاء في صيغة المصدر المؤول، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، وهذه الجملة الفعلية التي وقعت فاعلاً تتضمن فعلين مضارعين، "يضيع"، و"يقوت" وهما يفصحان عن غفلة ذلك الآثم المضيع: لأنه سادر في غيه، لاه في غفلته، مستمر في جرمه، وقد حذف المفعول المباشر للفعل "يُضيع" والتقدير أن يضيع قوت من يقوت، والتعبير في الحديث أوفى وأبلغ، لأن هذا الآثم لم يضيع القوت فقط، ولكنه كان سببًا في ضياع من يعولهم، وضياع مستقبلهم، فما أعظم هذا البيان النبوي البليغ، في كلمات قليلة يعطي دروسًا جليلة، ويكشف مثالب خطيرة، وينبه إلى مسببات النذر والكوارث التي تبيد الأمم، فهل من مُدّكر؟!

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم نفقة الرجل على أهل بيته، وأن من أكبر الذنوب أن يضيع من يعولهم بإهماله وتراخيه ورفضه الإنفاق عليهم، وقد اهتم الفقهاء بهذا اهتمامًا خاصًا، فاتفقوا[1] على أن النفقة على الزوجة والأولاد واجبة على الزوج، وأنه متى قصّر في ذلك أو امتنع، كان للزوجة أن تطلب نفقتها من القاضي ويجبره عليها، وكذا نفقة الأولاد، وما ذلك إلا لعظم حقهم عليه.

---

(١) البناية للعيني ٦٥٩/٥، وتحفة الفقهاء للسمرقندي ١٥٧/٢، والكفاية للكرلاني ١٩٢/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٨١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٤٤/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٧٨/٣، والمعونة على مذهب عالم المدينة ٥٢٢/١، والمهذب للشيرازي ١٤٨/٣، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٢٦/٣، والتهذيب للبغوي ٣١٧/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٧/١١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٨٥/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الزجر والتهديد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإهمال في النفقة على العيال.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: الزجر والتهديد:

جاء الزجر والتهديد في هذا الحديث في قوله ﷺ: "كفى بالمرء إثمًا" وهذا أسلوب من الأساليب الدعوية التي تفيد في بيان خطورة الفعل، وتعمل على منع النفس من اقتراف المعصية، وعلى الداعية استخدام أسلوب الزجر والتهديد؛ لحث المدعوين وتوجيههم إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الإهمال في النفقة على العيال:

يظهر هذا من تحذير النبي ﷺ بقوله: "كفى بالمرء إثمًا" ذلك لأن الإنسان مسؤول عن نفقة زوجته وعياله، وقد قال النبي ﷺ: ((اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى، وابدأْ بِمَنْ تَعولُ))[1]، قال النووي: (وفي الحديث تقديم نفقة نفسه وعياله؛ لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم، وفيه الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية)[2]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ يَعودني وأنا مريضٌ بمكة، فقلتُ: لي مالٌ، أوصي بمالي كلِّه؟ قال: لا. قلتُ: فالشطر؟ قال: لا. قلت: فالثلث؟ قال: ((الثلث، والثلث كثير أن تَدَعَ وَرَثتكَ أغنياءَ خير من أن تَدَعهم عالةً يتكففونَ الناس في أيديهم. ومهما أَنفقتَ فهو لك صَدَقة، حتى اللقمةَ ترفعها في فيِّ امرأتِكَ، ولعلَّ اللهَ يرفَعُك، ينتفع بكَ ناسٌ ويُضرُّ بك آخرون))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٥٤.

وفي الترهيب والتحذير من الإهمال في النفقة على العيال جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((... تَقُولُ الْمَرْأَةُ إِمَّا أَنْ تُطْعِمَنِي وَإِمَّا أَنْ تُطَلِّقَنِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ أَطْعِمْنِي وَاسْتَعْمِلْنِي، وَيَقُولُ الابْنُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدَعُنِي؟ فقالوا: يا أبا هريرة، سمعتَ هذا من رسولِ الله ﷺ؟ قال: لا. هذا من كيسِ[1] أبي هريرة))[2].

فالإنسان مسؤول عمن يقوتهم، وتلزمه نفقتهم، وقد بيّن رسول الله ﷺ هذه المسؤولية في الحديث فقال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، الرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ))[3].

وبيّن الله عز وجل في القرآن وجوب النفقة على الزوجة، قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[4]، قال القرطبي: (أي لهن من حقوق الزوجية على الرجال مثل ما للرجال عليهن، وقيل: تتقون الله فيهن كما عليهن أن يتقين الله عز وجل فيكم، والآية تعم جميع ذلك من الحقوق الزوجية...)[5]، ولمسؤولية الإنسان عن النفقة على الأهل والعيال أجاز الشرع الحنيف أن يدخر لهم قوت سنة من أجل الوفاء بنفقاتهم، ففي صحيح البخاري عن عمرَ رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ كان يَبيعُ نخلَ بني النَّضير، ويحبس لأهلِهِ قوتَ سَنتِهم))[6]، قال ابن حجر: (ومع كونه ﷺ كان يحتبس قوت سنة لعياله فكان في طول السنة ربما استجره منهم لمن يرد عليه ويعوضهم عنه، ولذلك مات ﷺ ودرعه مرهونة على شعير اقترضه قوتا لأهله)[7].

---

(١) كيس: أي من استنباطه أو فطنته، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١١/٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٣/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٥٣٠٧ واللفظ له، ومسلم ١٦٢٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٤/٩.

ثالثًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من المخالفات الشرعية:

من أهم واجبات الداعية أن يحذر المدعوين من المخالفات الشرعية حتى لا يقعوا فيها، وفي الحديث حذر النبي ﷺ من تضييع الإنسان من يتحمل نفقتهم، وإذا كان المدعوون بالنسبة للداعية هم بمثابة أهله وإخوانه، فإن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1]، وقد جاء في الحديث: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: ((لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[2].

ولقد جعل الله سبحانه من خصائص الأمة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتناصح والتواصي حازت الأمة الإسلامية الخيرية والأفضلية على جميع الأمم، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3].

"وفي هذه الآية ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قبل الإيمان، وإن كان الإيمان أصل كل شيء، ولا قيمة في خير إذا لم يكن معه الإيمان، والسبب في ذلك هو أن الإيمان صفة اشتركت مع الأمة الإسلامية فيها أمم سابقة، ولكن الذي يرفع الأمة الإسلامية من بين أتباع الأنبياء السابقين جميعًا عليهم السلام بصورة خاصة، هو هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو درة مميزة على جبين هذه الأمة، ويظهر من هذا وجوب الاهتمام به وبذل العناية الخاصة به"[4].

وقد لعن الله بني إسرائيل لأنهم لم يحذر بعضهم بعضًا من المخالفات الشرعية، والمعاصي الدينية، وقد سجل الله عليهم ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، محمد يحيى الكاندهلوي ص ٢٥-٢٦.

(٥) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

الحديث رقم (٢٩٥)

٢٩٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكانِ يَنْزِلاَنِ، فَيقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تلَفًا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خلفًا: عوضًا[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يجمع بين الترغيب والترهيب، فهو يبشر ويعد المنفقين الذين لم يقعوا في براثن شح النفس، بالثواب والبركة، حيث تدعو لهم الملائكة ببقاء الثواب، ومضاعفة المال في حياتهم أو بعد مماتهم، وقال العلماء في بيان قيمة الإجمال والإبهام في قوله "خلفًا"، حيث أبهم الخلف: ليتناول المال والثواب وغيرهما، وقال الحافظ: وإبهامه أولى: فكم من منفق مات قبل وقوع الخلف المالي له، فيكون خلفه الثواب المعد له في الآخرة، أو يدفع عنه من السوء ما يقابل ذلك[3].

ويتوعد هذا الحديث البخلاء الذين يضيعون من يقوتون، والذين يحبسون عمن يملكون ويرعون قوتهم، بأن الملائكة تدعو عليهم بتلف المال، أو تلف نفس صاحب المال، أو تلف الأبناء، ومحو البركة، وضيق الرزق.

ويموج الحديث بكثير من الظواهر الأسلوبية التي شاركت في تقوية المعنى، والإفصاح عن دلالات الحديث ومقاصده، ومنها:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠/٥٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٣٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٥.

١- أسلوب القصر الذي صيغت في إطاره الجملة الأولى من الحديث عن طريق النفي والاستثناء، وذلك يدل على الحصر، وعلى أنه لن يمر يوم إلا وينزل الملكان ويدعوان لكل بما يستحق، وفي ذلك إيقاظ لكل غافل هزمته نفسه فوقع أسير الشح والإمساك، وفيه كذلك بشارة لكل من انتصر على شح نفسه وتجمل بالعطاء، وتوَّج كل أيامه بالإنفاق، فثوابه مضاعف، وعمله مبارك، وميراثه من الصالحات جزيل.

٢- زيادة "مِنْ" قبل يوم، والزيادة هنا ليست إسهابًا لفظيًا، أو ترفًا لغويًا، وإنما هي مزيدة لتأكيد النفي، ولتدل على الاستقصاء وتأكيد الحصر، فلن يمر يوم من أيام الإنسان إلا والملكان ينزلان: فتأمل بلاغة الأسلوب وروعة البيان: النفي والزيادة طريقان للإثبات والحصر والتأكيد..!!.

٣- تنكير لفظ "يوم" ولم يأت معرفًا حتى لا ينصرف الذهن إلى يوم محدد، وإنما التنكير للعموم حيث يشمل جميع الأيام، فالتنكير، مع زيادة من، مع النفي، يضفي صفة العموم على الزمن كله.

٤- ولنتأمل الأفعال التي تضمنها الحديث الشريف، فهي ترتبط بالزمن الآتي والمستقبلي (الحال والاستقبال) حيث وردت في صيغة الفعل المضارع أربعة أفعال هي: "يُصبح العبد"، "ملكان ينزلان فيقول أحدهما"، "ويقول الآخر"، وهذه الصيغة الزمنية تُعلن عن استمرار هذا الصنيع ووقوعه الآن وفي المستقبل: وحتى في الماضي الذي فاتنا كان حاضرًا لمن هم فيه، والفعلان الآخران جاءا في صيغة الدعاء وهما: "أعط ممسكًا تلفا، وأعط منفقًا خلفا"، وهما دعاء لما يُستقبل من الزمان ليُجزي كل بما قدمت يداه.

٥- وعبر بلفظ "أعط" في مقام الدعاء على الممسك للمشاكلة اللفظية بين الفعلين في السياقين، وكذلك للسخرية من هذا الممسك كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]. لأن التلف لا يعد عطاءً إلا في إطار السخرية والشماتة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢١.

٦- صيغة الدعاء في الحديث الشريف جاءت لمزيد من الترغيب في العطاء، للتبشير الإلهي لهؤلاء المنفقين بأن الله سيبارك لهم في الخلف، ولمزيد من ترهيب المسكين حتى يكفوا عن شحهم، ويفيئوا إلى ظلال العطاء والجود.

٧- الطباق والجناس في دعاء الملكين، حيث يصور الأسلوب التناقض بين الصنيعين، وكذلك تناقض المصيرين، فتأمل وتبصر التلف، وهو مصير محتوم في ظل دعاء الملك وهو مستجاب الدعاء.

٨- الإيقاع في صياغة العبارات والكلمات: حيث اتفقت أواخر بعض الكلمات والعبارات، وذلك لمزيد من التأثير وخاصة في سياق الدعاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمنفقين بالخلف، وعلى الممسكين بالتلف.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر، والترغيب، والترهيب:

ورد أسلوب القصر في هذا الحديث من قوله ﷺ: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان) والقصر كأسلوب دعوي يفيد التخصيص بنزول الملكين كل يوم، وهو من الأساليب الدعوية التي يلفت الداعية بها انتباه المدعوين، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: (اللهم أعط منفقًا خلفًا) وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي ينبغي للداعية استخدامها في دعوته، مما يشوق النفس إلى ما رغبت فيه فيحملها على الإنقياد وقبول الأمر المدعو إليه"[1]، وقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث من قوله ﷺ: (اللهم أعط ممسكًا تلفًا) وهو من الأساليب الدعوية التي يحصل بها وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية، أو اقترافه سيئة منهيًا عنها، أو التهاون

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

في أمر من أمور الدين التي أمر الله تعالى بها، أو أداء فريضة مكتوبة على كل مسلم ومسلمة[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق:

يستنبط ذلك من هذا الحديث في قوله ﷺ "اللهم أعط منفقًا خلفًا" وقدبين الحق تبارك وتعالى فضل الإنفاق فقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

قال ابن كثير: (إن هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة)[٤]، وقد أفادت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف، وذلك في قوله ﷺ: ((إنَّ رجلا تَصدَّقَ بِنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ في سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رسولُ اللَّهِ: «لَتَأْتِيَنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ بِسَبْعِ مِئَةِ نَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ»))[٥].

قال النووي: (معنى مخطومة: أي: فيها خطام وهو قريب من الزمام، قيل: يحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره، ويكون له في الجنة بها سبعمائة، كل واحدة منهن مخطومة، يركبهن حيث شاء للتنزه كما جاء في خيل الجنة ونجبها وهذا

---

(١) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية عمر رفاعي الحلواني ص ١٣٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/ ٦٩٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

الاحتمال أظهر والله أعلم)[١]. وفي ذلك دليل على عظم فضل الإنفاق في الطاعات.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمنفقين بالخلف، وعلى الممسكين بالتلف:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا"، وبهذا الدعاء والمدح تعرف غوائل البخل، وما فيه من الانحطاط عن تلك الدرجات العلية، إذ الشيء إنما يتم انكشافه بمعرفة ضده. وقد بين النووي: (أن الدعاء بالخلف يكون فيمن أنفق في الطاعات، ومكارم الأخلاق، وعلى العيال، وغير ذلك، مما لا يسمى سرفًا، والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا)[٢].

وقال القرطبي: (قوله: "اللهم أعط منفقًا خلفًا"، هو موافق في المعنى لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾[٣]، وهذا يعم الواجبات والمندوبات.

وقوله: "اللهم أعط ممسكًا تلفًا" يعني: الممسك عن النفقات الواجبات، وأما الممسكُ عن المندوبات؛ فقد لا يستحق هذا الدعاء باللهم، إلا أن يغلب عليه البخل بها. وإن قلت في أنفسها، كالحبة، واللقمة، وما شاكل هذا. فهذا قد يتناوله هذا الدعاء؛ لأنه إنما يكون كذلك لغلبة صفة البخل المذمومة عليه. وقلَّ ما يكون كذلك؛ إلا ويبخل بكثير من الواجبات، أو لا يطيب نفسًا بها، والله تعالى أعلم)[٤].

وقال ابن حجر: (إن الدعاء بالتلف يحتمل فيه تلف ذلك المال بعينه أو تلف نفس صاحب المال)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٣، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٢٩٢/١.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٣.

رابعًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى فعل ما ينفعهم:

إن من صفات الداعية المستنبطة من عموم الحديث: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، وهذا ما فعله النبي ﷺ من خلال ما ورد في الحديث، فالإنفاق في الطاعات والواجبات ومكارم الأخلاق، من آكد ما ينفع المسلم في دنياه وأخراه، والممسك عن ذلك إنما أراد إهلاك نفسه بدعاء الملائكة عليه بالتلف، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ في نص الحديث، وقيام الداعية بإرشاد المدعوين إلى ذلك يكون استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[1]، (أي: منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير)[2]، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[3].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم)[4]، وقد حثّ النبي ﷺ على إرشاد المدعوين إلى الخير فقال: ((وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[5]. فعلى الداعية أن يرشد المدعوين إلى فعل ما ينفعهم، لما في ذلك من عظيم الفلاح.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) المرجع السابق ١٢/٣ - ١٣.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٢٩٦)

٢٩٦- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ[1] عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما كان عن ظهر غنى: ما كان عفوًا قد فضل عن غنىً. وقيل: أراد ما فضل عن العيال[3].

الشرح الأدبي

يختم النووي بهذا الحديث المبارك باب "النفقة على العيال" وهو ختام موفق، وانتقاء، جيد وذلك لأن هذا الحديث يعد قواعد منهجية تمثل دعائم التصور الإسلامي للإنفاق، وعلاقة المعطي بالسائل، وهو كذلك يكشف عن طبيعة النفس المسلمة التي أراد لها الله أن تظل عزيزة، منيعة، لا تقع في مذلة السؤال، أو براثن التحايل والتسول، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

---

(١) (ما كان) لا توجد عند البخاري، وهي من الجمع للحميدي.

(٢) برقم (١٤٢٨) ولم يسق لفظه وإنما قال: وعن وهيب، أخبرنا هشام، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ بهذا. والمؤلف نقله عن الحميدي في جمعه (٣/٣٨٦، رقم ٢٨٦٨) حيث أورد الحديث بتمامه، ولو نقل النووي رحمه الله من صحيح البخاري مباشرة لنقل لفظ حديث حكيم بن حزام الذي ساقه البخاري بتمامه، ولما أخرج طريق أبي هريرة أحال بلفظه إلى حديث حكيم بن حزام، وهذا وغيره مما لا يترك مجالًا للشكّ أن النووي اعتمد كثيرًا على الجمع بين الصحيحين للحميدي، بل كان يحفظه. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٠٨) من حديث عبد الله بن عُمر، وبرقم (١٢١١) من حديث حكيم بن حزام، وهما من المتفق عليه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

والحديث يتكون من خمس جمل لغوية تمثل في مجموعها خمس قواعد للسلوك الإسلامي في ميدان العطاء، وكل جملة لها نمط أسلوبي يغاير أساليب الجمل الأخريات، وهذا التنوع الأسلوبي يفصح عن تنوع العطاء، وتنوع أساليب التصدق، فالجملة الأولى اسمية، ليست مؤطرة بزمن محدد، ولا حدث معين، لأن دلالتها من أسس الشخصية الإسلامية، وهي تمثل قاعدة ثابتة من قواعد السلوك الإسلامي، "فاليد العليا خير من اليد السفلى"، والعلو هنا علو شرف ومكانة، فهو علو معنوي يرمز إلى عزة المؤمن واستعفافه واستغنائه، وهي يد المعطي، والعليا أفعل تفضيل، فهي ليست عالية فقط، ولكنها عليا، لأنها منفقة معطية، وفي هذا الثناء، وذلك الوصف إيحاء وإرشاد إلى كل مسلم بأن يحرص على أن يكون صاحب اليد العليا، وبذلك يشتد التنافس في العطاء وبذل الخير، وأما "اليد السفلى" فهي يد السائل الذي استمرأ السؤال، ولم يتحصن بعزة الاستعفاف، ولكن ربما ألجأه إلى ذلك ضيق ذات اليد، ولكن عليه أن يتجاوز دائرة الحاجة، وذل السؤال حتى لا تبقى يده هي السفلى، "والسفلى" كذلك من صيغ التفضيل، وذلك من المبالغة في الإيحاء بضرورة التسامي والتعالي والاكتفاء والاستعفاف والاستغناء، وقال العلماء بأن يد الآدمي أربعة: يد المعطي، وهي العليا، ويد السائل، وهي السفلى، ويد المتعفف عن الأخذ ولو بعد أن تمد إليه يد المعطي، وهذه توصف بالعلو المعنوي، ويد الآخذ بغير سؤال، وقال البعض بأنها سفلى، وقالوا: وأسفل ما في الأيدي، السائلة والمانعة للعطاء.

وأما القاعدة الثانية فهي في قوله: "ابدأ بمن تعول": وهذه القاعدة جاءت في صيغة الأمر: والأمر للوجوب: لأن الإنفاق لابد أن يكون أولاً في سبيل الله ورعاية من تجب على المنفق نفقته، وإلا كفاه إثما أن يضيع من يقوت كما ورد في الحديث سابقًا.

والقاعدة الثالثة تجيء في صيغة الجملة الاسمية: وهي قاعدة ثابتة تعلن عن أن المسلم لابد أن يكد ويسعى في طلب الرزق من مصادره المشروعة، حتى يكون ذا غنى فيستعفف ويعف، وينفق عن ميسرة، ولا يحرم نفسه ولا أهله، ولذلك قال: "وخير الصدقة" وهو إيحاء بأن الصدقة لا تكون إلا ممن لا يحتاج إلى المال المتصدق به، وقيل

المراد غنى: يستظهر به على النوائب التي تنوبه، والتنكير في "غنى" للتعظيم[١].

والجملتان الرابعة والخامسة: تمثلان قاعدتين من قواعد السلوك الإسلامي، ومعلمين من معالم الشخصية الإسلامية، وقد صيغتا في قالب الشرط والجواب، وهذه الصياغة تفصح عن تحقق وعد الله لهم، فالجملة الأولى تذكر ببداية الحديث، وتحث على أن يكون المؤمن صاحب اليد العليا، حيث يقول رسول الله ﷺ ويعدُ، "ومن يستعفف يعفه الله"، وصيغة الاستفعال توحي بضرورة المعاناة ومقاومة النفس، والتصدي لذل الحاجة، والحرص على أن يكون المسلم من هؤلاء الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، فالاستعفاف: غير العفاف، لأنه يحتاج إلى مشقة وصبر وعمل، وسعي على الرزق وجواب الشرط: بشارة ووعد إلهي فقوله: "يعفه الله"، وعد يقيني بذلك، ولن يخلف الله وعده، والجملة الأخيرة وردت في أسلوب الشرط والجواب، وهي ترشد المسلم إلى الاستغناء وعدم الوقوع في ذل السؤال، أو براثن الطمع والشره، فإن الرضا بما قسم الله هو الطريق إلى الغنى والعفاف.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صدقة التطوع، وقد اتفق الفقهاء[٢] على انه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى، خاصة إذا كان من يتصدق عليه محتاجًا ولا قدرة له على الكسب، كاليتيم والعاجز والأرملة، ويبدأ في الإنفاق بالأقرب فالأقرب.

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٥.

(٢) أحكام القرآن، الجصاص ٤٣٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

الثاني: حكم النفقة على الزوجة والأولاد، وقد سبق الكلام عنها في الحديثين رقمي: ٢٦٨، ٢٨٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل اليد العليا.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعفف والقناعة والاستغناء.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والأمر:

لقد ورد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وبيان ما خفي عنهم، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، أما أسلوب الأمر فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ "وابدأ بمن تعول" وفيه حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل اليد العليا:

يظهر ذلك في الحديث في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى" وقد بين ابن حجر: (أن اليد العليا هي المنفقة المعطية وأن السفلى هي السائلة)[2]. وقد دعا النبي ﷺ المؤمن إلى أن يكون صاحب اليد العليا فقال: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِيَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، فَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[3]. وقال ﷺ ((لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٤٩، شرح رياض الصالحين ١/٦٧٧.

(٣) سنن أبي داود ١٦٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤).

مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذلِكَ. فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[1].

وهذا ما أمر به النبي ﷺ حكيم بن حزام رضي الله عنه، فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: "سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتهُ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثمَّ قال: ((يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمن أخذَهُ بَسخاوةِ نفسٍ بورِكَ له فيه، ومن أخذَهُ باشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ. اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى)).

قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، والذي بَعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا بعدَكَ شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقبلَه منه. ثمَّ إن عمرَ رضي الله عنه دعاهُ ليعطِيَهُ فأبى أن يَقبلَ منهُ شيئا، فقال عمرُ: إني أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمينَ على حكيمٍ أني أعرِضُ عليهِ حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخُذَه، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا منَ الناسِ بعدَ رَسولِ اللّهِ ﷺ"[2].

قال ابن حجر: (قوله: "لا أرزأ" بفتح الهمزة وإسكان الراء وفتح الزاي بعدها همزة أي لا أنقص ماله بالطلب منه...، وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه، لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئا فيعتاد الأخذ، فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وإنما أشهد عليه عمر؛ لأنه أراد أن لا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه)[3]، فعلى المؤمن أن يستجيب لأمر نبيه ﷺ ويقتدي بسلفه الصالح في أن يكون صاحب اليد العليا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق:

إن مما يستنبط من هذا الحديث من موضوعات دعوية: فضل الإنفاق، حيث يجعل المؤمن مستعليًا بالله تعالى، ثم بجهوده في كسب الرزق عفيفًا معينًا لإخوانه، وقد أشار

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٢، ومسلم ١٠٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول... إلخ" وقد بيّن الحق تبارك وتعالى عِظم فضل الإنفاق فقال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[١].

قال ابن كثير: (أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب)[٢]، وفي ذلك قال ﷺ: ((قال الله: أنفقْ يا ابن آدمَ أُنْفِقْ عليكَ))[٣]، قال النووي: (وفيه الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى)[٤]، فعلى المنفق أن يثق بموعود الله تعالى في إخلافه خيرًا مما أنفق، وأفضل مما أعطى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التعفف والقناعة والاستغناء:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله" وفي ذلك قال تعالى (واصفًا المهاجرين الذين قد انقطعوا إلى الله وإلى رسوله ﷺ وسكنوا المدينة، وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم)[٥] ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٦] أي: (أن الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم)[٧].

وقد أمر النبي ﷺ بذلك، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ . تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً . فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ.

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٤/١.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٧) المرجع السابق ٧٠٤/١.

فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ؟)) قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَعَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. وَتُطِيعُوا وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ))[1]، والفقر الحقيقي لها علامات تظهر على الإنسان الفقير المتعفف كما تظهر على أسرته، في الطعام، والملبس، و المسكن، وفي حالة الجسم بشكل عام، وفي مراقبة موارد رزقه، إلى غير ذلك من علامات. وعلى المسلمين أن يبحثوا عن أحوال الفقراء المتعففين، ولا يعرفهم إلا دقيق الملاحظة أما الجاهل لا يعرفه بل يحسبه غنيًا[2]. وقد رهب النبي ﷺ من عدم التعفف والقناعة والاستغناء فقال: ((ما يَزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ حتى يأتيَ يومَ القيامةِ ليسَ في وَجهِهِ مُزْعةَ لحمٍ))[3].

قال النووي: (قال القاضي: قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطًا لا وجه له عند الله. وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه، عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه..، هذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهيًا عنه"[4]، وفي ذلك بيان على أهمية التعفف عن المسألة والقناعة والاستغناء.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه...، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته، وجزيل ثوابه في الدنيا والآخرة[5]، وقد ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث في قوله ﷺ: "ومن

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٣.

(٢) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٤٩١.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٧٤، ومسلم ١٠٤٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٧.

(٥) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله". حيث أفاد أن من ترك شيئًا لله أبدله الله خيرًا منه، وأعطاه أفضل منه، فإن من عفّ واستغنى عن الناس، أغناه الله عنهم، وعفّه ونقله من منزلة الاحتياج إلى منزلة الاستغناء، ومن منزلة الذل إلى منزلة العز والكرامة، وفي ذلك عظيم الترغيب في الاستعفاف عن السؤال، والاستغناء عن طلب الناس.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الإنسان مسؤول عن أهله مسؤولية مادية وأدبية، وذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [سورة التحريم:٦].

وإذا كانت نفس الإنسان مفطورة على حب الخير، فحري بالمؤمن أن يبدأ بالصدقة على أهله.

والفرق بين المسلم الذي يفقه دينه والمسلم الذي لا يفقه دينه كبير، فكل منهما يقوم بكفالة أسرته مادياً، ولكن المسلم الفقيه بأمور دينه يقصد حال الإنفاق وجه الله تعالى، أما من لا يفقه دينه فإنه يجاري التقاليد والعادات المتبعة، ومن المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية على البذل والسخاء:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على البذل والسخاء،ومن الشواهد على ذلك في باب النفقة على العيال قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وقوله ﷺ: «... دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، ...».

فهذه شواهد تربوية تدل على أهمية البذل والسخاء في وجوه الخير الكثير والتي منها الإنفاق والسخاء في سبيل الله، وتجهيز الغزاة، وتحرير الأرقاء لينالوا حريتهم، وأن اليد المنفقة في سبيل الله هي العليا.

لأن السخاء محبة ومحمدة ويجلب المودة وينفي العداوة ويكسب الذكر الجميل، ويستر العيوب والمساوئ، وإذا ما تربى الإنسان على السخاء ضعفت نفسه ولانت عريكته وقاده ذلك إلى أن يرتقى في مكارم الأخلاق ومدارج الفضيلة لأن السخى قريب من كل خير وبر، قال الرافعي: "من ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد ومعاناة القوة في الصراع ونحوه، أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة فحسب ولكنه يدعها جامدة مستعصية لا تلين ولا تستجيب

ولا تتيسر، لأن السخاء يعني سخاوة نفس الرجل بما في يديه وسخاوته عما في أيدي الناس، وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم وأبرأ من الدنس وأنزه من العيب فإن هو جمعهما فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم[1].

ثانياً- من أهداف التربية الإسلامية: بيان مسؤولية الرجل عن النفقة على أهله:

من الأهداف التي اهتمت بها التربية الإسلامية بيان مسؤولية الرجل عن النفقة على الأهل، وأنها واجبة عليه، وفي الشواهد على ذلك قوله ﷺ: « «كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ». وقوله ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ ، عَمَّنْ يَمْلِكُ، قُوتَهُ».

فهذا توجيه نبوي بين النبي ﷺ فيه أن جميع أفراد المجتمع مسؤولون ومكلفون بواجبات تجاه الأقارب من النفقات وأن أولوية الإنفاق تكون للعيال ومن يعول، وهذا يعتبر في التربية الإسلامية من تقاسم الأدوار.

فالراعي مسؤول عن رعيته بغض النظر عن موقعه في القمة أو في القاع، ومهما اختلفت الظروف والأحوال فإنه مسؤول عن رعيته والإنفاق على هذه الأسرة، ومما يزيد هذه المسؤولية خطورة وأهمية قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[2]، فهذا شاهد على عظم هذه المسؤولية، ولا داعي لجلب الأعذار وتبرير الأخطار لذلك شدد النبي ﷺ على هذه المسؤولية المتمثلة في الإنفاق على العيال، وهذا شيء يشعره بالتبعية الشاقة فيتعاهدها بالرعاية والعناية ويراقب الله في هذه الأمانة[3].

ثالثاً- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، ولقد استخدمه رسول الله ﷺ في تربية الصحابة لما له من أثر كبير في عملية التربية، ومن الشواهد التي تدل على

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، د. محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٢٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١٢٥/١، ١٤٢

(٣) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هشام علي أحمد ص ٥٨، أصول التربية الإسلامية، د. محمد ص ٦٣.

الترغيب في باب النفقة على العيال، قوله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ». وقوله ﷺ: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ...»، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً»، فهذه شواهد تدل على الترغيب في الإنفاق عامة والنفقة على العيال خاصة، والرسول استخدم أسلوب الترغيب في عملية تنشئة الصحابة، لأنه أسلوب فيه تحريك للدوافع على الخير - الإنفاق- وتنشيطها فيما، أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه ومقام النبي ﷺ، وكل هذا يكفل للمجتمع الاستقامة على طريق أداء الحقوق، وهذا ليس بغريب على التربية الترغيبية لأنها من الأسس التي يقوم عليها الإصلاح في المجتمع[1].

كما رهّب الرسول ﷺ من الإمساك في النفقة وعدم إعطاء العيال حقهم منها، في قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»، فهذا ترهيب من عدم الإنفاق، وجواز الدعاء على البخيل بتلف ماله الذي منعه وكنزه وتحريم البخل والشح لأنه سبب في الهلاك والإهلاك والرسول ﷺ ذكر الترهيب بعد الترغيب لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر الله فيمتنع عن ما نهى عنه ويعمل بما أمره به. مما يجعل الترهيب يؤثر في السلوك ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترهيب أثر تربوي، ولقد بين الرسول ﷺ الكيفية التربوية التي ينبغي للمربين اتباعها في عملية التربية وهي الموازنة والاعتدال والموضوعية في الإفادة من الترغيب والترهيب، فلا يغلب أحدهما على الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة[2].

رابعاً- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٩٤ بتصرف.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٦، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٨٤.

باب النفقة على العيال: قوله ﷺ: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة...»، وقوله: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ...»، وقوله: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ...»، وقوله: «كفى بالمرء إثماً أن يضع من يقوت...»، وقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى...».

فهذه شواهد تربوية تدل على أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التوجيه المباشر في تربيته للصحابة رضي الله عنهم لأنه عندما كان يرى حالة تحتاج إلى توجيه لدى أحد أصحابه فإنه يتدخل بالتوجيه والإرشاد والنصح، وذلك حتى تكون درساً عملياً يستقي منه الأصحاب الحِكم والفوائد التربوية العلاجية لكثير من الحالات المشابهة، والرسول ما استخدم هذا الأسلوب إلا لعلمه بأنه مؤثر في سلوك الفرد، ولعلمه أنه بنجاحه فإنه يغير مجرى حياة الإنسان لأنه يعقبه أثار تربوية منها تزكية النفس وتطهيرها عن الرذائل كالبخل، وبهذا يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، وهذا الأسلوب له عدة عوامل لنجاحه ينبغي مراعاتها وهي: إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام، وتخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئة للتقبيل[1].

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٨٤، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات ص ٨٤.

٣٧- باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[البقرة: ٢٦٧].

الحديث رقم (٢٩٧)

٢٩٧- عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ[1]: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي[2] إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((**بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**))، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بيرحاء: حديقة نخل وروي بكسر الباء وفتحها[4].

---

(١) لفظهما: (إن الله تعالى يقول)، وكذا عند الحميدي في جمعه.

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أموالي) وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٦١١)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٥١٦/٢، رقم ١٨٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٨٣).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

مستقبلة المسجد: أمام المسجد النبوي[١].

ذخرها: هو ما يعد لوقت الحاجة. والمراد: أجرها عند الله[٢].

بخ: كلمة تقول عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر تقول: بَخْ وبخٍ وتقول مكرراً: بَخْ بَخْ وبخٍ بخٍ[٣].

مال رابح: قوله: (مال رابح) روى في الصحيح (رابح) و(رايح) بالباء الموحدة وبالياء المثناة: أي رايح عليك نفعه[٤].

الشرح الأدبي

إن الإنفاق في سبيل الله من سمات اكتمال معالم شخصية المسلم، وهو تاج سلوكها، ومضمار أصالتها، فللمال سطوة لا تقدر على مقاومتها النفوس الضعيفة، وله إغراءاته التي لا يقف في وجهها إلا ذوو الهمم العالية، والبصائر المؤمنة، وحينما تألف النفس الإنفاق، وتستمرئ العطاء، تجد له طعماً لا تعدله طعوم الدنيا وما فيها، وتبصر آفاقاً من العز تسمو إليها وهي متشحة بأردية الإيمان... ولباس التقوى.

وهذا الحديث الشريف مشهد واقعي من مشاهد العطاء الإيماني، وهو حوار بين رسول الله ﷺ وأبي طلحة يُرْسي معْلما من معالم الإسلام، وهو الإنفاق مما يحبه المنفق، استجابة لقول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٥].

ويأتي هذا الحديث في باب مستقل، إشارة إلى أن ثمرته تعود بالنفع على كل مسلم، المنفق، والمنفق عليه، وتعود كذلك على الأمة كلها بالنفع العام، وإشاعة عاطفة المودة والرحمة ونشر سلوك التعاون على البر والتقوى؛ ويأتي هذا الحديث كذلك عقب باب النفقة على العيال، وغيرهم من الذين يستحب الإنفاق عليهم أو يجب،

---

(١) انظر: الوسيط في (ق ب ل).

(٢) انظر المصباح المنير في (ذ خ ر)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤٩٨.

(٣) الوسيط في (ب خ).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٩٢ .

وهو بذلك يرشد إلى أن الإنفاق لن يقبل إلا إذا كان طيباً، وأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

ولنتأمل بعض جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الحواري، المشرق بكثير من القيم والمبادئ، والتعاليم النبوية والإلهية، وأول ظاهرة أسلوبية تلفت القارئ، هي أن الحديث صيغ في قالب الحكاية على لسان الراوي الأعلى: أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث يستعيد الراوي هذه الواقعة، ويقدمها لكل مسلم أنموذجاً للعطاء الإسلامي، المنبثق من الهدي القرآني، والتوجيه النبوي، وسمة الحكاية القصصية أن الراوي كرر الفعل "كان" أربع مرات في سياق عرض مظاهر ثراء أبي طلحة، وبيان أحب أمواله إليه، والجمل الأربع: كل في بداية الحديث: كل جملة تعرض ملمحاً من ملامح ثراء أبي طلحة، وقد ازدادت حديقته شرفاً بأنها كانت مستقبلة مسجد رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

وفي الحديث إشارة إلى سرعة استجابة الصحابة لتوجيهات القرآن الكريم، وذلك يتضح في ذلك الحوار بين رسول الله ﷺ وأبي طلحة حينما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، والعطف بالفاء في قوله: "قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله" وذلك يوحي بأن الرجل لم يتمهل ولم يفكر إلا في الاستجابة للأمر الإلهي، ولذلك نرى استجابته يؤيدها هذا التأكيد بـ"إن" مرتين في إقراره أمام رسول الله ﷺ بأن حديقة بيرحاء أحب ماله إليه، ثم أكد وقال: إنها صدقة لله تعالى: إن هذا التأكيد مرتين يرشد إلى النية الخالصة في التصدق والاحتساب.

والأمر في قوله: "فضعها يا رسول الله: حيث أراك الله"، ليس على سبيل الحقيقة: ولكنه التماس ورجاء، لأنه صادر من الأدنى إلى الأعلى، والنداء في قوله "يا رسول الله" بعد صيغة الأمر: للإشعار بأن هذا أمر إلهي وهو أمر الإنفاق مما يحب، "وضعها" تعبير يحمل الاختيار في جوهره وفي سياق خطاب النبي ﷺ، والاختيار هنا مرتبط بقوله:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

"حيث أراك الله"، وأراك بمعنى أعلمك، فالرسول لا ينطق عن الهوى، ويزداد الحوار إشراقاً ووضاءة حيث يعبر الرسول ﷺ عن غبطته بموقف أبي طلحة فيقول "بخ"، وهي كلمة تقال لتفخيم الأمر والإعجاب به، والأمر يزداد فخامة، ويشرف ويسمو إذا كان القائل هو رسول الله ﷺ، ويبشر الرسول: أبا طلحة بشارة صادقة ويؤكد البشارة بتكرار عبارته مرتين، ويأتي باسم الإشارة "ذلك" لمزيد من التعظيم: فيقول: "ذلك مال رابح: ذلك مال رابح"، ثم يؤكد الرسول ما سمع بقوله: "وقد سمعت ما قلت"، ثم يؤكد توجيهه ورأيه بـ"إن" قائلاً: "وإني أرى..."، ولم يقل: اجعلها: وهذا من أدب النبوة في التوجيه وخطاب أصحابه، والعطف بالفاء في قوله: "فقال أبو طلحة" وقوله: "فقسمها في أقاربه..." يرشد إلى تنفيذ مشورة رسول الله ﷺ في سرعة وصدق ومحبة وإخلاص.

فقه الحديث

يربي الإسلام في نفس المسلم حب الخير وفعله، والتضحية بالنفيس والغالي في سبيل رضا الله عز وجل، ولذا فإن الإنسان إذا تصدق بشيء فليتصدق بما هو جيد، لا بما هو رديء، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولينظر من يتصدق إلى أن الصدقة تقع أولاً في يد الله قبل يد الفقير، وأفضل الصدقات ما كانت للقريب الفقير.

وقد سبق القول في الحديث رقم ٢٩٦ أن الفقهاء اتفقوا[1] على انه يسن للمرء أن يتصدق على الفقراء والمساكين، وأن ذلك من خير الأعمال عند الله تعالى، خاصة إذا كان من يتصدق عليه محتاجاً ولا قدرة له على الكسب، كاليتيم والعاجز والأرملة، ويبدأ في الإنفاق بالأقرب فالأقرب، فهو الأحق بالصدقة ثم غيره من المسلمين.

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٤٣٧/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٠٦/١، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤٢٠/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي ص ١٨٨ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٤/٦، والفروع، ابن مفلح ٥٢٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٤/١، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٤٣/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٢/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق مما يحب المرء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأمر الله ورسوله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان بالإنفاق على ذوي الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قول أنس رضي الله عنه مخبراً عن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان... إلخ" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، وبيان أمور دينه وسنة نبيه.

قد ورد ذلك في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]... إلخ).

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الأضداد يبين ببعضها بعض، فإذا أراد الإنسان من البر الثواب، كان معيار ذلك إخراجه ما يحب، لقوله تعالى: "لن تنالوا البر"، فذكر البر "بالألف واللام" المستغرق للجنس أو المعهود، وهذا من جوده، فلو أنه عز وجل قال: "لن تنالوا براً حتى تنفقوا مما تحبون" لكان يصعب عليهم في كل الحالين، لأنهم لم يكونوا ينالون براً حتى ينفقوا كل ما يحبون، ولكن لما قال سبحانه: (لن تنالوا البر) بان أنه أراد البر المعهود، والمستغرق للجنس حتى ينفقوا مما يحبون، أي شيئاً مما يحبون يعني شيئاً ما، تخفيفاً وتيسيراً من الجهتين)[2].

وقد بيّن القرطبي: (أن البر في هذه الآية الكريمة قد يعني الجنة، أي لن تصلوا إلى الجنة وتعطوها حتى تنفقوا مما تحبون، وقيل إن البر قد يعني العمل الصالح، أي: لن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨١/٥.

تنالوا شرف الدين والتقوى، حتى تنفقوا مما تحبون في سبل الخير، من صدقة أو غيرها من الطاعات)[١]، ومن أجل عظم فضل الإنفاق مما يحب المرء قال ابن عمر رضي الله عنهما: (حضرتني هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة - جارية لي رومية - فقلتُ: هي حرة لوجه الله)[٢]، فعلى المرء أن ينفق مما يحب، حتى ينال عظيم الثواب، وجزيل العطاء من الله تعالى. وفي ذلك بيان عظيم على فضل الإنفاق مما يحب المرء.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: سرعة استجابة الصحابة رضي الله عنهم لأمر الله:

هذا ما ظهر في الحديث في قول أبي طلحة رضي الله عنه: "يا رسول الله إن الله تعالى أنزل عليك ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى.." وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتميزون بسرعة الاستجابة لأمر الله، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: ((كنتُ ساقِيَ القومِ في منزلِ أبي طلحةَ، فنزل تحريم الخمر، فأمرَ مُنادياً فنادَى، فقال أبو طلحةَ: اخرُج فانظرْ ما هذا الصوتُ، قال: فخرجتُ فقلتُ: هذا مُنادٍ ينادِي: ألا إن الخمرَ قد حُرِّمَت. فقال: لي: اذهَبْ فأهرِقْها. قال: فجَرَتْ في سِكَكِ المدينة))[٣].

قال ابن هبيرة رحمه الله: (في هذاالحديث ما يدل على إيمان القوم بحسن مسارعتهم إلى امتثال أمر الشرع)[٤]، وفي ذلك حسن الجزاء من الله، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٥].

قال السعدي رحمه الله: (أي: انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهي،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/١٣٣.

(٢) حياة الصحابة، الكندهلوي ص ٣٧٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٢٠، ومسلم ١٩٨٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٧١.

(٥) سورة الرعد، آية: ١٨.

وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم "الحسنى" أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن. فلهم من الصفات أجلُّها، ومن المناقب أفضلها. ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)[١].

فعلى الأمة جمعاء أفراداً وشعوباً وحكاماً أن تسارع في الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ مقتدية في ذلك بسلفها الصالح، حتى تنال العزة في الدنيا، كما نالها سلفها من قبل.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق:

يظهر ذلك في الحديث عندما بارك النبي ﷺ فعل أبي طلحة وقال له بخ، فهذا لفظ دل على تفخيم الأمر والإعجاب به في قوله ﷺ "بخ! ذلك مال رابح، ذلك مال رابح" أي: مربوح فيه، كما يقال: ليل قائم ونهار صائم، أي: ليل يقام فيها ونهار يصام فيه[٢]، (وصدق النبي ﷺ فهذا مال رابح، فكم من حسنة يربح هذا المال، إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؟)[٣]، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ ﴾[٤].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان بالإنفاق على ذوي الأرحام:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "وإني أرى أن تجعلها في الأقربين"، قال ابن هبيرة: (وإنما كان لهذا الإنفاق مزية، لأن المنفق آثر الله تعالى فيه على هواه، وأبو طلحة وإخراجه "بيرحاء" في سبيل الله، فإنه أنفقه نفقة دارة، ورد تعيين مصرفها إلى رسول الله ﷺ، فاختار له ﷺ أحسن المصارف لأنه ﷺ أراد أن يجمع له بين الصلة والصدقة، فقال: "اجعلها في الأقارب"، ليكون متصدقاً وواصلاً لرحمه)[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٧٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨٢/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٦٨٠/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣٤/٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨١/٥.

وقد بين النووي: (أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الأرحام وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد، لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين، فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت رضي الله عنهما وإنما يجتمعان معه في الجد السابع)[1].

وفي الإنفاق والإحسان إلى ذوي الأرحام لأجران، أجر القرابة وأجر الصدقة، وهذا ما بينه النبي ﷺ لزينب امرأة عبدالله رضي الله عنهما عندما سألته ﷺ ((أيَجزي عني أن أُنفِقَ على زوجي وأيتامٍ لي في حجري. قال: نعم، ولك أجْرانِ: أجرُ القَرابةِ وأجرُ الصدقةِ))[2]. قال ابن حجر: (أي أجر صلة الرحم وأجر منفعة الصدقة)[3]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل الإحسان إلى ذوي الأرحام.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٨/٣، والمدخل في الآداب الشرعية للعبدري "ابن الحاج" ص ٥٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يراعي الإسلام في النفقة حال المنفق وحال المنفق عليه، فالمنفق في كثير من الأحيان يحرص على إخراج الحد الأدنى ويختار من بين ماله ما لا يراه في موقع الصدارة مما يتمول.

والمنفق عليه يحرص على ن يأخذ خير ما يملك الغني ويتمنى ذلك، وقد لا يحمد العطية لأنها من وجهة نظره دون ما يتوقع، والإسلام وازن بين الطرفين فأمر المنفق أن يخرج من خير ماله ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة آل عمران:٩٢]، ونهى عن التصدق بالردئ من الأشياء: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٧]، ونهى الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه عند جمع الصدقة أن يركز على كرائم الأموال لأنها محببة إلى النفس.

كما أمر المنفق عليه بشكر المنفق وعدم تقييد ذلك بالخيرية مما أنفقه، ومن وسائل التربية في هذا الباب:

أولاً - التربية على الامتثال والرغبة في رضوان الله:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على الامتثال لأوامر الله تعالى، يبدو ذلك واضحاً من خلال حديث الباب حيث استجاب أبو طلحة رضي الله عنه لأوامر الله، فكانت استجابته سريعة للفوز بالثواب الذي أعده الله تعالى للمنفقين، وقد كان أبو طلحة من أكثر الأنصار مالاً، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ... فقام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيكَ: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ أَرْجُو بِرَّهَا ...».

فهذه تربية على الامتثال لأمر الله والحرص على بلوغ الدرجات العلى التي حث الله

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

تعالى ورسوله الكريم ﷺ على تحصيلها بالبذل والإنفاق من المال المحبب للنفوس، ولاشك أن هذا الامتثال من أبي طلحة يعد من أرقى ألوان التربية على التحرر من الشح والأنانية والرغبة في رضوان الله تعالى، لأن إقدام المؤمن على الاستجابة لأوامر الله والمسارعة في ذلك دليل وبرهان على الإيمان الراسخ لتحقيق رضوان الله. ومن هنا نقول إن الإنفاق من الممتلكات المحببة إلى النفس، يعد تحريراً للنفس من الأنانية والشح، وتربية لها على العطاء والبذل وهذا يعتمد على التطبيق والممارسة العملية التي تؤثر تأثيراً إيجابياً في النفوس، فتحملها على التأسي والاقتداء.

ومن الأمور التي تعين على الامتثال والرغبة في طاعة الله: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، ...»[1].

ثانياً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب، ولقد استخدمه الرسول ﷺ لما له من أثر كبير في عملية التربية الإسلامية، ومن الشواهد التي تدل على ذلك في باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد، «... قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيكَ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ...». فهذا ترغيب في الإنفاق من أحسن أموال العبد وأحبها إلى نفسه، والحض على فعل الخير والبر.

والنبي ﷺ يرغب ويربي الصحابة على الإنفاق والتصدق في سبيل الله، فقال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[3]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٤١، ومسلم ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٩، مسلم ١٠٣٣.

أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً»[١]، وقوله ﷺ: «مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سبيلِ الله كُتِبَتْ لَهُ بسَبْعَمائَةِ ضِعْفٍ»[٢].

وفي حديث الباب ترغيب وتربية لكل مسلم على البذل والإنفاق في أوجه الخير، ومواساة المسلمين بالمال وإعانتهم على مشكلات الحياة، وفي الحديث تربية على محاربة البخل والشح الذي كان سبباً في هلاك الأمم السابقة.

لذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[٣]، فالله عز وجل يربي الأمة على إنفاق الطيب لا يقبل إلا طيباً.

الإنفاق في سبيل الله ينبغي أن يكون من المال الطيب الذي يحبه الإنسان بالفطرة لأن الصدقة في المال الطيب هي التي يتقبلها الله تعالى من عباده ويثيبهم عليها الجنة بمنه وكرمه، وذلك أن المنفق آثر الله تعالى بالمال طلباً لمرضاته على نفسه وأهله كما فعل الأنصار مع المهاجرين فخلد القرآن ذكرهم، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٤][٥].

ثالثاً- من خصائص التربية الإسلامية: الموازنة بين الأمور:

من خصائص التربية الإسلامية التوازن حتى لا يطغى جانب على جانب، وفي حديث الباب أراد أبو طلحة رضي الله عنه أن يتصدق بأحب أمواله إليه -بيرحاء- إلا أن النبي ﷺ وجهه توجيهاً تربوياً سليماً حيث بيَّن له أن أولى الناس بالإحسان إليهم ذووا الأرحام وأولو القربى، فهذه تربية على الأولويات، وهذا ما ظهر من موقف أبي طلحة رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، مسلم ١٠١٠.

(٢) النسائي ٤٩/٦، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع برقم ٦١١٠، صحيح جامع الأصول ٤٩٤/٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم العمري ص ٣٠٧.

وتوجيه النبي ﷺ له حيث قال له: «وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ».

ونلاحظ من هذا التوجيه النبوي التوازن بين الجهات التي يخرج لها المال الذي ينفق.

إن التربية النبوية اهتمت اهتماماً كبيراً بتحقيق التوازن بين الرغبة في الإنفاق بأحسن ما يملك الإنسان، وبين توجيه هذا الإنفاق التوجيه السليم، لذلك كان من أبرز مظاهر التوازن في المنهج الإسلامي التوازن بين الأقارب في العطايا والإنفاق، وأخيراً إذا لم يحدث توازن وموازنة في الإنفاق يحدث خلل في السلوك والتصرفات[1].

والتوازن من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي لا توجد في تربية سواها حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على المساس من الاعتدال والاستقامة وتقيم مجالاً واسعاً متوازياً للاختيار والبدائل المباحة تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها تكون بعيدة عن التطرف والإغراب[2].

رابعًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار:

هذا واضح من حوار النبي ﷺ مع أبي طلحة رضي الله عنه، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يمكن للمعلم استخدامها في العملية التربوية، وفي هذا الأسلوب يتم تبادل الأفكار والآراء بين المتعلمين والمعلم بحرية، وذلك بغية توضيح بعض المفاهيم والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح، وتمتاز بأنها توفر الفرصة للمتعلمين للتعبير عن أنفسهم.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. الحازمي ص ٤٢٠، الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها ص ١٣٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٣٨، ٣٩.

٣٨- باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن المخالفة وتاديبهم ومنعهم عن ارتكاب منهي عنه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[طه: ١٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦].

الحديث رقم (٢٩٨)

٢٩٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**كَخْ كَخْ إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ؟**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: ((**أَنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ**)). وقوله: "كِخْ كِخْ" يُقَالُ بإسْكان الخَاء، ويُقَالُ بكَسْرِهَا مع التَنْوين، وهي كلمة زَجْرٍ للصبي عن المُسْتَقْذَرَات، وكان الحَسَنُ رضي الله عنه صبيًا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

لقد عُني الإسلام بتربية الأبناء عناية فائقة، حيث أمر كل مسلم بضرورة الاهتمام بتنشئة ابنه تنشئة صحيحة في ظل الأصول والمفاهيم الأخلاقية التي أصَّلتها الشريعة، وفاضت بتعاليمها نصوص الكتاب والسنة النبوية، حتى ينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبع بأنفاس الحضارة الإسلامية وعبقها، وكيانه مهيأ لمعايشة واقع الحياة الإسلامية سلوكًا وتعليمًا، وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩/١٦١) واللفظ له.

(٢) أخرجها مسلم عقب الحديث (١٠٦٩/١٦١، بدون رقم) من حديث وكيع عن شعبة.

وهذا الحديث دَرْس عملي في التربية الإسلامية، وما أعظمه من درْس !!!، وما أجمله من توجيه !!!، ولا عجب، فالمعلم هو نبي الرحمة، ورسول الهداية محمد بن عبدالله ﷺ، والذي يتلقى الدرس، وينهل هذا العلم وهو علم السلوك، هو حفيد رسول الله الحسن بن علي ابن بنت رسول الله، فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهو كما تقول الروايات أشبه الناس برسول الله ﷺ ووردت في فضله وهو وأخوه الحسين: أحاديث كثيرة صحيحة.

وعلى الرغم من حب رسول الله للحسن، فإنه حرص على تعليمه وتلقينه هذا الدرس السلوكي الذي يغرس في نفسه -وهو ما زال في سن الطفولة- مبادئ العزة والعفة والكرامة، لأن اليد العليا خير من اليد السفلى -كما قال رسول الله ﷺ-.

وهذا المشهد المضيء من مشاهد السيرة النبوية، ومشاهد التربية الإسلامية. يقدم النموذج الأمثل في التربية الصحيحة، فالحسن بن علي رضي الله عنهما وهو لا يدري لأنه طفل- أخذ تمرة واحدة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فلم يكتف الرسول ﷺ بنهيه عن تناول شيء بعد ذلك، ولكنه حرص على أن لا يأكل الحسن التمرة، وقال "كخ كخ" وهي عبارة تقال للاعتراض واستقذار الشيء، ولم يبلع الحسن التمرة وألقاها كما أمره رسول الله ﷺ، وهذا المشهد الجليل في أدائه الأسلوبي يتضمن عدة ظواهر أسلوبية وفنية، ومنها العطف بالفاء في قول الراوي: "فجعلها في فيه"، فقال رسول الله ﷺ "كخ كخ" وهذا العطف بالفاء يرشد إلى إسراع رسول الله ﷺ، وحرصه على عدم الوقوع في مثل هذا الصنيع، لأن التمر من الصدقات، وأهل البيت ليسوا من أهل الصدقة، لأنها للمحتاجين، ومصارف الصدقات معروفة.

وتكرار هذه العبارة "كخ كخ" مع إيقاعها الصوتي الذي يشبه الإنذار بالعقاب، والتأفف من هذا العمل: يدل على شدة حرص النبي ﷺ على التزام حفيده بتعاليم الإسلام، وسنة رسول الله ﷺ وأسلوب الأمر في قوله "ارم بها"، يعلن عن وجوب الالتزام بما يأمر به رسول الله ﷺ، واختيار مادة "رمى" يوحي باستهجان هذا الفعل، وللفعل "ارم"، دلالات وإيحاءات كثيرة: وهو أدق في التعبير من ألق، أو لا تأكل،

والاستفهام في قوله "أما علمت" يفصح عن إنكار الرسول عليه الصلاة والسلام للفعل الذي أقدم عليه حفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما، وهو يحرص على تعليم الحسن ما يجب فعله، والتأكيد في قوله: "أنَّا لا نأكل الصدقة"، لإقناع الصبي، وإفهامه بأن الأمر جد، وأنه لا يحل له ولا لغيره من آل بيت رسول الله ﷺ الأكل من مال الصدقة، وصيغة المضارع المقترنة بالنفي في قوله "لا نأكل الصدقة"، يعلن عن استمرار هذا الحكم، وعدم انقطاعه، فهو حكم شرعي ثابت ومستمر، واللغة أفصحت عن طبيعة الحكم وعن المعنى المراد، والدرس المبتغى من هذا الحديث الشريف.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم فقهي خاص بآل النبي ﷺ وهو أنه لا يحل لهم الأخذ من أموال الزكاة والصدقات، لأنها غسول الناس، وذلك لا يليق ببيته ﷺ لمكانتهم العالية.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى أحد من آل النبي ﷺ ولا لأحد من آله من بني هاشم وهم آل العباس بن عبدالمطلب، وآل أبي طالب بن عبدالمطلب، وآل الحارث بن عبدالمطلب، وآل أبي لهب بن عبدالمطلب، ولا يجوز لهاشمي أن يطلب الزكاة ولا أن يقبلها؛ لأنها أوساخ الناس، ويجوز لهم الأخذ من صدقة التطوع لما روي في ذلك من آثار تؤيده، وقد أبدلهم الله عن أموال الزكاة بخُمْس الغنيمة نفقة لهم.

---

(١) انظر في ذلك تفصيلاً: المبسوط ١٢/٣، وأحكام القرآن، الجصاص ١٩٢/٣ وما بعدها، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٣٢٥/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٣٩/٢، والأم ٨٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢١٩/٦، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن، ٣٤/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٩١/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٤/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١٥٦/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الزجر والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعاهد الأولاد بالتربية على أخلاق الإسلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الزجر والإخبار:

قد ورد أسلوب الزجر في الحديث في قوله ﷺ: "كخ كخ"، والزجر من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على توجيه المدعو وإرشاده إلى اجتناب ما نهي عنه، وهذا ما بيّنه النووي في قوله ﷺ: "كخ كخ"، فقال: (هي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات وكان الحسن رضي الله عنه صبيًا)[1]، وقد ورد الإخبار في الحديث في قوله ﷺ: "أما علمت أنا لا نأكل الصدقة"، حيث أعلم النبي ﷺ أنه هو وآل بيته رضوان الله عليهم لا يأكلون الصدقة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" (وقد اختص النبي ﷺ بكثير من الخصائص والأحكام دون أمته تكريمًا له وتبجيلاً)[2]، ومن هذه الخصائص تحريم الصدقة عليه ﷺ وعلى آل بيته، وفي ذلك قال ﷺ ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ. إِنَّما هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ))[3].

قال النووي: (وفي الحديث دليل على أنها محرمة، سواء كانت بسبب العمل أو بسبب الفقر والمسكنة وغيرهما...، وفي قوله ﷺ: "إنما هي أوساخ الناس"، تنبيه على العلة في تحريمها على بني هاشم وبني المطلب، وأنها لكرامتهم وتنزيههم عن الأوساخ، ومعنى أوساخ الناس، أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً

---

(١) رياض الصالحين النووي ص ١٦٥..

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٥٠٣/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧٢/١٦٨.

تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١]، وفي تأكيد ذلك، أخبر أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وذلك في قوله رضي الله عنه: ((كان رسولُ الله ﷺ إذا أتي بطعامٍ سأل عنه: أهديةٌ أم صدَقةٌ؟ فإن قيل صدقةٌ قال لأصحابه: كلوا، ولم يأكل. وإن قيلَ: هديةٌ، ضَرَبَ بيدهِ ﷺ فأكلَ معَهم))[٢].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: أن الله عز وجل صان رسوله ﷺ عن أكل الصدقة، وأذن له في الهدية من أجل أن الهدية مع نية المكافأة، وكان رسول الله ﷺ يثيب على الهدية إذا قبلها. فأما الصدقة: فإنما يطلب منها ثواب الآخرة؛ لعجز الفقير أن يجازي عليها فيكون ذليلاً للمتصدق، والرسول ﷺ منزه عن ذلك)[٣].

(وفي دخول الآل في ذلك التحريم، فإنهم دخلوا تبعًا لانتسابهم إليه ﷺ وتشريفهم بذلك)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعاهد الأولاد بالتربية على أخلاق الإسلام:

إن تربية الأبناء على المبادئ الإسلامية أمر مهم وضروري، والإسلام لا يقوم إلا بالرجال الذين تربوا على أخلاقه وفضائله، لذا كان جيل الصحابة رضي الله عنهم الذين رباهم محمد ﷺ أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، لذا حثّ الإسلام وحضّ على تنشئة الطفل تنشئة إسلامية تقوم على فعل الواجبات، وترك المنهيات والابتعاد عنها.

وفي هذا الحديث صورة من صور التربية الإسلامية المشرقة، فقد نهى النبي ﷺ الحسن رضي الله عنه عن أكل هذه التمرة لأنها من الصدقة التي لا تحل لمحمد ﷺ وآله، وفي هذا درس بليغ للمربيين والآباء، أن يتعاهدوا الصبي بالتربية، ولا يتركونه يفعل ما فيه مخالفة لآداب الإسلام وأخلاقه، بحجة أنه ما زال صغيرًا، وأن التوجيه سيأتي في وقته بعد أن يتجاوز مرحلة الصبا، فهذا خطأ كبير لم يقع فيه المسلمون الأوائل، فلم يترك

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٣٧، ومسلم ١٠٧٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/ ٢٣٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١/ ٥٠٤.

النبي ﷺ الحسن رضي الله عنه دون توجيه وإرشاد مع كونه صغيرًا، بل تعاهده ﷺ وزجره عما أكل ما لا يحل له.

ومن هذا المنطلق أمر الإسلام بتعليم الصبيان الصلاة من سن سبع وضربهم عليها من سن عشر، وذلك حتى ينشأ على حب الصلاة، والعناية والاهتمام بها، والمحافظة عليها، قال ﷺ: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بالصَّلاَةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا))[1].

قال الفقهاء: "وهكذا في الصوم؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر"[2].

ولا يتعلق الأمر بأركان الإسلام وقواعده فحسب، بل يشمل أيضًا كل ما من شأنه أن يُخرج الصبي وقد اكتمل بناؤه الأخلاقي، بحيث يكون فاعلاً للخير تاركا للشر مما يبعده عما يؤدي به إلى الدخول في النار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (إنه حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم عنه)[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦٧/٨.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

الحديث رقم (٢٩٩)

٢٩٩- وعن أَبي حفص عمر بن أَبي سلمة عبد الله بن عبد الأسدِ ربيبِ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: كُنْتُ غلامًا في حجر رَسُول الله ﷺ وَكَانَتْ يَدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رَسُول الله ﷺ: ((يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي -بَعْدُ-. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]. "وَتَطِيشُ" تدُورُ في نَواحِي الصَّحْفَة.

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: هو عمر بن أبي سلمة عبدالله بن عبد الأسد القرشي المخزومي، كنيته: أبو حفص، وهو ربيب رسول الله ﷺ، فأمه أم سلمة تزوجها النبي ﷺ بعد موت أبيه، وكان النبي ﷺ عمه من الرضاع، أسلم أبوه وكان من السباقين إلى الإسلام، وهاجر أبوه وأمه إلى الحبشة فارِّيْن بدينهما من أذى قريش، حيث ولد هناك قبل السنة الثانية من الهجرة، ثم هاجر أبواه إلى المدينة حيث شهد أبوه بدرًا وأُحُدًا وجرح فمات من جرحه. فتزوج النبي ﷺ أم سلمة وهو الذي زوجها به ﷺ وهو صبي[2] وعلّمه النبي ﷺ أدب الأكل لما كان يأكل معه، فحفظه عنه ﷺ كما في الحديث المذكور.

ولما كانت غزوة الخندق جعل -وكان صغيرًا- هو وعبدالله من الزبير مع النسوة في أُطَم حسان بن ثابت[3]، فكان يطأطئ لابن الزبير فينظر، وابن الزبير يطأطئ له فينظر.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب، فشهد موقعة الجمل، واستعمله عليٌّ على فارس والبحرين، وتوفي بالمدينة ٨٣ هـ في خلافة عبدالملك بن مروان[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨). وسيكرره المؤلف برقم (٧٤٠).

(٢) أخرجه النسائي (٨١/٦) وقال محققو السير: إسناده صحيح.

(٣) الأُطم: بناء مرتفع كالحصن. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ط م).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٨٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٩/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٥١، والسير (٤٠٦/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٥٤/٥)، والتهذيب (٢٣٠/٣).

غريب الألفاظ:

ربيب: الربيب: ولد امرأة الرجل من غيره[١].

في حجر رسول الله ﷺ: أي كنفه وحمايته ﷺ[٢].

تطيش: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة[٣].

الصحفة: وعاء كبير مبسوط للطعام[٤].

الشرح الأدبي

يقدم الراوي الصحابي الجليل، عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما هذا الحديث في قالب الحكاية الواقعية، حتى يشوق القارئ والسامع، وهو يحكي مشهدًا من مشاهد حياته الكريمة في كنف رسول الله ﷺ وما أجمل هذا الوصف الذي وصف به: إنه ربيب رسول الله ﷺ، أي ولد زوجته أم سلمة، وعندما مات أبو سلمة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة، وضم أبناءها إليه ليرعاهم، وما أجلها من رعاية، وقد كنى عن جمال هذه الرعاية النبوية عمر بن سلمة حين قال: "كنت غلامًا في حجر رسول الله"، أي في تربيته وتحت نظره، وأنه يربيه في حضنه تربية ولده، وقال عياض: الحجر يطلق على الحضن وعلى الثوب فيجوز فيه الفتح والكسر ، وإذا أريد به الحضانة فبالفتح لاغير، وحضن الإنسان ما دون إبطه إلى الكشح، ثم قالوا: في حجر فلان أي في كنفه وحمايته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾[٥].

ويحكي عمر بن أبي سلمة هذه الواقعة التي حدثت وهو دون التاسعة، ومما يفصح عن صيغة الحكاية، تكرار الفعل كان في قوله: "كنت غلامًا وكانت يدي تطيش

---

(١) الوسيط في (ر ب ب).

(٢) المصباح المنير في (ك ن ف).

(٣) رياض الصالحين ١٦٦، ٣١٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٤٢.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٣ .

في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ..." وتحديد صغر السن يفصح عنه قوله: "كنت غلامًا" لأن كل مرحلة من عمر الإنسان لها عند العرب مسمى: ومنها الصديغ: وهو المولود الذي لم يتم سبعة أيام، والدارج: وهو الذي أخذ يدب ويحاول المشي، والمثغور: وهو الذي سقطت رواضعه، والغلام: وهو يطلق على الطفل منذ فطامه إلى أن يبلغ السابعة.

فتأمل هذه التوجيهات السلوكية الحضارية، التي يأمر بها رسول الله ﷺ هذا الغلام وهو في السابعة أو دون التاسعة، وهي أوامر تربوية تصلح من سلوك الطفل: حيث كانت يده تطيش في قصعة الطعام، أي تتحرك وتمتد في جوانب الإناء، ولا تقتصر على موضع واحد، واختيار مادة الطيش في قوله "تطيش" له إيحاءاته المتعددة التي تدل على عدم الروية، وعدم التعقب، وفقدان النظام، وعدم الالتزام بآداب الطعام، وقال: الطيبي: الأصل: أطيش بيدي، فأسند الطيش إلى يده مبالغة في أنه لم يراع أدب الأكل، وتأتي توجيهات رسول الله ﷺ في بيان بليغ فيه مراعاة لمقتضى الحال، وفيه استمالة لقلب الصبي وترغيب له، حيث لم يقل له: لا تفعل كذا، ولم يزجره في عنف، بل ناداه في حنو ورفق بقوله: "ياغلام" حتى ينتبه إثر ذلك النداء، وعدم تحديد اسمه والعدول عن الاسم إلى هذه الصفة، يوحي بأن هذه التوجيهات لكل من هم في سنه من أبناء المسلمين: حيث ينشأون في ظل آداب السلوك الإسلامي، والتوجيه النبوي، وقوله: "سم الله تعالى" أي قل قبل بدء الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم، وقيل إن الحكمة من التسمية: لطرد الشيطان ومنعه من المشاركة في الطعام، وأيضًا لأن التسمية تجلب البركة وتدعو إلى القناعة وعدم الشره، وتعين على البعد عن الحرام والمكروه فيما يؤكل؛ والأمر الثاني وهو "كل بيمينك"، والحكمة في الأكل والشرب باليمين: أنها في الغالب أقوى من الشمال وأمكن منها، وأنها مشتقة من اليمن بمعنى البركة، فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينا، والأمر الثالث، "كل مما يليك"، وهو سبب ورود الحديث: ولكن التوجيهين السابقين لازمان للكبار والصغار، وهما من سمات شخصية المسلم في طعامه، ويستجيب الغلام استجابة عملية، ويعطي

القدوة الحسنة لكل طفل مسلم يتلقى التوجيهات التربوية المفيدة السديدة، فيقول: "فما زالت تلك طعمتي بعد" عملاً بقول رسول الله ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى آداب الطعام والشراب، وحكم التسمية قبل الطعام والأكل باليد اليمنى، وقد سبق الكلام عن ذلك في الحديثين ١٥٩، ١٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: آداب الطعام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تربية الأولاد على آداب الإسلام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والأمر:

ورد النداء كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "يا غلام"، والنداء من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، أما أسلوب الأمر فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)، والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وتوجيهه إلى فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: آداب الطعام:

هذا ما ظهر في نص الحديث في قوله ﷺ: "سمِّ الله تعالى، وكل بيمينك، وكل مما يليك" قال ابن عثيمين: (إن هناك ثلاثة آداب علمها النبي ﷺ للغلام وهي: أولاً: قال: "سم الله" وهذا عند الأكل، ولا يحل له أن يتركها؛ لأنه إذا تركها شاركه الشيطان في أكله، والأدب الثاني: قوله ﷺ: "وكل بيمينك": فيجب على الإنسان أن يأكل بيمينه، وأن يشرب بيمينه، وفي ذلك قال ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))[1]،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

والأدب الثالث قوله ﷺ: "وكل مما يليك" يعني لا تأكل من حافة غيرك، بل كل من الذي يليك؛ لأنك إذا اعتديت على حافةغيرك فهذا سوء أدب)[١]، وفي ذلك بيان على آداب الطعام في الإسلام.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تربية الأولاد على آداب الإسلام:

لقد حرص النبي ﷺ على بيان أهمية تربية الأولاد على آداب الإسلام، من خلال توجيهه ﷺ لهذا الغلام الذي كانت يده تطيش في الصحفة، وهذا ما ظهر من سياق الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بأهمية تربية الأهل وتأديبهم بأدب الإسلام فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ﴾[٢].

قال القرطبي: (على الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي والرعية. ففيه صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ))[٣]. وقال بعض العلماء لما قال تعالى: "و أنفسكم"دخل فيه الأولاد؛ لأن الولد بعض منه، فيعلّمه الحلال والحرام، ويجنّبه المعاصي والآثام، إلى غير ذلك من الأحكام)[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية تربية الأولاد على آداب الإسلام.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي "فما زالت تلك طعمتي بعد" أي: (صفة أكلي بعد ذلك الأمر)[٥]، وفي ذلك طاعة لله ولرسوله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[٦]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى عباده

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٦٨٤-٦٨٥.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٥١، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨/١٩/١٩٥.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٦٨٣.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، ويزجرهم عن مخالفته، والتشبه بالكافرين والمعاندين له؛ ولهذا قال: "ولا تولوا عنه"، أي: تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره، "وأنتم تسمعون"، أي: بعد ما علمتهم ما دعاكم إليه)[1].

وفي الاستجابة لتوجيهاته ﷺ عظيم الأجر كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣/٤.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٦.

الحديث رقم (٣٠٠)

٣٠٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ، يقول: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيَةٌ في بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ في مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩/٢٠)، وقد تقدم مختصرا برقم (٢٨٣). وسيكرره المؤلف برقم (٦٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٨٣) مع اختلاف يسير واختصار في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (٣٠١)

٣٠١- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ((مُرُوا أوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المضَاجِعِ)) حديث حسن رواه أَبُو داود[1]، بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المضاجع: المفرد: المضجع، أماكن النوم[2].

الشرح الأدبي

الصلاة أهم الأعمال اليومية التي يؤديها المسلم فهي التي تنظم وقته، وسلوكه، وعلاقته بربه، والناس جميعاً، وتضبط إيقاع حياته، لذلك حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يربِّى عليها الطفل بطريقة تجعلها جزءًا من حياته اليومية حتى إذا شبَّ عليها لم يتركها بعد، وغَرسُ قيمةٍ معينة من القيم في نفس الطفل يحتاج إلى حكمة، وفطنة لذلك جاء التوجيه النبوي في صورة إنشائية بالأمر المباشر للآباء مسنداً إلى ضمير الجماعة الذي يجعل الجميع معنيين بتنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا... واضربوهم.... وفرقوا بينهم) وأسلوب الأمر الأول طلب توجيه الصغار إلى أداء الصلاة ومتابعتهم ترغيباً دون ترهيب حتى يأتونها بمحبة تحقق غرضها، وهذا أمر يحتاج لصبر، ومتابعة، لذلك قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[طه: ١٣٢] فأمر بالصبر عليها بل بالاصطبار، وهو تكلف الصبر، والمجاهدة في ذلك فخير للإنسان أن يتحمل العناء في ذلك حتى يستقيم له الأمر بدلا من أن يرى

---

(١) برقم (٤٩٥).

(٢) الوسيط في (ض ج ع).

ابنه تحرقه النار، وهو أمر لا قوة لوالد عليه، لذلك جاء الأمر بالضرب من الرسول ﷺ وهو أرحم الناس حتى على الحيوانات، لكن الضرب ضرب تخويف في فترة محددة يمنع عذاباً النار الطويل، لأنه إن لم يعتدها في هذه الفترة شق عليه التزامها بعد ذلك ثم جاء الأمر بالتفريق بينهم في المضاجع، رعاية لحال الصغار في هذه المرحلة، وحماية من عبث الشيطان، ولأنه مقبل على مرحلة يحتاج فيها إلى شيء من الخصوصية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم صلاة الصبي وأمر الولي له بها، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يجب على الولي أن يأمر الصبي بالصلاة وهو ابن سبع سنين، وأن يضربه عليها متى بلغ عشر سنين، وإن كانت الصلاة غير واجبة على الصبي، فهو مأمور بها على وجه التأديب والتعليم.

الثاني: حكم التفريق بين الأولاد في المضاجع، وقد ذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أنه

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٥٧/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٤٣/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٥٥٢/١، والمدونة ١٩١/١، وشرح الخرشي على مختصر العدوي ٢٢١/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٤٠/١ وما بعدها، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ١٢١/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧/٣ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٧/١، والفروع، ابن مفلح ١٨/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/٢.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٢/٦، وأحكام القرآن، الجصاص ٤٦٤/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢١٨/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١١٣/٣، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ١٠٠/٤، والفروع، ابن مفلح ٢٠٠/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٢/٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٥٣٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢١/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٣٦٩/١.

إذا بلغ الأولاد عشر سنين سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا، أو ذكورًا وإناثًا، فرق وليهم بينهم في المضاجع، متى أمكن ذلك، بأن يجعل لكل واحد فراشًا مستقلاً، وقيل إن هذا التفريق مستحب، ويكره عدم التفريق، وكذا يجب عليهم تعليم أولادهم ألا يتجرد أحدهما أمام الآخر، ولا يتجردا أمام والديهما بعد هذه السن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: الآباء والأبناء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع.

رابعًا: من واجبات الداعية: تذكير المدعوين بما يجب عليهم نحو أولادهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر، وقد استخدمه رسول الله ﷺ في أكثر من موضع هي: "مُروا أولادكم... واضربوهم... وفرقوا..."، "وعلموا الصبي... واضربوه..."، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة التي يستطيع الداعية من خلالها حث المدعوين على الامتثال لهذه الأوامر التي يخبرهم بها، ويشعر المدعوين بأهمية الأمر بالصلاة، ومتابعة الأولاد في تلك المراحل العمرية.

وفي هذا الحديث يأمر النبي ﷺ الآباء بأمر أولادهم بالصلاة لسبع، وبضربهم عليها لعشر، وأن يفرقوا بينهم في المضاجع، ولا شك أن هذه الأوامر النبوية تفيد أهمية اهتمام الآباء برعاية أبنائهم، وتفقد أحوالهم.

ثانيًا- من أصناف المدعوين الآباء والأبناء:

من أصناف المدعوين في هذا الحديث الآباء والأبناء، وهذا يدل عليه قوله ﷺ: "مروا أولادكم..."، فالأمر موجه للآباء، والمراد من الأمر الأبناء، وهما صنفان مهمان من أصناف المدعوين.

أما الآباء: فإن من المعالم المهمة في التربية، أن يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهما وبناتهما، قدوة في العبادة والسلوك والتعامل داخل المنزل وخارجه، فالصغير يرى في

أبويه المثال الذي يجب أن يحتذى به[١]، فمن أجل ذلك فالآباء في حاجة إلى من يبصرهم بأمور دينهم، ويرشدهم إلى واجبهم نحو أولادهم؛ لأن الدعوة تكون لهم ولأولادهم وبصلاح الآباء ينصلح إن شاء الله الأولاد.

أما الأبناء: وهم الذكور والإناث دون سن البلوغ، وفوق سن التمييز، وهم صنف في غاية الأهمية، لأنهم جيل المستقبل، والعناية بهم عناية بمستقبل المجتمع[٢].

وقد اهتمت الشريعة الغراء بهم، حيث ذكرهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ...﴾[٣].

وإذا تدبرنا الهدي النبوي فإننا نجد أن الرسول ﷺ كان شديد الاهتمام بالأطفال، فها هو يرى طفلاً يبكي لطيران عصفور من يده فخاطبه قائلاً: ((يا أبا عمير، ما فعلَ النُّغَير؟))[٤]، وإذ بالطفل يفرح لحديث الرسول ﷺ معه وينسى العصفور، لينتبه للتسمية التي سمعها من الرسول ﷺ حين كناه بأبي عمير.

وفي محطة أخرى نجد المسلمين قد علقوا التمور في المسجد، ليأتي الأطفال إليها بهدف الأكل، وبهذا تتعود أقدامهم السير نحو المسجد والصلاة فيه[٥] فينبغي تنشئة الأبناء على طاعة الله، وعلى حب الخير، والبعد عن المعاصي، والخوف من غضب الله عز وجل.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذين الحديثين تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع، أما تعليم الصلاة فيدل عليه قوله ﷺ: (مروا أولادكم بالصلاة

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٩ - ١٦٢.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ٦٢٠٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٢.

وهم أبناء سبع سنين)، وأما التفريق في المضاجع فيدل عليه قوله: (وفرقوا بينهم في المضاجع).

ومن ذلك يتضح أهمية تعليم الأولاد الصلاة وهم صغار عند بلوغ الصبي سن السابعة وهذه مرحلة من أهم المراحل التي اهتم الإسلام بها اهتمامًا خاصًا، إذ جعلها بداية تمرين الصغار على الطاعات العملية، فأمر رسول الله ﷺ بأمر الأولاد بالصلاة لعظم شأن الصلاة، وضرورة توجيه الصغير إليها مبكرًا، إذ إنها من الأعمال اليومية المستمرة التي لا تنقطع، وإذا تدرب عليها الصبي صارت مألوفة لديه، ثم إن الصلاة علامة قوية على حسن الصلة بالله سبحانه، فلهذه الأمور وغيرها أمر رسول الله ﷺ بها الصبي صغيرًا وقبل سن التكليف، فإذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليه وحافظ عليها؛ كانت عونًا له ودافعًا للمحافظة على سائر العبادات.

أما التفريق بينهم في المضاجع، التفريق بين الأبناء والبنات عند بلوغهم سن العاشرة، لأن هذه السن قد يصل الابن أو البنت إلى سن البلوغ، وأخذ الحيطة فيما بين الأبناء والبنات أمر في غاية الأهمية، إذ أن الإسلام يحث المنتسبين إليه على الطهر والعفاف[1].

وقال الطيبي: "فإذا بلغوا عشرًا ضربوا على تركها، وفرقوا بين الأخ والأخت مثلاً في المضاجع، لئلا يقعوا فيما لا ينبغي، لأن بلوغ العشر مظنه الشهوة وإن كن أخوات"[2].

يتضح مما سبق أهمية تعليم الأولاد الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع، وإنما جمع رسول الله ﷺ بين الأمر بالصلاة، والتفريق بينهم في المضاجع في الطفولة، تأديبًا ومحافظة لأمر الله كله، لأن الصلاة أصلها وأسبقها، وتعليمًا لهم المعاشرة بين الخلق وأن لا يقفوا مواقف التهم، فيجتنبوا محارم الله كلها[3].

رابعًا- من واجبات الداعية: تذكير المدعوين بما يجب عليهم نحو أولادهم:

إن من واجبات الداعية التي تستنبط من عموم الحديثين تذكير المدعوين بالواجب

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٧ - ١٥٩.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٥/٢.

(٣) المرجع السابق ١٥٥/٢.

عليهم نحو أولادهم، فقد ذكّر رسول الله ﷺ القائمين بتربية الأبناء بواجبهم نحوهم من أمرهم بالصلاة وتعليمهم لها.

فيجب على الداعية تذكير الآباء بواجبهم نحو أبناءهم، وهذا انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1]، فيجب على الآباء تحري الوسائل المفيدة في التنشئة على الإيمان والتقوى.

كذلك من واجب المربي إحساسه بمسؤوليته، قال رسول الله ﷺ: ((كلُّكم راعٍ وكلُّكم مَسؤول عن رعيَّتِه))[2]، فيجب على الداعية التذكير بواجب ومسؤولية تربية الأولاد، لأن الآباء راعون ومسؤولون عن أبناءهم أمام الله عز وجل.

ولأن الأبناء هم امتداد الآباء في هذه الحياة، فإذا كان الأولاد صالحين، كانوا نافعين لآبائهم، مطيعين لهم، عاملين على رضاهم في الدنيا، ونافعين لهم بعد موتهم، قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[3].

فإرشاد الآباء إلى تعليم أولادهم أمور دينهم، والتزامهم بها، فيه صلاح وخير لهم. فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى ما يصلحهم ويصلح ذريتهم.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٣١.

الحديث رقم (٣٠٢)

٣٠٢- وعن أَبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن معبدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ[1] سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ[2])) حديث حسنٌ، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[3]، وَقَالَ: (حديث حسن).

ولفظ أَبي داود[4]: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ)).

ترجمة الراوي:

سبرة بن معبد الجهني: صحابي جليل نال شرف صحبة رسول الله ﷺ واسمه سَبْرة بن مَعْبد بن عوسجة الجهني أو ثُرَيَّة بفتح المثلثة وضمها، ويقال أبو ثلجة، ويقال أبو الربيع المدني. كان حريصًا على ملازمة رسول الله ﷺ على الجهاد منذ أن أسلم فشهد غزوة الخندق وما بعدها.

نزل بالمدينة المنورة، واتخذ له دارًا في جهينة، ونزل ذا المروة في آخر عمره. وكان له باع في سياسة الأمور وإداراتها، فاعتمد عليه علي بن أبي طالب لما ولي الخلافة بالمدينة وبعثه رسولاً إلى معاوية يطلب منه بيعة أهل الشام.

توفي في خلافة معاوية، رضي الله عنه وأرضاه[5].

---

(١) في المطبوع من الجامع: (ابن سبع سنين).

(٢) (سنين) لا توجد عند الترمذي.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧) وقال: حديث حسن صحيح. وصحّحه ابن خزيمة (١٠٠٢)، وقال الحاكم (٢٠١/١): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرج واحد منهما هذا الحديث. وقال البيهقي في الخلافيات (مختصر الإشبيلي ٢٧/٢): إسناده صحيح.

(٤) برقم (٤٩٤).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٤٨/٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٩٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠٦/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٧١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٨/٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٤/١)، السندي (٥٣/٢٤).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه نفسه يشير إلى ضرورة تعهد الصغير بالصلاة حتى يعتادها في طفولته، ويشب عليها؛ فإن من شبَّ على شيء شاب عليه، وقد مضى في الحديث السابق تتابع الأوامر لجميع الكبار بتعهد الصغار عن طريق تعميم الأوامر على الفاعل وهم أولياء الأمر، وتعميمه على المفعول، وهم الصغار بعد سن السابعة، وقد جاء هذا الحديث بلفظ الأمر المتصل بواو الجماعة (علموا) حتى يتعاون على ذلك كل أفراد الأسرة الأب، والأم، والأخوة الكبار، وحتى الجيران، والأصدقاء، ولفظ: (الصبي) يحدد بمعناه الفترة العمرية المستهدفة بالأمر، واللام للجنس أي: كل طفل ذكراً كان، أو أنثى، و(ال) في الصلاة للعهد أى: المعهودة المعروفة، وهي الصلوات الخمس المفروضة، وقوله (لسبع سنين) فيه إيجاز بالحذف أي لبلوغه سبع سنين، وقوله: (واضربوه عليها) اتصال الفعل بواو الجماعة ينادي بضرورة تكاتف المجتمع كله على إقامة هذه الشعيرة، ثم إن الأمر بالضرب فيه دلالة على عدم التهاون فيها؛ لأن من أضاع حق الله، فهو لحقوق غيره أكثر تضييعاً، وتحديد العاشرة للضرب لأنه صار أكثر تمييزاً لما يجب عليه من حقوق، كما أنه يستطيع تحمله، كما أن هذه الفرصة الأخيرة لتعويده الصلاة قبل انتهاء هذه المرحلة التي يكون التعليم فيها أثبت.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٠٢) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المعارف تكتسب من طريق: المشاهدة، التقليد، التعليم، الحمل عليها بالجوائز، الحمل عليها بالإكراه. والمسلم مطالب أن يطبق هذه الوسائل في حياته، ليصل بأهله إلى ما يريده الإسلام. وقد بدأ التطبيق العمل في هدي الرسول ﷺ على النحول التالي:

أولاً- التربية بالتوجيه:

التربية بتوجيه الطفل من الأساليب التربوية المهمة التي تميزت بها التربية الإسلامية، لأن الاهتمام بتربية الطفل والعناية به هي حجر الأساس الذي يرتكز عليه بناء شخصية المستقبل وإعداده الإعداد المناسب لتحمل المسؤوليات.

وقد اهتم النبي ﷺ بتربية الأطفال، وأمر بتوجيههم التوجيه التربوي المناسب، وتعاهدهم بالنصح والإرشاد. فالرسول ﷺ قام بتوجيه الحسن رضي الله عنه بأسلوب تربوي متميز عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة ... فقال ﷺ: «كِخْ كِخْ، إِرْمِ بِهَا...»، ثم بيّن له سبب أمره بإلقائها بقوله ﷺ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟»، مما يؤكد على احترام النبي ﷺ لعقلية الحسن رضي الله عنه بذكره ﷺ العلة في أمره وتوجيهه له، وهذا ما يبرز تميز التربية الإسلامية، ويُعد زادًا تربويًا للقائمين على شؤون التربية، ينبههم على أهمية احترام عقلية الناشئة، ومراعاة جانب الإقناع في توجيههم من خلال بيان العلل المناسبة، وليس من خلال افعل ولا تفعل، أو اترك ولا تترك.

إن الطفل له عالمه الخاص به، ويفهم ويدرك ويميز، وربما أقدم على ترك شيء وبداخله الرغبة في فعله وسرعان ما يفعله ، لأنه لا يقتنع بالنهي المجرد، لكن حينما ينتبه المربي إلى أهمية بيان العلة في الفعل أو الترك بالأسلوب المناسب لإدراك الطفل وبطريقة تربوية سليمة، فإن ذلك يؤدي إلى نجاح عملية التربية والتهذيب للسلوك.

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، ويتخلل ذلك

أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه، وذلك له وقع على النفس وتأثير في السلوك لأنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1].

ومن الأمور التربوية التي تجدر الإشارة إليها والتي ينبغي الإفادة منها في مجال التربية أن التوجيه النبوي للحسن رضي الله عنه تزامن مع وقوع الحدث مما يثبت ذلك النصح في ذهن المنصوح، وبالتالي ينشأ على تلك الخصائص الحميدة التي توجه إليه، وخاصة وأنها تعلقت بموقف معين، وأخيرًا نقول إن اغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها وأظهرها لأنها تعالج خللاً في الحال[2].

ثانيًا- التربية على المحافظة على الصلاة:

من أهداف التربية الإسلامية: المحافظة على الصلاة والمواظبة عليها، ولقد دلت على ذلك أحاديث الباب وهي تحث على الصلاة، فقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ...»، وقال: «علِّموا الصَّبيَّ الصلاةَ ابنَ سبعِ ...»، فهذه نماذج تربوية عبادية تحث المربي على تربية أطفاله على حب العبادة (الصلاة) مما له أهمية كبيرة في أداء المأمور به وعدم التهاون في أداء هذه العبادة لأن المحافظة على أداء الصلاة والمواظبة عليها تؤدي إلى استقامة السلوك، فالعلاقة بين العبادة وسلوك الإنسان علاقة وثيقة لأن أكثر الناس التزامًا بأداء العبادات على الوجه المشروع أقربهم للسمو الخلقي، وإن أقلهم عبادة أبعدهم عن الانضباط الخلقي، وهذا ما يؤكد العلاقة القوية بين العبادات وسلوك الإنسان مع نفسه ومع الآخرين.

ومن هنا جاءت التوجيهات التربوية النبوية بأمر الأطفال بالصلاة لسبع وتعويدهم على الالتزام وتنشئتهم على ذلك، حتى يتأتى الالتزام الخلقي والاستقامة في السلوك والرغبة في التعاون والترابط وذلك من خلال الاجتماع في الصلاة، كما أنها ترى في

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣١٧، أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ٢٧٨، تربية الطفل في الإسلام، ١٦١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٣١٧، أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ٢٧٨.

الطفل الفضائل من خلال انشراح الصدر وطمأنينة النفس، كما أن الصلاة تكون سببًا في ترك الفواحش والمنكرات[١].

وفريضة الصلاة هي الأساس والأصل الذي يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى وهي من الأمور التي ينبغي أن يعني بها المربي وأن يحرص على تعظيمها والاعتناء بها لدى من يربيهم، واهتمام المربي بغرس قيمة هذه الفريضة والاعتناء بها، لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها بل الاعتناء بأدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وإتقانها وإحسانها، وهذا يتأتى بتعليم أدابها وسننها وهدي الرسول ﷺ[٢].

ثالثًا- التربية على تحمل المسؤولية:

من أهداف التربية الإسلامية: التربية على تحمل المسؤولية ناحية الأسرة، لأن الأسرة هي منبت الطفل والقائمة على رعايته في بدء حياته فيجب على المربي رعاية هذه الأسرة: ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، ...». فهذه توجيهات تربوية نبوية تحمل الأبوين المسؤولية تجاه الأبناء والبنات، ومن يقومون على رعايتهم من أفراد الأسرة.

ويظهر من هذا النموذج التربوي أن كل فرد في المجتمع الإسلامي له رعية يرعاها بغض النظر عن موقعه سواء كان رجلاً أو امرأة مهما اختلفت الظروف والأحوال، فإنه مسؤول عن رعيته، والذي معنا هو الأب، فهو مسؤول عن تربية أولاده في شتى النواحي المادية والأخلاقية، والثقافية والعقلية والصحية، وغير ذلك، ومما يزيد هذه المسؤولية خطورة وأهمية تجاه الأب مع أولاده، قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، الحازمي ص ١١٩، تربية الطفل في الإسلام، د. الحمد ص ٢٦٢، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد ص ٨٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، الدويش ص ٦٠.

(٣) أخرجه مسلم، ١٢٥/١.

وعليه فليتذكر المربون هذه المسؤولية المأخوذة من هذا التحذير لأن التبعة كبيرة والحساب عسير فليندفعوا تجاه هذه المسؤولية بدون ملل وتكون المراقبة من الله عليهم هي الوازع الداخلي المحرك لذلك[١].

لأن تحمل المسؤولية وإشراك الجميع فيها من شأنه أن يفجر لدى الجميع الإبداع والعمل الدؤوب المتواصل والحرص على كل ما هو نافع، ذلك أن إشراك الجميع في تحمل المسؤولية من شأنه أن يشعر كل فرد فيهم بأن عليه دورًا مهمًا يجب أن يحرص عليه بكل أمانة وهو يجد ذاته يزرع الثقة في نفوسهم ويجعلهم يندفعون ذاتيًا نحو العمل والإصلاح وتلافي الخطأ والانحراف ما دامت الأمور لم يستأثر بها دونهم، وفي ظل تحمل المسؤولية سيكون المجتمع أعظم قابلية للنمو والتجديد[٢].

رابعًا- التربية بالعقوبة:

من الوسائل التي أقرتها التربية الإسلامية التربية بالعقوبة: فقد أقر الإسلام هذه الوسيلة على اعتبار أنها زجر للمخالف، فعندما أراد النبي ﷺ تربية الصحابة على كيفية تربية أطفالهم على الصلاة بين لهم أهمية التوجيه بالتعليم والوعظ ثم بعد ذلك أسلوب العقوبة: فقال ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاَةَ لسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ». ولذلك نتعلم من هذا النهج التربوي النبوي أن الشريعة أقرت مبدأ التربية بالعقوبة مع الأولاد، لكن ضمن ضوابط وحدود، لأن الناس يختلفون في طبائعهم ومذاهبهم الأخلاقية ومتفاوتون في استعدادهم للتأثر بالقدوة؛ لأن هذه الوسيلة قد لا تجدي لدى بعضهم، ومن هنا ينبغي أن يعامل كل طفل بالأسلوب والطريقة التي يستجيب لها. فمن أصر على عناده وفساده فلابد له من عقاب مادي يردعه، وهو في الوقت ذاته ينفعه، المهم أن يكون الغرض من العقاب هو إصلاح الناشئ، وتحسين سلوكه بطريقة واعية؛ لكن عقوبة الضرب لها شروط:

---

(١) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، إعداد. هشام أحمد ص ٥٢، الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، د. محمد مقبل ص ٥١، تربية الطفل في الإسلام، د. محمد الحمد ٢١٠.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٩٦.

١- ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل التأديبية والزجرية.

٢- ألا يضرب وهو في حالة غضب.

٣- أن يتجنب الضرب في الأماكن المؤذية.

٤- أن نعطي الولد الفرصة للاعتذار.

٥- أن يقوم الأب بضرب الولد بنفسه، وبذلك يكون قد أعملنا وسيلة التربية بالعقوبة منزلتها[1].

وينبغي أن تكون العقوبة هي آخر وسيلة يلجأ إليها، إذ ينبغي أن يبدأ المربي بالتوجيه والإرشاد، فإذا لم ينفع ذلك يأتي التهديد والإنذار، وإذا لم يفد التهديد والتشنيع أيضًا عندئذ ينتقل إلى الضرب، ولا يضرب الأطفال بقسوة لأن الهدف من الضرب هو الإصلاح وليس التشفي والانتقام[2].

خامسًا- التربية الوقائية:

لقد اهتمت التربية الإسلامية بقضية مهمة تتعلق بالغريزة الجنسية تلك القضية التي يغفل عنها الكثير من الآباء والأمهات بدعوة أن الأولاد صغار، ولا يعرفون هذا الأمر، أو بزعم أن أخلاقهم فاضلة، وغير ذلك من الأمور التي تنم عن جهل الآباء والأمهات بهذا الأمر الخطير، الذي لا يمكن إنكاره أو تجاهله تحت أي زعم لأن الرغبة الجنسية تبدأ في الظهور عند سن معين ولا يمكن إنكار ذلك في بداية المراهقة التي تكون مبكرة لدى فئات من الأبناء، ومن ثم عمد النبي ﷺ إلى التربية الوقائية التي تعمل على سد الذرائع المفضية إلى الفساد السلوكي الخطير التي قد تدمر البيوت والأسر، ومن هنا جاء الأمر النبوي بالتفريق بين الأطفال في المضاجع، لأن النبي ﷺ أراد تهذيب الأطفال خلقيًا وجنسيًا من خلال التفريق بينهم في المضاجع، إنها نظرة نبوية ثاقبة للوقاية من النتائج المتمخضة عن الغفلة أو التغافل عن هذا الأمر الخطير.

إن العلة في التفريق في المضاجع أنه في أيام المراهقة لا يستبعد أن تفضي المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلابد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه، فهذه تربية على أن النوم في

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد مقبل ص ١٥٥، تربية الطفل في الإسلام، د. الحمد ص ٢٢٥.

(٢) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين ص ٦٢، ٦٣.

فراش تحت لحاف واحد؛ يؤدي بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة وأن تتأجج فلا تجد طريقًا لإنقاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، وكم تحدث تحت الفراش شذوذات لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببًا في دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم فوضعوهم في مخالفة أوامر النبي ﷺ في قوله: «وفرقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق، إنه في المضاجع، فيجب على الآباء تربية أبنائهم[1] تربية وقائية تعمل على حمايتهم من كافة صور الانحراف.

وهذه الوقاية نوع من أنواع التحصين للفرد من سلوكيات تحدث من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه والإسلام استخدم هذا الأسلوب لمنع السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم[2].

سادسًا- التربية بالملاحظة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالملاحظة، وتعني ملاحظة النشء وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي.

ومن الشواهد على ذلك في باب وجوب أمر أهله المميزين، ما ورد عن أبي حفص عمر بن أبي سلمه عبدالله بن الأسد ربيب رسول الله ﷺ قال: «كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: ياغلام...».

فهذا توجيه نبوي حض الرسول ﷺ الآباء والأمهات والمربين جميعًا أن يهتموا بملازمة أولادهم ومراقبة أفلاذ أكبادهم في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة، وخاصة التربية على آداب الإسلام في الأكل والشرب

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد مقبل ص ١٢٩، تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص ٣٤٧، الموسوعة الأم في تربية الأولاد ص ٣٩٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٥٦.

والنوم، ولاشك أن التربية بالملاحظة تعد من أقوى الوسائل في نمو الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي حقه في الحياة ويعرف ماله وما عليه، والصبيان الصغار لا يعرفون الصواب من الخطأ في كثير من أمور الحياة، كما أن علاقاتهم بالآخرين لا يحكمها نظام معين أو قيمة محددة، وقد ينحرف في خضم الحياة إلى تصرفات غير سوية، وعلاقات سيئة، من هنا فإن الطفل محتاج إلى مراقبة وملاحظة مستمرة في مراحل عمره وبخاصة في سنوات الطفولة، وتلك هي مسؤولية الوالدين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

سابعًا- من الأساليب التربوية: الزجر والممارسة العملية والتربية بالمواقف والأحداث:

جاءت في هذه الأحاديث بعض الأساليب التربوية التي يستفاد منها في العملية التربوية، منها:

أ-الزجر، كما في قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما لما أخذ تمرة من تمر الصدقة-قال له: "كخ كخ إرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة" والزجر يستخدم في حال ارتكاب المتعلمين ما لا يجوز أو ما لا يليق، وهو من الأساليب التي تساعد على غرس القيم في نفوس المتعلمين وتتميز ببقاء وأثر التعليم.

ب-الممارسة العملية: كما في الحديث السابق، وهذا الأسلوب يمكن استخدامه في الجوانب التي تحتاج إلى الجانب العملي، وتحتاج إلى ربط المحسوس بالمجرد وتوضيح المعنى للمتعلمين.

ج-التربية بالمواقف والأحداث: كما في حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما عندما كان يأكل وتطيش يده في الصحفة، فعلمه النبي ﷺ آداب الأكل. ومما لا شك فيه أن التربية بالمواقف تهدف إلى غرس المفاهيم والعادات الإيجابية في نفوس المتعلمين.

وهذا التنوع في الأساليب يفيد في توصيل الرسالة التربوية فضلاً عن أنه يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

٣٩- باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

الحديث رقم (٣٠٣)

٣٠٣- وعن ابن عمر[١]، وعائشة[٢] رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **((مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يتسم بالهدوء، والثقة، وقد تجرد من المؤكدات لأن المخاطب به خالي الذهن من الخبر، فهو موقف بين رسول الأرض ﷺ، وبين رسول السماء، والمعنى يتناول تعظيم حق الجار، وقد بدأه ﷺ بالفعل الماضي الذي يدل على الإلحاح الشديد (ما زال) وقد صعَّد معنى العناية بالجار نسبة الفعل إلى جبريل الذي هو الواسطة بين الله، وبين رسوله ﷺ، ثم الفعل المضارع الذي يستحضر صورة تعاهد جبريل للرسول ﷺ بالوصية بالجار، وقوله (الجار) يشمل المؤمن، والكافر، والقريب، والبعيد، وهو ما يجعل المجتمع المسلم ذا خصوصية في قوة اتصاله بما لا يعطي فرصة لتفتيته من الداخل، وقوله: (حتى) يدل على بلوغ الغاية التي وصلت إليها كثرة الوصايا في نفس رسول الله، والتي صورها الفعل (ظننت) ثم إن توكيد الجملة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم واللفظ له (٢٦٢٥/١٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨١).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٦٠١٤)، ومسلم (٢٦٢٥/١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨١). تنبيه: الحديث جمعه المنذري في ترغيبه بين لفظي الحديثين، وتبعه عليه المؤلفُ.

بعده بأكثر من مؤكد يدفع وهم المبالغة في هذا الظن، وقوله: (سيورثه) اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِهَذَا التَّوْرِيثِ فَقِيلَ يُجْعَلُ لَهُ مُشَارَكَةٌ فِي الْمَالِ بِفَرْضِ سَهْمٍ يُعْطَاهُ مَعَ الأَقَارِبِ، وَقِيلَ الْمُرَادُ أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَرِثُ بِالْبِرِّ، وَالصِّلَةِ، وَالأَوَّلُ أَظْهَرُ، وجملة الحديث تُعظِّم حق الجار، وتنبه إلى العناية به، والترغيب في صلته.

فقه الحديث

لما كان الإسلام حريصًا على إقامة علاقات المودة والتراحم بين الناس، فقد اهتم بحقوق الجار وجعل لها مرتبة عالية، وحرمة الجار منصوص عليها في الكتاب والسنة ونصوص الفقه الإسلامي[1] وجاءت أحكام كثيرة في الفقه الإسلامي مراعية لذلك ومن هذه الأحكام مثلاً.

أن الجار يكره له التعلية في بيته إلى الحد الذي يؤذي جاره ويمنع عنه الهواء والشمس[2]، وكذا يستحب عند إخراج الصدقات تعاهد الجيران وتقديمهم على غيرهم فيها، لأنهم أولى، ولا تخرج لغيرهم مع حاجتهم إليها[3].

وذكر جمهور الفقهاء[4] أنه يحرم على الجار أن يضع خشبة أو أن يتصرف أي تصرف بحائط جاره إلا بإذنه، لأنه لا يملكه، وكذا سائر الأملاك المشتركة، وإن كان من المستحب للجار أن يمكن جاره من الانتفاع بحائطه فيما لا يضره.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٦/١.

(٢) المدونة الكبرى رواية سحنون، الأصبحي ٣٢٠/٤.

(٣) الأم، الشافعي ٥/٢.

(٤) المبسوط، السرخسي ٩١/١٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٦٤/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٥٢/٥، وشرح منح الجليل ٣١٢/٦، وتحفة المحتاج ٢٠٩/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٩٤/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٥٥/١٥١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٦١/٥.

وجعل الحنفية[١] الشفعة للجار الملاصق على خلاف ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

بل وليس للرجل أن يتصرف في ملكه تصرفًا يضر بجاره[٢].

وغير ذلك من أحكام يصعب فيها الحصر.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: البيان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الجار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تقوية العلاقة بين الجيران.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران.

سادسًا: من أساليب الدعوة: القسم والتكرار.

سابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: تحريم أذى الجيران.

أولاً- من أساليب الدعوة: البيان:

ورد البيان في هذه الأحاديث الثلاثة[٤] التي بيّن النبي ﷺ فيها حقوق الجار وعناية الإسلام بالعلاقة بين الجيران، وأهمية الإحسان فيما بينهم، وإن من الأمور التي تدل على قوة الإيمان في قلب المؤمن حسن علاقته بجيرانه، وأن إيذاء الجيران مؤشر خطير يدل على خلل في إيمان المرء، مما جعل النبي ﷺ يقول: "والله لا يؤمن وكررها قيل: من يا رسول الله، من لا يأمن جاره بوائقه".

---

(١) المبسوط ٩٣/١٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٤/٥ وما بعدها.

(٢) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٣/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد المواق ١٣٦/٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٣٥٩/٢ وما بعدها.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٠٣- مع مضامين الحديث رقم (٣٠٤، ٣٠٥).

(٤) الحديث رقم (٣٠٣)، (٣٠٤)، (٣٠٥).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الجار:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذه الأحاديث عظم حق الجار، يدل على ذلك قوله ﷺ "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" الحديث، وحديث أبي هريرة في قوله ﷺ "والله لا يؤمن..." قال النووي: (في هذه الأحاديث الوصية بالجار وبيان حقه)[1].

ومما يدل على عظم حق الجار قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[2].

قال القرطبي: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه والقيام بحقه، والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكّد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال تعالى: "والجار ذي القربى" أي: القريب "والجار الجنب" أي الغريب قاله ابن عباس وكذلك في اللغة[3].

وقال رسول الله ﷺ ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))[4].

فحق الجار عظيم، من أجل ذلك كانت وصية الله ورسوله به، فينبغي على الداعية بيان عظم حق الجار للمدعوين.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: تقوية العلاقة بين الجيران:

إن من أهداف الدعوة التي تستنبط من عموم هذه الأحاديث تقوية العلاقة بين الجيران، فالوصية بالجار وعمل الخير معه، يقوي علاقة المحبة والتعاون بين الجيران

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦١.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/٥/٣.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٦).

ويؤكد على أهمية إشاعة الخير فيما بينهم وقد أوصى رسول الله ﷺ بكل ما يقوي هذه العلاقة الحميدة بين الجيران، فقال ﷺ ((لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ))[1].

فالحرص على تقوية العلاقة بين الجيران أمر مطلوب، من أجل إحساس بعضهم ببعض فقد قال ﷺ ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانًا، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ))[2].

فالإسلام يدعو إلى إعلان الأخوة والمحبة بين الجيران، ومحبة الخير لهم، قال رسول الله ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ "أَوْ قَالَ لأَخِيهِ" مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[3].

يتضح من ذلك أن من أهداف الدعوة تقوية العلاقة بين الجيران، وإشاعة روح الإيثار والمحبة والتعاون بينهم، من أجل المحافظة على الراحة والأمان فيما بينهم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر هذا في حديث أبي ذر رضي الله عنه في قوله: إن خليلي أوصاني...؛ حيث أكد وصية رسول الله ﷺ بالجار.

وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي أفادت اهتمام الإسلام وتوصيته بحسن العلاقة بين الجيران، ودعم أواصر المودة والمحبة بينهم.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الأحاديث فضل الإحسان للجيران فحديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أخبر النبي ﷺ فيهما عن وصية جبريل له بالجار، مما يؤكد على فضل الإحسان إلى الجار.

وحديث أبي ذر فيه الإحسان إلى الجار، فقد أمر رسول الله ﷺ أباذر إذا طبخ مرقة أن يكثر ماءها من أجل إعطاء جيرانه وهو من الإحسان المأمور به؛ فإكرام الجار والإحسان إليه علامة الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٠٩، ومسلم ٢٤٦٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/١٦٦، برقم ٧٣٨٧، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه مسلم ٤٥.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَسْكُتْ))[١].

قال ابن رجب: قوله ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" فليفعل كذا وكذا يدل على خصال الإيمان[٢].

وقال ﷺ ((... وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا...))[٣]. قال أبو محمد بن أبي جمرة: "حفظ الجار من كمال الإيمان، ويحصل امتثال الوصية به "الجار" بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية والسلام، وإطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية)[٤].

فالإحسان إلى الجيران فضله عظيم وثوابه جزيل، ولا يحرص عليه إلا كل مؤمن كريم. فينبغي على الداعية بيان فضل الإحسان إلى الجيران، وضرورة وجوده في المجتمع المسلم، لأنه من خصال الإيمان وصفات الإسلام.

سادسًا- من أساليب الدعوة: القسم والتكرار:

يظهر هذا في حديث أبي هريرة في قوله ﷺ "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن" فأقسم ﷺ وكرر القسم ثلاث مرات، والقسم وتكراره أسلوب له دوره في صنع التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به، والمقسم عليه وبهما معًا. الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها، وذلك لإدراكه أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ باليمين.

والتكرار ضرورة ملحة حين يراد إقناع الناس بفكرة، أو حملهم على سلوك معين

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٣٣/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٠٥ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٦).

(٤) بهجة النفوس ١٦٤/٤.

لأن هذا التكرار، يساعد على التأثير المطلوب وتعميقه. وقد راعى أسلوب القسم هذه الحقيقة فكرر القسم[١]؛ فعلى الدعاة إلى الله أن يستفيدوا من أسلوب القسم في التأثير على المدعوين.

سابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم:

من واجبات الداعية المستنبطة من عموم الأحاديث إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بينهم، والإحسان إلى الجيران، وكف الأذى عنهم، يوثق الصلات بينهم.

فقوله ﷺ: "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك" فحض ﷺ على مكارم الأخلاق، لما يترتب عليه من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة[٢].

فإن من واجبات الداعية إرشاد المدعوين إلى ما يوثق الصلات بين الجيران، وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ حيث كان ﷺ يدعو إلى كل ما يوثق صلة الجيران من أجل المحبة والأمان ومن أجل عظم حق الجار.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: تحريم أذى الجيران:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر في الحديث الذي رواه أبو هريرة في قوله ﷺ "والله لايؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.. الذي لا يأمن جاره بوائقه" تحريم أذى الجيران، وقد ورد ما يؤيد ذلك عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ...))[٣].

وأذية الجار قد تتفاوت، فبعضها يسير بالنسبة إلى غيرها، وبعضها عظيم، بل إن أعظم أذية تنال الجار، هي أذيته في أهله، وهي من أعظم الذنوب عند الله، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ الذَّنبِ أعظمُ عندَ اللهِ؟ قال: أن تجعلَ للَّهِ ندًّا وهوَ خَلَقَكَ. قلتُ إنَّ ذلك لعظيم، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: وأن تَقْتُلَ وَلَدَكَ تخافُ

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٤٧.

(٢) موسوعة الأخلاق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ٦١٣٦، ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

أن يَطعمَ معك، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارِك))[١].

والجيران أقرب الناس في المعيشة، وأكثرهم تلاقيًا فإذا كانوا صالحين مأمونين كان ذلك سببًا في راحة الجار واطمئنانه، وإذا كان الجار مؤذيًا غير مأمون، كان ذلك سببًا في قلق الإنسان وخوفه، من أجل ذلك استعاذ رسول الله ﷺ من سوء الجوار، فقال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ...))[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٧٧، ومسلم ٨٦.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٠٣٣، والحاكم في المستدرك ٥٣١/١ رقم ١٩٩٤، وصححه على شرط مسلم.

الحديث رقم (٣٠٤)

٣٠٤- وعن أبي ذر ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ)) رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2] عن أَبي ذر، قَالَ: إنّ خليلي ﷺ أوْصَاني: ((إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءها[3]، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمعرُوفٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث صورة عملية من معنى الحديث السابق الذي يوصي بالجار ويقرر ضرورة رعايته كأولي الأرحام، وقد بدأ حديث الرسول ﷺ بأسلوب إنشائي طلبي وهو النداء (يا أباذر) وهو نداء يحمل مع طلب الإقبال تنبيهاً إلى ما بعده كما يشي استخدام (يا) بتكريم الرسول ﷺ لصاحبه أبي ذر، ويؤكد ذلك نداؤه بكنيته، وجملة الشرط بعده تربط بين طبخ أبي ذر لطعامه، وبين إكثار المرقة، وإعطاء الجيران و(إذا) في أسلوب الشرط توحي بتحقق الفعل مع ما ارتبط به من جوابه، وتنكير (مرقة) يفيد العموم، وقوله (فأكثر، وتعاهد) يؤسس لمبدأ الإيثار في صغار الأمور ينسحب على كبارها، ويحارب الفردية التي تجعل الإنسان لا يفكر في إخوانه، وهذا التوجيه النبوي مع بساطته لو طبق بين المسلمين لسادت بينهم روح المحبة، ولأغلقوا على باباً عظيماً من الفتن أنفسهم لما وُجِد بينهم جائع.

---

(١) برقم (١٤٢/٢٦٢٥).

(٢) مسلم (٢٦٢٥/١٤٣).

(٣) لفظ مسلم: (ماءه).

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى عمل من أعمال البر التي توثق الصلة والمحبة بين الجيران، وهي الإهداء إلى الجار ولو من المرقة التي يطبخها، أو الطعام الذي عنده، حتى تسود المرحمة بينهم، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يندب للجار إذا طبخ مرقًا أن يتعاهد جيرانه بشيء منه، وأن يحسن إليهم فذلك من كريم الخلق وحسن البر.

وكذا ذكر الفقهاء[2] أنه يستحب في إخراج صدقات التطوع أن يخرجها للفقراء من أهل بلده، ويقدم الجار القريب على غيره عند إخراج صدقة التطوع، وكذا في الهبات والهدايا وتعدد الولائم، يقدم دائمًا الجار على غيره، ويقدم الجار الأقرب بابًا على غيره من الجيران.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر في ذلك: بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٠/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي٢٤٦/٥، وسبل السلام٦٣٧/٢.

(٢) انظر في ذلك: المبسوط ١٨٠/٢، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٧/١، والأم ٨٦/٤، ٧٧، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٨١/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٢/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٣٨٠/٤.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٠٥)

٣٠٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((واللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ)) قِيلَ: مَنْ يَا رَسُول الله؟ قَالَ: ((الَّذِي لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لاَ يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)). "البَوَائِقُ": الغوائل والشرور.

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) أخرجه البخاري عقب حديث (٦٠١٦) معلقًا، ولم يسق لفظه.

تنبيه: قول المؤلف: (متفق عليه) لا يستقيم مع هذا الكلام، وفيه عدة ملاحظات:

الأولى: أن الحديث بهذا اللفظ لم يروه إلا البخاري من حديث أبي شريح.

الثانية: أن البخاري ساق إسناد حديث أبي هريرة معلقًا بعد حديث أبي شريح ولم يورد لفظه، وكأنه يشير إلى أن لفظه مثل لفظ حديث أبي شريح.

الثالثة: اعتمد المؤلف في إيراد لفظ حديث أبي هريرة في هذا الحديث على الجمع بين الصحيحين للحميدي (٢٣٠/٣، رقم ٢٤٨٥).

الرابعة: أشكل فهم كلام الحميدي على النووي فاعتبر هذا اللفظ من المتفق عليه، وهو خلاف ذلك، ومما أوهم المؤلف قول الحميدي في أوله: (أخرجاه جميعًا). ثم قال الحميدي عقب قوله هذا: فأما البخاري فأخرجه معلقًا من حديث ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة في عقب حديث قبله: أن النبي ﷺ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه). هذا الحديث رواه البخاري برقم (٦٠١٦)، وليس عنده غير هذا الطريق، كما أن ليس عند مسلم بهذ اللفظ، فلا يصحُّ حينئذٍ أن يقال متفق عليه. ثمَّ قال الحميدي: وأخرجه مسلم بالإسناد من حديث إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: (لايدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه). وهذا الحديث أخرجه مسلم برقم (٤٦/٧٣) وليس عنده غير هذا الطريق. فتبين أن أصل الحديث من المتفق عليه، ولكن اللفظ الأول للبخاري، والثاني لمسلم، وليس اللفظ الأول من المتفق عليه كما فهمه الإمام النووي.

تنبيه: وقع المنذري فيما وقع فيه النووي، فأورده في ترغيبه (٣٧٥٣) عن أبي هريرة وعزاه إلى الصحيحين. ثمّ ذكر رواية مسلم.

(٢) برقم (٤٦/٧٣). أوردها المنذري في ترغيبه (٣٧٥٣).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى سابقه عن طريق الرهيب من أذى الجار، وصياغة الحديث تختلف عما سبقها حيث تصدَّرها القسم بلفظ الجلالة (الله) وهو من الألفاظ الموحية بطبيعتها لمعاني الهيبة، والجلال بالإضافة إلى أن القسم في بداية الكلام من وسائل التشويق التي تلفت عقل المخاطب لما بعدها انشغالا بسر القسم، وما يسفر عنه، لاسيما إذا تلقَّاك بالقسم صادق لا يكذب فما بالك إذا كان الحالف نبياً يوحى إليه، ثم لم يتوقف التصعيد للإحساس بالخطر عند هذا الحد بل إنه كرر جملة القسم (وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ) ثلاث مرات، والتكرار يفيد التشويق مع التقرير، والتوكيد، ولا ننسى جملة القسم المنفية، وأن المنفي هو أغلى ما لدى المؤمن، وهو إيمانه، وفي الكلام إيجاز بالحذف في جملة (لا يؤمن) أي لا يكون كامل الإيمان.

سمع الصحابة قسم الرسول ﷺ فانخلعت له قلوبهم، وثارت في عقولهم استفهامة عن سر ما سمعواْ (وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟) وهو استفهام حمل مع طلب الفهم تعجباً، وحيرة، فكانت إجابته، (الْجَارُ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) وجمع البوائق يدل على أن هذا الجار شروره كثيرة، والحديث يرهب من أذى الجار ويجعله سبباً في نفي كمال الإيمان.

فقه الحديث

لقد اهتم الإسلام بحقوق الجيران، ونبه عليها نبيه ﷺ ومنها هذا الحديث الرائع الذي يرسي قواعد وآداب الجوار وما ينبغي فعله مع الجار، ولاشك أنه يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شكل، ولكن هل يمتد ذلك الحظر إلى حد منعه من التصرف في ملكه بما يضر بجاره؟.

اختلف الفقهاء في حكم تصرف الجار في ملكه الخاص تصرفًا يضر بجاره، كأن يبني في بيته كوة يشرف منها على حرمات جاره، أو يحفر بجوار جداره كنيفًا، أو يبني حمامًا أو تنورًا، أو يعمل دكان حدادة وما شابهه، أو يبني ما يؤذيه، وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب المالكية[١] والحنابلة[٢] إلى أنه يحرم على الرجل أن يتصرف في بيته وملكه تصرفًا يضر بجاره، وإن فعل ذلك كان لجاره منعه منه.

القول الثاني: ذهب الحنفية[٣] والشافعية[٤] إلى أنه يجوز للرجل أن يتصرف في ملكه أي تصرف ولو كان مضرًا بجاره، لأنه يتصرف في حق خالص له، واشترط الشافعية في ذلك ألا يضر التصرف بملك جاره، أما إن تضرر منه الجار دون ملكه فلا يمنع الرجل من تصرفه.

المضامين الدعوية[٥]

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٤١/٦، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المكي ٣٤٨/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٦٠/٥.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٢٦٠/٥، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ١٥٠/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٨٥/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٢٦٤/٦، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٥/٦، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٣/٨.

(٤) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٢٣/٢، ٤٤٦/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٥٨/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٣٩٢/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٠٥) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠٣، ٣٠٤).

الحديث رقم (٣٠٦)

٣٠٦- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((يَا نِسَاء الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاة)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا تحقِرنَّ: لا تستَصْغرنَّ[2].

فِرْسِنُ الشاةِ: ظِلْفُها[3].

الشرح الأدبي

معنى الحديث من جملة الآداب التي تراعي حقوق الجار، وقد بدأه ﷺ بنداء عام لنساء المسلمين (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ) ونداء الرسول ﷺ لهن تكريم لهن خاصة، وللنساء في كل زمان، ومكان عامة، يدل على ذلك استخدام أداة النداء (يا) التي لنداء البعيد مع قربهن، وإضافة النساء للمسلمات إضافة تشريف.

ثم تبع هذا النداء - بعد أن ضمن انتباههن - بالنهي في قوله: (لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا) وتنكير كلمة (جارة) للتعميم، وإضافة الضمير للجارة لإشعارها بأنها منها، ولها حق عليها، وتخصيص النساء بالنداء لأنهن مدبرات البيوت، والمتابعات لأحوال جيرانهن لملازمتهن البيوت (وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ) وفرسن الشاة هُوَ: (عَظْمٌ قَلِيلُ اللَّحْمِ، وَهُوَ لِلْبَعِيرِ مَوْضِعُ الْحَافِرِ لِلْفَرَسِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشَّاةِ مَجَازًا، وَأُشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى الْمُبَالَغَةِ فِي إِهْدَاءِ الشَّيْءِ الْيَسِيرِ، وَقَبُولِهِ لا إِلَى حَقِيقَةِ الْفِرْسِنِ، لأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ الْعَادَةُ بِإِهْدَائِهِ، أَيْ لا تَمْنَعُ جَارَةٌ مِنْ الْهَدِيَّةِ لِجَارَتِهَا الْمَوْجُودَ عِنْدَهَا لاسْتِقْلالِهِ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَجُودَ لَهَا بِمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٧، ٢٥٦٦)، ومسلم (٩٠/١٠٣٠) ولفظهما سواء.، وتقدم برقم (١٢٤).

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر س ن).

تَيَسَّرَ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً، فَهُوَ خَيْرٌ مِنْ الْعَدَمِ، وَذَكَرَ الْفِرْسِنَ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ لِلْمُهْدَى إِلَيْهَا، وَأَنَّهَا لا تَحْتَقِرُ مَا يُهْدَى إِلَيْهَا وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً، وَحَمْلُهُ عَلَى الأَعَمِّ مِنْ ذَلِكَ أَوْلَى. وَفِي الْحَدِيثِ الْحَضُّ عَلَى التَّهَادِي وَلَوْ بِالْيَسِيرِ لِمَا فِيهِ مِنْ إِسْتِجْلابِ الْمَوَدَّةِ وَإِذْهَابِ الشَّحْنَاءِ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ التَّعَاوُنِ عَلَى أَمْرِ الْمَعِيشَةِ، وَالْهَدِيَّةُ إِذَا كَانَتْ يَسِيرَةً، فَهِيَ أَدَلُّ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَأَسْقَطُ لِلْمُؤْنَةِ وَأَسْهَلُ عَلَى الْمُهْدِي لإِطْرَاحِ التَّكَلُّفِ، وَالْكَثِيرُ قَدْ لا يَتَيَسَّرُ كُلَّ وَقْتٍ، وَالْمُوَاصَلَةُ بِالْيَسِيرِ تَكُونُ كَالْكَثِيرِ)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري شرح الحديث رقم (٢٠٥٦)

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٢٤).

الحديث رقم (٣٠٧)

٣٠٧- وعنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً في جِدَارِهِ))، ثُمَّ يقُولُ أَبُو هريرة: مَا لِي أرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ! وَاللهِ لأرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أكْتَافِكُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

رُوِيَ (خَشَبَهُ) بالإضَافَة وَالجمع. وَرُوِيَ (خَشَبَةً) بالتنوين عَلَى الإفراد. وقوله: مَا لي أراكم عَنْهَا مُعْرِضينَ: يَعْني عَنْ هذِهِ السُّنَّة.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خشبة: رُوِي "خشبه" بالإضافة والجمع. ورُوي "خشبة" بالتنوين على الإفراد[2].

مالي أراكم عنها معرضين: قوله: ((مالي أراكم عنها معرضين)): يعني عن هذه السُّنة[3].

لأرمين بها بين أكتافكم: أي بينكم، والمعنى: أني أصرح بها بينكم وأوجعكم بالتقريع بها، كما يضرب الإنسان بالشيء بين كتفيه[4].

الشرح الأدبي

أكد الراوي الحديث بـ(إن) مع اسمية الجملة، وذكر الرسول بوصفه تكريماً، وأضافه لله تشريفاً، ثم ذكر الجملة الاعتراضية الدعائية ﷺ والتي تعبر عن أدب الصحابة، وحبهم للرسول ﷺ، واعترافهم بفضله، ثم إنها طاعة لله تعالى.

وقوله ﷺ (لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ) أسلوب نهي عام؛ لأنه لم

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩/١٣٦).

(٢) رياض الصالحين ١٦٨.

(٣) رياض الصالحين ١٦٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢١.

يوجهه لمخصوص، وجاء بفاعل الفعل المنهي عنه نكرة(رجل) وهي في سياق النهي تفيد العموم، وإفراد (خشبة) وتنكيرها للتقليل، والتحقير، أي لا يمنعه من غرسها في حائطه، وأن يتحمله في الأمور التي تجري بين الجيران على شاكلة هذا الأمر.

وإذا تأملنا جماليات الحديث وجدنا عبارة الرسول ﷺ مع صغرها في قمة التناسق البياني والوضوح المعنوي، والنغم الشجي الذي يجذب السمع، ويقر في القلب عن طريق الجناس بين التام (جار - وجاره) والجناس الناقص بين (جاره وجداره) ثم السجع البديع بين فاصلتي العبارتين (لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ)، وبين (أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ) ثم الترصيع، وهو تساوي الفقرتين في الوزن.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم الانتفاع بالجدار بين جارين، وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن الشريك في الجدار المشترك ينتفع بمقدار نفع شريكه، ولا يزيد على ذلك إلا بإذن شريكه، أما الجدار المملوك لأحد الجارين، فقد اختلف الفقهاء في حكم انتفاع الجار به، من نحو غرز خشبة عليه ينتفع بها وغيره، فذهب الحنفية في المفتى به عندهم والشافعي في القديم والإمام أحمد في رواية وإسحاق إلى أنه يجوز للجار الانتفاع بجدار جاره فيما لا يضر متى قامت الحاجة إليه، ويجبر مالكه على تمكينه من ذلك، وذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه لا يجوز للجار أن ينتفع بجدار جاره إلا بإذنه ولا يجبر عليه، وإن كان من المندوب للجار تمكينه من غرز خشبة عليه أخذًا بهذا الحديث.

---

(١) المبسوط للسرخسي١٧/٩١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٦/٢٦٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٥/١٥٢، وشرح منح الجليل ٦/٣١٢، وتحفة المحتاج ٥/٢٠٩، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٢/٣٩٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢/١٥١، ٣/٤٥٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣/٤١٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٥/٢٦١، وسبل السلام ٢/٨٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/٢٢٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والقسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعاون بين الجيران:

ثالثًا: من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بالجار.

١- **النهي**: ورد هذا الأسلوب صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: "لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره"، وفي هذا الأسلوب لفت لأنظار المدعوين إلى خطورة الأمر المنهي عنه فيجتنبوه، لذا كان أسلوب النهي من الأساليب المفيدة في الدعوة.

٢- **القسم**: ورد ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه راوي الحديث: "والله لأرمين بها بين أكتافكم"، وأسلوب القسم من الأساليب المفيدة في الدعوة، فهو يستعمل تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمعًا للانتباه حول غاية، وهو أحد أسباب ثبوت الحق[(١)].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التعاون بين الجيران:

في هذا الحديث حضّ على مد وتقوية أواصر المحبة والمودة والتعاون بين الجيران، فنهى ﷺ أن يمنع الجار من غرز خشبة في جدار جاره، فقال: (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره) أي لا يمنعه من ذلك، لأن ذلك مما يتسامح به ويتساهل فيه[(٢)]، ولذا كان مما ينبغي على الإنسان الرفق وإسداء الخير والمعروف لجيرانه، والتخلق معهم بمكارم الأخلاق، لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة[(٣)].

ثالثًا- من واجبات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

وذلك ببيان ما فيه مصلحتهم، والنهي عما يفوتها عليهم، أو يكدر عليهم صفو حياتهم، وتجلى ذلك في حرص النبي ﷺ أن تشيع المودة بين الجيران فقال: "لا يمنع

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٧.

(٣) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ص ١٧٤.

جار جاره أن يغرز خشبة في جداره"، ويظهر ذلك الحرص أيضًا في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم"، أي: مالي أراكم معرضين عن هذه السنة والخصلة والموعظة أو الكلمات، والله لأرمين بها بين أكتافكم، أي: بينكم والمعنى أني أصرح بها بينكم، وأوجعكم بالتقريع بها، كما يضرب الإنسان بالشيء بين كتفيه[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بالجار:

في الحديث وصية بالجار والإحسان إليه، وذكر مظهر من مظاهر الإحسان إليه فقال ﷺ: "لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره" وقد أمرنا القرآن بالإحسان إلى الجار في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[2]، وروي عن مجاهد أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ فلما جَاءَ قالَ: أَهْدَيْتُمْ لجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا اليَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ الله يقول: ((مَا زَالَ جِبْرَيلُ يُوصِينِي بالجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ))[3].

قال القرطبي: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بالقيام بحفظه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين[4]، بل إن الرسول ﷺ ليجعل إكرام الجار والإحسان إليه من شروط كمال الإيمان، فعن أبي شريح العدوي قال: سمعتْ أُذُنايَ وأبصرَتْ عينايَ حينَ تكلم النبيُّ ﷺ فقال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرِم جارَه، ومن كان يؤمن باللهِ واليوم الآخر فليُكرِم

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٥).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/٥/٣.

ضيفَه جائزتَه))، قيل وما جائزته يا رسولَ الله؟ قال: ((يومٌ وليلةٌ، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراءَ ذلك فهو صدَقةٌ عليه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُل خيرًا أو ليَصمُتْ))[1]، وأن خير الجيران عند الله خيرهم لجاره، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ))[2]، أي أكثرهم إحسانًا إليه، ولو برفع الأذى عنه[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٩.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٤٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٨٦).

(٣) تحفة الأحوذي، العظيم آبادي، ٢/١٦٣٥.

الحديث رقم (٣٠٨)

٣٠٨- وعنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَومِ الآخرِ، فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بـاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بـاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث قائم على أسلوب الشرط الذي تضمَّنه الموصول (مَنْ)، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط، وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي.

وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها؛لأنه جعل فعل الشرط هو الإيمان (يؤمن) وعلّقه علي هذه الأعمال كما أن صياغة الفعل في صورة المضارع يشير إلى التجدد، والاستمرار المرتبط بتجدد حفظ حق الجار، وعدم إيذائه، والإكرام للضيف، وقول الخير، أو السكوت، ثم إنه كرر الشرط مع كل خصلة إشارة إلى الاستقلالية، وأن كل نوع منها شرط للإيمان، ثم إن الفاء التي ربطت جواب الشرط في في جملة النهي عن أذى الجار، ولام الأمر التي اتصلت بالأفعال الثلاثة (فليكرم - فليقل - ليسكت) تقتضي المسارعة، وترغّب فيها؛ لأن من شأن هذه الخصال أن تحقق المحبة، والتكافل، وتنزع الأحقاد، وتمنع الفتن، وهو من الأهداف السامية التي قررها الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٦)، ومسلم (٤٧/٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٥١). وسيكرره المؤلف برقم (٧١١).

فقه الحديث

تشير هذان الحديثان[١] إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم إيذاء الجار، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم ٣٠٥.

الثاني: حكم إكرام الضيف، وقد ذكر الفقهاء[٢] أن إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وحق من حقوق المسلم على أخيه، ولكن هل هذا الإكرام واجب على المرء أم مستحب؟.

اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والمالكية والشافعية والإمام أحمد في رواية إلى أن الضيافة سُنَّة، ومدتها ثلاثة أيام، وذهب الإمام أحمد في رواية والليث بن سعد[٣] وابن حزم الظاهري[٤] إلى أنها واجبة يومًا وليلة، وجعلها المالكية[٥] والحنابلة[٦] واجبًا

---

(١) رقم (٣٠٨)، (٣٠٩).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٣٤/٨، و(٤٤١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٠٩/٦، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٨/١، ٢٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦٢/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٥٧٤/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦ وما بعدها، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٣٢٦/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٩٠/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ١٥٨/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٧٨/٨، والمحلي لابن حزم ١٤٦/٨، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٦/٢٨ وما بعدها.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٠/٣.

(٤) المحلى، ابن حزم ١٤٦/٨.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٤٢/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٨/١، ٢٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/٢.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦ وما بعدها، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٣٢٦/٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٩٠/٣، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ١٥٨/٢.

للمسلم المسافر في الفلاة ولا زاد له، أما في الحضر فهو سنة لوجود الخانات والمساجد التي يبيت فيها.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان والسلوك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل القول الحسن وفضل الصمت.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من خصائصه ﷺ جوامع الكلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

١- الشرط: وذلك في قوله ﷺ "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت..." وقوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليسكت" حيث جعل النبي ﷺ التخلق بهذه الخصال شرطًا لكمال الإيمان، إذ أن المراد بقوله "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" الإيمان الكامل[2] وأسلوب الشرط من الأساليب الناجعة في الدعوة، والتي تجعل المدعو حريصًا على فعل ما يؤدي به إلى الفضل والثواب.

٢- الأمر: وهذا الأسلوب تكرر في الحديثين في قوله ﷺ: "فليكرم ضيفه، فليقل خيرًا أو ليصمت، فليكرم ضيفه"، وعرض الدعوة في الحديث بأسلوب الأمر يحث المدعو على العمل بمقتضاه وعدم التهاون بما فيه.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٠٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٠٩).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٠/٤٦٠.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه:

بيّن النبي ﷺ في الحديثين فضل الإحسان إلى الجار وإكرامه بمنع الأذى في قوله "فلا يؤذ جاره" وبالإحسان إليه في قوله "فليحسن إلى جاره" فلا يحل لمؤمن أن يؤذي جاره بأي نوع من أنواع الإيذاء[1]، بل إن الرسول ﷺ ليقسم على نفي الإيمان الكامل عمن يؤذي جاره؛ فعن أبي شريح أن النبي ﷺ قال والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال الذي لا يأمن من جاره بوائقه[2] وهذا عام في كل جار، وقد أكد عليه السلام ترك إذايته بقسمه ثلاث مرات، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من أذى جاره، فينبغي للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه وحضا العباد عليه[3].

قال أبو محمد بن أبي جمرة: (حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك، وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الصلة بين الإيمان والسلوك:

أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في الحديثين، فبين أنه من لوازم الإيمان، وأنه لا يكمل إلا بما يظهر على أعمال الإنسان أثرًا لهذا الإيمان، فقال "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" في الحديث الثاني قال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره ... إلخ" الحديث؛ فالإيمان ليس مجرد تصديق بالقلب وإقرار بالجنان، وإنما لابد أن تظهر آثار ذلك الإيمان على جوارح الإنسان ومعاملاته مع غيره، ولذا شرط النبي ﷺ في

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٣١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٤/٥/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/١٠.

الحديث على من يريد الوصول إلى درجة الكمال في الإيمان، أن يتحلى بمكارم الأخلاق، والتي منها ما ورد في الحديث ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه، ومن كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيُكرِم ضَيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُت))[1] والأمر نفسه في الحديث الثاني.

ولذا لم يكتف القرآن والسنة بقصر الإيمان على التصديق القلبي، وإنما دائمًا يعرضان الإيمان في أخلاق حية، وأعمال ناصعة، يتميز بها المؤمنون من الكفرة والمنافقين ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[2] فلا بد من صحة الإيمان، العمل بمقتضيات هذا الإيمان، والالتزام بمبادئه الخلقية والسلوكية، والجهاد في سبيلها بالمال والنفس[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل القول الحسن وفضل الصمت:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ "ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت" قال الشافعي: ("فليقل خيرًا" لكن بعد أن يتفكر فيما يريد أن يتكلم به، فإذا ظهر له أنه خيرٌ محقق لايترتب عليه مفسدة، ولا يجر إلى كلام محرم أو مكروه، أتى به "أو ليسكت" فليطلب الصمت حتى عن المباح، لأنه ربما أدى إلى محرم أو مكروه، وبفرض أنه لا يؤدي إليها، ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني)[4].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٨/١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: ١-١٠.

(٣) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٠، ٢١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٨، ٥٠٩.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1] أي لا خير في كثير من كلامهم[2] وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه، ثم استثنى الله تعالى من أمر بصدقة من مال، أو علم أو أي نفع كان، أو معروف وإحسان وطاعة أو إصلاح بين المتنازعين المتخاصمين[3]؛ فالسكوت خير من الكلام الباطل، قال الشاعر:

ما إن ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارًا[4]

خامسًا- من موضوعات الدعوة: من خصائصه ﷺ جوامع الكلم:

لقد أعطى ﷺ جوامع الكلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بعثت بجوامع الكلم))[5] ومن تلك الجوامع هذا الحديث "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ...إلخ" الحديث (فهو من القواعد العظيمة لأنه ﷺ بين فيه جميع أحكام اللسان الذي هو أكثر الجوارح فعلاً، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال: فيه ثلث الإسلام، وقال بعضهم: جميع آداب الخير تتفرع منه، ويشار فيه إلى سائر خصال البر والصلة والإحسان، لأن آكدها رعاية حق الجوار، وبهذا الاعتبار يصح أن يقال فيه: إنه نصف الإسلام، لأن الأحكام إما أن تتعلق بالحق أو بالخلق، وهذا أفاد الثاني، لأنه صلة الخَلْق تستلزم رعاية جميع حقوقهم[6].

وقال ابن حجر: (واشتمل الحديث على أمور ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الفعلية فيرجع إلى الأمر بالتخلي عن الرذيلة "فلا يؤذ جاره" والتحلي

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١١/٢.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص ١٦٤.

(٤) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١٣٩/١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٧٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٩.

بالفضيلة "فليكرم ضيفه"، "فليقل خيرًا أو ليصمت"، وحاصله من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولاً بالخير وسكوتًا عن الشر، وفعلاً لما ينفع، أو تركًا لما يضر)[1].

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٦١/١٠.

الحديث رقم (٣٠٩)

٣٠٩- وعن أَبي شُرَيْح الخُزَاعيِّ رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**)) رواه مسلم[1] بهذا اللفظ، وروى البخاريُّ[2] بعضه.

ترجمة الراوي:

أبو شُرَيْح الخُزاعيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٠).

الشرح الأدبي

اتفق هذا الحديث مع سابقه في الأسلوب، والصياغة مع اختلاف بسيط في المعنى ففي الحديث الأول جاء أسلوب النهي متصدراً الحديث، وهو قوله (فلا يؤذي جاره) نهياً عن التسبب له في ضرر يلحق دينه، أو نفسه، أو ماله، أو أهله، وفي هذا الحديث جاءت العبارة بأسلوب الأمر الواقع في جواب الشرط ترغيباً فيه في قوله (فليحسن إلى جاره)، وهذه العبارة أبلغ في هذا الموضع، لأن الإحسان مرتبة أعلى من كف الأذى، ومن لم يكف أذاه لا يكون محسناً، فالإحسان متضمن لكف الأذى دون العكس.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٤٨/٧٧). وسيكرره المؤلف برقم (٧٠٦).

(٢) برقم (٦٤٧٦) دون قوله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣١٠)

٣١٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَت: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلى أيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: ((إِلَى أقْرَبِهِمَا مِنكِ بَابًا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث يتصل بالأفضلية في الإحسان إلى الجيران أيهم يقدم، والذي يبحث في منهج الله المتمثل في كتابه، وسنة رسوله ﷺ يجد كل ما يبحث عنه في معاشه، ومعاده، لأنه أكمل دينه، وأتم نعمته على عباده، وهذا الحديث يدلل على ذلك، وقد بدأته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنداء التكريم، ثم قدَّمت لما تريد بمقدمة تمهِّد لسؤالها، بقولها: (إن لِي جَارَيْنِ) وقد أكدت العبارة بـ (إن) مع اسمية الجملة الدالة على الثبوت، والدوام، وتقديم الجار والمجرور (لي) الذي يفيد الاختصاص، وبناء العبارة على هذه الهيئة من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالتوكيد إيذاناً بأهمية الأمر، واسمية الجملة تقرر أنهما جاران مقيمان مما يجعل حقهما أوجب، والاختصاص يشير إلى أنهما جاران ملاصقان لبيتها لا لبيت غيرها، ثم طرحت سؤالها (فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي) أي بمن أبدأ منهما؟، ولذلك قدمت الجار والمجرور على متعلقه، وقول الرسول ﷺ (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا) فيه إيجاز بحذف الفعل لدلالة ما قبله عليه، ثم إن هذا الحذف يجعل المقام يتسع لتقدير كثير من أفعال البر، مثل: (أهدي - أطعمي - أحسني - إبدأي) وأصلحها للتقدير في هذا المقام - والله أعلم - هو(أهدي)؛ لأنه شامل لمعاني غيره من أعمال البر بالإضافة إلى أنه المذكور في السؤال، والحديث يعمِّق الصلات بين المسلمين بما يبعث الألفة، والمحبة، ويستجد وسائل أخرى للتقارب بين الناس بخلاف القرابة.

---

(١) برقم (٢٢٥٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: تبيين الأمور وإيضاح الحقائق.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في هذا الحديث، فالسؤال في قول عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: "إن لي جارين فإلى أيهما أهدى؟" والجواب في قول النبي ﷺ: "إلى أقربهما منك بابًا" فطلب المدعو وإجابة الداعي عليه، من الأساليب الناجحة في الدعوة، إذ أن الإنسان أكثر تعلقًا واقتناعًا بالشيء الذي يطلبه ويسأل عن الإجابة عليه.

ثانيًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه:

إن من حقوق المدعو التي ينبغي له أن يباشرها: سؤاله عما يشكل عليه، وقد ورد في الحديث أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سألت ولم تتردد في سؤالها للنبي ﷺ، خاصة وأنها أمرت بإكرام الجار مطلقًا، ولا تقدر على الإهداء إلى كل الجيران أو جاريها الملاصقين لها، فماذا تفعل ليحصل لها الدخول في جملة القائمين بإكرام الجار[1]، فسألت رسول الله ﷺ قائلة: (إنّ لي جارين فإلى أيهما أهدي؟)، فأجابها ﷺ: (إلى أقربهما بابًا)، إن الإسلام يربي المسلمين على طلب العلم، ومعرفة ما يغيب عنهم من مسائل علمية تخدم حياتهم الاجتماعية، ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل أصحابه رضي الله عنهم، وقد يأتيه جبريل عليه السلام يسأله ليقتدوا به، كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور، قال النووي: (وفيه أنه ينبغي لمن حضر مجلس العلم إذا علم بأهل المجلس حاجة إلى مسألة لا يسألون عنها، أن يسأل هو عنها، ليحصل الجواب الصحيح)[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٠٩ - ٥١٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٣.

ثالثًا- من مهام الداعية: تبيين الأمور وإيضاح الحقائق:

أعطانا النبي ﷺ في هذا الحديث مثالاً يحتذى به خاصة من قِبل الدعاة، حيث أجاب رسول الله ﷺ عائشة مبينًا لها ما سألت عنه إلى من تهدي من الجيران، قال: (إلى أقربهما منك بابًا)، لذا ينبغي على الداعي في دعوته أن يجعل الرسول العظيم ﷺ قدوته فيقتفي أثره، وينسج على منواله[1].

فالتبيين يعين المبلّغ والداعية على أداء رسالته، وهو مثل التبليغ من وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام وأتباعهم من الدعاة والعلماء[2]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3]، ذكر القرطبي في تفسير الآية قول ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: (قال المعنى: بلّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته، ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أنه لا يكتم شيئًا من وحيه)[4].

رابعًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات:

إن مراعاة الأولويات أمر ظاهر في الحديث في إجابة الرسول ﷺ التي تقتضي تقديم الأقرب من الجيران على غيره، وفعل ما هو أولى، فقال ﷺ: (إلى أقربهما منك بابًا)، إجابة لسؤال عائشة رضي الله عنها: (إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟)، قال ابن حجر: (ويؤخذ من الحديث: أن الأخذ في العمل بما هو أعلى أولى، وفيه تقديم العلم على العمل، والحكمة في ذلك أن الأقرب يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها، فيتشوف لها بخلاف الأبعد، وإن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من المُلمَّات، ولا

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، د. البهي الخولي ص ٢٠٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٣/٩٠٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٥/١٤٦.

سيما في أوقات الغفلة)[١].

لذا كان من الواجب على الداعي أن يستصحب في دعوته فقه الأولويات وترتيبها، فيعرف ماذا يقدم وماذا يؤخر، وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟ فيبدأ بالأهم ثم المهم، أن يبدأ بالعقيدة في الدعوة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، فالداعية لا بد أن يكون حكيمًا، يعلم كيف يبدأ؟ ومن أين يبدأ؟ وماذا يقدم؟ وماذا يؤخر؟[٢].

وقد أنكر الله عز وجل على من يسوي بين الأعمال ويظنها على درجة سواء، ويدع الأفضل ويتمسك بالفاضل، قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٣].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٦١.

(٢) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ص ٤٦ - ٥٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٩.

الحديث رقم (٣١١)

٣١١- وعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في الخيرية المطلقة في كل الأمور، وهو منهج يربي الإسلام أبنائه عليه لتكون لهم الريادة في كل المجالات - لو ساروا عليه كما حدث مع الصحابة، والتابعين رضي الله عنهم وهذا الحديث من هذه النوعية التي تحث المؤمنين على التنافس في الخيرات، وقد بدأ الحديث بأسلوب التشويق عن طريق لفظ يداعب النفس بمحبوب ينتظر، وهو لفظ (خير) المضاف إلى الأصحاب إضافة بيانية، وقد صعّد من درجة التشويق بالظرف المضاف لله في قوله: (عند الله) وقوله (خيرهم لصاحبه) يجعل تحقيق الخيرية عند الله مرهوناً بأن يكون خيرهم في الدنيا بخدمتهم، ومساعدتهم، وإكرامهم، وغير ذلك من أعمال البر، مما يبعث المؤمنين على التسابق إلى هذه الخصال، وكذلك الحال مع الجيران، وإن كان الأمر مع الجيران يحتاج إلى مزيد صبر على تحمل أذاهم، ومزيد إيثار في معاملتهم لطول المقام، وكثرة التعاملات، وهو ما يجنب المجتمع الشقاق، والخلاف، ويوفر على المؤمنين أوقاتهم، وراحة صدورهم، ويفرغهم لما خلقوا من أجله.

---

(١) برقم (١٩٤٤). وصحّحه ابن خزيمة (٢٥٣٩)، وابن حبان (الإحسان ٥١٨)، وقال الحاكم (١/١٦٤): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٧٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الأصحاب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

١- **الإخبار:** أسلوب من أساليب الدعوة التي تعرِّف المدعوين بما هو مطلوب منهم، أو تخبرهم بفضل بعض الأعمال عند الله تعالى، وينبغي للداعية أن يتحرى الصدق في أخباره التي يسوقها للناس، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1] وأخبار الأنبياء جميعها صدق وحق، لأنه يستحيل عليهم الكذب، وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ بأن خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره.

٢- **الترغيب:** يرغب الرسول ﷺ في هذا الحديث في حسن معاملة الأصحاب والجيران، ويبين أن أفضلهم في الدنيا أفضلهم في الآخرة، والترغيب يحث النفس على الإقدام على فعل الخير انتظارًا للثواب والأجر، فيجب على الدعاة استخدام هذا الأسلوب لتحبيب الناس في عمل الصالحات. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

(٣) سورة التين، آية: ٦.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الأصحاب:

إن المسلم يَأْلف ويُؤْلف، ويحب إخوانه وأصحابه ويتودد إليهم، ويتحمل أذاهم، وأرشد النبي ﷺ إلى حسن معاملة الصاحب، كما جاء في الحديث: "خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه" هذا وقد دلت نصوص القرآن الكريم على حسن معاملة الصاحب لصاحبه، فهي ذكَّرتهم بإخوة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وأوصى القرآن بالإحسان إلى الصاحب، فقال جلّ شأنه: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾[2] وبين القرآن أن من شروط الصحبة الطيبة أن تكون لله، ومن أجل الله، قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

قال ابن كثير: (فكل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه)[4] وأشار القرآن إلى نموذج للصحبة الطيبة فقال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾[5] وهي إشارة إلى صحبة أبي بكر الصديق للنبي ﷺ، قال السعدي: (إذ يقول النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، لا تحزن إن الله معنا بعونه ونصره وتأييده، وفي هذه الآية الكريمة اختصاص أبي بكر رضي الله عنه بهذه الصحبة الجميلة، والمنقبة الجليلة، وأجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة)[6].

ولقد دلت نصوص السنة النبوية على فضل الحب في الله، والصحبة الطيبة، فجعلها

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٦٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٧/٧.

(٥) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٩٨.

رسول الله إحدى ثلاث يجد بها المرء حلاوة الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمّا سِواهُما، ومَنْ أَحَبَّ عَبدًا لا يُحِبُّهُ إلاّ للّهِ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ في الكُفْرِ بعدَ إذْ أَنْقَذَهُ اللّهُ كما يَكْرَهُ أَنْ يُلْقى في النّار))[1] وأخبر أن المتحابين في الله في ظل الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[2]. والنصوص في هذا كثيرة.

قال الشيخ السيد سابق: (إن الإخاء والصحبة في الإسلام يقتضي تبعات وحقوقًا، وليس هو إخاء عقيمًا لا ثمرة له في الخارج، ولا أثر له في الواقع، فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه، وأن يعني بشأنه، والدفاع عنه، والذياد عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره، وإعداده لمستقبل أعز وأكرم، ومن مظاهر هذا الاهتمام ألا يدع المسلم أخاه للأحداث تتحكم فيه وتنال منه. بل عليه أن يبذل له من ذات يده، وأن يدفع عنه كل أذى يصيبه، أو شر يقع عليه، ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه ويصون حرمته في حضوره أو غيبته مااستطاع إلى ذلك سبيلاً)[3]. وواجب الدعاة إلى الله إحياء معاني الأخوة والصحبة في نفوس المدعوين، وحثهم على الترابط والإخاء والحب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الجيران:

إن الإسلام ينظم العلاقات الاجتماعية بين الناس، ولما كان لا يخلو أحد من جار له في بيته أو عمله أو محله، أرشد النبي ﷺ إلى أن علاقة الجار بجاره ينبغي أن تقوم على الخيرية، ويتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث "وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره" ولقد أوصى الله بالإحسان إلى الجار فقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

(٣) دعوة الإسلام ١١٧-١١٨.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٦.

قال القرطبي رحمه الله: (أما الجار فقد أمر الله تعالى بحفظه، والقيام بحقه والوصاة برعي ذمته في كتابه وعلى لسان نبيه، ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين فقال: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: القريب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ أي: الغريب، وعلى هذا فالوصاة بالجار مأمور بها مندوب إليها، والإحسان إليه قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الأذى والمحاماة دونه)[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه))[2].

وأمر رسول الله ﷺ بعدم إيذاء الجار فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخرِ فلا يُؤذِ جارَه))[3]. وربط رسول الله ﷺ بين الإحسان إلى الجار والإيمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هذِهِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلَ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمَ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ»؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا فَقَالَ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))[4].

قال الغزالي: (واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضًا قد كف أذاه، فليس في ذلك قضاء حق، ولا يكفي احتمال الأذى، بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف، ومن مجمل حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح، ويظهر الشركة معه في السرور، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح على عوراته، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/٥، ١٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٤، ومسلم ٢٦٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٨٥، ومسلم ٤٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٦).

ينكشف له من عوراته، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حرمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه)[١].

وهذا الموضوع يعتبر من الموضوعات الدعوية المهمة التي يجب أن يطرحها الدعاة إلى الله، ويقوموا بمعالجتها معالجة مناسبة، تعمل على تحسين العلاقة بين الجيران، وإشعار الناس بأهمية حسن العلاقة بينهم.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث أرشد النبي ﷺ إلى الإحسان إلى الصاحب والجار، وأرشد إلى أن من يفعل ذلك يكون خير الأصحاب وخير الجيران عند الله، وفي ذلك إرشاد إلى الخير، وإن مهمة الدعاة الأولى التي يجب ألا يفارقوها، إرشاد الناس إلى الخير، ودلالتهم عليه، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، فمما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾[٢].

ومما جاء على لسان شعيب عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[٣] وهناك الكثير من الآيات التي تبين دعوة الأنبياء لأقوامهم إلى الخير والهدى والرشاد.

وأخبر الرسول ﷺ أن من يدل على الخير فله من الأجر مثله، فعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٤] وفي هذا تحفيز للداعية أن يقوم بمهمته المنوطة به، وهي الإرشاد إلى الخير.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢/١٠٣٠.

(٢) سورة هود، آية: ٥٢.

(٣) سورة هود، آية: ٨٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تكوين المجتمع القوي المتماسك من أهداف التربية الإسلامية، وقد رسم الإسلام السبيل لذلك على أساس من:

١/ الكلمة الطيبة.

٢/ الفعل الحسن.

٣/ ترك الإيذاء "قولاً أو فعلاً".

٤/ تبادل المشاعر الطيبة لتقوية العلاقات.

٥/ مراعاة مراتب الجوار في حال المعروف.

يتجلى ذلك من خلال المضامين التربوية التالية:

أولاً- التربية بالوصية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالوصية لما لها من وقع في النفس وتأثير على التعاملات الاجتماعية لأن أثر التربية بالوصية مؤثر في السلوك، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب حق الجار والوصية به، قوله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». وقوله في حديث أبي ذر: «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». وقوله: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ...»، فهذا توجيه نبوي أراد النبي ﷺ به أن يبين منزلة الجار في المجتمع الإسلامي، من خلال التأكيد على الوصية به، وفي طريقة التواص التي اتبعها ﷺ، تربية كل مسلم بحسن التعامل مع الجار، وإكرامه والبعد عن إيذائه، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق والتلاحم والتماسك في المجتمع الإسلامي، والوصية أشبه بالعهد الذي يأخذ على الأفراد والجماعات، وهي تركز على أمور جوهرية لها علاقة بطبيعة الموصي وتمتاز بكونها مختصرة ومتعددة الجوانب وتميل إلى الطابع الخاص أكثر من العام.

ولما كانت هذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي اهتمت بها السنة النبوية كان

لزامًا علينا أن نأخذ بها[١].

ثانيًا- التربية بالتوجيه المباشر:

التربية بالتوجيه المباشر من أساليب التربية الإسلامية الهادفة، ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». وقوله: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا. وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ»، وقول عائشة رضي الله عنها: «إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابا».

«لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره...»، وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره...».

فهذه نماذج تربوية أراد النبي ﷺ أن يوجه المسلمين من خلالها إلى كيفية التعامل مع الجيران وأصول التعامل التي يجب أن تكون، وذلك من خلال الأمر والنهي الذي جاء التوجيه المباشر من خلاله لإحسان معاملة الجار، وهذا مما يفيد في العملية التعليمية عند قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، وقد يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه، والرسول ﷺ أراد من هذا الخطاب المباشر عن الجار عندما سأل عنه الصحابة أراد أن يثير انتباه المخاطب ويشعره بنشوة اهتمام الآخرين به عن طريق البيان والإرشاد لأنه ﷺ قام بإرشاد السائل إلى الاعتناء بالجار. ولأهمية الجار في الإسلام وصى به النبي ﷺ الصحابة[٢].

وقام ﷺ بتوجيه أصحابه رضي الله عنهم إلى مراعاة حقوق الجار والحرص على الإحسان إليه، بل وسط ذلك بالإيمان.

ثالثًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب لما فيه من الرغبة والحرص على عمل

---

(١) انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي ص ٨٣، أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٢٧٤، موسوعة نضرة النعيم ١/١٤٠.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني ص ٢٨٣. المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٩٧، أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن ص ٤١.

الصالح، ولقد انتهجت السنة النبوية هذا الأسلوب في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...»، وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِن إلى جَارِهِ...»، وقوله: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»، فهذه أساليب تربوية ترغب في الأجر العظيم من خلال المعاملة الحسنة للجار. لأنه بالتربية على إقامة هذا الحق يستقيم المجتمع، وإذا استقام المجتمع استقامت الأمة، وبالتالي نكون قد أقمنا مجتمعاً سوى يؤدي هذا الحق ويحترم هذه التربية النبوية، وهذا دليل على أن التربية الإسلامية اهتمت اهتمامًا كبيرًا بعلاقة المسلم بجيرانه وحضّه على تعزيز تلك العلاقة بشكل مباشر وغير مباشر من خلال تلك السلوكيات الطيبة التي تنم عن قناعة المسلم بأهمية وفضل التعامل الطيب مع الجيران، الذي يعد مؤشرًا واضحًا على ارتباط السلوك بالإيمان مما يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان، وهذا ليس بالغريب أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في المجتمع، ولذلك برز من هذا الهدي النبوي أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوبً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين أفراد المجتمع مما يجعلها تسهم بدور فعّال في بلوغ أهداف التربية الإسلامية، وأخيرًا هذه التربية الترغيبية من شأنها تحقيق التوازن بين الحياتين الدنيا والآخرة، وهذا ما ظهر من النموذج التربوي الذي نحن بصدده[1].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: تقوية الصلات الاجتماعية:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية تقوية الصلات الاجتماعية، حيث ركزت التربية الإسلامية على حسن العلاقة مع الجيران، وإحسان التعامل معهم، وكف الأذى عنهم، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب: قوله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار ...»، وقوله «يَا أَبَا ذَرَ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»، وقوله: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

---

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك ص ١٨٦. التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد ص ١٥٣.

فهذه توجيهات تربوية تحث على التواصل بين الجيران وتزيد حقوق الجار كلما قرب الدار حتى كاد الإسلام أن يرتب حقوقًا في التوارث على أساس الجيران كما في حديث "جبريل" وإن ما يحدث بين المسلمين من قطيعة الجيران، وضعف التواصل بين أهل الإيمان حتى غلب عليهم الهجران، يعد من مظاهر الخلل في تطبيق التربية الإسلامية في مجال التعامل والعلاقة بين الجيران، حتى أن بعض الجيران لا يعرفون أسماء بعضهم، ولا يتزاورون فيما بينهم، وما حدث هذا من خلال تقليد المسلمين لطراز الحياة الغربية التي لا تعرف المعاني التي غرسها الإسلام للتواصل بين الناس كحق الجار، ولأهمية التربية على أداء هذا الحق، بل إن حسن علاقة المسلم أو المسلمة بجيرانه وإخوانه في المجتمع هو الذي يعُول عليه عند الله، لأن المعاملة مع الناس ثمرة لما يدين به الإنسان ويستقر في قلبه من إيمان، ومن ثم لما ذكرت «امرأة عند رسول الله ﷺ من كثرة صلاتها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال هي في النار»، وعلى النقيض «امرأة أخرى قليلة العبادة إلا أنها لا تؤذي جيرانها بلسانها، قال هي في الجنة»[1]. من أجل أهمية هذا الحق جاءت تعاليم الإسلام مؤكدة للتواصل بين الناس وتوثيق الروابط وإبعاد عوامل الشقاق والتقاطع والتدابر وهو ما يحتاجه المجتمع البشري في كل زمان ومكان، وتقوي الحاجة إليه بعد طغيان المادية والنفعية وقيم الحضارة الغربية[2].

خامسًا- من أهداف التربية الإسلامية: بيان الصلة بين الإيمان والسلوك:

من أهداف التربية الإسلامية بيان الصلة بين الإيمان والسلوك لما بينهما من ترابط وثيق، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ. وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

فهذا توجيه نبوي تربوي أراد النبي ﷺ من خلاله "تعميق الربط بين الإيمان

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٤٤٠.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم العمري ص ٤٦٢.

والسلوك عند الصحابة رضي الله عنهم. وهذا من خلال عرض نبوي في الحديث، بين فيه ما ينبغي الالتزام به من قيم وأخلاق مع الجيران، كما أراد النبي ﷺ من ذلك تعليم الصحابة أن الإيمان الصادق ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي غير متبوع بأثر سلوكي عملي في الحياة. كلا إنه اعتقاد وعمل وسلوك"[1].

إن النبي ﷺ أراد أن يؤكد الصلة بين الإيمان والسلوك، وأن كلا منهما لا ينفك عن الآخر، لأن السلوك الحسن ثمرة طبيعية للإيمان الصحيح، ومن ثم فإن الإسلام لا يقيد بالشعارات ولا بالمظاهر ولا الهيئات حتى وإن كان ظاهر الإسلام، لأن الذي يعتمده الإسلام هو التطابق بين القول والعمل، وتلك المعاملة الحسنة التي تبرهن على عمق الإيمان.

ومن ثم جاء التأكيد من النبي ﷺ على أهمية هذا الأمر الذي يُعد من الأهداف الأساسية للتربية الإسلامية التي تعمل على الربط بين الإيمان والسلوك، لأنه لو ترك الإنسان ليستسلم لنزعات حرصه وطمعه لأصبح خطرًا على نفسه وجماعته، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قيم أرفع مقرونة بالإيمان.

سادسًا- من الأساليب التربوية: الوعظ والمناقشة:

ورد في أحاديث الباب أكثر من أسلوب تربوي يمكن استخدامه في مواقف التعليم والتعلم، ومنها:

أ-الوعظ: كحديث: "لا يمنع جارٌ جاره أن يغرز خشبة في جداره"، والوعظ يستخدم في الأمور التي تعالج علاقة الإنسان بالآخرين مع ترغيبه وتذكيره بواجباته وحقوقه.

ب-المناقشة: كقول عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك بابًا" والمناقشة من الأساليب التي يتميز فيها المتعلم بالإيجابية داخل حجرة الدراسة.

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٩١، ٢٥٣.

٤٠- باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾[النساء: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[الرعد: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾[العنكبوت: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣-٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[لقمان: ١٤].

الحديث رقم (٣١٢)

٣١٢- وعن أَبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا))، قُلْتُ: ثُمَّ أي؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ))، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ في سبيلِ الله)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧، ٥٩٧٠)، ومسلم (٨٥/١٣٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٦)، و (١٢٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهو ما كان يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قام المعنى في الحديث على أسلوب الحوار الذي أداره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله: (أي العمل أحب إلى الله) وهو استفهام على حقيقته، وتقييده بالجار، والمجرور؛ لأنه الغاية المقصودة من اختيار العمل.

والسؤال عن أفضل الأعمال مما اختلفت فيه أجوبة الرسول ﷺ لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَة، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ، أَوْ كَانَ الاخْتِلاف بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ كَانَ الْجِهَاد فِي اِبْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ؛ لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتْ النُّصُوص عَلَى أَنَّ الصَّلاةَ أَفْضَلَ مِنْ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتِ مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ، أَوْ أَنَّ " أَفْضَلَ " لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا بَلْ الْمُرَاد بِهَا الْفَضْل الْمُطْلَق، أَوْ الْمُرَاد مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَة.

وقوله (الصلاة على وقتها) لأن الله ربطها بزمان محدد، وفي المسارعة إظهار لمعانٍ متعددة، كالطاعة، والشوق للقائه، ومحبته، وقوله: (ثم أي) فيه حذف يستلزمه الشوق إلى المزيد وتقديره: ثم أي الأعمال أحب ؟، فجاء في المرتبة الثانية بر الوالدين لعظيم فضلهما، فقد قدم الصلاة؛ لأنها حق الله، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد؛ لأن الحاجة إليه ليست في كل وقت، كالصلاة، وبر الوالدين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: أوقات أداء الصلاة، وقد سبق الكلام عنها في الحديث رقم ٢٠٨.

الثاني: حكم الجهاد في سبيل الله، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم٣.

الثالث: حكم بر الوالدين، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن بر الوالدين واجب ما دام أنهما يأمران بالمعروف، فإن كان أمرهما بمعصية فلا طاعة لهما، وأن من أكبر الكبائر عقوق الوالدين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستزادة من الخير.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن الداعية الناجح تقوم علاقته مع المدعوين على الحوار، ومن صور الحوار: السؤال والجواب، وقد اشتمل هذا الحديث على السؤال والجواب من عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الذي سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "أي الأعمال أحب إلى الله" ثم تكرر السؤال أكثر من مرة وتكرر معه الجواب، ولا يخفى أن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته، ويخلق نوعًا من الحوار بين الداعية والمدعو، ويجد

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٢/٢٧٤ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٧/٩٨، وشرح السير الكبير ١/١٩٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٢٩٠، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ١/٥٤٤ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٤٨٦، ومغني المحتاج ٣/٥٧٤، وإحكام الأحكام ١/١٦٣ وما بعدها، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/١٨٤، والفروع، ابن مفلح ٦/١٩٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/١٧٠.

المدعو ضالته في الإجابة على سؤاله مباشرة، مما يؤدي إلى تفعيل العملية الدعوية.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يخفى عليه:

المسلم مطالب بأن يسأل عما يجهل، لأنه لا يُعذر بجهله طالما أن باستطاعته أن يتعرف على ما خفي عليه من أمور، ولذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على ذلك، ومن الشواهد على هذا، سؤال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث عن "أحب الأعمال إلى الله" ولذا فمن واجبات المدعو أن يسأل عما يجهل، ولقد أنكر النبي ﷺ على قوم قالوا من غير أن يسألوا ويعلموا فقال: ((ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1]. (والعي هو التحير في الكلام وعدم الضبط، والمعنى أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[2] والمسلم الحريص هو الذي يسأل في أمور دينه، حتى يكون على بينة من أمره، عالمًا بما هو مطلوب منه شرعًا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستزادة من الخير:

إن المسلم تواق للمعرفة، حريص على الاستزادة من الخير، فهو لا يشبع منهما أبدًا، ويظهر هذا من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في الحديث: "قلت ثم أي" وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الخيرات ويحبون الاستزادة منها، وقد وقع في رواية البخاري أيضًا للحديث ما يدل على هذا، وهو قوله "ولو استزدته لزادني".

قال ابن حجر: (يحتمل أن يريد الاستزادة من هذا النوع، وهو مراتب أفضل الأعمال، ويحتمل أن يريد من مطلب المسائل المحتاج إليها، ولكنه لم يستزد، لأنه استشعر منه مشقة، وقد جاء ما يؤيد هذا في رواية لمسلم "فما تركت أن أستزيده إلا إرعاء عليه" أي شفقة عليه لئلا يسأم)[3]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أبواب الخير والاستزادة منها، وقد جعل الله من صفات المؤمنين أنهم ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود، محمد أشرف العظيم آبادي ص ١٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٤/٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

وقال النووي رحمه الله: (وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال، ورفق المتعلم بالمعلم، ومراعاة مصالحه، والشفقة عليه لقوله "فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه" يعني إبقاءً عليه ورفقا به)[1] ومما يدل على حرص الصحابة على الاستزادة من الخير ما جاء عن معاذ رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ مَعَ النبيِّ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾[2] ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعُمودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ. ثمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[3]. ففي هذا الحديث يظهر حرص معاذ رضي الله عنه على الاستزادة من الخير، والسؤال عما يوصل إلى الجنة.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

إن المسلم الحق يحب الخير لإخوانه، والداعية الحق حريص على نشر الخير بين الناس ليعملوا به، ويستزيدوا منه، ومن أجل هذا لم يكن يبخل رسول الله ﷺ عن إرشاد مسترشد، أو تعليم سائل، وفي الحديث كلما سئل عن أحب الأعمال إلى الله يبين مراتبها وأفضلها، وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

فعلى الداعية الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على إرشاد المدعوين، وتعريفهم بأبواب الخير، قال ابن حجر رحمه الله: (وفي الحديث بيان ما كان عليه ﷺ من إرشاد المسترشدين ولو شق عليه)[1].

ومما يدل على مدى حرصه ﷺ على نشر الخير وتعريف أمته به، ما جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلاة:

إن عمود الإسلام الصلاة، وهى أساس العلاقة بين العبد وربه، ولذا جعل رسول الله ﷺ الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله، وقد جاء الأمر بالمحافظة على الصلاة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[3].

وأمر بإقامتها على الوجه الصحيح، فقال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[4].

وبين أن من صفات المؤمنين المحافظة على الصلاة، فقال جلّ شأنه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[5].

وذكر أن من الذين يحفظهم الله من الجزع والهلع الذين يحافظون على الصلاة،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ١٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣ واللفظ له.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٩.

فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾[1].

وحذر الله من إضاعتها وعدم أدائها، فقال سبحانه: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[2].

وتوعد من يتكاسل عن أدائها، فقال جلّ شأنه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[3].

وجاءت الكثير من الأحاديث تبين فضل الصلاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر))[4]، قال أبو الحسن الندوي: (وفي الصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى، والبقاء في حظيرة الإسلام، والانخراط في سلك المؤمنين، لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن ترك الصلاة واستغنى عنها -اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قنطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة، والخير الكثير- فقد عرَّض نفسه للهلاك، وأعماله للحبط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها: والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، وبالجملة فالصلاة

---

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٣.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٣) سورة الماعون، أيتان: ٤- ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٣.

هي معقل المسلم ومفزعه)[١]، والمحافظة على الصلاة من الموضوعات المهمة التي يجب الحث عليها وترغيب الناس في فضلها.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل بر الوالدين:

إن بر الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، لما للوالدين من حق وفضل على أبنائهما وإلى هذا أرشد الحديث، فمما جاء فيه: (قلت ثم أي: قال: بر الوالدين" وقد جاءت الوصاية ببرهما بعد الأمر بعبادة الله، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[٢] ووصى الله ببرهما فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾[٦].

قال صاحب التفسير الواضح: (لقد قضى ربك بأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا كاملاً في المعاملة، إحسانًا ليس بعده إحسان إذ يجتمع فيهما كل أسباب المودة والعطف، فمن قرابة قريبة إلى صلة وشيجة وجوار كريم، وعطف سابغ، وحنان أبوي سليم، فلا عجب أن ترى القرآن يجمع بين الأمر بعبادة الله والأمر بالإحسان إليهما، ويجمع بين الشكر لله وللوالدين)[٧].

وكثرت الأحاديث التي تحث على بر الوالدين، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد قال له: ((أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد))[٨] وحذر من عقوقهما، وجعل ذلك من الكبائر، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

---

(١) الأركان الأربعة ٢٨-٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٨.

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٧) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج٢/١٥/١٨.

(٨) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

عن النبي ﷺ قال: ((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[١]. وبين الرسول الكريم ﷺ: أن برهما من أحب الأعمال إلى الله كما في الحديث الذي معنا.

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (ومما يدل على عظم حق الوالدين على الولد، أن برهما من أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما أن العقوق من أكبر الكبائر، وبرهما أفضل من الجهاد في سبيل الله، فلا يجوز الجهاد ولا الهجرة إلا بعد استئذانهما، وبرهما ينوب عن الجهاد، ويجب الإحسان إليهما ولو كانا مشركين، والولد لا يؤدي حق أمه مهما فعل، ويلزمه وصالهما وإن هجراه، ورضاء الله سبحانه في رضائهما، وقد أوجب الشرع الإحسان إليهما، ليصل إلى البر والعدل، وما هو بواصل لسبقهما وفضلهما عليه، لذا جاءت الوصية بهما)[٢].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهو من أحب الأعمال إلى الله، لما فيه من التضحية بالنفس والمال في سبيل الله، مما يدلل على صدق صاحبه في إيمانه بالله عز وجل، وقد أرشد الحديث إلى فضل الجهاد، ويظهر هذا لما سئل رسول الله ﷺ ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله "وما لا شك فيه أن الجهاد في سبيل الله له أجر كبير وفضل عظيم قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾[٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤] وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٧٥.

(٢) بر الوالدين ١٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة الصف، آية ١٠، ١١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[١].

وحث رسول الله على الجهاد في سبيل الله فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ غَرَبَتْ))[٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[٣].

والنصوص الشرعية في هذا الباب كثيرة، ويبقى على الدعاة إبراز هذا الموضوع واستحضار هذه المعاني والنصوص، لإعلاء قيمة الجهاد في سبيل الله.

"ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان، كانت منازل الناس عند ربهم في الدنيا والآخرة حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات، فمن حاز قصب السبق منه، وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته لم يجز تسويته بالمجاهدين. فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، وإنما كان العلم والتقوى من تلك القيم، لأنها أنواع من الجهاد، لما في العلم من دوافع للجهاد، ومعرفة طريقه، والتثبيت عليه، ولما في التقوى من جهاد النفس، وإلزامها بطاعة الله وترك نواهيه سبحانه، وكذلك فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[٤]، ولهذا كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق وأكملهم عند الله، لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله، وجاهد بقلبه وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد[٥].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٥) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤-٢٤٥.

الحديث رقم (٣١٣)

٣١٣- وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إلاَّ أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يجزي: لا يكافئ[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري قام على أسلوب القصر حيث قصر صفة جزاء الولد لوالده على حالة وجدانه له مملوكاً فيعتقه، ونفى أن يوفيه حقه أي فعل آخر، وتنكير ولد، ووالد للتعميم لتشمل كل أب، وأم، وكل مولود مهما بلغ في بره لوالديه، وقوله: (أن يجده) توحي الجملة بالبحث، والجد فيما فيه بر والديه، ثم إن قوله (مملوكاً) يدل على أن هذا الوالد لم يقم بدوره كاملاً كأب لهذا الولد الذي فتش عنه، وأعتقه لأن هذا الوالد كان لا يملك شيئاً بل لا يملك نفسه، ومع هذا تحرك الولد، وبذل جهده في إيجاده، وبذل ماله في عتقه، كما أن عطف الفعلين بالفاء خاصة في (فيشتريه، فيعتقه) يدل على حفاوة هذا الولد بوالده على ما هو عليه، وهذا يشير إلى أمر من الأهمية بمكان، وهو أن المسألة في بر الوالدين ليست على سبيل المكافأة، بل هو طاعة لله أحسن الوالدين إلى أبنائهم أم أساءوا؛ ولذلك قال تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) [الإسراء: ٢٣] ولذا كانت صورة عتق الولد لوالده هي الصورة الوحيدة التي يجزي فيها الولد والديه، وقد انتهت بانتهاء الرق، والعبودية، فلن يجزي ولد والده فليسعى، وليجتهد في بر والديه، وليعلم أنه مقصر.

---

(١) برقم (١٥١٠/٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٨).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٦١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر والحصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالد على أولاده.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر والحصر:

حيث جاء في الحديث: "لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده" ولاشك أن القصر والحصر يفيد التخصيص، وهو من الأساليب النافعة في الدعوة، حيث يحدد الداعي ويخصص ما يريد قوله، وهو يساعد على زيادة الإفهام للمدعو حتى لا تلتبس عليه الأمور. وقد قصر النبي في الحديث قدرة مجازاة الولد لوالده على العتق فحسب.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة:عظم حق الوالد على أولاده:

تستقيم الحياة الاجتماعية بمعرفة منظومة الحقوق والواجبات. ومن ثم فمن الموضوعات الدعوية المهمة بيان عظم حق الوالد على أولاده، حيث جاء في الحديث أنه لا يكافئ إحسان الوالد شيء إلا العتق فحسب، فقال ﷺ "لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه ويعتقه" قال النووي: (أي لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه إلا أن يعتقه)[1] أما عن السر في كون العتق هو الذي يكافئ إحسان الوالد، فذلك (لأن العتق أفضل ما ينعم به أحد على أحد، إذ خلصه بذلك من الرق وجبر به النقص الذي فيه، وتكمل له أحكام الأحرار في جميع التصرفات)[2].

ومما لاشك فيه أن فضل الوالد على ولده عظيم، كيف لا؟ وقد جعل الله الإحسان إلى الوالدين بعد الأمر بعبادته، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٦١.

(٢) تحفة الأحوذي المباركفوري، ١٦١٨/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦.

وأمر بالشكر لهما بعد شكره، فقال جلّ شأنه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[١].

وأوصى بحسن صحبتهما، حتى وإن جاهدا الإنسان على الكفر، فقال سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٢].

ونهى عن إيذائهما بالقول فضلاً عن الفعل، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[٣].

ونبه إلى خفض الجناح لهما، والدعاء لهما بالرحمة، عرفانًا بالجميل والفضل، فقال عز وجل: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٤].

قال القرطبي رحمه الله: (هذا أمر من الله تعالى لعباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك، وترفق بهما كما رفقا بك، وخص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما)[٥]. وجعل رسول الله ﷺ الإحسان إلى الوالدين سببًا لدخول الجنة، فمن قصر فيه حرمها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))[٦].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٥.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٢٤.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/٢٤٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

وجعل من برهما إكرام صديقهما بعد موتهما، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ))[1] هذا ولقد كان الإحسان إلى الوالدين من أخلاق الأنبياء، فقال الله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[2] ولما أنطق الله عيسى عليه السلام قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[3] ولما حاور إبراهيم عليه السلام أباه خاطبه بقوله: يا أبت، ولما وصل الحوار بينهما إلى طريق مسدود تلطف به في الخطاب، فمما جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[4] ومن خلال ما سبق يتضح فضل الإحسان إلى الوالدين، وعظم حق الآباء على الأبناء.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى الخير:

لا يزال الناس -دائمًا- في حاجة إلى مذكر ومرشد يذكر بالله، ويرشدهم إلى ما فيه منفعتهم، وكانت هذه هي مهمة الأنبياء على اختلاف الأزمان، وبعد انقطاع خبر السماء أصبحت مهمة الدعاة والمصلحين، وفي ظل غواية الشيطان، وانهماك الناس في الحياة الدنيا، يأتي دور الدعاة لإرشاد الناس إلى الخير، وأعمال البر التي توصل إلى الجنة، وتصل المسلم بالله، وفي هذا الحديث يرشد النبي ﷺ إلى فضل الإحسان إلى الوالدين، وأنه لا يعدله شيء إلا العتق فحسب.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٢) سورة مريم، آية ١٤.

(٣) سورة مريم، آية: ٣٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٧.

الحديث رقم (٣١٤)

٣١٤- وعنه أيضًا رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

سبق شرح هذا الحديث خلال الحديث (٣١٣)، والحديث (٣١٤) بزيادة قوله (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فليصل رحمه) ترغيباً في صلة الرحم عن طريق تعليق الإيمان بالله، واليوم الآخر على صلة الرحم، وهو ما يشير إلى قيمة هذه الرابطة، وأثرها على سلامة الأسر المسلمة ثم إن هذا الحديث بني على التكرار الذي ينبيء باستقلال كل خصلة من الخصال المذكورة في التأثير على إيمان العبد، وتقييد الفعل المكرر (يؤمن) بالجار والمجرور (بالله) وعطف اليوم الآخر عليه فيه تربية للمهابة، والإجلال مع التلويح باليوم الآخر إلى الجزاء المقابل للفعل الحسن بالحسنى، والفعل السيئ بالسوء، مما يدفع بالعبد إلى الحسنى، ويعلى من قيمة هذه الخصال الطيبة، ثم إن الإضافة في قوله: (ضيفه - رحمه) توحي باختصاصه به، وتؤكد حقَّه عليه.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١- الحكم التكليفي للضيافة: تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق، وسنة الخليل عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده، وقد رغب فيها الإسلام، وعدها من أمارات صدق الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧/٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٩٤).

أما حكمها: فقد ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية للحنابلة، إلى أنها سنة، مدتها ثلاثة أيام.

وذهب الحنابلة، في رواية ثانية -هي المذهب- إلى أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام، وبهذا يقول الظاهرية[١].

٢- صلة الرحم:

قال القاضي عياض: (لا خلاف أن صلة الرحم واجبة على الجملة، وقطعها كبيرة، والأحاديث في هذا الباب من منعه الجنة يشهد لذلك[٢] ولكن الصلة درجات، بعضها فوق بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب.

واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها، فقيل هو كل رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال، واحتج القائل بهذا بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه[٣].

وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال، وقيل هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث، يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ: ((ثم أدناك أدناك))[٤] هذا كلام القاضي[٥]. قال النووي رحمه الله: (وهذا القول الثاني هو الصواب، ومما يدل عليه

---

(١) شرح معاني الآثار ٣٤١/٥ وما بعدها، ٣٣٤/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٧/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٩/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ١٦٣/١٦، والمحلى، ابن حزم ١٤٦/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦ مرفوعًا: "لا يدخل الجنة قاطع" قال سفيان: يعني قاطع رحم.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٠٩، ومسلم ١٤٠٨ مرفوعًا: "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها".

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٤٨، ٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٠/٨-٢١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩١/١٦/٨-٩٢.

الحديث في أهل مصر "فإن لهم ذمة ورحمًا"[١]، وحديث: "إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه"[٢] مع أنه لا محرمية، والله أعلم).

٣-حفظ اللسان:

قال النووي: (اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثيرٌ في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت". وهذا صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والتكرار.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى محاسن الأخلاق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إكرام الضيف.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التكلم بخير وفضيلة الصمت.

١- **الشرط**: حيث جاء في الحديث "من كان يؤمن" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يتطلع لانتظار الجواب، وتثير انتباهه بما فيه من التشويق، ويبين ارتباط الجزاء بالعمل. وفي الحديث اشترط النبي ﷺ لكمال الإيمان فعل هذه الأمور الواردة في الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٤٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٣) رياض الصالحين ٥١٩-٥٢٠، أو كتاب الأمور المنهي عنها، وانظر: الأذكار، النووي ٣٧٠.

٢- **التكرار**: حيث كرر النبي ﷺ جملة "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" ثلاثًا، ولاشك أن التكرار أسلوب من أساليب الدعوة التي تساعد على تعميق الفهم، ولقد كان هذا من هدي النبي ﷺ فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((كان إذا سلَّم سلَّم ثلاثًا، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا. حتى تفهم عنه))[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد الناس إلى محاسن الأخلاق:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أرشد النبي ﷺ إلى إكرام الضيف، وصلة الرحم، وقول الخير، وكل هذا من محاسن الأخلاق، وللأخلاق دور عظيم في حياة الأفراد والأمم، ومن هنا كان الاهتمام بها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ (وفي رواية: صالح) الأَخْلاَقِ))[٢].

وأوصى النبي ﷺ بحسن الخلق فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اتَّقِ اللَّه حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٣].

وحُسْن الخلق يبلغ به المسلم أعلى الدرجات، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يقُولُ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[٤].

وبحسن الخلق يحظى المؤمن ببيت في الجنة. ففي الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ))[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: (جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق، لأن تقوى الله

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٨١ رقم ٨٩٥٢، وقال محققو المسند: صحيح وهذا إسناد قوي ١٤/٥١٣.

(٣) أخرجه الترمذي، ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٥).

تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحُسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[١].

ولذا وجب على الدعاة أن يبينوا للناس منزلة الخلق الحسن، لما له من أثر في توطيد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل إكرام الضيف:

إن المؤمن سخي اليد كريم النفس جواد معطاء، والسخاء والكرم من علائم الإيمان الصحيح، ولذا ربط النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين إكرام الضيف، قال ابن علان: (وهذا مما يوقظ النفس ويحركها في الهمة للمبادرة إلى امتثال جزاء هذا الشرط وما هو مثله، وإكرام الضيف يشمل الغني والفقير، ويكون بحسن البشر، والمبادرة بما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا إضرار بأهله، إلا أن يرضوا وهم بالغون عاقلون)[٢].

هذا وقد اشتهر من الأنبياء إبراهيم عليه السلام بإكرام الضيف، قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[٣].

وأمر الرسول الكريم أن يأخذ الضيف حقه، فعن عبدالله بن عمرو قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: ((ألم أُخبَرْ أنكَ تقومُ الليلَ وتصومُ النهار؟ قلت: بَلى. قال: فلا تَفعلْ، قُم ونَم، وصُم وأفطِر، فإنَّ لجسَدِكَ عليك حقًا وإن لِعَينكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَورِك عليكَ حقًا، وإنَّ لزَوجكَ عليكَ حقًا))[٤].

ولأهمية إكرام الضيف بين النبي ﷺ ماله وما عليه، فعن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه

---

(١) الفوائد، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ص ٧٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٠٨.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٤، ٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٣٤، و مسلم ١١٥٩.

أن رسول الله ﷺ قال: ((مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَضِيَافَتُهُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ. وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ))[1] وعلى الدعاة تذكير الناس بهذه الحقوق والواجبات، حتى يعملوا بها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن التواصي بالمرحمة من دلائل صلاح المجتمع، ومراعاة صلة الأرحام وعدم قطيعتها من كمال الإيمان، وقد جعل النبي ﷺ من الإيمان بالله واليوم الآخر صلة الرحم، وقد دلت نصوص القرآن الكريم على أهمية صلة الرحم، فقد جعل الله من جملة أولي الألباب وصفاتهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[2] (وظاهر الآية يشمل كل ما أمر الله بصلته ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق جميع العباد، خصوصًا حقوق الأقارب التي هي صلة الرحم من باب أولى)[3]. وذم الله عز وجل قاطعي الرحم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[4].

وجعل النبي ﷺ صلة الرحم سببًا لزيادة الرزق وبركة العمر، فقال: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقِهِ أو يُنْسَأَ لهُ في أثَرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[5] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطعَت رحمهُ وَصلَها))[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٣٥ واللفظ له، و مسلم ٤٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٤٣/١٣/٢.

(٤) سورة محمد، آية: ٢٢، ٢٣.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٨٦، مسلم ٢٥٥٧.

(٦) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

قال ابن حجر رحمه الله: (ولا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات: مواصل ومكافئ وقاطع، فالواصل من يتفضل ولا يتفضل عليه، والمكافئ الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يتفضل عليه ولا يتفضل، وكما تقع المكافأة بالصلة بين الجانبين، كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين، فمن بدأ حينئذٍ فهو الواصل، فإن جوزي سمى من جازاه مكافئًا)[1].

وقال النووي: (قال القاضي عياض: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث في الباب تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل التكلم بخير وفضيلة الصمت:

إن الإسلام يربي المسلم على المسئولية عن كل ما يصدر منه حتى الكلام والألفاظ ليزن المسلم ما يقول بميزان الشرع. وقد جعل رسول الله ﷺ من الإيمان بالله واليوم الآخر التكلم بخير أو الصمت، قال النووي: (معناه أنه إذا أراد أن يتكلم فإن كان ما يتكلم به خيرًا محققًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلم، وإن لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام، سواء ظهر له أنه حرام أو مكروه أو مباح مستوى الطرفين، فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه، مخافة من انجراره إلى المحرم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا)[3].

وقال ابن حجر: (وفي هذا الحديث أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليفكر قبل كلامه فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة، ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فيتكلم، وإن كان مباحًا فالسلامة في السكوت، لئلا يجر إلى المحرم والمكروه)[4] وقد بين الله تعالى أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤

(٣) المرجع السابق ١٢٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٥٤٩.

كل لفظ خارج من الإنسان مكتوب عليه، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١].

وجعل الله من صفات المؤمنين إعراضهم عن اللغو، فقال سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[٢].

وكذلك من صفات عباد الرحمن ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[٣].

وبين رسول الله ﷺ أن الكلمة تخرج من الإنسان قد يدخل بها الجنة، وقد تهوى به في النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يرفعُه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))[٤]. والإنسان العاقل من إذا وجد خيرًا في الكلام تكلم وإلا أنصت واستمع، فإن زلة اللسان ليس بعدها زلة. قال الإمام الماوردي: (ومن شروط الكلام أن يكون لداعٍ يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر، فإن مالا داعي له هذيان، وما لا سبب له هُجْر. قال عمر بن عبدالعزيز: "من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه" وقال بعض الحكماء: عقل المرء مخبوء تحت لسانه. وقال بعض البلغاء: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك، أو يتلف نفسك، فلا شيء أولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب. وقال أبو تمام الطائي:

ومما كانت الحكماء قالت ... لسان المرء من تبع الفوائد

وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام، ويقول: إذا جالست الجهال

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٨ واللفظ له، ومسلم ٢٩٨٨ مختصرًا.

فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم)[1].

فعلى الدعاة تذكير المدعوين بهذه النصوص، وحثهم على الكلام في الخير والإمساك عن الشر.

(١) أدب الدنيا والدين ٢٦٦-٢٦٧.

الحديث رقم (٣١٥)

٣١٥- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، قَالَ: نَعَمْ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٢-٢٣] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((مَنْ وَصَلَكِ، وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ، قَطَعْتُهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العائذ: المستعيذ وهو المعتصم بالشيء المستجير به[٣].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يحكي حواراً طريفاً يثير الأذهان، ويشوِّق النفوس بين الرحم وبين الله تبارك يبيِّن من خلاله منزلة صلة الرحم عند الله وعظم قدرها وقد استخدم في نقل هذا الحوار عدة أساليب بلاغية منها:

أسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة في بداية الحديث مما يعكس أهمية الخبر وأيضاً لما يتسم به الخبر من غرابة، وطرافة لم يسمع بها المخاطبون، وتصدر لفظ الجلالة للجملة الأولى في الحديث يربي المهابة ويضفي على السياق قدسية توفر عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم واللفظ له (٢٥٥٤/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧١٠).

(٢) برقم (٥٩٨٨).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٤/٨.

إذعاناً، وقبولاً، وخضوعاً، وقوله: (خلق الخلق) جناس مستوفٍ يؤكد المعنى، ويجذب السمع ويثير العقل، وقوله: (قالت الرحم) إسناد القول إلى الرحم يحتمل أن يكون بلسان الحال، ويحتمل أن يكون بلسان المقال تتكلم كما هي، أو يخلق الله لها عند كلامها حياة وعقلاً، وقوله: (أترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟) استفهام غرضه، الإشادة، والتكريم، وبيان المنزلة والترغيب في صلة الرحم والتحذير من قطعها، وفي العبارة مقابلة بين جملة (أصل من وصلك) وجملة: (أقطع من قطعك) تؤكد المعنى الذي بني الحديث على إبرازه، وتوضيحه، وهو عظمة، وفضل صلة الرحم وما لهذه الوشيجة من منزلة عند الله صوَّرتها هذه المقابلة التي أعطت الواصل أعظم جزاء يطمح إليه مؤمن، وهو وصل الله له، وحرمت المحروم قاطع رحمه من هذه الصلة وكان جزاؤه قطع الله لصلته، وهذا الحوار الذي صوّره حديث الرسول ﷺ ينبئ عن خصوصية هذه الصلة وما لها من جزاء عند الله للواصل، وأسلوب الحديث البلاغي ينبئ أيضاً بعظيم خطأ القطيعة وخسارة القاطع وفضل الوصل تجد ذلك في بداية الرسول - بأسلوب التوكيد الذي يعكس اهتمامه ثم هذا التصوير البياني الرائع الذي أعطى الرحم منزلة خواص الملك الذين يدخلون على الملك كما يشاءون، ويطلبون ما يريدون ثم الاستفهام الذي جاء تكريماً وإشادة، وتنويهاً بالفضل، ثم باستجابته - تعالى بقوله (فهو لك) فالضمير يصوِّر ما سألت قائماً محققاً مملكاً لها بلام الملك المتصلة بكاف الخطاب عزاً وكرامة، هذا الاهتمام من الله - تعالى - ومن رسوله ﷺ يشير من قريب إلى ضرورة المحافظة على هذه الوشائج التي تجعل المجتمع بنية متماسكة أفراداً في أسرة واحدة وأسراً في قرية واحدة وقرىً في مجتمع شديد الترابط لا يستطيع مفسد أن ينال من وحدته، أو يضعف من قوته.

ولإدراك الرسول ﷺ لأثر هذه الوشيجة على المجتمع وأمنه واستقراره منعاً للفتن أتبعها بقوله ﷺ فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]. أي: توليتم أمور الناس أو من التولي والإعراض عن الإيمان

---

(١) سورة محمد: ٢٢

وهذا على كون المراد المنافقين، فعطف قطيعة الرحم على الإفساد في الأرض، فالآية ترفع درجة الإحساس بالخطأ، وتعلى من شأن صلة الرحم.[١]

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

-تعظيم شأن الرحم، وفضيلة واصليها، وعظيم إثم قاطعيها لورود الوعيد الشديد في ذلك[٢].

هذا: وقد اختلفوا في الرحم التي يجب وصلها:

فقيل: كل رحم محرم، بحيث لو كان أحدهما ذكرًا، والآخر أنثى حرمت مناكحتهما، فعلى هذا: لا يدخل أولاد الأعمام، ولا أولاد الأخوال.

-واحتج لذلك بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها في النكاح وجواز ذلك في بنات الأعمام، والأخوال.

وقيل: كل قريب، محرمًا كان أو غيره، ويدل عليه قوله ﷺ: ((... ثم أدناك أدناك))[٣][٤].

-والقول الثاني هو الأصح، وإن كانت تتفاوت درجاتها، ففي الوالدين أشد من المحارم، وفيهم أشد من بقية الأرحام[٥].

-والوصل المأمور به، إنما هو حق المؤمنين، أما الكفار والفساق فتجب المقاطعة لهم إذا لم تنفع الموعظة.

-واختلف العلماء بأي شيء تحصل القطيعة: فقال الزين العراقي: تكون بالإساءة

---

(١) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري ص ٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢/١٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٩/١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٤٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢/١٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٩/١٠.

(٥) (٤٤١)، رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١١/٦.

إلى الرحم، وقال غيره: تكون بترك الإحسان، وذلك لأن الأحاديث آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما، والصلة نوع إحسان، والقطيعة ضدها، وهي ترك الإحسان[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر، والاستشهاد بالقرآن الكريم، والشرط.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والأمر، والاستشهاد بالقرآن الكريم، والشرط:

١- **التوكيد**: حيث جاء التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن الله تعالى" ومما لا شك فيه أن التوكيد أسلوب من أساليب الدعوة التي تؤدي إلى إقناع المدعوين. وقد أكد النبي ﷺ قوله (بإن): لإفادة أن الله هو خالق الخلق من العدم.

٢- **الأمر**: ويظهر الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اقرءوا إن شئتم" لبيان أهمية صلة الرحم وأثر ذلك في حياة المسلم، وقد كثر في القرآن الكريم استخدام أسلوب الأمر في توجيه الناس إلى الخير. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2].

٣- **الاستشهاد بالقرآن الكريم**: يظهر من قوله ﷺ: "واقرؤوا إن شئتم: "فهل عسيتم إن توليتم ... إلى آخر الآيتين". وهو من الأساليب المقنعة في الدعوة، حيث تقام الحجة على المدعو بما يُستشهد به من آيات القرآن، ولاشك أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الدعوة الذي يستجيب له المسلم، ويؤمن بما فيه، ويعمل على تطبيقه، بالإضافة إلى المصدر الثاني من مصادر الدعوة وهو السنة النبوية. لذا يجب

---

(١) سبل السلام ١٦٢/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

على الدعاة الاستشهاد بالقرآن والسنة لإقامة الأدلة الشرعية على ما يقولون.

٤- **الشرط**: حيث جاء في رواية البخاري "من وصلك... من قطعك". وقد اشترط الحديث صلة الرحم لنيل صلة الله، ولا يخفى ما للشرط من أثر في إثارة انتباه المدعو وتطلعه إلى جواب الشرط، وهو كذلك يبين أثر ترتب الجزاء على العمل، وأن الأجور مشروطة بالأعمال، والعقاب مشروط بالعمل كذلك.

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للناس:

لقد أراد الله عز وجل أن يجعل من إرسال الرسل وتبليغهم لأقوامهم حجة على الناس ولذا خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. قال السعدي: (هذا أمر الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو: التبليغ لما أنزل الله، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله، وكتبه ورسله، فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3].

ومن صفات الأنبياء التبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[4] وإذا كان هذا الخطاب للأنبياء عليهم صلوات الله

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وسلامه، فإن الدعاة إلى الله مطالبون بالبلاغ والتبيين للناس حقائق الإسلام، والحقائق التي أخبر الله بها نبيه ﷺ حتى يكون المدعوون على بينة وبصيرة من أمرهم. وفي الحديث الذي معنا أبان الرسول ﷺ عن مكانة الرحم عند الله تعالى.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها:

إن المجتمع الصالح هو الذي تشيع فيه الرحمة والحب وصلة الرحم والتآخي، والتجافي عن هذه الصلات الاجتماعية، لا يترك أثرًا صالحًا في المجتمع، ومن ثَمَّ تكاثرت النصوص الشرعية في فضل صلة الرحم والتحذير من قطيعتها، ويكفي في خطورة قطعها قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1].

قال ابن كثير: (أي تعودوا إلى ما كنتم عليه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام، وهذه الآية نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والفعال وبذل الأموال)[2]. وفي الحث على صلة الرحم، والترغيب فيها جاء عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقه، ويُنسأ له في أثره، فلْيَصِلَ رَحِمه))[3].

قال النووي: (والمعنى يؤخر له في أجله، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه. وأما التأخير في الأجل فالصحيح فيه، أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره، والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك)[4].

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣١٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٦٧، ومسلم ٢٥٥٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

ولقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[1]. وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ، مَا دُمْتَ عَلَى ذٰلِكَ))[2]. قال الطيبي: (أي إحسانك إليهم إذا كانوا يقابلونه بالإساءة يعود وبالاً عليهم، حتى كأنك في إحسانك إليهم مع إساءتهم إياك أطعمتهم النار)[3].

هذا وقد عظم الله قدر الرحم، فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[4]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[5] وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وأخيه شيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه)[6].

ويبين الحديث أيضًا خطورة قطيعة الرحم، وعظم إثم من يقطعها فقد جاء في الحديث الذي معنا "ومن قطعك قطعته" وفي سياق التحذير من قطيعة الرحم، جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لا يدخُلُ الجنة قاطع))[7].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))[8] وفي

---

(١) تسفهم الملّ: أي تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم والخزي، لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، انظر: شرح صحيح المسلم ١١٥/١٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٦/٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٦) جامع البيان، الطبري ١٤٤/١.

(٧) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٣٩).

التذكير بحق الرحم وخطورة قطعها. جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الرَّحمَ شُجْنَةٌ[1] من الرحمن ، فقال اللّه: من وصلَكِ وَصَلتُه، ومن قَطعكِ قطعتُه))[2].

ويتضح من خلال ما سبق أهمية صلة الرحم وخطورة قطيعتها ، فواجب الدعاة إلى الله تحذير الناس من قطعها ، والحث على وصلها ابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل.

---

(١) شُجْنَة: أصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة ، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٨ واللفظ له ومسلم ٢٥٥٤ بزيادة.

الحديث رقم (٣١٦)

٣١٦- وعنه رضي الله عنه ، قَالَ: جاء رجل إِلَى رَسُول الله ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَنْ أحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: ((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أبُوكَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ بحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: **((أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أدْنَاكَ أدْنَاكَ))**.

"والصَّحَابَةُ" بمعنى: الصُحْبَة. وقوله: "ثم أبَاكَ" هكذا هو منصوب بفعل محذوف، أي: ثم برَّ أباك وفي رواية: "ثم أبوك" وهذا واضح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على أسلوب الحوار عن طريق السؤال، والجواب، وهو من الأساليب المهمة لتقرير المعاني، وتصحيح المفاهيم، والمعنى الذي يسوقه من باب بر الوالدين يقرر فضلهما، ويكشف جانباً قد يغفل عنه كثير من الأبناء، وهو فضل الأم لأن الولد لم ير ما عانته أمه في حمله، ووضعه، ورضاعه بينما يكبر، وهو يرى أباه يكد، ويتعب في مطعمه، وملبسه، ورعايته، ويكابد المشاق في دروب الحياة في حين يرى أمه لا تعاني ما يعانيه لذلك نرى الرسول ﷺ ينبه إلى فضل الأم، في إجابته للرجل(من أحق الناس بحسن صحابتي؟) وهو استفهام حقيقي، وإجابة الرسول ﷺ فيها دلالة على أن محبة الأم، والشفقة عليها ينبغي أن تكون أمثال محبة الأب، لأنه كررها ثلاثا، وذكر الأب في الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل والوضع، والرضاع، والتربية تنفرد بها الأم، وتشقى بها دون الأب فهذه ثلاث

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨/١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٨/٢).

منازل يخلو منها الأب، ثم إنها امرأة، وتحتاج من العطف، والرعاية ما لا يحتاجه الرجل لاعتماده على قدرته في إعالة نفسه، وفي الحديث دلالة على الرسول ﷺ تكريم للأم خاصة، وللمرأة عامة.

فقه الحديث

لقد حث الإسلام الأولاد على الرحمة بآبائهم وأمهاتهم والبر بهم، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن بر الوالدين واجب ما دام أنهما يأمران بالمعروف.

ومن البر الواجب على الولد، أن ينفق على والديه عند كبرهما وعجزهما عن النفقة، وقد اتفق الفقهاء[2] على وجوب نفقة الوالدين وإن عليا على الولد القادر على الكسب، أو الموسر، وكانا عاجزين عن الكسب، وفقيرين لا يجدان ما ينفقان منه.

ولكن ما الحكم إن تعارض بر الأب والأم معًا؟ ومن الذي يقدم منهما؟ ذكر الفقهاء[3] أن المقدم حق من يأمر بالطاعة منهما على من يأمر بالمعصية، فإن تساووا في

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٢٧٤/٢ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٩٨/٧، وشرح السير الكبير ١٩٢/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٠/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٤/١ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٨٦/٢، ومغني المحتاج ٥٧٤/٣، وإحكام الأحكام ١٦٣/١ وما بعدها، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٨٤/١، والفروع، ابن مفلح ١٩٩/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٩.

(٢) البناية للعيني ٧٠٠/٥، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٢٠/٤، وتحفة الفقهاء للسمرقندي ١٦٤/٢، والبهجة في شرح التحفة، القاضي أبو بكر الأندلسي ٣٨٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٠٩/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٦/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٤٢/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٤/١١، والفروع، ابن مفلح ٥٩٥/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ٢٠٥/٢، والمحلى، ابن حزم ١٠٠/١٠.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٨/٨.

الأمر بالطاعة فحق الأم مقدم على حق الأب، لما اختصها به الشرع الشريف من مزيد الرعاية والتكريم، خاصة في حال الكبر والعجز، ولذا إذا عجز الولد عن الإنفاق على والديه معًا، كانت نفقة الأم مقدمة على نفقة الأب عند جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عن أعلى الأعمال وأفضلها.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإجابة عما يشغل المدعو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأم.

رابعًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

أولاً- من آداب المدعو: السؤال عن أعلى الأعمال وأفضلها:

إن المدعو الصادق هو من يسأل عن أفضل الأعمال وأعلاها عند الله تعالى، حتى يعلمها ويعمل بها، ومن ثمّ ينال أجزل الثواب وأكثره، وهذا ما وقع في الحديث، فقد جاء الرجل وسأل رسول الله ﷺ: فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ عن ذلك، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: (إلى أقربهما منك بابًا)[1].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: إنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ))[2].

وفي رواية: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[3].

قال النووي: (قال العلماء: قوله: أيُّ الإسلام خير؟ معناه: أي خصاله وأموره وأحواله.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٥٩، ٢٥٩٥، ٦٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري١٠، ومسلم ٤٠.

قالوا: وإنما وقع اختلاف الجواب في خير المسلمين لاختلاف حال السائلين والحاضرين، ، فكان في أحد الموضعين الحاجة إلى إفشاء السلام وإطعام الطعام أكثر وأهمّ، لما حصل في إهمالهما، والتساهل في أمورهما ونحو ذلك، وفي الموضع الآخر إلى الكف عن إيذاء المسلمين)[١]، وقال ابن حجر: (وخصّ هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت، لما كانوا فيه من الجهد ولمصلحة التأليف)[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإجابة عما يشغل المدعو:

إن من الأمور التي تمكن الداعية من النجاح في دعوته، أن يجيب المدعو إذا سأله الإجابة الواضحة الكاملة، التي تلبي حاجته إلى المعرفة، وما يتبع ذلك من العمل والامتثال، وقد أجاب النبي ﷺ الرجل عن سؤاله، فقال: (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك) قال النووي: (فيه الحث على برّ الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه، قال: قلت: يَا رَسُولَ اللّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً، لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحدا بَعْدَكَ قَالَ: ((قُلْ آمَنْتُ بِاللّه فَاسْتَقِمْ))[٤].

قال ابن رجب: (طلب [أي سفيان] منه [أي من النبي ﷺ] أن يعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتى لا يحتاج بعده إلى غيره"[٥]، وقال القاضي عياض عن قول النبي ﷺ: "قل آمنت بالله ثم استقم" قال: (هذا من جوامع كلمه عليه السلام وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[٦]، أي وحدوا الله وآمنوا به. ثم استقاموا فلم يحيدوا عن توحيدهم، ولا أشركوا به غيره، والتزموا طاعته، إلى أن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٤) أخرجه مسلم ٣٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٧/١

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٣.

توفوا على ذلك، وعلى ما قلناه أكثر المفسرين من الصحابة فمن بعدهم وهو معنى الحديث)[١].

ونقل النووي قول القشيري عن الاستقامة: (الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها. ومن لم يكن مستقيمًا في حالته ضاع سعيه وخاب جهده)[٢]، وقال ابن رجب: (والاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها)[٣]. ومن ذلك يتضح إجابة النبي ﷺ الكافية الشافية، وهذا ما ينبغي أن يقوم به الداعية إذا سأله المدعو عما يشغله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأم:

للأم فضل عظيم على ابنها، فهي التي حملته في بطنها، وأرضعته من لبنها، وقامت على تربيته والعناية به ليل نهار، لذا قدمها النبي ﷺ في البر والإحسان وكرّر ذلك ثلاث مرات، وقد قال ﷺ كذلك: ((إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ. إِنَّ اللَّهَ يُوصِيكُمْ بِالأَقْرَبِ فَالأَقْرَبِ))[٤].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر، قال: وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها، ثم تشارك الأب في التربية، وقد وقعت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[٥]، فسوى بينهما في الوصاية، وخص الأم بالأمور الثلاثة)[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٧٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥١٠/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٦٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠٨).

(٥) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠.

وقال النووي رحمه الله: (وسبب تقديم الأم، كثرة تعبها عليه، وشفقتها وخدمتها، ومعاناة المشاق في حمله، ثم وضعه، ثم إرضاعه، ثم تربيته وخدمته، وتمريضه وغير ذلك. ونقل الحارث المحاسبي إجماع العلماء على أن الأم تفضل في البر على الأب"[١].

ومن جميل القصص في بر الأم ما رواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قال: (شهد ابن عمر رضي الله عنهما رجلا يمانيا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول:

إنـــي لهـــا بعيرُهـــا المـــذلّل إن أذعِـــرت ركابُهـــا لم أُذعَـــر

ثم قال يا ابن عمر أتراني جزيتها؟ قال: لا ولا بزفرة واحدة)[٢].

قال ابن هبيرة عن حديث الباب: "في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقسط، وندب إلى العدل، فإن الآدمي تتكلف له أمه -من حملها إياه في حشاها- حالاً يضرب بها الأمثال، ثم إنه يأخذ من غذائها الذي يتجاوز حلقها، فتغذيه من دمها ولحمها، فإذا وضعته كان غذاؤه من ثدييها، بأن أحال الله ذلك الدم الذي كانت تغذوه به في حشاها إلى ثدييها، تغذيه منهما لبنًا خالصًا سائغًا، ثم إنها جعلت فخذيها مهادًا، ولبنها زادًا، وحملته وهنًا على وهن، وكرهًا على كره، إلا أنها على ما قاست منه في كل ذلك لم يشنه ذلك عندها، ولا أثر لعِظَم أذاه في نفسها، بحيث يحملها ذلك على أن تشنأه[٣] أو تبغضه، بل كانت تتجرع أذاه محبة، وتصبر على تجرمه وتعنته، مستلذة لطول صحبته، تود أن لو فدته بنفسها، فهذا هو الخوف بالغ[٤]، وإن كان قد جبل عليه طبعها، فإنه قد وصل إلى هذا المحْسَنِ إليه نفعه، فكان من جزاء الإحسان، أن يكون فاضلاً لها في المجازاة إذ أحسنت إليه في حال ضعفه، وكان جزاؤه لها في حال قوته، إلا إنها لما قصرت قدرته عن أن يفضل عليها في الجزاء، فقد كان ينبغي أن يجازيها بغاية الوسع الذي لا تنتهي قدرته إلى غيره، فإذا غفل عن هذا كله ونسي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٠٩/٦، وصححه الألباني صحيح الأدب المفرد ٩.

(٣) شنأه: أي أبغضه. القاموس المحيط ص ٤٤.

(٤) كذا في المطبوع.

إحسانها القديم إليه، وأراد أن يكون من الكافرين بحاله لأول المحسنين بعد الله إليه، فليس يرجى من مثل هذا خير إذن، إلا أن يكون قد كان غافلاً ناسيًا مشدوهًا[١] عن تفقدها؛ فإنه يتعين عليه أن يتدراك ذلك"[٢].

رابعًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

من فقه الداعية ترتيب الأولويات في الدعوة فيبدأ بالأهم فالأهم، ومن ثمّ لا يقدم مفضولاً على فاضل ولا مندوبًا على واجب، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع الرجل فقد قال له: "أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم أدناك أدناك" وفي الراوية الأولى رتب ذلك النبي ﷺ حسب سؤال الرجل.

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب أن تقدم في البر الأم، ثم الأب، ثم الأولاد، ثم الأجداد والجدات، ثم الإخوة والأخوات...)[٣].

وقال ابن حجر: (قال القرطبي[٤]: المراد أن الأم تستحق على الولد الحظ الأوفر من البر، وتقدم في ذلك على حق الأب عند المزاحمة... وأشار ابن بطال إلى أن الترتيب حيث لا يمكن إيصال البر دفعة واحدة وهو واضح)[٥].

ومن هذا القبيل ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ ابْنِي هذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي، فقالَ: لَها رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي))[٦].

---

(١) شده: دهش وشغل وحيِّر. القاموس المحيط ص ١٢٤٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤٤٩/٦ - ٤٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٨/٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٦/١٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٢٧٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٩٩١).

فقد قدم النبي ﷺ حق الأم على الأب في حضانة الطفل، والمرأة "توصلت لاختصاصها به باختصاصه [أي الطفل] بها في الأمور الثلاثة)[١].

قال ابن هبيرة: (فقول رسول الله ﷺ لما قال له الرجل: (من أحق الناس بصحابتي؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك) ثلاثًا يعني به ﷺ فيما أرى لها الحق الأول؛ حيث كنت حملاً في حشاها، ولها الحق الثاني؛ حيث كنت رضيعًا في حجرها، ولها الحق الثالث حيث كنت صغيرًا في كنفها.

فهذه حقوق ثلاثة، ثم قال له في الرابعة: "ثم أباك"، يعني: إن أباك وضعك شهوة، وأنفق عليك من مال الله، الذي أوجب عليه إنفاقه، فإنه حق عظيم، إلا أن الأم تفضله بما ذكرناه؛ فلهذا وصى رسول الله ﷺ بالأمهات.

وقوله بعد ذلك: "ثم أدناك، أدناك" يعني ﷺ أن برك وصلتك ينبغي أن ترتبها على نحو ما رتبها الله في الميراث، فإنه سبحانه لم يورث إلا الأدنى فالأدنى، فأراد عليه السلام أن يكون العبد متابعًا في بره في الدنيا القرابة الأدنى فالأدنى على حسب المواريث بعد موته، فكان هذا من أحسن الكلام وأشرقه كفاية وإقناعًا)[٢].

ويقول ابن تيمية عن ترتيب الأولويات: (إذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما، قدم أوكدهما ما لم يكن الآخر في هذه الحال واجبًا، ولم يكن تاركه لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة، وكذلك إذا اجتمع محرمان لا يمكن ترك أعظمهما إلا بفعل أدناهما، لم يكن فعل الأدنى في هذه الحال محرمًا في الحقيقة، وإن سمي ذلك ترك واجب، وسمي هذا فعل محرم باعتبار الإطلاق لم يضر. ويقال في مثل هذا: ترك الواجب لعذر وفعل المحرم للمصلحة الراجحة أو للضرورة أو لدفع ما هو أحرم)[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤١٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٤٥٠ - ٤٥١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٠/٥٧.

الحديث رقم (٣١٧)

٣١٧- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ[1]، مَنْ أدْرَكَ أبَويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أحَدهُما أوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجنَّةَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رغم أنف: وأرغم الله أنفه، أي: ألصقه بالرُّغام وهو التراب. هذا هو الأصل. ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه[3].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث يقوم على التشويق عن طريق تكرار لفظ مثير ترتجف منه القلوب لاسيما أنه يخرج من في رسول لا ترد دعوته، وهو قوله (رغم أنفه) وهو دعاء بمعنى أذله الله، وأهانه، وهو من استعمال الخبر بمعنى الإنشاء بغرض الحرص على تحقق الوقوع من أجل الترهيب، والتحذير، وصياغة الحديث تنبئ بعظم خسارة هذا الراغم، وخيبته، وذله دلَّ على ذلك تكرار الفعل (رغم) دعاءً بالذلة، والإهانة مع تصعيده، وإظهار تحققه بصياغته في صورة الماضي الذي وقع، وتحقق زيادة في الترهيب، واستخدامه (ثم) دون غيرها من حروف العطف يشير إلى زمان يقضيه هذا الراغم في الإهانة، والذل قبل أن تدركه ذلة أخرى ثم ذلة أخرى، وكأنه يلوح بإدراكه الذل في الحياة ثم في الممات ثم يوم القيامة، والعياذ بالله يدل على ذلك قوله ثم (لم يدخل الجنة)

---

(١) عند مسلم زيادة: (قيل: من يا رسول الله)، وهي لا توجد في الجمع للحميدي (٢٨٨/٣، رقم ٢٦٥٥).

(٢) برقم (٢٥٥١/٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٦٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر غ م).

ومن فاتته الجنة فليس له إلا النار، والتقييد بالظرف في قوله (عند الكبر) لشدة حاجة الوالدين إلى من يعولهما في ضعفهما، والحديث يجعل من الوالدين فرصة لدخول الجنة، ويحذِّر من ضياعها بالتقصير في حقهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الوالدين.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشويق والتكرار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإحسان إلى الوالدين:

فضل الوالدين عظيم، وحض الإسلام حضًا شديدًا على برهما والإحسان إليهما، وبين فضل ذلك كما في هذا الحديث الذي معنا. قال النووي: (فيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه، ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك سببٌ لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه)[1].

(يعني ذلّ وخاب وخسر من أدرك تلك الفرصة، التي هي موجبة للفلاح والفوز بالجنة، ثم لم ينتهزها، وانتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2]، فإنه دلَّ على الاجتناب عن جميع الأقوال المحرمة، والإتيان بجميع كرائم الأقوال والأفعال من التواضع والخدمة، والإنفاق عليهما، ثم الدعاء لهما في العاقبة)[3].

وقد قرن سبحانه وتعالى بر الوالدين بعبادته، لأنه (لما كان أعظم الحقوق وأعلاها وأجلها هو حق الله تعالى: وهو أن يعبد وحده لا شريك له، ثم من حقوق الآدميين

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/١٤٦-١٤٧.

آكدها وأولاها بذلك حق الوالدين، لذا قرنه بعبادته كما قال جل شأنه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات[3].

(ومن برهما الأدب معهما، والسلام عليهما عند الدخول والخروج، وتعظيم قدرهما وإكرامهما، ومخاطبتهما بلطف، ولين القول لهما، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما، وتلبية ندائهما، وطاعة أمرهما، وقضاء حوائجهما، وتنفيذ وصاياهما، وعدم معارضتهما إلا عند المعصية، ويكون ذلك بلطف ومعروف، وإدخال السرور عليهما، والهدية لهما، وعمل ما يحبانه ويفرحان به من الخير، والمحافظة على سرهما وسمعتهما ومالهما، والحذر من التسبب في شتمهما، بأن يسب والدي إنسان ثم يقابله المسبوب بسبب والديه، وتفقد مواضع سرورهما، وعدم إزعاجهما وعدم مقاطعتهما بالكلام ومعاندتهما، أو الاستهزاء بهما، أو الضحك عليهما، وعدم مد اليد إلى الطعام قبلهما، أو أخذ الطيب منه دونهما وعدم التقدم عليهما بالدخول أو الخروج أو المشي، أو مد الرجل أمامهما. وعلى الولد استشارتهما، وأخذ رأيهما، وتجاربهما، وقبول نصيحتهما في الخير، والدعاء والترحم لهما وصلة من يحبانه، وتجنب إغضابهما، أو الإعراض بوجهه عنهما، أو التأفف من قولهما أو فعلهما، قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[4])[5].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٣) بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامى ص ٢١-٢٢.

(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٥) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١/٢٦-٢٧.

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

إن من أبرز ما ينبغي أن يتصف به الداعية أن يكون أحرص الناس على مصلحة المدعوين حتى من أنفسهم، لذا فهو يبين لهم ما ينفعهم، ويحذرهم مما يضرهم ويؤدي بهم إلى الهلاك والخسران، وهو إذ يفعل ذلك يقتدي بالنبي ﷺ، كما يتضح في هذا الحديث. فقد بيّن النبي ﷺ أن من فرّط في حق والديه أو أحدهما عند كبرهما، فقد ذلّ وخسر، وفوّت على نفسه فرصة عظيمة لدخول الجنة والفوز بالنعيم المقيم. ولا شك أن هذا حرص على مصلحة المدعوين وتنبيه لهم ألا يغفلوا عن هذا الواجب العظيم تجاه آبائهم وأمهاتهم.

وإلا استحق [المدعو] - كما يقول ابن هبيرة -: (دعاء رسول الله ﷺ، لأنه لو امتثل أمر الله في طاعتهما بعد الإيمان به لأحبط ذلك عنه حال السوء، وتضاعف له درجات الخير، فإذا بلغ من الخذلان إلى أنه لم يمتثل أمر ربه في طاعة والديه، ولم يعرف لهما إحسانهما المتقدم من حقه، ولم يلحقه عليهما رأفة حين ضعفهما يماثل بها رأفتهما عليه حين ضعفه، فقد فاتته ثلاث درجات، فكان قول الرسول ﷺ: (رغم أنفه) ثلاث مرات، كل واحدة منهن جواب إخلاله بحال توجب عليه برهما، الأول: وصية الله إياه في الإحسان إليهما، والثانية: مكافأتهما في إحسانهما إليه، والثالثة: عدم رحمتهما مع الكبر)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه معاوية بن جاهمة السَّلَمي قال: ((أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: «وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ارْجِعْ فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الآخَرِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ. أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/٩٢.

قَالَ: وَيْحَكَ أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَيْحَكَ اِلْزِمْ رِجْلَهَا. فَثَمَّ الْجَنَّةُ))[١].

ومن هذا القبيل أيضًا ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((قال النبي ﷺ: نمتُ فَرَأَيْتُني فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىء يَقْرَأُ فَقُلْتُ: مَنْ هذَا؟ قالوا: هذا حارِثَةُ بْنُ النُّعْمانِ» فقال لها رسول الله ﷺ: «كَذاكَ البِرُّ كَذَاكَ البِرُّ» وكان أبر الناس بأمه))[٢].

ومن ذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا . فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ[٣] وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٤] عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))[٥].

قال النووي: (ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم، بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله)[٦].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشويق والتكرار:

شوّق النبي ﷺ المدعوين بأن افتتح حديثه بقوله: رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف، وفي ذلك شدُّ انتباه لهم، وجذب لعقولهم، وشدّ لأفئدتهم، وزاد هذا بأن كرّر قوله ﷺ ثلاث مراتٍ، فبلغ التشويق هنا ذروته وقمتَّه. مما دفع المدعوين أن يقولوا: من؟ يا

---

(١) أخرجه النسائي ٣١٠٤، وابن ماجه ٢٧٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤١).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٢/٦ رقم ٢٥١٨٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ١٠٠/٤٢.

(٣) قال النووي: أما الفراش فقال الخليل: هو الذي يطير كالبعوض، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٤) الحجز جمع الحجزة: وهي معقد الإزار والسراويل، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

رسول الله، كما هو في الحديث في صحيح مسلم[1]، وكل هذا يجعل المدعوين واعين لما يقال، منتبهين لمضمونه، ومن ثم يؤتى بالثمرة المرجوة من ذلك، وهو الحرص على بر الوالدين.

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

الحديث رقم (٣١٨)

٣١٨- وعنه رضي الله عنه: أن رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، إنّ لِي قَرابةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلِكَ)) رواه مسلم[1].

"وَتُسِفُّهُمْ" بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء "وَالمَلُّ" بفتح الميم وتشديد اللام وهو الرماد الحار: أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المُحْسِن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسفهم: تطعمهم[2].

الملَّ: الرمادُ الحارَّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحَق آكل الرماد الحار من الألم[3].

ظهير: ناصر ومعين[4].

الشرح الأدبي

أسلوب النبي ﷺ قائم على أسلوب الشرط ثم التشبيه في قوله ﷺ (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ) وأسلوب الشرط بهذه الصياغة له فائدتان:

---

(١) برقم (٢٥٥٨/٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧١٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٤٨).

(٢) الوسيط في (س ف ف).

(٣) رياض الصالحين، واللسان في (م ل ل).

(٤) الوسيط في (ظ هـ ر).

الأولى: تعميم الحكم حتى لا يقيد بشخص معين، وإنما يشمل كل من كانت هذه حاله كل زمان ومكان - إذ لو قال ﷺ للرجل (إنك تسفهم المل) لاحتمل أن يكون خاصاً به لكن تعليق الرسول ﷺ للجواب على الشرط يعطى الحكم شمولية يندرج تحتها كل من كانت هذه حاله، وهذه إحدى فوائد أسلوب الشرط.

الثانية: تعليق الجواب على الشرط من الرسول ﷺ لكونه لا ينطق عن الهوى، ولو قال ﷺ: إنك تسفهم المل لكان حكماً بصدق الرجل، وإشارة إلى أنه قد استوفى ما عليه تجاه قرابته ولعله ﷺ لم يرد إثباته، وأراد الجواب معلقاً على الشرط (إن كنت كما قلت) حتى يبحث الرجل في نفسه، ويتأكد من أنه لم يقصر في حقهم، ويبحث أوجه التقصير فيما فعل فيتمه، ثم جاء التشبيه في جواب الشرط مرتبطاً بالفاء (فكأنما تسفهم المل) والمل: هو الرماد الحار، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه، والحديث يحث على تحمل الأذى، والرد الجميل، والإحسان لأولي القربى في حال إحسانهم، وفي حال إساءتهم.[1]

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: السؤال عما أهمّه.

ثانيًا: من آداب الداعية: الاحتياط والتثبت قبل الإجابة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل مقابلة الإساءة من الأقارب بالإحسان.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الإساءة إلى الأقارب.

خامسًا: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال واستخدام التشبيه.

أولاً- من حقوق المدعو: السؤال عما أهمّه:

إن المدعو يعرض له في حياته ما يحتاج معه إلى أن يسأل الداعية، ليوضح له الحقَّ والصواب، ويرشده إلى ما يفعله وما لا يفعله، فهذا الرجل سأل رسول الله ﷺ عن

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري، ٣٥٥.

حاله مع قرابته الذين يقابلون إحسانه بالإساءة، والحلم والصفح بالعدوان والجهل.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون عمّا أهمّهم وشغلهم، حتى يعرفوا الحق فيفعلوه، والباطل فيجتنبوه.

من ذلك ما ذكرته زينبُ بنت معاوية رضي الله عنها زوج عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((تَصَدَّقْنَ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ)) قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ. فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللّهِ. حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللّهِ. فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلاَنِكَ: أَتَجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ. فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: مَنْ هُمَا؟ فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللّهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه. أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية، على طريق التكلف والتعنت، لغرض التعجيز، وتغليط العلماء، فهو غير جائز ومنهي عنه)[2].

ثانيًا- من آداب الداعية: الاحتياط والتثبت قبل الإجابة:

إن الداعية كالقاضي، فكما أن الأخير عليه أن يتثبت قبل إصدار الحكم، فكذلك الأمر مع الداعية، فإن عليه أن يستفسر من المدعو حتى يتضح الأمر جليًا قبل أن يجيبه، أو يحتاط في الإجابة، وخاصة إذا كانت تتعلق بطرف آخر لم يسمع منه، وذلك واضح من قول النبي ﷺ للرجل "لئن كنت كما قلت...".

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٦، ومسلم ١٠٠٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

ولعلّ من هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((أَتَى رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَسُولَ اللّهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَنَادَاهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَتَنَحَّى تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى ثَنَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، دَعَاهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: أَبِكَ جُنُونٌ؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: هَلْ أَحْصَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: اذْهَبُوا بِهِ فَارْجُمُوهُ))[1].

قال النووي: (قوله ﷺ: "أبك جنون؟" إنما قاله ليتحقق حاله، فإن الغالب أن الإنسان لا يصر على الإقرار بما يقتضي قتله من غير سؤال، مع أن له طريقًا إلى سقوط الإثم بالتوبة. وفي الرواية الأخرى: ((أَنَّه سَأَلَ قَوْمَهُ؟ فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُ بِهِ بَأْسًا))[2] وهذا مبالغة في تحقق حاله وفي صيانة دم المسلم)[3].

وقال ابن حجر: (فيه التثبت في إزهاق نفس المسلم، والمبالغة في صيانته، لما وقع في هذه القصة من ترديده والإيماء إليه بالرجوع، والإشارة إلى قبول دعواه إن ادعى إكراهًا وأخطأ في معنى الزنا، أو مباشرة دون الفرج مثلاً أو غير ذلك)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل مقابلة الإساءة من الأقارب بالإحسان:

يحث الإسلام على عدم مقابلة الإساءة بالإساءة، بل مقابلتها بالإحسان، وخاصة بين الأقارب، ولما كان هذا الأمر شاقًا على النفس يحتاج إلى مجاهدة ومثابرة، بيّن الإسلام فضله في قول النبي ﷺ: (ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم) قال النووي: (الظهير المعين والدافع لأذاهم)[5].

وقد رغّب سبحانه في مقابلة السيئة بالإحسان، وأثنى على من فعل ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٧١، ومسلم ١٦٩١.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٩٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١] وقال عز وجل: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رجلاً شتم أبا بكر والنبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النبي ﷺ يَعْجَبُ ويتبسَّم، فلما أكثر ردَّ عليه بعضَ قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالسٌ، فلما رددتُ عليه بعضَ قولِه غضبتَ وقمتَ قال: «إِنَّهُ كَانَ مَعَكَ مَلَكٌ يَرُدُّ عَنْكَ فَلَمَّا رَدَدْتَ عَلَيْهِ بَعْضَ قَوْلِهِ وَقَعَ الشَّيْطَانُ فَلَمْ أَكُنْ لأَقْعُدَ مَعَ الشَّيْطَانِ» ثم قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاَثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلاَّ أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً إِلاَّ زَادَهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ بِهَا قِلَّةً»))[٣].

قال ابن حبان: (الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة، إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها... فمن أراد الثواب الجزيل واسترهن الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل، فليتحمل من ورود ثقل الردى، ويتجرع مرارة مخالفة الهوى، باستعمال السنة التي ذكرناها، في الصلة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحلم عند الجهل، والعفو عند الظلم، لأنه من أفضل أخلاق أهل الدين والدنيا... فالواجب لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالَم بأسرهم، رجاء عفو الله جل وعلا على جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه، لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء)[٤].

وما أجمل قول الشاعر في بيان حاله مع أقاربه:

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤-٣٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٣) أخرجه أحمد ٤٣٦/٢ رقم ٩٦٢٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٩٠/١٥.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان ١٦٦-١٦٨.

وإن الـذي بـيني وبـين بـني أبـي ... وبـين بـني عمـي لمختلـف جـدا
إذا أكلـوا لحمـي وفـرت لحـومهم ... وإن هـدموا مجـدي بنيـت لهـم مجـدا
وإن ضـيعوا غـيبي حفظـت غيـوبهم ... وإن هـم هـووا غيـي هويـت لهـم رشـدا[1]

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من الإساءة إلى الأقارب:

حذر الإسلام من الإساءة والاعتداء على الغير، كما عظم أمر الاعتداء على الأقارب والإساءة إليهم، لأنهم رحم الإنسان، فقد قال النبي ﷺ في شأن الرجل المحسن إلى أقاربه المسيئين له "كأنما تسفهم الملّ" قال ابن الأثير: (الملّ والملّة: الرماد الحارّ الذي يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج، أراد: إنما تجعل الملّة لهم سفوفًا يستفونه. يعني: أن عطاءك إياهم حرام عليهم ونارٌ في بطونهم)[2].

وقال النووي: (وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم[3] بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم، من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف الملّ، وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملّ يحرق أحشاءهم)[4].

وقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى ذوي القربى، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٧/٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٨٨٣.

(٣) في المطبوع من شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص: الألم، والتصحيح من رياض الصالحين ص ١٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥، وانظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٦/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٦.

فقد (أوصى الله سبحانه بالإحسان إلى الوالدين إثر تصدير ما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها، تنبيهًا على جلالة شأن الوالدين بنظمهما في سلكها، ثم عطف على الإحسان إليهما الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (قال ابن جزي: حقوق المسلم على المسلم عشرة: أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويشهد جنازته إذا مات، ويبر قسمه إذا أقسم، وينصح له إذا استنصحه، ويحب له الخير ما يحب لنفسه، ويكف عنه شره ما استطاع، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ويبذل له من خيره ما استطاع في دينه ودنياه، فإن لم يقدر على شيء فكلمة طيبة، فإن كان من القرابة فيزيد على ذلك حق صلة الرحم بالإحسان والزيارة، وحسن الكلام واحتمال الجفاء)[٢].

خامسًا- من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال واستخدام التشبيه:

بين النبي ﷺ حال الرجل مع أقاربه بأن قال له ﷺ "كأنما تسفهم الملّ" أي (كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الألم... فينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخالهم الأذى عليه)[٣].

والملاحظ على هذا التشبيه أنه منتزع من بيئة المدعو، فهو يعرفه جيدًا ويفهمه تمام الفهم، ومن ثم يصل المعنى إلى ذهنه لا لبس فيه ولا غموض، بل يصله وقد ازداد وضوحًا على وضوح.

وقد استخدم القرآن الكريم ضرب الأمثال في دعوته الناس إلى الحق[٤] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، كما استخدم النبي ﷺ الأمثال كذلك في دعوتهم[٦].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ١٣٩/٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٤/٣٣-٧٥.

(٣) رياض الصالحين ١٧١ بتصرف يسير.

(٤) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٤-١٦٦.

(٥) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٦) وقد جعل الترمذي في سننه كتابًا أسماه، كتاب الأمثال عن رسول الله ﷺ ضمنه الأحاديث ٢٨٥٩-٢٨٧٤.

الحديث رقم (٣١٩)

٣١٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**من أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]. وَمَعْنى "يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِه" أي: يُؤَخَّرَ لَهُ في أَجَلِه وعُمُرِه.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب شرط ضمَّنه كثيراً من وسائل التشويق والإثارة لمتابعة الخبر وتحقيق يقظة المخاطب، فقوله: (من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره) فقد صدَّره بأداة الشرط (من) التي تنادي بكل عاقل ليحوز الخير العاجل مع ما ينتظره من الثواب الآجل، ثم تعبيره بلفظ السرور الذي يداعب الوجدان ويمني النفس بكل محبوب وهي كلفة بكل ما يحقق لها السرور والسعادة، وتعبير الرسول ﷺ بالمصدر المنسبك من (أن) والفعل دون المصدر الصريح (البسط) لأن التعبير بالمصدر المنسبك من أن والفعل المضارع مع دلالته على ما يدل عليه المصدر يدل على التجدد والاستمرار الذي يوحي بتجدد البسط كلما جد وصل ويصوِّر الفعل المضارع (يبسط) مُلْكَ واصل رحمه وعمره وهو ما يزال يتسع مما يشجع الواصل على دوام هذه الصلة.وقوله (يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره) كناية عن البركة في العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة الوقت بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك، وقول الرسول ﷺ (فليصل رحمه) جواب للشرط سبقه بإثارة، وتشويق جعل المخاطب في قمة الاستشراف لجواب الشرط الذي سبقه بأحب ما تهفو إليه النفس المجبولة على حب البقاء، وكثرة الرزق[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٢٥٥٧/٢١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٩٥).

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري، ٥٥.

فقه الحديث

إن صلة الرحم من أمور البر التي حث عليها الإسلام، فالإنسان الذي لا يصل رحمه قاطع لما أمر الله بصلته، ولاشك أن قطع الرحم معصية كبرى وذنب عند الله عظيم.

وقد بنى الفقهاء على ذلك أحكامًا فقهية عديدة، فاتفقوا[١] على أن صلة الرحم واجبة في الجملة على المسلم، وأنه مطالب بالسعي لوصل المقطوع منها، ونصوا[٢] على أن من نذر أن يقطع رحمه لا يوفي بنذره، بل يكفر عن يمينه ويصل رحمه، لأنه نذر في معصية، ونصوا[٣] على أن الهبة والصدقة تكون لذي الرحم أفضل منها في غيرهم.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١١/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد العدوي ٤٢٧/٢، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ٤٨٨/٣، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٩٢/٤، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٣٠/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٦٤٧/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٣٣/١، وسبل السلام، الصنعاني٦٢٧/٢.

(٢) المدونة الكبري رواية سحنون، الأصبحي ٥٨٨/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٥٥/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٩/٦، ٢٣٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٩/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: صلة الأرحام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

بيّن النبي ﷺ فضل من يصل رحمه بأنه يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره: "أي: يؤخر له في أجله وعمره"[(١)].

وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في أحاديث أخرى، فقال ﷺ: ((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ))[(٢)].

وقال ﷺ كذلك: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ، وَيُوسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السَّوْءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[(٣)].

وقال ﷺ أيضًا: ((صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ: تعمُرانِ الدِيَارَ، وَيَزِيدانِ فِي الأَعْمَارِ))[(٤)].

قال ابن هبيرة: (إن الرحم هي أولى الخلق بالبر، فإذا أبرها الإنسان فقد وضع البر في موضعه، فرجى منه أن يضع فيما وراء الرحم مثل ذلك من البّر، وكان جديرًا بما أخبر به رسول الله ﷺ من بسط الرزق وطول العمر)[(٥)].

---

(١) رياض الصالحين ١٧١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٢).

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند ١٤٣/١ رقم ١٢١٣ وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣٨٧/٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٥٩/٦ رقم ٢٥٢٥٩ وقال من محققو المسند: (إسناده صحيح ١٥٣/٤٢).

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣/٥.

قال ابن حجر رحمه الله: (قال العلماء: معنى البسط في الرزق البركة فيه، وفي العمر حصول القوة في الجسد، لأن صلة أقاربه صدقة، والصدقة تُربي المال وتزيد فيه، فينمو بها ويزكو؛ لأن رزق الإنسان يكتب وهو في بطن أمه، فلذلك احتيج إلى هذا التأويل، أو المعنى: أنه يكتب مقيدًا بشرط، كأن يقال: إن وصل رحمه فله كذا، وإلا فكذا، أو المعنى بقاء ذكره بعد الموت)[1].

وقد صحح النووي رحمه الله أن الزيادة في العمر: (البركة فيه والتوفيق للطاعات، وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وصيانتها عن الضياع في غير ذلك)[2].

جاء في الموسوعة الفقهية: (في صلة الرحم حكم جليلة، عبّر عن أهمها حديث رسول الله ﷺ: "من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه"، ومن الفوائد الكثيرة التي أشار إليها الفقهاء، رضى الله سبحانه وتعالى، لأنه أمر بصلة الرحم وإدخال السرور على الأرحام، ومنها زيادة المروءة، وزيادة الأجر بعد الموت، لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه)[3].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه:

يوجه الداعية المدعوين إلى ما ينفعهم وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم، لأنه ناصح أمين لهم، والنبي ﷺ بيّن للمدعوين نفع صلة الرحم وفائدته، ولا شك أن هذا دعوة لهم إلى الامتثال والتطبيق في حياتهم، حتى يجنوا هذه الثمار الطيبة من صلة الرحم.

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: ((مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ. وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ)) قيل: وَمَا الْقِيرَطَانِ؟ قَالَ: ((مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ))، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٣/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥١/٩ - ١٥٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٠/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٥/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥ وهذا لفظه.

قال النووي رحمه الله: (وفيه ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم، والتأسف على ما يفوتهم منها، وإن كانوا لا يعلمون عظم موقعه)[١].

وقد قال ﷺ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))[٢].

قال ابن عثيمين: (كل الأنبياء عليهم السلام كان منهم النصيحة لأقوامهم، يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذرونهم منه، هكذا يجب على أهل العلم وطلابه، أن يبيّنوا للناس الخير، ويحثوهم عليه، ويبينوا الشر ويحذرونهم منه؛ لأن علماء هذه الأمة ورثة الأنبياء، فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي، ختمت النبوة به، فلم يبق إلا العلماء الذين يبلغون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه، ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والتحذير منه)[٣].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: صلة الأرحام:

يحرص الإسلام حرصًا شديدًا على سوق الخير للناس أجمعين، ومن سوق الخير لهم حضّهم على صلة الأرحام، وهذا واضح في قوله ﷺ: "من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه"، قال النووي: (قال القاضي عياض[٤]: ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، والأحاديث تشهد لهذا، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجبٌ ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يسمى قاطعًا، ولو قصّر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى واصلاً)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/ ٩٦٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/ ٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤.

وجاء في الموسوعة الفقهية: "تحصل صلة الأرحام بأمور عديدة منها: الزيارة والمعاونة وقضاء الحوائج والسلام لقوله ﷺ: ((بُلّوا[١] أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ))[٢]، كما تحصل الصلة بالكتابة إن كان غائبًا، نصّ على ذلك الحنفية والمالكية والشافعية، وهذا في غير الأبوين، أما هما فلا تكفي الكتابة إن طلبا حضوره، وكذلك بذل المال للأقارب فإنه يعتبر صلة لهم، لقوله ﷺ: ((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))[٣]، وظاهر عبارة الحنفية والشافعية أن الغني لا تحصل صلته بالزيارة لقريبه المحتاج إن كان قادرًا على بذل المال له، ويدخل في الصلة جميع أنواع الإحسان مما تتأتى به الصلة"[٤].

وصلة الرحم من مكارم الأخلاق، وقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ))، وفي رواية: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ))[٥].

قوله ﷺ: (لأتمم صالح الأخلاق)، قال ابن عبد البر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتمّمه، وقد قالت العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٦][٧].

---

(١) بُلّوا: أي: نَدّوها بصلتها، وهم يطلقون النداوة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينها التجافي والتفرق باليبس استعاروا البَلَلَ لمعنى الوصل، واليبس لمعنى القطيعة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ل ل).

(٢) أخرجه البزار والطبراني كما في مجمع الزوائد ١٥٢/٨، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ١٧٦: طرقه يقوي بعضها بعضًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٩٤).

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٨٤/٣ - ٨٥.

(٥) أخرجه أحمد٢/٣٨١ رقم ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٥، وانظر تتمة تخريجه في: تحقيق مسند أحمد ٥١٣/١٤.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٧) التمهيد، ابن عبدالبر، تحقيق: مجموعة من الباحثين ٣٣٢/٢٤.

وقال الحسن البصري عن هذه الآية: (إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

رغّب النبي ﷺ في صلة الرحم بأن أخبر أن جزاء ذلك البسط في الرزق والنسأة في الأجل والعمر، ومن الملاحظ أن هذه الأشياء تهفو إليها كل النفوس، وترغب فيها كل الأفهام، مما يدفع المدعوين إلى سرعة الامتثال والتمسك بصلة الرحم، مهما قابلهم من عقبات أو واجهوا من مشكلات في سبيل ذلك.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٤٠.

الحديث رقم (٣٢٠)

٣٢٠- وعنه، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدينَةِ مَالاً مِنْ نَخل، وَكَانَ أحَبُّ أمْوَاله إلَيْهِ بَيْرَحاء، وَكَانَتْ مستَقْبَلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنَّ الله تبارك وتَعَالَى، يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي[1] إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ للهِ تَعَالَى، أرْجُو برَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُول الله، حَيْثُ أرَاكَ الله. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**بَخ! ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابِحٌ! وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا فِي الأقْرَبِينَ**))، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يَا رَسُول الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وسبق بيان ألفاظِهِ في: (باب الإنْفَاقِ مِمَّا يحب)[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بيرحاء: حديقة نخل وروي بكسر الباء وفتحها[4].

مستقبلة المسجد: أمام المسجد النبوي[5].

ذخرها: هو ما يعد لوقت الحاجة. والمراد: أجرها عند الله[6].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أموالي) وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٦١١)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٥١٦/٢، رقم ١٨٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١) واللفظ له، ومسلم (٩٩٨/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٨٣).

(٣) تقدم برقم (٢٩٧).

(٤) رياض الصالحين ١٦٥.

(٥) الوسيط في (ق ب ل).

(٦) المصباح المنير في (ذ خ ر).

بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخرتقول: بَخْ وبخٍ وتقول مكررًا: بَخْ بَخْ وبخٍ بخٍ[١].

مال رابح: قوله: "مال رابح" روي في الصحيح "رابح" و"رايح" بالباء الموحدة وبالياء المثناة: أي رياح عليك نفعه[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي قصة وقعت مع صحابي جليل تضمنت معاني عظيمة تحكي تفاعل الصحابة البناء مع آيات الله إيماناً، ويقيناً، وعملاً، والراوي صوَّر هذا المعنى، بمقدمة تمثلت في بيان حال الصحابي أحد طرفي الحوار، وقد استخدم أفعل التفضيل (أكثر - أحب) والفعل الأول كشف عن وضعه المادي، والثاني كشف عن المفارقة بين حبه لبستانه (بيرحاء) وبين تنفيذ أمر الله، والتقرب إليه، وقد انتصر على نفسه، وآثر ما عند الله، وهو ما صوَّره بقوله (وإنها صدقة لله)، والواو في عبارته طوت ما سبق من أوصاف البستان ليدلل على مكانته عنده، وإيثاره لما عند الله، وقد أكد الجملة بعدة مؤكدات دلالة على تمام قناعته بما فعل وقوله للرسول (فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ الله) تفويض له ﷺ يعكس ثقته، ورضاه بما يرضي رسول الله؛ لأنه يتصرف بوحي الله، وهو ما يدل عليه قوله: (حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ)، وقول الرسول ﷺ: « بَخٍ ذَلِكَ مَالٌ رابح ذَلِكَ مَالٌ رَائِحٌ) بخ كلمة يقولها المتعجب من الشيء، وتقال عند المدح، والرضا بالشيء، يؤكد ذلك الإشارة الدالة على التعظيم (ذلك) وتنكير كلمة (مال) للتعظيم ثم زاده حفاوة، ورضا بتكرار الجملة مع ما في التكرار من الترغيب لغيره، وقول الرسول ﷺ (وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ » لأنه على الأقربين صدقة، وصلة إذا كانوا فقراء بالإضافة إلى أنه علاج نفسي ينزع الأحقاد، ويحقق المحبة، والرضا بين المسلمين.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) الوسيط في (ب خ).

(٢) رياض الصالحين ١٦٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٧).

الحديث رقم (٣٢١)

٣٢١- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إِلَى نَبيِّ الله ﷺ ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى. قَالَ: ((فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟)) قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: ((فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله تَعَالَى؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، وهذا لَفْظُ مسلِم[1].

وفي رواية لَهُمَا[2]: جَاءَ رَجُلٌ[3] فَاسْتَأْذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: ((أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟)) قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ((فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري خلى من المؤكدات، وتنكير كلمة (رجل) لعدم تعلق غرض بتعريفه، وقول الرجل: (أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ) أسلوب إنشائي غير طلبي لأنه قصد به إنشاء البيعة، وقوله (عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ) إعلان لرغبته بذل ماله، ونفسه رغبة في ما عند الله كما دل عليه قوله: (أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ الله (وقول الرسول ﷺ(فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ ؟) استفهام حقيقي جاء تمهيداً يبني عليه الحكم، والاستفهام

---

(١) أخرجه مسلم عقب الحديث (٢٥٤٩/٦، بدون رقم) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٩).

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه (٤٣٤/٣، رقم ٢٩٣٤) في المتفق عليه، وعزاه بهذا اللفظ إلى مسلم من حديث ناعم مولى أم سلمة، ولم يذكر البخاري، وهو الصواب، ولأجل ذلك ذكر المؤلف الرواية المتفق عليها بعده، حيث قال: (وفي رواية لهما). وكذا عزاه المنذري في ترغيبه بهذا اللفظ إلى مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩/٥) والسياق للحميدي في جمعه (٤٣٤/٣، رقم ٢٩٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٩).

(٣) عندهما زيادة: (إلى النبي ﷺ) اختصره الحميدي في جمعه ولم يوردها، فتبعه عليها المؤلف.

الثاني: (فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ؟) استفهام محذوف الأداة غرضه حمل المخاطب على الإقرار بالحكم، فلما أقر بالحكم رتب عليه الأمر بالرجوع إلى والديه: (فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا) وهذا الحديث يقرر عن طريق الواقع الفعلي بين الرسول ﷺ، وصاحبه عظمة أجر بر الوالدين، ومدى الثواب الذي يناله من حظي برضا والديه، في الدنيا عاجلاً، وفي الآخرة آجلاً.

فقه الحديث

إن الجهاد فرض كفاية متى قام به البعض سقط عن الباقين، ولا يتعين إلا في حالات معروفة شرعًا، وبر الوالدين فرض عين، ولذا كان مقدمًا على الجهاد، وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه متى كان الجهاد فرض كفاية، فإنه لا يجوز لمن كان والداه حيين أو أحدهما أن يخرج إلى الجهاد متطوعًا إلا بإذنهما، ولكن متى تعين الجهاد كان له الخروج بدون إذنهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

خامسًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

سادسًا: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم.

---

(١) انظر في ذلك: شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٤٢/٥، و(٤٤١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٢٥/٤، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢١/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ١٧٥/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٣٥٠/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ١٧٧/٤، وتحفة المحتاج ٢٣٣/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٠/٩، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٢١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٥/٣، والمحلى، ابن حزم ٣٤٢/٥.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب السؤال والجواب في قوله ﷺ: "فهل لك من والديك أحد حي؟" قال: نعم بل كلاهما. قال: "فتبتغي الأجر من الله تعالى؟" قال: نعم قال: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" فسأل رسول الله ﷺ الذي يريد أن يبايعه على الهجرة والجهاد، وأجابه الرجل.

وأسلوب السؤال والجواب أسلوب مفيد في الدعوة إلى الله، فهو يجعل الداعية لديه رؤية واضحة عن حقيقة أمر المدعو، حتى يتسنى له تحديد احتياجاته الدعوية.

قال القرطبي: (وقوله: "جاء رجل يستأذنه في الجهاد فقال: ألك أبوان؟ قال: نعم" فيه ما يدل على أن المفتي إذا خاف على السائل الغلط، أو عدم الفهم، تعين عليه الاستفصال، وعلى أن الفروض والمندوبات مهما اجتمعت قدم الأهم منها، وأنّ القائم على الأبوين يكون له أجر مجاهد وزيادة)[1]. وقال ابن حجر: (ويؤخذ منه أن المكلف يستفصل عن الأفضل في الأعمال ليعمل به، لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال لما حصل له العلم بذلك)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد:

إن من موضوعات الدعوة التي يتضمنها الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة والجهاد، وهذا يظهر من قول الرجل "أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى".

فهذا الحرص لعلم الصحابة رضي الله عنهم بفضل من سبق في الهجرة والجهاد، فيريدون أن يلحقوا بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3] فقد أخبر الله تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٩/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان[١]. والحرص على الجهاد لما له عند الله من الثواب والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[٣].

فالهجرة والجهاد من أهم ما حرص عليه صحابة رسول الله ﷺ لعظم الفضل والأجر فيهما.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث عظم حق الوالدين، يتضح ذلك عندما أقبل الرجل إلى النبي ﷺ فقال: "أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى" قال: "فهل لك من والديك أحد حي؟" قال نعم بل كلاهما... قال "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما"، أو قال: "ففيهما فجاهد".

قال القاضي عياض: (قوله ﷺ: "ففيهما فجاهد": يحتمل أن هذا كان بعد الفتح وسقوط فرض الهجرة والجهاد، وظهور الدين، أو كان من الأعراب وغيرهم الذين كانت تجب عليه الهجرة، فرجح بر والديه وعظيم حقهما، وكثرة الأجر في برهما، وأن ذلك أفضل من الجهاد، وحسبك بهذا، ولم ير أهل العلم الجهاد إلا بإذنهما)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١٠-١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧/٨.

وقال القرطبي رحمه الله: (وقول الأعرابي: "أبايعُك على الهجرة" أي: على أن أهجر دار قومي، وأهاجر إليك، فأقيم معك في المدينة، وهذا في زمن وجوب الهجرة.

وقوله: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما"، وعلى الخلاف في وجوب الهجرة، هل كان على أهل مكة خاصة، أو كان على كل من أسلم؟ وعلى القولين فقط أسقط عنه الهجرة، لأن حق الوالدين أولى؛ لأنه إن كانت الهجرة عليه واجبة، فقد عارضها ما هو أوجب منها، وهو حق الوالدين، فقُدم، وإن لم تكن واجبة عليه، فالواجب أولى على كل حال)[1].

وقد ورد الكثير في القرآن والسنة مما يدل على عظم حق الوالدين، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

قال القرطبي: (أمر الله سبحانه بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونًا بذلك كما قرن شكرهما بشكره، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ وقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3] وفي صحيح البخاري عن عبدالله قال ((سألتُ النبيَّ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ ؟ قال: الصلاةُ عَلَى وَقتِها. قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ برُّ الوالِدَينِ. قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: الجهادُ في سبيل اللهِ))[4] فأخبر النبي ﷺ أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام ورتب ذلك بثم التي تعطي الترتيب والمهلة[5].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥١٠.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٢٣٨.

فبر الوالدين من الأشياء التي اهتم بها الإسلام وأعطاها عناية خاصة، فينبغي على الدعاة بيان عظم حق الوالدين ووجوب برهما.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر، ويظهر في قوله ﷺ "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما" و"ففيهما فجاهد" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة، حيث يجعل الداعية يستطيع الأمر بما يراه أمرًا لازمًا في دعوته للمدعوين، ويشعر المدعو بأهمية الأمر الذي أمر به الداعية، فينبغي على الداعية استخدام أسلوب الأمر في دعوته من أجل حث المدعوين على الامتثال لطاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

خامسًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

من فقه الداعية المستنبط من عموم الحديث ترتيب الأولويات، وهذا يعني أن يبدأ الداعية بالأهم فالمهم، ويتضح ذلك جليًا في أمره ﷺ من أراد مبايعته على الهجرة والجهاد، أن يجاهد في والديه برعايتهما وصحبتهما، فالجهاد أمر مهم ولكن رعاية الأبوين أهم، لأن الجهاد يوجد من يقوم به، أما رعاية الأبوين فأولى الناس بها هم الأبناء، قال القرطبي: (وإن الفروض والمندوبات مهما اجتمعت قدم الأهم منها، وأن القائم على الأبوين يكون له أجر مجاهد وزيادة. وقوله: "ففيهما فجاهد" أي: جاهد نفسك في برِّهما وطاعتهما، فهو الجهاد الأولى بك؛ لأن الجهاد فرض كفاية، وبر الوالدين فرض عين، فلو تعين الجهاد وكان والداه في كفاية ولم يمنعاه، أو أحدهما من ذلك، بدأ بالجهاد. فلو لم يكونا في كفاية تعين عليه القيام بهما، فبدأ به، فلو كانا في كفاية ومنعاه لم يلتفت إلى منعهما؛ لأنهما عاصيان بذلك المنع، وإنما الطاعة في المعروف، كما لو منعاه الفرض"[1]، وترتيب الأولويات منهج إسلامي، فلم يكن الإسلام يسوق أحكامه دون ترتيب، بل ساقها مرتبة حسب أولويتها، وحسب استجابة المدعوين لها.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٥٠٩ - ٥١٠.

يؤيد ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((أول ما نزل منه -أي القرآن- سورة من المفَصل فيها ذِكرُ الجنةِ والنار، حتى إذا ثاب الناسُ إلى الإسلام نَزَلَ الْحلالُ والحرامُ، ولو نزل أوَّلَ شيءٍ لا تشربوا الخَمرَ لقالوا لا نَدَعُ الخمر أبدًا، ولو نزل لاتزنُوا لقالوا لا نَدَعُ الزِّنا أبدًا))[1].

فقد أشارت أم المؤمنين رضي الله عنها إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن: الدعوة إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن المطيع بالجنة، وللكافر العاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس إلى ذلك نزلت الأحكام[2].

فينبغي على الداعية تقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به، ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما دون ذلك من أمور[3]. فترتيب الأولويات من مهام الداعية التي تفيده في دعوته، لأنه لو علم كيف يبدأ، وماذا يقدم؟ وماذا يؤخر؟ وعلم ما هي القضايا التي يعطيها أولوية قبل غيرها؟ كان داعية ناجحًا مؤثرًا في مدعويه.

سادسًا- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث، توجيه المدعوين إلى ما يناسبهم وهذا يدل عليه توجيهه ﷺ لمن أراد أن يبايعه على الهجرة والجهاد حيث وجهه ﷺ إلى ما يناسبه وهو رعاية والديه. وهو ما يجب أن يتصف به الداعية، قال ابن حجر: (المستشار يشير بالنصيحة المحضة)[4].

لأن الداعية محل تقدير المدعوين، وموضع احترامهم، فينبغي عليه أن يكون أهلاً لهذا التقدير والاحترام، وذلك بتوجيه المدعوين إلى ما يناسب حالهم، وحال أهلهم، أو المسؤولين منهم، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع من أراد الهجرة والجهاد، فوجهه إلى رعاية والديه وهذا مناسب له ولوالديه.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٧/٨.

(٣) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٦.

الحديث رقم (٣٢٢)

٣٢٢- وعنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**)) رواه البخاري[1]. و"قَطَعَتْ" بِفَتْح القَافِ والطَّاء. و"رَحِمُهُ" مرفوع.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المكافئ: أي الذي يعطي لغيره ما أعطاه ذلك الغير[2].

الشرح الأدبي

دعي الرسول ﷺ إلى ما يضمن تماسك المجتمع، من خلال سن خصال الخير التي تحقق ذلك، ومقابلة السيئة بالحسنة خلق كريم دعا القرآن إليه، وشاهده الصحابة ممثلاً في الرسول ﷺ ودعاهم إليه، وهذا الحديث يدعو إلى هذا الخلق في معاملة الناس لاسيما ذوي الرحم منهم.

والحديث أسلوبه خبري بني على جملة واحدة صدرت في ثوب القصر عن طريق العطف بـ(لكن) حيث نفى صفة الواصل عن المكافئ وأثبتها للذي يصلها إذا قطعت، وفي الحديث طباق يوضح المفارقة بين المسمى الخاطئ، وحقيقة الواصل بين (الواصل - وقطعت)، وإضافة الرحمة للضمير في قوله: (رحمه) إشارة إلى اختصاصه بها، وأنها جزء منه، وهو جزء منها.

والحديث يصحح خطأ الفهم عند كثير من الناس الذين يتعاملون بحساب المصالح يعطي إذا أُعْطَي، ويمنع إذا مُنِع، ولذلك سمَّاه الرسول ﷺ بالمكافئ.

---

(١) برقم (٥٩٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٧.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قطيعة الأرحام.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة:

إن من مهام الداعية التي تظهر من هذا الحديث تصحيح المفاهيم الخاطئة، ويظهر في قوله ﷺ "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها"... الحديث.

فمن المفاهيم الخاطئة والمنتشرة بين كثير من الناس، أن صلة الرحم تكون مع من يصله، أما من يقاطعه ولا يصله فلا صلة له عليه، فأتى حديث رسول الله ﷺ مصححًا لهذا المفهوم الخاطئ، وبيّن أن صلة الرحم تكون مع من قطعه، وهذا كان نهجه ﷺ فلا يترك مفهومًا خاطئًا إلا صححه، فعندما رأى تصور الناس لمفهوم القوة وأن القوي من يصرع الناس بقوته ويغلبهم، بيّن لهم ﷺ أن هذا مفهوم خاطئ، وأن القوة الحقيقية تكمن في السيطرة على النفس عند الغضب، فيقول ((ليس الشديدُ بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب))[2] فينبغي للداعية إلى الله أن ينهج نهج رسول الله ﷺ ويتأسى به في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند الناس، وخاصة في هذا العصر، الذي قلّت فيه معرفة الناس بأمور دينهم، وكثُر تقليدهم للعادات والتقاليد، والأنماط المعيشية البعيدة عن الإسلام.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مقابلة الإساءة بالإحسان:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من الحديث: الحث على مقابلة الإساءة

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٢٣).

(٢) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

بالإحسان وهذا يظهر في قوله ﷺ "... ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها..." فبيّن ﷺ أن واصل الرحم هو من يصل من قطعه، لا من وصله، وفي ذلك حثّ على مقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا خلق من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] قال السعدي: (... ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك فقال "ادفع بالتي هي أحسن" أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق عليك كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل فقابله بالإحسان إليه. فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله؛ بل اعف عنه وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك فطيِّب له الكلام، وابذل له السلام. فإذا قابلت الإساءة بالإحسان حصل فائدة عظيمة)[2]. فينبغي للداعية تذكير المدعوين بما دعا إليه الإسلام من الإحسان إلى المسيء، والعفو عن المخطئ، وصلة القاطع وحسن الخلق.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فضل صلة الرحم، ويدل على ذلك قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله...". قال ابن عثيمين: (إن الرحم متعلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، وهذا يحتمل أن يكون خبرًا وأن يكون دعاءً، يعني يحتمل أن الرحم تخبر وتدعو الله عز وجل به، وعلى كل حال فهو دليل على عظم شأن الرحم وصلتها، وأنها تحت العرش تدعو بهذا الدعاء، أو تخبر بهذا الخبر)[3].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٦٩٦/١.

ولصلة الرحم فضل عظيم، ولذلك حث الإسلام على تلك الصلة، وأثنى على الواصلين كما جاء ذلك في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾[1] قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (والذين يصلون ما أمر به أن يوصل، من صلة الأرحام والإحسان إليهم وإلى الفقراء...)[2].

وقال رسول الله ﷺ ((من أحبَّ أن يُبسَطَ له في رِزقه، ويُنسأ له في أثره، فلْيَصِلَ رَحِمه))[3] وقال ﷺ: ((إنَّ الرَّحمَ شُجْنَةٌ من الرحمن، فقال اللّه: من وصلَكِ وَصَلتُه، ومن قَطعكِ قطعتُه))[4].

والنصوص في هذا الموضوع كثيرة جدًا، ومن أمعن النظر في هذه النصوص الكريمة وجدها صريحة في الحث على صلة الرحم[5].

فينبغي على الداعية بيان فضل صلة الرحم، وأثره في المحبة والألفة بين الأقارب وكذلك ثوابه عند الله تعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قطيعة الرحم:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها خطورة قطيعة الرحم ويدل على ذلك قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول... ومن قطعني قطعه الله" فبيّن أن من يقطع رحمه يقطعه الله، وهذا أمر خطير يدل على خطورة قطيعة الرحم.

وقد حذر الإسلام من القطيعة وتوعد أهلها بأشد العقوبات الدنيوية والأخروية.

فقال سبحانه محذرًا من القطيعة: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾[6].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٨٦، ومسلم ٢٥٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٨٨.

(٥) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٦٧، ١٦٨.

(٦) سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

قال ابن كثير رحمه الله: (أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء، وتقطعون الأرحام ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا، وعن قطع الأرحام خصوصًا)[1].

وقال رسول الله ﷺ ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ))[2]، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))[3].

والنصوص في التحذير من قطيعة الرحم كثيرة، وذلك لخطورة قطيعة الرحم، ولما تسببه من كراهية وقطع في العلاقات الأسرية بين المسلمين، مما يجعل الناس لا يشعر بعضهم ببعض، ويعم الجفاء بين الأقارب، وهذا منافٍ لشريعة الإسلام ومبادئه التي تدعو إلى الترابط والمحبة، والتعاطف والتراحم والمواساة.

فينبغي للداعية أن يحذر من قطيعة الرحم ويبين خطورة ذلك على المجتمع الإسلامي وعلى المتقاطعين.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الترغيب والترهيب.

أما الترغيب ففي قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله" فقد رغّب ﷺ في صلة الأرحام وبيّن أن من يصل الرحم يصله الله تعالى، وأي ترغيب هذا؟ إنه ترغيب عظيم يحمل كل مؤمن ومؤمنة على المسارعة إلى صلة الأرحام، طمعًا في رضوان الله تعالى.

وأما الترهيب ففي قوله ﷺ "الرحم معلقة بالعرش تقول: ...، ومن قطعني قطعه الله" فقد رهّب ﷺ من قطع الأرحام، وبيّن أن قطع الأرحام سبب في قطع الله لقاطع الرحم، وهذا ترهيب عظيم يخشاه كل ذي عقل سليم، لأن من يقطعه الله لا واصل له.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٨/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٨٤، ومسلم ٢٥٥٦ واللفظ له.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٩).

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها، والأصل في الترهيب: أن يكون بالخوف من غضب الله وعقابه في الدنيا والآخرة[1].

فينبغي على الداعية إلى الله أن يرغب في صلة الأرحام، ويرهب من قطعها.

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

الحديث رقم (٣٢٣)

٣٢٣- وعن عائشة، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي، وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي، قَطَعَهُ اللهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر وهو سوق المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة، وهو من مميزات البيان النبوي فقد أوتي جوامع الكلم، وهذا الحديث خير شاهد، فقد صدر في أسلوب خبري دون مؤكدات مساق الخبر المعلوم فالمعنى من عالم الغيب، والمتحدث نبي، والمخاطبون صحابته رضي الله عنهم اختارهم له كما اختاره للناس جميعاً، والحديث يبدأ بأسلوب تشويقي؛ لأنه أمر غيبي لا يقصُّه إلا نبي فتصغي له الأسماع، وتتطلع إليه النفوس (الرَّحِمُ مُعلَّقة بالعرشِ) وتعريف الرحم باللام للعهد إشارة لكل فرد توجهه إلى أهله، وكل من لهم حق عليه، وقوله: (معلقة بالعرش) شرف الموضع يدل على شرف الموضوع وأهميته التي بلغت به هذا المبلغ، وهو صلة الرحم، وهذا النحو من الكلام يشير خطر التهاون فيها، وقوله (تقول) أي بطريق الإخبار بداية، ورواية، وحكاية، أو على سبيل الدعاء من وصلني وصله الله أي بحسن رعايته، وبجميل حمايته، ومن قطعني قطعه الله أي عن عين عنايته، ومن كمال رحمته ورأفته فالوصل إقبال إليه، وقبول منه، والقطع عبارة عن الغضب عليه، والإعراض عنه.

وبين عبارة: (من وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ) وبين عبارة (ومن قطعني قَطَعَهُ الله) وهذه المقابلة تقرر أن الجزاء من جنس العمل، قطيعة بقطيعة، ووصل بوصل، فالشقي من قطع رحمه فقطعه الله، والسعيد من وصل رحمه فوصله الله.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٩)، ومسلم واللفظ له (٢٥٥٥/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٠٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٢٤)

٣٢٤- وعن أم المؤمنين ميمونة بنتِ الحارث رضي الله عنها: أنَّهَا أعْتَقَتْ وَليدَةً وَلَمْ تَستَأذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أشَعَرْتَ يَا رَسُول الله، أنِّي أعتَقْتُ وَليدَتِي؟ قَالَ: ((أَوَ فَعَلْتِ؟)) قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: ((**أما إنَّكِ لَوْ أعْطَيْتِهَا أخْوَالَكِ كَانَ أعْظَمَ لأجْرِكِ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

ميمونة بنت الحارث: هي ميمونة بنت الحارث بن حَزْن الهلالية زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين، وأخت أم الفضل زوجة العباس بن عبدالمطلب، وخالة خالد بن الوليد، وخالة عبدالله بن عباس.

كان اسمها برّة فسماها النبي ﷺ ميمونة. وتزوجها في ذي القعدة سنة سبع لما اعتمر عمرة القضاء، وولي أمر نكاحها العباس زوج أختها.

وقد تزوجها النبي ﷺ بسَرِف [مكان بين مكة والمدينة قريب من مكة] وقد اختلف في حال النبي وقت زواجه إياها: أكان محرمًا بالعمرة أم حلالاً قد فرغ منها.

قال ابن حجر: وقد انتشر الاختلاف في هذا الحكم بين الفقهاء، ومنهم من جمع بأنه ﷺ عقد عليها وهو محرم وبنى بها بعد أن أحلّ من عمرته بالتنعيم وهو حلال في الحلّ. وقيل: عُقِد له عليها قبل أن يحرم وانتشر أمر تزويجها بعد أن أحرم، فاشتبه الأمر.

كانت معروفة بالإيمان والصلاح والتقوى وصلة الرحم، شهد لها النبي ﷺ بالإيمان فقال: ((الأخوات مؤمنات: ميمونة وأم الفضل وأسماء))[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٩٢) واللفظ له، ومسلم (٩٩٩/٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٠٦).

(٢) أخرجه ابن سعد ١٣٨/٨ وقال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح. وأخرجه الحاكم بلفظ: الأخوات مؤمنات: ميمونة زوج النبي ﷺ وأختها أم الفضل بنت الحارث وأختها سلمى بنت الحارث امرأة حمزة، وأسماء بنت عميس أختهن لأمهن.

وقالت عنها عائشة رضي الله عنها: ((إنها كانت من أتقانا لله عز وجل وأوصلنا للرحم))[١].

وذات مرة دخل عليها قريب لها، فوجدت منه ريح شراب، فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك لا تدخل عليّ أبدًا.

توفيت سنة ٥١هـ ودفنت بسرف المكان الذي تزوجها فيه النبي ﷺ[٢].

غريب الألفاظ:

وليدة: جارية[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفاً طريفاً من بيت النبوة طرفاه النبي ﷺ وأم المؤمنين ميمونة -رضي الله عنها - وقد بدأ الحديث مؤكداً بأكثر من مؤكد في قولها: (أنها أعتقت وليدة) والفعل الماضي يقرر تمام الفعل، وقولها: (وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ) يشير إلى مساحة من الحرية الشخصية في بيت النبي ثقة في حكمتهن وحسن تصرفهن، مع ما يوحي به من استقلال الذمة المالية للمرأة حيث تصرفت في مالها دون رجوع لإذن زوجها، وتعبيرها بالدوران في قولها (يدور فيه) دليل على العدل المطلق للرسول ﷺ بينهن؛ لأن الذي يسير في دائرة لا يخرج عنها لأنها ليس لها طرف، والعبارة كلها كناية عن تعاهد نسائه، والقيام بأمورهن، واستفهام أم المؤمنين رضي الله عنها إخبار للنبي ﷺ بما كان من أمر عتقها لوليدتها، واستفهام النبي ﷺ (أو فعلت ؟...) تقرير للتحقيق، والتثبيت للخبر، وبقية حديثه ﷺ تنديم لها على عدم إعطائها لأخوالها، وفيه بيان

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٣٨/٨ والحاكم (٣٢/٤) وقال الحافظ: هذا سند صحيح.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٣٢/٨) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦٢/٧) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٧٠ والسير (٢٣٨/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٧٩/٨) والتهذيب (٦٨٩/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٣٤٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول (١٨٦٦/٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/٥.

فضل صلة الرحم، وتفضيلها على عتق الرقاب، والأسلوب من بدايته يوحي بعتاب رقيق لتقصير أم المؤمنين رضي الله عنها في استئذان النبي ﷺ في ذلك.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- الاعتناء بأقارب الأم إكرامًا لها، وهو زيادة في برها.

٢- وفيه: جواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها[١].

٣- وفيه: أن الصدقة على الأقارب، وذوي الأرحام أفضل من العتق[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التقرير.

ثالثًا: من مهام الداعية: الإرشاد إلى الأولى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث حرص أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها على تحصيل الثواب، الشاهد على ذلك عتقها للأمة التي كانت عندها. ففي هذا العتق تحصيل للثواب لقوله ﷺ: ((من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضوًا من النار حتَّى فَرجَهُ بِفَرجهِ))[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦/٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٠٠/٦.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٠٠/٦، والتمهيد، ابن عبدالبر ٢٣٧/١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧١٥، ومسلم ١٥٠٩.

وقوله ﷺ: ((... وأيُّما امرأةٍ مُسلمةٍ أعتقَتِ امرأةً مسلِمةً فإنّ اللّه جَلَّ وعلا جَاعِلٌ وِقاءَ كُلِّ عظمٍ من عظامِ محرِّرها عظمًا مِن عظامِها منَ النَّارِ))[1].

من أجل ذلك كانت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها حريصة على تحصيل الثواب بعتق الأمة، وكيف لا تحرص على تحصيل الثواب؟ وهي أم المؤمنين إحدى زوجات النبي ﷺ من أهل بيته عاشت معه وتخلقت بأخلاقه وتعلمت من سنته وهديه. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها عن ميمونة رضي الله عنها ((أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم))[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التقرير:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب التقرير، وهذا يظهر في قوله ﷺ: "أو فعلت؟" قالت: نعم، حيث قررها ﷺ بعتقها، وأسلوب التقرير أسلوب جيد في الدعوة الإسلامية، فهو يجعل الداعية يستطيع أن يقرر المدعو بفعله أو قوله، دون مخالفة شرعية وكذلك إقراره بالحق.

ثالثًا- من مهام الداعية: الإرشاد إلى الأولى:

إن من مهام الداعية التي تظهر من هذا الحديث الإرشاد إلى الأولى، والشاهد على ذلك قوله ﷺ: "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك" حيث أرشد ﷺ أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها إلى الأولى من العتق وهو إعطاؤها لأخوالها.

قال ابن حجر: (إن أم المؤمنين ميمونة كانت رشيدة، وأنها أعتقت قبل أن تستأمر النبي ﷺ فلم يستدرك ذلك عليها، بل أرشدها إلى ما هو الأولى)[4].

فينبغي على الداعية التأسي بالنبي ﷺ في إرشاد المدعوين إلى الأولى من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٩٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٥٥).

(٢) سورة الأحزاب، من آية: ٣٣.

(٣) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٧٧١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٣٠٣.

التصرفات. لأن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغها حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم، وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ وطريقة الذين اتبعوه بإحسان. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: ((إنكَ ستأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يَشهدوا أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرْهم أنَّ اللّهَ قد فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لك بذلكَ فأخبرْهم أنَّ اللّهَ قد فَرَضَ عليهم صدقةً تُؤْخَذُ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم. فإن هم أطاعوا لكَ بذلكَ فإيَّاكَ وكَرائمَ أموالهم. واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينَهُ وبينَ اللّهِ حِجابٌ))[1].

من هذا النص يتبين أن على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، وأن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة[2].

فالإسلام أمرنا إن بذلنا الأموال أن نفعل الأولى، بإعطاء ذوي الأرحام وذوي الحاجات. ونقدم المستور الخامل على المستور السائل. فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم ومعنا كفاية أحدهم، قدمنا الأفضل فالأفضل[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الأرحام:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من الحديث، فضل صلة الأرحام ويدل على ذلك قوله ﷺ "أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك" قال النووي: (فيه فضيلة صلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب وأنه أفضل من العتق)[4]. وذلك دليل على عظم صلة الأرحام.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٩٦، ومسلم ١٩.

(٢) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ٤٧، ٤٨.

(٣) انظر: شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام السُلمي ص ٣٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٨.

ولأن الصدقة على ذوي الأرحام فضلها عظيم، كان ﷺ يأمر بها دائمًا. يؤيد ذلك ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، يقول الله تعالى في كتابه ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي ببرحاء -قال: وكانت حديقة كان رسول الله ﷺ يدخلها ويستظل فيها ويشرب من مائها- فهي إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ، أرجو بره وذخره، فضعها أي رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ ((بَخٍ يَا أَبَا طَلْحَةَ، ذٰلِكَ مالٌ رَابِحٌ، قَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَرَدَدْنَاهُ عَلَيْكَ، فاجعلهُ في الأَقْرَبِينَ)) فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه[2]. وقال ﷺ مرغبًا في الصدقة على ذوي الأرحام: (الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي القرابة اثنتان: صدقة وصلة)[3].

(وليس أدلَّ على عناية الإسلام البالغة بالرحم من تلك الصورة الرائعة التي رسمها رسول الله ﷺ للرحم حين تقوم بين يدي الله فتستعيذ بالله من قطيعتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ. أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى. قَالَ: فَذَاكِ لَكِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[4]))[5][6].

فينبغي على المسلم أن يحرص على صلة الأرحام وتقديم الأقارب في الصدقة على غيرهم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٥٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٩٤).

(٤) سورة محمد، الآيات: ٢٢-٢٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨٣٠، ومسلم ٢٥٥٤.

(٦) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ٨١-٨٢.

الحديث رقم (٣٢٥)

٣٢٥- وعن أسماءَ بنتِ أَبي بكر الصديق رضي الله عنها، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشركةٌ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، فاسْتَفْتَيْتُ رَسُول الله ﷺ، قُلْتُ: (قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي)[1] وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أفَأصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: ((نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وقولها: "رَاغِبَةٌ"، أي: طامعة عندي تسألني شيئًا؛ قيل: كانت أمها من النسب، وقيل: من الرَّضَاعة والصحيح الأول.

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: هي أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة.

والدة الخليفة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، وأختُ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وكان إسلامها قديمًا بمكة، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبدالله بن الزبير، وهي أسنَّ من عائشة ببضع عشرة سنة، شهدت اليرموك مع زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت تسمى ذات النطاقين، لأنها صنعت للنبي ﷺ طعامًا حين هاجر إلى المدينة فلم تجد ما تشده به، فشقت نطاقها وشدت به الطعام.

وكانت فصيحة حاضرة القلب واللب، تقول الشعر، وكانت سخية النفس، وفي ذلك قال ابن الزبير رضي الله عنهما ما رأيتُ امرأةً قط أجودَ من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أما عائشة فكانت تجمعُ الشيء إلى الشيء، حتى إذا اجتمع عندها وضعته مواضِعَه، وأما أسماء، فكانت لا تدخِرُ شيئًا لغد.

وكانت نموذجًا يقتدى به في خدمتها وعونها لزوجها، فضلاً عن رعايتها لغَيْرته، فقد قالت: تزوجني الزبير، وماله شيء غير فرسه، فكنتُ أسوسه وأعلفه، وأدق لناضِحه النَّوى، وأستقي، وأعجن، وكنت أنقل النَّوى من أرض الزبير، التي أقطعه

---

(١) قوله: (قدمت عليَّ أمي) لا يوجد عند البخاري في هذه الرواية، وعنده برقم (٣١٨٣): (إنَّ أمي قدمت عليَّ) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه. وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣/٤٩) والسياق للحميدي في جمعه (٢٦٤/٤، رقم ٣٥٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧١).

رسول الله ﷺ وهي على ثلثي فرسخ فجئتُ يومًا، والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر، فدعاني، فقال: "إخّ، إخّ"، ليحملني خلفه فاستحييتُ وذكرتُ الزُّبير، وغَيْرَتَه، قالت: فمضى.

فلما أتيتُ، أخبرتُ الزُّبير. فقال: والله، لحملك النَّوى كان أَشدَّ عليَّ من ركوبك معه! قالت: حتى أرسل إليَّ أبوبكر بعدُ بخادم، فكفتني سياسةَ الفَرَس، فكأنما أعتقني[1].

وكانت قوية شجاعة، لم تهب الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن قتل ابنها، أن تقول له سمعت رسول الله ﷺ يقول ((يخرج من ثقيف كذاب، ومُبير)) فأما الكذاب، فقد رأيناهُ -تعني المختار- وأما المُبيرُ، فأنت[2].

وقد بلغت من العمرِ مائة سنة، ولم يَسقُط لها سن ولم ينكر لها عقل. ولها (٥٨) حديثًا.

وتوفيت بمكة في جمادى الأولى سنة ٧٣هـ[3].

الشرح الأدبي

الحديث دليل على احترام، ورعاية الإسلام للمشاعر الإنسانية حتى للمشركين، تروي الحديث صحابية جليلة هي أحد طرفي الحوار، وقد قدمت للسؤال بما كان من قدوم أمها، وقولها (وهي راغبة) فيه إيجاز بالحذف أي: في أن أصلها، أو راغبة عن

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٥١، ٥٢٢٤، ومسلم ٢١٨٢.

(٢) ذكره الهيثمي في "المجمع" ٩/٢٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٨/٢٤٩-٢٥٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٧١-٨٧٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١/٣٠٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧/٧-٩)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٣٢، وموسوعة عظماء حول الرسول (١/٤٩٠-٤٩١)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٢٨٧-٢٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٨/٥١٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٦٦٣).

الإسلام كارهة له، واستفهامها (أفأصل أمي ؟) استفهام على حقيقته مع ما يوحي به من رغبتها في صلة أمها يدل على ذلك جملة الحال التي قدمتها على السؤال (وهي راغبة) لذلك جاءت عبارة الرسول ﷺ الدالة على رحمته وحكمته (صلي أمك) وهو أمر إباحة يدل على أهمية صلة الرحم لاسيما صلة الوالدين اللذين أمر الله ورسوله ببرهما ولو كانا مشركين.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم صلة الرحم الكافرة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن صلة الوالدين الكافرين مطلوبة، لأنه نوع من البر لهما، فيطيعهما ويحسن إليهما، إلا في طلب الكفر، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وكذا يجوز للمسلم عند جمهور الفقهاء أن يصل رحمه الكافرة، وأن يقيم معهم علاقة طيبة وأن يهبهم، ويهدي إليهم، ويتصدق عليهم، ويقبل منهم الهبات والهدايا.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: صلح الحديبية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها على استفتاء رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الوالدين وإن كانا غير مسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من تاريخ الدعوة: صلح الحديبية:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث صلح الحديبية، ويدل على ذلك قول أسماء بنت أبي بكر ﷺ: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ" قال ابن

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ٦٥٣/٣، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ٢٢٩/٧، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٤٠١/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ١٢١/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٨٦/١، والفروع، ابن مفلح ٦٣٨/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١٦٢/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٣.

حجر رحمه الله: (قوله: "في عهد رسول الله ﷺ" أراد بذلك ما بين الحديبية والفتح)[١].
أي: في زمن معاهدته مع المشركين في صلح الحديبية، وكان صلح الحديبية في ذي القعدة في السنة السادسة من الهجرة.

وصلح الحديبية كان بداية مرحلة متميزة في تاريخ الدعوة، وقد كان فتحًا مبينًا تمهيدًا لفتح مكة.

وسمى الله تعالى صلح الحديبية فتحًا، وأنزل سورة الفتح في منصرف النبي ﷺ من الحديبية عائدًا إلى المدينة، تلك السورة التي افتتحت بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾[٢].

نعم كان فتحًا، ولم يكن ذلاً كما تراءى لبعض كبار الأصحاب، وذلك لأنه أنهى الحرب المستمرة بين النبي ﷺ وبين قريش، ووفر الجهد ليدخره للدعوة خارج الجزيرة العربية، وكان وثيقة اعتراف من قريش بوجود النبي ﷺ، وكان تمهيدًا للفتح الأعظم: (فتح مكة)، كما أنه فرّغ النبي ﷺ لليهود الذين يتألبون عليه مع المنافقين، وكذلك المشركين واستطاع أن يطهر المدينة منهم، كما أنه أعطى المسلمين الحق في أداء الشعائر الدينية من حج وعمرة على النحو الإسلامي[٣]، فكان صلح الحديبية تاريخًا مؤثرًا وفعالاً في تاريخ الدعوة إلى الله تعالى.

ولقد تبرم كثير من الصحابة رضي الله عنهم من معظم شروط الصلح، ومن الادلة على ذلك أن عليًا رضي الله عنه اعتذر عن محو كلمة (رسول الله) التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ: ((أرني مكانها)) فأراه مكانها فمحاها رسول الله ﷺ وكتب على مكانها (ابن عبدالله)[٤] وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٠٩.

(٢) سورة الفتح، الآيات: ١ - ٣.

(٣) انظر: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض ص ٢٩٠ - ٢٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٩٩، ومسلم ١٧٨٣ واللفظ له.

قريش، فقالوا: يا رسول الله، نكتب هذا؟ قال: ((نَعَمْ، إنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ، فَأَبْعَدَهُ اللّهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ، سَيَجْعَلُ اللّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا))[١].

ويحكي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبًا عند كتابة ذلك الصلح، قال: (فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ، قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ، إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ)[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: (ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرًا)[٣].

ولم تطب نفس عمر رضي الله عنه إلا عندما نزل القرآن مبشرًا بالفتح[٤].

ونزلت سورة الفتح وهم في طريق العودة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٥]، وقال عنها الرسول ﷺ: ((لقد أُنزلَت عليَّ الليلةَ سُورةٌ لَهيَ أحبُّ إليّ مما طَلَعَتْ عليه الشمسُ))[٦]، وقال عمر رضي الله عنه متعجبًا: (أَوَ فَتْحٌ هُوَ؟) فقَالَ له الرسول ﷺ: ((نَعَمْ))

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٨٢، ومسلم ١٧٨٥، وأحمد ٣٢٥/٤ بإسناد حسن، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام ٤٣٩/٣ - ٤٤٠ وبقريب من رواية البخاري.

(٣) من رواية ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام ٤٤٠/٣.

(٤) انظر: ما أخرجه مسلم ١٧٨٥.

(٥) سورة الفتح، آية: ١.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٧٧.

فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ[١]، وفي رواية: ((نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ))[٢]، وفرح المسلمون بذلك فرحًا غامرًا، وانجلت السحابة من الغم، وأدركوا قصورهم عن إدراك كل الأسباب والنتائج، وأن الخير في التسليم لأمر الله ورسوله[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها على استفتاء رسول الله ﷺ:

يظهر هذا في قولها رضي الله عنها: "فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: قدمت على أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟" فحرص أسماء رضي الله عنها على استفتاء رسول الله ﷺ حرص منها على أن يكون عملها مرضيًا من رسول الله ﷺ، فإذا رفض، ما كانت لتصل أمها وخاصة أنها كانت مشركة، فخشيت أن تصلها دون أخذ رأي رسول الله ﷺ ومعرفة حكمه في صلة الأم المشركة، قال ابن حجر: (فيه تحري أسماء في أمر دينها، وكيف لا وهي بنت الصديق وزوج الزبير رضي الله عنهما)[٤] فسؤالها كان تحريًا منها ولأجل معرفة رأي رسول الله ﷺ وما يقضي به رسول الله ﷺ سوف تلتزم به لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٥].

فيجب على المدعو استفتاء العلماء فيما خشي على نفسه من وقوع الخطأ فيه إذا فعله دون استفتاء، وينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى سؤال أهل العلم والفقه فيما لا يعلمون.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الوالدين وإن كانا غير مسلمين:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث الحث على صلة الوالدين وإن

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٨٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٥٩، رقم ٣٧٦٣، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ص ٤٩٠ - ٤٩١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٣٠٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

كانا غير مسلمين، ويدل على ذلك إذنه ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما في صلة أمها مع أنها مشركة، فصلة الوالدين أمر من الأمور التي حثّ عليها الإسلام، وإن كان الأبوان مشركين، وذلك لعظم حق الوالدين على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

قال ابن كثير: (إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفًا"[2]، فالإسلام لا ينهى عن صلة الكفار إذا لم يقاتلوا المسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3]، فإذا كان الإسلام لا ينهى عن صلة الكفار المسالمين، فالأبوين من باب أولى أهل لهذه الصلة، لعظم حقهما، لذلك نجد رسول الله ﷺ يأذن لأسماء رضي الله عنها بصلة أمها المشركة بقوله ﷺ: "نعم صلي أمك"، قال الخطابي: "فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة، وإن كان الولد مسلمًا)[4].

فينبغي على الداعية بيان فضل صلة الوالدين ودعوة الإسلام لذلك، وكيف دعا لهذه الصلة؟ حتى في حالة الشرك وهو أعظم الذنوب، وهذا دليل صريح على عظم حق الوالدين.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث: أسلوب الترغيب، وهذا يظهر في إذن رسول الله ﷺ لأسماء رضي الله عنها في صلة أمها، لعل هذه الصلة تكون سببًا في

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٧/٦.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/٥.

إسلامها وهدايتها إلى دين الحق؛ (فالترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[1].

فصلتها ترغيب لها لمعرفة هذا الدين، ومعرفة مدى كرمه ورحمته بأهله، وأسلوب الترغيب أسلوب ضروري في الدعوة الإسلامية، فهو يجعل المدعو يقبل على الطاعات.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٣٢٦)

٣٢٦- وعن زينب الثقفيةِ امرأةِ عبدِ الله بن مسعود رضي الله عَنْهُ وعنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ))، قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عبد الله (بنِ مسعود)، فقلتُ لَهُ[1]: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإِنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ، فَاسأَلهُ، فإنْ كَانَ ذلِكَ يَجْزِئُ عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. فَقَالَ[2] عبدُ اللهِ: بَلِ ائْتِيهِ أنتِ، فانْطَلَقتُ، فَإذا امْرأةٌ مِنَ الأنْصارِ بِبَابِ رسولِ الله ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُها، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيهِ المَهَابَةُ، فَخَرجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُول الله ﷺ، فَأَخْبِرْهُ أنَّ امْرَأَتَيْنِ بالبَابِ تَسألانِكَ: أُتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أزْواجِهِمَا وَعَلَى أيْتَامٍ فِي حُجُورِهِما؟، وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فسأله، فَقَالَ لَهُ رَسُول الله ﷺ: ((مَنْ هُمَا؟)) قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟))، قَالَ: امْرَأَةُ عبدِ الله، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَهُمَا أجْرَانِ: أجْرُ القَرَابَةِ وَأجْرُ الصَّدَقَةِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

ترجمة الراوي:

زينب الثقفية: هي زينب بنت معاوية الثقفية.

امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أسلمت وبايعت النبي ﷺ ولها صُحبة، وروت عن النبي ﷺ، وعن زوجها، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكانت امرأة صَنَاعا، وليس لعبدالله بن مسعود مال، وكانت تنفق عليه وعلى ولده من ثمن صناعتها - فقالت: والله لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة! فقال: ما أحبُّ -إن لم يكن لك أجر- أن تفعلي، فسألت رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة ذات صنعة فأبيع وليس لي ولا لولدي ولا لزوجي شيء، ويشغلونني فلا أتصدق فهل لي في

---

(١) (له) لا توجد عند مسلم.

(٢) عند مسلم زيادة: (لي).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (٤٥/١٠٠٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٠٩).

النفقة عليهم من أجر؟ فقال النبي ﷺ ((لك في ذلك أجرُ ما أنفقت عليهم، فأنفقي عليهم))[(١)] [(٢)].

غريب الألفاظ:

خفيف ذات اليد: أي فقير قليل المال[(٣)].

يجزيء عني: أي يكفي[(٤)].

في حجورهما: في كفالتهما[(٥)].

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بطوله، ويقوم على حوار تتعدد أطرافه بدأته راوية الحديث بالإخبار بأمر رسول الله ﷺ لهن: « تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ » وعبارة الرسول ﷺ تصدرها أسلوب الأمر بالصدقة توجيهاً، وإرشاداً تلاه أسلوب النداء تنبيهاً للأمر، وتحديداً للمستهدفين بهذا الأمر وهم جماعة النساء، وقوله (ولو من حليكن) يوحي بأهمية الصدقة، وأن على المرأة ألا تؤثر زينة الدنيا على ثواب الآخرة الذي يحقق زينتها.

وقولها (وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَفِيفَ ذَاتِ الْيَدِ) كناية عن فقره، وحاجته، سيترتب عليه رد صدقتها عليه كما سيسفر عنه باقي الحديث، وقولها: (وَكَانَتْ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ) تشير إلى مكانة رسول الله ﷺ في أنفسهن وإجلالهن له، وقول بلال ﷺ

---

(١) صحيح ابن حبان، (٤٢٤٧/١٠)، وأصله في البخاري (١٤٦٦).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٩٠/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠٧-٩٠٨)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٢٢/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٧٠٠-١٧٠١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٨/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٥/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٨٥٩/٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٧٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٩.

(٥) المفصح المفهم، ابن هبيرة ١٠٥-١٠٦.

(امْرَأَتَانِ تَعُولاَنِ أَزْوَاجَهُمَا وَيَتَامَى فِي حُجُورِهِمَا) مقدمة رتب عليها سؤاله الذي يجيب عن استفسارهما (هَلْ يُجْزِئُ ذَلِكَ عَنْهُمَا مِنَ الصَّدَقَةِ؟) وهو استفهام على حقيقته وقد جاءت إجابة الرسول ﷺ لتفتح الباب للصدق على الأقارب، وليس هذا فقط بل إنها صدقة، وصلة (فَقَالَ: « نَعَمْ لَهُمَا أَجْرَانِ أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ »

وقد جاءت إجابته في صورة التوشيع بذكر المثنى المحبوب (أجران) ثم تفصيله، وقيمة هذا الأسلوب تتمثل في توكيد المعنى بذكره مجملاً ثم مفصلاً مع ما يفيده من تشويق للمعنى بإجماله ثم تفصيله.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكميين فقهيين:

الأول: حكم صرف زكاة المرأة إلى زوجها متى كان فقيرًا، وهل يجزي عنها ذلك أم يجب صرفها إلى الفقراء؟

اتفق الفقهاء[1] على أنه يجوز لمن عنده مال تجب فيه الزكاة أن يخرجه على من لا تجب نفقتهم عليه من الأقارب، كالإخوة والأعمام والأخوال والزوج، فمتى كانت المرأة موسرة، ولها مال تخرج منه الزكاة، جاز أن تخرجه لزوجها وأولادها، ويجزي عنها ذلك، بل لها به أجران، لأن نفقتهم ليست واجبة عليها، وخالف في ذلك الإمام أبو حنيفة فلم يجز للمرأة أن تخرج زكاتها لزوجها وأولادها، ولكن الحديث يؤيد ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز ذلك لعدم وجوب نفقتهم عليها.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٥٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٢٧٠/٢، والمدونة ٣٤٧/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٣٤٨/٤، والأم، الإمام الشافعي ٩٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٤/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤٠٧/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٩/٢، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٤٦٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٩/٢.

الثاني: حكم تعارض المصالح: وقد ذكر الفقهاء[1] أنه متى تعارضت المصالح بدئ بأهمها، أو قدم أقواها وأولاها، كما في تقديم الفطر على الصوم للمسافر في اليوم الحار، قال النووي في هذا الحديث[2]: قولهما: ولا تخبره من نحن ثم أخبر بهما، قد يقال إنه إخلاف للوعد وإفشاء للسر، وجوابه أن ذلك عارض جواب رسول الله ﷺ، وجوابه واجب محتم لا يجوز تأخيره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التشاور بين الزوجين في الأمور التي تخصهما.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ في شؤونهم.

سابعًا: من صفات المدعو: إجلال النبي ﷺ.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

عاشرًا: من مهام الداعية: التعرف على المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قول رسول الله ﷺ: (تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن)، وهذا الحديث ورد في باب الندب في صدقة التطوع، إلا أن الرسول ﷺ، استعمل أسلوب الأمر حملاً على الفعل، وحثًا على التطوع وفعل الخير.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧/٧، وإحكام الأحكام ٢٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٢٠٤/٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٦٨/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧/٧.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

حيث وجه النبي ﷺ إرشاده في هذا الحديث إلى النساء فقال: "تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن"، واستعمل معهن لفظة "معشر"، مع أنها في الغالب تستعمل لجماعة الرجال دون النساء، قال ابن علان: (وكأنه لأنهن لما أمرن بالتصدق، وإنما يبعث عليه الإيقان الذي هو وصف كمال الرجل)[1]، وفي ذلك بيان مدى اهتمام الإسلام حيث اعتبرهن شقائق الرجال، وحظيت المرأة بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، لذا ينبغي على الدعاة والمؤسسات الدعوية بتكثيف النشاط لهداية المرأة وتفقيهها في دينها، فإن هداية المرأة لتعاليم الإسلام كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية[2]، فحماية المرأة بالفهم السليم والدعوة الرشيدة حماية للمجتمع كله.

ثالثًا- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

من المهام المناطة بالداعية إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير، وهذا مما يستنبط من الحديث من دعوة النبي ﷺ للنساء في قوله ﷺ، وكما نرى واضحًا في الحديث، فالنبي ﷺ قد فتح أبواب الخير للمجتمع بجميع شرائحه، ومنه النساء فأوصاهن بالصدقة قائلاً: "تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن"، قال ابن حجر: (وفي الحديث حث على صلة الرحم، وجواز تبرع المرأة بمالها بغير إذن زوجها، وفيه عظة النساء، وترغيب ولى الأمر في أفعال الخير للرجال والنساء)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب المفيدة في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وقد استعمله النبي ﷺ في هذا الحديث، فرغّب النساء في الصدقة على وجه العموم فقال: "تصدقن يا معشر النساء ولو بحليكن"، وكذلك التصدق على الزوج حيث أفاد ﷺ أن التصدق

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٢٧ - ٥٢٨.

(٢) انظر: فقه المرأة، د. بسام العموش ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/٣.

على الزوج يضاعف الأجر حينما سئل عن ذلك فقال: نعم، ولها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة)، فلما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوّله بها[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التشاور بين الزوجين في الأمور التي تخصهما:

إن الشورى بين أفراد الأسرة الواحدة فيما يهمهم له بالغ الأثر في الحفاظ على تلك الأسرة، وتعميق معاني المودة والمحبة فيها، ويبدو من هذا الحديث أن أسرة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما كانت تعنى بأمر الشورى، فزوجته لم تذهب مباشرة للرسول ﷺ لسؤاله، وإنما استشارت زوجها وعرضت الأمر عليه قائلة: "سل رسول الله ﷺ" أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ، وقد وصف الله جماعة المؤمنين على مختلف مستوياتهم - أمة، أسرة،... ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2]، فلا يقدمون على عمل إلا بعد الاستشارة وأخذ الرأي، وبهذا فإن الشورى من مبادئ الإسلام وصفات المؤمنين، التي يستحقون بها الفلاح في الدنيا والآخرة[3].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ في شؤونهم:

إن حرص الصحابة على استشارة النبي ﷺ يستنبط من حرص زينب امرأة عبد الله بن مسعود على سؤال النبي ﷺ في صرفها لصدقتها لزوجها ولأيتام في حجرها: (قالت: فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها)، وهذا من الأدب والتقدير الذي يحمل كل مسلم ومسلمة على الرجوع إلى رسول الله

---

(١) انظر: وسائل الدعوة، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٣) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٢٧/٢٥/٣.

ﷺ في حياته، وإلى سنته بعد مماته واقتفاء أثره، واتباع هديه، والسير على طريقته والحرص على الاقتداء به، وتحكيم شرعه[١]، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

سابعًا- من صفات المدعو: إجلال النبي ﷺ:

إن من صفات المدعو التي يجب أن يتحلى بها إجلال وتقدير واحترام رسول الله ﷺ، ومما يؤكد هذا المعنى قول زينب رضي الله عنها لرسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة) وذلك من بالغ حب وإجلال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ.

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى أن احترام رسول الله ﷺ من أسباب الفلاح تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، فقوله: "عزروه" أي: وقروه ونصروه[٥]، فالذين آمنوا به وحموه ونصروه مع الإجلال والإكبار، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك الذين درجات الكمال، المتميزون على غيرهم، وهم المفلحون حقًا[٦]، الذين بمطلوبهم.

وقد رهّب القرآن الكريم من عدم الإجلال والاحترام لرسول الله ﷺ، بأن ينادى باسمه مجردًا أو ما شاكل ذلك، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[٧]، وبيّن أن الاستخفاف

---

(١) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبد الله بن محمد المعتاز ١/١٨ - ١٩.
(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.
(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.
(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مج/١/٩/٣١.
(٦) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج/١/٩/٣١.
(٧) سورة النور، آية: ٦٣.

والتعامل معه بجفاء، سبب لإحباط الأعمال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١).

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

تجلى هذا الأسلوب في هذا الحديث من خلال ما دار بين عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وامرأته: (فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت له: إنك رجل خفيف ذات اليد، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته، فأسأله فإن كان يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم، فقال عبد الله: بل ائتيه أنت)، وكذلك فيما دار بين بلال وزينب امرأة عبد الله بن مسعود والمرأة الأخرى: (فخرج علينا بلال فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك: أتجزي الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما؟) فالحوار أحد الطرق المهمة للتوصل إلى الحق، أو البحث عن الصواب، وفي الدعوة قد يتطلب الموضوع، أو البحث، أو العرض، إلى الحوار والمشاركة مع المدعو لغاية التوصل إلى الحق، والاهتداء إلى الرشد، والنفع للفرد والجماعة(٢).

والإسلام في دعوته ركّز على الحوار والإقناع، ولم يعتمد في دعوته على الإكراه بأي نوع ما، وإنما الإقناع المطلق، وترك مساحات لعقل الإنسان للمفاضلة بين الحق والباطل، ثم بعد بيان الحقائق يترك له حرية الاختيار، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ (٣)، وحسبنا أن كل ما يتعلق بالتكاليف والتشريع تفصيلاً، قد ذكر له وجه أو وجوه عدة تدفع إلى الإقناع في الالتزام به.

وإذا نظرنا إلى الإيمان بالله ربًا، وجدنا قول الحق سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ

---

(١) "الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٨٩.

بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

وكم وردت آيات في القرآن الكريم للإقناع بالألوهية والربوبية، وعندما أبطل الإسلام ألوهية غير الله اعتمد على الإقناع لا الإكراه، فقد سأل عن الآلهة المزعومة، وعن صفاتها وخصائصها وقدرتها على الخلق، واتصالها بعابديها، وبين مصيرها المحتوم، وقدرها المشؤوم، في آيات تبلغ حدًا في الكثرة في القرآن، وعندما أبطل البنوة اعتمد على العقل، ونفى وجود الزوجة، وبيّن أن الابن المزعوم لم يخالف البشر في الخلق الأول في طلاقة القدرة ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]، ولم يخالف الخلق الثاني في سنن الحياة ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[3][4].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن صلة الرحم من مكارم الأخلاق التي دعانا الإسلام إليها فأمرنا الله بصلتها، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[5]، وحذرنا من قطيعتها، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾[6]، وقال: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٥.

(٤) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي إبراهيم عوض ص ١٣٤.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٦) سورة النساء، آية: ١.

(٧) سورة محمد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

ومن صور صلة الأرحام: التصدق على الفقراء من ذوي القربى ومضاعفة الأجر على ذلك، كما هو ظاهر في الحديث الذي معنا، من إجابة الرسول ﷺ في حكم الصدقة على الأزواج وذوي القربى، قال: نعم ولها أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة، قال ابن حجر: (وفيه الحث على صلة الرحم)[1].

عاشرًا- من مهام الداعية: التعرف على المدعوين:

وردت الإشارة في الحديث إلى هذا المعنى في سؤال النبي ﷺ لبلال: (فدخل -أي بلال- فسأله -أي رسول الله ﷺ- من هما؟ قال: زينب، قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله) ومعرفة الداعي للمدعوين فضلاً عن أنه لون من ألوان تأليف القلوب، فإنه يعطي الداعية الفرصة السانحة لاختيار أسلوب الدعوة المناسب لحال المدعوين، إضافة إلى ما في ذلك من تأليف القلوب وتقوية روابط الأخوة والوئام بين الداعية ومدعويه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[2]، "أي: لتعارفوا وتعاونوا ولا تتفرقوا"[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٨٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري ٤/٢٩٥.

الحديث رقم (٣٢٧)

٣٢٧- وعن أَبي سفيان صخر بنِ حرب رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ: أنَّ هرقْلَ قَالَ لأبي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأمُرُكُمْ بِهِ؟ يَعْنِي النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: قُلْتُ: يقول: **((اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، واتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأمُرُنَا بِالصَّلاةِ[1]، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، والصِّلَةِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سفيان: صخر بن حرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٦).

غريب الألفاظ:

العفاف: الكَفُّ عمَّا لا يحِلُّ ولا يجمل من قول أو فعل[3].

الصلة: صلة الأرحام وكل ما أمر الله به أن يُوصل[4].

الشرح الأدبي

الحديث رواه أبو سفيان رضي الله عنه قبل أن يسلم، وحديثه كما هو ثابت مع هرقل، وقد شهد للرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء في الحديث، واستفهام هرقل (فماذا كان يأمركم ؟) على حقيقته يدفعه شوق جارف إلى معرفة ما يدعو إليه، لأن ظهور نبي أمر يشغل العقل بمضمون ما جاء به لاسيما وأنهم أهل كتاب، يتوقعون ظهور نبي آخر الزمان، وقول أبي سفيان رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم (اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً) أسلوب أمر أكده بلفظ (وحده) نفياً للشرك، صعَّده بأسلوب النهي (لا تشركوا به) وتنكير كلمة (شيئاً) للتعميم، وقوله (وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُم) كناية عن قولهم الشرك وإتيانهم الفواحش.

---

(١) عند البخاري زيادة: (والزكاة).

(٢) أخرجه البخاري (٧) واللفظ له، ومسلم (١٧٧٣/٧٤)، وقد تقدم برقم (٥٦).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤٣.

وقوله (ويَأْمُرُنَا بالصَلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ) جملة هذه الأوامر المحكية بأسلوب الخبر تشمل أمور المعاد، والمعاش، وتنظم علاقة المؤمن بربه، وعلاقته بالناس، وفي الحديث ملمح جميل، وهو صدق أبي سفيان، وهو على شركه، ويتحدث عن عدوه الذي يريد أن يستعدي الملك عليه، ومع ذلك لم يكذب، وهذا خلق العرب ذوي الشهامة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب).

ثالثًا: من مهام الداعي: بيان أصول الدين.

رابعًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام.

سادسًا: من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تبارك وتعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والأمر:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي ﷺ وعما جاء به قال: فماذا يأمركم به؟، فأجاب عليه أبو سفيان بقوله: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، والأمر في قوله: (اعبدوا الله وحده) والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة، فالسؤال ينم عن حب للمعرفة وشغف بها مما يجعل لإجابة الداعي قبولاً واقتناعًا من السائل.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: غير المسلمين (أهل الكتاب):

إن من أصناف المدعوين الذين اشتمل هذا الحديث على ذكرهم أهل الكتاب وذلك من خلال ما دار بين هرقل عظيم الروم الذين يدينون بالنصرانية وبين أبي سفيان قبل إسلامه، وكان النبي ﷺ قد بعث كتابه لهرقل يدعوه بدعاية الإسلام. ومعرفة أصناف المدعوين يساعد على اختيار الأسلوب الأمثل في التعامل الدعوي معهم[1]، فأهل

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٦٠.

الكتاب أوصانا الله بمجادلتهم بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾[1]، فالجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة، وبطلان ما سواها، وإزالة ما يعلق في الأذهان من الشبهات التي تحول دون قبولها[2].

ولقد وردت في القرآن آيات جمة، وجه الخطاب فيها لأهل الكتاب لإعمال عقولهم وتوجيهها إلى الحق والصواب، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم، يدعوهم إلى إفراد الله بالعبودية، ولا يتوجه بها إلى وثن أو صليب أو صنم أو طاغوت أو نار وأي شيء، بل نفرد العبادة لله وحده وتلك هي دعوة جميع الرسل)[4]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[5].

ثالثًا- من مهام الداعي: بيان أصول الدين:

يظهر ذلك في نقل أبي سفيان لهرقل ما يدعو إليه الرسول ﷺ، يقول: (اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)، وهي في جملتها من الأصول التي قام عليها دين الإسلام في العقيدة حيث يقوم على التوحيد (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا) الذي هو دعوة جميع الانبياء والمرسلين: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[6]، وفي

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩٨/١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٦) سورة النحل، آية: ٣٦.

الشريعة ذكر أهمها وهو الصلاة، فقال: (ويأمرنا بالصلاة)، وفي مجال الأخلاق فهو يدعو إلى مكارمها، وذكر منها: (والصدق والعفاف والصلة)، وذلك هو المنهج القويم الذي يتم تأصيله والتأكيد عليه وترسيخه في القلوب، فإذا تمّ الإيمان به، كانت الدعوة إلى التفصيلات، وما يتفرع من هذه الأصول، من أحكام وخصائص، ومقاصد ومحاسن وآداب)[١].

رابعًا- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

في هذا الحديث نجد أن أبا سفيان ينقل لهرقل منهج الرسول ﷺ بنفس الأولويات التي يتبعها، بالبدء بالدعوة إلى التوحيد، ثم الشرائع وما يتبعها من آداب وأخلاق، فبدأ بقوله: يقول: "اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم" ثم ذكر: "ويأمرنا بالصلاة"، ثم ذكر بعد ذلك نتاج وآثار تلك العبادة فقال: "والصدق والعفاف والصلة"، فالداعية لا ينجح في دعوته ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها، فعلى الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم[٢].

وليكن للداعية في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فقد أمضى ثلاث عشرة سنة من عمر الدعوة في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي[٣]، وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه. وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ))[٤].

---

(١) انظر: مبادئ علم أصول الدعوة "دراسة تأصيلية"، د. محمد يسري ص ٢١.

(٢) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان ص ٤٧ - ٤٨.

(٣) الدعوة، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مكارم الأخلاق وصلة الأرحام:

إن من أهم ما دعا إليه الإسلام بعد تصحيح العقيدة والعبادة، الدعوة إلى مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، وقد أشير إلى هذا المعنى في قوله: (ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة)، أي: بالصدق في الأقوال والأفعال، إضافة إلى الصدق في القصد والنوايا، وبالعفاف عن المحارم وعما في أيدي الناس، والصلة للأرحام وما ينبغي أن يوصل، وإن مما له أكبر الأثر في نجاح الدعوة إلى الله التخلق بمكارم الأخلاق، حيث كان له الأثر العظيم بعد الله تعالى في نجاح جهود رسول الله ﷺ في الدعوة، لأنه أقام من صفاته وكريم أخلاقه براهين عدة على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق، وكان أعداؤه كلما زين لهم مطعن فيه، وجدوا من ماضيه وحاضره، وطباعه وخصاله، ما ينفي طعنهم ويرد كيدهم[1].

سادسًا- من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تبارك وتعالى:

من الغايات الرئيسة التي خلق لأجلها الإنسان عبادة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، وتلك هي الغاية التي صدع بها رسول الله ﷺ وعلم بذلك القاصي والداني وتناقلوا ذلك عنه، ومن ذلك ما جاء في قول أبي سفيان لهرقل: يقول: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم) وهي كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه في الجاهلية[3]، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، والدعوة إلى عبادة الله هي غاية مقصد جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[4]، والمعنى: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحي إليه أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح له العبادة سواي (فاعبدون) أي فأخلصوا لي العبادة وأفردوا لي الألوهية[5].

---

(١) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ٣٨٤.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر ٤٨/١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٢٤٩/١٦.

الحديث رقم (٣٢٨)

٣٢٨- وعن أبي ذرّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ))[١]. ((وفي رواية: ((سَتَفْتَحونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيراطُ)) [٢]، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا)) [٣]. وفي رواية: ((فإذا افتتحتموها، فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا))، أَوْ قَالَ: ((ذِمَّةً وصِهْرًا)) [٤] رواه مسلم[٥].

قال العلماء: الرَّحِمُ التي لهم كون هاجَرَ أمِّ إسماعيل ﷺ مِنْهم "والصِّهْرُ" كون مَارِيَةَ أمِّ إبْراهيمَ ابْنِ رسول الله ﷺ مِنْهم.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

القيراط: قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به[٦].

ذمة: الذمة: العهد والأمان والضمان والحرمة[٧].

رحمًا وصهرًا: قال العلماء: الرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم. والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم[٨].

---

(١) مسلم (٢٤٥٣/٢٢٦).

(٢) مسلم (٢٥٤٣/٢٢٧).

(٣) مسلم (٢٥٤٣/٢٢٦).

(٤) مسلم (٢٥٤٣/٢٢٧) وزاد: (فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها).

(٥) هذا السياق وتجزئة الحديث، للحميدي في جمعه (٢٧٦/١، رقم ٣٨٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ط).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

(٨) رياض الصالحين ١٧٤.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعلام نبوة الرسول ﷺ؛ لأنه أخبر عن فتح مصر، وقد فتحت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وقد بدأ كلامه ﷺ بأسلوب التوكيد بـ(إن) مع اسمية الجملة ليمهِّد النفوس لاستقبال الخبر الغريب، وقد دخل بهم بوابة المستقبل عن طريق السين التي تشير إلى المستقبل إذا دخلت على الفعل المضارع (ستفتحون) ،والسين للمستقبل القريب بخلاف (سوف) التي تشير إلى مستقبل أبعد، فقد كان الفتح بعد موته ﷺ بإحدى عشرة سنة تقريباً، وتنكير كلمة (أرضاً) ثم وصفها بالجملة الفعلية (يذكر فيها القيراط)تشويق يربط المخاطب بالمتكلم ويضمن بلوغ المعنى إلى قلبه وقوله: (يذكر فيها القيراط) كناية عن كونها أرض خصب وخير، وبركة، لأن القيراط مقدار من الوزن أو المساحة، ونصه على مصر في الرواية الأخرى تمييز لها، وتحديد لأن القيراط قد يذكر في أماكن أخرى وقوله: (فاستوصوا بأهلها خيراً) أمر توجيه، وإرشاد وإسناد الفعل إلى واو الجماعة حتى يتواصى الجميع من جيل إلى جيل، وقوله (فإن لهم ذمة ورحماً) الرحم تتمثل في كون (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام من مصر، والصهر في كون (مارية) أم إبراهيم بن الرسول ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر.

ثانيًا: من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار ببعض الفتوحات الإسلامية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوصية بحفظ الذمة وصلة الرحم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ بأهل مصر.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ إنكم ستفتحون أرضًا، والأمر في قوله ﷺ "فاستوصوا بأهلها" وفي الرواية الأخرى "فأحسنوا إلى أهلها" والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، خاصة إذا كان المدعوون يأخذونه مأخذ الجد والتنفيذ تصديقًا منهم وإيمانًا بالداعي، زيادة على ذلك تأكيده لكلامه، كما في قوله ﷺ "إنكم ستفتحون أرضًا".

لذا ينبغي على الداعي استصحاب أسلوب التأكيد، بذكر ما يثبت صدق كلامه وصحته، مما يجعل المدعوين أكبر قبولاً لدعوته وأكثر اقتناعًا بها، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في تقرير كثير من القضايا والأحكام، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[2].

ثانيًا- من دلائل نبوته ﷺ: الإخبار ببعض الفتوحات الإسلامية:

لقد ورد في هذا الحديث إخبار النبي ﷺ ببعض الفتوحات الإسلامية، وهذا من دلائل نبوته، ومنها ما جاء في هذا الحديث من إخباره ﷺ بفتح مصر بعده على يد صحابته رضوان الله عليهم، قال ابن علان: وهو من الإخبار بالمغيبات، فهو من جملة الإعجاز، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ[3]؛ وذلك من دلائل نبوته ﷺ، فكما هو معلوم أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، إلا أنه قد جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾[4][5].

قال القاضي عياض: (وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر)[6].

---

(١) سورة النحل، آية: ٥١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٣٠.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٥٤٢/١.

(٦) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٢٩.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوصية بحفظ الذمة وصلة الرحم:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث، وصية النبي ﷺ بحفظ الذمة وصلة الرحم، فقد نوّه النبي ﷺ في هذا الحديث إلى حفظ الذمة وصلة الرحم، والمقصود بالذمة: الحرمة والحق وهي هنا بمعنى الذمام[1]، وصلة الرحم حتى ولو كانت بعيدة فأوصى النبي ﷺ بها "فإن لهم ذمة ورحمًا" وذلك أن هاجر أم إسماعيل سرية إبراهيم الخليل عليه السلام كانت من مصر - ولهذا قال "إن لهم ذمة ورحمًا" لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة كلها، فدل ذلك على أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة، ما دمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك فلهم الصلة ولو كانوا بُعَداء، يستوي في ذلك صلة القرابة من جهة الأم والأب[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ بأهل مصر:

إن من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام وحث عليها، صلة الأرحام والإحسان إلى الأصهار، وإن كانت بعيدة، ومن ذلك وصيته ﷺ في هذا الحديث بأهل مصر "فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحما" وفي رواية "ذمة وصهرًا" والرحم التي لمصر كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام من مصر، والصهر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مصر، وذلك أن المقوقس صاحب مصر لما كاتبه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام لم يسلم، وأرسل بهدية إلى النبي ﷺ منها مارية وسيرين فحملت مارية من رسول الله ﷺ بإبراهيم، وأعطى رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الأنصاري[3]، لهذه الرحم والصهر، ولما علم رسول ﷺ من الخير في مصر وأهلها استوصى بهم خيرًا.

لذا فينبغي على المسلم مراعاة صلة الرحم وإن بعدت، وأن يلتمس الأسباب لمعرفتها

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ص ١٥٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/٧٠٠.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٨، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/١٤٥، ١٤٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣١.

وإيصال الخير إليها، ومما ذكره الطبري في تفسيره: ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا أنسابكم ثم صلوا أرحامكم، والله ليكون بين الرجل وبين أخيه شيء، ولو يعلم بينه وبينه من داخلة الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه)، أي: كفه ومنعه"[1].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١٤٤.

الحديث رقم (٣٢٩)

٣٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤] دَعَا رَسُول الله ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ: **((يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ[1]، يا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أنقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ، أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يَا بني عبد المطلب، انقذوا أنفسكم من النار، يَا فَاطِمَةُ، أنْقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإنِّي لا أمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيئًا، غَيْرَ أنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأبُلُّهَا بِبِلالِهَا))** رواه مسلم[2].

قوله ﷺ: "بِبِلالِهَا" هو بفتح الباء الثانية وكسرها و"البِلالُ": الماءُ. ومعنى الحديث: "سَأَصِلُها، شَبَّه قَطِيعَتَها بالحرارة تُطْفأ بالماء وهذه تُبَرَّدُ بالصِّلة.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدل على حرص الرسول ﷺ على أمته ورحمته بهم يبدأ في أسلوب خبري يقرر المعاني دون مؤكدات؛ لأنه يخاطب خالي الذهن عن الخبر، وقول الراوي (فعم، وخص) طباق يؤكد شمول الجميع بالنداء، وتتابع الفاءات في الربط بين الجمل في قوله (فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ) دليل على تسارع الأحداث، وأنه دعاهم بعد نزول الآية دون انتظار، وقول الرسول ﷺ (يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ) استخدام (يا) لأنها تعطي مساحة لمد الصوت لبلوغ أكبر عدد من الناس، وهو نداء تنبيه، وتحذير وقوله (أنقذوا) أمر ترهيب وتحذير لأن دلالة الفعل تدل على وجود خطر،

---

(١) عند مسلم قوله: (يا بني عبد شمس) بعد قوله: (يا بني كعب بن مرة).

(٢) برقم (٢٠٤/٣٤٨). برقم (٢٠٤/٣٤٨) من حديث موسى بن طلحة. وأخرجه البخاري ٤٧٧١) بنحوه، أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٤٨) وقال: رواه مسلم واللفظ له، والبخاري والترمذي والنسائي بنحوه.

وإضافته لواو الجماعة تعميم للنداء، وقوله: (أنفسكم) وإضافته لكاف الخطاب، وميم الجمع تصعيد للترهيب لأنه جعلهم المعنيين بالترهيب، وقوله: (من النار) لفظ النار من الألفاظ الموحية بطبيعتها بمعاني الألم والإحراق والعذاب، وقوله (يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ) وما بعدها من ذكر الخاص بعد العام عناية به، وتكرار جملة النداء، والأمر الترهيبي يشير إلى خطر البقاء على الكفر لمن لم يسلم منهم وخطر المعصية لمن يتعرض لها، وخطر التقصير لمن أراد أن يرافق أحبابه في الجنة وقوله: (يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنْ النَّارِ) نداء شفقة ورحمة وحنان، وقوله: (فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا) تعليل للأمر يزيد من الترهيب لأن المتحدث الرسول ﷺ والمخاطب ابنته وهو لا يملك لها شيئا وتنكير كلمة (شيئاً) للتعميم وقوله (غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا) مِنْ بَلَّ الرَّحِمَ إِذَا وَصَلَ أَيْ سَأَصِلُهَا فِي الدُّنْيَا، وَلا أَغْنَى مِنْ اللَّه شَيْئًا أَوْ بِالشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَة أَيْ إِنْ آمَنْتُمْ لَكِنْ الْوَصْل الْمَشْهُور هُوَ وَصْل الدُّنْيَا لا وَصْل الآخِرَة وَاسْتُعِيرَ الْبَلُّ لِوَصْلِ الرَّحِمِ لأَنَّ بَعْضَ الأَشْيَاء تَتَّصِل بِالنَّدَاوَةِ وَتَتَفَرَّقُ بِالْيُبْسِ فَاسْتُعِيرَ الْبَلُّ لِلْوَصْلِ وَالْيُبْسُ الْقَطِيعَةُ والحديث تحذير ضمني شديد للأمة، لأنه خاطب أهل بيته، وأحب الناس إليه، وهم أهل الاجتهاد والطاعة بهذا التحذير فغيرهم أولى بالحذر لضعف الأعمال، وكثرة الذنوب.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التعميم والتخصيص، والنداء، والإنذار، والتوكيد.

ثانيًا: من مهام الداعي: تبيين الحقائق وإرشاد المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاهتمام بالعمل وعدم الاتكال على القرابة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: العناية بصلة الأرحام.

خامسًا: من أهداف الدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

أولاً- من أساليب الدعوة: التعميم والتخصيص، والنداء، والإنذار، والتوكيد:

١- التعميم والتخصيص، والنداء: وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا "فعم" أي دعاهم بما يعمهم "وخص" أي خصص بعضًا منهم

بالنداء والتصريح باسم قبيله كقوله يا بني كعب، والنداء باسم شخص كقوله ﷺ "يا فاطمة"[١] واجتماع هذه الأساليب الثلاثة فيها ما يلفت ذهن المدعو إذا رأى تخصيصًا له من الداعي وتوجيه الخطاب إليه مباشرة، وهذا ما يسمى في عرف أهل البيان بذكر الخاص بعد العام، وهذا شائع في القرآن والسنة، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[٢] وقوله: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾[٣].

٢- الإنذار: وذلك في قوله ﷺ "يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار...،" فالإنذار من الأساليب الدعوية المفيدة، وهو لا يعني الوعيد والتخويف فحسب، وإنما هو مظهر من مظاهر رحمة الله تبارك وتعالى، فالإنذار هو تحذير المخاطب وأمره بالاستعداد وأن يكون على علم وحذر[٤].

٣- التوكيد: وذلك إضافة لما استعمله النبي ﷺ فقد استعمل أسلوب التوكيد لحقيقة ما يقول، فقال "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" وذلك مما يجعل المدعو يقبل على ما يُدعى إليه غير معرض ولا متشكك.

ثانيًا- من مهام الداعي: تبيين الحقائق وإرشاد المدعوين:

يستنبط ذلك من بيان رسول الله ﷺ الأمر، وخطورة الكفر، وعدم الإيمان بالله تعالى لقومه، وأنه لا يملك لهم من الله شيئًا فقال: "يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار... فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" فلا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم[٥].

وتبيين الحقائق وإرشاد المدعوين مماكلف الله به نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣١، ٥٣٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة القدر، آية: ٤.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٢٤١، ٢٤٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٤.

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[1] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[2].

فالتبيين يقطع حجة المعاندين الذين يحتجون بغموض ما يدعون إليه، وهو من الوسائل الناجعة لإنجاح الدعوة والوصول بها إلى تحقيق هدفها المنشود[3].

قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاهتمام بالعمل وعدم الاتكال على القرابة:

وقد أوضح النبي ﷺ هذا الأمر لجميع قريش، وخص بذلك أهله وذويه قائلاً: "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا" فلا تتكلوا على القرابة، فإن الإنسان إذا تجرد من العمل وإخلاص العقيدة، لا تشفع له قرابة ولو كانت تمُت لأنبياء الله، وقد ساق القرآن لنا نماذج تبين ذلك المعنى، مثلما وقع من ابن نوح عليه السلام لما أعرض عن منهج ربه، هلك مع من هلك، ولم تنفعه شفاعة أبيه ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[5] فلم تنفعه قرابة، وعلل الله ذلك بقوله "إنه عمل غير صالح" تنبيهًا على أن أهله هم الصلحاء، أهل دينه وشريعته، وأنه لتماديه في الفساد والغي، كأن نفسه عمل غير صالح، وتلويحًا بأن سبب النجاة ليس إلا الصلاح، فمن لا صلاح له لا نجاة له[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ٥٢، ٥٣.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٣/٩٠٠.

(٤) سورة النساء، ١٦٥.

(٥) سورة هود، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٦) محاسن التأويل، القاسمي ٦/١٣٢/٩، ١٣٣.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاهتمام بصلة الأرحام:

إن مما ورد في هذا الحديث تأكيد النبي ﷺ على أهمية العناية بصلة الأرحام قائلاً: "فإني لا أملك لكم من الله شيئًا غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها" والبلال جمع بَلَل، وقيل هو كل ما بلَّ الحلق من ماء أو لبن أو غيره، والعرب تطلق النداوة والبلل على الصلة، كما يطلقون اليُبس على القطيعة[1] ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة[2] فلا يمنعه كفرهم من صلة رحمهم، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصل أمي قال نعم صلي أمك[3].

وقد قال الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[4].

خامسًا- من أهداف الدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور بعبادة الله تعالى:

إن أهم المقاصد والأهداف للدعوة: إخراج الناس من الظلمات إلى النور بعبادة الله وحده، وكما جاء في الحديث "يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم" إخراج لهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الوحدانية والعلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[5]. فيهديهم طرق السلامة والنجاة من عذاب الله، ويخرجهم من ظلمات

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٢٠.

(٤) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٥) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

الكفر والشُّبَه إلى نور الإيمان والدلائل القطعية، ومن ظلمات الكفر والبدعة والمعصية والجهل والغفلة إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذكر[1]، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ذلك الدين السويّ في الاعتقادات والأعمال، العريّ عن الإفراط والتفريط[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ١٣٧/٦/٤.

الحديث رقم (٣٣٠)

٣٣٠- وعن أَبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رَسُول الله ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: ((إنَّ آل بَني[١] (فُلاَن)[٢] لَيْسُوا بأولِيَائِي، إنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أبُلُّهَا بِبلاَلِهَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ، واللفظ للبخاري[٣].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، كنيته: أبو عبدالله، وأبو محمد.

أسلم قبل فتح مكة في صفر سنة ثمان من الهجرة، وكان أحد دهاة العرب وعقلائهم. يُضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم. كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، فلما أسلم فرح النبي ﷺ به. وشهد لصدقه في إسلامه وشدة إيمانه، قال: ((أسلم الناسُ وآمن عمرو بن العاص))[٤] كما قال ﷺ: ((ابنا العاص مؤمنان: عمرو وهشام))[٥]. ولما قال له النبي ﷺ: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وأزعب لك من المال زعبة صالحة[٦]. قال له: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا عمرو نعمًا بالمال الصالح للرجل الصالح[٧].

ونظرًا لبصره بالأمور وكفاءته وشجاعته وحسن رأيه، كان النبي ﷺ يقرّبه ويُدنيه، وولاه غزوة ذات السلاسل، وكان في الجيش أبوبكر وعمر بن الخطاب وأبو

---

(١) لفظ البخاري، ومسلم: (أبي) بدل: (بني).

(٢) عند مسلم لفظ: "يعني فلانًا"، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٣/٤٢٣، رقم ٢٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٩٠) واللفظ له، ومسلم (٣٦٦/٢١٥).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٤٤) وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢٠).

(٥) أخرجه أحمد ٢/٣٠٤ رقم ٨٠٤٢، وقال محققوه: إسناده حسن ١٣/٤٠١.

(٦) أي أعطيك دفعةً من المال. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٩٧ "زعب".

(٧) أخرجه أحمد ٤/١٩٧ رقم ١٧٧٦٣، وقال الحافظ في الإصابة: سنده حسن ٢٩/٢٩٩.

عبيدة بن الجراح. واستعمله واليًا على عمان حتى توفي ﷺ ثم شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح الشام، وكان من أمراء الجند في زمن عمر بن الخطاب، فافتتح قنسرين، وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين ثم سيّره إلى مصر ففتحها وجعله واليًا عليها ثم عزله عثمان عنها.

فلما وقعت الفتنة لحق بمعاوية بن أبي سفيان، فقاتل معه وولاه على مصر سنة ٣٨هـ حتى توفي سنة ٤٣هـ وعمره نحو تسعين سنة. قال عند موته وقد جزع جزعًا شديدًا: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك، وكانت تلك هجّيراه حتى مات[١] اللهم لا برئ فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإلا تدركني برحمةٍ أكن من الهالكين[٢].

قال الذهبي: "والله يغفر له ويعفو عنه، لولا حبُّه للدنيا ودخوله في أمور، لصلح للخلافة"[٣]. وله في كتب الأحاديث ٣٩ حديثًا[٤].

غريب الألفاظ:

أبلُها: أصلها.

ببلالها: الماء، شبه الرحم المقطوعة بالحرارة التي تُطْفأ بالماء وهو وصلها[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٠٠ رقم ١٧٧٨١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩/٣٢٠.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/٢٦٠) وقال محققو السير: إسناده قوي.

(٣) السير (٣/٥٩).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤/٢٥٤)، (٧/٤٩٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤/٢٣٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٨) والسير (٣/٥٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥/٤٢٦) والتهذيب (٣/٢٨١) والأعلام، خير الدين الزركلي (٥/٢٧٩)، وموسوعة عظماء حول الرسول (٢/١٤٢٧).

(٥) رياض الصالحين ١٧٤.

الشرح الأدبي

قول الصحابي ﷺ (سمعت رسول الله ﷺ) يفيد تأكيد الخبر من جهتين: الأولى من ناحية السماع المباشر عن الرسول ﷺ، والثانية من ناحية استخدامه الفعل الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع، وقوله: (جِهَاراً غَيْرَ سِرٍّ) جملة معترضة تفيد توكيد المعنى لعموم العلم به وقوله: (غير سر) توكيد لقوله: (جهاراً)، ونص كلام الرسول ﷺ بني على ثلاث جمل أساسية الأولى جملة النفي في قوله ﷺ (إنَّ آل بَني فُلاَن لَيْسُوا بِأولِيَائِي) وهو مؤكد بأكثر من مؤكد لبيان أهمية الخبر وخطره، وقوله: (بني فلان) كناية عن موصوف لم يرد ذكر أسمائهم ستراً عليهم، وهو من أدبه العالي ﷺ وقوله (لَيْسُوا بِأولِيَائِي) نفي للولاية عنهم أكده بالباء الداخلة على الخبر، الجملة الثانية: جملة القصر في قوله (إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ) وهي لقصر ولاية الرسول ﷺ على الله، وصالح المؤمنين، ونفيها عمن سواهم من المذكورين، وإضافة (صالح) للمؤمنين إضافة بيان وتشريف تعطي خصوصية لأولياء الرسول فليس مطلق الإيمان، ولكن إيمان مرتبط بصلاح، طائفة مصلحة صالحة، يصلح بصلاحها المجتمع كله، الثالثة جملة الاستدراك في قوله (وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبلاَلِهَا) وهو استدراك يقرر وصل النبي ﷺ لهؤلاء وفاءً بحق هذه الصلة، وقوله (أبلها ببلالها) في جناس يقرر المعنى ويجذب السمع.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الجهر، والإخبار والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأكيد على أخوة الدين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الولاء والبراء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: صلة الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الجهر، والإخبار والتوكيد:

١- **الجهر:** إن حكمة الداعية ورؤيته الصائبة تجعله يوازن في النظر للأمور، فقد يرى من المناسب في الدعوة أن يُسّر بأمر من الأمور ولا يعلن به، وقد يرى مناسبة

الجهر، وفي هذا الحديث يجهر النبي ﷺ بأن آل فلان ليسوا بأوليائه يقول: (إن آل فلان ليسوا بأوليائي، إنما ولى الله وصالح المؤمنين... الحديث)، وقد جهر النبي ﷺ بالدعوة بعد أن كانت سرية زهاء ثلاث سنوات، وذلك عندما قام على الصفا ودعا قومه إلى التوحيد والإيمان برسالته واليوم الآخر[١]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي "يا بني فهر يا بني عديّ" لبطون قريش... الحديث[٣].

٢- **الإخبار والتوكيد:** حيث أخبر النبي ﷺ في الحديث عمن هم أولياؤه، ومن ليسوا بأوليائه، وأكد كلامه هذا بقوله "إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي، إنما ولي الله وصالح المؤمنين".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التأكيد على أخوة الدين:

فأخوة الدين من الحقائق التي أقرها الإسلام، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث "إنما ولي الله وصالح المؤمنين، قال ابن حجر: (فائدة الحديث انقطاع الولاية في الدين بين المسلم والكافر، ولو كان قريبًا حميمًا، وقال ابن بطال: أوجب في هذا الحديث الولاية بالدين، ونفاها عن أهل رحمه، إن لم يكونوا من أهل دينه)[٤]، وقال النووي: (ومعناه: إنما وليي من كان صالحًا وإن بعد نسبي منه، وليس وليي من كان غير صالح وإن كان نسبه قريبًا)[٥].

وفي ذلك تأكيد عمليٌّ من رسول الله ﷺ لتقرير الأخوة في الدين، تحقيقًا لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٦] أي في الدين[٧] وقال القرطبي رحمه الله: (أي إخوة

---

(١) الرحيق المختوم ص في الرحمن المباركفوري ص ٧٩.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٥.

(٦) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن٢١/٣٦٣.

في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، لأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الولاء والبراء:

في هذا الحديث يبيّن النبي ﷺ من هم أولياؤه الذين لهم حق الولاء، ومن ليسوا بأوليائه فوجب البراء منهم "إن آل فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين" والمعنى الاصطلاحي للولاء، هو النصرة والمحبة، والإكرام والاحترام، والكون مع المحبوبين ظاهرًا وباطنًا" والبراء هو: البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار، وقال ابن تيمية: وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليه معاديًا له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[٢]،[٣] ولما عقد الله الأخوة والمحبة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين، كان من الأصول المتفق عليها أنَّ كل مؤمن موّحد، تارك لجميع المكفرات الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وحيث إن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: صلة الأرحام:

بيّن النبي ﷺ في هذا الحديث موالاته لله ولصالحي المؤمنين، وتبرؤه من غير المؤمنين، حتى ولو كانت تربطهم بهم صلة قرابة، إلا أنه أثبت لهم حق الصلة، فقال

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/ ٣٢٢/١٦، ٣٢٣.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص ٧.

(٤) من مفاهيم عقيدة السلف الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، ط١١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٣هـ ص ٨٩-٩١.

ولكن لهم رحم أبلُّها ببلالها "والبلال بمعنى البلل وهو النداوة، وأطلق ذلك على الصلة كما أطلق اليبس على القطيعة، لأن النداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه بخلاف اليبس فمن شأنه التفريق[١] وقال الطيبي: ("أبلها ببلالها" المعنى أبلها بما عرف واشتهر عند الله وعند الناس ما هو، فلا أترك من ذلك شيئًا)[٢].

ولقد أعطانا النبي ﷺ في هذا الحديث مثلاً تطبيقيًا في صلة الرحم، وإن كان هناك خلاف في المعتقد، فقال "ولكن لهم رحم أبلها ببلالها" وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٣] فلا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، وتقسطوا إليهم وتعدلوا فيهم بالإحسان والبر[٤]. وصلة الرحم لها بالغ الأثر في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية[٥]، ولا شك أن ذلك له أثر إيجابي على الدعوة، حيث يعمل على تأليف قلوب المخالفين، قال الله عز وجل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٦] بأن يسلم منهم الكثير ويصيروا لكم أولياء وإخوانًا[٧]. ويجعل بينكم محبة بعد البغْضة، ومودة بعد النَّفرة، وألفة بعد الفرقة[٨].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٨/٩.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) معالم التنزيل ٩٥/٨.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد، عبدالرحمن بن ملوح ٢٦٣٢/٧.

(٦) سورة الممتحنة، آية: ٧.

(٧) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٩٥/٨.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٨.

الحديث رقم (٣٣١)

٣٣١- وعن أَبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رَسُول الله، أخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ[1]. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((تَعْبُدُ الله، وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحمَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي.

شهد العقبة، وبدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد نزل عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة شهرًا حتى بُنيت مساكنه ﷺ ومسجده (وقد انتبه أبو أيوب في ليلة -بعد أن شرفه النبي ﷺ بنزول بيته- فقال: نمشي فوقَ رأس رسول الله ﷺ! فتنحى هو وأم أيوب فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ: لا أعلو سقيفةً أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العُلُوِّ وأبو أيوب في السُّفْل)[3].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير ﷺ.

وقال له النبي ﷺ ((نزع اللهُ عنك ما تكره))[4] وذلك عندما كان رسول الله ﷺ يطوفُ بين الصفا والمروة، فسقطت على لحيته ﷺ ريشةٌ، فابتدر إليه أبو أيوب فأخذها.

وقد نزل في أبي أيوب وامرأته قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[5]، وذلك بعد أن قالت له

---

(١) قوله: (ويباعدني من النار) لا يوجد عند البخاري، وهو من الجمع للحميدي (٤١٩/١، رقم ٦٧٧)، وعند البخاري بعده زيادة: (قال: ما له ما له).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٣/١٢). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٢٠٥٣.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي، ٣٢٢/٩.

(٥) سورة النور، آية: ١٢.

زوجته: يا أبا أيوب؛ أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟ فقال لها: نعم، وذلك كذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا، والله ما كنت لأفعلهُ. قال رضي الله عنه: فعائشة والله خير منك[1].

وقد قدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما، ففرّغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كم عليك من الدين؟ قال: عشرون ألفًا. قال: فأعطاه أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا، وقال: لك ما في البيت كله!!

وقد استخلفه عليٌّ رضي الله عنه على المدينة لما خرج إلى العراق، ثم لحق به بعد ذلك، وشهد معه قتال الخوارج، وكان شجاعًا صابرًا تقيًا محبًا للغزو والجهاد، عاش إلى أيام بني أمية، ولما غزا يزيد القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية رضي الله عنه، صحبه أبو أيوب غازيًا، فحضر الوقائع ومرض فأوصى أن يوغل به في أرض العدو، وقال لأصحابه: إن أنا متُ فاحملوني، فإذا صادفتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم، ومات ببلاد الروم غازيًا في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقبره في أصل القسطنطينية، وقال الواقدي: بلغني أن الروم يتعاهدون قبره، ويستسقون به وبلغت روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم ١٥٥ حديثًا.

وتوفي سنة ٥٢هـ، وصلى عليه يزيد بن معاوية[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة (١٠/١٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٤٨٤-٤٨٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١٩٦-١٩٧)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/١٢١-١٢٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٢١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٤٠٢-٤٠٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢/٣٤٤-٣٤٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٥١٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢/٢٩٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١/٦٧٧).

الشرح الأدبي

إن أمر الرسول ﷺ (تعبد، وتقيم وتؤتي وتصل) جاء في صورة الخبر وذلك ليوافق أسلوبه قول الأعرابي (أخبرني) فجاء أمره في صورة الخبر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رعاية لنفسية الأعرابي الذي يأنف أن يأمر، أو ينهى، وهو الذي يحيا في صحرائه بلا قيود، أو أوامر أو قوانين فأسلوب النبي بذلك راعي نفسية الأعرابي وشاكل كلامه، والعدول عن الأسلوب الإنشائي (أعبد) إلى الخبري في قوله "تعبد الله" لفائدتين: أحدهما: أن المأمور كأنه سارع إلى الامتثال، وهو يخبر عنه إظهارا للحرص بوقوعه ثانيهما: أن لا ينسب إلى عدم الامتثال لأمره إن قصر المأمور، أو لئلا يكون المأمور مسخوطاً عليه إن لم يمتثل' واتباعه النهي في قوله (لا تشرك) للأمر في قوله (تعبد) تأكيداً له لإخلاص العبودية لله من الشرك العالق في نفوس القوم من آثار الجاهلية

والحديث الشريف بجملته نموذج يقتدي به في التعليم، والتربية، ومخاطبة الناس بأساليبهم، ورعاية الجانب النفسي عندهم. مع الحرص على عموم المنفعة، وبلوغ الموعظة، ولذلك نرى أن النبي ﷺ في ترهيبه، وترغيبه كثيراً ما يدعم الأمر بالنهي، أو يسبقه بالنداء، وغيره من الأساليب القوية التي تعضد الأمر، وتحض على الامتثال له.

فقه الحديث

١- قال ابن حجر: (وخصّ هذه الخصلة لوهي قوله ﷺ: وتصل رحمك"ا من بين خلال الخير، نظرًا إلى حال السائل، كأنه كان لا يصل رحمه، فأمره به، لأنه المهم بالنسبة إليه، ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحضّ عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها، إما لمشقتها عليه، وإمّا لتسهيله في أمرها)[1].

٢- قال القرطبي: (إن النبي ﷺ دلّ السائل على فعل ما وجب عليه)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/١.

٣- قال ابن حجر: (قال القرطبي: في هذا الحديث -وكذا حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه في قصّة الأعرابي وغيرهما- دلالة على جواز ترك التطوعات، لكن من داوم على ترك السنن كان نقصًا في دينه، فإن كان تركها تهاونًا بها ورغبة عنها كان ذلك فسقًا. يعني لورود الوعيد عليه، حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((من رغب عن سنتي فليس منِّي))[1]، وقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج الفقهاء إلى التفرقة لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، ووجوب العقاب على الترك ونفيه. ولعل أصحاب هذه القصص كانوا حديثي عهد بالإسلام، فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال؛ لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب المندوبات، سهلت عليهم، انتهى)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عن الأعمال الموصلة للجنة.

ثالثًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات وحال السائل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والعبادة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والزكاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟" والسؤال هنا عن العمل الذي يوصل إلى الجنة، وهو سؤال عن غاية عظيمة يسعى المؤمن لأجلها، ولا شك أن أسلوب

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٥/٣، والكلام في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/١-١٦٧ بأطول من هذا، وإنما نقلناه بتصرف عن ابن حجر لكونه اختصره مع المحافظة على مضمونه.

السؤال يعمل على إرشاد المؤمن إلى ما ينفعه، ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، وقد أمر الله عباده بالسؤال عما يجهلون، وأن يسألوا المختصين من العلماء، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وعلم الله نبيه ﷺ أن يجيب على تساؤلات المدعوين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[2]، وعلى الداعية أن يفيد من هذا الأسلوب مع المدعوين.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عن الأعمال الموصلة للجنة:

إن غاية المسلم دخول الجنة، ولذا فهو يتطلع إليها دائمًا، ويسعى في كل طريق وسبيل يوصل إليها، ويتضح هذا من الحديث: "أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار"، هذا ومن واجبات المدعو أن يسأل عن السبل والطرق الموصلة لمرضاة الله عز وجل حتى يفوز بسعادة الدارين، قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

قال ابن عثيمين: (ولا شك أن كل إنسان يسعى إلى هذا الكسب العظيم أن ينجو من النار ويدخل الجنة، فإن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وكل مسلم يسعى إلى ذلك، وهذا يحصل بهذه الأمور الأربعة التي جاءت في الحديث: (تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)[4].

وفي مضمون السؤال الوارد في الحديث أنه سؤال عن الأعمال الموصلة إلى الجنة، والمباعدة عن النار، وهذا يبين ضرورة أن يتجنب المدعو السؤال عن الأمور التي لا تفيد، ويحرص أن يعلو بهمته في سؤاله، ويسأل عن الأمور المفيدة التي تعود عليه بالنفع والمصلحة في دنياه وآخرته.

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة الكهف، آية: ٨٣.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ٧٠٢/١.

قال ابن مفلح: (ويكره السؤال عن الغرائب، وعما لا ينتفع به ولا يعمل به، وما لم يكن، فعن طاووس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا تسألوا عما لم يكن فإني سمعت عمر رضي الله عنه ينهى أن يسأل عما لم يكن، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت قومًا خيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ ما سألوا إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن، وما كانوا يسألون إلا عما ينفعهم. وعن جابر رضي الله عنه قال: ما أنزل البلاء إلا كثرة السؤال، ويكره عند أحمد السؤال عما لا ينفع السائل، ويترك ما ينفعه ويحتاجه، وأن العامي يسأل عما ابتلي به، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[1]، واحتج به الشافعي على كراهة السؤال عن الشيء قبل وقوعه)[2].

ثالثًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات وحال السائل:

إن الأعمال المطلوبة من المسلم ليست كلها على درجة واحدة في الإلزام، ولذا فمن فقه الداعية مراعاة الأولويات وحال السائل، وهذا يظهر من قول النبي ﷺ: "وتصل الرحم" وذلك بعد أن ذكر التوحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وهذا من حصافة الداعية، قال ابن علان: (وخص الرحم بالذكر لقربها من السائل، أو نظرًا لحاله، كأنه كان قاطعًا لها، فأمر بصلتها لأنها المهم بالنسبة إليه، وعطف الصلاة وما بعدها على العبادة من عطف الخاص على العام)[3]، ومراعاة الأولويات من أهم صفات الداعية: "إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها، وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها، فالداعية يبدأ بالأهم ثم المهم، فيبدأ بالعقيدة قبل العبادة، وبالكليات قبل الجزئيات"[4]، والداعية الذي يفعل

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٧٢ - ٧٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣٤.

(٤) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٤٧ - ٤٨.

هذا يضمن لدعوته النجاح، "لقد سئل النبي ﷺ عن النصيحة والوصية من بعض أصحابه فاختلفت إجاباته، وما ذلك الاختلاف في الجواب إلا مراعاة منه ﷺ للأحوال الخاصة بالمدعوين، واكتشاف حاجة كل واحد منهم والجانب القاصر عنده، والأمر اللائق به فأوصى كل واحد بما يناسبه"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والعبادة:

إن من أعظم نعم الله على العبد نعمة التوحيد والهداية إليه، ولأجل التوحيد أرسل الله رسله وأنزل كتبه، وقد جعله الرسول ﷺ في مقدمة الأمور التي ينبغي على العبد أن يقوم بها، ويظهر هذا في قوله ﷺ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئًا) ومما لا شك فيه فضل التوحيد والعبادة، فهي أول المطلوبات من المسلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[٣]، واشترط لنيل الثواب والدرجات إخلاص العبادة لله، قال جلّ شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٤]، وأخبر أن فطرة التوحيد هي التي خلق عليها الناس، قال تعالى: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾[٥].

"ولا إله إلا الله"، هي كلمة التوحيد التي اتفقت عليها كلمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بل هي خلاصة دعواتهم وزبدة رسالاتهم، وما من رسول منهم إلا جعلها مفتتح أمره، وقطب رحاه، ودلالة هذه الكلمة على التوحيد باعتبار اشتمالها على النفي والإثبات المقتضي للحصر، وهو أبلغ من الإثبات المجرد؛ كقولنا: "الله

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٣٥.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة الروم، آية: ٣٠.

واحد"، مثلاً فهي تدل بصدرها على نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، وتدل بعجزها على إثبات الإلهية له وحده، وأما العبادة فهي الحكمة التي خلق الله الخلق لأجلها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فكمال المخلوق في تحقيق تلك الغاية، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والزكاة:

إن الصلاة والزكاة من أركان الإسلام، ولأهميتها كثيرًا ما قرن القرآن بينهما، وفي الحديث قرن النبي ﷺ بينهما جريًا على عادة القرآن الكريم، ويظهر ذلك في قول النبي ﷺ: (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة)، وقد دلت نصوص الشرع على أهمية إقامة الصلاة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٣].

وأمر الله بالمحافظة عليها فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٤]، وجعل من صفات المؤمنين ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٥].

ومن صفات عباد الرحمن ما وصفهم به سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[٦].

وحذر من التكاسل عن أدائها فقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٧].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٤.

(٧) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

وأمر بإقامتها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[١]، وقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾[٢].

والصلاة هي النور الذي يربط المسلم بالله، والنور الذي يمشي به في الناس، فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((... والصَّلاَةُ نُورٌ...))[٣].

وأما الزكاة فقد كثر في القرآن اقترانها بالصلاة، ولقد أمر الله بإخراجها، فقال سبحانه: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[٤].

وحدد مصارفها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٥].

ووعد بالأجر العظيم لمن يؤديها فقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٦].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلة الرحم:

إن المسلم رقيق القلب، لين الطبع، شفيق على ذوي رحمه وأقاربه، وأولى الناس برحمته ورقته وشفقته هم ذوو رحمه، فينبغي أن يحرص المسلم على صلة الرحم، وقد جاء في الحديث: "وتصل الرحم"، وقد وصف الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[٧]، وحذر الله من

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٥) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٧) سورة الرعد، آية: ٢١.

قطيعتها، فقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[١].

وفي فضل صلة الرحم جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقهِ أو يُنْسَأَ لهُ في أثَرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[٢]، قال ابن عثيمين: (وصلة الرحم أن تؤتيهم حقهم بالصلة حسب ما يتعارف الناس، فما عدَّه الناس صلة فهو صلة، وما لم يعدوه صلة فليس بصلة، إلا إذا كان الإنسان في مجتمع لا يبالون بالقربات، ولا يهتمون بها، فالعبرة بالصلة نفسها المعتبرة شرعًا)[٣].

ولأهمية صلة الرحم أرشد الله سبحانه وتعالى إلى أهمية مقابلة الإساءة بالحسنى لتستمر صلة الأرحام بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٤]، قال ابن حجر الهيتمي: (وهذه الآية اشتملت على أنفع الأدوية لإزالة العداوة بل وتليها صداقة، وهي الدفع بالتي هي أحسن، وجماعه أن توصل إليه ما قدرت عليه من خير وتودد وتتحمل ما يصدر عنه في حقك، فإذا فعلت ذلك لم يبق لك عدو من أهل ولا من غيرهم. وبعد أن علمت هذا الدواء الذي لا أنفع منه، فلا عذر لك في مقاطعة قريب أو بعيد، وما أحسن ما قيل:

ولم أر في عيوب الناس عيبًا ... كنقص القادرين على الكمال

فحيث رزقك الله فطنة، وعملاً معيشًا، ودراية ولطفًا، وحسن خلق، فلا تضيع ذلك كله بوقوفك مع نفسك وحظك وهواك، بل المطلوب منك أن توصل إليه من الحب والتودد ما يقلب بغضه محبة، وعداوته صداقة)[٥].

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٦٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٠٢/١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٥) أسنى المطالب في صلة الأقارب ١٧٧.

الحديث رقم (٣٣٢)

٣٣٢- وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا، فالمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ))، وَقَالَ: ((الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سلمان بن عامر الضبي: وهو سلمان بن عامر بن أوس بن حجر من بني ضبة الضبي، كان في حياة النبي ﷺ شيخًا، وكان ممن سكن البصرة، وكان له بها دار قرب الجامع.

روى له الجماعة سوى الإمام مسلم، وكان ممن نزل البصرة.

أما عن وفاته فقيل إنه مات في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان، وقال الدولابيُّ: قُتِلَ يوم الجمل وهو ابن مائة سنة، وقال ابن حجر في الإصابة: الأصح أنه عاش إلى خلافة معاوية[2].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري ساقه النبي ﷺ دون مؤكدات في بدايته لأنه تأسيس لسنة من سننه في أمر يستطيعه أكثر الناس، وقد وضع البديل لمن لا يستطيع حتى يحظى الجميع بالأجر، وقد جاء في أسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء

---

(١) برقم (٦٥٨). وصحّحه أبو حاتم الرازي كما في العلل لابنه (٦٨٧)، وابن خزيمة (٢٠٦٧)، وابن حبان (الإحسان ٣٥١٥)، وقال الحاكم (٤٣٢/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وأورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨٠/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٩٣، ٢٩٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٠٩/٢، ٥١٠)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٢١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٣٨/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨/٢)، والسندي (١٦٣/٢٦).

يربط الإفطار بكونه على تمر كلما استجد إفطار استجده على تمر، وقد علل للأمر الذي جاء في جواب الشرط بجملة(فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ)، ولفظ البركة يحمل ترغيباً في الفعل، وقد أكد الجملة بعدة مؤكدات لتحقق الإقناع، واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وقوله (فإن لَمْ يَجِدْ تَمْراً، فالمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ) من الملاحظ في صياغة أسلوب الشرط في هذه الجملة أن أداة الشرط هي (إن) التي تدل على عدم تحقق الوقوع، لأن عدم إيجاد التمر في مدينة تعتمد عليه في غذائها أمر مستبعد، وفعل الشرط منفي، وجواب الشرط محذوف تقديره فليفطر على الماء، والجملة التعليلية (فَإِنَّهُ طَهُورٌ) مؤكدة بأكثر من مؤكد، والتعبير بالطهور ترغيب فيه، واستخدام صيغة المبالغة يصعِّده، وقوله (الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) فيه ترغيب في الصدقة عموماً، وبيان لأفضلية الصدقة على ذي الرحم خصوصاً، وقوله(وعَلَى ذي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ) جاء في صورة التوشيع بذكر المثنى (ثنتان) ثم تفصيله، (صدقة، وصلة) وقيمة هذا الأسلوب تتمثل في توكيد المعنى بذكره مجملاً ثم مفصلاً مع ما يفيده من تشويق للمعنى بإجماله ثم تفصيله.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: فضيلة مهمة تتعلق بالصيام وهي ما يفطر عليه المسلم، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يسن للصائم عند فطره أن يفطر على رطبات، فإن لم يجد فعلى تمرات اقتداء بالنبي ﷺ، فإن لم يجد أفطر على حسوات من ماء.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ١٠٥/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٠٥/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٤١٩/١، وتحفة المحتاج ٤٢١/٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٥/٣، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٣٢/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٦١/٤، وسبل السلام، الصنعاني ٥٦٤/١.

الثاني: فضل التصدق على الغير وخاصة القريب، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٣٢٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان علة الحكم الشرعي إن وجد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التمر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وصلة الرحم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والأمر:

١- الشرط: ويظهر هذا من قول النبي ﷺ "إذا أفطر" والشرط أسلوب من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين من خلال الربط بين الشرط وجوابه.

٢- الأمر: ويتضح هذا من قول النبي ﷺ "فليفطر" والأمر من أساليب الدعوة حيث يبين للمدعو أهمية المأمور به وفضله، وهو من أساليب القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[1] وقال جلّ شأنه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾[3]، وعلى الداعية استخدام هذا الأسلوب مع المدعوين لبيان أهمية المأمور به.

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان علة الحكم الشرعي إن وجد:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "فإنه بركة"، "فإنه طهور" فليس كل الناس على درجة واحدة من الإيمان، ومن الاقتناع، ومن هنا كان من واجبات الداعية بيان علة الحكم الشرعي إن وجد، حتى يقتنع المدعو بما يؤمر به. قال الطيبي: ("قوله فإنه بركة" أي فإن في الإفطار على التمر ثوابًا كثيرًا، ولإرادة الثواب وبركته علل الماء

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤.

بالطهورية؛ لأنه مزيل للمانع من أداء العبادة، ولهذا منَّ الله تعالى على عباده بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[1])[2].

والناظر في القرآن الكريم يجد الربط بين الحكم الشرعي وعلته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[4] وقوله جلّ شأنه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[6].

قال د. يوسف القرضاوي: (ينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام حتى تقع من النفس موقع القبول، والقرآن الكريم كثيرًا ما يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى، فإذا كان هذا في الأمور التعبدية فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيرًا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرأً عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون، ومما يجب على الداعية في تعليله للأحكام أن يحذر المبالغة في ذلك؛ لأن الحقيقة الكبرى والتي يجب التنبيه عليها، أن العبادات مطلوبة طلب الغايات والمقاصد، لا طلب الأدوات والوسائل،

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٤/٤.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٦) سورة النور، آية: ٣٠.

فهي مرادة لذاتها بغض النظر عما وراءها من منافع وثمرات، بل هي الغاية من خلق المكلفين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فالمبالغة في هذا الجانب قد تؤدي ببعض الناس إلى أن يقول: إذا كان هدف العبادات تربية الضمائر، وتزكية الأنفس، وتقويم الأخلاق. فعندنا وسائل أخرى توصلنا إلى هذا الهدف. وقد يقول بعض آخر ما قاله بعض الفلاسفة من قبل، ومن المحذورات الواجب أخذها في الاعتبار، التعليل بأمر غير جامع ولا مانع، مثال ذلك: تعليل تحريم لحم الخنزير بأنه يأكل القاذورات، فقد يُردُّ بأن هذا لا ينطبق إلا على الخنازير السيئة التغذية، أما الخنازير التي تربى في حظائر خاصة، ويشرف عليها مختصون يعنون بأمرها، فلا يتعلق معها هذا التعليل...، ولهذا لا يجوز للداعية المجازفة بالتعليل في مثل هذه الأمور، ما لم يكن تعليلاً ثابتًا محكمًا مطردًا في كل الأحوال، تقوم عليه الأدلة العلمية الناصعة، التي لا مطعن فيها. وإلا فحسب الداعية أن يقول: إن الله لا يحل إلا طيبًا، ولم يحرم إلا خبيثًا، ولم يشرع إلا لحكمة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وعدم العلم بها لا ينفي وجودها، وأخيرًا ينبغي التنبيه على عدم الاقتصار على التعليلات المادية، كالقول إن الصلاة لها حكمة على تمرين الجسم على الرياضة والحركة، وإن الصيام بغية إراحة المعدة شهرًا في كل عام، وأن الحج رحلة كشفية، للتدريب على احتمال المشاق، وجهل من قال ذلك، لأن هذه التعليلات تفتح عليهم أبوابًا لا يقدرون على إغلاقها، كقول أحدهم: إني أستطيع أن أمرن جسمي رياضيًا بغير الصلاة، وكقول آخر: إني قادر على إراحة معدتي بغير الصيام، وكقول ثالث: إني أقوم برحلات كشفية أتدرب فيها على المشقة)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التمر:

إن من فضل الله على عباده أنه وضع لهم البركة في الأطعمة التي توجد لدى الغني والفقير، ومن تلك الأطعمة: التمر، حيث جاء في الحديث "فليفطر على تمر فإنه بركة"

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) ثقافة الداعية ٨٣ -٨٩ باختصار.

قال المباركفوري: (أي ذو بركة وخير كثير أو أريد به المبالغة)[١] هذا وقد وردت الأحاديث الصحاح في فضل التمر، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَن تَصبَّح كلَّ يومٍ سبعَ تمراتٍ عَجوةً لم يَضرَّه في ذلك اليومُ سُمٌّ وَلاَ سِحْر))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ، جِيَاعٌ أَهْلُهُ))[٣].

وثبت عنه ﷺ أنه أكل التمر بالزبد، وأكل التمر بالخبز، وأكله مفردًا، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((حدثني سُلَيْمُ بنُ عَامِرٍ عن ابْنَيْ بُسْرٍ السُّلَمِيَّيْنِ، قالاَ: دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَدَّمْنَا زُبْدًا وَتَمْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ وَالتَّمْرَ))[٤].

قال ابن القيم: (والتمر مقو للكبد، ملين للطبع، يزيد في الباءة ولاسيما مع حب الصنوبر، ويبرئ من خشونة الحلق، وهو من أكثر الثمار تغذية للبدن بما فيه: من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الدود، وهو فاكهة وغذاء، ودواء وشراب وحلوى)[٥].

ومما لا شك فيه "أن التمر يمد بني الإنسان بالغذاء الضروري ويشبعهم، فلا يحتاجون إلى غيره، ولذلك كان هو الطعام الذي لا غيره في بيت رسول الله ﷺ لأشهر، فالتمر غذاء يكفي الإنسان في حياته، لأنه يحتوي على أكثر ما يحتاجه الإنسان من المواد الغذائية، كما أن هناك معادن كثيرة موجودة في التمر حتى أطلق عليه اسم "منجم" ولعل هذا هو ما يفسر بقاء رسول الله ﷺ وأهله بدون طعام غير التمر والماء"[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٨٩٢/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٤٥، ومسلم ٢٠٤٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٤٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٤٤).

(٥) الطب النبوي، ابن القيم ٢٢٤.

(٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٢٨٦/١، ٢٨٧.

قال د. زغلول النجار: (والتمر من ثمرات النخيل يعد غذاءً كاملاً تقريبًا لاحتوائه على أغلب العناصر التي يحتاجها جسم الإنسان، ولذا يصفه تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا...﴾[1].

فالتمر يحتوي على مواد سكرية، وكربوهيدراتية، وبروتينية، ودهنية وعلى عدد من العناصر المهمة، والفيتامينات الضرورية لحياة الإنسان، وقد أثبتت التحاليل الكيمائية أن التمر الجاف يحتوي على ٧٠,٦٪ من الكربوهيدرات، ٢,٥٪ من الدهون، ١,٣٢٪ من الأملاح المعدنية التي تشمل مركبات كل من الكالسيوم، والحديد والفوسفور، والمغنيسيوم، والبوتاسيوم، والنحاس، والمنجنيز، والكوبلت، والزنك وغيرها، ١٠٪ من الألياف، بالإضافة إلى فيتامينات تشمل فيتامين أ، ب (١)، ب (٢)، ج، وإلى نسب متفاوتة من السكريات والبروتينات.

وللتمر فوائد طبية كثيرة فهو غذاء مهم للخلايا العصبية، وطارد للسموم، ومفيد في حالات الفشل الكلوي، والمرارة، وارتفاع ضغط الدم، والبواسير، والنقرس، وهو ملين طبيعي، ومقو للسمع، ومنبه لحركة الرحم، ومقو لعضلاته مما ييسر عملية الولادة الطبيعية، ومن هنا كانت الإشارة القرآنية إلى السيدة مريم البتول وهي تضع نبي الله عيسى عليهما السلام بقول الحق تبارك وتعالى لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾[2].

ويعجب كل قارئ لهذه الأحاديث الشريفة، لما تحتويه من علم صحيح، لم تصل إليه مدارك الإنسان إلا منذ سنوات قليلة، ونطق به المصطفى ﷺ من قبل ألف وأربعمائة من السنين، مؤكدًا على صدق نبوته، وصدق رسالته، وصدق اتصاله بوحي السماء الذي وصف بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3][4].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٧.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٢٥ - ٢٦.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١/٥٥ - ٥٧ بتصرف.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وصلة الرحم:

إن أولى الناس بصدقة المسلم هم ذوو قرابته، ولذا كان المتصدق عليهم له أجران ويتضح هذا من قوله ﷺ "الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة" وقد جاء في فضل الصدقة الكثير من النصوص الشرعية، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تَصدَّقَ أخفى حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه ورجلٌ ذكرَ الله خاليًا ففاضت عيناه))[2].

ولاشك أن أفضل الصدقة ما كانت على القريب، فعن حكيم بن حزام أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصدقات أيها أفضل؟ قال: ((عَلَى ذِي الرَّحِمِ الكاشِحِ))[3]، وفي فضل صلة الرحم قال ﷺ: ((ليسَ الواصلُ بالمُكافِىءِ، ولَكِنَّ الواصلَ مَنْ إذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[4] وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((الرَّحِمُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))[5] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ومن كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخر فلْيَصِلْ رَحِمَه))[6] وعلى الدعاة إلى الله استحضار هذه النصوص والمعاني، وتذكير المدعوين بها فإنها من موضوعات الدعوة المهمة.

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠، ومسلم ١٠٣١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٢/٣ رقم ١٥٣٢٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح وإسناده ضعيف، ٣٦/٢٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٨٩، ومسلم ٢٥٥٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٣٦، ومسلم ٤٨.

الحديث رقم (٣٣٣)

٣٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لي: طَلِّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ رضي الله عنه النَّبيّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيّ ﷺ: ((طَلِّقْهَا)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وَقَالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى طاعة الوالدين والمدى الذي يمكن أن تصل إليه انقياداً لما يرضي الله تعالى بسبب رضا الوالدين، يروي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو أحد طرفي الحوار، ويبدأ بمقدمة خالية من المؤكدات لأنه يحكي قصة خاصة به لا يتوقع أن يعترضها معترض، وقوله: (كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا) فعل الكينونة الماضي يقرر أن الأحداث سابقة الوقوع محققة الوجود، وقوله (تحتي امرأة) كناية عن القوامة، والسيطرة، والطباق بين (أحبها، يكرهها) يشير إلى المفارقة في المشاعر التي سببت التباين في الموقفين بين رغبته فيها، ورغبة أبيه في طلاقها، كما أن استخدام المضارع (أحبها - يكرهها) يشير إلى استمرارية التناقض الذي صعَّد المسألة إلى الحكم الفصل، وقول النبي: (طَلِّقْهَا) يؤكد ضرورة طاعة الوالدين، وإن كان على غير رغبة الأبناء.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣٨) واللفظ له، والترمذي (١١٨٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٦)، وقال الحاكم (٢/١٩٧): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٥٨).

فقه الحديث

حكم طاعة الوالد في تطليق الزوجة:

سأل رجل الإمام أحمد فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال: لا تطلقها. قال: أليس عمر رضي الله عنه أمر ابنه عبدالله أن يطلق امرأته؟ قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه. يعني لا تطلقها بأمره، حتى يصير مثل عمر في تحريه الحق والعدل، وعدم اتباع هواه في مثل هذا الأمر.

واختيار أبو بكر من الحنابلة أنه يجب، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن تيمية فيمن تأمره أمه بطلاق امرأته. قال: لا يحل له أن يطلقها. بل عليه أن يبرها وليس تطليق امرأته من برها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الآباء.

رابعًا: من مهام الداعية: الإفتاء في المسائل الشرعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "طلقها" ومما لاشك فيه أن الأمر أسلوب من أساليب الدعوة، وهو يدل على أهمية المأمور به، والأمر إذا كان من الأعلى للأدنى، فهو أمر صريح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2] وإذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي الحنبلي، ٥٠٣/١، والزواجر، ابن حجر الهيتمي، ٧٢/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٠/٨-٧٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[١] وإذا كان من المساوي للمساوي، فهو التماس، ومنه ما يأتي من أمر شخص لآخر مساوٍ له في الدرجة والمنزلة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحكيم النبي ﷺ فيما شجر بينهم:

إن الرسول الكريم ﷺ هو مرجع المسلمين فيما يعرض لهم من أمور ومشكلات، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتحاكمون إليه فيما يعرض لهم، ويتضح هذا من الحديث في قوله "فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له".

وقد دلت نصوص القرآن الكريم على وجوب طاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[٢] وجعل الله طاعة نبيه من طاعته فقال جلّ شأنه: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٣] وأمرنا بالاستجابة له فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٤] ودعت إلى التزام أمره ونهيه فقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٥] وربطت الآيات بين الإيمان بالله والاحتكام إليه ﷺ فقال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾[٦].

وأمام هذه النصوص كان لدى الصحابة الكرام رضي الله عنهم الحرص الكامل على الاحتكام إلى رسول الله ﷺ في أي أمر من أمورهم، ولقد حذر الله من مخالفة أمر

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٥.

نبيه فقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[2].

وبلغ من شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاحتكام إليه ﷺ واتباع أمره ماجاء عن كعب بن علقمة عن بلال بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: لاَ تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا». قَالَ فَقَالَ بِلاَلُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ: وَاللّه لَنَمْنَعُهُنَّ، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللّهِ فَسَبَّهُ سَبًّا سَيِّئًا، مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللّهِ، وَتَقُولُ: وَاللّه لَنَمْنَعُهُنَّ))[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الآباء:

إن الآباء قاموا بتربية أبنائهم صغار ورعايتهم كبارًا ومن ثمَّ جعل الإسلام للآباء منزلة ومكانة كبيرة، وأوجب على الأبناء طاعتهم والتزام قولهم، وقد دل هذا الحديث على عظم حق الآباء، فقد جاء فيه "كانت تحتي امرأة وكنت أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها". وكان أول من أمر ابنه بطلاق امرأته: إبراهيم الخليل عليه السلام، ومن بر الابن لأبيه: أن يكره ما كرهه أبوه، وإن كان محبًا له، وأن يحب ما أحب أبوه وإن كان كارهًا له، هذا إذا كان الأب من أهل الدين يحب في الله، ويبغض في الله، ولم يكن ذا هوى، فإن لم يكن كذلك استحب له فراقها لإرضائه، ولم يجب عليه كالحالة الأولى، لأن طاعة الأب في الحق من طاعة الله[4]. هذا وقد دلت الكثير من النصوص على عظم حق الآباء على الأبناء، ولا أدل على ذلك من حوار إبراهيم عليه السلام مع

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٤٢.

(٤) مختصر سنن أبي داود، المنذري ٣٥/٨.

أبيه كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[١] وكان جواب إبراهيم عليه السلام مع أبيه مراعيًا أدب الخطاب معه كما جاء في قوله سبحانه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾[٢] ويظهر أيضًا من حوار إسماعيل عليه السلام مع أبيه لما قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[٣] كان جواب إسماعيل عليه السلام ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٤].

ولقد جاء في الحديث النبوي ما يدل على عظم حق الآباء، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ))[٥]، وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رِضاَ الرَّبِّ في رِضَا الْوَالِدِ وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الْوَالِدِ))[٦] وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأَضِعْ ذلك الباب أو احفظه)[٧].

وأخرج الإمام السيوطي في الدر المنثور قال: (أخرج عبدالرزاق في المصنف عن الحسن أنه سئل: ما بر الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به، إلا أن يكون معصية)[٨].

وعن طاووس قال: (إن من السنة أن نوقر أربعة، العالم وذو الشيبة، والسلطان، والوالد قال: ويقال إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه)[٩] ولعظم حق الأب جاء

---

(١) سورة مريم، آية: ٤٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٧.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٤) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٥١٠.

(٦) أخرجه الترمذي ١٨٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٩).

(٧) أخرجه الترمذي ١٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٨).

(٨) الدر المنثور، السيوطي ٢٨٩/٩.

(٩) المرجع السابق نفسه ٣٠٧/٩.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَبَرَّ الْبِر أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُد أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الأَبُ))(١).

رابعًا- من مهام الداعية: الإفتاء في المسائل الشرعية:

إن الداعية يخالط المدعوين ويجالسهم، ومن ثم يلتمسون منه معرفة الحكم الشرعي فيما يعرض لهم من أمور، وواجب الداعية في هذه الحالة أن يبين لهم، ويفتيهم بحكم الشرع طالما أنه يعرف الجواب. ويستنبط هذا من الحديث، أن النبي ﷺ لما احتكموا إليه أفتاهم. وقيام الداعية بواجبه في الإفتاء، يقطع التنازع الذي قد يحدث بين الناس، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقطع الطريق على من يتصدر للإفتاء وهو ليس من أهله، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ. وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))(٢).

وبتصدر الداعية لواجبه في الإفتاء في المسائل الشرعية، يخرج من إثم كتمان العلم ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ))(٣).

ويجب على الداعية عند الفتوى أن يستصحب النصوص الشرعية التي تؤيد فتواه قال ابن القيم: (وينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النص مهما أمكنه، فإنه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام، فهو حكم مضمون له الصواب، متضمن الدليل عليه في أحسن بيان، وقول الفقيه المعين ليس كذلك. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة الذين سلكوا منهجهم يتحرون ذلك غاية التحري، فإن ألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة وعهدة الصحابة رضي الله عنهم وأصولهم التي إليها يرجعون، كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٥).

وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك. ولما استحكم هجران النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع، كانت علومهم في مسائلهم وأدلتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض)[1].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤/١٧٠.

الحديث رقم (٣٣٤)

٣٣٤- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه: أن رجلاً أتاه، قَالَ: إنّ لي امرأةً وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا؟ فقَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**الوَالِدُ أوْسَطُ أبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذلِكَ البَابَ، أَو احْفَظْهُ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: ((حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل طاعة الوالدين يقرر وجوب احترام رغبات الوالدين، وإن تعارضت مع رغبة الأبناء، ويروي الحديث أبو الدرداء رضي الله عنه وهو أحد شخصيات القصة وقد بدأ بأسلوب التوكيد فيما يروي على لسان السائل وقوله (إنّ لي امرأةً وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا ؟) حيث أكد الكلام بـ(إن)مع اسمية الجملة وتقديم خبر إن (لي) على اسمها والذي أفاد الاختصاص ودلَّ على أنها زوجته، ثم أكد الجملة المقابلة لها في المسألة (وإنّ أُمِّي تَأمُرُنِي بطَلاقِهَا ؟) دلالة على العزيمة على الأمر وظاهر كلامه أنه يستفتي أو يستفهم لذلك جاء رد أبي الدرداء بقوله (سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول) وقوله سمعت يفيد تأكيد ما ينقل، وكون السماع من رسول الله دلالة على أن ما يأتي بعده تشريع، وقول الرسول ﷺ (الوَالِدُ أوْسَطُ أبْوَابِ الجَنَّةِ) (ال) في الوالد للعهد أي الوالد المعهود لكل ولد، وعبر بالوسط (أوسط) لأنه أعدل الجهات، وفيه دلالة على التمكن، وجمع الأبواب فيه دلالة على السعة ومعنى العبارة أن الوالد سَبَب لِدُخُولِ الْوَلَد مِنْ أَحْسَن أَبْوَاب الْجَنَّة أو من خَيْرهَا، وقوله: (فَأَضِعْ) مِنْ الإِضَاعَة وَلَيْسَ الْمُرَاد التَّخْيير بَيْن الأَمْرَيْنِ بَلْ الْمُرَاد التَّوْبِيخ عَلَى الإِضَاعَة وَالْحَثّ عَلَى الْحِفْظ، والمعنى أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة ويتوصل به إلى، وصول درجتها العالية مطاوعة الوالد، ومراعاة جانبه، وإذا

---

(١) برقم (١٩٠٠) وقال: حديث صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٢٥)، وقال الحاكم (٢/١٩٧): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٥٧).

كان حكم الوالد هذا فحكم الوالدة أقوى، وبالاعتبار أولى فإن شئت فحافظ على الباب أي داوم على تحصيله، أو ضيع حصول الباب بترك المحافظة عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والإخبار، والاستشهاد بالسنة النبوية، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، الإخبار، الاستشهاد بالسنة النبوية، السؤال والجواب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن لي امرأة" "وإن أمي تأمرني" ولاشك أن التوكيد يفيد في بيان المعنى وإقراره في ذهن السامع، حيث يؤكد هذا الرجل لأبي الدرداء أن له امرأة، ويؤكد أيضًا أن أمه تأمره بطلاقها، كل ذلك ليعرف حكم الشرع في ذلك.

٢- الإخبار: حيث أخبر النبي ﷺ بقوله: "الوالد أوسط أبواب الجنة" وتأتي أهمية الإخبار كأسلوب من أساليب الدعوة، باعتبار أن أخبار القرآن والسنة الصحيحة كلها صادقة والنبي ﷺ هو المعصوم وما ينطق عن الهوى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1] وبهذا يتوجب على الدعاة إلى الله أن يتحروا في أخبارهم الصدق.

٣- الاستشهاد بالسنة النبوية: يتضح هذا في الحديث من قول أبي الدرداء لما أتاه رجل وقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول..." وساق الحديث، وما من شك أن السنة تمثل المصدر الثاني من مصادر الدعوة إلى الله، فهي الشارحة للقرآن المبينة له، المفصلة لما أجمل، ومن هنا كان من أساليب

---

(١) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

الدعوة الاستشهاد بالسنة النبوية (إن السنة النبوية سجل حافل لحياته وجهاده عليه الصلاة والسلام في سبيل دعوته، وقد حوت من جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وكنوز المعرفة، وأسرار الدين، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع، وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ الموقف، وآيات البلاغة ثروة طائلة، فلا يستغني داعية يريد أن يحدث، أو يحاضر أو يخطب، أو يكتب عن الرجوع إلى هذا المصدر الغني)[1].

٤- أسلوب السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث سؤال الرجل لأبي الدرداء وجوابه له، وما من شك أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تمكن الداعية من البيان والإيضاح، وتجعل الحوار موصولاً بين الداعية والمدعو، وهو أسلوب يشد انتباه المدعو حين يكون متطلعًا لسماع الجواب.

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

إن المسلم مطالب أن يسأل عما يخفى عليه من الأمور والأحكام، قال الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] وبالتأمل في آيات القرآن نرى أن الله لم يستنكر سؤال الناس لرسول الله ﷺ فلقد تكرر لفظ "يسألونك" مرات عديدة في القرآن الكريم، وفي كل مرة يخبر الحقُّ سبحانه رسوله ﷺ بالجواب على هذه التساؤلات، فعلى الداعية أن يشجع المدعو على السؤال، ويدربه عليه، وهذا مشروط بأن يكون السؤال عما يفيد، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3].

قال السعدي رحمه الله: (ينهى الله عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء، التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله ﷺ عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بُيِّن للسائل لم يكن له فيه خير، كسؤالهم للأمور غير الواقعة. وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع، ربما أحرجت

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٥٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠١.

الأمة. وكالسؤال عما لا يغني، فهذه الأسئلة وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهو مأمور به)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم حق الوالدين:

إن الإسلام يربي أتباعه على البر والوفاء خاصة مع الوالدين، ولذا حث الشرع على تعظيم حقهما، وشجع على برهما بالوعد بالجنة ويتضح هذا من قول النبي ﷺ "الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه" قال المباركفوري: (قال القاضي عياض أي خير الأبواب وأعلاها، والمعنى أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة، ويتوسل به إلى وصول درجتها العالية، مطاوعة الوالد ومراعاة جانبه، وقال غيره: إن للجنة أبوابًا وأحسنها دخولاً أوسطها، وإن سبب دخول ذلك الباب الأوسط، هو المحافظة على حقوق الوالد، وإذا كان حكم الوالد هذا، فحكم الوالدة أقوى وبالاعتبار أولى)[٢].

وقال ابن علان: (ولفظ الوالد في الحديث يشمل الأبوين وإن علوا، والمعنى أن بره مؤدٍ إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها، وقال العاقولي: أحسن ما يتوصل به إلى دخول الجنة بر الوالدين)[٣].

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في بيان عظم حق الوالدين ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾[٤] وأوصى بهما فقال جل شأنه: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾[٥] وقرن شكره بشكرهما فقال سبحانه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾[٦] والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وجميعها يؤكد عظم حق الوالدين.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠٨.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦١٥/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٣٥، ٥٣٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٤.

الحديث رقم (٣٣٥)

٣٣٥- وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((الخَالةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ)) رواه الترمذيُّ[١]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة، منها حديث أصحاب الغار[٢]، وحديث جُرَيْجٍ[٣] وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اخْتِصَارًا، ومن أهَمِّهَا: حَديث عَمْرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدَابِهِ وسَأَذْكُرُهُ بتَمَامِهِ إنْ شَاء اللهُ تعالى في باب الرَّجاءِ[٤]، قال فيه:

دَخَلْتُ عَلَى النَّبِي ﷺ بَمَكَّةَ يَعْني في أوَّلِ النُّبُوةِ فقلتُ له: مَا أنْتَ؟ قال: "نَبيٌّ" فقلت: وَمَا نَبيٌّ؟ قال: "أرْسَلَنِي الله تعالى" فقلت: بأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَك؟ قال: "أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ وأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ" وذَكَر تَمَامَ الحَديث؛ والله أعلم.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث التي تحافظ على تماسك المجتمع المسلم، وتعمق الصلات بين أفراده، وقد بني هذا الحديث على إيجاز القصر وهو تضمُّن العبارة القصيرة المعاني الكثيرة، وقوله (الخالة) اللام فيه للعهد وهي أخت الأم، بمنزلة الأم، تشبيه لها بها يوحي بالعطف عليها ورعايتها وبرها، كما يجعل هذا التشبيه أجر بر الخالة كأجر بر الأم، أو يقارب. والله أعلم.

---

(١) برقم (١٩٠٤) وقال: حديث صحيحٌ.

تنبيه: هذا الحديث رواه البخاري (٢٧٠٠) ضمن حديث طويل.

(٢) الحديث رقم (١٣).

(٣) الحديث رقم (٤٤٣).

(٤) الحديث رقم (٢٦٤) عن أبي هريرة.

فقه الحديث

وفي الحديث دليل على أن الخالة في الحضانة بمنزلة الأم، عند فقد الأم لأنها تقترب منها في الحنو، والشفقة، والاهتمام إلى ما يصلح الولد[١].

ولأنه قد ثبت بالإجماع أن الأم أقدم الحواضن، فمقتضى التشبيه تقديم الخالة على غيرها، وإلا كان التشبيه لغوًا[٢].

وذهب الشافعية، والهادوية إلى تقديم الأب على الخالة.

وذهب الشافعي[٣]، والهادوية[٤] إلى تقديم أم الأم، وأم الأب على الخالة.

وذهب الحنفية[٥] إلى تقديم الأخوات عليها.

وقد رجح صاحب نيل الأوطار[٦] وغيره[٧] تقديم الخالة بعد الأم للمعنى الذي سبق ذكره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل بر الأم والخالة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الأحكام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الخالة بمنزلة الأم، لتُعلم تلك المنزلة التي تتبوأها الخالة والتي تقتضي وصلها وبرها.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٦/٧، وسبل السلام ٢٢٩/٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٦/٦.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٣٨/٧، والدراري المضية للشوكاني ٣٩٥/١.

(٣) مغني المحتاج، شمس الدين الخطيب ١٣٨/٧.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٣٨/٧.

(٥) المبسوط للسرخسي ٢١٠/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٦٩/٤.

(٦) ١٣٨/٧.

(٧) سبل السلام، الصنعاني ٢٢٩/٣، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٦/٦.

ومما لاشك فيه أن الإخبار يمثل جانب البلاغ في الدعوة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وبين القرآن الكريم أن مهمة الرسول البلاغ، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل بر الأم والخالة:

إن الاعتراف بالفضل والجميل من خِلال المؤمن، ولا معنى أن يتنكر الإنسان لأقرب الناس إليه أمه أو خالته، وقد أفاضا عليه برًا وحبًا وحنانًا ولطفًا ورقةً ودفئًا، وفي هذا الحديث أرشد النبي ﷺ أتباعه إلى فضل بر الخالة لأنها بمنزلة الأم، حيث قال: "الخالة بمنزلة الأم" وهذا يدل على فضل بر الأم والخالة، قال ابن حجر: (والخالة بمنزلة الأم في هذا الحكم الخاص، لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة، والاهتداء إلى ما يصلح الولد لما دل عليه السياق، وفي الحديث من الفوائد أيضًا تعظيم صلة الرحم، بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها)[3].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضل بر الأم والخالة، ففي القرآن الكريم جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾[5] وقال الله عز وجل عن نبيه يحيى عليه السلام ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[6]

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٩/٧.

(٤) سورة لقمان، آية:١٤.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

(٦) سورة مريم، آية: ١٣، ١٤.

وكان مما قاله عيسى عليه السلام لقومه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[١].

ومن الأحاديث التي تبين فضل بر الأم والأقارب ما جاء عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: ((قلت : «يا رسولَ الله، مَنْ أَبَرُّ؟ قال: أمَّكَ، قال: قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمَّكَ، قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال أُمكَ، قال: قلتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قال: ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الأقْرَبَ فالأقْرَبَ))[٢]، وإذا كان من أفضل البر بر الأقارب، فإن أولى الأقارب بالبر الخالة، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا رسولَ الله إنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ هَلْ لَكَ مِن أُمٍّ؟ قالَ: لا، قال: هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟ قَالَ: نعم قال: فَبِرَّها))[٣]، قال المباركفوري: (وفي قوله إني أصبت ذنبًا عظيمًا يجوز أنه أراد عظيمًا عندي، لأن عصيان الله تعالى عظيم، وإن كان الذنب صغيرًا، ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيمًا من الكبائر، وإن هذا النوع من البر يكون مكفرًا له، وكان مخصوصًا بذلك الرجل، علمه النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الوحي، والمعنى أن صلة الرحم من جملة الحسنات التي يذهبن السيئات)[٤].

ومن أقوال الشعراء في هذا:

عليك ببر الوالدين كليهما ... وبر ذوي القربى وبر الأباعد

ولا تصحبن إلا تقيًا مهذبًا ... عفيفًا ذكيًا منجزًا للمواعد[٥]

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الأحكام:

إن من الأمور المهمة في مجال الدعوة أن يقوم الداعية ببيان الأحكام للمدعوين

---

(١) سورة مريم، آية: ٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي ١٨٩٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٥٤).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦١٧/٢.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٧٧٩/٣.

ويتضح هذا من بيان النبي ﷺ بقوله:"الخالة بمنزلة الأم" وما من شك أن من مهام الداعية الأولى بيان الأحكام والتعريف بها، ولقد كان هذا من الميثاق الذي أخذه الله على أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وكانت مهمة البيان مما أمر الله به نبيه ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: ("وأنزلنا إليك الذكر" يعني القرآن "لتبين للناس ما نزل إليهم" من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصِّل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل "ولعلهم يتفكرون" أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين)[3].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة؛ مِنْهَا حديث أصحاب الغار[١]، وحديث جُرَيْجٍ[٢] وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختِصَارًا.

وَمِنْ أهَمِّهَا حديث:

الحديث رقم (٣٣٦)

٣٣٦- عَمْرو بن عَبسَة ﷺ الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كَثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسَأذْكُرُهُ بتَمَامِهِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى في: (باب الرَّجَاء)[٣]، قَالَ فِيهِ:

دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ بمَكَّةَ - يَعْني: في أوَّلِ النُّبُوَّةِ- فقلتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: ((نَبيٌّ))، فَقُلْتُ: وَمَا نَبيٌّ؟ قَالَ: ((أرْسَلَنِي اللهُ تَعَالَى))، فقلت: بأيِّ شَيءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: ((أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيء...)) وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث[٤]. والله أعلم.

غريب الألفاظ:

الأوثان: جمع وَثَن: التمثال يُعبَد من دون الله تعالى، من خشب أو حجر أو نحاس أو غير ذلك[٥].

المضامين الدعوية [٦]

---

(١) تقدم برقم (١٢).

(٢) تقدم برقم (٢٥٩).

(٣) باب ٥١، حديث رقم (٤٣٨).

(٤) أخرجه مسلم (٨٣٢/٢٩٤).

(٥) الوسيط في (و ث ن).

(٦) سيأتي شرح المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٣٣٦ - بتمامه في شرح الحديث رقم (٤٣٨) إن شاء الله تعالى.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإسلام لا يعرف الأنانية، وهو يدعو إلى تفاعل أفراد المجتمع فيما بينهم ويعتمد في ذلك على الجانب العاطفي والعقلي في نفس الوقت.

فالجانب العاطفي يتمثل في شعور الإنسان بحق والديه عليه وحق أقاربه وحق جيرانه... والجانب العقلي في ناتج التفكير العقلي والذي يحسم النتيجة لصالح هذه الدعوة. إن بري بآبائي أم أبنائي سيدفعهم إلى بري كذلك، وإن بري بأقاربي يعني أنهم سيكونون بررة بي، وإن بري بجيراني يعني مثل ذلك..

ومن أحاديث الباب نأخذ المضامين التربوية الآتية:

أولاً- بيان منزلة الوالدين وفضل برهما:

من القيم الإسلامية السامية التي حرصت التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المسلمين: بر الوالدين؛ فالأب أساس الوجود، والأم هي التي تعبت وسهرت.

وهذه تعاليم الرسول ﷺ "تكشف عن سمو العلاقات ورفعة الارتباط الإنساني، فإذا قورنت بالفلسفات المادية والحضارة رأينا عجباً عجاباً؛ فما أكثر المتشردين من الآباء والأمهات في الحدائق العامة، مع شدة البرد وتراكم الثلوج في أوروبا، وأمثال هؤلاء: الذين تحتضنهم دور العجزة وملاجئ الشيخوخة[1].

وقد كثرت أحاديث الحض على بر الوالدين في هذا الباب، وتنوعت، فمنها ما يكون سؤالاً من أحد الصحابة وجواباً من رسول الله، «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس ...»، وأقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة...».

ومن الأحاديث ما يكون توجيهاً مباشراً من رسول الله ﷺ إلى صحابته إلى بر الوالدين: «لاَ يَجْزِي وَلَدٌ وَالِداً ...».

وإذا نظرنا إلى الإسلام، فإننا نجد صورة راقية للتعامل مع الأبوين، تنأى بالمسلم عن

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٣٨ بتصرف يسير.

مخاطبتهما بأبسط كلمات التضجر والاعتراض ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[١].

ويزداد احتياج الأبوين إلى بر أولادهما عند كبرهم وضعفهم وارتدادهم إلى أرذل العمر، ولهذا فقد دعا رسول الله ﷺ على ذلك المنكود الذي يدرك أبويه عند الكبر ثم لا يدخل الجنة؛ لأنه أضاع فرصة طيبة لدخول الجنة... رغم أنفه... الحديث.

ثانياً- التربية بالعبادة:

فهي وسيلة لربط العبد بربه، ومما لذلك من أثر في شعوره بالطمأنينة التي ينشدها المربي الأول ﷺ تجاه أمته؛ فقد أجاب على سؤال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلى اللهِ قَالَ: الصَّلاةُ عَلى وَقْتِها»، مزية التقاء المسلمين ببعضهم وتناصحهم بالحق وتواصيهم بالخير، وتعاونهم على البر والتقوى، وتفقدهم أحوال بعضهم[٢].

هذا فضلاً عن فضل صلاة الجماعة التي تزداد فيها الحسنات، إضافة إلى الأجر العظيم على كل خطوة يخطوها الإنسان إلى المسجد يرفع بها درجة وتحط عنه خطيئة، ولذا حث النبي ﷺ على أداء الصلاة على وقتها.

ثالثاً- بيان الصلة بين الإيمان والسلوك:

إن السلوك الإنساني لا بد له من قوة تحركه، والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره.. وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه الفكرة والعقيدة[٣].

ولهذا ربط النبي ﷺ بين الإيمان والعمل؛ وبحيث لا يقبل عمل بغير إيمان، فهو سابق لسائر الأعمال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...».

فالإيمان دافع إلى العمل الصالح، ومحفز عليه، ولهذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه على ربط سائر أفعالهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه واليوم الآخر.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢١.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٠٦.

رابعاً- من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

وقد عضَّد رسول الله ﷺ كلامه بالقرآن الكريم في قوله: «اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[1]» لأن القرآن الكريم يعد الإطار المرجعي لسائر شئون المسلمين ومنبعاً رئيساً للفكر التربوي الإسلامي، تشتق منه التربية الإسلامية أهدافها[2].

خامساً- التربية بالحوار والمناقشة والسؤال والجواب:

من أجل تحصيل المتعلم المعلومة من مربيه، فقد أفسح النبي ﷺ المجال لسؤالات أصحابه وأجاب عنها بحلم وسعة صدر؛ فهذا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِها»، فسأله ثلاثة أسئلة في آن واحد، تعليماً وتربية، وقبولاً لطريقة صحابته في السؤال عما يريدون.

وطريقة المناقشة تتيح للمتعلم الفرصة كي يتحدث في موضوعات تهمه ومشاكل تشغله، وبذلك فهو يشعر بقيمة التعلم وأهميته في حياته، فيزداد إقباله عليه وتفاعله معه[3].

سادساً- التربية بالقصة:

ومن أحاديث هذا الباب موقف أبي طلحة وقصته حين تصدق ببيرحاء، ولهذه القصة "تأثير عميق، تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره"[4].

حين يتعلم من موقف حياتي لأحد صحابة رسول الله ﷺ؛ فعن طريق المشاركة الوجدانية لأحداث القصة وشخصياتها يندمج المستمع أو القارئ مع جو القصة العاطفي، حتى يعيش بانفعالاته مع شخصياتها[5].

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٥١.

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٥٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٨٩.

(٥) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٣.

سابعاً- التربية بالترهيب:

ولهذه الوسيلة التربوية أثرها الناجع في استئصال جذور العصيان من قلب المسلم؛ بخوفه من عاقبة عصيانه؛ يقول ﷺ مرهباً: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، أي: «قَاطِعَ رَحِمٍ».

وذلك الأسلوب يتماشى مع الطبيعة البشرية، ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة[1].

ثامناً- من مهام المربي: تبيان الحقائق:

وهي مهمة كشف الأستار عن بصائر المتلقين؛ فكثيراً ما يسيء المسلم فهم القيمة، ويكون لذلك أثر على سلوكه المعيشي؛ فالمربي عليه دور مهم في توضيح قيم المجتمع لتلاميذه، وفي إزالة ما يعلق بفهم بعضها من غبار[2].

وعندما ننظر إلى قوله ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ ...» تتضح أمامنا هذه المهمة التربوية التي أرادها النبي من تصحيح المفهوم الخاطئ لصلة الرحم، الذي ربما يتصوره بعض الناس، بأن صلة الرحم إنما هي مقايضة بين الأقارب، ولكن النبي سما بالناس خلقياً إلى درجة يعطون فيها، وإن لم يأخذوا.

تاسعاً- التربية على علو الهمة والتطلع إلى معالي الأمور:

وهذا ما امتاز به صحابة رسول الله ﷺ، فحرصوا على إصابة أعلى الدرجات، ومعرفة الأسباب الموصلة إليها، فكان سؤال الرجل للنبي ﷺ: «أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ...».

فعلو الهمة خلق رفيع وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وهو من الأسر الأخلاقية الفاضلة، وإليه ترجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى معالي الأمور[3].

---

(١) نحو تربية إسلامية، أحمد محمد جمال، نقلاً عن أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي ص ١٨٦.

(٢) المعلم، د. محمد عبدالعليم مرسي ص ٨٢.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٠٧.

عاشرًا- التربية على معرفة مراتب الأعمال:

وهذا واضحٌ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي سأل فيه عن أحب العمل إلى الله؟ فأخبره النبي ﷺ أن أحب العمل إلى الله تعالى: الصلاة على وقتها. ثم سأل عما يليه من عمل فقال النبي ﷺ: بر الوالدين. فسأل عما يلي ذلك من عمل فقال: الجهاد في سبيل الله. ففي هذا الحديث تربية على أن يعرف الناشئة والكبار مراتب الأعمال ودرجاتها حتى يأتي أعلاها فأعلاها، ويقدم أهمها إذا حدث تزاحم أو تعارض فيما بينها ولم يكن هناك طريق للجمع بينها. وهذا لا يفيده في دينه فحسب بل في دنيا أيضًا، فمن رام السبق والتقدم على غيره وإحراز قصب السبق لا بد أن يكون من أصحاب الهمم العالية التي لا تتعلق ولا تأتي إلا معالي الأمور ولا تلتفت إلى سفاسفها وتوافهها.

حادي عشر- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية التي يحسن بالمربين أن يستفيدوا منها، من ذلك:

أ-التشبيه وذلك واضح من قوله ﷺ "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ" قال النووي: (أي كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم)[1] ولا شك أن التشبيه يقرب المعاني المجردة ويوضحها بذكر معانٍ محسوسة لدى المخاطب يستطيع بها أن يفهم المراد أفضل فهم وأوضحه.

ب-المناقشة والحوار: وذلك واضح في كثير من أحاديث الباب، منها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: فهل لك من والديك أحد حي؟ قال: نعم بل كلاهما. قال: فتبتغي الأجر من الله تعالى؟ قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما".

وأسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة، ففيه يتم تبادل الأفكار والآراء بين المتعلمين والمعلم بحرية، وذلك ضرورة لتعميق وإيضاح بعض المفاهيم

---

(١) رياض الصالحين ١٧١.

والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح. فضلاً عن أنه أسلوب يوفر الفرصة للمتعلمين للتعبير عن أنفسهم، كما أنه ينقل العملية التعليمية من الاعتماد على المعلم وحده إلى المشاركة الإيجابية للمتعلم.

ج-أسلوب الاكتساب الموجه: وفيه يتم تزويد المتعلم ببعض المعلومات التي تكفي لحصولهم على خبرة مناسبة تضمن لهم النجاح في استخدام قدراتهم المتعلقة بأمر ما.

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما السابق حدث ذلك، فقد سأل النبي ﷺ الصحابي عن بعض المعلومات، ثم قام بعد ذلك بتوجيهه إلى الخير والصلاح له.

د-الوصية: وهذا في حديث النبي ﷺ: "ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا، وأسلوب التربية بالوصية من الأساليب شائعة الاستخدام في مواقف الحياة اليومية من مختلف الأطراف المعنية بعملية التربية، فالوالد يستخدمه مع أبنائه والمعلم يستخدمه مع طلابه، ويتميز هذا الأسلوب بقوة بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

ثاني عشر- التربية على سؤال أهل العلم:

وهذا يتضح من عدة أحاديث بالباب منها: حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قَدِمَتْ على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله .." وحديث زينب الثقفية امرأة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قالت لزوجها: إن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله، فإن كان ذلك يجزئ عني وإلا صرفتها إلى غيركم". فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها.

وفي ذلك توجيه لأهل التربية أن يربوا من يقوم بتربيتهم على سؤال أهل العلم، فيما يعرض لهم من أمورٍ وأحوالٍ حتى يعرفوا الحكم الصحيح لها.

ثالث عشر- التربية الغذائية:

وهذا يتضح في حديث: "إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة، فإن لم يجد تمرًا فالماء فإنه طَهُور" فقد تضمن هذا الحديث التربية الغذائية من خلال بيان بعض أنواع الطعام والشراب التي يفطر عليها الصائم. وقد اكتشف العلم الحديث فوائد التمر الكثيرة للصائم خاصة ولغيره عامةً، فضلاً عن فوائد الماء التي اتفق عليها القاصي والداني.

٤١- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد: ٢٢-٢٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[الإسراء: ٢٣-٢٤].

الحديث رقم (٣٣٧)

٣٣٧- وعن أَبي بكرة نُفَيع بن الحارث رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**)) -ثلاثًا- قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُول الله، قَالَ: ((**الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**))، وكان مُتَّكِئًا فجَلَسَ، فَقَالَ: ((**ألاَ وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**)) فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

الزور: الكذب والباطل والتهمة[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧/١٤٣) والسياق للحميدي في جمعه (٣٦٤/١، رقم ٥٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٥٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

الشرح الأدبي

المتأمل لأسلوب الرسول ﷺ يجد أنه يتسم بالانفعال، والنبرة العالية التي تعكس خطر الأمر، وقد ضمَّن أسلوبه لتقويم الخطأ ألواناً بلاغية تحمل عناصر التنبيه والإيقاظ والإثارة والتشويق حتى يضمن متابعة المخاطب للخبر مع تمام يقظته واستشرافه وتركيزه وإنصاته واستخدم أفعالاً وصيغاً ترفع درجة الإحساس بالخطر الناجم عن الفعل مع ما حمله الحديث من حركات تعبيرية ساعدت على تجسيد المعنى وبيان خطر الشرك ،وخطر الزور.

من هذه الأساليب البلاغية: بداية الحديث بطرقة المستفتح (ألا) للتنبيه، وإثارة المخاطب، وتدل على تحقق ما بعدها. وقوله: (ألا أنبئكم) صعَّد هذا التنبيه، وزاد المخاطب تشويقاً؛ لأن مادة الفعل (أنبئكم) تعني الخبر العظيم.

وقد زاد التشويق درجة بعد درجة بأفعل التفضيل (أكبر) التي أعطت الخبر المنتظر في خيال المخاطب حجماً لا يلتفت معه إلى شيء حتى يعرف مضمونه، ثم رفع درجة التشويق أكثر بإضافة أفعل التفضيل لكلمة (الكبائر) فبلغ بها قمة الإثارة والتشويق وملك بها على المخاطبين أفهامهم وأسماعهم، ثم التكرار ثلاثاً لجملة البداية (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)، وتكرار العبارة يؤكد المعنى، ويرفع درجة التشويق، والإثارة التي تهز الوجدان وتملك على المخاطب أقطار نفسه، ويصير درجة بعد درجة في قمة الترقب مما يربي المهابة ويضمن للخبر الثابت والفاعلية، أضف إلى ذلك أن هذا الذي يكرر العبارة في قمة الوعي بمدلولها مع قمة الصدق فيها.

قوله: (الإشراك بالله...) حذف المسند إليه وهو (أكبر الكبائر) لدلالة الكلام السابق عليه، وقوله: (عقوق الوالدين) جملة معطوفة على ما قبلهما لوجود المناسبة وعدم المانع، وقوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر...) ثم قوله: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين...) تفصيل بعد إجمال أحدث تطلعاً وتشويقاً، وقول الصحابي: (وجلس وكان متكئا) جملة حالية تعكس الاهتمام والعناية وسبب الاهتمام بذلك، وتأكيد الحرمة كون الزور، أو شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر؛ لأن الحوامل

عليه كثيرة: كالعداوة والحقد والحسد... وغير ذلك، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، والشرك مفسدته قاصرة، ومفسدة الزور متعدية، أما عن انعكاس هذا الفعل على المخاطبين فإن هذا الجلوس المفاجئ من الاتكاء يثير الدهشة، ويربط المخاطب بالمتكلم بحاسة البصر بعد حاسة السمع مما يزيد الخبر تمكناً في النفس وثباتاً مع الزمن؛ لأن هيئته ﷺ بين يدي حديثه غاضباً جارهاً بالصوت محمر الوجه مشيراً بيديه في انتفاضة تنذر بالعذاب تنطبع في الذهن مع انطباع المعنى مما يحقق - مع دوامها وثباتها - دوام وثبات تأثيرها كلما استدعاها موقف كما تلقّاها لحظة الحديث، وهذا التأثير هو الذي مكّن الصحابي من نقل الموقف بكل دقائقه.

وقوله: (ألا وقول الزور) و(ألا) كلمة تنبيه وتحضيض لضبط ما يقال وفهمه على وجهه، والزور في الأصل الانحراف وفي الاستعمال هو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق؛ وإنما كرره بهذا الوجه؛ لأن الدواعي إليه كثيرة وأسهل وقوعاً على الناس، والشرك ينبو عنه المسلم، وعقوق الوالدين ينبو عنه الطبع، وتكرار قوله: (ألا وقول الزور) بعد اتكائه ثم جلوسه المفاجئ يعكس اهتمامه الشديد بتبليغ الخبر بحجمه الذي يشعر به للمخاطبين وتعظيمه لخطر هذا الفعل وغفلة الناس عنه لذا سبقها بعمل يقسر الانتباه، وبأداة تساوق العمل في مغزاه.

وتجد أثر العبارة، ومدى ما وصل إليه معنى الحديث في أغوار النفوس وما أحدث في وجدانهم تجد ذلك في تعبير الصحابي في قوله: (فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) حيث عبر بالفعل المضارع الذي يدل على الاستمرار مع استحضاره للصورة في قوله (يكررها) وقبله بالفعل الذي يدل على الاستمرارية (ما زال) بدلالته، ثم استخدامه لـ (حتى) التي تدل على أن الأمر بلغ غايته ثم استخدامه للفعل (قلنا) متصلاً بناء الفاعلين إشارة إلى عموم الإحساس بمدى الانفعال الذي كان فيه الرسول ﷺ حتى أشفق الجميع عليه من شدة تأثره. الأمر الذي انطبع في وجدان المخاطبين، وأحدث هذا التجاوب، وقولهم: (ليته سكت) التي جعلت سكوته من طول ما كرر أمراً متمنى بعيداً حتى استخدموا (ليت) التي تستخدم في تمني البعيد، والمستحيل لشدة انفعاله وتأثره.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام، والترهيب، والتكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشرك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من عقوق الوالدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قول وشهادة الزور.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حب الصحابة وشفقتهم على النبي ﷺ.

سادسًا: من أساليب الدعوة: لفت الانتباه.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الغموس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام، والترهيب، والتكرار:

لقد ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي يحصل بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، أما بالنسبة للترهيب فإنه يقصد به (تخويف المدعو بالله تعالى وتحذيره من نزول عذابه، بغرض إبعاده عن المهالك المترتبة على كفره أو نفاقه أو شهواته المحرمة وعصيانه، تحقيقًا للسعادة في الدنيا والفوز في الآخرة)[2]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ: "أكبر الكبائر"، أما التكرار فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"، ثلاثًا، والتكرار يعين الداعية على استحضار أذهان المدعوين، ولفت انتباههم لمعرفة الأمر المدعو إليه وبيان أهميته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشرك:

إن الله عز وجل أرسل رسله، وأنزل كتبه،وخلق السماوات والأرض ليُعرف ويُعبد ويوحد ويكون الدين كله لله، والطاعة كلها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٣٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٣٨).

(٢) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية بنت نياز ص ٣٣.

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤].

فأخبر سبحانه أن القصد بالخلق والأمر: أن يُعرف بأسمائه وصفاته، ويُعبد وحده لا يُشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٥].

فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله عليهم السلام وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشد منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات.

فتأمل هذا الأصل حق التأمل، واعتبر تفاصيله، تعرف به حكمة أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، فيما فرضه على عباده، وحرّمه عليهم، وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٣) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٧.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.

فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود، كان من أكبر الكبائر على إطلاق[١].

وهذا ما بيّنه النبي ﷺ في الحديث من قوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)، ثم ذكر من ذلك: (الإشراك بالله) "وقد حرّم الله تعالى الجنة على كل مشرك..، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة، أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقبل له فيها عثرة"[٢]، فهو القائل عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي: إن الله لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر تعالى ما عدا ذلك من الذنوب لمن يشاء)[٤]، (فالمشرك أجهل الجاهلين بالله، حيث جعل له في خلقه ندًا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه)[٥]، وهذا ما أكده الحق في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من عقوق الوالدين:

إن برّ الوالدين من أوجب الواجبات، وأجل الطاعات، وأعظم القربات إلى إرضاء رب العباد، لذا قرنه سبحانه بعبادته، فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى

---

(١) الداء والدواء ابن القيم ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٢) المرجع السابق ٢٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢٥/٢.

(٥) الداء والدواء، ابن القيم ص ٢٢٩.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٣.

صَغِيرًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣].

وقد عظم الحق تبارك وتعالى برّهما، وأوصى بالإحسان إليهما فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥].

وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في قوله: ((إنَّ الله يُوْصِيْكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ، ثم يُوْصِيْكُمْ بآبَائِكُمْ، ثم يُوْصِيْكُمْ بالأَقْرَبِ فالأَقْرَبِ))[٦]. لذا كانت مخالفة أمر الله تعالى ورسوله ﷺ في بر الوالدين من أعظم الجرائم وأكبر الكبائر، وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، ثم ذكر ﷺ عقوق الوالدين بعد الشرك بالله؛ ليؤكد ﷺ على عظم إثم من عقّ والديه، وقد رهب النبي ﷺ من ذلك فقال: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة" ثم ذكر ﷺ منهم ((العاقُّ لِوَالِدَيْهِ))[٧].

قال النووي: (ومعنى لا ينظر إليهم، أي: يعرض عنهم، ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته ولطفه بهم)[٨].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٨.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٦٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٤).

(٧) أخرجه النسائي ٢٥٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٤٠٢).

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

وقال ﷺ: ((رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ)) قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: ((مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ))[١].

قال النووي: (قوله ﷺ: "رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة"، قال أهل اللغة: معناه ذل. وقيل: كره وخزي وهو بفتح الغين وكسرها وهو الرغم بضم الراء وفتحها وكسرها، وأصله لصق أنفه بالرغام وهو تراب مختلط برمل.

وقيل: الرغم كل ما أصاب الأنف مما يؤذيه، وفيه الحث على بر الوالدين وعظم ثوابه. ومعناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة أو النفقة أو غير ذلك، سبب لدخول الجنة، فمن قصر في ذلك فاته دخول الجنة وأرغم الله أنفه)[٢].

وفي ذلك بيان عظيم على جوب برّ الوالدين والترهيب الشديد من عقوقهما.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قول وشهادة الزور:

ورد الترهيب من قول وشهادة الزور في هذا الحديث في قول الراوي: (وكان متكئًا فجلس فقال:"ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت" قال ابن حجر: (قال القرطبي: إن شهاة الزور هي الشهادة بالكذب، ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها، ولا أكثر فسادًا بعد الشرك بالله)[٣].

وقال النووي: (وأما قوله: "فكان متكئًا فجلس"، فجلوسه ﷺ لاهتمامه بهذا الأمر، وهو يفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه)[٤].

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى صفات عباده فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾[٥]

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٦/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٩.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

قال القرطبي: (والزور كل باطل زُوّر وزخرف. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق. وقال أكثر أهل العلم: ولا تقبل له شهادة أبدًا، وإن تاب وحسن حاله فأمره إلى الله)[1]، وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قول وشهادة الزور.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حب الصحابة وشفقتهم على النبي ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: حب الصحابة رضي الله عنهم وشفقتهم على النبي ﷺ، ويظهر ذلك فيما ورد في قول راوي الحديث: "فما يزال يكررها حتى قلنا ليته سكت"، قال ابن حجر: (أي تمنيناه يسكت إشفاقًا عليه لما رأوا من انزعاجه في ذلك)[2]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثرون حبه ﷺ على حبهم لأنفسهم، وفي ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس رضي الله عنه: (أسلم فوالله لأن تسلم كان أحبَّ إلي من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا ما رأيت رسول الله ﷺ يحبُّ أن يكون لك سبقًا، وفي رواية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأَنَا بِإِسْلَامِكَ كُنْتُ أَسَرَّ مِني بِإِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ لِمَرْضَاةِ رَسُولِ اللَّهِ)[3]، وفي ذلك بيان عظيم على حب الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم لحبه ﷺ على حبهم لأنفسهم.

سادسًا- من أساليب الدعوة: لفت الانتباه:

هذا ما ورد في الحديث في قول الراوي -واصفًا النبي ﷺ- وكان متكئًا فجلس، ولفت الانتباه من الأساليب الدعوية التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين لاستدراك أهمية الأمر المدعو إليه.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قتل النفس:

ورد الترهيب من قتل النفس في هذا الحديث في قوله ﷺ بعد ذكر الكبائر "وقتل النفس" ومما لاشك فيه أن قتل النفس من أكبر الكبائر، وفي ذلك قال تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٣/٧٩-٨٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢٥.

(٣) حياة الصحابة، الكاندهلوي ص ٤٥٥.

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١].

قال السعدي رحمه الله: (إنه لم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذاالوعيد، بل ولا مثله، ألا: هو الإخبار، بأن جزاءه جهنم. أي: فهذا الذنب العظيم، قد انتهض وحده، أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسارة)[٢]، وفي ذلك قال ﷺ ((لن يزالَ المرءُ في فسْحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا))[٣].

قال ابن حجر: (قوله: "في فسحة" بضم الفاء وسكون المهملة وبحاء مهملة أي سعة.

قوله: "من دينه" كذا للأكثر بكسر المهملة من الدين، وفي رواية الكشميهني "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور، وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل)[٤].

وفي ذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما: (إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه)[٥].

قال ابن العربي: (ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق والوعيد في ذلك، فكيف بقتل الآدمي، فكيف بالتقي الصالح)[٦]. وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قتل النفس.

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٥٧.

(٣) البخاري، ٦٨٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٩٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٦٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٢/١٩٦.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الغموس:

لقد رهّب النبي ﷺ من اليمين الغموس في قوله ﷺ بعد ذكر "الكبائر" "واليمين الغموس" وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله[1]، ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[2] أي: (لا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلاً وخديعة بينكم، تغرون بها الناس "فتزل قدم بعد ثبوتها" أي: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين)[3].

قال ابن حجر: (وقوله: "دخلاً مكرًا وخيانة" هو من تفسير قتادة وسعيد بن جبير أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: خيانة وغدرًا، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير قال: يعني مكرًا وخديعة، وقال الفراء: يعني خيانة، وقال أبو عبيدة: الدخل كل أمر كان على فساد؛ وقال الطبري: معنى الآية لا تجعلوا أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم توفون بالعهد لمن عاهدتموه دخلاً أي خديعة وغدرا ليطمئنوا إليكم وأنتم تضمرون لهم الغدر انتهى. ومناسبة ذكر هذه الآية لليمين الغموس ورود الوعيد على من حلف كاذبا متعمدا)[4].

---

(١) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٣٨٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣٤٨/١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٥/١١.

الحديث رقم (٣٣٨)

٣٣٨- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْس، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**)) رواه البخاري[1].

"اليَمِينُ الغَمُوسُ" التي يحلفها كاذبًا عامدًا، سميت غَمُوسًا، لأنها تَغْمِسُ الحَالِفَ في الإثم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

الشرح الأدبي

يتناول هذا الحديث عدداً من الذنوب لها صفات خاصة، وأثر خاص على الفرد والمجتمع أما وصفها فقد وصفت بأنها من الكبائر وأما تأثيرها فإنها تتعدى بضررها الفرد إلى الجمع، وقد ساق الرسول ﷺ المعنى في صورة خبرية تتميز بالتشويق، وإثارة الانتباه وذلك عن طريق ذكر اللفظ الموحي مسنداً إليه في قوله (الكبائر) وهو لفظ مثير لدلالته على جمع كبيرة، وهي الذنب العظيم، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا شديدي الحرص على تجنب الصغائر، وقوله (الإشراك بالله...) فيه إيجاز بالحذف تقديره: هي كذا، وكذا، وتعلق الإشراك بالله يظهر مدى ما بلغه الفعل صعوداً في درج الذنوب، وتلاه بعقوق الوالدين لأن من هضم حق خالقه بعدم توحيده حري بأن يُقدَّم على من عق والديه ثم عق والديه اللذين كانا سبباً في إيجاده حري بأن يقدَّم على قتل النفس، وفيه قيد محذوف تقديره: دون حق لأن من قتل نفساً قصاصاً عادلاً لا يدخل في الوعيد، وأدرج القتل في الكبائر لتعديه على النفس التي حرم الله، ولذلك قُدِّم على اليمين الغموس، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في الذنوب، أو في النار، فترتيب ذكر هذه الكبائر من الأعلى للأدنى تقديماً للأهم على المهم.

---

(١) برقم (٦٦٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٧١٦).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين: الأول: حكم قتل النفس بغير حق، وقد اتفق الفقهاء[١] على أنه يحرم قتل النفس بغير حق ولو كانت غير مسلمة، لأن نفس الإنسان لها عصمتها، والدماء لها حرمتها، فلا تسال بغير حق، ولا يجنى عليها بغير ذنب.

الثاني: حكم اليمين الغموس، وقد اتفق الفقهاء على أن اليمين الغموس هي اليمين التي يحلف بها صاحبها متعمدًا وهو يوقن أنه كاذب، سواء أكان حلفه على شيء ماض أم حاضر أم مستقبل، وسواء أكانت على النفي أم الإثبات، وسميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في النار، وقد اختلف الفقهاء في حكم التكفير عن هذه اليمين على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[٢] والمالكية[٣] والحنابلة في المذهب[٤] إلى أنها لا تكفر لكونها أكبر الإثم عند الله تعالى.

القول الثاني: ذهب الشافعية[٥] والإمام أحمد في رواية[٦] إلى أن الحالف بها يأثم ويكفر عنها كغيرها من الأيمان.

المضامين الدعوية[٧]

---

(١) المبسوط ٨٤/٢٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٣١/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٧٨/٢، وتحفة المحتاج ٣٧٥/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢/٤ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٥٣/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥ وما بعدها.

(٢) المبسوط ١٢٧/٨، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود شرح الطيبي ٣/٣.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٧/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٢/١.

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٢٩/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٤٣/٦.

(٥) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ٢٤٠/٤، وتحفة المحتاج ٥/١٠.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي ٢٢٩/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي ٣٤٣/٦.

(٧) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٣٩)

٣٣٩- وعنه أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ!))، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: ((نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: ((إنَّ مِنْ أكْبَرِ الكَبَائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!))، قِيلَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: ((يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

ونكتفي بالشرح الأدبي للرواية الثانية؛ لأنها استوعبت الرواية الأولى، وزادت عليها في بعض التراكيب بيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث خطر السباب، أو التسبب فيه، وخاصة سباب الوالدين، أو التسبب فيه ويؤكد أن هذا الذنب من أعظم الذنوب تحذيراً منه، وبياناً لخطره، ولذلك استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها:

البداية بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة مع أن المقام لخال الذهن تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين لما بدا عليهم من علامات التساهل في تبادل السباب والتهاون

---

(١) أخرجه مسلم (٩٠/١٤٦).أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨٧).

(٢) أخرجها البخاري (٥٩٧٣)، والسياق للحميدي في جمعه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨٧).

تنبيه: أورد الحميدي هذا الحديث في جمعه (٤٣١/٣، رقم ٢٩٣١) في المتفق عليه، وقال: عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، وساق اللفظ الأول، ثم قال: وفي رواية إبراهيم بن سعد مسندًا، ثمّ ذكر اللفظ الثاني، ففهم منه النووي، أن اللفظ الأول متفق عليه، وأن الثاني رواية أخرى لهذا الحديث، وليس الأمر كذلك، بل اللفظ الأول أخرجه مسلم، واللفظ الثاني أخرجه البخاري، وليس عند البخاري إلا في موضع واحد فقط.

وقع المنذري في ترغيبه، فيما وقع فيه المؤلف فاعتبر الرواية الأولى من المتفق عليه.

في تجنب أسبابه، مع ما يوجبه توكيد الخبر ابتداءً من عناية به واهتمامٍ، بمضمونه، ثم التشويق بأفعل التفضيل في قوله: (إن من أكبر الكبائر) حيث بدأ الرسول ﷺ بتوكيد الخبر وسلط هذا التوكيد على صيغة (أفعل) التفضيل مرتقياً به قمة المعنى المراد ثم أضاف هذه الصيغة (أكبر) إلى لفظ (الكبائر) مرتقياً به درجة أعلى، وصلت بالمعنى إلى ذروة الخطايا فجعلت هذا الذنب من الكبائر ثم رفعته درجة بها صار أكبر هذه الكبائر، وأعظم الذنوب.

الطريف أنه لم يَذكر بَعْدُ هذا الكبير الذي فاق كل الكبائر الأمر الذي جعل المخاطب في قمة الترقب والتطلع لمعرفة كنه هذا الذنب خشية أن يكون ملماً به، واقعاً فيه، أو حتى لمجرد الاحتياط، والحذر منه، وهذا الأسلوب في التشويق والإثارة يمهد النفوس تماماً ويعدُّها لتلقي الخبر وهي في أتم يقظة وإدراك لعظم هذا الذنب، وخطره حتى إذا ما تلقته، وأدركته وقع منها موقعاً لا تنساه ولا تستهين به.

أضف إلى ذلك ذكره للخبر الغريب (أن يلعن الرجل والديه) لأن لعن الوالدين أمر مناف للفطرة مثير للعجب بعيد عن التصور - لا سيما - إن كان المخاطبون ثلة طاهرة من أصحاب الرسول ﷺ عَفَّة ألسنتهم نقيَّة قلوبهم، لذلك جاءت استفهامة الصحابي عفوية عجلى تعكس تحقيق الأسلوب لأغراضه بتحقيق الإثارة للذهن وتحقيق التشويق وإعداد المخاطب للخبر، وإشراكه في الحوار باستفهام التعجب والاستبعاد في قوله: (وكيف يلعن الرجل والديه؟) لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك، وصياغة الفعل في صورته المضارعية في قوله: (يسب أبا الرجل...) لاستحضار الحالة الحوارية بين المتسابين، وتبادلهم للعنات. بغرض تقبيح الفعل والتنفير منه.

وتكرار الفعل عدة مرات: (يسب - فيسب - ويسب) ثلاث مرات، إحداهما ارتبطت بما قبلها بفاء السببية إشارة إلى أنه السبب في وقوع السب على والديه، وتكرار الفعل لجعله ملئ الأسماع، والأفهام وتقريره في الذهن، لأنه موضع الخطأ، ومحل التقويم، ومركز الحديث، والنص على ذكر الفعل في جانب الأم في قوله: (فيسب أباه ويسب أمه) مع إمكان الاستغناء عنه بما ذُكر في جانب الأب إشارة إلى

استقلالية الخطأ في حق كل منهما فسب الأب كبيرة منفردة، وسب الأم كبيرة أخرى بالإضافة إلى ما يؤكده من مضمون المعنى، وتقريره.

وقوله: (أن يلعن الرجل والديه) مجاز مرسل علاقته المسببية حيث أطلق المسبب، وهو لعن الرجل والديه، وأراد السبب، وهو سب الرَّجل لوالدي غيره، والتعبير بالمجاز هنا أفاد المبالغة في بيان خطر سب الآخرين، وجعله لعناً للوالدين بغرض التنفير منه، والتحذير من عاقبته، لأنه ينمي الكراهية وقطع أواصر المحبة، لذلك قاومه الرسول ﷺ بكل أشكاله[1]

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- إن لعن الرجل والديه يعد من أكبر الكبائر[2]، وذلك لأنه فرد من أفراد العقوق، ولأنه إن كان التسبب إلى لعن الوالدين يعد من أكبر الكبائر، فالتصريح بلعنه أشد[3].

قال ابن تيمية: (فإذا كان النبي ﷺ قد جعل من الكبائر أن يسب الرجل أبا غيره لئلا يسب أباه، فكيف إذا هو سب أباه مباشرة؟!)[4].

٢- وفيه أن من آل فعله إلى محرم، فإنه يحرم عليه ذلك الفعل، حتى وإن لم يقصد إلى ما يحرم[5].

والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا

---

(١) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري ص ٢٢٩.

(٢) تفسير القرطبي ٢٣٨/١٠، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد البكري ٢٨٢/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/١٠، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٣/١٠.

(٤) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٢٦/٢٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٤/١٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٨/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٥٩/٢، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[١]، وهي القاعدة المعروفة بسد الذرائع.

٣- وفيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء[٢].

٤- وفيه دليل على العمل بالغالب، لأن الذي يسب أبا الرجل، يجوز أن يسب الآخر أباه، ويجوز ألا يفعل، ولكن الغالب أن يجيبه بنحو قوله[٣].

٥- وفيه مراجعة الطالب لشيخه فيما يقوله مما يشكل عليه[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب، والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من سب الوالدين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه.

رابعًا: من مهام الداعية: توضيح ما أشكل فهمه على المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب، والتوكيد:

لقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث في قوله ﷺ: "من الكبائر"، وفي رواية: "من أكبر الكبائر"، (وهو من الأساليب الدعوية المهمة التي بها يتم الوعيد والتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية، أو اقتراف سيئة منهيٍّ عنها، أو التهاون في أمر من أمور الدين أمر الله به، أو أداء فريضة على كل مسلم ومسلمة)[٥]، (والأصل أن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، مما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٦]، أما التوكيد كأسلوب

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٨/٢، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٥/١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٤/١٠، وسبل السلام، الصنعاني ١٦٦/٤.

(٤) المرجع السابق ٤٠٤/١٠.

(٥) دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية الحلواني ص ١٣٩.

(٦) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

دعوي فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "إن من أكبر الكبائر"، وبه يتم تثبيت الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين وتأكيده بما لا يدع فيه مجالاً للشك.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من سب الوالدين:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث الترهيب من سب الوالدين، (فكما لا يجوز للولد أن يلعن أو يسب والديه أو أحدهما، كذلك لا يجوز أن يكون سببًا في سبّ أحدهما أو لعنه، وذلك بأن يلعن أحدًا أو يسبّه في أبيه أو أمه، فيسب المسبوبُ أو الملعونُ أباه وأمه، لأن هذا عادة الناس وطباعهم)[1]، وكون الولد متسببًا في لعن أو سب والديه فإنه عقوق، وهو من أكبر الكبائر، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، وفي رواية: "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه".

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، إلى آخره، ففيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقًا لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذيًا ليس بالهين.. وفيه قطع الذرائع، فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير لمن يتخذ الخمر، والسلاح لمن يقطع الطريق ونحو ذلك، والله أعلم)[2].

وقد أكد النبي ﷺ على الترهيب من أن يكون الولد متسببًا في لعن أو سب والديه، فعن المعرور بن سويد قال: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ! لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلاَمٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ

---

(١) بر الوالدين، القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي ص ١٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠.

تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))[١].

قال النووي رحمه الله: (وقوله: "فيك جاهلية" أي: هذا التعيير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم، وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم، ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية. وقوله: "قلت يا رسول الله من سب الرجال سبوا أباه أو أمه قال: يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية" معنى كلام أبي ذر الاعتذار عن سبه أم ذلك الإنسان يعني أنه سبني، ومن سب إنسانًا سب ذلك الإنسان أبا الساب وأمه، فأنكر عليه النبي ﷺ وقال: (هذا من أخلاق الجاهلية"، وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه)[٢].

وفي ذلك قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (من الكبائر عند الله تعالى أن يستسبَّ الرجل لوالده)[٣].

ولهذا كان السابُّ واللاعن لوالديه ملعونًا، والعياذ بالله تعالى، فعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: قُلْنَا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: أَخْبِرْنَا بِشَيْءٍ أَسَرَّهُ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: مَا أَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا كَتَمَهُ النَّاسَ. وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ. وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ))[٤]، فعلى المرء أن يتجنب أن يكون سببًا في لعن أو سب والديه حتى لا تصيبه لعنة الله وغضبه.

ثالثًا- من واجبات المدعو: الاستفهام عما أشكل عليه:

إن من واجبات المدعو المستنبطة من هذا الحديث الاستفهام عما أشكل عليه، حتى يكون واعيًا ومستوعبًا لما يسمعه أو يقرأه، وقد أشار الحديث إلى ذلك في قول الصحابة رضي الله عنهم: (وهل يشتم الرجل والديه؟)، وفي رواية: (يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟)، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠، ومسلم ١٦٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٨ - ١٠٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٨، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٢٢).

(٤) أخرجه مسلم ١٩٧٨.

تَعْلَمُونَ﴾[١]، وفي ذلك قال السعدي: (إن الله أمر بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث عند جهلها)[٢]، وفي ذلك عظيم الفائدة.

رابعًا- من مهام الداعية: توضيح ما أشكل فهمه على المدعوين:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يبيّنوا لهم ما أشكل فهمه عليهم، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٤]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة، وقد كان عليه السلام (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه ما أشكل فهمه عليهم"[٥]، وهذا ما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: (نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)، وذلك بعد أن أشكل على الصحابة رضي الله عنهم فهم قوله صلى الله عليه وسلم: (من الكبائر شتم الرجل والديه)، فحري بالداعية أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٦].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (٣٤٠)

٣٤٠- وعن أَبي محمد جبيرِ بن مطعم رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**)) قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

جبير بن مطعم: هو ابن عدي بن نوفل القرشي.

ابن عم النبي ﷺ، وشيخ قريش في زمانه، كان من أكابر وعلماء قريش، وكان شريفًا مطاعًا، من الطلقاء الذين حَسُن إسلامهم، قدم على النبي ﷺ في فداء أُسارى بدر وهو مشرك، فقال: وافقت رسول الله ﷺ وهو يصلي بأصحابه المغرب أو العشاء، فسمعتُه وهو يقرأ، وقد خرج صوتُه من المسجد، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[2] قال: فكأنما صَدَع قلبي، فكان يومئذٍ أول ما دخل الإسلام قلبي، قال: فلما سمعته يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾[3] فكاد قلبي يطير، فلمَّا فرغ في صلاته كلَّمتُه في أسارى بدر، فقال: ((لو كان الشيخُ أبوك حيًا فأتانا فيهم شفّعْناه))[4].

وذلك ليدٍ كانت لمطعم عند رسول الله ﷺ في أنه أجار النبي ﷺ حين رجع من الطائف، وقام في نقض صحيفة القطيعة، وكان يحنو على أهل الشِّعب، ويصلهم في السر، ولم يكن يشرف لعداوة النبي ﷺ ولا يؤذيه، كما كان يفعل غيره.

وقد أسلم جبير قبل فتح مكة، وقد قال النبي ﷺ فيه ((إن بمكة أربعة نفر من

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦/١٨) ولفظهما سواء، وأما قول سفيان، فتفرد مسلم بذكره عقب الحديث. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٢٩).

(٢) سورة الطور، آية: (٧-٨).

(٣) سورة الطور، آية: (٣٥-٣٦).

(٤) أخرجه البخاري، رقم (٤٠٢٣) (٤٠٢٤).

قريش أربأ بهم عن الشرك، وأرغب لهم في الإسلام، عَتَّابُ بن أُسيد، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمر))[1].

وكان من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول إنما أخذتُ النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان أبوبكر من أنسب العرب، وكان جبير رضي الله عنه ممن يُتَحاكَمُ إليه، وقد تحاكم إليه عثمان وطلحة رضي الله عنهما في قضية، وهو أحد الذين دفنوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أول من لبس طيلسانًا بالمدينة، وقيل إنه كان من عمَّال عمر رضي الله عنه على الكوفة، وإنه ولاَّه قبل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وله رواية وأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بلغت ٦٠ حديثًا توفي بالمدينة، سنة ٥٧هـ، وقيل ٥٩هـ في خلافة معاوية[2].

الشرح الأدبي

بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم خطأ قطيعة الرحم، وأكد على وجوب صلتها، والصبر على ذلك؛ لأن الوشائج الأسرية هي وسيلة التماسك للحلقة الصغرى في بناء المجتمع المسلم منها يمكن الانطلاق إلى دائرة أوسع للتواصل، والتراحم والتكافل في أرجاء المجتمع، وأسلوب الحديث يعتمد أسلوب إيجاز القصر في إرسال عبارة الترهيب قصيرة مدوِّية تهز وجدان المخاطب وقد جاءت في أسلوب النفي الذي مثَّلت فيه (لا) النافية سداً منيعاً بين باب الجنة، والقاطع تمنعه من الدخول، والفعل المضارع الذي دخلت عليه يصورٌ هذا الحدث ويجعله بين السمع، والبصر، وحذف المضاف إليه (قاطع رحم) تحذيراً من كل أشكال القطيعة التي تؤدي إلى تمزق المجتمع المسلم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم (٦٥٨٢)، وذكره الهندي في كنز العمال (٣٣٦٩٢).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١١٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١/٥١٥-٥١٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٧٨)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣/٩٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١/٤٣٩-٤٤٠)، وتهذيب التذهيب (١/٢٩١-٢٩٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢/١١٢)، وموسوعة عظماء حول الرسول (١/٥٥٨-٥٥٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قطيعة الرحم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الأرحام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد ورد الترهيب من قطيعة الرحم في هذا الحديث في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة قاطع). ليبيّن النبي ﷺ خطورة هذا الأمر وعاقبته الوخيمة التي تؤدي إلى حرمان المؤمن من دخول الجنة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قطع الرحم:

إن من موضوعات الدعوة التي يجدر بالداعية أن يعالجها ويحذر المدعوين منها قطيعة الرحم، وهذاما ورد في الحديث في قوله ﷺ "لا يدخل الجنة قاطع" قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم، وقد رهب المولى عز وجل من قطع الرحم فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[1] قال ابن كثير: (وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا وعن قطع الرحم خصوصًا)[2].

وفي الترهيب من ذلك قال ﷺ: (خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك" قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[3][4] وقال ﷺ: ((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٨/٧.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨٣٠، ومسلم ٢٥٥٤.

مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))[١].

قال المباركفوري: (قوله: "ما ذنب" ما نافية ومن زائدة للاستغراق "أجدر" أي أحرى "أن يعجل الله" صلة أجدر على تقدير الياء أي بتعجيله سبحانه "لصاحبه" أي لمرتكب الذنب "العقوبة" مفعول يعجل "مع ما يدخر" بتشديد الدال المهملة وكسر الحاء المعجمة أي مع ما يؤجل من العقوبة "له" أي لصاحب الذنب "من البغي" أي من بغي الباغي وهو الظلم أو الخروج على السطان "وقطيعة الرحم" أي ومن قطع صلة ذوي الأرحام)[٢]. وفي ذلك بيان عظيم على الترهيب من قطع الرحم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على صلة الأرحام:

يستنبط هذا من عموم هذا الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣]، قال السعدي: (وقد افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك)[٤]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))[٥].

قال النووي: (ينسأ مهموزًا أي: يؤخر والأثر الأجل؛ لأنه تابع للحياة في أثرها، وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه، وأما التأخير في الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦]، وأجاب العلماء بأجوبة: الصحيح منها: أن هذه الزيادة

---

(١) سنن الترمذي ٢٥١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٤٤/٢.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٥٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٤.

بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع في غير ذلك، والثاني: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفي اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[1] فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره، ولا زيادة، بل هي مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين، تتصور الزيادة وهو مراد الحديث)[2].

وقد جعل الله تعالى صلة الأرحام باب صلته تعالى وحبه، فعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمن، وَأَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَاشْتَقَقْتُ لَهَا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ))[3]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((من اتقى ربه ووصل رحمه، نُسئ له في أجله، -وفي لفظ: أُنسيء له في عمره- وثرا ماله وأحبه أهله))[4]، فعلى الداعية أن يرغب في صلة الأرحام، ويحث على القيام بحقها، حتى يسعد الواصل في ذلك بنعيم الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٨، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٣).

الحديث رقم (٣٤١)

٣٤١- وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيه[1].

قوله: (مَنْعًا) مَعنَاهُ: مَنْعُ مَا وَجَبَ عَلَيهِ، وَ(هَاتِ): طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ. وَ(وَأْدَ البَنَاتِ) مَعنَاهُ: دَفنُهُنَّ فِي الحَيَاةِ، وَ(قِيلَ وَقَالَ) مَعْنَاهُ: الحَديث بكُلّ مَا يَسمَعهُ، فيَقُولُ: قِيلَ كَذَا، وقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلا يَظُنُّهَا، وَكَفَى بالمَرْءِ كذبًا أنْ يُحَدّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ. وَ(إضَاعَةَ المَالِ): تَبذِيرُهُ وَصَرفُهُ فِي غَيْرِ الوُجُوهِ المأذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرةِ وَالدُّنْيَا، وتَرْكُ حِفظِهِ مَعَ إمكَانِ الحِفظِ. وَ(كَثْرَةُ السُّؤَالِ): الإلحَاحُ فيما لا حَاجَةَ إلَيْهِ.

وفي الباب أحاديث سبقت في الباب قبله:

كحديث: ((وأقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ))[2]. وحديث: ((مَنْ قَطَعَني قَطَعَهُ الله))[3].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بعض الأمور التي حرمها الله على المؤمنين، وقد بدأ الحديث بأسلوب خبري مؤكد بعدة مؤكدات منها أداة التوكيد (إن) واسمية الجملة، مع تصدير الجملة بلفظ الجلالة الذي يوحي بالهيبة، والجلال، ثم الجملة التنزيهية (تعالى)التي تصعِّد هذا الشعور، وقوله (حرم عليكم) يشير إلى أن مسألة التحريم،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧٥) واللفظ له، ومسلم (٥٩٣/١٢، عقب الحديث رقم ١٧١٥/١٠، كتاب الأقضية، باب ٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٤١٨)، و (١٧٨٤).

(٢) برقم (٣١٥).

(٣) برقم (٣٢٣).

والتحليل من عند الله، والفعل الماضي يشير إلى التحقق، وإضافة كاف الخطاب، وميم الجمع إلى حرف الجر يفيد عموم الحكم، وإضافة العقوق للأمهات؛ لأن حقهن أوجب لما يلاقين من عناء، ولحاجتهن إلى الرعاية أكثر، وبين قوله منع، وهات طباق يؤكد المعنى، ويقرر حرمة منع ما يجب إخراجه، وحرمة سؤال ما ليس له، وما لا حاجة إليه، ووأد البنات أي دفنهن أحياء، وبناء الفعل(قيل) يشير إلى نقل كلام الغير (وقال) يشير إلى إذاعة ما سمع ولعله يشير إلى الغيبة، والنميمة، ونشر ما يحدث الفتن بين المسلمين، وفي الحديث سجع بين الجمل الثلاث الأولى بتكرار الألف، والتاء، وبين الجمل الثلاث الأخيرة بتكرار الألف واللام، وهذا السجع يعين على الحفظ والنقل ويساعد على الانتشار، مع ما يحققه من ثبات المعنى، وقبول النفس، وفيه جناس بين قيل، وقال أكد معنى التسمع على الناس، وإذاعة أسرارهم مما يحدث الفرقة، والشحناء بين الناس.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم عقوق الأمهات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة منع حقوق العباد وأخذ ما ليس للمرء فيه حق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرمة وأد البنات.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الكلام بكل ما يسمعه المرء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن إضاعة المال.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

لقد ورد أسلوب التوكيد في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله تعالى" وهو من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية لتثبيت وتأكيد الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين، أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله تعالى حرّم عليكم... إلخ"، (والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى

الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به)[١]. وفي ذلك عظيم الفائدة في إخافة المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم عقوق الأمهات:

"لقد خصّ الله ورسوله ﷺ الأم بالذكر بعد الوصية بالوالدين معًا، وجعل لها من البر أكثر مما للأب، وذلك لأن فضلها على الولد أكثر، وتمتاز بأمور لا يشركها فيها الأب، فاستحقت التقديم بالبر والإحسان، والتقدير والاحترام أكثر مما للأب، وذلك بثلاثة أمثال ما للأب:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾[٣].

ففي الآيتين الكريمتين ذكر الوصية بالوالدين، ثم خصّ الأم بالذكر، وذكر لها ثلاثة أمور تنفرد بها عن الأب: الحمل، والولادة، والرضاع الذي يستمر سنتين كاملتين، وكلٌ من هذه الأمور الثلاثة التي تختص بها الأم -ولا يعرفها الرجل إلا نظرًا- تجعل الأم تستحق من البر أكثر مما يستحقه الرجل. ولها الحظ الأوفر من البر، إضافة إلى ضعفها، وقوة الرجل، وعدم قدرتها -غالبًا- على استخلاص حقها، لذا تُقدَّم في ذلك على الأب عند المزاحمة.

ولذا نلاحظ أن الله سبحانه غلّب جانب الوالدة في الذكر على جانب الأب، عندما جمع بينهما، فلم يقل الله تعالى: "بأبويه" لأنه تعالى لو قال: "بأبويه" لحصل تنافر بما ذكره من تخصيص الأم بالحمل والوضع...، فكان تغليب جانب الأم في الذكر هنا

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٥٧.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٣) سورة الأحقاف، آية: ١٥.

"بوالديه" ملفتًا للنظر، في تقديم الوصية بها، والاعتناء بها، وتقديم برها، وبيان مكانتها)[١].

وهذا ما أكده النبي ﷺ وحثّ عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ))[٢].

لذا حرّم الحق تبارك وتعالى عقوق الأمهات، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات". والمراد بالعقوق كما بينه ابن حجر: (هو صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد، وقال: إن تخصيص الأم بالذكر، هو من تخصيص الشيء بالذكر إظهارًا لعظم موقعه)[٣].

والعقوق هنا من أكبر الكبائر، وفي ذلك قال ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكم بأكبَر الكبائِر))، ثم ذكر ﷺ من ذلك: ((وعقوقُ الوالِدَين))[٤]، ثم بيّن ﷺ عظم هذا الذنب فقال: (ثلاثة لا ينظر الله - عزل وجل - إليهم يوم القيامة)، ثم ذكر ﷺ: ((الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ))[٥]، وفي ذلك بيان على عظم الترهيب من عقوق الوالدين وبالأخص عقوق الأم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة منع حقوق العباد وأخذ ما ليس للمرء فيه حق:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "إن الله حرم عليكم"، ثم ذكر ﷺ من ذلك: "ومنعًا وهات"، وبيّن ابن عثيمين: (أن المراد من قوله ﷺ: "ومنعًا وهات"، أن يكون الإنسان جموعًا منوعًا؛ يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ويطلب ما ليس له، وقد حرم الله عز وجل ذلك؛ فلا يجوز للإنسان أن يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ولا

---

(١) بر الوالدين القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٧٣، ومسلم ٨٧.

(٥) أخرجه النسائي ٢٥٦٢، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٤٠٢).

يجوز أن يسأل ما لا يستحق، فكلاهما حرام)[١].

وقد توعد الحق تبارك وتعالى من يمنع ما يجب عليه من بذل المال، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢]، وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في قوله: ((مَن آتاهُ الله مالاً فلم يُؤد زكاتَه مُثِّلَ له ماله شُجاعًا أقرَعَ له زَبيبتان يُطوَّقهُ يومَ القيامة، يأخذُ بلِهْزِمتيهِ - يعني بشدقَيهِ يقول: أنا مالكُ، أنا كَنزُك. ثمَّ تلا هذه الآية: (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خيرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ)[٣]))[٤]، وقد بيّن النبي ﷺ سوء عاقبة من يسأل الناس ما ليس له فيه حق، فقال: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))[٥]، وفي ذلك بيان عظيم على حرمة منع حقوق العباد، وأخذ ما ليس للمرء فيه حق.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حرمة وأد البنات:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: (إن الله تعالى حرم عليكم)، ثم ذكر من ذلك: (وأد البنات)، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[٦]، قال ابن كثير: (والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت،

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٠٦/١ - ٧٠٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٠٣ - ٤٥٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٦) سورة التكوير، الآيتان: ٨ - ٩.

ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا؟!)[١].

وهذا ما أكده السعدي في قوله: (والمؤودة هي ما كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر، فتسأل: (بأي ذنب قتلت)، ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ولكن هذا توبيخ وتقريع لقاتلها)[٢]. وفي ذلك بيان عظيم على حرمة وأد البنات وسوء عاقبة مرتكبه.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن الكلام بكل ما يسمعه المرء:

ورد النهي عن الكلام بكل ما يسمعه الإنسان في قوله ﷺ: (وكره لكم قيل وقال)، قال ابن حجر: (قال المحب الطبري في قيل وقال ثلاثة أوجه: أحدها: أنهما مصدران للقول، تقول قلت قولاً وقيلاً وقالاً، والمراد الإشارة إلى كراهة كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ...، ثانيها: إرادة حكاية أقاويل الناس، والبحث عنها، ليخبر عنها فيقول: قال فلان كذا وقيل كذا، والنهي عنه إما للزجر عن الاستكثار منه، وإما لشيء مخصوص منه، وهو ما يكرهه المحكي عنه، ثالثها: أن ذلك في حكاية الاختلاف في أمور الدين كقوله: قال فلان كذا وقال فلان كذا، ومحل كراهة ذلك أن يكثر من ذلك بحيث لا يؤمن مع الإكثار من الزلل، وهذا مخصوص بمن ينقل ذلك من غير تثبت، ولكن يقلد من سمعه ولا يحتاط له، قلت: ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: ((كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ))[٣])[٤].

قال النووي: (ومعنى الحديث الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدَّث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وقد تقدم أن مذهب أهل الحق أن الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٣/٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه ٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/١٠.

ولا يشترط فيه التعمد، لكن التعمد شرط في كونه إثمًا والله أعلم)[١].

فعلى المرء ألا يتحدث بكل ما يسمع لما في ذلك من الوقوع في الزلل.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن كثرة السؤال:

لقد ورد النهي عن كثرة السؤال في الحديث من قوله ﷺ: "وكره لكم"، ثم قال: "وكثرة السؤال".

قال ابن حجر: (وقد ورد الاختلاف في المراد بكثرة السؤال، وهل هو سؤال المال، أو السؤال عن المشكلات والمعضلات، أو أعم من ذلك؟ وأن الأولى حمله على العموم، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المراد به كثرة السؤال عن أخبار الناس وأحداث الزمان، أو كثرة سؤال إنسان بعينه عن تفاصيل حاله، فإن ذلك مما يكره المسئول غالبا، وقد ثبت النهي عن الأغلوطات... وثبت عن جمع من السلف كراهة تكلف المسائل التي يستحيل وقوعها عادة أو يندر جدا، وإنما كرهوا ذلك لما فيه من التنطع والقول بالظن، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ)[٢].

وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (إن السؤال عن العلم إن كان يقصد به إعنات المسؤول، والإشقاق عليه، وإلحاق السآمة به، أو تلقط زلاته لعله يزل فيكون في ذلك قدح فيه، فإن هذا هو المكروه، أما إذا كان المقصود من السؤال إرادة العلم، فإنه لا ينهى عن ذلك، ولا يكره ذلك، وقد كان عبدالله بن عباس رضي الله عنه كثير السؤال، فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: أدركت العلم بلسانٍ سؤول، وقلب عقول، وبدن غير ملول)[٣].

وفي ذم السؤال للمال قال ﷺ: ((لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ))[٤]، وقال ﷺ: ((إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لأَحَدِ ثَلاَثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٧٠٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٥، ومسلم ١٠٤٠.

حَمَالَةً فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ. وَرَجُلٍ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ (أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ. وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُوم ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ. فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ. حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا))[1].

قال ابن حجر: (قال النووي: اتفق العلماء على النهي عن السؤال من غير ضرورة، قال: واختلف أصحابنا في سؤال القادر على الكسب على وجهين، أصحهما التحريم لظاهر الأحاديث، والثاني: يجوز مع الكراهة بشروط ثلاثة: أن لا يلح ولا يذل نفسه زيادة على ذل نفس السؤال، ولا يؤذي المسئول، فإن فقد شرط من ذلك حرم، وقال الفكهاني: يتعجب ممن قال بكراهة السؤال مطلقا مع وجود السؤال في عصر النبي ﷺ ثم السلف الصالح من غير نكير، فالشارع لا يقر على مكروه، قلت: لعل من كره مطلقا أراد أنه خلاف الأولى. ولا يلزم من وقوعه أن تتغير صفته ولا من تقريره أيضا، وينبغي حمل حال أولئك على السداد؛ وأن السائل منهم غالبًا ما كان يسأل إلا عند الحاجة الشديدة، وفي قوله: "من غير نكير" نظر، ففي الأحاديث الكثيرة الواردة في ذم السؤال كفاية في إنكار ذلك، (تنبيه): جميع ما تقدم فيما سأل لنفسه، وأما إذا سأل لغيره فالذي يظهر أيضا أنه يختلف باختلاف الأحوال)[2].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن إضاعة المال:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "وكره لكم"، ثم قال: "وإضاعة المال". قال ابن حجر: (إن الأكثر حملوه على الإسراف في الإنفاق، وقيده بعضهم بالإنفاق في الحرام، والأقوى أنه ما أنفق في غير وجهه المأذون فيه شرعًا سواء كانت دينية أو دنيوية فمنع منه، لأن الله تعالى جعل المال قياما لمصالح العباد، وفي تبذيرها تفويت تلك المصالح، إما في حق مضيعها وإما في حق غيره، ويستثنى من ذلك كثرة إنفاقه في وجوه

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢٢.

البر لتحصيل ثواب الآخرة، ما لم يفوت حقا أخرويا أهم منه، والحاصل في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه:

الأول: إنفاقه في الوجوه المذمومة شرعًا فلا شك في منعه.

والثاني: إنفاقه في الوجوه المحمودة شرعًا فلا شك في كونه مطلوبا بالشرط المذكور.

والثالث: إنفاقه في المباحات بالأصالة كملاذ النفس، فهذا ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: أن يكون على وجه يليق بحال المنفق وبقدر ماله، فهذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يليق به عرفا، وهو ينقسم أيضا إلى قسمين: أحدهما: ما يكون لدفع مفسدة إما ناجزة أو متوقعة، فهذا ليس بإسراف.

والثاني: ما لا يكون في شيء من ذلك فالجمهور على أنه إسراف، وذهب بعض الشافعية إلى أنه ليس بإسراف قال: لأنه تقوم به مصلحة البدن وهو غرض صحيح، وإذا كان في غير معصية فهو مباح له.

قال ابن دقيق العيد: وظاهر القرآن يمنع ما قال ا هـ. وقد صرح بالمنع القاضي حسين، فقال في كتاب قسم الصدقات: هو حرام، وتبعه الغزالي، وجزم به الرافعي في الكلام على المغارم، وصحح في باب الحجر من الشرح وفي المحرر أنه ليس بتبذير، وتبعه النووي، والذي يترجح أنه ليس مذمومًا لذاته، لكنه يفضي غالبًا إلى ارتكاب المحذور كسؤال الناس، وما أدى إلى المحذور فهو محذور.

وجزم الباجي من المالكية بمنع استيعاب جميع المال بالصدقة قال: ويكره كثرة إنفاقه في مصالح الدنيا، ولا بأس به إذا وقع نادرًا لحادث يحدث كضيف أو عيد أو وليمة، ومما لا خلاف في كراهته مجاوزة الحد في الإنفاق على البناء زيادة على قدر الحاجة، وأما إضاعة المال في المعصية فلا يختص بارتكاب الفواحش، بل يدخل فيها سوء القيام على الرقيق والبهائم حتى يهلكوا، وغير ذلك من الأمثلة التي يتعذر حصرها والتي تتم إضاعة المال فيها، وكذلك دفع مال من لم يؤنس منه الرشد إليه، وقسمة ما لا ينتفع بجزئه كالجوهرة النفيسة، وقال السبكي الكبير في "الحلبيات": (الضابط

في إضاعة المال أن لا يكون لغرض ديني ولا دنيوي، فإن انتفيا حرم قطعًا، وإن وجد أحدهما وجودًا له بال وكان الإنفاق لائقًا بالحال ولا معصية فيه جاز قطعا، وبين الرتبتين وسائط كثيرة لا تدخل تحت ضابط، فعلى المفتي أن يرى فيما تيسر منها رأيه، وأما ما لا يتيسر فقد تعرض له: فالإنفاق في المعصية حرام كله، ولا نظر إلى ما يحصل في مطلوبه من قضاء شهوة ولذة حسنة، وأما إنفاقه في الملاذ المباحة فهو موضع الاختلاف، فظاهر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1].

أن الزائد الذي لا يليق بحال المنفق إسراف، ثم قال: وبذل مالاً كثيرًا في غرض يسير تافه عده العقلاء مضيعًا، بخلاف عكسه، والله أعلم. قال الطيبي: هذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق، وهو تتبع جميع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة)[2].

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٢٢ - ٤٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخلق الحسن من غايات التربية الإسلامية، وهو ناتج الإيمان بالله من ناحية وناتج التكاليف الشرعية من ناحية ثانية، وناتج الأمر بحسن الخلق من ناحية ثالثة، والرسول ﷺ وهو يرسم السبيل لهذا أبان لنا عن كثير من الأخلاق المرذولة التي حرمها الإسلام، وجعل بعض السلوكيات والأخلاق غير الحميدة في درجة الكبائر، وقرن بين بعضها ليرهب من إتيانها، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتكرار والتأكيد:

التأكيد والتكرار من أهم الأساليب في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولاشك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه[1].

ونظرًا لكون التكرار صار منهجًا متبعًا لدى الرسول في تعليمه لصحابته، فإن البخاري عقد بابًا كرّسه لتأكيد هذا المعنى، ترجم له بقوله: باب: من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم[2].

وفي هذا الباب كرر ﷺ سؤاله: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاَث مَرات»؟ ثُمَ كَرَر: «أَلاَ وَقَولُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ»، حَتَّى قَالَ الصَحَابَة: لَيْتَهُ سَكَتَ، وهو إنما كرر تأكيدًا وتربية لأصحابه على قول الحق والابتعاد عن قول الزور.

ثانيًا- من أساليب التربية: التشويق:

وقد استخدمه ﷺ سبيلاً إلى إثارة انتباه صحابته إلى أهمية ما يقول؛ فنراه يكرر السؤال ثلاث مرات: «ألا أنبئكم....»، وهذه الطريقة في السؤال تشعر مستمعيه بخطورة

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية ص ٣٤، زياد العاني، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٣٠١.

(٢) انظر: التربية في لسنة النبوية، أبو لبابة حسين ص ٧١.

ما سيتلقونه واشتياقهم إلى سرعة سماعه، ولم يستعمل النبي هذا الأسلوب التشويقي في المنهيات وحدها، بل أيضًا في العبادات المقربة إلى الله تعالى: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟»[1].

ولا شك أن هذا الأداء ينتج عنه استقامة في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة[2].

وليس تشويقه عن طريق السؤال فحسب، بل أيضًا عن طريق إطلاق عبارة لها دلالة لا يعرفها صحابته، مما يجعلهم يسألون عن معناها «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ».

ثالثًا- من أساليب التربية: التحذير:

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوبًا تربويًا فعالاً، وهو التحذير من مغبة الوقوع في قطيعة الرحم؛ فالجنة لن يدخلها قاطع رحم «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»، وبهذه الطريقة يصل القاطعون أرحامهم وإلا لن يدخلوا الجنّة.

رابعًا- من الأساليب التربوية: تهذيب الأخلاق والتربية عن البعد عن السبِّ والشتم:

فالمسلم "من سلم المسلمون من لسانه ويده"، وعليه أن يحرص على مشاعر أخيه المسلم، ويزداد النهي عن التشاتم إذا تناول الآباء والأمهات، ذلك النمط المتدني من التشاتم، الذي استنكر الصحابة مجرد حديثه «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ»، قيل: «وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟».

والنيل من عرض المسلم هو بحق خلاف المروءة وخلاف الأولى؛ فقد أمر الله تعالى بالستر على المسلم، خاصة إذا لم يكن معروفًا بالشر، مجاهرًا بالفواحش مستهينًا بالنصيحة، فمن كان هذا شأنه فلابد من بيان حاله، ورفع أمره لمن يلزمه تأديبه وكف شره عن الناس، ومنعه من المجاهرة بالمعاصي وتحدي أحكام الشرع وآدابه[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٤١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة، د. زياد العاني ص ٢٢٤.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، أكرم ضياء العمري ص ٢٨٤.

خامسًا- من أهداف التربية الإسلامية: ترقية الذوق العام:

لقد حرص النبي ﷺ على تنشئة مجتمع إسلامي يمتاز بسمو الأخلاق والذوق الرفيع، فلا تشاتم ولا تسابّ، فعلى المسلم أن يحفظ لسانه، مراعاة لذوق الآخرين ومشاعرهم.

وحفظ اللسان والمنطق يشمل البعد عن الألفاظ المحرمة شرعًا، سواء كانت متعلقة بحق الله، أم بحق المخلوق كالسب والشتم والسخرية، ويشمل بذاءة اللسان، والتصريح بما يستحيي منه، وهذا الأمر مما شاع للأسف واعتاده طائفة من الناس، وأهل الصلاح والتقى أولى بأن يبتعدوا عنه، فهو مظهر من مظاهر قلة الحياء وخلق من أخلاق السوقة وأهل السوء[1].

سادسًا- التربية بالحوار والمناقشة:

وهذا واضح من حديثين: حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟"، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "من الكبائر شتم الرجل والديه" وأسلوب المناقشة -وهو من الأساليب التي تقوم على الحوار في جوهرها- فيه يعتمد المعلم على بعض المعارف والخبرات السابقة لدى المتعلمين وتتميز بأنها تُثبت المعارف الجديدة ومن مزاياه الدور الإيجابي للمتعلمين، كما أنها تدرب على طرق التفكير السليمة.

كما يفيد طرح الأسئلة في جذب اهتمام السامعين، ويمكن للمعلم أن يستغل ذلك في التمهيد الذي يسبق الدرس، وذلك لتنشيط أذهان المتعلمين للمعارف والمعلومات الجديدة التي سوف تلقى عليهم.

سابعًا- استخدام الحركات الجسدية:

وهذا واضح من قول الصحابي أبي بكرة رضي الله عنه: وكان متكئًا فجلس فقال: "ألا وقول الزور وشهادة الزور" فقد غير النبي ﷺ من هيئته ليبين خطورة أمر قول الزور وشهادة الزور. وتغيير هيئة المتكلم يسمى في علم التربية لغة الجسد، ويمكن للمعلم

---

(١) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش ص ١٥٥.

استخدامها للتنبيه على بعض النقاط المهمة وجذبًا لانتباه المتعلمين.

ثامنًا- التربية على معرفة مراتب الأحكام:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "إن الله تعالى حرّم عليكم عقوق الأمهات ... وكره لكم قيل وقال ..." الحديث، فقد بيّن النبي ﷺ اختلاف الحكم ففي الثلاثة الاولى أنها حرام على حين أن الثلاثة الأخيرة مكروهات، قال النووي رحمه الله: (دليل على أن الكراهة في هذه الثلاثة الأخيرة للتنزيه لا للتحريم)[1].

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يربو الناشئة والكبار - قدر جهدهم- على معرفة مراتب الأحكام، فلا يجعلون الواجب مندوبًا أو الحرام مكروهًا وكذلك العكس في الحالتين ولا يجعلون المباح واجبًا أو حرامًا أو نحو ذلك لما في ذلك من أثر كبير على إتيان الفعل أو الترك، وخاصة في هذا الزمان الذي تساهل فيه كثير من الناس في كثير من الأحكام، فلا يبالون بفعل الحرام ولا بترك الواجب.

❁ ❁ ❁

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٣-١١٠٤.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٢-باب فضل ضعفة المسلمين الفقراء والخاملين	٥
الحديث رقم (٢٥٢)	٥
الحديث رقم (٢٥٣)	١٣
الحديث رقم (٢٥٤)	٢١
الحديث رقم (٢٥٥)	٢٩
الحديث رقم (٢٥٦)	٣٤
الحديث رقم (٢٥٧)	٤٨
الحديث رقم (٢٥٨)	٥٥
الحديث رقم (٢٥٩)	٦٣
٣٣-باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين	٨٨
الحديث رقم (٢٦٠)	٨٨
الحديث رقم (٢٦١)	١٠٠
الحديث رقم (٢٦٢)	١٠٩
الحديث رقم (٢٦٣)	١١٨
الحديث رقم (٢٦٤)	١٢١
الحديث رقم (٢٦٥)	١٢٩
الحديث رقم (٢٦٦)	١٣٧
الحديث رقم (٢٦٧)	١٤٤
الحديث رقم (٢٦٨)	١٥١
الحديث رقم (٢٦٩)	١٥٩
الحديث رقم (٢٧٠)	١٦٥
الحديث رقم (٢٧١)	١٧٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٧٢)	١٧٩
٣٤-باب الوصية بالنساء	١٩٠
الحديث رقم (٢٧٣)	١٩٠
الحديث رقم (٢٧٤)	١٩٩
الحديث رقم (٢٧٥)	٢١١
الحديث رقم (٢٧٦)	٢١٧
الحديث رقم (٢٧٧)	٢٢٦
الحديث رقم (٢٧٨)	٢٣٤
الحديث رقم (٢٧٩)	٢٤١
الحديث رقم (٢٨٠)	٢٤٧
٣٥-باب حق الزوج على المرأة	٢٥٦
الحديث رقم (٢٨١)	٢٥٦
الحديث رقم (٢٨٢)	٢٦٥
الحديث رقم (٢٨٣)	٢٦٨
الحديث رقم (٢٨٤)	٢٧٨
الحديث رقم (٢٨٥)	٢٨٢
الحديث رقم (٢٨٦)	٢٨٧
الحديث رقم (٢٨٧)	٢٩٢
الحديث رقم (٢٨٨)	٢٩٨
٣٦-باب النفقة على العيال	٣٠٧
الحديث رقم (٢٨٩)	٣٠٧
الحديث رقم (٢٩٠)	٣١٥
الحديث رقم (٢٩١)	٣٢١
الحديث رقم (٢٩٢)	٣٢٨
الحديث رقم (٢٩٣)	٣٣٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٢٩٤)	٣٤١
الحديث رقم (٢٩٥)	٣٤٧
الحديث رقم (٢٩٦)	٣٥٣
٣٧-باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد	٣٦٥
الحديث رقم (٢٩٧)	٣٦٥
٣٨-باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين	٣٧٧
الحديث رقم (٢٩٨)	٣٧٧
الحديث رقم (٢٩٩)	٣٨٣
الحديث رقم (٣٠٠)	٣٨٩
الحديث رقم (٣٠١)	٣٩٠
الحديث رقم (٣٠٢)	٣٩٦
٣٩-باب حق الجار والوصية به	٤٠٥
الحديث رقم (٣٠٣)	٤٠٥
الحديث رقم (٣٠٤)	٤١٣
الحديث رقم (٣٠٥)	٤١٥
الحديث رقم (٣٠٦)	٤١٨
الحديث رقم (٣٠٧)	٤٢٠
الحديث رقم (٣٠٨)	٤٢٥
الحديث رقم (٣٠٩)	٤٣٢
الحديث رقم (٣١٠)	٤٣٣
الحديث رقم (٣١١)	٤٣٧
٤٠-باب بر الوالدين وصلة الأرحام	٤٤٨
الحديث رقم (٣١٢)	٤٤٨
الحديث رقم (٣١٣)	٤٥٨

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٣١٤)	٤٦٢
الحديث رقم (٣١٥)	٤٧١
الحديث رقم (٣١٦)	٤٧٩
الحديث رقم (٣١٧)	٤٨٧
الحديث رقم (٣١٨)	٤٩٣
الحديث رقم (٣١٩)	٥٠٠
الحديث رقم (٣٢٠)	٥٠٧
الحديث رقم (٣٢١)	٥٠٩
الحديث رقم (٣٢٢)	٥١٦
الحديث رقم (٣٢٣)	٥٢٢
الحديث رقم (٣٢٤)	٥٢٣
الحديث رقم (٣٢٥)	٥٢٩
الحديث رقم (٣٢٦)	٥٣٧
الحديث رقم (٣٢٧)	٥٤٧
الحديث رقم (٣٢٨)	٥٥٢
الحديث رقم (٣٢٩)	٥٥٧
الحديث رقم (٣٣٠)	٥٦٣
الحديث رقم (٣٣١)	٥٦٩
الحديث رقم (٣٣٢)	٥٧٩
الحديث رقم (٣٣٣)	٥٨٧
الحديث رقم (٣٣٤)	٥٩٤
الحديث رقم (٣٣٥)	٥٩٨
الحديث رقم (٣٣٦)	٦٠٣
٤١-باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم	٦١٠
الحديث رقم (٣٣٧)	٦١٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٣٣٨)	٦٢١
الحديث رقم (٣٣٩)	٦٢٣
الحديث رقم (٣٤٠)	٦٣٠
الحديث رقم (٣٤١)	٦٣٥
فهرس المحتويات	٦٤٩

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السادس

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٦

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٠٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧.٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-٠٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٦)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٤٢- باب فضل بر أصدقاء الأب

الحديث رقم (٣٤٢)

٣٤٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إنّ أبَرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ))[١].

- وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلًا مِنَ الأعْرَابِ لَقِيَهُ بطَريق مَكَّةَ، فَسلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله (بْنُ عُمَرَ)، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أصْلَحَكَ الله إنَّهُمُ الأعرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسير، فَقَالَ عبد الله (بن عمر): إن أبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وإنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ أبرَّ البرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ))[٢].

وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر: أنَّهُ كَانَ إذَا خَرَجَ إلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيهِ إذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأسَهُ، فَبيْنَا هُوَ يومًا عَلَى ذلِكَ الحِمَارِ إذْ مَرَّ بِهِ أعْرابيٌّ، فَقَالَ: ألَسْتَ فُلانَ بْنَ فُلانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأعْطَاهُ الحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا، وَأعْطَاهُ[٣] العِمَامَةَ، وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأسَكَ، فَقَالَ لَهُ بعضُ أصْحَابِهِ: غَفَرَ الله لَكَ أعْطَيْتَ هَذَا الأعْرَابيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيهِ، وعِمَامةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأسَكَ؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ، يَقُولُ: ((إنَّ مِنْ أبَرِّ البِرِّ أنْ يَصِلَ[٤] الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيهِ بَعْدَ أنْ يُولِّيَ)) وَإنَّ أبَاهُ كَانَ صَديقًا لعُمَرَ رضي الله عنه[٥].

رَوَى هذِهِ الرواياتِ كُلَّهَا مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٥).

(٣) لفظ مسلم: (والعمامة) بدون قوله: (أعطاه).

(٤) لفظ مسلم: (صلة) بدل: (أن يصل).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٥٢/١٣).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

ودّ أبيه: صديقه[١].

يتروح عليه: معناه: كان يستصحب حمارًا ليستريح عليه إذا ضجر من ركوب البعير[٢].

الراحلة: الراحلة من الإبل: الصالح للأسفار والأحمال[٣].

يولى: تولى الرجل: إذا أدبر ورحل، والمراد: أنه مات[٤].

الشرح الأدبي

البر جماع الخير ومن عظمة الإسلام دعوته إلى كل أشكال البر مع جميع المسلمين حتى أنه جعل من البر بل من أبره أن يصل الرجل أصحاب أبيه ومن كان يحبهم، وهذا الحديث يعرض هذه الغاية النبيلة التي تشير إلى سمو المشاعر، ونبل الغايات وقد جاء الحديث في ثوب إيجاز القِّصر، وهو تضمُّن الألفاظ القليلة للمعاني الكثيرة كما هو الحال في هذا الحديث، وقد جاء الأسلوب مؤكداً بـ (إن) مع اسمية الجملة، ثم استخدام أفعل التفضيل الذي ارتقت درج البر، واستقرت فوقها مع ما في قوله (أبر البر) من جناس يؤكد المعنى، ويوضح المقصود، حتى لا يستبعد المخاطب العلاقة بين أعلى درجات البر، وبين أصدقاء الأب، وأحبابه، خاصة الذين لا تربطه بهم قرابة من أي نوع، والتعبير بالمصدر المنسبك من (أن) والفعل (أن يصل) دون المصدر الصريح (وصل) لأن التعبير بالمصدر المنسبك من أن والفعل المضارع مع دلالته على ما يدل عليه المصدر يدل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٣.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ح ل).

(٤) المرجع السابق في (و ل ى).

على التجدد، والاستمرار الذي يوحي بتجدد الوصل كلما وجد الواصل إلى ذلك سبيلاً، وإضافة الود للأب، ثم إضافة الأب للضمير العائد إلى الابن يوجد صلة بينهم تقوي العلاقة بين الابن وأحباء والده تدعوه إلى وصلهم رغبة في تحقيق أعلى درجات البر، وأعظم أمثلة الوفاء للوالدين بعد موتهما، وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلاً مِنَ الأعْرَابِ لَقِيَهُ بطَرِيق مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَار: فَقُلْنَا لَهُ: أصْلَحَكَ الله، إنَّهُمُ الأعرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسير، فَقَالَ عبد الله بن عمر: إن أَبَا هَذَا كَانَ وُدّاً لِعُمَرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، وإنِّي سَمِعتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((إنَّ أبرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُدِّ أبِيهِ)).

هذه الرواية في نفس مضمون الرواية السابقة غير أن هذه الرواية تحكي حرص الصحابة رضي الله عنهم على تنفيذ توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم ولاسيما الأعمال التي تضمنت أجراً عظيماً وهذه الرواية تحكي موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع ابن أحد أحباء أبيه حيث نزل له عن حماره، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، وجملة (يركبه) وجملة (كَانَتْ عَلَى رَأسِهِ) تشيران إلى أنها كانت لاستعماله الشخصي ولم تكن زائدة عن حاجته، وأنه آثره بها على نفسه لمجرد أن كان أبوه وداً لأبيه، ثم ذكر الحديث ترغيباً لأصحابه، وبياناً لسر إكرامه لهذا الأعرابي.

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: سؤاله عما لا يفهمه.

ثانيًا: من آداب المدعو: احترام الداعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لما أرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البر بأصدقاء الوالدين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والسؤال والجواب.

أولاً- من حقوق المدعو: سؤاله عما لا يفهمه:

إن المدعو قد يعرض له ما يحتاج أن يسأل عنه الداعية، ليزيل ما في نفسه مما

لا يفهمه أو يبين له حقيقته، وهذا ما فعله عبدالله بن دينار، فقد سأل ابن عمر رضي الله عنهما حينما رآه يكرم الأعرابي وقال له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فأجابه ابن عمر رضي الله عنهما: إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه".

ومن هذا القبيل سؤال الصحابة عن معنى الشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[1] فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنه ليس بذلك، ألا تسمعونَ إلى قول لقمانَ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]))[3].

ومن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحد يحاسب إلا هلك. قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[4] قال: ((ذاكَ العَرْض يُعْرَضون، ومن نوقش الحسابَ هَلَك))[5].

ثانيًا- من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل:

إن الداعية هو الذي يرشد المدعو إلى ما ينفعه ويحذره مما يضره لذا كان عليه أن يتأدب مع الداعية. وهذا جلي وواضح في قول أصحاب ابن عمر له: "أصلحك الله" "غفر الله لك" وقد قال الله تعالى للمؤمنين وهم المدعوون: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩١٨، ومسلم ١٢٤.

(٤) سورة الانشقاق، الآيتان: ٧، ٨.

(٥) أخرجه البخاري ٤٩٣٩، ومسلم ٢٨٧٦.

وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[١].

وكان ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه رفيع الصوت فقال: ((أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ، حبط عملي، أنا من أهل النار، وجلس في أهله حزينًا، فتفقده رسول الله ﷺ، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له: تفقدك رسول الله ﷺ مالك؟ فقال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي، وأجهر بالقول، حبط عملي وأنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال، فقال: لا بل هو من أهل الجنة)) قال أنس: ((وكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف، فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه، فقال: بئسما تعوِّدون أقرانكم، فقاتلهم حتى قتل))[٢].

قال ابن العربي: (حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته من الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبّه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[٣]، وكلام النبي ﷺ من الوحي وله من الحرمة مثل ما للقرآن إلا معاني مستثناة، بيانها في كتب الفقه)[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لما أرشد إليه النبي ﷺ:

وهذا واضح من إكرام عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لصديق أبيه وعلّل ذلك بقوله: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أبرَّ البرِّ صلة الرجل أهل ودِّ أبيه".

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٦ رقم ١٢٣٩٩ وهذا لفظه، والبخاري ٣٦١٣، ٤٨٤٦، ومسلم ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٤/١٧١٤ - ١٧١٥.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[١].

وقد حدث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ((أنَّ رسولَ اللّه ﷺ اصطَنَعَ خاتمًا من ذَهبٍ وكان يَلبَسُهُ، فيَجعلَ فصَّهُ في باطن كفِّه، فصنَعَ الناس خواتيم. ثم إنه جَلسَ على المنبرِ فنزَعه فقال: إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبذَ الناسُ خَواتيمهم))[٢].

قال النووي: (فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله)[٣].

ومن هذا القبيل ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قبَّل الحجر الأسود: لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبّلك ما قبلتك[٤].

قال النووي: (أما قول عمر رضي الله عنه فأراد به بيان الحث على الاقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله ونبّه على أنه لولا الاقتداء به لما فعله)[٥].

وقال ابن حجر: (وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها، وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه)[٦].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البر بأصدقاء الوالدين:

إن من إكرام الوالدين والبر بهما إكرام أصدقائهما والإحسان إليهما، وقد حثّ الإسلام على ذلك. فقد وصفه النبي ﷺ بأنه "أبرُّ البرِّ" أو "من أبرّ البرّ".

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٦١٠، ومسلم ١٢٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٠٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٣.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث إحسان الرجل إلى من بينه وبين أبيه معرفة ومودة، وإن بَعُد ذلك، فإن ابن عمر أكرم هذا الأعرابي، لأن أباه كان صديقًا لعمر)[١].

قال النووي: (في هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة)[٢].

وقال الطيبي: (المعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل مع أحباء أبيه، فإن مودة الآباء قرابة الأبناء، أي إذا غاب أو مات يحفظ أهل ودّه ويحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إلى الأب، وإنما كان أبرّ، لأنه إذا حفظ غيبته فهو يحفظ حضوره أولى وأحرى)[٣].

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: ((قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَأَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَقَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَتَيْتُكَ؟ قالَ: قُلْتُ: لا. قَالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ، يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَباهُ فِي قَبْرِهِ، فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ بَعْدَهُ». وَإِنَّهُ كانَ بَيْنَ أَبِي عُمَرَ، وَبَيْنَ أَبِيكَ إِخَاءٌ وَوُدٌّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصِلَ ذَاكَ))[٤]. وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن برّ المرء بإخوان أبيه وصلته إياهم بعد موته من وصْله رحمه في قبره.

خامسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والسؤال والجواب:

أما التوكيد فتصدير النبي ﷺ حديثه بـ"إنّ"، وذلك ليؤكد ما يقوله ويثبته في نفوس المدعوين. وأما السؤال والجواب فكان بين أصحاب ابن عمر وبينه، وقد بيّن لهم ابن عمر بجوابه على أسئلتهم سبب فعله، ومن ثم يرسّخ في أذهانهم ما وضحّه ونقله عن النبي ﷺ.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٧٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٣.

(٣) شرح الطيبي ٩/١٥١.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٣٢، وقال محققه: إسناده صحيح.

الحديث رقم (٣٤٣)

٣٤٣- وعن أَبي أُسَيد - بضم الهمزة وفتح السين- مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ إذ جَاءهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيء أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهِمَا؟ فَقَالَ: ((**نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلاَّ بِهِمَا، وَإكرامُ صَدِيقِهِمَا**)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

مالك بن ربيعة الساعدي: هو مالك بن ربيعة بن البَدَن بن عامر الأنصاري الساعدي أبو أُسيد مشهور بكنيته وهي بصيغة التصغير.

من كبراء الأنصار، ومن كبار الصحابة المجاهدين، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها. وهو الذي حمل راية قومه بني ساعدة يوم فتح مكة. قال: غزوت مع رسول ﷺ عشرين غزوة، غزوة بعد غزوة[2].

كان قصيرًا أبيض الرأس واللحية كثير الشعر. وقد ذهب بصره آخر حياته قبل مقتل عثمان فقال: الحمد لله الذي لما أراد الفتنة في عباده كفّ بصري.

وكان يحتفظ بذكريات طيبة ومواقف حميدة عن غزوة بدر الكبرى يوم الفرقان فقال مذكرًا الناس: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى.

مسنده يبلغ ٢٨ حديثًا. وقيل: إنه هو آخر البدريين موتًا[3].

---

(١) برقم (٥١٤٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٨)، وقال الحاكم (١٥٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٠٨٢): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٧٤).

(٢) أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٣٦٣/٩).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٥٥٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢١/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٥٥، والسير (٥٣٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١١/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٦١/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٦٩٠/٣).

الشرح الأدبي

الحديث في بر الوالدين يشير إلى أن بر الوالدين لا يقتصر عليهما بل يتعداهما إلى أصدقائهما، وأحبابهما، ولا يتوقف على حياتهما بل إنه يستمر حتى بعد موتهما، وسؤال الأعرابي (هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيء أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهمَا ؟) يدل على أنه كان باراً بوالديه، كما يدل على استعداده، وحبه للخير، وإجابة الرسول ﷺ جاءت ملبية لرغبته تفتح له أبواب البر بعدد من خصال الخير منها: (الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا) أي الدعاء لهما، والتعبير بالصلاة عن الدعاء فيه إشارة للصلة بينهما، وهي طاعة لله في صلة لله أيضاً والمعنى الذي بينها وبين الصلاة في الشرع ليس ببعيدة، وقوله: (وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلاَّ بِهِمَا) فيه جناس بين (صلة)و(توصل) يؤكد وصل ما انقطع من الصلات بموت والديه، وأسلوب القصر الذي بنيت عليه العبارة يشير إلى تقصِّيه لهذه الصلات، وإعادة وصل ما انقطع منها، وفي الحديث تناسب بين الألفاظ، والمعاني، وسجع استدعاه المعنى وحَسُن به اللفظ، مع حسن تقسيم استوعب كل أنواع البر التي يمكن أن يُبَرَّ بها الوالدين بعد موتهما.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم بر الوالدين بعد موتهما، وقد ذكر الفقهاء[1] أن بر الوالدين واجب في حياتهما بالإحسان والطاعة، وبعد الموت يكون البر بالدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، والإحسان إلى صديقهما بعد وفاتهما فذاك برهما حينئذ.

---

(١) بريقة محمودية ١٤٨/٤، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٢٥/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٥٤٤/١ وما بعدها، والفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر ٢٤/٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١٢٢/٢، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٩٢/١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٠/٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل.

ثالثًا: من آداب المدعو: السؤال عما يفيده.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بر الوالدين بعد موتهما.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أحرص ما يكونون على مجالسة النبي ﷺ فبه يقتدون ومنه يتعلمون وعلى سنته يسيرون. لذا أخبر الصحابي عن ذلك فقال: "بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ".

وقد ورد كثير في هذا المعنى عن الصحابة رضوان الله عليهم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب...))[١].

وقال حنظلة الأسيدي رضي الله عنه: ((نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ. يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ. حَتَّى كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ))[٢]، وهذا أنس بن مالك يقول: ((بَيْنما نحنُ جُلوسٌ معَ النبيِّ ﷺ في المسجد، دَخَلَ رَجُل على جَمَل فأناخَهُ ...))[٣] وأبو هريرة يقول: ((كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ))[٤].

ولا يخفى الأثر المحمود لجلوس الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ حيث الإفادة من علمه ﷺ والتأدب بآدابه ومعرفة أمور الدين والاستزادة من الخيرات وغير ذلك من الرحمة والبركة والفضل العظيم الذي كان يحصل بالجلوس مع النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣، ومسلم ١٢.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(إن مصاحبة الأخيار وأصحاب الهمم العالية من أعظم ما يبعث الهمة، ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس؛ فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه.

والصداقة الشريفة -لا صداقة المنفعة- تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخُها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين؛ فهي تُوجِد من الجبان شجاعة، ومن البخيل سخاء؛ فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله؛ لإنقاذ صديقه من شدة.

فالصداقة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع الصداقة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فيصير بعد ذلك متواضعًا حليمًا.

بل إن كثيرًا من النابغين يعزون نبوغهم إلى أنهم وفقوا لاختيار صاحب أو أصحاب أثَّروا فيهم أثرًا صالحًا، ونبَّهوا فيهم قوى كانت خاملة.

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة-فإن ذلك من علامات توفيقه، ومن مهيئات نبوغه.

فإذا كان الأمر كذلك فما أجدر المرء أن يبحث عن إخوان ثقات؛ حتى يعينوه على كل خير، ويُقْصِرُوه عن كل شر.

قال ابن حزم (من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة.

ومن طلب الجاه، والمال، واللذات - لم يساير إلا أمثال الكلاب الكلبة، والثعالب الخلبة، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد، خبيث الطبيعة)[1].

---

(١) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ٢٠٧-٢٠٨.

فإذا كان هذا يحدث بمصاحبة أصحاب الأخلاق الرفيعة، فكيف يكون الأثر بمصاحبة أفضل الخلق محمد ﷺ وأكملهم خلقًا؟ لذلك فلا عجب أن يكون الصحابة رضي الله عنهم أفضل جيل شهدته البشرية على مرّ العصور وكرّ الدهور.

ثانيًا- من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل:

من الآداب الواجب أن يتحلى بها المدعو أن يتأدب مع الداعية، فيخاطبه بما يليق به من الاحترام والتقدير كما فعل الرجل هنا، فقال: "يا رسول الله".

قد كان الصحابة كثيرًا ما يقولون للنبي ﷺ "بأبي أنت وأمي يا رسول الله"[١] عندما كان يسألونه ﷺ عن شيء ومعناه: (أنت مفدًى أو أفديك بأبي وأمي)[٢].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يجيب النبي ﷺ فيقول له: "لبيك يا رسول الله وسعديك"[٣].

قال النووي: (الأظهر في معناها [أي: لبيك] إجابةً لك بعد إجابة للتأكيد، وقيل معناه: قربًا منك وطاعة لك. وقيل: أنا مقيم على طاعتك. وقيل: محبتي لك. ومعنى سعديك: أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة)[٤].

قال بكر أبو زيد عن أدب الطالب مع شيخه "فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وتَرْك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام أو مسير أو إكثار الكلام عنده، أومداخلته في حديثه ودرسه بكلام منك. أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال لاسيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور وله الملل. ولا تناديه باسمه مجردًا أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان. بل قل: يا شيخي أو يا شيخنا.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٧٤٤، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٨٩٧، ومسلم ٣١، ٢٢٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٨، ومسلم ٣٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١١.

فلا تسمّه. فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بُعْد من غير اضطرار)[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: السؤال عما يفيده:

إن من حكمة السؤال العلم الذي يتبعه العمل، ولذلك كان من آداب المدعو أن يسأل عما يفيده في حياته كما سأل الرجل النبي ﷺ: "يا رسول الله هل بقي من برّ أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما"، فقد سأل الرجل عن بر أبويه بعد موتهما، وهذا لاشك أمر شديد الفائدة والنفع.

وهذا أبوبكر رضي الله عنه يسمع النبي ﷺ يقول: ((مَن أنْفقَ زَوجَينِ[٢] في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنّةِ: يا عَبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَن كانَ مِن أهلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاَةِ، ومَن كان مِن أهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، ومَنْ كَان مِنْ أَهْلِ الصِّيامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، ومَن كانَ من أهلِ الصدّقةِ دُعي من بابِ الصدَقة». فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأُمي يا رسولَ اللهِ، ما على من دُعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورةٍ، فهل يُدعَى أحدٌ من تلكَ الأبوابِ كلِّها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم))[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ((جاءتْ أُمُّ سُلَيمٍ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ لا يَستَحْيي مِنَ الحقّ، فهلْ عَلَى المرأةِ مِن غُسلٍ إذا احتَلَمَتْ؟ قال النبيُّ ﷺ: إذا رأَتِ الماءَ))[٤].

قال النووي: (فيه أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها ولا يمتنع من السؤال حياءً من ذكرها. فإن ذلك ليس بحياء حقيقي، لأن الحياء خير كله، والحياء لا يأتي إلا بخير. والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير. بل هو شر، فكيف يكون

---

(١) حلية طالب العلم، بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٣٥-٣٦.

(٢) المراد بالزوجين إنفاق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/١٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٨٩٧، ومسلم ١٠٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٠، ومسلم ٣١٣.

حياءً)[١]. وجاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه. أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية على طريق التكلف والتعنت لغرض التعجيز وتغليط العلماء فهو غير جائز ومنهي عنه)[٢].

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل بم أدركت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وبدن غير ملول[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بر الوالدين بعد موتهما:

الوالدان لهما فضل عظيم على الابن، لذلك كان برهما لا يقتصر على حياتهما فحسب وإنما يمتد أيضًا إلى ما بعد موتهما كما بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما".

قال شرف الحق العظيم آبادي: (الصلاة عليهما أي الدعاء ومنه صلاة الجنازة قاله القاري. وفي "فتح الودود": والمراد بها الترحم "والاستغفار لهما" أي طلب المغفرة لهما وهو تخصيص بعد تعميم "وإنفاذ عهدهما": أي إمضاء وصيتهما "وصلة الرحم" أي: إحسان الأقارب ... ولفظ البيهقي[٤]: وصلة رحمهما التي رحم لك إلا من قبلهما)[٥].

قال د. خليل إبراهيم مُلا خاطر: (إن من واجبات البر بالوالدين ومن حقهما على ولدهما أن يدعو لهما بعد وفاتهما بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات وتخفيف الحساب والإكرام بالجنان وإحلال رضوان الله تعالى عليهما... وكل ذلك جزاء ما فعلا وإلا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٠٠، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٦/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

(٣) كتاب العلم: محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر السليمان ص ٦٠. وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٤٥/٣، والمستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم ٥٣٩/٣، ٥٤٠.

(٤) السنن الكبرى، البيهقي ٢٨/٤ وكذلك هو عند ابن حبان ٤١٨.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٩٣.

فإنهما قد أكثرا من الدعاء له من قبل وجوده وبعد وجوده.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1]. فقد عطف الله تعالى الأمر بالدعاء لهما على ما سبق، وكلها واجبة على الأولاد، حق للوالدين ويلاحظ طلب الرحمة لهما، والربط بين طلب الرحمة وتربية الولد وهو صغير، لأن أكثر تعب الوالدين على الولد كان في حال صغره، فهذا أقلُّ ما يكون مكافأة وجزاءً لهما.

أما الاستغفار لهما فقد قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[2]، حيث سأل عليه السلام المغفرة له ولوالديه ولمن دخل بيته من المؤمنين، ثم عمّم سؤال المغفرة لكل مؤمن من ذكر أو أنثى... وسؤال الله تعالى المغفرة للوالدين لا يقيد بقيد ولا يشترط بوجود الذنب، لأن من الذنوب ما لا يعرف، كما أن الذنوب درجات تتفاوت، فإذا كانا من أهل الصغائر فإنها تغفر، وإذا كانا من أهل الكبائر فتخفف، وإما إذا كانا من أهل اللمم فإنها تغفر، وإذا لم يكن عندهما ذنوب فترفع درجاتهما.

وأما تنفيذ الوصية بعد وفاتهما فإن الولد-الوارث-مطالب بتنفيذ وصية والده أو والدته - إذا كانت في معروفٍ، وليست في معصية - لأن ذلك واجب في حقه، سواء كانت الوصية مالية أو غيرها[3].

ومن جميل الأمثلة لإنفاذ الابن وصية أبيه ما فعله عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، فقد قال له الزبير رضي الله عنه قبل موته: ((يا بُنيَّ، بعْ ما لَنا، فاقضِ دَيني فلما فرَغَ ابنُ الزُّبيرِ من قَضاءِ

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة نوح، آية: ٢٨.

(٣) بر الوالدين، د. خليل ملا خاطر ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠-١٧١، ١٨٥-١٨٦ بتصرف يسير.

دَينهِ قال بنو الزُّبير: اقسِمْ بيننا مِيراثَنا. قال: لا واللهِ لا أقسِمُ بينَكم حتى أُنادِيَ بالموسم أربعَ سِنين: ألا من كان لهُ على الزُّبيرِ دَينٌ فلْيَأتِنا فلْنقْضِه))[1].

وكذلك من الواجب على الولد صلة الرحم التي لا توصل إلا بالوالدين (كالجد والجدة -وإن علوا- والعم والعمة والأخ والأخت والخال والخالة وأبنائهم... إلخ، حتى لو كانوا من الرضاع، والنصوص في صلة الرحم كثيرة جدًا... ومن بر الوالدين -بعد وفاتهما- أن يكرم الولد أصدقاء والده، والبنت أصدقاء أمها، وكذا الولد أيضًا، لأن في ذلك وصلاً بالوالدين، واحترامًا لهما، ولأنهما السبب في هذه الصلة)[2].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

أجاب النبي ﷺ على سؤال الرجل وبيّن له ما يقوم به تجاه والديه بعد وفاتهما، وذلك لكي يمتثل هو ومن يسمع ومن يقرأ ومن يعلم، وقد كان استخدام الجواب هنا مناسبًا وموفقًا؛ لأنه كان على سؤال من المدعو يحتاج إلى إجابة مباشرة تحمل المضمون في سهولة ووضوح.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٢٩.

(٢) بر الوالدين، د. خليل ملا خاطر ١٩٠، ٢٠٥.

الحديث رقم (٣٤٤)

٣٤٤- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَى أحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ[١]، وَلَكِنْ كَانَ[٢] يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يقطِّعُهَا أعْضَاء، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا[٣] إلاَّ خَدِيجَةَ! فَيَقُولُ: ((**إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٤].

وفي رواية[٥]: وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاة، فَيُهْدِي فِي خَلاَئِلِهَا مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ.

وفي رواية[٦]: كَانَ إذَا ذبح الشاة، يقولُ: ((**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**)).

وفي رواية[٧]: قَالَت: اسْتَأذَنتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَعرَفَ اسْتِئذَانَ خَدِيجَةَ، فَارتَاحَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: ((**اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**)).

قولُهَا: ((**فَارتَاحَ**)) هُوَ بالحاء، وفي الجمعِ بَيْنَ الصحيحين للحُميدي[٨]: ((**فارتاع**)) بالعينِ ومعناه: اهتم بهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

---

(١) (قط) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وهي من الجمع للحميدي.

(٢) عند البخاري زيادة: (النبي ﷺ) وهي ليست عند الحميدي في جمعه.

(٣) عند البخاري زيادة: (امرأة).

(٤) أخرجه البخاري (٣٨١٨) واللفظ له، ومسلم (٢٤٣٥/٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٨١٦) من حديث سعيد بن عفير، عن الليث.

(٦) أخرجه مسلم (٢٤٣٥/٧٥).

(٧) أخرجه البخاري (٣٨٢١) تعليقًا من حديث علي بن مسهر، ومسلم (٢٤٣٧/٧٨) مسندًا من حديث علي بن مسهر.

(٨) (١١١/٤، رقم ٣٢٢٣).

غريب الألفاظ:

خلائلها: الخلائل: المفرد الخليلة: وهي الصديقة المخلصة[١].

يَسَعُهُنَّ: يكفيهنَّ[٢].

الشرح الأدبي

النبي ﷺ أكثر الناس وفاءً وأكثرها إخلاصاً، وهذا الحديث يشير إلى ذلك، كما يشير إلى أن الغيرة من طباع النساء، وضرورة صبر الرجال عليهن، وترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن تجربة شخصية وقد بدأت بأسلوب النفي الذي قررت عن طريقه أن غيرتها من خديجة فاقت غيرتها من الجميع لمكانتها عند رسول الله ﷺ حتى بعد موتها، وقولها: (وما رأيتها قط) أسلوب نفي مؤكد بلفظ قط فيه دليل على أن سبب غيرتها راجع إلى بقاء مكانتها في قلب رسول الله ﷺ، وقولها: (ولكن كان يكثر ذكرها) من موجبات مكانتها عنده كثرة ذكر محاسنها وجميل أخلاقها، وقولها: (وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يقَطِّعُهَا أعْضَاء، ثُمَّ يَبْعثُهَا في صَدَائِقِ خَدِيجَةَ) حكاية هذه التفاصيل لذبح الشاة، وتقطيعها وإرسالها تأكيد على صدق ما تقول من وفاء الرسول ﷺ لأم المؤمنين خديجة، وبيان لسبب غيرتها منها، وقوله ﷺ: (إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ) كناية عن مواقفها العظيمة مع الرسول ﷺ وقوله: (وَكَانَ لي مِنْهَا وَلَدٌ) لأن جميع أولاده منها إلا إبراهيم فإنه من مارية، وفي الحديث مثال واقعي لأعلى صور الوفاء البشري.

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

(٢) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ع).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وفاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها بعد موتها.

ثانيًا: من آداب الداعية: الثناء على أهل الفضل.

ثالثًا: من آداب الداعية: سعة صدره وصبره على المدعو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بر أصدقاء الزوجة وأقاربها.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر والنداء.

سادسًا: من وسائل الدعوة: الهدية أو الصدقة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: وفاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها:

إن النبي ﷺ هو المثل الأعلى في الوفاء، فقد ضرب أحسن المثل في الوفاء لأهله ولأصحابه ولزوجاته، من ذلك وفاؤه لزوجته خديجة رضي الله عنها. وهذا واضحٌ في جميع روايات الحديث، من ذلك: "كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة رضي الله عنها، قال النووي: (قوله "فارتاح لذلك" أي هشَّ لمجيئها وسرّ بها لتذكره بها خديجة وأيامها، وفي هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب)[1].

ووقع في صحيح مسلم قول عائشة رضي الله عنها: ((فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا))[2].

قال ابن حجر: (هي أول من تزوجها ﷺ، وتزوجها سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور ... وقد تقدم في أبواب الوحي بيان تصديقها للنبي ﷺ في أول وهلة، ومن ثباتها في الأمر[3] ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها وصحة عزمها، لا جرم كانت أفضل نسائه على الراجح)[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٥-٢٤٣٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣، ومسلم ١٦٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/٧. وانظر: ١٧٠/٧-١٧١ منه.

قال د. خليل إبراهيم ملا: (والنبي المصطفى الكريم ﷺ قد ضرب المثل الأعلى بالوفاء بالعهد وحسن الوفاء والإحسان لصاحبات خديجة رضي الله عنها، وتفقده لهن وإكرامهن ... حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها، مع أنها لم ترها)[١].

إن الداعية قد يرى نماذج مشرفة في الاستجابة لدعوته والامتثال لها، فتستحق منه الثناء عليها تشجيعًا له وترغيبًا لغيره في الاقتداء به. ذلك واضح من قول عائشة إخبارًا عن النبي ﷺ: "كان يكثر ذكرها" وفي رواية للبخاري: ((لكثْرَةِ ذِكر رسولِ الله ﷺ إياها وثنائِهِ عليها))[٢] وفي رواية لأحمد (فأطنب في الثناء عليها فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة فقلت: لقد أعقبك الله يا رسول الله من عجوزٍ من عجائز قريش حمراء الشدقين[٣] قالت: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ تغيرًا لم أره تغيرّ عند شيء قط إلا عند نزول الوحي أو عند المَخيلة[٤] حتى يعلم: رحمة أو عذاب[٥].

وقد فصّل ﷺ أوجه الثناء على خديجة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيّ ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغِرْتُ يومًا فقلت: ما أكثر ما تَذْكُرُها حمراءُ الشِّدْقِ، قد أبْدَلَكَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - بها خيرًا منها، قال: «ما أَبْدَلَني الله - عَزَّ وَجَلَّ - خَيْرًا منها قَدْ آمَنَتْ بي إذ كَفَرَ بي النّاس، وصَدَّقَتني إذ كذَّبني النّاسُ، وَواسَتْني بمالِها إذ حَرَمَني النّاسُ، وَرَزَقَني الله -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَدَها إذ حَرَمَني أولادَ النّساءِ))[٦].

---

(١) بر الوالدين ٢٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٢٩.

(٣) أي سقطت أسنانها لكبر سنها حتى ظهرت الحمرةُ في شدقها وهذا كناية عن كونها عجوز، حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٨/٤١.

(٤) أي عند ظهور السحاب في الجو، حاشية السندي على مسند أحمد ٩٠/٤٢.

(٥) أخرجه أحمد ١٥٤/٦ رقم ٢٥٢١٠، وصحح إسناده محققو المسند ١١٧/٤٢-١١٨.

(٦) أخرجه أحمد ١١٨/٦ رقم ٢٤٨٦٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح وهذا سند حسن في المتابعات ٣٥٦/٤١.

ونقل ابنُ مفلح القول: (أما من مَدَح على الفعل الحسن والأمر المحمود ترغيبًا في أمثاله، وتحريضًا على الاقتداء به في أشباهه فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحًا بما تكلم به من جميل القول)[1].

والمدح الشرعي من أهدافه المهمة التشجيع (والتشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب، ولا يقتصر على المربين والمعلمين، بل هو عام للنوابغ وغيرهم، في العلم أو في أي مجال آخر.

وهو كذلك ليس مسؤولية المربين والمعلمين، بل هو يقع على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين، أو الوالدين، أو الرؤساء أو غيرهم.

بل هو مسؤولية عامة الناس؛ فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير، ويعينوا على البر.

فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة، أو المبادرة بالهدية، أو من خلال رسالة الشكر والتقدير، أو غير ذلك.

فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم، وتنمية المهارة، والشعور بالثقة؛ ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سير العلماء والمصلحين، والمجاهدين، ثم بحثنا عن سر نبوغهم وألمعيتهم - لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال ما نال بسبب كلمة سمعها فَغَيَّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته، وصبره، واستشعاره للمسؤولية، أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة، فيكون له وقعه وأثره.

عن حسين الكرابيسي قال: (سمعت الشافعي يقول: كنت امرءًا أكتب الشعر، وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش، ثم ابن المطلب رضي من دينه ودنياه أن يكون مُعَلِّمًا الشعر؟

الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا؛ تفَقَّه يُعلْك الله.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٣٦/٣.

قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي، ورجعت إلى مكة، وكتبت عن ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد بن عبدالله الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه)[١].

وهذا أحمد لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل هو لص طرار[٢].

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: "كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم.

فقلت: يا أبه، من أبو الهيثم؟

فقال: لما أخرجت للسياط، ومُدَّتْ يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي، ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا.

قال أنا أبو الهيثم العيَّار، اللص الطرَّار، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان؛ لأجل الدنيا؛ فاصبر أنت في طاعة الرحمن؛ لأجل الدين)[٣].

ثالثًا- من آداب الداعية: سعة صدره وصبره على المدعو:

إن الداعية الناجح يتسع صدره لما يصدر من المدعو مما يضايق أو يدعو إلى الغضب فلا يقابل هذا الضيق أو الضجر بمثله، وإنما يصبر عليه ويحتويه ويعامله بالإحسان، وذلك واضحٌ في صبر النبي ﷺ على غيرة عائشة وسعة صدره معها عندما كانت تغضب من ذكره ﷺ خديجة.

قال النووي رحمه الله: (قال القاضي عياض[٤]: قال الطبري وغيره من العلماء: الغيرة

---

(١) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/١٦٥.

(٢) الطَّرَّار: النشال يشق ثوب الرجل ويَسُلُّ ما فيه. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ر ر).

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٢٢٩-٢٣٠، هذا ... والعيَّار هو الرجل كثير التطواف والحركة يتبع هوى نفسه، مختار الصحاح في (ع ي ر)، والوجيز ٤٤٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/٤٤٣، ٤٤٤.

مسامح للنساء فيها لا عقوبة عليهن فيها لما جُبلن عليه من ذلك ولهذا لم تُزجر عائشة عنها. قال القاضي[١]: وعندي أن ذلك جَرَى من عائشة لصغر سنها وأول شبيبتها ولعلها لم تكن بلغت حينئذ)[٢].

وقال الحافظ ابن حجر: (وهو محتمل مع ما فيه من نظر)[٣] ثم قال: (الغيرة يقع الصفح بها لأن من يحصل لها الغيرة لا تكون في كمال عقلها، فلهذا تصدر منها أمور لا تصدر منها في حال عدم الغيرة)[٤].

وقد كان ﷺ واسع الصدر مع نسائه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((تَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، لاَ تُرَاجِعِي رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ تَسْأَلِيهِ شَيْئًا))[٥].

قال ابن حجر رحمه الله: (فيه الصبرُ على الزوجات والإغضاء عن خطابهن[٦] والصفح عما يقع منهن من زلل في حق المرء دون ما يكون من حق الله تعالى)[٧].

وقد ذكر عدة أسباب لاعتزال النبي أزواجه ثم قال: (ويحتمل أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سببًا لاعتزالهن وهذا هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه)[٨].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٤/٧.

(٤) السابق ١٧٥/٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٩١، ومسلم ٣٤-١٤٧٩.

(٦) أي عن خطاب النساء لأزواجهن وما يكون فيه من شدة وحدة وخروج عن التأدب مع الزوج. والله أعلم.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٢/٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠١/٩.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بر أصدقاء الزوجة وأقاربها:

كان النبي ﷺ يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة "ويهدي في خلائلها منها ما يسعهن" ويقول: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة" ولما استأذنت أختها ارتاح لذلك واهتز لذلك سرورًا وقال "اللهم هالة" قال ابن حجر: (فيه حذف تقديره اجعلها هالة ويحتمل أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي: هذه هالة... وفي الحديث أن من أحب شيئًا أحب محبوباته وما يشبهه وما يتعلق به)[١] وقال النووي: (في هذا كله دليل لحسن العهد وحفظ الود ورعاية حرمة الصاحب والعشير في حياته ووفاته وإكرام أهل ذلك الصاحب)[٢].

ورُوي أن ابنًا لخديجة رضي الله عنها اسمه هالة بن أبي هالة دخل على رسول الله ﷺ وهو راقد فاستيقظ النبي ﷺ وضمّ هالة إلى صدره وقال: هالة هالة هالة. كأنه ﷺ سرّ به لقرابته من خديجة رضي الله عنها[٣]. قال الحافظ ابن حجر: (فلعله كان لخديجة أيضًا ابنٌ اسمه هالة)[٤].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر والنداء:

أما التوكيد فقول النبي ﷺ: "إنها كانت وكانت" وذلك ليؤكد على علو مكانة خديجة رضي الله عنها عنده. فهو ﷺ لم يتزوج على خديجة حتى ماتت[٥]. قال ابن حجر: (وفيه دليل على عظم قدرها عنده وعلى مزيد فضلها)[٦]، وأما الأمر

---

(١) المرجع السابق ١٧٤/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨١.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير كما في مجمع الزوائد ٣٧٧/٩ والحاكم ٦٤٠/٤، وقال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم: وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٣/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٤٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٣/٧.

(٥) أخرجه مسلم ٧٧-٢٤٣٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٠/٧.

فقوله ﷺ: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة "ليبيّن مكانتها عنده، أما النداء فقوله ﷺ "اللهم" وذلك ليبين سروره بمقدم أخت خديجة، لأنها ذكرته بخديجة وبأيامها.

سادسًا- من وسائل الدعوة: الهدية أو الصدقة:

قد أرسل النبي ﷺ أعضاء من الشاة إلى أصدقاء خديجة، وفي هذا دعوة لهن ولمن علم بذلك إلى حسن الوفاء للزوجة في حياتها ومماتها، ومن ثم نشر هذا في المجتمع وبين المسلمين.

جاء في الموسوعة الفقهية: (الهبة والهدية والصدقة أنواع من البر يجمعها تمليك العين بلا عوض، فإن ملّك محتاجًا لطلب ثواب الآخرة فهي صدقة، وإن نقلها إلى مكان الموهوب له إكرامًا له فهدية، وإن ملكه بدون طلب الثواب ولم ينقل إلى مكان الموهوب فهبة محضة)[1].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٣/٤٢.

الحديث رقم (٣٤٥)

٣٤٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قَالَ: خرجت مَعَ جرير بن عبد الله البَجَلِيّ رضي الله عنه في سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُني، فَقُلْتُ لَهُ: لاَ تَفْعَل، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله ﷺ شيئًا آلَيْتُ عَلَى نَفسِي[1] أنْ لا أصْحَبَ أحَدًا مِنْهُمْ إلاَّ خَدَمْتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

آليت: أقسمتُ وحَلَفتُ[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب قصصي خبري دون مؤكدات؛ لأن الخبر حدث شخصي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه في أثناء سفره يبين إجلال الصحابة لرسول الله ﷺ، وإجلالهم لإخوانهم وقوله(فَكَانَ يَخْدُمُني) دليل عن تواضع جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وقول أنس رضي الله عنه (لاَ تَفْعَل) نهي من باب التواضع، والأدب، وقوله (إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله ﷺ شيئاً) كناية عن خدمتهم للرسول ﷺ وإجلالهم لهم، وتنكير (شيئاً) للتعظيم، والمبالغة وقوله: (آلَيْتُ عَلَى نَفسِي أنْ لا أصْحَبَ أحَداً مِنْهُمْ إلاَّ خَدَمْتُهُ) أسلوب قصر يقصر صحبة جرير بن عبد الله لأحد من الأنصار على خدمته، وقوله (آليت) دليل على عزمه، والحديث يدلل على إجلال الصحابة. ووفائهم له ﷺ.

---

(١) (على نفسي) لا توجد عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٨)، ومسلم (٢٥١٣/١٨١) واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ل ى).

فقه الحديث

استحباب رحمة المسافر الذي له نوع فضيلة، وخدمته، حتى وإن كان الخادم أكبر سنًا، فقد كان جرير أكبر من أنس[١] رضي الله عن الجميع.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: التواضع وحب أهل الفضل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار رضي الله عنهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي والتوكيد والقصر.

أولاً- من آداب المدعو: التواضع وحب أهل الفضل:

إن خلق التواضع من الأخلاق المهمة التي يجب أن تنتشر في المجتمع ويتحلى بها المدعوون لما في ذلك من أثر فعال في انتشار الود والألفة بين أبناء المجتمع ولذا كان خلق التواضع من أبرز ما تحلى به الصحابة رضي الله عنهم، ففي هذا الحديث كان جرير رضي الله عنه يخدم أنس بن مالك رضي الله عنه مع أنه كان أكبر منه. في رواية البخاري: صحبت جرير بن عبدالله فكان يخدمني وهو أكبر من أنس" وفي رواية لمسلم "وكان جرير أسنّ من أنس" قال النووي: (وفيه تواضع جرير وفضيلته)[٢].

وقد كان التواضع سمة الصحابة رضي الله عنهم وشيمتهم فهذا ثابت البناني التابعي مرّ على صبيان فسلّم عليهم وحدّث: أنه كان يمشي مع أنس بن مالك رضي الله عنه فمرّ بصبيان فسلّم عليهم، وحدّث أنسٌ: أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرّ بصبيان فسلّم عليهم[٣].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر، وسلوكُ التواضع ولينُ الجانب)[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٣٣٩/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ١٥-٢١٦٨ واللفظ له.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥/١١.

وقال الحسن البصري: (التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلاً)[١].

(فالتواضع -في حقيقته- هو بذل الاحترام والعطف والتقدير لمن يستحقه والتواضعُ دليل على كبر النفس وعلو الهمة، وهو في الوقت نفسه سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات.

فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد. وينأى به عن الكبر والاستنكاف من قبول الحق والأخذ به. ومن هنا يكمل السؤدد ويعلو القدر ويتناهى الفضل ثم إن التواضع يغري باكتساب المعالي من جهة أن الناس يعجبون بالأكابر والعظماء إذا تواضعوا. فيقودهم ذلك إلى محبتهم والاقتداء بهم والسير على منوالهم.

قال ابن المبارك: (كان يقال: الغنى في النفس، والكرم في التقوى والشرف في التواضع، وكان يقال: ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة.

ثم إن المتواضع يرفع من أقدار الناس وينزلهم منازلهم. ويشعر النوابغ بقيمتهم واستعدادهم كي يكونوا من ذوي الشرف والمروءات. ثم إن من تواضع لله رفعه، فإذا رفع الله أحدًا فمن الذي سيخفضه ويضعه؟)[٢].

إن الداعية يقدم كل ما يستطيع من أجل نفع المدعو، ولا يدخر وسعًا في ذلك، لذا فإن حب الداعية يملأ قلب المدعو ويتمكن منه، وقد كان هذا الأمر واضحًا جدًا في الصحابة رضي الله عنهم، كما في هذا الحديث.

فقد علّل جرير صنعه بأن قال: إني قد رأيت الأنصار رضي الله عنهم تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا آليت على نفسي ألا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته.

قال ابن حجر رحمه الله: (في هذا الحديث... فضل جرير وتواضعه ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم)[٣] وقال النووي: (وفيه إكرامه للنبي صلى الله عليه وسلم)[٤]. قال القاضي عياض: (وبالجملة

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٩٤٩/٤.

(٢) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ١٨٦-١٨٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦.

أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحبّ، ثم الميل قد يكون لما يستلذه بعقله للمعاني الباطنة الجميلة والأخلاق الرفيعة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضائل والخصال العلية، وإن لم يَرَهم ولا قارب زمانهم، أو ميله لمن يحسن إليه وينعم عليه، ويدفع المضار والمكاره عنه، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها. وهذا المعاني كلها موجودة في حقّ النبي ﷺ مسبِّبة حبه لما خلق عليه من كمال صورة الباطن والظاهر وكمال خلال الجلال وجماع الفضائل وإحسانه إلى المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعيم والإبعاد من الجحيم)[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((جاءت هند بنتُ عُتبةَ فقالت: يا رسولَ الله، ما كان على ظهرِ الأرض من أهلِ خِباءٍ أحبُّ إليَّ أن يذلُّوا من أهلِ خِبائك، ثمَّ ما أصبحَ اليومَ على ظهر الأرضِ أهلُ خباءٍ أحبُّ إليَّ أن يَعِزّوا من أهلِ خِبائك. قال: وأيضًا والذي نفسي بيدهِ))[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض[3]: أرادت بقولها "أهل خباء" نفسه ﷺ فكنَّتْ عنه بأهل الخباء إجلالاً له. ويحتمل أن تريد بأهل الخباء أهل بيته. والخباء يعبر به عن مسكن الرجل وداره. وأما قوله ﷺ: "وأيضًا والذي نفسي بيده" فمعناه: وستزيدين من ذلك ويتمكن الإيمان من قلبك ويزيد حبك لله ورسوله ﷺ ويقوى رجوعك عن بغضه)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار:

قام الأنصار رضي الله عنهم بدور بالغ الأهمية في نصرة الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ وإيواء المهاجرين، وضربوا المثل العليا في الإيثار وأهلكوا أموالهم وبذلوا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، لذا كان لهم الفضل العظيم والمكانة العالية، وهذا ما دفع جريرًا رضي الله عنه إلى أن يخدم أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول: "رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئًا"

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٢٧٨-٢٧٩. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٢٥، ومسلم ٧-١٧١٤.

(٣) إكمال المعلم، بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥/٥٦٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٠٢.

(أي من التعظيم، وأبهم ذلك مبالغة في تكثير ذلك)[١] قال ابن حجر: (في هذا الحديث فضل الأنصار)[٢] وقال النووي: (في حديث جرير بن عبدالله وخدمته لأنس إكرامًا للأنصار دليل لإكرام المحسن والمنتسب إليه، وإن كان أصغر سنًا، وفيه تواضع جرير وفضيلته وإكرامه للنبي ﷺ وإحسانه إلى من انتسب إلى من أحسن إليه ﷺ)[٣].

ومن الأحاديث التي تبيّن ما فعله الأنصار من نصرة النبي ﷺ ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه من حزن الأنصار بسبب أن النبي ﷺ أعطى الناس من غنائم غزوة حنين ولم يعطهم، ولما بلغه ﷺ حالهم أتاهم فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: ((يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتني عنكم وَجِدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمنُّ وأفضل، قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله؟ ولله ولرسوله المن والفضل، قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم، أتيتنا مكذبًا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلاً فأغنيناك، أوجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة[٤] من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلي إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم، فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار اللّهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، فبكى القوم حتى أخضلُوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قِسْمًا وحظًا))[٥]. وقد قال النبي ﷺ: ((آيةُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٩٩.

(٢) المرجع السابق ٦/٩٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٦.

(٤) لُعاعة: بضم اللام: الجرعة من الشراب والمراد: الشيء اليسير والقدر القليل. حاشية السندي على مسند أحمد ١٨/٢٥٦.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٧٦ رقم ١١٧٣٠ وحسن إسناده محققو المسند ١٨/٢٥٣، والحديث أصله في الصحيحين من رواية عبدالله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٤٣٣٠، ومسلم ١٠٦١، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣١٤٧، ومسلم ١٠٥٩.

الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصار))[١].

قال ابن حجر: (الأنصار: أي أنصار رسول الله ﷺ والمراد الأوس والخزرج... فسماهم رسول الله ﷺ الأنصار، فصار ذلك علمًا عليهم، وأطلق أيضًا على أولادهم وحلفائهم ومواليهم، وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم، فكان صنيعهم لذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم، والعداوة تجرّ البغض ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبًا للحسد، والحسد يجر البغض، فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق، تنويهًا بعظيم فضلهم وتنبيهًا على كريم فعلهم)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد والقسم والقصر:

أما النهي فقول أنس لجرير رضي الله عنهما: "لا تفعل" وذلك تحرجًا من أن يخدمه جرير وهو أكبر منه سنًا.

أما التوكيد فقول جرير رضي الله عنه ردًا على نهي أنس رضي الله عنه: "إني قد رأيت" ليؤكد عزمه على خدمة كل من كان من الأنصار، لأنهم نصروا النبي ﷺ نصرًا مؤزرًا، فكان توكيده لإظهار حبه للنبي ﷺ ومن هذا الحب حبٌّ من نصره وأعانه ﷺ، ومن ثم كان القسم مناسبًا لبيان عزم جرير على ذلك فقال: (آليت: أي حلفت)[٣]، وزاد هذا الحرص على الخدمة وإكرام الأنصار بأن عبر بأسلوب القصر "أن لا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته"، ليشمل ذلك كل الأنصار صغيرهم وكبيرهم، حبًا لمن أحسن إلى النبي ﷺ وانتسب إليه، فإن من حب الحبيب حبٌّ من أحسن إليه وأعزه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧، ومسلم ٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الوفاء من خلق الإسلام، ولا يقف عند حد معين ولكنه يتأكد بحق الأقارب والأزواج والأصدقاء.. ومن الإشارات اللطيفة في هذا الباب ما ورد على لسان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كانت تغار من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ولم تكن الغيرة راجعة إلى رؤيتها وإنما مرد الغيرة إلى كثرة ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليها من ناحية، وإلى بشره بصواحباتها من ناحية ثانية، وفرحته بزيارة أختها من ناحية ثالثة، ومما ننتفع به في مقام التربية والتعليم بشأن هذا الباب ما يلي:

أولاً- تدعيم العلاقات الاجتماعية:

لم يأمرنا رسول الله بصلة الأرحام وحدها، بل أيضًا حرص على صلة الأصدقاء ومن تربطنا بهم علاقات وثيقة تقوم على التآخي في الله، وتزداد أهمية هذه الصلة، إذا كانت تتعلق بأصدقاء الآباء والأمهات، وهذا ما أكده النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»، وفي تعليل عبدالله بن عمر لاحترامه للأعرابي يقول: «إِنَّ أَبَا هذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه ...».

وفي حديث آخر يقرن الرسول صلى الله عليه وسلم إكرام أصدقاء الأبوين: «بالصَّلاَة عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَار لَهُمَا، ... وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا».

وفي هذه اللمحة الإنسانية بُعد تربوي واجتماعي حرص عليه الإسلام، وعمل على تربية المؤمن عليه، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، نظرًا للآثار الاجتماعية المحمودة والمترتبة على هذا السلوك التربوي في صلة أصدقاء الأب والأم والأقارب، ومن ترتبط بهم صلات وثيقة.

"وقد مضت أجيال المسلمين المتتالية منذ جيل الصحابة حتى وقت قريب، وفق هذه التعاليم السامية والمثل العليا، فكانت تكثر في مجتمعهم أعمال المروءة والفتوة والسعي في الخير والرفق بالآخرين، وسائر صنائع المعروف، ولكنَّ هذه المظاهر خفت في الأجيال المعاصرة"[1].

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٤٩.

ولا شك أن تربية الأجيال على هذه القيم التربوية من الوفاء للوالدين -حتى ولو بعد رحيلهما- تعمق في النفوس أهمية التواصل الاجتماعي وأداء حقوق الأخوة التي من مقتضياتها: السؤال والتقدير وتقديم أي لون من ألوان الكرم.

ثانيًا- التربية على الوفاء والإخلاص وردِّ الجميل:

وفي هذا الباب حثٌّ على الإخلاص والوفاء لطرفين:

أولهما: الأبوان: فهما أولى الناس ببر الابن، ولكن هذا البرَّ لا يتوقف عند موتهما؛ إنما يبقى الوفاء لهما حتى بعد موتهما، بصلة أصدقائهما والصلاة عليهما، والاستغفار لهما.

ثانيهما: الزوجة: ويتبدَّى ذلك جليًّا في وفائه ﷺ لزوجه خديجة رضي الله عنها، فكان وفيًّا لها بعد موتها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها، ... وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ...».

فلا اعتبار للمسلم إذا لم يتحلَّ بخلق الوفاء، "فما على القدوة إلا أن يتأمل نفسه مليًّا ليرى مكان الوفاء فيها ويحرص أن يكون وفيًّا رادًّا للجميل، لا تضيع عنده صنائع المعروف، وإلا فهو كمن يزرع البذور في بيت النار، ولقد كان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في الوفاء وردِّ الجميل، مما كان له أبلغ الأثر في نفوس المسلمين وغيرهم، وكان الوفاء عنده بمثابة الأمان الذي يستظلون بظله"[1].

وفي أحاديث هذا الباب موقف رائع من مواقف إكرام من هو أهل للإكرام، يتمثل في خدمة جرير بن عبدالله البجليِّ لأنس بن مالك رضي الله عنهما، عندما خرجا في سفر، وكان تعليل ذلك أن قال لأنس: «رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، آلَيْتُ أَنْ لاَ أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلاَّ خَدَمْتُهُ».

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

وهي من الطرق الفعّالة وغير المباشرة في التربية الخلقية، والذي يريد أن يربي غيره

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٦٢.

بمجرد الوعظ والكلام لا ينجح ولا يكون له نفس الأثر الناجم عن الذي يربي بالكلام، والعمل بما يتكلم به، وهذا هو المقصود بالقدوة[١].

وفي هذا الباب خمسة أحاديث، منها ثلاثة تصور الأساس الأخلاقي بالقدوة والمثل، وليس بمجرد الوعظ النظري.

وذلك يتبدَّى في موقف عبدالله بن عمر من الأعرابي ابن صديق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب ...".

وكذلك موقف النبي صلى الله عليه وسلم من صديقات خديجة رضي الله عنها ... "ذبح شاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ...".

وآخر الأحاديث في هذا الباب يصور موقفًا عمليًا جليلاً لصحابي يكرم صحابيًّا من الأنصار، لأنهم كانوا قد أكرموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكل سبيل استطاعوه.

رابعًا- من أساليب التربية: المناقشة والحوار:

وهذا واضح من أحاديث الباب، ولا شك أن الحوار يفعّل دور المتعلم في العملية التعليمية لأنه ينقل العملية التعليمية من الاعتماد على المعلم إلى المشاركة الإيجابية من قبل المتعلم. وبالحوار يتم تبادل الأفكار والآراء بين المعلم والمتعلمين بحرية، بغية تعميق وإيضاح بعض المفاهيم والموضوعات التي تحتاج إلى توضيح.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٢٥٧.

٤٣- باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

الحديث رقم (٣٤٦)

٣٤٦- وعن يزيد بن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أنا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وَعَمْرُو بن مُسْلِم إِلَى زَيْد بْنِ أرقَمَ رضي الله عنه، فَلَمَّا جَلسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثِيراً، رَأَيْتَ رَسُول الله ﷺ، وسمعتَ حديثَهُ، وغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كَثيراً، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: يَا ابْنَ أخِي، وَاللهِ لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهدي، وَنَسيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أعِي مِنْ رسولِ الله ﷺ، فما حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، ومَا لا فَلاَ تُكَلِّفُونيهِ. ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول الله ﷺ يوماً فينا خَطِيباً بمَاء يُدْعَى خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيهِ، وَوعظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: **((أمَّا بَعدُ، ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِي رسولُ ربِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تارك فيكم ثَقَلَيْنِ: أوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكتابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ))**، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: **((وَأهْلُ بَيْتِي أُذكِّرُكُمُ الله في أهلِ بَيْتي، أذكرُكُمُ الله في أهل بيتي))** فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أهْلُ بَيتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أهْلِ بَيتِهِ، وَلكِنْ أهْلُ بَيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عقيل وَآلُ جَعفَرَ وآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم[1].

وفي رواية[2]: **((ألاَ وَإنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أحَدُهُما كِتَابُ الله وَهُوَ حَبْلُ الله، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَة))**.

---

(١) برقم (٢٤٠٨/٣٦). وسيكرره المؤلف برقم (٧١٢).

(٢) مسلم (٢٤٠٨/٣٧). وسيكررها المؤلف برقم (٧١٢).

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: هو زيد بن أرقم بن النعمان الأنصاري.

كان من خواص الصحابة، وكان يتيماً في حجر عبدالله بن رواحة رضي الله عنه، غزا مع النبي ﷺ سبعَ عشرة غَزْوَةً، وقد استصغره النبي ﷺ يوم أحد، وكانت الخندق أول مشاهده، وقيل المُريسيع.

وهو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبدالله بن أُبي بن سلول قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[1].

فكذبه عبدالله بن أبي، وحلف، فأنزل الله تصديق زيد بن أرقم، فتبادر أبوبكر وعمر رضي الله عنهما إلى زيد ليبشّراه، فسبق أبوبكر، فأقسم عمر لا يبادره بعدها إلى شيء وبعث النبي ﷺ إلى زيد فقال له ((إن الله قد صدقك يا زيد))[2].

وروى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة بلغت ٧٠ حديثاً.

وقد شهد صفين مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان يعدُّ من الكوفيين، فقد نزل الكوفة وسكنها.

وتوفي أيام المختار بالكوفة سنة ٦٦هـ، وقيل ٦٨هـ[3].

غريب الألفاظ:

حبل الله: نور هداه، وقيل: عهده وأمانه الذي يُؤمن من العذاب. والحبل: العهد والميثاق[4].

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) أصل الخبر في البخاري، رقم (٤٩٠٠) و(٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٨/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٤٨-٢٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٤٢/٢-٣٤٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٤٣-٤٤٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٧٣٦/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٦٤/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٥٨/١)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٥٦/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ل).

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام مؤذن بمهم يتلوه، وحرف الجر المتصل بضمير الجمع (فينا) يؤكد الاحتشاد لهذا المهم، ثم إن الحمد، والثناء، والموعظة من لوازم خطبته ﷺ ثم إنه بدأ بفصل الخطاب بقوله (أما بعد) فصلاً للمقدمة عن موضوع الخطبة تلاه أداة الاستفتاح (ألا) وهي أشبه بطرقة عنيفة على الأسماع أتبعه بنداء الجمع (أيها الناس) الذي يؤكد أهمية الأمر، ويجعل الجميع في دائرة الحوار معنيين بما يتلوه، ثم أعقبه أسلوب قصر بإنما لنفسه ﷺ على كونه بشراً ونفي ما عداه من كونه ملكاً لا يموت، وهو تمهيد لما يريد أن يقرر من قرب الأجل، والذي قرره قوله(يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) وقد طوت العبارة أسراراً متعددة منها أن إتيان رسول ربه وإجابته له كناية عن موته ﷺ ومنها: أن التعبير بـ(يوشك) يقرر اقتراب ذلك مما يكون له أعظم الأثر في تلقيهم لما يقول ومنها: أن إضافة ضمير المتكلم لكلمة (رب) فيها استشعار للحظة القرب ورغبة في لازم الربوبية من العناية، والتربية، والحفظ عند الخطوب، ومنها: الربط بالفاء التي ترتب الإجابة علي الإتيان وتوحي بالسرعة مما يدل على شوقه إلى لقاء ربه، وقوله: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) وهذه الجملة تمهيد لتربة القلوب لتستقبل موعظة مودع بسمع مصغٍ وقلبٍ متفتح لا ينساها وتعبيره بالجملة الإسمية يفيد الثبات والدوام، وتصدير الكلام بالضمير (أنا) العائد عليه ﷺ ربط وجداني بحديث المودع السابق، ووصل له باللاحق؛ لأنها الفائدة التي يمهد لها وهي الوصية بالتمسك بكتاب الله وأهل بيته، وتنكير (الثقلين) للتعظيم وهو أسلوب توشيح يؤكد المعنى لأنه ذكر مثنى مجملاً ثم فصَّله بقوله (أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ) وإضافة الكتاب لله ارتقاء به لذروة الشرف التي ليس فوقها مرتقى لكتاب، وجملة (فيه الهدى والنور) تقديم الجار والمجرور (فيه) تفيد اختصاصه بهداية الناس وإرشادهم دون غيره من الكتب، وفيه إشارة خفية إلى تعرض الأمة لفتن ومحن لا تخرج منها إلا بكتاب الله يضيء لها الطريق كما أن فيه إشارة إلى أن الإنسان في الحياة كالساري بليل مظلم يحتاج إلى ما يضيء طريقه وهو كتاب الله مع كل مؤمن وفي قوله: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي

أَهْلِ بَيْتِي) إيجاز بالحذف تقديره: وثانيهما، والتكرار في الجملة يفيد التعظيم لشأنهم والتنبيه إلى فضلهم، ووجوب العناية بهم أينما كانوا ومهما تقلب بهم الزمان.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين أحدهما أصولي والآخر فقهي:

الأول: الحكم الأصولي، وهو أن المصدر الذي يؤخذ منه الأحكام هو كتاب الله تعالى ثم السنة، فإن وجد الحكم في كتاب الله عمل به، وإن لم يوجد ووجد في السنة عمل به، ولا يعدل عنهما إلى غيرهما مع وجود أحدهما فإن لم يوجد نص من كتاب أو سنة فحينئذ يؤخذ بالإجماع ثم القياس[1].

والثاني: فقهي وهو حكم دفع الصدقة لآل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وقد سبق الكلام عنه في الحديث رقم (٢٩٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: من آداب المدعو: الحرص على التعلم من الداعية.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التمسك بكتاب الله والاعتصام به.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ.

خامساً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه.

سادساً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

سابعاً: من أساليب الدعوة: التنبيه والنداء والقصر والأمر والتكرار والسؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم:

إن جيل الصحابة هم خير القرون والأجيال، فقد صحبوا النبي ﷺ وبذلوا الغالي

---

(١) كشف الأسرار عن أصول البزدوي لعبدالعزيز بن أحمد بن محمد البخاري ١٩/١، شرح التلويح على التوضيح لمسعود بن عمر التفتازاني ٤٦/١ وما بعدها، التقرير والتحبير شرح التحرير لابن أمير الحاج ٢١٢/٢، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي لحسن بن محمد العطار ٢٨٩/١ وما بعدها، المستصفى للغزالي ص ٨٠، شرح الكوكب المنير لأبي البقاء تقي الدين الفتوحي ص ١٦٢ وما بعدها.

والرخيص في الدفاع عن دين الله وعن نصره رسول الله ﷺ لذا استحقوا من الفضل ما عرفته الأجيال التي بعدهم وتمنوا أن يكون لهم هذا الفضل أو بعضه، وذلك واضح في قول التابعي للصحابي "لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليته خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً".

وقد قال الله عز وجل مخاطباً إياهم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾[1].

قال ابن القيم: (أخبر سبحانه أنه اجتباهم، والاجتباء كالاصطفاء، وهو افتعال من "اجتبى الشيء يجتبيه" إذا ضمّه إليه وحازه إلى نفسه، فهم المجتبون الذين اجتباهم الله إليه وجعلهم أهله وخاصته وصفوته من خلقه بعد النبيين والمرسلين، ولهذا أمرهم سبحانه أن يجاهدوا حق جهاده فيبذلوا له أنفسهم ويفردوه بالمحبة والعبودية ويختاروه وحده إلهاً معبوداً محبوباً على كل ما سواه كما اختارهم على من سواهم، فيتخذونه وحده إلههم ومعبودهم الذي يتقربون إليه بألسنتهم وجوارحهم وقلوبهم ومحبتهم وإرادتهم فيؤثرونه في كل حال على من سواه كما اتخذهم عبيده وأولياءه وأحباءه وآثرهم بذلك على من سواهم)[2].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ((من كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدياً وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم))[3].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤/١٣٣-١٣٤.

(٣) أخرجه أبونعيم في الحلية ١/٣٠٥-٣٠٦، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٢/١٨١٠، وقال محقق الجامع: الأثر لا بأس به.

وقال أيضاً ابن مسعود رضي الله عنه: ((إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه))[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: (قال ابن الصلاح: ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة.

وجميع ما ذكرنا يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاجون مع تعديل الله ورسوله لهم إلى تعديل أحد من الناس، ونقل ابن حجر عن الخطيب في "الكفاية" أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة، والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء، والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع بتعديلهم، والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدّلين الذين يجيئون من بعدهم، ثم قال: هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتمد قوله، وروى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، والقرآن حق، وماجاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الحرص على التعلم من الداعية:

حض الإسلام على التعلم وعلى سؤال أهل العلم، لذا كان على المدعو أن يسأل الداعية حتى يعرف ما يجهله ويحسن ما يفعله ويلازم ما كان صواباً ويجتنب ما كان غير ذلك. وهذا ما دفع التابعي أن يقول للصحابي: "حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقد حضروا إلى زيد رضي الله عنه من أجل أن يسمعوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٨٤/٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٤/٢٦ ومصادرها ومراجعها.

وقد كان هذا الأدب من آداب الصحابة رضي الله عنهم.

من ذلك ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: ((لم أزل حريصاً على أن أسأل عُمَرَ بن الخطاب عن المرأتَين من أزواج النبيِّ ﷺ اللتَين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1] حتى حجَّ وحَجَجْت معه، وعدَل وعدلت معه بإداوةٍ[2]، فَتبرزَ ثم جاءَ فسكَبت على يديه منها فتوَضأ، فقال له: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، قال: واعجبًا لك يا ابن عباس، هما عائشةُ وحَفصة))[3].

وفي رواية: ((مكثتُ سنةً أريدُ أن أَسأَل عُمرَ بن الخطاب عن آيةٍ فما أستطيع أن أسْأَله هيبةً له))[4].

قال ابن حجر: (وفيه حسن تلطف ابن عباس وشدة حرصه على الاطلاع على فنون التفسير، وفيه طلب علو الإسناد لأن ابن عباس أقام مدة طويلة ينتظر خلوة عمر ليأخذ عنه، وكان يمكنه أخذ ذلك بواسطة عنه ممن لا يهاب سؤاله كما كان يهاب عمر، وفيه حرص الصحابة رضي الله عنهم على طلب العلم والضبط بأحوال الرسول ﷺ. وفيه البحث في العلم في الطرق والخلوات وفي حال القعود والمشي)[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التمسك بكتاب الله والاعتصام به:

الاعتصام بكتاب الله هو طريق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، فقد أنزله الله عز وجل هدىً للناس ومرشداً لهم، لذلك حث الرسول ﷺ على التمسك بالاعتصام به فقال: "وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله

---

(١) سورة التحريم، آية: ٤.

(٢) الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية : ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٩١، ومسلم ٣٤-١٤٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩١٣، ومسلم ٣١-١٤٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٢/٩.

واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغّب فيه وفي رواية: "أحدهما كتاب الله وهوحبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة"، وفي رواية عند مسلم كذلك ((كِتَابُ اللّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ، وَأَخَذَ بِهِ، كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ))[١]، قال الطيبي: (واستمسك بالشيء إذا تحرى الإمساك به، ومعنى التمسك بالقرآن: العمل بما فيه وهو الائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه)[٢].

وقد قال ﷺ في خطبة حجة الوداع: ((وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ. كِتَابُ اللّهِ))[٣].

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾[٤] قال: ((حبلَ اللّهِ القرآنُ))[٥].

وقال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ: "كتاب الله هو حبل الله"، قيل: المراد بحبل الله عهده وقيل: السبب الموصل إلى رضاه ورحمته، وقيل: هو نوره الذي يهدي به)[٦].

(فالله تعالى أوجب على المسلمين كافة التمسك بكتابه العظيم والرجوع إليه عند الاختلاف وكذلك السنة، وأمرهم بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً، وذلك سبب لاتفاق كلمتهم وانتظام شتاتهم الذي تتم به مصالح الدين والدنيا، والسلامة من الاختلاف وأمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حَصَلَ لأهل الكتابين قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٧]. فالاعتصام يوجب على

---

(١) صحيح مسلم بعد الحديث ٣٦-٢٤٠٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/١١.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه سعيد بن منصور (٥١٩-التفسير) وابن أبي شيبة ٤٨٢/١٠، ٤٨٣، وابن جرير ٦٤٦/٥، والطبراني في الكبير ٩٠٣٢ وقال السيوطي: سنده صحيح. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٠٩/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧٢.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

المسلمين أن يجعلوا اجتماعهم ووحدتهم على كتاب الله تعالى عليه يجتمعون وبه يتحدون لا بجنسيات يتبعونها ولا بمذاهب يبتدعونها، ولا بسياسات يخترعونها)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ:

إن من لوازم المحبة محبة من له صلة بالمحبوب، لذا كان المسلمون يحبون أهل بيت النبي ﷺ، لأنهم أقرب الناس إليه، لذا حض النبي ﷺ على إكرام أهل بيته فقال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" (أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم: اتقوا الله ولاتؤذوهم فاحفظوهم، فالتذكير بمعنى الوعظ)[٢].

وقد أكرم الصحابة رضي الله عنهم أهل بيت النبي ﷺ: فقال أبوبكر رضي الله عنه ((ارقبُوا محمداً ﷺ في أهلِ بيته))[٣].

قال ابن حجر (يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم)[٤].

وقال القاضي عياض: (ومن توقيره ﷺ وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حضّ عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم)[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (تشرف المحبة بشرف المحبوب، فمحبة رسول الله ﷺ أشرف من محبة سائر العباد، وهي وسيلة إلى أن يطاع طاعة المحبوب، وكلما قوى التعلق بالحبيب قوى حب المتعلقين به والمنتسبين إليه، وكلما قويت النسبة قويت المحبة، ولذلك نحب المهاجرين والأنصار والصالحين والأبرار وعلياً والحسن وغيرهما من أهل الولاية، وترتب محبتهم ترتب منازلهم من الله في حبه وقربه)[٦].

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد الدوسري، ص ٥٢٧-٥٢٨.

(٢) شرح الطيبي ٢٩١/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧١٣، ٣٧٥١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٨/٧.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٤٠٦/٢.

(٦) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ٦٠-٦١.

(فأهل السنة يحبُّون [أهل البيت] ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ؛ لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملّة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليّ وبنيه. أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته، ولو كان من أهل البيت. فموقف أهل السنة والجماعة من أهل البيت موقف الاعتدال والإنصاف، يتولون أهل الدين والاستقامة منهم ويتبرؤون ممن خالف السنة وانحرف عن الدين، ولو كان من أهل البيت فإن كونه من أهل البيت ومن قرابة الرسول ﷺ لا ينفعه شيئاً حتى يستقيم على دين الله)[1].

خامساً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشكل عليه:

إن الداعية شديد الصلة بالمدعوين وذلك عن طريق أقواله وأفعاله، وفي أثناء ذلك قد يعرض للمدعو ما يشكل عليه أو ما يريد أن يعرفه معرفة دقيقة، فيحتاج إلى أن يسأل الداعية، فقد سأل التابعيّ الصحابي عما أشكل عليه فقال: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ فلما أجابه زيد سأله كذلك: ومن هم؟ فأجابه زيد.

قال النووي: (المراد أنهن [أي نساءه ﷺ] من أهل بيته الذين يساكنونه ويعولهم وأمر باحترامهم وإكرامهم وسماهم ثقلاً، ووعظ في حقوقهم وذكّر، فنساؤه داخلات في هذا كله ولا يدخلن فيمن حُرِمَ الصدقة)[2].

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها: ((أنَّ رجلاً استأذنَ على النبيِّ ﷺ، فلما رآه قال: بئسَ أخو العَشيرةِ وبئسَ ابن العشيرة. فلما جلسَ تَطلَّقَ النبيُّ ﷺ في وَجهِهِ وانبسَطَ إليه. فلما انطلقَ الرجُلُ قالت له عائشة: يا رسولَ الله حينَ رأَيتَ الرجُل قلتُ له كذا وكذا، ثم تطلقتَ في وجههِ وانبسَطتَ إليه. فقال رسولُ الله ﷺ: يا عائشة متى عهِدْتَني فاحشاً؟ إنَّ شرَّ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامة مَن تَركهُ الناسُ اتقاءَ شرِّه))[3].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٨٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٧١-١٤٧٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٢ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩١.

سادساً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الخطبة من الوسائل الدعوية ذات التأثير الكبير في المدعوين، لذا فإن النبي ﷺ وهو إمام الدعاة قد أكثر من استخدامها في دعوته، كما هنا في هذا الحديث يقول الصحابي: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة. وقد كانت الخطبة هنا من الوسائل الفعالة في الدعوة، نظراً لأهمية الوصية، وكثرة عدد الصحابة، كما أن النبي ﷺ شعر بدنو أجله، فأرادها وصية عامة يسمعها أكبر عدد من الصحابة ليتمثلوها هم ومن ينقلونها إليهم، كما هو الحال في خطبة الوداع[1].

(إن الخطبة وسيلة ممتازة للدعوة لتبليغ الرسالة، أو إيضاح فكرة معينة. ومن مرامي الخطبة حملُ المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها)[2].

سابعاً- من أساليب الدعوة: التنبيه والنداء والقصر والأمر والتكرار والسؤال والجواب:

أما التنبيه فقول النبي ﷺ: "ألا" ثم أتبعه النداء "أيها الناس" وفي هذا زيادة لتنبيه السامعين ومن ثم يزدادون إقبالاً على إقبالهم وحرصاً على حرصهم على سماع ما يقول النبي ﷺ.

وجاء أسلوب القصر "إنما أنا بشر" ليبين ﷺ أنه بشر يجري عليه ما يجري على البشر من الموت: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3]، فليس هو بمخلد، فكان هذا مدخلاً وتمهيداً لوصيته ﷺ لأصحابه، هذه الوصية تحمل ما يجب على الأمة أن تتمسك به حتى لا تضل وهو كتاب الله، وما يجب على الأمة نحو أهل بيت النبي ﷺ من التوقير والإكرام[4]، فكان يناسب هذا الموقف استخدام فعل الأمر "استمسكوا" وأكد ذلك

---

(١) ذكر ابن كثير أنّ ذلك كان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة بعد رجوعه من حجة الوداع. البداية والنهاية ٦٦٦/٧.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ٢٧١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/١١-٢٩٩.

بقول الصحابي "فحث على كتاب الله ورغب فيه". فلما أراد ﷺ أن يوصي بأهل بيته استخدم التكرار، فكان ﷺ يوصي كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده فيقول الرجل "الله الله في أولادي"[1].

وجاء السؤال والجواب ليستفهم التابعيُّ عما لا يعرف أو يتأكد مما يعلم ويأتي الجواب بالمقصود والمطلوب.

---

(١) انظر السابق: الموضع ذاته.

الحديث رقم (٣٤٧)

٣٤٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه -مَوقُوفاً عَلَيهِ- أنَّهُ قَالَ: ارْقَبُوا مُحَمداً صلى الله عليه وسلم فِي أهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

ارقبوا: راعوه واحترموه وأكرموه[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة؛ لأن المعنى لا يتوقع له معارضة؛ لأنه نقل قول أبي بكر رضي الله عنه، وهو إنشائي لا يحتمل صدقاً، ولا كذباً، وهو أسلوب أمر (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) وغرضه الإرشاد، والتوجيه، والتعبير بالاسم الصريح للرسول صلى الله عليه وسلم دون اللقب اعتماداً على مكانته في قلوبهم، وحبهم له وتلذذاً بذكره، ومعنى (ارقبوا محمداً) أي التمسوا رضاه وصلته، وما ترجون منه في إكرام آل بيته، وتوقيرهم، ومحبتهم، والحديث دعوة تفتح باب بر الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو أحق الناس به - ببر أهل بيته ومحبتهم، وإكرامهم أينما كانوا في كل زمان.

---

(١) برقم (٣٧١٣، و٣٧٥١).

(٢) رياض الصالحين ١٨١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إكرام أهل بيت النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث أسلوب الأمر وهذا في قول أبي بكر "ارقبوا..." وهذا يدل على أهمية وعظم هذا الأمر. وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة حيث يجعل المدعوين يشعرون بأهمية الدعوة، وأن الداعية يأمرهم ليقوموا بها ولا يتهاونون فيها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث تعريف الصحابة رضي الله عنهم بحق أهل بيت النبي ﷺ، وهذا يظهر في قول أبي بكر رضي الله عنه "ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته" أي: راعوه واحترموه وأكرموه بإكرام أهل بيته ﷺ ومن توقيره وبره ﷺ بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه ﷺ وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي؛ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا))[2]؛ فينبغي على الداعية تعريف المدعوين بحق أهل بيت رسول الله ﷺ وما يجب لهم من احترام وتقدير.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إكرام أهل بيت النبي ﷺ:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من عموم الحديث الحث على إكرام أهل بيت

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٨٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨٠).

النبي ﷺ وهذا ما ورد في قول أبي بكر رضي الله عنه "ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته".

يفهم من ذلك حث أبي بكر رضي الله عنه المسلمين على إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ لوصية النبي ﷺ بهم فقد قال: ((وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))[1]. أي آمركم بطاعة الله وبالقيام "في أهل بيتي" ثم كرر ذلك ثانياً للتوكيد فقال: "أذكركم الله في أهل بيتي" وفيه تأكيد الوصاية بهم وطلب العناية بشأنهم، فيكون من قبيل الواجب المؤكد المطلوب على طريق الحث عليه[2]؛ فيجب على الدعاة الحث على إكرام أهل البيت وتوقيرهم وإنزالهم منازلهم فهم أهل بيته ﷺ الذين يحبهم ويحب من يحبهم والذين وصّى بهم.

إن إجلال أهل بيت النبي ﷺ وآله إجلالاً يليق بهم، وإكرام الصالحين منهم وموالاتهم، ومعرفة أقدارهم، مطلب شرعي قبل أن يكون مقرباً لحب النبي ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾[3][4].

وروى مسلم في صحيحه قوله ﷺ: ((أَمَّا بَعْدُ. أَلاَ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ. وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)) فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: ((وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي))[5].

كما ينبغي مراعاة ما يلي:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٠٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٥٦.

(٣) الشورى، الآية: ٢٣.

(٤) وهذا الاستثناء منقطع حتى لا يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، ومعنى الآية: ولكني أذكركم المودة في القربى، وأذكركم قرابتي منكم، قاله البغوي في تفسيره: ١٩٢/٧، و ابن كثير، ١٩٩/٧، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٨٣/٢٥/١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٠٨، ولا تعني الوصية بهم تقديمهم على سنة رسول الله ﷺ، بل أوصى بالسنة مع القرآن في أحاديث أخرى كثيرة، ليس هذا مقام ذكرها، وهي المقدّمة، يتجلى ذلك في قصة أبي بكر رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها في شأن ميراث النبي ﷺ.

- بقاء شرف النسب لهم وتميزهم عن غيرهم لأجل ذلك.

- أنهم كغيرهم فيهم الصالح وفيهم غير ذلك، وأنهم داخلون في قوله ﷺ: ((وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[١].

- الدعاء لهم في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بقوله: وآله.

- تولي الصالحين منهم ومجالستهم والأخذ منهم والبرِّ بهم وتطييب خواطرهم؛ فإنهم من آثار النبي ﷺ، ومحاولة القرب منهم، ومصاهرتهم تزوجاً أو تزويجاً.

- مناصرتهم والبذل لهم، والذبُّ عنهم، وذكر مناقبهم ومحاسنهم، وهم من حُرموا الصدقة.

- تأكيد مناصحة غير الصالح منهم والشفقة عليه والرحمة به، ودعوته إلى نهج آل البيت الطيبين الطاهرين واستقامتهم على الشريعة، وسلامة صدورهم وألسنتهم على الصحابة ومن بعدهم[٢].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أشد تعظيماً ومحبة لآل البيت لاستشعارهم مكانة أولئك من النبي ﷺ وامتثالاً لوصايا النبي ﷺ. وقد أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عام الرمادة أن يستسقي بالناس فسقوا. وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا، قال: فيُسقون[٣].

قال ابن حجر: ويستفاد من قصة العباس: استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة[٤]، ومنه فضل العباس وفضل عمر بتواضعه للعباس ومعرفته بحقه[٥].

ولما دخل عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في حاجة له

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) دمعة على حب النبي ﷺ نظرات متأملة للواقع في حب النبي ﷺ، الشيخ: عبدالله بن صالح الخضيري، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ص ٥٠-٥١.

(٣) أخرجه البخاري ١٠١٠.

(٤) وغير خاف أن المقصود الاستشفاع بدعائهم لا بذواتهم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٧/٢، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٢٥/١، ٣١٥.

على عمر بن عبدالعزيز قال له عمر: إذا كانت لك حاجةٌ فأرسل إلي أو أكتب فإني استحيي من الله أن يراك على بابي.

وعن الشعبي: (صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه، ثم قُرِّبت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه، فقال زيد: خلِّ عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا نفعل بالعلماء فقبل زيدٌ يد ابن عباس؛ وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ[1][2].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٢/٤٠٩.

(٢) انظر: دمعة على حب النبي ﷺ؛ بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ص ٥١ - ٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حب آل البيت لا يكون بالغلو فيهم ولا بشد الرحال إليهم ولا يجعلهم سبيلاً للخلاف بين المسلمين، بل سبيلاً للإيلاف.

وكل صالح من هذه الأمة هو من آل محمد وقيل من آل البيت قياساً على حديث الرسول ﷺ "سلمان منا آل البيت" فإن لم يكونوا من آل البيت فهم من أولياء الله، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولذا يجب على المسلم أن يحرص على اتباع منهج النبي ﷺ وهديه في سائر الأمور، واحترام آل بيت النبي ﷺ، واتباع هديه ﷺ في ذلك وعدم الغلو في ذلك أو إتيان فعل لا يرضي الله ورسوله. ومن المضامين التربوية نذكر:

أولاً- التربية على إكرام أهل بيت النبي ﷺ:

على المربي أن يربي أتباعه على إكرام أهل بيت النبي ﷺ ومحبتهم، فهذه وصية النبي ﷺ "وآل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" فينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم على محبة أهل البيت وموالاتهم، فقد انعقد إجماع الأمة وتواترت الأخبار بشرع الصلاة عليهم، فيجب لذلك حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم واحترامهم والاعتراف بمناقبهم، فإنهم أهل آيات المباهلة والمودة والتطهير وأهل المناقب الجمة والفضل الشهير[1].

لذا فإن أهل السنة يحبونهم ويكرمونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ، لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه. وذلك بشرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملّة كما كان سلفهم كالعباس وبنيه وعليٍّ وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت[2].

---

(١) التربية على منهج السنة والجماعة ١٠٢.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء ص ٢٨٠.

ثانياً- التربية بالوعظ:

ويبدو ذلك في كون النبي ﷺ استخدم الخطابة في توصيل المعلومات إلى المتلقين، يقول زيد بن أرقم رضي الله عنه: "قَامَ رَسُولُ اللّهِ يَوْماً فِينَا خَطِيباً... فَحَمِدَ اللّهَ ...، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ..."، والأسلوب الخطابي من الأساليب التربوية الهامة التي يتعين على المربين المسلمين العناية بها، واستخدامها في توجيه المتربين وإرشادهم؛ لما للموعظة من أثر كبير في نفوسهم، فضلاً عن أن هذا الأسلوب يتميز بالخطاب الجماعي، أي: مخاطبة أكبر عدد من الناس، وهذا أقرب إلى التبليغ وإيصال المطلوب إلى المراد تربيتهم وتعليمهم، وذلك يكفي المربي مؤونة إيصال المعلومات إلى الأفراد، ويضمن وصولها صحيحة، لم تشبها أخطاء الرواية التي قد تنجم عن الدعوة الفردية إذا كان أول المتلقين غير ضابط للحديث.

وترتبط الموعظة ارتباطاً تاماً بالحكمة؛ لأن الواعظ إذا فقد الحكمة ربما وضع الأمر في غير موضعه، وأساء في ذلك باختيار الوقت غير المناسب، والألفاظ غير الملائمة لحال المدعو، والمكان الذي لا يناسب الحال، فمن هنا تلازمت الموعظة والحكمة[1]، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[2].

ثالثاً- من أساليب التربية: الحوار:

وهذا واضحٌ من سؤال التابعين للصحابي الجليل زيد بن أرقم رضي الله عنه وجوابه على ذلك، ولا شك أن الحوار يجعل مساحة مشتركة بين المعلّم والمتعلم فيعبر المتعلم عما يدور بداخله، ويجيب المعلم على ذلك، ويوضح المعلم المعاني والموضوعات المرادة خير توضيح ويبينها له خير بيان، كما هو ظاهر في الحديثن فضلاً عن أن الحوار يجعل المتعلم إيجابيًا في العملية التعليمية ولا يكتفي بدور المتلقي الذي يكتفي باستقبال ما يقال دون أن تكون له مشاركة فعالة في ذلك. كما أن الحوار يخفف من عبء العملية

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

التعليمية الملقاة على عاتق المعلم، وذلك بجعل المتعلم يفكر ويناقش ويحاور ونحو ذلك.

رابعًا- التربية على مراعاة المعلم:

وذلك واضح من قول زيد بن أرقم رضي الله عنه: "يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه، فهذا زيد بن أرقم يبين للتابعين كيف يتعلمون منه، وكيف يراعون حاله وكبر سنّه فلا يكلفونه من أمره عسرًا، وكذلك المتعلم الذي الذي يعرف أحوال معلمه فيقبل عليه وقت نشاطه وحيويته، ويدعه وقت كسله وانشغاله وفتوره، فيأخذ عنه أحسن ما عنده ويتجنب ما قد يقع فيه من نسيان أو سهو أو غلط إذا تعلم منه في غير وقت نشاطه وهمته.

۞ ۞ ۞

٤٤- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩].

الحديث رقم (٣٤٨)

٣٤٨- وعن أَبي مسعودٍ عقبةَ بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ : ((**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإِنْ كَانُوا فِي القِراءةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلاَ يُؤمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ**)) رواه مسلم[١].

وفي رواية لَهُ[٢]: ((**فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**)) بَدَلَ ((**سِنًّا**)): أيْ إسْلامًا.

وفي رواية[٣]: ((**يَؤُمُّ القَومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِراءةً**[٤]**، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءتُهُمْ سَوَاءً فَيَؤُمُّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَواء، فَلْيَؤُمُّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا**)).

والمراد ((**بِسلطانهِ**)): محل ولايتهِ، أَو الموضعِ الَّذي يختص بِهِ ((**وتَكرِمتُهُ**)) بفتح التاءِ وكسر الراءِ: وهي مَا ينفرد بِهِ من فِراشٍ وسَريرٍ ونحوهِما.

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

سلطانه: محل ولايته أو الموضع الذي يختص به[٥].

تكرمته: ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما[٦].

---

(١) برقم (٦٧٣/٢٩٠).

(٢) في رواية ابن أبي شيبة، قال مسلم: حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، وأبو سعيد الأشجّ، وقال في آخر الحديث: قال الأشجُّ في روايته (مكان: سِلمًا) سنًّا. قلتُ: ورواية ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٩/٣، رقم ٣٤٧٠).

(٣) برقم (٦٧٣/٢٩١).

(٤) لفظ مسلم: (هجرة)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٤٩٧/١، رقم ٨٠١).

(٥) رياض الصالحين ١٨٢.

(٦) رياض الصالحين ١٨٢.

الشرح الأدبي

الحديث في بيان فضل العلم، والعلماء، لأن تقديمهم في الصلاة، وهي دخول على الله وهو أشرف المواطن فتقديمهم فيها دليل على علو منزلتهم، وقول الرسول ﷺ (يَؤُمُ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ،) خبر قُصد به الإنشاء ومعناه: ليؤم القوم، وأقرؤهم أفعل تفضيل بمعنى أكثرهم قراءة أي حفظاً، وأنداهم صوتاً لأنه أعون على الخشوع، وقوله: (فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ) أسلوب شرط يضع حلولا لما يتوقع من مسائل، واستخدام (إن) يشير إلى استبعاد تساوي الجميع في مقدار الحفظ، ودرجة الإتقان، ونداوة الصوت، وقوله أعلمهم بالستة فيه إيجاز بحذف الفعل من جواب الشرط، وتقديره: فقدموا أعلمهم، لأنه يستطيع أن يتصرف يقتضي العلم الشرعي في ما قد يطرأ في أثناء الصلاة من مواقف، وكذلك تقدير المحذوف في (فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً...، فَأَكْبَرُهُمْ سِنًّا) وقوله: (وَلا يُؤَمَّ الرَّجُلُ فِي سُلْطَانِهِ) أسلوب نهي، والخطاب للعموم عن طريق بناء الفعل (يُؤمَّ) لما لم يسم فاعله مما يعطي أسلوب النهي سرياناً عبر الزمان، والمكان، وكذلك قوله: (وَلا يُجْلَسْ عَلَى تَكْرِمَتِهِ) لأن فيه تعدياً على الحرية الشخصية، والملكية الخاصة، وإضافة السلطان، والتكرمة إلى الضمير بيان لهذه الخصوصية، والحديث يشير من قريب إلى فضل العلم، والعلماء.

فقه الحديث

يتعرض الحديث لشروط الإمامة في الصلاة وأنه يشترط في الإمام أن يكون قارئًا لكتاب الله تعالى عالمًا عاملاً بأحكامه.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يشترط فيمن يتقدم إمامًا للناس في الصلاة أن يكون

---

(١) انظر في شرط الإمامة والأحق بها: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٦٧/١ وما بعدها، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٧/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٩٧/٢ وما بعدها، وشرح منح الجليل ٣٥٩/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج ١٦٢/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج ٤٧٨/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٦٩/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٧١/١ وما بعدها.

قارئًا لكتاب الله تعالى فإذا وجد أكثر من شخص يقرؤون قدم أقرؤهم لكتاب الله، فإن استووا فأعلمهم بالسنة، ثم أقدمهم إسلامًا، ثم أسنهم إن استووا في كل شيء، وقد ذكر الصنعاني[1] المقصود بالأقرأ منهم هنا فقال: الظاهر أن المراد أكثرهم له حفظًا، وقيل أعلمهم بأحكامه والحديث الأول يناسب القول الأول.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الإمامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقديم العلماء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن.

خامسًا: من مهام الداعية: إنزال الناس منازلهم.

سادسًا: من آداب الداعية: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الإمامة:

من وسائل الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث وسيلة الإمامة وذلك في قوله ﷺ: "يؤم القوم.."، قال القاضي عياض: (وقد روي عن الزهري في هذا الحديث: (فإن استووا في القراءة فأفقههم في دين الله، فإن كانوا في الفقه سواء فأكبرهم سنًا، فإن كانوا في السن سواء فأصبحهم وجهًا، فإن كانوا في الصباحة والحسن سواء فأكبر حسبًا).

قال بعض المتكلمين: رتب النبي ﷺ الأئمة هذا الترتيب؛ لأنها خلافة النبي ﷺ، إذ هو إمام الناس في الدنيا والآخرة، فهي بعده للأقرب منزلة، والأشبه به مرتبة، ثم بسط الكلام في أن هذه الصفات والأخلاق من العلم بالقرآن والسنة وقدم الإسلام وحصافة العقل وهيبة القدر -الذي هو معنى السن وجلالة النسب وحسن الصورة وحسن الأخلاق- هي صفات النبي ﷺ وهو المتصف بها حقيقة على الكمال، فمن اتصف بها كان أشبه بالنبي ﷺ وأولى بخلافته، ومن اتصف ببعضها كان من

---

(١) سبل السلام ١/٣٧١.

اتصف بجميعها أولى منه، وكان ﷺ خلقه القرآن[١]، وقال: (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه)[٢]، وكان علمه وعلم السنن إليه ومنه اقتبس، وكان من جمال الصورة وحسن الخلق على ما عُرف، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

قيل: قد تكون العبارة بصباحة الوجه وحسنه هنا عن بشره وطلاقته فيه، والقلوب إلى الصفات الحسنة أحب والنفوس إلى الأخلاق الحسنة والوجوه البسيطة أميل، وبالتقديم لها في أمورها وحوائجها أرضى، وقد قال ﷺ: ((أَقْرَبُكُمْ مِني مَجْلِسًا أَحْسَانُكُمْ أخْلاقًا))[٤]، وكذلك الحسيب يقرب إليه بمشاركة شرف حسبه وكرم فخاره، مع أن أهل الحسب أنزه بهممهم عما يشين، وكذلك الكبير السن أتم عقلاً، وأقدم إيمانًا، وقد قال ﷺ: ((لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهى))[٥]. فمن جمع هذه الخصال صلح لخلافته الكبرى فكيف الصغرى؟"[٦].

فالإمام في صلاته بالمسلمين يستطيع أن يكون وسيلة مهمة من وسائل الدعوة وذلك إذا اقتدى بما كان يفعله رسول الله ﷺ في إمامته للمسلمين؛ فقد جعل الله تعالى قُرة عينه ﷺ ونعيمه وسروره وروحه في الصلاة، ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك من مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال إقباله وقربه من الله تعالى.

وكان يدخل في الصلاة وهو يريد إطالتها، فيسمع بكاء الصبي، فيخففها مخافة

---

(١) أخرجه مسلم ٩٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٢/١ رقم ٢٠٧٢، وقال: هذا حديث الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

(٥) أخرجه أبو داود ٦٧٤، وصححه الألباني (صحيح سن أبي داود ٦٢٦).

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٥٣/٢ - ٦٥٤.

أن يشق على أمه[١][٢]، وهذا مما يرغّب في الدعوة، ويجعل الناس يقبلون على الدعوة من خلال مراعاة الإمام لأحوال المدعوين، وهذا مظهر من مظاهر كون الإمامة وسيلة دعوية مؤثرة في المدعوين، بالإضافة إلى خشوع الإمام وإقباله على الله تعالى في صلاته.

فإذا التزم الإمام في إمامته بهدي رسول الله ﷺ في صلاته من خشوع وإقبال على الله وفعل ما كان يفعله رسول الله ﷺ من تسبيح ودعاء وغيرهم، لكان وسيلة من وسائل الدعوة التي توصل هدي النبي ﷺ إلى المدعوين، فإن المأموم يقتدي بالإمام ويتأسى به، فيعمل مثل عمله، ويطلق على المقتدى به أنه قدوة وأسوة.

وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال، ومما يدل على فضل الإمامة وأهميتها أن النبي ﷺ لما مرض اختار أفضل الصحابة رضي الله عنهم للإمامة حيث قال: ((مُروا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالناس))[٣]. ففهم الصحابة رضي الله عنهم من تقديمه في الإمامة الصغرى استحقاقه الإمامة الكبرى[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقديم العلماء:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من عموم الحديث تقديم العلماء، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٥]، يخبر الله تعالى عباده أنه لا يستوي أهل العلم الذين قاموا به وقام بهم العلم المطلوب تعلمه والموافقة في الدين كتابًا وسنة منزلة مع الذين لم يقم بهم ذلك، إما تقصيرًا، أو إعراضًا، أو استخفافًا، وهذا التفريق أبلغ في تقرير فضل العلم وأزين في رفع درجات أهله[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ٢٦٥/١.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٣.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٦ - ٢٠٢.

(٥) سورة الزمر، آية: ٩.

(٦) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عبيد الهلالي ٤١٩/١.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١]، أي: يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم به من العلم والإيمان[٢].

فتقديم العلماء أمر مطلوب للأمة لأنهم هم الذين يهدونها إلى طريق التقدم والنجاح.

قال الشاعر:

ما الفضل إلى لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء[٣]

وقد اتفق الفقهاء على أن بناء أمر الإمامة على الفضيلة والكمال، فمن استجمع خصال العلم وقراءة القرآن والورع وكبر السن وغيرها من الفضائل كان أولى بالإمامة، ولا خلاف في تقديم الأعلم والأقرأ على سائر الناس، ولو كان في القوم من هو أفضل منه في الورع والسن وسائر الأوصاف[٤].

فينبغي على الداعية أن يبين فضل العلم والعلماء وضرورة تقديم أهل العلم في كل مناحي الحياة حتى يكونوا أدلاء للهدى والخير.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث فضل العلم بالقرآن والسنة النبوية المطهرة، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة..)؛ فتقديم الإمام يكون بحفظه لكتاب الله أو علمه بسنة رسول الله ﷺ وهذا يدل على فضلهما على حاملهما.

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ))[٥]،

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٥.

(٣) انظر: فضل العلم ووجوب احترام العلماء، د. طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر ص ٢٦.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٧.

وقال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))[١]، قال الطيبي: (قال المظهر: يعني إذا كان خير الكلام كلام الله، فكذلك خير الناس بعد النبيين من يتعلم القرآن ويعلمه، وأقول: لا بد من تقييد التعلم والتعليم بالإخلاص، ومن أخلصهما وتخلق بهما دخل في زمرة النبيين والصديقين، وكان مفضلاً على غيره ممن لم يتخلق به)[٢].

فإن موضوع الدعوة الإسلامية هو الإسلام الذي أوحي به إلى محمد رسول الله ﷺ متمثلاً في القرآن والسنة، فهو المنهج الكامل الذي اختاره الله للعالمين وجمع فيه أصول الشرائع ووصايا الأنبياء.. وبعث عليه خاتم الأنبياء والمرسلين بخصائصه ومبادئه وأهدافه وغاياته ونظامه الشامل الذي يتناول مظاهر الحياة جميعًا. فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة، أو رحمة وعدالة وهو ثقافة وقانون، أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة، أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة وهو جيش وفكرة، كما هو عقيدة وعبادة مخلصة.

إذًا فموضوع الدعوة هو: الإسلام الشامل الذي ينظم الحياة بأوضاعها المختلفة، ويحيي الفرد بهديه ليشعر بإنسانيته وكرامته تمامًا كما خلقه الله كريمًا عزيزًا وصدق الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٣][٤].

والسنة هي من وحي الله لرسوله أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٥]، فمن كان قارئًا للقرآن حافظًا للسنة ينبغي تقديمه للإمامة لفضل القرآن والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٥/٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ٨١.

(٥) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة وكبر السن، ويدل على ذلك قوله ﷺ: (فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنًا)، وفي الرواية الأخرى: (فأقدمهم سلما) أي: إسلامًا، يتضح من ذلك فضل الأسبقية في الإسلام والهجرة: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1].

قال السعدي: (هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدورها للإيمان والهجرة والجهاد وإقامة دين الله)[2].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ: فقال: ((دَعُوا لي أصْحَابِي، فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ، أوْ مِثْلَ الجِبالِ ذَهَبًا ما بَلَغْتُمْ أَعْمالَهُمْ))[3]، وفي ذلك تفضيل للسبق في الإسلام، وأما تفضيل كبر السن فقد ورد ما يؤيد ذلك فقد قال ﷺ: ((إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))[4]، وفي صحيح مسلم ((لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه))[5]، فينبغي مراعاة تفضيل الأسبقية في الخيرات وينبغي على الداعية الإرشاد إلى ذلك.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٠٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٦/٣ رقم ١٣٨١٢، وقال محققو المسند: صحيح الإسناد ٣١٩/٢١.

(٤) أخرجه مسلم ٦٧٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٤٠.

خامسًا- من مهام الداعية: إنزال الناس منازلهم:

من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث إنزال الناس منازلهم، وهذا يتضح من عموم الحديث حيث قدم رسول الله ﷺ للإمامة العلماء، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم، يدل على إنزاله ﷺ الناس منازلهم، وإنزال الناس منازلهم من الأمور الهامة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وينتبه إليها ويؤيد ذلك توجيهات النبي ﷺ في إنزال الناس منازلهم.

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))[2].

فينبغي على الداعية أن ينزل الناس منازلهم، وأن يعاملهم على حسب أقدارهم وفي ذلك تأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم، وشدهم إلى الدعوة[3].

سادسًا- من آداب الداعية: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة:

إن من واجبات الداعية التي تظهر من هذا الحديث: إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة ويدل على ذلك قوله ﷺ: (ولا يُؤمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه)، فبيّن رسول الله ﷺ أن الذي يؤم المصلى في سلطانه أي: محل ولايته هو السلطان ومن واجب الضيف ألا يعتدي على حقه إلا بإذنه، وكذلك لا يجلس الضيف على تكرمته إلا بإذنه أي لا يجلس على ما ينفرد به عن أهل منزله كرامة له من فراش وسرير ونحوهما[4]؛ لأن ذلك قد يضايق صاحب الولاية أو الدار لأجل ذلك أرشد رسول الله ﷺ لتركه لذلك قال بعض العلماء: "لو أن أحدًا تقدم وصلى بجماعة المسجد دون إذن الإمام فصلاتهم باطلة، وعليهم أن يعيدوا، لنهي النبي ﷺ"[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم في المقدمة.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصح علوان، ص ١٥٥.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٠.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين ٧١٨/١.

فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى آداب الزيارة وأن يلتزم المسلم بالآداب التي بيّنها رسول الله ﷺ في زيارة الأخ لإخوانه، وأن يراعي مشاعرهم، ولا يُثقل عليهم ولا يصدر منه ما يسيء إليهم، أو يؤذي مشاعرهم، لأن ذلك أدعى إلى المحبة والمودة ودوام الألفة.

الحديث رقم (٣٤٩)

٣٤٩- وعنه، قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، ويَقُولُ: **((اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))** رواه مسلم[1].

وقوله ﷺ: ((لِيَلِنِي)) هُوَ بتخفيف النون وليس قبلها ياءٌ، وَرُوِيَ بتشديد النُّون مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا والمعنى ليدْنُ مني في الصلاة. ((وَالنُّهَى)): العُقُولُ. ((وَأُولُوا الأحْلام)): هُم البَالِغُونَ، وقِيلَ: أهْلُ الحِلْمِ وَالفَضْلِ. ومفرد النهى "نُهْيَة".

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مناكبنا: المَنْكِب: المكان الذي يجتمع فيه الكتف مع رأس العضد[2].

الشرح الأدبي

قوله: (يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ) كناية عن تسويته للصفوف مع ما يعكسه هذا التصرف من محبة، وتواضع، وألفة، وضمير الجمع المضاف إلى المناكب دليل على أنه كان يتعهد أصحابه بالمسح على مناكبهم حتى يطمئن إلى استقامة الصفوف، وقول الرسول لأصحابه (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) أسلوب أمر للتوجيه، والإرشاد، عضضه بالنهي عن ضدده ثم تبعه بجملة تعليلية حملت تهديداً ووعيداً بجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما خالفوا بين الصفوف ظاهراً عوقبوا بالمخالفة بين قلوبهم باطناً، ، والمخافة بين القلوب كناية تولد الكراهية، والتفرق بينهم، وقوله: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلاَمِ وَالنُّهَى) أمر توجيه، وإرشاد ' وتعليم لكل أمته بترتيب الصفوف

---

(١) برقم (٤٣٢/١٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

بين يدي الله على هيئة ترضيه تعالى، وأولو الأحلام والنهى، هم أصحاب الحكمة، والعلم، والعقل، وقوله (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) استخدام حرف العطف ثم للتأخير الرتبي بحيث يقدم العقل فالأعقل، والأعلم فالأعلم، وتكرار العبارة يشير إلى ضرورة رعاية هذا الترتيب، والحرص عليه.

فقه الحديث

يتعرض هذان الحديثان لحكمين فقهيين:

الأول: تسوية الصفوف خلف الإمام، وقد ذكر الفقهاء[1] أن من أحكام صلاة الجماعة أن ينبه الإمام على تسوية الصفوف قبل أداء الصلاة وبعد الإقامة، وأن يؤخر المتقدم من المصلين، وينبه الغافل عن التسوية.

الثاني: من يلي الإمام في الصف، وقد ذكر الفقهاء أنه يسن أن يلي الإمام في الصفوف أكثر الناس قراءة وأكملهم عقلاً وأكثرهم علمًا ثم الذين يلونهم وهكذا، وذلك حتى ينبهوا الإمام إن سها أو توقف عن القراءة، وقد شدد النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك ليعلم من يلونه فعله على وجهه ثم يبلغونه به غيرهم[2].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٨/١ وما بعدها، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٧٣/١ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٦/٢، وشرح منح الجليل ٣٧١/١ وما بعدها، ونهاية المحتاج ١٨٦/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج ٤٩٠/١ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٥/١ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٧٨/١ وما بعدها.

(٢) شرح معاني الآثار ٢٢٦/١، وأحكام القرآن، الجصاص ٦٣٩/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقديم أهل الفضل.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

خامسًا: من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

من أساليب الدعوة التي تظهر في هذين الحديثين أسلوب الأمر والنهي ويظهر الأمر في قوله ﷺ "استووا ... وليلني..." والنهي في قوله ﷺ "ولا تختلفوا...".

فقد أمر ﷺ بالاستواء في الصلاة وبيّن في أمره من يليه في الصلاة ونهى عن الاختلاف.

وأسلوب الأمر والنهي من الأساليب الدعوية المهمة التي تجعل الداعية يستطيع أن يوجه المدعوين إلى ما هو خير لهم في ذلك بأمرهم به وينهاهم عما هو شر. ويشعر المدعوين بأهمية الامتثال للأمر واجتناب النهي.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على تسوية الصفوف في الصلاة:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث الحث على تسوية الصفوف في الصلاة ويظهر ذلك فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يمسح مناكب المصلين في الصلاة، أي يُسوي الصفوف بنفسه وهذا يدل على أهمية تسوية الصفوف في الصلاة ويؤيد ذلك قوله ﷺ ((سَوُّوا صفوفَكم فإنَّ تَسويةَ الصفوفِ مِن إقامةِ الصلاة))[2] وقال أيضًا ((أقيموا الصفوفَ فإني أراكم خَلفَ ظهري))[3]، وحذر من عدم تسوية

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٤٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٣، ومسلم ٤٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٨.

الصفوف فقال ﷺ ((لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم))[١].

قال النووي رحمه الله: (معناه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تغير وجه فلان علي أي: ظهر لي من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه علي لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف البواطن)[٢].

يتضح من ذلك أن رسول الله ﷺ يدعو إلى كل ما يجمع المسلمين ويحقق بينهم المحبة وينهى عما يدعو إلى البغضاء والكراهية وفي دعوته لتسوية الصفوف تحقيق ذلك.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقديم أهل الفضل:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذين الحديثين تقديم أهل الفضل يدل على ذلك قوله ﷺ "ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم".

قال النووي: (فيه تقديم الأفضل فالأفضل إلى الأمام لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام عن السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها، وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الأمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس، والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة)[٣].

فعلى الدعاة إلى الله الحث على تقديم أهل الفضل في كل مناحي الحياة من أجل صالح الأمة وخيرها.

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديثين إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم ويفهم ذلك من دعوته ﷺ لتسوية الصفوف من أجل عدم الاختلاف وحذر من

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٧، ومسلم ٤٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٦، ٣٦٧.

الخصومة والاختلاط والخصومات وارتفاع الأصوات التي تحدث في الأسواق بقوله: ((وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ))[١] فحذر من هذه الفتن أن تحدث في المساجد.

فمن مهام الداعية أن يرشد المدعوين إلى ما فيه نفعهم لأن ذلك من باب التعاون على البر، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[٢]. وقال رسول الله ﷺ ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٣] وقال ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٤].

فينبغي على الداعية إرشاد الناس إلى ما ينفعهم وينفعه أيضًا بحصول الثواب.

خامسًا- من واجبات الداعية: إنزال الناس منازلهم:

إن من واجبات الداعية التي تبرز من هذين الحديثين إنزال الناس منازلهم وهذا يظهر في قوله ﷺ "ليلني أولو الأحلام والنهى" حيث قدّم ﷺ أولي العقول النيرة البالغين من المصلين على غيرهم مراعاة لفضلهم ومنزلتهم.

إن النظام محبب في الإسلام، وإنزال الناس منازلهم أمر في غاية الأهمية وذلك لأن تقدم الصغار على الكبار والوضعاء على ذوي الهيئات فيه إهدار للقيم الإسلامية في احترام الكبار ومن هم أهل للتقدير والاحترام، ومن هنا كان تنظيم النبي ﷺ للصفوف أثناء الصلاة وأمره بتقدم الأكمل سنًا وعقلاً فمن بعده، وهكذا ليستخلف منهم في الإمامة من أراد ولينبهوه إذا سها ويحفظوا فعله ويعرفوا قوله ليبلغوه الناس على وجهه الصحيح، ومثل الصلاة وغيرها كمجالس العلم والقضاء والذكر والتدريس والإفتاء، تشجيعًا على التقدم ودفعًا للتنافس الشريف على بلوغ الهيئات الكريمة والمناصب الحميدة[٥].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٢.

(٢) سورة المائدة، من آية: ٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ٢٥٥.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يدل على أهمية إنزال الناس منازلهم، منها ما رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد بن معاذ فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله ﷺ للأنصار ((قوموا إلى سيِّدِكُمْ -أو خَيرِكم-))[١].

قال النووي: فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا[٢]. فعلى المسلمين بشكل عام، والدعاة إلى الله بشكل خاص أن يعرفوا للناس فضلهم ويؤدوا إليهم حقهم، وينزلوهم منازلهم، عسى أن يملكوا في الدعوة قلوبهم، ويجذبوا إليها نفوسهم، فيتقبلوا طائعين هدى الله عز وجل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٤٣، ومسلم ١٧٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١١٣٧.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ١٥٦.

الحديث رقم (٣٥٠)

٣٥٠- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ((لِيَلِني مِنْكُمْ أُولُوا الأحْلام وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) ثلاثًا ((وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأسْوَاق)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

هيشات الأسواق: اختلاطها والمنازعة والخصومات وارتفاع الأصوات واللغط والفتن التي فيها[2].

الشرح الأدبي

أسلوب أمر يقرر ضرورة التصاف على هيئة مخصوصة يقدم فيها أهل الفضل من أولي التقوى والعلم، والحلم، ومَعْنَاهُ الَّذِينَ يَقْرُبُونَ مِنْهُمْ فِي هَذَا الْوَصْف. قَالَ النَّوَوِيّ: فِي هَذَا الْحَدِيث تَقْدِيم الأَفْضَل فَالأَفْضَل إِلَى الإِمَام لأَنَّهُ أَوْلَى بِالإِكْرَامِ، وَلأَنَّهُ رُبَّمَا اِحْتَاجَ الإِمَام إِلَى اِسْتِخْلاف فَيَكُون هُوَ أَوْلَى، وَلأَنَّهُ يَتَفَطَّن لِتَنْبِيهِ الإِمَام عَلَى السَّهْو لِمَا لا يَتَفَطَّن لَهُ غَيْره، وَلْيَضْبِطُوا صِفَة الصَّلاة وَيَحْفَظُوهَا وَيَنْقُلُوهَا وَيُعَلِّمُوهَا النَّاس وَلِيَقْتَدِيَ بِأَفْعَالِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وتكرار الأمر ثلاثاً تأكيد على أهمية الأمر، وتنبيهاً لمن لم يسمع في الأولى، وقوله (وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأسْوَاق) أسلوب تحذير من الاختلاف والنزاع، لأن المسجد مكان سكينة، والصلاة متنزلها، والاختلاف والتنازع مضيع لها، وهيشات الأسواق أَيْ اِخْتِلاطهَا وَالْمُنَازَعَة وَالْخُصُومَات وَارْتِفَاع الأَصْوَات وَاللَّغَط وَالْفِتَن الَّتِي فِيهَا.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٤٣٢/١٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٧. وانظر: المفصح المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٥١)

٣٥١- وعن أَبي يَحيَى، وقيل: أَبي محمد سهلِ بن أَبي حَثْمة -بفتح الحاءِ المهملة وإسكان الثاءِ المثلثةِ- الأنصاري رضي الله عنه ، قَالَ: انطَلَقَ عَبدُ اللهِ بنُ سهْلٍ وَمُحَيِّصَة بن مَسْعُود[1] إِلَى خَيْبَرَ - وَهِيَ يَومَئذٍ صُلْحٌ- فَتَفَرَّقَا ، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عبدِ اللهِ بنِ سهل وَهُوَ يَتشَحَّطُ في دَمِهِ قَتِيلاً ، فَدَفَنَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبدُ الرحمان بنُ سهل وَمُحَيِّصَةُ وحوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبيّ ﷺ ، فَذَهَبَ عَبدُ الرحمان يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: ((**كَبِّرْ كَبِّرْ**)) وَهُوَ أَحْدَثُ القَوم، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا ، فَقَالَ: ((**أَتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟** ...)) وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

سهل بن أبي حَثْمَة: هو سهل بن أبي حَثْمة -واسم أبيه عبدالله، وقيل عامر- وقيل: هو سهل بن عبدالله بن أبي حثمة بن ساعدة بن عامر بن عديّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأَوْس الأنصاريُّ الأُوسيُّ، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو يحيى، ويقال: أبو محمد المدني، له صحبة ورواية وكان رضي الله عنه من صغار الصحابة، ولد سنة ثلاث من الهجرة، ومات النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين أو ثمان سنين -كما قال بعض العلماء- ولكنه حفظ عنه، وقال الذهبي: أظن سهلاً مات زمن معاوية في أول أيامه[3].

---

(١) زاد البخاري: (ابن زيد)، ولم يذكرها الحميدي في جمعه (١/٤٧٥، رقم ٧٦٣) فتبعه عليه المؤلف.

(٢) اخرجه البخاري (٣١٧٣) واللفظ له، ومسلم (٢/١٦٦٩).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٠٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٥٧٠، ٥٧١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٤٦، ٥٤٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٣٢٢)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/١٢٢)، والسندي (٢٤/٤٨١).

غريب الألفاظ:

خيبر: مجموعة من الحصون تقع شمال المدينة المنورة بـ ١٧٠كم على الطريق منها إلى الشام. فتحت بعد صلح الحديبية مباشرة في أول المحرم ٧هـ[١].

يتشحّطُ في دمه: أي يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ[٢].

كبّر كبّر: يتكلم الأكبر[٣].

وتستحقون قاتلكم: معناه يثبت حقكم على من حلفتم عليه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى بعض السلوكيات الاجتماعية التي يجب أن تراعى بين المسلمين حتى يعرف الصغير حق الكبير، ويراعي الكبير مشاعر الصغير، وأسلوب الحديث يقوم على الحوار الذي يصور الأحداث، وقوله (وَهُوَ يَتشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلاً) كناية عن قتله، ومنازعته خروج الروح، وقيمة التعبير بالكناية هنا أنه صوَّر المعنى بهيئته الدالة على تحققه مع ما تثيره صورة المتشحط في دمه من رعب، وخوف، وقول الرسول ﷺ لأولياء المقتول لما همَّ الصغير منهم بالكلام (كَبِّرْ كَبِّرْ) أسلوب أمر بمعنى قدِّموا الكبير أو، ابدأوا بالكبير،وهو من باب الأدب، وتقديم ما هو أولى وقول الراوي(فَسَكَتَ، فَتَكَلَّمَا، فَقَالَ) استخدام فاء العطف دليل على سرعة امتثال القوم لأمر الرسول ﷺ، وسرعة إجابته لهم، وقوله: ((أتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ ؟ ...) استفهام تقرير يرتب عليه استحقاقهم لدية المقتول.

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي ١٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ح ط).

(٣) رياض الصالحين ١٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٦.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القسامة في الدماء، وهي حلف خمسين يمينًا أو جزءها على إثبات الدم[١].

وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى مشروعية القسامة، ولم يخالف فيها إلا الحكم ابن عيينة وسليمان بن يسار وإبراهيم بن علية وأبو قلابة وعمر بن عبدالعزيز في رواية عنه.

واتفق الفقهاء القائلون بها على أن القسامة تكون خمسين يمينًا يحلفها أولياء الدم، وأنها لا تكون إلا في القتل فقط، ولا تصح في الجراح والأطراف، واختلفوا في الواجب بها على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[٣] والشافعي في الجديد[٤] وهو ما عليه المذهب أن موجب القسامة الدية فقط سواء أكانت في عمد أم خطأ.

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٦/٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٤٦/٨، وشرح حدود ابن عرفة ص ٤٨٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٨ وما بعدها، وتحفة المحتاج ٥٨/٩ وما بعدها، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٢٩/٣.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٦/٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٤٦/٨.

(٤) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها.

القول الثاني: ذهب المالكية[١]، والشافعي في القديم[٢]، والحنابلة[٣] إلى أن الواجب في القسامة القود إن كان القتل عمدًا، والدية إن كان القتل خطأ.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: صلح خيبر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من واجبات المدعو: مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل.

أولاً- من تاريخ الدعوة: صلح خيبر:

إن من تاريخ الدعوة في هذا الحديث صلح خيبر وهذا يدل عليه قول الراوي: فانطلق عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود إلى خيبر وهي يومئذ صلح أي: بعد صلح خيبر.

وصلح خيبر كان في شهر محرم عام ٧ هجرية، وكان سبب غزوة خيبر: العداوة المستمرة التي أعلنها اليهود في خيبر واتصالهم بغطفان يحرضونهم على المسلمين، والحلف المعقود برئاسة خيبر والذي أراد مداهمة المدينة المنورة.

فلما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية مكث مدة من الأيام ثم خرج غازيًا إلى خيبر وكان الله عز وجل وعده إياها وهو بالحديبية. وسماها فتحًا قال الله عز وجل ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾[٤]. وقال السعدي: ("وأثابهم فتحًا

---

(١) شرح حدود ابن عرفة ٤٨٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٦٩/٦ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٨ وما بعدها.

(٢) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٢٧٧/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٩٨/٤ وما بعدها، وحاشية قليوبي ١٦٤/٤ وما بعدها.

(٣) كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/٦، وشرح منتى الإرادات ٣٢٩/٣.

(٤) سورة الفتح، الآيتان: ١٨، ١٩.

قريبًا" هو فتح خيبر ولم يحضره سوى أهل الحديبية)[١].

وكان هدف غزوة خيبر: القضاء على تآمر اليهود وحلفهم المبرم ضد المسلمين وإنهاء تأليبهم ضد المسلمين.

وفتح المسلمون حصون خيبر: النَّطاة "ناعم والصعب وقله" والشِّقّ "أُبي والبرئ" والكتيبة "القموص والوطيح والسلالم" وترك ﷺ الأرض لأهل خيبر بشطر ما يخرج منها وقال "نقركم ما شئنا" وقسم الغنائم بين من حضر الغزو من المسلمين[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر رسول الله ﷺ وذلك عندما أراد عبدالرحمن بن سهل رضي الله عنه أن يتكلم فقال له رسول الله ﷺ "كبر كبر" فسكت.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[٣].

وقد أمر الله المؤمنين بالامتثال لأمر رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٤] قال السعدي: (ما جاء به الرسول، يتعين على العباد الأخذ به وإتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٨.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٤٢/٣ وما بعدها.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

وصحابة رسول الله ﷺ كانوا يحبون رسول الله ﷺ ويقدرونه ويحرصون على رضائه ويمتثلون لأوامره. فعلى الدعاة بيان امتثال الصحابة لأوامر رسول الله ﷺ والاقتداء بهم في ذلك.

ثالثًا- من واجبات المدعو: مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل:

من واجبات المدعو التي تظهر من هذا الحديث مراعاة الآداب الإسلامية في التعامل ومما يدل على ذلك أنه عندما تكلم عبدالرحمن بن سهل في حضرة من هو أكبر منه أمره رسول الله ﷺ بترك الكلام لمن هو أكبر منه وقال: "كبر كبر"، وقال القاضي عياض: (ففي هذا الحديث مراعاة السن والتقديم للأشياخ والكبراء في الكلام وفي الجماعة في محافل الناس وأمورهم، إذا كانت القضية تخص جميعهم لكونهم أولياءه، وكذلك يجب التقديم في الأمور والولايات وغيرها مع استواء الأحوال)[1].

وقال ابن علان: (قال العاقولي: قوله ﷺ لعبد الرحمن "كبر كبر" إرشاد وتأديب لأنهما أبناء عم أبيه وقد حضرا معه لنصره، وإذا لم يوقرهما بأن يجعل الكلام إليهما فقد أضاع حقهما، إذ لا نصيب لهما في الإرث، ولا ترك لهما مجالاً في القول، والإنسان إنما يتسلى بأحد هذين: مال يأخذه، أو كلام ينصت إليه فيه ويذعن له.

ويؤخذ من الحديث استحباب تقديم الأكبر سنًا، لأن حويصة أسن من عبدالرحمن ورتبة؛ فإنه في عداد والده)[2]. (فأرشده النبي ﷺ إلى أن من الأدب أن يتكلم الأكبر، فإذا نسي شيئًا أو احتاج إلى مساعدة تكلم الأصغر، وهكذا يعرف كل إنسان مكانه، ولا يتعدى شيخ على حق شاب ولا شاب على حق شيخ، ويسير المجتمع إلى طريقه المنشود في هدوء وحب واطمئنان بلا حزازات أو خور في الفكر أو تصدع في الأخلاق)[3]. وهذا من الآداب الإسلامية في التعامل وهي تقديم الأكبر احترامًا وتقديرًا لسنه ومكانته.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٥٨/٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٢٥٦.

وتقديم الأكبر سنًا مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم وذلك لأن الإسلام يهدف إلى إقامة المجتمع الإسلامي على أساس من الاحترام والتقدير.

قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))[1]. ويؤيد أهمية تقديم الأكبر في الكلام فعل ابن عمر رضي الله عنهما، حيث لم يتقدم بين يدي من هو أكبر منه قال: قال رسول الله ﷺ ((أخبِرُوني بشجرةٍ مَثَلُها مَثَلُ المسلم تُؤتي أُكلَها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها، ولا تَحتُّ ورقَها، فلما لم يتكلما قال النبيُّ ﷺ: هي النخلة. فلما خَرَجتُ معَ أبي قلتُ: يا أبتَاه وقعَ في نفسي النخلةُ. قال: ما منعكَ أن تقولها؟ لو كنتَ قلتَها كان أحبَّ إليَّ من كذا وكذا. قال: ما منعَني إلاّ أني لم أرَك ولا أبا بكرٍ تكلَّمْتا، فكرِهتُ وفي رواية أحمد والدارمي: فنظرت فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ))[2]. فينبغي على الداعية إرشاد المدعوين إلى هذه الآداب ويجب على المدعو مراعاة هذه الآداب في الكلام وغيره من الأفعال.

وقال القاضي عياض: (ففي هذا الحديث مراعاة السن والتقديم للأشياخ والكبراء في الكلام أو في الجماعة في محافل الناس وأمورهم، إذا كانت القضية تخص جميعهم لكونهم أولياءه، وكذلك يجب التقديم في الأمور والولايات وغيرها مع استواء الأحوال)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٢) أخرجه البخاري ٦١٤٤، ومسلم ٢٨١١، وأحمد ٤٥٨٥، والدارمي ٢٨٢.

(٣) إكمال المعلم ٤٥٨/٥.

الحديث رقم (٣٥٢)

٣٥٢- وعن جابر رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُد (يَعْنِي فِي القَبْرِ) [١]، ثُمَّ يَقُولُ: ((أيُّهُما[٢] أكْثَرُ أخذًا للقُرآنِ؟)) فَإذَا أُشيرَ لَهُ إِلَى أحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ. رواه البخاري[٣].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل القرآن الكريم، وأثره على صاحبه في الحياة، وفي الممات، وقد جاء المعنى في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد إشعاراً بأهمية الخبر، واستشعاراً لمكانة من يُخبر عنه، وقول الرسول ﷺ (أيُّهُما أكْثَرُ أخذاً للقُرآنِ ؟) استفهام، وإن كان على حقيقته إلا أنه يفيد الترغيب في حفظ القرآن، ودعوة لتكريم حافظه، وتقديمه على غيره في مواطن التكريم يدل على ذلك تقديمه الأحفظ للإمامة، وتقديمه على غيره عند اللحد كما ورد في هذا الحديث، وأفعل التفضيل تدل على ذلك: (أكثر) وتشير إلى أن الفضل يرتبط بمقدار الأخذ من القرآن الكريم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى حكم وفيه أكثر من ميت في قبر واحد وهو يوضح جواز ذلك نصًا عنه ﷺ وأنه يقدم إليه أكثرهم حفظًا للقرآن.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (أيّهم) والمثبت عنده برقم (١٣٤٣).

(٣) برقم (١٣٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٥).

وقد ذكر الفقهاء[١] أنه يسن أن يكون لكل ميت قبر واحد ولا يجمع في القبر بين اثنين فأكثر إلا لضرورة، فإن كانت هناك ضرورة جاز الجمع بين اثنين فأكثر على أن يقدم في الدفن أفضلهما وأكثرهما حفظًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى لشهداء أحد.

رابعًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

١- الإخبار: حيث أخبر جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، وأسلوب الإخبار له أهمية بالغة في عرض الحقائق، خاصة إذا كان يعرضها بأسلوب هادئ، وذلك مناسب في عرض الحقائق خاصة عندما تكون النفس مهيأة لقبولها[٢].

٢- السؤال: ورد السؤال في قوله ﷺ للصحابة رضي الله عنهم أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة، لذا ينبغي على الداعية أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني للقيام ببعض واجبات

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣١٩/١، والمبسوط ٦٥/٢، وشرح السير الكبير ٢٣٤/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٦/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٨/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢٣٦/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٢٤٧/٥، وحاشيتا قليوبي وعميرة ٤٠٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٢١/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٧٧/٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٦٢/٥.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ٣٤٢، ٤٢٩.

وظيفته التي يضطلع بأعبائها[١]، والسؤال من أكبر روافد العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد:

إن تقديم الرسول ﷺ لأهل القرآن في اللحد يدل على فضلهم، وهذا ما ورد في قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يجمع الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد" وذلك فضل القرآن والعلم اللذين هما سببا رفع الدرجات قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣].

قال الطاهر بن عاشور: (والدرجات مستعارة للكرامة[٤] وفي الحديث إشارة إلى إكرام أهل العلم وأهل الفضل[٥] وفي تقديم المكثر من حفظه للقرآن تعظيم لشأنه وتشريف لما خص به من أكثرية الأخذ للقرآن، وظاهر منه بالأولى تقديم الآخذ لشيء من القرآن على من لم يأخذ بالمرة[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى لشهداء أحد:

هذا التكريم من الله تبارك وتعالى لهم له صور متعددة منها أن الله عز وجل أكرمهم بدفن رسول الله ﷺ لهم بنفسه.

ويتضح ذلك بصورة مباشرة في الحديث "فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد" وقد كان بعض أهالي الشهداء نقلوهم إلى المدينة ليدفنوا فيها ولكن نادى منادي رسول الله

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٥٨/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٤٢/٢٨/١١.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٢١/١.

(٦) انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٤.

أن ردوا القتلى إلى مضاجعهم فأعادوهم[١] فحسبهم فضلاً أن الذي تولى دفنهم رسول الله ﷺ، ناهيك عما أعده الله لهم من نعيم مقيم وحياة طيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وفي ذلك إخبار من الله عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحهم حية مرزوقة في دار القرار[٣].

روي عن مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنْ هَـٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٤] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا رسول الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا))[٥].

رابعًا- من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

لقد أعطانا الحديث صورة من صور الهدي النبوي التي ينبغي أن يقتدى بها وهي تكريم الرسول ﷺ للشهداء بأن باشر دفنهم بنفسه، وتكريمه لأهل القرآن بتقديمهم على غيرهم ويتضح ذلك من قوله "ثم يقول أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟ فإذا

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٤٣٥/٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦١/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد" لذا ينبغي إنزال الناس منازلهم خاصة أهل القرآن، وقد صرح النبي ﷺ بخيريتهم فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))[1].

وهذا لون وصورة من صور إنزال الناس منازلهم التي ينبغي للداعية مراعاتها، حيث يعامل الناس على حسب أقدارهم، وذلك لا يقتصر على فترة الحياة وإنما يمتد ليشمل الإنسان حتى بعد مماته[2]. وهذا مبدأ ونظام حث عليه الإسلام وظهر من خلال هذا الحديث الذي معنا إذ يصل الأمر بالإسلام على رعاية مبدأ النظام في ترتيب الناس حسب مستواهم العلمي والثقافي بعد الموت، فيقدم الأحفظ للقرآن والأعلم به على من ونه جهة القبلة تشريفاً له وتعظيماً، وفي ذلك ما فيه من الحث على العلم وتقييم الناس على أساسه، فصغير عالم يقدم على كبير جاهل، كل ذلك ليحرص الناس على الارتفاع بمستواهم العلمي والثقافي، عملاً على سمو المجتمع وتقدمه وإيصاله إلى أسمى الأماكن بين الشعوب[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٢٥٦.

الحديث رقم (٣٥٣)

٣٥٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**أرَانِي فِي المَنَامِ أتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءنِي**[1] **رَجُلانِ، أحَدُهُما أكبر مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأكْبَرِ مِنْهُمَا**[2])) رواه مسلم مسندًا والبخاري تعليقًا[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفاً طريفاً في رؤيا رآها النبي ﷺ، ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق، وقول الرسول ﷺ (أرَانِي فِي المَنَامِ أتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ) فيه جناس بين أتسوك، بسواك) يوضح المعنى ببيان الصلة بين الفعل، وبين الاسم الذي وقع مفعولاً له، وبين قوله: (الأصغر، الأكبر) تضاد يفصح عن جوهر القضية حيث بدأ النبي ﷺ بالأصغر فناوله السواك، فقالا له (كبر كبر) أي ابدأ بالكبير أو قدم الكبير، وقوله (فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأكْبَرِ مِنْهُمَا) يشير إلى أن البداية بالكبير صارت سنة؛ لأن فعله - ﷺ - في المنام كفعله في اليقظة، وهي ترغيب في تقديم ذي السن في السواك، وكذلك ينبغي تقديم ذي السن في الطعام، والشراب، والكلام، والمشي، والكتاب، وكل منزلة قياسًا على السواك ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا، فالسنة تقديم الأيمن فالأيمن كما تقدم في السنة في الشراب.

---

(١) لفظ مسلم في الموضعين: (فجذبني)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢/٢٥٤، رقم ١٣٨٣)، وكذا عند البخاري بهذا اللفظ.

(٢) (منها) لا توجد عند مسلم، والمثبت لفظ البخاري، وكذا هو عند الحميدي في جمعه.

(٣) أخرجه مسلم (٧٠/٢٠٠٣) واللفظ له، والبخاري (٢٤٦) تعليقًا.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى سنة من السنن المروية عن النبي ﷺ وهي السواك، وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في كل وقت وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ويكره السواك للصائم في آخر النهار عند الشافعية، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالوا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رؤيا الأنبياء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة السواك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: توقير الكبير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والأمر:

١- الإخبار: لقد وظّف النبي ﷺ الإخبار في إعلامه ﷺ بالرؤيا التي رآها فقال: "أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر".

ب- الأمر في قوله "كبّر"، وقد أفاد الأمر في هذا الحديث فائدة عظيمة وهي أهمية تقدير الكبار وتقديمهم على مَنْ هم دونهم في السن.

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٤/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٣٠/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ٧٩/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٣٢٤/١، وإحكام الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٢/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٦٩/١، والفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

والإخبار والأمر أسلوبان من أساليب الدعوة المفيدة، ففي الإخبار نقل الصورة وبيان الحكم للمدعو، والأمر فيه حث للمدعو على تنفيذ ما دعي إليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: رؤيا الأنبياء:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: الرؤيا التي رآها النبي ﷺ "أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان" ورؤيا الأنبياء وحي من الله إليهم، قال محمد بن كعب كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظًا ورقودًا فإن الأنبياء عليهم السلام لا تنام قلوبهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: رؤيا الأنبياء وحي[1] وقد ذكر القرآن بعضًا من الرؤى التي رآها الأنبياء عليهم السلام منها رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾[2] قال قتادة: ورؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئًا فعلوه[3].

ومن ذلك أيضًا ما أريه النبي ﷺ في منامه من دخوله والمسلمين المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة السواك:

وردت الإشارة إلى فضله في الحديث في رؤيا رسول الله ﷺ أنه يستاك قال: "أراني في المنام أتسوك بسواك" وقد حث النبي ﷺ في أحاديث كثيرة على الاستياك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي، لأَمَرْتُهُم بالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوْءٍ))[5] وفي رواية عند كل صلاة[6].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٢/١٥/٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٢٧/٧، محاسن التأويل، القاسمي ١١٧/١٤/٨.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٥) أخرجه أحمد ٤٦٠/٢ رقم ٩٩٢٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٢/١٦.

(٦) أخرجه أحمد ٢٤٥/٢ رقم ٧٣٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩٣/١٢.

وقال الصنعاني في البدر المنير: (قد ذكر في السواك زيادة على مائة حديث)[١].

وقال ابن قيم الجوزية: (وفي السواك عدة منافع: يطيب الفم ويشد اللثة ويقطع البلغم ويجلو البصر ويذهب بالحفر ويصح المعدة، ويصفي الصوت، ويعين على هضم الطعام، ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة، ويطرد النوم، ويرضي الرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: توقير الكبير:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث: أهمية توقير الكبير حيث ورد في قوله "فناولت السواك الأصغر، فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما" قال ابن بطال: فيه تقديم ذي السن في السواك، ويلتحق به الطعام والشراب والمشي والكلام، وقال المهلب: هذا ما لم يترتب القوم في الجلوس، فإذا ترتبوا فالسنة حينئذ تقديم الأيمن[٣].

إن مما تهدف إليه الدعوة الإسلامية: إشاعة الاحترام والتقدير بين الناس، وإنزالهم منازلهم والحرص على ذلك بين أفراد المجتمع الإسلامي، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ: ((ليس مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا))[٤] وفي الحديث الذي معنا أمر النبي ﷺ في الرؤيا أن يقدم الكبير في قوله فقيل لي كبر فدفعته إلى الأكبر منهما، وبين الرسول ﷺ أن إكرام الكبير لون من ألوان إجلال الله تبارك وتعالى وإعظام أمره، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[٥][٦].

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ٢٢٣/١.

(٢) الطب النبوي، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ص ٢٤٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٥/١.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٤).

(٥) أخرجه أبي داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ٢١٩٥).

(٦) انظر: موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ٢٨/١.

أي: أن من تبجيل الله وتعظيمه: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله[1].

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٥.

الحديث رقم (٣٥٤)

٣٥٤- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ : ((إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى: إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ، وَإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِط)) حديث حسنٌ، رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

غير الغالي فيه: الغلو: التشديد ومجاوزة الحد. يعني غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه[2].

غير الجافي عنه: غير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه[3].

المقسط: العادل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً لما يتلوه، وتمهيداً لتربة القلوب، وتهيئة للنفوس بغرس الهيبة فيها من جلال ما يتلوها، وقوله (إنَّ مِنْ إجْلالِ اللهِ تَعَالَى) خبر تضمَّن ثلاث كلمات موحية بطبيعتها، فالأولى لفظ الإجلال، ولا يطلق إلا على مُعظَّم، تلاه لفظ الجلالة (الله) الذي يوحي بصفات الكمال، والجلال، والجمال، ثم الفعل (تعالى) العائد على الله، وهي جملة تنزيهية تربِّي المهابة في نفس السامع، وهذه

---

(١) برقم (٤٨٤٣). قال العراقي في تخريج الإحياء (١٨٧٦): إسناده حسن، وكذا قال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١١٨/٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق س ط).

الألفاظ الثلاثة تمثّل شبه جملة خبر (إن)، وقد قدمت على اسمها للاهتمام من ناحية، ومن أخرى لتحقيق التشويق، وتربية المهابة حتى إذا جاء اسم (إن) صادف نفساً مهيئة، وعقلاً يقظاً، وقوله (إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ) أَيْ تَعْظِيم الشَّيْخ الْكَبِير فِي الإِسْلام بِتَوْقِيرِهِ فِي الْمَجَالِس، وَالرِّفْق بِهِ، وَالشَّفَقَة عَلَيْهِ، وَنَحْو ذَلِكَ، كُلّ هَذَا مِنْ كَمَالِ تَعْظِيم اللَّه لِحُرْمَتِهِ عِنْد اللَّه (وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ) فيه إيجاز بالحذف أي: وَإِكْرَام حامل القرآن وهو: حَافِظه، وَسَمَّاهُ حَامِلاً لَهُ لِمَا يَحْمِل من الْمَشَاقّ الكَثِيرَة التي تَزِيد عَلَى الأَحْمَال الثَّقِيلَة وقوله: (غَيْر الْغَالِي) أَيْ فِي الْقُرْآن، وَالْغُلُوّ التَّشْدِيد وَمُجَاوَزَة الْحَدّ، يَعْنِي غَيْر الْمُتَجَاوِز الْحَدّ فِي الْعَمَل بِهِ، وَتَتَبُّع مَا خَفِيَ مِنْهُ، وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَانِيه وَفِي حُدُود قِرَاءَته، وَمَخَارِج حُرُوفه، وقوله (وَالْجَافِي عَنْهُ) أَيْ وَغَيْر الْمُتَبَاعِد عَنْهُ الْمُعْرِض عَنْ تِلاوَته، وَإِحْكَام قِرَاءَته، وَإِتْقَان مَعَانِيه، وَالْعَمَل بِمَا فِيهِ، وقوله: (وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِط) أي العادل من باب تنزيل الناس منازلهم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى نوع من أنواع حسن الخلق وهو احترام الكبير وذوي الفضل من الناس كالعلماء والسلطان العادل وحملة القرآن.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه ينبغي للمرء إكرام العلماء وأصحاب الهيئة من الناس وأن يقوم تكريمًا لهم، كما يجوز تقبيل يد العالم الورع والسلطان العادل وتقبيل يد الوالدين والأستاذ وكل من يستحق التعظيم والإكرام، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام أو الشفقة عند اللقاء والوداع وتدينًا واحترامًا مع أمن الشهوة.

---

(١) بريقة محمودية للخادمي ١٦٨/٤، والمدخل لابن الحاج ١٨٢/١، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٧٧/٤، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٨٢، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١٥٩/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٠٨/١، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢١/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣١/١٣، ٢١٨/٣٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد.

ثانيًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إنزال الناس منازلهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوسط وعدم الغلو.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: تكريم ذوي السلطان العدول.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتوكيد:

في الحديث يخبرنا النبي ﷺ ويبيّن لنا ضروبًا من ضروب تعظيم الله وتوقيره، ويؤكد هذا الكلام بما يلقى في قلب المدعو الطمأنينة والقبول فقال "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه وإكرام ذي السلطان المقسط". فجاء في الحديث الإخبار عن بعض خصائص المؤمنين العامة وسماتهم الأساسية وما جبلوا عليه وتخلقوا به من خلق حسن واحترام لأهل السبق والفضل[1].

ثانيًا- من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أبواب الخير:

يرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى ثلاثة أبواب من أبواب الخير وهي في جملتها من مستلزمات تعظيم الله تبارك وتعالى فقال: (إن من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط)، إذ أنه مما ينبغي للداعية أن يرشد المدعوين إلى الخير وكما أمر الله بذلك في قوله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

---

(١) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ٣٨٧.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٤.

أي: "ولتكن منه أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إنزال الناس منازلهم:

يتضح ذلك من في هذا الحديث من خلال دعوة الرسول ﷺ إلى احترام الكبير وصاحب القرآن، المتسم بالاعتدال والفقه، والسلطان العادل فقال ﷺ "إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم" أي الذي شاب شعره أي ابيّض ونفذ عمره في الإسلام والإيمان فتعظيمه وتقديمه في الصلاة بشرطه على غيره وفي المجامع والمجالس وفي القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمته، وحامل القرآن تقديرًا لما تحمّل في حفظ القرآن من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره وكذلك "السلطان المقسط" أي العادل في حكمه بين رعيته[٢]، فوجب احترامهم وإنزالهم المنازل اللائقة بهم، وإنزال الناس منازلهم اللائقة بهم من الأمور المهمة التي ينبغي تطبيقها، ومعاملتهم ذلك على حسب أقدارهم[٣]، ولقد أعطانا النبي ﷺ المثل الحي والأنموذج التطبيقي لذلك، ومن ذلك إرشاده إلى الاهتمام بسيد القوم، فروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن سعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنه لما دنا من المسجد قال النبي ﷺ للأنصار: ((قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ - أَوْ خَيْرِكُمْ))[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوسط وعدم الغلو:

إن مما يستنبط من هذا الحديث: فضل التوسط وعدم الغلو، حيث بيّن رسول الله ﷺ أنه مما ينبغي على المسلم فعله: إكرام حامل القرآن بشرط عدم الغلو والابتعاد عن الجفاء فقال: "وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه" قال المُنَاوِي: ("وحامل

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٩١.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١١٣

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٠٤، ومسلم ١٧٦٨.

القرآن" أي: قارئه "غير الغالي فيه" أي: غير المتجاوز الحد في العمل به وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه وفي حدود قراءته ومخارج حروفه "والجافي عنه" أي: التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه)[١] وما وجب علينا إكرامه إلا لفضله وفضل منهجه مع القرآن الكريم من عدم الجفاء والغلو، تبيينًا إلى فضل الوسطية التي اختارها الله شعارًا مميزًا للأمة الإسلامية التي هي آخر الأمم، ووسطية الأمة إنما هي مستمدة من وسطية منهجها ونظامها فهو منهج وسط لأمة وسط، منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط أو من الغلو والتقصير، وإلى هذه الخصيصة البارزة يشير قوله تعالى مخاطبًا أمة الإسلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٢][٣].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: تكريم ذوي السلطان العدول:

إن من الشيم الكريمة تكريم ذوي السلطان العدول، وقد جاء الحث على ذلك في هذا الحديث فبيّن ﷺ أن من ألوان إجلال الله "إكرام ذي السلطان المقسط" قال المناوي: ("وإكرام ذي السلطان" أي: سلطان لأنه ذي قهر وغلبة من السلطة وهي التمكن من القهر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٤] ومنه سمي السلطان وقيل ذي الحجة لأنه يقام به الحجج)[٥]. "المقسط" أي: العادل في حكمه بين رعيته[٦]. وقال طاووس: من السنة أن توقر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد[٧]؛ فالإمام العادل جعله الله قوامًا لكل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٥٢٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٣٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٠.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٥٢٩/٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٦.

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨١/٩.

ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل قائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد إلى الله ويقودهم[1] فلا جرم أن وجدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث يحث ﷺ على إكرام ذي السلطان المقسط وجعل ذلك إجلالاً لله تبارك وتعالى.

(١) مقتطفات من وصية الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز، انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز، ص ٧٣٩-٧٤١.

الحديث رقم (٣٥٥)

٣٥٥- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا)) حديث صحيح رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

وفي رواية أبي داود[2]: ((حَقَّ كَبِيرِنَا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

الشرح الأدبي

صدر المعنى في لافتة قصيرة مدوية يتصدرها تهديد بالخروج عن دائرة الإسلام يرتجف منها قلب كل مسلم لاسيما، وأن المتوعد صادق لم يكذب، ونبي يوحى إليه فقوله: (لَيْسَ مِنَّا) أي ليس من المسلمين الكاملين، و(من) اسم موصول وتعريف المسند إليه هنا بالموصولية للتنبيه على خطأ (لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرنَا) بأن يعطى الصغير حقه من الرفق به، والرحمة، والشفقة عليه، وقوله (وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا) الواو هنا بمعنى أو، لأن التحذير متعلق بكل واحدة منهما على حدة، وهما من السلوكيات الراقية التي عززها الإسلام، ودعا إليها.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث إلى حكم من أحكام الآداب الشرعية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم، ويكون ذلك برحمته وبره بالصغير، وتقديره واحترامه للكبير.

وقد رتب الفقهاء على هذا الحديث أحكامًا عدة منها:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٣)، والترمذي (١٩٢٠) واللفظ له. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٨٧٥): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (١٧١).

(٢) بالرقم الذي تقدم.

١- ما سبق القول عنه في الأحاديث رقم (٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧) أن الفقهاء اتفقوا[١] على أنه يسن للرجل تقبيل ولده الصغير وولد قريبه وصديقه ذكرًا كان أو أنثى على سبيل الشفقة والرحمة واللطف، فإن كانت هناك شهوة في التقبيل فهو حرام لخروجه عن معناه المشروع له.

٢- أن الحنفية قالوا[٢] إن التقاط اللقيط مستحب وهو خير من تركه لما فيه من الرحمة بالصغير، وقال جمهور الفقهاء[٣] من المالكية والشافعية والحنابلة إنه واجب على الكفاية لما فيه من إحياء النفس.

٣- وكذا أجمع العلماء[٤] على عدم جواز التفريق بين الأم وولدها حتى يبلغ سواء أكان ذلك بسبب البيع أم الهبة أم القسمة أم غيرها رحمة بالصغير.

٤- وكذا استحبوا القيام لذوي الفضل والعلم من الكبار وعدوا الاستخفاف بهم كبيرة من الكبائر كما ذكر ابن حجر في الزواجر عن اقتراف الكبائر[٥].

---

(١) بريقة محمودية للخادمي ٧٠/٣، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٧٧/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ١١٤/٣، وحاشية الجمل على شرح المنهج للعجيلي ١٢٦/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٦٣/٢.

(٢) المبسوط ٢٠٩/١٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٩٧/٣.

(٣) التاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٨٠/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤٩٥/٢، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٤٠٦/٣، والأحكام السلطانية ٣٠٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٥/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٣٨٧/٢.

(٤) المبسوط ١٣٩/١٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٨/٥، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٦٨/٤، وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، أحمد بن محمد الصاوي ١٨٣/٣، وشرح منح الجليل ٤٨/٥، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٤٥/٩، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٠/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣١٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢١٢/٩.

(٥) ١٥٩/١، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٠٨/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الرحمة بالصغار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبار واحترامهم.

رابعًا: من آداب الداعي: الحث على التراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي، والترهيب:

في هذا الحديث نفي النبي ﷺ اتباع السنة عمن لا يرحم الصغير ولا يعرف شرف الكبير، فقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" وهذا في حد ذاته ترهيب من مثل هذه الأخلاق الشائنة فقوله ليس منا (قيل ليس على طريقتنا)[١] وقال العظيم آبادي: (ليس من أهل سنتنا وقيل أي ليس من خواصنا، وهو كناية عن التبرئة)[٢].

والترهيب من أبرز الأساليب الدعوية التي لها تأثير كبير على نفوس المدعوين، وهو أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٣] والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[٤]. والترهيب يكون بالعقوبات في الدنيا وفي الآخرة، وقد وصف الله المؤمنين بتوجههم إلى ربهم رغبة إليه ورهبة منه، قال تعال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ﴾[٥] وقال ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٦٢٤.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٢٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم، ابن القيم، ص ٣٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٦.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الرحمة بالصغار:

من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذا الحديث الحث على الرحمة بالصغار حيث نفى ﷺ كمال الاتباع عمن لا يرحم الصغار فقال "ليس منا من لم يرحم صغيرنا" أي من لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا[١] ونرى في حياته ﷺ المثل التطبيقي فعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ((إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ))[٢]. ونهر النبي ﷺ قاسي القلب على صغاره فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: ((من لا يَرْحَم لا يُرْحَم))[٣]. وفي ذلك دعوة وحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق[٤] وأخص ما يكون مع الصغار، ولذلك علمنا الرسول ﷺ بتوجيهاته القولية والعملية ما ينبغي لنا أن نمنحه أطفالنا وصغارنا من عطف وحنان وما ينبغي أن نشعر به نحوهم من رحمة[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبار واحترامهم:

وقد دعا النبي ﷺ بمضمون هذا الحديث إلى توقير الكبار واحترامهم ونفي الإتباع الكامل للسنة لمن لم يوقر الكبير فقال: "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" لأن من صور الاحترام المحمودة إكرام الصغير لمن هو أكبر منه سنًا أو أكثر منه فضلاً، فإن ابن عمر لما عرف جواب سؤال رسول الله ﷺ عن الشجرة التي تشبه المسلم لم يُجب احترامًا لمن هو أكبر منه فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ منَ الشَّجَرِ شَجَرَةً مَثَلُها كمَثَلِ المُسْلم. فأردتُ أَنْ أَقولَ هيَ النَّخلةُ، فإذا أنا

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٦٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٧، ومسلم ٤٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٩٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٠١.

(٥) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٣٢٨.

أصغَرُ القومِ، فَسَكتُّ. قال النبيُّ ﷺ: هيَ النَخلةُ))[١] والكبير في قومه لا يليق أن يقابل بغير الإكرام فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ((إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ))[٢] وتوقير الكبير واحترامه، والتعامل مع الآخرين بالأخلاق الكريمة يؤدي إلى وحدة الصف وتأليف القلوب، وإزالة الدخن وإغاظة العدو[٣].

رابعًا- من آداب الداعي: الحث على التراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع:

إنَّ مما ينبغي على الداعي أن يحرص على فعله حث المدعوين على التحلي بمكارم الأخلاق والتي منها ما ورد في الحديث "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا" والتراحم والاحترام والتوقير بين أفراد المجتمع والتمسك بمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار، فالأخلاق الإسلامية تمثل معاقد الترابط في المجتمع الإسلامي[٤].

وما أمر الإسلام بمكارم الأخلاق والتمسك بها إلا لتحرير البشرية من الرق في جميع أشكاله وتحريك الإنسان من أجل السعي والدأب على الاحتفاظ بالخصائص الإنسانية وعدم الانحراف في توجيهها أو في ممارستها. وأن يبقى الأفراد على مستوى إنساني لا يستذل واحد آخر ولا يؤذي فردٌ فردًا في بشريته، وبهذا يكون المجتمع مجتمعًا إنسانيًا كل فرد فيه يشعر بالطمأنينة وبالارتياح في صلته بغيره[٥]. وبذلك تدب الروح الحقيقية في المجتمع التي لا تتحقق إلا بالرجوع واستلهام نصوص القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧١٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩٩١).

(٣) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٨١-٤٨٤.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٣٣-٣٥.

(٥) الدين والحضارة الإنسانية، محمد البهي، ص ٨٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

الحديث رقم (٣٥٦)

٣٥٦- وعن ميمون بن أَبي شَبيب: أنَّ عائشة رضي الله عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتهُ، فَأَكَلَ، فقِيلَ لَهَا فِي ذلِكَ؟ فقَالَتْ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)) رواه أبو داود[1]. لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة.

وقد ذكره مسلم في أول صحيحه[2] تعليقًا فقال: وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم، وَذَكَرَهُ الحَاكِمُ أَبُو عبد الله في كتابه ((مَعرِفَة عُلُومِ الحَدِيث)) [3] وَقالَ: ((هُوَ حديث صحيح)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

كسرة: قطعة من الخبز[4].

الشرح الأدبي

الحديث يدل على مدى امتثال آل البيت رضي الله عنهم لتوجيهات رسول ﷺ ومسارعتهم إلى تنفيذ أوامره، ، وهذا الموقف من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يقرر ذلك عملياً، وقد حكى الراوي الموقف في أسلوب خبري مؤكد ب(إن) وبتقديم المسند إليه (عائشة) على

---

(١) برقم (٤٨٤٢).

(٢) المقدمة (٦/١). وقال ابن الصلاح في صيانته (ص: ٨٤): وفيما قاله أبو داود توقف ونظرٌ، فإنه كوفي متقدمٌ قد أدرك المغيرة بن شعبة، ومات المغيرة قبل عائشة رضي الله عنها، وعند مسلم التعاصر مع إمكان التلاقي كافٍ في ثبوت الإدراك، فلو ورد عن ميمون هذا أنه قال: لم ألقَ عائشة أو نحو هذا لاستقام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه، وهيهات ذلك، والله أعلم. وجزم بصحته في مقدمته (ص: ٢٧٦)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص٥٦٧.

(٣) (ص: ٢١٧، النوع السادس عشر) ونصه: فقد صحت الرواية عن عائشة.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك س ر).

الخبر الفعلي (مر بها) بعثاً للإحساس بأهمية الخبر في قلوب المخاطبين وتنكير كلمة(سائل) للإفراد أي للقصد إلى فرد مما يقع عليه اسم الجنس، وفي هذا إشارة إلى إكرام أى سائل، واستخدام الفاء في الربط (مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً) يدل على المسارعة في إجابة السائل مما يدل على تمكن حب العمل الصالح في قلبها وقوله (كسرة) تنكير الكلمة للتقليل أي كسرة صغيرة، وقوله: (وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ) تكرار الفعل يدل على كثرة من كان يقصدها من أهل الحاجة، وهو دليل على كرمها، وسخائها رضي الله عنها وقوله: (عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ) كناية عن كونه صاحب مكانة، قوله: (فَأَقْعَدَتهُ، فَأَكَلَ، فقِيلَ) فاء العطف تنبيء بالمسارعة بالإكرام، والفعل يدل على الزيادة في إكرام ذي الهيئة عن سابقه، وقوله: (فقِيلَ لَهَا في ذلِكَ) فيه دلالة عن سؤال سائل متعجب من تغاير الموقفين مع السائلين، فكانت إجابتها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) وهو كناية عن معاملة كُلّ أَحَد بِمَا يُلائِم مَنْصِبه فِي الدِّين وَالْعِلْم وَالشَّرَف أي احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عمر، ودين، وعلم، وشرف، فلا تسووا بين الخادم والمخدوم، والرئيس، والمرؤوس؛ فإنه يورث عداوة، وحقدا في النفوس، وقد عد أهل الأدب هذا الحديث من الأمثال، والحكم.

فقه الحديث

يتعرض هذا الحديث لحكم من الأحكام الفقهية المتعلقة بالآداب الشرعية، حيث ينبغي احترام ذوي الهيئات من الناس وإنزالهم منازلهم التي تليق بهم وليس في ذلك تهوينًا من شأن غيرهم وهذا ما فعلته أم المؤمنين عائشة هنا.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يستحب إفساح المجلس لذوي الفضل والعلم من الكبار

---

(١) بريقة محمودية للخادمي ١٦٨/٤، والمدخل لابن الحاج ١٨٢/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي ١٥٩/١، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٨٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٠٨/١، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣٢١/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/١٣.

وأن ينزلوا منازلهم التي يستحقون من التوقير والاحترام، وأن الاستخفاف بهم لا يليق بمسلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد، والأمر.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين، وإنزال الناس منازلهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى البذل والعطاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: العطف وتوقير الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد والأمر:

يظهر أسلوب الإخبار في قول ميمون بن أبي شبيب راوي الحديث: أن عائشة مرّ بها سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل.

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة، لذا ينبغي على الدعاة الحرص على الإفادة من أسلوب الإخبار، بذكر ما يثبت صدق كلامهم وصحته، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في تقرير عدد من القضايا والأحكام، كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وقد ورد الأمر في قوله ﷺ: "أنزلوا الناس منازلهم" لتأكيد أهمية احترام وتقدير ذوي الهيئات ومن لهم مكانة مرموقة في المجتمع، ولا شك أن هذه الأساليب لها تأثير إيجابي على المدعو. وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية البارزة والتي لها أثر كبير وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[3]

---

(١) سورة التغابن، آية: ٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[1].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى إنزال الناس منازلهم:

الشاهد على ذلك من الحديث الذي نحن بصدد بيان المضامين الدعوية فيه: قوله ﷺ "أنزلوا الناس منازلهم" حيث أرشد النبي ﷺ المدعوين المسلمين خاصة إلى احترام وتقدير ذوي الهيئات من خلال أمره بإكرامهم والتعامل معهم بما يليق بهم حتى وإن بدت عليهم الفاقة والحاجة، لأن الإسلام يحرص على ترسيخ القيم والمبادئ ومنها: قيمة الاحترام وقيمة التقدير، وعدم التنكر للآخرين لمجرد وتغير أحوالهم، وتبدّل أوضاعهم وهذا مما استشرى في هذا العصر الذي غابت فيه كثير من القيم النبيلة التي أمر بها الإسلام.

إن الأمور المهمة التي ينبغي على الداعية أن يراعيها، وينتبه إليها، ويحرص على تطبيقها: إنزال الناس منازلهم، ومعاملتهم على حسب أقدارهم، وما ذاك إلا لتأليف قلوبهم، وجذب نفوسهم وشدهم إلى الإسلام لا سيما إذا كان المدعو حديث عهد بالإسلام أو كان ذا منزلة مرموقة في الناس، أو كان ذا نعمة معروفًا بها، أو كان ذا كفر يرجى هدايته، أو كان ذا فسق يؤمل تقواه، أو كان ذا شيبة بلغ من الكبر عتيا.

ويتضح لنا أهمية مراعاة الداعية لهذا الأمر من فعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وامتثالها لأمر النبي ﷺ "انزلوا الناس منازلهم" إذ مر بها سائل فأعطته كسرة، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل، لذا ينبغي أن يُعنى الدعاة بإرشاد المدعوين إلى إنزال الناس منازلهم وإحياء قيم الاحترام والتقدير في حياتهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى البذل والعطاء:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: الدعوة إلى البذل والعطاء من خلال ما ورد في الحديث: أن عائشة رضي الله عنها مر بها سائل فأعطته، فإن حب البذل والعطاء والدعوة إليه والتخلق به له من الآثار الاجتماعية العظيمة، وهو دليل على علو

---

(١) سورة الطلاق، آية: ٧.

الفطرة وسمو الطبع وارتقاء الإنسانية وراحة العقل[١]، وقد حث القرآن على البذل والإنفاق وسخاوة النفس بإعطاء الإنسان من أحب ما يملك، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٢].

وقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]، فمن صفات المتقين في هذه الآية أنهم ينفقون في عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئًا ولو قل[٤]، وعن عدي بن حاتم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَلْيَفْعَلْ))[٥].

رابعًا- من صفات الداعية: العطف وتوقير الناس:

من الأخلاق الحسنة التي دعا إليها الشرع: العطف وتوقير الناس وكما هو ظاهر في الحديث: (مرّ بها - عائشة رضي الله عنها - سائل فأعطته كسرة ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها) أي المذكور من صنيعها بالمارين بها وتفريقها بينهما حيث أعطت واحدًا وأقعدت الآخر فذكرت قول رسول الله ﷺ: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))، أي: عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف[٦]، فاحفظوا على كل أحد منزلته وأكرموا كلا على حسب فضله وشرفه[٧].

---

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٤١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٣، ١٣٤.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٠١٦.

(٦) انظر: عون المعبود، المباركفوري ص ٢٠٩٥.

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٩/٩.

وهذا الحديث مما أدب به النبي ﷺ أمته في إيفاء الناس حقوقهم من تعظيم العلماء وإكرام ذي الشيبة وإجلال الكبير، وما أشبهه[١]. وذلك كله يندرج تحت حسن الخلق والأدب الذي هو مقام الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، قال تعال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] فالداعية الناجح من يقتدي برسول الله ﷺ فيكون للمدعوين بمنزلة الأب يعطف عليهم ويهتم بأحوالهم وقضاياهم، ويوقر كبيرهم وذا الشأن فيهم، فإذا فعل ذلك، فحري إذا قال يسمع لقوله وإذا أمر يمتثل لأمره.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٥٦٨، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٧٢١/١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (٣٥٧)

٣٥٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ[١]، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أخيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ[٢]، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أصْحَاب مَجْلِس عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ، كُهُولاً كانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أخِي[٣]، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأمِيرِ، فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ، فاسْتَأذَن له[٤]، فَإذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه[٥]، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي[٦] يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبيِّهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ. واللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا عليه، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى. رواه البخاري[٧].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

القُراء: العلماء العُبّاد[٨].

هي: ويقال: هيه وتبدل الهاء الاولى ألفًا فيقال إيه. وهي كلمة تقال لغرضين:

---

(١) عند البخاري زيادة: (ابن حذيفة بن بدر).

(٢) عند البخاري زيادة: (ابن حصن).

(٣) عند البخاري زيادة: (ها).

(٤) لفظ البخاري في هذه الرواية: (قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن لعيينة، فلما دخل، قال)، وأما عنده برقم (٤٦٤٢): (قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فستأذن الحر لعيينة).

(٥) قوله: (فأذن له عمر) عند البخاري برقم (٤٦٤٢).

(٦) (هي) عند البخاري برقم (٤٦٤٢).

(٧) برقم (٧٢٨٦) وقد تقدم كذلك برقم (٥٠).

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٣.

الاستزادة من عمل أو حديث. والآخر: الزجر والتهديد والكف. والذي يقتضيه السياق أنه أراد بهذه الكلمة الزجر وطلب الكف لا الازدياد[١].

الجزل: الكثير العظيم من كل شيء[٢].

هم أن يوقع به: يضربه[٣].

كان وقافًا عند كتاب الله تعالى: أي يعمل بما فيه ولا يتجاوزه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث فيه إشارة إلى حنكة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في سياسته، واختيار مستشاريه، وفيه إشارة إلى حلمه، وسيطرته على غضبه، ووقوفه عند كتاب الله، والعمل به، وقوله (وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ) يقرر أنه كان من أهل الفضل إيمانا، وعملاً، وقراءة لكتاب الله، وقوله (وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ) يشير إلى أن أهل الثقة الأحق بها هم حفظة كتاب الله العاملون به، الذين يصدرون عن أوامره، وينتهون بنواهيه، لأن من هذه حاله لا يشهد إلا بحق، ولا ينطق إلا بصدق، لا ينافق، ولا يسعى إلى تحقيق مصالحه الشخصية على حساب مصالح الناس، وقوله (كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً) طباق حسن يقرر بالجمع بين الضدين أن مقياس الاختيار في هذا المجلس هو العلم، والعمل بكتاب الله؛ لأنه الذي يحقق العدل المطلق، ويراعي مصالح الجميع في توازن دقيق بين الدنيا، والآخرة، وقول عيينة (يَا ابْنَ أَخِي) نداؤه بهذه الصلة التي بينه وبين ابن أخيه فيها تودد يمهد للطلب، وقوله (لَكَ وَجْهٌ) كناية عن المكانة تفسر سر طلبه، وقوله: (عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ) يدل على جفائه؛ لأنه لم يناديه بأمير المؤمنين، وقوله (فاسْتَأْذَنَ له، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه) تتابع العطف بالفاء بين

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ز ل).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٧٣.

الجمل دليل على سرعة استجابة ابن أخيه، وسرعة استجابة أمير المؤمنين وقوله (هِي يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَواللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ) قوله (هي) كلمة استزادة، وَالَّذِي يَقْتَضِيه السِّيَاق أَنَّهُ أَرَادَ بِهَذِهِ الْكَلِمَة الزَّجْر وَطَلَب الْكَفّ لا الازْدِيَاد ونداؤه ينبيء بغضبه، وقوله: (مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْل) ظاهره اتهام بالبخل، والظلم، ولا ننسى أنه يخاطب ذا السلطان في محل سلطانه، وهو أعدل الناس، وقوله (فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه) الغضب رد فعل طبعي، وقوله(حَتَّى هَمَّ أنْ يُوقِعَ بِهِ) يشير إلى شدة الغضب، وقول الحُرِّ (: يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ) نداؤه نداء تلطف يهدأ من غضبه، وتأكيده للخبر تربية للمهابة وتعظيماً للخبر، وذكر لفظ الجلالة (الله) وتقديسه بالجملة المعترضة (تعالى) تذكير بهيبة ذي الجلال يخرجه من حالة الرغبة في العقاب ثم تذكيره بالنبي ﷺ ومنزلته، وما له من مكانة عنده، ومعنى الآية - كما ذكر الطيبي - أَمَرَ من اللَّه لنَبِيّه بِمَكَارِمِ الأَخْلاق فَأَمَرَ أُمَّته بِنَحْوِ مَا أَمَرَهُ اللَّه بِهِ، وَمُحَصَّلهمَا الأَمْر بِحُسْنِ الْمُعَاشَرَة مَعَ النَّاس وَبَذْل الْجَهْد فِي الإِحْسَان إِلَيْهِمْ وَالْمُدَارَاة مَعَهُمْ وَالإِغْضَاء عَنْهُمْ، وقوله، (واللهِ مَا جَاوَزَهاَ عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عليه) أي ما ترك ما أمرت الآية به، ولا تخطى ما نهت عنه، أي أنه التزم بأمر الله، وقد أكده بقوله: (وكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى)، واستخدامه صيغة المبالغة يؤكد ذلك.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم الحديث برقم (٥٠).

الحديث رقم (٣٥٨)

٣٥٨- وعن أَبي سعيد سَمُرة بنِ جُندب رضي الله عنه ، قَالَ: لقد كنت عَلَى عَهْدِ رَسُول الله ﷺ غُلامًا ، فَكُنْتُ أحْفَظُ عَنْهُ ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلاَّ أنَّ هاهُنَا رِجَالاً هُمْ أسَنُّ مِنِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: هو سَمُرة بن جندب بن هلال بن حُدَيج بن مُرَّة الفَزَاريُّ، يكنى بأبي سعيد ، ويقال أبو عبدالله ، أو أبو عبدالرحمن ، أو أبو محمد ، أو أبو سليمان كان من حلفاء الأنصار ، فعن عبدالرحمن بن جعفر عن أبيه أن أمَّ سمرة بن جندب مات عنها زوجها ، وترك ابنه سمرة ، وكانت امرأة جميلة ، فقدمت المدينة ، فخطبت فجعلت تقول: لا أتزوج رجلاً إلا رجلاً يكفل لها بنفقة ابنها سمرة حتى يبلغ ، فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك ، وكانت معه في الأنصار[2].

وكان سمرة رضي الله عنه شغوفًا بطلب العلم والاستماع من رسول الله ﷺ منذ صغره مما جعله معدودًا من الحفاظ والمكثرين عن رسول الله ﷺ ، قال سمرة بن جندب لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني.

كما كان حريصًا كل الحِرص على الانتظام في صفوف المجاهدين في سبيل الله منذ صغره ، ففي الطبراني من قول سمرة ((وكان النبي ﷺ يعرض غلمان الأنصار في كل عام ، فمن بَلَغَ منهم بعثه ، فعرضهم ذات عام ، فمر به غلام ، فبعثه في البعث ، وعرض عليه سمرة من بعده فرده ، فقال سمرة: يا رسول الله أجزت غلامًا ورددتني ، ولو

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٤/٨٨) وليس عند البخاري بهذا اللفظ. وتبع المؤلف فيه الحميدي في جمعه (٣٧٧/١ ، رقم ٦٠٨) حيث أورد هذا الحديث بتمامه ، وعزاه إلى الصحيحين ، وليس كذلك ، فإن هذا الشطر منه لا يوجد عند البخاري.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٧/٧) ، حديث رقم ٦٧٤٩ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٩/٥) ، رواه الطبراني مرسلًا ورجاله ثقات.

صارعني لصرعته، قال فدونك فصَارِعْه، قال فصرعته، فأجازني في البعث))[١].

وظهرت ثمار علمه وجهاده وصحبته لرسول الله ﷺ على أخلاقه وسلوكه، وأُثْني عليه ومن بين الذين شهدوا له ابن سيرين قال: كان عظيم الأمانة، صدوق الحديث، يحب الإسلام وأهله.

نزل البصرة، وكان زياد بن أبيه يستخلفه عليها ستة أشهر، وعلى الكوفة ستة أشهر، فمات زياد، وسمرة على البصرة، فأقره معاوية عامًا أو نحوه، ثم عزله.

كان رضي الله عنه شديدًا على الخوارج خاصة الحرورية، فكانوا يطعنون عليه، وكان الحسن وابن سيرين وفضلاء البصرة يثنون عليه ويحملون عنه.

مات رضي الله عنه سنة ٥٩، وقيل في أول سنة ٦٠ في آخر خلافة معاوية بالبصرة على الأرجح وقيل بالكوفة.

وفي سبب موته قيل: إنه سقط في قدر مملوءٍ ماءً حارًا كان يتعالج بالقعود عليها من قَرَازٍ شديد أصابه فيستدفئ بالبخار الصاعد من القدر، فسقط في القدر الحارة فمات، وقيل مات بغير هذا[٢].

الشرح الأدبي

ينقل الراوي رضي الله عنه قصة شخصية، حدثت له عندما كان غلاماً يتجاذبه فضول الحديث فيهمُّ بالكلام فيمنعه الحياء عنه، ولذلك لم يستلزم المقام أن يؤكد الكلام لأنه لا يحمل ما يمكن أن ينكر عليه، وقوله (كنت) دخول إلى ذكرياته عبر بوابة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (١٧٧/٧، ١٧٨) رقم ٦٧٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٩/٧، ٥٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٠٠، ٣٠١)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٥٤/٢، ٥٥٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٣٨، ٥٣٩)، والكمال (٣١٢/٣، ٣١٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١١٦/٢)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١٨٣/٣- ١٨٦)، والسندي (٢٦٦/٣٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٣٩/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٩٥٨/٢-٩٦٠).

الماضي يسترجع شعوره حال الحدث، وقوله (على عهد رسول الله) يفيض بالحنين إلى زمن الأحبة محمد، وصحبه، كما أنه العصر المعلم لكل العصور، وكلمة العهد تشير إلى تلك الرابطة المميزة لأهله، وذلك الميثاق الذي عاشوا عليه، وماتوا عليه مع رسول الله ﷺ، وقوله: (فَكُنْتُ أحْفَظُ عَنْهُ) فيه دليل على فطنته، وذكائه، وقوله (فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلاَّ أنَّ هاهُنَا رِجَالاً هُمْ أسَنُّ مِنِّي) فيه دليل على عظيم أدبه، وأسلوب القصر الذي ساق المعنى في ثوبه يؤكد ذلك؛ لأنه لم يمنعه الجهل أو نحوه، ولكن منعه الحياء؛ لأن في المجلس من هم أكبر منه، وقوله (رجالاً) بالجمع يفيد الكثرة وقوله (أسن) يشير إلى احترامه لمن هو أكبر منه مطلقاً، قلَّ الفارق العمري بينهم، أو كثر، وهو خلق ربى النبي ﷺ عليه تلك السلة الطاهرة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العلم في الصغر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: توقير الكبار وإكرامهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

خامسًا: من أهداف الدعوة: إنزال الناس منازلهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

قد ورد أسلوب القصر في الحديثين من قول الراوي: "فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني"، وورد أيضًا في قوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا..." إلخ، وقد جاء هذا الأسلوب الدعوي في هذين الحديثين ليؤكد على أدب توقير الكبار وإجلالهم وهذا من الآداب الإسلامية العظيمة التي يجب التخلق بها ومراعاتها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل العلم في الصغر:

يستنبط ذلك في الحديث من قول الراوي: "لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه"، وفي طلب العلم وحفظه في الصغر يكون ثباته في الكبر

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٥٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٥٩).

وهذا ما بينه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن علقمة أنه قال: (ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة)[١]، فضلاً عن حدوث التأدب بذلك، وكما قال الشاعر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع عند الكبرة الأدب

إن الغصون إذا قوَّمتها اعتدلت ... ولن يلين إذا قوّمته الخشب

قال الخطيب البغدادي: (التفقه في زمن الشبيبة وإقبال العمر، والتمكن منه بقلة الأشغال، وكمال الذهن وراحة القريحة يرسخ في القلب، ويثبت، ويتمكن، ويستحكم، فيحصل الانتفاع به والبركة، إذا صحبه من الله حسن التوفيق)[٢].

وفي بيان فضل العلم في الصغر قال الحسن البصري: (التعلم في الصغر كالنقش على الحجر)[٣].

وقال بعض الشعراء:

ما الحلم إلا بالتحلم في الكبر ... وما العلم إلا بالتعلم في الصغر

ولو ثقب القلب المُعَلّمُ في الصبا ... لألفيت فيه العلم كالنقش في الحجر[٤]

والعلم في الصغر أمر فطن إلى أهميته وفضله صحابة النبي ﷺ فجدوا في طلب العلم في صغرهم، ولينظر لصورة مشرقة لأحد صحابة النبي ﷺ الذين فطنوا لهذا المعنى فجدوا في طلب العلم في صغرهم، فلما كبر كان عالمًا يرجع الناس إلى رأيه ويحتاج القوم إلى فتواه، ألا وهو الصحابي الجليل عبدالله بن عباس رضي الله عنهما الذي دعا له النبي ﷺ بقوله: "اللهم فقهه في الدين"[٥].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٤٨٣، وقال محققو الجامع: صحيح الإسناد.

(٢) الفقه والمتفقه ١٧٩/٢.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفق رقم ٨٢٢، وقال محققه إسناده حسن.

(٤) الفقيه والمتفقه ١٨٢/٢.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٣، ومسلم ٢٤٧٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: توقير الكبار وإكرامهم:

إن من موضوعات الدعوة الظاهرة من هذين الحديثين: توقير الكبار وإكرامهم حيث وردت الإشارة إلى ذلك في قول الراوي: "فما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالاً هم أسن مني"، وهذا أدب جميل من هذا الصحابي الجليل، حيث امتنع من التحديث بحضرة من هو أسن منه، فيندب أن يمتنع من التحديث بحضرة من هو أولى منه بزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن أو نحو ذلك. وهذا من روائع الأدب ودقائق الأمور[١]، وقوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه"، وهذا حض على إكرام الكبير وتوقيره، ولرسولنا الكريم ﷺ اليد الطولى في الحث على توقير الكبير واحترامه، وقد أمر بذلك فقال: ((إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ))[٢]، قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (إن من إجلال الله، أي: تبجيله وتعظيمه إكرام ذي الشيبة المسلم، أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه ونحو ذلك، كل هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله)[٣]، وقال ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا))[٤].

قال المباركفوري: (وقوله ﷺ: "ليس منا" قيل أي: ليس على طريقتنا، وهو كناية عن التبرئة...، وقوله ﷺ: "ولم يوقر" من التوقير أي: لم يوقر "كبيرنا" وهو شامل للشاب والشيخ)[٥]. وفي ذلك بيان على أهمية توقير الكبار وإجلالهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: بيان أن الجزاء من جنس العمل، حيث وردت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ: "ما أكرم شاب شيخًا لسنه

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني في الصحيح الجامع رقم ٢١٥٩.

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ٢٠٩٥.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٢٠، وصححه الألباني ٤٣٩.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٦٢٤.

إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه". قال د. الحسيني هاشم: (كماتدين تدان، والحياة تسير بالإنسان قهرًا عنه، فإذا احترم الكبار ووقرهم في حال شبابه قيض الله له من يرد له جميله في حال كبره، والعكس بالعكس)[١].

قال المباركفوري: (قوله ﷺ: "ما أكرم" أي: ما أعظم ووقر "لسنه" أي: لأجل سنه، لا لأمر آخر، قال المناوي: وقال القاري: أي كبر عمره لأن الغالب عليه زيادة علم وعمل مع سبق إيمانه. انتهى. "إلا قيض الله" بتشديد التحتية ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[٢]، أي سلط ووكل "له" أي للشاب "من يكرمه" أي: قرينًا يعظمه ويخدمه لأن من خدم خدم "عند سنه" أي حال كبره مجازاة له على فعله بأن يقدر له عمرًا يبلغ به الشيخوخة ويقدر له من يكرمه)[٣]. وفي ذلك بيان على أن الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[٤]، أي: هل جزاء من أحسن في عبادة الخالق، ونفع عبيده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم، والعيش السليم[٥]. فعلى المرء أن يحسن العمل لينال حسن الجزاء من الله تعالى في الدنيا والآخرة.

خامسًا- من أهداف الدعوة: إنزال الناس منازلهم:

إن من أهداف الدعوة التي اشتمل عليها هذان الحديثان: إنزال الناس منازلهم بإكرام ذي الشيبة المسلم وتوقير الكبار وأهل الفضل، ولا شك أن ذلك حث على إحياء القيم الإسلامية التي جاء بها الإسلام ورغّب فيها لأجل تعميق عرى المحبة والمودة بين

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢٥٩.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٦٧٢/٢.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧١.

أفراد المجتمع الإسلامي، وهذا ما يستنبط من عموم الحديثين، حيث قال سمرة بن جندب: "لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا ها هنا رجالاً هم أسن مني" فيكره أن يحدث إذا كان في البلد من هو أولى به لزيادة علم أو ضبط أو حفظ أو تقدم سن وذلك يدل على معرفته بأقدار الناس وأفضال العلماء وكبار السن وإنزالهم منزلتهم التي تليق بهم. وكذلك الحديث الثاني حيث قال رسول الله ﷺ "ما أكرم شاب شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنة" وفي ذلك دعوة إلى إنزال الكبير المنزلة التي تليق بسنه وهذا هدف إسلامي عام حيث يهدف الإسلام إلى إنزال الناس منازلهم التي تليق بهم.

وفي بيان ذلك قال ميمون بن أبي شيب: إنَّ عائِشَةَ رضي الله عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ فأَقْعَدَتْهُ فأَكَلَ، فَقِيلَ لَها في ذَلِكَ، فقالَتْ: قال رَسُولُ الله ﷺ: ((أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ))[1].

قال صاحب عون المعبود: ("فأعطته كسرة": بكسر أوله أي قطعة من خبز ونحوه "فقيل لها": أي لعائشة رضي الله عنها "في ذلك": أي المذكور من صنيعها بالمارين بها. والمعنى قيل لعائشة رضي الله عنها: لم فرقت بينهما حيث أعطيت الأول كسرة وأقعدت الثاني وأطعمته "أنزلوا الناس منازلهم" أي عاملوا كل أحد بما يلائم منصبه في الدين والعلم والشرف.

قال العزيزي: (والمراد بالحديث الحض على مراعاة مقادير الناس ومراتبهم ومناصبهم وتفضيل بعضهم على بعض في المجالس وفي القيام وغير ذلك من الحقوق)[2].

---

(١) مقدمة صحيح مسلم ص ٢٠، وأخرجه أبو داود ٤٨٤٢، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ١٠٣٢).

(٢) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٢٠٩٥.

الحديث رقم (٣٥٩)

٣٥٩- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**مَا أكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلاَّ قَيَّضَ الله لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّه**)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: ((حديث غريب)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

قيض الله له: قدّره له وهيأه[2].

الشرح الأدبي

احترام الصغير للكبير، وتوقيره معنى تضافرت على توكيده، والترغيب فيه العديد من الأحاديث النبوية، وربَّى عليه الرسول ﷺ أصحابه حتى صار في قلوبهم، وعقولهم، وهذا الحديث من هذه النوعية التي ترغب في هذا الخلق عن طريق أسلوب القصر الذي يعطي المخاطب شعوراً بأن إكرام هذا الشيخ إكرام لنفسه، وأن هذا الإكرام سبب في أن يوكل به يكرمه عند تقدمه في السن، وفعل الشرط الماضي (أكرم)، وجواب الشرط الماضي يدلان على أن تحقق الثاني مترتب على تحقق الأول مما يوحي للمخاطب بأنه بهذا الإكرام يكرم نفسه، والمطابقة بين الشاب، والشيخ توضح المعنى، وتشير إلى حقيقة ملموسة، وهي أن الحال تتبدل فغداً يتحول الشاب إلى شيخ، والتعبير بقيض يوحي بالملازمة التي تشعر بالطمأنينة، وإسناد الفعل لله دليل على تحققه على الوجه الأكمل؛ لأن الفعل يرتبط بالفاعل في إيجاد الفعل، وتأثيره، وقوله: عند سنه، فيه إيجاز بحذف المضاف أي عند كبر سنه، وحذف المضاف يجعل هناك تماثلاً بين العبارتين في جانب المسن، وفي جانب الشاب (لسنه، وسنه) وفيه بشرى له

---

(١) برقم (٢٠٢٢). قال ابن عدي في الكامل (٢٧٣٣/٧، ترجمة: يزيد بن بيان): هذا حديث منكر.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في قيض.

بطول العمر، وبلوغ عمر هذا الشيخ، مع وجود الإكرام، والإعانة عند كل حاجة مكفولة من الله بقول رسوله ﷺ (قيض).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الدرجات العلمية معترف بها في الإسلام، والتفاوت في هذه الدرجات والإشارة إلى التخصصات الدقيقة وارد في سنة الرسول ﷺ، والإسلام دعا المسلمين إلى تكريم العلماء من سبيلين:

السبيل الأول: أدبي، والسبيل الثاني: مادي.

والسبيل الأول له مظاهر شتى في الإسلام منها: شهادات التقدير التي تعطى لهؤلاء، وأول من سنها في الإسلام هو الرسول ﷺ حتى أعطى للمميزين في بعض العلوم شهادات تقدير مثل تزكيته ﷺ لبعض أصحابه رضي الله عنهم مثل قوله: "أقرؤكم أبى"، "أفرضكم زيد"، "أعلمكم بالحلال والحرام على"، "من أراد أن يسمع القرآن غضاً طرياً كما أنزل ليسمعه من ابن أم عبد".

السبيل الثاني: التكريم المادي، فقد اهتم الرسول ﷺ بالتكريم المادي في مجال التعليم، وجعل تعليم عشر من الصحابة عتقاً لرقبة المعلم إن كان من الأسرى، كما أذن بتقاضي الأجر على العملية التعليمية "إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله"، كما جعل التعليم مقابل المهر، كما ورد "زوجتكها بما معك من القرآن". وفيما يلي المضامين الآتية:

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

استخدم النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر في عدة أحاديث من هذا الباب، يقول ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله ...»، ويقول ﷺ: «اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ ...» ويقول: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»، فهذه كلها توجيهات نبوية إلى المتربين المسلمين لينفذوها في حياتهم وعباداتهم، فأول الأحاديث وثانيها توجيه إلى تنظيم فريضة الصلاة في الجماعة، وكيفية أدائها، وكيفية المفاضلة بين الناس في التقدم للإمامة، ثم في تسوية الصفوف، أما الثالث فإنه يتطرق إلى المعاملات بين الناس؛ فينبغي على المسلم أن يحترم الآخرين وينزلهم منازلهم؛ لأن ذلك من مظاهر تحضر المجتمع الإسلامي ورقيه، فضلاً عن مرضاة الله عز وجل، بالامتثال لأوامر نبيه ﷺ.

ويعتمد هذا الأسلوب على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، وذلك من خلال البيان والإرشاد؛ حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا[1].

ثانيًا- التربية على تقديم أهل العلم والفضل:

تقوم التربية الإسلامية على احترام أهل العلم والفضل، وتقديمهم على غيرهم لجداراتهم بذلك، ولذا أراد النبي ﷺ أن يعمق هذا الفهم في نفوس أصحابه عن طريق وضع أسس للمفاضلة في تقديم الإمام في الصلاة، فلا يكون الأمر فوضى يتقدم للإمامة من يتقدم، ولكن ثمة معايير للمفاضلة وضعها النبي ﷺ لهذه المهمة، حتى يتجنب الصخب واللغط عند إقامة الصلاة، يقول: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ؛ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ...».

وفي هذا دعوة إلى عدم اتباع الأهواء الشخصية في مسألة الإمامة؛ لأن ذلك ربما يقدم إلى الصلاة من ليس أهلاً لها، فيسيء القراءة، أو لا يؤدي أركانها على الوجه الصحيح فتفسد بذلك الصلاة، التي هي أهم أركان الإسلام؛ ويتحول الأمر إلى ما حذّر منه ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ»، وما فيها من فوضى لا تليق بعامة المسلمين بلة المتقين العابدين.

وهذا السلوك التربوي في الصلاة لا شك سينسحب على سائر حياة المسلم، فتراه يحترم أهل القرآن وحفظة السنة النبوية، لأن العلماء ورثة الأنبياء، كما أخبر الرسول ﷺ، فاحترامهم وتوقيرهم وعدم رفع الصوت في مجلسهم، واللطف في معاشرتهم، ولين الجانب لهم، والمسارعة في خدمتهم، كل ذلك يحتاج المسلم إلى أن يتعوّده[2].

ثالثًا- إنزال الناس منازلهم:

فلحافظ القرآن منزلته، وللعالم بالسنة منزلته، وللكبير منزلته، وقد جمع الرسول ﷺ كل ذلك بقوله: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ»، حتى يسود المجتمع روح الاحترام والتوقير لأهل الفضل وللكبار سنًا.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٤ بتصرف يسير.

(٢) شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٨٧.

وعندما انطلق عبدالرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ وأراد عبدالرحمن الكلام، فقال ﷺ: «كبِّرْ كبِّرْ» لأنه كان أحدثهم سنًا، فتكلم أكبرهم سنًا.

وحق الكبير يكون بإنزاله منزلته اللائقة به، البدء به في الكلام والطعام والشراب، وعدم الاستخفاف به، والحياء منه والقيام له وإجلاسه وتقبيل يده إذا كان عالمًا أو أبًا أو جدًا[١].

رابعاً- من المبادئ التربوية: احترام وليّ الأمر وتوقيره:

وقد أمرنا الله تعالى بذلك في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢]، لأن طاعة أولي الأمر واحترامهم من شأنه توحيد الصف، وسيادة الوحدة في المجتمع، ولهذا فقط غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أساء أحد الناس مخاطبته وقال له: «فوَاللَّهِ مَا تُعْطِينا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ فِيْنَا بِالْعَدْلِ»، وهمّ أن يعاقبه لولا أن ذكره الآخر بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

يقول الماوردي في حق ولي الأمر على رعاياه: وإذا قام الإمام بما ذكرنا -يعني رعاية الأمة والقيام بالواجبات-فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم، ووجب له عليهم حقان: الطاعة والنصرة، ما لم يتغير حاله[٤].

خامساً- من المبادئ التربوية، الجزاء من جنس العمل:

إن من مظاهر ترغيبه في احترام الكبير وتوقيره أنه وعد بأن من احترم الكبير ووقره نال جزاء ذلك التوقير في الدنيا، بأن يقيد له الله في شيبه من يكرمه، يقول ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلاَّ قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ»، وذلك حتى

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٦٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٧.

يعلم المسلمون قيمة هذه الفضيلة ويقوموا بها؛ مقتنعين بأن الله سيقيض لهم في كبرهم من يخدمهم ويكرمهم؛ مثلما كانوا يكرمون الشيخ في صغرهم.

إن هذا الجزاء الذي يلقاه المرء في الدنيا هو الجزاء الإلهي، الذي يعجله الله للإنسان في الدنيا، قبل جزاء الآخرة، ويعني أن من يقوم بفعل الأوامر ويلتزم بقواعد السلوك الخلقي يحصل على نصيب من ثوابها في الدنيا، وكذا من يتجنب فعل الفضيلة ويأتي مضادها فإن الله يصيب سخطه عليه في غضبه على هذا السلوك المنحرف[1].

سادساً- التربية بالمواقف:

وهذا واضح من عدة أحاديث بالباب، مثل حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد يعني في القبر. ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدّمه في اللحد. وكذلك ظهرت التربية بالمواقف في تصرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عيينة بن حصن عندما أساء إليه بالقول، فوقف عمر بن الخطاب عند كتاب الله الآمر بالعفو والإعراض عن الجاهلين.

وفي ذلك وغيره تربية بالمواقف، ولا شك أن هذا الأسلوب من التربية يبقي أثرًا طويلاً عند المتعلمين.

سابعاً- التربية على حل المشكلات:

وهذا واضح من تصرف الحُرّ بن قيس عندما رأى غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عيينة بن حصن وهمّ عمر أن يوقع به العقوبة، فقال عندئذ ليهدئ من سورة عمر وغضبه وبالتالي يمنعه عن إيقاع العقوبة والاستجابة للغضب، قال: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[2] وإن هذا من الجاهلين فكان هذا من الحرّ حلاً لمشلكة غضب عمر، وكان حلاً موفقًا فقد توقف عمر عما همّ به، لأنه رضي الله عنه كان وقافًا عند كتاب الله تعالى.

---

(١) نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين ١/١١٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يغرسوا فيمن يربونهم مهارة حل المشكلات التي تقابلهم في حياتهم، والحياة مليئة بها، كما أن كثيرًا من المشاكل يمكن أن تحل في بدايتها بجهد بسيط وعمل قليل بدلاً من تركها تكبر وتتعقد مع مرور الأيام حتى تستعصي على الحل.

۞ ۞ ۞

٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إِلَى قوله تَعَالَى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟﴾[الكهف: ٦٠-٦٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (٣٦٠)

٣٦٠- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا[1] إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالاَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ (أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ)[2] مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم أَنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لرسول الله ﷺ، ولَكِنْ أبكي أَنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

هيجتهما على البكاء: أثارتهما وحركتهما وبعثتهما على البكاء[4].

---

(١) لفظ مسلم: (انتهينا).

(٢) الزيادة من الجمع للحميدي (١/٩٧، رقم ١٨).

(٣) برقم (١٠٣/٢٤٥٤).

(٤) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٤٤٢ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٠٢.

الشرح الأدبي

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على متابعة الرسول ﷺ في كل صغيرة، وكبيرة حتى أنهم كانوا يتتبعون ممشاه في حياته، ومجلسه، وموطئه، وكل فعل علموا أنه فعله، وهذا الحديث يؤكد ذلك كما يؤكد حرصهم على صلة من كان رسول الله ﷺ يصلهم عملاً بقوله ﷺ (إنّ أبَرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ)[1]، ورسول الله ﷺ خير عندهم من أمهاتهم، وآبائهم، وأبنائهم، والناس أجمعين، وهم أوفى الناس بحق الصلة، وقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه (انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا) التعبير بلفظ انطلق فيه حث، ومسارعة، والأمر بمعنى الترغيب بدليل قوله (كَمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا) والتشبيه بزيارة الرسول ﷺ للحض والترغيب؛ لأنه دليل على أنها سنة لفعله ﷺ، وقولهم لها (ما يبكيك؟) استفهام إيناس، وتلطف لتهدئتها مع ما يلوح من التعجب، والاستفهام الثاني (أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرَسُولِ الله ﷺ) استفهام تقرير للتذكير، والإخبار تطييباً لقلبها، وقولها: (مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَم) أسلوب نفي؛ لأن يكون بكائها لعدم علمها بهذا الأمر، وقولها: (ولَكِنْ أبكي أنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ) استدراك لبيان حقيقة سبب بكائها، وهو حزنها على انقطاع الوحي، وهو دليل على فقهها، ورجاحة عقلها لإدراكها قيمة الصلة بين السماء، والأرض الممثلة في الوحي -رضي الله عنها، وأرضاها-.

فقه الحديث

١- زيارة الصالحين، وفضلها، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه.

٢- زيارة جماعة الرجال للمرأة الصالحة، وسماع كلامها[2]، قال صاحب الفروع: (والأولى حمل ذلك على من لا يخاف منها فتنة كالعجوز)[3].

---

(١) سنن الترمذي حديث (١٩٠٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠/١٦، الفروع، المرداوي ١٤٥/٢.

(٣) الفروع، المرجع السابق الموضع نفسه.

٣ - استصحاب العالم والكبير في الزيارة والعيادة ونحوهما.

٤- البكاء حزنًا على فراق الصالحين والأصحاب، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه[١].

٥- أدب الزيارة: ينبغي أن تكون الزيارة على الوجه الذي يرتضيه المزور، وفي الوقت الذي لا يكرهه ولا يشق عليه، وضبط ذلك يختلف باختلاف أحوالهم ومراتبهم وفراغهم[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والحوار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل أم أيمن رضي الله عنها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحزنهم على فراقه.

سادسًا: من صفات الصحابة: البر برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار، والحوار:

أفاد الإخبار في هذا الحديث الإعلام بزيارة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لأم أيمن رضي الله عنها، وهذا ما ورد في قول أنس رضي الله عنه: (قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما.. إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وتوضيح أمور دينهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣]. وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث حرص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على زياد أم أيمن لفضلها ومكانتها مما يعد برًا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/١٠.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠/٢٧٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

"أما الحوار فهو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"[١]، فهو من أساليب الحديث المشوقة للنفس الذي يكون من خلاله تحقيق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول بما في ذلك من سبيل لتبليغ الدعوة للمدعوين"[٢]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من الحوار الذي كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وبين أم أيمن رضي الله عنها، وذلك في قول الراوي: فقالا لها ما يبكيك... فقالت:....إلخ).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل أم أيمن رضي الله عنها:

ورد ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها)، وهي: بركة بنت ثعلبة رضي الله عنها، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم وحاضنته، وقد هاجرت الهجرتين، وتزوجت زيد بن حارثة رضي الله عنه فأنجبت أسامة بن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حضرت أحدًا، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وقد شهدت خيبر[٣]، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمها ويبرها بر الأم ويكثر زيارتها، وكان صلى الله عليه وسلم عندها كالولد، ولذلك كانت تخب عليه، أي: ترفع صوتها عليه، وتذمر؛ أي: تغضب وتضجر فعل الوالدة بولدها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم أيمن، وانطلقت معه، فناولته إناء فيه شراب، قال: فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يُرده، فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه[٤]، وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لها دليل على فضلها ومعرفتهم بحقها[٥].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي في أصول الحوار ص ١١، الرياض: الندوة العالمية: ١٤١٥هـ، نقلاً عن الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي ص ٢١.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل - الأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ١١٣.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٨٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٧٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٥٣.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٦١.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها، قال النووي: (فيه زيارة الصالحين وفضلها وزيارة لمن هو دونه، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها، واستصحاب العالم والكبير صاحبًا له في الزيارة والعيادة ونحوهما)[١].

وفي الحرص على زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم لعظيم الأجر؛ حيث يكون حب الله لمن زار أخاه لغير أمر دنيوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[٢].

قال النووي: (... وفي الحديث فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب)[٣].

وهذا فضلاً عن الدعاء له بطيب العيش في الدنيا والآخرة، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: ((مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٤]، وفي ذلك بيان على عظم وأهمية وأجر زيارة أهل الخير والفضل ومجالستهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب:

ظهر ذلك في الحديث في قول الراوي: (فقالا لها: ما يبكيك.. إلخ)، قال النووي: (فيه البكاء على فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا انتقلوا إلى أفضل ما كانوا عليه) [٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٩٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٩٢.

وفي بيان جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - بعد وفاة النبي ﷺ - (أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه أقبل على فَرَسٍ من مَسكنه بالسُّنْح، حتى نزلَ فدخل المسجد فلم يكلم الناسَ حتى دخلَ عَلَىَ عائشةَ، فتيمَّمَ رسولَ الله ﷺ وهو مُغشًّى بثوبِ حِبَرةٍ، فكشفَ عن وَجهِهِ، ثمَّ أكبَّ عليه فقبَّلَهُ وبكى... إلخ)[1]، وفي ذلك بيان على جواز البكاء على فراق الصالحين والأصحاب.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وحزنهم على فراقه:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: (فلما انتهينا إليها بكت... ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها)، قال القرطبي: (وقول أم أيمن: "أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء"، أي: أبكي من أجل أن الوحي لما انقطع بعد رسول الله ﷺ عمل الناس بآرائهم فاختلفت مذاهبهم، فوقع التنازع والفتن، وعظمت المصائب والمحن، وفشا الشقاق، ولولا أن الله تعالى تدارك الدِّين بثاني اثنين لما بقي منه أثر ولا عين)[2].

وفي بيان ذلك قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: (توفي رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه رضي الله عنهم حتى كاد بعضهم يوسوس - أي يختلط كلامهم -، فكنت ممن حزن عليه، فبينا أنا جالس في أُطم من آطام المدينة -وقد بويع أبو بكر- إذ مرّ بي عمر فلم أشعر به لِمَا بي من الحزن...)[3]، وفي ذلك بيان على حب الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ وحزنهم على فراقه.

سادسًا- من صفات الصحابة رضي الله عنهم: البر برسول الله ﷺ بعد وفاته:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: (انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٥٢، ٤٤٥٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٦٢/٦.

(٣) حياة الصحابة، للكاندهلوي ٤٦٥.

نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها)، وقد كان بر الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ بعد وفاته صفة لهم، فعن أنس ﷺ قال: (صحِبْتُ جَريرَ بن عبدِ اللهِ فكانَ يَخدُمني -وهو أكبَرُ من أنَسٍ- قال جَريرٌ: إني رأيتُ الأنصارَ يَصنَعونَ شيئًا، لا أجدُ أحدًا منهم إلاّ أكرَمتهُ)، وفي رواية: (آليتُ أن لا أصحب أحدًا منه إلا خدمته)[1]، قال ابن حجر في قوله (يصنعون شيئًا) وفي رواية نصر: (يصنعون برسول الله ﷺ شيئًا: "أي من التعظيم وأبهم ذلك مبالغة في تكثير ذلك"[2].

قال د. الحسيني هاشم: (وهذا مظهر من مظاهر صلة الرحم، ومن أرفعها وأروعها وأشملها: هو صلة من وصلوا الرسول ﷺ، وإكرامهم ومجازاتهم على ذلك خيرًا؛ فهذا جرير بن عبدالله البجلي يخدم خادم النبي ﷺ ويقسم فيما بينه وبين نفسه على خدمة الأنصار ما أمكن لخدمتهم رسول الله ﷺ)[3].

وقيام جرير بن عبدالله رضي الله عنهما بخدمة الأنصار دليل على حسن بره برسول الله ﷺ بعد وفاته، ومن أعظم البر برسول الله ﷺ بعد وفاته الحفاظ على سنته ﷺ ونشرها والقيام بحقها قولاً وعملاً.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٨٨، ومسلم ٢٥١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢٥٢.

الحديث رقم (٣٦١)

٣٦١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ: ((أنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرِيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ القَرِيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فأرصد الله تعالى ملكًا: وكله بحفظه[2].

مَدْرَجته: طريقه[3].

تربُّها: تقوم بها وتسعى في صلاحها[4].

الشرح الأدبي

استخدم النبي ﷺ قصص الأمم السابقة لتصحيح بعض المفاهيم، ولغرس بعض القيم وللإشارة إلى فضائل بعض الأعمال عن طريق الحوار الطريف بين الملائكة مع المؤمنين، أو تكريمهم لأهل هذه الأعمال، وهذا الحديث من هذه النوعية التي ترغب في زيارة الإخوان الصالحين وإذا نظرنا إلى مفردات الحديث وجدناها تفيض بتلك العاطفة، وتعلي من رابطة الأخوة في الله؛ لأن لها خصوصية من جهتين، الأولى: أنها تجمع المؤمنين جميعاً تحت مظلة الأخوة، وهو ما لا تفعله أخوة الرحم، والثانية: أنها في الله، وليس لها سبب آخر فهي خالصة لله تعالى و قوله (رَجُلاً زَارَ أَخَاً لَهُ فِي قَرِيَةٍ أُخْرَى)

---

(١) برقم (٢٥٦٧/٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨٨).

(٢) رياض الصالحين ١٨٦.

(٣) رياض الصالحين ١٨٦.

(٤) رياض الصالحين ١٨٦.

عبَّر فيه بالأخوة، وبالجار والمجرور(له) الذي يوحي بالخصوصية، ثم ذكر لفظ أرصد الذي يوحي باللطف، والخفاء في تبليغ البشرى، ونسبة الفعل لله فيها تشريف لهذا العبد، ثم إنه كلف بها ملك، وسؤال الملك للرجل (أين تريد؟) استفهام أريد به التمهيد، والاستدراج لما بعده والتنبيه إلى فضل ما هو فيه، والاستفهام الثاني (هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟) استفهام تقرير بتمام الإخلاص وتنبيه إلى سر الأفضلية، ولذلك الجار، والمجرور(لك) واستقصى أفراد المستفهم عنه بقوله (من نعمة) وكثرة حروف الجر في عبارة الاستفهام تنقب عن خصوصية العمل الدالة على الإخلاص، وقوله في إجابة السؤال (لا) بني على الإيجاز، الذي يحفظ للأسلوب طبقته في الكلام العالي وتقديره: لا ليس لي نعمة أربَّها عليه، وقوله (غَيْرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَى) توكيد الجملة لما شعر به عنده من كثرة الأسئلة التي توحي بالشك، ثم تعبيره بالماضي الدال على التحقق، والضمير المتصل به العائد على الأخ المقصود، وقوله: (في الله) تدلل على الإخلاص، والجملة التنزيهية (تعالى) تربي المهابة، وتوحي بالصدق، وقول الملك (فإنِّي رَسُول الله إلَيْكَ) توكيد الخبر للتعظيم، وإضافة الرسول لله إضافة تعظيم، والجار والمجرور(إليك) تخصيص يدل على التشريف، وتوكيد الجملة التي تضمنت البشارة عدة مؤكدات منها (إن) وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، وقد التي دخلت على الفعل الماضي، وكثافة المؤكدات لعظمة الخبر وعظمة البشارة، التي حملته العبارة، وتكرار لفظ الخ مرتين، ومادة المحبة ثلاث مرات مع قصر الحديث لأن تلك المادة هي الذي يدور عليها معنى الحديث.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حقوق الأخوة في الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والتوكيد، والبشارة، والترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٢).

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

"القصة من الوسائل الدعوية الهامة التي تميل إليها النفس، وبها تتعلق مسامع المدعوين وأذهانهم فضلاً عن أنها تلازم الداعية وتملأه انفعالاً بدعوته، وفي ذلك عظيم الفائدة في وصول الدعوة إلى المدعوين"[١]، وقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (أن رجلاً زار أخًا له ... إلخ). ولا شك أن القصة في هذا الحديث ساعدت في بيان المعاني العظيمة التي تشتمل عليها زيارة المسلم لأخيه المسلم أو لإخوانه، وكذلك الثواب العظيم المترتب على الزيارة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حقوق الأخوة في الله:

يظهر ذلك في الحديثين في قوله ﷺ: (أن رجلاً زار أخًا له)، وأيضًا في قوله: ﷺ: (من عاد مريضًا أو زار أخًا له.. إلخ)، فمن حقوق الأخوة في الله التزاور وعيادة المريض والسؤال عمن غاب، ومواساة المتضرر والمحتاج ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢].

قال السعدي: "هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهوا لأنفسهم...، ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض ومما يحصل به التآلف والتوادد، التواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض"[٣].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[٤]، وقال:

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد أحمد غلوش، ص ٢٩٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))، ثم بيّن ﷺ عظم فضل هذه الأخوة إن كانت في الله فقال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ)) - وذكر منهم: ((وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه))[1]، قال النووي: "معناه: اجتمعا على حب الله، أي: كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما"[2]، وفي ذلك بيان على عظم وأهمية حقوق الأخوة في الله والتزاور فيه.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والتوكيد، والبشارة، والترغيب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث من قوله ﷺ: (قال: هل لك من نعمة تربُّها عليه؟ قال: لا..) وهو من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، وقد جاء السؤال هنا لبيان حقيقة الأخوة الخالصة التي لا ترتبط بمصالح مادية أو غيرها، أما أسلوب التوكيد فهو من الأساليب الدعوية التي يستعملها الداعية لإثبات وتأكيد ما يدعو إليه في أذهان المدعوين، وقد ورد ذلك في الحديث من تأكيد الملك على حب الله تعالى لمن زار أخاه لأجل محبته في الله، وذلك في قوله ﷺ: (قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه.. إلخ)، وقد أفاد التوكيد هنا تحقق محبة الله تعالى للمتزاورين فيه والمتحابين فيه.

أما أسلوبي البشارة والترغيب، فهما من الأساليب الدعوية الناجحة في تشويق نفس المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، وقد ورد أسلوب البشارة في الحديث في قوله ﷺ: (قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث الثاني من قوله ﷺ: (ناداه منادٍ بأن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً). حيث أفاد عظيم أجر وثواب عيادة المريض. وفي ذلك ترغيب لكل مسلم في عيادة المريض، وهو أسلوب دعوي مؤثر حيث إن النفس تحب الخير وتهفو إليه، وخاصة إذا كانت الدعوة الطيبة من قبل ملك مسخر من قبل المولى عز وجل، والدعاء بدخول الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٠٦، ومسلم ١٠٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: (من دعاء مريضًا... ناداه منادٍ بأن طبت، وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً)، قال الطيبي: "قوله: (طبت) دعاء له بأن تطيب عيشه في الدنيا، و(طاب ممشاك) كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق، والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها، و(تبوأت) دعاء بطيب العيش في الآخرة"[١]، وقال النبي ﷺ في تأكيد ذلك: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ((جَنَاهَا))[٢]، وقال ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَى عليهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمسِيَ، وإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتى يُصْبِحَ وكانَ لَهُ خَرِيفٌ في الجَنَّةِ))[٣]، وفي ذلك بيان عظم فضل زيارة المريض.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣١٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٩٦٩، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٧٧٥.

الحديث رقم (٢٦٢)

٣٦٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أخًا لَهُ فِي الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: ((حديث حسن))، وفي بعض النسخ: ((غريب)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

شيوع أسلوب الشرط في الحديث النبوي ينبيء عن قيمة هذا الأسلوب الذي يجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار يستطيع القبول، أو الرفض بعد أن يعرض عليه الفعل مرتبطاً بعاقبته، وقول الرسول ﷺ (من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله) أسلوب شرط فيه مزيد تشويق إلى الجواب، والتعبير بالعيادة يوحى بالتكرار لأن المريض يكون في حالة يحتاج إلى أن يشعر بمحبة إخوانه مما يساعد في سرعة شفائه، وقوله (أو زار أخاً)حرف العطف (أو) للتنويع، والتعبير بلفظ الأخوة يشير إلى تلك الرابطة التي تجمع بين الأشقاء بكل ما تستلزمه من رعاية، وعناية، ونصرة، وتنكير (مريضاً - أخاً)يعطي معنى العموم حتى تشيع تلك المعاني في الأمة كلها في محبة، ورعاية، وقوله (في الله)يشير إلى خصوصية الرابطة، وتجردها من الأغراض الدنيوية؛ لأن هذه الخصوصية تضمن للأخوة الدوام؛ لأن ما كان لله دام، واتصل، وما كان لغيره انقطع، وانفصل كما تضمن لها الشيوع؛ لأنها رابطة تجمع جميع المؤمنين، وتنكير (مناد) ليذهب العقل في تخيله كل مذهب، والجناس بين طبت، وطاب يبعث في العبارة جرساً حسناً، ويشير إلى إحاطة الصفة به وقوله: (وطاب ممشاك) مَصْدَرٌ أَوْ مَكَانٌ أَوْ

---

(١) برقم (٢٠٠٨) وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩٦١)، وقال الحافظ في الفتح (١٠/٥٠٠): وله شاهد عند البزار من حديث أنس بسند جيد، وأخرجه أحمد بسند صحيح من حديث عتبان بن مالك. أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨٩).

زَمَانٌ مُبَالَغَةً. قَالَ الطِّيبِيُّ: كِنَايَةٌ عَنْ سَيْرِهِ وَسُلُوكِهِ طَرِيقَ الْآخِرَةِ بِالتَّعَرِّي عَنْ رَذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَالتَّحَلِّي بِمَكَارِمِهَا وقوله (من الجنة) يشير إلى شرف الموضع وعظمة المكان، وقول الملك (طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلاً) خبر في اللفظ وإنشاء في المعنى لأنه دعاء وصياغته في صورة الخبر إظهار للحرص على تحقق الوقوع؛ لأنه عبَّر عنه في صورة الماضي المتحقق، وكأنه يخبر عنه، والحديث دعوة إلى تقوية الروابط الاجتماعية تحت مظلة المحبة الإلهية، التي تصل، ولا تمزق، وتجمع، ولا تفرق.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم زيارة المرضى وعود الإخوة من الأحباب والأصدقاء وأنه من أفعال الخير التي حث عليها النبي ﷺ حتى يناديه ملك أن طاب وطاب ممشاه ويبشره بمنزله من الجنة.

وقد سبق القول في الحديث رقم (٦) أنه قد اختلف الفقهاء في حكم عيادة المريض على أقوال كثيرة، فذهب الجمهور[١] إلى أنها سنة، وذهب ابن حزم[٢] إلى أنها فرض ولو لمرة واحدة على الجار الذي لا تشق عيادته، وقيل هي سنة كفاية[٣]، وقيل هي واجبة على الكفاية[٤]، ونقل النووي الإجماع على عدم الوجوب[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٢١/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٧/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ١٠٢/٥ وما بعدها، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٢٩٥/١، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٢٩٦/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٦٠/٢، والفروع، ابن مفلح ١٧٤/٢، والآداب الشرعية لابن مفلح ٢٠٠/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٤٦١/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ٤٠٢/٣ وما بعدها.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٧/٣١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٥/٥.

(٥) المجموع شرح المهذب، النووي ١٠٢/٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٢/٤.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٦٣)

٣٦٣- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً[1])) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الكير: جهاز من جلد أو نحوه يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في النار لإشعالها[3].

يحذيك: يعطيك[4].

تبتاع منه: تشتري[5].

الشرح الأدبي

يتصدر الحديث أسلوب القصر الذي يحصر معنى في معنى حيث حصر الجليس الصالح على كونه كحامل المسك، وحصر الجليس السوء في كونه كنافخ الكير، وحاصل معنى القصر أن كلاً منهما لا يتجاوز الصفة التي وصف بها، وقد صور المعنى في عبقرية عن طريق المثل فالأمثال، نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهدي النفوس بما أدركت عياناً.. فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (خبيثة).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣٤) واللفظ له، ومسلم (٢٦٢٨/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٩٦).

(٣) الوسيط في (ك ي ر).

(٤) رياض الصالحين ١٨٧.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ي ع).

الظاهرة[١]. وفي الحديث أسلوب نشر، ولف حيث ذكر الجليس الصالح، لجليس السوء ثم أعاد على كلاً إلى ما هو له، وقيمة هذا اللون أنه يجمع بين المتناظرين، وهما الجليسان في جهة واحدة يحقق التشويق، ويمهد للإخبار عنهما فإذا جاء صادف نفساً مهيئة، وعقلاً يقظاً، وفي الحديث مقابلة بين الجليس الصالح، والجليس السوء، وبين حامل المسك ونافخ الكير، وهي تجلى أبعاد المعنى، وتصور المفارقة بين الجلسة في ريح طيبة، والجلسة في الحر والريح الكريهة، وتشبيه الجليس الصالح بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير يشير إلى عدة دلالات منها: أن أثر المجلس خيراً، أو شراً ينسحب على بقية الجالسين، كما يشير إلى شدة تأثر الجليس بنوعية جلسائه، كما يشير التشبيه بالريح إلى سرعة الانتشار التي تؤكد سرعة بلوغ الأثر، كما يشير التعبير بحرق الثوب، ونتن الرائحة يشير إلى قوة التأثير، والحديث يشير من قريب إلى ضرورة أن يتأنى الإنسان في اختيار جليسه، وصاحبه، وأن ينظر الوالد في جلسائه أبنائه، وأهله حتى يمنع عنهم نافخ الكير.

فقه الحديث

وفي الحديث من لأحكام ما يأتي:

١- الترغيب في مجالسة الصالحين، وأهل الخير، والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب.

٢- النهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة[٢].

٣ - وفيه: جواز ضر المثل، والعمل في الحكم بالأشباه والنظائر[٣].

٤ - وفي الحديث طهارة المسك، واستحبابه، وجواز بيعه.

---

(١) ينظر الأمثال من الكتاب والسنة لأبي عبدالله محمد بن علي الحكيم الترمذي ص١٣: ١٤ تحقيق د/ السيد الجميلي الطبعة الأولي دار ابن زيدون بيروت ١٩٨٥م.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٨/٦، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/٤.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١]، إلى طهارة المسك، وجواز بيعه واستدلوا على ذلك بالسنة، والإجماع والمعقول:

أما السنة: فهذا الحديث، لأن قوله ﷺ: "وإما أن يبتاع منك" يدل على أن المسك يجوز بيعه، ولو كان نجسًا ما جاز بيعه[٢].

وأيضًا ما روي عن عائشة رضي الله عنها، وغيرها من الصحابة رضي الله عنهم أنهم رأوا وبيص المسك في مفارق رسول الله ﷺ[٣].

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على طهارته، وجواز بيعه، وقد حكى الإجماع غير واحد من العلماء منهم النووي[٤].

وأما المعقول: فلأن النبي ﷺ كان يستعمله في بدنه، ويخبر أنه أطيب الطيب[٥]، ولم يزل المسلمون على استعماله، وجواز بيعه[٦].

وهناك رأي ضعيف يرى أن المسك نجس، ولا يصح بيعه، وقد حكاه الماوردي في كتاب البيوع عن الشيعة[٧]، وقال به بعض الفقهاء[٨].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٠٩/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٥٢/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٩٧/١، والوسيط في المذهب، الغزالي ١٦٤/١، وإعانة الطالبين ٨٣/١، والمجموع، النووي ٥٢٨/٢، ٢٩٠/٩ - ٢٩١، والفروع، ابن مفلح ٢١٦/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٢٨/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦.

(٣) متفق عليه من حديث عائشة <، أخرجه البخاري ١٥٣٨، ومسلم ١١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٥٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦، المجموع شرح المهذب، النووي ٢٩٠/٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٦.

(٧) وقد نقل هذه الحكاية النووي في المجموع شرح المهذب، النووي ٥٢٨/٢، بيد أنه بالرجوع إلى كتب الشيعة أنفسهم وجدتهم يقولون بطهارة المسك، وجواز بيعه، سواء في ذلك الشيعة الإمامية، أو الزيدية، فقد جاء في شرائع الإسلام ١٢/٢: "المسك طاهر، ويجوز بيعه في فأره" وايضًا: الروضة البهية ٣٨١/٣، وجاء في البحر الزخار ٣٢١/٤: "ويجوز بيع المسك..."، وينظر في طهارته عند الزيدية التاج المذهب لأحكام المذهب ٢٦/١.

(٨) وقد حكا صاحب الفروع، ابن مفلح احتمالًا، انظر: الفروع، ابن مفلح ٢١٦/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٢٨/١.

واستدلوا على ذلك بأنه دم، ولأنه منفصل من حيوان حي، وما أبين من حي فهو ميت [١].

وقد تولى النووي في المجموع مناقشة هذا الدليل فقال: "وأما قوله: (إنه دم فلا يسلم، ولو سلم لم يلزم منه نجاسته فإنه دم غير مسفوح كالكبد والطحال.

وأما قوله: (منفصل من حيوان حي) فأجاب الأصحاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن الظبية تلقيه كما تلقي اللد، وكما يلقي الطائر بيه، فيكون طاهرًا كولد الحيوات المأكول وبيضه.

ولأنه لو كان من حيوان لا يؤكل لم يلزم من ذلك نجاستهن فإن العسل من حيوان لا يؤكل، وهو طاهر حلال بلا شك.

الثاني: إن هذا قياس منابذ للسنة، فلا يلتفت إليه [٢].

بعد عرض آراء الفقهاء وأدلتهم ومناقشة دليل الشيعة، فقد بان بما لا يدع مجالاً للشك رجحان مذهب الجمهور من القول بطهارة المسك وجواز بيعه، أما ما ذهب إليه الشيعة، فهو غلط مخالف للسنة.

قال النووي: "وهذا المذهب خلط صريح، وجهالة فاحشة ولولا خوف لاغترار به لما تجاسرت على كايته" [٣].

وقال ابن عابدين الحنفي في حاشيته على الدر المختار: "وهذا القول لا يعول عليه، ولا يلتفت إليه "[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٢٩٠/٩.

(٢) المرجع السابق ٢٩٠/٩ - ٢٩١.

(٣) المرجع السابق ٢٩٠/٩.

(٤) الدر المختار، ابن عابدين ٢٠٩/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، وضرب المثل، والترغيب والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد، وضرب المثل، والترغيب والترهيب:

ورد التوكيد في هذا الحديث في قوله ﷺ: (... إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء)، والتوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على قوله مما يُشعر المدعو بأهميته وصدقه، وقد أفاد التوكيد هنا بيان أهمية تأثير الجليس في جلسائه سلبًا أو إيجابًا.

وضرب المثل من الأساليب الدعوية التي يفيد منها الداعية في توضيح توجيهاته الدعوية بما يشهده الناس بأم أعينهم، وبما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقية [1]، وهذا ما ورد في الحديث في قوله: (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير)، وقد أفاد ضرب المثل هنا بيان سرعة تأثير الجليس من خلال التمثيل بانتشار الرائحة الطيبة أو الرائحة المنتنة، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: (فحامل المسك إما أن يحذيك، وأما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة).

قال ابن حجر: "وفي الحديث الترغيب في مجلسة من ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا"[2].

"والترغيب من الأساليب الدعوية التي بها تشوق نفس المدعو وتحمله إلى فعل الأمر المدعو إليه، وذلك على عكس الترهيب الذي يقصد إلى إخافة المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة للأمر المدعو إليه"[3] وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: (ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة).

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٤٢/١.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٢١.

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا[١] فينبغي على الداعية ترهيب المدعوين من جلساء السوء".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صحبة الأخيار والزجر عن عشرة الأشرار:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من تمثيل النبي ﷺ الجليس الصالح بحامل المسك، وقوله ﷺ في ذلك: (إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ريحًا طيبًا)، وتمثيله ﷺ الجليس السوء بنافخ الكير، وقوله ﷺ: (إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا منتنة).

قال القرطبي رحمه الله: "ومقصود هذا التمثيل: الحض على صحبة العلماء والفضلاء، وأهل الدين، وهو الذي يزيدك نطقه علمًا، وفعله أدبًا، ونظره خشية، والزجر عن مخالطة من هو على نقيض ذلك" [٢].

قال النووي رحمه الله: "وفي الحديث فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فجره وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة"[٣].

قال أبو حاتم: "العاقل يلزم صحبة الأخيار، ويفارق صحبة الأشرار؛ لأن مودة الأخيار سريع اتصالها، بطئ انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها، بطئ اتصالها. وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم.

فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب، لئلا يكون مريبًا. فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر.

وأنشدني محمد بن عبدالله بن زنجي البغدادي:

عَليك بإخوان الثِّقات فإنهم ... قليلٌ فَصِلْهم دُون مَن كنت تَصْحَبُ

ونَفْسَكَ أكرمها وصُنها؛ فإنها ... متى ما تجالس سفلةَ الناس تعطَبُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٤٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦١.

... قال ابن عيينة: "من أحب رجلاً صالحًا فإنما يحب الله تبارك وتعالى".....،

وقال مالك بن دينار: "إنك أن تنقل الحجارة مع الأبرار خيرٌ من أن تأكل الخبيص[١] مع الفجار".

وقال أبو حاتم: "العاقل لا يُدنس عرضه، ولا يعوّد نفسه أسباب الشر بلزوم صحبة الأشرار، ولا يُغضي عن صيانة عرضه ورياضة نفسه بصحبة الأخيار".

فعن أبي عمرو بن العلاء، قال: رآني سعيد بن جبير وأنا جالس مع الشباب، قال: ما يجلسك مع الشباب؟ عليك بالشيوخ.

وعن ابن عمران بن حطان عن أبيه قال: قال أبو الدرداء: لصاحبٌ صالح خير من الوحدة، والوحدة خير من صاحب السوء، ومملي الخير خير من الساكت والساكت خير من مملي الشر.

قال أبو حاتم: "العاقل لا يصحب الأشرار؛ لأن صحبة صاحب السوء قطعة من النار، تُعقب الضغائن، لا يستقيم وده، ولا يفي بعهده، وإن من سعادة المرء خصالاً أربعًا: أن تكون زوجته موافقة، وولده أبرارًا، وإخوانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده.

وكل جليس لا يستفيد المرء منه خيرًا تكون مجالسة الكلب خيرًا من عشرته، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم، كما أن من يدخل مداخل السوء يتهم.

فالواجب على العاقل أن يستعيذ بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر. ومن كان أصدقاؤه أشرارًا كان هو شرّهم، وكما أن الخير لا يصحب إلا البَررَة، كذلك الرديّ لا يصحب إلا الفَجَرة؛ فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات، لأن محمد بن عثمان العقبي قال: حدثنا أحمد بن داود البصري، حدثنا ابن عائشة، قال: قال عبدالواحد بن زيد: (جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم، فإن كنتم لا بد فاعلين، فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم)[٢].

---

(١) الخبيص: نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطًا بالسمن، (القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ب ص).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان البستي، ص ٩٩ - ١٠٣.

فمجالسة الصلحاء لها أثر عظيم على سلوك الإنسان لما في ذلك من التخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم، ومن هنا كان الأجدر بالداعية أن يرشد المدعوين إلى مجالسة الصلحاء من الناس.

الحديث رقم (٣٦٤)

٣٦٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاك)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

"تنكح المرأة لأربع ... فاظفر بذات الدين": معناه: أن الناس يقصدون في العادة من المرأة هذه الخصال الأربع، فاحرص أنت على ذات الدين، واظفر بها، واحرص على صحبتها[2].

تربت يداك: يقال في الدعاء، أي: خسر أو افتقر[3].

الشرح الأدبي

يشير معنى الحديث إلى عادة الناس في اختيار المرأة ويوجِّه إلى اختيار ذات الدين وبناء الفعل لما لم يسم فاعله (تنكح) يعطي الفعل صفة العموم، إشارة إلى شيوع ذلك في الناس و(ال) في المرأة للجنس، وقوله (لأربع) تنكير الكلمة يفيد التشويق، وهو إجمال يتلوه تفصيل يحقق اليقظة عن طريق الترقب الحاصل من الرغبة في معرفة ما تسفر عنه النكرة، وفيه حذف تقديره لإحدى خصال أربع، ثم فصَّلها بقوله (لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا) وفيه حسن تقسيم؛ لأنه عدد الصفات التي تنكح من أجلها المرأة، واستوعب الأسباب جميعاً، وأخر صاحبة الدين في الذكر إشارة إلى أنها وإن كانت تنكح لتلك الأغراض لكن اللائق الضرب عنها صفحا وجعلها تبعا وجعل الدين هو المقصود بالذات فمن ثم قال (فاظفر بذات الدين) أي اخترها وقربها من بين سائر النساء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦/٥٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٧١).

(٢) رياض الصالحين ١٨٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ب).

ولا تنظر إلى غير ذلك، والتعبير بالظفر لأنه غاية المراد، والأمر بالظفر للترغيب، والعطف بالفاء يفيد الترغيب في المسارعة لاختيار ذات الدين وقوله (تربت يداك) أي لصقت بالتراب وهو كناية عن الفقر، وقيل: هو دعاء في الأصل إلا أن العرب تستعملها للإنكار والتعجب والتعظيم والحث على الشيء وهذا هو المراد به ههنا وفيه الترغيب في صحبة أهل الدين في كل شيء لأن من صاحبهم يستفيد من أخلاقهم ويأمن المفسدة من جهتهم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النكاح وأنه سنته ﷺ وسنة الأنبياء قبله، وأن المرأة حين تنكح فلمزايا فيها وأن أفضل هذه المزايا أن تكون ذات دين.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يندب لمن أراد النكاح أن يتحرى ذات الدين حتى يقيم أسرته على رضا الله سبحانه وحتى تحفظه زوجته وتحفظ أولاده وماله في حضوره وغيبته.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أسس اختيار الزوجة الصالحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الزوجة الصالحة ذات الدين.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على الزواج للمحافظة على سلامة ونقاء المجتمع.

---

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/٢٧٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢/٩٥ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٣/٤٠٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢/٢١٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣/١٠٨، وتحفة المحتاج ٧/١٨٤، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢/٦٢٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/٨.

أولاً - من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب التفصيل بعد الإجمال وهذا في قوله ﷺ: "تنكح المرأة لأربع..." ثم فصّل النبي ﷺ هذه الأربع، وذلك لأجل البيان والإيضاح لهذه الأمور حتى يكون المدعو على بينة منها حال اختياره للزوجة التي يجب أن تكون ذات دين وصلاح.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أسس اختيار الزوجة الصالحة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك...".

قال عبدالله البسام: "يخبر النبي ﷺ أن الذي يدعو الرجال إلى اختيار المرأة زوجةً هو أحد أربعة أمور:

أ/ فبعض الرجال يريد في المرأة الحسب والشرف الباقي لها ولآبائها، فالحسب هو الأفعال الجميلة للرجل ولآبائه.

ب/ وبعض الرجال يرغب في المال والثراء فنظرته نظرة مادية بحتة.

ج/ وبعض الرجال يطلب الجمال ويهيم في الحسن الظاهري ولا ينظر إلى ما سواه.

د/ وبعض الرجال يبحث عن الدين والتقى، فهو مقصده ومراده، وهذه الصفة الأخيرة هي التي حثّ عليها النبي ﷺ بقوله: (فاظفر بذات الدين ترتبت يداك)، كلمة يؤتى بها للحث على الشيء والأخذ به، وعدم التفريط فيه. واللائق بذوي المروءة وأرباب الصلاح أن يكون الدين هو مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون، لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذلك اختار النبي ﷺ بآكد وجه وأبلغه، فأمر بالظفر الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار"[1].

وقال ابن هبيرة: "أن مفهوم هذا الحديث أن المرأة إذا نكحت لمالها، كان ذلك قدحًا في معنى المروءة، من جهة أن الله تعالى جعل الرجل هو المنفق على المرأة؛ فقال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[2].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٤/٣٥٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

فمن تزوج المرأة لمالها؛ فكأنه قلب ما خلق له إلى المرأة؛ ورضي بالمقام الأدنى. فأما التي تنكح لجمالها؛ فإن الجمال بانفراده من غير دين يكون مجسرًا لها على الصلف؛ فلا يفيد إلا أن يضم إليه الدين، بل يكون بلية.

وكذلك الحسب، فإنها تفتخر عليه، وتتطاول، كما جرى ولا سيما بنت الجون الكندية في قولها للنبي ﷺ: (وهل تهب المرأة نفسها للسوقة؟! فشقيت بذلك)[١][٢].

قال ابن حجر: "قال ابن المنير: هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية، والسوقة عندهم من ليس بملك كائنًا من كان، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك، وكان ﷺ قد خير أن يكون ملكًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا نبيًا تواضعًا منه ﷺ لربه. ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها"[٣].

وقال ﷺ لأبي أسيد رضي الله عنه: ((أكسُها رازقيتين[٤]، وألْحقها بأهلِها))[٥].

قال ابن حجر: "فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية"[٦].

قال ابن هبيرة رضي الله عنه: "فلا يسعد الرجل بذلك إلا بصحبة ذات الدين"[٧].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الزوجة الصالحة ذات الدين:

إذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه باختيار المرأة الصالحة دينًا واستقامة، وأن تكون بارة بوالديها، ومن بيت معروف بالبر والإحسان، وذلك لأن ذات الدين حريصة على دينها وعلى دين أبنائها وتربيتهم التربية الصحيحة السليمة كما أنها حريصة على زوجها

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٥٥.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٧٦/٦ - ٢٧٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٩.

(٤) الرازقية: ثياب من كتان بيض طوال قاله أبو عبيدة. وقال غيره: يكون في داخل بياضها زرقة، والرازقي الصفيق، (فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/٩).

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٥٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٩/٩.

(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٧٧/٦.

وسعادته، ومن ذلك أن تجعل أبناءها في غاية البر والإحسان والتقدير والاحترام لأبيهم، لشعورها بأن ذلك من دينها"[١]. وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في نص الحديث في قوله: (فاظفر بذات الدين ترتبت يداك).

قال ابن حجر: "أي أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره في كل شيء لا سيما فيما تطول صحبته فأمره النبي ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية"[٢].

قال ابن هبيرة: "وقوله: (إن المرأة تنكح لمالها، ولحسبها، وجمالها، ودينها)، فإنه لم يأمر أن تنكح المرأة لمالها فحسب، غير أن هذا اختار منه أنه قد يقصد، ولكن ليس بالجيد ولا بالأفضل، فلما وصل بذات الدين أمر ثم حض وسماه ظفرًا، والظفر لا يشتمل إلا عند كشف شدة أو إدراك مطلب سني.

وقوله: (بذات الدين): بالألف واللام؛ يعني به الدين المعروف، وأن تكون مشهورة به. وقوله: (تربت يداك)، لفظه لفظ الدعاء، وليس المراد به الدعاء، إلا أنه يستعمل للبعث والحض والإغراء"[٣].

قال البسام: "في الحديث أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون الناس هم قدوته، ولا أن تكون أعمالهم هي المرغوبة عنده، فالنبي ﷺ ذكر في هذا الحديث أن ثلاثة أصناف من الناس مخطئون في اختيارهم لصفات الزوجة، وأن صنفًا واحدًا هو المصيب.

وفيه أنه ينبغي للإنسان أن ينظر في أموره لمستقبلها، وألا تكون النظرة الحاصرة العاجلة هي هدفه، فإن الزوجة الصالحة في دينها هي التي تحفظه في نفسها، وتحفظه في بيته، وتحفظه في ماله، وهي القرين الصالح الأمين.

وفيه أن الرجل لا يحرم عليه إذا كان من رغبته في الزوجة الحسب والجمال والمال مع الدين، وإنما يعاب عليه إن أهمل أهم صفات الزوجة وهي الدين.

---

(١) بر الوالدين القسم الأول، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٩.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٧٦/٦.

والنبي ﷺ أخبر بما يفعله الناس في العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع، ويؤخرون (ذات الدين) فأمر ﷺ أن يقدّم ما يؤخرون فقال: (فاظفر أنت أيها المسترشد بذات الدين، وفُز بها)[١].

وقد عظم النبي ﷺ فضل الزوجة الصالحة فقال: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ. وَلَيْسَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ))[٢]. وعن ثوبان رضي الله عنه أنه قال: لَمَّا نَزَلَ فِي الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا نَزَلَ، قَالُوا: فَأَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ قَالَ عُمَرُ: فَأَنَا أَعْلَمُ لَكُمْ ذٰلِكَ. فَأَوْضَعَ عَلَى بَعِيرِهِ. فَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَنَا فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَّ الْمَالِ نَتَّخِذُ؟ فَقَالَ: ((لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً، تُعِينُ أَحَدَكُمْ عَلَى أَمْرِ الآخِرَةِ))[٣]، وفي ذلك بيان فضل الزوجة الصالحة ذات الدين.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على الزواج للمحافظة على سلامة ونقاء المجتمع:

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، حيث قال ﷺ: (تنكح المرأة لأربع....)، فالزواج سنة من سنن الهدي حثّ عليه الرسول ﷺ ورغّب فيه بأنواعه. وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "وهذا أمر بالتزويج"[٥].

وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: "ثلاثة كلهم حق على الله عونه، ثم ذكر منهم، والناكح الذي يريد التعفف"[٦]، وقال ﷺ: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج... ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء))[٧].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٣٥٦/٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٥٠٥).

(٤) سورة النور، آية: ٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١/٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٥١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٩٢).

(٧) أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت إليه نفسه"[١].

"والنبي ﷺ في هذا الحديث يخاطب شباب أمته الذين هم غرسها النامي، وعتادها في مستقبل أيامهم أن يبادر الشباب منهم إلى التزوج متى كان قادرًا على أمور الزواج من النفقة وما يتبعها، وكان به توقان إلى النساء حتى لا تزل به القدم في مهواة المعاصي وحمأة الشرور فإن للشباب فتوة ونزوة تدفع الشباب إلى إطاعة شهوته وتقهره على إرضائها بدون أن يبالي سوء مغبة أو حسنها، وكم جر ذلك من ويلات وأعقب من أدواء استفحل فيما بعد شرها، وعم ضررها وأصبحت ملافاتها عسيرة وتدارك أخطارها في غير الوسع والطاقة، وكم شاب أغرته شهوته واستعبدته لذته فآتى نفسه من المعاصي حظها وأروى من الموبقات غلتها فكان عاقبة ذلك أن افتقر بعد يسر ومال عريض، وضعف بعد قوة وصحة شاملة، وانتابته الأمراض والعلل فصار حليف الهم والسهاد، ينام على مثل شوك (القتاد)[٢]، قد أقض مضجعه، وذبلت نضرته وتنكرت له الحياة بعد إقبالها، وكشرت له الأيام بعد ابتسامها، وكَلَبهُ الزمان[٣] وقد كان له مواتيًا مطيعًا، ونفر منه الأصدقاء، وكان قرة أعينهم وموضع الغبطة والسرور منهم.

ولقد بين الرسول ﷺ حكمة المبادرة إلى الزواج بعد القدرة والاستطاعة بأنها تحصن الفرج عن الوقوع في المحرمات وملابسة ما يغضب الله ويزري بالشرف والكرامة، وتدعو إلى العفة وغض البصر عما لا يجعل من محارم الله، أضف إلى ذلك أن المبادرة إلى الزواج تمكن المرء إذا رزق أولادًا من تربيتهم والقيام بشؤونهم وإعدادهم لمستقبل حياتهم وجعلهم رجالاً صالحين ينفعون أنفسهم وأمتهم، ويجعل منهم عمادًا لها وقوة، يرهب بهم جانبها، وتقوى شوكتها وتحفظ هيبتها وكرامتها، ويدفع من يريد إذلالها واستعبادها. وأما إذا أبطأ في الزواج حتى تقدّم به العمر فقد لا يستطيع تربية

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦٨.

(٢) القتاد: شجر صلب له شوكة كالإبر، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ق ت د).

(٣) كلبه الزمان: وثب عليه، وضايقه، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ك ل ب).

أولاده لضعف قوته وعجزه عن تحصيل ما به حياتهم وتوفير أسباب السعادة لهم، وربما أدركه الأجل فيتركهم (كزغب القطا)[١] مهيضي الجناح[٢] ضعيفي المنة[٣]. لا يقدرون على دفع عوادي الأيام وكلب الزمان.

زد على ذلك أيضًا أن الإبطاء في الزواج يزيد في كثرة الفتيات العانسات ويفوت عليهن زمن نضرتهن، وجني ثمارهن في إبانة وليس لهن القوة على مدافعة الشهوة كالرجال فتطغى عليهن وتجبرهن على سلوك طريق الغواية والفساد وهناك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، من اختلاط الأنساب وانتهاك حرمة الأعراض وتمزيق ثوب الحياء والاستهتار بما يزيل الكرامة ويذل الشرف والعزة ويقضي على الإباء والمروءة والنخوة.

وقد وصف الرسول ﷺ العلاج لغير القادر على الزواج وهو الصوم فإنه يكسر الشهوة ويقتل الميل والرغبة في النساء لأنه يضعف البدن وينقص من الدم الذي يبعث الحرارة والقوة فتقل دوافع الشهوة وتضمحل شدتها"[٤]. وبذلك يحدث نقاء المجتمع الإسلامي وسلامته.

---

(١) كزغب القطا: أي يتركهم صغارًا ضعافًا (نقلاً عن حاشية المعتنى بكتاب الأدب النبوي، عبدالمجيد ص ٢٤٣).

(٢) مُهيضي الجناح: مكسوري الجناح (القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي ص ٦٠٥).

(٣) المُنَة بالضم: القوة يقال هو ضعيف المُنَّة، مختار الصحاح في (م ن ن).

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

الحديث رقم (٣٦٥)

٣٦٥-وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ لِجبريل: ((**مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورنَا أكثَر مِمَّا تَزُورنَا؟**)) فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾[مريم: ٦٤] رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث حوار بين رسول السماء للأرض جبريل، وبين رسول الأرض للأرض محمد ﷺ يحكي شوق النبي ﷺ لأخيه جبريل لأنه يأتيه من حبيبه ذي الجلال والإكرام، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يدل على الحركة الحوارية، والتجاوب بين المتكلم، والمخاطب، وينبيء عن التواصل بينهما، وهو أسلوب الاستفهام، وهو استفهام خرج عن حقيقته إلى معنى التحضيض، والحث على الزيارة يدل عليه ذكر أفعل التفضيل (أكثر) رغبة في مزيد من الزيارات وتكرار فعل الزيارة، وصياغته في صورة المضارع الدالة على التجدد، والاستمرار، وهو ما يرغب فيه ﷺ، وإيقاع فعل الزيارة على المفعول الذي هو ضمير الجماعة؛ لأن زيارة جبريل للرسول ﷺ هي زيارة لأهل الأرض جميعاً، وقد جاءت الإجابة في الآية الكريمة، في قوله تعالى (وما نتنزل إلا بأمر ربك) وهو أسلوب قصر يقصر نزول الملائكة على أمر الله لا تتعداه، وما نافية، والضمير في الفعل لجبريل، والملائكة، و﴿نتنزل﴾ مرادف ننزّل، وأصل التنزّل: تكلّف النزول، فأطلق ذلك على نزول الملائكة من السماء إلى الأرض؛ لأنّه نزول نادر وخروج عن عالمهم فكأنه متكلّف، وقوله: (لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) واللاّم في «له» للملك، وهو ملك التصرف، والمراد بـ﴿مَا بَينَ أيْدِينَا﴾ ما هو أمامنا، وبـ﴿وَمَا

---

(١) برقم (٤٧٣١).

خَلْفَنا﴾ ما هو وراءنا، وبـ ﴿ومَا بَينَ ذَلِكَ﴾ ما كان عن أيمانهم وعن شمائلهم، لأن ما كان عن اليمين وعن الشمال هو بين الأمام والخلف. والمقصود استيعاب الجهات، ولمّا كان ذلك مخبراً عنه بأنه ملك لله تعين أن يراد به الكائنات التي في تلك الجهات، فالكلام مجاز مرسل بعلاقة المحلية حيث أطلق المحل، وأراد الحال فيه، مثل ﴿واسأل القرية﴾[يوسف: ٨٢]، أي اسأل أهل القرية، فيعمّ جميع الكائنات، ويستتبع عمومَ أحوالها، وتصرفاتها مثل التنزل بالوحي، ويستتبع عموم الأزمان المستقبل، والماضي، والحال، وقد فسر بها قوله ﴿ما بين أيدينا وما خَلْفنا وما بينَ ذلِكَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: طلب زيارة أهل الخير والعلم والاستزادة من الفضل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تنزل الملائكة بأمر الله.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ وقد أفاد الاستفهام هنا رغبة النبي ﷺ في زيادة جبريل عليه السلام لعدد مرات الزيارة للفائدة العظيمة في ذلك، واسلوب الاستفهام اسلوب دعوي مفيد حيث أنه من الأساليب التي تعين كلا من الداعية والمدعو في الاستفهام عما يريد معرفته وما أشكل عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: طلب زيارة أهل الخير والعلم والاستزادة من الفضل:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث؛ طلب زيارة أهل الخير والعلم، وهذا ما يستفاد في قوله ﷺ لجبريل عليه السلام: (ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟)، قال ابن عثيمين: "إن في الحديث طلب زيارة أهل الخير إلى بيتك، فتطلب منهم أن يزوروك من أجل أن تنتفع بصحبتهم"[2].

---

(١) ينظر تفسير الآية في التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٢٦/١.

وليس أدل على ذلك من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه ((وهوَ من أصحابِ رسولِ اللّهِ ﷺ ممَّن شَهِدَ بَدرًا مِنَ الأنصارِ أنه أتى رسولَ اللّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ قد أنكرتُ بَصَرِي وأنا أُصلِّي لقَومي، فإذا كانتِ الأمطارُ سالَ الوادي الذي بَيني وبينَهم لم أستَطِعْ أن آتيَ مسجدَهُم فأصلِّي بهم. ووددْتُ يا رسولَ اللّهَ أنَّكَ تأتيني فتُصلِّيَ في بَيتي فأتخذَهُ مُصلًّى. قال: فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ: سأفعلُ إن شاءَ اللّهُ. قال عِتبانُ: فغدا رسولُ اللّهِ ﷺ وأبو بكرٍ حينَ ارتَفَعَ النهار فاستأذَنَ رسولُ اللّهِ ﷺ فأذِنتُ له، فلم يجلسْ حتى دَخلَ البيتَ ثمَّ قال: أَينَ تُحِبُّ أن أُصلِّيَ من بَيتِكَ؟ قال: فأشرتُ له إلى ناحيةٍ من البيت، فقام رسولُ اللّهِ ﷺ فكبَّرَ، فقمنا فصفَفْنا فصلَّى رَكعتَينِ، ثم سلَّمَ... إلخ))[1].

قال النووي: "وفيه زيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعهم، وتبريكهم إياهم، وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة تعرض"[2]، وفي ذلك بيان على طلب زيارة أهل الخير والعلم للاستزادة من الفضل.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تنزل الملائكة بأمر الله:

يظهر ذلك في هذا الحديث في قول الراوي "فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[3].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث ما يدل على أن جبريل عليه السلام غير محكم في نفسه، وأنه لا يمكنه أن ينزل نزلة ولا يرقى رقيا إلا بإذن الله عز وجل"[4].

وقال السعدي في تفسيره لقوله تعالى على لسان جبريل عليه السلام: "(وما تتنزل إلا بأمر بك): استبطأ النبي ﷺ جبريل عليه السلام مرة في نزوله إليه فقال له: (لو تأتينا أكثر مما تأتينا) شوقًا إليه، وتوحشًا لفراقه، وليطمئن قلبه بنزوله. فأنزل الله تعالى على لسان

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥، ومسلم، ٣٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٦.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٦٩/٣.

جبريل عليه السلام: (وما نتنزل إلا بأمر ربك) أي: ليس لنا من الأمر شيء، إن أُمرنا ابتدرنا أمره، ولم نعص له أمرًا، كما قال الله عنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، فنحن عبيد مأمورون.

(له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي: له الأمور الماضية والمستقبلة والحاضرة، في الزمان، والمكان فإذا تبين أن الأمر كله لله، وأننا عبيد مدبرون فيبقى الأمر دائرًا بين: هل تقتضيه الحكمة الإلهية فينفذه؟ أم لا تقتضيه فيؤخره؟ ولهذا قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[2]، أي: لم يكن لينساك ويهملك، كما قال تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾[3]، بل لم يزل معتنيًا بأمورك، مجريًا لك على أحسن عوائده الجميلة، وتدبيره الجليلة.

أي: فإذا تأخر نزولنا عن الوقت المعتاد، فلا يحزنك ذلك، ولا يهمك، واعلم أن الله هو الذي أراد ذلك، لما له من الحكمة فيه"[4].

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٣) سورة الضحى، آية: ٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٤٧.

الحديث رقم (٣٦٦)

٣٦٦- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد لا بأس بِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صدر الحديث في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء، وهو طريق يأتي فيما ينكره المخاطب أو يجهله، ولما كان الناس في غفلة عن هذا التوجيه المهم خاطبهم خطاب الجاهل، وأسلوب القصر في الجملة الأولى يقصر المصاحبة على المؤمن، وينفيها عن من سواه، والجملة الثانية تقصر الإطعام على التقي، وتنفيه عن غيره، وقوله: (ولا يأكل طعامك إلا تقي) أي متورع، والأكل وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيا؛ لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة بل هي أوثق عرى المداخلة ومخالطة غير التقي يخل بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ولا يكاد فلا تخطئه فتنة الغير به، ثم إن فاعل الجملة الأولى الضمير المستتر(أنت) يجعل النهي موجهاً لكل من بلغه الخطاب عبر الزمان، والمكان، بأن ينظر في دين من يصاحب، وحال من يأكل معه، ويدخل عليه بيته، ويطلع على بعض خصوصياته؛ فكم هدم البيوت تهاون عن مثل هذه التوجيهات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٥٤)، وقال الحاكم (١٢٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٦٠) وعزاه إلى ابن حبان فقط، واعترض عليه الناجي في العجالة.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- النهي عن مصاحبة الكفار، والمنافقين، لأن مصاحبتهم مضرة بالدين.

٢- يندب عدم إطعام الطعام إلا للأتقياء.

والمراد بالطعام في الحديث طعام الدعوة، وليس طعام الحاجة، لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1]، ومعلوم أن أسراءهم لم يكونوا مؤمنين، ولا أتقياء.

وإنما حذر رسول الله ﷺ من مصاحبة من ليس يتقى، وزجر عن مخالطته، ومؤاكلته، لأن المخالطة والمؤاكلة توقع الألفة في القلوب[2]، فيخشى أن يتآلف قلبه مع غير التقى، فيعدى فيه.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على مصاحبة الصالحين الأتقياء.

ثالثًا: من واجبات المدعو: عدم إكرام أهل السوء والفساد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الأصحاب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والإخبار:

النهي من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها إرشاد المدعو وتوجيهه إلى ما فيه الخير والفلاح له في الدنيا والآخرة، وقد ورد النهي في هذا الحديث في قوله ﷺ (لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي)، لبيان أهمية البعد والحذر عن مصاحبة العصاة ومن لا يعينون على طاعة الله، وللتأكيد على أهمية مصاحبة الأتقياء الصلحاء.

---

(١) سورة الإنسان، آية: ٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٢٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٦٤، وتفسير ابن كثير ٢/٢١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٧).

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على مصاحبة الصالحين الأتقياء:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنًا" قال العظيم آبادي: قوله: "لا تصاحب إلا مؤمنًا أي كاملاً أو المراد النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين، لأن مصاحبتهم مضرة في الدين فالمراد بالمؤمن جنس المؤمن ولا يأكل طعامك إلا تقي أي متورع. فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيًا. فينبغي على المسلم أن يحرص على مصاحبة الصالحين الأتقياء[1]. وفي ذلك حماية للخلق الحسن والعادات الكريمة، ومن أجل ذلك أمر النبي ﷺ بتخير الجليس، فقال: " مَثَلُ جَلِيسِ الصَّالِحِ كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ أَنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْهُ شَيْءٌ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ جَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ"[2]. "فبمصاحبة الصالحين يكون النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، "فعلى المرء أن يتخير مصاحبة الصالحين الذين يعينونه على أداء الواجب وحفظ الحقوق ويحجزونه عن السوء واقتراف الحرام، فهم قرناء الخير، الذي يجب أن يستمسك بهم، ويحرص على مودتهم، وإلا فليحذر الانخداع بمن يزينون له طرق الغواية، أو يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو"[3].

ثالثًا- من واجبات المدعو: عدم إكرام أهل السوء والفساد:

أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ"، وفي ذلك قال الطيبي : "إن النبي ﷺ قد حذر وزجر عن مخالطة ومواكلة من ليس بتقي لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب"[4]، فعلى المدعو أن يتحرز من ذلك امتثالاً لأمره ﷺ وحماية لدينه.

ومما لا شك فيه أن إكرام أهل السوء والفساد والتودد إليهم بصحبتهم ومخالطتهم، لدليل على الرضا بحالهم والسير على نهجهم، وفي ذلك شدة العذاب وسوء العقاب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٢٩، وصححه الألباني، (صحيح سن أبي داود ٤٠٤٢).

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٨٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٤/٩.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

قال القاسمي: "الفتنة: إما بمعنى الذنب، كإقرار المنكر، وافتراق الكلمة والتكاسل في الجهاد وإما بمعنى العذاب. فإن أريد الذنب فإصابته بإصابة أثره. وإن أريد العذاب، فإصابته بنفسه. و(لاتصيبن) جواب للأمر، أي: إن إصابتكم لا تختص إصابتها. بمن يباشر الظلم منكم، بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم، وتعدي رذيلتهم إلى من يخالطهم"[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ))، ثم قال: ((﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ إلى قوله: فاسقون﴾[3] ثم قالَ: ((كَلاَّ واللّه، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظالمِ ولَتَأْطِرُنَّهُ على الحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا))[4]. وهذا يقتضي عدم إكرام أهل السوء والفساد والبعد عن مخالطتهم ومؤاكلتهم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الأصحاب:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فلينظر أحدكم من يخالل"، وفي ذلك قال ابن عثيمين: (إن الإنسان يكون في الدين وكذلك في الخلق على قدر من يصاحب، فلينظر من يصاحب فإن صاحب أهل الخير صار منهم وإن صاحب سواهم صار

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٥.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٣٦/٨/٥.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٧٨ - ٨١.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٣٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٩٣٢).

مثلهم)[١]، وقال محمد الغزالي: في أهمية اختيار الأصحاب:"إن الطبع يسرق من الطبع، وما أسرع ، أن يسير الإنسان في الاتجاه الذي يهواه صاحبه، وللعدوى قانونها الذي يسري في الأخلاق كما يسري في الأجسام... وقد شوهد أن عدوى السيئات أشد سريانًا وأقوى فتكًا من عدوى الحسنات، ففي أحيان كثيرة تنتقل عدوى التدخين من المصاب بها إلى البريء منها، ويندر أن يقع العكس"[٢]، وفي ذلك بيان على أهمية اختيار الأصحاب بما يتفق وأوامر الله ورسوله ﷺ لما في ذلك من حماية للأخلاق وصون للأعراض والفوز برضوان الله تعالى.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٢٦/١.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٨٩.

الحديث رقم (٣٦٧)

٣٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد صحيح، وَقالَ الترمذي: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الخليل: الصديق الخالص[2].

الشرح الأدبي

بدأ الراوي روايته بعدة مؤكدات تنبيهاً إلى عظمة الخبر، وعظمة من يخبر عنه، ونص الحديث يبدأ بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة دون توكيد؛ لأن المتكلم لا يتوقع اعتراضاً من المخاطبين، ولعلهم كانوا في يقظة لحديثه فلم يستلزم المقام وجود التوكيد، و(ال) في الرجل للجنس، و(على دين خليله) والخلة خالص المحبة، وبين خليله، و يخالل جناس يقرر المعنى ويوضح مدار المعنى وهو ضرورة التدقيق في الخليل، والتعبير بالخلة إشارة إلى شدة المحبة التي تحمل صاحبها على موافقته فيما هو عليه بموجب المحبة بينهما غالبا، والخلة الحقيقية لا تتصور إلا في الموافقة الدينية، أو الخلة الظاهرة قد تقضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية، ويؤيده قوله (فلينظر أحدكم من يخالل) والفاء للسببية والأمر توجيه، وإرشاد، وتحذير، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: حديث حسنٌ غريبٌ.. وقال الحاكم (١٧١/٤): صحيح إن شاء الله تعالى ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في أجوبته على المشكاة (حديث ١١): صحّحه الحاكم، ورجاله موثقون، إلا ان الراوي عن موسى مختلف فيه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

فقه الحديث

في الحديث من الأحكام ما يأتي:

على الإنسان أن يتدبر، ويتأمل من يصاحبه، فمن رضي دينه وخلقه صادقه، ومن لم يرضى فيه ذلك تجنبه، لأن الطباع سراقة[١].

وقد صدق الشاعر في قوله:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي[٢]

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام، أن ابن جزي المالكي ذكر للصديق شروطًا سبعة:

١- أن يكون سنيًا في اعتقاده.

٢- أن يكون تقيًا في دينه، فإنه إن كان بدعيًا أو فاسقًا ربما جرّ صاحبه إلى مذهبه، أو ظن الناس فيه ذلك، فإن المرء على دين خليله.

٣- أن يكون عاقلاً، فصحبة الأحمق بلاء.

٤- أن يكون حسن الخلق، فإن سيء الخلق لم تؤمن عداوته، وتختبره بأن تغضبه، فإن غضب فاترك صحبته.

٥- أن يكون سليم الصدر في الحضور والغيبة، لا حقودًا، ولا حسودًا، ولا مريدًا للشر، ولا ذا وجهين.

٦- أن يكون ثابتًا غير ملول.

٧- أن يقوم بحقوقك كما تقوم بحقوقه، فلا خير فيمن لا يرى لك من الحق مثل الذي ترى له[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٤٢/٧.

(٢) هذا البيت ذكره القرطبي في تفسيره دون أن ينسبه لقائله، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٨/٤.

(٣) القوانين الفقهية، ابن جزي، ص ٢٩١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٦٨)

٣٦٨- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحبُّ القَومَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه الحث على قوة محبة الرسل، واتباعهم بحسب مراتبهم، والتحذير من محبة ضدهم، فإن المحبة دليل على قوة اتصال المحب بمن يحبه، ومناسبته لأخلاقه، واقتدائه به، فهي دليل على وجود ذلك، وهي أيضا باعثة على ذلك، وأيضا من أحب الله تعالى، فإن نفس محبته من أعظم ما يقربه إلى الله، فإن الله تعالى شكور، يعطي المتقرب أعظم - بأضعاف مضاعفة - مما بذل، والحديث جاء في لافتة قصيرة في تمام الوضوح بألفاظ ميسورة يستوي في فهمها الجميع، وكأنه أرادها أن تكون على ألسنة جميع الناس، وفي عقولهم تدفعهم إلى محبة الله ورسوله وصحبه، والمؤمنين؛ ولذلك عمم في المعنى وبنى الحديث على ذلك فـ(من) تقتضي العموم، وضمير المفعول في أحب محذوف تقديره من أحبه وهو يرجع إلى كلمة (من) فيكتسب العموم منها، ولفظ المرء يشمل الجميع، ولفظ (مع) يشير على التلازم في العاقبة، ولفظ (أحب) يشير مع ما قبله إلى أن عمل القلب له كبير الأثر على أفعال العبد، ومصيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٠) واللفظ له، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) أخرجه البخاري بالرقم الذي تقدم.

فقه الحديث

فيه من الأحكام ما يأتي:

فضل حب الله تعالى ورسوله ﷺ والصالحين، وأهل الخير الأحياء والأموات، لأن من أحب قومًا كن في زمرتهم.

ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم، إذ لو عمل لكان منهم، وإنما ربما أدت هذه المحبة إلى موافقتهم[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: البيان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحب في الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والسؤال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: السؤال عن الساعة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الالتفات إلى الأهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ.

سابعًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

أولاً- من أساليب الدعوة: البيان:

البيان من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إبلاغ أمور الدين، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالبلاغ والبيان فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[3].

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمد ﷺ باسم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦/١٨٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٤/٢٥، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٥٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٦٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٩، ٣٧٠).

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الرسالة، وآمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام. قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدَّثنا محمد بن يوسفَ حدَّثنا سفيانُ عن إسماعيلَ عن الشعبيِّ عن مَسروقٍ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: (مَن حدَّثكَ أنَّ محمدًا ﷺ كَتَمَ شيئًا مما أُنزِلَ عليه فقد كذَب، واللَّهُ يقول: ﴿يا أيُّها الرسول بلِّغْ ما أنزِلَ إليك﴾[1])[2].

وقد بيّن النبي ذلك ﷺ في هذه الأحاديث التي نحن بصددها أن: "المرء مع من أحب"، ولا شك أن هذا البيان النبوي أفاد أهمية حب الصالحين وحب نبي الرحمة ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحب في الله تعالى:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "المرء مع من أحب"، وأيضًا في قوله ﷺ "أنت مع من أحببت".. قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن من أحب قومًا كان معهم، ومعنى ذلك أنه أحبهم على الإيمان لعملهم بالحق فصار ذلك من محبي الحق وحزبه، فكان له بمحبة الحق درجة الذين يؤثرون نصر الحق وظهوره، فألحق الله تعالى بفضله بأهل الحق)[3]، وهذا هو حقيقة الحب في الله تعالى، وقد عظّم النبي ﷺ فضل ذلك فقال: ((إِنَّ اللّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[4].

قال النووي في قوله تعالى: "المتحابون بجلالي" أي: بعظمتي وطاعتي لا للدنيا، وقوله تعالى: "يوم لا ظل إلا ظلي"، أي: أنه لا يكون من له ظل مجازًا كما في الدنيا، وجاء في غير مسم ظل عرشي.

قال القاضي عياض: (ظاهره أنه في ظله من الحر والشمس ووهج الموقف وأنفاس

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦١٢، ومسلم ١٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٠/٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٠٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

الخلق، قال: وهذا قول الأكثرين. وقال عيسى بن دينار: معناه: كفه من المكاره وإكرامه وجعله في كنفه وستره ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض وقيل: يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم. يقال: هو في عيش ظليل أي: طيب)[١].

وقال ﷺ: ((إنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِياءُ والشُّهداءُ))، قيل: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهم؟ قَالَ: ((هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ))، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢]،[٣]، وفي ذلك بيان أهمية وفضل الحب في الله تعالى.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام والسؤال:

الاستفهام والسؤال من الأساليب الدعوية التي تعين المدعو على استبيان ما خفي عنه، وفهم ما أشكل عليه، وقد ورد الاستفهام كأسلوب دعوي في الحديث من قول الراوي: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ أما السؤال فقد ورد في الحديث من قول الراوي: إن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: متى الساعة؟

رابعًا- من موضوعات الدعوة: السؤال عن الساعة:

يظهر ذلك في الحديث في قول الراوي "إن أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ: "متى الساعة؟" والسؤال عن الساعة من المواضيع التي كثر السؤال عنها لرسول الله ﷺ حتى أخبر الله أن علمها عند الله ولا يعلمها غيره، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾[٤]، قال ابن كثير: (أي: ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مردها ومرجعها إلى الله عز وجل، فهو

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٩.

(٢) سورة يونس، آية: ٦٢.

(٣) أخرجه ابن حبان ٥٧٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) سورة النازعات، الآيات: ٤٢-٤٤.

الذي يعلم وقتها على التعين)[١].

قال تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢].

قال السعدي: ("ثقلت في السماوات والأرض"، أي: خفي علمها عن أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضًا عليهم، فهم من الساعة مشفقون، "لا تأتيكم إلا بغتة"، أي: فجأة من حيث لا يشعرون... "يسألونك كأنك حفي عنها"، أي: هم حريصون على سؤالك عن الساعة، كأنك مستخف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك - لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه - غير مبال بالسؤال الخالي من المصلحة، المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، وهي من الأمور التي أخفاها عن الخلق، لكمال حكمته، وسعة علمه)[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[٤].

قال القرطبي: (قد -أخفى الله عز وجل- الساعة التي هي القيامة، والساعة التي يموت فيها الإنسان ليكون الإنسان يعمل، والأمر عنه مبهم، فلا يؤخر التوبة)[٥].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الالتفات إلى الأهم:

قد ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ: "ما أعددت لها؟" وذلك بعد سؤاله ﷺ عن الساعة في قول الأعرابي: "متى الساعة؟" فبيّن رسول الله ﷺ أن المهم هو الاستعداد والتأهيب لقيامها، إذ هي يوم الجزاء الذي لا ينفع الإنسان فيها إلا عمله[٦]. فلفت

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٨/٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٧ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٧٤.

(٤) سورة طه، آية: ١٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٣/١١/٦.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٦٣.

انتباهه إلى الأهم من السؤال عن الساعة وهو الاستعداد لها بالعمل الصالح والالتفات إلى الأهم من الأساليب الدعوية التي بها لفت انتباه السائل عن سؤاله إلى ما هو أهم منه،ولا شك أن الداعية حينما ينتهج هذا المسلك ويعنى بالإجابة على السؤال لكنه يركز على ما هو أهم منه أو ينبغي أن يؤكد عليه كان ذلك عين المصلحة)[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل محبة الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، وأجلّ قواعده، وهي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها[2]، وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل محبة الله ورسوله لمن جاء يسأله عن الساعة؟ فقال ﷺ (ما أعددت لها؟) قال: حب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت)، وفي رواية: (ما أعددت لها من كثير صوم، ولا صلاة، ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله! قال ﷺ: فأنت مع من أحببت)، وفي رواية لمسلم قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ: (فإنك مع من أحببت)، قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بعملهم.

قال القرطبي: (وقوله: "ما أعددت لها كبير صلاة،ولا صيام، ولا صدقة" يعني بذلك: النوافل من الصلاة، والصدقة، والصوم؛ لأن الفرائض لا بد له ولغيره من فعلها، فيكون معناه: أنه لم يأت منها بالكثير الذي يُعتمد عليه، ويُرتجى دخول الجنة بسببه، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون أراد أن الذي فعله من تلك الأمور -وإن كان كثيرًا- فإنه محتقر بالنسبة إلى ما عنده من محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، فكأنه ظهر له: أن محبة الله ورسوله أفضل الأعمال، وأعظم القرب، فجعلها عُمدته، واتخذها عُدته، والله تعالى أعلم.

وقوله: "ما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ"، هكذا وقع هذا اللفظ في الأصول، وفيه حذفٌ وتوسع، تقديره: فما فرحنا فرحًا أشد من فرحنا بقول

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٩٩.

(٢) انظر: التحفة العراقية في أعمال القلوب، ابن تيمية، والداء والدواء، ابن القيم، ص ٣٣٧.

النبي ذلك القول، وسُكت عن ذلك المحذوف للعلم به. وإنما كان فرحهم بذلك أشد؛ لأنهم لم يسمعوا أن في أعمال البر ما يحصل به ذلك المعنى من القرب من النبي ﷺ والكون معه، إلا حب الله ورسوله، فأعظمْ بأمر يُلحِقُ المقصر بالمشمر، والمتأخر بالمتقدم. ولما فهم أنس: أن هذا اللفظ محمول على عمومه علّق به رجاءه، وحقق فيه ظنه، فقال: أنا أحب الله، ورسوله، وأبا بكر، وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. والوجه الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين المحبين كل ذي نفس، فلذلك تعلقت أطماعنا بذلك؛ وإن كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن، وإن كنا غير مستأهلين"[1].

ومما يوجب تحقيق محبة الله ورسوله، إيثارهما على غيرهما. وهذا ما بينه ابن القيم في قوله: (فإذا استقرت المحبة فى القلب، استدعت من المحب إيثار محبوبه على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها، فإذا آثر غير المحبوب عليه لم يكن محبًا له، وإن زعم أنه محب فإنما هو محب لنفسه ولحظه ممن يحبه، فإذا رأى حظًا آخر هو أحب إليه من حظه الذى يريده من محبوبه، آثر ذلك الحظ المحبوبَ إليه ...، وفي مثل هذا قيل:

تعصي الإله وأنتَ تزعُم حبَّهُ ... هذا لعَمْركَ في القياسِ شنيعُ
لو كان حبُّك صادقًا لأطَعتهُ ... إنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيعُ

فموافقة المحبوب من موجبات المحبة وثمراتها، وليست نفس المحبة، بل المحبة تستدعى الموافقة، وكلما كانت المحبة أقوى كانت الموافقة أتم، قال الله تعالى: ﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[2]، قال الحسن: قال قوم على عهد النبى ﷺ: إنا نحب ربنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُل إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٤٦ - ٦٤٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، وقال الجنيد: ادَّعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحبة وهي قوله تعالى: ﴿قُل إِن كنتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾، يعنى: أن متابعة الرسول هى موافقة حبيبكم، فإنه المبلغُ عنه ما يحبُه وما يكرهه فمتابعته موافقة الله فى فعل ما يحب وترك ما يكره.

وقال مالك في هذه الآية: من أحب طاعة الله، أحبه الله وحببه إلى خلقه.

وإنما كانت موافقة المحبوب دليلاً على محبته؛ لأن من أحب حبيبًا فلا بد أن يحب ما يحبه ويبغض ما يبغضه، وإلا لم يكن محبًا له محبة صادقة، بل إن تخلف ذلك عنه، لم يكن محبًا له، بل يكون محبًا لمراده منه، أحبه محبوبه أم كرهه، ومحبوبه عنده وسيلة إلى ذلك المراد، فلو حصل له حظه من غيره ترَّحل عِوضه، فهذه المحبة المدخولة الفاسدة، وإذا كانت المحبة الصحيحة تستدعى حب ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه فلا بد أن يوافقه فيه)[1].

قال ابن تيمية رحمه الله: (فاتباع سنة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا هي موجب محبة الله، كما أن الجهاد في سبيله وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، هو حقيقتها، كما في الحديث: ((أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الحُبُّ فِي اللَّهِ وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ))[2]، وفي الحديث: ((مَنْ أَعْطَى لله وَمَنَعَ لله وَأَحَبَّ لله وأَبْغَضَ لله وَأَنْكَحَ لله، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ))[3].

وكثير ممن يدعي المحبة هو أبعد من غيره عن اتباع السنة، وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ويدعي مع هذا إن ذلك أكمل لطريق المحبة من غيره لزعمه أن طريق المحبة لله ليس فيه غيرة، ولا غضب لله، وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة، ولهذا في الحديث المأثور: ((إِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي))[4].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ٢٦٧ - ٢٦٧، ٢٧١.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٦/٤ رقم ١٨٥٢٤، وقال محققو المسند: حديث حسن بشواهده ٤٨٨/٣٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٢١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٦).

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

فقوله: "أين المتحابون بجلال الله" تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب فيه، وبذلك يكونون حافظين لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده لضعف الإيمان في قلوبهم، وهؤلاء الذين جاء فيهم الحديث: ((حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِبِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ، وَحَقَّت مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِي وحَقَّتْ مَحَبَّتِي للمُتَصَافِينَ فِيَّ المتواصلين))[١])[٢].

وقال: (فلا بد أن يقوم بالقلب من محبة الله ما يدعوه إلى طاعته، ومن إجلاله والحياء منه ما ينهاه عن معصيته)[٣]. وبذلك يتحقق صدق محبة الله ورسوله، ومن ثم عظيم الفضل وجزيل الثواب.

سابعًا- من اساليب الدعوة: البشارة:

هذا ما ورد في الحديث في قوله ﷺ -مبشرًا لمن أحب الله ورسوله-: "أنت مع من أحببت"، (والبشارة هي كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب)[٤]، (وقد وردت البشارة في القرآن على اثني عشر وجهًا لاثني عشر قومًا باثنتي عشرة كرامة)[٥]، ومن ذلك بشارة المطيعين بالجنة والسعادة والشفاعة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾[٦]، وكذلك بشارة المؤمنين بالعطاء والشفاعة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٧]، والبشارة من الأساليب الدعوية الهامة التي يكون بها تشويق النفس وحملها على فعل الأمر المدعو إليه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٢٢٠٢، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٢) التحفة العراقية في أعمال القلوب، ابن تيمية ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) المرجع السابق ٦١.

(٤) التعريفات، الجرجاني ص ٧٠ - ٧١.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد، وعبدالرحمن بن ملوح ٣/٧٨٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٧) سورة يونس، آية: ٢.

الحديث رقم (٣٦٩)

٣٦٩- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًا قَالَ لرسول الله ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((مَا أعْدَدْتَ لَهَا؟)) قَالَ: حُبَّ الله ورسولهِ، قَالَ: ((أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما[2]: مَا أعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر خلال أحداثه أن هناك أموراً لا يعلمها إلا الله، وهي مما اختص الله بها نفسه فأخفاها حتى عن صفوة خلقه (محمد ﷺ وجبريل عليه السلام) وقد قرر الرسول ﷺ هذه الحقيقة كما قررها القرآن أيضاً، وهذا الحديث من هذه النوعية التي تؤكدها، وقد قرر المعنى عن طريق الحوار الهادف المبني على فهم طبيعة المخاطب، وتقرير ما يصلح له، وقد بدأ الحوار على إثر سؤال الأعرابي (متى الساعة؟) ولو قال له ما أعلمها، لما شفى نفسه، ولكن عبقرية الرسول ﷺ حادت عن أصل السؤال إلى إجابته بما يجب عليه دون ما ليس له، وهو ما يسمى بأسلوب الحكيم (ما أعددت لها؟) وهو سؤال تنبيه، وتذكير بما يجب عليه التفكير فيه، والانشغال به، وإجابة الأعرابي (حُبَّ الله ورسولهِ) فيها إيجاز بحذف الفعل أي أعددت حبَّ الله، ورسوله، وإجابة الأعرابي جاءت عفوية تفيض بالمودة، والإيمان، مع ما توحي به إجابته من عدم اتكاله على عمله، والرواية الثانية تؤكد ذلك (ما أعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثيرِ صَوْمٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ) فقد اتكل على فضل الله، وما في قلبه من محبة لله ورسوله؛ ولذلك جاءت إجابة الرسول ﷺ (أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ) بشارة له، وللمؤمنين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩/١٦١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦١٧١) واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩/١٦٤).

المحبين في كل زمان، ومكان وتعريف المسند إليه بضمير المخاطب توكيد للبشارة تقرر المعية المفهومة من (مع) ويحققها الماضي الذي صيغ فيه فعل المحبة، ولكن هذه العبارة تحمل ضمناً تحذيراً، وترهيباً لمن يحب الكافرين، والفجار، والعصاة من أهل الفساد في كل زمان، ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه أولئك المهرجون يسوقون الناس إلى النار زرافات، ووحداناً من محبيهم، ومعجبيهم بنفس حرف المعية سيكونون معهم، فانظر في قلبك..من تحب؟.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٧٠)

٣٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يتناوله الحديث من أعظم المعاني التي تزف البشرة للمؤمنين عامة، ولمن ضعفت عزائمهم فلم ترق إلى مستوى من سبقهم من الأحبة، ونداء الرجل المقبل على الرسول ﷺ (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة، وتشريف؛ لأنه استخدم أداة النداء التي للبعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانة الرسول ﷺ، وناداه بكنيته، وأضافه لله، ثم إن سؤاله يشع بالمحبة لله، ولرسوله، وللمؤمنين (كَيْفَ تَقُولُ في رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْماً وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟)، والسؤال بكيف سؤال عن الحال، وتنكير كلمة رجل، وقوم يفيد عموماً يجعل الحكم ينسحب عل كل من كانت هذه حاله، والتعبير بـ(يلحق) يفيد المتابعة أي أنهم تابعوا أحبابهم في أعمالهم، ولكنهم لم يستطيعوا إدراكهم، وقوله (المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ) بشارة من جنس عمله فهو أحبهم، وتابعهم، ولم يلحق بهم فالتوفيق إلى الطاعة نعمة من عند الله يوفق من يشاء لإدراكها، ويحرمها من يشاء، ويعطيها بمحبة القلوب لمن يشاء.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩) واللفظ له، ومسلم (١٦٥/٢٦٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٥٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٣٧٠) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٦٨، ٣٦٩).

الحديث رقم (٣٧١)

٣٧١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((**النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**[١]، **خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**)) رواه مسلم[٢].

وروى البخاريُّ[٣] قوله: ((**الأَرْوَاحُ ...**)) إلخ مِنْ رواية عائشة رضي الله عنها.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

فقُهوا: علموا أحكام الشرع[٤].

مجندة: مجموعة[٥].

ائتلف: اجتمع وتوافق[٦].

تناكر: تنافر وأنكر بعضه بعضًا[٧].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ للناس بالمعادن في قوله:(النَّاسُ مَعَادِنٌ) يشير إلى عدة دلالات منها: اختلاف طباع الناس، وصفاتهم الخُلقية، والنفسية يفهم هذا من تفاوت المعادن، ومنها الإشارة إلى تفاوت الناس في تقبلهم للإصلاح، فمنهم السهل، ومنهم من يحتاج إلى صبر، ومنهم من لا يقبل كما هو حال معادن الأرض (المشبه به) فمنها ما يسهل

---

(١) لفظ مسلم: (الفضة والذهب).

(٢) برقم (٢٦٣٨/١٦٠).

(٣) برقم (٣٣٣٦) مُعلّقًا، ولفظه: (الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف). انظر: تغليق التعليق (٤/٥).

(٤) رياض الصالحين ٧٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن د).

(٦) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ل ف).

(٧) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ك ر).

استخراجه ومنها ما يصعب استخراجه، ومنها ما يسهل تشكيله، ومنها ما يصعب تشكيله، ومنها الإشارة إلى تفاوت الناس في كرم الأصل، وخسته يفهم ذلك من تفاوت المعادن في نفاستها فمنها الغالي كالذهب، والفضة، ومنها الرخيص كالحديد، والقصدير منها - أيضاً - الإشارة إلى تفاوت الناس في قوة التحمل، والصبر على الأذى يفهم ذلك من تفاوت المعادن في صلابتها فالحديد يخالف النحاس كما يخالف الرصاص، ومنها الإشارة إلى أن معرفة أصول الناس تحتاج إلى بحث في أحوالهم، وتدقيق في منابتهم حتى لا ينخدع الإنسان بالظاهر ويحكم خلاله على صفات الشخص، لأن كريم الخلال قد يعتريه في الظاهر ما يخفي كرم أصله من فقر، أو خمول ذكر في الناس، أو غيره كما يمكن لخسيس الأصل أن يعتريه في الظاهر ما يوهم بكرم الأصل، وهو على غير ذلك يفهم ذلك من حال المعادن في الأرض التي لا يعرف خصائصها إلا بعد استخراجها من باطنها والكشف عنها، قال بن حجر:وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفا في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه، وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين)[1]

وقوله: (، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) حافل بصور البديع التي تقرر المعاني، وتؤكدها منها: الجناس في قوله: (جنود مجندة) والطباق بين تعارف وتناكر، وبين ائتلف، واختلف، وهي إِشَارَة إِلَى مَعْنَى التَّشَاكُل فِي الْخَيْر وَالشَّرّ وَالصَّلاح وَالْفَسَاد، وَأَنَّ الْخَيِّرَ مِنْ النَّاس يَحِنّ إِلَى شَكْله وَالشِّرِّير نَظِير ذَلِكَ يَمِيل إِلَى نَظِيره فَتَعَارُف الأَرْوَاح يَقَع بِحَسَبِ الطِّبَاع الَّتِي جُبِلَتْ عَلَيْهَا مِنْ خَيْر وَشَرّ، فَإِذَا اِتَّفَقَتْ تَعَارَفَتْ، وَإِذَا اِخْتَلَفَتْ تَنَاكَرَتْ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٩/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والتشبيه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقرار الإسلام للأمور الحسنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان ائتلاف الأرواح واختلافها.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والتشبيه:

لا شك أن الإخبار من الأساليب الدعوة المهمة في بابها، حيث يعمل على تزويد المدعو بالحقائق التي يحتاج إلى معرفتها والإلمام بها، وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الناس معادن، وأن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام شريطة الفقه والفهم لأمور الدين، وانشراح الصدر واتساع الأفق والرغبة في العلم والمعرفة التي تعين المسلم على فهم أمور دينه.

أما بالنسبة للتشبيه فهو أسلوب دعوي، يعمل على تقريب المعاني المُرادة، وجعلها واضحة في الأذهان، لأنه قد يتعذر على فئات من الناس فهم المراد من الكلام، إلا أن التشبيه مفيد في تقريب المعاني وإيضاحها وبيانها، وقد شبّه النبي ﷺ في هذ الحديث الناس بالمعادن التي من أنفسها الذهب والفضة، ولا شك أن هذا التشبيه ينطوي على دلالات معنوية هامة تبين أصناف الناس، ومواقفهم وتعاملهم مع الأمور.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إقرار الإسلام للأمور الحسنة:

يستنبط ذلك من قول النبي ﷺ: "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" حيث بين النبي ﷺ أن الخيرية من القواسم المشتركة التي كانت لدى فئات من الناس في الجاهلية وتكون ممتدة في الإسلام، ذلك أن الإنسان إذا كان خيّرًا في الجاهلية وأسلم وحسن إسلامه وتفقه في دين الله، كن متميزًا، وترقّى في أمور دينه، وقد حدث ذلك بالفعل ومن الشواهد على ذلك تميز عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تمنى رسول الله ﷺ أن يعزّ الله الإسلام به، فتحقق ذلك وهناك نماذج أخرى رائعة، لأنه كما بيّن النبي ﷺ أن الناس معادن،

والمعادن تزداد نفاسة إذا تمت العناية بها، وكذلك الناس إذا تفقهوا في أمور دينهم، وتعلموا العلوم النافعة استفادوا وأفادوا، وإن الإسلام يقر الأمور الحسنة مثل: محاسن الأخلاق التي كانت في الجاهلية، إلا أنها أخذت أبعادًا إيمانية في الإسلام وكذلك حال الناس ونفوسهم، فإنها تزكوا بالإيمان.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التفقه في الدين:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ "إذا فقهوا" حيث جعل شرط الشرف في الإسلام بعد الشرف في الجاهلية بالفقه في الدين يقول الإمام ابن حجر: (إن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام، وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعًا، ثم أرفعهم منزلة ومرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين)[1] وفي فضل الفقه في الدين قال النبي ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[2] قال الإمام النووي: (وفي الحديث فضل العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله عز وجل)[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾[4]، قال الإمام ابن كثير: «أى ليتعلموا ما أنزل الله على نبيهم، وليعلموا السرايا إذا رجعت إليهم»[5].

قال ابن القيم: (وأما فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من

---

(١) المرجع السابق ٤٧٧/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٦/٢.

حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]).

قال ابن عباس في إحدى الروايتين عنه ومجاهد في إحدى الروايتين عنه وجابر بن عبدالله والحسن البصري وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح والضحاك: أولوا الأمر هم العلماء وهو إحدى الروايتين عن الإمام أحمد[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان ائتلاف الأرواح واختلافها:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)، قال النووي: "قال العلماء: معناه جموع مجتمعة أو أنواع مختلفة وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه وقيل: أنها موافقة صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها وقيل: لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق بشيمة ألفه ومن باعد نافرة وخالفه).

وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ وكانت الأرواح قسمين متقابلين فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه فيميل الأخيار إلى الأخيار والأشرار إلى الأشرار والله أعلم"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٤.

الحديث رقم (٣٧٢)

٣٧٢- وعن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر وَهُوَ -بضم الهمزة وفتح السين المهملة- قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ[1]: أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**)) فَاسْتَغْفِرْ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ، قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ مِنْ[2] أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ**)) فَأَتَى أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. رواه مسلم[3].

وفي رواية لمسلم[4] أيضًا عن أُسَيْر بن جابر رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى[5]

---

(١) (له) لا توجد عند مسلم.

(٢) (من) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٢٥٤٢/٢٢٥).

(٤) برقم (٢٥٤٢/٢٢٣).

(٥) لفظ مسلم: (إلى).

عُمَرَ ﷺ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إنَّ رَسُول الله ﷺ قَدْ قَالَ: ((**إنَّ رَجُلاً يَأتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لاَ يَدَعُ باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا الله تَعَالَى، فَأَذْهَبَهُ إلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أَو الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**)).

وفي رواية لَهُ[1]: عن عمر ﷺ، قَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ)).

قوله: (غَبْرَاءِ النَّاسِ) بفتح الغين المعجمة، وإسكان الباء وبالمد: وهم فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ (وَالأَمْدَادُ) جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمدُّونَ المُسْلِمِينَ في الجهَاد.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

البرص: بياض يقع في الجسد لعلَّة[2].

أبرّه: صَدَّقَه[3].

الكوفة: مدينة وسط العراق غرب نهر الفرات مُصِّرت أيام عمر بن الخطاب ١٧هـ وقيل ١٩هـ[4].

رث البيت: قليل المتاع، والرثاثة: حقارة المتاع وضيق العيش.

والمتاع: كل ما يُنتفع به ويرغب في اقتنائه؛ كالطعام وأثاث البيت والسلعة والأداة والمال[5].

---

(١) مسلم (٢٥٤٢/٢٢٤).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ص).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ت ع).

أحدث: أقرب[١].

فطن له الناس: تنبهوا له[٢].

انطلق على وجهه: أي خرج من الكوفة[٣].

بياض: هو البرص كما جاء في الرواية السابقة[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقوم على الأسلوب القصصي الذي يعتمد القصص تارة، ويعتمد الحوار تارة أخرى، والحديث يحمل معاني عميقة فيها الحرص على تتبع توجيهات النبي ﷺ، والحرص على دعاء الصالحين، مع بيان فضل بر الوالدين، والحديث حافل بألوان البلاغة العالية التي يتميز به سمت الكلام الأول منها أساليب تدل على بحث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتحريه لأويس القرني عملاً بوصية رسول الله، ومنها الاستفهام الذي يدل على ذلك في قوله: (أفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟)، والجملة التي تصدرتها حتى التي تدل على بلوغ الغاية، في قوله: (حَتَّى أتَى عَلَى أُوَيْسٍ)، واستفهام التقرير الذي تحقق به من شخصيته (أنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ؟) ثم الاستفهامات المتتابعة منه لأويس حتى يتأكد من العلامات التي أخبره بها رسول الله ﷺ، وهي المكان، ونوع البلاء وسر الأفضلية في قوله (مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟)، ثم أسلوب الشرط بغرض الترغيب، والحض في قول الرسول ﷺ (فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل) ثم أسلوب الأمر بغرض الالتماس، والرجاء (فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ) والفاء العاطفة تدل على تمكُّن صفة البر عند أويس لسرعته في إجابة طلب عمر رضي الله عنه وإعانته على تنفيذه لوصية رسول الله، والجار، والمجرور يدل على الخصوصية، ثم الأساليب التي تدل على زهد أويس في الدنيا برفضه لكل مظاهر الترف، والتي صوَّرها الحوار الذي دار بينه، وبين عمر رضي الله عنه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ط ن).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٦.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٨٦.

عن طريق الاستفهام الذي جاء تمهيداً للعرض (أيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ) ثم استفهام العرض (ألاَ أكْتُبُ لَكَ إلَى عَامِلِهَا؟) ثم إجابته بأسلوب الخبر الذي يعكس زهده، وتقواه (قَالَ: أكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ) يدل على ذلك قيد الفعل في قوله (في غبراء الناس) أي ضعافهم، وفقرائهم، والتعبير بأفعل التفضيل، وفعل المحبة الذي يدل على أنه اختيار قلبي، وقول الرجل عن أويس (تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ) كناية عن شدة الفقر، وتدل على أنه صدق فيما أخبر به عمر رضي الله عنه، والحديث بجملته دليل إخلاص الصحابة، ودقة متابعتهم للرسول ﷺ ووفاء التابعين، وزهدهم، وفضل بر الوالدين.

فقه الحديث

١- استحباب طلب الدعاء من الصالحين، حتى وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه[١].

٢- فضل أويس بن عامر، وأنه أفضل التابعين[٢].

فإن قيل: إن أحمد وغيره قال: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. قلنا: إن مرادهم: سعيد أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث، والفقه ونحوها، لا في الخير عند الله[٣].

٣- وفيه: معجزة النبي ﷺ وإخباره بالمغيبات[٤].

٤- وفيه: فضل بر الوالدين -خصوصًا- الأم[٥].

٥- وفيه: فضل العزلة، وإخفاء الأحوال[٦].

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٤٥٧/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٩٥/٦، والفروع، ابن مفلح ٤٥٦/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٠٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٥/١٦.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أويس بن عامر رضي الله عنه.

ثالثًا: من دلائل النبوة: إخباره ﷺ عن الأمر قبل وقوعه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البر بالأم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: طلب الدعاء من الصالحين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة وإخفاء الأحوال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار.. والسؤال والجواب:

الإخبار أسلوب دعوي يفيد منه الداعية في تبليغ دعوته وفي ذلك عظيم الفائدة وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث في قول الراوي: "كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم... إلخ" فأخبر عمر رضي الله عنه في أمداد أهل اليمن عن أويس بن عامر، وباقي الأحداث التي حدثت مع عمر رضي الله عنه وأويس، وأسلوب الإخبار من الأساليب كثيرة الاستعمال في الدعوة، فينبغي على الداعية الإفادة منه فيما يخدم الدعوة إلى الله. أما السؤال والجواب فقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قول الراوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه: "... سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟.. حتى أتى على أويس رضي الله عنه فقال له: أنت أويس بن عامر قال: نعم، قال: من مُراد من ثم قرن؟ قال: نعم.. إلخ". وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لأن طارحي الأسئلة يريدون اكتساب معرفة حول ما طرحوا من أسئلة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها. وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانًا في الذاكرة ثم تطبيق إرشاداتها في السلوك. فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[1].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٢/٥٨، ٥٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أويس بن عامر رضي الله عنه:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"، قال النووي: (هذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه)[١]، وقد أخرج مسلم في رواية من الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس ، وله والدة وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم"، قال النووي: (هذا صريح في أنه خير التابعين وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب، والجواب: أن مرادهم أن سعيدًا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى)[٢].

وقد قال فيه الذهبي: (هو القدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه، وفد على عمر رضي الله عنه وروى قليلاً عنه، وعن علي رضي الله عنه، وقد كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين)[٣]. وقال فيه الحاكم: (أويس راهب هذه الأمة ولم يصحب رسول الله ﷺ إنما ذكره رسول الله ﷺ ودل على فضله فذكرته في جملة من استشهد بصفين بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه)[٤].

ثالثًا- من دلائل النبوة: إخباره ﷺ عن الأمر قبل وقوعه:

إن من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب المستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده. وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[٦]،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

(٢) المرجع السابق ١٥٢٧.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٠/٤.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٠١/٣ رقم ٥٧٦٩.

(٥) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه. قال الله تعالى مخبرًا عن غير واحد من رسله الكرام عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[١].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ زَعَمَ أَنَّ رسول الله ﷺ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ))[٢].

وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختُص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوّتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٤].

فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته"[٥].

وهذا ما أكده نص الحديث في "إخباره ﷺ بمجيئ الأمداد من اليمن، "والأمداد جمع مدد، وهم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيش الإسلام في الغزو"[٦]، وإخباره ﷺ بوجود رجل اسمه أويس بن عامر، وهو من بني عامر، ثم من قرن، ثم ذكر سائر

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ١/٥٤٢ - ٥٤٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

أوصافه، وإخباره ﷺ أن أويسًا كان به برص، فدعا الله تعالى فأشفاه منه إلا موضع درهم، وإخباره ﷺ أن لأويس أمًا، وهو بها برٌّ، وكان كذلك حيث تركها في اليمن حينما قدم زمن عمر رضي الله عنه"[١].

وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات:

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[٢].

وقال عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: ((صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّىٰ. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّىٰ. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[٣].

ومما يؤكد ذلك إخباره ﷺ بما كان من ظهور الإسلام وعلوه وانتشار ملكه، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: ((شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ - وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ - قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلاّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون))[٤].

"وهكذا وقع فقد عم وظهر الدين وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وذلت لهم سائر

---

(١) بر الوالدين "القسم الأول"، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ص ٣٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣، ٢٨٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦١٢.

البلدان ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البر بالأم:

إن من موضوعات الدعوة في الحديث فضل البر بالأم، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله عن أويس: "... له والدة هو بها برّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل".

وقد استفاضت النصوص النبوية في التأكيد على عظم فضل البر بالوالدين، وخاصة البر بالأم؛ لما لها من عظيم فضل وجميل فعل على ولدها، فقد جعل النبي ﷺ البر بالأم سببًا في دخول الجنة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((نِمْتُ فَرَأَيْتَنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِىءٍ يَقْرَأُ فَقُلْتُ مَنْ هذَا؟ فَقَالُوا: هذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فقال رسول الله ﷺ: ((كَذٰلِكَ البِرُّ كَذٰلِكَ البِرُّ)) وكان أبر الناس بأمه[٢].

وعن معاوية بن جهامة السلمي أن جهامة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ فَقَالَ: ((هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟)) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: ((فَالْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا))[٣].

وعن طيسلة بن مياس قال: ((كنت مع النجدات[٤] فأصبت ذنوبًا لا أراها الا من الكبائر فذكرت ذلك لابن عمر رضي الله عنهما، قال: ما هي؟ قلت: كذا وكذا، قال: ليست هذه من الكبائر هن تسع: الإشراك بالله، وقتل نسمة، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وإلحاد في المسجد، والذي يستسخر[٥]،

---

(١) موسوع نضرة النعيم ٥٤٦/١.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٧/٦ رقم ٥٣٣٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٠٦/٤٢.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٠٤، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٩٠٨).

(٤) النجدات: أصحاب نجدة بن عامر الخارجي، وهم قوم من الحرورية، انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ن ج د).

(٥) يستسخر: الاستسخار من السخرية، القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (س خ ر).

وبكاء الوالدين من العقوق. قال لي ابن عمر: أتفرق من النار وتحب أن تدخل الجنة، قلت: أي، والله. قال: أحي والدك قلت عندي أمي. قال: فوالله لو ألنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر))[١].

وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أن البر بالوالدين وخاصة الأم يكفر الكبائر من الذنوب، فقد روي أنه رضي الله عنه: (أتاه رجل فقال: أني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيرى فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: تب إلى الله عز وجل وتقرب إليه ما استطعت. قال عطاء بن يسار: فذهبت فسألت ابن عباس لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملاً أقرب الى الله عز وجل من بر الوالدة)[٢]. فعلى المرء أن يجتهد جهده في بر والديه، وخاصة أمه، لعله أن يدرك ما أدركه أويس بن عامر.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: طلب الدعاء من الصالحين:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لعمر: "فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل"، وقال في رواية: "فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"، فطلب عمر رضي الله عنه منه أن يستغفر له. وفي ذلك قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[٣]، وليس أدل على طلب الدعاء من الصالحين من قول أبي هريرة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِي أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدِ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٨، وصححه الألباني، (صحيح الأدب المفرد ٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

اسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ اللّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذَا ــ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ــ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي، إِلاَّ أَحَبَّنِي»[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة وإخفاء الأحوال:

قد ورد في هذا الحديث بيان فضل العزلة، وعدم الشهرة، وإيثار الخمول، وكتم الحال، كما هو ظاهر من قول أويس بن عامر رضي الله عنه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما طلب أن يكتب له إلى عامل الكوفة: (أكون في غبراء الناس أحب إلي).

قال النووي: (أي: ضعافهم وصعاليكهم وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثار الخمول وكتم الحال، وقال: وفي الحديث فضل العزلة وإخفاء الأحوال)[2].

وذلك ما أفاده الحديث من قول الراوي: "فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم..."، إلى قول: (فأتى أويسًا، فقال: استغفر لي قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح، فاستغفر لي قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس فانطلق على وجهه).

قال ابن مفلح: (وقد اختلف الناس في الأفضل من الخلطة والعزلة على مذهبين، وعن الإمام أحمد عنه في ذلك روايتان، قال في رواية أبي الصقر وقد سأله عنها: إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزلها الرجل حيث شاء، فأما ما لم يكن فتنة فالأمصار خير.

قال أحمد: حدثنا حجاج: حدثنا شعبة، عن الأعمش عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ - قال الأعمش: هو ابن عمر- عن النبي ﷺ قال: ((المؤمنُ الَّذِي يُخَالِطُ الناسَ ويَصْبِرُ على أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أجرًا مِنَ المؤمنِ الَّذِي لا يُخَالِطُ الناسَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ))[1].

... وقال الحسن بن محمد بن الحارث: قلت لأبي عبدالله: التخلي أعجب إليك؟ فقال: التخلي على علم، وقال: يروى عن النبي ﷺ أنه قال: "الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم"، ثم قال أبو عبدالله: رواية شعبة، عن الأعمش ثم قال: من يصبر على أذاهم؟

وقال إسحاق بن إبراهيم في الأدب من مسائله عن أحمد قال: قال أبو سنان وجاءه رجلان فقال: تفرقا فإنكما إذا كنتما جميعًا تحدثتما، وإذا كنتما وحدانا ذكرتما الله تعالى. قال أبو عبدالله: رواه وكيع عن أبي سنان.

قال القاضي أبو الحسين: إنه نقل من الجزء الثالث من الأدب تأليف المروذي، قال: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: كفى بالعزلة علمًا، وإنما الفقيه الذي يخشى الله. وهي اختيار أبي عبدالله بن بطة.

وقد بيّن ابن الجوزي أن المفاضلة بين العزلة والمخالطة تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقال: وقد كان أكثر السلف يؤثرون العزلة على الخلطة.

وقال أيضًا: إن من قدر على نفع الناس بماله أو بدنه لقضاء حوائجهم مع القيام بحدود الشرع إنه أفضل من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلاة والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق عمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك الذي لا يعدل به البتة.

وقال أيضًا: ليس في الدنيا أطيب من تنزه العالم بالعلم فهو أنيسه وجليسه، وقد قنع بما يسلم به دينه من المباحات الحاصلة لا عن تكلف ولا عن تضييع دين، وارتدى بالعزلة عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف بالقناعة باليسير إذا لم يقدر على الكثير فيسلم دينه ودنياه. واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل ويفرجه في البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة، ولكن لا يصح هذا إلا للعالم؛ فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٠٧، بلفظ: إن المسلم الذي يخالط، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٥).

وقال أيضًا: فإذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقًا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مخالطته، وإلى الفائت بسبب مخالطته من الفوائد، ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق، فقد قال الشافعي رضي الله عنه: الانقباض عن الناس مكسبة العداوة، والانبساط لهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين القبض والبسط، ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار عن حاله فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال، انتهى كلامه"[1].

والمستفاد من ذلك أن هناك من تكون العزلة عن مخالطة الناس في حقه أولى وأصلح لحاله؛ لقلة صبره على إيذاء الناس وعدم تحمله لذلك، بل قد يترتب من المفاسد العظام والآثام الجسام عند مخالطته للناس ما هو أعظم من تركهم، كسوء أخلاقه باقتحامه للمنكرات وفعل المحرمات، كما هو مشاهد من مصاحبة أهل البطالة والتهتك، فيفسد بذلك حاله ويكون وبالاً على غيره.

ومن الناس من تكون المخالطة للناس في حقه أولى من العزلة؛ لدفاعه عن الدين وقضائه لحقوق المسلمين، فيعظُم نفعه لغيره، فضلاً عن رباطة جأشه في حماية خلقه، فلا يتأثر بسوء أخلاق من حوله، بل يقوّم تارة ويعلم وينصح تارة، كمنار يهتدى به في حالك الظلمات، فهذا تكون مخالطته الناس في حقه أولى من العزلة. والله أعلم.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٤٤٩ - ٤٥١.

الحديث رقم (٣٧٣)

٣٧٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: ((**لاَ تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ**)) فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية[1]: وَقَالَ: ((**أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ**)).

حديث صحيحٌ، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وَقَالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث مثال ماثل بين عيني الزمان يشهد بتواضع النبي ﷺ وحبه لأصحابه ولأمته، وهو يعلمهم أن يدعو كل واحد منهم لإخوانه فإنه أحرى أن يجاب لهم وقوله (اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي) استخدام الفاء ينبيء بسرعة استجابته له، وفيه إشارة إلى تعجيل الخير، وقوله ﷺ (لا تنسنا) نهي أريد به طلب الدعاء ترغيباً، وتعليماً لأمته، وشرحاً لصدر صاحبه لأنه يشعره بثقة النبي ﷺ في دينه، وطي هذا النهي مدح لعمر رضي الله عنه وثناء على دينه، وقوله (يا أخي) نداء تودد، وتلطف يفيض بالمحبة، وقوله (من دعائك) فيه إرشاد إلى إشراك الصالحين في الدعاء عسى أن يجاب له بصلاحهم، والرواية الثانية (أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ) تصرح بذلك، وعبارة الرسول ﷺ تفيض بالرحمة، والمحبة لصاحبه خاصة، وللأمة التي يعلّمها سنّته عامة.

---

(١) قال أبو داود: (قال شعبةُ: ثمَّ لقيتُ عاصمًا بعدُ بالمدينة، فحدَّثنيه) ثم ذكره.

(٢) أخرجه ابو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢). قال الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق (٣٢٦/١): قال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من هذا الوجه، وعاصم بن عبيد الله فيه ضعفٌ، روى أحاديث مسندة. وسيكرره المؤلف برقم (٧١٤).

فقه الحديث

١- استحباب طلب الدعاء من المسافر[١]، خصوصًا من الصالحين المعروفين بالهداية[٢]، ولا يشترط أن يكون من يطلب منه الدعاء أفضل من الطالب بل يشرع حتى ولو كان الطالب أفضل من المطلوب منه[٣]، كما في هذا الحديث، وذلك لأن أهل الفضل ينوو بطلب الدعاء، أن الذي يطلبون منه الدعاء إذا دعا لهم كان له من الأجر على دعائه لهم أعظم من أجره لو دعا لنفسه فقط[٤].

٢- مشروعية السرور والفرح بتقدير الفضلاء، والصالحين للشخص، فقد فرح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتقدير الرسول ﷺ له، وطلب الدعاء له.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من أدب الصحابة رضي الله عنهم استئذان النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: طلب الفاضل الدعاء من المفضول.

رابعًا: من آداب الداعية: مخاطبة المدعو بما يدل على المحبة والمودة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من أدب الصحابة رضي الله عنهم استئذان النبي ﷺ:

يظهر ذلك في هذا الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي"، وفي ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥] قال ابن كثير: (إن في هذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه،

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي ٣٢٧/٤.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٥٦/٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٦٩/٢٧.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٤٥٧/٢.

(٥) سورة النور، آية: ٦٢.

فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف - لاسيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين)[١]. وقال السعدي في تفسيره لهذه الآية: (هذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع، أي: من ضرورته أو من مصلحته، أن يكونوا فيه جميعًا، كالجهاد، والمشاورة، ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فالمؤمن بالله ورسوله حقًا، لا يذهب لبعض الحوائج التي يشذ بها عنهم، إلا بإذن من الرسول أو نائبه من بعده، فجعل موجب الإيمان عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدبهم مع رسوله وولي الأمر منهم، فقال: "إن الذين ستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله")[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمرة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول عمر رضي الله عنه: "استأذنت النبي ﷺ في العمرة". وقد حث النبي ﷺ على أدائها وبيّن فضلها فقال: ((الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا...))[٣] قال النووي: (هذا ظاهر في فضيلة العمرة وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين)[٤]. وقال ﷺ: ((تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ فإنهُما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ))[٥] وقال ﷺ: ((جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالعُمْرَةُ))[٦] وهذا يدل على فضل العمرة وثواب أجرها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٨/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٧٣، ومسلم ١٣٤٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٤٤.

(٥) أخرجه النسائي ٢٦٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٤٦٧، ٢٤٦٨).

(٦) أخرجه النسائي ٢٦٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٤٦٣).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: طلب الفاضل الدعاء من المفضول:

يتضح ذلك في الحديث في قوله ﷺ "لا تنسانا يا أخي من دعائك" وفي رواية "أشركنا يا أخيَّ في دُعائكَ" قال العظيم آبادي: (قوله: "من دعائك" فيه إظهار الخضوع والمسكنة في مقام العبودية بالتماس الدعاء ممن عرف له الهداية حث للأمة على الرغبة في دعاء الصالحين وأهل العبادة وتنبيه لهم على أن لا يخصوا أنفسهم بالدعاء ولا يشاركوا فيه أقاربهم وأحباءهم لا سيما في مظان الإجابة)[1]، فطلب الرسول ﷺ الدعاء من عمر رضي الله عنه ورسول أحب الخلق إلى الله وأفضل الخلق يدل طلب الفاضل الدعاء من المفضول إذا علم صلاحه وهدايته وفي مواطن الإجابة أمر ينبغي أن يحرص عليه المسلم اللبيب، وليس أدل على طلب الفاضل الدعاء من المفضول من قول عمر بن الخطاب إلى أويس بن عامر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرِأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ))[2]، وفي ذلك قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[3].

رابعًا- من آداب الداعية: مخاطبة المدعو بما يدل على المحبة والمودة:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ "يا أخي" قال المباركفوري: (قوله "أي أخي" بالتصغير وهو تصغير تعطف وتلطف لا تحقير وطلبه ﷺ الدعاء من عمر رضي الله عنه فيه تفخيم لشأن عمر وإرشاد إلى ما يحمي دعاءه من الرد)[4] فينبغي على الداعية أن يخاطب المدعو بما يدل على محبته ومودته له؛ لأن المدعو إذا شعر بأن الداعية يحبه ويوده، لا شك سيتجاوب معه ويسمع منه. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٧.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/٢٥٠٨.

بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال تعالى لنبيه موسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2]، (وهذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين)[3]، فحري بالداعية أن يخاطب المدعو بما يدل على المحبة والمودة، لما في ذلك من استجلاب قلبه، وترغيبه على قبول دعوته، وفي ذلك عظيم الفلاح.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة طه، الآيتان، ٤٢- ٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٥.

الحديث رقم (٣٧٤)

٣٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يزور قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا[١] ، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

وفي رواية[٣]: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَأتي مَسْجِد قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا[٤] ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

فعل الكينونة الماضي هو بوابة العودة في الزمن، وعندما تتعلق بالنبي ﷺ فإنما تستحضر حكماً شرعياً يُلتزم، أو سنة نبوية تتبع، وقوله (يزور) في صيغة المضارع تفيد التجدد، والاستمرار، والتعبير بالزيارة ينفي طول الإقامة لأنها تتضمن دلالة على الرجوع، (وقباء) فيه إيجاز بحذف المضاف أي: مسجد قباء يدل على ذلك، قوله: (فيصلي فيه) فقد أعاد الضمير مذكراً عليه وقد جاء مصرحاً به في الرواية الثانية (يأتي مسجد قباء) والفاء المتصلة بفعل الصلاة تدل على المسارعة بصلاة الركعتين فور دخول المسجد، وفي قوله (ماشياً، وراكباً) فيه طباق يستوعب أحوال انتقاله، وقرر معناها، والحديث من بدايته أسلوب خبري غرضه لازم الفائدة، وهو بيان حكم الجواز في الركوب، أو المشي، وتقديم، الركوب لرفع الحرج، والدلالة على اليسر.

---

(١) قال البخاري ومسلم: زاد ابن نُمير. تنبيه: زيادة ابن نُمير عند البخاري معلّقة.

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٤)، ومسلم (١٣٩٩/٥١٦) ولفظهما سواء.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩٣) من حديث عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار.

(٤) لفظ البخاري: (ما شيًا وراكبًا)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢/٢٠٨، رقم ١٣١٨).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل مسجد قباء ذلك المسجد الذي وصفه الله تعالى بأنه مسجد أسس على التقوى فيه رجال يحبون أن يتطهروا.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب زيارة مسجد قباء والصلاة فيه، وتستحب تلك الزيارة يوم السبت اقتداء بفعله ﷺ حين كان يأتي قباء ماشيًا وراكبًا فيصلي فيه، وكذا اتفقوا على أن من نذر أن يعتكف في مسجد قباء وجب عليه الوفاء بنذره في مكانه ولا يجزئه غيره من المساجد لما لهذا المسجد من فضل بعد المساجد الثلاثة حتى صح عنه ﷺ أن جعل ركعتين فيه بعمرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه.

ثانيًا: من صفات المدعو: الحرص على التأسي برسول الله ﷺ.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما "كان النبي ﷺ يزور قباء" وفي رواية "كان النبي ﷺ يأتي مسجد قُباء كل سبت..."، فمن عظم مكانة هذا المسجد الشريف أن النبي ﷺ كان يتعهده بالمجيء دائمًا، كان يأتيه ﷺ راكبًا وماشيًا، ولا يمر أسبوع إلا ويأتيه فيه ﷺ، وهذا يدل على مدى مكانة هذا المسجد الشريف عنده ﷺ وعنايته به، كيف لا، وهو أول مسجد يقام لجماعة المسلمين

---

(١) انظر في ذلك: شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٨٣/٣، والفتاوى الهندية ٢٦٧/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣١/٤، والمجموع شرح المهذب، النووي ٢٥٨/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٤٣٨/١، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤٤/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥٩٤/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٦٦/٣.

بشكل علني، بناه ﷺ قبل أن يصل إلى المدينة النبوية، ويبني فيها مسجده.

فلعظم هذا المسجد، كان النبي ﷺ يتفقده، ويكثر الاختلاف إليه، ماشيًا، وراكبًا، حسب ما تيسر[١].

ومن فضائل مسجد قباء - وهو معدود في فضاء المدينة النبوية أيضًا- أن من أتاه وصلى فيه ركعتين، كان له من الأجر كأجر عمرة كاملة، وهذا فضل من الله تعالى ونعمة، أنعم بها على عباده، وتكرم بها على أهل المدينة، ومن نزل بها[٢]. كما بين ﷺ أن صلاته في قباء أحب إليه من الصلاة في بيت المقدس. وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فيه فقال: ((مَنْ خَرَجَ حَتَّى يَأْتِيَ هذَا الْمَسْجِدَ مَسْجِدَ قُبَاءٍ فَصَلَّى فِيهِ كَانَ لَهُ عَدْلَ عُمْرَةٍ))[٣]، وعن عامر بن سعد، وعائشة بنت سعد سمعا أباهما رضي الله عنه يقول: ((لأَنْ أُصَلِّي فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ من أَنْ أُصَلِّي فِي بيتِ المَقْدِسِ))[٤].

ثانيًا- من صفات المدعو: الحرص على التأسي برسول الله ﷺ:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قول الراوي: (وكان ابن عمر يفعله)، وقد جعل الله تعالى التأسي بالنبي ﷺ شأن المؤمن الذي يرجو الله واليوم الآخر، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٥].

(إن هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله)[٦].

"وقد أثر ذلك في صحابته رضي الله عنهم حتى كانوا يراعون ما يفعل ﷺ وينظرون إليه كيف يفعل. ويتحينون الفرص لذلك لأجل أن يقتدوا به...، وكان أشدهم في هذه

---

(١) انظر: فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) المرجع السابق ٣٧٨/٢.

(٣) أخرجه النسائي ٦٩٩، وصححه الألباني، صحيح سنن النسائي ٦٧٥.

(٤) صححه الحاكم ١١/٣ رقم ٤٣٣٧، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

الناحية، وأدومهم عليها، وأحرصهم على التحري عن أفعاله ﷺ حتى في أدق التفاصيل، عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وقد حفظت لنا الوثائق الحديثة نماذج كثيرة من ذلك تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثر، بل يكاد يكون هذا المعنى هو مفتاح فقه ابن عمر رضي الله عنهما، والسمة الرئيسية لما ينقل عنه من الآراء التشريعية، فمن ذلك أنه لما دخل النبي ﷺ الكعبة ثم خرج يقول ابن عمر رضي الله عنهما فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: (هل صلّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم، بينَ العَمودَينِ اليَمَانِيين. قال ابن عمر: فذهب عني أن أسأله: كم صلى)[1].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يبيت بذي طوى بين الثنيتين ثم يدخل من الثنية التي بأعلى مكة. وكان إذا قدم حاجًا أو معتمرًا لم ينخ ناقته إلا عند باب المسجد، وكان يذكر أن النبي ﷺ (كان) يفعل ذلك[2].

وأحصى ابن عمر رضي الله عنهما الأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ عند سفره لحجة الوداع من مكة إلى المدينة، وحدد مواقعها بأوصاف دقيقة. وقد أورد البخاري حديثه في ذلك بتمامه، وهو حديث طريف طويل فليرجع إليه[3].

ولقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة

ولم تزل تلك السيرة تبدع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، حتى كأنهم نسخ أخرى لتلك الشخصية الفذة، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٨، ومسلم ١٣٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٦٧، ١٧٦٩، ومسلم ١٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٤، ومسلم ١٢٥٧.

وقد كان لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام، واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيديهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة"[١].

ثالثًا- من ميادين الدعوة: المسجد:

قد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: "كان النبي ﷺ يزور قُباء"، وفي رواية "كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء، ..." إلخ.

(فالمسجد أحب البقاع إلى الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال ﷺ: ((أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا . وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا))[٣]، فالمسجد قلعة الإيمان، وحصنُ الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج فيها المسلم فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات، ومحل تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها...، ولقد اختار رسول الله ﷺ المسجد ليكون مركزًا للتعليم والتوجيه...، وهو الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين)[٤].

ولا شك أن المسجد من أهم ميادين الدعوة الإسلامية منذ بدء انطلاق الدعوة من المدينة المنورة، ومن مسجد رسول الله ﷺ والذي أخرج للعالم قادة وعلماء وصلحاء لم يكن لهم نظير في أي عصر من العصور.

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ١/٧٤ - ٧٥.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٤) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، عبدالله بن جار الله، ص ١٩ - ٢١.

وعلى النهج نفسه سار سلف هذه الأمة الصالح في إيلاء المسجد أهمية من حيث نشر الدعوة علمًا وعبادة وعملاً وأخلاقًا ومسلكًا.

إذًا فالمسجد هو قلب المسلمين النابض، ومحركهم إلى حمل الدعوة ونشر العقيدة وتوجيه الناس التوجيه الصحيح بالأسلوب الحسن والوسيلة[1].

---

(١) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ٢٢٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على تقوية الروابط الاجتماعية التي وهنت بين الناس إن لم تكن انقطعت، وما ذاك إلا لأن كثيرين يجهلون الأجر المترتب على العلاقات الاجتماعية المشروعة.

إن الرسول ﷺ قد بيّن فضل زيارة الآخرين، إذا كانت خالصة لوجه الله، ولم يشر إلى أجر مترتب على الزيارة التي تهدف ابتداءً إلى متاع دنيوي أو كسب مادي.

لقد بين الإسلام أن الملائكة تفرح وتستبشر وتدعو بالخير لمن زار أخاً له في الله، ابتغاء مرضاة الله تعالى، وطمعًا في رضوانه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الوفاء:

إن من القيم التربوية الإسلامية: الوفاء بمعناه الواسع، وليس الوفاء بالمعنى الانتقالي، ولذا أعلى الإسلام قيمة الوفاء، وعملت التربية الإسلامية على تعميق ذلك وترسيخه في النفوس، لما له من فوائد وآثار إيجابية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، وقد ربّى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على ذلك عمليًا، وعمّق في نفوسهم هذه القيمة التربوية من خلال مواقفه العملية ووفائه ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك وفاؤه لخديجة رضي الله عنها حتى بعد رحيلها، وقد تربى الصحابة على هذا الخلق الرفيع مما دفع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما إلى الذهاب لزيارة أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ بعد وفاته ﷺ مباشرة، وفاءً بحقه، وإخلاصًا لذكراه، قال أبو بكر لعمر: "انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ...".

ثم يتحقق الوفاء من جانب أم أيمن رضي الله عنها، عندما تنهمر باكية، ويُهَيِّج بكاؤها بكاء أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أجمعين، حُزْنًا على وفاة سيد الخلق وانقطاع الوحي بعده؛ ضاربين بذلك أروع مُثُل الوفاء، "فمهما أوتي الداعية أو المرَبِّي من علم ولم يكن له حظ من الوفاء فلا اعتبار له؛ لأن اللوم والغدر يفسدان خصال الخير، كما يُفسد الملحُ الطعام.

ولقد استمد أبو بكر وعمر هذه القيمة من المربِّي الأول ﷺ، الذي كان بارًا بصديقات خديجة بعد موتها؛ لأن الوفاء لصاحب الفضل بعد موته هو أبلغ في ردِّ جميله وشكره على حسن صنيعه"[١].

ثانيًا- التربية على الحب في الله تعالى:

لقد حرص الإسلام على أن تكون العلاقات الاجتماعية كلها لله تعالى، فالحب لله وكذلك البغض لله تعالى، يقول الرسول ﷺ: «وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلاَّ لله»[٢].

ولقد جعل الله تعالى للمتحابين فيه ثوابًا عظيمًا، وهو بُلوغ حب الله تعالى، وحكى رسول الله عن الرجل الذي زار صاحبه حبًّا في الله، فقال له الملك: «فَإِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»؛ لأن هذا الحب كان خالصًا من شوائب الدنيا وعوارض المنفعة الزائلة.

"إن الذي يستطيع أن يُحبَّ هذا الحبَّ الكبير صنفٌ واحد من بني الإنسان؛ إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان، الإيمان وحده هو ينبوع الحبِّ الصّافي الخالد"[٣].

ثالثًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية المؤثرة، التي توخّاها المربي الأول ﷺ أسلوب القصة؛ لما له من أثر بالغ في نفوس المتلقين، ولقد أخبر النبي ﷺ صحابته بقصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية أخرى "فأرصد الله على مَدْرَجَته ملكًا..."؛ ليفيد الصحابة بمعرفة القصة أولاً، ثم باستخلاص العبرة والدروس منها ثانيًا.

فقارئ القصة وسامعها لا يملك إلا أن يقف موقفًا سلبيًا من شخوصها وحوادثها، فهو يدس نفسه على مسرح الحوادث، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب[٤].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٦، ومسلم ٤٣.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٠.

رابعًا- التربية بالترغيب:

لقد حفَّزَ النبي ﷺ أصحابه على الزيارة في الله، للمريض وغيره، حبًا خالصًا، يقول ﷺ: " من عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناداه منادٍ ..."، ترغيبًا في هذه القيمة الرفيعة، فإن ملائكة الله سيدعون له: "طِبْتَ وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً".

وبذلك يكون ترغيبه ﷺ "وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير والسلوك الحسن، وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء؛ حرصًا منه على نَيْل المُرغّب فيه، وخشيةً من فواته، لا سيما وأنه لا مثيل له، ولا تعدله لذة مهما بلغت"[1]، ولأنه إنما رغّب في الجنة، التي هي غاية المُنى، ونهاية المآرب.

خامسًا- التربية بضرب المثل:

وذلك في تشبيهه ﷺ الجليس الصالح والجليس السوء بحامل المسك ونافخ الكير، وفي هذا المثل تقريب للأفهام، ووسيلة تربوية ناجحة في الإفهام والتوضيح.

فقد كان ﷺ يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل، مما يشهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم؛ ليكون وقع الموعظة في النفس أشدَّ، وفي الذهن أرسخ..."[2].

سادسًا- التربية بالتوجيه المباشر:

ويظهر ذلك في دعوته ﷺ المؤمنين، والذين يبتغون الزواج باختيار الزوجة، وقد أبان عن ﷺ المعايير الاجتماعية السائدة، التي عليها يختار الناس زوجاتهم وهي المال والحسب والجمال والدين، ثم يعظ أصحابه ويأمرهم بقوله: "فاظفر بذات الدين...".

وكذلك في اختيار الأصحاب والأصدقاء يكون نهيه ﷺ مباشرًا: "لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ".

وكذلك كان أمره في الحديث التالي: "فلينظر أحدكم من يُخالل".

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية.. وهو طلب المربي المباشر

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، لزياد العاني، ص٢٢٣.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، محمد ناصح علوان، ص٧١٦.

والصريح من طلابه القيام بعمل معين"[١].

وكذلك فإن من الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه": تزكية النفس وتطهيرها، وهو هدف من أسمى الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها، وبه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء، ويسلك الجميع وفق منهج الله وشرعته"[٢].

سابعًا- التربية على توقير الصالحين وطلب الدعاء منهم:

وإن لم يكونوا أهل سبق في الدين، وقد حثَّ النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على طلب الدعاء والاستغفار من أُوَيْس بنُ عَامِرٍ الْقَرَنِي رضي الله عنه، لأنه كان صالحًا بارًا بأمه.

وكذلك في طلبه الدعاء من عمر حينما ذهب إلى العمرة: «لاَ تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ».

وفي كلا الحديثين طلب من المفضول، والعبرة في ذلك بالصلاح والتقوى، وفي ذلك "حثٌّ على احترام أهل العلم والفضل ... ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم والتقوى؛ لا بالحسب والنسب"[٣].

ثامنًا- التربية على برِّ الوالدين والإحسان إليهما:

ولا سيَّما الأم، وقد كان بُر أويس القرني سببًا في قربه من الله تعالى، حتى صار مستجاب الدعاء، لو أقسم على الله لأبرَّه، ثم كان ذلك سببًا في أمر النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يطلب من أويس الدعاء والاستغفار، يقول ﷺ: «لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللّهِ لأَبَرَّهُ». وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا عنوانه: "باب إجابة دعاء من برَّ والديه"، وإن من إكرام الله تعالى للبارِّ لوالديه: أن يجعل دعوته مستجابة في هذه الدنيا"[٤].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٨٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٤.

(٤) بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملاّ خاطر العزَّامي، ص٢٧١.

تاسعًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليبه ﷺ التربوية أن يقوم بنفسه بالفعل، حتى يتأسى به صحابته، وهذا ما يعمق المعاني في النفوس ويجعلها مستقرة وواضحة، بل يحفز على التأسي والتطبيق، وذلك ظاهر في أنه ﷺ: "كان يزور قباء راكبًا ما شيًا، فيصلي ركعتين، متبركًا بهذا المكان، ومبينًا لفضله، لأن من عِظم مكانة هذا المسجد الشريف أن النبي ﷺ كان يتعهده بالمجيء دائمًا، ولا يمرُّ أسبوع إلا ويأتيه فيه"[(١)].

ويقول ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ»[(٢)].

عاشرًا- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية يجدر الإشارة إليها، منها:

أ-توجيه الأسئلة: وذلك واضح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكًا..." الحديث. فقد وجه الملك عدة أسئلة إلى هذا الرجل ثم أخبره بعد ذلك بحب الله له.

ويمكن للمعلم أن يستخدم توجيه الأسئلة في تقديم مدى إدراك المتعلمين للمعلومات المتعلقة بالدرس وفي معالجة بعض أفكارهم.

ب-أسلوب الإلقاء: كحديث "المرء مع من أحب" وأسلوب الإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويجدر بالمعلم أن يستخدمه مع المراحل العليا من المتعلمين كالمرحلة الثانوية، ويمكن الإلقاء من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ج-أسلوب الحوار والمناقشة كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه في زيارة أبي بكر وعمر بن الخطاب لأم أيمن رضي الله عنهم، وهذا الأسلوب ينمي معلومات المتعلمين، ويحثهم على البحث والاطلاع ويعودهم التعبير عن آرائهم ويكسبهم مهارة المناقشة، كما أن استخدام الأسئلة والأجوبة في العملية التعليمية يشدّ انتباه المتعلمين نحو الدروس

---

(١) فضائل المدينة المنورة، د. خليل ملاّ خاطر العزامي، ٢/٣٧٤.

(٢) أخرجه ابن ماجة ١٤١٢، وصححه الألباني (في صحيح سنن ابن ماجة ١١٦٠).

ويشعرهم بأثر مساهمتهم في سيره كما تدفع عنهم الملل، فضلاً عن تميز هذا الأسلوب ببقاء أثر التعليم.

د-التربية بالوصية: كما في حديث النبي ﷺ: "لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى" والتربية بالوصية من الأساليب التربوية شائعة الاستخدام في ميادين الحياة المختلفة، فهي تستخدم في البيت من قبل الأب مع أبنائه، وفي الشارع وفي المسجد وفي كل مكان في المجتمع المسلم.

حادي عشر- التربية على حبّ التزاور في الله:

وهذا واضح من الأحاديث الأولى في الباب، والتي تبين فضل التزاور في الله تعالى، كما أن هذا التزاور يحقق العديد من الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع، ومنها:

أ-تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

ب-تحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع المسلم.

ج-تأليف القلوب بين المسلمين والعمل على جمعهم وحثهم على التعاون بين المسلمين.

د-تربية المودة بين المسلمين.

هـ-فضلاً عن نيل محبة الله تعالى.

٤٦- باب فضل الحب في الله والحث عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩] إِلَى آخر السورة، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[الحشر: ٩].

الحديث رقم (٣٧٥)

٣٧٥- وعن أنس رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: **((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وَأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أنْ أنْقَذَهُ الله مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

تتعدد أساليب التشويق في الحديث النبوي لأن لها كبير الأثر في سيطرة الأسلوب على حواس المخاطبين، و صرفهم إليه حتى يقرر المعنى الذي يريد، ويدل على عظمة الخبر بعده، وبداية الحديث بالنكرة الموصوفة (ثلاث) لون من ألوان التشويق؛ لأن فيها إبهاماً يستشرف المستمع إلى إيضاحه مما يضمن متابعته للمتكلم حتى يعلم ما يسفر عنه لفظ ثلاث، وجملة الصفة (من كن فيه...) لم تزل إبهام النكرة بل صعَّدت التشويق، والجار والمجرور(فيه) يدل على تمكن هذه الصفات في نفسه، وقد زاد المخاطب ترقباً بقوله (وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ) وما أجمل التعبير بالحلاوة عمَّا يجده المؤمن من الأنس بالله، والوجد، وفيوضات القرب، وهو استعارة كأنه شبه الإيمان بالعسل، أو ما تشتهيه النفس، ورمز إليه بالحلاوة بجامع ميل النفس في كل، فَلِلإِيمَانِ لَذَّة فِي الْقَلْب تُشْبِه الْحَلاوَة الْحِسِّيَّة بَلْ رُبَّمَا يَغْلِب عَلَيْهَا حَتَّى يَدْفَع بِهَا أَشَدّ الْمَرَارَات،

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٦)، ومسلم (٦٧/٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢٧).

وَهَذَا مِمَّا يَعْلَم بِهِ مَنْ شَرَحَ اللَّه صَدْره، ثم أسلوب القصر الذي يحصر محبة المؤمن لإخوانه في الله، وينفي أن تكون لأغراض أخرى، ثم التشبيه الذي جعل العود في الكفر كالقذف في النار، وجعل كرهه له ككرهه لقذفه في النار فالمشبه هو العود في الكفر، والمشبه به وهو القذف في النار، ووجه الشبه هو وجدان الألم، وكراهة القلب إياه، وإذا تأملنا مفردات الحديث، وجدنا لفظ المحبة تكرر ثلاث مرات، لأنه المعنى الذي يدور حوله صلب الحديث، وكرر ضده (الكره) مرتين تثبيتاً لدعائم هذه المحبة بنفي ضدها، وتكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات يشير إلى أن نبض قلب المؤمن، وإيقاع حياته منضبط وفق ما يرضى الله تعالى في كل حركة، وسكنة.

فقه الحديث

١- فيه: أن حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ سبب في الإحساس بحلاوة الإيمان[١].

وذلك لأن من استكمل الإيمان علم أن حق الله تعالى ورسوله ﷺ آكد عليه من حق أبيه وأمه والناس أجمعين، لأن الهدى من الضلال، والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسوله ﷺ[٢].

هذا: ومحبة الله تعالى على قسمين: فرض، وندب:

- فالفرض: المحبة التي تبعث على امتثال أوامره، والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره.

- والندب: أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات.

ومحبة الرسول ﷺ على قسمين أيضًا، كما تقدم في محبة الله، ويزاد: ألا يتلقى شيئًا من المأمورات، والمنهيات إلا من مشكاته ولا يسلك إلا طريقته[٣].

٢- وجوب أن يكون حبنا للآخري خالصًا لله تعالى بحيث لا يكون لغرض أو عرض، أو عوض، وذلك حتى يكون الإنسان داخلاً في المتحابين في الله[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٢/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٣/١٠.

(٣) ملخصاً من فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١/١.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٣١٢/٧.

٣- وفيه: أن من أكره على كلمة الكفر فالأفضل ألا يأتي بها للحديث.

وذهب البعض إلى أنه إن كان ممن يرجو النكاية في العدو، أو القيام بأحكام الشرع، فالأفضل له أن يدفع القتل عن نفسه، ويتلفظ بكلمة الكفر، لما في بقائه من صلاح حال المسلمين وإن كان لا يرجو ذلك اختار القتل[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حلاوة الإيمان ولذته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الخصال المؤدية إلى حلاوة الإيمان.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: محبة الإنسان لله تعالى.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: كراهية الكفر.

أولاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

لقد فصّل النبي ﷺ بعد الإجمال في هذا الحديث في قوله ﷺ: (ثلاث من كن فيه...)، ثم عدّد النبي ﷺ هذه الأصناف الثلاثةوذلك للفت انتباه المدعوين لأهمية الأمر المدعو إليه وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حلاوة الإيمان ولذته:

إن طيب العيش ولذته وحياة القلب وبهجته لا تكون إلا لمن ذاق طعم الإيمان، وحلاوته، وحلاوة الإيمان كما أشار إليها نص الحديث في قوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان..." إلخ الحديث، هي عبارة عما يجده المؤمن المحقّقُ في إيمانه، المطمئن قلبه به، من انشراح صدره، وتنويره بمعرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة منّة الله تعالى عليه في أن أنعمَ عليه بالإسلام، ونَظَمه في سلك أمة محمد خير الأنام، وحبّب إليه الإيمان والمؤمنين، وبغّض إليه الكفر والكافرين، وأنجاه من قبيح

---

(١) المهذب للشيرازي ٢/٢٢٢.

أفعالهم، وركاكة أحوالهم. وعند مطالعة هذه المنن والوقوف على تفاصيل تلك النِّعم تطيرُ القلوب فرحًا وسرورًا، وتمتلئ إشراقًا ونورًا، فيا لها من حلاوة ما ألذها! وحالة ما أشرفها! فنسأل الله تعالى أن يمنَّ بدوامها وكمالها، كما منّ بابتدائها وحصولها، فإن المؤمن عند تذكر تلك النعم والمنن لا يخلو عن إدراك تلك الحلاوة، غير أن المؤمنين في تمكنها ودوامها متفاوتون، وما منهم إلا وله منها شرب معلوم، وذلك بحسب ما قسم لهم من هذه المجاهدة الرياضية، والمنح الربانية"[١].

"وفي ذلك تلميح إلى قصة المريض والصحيح لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئًا ما نقص ذوقه بقدر ذلك...، قال أبو محمد بن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[٢]، فالكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها"[٣].

وهذا ما عبر عنه بعض السلف في قوله: (إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب، وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، فحلاوة الإيمان هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذة، ولا نعيم، ولا فلاح ولا حياة إلا بحصولها)[٤].

(فإن تحصّل ذلك في قلب المؤمن وتحقق، تُستلذ الطاعات ويتحمل العبد المشقات في إرضاء رب العباد وإيثار حبه تعالى، وحب نبيه ﷺ على عرض الدنيا وما فيها)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٠.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٧ - ٧٨.

(٤) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ص ٣٨٨.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(فلا يستطيع أي إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذتها ويذق طعمها وما لم تحتل العبادة محل الدواء والنزاع والقوة، ويصل إلى درجة تصبح العبادة لعينه قرة ولروحة مسرة)[١]، وبذلك يشعر العبد بحلاوة الإيمان تسري في عروقه وتملأ وجدانه، وكأن لسان حاله يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

"وقد كان لابن تيمية القدح المعلى في هذه الثروة الغالية، فكان له ذوق خاص في العبادة، والمناجاة والخلوة، وكان شديد الشغف بهذه الناحية، عظيم الإنهماك فيها، ما ذلك إلا لتذوقه حلاوة الإيمان ولذته.

جاء في الكواكب الدرية: (وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم، خاليًا بربه عز وجل، ضارعًا إليه، مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة، وقال عنه العلامة الذهبي: له أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية)[٣].

(وبحلاوة الإيمان ولذته ينطلق القلب من القيود المادية، ويحصل للعارف بها السكينة والسرور، ويذوق بذلك لذة النعيم والجنة في الدنيا، يقول ابن القيم: إن شيخ الإسلام قال مرة: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال : وقلبه ينبض بحلاوة الإيمان ولذته "ما يصنع أعدائي به؟ إن جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني".

وظلت حلاوة الإيمان وسكينته لا تفارقه في حياته، وبعد مماته، يقول ابن القيم: (زرته ذات ليلة في الرؤيا، وذكرت له بعض الأعمال القلبية، فقال: أما أنا فطريقي الفرح والسرور به)[٤]، وهكذا فلتكن حياة العارفين المجاهدين في حب الله ورسوله.

---

(١) انظر: الحافظ أحمد بن تيمية، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ١٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) انظر: الحافظ ابن تيمية، أبو الحسن الندوين ص ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) المرجع السابق ١٦٥ - ١٦٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الخصال المؤدية إلى حلاوة الإيمان:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان..." إلخ.

وفي إيضاح هذه الخصال قال ابن هبيرة: (هذه الخصال الثلاث المذكورة في هذا الحديث مرتبة على الترتيب الصحيح المستقيم؛ لأنه بدأ أولاً بحب الله تعالى، وحب رسوله ﷺ وأن يكون الله ورسوله أحب إلى الإنسان مما سواهما، ولفظه يعم ما يعقل وما لا يعقل، فيشمل الآدميين بمن يدخل فيهم من الأهل والولد والحميم وغير ذلك.

ثم نزل من هذه الطبقة إلى الطبقة المماثلة وهو أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وذلك أنه لما كان الله ورسله أحب إليه مما سواهما، كان من شرط هذا أن لا يحب المؤمن أحدًا يرى أنه بغيض إلى الله وإلى رسوله، بل يكون من شرط حب العبد ربه سبحانه وحبه نبيه ﷺ أن لا يحب المرء إلا لله وهذا النطق في قوله المرء يشمل الذكور من الآدميين.

فإذا أردت أن يُسمى به أنثى قلت: المرأة، فأضفت إليه علامة التأنيث فيكون هذا النطق مشيرًا إلى أن لا يحب الرجل ولدًا ولا صاحبًا ولا صديقًا ولا منعمًا ولا محسنًا إلا لله سبحانه وتعالى، فإن جعلنا هذا النطق كافيًا بجنسه المذكر عن كشف المؤنث فهو كذلك، وإن أخرجنا ذكر التأنيث منه، فإن لطف الله تعالى غير مستبعد فيه أن يكون أنطق رسوله ﷺ بهذا الكلام وهو قوله: ((المرءُ معَ من أحبَّ))[1]، المرء مختص بالمذكر رفقًا لعباده لعلمه بما لا ينضبط فيه نفوس الآدميين لهم من حيث الميل إلى النساء كما روي عنه ﷺ من قوله: ((هذَا قَسَمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ))[2].

فأما حب الرجل الرجل المنعم عليه؛ أو ذا الخلة الحسنة، أو المحسن إليه لله

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨١٧، ومسلم ٢٦٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢١٣٤، ضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ٤٦٧).

سبحانه، فلأن أصل النعم منه سبحانه، وهو خالق الخلة الحسنة جلّ جلاله، فهذا كاف في مقامه.

ثم أتبع ذلك بما هو من أوصاف الإنسان، وهو أن يود أن يلقى في النار ولا يرد إلى الكفر، فالمعنى فيه ظاهر، وذلك أن المؤمن إذا ألقي في النار، نار هذه الدنيا وهو مؤمن كان كالخائض بها إلى الجنة فلا يباليها، لأنه يعلم أن خوض النار إلى الجنة ربما استطابه خائضه من حيث أنه يتيقن أن كل ما قطع خطوة قرب إلى الجنة مرحلة، ولو قد كان عوده إلى الكفر لكان ذلك مؤديًا إلى نار لا خلاص منها أبدًا.

فهذه آيات المؤمن وعلاماته التي يعرف بها، وهي جامعة لحب الله وحب رسوله ﷺ، وحب المؤمنين وحب الإيمان على الكفر، فهذاالحديث جامع لأوصاف الحب"[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "... من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"، قال ابن حجر: (قال البيضاوي: المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وإن كان على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعا له، ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا، إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة)[2].

"فالمحبة موطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب، ويكره ما يكره....، وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه، كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها ، وقد يستلذه بعقله

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٤٩/٥ - ١٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٨/١.

للمعاني الباطنة، كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبي ﷺ، لما جمع من جمال الظاهر والباطن، وكمال خلال الجلال، وأنواع الفضائل، وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعيم، والإبعاد عن الجحيم. وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير كله منه سبحانه وتعالى"[١].

"ومحبة الله على قسمين فرض وندب، فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال أوامره والانتهاء عن معاصيه والرضا بما يقدره، فمن وقع في معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه. والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها، فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية، أو تستمر الغفلة فيقع. وهذا الثاني يسرع إلى الإقلاع مع الندم. وإلى الثاني يشير حديث: ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ))[٢]، والندب: أن يواظب على النوافل، ويتجنب الوقوع في الشبهات، والمتصف عموما بذلك نادر. قال: وكذلك محبة الرسول على قسمين كما تقدم، ويزاد أن لا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك، وقال الشيخ محيي الدين: هذا حديث عظيم، أصل من أصول الدين، ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا، ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته، وكذلك الرسول ﷺ"[٣].

وفي تحقيق محبة الله تعالى ورسوله ﷺ يكون عظيم الفلاح في الآخرة، فعن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٧٥، ومسلم ٥٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٨.

أنس رضي الله عنه: ((أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: متى الساعة يارسولَ الله؟ قال: ما أعدَدتَ لها؟ قال: ما أعدَدتُ لها من كثير صلاة ولا صَوم ولا صدَقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله. قال: أنتَ معَ من أحبَبْتَ))[١].

قال القرطبي: (وقوله: "ما أعددت لها كبير صلاة، ولا صيام، ولا صدقة" يعني بذلك: النوافل من الصلاة، والصدقة، والصوم؛ لأن الفرائض لا بد له ولغيره من فعلها، فيكون معناه: أنه لم يأت منها بالكثير الذي يُعتمد عليه، ويُرتجى دخول الجنة بسببه، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون أراد أن الذي فعله من تلك الأمور -وإن كان كثيرًا- فإنه محتقر بالنسبة إلى ما عنده من محبة الله تعالى ورسوله، فكأنه ظهر له: أن محبة الله ورسله أفضل الأعمال، وأعظم القرب، فجعلها عُمدته، واتخذها عُدته، والله تعالى أعلم)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: محبة الإنسان لله تعالى:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ: (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)، قال يحيى بن معاذ: "حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء"[٣].

قال القرطبي: "ويعني بالمرء هنا: المسلم المؤمن؛ لأنه هو الذي يمكن أن يُخلِصَ لله تعالى في محبته، وأن يتقرب لله تعالى باحترامه وحرمته، فإنه هو الموصوف بالأخوة الإيمانية، والمحبة الدينية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، وكما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[٥].

وقد أفاد هذا الحديث: "أن محبة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان لا بد أن تكون

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٧١، ومسلم ٢٦٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٤٦ - ٦٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٩.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية، ولا الحظوظ البشرية؛ فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض أو يئس من حصوله.

ومحبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام وجدت الأعراض أو عُدمت. ولما كانت المحبة للأعراض هي الغالبة قلّ وجدان تلك الحلاوة، بل قد انعدم -لا سيما في هذه الأزمان التي قد أمحى فيها أكثر رسوم الإيمان- وعلى الجملة فمحبة المؤمنين من العبادات التي لا بد فيها من الإخلاص في حسن النيات"[١].

وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل محبة المرء لله تعالى؛ بأن في ذلك حب الله تعالى، وهو غاية كل مؤمن يرجو الله واليوم الآخر، فقال ﷺ: ((إِنَّ رَجُلاً زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ))[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: كراهية الكفر:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "وأن يكره أن يعود في الكفر مما يكره أن يقذف في النار"، قال القرطبي: (يقذف: يرمى. والقذف: الرمي. وهذه الكراهة موحية لما انكشف للمؤمن من محاسن الإسلام، ولما دخل قلبه من نور الإيمان، ولما خلّصه الله من رذائل الجهالات، وقُبح الكفران)[٣].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار، يعني يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه. وهذه ظاهرة فيمن كان كافرًا ثم أسلم، لكن من ولد في الإسلام فيكره أن يكون

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢١٥.

في الكفر بعد أن منَّ الله عليه الإسلام كما يكره أن يقذف في النار، يعني أنه لو قذف في النار لكان أهون من أن يعود كافرًا بعد إسلامه، وهذا والحمد لله حال كثير من المؤمنين لو قيل له: تكفر أو نلقيك من على شاهق في البلد أو نحرقك لقال: احرقوني، ألقوني من أعلى شاهق ولا أرتد بعد إسلامي)[١].

ولله تعالى وحده في ذلك الحمد والمنة قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[٢]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى الكفار بأشد الوعيد فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أخبر تعالى عن حُكمه في الكافرين بآياته وكتابه ورسوله، الظالمين لأنفسهم بذلك، وبالصد عن سبيله وارتكاب مآثمه وانتهاك محارمه، بأنه لا يغفر لهم "ولا ليهديهم طريقًا" أي: سبيلاً إلى الخير "إلا طريق جهنم" وهذا استثناء منقطع (خالدين فيها أبدًا وكان ذلك على الله يسيرًا")[٤]. وفي ذلك بيان على أهمية كراهية الكفر والبعد عنه.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٣٤/١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٧.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٦٧ - ١٦٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٦/٢.

الحديث رقم (٣٧٦)

٣٧٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله عز وجل، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حُسْنٍ[1] وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال تحقق سيطرة المتكلم على سمع، وبصر المخاطب منشؤها البداية بنكرة موصوفة تشير إلى معنى الاجتماع تحت ظل الله، وأعظم به من ظل !؛ لأن هؤلاء السبعة اجتمعوا تحت مظلة الطاعة لله، وربط بينهم الإخلاص له، وجملة (يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ) تصعِّد التشويق، ووقوع الفعل على ضمير الجمع شمول لهم بهذه النعمة، وكون الله هو الفاعل يؤكد التحقق، وتقييد الفعل بالجار والمجرور تخصيص للظل يقرر عظمته، وإضافة الظل للضمير العائد على الله تشريف، وتعظيم، وقد صعَّد شوق المخاطب حتى صار لهفة بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ)، ثم بدأ بتفصيل هؤلاء السبعة بعد أن بلغ المخاطبون ذروة الاستشراف إلى معرفتهم، وقد ذكر كل واحد منهم بقيد خاص، فذكر الإمام بقيد العدل، وذكر الشاب بقيد النشوء في عبادة الله، وذكر الرجل بقيد تعلق قلبه بالمساجد، وهو كناية عن حبه للصلاة والمحافظة عليها، وكثرة

---

(١) عندهما: (ذات منصب).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٣١/٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٦). وسيكرره المؤلف برقم (٦٥٩).

النوافل، ولذلك جمع المساجد، وذكر الرجلان بقيد التحابب في الله، وقوله (اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ) تضاد يوضح المعنى، ويقرره، وهو كناية عن الإخلاص في التعامل بينهما، وملازمة هذه المحبة لهما، ودوامها، وذكر الخامس بقيد الصبر على المحرمات مهما قويت الدواعي لذلك وصف الداعية بأنها (ذات حسن، وجمال) وذكر السادس بقيد الإخلاص في الصدقة (، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) كناية عن شدة الإخلاص، والطباق بين شماله، ويمينه، يؤكد شدة الإخلاص في الإنفاق حتى عن أقرب المقربين، وذكر السابع بقيد شدة الخشية لله، ونلاحظ في أعمال السبعة أنها يربطها جميعاً خيط واحد، وهو الإخلاص، ولها ارتباط بالقلب بشكل من الأشكال.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم اشتراط عدالة الولاة: اختلف الفقهاء في اشتراط العدالة فيمن يتولى الإمام الكبرى أو ما شابهها من الولايات العامة، كالوزارة، والإمارة، وقيادة الجيوش.

فذهب المالكية و الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية إلى اشتراطها؛ لأن الفاسق متهم في دينه.

وذهب الحنفية إلى أنها ليست شرطًا للصحة وأن تقليد الفاسق الإمام الكبرى جائز مع الكراهة، ونقلت في هذا رواية عن أحمد وبعض الشافعية[1].

٢-فضل من يسلم من الذنوب، وشغل بطاعة ربه طول عمره: فإن الشباب شعبة من الجنون، وهو داع للنفس إلى استيفاء الغرض من شهوات الدنيا ولذاتها المحظورة، فمن سلم منه فقد سلم[2].

---

(١) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٦، ٢٠، ورد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٨/١، ٢٩٩/٤، وجواهر الإكليل، صالح عبدالسميع الأزهري ٢٢١/٢، ٢٢٧، ومغني المحتاج، شمس الدين الخطيب ٧٥/٣، ١٣٠/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠/٥.

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة))[١].

٣-فضيلة الرباط في المساجد: لذا يستحب لزومها والجلوس فيها لما في ذلك من إحياء البقعة وانتظار الصلاة، وفعلها في أوقاتها على أكمل الأحوال.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((ما توطّن رجلٌ مسلمٌ المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم))[٢].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لابنه: يا بني ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((المساجد بيوت المتقين وقد ضمن الله عز وجل لمن كان المساجد بيوته الرَّوْح والرحمة والجواز على الصراط))[٣].

٤-ينبغي للعبد إذا رأى محلاً فيه فتنة وأسباب معصية، أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية.

يقول تعالى مخبرًا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبًا عن الناس، فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات، حيث لا يراه أحد إلا الله، بأنه له مغفرة وأجر كبير ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[٤]، أي: يكفر عنه ذنوبه، ويجازى بالثواب الجزيل، ويقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/١٥١، والطبراني في الكبير ١٤٢٦٩، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ١٦٥٨. لكن محققي المسند قالوا: حسن لغيره ٢٨/٦٠٠ رقم ١٧٣٧١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٨٠٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣٢٧.

(٣) قال المنذري: رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، والترغيب والترهيب ٥٠٤، لكنه حسنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٠.

(٤) سورة الملك، آية: ١٢.

(٥) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

٥-حكم إخفاء الصدقة: ذهب أكثر الفقهاء إلى أن كتمان صدقة التطوع أفضل، وإخفاءها خير من إظهارها، لأنه أقربُ إلى الإخلاص، وأبعدُ من الرياء، وإن كانت تصح ويثاب عليها في العلن، فكلٌ مقبول إذا كانت النية صادقة[١]، قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢].

وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل، كحكم الصلاة فإعلان فرائضها أفضل، وإسرار نوافها أفضل[٣].

٦-فضيلة البكاء من خشية الله تعالى، وأثره في غفران الذنوب: يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٤].

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: (وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وذلك لقوة إيمانهم ومراعتهم لربهم، وكأنهم بين يديه. وهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب.

وقد جمع الله بين المعنيين في قوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٥]، أي: تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله.

---

(١) المهذب ١٨٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٦/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥/٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٣.

فهذه حالة العارفين بالله، الخائفين من سطوته وعقوبته، لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير.

فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع: لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ﷺ ولا حال أصحابه رضي الله عنهم في المعرفة بالله، والخوف منه، والتعظيم لجلاله، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفًا من الله.

ولذلك قال العرباض بن سارية رضي الله عنه: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون)[1].

ولم يقل: زعقنا ولا رقصنا ولا زَفَنَّا ولا قمنا[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار مع براعة الاستهلال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ظل عرش الله تعالى يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإمام العادل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشاب التقي النقيّ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل مَنْ تعلق قلبه بالمساجد.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتحابين في الله تعالى.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتعفف عن الحرام.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: فضل المتصدق في السر.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٥٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٦/٧، وزَفَن زَفْنًا أي رقص، الوجيز في (ز ف ن).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٧٧).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار مع براعة الاستهلال:

أخبر النبي ﷺ هذا الخبر "سبعة يظلهم الله في ظله" وهذا الإخبار وسيلة دعوية تصل بالمدعو إلى معرفة المراد وتهيئ نفسه لفهمه وبخاصة إذا ألقي بهذه الطريقة النبوية التي ساقت الخبر مع براعة الاستهلال وحسن البشارة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ظل عرش الله تعالى يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله".

قال القاضي عياض: (إضافة الظل هنا إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو لله ومن خلقه وملكه وسلطانه، وهو ظل العرش على ما في "الحديث الآخر"[(١)]، والمراد بذلك يوم القيامة، إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس ويشتد عليهم الحر ويأخذهم العرق، ولا ظلَّ هناك لشيء إلا ظلُّ العرش كما جاء في بعض الروايات: ((في ظل عرشي))[(٢)]. وقديراد به هنا ظل الجنة أو ظل طوبى، وهو نعيمها، والكونُ في دارها، كما قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً﴾[(٣)]، وذهب ابن دينار إلى أن معنى الظل هنا: الكرامة والكنف والكن من المكاره في ذلك الموقف، قال: ولم يرد الظل من الشمس، وما قال معلوم في اللسان، يقال: فلان في ظل فلان، أي في كنفه وحمايته، وهو أولى الأقوال، ويكون إضافته إلى العرش لأنه مكان التقريب والكرامة، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش وفي ظله)[(٤)].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإمام العادل:

لقد أكد نص الحديث على عظم فضل الإمام العادل؛ وذلك في الابتداء بذكره بعد قوله ﷺ "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله".

---

(١) يقصد حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة" أخرجه أحمد ٣٠٠/٥ رقم ٢٢٥٥٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٥١/٣٧.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٨/٤ رقم ٧١٥٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ٣٩٠/٢٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٧.

(٤) إكمال المعلم ٥٦٢/٣، وانظر: المفهم، القرطبي، ٧٥/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(والإمام العادل: هو كل من وُلِّي شيئًا من أمور المسلمين من الولاة والحكام، فعدل فيه، وبدأ به النبي ﷺ لكثرة مصالحه وعموم نفعه)[1].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن هذه الأوصاف السبعة لا يقدر أن يجمعها إلا إمام عادل؛ فإنه إذا كان قد نشأ في طاعة الله، وتعلق قلبه بالمساجد، وأحب رجلاً في الله، وأحبه ذلك الرجل في الله، جمع فيه الأوصاف كان له هذا الأجر.

والفقه في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ عين ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله لكل صنف من الناس، كانت في ذلك الصنف واحدة من هذه الصفات؛ فبدأ بالإمام؛ لأنه الأحق أن يبدأ به.

وأما قوله: "عادل"؛ فإن الإمامة لها شرائط، يجمع بين أشراطها تسميته إمامًا. ولم يقل رسول الله ﷺ: زاهد، ولا ورع، ولا خائف، ولا غير ذلك؛ لأن ذلك كله دخل في اشتراط الإمامة، ثم ذكر المهم بعد عقد الإمامة وهو اشتراط العدل، ومعنى العدل مأخوذ عنده الاعتدال، وهو القوي في أمر الله، لكن إلى الحد الذي لا ينتهي إليه العنف، الرفيق بخلق الله؛ لكن لا إلى الحد الذي ينزل إلى الضعف؛ فيكون من الاعتدال عند ألا يجبن عن استيفاء حد، وقتل باغ، وقطع سارق وغير ذلك مما ينبغي أن يكون حسمًا لدواعي الفساد.

كما ينبغي أن يكون رفيقًا بالأرملة، حدبًا على اليتيم، موقرًا للعلماء، مُدْنيًا للفقهاء، وقافًا عند كتاب الله عز وجل، مجالسًا للقراء؛ فيكون معتدلاً في طرقه، داخلاً في فضل الله من كِلا بابيه.

وإذا كان مقيمًا للصلاة، آمرًا بالشرع، صائنًا لدماء المسلمين وفروجهم، مناضلاً من وراء بيضتهم، كافًا لبوائض الشعث، باذلاً في ذلك وسعه بمقتضى وقته، ناويًا إبلاغ الحق مبالغَهُ عند تمكنه، فذلك واجب وقته، ومن عدله أن يجدَّ في أخذ الصدقات وصرفها إلى وجوهها، وكذلك في أخذ الجزية والخراج وسائر وجوه الفيء،

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٦٢/٣، والمفهم، القرطبي، ٧٥/٣، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

وصرف كل شيء منه في منصرفه الذي عينه الشرع له، وألا يترك من ذلك شيئًا لأحد بغير موجب شرعي)[١].

فإن قام الإمام بذلك فقد وفّى وكفّى واستحق عظيم الأجر من الله تعالى في أن يظله يوم لا ظل إلا ظله، فضلاً عن الفوز بالجنة لقوله ﷺ: ((أهل الجنة ثلاثة. وذكر ﷺ منهم: ذو سلطان مقسط))[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشاب التقيّ النقيّ:

لقد شمل ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله "الشاب الطائع له"، وذلك في الحديث من قوله "وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل".

(وقوله ﷺ "نشأ" أي: نبت، وابتدأ، وقد خُص الشاب لكونه مَظِنَّة غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى، فترتفع عنه "الصبوة"[٣]، فينعم بظل الله عز وجل يوم القيامة، فضلاً عن قوله ﷺ ((إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبوة))[٤])[٥].

وليعلم الشاب أن الله عز وجل يجزي العبد عن عمله بما هو من جنس عمله، فمن ترك لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه؛ فإذا ترك شهوته لله وغض بصره عن محارم الله واتقى الله جهده، عوضه الله تعالى في الدنيا بنور بصيرته، وصدق فراسته، وأذاقهُ حلاوة إيمانه، وفتح عليه من العلم والإيمان ما لا ينال إلا ببصيرة القلب، وفي الآخرة ظله تعالى وجنته وعفوه، فنعم الجزاء من رب العباد[٦].

وليعلم الشاب أنه لا فلاح له إلا بحبسين، بينهما ابن القيم في قوله: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيرُه وطلبُه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٦/٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) والصبوة: أي ميل إلى الهوى. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ا).

(٤) أخرجه أحمد ٤/١٥١ رقم ١٧٣٧٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٨/٦٠٠.

(٥) المفهم، القرطبي، ٣/٧٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٠.

(٦) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ٣٠٧.

وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا؛ فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس... وبالله التوفيق.

وَدَّعَ ابنُ عونٍ رجلاً فقال: عليك بتقوى الله؛ فإن المتقي ليست عليه وحشة.

وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقَّى الله أحبَّه الناس وإنْ كَرِهوا.

وقال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لن يُغنوا عنك من الله شيئًا.

وقال سليمان بن داود: أُوتينا مما أُوتي الناس ومما لم يُؤتَوا، وعلمنا مماعلم الناس ومما لم يعلموا، فلم نجد شيئًا أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى)[1].

فعلى الشاب أن يضع ذلك نصب عينيه ويجعل شعاره ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل من تعلق قلبه بالمساجد:

قد عظّم النبي ﷺ في الحديث فضل من أحب المساجد وتعلق بها ولازمها؛ بأن الله تعالى يظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، قال القرطبي: (وقوله ﷺ "ورجل قلبه معلق بالمساجد" أي: يحبُّ الكون فيها للصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، وهذا إنما يكون ممن استغرقه حبُّ الصلاة، والمحافظة عليها، وشُغِف بها)[3].

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦/٣.

(فإذا خرج من المسجد ظل في شوق إلى العبادة والطاعة حتى يعود إليه؛ وذلك لأنه لما آثر طاعة الله وغلب عليه حبه صار قلبه مشدودًا إلى المسجد، لا يحب البراح عنه فيه روح القربى وحلاوة الطاعة)[1]. قال ابن حجر: (قوله "معلق في المساجد" ظاهره أنه من التعليق كأنه يشبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقنديل مثلاً إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجًا عنه)[2].

(وهذه من الوسائل الفعَّالة التي اختارها الله تعالى لتنقية قلب العبد وتطهير روحه ونفسه من شوائب الدنيا وعلائق المادة، وليكون العبد مندفعًا إلى المسجد مشتاقًا للصلاة فيه ويضع نصب عينيه أن الملائكة تنتظره في رحال هذا المسجد، وأن بيت الله يشع نورًا وضياءً، ويعبق الجو بالعطر والمسك، وينعش النفس ويربط قلبه بالله تعالى، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث. اللهم اغفر له، اللهم ارحمه))[3]...، وفي الحديث وقفة تربوية نبوية كريمة؛ إذ أراد ﷺ أن يوجه المؤمن إلى تقوية الصلة بالله، ثم ذكر وسيلة فعالة لتطبيق هذه الفكرة، وهي أن يكون قويَّ الصلة بالمسجد، شديد العناية بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة في المسجد، ليكون مرتبطًا بالجماعة يتفقد أحوالهم، ويتعاطف معهم في أمورهم، ويكون كل فرد منهم لبنة مباركة في بناء البيئة الإسلامية، وفي الحديث إشارة إلى فضل المسجد وفضل الملازمة له واستمرار المؤمن فيه بالقلب وإن عرض للجسد عارض ولذلك أشاد القرآن بمكانة المسجد في الإسلام فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن

---

(١) وقفات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٦، ومسلم ٦٤٩.

فَضْلِهِۦۚ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١].

تلك البيوت "أذن الله أن ترفع"، وإذن الله هو أمر للنفاذ، فهي مرفوعة قائمة، يعبد فيها الله تعالى "ويذكر فيها اسمه" وتتعلق بها القلوب المؤمنة الوضيئة الطاهرة المسبحة الواجفة، قلوب الرجال الذين "لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة"، والتجارة والبيع لتحصيل الكسب والثراء، ولكنهم مع شغلهم بهما لا يغفلون عن أداء حق الله في الصلاة وأداء حق العباد في الزكاة "يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار" من شدة الهول والكرب والاضطراب. إنهم يخافون ذلك اليوم فلا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وهم مع هذا الخوف يعلقون رجاءهم بثواب الله "ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله". وهذا الصنف هو الذي يدخل في "ورجل قلبه معلق في المساجد")[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتحابين في الله تعالى:

(إن المحبة في الله ولله خير وسيلة لمحاربة المادية والأنانية والنفعية ولنشر السعادة والهناء ولإقامة روابط أخوية وللتآلف والتواد ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعًا مثاليًا يحتذى ويتطلع إليه البشر كلما ادلهمت الأمور واشتدت الأزمات وقد سلك الإسلام لذلك وسائل عديدة)[٣]، من أبرزها وأعظمها ما أوجبه النبي ﷺ للمتحابين في الله من ظله تعالى لهم يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله ﷺ "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه" وقوله ﷺ "إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي".

قال القرطبي: (وقوله "ورجلان تحابًا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه" أي: داما على المحبة الصادقة الدينية، المبرَّأة عن الأغراض الدنيوية، ولم يقطعاها بعارضٍ في

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٢) وقفات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) المرجع السابق ٣٤٥.

حال اجتماعهما، ولا حال افتراقهما)[١].

وهذا ما أكده النووي في قوله: (ومعناه اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله أي كان سبب اجتماعهما حب الله واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما وفي هذا الحديث الحث على التحاب في الله وبيان عظم فضله وهو من المهمات فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له)[٢].

وقد عظم النبي ﷺ فضل ذلك فقال: ((إن من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم لعلنا نحبهم؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا انتساب وجوههم نور على منابر من نور...))[٣].

قال ابن هبيرة: (وأما الرجلان المتحابان في الله عز وجل؛ فإنهما يعرفان بأن ينظر إلى الجامع بينهما، وأنه ليس عن قرابة ترعى، ولا عن رحم تُبَل، ولا عن تجارة تضم، ولا عن سفر يجمع، ولا عن دنيا ترب، ولا عن خدمة مخدوم تجمع؛ بل حب لله عز وجل، ويعرف هذا من هذا حبه لله، فيتحابا في الله من حيث إنهما إذا اجتمعا تذاكرا ذلك وأفاضا فيه، وتعاوداه وتهاديا أذكاره فاجتمعا على ذلك إذا اجتمعا، وافترقا على ذلك إذا افترقا، فكانا من المتحابين في الله عز وجل، فإن اتفق أن يكونا نسيبين، لكل واحد منهما في حب الله عز وجل معاملة من صلة الرحم منه فذلك أفضل؛ فإن كان أحدهما يحب الآخر في الله عز وجل بحسب ما ظهر له من أمارات حب الله، فلم يكن باطن الآخر على ما كان عليه ظاهره، أثاب الله المخلص ولم يأخذ بجريرة الغال)[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(٣) صحيح ابن حبان ٥٧٣، وقال محققو الصحيح: إسناده صحيح.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ٢٣٦/٦.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتعفف عن الحرام:

قد أكد النبي ﷺ في نص الحديث على عظم فضل المتعفف عن الحرام بأن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله ﷺ "ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاه الله".

قال القرطبي: (معنى دعته: عرضت نفسها عليه. أي: للفاحشة. وقول المدعو في مثل هذا: إني أخاف الله، وامتناعه لذلك دليل: على عظيم معرفته بالله تعالى، وشدة خوفه من عقابه، ومتين تقواه، وحيائه من الله تعالى. وهذا هو المقام اليُوسُفِيّ)[1].

وقد ورد في رواية لمسلم قول "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله".

قال القاضي: (يحتمل قوله أخاف الله باللسان ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها وهي جامعة للمنصب والجمال لاسيما وهي داعية إلى نفسها طالبة لذلك قد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ونحوها فالصبر عنها لخوف الله تعالى وقد دعت إلى نفسها مع جمعها المنصب والجمال من أكمل المراتب وأعظم الطاعات؛ فرتب الله تعالى عليه أن يظله في ظله وذات المنصب هي ذات الحسب والنسب الشريف ومعنى دعته أي دعته إلى الزنا بها هذا هو الصواب في معناه وذكر القاضي فيه احتمالين أصحهما هذا. والثاني أنه يحتمل أنها دعته لنكاحها فخاف العجز عن القيام بحقها أو أن الخوف من الله تعالى شغله عن لذات الدنيا وشهواتها)[2].

ومما لاشك فيه (أن النجاة من هذه الفتنة من المسائل العويصة التي شغلت بال الأنبياء والمصلحين والمربين، ونحن نعرف أن نبيَّ الله يوسف عليه الصلاة والسلام وقع في سلسلة من الابتلاءات كان أبرزها فتنته أمام امرأة ذات منصب وجمال ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣، وإكمال المعلم ٥٦٣/٣.

هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

وهنا ننبه إلى أن بيئة الترف والثراء وبيئة الاختلاط والإغراء بيئة خطيرة في حياة المسلم، ومثل هذه البيئة تقع فيها هذه الفتن غالبًا. ويوسف عليه السلام كان فيها مولى، وتربى فيها في سن الفتنة، فهذه هي المحنة الطويلة التي مرَّ بها يوسف، وصمد لها ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها ووسائلها الخبيثة ولسنه وسن المرأة التي يعيش معها في قصر منيف، كل هذه المدة، قيمة في تقدير مدى الفتنة وخطورة المحنة "وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك". إذًا فقد كانت المراودة مكشوفة. وهذه الدعوة السافرة الغليظة لا تكون أول دعوة من المرأة إنما تكون هي الدعوة الأخيرة. ولكن جواب الشاب النقي يوسف عليه السلام كان عظيمًا وقويًا عندما قال كما يحكي القرآن العظيم: "قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون". وهذا الجواب وهذا العمل هو الذي يُسبِّب التشريف بظلِّ عرش الرحمن وبالاسترواح في رحمته. وقد حدث هذا عبر السنين ويمكن أن يحدث في كل وقت إذا وجدت البيئة الصالحة والتربية الشاملة والرعاية المتكاملة للشباب)[2].

وقد بين ابن حجر: (أن ذكر الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له بل يشترك النساء معهم فيما ذكر، إلا إن كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم. وتخرج خصلة ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من المسجد، وما عدا ذلك فالمشاركة حاصلة لهن، حتى الرجل الذي دعته المرأة فإنه يتصور في امرأة دعاها ملك جميل مثلاً فامتنعت خوفًا من الله تعالى مع حاجتها)[3].

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٧٣.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: فضل المتصدق في السر:

لقد عظّم النبي ﷺ في نص الحديث فضل المتصدق بالسر، بأن جعله في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، وذلك في قوله "ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه".

قال النووي: (في هذاالحديث فضل صدقة السر قال العلماء: وهذه في صدقة التطوع فالسر فيها أفضل لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل)[١]، وهذا ما أكده القرطبي في قوله: (إن إخفاء صدقة التطوع، هو حضٌّ على الإخلاص في الأعمال، والتستر بها ويستوي في ذلك جميع أعمال البر التطوعية. فأما الفرائض فالأولى إشاعتها وإظهارها لتنحفظ قواعد الدين، ويجتمع الناس على العمل بها، فلا يضيع منها شيء، ويظهر بإظهارها جمال دين الإسلام، وتعلم حدوده وأحكامه. والإخلاص واجبٌ في جميع القرب، والرياءُ مفسدٌ لها.

وقوله: "حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه" هذا مبالغةٌ في إخفاء الصدقة)[٢].

قال القاضي عياض: (وضرب مثل بهما لقرب اليمين من الشمال، ولتصرف اليدين جميعًا في العمل الواحد، وإن كان العلم لا يضاف لليد. وقيل: المراد: من على يمينه وشماله من الناس، والأول أظهر وأولى. وفيه استعمال اليمين في طاعة الله من الصدقة، وأنه أفضل وأولى، وقد ترجم البخاري على الحديث "الصدقة باليمين"[٣])[٤]. قال القرطبي: (وقد سمعنا من بعض المشايخ أن ذلك أن يتصدق على الضعيف في صورة المشتري منه، فيدفع له درهمًا مثلاً في شيء يساوي نصف درهم. فالصورة مبايعة، والحقيقة صدقة، وهو اعتبارٌ حسن)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦/٣.

(٣) كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، رقم ١٦، ص ٢٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٦٤/٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٧/٣.

ومما لا شك فيه أن تعظيم النبي ﷺ لفضل المتصدق بالسر، بأن يظله الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله (هو خير وسيلة لتشجيع المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله ومد يد العون إلى الأمة الإسلامية. وقد ركّز الإسلام على هذه الناحية تركيزًا شاملاً نظرًا لخطورتها وأهميتها في بناء مجتمع إسلامي كريم. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. لأن تشريع الصدقة لا يبدأ بالفرض والتكليف إنما يبدأ بالحض والتشجيع. إنه يستجيش المشاعر والانفعالات في الكيان الإنساني كله بقوله: "سبعة يظلهم الله في ظله"، حيث تتطلع النفوس إلى هذا الظل الظليل المريح وتبحث عن وسائلها، إلى ذلك فتجد في الإنفاق وفي إخفاء الصدقات وسيلة إلى هذا الظل الظليل. وهذا التعبير في موكب الحياة النامية يتجه بالضمير البشري إلى البذل والعطاء، إنه لا يعطي، بل يأخذ، وإنه لا ينقص، بل يزاد وتمضي موجة العطاء والنماء في طريقها تضاعف المشاعر التي استجاشها.

إنه الإنفاق الذي يرفع المشاعر الإنسانية ولا يشوبها، والإنفاق الذي لا يؤذي كرامة ولا يخدش شعورًا، والإنفاق الذي ينبعث عن الأريحية والنقاء، ويتمثل ذلك في الإخفاء وفي عدم المنّ. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

إن الإسلام لم يرد بالإنفاق مجرد تأدية الواجب وتلافي الحاجة، كلا، إنما أراده تهذيبًا وتزكية وتطهيرًا لنفس المعطي واستجاشة لمشاعره الإنسانية، وارتباطه بأخيه الفقير في الله وفي الأخوة، وتذكيرًا له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير سرف ولا مخيلة وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا مَنٍّ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٢.

وبكل أساليب الإخفاء كما أراده ترضية لنفس الآخذ وتوثيقًا لصلته بأخيه في الله وسدًا لخلة الجماعة المسلمة كلها لتقوم على أساس من التكافل والتعاون وحث الإسلام على ذلك في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

وفي ذلك دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها؛ لأنه أبعد عن الرياء، إلا أن يرتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية)[2].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

لقد أكد نص الحديث على الصنف السابع والأخير الذي يتمتع بالعناية الربانية الخاصة ويستظل بظل عرشه في يوم عصيب وفي لحظة حرجة هو "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه".

قال ابن حجر: (قوله "ذكر الله" أي بقلبه من التذكر أو بلسانه من الذكر، و"خاليًا" أي من الخلو لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء والمراد خاليًا من الالتفات إلى غير الله ولو كان في ملأ...، وقوله "ففاضت عيناه" أي فاضت الدموع من عينيه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة كأنها هي التي فاضت)[3].

قال القرطبي: (وفيضُ العين: بكاؤها. وهو على حسب حال الذاكر، وبحسب ما ينكشف له من أوصافه تعالى. فإن انكشف له غضبه، فبكاؤه عن خوف، وإن انكشف له جمالُه وجلاله؛ فبكاؤه عن محبة وشوق. وهكذا يتلوَّن الذاكر بتلوُّنِ ما

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٠-٢٧١.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢.

يذكر من الأسماء والصفات)[١].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة البكاء من خشية الله تعالى وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها)[٢].

ومما لا شك فيه أن البكاء من الخشوع والخوف من أحب اللحظات والصفات عند الله تعالى، وذكره القرآن بألفاظ مليئة بالمعاني والإيحاءات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٣].

وهو مشهد مُوحٍ يلمس الوجدان مشهد الذين أوتوا العلم من قبله وهم يسمعون القرآن فيخشعون، ثم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لا يسجدون ولكن يخرون للأذقان سجدًا، ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده "سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا"، ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ "ويخرون للأذقان يبكون"، "ويزيدهم خشوعًا" فوق ما استقبلوه به من خشوع وهو الأمر المفضل عند الله تعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))[٤].

وقد كان ﷺ يعلم أصحابه البكاء من خشية الله والبكاء بعد تلاوة القرآن؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقرأ عليَّ فقلت: يا رسول

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٤، وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٣/٥٦٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧-١٠٩.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٣، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٣٣٣.

الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلا شهيدًا" فقال: حسبك الآن. فإذا عيناه تذرفان))[١].

وكأنه ﷺ يدرب أصحابه على البكاء من خشية الله والتأثير بعد تلاوة القرآن حتى يدخل في زمرة "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه" وحتى يدخل في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾[٢]. أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجدًا وبكيًّا.

وهو ﷺ يربي أصحابه على البكاء بالتطبيق العملي وبالانفعال بتلاوة القرآن مرة وبالحديث مرة أخرى. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))[٣]. وكأنه ﷺ يحث خيرة أمته أن يكونوا من أولئك الأتقياء الحساسين الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله. عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله))[٤].

هذه التربية النبوية تركت أثرًا جميلاً في نفوس أصحابه فكانوا يتلون القرآن بكل الخشوع والخضوع حتى كانت تفيض أعينهم من الدموع وتقشعر أبدانهم من

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٥٠، ومسلم ٨٠٠.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٦٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٦٣).

الخوف والعظمة، وأولهم أبوبكر رضي الله تعالى عنه ((وكان له مسجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقًا إذا قرأ القرآن استبكى. قالت عائشة: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيأته))[1][2].

(١) أخرجه البخاري ٣٩٠٥.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٣٥٢-٣٥٤.

الحديث رقم (٣٧٧)

٣٧٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنّ الله تَعَالَى يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلِّي)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الصحابي قال رسول الله ﷺ انتقال بمستوى الكلام البشري العادي إلى مستوى الكلام النبوي أسلوباً، ومعنى، وقول الرسول ﷺ (قال الله)ارتقاء بمستوى الكلام من المستوى البشري إلى مستوى الكلام الإلهي معنى لا لفظاً؛ لأنه حديث قدسي معناه لله، ولفظه للرسول ﷺ، وله خصوصية في النظم، فقد بدأ بأسلوب التوكيد بـ(إن) مع تقديم المسند إليه (الله)على الخبر الفعلي (يقول) مع ما يشعر به لفظ الجلالة من الهيبة، والإجلال، وتقييد الفعل بيوم القيامة يصعِّد الرهبة والخوف، ويزيد ترقب المخاطب للمقول وقول الله تعالى (أيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالِي؟) استفهام على غير حقيقته لأن الله تعالى علام الغيوب، ولكن الاستفهام خرج إلى معنى الإشادة بهم والتكريم لهم، والتنبيه على فضلهم، ومكانتهم، وقوله (المتحابون بجلالي) أي لعظمتي فالباء بمعنى اللام أو في وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة، والسطوة أي المنزهون عن شوائب الهوى والنفس والشيطان في المحبة فلا يتحابون إلا لأجلي ولوجهي لا لشيء من أمور الدنيا (اليوم أظلهم في ظلي) أي ظل عرشي كما جاء مصرحا به في خبر آخر وإضافة الظل إليه إضافة تشريف وملك والمراد أنه في ظله من الحر ووهج الموقف، أو كناية عن الراحة، والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب، والجناس بين، وتكرار لفظ الظل لتقرير معناه في قلب المخاطب، وسمعه ترغيباً في هذه العلاقة بين المؤمنين في الدنيا، ويجمعهم الله بها في الآخرة.

---

(١) برقم (٢٥٦٦/٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢٨).

فقه الحديث

١- فضل التحابِّ في الله تعالى لأنها سبب في إكرام الله تعالى للعبد يوم القيامة[١].

٢- فيه دليل على جواز قول الإنسان: "الله يقول" وهو الصواب الذي عليه كافة العلماء.

إلا ما روي عن بعض السلف من كراهة ذلك، وأنه لا يقال: يقول الله، بل يقال: "قال الله".

ولكن جاء بجواز ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾[٢] كما جاءت به السنة في هذا الحديث[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٤٢٩/١٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٥٦/٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣/٦.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٧٨)

٣٧٨- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكم**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بقسم يتزلزل له الوجدان لأن الذي يحلف صادق لا يكذب، وهو نبي يوحى إليه مما يحقق اليقظة، والترقب، ويضمن للمعنى الثبات؛ لأنه ارتبط بتعبير له خصوصية في الترهيب وهو قوله: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة بالتكذيب يوحي بأهمية المعنى بعده الذي يقوم على تقرير معنى إفشاء السلام الذي يشيع المحبة بين المسلمين عن طريق المنطق الفطري بمقدمات تترتب عليها نتائج بطريقة مشوقة بدأت بجملة، نفت دخول الجنة إلا بعد بلوغ درجة الإيمان، وقد وصل الأفعال بواو الجماعة دلالة على عموم الحكم، ونظماً للمجتمع كله في سلك الخطاب، وهو ما يحقق ترقب الجميع للخبر، ثم إنه علّق الإيمان على التحابب، وهو تفاعل من المحبة، وهذه الصيغة تدل على المشاركة، أي يحب كل واحد منهم الآخر، ثم صعَّد التشويق عن طريق الاستفهام التشويقي (أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ) ثم ربط بأسلوب الشرط المحبة التي يتوقف عليها الإيمان الذي يتوقف عليه دخول الجنة بهذا الشيء الذي يعرضه عليهم (إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ) حتى إذا صار المخاطبون في قمة اليقظة، والترقب قرر المعنى الذي يريد عن طريق أسلوب الأمر حثاً، وترغيباً (أفشوا السلام بينكم)وطريقة النبي ﷺ

---

(١) برقم (٥٤/٩٤) ولم يسق لفظه إلى قوله: (الجنة حتى تؤمنوا) وأحال الباقي على حديث أبي معاوية ووكيع برقم (٥٤/٩٣) والسياق للحميدي في جمعه (٢٧٨/٣، رقم ٢٦٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٧٩).

في تقرير المعنى تدل على أهمية الأمر، وأثره في المجتمع الذي ينبعث محبة بين أفراده، وسلاماً يعم الجميع.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم إفشاء السلام، وقد سبق القول في الحديث رقم (٢٣٨) أنه قد اتفق الفقهاء[1] على أن رد السلام من فروض الكفايات فمتى قام به واحد من جماعة أجزأ عنها وإن تركه الجميع أثموا، وإن كان من يرد واحدًا فقد وجب عليه رد السلام، أما ابتداء السلام فقد اختلفوا فيه، فذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة في المذهب إلى أن ابتداء السلام سنة وليس واجبًا، وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة يكفي سلام أحدهم ولو سلموا كلهم كان أفضل، وذهب الحنفية والمالكية في قول والإمام أحمد في رواية إلى أن ابتداء السلام واجب.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم، والاستفهام.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإيمان في دخول الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحاب في الله من علامات كمال الإيمان.

رابعًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الأسباب المؤدية إلى سعادتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم، والاستفهام:

القسم من أقوى التوكيدات في اللغة العربية وجاء القسم هنا مناسبًا لينبه أن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن، وقد أفاد القسم هنا أهمية الإيمان في دخول الجنة، ونظرًا لعظم

---

(١) المبسوط، السرخسي ٢/٢٩، ٣٠/٢٧٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٦٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٧/٢٧٩، وأحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي ١/٥٩١، والأم، الإمام الشافعي ١/٢٣٤، وأحكام القرآن، الشافعي ٢/٣٥، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤/٤٥١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢/٧١، ٨٦، ٧/٢١٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٣٣٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١/٣١٤.

المقسم عليه؛ فإن النبي ﷺ أراد بيان ذلك فاستخدم القسم للدلالة على أهمية وعظمة دخول الجنة، وأنها الغاية التي يجب على كل مؤمن أن يسعى إليها، ويُعد لها العدة اللازمة، والتي يأتي الإيمان في قمّتها.

وجاء الاستفهام في قوله ﷺ "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ وهذا الاستفهام جاء مناسبًا جدًا لمخاطبة المدعوين؛ حيث أفاد الاستفهام في هذا الموطن استثارة همم المدعوين ودفعهم إلى التنافس لإدراك تلك الغاية العظيمة وهي دخول الجنة، وذلك من خلال توجيههم إلى ما يؤدي إلى تلك الغاية من إيمان بالله ورسوله والإخلاص في ذلك. وقد وجههم النبي ﷺ إلى أن الإيمان لا يتحقق إلا من خلال الحب والمودة التي يجب أن تسود بين المؤمنين، وقد وجه النبي ﷺ المؤمنين إلى أن الحب لا يتحقق إلا من خلال عدد من الأمور وذكر أبرزها وهو إفشاء السلام.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإيمان في دخول الجنة:

هذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا".

قال القرطبي: (الإيمان المذكور أولاً هو: التصديق الشرعي المذكور في حديث جبريل الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد! أخبرني عن الإسلام ...، قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" قال: صدقت... إلخ))[1]، والإيمان المذكور ثانيًا هو الإيمان العملي المذكور في قوله: ((الإيمان بضع وسبعون بابًا))[2] ولو كان الثاني هو الأول للزم منه أن لا يدخل الجنة من

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

أبغض أحدًا من المؤمنين، وذلك باطلٌ قطعًا، فتعيّن التأويل الذي ذكرناه)[١].

(ولا يخفى على كل مسلم أهمية الإيمان كتصديق شرعي، وعظم شأنه، وكثرة عوائده وفوائده على المؤمن في الدنيا والآخرة، بل إن كل خير في الدنيا والآخرة متوقف على تحقق الإيمان الصحيح، فهو أجل المطالب، وأهم المقاصد، وأنبل الأهداف، وبه يحيا العبد حياة طيبة سعيدة، وينجو من المكاره والشرور والشدائد، وينال ثواب الآخرة ونعيمها المقيم وخيرها الدائم المستمر الذي لا يحول ولا يزول.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[٥]. والآيات في هذا المعنى في القرآن الكريم كثيرة.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الإيمان يقوم على الأصول الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره، وقد جاء ذكر هذه الأصول في القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن عديدة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٦].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٤٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٩.

(٤) سورة طه، آية: ٧٥.

(٥) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٧-١٠٨.

(٦) سورة النساء، آية: ١٣٦.

٢- وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1].

٣- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

٥- وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل[4]، السالف ذكره.

فهذه أصول ستة عظيمة يقوم عليها الإيمان، بل لا إيمان لأحد إلا بالإيمان بها، وهي أصول مترابطة متلازمة، لا ينفك بعضها عن بعض، فالإيمان ببعضها مستلزم للإيمان بباقيها، والكفر ببعضها كفر بباقيها.

ولذا كان متأكدًا في حق كل مسلم أن تعظم عنايته واهتمامه بهذه الأصول علمًا وتعلمًا وتحقيقًا)[5].

قال القرطبي: (والإيمان بالله: هو التصديق بوجوده تعالى، وأنه لا يجوز عليه العدم، وأنه تعالى موصوفٌ بصفات الجلال والكمال من العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، والحياة، وأنه تعالى مُنَزَّهٌ عن صفات النقص التي هي أضداد تلك الصفات، وعن صفات الأجسام والمتحيّزات، وأنه واحدٌ صمدٌ فردٌ خالقُ جميع

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة القمر، آية: ٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٨.

(٥) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء.

المخلوقات، متصرف فيها بما يشاء من التصرفات، يفعلُ في ملكه ما يريد، ويحكمُ في خلقه ما يشاء.

والإيمان بالملائكة: هو التصديق بأنهم: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[١]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢]، و﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٣] وأنهم سفراء الله بينه وبين رُسله، والمتصرِّفون كما أذن لهم في خلقه.

والإيمان برسل الله: هو أنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى، وأنَّ الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، وأنهم بلَّغوا عن الله رسالاته، وبيَّنوا للمكلفين ما أمرهم الله بنيانه، وأنه يجبُ احترامهم، وألا يفرق بين أحد منهم.

والإيمان باليوم الآخر: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، وأنهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك، مما صح نصه، وثبت نقله.

والإيمان بالقدر: هو التصديق بما تقدم ذكره، وحاصله: هو ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٦] وإجماع السلف والخلف على صدق قول القائل: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. وقوله ﷺ: ((كلُّ شيءٍ بقَدَر حتى العجز والكيس))[٧].

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.

(٤) سورة الصافات، آية: ٩٦.

(٥) سورة القمر، آية: ٤٩.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

(٧) أخرجه مسلم ٢٦٥٥.

تنبيه: (مذهب السلف وأئمة الفتوى من الخلف: أن من صدّق بهذه الأمور تصديقاً جازمًا لا ريب فيه، ولا تردد، ولا توقف، كان مؤمنًا حقيقةً، وسواء كان ذلك عن براهين ناصعة، أو عن اعتقادات جازمة)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحاب في الله من علامات كمال الإيمان:

هذا ما دلَّ عليه الحديث في قوله ﷺ "ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم".

قال النووي : (وقوله ﷺ "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" معناه: لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب)[٢].

وقد بين النبي ﷺ أن من أعظم السبل لتحقيق التحاب في الله هو إفشاء السلام (فالسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين، وقد ذكر البخاري في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال: ((ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، بذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار))[٣])[٤].

قال ابن القيم: (وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبَّر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبرًا منه وتيهًا، فكيف يبذل السلام لكل أحد)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/١٤٤-١٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٣) أخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان، باب: ٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٠.

(وفي إفشاء السلام وبذله للعالم يكون رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولا يخص أصحابه وأحبابه به)[١].

(ولما كان السلام من المسلم أمانًا له، وتأنيسًا منه، وطردًا للكبر عن كل تأذٍ به، وهو الأَمارة على صلح المتهاجرين، والآيةُ عند تلاقي الغائبين كان إفشاؤه وإظهاره لما فيه من هذه الفضائل المذكورة ما يجري مجراها ناشئًا عن الإيمان لإيثار جمع كلمة المسلمين ولإصلاح ذات بينهم)[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الأسباب المؤدية إلى سعادتهم:

هذا ما أشار إليه الحديث من بيان النبي ﷺ لأهم أسباب حصول التحاب في الله وذلك في قوله ﷺ "أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم؟ وقد دل ﷺ على إفشاء السلام لأنه طريقٌ إلى حصول التحاب بين المسلمين الذي بدوره من أسباب حصول كمال الإيمان، وكمال الإيمان متوقف على حصول أصل الإيمان الذي بدوره يُدخل الجنان.

ويمكن الاستشهاد في هذا المقام بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٣] (حيث أمر تعالى عباده بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها)[٤]، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذه الأعمال المؤدية إلى الجنة فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٣٨٩/٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٥.

ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1].

فحري بالداعية أن يوضح ويبين الأسباب الموصلة إلى إرضاء الله تعالى وجنته ممتثلاً في ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٤-١٣٦.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٣.

الحديث رقم (٣٧٩)

٣٧٩- وعنه، عن النَّبيّ ﷺ: ((أنَّ رَجُلاً زَارَ أخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أخْرَى، فَأرصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ...)) وذكر الحديث إلَى قوله: ((إنَّ الله قَدْ أحبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1]، وقد سبق بالباب قبله.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أرصَد: قيَّضَ وأرسل[2].

مَدرَجته: طريقه[3].

الشرح الأدبي، والمضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٥٦٧/٣٨) وقد تقدم برقم (٣٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ر ج).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٦١).

الحديث رقم (٣٨٠)

٣٨٠- وعن البرَاءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ أنَّهُ قَالَ في الأنصار: ((**لاَ يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ، مَنْ أحبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ الله**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

فضل الأنصار رضي الله عنهم لا ينكره مسلم في كل زمان، ومكان كما أن هذا الفضل ممتد، وباقٍ على كل مسلم إلى قيام الساعة، وقد صدر المعنى في ثلاثة أساليب بلاغية أولها: أسلوب القصر، ثانيها: المقابلة التي تقوم على المناظرة بين ضدين يتضح من خلال كل واحد منهما تفاصيل الآخر، والثالث: أسلوب الشرط الذي يربط الفعل بالجزاء، وقوله ﷺ في الأنصار (لاَ يُحِبُّهُمْ إلاَّ مُؤمِنٌ) أسلوب قصر لمحبة الأنصار على المؤمنين، ونفيها عن غيرهم من المنافقين، والكافرين وكذلك الجملة المقابلة لها (وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إلاَّ مُنَافِقٌ) والتي تقصر بغض الأنصار على المنافقين، وتنفيه عن المؤمنين، فهي تأكيد لمعنى الجملة الأولى، وقد قابل بين المحبة والكراهية، وبين المؤمن، والمنافق ليبين المفارقة في الشعور القلبي التي نتجت عن التفاوت في العقيدة، ثم جاء أسلوب الشرط ترغيباً في محبتهم، وترهيباً من بغضهم (مَنْ أحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ الله، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ الله) وبلاغة هذا الأسلوب تكمن في أنه يجعل الإنسان مسئولاً عن اختياره، وعاقبته، مما يشعره بأنه طرف حر الاختيار، فيختار ما يهديه إليه عقله بعد أن يعرض عليه الفعلين مع النتيجتين، وقد قابل بين أحبهم، وأبغضهم وهما فعلي الشرط، وبين أحبه، وأبغضه وهما العاقبة، وإسناد الفعل لله يلق المهابة في القلوب خوفاً من غضب من لا يطيق له غضباً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥/١٢٩) واللفظ له.

فقه الحديث

فضل الأنصار، وحب رسول الله ﷺ لهم، حيث جعل حبهم علامة على الإيمان، وبغضهم علامة على النفاق، كما جعل حبهم موصلاً لحب الله تعالى وبغضهم سببًا لبغضه تعالى.

وذلك لأن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة الإسلام، والسعي على إظهاره، وإيواء المسلمين، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم في سبيل الله ثم أحب الأنصار لهذه الأسباب كان ذلك دليلاً على صحة إيمانه وصدقه في إسلامه.

ومن أبغضهم لذلك، كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته[1].

على أن بغض الأنصار الذي يعد علامة على النفاق وبغض الله هو بغض جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدين.

أما من أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له، فليس داخلاً في ذلك[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر والشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من علامات الإيمان حب الأنصار رضي الله عنهم، ومن علامات النفاق بغضهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر والشرط:

أما القصر ففي قوله ﷺ: "لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق"، وإنما جاء الحديث في أسلوب القصر ليدل على عظم فضل الأنصار وبيان مكانتهم السامية في قلب النبي ﷺ وفي قلب كل مؤمن بحيث جعل النبي ﷺ أن من أحب الأنصار لم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٣/١.

يكن إلا مؤمنًا، أما من أبغضهم فلم يكن إلا منافقًا وهذا الأسلوب يأخذ بالألباب والقلوب أيّمًا مأخذ فيقلبها بين الترغيب من ناحية وبين الترهيب من ناحية أخرى فمن رغب أن يكون مؤمنًا فليحب الأنصار حتى لا يكون في زمرة المنافقين. ولا شك أن كل مؤمن يرهب أشد الرهبة من أن يكون منهم.

أما أسلوب الشرط، فجاء في قوله ﷺ: (من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله)، ليبين ﷺ أن حب الله مترتب على حب المؤمن للأنصار وأن بغضه تعالى ومقته يلحق من أبغضهم.

والخلاصة: أن أسلوب القصر وأسلوب الشرط قد أبانا عن عظيم فضل الأنصار كما وضحا الخطر العظيم الذي يحيق بمن كره الأنصار وأبغضهم، فكان هذا دعوة قوية لحب الأنصار رضي الله عنهم.

ثانيًا- في موضوعات الدعوة: من علامات الإيمان حب الأنصار رضي الله عنهم ومن علامات النفاق بغضهم:

لما كان الأنصار قد أسدوا إلى كل مسلم يدًا بيضاء وفعلة زهراء، من حيث إنهم آووا رسول الله ﷺ ونصروه، وصبروا على حرب الأحمر والأسود معه، فكانت الهجرة إليهم، ونزول الوحي عليه في دارهم، وود كل مؤمن أن يُقدر له أن يحسن جزاءهم، فلما فاته ذلك عدل عنه إلى حبهم، فلا يحبهم إلا عن إيمان منه برسالة محمد ﷺ، كما أنه إذا أبغضهم دلّ ذلك على نفاقه، فكان حبهم ناشئًا عن محض الإيمان[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في الحديث من قوله في الأنصار رضي الله عنهم: (لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله).

قال النووي: (إن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعادتهم سائر

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٨٩/٦.

الناس إيثارًا للإسلام، ثم أحب الأنصار كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل به على نفاقه وفساد سريرته، والله أعلم"[١].

وقوله ﷺ: (فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) هذا على مقابلة اللفظ باللفظ. ومعناه: أن من أحبهم جازاه الله على ذلك جزاء المحبوب المحب من الإكرام والترفيع والتشفيع، وعكس ذلك من البغض. وظاهر هذا الكلام أنه خبرٌ عن مآل كلٍّ واحد من الصنفين، ويصلح أن يُقال: إن ذلك الخبر خرج مخرج الدعاء لكل واحد من الصنفين، فكأنه قال: اللهم افعل بهم ذلك. كما قال ﷺ والله أعلم"[٢].

وقد عظّم الحق تبارك وتعالى فضل الأنصار رضي الله عنهم فقال مادحًا لهم، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣][٤].

(وقد أكد النبي ﷺ على عظيم فضلهم رضي الله عنهم في نصرته ﷺ، ففي غزوة حنين وبعد أن قسم النبي ﷺ الفئ مستألفًا في ذلك لإيمان قلوب كبار بعض القوم، فقال بعض الأنصار آثر علينا غيرنا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فجمعهم، ثم خطبهم، فقال: ((يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمُ اللَّهُ . قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: أَلَمْ تَكُونُوا ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ . قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ. قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُجِيبُونَنِى أَلاَ تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَأَمَّنَّاكَ أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ - يَعْنِى الْبَقَرَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٦٦/١.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٨/٨.

- وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَتُدْخِلُونَهُ بُيُوتَكُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى عَلَى الْحَوْضِ))[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظَلمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[2].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدًا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه. وقوله: "فقال أبو هريرة ما ظلم" أي: ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه". وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله: "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)[3].

وإذا كان الأنصار رضي الله عنهم قد قاموا بواجبهم أعظم قيام فنصروا دين ربهم وأقاموا سنة نبيهم ﷺ حتى قدّموا نحورهم وأولادهم وأنفسهم فداءً لرسول الله ﷺ، فاستحقوا لذلك عظيم الثناء من الله تعالى ورسوله ﷺ إلا أن هذا الدين العظيم في ذلك الوقت الذي أصبح غريبًا في قلوب أبنائه من المسلمين يحتاج إلى رجال مثل الأنصار ينافحون عنه بأنفسهم وأبنائهم وأموالهم، فلا يهدئون حتى يقيم الله على أيديهم الملة ويحفظ بهم السنة، فيتشبهوا بسلفهم الصالح في إقامة شعائر دينهم وامتثال أوامر ربهم واجتناب نواهيه، فتحيا البلاد ويمحى الفساد، وتقام دولة الإسلام من الصين شرقًا إلى الأندلس غربًا كما كانت بالأمس، فيا لها من غاية عظيمة تسترخص فيها النفوس

---

(١) أخرجه أحمد ١١٥٤٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/ ١٤٠.

والأموال، فمن يكون على شاكلة الأنصار من المدعوين فيفوز برضاء ربه وحب نبيه ﷺ.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

الترهيب من الأساليب الدعوية الهامة التي تؤثر في نفسية المدعو، وتزجره عن ارتكاب المعاصي، وتحذره من عدم الامتثال للأمر المدعو إليه، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قوله ﷺ: "... ولا يبغضهم إلا منافق ... ومن أبغضهم أبغضه الله..."، للترهيب من بعض الأنصار الذي يكون سببًا في بغض الله تعالى.

والمقصود بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والملاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية مملوآن بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والالتزام بآدابها والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبل الداعي المسلم[1].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٣٨١)

٣٨١- وعن معاذ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((قَالَ الله عز وجل: المُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

المتحابون في جلالي: لأجل إجلالي وتعظيمي[2].

يغبطهم: من الغبطة، وهي تمنى نعمة على ألا تتحول عن صاحبها[3].

الشرح الأدبي

سبق هذا المعنى في حديث سابق في هذا الباب غير أن هذا الحديث يزيد عنه في قوله (لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ) تقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص بمعنى أنها خصوصية لهم دون غيرهم، والتعبير بالمنابر فيها دلالة على رفعة المكانة؛ لأن المقصود من ارتقاء الأمير، أو القائد، أو الخطيب، وجمع المنابر إشارة للكثرة من باب الترغيب، وقوله (من نور) إشارة الظهور والوضوح بحيث يراهم أهل الجمع تشريفاً لهم، كما أن في جعلها من نور إشارة إلى نور المحبة الذي عمر قلوبهم في الله وجمع بينهم، فهو جزاء من جنس العمل، وقوله: (يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ) كناية عن عظمة المنزلة، وخصوصيتها لأصحاب هذا العمل، فكل ما يتحلى به الإنسان، أو يتعاطاه من علم وعمل، فإن له عند الله منزلة لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر

---

(١) برقم (٢٣٩٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (٢/١٨٨٥).

(٣) المرجع السابق ٢/١٨٨٥.

ما هو أرفع قدراً، وأعز ذخراً، فيغبطه بأن يتمنى، ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموماً إلى ماله من المراتب الرفيعة، والمنازل الشريفة، وذلك معنى قوله يغبطهم النبيون، والشهداء فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق، وإعلاء الدين، وإرشاد العامة، والخاصة إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، والشهداء، وإن نالوا رتبة الشهادة، وفازوا بالفوز الأكبر فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم، وشاهدوا قربهم، وكرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين فائزين بهما.

فقه الحديث

فضل التحاب والتجالس والتزاور والتباذل في الله تعالى وعظم منزلة المتحابين والمتجالسين والمتزاورين والمتباذلين فيه تعالى، وقد سبقت معالجة هذه الاحكام في الحديثين (٣٧٥) و (٣٧٧).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التحاب في الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان درجة المتحابين ومنزلتهم يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من أهداف الدعوة: ترابط المجتمع الإسلامي.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: جواز الغبطة في الخير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله تعالى:

لقد اتصف الله تعالى بصفات الكمال والجلال ومنها صفة الكلام وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل)، وقد وردت

نصوص كثيرة تثبت الكلام لله تعالى منها: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[١]، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[٣]، وقد تضمنت هذه الآيات إثبات صفة الكلام لله عز وجل، ومذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته، يتكلم بها بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء وما تكلم الله به فهو قائم به[٤].

وقد أضيفت صفة الكلام لذاته سبحانه وتعالى، إضافة معنى إلى الذات دلالة على ثبوت المعنى لتلك الذات، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٦][٧]، فمذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفة الكلام لله عز وجل، والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[٩]، فعُلِم أن نفي رجع القول ونفى التكليم نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل[١٠].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٢٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤.

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ١٢- ١٨.

(٥) سورة التوبة، آية: ٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٧) العقيدة الواسطية، ابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٤٨.

(٩) سورة طه، آية: ٨٩.

(١٠) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ١/١٧٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التحاب في الله تعالى:

شاء الله عز وجل للأمة الإسلامية أن تكون أمة مترابطة متماسكة، فأرشد أفرادها إلى ما يحافظ على الوحدة بالتحاب والتآخي وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١]، قال السعدي في تفسير الآية: (هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم)[٢]. ومن لوازم الأخوة المحبة في الله، ومن ثمرات الإيمان المحبة لله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[٣]، يحبونهم لله تعالى وذلك لوجود التجانس في الصفاء والموافقة في الدين وكون الفضيلة لهم أمرًا ذاتيًا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الإخوان[٤]، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث الذي معنا إلى فضل التحاب في الله بقوله: (قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور)، والمحبة في الله من دلائل الإيمان، وسبب من أسباب الاستشعار بحلاوته، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمان: أَنْ يَكونَ اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ لله، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّار))[٥]. فإن محبة المسلم لأخيه المسلم من حسن الإيمان ودلائل اكتماله شريطة أن يكون حبًا خالصًا لله لا تشوبه شائبة ولا تؤثر فيه الأهواء والمصالح، قال ابن حجر: (قوله: "وأن يحب المرء" قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء)[٦].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ١٠١/١٦/٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٩/١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان درجة المتحابين ومنزلتهم يوم القيامة:

بيّن النبي ﷺ في الحديث درجة المتحابين يوم القيامة ومنزلتهم التي يغبطون عليها، يقول: (قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)، أي: المتحابون لأجل جلالي وتعظيمي[١]، على منابر النور، وأراد الله بيان فضلهم وشرفهم[٢]، عنده بقوله: (يغبطهم النبيون والشهداء)، والمعنى: أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلاله قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبوطهم[٣].

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة المبينة لمنح الله وعطاياه للمتحابين في الله، ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: ... وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه))[٤].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في هذا الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في التحاب في الله ببيان ما أعد الله للمتحابين فيه يوم القيامة من الرفعة والمنزلة العظيمة التي يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء، يقول: (قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء، وأسلوب الترغيب من أنجح أساليب الدعوة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترغيب من أساليب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يبين هذا القرآن الكريم في مثل قول الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٥][٦].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٨٨٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٩٩.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٨٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٢٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٣١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، ص ١٩٩ - ٢٠١.

خامسًا- من أهداف الدعوة: ترابط المجتمع الإسلامي:

إن من أهم الأهداف الدعوية التي ترمي الدعوة إلى تحقيقها، ترابط وتماسك المجتمع الإسلامي، وإن مما يستنبط من هذا الحديث الدعوة إلى المحبة المودة التي تؤدي إلى ترابط المجتمع وذلك من خلال بيان منزلة المتحابين في الله، قال الله تعالى: (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)، فالإسلام جاء ليجمع القلب إلى القلب، ويضم الصف إلى الصف، مستهدفًا إقامة كيان موحد، ومتقيًا عوامل الفرقة والضعف، وأسباب الفشل والهزيمة، فهو لهذا يكوّن روابط وصلات بين أفراد المجتمع، لتخلق هذا الكيان وتدعمه، ومن هذه الروابط الإخاء وما يستلزمه من محبة واحترام ومحافظ على كرامة وأمانة ووفاء وخفض للجناح وسلامة للصدر وغير ذلك[1].

وكان هذا الترابط في المجتمع الإسلامي من أعظم المنن وأسمى الآيات التي امتن الله تعالى بها على المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] فالآية دعت إلى الاتحاد والترابط وعدم الخلاف والشقاق مع الاعتصام بالعهد والقرآن، حيث أمرنا الله سبحانه بالاعتصام بحبله والتمسك بدينه ونهانا عن التفرق والاختلاف فقد أنعم علينا بالإسلام وألف بين قلوبنا بالقرآن والنبي ﷺ[3].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: جواز الغبطة في الخير:

علم الله ما فطرت عليه النفس البشرية من حب الخير وتمنيه، فأجاز لها ذلك شريطة عدم تمني الاستئثار بهذا الخير وزواله عن الغير، لذا أجاز ما يسمى الغبطة

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ١٨١ - ١٩٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ١/٤/١٠، ١١.

والتي وردت في الحديث في قوله: (يغبطهم النبيون والشهداء)، والغبطة هي: تمني مثل ما للغير من الخير من غير زواله عن صاحبه[١]، وألا يتحول عنه بخلاف الحسد فإنه تمنى زوال الخير عن صاحبه[٢]. وقد أجمع على تحريمه بل هو كبيرة لما فيه من الوعيد الشديد في الكتاب والسنة أن فيه تسخطًا بقضاء الله وقسمته، وفيه أيضًا نسبة الله تعالى إلى الجور وعدم العدل - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٩٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٨٥/٢.

(٣) أسنى المطالب في صلة الأقارب، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ص ١٣٦.

الحديث رقم (٣٨٢)

٣٨٢- وعن أبي إدريس الخولاني، قال: دخلتُ مسجدَ دمشقَ، فإذا فتىً[١] براقُ الثَّنايا وإذا النَّاسُ معَهُ، فإذا اختلفوا في شيءٍ، أسندوهُ إليه، وصدروا عن رأيهِ[٢]، فسألتُ عنهُ، فقيلَ: هذا معاذُ بنُ جبل رضي الله عنه. فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ هجَّرتُ، فوجدتُهُ قدْ سبقَني بالتَّهجيرِ، ووجدتُهُ يُصلِّي، فانتظرتُهُ حتَّى قضى صلاتَهُ، ثُمَّ جئتُهُ مِنْ قِبَلِ وجهِهِ، فسلَّمتُ عليهِ، ثُمَّ قُلتُ: واللهِ إنِّي لأحبُّكَ لِله، فقالَ: آللهِ؟ فقُلتُ: آللهِ، فقالَ: آللهِ؟ فقُلتُ: اللهِ[٣]، فأخذَني بحبْوةِ ردائي، فجبذني إليهِ، فقالَ: أبشِرْ! فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((**قالَ الله تعالى: وجبَتْ محبَّتي للمُتحابين فيَّ، والمُتجالسينَ فيَّ، والمُتزاورينَ فيَّ، والمُتباذلينَ فيَّ**)) حديث صحيح رواه مالك في الموطأ[٤] بإسناده الصحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

براق الثنايا: تلمع أسنانه[٥].

صدروا عن رأيه: رجعوا وانصرفوا إلى رأيه[٦].

هجَّرتُ: بكرت وهو بتشديد الجيم[٧].

---

(١) في الموطأ زيادة: (شاب).

(٢) في الموطأ: (عن رأيه).

(٣) تكررت في الموطأ ثلاث مرات.

(٤) (٢/٩٥٣، رقم ١٦) رواية يحيى بن يحيى الليثي. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٥)، وقال الحاكم (٤/١٦٩): هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد جمع أبو إدريس بإسناد صحيح بين معاذ وعبادة بن الصامت في هذا المتن. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٣٧).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ر ق)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٣٤.

(٦) المعجم الوسيط في (ص د ر).

(٧) رياض الصالحين ١٩٣.

آللّه: قوله: آللّه؟ فقلتك أللّه الأول بهمزة ممدودة للاستفهام والثاني بلامد[١].

حبوة ردائي: يقال: احتبى: جَلَس على أَليتيْه وضمّ فخذيه وساقيه إلى بطنه بذراعيه ليستند. وقال: احتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس على نحو ما سبق ليستند[٢].

فجبذني: فجذبني[٣].

المتباذلين: من البذل وهو العطاء والجود[٤].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل التحابب في الله يقوم على الأسلوب القصصي للأحداث، ويربط الحوار بين شخصياتها يبدأه الراوي بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه يروي حدثاً خاصاً به، وقوله (وَصَدَرُوا عَنْ رَأيهِ) كناية عن طاعته، وقوله لمعاذ رضي الله عنه (وَاللّهِ إنّي لأَحِبُّكَ لِله) أكده بعدة مؤكدات منها القسم، وهو من وسائل التشويق لدلالته على أهمية ما يتلوه لاسيما إذا صدر ابتداءً دون مواجهة بتكذيب، ومنها: التوكيد ب(إن) وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، وقوله (للّه) بيان لسر المحبة والحامل عليها، ولذلك قال له (: آللّه؟ فَقُلْتُ: اللّهِ) وهو استفهام قصد به التقرير بغرض التحقيق، والتثبيت، فلما أقر به كرر الاستفهام زيادة في التثبت، والتوكيد (فَقَالَ: آللّهِ؟ فَقُلْتُ: اللّهِ)، وفي هذا دلالة على عظيم ما أخبره الراوي به، وعظيم ما سيخبره هو به، وقوله (فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي، فجبذني إِلَيْهِ) هذا الفعل كناية عن المحبة، والتودد إليه مع ما فيها من إحراز تمام انتباهه، وملك حواسه مما يضمن للخبر أن يقع على عقل يقظ، وقلب متفتح (فَقَالَ: أبْشِرْ !) أمر بغرض الإخبار بما فيه إدخال السرور مع ما يحققه من التشويق؛ لأن لفظ البشارة من الألفاظ التي تبعث السرور في النفوس، لأنها عَلَم على

---

(١) رياض الصالحين ١٩٣.

(٢) المعجم الوسيط في (ح ب و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ب ذ).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ذ ل).

الخير، وقول الرسول ﷺ عن ربه، (وجبت محبتي للمتحابين في)التعبير بالوجوب تأكيد للتحقق يزيد ه تحقيقاً صياغته في الماضي، وبين قوله محبتي، والمتحابين جناس يوفر جرساً يجذب السمع، ويؤكد معنى محبة الله لمن اجتمعوا على محبته ' وقوله (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ) وفي الحديث تناسب في التقديم حيث أوجب المحبة أولاً للمتحابين في الله، والتي دفعتهم المحبة إلى الارتياح، والجلوس، ثم إن الجلوس دعاهم إلى التزاور، والتزاور يعني بذل الجهد، والوقت، والمال من أجل ضيافة الإخوان، وما تستلزمه صلتهم فدعاهم بذلك إلى التباذل، ونلاحظ في صياغة المذكورين أنها جاءت على صيغة التفاعل التي تفيد المشاركة، وتكرار حرف الجر (في) مع كل واحد منهم تأكيداً على الإخلاص، وأنه المحرك لحركة قلوبهم، وجوارحهم، وهو سر محبة الله لهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المساجد.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الرجوع لأهل العلم وأصحاب الرأي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الأدب مع العلماء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد.

سادسًا: من صفات الداعية: التبشير.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التحاب والتجالس والتزاور في الله.

أولاً- من ميادين الدعوة: المساجد:

إن المساجد أطيب ميادين الدعوة وأفضلها، وقد جاء في الحديث ما يدل ضمنيًا على أن المسجد من وظائفه الدعوة والتقاء الدعاة بالمدعوين فعن أبي إدريس الخولاني قال: "دخلت مسجد دمشق"، فالمسجد يعد أهم الميادين الدعوية وأهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض، وذلك لترددهم المستمر عليه ولقائهم بالبعض فيه، ولا يقتصر المسجد على إقامة الشعائر الدينية فحسب، بل هو مكان

للدعوة والوعظ والتدريس والتناصح والتعاون على البر والتقوى [١].

وذلك يندرج تحت إعمار المساجد المأمور به، وقد قَصَر الله ذلك على عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢]، (فعمارة المساجد بالعبادة والصلاة وغيرها من أنواع الطاعات إنما يقوم به المؤمنون المخلصون)[٣].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الرجوع لأهل العلم وأصحاب الرأي:

لقد أمر الله المؤمنين بطلب العلم الاستزادة منه، حتى تكون دعوتهم وعبادتهم على بينة وبصيرة، ومن روافد العلم والثقافة في الإسلام الرجوع لأهل العلم، ومثال ذلك ما ورد في الحديث: (فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: (هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه) وقد أمرنا الله بالرجوع إلى العلم وأهله فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]، إن العلم أساس صحة الاعتقادات والعبادات، إذ أن شرائع الإسلام واجبة ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، فهل تمكن عبادة الله إلا بالعلم؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه؟[٥]؛ لذا فلا جرم أن الإسلام جعل طلبه فريضة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٦] والعلم المفروض هو العلم الذي طلب

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ١١ - ١٤.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٩١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن القيم الجوزي، ص ٢٩.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٣).

العمل به، فالعلم بأحكام الصلاة فرض ومعرفة الحلال والحرام فرض، وهكذا كل ما وجب عمله وجب العلم به، وأية عبادة لا تبنى على علم ومعرفة فهي عبادة باطلة لا تقبل بحال أبدًا فالله لم يُعصَ بمعصية أشد من معصية الجهل.

وتشمل العلوم الواجبة تعلمها العلوم المستمدة من الوحي، كالتفسير والسنة والسير والتوحيد والفقه وغير ذلك، وما وراء ذلك من علوم الكون فهو مما يدعو أيضًا إليه الإسلام ويحث عليه لتعرف بسنن الله في الكون وأسراره في الخلق وحكمته في الوجود[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة الأدب مع العلماء:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: مراعاة قواعد التعامل مع العلماء ولزوم الأدب في مخاطبتهم حيث إننا نلمس أن أبا إدريس الخولاني راعى الأدب مع معاذ بن جبل رضي الله عنه، ويكمن ذلك في تهجيره إلى المسجد للقائه، وانتظاره حتى يفرغ من صلاته والإقبال عليه من قِبَل وجهه ومبادأته السلام وغير ذلك، قال: (فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلى فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبَل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: إني لأحبك) وفي معاملة أبي إدريس وغيره من سلفنا الصالح لعلمائهم القدوة لنا في أصول التعامل مع العلماء، وإن فيما سطروه من بيان لآداب طالب العلم لنورًا، ينبغي لشداة العلم أن يستنيروا به في طريق الطلب، فعلى طالب العلم أن يتأدب مع شيخه، ويتقرب إلى الله بخدمته، ويعلم أن تواضعه لشيخه عزّ ورفعة وأن ينظر إليه بعين الإجلال وأن يعرف له حقه ولا ينسى له فضله وأن يعظم حرمته ويرد غيبته إلى غير ذلك من الآداب[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر السؤال والجواب في هذا الحديث مثل قول أبي إدريس الخولاني: (فقيل: هذا معاذ بن جبل رضي الله عنه: "فسألت عنه"، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ٧٩، ٨٠.

(٢) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز، ص ٦٤٦ - ٦٤٨.

الناجحة لما فيه الإقبال على الدعوة والاستجابة لها من قبل المدعوين، ولما في السؤال من لفت نظر السامعين وإثارة انتباههم وشدّ أذهانهم لما يلقى على مسامعهم.

والسؤال عن العلم والجواب من أوسع الأبواب لنشر العلم وتحصيله، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

خامسًا- من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد:

تكرر التوكيد في هذا الحديث ومن أمثلته: "إني لأحبك"، وزيادة على ذلك تأكيده بالقسم بقوله: "والله" وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المؤكدة لها، وقد عرف العرب أسلوب القسم قديمًا وحديثًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية[2]. ومن هنا ينبغي للداعية أن يستخدم أسلوب القسم والتوكيد لبيان أهمية الموضوعات التي يتحدث فيها إذا كانت بحاجة إلى ذلك، وقد استخدم رسول الله ﷺ ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَوَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا يؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ من والدِهِ وَوَلَدِهِ))[3]. قال الإمام العيني: (ويستفاد منه جواز القسم على الأمر المبهم توكيدًا وإن لم يكن هناك من يستدعي الحلف)[4].

سادسًا- من صفات الداعية: التبشير:

إن من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية: صفة التبشير لما فيه من أثر عظيم في القلوب، وقد ورد ذلك في الحديث في قول معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي إدريس الخولاني: (أبشر)، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير[5]، والتبشير بالخير نسب إلى الله في القرآن: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[6]، والملائكة:

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٤.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١/١٤٣.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن حميد ٣/٧٨٠.

(٦) سورة التوبة، آية: ٢١.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١]، والقرآن: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، والمرسلين: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣]، وخاطب الله رسول الله ﷺ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤][٥]، فهو ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة على النذارة في الآية لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[٦].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التحاب والتجالس والتزاور في الله:

لقد دعا الإسلام إلى كريم الأخلاق وجميل الصفات، ومنها التحاب في الله تعالى وإخبار المحبوب بذلك، وما ينتج عن تلك المحبة من بذل الغالي والنفيس، والتزاور والتجالس، كل ذلك ابتغاء وجه الله وإرادة ثوابه، ومما يدل على ذلك ما ورد في الحديث: (فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ)، أي: المتحابين والمتجالسين والمتزاورين من أجل الله لا لعرض ولا لغرض، والمتباذلين فيَّ الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم في مرضاتي[٧]، فإن الأثر الذي يجب أن يكون واضحًا في أخوة الإسلام، والطابع الذي يجب أن يتسم به المسلمون ويكون أساسًا لترابطهم وقيام وحدتهم هو الحب في الله، كما وجّه إلى ذلك رسول الله ﷺ وأوضح ثماره، فعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمان: أَنْ يَكونَ اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣/٧٨٠ - ٨١١.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٩/٢٢/٥٣.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠١.

سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ لله، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّار))[١]، ولقد ضرب السلف -رضوان الله عليهم- أروع الأمثلة للحب في الله، حتى بلغ درجة الإيثار على النفس، وبكل مرتخص وغالٍ، فرسموا بذلك الطريق للسالكين، وامتدحهم الله على حسن صنيعهم وإيثارهم وتفانيهم في الحب في الله، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢][٣].

قال القاسمي: (قوله: "يحبون من هاجرإليهم" أي لوجود الجنسية في الصفاء والموافقة في الدين والإخاء، قال الشهاب: المراد بمحبتهم المهاجرين هنا: مواساتهم وعدم الاستثقال والتبرم منهم إذا احتاجوا إليهم، "ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا" أي لا يجدون في أنفسهم طلبًا أو حسدًا مما أوتي المهاجرين من الفيء وغيره، لسلامة قلوبهم وطهارتها عن دواعي الحرص.

قال القاشاني: لتجردهم وتوجههم إلى جناب القدس وترفعهم عن مواد الرجس، وكون الفضيلة لهم أمرًا ذاتيًا باقتضاء الفطرة وفرط محبة الإخوان بالحقيقة والأعوان في الطريقة، فتقديمهم أصحابهم على أنفسهم لمكان الفتوة وكمال المروَّة ولقوة التوحيد والاحتراز عن حظ النفس)[٤].

إن هذا الحب هو دليل إيمان المؤمن بربه، وقائده إلى جنته[٥]، وصدق الرسول ﷺ ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) انظر: خطب القرعاوي المنبرية، عبد الله بن إبراهيم القرعاوي ٢/٦٧- ٦٨.

(٤) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال القاسمي ٩/١٦/١٠١.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٩١.

(٦) أخرجه مسلم ٥٤.

الحديث رقم (٣٨٣)

٣٨٣- وعن أَبي كَرِيمَةَ المقداد[١] بن معد يكرب رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أخَاهُ، فَليُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وَقالَ: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: هو المقدام بن معدي كرب بن عمر بن يزيد الكِنْدي، كنيته أبو كريمة وقيل غير ذلك.

قدم وهو صغير على النبي ﷺ مع وفد كِنْدة وكانوا ثمانين راكبًا، فأسلم وداعبه النبي ﷺ ومازحه، فاحتفظ المقدام بهذا ذكرى طيبة ومأثرة يفتخر بها. قيل له: إن الناس يزعمون أنك لم تر رسول الله ﷺ قال: سبحان الله، والله لقد رأيته وأنا أمشي مع عمي فأخذ بأذني هذه فقال لعمي: أترى هذا يذكر أمه أو أباه؟[٣]

ونصحه النبي ﷺ فقال له: ((أفلحت يا قُدَيْمُ إن مُت ولم تكن أميرًا ولا جابيًا ولا عَرِيفًا[٤]).

---

(١) الصواب: (المقدام) كما في: سنن أبي داود، وجامع الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٣٩٣) ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٧٠).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/رقم ٦٦٤) وأبو يعلى كما في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (١٨/ رقم ٤٦٢٦) وقال محقق المطالب: إسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٩٣٣) وأحمد ١٣٣/٤ رقم ١٧٢٠٥، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٤٣٦/٢٨، وقال السندي في حاشيته على مسند أحمد: قوله: يا قديم تصغير المقدام. ولا جابيًا من الجباية وهو استخراج الأموال من مظانها وهو كالسعاة للسلاطين. ولا عريفًا -بفتح العين وتخفيف-: هو القيم بأمر القبيلة والمحلة يلي أمرهم ويتعرف الأمير منه أحوالهم لمعرفته بها. وفي الحديث تحذير من التعرض للرياسة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة ولأنه إذا لم يقم بحقه ولم يؤد أمانة فيه إثم واستحق من الله العقوبة.

مسنده ٤٠ حديثًا، انفرد البخاري منها بحديث.

نزل الشام وسكن حمص ومات بها ٨٧هـ وهو ابن إحدى وتسعين سنة. وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته[1].

الشرح الأدبي

دعت أحاديث الباب السابقة إلى التحابب في الله، وبينت أثره على علاقة العبد بربه، وأخبرت عن ثوابه، وأجره، وهذا الحديث يشير إلى معنى مهم يحدث الأثر الأكبر في علاقة المؤمنين ببعضهم، ويساعد على انتشار المحبة، وهو أن يخبر الأخ أخاه بأنه يحبه، وقد جاء المعنى في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعلوم دون مؤكدات، وقد جاءت في صورة الشرط الذي يربط وقوع الجزاء بوقع الفعل، والتعبير ب(إذا) الشرطية دون (إن) للدلالة على تحقق الوقوع؛ لأن ذلك واقع بين المؤمنين، والتعبير بلفظ المحبة يوحي بالمشاعر التي يريد الله أن تشيع بينهم، والتعبير بلفظ الأخوة إشارة إلى تلك الرابطة التي تجمع بين جميع المؤمنين، وفعل الشرط (فليخبره) أمر توجيه، وإرشاد، وتوكيد الجملة بعده تأكيد على ضرورة إعلامه بهذه المحبة التي تحقق التواصل، وتشركه في أجر المحبين، والتعبير بالفعل المضارع يفيد التجدد، والاستمرار للإخبار تجديداً للمحبة حتى تظل الرابطة قوية بين المؤمنين.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤١٥/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٠٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٤/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٣ والسير (٤٢٧/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢١٥/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٤٧/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٨٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٣٧/٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقوية أواصر المحبة والمودة.

رابعًا: من مهام الداعي: دلالة المدعوين على الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

أسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة التي تُشعر المدعو بأهمية ما يؤمر به المدعو ولعل الحكمة من هذا الأمر الوارد في الحديث التعجيل بالأسباب التي تؤدي إلى تعميق أواصر المودة والحبة بين المؤمنين، وقد ورد في الحديث في قوله ﷺ "فليخبره".

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ "فليخبره" والإخبار هو نقل الأمر وتعريفه على حقيقته[1]، وذلك هو المنهج الحقيقي في الدعوة: تبليغها وتعريف الناس بها، وتبليغها إليهم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، وذلك أمر من الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ، يخاطبه ربه آمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقوية أواصر المحبة والمودة:

في هذا الحديث دعوة إلى التلاحم بين أفراد المجتمع الإسلامي والترابط فيما بينهم بتوطيد عربي المحبة والإخاء، فيقول ﷺ إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه"، لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه، واستجلاب زيادة المحبة وفي ذلك حث على التودد والتآلف[4]، وإزالة الاختلاف بين المؤمنين[5]، حتى يكون المجتمع الإسلامي كما أراده

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ب ر).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٠/٣.

(٤) عون المعبود ، العظيم آبادي، ص ٢١٨٧.

(٥) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١٨٨٧/٢.

الله وأراده رسوله ﷺ لُحْمَة واحدة، كما روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى[١].

إن شيوع المحبة والمودة من أسباب استقرار المجتمعات وتماسك أفرادها، قال الراغب الأصفهاني: المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة. فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[٢]، أي محبة في القلوب[٣].

إن محبة المؤمن لأخيه المؤمن وتقوية أواصر المودة والترابط دليل حرص المؤمن على كمال إيمانه وصفاء قلبه، قال أبو عثمان الجاحظ: ينبغي لمحب الكمال أن يعوِّد نفسه محبة الناس والتودد إليهم والتحنن عليهم والرأفة والرحمة لهم، فإن الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الإنسانية[٤].

رابعًا- من مهام الداعي: دلالة المدعوين على الخير:

إن مما ينبغي أن يضطلع به الداعي: دلالة المدعوين على الخير وحثهم عليه، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فما ترك خيرًا إلا ودل الأمة عليه، ومن ذلك ما جاء في الحديث "إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه" فالدلالة على الخير من المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية إلى الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥]، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: جاء رجل إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١.

(٢) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ص٣٦٤.

(٤) انظر: تهذيب الأخلاق، الجاحظ ص ٥٥، ٥٦.

(٥) سورة الصف، آية: ١٠.

النبي ﷺ، فقال: إني أبدع فاحملني، فقال: ما عندي، فقال رجل: يارسول الله: أنا أدله على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ "من دل على خير فله مثل فاعله"[١]، ومن أعلى درجات الخير الدعوة إلى الله عز وجل[٢]. قال تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٣]، أي دعا عباد الله إلى الله، وهو في نفس الوقت في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وذلك عام في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) انظر: الأعمال الصالحات، فضل عبدالرازق محمود، ص ١٤٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧.

الحديث رقم (٣٨٤)

٣٨٤- وعن معاذ رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ أخذ بيدِهِ، وَقالَ: ((**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود والنسائيُّ[1]، بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاةٍ: عقبها أو خلفها أو آخرها[2].

الشرح الأدبي

نرى دائما فعل الرسول ﷺ يسبق قوله، وإذا أمر بشيء كان أول من يفعله حرصاً منه على الخير، وإيجاداً للقدوة الصالحة للأمة في دروب الخير، وقول الرسول ﷺ (يا معاذ) نداء تنبيه، وتكريم، والقسم بالله توكيد لتعظيم ما بعده، وتنبيهاً إلى العناية به، والتوكيد بـ(إن) واللام الداخلة على الفعل المضارع الذي يعطي المعنى استمرارية، ويدل على دوام المحبة، وكثافة هذه المؤكدات تربي المهابة، والعناية والاهتمام بمضمون الخبر مع تمهيد النفوس له بما يدخله عليها دخول الخبر المأنوس، وفيه شرح لصدره؛ لأن الذي يخبره بأنه يحبه هو حبيب الله، والمؤمنين، وخير خلق الله ثم إن هذا الإحساس يبعثه على الاهتمام بما بعده من إرشادات، ونداؤه للمرة الثانية، وهو مقبل عليه مدرك لما يقول يدلل على محبته، وفيه مزيد تودد، وتكريم، والنهي في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٢) واللفظ له، والنسائي في المجتبى (١٣٠٣). وكذا قال المؤلف في الخلاصة (١٥٤٨). وصحّحه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٢٠)، وقال الحاكم (٢٧٣/١): هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٠)، وسيكرره المؤلف برقم (١٤٢٤).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

قوله: (لا تدعن) نهي عن ترك الذكر للتوجيه، والإرشاد، والتعبير بالدبر يفيد تعقيب الصلاة بالذكر مباشرة، وترتيب كلمات الدعاء بدأ بالذكر لأنه يؤدي إلى الشكر، والذكر والشكر يؤديان إلى حسن العبادة، وقد تضمَّن عناصر إصلاح الصلاة، ودوامها، ومواصلة الذكر، وتصدَّره الدعاء بصيغة (اللهم) التي تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً، وتوحي بحالة من السكينة تحقق القبول.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم الأذكار المسنونة عقيب الصلاة، وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يسن للمصلي أن يأتي بالأذكار المسنونة عقب الصلاة من نحو حمد الله تعالى وشكره والصلاة على نبيه ﷺ، وأفضل الأذكار في هذا الشأن ما ورد نصًا عن النبي ﷺ ومنها قوله في هذا الحديث: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".

الثاني: حكم الدعاء بعد الانتهاء من الصلاة، وقد ذكر جمهور الفقهاء[2] أنه يستحب الدعاء بعد الأعمال الصالحة، ومنها الدعاء بعد الصلوات المكتوبة لما فيها من رجاء الإجابة، وخير ما يدعو به المرء الإعانة على الذكر والشكر.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ٥٣٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٧/٢، والمدخل لابن الحاج ٢٩٦/٢، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٦٧/٣، وحاشيتا قليوبي وعميرة ١٩٨/١، ومغني المحتاج ٣٩٣/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٢٠٥/٢، ٢١٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٠/١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٢٤٣/٢، وسبل السلام ٢٩٧/١.

(٢) المدخل لابن الحاج ٢٨٠/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ١٢٦/٢ وما بعدها، والأم، الإمام الشافعي ١٥١/١، والمجموع شرح المهذب، النووي ٤٦٨/٣ وما بعدها، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى الأنصاري ٣٣٩/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٢٧/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٢٠٦/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٦/٢١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الوصية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

خامسًا: من آداب الداعية: اتباع الأساليب التربوية الحكيمة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذكر بعد الصلاة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء بالمأثور والجوامع من الدعاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم "يامعاذ" وأسلوب النداء أسلوب دعوي ناجح لما فيه من التقرب والتحبيب إلى المدعو بتخصيصه، والنداء عليه باسمه وهذا مما يورث المودة والمحبة في القلب. وقد استخدم القرآن النداء في كثير من الآيات، وقد وردت نداءات عامة كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[1]، ونداءات لأمة التوحيد والتي إذا ما ناداها ناداها بأفضل وصف وهو الإيمان كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[2]، فإن الله إذا نادى عباده الطائعين ناداهم بعنوان الإيمان، لأن المؤمن حي بإيمانه والله سبحانه إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم أو ليبشرهم أو ينذرهم أو ليعلمهم ما ينفعهم[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري، ص٧.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الوصية:

تعددت أساليب الدعوة في هذا الحديث ومنها الوصية والتي وردت في قوله ﷺ "ثم أوصيك" وقد تكرر أسلوب الوصية في القرآن وفي السنة في عرض الدعوة إلى الله من ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1] ، ووصف الله مجتمع المؤمنين بالتواصي بالخير قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2]، أي أوصى بعضهم بعضًا بالحق أى الإيمان والتوحيد وتواصوا بالصبر على أداء الفرائض وإقامة أمر الله[3]، وذلك من أسباب السلامة من الخسار، والفوز بالربح العظيم[4].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: القسم والتوكيد:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ "والله إني لأحبك" فأكد محبته لمعاذ بعدة مؤكدات "إن"، ولام التوكيد كما أكده بالقسم الذي عرفه الناس واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية، والمقصود بالقسم في الحديث ثبوت المقسم عليه[5]، وهو محبة رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه.

وقد استخدم القرآن أسلوب القسم في تقرير كثير من الحقائق وإقناع الناس بها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[6]، وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٢.

(٢) سورة العصر، آية: ٣.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٥٢٥/٨، ٥٢٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٦٤.

(٥) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د أحمد أحمد غلوش، ص ٣٢٧-٣٣٤.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٧) سورة يونس، آية: ٥٣.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل:

لقد عد كتّاب الرجال والمناقب كثيرًا من فضائل معاذ بن جبل والتي ورد في الحديث منها محبة رسول الله ﷺ له وقَسَمُ رسول الله ﷺ على ذلك إضافة إلى أخذ يده ، قال العظيم آبادي (وكأنه عقد محبة وبيعة مودة، ثم قال له "أوصيك يامعاذ لا تدعن"، أى إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركن)[١]، وقال ابن علان: (وهذا الحديث أوفى شاهد على فضل معاذ وكمال استقامته واهتمامه بأمور ديانته؛ حيث حصل له هذا المقام الأسني من المصطفى، وذكره توطئة وبعثًا له على امتثال أمره بعده، وقال بعضهم لما صحت محبة معاذ للنبي ﷺ، جازاه بأعلى منها كما هو عادة الكرام ولا أكرم منه ﷺ)[٢]. وتلك من مناقب معاذ بن جبل وفضائله الجمة التي اشتهر بها والتي كان من أبرزها ما حباه الله به من علم وفقه في الدين، فلقد كان معاذ بن جبل رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، وكان من الذين يبعثهم رسول الله ﷺ ويعتمد عليهم في تعليم الناس، قال ابن عبدالبر عنه: (شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجَنَد من اليمن يُعلِّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم)[٣].

وجاءت الأحاديث الصحيحة، والتي تشيد بمعاذ بن جبل رضي الله عنه ومكانته العلمية منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللّهِ عُمَرُ وأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ وأَعْلَمُهُم بِالْحَلاَلِ والْحَرامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بنُ ثابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُم أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ، ولِكُلِّ أُمَّةٍ أمِينٌ. وأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ))[٤]. وكان رضي الله عنه من الذين جمعوا القرآن

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٠٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٢٥٢-١٢٥٣.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٥١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٩٨١).

على عهد رسول الله ﷺ وأمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم، فعن قتادة قال «سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآنَ على عهد النبيِّ ﷺ؟ قال: أربَعَةٌ كلُّهم من الأنصار أبيُّ بن كعب ومُعاذُ بن جَبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد»[1]. وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «سمعت النبي ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب»[2].

خامسًا- من آداب الداعية: اتباع الأساليب التربوية الحكيمة:

إن اتباع الأساليب التربوية الحكيمة من أقرب الطرق للوصول إلى قلب المدعو ونجاح الدعوة، وفي الحديث نجد أن الرسول ﷺ اتبع عدة من الأساليب التربوية في تعليمه لمعاذ من أخذه بيده ومناداته باسمه وإخباره بمحبته وغير ذلك[3]، "أن رسول الله أخذ بيده وقال يامعاذ والله إني لأحبك ثم أوصيك يا معاذ..." الحديث.

لذا ينبغي على الداعية اتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ من أساليب تربوية حكيمة التي من شأنها إذا اتُبعت الوصول بالمجتمع إلى غاية من الرفعة والسمو.

إن القرآن هو الذي قام فعلاً بدور التربية وله فيها منهج فريد يربي بآيته متى صادف الفطرة السليمة والقلب الذكي والعقل الواعي والقدوة الحسنة.

وكان الرسول ﷺ هو المبلغ عن ربه والقدوة الحسنة وصاحب التطبيق العملي لمنهج الداعية الفاهم لدعوته والمربي الذي أوتي كل صفات التربية، فوصل أصحابه بالله عن فهم ومعرفة وإيمان ووصلهم بالقرآن، ففهموه على أنه أوامر للتنفيذ فكان زاد قلوبهم ومطهر نفوسهم وموجه سلوكهم وصلة بينهم وبين ربهم[4].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذكر بعد الصلاة:

إن من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث فضل الذكر بعد الصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤١، ومسلم ١٩١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢.

(٣) نزهة المتقين، شرح رياض الصالحين، د. مصطفى البغا وآخرون، ١/٢٩٧.

(٤) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص ١١.

فقد ورد ذلك في وصية رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل "لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". قال العظيم آبادي: (قوله: "أخذ بيده" كأنه عقد محبة وبيعة مودة، وأوصى معاذ بن جبل بقوله "أحببتك يا معاذ لا تدعن..." أي إذا أردت ثبات هذه المحبة فلا تتركَنَّ عقب كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك من طاعة باللسان وشكرك من طاعة بالجنان وحسن عبادتكم من طاعة الأركان)[١].

وقد أرشد القرآن إلى الذكر بعد الصلوات فبعد ما أمر بالصلوات الخمس حث على الذكر بعدها، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[٢]، قيل أنه أراد به الصلوات الخمس، وقال أبو صالح: قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر، وقال ابن عباس: وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن الليل فسبحه، أى صلاة العشاءين ، وأدبار السجود. ومن تفسيراتها قال أبو الأحوص: هو التسبيح في أدبار السجود، قال ابن العربي: وهو الأقوى في النظر[٣]، وذكر الله ودعاؤه مظهر من مظاهر التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى الله وشدة الحاجة والفقر إليه وفيه يجد العبد طعم المحبة في التقرب من الله والتملق له[٤].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: استحباب الدعاء بالمأثور والجوامع من الدعاء:

إنَّ أفضل الأدعية والأذكار ما ورد في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ، لما في ذلك من صلة المسلم بكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، والدعاء بجوامع الكلم، ألا ترى في وصية الرسول ﷺ لمعاذ بهذا الدعاء دعاءً جامعًا تضمن الإعانة على جميع العبادات

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٨٩.

(٢) سورة ق، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/١٧/٢٤، ٢٥.

(٤) انظر: الفوائد، شمس الدين ابن القيم، ص ٢٨٤.

فقوله: "أعني على ذكرك" أى من طاعة اللسان، "وشكرك"، من طاعة الجنان، "وحسن عبادتك" من طاعة الأركان"[١]، كما أن الذكر شامل للقرآن وسائر الأذكار والشكر يشمل شكر النعم الظاهرة والباطنة سواء كانت دينية أو دنيوية والتي لا يمكن أن يحصيها حاصٍ ولا يعدها عادٍ ، وقوله "وحسن عبادتك" أى القيام بشرائطها وأركانها وسننها من خضوع وخشوع وإخلاص واستغراق وتوجه تام[٢].

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٨٩.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٣.

الحديث رقم (٣٨٥)

٣٨٥- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبيّ ﷺ: ((أأعْلَمْتَهُ[1]؟)) قَالَ: لا. قَالَ: ((أعْلِمْهُ)) فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إنِّي أُحِبُّكَ في الله، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذي أحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أَبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث تطبيق عملي لأمره بأن يعلم الأخ أخاه إذا أحبه، وقام المعنى على الحوار بين النبي ﷺ وبين أحد أصحابه بدأ بنداء تكريم وتشريف للرسول ﷺ إيذاناً بالتوجه بالخطاب إليه، وتمهيداً لما بعده، وقوله (أنِّي لأُحِبُّ هَذَا) ونلاحظ أن أكثر الجمل التي تحمل الإخبار بالمحبة تتضمن عدة عناصر من التوكيد كما مرَّ في الأحاديث السابقة، وكما نرى في هذا الحديث، ولعل ذلك يرجع إلى أن المحبة عمل قلبي لا يظهر، ولا يمكن لأحد أن يطلع عليه؛ فاحتاج الإخبار عنه إلى مزيد توكيد يدفع الشك، ويدخله على النفوس، وهي مهيأة لقبوله، ولذلك أكد العبارة ب(إن) واللام الداخلة على خبر إن، وميَّز المقصود بالإشارة، وقول النبي ﷺ له (أأعْلَمْتَهُ؟) استفهام على حقيقته تمهيداً لإخباره ما ينبغي عليه بأمره بإعلامه، والتعبير بالفعل (لحق) الدال على المتابعة عن قرب، واتصال الفعل بضمير المحبوب دلالة على سرعة استجابة الرجل للرسول ﷺ، وفيه دليل على صدقه، وقد جاء خبره لمن يحب ببعض عناصر التوكيد، وقد جاء رده مفعماً بالمودة، والمحبة (أَحَبَّكَ الَّذي أحْبَبْتَنِي لَهُ) فقد عبَّر بالماضي الدال على

---

(١) لفظ أبي داود: (أعملته).

(٢) برقم (٥١٢٥). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٦٩).

التحقق، والموصول الدال بصلته على من جمعتهم المحبة فيه، وهو الله، واللام في قوله (له) تدل على السببية أي الذي أحببتني بسببه، وإفصاح كل منهما لأخيه عن محبته يقويها، ويضمن لهما الجر من الله كما أنها وسيلة لنشر المحبة بين في أرجاء الأمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إظهار محبة المؤمن لأخيه وإخباره بها.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: إخلاص المحبة لله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

من أساليب الدعوة والتي لها بالغ الأثر في تأليف القلوب وإقبال النفوس لما فيها من إظهار المحبة: أسلوب النداء وقد ورد في الحديث في قول الرجل "يا رسول الله" وفيه أن النداء إذا كان لأصحاب الفضل لابد أن يُراعى فيه التوقير والاحترام خاصة مع رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾[1]. قال قتادة: أمر الله أن يُهاب نبيُّه ﷺ وأن يُبَجّل وأن يُسَوَّد، وقال مقاتل: لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا ياابن عبد الله، ولكن شرفوه فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في قول الرجل لرسول الله ﷺ: "إني لأحب هذا" والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يلقيه في قلب المدعو من التصديق واليقين الناشئ عن

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨٨/٦، ٨٩، زاد المسير، ابن الجوزي، ٦٨/٦.

تأكيد الداعي لدعوته. وقد استخدم القرآن أسلوب التأكيد في تقرير كثير من القضايا خاصة ما يتعلق بجانب العقيدة، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في هذا الحديث: "فقال له النبي ﷺ أعلمته ؟ قال لا"، والسؤال والجواب من الأساليب التي ينبغي أن تراعى في الدعوة لما فيها من تثبيت ما يدعى إليه في أذهان المدعوين، لما فيه من المؤثرات من استدعاء للفت الأنظار وإثارة الانتباه وشدّ الأذهان. واتباع أسلوب السؤال والجواب في الدعوة والحوار يجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على حامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

إن الأمر من الأساليب الدعوية الناجحة ولاسيما في مجتمع المؤمنين لما للأمر من إظهار لأهمية المأمور به وحمل المدعوين على امتثالهم لما تضمنه ما أمروا به، وقد ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ : ((أعلمه)). وقد ورد أسلوب الأمر في كثير من آي القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[4]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[5]، والأمر إذا كان من قِبَل الله أو من قبل

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٢/٥٩.

(٤) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٠.

رسوله ﷺ يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه[١] وقد وصف الله المؤمنين بهذه الاستجابة المطلقة بلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع وذلك مقتضى الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إظهار محبة المؤمن لأخيه وإخباره بها:

إن من حقوق الأخوة بين المؤمنين أن يظهر المؤمن بمحبته لأخيه ويخبره بها، لما في ذلك من إظهار المحبة وشيوع المودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وذلك ما تضمنه الحديث من أمر رسول الله ﷺ بإخبار الرجل لمن يحب بتلك المحبة "فقال يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له النبي ﷺ أعلمته؟ قال لا، قال أعلمه، فلحقه فقال إني أحبك في الله، فقال أحبك الذي أحببتني له" أي أخبره لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة، قال الخطابي: (معناهُ الحث على التودد والتآلف؛ وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب وده)[٣]، وإذا شاعت المحبة في المجتمع على النحو الذي أراده رسول الله ﷺ فسيكون مترابطًا تعلو فيه قيم الأخوة والمحبة والمودة، فالمحبة هى صمام الأمان للمجتمعات، وإذا كان قانون الجاذبية يمسك الأرض والكواكب والأفلاك أن تصطدم فتتساقط أو تحترق وتزول، فقانون المحبة هو الذي يمسك العلاقات الإنسانية أن تتصادم أو تتهاوى[٤].

سادسًا: من موضوعات الدعوة: إخلاص المحبة لله تعالى:

إن إخلاص العمل لله تعالى هو شرط قبولها، وكما روى عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنما الأعمال بالنيات))[٥]، وفي شرح الحديث قال ابن عجلان:

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص٥٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢١٨٧.

(٤) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

"لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله والنية الحسنة، والإصابة"[١]، لذا ركز النبي ﷺ في الحديث على أن تكون المحبة لله "فقال يا رسول الله إني لأحب هذا فقال له النبي ﷺ أعلمته؟ قال لا، قال: أعلمه، فلحقه فقال إني أحبك في الله، فقال أحبك الله الذي أحببتني له"، فالإنسان مكلف بأن يتجه بأعماله كلها إلى الله وحده، ومنها المحبة التي وردت في الحديث وهى من الأعمال القلبية التي يجب أن يتوجه العبد بها لله كما يتوجه إليه بالأعمال الظاهرة[٢].

إن إخلاص المحبة وكونها خالصةً ومن أجل الله تعالى وحده أصل لجني ثمار المحبة والتي منها:

١- استحقاق العبد لمحبة الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكًا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال أريد أخًا لي في هذه القرية، قال هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه))[٣].

٢- الاستظلال بظل الله تعالى يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))[٤].

٣- شرط لاستكمال الإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))[٥].

٤-وُجدان حلاوة الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ثلاث من كن فيه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٧١/١.

(٢) انظر: الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، دون ذكر رقم الطبعة والتاريخ، ص١٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٦.

(٥) أخرجه البخاري ١٣ واللفظ له، ومسلم ٤٥.

وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار))[1].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ثلاثًا من كن فيه وجد حلاوة الإيمان" إنما خص هذه الثلاث بهذا المعنى؛ لأنها لا توجد إلا ممن تنور قلبه بأنوار الإيمان واليقين وانكشفت له محاسن تلك الأمور؛ التي أوجب له تلك المحبة التي هي حال العارفين.

وقوله: "وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله" يعني بالمرء هنا المسلم المؤمن؛ لأنه هو الذي يمكن أن يخلص لله تعالى في محبته وأن يتقرب لله تعالى باحترامه وحرمته، فإنه هو الموصوف بالأخوة الإيمانية والمحبة الدينية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2].

وقد أفاد هذا الحديث أن محبة المؤمن الموصلة لحلاوة الإيمان لا بد أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية والحظوظ البشرية؛ فإن من أحبه لذلك انقطعت محبته إن حصل له ذلك الغرض أو يئس من حصوله.

إن محبة المؤمن وظيفة متعينة على الدوام وجدت الأعراض أو عدمت، وعلى الجملة فمحبة المؤمنين من العبادات التي لا بد فيها من الإخلاص في حسن النيات[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١ واللفظ له، ومسلم ٤٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ١/٢١١-٢١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

من هدي الإسلام تربية أتباعه على حب الآخرين، هذا الحب لا ينتج عن تعامل مادي، ولا ترابط عصبي، بل أساسه التقرب إلى الله به، ومثل هذه الروح إن سرت في المجتمع وجدت أفراده متعاونين متآلفين متحابين كأنهم لبنات في بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً.

إن طرق الجنة في الإسلام كثيرة وإن أبوابها مفتوحة لكل من يلتمس أسباب الدخول، ومنها ما لا يكلف الإنسان عبئاً مادياً ولا جهداً جسمانياً، بل شعور روحي بحق هذا أو ذلك.

وإشاعة روح المحبة مما يحمده الإسلام حتى إنه أوجب إخبار من نحب بحبنا له، وأن نعلن أن ذلك مما يبتغى به وجه الله، لا عرض دنيوي ولا منفعة مادية. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- من مهام المربي: بيان فضل الإخلاص في القول والعمل:

وذلك ببيان شيم المخلصين، الذين رسخ الإيمان في قلوبهم، فهم يجدون حلاوته، فأول هذه الخصائص: "أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا"، والثانية: "أَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ للّه"، والثالثة: " أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُود فِي الْكُفْرِ ...".

فحبُّ الله تعالى من أساسيات الإيمان، ومن واجبات الإخلاص، "فإن من عرف نفسه وعرف ربَّه عرف قطعًا أنه لا وجود له من ذاته؛ وإنما وجود ذاته وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله"، أما حب الرسول ﷺ فإنه واجب ومحمود؛ "لأنه أثر عن حبِّ الله تعالى" [(١)].

ومن الإخلاص أيضًا: الحبُّ في الله تعالى، وقد أخبر النبي ﷺ عن المتحابين في الله، وكيف يكون جزاؤهم في الدنيا والآخرة، وعندما أراد رجلٌ أن يزور أخاه في

---

(١) تزكية الأنفس، سعيد حوّى، ص٢٨١.

الله، قيد الله له ملكًا يقول له: "إن الله قد أحبك كما أحببته فيه"، وهذا معاذاً بن جبل رضي الله عنه يخبر بحبه في الله بما سمعه من النبي ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ... ».

وهذا الحب في الله يوجب على صاحبه المصارحة به إلى من يُحبُّ، حتى يعمَّ الحب ويدوم إذا كان متبادلاً، يقول ﷺ: «إِذَا أَحَبَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ».

ولقد دلَّنا النبي ﷺ على سبب الحب بقوله: «أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ».

ثانيًا- التربية على علو الهمة:

لم يكن المربي الأول يعلم أصحابه ما ينجيهم من عذاب النار ويقربهم من الجنة فحسب؛ بل إنه دائمًا ما كان يخبرهم بما يرفعهم إلى أعلى الدرجات وأسمى الغايات، في الدنيا والآخرة.

يقول ﷺ: "سبعة يظلهم الله في ظله ..."، ثم عدَّ سبعة أصناف من الناس الذين علت هممهم، وتساموا واستعلوا بأخلاقهم وأفعالهم، حتى استحقوا هذا الظل الدائم الوارف.

إن ما يجمع بين هؤلاء السبعة هو الإخلاص وعلو الهمة، والتطلع إلى معالي الأمور، والترفع عن الدنايا والصغائر؛ فأولهم "إمام عادل"، كان بإمكانه أن يكون ظالمًا، ولكنه رأى نفسه كبيرًا فعدل في ملكه، وثانيهما: "شاب نشأ في عبادة الله"، مع أن الشباب مظنة المعاصي والتجاوز؛ نظرًا للقوة والفتوة والفحولة والنشاط والحيوية، ومع ذلك فإن هذا الشاب تغلب على غرائزه، وكبح شهواته، فنشأ في عبادة الله، وهذا يعد من النماذج الرائعة التي ينبغي أن تحتذى، ويربي الإنسان نفسه على أن يكون نموذجًا طيبًا مثل هذا الشاب الذي نشأ في عبادة الله.

أما الثالث: فقلبه "معلق بالمساجد"، وتلك غاية سامية، أن يصير القلب مرتبطًا بأطهر البقاع، وأن يربى المؤمن نفسه على العبادة والتوبة والخضوع والإنابة إلى الله تعالى، فهذا نموذج تربوي رائع، يجعل نفس الإنسان تهفوا إلى طاعة الله ورضوانه وما

أحوج المسلم إلى تنمية الجانب الروحي في نفسه.

والرابع: "رجلان تحابا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرقا عليه" وما أكثر ما يتحاب الناس، ولكن لمصالح دنيوية، أما هذا النموذج من الحب في الله ففيه سمو وترفع خلقي واستعلاء عن الأغراض المادية، مما يعزّ على الكثير، حيث أصبحت المصلحة والأمور المادية هي المحرك الأساسي للعلاقات والتواصل بين الناس، ومن الأمور التي يندى لها الجبين أن العلاقات بين الأهل والأقارب أصبحت مرتبطة بمدى الانتفاع المادي، فإن انتفت المصلحة والمنفعة، كانت القطيعة والفتور في العلاقات، وهذا لون من ألوان المعاناة النفسية للمسلم في هذا الزمان، الذي عزّ فيه الحب في الله بين الناس، إن مثل هذا النموذج من التحاب في الله ينبغي أن يحتذى، وأن يحاول الإنسان أن يوطن ويربي نفسه على الحب في الله.

والخامس: "رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال، فقال: إني أخاف الله"، وهذه من الصفات التي يصعب أن تتحقق إلا في رجل أخلصه الله لعبادته، واختاره لمحبته؛ فتغلّب على شهوته، وفاضل بين لذة عارضة سريعة، وبين النعيم المقيم، فاختار ما عند الله، إن التربية على الطهر والعفاف من أهم ما ينبغي أن يركز عليه المربون خاصة مع الشباب الذي يعاني الفتن، ومظاهر التبرج والسفور، والانحلال الخلقي الذي استشرى في كثير من مجتمعات المسلمين اليوم، من خلال الغزو الثقافي والتغريب الاجتماعي، ومن ثم فإنه يتعاظم في هذا العصر دور القائمين على التربية والأسرة في إعلاء قيمة الفضيلة، وبيان أهمية العفاف، واجتناب الفتن، ولذا فإن هذا النموذج الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث: "رجل دعته امرأة ..."، ينبغي أن يُحتذى.

وسادسهم: "رجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه"، إنه سمو روحي؛ فما أكثر ما ترغب النفس في أن تُرى في هذا الموضع، موضع العطاء، لتكسب بذلك الفخر والمحمدة في الدنيا، ولكن الإخلاص في العبادة، يدفع صاحبه إلى أن يعطي ولا ينتظر حمدًا، إنه يطمع فيما عند الله، فتصدق ولم يحدث نفسه بجوده، فلا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

وسابع هذه الأصناف الفريدة من الناس: "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"، إنهما لم تفيضا رياءً ولا تملقًا؛ لأنه ذكره خاليًا دون أن يراه أحد، وهذا تربية على مراقبة الله وحده، والتسامي عن الاعتداد بالناس، وانتظار ثنائهم.

إن علوا الهمة "خلق رفيع ... تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وهو من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية؛ كالجدِّ في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا، والطموح إلى المعالي" [(١)].

ولقد أحسن الشاعر حين قال:

إذا غامرتَ في شَرَفٍ مَرُومٍ ... فَلا تَقْنَع بِمَا دُونَ النُّجُومِ

ثالثًا- التربية بالترغيب:

لقد رغَّب ﷺ في عمل الصالحات؛ لأنها مؤدية إلى مثوبة الله الجزيلة في الآخرة، وسبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله..."، ثم يُعدِّد النبي ﷺ هؤلاء السبعة، الذين سينعمون بالظل من حرِّ يوم القيامة.

وفي حديث آخر يُرغب النبي ﷺ في الحب في الله بقوله: "المتحابون في جلالي لهم منابر من نور..".

"وتبرز أهمية التربية الترغيبية من كونها أسلوبًا رائعًا يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين الناس؛ ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا؛ لكونها خطوة حتمية لتنفيذ الشريعة في المجتمع الإسلامي؛ وذلك لأن أساس الأوامر والنواهي في الإسلام هو جلب المصلحة ودفعُ المَضَرَّة"[(٢)].

رابعًا- التربية بالتوجيه المباشر:

وقد بدا ذلك في توجيه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل إلى أن يقول دبر كل صلاة: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، وفي قوله: "وإذا أحبَّ الرجل أخاه فليُخبره...".

---

(١) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص١٠٧.

(٢) تربية الأبناء والبنات، خالد عبدالرحمن العك، ص١٨٧.

"والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من الطلاب القيام بعمل معين..." [١]. و"العادة هي توظيف طاقات الإنسان وقدراته وجهده في جوانب الخير، وتحويلها إلى عادة سهلة وميسرة" [٢].

خامسًا- من مهام المربي: تعميق العلاقات الاجتماعية بين المربين:

وليس أحرص من النبي ﷺ على تماسك المجتمع الإسلامي، وسيادة روح المحبة والوئام فيه، يقول: "إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه"، وفي موضع آخر: يسأل النبي ﷺ صاحبه الذي أخبره بأنه يحب رجلاً في الله، فقال له: "أأعلمته؟" قال: لا، قال: "أعلمْهُ".

وبهذه المصارحة بالحب يصير متبادلاً بين الأخوين المسلمين، ويقوي الترابط بينهما؛ لأن علة المحبة قائمة لا تزول؛ لأنها في الله تعالى.

وتهدف تعاليم الإسلام "إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء" [٣].

سادسًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية في هذا الباب القصة، التي تشحذ النفوس بأحداثها، وتشوق القلوب، فيثبت المبدأ التربوي المراد تثبيته، ويبدو ذلك في القصة التي رواها أبو إدريس الخولاني، عندما بُصر بمعاذ بن جبل رضي الله عنه بمسجد دمشق، ولقيه في اليوم التالي، وأخبره بأنه يحبه في الله، قال: "فأخذني بحبوة ردائي، فجبذني إليه فقال: أبشر...".

"وللقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية مهمة، لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي؛ إنها تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة، بعيدة المدى على مرِّ الزمن، لما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه، وتجديد عزيمته بحسب إيماءات القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها" [٤].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٢٨٤.

(٢) السابق ٢٨٣.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٠.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٤٠٧.

سابعًا- التربية الاجتماعية:

تتضمن أحاديث الباب التربية الاجتماعية للفرد والمجتمع من خلال تقوية المحبة والعلاقة بين المسلمين، وذلك أن يظلل أفراد المجتمع حب بعضهم لبعض لا لحاجة من حاجات الدنيا، حبًا يقصد به وجه الله تعالى، فمحبة المسلم لأخيه المسلم نابعة من حبه لله ولرسوله ﷺ ولدينه، فالحب في الله يدوم، كما أن المحبة في الله من كمال الإيمان.

ويمكن تحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع المسلم إذا تحققت المحبة بين المسلمين في الله، ساد الأمن والاطمئنان في المجتمع لأن الجميع سوف يسعى في صلاح من يحب وجلب الخير له، ودفع ما يضره عنه، كل واحد منهم آمن ومأمون، كما أن المحب لمن يحب مطيع.

ثامنًا- تنوع الأساليب التربوية:

في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-المناقشة والحوار: كحديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمرّ رجل به فقال: يا رسول الله إني لأحبّ هذا فقال له النبي ﷺ: "أأعلمته" الحديث.

ب-توجيه الأسئلة: وهذا واضح من قول معاذ بن جبل رضي الله عنه لأبي مسلم الخولاني عند أخبره أنه يحبه، قال: آلله؟ وتوجيه الأسئلة يفيد في تقويم ما تعلمه المتعلمون ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.

ج-التكرار: وهذا واضح من قول معاذ بن جبل: آلله؟ ثلاث مرات. ولا شك أن التكرار يفيد في جذب انتباه المتعلم.

د-الوصية: وهذا واضح من قول النبي ﷺ ثم أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" والوصية تدل أهمية الموصى به.

٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد

والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤].

الحديث رقم (٣٨٦)

٣٨٦-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **((إنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِيَ وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ[1]، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))** رواه البخاري[2].

معنى (**آذنته**): أعلمته بأني محارِب لَهُ. وقوله: (**استعاذني**) روي بالباءِ وروي بالنون[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) لفظ البخاري: (لأعطينه) بلام التأكيد.

(٢) برقم (٦٥٠٢) وقد تقدم برقم (٩٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٧٨/١٢): ضبطناه بوجهين، الأشهر: بالنون بعد الذال المعجمة، والثاني: بالموحدة، والمعنى: أعذته مما يخاف.

الشرح الأدبي

المتأمل لبناء الحديث يجد أنه يجسِّد النموذج الأكمل لمسلم يسعد المجتمع بانتمائه إليه لأنه يكون مصدر خير مطلق لكل من حوله يؤدي الأمانة ويساعد الضعفاء ويرفع المعاناة عن الآخرين فهو متفانٍ في مرضاة الله على كل وجه، والرسول ﷺ إذ يرفع هذا النموذج بين أعين أصحابه وبعد أن يبيّن طريقة الوصول إلى هذه المنزلة يريد أن يبني مجتمعاً مثالياً فاضلاً يجنب أفراده الخطأ حيث تتسامى نفوسهم عن الدنيا، وتطمح إلى مرضاة الله ضاربة سهام الخير في كل واد.قد استخدم لبيان ذلك ورسم صورة للمسلم المثالي والنموذج الأعلى لولي الله، عدة أساليب بلاغية منها :البداية بأسلوب خبري قصد منه إفادة الخبر مع إثارة مشاعر الإجلال والرهبة حول المقول في قوله (إن الله قال...) لصدوره عن الذات الإلهية، وإسناد الرسول ﷺ الكلام لله تعالى في قوله (إن الله قال...) ارتقاء بمستوى الكلام البشري إلى الكلام الإلهي، وهذه النقلة تعطي الخبر صفة القدسية التي توفر عليه اهتماماً وعناية وقبولاً، لأن الفرق بين كلام الله وكلام خلقه كالفرق بين الله وخلقه. وهو حديث قدسي معناه لله ولفظه للرسول ﷺ وقوله: (من عادى لي ولياً...) جملة خبرية تتسم ككل الأساليب الخبرية بهدوء وثقة، خلت من المؤكدات؛ لأنها مقولة للقول المؤكد بأكثر من مؤكد في قوله: (إن الله قال...) بالإضافة إلى أن إسناد القول لله زاد الأمر توكيداً لصدق الخبر وقبول المخاطبين له، وهي جملة شرطية تضفي على الأسلوب تشويقاً لتعلقها بالشرط فمن طبيعة الجملة الشرطية شدة اتصال معانيها، وبنائها على هذا الاتصال بجملة الجواب مما يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً إليه.

وقد جاءت جملة الجواب (فقد آذنته بالحرب) مترتبة على جملة الشرط دون مهلة زمنية، إشارة إلى سرعة هذا الجزاء، والأسلوب ببنائه يوحي بعزة الربوبية في رعاية الولي، والذَّبِّ عنه كما يوحي بسيطرة الألوهية في حرب أعداء وليه وسرعة إهلاكهم، وفي قوله: (فقد آذنته بالحرب) مجاز مرسل في قوله (آذنته) حيث عبّر باللازم وهو الإيذان بمعنى الإعلام، وأراد الملزوم وهو الاستحقاق، والعلاقة اللزومية،

وفي قوله: (بالحرب) مجاز مرسل حيث أطلق اللازم (الحرب) وأراد الملزوم، وهو الإهلاك والإذلال، والتعبير بالمجاز في قوله (آذنته) يفيد مع معنى الاستحقاق معنى التحذير والتهديد ويترك فرصة العودة لمرتكب هذا الخطأ حتى يرجع عن معاداة وليه، لأن الإعلام سابق للحرب فالعودة ممكنة، والتعبير بالمجاز في قوله (بالحرب) مع ما يفيده من الإهلاك يثير في النفوس كل تبعات الحرب من مشقة اللقاء ومنظر الدماء وتطاير الأشلاء وغيرها، وهذا من شأنه التأثير في النفوس التي تميل للركون للراحة وتؤثر السلامة فترجع عن الخطأ، وتقديم الجار والمجرور في قوله (من عادى لي ولياً...) يفيد العناية والاهتمام، وفيه تشريف لهذا الولي، قوله: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه) الواو: للاستئناف، وكأن الله تعالى بعد أن بيَّن منزلة وليه عنده بدأ في ذكر الأسباب الموصلة إلى تلك المنزلة وأولها أداء الفرائض، وتقديم الجار والمجرور (إليَّ) في قوله: (وما تقرب إليَّ...) تخصيص وإشارة إلى وجوب توافر الإخلاص في القصد والعمل، ومن دونه لا يتحقق القرب، وإضافة العبد لياء المتكلم في قوله (عبدي) تشريف للعبد وإشادة به بنسبته إلى عبودية الله، وتنكير كلمة (شيء) للتقليل ومعناه - والله أعلم - أن العبد إذا أخلص في عمله كان سبباً في قربه مهما كان حجم العمل فمدار قبول العمل على الإخلاص، وقوله: (أحب إليَّ) التعبير بأفعل التفضيل يفيد المبالغة في المحبة، وقوله (وما يزال عبدي يتقرب إلي) والتقرب هو طلب القرب "وقرب العبد من ربه يقع أولاً بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه، وامتنانه، وقوله تعالى: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به...إلخ) معناه أني أكون له في إعلامه ما لم يعلم، وتبشيره بما يجب كسمعه الذي يوصل إليه الأنباء والمعلومات، وكنت له في تبصيره ما خفي من الآيات، وانبهم من الدلالات ولطف من اللمحات كبصره، الذي ينقل إليه صور المرئيات، وكنت له في عمل ما يجب، ونفاد ما يريد، وتسخير ما يشاء، وتذليل من يشاء كيَدِه التي يبطش بها، وكنت له في الإيصال إلى المقاصد والمرامي، وإدناء الغايات والأماني كرجله التي يمشي بها، وكنت له في

إلهامه الحكمة، وإيتائه البصيرة والفطنة بما أنزل في قلبه من نوري، وما أبديه له من أسراري كفؤاده الذي يعقل به المعقولات، ويدرك به المدركات، وكنت له في إنطاقه بالحجج والبينات، والقضايا المحكمات كلسانه الذي هو آلة المقال، وأداة البيان.

وهذه المنزلة هي محطُّ أنظار السالكين ومطمح نفوسهم ومنتهى آمالهم؛ لذلك رفع الرسول ﷺ بحديثه هذا النموذج الأعلى لصحابته الكرام ومَنْ بعدهم حتى يكون عَلماً تطمح نفوسهم إلى تحقيقه، قوله: (وإن سألني لأعطينه) أسلوب شرط علّق فيه الجواب وهو العطاء على الشرط وهو السؤال، وقوله (ولئن استعاذني لأعيذنه) جملة شرطية فعلها ماض يدل على التحقق، وقوله: (ولئن استعاذني) أي طلب عياذي مما يكره فحذف المتعلقين اختصاراً ولإفادة العموم، والرسول ﷺ بتحديد ملامح شخصية ولي الله الذي يتحرك ويسكن وفق ما يرضي الله يؤدي الفرائض ويتقرب إلى الله بالنوافل حتى ينال محبة الله، بهذا البيان يتضح خطأ الذين يتخذون الدجالين، والمشعوذين، والمجانين أولياء يبنون لهم النصب والأضرحة ويدعونهم من دون الله - وهو شرك بالله - ويضلون غيرهم من العامة، ومن الجدير بالذكر أن بلوغ المؤمن مرتبة الولاية لا يعني أن يُتَّخذ إلها من دون الله، كما يفعل جهال الأمة مع أولياء الله، يدعونهم، ويتخذون قبورهم مساجد، ويذبحون لهم من دون الله، وهو لون من ألوان إيذاء أولياء الله بل هو من أشد ألوان الإيذاء لأن أقبح الذنوب أن يتخذ الإنسان إلهاً من دون الله، ولو كان هذا الولي حياً لتأذى بما يرى، وإيذاء الميت أشد من إيذاء الحي.[1]

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ١١٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٥).

الحديث رقم (٣٨٧)

٣٨٧- وعنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبريلُ، فَيُنَادِي[1] في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ)) متفق عليه[2].

وفي رواية لمسلم[3]: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله تعالى إذا أحب عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إنّي أُحِبُّ فلانًا فأحببهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماءِ، فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبوهُ[4]، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ، وَإِذَا أبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبغِضُهُ جبريلُ، ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القبول: المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه[5].

البغضاء: المقت والكراهية[6].

---

(١) عند البخاري زيادة: (جبريل).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) واللفظ له، ومسلم بعد حديث (٢٦٣٧/١٥٧، بدون رقم) ولم يسق لفظه، وقال: غير أن حديث العلاء بن المسيب ليس فيه ذكر البغض.

(٣) (٢٦٣٧/١٥٧).

(٤) لفظ مسلم: (فأحبه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢٢٣/٣، رقم ٢٤٧٧)..

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ل).

(٦) المعجم الوسيط في (ب غ ض).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول محبة الله للعبد، وأثرها على العبد، وعلاقته بمن حوله، وقد جاء في ثوب الشرط الذي يربط الفعل بالجواب، وكلاهما جاء في صورة الماضي الذي تحقق، ومحبة الله غاية يسعى إليها كل مؤمن، وقوله (نادى جبريل) جواب الشرط الذي يحكي سريان المحبة من مصدرها الأعظم من الله إلى جميع المخلوقات بداية بجبريل، ومروراً بأهل السماء، وانتهاءً بأهل الأرض، وفيه بيان لأثر فعل الله في الكائنات، وهذا التدرج من الأعلى إلى الأدنى في سريان المحبة ينبه العبد الذكي إلى أن يسعى لتحصيل محبة الله، وإن كانت على حساب غضب الخلق، وألا يسعى إلى محبة الناس بما يغضب الله؛ لأنها ناقصة، وقلوبهم متقلبة، والحب الثابت ما كان من عند الله متصلاً به، وقوله (إنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلاناً) جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) مع اسميتها لإزالة أي شك يمكن أن يخالج نفس المخاطب مع ما يوحي به التوكيد من أهمية الخبر، وعناية المتكلم به، وهو نوع من تمهيد النفوس لاستقبال نوعية الأخبار التي تتسم بالطرافة، وتحمل نوعاً من الغرابة، وتتميز بأهمية خاصة عند المتكلم، ويريد أن يبثها في نفس السامع، وقوله: (فلاناً) كناية عن الشخص المحبوب، واختياره في التعبير يفتح الباب لكل من سعى إلى محبة الله، ونالها، وقوله (ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ) كناية عن محبة أهل الأرض، ورضاهم، والملاحظ في عطف الجمل أنه استخدم الفاء في الربط بين الجمل إلا في موضع واحد استخدم فيه ثم، فاستخدم الفاء دلالة على السرعة، والفورية في تنفيذ الأمر، من جبريل، وأهل السماء، واستخدم ثم في العطف في الجملة الأخيرة التي تخص قبول أهل الأرض دلالة على أن على المؤمن أن يصبر على الناس، ويتحمل منهم، لوجود العوائق التي قد تؤخر وجود هذه المحبة في نفوس الناس، لكنها ستتحق مهما تأخرت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعـوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النداء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب فيما يؤدي إلى محبة الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إثبات صفتي المحبة والبغض لله تعالى.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان محبة الملائكة وبغضهم للعبد.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان محبة وبغض الناس للعبد وعلامة ذلك.

أولاً- من أساليب الدعـوة: التوكيد:

ورد التوكيد في هذا الحديث، حيث تكرر في قوله ﷺ: "إذا أحَبَّ اللهُ تعالى العبدَ نادَى جبريلَ: إنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ فلانًا فأحببْهُ ... الحديث" لما لأسلوب التوكيد من بيان لأهمية الأمر، وتقبل المدعوين له، خاصة إذا كان الخطاب موجهًا للمؤمنين.

وقد ورد أسلوب التوكيد في كثير من آي القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2]. لذا ينبغي عل الداعية أن يستخدم أسلوب التوكيد في بعض الأمور والقضايا التي يتحدث فيها إذا كانت لها أهمية كبيرة للتأكيد على صحتها أو ثبوتها.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

تكرر الأمر في هذا الحديث في قوله ﷺ "إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه... الحديث" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما يحمله في طياته من أهمية ورفع لشأن المأمور به وحمل المدعوين على المسارعة للإذعان له والامتثال به.

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣٤.

وقد كثر ورود أسلوب الأمر في القرآن بصيغ متعددة، منها الصريح، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، ومنها غير الصريح كأن يجيء الأمر في صورة إخبار عن تقرير الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٣]، وكأن يجيء في صورة مدح الفعل أو مدح فاعله، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤]،[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النداء:

تكرر النداء في الحديث في قول الله تعالى وفي قول جبريل عليه السلام، "نادى جبريل ... فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء ... الحديث"، وأسلوب النداء يتضمن استمالة المدعو ولفت نظره لما للنداء من أثر في النفوس. وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية الناجحة لما لها من بالغ الأثر في نفوس المدعوين، وقد ورد أسلوب النداء في كثير من النصوص القرآنية والنبوية، ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ))[٦].

قال ابن أبي جمرة: والحكمة في نداءه باسمه تظهر من وجهين:

الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطره فيكون ذلك سببًا لتحصيل جميع ما يلقى إليه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٥) انظر: الموافقات، الشاطبي، ١٤٤/٣، ١٤٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٧٠.

الثاني: إن في ندائه باسمه إدخال السرور عليه، لأن النداء أبدًا إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف وهو نداء سيد الأولين والآخرين[١].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب فيما يؤدي إلى محبة الله تعالى

ورد ذلك ضمنيًا في الحديث في تحصيل ما يؤدي إلى محبة الله تعالى، فكلٌ يتطلع إلى محبة الله له، ومحبة الله للعبد لها علامة، منها كون الإنسان متبعًا لرسول الله ﷺ؛ فإنه كلما كان الإنسان لرسول الله ﷺ أتبع كان لله أطوع، وكان أحب إلى الله تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٤]،[٥]، قال ابن القيم: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطي الناس بدعواهم لادعى الخليُّ حُرقة الشَّجِيِّ فتنوع المدَّعون في الشهود فقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٦]،[٧]. فهذه الآية هي الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقًا إلى محبته ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ

---

(١) بهجة النفوس، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ١٣٤/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٣٩/١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٧) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٣٤/٣.

من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما.

فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه [١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إثبات صفتي المحبة والبغض لله تعالى:

جاء في الحديث التصريح بإثبات المحبة لله في قوله ﷺ: "إذا أحب الله تعالى عبدًا... إن الله تعالى يحب فلانًا"، وإثبات البغض أيضًا لله في قوله: "وإذا أبغض عبدًا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانًا... إن الله أبغض فلانًا..." وقد ورد إثبات صفة المحبة لله في كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [٣]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٤]، وذلك ماعليه أهل الحق من إثبات المحبة صفة حقيقية لله عز وجل، كما يليق به تعالى كسائر صفاته [٥] فإن ذلك يدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٦]، وإثبات صفة المحبة لله عز وجل على هذا النحو لا يقتضي نقصًا ولا تشبيهًا، وكما يثبت أهل الحق صفة المحبة لله عز وجل يثبتون لازم تلك المحبة وهى إكرام الله عزوجل لمن يحبه وإثابته [٧].

وما قيل في إثبات صفة المحبة لله تعالى كذلك يقال في إثبات صفة البغض وما في معناه من الغضب والسخط والأسف الكره والمقت لله تعالى، ومن الآيات الدالة على

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٤) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، ٣٩٦/٢.

(٦) سورة الشورى، آية: ١١.

(٧) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ١٣٥.

ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[٣]. والمراد من الآية شدة الغضب والسخط، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾[٤]، وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٥]. فتضمنت هذه الآيات إثبات بعض صفات الفعل من الرضا لله والغضب واللعن والكره والسخط والمقت والأسف، وهى عند أهل الحق صفات حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك، ولا يلزم منها ما يلزم في المخلوق[٦] فمحبة الله وبغضه لبعض الأشخاص والأعمال والأخلاق صفة له قائمة به وهى من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق بمشيئته فهو يحب بعض الأشياء دون بعض على ما تقتضيه الحكمة البالغة[٧].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان محبة الملائكة وبغضهم للعبد:

إن من دلائل محبة الله للعبد ومقتضياتها محبة الملائكة للعبد كما أن بغض الملائكة للعبد تبع لبغض الله عز وجل له، وقد ذكرت في الحديث محبة الملائكة وبغضهم للعبد في قوله ﷺ: "فيحبه أهل السماء؛ ... فيبغضه جبريل ... الحديث"، قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا أحب الله عبدًا دعا جبريل: إني أحبه فأحبه ... إلى قوله: "فوضع له القبول في الأرض" وقال مثله في البغض، محبة الله عبده: إرادة الخير به في

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٨.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٥٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤٦.

(٥) سورة الصف، آية: ٣.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، ١٤١، ١٤٢.

(٧) المرجع السابق، ١٤٥، ١٤٦.

الدنيا والآخرة من هدايته له وإنعامه عليه ورحمته له، وبغضه له: أراد به شقاء عقابه وشقاوته في الدنيا والآخرة، وقد تكون محبة جبريل والملائكة على وجهها من معنى المحبة وظاهرها التي تليق المخلوقين، ويتنزه عنها الخالق، وهو ميل النفس ونزوع الروح والقلب إليه وحب لقاءه، وأنه لما كان ممن أطاع وأحبه الله كان ممن يجب أن يكون مع جبريل والملائكة متحابين في الله، وقد يكون من جبريل والملائكة استغفارهم له، وذكرهم الجميل في الملأ الأعلى له ودعائهم له[1]، وكذا قال ابن علان: (ومحبة جبريل وأهل السماء محتملة أن يراد استغفارهم للعبد وثناؤهم عليه ودعائهم له، وأن يراد بها ظاهرها المعروف من الخلق، وهو ميل القلب إلى المحبوب وشوقه إلى لقائه، وسبب حبهم له كونه مطيعًا لمولاه محبوب له)[2].

وقد أورد القرآن كثيرًا من دلائل محبة الملائكة للعبد المؤمن من استغفار ودعاء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[3]، أي ويستغفرون لأهل الأرض من آمن منهم بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب[4] فما أكرم المؤمن على الله![5].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان محبة وبغض الناس للعبد وعلامة ذلك:

ورد في الحديث بيان أن محبة الناس الصادقة وإقبالهم على العبد نتاج طاعته لله ومحبة الله له، وبغضهم علامة على بغض الله تعالى له، وجاء ذلك في قوله: "ثم يوضع له القبول في الأرض... ثم توضع له البغضاء في الأرض"، قال القاضي عياض: (وقوله:

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٦/٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٧.

(٣) سورة غافر، آية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٠/٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/١٥/٨.

"فيوضع له القبول في الأرض" وهو الرضاء والحب في القلوب، أي تقبله وتميل إليه، ولا تنفر عنه ولا ترده)[١]، وقال ابن حجر العسقلاني: (والمراد بالقبول المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه، ويؤخذ من الحديث أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، والعكس ومحبة الخلق للعبد في اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن)[٢]، والمحبة من الإنسان على هذا النحو لإخوانه المؤمنين من الأسس التي حرص الإسلام على أن يقيم علاقة المجتمع الإسلامي عليها ليجعل من المسلمين أمة قوية يحسب حسابها ويرهب جانبها، فرابطة المسلمين أقوى من أن تُحَلّ، ووحدتهم أعصى من أن يَنَال منها عدو[٣].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٦/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

(٣) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ١٩١-١٩٢.

الحديث رقم (٣٨٨)

٣٨٨- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رَسُول الله ﷺ بعث رجلاً عَلَى سَرِيَّة فَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بـ ﴿قُل هُوَ الله أَحَدٌ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ؟)) فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَانِ فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أَخْبِرُوهُ أَنَّ الله تَعَالَى يُحِبُّهُ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول شكلاً من أشكال المحبة لله تعالى والتقرب إليه بصفاته، والراوي يبدأ حديث بأسلوب خبري تصدرته عدة مؤكدات، وتصدُّرُ المؤكدات دليل على أهمية الخبر والتنبيه إليه؛ ولذلك تجد أكثر أحاديثه يسبقها، أو يحدوها نوع من تمهيد النفوس بنوع، أو أكثر من المؤكدات، بيد أنها تختلف كماً، وكيفياً بحسبة طبيعة المعاني، وأحوال المخاطبين، وقول الرسول ﷺ (سَلُوهُ لأيِّ شَيءٍ يَصنَعُ ذلكَ؟) الأمر للتوجيه، والإرشاد، والاستفهام عن الغاية، والغرض الموجه لتكرار الفعل، لأن النية تحدد قيمة العمل، وقوله: (لأنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا) أكد الخبر بعدة مؤكدات؛ لأنه يتحدث عن عمل قلبي، والأعمال القلبية لا يطلع عليها إلا الله- كما أسلفنا الذكر - فاحتاج إلى بناء الأسلوب على ما يدفع عنه الشك، ويوفر له القبول،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣/٢٦٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٢٧.

ونسبة الصفة إلى الرحمن للتخصيص، وذكر هذه الصفة خاصة لما فيها من معنى الرحمة الغامرة، وقوله (فأنا أحب) الفاء للسببية، وذكر الضمير مع إمكان الاستغناء عنه للتخصيص، وفعل المحبة المضارع يدل على الاستمرارية في تلك العاطفة النبيلة التي دفعته لتكرار السورة الكريمة، وقول الرسول ﷺ (أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّه تعالى يُحبُّهُ) الأمر فيه إشادة، وتنويه، ومدح للرجل، وترغيب في محبة الله بأسمائه، وصفاته، وتوكيد جملة (أَنَّ اللَّه تعالى يُحبُّهُ) لتعظيم، وإجلال المعنى الذي تحمله العبارة مع ما توحي به محبة الله من معاني التقريب، والتوفيق، والإنعام، والنصرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: الجهاد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل سورة الإخلاص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ في شئونهم وأحوالهم.

خامسًا: من صفات الداعية: التثبت قبل إصدار الأحكام.

أولاً- من ميادين الدعوة: الجهاد:

إن ميادين الدعوة كثيرة ومتنوعة ومنها ميدان الجهاد، والذي ورد في الحديث "أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً" ففي ميادين الجهاد خاصة في أعقاب الحرب تسنح الفرصة تمامًا للدعوة بأن ينتشروا وينشروا الإسلام ويعرِّفوا به، فلم يكن الجهاد في يوم من الأيام حربًا قائمة على القهر والغلبة، وإنما شرع ليفتح الطريق أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص[1].

ولذا كان الجهاد في الإسلام لتذليل العقبات أمام الدعوة الإسلامية، وقد أفاد الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والسلف الصالح من الجهاد في نشر الدعوة بالحكمة

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص ١٧، ٢٠.

والموعظة الحسنة، وإعلام الناس بالمبادئ الإسلامية القويمة لأجل إخراجهم من الظلمات إلى النور. إن الإسلام يهتم بدعوة العالم الإنساني إلى الدخول في هدايته لينعم بهذه الهداية ويستظل بظلها الوافر الظليل.

وإن الأمة الإسلامية هي الأمة المنتدبة من قِبَل الله لإعلاء دينه وتبليغ وحيه وهي منتدبة كذلك لتحرير الأمم والشعوب، وهي بهذا الاعتبار كانت خير الأمم.

ومادام أمرها كذلك فيجب عليها أن تحافظ على كيانها الداخلي وتكافح لتأخذ حقها بيدها وتجاهد للتبوأ مكانتها التي وضعها الله فيها.

إنه لا يوجد دين من الأديان دفع بأهله إلى غمرات الحروب وقذف بهم إلى ساحات القتال في سبيل الله من أجل الحق والعناية بالمستضعفين ومن أجل أن يحيا الناس حياة كريمة غير الإسلام[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

جاء أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله: "فقال سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها من صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها ..." والسؤال من أنجح أساليب الدعوة لما فيه من لفت الأنظار وإثارة الانتباه، وشد الأذهان للدعوة والإقبال بالقلوب عليها.

لذا ينبغي على الداعية أن يهتم بهذا الجانب من الأساليب الدعوية، وأن يطرح على المدعوين من الأسئلة ما يشد انتباههم، إضافة إلى أن السؤال والجواب بصفة عامة من وسائل تحصيل العلم ونشره، وإلى ذلك أشار ابن حجر يقوله: (العلم سؤال وجواب، ومن ثم قيل: حسن السؤال نصف العلم)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل سورة الإخلاص:

إن لسورة الإخلاص من الفضل ما لا يخفى على أحد، وهو من دافع هذا الصحابي في ختم الصلاة بها كل ليلة وحبه لها" فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧١.

بها"، وأنَّ حبها سبب لمحبة الله للعبد، فقال النبي ﷺ عن ذلك الصحابي الجليل الذي كان دائمًا ما يختم صلاته بقل هو الله أحد "أخبروه أن الله تعالى يحبه"، قال المازري: (إن البارئ عز وجل لا يوصف بالمحبة المعهودة فينا، لأنه يتقدس عن أن يميل أو يُمال إليه، وليس بذي جنس أو طب، فيتصف بالشوق الذي تقتضيه الجنسية والطبيعية البشرية، وإنما معنى محبته - تبارك وتعالى- للخلق: إرادته لثوابهم وتنعيمهم على رأي بعض أهل العلم، وعلى رأي بعضهم: أن المحبة راجعة إلى نفس الإثابة والتنعيم لا للإرادة، ومعنى محبة المخلوقين له: إرادتهم أن ينعمهم ويحسن إليهم)[١].

ويتجلى فضل سورة الإخلاص في أنها اشتملت على اسمين يتضمنان جميع أوصاف الكمال: وهما الأحد والصمد، فالأحد في أسماء الله مشعر بوجوده الخاص به الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يتضمن جميع أوصاف الكمال لأن معناه الذي انتهى سؤدده بحيث يصمد إليه في الحوائج كلها وهو لا يتم حقيقة إلا لله[٢]. وقد اشتملت سورة الإخلاص على ما يجب لله سبحانه من التوحيد وما يجوز في حقه من توجيه الخلق حوائجهم إليه وقصدهم إياه في سائر أمورهم[٣]، ولما كان الدين يتكون من العقيدة والشريعة والأخلاق وشملت سورة الإخلاص الدعوة إلى تصحيح العقيدة، ثلث القرآن، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لأصحابه "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد، ثلث القرآن"[٤].

ومن فضائل سورة الإخلاص أنها صفة الرحمن، قال ابن التين: إنما قال أنها صفة الرحمن لأن فيها أسماؤه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته[٥]. و"الرحمن" صفة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٢٧/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٠/١٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٦٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠١٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٩/١٣.

مأخودة من الرحمة وهى بالنسبة لله بمعنى الإنعام، فمعنى الرحمن المنعم بجلائل النعم على مستحقها وغير مستحقها، والإنسان في جميع أطواره بأشد الحاجة إلى من يرحمه ويرأف به ولا يملك الرحمة الحقيقية به في دفع الضر عنه، وجلب الخير له، وإفاضة النعم عليه إلا خالقه وخالق السموات والأرض ومن بيده ملكوتهما[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ في شئونهم وأحوالهم:

لقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في الاقتداء والرجوع إلى رسول الله ﷺ والحديث سجل لنا صورة من منهج الصحابة في ذلك، ((أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ)). فإن مما يؤكد صدق الإتباع لرسول الله ﷺ الرجوع إليه في حياته وتحكيم سنته بعد مماته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام فما وافقها قُبل وما خالفها رُدَّ وإن قاله مَنْ قاله، وقد وردت آيات كثيرة تؤكد هذا الأمر، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[٢]، [٣].

بل إن الله ليجعل من مقتضيات الإيمان الرجوع إلى رسول الله ﷺ في حياته وإلى سنته بعد وفاته ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[٤]، فإن الإعراض عن منهج الله وعدم الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ يكون صاحبه قد التبس بحالة تنافي

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢١٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان، ص ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٥.

الإيمان في خفاء إن استمر عليها بعد التنبيه على عاقبتها لم يكن مؤمنًا[١].

سادسًا- من صفات الداعية: التثبت قبل إصدار الأحكام:

من المبادئ التي غرسها الإسلام في المجتمع الإسلامي حتى لا يؤخذ إنسان بغير جريرة، ولا يحكم بغير دليل التثبيت قبل إصدار الأحكام، وفي الحديث مثال تطبيقي على ذلك في قوله ﷺ "سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه"، فقوله سلوه لأي شيء يصنع ذلك" ليرتب جزاءه على حسب نيته وقصده، فإن الأعمال بمقاصدها، وقال ناصر الدين ابن المنير: وفي الحديث أن المقاصد تغير أحكام الفعل، لأن الرجل لو قال: إن الحامل له على إعادتها أمر غير ما ذكره لإجابة بما يناسبه[٢].

لقد أمر الإسلام بالتثبت في الأمور كلها قبل إصدار الأحكام وإبداء الآراء حتى لا يقع المسلم في الزلل وإلحاق الضرر والأذى بالآخرين سواء كان ماديًا أو أدبيًا، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٣].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١١٣/٥/٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٠٩.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الروح تنزع إلى مصدرها، ولها تعلق به، كما أن الجسد يخلد إلى مصدره وله تعلق به، والإسلام قد أشبع الجانبين في وقت واحد. ففي إطار إشباع الجانب الروحي أذن بحب العبد لله حباً يقوم على اتباع كلمته ورعاية حرماته والالتزام بالتكاليف الشرعية، وذلك لأن الحب دعوى تفتقر إلى دليل، ونصوص القرآن صريحة الدلالة على حب المؤمنين لله وحب الله للمؤمنين، ورضى الله عن المؤمنين ورضى المؤمنين عن الله. فإذا قام الإنسان برعاية حقوق الله وتعهدها، وأضاف النوافل إلى الفرائض عند الأداء وأكثر من النوافل صار وليّاً، أي متعهداً لأوامر الله ونواهيه وعندها يتولاه الله فيحفظه ويرعاه ويحركه كما يشاء في الخير وذلك بأن يختم على حواسه فلا يسمع إلا ما صدر عن الله، ولا يرى إلا ما أذن الله برؤيته ولا يحرك يده في غير ما شرع الله، فإذا وصل العبد إلى هذه الحالة نال الرضا وتحققت الاستجابة في الدعاء - إذا شاء الله ذلك - ومد الله له يد العون عند الاستعاذة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: ربط السلوك بالعقيدة:

إن ربط السلوك الإنساني بالعقيدة من أبرز أهداف التربية الإسلامية التي أولاها النبي ﷺ عناية كبيرة لأنه لا قيمة للعمل الذي يقوم به الإنسان إذا لم يكن مسبوقاً بالاعتقاد الراسخ.

ولقد ربى النبي ﷺ صحابته على أن بإمكانهم أن ينالوا بصالح أعمالهم ما فوق القبول، أن ينالوا حُبَّ الله عز وجل، "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...".

وقوله ﷺ: "إذا أحبَّ الله تعالى عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه..."، فهذا ربط للعبد بربه، وتعلق قلبي بخالقه، فليس الأمر مجرد أداء للواجبات؛ بل إن الإسلام يحرص على أن يكون العبد محباً لربِّه، حتى يحبه الله تعالى، ثم يلقي محبته في السماء والأرض من خلال ما بينه النبي ﷺ بأن الله يأمر جبريل أن ينادي في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، ثم يوضع له القبول في الأرض.

إن الفضائل الخلقية "ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والإنسان حين ينشأ على الإيمان منذ طفولته تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية؛ لتقبُّل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كلٍّ فاضل؛ حيث يبيت إيمانه بالله حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة"(١).

ويتربى المرء على المفاهيم التربوية الواضحة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين السلوك والعقيدة، فتأتي أعماله ترجمة عملية لهذا الفهم الراسخ.

"إن الذي يستطيع أن يحب هذا الحب الكبير صنف واحد من بني الإنسان؛ إنه الصنف الذي خالطت قلبه بشاشة الإيمان، فالمؤمن بعقيدة الإسلام نفذ إلى سر الوجود، فأحب الله واهب الحياة ... أحبه حبَّه للجمال، فقد رأى في كونه أثر الإبداع والإحكام... وأحبه حبه للكمال ... وأحبه حبه للإحسان ... حُباً يفوق حب الإنسان لأبويه"(٢).

والمؤمن الحق "هو الذي أدرك جمال الله وجلاله، واستشعر لطفه وإحسانه... ثم تأثر بهذا الإدراك فأحبه، فأصبح قلبه مشغولاً به... يتحمل في ذلك ما يتحمل راضياً مغتبطاً، قرير العين مطمئن القلب"(٣).

ثانياً- التربية على أداء الفرائض والإكثار من النوافل:

من عظمة التربية الإسلامية أنها بينت الأسباب الموجبة لمحبة الله تعالى للعبد، والتي من جملتها المحافظة على الفرائض والاستكثار من النوافل.

وقد حرص النبي ﷺ على بيان ذلك من خلال الحديث القدسي الذي يرويه عن رب العزة جل وعلا": «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افْتَرَضتُ عَلَيهِ».

"ولكي ينال العبد حب الله ورضاه فلابد من إحياء قلبه بالذكر والشكر وتلاوة القرآن، وحسن العبادة والعمل الصالح؛ فإن الإيمان يروى بذلك، فيزيد ويقوي في القلب"(٤).

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٥٧.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٧، ١٤٨ بتصرف.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٨٠.

(٤) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٥١.

وقد وجه النبي ﷺ من حضر المسجد حال إقامة الصلاة أن يلتزم جماعة المسلمين فيصلي معهم، ولا ينفرد بصلاة السنَّة ... فالنافلة عبادة مطلوبة، ولكن لما تعارضت مع ما هو أهم وأولى، قدم الأولى عليها"[١].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في العبادة بأداء الفرائض، والنوافل، وبيَّن أن ذلك سبب لحبِّ الله تعالى، الذي يُكسب الإنسان قوَّة ربَّانية، يقول ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل: "مازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به...".

إن هذه القربات سبب لحب الله تعالى، وحب عباده: "إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل، فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه...".

إن طريقة الترغيب في عاقبة الطاعة وثوابها: "يخلق لدى النفس وازعاً نفسياً، يسمو بها إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق"[٢].

رابعًا- من أساليب التربية: الحوار والمناقشة وتوجيه الأسئلة:

وهذا واضحٌ في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ "قل هو الله أحد"، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبّ أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ: "أخبروه أن الله تعالى يحبّه".

فالحوار في هذا الحديث كان له ثلاثة أطراف: النبي ﷺ وصحابته والصحابي إمام السرية، ومما لا شك فيه أن الحوار له دور مهم في العملية التربوية والتعليمية. فهو من الأساليب التي تقوى دور المتعلم في العملية التعليمية وتعتمد على مبدأ المشاركة بين المعلمين والمتعلمين سواء في حجرة الدراسة أو خارجها.

---

(١) انظر: فقه الموازنات الدعوية، د. معاذ البيانوني، ص٢٢٤.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص٥٩٥.

كما كان أسلوب توجيه الأسئلة واضحًا في هذا الحديث وذلك في قوله ﷺ: "سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ وتوجيه الأسئلة من الأساليب التي تمكن من معرفة المعلومات الجديدة وقياس ما تعلمه المتعلمون وتقويمه إن اقتضى الأمر ذلك.

۞ ۞ ۞

٤٨- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[الأحزاب: ٥٨]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾[الضحى: ٩-١٠].

وأما الأحاديث، فكثيرة مِنْهَا:

حديث أَبي هريرة رضي الله عنه في الباب قبل هَذَا: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ))[(١)].

ومنها حديث سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم[(٢)].

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ))[(٣)].

الحديث رقم (٣٨٩)

٣٨٩- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: **((مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ))** رواه مسلم[(٤)].

ترجمة الراوي:

جندب بن عبدالله البَجَلِيّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

غريب الألفاظ:

ذمَّة الله: ضمانه وحرمته وعهده وأمانه[(٥)].

---

(١) تقدم برقم (٩٥)، و (٣٨٦).

(٢) تقدم برقم (٢٦٠).

(٣) تقدم برقم (٢٦١).

(٤) برقم (٦٥٧/٢٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٠).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

يُدْرِكَهُ: يناله ويبلغه بانتقامه وقدرته[١].

يكبُّه: يُلقيه مقلوبًا[٢].

الشرح الأدبي

البداية بالموصول، وصلته التي تدل على العموم من وسائل إعطاء المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان ليوافق التوجيه كل من كانت هذه حاله، وقوله (من صلى الصبح..) الفعل الماضي يؤكد التحقق، وذكر الصبح من بين الأوقات الخمسة؛ لأنه بداية النهار، وذكر الضمير للاختصاص، وذمة الله عهده، وأمانه، والتعبير بـ (في) التي تفيد الظرفية للإشارة إلى تمكن، وإحاطة هذا العهد به من كل مكان كتمكن الظرف في المظروف، وقوله (فَلا يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ) نهي عام أخذ عمومه من اتصال الفعل المنهي عنه بكاف الخطاب، وميم الجمع، والتي سبقتهما نون التوكيد زيادة في تأكيد النهي، وقد جاء لغرض التحذير، والتهديد، وكون لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه يزيد من الترهيب، والباء في قوله: (بشيء) للسببية أي بسبب شيء، وتنكير شيء للتقليل، أي مهما كان قليلاً، وقوله (فإنه)الفاء للتعليل، وإن للتوكيد، وضمير الشأن المتصل بها للتفخيم، والتعظيم لما بعده، والجملة بعده شرطية تربط، وقوع طلب الله لمن خان عهده بإدراكه، وهي تهديد، ووعيد ببطش الله بالظالم، وقوله (، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) استخدام ثم يشير إلى الفترة الفارقة بين الحياة، ويوم الحساب، والتعبير بالكب يشير إلى الأخذ بالقوة والبطش الشديد، الذي يتناسب مع طبيعة الظالم المعتدي وتخصيص الوجه بالذكر فيه إهانة، وإذلال، لهذا المتجبر؛ لأنه أشرف ما فيه، وذكر النار يستحضر مع إحراقها، ولظاها دفئها، ونورها، وإضافتها لجهنم يخلصها للإحراق والتعذيب، وهي للترهيب، والتهويل بسوء المصير -والعياذ بالله- وكثرة ألفاظ الترهيب والوعيد في الحديث لتناسب النفوس

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر ك).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ب ب).

السبعية التي تميل إلى الغضب، والقهر، وظلم الناس، لاسيما أهل الصلاح، والتقوى الذين هم في ذمة الله، فهو من مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الناس كثيراً ما يستهينون بالضعفاء والمساكين، وكذلك الصالحين، ويخشون الأقوياء والمتجبرين والفاسقين، ولهذا جعل الله الفريق الأول في ذمته، وأوجب رعايته، وحرم أذاه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: غرس قيمة الرحمة بالضعفاء:

إن الرحمة مسلك إنساني حميد، دعا إليه الإسلام، كما توجبه الفطرة السليمة، وهي من صفات الله التي يُبتدأ بها في كل أمر "بسم الله الرحمن الرحيم"، وتتحتم الرحمة أكثر بالضعفاء ومن لا حيلة لهم، فإن من أغضبهم، ولم يرأف بهم فقد أغضب الله تعالى، يقول ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: "يا أبا بكر، لئن كنت أغضبتهم، لقد أغضبت ربك"، يعني اليتامى.

والرحمة "رقة في القلب، وحساسية في الضمير، وإرهاف في الشعور، تستهدف الرأفة بالآخرين، والتألم لهم، والعطف عليهم، مكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم، وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الإيذاء، وينبو عن الجريمة، ويصبح مصدر خيرٍ وسلم للناس أجمعين" (١).

وهذه الرحمة الدافقة الشاملة "أثر من آثار الإيمان بالله والآخرة؛ ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويُلَيِّنُ الأفئدة القاسية... ولقد غلبت هذه العقيدة، وهذا الخلق على أعمال المسلمين الأولين، ووضحت آثارها في سلوكهم حتى مع الأعداء المحاربين"(٢).

وبهذه الرحمة يسود الخير والود في المجتمع الإسلامي، وينشأ الجيل على الرحمة؛ لأنه نالها من الجيل السابق عليه، وإن لم ينل الضعفاء واليتامى والمساكين الرحمة،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٣٦٥.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٢٤٥، ٢٤٦.

فإنهم سيكونون قُساةً حال تمكنهم وقوتهم، يجزون المجتمع الجزاء الوفاق على إساءته وقسوته.

إن المؤمن: "يعتقد دائماً أنه فقير إلى رحمة الله تعالى، فبهذه الرحمة الإلهية يعيش في الدنيا ويفوز في الآخرة، ولكنه يُوْقن أن رحمة الله لا تُنال إلا برحمة الناس"[١].

ثانياً- التربية بالترغيب في أداء صلاة الصبح:

لقد بيَّن النبي ﷺ فضل صلاة الصبح بقوله: "من صلى الصبح فهو في ذمة الله"، أي: في حمايته، وتلك تربية للمسلم على أن يؤدي صلاة الصبح على وقتها، وفي ذلك ملمح عملي آخر؛ وهو اليقظة مبكراً، وفي حديث آخر يقول ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"[٢]، لما في الصباح من خير وعافية، وفي هذا الباب بيَّن النبي ﷺ فضلاً آخر للبكور بعد صلاة الصبح؛ وهو أن يصبح المرء في حماية الله وذمته، لا يناله مكروه، ولا يصيبه أذى.

والصلاة عموماً من أهم الركائز التي اهتم بها الإسلام؛ فهي "عمود الدين والمفتاح المؤدي إلى الجنة، وهي من أبرز العبادات في الدلالة على أن الفرد المسلم قوي الإيمان، عبادة يؤديها المسلم كل يوم، وعلى فترات من يومه، من استيقاظه إلى منامه، وهي العبادة التي يُعلن فيها المسلم ولاءه لله خمس مرات"[٣].

ثالثاً- التربية بالترهيب:

من المبادئ التربوية البارزة في هذا الباب الترهيب، وذلك أن النبي ﷺ حذَّر صحابته والمسلمين عامةً من مغيبة الوقوع في إيذاء أوليائه وعباده الصالحين، يقول ﷺ: "ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب"، وفي الحديث الثاني يُرهب من إيذاء المصلين العابدين، الذين يصلون صلاة الصبح، فيقول: "فإنه من يطلبه من ذمته بشيء

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤٤.

(٢) رواه أبو داود ٢٦٠٦، والترمذي ١٢١٢، والنسائي وابن ماجة ٢٢٣٦، وابن حبان في صحيحه ٢٧٣٥، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد عبدالرحمن العك، ص٢٠٠.

يدركه، ثم يكبُّه على وجهه في نار جهنم"؛ ذلك بأنه آذى مسلماً في حمى الله عز وجل، فحقٌّ على الله أن يعاقبه على فعلته بكبِّه على وجهه في نار جهنم.

"إن هذه السلوكيات الخاطئة التي قد يوجد في المجتمع المسلم من يفعلها ويجترئ على تكرارها، لاشك أنها تحطم المجتمع المسلم، وتفقده كل قيم الخير وفضائل الأعمال، وكان لابد من زجر شديد ووعيد مخيف، يوقظ قلب هذا المجترئ الجاني، ليكون أمام خيارين لا ثالث لهما"[1]: إما أن يكفّ عن إيذائه عباد الله الضعفاء واليتامى والأولياء الصالحين، وإما أن يُعرض نفسه لغضب الله، وعذابٍ في جهنم يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٢٥٢.

٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم﴾[التوبة: ٥].

الحديث رقم (٣٩٠)

٣٩٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول اللّه ﷺ، قَالَ: **((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللّه، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللّه، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ إلاَّ بحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّه تَعَالَى))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، وفيه تنبيه على أن هذه الأوامر ليست من عنده، وإنما فرضت عليه من عند الله، وقوله: (أن أقاتل الناس) أي بقتال الناس، وقد عبر بأن المصدرية، والفعل المضارع دون المصدر الصريح، لأن المصدر حدث ليس محدد الزمن، ويفيد الدوام، وهولا يريد الدوام، ولا يقاتل إلا لضرورة في ظروف محددة، والفعل المضارع أدل على هذا المعنى، لأنه يفيد التجدد، و(ال) في قوله: (الناس) للجنس، وفيها دلالة على عموم رسالته؛ لأنه لم يحدد طائفة معينة كاليهود، أو النصارى، أو غيرهم بل كل من تصدَّى للدعوة مأمور بقتاله، وقوله (حتى يشهدوا) لبيان الغاية، وأنه لا يقاتل الناس طلباً لجاه، أو سلطان، وإنما ليُعبِّدهم لربهم فيوحدوه، ويؤمنوا بأنه رسول الله حتى يرتب على هذا الإيمان عملهم بالشرع الذي أرسل به، وقد قدم الشهادة بالله، لأنها مدخل الدين، فإذا آمنوا به آمنوا برسوله، فإذا آمنوا برسوله عملواْ بما جاء به، وقدم إقامة الصلاة للاهتمام، وتلاها الزكاة لحاجة المسلمين يومئذ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٨).

للأموال التي تستكمل بها عدة القتال، وتستمر الدعوة، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث يقرر نقاء العقيدة، ونبل المقصد؛ لأنهم إن آمنوا أمنوا على أرواحهم، وأموالهم إلا بالحق، وقوله (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة دقيقة، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال.

فقه الحديث

١-قال النووي: (قال الخطابي: ومعنى "حسابه على الله" أي فيما يستسرون به ويخفونه دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة، قال: ففيه أن من أظهر الإسلام وأسرّ الكفر قبل إسلامه في الظاهر. وهذا قول أكثر العلماء. وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل. ويحكي ذلك أيضًا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما. هذا كلام الخطابي. وذكر القاضي عياض معنى هذا، وزاد عليه وأوضحه فقال: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد بهذا مشركو العرب وأهل الأوثان ومن لا يوحّد. وهم كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتل عليه. فأما غيرهم ممن لا يقرّ بالتوحيد فلا يكتفي في عصمته بقوله: لا إله إلا الله، إذ كان يقولها في كفره، وهي من اعتقاده، فلذلك جاء في الحديث الآخر "وأني رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة"[1]. هذا كلام القاضي. قلت: ولا بدّ مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة -هي مذكورة في الكتاب-: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به"[2] والله أعلم. قلت: [القائل النووي]: اختلف أصحابنا في قبول توبة الزنديق، وهو

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٣٦ من حديث ابن عمر { بلفظ "وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة".

(٢) أخرجه مسلم ٢١/٣٤.

الذي ينكر الشرع جملة، فذكروا فيه خمسة أوجه لأصحابنا، أصحها والأصوب منها قبولها مطلقًا للأحاديث الصحيحة المطلقة)[١].

٢-قال النووي: (فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه، كفاه ذلك وهو مؤمن من الموحدين ولا يجب عليه تعلّم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافًا لمن أوجب ذلك وجعله شرطًا في كونه من أهل القبلة وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به. وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين وهو خطأ ظاهر، فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل، ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ ولم يشترط معرفة بالدليل. فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحة يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من فقه الدعوة: البدء بالتوحيد.

ثالثًا: من واجبات الداعية: ترتيب الأولويات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحكم بظواهر الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء في أسلوب الإخبار ذلك في عموم الحديث حيث أخبر النبي ﷺ بما أمر به من مقاتلة الناس والجهاد في سبيل الله وسبيل دعوته حتى يدخل الناس في الإسلام وشعائره وبيان عصمة مَنْ فعل ذلك: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله... الحديث)، وإنّ أسلوب الإخبار لهو البلاغ الذي أمر به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١/١/١٨٤.

(٢) المرجع السابق ١/١/١٨٧.

رِسَالَتَهُۥ﴾[١]، فهذا أمر من الله لرسوله ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ[٢].

ثانيًا- من فقه الدعوة: البدء بالتوحيد:

إن التوحيد هو الأصل الذي يقوم عليه الدين، وينطلق منه الداعية في دعوته وما بني من الدين على غير أساس التوحيد فلا قيمة له ولا بقاء، لذا بدأ النبي ﷺ به، وأكد عليه في هذا الحديث في قوله ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم...)، قال شبير العثماني: (قوله: "حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله..." جعلت غاية المقاتلة وجود ما ذكر، فمقتضاه أن من شهد وأقام وآتى عصم دمه، واكتفى بذكر الصلاة والزكاة في الحديث وذلك لعظمتهما والاهتمام بأمرهما، لأنهما أما العبادات البدنية والمالية)[٣].

إن التوحيد هو أعظم أصول الدين وأساسها[٤]، فإن انتفى هذا الأصل بارت الأعمال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٥]، ففي الآية شبهت الأعمال التي لا تقوم على أساس من التوحيد بالشيء التافه الحقير المتفرق، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية، وذلك أن الأعمال التي لا تقوم على أساس من التوحيد لا قيمة لها وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ[٦].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

(٣) انظر: موسوعة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٥٢٢/١.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن تيمية، محمد خليل هراس، ص ٩٨.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٣/٦.

ومن ثَمَّ كان اهتمام الرسل عليهم السلام - ومَنْ بعدهم الدعاة- بإصلاح العقيدة أولاً، فأول ما يدعون أقوامهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[1]، وقد بقي النبي ﷺ في مكة بعد البعثة ثلاثة عشر عامًا ما يدعو الناس إلى التوحيد وإصلاح العقيدة لأنها الأساس الذي يقوم عليه بناء التوحيد، وبمنهجه ينبغي أن يحتذى الدعاة والمصلحون في كل زمان ومكان[2].

ثالثًا- من واجبات الداعية: ترتيب الأولويات:

إن من أوجب الواجبات على الداعية مراعاة ترتيب الأولويات، وكما هو واضح في الحديث في بدء رسول الله ﷺ بالتوحيد الذي هو أسُّ الدين وأصله ثم بعد ذلك جاء ذكر الشعائر الدينية: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيمون الصلاة.. الحديث)، فينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك متأسيًا برسول الله ﷺ[3].

لذا ينبغي أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة، والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا كذلك، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل أو تعصف بالشجرة الرياح، وهذا ما يوضحه قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٢) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار القاسم، الرياض ص ٦ - ٨.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٠٩.

كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[١].

ولا شك أن المتتبع لدعوة المصطفى ﷺ يجد هذا الأمر جليًا واضحًا فيها فقد أمضى ثلاثة عشر سنة في مكة، وهو يدعو الناس إلى التوحيد وقوله: "لا إله إلا الله" قبل دعوتهم إلى الصلاة والزكاة والصوم والحج وبقية شرائع الإسلام الأخرى، وما ذاك إلا لأهمية هذا الأصل العظيم وهذا الركن الركين، الذي ما إن يتبث في القلوب وتألف عليه الصدور حتى يثمر الثمرات اليانعة الطيبة بإذن الله.

فالدعوة العقيدة الصحيحة إذ تأتي في أولويات عمل الداعية ثم الحث على العبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج وبقية الشرائع والأخلاق الإسلامية الأخرى حسب الأهمية وما يقتضيه المقام[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

ذكر هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ: "فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام"، ففيه شرط العصمة على أساس الإيمان؛ فإن انتفى الإيمان فلا مجال لعصمة الدم، وأسلوب الشرط يحمل المتلقي على العمل بما فيه رغبة بمنطوقه، ورهبة من مفهومه. وقد ورد أسلوب الشرط في كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣] وقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحكم بظواهر الأمور:

لقد أمر الله تعالى بمعاملة الناس بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤، ٢٥.

(٢) انظر: منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٣٠، ١٣١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٧، ٨.

ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١]، وجاء في الحديث: "فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى"، والمعنى أن الشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة تعصم دم صاحبها وماله في الدنيا إلا أن يأتي ما يبيح دمه، وأما في الآخرة فحسابه على الله عز وجل، فإن كان صادقًا أدخله الله الجنة، وإن كان كاذبًا فهو من جملة المنافقين، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٢]، والمعنى: إنما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم إليه، ولست مسلطًا على إدخال الإيمان في قلوبهم قهرًا ولا مكلفًا بذلك، ثم ذكر أن مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه[٣]، فينبغي تفويض أمر بواطن الناس إليه سبحانه، لأنه الذي يتولى خبايا أسرارهم وخفايا ضمائرهم من إيمان وكفر ونفاق، وأما الرسول ﷺ فإنما أُمر أن يحكم بظواهر أفعالهم وأقوالهم[٤].

---

(١) سورة غافر، آية: ١٩.

(٢) سورة الغاشية، الآيات: ٢١ - ٢٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٣٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٢.

الحديث رقم (٣٩١)

٣٩١- وعن أَبي عبدِ الله طارِق بن أشَيْم رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((**مَنْ قالَ لاَ إلهَ إلاَّ الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله تَعَالَى**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

طارق بن أَشْيَم: وهو طارق بن أَشْيَم بن مسعود الأشجعيُّ، وأشيم بفتح الهمزة وإسكان الشين المعجمة وفتح المثناة التحتية.

له صحبة ورواية[2].

الشرح الأدبي

قوله (من قال...) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى؛ لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) هي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي

---

(١) برقم (٢٣/٣٧).

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٣١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٩٠/٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٣٢/٢).

والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ) تأكيد للجملة الأولى بنفي ضدها؛ لأن بينهما تضاد من جهة أن من قال كلمة التوحيد فهو على الإسلام، وهو ضد الكفر، وقوله (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ) بناء الفاعل لما لم يسم فاعله تعميم لهذه الحرمة، وفي هذا صيانة لماله، ودمه في الدنيا وصيانة لنفسه من النار في الآخرة بدخوله في الإسلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الأمور وإظهار الحقائق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التبرؤ من عبادة غير الله تعالى.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حرمة دم ومال وعرض المسلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

ورد أسلوب الشرط في هذا الحديث في قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى"، وأسلوب الشرط له أثره في شد انتباه المدعو لمضمون أسلوب الشرط، لما فيه من ربط للجزاء بالعمل، وقد تكرر أسلوب الشرط في القرآن كثيرًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]، وقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الأمور وإظهار الحقائق

إن من المهام الأساسية التي يضطلع بها الداعية بيان الأمور وإظهار الحقائق، وقد ورد هذا المعنى في عموم الحديث حيث بين رسول الله ﷺ للناس طريق الخلاص

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

وعصمة الدماء والأموال في قوله ﷺ "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى" فالداعية مهمته تبيين تفاصيل وأحكام ومعاني الدين، وتنظيم حياة الأفراد ممن يتولاهم نظرًا لعلمه الواسع، وإحاطته بأمور الدين أكثر من غيره[١]. وجاء في القرآن ما يدل على أن التبيين مهمة الأنبياء قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾[٢]. وذلك بشأن عيسى عليه السلام، وقال تعالى مخاطبًا نبيه الكريم محمدًا ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر:

من موضوعات الدعوة المستنبطة من هذا الحديث: تعلق أحكام الشريعة بالظاهر، وأمر السرائر موكول إلى الله تعالى، وهذا ماورد في قوله ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى))، أي حساب سره إن أظهر ما يحقن دمه ويعصمه، وأبطن خلافه كما فعل المنافقون، فذلك إلى المطلع على السرائر وأن حكم النبي ﷺ والأئمة بعده إنما كان على الظاهر. وبهذا قد سدّت الشريعة الباب على من يريد أن يرمي أحدًا بالنفاق ظلمًا وبهتانًا، فربطت الأمر بالظاهر الذي يعصم الدم[٤]، قال ابن حجر العسقلاني: أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك[٥].

وقد عنف النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قتل الرجل بعد أن قال: لا إله إلا الله، وزجره النبي ﷺ حتى إن أسامة رضي الله عنه قال: إن الرجل قال تقية وخوفًا من القتل،

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، مفهومها وحاجة المجتمعات إليها، محمد خير رمضان يوسف، ص٢٠.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣١.

(٤) انظر: فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، ص ٢٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٢/١.

فقال له النبي ﷺ كيف تحاجّ عن لا إله إلا الله يوم القيامة؟ لقد قال له النبي ﷺ: ((... يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ؟ قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتعوِّذا. قَالَ، فَقَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ؟ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ))[١]. وفي رواية: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ". قال ابن حجر: (قال ابن التين: في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لا يقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحثّ على التبرؤ من عبادة غير الله تعالى:

لا يصح إسلام الإنسان إلا بالتبرؤ من كل ما يعبد من دون الله تعالى، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث فقال: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى" وتلك رسالة الأنبياء جميعًا، فأول ما يدعون أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده وترك عباده ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[٣]، [٤].

يعني أن الرسل يأمرون بأن يُعْبَد الله وتُجتنب عبادة الطاغوت، والطاغوت اسم كل معبود من دون الله[٥]، وبهذا بيّن الله للأمم على ألسن الرسل عليهم السلام، أنه يأمرهم بعبادته واجتناب عبادة غيره[٦]، وبين الله تعالى أن التبرؤ من عبادة غيره استمساك بالعروة الوثقى، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[٧]، وهداية من الله وصفة لأولي الألباب: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/١٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) عقيدة التوحيد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ٦.

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن ١١٤/٣.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ١٤٩/١٤/٦.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1]. أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة، أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة[2].

خامسًا: من أهداف الدعوة: حرمة دم ومال وعرض المسلم

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من هذا الحديث حرم دم ومال وعرض المسلم، حيث ورد الشاهد على ذلك في قوله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه، وحسابه على الله تعالى"، فلا يهدر دمه ولا يستباح ماله بسبب من الأسباب إلا بحقه، كفعل الواجبات وترك المنهيات فإنها واجبة وقد التزمها المسلمون بإسلامهم، فإن فعلوا واجتنبوا بنية صالحة فمؤمنون، أوتقية وخوفًا حقنوا ذلك وعصموه[3]، وبهذا قدس الإسلام حق الحياة للمسلم وحماه بالتربية والتوجيه وبالتشريع والقضاء، وبكل المؤيدات النفسية والفكرية والاجتماعية واعتبر الحياة هبة من الله لا يجوز لأحد أن يسلبها غيره[4]. لأن حماية النفس والمال والعرض من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله تعالى، لأن الدعوة ترعى الحرمات وتجمع ولا تفرق، وتبني ولا تهدم، وتصون ولا تنتهك، وتعمل على توفير الحماية والضمانات التي تكفل للإنسان أن يعيش آمنًا على نفسه وماله وعرضه.

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩٠/٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٢.

(٤) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٨٤.

الحديث رقم (٣٩٢)

٣٩٢- وعن أَبي معبد المقداد بن الأسْود رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ لرسول الله ﷺ : أرَأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا ، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أسلَمْتُ لِلهِ، أأقْتُلُهُ يَا رَسُول الله بَعْدَ أنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ: ((**لا تَقْتُلهُ**)) فَقُلْتُ: يَا رَسُول الله، قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فَقَالَ: ((**لا تَقتُلْهُ، فإنْ قَتَلْتَهُ فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي المعروف بالمقداد بن الأسود ، تبناه الأسود بن عبد يغوث فنسب إليه. كان من السباقين الأوائل إلى الإسلام، قال ابن مسعود : أول من أظهر إسلامه سبعة فذكره فيهم.

هاجر الهجرتين: هجرة الحبشة وهجرة المدينة ، وتزوج ابنة عم النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب.

كان من الأبطال الشجعان شهد بدرًا والمشاهد بعدها ، وله في بدر الموقف الجليل والفعل الحسن: فقد كان أول من قاتل على فرس في سبيل الله. قال عبدالله بن مسعود : شهدت من المقداد بن الأسود مشهدًا لأن أكون صاحبه أحب إليّ مما عُدِل به [أي أحب إلي من كل شيء دنيوي كالجاه والمال والسلطان]. أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا تقول كما قال قوم موسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾[2] ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسرَّه قولُه[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠١٩) واللفظ له ، ومسلم (٩٥/١٥٥).

(٢) سورة المائدة ، آية: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري (٣٩٥٢).

وظلّ على حبه الجهاد ومشاركته في الفتوح، قابله رجل وهو كبير في السن في مدينة حمص فقال له: قد أعذر الله إليك فقال: أبت علينا سورة البعوث ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(١)(٢)].

وكان متواضعًا لا يحب الظهور والشهرة، استعمله النبي ﷺ على عمل فلما رجع سأله: كيف وجدت الإمارة؟ قال: يا رسول الله ما ظننت إلا أن الناس كلهم خَوَلٌ لي، والله لا ألي على عمل ما دمت حيًا[(٣)].

وكان يقول: لا أتحمل على أحد أبدًا. فكانوا يقولون: تقدم فصلٍّ، فيأبى.

وكان جوادًا كريمًا أوصى للحسن والحسين بستة وثلاثين ألفًا ولأمهات المؤمنين كل واحدة بسبعة آلاف درهم.

مات ٣٣هـ - وقيل: وهو ابن سبعين سنة- وصلّى عليه عثمان بن عفان ودفن بالبقيع[(٤)].

غريب الألفاظ:

لاَذَ منِّي بشجرة: التجأ إليها واحتمى بها[(٥)].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة البحوث: هي سورة التوبة "سميت بذلك لأنها تبحث عن أسرار المنافقين" الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١/٨/٤.

(٣) أخرجه الحاكم (٣٤٩/٣-٣٥٠) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٦١/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٩٩ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٢/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢١٣/٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (١٤٦/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٨٢/٧) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٢٩/٣).

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٧/١٢.

بمنزلتك: معصوم الدم محكوم بإسلامه [١].

أنك بمنزلته: مباح الدم بالقصاص لورثته، لا أنه بمنزلته في الكفر [٢].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول عصمة من دخل في الإسلام، وقد قام المعنى فيه على الحوار بين المقداد رضي الله عنه، وبين الرسول ﷺ على إثر سؤال المقداد (أرَأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ) وهو بمعنى أخبرني فهو استفتاء للرسول ﷺ في تلك المسألة، والقيود التي بعده، والتي توالت بعد الاستفهام في سرعة دل عليها الربط بين الجمل بالفاء تحكي تفاصيل الحدث، وقوله (، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا) قوله بالسيف توكيد للفعل، وقوله فقطعها توكيد للضرب، وبيان للأثر المترتب عليه وقوله (ثم لاذ مني) استخدام ثم يشير إلى فترة تقاتلا فيها حتى تغلّب عليه، وقوله (أأقْتُلُهُ يَا رَسُول الله بَعْدَ أنْ قَالَهَا؟) استعلام قصد به معرفة الحكم، وقوله: (بعد أن قالها) تتميم بلاغي أفاد التأكيد على إعلانه دخول الإسلام، وقول الرسول ﷺ ((لا تَقْتُلهُ) نهى على حقيقته، وقوله (قَطَعَ إحْدَى يَدَيَّ...) خبر أريد به لازم الفائدة، وهي مراجعته في الحكم، وتكرار الرسول ﷺ لنهيه توكيد للحكم، وأسلوب الشرط بعده (فإنْ قَتَلْتَهُ فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ) يربط الفعل الذي هو القتل بالجزاء، وهو التماثل في العصمة، ومعناه أنه معصوم الدم بإسلامه، والتماثل في إباحة الدم، لأنه قتل مسلماً؛ لأن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم، فإذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم، فإن قتله المسلم بعد ذلك صار دمه مباحاً بحق القصاص كالكافر بحق الدين، وليس المراد إلحاقه في الكفر، وحاصله اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ، فالأول أنه مثلك في صون الدم، والثاني أنك مثله في الهدر - كما

---

(١) رياض الصالحين ١٩٧.

(٢) رياض الصالحين ١٩٧.

أشار الخطابي- ، واستخدامه (إن) كأداة شرط توحي بندرة الحصول؛ لأن قتل المسلم لمن دخل في الإسلام أمر نادر الحدوث.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم عصمة الأنفس والأموال بنطق كلمة التوحيد، وقد سبق القول في الحديث رقم (٩٤) أنه قد اتفق الفقهاء[1] على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله فقد عصمت نفسه وماله إلا بحقه، وقد نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك فقال: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أنه إذا قال الكافر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأن كل ما جاء به محمد حق وأبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام وهو صحيح العقل أنه مسلم، فهو محمول على حكم الظاهر دون الباطن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة دم ومال من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام.

رابعًا: من واجبات المدعو: الانقياد للشرع وترك العصبية والانتقام.

خامسًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

---

(١) انظر في ذلك: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣١/٧ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ٥٠/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ٢٤٣/٣، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٠/٧، وشرح منح الجليل ١٤٤/٣ وما بعدها، ونهاية المحتاج ٦٤/٨، ومغني المحتاج ٣١/٦، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٦٢٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٨/٣٠ وما بعدها.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث في أسئلة أبي معبد المقداد بن الأسود وجواب الرسول ﷺ عليها: (أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا... فقال أسلمت أأقتله.. فقال: لا تقتله، فقلت: يا رسول الله قطع إحدى يدي... فقال: لا تقتله... الحديث)، والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من بحث عن الحقيقة وتبيين لها أضف إلى ما فيه من لفت الأنظار وشد الأذهان وإثارة الانتباه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في هذا الحديث في قوله ﷺ: (لا تقتله) نهى عن قتل المحارب إذا أسلم، والنهي من الأساليب الدعوية المعتبرة في الدعوة إلى الله لما فيه من بيان المحذور للمدعوين لاجتنابه، ومن صفات الأمة خاصة العلماء والدعاة القيام بواجب النهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1]. أي ولتكن منه جماعة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. والنهي أحد ركني الموعظة الحسنة والتي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]. والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة دم ومال من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام:

من الحقائق المقررة حرمة وعصمة من صدر عنه ما يدل على دخوله الإسلام دمًا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم لابن القيم، ص ٣٤٤.

وعرضًا ومالاً وقد ورد ذلك صريحًا في الحديث: "أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال: لا تقتله"، وفي ذلك دليل على أن كل من صدر عنه أمر ما يدل على الدخول في دين الإسلام من قول أو فعل حكم له لذلك بالإسلام[1]، وعصم دمه وحرم ماله، ووضح النبي ﷺ ذلك أيما توضيح في قوله: (فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال).

قال النووي: (فأحسن ما قيل فيه وأظهره ما قاله الإمام الشافعي وابن القصار المالكي وغيرهما أن معناه: فإنه معصوم الدم محرم قتله بعد قوله: لا إله إلا الله كما كنت أنت قبل أن تقتله، وأنك بعد قتله غير معصوم الدم ولا محرم القتل كما كان هو قبل قوله لا إله إلا الله. قال ابن القصار: يعني لولا عذرك بالتأويل المسقط للقصاص عنك)[2].

رابعًا- من واجبات المدعو: الانقياد للشرع وترك العصبية والانتقام:

جاء هذا المعنى في إجابة النبي ﷺ للمقداد بن الأسود بالنهي عن قتل المحارب الذي صدر عنه ما يدخله الإسلام: (لا تقتله)، حتى وإن اعتدى على المسلم قبل أن يعلن الشهادة: (فقال: يا رسول الله إنه قطع يدي، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله) وذلك ابتعادًا بالمسلم عن ابتاع هوى نفسه وما تدعوه إليه من تشفٍ وانتقام[3]. وقد أرشد الإسلام المسلمين انتهاج العفو والمسامحة منهج حياة وملازمة خلق، ما لم تنتهك حرمات الله ولقد ضرب النبي ﷺ مثلاً أعلى يحتذى به، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ. وَلاَ امْرَأَةً. وَلاَ خَادِمًا. إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَمَا

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٤/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤٤/٧ - ٤٥.

نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[١]. ووصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٢]. وفي ذلك بيان أن الانتقام ليس من صفات الكرام.

خامسًا- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

لقد كان شأن الصحابة رضي الله عنهم الرجوع إلى رسول الله ﷺ في أمورهم يسألونه عن الصواب والرشاد وإن ما ورد في الحديث من سؤال المقداد بن الأسود لرسول الله ﷺ يعد نموذجًا لأدب الصحابة رضي الله عنهم في الاحتكام إلى رسول الله ﷺ: (قال: قلت لرسول الله ﷺ أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف.. الحديث)، ذلك تطبيقًا منهم لما فهموه من أمر الله تعالى لهم وبيان الرجوع إلى رسول الله ﷺ شرط الإيمان: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٣]، فلا بد من الرضا بما بلغه النبي ﷺ عن الله من الدين، وما صدر عنه من سنة، وتلقي ذلك بالرضا والتسليم، وذلك لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومن أخل بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك[٤]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٢٨.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٤) تفسير ابن رجب الحنبلي ٥٠٢/١.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

فإن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يجب الوقوف عند حدودهما والتحاكم إليهما فهما الميزان الذي توزن به الاقوال والأفعال والأحكام فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدَّ[١].

إن من أهم وسائل المعرفة سؤال أهل العلم، وعدم ترك السؤال لهم حياء أو كبرًا، وفي الحديث صورة تطبيقية لما ينبغي أن يكون عليه المدعو، وذلك في سؤال المقداد بن الأسود لرسول الله ﷺ: "أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا.. الحديث" قال أبو العباس القرطبي: (قوله: "أرأيت إن جاء رجل من الكفار فقاتلني" دليل على جواز السؤال عن أحكام النوازل قبل وقوعها، وقد روي عن بعض السلف كراهية الكلام في النوازل قبل وقوعها، وهذا إنما يحمل على ما إذا كانت تلك المسائل مما لا تقع أو تقع نادرًا، فأما ما يتكرر من ذلك ويكثر وقوعه فيجب بيان أحكامها على من كانت له أهلية بذلك إذا خيف الشغور عن المجتهدين والعلماء في الحال أو في الاستقبال، كما قد اتفق عليه أئمة المسلمين من السلف لما توقعوا ذلك فرّعوا الفروع ودونوها، وأجابوا عما سؤلوا عنه من ذلك حرصًا على إظهار الدين)[٢].

إن الجهل داء دواؤه السؤال كما صرح بذلك رسول الله ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٣]، والعي بكسر العين: الجهل، والمعنى: أن الجهل داء وشفاؤه السؤال والتعلم[٤].

---

(١) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٩٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

الحديث رقم (٣٩٣)

٣٩٣- وعن أُسَامة بن زيدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بعثنا رَسُول الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَصَبَّحْنَا القَوْمَ (عَلَى مِيَاهِهِمْ)[1]، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ، قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِي، وطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا (المَدِينَةَ)[2]، بَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: ((**يَا أُسَامَةَ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ؟!**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إِنَّمَا كَانَ متعوِّذًا، فَقَالَ: ((**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ؟!**)) فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

وفي رواية[4]: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أَقَالَ: لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وقَتَلْتَهُ؟!**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِن السِّلاحِ، قَالَ: ((**أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟!**)) فمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا[5] حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

---

(١) لفظهما: (فهزمناهم).

(٢) (المدينة) لا توجد عندهم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١٥٩) ولفظهما سواء.

(٤) أخرجه مسلم (٩٦/١٥٨).

(٥) عند مسلم زيادة: (عليَّ).

غريب الألفاظ:

الحُرَقَةُ بضم الحاء المهملة وفتح الراء: بطن من جُهَينةَ: القبيلة المعروفة[١].

صبَّحنا القوم: هجمنا عليهم صباحًا قبل أن يشعروا بهم[٢].

غشيناه: لحقنا به حتى تغطى بنا[٣].

متعوذًا: مُعتصمًا بها من القتل لا معتقدًا لها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث اشتمل على قصة تلاها حوار، وقد بدأ القصة بقوله (بعثنا رَسُول الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ) وهو خبر أريد الفائدة، وهي الإعلام بمضمون الخبر، وقوله (فَصَبَّحْنَا القَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ) كناية عن الإغارة عليهم، وقت الصبح وهم يسقون، وقوله: (لما غشيناه) التعبير بالغشي دلالة على الإحاطة به من كل جانب، وقوله (حتى قتلته) يشير إلى الغاية، وأنه قصد قتله لا إصابته، وقوله (بَلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ) نسبة الفعل للإشارة العائدة على الحدث مجاز مرسل، والغرض منه المبالغة فيه كأنه من هوله نما إلى علم الناس بنفسه، يؤكد هذا استخدام إشارة البعيد مع قربه في الذكر تفخيماً له، وقول الرسول (أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ؟!) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت، فلما أقر بالفعل كرر قوله (أقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ؟!) وهذا الاستفهام للإنكار، والتوبيخ، ومعناه ما كان ينبغي أن تفعل ذلك يدل على ذلك ما ورد في الرواية الثانية (أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أمْ لا؟!)، وقد صعَّد هذا التوبيخ عن طريق التكرار الذي ذهب، بأسامة كل مذهب من هول ما يسمع، حتى

---

(١) رياض الصالحين ١٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٠٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٢٠٣.

(٤) رياض الصالحين ١٩٨.

قال (تَمنَّيتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ) وهو كناية عن شدة ما لاقى من غضب رسول الله ﷺ، مع كونه حِبَّه، وهو أحرص الناس على طاعته - رضي الله عنه - والحديث تغليظ لجرم قتل من نطق بكلمة التوحيد، وإن قالها خوفاً يدل على ذلك قول أسامة رضي الله عنه للرسول ﷺ (قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّمَا كَانَ متعوِّذا) كناية عن قولها نفاقاً خوفاً من القتل؛ ولذلك حصر المعنى بأسلوب القصر بإنما فقصر نطقه بالشهادة على كونه متعوذاً لا مسلماً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البكور.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: العمل بالظاهر والله يتولى السرائر.

سادسًا: من مهام الداعية: إقناع المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري:

ورد الاستفهام في قوله ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه "يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله"، وأسلوب الاستفهام الإنكاري من الأساليب الدعوية الناجحة لما فيه من لفت نظر المدعو إلى ما وقع منه، ولبيان وجوب الإنكفاف عما صدر عنه[1]. وقد ورد الاستفهام الإنكاري في غير آية في القرآن الكريم كقوله تعالى موبخًا بني إسرائيل ومنكرًا عليهم سوء أفعالهم وخيانتهم للعهد والميثاق: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٦.

يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾[١]، وفي سورة يس يبين الله ما سيوجه للكافرين يوم القيامة من توبيخ وتقريع لتفريطهم بالعهد الذي عهده الله إليهم فضيعوه[٢] ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التكرار:

ورد التكرار في هذا لحديث في قوله ﷺ: أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله ومن الشواهد على ذلك ما جاء في قول أسامة بن زيد رضي الله عنه: "فما زال يكررها"، قال أبو العباس القرطبي: (وتكرار ذلك القول: إنكار شديد وزجر وكيد وإعراض عن قبول عذر أسامة الذي أبداه بقوله: "إنما قالها خوفًا من السلاح")[٤].

إن التكرار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد للأمر وبيان لأهميته وخطورته، قال ابن حجر: إن من يريد التأكيد في أمر وإيضاح البيان فيه أن يكرره[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتضح الحوار في هذا الحديث من خلال ما دار بين الرسول ﷺ وأسامة بن زيد في شأن الرجل الذي قتله أسامة بعد ما نطق بالشهادة ظنًا من أسامة أنه قالها تعوذًا "فقال لي: يا أسامة أقتلته .... قلت يا رسول الله إنما كان متعوذًا، فقال بعد ما قال لا إله إلا الله.... الحديث"، فالحوار أسلوب دعوي هادف وهو من لون من ألوان الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ففي الحوار رد للمخطئ للصواب والمبطل إلى الحق وإيقاظ للضمائر والعقول ودعوة إلى أعمال النظر والتفكير[٦].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٩.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص٥٢.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٦/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٩/٨.

(٦) انظر: أدب الحوار والمناظرة، المستشار الدكتور علي جريشة ص ٨٧.

والإسلام دعا للحوار لا بين المسلمين أنفسهم فقط، بل دعا للحوار بينهم وبين غيرهم من الأجناس الأخرى، وحثهم على أدب الحوار، هذا الأمر أحد العوامل المهمة في انتشار الإسلام سواء في بداية عهده بل إلى قيام الساعة [١]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية البكور:

يعد البكور من العادات الإسلامية التي حث عليها الرسول ﷺ وقد ورد في الحديث ما يدل على الالتزام بهذا الهدى النبوي وذلك في قول أسامة بن زيد رضي الله عنهما "فصبحنا القوم"، أى هجمنا عليهم صباحًا قبل أن يشعروا بنا[٣].

وقد دعا النبي ﷺ للأمة في بكورها وحثهم عليه؛ فروى عن صخر الغامدي عن النبي ﷺ أنه قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشًا بعثها من أول النهار، وكان صخر رجلاً تاجرًا، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله"[٤]، أي: صار ذا ثروة، أى: مال كثير[٥].

إن ساعات الصباح والبكور من أعظم الساعات المباركات التي رغب النبي ﷺ في اغتنامها ودعا بالبركة لمن استثمرها، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل، فتطيب أنفسنا وتنشط طوال نهارنا خلافًا لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ نشاط يومه بصلاة الفجر ومن فاتته ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاثة عقد، فإذا

---

(١) الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/١٢.

(٤) أخرجه أبو داود، ٢٦٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١١٨.

هو استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية فإذا هو صلى انحلت عقدة ثالثة، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان))[١]، فالفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج والثاني نتيجته كسل وفشل[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العمل بالظاهر والله يتولى السرائر:

إن من القواعد العامة في الإسلام أن الناس إنما يعاملون على ظواهرهم فأحكام الشريعة متعلقة بالظاهر[٣]، وجاء في الحديث ما يقرر ذلك من خلال إنكار الرسول ﷺ على أسامة "فقال لي يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ قلت: يارسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا... الحديث"، قال القرطبي: (وفي ذلك دليل على ترتيب الأحكام على الأسباب الظاهرة الجلية دون الباطنة الخفية)[٤]، وقال ابن حجر: أمور الناس محمولة على الظاهر فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك[٥]، فنحن متعبدون بالأخذ بالظاهر والحكم على الظاهر وإقامة الحدود على الظاهر، ويعذرنا الله بذلك، ولم يكلفنا ما لا نستطيع من الاطلاع على بواطن الأمور[٦].

سادسًا: من مهام الداعية: إقناع المدعوين:

نرى ذلك بجلاء في حُجَّة أسامة بن زيد في قتله المحارب الذي تلفظ بالشهادة، ظانًا أنه قالها خوفًا من السلاح فقال "إنما كان متعوذًا" وفي رواية "إنما قالها خوفًا من

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦.

(٢) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٦/١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٢/١.

(٦) فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، ص ٢٠١

السلاح"، فقال رسول الله ﷺ مقنعًا له أن ذلك الحكم ليس بمقدوره؛ قائلاً "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ ولذا ينبغي على الداعية أن يُولي الإقناع ومخاطبة العقل عناية خاصة لما في ذلك من أثر في توجيه الآراء والسلوكيات للمدعوين، فلابد أن يخاطب عقولهم، ويقدم لهم من الحجج والبراهين ما تقتنع به عقولهم ويسلم به تفكيرهم ويذعنوا عن علم ويستجيبوا عن بينة[1].

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بن أحمد بادحدح، ص ٣٧، ٣٨.

الحديث رقم (٣٩٤)

٣٩٤- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ المُسْلِمِينَ إِلَى قَومٍ مِنَ المُشرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ التَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُل مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأَنَّ رَجُلاً مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ. وَكُنَّا نتحدَّثُ[1] أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيهِ السَّيفَ، قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ البَشيرُ إِلَى رَسُول الله ﷺ فَسَأَلَهُ وَأَخبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: ((**لِمَ قَتَلْتَه؟**)) فَقَالَ: يَا رَسُول اللهِ، أَوْجَعَ فِي المُسلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلانًا وفلانًا، وسمى لَهُ نَفرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيهِ، فَلَمَّا رَأى السَّيفَ، قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ. قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أَقَتَلْتَهُ؟**)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**فَكَيفَ تَصْنَعُ بِلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**)) قَالَ: يَا رَسُول الله، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: ((**وكَيفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلاَّ الله إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**)) فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: ((**كَيفَ تَصْنَعُ بِلا إلهَ إلاَّ الله إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جندب بن عبدالله البَجَليّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

غريب الألفاظ:

بعثًا: جيشًا[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع سابقه في كثير من معناه، ويختلف في كثير من مبناه، وقوله (لم قتلته) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت وقوله (أَوْجَعَ فِي المُسلِمِينَ) كناية عن الإصابات، والجراح التي أحدثها فيهم، وقول الرسول ﷺ لأسامة رضي الله عنه (أَقَتَلْتَهُ؟)

---

(١) لفظ مسلم: (نحدِّث).

(٢) برقم (٩٧/١٦٠).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ب ع ث).

استفهام إنكاري توبيخي، وقوله (فَكَيفَ تَصْنَعُ بلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، إِذَا جَاءتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟) استفهام صعَّد التوبيخ، وصار إلى التهويل والتي أكدها ذكر الظرف (يوم)، وإضافته للقيامة؛ لأنه يوحي بالهول، والشدة، والخوف، ونسبة المجيء لكلمة التوحيد يوحي بالرهبة، لأنه يصوِّر القصد، والتوجه، وكأنها تسعى إليه، وتقصده، وهو تركيب يوحي بالرهبة، والخوف الذي يسيطر علي القلوب لاسيما إذا صدرت من رسول لا يكذب، وقد وجهها لمن يحب، ثم جاء التكرار لهذه العبارة ليبلغ بالرهبة ذروتها في قلب أسامة ﷺ، وبناء عبارة الرسول ﷺ على هذا النحو في خطابه لحبه يدل على تعظيم حرمة دم من نطق بالشهادة مهما كان ما في قلبه.

المضامين الدعوية

من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

خامسًا: من مهام الداعي: توجيه المدعوين وبيان الأحكام.

سادسًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس البشرية.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: طلب الصحابة من رسول الله ﷺ الاستغفار إذا وقع خطأ من أحدهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك في سؤال النبي ﷺ للبشير "فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ فسأله وأخبره" وفي سؤاله لأسامة بن زيد "فدعاه فسأله، فقال: لم قتلته؟" والسؤال والجواب من أكثر أساليب الدعوة تأثيرًا لما فيه من لفت الأنظار وإثارة الانتباه، وهو شكل من أشكال الاتصال الشخصي[1] وهو من أقوى الأساليب لعرض الدعوة وتبليغها.

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ص ٦٠٧.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام الإنكاري:

جاء هذا الأسلوب في سؤال النبي ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنه مستنكرًا عليه قتله المحارب بعد تلفظه بالشهادة "أقتلته؟ قال نعم. قال فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟ فأنكر عليه امتناعه عن العمل بما ظهر باللسان[١] وأسلوب الاستفهام الإنكاري له بالغ التأثير في نفس المدعو لما فيه من تصحيح الأخطاء وبيان وجوب الإنكفاف عما يستنكره الداعي[٢]. وقد استخدمه القرآن في كثير من الآيات، ومن ذلك ما ورد في سورة الأعراف موبخًا بني إسرائيل ومنكرًا عليهم سوء أفعالهم وخيانتهم للعهد والميثاق[٣]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾[٤].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

يستنبط ذلك في الحديث من قوله "فجاء البشير إلى رسول الله ﷺ أي المبشر[٥] والتبشير من أفضل الأساليب الدعوية التي لها أكبر الأثر في نفس المدعوين، وهي من أسس الرسالة النبوية قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٦] أي مبشرًا لمن آمن بالجنة ونذيرًا لمن كذب بالنار[٧] والمدعو أشد تقبلاً لأسلوب البشارة لما يجلب التبشير من طمأنينة وسكون النفس ورفع للروح المعنوية وسبب لانشراح الصدر وسعادة القلب واستقرار النفس وراحة البال[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٥٧.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦١٦.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ص ٥٢، ٥٣.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٦٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٦١٨.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٧) معالم التنزيل، البغوي، ٣٦١/٦.

(٨) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٨١١/٣.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

ويظهر ذلك الأسلوب فيما دار بين الرسول ﷺ وأسامة بن زيد من حوار وسؤال وجواب في أمر المحارب الذي تلفظ بالشهادة فقتله أسامة، والحوار أسلوب خير للوصول إلى الحق والإقناع به ولو اتبع الدعاة وغيرهم من المفكرين الحوار أسلوبًا لوصلوا إلى أفضل ما يَصْبُون إليه، فإن الفكر يعالج بالفكر والحجة تقرعها الحجة[١].

ويعد أسلوب الحوار من أفضل الأساليب المناسبة للعصر التي يحسن بالداعية استخدامها[٢]. والقرآن مليء بصور الحوار، ومناقشة ودحض الشبه التي قد تحول بين الناس والدخول في الإسلام. كما أن الحوار أسلوب دعوي تعليمي ذو تأثير كبير، والحوار من أجل التعليم والإقناع، وقد ورد في القرآن في مواضع كثيرة منها حوار موسى عليه السلام مع الخضر[٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[٤] إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[٥].

خامسًا- من مهام الداعي: توجيه المدعوين وبيان الأحكام:

إن في بيان الرسول ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما في الحديث أن الإنسان ما دام قد نطق بالشهادة فلا ينبغي التعرض له، بيان لما ينبغي أن يضطلع به الدعاة من بيان للأحكام وإرشاد وتوجيه للمدعوين وفي ذلك اقتداء برسول الله ﷺ في عنايته بالبلاغ وقيامه به على أتم وجه وأكمله[٦] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا

---

(١) أدب الحوار والمناظرة، د. علي جريشة، ص ١٤٧.

(٢) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد الخياط ص ١٦٧.

(٣) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغماسي، ص ٤٠.

(٤) سورة الكهف، آية: ٦٠.

(٥) سورة الكهف، آية: ٨٢.

(٦) نصوص الدعوة في القرآن الكريم، د. حمد بن ناصر العمار، ص ١٤٧.

﴿يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[١] وسيد الناس في هذاالمقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله ﷺ، ثم ورث ذلك عنه أمته من بعده، فبنورهم يقتدى وعلى منهجهم يسلك الموفقون[٢].

سادسًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على النفس البشرية:

يبدو ذلك واضحًا في استنكار رسول الله ﷺ لما فعله أسامة بن زيد رضي الله عنهما من قتله المحارب بعد تلفظه بالشهادة "أقتلته؟ قال نعم قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة" أي بماذا تحتج إذا قيل لك: كيف قتلت من قال لا إله إلا الله وقد حصلت لدمه حرمة الإسلام[٣]. ومن أجل الحفاظ على دم المسلم عَظَّم الله عقوبة من يعتدي عليه فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٤] فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاءه جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم بما فيها من العذاب العظيم والخزي المهين وسخط الجبار وفوات الفوز والفلاح وحصول الخيبة والخسارة[٥]. وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لوْ أَنَّ أهلَ السَّماءِ والأرضِ اشترَكوا في دمِ مُؤمنٍ لأَكبَّهُمُ اللَّهُ في النَّارِ))[٦] ويؤخذ مما سبق أن قتل النفس التي حرم الله بغير حق أكبر

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٢٣/٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٧/١.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٧.

(٦) أخرجه الترمذي ١٣٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١١٢٨).

الكبائر بعد الإشراك بالله[١]، ويتبين مدى عصمة الإسلام لدم الإنسان.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: طلب الصحابة رضي الله عنهم من رسول الله ﷺ الاستغفار إذا وقع خطأ من أحدهم:

في الحديث مثال تطبيقي لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، إذا وقع من أحدهم خطأ يطلب من رسول الله ﷺ الاستغفار له قال -أي أسامة- يا رسول الله استغفر لي- وقد ندب القرآن العصاة إلى طلب الاستغفار من رسول الله ﷺ؟ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢] قال ابن كثير: (في الآية يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم، ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٣])[٤]. وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته، لأن السياق يدل على ذلك، لكون الاستغفار من الرسول ﷺ لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء[٥].

وذم القرآن أقوامًا دُعُوا إلى رسول الله ليستغفر لهم فأبوا وأعرضوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[٦] أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكبارًا عن ذلك واحتقارًا لما قيل لهم[٧] فاستحقوا لعائن الله عز وجل.

---

(١) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، محي الدين ابن النحاس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٧/٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٩.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٦/٨.

الحديث رقم (٣٩٥)

٣٩٥- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود، قَالَ: سَمِعْتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقولُ: إنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بالوَحْيِ في عَهْدِ رَسُول الله ﷺ، وَإنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وإنَّمَا نَأخُذُكُمُ الآن بما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعمَالِكُمْ، فَمَنْ أظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا[1] مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْء، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإنْ قَالَ: إنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

يؤخذون بالوحي ينزل على النبي ﷺ يخبره بأحوال الناس المؤمن منهم وغير ذلك.

سريرته: ما يكتمه[3].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يقرر الأخذ في الأحكام على الناس بالظاهر، وترك الباطن لعلم الله؛ لأنه لا يعلمه إلا هو، وقد جاء في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وتفخيماً للمعنى، وقوله (كانوا) عودة بهم إلى زمن التشريع، والتعبير بالعهد إشارة إلى تلك الرابط التي تربطهم بالنبي ﷺ وهي شريعته بين الكتاب، والسنة، وأسلوب القصر في قوله (وإنَّمَا نَأخُذُكُمُ الآن بما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعمَالِكُمْ) يقصر الحكم عليهم بما بدا منهم دون ما خفي، والتعبير بالأخذ كناية عن تطبيق الأحكام عليهم بما فعلوا، وأسلوب الشرط في قوله (فَمَنْ أظْهَرَ لَنَا خَيْراً أمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ) يؤكد

---

(١) لفظ البخاري: (إلينا).

(٢) برقم (٢٦٤١).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (س ر ر).

الأخذ بالظاهر، وما يترتب عليه، وقد قابل بين جملة الشرط الأولى، وبين الثانية فقد قابل بين ظهور الخير، وبين ظهور السوء، كما قابل بين التأمين، والتقريب، وبين التخويف، والتكذيب، وهذه المقابلة تؤكد عزمه على ذلك، وتفصِّل عاقبته، وقوله (اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص أي حسابه على ما في قلبه على الله لا علينا، وهذه الجملة توكيد معنوي للتي قبلها، ولذلك فصلت عنها؛ لأنه لا يعطف الشيء على نفسه لاقتضاء العطف للمغايرة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى قاعدة مهمة في الفقه الإسلام، وهي الأخذ بالظاهر دون الباطن، فمدار الأحكام في التشريع الإسلامي على ظواهر الأمور دون بواطنها، فالقاضي مثلاً مأمور بالحكم بالظاهر دون الباطن.

وقد سبق القول في الحديث رقم (٢١٩) أن الفقهاء اتفقوا[1] على أن القاضي يحكم بما يراه من ظاهر الأمور والأدلة ويجتهد في ذلك بما يستطيع من وسع، ولا يكون مقيدًا له إلا الأدلة الواضحة فالبينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وكذا في كل أمر يؤخذ بالظاهر دون الباطن لأنه هو الذي في مقدورنا دون بواطن الأمور.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيلعي ١٩٠/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥/٧ وما بعدها، ومواهب الجليل للحطاب، المواق ١٢٤/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٢٠/٢، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٠٦/٤، وتحفة المحتاج، ابن حجر ١٣٩/١٠، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٥١٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٤/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوحى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: معيار العدالة والأمانة في الإسلام.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان ولاة الأمور لمنهجهم في سياسة الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد التوكيد في هذا الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم"، وأسلوب التوكيد له تأثير جيد في قبول المدعو للدعوة لما يوقعه في قلب المدعو من أهمية الأمر.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

لقد استخدم عمر رضي الله عنه الشرط لبيان أهميته في المعاملة والأمان والقرب لمن أظهر الخير، وعدم الأمان وعدم التصديق لمن أظهر السوء والقرب لمن أظهر الخير وعدمه إن أظهر السوء، فقال:فمن أظهر لنا خيرًا أمَّناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية المفيدة وقد استخدم أسلوب الشرط كثيرًا في آيات القرآن ونصوص السنة النبوية من ذلك قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوحي:

لقد صرح عمر رضي الله عنه بذكره في قوله: "إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ والوحى يطلق في اللغة على الرسالة، والإلهام، والكلام الخفي[2]،

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٢٣-١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٩٣٦.

وقد كمَّل الله لرسول الله ﷺ من مراتب الوحي مراتب عديدة منها "الرؤيا الصالحة، وما كان يلقيه الملك في رُوْعه وقلبه من غير أن يراه، أو متمثلاً له في صورة رجل، أو في صورته التي خلق عليها، أو كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكذلك ما أوحاه الله وهو فوق سبع سماوات، وكلام الله منه إليه بلا واسطة ملك[١].

فلقد أوضح النبي ﷺ صور إتيان الوحى ونزوله عليه ومنها قوله ﷺ: ((أَحْيانًا يَأتِيني مِثلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهُوَ أَشَدُّه عَلَيَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ، وأحْيانًا يَتَمثَّلُ ليَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي فأعِي ما يَقولُ))[٢]. واستغرق نزول الوحي ثلاثة وعشرين سنة، منها ثلاثة عشر عامًا بمكة المكرمة، وهذا هو المشهور وعشر سنين في المدينة وهو المتفق عليه[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: معيار العدالة والأمانة في الإسلام:

لقد وضع عمر رضي الله عنه معيارً للعدالة التي يعامل على أساسها الناس في قوله: "من أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه"، أى صيرناه عندنا أمينًا عدلاً، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"، قال المهلب: هذا إخبار عمر عما كان الناس عليه في عهد رسول الله ﷺ وعما صار بعده، ويؤخذ منه أن العَدْل مَنْ لم توجد منه الريبة[٤]، وأن الوحي كان يكشف المنافقين حماية للإسلام أما بعد عصر النبوة فخفيت الأمور، واحتاج الأمر إلى الاجتهاد والاحتياط في مراقبة من يُشك، وبيان أن الاعتبار بالظاهر غالبًا يكشف خبيئة صاحبة[٥]. لأننا نحن لا نكلف إلا بالظاهر، وهذا من نعمة الله علينا ألا نحكم إلا بالظاهر، لأن الحكم على الباطن من الأمور

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ١/١٢٨-١٢٩، وزاد المعاد، ابن القيم الجوزي، ١/٧٨-٨٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٢.

(٣) عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير، محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد الخطراوي ومحي الدين نتو، المدينة المنورة، دار ابن كثير، بيروت: ١٤١٣هـ، ١/٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٧٦.

الشاقة، والله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فالنية موكولة إلى رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان ولاة الأمور لمنهجهم في سياسة الأمور:

يستنبط ذلك من قول عمر رضي الله عنه وبيانه للعدالة التي يؤخذ بها ويحاسب عليها "وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"، فالإمام مأمور بحفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فلابد أن يبين للناس منهجه، ويبين لهم الحجة ويوضح لهم الصواب حتى إذا زاغ منهم إنسان بعد ذلك أخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسًا من خلل، والأمة ممنوعة من زلل[٢].

إن من يتصفح التاريخ الإسلامي خاصة جانب الحكم فيه ليجد أن كل من كان يلي أمر المسلمين كان يبين لهم المنهج المرتضى والذي يوافقه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، سواء أكان هذا البيان لسواد الناس كما في الحديث وبيان عمر للمسلمين معيار الأمانة والعدالة بأنه إظهار الخير "فمن أظهر لنا خيرًا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته..." أم كان هذا البيان لأصحاب الولايات الخاصة كالإمارة والقضاء وما شابهها، ومن ذلك ما جاء في بيان عمر بن الخطاب لأسس القضاء والفصْل بين الناس في كتابه لأبي موسى الأشعري حينما بعثه قاضيًا إلى البصرة فكتب إليه أما بعد فإن القضاء فريضة محتكمة وسنّةٌ متبعة الفهم إذا أُدلي إليك، فإنه لا ينفع حقٌ لا يقاد له، ساوِ بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع قوي في حيفك، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك، البينة على المدَّعي واليمين على من أنكر، والصلح بين الناس جائز إلا صلح حرم حلالاً وأحل حرامًا، ولا يمنعك قضاءٌ

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٧٤٧.

(٢) انظر: الأحكام السلطانية، للقاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ص ٢٧.

قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم والرجوع إليه خير من التمادي في الباطل الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما ليس في كتاب الله، ولا سنة رسوله واعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور برأيك واعمد إلى أقربها إلى الله سبحانه وأشبهها بالحق، واجعل لمن يطلب حقًا غائبًا أو شاهدًا أمدًا ينتهي إليه، فإن أحضر بينة أخذ له بحقه، وإن عجز عنها وجهت للقضاء، فإنه أجلى للعمى وأبلغ في العذر والناس كلهم عدولٌ بعضهم على بعض إلا محدود في قذف أو مجرى عليه شهادة الزور، فإن الله تولّى السرائر ودرأ عنكم الشبهات[1].

(١) معالم القربة في معالم الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بان الأخوة ص ٢٠٣، ٢٠٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على أن لا يجعل من كل مسلم مفسراً أو شارحاً لما في قلوب الآخرين، ويحرم ويجرم أن يكفر المُسلم المسلمَ أخذاً بظواهر النصوص أو السلوك. إن ظاهر الناس كان للحكم عليهم وسرائرهم مردها إلى الله. والمتأولون في الإسلام لا تصدر الأحكام بحقهم على وجه السرعة، ولا يقتلون على ما هم عليه ابتداء، بل لا بد من إجراء المناظرات وعقد اللقاءات لتصحيح المفاهيم.

إن رسول الله ﷺ كان يكتفي بكلمة واحدة، تحقن دم صاحبها وتصون ماله، إنها كلمة التوحيد، ولم يثبت أنه عليه السلام كان يحمل قائلها على القسم أو يكلف من يتعقبه في السلوك، بل يكتفي بمجرد السماع، وقد نهى عليه السلام عن قتل كل من يقولها، وإن ارتكب محظوراً لا يوجب قتلا. كما أنكر عليه السلام قتل قائل هذه الشهادة وعاب على من قتله في ميدان القتال، وحذره من المساءلة أمام الله عن حق هذه الشهادة وسأله ماذا يقول عن علة القتل وهل شق صدره ليتأكد قالها متعوذاً أم راضياً. ومن مضامين التربية نذكر:

أولاً- التربية الإيمانية:

لمّا كان الإيمان بالله تعالى أساساً للعقيدة الإسلامية، فقد جعل النبي ﷺ قول «لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» هدفاً أولياً للجهاد في سبيل الله، حيث قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ....»، ثم تأتي بعد ذلك الصلاة والزكاة، تلك هي أساسيات الإيمان بالله، ولا يكون عمل إلا إذا سبقه إيمان واعتقاد.

فالإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان؛ فإنها تربية عشوائية غير صحيحة[1]؛ لأنها معدومة الهدف، ليس لها غاية ثابتة.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي ص٦٩، ٧٠.

يقول ابن القيم: "فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن، ودفعت عنه كثيراً من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة، ضعف حملها للبدن، وكانت الآفات إليها أسرع شيء، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان[1].

إن لكلمة التوحيد مكانة كبيرة في الإسلام، فهي نقطة التحول التي يصير بها الكافر مسلماً، له حقوق المسلمين، وعليه ما عليهم، ولهذا فقد عاتب النبي ﷺ أسامة ولامه، فقال: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

ثانياً- التربية على الأخذ بالظاهر وإسناد السرائر إلى الله تعالى:

وهذا المبدأ معاضد للمبدأ السابق، فإذا جاهد المسلمون الكفار من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فإن المسلمين غير مكلفين بالتفتيش عن قلوب الناس؛ إنما يكفيهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإن «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى».

وعندما تعلل أسامة بن زيد بقتله للرجل الذي قال: لا إله إلا الله بأنه: «إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفا مِنَ السِّلاَحِ»، قال له النبي ﷺ: «أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ: أقالها أم لا».

فذلك منهج في التيسير على الناس، وعدم المشقة عليهم، فيكفي المسلم لعصمة دمه وماله أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤدي الفرائض الأساسية في الإسلام.

ثالثاً- التربية بالتحذير:

لقد حذر النبي ﷺ المقداد بن الأسود من قتل الكافر الذي قطع إحدى يديه، ثم لاذ بشجرة، وقال: أسلمت لله، حذَّره أن يقتله، وقال له: «لا تقتله؛ فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله، وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال»، أي: وإنك تصير مباح الدم لورثته، ويصير هو معصوم الدم محرمه؛ فكيف يجترئ المقداد على قتل من

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ص١٧٥.

أسلم حال القتال، وقد لقي من النبي ﷺ هذا التحذير الشديد؟

تلك تربية النبي ﷺ لأصحابه، ليس فقط بمعاقبتهم بعد أن يقعوا في المحظور، بل إن رفقه بهم، ورحمته لهم، جعلته حريصاً على أن يعرفهم عاقبة ما يقعون فيه وعقوبته، ويحذرهم من إتيانه قبل أن يأتوه؛ حتى لا تكون لهم حجة إذا اقترفوا ما حذروا منه من قبل؛ فواجب المربي أن يحذر من الخطأ، وواجب المربيِّ أن يحذره ولا يقع فيه.

ولقد ورد التحذير على لسان النبي ﷺ: كأسلوب تربوي وتوجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع[1].

خامسًا- تنوع الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ-أسلوب الإلقاء، كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ..." الحديث. وحديث طارق بن أشيم رضي الله عنه مرفوعًا: "من قال لا إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودومه وحسابه على الله تعالى".

وأسلوب الإلقاء يكون من خلال العرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ولكن هذا الأسلوب يمكن للمعلم استخدامه مع المراحل العليا من المتعلمين كالمرحلة الثانوية، ويمكن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ب-أسلوب الحوار والمناقشة كما هو في الأحاديث الأخيرة من الباب، وهذا الأسلوب ينمي معلومات المتعلمين ويحثهم على البحث والاطلاع ويعودهم على التعبير عن رأيهم، ويكسبهم مهارة المناقشة، كما أن استخدام الأسئلة والأجوبة في عملية التعليم والتعلم يجذب ويشد انتباه المتعلمين نحو الدرس ويشعرهم بأثر مساهمتهم في سيره.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٤٩.

ج-توجيه الأسئلة: كما في قول النبي ﷺ لأسامة رضي الله عنه: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ وقوله: "لم قتلته؟" و"أقتلته؟". وتوجيه الأسئلة يفيد في معرفة استيعاب المتعلمين لعناصر الدرس وتقويم أفكارهم إن لزم الأمر ذلك.

د-التكرار: كما في قول النبي ﷺ: "أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله" فما زال يكررها تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. والتكرار أسلوب تربوي ينبه المتعلمين إلى أهمية الأمر وخطورته.

سادسًا- التربية على المحاسبة:

وذلك واضح من سؤال النبي ﷺ لأسامة لما بلغه قتله الرجل في الحرب، ولم يكن سؤال لمجرد السؤال وإنما كان محاسبة له على فعله بدليل قول أسامة فما زال يكررها عليّ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. قال أسامة: لما بيّن سبب فعله وقتله الرجل: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح. قال له النبي ﷺ: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ.

ومن الملاحظ أن الرجل كان قد أعمل السيف في المسلمين فلما أحس بالقتل قال: لا إله إلا الله معلنًا إسلامه، فقتله أسامة متأولاً إنما قال ذلك خوفًا من القتل، لكن النبي ﷺ حاسبه على ذلك حسابًا شديدًا بلغ من شدته أن أسامة تمنى أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم حتى لا يكون قد ارتكب هذا الفعل الذي أغضب الرسول ﷺ. وفي ذلك إرشاد للمربين ولولاة الأمر وكل من له صلة بأن تكون هناك محاسبة على ما يفعله الإنسان وخاصة تلك التي تتعلق بدماء الناس وأموالهم وأعراضهم ولا يتركون المعتدين يمرون هكذا بدون عقاب.

وأنه من المحزن أن تجد بعض الحكومات تسعى جاهدة إلى عدم مثول جنودها وقت الحرب أمام المحاكم الدولية والجنائية، بحجة أنهم في حالة حرب، فيرتكب هؤلاء الجنود من الفظائع ما تشيب لهوله الولدان، وليس هذا فحسب بل يتقلدون أعلى الأوسمة وأعلى القلادات من قادة دولهم!

۞ ۞ ۞

٥٠- باب الخوف

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[البقرة: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[هود: ١٠٢-١٠٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[عبس: ٣٤-٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾[الحج: ١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٥-٢٨].

وَالآيات في الباب كثيرة جدًا معلومات والغرض الإشارة إِلَى بعضها وقد حصل:

وأما الأحاديث فكثيرة جدًا فنذكر مِنْهَا طرفًا وبالله التوفيق:

الحديث رقم (٣٩٦)

٣٩٦-عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: حدثنا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصادق المصدوق: **((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَومًا نُطْفَةً[1]، ثُمَّ يَكُونُ[2] عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ:**

---

(١) (نطفة) لا توجد عندهما ، وهي عند الشاشي في مسنده (٦٨٢).

(٢) عند مسلم زيادة: (في ذلك) في الموضعين.

بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

النُطفة: ماء الرجل[٢].

عَلَقةً: قطعة دم[٣].

مُضغةً: قطعة لحم[٤].

ذراع: والذراع من الإنسان يعني من طرف المرفق إلى طرف الإصبع[٥]، ومقصوده في الحديث: التمثيل بقرب حاله من الموت[٦].

فيسبقُ عليه الكتاب: يسبق المكتوب واقعًا عليه[٧].

الشرح الأدبي

الحديث فيه جانب من الإعجاز العلمي المؤكد للنبوة؛ لأنه تناول جانباً من الغيب المجهول آنذاك مما لا يجرؤ عاقل أن يتكلم فيه من نفسه مما يدل على أنه من عند

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم واللفظ له (٢٦٤٣/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ط ف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل ق).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ض غ).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٦/١١.

(٧) المرجع السابق ٤٩٦/١١.

الله، والحديث بأسلوب خبري يناسب طبيعة المعنى الذي يقرر حقائق غيبية لا علم للمخاطبين بها، وإذا كان ذلك كذلك، فعنصر التشويق موجود، ومن ناحية أخرى فإن كونها غيباً غريباً عن معارفهم يستلزم توكيدها، وتمهيد النفوس لها فأكدها بأكثر من مؤكد وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، ثم إنه يعطي مساحة لنسبة فعل الجمع للخلق الذي هو آية الإعجاز مما يلفت النظر، ويلقي الضوء على وجه الإعجاز، ومظهر القدرة الإلهية في هذا التكوين الذي يغفل عن تدبره الإنسان، وهذا التدرج في هذه المراحل حتي يولد، وهو سر ذكر مراحل التكوين، كما أن بناء فعل الإرسال، والنفخ لما لم يسم فاعله يعطي العقل فرصة ليذهب في تصوره كل مذهب، وقوله (وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ) أسلوب تشويق بذكر العدد المبهم، وهو لون من ألوان الإيضاح بعد الإبهام التي تحقق مع التشويق، والترقب تأكيداً للمعنى، وقد عطف بين هذه الأ ربع ب(ثم) لطول المدة بين كل مرحلة، والتي تليها، وقسم الرسول ﷺ (فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ) بهذه الصيغة مع ما تلاه من مؤكدات يرتقي بهم قمة الترقب، كما يرفع الإحساس بعظم ما يتلوه، وخطره ؛لأن المعنى الذي يتلوه معنى ترتجف منه أبدان المؤمنين، وتوجل منه قلوبهم، وهو قوله (إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ فَيدْخُلُهَا) وقوله :(حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ) كناية عن شدة القرب، وميزة الكناية أنها تجسِّد المسافة، وقوله (فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ) كناية عن نفاذ ما قدَّر الله، والتعبير بسبق الكتاب توكيد لتحقق ما قدر الله على خلاف ما يبدو من ظاهر العمل، وهذا المعنى إذا ما انصبغت به نفس المؤمن ربطه بربه بخيط الرجاء، والخوف، ونزع من نفسه الاتكال على عمله، وعلَّقه كلياً بربه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-المدة التي يستبين فيها شيء من الخلقة: لا يكون التخليق إلا في الأربعين الثالثة، فأقل ما يتبين فيه خلق الولد واحد وثمانون يومًا[١].

٢-الحمل الذي تنقضي به العدة: ذهب الجمهور إلى أن الحمل الذي تنقضي به العدة هو ما يتبين فيه شيء من خلق الإنسان ولو كان ميتًا أو مضغة تصورت ولو صورة خفية تثبت بشهادة الثقات من القوابل.

أما إذا لم تتصور، وشهد الثقات من القوابل أنها مبدأ خلق آدمي لو بقيت لتصورت، فقد اختلف الفقهاء في ذلك:

فذهب الشافعية في المذهب والحنابلة في رواية إلى انقضاء العدة بها لحصول براءة الرحم به، بينما ذهب الحنفية والشافعية في قول والحنابلة في رواية إلى عدم انقضاء العدة في هذه الحالة.

أما إذا ألقت المرأة نطفة أو علقة أو دمًا أو وضعت مضغة لا صورة فيها فلا تنقضي بها العدة عند الجمهور، وتوسع في ذلك المالكية فذهبوا إلى أن العدة تنقضي بانفصال الحمل كله مضغة كان أو علقة أو دمًا مجتمعًا[٢].

---

(١) الشرح الكبير ٨٩/٩، ومغني المحتاج ٣٨٤/٣، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٥٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٧/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٣٠/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٩/١، والمدونة ٣٩٩/٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٦٨/٤، ومغني المحتاج ٣٨٨/٣، والمجموع شرح المهذب، النووي ٥٤٩/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٨٢/٨ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٤/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الإيمان بقضاء الله وقدره.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: العبرة بالخواتيم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: التفكر في خلق الله للإنسان.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

وُجِدَ ذلك في الحديث بتأكيد كلامه ﷺ عند سياقه بكثير من المؤكدات، والقسم وغيرهما فقال ﷺ "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه.... الحديث" وإن تأكيد الكلام له تأثير في إيقاعه في قلب المدعو، إن كان مترددًا زال عنه الشك والتردد، وإن كان مصدقًا ازداد إيمانًا ويقينًا، وقد أفاد التوكيد في هذا الحديث بيان مراحل خلق الإنسان في بطن أمه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: القسم:

جاء القسم في قوله ﷺ "فو الذي لا إله غيره" وأسلوب القسم من الأساليب التي لها تأثير على المدعوين لماله من أثر في تأكيد الأخبار أو تعظيم لشيء أو شد الانتباه حول أمر معين، ويؤدي القسم دوره في صنع التأثير النفسي، والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبهما معًا، الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها[1].

وقد أفاد القسم في هذا الحديث بيان أهمية الاستقامة على الطاعة ولزوم تقوى الله والحذر من المعاصي، والطمع في رحمة الله تعالى وعفوه وإحسانه، وقد استخدم القرآن الكريم القسم في تقرير وتأكيد كثير من القضايا الأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٣- ١٦٤

(٢) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٣) سورة التغابن، آية: ٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في السنة النبوية:

من دلائل نبوته ﷺ صدقه المطلق وبعده عن الهوى؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وتصديق الواقع والعلم ومطابقتهما لكل ما صدر عنه ﷺ، وذلك من دلائل الإعجاز التي تحدو بالناس إلى خالقها وتعرفهم على بارئها وسيظل هذا الإعجاز قائمًا ومستمرًا إلى يوم الدين مهما تقدم العلم الوضعي وسيظل العلماء والمفكرون يكتشفون في كل زمان ومكان جوانب متعددة مضيئة من معجزات الله في خلقه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

وفي ذلك الدلالة على أن الإنسان على مر الزمن ومستقبلاً سيرى الكثير من آيات الله الممثلة من أقطار السماوات والأرض، كما سيعلم الإنسان أسرارًا من قدرة الله في خلق الإنسان دالة على قدرات الله وعلى عجائب خلقه وبدائع حكمته في خلقه[4].

ومن ذلك ما جاء في الحديث من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ المراحل الجنينية لتكوين الإنسان في بطن أمه، من قبل اكتشاف العلم الحديث لذلك بأربعة عشرة قرنًا من الزمان أو يزيد، فيقول ﷺ: "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، ، فينفخ فيه الروح"، في الحديث يبين النبي ﷺ مراحل النمو للجنين حتى ينفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين عامًا أى بعد أربعة أشهر من الحمل، وهى المدة التي يظهر بعدها حركة الجنين في بطن

---

(١) سورة النجم، الآيتان : ٣-٤.

(٢) سورة النمل، آية: ٩٣.

(٣) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٤) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين ص ٥٥ - ٥٦.

أمه، وصدق الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[1]، [2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الإيمان بقضاء الله وقدره:

إن الإيمان بقضاء الله وقدره أحد أركان الإيمان التي لا قوام له إلا بها، وفي الحديث بيان أن ما يحدث للإنسان مكتوب عليه مقدر له، (ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)، قال ابن تيمية: (وأما السلف والأئمة متفقون على وجوب الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)[3]، فالأجل والرزق والسعادة والشقاوة وجميع ما هو لاقيه الإنسان مما كتبه الله فإنه لا يزاد فيه ولا ينقص منه[4].

ويوضح ابن تيمية مذهب أهل السنة واعتقادهم في القدر فيقول: "وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العبادات ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة لجميع الكائنات فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء إما بالمدح والمثوبة وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها"[5].

إن المسلم يؤمن بقضاء الله وقدره وحكمته ومشيئته وأنه لا يقع شيء في الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله بها وتقديره، وأنه تعالى عدل في قضائه

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/ ٥٨ - ٥٩

(٣) انظر: مجموعة الفتاوى، ابن تيمية، ٦٩٠/٤

(٤) معارج القبول، الحكمي، ١١٠١/٣

(٥) شرح العقيد الواسطية لابن تيمية، تأليف: محمد خليل هراس، ص ٢٦١.

وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره وأن حكمته تابعة لمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به تعالى[١].

فالإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان، وهو مصدر الرضا والقوة عند الإنسان[٢]. قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[٣].

"وفي ذلك إخبار من الله تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية وأن علم الله تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وقوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، أي: أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم فإنه لو قدر شيء لكان ولا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا تفخرون بها على الناس"[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العبرة بالخواتيم:

إن العبرة ليست بصور الأعمال والركون إليها بل بالخاتمة فلا يقطع لأحد معين بدخول جنة أو نار إلا من أخبر ﷺ أنه من أهلها، لذا يحذر النبي ﷺ في الحديث من سوء الخاتمة بتقلب الأحوال في آخر لحظات العمر[٥]، وذلك ما يدفع بالإنسان إلى

---

(١) انظر: منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري ص ٤٠ - ٤٨.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٠٨-١٣٢

(٣) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٦/٨ - ٢٧.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٧٨.

الدوام على الطاعة وملازمتها حتى إذا ما فاجأه الموت كان على طاعة ربه عز وجل، فيقول ﷺ: (فوالذي لا إله إلا غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها).

قال القاضي عياض: (وفي هذا أن الثواب والعقاب راجع إلى أمر الخاتمة، وأن من مات على شيء حكم عليه به من خير أو شر إلا ما عفا الله عنه من السيئات وسمح فيه لأهل الإيمان من التبعات)[1].

وقال النووي: (والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة،وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ونهاية القلة وهو نحو قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان في التخليد وعدمه فالكافر يخلد في النار والعاصي الذي مات موحدًا لا يخلد فيها.

وفي هذا الحديث إثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة)[3].

وقال ابن أبي جمرة في شرح الحديث: "قوله: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)، هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بماذا يختم عملهم"[4].

وقال محمد تقي الدين العثماني: "والحاصل أن الإنسان ليس له أن يفتخر ويُعجب

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٢٨/٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٦٨.

(٤) بهجة النفوس، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٤٥٥/٢.

بما يفعل من الأعمال الحسنة، لأن العبرة بالخواتيم ولا يدري إلى ما يصير إليه في العاقبة، وليس ذلك جبرًا، فإن ما يفعله في الأخير إنما يفعله بكسبه واختياره ولكن يتغير اختياره من الخير إلى الشر فيعاقب به، أعاذنا الله من ذلك"[١].

لذا ينبغي على الإنسان أن يسأل الله دائمًا الثبات، وكان ذلك هدي رسول الله ﷺ، كما ينبغي ألا ييأس ولا نيأس من شخص نجده على الكفر أو على الفسق فربما يهديه الله في آخر لحظة ويموت على الإسلام[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: التفكر في خلق الله للإنسان:

إن خلق الإنسان بهذا الإبداع في جميع مراحله وأطواره لمن ادعى الأسباب إلى التفكر في خلق الله للإنسان، وجاء في الحديث بيان لخلق الإنسان وأطواره في بطن أمه، "إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات... الحديث".

وقد لفت الله أنظارنا إلى التفكير في خلق أنفسنا في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[٣]، والمعنى ألا تتفكرون في خلق أنفسكم، كيف أنشأكم الله من ماء، وكيف خلقكم أطوارًا[٤]، وصدق الله: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾[٥]، فإذا ما تفكر الإنسان في نفسه وما حوله من الكائنات ما من شك أنه يؤدي به إلى الاتعاظ والخوف والخشية من الله تبارك وتعالى ويورثه انشراحًا للصدر وسكينة للقلب، كما أن التفكر طريق موصل إلى

---

(١) فتح الملهم ٣٦٥/١١.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٧٥٣/١.

(٣) سورة الذاريات : ٢١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٦/١٠، ٣٥٣

(٥) سورة فصلت : ٥٣.

رضوان الله ومحبته[١].

وقد مدح الله عباده المؤمنين الذين يزينون عباداتهم بالتفكر وإعمال العقول، ووصفهم بأنهم أصحاب العقول وأولو النهى، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]. فخص الله تعالى بالآيات أولي الألباب وهم أهل العقول لأنهم المنتفعون بها الناظرون إليها بعقولهم لا بمجرد أبصارهم، ثم ذكر من صفاتهم بأنهم "ويتفكرون في خلق السماوات والأرض" أي: ليستدلوا بها على المقصود منها وفي ذلك دليل على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين فإذا تفكروا بها عرفوا أن الله لم يخلقها عبثًا[٣].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٠٧٨/٤

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٨.

الحديث رقم (٣٩٧)

٣٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئذٍ لَهَا سَبْعُونَ ألفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الزمام: ما تقاد به الدابة من حبل أو غيره[2].

الشرح الأدبي

الحديث تجسيم لجهنم ليس عن طريق التشبيه، أو والوصف، ولكن عن طريق بعض ما يتصل بها مما يعطي تصوراً لكل عقل بقدر اتساع مخيلته، وبما يستطيع أن يستوعب، ولفظ جهنم من الألفاظ الموحية بطبيعتها ؛لأنها تستدعي في الذهن إحراق النار، وجحيمها، ولهيبها دون ما يمكن أن يستحضره لفظ النار من منافع كالإنارة، والتدفئة، وغيرها، وقوله: (بجهنم) الباء للتعدية أي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه، وهي علم على الهول، والتعبير بالمبني للمجهول قبلها يذهب بالعقول كل مذهب في تصور الفاعل، وتحديد اليوم لزيادة الترهيب، واللام في قوله (لها) للملك، وذكر العدد للترهيب ؛لأنه يعطي تصوراً عن حجمها، وقد صعَّد الشعور بضخامة حجمها عن طريق العدد الثاني المركَّب ثم إن نسبة الجر إلى الملائكة مع ما عرف عنهم من قوة خارقة يرسم صورة لهول مطبق لا تدرك العين البشرية أبعادها، وتعجز الأذن البشرية عن سماع هدير حركتها، والملائكة يجرونها، ثم إن التعبير بالجر يوحي بثقل الكيان المجرور، وهو مشهد يشيب منه الولدان.

---

(١) برقم (٢٨٤٢/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٦٤).

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٨، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٢٦.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن الحالة التي تأتي عليها جهنم يوم القيامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الخوف من جهنم والبعد عن كل ما يقرب إليها.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من جهنم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

سادسًا: من واجبات المدعو: الفرار من جهنم بفعل الطاعات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن الحالة التي تأتي عليها جهنم يوم القيامة:

إن يوم القيامة وما يجري فيه من الأهوال وعظائم الأمور من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله، إلا أن الله سبحانه قد استثنى بعض رسله فأطلعهم على بعض غيبه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٢] قال العلماء: لما تمدّح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم[٣].

ومن ذلك ما جاء في الحديث بإخبار النبي ﷺ عن حال جهنم يوم القيامة وإتيانها[٤] "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٩٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٣٩٨).

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٢٨.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٧٥٤.

يجرونها" والمعنى: (أنها يُجاء بها من المحل الذي خلقها الله فيه فتُدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والزمام: ما يُزَمّ به الشيء أي: يشد ويربط، وهذه الأزمة التي تساق جهنم بها أيضًا تمنع من خروجها على أهل المحشر، فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله أخذه، وملائكتها كما وصفهم الله تعالى: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1])[2].

وعن أهون أهل النار عذابًا "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا"[3] والحديث الأول يدل على عظم النار وذلك للعدد الكبير من الملائكة الذين يجرونها، وذلك لعظمها وفرط كبرها بحيث إنها تحتاج في الإتيان بها إلى هذه الأزمة[4]، فيعتقد أنه ليس في النار أشد عذابًا منه، مع أن عذابه جمرة من جهنم في أخمصه، وسببه: أن القليل من عذاب جهنم -أعاذنا الله منه- لا تطيقه الجبال وخصوصًا عذاب الكفار[5]، فالحديث الثاني على شدة عذابها فأدنى أهلها رجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان فما بالنا بمن هو أشد منه عذابًا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الخوف من جهنم والبعد عن كل ما يقرب منها:

إن ذكر الرسول ﷺ في الحديثين "يؤتى بجهنم..." و"إن أهون أهل النار..." دل على أهوال جهنم وشدة حرها، وفي ذلك باعث على الخوف من جهنم والفرار منها بالأعمال الصالحة.

لذا ينبغي الحذر من غضب الله وعذابه وقد أمرنا الله بالحذر منه ومن عذابه بغية

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٨٦/٧، ١٨٧.

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث الذي بعده.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٦.

(٥) المرجع السابق ٤٥٨/١.

النجاة من غضبه وانتقامه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١] وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٢]. وقد أثنى القرآن على من هذا حاله يرجو رحمة الله ويحذر انتقامه، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

لذا كان الواجب على الإنسان أن يلزم طاعة الله عز وجل ويترك مناهيه ومكروهاته، ومتى صار الخوف من جهنم عونًا على التقرب إلى الله بفعل ما يحبه وترك ما يكرهه فقد انعكس المقصود من التخويف بالنار وهو لزوم الطاعة واجتناب المعصية[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من جهنم:

إن العلماء هم ورثة الأنبياء ولذا كان عليهم أن يحذوا حذو النبي ﷺ في منهجه في الدعوة من ترغيب وترهيب ومن ذلك التخويف من النار وقد ورد ذلك في الحديثين، وقد حذرنا الله النار في كثير من آياته منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٥] وحذر النبي ﷺ الناس كلهم من النار ولم يستثن أحدًا من هذا الإنذار حتى أقربائه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٣) سورة الزمر، آية: ٩.

(٤) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ٣٥-٤٠.

(٥) سورة التحريم، آية: ٦.

عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١] دَعَا رَسُولُ اللّهِ قُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّه شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا»[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد وذلك لإيقاع الكلام في القلب موقع اليقين فقال ﷺ "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل... وأنه لأهونهم عذابًا" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه من إقبال المدعو على كلام الداعي. ولأهمية التوكيد في تقرير القضايا والأحكام وإثباتها استخدمه القرآن في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التحذير:

جاء في الحديثين تحذير النبي ﷺ الناس من النار وتخويفهم منها ببيان مدى عظمها وفَرْط كِبَرها بحيث يحتاج للإتيان بها إلى سبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك[٤] لا يعلم مدى قوتهم إلا الله، "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها" وببيان شدة عذابها بذكر أهون أهلها عذابًا

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٦.

"إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه..." وأسلوب التحذير يذكر الناس ويبصرهم بما يؤول إليه أمرهم إن عصوا ربهم، فيحملهم ذلك على اجتناب معصيته ولزوم طاعته[١].

سادسًا- من واجبات المدعو: الفرار من جهنم بفعل الطاعات:

إن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته، إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين في سورة الرحمن[٢] لأنها تدعوهم بلسان حالها إلى الفرار منها باجتناب ما يؤدي إليها، وإلى التمسك بالإيمان والطاعة ولزوم العمل الصالح، بفعل المأمور على الوجه المطلوب[٣]، قال ابن رجب الحنبلي: (إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرر الله سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السنة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سير السلف الصالح أهل العلم والإيمان به من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الخوف والخشية والإخبات وأن ذلك هو الذي رقاهم إلى تلك الأحوال الشريفة والمقامات السنيات من شدة الاجتهاد في الطاعات والانكفاف عن دقائق الأعمال والمكروهات فضلاً عن المحرمات[٤].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص ٩٧.

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ٤٠.

(٣) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر الجزائري ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) التخوف من النار والتعريف بحال أهل البوار ص ٦، ٧.

إن طاعة الله والرجاء في رحمة الله سبيل الخلاص والفوز بالنعيم يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

قال الرافعي:

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم

فهنّوني أحبائي وقولوا لك ... البشرى قَدِمتَ على كريم[2]

فالرجاء مستلزم للخوف والخوف مستلزم للرجاء، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٧٦.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ج٥/٢٠٣٩، ٢٠٤٠.

الحديث رقم (٣٩٨)

٣٩٨- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ أهْوَنَ أهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يوضعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ))[1].

((مَا يَرَى أنَّ أَحَدًا أشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا))[2] مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[3].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

أخمص قدميه: ما لا يصل إلى الأرض من باطن القدم عند المشي[4].

والجَمرةُ: القطعة الملتهبة من النار[5].

الشرح الأدبي

تأكيد الكلام بأكثر من مؤكد عند عدم المواجهة بالإنكار نزوع إلى غرض آخر هو الرغبة في تفخيم الخبر، وتعظيمه، والمقام يستلزمه؛ لأنه حديث عن الهول، والتعبير بأفعل التفضيل (أهون) يشير إلى منتهى أحد الطرفين ارتفاعاً، أو انخفاضاً، وهو يشير هنا إلى الأدنى، وإضافته لأهل النار فيها تنفير، وتهويل، لأنه، وإن كان الأهون إلا أنه في النار، وقوله (عذاباً) يؤكد هذا الشعور، ويدعمه، ويصعِّد هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٦١)، ومسلم (٢١٣/٣٦٣) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه مسلم (٣٦٤) من حديث الأعمش. أورده المنذري في ترغيبه (٥٤٢٠).

(٣) **تنبيه:** الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٠١/١، رقم ٨٠٧) وساق اللفظ الأول، ثم قال: وفي حديث الأعمش، ثم ساق اللفظ الثاني، النووي جمع بين اللفظين في حديث واحد، وعزاه إلى الصحيحين، وليس كذلك، فإن اللفظ الأول متفق عليه، والثاني لفظ مسلم من حديث الأعمش.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٨/١١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٣٤.

الشعور ذكر الظرف (يوم)، وإضافته للقيامة، وهي من الألفاظ ذات الإيحاء المرعب الذي تنقبض له القلوب، واتصال اللام بالخبر، توكيد له، وقوله (يوضعُ في أخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ) ذكر الأخمص للمبالغة في التعذيب؛ لأنه إذا كان هذا حال الأهون فما بال البقية، وتثنية القدمين، والجمرتين تشديد في العذاب، والتعبير بالغليان يبيِّن مدى حرارة الجمرتين، ويوحي بمدى الألم الذي يلقاه هذا الأهون، وذكر الدماغ تأكيد على شدة الحر لبعد ما بين الأخمص، والرأس، والتعبير بالدماغ فيه إشارة إلى أن الذي يغلي ما بداخلها ؛لأن الدماغ حشو الرأس، وفي هذا زيادة ترهيب، وتنفير من كل ما يؤدي إليها - أعاذنا الله - وقوله (مَا يَرَى أنَّ أَحَداً أشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً) يفصح عن مرارة التحريق داخل أحشائه، وما بلغ به عذاب الجمرتين، وبناء جملته يدل على ذلك، فقد جاءت بـ (ما) نفياً للرؤية، والفعل المضارع يشير إلى الاستمرار، والرؤية هنا ليست بصرية، لأنه لا يرى في النار، لأنها سوداء كالليل المظلم -والعياذ به- كما أن رؤيته لا تبلغ كل من في النار حتى يعلم من أشد عذاباً، ثم إنه نكَّر (أحداً) فأفادت العموم، وعبَّر بأفعل التفضيل للدلالة على أن عذابه فاق الجميع، وعبارة الرسول ﷺ (وَأنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً) بكل ما فيها من مؤكدات إرصاد للمعنى يقرر أنه على ما فيه من الهول هو أهونهم عذاباً -أعاذنا الله-

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٣٩٩)

٣٩٩- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه : أنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**مِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيهِ، وَمنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ**[1] **إِلَى رُكْبَتَيهِ، وَمنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَى حُجزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**)) رواه مسلم[2].

(**الحُجْزَةُ**): مَعْقِدُ الإزار تَحْتَ السُّرَّةِ، وَ(**التَّرْقُوَةُ**) بفتح التاءِ وضم القاف: هي العَظمُ الَّذي عِنْدَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ، وَلِلإنْسَانِ تَرْقُوتَانِ في جَانبَي النَّحْرِ.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

الشرح الأدبي

المتأمل للحديث يجد أنه بني على جمل متشابهة في التركيب تصدَّر كل جملة منها جناس ناقص يرسخ في العقل معنى، وفي السمع لفظاً وهو قوله (منهم من) ومن الأولى تبعيضية، ومن الثانية موصولة، بمعنى الذي أي بعض منهم الذي، وتكرار الموصول يشير إلى اختلافهم درجاتهم في العذاب، تبعاً لاختلافهم في درجات المعاصي ، فكل يأخذ بقدر ذنبه، والتعبير بالأخذ يوحي بالاستحواذ، والملك، ونسبتها للنار يوحى بقصدها إليهم، والسعي نحوهم، وكأنها تعقل، وذكر هذه المواضع التي تدركها النار، وهي:الكعب، والركبة، و الحُجْزَةُ ، وهي مَعْقِدُ الإزار تَحْتَ السُّرَّةِ، وَالتَّرْقُوَةُ وهي :العَظمُ الَّذي عِنْدَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ، وتدرجها من الأسفل إلى الأعلى، لأن النار تأتيهم من أسفل، فيه تحذير من تراكم الذنوب التي تؤول بصاحبها إلى أحد هذه الأصناف.

---

(١) عند مسلم زيادة: (النار) في المواضع الثلاثة. ولم يوردها الحميدي في جمعه (٣٨٢/١) في موضعين، وأوردها في الأخير.

(٢) برقم (٢٨٤٥/٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٥٤٢٠).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة

ثانيا: من موضوعات الدعوة: التخويف بالنار

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أهل النار في العذاب

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة:

إن من دلائل نبوته ﷺ إخباره ﷺ بالمغيبات والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة[٢] ومن ذلك ما ورد في الحديث من بيان أحوال أهل النار، "منهم من تأخذه النار إلى كعبيه... الحديث" وحال الناس في عرقهم يوم القيامة "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه". وإطلاع الله لرسوله على بعض المغيبات دلالة قاطعة على ثبوت نبوته وصحة رسالته، فما كان لرسول الله ﷺ أن يتأتى له الإخبار بمثل تلك الأمور إلا عن طريق الوحي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٣]. أي: ليس بمتكلم عن هواه[٤] فهو لا يتبع إلا ما أوحي إليه من الهدى والتقوى في نفسه وفي غيره، ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه لأن كلامه لا يصدر عن هوى وإنما يصدر عن وحي يوحى[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التخويف بالنار:

إن التخويف من النار والترهيب من كل ما يقرب إليها لهو الهدف من ذكر رسول

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٣٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٠٠).

(٢) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٢٨٣/١، ٣٢٩

(٣) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، ١٠٧/٨.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٦٠.

الله ﷺ لأحوال أهل النار يوم القيامة " منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه ... الحديث" وبيان الناس وعرقهم يوم القيامة "يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه" فالأمر جد خطير فيجب الحذر من أهوال يوم القيامة، وأن نخاف الله تعالى فنقوم بما أوجب علينا، وندع ما حرم علينا[1]. إن استحضار اليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب والإيمان به يجعل العبد على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

ولو اجتمعت معاني الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب في حس المسلم وصار لها ذاكرًا واستشعرها بقلبه لأصبح من أولياء بإذن الله تعالى.

إن استحضار النار وما فيها من أهوال يوقظ العبد من سباته ويجعله في حذر دائم منها فإذا ما سولت له نفسه ارتكاب محذور تذكره فيتولد عنده حينئذ خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء[2]، وذلك له أكبر الاثر في سلوك العبد وتصرفاته وتوجهاته في الحياة.

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب يصحح سلوك العبد ويوجهه الوجهة الصحيحة لأنه القوة الدافعة إلى فعل الخير وترك الشر[3]. وقد بين الله تعالى أن من صفات عباده المصلين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[4].

وقد كان ﷺ كثيرًا ما يستعيذ من النار ويأمر بذلك في الصلاة وغيرها فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنْ أَرْبَعٍ. يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أكثر

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٥٥/١

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٣) انظر: أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ص ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة المعارج الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٨٨.

دعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تفاوت أهل النار في العذاب:

وردت الإشارة إلى ذلك بذكر أهون أهل النار عذابًا، فقال رسول الله ﷺ: "إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه"، وقوله: "منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته"، قال أبو العباس القرطبي: (ولا شك أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد عُلم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من تل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وفكر مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين، فالحديث دليل على أن أهل النار يتفاوتون فيها[٢]، وقال ابن رجب الحنبلي: واعلم أن تفاوت أهل النار في العذاب هو بحسب تفاوت أعمالهم التي دخلوا بها النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾[٤]، قال ابن عباس: وافق أعمالهم فليس عقاب من تغلظ كفره وأفسد في الأرض ودعا إلى الكفر كمن ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[٥]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٦]، [٧]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٨٩/٧.

(٣) سورة الأحقاف آية: ١٩.

(٤) سورة النبأ: ٢٦.

(٥) سورة النحل آية: ٨٨.

(٦) سورة غافر: ٤٦.

(٧) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٠

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1] فالمنافق في الدرك الأسفل، وهي الهاوية لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين[2].

(١) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٥/٥/٣.

الحديث رقم (٤٠٠)

٤٠٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: (([1] (يَقُومُ النَّاس لِرَبِّ العَالَمينَ) حَتَّى يَغِيبَ أحَدُهُمْ في رَشْحِهِ إلَى أنْصَافِ أُذُنَيهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

وَ((الرَّشْحُ)): العَرَقُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

والرشحُ: العرقُ[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام إشارة إلى ابتداء أمر عظيم، لذلك يقال قامت القيامة، وقام الناس للحرب، وقامت السوق، وصورة المضارع تشخص المشهد الرهيب، وتستحضره، واللام في الناس للجنس فتشمل الناس جميعاً، واللام المتصلة برب للسببية، والتعبير بالرب لما في اللفظ من معاني العناية، والرعاية، والحفظ، وهي معاني يحتاجها المؤمن خاصة في هذا الموقف، وإضافة الرب للعالمين شمول وعموم لجميع أهل الموقف، والعالمين جمع عالم، ويشمل عالم الإنس، والملائكة، والجن، والطير، وغيرها، و(حتى) لبيان الغاية، والتعبير بالغياب يدل على إحاطة الرشح بهم وقوله (في رشحه) دلالة على أن أكثر الهول من إحساسهم بشدة خوفهم من مصيرهم مع ما يعتريهم من الزحام، وشدة الحر، وقوله (إلى أنصاف أذنيه) فيه دلالة على مبلغ الهول، وشدة الموقف، -والعياذ بالله-.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عندهما بزيادة: (يوم) في أوله، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٢/٢٤٠، رقم ١٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٨، و٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢/٦٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٥٥).

(٣) رياض الصالحين ٢٠١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٠١)

٤٠١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: خطبنا رَسُول الله ﷺ خطبة مَا سَمِعْتُ مِثلها قطّ، فَقَالَ: ((**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيرًا**)) فَغَطَّى أصْحَابُ رَسُول الله ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنَينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية[2]: بَلَغَ رَسُول الله[3] ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فَقَالَ: ((**عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أرَ كَاليَومِ فِي الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمونَ مَا أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**)) فَمَا أتَى عَلَى أصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخنينُ: البكاءُ مع غُنَّة وانتشاق الصوت من الأنف[4].

الشرح الأدبي

رسول الله رأى الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها، ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كشف له من أهوال القبور، والحشر والنشر، وزوى الله له الأرض؛ فرأى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤/٢٣٩٥). أوردها المنذري في ترغيبه (٤٩٤٩). وسيكرره المؤلف برقم (٤٤٧).

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٤٩١/٢، رقم ١٨٥٥) في المتفق عليه، وقال: وأخرجاه من حديث موسى بن أنس، عن أنس، ثم ذكر اللفظ الأول، ثمّ قال: وفي حديث النضر بن شميل، ثم ذكر اللفظ الثاني. ففهم النووي رحمه الله أن اللفظ الأول متفق عليه، وليس كذلك، بل اللفظ الأول أخرجه البخاري، واللفظ الثاني أخرجه مسلم.

(٣) لفظ مسلم: (النبي) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) رياض الصالحين ٢٠١.

مشارقها ومغاربها، واختصه الله بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره، فصار قلبه مفعماً بتلك المعارف مهموماً بأمته، لأنه أكثر القلوب رحمة لذلك لم يترك فرصة يبث فيها تلك المعارف إليهم إلا استثمرها ترغيباً أو ترهيباً، وهذا الحديث يشير إلى هذا المعنى، وقوله (لو تعلمون ما أعلم) لو حرف امتناع لامتناع، امتناع الجزاء لامتناع الشرط، أي لم يحدث علم فلم يحدث بكاء كثير، وضحك قليل وقوله(لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيراً) مقابلة بين الضحك، والبكاء، وبين (قليلاً)، و(كثيراً)، وهذه المقابلة توضح المفارقة بين من علم فبكى، ومن جهل فضحك، وعبارته ﷺ بنيت على إيجاز القصر حيث كثرة المعاني، وقلة الألفاظ ؛لأن تلك العبارة تنظر بعيني الرسول ﷺ فيما وراء الغيب المنتظر، وما فيها من عقبات تنتظر الناس - بما فيهم من الصالحين - كالموت، وضمة القبر، والحشر، والنشر، وأهوال القيامة، وما فيها من فزع، ولذلك بكى الصحابة رضي الله عنهم لأنهم أعرف الناس بمغزى كلامه ﷺ ومقصده حتى صار لهم خنين، وهو صوت البكاء عندما يستغرق صاحبه فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الخطبة

ثانيا: من أساليب الدعوة: الإخبار

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم، وبكاؤهم.

رابعًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة

خامسًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الأخروية.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

الحديث ورد في معرض خطبة لرسول الله ﷺ، وصرح بذلك راوي الحديث أنس بن مالك بقوله "خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط"، والخطبة من

الوسائل المؤثرة في الدعوة إلى الله تعالى لما لها من آثار العواطف والمشاعر والوعظ[١]، والخطبة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل من الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر[٢]، وقد وظّف النبي ﷺ الخطبة في هذا الحديث لبيان حقيقة الأمور التي تستوجب التشمير عن سواعد الجدّ والاجتهاد في الطاعات والحذر من المعاصي والموبقات، وقد بيّن أن الأمر خطير جدًا يستلزم الاقتصاد في الضحك واللهو وفي ذلك بيان لأهمية الإقبال على الآخرة وعدم الانبهار بزينة الدنيا وأن يحاسب الإنسان نفسه فيندم على تقصيره في الطاعات ويستدرك ما فاته.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث بتعريف النبي ﷺ الناس بعظم أهوال يوم القيامة وأشار إلى ذلك بقوله " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" وفي قوله" عرضت على الجنة والنار ... الحديث، ويتجلى أسلوب الإخبار أيضًا في نقل أنس الخطبة للناس "خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ..." وبحال الصحابة حين سمعوها "فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين"، وأسلوب الإخبار من الأساليب المؤثرة لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق مما يجعلهم على بينة من أمرهم وبصيرة.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم، وبكاؤهم:

وقد جاء ذلك صريحًا في قول أنس رضي الله عنه "فغطى أصحاب رسول الله ﷺ ولهم خنين"[٣]، وقد وردت الإشارة التي تدل على فضل البكاء وأنه من صفات المؤمنين الذين هداهم الله واجتباهم، قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٤]،

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٣٨٥

(٢) انظر: مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ص٣٠٧

(٣) الخنين ورد بالخاء المهملة وهو الصورة الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، بالخاء المعجمة، الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الأنف، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣١/٨.

(٤) سورة مريم آية: ٥٨.

وقد نعت الله العلماء بالبكاء فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[1]، [2] وذلك مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسَّم بالعلم وحصل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند سماع القرآن والذكر ويتواضع ويذل[3].

وذلك علامة من علامات الإيمان ودلائله، ووقاية من عذاب النار، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((عَيْنَانِ لا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحرُسُ في سبيلِ الله))[4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ))[5].

رابعًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة:

ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث مثالاً حيًا يحتذى به الدعاة في تحذير المدعوين من أهوال يوم القيامة "فقال صلى الله عليه وسلم "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" وذلك واجب العلماء والدعاة ليكون المدعوون على بينة ويأخذوا حذرهم وكما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[6] أي ينذرونهم ويقيموا عليهم

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧-١٠٩.

(٢) انظر: كتاب الزهد، لعبدالله بن المبارك المروزيِّ، دار الكتب العلمية، بيروت: ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٨/١٠/٥.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨١).

(٦) سورة التوبة: ١٢٢.

الحجة[١]، وكما قال الله عن الأنبياء والمرسلين أئمة الدعاة ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الأخروية:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا" وقوله "عرضت عليّ الجنة والنار" وذلك من دلائل نبوءته ﷺ ومن جملة المعجزات التي أيد الله بها رسوله ﷺ. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٣]، [٤].

فإخبار النبي ﷺ ببعض أخبار يوم القيامة من دلائل ثبوت نبوته وصحة رسالته ﷺ فما كان له أن يأتي بمثل هذه الأخبار إلا عن طريق الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٥] ذلك بالإضافة إلى ما أخبر النبي ﷺ بوقوعه إلى قيام الساعة، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[٦]. وعن عمرو بن أخطب الأنصاري أنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[٧].

---

(١) بدائع التفسير، الجامع لتفسير ابن قيم الجوزيه، جمع وتوثيق، يسري السيد محمد، ٣٨٦/٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الجن الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) انظر: كتاب الشفا، للقاضي عياض، ص ٣٢٩.

(٥) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

الحديث رقم (٤٠٢)

٤٠٢- وعن المقداد رضي الله عنه، قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**)) قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر (الراوي عن المقداد)[1]: فَوَاللهِ مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: ((**فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إِلَى ركبتيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجَامًا**)). قَالَ: وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

غريب الألفاظ:

حِقويه: هما معقد الإزار، والمراد هنا: ما يحاذي ذلك الموضع من جنبيه[3].

يُلجمه العرق: أي يصل العرق إلى أفواههم فيصير بمنزلة اللجام[4]، واللجام: هو أداة من حديد ونحوه توضع في فم الدابة ولها سيور تمكن الراكب من السيطرة[5].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول جانباً من الغيب المنتظر، والنفس بطبيعتها ليست مكلفة بالبحث عن المجهول، وهذا يجعلها في حالة ترقب فطرية فلم تحتج إلى أدوات تنبيه، أو وسائل تشويق، فبدأ الخبر دون توكيد؛ لأنه لم يواجه بشك، أو إنكار لكونه يخاطب بها

---

(١) هذا الكلام للنووي.

(٢) برقم (٢٨٦٤/٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٥٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ق و)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ج م).

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥٨.

خالي الذهن، وقوله: (تدنى الشمس) بناء الفعل لما لم يسم فاعله للعلم؛ لأنه من الأحداث العظام التي لا تتأتى لبشر، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يبث في النفس الإحساس بالرهبة، والجار والمجرور (من الخلق) يجعل الجميع في قلب الحدث مما يحكم الرهبة في القلوب، وحتى لبيان الغاية التي يبلغها الهول بهم، والذي صور إطباقه بالتشبيه (كمقدار ميل)، وهو بيان لمقدار القرب الذي يعطي صورة تقريبية عن شدة الحر الذي يشبه الجحيم، وقول الراوي (فَوَاللهِ مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أمَسَافَةَ الأرضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ ؟) يصعِّد الرهبة من عدة وجوه، منها :القسم في بداية العبارة، ثانياً: أسلوب النفي للعلم بالمقصود من الميل ثالثاً: استفهام التحير، والاضطراب الذي يعكس الفزع مما سمع، وسواء أكان المقصود من الميل المسافة أم ما تكتحل به المرأة فالمسافة قريبة بحيث يكون حراً يشوي الأبدان، ولا ينجي منه إلا ظل عرش الرحمن، وقوله (فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ) خبر أريد به الفائدة أي الإخبار بمضمون الخبر بغرض التحذير، الترهيب، والتنفير من سوء العمل، وهو إجمال تبعه تفصيل يؤكد المعنى بعد التشويق إليه، والتدرج الذي تلاه يؤكد ما قرره الرسول ﷺ، وإشارته في نهاية الحديث توكيد تعاضد في استقباله حاستي البصر مع حاسة السمع مما يجعل له مزيد توكيد مع ثباتٍ في ذهن المخاطب، وفيه تحذير من سوء الأعمال، والركون إلى الراحة، وعدم الاستعداد المؤدي لهذا المصير.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حال الناس يوم القيامة.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أحوال الناس يوم القيامة حسب أعمالهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الخوف والرهبة والاستعداد بالعمل الصالح ليوم القيامة.

رابعًا: من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٠٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٠٣).

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حال الناس يوم القيامة:

إن الناس يعانون يوم القيامة الأهوال الشداد، لأنه يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، وقد نقل لنا النبي ﷺ في الحديث صورة من صور تلك الأهوال وهي ما يلاقيه الناس من العرق وغزارته، لدنو الشمس واشتداد حرها فيقول ﷺ " تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل ..." فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ... الحديث"، وذلك من شدة الهول والكرب[1]، وذلك مما يورث في قلب الإنسان الخوف والرهبة من الله ومن عذابه، ويظهر أثر ذلك على أركان الإنسان بلزوم الطاعة واجتناب المعصية[2]. قال ابن حجر: (يستثنى من هذه الهيئة والعذاب الأنبياء، والشهداء، ومن شاء الله فأشدهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل)[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفاوت أحوال الناس يوم القيامة حسب أعمالهم:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث ببيان أصناف الناس يوم القيامة وتفاوتهم فيما يصيبهم من عرق "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون له حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما" أي اختلافهم في مكان العرق منهم بحسب اختلافهم في العمل صلاحًا وفسادًا[4]، وذلك من الأهوال الهائلة يوم القيامة، هذه الشمس المحرقة القريبة جدًا من الناس والتي تتوزع حرارتها على حسب الأعمال، فمن كان عمله صالحًا كان حرها خفيفًا عليه بحيث لا يفرز من العرق إلا القليل، ومن كان عمله فاسدًا كان إحساسه بالحرارة أشد ألمًا وعرقه أكثر غزارة[5]. قال ابن رجب الحنبلي: واعلم أن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٩

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٢٢٢

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٩٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٢٩

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٨٠.

تفاوت الناس يوم القيامة هو بحسب تفاوت أعمالهم[١]، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾[٢]، يعني: ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين"درجات" منازل ومراتب عند الله يوم القيامة، بحسب أعمالهم، فيجازيهم عليها[٣]، قال ابن زيد: درجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفالا، ودرجات أهل الجنة علوًا[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الخوف والرهبة والاستعداد بالعمل الصالح ليوم القيامة:

إن استحضار الإنسان لأهوال يوم القيامة يورثه الخوف والرهبة، ويحفزه إلى الاستعداد لهذا اليوم بالعمل الصالح ليوم القيامة، ومن ثمَّ فقد ذكر النبي ﷺ في الحديث جانبًا وصورة من صور أهوال يوم القيامة فقال "تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل... الحديث، والخوف المقصود من ذكر أهوال يوم القيامة هو ما يحول بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، قال أبو حفص: الخوف سوط الله، يُقوّم به الشاردين عن بابه، وقال الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل، فإنك إذا أخفته هربت إليه[٥].

رابعًا- من صفات الداعية: الإشفاق على المدعوين:

يظهر ذلك ضمنيًا في إخبار النبي ﷺ أمته بمشاهد وأهوال يوم القيامة ليكونوا على بصيرة منها، وليأخذوا حذرهم وليعدوا العدة لهذا اليوم بإخلاص التوحيد وإحسان العمل، فذكر أحوال الناس في عرقهم ودنو الشمس منهم، تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق.. الحديث، وقوله: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض.. الحديث، وإن الباعث على بيانه ﷺ لأهوال يوم القيامة هو الشفقة والخوف على

---

(١) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ص ١٨٠

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٩

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٢٥٩/٧

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦/٨/ ١٩٩

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/ ١٣٩، ١٤٩

المدعوين، وإذا غرس هذا الخلق من الشفقة والرحمة في قلب الداعي فإنه يثمر الألفة ومحبة المدعوين له وإقبالهم عليه والامتثال بما يدعوهم إليه ويبلغهم به من كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ[(١)].

يحمل الداعية على ذلك شفقته على المدعوين ورحمته بهم واقتداؤه برسول الله ﷺ الذي ضرب المثل الأعلى في الشفقة والرحمة بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، حريص على هدايتها ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليها، لذا كانت شريعته ﷺ سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه[(٣)].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ٦/ ٢٣٨٥-٢٣٩٢

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/ ٢٤١.

الحديث رقم (٤٠٣)

٤٠٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((يَعْرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يذهب عرقهم في الأرض: ينزل ويغوص[2].

ذراعًا: والذراع من الإنسان: من طرف المرفق إلى طرف الإصبع[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يتناول هول الموقف المرتقب جاء في أسلوب خبري مجرد عن المؤكدات، لأنه يقابل به خالي الذهن من الخبر، وقد بدأه بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويلقي في روع المخاطبين كأنهم فيها، واللام في (الناس) للجنس تؤكد هذا الشعور لديهم؛ لأنها تستوعبهم فيه، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يصعِّد هذا الإحساس، وقوله (حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعاً) بيان للغاية التي وصلها العرق نزولاً في الأرض يصور عن طريق الأثر، وهو حجم العرق حجم المؤثر، وهو هول الموقف، وذكر العدد، وتمييزه يؤكد المعنى، ويُحجِّم الفعل بما يخلع القلوب، وقوله (وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) بيان لما وصل إليه العرق صعوداً، ونلاحظ أن أفعال الحديث جاءت في صورة المضارع (يعرق - يذهب - يلجم - يبلغ) وهي تعطي للحدث حيوية، وحركة تناسب اضطراب الناس في الموقف، ورعدة الأجسام التي تصبُّ العرق من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٢ واللفظ له، ومسلم ٢٨٦٣/٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٥٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٠.

هولها صباً، وقوله (يَبْلُغَ آذَانَهُمْ) يؤكد الإلجام لأن موضع الآذان أعلى من الفم، بالإضافة إلى أن بلوغ العرق الآذان يسد مخارجه كلها نكاية به، وجزاء يتساوى مع عمله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٠٤)

٤٠٤- وعنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ إذْ سمع وجبة، فَقَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟)) قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: ((هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِها فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا[1])) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الوجْبَةُ: صوت السقوط[3].

خريفًا: هو العام أو السَّنة[4].

قعرها: القعر: من كل شيء أجوف: منتهى عُمْقه[5].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) يوحي بالكثرة في شهود الحدث كما يدل على تمام تحققه، والتعبير بالوجَبَة يدل على الهدة، وهي السقطة القوية التي ترج ما حولها كما أنها تدل على السقوط المفاجيء، وقول الرسول ﷺ (هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟) استفهام بغرض التنبيه، والتشويق، وقولهم (الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ) تفويض، وردٌّ للأمر إلى أهله، وإشارة الرسول ﷺ (هذا) لتمييزه، واستحضاره في عقولهم قبل أن يذكر المسند، والتعبير بالخريف دون السنة؛ لأن الخريف موسم جفاف، ويوحي بالشدة، وهو يتناسب مع ذكر

---

(١) قوله: "فسمعتم وجبتها" هذه الزيادة في رواية مروان الفزاري التي تأتي بعد هذه الرواية، وهي بدون رقم. أوردها الحميدي في جمعه ٣٠٢/٣، رقم ٢٧٠٦ منبهًا عليها، وجمعهما المؤلف في حديث واحد.

(٢) برقم ٢٨٤٤/٣١.

(٣) النهاي في (و ج ب).

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ر ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٤٩.

النار، وذكر العدد كناية عن العمق الذي تُطْوى دونه المسافات، ولا تبلغه القياسات، وقوله (فهو يهوي) ذكر الضمير للاختصاص والفعل المضارع دلَّ على الحضور، والظرف (الآن) حدد الزمان، وأكد الحدث، وتكرار الجار، والمجرور (في النار) في الحديث يؤكد الظرفية أي أنه مع طول زمن السقوط لم يخرج عنها، وقوله (حتى انتهى) بيان للغاية، والقعر هو نهاية الشيء من أسفل، والتعبير به للدلالة على العمق مع الإشارة إلى الإظلام كطبيعة قعر أي شيء، والمعنى من بداية الحديث إلى نهايته ترهيب، وتنفير من النار، ينسحب على كل ما يقرب منها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ وملازمته.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ولرسوله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار الرسول ﷺ ببعض الأمور الغيبية مما أطلعه الله تعالى عليها.

خامسًا: من واجبات الدعوة: الخوف والحذر من جهنم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ وملازمته:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص ما يكونون على مجالسة النبي ﷺ وملازمته، وفي الحديث إشارة إلى ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه "كنا مع رسول الله ﷺ يدفعهم" إلى ذلك محبتهم الشديدة له ومعرفة قدره وفضله[1] ﷺ بل كان بعضهم يدفعه حبه لرسول الله ﷺ أن يلازمه في أحواله كلها يخدمه ويقوم بحاجته، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ:

---

(١) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبد الرءوف محمد عثمان، ص: ٨٩

«فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[١].

وكان حرصَ الصحابة على مجالسة النبي ﷺ وملازمته محبة له وخوفًا من أن يفوتهم شيء من إرشاداته وتوجيهاته، بل كان مَنْ يتعذر عليه مداومة الملازمة يتناوب مع غيره في حضور مجالس رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ- وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ...))[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال النبي ﷺ للصحابة، لا للاستفهام، وإنما لشد انتباه وإثارة غريزة حب التعلم والاطلاع على ما خفى، "كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبه؟ فقال هل تدرون ما هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم، قال هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفًا..." وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه من إثارة الداعي من بعض التساؤلات التي تشوِّق المدعوين إلى التطلع إلى إجاباتها[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: تفويض العلم لله ولرسوله ﷺ:

إن مما يجب على الإنسان تفويض العلم إلى الله ورسوله وعدم الإفتاء والإجابة بغير علم، والصحابة رضي الله عنهم، قد أوضحوا بصورة عملية ما ينبغي أن يكون في ذلك الأمر فأجابوا رسول الله ﷺ بقولهم "الله ورسوله أعلم" قال ابن علان: وفي ذلك بيان أن الأدب إذا سئل الإنسان عما لا علم له به أن يكل العلم فيه إلى الله سبحانه، ولا يتكلم فيما لا علم له به[٤] وليس في ذلك أدنى عيب في ذلك فإن الله يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص ٢٢٧.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٣٠.

عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١]، [٢]، بل هو من دلائل فقه العالم وإكرامه لنفسه، قال القاسم بن محمد: إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه، وقال مالك: من فقه العالم، أن يقول لا أعلم، فإنه عسى أن يهيأ له الخير[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار الرسول ﷺ ببعض الأمور الغيبية مما أطلعه الله تعالى عليها:

ورد في هذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ بيانه ﷺ لمصدر الوجبة وسببها فقال "هذا حجر رمى به في النار" وبيانه ﷺ لقعر جهنم وعمقها الذي يصل سبعين خريفًا، منذ سبعين خريفًا" أي سبعين سنة[٤]، وذلك مما اطلع الله عليه رسوله ﷺ، وذلك ممن جملة معجزاته المعلومة على القطع[٥] قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٦]. وذلك كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[٧] فهو سبحانه يعلم الغيب والشهادة ولا يطلع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا مما أطلع تعالى عليه، ولهذا قال: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري[٨] ويتلخص مما سبق أن ما وقع من رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فإنما هو بوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[٩].

---

(١) سورة يوسف، آية: ٧٦.

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٥٣١/١

(٣) الآداب الشرعية، ابن مفلح المقدسي، ٦٥/٢

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٨

(٥) كتاب الشفا، القاضي عياض، ٣٢٩/١

(٦) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٧/٨.

(٩) موسوعة نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ٥٤٣/١.

خامسًا- من واجبات المدعو: الخوف والحذر من جهنم:

ذكر الحق تبارك وتعالى أن من صفات عباده المؤمنين خشيتهم وإشفاقهم من عذابه تبارك وتعالى فقال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[1] وإن ذكر رسول الله ﷺ لعمق قعر جهنم في الحديث لمن أدعى الأسباب للخوف والحذر من جهنم "هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفًا فخوف الله والحذر من عذابه أمر واجب قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[2]، ينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله، فحقيقته تقتضي حذر الموفقين إذ هو جدير بذلك[3]، فبالخوف والحذر يَنْكَفُّ الإنسان عن المناهي، كما أن الرجاء يبعث عن الطاعات[4]. فما جاء في الحديث من بيان رسول الله ﷺ لصحابته الوجبة التي سمعوها بأنها صوت حجر رمي به في النار منذ سبعين سنة لم يصل إلى قعرها إلا بعد هذه المدة الطويلة مما يبين مدى عمقها، ودارٌ كهذه سعتها هائلة فإذا كان هذا عمقها فكيف عرضها؟ فليحذر المؤمن وليسر في الطريق المستقيم لينجو من هذا فالأمر جدٌّ ليس بالهزل ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[5].[6]

---

(١) سورة الطور، الآيتان: ٢٥-٢٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ١٤١/١٥/٦

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٥

(٥) سورة البقرة، آية: ٧٤.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٤٠٥)

٤٠٥- وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

غريب الألفاظ:

تَرْجُمان: الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى[2].

أيمن: يمينًا[3].

أشأم: شِمالاً[4].

الشرح الأدبي

بناء الرسول ﷺ للحديث على هذا النسق يؤكد رغبته في أن يكون دافع المؤمن لاجتناب الخطأ، والتزام الصراط المستقيم نابعاً من داخله مما يحقق الأمن، والطمأنينة، ويكفي المجتمع تبعات ملاحقته وعقابه، أو تقويمه، ولتحقيق ذلك نقل الرسول ﷺ مشهد العبد -كل عبد وأي عبد شقي- في الموقف العظيم، وصوَّر هواجس نفسه، واضطرابه بعدة أساليب بلاغية حيث بدأ الحديث بأسلوب خبري توجَّه به إلى عمق المخاطب ببراعة جعلته من البداية في قلب الحدث حتى يتحرك به في الزمان والمكان.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦/٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٦٤)، وقد تقدم برقم (١٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر ج م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي م ن).

(٤) اللسان في (ش أ م).

لذا بدأ بقوله (ما منكم) بكاف الخطاب المتصلة بالجار، وقد بدأ بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله ﷺ (ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله...)، وهو قصر موصوف (من أحد) على صفة (تكليم الله) وهو قصر إفراد -والله أعلم- حيث إن المخاطبين لم يكونوا على اعتقاد بأن حديث الله لكل فردٍ منهم على حدة، وظنوا الشركة في حديث الله لهم، فجاء القصر لكي يقصر كل واحدٍ منهم على التكليم، و(من) في قوله: (من أحد) زائدة للتوكيد وتفيد الاستغراق لجميع المخاطبين حتى يشعر كل فرد من المخاطبين بأنه المعنيُّ بالحديث، وكلمة (أحد) نكرة في سياق النفي أفادت التعميم، وتقديم الجار والمجرور (منكم) يفيد التخصيص، وهو بذلك يغرس في نفوس المخاطبين خصوصية الموقف المهيب الذي يهز الوجدان، ويستلزم تنقّية الأعمال من كل ما من شأنه أن يجعل العبد في موقف اللوم، والخزي بين يدي الله من الخطايا والذنوب.

وقوله: (إلا وسيكلمه) الواو عاطفة على كلام سابق تقديره: إلا سيخاطبه وسيكلمه، وتعبيره بالفعل المضارع (وسيكلمه) يوحي بالقرب لدرجة المضارعية، والسين في الفعل تضبط التوقيت، وتوحي بأنه أمر مستقبلي لكنه جد قريب حتى لا يستبعده أحد، والتعبير بلفظ الجلالة (الله) دون كلمة (رب) أو إله يعطي الفعل بعداً جديداً من الهيبة، والجلال، وشدة الموقف؛ لأن لفظ الجلالة يستدعي صفات الكمال، ونعوت الجلال، كذلك لفظ القيامة المضاف لليوم وما توحي به وتثيره في النفوس من مشاهد مرتبطة بها، وجملة: (ليس بين الله وبينه ترجمان) تستدعي في الخيال جلال الموقف وشدة الحساب، وتأمل تركيز الألفاظ على تعزيز الموقف النفسي بجلال الموقف وشدته حيث عبَّر بالاسم الظاهر (الله) في قوله (ليس بين الله وبينه) دون الضمير، وأيضاً تقديم لفظ الجلالة (الله) في قوله (ليس بين الله...) الذي يعزز هذا الشعور، ويذكّر بحجاب العزة الذي بين الله، وبين خلقه، وقوله: (ليس بين الله، وبينه ترجمان) تتميم: يفيد المبالغة في إزالة الحجب، وتأكيد المعنى حتى لا يظن ظان أن الكلام بواسطة، وهذا ما يؤكد صعوبة الموقف ؛لأن عتاب الله عز وجل وعقابه ومواجهته

بالخطايا أمر عظيم لا يقع فيه إلا هالك بيِّن الهلكة، أو شقي مؤكد الشقاء، الأمر الذي يجعل كل مخاطب يفتش في نفسه ويراجع أعماله، ويحاسب نفسه لما قرَّ في نفسه أنه لن يستطيع إخفاء سوء عمله؛ لأن الله مطلع عليه وهو يتولى حسابه، وتأمل تباطؤ الحركة، وتثاقل الأحداث، وتمطي الزمن بعد أن أزيلت الحجب، ووجد هذا العاصي نفسه موقوفاً بين يدي الله ليس له منقذ، هذا التباطؤ في الحركة، والتمطي في الزمن يحكيه حرف العطف (ثم) في قوله: (ثم ينظر فلا يرى شيئاً) التي تربط بين موقف الكلام مع الله، والحساب، وبين بحث العبد لنفسه عن مخرج، وهى تفيد مع الترتيب تراخياً يشير إلى فترة زمنية قد تطول، أو تقصر بحسب عمل العبد يبحث فيها العبد لنفسه عن مخرج.

والجملة المعطوفة تحكي الحيرة الشديدة والاضطراب يدلك على ذلك الفعل (ينظر) الذي يصوِّر حركة العين في مختلف الاتجاهات، (ثم) يأتي حرف العطف (ثم) مرة أخرى في قوله: (ثم ينظر بين يديه) ليؤكد على أنه أطال النظر بحثاً عن مخرج أمامه فعاد يائساً يبحث في اتجاه آخر بين يديه دون جدوى، ونظر العبد الشقي قدامه، وبين يديه كناية عن صفة الحيرة، والاضطراب التي أحاطت به فراح مشدوهاً في حركات لا إرادية تحكي فزعه، وذهوله.

وتأمل براعة الرسول ﷺ في الربط بالفاء بين الجمل التي تحكي سرعة العقاب، وصفعة العذاب في قوله (فلا يرى) التي تحكي العمى. وقوله: (فتستقبله النار) التي تحكي سرعة الأخذة، وعجلة العقاب، ثم استخدامه لصيغة (تستفعل) لما تدل عليه السين والتاء من مطلق الطلب، وكأنها تبحث عنه وتطلبه، وقوله (فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة) أسلوب شرط محذوف الجواب تقديره (فليفعل)' وقوله (ولو بشق تمرة) تتميم أفاد المبالغة، إشارة إلى أن العمل الصالح ينفع - مهما قل -، واختيار الرسول ﷺ للإنفاق في افتراضه لاتقاء النار إشارة إلى أهمية التكافل الاجتماعي الذي يؤدي إلى استقرار الأمة، وتعاون أفرادها[1].

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري ص ٩٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الشفقة على المدعويين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقات إن قلت كميتها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قرب الله من عبده يوم القيامة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: منزلة الكلمة الطيبة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الشفقة على المدعويين:

إن رسول الله ﷺ مشفق على أمته وهذا الإشفاق يستدعي نصحهم وبيان ما سيكون من مواقف صعبة يوم القيامة حيث لا ينفع مال ولا بنون ولا ينفعه إلا ما قدم.

لذلك كان على الداعية الشفوق بيان المصير حتى يتهيأ المدعوون لهذا اليوم الرهيب.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقات وإن قلت كميتها:

الصدقة نجاة لصاحبها ونجاح في الدنيا والآخرة إذ هي سبب لتكفير الذنوب ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾[البقرة: ٢١٧] ومن ثم كانت وقاية من النار "فاتقوا النار ولو بشق تمرة".

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قرب الله من عبده يوم القيامة:

إن يوم القيامة عصيب وحسابه رهيب والمؤمن يعلم ذلك بإخبار النبي ﷺ له. ومن الدافع للنجاة في هذا اليوم الإحساس اليقيني بقرب الرب من عبده وكلامه له بما يليق بجلاله تعالى. وهذا أعظم دافع للخوف والرجاء والعمل لذلك اليوم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: منزلة الكلمة الطيبة:

للكلمة الطيبة فضل عظيم وبخاصة في مجال الدعوة قال تعالى: "وقولوا للناس حسنا" وقد جاء في رواية مسلم من حديث عدي بن حاتم "اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[(١)] قال النووي: (فيه أن الكلمة الطيبة سبب للنجاة من النار وهي الكلمة التي فيها تطييب قلب الإنسان إذا كانت مباحة أو طاعة)[(٢)].

---

(١) كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١/٧.

الحديث رقم (٤٠٦)

٤٠٦- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنِّي أرَى مَا لا تَرَوْنَ، أطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أرْبَعِ أصَابعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ تَعَالَى. والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأرُونَ إلَى اللهِ تَعَالَى)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

أطّت: صوَّتت، والأطيط: صوت الرَّحل والقتب وشبههما، ومعناه: أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتى أطت[2].

وحُقَّ: أي ويستحق وينبغي[3].

لها أن تئط: أي تصوت[4].

الصُّعدات: الطرقات، ومفردها: صُعْدَة[5].

تجأرُون: تستغيثون[6].

---

(١) برقم ٢٣١٢ وزاد في آخره: (لوددتُ أني كنتُ شجرة تعضد)، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. إسناده منقطع، فيه مورق العجلي لم يسمع من أبي ذر، ورواه الحاكم ٥٧٩/٤ من طريق مجاهد، عن أبي ذر موقوفًا مختصرًا. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ط ط).

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ١٨٤٨.

(٤) المرجع السابق ١٨٤٨.

(٥) رياض الصالحين ٢٠٣.

(٦) رياض الصالحين ٢٠٣، اللسان في (ص ع د).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بالتوكيد تربية للمهابة، وتنبيها للمخاطبين لعظم الخبر، وقوله (أَرَى مَا لا تَرَوْنَ) يشير إلى ما اختصه الله به من معارف بصرية، وسمعية، وما اختصه به عن خلقه من الغيبيات، وهذه الجملة تشويق لما بعدها؛ لأنه سيقص عليهم أموراً غابت عنهم، وقوله (أطت السماء) الأطيط، صوت الرحل، والقتب، وشبهها، وهو تصوير بديع بالاستعارة بالكناية حيث شبه ذلك الجِرم العظيم الذي لا يعلم حدوده إلا الله بالدابة التي تحمل ما يثقلها فيسمع لها صوت، والجامع عظم الحمل، وشدة الثقل، ورمز إلى المشبه بالأطيط، ..وإذا أردت أن تتذوق جمال التعبير النبوي فتخيل دابة بحجم السماء تئط من ثقل ما تحمل ! ما حجم الحمل الذي يثقلها حتى تئط ؟! وهي تصوير لحجم الزحام مع عظم المساحة مما يقرب للتصور كثرة الملائكة العابدين على ظهرها، وحتى لا يستبعد أحد المعنى، ولا يستغلق على من تأخر فهمه، جاء أسلوب القصر ليزيد الصورة قرباً، ويؤكد المعنى السابق، وينفي وهم المبالغة، قال: (مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَع أصَابعَ إلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِداً للهِ تَعَالَى)، وقوله(وملك واضع جبهته) كناية عن العبودية، والذل لله، والهيبة، والخشية منه، وقوله (ساجداً) بعده يؤكد ذلك، وقسم الرسول ﷺ بعد هذا الخبر يرتقي بالقلوب الوجلة قمة الخشية التي تربِّي في النفس إجلال الله، وهيبته على وجه يمنعها عن التردي في معصيته، وقوله (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً) كناية عن كثرة علمه ﷺ، وقوله (وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ) كناية عن هول ما ينتظر الناس، وقوله (وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى) كناية عن الفزع، والهلع، والحديث يدور حول تقريب معنى فوق وهم العبقري، ولا يحيط به عقل بشري؛ لأنه مستتر خلف جدار هول غيبي - والله المجير وحده-.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والقسم، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الخوف من الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغاثة بالله عز وجل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والقسم، والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إني"، وقد أكد النبي ﷺ أنه يرى ما لا يرون من الأحوال والأمور واستخدم أداة التوكيد "إن". هنا لكون هذا الأسلوب مؤثر في النفوس ولكونه منبه للسامع على إحضار قلبه وفهمه لما سيقال له كما أن فيه تثبيت للمعنى في القلب[1].

٢- القسم: ورد في الحديث في قوله ﷺ: "والله لو تعلمون"، ومن استخدامات القسم اقناع المدعو بما يستبعد أو لا يتصور حصوله، فيأتي القسم لإقناع المدعو والبلوغ إلى أعلى درجات اليقين.

وفي الحديث أقسم النبي ﷺ أنهم لو يعلمون ما يعلمه لضحكوا قليلاً ولبكوا كثيرًا من شدة الأمر وهول الحساب والعقاب للعصاة والمذنبين.

٣- الترهيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش..."، ولأهمية الترهيب في الدعوة فإنه يجب على الداعية أن يفيد منه وذلك لزجر المدعو عن المعاصي وتخويفه من عذاب الله، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[2].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٣٠١.

(٢) سورة الحج، الآيات: ١٩ - ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الخوف من الله تعالى:

إن المسلم يجمع في علاقته بربه بين الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، وقد جاء في الحديث في قوله ﷺ: (إني أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع اصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفرش)، وفي هذا إرشاد إلى أهمية الخوف من الله تعالى.

قال المباركفوري: (لو تعلمون من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا أي بكاء كثيرًا أو زمانًا كثيرًا من خشية الله ترجيحًا للخوف على الرجاء وخوفًا من سوء الخاتمة، وعن الحسن البصري قال: من علم أن الموت مورده، والقيامة موعده، والوقوف بين يدي الله مشهده فحقه أن يطول في الدنيا حزنه)[1].

إن هذا الحديث فيه التخويف والتحذير من السقوط في الفتن، ومن عظمة الله تعالى وشدة انتقامه في الدنيا والآخرة.

قال ابن علان: (واستدل به على فضل السماء على الأرض، وهو المختار عند أصحابنا الشافعية، فهي محل الطاعة ولم يقع عليها عصيان، وامتناع إبليس من السجود كان وهو خارج عنها. ويؤخذ منه فضل مواضع أعمال البر من الأرض على مواضع غيره، وقد أشار إليه إمامنا الشافعي بقوله:

إني نظرت إلى البقاع وجدتها ... تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وفي قوله ﷺ: "قليلاً أولاً وكثيرًا ثانيًا"، إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه البر ويكون عنده من الخوف ما ينزجر به عن المخالفة، ويكون تارة في مظهر الجمال، وتارة في مظهر الجلال)[2].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٤٨/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٠١/٢.

قال ابن الأثير: (الأطيط: صوت الأقتاب وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمة أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى)[١].

قال المباركفوري: (وأما قوله: "لو تعلمون ما أعلم" قال الحافظ: والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله وانتقامه ممن يعصيه والأهوال التي تقع عند النزاع والموت وفي القبر ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة والمراد به التخويف)[٢].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: المعنى: لخرجتم من منازلكم إلى الجبانة متضرعين إلى الله تعالى، ومن حال المحزون أن يضيق به المنزل، فيطلب الفضاء الخالي لبث الشكوى)[٣].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضيلة الخوف من الله تعالى والأمر به، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[٦]، ومدح أهل الخوف والخشية فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثر ٤٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٨٤٨/٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٤/١٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

قال ابن القيم: (فالخائف هارب من ربه إلى ربه، قال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبا إلا خرب، وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها، والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغاثة بالله عز وجل:

لا ملجأ للمسلم من الله إلا إليه فالمؤمن الصادق مفزعه واستغاثته بالله دائمًا، وقد جاء الحث على الاستغاثة في قوله ﷺ في الحديث: (ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى)، ومما لا يخفى أن المسلم يلجأ ويستغيث بالله في كل أحواله، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، والله هو الذي ينجي العبد من الكربات قال الله عز جل: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾[٣]، والاستغاثة هي "طلب الغوث والغياث، وهو ما يغاث به المضطر ويعان به من طعام أو شراب أو نصر وتأييد أو إخلاص من شدة، وإنقاذ من محنة والاستغاثة من جنس الدعاء وهي لا تكون إلا بالله الذي يجيب المضطر إذا دعاه[٤].

وقد استغاث النبي ﷺ بربه في غزوة بدر فكانت الإعانة والنصرة والظفر والنصر، وقد صور القرآن هذه الاستغاثة في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٥].

ولقد كان هذا ديدن الأنبياء عليهم السلام دائمًا يلجأون ويستغيثون بالله فلما أتبع فرعونُ موسى عليه السلام جاء على لسان أصحابه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٤٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٦٤.

(٤) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، ص ١١٥ - ١١٦.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٩.

لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

ولما اشتد الضر بأيوب وزاد عليه المرض جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾[2].

ولما أظلمت الدنيا على يونس عليه السلام في بطن الحوت دعا ربه كما أخبر الله في قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

ولما يئس نوح عليه السلام من إيمان قومه بعد ألف سنة إلا خمسين عامًا من الدعوة وهم يسخرون منه ويستهزءون به جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾[4].

ولما التقى جنود طالوت وهم قلة برجال جالوت وهم كثرة كان دعاؤهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[5].

فالواجب على الدعاة تذكير الناس بهذه النصوص القرآنية، وحث المدعوين على

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦١ - ٦٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتين: ٨٣ - ٨٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧ - ٨٨.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ١١٧ - ١٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآيتين: ٢٥٠ - ٢٥١.

الاستغاثة والاستعانة بالله في كل أمر من أمور الحياة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية:

أيد الله نبيه ﷺ بالكثير من الأمور التي تدلل على صدق نبوته ورسالته ومن ذلك إخباره عن الغيب حيث جاء في الحديث: (إني أرى ما لا ترون أطت السماء وحق لها أن تئط)، ولا شك أن هذا من دلائل نبوته ﷺ حيث أخبر عن بعض الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا من خلال الوحي الإلهي المعصوم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (ومن معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطّلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، ومن المعلوم أيضًا أن الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه وكما جاءت أدلة على أن الله تبارك وتعالى اختص بمعرفة علم الغيب، وأنه استأثر به دون خلقه فقد جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل عليهم السلام فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[3]، ونخلص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته)[4].

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٤٢ - ٥٤٣.

الحديث رقم (٤٠٧)

٤٠٧- وعن أَبي برزة -براء ثُمَّ زاي- نَضْلَة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أفنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ**[1]**؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أبلاهُ؟**)) رواه الترمذيُّ[2]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو برزة الأسلمي: هو نَضْلة بن عبيد بن الحارث.

أسلم قديمًا، وشهد خيبر، وفتح مكة، وحنينًا مع النبي ﷺ وكان من سكان المدينة ثم تحول إلى البصرة، وهو الذي قتل عبدالعُزَّى بن خطل تحت أستار الكعبة بإذن النبي ﷺ، وكان آدم رَبْعةً، وقد شهد صفين والنهروان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشهد قتال الأزارقة مع المهلب بن أبي صفرة، وغزا خرسان.

وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وله جُله أحاديث وكان محبًا للإنفاق في سبيل الله. فقد كانت له جَفْنةٌ من ثريد غدْوةً وجنفةٌ عَشِيَّةً جعلها للأرامل واليتامى والمساكين.

وكان قوامًا لليل، يتوضأ، ويوقظ أهله، وكان يقرأ من الستين إلى المائة آية.

وكان مجهارًا للحق، فقد رأى يزيد بن معاوية يومًا وهو يَنْكتُ ثَغْر الحسين بن علي رضي الله عنه بقضيب في يده بعد أن أُتي برأس الحسين، فقال له: لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذًا ربما رأيت رسول الله ﷺ يَرْشفه، أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وابن زياد شفيعك، ويجيء الحسين بن علي، ومحمد ﷺ شفيعه، ثم قام فَوَلَّى.

وقد عاب على مروان وابن الزبير والقراء بالبصرة لما وقع من الاختلاف بعد موت يزيد بن معاوية، فقال في قصة ذكرها حاصلها أن الجميع يقاتلون على الدنيا وبلغت

---

(١) (فيه) لا توجدُ عند الترمذي.

(٢) برقم ٢٤١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٢.

روايته عن النبي ﷺ ٤٦ حديثًا.

وتوفي بالبصرة وقيل بخراسان سنة ٦٠هـ وقيل سنة ٦٤هـ وقيل ٦٥هـ[1].

الشرح الأدبي

الحديث دعوة للإنسان لكي يَعد نفسه لما سيحاسبه الله عليه مما هو فيه من نعم، وقد بدأ بأسلوب النفي الصريح العام، وصراحته من وجود أداة النفي الداخلة على الفعل المضارع، وأخذ العموم من النكرة التي وقعت في سياق النفي (عبد)، وقوله (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَومَ القِيَامَةِ) كناية عن انتقاله إلى الجنة، والتعبير بعدم الزوال تأكيد على عدم المفارقة، ولذلك ذكر القدمين، وبناء الفعل (يُسأل) لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، والسؤال: (فِيمَ أفنَاهُ ؟، و فِيمَ فَعَلَ فِيهِ، ومِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ ؟ وَفيمَ أنْفَقَهُ ؟، وفِيمَ أبلاهُ ؟) استفهام على غير حقيقته؛ لأن الله محيط بكل شيء، وإنما هو للتقرير بغرض إلزامه بالحجة، والسؤال عن العمر، والجسم يعم الجميع، والسؤال عن العلم، لمن حصله، والمال لمن ملكه، وإخبار الرسول ﷺ بهذه الأسئلة رحمة بأمته، وشفقة عليهم حتى يأخذ كل مؤمن حذره.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المحافظة على النعم واستشعار المسؤولية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات البعث والحساب.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٩٨/٤ و٤٦٦٠٩/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٢٥-١٣٢٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٨٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٠٥/٥-٣٠٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٣٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٢٧/٤-٢٢٨، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٠٢٩/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٣/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٨٩١/٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "لا تزول قدما عبد..."، وأسلوب الإخبار يعتمد على سوق الحقائق وبيانها للمدعوين، وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بمسؤولية الإنسان الكاملة عن عمره وعن علمه وعن ماله وعن جسمه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: المحافظة على النعم واستشعار المسؤولية:

لقد أنعم الله على عباده نعمًا كثيرة ومنها هذه النعم المذكورة في هذا الحديث الذي يذكرنا بيوم الحساب على هذا الزمن الذي عاشه العبد في الحياة الدنيا، هل قام بعبادة الله تعالى الخالق المنعم؟ وهل عمل صالحًا فيثاب؟ ويسأل عن ماله كيف جمعه هل بالحلال أم بالحرام؟ وفي أي شيء صرف هذا المال هل صرفه فيما يرضي الله تعالى أم فيما يغضب الله تعالى؟ وعن جسمه في أي شيء أبلاه هل استخدمه في الطاعات أم في المعاصي؟

إنها سؤالات حتمية لن يفلت منها عبد إلا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، هذه السؤالات تحتاج إلى أجوبة سديدة وأعمال رشيدة، فهذا الحديث العظيم يجعل المسلم العاقل محاسبًا لنفسه قبل أن يُحاسب، وأن يبذل قدر استطاعته الأعمال الصالحة، والقيام بما يرضي الله سبحانه.

ولا شك أن إيمانهم وأعمالهم الصالحة هي التي جعلتهم يصلوا إلى هذه المرتبة عند الله تعالى.

قال ابن حجر: (وفي سياق حديث أبي برزة إشارة إلى الخصوص وذلك أنه ليس كل أحد عنده علم يسأل عنه، وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم وبمن له مال دون من لا مال له ومن لا علم له، وأما السؤال عن الجسد والعمر فعام)[1].

وقال المباركفوري: (عن عمره: بضمتين ويسكن الميم أي عن مدة أجله. فيما أفناه: أي صرفه. وعن شبابه: أي قوته في وسط عمره. فيما أبلاه: أي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤١٤.

وقال الطيبي: فإن قلت هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه؟ قلت: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة وعن ماله من أين اكتسبه؟ أي أمن حرام أو حلال؟ وفيما أنفقه؟ أي طاعة أو معصية، وماذا عمل فيما علم؟

قال القاري: لعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب.

وقال الطيبي: إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل عن عمله ماذا عمل به؟

لأنها أهم شيء وأولاه، وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يُعتد به لولا العمل)[١].

ولا شك أن كل هذه الأمور نعم من الله عز وجل فيجب على الإنسان المحافظة عليها بشكر هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]، والإنسان مسؤول أمام الله عز وجل على هذه النعم واستخدامها في الطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٥]، وقال جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٦].

قال السعدي: (هذا الذي تنعمتم به في الدنيا هل قمتم بشكره؟ وأديتم حق الله فيه ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل أم اغتررتم به ولم تقوموا بشكره، بل ربما استعنتم به على المعاصي فيعاقبكم على ذلك)[٧].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٨٥/٧.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة النمل، آية: ٤٠.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٦) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٦٣.

وما من شك في أن المعاصي سبب لزوال كثير من نعم الله، قال ابن القيم: (ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غيّر غُيّر عليه جزاءً وفاقًا وما ربك بظلام للعبيد، فإن غير المعصية بالطاعة غير عليه العقوبة بالعافية، والذل بالعز ولقد أحسن القائل:

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ... فرب العباد سريع النقم[2]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إثبات البعث والحساب:

إن من أصول العقيدة الإسلامية الإيمان بوقوع البعث والحساب وأن الإنسان سوف يعاد ويحاسب بين يدي الله عز وجل وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل"، والبعث والحساب من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وبأن العبد يسأل يوم القيامة وقد دلت النصوص الشرعية على إثبات البعث والحساب، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[4]، قال ابن أبي العز الحنفي: (والقول الذي عليه السلف وجمهور

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٥٣.

(٢) الداء والدواء ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٤) سورة التغابن، آية: ٧.

العقلاء أن الأجسام تتقلب من حال إلى حال فتستحيل ترابًا ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة ثم صار عظامًا ولحمًا ثم أنشأه خلقًا سويًا كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب)[١].

إن هذا الحديث يقرر حقيقة البعث وأن العبد يسأل بين يدي الله تعالى: "لقد أخبرنا الله تعالى بأن البعث للدار الآخرة في يوم الجزاء حقيقة مقررة في قضاء الله وقدره، ستوضع موضع التنفيذ إذا جاء أجلها المحدد في علم الله، فالبعث أمر واقع لا محالة ستعود فيه الحياة إلى الأجساد التي رثت وبليت وليس ذلك ببعيد ولا مستغرب على قدرة الله الذي خلق السماوات والأرض وخلقهن أكبر من خلق الناس"[٢]. كما أنه يقرر حقيقة الحساب الذي هو وقوف العباد بين يدي الحق تبارك وتعالى، فعرفهم بأعمالهم التي عملوها، وأقوالهم التي قالوها، وما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من إيمان وكفر، واستقامة وانحراف، وطاعة وعصيان، وما يستحقونه على ما قدموه من إثابة وعقوبة، وإيتاء العباد كتبهم بأيمانهم إن كانوا صالحين، وبشمالهم إن كاوا طالحين.

ويشمل الحساب ما يقوله الله لعباده، وما يقولونه له، وما يقيمه عليهم من حجج وبراهين، وشهادة الشهود ووزن للأعمال. والحساب منه العسير، ومنه اليسير، ومنه التكريم، ومنه التوبيخ والتبكيت، ومنه الفضل والصفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين. اهـ[٣]. قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٩٨.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٥١.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد ٥١٦، ٥١٧.

(٤) سورة الجاثية، الآيتان: ٢١، ٢٢.

فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1].

(١) سورة الكهف، آية: ٤٩.

الحديث رقم (٤٠٨)

٤٠٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قرأ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[الزلزلة: ٤] ثُمَّ قَالَ: **(أتَدْرونَ مَا أخْبَارهَا)**؟ قالوا: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: **(فإنَّ أخْبَارَهَا أنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أمَةٍ بما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلْتَ[1] كَذَا وكَذَا في يَومِ كَذَا وكَذَا فَهذِهِ أخْبَارُهَا)** رواه الترمذيُّ[2]، وَقالَ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

اعتقاد المؤمن بأن المكان شاهد عليه، أو الزمان، أو الملائكة، أو غيره تجعله يتحرك في الزمان، والمكان في رقابة لا تنفك عنه، وهذا الشعور إذا ما قرَّ في نفسه نقَّى أفعاله، وصفَّى أقواله، فلم يفعل إلا ما يرضى الله، ولم يقل إلا ما يحبه، وهو ما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث، ومنها هذا الحديث الذي يقرر شهادة المكان، وقد قرر ذلك خلال تفسيره لقول -الله تعالى- ({ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) وقد بدأ حديثه بسؤال التنبيه، والتشويق (أتَدْرونَ مَا أخْبَارهَا) ؟، ثم بدأ الإجابة مؤكدة بعدة مؤكدات تفخيماً للخبر، وتنبيهاً إليه، ولفظ (كل) يفيد الشمول، وتنكير كلم (عبد، وأمة) استقصاء لجميع الخلق بالإخبار، والتعبير بالظهر إشارة إلى أنها مسخرة لهم في الدنيا، ولكنها في الآخرة تشهد عليهم، وقوله (عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا) كناية عن

---

(١) لفظ الترمذي في الموضعين: (عمل)، والمثبت لفظ ابن حبان كما في الإحسان ٧٣٦٠ تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه، حيث عزاه إلى ابن حبان واستدرك عليه المؤلف بذكر الترمذي، واعتمد على لفظ ابن حبان.

(٢) برقم ٢٤٢٩، و ٣٣٥٣ قال في الموضع الأول: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وفي الموضع الثاني: هذا حديث حسن صحيح. إسناده ضعيف، فيه يحيى بن سليمان لين الحديث. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٩١ وعزاه إلى ابن حبان فقط.

الحدث الذي أحدثه الإنسان عليها، وقوله (فِي يَومِ كَذَا وكَذَا) كناية عن زمان الحدث تأكيداً لتحقق وقوع الفعل، واستقصاءً لأعماله يوماً بيوم بل لحظة بلحظة كل عمل مرتبط بوقته الذي وقع فيه، وقول الرسول ﷺ (فَهذِهِ أخْبَارُهَا) خبر أريد به لازم فائدته، وهو التحذير، والتهديد من مواقعة المعصية عليها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من آداب المدعو: تفويض العلم لله ورسوله.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد ليوم الحساب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: شهادة الأرض على العبد.

سادسًا: من مهام الداعية: تعليم المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "أتدرون ما أخبارها؟، فقد سأل النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن أخبار الأرض وأجابوا برد العلم إلى الله ورسوله"، ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تحقق الحوار بين الداعية والمدعو، وتعين المدعو على الفهم حيث تكون الإجابة محددة في نقطة واحدة، وعلى الدعاة الإفادة من هذا الأسلوب الدعوي.

ثانيًا- من آداب المدعو: تفويض العلم لله ورسوله:

إن من أهم آداب المدعو أن لا يتقول على الله بغير علم، وأن يفوض العلم إلى الله ورسوله فيما لا علم له به، يتضح هذا مما جاء في الحديث: "قالوا الله ورسوله أعلم"، وهذا يجعل المدعو أن لا يجيب بغير علم، وهذا أدب قرآني علمه الله لنبيه محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾[1]، ومن ثم فلا يجوز لأحد أن يتقول على الله بغير علم، قال ابن القيم:

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، وبيّن سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحلّه وحرمه)[١].

ولقد كان هذا ديدن السلف الصالح رضي الله عنهم التوقف فيما لا يعلمون، والإتقاء من القول في القرآن والسنة بغير علم، قال ابن مفلح: (نقل الميموني عن أحمد أنه سئل عن حديث فقال: سلوا أصحاب الغريب فإني أخاف أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأُخطئ، وعن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان يتقون حديث النبي ﷺ كما يتقون تفسير القرآن، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم: لا أدري أصيبت مقاتله، وقال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقال الشعبي: لا أدري نصف العلم، وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري)[٢].

ثالثًا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

تقوم الدعوة على مصادر ثابتة تستمد منها الدعوة أدلتها ومصداقيتها، ومن أهم مصادر الدعوة القرآن الكريم حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[٣]، ويعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأساس في الدعوة وتأتي بعده السنة النبوية الصحيحة، (ومن مصادر الدعوة ووسائلها القرآن الكريم والسنة المطهرة وسيرة السلف الصالح، وفي القرآن الكريم كثير من مخاطبة الله لمحمد ﷺ في توجيهه لأمور الدعوة، وهذه الآيات الكريمة يستفاد منها في أصول الدعوة ووسائلها وأساليبها التي يجب أن يفقهها المسلم كما يتفقه أمور الدين الأخرى)[٤]، والقرآن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١/٣٨.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٦٠ - ٦١.

(٣) سورة الزلزلة، آية: ٤.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤١٣.

الكريم كمصدر من مصادر الدعوة احتوى من جملة ما احتوى علاج كافة المشكلات، (فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، يحقق انسجامًا بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب وبين الحقوق والواجبات وما إلى ذلك من أوجه التوازن)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستعداد ليوم الحساب:

يعيش الإنسان في الدنيا وقد تغريه وتلهيه، بيد أن المطلوب من المسلم الحقيقي أن يستعد للقاء الله وأن يجعل الدنيا مزرعة الآخرة، يظهر هذا مما جاء في الحديث: "عملت كذا وكذا في يوم كذا"، وما من شك في أن الإنسان يجب أن يستعد ليوم الحساب، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٢]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤].

(ولذا فإن الحساب يوم القيامة يدور على محتويات الكتب التي يعطاها كل فرد من أفراد الناس في ساحة فصل القضاء، ويقرؤها كل واحد من أهل الموقف، فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيرًا ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرا، وفي الحساب يستنطق الفرد، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة، ويجري هذا الاستجواب والاستنطاق في جو رهيب للغاية، إذ تقوم فيه الأشهاد، ولا يؤذن للمرء في الاعتذار فيعتذر، ولا تقبل من ظالم معذرة)[٥].

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) سورة الجاثية، آية: ٢٢.

(٥) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، ص ٣٤٥.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: شهادة الأرض على العبد:

هذا الحديث العظيم ينبئ الإنسان عن أعماله بأن الأرض ستشهد عليه، وفي ذلك تخويف من اقتراف السيئات، وترغيب بفعل الحسنات، وهو أمر غيبي لا يُعلم إلا بالوحي، وقد أعلم النبي ﷺ بذلك للاستعداد لهذا اليوم العصيب.

قال ابن علان: (الظاهر أن العموم فيه مخصوص بغير ذي الأعمال المكفرة، ويحتمل عموم الخبر لهم ويكون شهادتها بذلك تذكيرًا لمزيد إنعام الله عليه حيث سامحه بسوء عمله ولم يعاقبه عليه بل أثابه من فضله، وقوله: "تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا" تفصيل للشهادة وبيان لكيفيتها)[1].

قال المباركفوري: (أي هي يعني شهادتها أن تقول عمل أي فلان كذا وكذا أي من الطاعة أو المعصية في يوم كذا وكذا أي من شهر كذا أو عام كذا، قال: بهذا أمرها أي بهذا المذكور أمر الله تعالى الأرض، وفي بعض النسخ: فهذا أمرها، وفي بعضها: فهذه أخبارها، وفي بعضها: فهذا أخبارها)[2].

قال سليم الهلالي في فقه الحديث:

(- خير ما فسر به كتاب الله هو كلام رسول الله.

- الحث على فعل الطاعة والبعد عن المعصية.

- قدرة الله تعالى في إنطاق ما شاء الله من خلقه حيث تشهد الأرض بما حدث عليها من خير أو شر.

- يشهد الله على العبد الكتبة وسمعه وبصره وجلده ويديه ورجليه والأرض كما ثبت في الكتاب والسنة؛ لتقوم الحجة الدامغة على العبد[3].

إن هذه الشهادة ليست قاصرة على الأرض فحسب ولكنها تشمل شهادة اللسان والأرجل، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٠٤/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٩٨/٧.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٤٨٠/١.

يَعْمَلُونَ﴾[١]، بل تشمل السمع والبصر والجلود، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٢]، قال القاسمي: (إذا بالغوا في إنكار المخالفة شهد عليهم سمعهم بأنهم سمعوا الحجج فأعرضوا عنها، وسمعوا الشبه فاتبعوها، وسمعوا الفواحش فاستحسنوها، وشهدت أبصارهم أنهم رأوا الآيات فلم يعتبروها، ورأوا القبائح فاختاروها وتشهد جلودهم بأنهم باشروا المعاصي، فوصل أثرها إلى القوة اللامسة منهم، فيشهد كل عضو وجزء بما كانوا يعملون)[٣].

سادسًا- من مهام الداعية: تعليم المدعوين:

يناط بالداعية الكثير من المهام تجاه المدعوين ومن أبرزها: التعليم للمدعوين، حيث جاء في الحديث: (قرأ رسول الله ﷺ: "يومئذ تحدث أخبارها"، ثم قال: أتدرون ما أخبارها؟)، ويعتبر التعليم من أولى مهام الداعية لأنه هو المسؤول عن تبليغ الحق للناس، والمرشد والمعلم لهم في أمور دينهم، يقول الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، والعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، فإن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق)[٤].

---

(١) سورة النور، آية: ٢٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٢٠.

(٣) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٨/١٤/٢٦٣.

(٤) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

الحديث رقم (٤٠٩)

٤٠٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**كَيْفَ أَنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**)) فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: ((قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وَقَالَ: (حديث حسنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

أنعمُ: أفرح وأتنعم[2].

القرنُ: هو الصور الذي قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾[3] كذا فسره رسول الله ﷺ[4].

وصاحب القرن: الملك الموكل به وهو إسرافيل[5].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترهيب من أهوال القيامة، يصور مشهداً من أوائل مشاهد القيامة بدأه النبي ﷺ بالاستفهام (كيف أنعم....؟) استبعادا لأن يكون منه تنعم والحالة تلك، وجملة الحال التي ذكرها النبي ﷺ جعلت بينه وبين النعيم أسواراً منيعة بدأها بقوله :(وقد التقم صاحب القرن القرن) وصاحب القرن: كناية عن

---

(١) برقم ٢٤٣١ وزاد في آخره: (وعلى الله توكلنا). وصحّحه ابن حبان الإحسان ٨٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٣٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٠٥.

(٣) سورة ق، آية: ٢٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٠٤.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٩٠٥، ١٩٠٦.

موصوف. هو إسرافيل عليه السلام المكلف بالنفخ (والتقام القرن وحنو الجبهة كناية عن صفة التأهب، والاهتمام، وقرب موعد النفخ)، وهي صورة تخيلية تصور الأمر الشديد الذي نحن في عمى عنه، على هذا الوجه الذي تنخلع له النفس فرقاً، صورة مَلك عظيم التقم قرنه، وحنى جبهته، وقد أذن لله ينتظر أن يؤمر ببداية النهاية، وتصور الألفاظ رسول الله ﷺ ناظراً إليه واجف القلب خوفاً على أمته الغافلة عن هذا الأمر، هذا المنظر، وتلك الصورة كانت سبباً في أن صدَّر الرسول ﷺ حديثه بهذا الاستفهام استبعادا للنعيم، وإشارة إلى، وجوب الحذر، وترك الغفلة قبل مباغتة النفخة، فإذا كان النبي ﷺ أخبر أن الملك متهيئ للنفخ منتظراً الإذن من أكثر من ألف وأربعمائة عام مشيراً لأصحابه بقربه فإنه منّا اليوم (قاب قوسين أو ادني)[1]

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الخوف من قيام الساعة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله والمسارعة إلى العمل الصالح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد الاستفهام في هذا الحديث في قوله ﷺ: "كيف أنعم..."، والاستفهام يعمل على جذب انتباه المدعوين، ولفت أنظارهم، والاستفهام من أساليب القرآن التي تعرض قضايا الرسالة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾[3]، وقوله جلّ

---

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د: ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨.

(٣) سورة نوح، آية: ١٥.

شأنه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق:

إن الداعية مُبلّغ ومبين لحقائق الإسلام لا يكتم منها شيئًا ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "وصاحب القرن، قد التقم القرن واستمع الأذن متى يؤمر بالنفخ"، وإن الداعية هو المبلغ لحقائق القرآن، وبهذا أمر الله رسوله ﷺ في القرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ...﴾[٢]، قال ابن كثير: (يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة، وآمرًا له بالإبلاغ بجميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام. وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة، وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "وإن لم تفعل فما بلغت رسالته"، يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته)[٣]. ومما لا شك فيه أن جميع أخبار القرآن الكريم والسنة الصحيحة كلها صادقة لأنها من عند الله سبحانه ولذا فمصداقية الخبر تزيد من اقتناع المدعو، وعلى الدعاة الهداة تبليغ حقائق الدين إلى جميع الناس فتلك مهمتهم ورسالتهم.

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين:

إن المدعوين في حاجة إلى صدر واسع وقلب رحيم يتحملهم ويعطف عليهم، ولذا كان من أهم صفات الداعية الرحمة والشفقة بالمدعوين حيث جاء في الحديث: "فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم قولوا: ..."، ويظهر من هذا مدى الرحمة والشفقة بالمدعوين وقد حصر الله الغاية من إرسال نبيه ﷺ في الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٤]، ووصف رسولنا الكريم ﷺ بالرأفة

---

(١) سورة المزمل، آية: ١٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٥٠ - ١٥١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

والرحمة فقال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والمتأمل لسيرة الرسول ﷺ يجد أنها كانت برًا ورحمة وشفقة بمن يدعوهم إلى الإسلام: (إن الدين الإسلامي بذاته رحمة من الله بعباده، لأنه يحقق للبشرية سعادتها، ويحفظ للإنسانية كرامتها من خلال التشريع الإلهي الذي جاء به، ومن هنا وجب على الداعية المسلم أن يتأسى برسول الله ﷺ في رحمته بالناس وشفقته عليهم؛ فإن الرحمة هي ترياق الحياة، لا طعم لها بدونها، فكيف بمن يريد هداية الناس وبيان الحق لهم لا بد أن يكون رحيمًا بهم حانيًا عليهم حتى يصل إلى قلوبهم، ومن ثم يقول لهم عن الدين ما يريد لأنهم أحبوه، والرحمة ما دخلت في أمر إلا تركت فيه أثرًا حميدًا أو أمرًا رشيدًا وحبًا وخيرًا لأن النفس البشرية في حاجة إليها في كل حين)[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الخوف من قيام الساعة:

يستنهض النبي ﷺ الهمم للاستعداد لهذا اليوم يوم القيامة، فإذا كان النبي ﷺ لم يهدأ له باله من هذا المشهد، وهو المشهد القريب حين يأمر الله تعالى الملك الموكل بالنفخ في الصور، فما بالنا نحن قد غفلنا عن هذا النفخ، فإن الملك قد أخذ القرن الذي يشبه البوق، وقد وضعه على فمه ليستجيب لأمر ربه تعالى فورًا إذا أمره بالنفخ، فهو على أهبة الاستعداد، ولقد تهيب الصحابة رضوان الله عليهم الذين سمعوا هذا الحديث وشعروا برهبة الموقف فأشفق عليهم ﷺ، وعلمهم أن يستعينوا بالله تعالى ويذكروه بقولهم "حسبنا الله ونعم الوكيل" قال ابن علان:

(قال المظهري: أي كيف أطيب عيشًا وقد قرب أمر الساعة، وكأنه خاف على أصحابه منها وقد علم أنها لا تقوم إلا على أشرار الناس، أو حثّ لأصحابه على الوصية لمن بعدهم بالتهيؤ لها.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٩٤.

(فينفخ) أي عقب الأمر فحينئذ يصعق من في السماوات والأرض: أي يموت (فكأن ذلك) أي المذكور من قرب الساعة، وهي إنما تقوم على الأشرار..

قال ابن رسلان: قوله الصور قرن هو على هيئة البوق دائرة رأسه كعرض السماوات والأرض)[1].

قال المباركفوري: "وفي رواية الترمذي في التفسير "وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ.

والظاهر أن كلاً من الالتقام والإصغاء على الحقيقة وأنه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به.

وقال القاضي: (معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور؟ فكنى عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه، وهو مترصد مترقب لأن يؤمر فينفخ فيه، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، وفي التفسير قال المسلمون فكيف نقول يا رسول الله؟، وقوله: "حسبنا الله": مبتدأ وخبر أي كافينا الله. ونعم الوكيل: فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الموكول إليه الله)[2].

هذا وقد أخبر الله سبحانه أن الذين آمنوا مشفقون خائفون من الساعة، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾[3].

قال ابن عاشور: (يطلب الذين لا يؤمنون بالساعة من النبي ﷺ أن يعجل الله بحلول الساعة ليبين صدقه تهكمًا واستهزاء وكناية عن اتخاذهم تأخرها دليلاً على عدم وقوعها وهم آيسون منها، وأما الذين آمنوا فهم مشفقون من أهوالها، وإنما جعل الإشفاق من ذات الساعة لإفادة تعظيم أهوالها حتى كان أحوالها هي ذاتها...)[4]، وقد

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣٠٥-٣٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٧/٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ١٧ - ١٨.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٠/٢٥/٧٠.

بيّن الله في القرآن الكريم كيف يكون حال الناس عند النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الاستعانة بالله والمسارعة إلى العمل الصالح:

إن المسلم تواجهه عقبات في حياته فلا يجد إلا الاستعانة بالله تعالى للنجاة مما هو فيه، وقد جاء في الحديث: "قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل"، ولا شك أن المسلم يرتكن إلى الله عند الشدائد، والله قادر على تخليصه مما هو فيه من الشدة، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ...﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[3]، وبين سبحانه جزاء من يرتكن إليه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ۚ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[4]، وبيّن الرسول الكريم ﷺ أن الاستعانة والالتجاء لا تكون إلا لله.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ، يَوْمًا فَقَالَ: ((يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الامَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْكَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ الا

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) سورة الزمر، آية: ٣٦.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٧٣ - ١٧٤.

بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الاقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ))[١].

وفي هذا الحديث إشارة إلى من أراد الاستعانة على الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فإن الله هو المستعان وعليه التكلان يحفظ في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات وذلك لأنك استعنت به وراعيت حقه وتحريت رضاه[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٩٤٦.

الحديث رقم (٤١٠)

٤١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **(مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ. ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، ألاَ إنَّ سِلْعَةَ الله الجنَّةُ)** رواه الترمذيُّ[1]، وَقالَ: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أدْلجَ: بإسكان الدال ومعناه: سار من أول الليل. والمراد التشمير في الطاعة[2].

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب خبري غرضه لازم الفائدة حيث إن مضمونه معلوم، وإنما أراد فائدته، وهي الحث على الاجتهاد في الطاعة، والتحذير من القواطع التي تمنعه وقوله (مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ) مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه، والنفس، وأمانيه الكاذبة أعوانه فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان، وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه، كمن خاف أن يدركه العدو فسار من أول الليل حتى بلغ مأمنه، ومن الملاحظ في الحديث كثرة الأفعال التي تدل على الحركة، والتبكير بالعمل كما أن هذه الأفعال جاءت في صورة الماضي الذي تحقق وقوعه، وفي هذا إشارة إلى سرعة إنجاز العمل، وتحقيقه، قبل فوات الوقت ؛فإن لكل وقت في الزمان عملاً خاصاً به، وقضاؤه في وقت غيره مضيع لغيره، كما نلاحظ تكرار أداة التنبيه، التي تنبه إلى فضل ما يليها فالأولى (ألا إنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ) تنبيه إلى ما أعده لعباده، ونسبة السلع إلى تخصيص، وتشريف ،

---

(١) برقم ٢٤٥٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحاكم ٤/٣٠٨: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٢.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٤.

والثانية (ألاَ إنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجنَّةُ) تنبيه بعد تنبيه يشير إلى أهمية الخبر، وهو الجنة، وتكرار السلعة للترغيب في الجد، والاجتهاد لتحصيل ثمنها، وهو الباقيات الصالحات.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاهتمام بالطاعة والخلاص من المعصية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الخوف من الله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل، والترغيب:

١- **التشبيه والتمثيل:** حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل"، قال الطيبي: (هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة، فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في سيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بأدنى سعي فقال: "ألا أن سلعة الله غالية")[1].

ومما لا شك فيه أن أسلوب التشبيه والتمثيل من أساليب الدعوة التي تساعد على تقريب المعنى للمدعوين، واستحضار الصورة في أذهانهم ومن أمثلة استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[3].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٥/١٠.

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٧.

٢- الترغيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "ألا إن سلعة الله الجنة"، قال المباركفوري: (ألا إن سلعة الله المراد به: من متاعه من نعيم الجنة غالية أي رفيعة القدر ألا إن سلعة الله الجنة يعني ثمنها الأعمال الصالحة الباقية)[١]، والترغيب من أساليب الدعوة التي تحفز النفس على الإقدام على الطاعة رغبة في نيل الثواب والأجر من الله سبحانه، ومن أمثلة استخدام القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[٣]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاهتمام بالطاعة والخلاص من المعصية:

يظهر هذا من قوله ﷺ في الحديث: "ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة"؛ فالطريق الموصل إلى سلعة الله هو طاعة الله عز وجل، وترك المعاصي، وقد وعد الله بالأجر الكبير لمن يطيعه، قال تعالى: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾[٦]، ووعد سبحانه بدخول الجنة بالطاعة قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٧]، وجعل سبحانه الطائعين هم الفائزون فقال سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٨].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢/١٩١٧.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) سورة يس، آية: ٥٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٢.

(٥) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٦) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٧) سورة الفتح، آية: ١٧.

(٨) سورة النور، آية: ٥٢.

قال الماوردي: (والواجب على الإنسان أن يستجيب إلى فعل الطاعة، ويكف عن ارتكاب المعصية فهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين، ولهم جزاء العاملين وثواب المطيعين، قال ابن شبرمة: عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار؟ وقال ابن ضبارة: إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى، أهون من الصبر على عذاب الله، وقيل للفضيل بن عياض: رضي الله عنك، فقال: كيف يرضى عني ولم أرضه وقال بكر بن عبدالله: رحم الله امرأً كان قويًا، فأعمل قوته في طاعة الله أو كان ضعيفًا ينكف عن معصية الله تعالى وقال عبد الأعلى بن عبدالله الشامي:

العمر ينقص والذنوب تزيد ... وتُقَال عَثَرات الفتى فيعودُ

هل يستطيع جحود ذنب واحد ... رجل جوارحه عليه شهود

والمرء يُسأل عن سنيه فيشتهي ... تقليلها وعن الممات يحيدُ[1]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الخوف من الله تعالى:

الخوف من الله تعالى عظيم الفوائد في الدنيا والآخرة، فإن المسلم الذي يخاف الله تعالى ينجو من الوقوع في مغبات المحرمات، ومن الاضطراب النفسي والضعف الروحي الذي يؤثر على حياة المسلم اليومية، ثم في الحياة الآخرة فإنه سيعاقب بعذاب النار، ويُحرم من ملذات الجنة التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين الذين يخافون عقابه.

فمن خاف الله تعالى سلم من هذه الآفات الدنيوية والنيران الأخروية، وفاز بجنة عرضها السماوات والأرض.

وفي هذا الحديث ترغيب في الجنة، وإن نيلها ليس بالأمر السهل فإنها تحتاج إلى تصديق بالله تعالى وبطاعته سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث نصّ فيه على فضل الخوف، وقد بيّن الإمام ابن قيم الجوزية معناه،

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ١٠٣، ١٠٥.

وأنواعه ومتعلقاته فقال:

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله.

وقال صاحب المنازل[1]: (الخوف: هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر).

يعني: الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد.

والخوف من العقوبة: هو الخوف الذي يصح به الإيمان. وهو خوف العامة. وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.

فالخوف مسبوق بالشعور والعلم. فمحال خوف الإنسان مما لا شعور له به. وله متعلقان:

أحدهما: نفس المكروه المحذور وقوعه.

والثاني: السبب والطريق المفضي إليه. فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف، وبقدر المخوف: يكون خوفه. وما نقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه، عمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضي إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب. ومن اعتقد أنه يفضي إلى مكروه ما، ولم يعرف قدره: لم يخف منه ذلك الخوف. فإذا عرف قدر المخوف، وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف.

هذا معنى تولده من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.

وفي مراقبة العاقبة: زيادة استحضار المخوف، وجعله نصب عينه، بحيث لا ينساه. فإنه -وإن كان عالمًا به- لكن نسيانه وعدم مراقبته يحول بين القلب وبين الخوف. فذلك كان الخوف علامة صحة الإيمان. وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه. والله أعلم[2].

ومما يدل على فضيلة الخوف ما جاء في الحديث الذي معنا: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل"، فالإنسان الذي يخاف الله عز وجل يقبل على طاعته ويمتنع عن

---

(١) هو أبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي صاحب منازل السائرين.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٥١٤، ٥١٥.

معصيته، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دَخَلَ على شَاب وهُوَ بالمَوْتِ فقَالَ: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟)) قالَ والله يا رسولَ الله إنِّي أرْجُو الله وإنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي. فقَالَ رسولَ الله ﷺ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْد فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[2]، وعن هانئ مولى عثمان رضي الله عنه قال: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ، يَبْكِي. حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ. فَقِيلَ لَهُ: تَذْكُرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلاَ تَبْكِي. وَتَبْكِي مِنْ هذَا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ. فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ. وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ)) قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))[3].

قال الغزالي: (إن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يُقطع من طرق الآخرة كل عقبة كئود)[4].

وقال ابن القيم: (والخوف أنفع شيء للقلب وهو فرض على كل أحد، والخوف هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس وقيل: الخوف: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، قال أبو حفص: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه، وقال: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه)[5].

وقال ابن رجب الحنبلي: (والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثًا للنفوس على التشمير في نوافل

---

(١) سورة النور، آية: ٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٠٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٨).

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٢/١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٣٩/٢.

الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلاً محمودًا، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضًا أو موتًا أو همًا لازمًا بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودًا، فإن خوف العقاب ليس مقصودًا لذاته إنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها، ومن هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه، ولهذا المعنى عدّها الله سبحانه من جملة آلائه على الثقلين. قال سفيان بن عيينة: خلق الله النار رحمة يخوف بها عباده لينتهوا)[1].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يظهر هذا من سياق الحديث، وتوجيه النبي ﷺ إلى الخوف من الله والعمل بالطاعة واجتناب المعصية، ولا شك أن الداعية من أهم واجباته الحرص على المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير لأنه -أي الداعية- هو العالم العارف بالكتاب والسنة فيلزمه دعوة الناس إليهما وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[2].

---

(١) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ٣٩ - ٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٤١١)

٤١١- وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً**)) قُلْتُ: يَا رَسُول الله، الرِّجَالُ وَالنِّساءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْض؟! قَالَ: ((**يَا عائِشَةُ، الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ**)).

وفي رواية[1]: ((**الأَمْرُ أهمُّ مِنْ أنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعض**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

غُرلاً: بضم الغين المعجمة، أي: غير مختونين[3].

الشرح الأدبي

بناء الفعل (يحشر) لما لم يسم فاعله يذهب بالعقول كل مذهب في تصور الفاعل، وتعريف لفظ (الناس) باللام يدخل الجميع تحت مظلة الخبر، وذكر اليوم، وإضافته للقيامة يوحي بالرهبة المرتبطة بمدلوله، وقوله (حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً) وغرلا أي: غير مختونين جمع أغرل، وذكر هذه الأحوال تنبيه إلى أن الساتر الوحيد يوم القيامة هو لباس التقوى العمل الصالح، وقول عائشة رضي الله عنها: (الرِّجَالُ وَالنِّساءُ جَمِيعاً يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْض ؟!)استفهام أم المؤمنين رضي الله عنها يحمل مع التحقيق، والتثبيت تعجباً يعكس حياء جماً نسيت معه أن الموقف موقف الهول المذهل، والموقف العصيب الذي يذهل كل مرضعة عما أرضعت، ونداء الرسول ﷺ نداء تلطف، وتودد، وقوله (الأمرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ) التعبير بأفعل التفضيل إشارة إلى ما فيه من أهوال، ومواقف تشغل الإنسان عن التفكير فيمن حوله.

---

(١) عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٧) واللفظ الأول له، ومسلم (٢٨٥٩/٥٦) واللفظ الأخير له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٤٢).

(٣) رياض الصالحين ٢٠٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان صفة الحشر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهوال يوم القيامة.

رابعًا: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "يحشر الناس"، لقد أخبر النبي ﷺ صفة وهيئة الناس في الحشر يوم القيامة، ولا شك أن أسلوب الإخبار إعلام بحقائق الإسلام الحنيف، (إن الداعي إلى الله خليفة الله في أرضه، وخليفة رسوله ﷺ، وخليفة كتابه في تبليغ شرائعه، وفي بيان هديه وسنته وفي بيان عقائده وأحكامه، وأخلاقه الكريمة وعظاته البالغة وأسرار التشريع)[1].

ومن خلال الإخبار تقوم حجة الله على عباده بتبليغهم وإخبارهم بالأوامر والنواهي، وتعريفهم بحقائق الدين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان صفة الحشر:

إن من المواقف الصعبة على الإنسان عندما يحشر للحساب بين يدي الله سبحانه وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث صفة الناس عند الحشر فمما جاء في الحديث: "يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً"، قال النووي: (والمعنى: يحشر الناس كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم)[2].

إنها موعظة راعدة في هذا الحديث ألا وهي الوقوف بين يدي الله يوم المحشر إنه يوم عصيب إذ تُجمع الخلائق كلها على صعيد واحد كما خلقهم الله تعالى حفاة عراة غير مختونين، الكل مشغول بهموم نفسه هموم كالجبال في ثقلها تجعل المرء لا يفكر بشيء

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ١٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٤.

آخر غير نفسه، حتى أنه يذهل عن رؤية الآخرين، لأن عقله مشغول بنفسه وهموم ما جنى.

وفي هذا الحديث الترهيب والترغيب من هذا المشهد للاستعداد له بما يرضي الله تعالى وتقواه سبحانه.

وهذا الحديث يُفصِّل ويبيِّن الإجمال في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[1]، ففي هذه الآية الإجمال في قوله كما بدأنا، وفي الحديث بيان لذلك إذ وصف الناس في الحشر والبعث حفاة عراة غير مختونين وهكذا بداية خلق الإنسان.

وهذه الأحاديث كلها ترغب في الخوف من الله، وما قبل هذا الباب ببابين أورد باب محبة الله تعالى ثم تلاها هذا الباب باب الرجاء، ليكون العبد ما بين المحبة والخوف والرجاء، وفي هذه الأمور الثلاثة تمام وكمال توحيد العبودية.

قال ابن قيم الجوزية:

لولا التعلق بالرجاء تقطعت ... نفس المحب تحسرًا وتمزقًا

وكذاك لولا برده بحرارة الـ ... أكباد ذابت بالحجاب تحرقًا

وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء. فكل محب راجٍ خائف بالضرورة فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه. وكذلك خوفه. فإنه يخاف سقوطه من عينه، وطرد محبوبه له وإبعاده، واحتجابه عنه. فخوفه أشد خوف. ورجاؤه ذاتي للمحبة. فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه. فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه. ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضى، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه. فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه.

فتأمل هذا الموضوع حق التأمل يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة. فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء. وعلى قدر تمكنها من قلب المحب

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

يشتد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشة. بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير. وأين رجاء المحب من رجاء الأجير؟ وبينهما كما بين حاليهما[١].

وقال ابن حجر: (يحشر الناس عراة فإن الملابس في الدنيا أموال ولا مال في الآخرة مما كان في الدنيا، ولأن الذي يقي النفس مما تكره في الآخرة ثواب بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله، وأما ملابس الدنيا فلا تغني عنها شيئًا قاله الحليمي، ويحشرون غرلاً: قال ابن عبدالبر: يحشر الآدمي عاريًا ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف ويحشر الناس حفاة أيضًا)[٢].

ومصداق هذه الصورة والهيئة التي يحشر عليها الناس، قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[٤]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[٥]، وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[٧]، ولإذلال الكافر فإنه يحشر على وجهه حيث جاء في الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة: قال ﷺ: ((أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟))[٨]، وأما عن صفة أرض المحشر فقد جاء

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢-٤٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٩١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٤.

(٤) سورة مريم، الآيتان: ٨٥، ٨٦.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٧) سورة الكهف، آية: ٤٨.

(٨) أخرجه مسلم ٢٨٠٦.

في الحديث أن الرسول ﷺ قال: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ، عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لأَحَدٍ))[1]، قال النووي: (قوله: "عفراء" أي: بيضاء إلى حمرة كقرصة النقي أي مثل الدقيق النقى وقوله ليس فيها عَلَم لأحد، أي: ليس بها علامة سكنى أو بناء ولا أثر)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهوال يوم القيامة:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: (يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)، وهذا يدل على شدة أهوال يوم القيامة، (إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد بعثهم أحياء في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة وذلك لفصل القضاء وهو الحكم فيما بينهم من أجل مجازاتهم، وتدني الشمس في ذلك اليوم من رؤوس الخلائق حتى تكون قريبة منهم جدًا فتشتد الحرارة في الموقف، ويعرق الناس لذلك حتى يذهب العرق سبعين ذراعًا)[3]، وقد وصف الرسول الكريم ﷺ شدة هذا اليوم فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تُدْنَى الشَّمْسُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ)). قَالَ: ((فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا)). قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ[4].

ولا يخفى أن تذكر أهوال يوم القيامة يولد في داخل الإنسان الخوف من الله والانقياد لأمره، "إن ذكر صفة الحشر وما فيه من أهوال جسام من ازدحام الخلائق اختلاط الأنفاس وعرى الأجسام وكثرة العرق ودنو الشمس من الخلائق والعرض على العزيز الجبار وذكر النار وصفتها المفزعة وحال أهل النار فيها هذه الأمور إذا تذكرها المسلم في هذا اليوم فإنه يشفق من عذاب الله ويخافه ويرجوه أن ينجيه من تلك الأهوال

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٣٩.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥١٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٦٤.

الشداد العظام"[١].

رابعًا- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه:

المسلم بحاجة مستمرة إلى أن يسأل عن أمور دينه وعن الأمور التي تظهر في حياته، ويحتاج إلى معرفة هدي الإسلام فيها، لذا كان المسلم بحاجة إلى أن يسأل عما خفي عليه، يظهر هذا من قول عائشة رضي الله عنها: "يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟"، والمدعو مطالب أن يسأل عندما يخفى عليه أي أمر وبهذا أمر الله في القرآن، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[٣]. وأمر الله حتى بالسؤال عنه سبحانه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٤]، ومن ثم أصبح من أهم واجبات المدعو السؤال عن الأمور الخافية عليه.

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٧٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن الخوف من الله يدفع إلى تقواه، وإن الشعور بالعرض عليه يحول دون معاصيه، وإن صفات الكمال القائمة بذات الله تحول دون الإقدام على معصية الله، إن الإقدام على المعصية ناتج غفلة أو ضعف الرائي أو مصلح مشركة بين الجاني والمشاهد، والحق سوى ذلك بالكلية، فالحق لا تأخذه سنة ولا نوم "إن الله كان عليكم رقيبا"، وأما المراقبة الإلهية فنصوص القرآن بحقها تبلغ حداً في الكثرة في الوصف بالبصر بعد الوصف بالسمع أو على سبيل الاستقلال.

ومع هذا فعفو الله واسع وكرم الله عميم، فقد جعل اتقاء النار أمراً سهلاً ميسراً، وأشار إلى أن قليل المعروف يؤدي إلى الجنة ويقي من جهنم. ومن المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- التربية والتنشئة على الخوف من الله عز وجل:

التربية على الخوف من الله تعالى من الأساليب التربوية التي يقوم عليها الإسلام، مما يسهم في صياغة شخصية المؤمن وتربيته على خشية الله تعالى وطاعته والحذر من مخالفة أوامره سبحانه: يظهر ذلك من قول النبي ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل ...»، وقوله: «منهم من تأخذه النار إلى كعبه ...»، وقال: «يقوم الناس لرب العالمين ...»، وقوله: «تدني الشمس يوم القيامة...»، وقوله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرنِ ...».

فهذه أساليب تربوية تحذر من الوقوع في المعاصي حتى يحذر المؤمن أن يكون من أهل النار، إن التخويف من الأساليب التربوية المؤثرة في تربية النفوس للبعد عن المعاصي التي تكون سبباً في دخول النار، وحلول غضب الله، وعليه فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ولا يتجاوز ذلك[1].

---

(١) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم عبداللطيف، ص٢٢١، ٣٠٥، أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص ٣٣٩.

والخوف من الله تعالى سمة المؤمنين وآية المتقين ودين العارفين، خوف الله تعالى في الدنيا طريق للأمن في الآخرة، وسبب للسعادة في الدارين، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام وصفاء القلب، وطهارة النفس. وإذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه وطرد بهرج الدنيا عنه وهو سوط الله يقوم به الشاردين عن يابه ويرد به الآبقين إلى رحابه، فهذه هي القلوب الممتلئة بخوف الله، المعظمة بخشية الله، والخوف شجرة طيبة إذا ثبت أصلها في القلب، ويرق الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين، لأنه إذا خاف المرء ربه أخاف الله منه كل شيء، وإذا لم يخف ربه أخافه من كل شيء، والخوف من الله، مانع للذنب، عاصم من الخطأ.

وإمام الخائفين وقدوة المتقين هو خاتم الأنبياء والمرسلين كان دائماً مايردد أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له[1].

ثانياً: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الأعمال الصالحة والمداومة عليها:

تعمل التربية الإسلامية على تحقيق جملة من الأهداف في حياة المسلم، لعل من أبرزها الحث على الأعمال الصالحة والمداومة عليها، لحاجة المسلم إلى التردد بالعمل الصالح والمداومة عليه، لأنه لا يدري متى يأتيه الموت، وعلى أي حال يدركه، لذا فإن التربية الإسلامية، ترمي إلى تنشئة وتربية المسلم على حب الأعمال الصالحة، التي تكون سبباً في رضوان الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ حريصاً على حث أصحابه رضي الله عنهم على ذلك، ومن الشواهد من أحاديث الباب قوله ﷺ: «فَوَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَكُونُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ. فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ. فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ...».

في هذا الحديث توجيه تربوي للمسلم للاستمرار على الأعمال الصالحة ولزومها لما في ذلك من الأثر الكبير في تقوية العلاقة مع الله وحسن الصلة به سبحانه واجتناب المنهيات على الدوام، ولاشك أن هذا النوع من التربية يجعل الإنسان موصولاً بالله تعالى

---

(١) الله: أهل الثناء والمجد ٦٤.

وينمي جوانب الخير في حياة الناس، ولفعل الأعمال الصالحة دور في صلاح المجتمع لما فيها من التربية المباشرة على مداومة الأعمال الصالحة، وذلك لأن التربية الإسلامية تهدف إلى تنمية شاملة[١].

والمنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة، وذلك: بحثه على فعل الخيرات والمسابقة إليها باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، وقد جعل الله المبادرة إلى فعل الخيرات أحد العناصر الرئيسية للفوز برضاه والعلاج في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٢]. وهدف الإسلام من الحث على المداومة على أعمال الخير هو قهر نوازع الشر، ولأننا نجاهد في هذه الحياة للتزود ليوم القيامة كان لزاماً علينا أن نسارع إلى الخيرات[٣].

ثالثا: التربية بالترهيب:

لاشك أن الإنسان يحرص على ما يحقق له السعادة ويسعى إلى تحصيل أسبابها، وفي المقابل يحاول أن ينأى بنفسه عن كل ما ينغص عليه حياته، وقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه من خلال الترهيب لما له آثار تربوية عميقة في النفوس لأنه يثير عند الإنسان عامل الخوف.

وهذا العامل في الواقع يوجه الإنسان، ويعمل على تحديد أهدافه وسلوكه، وعلى قدر ما يخاف يكون التأثير في السلوك والتوجه، ومن الشواهد التربوية في أحاديث الباب ما ورد في قوله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»، وقوله ﷺ: عن الأرض عندما قرأ: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾[٤]. أتدرون ما أخبارها؟.... إن أخبارها أن

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص٢٧٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٣) الشخصية، د. ناصر التركي، ص٣٦٢.

(٤) سورة الزلزلة، آية: ٤.

تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول: عملت كذا...

فهذا شاهد تربوي للتحذير من الأهوال، مما يبعث على الخوف من فعل المعاصي، والرسول ﷺ في هذه الأساليب يوجه الإنسان، ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته اعتماداً على الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة[1].

إن العلاقة بين العمل والجزاء في الآخرة تعد من أهم ما تميز به الإسلام على سائر الأديان، ويعد ذلك من أبرز الأساليب التربوية التي بمثابة الدوافع الإيجابية التي تدفع الإنسان إلى فعل الخيرات، والبعد عن المنكرات وتنمي لديه الرغبة في نيل رضوان الله تعالى في الآخرة. ومن الشواهد على ذلك قوله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيه...».

ففي هذا الحديث لون من ألوان التربية الإسلامية التي تعمق في نفس الإنسان الفهم الواعي للصلة بين عمله، وبين جزائه في الآخرة.

لقد بيّن الرسول ﷺ أن الإيمان باليوم الآخر يمثل الوازع الداخلي والضابط لسلوك الإنسان في الحياة الدنيا، ولذلك أكد رسول الله ﷺ على أن سلوك الإنسان وتصرفه في حياته هو الذي يحدد ويربي الإنسان المسلم على قوة الصلة بين العمل والآخرة[2].

إن مسألة استشعار الصلة بين العمل والجزاء في الآخرة تنمي في نفس المسلم المراقبة والمحاسبة والمعاتبة والمراجعة الدائمة لكافة تصرفاته وسلوكياته فيسأل نفسه ماذا أردت بهذا الفعل؟ هل ابتغيت به مرضاة الله، أم إشباع هوى النفس؟ وهكذا يكون المسلم في يقظة ومراجعة مستمرة لأنه يطمع في مرضاة الله تعالى.

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز الجليل، ٥٦/٣، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص٢٢٢، ٢٥٠.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٦٤. أصول التربية الإسلامية للحازمي، ص٢٩٢.

من أهداف التربية الإسلامية، التربية على المسؤولية، لأن فيها التزاماً وارتضاء لمجموعة القيم والمبادئ والتعاليم التي جعلها اله منهاجاً للحياة، ومن الشواهد على ذلك في باب الخوف. قوله ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيه ...».

فهذا شاهد تربوي يبين مدى المسؤولية في الإسلام، وأن الإنسان محاسب ومسؤول يوم القيامة عن عمله، وعمره، وماله، وجسمه، والإسلام لم يخل أحداً من المكلفين من المسؤولية فهو يعتبر كل إنسان مسؤولاً مسؤولية كاملة عن نفسه، وعما ينتج عنه من أفعال، سواء كان بالنسبة إلى نفسه أو الآخرين، ويجني ثمارها إن أحسن ويلحقه عقابها إن أساء[1]. لذلك قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

إن شعور الفرد بهذه المسؤولية يدفعه للعمل بدون توان ولا ملل ويراعى في هذه المسؤولية هل حفظ الأمانة كما ينبغي أم ضيّع وفرّط، وإن أولى الناس بالمحاسبة والمراقبة نفسه التي بين جنبيه فيراجعها الفينة بعد الأخرى، ويسألها قبل أن تسأل، فكل فرد في المجتمع المسلم له رعية يرعاها بغض النظر عن موقعه فيه في القمة أو في القاع[3].

من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية أنها تربية وقائية تقوم على وقاية الإنسان من كل ما يورده المهالك في الدنيا والآخرة، وهذا منهج عظيم تميزت به التربية الإسلامية حيث لم تنتظر لحظات وقوع الإنسان في المعاصي والذنوب بل عمدت إلى وقايته وحمايته من كل ما يؤدي به إلى الضرر، وهذه التربية الوقائية، قدمها رسول الله ﷺ على هيئة نصائح، بينها رسول الله ﷺ ويتضح ذلك من أحاديث الباب في قوله ﷺ: «...

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٩٩، الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص٣٤.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.

(٣) التربية الذاتية، د. هشام علي أحمد، ص٥٨.

فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وقوله: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ»، فهذه توجيهات نبوية وقائية تحذر من الوقوع في النار وأهوال يوم القيامة.

"وهذه الوقاية جاءت على شكل تحذير وتحصين للفرد فكرياً وسلوكياً من بعض الأمور السلبية المستقبلية أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يقضي إلى مفسدة أكبر منه، والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم والأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والتربية الوقائية تعد جرعة إن أخذت ستقي الإنسان المسلم من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق"[١].

إن من أساليب التربية الإسلامية التنشئة بالسؤال والجواب، ومن الشواهد على ذلك في حديث الباب، قوله ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً. فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا فسمعتم وجبتها».

فهذا توجيه نبوي تربوي ظهر منه السؤال والجواب كأداة تعليمية فيه إثارة المعلم للاهتمام والانتباه قبل البيان لأن هذا أدعى إلى الفهم، والرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب، وذلك لإعداد الصحابة إعداداً صحيحاً لأن الاستفهام يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير، وهذا ما يحمل المخاطب إلى توجيه اهتمامه لما يلقي إليه لكي يجيب عليه[٢].

ويعد أسلوب السؤال والجواب من أهم الأساليب التربوية لأن السؤال من أحد أركان الفهم والإقناع، والجواب يعد من أحد أركان هذا الأسلوب، وهذا الأسلوب لا يستغني عنه الإنسان الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير، لأن الإنسان معارفه محدودة، ولن يحيط بكل شيء ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة، ولذلك تراه يبحث عن إجابات لما يحصل، ولأهميته حرص الصحابة عليه، ومن عود نفسه على السؤال زادت ثقته وشعر بالطمأنينة والارتياح لمعرفة الإجابة[٣].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني. ص٢٥٦.

(٢) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل، ص٥٨.

(٣) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد، ص١٢٤.

إن من أهداف التربية الإسلامية، الجد في الأمور، ولقد اعتبرت التربية الإسلامية ذلك من أولوياتها وصفة ملازمة لبرامجها التربوية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «... لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً ...».

فهذا توجيه نبوي ربيّ فيه الصحابة على الجد في الأمور، وأنه لا نجاح في تحقيق الهدف دون استحضار واستصحاب الجدية في الأمور، لأن التربية الجادة طريق الأنبياء والعلماء من بعدهم، والأنبياء قدوة الناس، والجدية هي الأصل الأصيل في هذه الحياة، فلا ينجح في الحياة ولا يثمر ولا يحقق أهدافه إلا من وطن نفسه ورباها على الجد في الأمور والسعي الحثيث لإدراك معاليها مع التأكيد على أصالة التوكل على الله في كافة الأمور، فالمسلم يتوكل على الله أولاً ثم يبذل الأسباب الجادة بعد ذلك.

"والرجل الجاد هو صاحب الهدف الذي يسري في أعماقه وروحه فهمه وجهده متوجة إلى هذا الدين، إنه الرجل صاحب العبادة الحقة لله سبحانه وتعالى، ظاهراً، وباطناً، مخلصاً مخبتاً راجياً خائفاً، كثيرَ الذكر والصلاة والصيام والتلاوة، فهذا هو الرجل الجاد في نفسه القادر على اتخاذ القرار الحاسم في الوقت المناسب إنه الرجل الشجاع غير الهياب"[1].

من أسس التربية الإسلامية التربية العقدية الصحيحة، ومن مهام وأهداف التربية العقدية التأكيد على الإيمان بالغيبيات وترسيخ هذا الإيمان؛ لأن الإيمان بالغيبيات أصل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية يضمن سلامة مسيرة المؤمن في حياته، وذلك لأن ترسيخ هذا الإيمان في النفس يكون بمثابة السياج القوي الذي يحمي الإنسان من الانحراف لإيمانه بوجود الجنة والنار، وأنه لابد من الحساب والجزاء والمصير إما إلى الجنة وإما إلى النار والعياذ بالله[2].

ومن شواهد التربية العقدية من أحاديث هذا الباب على ذلك. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذا سمع وجبةَ فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً. فَهُوَ يَهْوِي

---

(١) انظر: التربية الجادة ضرورة، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٢.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١١٦.

فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا». فهذا توجيه نبوي ظهر منه تأكيد النبي ﷺ على أحوال الدار الآخرة، وذلك لأنها من أصول العقيدة الإسلامية. "وذلك لأن العقيدة أساس يجب الوقوف فيه على ما ينبغي على المسلم اعتقاده وضبط سلوكه به في إطار التربية الإسلامية من الناحية النظرية والعملية، والإيمان بالدار الآخرة ركن من أركان العقيدة التي يجب التصديق به وأن يقف عند حدود بيان الله عز وجل لها فيثبت ما أثبته الله تعالى وينفي ما نفاه، مع ضرورة العلم بأن الإيمان ينتقض إذا أنكر المرء معلوماً من الدين بالضرورة -كالدار الآخرة- أو أتى بشيء مكفر حتى لو أمن بالأركان الأخرى"[1].

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد في مجال التعليم والتربية، منها ما يلي:

أ-التلقين والموعظة الحسنة والخطبة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، فقال: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا" فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين.

ومما لا شك فيه أن نفس الإنسان تتأثر بما يلقى من كلام، لذا كان الوعظ والتلقين من الأمور التي تصل إلى نفس المتعلم وتحرك وجدانه، وقد استخدم النبي ﷺ الموعظة والخطابة في مواقف متكررة لقوة أثرها وشدة تأثيرها.

ب-الإلقاء: كحديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ..." الحديث. والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين ويُمَكّن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ج-التربية بالمواقف، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً [أي صوت سقطة] فقال: هل تدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم..." الحديث.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٨٠.

ولقد استخدم النبي ﷺ المواقف المختلفة لتربية أصحابه الكرام وغرس القيم النبيلة وإبعاد القيم غير الطيبة، وتمتاز التربية بالمواقف والأحداث بأنها تحدث في النفس أثرًا كبيرًا من خلال التجربة العملية والممارسة.

د-توجيه الأسئلة كما في الحديث السابق: "هل تدرون ما هذا؟" وتوجيه الأسئلة يفيد في قياس مدى إدراك المتعلمين لبعض المعلومات والمعارف المرتبطة بالدرس.

هـ-المناقشة والحوار، كما في حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرْلا" قلت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض" قال: "يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك" والمناقشة والحوار من الأساليب التي تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع الملل عن المتعلمين.

٥١- باب الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[سبأ: ١٧]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[طه: ٤٨]، وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾[الأعراف: ١٥٦].

الحديث رقم (٤١٢)

٤١٢- وعن عبادة بن الصَّامتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: **((مَنْ شَهِدَ أنَّ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمداً عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ ألْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ))** مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: **((مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ))**.

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٨٦).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في أسلوب الشرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك العاقل ليختار مصيره، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وفي هذا رعاية لمصلحته ببيان سبيل الخير، ورعاية لحريته حتى يرجع إلى عقله، ويحكمه، فيهديه إلى الصواب، أو يحيد عن طريق الحق فتلزمه الحجة، وقوله: (مَنْ شَهِدَ أنَّ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٥ واللفظ له، ومسلم ٢٨/٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٥١.

(٢) أخرجه برقم ٢٩/٤٧. أوردها المنذري في ترغيبه ٢٢٥١.

لَهُ...) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وشهد فعل الشرط، مع ما عطف عليها، وقوله (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) تعريض بالنصارى، ودعوة لهم للإسلام، والإضافات المتكررة في العبارة للتشريف، والنص على العبودية، وتقديمها على الرسالة في قوله: (وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ) نفياً للألوهية التي ادعاها النصارى لعيسى عليه السلام وقوله: (وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) كناية عن ولادته دون أب، والتعبير بالإلقاء يشير إلى مسافة قطعها الملك ليبلغها، وتكرار المسند في قوله (وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ) إيذاناً باستقلال الحكم في كل جملة منهما بمعنى أنه لابد، وأن يؤمن بكل واحدة منهما، وتوكيد الجملة بعدة مؤكدات لتضمنها دعوة غير المسلمين، وهم بين منكرين، وشاكين، وقوله (أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ) جواب الشرط والجواب محقق من جهة صياغته المضارعية، ومن جهة نسبته لله - تعالى-، وقوله (عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ) تتميم بلاغي أفاد بقاء عمله الصالح، وأنه يجزى به.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل عيسى عليه السلام.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الإيمان بالجنة والنار.

خامسًا: من صفات الداعية: التبشير.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرجاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء الشرط في الحديث في قوله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله ..."، ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من الأساليب التي تعمل على شدّ انتباه المدعو إلى معرفة الجواب، كما أن أسلوب الشرط يبين مدى ارتباط الجزاء بالعمل من خلال الارتباط بين الشرط وجوابه، ومن استعمال القرآن لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ

ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[1]، وقوله جلّ شأنه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين:

إن الدخول في الإسلام يكون بالشهادتين وهذا يدل على فضل هذه الكلمة، وقد ورد في الحديث في قوله ﷺ: "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله"، وشهادة التوحيد هي أولى مطلوبات الإسلام، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4]، وهي أحد دعائم الإسلام الخمسة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإِسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ....))[5]، وأمر الله رسله بالمقاتلة عليها فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إلاّ بحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه))[6].

ومن قالها بإخلاص نال الشفاعة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال لا إلهَ إلا اللّهُ خالِصًا مِن قَلبِه، أو نفسِه))[7].

---

(١) سورة الحج، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ٢٢.

(٧) أخرجه البخاري ٩٩.

قال ابن القيم رحمه الله: (وكلمة التوحيد هي الكلمة الطيبة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وهي تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فكل عمل صالح مرضي لله ثمرة هذه الكلمة، ولا تزال هذه الشعيرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها فكلمة التوحيد أصلها ثابت راسخ في قلب كل مؤمن، وفروعها متصلة بالسماء، وهي مخرجة لثمرتها كل وقت)[1].

وقال حافظ بن أحمد حكمي: (وهذه الشهادة -كلمة التوحيد- هي سبيل الفوز بدخول الجنة والنجاة من النار، ولا سعادة في الدارين إلا عن طريقها فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار، وبها أخذ الله الميثاق وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق. وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها متشعبة منها مكملات لها مقيّدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل عيسى عليه السلام:

إن نبي الله عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل وهو كلمة الله وروح منه وهذا يدل على فضله عليه السلام حيث جاء في الحديث: "وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه"، قال النووي: (وسمى عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بكلمة "كن" فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم، قال الهروي: سمي كلمة؛ لأنه كان عن الكلمة فسمي بها كما يقال للمطر رحمة وقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[3]، أي: رحمة، وقال ابن عرفة: أي: ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح وقال غيره: وروح منه،

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١٧٢/١ - ١٧٣.

(٢) معارج القبول ٥٠٩/٢ - ٥١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٧١.

أي: مخلوقة من عنده وعلى هذا يكون إضافتها إليه إضافة تشريف كناقة الله، وبيت الله)[١].

وقال ابن حجر: (وفي ذكر عيسى عليه السلام تعريض بالنصارى وإيذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله "عبده"، وفي ذكر "رسوله" تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزه عنه وكذا أمه وفي قوله "وابن أمته"، تشريف له وقوله "وكلمته"، إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه وأحيا الموتى على يده)[٢].

وعيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾[٣].

وقد أيد الله عز وجل نبيه عيسى عليه السلام بالمعجزات لإثبات رسالته، "ولما أنكر عيسى عليه السلام على رجال الدين انغماسهم في الشهوات أجمعوا أمرهم على مناوأته وتكذيبه ولإحراجه طالبوه بما يؤيد رسالته فأيده الله بالمعجزات الباهرة وهي: صنع من الطين شكل طير ثم نفخ فيه فكان طيرًا بإذن الله، مسح على الأكمه -وهو من ولد أعمى- فعاد الأعمى بصيرًا بإذن الله، مسح على الأبرص فشفاه بإذن الله، أحيا الموتى بإذن الله "بالنداء أو اللمس"، أنبأ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وهذا ما ذكره الله على لسان عيسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٤]، هذا بالإضافة إلى معجزة المائدة من السماء التي طلبها

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٧/٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

الحواريون فيتثبتوا من صدق رسالته، فدعا عيسى عليه السلام ربه فأنزل عليه المائدة التي طلبوها ولا شك أن هذا يدل على فضل نبي الله عيسى عليه السلام"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الإيمان بالجنة والنار:

إن من ثوابت العقيدة الإسلامية الإيمان بأن الجنة حق والنار حق، حيث جاء في الحديث: "والجنة حق والنار حق"، والإيمان بالجنة والنار من أصول العقيدة الصحيحة، "لقد اتفق أهل العلم على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ودلت على هذا نصوص الكتاب الكريم ومن ذلك قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[٣]، وقوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٥]"[٦].

وقد تواترت نصوص القرآن والسنة في بيان نعيم الجنة وعذاب النار، (ونعيم الجنة منه ما هو مادي حسي ومنه ما هو روحي معنوي هذا مفهوم القرآن الكريم ومن نعيم الجنة المادي أنهار الجنة وأشجار الجنة وثمارها وطعام الجنة وشرابها وثياب الجنة وحللها ومساكن الجنة وغرفها ونساء وحور الجنة ومن نعيم الجنة الروحي: لقاء الله تعالى، ورؤية الله تعالى، ورضوان الله تعالى وفي المقابل ذكر الله في القرآن العذاب الحسي لأهل النار وطعامهم وشرابهم والعياذ بالله)[٧].

ومما لا شك فيه أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جنة ونار له أثر فاعل في نفس المؤمن، وفي توجيه سلوكه في الحياة، (ولو اجتمعت معاني الإيمان باليوم الآخر في حس

---

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ٣٣١ - ٣٣٢

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣١.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ٢/٦١٤.

(٧) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ١٢٧.

المسلم، وصار لها ذاكرًا على الدوام، واستشعرها بقلبه، لأصبح من أولياء الله فعلاً لأن هذه العقائد الجلية توقظ المؤمن من سباته وتجعله في حذر دائم من عواقب هذا اليوم فإذا ما سولت له نفسه ارتكاب محذور تذكر الموت والقبر والحشر والميزان والصراط والنار والوقوف بين يدي الجبار، فيتولد عنده حينئذ خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها، ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء عند الموت وفي القبر وفي الحشر وعند الميزان والصراط والمرور عليه ولحظة الوقوف بين يدي الحليم الغفار فالإيمان باليوم الآخر هو الدافع إلى اجتناب المحارم وإتيان الطاعات وهو دستور إصلاح للأفراد والجماعات والأمم والشعوب المسلمة)[1].

خامسًا- من صفات الداعية: التبشير:

إن النفس تحب التبشير وتكره التنفير، وتأنس الترغيب وتخاف من الترهيب ولذا كان من صفات الداعية الناجح التبشير حيث جاء في الحديث: "إلا أدخل الجنة"، والداعية من ألزم صفاته أن يكون مبشرًا لا منفرًا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2].

قال الطاهر بن عاشور: (والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل وقدمت البشارة على النذارة؛ لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته)[3]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4]، وأمر رسول الله ﷺ

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٣/٢٢/٩.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

بالتبشير فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[١]، والداعية الذي يكون من صفاته التبشير فإن الناس تستمع لموعظته، وتستجيب لقوله.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الرجاء:

يؤخذ ذلك من عموم الحديث والمسلم دائمًا يستصحب رجاءه في الله دائمًا، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[٢]، وقال سبحانه عن أهل الطاعة: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٣]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قالَ: والله يا رسولَ الله إنِّي أرْجُو الله وإنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي. فقَالَ رسولَ الله ﷺ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاَّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[٤].

ومن الرجاء حسن الظن بالله، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِيث يَذْكُرُنِي))[٥]، وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: ((لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللّهِ الظَّنَّ))[٦].

قال ابن القيم: (ومن فوائد الرجاء أن فيه إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين، ومن فوائده أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله لأن الملك الجواد أجود من سئل وأوسع من أعطى، وأحب ما إلى الجواد أن يرجى ويؤمل ويسأل. والسائل راجٍ وطالب فمن لم يرج الله يغضب الله عليه، والرجاء حادٍ يحدو بالعبد في

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٣٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته فلولا الرجاء لما سار أحد فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء، والرجاء يطرح العبد على عتبة المحبة فإنه كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حبًا لله تعالى وشكرًا له ورضى به وعنه. والرجاء يبعث العبد على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية، فإنه إذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره)[١].

والرجاء له علامة وقد سئل أحمد بن عاصم: ما علامة الرجاء في العبد؟ فقال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان أُلهم الشكر، راجيًا لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا والآخرة وتمام عفوه عنه في الآخرة[٢].

قال ابن علان: (والمراد من صدّق بمضمون ذلك وأذعن له بجنانه ونطق به بلسانه، فإن منع من النطق مانع من خرس أو معاجلة منية فهو مؤمن، وإلا فنقل المصنف في أول شرح مسلم الإجماع على كفره. وعورض بأن الغزالي نقل فيه عن جمع أنه مؤمن عاص بترك النطق بها..

ويعني من مات على الإيمان لا تخرجه الكبائر عن إيمانه فيدخل الجنة. أما كونه ابتداء أو بعد دخول النار فمفوض إلى مشيئة الله تعالى)[٣].

قال ابن حجر: (قوله "على ما كان من العمل" أي من صلاح أو فساد لكن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله: "على ما كان من العمل" أي: يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات)[٤].

قال العيني: (وقال القرطبي: المقصود من هذا الحديث التنبيه على ما وقع من النصارى من الضلال والفساد في عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام)[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) نفس المرجع السابق ٢/٣٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٧٥.

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦/٢٧.

قال المناوي: أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

قال البيضاوي: فيه دليل على المعتزلة في مقامين:

أحدهما: أن العصاة من أهل القبلة لا يخلدون في النار لعموم قوله: "من شهد".

الثاني: أنه تعالى يعفو عن السيئات قبل التوبة واستيفاء العقوبة فإن قوله على ما كان من العمل حال من قوله أدخله الجنة، والعمل غير حاصل حينئذ بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من ثواب أو عقاب.

فإن قيل ما ذكر يوجب أن لا يدخل النار من العصاة؟ قلنا: اللازم منه عموم العفو، وهو لا يستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عن بعضهم بعد الدخول وقبل استيفاء العذاب، هذا وليس محتم عندنا أن يدخل النار أحد من الأمة بل العفو عن الجميع بموجب وعده بنحو قوله: ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1][2].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ١٥٩/٦.

الحديث رقم (٤١٣)

٤١٣- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((يقول الله عز وجل: مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثَالِهَا أَوْ[1] أزْيَد، وَمَنْ جَاءَ بالسَيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ[2] سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأرْض خَطِيئةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

وقُراب الأرض: ما يقاربُ ملأها[4].

الشرح الأدبي

الحديث بني على أسلوب الشرط المنبيء باتصال الجمل و(من) في كلتا الجملتين شرطية، والمجيء بمعنى عمل، شبَّه عمله الحسنة بحال المكتسب، إذ يخرج يطلب رزقاً، فيجيء أهله بشيء فالباء للمصاحبة، والكلام تمثيل، ويجوز حمل المجيء على حقيقته، أي مجيء إلى الحساب، والحسنة، والسيئة هنا للجنس، والجار، والمجرور (له) للملك، وتعليق الجواب على الشرط الذي يقتضيه أسلوب الشرط يجعل حصول عشر حسنات للعبد معلق على فعله حسنة واحدة مما يرغّبه فيها، وحصول سيئة للعبد معلق على فعله سيئة مما ينفّره منها؛ لأنه يعلم أنها ستعود عليه بمثلها، وقوله في الحسنة (أو أزيد) تفضل منه بترك باب الزيادة مفتوحاً وجملة (أو أغفر) تفضل منه بترك باب

---

(١) لفظ مسلم: (أو)، وفي نسخة: (وأزيده).

(٢) لفظ مسلم: (فجزاؤه) بدل: (فجزاء شبئة).

(٣) برقم ٢٢/٢٦٨٧.

(٤) رياض الصالحين ٢٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ب).

المغفرة مفتوحاً، وقوله (وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً)أسلوب شرط يعلق تقرب الرب من العبد ذراعاً على تقرب العبد شبراً) ومعناه :(مَنْ تَقَرَّبَ) إِلَيَّ بطَاعَتِي (تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي وَإِنْ زَادَ زِدْتُ (فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي) وَأسرَعَ فِي طَاعَتِي (أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) أيْ: صَبَبْتُ عَلَيهِ الرَّحْمَةَ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا، وَلَمْ أحْوِجْهُ إِلَى المَشْيِ الكَثِيرِ فِي الوُصُولِ إِلَى المَقْصُودِ والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه -كما قال النووي- (وقُرَابُ الأَرضِ): مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوبة والرجاء في رحمة الله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والترغيب:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث القدسي: "من جاء بالحسنة"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تشدّ انتباه المدعو إلى معرفة الجزاء، ويربط للمستمع بين العمل والجزاء عليه، ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2].

٢- **الترغيب:** يستنبط هذا الأسلوب مما ورد في الحديث القدسي من الترغيب في الإتيان بالحسنات وعمل الصالحات والتقرب إلى الله تعالى، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب مما يحفز النفس على الإقدام على الطاعة، "والترغيب يكون بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير وتبشيرهم بحسن المثوبة، وهو يفيد في حمل

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة والترغيب على ضربين، الأول: الترغيب في جنس الطاعات مثل قوله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[1]، والثاني: الترغيب في أنواع الطاعات مثل الصلاة والصدقة والصوم[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله تعالى:

إن رحمة الله واسعة وفضله عظيم، ويعامل الناس بفضله لا بعدله ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث القدسي: "من جاء بالحسنة له عشر أمثالها أو أزيد"، وهذا يدل على سعة رحمة الله تعالى، قال النووي: (معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئة الله سبحانه وتعالى)[3].

وفضل الله عز وجل ورحمته واسعة قال سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[4]، قال السيد سابق: (وينبغي للإنسان أن يأخذ بالأسباب الموصلة إلى النجاة والخلاص، ولا يقف عند مجرد إحسان الظن بالله، ولكي يعفو الله عن الإنسان ويستره لا بد أن يستر الإنسان نفسه في الدنيا فلا يجهر بما يفعل من سيئات، والله سبحانه لحبه لعباده ولسعة مغفرته يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء وعلمه الذي وسع كل شيء أن يغفر للتائبين ويدخلهم رحمته، ومن أبلغ ما قيل في هذا المقام: إن استغفاري مع إصراري لؤم وإن ترك استغفاري مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك - يا من

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ١٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٨.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

إذا وعد وفى وإذا توعد عفى، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)[١].

إن من كرم الله تعالى مضاعفة الحسنات لعباده ليكثروا منها، رجاء ثوابه سبحانه، فإنه يُرغِّب في ذلك، ويؤكد على ذلك بالبشرى التالية لمن يتقرب إلى الله تعالى بالطاعات فإنه سبحانه يثيبه على ذلك.

ثم ختم الحديث القدسي بالبشرى الثالثة للمؤمنين التجاوز ومغفرة الذنوب مهما كثرت وتعددت حتى لو ملأت الأرض بشرط ألا يشرك بالله تعالى، وهذه البشرى تبدد اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، وتبث الأمل برحمة الله، وتقوي الرجاء لنيل ثمرات هذه البشرى العظيمة، فإذا كانت رحمته الواحدة في الدنيا تتراحم بها الخلائق والبهائم والهوام، فإن الرحمات التسعة والتسعين تنتظر المؤمنين ليتفيأوا بظلالها وجناتها.

قال ابن علان: فالجملة الأولى لبيان عظم الثواب على كثرة العمل ومزيد المجاهدة، والثانية لبيان حصول ثواب العمل وإن قل ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾[٢].

قال القرطبي: (هذه الجمل أمثال ضربت لمن عمل من الطاعات وقصد به التقرب إلى الله تعالى تدل على أنه تعالى لا يضيع أجر محسن وإن قل عمله، بل يقبله ويثيبه مضاعفًا)[٣].

وقال العيني: قوله "أنا عند ظن عبدي بي" يعني: إن ظن أني أعفو عنه وأغفر له فله ذلك، وإن ظن العقوبة والمؤاخذة فكذلك، ويقال إن كان فيه شيء من الرجاء رجاه لأنه لا يرجو إلا مؤمن بأن له ربا يجازي، ويقال إني قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامله به.

وقال الكرماني: وفيه إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف قوله وأنا معه: أي بالعلم إذ هو منزه عن المكان، وقيل أنا معه بحسب ما قصد من ذكره لي.

---

(١) إسلامنا ١٠٩ - ١١٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ٣٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣١٣-٣١٤.

قوله "فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" يعني إن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرًا.

وقيل معناه إن ذكرني بالتعظيم أذكره بالإنعام.

قوله: "وإن ذكرني في ملأ" أي في جماعة "ذكرته في ملأ خير منهم" يعني: الملائكة المقربين[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوبة والرجاء في رحمة الله تعالى:

كل ابن آدم خطاء والمسلم الحق هو الذي يعود إلى ربه ويتوب إليه، ويأمل في مغفرته ولا يستسلم للمعصية، وقد جاء في الحديث القدسي الذي معنا: (ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة)، وما من شك في أن باب التوبة مفتوح، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٢]، وأخبر سبحانه أن من يتوب، يتوب الله عليه قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾[٣]، وأمر بالتوبة فقال جل شأنه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]، وأمر أن تكون توبة نصوحًا فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٥]، وأخبر أنه يحب من يتوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[٦]، ووصف خليله إبراهيم عليه السلام بالإنابة إليه فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٧]، وقد ثبت في الحديث عن أبي

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٠١/٢٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٩.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٧) سورة هود، آية: ٧٥.

موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليتوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وبالنَّهَارِ ليتوبَ مُسِيءُ الليلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللّهَ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ))[٣].

قال ابن حجر: (المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجو أن تنجو)[٤].

رابعًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من ألزم واجبات الداعية أن يدعو الناس إلى الخير دائمًا، ويرشدهم إلى ما ينفعهم لأن الداعية حامل رسالة ودعوة، والمدعوون يثقون فيه ينتظرون منه الخير دائمًا، قال الله عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾[٥].

والداعية الذي يرشد ويدل على الخير والصواب يناله من الأجر والثواب الكثير، وهذا من فضل الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَعَا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠١/١١.

(٥) سورة الشورى، آية: ٥٢.

إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[1].

قال النووي: (وفي الحديث الحث على استحباب سن الأمور الحسنة، وتحريم سن الأمور السيئة، ومن دعا إلى هدي كان له مثل أجور متابعيه أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٣.

الحديث رقم (٤١٤)

٤١٤- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: جاء أعرابي إِلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجِبَتَانِ؟ قَالَ: ((**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الموجبتان: أي الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار[2].

الشرح الأدبي

كان الصحابة رضي الله عنهم يستبشرون بقدوم الأعراب؛ لأنهم يفتحون لهم أبواب العلم بالمسائل التي كانوا يسألون فيها الرسول ﷺ، وهذا الأعرابي جاء يسأل النبي ﷺ (مَا الموجِبَتَانِ ؟) وهي مفرد موجبة، وهو استفهام على حقيقته، ولذلك جاء رد الرسول ﷺ مبنياً على الإيجاز بحذف المستفهم (مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار) ومن اسم موصول بمعنى الذي وتعريف المسند إليه بالموصول لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، وتنكير (شيئاً) للتقليل أي لا يشرك بالله قليلاً، ولا كثيراً، والجملة الثانية من أشرك قليلاً، أو كثيراً، والمقابلة بين الجنة، والنار توضح مدى الفارق بين العاقبتين، والذي كان سببه انتفاء الشرك، أو وجوده.

---

(١) برقم (٩٣/١٥١).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والترغيب والترهيب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: التعرف على ما يحقق له النجاة في الآخرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وخطورة الشرك.

رابعًا: من واجبات الداعية: الإجابة عن أسئلة المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب، والترغيب والترهيب:

١- السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث في سؤال الأعرابي للنبي ﷺ "ما الموجبتان" ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب المقنعة في الدعوة إلى الله تعالى حيث تتوجه الإجابة إليه مباشرة على السؤال، ومن ناحية أخرى فإن أسلوب السؤال والجواب يحقق نوعًا من التفاعل والحوار بين الداعية والمدعو ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[3].

٢- الترغيب والترهيب: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ: "دخل الجنة - دخل النار" وأسلوب الترغيب والترهيب، من أساليب الدعوة النافعة في حمل النفس على الطاعة، وبعدها عن المعصية (إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين وللترغيب أدوات

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

كثيرة كما أن للترهيب أدواته)[١] والداعية الحصيف هو الذي يستطيع الممازجة بين الترغيب والترهيب كل في موطنه وموضعه اللائق به.

ثانيًا- من واجبات المدعو: التعرف على ما يحقق له النجاة في الآخرة:

إن من أهم واجبات المدعو البحث عن أسباب النجاة من العذاب في الآخرة يظهر هذا من الحديث في سؤال الأعرابي عن الموجبتان؟ قال الإمام النووي: (وأما قوله ما الموجبتان فمعناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

وأما حكمه ﷺ على من مات مشركًا بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرًا عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرًا عليها فهو تحت المشيئة فإن عفى عنه دخل أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة، والله أعلم[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وخطورة الشرك:

إن التوحيد يعني إفراد الله بالخلق، والملك والتدبر، وكذا إقراره بالألوهية ومقتضايتها فحقيق بمن آمن بذلك أن يسعد في دنياه وأخراه وهذا ما نراه واضحًا في ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية، والجاحدون "بربوبية الله" يحيون حياة لا طعم لها ولا معنى حياة كلها قلق وحيرة، كلها أسئلة، من هنا تتجلى أهمية وفضل التوحيد[٣].

وفي هذا الحديث يظهر فضل توحيد الله عز وجل، فإنه يقوي في المؤمن درجة

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٨٦، ٨٧.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (٢/٩٦).

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٦٠.

الرجاء لثواب الله تعالى وعفوه من عقابه سبحانه وتعالى، وفي الوقت نفسه يُرهِّب من أمر خطير وشره مستطير ألا وهو الشرك أعاذنا الله منه ومن أنواعه وأسبابه. فيالها من بشرى للمؤمنين بدخول الجنة برحمته سبحانه وتعالى بشرط أن يتقوا أنواع الشرك، ويستفاد من الحديث أن من تاب من الشرك قبل أن يغرغر وقبل أن يأتيه الموت فإنه أيضًا من أهل الجنة بمشيئة الله، الله أكبر، ما هذه الرحمات الكريمة! والبشريات العظيمة! والمواعظ الحكيمة! إنها والله تحتاج إلى تذكير الغافلين، وتبصير العاصين، وتحذير المشركين، من تلك النار التي أعدت للكافرين والمشركين، وترغيبهم بما بشر الله تعالى عباده الصالحين.

ويستفاد من هذا الحديث معرفة عظمة ثمرة توحيد العبودية وبركة التصديق بالله تعالى، وعلى العكس لمن حرم نفسه من هذه الثمرة، فإنه فوت عليه فرصة كريمة من عند الله الكريم سبحانه، وأن مصيره النيران أعاذنا الله تعالى منها.

وفي هذا الحديث أخبر النبي ﷺ بفضل التوحيد وخطورة الشرك فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك به شيئًا دخل النار" ومما هو معلوم أهمية التوحيد وخطورة الشرك، قال حافظ حكمي: (والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والتوحيد الطلبي القصدي الإرادي وهو توحيد الإلهية وكثير من الآيات جاءت تخبر عن إكرامه سبحانه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء التوحيد، ومن الآيات ما تبين حال أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده)[1].

هذا وقد تكاثرت النصوص الشرعية في الدعوة إلى التوحيد قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ

(١) معارج القبول، حافظ حكمي، ص ١٢٢/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢] ودعو التوحيد هي دعوة كل الأنبياء لأقوامهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٣] وقد بين الله تعالى أنه يغفر كل شيء إلا الشرك به قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

قال ابن عثيمين: (ومن فوائد التوحيد أنه أكبر دعامة للرغبة في الطاعة لأن الموحد يعمل لله سبحانه وتعالى، وعليه فهو يعمل سرًا وعلانية أما غير الموحد كالمرائي مثلاً يفعل الطاعة إذا كان عنده من يراه.

والموحدون لهم الأمن وهم المهتدون قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[٥] فمن فضائل التوحيد استقرار الأمن)[٦]. وقال د. صالح الفوزان: (وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد؛ لأن القرآن إما خبر عن الله سبحانه وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الأُلوهية؛ وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة وهذا هو جزاء التوحيد، وإما خبر عن أهل الشرك وجزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع وهذا من حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده. وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: "لا

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٦) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ص ٧١/١.

إله إلا الله" فإنها تتضمن نفيًا وإثباتًا. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده، كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه، ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين)[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: الإجابة عن أسئلة المدعوين:

حيث أجاب الرسول الكريم عن أسئلة الأعرابي الذي جاء يسأل عن الموجبتين وهذا من ألزم واجبات الداعية، لأنه المفترض فيه أنه العالم بأحكام الدين، وأحكام الحلال والحرام وقد بين الله أنه أنزل الذكر لبيانه للناس قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]. وحذر الله من كتمان العلم فقال جل شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٣].

قال القرطبي: (قال الحسن وقتادة: هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة وقال محمد بن كعب: لا يحل للعالم أن يسكت على علمه، ولا للجاهل أن يسكت على جهله وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية. وقال الحسن بن عمارة: أتيت الزُّهري بعدما ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت: إن رأيت أن تحدثني فقال: أما علمت أني تركت الحديث؛ فقلت إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك قال: حدثني قلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلّموا حتى أخذ على العلماء أن يعلّموا. قال: فحدثني أربعين حديثًا)[٤].

---

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ١/١٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/٤٥٨.

الحديث رقم (٤١٥)

٤١٥- وعن أنس رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ ومعاذ رديفه عَلَى الرَّحْل، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: (يَا مُعَاذُ) قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وسَعْدَيْكَ، ثَلاثًا، قَالَ: (مَا مِنْ عَبْدٍ[1] يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار) قَالَ: يَا رَسُول الله، أفَلاَ أخْبِرُ بِهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: (إذًا يَتَّكِلُوا) فأخبر بِهَا مُعاذٌ عِنْدَ موتِه تَأثُّمًا. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

رديفه: راكب خلف رسول الله ﷺ[3].

الرَّحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب[4].

لبيك: تعني الإجابة والإقامة على الطاعة[5].

سعديك: أي إسعادًا لك بعد إسعاد[6].

تأثمًا: خوفًا من الإثم في كتم هذا العلم[7].

---

(١) لفظ البخاري: (أحد) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٩٨/١، رقم ٦٣٩ وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨ واللفظ له، ومسلم ٢٢/٥٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٥٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٣/١.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ح ل).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ل ب ى).

(٦) المرجع السابق ٢٨٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٣٠.

(٧) رياض الصالحين ٢٠٦.

الشرح الأدبي

دلالة الحال التي كان عليها النبي ﷺ وصاحبه تدل على تواضع النبي ﷺ وحسن خلقه فلم يتكبر، ولم يتجبر، فركب الدابة وحده، أو مع غيره، كما تدل على المودة، والتقريب لصاحبه معاذ رضي الله عنه يدل على ذلك نداؤه الحنون: (يَا مُعَاذُ) مع قربه منه بأداة نداء البعيد إشارة لارتفاع مكانته عنده، ثم تكرار النداء الذي يعكس كمال الحرص على وصول الخير إليه، ثم كرره مرة ثالثة، وفي هذا التكرار دلالة على أهمية ما يتلوه، مع ما فيه من تشويق، وما يثيره من ترقب في نفسه، وكانت إجابة معاذ رضي الله عنه بعد كل نداء (: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ) وهي إجابة مفعمة بالمحبة، والتكريم، والإجلال، لأن معنى لبيك أي تلبية لك بعد تلبية، فهي مبالغة في إجابة المنادي مع ما فيها من مودة، ورغبة في استطالة الخطاب، ولذلك صارت نداء الحاج لربه في أكثر المواقف خشوعاً في مواسم الخير، وخير البقاع، ثم نداء الرسول ﷺ مع قربه ب(يا) دلالة على علو مكانته، ونداؤه بلقبه دون اسمه، وإضافته إلى ربه، ثم قوله (سعديك) وهي كلمة تفيض بالمودة، والإعزاز، ومعناها إسعاداً لك بعد إسعاد، وقد ساق النبي ﷺ له البشارة بعد أن تيقن أنه في قمة اليقظة، والاستشراف، بتحريم النار على من نطق الشهادتين صدقاً، وعبَّر بالمصدر، ولم يقل صادقاً للمبالغة كأنه صيغ عند قولها من صدق، وقد جاءت البشارة في ثوب القصر الذي يؤكد المعنى، وقول معاذ (أفَلاَ أخْبِرُ بهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا) استفهام بغرض الاستئذان علله بجملة (فيستبشروا) وتقديم الجار والمجرور في جملة الاستفهام على المفعول للعناية، والاهتمام، وقول الرسول ﷺ (إذاً يتكلوا) جملة شرطية محذوفة فعل الشرط، وتقديره إذا أخبرتهم يتكلوا، وهو من حرص الرسول ﷺ على حمل الناس على الاجتهاد، وعدم الاتكال على فضل الله دون عمل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب.

ثانيًا: من آداب المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية.

ثالثا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والتصديق بالقلب.

خامسًا: من واجبات الداعية: عدم كتمان العلم.

سادسًا: من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب:

١- النداء: حيث جاء في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ" وأسلوب النداء يؤدي إلى لفت انتباه المدعو، ليصغى إلى المنادي بالإضافة إلى أن النداء يشعر المُنادى باهتمام المُنادي، لأنه خصّه بالنداء من بين سائر المدعوين، قال الإمام الشاطبي: "وفي الاستعمال القرآني إذا كان النداء من الله للعباد أثبات حرف النداء "يا" للدلالة على معنيين، الأول: إثبات التنبيه لمن شأنه الغفلة والإعراض والغيبة وهو العبد، والدلالة على ارتفاع شأن المنادي وأنه منزه عن مداناة العباد، إذ هو في دنوه عال، وفي علوه دان سبحانه[1].

٢- الترغيب: لقد جاء هذا الأسلوب في الحديث: "فيستبشروا" ومما هو معلوم أن أسلوب الترغيب مما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام عليهم السلام[2].

---

(١) الموافقات ٢/١٦٤.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

ثانيًا- من آداب المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية:

إن من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المدعو: التلطف والتأدب مع الداعية، يتضح ذلك فيما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "لبيك يا رسول الله وسعديك"، مما يؤكد على أهمية تأدب وتلطف المدعو مع الداعية واحترامه له، قال الإمام الماوردي: "اعلم أن للمتعلم في زمان تعلمه تملقًا وتذللاً، إن استعملهما غنم، وإن تركهما حرم لأن التملق للعالم يظهر مكنون علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا يعرف فضل أهل العلم إلا أهل الفضل" وقال بعض الحكماء: (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذل الجهل أبدًا)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة رضي الله عنهم:

إن للصحابة فضلاً عظيمًا ومنزلة سامية، وفي الحديث ما يدلل على فضل ومنزلة معاذ بن جبل رضي الله عنه بين الصحابة ويظهر هذا من الحديث من قول النبي ﷺ ثلاث مرات: "يا معاذ" ولمعاذ بن جبل رضي الله عنه مناقب كثيرة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، ... وَأَعْلَمُهُم بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ))[2].

قال ابن حجر: (هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال أبو إدريس الخولاني: كان أبيض وضيء الوجه براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه، وكان لا يسأل الله شيئًا إلا أعطاه، وعدّه أنس بن مالك فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وقال أبو نعيم في الحلية إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدرا والمشاهد وكان من أفضل شباب الأنصار حلما وحياء وسخاء حتى أنه لم يزل يدان حتى أغرق ماله كله في الدين فذهب غرماؤه به

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨١).

لرسول الله ﷺ، فأرسله إلى اليمن وقال له لعل الله أن يجبرك ويؤدي عنك دينك، فخرج إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي رسول الله ﷺ، وقال عمر عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، ولولا معاذ لهلك عمر، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر وعاش أربعا وثلاثين سنة)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد والتصديق بالقلب:

إن لكلمة التوحيد فضلاً كبيرًا، ومما يؤكد ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار"، إن هذا الحديث تتجلى فيه عظمة كلمة التوحيد وثمرتها العظيمة في الآخرة، وبُشراها الكريمة في الجنة.

قال ابن حجر: (قوله: "صدقا" فيه احتراز عن شهادة المنافق. وقوله: "من قلبه" يمكن أن يتعلق بصدقًا أي يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بيشهد أي يشهد بقلبه والأول أولى).

وقال الطيبي: (قوله: "صدقا" أقيم هنا مقام الاستقامة؛ لأن الصدق يعبر به قولاً عن مطابقة القول المخبر عنه، ويعبر به فعلاً عن تحري الأخلاق المرضية كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[2]، أي حقق ما أورده قولا بما تحراه فعلا انتهى.

وأراد بهذا التقرير رفع الإشكال عن ظاهر الخبر؛ لأنه يقتضي عدم دخول جميع من شهد الشهادتين النار لما فيه من التعميم والتأكيد، لكن دلت الأدلة القطعية عند أهل السنة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فعلم أن ظاهره غير مراد، فكأنه قال: أن ذلك مقيد بمن عمل الأعمال الصالحة قال

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٢٥٢، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢٩/٢١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٠٢١/١، وتاريخ دمشق ٤٣١/٥٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٣.

ولأجل خفاء ذلك لم يؤذن لمعاذ في التبشير به.

وقد أجاب العلماء عن الإشكال أيضا بأجوبة أخرى منها أن مطلقه مقيد بمن قالها تائبًا ثم مات على ذلك.

ومنها أن ذلك كان قبل نزول الفرائض، وفيه نظر؛ لأن مثل هذا الحديث وقع لأبي هريرة كما رواه مسلم وصحبته متأخرة عن نزول أكثر الفرائض، وكذا ورد نحوه من حديث أبي موسى رواه أحمد بإسناد حسن، وكان قدومه في السنة التي قدم فيها أبو هريرة.

ومنها أنه خرج مخرج الغالب إذ الغالب أن الموحد يعمل الطاعة ويجتنب المعصية.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار تحريم خلوده فيها لا أصل دخولها.

ومنها أن المراد النار التي أعدت للكافرين لا الطبقة التي أفردت لعصاة الموحدين.

ومنها أن المراد بتحريمه على النار حرمة جملته؛ لأن النار لا تأكل مواضع السجود من المسلم كما ثبت في حديث الشفاعة أن ذلك محرم عليها، وكذا لسانه الناطق بالتوحيد والعلم عند الله تعالى.

وروى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذه القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم إذن لمعاذ في التبشير فلقيه عمر فقال: لا تعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله أنت أفضل رأيا، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها قال: فردَّه.

وهذا معدود من موافقات عمر.

قوله: (عند موته) أي موت معاذ وأغرب الكرماني فقال يحتمل أن يرجع الضمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ويردُّه ما رواه أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال أخبرني من شهد معاذًا حين حضرته الوفاة يقول: سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا لم يمنعني أن أحدثكموه إلا مخافة أن تتكلوا سمعته يقول: ((من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه أو يقينًا من قلبه، لم يدخل النار أو دخل الجنة))[1].

قوله: "تأثما" هو بفتح الهمزة وتشديد المثلثة المضمومة أي خشية الوقوع في الإثم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣٦/٥ رقم ٢٢٠٦٠ وقال محققو المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ٣٨١/٣٦ - ٣٨٢.

ودلَّ صنيع معاذ على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم وإلا لما كان يخبر به أصلا أو عرف أن النهي مقيد بالاتكال، فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك وإذا زال القيد زال المقيد والأول أوجه لكونه أخَّر ذلك إلى وقت موته.

وقال القاضي عياض: لعل معاذًا لم يفهم النهي لكن كسر عزمه عما عرض له من تبشيرهم.

قلت والرواية الآتية صريحة في النهي فالأولى ما تقدم[1].

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الإيمان والتوحيد يجب أن يتبعه تصديق بالقلب وعمل بالجوارح، "لقد بيّن الله سبحانه لعباده حقيقة الإيمان الذي تقبل به الأعمال ويتحقق به ما وعد الله المؤمنين، ولذا فالإيمان الحق هو الذي يشتمل على العقيدة الثابتة التي لا يخالطها شك، العمل الذي صدق العقيدة وهو ثمرتها والعمل أنواع: عمل القلب مثل: الخوف من الله، وعمل اللسان مثل نطق الشهادتين، وعمل الجوارح مثل الصلاة والزكاة، فإذا أردنا الفوز بتحقيق الإيمان فعلينا أن نقيمه تصديقًا ثابتًا في القلوب، وعملاً في القلوب، وقولاً باللسان وعملاً بجوارحنا[2]، وقال د. القرضاوي: (إن الإيمان في حقيقته ليس مجرد عمل لساني ولا عمل بدني ولا عمل ذهني، إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان، ولا بد أن يتبع تلك المعرفة، وهذا الإذعان حرارة قلبية وجدانية تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس)[3].

خامسًا- من واجبات الداعية: عدم كتمان العلم:

إن من واجبات الداعية عدم كتمان العلم ونشره بين الناس، حيث جاء في الحديث: (فأخبر بها معاذ عند موته تأثما)، قال النووي: (تأثم الرجل إذا فعل فعلاً يخرج به من الإثم، وتحرج أزال عنه الحرج، وتحنث أزال عنه الحنث، ومعنى تأثم معاذ أنه كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٢٦-٢٢٧.

(٢) الإيمان، عبدالمجيد الزنداني ص ١٥ - ١٦.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ١٥ - ١٦.

يحفظ علمًا يخاف فواته وذهابه بموته، فخشي أن يكون ممن كتم علمًا، وممن لم يمتثل أمر رسول الله ﷺ في تبليغ سنته فيكون آثمًا، فاحتاط وأخبر بهذه السنة مخافة من الإثم، وعلم أن النبيّ ﷺ لم ينهه عن الإخبار بها نهي تحريم)[١]، هذا وقد جاء توجيه الرسول ﷺ بتبليغ العلم فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[٢]، ومن هنا وجب على الدعاة عدم كتمان العلم وتبليغه للناس.

سادسًا- من واجبات المدعو: السؤال عما يجهل:

يتضح هذا من الحديث في قول معاذ رضي الله عنه: (أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا)، وما من شك أن المدعو يجب أن يسأل عندما يجهل أمرًا من الأمور وقد أمر الله بهذا في القرآن قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٤]، وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((... قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٥]، قال شرف الحق العظيم آبادي: (وقوله في الحديث: "قتلوه" أسند القتل إليهم لأنهم تسببوا له بتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم، وقال: "قتلهم الله" زجرًا وتهديدًا. والعي هو التحيرُّ في الكلام وعدم الضبط، وقيل: الجهل والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[٦]. ولقد كان هذا من عادة الصحابة الكرام رضي الله عنهم أن يسألوا رسول الله ﷺ عما وقع لهم من أحداث، وما جهلوا من أمور.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

الحديث رقم (٤١٦)

٤١٦- وعن أَبي هريرة -أَوْ أَبي سعيد الخدري رضي الله عنهما- شكَّ الراويُّ[١] -(ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحَابيّ؛ لأنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ)[٢]- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تَبُوكَ، أصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا فَأكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**افْعَلُوا**))، فَجاء عُمَرُ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِن ادعُهُمْ بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بالبَرَكَةِ، لَعَلَّ الله أنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ (البَرَكَةَ)[٣]. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**نَعَمْ**)) فَدَعَا بنَطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بكَفِّ ذُرَة وَيَجيءُ[٤] بكَفِّ تمر وَيجيءُ الآخرُ بكِسرَة، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ[٥] بالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: ((**خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ**)) فَأَخَذُوا في أوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ[٦] فَضْلَةٌ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**)) رواه مسلم[٧].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) وهو الأعمش سليمان بن مهران.

(٢) هذا الكلام النووي.

(٣) (البركة) لا توجد عند مسلم.

(٤) عند مسلم زيادة: (الآخر).

(٥) عند مسلم زيادة: (عليه).

(٦) لفظ مسلم: (فضلت).

(٧) برقم ٢٧/٤٥.

غريب الألفاظ:

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كم، وقد توجه النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٩هـ إليها، وهي آخر غزواته[١].

نواضحنا: هي الإبل التي يستقى عليها، واحدها ناضح[٢].

وادَّهنَّا: أي اتخذنا دهنًا من شحومها[٣].

الظَّهرُ: هي الدواب لكونها يركب على ظهرها[٤].

الفضلة: البقيَّةُ[٥].

أزوادهم: الطعام المتخذ للسفر، مفردها: زَوْد، وزاد[٦].

بنطع: بساط من الجلد، والجمع: أنطاع ونطوع وأنطع[٧].

الشرح الأدبي

قول الراوي الأعلى (شك الراوي - ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحَابيّ؛ لأنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ) هذا من ناحية صحة الرواية، ومن الناحية البيانية نقول لا يضر الشك في عين الصحابي؛ لأنهم كلهم فصحاء، وسمت الكلام الأول يتفق في الفصاحة، ويتفاوت في درجتها بحسب طبيعة كلٍ، والحديث يتناول حدثاً نبوياً يبدو فيه الإعجاز النبوي، ويبدوا خلال قصة الحديث مدى لين النبي ﷺ لأصحابه، ومشاركتهم الرأي مع أنه يتحرك بوحي الله، وقول الصحابي رضي الله عنه (لَوْ أذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا فَأكَلْنَا

---

(١) أطلس الحديث النبوي ٨٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨.

(٣) المرجع السابق ١٠٨.

(٤) المرجع السابق ١٠٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ح).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ف ض ل).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٦، واللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ز و د).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ط ع).

وَادَّهَنَّا؟) أسلوب استفهام تلوح فيه أمنية الحصول على الموافقة التي تخرجهم مما هم فيه من الجوع، وقول الرسول ﷺ (افعلوا) أمر إباحة، وقد جاء حوار عمر بن الخطاب ﷺ في قمة الأدب دل على ذلك نداء الرسول ﷺ مع قربه ب(يا) دلالة على علو مكانته، ونداؤه بلقبه دون اسمه، وإضافته إلى ربه (يَا رَسُول الله)، ثم استخدام أسلوب الشرط الذي يعرض الأمر بعاقبته، ويترك للمخاطب حرية الاختيار بعد بيان العاقبة (إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ) ثم إنه استخدم المجاز المرسل تأدباً مع الرسول ﷺ لكي لا ينسب له فعل التقليل، ونسبه إلى الظهر الذي هو المفعول، ثم إنه استخدم (إن) كأداة شرط لإحساسه بعدم تحقق الوقوع؛ لأنه قد يضر بالمصلحة العامة في نظره، ثم أسلوب الأمر بغرض النصح، والإرشاد (ادعُهُمْ بفَضلِ أزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بالبَرَكَةِ) ثم أسلوب الرجاء الذي تكمن فيه الغاية (لَعَلَّ الله أنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ) وقول الرسول ﷺ ((خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ)) أمر تكريم، وقول الراوي (فَأَخَذُوا في أوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ) يدل على عظمة البركة والذي عبر عنه باستخدام (حتى)مرتين بياناً للغاية التي انتهوا إليها في الكفاية ببركة دعاء رسول الله ﷺ، ولذلك جاء نطقه بالشهادتين تذكيراً بمرجع الفضل، وأثر التوحيد (أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَأنّي رَسُولُ الله)، وإشارة إلى امتداد العطاء لكلمة التوحيد في الآخرة (لا يَلْقَى الله بهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ).

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة لينر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله.

٢- لا ينبغي لأهل العسكر من الغزاة أن يضيعوا دوابهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة، أو خاف مفسدة ظاهرة.

٣- جواز الإشارة إلى الأئمة والرؤساء، وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه

إذا ظهرت مصلحته عنده، وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله[١].

٤- أشار هذا الحديث إلى حكم الذبح: وهو أنه لا يحل الأكل من الحيوان الجائز أكله إلا بالذبح والتذكية، وهي قطع الحلقوم والمريء "الودجين" غير أنه يجوز العقر في الحيوان البحري "السمك والجراد" لأنه غير مقدور عليه[٢].

٥- أشار هذا الحديث إلى حكم المجاعة: والمجاعة من ناحية الأحكام الفقهية تأخذ أحكام الضرورات لكن تقدر هذه الضرورة بقدرها وتنزل منزلة الحاجة[٣].

٦- أشار هذا الحديث إلى مفهوم البركة وقد ورد هذا المفهوم في باب الوليمة والزكاة وهو أنه يستحب إجابة الداعي والدعاء له بالبركة، كما أنه تستحب التسمية على الأكل لتحل البركة، كما أن في إخراج الزكاة سبب لحلول البركة[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك.

ثانيًا: من آداب المدعو: التلطف في الخطاب مع الداعية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكثير الطعام بين يديه ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الرجاء في رحمة الله تعالى.

سادسًا: من حقوق المدعو: إبداء الرأي والمشورة.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك:

لقد جاهد النبي ﷺ لتبليغ كلمة الإسلام، ولا أدل على ذلك من هذه الغزوات التي غزاها ﷺ. وقد جاء في هذا الحديث الإشارة إلى غزوة تبوك في قول الراوي: "لما كان غزوة تبوك" قال ابن عبدالبر: (وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع، وخرج

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٩٦/١ وما بعدها.

(٢) الفروع، ابن مفلح ٣١٣/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣١٧/٩.

(٣) المجموع شرح المهذب، النووي ٢١٠/٩، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١١٩/٩.

(٤) حاشيتا قليوبي وعميرة ٢٩٩/٣، وتحفة المحتاج ٤٣٤/٧.

الرسول ﷺ فيها إلى غزوة الروم وهي آخر غزوة غزاها ﷺ بنفسه وكان خروجه في تلك الغزوة في حر شديد، وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب وتخلف المنافقون عنها، ودعا رسول الله إلى الإنفاق، وأنفق فيها عثمان نفقة عظيمة جهّز بها جماعة من المعسرين في تلك الغزوة، واستعمل رسول الله على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتخلّف في هذه الغزوة من صالحي المؤمنين ثلاثة: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية ونزل القرآن من سورة براءة والأحزاب بفضيحة المنافقين الذي كانوا يخذلون المسلمين)[1]، (ولما وصل جيش المسلمين تبوك لم يجدأحدًا هنالك لأن الروم لما بلغهم مسير هذا الجيش الذي يؤثر الموت على الحياة، فآثروا الإنسحاب إلى بلاد الشام ليتحصنوا بحصونها فلم ير النبي ﷺ داعيًا لتتبعهم داخل بلادهم وأقام عند الحدود يناجز من شاء أن يناجزه ويقاومه)[2]. ولاشك أن غزوة تبوك من الأحداث التاريخية المؤثرة في مسيرة الدعوة الإسلامية في العهد المدني، حيث اشتملت الغزوة على كثير من الدروس الدعوية الهامة التي يمكن الإفادة منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

ثانيًا- من آداب المدعو: التلطف في الخطاب مع الداعية:

يظهر هذا من الحديث من قول الصحابة رضي الله عنهم: "لو أذنت لنا" قال الإمام النووي: (هذا من أحسن آداب خطاب الكبار والسؤال منهم فيقال: لو فعلت كذا أوأمرت بكذا ومعناه لو كان خيرًا أولو كان صوابًا ورأيًا متينًا، أو مصلحة ظاهرة وما أشبه هذا؛ لأنه أجمل من قولهم للكبير: افعل كذا بصيغة الأمر)[3].

وبهذا يعلم أن من أدب المدعو أن يخاطب الداعية برفق ولين، ولطف جميل وقد أمر الله المسلمين بتوقير الداعي الأول ﷺ فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾[4] قال السعدي: (تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم)[5].

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، أبو شهبة، ٥٠٢/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٨.

(٤) سورة الفتح، آية: ٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

ثالثًا- من صفات الداعية: الرحمة والشفقة بالمدعوين:

إن صاحب القلب الرحيم تجتمع عليه القلوب وتهوى إليه الأفئدة ولذا كان من أهم صفات الداعية الرحمة؛ حيث قال النبي ﷺ لما استأذنوه "افعلوا" وما من شك في أن من أهم صفات الداعية الرحمة والشفقة بالمدعوين قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1] ولقد تكاملت في خلق رسول الله الرحمة والرأفة قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ولاشك أن الرحمة عاطفة شريفة وخليقة محمودة (فالرحمة فضيلة والقسوة رذيلة والرحمة تكون بالأبناء وبالآباء والأمهات وبالأقرباء، وتكون بأهل الدين من خلال إرشادهم إلى الخير وتعليمهم ما لم يعلموا وتكون الرحمة بالناس جميعًا فيحب الداعية لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها ومن كان رحيمًا رحمه الله وأسبغ نعمه عليه ظاهرة وباطنة)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكثير الطعام بين يديه ﷺ:

لقد أيد الله نبيه ﷺ بالكثير من المعجزات التي تؤكد نبوته ومن ذلك تكثير الطعام بين يديه؛ حيث جاء في الحديث "فدعا رسول الله ﷺ عليها بالبركة" وما من شك في أن هذا من دلائل النبوة التي أعطاها الله لرسوله ﷺ قال القرطبي: (وتكثير الطعام معجزة له ﷺ مما تضافرت به الروايات واشتهر عندأهل الديانات ونقله العدول الثقات ومن ذلك إطعامه يوم الخندق، وإطعامه في غزوة تبوك والأخبار في هذا الباب كثيرة[4] لا يجهل شيء منها وعند الوقوف عليها تعلم أن نبينا محمد ﷺ أعطاه الله عز وجل من المعجزات مثل ما كان أعطى الأنبياء قبله وزاده على ذلك)[5]. ومما هو

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٢٢.

(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٨٤/٦ وما بعدها.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، القرطبي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الحرمين، الرياض، بدون التاريخ والطبعة، ص ٣٥٦/٣.

جدير بالذكر: (أن النبي ﷺ بعث في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة التي يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيده الله به من المعجزات: تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى ثم بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية التي يحتاجون فيها للطعام والشراب إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نقلت إلينا بأصح طرق الرواية حيث كان الطعام الذي لا يكفي إلا القليل من الأفراد فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه ﷺ يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف. وقد وقع ذلك في مواقف متعددة)[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الرجاء في رحمة الله تعالى:

إن المسلم لا ملاذ له إلا الرجاء في رحمة الله والطمع في ثوابه وفضله ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة" وقد قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢] عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قبل وفاته بثلاثة يقول: ((لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ))[٣] قال ابن القيم: (والرجاء الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى وقال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة ولهذا أجمع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل فالرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير)[٤]. وقال الإمام أبو حامد الغزالي: (اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين، وأحوال الطالبين فإن العبد المجتهد في

---

(١) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، عبدالمجيد الزنداني ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢١٦.

الطاعات، المجتنب للمعاصي، حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة، وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة. وأما قبول التوبة إذا كان كارهًا للمعصية تسوءه السيئة، وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق التوبة، لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز و جل مع الإفراط.

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس)[1]

سادسًا- من حقوق المدعو: إبداء الرأي والمشورة:

يظهر هذا من قول عمر رضي الله عنه "يا رسول الله إن فعلت قل الظهر" قال النووي: (فيه جواز الإشارة على الأئمة والرؤساء وأن للمفضول أن يشير عليهم بخلاف ما رأوه إذا ظهرت مصلحته عنده وأن يشير عليهم بإبطال ما أمروا بفعله)[2] إن من حقوق المدعو إبداء الرأي والمشورة وقد وصف الله الجماعة المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3] وأمر رسوله الكريم فقال سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[4].

قال القرطبي: (قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعز له واجب هذا ما لا خلاف فيه. وقال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين،

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٤/٢٣١٨-٢٣١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٠٨.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكُتَّاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها وكان يقال: ما ندم من استشار وكان يقال: من أعجب برأيه ضلّ ولقد أحسن القائل:

شاور صديقك في الخفي المُشْكِلِ واقبل نصيحة ناصح مُتَفَضِّلِ

فالله قد أوصى بذاك نبيَّه في قوله: "شاورهم" و "توكلِ")[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٢٤٩-٢٥٠.

الحديث رقم (٤١٧)

٤١٧- وعن عِتْبَانَ بن مالك ﷺ وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدرًا ، قَالَ: كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَني سَالِم، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مسْجِدِهم، فَجِئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت لَهُ: إنّي أنْكَرْتُ بَصَرِي وَإنَّ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسيلُ إِذَا جَاءتِ الأمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أنَّكَ تَأتِي فَتُصَلِّي فِي[1] بَيْتِي مَكَانًا أتَّخِذُهُ مُصَلّى، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**سَأفْعَلُ**)) فَغَدَا[2] رسولُ الله ﷺ وَأَبُو بكر ﷺ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَاسْتَأذَنَ رَسُول الله ﷺ فَأذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: ((**أيْنَ تُحِبُّ أنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟**)) فَأشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ، فَصَلَّى رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ[3] تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أهلُ الدَّارِ أنَّ رَسُول الله ﷺ فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي البَيْتِ.

فَقَالَ رَجُلٌ[4]: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أرَاهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ[5]: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**لا تَقُلْ ذلِكَ، ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى**)) فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ، أمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إِلَى المُنَافِقِينَ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[6].

---

(١) لفظ البخاري: (من) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٣٢/١، رقم ٦٩٩.

(٢) عند البخاري زيادة: (عليَّ).

(٣) لفظ البخاري: (خزير).

(٤) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٥) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٦) أخرجه البخاري ١١٨٦ واللفظ له، ومسلم ٣٣/٢٦٣، كتاب المساجد، باب ٤٧، عقب الحديث رقم ٦٥٧/٢٦٢. وسيكرره برقم ١٥٣١.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

عِتبان بن مالك: هو عِتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان بن زيد الأنصاري الخزرجي السالمي.

كان من أهل المدينة الذين وسعوا المهاجرين من مكة وقد تركوا أموالهم ودورهم وكل ما يملكون، ابتغاء وجه الله وفرارًا بدينهم -وسعوهم لما قدموا المدينة بأنفسهم وأموالهم ودورهم وطعامهم وآثروهم على أنفسهم، فآخي النبي ﷺ بينه وبين الفاروق عمر بن الخطاب.

وشارك في الدفاع عن دولة الإسلام ورَفْع رايتها عالية، فشهد غزوة بدر، يوم الفرقان يوم نصر الله جنده وأعزهم وهزم الأعداء وأذلهم. وكان يؤم قومه بني سالم لكنه تعذر عليه أن يصلي بهم في مسجدهم بسبب ذهاب بصره والمطر والظلام، فطلب من النبي ﷺ أن يأتيه في بيته يصلي في مكان يتخذه مصلىً له كما في الحديث المذكور رقم (٤٢٢) وظلّ بالمدينة، وقد روى عنه الصحابيان أنس بن مالك ومحمود بن الربيع وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان[١].

غريب الألفاظ:

بدر: هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[٢].

اشتد النهار: أي علا وارتفعت شمسه[٣].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٥٠/٣ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٨٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٥١/٣ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٩٣/٥ تهذيب التهذيب، ابن حجر ٥٠/٣.

(٢) أطلس الحديث النبوي ٦٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش د د).

الخزيرةُ: دقيق يُطبخ بشحم[١].

فَثَابَ رجالٌ: جاؤُوا واجتمعُوا[٢].

وُدَّهُ: حُبَّهُ[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبين جانباً من رفق الرسول بأمته، ودماثة خلقه، وحرصه على سلامة صدورهم، وفضل كلمة التوحيد، ومما يدل على رفقه بأمته سرعة إجابته للرجل الذي أراد أن يتخذ مسجداً في بيته بسبب ضعفه، وصعوبة طريقه، وقوله (أنكرت بصري) كناية عن ضعف بصره أو عماه، وقول الرسول ﷺ - (سأفعل) فالسين تدل على المستقبل القريب، والفعل المضارع يدل على الحضور، وقول الرجل (فغدا رسول الله ﷺ) يدل على سرعة إجابته كما يدل قوله (- فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: ((أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟) على كمال أدب النبي ﷺ قولاً، وفعلاً حيث إنه لم يجلس حتى أذن له، وأشار إلى المكان الذي يريده أن يجلس فيه، وكذلك تعبير الرجل بقوله (فحبسته) يدل على لينه مع أصحابه، وتواضعه الجم، ويؤكد ذلك قول الصحابي (على خزيرة تصنع له) وهو طعام بسيط، وشهوده الحوار الذي دار بين الرجال في الدار حيث قال أحدهم (: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أَرَاهُ !) وهو استفهام تعجب تلوح منه سخرية، واستهزاء، وقول الآخر (: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللّه ورسولَهُ)خبر أريد به تقرير مضمونه، وهو لون من الرجم بالغيب، وغفلة عن أثر كلمة التوحيد، ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ (لا تَقُلْ ذلِكَ)، واستخدامه اسم الإشارة للبعيد مع قربه في الحديث تعظيماً للفعل، تلاه استفهام تنبيه، وتعليم، (ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللّه) وقوله: (يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجهَ اللّه تَعَالَى) تكميل بلاغي أفاد نكتة زائدة عن مضمون الكلام السابق، تفيد كونه مخلصاً وقول الرجل (أمَّا نَحْنُ فَوَاللّهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إِلَى المُنَافِقِينَ!) فيه دلالة على إصراره على ما

---

(١) رياض الصالحين ٢٠٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٠٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (و د د).

اعتقده فيه فجاءت عبارة النبي ﷺ مبنية على التوكيد (فإنَّ اللّه قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللّه يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ اللّه) ليؤكد أثر كلمة التوحيد، وفضلها على العبد بتحريمه على النار، ومن ثم فليس له إلا الجنة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- إمامة الزائر للمزور: وفيه خلاف بين الفقهاء، فذهب أكثر أهل العلم إلى جواز إمامة الزائر للمزور إذا أذن له، بينما ذهب إسحاق إلى أن صاحب المنزل أحق بالإمامة من الزائر، فلا يصلي أحد بصاحب المنزل وإن أذن له، لكن هذا لا يجوز لأن الإمامة حق له فله نقلها إلى من شاء ولا بأس بنقلها قاله أحمد[١].

٢- إمامة الأعمى: وهي صحيحة بالإجماع إلا ماحكي عن أنس أنه قال: "ما حاجتهم إليه"[٢] وقول ابن عباس كيف أؤمهم وهم يعدلونني إلى القبلة؟[٣] والصحيح عنه أنه كان يؤم وهو أعمى[٤].

٣- التخلف عن الجماعة: اتفق الفقهاء على جواز التخلف عن الجماعة للعذر نحو المطر والظلمة أو الخوف على نفسه، أما من تخلف لغير عذر فقد بخس نفسه حظها[٥].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٦٨/٣، والاستذكار ٣٦٠/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٧٤/١، وحاشية الخرشي ٤٩٠/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٧٠/٢، ومغني المحتاج ٢٤٤/١، ودقائق أولي النهى ٢٧١/١.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢١٥/٢.

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٣٩٦/٢ رقم ٣٨٣٣، وابن أبي شيبة ٢١٥/٢. كما روى ابن أبي شيبة الكراهة عن سعيد بن جبير.

(٤) الإجماع لابن المنذر ٩، والمبسوط ٤٠/١، وبداية المجتهد ٢٢١/١، الأم، الإمام الشافعي ٢٩٣/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٦٠/٢. وقد كره الحنفية والحنابلة إمامة الأعمى إلا أن يكون أعلم القوم فلا كراهة. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١١/٦-٢١٢، ٢٩٧/٣٠.

(٥) الاستذكار ٣٦١/٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٥/٤، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٠/٣، وحاشية الخرشي ٣٣/٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٢٦/١، والشرح الكبير ٨٣/٢ وما بعدها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستزادة من الخير والبركة بأفعال النبي ﷺ والاقتداء به.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الاستجابة للرغبة المشروعة للمدعوين.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع واحترام رغبة المدعو.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن اتهام الناس بالنفاق.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل شهادة التوحيد.

سادسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستزادة من الخير والبركة بأفعال النبي ﷺ والاقتداء به:

إن الرسول الكريم هو الأسوة الحسنة للأمة جميعًا ولقد كان الصحابة الكرام أشد الناس حرصًا على اتباع هدي النبي ﷺ والاقتداء به ويتضح هذا من طلب عتبان بن مالك رضي الله عنه من النبي ﷺ "أن يصلي في بيته، ويتضح أيضًا من اجتماع الرجال في بيت عتبان للقاء رسول الله ﷺ" قال النووي: (وفي الحديث التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة في المواضع التي صلوا بها وطلب التبريك منهم وفيه: أنه يستحب لأهل المحلة وجيرانهم إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضروا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه)[1].

وقال ابن عثيمين: (ومن فوائد هذا الحديث محبة الصحابة رضي الله عنهم للرسول ﷺ والجلوس إليه لأنهم لما علموا أنه عند عتبان بن مالك ثابوا إليه، واجتمعوا عنده ليتعلموا منه، وينالهم من بركة علمه)[2]. ومما لاشك فيه أن الرسول الكريم هو القدوة لكل المسلمين قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٦٥/١.

وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١] وحرص الصحابة رضي الله عنهم على اللقاء برسول الله والاستزادة منه لأن في اتباعه رضا الله ومحبته قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢].

(وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله هو طاعته واتباعه والاقتداء به واستعمال سنته واتباعه أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره، ومنشطه ومكرهه فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية ولا تتصور بمعناها الصحيح)[٣] ومن هنا وجب على الدعاة الهداة دعوة المسلمين إلى وجوب متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به لسعادة الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من واجبات الداعية: الاستجابة للرغبة المشروعة للمدعوين:

يتضح هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم "سأفعل" وفي تصرف النبي صلى الله عليه وسلم استجابة لرغبة مشروعة من أحد المدعوين، ولاشك أن هذا يؤثر تأثيرًا بالغًا في نفس المدعو عندما يشعر بالاهتمام من الداعية والاستجابة لطلبه، ومن ثم يستجيب المدعو للنصيحة والإرشاد (إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويدفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه، وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية، وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه)[٤].

قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من كانت حاله مثل حال عتبان بن مالك، فإنه معذور بترك الجماعة وله أن يصلي في بيته، مثل أن يكون بينه وبين المسجد وادٍ لا يستطيع العبور معه، فإنه معذور.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ٦٦، ٦٧.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٤١٤.

ومنها: جواز قول الإنسان سأفعل في المستقبل، إذا قال ستأتينا غدًا، قال: سآتيك وإن لم يقل إن شاء الله. فإن قال قائل: ما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[1]، لشيء: عام سواء من فعل الله أو من فعلك؟

قلنا: إن الذي يقول سآتيك غدًا له نيتان:

النية الأولى: أن يقول هذا جازمًا بالفعل، فهذا لا يقوله إلا أن يقول إن شاء الله؛ لأنه لا يدري أيأتي عليه الغد أو لا، ولا يدري هل إذا أتى عليه الغد يكون قادرًا على الإتيان إليه أو لا، ولا يدري إذا كان قادرًا، يحول بينه وبينه مانع أو لا.

النية الثانية: إذا قال: سأفعل، يريد أن يخبر عما في قلبه من الجزم دون أن يقصد الفعل؛ فهذا لا بأس به؛ لأنه يتكلم عن شيء حاضر، مثل: لو قيل لك: هل ستسافر مكة؟ قلت: نعم سأسافر، تريد أن تخبر عما في قلبك من الجزم، هذا شيء حاضر حاصل، أما إن أردت الفعل، أنك ستفعل يعني سيقع منك هذا، فهذا لا تقل فيه سأفعل إلا مقرونًا بمشيئة الله.

ومنها: أن الإنسان يعذر بترك الجماعة فيما إذا كان بينه وبين المسجد ما يشق عليه من وحل أو ماء أو غيره، وقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان ينادي مناديه في الليلة المطيرة؛ أن صلوا في رحالكم، يعني في أماكنكم، وذلك من أجل أن لا يشق على الناس، فأما إذا كان ماء بلا مشقة وبلا دحر ووحل؛ فإنه لا يعذر الإنسان بترك الجماعة.

ومن فوائد حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه: أن المصلي الذي يكون في البيت لا يكون له حكم المسجد، فلو أن الإنسان اتخذ مصلى في بيته لا يصلي إلا فيه، فليس بمسجد، سواء حجره أو لم يحجره.

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٣-٢٤.

وعلى هذا فلا تثبت له أحكام المسجد؛ فيجوز للإنسان أن يبقى فيه وهو جنب، وإذا جلس فيه لا يلزمه تحية المسجد، فكل أحكام المسجد لا تثبت له، وإذا أراد أن يعتكف فيه؛ لم يصح اعتكافه. حتى لو كانت امرأة ولها مسجد في بيتها، فإنها لا تعتكف فيه.

ومن فوائد حديثه رضي الله عنه: أنه يجوز أن تقام الجماعة في النوافل؛ لكن ليس دائمًا بل أحيانًا، فإن النبي ﷺ لما أراه عتبان المكان الذي يصلي فيه، تقدم وصلى بهم ركعتين وصلوا خلفه، فإذا صلى الإنسان الراتبة مثلاً أو سنة الضحى، إذا صلاها جماعة؛ فلا بأس بذلك أحيانًا.

وثبت عنه ﷺ أنه صلى معه ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الليل، وصلى معه ابن مسعود، وصلى معه حذيفة، لكن ليس دائمًا. فصلاة الجماعة نفلاً أحيانًا لا بأس بها.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا بأس أن يتخذ الإنسان مصلى يعتاد الصلاة فيه في بيته، ولا يقال إن هذا مثل اتخاذ مكان معين في المسجد لا يصلي إلا فيه، فإن هذا منهي عنه، يعني ينهى الإنسان أن يتخذ في المسجد مكانًا لا يصلي إلا فيه، مثل أنه لا يصلي النافلة، لا تحية المسجد ولا غيرها إلا فيه، فإن النبي ﷺ نهى عن استيطان كاستيطان البعير، يعني عن اتخاذ موطنٍ كأعطان الإبل، تأوي إليه وتبيت فيه.

ومن فوائد هذا الحديث: محبة الصحابة لرسول الله ﷺ والجلوس إليه؛ لأنهم لما علموا أنه عند عتبان بن مالك ثابوا إليه، واجتمعوا عنده، ليتعلموا منه، وينالهم بركة علمه عليه الصلاة والسلام[1].

قال العلامة العيني: ذكر ما يستنبط منه من الأحكام والفوائد منها:

جواز إمامة الأعمى، ومنها جواز التخلف عن الجماعة للعذر نحو المطر والظلمة أو الخوف على نفسه، ومنها أن فيه إخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة وليس يكون من الشكوى، ومنها جواز اتخاذ موضع معين للصلاة.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٧٦٣ - ٧٦٥.

وأما ما جاء من النهي عن إيطان موضع معين من المسجد.

قلت: هو محمول على ما إذا استلزم رياء ونحوه.

ومنها أن فيه تسوية الصفوف.

وفيه جواز الإمامة بصاحب البيت، قال بعض أهل العلم: إذا أذن له فلا بأس أن يصلي به. وقال اسحق: لا يصلي أحد بصاحب المنزل وإن أذن له صاحب المنزل وكذلك صاحب المنزل لا يصلي بهم في المسجد إذا زارهم يقول ليصلي بهم رجل منهم.

وقال مالك: يستحب لصاحب المنزل إذا حضر فيه من هو أفضل منه أن يقدمه للصلاة.

وقد روي عن أبي موسى أنه أمر ابن مسعود وجذبه في داره.

وقال أبو البركات ابن تيمية: أكثر أهل العلم على أنه لا بأس بإمامة الزائر بإذن ربِّ المنزل.

وفيه أن المسجد المتخذ في البيوت لا يخرج عن ملك صاحبه بخلاف المسجد المتخذ في المحلة.

وفيه الوفاء بالعهد وفيه صلاة النافلة في جماعة بالنهار، وفيه إكرام العلماء إذا دعوا إلى شيء بالطعام وشبهه، وفيه التنبيه على أهل الفسق والنفاق عند السلطان.

وفيه أن السلطان يجب عليه أن يستثبت في أمر من يذكر عنده بفسق ويوجه له أجمل الوجوه، وفيه أن الجماعة إذا اجتمعوا للصلاة وغاب أحد منهم أن يسألوا عنه، فإن كان له عذر وإلا ظن به الشر وهو مفسر في قوله: لقد هممتُ أن آمر بحطب.

وفيه جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة الفرض، وفيه إمامة الزائر المزور برضاه وفيه أن السنة في نوافل النهار ركعتان.

وفيه جواز استتباع الإمام والعالم أصحابه، وفيه الاستئذان على الرجل في منزله وإن كان قد تقدم منه استدعاء، وفيه أنه يستحب لأهل المحلة إذا ورد رجل صالح إلى منزل بعضهم أن يجتمعوا إليه ويحضروا مجلسه لزيارته وإكرامه والاستفادة منه، وفيه الذبُّ عمن ذُكر بسوء وهو بريء منه.

قال السيوطي: قوله: (أين تحب أن أصلي من بيتك) فيه أنه لا بأس بملازمة الصلاة في موضع معين من البيت وإنما نهي عن ذلك في المسجد خوفا من الرياء[1].

---

(١) الديباج على مسلم (٢/٣٠٠).

ثالثًا- من صفات الداعية: التواضع واحترام رغبة المدعو:

إن من أهم صفات الداعية التواضع للمدعوين ولين الجانب لهم وخفض الجناح معهم وعدم التكبر عليهم، لأن التكبر من شأنه أن ينفر المدعوين. ويتضح هذا مما ورد في الحديث: "فحبسته على خزيرة تصنع له" وأيضًا قوله: "أين تحب أن أصلي من بيتك" قال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث أن الرسول الكريم كان على جانب كبير من التواضع؛ لأن عتبان حبسه على خزيرة[1] وهي نوع من الطعام ليس بذلك الجيد، وهذا ولاشك أن فيه تواضعًا من رسول الله ﷺ)[2]. وقد قال الله لنبيه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3] وقال سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[4] (إن الله تعالى علَّم نبيه كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه التواضع فالتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعمل فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، ولو لم يكن في التواضع سوى جعل صاحبه قادرًا على جذب من هم أكثر تفوقًا منه لكان مكسبًا كبيرًا)[5].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن اتهام الناس بالنفاق:

يظهر هذا من قول النبي ﷺ لا تقل ذلك ألا تراه قال: "لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" والنهي عن اتهام الناس بالنفاق لأنه عمل بالظن وقد نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[6] وجاء في الحديث عن

---

(١) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا، ويُصب عليه ماء كثير، فإذا نضج ذُرَّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عَصِيدة، هي حسًا من دقيق ودَسَم، وقيل: إذا كان من دقيق فهي حَرِيرَ، وإذا كان من نخالة فهو خزيرة. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٢٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٦٥/١.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار، ص ١٢٦.

(٦) سورة الحجرات، آية: ١٢.

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إيّاكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذَبُ الْحديث))[١] والأصل أنه علينا الظاهر والله يتولى السرائر، قال ابن مفلح: (وحسن الظن بأهل الدين حسن، وقد جعل النبي الظن أكذب الحديث والمراد استمراء ظن السوء وتحقيقه وهو لا يجوز، قال ابن عبدالبر: قال عمر بن الخطاب: لا يحل لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظن بها سوءًا وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا وقال أيضًا: لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه)[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل شهادة التوحيد:

حيث جاء في الحديث: "إن الله قد حرم النار على من قال لا إله إلا الله" وما من شك في أن هذه الكلمة لها فضل عظيم وشرف كبير وقد أمر الله بالعلم بها فقال سبحانه: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٣] ولذلك "فقد دلت الأحاديث الكثيرة، وأجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله هما الركن الأول للإسلام، وعليهما تبنى الأعمال، ولا يقبل أي عمل بدونهما ولذلك قال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقًا إلى الجنة وهربًا من النار فأصل الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان[٤].

ومعنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" أنه لا معبود بحق إلا الله، ولا يلجأ العباد ويضرعون في كل ما ينوبهم إلا إلى الله.

(فالعلم بمعنى هذه الكلمة العظيمة شرط في نفع صاحبها في الآخرة ودخول الجنة، وإن كان العلم يتفاوت، ومراتبه تختلف فإن أصل العلم بمعنى كلمة التوحيد من إثبات للألوهية لله وحده ونفيها عمن دونه ركن من أركان الإيمان باطنًا لا يثبت

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٦٦، ومسلم ٢٥٦٣.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٧٤.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) معنى لا إله إلا الله، الزركشي، تحقيق علي محي الدين القره داغي، طبع اللجنة الوطنية بالعراق، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ص ٣٥، ٣٦.

بدونه، وأما ظاهرًا فيجب إثبات الإسلام بنطقها وحمل أمر من ينطقها على السلامة حتى يتبين ما يناقضها)[١].

سادسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

حيث جاء في الحديث "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله" وما من شك في أن مهمة الدعاة الأولى هي بيان الحقائق ولقد أمر الله رسوله بذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] وأخبره أنه أنزل عليه الذكر لتبيين الحقائق للناس فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] وببيان الحقائق للمدعوين تقوم عليهم حجة البلاغ أمام الله يوم القيامة حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر أنه لم تبلغه الدعوة.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودًا من غير بخل، وأتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم إليه، ولانقرض عنهم بانقراضهم. ولصاروا على مرور الأيام جهالاً وبتقلب الأحوال وتناقضها أرذالاً)[٤].

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٨١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٨٧.

الحديث رقم (٤١٨)

٤١٨- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قدم[١] رَسُول الله ﷺ بسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى[٢]، إِذْ وَجَدَتْ صَبيًا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: ((أَتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟)) قُلْنَا: لاَ وَاللهِ. فَقَالَ: ((لله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

السبي: الأسرى[٤].

الشرح الأدبي

كان النبي ﷺ يستثمر كل شيء حوله، وكل حدث يقع ليقرر خلاله معنى من المعاني كما ورد في هذا في هذا الحديث الذي اتخذ من حنان الأم مثالاً تقريبياً لرحمة الله في مشهد عملي يقرره عن طريق القصة التي تتبعت المشهد من بدايته، وقوله (فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى) يدل على أنها في ذل، وقوله تسعى يدل على الحركة الدءوب، وقوله بعدها (إِذْ وَجَدَتْ صَبياً في السَّبْيِ) استخدام (إذ) يوحي بالمفاجأة، والفعل (وجدت) يدل على البحث، والتنقيب، وأنها افتقدته، وقوله (أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ) التعبير بالأخذ فيه التناول بسرعة، وتتابع الفاءات يدل على تسارع الأحداث مما يشي بشدة لهفة الأم إلى الصبي وقوله (فَقَالَ رَسُول الله ﷺ) يدل على مسارعة الرسول ﷺ لاستثمار الحدث، وهكذا يجب على كل داعية ناجح أن يتفاعل مع ما

---

(١) عند البخاري ومسلم زيادة: (على).

(٢) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (تبتغي).

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٢/٢٧٥٤ واللفظ لمسلم.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب ي).

حوله من أحداث تقع في الأمة، وقد جاء استفهامه في غاية البراعة (أَتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟) استفهام بمعنى الأمر أي أخبروني وفيه تنبيه إلى ما يريد تقريره، ولا ننسى أنه اختار نموذجاً أعلى للرحمة مما حوله، فاختار الأم مثال الوفاء، وفي تلك الحال التي يبلغ فيها تعلقها بصغيرها مداه، واختار الطرف الثاني، ولدها، وليس أي ولد، بل رضيع، وليس أي رضيع، بل رضيع كان مفقوداً في الأسر على وشك الهلاك، ثم إنها وجدته، فالتزمته، وضمته إلى صدرها ترضعه هذا الموقف تؤثر المرأة أن تؤخذ روحها، ولا يؤخذ ابنها، فما بالك إذا كانت تعلم أنه سيلقى في النار ؟، فضلا عن كونها تلقيه بنفسها، ثم إنه عبَّر بالطرح، وهو إلقاء المهمل، وبعد أن رسَّخ هذا المعنى في أذهانهم فضل عليه رحمة الله (للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا) فعبَّر بأفعل التفضيل، ولفظ العباد، وأضافهم لنفسه تشريفاً، واستخدم إشارة القريب لتمييز الأم أكمل تمييز، وذكر الولد، وأضافه إليها، والصورة تقرب للأذهان مدى عظمة رحمة الله تعالى - التي تملأ القلب طمأنينة، وإقبالاً عليه -والحمد لله على رحمته-.

فقه الحديث

١- جواز النظر إلى النساء المسبيات، لأن النبي ﷺ لم ينه عن النظر إلى المرأة المذكورة، بل في سياق الحديث ما يقتضي إذنه في النظر إليها.

٢- وفيه: ضرب المثل بما يدرك بالحواس، لما لا يدرك بها، لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب به المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقر بها النبي ﷺ للتابعين بحال المرأة المذكورة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل، والاستفهام.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والتوضيح بضرب المثل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣١.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل، الاستفهام:

١- التمثيل: حيث جاء في الحديث تمثيل رحمة الله برحمة الأم لولدها، ولله المثل الأعلى، ومما لا شك فيه أن أسلوب التمثيل يعمل على استحضار الصورة في الذهن كأنها ماثلة أمام العين، ويساعد على الإقناع بتقريب المعاني البعيدة، يقول الشيخ علي محفوظ: (وللتمثيل أثناء العظة أكبر الآثار في النفوس فإن المقصود من ضرب الأمثال والتمثيل أنها تؤثر في العقول ما لا يؤثره وصف الشيء ذاته ذلك بأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح)[1].

٢- الاستفهام: حيث جاء في الحديث "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار" وأسلوب الاستفهام من الأساليب التي تثير انتباه المدعو وتجذبه إلى متابعة الداعية وما أكثر الأساليب الحوارية الاستجوابية التي انتهجها نبي الرحمة محمد ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم، حيث كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى. وما هذا إلا ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى[2].

وفي هذا الحديث منهج الحوار بالسؤال والجواب والتمهيد للقول الصواب، وفيه أيضًا الاستفادة من مشهد المرأة التي تبحث عن صبي لها وهم في السبي فلما رأته احتضنته فأرضعته، ولاشك أنه مشهد مليء بالحنان والرحمة، ومن خلال هذا المشهد طرح النبي ﷺ ذلك السؤال الحكيم للتعليم، وقد أجاب الصحابة رضي الله عنهم بثقة وتأكيد، ثم بين النبي ﷺ لهم ما يريد أن يبشرهم من هذه الرحمة العظمى.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله بعباده:

في هذا الحديث بيان لشدة رحمة الله تعالى بعباده أجمعين، لأن رحمة الأم برضيعها معروفة، وهي مع شدة رحمتها برضيعها فإن الله تعالى أرحم بعباده أكثر وأكثر؛ لأن

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ص٩٧

هذه الرحمة التي تتصف بها الأم هي منبثقة من رحمة الله عز وجل، وهي رحمة واحدة من مائة رحمة؛ لأنه سبحانه أنزل رحمة واحدة يتراحم فيها الخلائق والبهائم والهوام، وأخَّر تسعًا وتسعين رحمة للآخرة، ومن هنا يتبين الفرق الشاسع بين رحمته سبحانه وتعالى بعباده وبين رحمة الأم برضيعها. وفي ذلك أمل عظيم برجاء رحمته سبحانه، من أجل ذلك ساق المصنف هذا الحديث عند هذا الباب ألا وهو باب الرجاء.

إن رحمة الله تسع الخلق أجمعين فهو سبحانه رحيم بعباده وقد جاء في الحديث "لله أرحم بعباده من هذه بولدها، قال ابن حجر: قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: لفظ العباد عام ومعناه خاص بالمؤمنين وهو كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾[1] فهي عامة من جهة الصلاحية وخاصة بمن كتبت له قال: ويحتمل أن يكون المراد أن رحمة الله لا يشبهها شيء لمن سبق له منها نصيب من أي العباد كان حتى الحيوانات وفيه: إشارة إلى أنه ينبغي للمرء أن يجعل تعلقه في جميع أموره بالله وحده، وأن كل من فرض أن فيه رحمة ما حتى يقصد لأجلها فالله سبحانه وتعالى أرحم منه فليقصد العاقل لحاجته، من هو أشد له رحمة[2].

وقال ابن عثيمين: وهذا الحديث من تمام رحمة الله تعالى وآيات ذلك كثيرة منها: هذه النعم التي تترى علينا وأعظمها نعمة الإسلام، فإن الله تعالى أضل عن الإسلام أممًا، وهدى عباده المؤمنين لذلك وهى أكبر النعم، ومنها: أن الله أرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل[3]. قال ابن القيم: (الرحمة سبب واصل بين الله عز وجل وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه وبها هداهم، وبها يسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم فبينهم وبينه سبب العبودية، وبينه وبينهم سبب الرحمة)[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٧٦٨.

(٤) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع وتوثيق، يسري السيد محمد، ص ١/١٤١.

والمؤمنون دائمًا يطلبون الرحمة من الله تعالى قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2] وبين سبحانه أن المؤمنين دائمًا يرجون رحمة الله فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] وذكر جل شأنه أن من دعاء الملائكة ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾[4] وأرشد سبحانه أن رحمته يختص بها من يشاء، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[5] وقال جل شأنه: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[6]، وذكر أن المؤمنين في الجنة في رحمة الله قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[7].

ويستنبط من الحديث بأن الله تعالى أيضًا لا يريد أن يعذب عباده كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) سورة البقرة، آية : ١٠٥.

(٦) سورة الإنسان، آية : ٣١.

(٧) سورة آل عمران، آية : ١٠٧.

(٨) سورة الفرقان، آية: ٧٧.

قال العيني: (وقوله في الحديث: "إذا وجدت صبيًا إلى قوله فقال" لنا معناه إذا وجدت صبيًا أخذته فأرضعته، فوجدت صبيًا فأخذته فألزمته بطنها وعلم من هذا أنها كانت فقدت صبيًا وكانت إذا وجدت صبيا أرضعته ليخف عنها اللبن، فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته وألصقته ببطنها من فرحها بوجدانه.

قوله: "لله" اللام فيه للتأكيد وهي مفتوحة، وصرح بالقسم في رواية الإسماعيلي فقال "والله أرحم" إلى آخره. قوله: "بعباده" قيل لفظ العباد عام ومعناه خاص بالمؤمنين والظاهر أنها على العموم لمن سبق له منها نصيب)[1].

ثالثًا- من مهام الداعية: البيان والتوضيح بضرب المثل:

إن مهمة البيان والإيضاح من أبرز المهام المنوطة بالداعية، وقد جاء في الحديث "لله أرحم بعباده من هذه بولدها": (فقد بين النبي ﷺ: رحمة الله بعباده ولطفه بهم من خلال التمثيل بالمرأة التي ألزقت الصبي ببطنها، وقال أترون هذه طارحة ولدها في النار) قال ابن حجر: (وفيه ضرب المثل بما يدرك بالحواس لما لا يدرك بها لتحصيل معرفة الشيء على وجهه، وإن كان الذي ضرب المثل لا يحاط بحقيقته لأن رحمة الله لا تدرك بالعقل، ومع ذلك فقربها النبي ﷺ للسامعين بحال المرأة المذكورة)[2].

ومن خلال هذا فعلى الداعية الحصيف أن يبين مادته العلمية، وموضوعاته الدعوية للمدعوين من خلال الطرق البيانية لتكون الصورة واضحة أمام المدعوين ويعرفوا المراد مما يقول: (ومن عناصر الجمال الأدبي الرفيع في الكلام ضرب الأمثال، بشرط أن تتوافر فيها الشروط الفنية للأمثال، وتستجمع الشروط الأساسية العامة للكلام البليغ، ويشترط في ضرب المثل أن يكون له غرض بياني، لا أن يكون مجرد عبث في القول. ومن أهداف الأمثال تقريب صورة الممثَّل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، والإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع قد يصل إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية، وقد يقتصر على مجرد لفت

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٠٢/٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني : ٤٤٦/١٠

النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة)[1].

ومن ثم كان من أبرز مهام الداعية البيان والتوضيح للمدعوين حتى تتضح لهم الأمور، وتكتمل لديهم الصورة.

(١) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١١٩.

الحديث رقم (٤١٩)

٤١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لَمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي**))[1].

وفي رواية[2]: ((**غَلَبَتْ غَضَبي**)) وفي رواية[3]: ((**سَبَقَتْ غَضَبي**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث بيان لغلبة رحمة الرحمن على غضبه، هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى سَعَةِ الرَّحْمَةِ وَشُمُولِهَا الْخَلْقَ كَمَا يُقَالُ غَلَبَ عَلَى فُلَانٍ الْكَرْمُ أَيْ هُوَ أَكْثَرُ خِصَالِهِ، وهو من فضل الله على خلقه، وقوله (خَلَقَ الله الخَلْقَ) فيه جناس يؤكد نسبة الفعل لله، كما بين كتب، وكتاب، وقوله (في كتاب) تأكيد للكتابة، وذكر الضمير (هو) للاختصاص أي عنده لا عند الملائكة، أو غيرهم، وفيه تشريف، وتعظيم لأمر هذا الكتاب، زاده رفعة، وتأكيداً بالظرف (عند) وإضافته لله، وارتقى به ذروة الشرف التي ليس فوقها مطمح في الرفعة بالظرف (فوق)، وإضافته للعرش، ثم إنه أكد المكتوب، وأضاف الرحمة إلى ذاته تعالى والتعبير بالمضارع (تغلب) يشير إلى الاستمرار، وصياغة المعنى بهذه الطريقة تفيد التأكيد على هذه الحقيقة تأكيداً لا يتصور معه تخلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، التبشير.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: معاملة الله لعباده بما هو أهله سبحانه وتعالى.

ثالثًا: من مهام الداعية: فتح أبواب الرجاء أمام المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤، ومسلم ٢٧٥١/١٤ واللفظ له.

(٢) للبخاري بالرقم الذي تقدم.

(٣) للبخاري ٧٤٢٢، و٧٤٥٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتبشير:

١- الإخبار: أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث بان الله تعالى لما خلق الخلق، كتب في كتاب عنده فوق العرش أن رحمته سبحانه سبقت غضبه وهذا مما يشرح صدور المدعوين ويبث فيهم التفاؤل والأمل في رحمة الله تعالى.

٢- التبشير: حيث جاء في الحديث "إن رحمتي تغلب غضبي"وكان التبشير بأن رحمة الله سبحانه تغلب غضبه، وفي هذا دافع نفسي يحرك النفس البشرية نحو الطاعة. وأسلوب التبشير من أساليب الدعوة التي تحبب النفس إلى الخير وفعله، ويسوق إليها المسرات فيشجعها ذلك على الطاعة والعبادة، والتبشير من الداعية للمدعو يحقق (انشراح الصدر وسعادة القلب، وسبب الاستقرار النفسي وراحة البال، وحب المبشر لمن يبشره واستئناسه به، وتجلب البشارة، الطمأنينة وسكون النفس وترفع الروح المعنوية، وتدلل على حصول الفرج بعد الشدة، كما أنها دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام)[1].

ومن هذا يتضح أنه من واجب الداعية أن يستصحب في دعوته أسلوب التبشير والترغيب. " والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله رحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: معاملة الله لعباده بما هو أهله سبحانه وتعالى:

إن الله عز وجل يعامل عباده بالفضل لا بالعدل فهو أهل التقوى وأهل المغفرة ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث "إن رحمتي تغلب غضبي" قال النووي: "ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبًا والمراد بالسبق والغلبة هنا: كثرة الرحمة وشمولها[3].

وقال الطيبي في بيان معاملة الله لعباده بالفضل لا بالعدل (وقضية هذا العالم، وهو

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١١.

عالم العدل، إثابة المطيع وعقاب العاصي حسب ما يقتضيه العمل من خير أو شر، وذلك يستدعى غلبة الغضب على الرحمة، لكثرة موجبه ومقتضيه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[1] فيكون سعة الرحمة وشمولها على البرية وقبول إنابة التائب والعفو عن المشتغل بذنبه المنهمك فيه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[2] أمرًا خارجًا عنه، مترقيًا منه إلى عالم الفضل، وفي سبق الرحمة على الغضب إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق فالرحمة تشمل الشخص جنينًا ورضيعًا وفطيمًا وناشئًا قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب: إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك)[3].

وقال ابن حجر: (إن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث، وعلى ذلك استمرت أحوال الأمم بتقديم الرحمة في خلقهم بالتوسع عليهم من الرزق وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم وأما ما أشكل من أمر من يعذب من الموحدين فالرحمة سابقة في حقهم أيضًا ولولا وجودها لخلدوا أبدًا)[4].

قال المناوي: (إن رحمتي تغلب غضبي أي غلبت عليه بكثرة آثارها، ألا ترى أن قسط الخلق من الرحمة أكثر من قسطهم من الغضب لنيلهم إياها بلا استحقاق، وأن قلم التكليف مرفوع عنهم إلى البلوغ ولا يعجل بالعقوبة عليهم إذا عصوه بل يرزقهم ويقبل توبتهم، وما تعلق بالرحمة والفضل أحب إليه من فعل ما يتعلق بالغضب)[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦١.

(٢) سورة الرعد، آية: ٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٢/٥

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٧/٦

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢٥٩/٢.

قال العيني: (قوله: "لما قضى الله الخلق" أي لما أتمه كتب عنده أي أثبت في اللوح المحفوظ قيل صفاته تعالى قديمة كيف يتصور السبق بين الرحمة والغضب، وأجيب بأنهما من صفات الفعل لا من صفات الذات فجاز سبق أحد الفعلين على الآخر؛ وذلك لأن إيصال الخير من مقتضيات صفته بخلاف غيره فإنه بسبب معصية العبد)[١].

قال سليم الهلالي في فقه الحديث:

- دليل على علو الله على خلقه، وأنه فوق عرشه بائن من خلقه.

- إثبات صفتي الرحمة والغضب لله، ولا يجوز تأويلهما بإرادة الثواب والعقاب؛ لأنه خلاف منهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة والحديث.

- سعة رحمة الله بعباده كافة، وأن رحمته سبقت غضبه[٢].

ثالثًا- من مهام الداعية: فتح أبواب الرجاء أمام المدعوين:

إن النفس البشرية تميل إلى الرجاء والترغيب والرحمة، ولذا فمن مهام الداعية الضرورية أن يفتح باب التوبة والرجاء أمام المدعوين ولا يقنطهم من رحمة الله قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[٣]، وعن على بن أبي طالب، قال: "إنَّ الفقيهَ حقَّ الفقه مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ الناسَ من رحمةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ في معاصي اللَّهِ، ولم يَؤَمِّنْهُمْ من عذابِ اللَّهِ، ولم يَدَعِ القرآنَ رغبةً عنْهُ إلى غَيْرِهِ، إنَّهُ لاَ خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا علمَ لا فَهْمَ فيهِ، ولا قراءَةَ لا تدَبُّرَ فيها[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه مر على قاص يذكر النار فقال يا مذكر النار لا تقنط

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٣٩/٢٥.

(٢) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٤٩٢/١.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٤) أخرجه بن الضريس وابن بشران في أماليه كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٧٩/١٢.

الناس ثم قرأ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[1]، [2].

ولقد جاء في سياق الحديث بأن رحمة الله تغلب غضبه وهذا ما يجب أن يفطن له الدعاة البدء بالرجاء قبل الخوف، والرحمة قبل العذاب، والتبشير قبل التنفير والرغبة قبل الرهبة.

قال المباركفوري: (ووجه المناسبة بين قضاء الخلق، وسبق الرحمة أنهم مخلوقون للعبادة شكرًا للنعم الفائضة عليهم، ولا يقدر أحد على أداء حق الشكر وبعضهم يقصرون فيه، فسبقت رحمته في حق الشاكر بأن وفي جزاءه وزاد عليه ما لا يدخل تحت الحصر وفي حق المقصر إذا تاب ورجع بالمغفرة والتجاوز)[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ١٢/٦٧٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٩/٣٧٠.

الحديث رقم (٤٢٠)

٤٢٠- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأنْزَلَ فِي الأرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذلِكَ الجُزءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرِهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ))[١].

وفي رواية[٢]: ((إنّ للهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحمَةٍ، أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجنِّ وَالإنس وَالبهائِمِ وَالهَوامّ، فبها يَتَعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأخَّرَ اللهُ تَعَالَى تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَة)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٣].

ورواه مسلم[٤] أيضًا مِنْ رواية سَلْمَانَ الفارِسيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّ للهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسعُونَ لِيَومِ القِيَامَةِ)).

وفي رواية[٥]: ((إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأرْضَ مَئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إلَى الأرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأرضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَهَا بِهذِهِ الرَّحمَةِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

سلمان الفارسي: علم من أعلام الصحابة، فهو سلمان الخير، أبو عبدالله ابن الإسلام، وكان يسمي نفسه سلمان الإسلام، أصله من أصبهان، وقيل من رامَهُرْمُز، أخرج البخاري بسنده عن أبي عثمان قال سمعت سلمان يقول: (أنا من هرمز)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٠٠، ومسلم ٢٦٥٢/١٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٢/١٩ من حديث عطاء بن أبي رباح.

(٣) انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي ١٧/٣، رقم ٢١٨٣.

(٤) برقم ٢٧٥٣/٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٣/٢١.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي، ص ٦٦٦، حديث رقم ٣٩٤٧.

سابق أهل أصبهان إلى الإسلام، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان قبل ذلك يقرأ الكتب، ويطلب الدين، فقرأ كتب الفرس والروم واليهود، فظل رضي الله عنه طيلة حياته باحثًا عن الدين الحق والملة السمحاء إلى أن هداه الله فهجر دين قومه وأبيه الذي كان دهقانًا لقومه أي رجل الدين عندهم، وكانوا على المجوسية فرغب عنها، ثم لحق بالنصارى، وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فتوجه إلى المدينة، وفي طريقه إليها استرقه البعض وباعوه في المدينة لرجل من اليهود من بني قريظة، فلما قدم النبي ﷺ مهاجرًا أتاه سلمان وأسلم، وكاتب مولاه اليهودي فأعانه النبي ﷺ حتى عتق وهو بهذا مولى المصطفى ﷺ، يحكى عما لاقاه من المشاق والتعرض للاسترقاق في رحلته للبحث عن الحق، كما جاء في البخاري بسنده عن سلمان الفارسي أنه تداوله بضعة عشر من ربٍّ إلى ربٍّ[1].

صحب النبي ﷺ وخدمه، وروى عنه، له في كتب الحديث ٦٠ حديثًا، أخرج البخاري منها أربعة، ومسلم ثلاثة.

آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء[2].

لازم النبي ﷺ وجاهد معه وأول مشاهده مع رسول الله ﷺ الخندق، وكان هو صاحب المشورة في حفره، وشهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وشهد فتوح العراق وَوُلِّي المدينة فأقام بها إلى أن مات.

وكان رضي الله عنه نبيلاً حازمًا لبيبًا عابدًا عاقلاً عالمًا، وكما وصفه علي بن أبي طالب لما سُأل عنه بقوله ((من لكم بمثاله لقمان الحكيم، ذلك امرؤ منا أهل البيت أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر بحرٌ لا ينزف))[3].

كما كان لبيبًا عاقلاً ذا مشورة، ومن بين ما سجل له في ذلك الجانب ما قاله

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي، ص ٦٦٦، رقم ٣٩٤٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له، ص ٣١٦، رقم ١٩٦٨.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٢١٣/٦، ٢١٤ رقم ٦٠٤٢.

لأخيه أبي الدرداء مبينًا له أهمية الموازنة بين حقوق الله والنفس والأهل والناس روى البخاري بسنده عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن فَصَلَّيَا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: صدق سلمان))[1].

وكان رضي الله عنه ورعًا يتصدق بعطائه مهما بلغ، وينسج الخوص، ويأكل من كسب يده.

أما عن عمره فكان رضي الله عنه من المعمرين، وقال ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب (وتبين لي أنه ما جاوز الثمانين)[2].

مات بالمدائن في خلافة عثمان سنة ٣٣، وقيل سنة ٣٦ وقيل في خلافة عليٍّ سنة ٣٧، وأقربها للصواب سنة ٣٣ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه[3].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاءً إذا كان أوفق له ص ٣١٦ رقم ١٩٦٨، ص ١٠٦٩ رقم ٦١٣٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٦٩.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/٧٥-٩٣، ٦/١٦، ٧/٣١٨، ٣١٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٩١-٢٩٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢/٥١٠-٥١٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٢١، ٥٢٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٥٠٥-٥٠٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣/٢٣٨-٢٤١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٦٨، ٦٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣/١١١، ١١٢، وعظماء حول الرسول ٢/٩٢٦-٩٣٨.

غريب الألفاظ:

الحافر من الدابة: ما يقابل القدم من الإنسان[١].

الهوامّ: جمع هامَّة: وهي الحشرات[٢].

الوحشُ: حيوان البرِّ[٣].

وطباق ما بين السماء والأرض: تملأ ذلك من كبرها وعظمها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يدور معناه حول سعة رحمة الله تعالى ويقوم على أسلوب الإجمال بعد التفصيل، وهو نوع من الإطناب يؤكد المعنى، ويوضح أبعاده عن طريق ذكره مرتين إحداهما مجملة وهي قوله (جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ) ثم فصَّله بقوله (فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً) ومن في قوله: (فمن ذلك الجزء) للتبعيض، واسم الإشارة للتعظيم، ويؤكده قوله (يتراحم الخلق) والتعبير بصيغة التفاعل للدلالة على تبادل الرحمة بينهم مما يبين عظمة هذا الجزء، وقوله (حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ) كناية عن سعة الرحمة، وتمكنها، والتعبير بالدابة فيه مبالغة؛ لأنه إذا كان هذا حال غير العاقل فما الحال بالعاقل، والتعبير بالحافر يعني نوعية خاصة يضرب بها المثل في الغباء كالحمار وفصيله، والبقر، وفصيله من ذوات الحافر إشارة إلى أن هذا الجزء من الرحمة أثَّر حتى في أغبى الحيوانات، وفيه إشارة إلى أن مسألة الرحمة فطرة فطر الله الخلق عليها، وليس لها مرجع إلى العقل، وتعبيره بالخشية إشارة إلى لون مخصوص من الخوف ممزوج بالمحبة، والتعبير بالأفعال المضارعة

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ف ر).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥١.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (و ح ش).

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (ط ب ق)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٥٨٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٢.

(ترفع - تصيبه) يستحضر الصورة التي تجسِّد عظيم الأثر لهذا الجزء، وصورة حافر الدابة معلق في الهواء تحته صغيرها، يقول بلسان الحال - تبارك الله أرحم الراحمين -

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الطمع والرجاء في رحمة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التراحم بين الخلائق.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والتوكيد:

١- الإخبار: حيث جاء في الحديث "جعل الله الرحمة مائة جزء" فبيّن النبي ﷺ بأن الله عز وجل رحمته واسعة ولذا كانت مائة جزء وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة، التي تعمل على بيان الحقائق للمدعوين، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بأن الله جعل الرحمة مائة جزء، وأن ما يتراحم به الخلائق ما هو إلا جزء من مائة جزء، حيث أمسك الله تعالى عنده تسعة وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة، ولاشك أن هذا الإخبار والبيان مما يشرح صدور المدعوين ويشعرهم بفضل الله تعالى على عباده المؤمنين، مما يؤدي إلى الإقبال على الله تعالى والعمل على مرضاته.

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة". وقد أكد النبي ﷺ كلامه بـ"إن" التي تفيد التوكيد للدلالة على صدق ما يقول من أن لله عز وجل مائة رحمة، والشاهد المحسوس من رحمة الخلائق بعضهم لبعض هي رحمة واحدة في الأرض. وأسلوب التوكيد يزيد من إقناع المدعو، ويدلل على مدى ثقة الداعية في نفسه، وفيما يطرح من موضوعات دعوية، وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[3].

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) سورة المرسلات، آية: ٤١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الطمع والرجاء في رحمة الله تعالى:

إن المسلم مطلوب منه دائمًا أن يطمع في رحمة الله، ويرجو ثوابه سبحانه. وقد جاء في الحديث "وأخر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم عباده يوم القيامة وفي رواية "فإذا كان يوم القيامة" أكملها بهذه الرحمة.

قال النووي: (هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة، للمسلمين قال العلماء؛ لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، والإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه، وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهى دار القرار، ودار الجزاء، وقد وقع في الحديث جعل الله الرحمة مائة جزء)[1].

وقال ابن حجر: (المقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله، ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك في المعصية راجيًا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصى، وترجو أن تنجو)[2]. وقد قال الله تعالى في القرآن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[4] وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ماطمع بجنته أحد"[5]، هذا ومن فوائد الرجاء

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠١/١١

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٥.

والطمع في رحمة الله "أنه سبحانه يحب من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله، وأن في الرجاء الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته)[1].

إن هذا الحديث بشرى عظيمة للبشرية جميعًا تبشر بسعة رحمته سبحانه وتعالى، إنها فرصة للتائبين من الشرك والكبائر والذنوب، فأبواب رحمته في الدنيا مفتوحة على مصراعيها، ورحمته الكبرى في الآخرة قد أخرها للمؤمنين والتائبين.

وهذا الحديث يرسخ معالم الرجاء في الإنسان، لمعرفة سعة رحمة الله قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: خصَّ الفرس بالذكر لأنها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها.

ووقع في حديث سلمان عند مسلم في آخره من الزيادة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة، وفيه إشارة إلى أن الرحمة التي في الدنيا بين الخلق تكون فيهم يوم القيامة يتراحمون بها أيضا، وصرح بذلك المهلب فقال: الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتعاطفون بها يوم القيامة التبعات بينهم، قال: ويجوز أن يستعمل الله تلك الرحمة فيهم فيرحمهم بها سوى رحمته التي وسعت كل شيء وهي التي من صفة ذاته ولم يزل موصوفًا بها فهي التي يرحمهم بها زائدًا على الرحمة التي خلقها لهم.

قال: ويجوز أن تكون الرحمة التي أمسكها عند نفسه هي التي عند ملائكته المستغفرين لمن في الأرض لأن استغفارهم لهم دال على أن في نفوسهم الرحمة لأهل الأرض.

---

(١) موسوعة نظرة النعيم ٥/٢٠٤٠

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

قلت: وحاصل كلامه أن الرحمة رحمتان رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل وهي المشار إليها هنا، ولكن ليس في شيء من طرق الحديث أن التي عند الله رحمة واحدة بل اتفقت جميع الطرق على أن عنده تسعة وتسعين رحمة وزاد في حديث سلمان أنه يكملها يوم القيامة مائة بالرحمة التي في الدنيا فتعدد الرحمة بالنسبة للخلق.

وقال القرطبي: مقتضى هذا الحديث أن الله علم أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مائة نوع فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم وحصلت به مرافقهم فإذا كان يوم القيامة كمل لعباده المؤمنين ما بقي فبلغت مائة وكلها للمؤمنين واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] فإن رحيمًا من أبنية المبالغة التي لا شيء فوقها، ويفهم من هذا أن الكفار لا يبقى لهم حظ من الرحمة لا من جنس رحمات الدنيا ولا من غيرها إذا كمل كل ما كان في علم الله من الرحمات للمؤمنين.

وقال ابن أبي جمرة: في الحديث إدخال السرور على المؤمنين لأن العادة أن النفس يكمل فرحها بما وهب لها إذا كان معلوما مما يكون موعودًا.

وفيه الحث على الإيمان واتساع الرجاء في رحمات الله تعالى المدخرة)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التراحم بين الخلائق:

جاء في الحديث ما يؤكد على أهمية التراحم بين الخلائق؛ لأن ذلك من موجبات رحمة الله تعالى حيث يرحم الله تعالى الرحماء من عباده يستنبط ذلك مما ورد في قوله ﷺ: "فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق" والرحمة بين الخلائق واجب إنساني وبها كانت الوصاية قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٣٢-٤٣٣.

(٣) سورة البلد، آية: ١٧.

وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمُكُم مَنْ فِي السَّماءِ))[1] وقال وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يَرحمُ اللَّهُ مَن لا يَرحم الناسَ"[2].

وقال السعدي: (إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق فإن الله لم يكلف نفسًا إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران وسائر ما شرع الله، وجدت ذلك كله مبنيًا على الرحمة، فلقد وسعت الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق)[3].

ولا شك أن الشريعة داعية إلى الرحمة بين الخلائق بكل صورها وأنواعها (إن الرحمة بالناس بل بالحيوان عاطفة شريفة وخليقة محمودة فالرحمة فضيلة، والقسوة رذيلة والرحمة تكون بالأبناء وأثرها تقبيل ومعانقة وتأديب وتربية وإجابة رغائب - مادامت في سبيل المصلحة- وإبعاد من الشر. وتكون بالآباء والأمهات وأثرها قول كريم، وصنع جميل وطاعة في غير معصية وخدمة صادقة، وتكون بالأقرباء وأثرها بر وصلة وزيارة ومودة وسعي في مصلحة ودفع لمضرة، وتكون بين الزوج وزوجه وأثرها عشرة بالمعروف، وإخلاص متبادل، وألا ترهقه بالطلبات ولا يكلفها بالمرهقات، بل يعاونها على شؤون المنزل وتربية الأولاد بالخدم ما دام في المال سعة أو بنفسه إن كان في وقته فضل، وتكون بأهل دينك، ترشدهم إلى الخير، وتعلمهم ما علمت، وتأخذ بهم عن اللمم إلى السبيل الأهم وتعمل لعزهم، ودفع المذلة عنهم، وتكون بالناس جميعًا فتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لها. وتكون بالحيوان فتقدم له أكله وشربه وتداوي جرحه، ولا تكلفه عسيرًا، ولا تحمله ثقيلاً. فإن كانت الرحمة خليقتك

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٧٦، ومسلم ٢٣١٩

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ٦١، ٦٢

رحمك الناس كما رحمتهم، وكانوا لك كما كنت لهم، ورحمك الرحمن الرحيم)[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية لا يكتم شيئًا من حقائق الإسلام؛ لأنه يقتدي بالأنبياء في تبليغهم للوحي، وقد بين النبي ﷺ في الحديث أن الرحمة مائة جزء، وهكذا يجب أن يكون دور الداعية بيان حقائق الدين للمدعوين ليلتزموا بها، ولا يكون لهم حجة في عدم تبليغهم، أو حجة في جهلهم وعدم معرفتهم، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٢].

وقد جعل الله من أهم صفات الأنبياء أن يبلغوا الوحي ولا يكتمونه تبيينًا للحقائق للمدعوين، وإذا تأكد هذا في حق الأنبياء فإنه ينسحب كذلك على الدعاة إلى الله تعالى باعتبار أن العلماء ورثة الأنبياء وقد أمر الله بالبيان والتبليغ والإيضاح لحقائق الإسلام فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣].

قال أبو بكر جابر الجزائري: (والمراد بالتبليغ أن يبلغ الرسول كل ما أمر بتبليغه فلا يخفي منه شيئًا، ولا يكتمه بحال من الأحوال، فلا تحمله رغبة ولا رهبة على أن يكتم بعضًا مما أوحي إليه، وأمر بإبلاغه إلى الناس، والكتمان للوحي الإلهي يتعذر على المرسلين، ويستحيل في حقهم، ولا يتأتى لهم، لأن الله تعالى أهلّهم للبلاغ عنه ما أراده لعباده من الهدى والخير فمتى وجد الكتمان بطلت النبوة وانتفت الرسالة)[٤].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٢٢-١٢٣.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) عقيدة المؤمن ٢٦٢.

الحديث رقم (٤٢١)

٤٢١- وعنه[١]، عن النَّبيّ ﷺ فيما يحكِي عن ربهِ تبارك وتعالى، قَالَ: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أذنَبَ عبدي ذَنبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تبارك وتعالى: أذنَبَ عبدِي ذَنبا[٢]، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ! اغْفِرْ لِيْ ذَنْبِيْ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِيْ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ[٣]، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ[٤] مَا شَاءَ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٥].

وقوله تَعَالَى: ((فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ)) أيْ: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكذا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أغفِرُ لَهُ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث بالحوار المحكي فيه بين العبد، وربه يحكى ضعف النفس البشرية أمام دواعيها وترديها في المعاصي (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً) ولكن نفسه نفس لوامة لا يلبث صاحبها - بعد التلبث بالذنب - أن ينيب إلى الله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي) ويحكى عظمة

---

(١) أي عن أبي هريرة.

(٢) لفظ مسلم: (عبدي أذنب ذنبًا).

(٣) إلى هنا السياق لمسلم. قال الحميدي في جمعه ١٠٧/٣، رقم ٢٣٠٤ بعد أن ساق لفظ الحديث إلى هنا: في حديث عبد الأعلى، عن حمّاد بن سلمة، مسلم ٢٧٥٨/٢٩ عقب الحديث: (اعمل ما شئت فقد غفرتُ لك). وفي حديث عبد بن حميد، مسلم ٢٧٥٨/٣٠ بمعناه، وذكر ثلاث مرّات، وفي الثالثة: (فقد غفرتُ لعبدي، فليفعل ما شاء). المؤلف ساق لفظ مسلم برقم ٢٧٥٨/٢٩ إلى قوله: (ويأخذ بالذنب)، ثم جاء بالشطر الأخير من لفظ مسلم برقم ٢٧٥٨/٣٠.

(٤) لفظ البخاري ومسلم: (فليعمل) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥٠٧، ومسلم ٢٧٥٨/٢٩.

عفو الله، وكرمه فمهما كثرت ذنوب العبد فإن الله يتوب عليه - إن عاد إليه وأناب - وقوله ثانياً (أذنَبَ عبدي ذَنباً) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الترغيب في التوبة، وعدم اليأس من رحمة الله، ويدل على ذلك أمر الله (فليعمل ما شاء) الذي جاء امتناناً، ورضاً على عبد علم الله، أنه لن يقيم على معصية، قال الشيخ أبو موسى - في مثله - عن الأمر في قول الرسول ﷺ "لعل الله اطلع على أهل بدر" فقال: اعملوا ما شئتم" دلالة على نهاية الرضا والقبول وكأنه سبحانه لفرط حبه ورضاه عن هذه الكوكبة المباركة يقول: لهم افعلوا ما تشاءون إن خيراً وإن شراً - فالكل عندنا مقبول منكم ومرضي عنه، وليس معناه أن الله أباح لهم شيئاً مما حرمه[1] -... كذلك في قوله ﷺ عن رب العزة "فليفعل ما شاء" ليس إباحة لما حرم، ولكنه دليل على منتهى الرضا على عبده التواب المنيب.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تكرار الذنوب، والتوبة منها:

ذهب البعض إلى أنه يشترط في التوبة عدم معاودة الذنب وقالوا: أنه متى عاد إليه تبينا أن التوبة كانت باطلة غير صحيحة.

وذه أكثر الفقهاء إلى أنه لا يشترط في التوبة عدم العود إلى الذنب الذي تاب منه، وإنما تتوقف التوبة على الإقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم الجازم على ألا يعود، فإن عاوده مع عزمه حال التوبة على أن لا يعاوده، لم تبطل توبته المتقدمة، كما لا يعود إليه إثم الذنب الذي تاب منه، وصار كمن ابتدأ المعصية.

وقال بعضهم: يعود إليه إثم الذنب الأول؛ لفساد التوبة وبطلانها بالمعاودة.

قالوا: ولأن التوبة من الذنب بمنزلة الإسلام من الكفر، والكافر إذا أسلم هدم إسلامه ما قبله من إثم الكفر وتوابعه، فإذا ارتد عاد إليه الإثم الأول مع إثم الردة، لما

---

(١) انظر: دلالات التراكيب، د. أبو موسى، ص ٢٥٠.

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أنواخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: ((من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلي ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر))[1].

قالوا: فهذا حال من أسلم وأساء في إسلامه ومعلوم أن الردة من أعظم الإساءة في الإسلام فإذا أخذ بعدها بما كان منه في حال كفره ولم يسقطه الإسلام المتخلل بينهما فهكذا التوبة المتخللة بين الذنبين لا تسقط الإثم السابق كما لا تمنع الإثم اللاحق[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاستغفار والتوبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله.

رابعًا: من مهام الداعية: تبشير المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط الترغيب من عموم الحديث، حيث أفاد الترغيب في التوبة والإنابة إلى الله عز وجل، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة التي تجعل المدعوين يقبلون على الطاعة حيث إن الأجر والثواب محبب إلى النفس، والنفس دائمًا ترغب في المزيد من الفضل والرحمة، (والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه كما أن الترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهى، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم، والإنسان

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٩٢١، ومسلم ١٢٠.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٧٣/١ وما بعدها، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٨٩/١، والمهذب ٣٣٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٢٠٢/٩.

مفطور على الميل إلى كل ما يحقق له اللذة، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاستغفار والتوبة:

إن الإنسان بطبيعته خطاء وغير معصوم من اقتراف الذنوب،مما يستلزم التوبة والإنابة إلى الله تعالى ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث "اللهم اغفر لي ذنبي" وما من شك في أن الاستغفار له فضل عظيم قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٢] ومما جاء على لسان هود عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[٣] وجعل الله من صفات المتقين الاستغفار فقال جل شأنه: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤] وأمر الله بالإنابة والرجوع إليه فقال سبحانه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾[٥].

قال النووي: (وهذا الحديث ظاهر الدلالة أنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد واحدة جميعها صحت توبته، وقوله للذي تكرر ذنبه اعمل ما شئت فقد غفرت لك معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك)[٦].

وقال ابن حجر: (شروط التوبة ثلاثة: الإقلاع والندم والعزم على أن لا يعود، وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه فإنه يستلزم الإقلاع عنه والعزم

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص ٣٩٣.

(٢) سورة نوح، آية: ١٠.

(٣) سورة هود، آية: ٥٢.

(٤) سورة الذاريات، آية: ١٧-١٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٤.

على عدم العود فهما ناشئان عن الندم لا أصلان معه)[١].

وقال أو العباس القرطبي في المفهم: (يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنا للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة، فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال: استغفر الله بلسانه وقلبه مُصِر على تلك المعصية فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار)[٢].

قال ابن حجر: (ورأيت في الحلبيات للسبكي الكبير: الاستغفار طلب المغفرة إما باللسان أو بالقلب أو بهما، فالأول: فيه نفع لأنه خير من السكوت؛ ولأنه يعتاد قول الخير، والثاني: نافع جدًا، والثالث: أبلغ منهما لكنهما لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة فإن العاصي المُصِر يطلب المغفرة ولا يستلزم ذلك وجود التوبة منه إلى أن قال والذي ذكرته من أن معنى الاستغفار هو غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ لكنه غلب عند كثير من الناس أن لفظ استغفر الله معناه، التوبة فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة).

ثم قال: وذكر بعض العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[٣] والمشهور أنه لا يشترط[٤].

قال القرطبي: (وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وان كان أقبح من ابتدائه لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها لأنه إن ضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٧٩، ٤٨٠

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٨٦.

(٤) سورة هود، آية: ٣.

(٥) المرجع السابق ٧/٨٦.

وفي هذا الحديث "بيان لفضل الله ورحمته على عباده ما داموا يعتقدون أن ربهم بيده مقاليدهم إن شاء غفر وإن شاء عاقب، وهذا يدل على فضل التوحيد، ولذلك أخرجه البخاري في كتاب التوحيد من "صحيحه".

وأن التوبة الصحيحة تكفر الذنب.

والمؤمن بالله تعالى يصفو قلبه بالتوبة ويأمل بعفو ربه، فيبادر إلى الصلاح وعمل الخير، وإن وقع منه ذنب استدرك على نفسه بالتوبة ولم يصر على المعصية.

وهذا الحديث دليل على أنه لو تكرر الذنب مئة مرة أو أكثر وتاب في كل مرة؛ قبلت توبته، وسقطت ذنبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحّت توبته"[1].

قال السفاريني: (ولما كان من متعلقات الذنوب التوبة كانت واجبة على كل من تلبس بذنب وجوب لزوم لابد منه، فالتوبة أصل كل مقام، ومفتاح كل حال فمن لا توبة له لا مقام له ولا حال. والتوبة هي الرجوع عن الذنب بأن يقلع عنه ويندم عليه ويعزم على أن لا يعود عليه ويرضي الآدمي عن ظلامته إن تعلقت به. وقال بعضهم: التوبة الواجبة الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع من ترك واجب أو فعل محرم إلى ما هو محمود في الشرع قال النووي: أركانها ثلاثة: الإقلاع والندم على فعل تلك المعصية، والعزم على أن لا يعود إليها أبدًا وأن لا يغرغر. انتهى. فإن كانت المعصية لآدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق.

وقد نظم أركان التوبة الشيخ عثمان بن قائد الحنبلي في ثلاثة أبيات سمّاها شروطًا وهي:

شروط توبتهم إن شئت عدتها ... ثلاثة عرفت فاحفظ على مهل

إقلاعه ندم وعزمه أبدًا ... أن لا يعود لما منه جرى وقل

إن كان توبته من ظلم صاحبه ... لابد من رده الحق على عجل

هذا وأصل التوبة الندم وهو ركنها الأعظم، فمن تاب توبة نصوحًا واجتمعت

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٤٩٤.

شروط التوبة في حقه أن يقطع بقبول توبته كرمًا منه وفضلاً)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان سعة رحمة الله وفضله:

حيث جاء في الحديث" قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء" وما من شك في أن هذا يدل على عظيم فضل الله وسعة رحمته بعباده قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٢].

قال ابن الجوزي: (والمراد أي ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ قاله ابن عباس وقيل: إن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا البر والفاجر وفي الآخرة للمتقين خاصة قاله الحسن وقتادة فعلى هذا معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يرزق ويدفع عنه. وقيل: إن الرحمة التوبة فهي على العموم وقيل: إن الرحمة تسع الخلائق كلهم إلا أن أهل الكفر خارجون منها فلو قدِّر دخولهم فيها لوسعتهم. قال الزجاج: وسعت كل شيء في الدنيا والمراد بقوله: "فسأكتبها للذين يتقون" أي فسأوجبها للذين يتقون الشرك وقيل يتقون المعاصي)[٣].

قال ابن كثير: هذه آية عظيمة الشمول والعموم كقوله: إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[٤] وقوله فسأكتبها للذين يتقون: يعني فسأوجب حصول رحمتي مِنَّةً مني وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[٥] وقوله للذين يتقون أي سأجعلها للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ الذين يتقون أي: الشرك والعظائم من الذنوب[٦].

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١/٣٧١-٣٧٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي ٣/٢٧١.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/٤٨١، ٤٨٢.

ومن سعة رحمة الله وفضله أنه جعل الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1] قال السعدي: (وكون الحسنة بعشر أمثالها هذا أقل ما يكون من التضعيف، وكون من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها فهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه وإنه لا يظلم مثقال ذرة)[2].

ومما لا شك فيه أن رحمة الله واسعة، وتعم جميع الخلائق (إن الرحمة خزائنها بيده سبحانه، والفضل مفاتحه لديه، والخير منه وإليه لو كانت الرحمة بيد الناس لمنعوها عن عباده، وقطعوها عن خلقه، أو اختصوا بها فئامًا معينة، ونفوسًا محددة، وأمسكوا خشية الإنفاق، يمسكون بث عبق الرحمة كما يمسكون الأموال ضنًّا بها وبخلاً وخوفًا على نفادها، أما الواحد الأحد فقد بث رحمته للناس عمومًا، بل للمخلوقات عمومًا، ولو تأملت هذا الكون بما فيه لرأيته يفيض بالرحمة، وينبع باللطف، إلا أن هناك رحمة خاصة لأناس مخصوصين يجدون روحها، ويستنشقون عبيرها، ويرشفون مذابها، ويتذوقون رضابها وتلك هي الرحمة التي يظفر بها المؤمنون، وينالها المحسنون فتكون لهم في الدنيا والآخرة والمؤمن يجد رحمة الله تحف به وتمشي في ركابه في حال يسره وعسره ومنشطه ومكرهه، ومرضه وصحته، وغناه وفقره، وقد يفقد كل شيء يرى الناس أن فقده حرمان، وغيابه خسران، ولكنه سعيد برحمة الله فهي أنيس وحدته، ورفيق غربته)[3].

رابعًا- من مهام الداعية: تبشير المدعوين:

يظهر هذا من سياق الحديث حيث إن التبشير يجعل المدعوين يقبلون على ما يقوله الداعي، وقد أمر الله نبيه بالتبشير، فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٤٥

(٣) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣٢٥.

فَضْلًا كَبِيرًا﴾[١] وأخبر عن أوليائه بقوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾[٢] وحث رسول الله ﷺ على التبشير في الدعوة فقال لأبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنه "يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا"[٣].

قال ابن حجر: (والنكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل وبلفظ التنفير وهو اللازم، وأتى بالذي بعده على العكس للإشارة إلى أن الإنذار لا يُنفى مطلقًا بخلاف التنفير، فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير، فكأنه قيل: إن أنذرتم فليكن بغير تنفير)[٤] ولقد كان من هدي النبي ﷺ وهو إمام الدعاة وقدوتهم تبشير أصحابه ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة))[٥].

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦]. وفي الحديث أيضًا عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَشِّرْ هَذِهِ الأمَّةَ بالسَّنَاءِ والرِّفْعَةِ والنَّصْرِ والتَّمْكِينِ فِي الأرض فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ))[٧]. وهذا يدل على أن من أولى مهام الداعية التبشير.

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٤٧.

(٢) سورة يونس، آية : ٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣٤١

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٩/٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩.

(٦) أخرجه أبو داود ٥٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٢٥).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ١٣٤/٥ رقم ٢١٢٢٠، وقال محققو المسند: إسناده قوي ١٣٥/٣٥.

الحديث رقم (٤٢٢)

٤٢٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((**والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

القسم من أساليب التشويق؛ لأنه يشير إلى مهم يتلوه، فيترقب ما يسفر عنه، وقسم الرسول ﷺ عامةً له وقع خاص؛ لأنه قسم صادق لا يكذب، وقسم نبي لا ينطق عن الهوى، فهو يفوق غيره تشويقاً وتنبيهاً، زد على ذلك القسم في بداية الكلام، دون مواجهة بشك، أو إنكار، زد على ذلك القسم بهذه الصيغة(والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) والتي تصور روحاً هي روح المُقْسِم في قبضة هي قبضة المقسَم به فكأن التركيب يقول لنا كيف يكذب من كانت هذه حاله ؟ وهذا الحشد يشير إلى عظمة ما يخبر به، وأنه بلغ مداه في الخير، أو في الشر، وقوله (لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ) خبر بلغ مداه في الخير للمذنبين، وهو أسلوب شرط يربط عدم الذنب بالذهاب بهم، وفي هذا إشارة إلى أن الله تعالى خلق خلقه على هذه الصفة من الضعف وفتح لهم باب المغفرة، ورضي لهم التوبة بعد الذنب، ومن أسمائه الغفار، وموجب هذا الاسم أن يغفر، ولكي يغفر لابد أن يكون هناك من يذنب، ولذلك قال بعده (وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) ومن الملاحظ أن أكثر أفعال الحديث جاء في صورة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار (تُذْنِبُوا، يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ) تجدد التوبة، والاستغفار من العبد، واستمرار المغفرة من الرب، ونلاحظ الربط بالفاء بين الذنب، والاستغفار، مما يقتضي المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى - دون مهلة قد يدركه فيها الموت، أو تتراكم الذنوب فتحجب قلبه.

---

(١) برقم ٢٧٤٩/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٩.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على عباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستغفار والتوبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث" والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم من أساليب الدعوة "حيث إن أسلوب القسم يبصر بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية بشكل مفصل ثابت أمام المدعوين والدعاة. لكي تكون حركة الجميع على بيان ووضوح، كما أن هذا الأسلوب يناسب طبيعة البشر، وينطلق من بين فكرهم فهو أسلوب يثير الانتباه ويؤدي دوره كأسلوب من أساليب الدعوة صانعًا التأثير النفسي، والعاطفي بواسطة المقسم به والمقسم عليه وبهما معًا، الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على عباده:

إن الله عز و جل خلق الإنسان ويعلم ضعفه أمام الشهوات، ووهن عزيمته أما المغريات فكان من فضله سبحانه أنه يقبل إنابة التائبين وإخبات المنيبين إليه ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون" وهذا يدل على عظيم فضل الله وأنه سبحانه يعلم طبيعة الإنسان وضعفه أمام الشهوات والمعاصي، ولذا كان من فضل الله أن فتح للإنسان باب التوبة وقبوله قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

قال ابن قدامة: "والتوبة واجبة على الدوام فإن الإنسان لا يخلو عن معصية، ولو خلا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٢٣).

(٢) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٣، ١٦٤

(٣) سورة النور، آية : ٣١.

عن معصية بالجوارح لم يخل عن الهم بالذنب بقلبه، وإن خلا عن ذلك، لم يخل عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، ولو خلا عنه لم يخل عن غفلة وقصور في العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص، ولا يسلم أحد من هذا النقص، وإنما الخلق يتفاوتون في المقادير، وما أصل ذلك، فلابد منه[1].

وما من شك في أن فضل الله ورحمته على عباده كثيرة فمن ذلك قبول توبة التائب قال تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾[2] ومن ذلك مضاعفة الحسنات وتكثيرها قال سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[3] ومن ذلك إخباره بمغفرة جميع الذنوب قال جل شأنه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[4] وأمر بالفرح بفضله ورحمته فقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[5].

قال الطيبي: ليس في الحديث تسلية للمنهمكين في الذنوب كما يتوهمه أهل الغرة بالله تعالى، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إنما بُعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب بل بيان لعفو الله تعالى وتجاوزه عن المذنبين ليرغبوا في التوبة، والمعنى المراد من الحديث هو أن الله كما أحب أن يعطي المحسنين أحب أن يتجاوز عن المسيئين، وقد دلَّ على ذلك غير واحد من أسمائه الغفار الحليم التواب العفو، أو لم يكن ليجعل العباد شأنا واحدا كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب بل يخلق

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٥٨.

فيهم من يكون بطبعه ميالا إلى الهوى متلبسا بما يقتضيه ثم يكلفه التوقي عنه ويحذره عن مداناته ويعرفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفي فأجره على الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه[١].

قال المناوي: ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم فيتوب عليهم وينيلهم جنته وإنما يخلي الله بين المؤمن والذنب ليبلغه هذه الدرجة ولو لم يخل بينه وبينه وسعى العبد في محاب الله كلها وتجنب مساخطه كلها ربما وجد نفسه قائمة بوظائف الله وساعية في طاعته ويرى لسانه ذاكرا فأعجبته نفسه واستكثر فعله واستحسن عمله، فيكون قد انصرف عن الله إلى نفسه العاجزة الحقيرة الضعيفة القوة الدنية الصفة الأمارة بالسوء اللوامة التي هي معدن الآفات ومحل الهلكات[٢].

إن في هذا الحديث "بيان فضل الله تعالى على عباده بالعفو والمغفرة.

وأن كل ابن آدم خطاء، فعلى العبد أن يسارع في الاستغفار والتوبة.

كما أن من حكمة التكليف ظهور أسماء الله المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن خلقه وعتقه لمن شاء من عبيده.

كما أنه ليس في الحديث تحريض على فعل المعصية، ولكن فيه تبشير بالمغفرة وإزالة لشدة الخوف واليأس من نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يفرون إلى الجبال ويعتزلون الحياة ونعيمها من شدة خوفهم، فكان في ذلك طمأنينة ورجاء لعفو الله ومغفرته[٣].

ثالثًا- من مهام الداعية: التبشير:

لقد جاء سياق الحديث في التبشير بمغفرة الله للذنوب والتجاوز عنها، ولذا فإن من المهام الأساسية التي ينبغي للداعية القيام بها بشارة الناس بالخير دائمًا وبهذا جاء الأمر في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤] ومن ثم "فإن الداعي إلى

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/٩٨.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٥/٣١٠.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٤٩٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٤٧.

الخير لا تتم له الدعوة ولا تحصل ثمراتها المطلوبة منها إلا بترغيب المدعوين وتذكيرهم بالأسباب المرغبة، الداخلية والخارجية، وإبعاد الأسباب المثبطة حسب الإمكان فسلوك طرق تبشير العاملين وترغيبهم لاريب في نفعه"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستغفار والتوبة:

حيث جاء في الحديث "فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم" وإذا كان الأمر كذلك فعلى المسلم الإكثار من الاستغفار قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] وقال على لسان شعيب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٣] وقال على لسان هود عليه السلام لقومه ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٤].

وقد جاء في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...))[٥]، قال ابن القيم: (والتوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كله داخل في مسمى "التوبة" وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وحقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب، وترك ما يكره فهي رجوع من مكروه إلى محبوب)[٦].

---

(١) الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ١٩١

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) سورة هود، آية: ٩٠.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٤١/١.

وإذا ثبت أن الله يتجاوز عن السيئات ويغفر الزلات فواجب الإنسان الإنابة إلى الله والتوبة، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[1] وقال جل شأنه عن إبراهيم عليه السلام ما جاء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٞ﴾[2]، وأمر الله المؤمنين بالتوبة النصوح، فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[3]، وعلى الداعية أن يحث المدعوين على هذه المعاني ويرشدهم إليها.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٤.

(٢) سورة هود، آية: ٧٥.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

الحديث رقم (٤٢٣)

٤٢٣- وعن أَبي أيوب خالد بن زيد رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((**لَوْلاَ أنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ الله خَلْقاً يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يشير إلى أن حكمة الله اقتضت أن يخلق من يذنب فيتوب، ويستغفر فيغفر له، وبداية هذا الحديث بـ(لولا)، وهي حرف امتناع لوجود أي امتناع استبدالهم بغيرهم لوجود الذنب، ولكن الذنب المقترن بتوبة، واستغفار؛ ولذلك جاء في نهاية الحديث بقوله: (يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) ومن الملاحظ الربط بالفاء التي تقتضي السرعة، وعدم التسويف في التوبة؛ لأنها العبادة المقصود من استبدالهم بغيره، وليس المقصود -والله أعلم- الذنب؛ لأن الذنوب هي سبب كل البلاء (﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى٣٠]، والاستغفار هو سبب الرحمة، وسعة الرزق، والمدد من الله (﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[نوح١٠-١٢].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٧٤٨/٩، إلا قوله: (فيستغفرون) فهو عنده برقم ٢٧٤٩/١١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٢٤)

٤٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كُنَّا قُعُودًا مَعَ[١] رَسُول الله ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ يُقتطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا للأَنْصَارِ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى قوله: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: **((اذهَبْ[٢] فَمَن لَقِيتَ[٣] وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ))** رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أظهُرنا: من بيننا[٥].

يقتطع دوننا: يُصاب بمكروه من عدو[٦].

حائطًا: بستانًا[٧].

مستيقنًا: معتقدًا اعتقادًا جازمًا[٨].

---

(١) لفظ مسلم: (حول).

(٢) عند مسلم زيادة: (بنعليَّ هاتين).

(٣) عند مسلم زيادة: (من).

(٤) برقم ٣١/٥٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٦) المرجع السابق ١١٢.

(٧) المرجع السابق ١١٢.

(٨) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤٨٤.

الشرح الأدبي

الحديث يصوِّر عملياً شدة حرص الصحابة على الرسول ﷺ وسلامته يدلك على ذلك عدة أمور في بناء الصحابي لعبارته منها كثرة الألفاظ التي تدل على الفزع (خشينا - فزعنا - فزع) ومنها العبارت التي تدل على القلق (أبطأ علينا - أن يقتطع دوننا) ومنها كثرة استخدام الفاء في الربط بين الأحداث، والتي تدل على سرعة الاستجابة (فقام - فأبطأ - فقمنا- فكنت - فخرجت - فدرت - فدخلت) ومنها عموم الأثر والذي يدل عليه استخدام الصحابي (نا) الفاعلين بكثرة، لذلك جاءت بشارة الرسول ﷺ لهم بالجنة جزاءً من جنس العمل، فتأمل كيف تحولت نصرتهم للرسول ﷺ نصرة لأنفسهم، وكذلك كل من ينصر رسول الله، وسنته، فإنه في الحقيقة يحي قلبه، وينصر نفس، وذلك في كل زمان، ومكان، وفي الحديث بيان لفضل كلمة التوحيد، وعظمة فضل الله بإدخال المستيقن بها الجنة، و(مستيقناً) قيد يفيد نفي النفاق لتحقق الأثر المترتب على الشهادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ وخوفهم عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان واليقين بالله.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر، والترغيب:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث في قوله ﷺ "اذهب" ومما هو معلوم أن أسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تحمل المدعو على الاستجابة، وفي أسلوب بيان لأهمية المأمور به، حيث جاء في صورة الأمر، ومن أمثلة استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذۡ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[٢].

٢- الترغيب: حيث جاء في الحديث "فبشره بالجنة" وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الموعظة، وتحببهم في الاستجابة لما يقول الداعية "وما على المربي إلا أن يكون واسع الأفق، ثرى التفكير، منتبهًا للغرض والمواقف والمناسبات فينبه من يعلمهم إلى ما يقربهم من الجنة ويبعدهم من النار، ويقيس السلوك نوعًا وكما ويقرنه بجزائه، ويفتح آفاق المتعلمين على نعيم الآخرة الواسع الكبير المتعدد المتدرج المتنوع، ويشعرهم أن لكل عمل إغراء، ولكل بلاء جزاء، ويربط ربطًا وثيقًا ما بين جزئيات السلوك وبين العائد منه سلبًا أو إيجابًا[٣]، ومن أمثلة استخدام القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ وخوفهم عليه:

لقد ضرب الصحابة الكرام النموذج الصالح في الحرص على ملازمة النبي ﷺ وفدائه بنفوسهم وأموالهم. يستنبط ذلك من عموم الحديث ويدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة رسول الله ﷺ؛ لأنهم يعلمون أنه القدوة لهم جميعًا قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني لأذكرك فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج فأذكر أني إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة فيشق ذلك على، وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، ص ١٧٠.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

عليه رسول الله ﷺ، شيئًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾[١] فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه[٢]، ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه من أكثر الصحابة ملازمة للنبي ﷺ وله شرف الصحبة قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣] وأبو هريرة رضي الله عنه كان من الملازمين للنبي ﷺ، فقد أخرج البغوي بسند جيد عن الوليد بن عبد الرحمن عن ابن عمر أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه أنت كنت ألزمنا لرسول الله ﷺ، وأعلمنا بحديثه[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: التبشير:

التبشير من مهام الداعية الرئيسة وقد قال الله عز وجل عن وظيفة الرسل عليهم السلام: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٥]، وأمر الله تعالى الرسولَ ﷺ أن يبشر المؤمنين فقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٦]، وأمر الرسول ﷺ بالتبشير، في الحديث في قوله: "فبشره بالجنة" وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره قال: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٧] وجعل الله من ثواب المؤمنين بشارة ربهم لهم ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٨] وإذا كان الأمر كذلك فجدير بالداعية أن يستصحب التبشير في دعوته.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط كما في حياة الصحابة للكاندهلوي ٤٥٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٧٥

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٦) سورة يونس، آية: ٢.

(٧) أخرجه مسلم ١٧٣٢

(٨) سورة التوبة، آية: ٢١.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان واليقين بالله:

إن الإيمان واليقين في الله من أعلى درجات الإيمان، ويصل بالمؤمن إلى أشرف منازل الجنة، وقد جاء في الحديث "فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة" وهذا يدل على فضل كلمة التوحيد والإيمان بالله، ويدل أيضًا على فضل الإيمان واليقين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ بِلَالٌ يُنَادِي، فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَالَ مِثْلَ هذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1].

قال ابن القيم: (واليقين مما خص به أهل الفلاح والهدى، وهو روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلأ محبة لله وخوفًا منه ورضى به وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[2].

جاء في الدر المنثور: (عن قتادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[3] قال: إن الله عز وجل ليس تاركًا أحدًا من خلقه حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن فأما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة، وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين)[4].

قال سفيان الثوري عن ثمرة الإيمان واليقين: (لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وشوقًا إلى الجنة وخوفًا من النار. وقال ذو النون: اليقين يدعو إلى قصر الأمل وقصر الأمل يدعو إلى الزهد، والزهد يورث الحكمة، وهي تورث النظر في العواقب.

وفي فوائد اليقين قال أبوبكر الوراق: اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله وبالعقل عُقل عن الله. وقال الجنيد: اليقين هو استقرار العلم الذي لا يحول ولا ينقلب ولا يتغير في القلب، وقال أبوبكر بن طاهر: العلم يعارضه الشكوك،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٥٢/٢ رقم ٨٦٢٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٧٢/١٤.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٢٢١/٢٢٠/٣

(٣) سورة الواقعة، آية: ٩٥.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٦/١٤.

واليقين لا شك فيه، وعند القوم: اليقين لا يساكن قلبًا فيه سكون إلى غير الله)[١].

والحديث الذي نحن بصدده يقيد الإطلاق في الأحاديث السابقة التي في الباب في هذه الأحاديث، إذ وردت كلمة التوحيد مطلقة وهنا جاءت مقيدة بأن يكون قائلها مستيقنًا قلبه لا يعتريه أدنى شك، فيفهم من هذا الحديث أن الذي يشوبه شك في ذلك، لا يفرح بتلك البشرى بل لابد أن يكون قلبه مستيقنًا، وفيه مراجعة هذه القلوب وتعهدها للحفاظ عليها من الأمراض القلبية، ومن علامات اليقين أن يكون مستجيبًا مطيعًا لله وللرسول في الأوامر والنواهي، لا يتردد في الاستجابة.

قال ابن علان: ("مستيقنًا بها قلبه" أي موقنًا بها قلبه والسين فيها للمبالغة لأن كثرة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا، وخرج بها المنافق "فبشره بالجنة" إما ابتداء إن مات عقب الإسلام قبل التلبس بكبيرة أو بعد الإسلام بمدة ولم يفعل معصية أو فعلها وكانت صغائر وله حسنات لم تغلب عليها المعاصي أو كانت كبائر فتاب منها، أو بعد إدخال النار مدة إن مات على صغائر زائدة على حسناته أو على كبيرة ولم يتب منها، ويجوز أن يتفضل الله عليه فيدخله الجنة ابتداء، قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٢] وحذف المصنف ما أشار به عمر من ترك هذا التبشير مخافة مما يترتب عليه من ترك صالح العمل المقتضي لفوات المراتب العلية في الجنة فوافقه ﷺ على ذلك)[٣].

قال النووي: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم، وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ولا النطق دون الاعتقاد، بل لا بد من الجمع بينهما، وقد تقدم إيضاحه في أول الباب وذكر القلب هنا للتأكيد ونفي توهم المجاز، وإلا فالاستيقان لا يكون إلا بالقلب[٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٣٧٢٩/٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٣٢/٢-٣٣٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٣٧/١.

الحديث رقم (٤٢٥)

٤٢٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيّ ﷺ تَلاَ قَولَ الله عز وجل في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ﴾[إبراهيم: ٣٦] الآية، وقَولَ[1] عيسَى ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيهِ وَقالَ: ((**اللَّهُمَّ أُمّتي أُمّتي**)) وبَكَى، فَقَالَ الله عز وجل: ((**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ -وَرَبُّكَ أعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟**)) فَأتَاهُ جبريلُ، فَأخْبَرَهُ رسولُ الله ﷺ، بِمَا قَالَ -وَهُوَ أعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((**يَا جِبريلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمّتِكَ وَلاَ نَسُوءكَ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

لا نسُوءُك: لا نحزنك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل معنى جليلاً يقوم على الحوار بين أشرف أطراف بين الله عزوجل، ورسول من السماء للأرض جبريل عليه السلام، ورسوله من الأرض للأرض محمد ﷺ، والذي يكشف عن مدى محبته ﷺ لأمته، وخوفه عليها يدل على ذلك قوله (اللَّهُمَّ أُمّتي أُمّتي) حيث صدر النداء بهذه الصيغة التي توحي بمزيد التذلل، والخشوع، وتكرار لفظ الأمة، وإضافتها له ﷺ تشريفاً ثم بكائه، وقد صدر البكاء من الرسول ﷺ كغيره من البشر، بكى خوفا، ولكن على أمته، بكى شوقا، ولكن

---

(١) لفظ مسلم: (وقال).

(٢) برقم ٢٠٢/٣٤٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤١.

إلى خالقه، بكى شفقة - دون اعتراض - عند موت ابنه، وكل بكائه ﷺ كان في إطار ما يرضي الله عز وجل وقد كان بكاؤه - في أثناء حديثه - شديد التأثير على من حوله لشدة محبتهم له، ولعلمهم أنه إذا بكى ﷺ فإن وراءه أمراً عظيماً؛ لأنه بسبيل الوحي، وقد حوت أحاديثه كثيراً من المواقف شديدة التأثير التي بكى فيها، ونقلها الرواة نصاً إلينا ليخالجنا نفس الشعور الذي خالجهم عند صدورها أول مرة[1] -كما حكى الراوي في هذا الحديث- وقد جاء الرد الإلهي تكريماً للرسول ﷺ وبشارة لأمته في صورة استفهام إيناس، وتلطف أرسل به جبريل، وأمره أن يسأله (مَا يُبْكِيهِ ؟) فأخبره جبريل فرد عليه بما كان من دعائه فجاءته بشارة ربه (إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءكَ) وقد أكدت الجملة بعدة مؤكدات، منها حرف التوكيد، ونسبة الفعل لله يؤكد التحقق، وجملة النفي للإساءة، والتي تؤكد معنى الترضية.

فقه الحديث

قوله: "فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي" فيه مسألتان:

١- رفع اليدين في الدعاء: قال القرطبي[2]: (واختلف الفقهاء في رفع اليدين في الدعاء، فكرهه طائفة منهم جبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وغيرهم، واختاروا إذا دعا الله في حاجة أن يشير بأصبعه السبابة، ويقولون: ذلك الإخلاص، واحتجوا بما رواه مسلم عن عمارة بن رويبة ورأى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه فقال: قبّح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبِّحة[3] وبما روى أنس بن مالك أن النبي كان لا يرفع يديه في الدعاء إلا عند الاستسقاء فإنه كان يرفعها حتى يرى بياض إبطيه[4].

---

(١) انظر: الحال الدالة في الحديث النبوي، بحث منشور في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط، د. ناصر راضي الزهري، العدد، ٢٦، جـ١، ص ٦٦٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩/٢٤٥-٢٤٧ بتصرف كبير.

(٣) أخرجه مسلم ٨٧٤.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٠٣١، ومسلم ٨٩٥.

أما جواز رفع اليدين في الدعاء فقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين، وقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ، قال ابن عمر رضي الله عنهما: رفع النبي ﷺ يده وقال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))[١].

أما أصحاب المذاهب الفقهية المعتبرة فقد ذهب الحنيفة والمالكية في قول والشافعية والحنابلة أن من آداب الدعاء خارج الصلاة رفع اليدين بحذاء صدره، ويرى المالكية في قول أن الداعي لا يرفع يديه عند الدعاء خارج الصلاة[٢].

وقال القرطبي: (والدعاء حسن كيفما تيسير وهو المطلوب من الإنسان، لإظهار موضع الفقر والحاجة إلى الله عز وجل والتذلل له والخضوع، فإن شاء استقبل القبلة ورفع يديه فحسن، وإن شاء فلا، فقد فعل ذلك النبي ﷺ حسبما ورد في الأحاديث)[٣].

٢- صفة رفع اليدين: اختلف من أجاز من الفقهاء رفع اليدين في هيئة الدين عند الدعاء:

فذهب الحنفية إلى أنه من الأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة، وقالوا: لا يضع إحدى يديه على الأخرى، فإنه كان في وقت عذر أو برد شديد، فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه.

ونص الشافعية على أنه يسن رفع يديه في الدعاء للاتباع، وهو أن يجعل ظهر كفيه إلى السماء إن دعا لرفع بلاء، وعكسه إن دعا لتحصيل شيء.

ونص المالكية على أن من آداب الدعاء: بسط يديه ورفعهما إلى صدره لحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٣٩.

(٢) انظر: الفتاوى الهندية ٣١٨/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٦/٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤٧/٩.

((إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها))[١] وتكون يداه مضمومتين[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شفقة ورحمة النبي ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنداء.

خامساً: من موضوعات الدعوة: شفاعة النبي ﷺ لأمته.

أولاً- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

(إن القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا عن النبي ﷺ نقلاً متواترًا بلا شبهة ولا خلاف بين المسلمين في أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع وأنه حجة على الناس أجمعين، والدليل على حجيته أنه من عند الله، والدليل على أنه من عند الله إعجازه، وإذا ثبت كونه من عندالله بدليل إعجازه وجب اتباعه من قبل الجميع واستفادة الأحكام من نصوصه، وعلى هذا فالقرآن حجة على الجميع والمصدر الأول للتشريع بالدليل القاطع والبرهان الساطع. وأنواع الأحكام التي جاء بها القرآن ثلاثة:

أولاً: أحكام اعتقادية تتعلق بالعقيدة كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٨٥ من طريق محمد بن كعب عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أبو داود: روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلها واهية، وهذا الطريق أوثلها وهو ضعيف أيضًا.

(٢) انظر: الفتاوى الهندية ٣١٨/٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٠/١٤، ٢٨١، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وتحفة المحتاج ٤٨٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٦/٤٥، ٢٦٧.

ثانيًا: أحكام أخلاقية تتعلق بتزكية النفوس وتهذيبها وبيان الأخلاق القويمة التي يجب التحلي بها، والأخلاق الرديئة الواجب التخلي عنها.

ثالثًا: أحكام عملية وهي تشمل عبادات ومعاملات)[1].

والقرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية، والمصدر الأول للتشريع وللدعوة إلى الله تعالى، والداعية لا يستغني عن القرآن الكريم أو السنة النبوية في دعوته لأنهما المصدران الأساسيان للدعوة، فالداعية عند تناوله لأية قضية لابد وأن يلتمس من القرآن الكريم الشواهد على كلامه وتوجيهه للمدعوين وفي هذا الحديث تلا النبي ﷺ آيتين من كتاب الله تعالى، (فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، وهو كذلك كتاب عملي يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل عليهم السلام، ودستور خاتم الأديان، ولو لم يكن عمليًا لأنزل الله بعده كتبًا أخرى كما أنزل الإنجيل بعد التوراة، وأنزل القرآن بعدهما فسبحان من لا تنفد كلماته، ومن مظاهر عمليته جمعه بين التطور والثبات في أحكامه واشتماله على مزايا الواقعية والمثالية في تشريعاته)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته:

لقد وصف الله نبيه في القرآن بأنه رؤوف رحيم بأمته ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث "اللهم أمتي أمتي وبكى" وهذا يدل على عناية النبي ﷺ واهتمامه بأمور أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال الطاهر بن عاشور: (تأتي خاتمة هذه السورة -سورة التوبة- بتذكيرهم بالمنة ببعثة محمد ﷺ والتنويه بصفاته الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ١٥٥-١٥٦.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ١٢٨، ١٢٩

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام ليكون رؤوفًا رحيمًا بهم ليعلموا أن ما لقيه المعرضون عن الإسلام من الإغلاظ عليهم بالقول والفعل ما هو إلا استصلاح لحالهم. وهذا من مظاهر الرحمة التي جعلها الله تعالى مقارنة لبعثة رسوله ﷺ. وهذه الآية من شأنها أن تزيل الحرج من قلوب الفرق التي نزلت فيهم آيات الشدة وعوملوا بالغلظة تعقيبًا للشدة بالرفق وللغلظة بالرحمة وكذلك عادة القرآن فقد انفتح بهذه الآية باب التوبة من وفقه الله إليها، والخطاب في الآية موجه إلى جميع الأمة المدعوة للإسلام)[1].

قال النووي: (وهذا الحديث يدل على بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم، وفيه البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا بما وعدها الله تعالى، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، والحديث يدل على بيان عظم منزلة النبي عند الله وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شفقة ورحمة النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث "فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى" وهذا يدل على شفقته ورحمته ﷺ فلم يكن فظًا ولا غليظًا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3] ولما بلغ النهاية في الشفقة والرحمة قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] ووصفه الله مع الجماعة المؤمنة من الصحابة بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[5]. وقد جعل الله عز وجل بعثته وإرساله رحمة لكل الخلق قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[6].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥/١١/٧٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) سورة القلم، آية: ٤.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

قال القاسمي: (أي: وما أرسلناك بهذه الحنيفية والدين الفطري إلا حال كونك رحمة للخلق، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين وفي جعله نفس الرحمة مبالغة جلية فهو نبي الرحمة قال الرازي: إنه عليه السلام كان رحمة في الدين وفي الدنيا أما في الدين فلأنه بعث والناس في جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم، ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمدًا ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم إلى الحق وبين لهم سبيل الثواب وشرع لهم الأحكام وميز الحلال من الحرام ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق، فلا يركن إلى التقليد ولا إلى العناد والاستكبار وكان التوفيق قرينًا له. وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه)[1].

ولقد كان من خصال رسول الله ﷺ تواضعه للناس وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الأسواق ويجلس على التراب، ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم: إلا بإطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزًا وبالتذلل متعززًا[2]، ومما يدل على شفقته ورحمته ما جاء عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: ((إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَاوَزُ فِي صَلاَتِي، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ))[3].

وهذا يدل على أن النبي ﷺ كانت عنده شفقة ورحمة بأمته حتى في أمور العبادة (ما كان رسول الله ﷺ يُرى متأثرًا وغاضبًا إلا عندما يرى أحدًا من أمته اعتدى على محارم الله أو قسى أو افترض على نفسه عبادة لا يطيقها إن عاجلاً وإن آجلاً حتى إنه صلوات الله وسلامه عليه من شدة رحمته وخشيته المشقة على أمته كان يترك كثيرًا من أعمال البر خشية أن يتابعه أصحابه فتفرض عليهم فتشق عليهم كما حدث عند

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٧/١١/٢٩٧-٢٩٨.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٤٤١

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٩، ومسلم ٤٧٠

صلاته القيام في مسجده بالمدينة لليلتين على التوالي إحدى عشرة ركعة فانقطع عنهم الليلة الثالثة لما رأى المسجد ضاق بهم فسألوه حينما خرج عليهم لصلاة الفجر: خشيت أن تفرض عليكم)[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الأمر، والنداء:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث: "يا جبريل اذهب إلى محمد وما من شك في أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة، وهو يبين للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة الالتزام به، ومن نماذج استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢]، وقوله جل شأنه: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾[٣].

٢- النداء: حيث جاء في الحديث "يا جبريل" وأسلوب النداء من أساليب الدعوة، التي تفيد التنبيه للمدعو وتعمل على لفت انتباهه لما يقوله الداعية، ويدل من وجه آخر على مدى اهتمام الداعية بالمنادى عليه، ولذا خصه بالنداء؛ ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النداء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٥].

خامساً- من موضوعات الدعوة: شفاعة النبي ﷺ لأمته:

حيث جاء في الحديث: "اللهم أمتي أمتي" وقوله "إنا سنرضيك في أمتك ولا نسؤوك" والشفاعة العظمى من خصائص الرسول ﷺ، قال ابن الملقن: (ومن خصائصه ﷺ أن له شفاعات منها الشفاعة العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفزعون إليه بعد

---

(١) مواقف من السيرة النبوية، مصطفى حسين العطار ص ١١٢.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الأنبياء والشفاعة في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب، والشفاعة في ناس استحقوا دخول النار والشفاعة في ناس دخلوا النار فيخرجون والشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة)[١] "ولا شك أن الشفاعة من أعظم ما يعطاه الرسول ﷺ يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٢].

قال ابن هبيرة: (وفي الشفاعة العظمى يقول النبي ﷺ: أمتي أمتي أمتي. والمراد إنك وعدتني أن أمتي يكونون أول الناس حسابًا، وأنهم المقضي لهم قبل الخلائق فأراد عليه السلام أن يعلم ربه أنه غير مرتاب بوعد وعده إياه، وأنه واثق بما وعده من ذلك فأراد: يا رب اقض الحساب على الحال التي وعدتني من أنك تقضي بين أمتي أول الخلائق ثم يتبعهم الناس، فيكون كأنه سأل في الخلق كلهم)[٣].

ولقد (أجمع أهل السنة والجماعة على وقوع الشفاعة في الآخرة ووجوب الإيمان بها لصريح قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾[٤] وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٥] وقد جاءت الأحاديث التي بلغت بمجموعها حد التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المسلمين فيشفع له من يأذن له الرحمن من الأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين.

قال العلماء: (الشفاعة في الآخرة خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهي: الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب، وهي الشفاعة العظمى.

ثانيها: في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه أيضًا خاصة بنبينا ﷺ.

---

(١) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، ابن الملقن ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) سورة الضحى، آية: ٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٤٤٠.

(٤) سورة طه، آية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

ثالثها: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله تعالى.

رابعها: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا ﷺ، والملائكة وإخوانهم من المؤمنين.

خامسها: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. حري بالإنسان أن يسأل الله أن يرزقه شفاعة الحبيب محمد ﷺ)[1].

ومن أفضل مظاهر حب النبي ﷺ لأمته ﷺ على نيل الشفاعة لأمته فقد ادَّخر دعوته لهم يوم القيامة بالشفاعة؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: ((لِكُلِّ نَبِيَ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لأمَّتِهِ. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/١٣٢-١٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٠.

الحديث رقم (٤٢٦)

٤٢٦- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟)) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: ((فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا)) فقلتُ: يَا رَسُول الله، أفَلا أُبَشِّرُ[1] النَّاسَ؟ قَالَ: ((لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ردفَ النبي ﷺ: راكبًا خلفه[3].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ لمعاذ (هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ؟) استفهام قصد به التنبيه، والتعليم مع ما فيه من التسويق، وقوله (اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ) تفويض علم الإجابة لمن عنده علمها، وقوله (فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً) أكد الجملة بعدة مؤكدات لتعظيم الخبر، وتربية المهابة، ونسبة الحق لله تخصيص ينادي بضرورة الوفاء به، وبين قوله العباد، ويعبدوه جناس يؤكد المعنى الذي خلق له العباد، وقوله (ولا يشركوا) مؤكد للجملة السابقة، وتنكير (شيئاً) يفيد التعميم فيشمل قليل الشرك، وكثيره، وتقديم الجار، والمجرور عليها يفيد التخصيص، وقول معاذ رضي الله عنه (أفلا أبشر الناس) الهمزة للاستفهام، والفاء عاطفة على كلام محذوف تقديره إذا كان

---

(١) عند البخاري زيادة: (به).

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠/٤٩ من حديث عمرو بن ميمون، عن معاذ، ولفظهما سواء.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٣/١.

الأمر كذلك، وقصد بهذا الاستفهام الاستئذان في سوق البشارة للناس، وقوله (لا تبشرهم)نهي للتحذير علله بقوله (فيتكلوا) لأنه يريدهم بين الخوف، والرجاء حتى يلقوا ربهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والسؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ورسوله.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تعبيد العباد لله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العمل الصالح مع رجاء رحمة الله وعدم الاتكال.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب:

١- النداء: ورد النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا معاذ" ومما لاشك فيه أن أسلوب النداء يشعر المدعو بالاهتمام من قِبل المنادِي كما أن النداء يفيد التنبيه والحث على أمر معين إذا كان الإنسان في غفلة عنه، ولذا قال عبدالله بن مسعود لرجل قال له: اعهد إلي يا عبدالله فقال له (إذا سمعت الله يقول: "يا أيها الذين آمنوا" فأعرها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه)[1] ومن صور استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ﴾[3].

٢- السؤال والجواب: جاء في الحديث في قوله ﷺ: "هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم" ومما هو معلوم أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة، وهو يعين المدعو على فهم أحكام الإسلام، ويقوم

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبوبكر جابر الجزائري، ص ٧.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ١.

الداعية بالإجابة على السؤال مباشرة، وهو يفتح من وجه آخر قناة حوار بين الداعية والمدعو مما يؤصل العلاقة بينهما، وقد جاء في القرآن الكريم استخدام هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[3].

ويستفاد من هذا الحديث الشريف أدب من آداب طالب العلم أنه إذا سئل عن مسألة ولا يعلم جوابها أن يقول: الله أعلم، وأن لا يتكلم فيما لا يعلم. وفيه التخوف من الاتكال على تلك البشرى لأن الإنسان يجب أن يعلم أنه لابد من عبادة الله تعالى والأخذ بالأسباب لدخول الجنة.

قال ابن علان: رجح ﷺ مصلحة ترك التبليغ لما فيه من الحث على الإكثار من صالح العمل على التبليغ لما قد يؤدي إليه من التعطيل[4].

ثانيًا- من واجبات المدعو: تفويض العلم لله ورسوله:

إن الإنسان لا يحيط بعلم كل شيء، ولذا فما يجهله يجب أن يرد علمه إلى الله تعالى وقد جاء في الحديث "قلت: الله ورسوله أعلم" وهذا من أهم واجبات المدعو وقد علم الله نبيه أن يرد العلم إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾[5] وعلم المؤمنين أن يفوضوا ما لا يعلمون إلى الله تعالى والرسول ﷺ قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٢/٣٣٥).

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

قال ابن القيم: (وقوله تعالى "فإن تنازعتم في شيء: نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين دقه وجله جليه وخفيه ولو لم يكن في كتاب الله ورسوله بيان حكم ما تنازعوا فيه ولم يكن كافيًا لم يأمر بالرد إليه إذ من الممتنع أن يأمر الله تعالى بالرد عند النزاع إلى من لا يوجد عنده فصل النزاع)[1].

وقال الخطيب البغدادي: (وإذا سئل المفتي عن حكم نازلة فأشكل عليه وهناك من هو عارف به لزمه أن يرشد السائل إليه ويدل عليه، فإن لم يكن هناك من يستفتى غيره لزمه الإمساك عنه وترك الجواب فيه ما لم يتضح له فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2] وعن عبدالله بن بشر أن عليَّ بن طالب رضي الله عنه سئل عن مسألة فقال: لا علم لي ثم قال: وَابَرْدهَا على الكَبِد سئلت عما لا أعلم، فقلت: لا أعلم. وعن عقبة بن مسلم أن ابن عمر رضي الله عنهما سئل عن شيء فقال: لا أدري، ثم أتبعها فقال: أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورًا في جهنم أن تقولوا لو أفتانا ابن عمر بهذا. وعن نافع عن ابن عمر: أنه سئل عن أمر فقال: لا أعلمه ثم قال: نعم ما قال ابن عمر سئل عن أمر لا يعلمه فقال: لا أعلم)[3].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: تعبيد العباد لله تعالى:

حيث جاء في الحديث "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه" وما من شك أن من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله تعالى أن يستقيم الناس على عبادة الله سبحانه (إن هذا الدين العظيم "الإسلام" قائم على أركان خمسة ومبني على قواعد راسخة ثابتة بينها الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الإسلام وهذه الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام ما هي إلا دعائم يرتكز عليها الدين يحقق بها العبد عبوديته لله سبحانه وتعالى إذ لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى متفرد في ألوهيته وربوبيته وأسمائه

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٤٩/١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٣) الفقيه والمتفقه ٣٦٠/٢، ٣٦٤، ٣٦٥.

وصفاته بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله)[١]. إن الهدف الكبير للدعوة الإسلامية هو الإجابة على سؤال الناس "لماذا جئنا؟" والجواب في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٢] (إن أهم أهداف الدعوة الإسلامية الدعوة إلى العقيدة الإسلامية التي يعبدون الله على أساسها والشريعة التي يتعاملون بها والسلوك الذي ينظم حياتهم)[٣].

قال ابن حجر: (قال ابن التين: يريد بقوله "حق العباد على الله" حقا علم من جهة الشرع لا بإيجاب العقل، فهو كالواجب في تحقق وقوعه أو هو على جهة المقابلة والمشاكلة كقوله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾[٤])[٥].

قال القرطبي: ("حق الله على العباد" هو ما أوجبه عليهم بحكمه وألزمهم إياه بخطابه)[٦] قال المباركفوري: (وفي قوله ﷺ: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك لأنه تمام التوحيد، والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشترط نفي ذلك، والجملة حالية والتقدير يعبدونه في حال عدم الإشراك به.

قال ابن حبان: عبادة الله إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، ولهذا قال في الجواب فما حق العباد إذا فعلوا ذلك؟ فعبر بالفعل ولم يعبر بالقول أن لا يعذبهم، وفي رواية للبخاري: حق العباد على الله أن لا يعذبهم)[٧].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٣٦.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ص ٢٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٨/١٣.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٠٣/١.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ٢٠١٩/٢.

قال القرطبي: ("حق العباد على الله" ما وعدهم به من الثواب، والجزاء فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله: "الحق" الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد فالله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بحكم الأمر إذ لا آمر فوقه، ولا حكم للعقل)[1].

قال الماوردي: (اعلم أن الله سبحانه وتعالى إنما كلف الخلق متعبداته، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا ضرورة قادته إلى تعبدهم، وإنما قصد نفعهم، تفضلاً منه عليهم، كما تفضل بما لا يحصى عَدًّا من نعمه، بل النعمة فيما تعبدّهم به أعظم، لأن نفع ما سوى المتعبدات مختص بالدنيا العاجلة ونفع المتعبّدات يشتمل على نفع الدنيا والآخرة، وما جمع نفعي الدنيا والآخرة، كان أعظم نعمة وأكثر تفضلاً، وجعل الله ما تعبدهم به مأخوذًا من عقل متبوع، وشرع مسموع فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع، والشرع مسموع فيما لا يمنع منه العقل لأن الشرع لا يَرِدُ بما يمنع منه العقل، والعقل لا يُتَّبَع فيما يمنع منه الشرع؛ فلذلك توجه التكليف إلى من كَمُل عقله)[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان وشناعة الشرك:

حيث جاء في الحديث "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا" هذا وقد دلت النصوص على فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك فالإيمان بالله سبب للأمن والهدى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[3] والإيمان بالله سبب دخول الجنة قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[4] والشرك بالله مانع من مغفرة الذنوب، قال

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٢٠٣/١.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٩٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] والشرك بالله سبب لإحباط العمل قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[٢] ولا ينال الإنسان ثواب الله إلا إذا تخلص من الشرك قال جل شأنه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣] والمؤمنون في ولاية الله قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[٤].

وكل هذه النصوص الشرعية تبين بجلاء فضل الإيمان بالله وشناعة الشرك وخطورته (إن الشرك بالله تنكّرٌ لجلاله، وكفران بحقه، و استهانة بعظمته، وتعد على سلطانه، ولقد أرسل الله رسله، وأنزل كتبه للدعوة إلى توحيده قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٥] ومن هنا كان عنوان العقيدة الإسلامية يتمثل في هذه الكلمة العظيمة التي عرفت لدى المسلمين بكلمة "التوحيد" وكلمة "الإخلاص" وكلمة "التقوى" وهي: لا إله إلا الله وهي الكلمة التي تعني منهج الله الذي لا تعنو الوجوه إلا له، ولا تنقاد القلوب إلا لحكمه ولا تخضع إلا لسلطانه، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على جميع العباد)[٦].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) سورة محمد، آية: ١١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٦) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ٩٠.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية العمل الصالح مع رجاء رحمة الله وعدم الاتكال:

يظهر هذا من الحديث "يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا" ذلك لأن الإنسان لكي ينال جنةالله يجب أن يقدم العمل الصالح ويرجو رحمة ربه قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1] وربط الله بين التوبة والعمل الصالح فقال جلّ شأنه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[2] وقال سبحانه في فضل رجاء رحمة الله مع العمل الصالح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾[3]

قال الإمام ابن القيم: (والرجاء حاد يحدو الإنسان في سيره إلى الله ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد، ومما يعين على الرجاء الخوف فكلاهما مستلزم للآخر فكل راج خائف وكل خائف راج وفي الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظته وعبادته)[4].

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢١٦-٢١٧.

الحديث رقم (٤٢٧)

٤٢٧- وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((**المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ الله، وَأنّ مُحَمّدًا رَسُول الله، فذلك قوله تَعَالَى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[إبراهيم: ٢٧])) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول أثر الشهادتين في أحد المواقف التي يمر بها الإنسان بين الحياة، والممات، والقبر، والحشر، والحساب، وغيرها من المواقف التي لا ينفع فيها إلا الإخلاص الذي هي روحه، والحديث عما في القبر نوع من الغيب، ولفظ القبر من الألفاظ التي توحي بالخوف، والانزعاج، والحديث يبدأ بداية خبرية خالية من المؤكدات؛ لأنه يقابل بها عاري الذهن عن الخبر، واللام في المسلم للجنس فتشمل جميع المسلمين، وقد أخبر عنه بجملة الشرط التي تربط السؤال بالشهادتين، في إشارة إلى أنهما سبيل النجاة من هول هذا الموقف، ثم إن بناء فعل السؤال لما لم يسم فاعله لون من الترهيب بحسب ما يستطيع كل عقل أن يتصور ثم إن تصور حجم الرهبة مرتبط بطاعة الإنسان، ومعصيته، كلما زادت الطاعة قلت الرهبة، والعكس.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٩٩، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه ١/٥٢٩، رقم ٨٦٦ في المتفق عليه بهذا اللفظ، ثمَّ قال: وفي حديث غندر عن شعبة، ثمَّ ذكر لفظه، وهذا اللفظ الثاني مما اتفقا على تخريجه، ثمَّ قال: وأخرجه مسلم أيضًا من حديث خيثمة بن عبد الرحمن، عن البراء، وذكره، ففهم المؤلف من إيراده اللفظ بهذه الصورة أنه من المتفق عليه، وليس كذلك، بل أخرجه البخاري فقط بهذا اللفظ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إثبات سؤال القبر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تثبيت الله للمؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التبشير:

ورد التبشير في الحديث في قوله ﷺ: "المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" والأمر الذي لاشك فيه أن أسلوب التبشير من أساليب الدعوة التي تشجع المدعوين على الطاعة، وقد خاطب الله نبيه فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

ولقد كان من وصية النبي ﷺ إلى مبعوثيه أن يبشروا وييسروا، فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن قال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[2].

(إن الحث على فعل الطاعات وأداء الخير والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة)[3] ومن صور استخدام القرآن لأسلوب التبشير والأمر به قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[4] وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥، ٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٣) انظر: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ٣١٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٥) سورة يونس، آية: ٢.

إن هذا الحديث الشريف تضمن تفسيرًا نبويًا مبينًا الإجمال في معنى يثبت الله، ومعنى القول الثابت، وهذا البيان هو وجه من وجوه التفسير لهذه الآية.

وفي هذا الحديث بيان فضل الإيمان بالله تعالى، لأن الإيمان هو سبب هذا التثبيت من عند الله تعالى، وفي ذلك عناية الله تعالى بالمؤمنين، وبشرى عظيمة للمؤمنين بأنهم سيُجيبون الملك الذي سيسألهم من ربك؟ من نبيك؟ وهذا الجواب علامة على النجاح في هذا الامتحان العصيب الذي لا يفلت منه أحد.

ويستنبط منه أن غير المؤمنين لن يحظوا بهذه العناية، لأنهم فرَّطوا بتوحيد العبودية، من أجل ذلك فإنهم لن يستطيعوا أن يجيبوا الملك السائل بذلك الجواب العظيم وبتلك الكلمة العظيمة الثقيلة الميزان.

قال ابن علان: (إذا سئل في القبر) على وجه الامتحان وحذف السائل للعلم به، وهما الملكان الموكلان بذلك[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إثبات سؤال القبر:

إن من قضايا العقيدة التي يجب الإيمان بها والتسليم بوقوعها إثبات سؤال القبر. حيث جاء في الحديث "إن المسلم إذا سئل في القبر" وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العبد يسأل في قبره وقد دلت النصوص الشرعية على إثبات سؤال القبر، قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[2].

وجاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُه - وإنّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالهم - أَتاهُ مَلَكانِ فيُقعدانِه فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم. فأمّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولهُ. فيقال له: انظُرْ إلى مَقْعَدِك مِنَ النّارِ، قد

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٢/٣٣٦).

(٢) سورة غافر، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

أبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقعدًا منَ الجنةِ، فيراهُما جميعًا» قال قَتادةُ: وذُكِرَ لنا أنَّهُ يُفسَحُ لهُ في قبرِهِ. ثم رَجَعَ إلى حديثِ أنس قال وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لاأدري، كنتُ أقولُ مايقولُ الناسُ. فيقال: لادَرَيتَ ولاتَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطَارِقَ من حديدٍ...))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث إثبات عذاب القبر، وأنه واقع على الكفار وعلى من شاء الله من الموحدين، قال الحكيم الترمذي: لما أرسل الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين أمسك العذاب عن الناس، وقبل الإسلام ممن أظهره منهم سواء أسر الكفر أو لا، فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب ويثبت الله الذين آمنوا ويضل الله الظالمين)[2].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: (لقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم عن كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا. وليس السؤال في القبر للروح وحدها ولكنه للروح والجسم وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة تَنْعم النفس، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به. وعذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيب منه قُبر أم لم يُقْبر أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور)[3].

وقال عبدالرحمن حبنكة الميداني: (لقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الإنسان

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٤ واللفظ له، ومسلم ٢٨٧٠ مختصرًا.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٣/٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٥٧٨/٢-٥٨٠.

المكلف إذا مات جاءه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، ويقال للآخر النكير فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ أي محمد ﷺ، والمراد من سؤال القبر السؤال في البرزخ بين الموت والبعث، سواء كان ذلك في القبر أم لا، وقد أضيف السؤال إلى القبر بالنظر إلى أن أكثر الموتى يقبرون)[١].

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تثبيت الله للمؤمنين

إن من فضل الله على المؤمنين أنه يثبتهم في الدنيا والآخرة وبذلك نطقت الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢] قال السعدي: (يثبت الله عباده المؤمنين في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الإسلام والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح إذا قيل للميت من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: "الله ربي،والإسلام ديني، ومحمد نبيي")[٣] وقدأمر النبي ﷺ بالدعاء بالتثبيت للميت فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ))[٤].

قال القرطبي: (ينبغي أن يرشد الميت في قبره حين يوضع فيه إلى جواب السؤال ويذكر بذلك فيقال له: قل الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسولي فإنه عن ذلك يسأل كما جاءت به الأخبار)[٥] ومما لا شك فيه أن التثبيت إنما يكون لأهل الإيمان

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٦٤٥، ٦٤٦.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠ .

(٤) أخرجه أبو داود ٣٢٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٥٨).

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ١١٠.

الصحيح، والتوحيدالخالص (ومن الآثار الطيبة لصاحب التوحيد في قبره أنه ينجو من الخوف والرعب عند السؤال، ويجيب على الأسئلة بكل ثبات ويقين وصدق ثم يأتيه التصديق من ربه جلا وعلا ويفرش له من الجنة ويلبس منها وفتح له وهو في قبره باب إلى الجنة)[١].

رابعًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الحديث وإخبار النبي ﷺ عما ينال المؤمن من التثبيت عند سؤال القبر وتلك مهمة الداعية الأولى بيان حقائق الإسلام للمدعوين قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢] وهذا البيان فيه البشارة للمؤمن والإنذار للعاصي. وواجب الداعية أن يبلغ للمدعوين الحقائق ويعرفهم بها فإن مهمته تقوم على البيان والتبيين قال الإمام ابن القيم: (ومراتب العلم أربعة: أولها وثانيها: سماعه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه؛ أي: عقله واستقر في قلبه. المرتبة الثالثة: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده، وهو بثه في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع ودخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فإنه ينال النضرة وهي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان)[٣].

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ١٧٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية، جمع وترتيب: صالح أحمد الشامي، ص ١٠٢-١٠٣.

الحديث رقم (٤٢٨)

٤٢٨- وعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((إنّ الكافِرَ إذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإنَّ الله تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ))[1].

وفي رواية: ((إنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ[2] للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إذَا أفْضَى إلَى الآخرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

طُعمةً: رزقًا[4].

يُعقبُهُ: يُجازيه ويُعْطِيه[5].

أفضى إلى الآخرة: انتهى وصار[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٠٨/٥٧.

(٢) برقم ٢٨٠٨/٥٦. هذه الرواية قبل الرواية الأولى عند مسلم، المؤلف تبع الحميدي في جمعه ٦٠٩/٢، رقم ٢١٠٥ حيث أوردها هكذا.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٠٨/٥٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ع م).

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ع ق ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٨.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ض ى)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٨.

الشرح الأدبي

بداية الحديث خبرية مؤكدة بـ(إن) مع تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى، مع تعريفه بـ(ال) الجنسية الذي يدخل كل كافر في الحكم، وجملة (إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ) شرطية تفيد استهلاكه لحسناته في الدنيا، كلما عمل حسنة نال ثوابها متاعاً دنيوياً، وقوله (أطعم - طعمة) جناس يؤكد المعنى، ويؤكد استهلاكه لما يفعل من الحسنات، وقوله (وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ) أما تفصيلية و(ال) في المؤمن للجنس فتشمل كل مؤمن بالحكم، والتعبير بالادخار يفيد البقاء، والحفظ، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد الاختصاص، وذكر الله وسط الجملة يبعث الطمأنينة، ويؤكد التحقق، ويبعث الرجاء في مضاعفة المدخر ، قوله (وَيُعْقِبُهُ رِزْقاً فِي الدُّنْيَا) يشير إلى تبعية الخير العاجل للحسنة، وقوله (على طاعته) التعبير بعلى يفيد علو الرزق على الطاعة، وفي الحديث مقابلة بين الكافر، والمؤمن تشير إلى الفارق بين الوصفين اللذين كانا عليهما في الدنيا، كما قابل بين يدخر، ويطعم؛ لأن الطعمة لون من الإنفاق المقابل للادخار، وكذلك قابل بين الآخرة، والدنيا ليشير إلى استيفاء الجزاء في دار البقاء، أو الجزاء في دار الفناء.

فقه الحديث

هذ الحديث يشير إلى حكم فقهي يتعلق بباب القربات والطاعات، أجمع الفقهاء على أن المسلم إذا قصد القربة والطاعة وجه الله عز وجل فإنه يأخذ الثواب عليها: ويصدق تلك القاعدة الفقيهة الكلية "لا ثواب إلا بالنية" أما الكافر لا ثواب له في الآخرة بنيته لأنه ليس أهل للنية ومن شروط النية "القصد" الإسلام[1].

وصرح في هذا الحديث أنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق

---

(١) غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، الحموي، ٧٦/١.

والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضًا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله بين عباده.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده المؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الله لا يظلم" وأسلوب التوكيد يساعد على إقناع المدعو، ويدل على مدى صدق الداعية فيما يقول، ولذا أكد النبي ﷺ في هذا الحديث بأن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة..." ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢] وقوله جل شأنه ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[٣] وقوله سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله بين عباده:

إن الله عز وجل حكم عدل يقضي بين عباده بالحق، ولذا جاء في الحديث "إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، قال النووي: (معناه لا يترك مجازاته بشي من حسناته، وحقيقة الظلم مستحيلة من الله تعالى، وأما إذا فعل الكافر هذه الحسنات ثم أسلم فإنه يثاب عليها في الآخرة، وأجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا به إلى الله تعالى، وأما

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢/١٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٠.

(٣) سورة النمل، آية: ٧٩.

(٤) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

التصريح في هذا الحديث بأنه يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات أي بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها. وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزي بها مع ذلك في الدنيا ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة)[١].

وقال المناوي: (وقوله في الحديث "إن الله لا يظلم" أي لا ينقص المؤمن فهو لا يضيع أجر حسنة المؤمن فيعطي بتلك الحسنة أجرًا في الدنيا وهو دفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك ويثاب عليها في الآخرة أي يثيبه الله أي يجازيه عليها برفع درجاته في الجنة فهو يجازى على حسناته في الدنيا وفي الآخرة، وأما الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا كأن فك أسيرًا وأنقذ غريقًا فيطعم بحسناته في الدنيا أي يجازى فيها على ما فعله من القرب التي لا تحتاج لنية بنحو توسعة لرزقه، ودفع مصيبة ونصر على عدو وغير ذلك، وقال في المؤمن يعطى، وفي الكافر يطعم لأن العطاء أكثر استعماله فيما تحمد عاقبته حتى إذا أفضى إلى الآخرة أي صار إليها لم تكن له حسنة يعطى بها خيرًا)[٢].

وفي توفية كل إنسان على حسناته ما يدل على عدل الله سبحانه بين عباده فإذا كان الأصل أن الكافر لا يجازى في الآخرة على خير عمله في الدنيا ولا يكتب له حسنة لأن شرط الثواب والجزاء عُدِم وهو الإيمان، لكن أخبر في هذا الحديث أنه من عدل الله أنه قد جازاه بها في الدنيا بما أعطاه ورزقه وأطعمه بخلاف المؤمن الذي يدخر له حسناته في الآخرة[٣].

إن العدل من أسماء الله الحسنى، وهو مما أمر الله تعالى به قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٤]. وبين أنه يأمر به فقال جلّ شأنه: ﴿قُلۡ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٤٥.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢/٢٧٢.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٨/٣٤١، ٣٤٢.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ﴾[١] وإذا كان ضد العدل الظلم فلقد أخبر سبحانه عن نفسه فقال جل شأنه: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢] وجاء في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا))[٣].

(إن العدل وضع الشيء موضعه وأداء الحقوق كاملة، والشريعة المحمدية كلهاعدل وقسط ورحمة لا جور فيها بوجه من الوجوه، لا في أصولها ولا في فروعها فالتوحيد أصل العدل، والشرك ضده أصل الظلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٤] فالعدل تصلح به الدنيا، وتستقيم الأمور على السداد)[٥].

وعدل الله بين عباده يتضح من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٦] وقوله جل شأنه ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٧].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده المؤمنين:

إن فضل الله عظيم ورحمته واسعة ويظهر هذا مما جاء في الحديث من المجازاة على الحسنات للمؤمن في الدنيا والآخرة. قال الطيبي: (والكافر إذا صدرت منه حسنة

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي، ٢٩، ٣٠.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

يستوفي أجرها بكمالها في الدنيا حتى لا يكون له نصيب في الآخرة قط. والمؤمن بخلافه إنما يجزى الجزاء الأوفى في الآخرة وما يناله من رغد العيش المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1] فهو فضل وإحسان من الله تعالى وتحرير المعنى: أن الله تعالى لا يظلم أحدًا عمل حسنة فأما المؤمن فيجزيه في الآخرة الجزاء الأوفى ويفضل عليه في الدنيا. وأما الكافر فيجزيه في الدنيا الجزاء الأوفى وماله في الآخرة من نصيب)[2].

وقال سليم الهلالي: (وفي هذا الحديث بيان لعدل الله مع عباده بأن يوفيهم أجورهم حتى الكفرة الفجرة، وأن الكافر يجزى على عمله الحسن في الدنيا، إما بزيادة ماله أو دفع مكروه عنه، وليس له في الآخرة من نصيب، لأن الكفر يحبط الأجر في الآخرة، وأما المؤمن فإنه يجزى عليه في الدنيا والآخرة)[3]. ولاشك أن هذا من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[4].

قال الشوكاني: (بين سبحانه مقدار جزاء العاملين بما أمرهم به الممتثلين لما شرعه لهم، بأن من جاء بحسنة واحدة من الحسنات فله من الجزاء عشر حسنات، وقد ثبت هذا التضعيف في أحاديث كثيرة، وهذا التضعيف هو أقل ما يستحقه عامل الحسنة، ووردت الزيادة على هذا عمومًا وخصوصًا، ومن جاء بالسيئة أي: من الأعمال السيئة أي فلا يجزى إلا مثلها من دون زيادة عليها على قدرها في الخفة والعظم فالمشرك يُجَازى على سيئة الشرك بخلوده في النار، وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بمثلها مما ورد تقديره من العقوبات)[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٨٦-٢٨٧.

(٣) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٤٩٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٥) فتح القدير ٢/١٨٣.

وقال ابن الجوزي في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[١] قال: (يجد الطائع الثواب، ويجد الفاسق العذاب، يجد المؤمن لذة الوصال ويجد الكافر العذاب والنكال يجد المؤمن النعيم والكرامة ويجدالكافر الخزي والندامة، يجد المؤمن الدرجات ويجد الكافر العقوبات، يجد المؤمن السرور ويجد الفاجر الثبور فيوم تجد كل نفس ماعملت يندم الظالم ويخسر الآثم ويفرح المؤمن بنعيم الله)[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إنه من خلال بيان الحقائق تقوم الحجة على الناس، ولبيان الحقائق كان إرسال الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[٣] ومن ثم كان من أولى مهام الداعية بيان الحقائق لأنه مبلغ للشريعة والوحي، ومعرف للناس بربهم قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤].

وفي هذا الحديث بين النبي ﷺ جزاء المؤمن وجزاء الكافر على العمل، وأنه لا ثواب في الآخرة إلا بإيمان صحيح مقبول عند الله تعالى، وذلك ليكون المدعو على بينة من أمره، وتقوم الحجة عليه، قال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (الأعمال الدينية المقربة إلى الله تعالى لا تصلح بدون الإيمان الصحيح أما الأعمال الدنيوية كالبر وحسن الخلق والأمانة والصدق وغيرها فإن كل الناس مجزى عليها، الكافر يعطي جزاؤه في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب، والمؤمن يدخر له جزاؤه، وقد يزيد الله تعالى له على طاعته ولا مانع من جزائه بها فيهما)[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٠.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ١٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢٩١.

الحديث رقم (٤٢٩)

٤٢٩- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّات)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الغَمْرُ: الكثيرُ[2].

الشرح الأدبي

أراد النبي ﷺ أن يقرر في الأذهان كيف يمحو الله الخطايا بالصلوات الخمس بقياس صورة معنوية هي صورة تطهير الصلوات الخمس لما يقع بينهن من الخطايا على صورة معهودة حسية، وهي صورة إنسان يغتسل في نهر خمس مرات، ثم يلحق نتيجة الصلوات الخمس، وهي مغفرة الذنوب بنتيجة المغتسل خمس مرات إشارة إلى نقاء هذا المصلى من الخطايا كنقاء المغتسل. هذا ما يفيده التمثيل بقياس صورة على صورة؛ لتوضيحها في الأذهان، ووقفة مع الأسلوب العالي للنبي ﷺ لنري بعض أسراره، فقد بدأ بلفظ (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل:هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه قال العيني: "أن المثل له مفهوم لغوي، وهو النظير ومفهوم عرفي، وهو القول السائر، ومعنى مجازي، وهو الحال الغريبة[3]. وهو بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى

---

(١) برقم ٦٦٨/٢٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٧. وسيكرره المؤلف برقم ١٠٤٤.

(٢) رياض الصالحين ٢١١، ٣٩٩.

(٣) عمدة القارى شرح صحيح البخارى، لبدر الدين العيني، مراجعة: صدقى جميل العطار، ٢/٢٠.

متعددة كالعذوبة، والصفاء، والرقة، وكلمة (غمر) التي تشير إلى الكثرة التي تغمر المغتسل فتطهر كل أجزاء جسده، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ - بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم) أي واحد منكم، ثم يصور هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ؛مع اطراد مع الزمان أفاده لفظ الشمول (كل) المضاف ليوم، وبذلك تبدو صورة ذلك المصلى من خلال صورة المغتسل وتبدو الصلوات وهي الطهارة البدنية قالباً، وهي الطهارة المعنوية قلباً خلال صورة نهر صاف عذب قريب، وينتج من بين الصورتين صورة مؤمن نقي طاهر القلب، والقالب كنهره الذي اغتسل فيه صافياً نقياً.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-أن الصلوات الخمس ترفع بها الدرجات وتمحى بها السيئات[١].

٢-فضل الصلاة لأول وقتها لأن الاغتسال في أول اليوم أبلغ في النظافة[٢].

وأداء الصلاة في أول أوقاتها مستحب عند الفقهاء، لتحصيل الفضل والثواب، لأن النبي ﷺ لما سئل أي العمل أحب إلى الله قال: ((الصلاة على وقتها))[٣].

ويستثنى من هذا الحكم ما نص على تأخيره لسبب، كالإبراد بصلاة الظهر في وقت الحر، لقول رسول الله ﷺ: ((إذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم))[٤].

---

(١) الاستذكار ٣٦٦/٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٧٠٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٦، ومسلم ٦١٥.

كذلك يستثنى صلاة العشاء، عند الحنفية والحنابلة، وقول عند المالكية، والشافعية[١]، لما روى أبي هريرة يرفعه قال: ((لولا أن أشق على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة))[٢].

٣-أن العذب من الماء أشد إنقاء للدرن كما أن الكثير أشد إنقاء من اليسير.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة وأهميتها في تكفير الذنوب.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة وإقامتها في أوقاتها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

يتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "مثل الصلوات الخمس"، حيث ضرب لنا النبي ﷺ مثل تطهير الصلوات لسيئات الإنسان بمن يغتسل في نهر جار خمس مرات كل يوم. وأسلوب التمثيل من أساليب الدعوة التي تعين على توضيح المراد للمدعو، قال ابن حجر: (وفائدة التمثيل التأكيد جعل المعقول كالمحسوس، قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبًا إلا أسقطته"[٣]، ولا شك أن ضرب المثل يقرب المعاني البعيدة عن الأفهام، فليس المدعوون كلهم على درجة واحدة من الفهم، "لقد كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٥٦/١ وما بعدها، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٧٩/١ وما بعدها، ومغني المحتاج ١٢٥/١ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٣٨٨/١.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤٥/٢ رقم ٧٣٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩٣/١٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥/٢ - ١٦.

بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ[١]، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب التمثيل قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة وأهميتها في تكفير الذنوب:

إن الصلاة لها أهمية كبيرة في حياة المسلم فهي مكفرة للذنوب ماحية للسيئات، رافعة للدرجات، وقد جاء في الحديث ما يدل على فضلها في قوله ﷺ: (مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم)، ومما لا شك فيه أن الصلاة لها فضل كبير وثواب عظيم وقد دلت النصوص الشرعية على فضل الصلاة، والصلاة من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤]، ووعد الله عليها بالأجر الكبير، قال تعالى: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٥]، وهي مما أوحى الله بها إلى الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[٦].

وأخبر النبي ﷺ أن الصلاة نور، ففي الحديث عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ))[٧]، وأقرب ما

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٣٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٣.

يكون العبد من ربه وهو ساجد في صلاته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاء))(١)، والصلاة تكفر الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))(٢)، وبالصلاة يغفر الله للمذنبين فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لاَ يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ . ثُمَّ يُصَلِّي الصَّلاَةَ. إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلاَةِ الَّتِي تَلِيهَا))(٣).

وبالصلاة يكون الإنسان في ذمة الله فعن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله. فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ))(٤).

قال عفيف طبارة: (إن الصلاة في الإسلام بما تحتويه من مراقبة لله وقيام وسجود له، وما تشتمل عليه من معاني القربى له تربط المصلي بخالقه وتشعره بعلو مكانته في نظر نفسه حتى يرى من آثار الكرامة ما يستقذر معه الإتيان بالقبائح فكلما حدثته نفسه بإتيان منكر أو عمل قبيح هتف به نداء من أعماق النفس: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٥)، (فالله هو الذي أحسن إلى الإنسان بنعمة الوجود، ثم منّ عليه بالنعم الوافرة، والهداية المثمرة، وشرّفه بالتقرب منه بالصلوات، فكيف تطاوعه نفسه بعد ذلك على معصية خالقه؟ وبإقامة الصلاة يتحقق المقصود وهو التوجه الكلي إلى الله، والخشوع الحقيقي، وتمثل رحمته وعظمته مما ينقل النفس من أرجاس الدنيا إلى عالم الطهر)(٦).

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٠، ومسلم ٢٢٧.

(٤) أخرجه مسلم ٦٥٧.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢٣.

(٦) روح الصلاة في الإسلام ٣٢ - ٣٣.

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة:

حيث جاء في الحديث إرشاد النبي ﷺ لأمته لفضل الصلاة والمحافظة عليها ولذا كان من مهام الداعية تحبيب المدعوين في الصلاة وبيان أثرها على المؤمن، هذا وقد أمر الله بالمحافظة عليها، فقال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[1]، ومن صفات المؤمنين أنهم يحافظون على الصلاة قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[2]، وهي تغير حال الإنسان وتصرفه عن الآثام والمنكرات قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[3].

وبالصلاة يستعين الإنسان على مصائب الحياة قال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]، وما من شك في "أن العبد إذا اعتاد الوقوف بين يدي مولاه في اليوم والليلة خمس مرات خاشعًا متواضعًا فارغ القلب من الشواغل، متدبرًا ما يتلوه من آيات انغرست في نفسه خشية مولاه في جميع أعماله، وحضرته هيبة خالقه في عموم أحواله"[5].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: "الصلوات الخمس تطهر النفوس، وتنقي القلوب وتذهب أدران المعاصي، وتسوق إلى الصلاح وتنظف صاحبها من الداخل كما ينظف النهر العذب الكثير الماء من يغتسل فيه خمس مرات يوميًا. وقد أشار بقوله في الحديث: "على باب أحدكم" إلى قرب تناولها ويسر الاستفادة منها ولكن بعض الناس يأنفون النظافة ويؤثرون القذارة وعدم النجاة"[6].

وعلى ضوء هذا كان من أبرز مهام الداعية إرشاد المدعوين إلى الحفاظ على الصلاة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٥) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص ٤٣٤.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢٩١ - ٢٩٢.

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة وإقامتها في أوقاتها:

يظهر هذا من سياق الحديث، وتعتبر الدعوة إلى المحافظة على الصلاة من أهم أهداف الدعوة حيث جاء الأمر بذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[2]، وتوعد الله من يضيعها فقال جل شأنه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3]، وتركها من أسباب دخول النار قال سبحانه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[4]، ومن يسهو عنها ويهملها فله الويل قال جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[5]، والصلاة تمد المسلم بطاقة روحية دافعة تعينه على متاعب الحياة؛ إذ إن المجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفسية الأفراد على وجه الاستمرار إلى مثل عليا، وذلك خشية أن تنحصر روابط الأفراد في الحاجات المادية والمصالح الشخصية مما يؤدي إلى الفساد في الأرض، والصلاة هي التي تمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لا بد منها لصلاح المجتمع[6].

وقال أبو الحسن الندوي: (ولمكانة الصلاة في الإسلام كان لا بد من الخضوع لحكمة التشريع والإيمان بأن الصلاة فريضة الله على عباده، وأنها عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين وشرط النجاة وحارسة الإيمان، وهي من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى. وهي فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحر، غني وفقير،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٥) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

(٦) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ص ٢٤٢.

وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، ولا تسقط هذه الفريضة عن نبي مرسل فضلاً عن صالح أو عارف أو مجاهد، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[1]، ومن رأى أنها تسقط عنه لفضل معرفته ووصوله إلى درجة اليقين والمشاهدة، أو لحسن بلائه في الإسلام، أو لسوابقه ومآثره الكثيرة، فقد أتلف نفسه وعرَّضها للخطر الأكبر)[2].

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٢) الأركان الأربعة ص ٢٥ - ٢٧ بتصرف.

الحديث رقم (٤٣٠)

٤٣٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أرْبَعونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شفعهم الله فيه: قَبِل سؤالهم ودعاءهم في التجاوز عن ذنوبهم وآثامهم[2].

الشرح الأدبي

أسلوب التعميم للكلام يعطي الحكم صلاحية عبر الزمان، والمكان، وله طرق متعددة منها وقوع النكرة في سياق النفي كما ورد في هذا الحديث، فالحكم يشمل كل ميت من المسلمين يصلي عليه أربعون موحداً، وتخصيص المسلم لنفي الحكم عن غيره والتعبير بالقيام يفيد العناية، والاهتمام بأمر الصلاة عليه، والدعاء له، وقوله (رَجُلاً) لن النساء لا يحضرون الجنائز، وقوله: (لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئاً) تكميل بلاغي أفاد الإشارة إلى تمام الإخلاص، وأكدته النكرة التي أفادت التعميم فنفت قليل الشرك، وكثيره، وقوله: (إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ) بقية جملة القصر التي شملت الحديث كله، وقد قصرت صفة قيام الأربعين مسلماً على ما وصفوا على الشفاعة لا يتعدونها إلى الحرمان، وفي الحديث استحباب تكثير المصلين على الجنازة، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيد ذلك بأمرين الأول أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة الثاني أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئا.

---

(١) برقم ٩٤٨/٥٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤٩. وسيكرره المؤلف برقم ٩٣٤.

(٢) انظر: النهاية في (ش ف ع)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم صلاة الجنازة: ذهب الجمهور إلى أنها فرض كفاية، وذهب المالكية في قول إلى أنها سنة، وهو الراجح عندهم[١].

٢-اشتراط الجماعة في صلاة الجنازة: لا يشترط ذلك عند الجمهور، بل يسقط فرضها بواحد، وإن كان يستحب تكثير جماعة الجنازة؛ لأنه أفضل للميت وأنفع له، كما يستحب ألا يقلّوا عن ثلاثة صفوف للحديث ((ما من مؤمن يموت فيصلي عليه أُمّة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا ثلاث صفوف إلا غُفِر له))[٢] وأقل ما يسمى صفاً رجلان، ولا حد لأكثره[٣]. أما عند المالكية: فإن الجماعة شرط لصحة صلاة الجنازة كصلاة الجمعة، فإن صلّى عليها بغير إمام أعيدت الصلاة ما لم يفت ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثبوت شفاعة المؤمنين للميت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الصلاة على الجنازة وكثرة المصلين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده المؤمنين.

رابعًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على فعل ما ينفعهم.

---

(١) الاختيار ١٢٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢/٣، والمهذب ١٨١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٧٩/٤ رقم ١٦٧٢٤، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٨١/٢٧.

(٣) المبسوط ١١٤/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٣٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٢/٣، والفوكه الدواني ٣٤٢/١، ومغني المحتاج ٣٤٤/١ وما بعدها و٣٦١/١، والمهذب ٨١/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٢ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٤١٠/٢، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ٧١٣ ط بيت الأفكار الدولية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثبوت شفاعة المؤمنين للميت:

إن من رحمة الله بعباده وفضله عليهم أنه يشفع بعضهم في بعض حيث جاء في الحديث "إلا شفعهم الله فيه" قال الإمام النووي: (وهذا الحديث يثبت الشفاعة للأربعين، وفي حديث آخر: "ثلاثة صفوف"، وفي حديث ثالث "أمة من المسلمين يبلغون مائة". وهذه الأحاديث خرجت أجوبة لسائلين سألوا عن ذلك، فأجاب كل واحد منهم عن سؤاله، هذا كلام القاضي عياض، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أُخبر بقبول شفاعة مائة فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين ثم ثلاث صفوف وإن قل عددهم فأخبر به، ويحتمل أيضًا أن يقال هذا مفهوم عدد فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف وحينئذٍ كل الأحاديث معمول بها وتحصل الشفاعة بأقل الأمرين من ثلاثة صفوف وأربعين)[1].

وقال الطيبي: (إذا كان قد جاء في هذا الحديث أربعين وفي حديث آخر مائة فلا تضاد؛ لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن يكون الأقل من العددين متأخرًا لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة في المعنى الواحد مرتين وإحداهما أيسر من الأخرى، لم يكن من سنته أن ينقص من الفضل الموعود بعد ذلك، بل يزيد عليه فضلاً منه وتكرمًا على عباده)[2].

وقال المباركفوري: (وفي الحديث استحباب تكثير جماعة الجنازة ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز وقد قيد ذلك بأمرين:

الأول: أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة.

الثاني: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئًا)[3].

وقال سليم الهلالي: (ومن فقه الحديث ثبوت الشفاعة للمؤمنين إذا كان الميت من أهل الشفاعة، وشفاعتهم له أن يغفر الله له وفيه بيان لفضل التوحيد والبراء من الشرك؛ ففي من قام على الجنازة شرط وهو أن لا يشرك بالله شيئًا، وفيه الترغيب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦١٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦٨/٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري ١٠٩٢/١.

بتكثير المصلين على الجنازة رجاء حصول المغفرة للميت بفضل الله تعالى)[١].

ومن خلال ما سبق يتضح ثبوت شفاعة المؤمنين لأخيهم الميت.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الصلاة على الجنازة وكثرة المصلين:

إن اجتماع المصلين على صلاة الجنازة له فضل عظيم، وهو سبب في رحمة الله للميت، ويتضح هذا من الحديث "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً" وإذا ثبتت الشفاعة من المؤمنين للميت فهذا يدل على فضل حضور الصلاة على الجنازة واتباعها وهي من حقوق المسلم على أخيه المسلم ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللّهَ فشمته. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))[٢] وبين رسول الله ﷺ فضل شهود الجنائز فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من شهدَ الجنازةَ حتَّى يُصلِّيَ فله قيراطٌ، ومن شَهدَها حتَّى تُدفَنَ كان له قيراطانِ. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثلُ الجبَلينِ العظيمينِ)) وفي رواية: ((وكان ابن عمر يصلي عليها ثم ينصرف فلما بلغه حديث أبي هريرة قال لقد ضيعنا قراريط كثيرة))[٣]. وفي ذلك ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم التأسف على ما يفوتهم منها وإن كنوا يعلمون عظيم موقعة، وقوله ﷺ عن القيراطين بأنهما "مثل الجبلين العظيمين" والقيراط مقدار من الثواب معلوم عند الله تعالى)[٤].

وأرشد النبي ﷺ إلى فضيلة تكثير العدد في صلاة الجنازة فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ الا شُفِّعُوا فِيهِ))[٥].

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٥٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧، ومسلم ٩٤٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٩٤٧.

قال ابن القيم: (كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدي مخالفًا لهدي سائر الأمم مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يُعامل به الميت، وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه ثم المشي بين يديه إلى أن يُودِعُوهُ حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره، والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله على عباده المؤمنين:

يظهر ذلك من سياق الحديث في قبول شفاعة المسلمين لأخيهم الميت قال ابن علان: (ولتأكيد العموم في الحديث جاء "من" لتشمل كل رجل مسلم يموت والمرأة كذلك، ومعنى شفعهم الله فيه معناه: أن يغفر له ولا ينافيه ماجاء في حديث آخر من ذكر "مائة رجل" إما لأن العدد لا مفهوم له وعلى الاعتداد بالعدد فحديث "أربعين رجلاً" أصح وهو مقدم على غيره وعلى الجمع بينهما يحمل أنه ﷺ أخبر بما فيه فأخبر به وهو المائة ثم تفضل الله على عباده بحصول ذلك العدد المذكور وهو الأربعين فأخبر به ﷺ ثانيًا)[2].

وما من شك في أن قبول شفاعة المسلمين في أخيهم الميت دليل على سعة فضل الله ورحمته بعباده، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[3] وقال جل شأنه: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4] وقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَايْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[5] وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٩.

(٥) سورة يوسف، آية: ٨٧.

عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١] ولواسع فضله وكرمه قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾[٢].

رابعًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على فعل ما ينفعهم:

يظهر هذا من توجيه النبي ﷺ إلى تكثير عدد المصلين على الميت ليشفعوا فيه، وما من شك أن الداعية رائد في قيادة المدعوين إلى الخير، وفي إرشادهم إلى الصواب لما له من مكانة في نفوسهم، وثقة في قلوبهم، وما يفعله الداعية هو من قبيل التعاون على الخير قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[٣] وبين الرسول الكريم ثواب من يدل على الخير فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٤].

قال النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد: بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٥]. والداعية له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الحرص على هداية المدعوين وإرشادهم وتوجيههم إلى ما فيه الخير والفلاح، فعن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»))[٦].

---

(١) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

(٦) أخرجه مسلم ٥٥.

الحديث رقم (٤٣١)

٤٣١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ في قُبَّة نَحْوًا مِنْ أربَعِينَ[١]، فَقَالَ: ((أتَرْضَونَ أنْ تَكُونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّةِ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: ((أتَرْضَوْنَ أنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟)) قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إنِّي لأَرْجُو أنْ تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أنَّ الجنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ومَا أنْتُم في أهْلِ الشِّركِ إلاَّ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوداءِ في جلدِ الثَّورِ الأحْمَرِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

قُبَّة: بيت صغير مستدير من الخيام، وهو من بيوت العرب[٣].

نحوًا من أربعين: قُرابة أربعين رجلاً[٤].

الشرح الأدبي

صدر الحديث في أسلوب حوار من طبقة البيان العالي الذي تميَّز به الرسول ﷺ في عرض المعنى، وإعداد المخاطب لتلقيه بيقظة، وانتباه، وترقب يضمن للمعنى الثبات، والرسوخ في ذهن المخاطبين؛ لأنه يريد من صحابته أكثر من فهم المعنى يريد منهم أن يكونوا حملته لمن بعدهم من الأجيال، والحديث يبدأ باستفهام التشويق الذي يزفُّ البشارة إلى المؤمنين متدرجاً بهم في البشارة من الأصغر إلى الأكبر، فقد بدأ بالربع، ثم

---

(١) عند مسلم زيادة: (رجلا).

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٢٨، ومسلم ٢٢١/٣٧٧ واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ح و).

الثلث، ثم ارتقى بهم صعوداً في العدد إلى النصف بعد أن أكده بقسم ذي طبيعة خاصة، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) يؤكد البشارة مع الرجاء المؤكد بحرف التوكيد (إني لأرجو) ثم جاء أسلوب القصر ليقصر دخول الجنة على النفوس المسلمة دون غيرها، ثم جاء أسلوب القصر لحصر صفة مقدارهم في الناس على المثل المذكور، وهو كونهم كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر، وهذا التشبيه يدل على قلة عدد المسلمين في الناس يوم القيامة، وهذا يدل على كثرة من يدخلون الجنة من المسلمين، وهي بشارة يرسلها الرسول ﷺ للمسلمين في كل مكان، وزمان بميراث نصف الجنة لأمته، فلا عذر لمن تخلّف منهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: تبشير المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجنة لا يدخلها إلا مؤمن.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: كثرة أهل الشرك وقلة أهل الإيمان.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والقسم والتوكيد والتعليل والقصر والتشبيه.

أولاً- من صفات الداعية: تبشير المدعوين:

إن البشارة لها الأثر المحمود في نفوس المدعوين فهي من ناحية تجعلهم يلتزمون ما هم عليه من عمل صالح، ومن ناحية أخرى الزيادة فيه والمسارعة إليه، ولهذا كان من صفات الداعية تبشير المدعوين، فقد بشّر النبي ﷺ أصحابه بأنهم من أهل الجنة ثم قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))، وفي رواية لمسلم: ((فكبرنا))[1].

قال ابن علان: (قال العلماء: كل رجاء جاء عن الله تعالى أو عن النبي ﷺ فهو كائن البتة. وإنما أتى فيه بصيغة الرجاء دن صيغة الجزم على عادة الملوك في وعد ما

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢١.

يقطعون بفعله، يقولون: عسى تعطي ذلك وهم جازمون)[١].

وقال النووي: (أما تكبيرهم فلسرورهم بهذه البشارة العظيمة)[٢].

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[٣].

ومن أمثلة التبشير كذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٤].

قال العز بن عبدالسلام: (بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة، فإنهم يعملون ليصلوا إلى ما بشروا به من الأجر العظيم والنعيم المقيم)[٥]، ولذا جاء في الموسوعة الفقهية: (إخبار الناس بما يسرهم أمر مستحب... والبشارة مستحبة كالهبة إذا قصد بها وجه الله تعالى)[٦].

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أحدًا من أصحابه رضي الله عنهم في بعض أمره، قال: ((بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))[٧]، قال النووي: (في هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ ومن تاب من

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٣، ومسلم ٢٢٢.

(٤) أخرجه مسلم ٣٠.

(٥) شجرة المعارف والأحوال ص ٢٣٣.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/٩٤ - ٩٥.

(٧) أخرجه مسلم ١٧٣٢.

المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم:

إن أمة محمد ﷺ هي أمة أفضل رسول ﷺ، لذلك كانت مفضلة على غيرها من الأمم، ذلك واضح في قول النبي ﷺ: (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)، قال ابن هبيرة: (في الحديث أن أمة محمد ﷺ يكونون نصف أهل الجنة، وذلك لأن أمة محمد ﷺ عقبت الأمم فورثت ما كانت عليه الأمم بأسرها ثم لا يعقبهم غيرهم، وإذا نزل المسيح بن مريم كان على ملتهم)[٢].

وقد جاءت أحاديث تؤكد هذا المعنى منها: قال ﷺ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍ: ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ))[٣]، قال النووي: (هذا دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة)[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[٥]، شقّ ذلك على المسلمين فنزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[٦]، فقال ﷺ: ((أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ بَلْ أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتُقَاسِمُونَهُمْ النِّصْفَ الْبَاقِي))[٧].

وقد قال الله تعالى عن أمة محمد ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٨]، قال السعدي: (أي: عدلاً لا خيارًا، وما عدا الوسط فالأطراف داخلة تحت الخطر. فجعل الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١١٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٤٦، وابن ماجه ٤٢٨٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٦٢).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٧) أخرجه أحمد ٣٩١/٢ رقم ٩٠٨٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره، ٣٨/١٥.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنَّصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى. وأباح الله تعالى لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرّم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا "أمة وسطًا"، كاملين معتدلين، ليكونوا "شهداء على الناس"، بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم)[1].

وقد ساق ابن كثير هذه الأحاديث ونحوها في تفسيره تحت عنوان: "نوع آخر من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها وكرامتها على الله وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة"[2].

قال ابن الملقن: (إن أمته ﷺ خير الأمم لا تجتمع على ضلالة)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الجنة لا يدخلها إلا مؤمن:

جعل الله تعالى الجنة دار كرامته، فلا يدخلها إلا من هو كريم عليه سبحانه، لذلك لا يدخلها إلا مؤمن. فقد قال النبي ﷺ: (وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة)، قال النووي: (هذا نص صريح في أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً، وهذا النص على عمومه بإجماع المسلمين)[4]، وقد أكّد النبي ﷺ هذا المعنى في أحاديث أخرى منها:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١٠١/٢، عند تفسير آية: ١١٠ من سورة آل عمران.

(٣) غاية السول في خصائص الرسول ص ٢٧٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١/٢.

فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فُلاَنٌ شَهِيدٌ. حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((كَلاَّ. إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ. فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا. أَوْ عَبَاءَةٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((يا ابْنَ الْخَطَّابِ! اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ)) قَالَ فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلاَّ الْمُؤْمِنُونَ[1].

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدَثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ. فَنَادَى ((أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ. وَأَيَّامُ مِنىً أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ))[2].

وقال قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]، قال الطاهر بن عاشور: (الإيمان هو أُس هيكل النجاة. ولذلك كان الكفر أُسّ الشقاء الأبدي فإن كل عمل سيئ فإن سوءه وفساده جزئي منقضٍ فكان العقاب عليه غير أبدي، وأما الكفر فهو سيئة دائمة مع صاحبها لأن مقرّها قلبه واعتقاده، وهو ملازم له فلذلك كان عقابه أبديًا، إن الحكمة تقتضي المناسبة بين الأسباب وآثارها فدلّ قوله: "فلا يجزى إلا مثلها"، أن جزاء الكفر شقاء أبدي لأنه مثل الكفر في كونه ملازمًا للكافر إن مات كافرًا)[4].

وقال ابن القيم: (وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف، ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[5][6].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٤.

(٢) أخرجه مسلم ١١٤٢.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٠.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٩/٢٤/١٥٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٦) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ١٦٦.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: كثرة أهل الشرك وقلة أهل الإيمان:

إن الحق أتباعه قليل، بخلاف الباطل فإن أتباعه كثير، وكذلك الأمر في شأن الإيمان والكفر، وهذا ما يوضحه النبي ﷺ بقوله: (ما أنتم في أهل الشرك إلا الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الْحِمَارِ))[1].

وفي حديث أبي سعيد نفسه: ((يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ! وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ! قَالَ يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ[2]. قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ)).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ))[3].

ونقل ابن حجر عن الكرماني أن مفهوم العدد لا اعتبار له، فالتخصيص بعدد لا يدل على نفي الزائد، والمقصود من العددين واحد وهو تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ثم قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرًا، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيًا والعلم عند الله تعالى)[4].

قال ابن رجب: (أهل النار الذي هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلّدون فيها ولهم أعدت كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[5]، وهؤلاء أهلها الخالدون فيها هم أكثر ممن يدخلها من عصاة الموحدين الذين يخرجون منها بعد أن يهذبوا وينقوا.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٠، ومسلم ٢٢٢، والرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن عضد الحمار والفرس وتكون في قوائم الشاة، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٦/١١.

(٢) أي ميّز أهل النار من غيرهم، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٧/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٢٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٧/١١ - ٣٩٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٤.

فهذه الأحاديث وما في معناها تدلّ على أن أكثر بني آدم من أهل النار وتدلّ أيضًا على أن أتباع الرسل عليهم السلام قليلون بالنسبة إلى غيرهم، وغير أتباع الرسل عليهم السلام كلّهم في النار إلا من لم تبلغه الدعوة أو لم يتمكن من فهمها على ما جاء فيهم من الاختلاف، والمنتسبون إلى أتباع الرسل كثير منهم من تمسك بدين منسوخ وكتاب مبدّل، وهم أيضًا من أهل النار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[1]، وأما المنتسبون إلى الكتاب المحكم والشريعة المؤيدة والدين الحق فكثير منهم من أهل النار أيضًا وهم المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وأما المنتسبون إليه ظاهرًا وباطنًا فكثير منهم فتن بالشبهات وهم أهل البدع والضلال... وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها فلم ينج من الوعيد بالنار، ولم يستحق الوعد المطلق بالجنة من هذه الأمة إلا فرقة واحدة،وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ظاهرًا وباطنًا وسلم من فتنة الشهوات والشبهات، وهؤلاء قليل جدًا لا سيما في الأزمان المتأخرة والقرآن يدلّ على أن أكثر الناس هم أهل النار وهم الذين اتبعوا الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3])[4].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والقسم والتوكيد والتعليل والقصر والتشبيه:

أما الاستفهام فقوله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟"، ثم قال ﷺ: "أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ ثم قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة"، قال ابن حجر: (قال ابن التين: ذكره بلفظ

---

(١) سورة هود، آية: ١٧.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٠

(٣) سورة ص، آية: ٨٥.

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال البوار ٢٥١ - ٢٥٣.

الاستفهام لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذكره بالتدريج ليكون أعظم لسرورهم)[١].

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل الجنة ثم الشطر - النصف-"، ولم يقل أولاً شطر أهل الجنة، فلفائدة حسنة، وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرة بعد أخرى دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته، وفيه فائدة أخرى هي تكريره البشارة مرة بعد مرة، وفيه أيضًا حملهم على تجديد شكر الله تعالى وتكبيره وحمده على كثرة نعمه)[٢].

وقد أكد النبي ﷺ هذه البشارة بالقسم والتوكيد، فقال: "والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" قال ابن علان: (أتى بالقسم وباسمه ﷺ مظهرًا تأكيدًا للأمر وتفخيمًا له)[٣]، كما علل هذه البشارة، وفي هذا كله بشارة بعد البشارة، كما زاد ذلك توكيدًا باستخدام أسلوب القصر، وقد استخدم فيه التشبيه، ليثبت تلك البشارة في نفوسهم ويوضحها لأفهامهم ويجعلها كأنها واضحة ماثلة أمام أعينهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩ - ٦٦٠.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٤٢-باب فضل بر أصدقاء الأب	٥
الحديث رقم (٣٤٢)	٥
الحديث رقم (٣٤٣)	١٢
الحديث رقم (٣٤٤)	٢١
الحديث رقم (٣٤٥)	٣٠
٤٣-باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم	٣٩
الحديث رقم (٣٤٦)	٣٩
الحديث رقم (٣٤٧)	٥١
٤٤-باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل	٥٩
الحديث رقم (٣٤٨)	٥٩
الحديث رقم (٣٤٩)	٦٩
الحديث رقم (٣٥٠)	٧٥
الحديث رقم (٣٥١)	٧٦
الحديث رقم (٣٥٢)	٨٣
الحديث رقم (٣٥٣)	٨٨
الحديث رقم (٣٥٤)	٩٣
الحديث رقم (٣٥٥)	٩٩
الحديث رقم (٣٥٦)	١٠٤
الحديث رقم (٣٥٧)	١١٠
الحديث رقم (٣٥٨)	١١٣
الحديث رقم (٣٥٩)	١٢٠
٤٥-باب زيارة أهل الخير ومحبتهم وصحبتهم	١٢٧
الحديث رقم (٣٦٠)	١٢٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٣٦١)	١٣٤
الحديث رقم (٣٦٢)	١٣٩
الحديث رقم (٣٦٣)	١٤١
الحديث رقم (٣٦٤)	١٤٩
الحديث رقم (٣٦٥)	١٥٧
الحديث رقم (٣٦٦)	١٦١
الحديث رقم (٣٦٧)	١٦٦
الحديث رقم (٣٦٨)	١٦٨
الحديث رقم (٣٦٩)	١٧٧
الحديث رقم (٣٧٠)	١٧٩
الحديث رقم (٣٧١)	١٨٠
الحديث رقم (٣٧٢)	١٨٥
الحديث رقم (٣٧٣)	١٩٨
الحديث رقم (٣٧٤)	٢٠٣
٤٦-باب فضل الحب في الله والحث عليه	٢١٥
الحديث رقم (٣٧٥)	٢١٥
الحديث رقم (٣٧٦)	٢٢٦
الحديث رقم (٣٧٧)	٢٤٦
الحديث رقم (٣٧٨)	٢٤٨
الحديث رقم (٣٧٩)	٢٥٧
الحديث رقم (٣٨٠)	٢٥٨
الحديث رقم (٣٨١)	٢٦٤
الحديث رقم (٣٨٢)	٢٧١
الحديث رقم (٣٨٣)	٢٧٩
الحديث رقم (٣٨٤)	٢٨٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٣٨٥)	٢٩٢
٤٧-باب علامات حب الله تعالى للعبد	٣٠٤
الحديث رقم (٣٨٦)	٣٠٤
الحديث رقم (٣٨٧)	٣٠٨
الحديث رقم (٣٨٨)	٣١٧
٤٨-باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين	٣٢٧
الحديث رقم (٣٨٩)	٣٢٧
٤٩-باب إجراء أحكام الناس على الظاهر	٣٣٣
الحديث رقم (٣٩٠)	٣٣٣
الحديث رقم (٣٩١)	٣٤٠
الحديث رقم (٣٩٢)	٣٤٥
الحديث رقم (٣٩٣)	٣٥٣
الحديث رقم (٣٩٤)	٣٦٠
الحديث رقم (٣٩٥)	٣٦٦
٥٠-باب الخوف	٣٧٦
الحديث رقم (٣٩٦)	٣٧٦
الحديث رقم (٣٩٧)	٣٨٧
الحديث رقم (٣٩٨)	٣٩٤
الحديث رقم (٣٩٩)	٣٩٦
الحديث رقم (٤٠٠)	٤٠١
الحديث رقم (٤٠١)	٤٠٢
الحديث رقم (٤٠٢)	٤٠٧
الحديث رقم (٤٠٣)	٤١٢
الحديث رقم (٤٠٤)	٤١٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٤٠٥)	٤١٩
الحديث رقم (٤٠٦)	٤٢٣
الحديث رقم (٤٠٧)	٤٣١
الحديث رقم (٤٠٨)	٤٣٨
الحديث رقم (٤٠٩)	٤٤٤
الحديث رقم (٤١٠)	٤٥١
الحديث رقم (٤١١)	٤٥٨
٥١-باب الرجاء	٤٧٣
الحديث رقم (٤١٢)	٤٧٣
الحديث رقم (٤١٣)	٤٨٣
الحديث رقم (٤١٤)	٤٩٠
الحديث رقم (٤١٥)	٤٩٦
الحديث رقم (٤١٦)	٥٠٤
الحديث رقم (٤١٧)	٥١٣
الحديث رقم (٤١٨)	٥٢٥
الحديث رقم (٤١٩)	٥٣٢
الحديث رقم (٤٢٠)	٥٣٧
الحديث رقم (٤٢١)	٥٤٧
الحديث رقم (٤٢٢)	٥٥٦
الحديث رقم (٤٢٣)	٥٦٢
الحديث رقم (٤٢٤)	٥٦٣
الحديث رقم (٤٢٥)	٥٦٩
الحديث رقم (٤٢٦)	٥٧٩
الحديث رقم (٤٢٧)	٥٨٧
الحديث رقم (٤٢٨)	٥٩٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٤٢٩)	٦٠٠
الحديث رقم (٤٣٠)	٦٠٨
الحديث رقم (٤٣١)	٦١٤
فهرس المحتويات	٦٢٣

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السابع

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٧

ح دار كنوز إشبيليا والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر للنشر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٣٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٠١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-٠١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٧)

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (٤٣٢)

٤٣٢- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًا أَوْ نَصْرانِيًا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ))[١].

وفي رواية عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ)) رواه مسلم[٢].

قوله: ((دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِن النَّارِ)) مَعنَاهُ مَا جَاءَ في: حديث أَبي هريرة رضي الله عنه: ((لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ في النَّارِ، فَالمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ؛ لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ بِكفْرِهِ))[٣].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فكاكك: الفكاك: التخليص[٤].

الشرح الأدبي

جعل الله عز، وجل لكل إنسان مقعداً في الجنة، ومقعداً في النار، فإذا صلح عمله نال مقعده من الجنة، وإذا ساء عمله نال مقعده في النار، وهذا الحديث فيه شفاء لقلوب المؤمنين من وجهين: أحدهما أنه بشارة للمسلم باستقراره في الجنة، وفكاكه من النار، الثاني: أنه يقلي نصرانياً أو يهودياً في النار، وكأنه ﷺ يعلم ما يفعلونه

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٧/٤٩.

(٢) برقم ٢٧٦٧/٥١ وزاد: (ويضعها على اليهود والنصارى).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٣٤١ ولفظه: (ما منكم من أحد إلا وله منزلان، منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات، فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: أولئك هم الوارثون). قال البوصيري في الزوائد ص ٥٦٢: هذا إسناد صحيحٌ على شرط الشيخين.

(٤) رياض الصالحين ٢١٢.

بالمسلمين في كل زمان، ومكان، وقوله :(هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ) كأنه كناية عن ميراثه المقعد المخصص للمسلم الذي نجى من النار، ونال مقعده من الجنة، يعني كان لك منزل في النار لو كنت استحقيته دخلت فيه فلما استحقه هذا الكافر صار كالفكاك لك من النار؛ لأنك نجوت منه، وتعين الكافر له فألقه في النار فداءك، والتعبير بالفكاك، يوحي بالتحرر من القيود، والرواية الثانية في قوله :(يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُم) كناية عن سعة رحمة الله تعالى، وعظمة مغفرته، وهي خبر أريد به لازم فائدته، وهو الترغيب في التوبة والاستغفار مع الرجاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على المسلمين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم ذنوب الكافرين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عدل الله يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على المسلمين:

لقد امتن الله على عباده المسلمين بأن هداهم إلى الإسلام ووفقهم إلى عمل الطاعات وإلى ترك الذنوب والمعاصي، كما امتن عليهم بأن أدخلهم الجنة. وهذا واضح من الحديث "هذا فكاكك من النار"، وفي رواية "بذنوب مثل الجبال يغفرها الله لهم".

وفي رواية أخرى عند مسلم: "لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًا أو نصرانيًا".

قال النووي: (ومعنى هذا الحديث [أن] المؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار لاستحقاقه ذلك بكفره. ومعنى فكاكك من النار أنك كنت معرضًا لدخول النار وهذا فكاكك، لأن الله تعالى قدّر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين)[1]. وتعقب ابن حجر قول النووي ونقل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨.

كثيرًا من أقوال العلماء منها قول البيهقي يحتمل أن الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم، ويحتمل أن يكون هذا القول لهم في الفداء بعد خروجهم من النار بالشفاعة، وقال غيره: يحتمل أن يكون الفداء مجازًا عما يدل عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل أحدًا الجنة إلا أري مقعده من النار ولو أساء ليزداد شكرًا ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة))[1][2]. ليزداد المؤمن فرحًا ورضا فعبر عنه بلازمه لأن الراضي الشيء يشكر من فعل له ذلك، ويزداد الكافر حسرة للزيادة في تعذيبه[3].

ونقل الطيبي عن القاضي ناصر الدين البيضاوي قوله: (لما كان لكل مكلف مقعد في الجنة ومقعد في النار، فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة، ومن لم يؤمن فبالعكس وكانت الكفرة كالخلف للمؤمنين في مقاعدهم من النار والنائب منابهم فيها، وأيضًا لما سبق القسم الإلهي بملء جهنم ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[4] كان ملؤها من الكفار خلاصًا للمؤمنين ونجاة لهم من النار، فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك، ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضاداة المسلمين، ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول المقتضى لنجاتهم)[5].

وقال النووي: (وقد جاء عن عمر بن عبدالعزيز والشافعي رحمهما الله أنهما قالا: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين، وهو كما قالا. لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم وتعميم الفداء، ولله الحمد)[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٩.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠٥/١١.

(٣) المرجع السابق ٤٥٠/١١، ٤٥١.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٣.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٤/١٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩/١٧/٩.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ))[١].

قال ابن حجر: (قال الرافعي في الحديث: إن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات، لأنه إنما عمل بتوفيق الله وإنما ترك المعصية بعصمة الله، فكل ذلك بفضله ورحمته)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم ذنوب الكافرين:

إن الكفار أعظم الناس ذنوبًا، لأنهم كفروا بالله وأشركوا معه سبحانه غيره من مخلوقاته، لذلك كان عقابهم أليمًا وعظيمًا، كما يتضح في هذا الحديث. ففي رواية "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم" قال النووي: (معناه أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين ويسقطها عنهم ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣] ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سبب فيها بأن سنُّوها فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى ويوضع على الكفار مثلها لكونهم سنوها، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزر كل من يعمل بها)[٤].

وعلى الاحتمال الأخير يمكن الاستشهاد بقول النبي ﷺ ((ولا تقل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل))[٥].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٦] قال ابن القيم: (أخبر سبحانه أنه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٣/١١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٣، والإسراء، آية: ١٥

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠١/٧، ٢٠٢.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣٢١، ومسلم واللفظ له ١٦٧٧.

(٦) سورة الحديد، آية: ٢٥.

الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد وهو رأس العدل وقوامه وإن الشرك ظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] فالشرك أعظم الظلم، والتوحيد أعدل العدل، فما كان أشدّ منافاة لهذا المقصود فهو أكبر الكبائر، وتفاوتها في درجاتها بحسب منافاتها له، وما كان أشد موافقة لهذا المقصود فهو أوجب الواجبات وأفرض الطاعات. فتأمل هذا الأصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله تعرف به حكمة أحكم الحاكمين وأعلم العالمين فيما فرضه على عباده وحرّمه عليهم وتفاوت مراتب الطاعات والمعاصي.

فلما كان الشرك بالله منافيًا بالذات لهذا المقصود كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرّم الله الجنة على كل مشرك، وأباح دمه وماله وأهله لأهل التوحيد، وأن يتخذوهم عبيدًا لهم، لما تركوا القيام بعبوديته، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقيل له فيها عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين، حيث جعل له من خلقه ندًّا، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلمْ ربَّه، وإنما ظلم نفسه)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عدل الله يوم القيامة:

العدل من أسماء الله تعالى فهو سبحانه عدل في أفعاله وقضائه وحكمه، فيدخل المؤمن الجنة بعدله، كما يدخل الكافر النار بعدله، فقد أخبر النبي ﷺ عن الله عز وجل أنه يقول للمسلم هذا [أي اليهودي أو النصراني] فكاكك من النار" معناه أن الله (يدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين ولابد من هذا التأويل - كما قال النووي- لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3])[4].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) الداء الدواء، ١٩٦-١٩٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٤، والإسراء، آية: ١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٨، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠١/٧ - ٢٠٢.

قال أبو العباس القرطبي: (فهي قاعدة معلومة من الشرع لا يختلف فيها)[١].

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعًا ولا يظلم أحدًا من خلقه، بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله، ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويُخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور ولا يظلم، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾[٣] والآيات في هذا كثيرة)[٤].

قال ابن القيم: (كل ما يقضي على العبد فهو عدل فيه.

فإن قيل: فالمعصية عندكم بقضائه وقدره! فما وجه العدل في قضائها، فإن العدل في العقوبة عليها غير ظاهر؟

أهل السنة الظلم عندهم هو وضع الشيء في غير موضعه: كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له، وهذا قد نزَّه الله نفسه عنه في غير موضع من كتابه. وهو سبحانه وإن أضلَّ من شاء وقضى بالمعصية والغيّ على من شاء، فذلك محض العدل فيه؛ لأنه وضع الإضلال والخذلان في موضعه اللائق به.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠٢/٧.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٤) تفسير ابن كثير ١٦٦/٥.

كيف ومن أسمائه العدل، الذي كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق، وهو سبحانه قد أوضح السُبل، وأرسل الرسُل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكّن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله. ووفّق مَن شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فهذا فضله. وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله وخلّى بينه وبين نفسه، ولم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله.

وهذا نوعان:

أحدهما: ما يكون جزاءً منه للعبد على إعراضه عنه، وإيثار عدوِّه في الطاعة والموافقة عليه، وتناسي ذكره وشكره؛ فهو أهل لأن يخذله ويتخلى عنه.

والثاني: أن لا يشاء له ذلك ابتداء؛ لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ولا يشكره عليه، ولا يثني عليه بها، ولا يحبه؛ فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ﴾[2].

فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية -كان ذلك محض العدل، كما إذا قضي على الحية بأن تقتل، وعلى العقرب، وعلى الكلب العَقور، كان ذلك عدلاً فيه، وإن كان مخلوقًا على هذه الصفة)[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

فقد جاء الأسلوب في هذا الحديث إخبارًا عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وناسب الإخبار هنا الموقف؛ لأن النبي ﷺ يخاطب المسلمين الذي هم مؤمنون بيوم القيامة، لا يشكُّون في ذلك ولا يرتابون وهم مصدقون بالنبي ﷺ ومما يخبر به؛ فجاء الإخبار ليقرر هذه الحقيقة الثابتة في نفوسهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٣.

(٣) الفوائد ٤٦-٤٨.

الحديث رقم (٤٣٣)

٤٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((يُدْنَى المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، فيقولُ: (أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتَعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟)[1] فيقول: رَبِّ أعْرِفُ، قَالَ: فَإنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وَأنَا أغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحيفَةَ حَسَنَاتِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

كنفهُ: سترهُ ورحمتُهُ[3].

فيُقرِّرهُ: أي يحمله على الإقرار بما يعرفه[4].

الشرح الأدبي

لفظ (يدنى) يوحي بالتقريب، والاجتباء، ولفظ اليوم يؤقت الحدث، وإضافته للقيامة يعظّم الأثر، ويعطيه بُعداً يتناسب مع أحداث الموقف، وقوله (من ربه) يوحي بجلاله وقوله :(حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ) كناية عن شدة القرب، وقوله (: أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟) استفهام بغرض التقرير لإلزام المخاطب بالحجة، وتكراره إشارة إلى ذنوب يعلمها، وسؤال الله لعبده تذكير للعبد ببعض غدراته، ودفعة لعقله بقوة ليعود إلى الماضي في الدنيا ليجعل صاحبه يعيش لحظة تطول، أو تقصر يرى نفسه في الحالين الأولى ملابس للخطيئة موشك على الهلكة، والثانية في معية الله، وبذلك تعظم عنده

---

(١) لفظ مسلم مسلم في هذه الرواية: (فيقول: هل تعرف) والمثبت لفظ البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤١، ومسلم ٢٧٦٨ واللفظ له.

(٣) رياض الصالحين ٢١٢.

(٤) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٣١٠.

المنة ويعلم عن يقين أنه نجى بفضل الله، وستره، ومغفرته، هذا بالنسبة لمن يخاطبه الله في الموقف المحكي، أما من يخاطبهم الرسول ﷺ فالاستفهام بالنسبة لهم تحذير وتنبيه من سيء الأعمال مع تقرير لعظمة مغفرة الله، وستره على عباده، ومن الملاحظ في أسلوب الاستفهام التقريري أن أكثر وروده في معرض التصوير، والحكاية لمشاهد القيامة استحضاراً للمستقبل بين يدي الحاضر يرى العبد نفسه خلالها ينتقل بين مشاهد القيامة بين الهول، أو النعيم فإذا ما انتهى الحديث وجد نفسه في الحياة ما زال - وما زالت فرصة العمل قائمة للنجاة من هول ما تصور له والفوز بما تخيل من نعيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ستر الله على عبده المؤمن.

ثانيًا: من واجبات المدعو: عدم المجاهرة بالمعاصي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات الحساب وإعطاء الصحف يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ستر الله على عبده المؤمن:

إن فضل الله على عبده لعظيم لا يعدّ ولا يحصى، ويكفي لبيان فضله سبحانه ستره على عبده المؤمن، كما جاء في صريح الحديث "يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول رب أعرف قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته"، وفي بعض الروايات للحديث زيادة هي: ((وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]))[2].

قال المازري: (الدنو ها هنا: دنو كرامة لا دنو مسافة لأن الباري سبحانه في غير

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) صحيح البخاري ٢٤٤١، ٤٦٨٥، وصحيح مسلم ٢٧٦٨.

مكان فلا يصح منه دنو المسافة ولا بعدها، والمراد بقوله: "حتى يضع عليه كنفه" أي ستره وعفوه، وما يتفضل عليه به حينئذ)[١]، وقال ابن حجر: (قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان، لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة)[٢].

وقال ابن هبيرة: (الكنف: الستر، وهو عز وجل يستر عبده حين يقرره بذنوبه لئلا يطلع على ما بينه وبين ربه من ذلك غير ربه)[٣].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ))[٤].

قال السندي: (معناه أنه عز وجل تارك للقبائح، ساتر للعيوب والفضائح، يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاقه تعالى)[٥].

وقال ابن الأثير: (ستير: فعيل بمعنى فاعل، أي من شأنه وإرادته حب الستر والصون)[٦].

وقال محمد بن إبراهيم التويجري: (الله تبارك وتعالى هو الستير الذي يستر على عباده كثيرًا، ولا يفضحهم في المشاهد، حيي ستير، يحب الحياء والستر، ويستر على عباده الكثير من العيوب والقبائح والفضائح... وإذا وقع المسلم في معصية أو تقصير فليستر على نفسه، ويتوب إلى ربه فإن الله يغفرها له، لأنه الغفور الذي يغفر الذنوب.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، المازري، ٤١٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٤/١٠.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٩/٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٣).

(٥) حاشية السندي ١/ الحديثين ٤٠٤، ٤٠٥ طبعة دارالمعرفة.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ت ر).

الساتر الذي يستر العيوب، الكريم الذي يبدل الحسنات بالسيئات)[١].

ثانيًا- من واجبات المدعو: عدم المجاهرة بالمعاصي:

إن المؤمن لا يحب فعل المعاصي وإتيانها، فإن وقعت منه فإنه يكون على وجل وخوف عظيمين يسارع بالاستغفار والتوبة، يحاول ستر المعصية بكل سبيل ممكن، طمعًا في أن يسترها الله عليه، وهذا واضح من قول الله لعبده المؤمن: "قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم". قال ابن حجر: (إن العصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين: أحدهما من معصيته بينه وبين ربه، فدلَّ حديث ابن عمر رضي الله عنهما على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة وهو بالمنطوق، وقسم تكون معصيته مجاهرةً فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك. والقسم الثاني من تكون معصيته بينه وبين العباد فهم على قسمين أيضًا: قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء يقعون في النار ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاصُّ)[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ حاضًّا على ستر المعصية وعدم المجاهرة بها: ((كلُّ أمَّتي مُعَافىً إلا المجاهِرين. وإنَّ من المجاهرة أَن يعملَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرَهُ الله فيقول: يا فلان عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يَسترُه ربُّه ويُصبحُ يكشِفُ ستَر الله عنه))[٣].

قال ابن حجر: (إن الحديث مصرح بذم من جاهر بالمعصية فيستلزم مدح من يستتر، وأيضًا فإن ستر الله مستلزم لستر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجاهرة بها أغضب ربه فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس مَنْ الله عليه بستره إياه)[٤].

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الرياض: ٢٠٠٦، ٣٣٤/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٤/١٠. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٩/٤ - ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٣/١٠.

جاء في الموسوعة الفقهية: (يندب للمسلم إذا وقعت منه هفوة أو زلة أن يستر على نفسه ويتوب بينه وبين الله عز وجل وأن لا يرفع أمره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحد كائنًا ما كان، لأن هذا من إشاعة الفاحشة التي توعد على فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1] ولأنه هتك لستر الله سبحانه وتعالى ومجاهرة بالمعصية)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إثبات الحساب وإعطاء الصحف يوم القيامة:

جعل الله يوم القيامة لمحاسبة الناس على ما قدموا في هذه الدنيا، وقد أحصى الله سبحانه وتعالى أعمالهم عليهم وسجلتها ملائكته لهم في الدنيا، وهذا واضح جليّ من الحديث وفي آخره "فيعطى صحيفة حسناته". قال عبدالرحمن حبنكة الميداني: (ولا يتم تنجيز الرحلة الأخيرة من العقاب أو الثواب قبل اجتياز مرحلة الحساب، وذلك للفصل بين الخلائق ولإقامة الحكم بالعدل ولتقرير مرتبة الإكرام والفضل، تمهيدًا لمقتضى الجزاء المقرر بموجب قانون الجزاء الرباني، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[3].

ويسبق الحساب عرض فسؤال ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[4] وقال تعالى مبينًا مرحلة السؤال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[5].

ولإقامة العدل في الحكم عند الحساب يوم القيامة ميزان حق لا يظلم مثقال ذرة،

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/١٧٠.

(٣) سورة الغاشية، الآيتان: ٢٥-٢٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٨.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢-٩٣.

قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[١].

أما وسائل الإثبات لإدانة المكلف فهي:

١- شهادة كتب الأعمال التي سجلت فيها أعماله وأقواله في الحياة الدنيا، وشهادة الملائكة الكرام الكاتبين الذين قاموا بوظيفة تسجيلها في الدنيا. ويسلّم المكلفون كتب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم إذا كانوا من أهل اليمين في الحياة الدنيا، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو بشمائلهم ومن وراء ظهورهم إذا كانوا من أهل الشمال في الحياة الدنيا، وهم الذي كفروا وعملوا السيئات.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ ۝٧ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (وكتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقمطير والصغير والكبير ولا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملاً وإن صغر إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها "ولا يظلم ربك أحدا" فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعًا ولا يظلم أحدًا من خلقه بل يغفر ويصفح ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملأ النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرون وهو الحاكم الذي لا يجور)[٤].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٢) سورة الانشقاق، الآيات: ٧-١٢.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦٥/٥، ١٦٦.

٢- شهادة الإنسان على نفسه بإقراره واعترافه بجرمه، فإن كذب لسانه ختم على فمه واستنطقت جوارحه، فتنطق بإذن الله وقدرته شاهدةً عليه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(١)] [(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٣)].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. قَالَ: فَيَلْقَىٰ الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. قَالَ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّانِي فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ، وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَىٰ. أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَىٰ الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيَقُولُ: هَهُنَا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ. وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ. وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ))[(٤)].

---

(١) سورة النور، آية: ٢٤.

(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٦٥٧-٦٥٨.

(٣) سورة فصلت، الآيات: ١٩-٢١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٦٨.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء الحديث ليخبر عن أمر مستقبلي وهو ستر الله تعالى لعبده المؤمن يوم القيامة، وإن المؤمن أحوج ما يكون إلى ستر الله وعفوه ومغفرته لذنوبه يوم القيامة، لذا بيّن النبي ﷺ تلك النعمة والمنة العظيمة التي يمنّ الله تعالى بها على عبده المؤمن يوم القيامة.

الحديث رقم (٤٣٤)

٤٣٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أصَابَ مِن امْرَأة قُبْلَةً، فَأتَى النَّبيَّ ﷺ فَأخْبَرَهُ، فَأنْزَلَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[هود: ١١٤] فَقَالَ الرجل: أَليَ هَذَا يَا رَسُول الله؟ قَالَ: ((لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبين أثر الحسنة على السيئة، جاء في أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين تنبيهاً على عظمة الخبر، ولفتاً للعناية به، وتنكير كلمة رجل لعدم إرادة تعيينه ستراً عليه، والتعبير بالإصابة يؤكد تحقق الفعل، وإتيان الرجل النبي ﷺ دليل على عزمه التوبة، والربط بالفاء في قوله (فأتى - فأخبره) يدل على سرعة توبته، والفعل الماضي الدال على التحقق يؤكد صدق توبته، ومضاء عزيمته لذلك جاءت الآية الكريمة فرجاً من عند الله له، وللمؤمنين من بعده، بأن الحسنة تمحو السيئة ، وقول الرجل (ألى هذا؟) استفهام على حقيقته، وقدم الجار، والمجرور للاختصاص أي لى وحدي دون الناس، فكانت الإجابة من الرسول ﷺ (لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ) يسبقها التوكيد على الشمول، ويحدوها فضلا من الله على عباده.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم التقبيل واللمس والمعانقة: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحد في التقبيل واللمس والمعانقة ونحو ذلك[(٢)]، وإن كان هذا لا يعني إباحة هذه الأشياء فهي محرمة

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٢٦، ومسلم ٢٧٦٣/٣٩. وسيكرره المؤلف برقم ١٠٤٥.

(٢) المبسوط ٢٦٥/٧، ومنح الجليل ٤٣١/٤، وكفاية الأخيار ٦١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٧/١٠، ومجموع الفتاوى ٣١٢/١٥.

شرعًا ولكنها لا تعد زنًا بالمعنى الفقهي، إذ أن هناك فرقًا بين الحل والحرمة وبين وجوب العقوبة.

وهل يعزر على ذلك؟ أجمع العلماء على أن التعزير مشروع في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى الخروج من الذنوب والسؤال عن كفارتها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحسنات تكفر السيئات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن حسب المقتضيات والأحوال.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى الخروج من الذنوب والسؤال عن كفارتها:

إذا كان كل ابن آدم خطاء، فإن المؤمن الحق إذا أخطأ سارع بالتوبة والاستغفار والإنابة إلى الله، وسؤال أهل العلم عن كفارة ذنوبه، وهذا واضح من قول الصحابي ابن مسعود رضي الله عنه: إن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره).

وفي رواية لمسلم: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ. وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا. فَأَنَا هذَا. فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ))[2].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على شدة ورع هذا الرجل... ولما جرى عليه من مصيبة الله عز وجل ما جرى اختار الإعلان بحاله، وآثر سؤال رسول الله ﷺ عن صورة أمره وتسليمه إليه نفسه ليقضي فيها بما شاء)[3].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو اليسر كعب بن عمرو السَّلمي قال: أَتَتْنِي امْرَأَةٌ تَبْتَاعُ

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩/٣٠، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/٩، والمهذب ٣٣٤/٣، والشرح الكبير ١٨٤/١٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٥٧/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٤٢ - ٢٧٦٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٥/٢.

تَمْـرًا ، فَقُلْـتُ : إنَّ فِي الْبَيْـتِ تَمْـرًا أَطَيـب مِنْـهُ. فَـدَخَلَتْ مَعِـي فِي الْبَيْـتِ، فَأَهْوَيْـتُ إِلَيْهَـا فَقَبَّلْتُهَا ، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْـرٍ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَـهُ، فقال: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ وَلاَ تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَصْبِرْ. فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَـهُ. فقال: اسْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ ولاَ تُخْبِرْ أَحَدًا فَلَمْ أَصْبِرْ. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ. فقال لَهُ: ((أَخَلَفْتَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟ حَتَّى تَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلاَّ تِلْكَ السَّاعَةَ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)). قال: وَأَطْرَقَ رَسولُ اللهِ طَوِيلاً حَتَّى أوحى اللهُ إِلَيْهِ: ﴿وأقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[(١)(٢)].

وقد قال الله تعالى في صفة المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[(٣)]. أي إذا صدرت منهم معصية أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله بالخوف من عقابه والحياء منه، وذكروا العرض الأكبر على الله فطلبوا الغفران لأجل ذنوبهم وعدلوا عن المعاصي ولم يصروا عليها فرتب الله تعالى بكرمه وفضله غفران الذنوب لمن أخلص في توبته[(٤)]، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾[(٥)].

وقال ابن القيم: (التوبة في كلام الله ورسوله كما تتضمن الإقلاع عن الذنب في الحال والندم عليه في الماضي والعزم على عدم العود إلى المستقبل، تتضمن أيضًا العزم على فعل المأمور والتزامه، فحقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب وترك ما

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣١١٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٨٩).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٢/٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٦.

يكره، ولهذا علّق سبحانه وتعالى الفلاح المطلق على التوبة، حيث قال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1])[2].

إن التوبة من المعصية واجبة شرعًا على الفور باتفاق الفقهاء، لأنها من أصول الإسلام المهمة وقواعد الدين وأول منازل السالكين[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحسنات تكفر السيئات:

من فضل الله على عباده أن جعل فعل الحسنات يكفر السيئات ويمحوها، وهذا واضح من الحديث، فلما نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4]، قال الرجل: ألي هذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: لجميع أمتي كلهم، فهذا (تصريح -كما يقول النووي- بأن الحسنات تكفر السيئات، واختلفوا في المراد بالحسنات هنا: فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة، وقال مجاهد: هي قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر[5]، ويحتمل أن المراد: الحسنات مطلقًا)[6].

وقال ابن هبيرة: (قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات" يدل على فرق ما بين الله تعالى وبين عباده، فإنه من لطفه أن الحسنات عنده يذهبن السيئات أي تمحوها وتزيلها،

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٤٠/٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٩/١٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٥/١٤.

(٤) سورة هود، آية: ١١٤.

(٥) انظر: هذه الأقوال في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٢/١٢، وما بعدها وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٤/٤، وما بعدها والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٩/٨ وما بعدها.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٦.

ومن شأن العباد أن السيئات عندهم تذهب الحسنات، فشتان ما بين حالين، ويا خسران من ترك معاملة الله تعالى إلى معاملة فلان وفلان)[١].

(والحسنات تعلّل بعلتين: أحداهما ما تتضمنه من جلب المصلحة والمنفعة. والثانية ما تتضمنه من دفع المفسدة والمضرة، فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢] بيان لما تضمنته من دفع المفاسد والمضار، وقوله: "ولذكر الله أكبر" بيان لما تضمنته من المنفعة والمصلحة، وهكذا في جميع الحسنات)[٣].

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: ((أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))[٤].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَوْصِنِي، قالَ: ((إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا)). قالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَمِنَ الْحسنَاتِ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ؟ قالَ: ((هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ))[٥].

قال ابن رجب: (لما كان العبدُ مأمورًا بالتقوى في السرِّ والعلانية مع أنه لابدّ أن يقع منه أحيانًا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة)[٦].

وقال الحسن البصري: (استعينوا على السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، وإنكم لن تجدوا شيئا أذهب لسيئة قديمة من حسنة حديثة، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾)[٧].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٦/٢.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢٨٧٧/٣.

(٤) أخرجه أحمد ٢٢٨/٥ رقم ٢١٩٨٨، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣١٣/٣٦.

(٥) أخرجه أحمد ١٦٩/٥ رقم ٢١٤٨٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٨٦/٣٥.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤١١/١ - ٤١٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٨/٨.

قال ابن مفلح: (قال ابن تيمية في أثناء كلام له: الذنوب تزول عقوباتها بأسباب: بالتوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة، لكنها من عقوبات الدنيا، وكذلك ما يحصل في البرزخ من الشدة. وكذلك ما يحصل في عرصات[1] القيامة. وتزول أيضًا بدعاء المؤمنين كالصلاة عليه، وشفاعة الشفيع المطاع لمن شفع فيه)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: نزول القرآن حسب المقتضيات والأحوال:

اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن مفرقًا منجمًا على النبي ﷺ منذ بعثته حتى وفاته، فكانت بعض الآيات تنزل حسب المقتضيات والأحوال، يتضح ذلك في قول الصحابي: فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3].

وقد ذكر العلماء ستة أوجه تبين الحكمة من نزول القرآن منجمًا ومفرقًا.

منها الوجه الخامس: مسايرة الحوادث والوقائع والتنبيه عليها في حينها والتنبيه على الأخطاء في وقتها، فإن ذلك أوقع في النفس وأدعى إلى أخذ العظة والعبرة منها عن طريق الدرس العملي، فكلّما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، فكلما حصل منهم خطأ أو انحراف نزل القرآن بتعريفهم وتنبيههم إلى ما ينبغي اجتنابه ولطلب عمله ونبههم إلى مواطن الخطأ في ذلك الوقت والحين)[4].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

فقد أجاب النبي ﷺ على سؤال الرجل: ألي هذا يا رسول الله؟ بقوله: "لجميع أمتي كلهم"، فأفاد أن هذا عام لجميع أمته وليس قاصرًا على السائل، وفي هذا بشارة عظيمة للمدعوين، مما يفتح الأمل أمام العصاة والمذنبين، ويحملهم على المسارعة إلى التوبة والاستغفار وفعل الحسنات.

---

(١) العرْصة: البقعة الواسعة بين الدور لا بناء فيها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ر ص).

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/١٦٤.

(٣) سورة هود، آية: ١١٤.

(٤) انظر: التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني ص ٣٢، ٣٨ - ٣٩.

الحديث رقم (٤٣٥)

٤٣٥- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: جاء رجل إِلَى النَّبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قَالَ: يَا رَسُول الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: ((**هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ**))؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((**قَدْ غُفِرَ لَكَ**)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أصبتُ حدًّا: معناه: معصية توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعي الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما؛ فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة، ولا يجوز للإمام تركها[2].

فأقم فيّ كتاب الله: أي حكم الله الذي أنزله في كتابه[3].

الشرح الأدبي

قول الرجل (أصبت حداً) مجاز مرسل من باب إطلاق اسم المسبب على السبب والعدول عن الحقيقة إلى المجاز رغبة في عدم الإفصاح عن الذنب، أو التصريح بلفظه، وقوله :(فأقمه) الإقامة بمعنى إنفاذه، والتعبير بالإقامة فيه إشارة إلى تعديل الميل الذي طرأ على شيء كان مستقيماً، والمراد به حكم الله علي، وقول الرجل للرسول ﷺ للمرة الثانية (إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله) ورد في المرة الأولى دون توكيد؛ لأنه خاطبه به وهو خالي الذهن عن مضمونه، وأكد الخبر في المرة الثانية؛ لأنه سكت عنه

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٢٣، ومسلم ٢٧٦٤/٤٤ واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٢١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق و م).

في المرة الأولى، ولم يجبه، فنزله منزلة الشاك في كلامه، أو المعرض عنه، وقوله (كتاب الله) أي حكم الله، وذِكْرُ الكتاب توكيد للحكم، وقول الرسول ﷺ (هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ) استفهام تقريري بغرض ترتيب الحكم عليه، لأنه سأله عن الحكم قبل الصلاة، ولم يجبه، فلم ينصرف، وقول الرسول ﷺ (قد غفر الله لك) خبر أريد به الفائدة، وأؤكد بقد، وبنسبته لله، وفيه إشارة إلى أن الحد الذي أخبر به في قوله (أصَبْتُ حَدّاً) مَعنَاهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيْسَ المُرَادُ الحدّ الشَّرعيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالخمر وَغَيرِهِمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصَّلاةِ، وَلاَ يَجُوزُ للإمَامِ تَرْكُهَا.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الإقرار بالحدود على الإبهام: ذكر الفقهاء أن من أقر بحد من الحدود ولم يفسر لا يطالب بالتفسير، ولا يقام عليه الحد إن لم يقع منه ذلك[١].

وهل يستحق تلقينه الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحاً؟ يرى جمهور الفقهاء أنه يسن للإمام أو لمن ينوب عنه أن يلقن المقر الرجوع عن الإقرار في الحدود، درءًا للحد[٢].

قال النووي: (وقد جاء تلقين الرجوع عن الإقرار بالحدود عن النبي ﷺ وعن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم واتفق العلماء عليه)[٣].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٠٦/٧، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢٢٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٤/١٧/٩-٨٥.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٢١/٤، والذخيرة ٥٦/١٢، والحاوي الكبير ٧٣/١٧، ومغني المحتاج ١٧٥/٤، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٥٣/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩/١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١١/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى التكفير عن ذنوبه.

ثانيًا: من مهام الداعية: الستر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصلاة كفارة للذنوب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: نشر الستر بين الناس.

خامسًا: من أساليب الدعوة: السؤال والتوكيد.

أولاً- من واجبات المدعو المسلم: المسارعة إلى التكفير عن ذنوبه:

إن علامة صدق المدعو هو أنه إذا أذنب أن يسارع إلى الاستغفار والتكفير عن ذنوبه، يتضح هذا من قول الرجل: "يا رسول الله أصبت حدًّا فأقمه عليّ"، وقد وقع ذلك من بعض الصحابة رضي الله عنهم، ويظهر ذلك واضحًا جليًا في حال الصحابة رضي الله عنهم فكان أحدهم إذا وقع في معصية أو غلب عليها سارع بالتوبة والاستغفار وسأل عما يجب هذا الذنب ويستره، والأدلة على ذلك كثيرة، منها عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني عالجت امرأة أقصى المدينة وإني أصبت منها ما دون أن أمسها فأنا هذا فأقضى فيَّ ما شئت؟ فقال له عمر: لقد سترك لو سترت على نفسك، قال فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا، فقام الرجل فأتبعه النبي رجلاً دعاه فتلا عليه هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ فقال رجل من القوم يا نبي هذا له خاصة؟ قال بل للناس عامة))[1].

قال القرطبي: (قوله: "إن الحسنات يذهبن السيئات" يعني الصلوات الخمس، قال الطبري، وقال مجاهد هي لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله، قلت: واللفظ بحكم عمومه صالح لما قالاه، ولزيادة عليه، كما قال ﷺ: ((الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر))[2])[3]، وعن

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٧، ٨٨.

عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ رجُلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال إنهُ احترَقَ، قال: مالَكَ؟ قال: أصَبْتُ أهلي في رَمضانَ. فأُتِيَ النبيُّ ﷺ بمِكْتَلٍ[1] يُدعى العَرَق. فقال: أينَ المحترقُ؟ قال: أنا. قال: تَصدَّقْ بهذا))[2].

قال ابن حجر: (قوله: "إنه احترق" سيأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[3] أنه عبّر بقوله هلكت ورواية الاحتراق تفسّر الهلاك، وكأنه لما اعتقد أن مرتكب الإثم يعذّب بالنار أطلق على نفسه أنه احترق لذلك. وقد أثبت النبي ﷺ له هذا الوصف فقال: أين المحترق؟ إشارة إلى أنه لو أصرّ على ذلك لاستحق ذلك)[4].

ثم قال: "وفي الحديث من الفوائد -غير ما تقدم- السؤال عن حكم ما يفعله المرء مخالفًا للشرع والتحدث بذلك لمصلحة معرفة الحكم"[5].

وقد قال الله تعالى في صفة المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[6]، قال ابن رجب: (فدلّ على أن المتقين قد يقع منهم أحيانًا كبائر وهي الفواحش وصغائر وهي ظلم النفس، لكنهم لا يصرون عليها، بل يذكرون الله عقب وقوعها، فيستغفرونه، والتوبة هي ترك الإصرار، ومعنى قوله: "ذكروا الله" أي: ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه، وما توعد به على المعصية من العقاب فيوجب ذلك لهم الرجوع في الحال والاستغفار وترك الإصرار)[7].

---

(١) قفة من ورق النخيل (الخوص) ونحوه يحمل فيها التمر ونحوه، انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٣٥، ومسلم ١١١٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٣٦، ومسلم ١١١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٢/٤.

(٥) المرجع السابق ٢٠٤/٤.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٣٥

(٧) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤١٢/١ - ٤١٣.

ثانيًا- من مهام الداعية: الستر:

إن الداعية بحكم قربه من المدعوين قد يطلع منهم على بعض زلاتهم، وهو بإزاء هذا يستر عليهم قدر الإمكان، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ: (هل حضرت معنا الصلاة؟ قال: نعم، قال: قد غفر لك).

وفي حديث واثلة بن الأسقع: فقال ﷺ: ((هَلْ تَوَضَّأْتَ حِينَ أَقْبَلْتَ؟)) قالَ: نَعَمْ، قالَ: ((صَلَّيْتَ مَعَنَا؟)) قالَ: نَعَمْ، قالَ: ((فَاذْهَبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ))[1].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: في هذا الحديث أنه لا يكشف عن الحدود بل تدفع مهما أمكن، وهذا الرجل لم يفصح بأمر يلزمه به إقامة الحد عليه فلعله أصاب صغيرة ظنّها كبيرة توجب الحدّ فلم يكشفه النبي ﷺ عن ذلك لأن موجب الحد لا يثبت بالاحتمال، إنما لم يستفسره إما لأن ذلك قد يدخل في التجسس المنهي عنه وإما إيثارًا لستر ورأى أن في تعرضه لإقامة الحدّ عليه ندمًا ورجوعًا، وقد استحب العلماء تلقين من أقرّ بموجب الحد بالرجوع عنه إما بالتعريض وإما بأوضح منه ليدرأ عنه الحد)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يندب لولي الأمر إذا رفع العاصي أمره إليه مما فيه حدّ أو تعزير في شيء من حقوق الله تعالى معلنًا توبته أن يتجاهله وأن لا يستفسره، بل يأمره بالستر على نفسه، ويأمر غيره بالستر عليه، ويحاول أن يصرفه عن الإقرار، ولا سيما إذا كان معروفًا بالصلاح والاستقامة أو كان مستور الحال)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الصلاة كفارة للذنوب:

إن الصلاة لها فضل عظيم وأثر كبير، فهي عماد الإسلام، ومن ثمّ فلا عجب أنها سبب لغفران الذنوب، وتكفير السيئات، يتضح ذلك من قول النبي ﷺ عندما أخبره الرجل أنه قد حضر الصلاة معه ﷺ قال له: (قد غفر لك)، وفي حديث ابن

---

(١) أخرجه ابن حبان ١٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٣٧ - ١٣٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/١٧١.

مسعود رضي الله عنه[١]، (فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢])، وقد اختلف في المراد بالحسنات في الآية ورجح ابن جرير الطبري أنها الصلوات الخمس وعلّل ذلك بقوله: "لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه، أنه قال: ((مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ عَذْبٍ يَجْرِي عِنْدَ بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَمس فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فمَاذَا يَبْقين منه))[٣]، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، فالوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقيبها أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من سائر صالحات الأعمال، إذا خُص بالقصد بذلك بعضٌ دون بعض"[٤].

وقال ابن حجر[٥]: (وجزم النووي وجماعة أن الذنب الذي فعله كان من الصغائر بدليل أن في بقية الخبر أنه كفرته الصلاة، بناء على الذي تكفره الصلاة من الذنوب الصغائر لا الكبائر، وهذا هو الأكثر الأغلب وقد تكفر الصلاة بعض الكبائر كمن كثر تطوعه مثلاً بحيث صلح لأن يكفر عددًا كثيرا من الصغائر ولم يكن عليه من الصغائر شيء أصلاً أو شيء يسير وعليه كبيرة واحدة فإنها تكفر عنه ذلك، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً"[٦].

لكن ابن هبيرة يقول: (في هذا الحديث دلالة على أن الصلاة تكفر كبار الذنوب فإن الرجل قال: "أصبت حدًا"، فلما صلّى جعل النبي ﷺ الصلاة مكفرة عنه ذلك، وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك من أجل أن الرجل لم يقرّ بذلك الحد، ولا عينّه، ولم يصرح بأمر يلزمه

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦، ومسلم ٦٨٧.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

(٣) الحديث بنحوه في الصحيحين من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٧/١٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤/١٧/٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٨/١٢.

شيئًا في الحكم. فكانت الصلاة مكفرة، ورأى رسول الله ﷺ أن إقراره به والتماسه منه إقامة الحدّ عليه يعد ندمًا صريحًا، قد هدم ذنبه الذي أتى به، فلما لم يعينه ولم يثبت عليه حدٌّ معين اكتفى رسول الله ﷺ بالصلاة مكفرة)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لَوْ أَنَّ بِبَابِ أَحَدِكُمْ نَهْرًا يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالُوا لا قَالَ فَكَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا))[٢].

قال ابن حجر: (قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أدران الذنوب حتى لا تبقي له ذنبًا إلا أسقطته)[٣].

رابعًا- من أهداف الدعوة: نشر الستر بين الناس:

إن الإسلام يأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن العادات لذا فإنه يحضّ على الستر، وعلى تخلق المجتمع كله دعاة ومدعوين بهذا الخلق الجميل، كما يحث على نشره بين الناس، فقد ستر النبي ﷺ على الرجل الذي أقّر بالذنب ولم يسأله عنه وأخبره أن الله قد غفر له، وكان هذا بحضرة الصحابة رضي الله عنهم وقد وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم غيره مثل ما وقع له[٤]، وقد جاء ماعز بن مالك والمرأة الغامدية يعترفان بالزنا، فستر عليهما النبي ﷺ أول الأمر فلما أصرّا أقام عليهما الحد[٥].

قال ابن حجر: (ويؤخذ من قضيته -أي ماعز- أنه يستحب لمن وقع في مثل قضيته أن يتوب إلى الله تعالى ويستر نفسه ولا يذكر ذلك لأحد كما أشار به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ماعز[٦]، كما قال ﷺ في هذه القصة: ((لَوْ سَتَرْتَهُ بِثَوْبِكَ كَانَ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠١/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥/٢ - ١٦.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٥/١٢.

(٥) حديث ماعز أخرجه البخاري ٥٢٧١، ومسلم ١٦٩١، وحديث الغامدية أخرجه مسلم ١٦٩٥.

(٦) أخرجه مالك في الموطأ ٣٥١٣ من مرسل سعيد بن المسيب.

خَيْرًا لَكَ))[١]، وبهذا جزم الشافعي فقال: أحب لمن أصاب ذنبًا فستره الله عليه أن يستره على نفسه ويتوب، واحتج بقصة ماعز مع أبي بكر وعمر.. والذي يظهر أن الستر مستحب والرفع [إلى الإمام] لقصد المبالغة في التطهير أحب. والعلم عند الله تعالى)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (أجمع العلماء أن من اطلع على عيب أو ذنب أو فجور لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممن لم يعرف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه، كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتك ولا مجاهر، يندب له أن يستره ولا يكشفه للعامة أو الخاصة ولا للحاكم أو غير الحاكم للأحاديث الكثيرة التي وردت في الحث على ستر عورة المسلم والحذر من تتبع زلاته... ولأن كشف هذه العورات والعيوب والتحدث بما وقع منه قد يؤدي إلى غيبة محرمة وإشاعة للفاحشة. قال بعض العلماء: اجتهد أن تستر العصاة. فإن ظهور معاصيهم عيب في أهل الإسلام وأولي الأمور ستر العيوب. قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر)[٣].

ويذكر ابن هبيرة وجهًا آخر لستر العاصي على نفسه أنه إن أظهر ذنبه فإنه يجرأ (على المعصية من غيره مَنْ قد كان يرى عن هذا الرجل أن مقامه أكبر من أن يتعرض لمثل هذا)[٤].

خامسًا- من أساليب الدعوة: السؤال والتوكيد:

لقد سأل النبي ﷺ الرجل عن حضوره الصلاة معه ﷺ ليرتب على ذلك جوابًا مؤكدًا وهو: (قد غفر الله لك)، واستخدم النبي ﷺ (قد) المؤكدة ليزيل كل تردد وشك من نفس هذا الصحابي بخصوص غفران ذنبه، فالله يقبل التوبة من عباده.

---

(١) أخرجه أحمد رقم ٢١٨٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٧/١٢ - ١٢٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٩/٢٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٦/٢.

الحديث رقم (٤٣٦)

٤٣٦- وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: ((إنَّ الله لَيرْضَى عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين مدى فضل الله - عز وجل - على عباده بتقبله لقليل أعمالهم، ومغفرته لكثير ذنوبهم، وهذا الحديث يشير إلى جانب من هذا المعنى، ومن الملاحظ في بداية الخبر كثافة المؤكدات التي تدل على أهمية الخبر، وتعظيمه، وربما أشارت هذه المؤكدات إلى تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن فضل هذه الأعمال، واستهانتهم بها، لأنها تبدو سهلة بسيطة، ويترتب عليها أمر جلل، وهو رضى الله - عز وجل - ، وفي قوله (يأكل الأكلة)، و(ويشرب الشربة) جناس أكد المعنى المراد، وأحدث توازنا صوتياً في العبارة يلفت السمع، وتكرار الحمد للتنبيه على فضله، وصرف العناية إليه، واستخدام حرف العطف (أو) للتنويع، أي: أي نوع يفعله فيحمد الله، يرضي الله تعالى، وربط فعل الحمد بالفاء يؤذن بالتعقيب دون مهلة يستغلها الشيطان لينسيه إياها.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٧٣٤/٨٩. وتقدم برقم ١٤٠. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٩٥.

(٢) تقدم شرحها في الحديث رقم (١٤٠).

الحديث رقم (٤٣٧)

٤٣٧- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بالليلِ ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

تصدير الخبر باسم الله يسبقه التوكيد، ويتلوه الجملة التنزيهية (تعالى) التي تربي مهابة الله في قلوب المخاطبين، تعظيم للخبر يتساوق مع مستوى التحديث الإلهي، وصياغة البسط في صورة المضارع يعطي تجدداً، واستمراراً يطرد باطراد الليل، وصياغة فعل التوبة من العبد في صورة المضارع يتوازى مع هذا البسط، فإذا الصورة باب رب مفتوح ليلاً يستقبل التائبين من عباده بالمغفرة، والصفح، ومقابلة صورة البسط الليلية مع الصورة النهارية يعطي الحكم اطراداً مع الزمان، حاصله باب توبة مفتوح ليل نهار أبداً، وتخصيص توبة مسيء الليل بالنهار وتوبة مسيء النهار بالليل يحقق فائدتين: إحداهما مراجعة العبد نفسه فيما عمل في ليله، أو نهاره في مساحة من الزمن تسكن فيها دواعي المعصية، والثانية التعجيل بالتوبة، وعدم تأخير التوبة بعد ذلك؛ لأن تأخيرها يعطي الشيطان فرصة ليستجد دوافع المعصية، ويوقعه فيها، وإذا تتالت الذنوب حجبت القلب عن نور الرب، وقوله (حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) كناية عن قيام الساعة مما يدل على استمرار البسط إلى يوم القيامة، وفي هذا ترغيب في التوبة والإكثار منها مع تبادل الليل، والنهار ما لم تقم الساعة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٧٥٩/٣١ وتقدم برقم ١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٨٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦).

الحديث رقم (٤٣٨)

٤٣٨- وعن أبي نجيح عمرو بن عَبَسَة -بفتح العين والباء- السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ -وأنا في الجاهِلِيَّةِ- أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإِذَا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جرَاءُ عَلَيهِ قَومُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: ((أنا نَبِيٌّ)) قُلْتُ: وما نبيٌّ؟ قَالَ: ((أَرْسَلَنِي الله)) قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: ((أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ)) قُلْتُ[1]: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: ((حُرٌّ وَعَبْدٌ)) ومعه يَوْمَئِذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ رضي الله عنهما، قُلْتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: ((إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي)) قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ (حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المَدِينَةَ)[2]، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فقالوا: النَّاس إِلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ، فلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: ((نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقِيْتَنِي بمكَّةَ)) قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وأَجْهَلُهُ، أخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: ((صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ[3] الشَّمْسُ (قِيدَ رُمْحٍ)[4]، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَان، وَحِينَئِذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّهُ حينئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فإِذَا أقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلاَةَ مَشْهُودَةٌ

---

(١) عند مسلم زيادة: (له).

(٢) لفظ مسلم: (وكنتُ في أهلي، فجعلتُ أتخبر الأخبار، وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتّى قدم عليَّ نفرٌ من أهل يثرب من أهل المدينة) وأنا على يقين أن هذين السطرين سقطا من نسخة المؤلف من الجمع للحميدي.

(٣) لفظ مسلم: (تطلع).

(٤) لفظ مسلم: (ترتفع) بدل: (قيد رمح).

مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ، ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإنَّهَا تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ)) قَالَ: فقلتُ: يَا نَبيَّ اللّه، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟ فَقَالَ: ((مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ[1]، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيْهِ وَخَيَاشِيْمِهِ، ثُمَّ إذا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ، إلا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يديهِ إلَى المِرفقَيْن، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأسَهُ، إلاَّ خرّتْ خطايا رأسِهِ من أطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يغسل قدميه إلَى الكعْبَيْنِ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجلَيْهِ مِنْ أنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، فَإنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وأثنى عَلَيهِ ومَجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أهْلٌ، وَفَرَّغَ قلبه للهِ تَعَالَى، إلاَّ انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ)).

فحدث عَمرُو بن عَبسَة بهذا الحديث أَبَا أُمَامَة صاحِب رَسُول اللّه ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرُو بنُ عَبسَة، انْظُر مَا تقولُ في مقامٍ واحدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَة، لقد كَبرَتْ سِنّي، وَرَقَّ عَظمِي، وَاقْتَرَبَ أجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أنْ أكْذِبَ عَلَى اللّهِ تَعَالَى، وَلا عَلَى رَسُول اللّه ﷺ، لَوْ لَمْ أسمعه مِنْ رَسُول اللّه ﷺ، إلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثًا -حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّات- مَا حَدَّثْتُ[2] أبدًا بِهِ، وَلكنِّي سمعتُهُ أكثَر من ذلِكَ. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عمرو بن عَبَسة السلمي: هو عمرو بن عَبَسة بن خالد السُّلمي البجْلي كنيته: أبو نَجيح أخو أبي ذر الغفاري لأمه. قال عنه الذهبي: الإمام الأمير.

أحد السابقين إلى الإسلام، فكان رابع أربعة أو خامس خمسة في الإسلام، كان قبل أن يُسلم من الباحثين عن الدين الحق. فاعتزل عبادة الأوثان، لِما رأى فيها من

---

(١) لفظ مسلم: (فينتثر).

(٢) عند مسلم زيادة: (به).

(٣) برقم ٨٣٢/٢٩٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩.

البطلان والضلال قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية فرأيت أنها آلهة باطلة يعبدون الحجارة، والحجارة لا تضر ولا تنفع، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب فسألتُه عن أفضل الدين فقال: يخرج رجلٌ من مكة يرغب عن آلهة قومه ويأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه -فلم يكن لي همٌّ إلا مكة أسأل: هل حدث فيها أمر؟

فلما علم بأمر النبي ﷺ أتاه وأسلم وأمره ﷺ بالرجوع إلى قومه، إشفاقًا عليه، حتى إذا مكن الله لرسوله أتاه كما في الحديث المذكور.

فرجع إلى بلاده فأقام بها إلى أن فتح المسلمون خيبر، فهاجر إلى المدينة وشارك في فتح مكة، وشهد حصار الطائف، وظلّ على جهاده في عهد الخلفاء، فكان من أمراء الجيش في موقعة اليرموك، وسكن الشام ونزل حمص، وقد روى عنه عبدالله بن مسعود مع تقدمه في العلم والعمل والصحبة.

ولم تُؤرَّخ وفاتُه، لكن الحافظ ابن حجر مال إلى أنه مات في أواخر خلافة عثمان، لأنه لم يَرَ له ذِكرًا في الفتنة ولا في خلافة معاوية[1].

غريب الألفاظ:

جرءاء عليه قومه: أي: جاسرون مستطبلون غير هائبين، هذه هي الرواية المشهورة، ورواه الحميدي وغيره "حِرَاءٌ" بكسر الحاء المهملة: وقال: معناه: غضاب ذوو غمّ وهمّ. قد عيل صبرهم به، حتى أثر في أجسامهم، منقولهم: حَرَى جسمه يحْرَى، إذا نقص من ألم أو غمّ ونحوه. والصحيح أنه بالجيم[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢١٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٣٩/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٨٤، والسير (٤٥٦/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٣٥/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر (٢٨٧/٣) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٤٣٩/٢).

(٢) رياض الصالحين ٢١٥.

ظهرت: غلبت وعلوت عليهم[١].

النفر: الناس كلهم، والجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة[٢].

اقصَرْ: كفَّ واقعد[٣].

قيد رمح: قدر رمح[٤].

قرني شيطان: ناحيتي رأسه والمراد التمثيل، ومعناه: أنه حينئذ يتحرك الشيطان وشيعته ويتسلطُون[٥].

محضورة: تحضرها الملائكة فهي أقرب إلى القبول وحصول الرحمة[٦].

يستقل الظلُ بالرمح: أي يقوم مقابله في جهة الشمال ليس مائلاً إلى المغرب ولا المشرق، وهذه حالة الاستواء[٧].

تسجر جهنم: يوقد عليها إيقادًا بليغًا[٨].

أقبل الفيء: ظهر إلى جهة المشرق، والفيء مختص بما بعد الزوال. وأما الظلّ فيقع على ما قبل الزوال وبعده[٩].

يقرب وضوءه: يحضر الماء الذي يتوضأ به[١٠].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٦٨، والنهاية في غريب الحديث، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي ٤٨٥، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٦٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٤.

(٣) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ر).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي د).

(٥) رياض الصالحين ٢١٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٧) المرجع السابق ٥٥٠.

(٨) المرجع السابق ٥٥٠.

(٩) المرجع السابق ٥٥٠، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٦٩.

(١٠) رياض الصالحين ٢١٥.

فينتثر: يستخرج ما في أنفه من أذى. والنثرة: طرف الأنف[١].

خرت خطاياه: سقطت، ورواه بعضهم جرت بالجيم، والصحيح بالخاء وهو رواية الجمهور[٢].

فيه: الفم، والجمع أفواه[٣].

خياشيمه: أقصى الأنف[٤].

المرفق: هو موقع اتصال الذراع بالعضد وهما مرفقان[٥].

أنامله: المفرد: أُنْمُلة: وهي عقدة الإصبع أو سلاماها، أو المفصل الأعلى من الإصبع الذي فيه الظُّفْر[٦].

الشرح الأدبي

يروي الحديث أَبو نجيح عمرو بن عَبَسَة - ﷺ السُّلَمِيُّ في أسلوب قصصي، لقصة هو بطلها، ورواية الراوي لقصته يتميز برواية الأحداث بتفاصيلها، وبما يخالج نفسه في أثنائها كما أنه، ويمكن تقسيمه أحداثها زمنياً إلى ثلاث مراحل: الأولى: خلال الجاهلية، والثانية: في أثناء الإسلام، والثالثة: في لقائه للرسول ﷺ، وما أخبره به.أما المرحلة الأولى فقد أشار إلى أحداثها بفعل الكينونة الذي يدخل به بوابة الزمن (كُنْتُ وأنَا في الجاهِلِيَّةِ) وقد عبَّر بضمير المتكلم تخصيصاً لنفسه، و(في) الظرفية التي تقرر الإحاطة إشارة إلى اصطباغ الحياة بالصبغة الجاهلية بما عرف من حالها في الشرك، والطيش، وقد صور اعتقاده الممهد لبحثه عن البديل بقوله (أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ) الظن بمعنى الاعتقاد والتعبير بالجار

---

(١) المرجع السابق ٢١٦.

(٢) المرجع السابق ٢١٥ - ٢١٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي ١٢٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ، الفيروزآبادي في (ر ف ق).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٥.

والمجرور(على ضلالة) يوحي بركوبهم الضلالات، وهو ما يوحي به الاستعلاء في حرف الجر (على)، الداخل على النكرة، ثم أشار إلى الفراغ الداخلي، والخواء من العقيدة بقوله (ليسوا على شيء)، كما أشار إلى الاختصاص، والثبات على هذا الباطل بقوله (وهم يعبدون الأصنام) وهذه العقيدة التي هيأت للبحث عن البديل، جعلته يتلمس الحق (فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً) وتأمل تسارع الأحداث بعد أن سمع عن الداعي الجديد، والذي يوحي به الربط بين الجمل بالفاء(فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ) ثم المفاجأة التي يتتبعها (فَإِذَا رسولُ الله ﷺ) وانظر كيف وصف حاله بقوله (مُسْتَخْفِياً) التي تدل على ضعف، مع خوف، وحال قومه معه (جرَءاءُ عَلَيهِ قَومُهُ) والتعبير بالجرأة التي تشي بالاعتداء، والتطاول، وجمعها الذي يوحي بالتكاثر على إيذائهم، وتقديمها الذي استرعى انتباهه، ثم قوله (فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ) الذي يوحي بأن هناك من يترصد بالمسلمين، ولمن يريد الإسلام، المرحلة الثانية في القصة هي مرحلة لقائه بالنبي ﷺ وهي تقوم على الحوار الهادف إلى التعرف على النبي ﷺ، ودعوته؛ ولذلك استخدم (ما) التي يسئل بها عن الماهية (مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: ((أنا نَبيٌّ)) قُلْتُ: وما نبيٌّ ؟ قَالَ: ((أَرْسَلَنِي الله)) قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: ((أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ)) قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَالَ: ((حُرٌّ وَعَبْدٌ))، وقد تضمن التوجيه تنقية العقيدة بكسر الأصنام، وتوحيد الرحمن، لأنها الأهم، وقوله (حر، وعبد) طباق يشير إلى مساوة الإسلام، وعمومه لكل طبقات الناس، وقوله (إني متبعك) ورد الرسول ﷺ له(إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا، ألا تَرَى حَالي وحالَ النَّاسِ ؟) وهذا الاستفهام يؤكد ما هم فيه من خوف، وضعف، ثم استدرك كلامه بما يبشر بانقشاع الغمة، وتحقيق النصر (وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي)

المرحلة الثالثة، مرحلة لقاء الرسول بالمدينة، وهي تقوم على الحوار التعليمي قال: (فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُني ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيْتَنِي بمكَّةَ)) قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أَخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ الله وأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ ؟)، وسؤاله عن الصلاة بعد تنقية العقيدة، لأنها أهم أركان الإسلام، وتعليم

الرسول ﷺ له أوقاتها بدية إشارة إلى أهمية الوقت عموماً، مع الإشارة إلى خصوصية بعض الأوقات، وإشارة إلى أهمية التوقيت في الصلاة خصوصاً، ثم سأله عن الوضوء الذي لا تصلح من غيره فأجابه بأسلوب القصر الذي يقصر تطهير كل عضو منها عل مغفرة ما علق به من الخطايا كما ينقي ماء الوضوء ما علق به من القذارة قال ﷺ (مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ...)والتعبير بالخرير استعارة لمغفرتها يصورها بالقذارة العالقة بالجسد، والتي تستلزم من الإنسان الحرص على دوام تطهيرها بالوضوء، ويفيد التعبير بالخرير السرعة في السقوط، والنزول من المرتفع، وهو الإنسان إلى المنخفض، وهو مكان القذارة، وقوله (وَفَرَّغَ قلبه للهِ تَعَالَى) كناية عن ترك الشواغل الحسية، والمعنوية، وقوله (إلاَّ انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يَومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ) كناية عن نقائه من الخطايا، والتشبيه بهيئة المولود يشير إلى النقاء من الخطايا مع نقاء القلب يعرف هذا من نقاء قلب الطفل، كما يشير إلى تعلقه بربه كتعلق الجنين الفطري بأمه، وهو توكيد للمغفرة التامة ينفي وهم المبالغة عن استعظم خطاياه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الوضوء: أجمع العلماء على أن الوضوء للصلاة فرض لا تجزئ الصلاة إلا به لمن وجد إلى ذلك سبيلاً[(١)].

٢-حكم المضمضة والاستنشاق في الوضوء: لا خلاف في مشروعيتهما في الوضوء وإنما الخلاف في صفتهما الشرعية، فذهب الحنابلة في المشهور إلى أنهما واجبان، بينما ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنهما مسنونان[(٢)].

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٣، والعناية على الهداية ١٤/١، وبداية المجتهد ١٤/١، ونهاية المحتاج ٤٧٨/١، وشرح منتهى الإرادات، البهوتي ٩٢/١.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٧٩/١، وجواهر الإكليل ١٦/١، وزاد المحتاج ٤٣/١، والكافي ٢٦/١.

٣-حكم غسل الوجه: وهو واجب بإجماع العلماء[١].

٤-حكم غسل اليدين في الوضوء: لا خلاف بين العلماء في وجوب غسل اليدين في الوضوء، وإنما الخلاف في غسل المرفقين مع اليدين هل يجب؟ ذهب الجمهور إلى أنه يجب إدخال المرفقين مع اليدين عند غسلهما في الوضوء[٢]، وذهب المالكية في قول إلى أنه لا يجب ذلك[٣]، وفي قول ثالث لهم يستحب ذلك لأنه أحوط[٤].

٥-حكم مسح الرأس: اتفق الفقهاء على وجوب مسح الرأس، ووقع الخلاف بينهم في المقدار الذي يجزئ، فذهب الشافعية وبعض المالكية إلى أن المجزئ مسح بعض الرأس ولو كان شعرة واحدة، بينها ذهب الحنفية إلى أن المجزئ هو مسح ربع الرأس، وذهب المالكية في المعتمد والحنابلة في المشهور إلى أن المجزئ هو مسح الرأس كله[٥] وهو الراجح لما فيه من العمل بالأحوط، وهو مطلوب في العبادات، ولأن في مسح الكل مسحًا للبعض الذي قال به الشافعية والربع الذي قال به الحنفية.

٦-حكم غسل الرجلين في الوضوء: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب جميع الفقهاء من أهل الفتوى إلى وجوب غسلهما[٦]، وذهب الإمامية إلى أن الواجب مسحهما[٧]،

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٣/١، وبداية المجتهد ١٩/١، وكفاية الأخيار ١٨/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١١٧/١.

(٢) الاختيار ١٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد المغربي ٩١/١، وكفاية الأخيار ٢٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١١٣/١.

(٣) المقدمات ١٣/٥.

(٤) الثمر الداني ٤١.

(٥) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٧/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٨٨/١، ومغني المحتاج ٥٣/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٢٥/١-١٢٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٢٣/٦/٣ ط دار عالم الكتب، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/١، والقوانين الفقهية ٢٣-٢٤، ومغني المحتاج ٥٣/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٣١/١.

(٧) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الشوكاني ١٨٩/١.

وذهب الطبري والحسن البصري إلى أنه مخير بين الغسل والمسح[١].

٧-الأوقات المنهي عن الصلاة فيها: الجمهور على النهي عن الصلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس قدر رمح، وبعد العصر حتى تغرب الشمس، ووقت استواء الشمس، خلافًا لمالك حيث أجاز الصلاة عند الاستواء مطلقًا[٢].

أما عن الصلاة التي لا تجوز في هذه الأوقات، فقد اختلف الفقهاء فيها: فذهب الحنفية إلى أنه لا يجوز مطلق الصلاة في هذه الأوقات، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز فيها إلا صبح يومه أو عصره لمن فاته، أو قضاء المفروضة، وذهب الشافعية إلى أنه تكره الصلاة فيها إن كانت بلا سبب، أما التي لها سبب فلا، وذهب الحنابلة إلى أنه يجوز قضاء الفرائض الفائتة وكذا الصلاة المنذورة وركعتي الطواف وصلاة الجنازة في جميع أوقات النهي، أما التطوع بلا سبب فلا يجوز[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: إتيان أهل الحق وسؤالهم.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: بداية الدعوة (المرحلة السرية).

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه المصلحة والأنسب له.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بما سيقع من إظهار الدين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه.

سادسًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء والصلاة.

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ١٣٢/١.

(٢) الاختيار ٥٤/١، والقوانين الفقهية ٤٤، وكفاية الأخيار ١٣٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٤٧/١.

(٣) الاختيار ٥٤/١، والمبسوط ١٤٠/١ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٤٤ وما بعدها، وكفاية الأخيار ١٣٠/١ وما بعدها، ومغني المحتاج ١٢٨/٢ وما بعدها، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة ٨٩/٢-١٠١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٥٧/١ وما بعدها.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التثبت عند رواية حديث رسول الله ﷺ.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والتوكيد والاستفهام والأمر والقصر والترغيب.

أولاً- من واجبات المدعو: إتيان أهل الحق وسؤالهم:

إن المدعو مطالب إذا عرض له أمر يحتاج أن يعرف حقيقته أو الصواب من الخطأ فيه أو نحو ذلك - مطالب بأن يسأل أهل الحق والعلم ولو أدى ذلك إلى أن يسافر إليهم، كما وقع من عمرو بن عبسة رضي الله عنه في هذا الحديث فقد قال: (فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا برسول الله ﷺ مستخفيًا، جرءاء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت.. وبأي شيء أرسلك؟...).

ونحو هذه القصة وقعت لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرَ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي. فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ. فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي. فَانْطَلَقَ الآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ. وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرَ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ. وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ. فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ. فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً[1] لَهُ، فِيهَا مَاءٌ. حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ. فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ ... وساق قصة إسلامه)[2].

وعن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني. فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال رسول الله ﷺ: ((كيفَ وَقَدْ قِيلَ؟)) ففارقَها عقبةُ، ونَكَحَتْ زوجًا غيرهُ[3].

---

(١) القربة الخلق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ن ن).

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٢٢، ٣٨٦١، ومسلم ١٣٣ - ٢٤٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٨٨.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة. قال ابن حجر: (قوله: "فركب" أي من مكة لأنها كانت دار إقامته)[١].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: بداية الدعوة (المرحلة السرية):

شاء الله تعالى أن تكون المرحلة الأولى للدعوة الإسلامية مرحلة سرّية، حتى يهيئ الله تعالى الأسباب التي تناسب الجهر بالدعوة، نظرًا لسيطرة الشرك على ذاك المجتمع الجاهلي الذي تنكر للدعوة وناصبها العداء.

هذا واضح من قول النبي ﷺ جوابًا لسؤال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: من معك؟ قال: حر وعبد، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ﷺ، وقبل ذلك قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا جراءُ عليه قومُه.

قال د. مهدي رزق الله: (استجاب الرسول ﷺ للأوامر الإلهية التي صدرت له بالتبليغ وقد جاءت هذه الأوامر واضحة في الآيات التي نزلت بعد آيات سورة العلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾[٢].

فنهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سرًا لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق[٣] ولفظه: "وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين -فيما بلغني- من مبعثه وبدأ بالدعوة إلى التوحيد ونبذ كل مظاهر الشرك، وكان تحركه في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات مثل زوجته وأبنائه ومولاه وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتم السر، ولهذا يلحظ أن من أوائل الذين دخلوا في الإسلام: زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي إطار

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٣/١.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١ - ٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٥/١، عناية عمر عبدالسلام تدمري.

السرية تحرك أبو بكر وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه فاستجاب له نفر كريم، ومن خلال علاقات هؤلاء وغيرهم أخذ الإسلام ينتشر في مكة وخارجها، وفي فترة وجيزة وصل عدد الذين سبقوا إلى الإسلام من بطون قريش إلى أكثر من أربعين نفرًا)[1].

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه المصلحة والأنسب له:

إن الداعية بما عنده من علم يرشد المدعو إلى ما يكون أصلح وأنسب؛ فإن ما يناسب بعض المدعوين قد لا يناسب بعضهم الآخرين، لذلك كان الداعية الحكيم هو الذي يعرف الأنسب والأصلح لكل مدعو، فهذا عمرو بن عبسة رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: إني متبعك، قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني، قال النووي: (معناه قلت له: إني متبعك على إظهار الإسلام هنا وبإقامتي معك، فقال: لا تستطيع لضعف شوكة المسلمين، ونخاف عليك من أذى كفار قريش ولكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وارجع إلى قومك)[2].

وفي حديث إسلام أبي ذر: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ. فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ. فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. وَثَارَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ. ... ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا. وَثَارُوا إِلَيْهِ...))[3].

قال ابن حجر: (قوله: "لأصرخن بها"، أي: بكلمة التوحيد والمراد أنه يرفع صوته جهارًا بين المشركين، وكأنه فهم أن أمر النبي ﷺ له بالكتمان ليس على الإيجاب بل على سبيل الشفقة عليه، فأعلمه أن به قوة على ذلك، ولهذا أقره ﷺ على ذلك، ويؤخذ منه جواز قول الحق عند من يخشى منه الأذية لمن قاله، وإن كان السكوت

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد ص ١٥٥ - ١٥٩، وانظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٧٥ - ٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٢٢، ٣٨٦١، ومسلم ١٣٣.

جائزًا، والتحقيق أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والمقاصد، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه))[١].

وفي رواية لمسلم: ((فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ، عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ، وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ، فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا[٢]، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا[٣] حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ، وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي))[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بما سيقع من إظهار الدين:

بعث الله محمدًا ﷺ نبيًا ورسولاً وأيده بالمعجزت والدلائل على صدق نبوته، ومن ذلك إخباره بما سيقع، وذلك في قوله ﷺ لعمرو بن عبسة رضي الله عنه: (فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني)، قال النووي عن معناه: "ارجع إلى قومك واستمر على الإسلام في موضعك حتى تعلمني ظهرت فأتني": (وفيه معجزة للنبوة وهي إعلامه بأنه سيظهر)[٥].

ومن هذا القبيل ما رواه عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((بَينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذا أتاهُ رجُلٌ فشَكا إليهِ الفاقَةَ، ثمَّ أتاهُ آخَرُ فشكا إليه قَطعَ السبيل، فقال: ((يا عَديُّ، هل رأيتَ الحِيرةَ؟)) قلت: لم أرَها، وقد أُنبئتُ عنها. قال: ((فإن طالتْ بكَ حَياةٌ لتَرَيَنَّ الظَّعينةَ[٦] تَرتحِلُ منَ الحِيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلا اللهَ)) - قلتُ فيما بيني وبينَ نفْسي فأين دُعّارُ طَيىء الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟[٧] - ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/٧.

(٢) أي لا أكرهه بل أدخل فيه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠١.

(٣) أي حملنا أنفسنا ومتاعنا على إبلنا وسرنا، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٦) المرأة في الهودج. وهو في الأصل اسم للهودج، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠٧/٦.

(٧) أي: قطاع الطريق، وطئ: قبيلة مشهورة منها عدي بن حاتم المذكور وبلادهم ما بين العراق والحجاز. وكانوا يقطعون الطريق على من مرّ عليهم بغير جواز، ولذلك تعجب عدي كيف تمرّ المرأة عليهم وهي غير خائفة. وسعروا البلاد: أي ملؤوا الأرض فسادًا. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠٧/٦.

لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى، قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: ((كِسرَى بنِ هُرمُزَ. ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لَتَرَينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلهُ منهُ فلا يَجِدُ أحدًا يَقبلهُ منه. ولَيلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ، فيقولَنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغك ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفضِلْ عليك ؟ فيقول: بلى. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارِهِ فلا يَرى إلا جهنَم)). قال عَدِيٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: ((اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ)). قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ: ((يُخرجُ مِلءَ كفه))[1].

وقد أفرد ابن كثير كتاب (دلائل النبوة) في آخر سيرة النبي ﷺ وساق تحت هذا الكتاب: باب ما أخبر به ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده، فوقعت طبق ما أخبر به سواءً بسواءٍ، وكذلك: ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة وساق تحتها الأحاديث ذات الصلة[2]، وقبله ذكر البيهقي في كتاب (دلائل النبوة): جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده، وتصديق الله جل ثناؤه رسوله ﷺ في جميع ما وعد[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس اعتناء واهتمامًا بامتثال شرع الله، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، لذلك كانوا أحرص ما يكونون على سؤال النبي ﷺ عن أحكام الدين وشرائعه، فقد قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه: يا رسول الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة... يا نبي الله فالوضوء حدثني عنه. وقد كان

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٩٥.

(٢) البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩/١١٤ - ٣٠٥.

(٣) دلائل النبوة، ٦/٣١٢ - ٥٥٢.

الصحابة رضي الله عنهم شديدي الحرص على سؤال النبي ﷺ عن الدين وشرائعه، قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فأخبره النبي ﷺ بالصلاة والصيام والزكاة [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء[٢]، فكان يعجبنا أن يجئ الرجل من أهل البادية العاقل[٣] فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك؟ قال: صدق، قال: فمن خلق السماء؟ قال: الله ... إلخ الحديث. وفيه: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا؟ ... وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ... وفي كل ذلك يقول رسول ﷺ: صدق، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، فقال النبي ﷺ: ((لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ))[٤].

سادسًا- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من واجبات الداعية أن يبيّن للمدعوين الحقائق، حتى يعلموها ومن ثم يعملوا بحسبها فتأتي أعمالهم موافقة لمراد الشرع، وهذا واضح جلي في إخباره ﷺ بالأوقات التي لا يصلى فيها، وعلّل النبي ﷺ ذلك بأن الشمس "تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار، وأما وقت استواء الشمس في وسط السماء فإنه حينئذ تسجر جهنم"، كما بين ﷺ فضل الوضوء والصلاة وأثرهما في محو الخطايا وغفرانها.

ومن هذا القبيل إخباره ﷺ عن حال ناقته في صلح الحديبية: وسار النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١.

(٢) قال النووي: يعني سؤال ما لا ضرورة إليه، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦.

(٣) قال النووي: لكونه أعرف بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة، فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣، ومسلم ١٢ واللفظ له.

حتّى إذا كان بالثَّنيَّةِ التي يُهبَطُ عليهم منها بَرَكَت بهِ راحلتُه، فقال الناسُ: حَلْ حَل. فألحّتْ. فقالوا خلأَتِ القَصواء. فقال النَّبيُّ ﷺ: ((ما خَلأَتِ القَصواء وما ذاك لها بخُلُق. ولكن حَبَسَها حابسُ الفيل))[١].

قال ابن حجر: (حل حل -بفتح المهملة وسكون اللام- كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.. فألحت -بتشديد المهملة- أي تمادت على عدم القيام، خلأت القصواء الخلاء -بالمعجمة والمد- للإبل كالحران للخيل[٢]، "وما ذاك لها بخلق"... أي بعادة، وقوله: "حبسها حابس الفيل"، أي حبسها الله عز وجل عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذكرها أن الصحابة رضي الله عنهم لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه مكة، لكن سبق في علم الله تعالى في الموضعين أنه سيدخل في الإسلام خُلْقٌ منهم، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون)[٣].

ومن قبيل بيان الحقائق للمدعوين ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ. فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)) فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ، جَزْلَةٌ[٤]: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ[٥]، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبَ مِنْكُنَّ)) قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: ((أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ. فَهذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ، فَهذَا نُقْصَانُ الدِّينِ))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣١.

(٢) خلأت الناقة، بركت أو حرنت فلم تبرح، وكذلك الجمل، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (خ ل أ).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٣٩٤ - ٣٩٥.

(٤) جزلة، أي: ذات عقل ورأى. قال ابن دريد: الجزالة العقل والوقار، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٥) العشير: هو في الأصل المعاشر مطلقاً. والمراد هنا: الزوج، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٦) أخرجه مسلم ٧٩.

قال النووي: (وأما أحكام الحديث ففيه جمل من العلوم منها : الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات، وفيه: أن الحسنات يذهبن السيئات كما قال الله عز وجل[1]، وفيه أن كفران العشير والإحسان من الكبائر، فإن التوعد بالنار من علامة كون المعصية كبيرة، وفيه أن اللعن أيضًا من المعاصي الشديدة القبح وليس فيه أنه كبيرة، فإنه ﷺ قال: "تكثرن اللعن" والصغيرة إذا أكثرت صارت كبيرة، واتفق العلماء على تحريم اللعن، فإنه في اللغة الإبعاد والطرد، وفي الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى، فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية، فلهذا قالوا: لا يجوز لعن أحد بعينه مسلمًا كان أو كافرًا أو دابة إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس.

وفيه إطلاق الكفر على غير الكفر بالله تعالى، ككفر العشير والإحسان والنعمة والحق، وفيه بيان زيادة الإيمان ونقصانه، وفيه وعظ الإمام وأصحاب الولايات وكبراء الناس رعاياهم وتحذيرهم المخالفات وتحريضهم على الطاعات، وفيه مراجعة المتعلم العالم والتابع المتبوع فيما قاله إذا لم يظهر له معناه، كمراجعة هذه الجزلة[2] رضي الله عنها، وفيه جواز إطلاق رمضان من غير إضافة إلى الشهر وإن كان الاختيار إضافته[3].

قال المازري[4]: قوله ﷺ: "أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل" تنبيه منه ﷺ على ما وراءه، وهو ما نبه الله تعالى عليه في كتابه بقوله تعالى: ﴿أَن

---

(١) قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ سورة هود: ١١٤.

(٢) الجزلة صاحبة العقل والوقار، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ، ١٤٢.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٨/١.

تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] أي أنهن قليلات الضبط.

وأما وصفه ﷺ النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض فقد يستشكل معناه وليس بمشكل بل هو ظاهر، فإن الدين والإيمان والإسلام مشتركة في معنى واحد كما قدمناه في مواضع، وقد قدمنا أيضًا في مواضع أن الطاعات تسمى إيمانًا ودينًا، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقصت عبادته نقص دينه، ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه يأثم به، كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر، وقد يكون على وجه هو مكلف به، كترك الحائض الصلاة والصوم، فإن قيل: فإن كانت معذورة فهل تثاب على الصلاة في زمن الحيض وإن كانت لا تقضيها كما يثاب المريض والمسافر ويكتب له في مرضه وسفره مثل نوافل الصلوات التي كان يفعلها في صحته وحضره؟ فالجواب أن ظاهر هذا الحديث أنها لا تثاب، والفرق أن المريض والمسافر كان يفعلها بنية الدوام عليها مع أهليته لها، والحائض ليست كذلك بل نيتها ترك الصلاة في زمن الحيض، بل يحرم عليها نية الصلاة في زمن الحيض، فنظيرها مسافر أو مريض كان يصلي النافلة في وقت ويترك في وقت غير ناو الدوام عليها، فهذا لا يكتب له في سفره ومرضه في الزمن الذي لم يكن يتنفل فيه، والله أعلم)[2].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء والصلاة:

من إكرام الله لعباده أن جعل ما يتقربون به إليه ويعبدونه به له فضل ومنزلة لديه سبحانه، مع أن ذلك هو الواجب عليهم، ويكفي دليلاً على ذلك أن الوضوء وهو واجب لأداء الصلاة التي هي بدورها واجبة على العبد أن يؤديها ويقيمها، يكفي دليلاً على ذلك أن الله جعل في فعلهما فضلاً مع أنهما واجبان على العبد. وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ عن فضل الوضوء: (ما منكم رجل يقرب وضوءه فيتمضمض ويستنشق

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢ - ١٤٣.

فينتثر إلا خرت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء)، ونحو ذلك مع بقية أعضاء الوضوء، (فإن هو قام فصلى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرّغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه).

ومن هذا القبيل ما رواه حمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن عثمان دعا بإناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثًا ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار إلى الكعبين ثم قال: قال الرسول ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1].

قال ابن حجر: (قوله ﷺ: "من ذنبه"، ظاهره يعم الكبائر والصغائر لكن العلماء خصوه بالصغائر لوروده مقيدًا باستثناء الكبائر في غير هذه الرواية[2]، وهو في حق من له كبائر وصغائر فمن ليس له إلا صغائر كفرت عنه ومن ليس له إلا كبائر خفّف عنه منها بمقدار ما لصاحب الصغائر، ومن ليس له صغائر ولا كبائر يزداد في حسناته بنظير ذلك)[3].

قال ابن القيم عن منزلة الصلاة: (الصلاة قد وُضِعَت على أكمل الوجوه وأحسنها التي تعبد بها الخالق تبارك وتعالى عباده من تضمّنها للتعظيم له بأنواع الجوارح من نطق اللسان وعمل اليدين والرجلين والرأس وحواسّه وسائر أجزاء البدن كلٌّ يأخذ لحظه من الحكمة في هذه العبادة العظيمة المقدار مع أخذ الحواسّ الباطنة بحظّها منها، وقيام القلب بواجب عبوديته فيها فهي مشتملة على الثناء والحمد والتمجيد والتسبيح والتكبير وشهادة الحق والقيام بين يدي الربّ مقام العبد الذليل الخاضع المدبّر

---

(١) أخرجه البخاري ١٥٩، ومسلم ٢٢٦.

(٢) الحديث هو: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر)، أخرجه مسلم ٢٣٣ من حديث أبي هريرة.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٣/١.

المربوب، ثم التذلّل له في هذا المقام و التضرّع والتقرّب إليه بكلامه ثم انحناء الظهر ذلاًّ له وخشوعًا واستكانة، ثم استواؤه قائمًا ليستعدّ لخضوع أكمل له من الخضوع الأول وهو السجود من قيام فيضع أشرف شيء فيه وهو وجهه على التراب خشوعًا لربّه واستكانةً وخضوعًا لعظمته وذلاًّ لعزّته قد انكسر له قلبه وذلّ له جسمه وخشعت له جوارحه، ثم يستوي قاعدًا يتضرّع له ويتذلّل بين يديه ويسأله من فضله ثم يعود إلى حاله من الذلّ والخشوع والاستكانة فلا يزال هذا دأبه حتى يقضي صلاته فيجلس عند إرادة الانصراف منها مُثنِيًا على ربّه مُسلّمًا على نبيّه وعلى عباده، ثم يصلّي على رسوله ثم يسأل ربّه من خيره وبرّه وفضله، فأيّ شيء بعد هذه العبادة من الحُسْن، وأيّ كمال وراء هذا الكمال، وأيّ عبودية أشرف من هذه العبودية)[1].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التثبت عند رواية حديث رسول الله ﷺ:

هذا واضح من قول أبي أمامة لعمرو: يا عمرو بن عبسة انظر ما تقول في مقام واحد يعطى هذا الرجل؟ كما أنه واضح كذلك في رد عمرو عليه: ما بي حاجة أن أكذب على الله تعالى ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا -حتى عد سبع مرات- ما حدثت أبدًا به ولكني سمعته أكثر من ذلك.

قال النووي: (معناه: لو لم أتحققه وأجزم به لما حدثت به)[2].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثًا فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثًا فلم يُؤْذنَ لي فرَجَعت، وقال رسولُ الله ﷺ: ((إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع)). فقال: واللهِ لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيُّ بن كعب: واللّهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغَرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٢، ٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر[١]: يحتمل أن يكون حضر عنده - أي عمر - من قرب عهده بالإسلام فخشي أن أحدهم يختلق الحديث عن رسول الله ﷺ عند الرغبة والرهبة، طلبًا للمخرج مما يدخل فيه، فأراد أن يعلمهم أن من فعل شيئًا من ذلك ينكر عليه حتى يأتي بالمخرج)[٢].

قال د. محمد عجاج الخطيب: "تلكم طريقة الصحابة رضي الله عنهم ومنهجهم في المحافظة على حديث رسول الله ﷺ، خشية الوقوع في الخطأ، أو تسرب الدس إلى الحديث الشريف من الجهلاء وأصحاب الأهواء، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب، فيكون الحكم بخلاف ما أخذ به. فعلوا ذلك كله احتياطًا للدين ورعاية لمصلحة المسلمين، لا زهدًا في الحديث النبوي ولا تعطيلاً له. فلا يجوز لإنسان أن يفهم من منهاج الصحابة رضي الله عنهم ومن تشدد عمر خاصة - هجر الصحابة رضي الله عنهم للسنة أو زهدهم فيها، معاذ الله أن يقول هذا إلا جاهل أو صاحب هوى، لا علم له بقليل من السنة، ولم تخالط قلبه روح الصحابة رضي الله عنهم، ولا أنار سبيله قبس من هداهم، فقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم جميعًا تمسكهم بالحديث الشريف وإجلالهم إياه، وأخذهم به، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى، فإن وجدوا فيه ما يريدون تمسكوا به، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه، وإن لم يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى "السنة" فإن روي لهم خبر أخذوا به، ونزلوا على حكمه، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأي)[٣].

تاسعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والتوكيد والاستفهام والأمر والقصر والترغيب:

أما السؤال فقد سأل عمرو بن عبسة رضي الله عنه عن الإسلام وشرائعه، وقد أجابه النبي ﷺ، وأما التوكيد فقوله ﷺ: (إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا)، والاستفهام: (ألا ترى حالي وحال الناس؟)، وهذا استفهام تقريري غرضه إقناع عمرو بن عبسة والتسليم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/٦٠ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٢.

(٣) السنة قبل التدوين ٩٨ - ٩٩.

بما قاله النبي ﷺ، لذا أتبعه ﷺ بالأمر: "ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني"، كما استخدم ﷺ أسلوب الأمر: "صلِّ" في توجيه النبي ﷺ لعمرو ابن عبسة رضي الله عنه إلى الصلاة واستخدم ﷺ أسلوب القصر "ما، إلا"، في بيان فضل الوضوء والصلاة، كما استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب في الحض على الوضوء والصلاة.

الحديث رقم (٤٣٩)

٤٣٩- وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: **((إِذَا أرادَ الله تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها، فَجعلهُ لَهَا فَرطًا وسلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإذَا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبيُّهَا حَيٌّ، فَأهلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأقرّ عَينَهُ بهلاكِها حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أمْرَهُ))** رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فرطًا: شفيعًا يتقدم[(٢)].

سلفًا: المقدَّم[(٣)].

---

(١) برقم ٢٢٨٨/٢٤ معلقًا. قال الرشيد العطار في غرر الفوائد ٩: وهذا الحديث متصلٌ محفوظٌ من رواية جماعة من الثقات، عن إبراهيم بن سعيد الجوهريّ، عن أبي أسامة، منهم: أبوبكر البزار الحافظ، ومحمد بن المسيب الأرغياني، والحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فيل البالسيّ وغيرهم، ورواه عن الأرغياني هذا جماعةٌ، منهم: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوريّ الملقب بإمام الأئمة، وهو من أقرانه، وإبراهيم بن محمد بن يحيى -وأظنه المزكي-، وأبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي، راوي صحيح مسلم وغيرهم، ومن صحيح طرق هذا الحديث عندنا، ثم ساقه بإسناده من طريق أبي بكر البزار، ومن طريق ابن عساكر، وقال: قال محمد بن المسيب، قال لي محمد بن إسحاق بن خزيمة: اقرأ عليَّ هذا الحديثَ، فقلتُ: أنا أستحيي منك أن أحدّثك، وأنت محدّث خراسان، فقال ابن علي الرازي: يقول لك الأستاذ: حدّثني وأنت تقول: لا. فقلتُ له: أنا لا أقول: لا، ولكنني أستحيي أن أحدّثه، فقرأتُ عليه، فقال لي بعد القراءة -ثلاث مرات- بارك الله فيك يا أبا عبد الله. قال الشيخ- يعني: زاهرًا: بلغني أن محمد بن إسحاق روى عنه هذا الحديث، وقال على رأس الملأ: ثنا محمد بن المسيب الشيخ الصالح، قالوا: من محمد بن المسيب؟ ثمّ قصده الناس بعد ذلك.

قلتُ: ورجال هذا الإسناد والذي قبله ثقاتٌ.

(٢) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٤٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ل ف)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٩٤.

فأقرّ عينهُ: سُرَّ ورضي[1].

الشرح الأدبي

الحديث يعتمد أسلوب الشرط في بدايته لنقل الخبر، واستخدم أداة الشرط (إذا) لتشير إلى أن وقوع الشرط ممكن، وذكر الله يوحي بالهيبة، والجلالة، والتعبير بالقبض فيه دلالة على التمكن، والسيطرة، وإضافة النبي للأمة تشريف لها، والتعبير بالمصدر في قوله (فرطاً، وسلفاً) يفيد المبالغة في استقبالهم بالرعاية، والحماية في مختلف المواقف، والظرف، وما أضيف إليه (بين أيديها) كناية عن صفة القرب احتراساً من فهم السبق من قوله: (فرطاً وسلفاً) وقد قابلها بنقيضها في جملة الشرط الثانية حيث قابل الرحمة في الأمة الأولى بالعذاب في الأمة الثانية، وإضافة الأمة الهالكة لنبيها فيه مذمة لهم لأنهم أعرضوا عنه فاستحقوا العقاب وقوله: (فَأهلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأقرّ عَينَهُ بهلاكِها) التعبير بالهلاك يوحي بالشدة في الأخذ، وجملة (وهو حي ينظر) كناية عن رضاه عن إهلاكهم مما يدل على أنهم كذبوه، وآذوه، والفعل المضارع يستحضر الصورة، ويؤكد الحدث يدل على ذلك قوله (فأقر عينه بهلاكها) كناية عن سروره بهلاكهم، وفيه دليل على أنه بالغ في دعوته، وبالغوا في تكذيبه، وإيذائه، فاستحقوا ما حاق بهم، وهو ما أفصح به باقي الحديث، وهكذا الأمة التي تعطي ظهرها لشرع نبيها، وسنته يوشك الله أن يهلكها، ويذيقها وبال أمرها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بأمة النبي ﷺ.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان سنن الله في خلقه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

---

(١) االمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ر)، والكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٧٣٣.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بأمة النبي ﷺ:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها"، (والفرط والفارط: الذي يتقدم الورّاد يصلح لهم الحياض والدلاء ونحوهما من أمور الاستقاء، أي: أنه المهيأ لمصالحها)[١]، وقد دل ذلك على أن أمة محمد ﷺ مرحومة، فقد قبض نبيها قبلها، وجاء في صحيح ابن حبان: خَرَجَ علينا رَسُولُ اللَّهِ فقالَ: ((تَزْعُمُونَ أني مِنْ آخرِكُمْ وَفاةً، إنِّي مِنْ أَوَّلكُمْ وَفاةً، وتَتْبَعُوني أفنادًا[٢] يَضربُ بعضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ))[٣]، ثم جاء بعده ما يلي: ذكر البيان بأن ما وصفنا من أول الحوادث هو من أمارة إرادة الله جلّ وعلا الخير بهذه الأمة، وجاء تحته حديث الباب[٤]. وقد قال المناوي: "وفيه [أي في الحديث] بشرى عظيمة لهذه الأمة حيث كان قبضه ﷺ رحمة لهم كما كان بعثه)[٥].

وقد قال النبي ﷺ: ((أَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي. فَإِذَا ذَهَبَتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي. فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ))[٦].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون" أي: من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا، وقد وقع كل ذلك. قوله ﷺ: "وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه"[٧].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٦٧٣، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط).

(٢) أي: تتبعوني ذوي فندٍ، أي ذوي عجز وكفر للنعمة. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الفيروزآبادي في (ف ن د).

(٣) أخرجه ابن حبان ٦٦٤٦، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح ابن حبان ٦٦٤٧.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي ٢/٢٠٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٣١.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٢.

كما قال النبي ﷺ: ((أُمَّتِي هذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ وَالزَّلاَزِلُ وَالْقَتْلُ))(١).

قال الطيبي: (قال المظهر: هذا حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ، سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره، وقد وردت الأحاديث بتعذيب مرتكبي الكبائر، اللهم إلا أن يؤول بأن المراد بـ "الأمة" هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه.

أقول: [القائل: الطيبي]: الحديث وارد في مدح أمته ﷺ واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها أن الله يكفر بها في الآخرة ذنبًا من ذنوبهم، وليست هذه الخاصية لسائر الأمم، ويؤيده ذكر "هذه" وتعقيبها بقوله: "مرحومة"، فإنه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله تعالى ورحمته.

والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام، وهذه الرحمة هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾(٢)، أراد موسى عليه السلام أن يخص هذه الرحمة بأمته، فأجابه تعالى بأنها مختصة بأمة النبي الأمي ﷺ)(٣).

إن من أسباب محبة المسلم للنبي ﷺ النفع الأصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي ﷺ فيها ونزول القرآن عليه. وأنه سبب نجاة هذه الأمة في الدنيا والآخرة وأن كل خير وعز وسعادة حصلت لهذه الأمة أو يقدر لها أن تحصل فبسبب اتباعه.

وأن كل بلاء حصل لهذه الأمة أو سيحصل فسببه مخالفة ما جاء به من عند ربه. وحتى تكتمل هذه المعرفة يتخيل الإنسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٢٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود).

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤٢/١٠ - ٤٣.

فيها رسول الله ﷺ وكيف كان حالها قبل مبعثه ﷺ ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه. وكيف أن الله جمع به بعد فرقة، ورفع به شأن هذه الأمة وأخرجها من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1])[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان سنن الله في خلقه:

هذا واضح في قول النبي ﷺ في آخر الحديث: "وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حيّ فأهلكها وهو حي ينظر فأقرّ عينه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره".

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[3].

قال القاسمي: (في سنتنا المبنية على الحكم البالغة ألا نعذب قومًا حتى نبعث إليهم رسولاً يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال لإقامة الحجة وقطعًا للعذر، وقوله: وإذا أردنا أن نهلك قرية...، المعنى: إذا أردنا أن نعذب قومًا عذاب استئصال "أمرنا مترفيها" يعني متنعميها بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إليهم "ففسقوا فيها"، بمخالفة أمره تعالى والخروج عن طاعته "فحق عليها القول"، فوجب عليها بمعصيتهم وفسقهم وطغيانهم، وعيد الله الذي أوعد من كفر به وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج "فدمرناها تدميرًا"، أي فخربناها تخريبًا لا يكتنه كنهه ولا

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٢) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ٦٣ - ٦٤.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ١٥ - ١٦.

يوصف وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكًا هائلاً "[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[٣].

(لقد وجه القرآن الكريم المسلمين نحو الوعي بعالم الشهادة فحثهم على النظر والتدبر والاستقراء؛ للكشف على قوانين المادة وسنن الاجتماع، كما نبّه إلى أهمية التعرف على السنن التاريخية، والإفادة من ذلك في الاعتبار وبناء الحضارة وكيفية المحافظة عليها من السقوط.

وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه السنن فذكرها نصًا في بعض الأحيان[٤]، ولم يذكرها أحيانًا أخرى نصًا، وإنما فهمت من النص دلالة وفحوى[٥]، وذكرها تارة مضافة إلى الله -تباركت وتقدست أسماؤه-[٦]، وذكرها تارة أخرى مضافة إلى أقوام[٧].

وللإشارة فإن هذه السنن تعمل مجتمعة ومتسلسلة، فيكون في حصيلتها في الحياة البشرية ما هو كائن بقدرة الله عز وجل.

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ١٠/٢١٣ - ٢١٤ بتصرف يسير جدًا.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٣١.

(٣) سورة هود، آية: ١١٧.

(٤) في مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٣٧].

(٥) في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٠].

(٦) في مثل قوله تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة غافر، آية: ٨٥].

(٧) في مثل قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ...﴾ [سورة الكهف، آية: ٥٥].

وقد نبه الله -جل ثناؤه- المسلمين إلى أن هذه السنن صارمة؛ تتسم بالاطراد والشمول والثبات، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[2].

فينبغي إذن معرفتها وتدبرها واستيعابها والاستفادة منها، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[3].

ومن خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف.

على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله، أصاب شر السنة الربانية"[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

لقد بيّن ﷺ أن العذاب الذي يلحق بأمة من الأمم كان بسبب تكذيبها لنبيها وعصيانها أمره، وقد حدث هذا للأمم السابقة، قال قتادة وقد تلا قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾[5]، قال: (ذهب النبيّ ﷺ وبقيت النقمة، ولم يُرِ الله

---

(١) سورة فاطر، آية ٤٣.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٦.

(٤) العلم بالسنن الربانية، د. محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد: ١١٥، ص ٥٠ - ٥١، وانظر: مرجعه ومصدره.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٤١.

نبيه ﷺ في أمته شيئا يكرهه حتى مضى، ولم يكن نبيّ قطُّ إلا رأى العقوبة في أمته، إلا نبيكم)[١].

جاء في نزهة المتقين تعليقًا على حديث الباب: (أفاد أن انتفاع الأمة بموت نبيها قبلها إنما يحصل إذا كانت متأسية به صابرة بعده على دينه، وهلاكها في حال حياته إنما يكون إذا كفرت به وعصت أمره، وسعت في أذاه فاستحقت الهلاك والعذاب)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾[٣].

أي: (يجازي كلاً بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر)[٤].

(والجزاء من جنس العمل هو العدل الذي تقوم به السماوات والأرض، وبه تصلح الدنيا والآخرة، ويصلح به الدين والدنيا.

والجزاء مماثل للعمل من جنسه في الخير والشر، فمن ستر مسلمًا ستره الله.. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة.. ومن نفس كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن أقال نادمًا أقال الله عثرته يوم القيامة، ومن أحسن إلى عباد الله أحسن الله إليه، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته... ومن ضار مسلمًا ضار الله به.. ومن شاق شاق الله عليه.. ومن خذل مسلمًا في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يحب نصرته فيه.

ومن أنفق أُنفق عليه، ومن أوعى أُوعي عليه، ومن يسر يسَّر الله عليه، ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه، ومن تجاوز عن غيره تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى الله عليه.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٠/٦٠٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣/٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى الخن، ود. مصطفى البُغا وآخرين ١/٣٩٦.

(٣) سورة النجم، آية: ٣١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٦٠.

ومن سمح سمح الله له، ومن رحم خلق الله رحمه الله، ومن عفا عنهم عفا الله عنه، ومن ظلمهم سلط الله عليه من يظلمه.

والراحمون يرحمهم الرحمن، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، والله سبحانه أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو عند مبدأ خلقه برئ من الآفات والعلل، تام المنفعة لما هيئ وخُلق له، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر تقتضي فساده، ولو تُرك على خلقته الأصلية لم يفسد.

ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه وأحوال أهله حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه"[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من لفظ "إذا" وفائدة الشرط هنا ترتيب الجواب على وقوع الشرط وبيان الارتباط بين النتائج والأسباب والثواب والعقاب بالمسببات، وذلك حتى يتعظ المدعوون ويتدبروا، ومن ثم ينعكس هذا على أفعالهم، فيفعلون ما كان نتيجته حسنة عند الله عز وجل ويجتنبون ما كان نتيجته سيئة عنده سبحانه وتعالى.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٤/٣٠٢٠ - ٣٠٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأمل في العفو يولد القوة ويجر طاقة الخير ويحيي موات النفس، والإسلام يربي أبناءه على عدم اليأس: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة يوسف:٨٧]، وقد فتح الله باب الرجاء ولم يجعل له حداً، فرحمة الله واسعة وحسن الظن والأمل في قبول العمل، وحمل النفس على الجادة، كل هذا من شريعة الإسلام. ولهذا ينبغي أن تربى الأمة على ذلك ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- غرس عقيدة التوحيد:

إن من أهم ما تسعى التربية الإسلامية إلى ترسيخه في القلوب العقيدة الصحيحة التي تقوم على توحيد الله تعالى، لأن التوحيد نجاة للعبد يوم القيامة، وفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ ... أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، وقوله: رواية عن ربه: «... وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً».

وقوله في حديث أنس رضي الله عنه: «ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ...».

ومنها حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه وفيه: «فَإِنَّ اللَّه قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّه».

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

فهذه جملة شواهد ظهر منها بيان فضل عقيدة التوحيد، وواجب المربين نحو ترسيخ هذه العقيدة في نفوس الناشئة وكل مسلم ومسلمة للعمل بمقتضى هذه العقيدة، لأن كلمة التوحيد ترسخ في قائلها بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا الله.

وتحقق عقيدة التوحيد الحرية والعزة والكرامة للمسلم فليس لأحد عليه سلطان، ويستفيد المؤمن أيضًا من التوحيد التحرر من الخوف والقلق وغير ذلك لاعتقاده أن لا رزاق إلا الله، كذلك يستفيد المؤمن من التوحيد: الشجاعة وعدم هيبة الموت، لأن الذي يملكه هو الله وحده وبذلك ترتفع نفسه إلى العزة والإباء والاستشهاد في سبيل الحق[1].

والتوحيد هو روح العقيدة الإسلامية، ولذا كان من أهداف التربية ترسيخ هذه العقيدة في النفوس وتربيتها عليها وترجمة ذلك إلى سلوك عملي في حياة المسلم، وينبغي على المربي أن يصل بالمستهدف بالتربية إلى التصديق الجازم بأن الله عز وجل بيده مقاليد كل شيء، وهو المالك المطلق والمتصرف بإرادته المطلقة، وأنه رب كل شيء والمهيمن عليه، وأنه لا معبود بحق غير الله تبارك وتعالى، ومن ثم الدعوة إلى ذلك والتفاني في سبيله وتربية النشء على ذلك[2].

والعقيدة الإسلامية لها أهميتها في حياة البشرية مما يؤكد على أهمية العناية بتربية النشء عليها، ولذا فإن التربية التي لا تركز على العقيدة إنما هي تربية تنزل بالمتربين إلى الهاوية فكل جهد وعمل لا يقبل من الإنسان ما لم يكن قائمًا على الإيمان الصحيح لأنه أساس متين لتربية ثابتة، مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان فإنها تربية عشوائية غير صحيحة[3].

ثانيًا- التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء: عندما جاء أعرابي وقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَاتُ ؟ قَالَ: مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ...»، وقول: «يَا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا. قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ...»، وقوله: «يامعاذ، هل

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٩٣، ٩٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٨١.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص١٠٥.

تدري ما حق الله على العباد ...»، وقوله: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قلنا: نعم...»، وقوله: «... يا رسول الله أصبت حدًا.... قال: حضرت معنا الصلاة ...».

فهذه شواهد تبين أهمية استعمال أسلوب الحوار والمناقشة في التربية، لهذا فإن من واجبات المربين غرس أسلوب الحوار والمناقشة لأنه أسلوب تربوي يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهذه الطريقة -الحوار والمناقشة- تحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه[1].

ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة. والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع، والاقتناع العقلي ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف[2].

ثالثًا- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية: الترغيب والترهيب لأن هذا الأسلوب يتمشى مع الطبيعة البشرية -وعندما استخدمت التربية الإسلامية هذا الأسلوب قدمت الترغيب على الترهيب لأن الترغيب قد يفلح ولا يفلح الترهيب، لذلك قدمه ﷺ في أغلب أحاديث الباب. فقال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ العَمَلِ». ويقول: «من تقرّب مني شبرًا تقرّبت منه ذراعًا ومن تقرّب مني ذراعًا تقرّبت منه باعًا ...»، وقوله: «... مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ...»، وقوله: «ما مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ...»، وقوله: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إلا اللَّهُ، وأنِّي رسولُ الله، لا يلقى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غيرَ شَاكٍ، فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»، وقوله: «اذْهَبْ.

---

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، د. هشام علي أحمد، ص١٢٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٠.

فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

فهذه شواهد نبوية تربوية أكدّ الرسول ﷺ من خلالها على أهمية استخدام الترغيب قبل الترهيب لأن الترغيب فيه تبشير وهذا التبشير قد يكون أبلغ في التأثير على السلوك أكثر من الترهيب.

ولا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة، وهذا مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من نفع أو ضرر، وعندما استخدمت التربية الإسلامية هذا الأسلوب، فإنها تقدم الترغيب على الترهيب ولا تستخدم الترهيب إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب، وحين لا يفلح الترغيب لابد من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح، وهذا الترغيب والترهيب يستعمل بدرجات متفاوتة وذلك لاختلاف طبائع البشر، على أن يكون الهدف الأسمى من وراء هذا الأسلوب هو الإصلاح والتأديب[1].

رابعًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية استثمار المواقف والأحداث في التغيير الإيجابي للسلوك، وذلك لأن الإنسان دائمًا يتعرض في حياته للأحداث والمواقف والتي تحدث بسبب بعض التصرفات الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديره وخارجة عن إرادته.

ومن الشواهد ما يدل على ذلك في أحاديث الباب: أحداث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من مجاعة، فقالوا: «يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا ...» وقول عتبان بن مالك: «كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار فيشق ...»، «قَدِمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ بِسَبْيٍ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَسْعَىٰ، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا مَعَ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٩.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ...»، وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ...﴾».

فهذه نماذج تربوية تدل على وقوع أحداث ومواقف من الصحابة رضوان الله عليهم دعت النبي ﷺ للتعليق عليها.

"والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس، وصقلها وتهذيبها ومزية الأحداث والمواقف -كأسلوب تربوي- أيضًا تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قامت السنة النبوية، وهي تربي الأمة الإسلامية في منشئها على استثمار المواقف والأحداث في تربية النفوس استثمارًا عجيبًا عميق الأثر، وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو التأثير العميق في النفوس حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[1].

خامسًا- التربية بالقصة:

من أساليب التربية القصة، وذلك لما فيها من شد للخيال ومتابعة ومشاهدة للأحداث فتؤثر في متتبعها أيما تأثير. ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ...».

وعن أبي نجيحٍ عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: « كُنْتُ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ. وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ. وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ. فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا ...».

فهذه نماذج تربوية تدل على اعتماد القصة كأسلوب تربوي مؤثر ساحر ناجح، وهذا ما ظهر من مفهوم ومنطوق الأحاديث.

والقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ذلك أنها تمتاز بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٦.

المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها، وخاتمتها والعبرة منها، لما لها من شد القارئ وشحذ انتباهه، دون توانٍ أو تراخ، فتجعله دائم التأمل في معانيها والتتبع لمواقعها، والتأثر بشخصيتها وموضوعاتها حتى آخر كلمة فيها، والقصة تتعامل مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة متمثلة في أهم النماذج النبوية التي ساقها النبي والصحابة[1].

سادسًا- من مصادر التربية: القرآن الكريم:

من مصادر التربية الإسلامية القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين، والذي نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين ليكون منهجًا وتربية للعالمين.

ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء، حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى...﴾[2]».

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه «عن النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴾[3]».

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ... ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[4]».

فهذه نماذج تربوية دلت على أن القرآن الكريم مصدرٌ من مصادر التربية الإسلامية وأي تربية وأي حياة مع هذا الهدي الرباني.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٨.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٦.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٤) سورة هود، آية: ١١٤.

"وإن من يريد أن يربي نفسه حري به أن يتعهدها بكتاب الله تلاوة وتدبرًا، وفهمًا وحفظًا، مبتعدًا بذلك عن منهج أهل الزيغ والعصيان الذين هجروا كلام الرحمن، ومن عاش في رحاب القرآن أصبح بمثابة قرآن يتحرك على الأرض ففيه منهج حياة لكل فرد في كل زمان ومكان، وما الحيرة والضياع التي يعيش فيها كثير من أفراد المسلمين إلا لأنهم ابتعدوا عن هذا النبع الأصيل، ولذلك نجد من اتصل بكتاب الله له رفعة يحظى بها في الدنيا والآخرة، وهذه الخيرية التي ينالها من بركات التوفيق لتربية الذات وتزكيتها[1].

سابعًا- التربية بالتشبيه وضرب المثل:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه وضرب الأمثلة، ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب لتقريب المعاني إلى الأذهان والتأثير في النفوس.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب الرجاء قوله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ. يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ».

فهذا نموذج تربوي استخدم فيه النبي ﷺ أسلوب التشبيه وضرب الأمثال للبيان والتوضيح لأثر وفضل المحافظة على أداء الصلوات الخمس، هذا الفضل الذي لا يستحقه إلا من صلى كما، أُمر فأقام أركانها وأتم واجباتها وخشع فيها.

"والأمثلة والتشبيهات النبوية دوافع تحرك العواطف والوجدان فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات وتسير الأمة الإسلامية سيرتها نحو حضارة مثلى تحقق للإنسانية الرخاء والعدالة والتحرر، ويجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة، والنزوع إلى الخير، وذلك باستحضار الأمثال في المواقف الحياتية والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند المسلم ويحقق

---

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هشام علي أحمد، ص٨٦.

عزمه على توجيه سلوكه بما تقتضيه أمثال القرآن وتعاليمه"[١].

"ويحث علماء التربية الإسلامية على الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم المتعلمين[٢]، ولاسيما في البداية لأن الإنسان بحاجة إلى البيان والإيضاح لعدد من الأمور حتى يتم استيعابها والعمل بمقتضاها لأجل التغيير الإيجابي للسلوك.

ثامنًا- التربية بالتعليم والتوجيه:

من أهم وسائل التربية الإسلامية: التعليم والتوجيه، لما فيه من توظيف طاقات الإنسان وقدراته وجهده في جوانب الخير، وتحويلها إلى عادة تعليمية سهلة وميسرة.

ولقد استخدم هذه الوسيلة الرسول ﷺ في تعليمه للصحابة رضي الله عنهم.

ومن أمثلة ذلك في أحاديث باب الرجاء: حديث أنس: عندما جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللّهِ. قَالَ «هَلْ حَضَرْتَ الصَّلاَةَ مَعَنَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ «قَدْ غُفِرَ لَكَ».

وقول أبي نجيحٍ عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: «كُنْتُ ، وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولِ اللّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللّه وَأَجْهَلُهُ. أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ. ثُمَّ ...».

فهذه شواهد تربوية ظهر فيها أن الصحابة كانوا يحرصون على التعلم والتوجيه من الرسول ﷺ.

والتعليم من الأساليب التربوية التي بها يعرف الإنسان ما يضره وما ينفعه، فالعلم يرشده إلى مواقع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر ويعتبر التعلم من أهم الوسائل التربوية لما يحدثه في نفس المتعلم من المفاهيم والمعارف التي تعينه على وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، وتنير له الطريق إلى معرفة موضع كل خلق ومكان استعماله[٣].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، النحلاوي، ص٢٠٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٩٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٤٦.

كما أن التوجيه وسيلة من وسائل التعليم التطبيقية التي استخدمها الرسول ﷺ مع أصحابه ليكون درسًا عمليًا يستقي منه الأصحاب الحكم والفوائد[١].

تاسعًا- التربية على الرجاء في رحمة الله عز وجل:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على الرجاء في رحمة الله عز وجل، وذلك لفتح باب الأمل أمام النفوس، وطرد اليأس والقنوط، وتحقيق الإقبال على الله تعالى بالطاعة حتى لا يستكثر الإنسان شيئًا على الله تعالى، فهو غفار الذنوب، وستار العيوب، وعلام الغيوب وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

ومن الشواهد على ذلك في باب الرجاء ما يلي:

حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها...ومن تقرب مني شبرًا، تقربت منه ذراعًا ...».

وقوله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها...».

وقوله: «إن رحمتي تغلب غضبي...»، وقوله: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين ...»، وقوله ﷺ: فيما يحكي عن ربه تبارك وتعالى قال: «أذنب عبدي ذنبًا، فعلم أن له ربًا يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: ...»، وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، ...»، وقوله: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون ...»، وقوله: «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب، أمثال الجبال يغفرها الله لهم ...»، وقوله: «يدني المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه ...»، وقوله: «قد غفر لك»، وقوله: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ...»، وقوله: «إن الله تعالى إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا... ».

فهذه جملة شواهد تبين مدى سعة وعظمة الرجاء في رحمة الله عز وجل، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٢].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٨٤.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

"والرجاء طمعُ في كرم الكريم وأمل في رحمته وثقته في فضل العظيم ونظرٌ إلى سعة الرحمة وجميل العفو والامتنان بالغفران، والتعلق بالمحسن المتفضل، ولولا روح الرجاء لعطلت عبودية القلب والجوارح، ولولا روح الرجاء ما تحركت الجوارح بالطاعة ولا ترنمت الألسنة بالدعاء، ولما فاضت القلوب بالثناء، إن الرجاء دليل على محبة الله وثمرة من ثمرات الخوف وكل محب على الحقيقة فهو راج لله خائف من عذابه، وعلى قدر تمكن المحبة في القلب يشتد الرجاء والخوف.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل مقرونًا بالطاعة ممزوجًا بالعطاء، يعمل ويرجو، ومن وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، والمؤمن كلما كثرت ذنوبه وتعددت هفواته يكون رجاؤه في الله أعظم، وطمعه في مغفرته أكبر، فإن أسواط الذنوب، ولسعات المعاصي تحرك القلب وتؤنب الضمير، وتدعو إلى المناجاة[1].

من فوائد الرجاء ما ذكره الإمام ابن القيم:

١- إظهار العبودية والفاقة لله عز وجل.

٢-حب الله لعباده الراجين.

٣-الرجاء حاد يحدو بالعبد في سيره إلى الله.

٤-الرجاء يزيد من محبة الله.

٥-الرجاء يبعث على أعلى المقامات وهو مقام الشكر.

٦-الرجاء مستلزم للخوف فكل راج خائف.

٧-الرجاء فيه انتظار وترقب وتوقع لفضل الله[2].

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص٦٦٣.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٠.

عاشرًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، ويمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، منها:

أ-أسلوب الإلقاء: ويكون بعرض شفهي للمعلومات من جانب المعلم، وهو واضح في كثير من أحاديث الباب، كحديث "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي" وحديث: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها". ويمكن للمعلم أن يستخدم أسلوب الإلقاء في عملية الدراسة مع المراحل التعليمية المختلفة.

ب-التكرار: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لمعاذ وقد كان رديفه: "يا معاذ" ثلاث مرات. ويمكن من خلال استخدام أسلوب التكرار توضيح أهمية الموقف التعليمي للمتعلمين وجذب انتباههم لجانب معين من الدرس.

ج-توجيه الأسئلة كما في قول النبي ﷺ: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟" والأسئلة يستخدمها المعلم لتوجيه فكر المتعلمين وفي معرفة ما يعرفه المتعلم من معلومات وقيم، ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.

حادي عشر- التربية على الشورى والعمل الجماعي:

وهذا واضح من قبول النبي ﷺ لما أشار به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ترك نحر النواضح نظرًا لما يصيب المسلمين من ضرر إن هم نحروها، وأن يدعو النبي ﷺ الناس ليأتو بفضل أزوادهم. وقد قبل النبي ﷺ ذلك مع أنه كان قد وافق الناس على نحر نواضحهم، لكن لما رأى النبي ﷺ المصلحة في رأي عمر رضي الله عنه أخذ به، وتصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة، فما كان فيه مصلحة لهم عمله وإلا تركه ونحاه جانبًا، وذلك مقيد بكون هذه المصلحة مصلحة شرعية لا تخالف نصًا شرعيًا أو مقصدًا شرعيًا، المهم أن في قبول النبي ﷺ لما أشار به عمر رضي الله عنه، ما تنادى به التربية الحديثة، وهو الشورى في الرأي والعمل الجماعي، وهو من أبرز المبادئ التي تستند عليها فلسفة الجودة الشاملة التي تطبق حاليًا في العديد من المؤسسات التعليمية

والحفاظ على الوقت والموارد المتاحة وحسن استغلال هذه الموارد وهو ما يعرف في التربية بالكفاءة والحرص على إنجاز المهام المكلف بها.

٥٢ - باب فضل الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى إخباراً عن العبدِ الصالِحِ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[غافر: ٤٤ - ٤٥].

الحديث رقم (٤٤٠)

٤٤٠ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: ((**قَالَ الله ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي. وَاللهِ، للهُ أفْرَحُ بِتَوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاَةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ بَاعاً، وَإِذَا أقْبَلَ إلَيَّ يَمْشِي أقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ**)) متفقٌ عليه، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم[1]. وتقدم شرحه في الباب قبله.

ورُوِيَ في الصحيحين[2]: (**وأنا معه حين يذكرني**) بالنون، وفي هذه الرواية (**حيث**) بالثاء وكلاهما صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضالَّتَه: الضّالَّةُ: الشيء المفقود[3].

الفلاة: الصحرا[4].

أهرول: المراد صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أُحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود[5].

---

(١) برقم ٢٦٧٥/١، كتاب التوبة، باب ١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥/١ واللفظ له.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ض ل ل).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ل و).

(٥) رياض الصالحين ٢٠٥.

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (قال) النبي ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني ؛لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، وقوله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) ترغيب في حسن الظن بالله؛ لأنه سيعامله بمقتضى ظنه فيه، وإضافة العبد إليه تشريف للعبد، وقوله (وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي) يشير إلى أن الذاكر لله في معيته، وأكرم بها من معية ! - مما يعني أنه في تمام الأمان، لا يقربه شيطان، وقسم الرسول ﷺ تنبيه إلى ما يليه، ولصرف العناية إليه؛ لأنه يصور مدى حفاوة الله بعبده التائب، وترغيبه لغيره للإقبال على من استقبله بكل هذه الحفاوة، وطَلبهم هذا الطلب، وهو فضل يستنفذ العمر في شكره، وما يستطيع أن يؤدي المؤمن شكره، والحديث تفيض ألفاظه بأجمل المعاني من المعية الإلهية، إلى التقريب، إلى المحبة، وهي تحمل معاني تجعل المؤمن يحلق في فضل الله، ومعه، وبه.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

الحكم التكليفي للظن بالله تعالى:

١ - يجب على المؤمن دائمًا أن يحسن الظن بالله تعالى، ويحرم عليه سوء الظن بالله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأكثر ما يجب أن يكون إحسانًا للظن بالله عند نزول المصائب وعند الموت، لحديث جابر رضي الله عنه.

٢ - يستحب للمريض ومن حضرته أسباب الموت، ومعاناته، تحسين الظن بالله تعالى، يرجو رحمة ربه، ومغفرته، وسعة عفوه، زيادة على حالة الصحة، ترجيحًا للرجاء على الخوف، لأحاديث الباب[1].

---

(١) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/٢١٨، ٢١٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/١٠٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤/٣٢٧.

وأما في حالة الصحة فقال النووي: (فيه وجهان لأصحابنا حكاهما القاضي حسين وصاحبه المتولي وغيرها.

أحدها: يكون خوفه ورجاؤه سواء.

والثاني: يكون خوفه أرجح.

قال القاضي: الثاني هو الصحيح.

والأظهر: أن الأول أصح ودليله ظواهر القرآن العزيز فإن الغالب فيه ذكر الترغيب والترهيب[1] مقرونين كقوله تعالى: "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه"، "إن الأرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"، "فأما من أوتي كتابه بيمينه"، "وأما من أوتي كتابه بشماله" ونائره مشورة وقال: "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، وقال: "لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون".

وعن فقير بن مسكين، قال: قال المزني: دخلت على الشافعي غداة وفاته، فقلت له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله، قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، وبكأس المنية شاربًا، ولا أدري إلى الجنة تصير روحي فأهنيها أم إلى النار فأعزيها، وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جَعَلتُ الرجا مني لعفوك سُلما

تَعَاظَمَنِي ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إحسان الظن بالله تعالى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: معية الله عز وجل مع الذاكر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المراد بمعية الله تعالى.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فرح الله سبحانه بتوبة العبد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل.

سادساً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٨/٥.

(٢) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد ٤٦/٢.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إحسان الظن بالله تعالى:

لقد أخبر النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه يقول: "أنا عند ظن عبدي بي"، وقد ذكر القاضي عياض عدة معانٍ لهذا القول، فقال: "قيل معناه: بالغفران له إذا استغفرني، والقبول إذا أناب إليّ، والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوي يقينه. قال القابسي: يحتمل أن يكون تحذيراً مما يجري في نفس العبد، مثل قوله: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]. وقوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾[2]. وقال الخطابي: "في قوله ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله))[3]، يعني: في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون من الرجاء وتأميل العفو"[4][5].

وقد رجح النووي معنى الرجاء وتأميل العفو، فقال: "وهذا أصح"[6].

ويقدم ابن حجر هذا المعنى في تفسيره لهذا القول، ثم يذكر بعده أقوال بعض أهل العلم، فيقول: "أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به"، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف"، وكأنه أخذه من جهة التسوية، فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف، لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٤) معالم السنن ٢٨٤/٤، وتكملة كلامه: "والله جواد كريم لا واخذنا بسوء أفعالنا ولا وكلنا إلى حسن أعمالنا برحمته".

(٥) إكمال المعلم ١٧٢/٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

بالمختصر، ويؤيد ذلك حديث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله" وهو عند مسلم من حديث جابر. وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال: ثالثها: الاعتدال. وقال ابن أبي جمرة: المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾[١].

وقال القرطبي في المفهم[٢]: قيل: معنى ظن عبدي في: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها، تمسكاً بصادق وعده. قال: ويؤيده قوله ﷺ في الحديث الآخر: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة))[٣]. قال: ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله ويغفر له، لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وتحل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور ((فليظن بي عبدي ما شاء))[٤]. قال: وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة[٥]. وهو يجر إلى مذهب المرجئة"[٦].

ومما سبق يمكن استخلاص المعاني الآتية لقول رب العزة "أنا عند ظن عبدي بي":

المعنى الأول: قبول العمل بما يناسبه، فالاستغفار يقبل وتقع المغفرة كما أن الدعاء يقبل وتقع الإجابة، وعلى ذلك فقس بقية الأعمال.

المعنى الثاني: حسن الظن بالله عند الموت، وذلك لأن المحتضر قد ترك الدنيا ولم يعد أمامه إلا القدوم على الآخرة، ولم يعد هناك وقت للعمل، فهو يحسن الظن بربه

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٧-٦.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٠).

(٤) أخرجه أحمد ٤٩١/٣ رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥.

(٥) جاء في القاموس المحيط، الفيروز آبادي ص:٤٥٠: الغارّ: الغافل. واغتَّر: غَفَل والاسم: الغرَّة، بالكسر.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣٨٥/١٣-٣٨٦.

ويغلب جانب الرجاء في عفوه وكرمه ومنّه، لأنه العفو الكريم المنان، وهو إذ يفعل هذا فإن الله يقابله بحسن ظنه هذا بما يسره ويفرحه.

يوضح هذا الحديث واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرنثي في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه وجلس، قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها، قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود، وأشار برأسه، أي حسن. قال واثلة: أبشر! إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء))[1].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث، ـ ذكر البيان بأن من أحسن الظن بالمعبود كان له عند ظنه، ومن أساء به الظن كان له عند ذلك[2].

المعنى الثالث: الرجاء وتأميل العفو، ولا يختص هذا بحال الاحتضار فحسب، وإنما يشمل ما قبلها أيضاً، ويعني ذلك أن العبد يرجو ويأمل من الله عز وجل أن يعفو عنه ويعامله بما هو أهله سبحانه من الكرم والعفو والصفح، ولا يعني هذا أن يفرط الإنسان في الطاعة والعبادة اعتماداً على هذا الأمل وهذا الرجاء، فهذا لا يقول به عاقل، وإنما يكون هذا عند فعل الطاعة وفعل المعصية، فالعبد عند الطاعة يرجو من الله أن يقبلها ويكافئه عليها بمزيد إحسانه وفضله ووجوده، كما أنه عند فعل المعصية فإن يرجو ألا يؤاخذه الله بها بل يعفو ويصفح ويقبل توبته وإنابته. ولاشك أن هذا الرجاء يكون معه الخوف من عقاب الله لأن هذا الخوف يمتعه من الاجتراء على المعاصي والذنوب، فإن وقعت منه فلا يوقعه الخوف إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، بل يدفعه الرجاء إلى أن يطمع في رحمة الله وعفوه وصفحه وغفرانه، وهكذا فإن العبد يكون بين الخوف والرجاء مع الإقبال على الطاعة والقيام والاجتهاد فيها.

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩١/٢٥٣ رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥.

(٢) صحيح ابن حبان ٦٤١.

والخلاصة أن معنى قول الله عز وجل: "أنا عند ظن عبدي به" يحتمل هذا المعاني الثلاثة وغيرها، وقد يكون المراد بها جميع هذه المعاني الثلاثة وخاصة أنها متقاربة ومتداخلة والله أعلم.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: معية الله عز وجل مع الذاكر:

لقد أخبر النبي ﷺ عن رب العزة أنه يقول عن عبده: "وأنا معه حيث يذكرني" وقال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول: أنا مع عبدي إذا هو ذكرني، وتحركت بي شفتاه"[(١)].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: معنى الحديث أنا مع عبدي زمان ذكره لي، أي أنا معه بالحفظ والكلاءة لا أنه معه بذاته حيث حل العبد، ومعنى قوله: "تحركت بي شفتاه" أي تحركت باسمي لا أن شفتيه ولسانه تتحرك بذاته تعالى، لاستحالة ذلك انتهى ملخصاً. وقال الكرماني: المعية هنا معية الرحمة، وأما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(٢)].

فهي معية العلم يعني فهذه أخص من المعية التي في الآية)[(٣)].

وقال النووي: (قوله تعالى: "وأنا معه حين يذكرني" أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، وأما قوله تعالى: "وهو معكم أينما كنتم"، فمعناه بالعلم والإحاطة)[(٤)].

ويتكلم القرطبي عن أصل الذكر وعن المقصود بمعية الله مع الذكر، فيقول: "أصل الذكر: التنبيه بالقلب للمذكور، والتيقظ له، ومنه قوله: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[(٥)]. أي تذكروها، وقوله ﷺ: ((من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها

---

(١) أخرجه أحمد ٥٤٠/٢ رقم ١٠٩٦٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٦٨/١٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٠٠/١٣.

(٤) شرح مسلم، ٣/١٧/٩، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ١٧٢/٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

إذا ذكرها))[١]. أي: إذا تذكرها بقلبه، وهو في القرآن كثير، وسمى القول باللسان ذكراً، لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه قد كثر اسم الذكر على القول اللساني حتى صار هو السابق للفهم، وأصل مع الحضور والمشاهدة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[٢]. وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[٣]. أي مطلع عليكم ومحيط بكم، وقد ينجر مع ذلك الحفظ والنصر، كما قيل في قوله تعالى: "إنني معكما أسمع وأرى" أي: أحفظكما ممن يريد كيدكما.

وإذا تقرر هذا فيمكن أن يكون معنى: "وأنا معه إذا ذكرني" أن من ذكر الله في نفسه مفرغة مما سواه رفع الله عن قلبه الغفلات والموانع وصار كأنه يرى الله ويشاهده. وهي الحالة العليا التي هي: أن تذكر الله كأنك تراه، فإن لم تصل إلى هذه الحالة فلا أقل من أن يذكره، وهو عالم بأن الله يسمعه ويراه، ومن كان هكذا كان الله له أنيساً إذا ناجاه، ومجيباً إذا دعاه، وحافظاً له من كل ما يتوقعه ويخشاه، ورفيقاً به يوم يتوفاه، ومحلاً له من الفردوس أعلاه"[٤].

كما يذكر ابن حجر أنواع الذكر التي تقع من العبد، ذلك عن ابن أبي جمرة، فيقول: قال ابن أبي جمرة: "معناه: فأنا معه حسب ما قصد من ذكره لي، قال: ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما، أو بامتثال الأمر واجتناب النهي، قال: والذي يدل عليه الأخبار أن الذكر على نوعين: أحدهما مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر، والثاني على خطر، قال: والأول يستفاد من قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾[٥]. والثاني من الحديث الذي فيه: "من لم تنه صلاته

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٠.

(٢) سورة طه، آية: ٤٦.

(٣) سورة الحديد، آية: ٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٧/٦-٧.

(٥) سورة الزلزلة، الآية: ٧.

عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً"[١]. لكن إن كان في حال المعصية بذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه، فإنه يرجى له"[٢].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: المراد بمعية الله تعالى:

أخبر الله أنه عز وجل مع عبده حيث يذكره كما في الحديث، والمعية نوعان تختلف باختلاف الخلق فهي تكون بمعنى مع جميع الخلق على حين تكون بمعنى آخر مع المؤمنين إكراماً لهم وبيان لفضلهم، قال الشيخ عبدالله البسام: "معية الله تعالى مع خلقه نوعان: عامة وخاصة: فأما المعية العامة فهي التي بمعنى الإحاطة والاطلاع والمراقبة والعلم، وهذه هي المعية التي مع جميع خلقه. وأما المعية الخاصة فهي التي بمعنى النصر والحفظ والإعانة، وهذه معية خاصة بعباده المؤمنين. ومذهب أهل السنة والجماعة أن معية الله تعالى لا تقتضي أن يكون الله تعالى حالاً في أمكنة من هو معهم، ولا أنه مختلط بهم، فهذا معنى باطل يذهب إليه الحلولية.

فأهل السنة يرون أنه تعالى عالٍ على عرشه بائن من خلقه. له العلو الكامل علو الذات وعلو الصفة وعلو القدر، ولا تكاد تحصر أدلة هذه المسألة"[٣].

وهذه المعية بنوعيها تنعكس على العبد المؤمن في سلوكه، فهو من ناحية يراقب الله في تصرفاته "أي تصرفات العبد، فلا يفعل ما يكرهه وما يغضبه لأنه سبحانه مطلع عليه عالم به محيط بما يقع من ذلك العبد، من ناحية أخرى، فإن العبد يشعر بالأمن والطمأنينة والسكينة في حياته لأن الله عز وجل معه يعينه ويحفظه وينصره ويحميه، ويمده ذلك بقوة هائلة تساعده على مواجهة الشدائد والأزمات بقلب شجاع وعزيمة لا تلين، لأن من كان الله معه كفاه.

وانظر إلى موقف موسى عليه السلام وموقف بني إسرائيل، وقد رأوا فرعون وجيشه على وشك

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١١٠٢٥/١١، وحكم عليه الألباني بالبطلان في السلسلة الضعيفة، الحديث رقم ٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١٣.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٠١/٦.

اللحاق بهم وإدراكهم. فقال بنوا إسرائيل في موقف يملؤه الهلع والفزع والرعب "كما يحكى الله عنهم "إنا لمدركون" على حين قال موسى عليه السلام قوله من هو واثق بمعية الله ونعت تمام الثقة: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾، فكانت النتيجة: ﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فرح الله سبحانه بتوبة العبد:

لقد أخبر النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده وإنابته إليه، فقال مستخدماً أسلوب القسم لتأكيد هذا الفرح: "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة"، ولاشك أن هذا دفع للعصاة للمسارعة إلى التوبة والإقلاع عن المعاصي والإقبال على رب العالمين والاجتهاد في طاعته والإذعان له عز وجل، وفي هذا يقول ابن هبيرة: (إنه من أعظم ما حضّ وحث وبعث الأبقين على حسن العود وتلافي الفارط، والفزع إلى التوبة، فإن الذي ذكره رسول الله ﷺ من موقع التوبة عنده سبحانه وتعالى دليل كرمه، وآية جوده، وأنّه يسره سبحانه وتعالى أوبة عبده حتى يبلغ ذلك السرور مقداراً لا يمكن أن تنتهي المعرفة إليه إلا بأن يضرب مثل هذا المثال في المخلوق ليعرف به قدر ذلك، فعلى هذا ينبغي أن لا يزال العبد تائباً إلى الله تعالى راجعاً إليه مقلعاً عن كل ما لا يصلح في معاملته إلى ما يصلح من مقتضى أمره وكريم وصاياه، فإنه تتوالى عنده المسار بتتابع توباته وموالاة إنابته.

وهذا في حق من يتوب مقبلاً بعد إعراض فكيف إذن مَنْ يتوالى إقباله ويتتابع إحسانه؟)[2].

ثم يقول في موضع آخر: (وهذا قد تقدم ما ذكرنا فيه من أنه إذا نظر منه صيغة الحديث فإنه لا يمكن أن يحمل إلا على ما ذكره رسول الله ﷺ من التمثيل إلا أنه مقام عظيم، وكل من فاء إلى طاعة الله سبحانه بعد مروق منها - فإنه يأتي ذلك من

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦٢-٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، ٢/٤٣.

فرح ربه سبحانه بعوده إلى طاعته إلى المبلغ الذي يمثل الإنسان نفسه له لو لم يكن له في الوجود عبد غيره، كما أن المضل راحلته لم يكن له في مقامه في حالته تلك سوى راحلته تلك قد أشعر ظن إبليس بتصديقه له، فكان ذلك في مقام فلح إبليس حيث قال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾[1]. فصار هذا الآبق شمتاً لإبليس بآدم الذي خلقه الله سبحانه بيده واسجد له ملائكته، ونفخ فيه من روحه، فكان حال كل مؤمن في وقد إباق من يأنف من ذريته آدم عن طاعة ربه بمرى من العدو[2] الذي قد أخبر الله عز وجل فإن النظرة له إلى يوم القيامة سبقت فيعود حالهم في مثل الفرية والمصيبة للمؤمنين كلهم، فإذا رجع كان في المعنى: تلك الضالة التي يفرح المؤمنين كلهم بعودها إليهم ووجدانهم لها، فلذلك الذي يفرح الله عز وجل به)[3].

والخلاصة أن الله عز وجل يفرح بتوبة عبده، وفي هذا حض وحث على أن ينوب العبد ويسارع إلى الإنابة إلى ربه لذا بّوب النووي على هذا الحديث باب في الحض على التوبة والفرح بها[4].

خامساً - من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الفرح لله عز وجل:

وهذا من الحديث "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة" قال سليم الهلالي: (في هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله عز وجل، وأنها صفة تليق بجلاله وكماله، ولا يلزم من إثباتها أن تكون كفرح المخلوقين الذي فيه اهتزاز وطرب وتغير يجده الشخص في نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به نقصانه ويسد به ضعفه، ... وعليه، فإن لله عز وجل فرحاً يليق بجلاله كما أن للمخلوق فرحاً يليق بعجزه وافتقاره، ونحن نؤمن بصفات الله عز وجل الواردة في كتابه وسنة رسوله ﷺ الصحيحة ولا

---

(١) من الآية ٦٢ من سورة الإسراء، والآية كاملة: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٢) هكذا في المطبوع من الإفصاح ولم نهتد لصوابه، ولعله يكون بمرأى من العدو، والله أعلم.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٨/٥-١٩٩.

(٤) شرح مسلم، ٥٠/١٧/٩، ١-٢٦٧٥. كتاب التوبة.

نتعدى القرآن والحديث، ولا نضرب لهما الأمثال، بل نثبت ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ، وننفي عنه ما نفى عن نفسه وما نفاه عن رسوله، ونسكت عما سكت الله ورسوله عنه، فالله أعلى وأعلم وأعز وأحكم، والتسليم أسلم)[١].

وقال الدكتور عمر سليمان الأشقر تحت عنوان: المنهج الذي تفهم أسماء الله وصفاته في ضوئه: ذكر محمد الأمين الشنقيطي أن القرآن العظيم دلّ على أن مبحث الصفات يرتكز على ثلاث أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضلّ وذكر أن كل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها القرآن العظيم:

الأساس الأول: تنزيهه جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين، وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣]. ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٤].

الأساس الثاني: هو الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[٥]. والإيمان بما وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا أعلم بالله بعد الله من رسول الله ﷺ الذي قال في حقه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٦].

---

(١) صحيح رياض الصالحين وبذيله حواش نفيسة وتعليقات منيفة للألباني، هذبه وحققه وضبطه سليم بن عيد بن محمد الهلالي السلفي ص ٢٩.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) سورة الإخلاص، آية: ٤.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٠.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

الأساس الثالث: قطع الأطماع عن إدراك حقيقة الكيفية، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[1]. والمعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها. فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين.

وهذا الذي ذكره الشيخ العلامة من استحالة معرفة كيفية الله أو صفاته منطق سليم، لأن العقل الإنساني مهما بلغ من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور عاجز نهاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء.

إن الإنسان عاجز عن معرفة حقيقة الروح التي تتردد بين جنبيه، فكيف يطمح إلى معرفة حقيقة الذات والصفات الإلهية[2].

سادساً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

وهذا واضح في قوله ﷺ: "والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة"، فلاشك أن صاحب الضالة عندما يجدها وقد ضاعت منه في الصحراء، يكون فرحه فرحاً شديداً جداً، فلا أبلغ منه ولا أشد، فسبق هذا المثل لبيان المعنى، وقد جاء في هذا المعنى حديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه رواه عن النبي ﷺ وحديث آخر قاله هو، ومن الملاحظ استخدام المثل لتوضيح المعنى، فعن الحارث بن سويد قال: حدثنا عبدالله بن مسعود حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه، قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا - بيده فوق أنفه، ثم قال: لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً ربه مهلكه ومعه راحلته عليها طعامه عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله. قال: أرجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده"[3].

---

(١) سورة طه، آية: ١١٠.

(٢) العقيدة مع الله ١٩٧-١٩٩ بتصرف.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٨، ومسلم ٦٣٠٨.

قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة: الحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه، بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة، وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن من العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيئ...، والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره وهو مما يعاين ويدفع بأقل الأشياء. قال: وفي ذكر الأنف مبالغة في اعتقاده خفة الذنب عنده، لأن الذباب قلما ينزل على الأنف وإنما يقصد غالباً العين. قال: وفي الحديث ضرب المثل بما يمكن[1]... ثم قال: "قال ابن أبي جمرة: وفي حديث ابن مسعود ومن الفوائد ... ضرب المثل بما يصل إلى الأفهام من الأمور المحسوسة"[2].

والداعية يستخدم ضرب المثل ليوضح المعنى ويزيده وضوحه، وذلك لأن المثل المضروب واضح جليّ تمام الوضوح عند المخاطبين، ومن ثم يؤدي هذا إلى شدة إيضاح المعنى المراد إيضاحه، لذا كلما كان المثل المضروب قريباً من أفهام المخاطبين أو منتزعاً من بيئتهم التي يعيشون فيها، كان أنجح في إيصال المعنى وإيضاحهن والملاحظ أيضاً أن المثل المضروب مثل مادي محسوس في الأغلب الأعم، ويراد به إيضاح معنى معنوي في الأغلب الأعم كذلك، لذا كان ضرب المثل من الأساليب الدعوية التي يجدر بالداعية استخدامها لإيصال رسالته الدعوية إلى المدعوين.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٥/١١.

(٢) المرجع السابق ١٠٨/١١.

الحديث رقم (٤٤١)

٤٤١ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ قبلَ مَوْتِه بثلاثةِ أيّام، يقولُ: ((**لاَ يَمُوتَنّ أحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله** عز وجل)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

أكد الصحابي ما يروي عن الرسول ﷺ بعدة مؤكدات استشعاراً لمقام التحديث عن رسول الله ﷺ، واستشعار لعظم ما يخبر به؛ لأنه ينقله للأمة، وقوله سمع فيه مزيد توكيد للخبر، وذكره الظرف (قبل) وإضافته إلى (موته) فيه لفت إلى العناية بالمقول؛لأنه صار كوصية المودع، وقول الرسول ﷺ (لاَ يَمُوتَنّ أحَدُكُمْ إلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله - عز وجل) نهي خرج عن حقيقته؛ لأن الموت مما لا يستطيع الإنسان دفعه حتى ينهى عنه، ولكن القصد به الأمر بالمداومة على حسن الظن بالله حتى يدركه الموت على هذه الحالة، فيجازيه الله بحسن ظنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من اليأس والقنوط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية إحسان الظن بالله ورجاء رحمته.

ثالثاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من اليأس والقنوط:

(اليأس والقنوط استصغار لسعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وذلك ذنب عظيم وتضييق لفضاء جوده)[2]، لذا حذّر منه النبي ﷺ فقال: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل" قال القاضي عياض: (في الحديث تحذير من القنوط المهلك

---

(١) برقم ٢٨٧٨/٨٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٥٨.

(٢) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ١١٩.

وحضٌّ على الرجاء عند الخاتمة لئلا يغلب عليه الخوف حينئذ فيخشى غلبة اليأس والقنوط فيهلك. وعبادة الله إنما هي من أصلين الخوف والرجاء، فيستحب غلبة الخوف ما دام الإنسان في خيرية العمل، فإذا دنى الأجل وذهب المهل وانقطع العمل استحب حينئذ غلبة الرجاء ليقى الله تعالى على حالة هي أحب الأحوال إليه جل اسمه إذ هو الرحمن الرحيم ويحب الرجاء، وأثنى على نبيه عليه السلام بذلك.

ويؤيد ما قلناه قوله ﷺ في الحديث: ((يبعث كل أحد على ما مات عليه))[١] فهذا جامع لهذا ولغيره وأن العبد يبعث على الحالة التي مات عليها)[٢]، وقال النووي: (قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة)[٣]. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤].

قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة، وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب ورجع عنها، وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر) ثم ساق عدة أحاديث في المعنى نفسه ثم قال: (فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد: أنه يغفر جميع ذلك من التوبة، ولا يقنطن عبدٌ من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت، فإن باب التوبة والرحمة واسع)[٥].

وقد قال الله تعالى حاكياً عن يعقوب عليه السلام: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٧٨.

(٢) إكمال المعلم ٤٠٩/٨، ٤١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير ١٠٦/٧-١٠٧.

(٦) سورة يوسف، آية: ٨٧.

قال القرطبي: (أي لا تقنطوا من فرج الله قاله ابن زيد، يريد أن المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط في الشدة. وقال قتادة والضحاك: من رحمه الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ دليلٌ على أن القنوط من الكبائر وهو اليأس)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (لا يجوز للمؤمن اليأس من روح الله ورحمته. ومن أمثلة الإياس من رحمة الله الإياس من الرزق أو نحوه كالولد، أو وجود المفقود، أو يأس المريض من العافية، أو يأس المذنب من المغفرة. والإياس من رحمة الله تعالى منهي عنه. وقد عده العلماء من الكبائر. قال ابن حجر المكي: عد ذلك كبيرة هو ما أطبقوا عليه، لما ورد فيه من الوعيد الشديد. كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[٣].

وبكونه أكبر الكبائر صرح ابن مسعود كما رواه عبدالرزاق والطبراني. ثم قال ابن حجر: وإنما كان اليأس من رحمة الله من الكبائر لأنه يستلزم تكذيب النصوص القطعية. ثم هذا اليأس قد ينضم إليه حالة هي أشد منه، وهي التصميم على عدم وقوع الرحمة له، وهذا هو القنوط، بحسب ما دل عليه سياق الآية: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾[٤] وتارة ينضم إليه مع اعتقاده عدم وقوع الرحمة له يرى أنه سيشدد عذابه كالكفار. وهذا هو المراد بسوء الظن بالله تعالى[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٣٧/١١. وانظر تلك الأقوال في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣١٤/١٣-٣١٥.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٣) سورة الحجر، آية: ٥٦.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٠/٧-٢٠١، ومراجعها ومصادرها.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: أهمية إحسان الظن بالله ورجاء رحمته:

إن كان الإيمان يدفع المؤمن إلى الخوف من الله، فإنه أيضاً يدفعه إلى إحسان الظن بالله ورجاء رحمته، وتغليب ذلك عند موته، وهذا واضح جلي في الحديث، قال النووي: (قال العلماء: هذا تحذير من القنوط وحث على الرجاء عند الخاتمة... قال العلماء: معنى حسن الظن أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه... فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محّضه لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال. وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له، ويؤيده الحديث المذكور بعده: ((يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ))[1] ولهذا عقّبه مسلم للحديث الأول قال العلماء: معناه يبعث على الحالة التي مات عليها)[2].

وعن حيان أبي النضر قال: ((دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ عَلَى أَبِي الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَجَلَسَ، قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ، فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ وَوَجْهِهِ، لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ أَسْأَلُكَ عَنْهَا، قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ، قَالَ: وَاثِلَةُ أَبْشِرْ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ"))[3].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((والذي لا إله غيره ما أعطى عبد مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنه، ذلك بأن الخير في يده))[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣-٢٨٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٧٠.

(٣) أخرجه أحمد ٤٩١/٣ رقم ١٦٠١٦ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن ٩٦، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١٦٠٧/٥.

قال د. عائض القرني: (ذكر ابن الوزير في كتاب "العواصم والقواصم" "أن الرجاء في رحمة الله عز وجل يفتح الأمل للعبد، ويقوِّيه على الطاعة، ويجعله نشيطاً في النوافل سابقاً إلى الخيرات" قُلت: وهذا صحيح، فإن بعض النفوس لا يصلحها إلا تذكر رحمة الله وعفوه وتوبته وحلمه، فتدنو منه وتجتهد وتثابر)[١].

ثالثاً - من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم:

إن الداعية مهمته الأولى توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم وإرشادهم إلى ما يفيدهم في الدنيا والآخرة، وهذا واضح من الحديث حيث أرشد النبي ﷺ المدعوين إلى أن يُحْسنوا الظن بالله لما في ذلك من نفعهم، فالله سبحانه يقول كما أخبر النبي ﷺ ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي))[٢].

لذا جاءت الأقوال عن الصحابة رضي الله عنهم في أن الداعية عليه أن يرشد الناس دون أن يقنطهم لأنه (يقال شرّ الناس الذين يقنطون الناس من رحمة الله أي يُؤيِّسُونهم)[٣].

فقد مرّ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على قاصٍّ يذكر النار فقال: ((يا مذكر النار لا تقنّط الناس. ثم قرأ ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[٤]))[٥].

وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: ((ألم أُحدَّث أنك تجلس ويُجلس إليك؟ قال: بلى يا أم المؤمنين، قالت: فإياك وإهلاك الناس وتقنيطهم))[٦].

---

(١) لا تحزن، عائض القرني ١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ٢٦٢/٩/٥.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨٥/١٣، والطبري ٢٢٨/٢٠، والطبراني في الكبير ٨٦٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٣، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٨/٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٧٦/١٢.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٢٠٥٦٠، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٨٠/١٢.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((إنَّ الفقيهَ كل الفقيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ الناسَ من رحمةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ في معاصي اللَّهِ، ولم يَؤَمِّنْهُمْ من عذابِ اللَّهِ، ولم يَدَعِ القرآنَ رغبةً عنْهُ إلى غَيْرِهِ، إنَّهُ لاَ خيرَ في عبادةٍ لا علمَ فيها، ولا علمَ لا فَهْمَ فيهِ، ولا قراءَةَ لا تدبُّرَ فيها))[1]. لذلك فإن الداعية الحق هو من جمع بين ترغيب المدعوين في رحمة الله وتخويفهم من عذاب الله وعقابه، فيدلهم على الأعمال والأخلاق التي تقربهم من رحمة الله وعفوه، كما يحذرهم مما يؤدي إلى سخط الله تعالى وغضبه، فيكون المدعو بَيْن باعثين: باعث الطمع في رحمة الله التي تمنعه من القنوط واليأس إن هو وقع في الذنوب والسيئات، كما يزيد انبعاثه إلى فعل الطاعات والتزود منها والمسارعة إليها، والباعث الآخر الخوف من غضبه سبحانه يمنعه من الوقوع في السيئات كلما تمكن من ذلك، فإن هو وقع فيها منعه من الاستمرار والإصرار عليها، كما أن هذا الباعث يجعل المدعو على وجل ألا يكون الله قد قبل عمله، ومن ثم يستمر على الجادة وتحسين الطاعات.

قال ابن القيّم: (القرآن كلام الله، وقد تجلّى الله فيه لعباده بصفاته، فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال. فتخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات، ويذوب الكبر كما يذوب الملح في الماء... وإذا تجلّى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوى طمعه وسار إلى ربّه وحادي الرجاء يحدو ركاب سيره. وكلما قوى الرجاء جدّ في العمل. كما أن الباذر كلما قوى طمعُه في المغل[2] غلق أرضه بالبذر، وإذا ضعف رجاؤه قصر في البذر. وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة، انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت

---

(١) أخرجه ابن الضرِّيس في فضائل القرآن ٦٩، وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٧٩/١٢.

(٢) يقال أغلّت الضيعة أعطت الغلة فهي مغلة إذا أتت بشيء. والغلة كل شيء يحصل من ريع الأرض أو أجرتها. انظر: لسان العرب، ابن منظور، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي في (غ ل ل).

قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب والحرص على المحرمات وانقضت أعنّة رعوناتها فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر)[١].

رابعاً - من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد:

أمّا النهي فقوله ﷺ: "لا يموتن" كما أنه أكد ﷺ هذا النهي بنون التوكيد في آخر الفعل، وهذا مما يؤكد حاجة العبد إلى إحسان الظن بالله، ولعل ما يزيد هذه الأهمية أن قال النبي ﷺ هذا الحديث قبل موته بثلاثة أيام.

إن توكيد الألفاظ من أهم الوسائل الدعوية في تثبيت المعاني في القلوب وبثها في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولا شك في أن التوكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان[٢].

---

(١) الفوائد ١٠٥-١٠٦.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ص ٣٤.

الحديث رقم (٤٤٢)

٤٤٢ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((**قَالَ الله تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغت ذُنُوبُك عَنَانَ السماء، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عنان السماء: هو ما عنَّ منها، أي: ظهر إذا رفعت رأسك، وقيل: هو السحاب والواحدة: عَنانَة[2].

بِقُراب الأرض: بضم القاف، وقيل: بكسره، والضم أصح وأشهر، وهو: ما يقارب ملأها[3].

الحديث يفيض بالمحبة، والعجيب أنها من ملك لعبيد ويفيض بالرحمة، والعجيب أنها شملت المجرمين، وهو ما دلَّ عليه البناء التركيبي للحديث، ونداء الله تبارك وتعالى (يا ابن آدم) نداء تودد، ومحبة على ما فيه من تنبيه لما يليه، والنداء بابن آدم شمول للبشر ذكوراً، وإناثاً في كل زمان، ومكان، وقوله (عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ) كناية عن موصوف، وهو ما فعل من خطايا، والذنوب التي ارتكبها في سالف حياته، وقوله (ولا أبالي) تتميم بلاغي أفاد تأكيد مغفرة الله لذنوب العبد دون اعتبار لكثرتها

---

(١) برقم ٣٥٤٠ وقال: هذا حديثٌ حسن غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٠٤.

(٢) رياض الصالحين ٢١٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ن).

(٣) المرجع السابق ٢١٧.

فضلاً من الله يقرر سعة مغفرته، وتكرار النداء بنفس الصيغة ثلاث مرات في الحديث (يَا ابْنَ آدَمَ) إلحاح على العبد بطلب ما فيه نجاته بعد أن ضمن له استجابة دعائه، ومغفرة ذنبه، وهو نداء تودد، ورأفة، وقوله (لَوْ بَلَغت ذُنُوبُك عَنَانَ السماء، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ) والعنان السحاب، وإضافتها إلى السماء تصوير لارتفاعه، وأنه بلغ مبلغ السماء، أو إضافته من باب تأكيد الارتفاع، وتكرار قوله (ولا أبالي) يفتح الباب لنوعية من الناس أذنبت فأكثرت، وطغت، وبغت، لكي يتوبوا إلى الله، وفي هذا رحمة من الله لهم بمغفرة ذنوبهم، وتنقية للمجتمع من أمثالهم؛ لأنه صيَّرهم صالحين، ورحم الناس من إيذائهم، فهو رحمة للناس جميعاً من شقاء الدنيا، ورحمة من شقاء الآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من أسباب غفران الذنوب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله ورحمته بعباده.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وقبح الشرك بالله.

رابعاً: من واجبات المؤمن: التضرع إلى الله والاستغفار ولزوم التوحيد.

خامساً: من أساليب الدعوة: النداء والتكرار والتبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: من أسباب غفران الذنوب:

من كرم الله تعالى على عباده أن جعل أسباباً لغفران الذنوب ومحو السيئات، وقد أخبر النبي ﷺ أن من أسباب غفران ذنوب العبد: الدعاء والرجاء والاستغفار والتوحيد وعدم الإشراك بالله.

قال ابن رجب الحنبلي: (قد تضمن حديث أنس أن هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة:

أحدها: الدعاء مع الرجاء، فإن الدعاء مأمور به وموعود عليه بالإجابة كما قال

تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١].

وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ))، ثم تلا هذه الآية[٢]، لكن الدعاء سبب مقتض للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تتخلف إجابته لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه...، ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى، كما خرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اُدْعُو اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ))[٣]، ولهذا نهي العبد أن يقول في دعائه: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له)[٤].

ونهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة[٥]، وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحين في الدعاء... فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء، فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له... ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة... وبكل حال فالإلحاح بالدعاء بالمغفرة مع رجاء الله تعالى موجب للمغفرة، فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره.

السبب الثاني للمغفرة: الاستغفار ولو عظمت الذنوب، وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب. وقيل: ما انتهى إليه البصر منها، وفي الرواية الأخرى: ((لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ الله لَغَفَرَ لَكُمْ))[٦]، والاستغفار

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٢).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٣٩، ومسلم ٢٦٧٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٤٠، ومسلم ٢٧٣٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٣٨/٣ رقم ١٣٤٩٣، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٤٦/٢١.

طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها. وكثيراً ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح...، ومجرد قول القائل: اللهم اغفر لي - طلب منه للمغفرة ودعاء بها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج عن قلب منكسر بالذنب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات، فالاستغفار التام الموجب للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار كما مدح الله أهله ووعدهم بالمغفرة، وبالجملة فدواء الذنوب الاستغفار.

السبب الثالث من أسباب المغفرة: التوحيد: وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]، فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض - وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها - خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة.

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابة وخشية ورجاء وتوكلاً وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها لو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات.. فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات"[2].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله ورحمته بعباده:

يعيش العباد في الدنيا بفضل الله ورحمته، كما يدخل المؤمنون الجنة في الآخرة بمنّه وكرمه، فهو سبحانه المتفضل بمغفرة الذنوب وستر العيوب وكشف الكروب، يظهر ذلك من عموم الحديث فمن رحمة الله بعباده أن غفر ذنوبهم ولو كانت عظيمة تملأ الأرض أو مثل زبد البحر، كل هذ فضل من الله ومنة، وهو القائل سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٠٢/٢ - ٤١٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[١].

وعن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً. فَلاَ تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ. فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ. فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ. فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ...))[٢].

قال ابن رجب الحنبلي: (هذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يحرمهما في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوْبقته خطاياه في الآخرة)[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذَ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْباً. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))[٤].

قال ابن حجر: (قال القرطبي[٥] في المفهم: يدل هذا الحديث على عظم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧، ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥٠٧، ومسلم ٢٧٥٨.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٨٥.

الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحلّ به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة)[١].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وقبح الشرك بالله:

إن الشرك بالله ذنب عظيم، فصاحبه يبوء بالخسران في الدنيا والآخرة، وفي المقابل فإن من وحدّ الله وأفرده بالعبودية فاز بالفلاح، على ما كان منه من تقصير في العمل أو إساءة فيه. هذا واضح في قول النبي ﷺ: (يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة)، فقد علق سبحانه غفران الذنوب بعدم الإشراك به، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا ثم أتوا محمداً فقالوا: إن الذي تقول وتدعو لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة)[٢]. فنزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[٣]، ونزل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤])[٥].

قال ابن كثير عن الآية الأخيرة: (هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها، مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه الآية على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٨٠.

(٢) قال النووي: فيه محذوف وهو جواب لو: أي لو تخبرنا لأسلمنا، وحذفها كثير في القرآن العزيز وكلام العرب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨١٠، ومسلم ١٢٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/١٠٦.

وذلك لأن الشرك ظلم عظيم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١]، فقد (دلت الآية الكريمة على أن الشرك ظلم عظيم)[٢]، وقال الطاهر بن عاشور: "ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك، لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل إصلاح العمل وكان أصل فساد الاعتقاد أحد أمرين: هي الدهرية والإشراك، فكان قوله (لا تشرك بالله)، يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته، وجملة (إن الشرك ظلم عظيم)، تعليل لنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها"[٣].

رابعاً - من واجبات المؤمن: التضرع إلى الله والاستغفار ولزوم التوحيد:

المؤمن ملازم للتوحيد دوماً أبداً، قبل على الله عز وجلّ متضرع منيب إليه، يطلب منه المغفرة والعفو، وهذا ما يبينه الحديث، فقد بيّن بعض أحوال العبد مع الله من دعائه واستغفاره وتوحيده سبحانه وعدم الإشراك به، وهكذا يجب أن يكون حال العبد مع ربه عز وجل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[٤].

قال القاسمي: (ذكر الله تعالى آداباً لذكره:

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أضواء البيان ٤٩٨/٦.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٥٥/٢١.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٥ - ٢٠٦.

الأول: أن يكون في نفسه لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى الإجابة وأبعد من الرياء.

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير ليتحقق بذلة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون على وجه الخيفة أي: الخوف والخشية من سلطان الربوبية وعظمة الألوهية من المؤاخذة على التقصير في العمل لتخشع النفس ويخضع القلب.

الرابع: أن يكون دون الجهر، لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

الخامس: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده وهو مستفاد من قوله (ودون الجهر) لأن معناه: ومتكلماً كلاماً دون الجهر.

السادس: أن يكون بالغدو والآصال أي في البكرة والعشي فتدل الآية على مزية هذين الوقتين لأنهما وقت سكون ودعة وتعبد واجتهاد، وما بينهما، الغالب فيه الانقطاع إلى أمر المعاش.

ثم نهى تعالى عن الغفلة عن ذكره بقوله: "ولا تكن من الغافلين"، أي: من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه، وفيه إشعار بطلب دوام ذكره تعالى واستحضار عظمته وجلاله وكبريائه بقدر الطاقة البشرية)[1].

وقال ابن القيم: (التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[2]، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما، ولذلك فزع إليه يونس عليه السلام، فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل عليهم السلام، فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أُعدّ لهم في الآخرة.

ولما فزع فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٣٢/٧ - ٣٣٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.

لا يقبل. هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون عليه السلام التي ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله كربه، بالتوحيد فلا يُلقى في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا ينجى منها إلا التوحيد. فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغايتها)[1].

خامساً - من أساليب الدعوة: النداء والتكرار والتبشير:

جاء النداء في (يا ابن آدم)، وكرر ذلك لإفادة التنبيه وبيان الأهمية، فإن الأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق اللا شعور العميقة حيث تنضج عوامل سيرنا، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتعاون في مدارك البشر وأمزجتهم[2]، كما جاء التبشير في ذكر غفران الذنوب مهما عظمت وذلك بسبب الدعاء مع الرجاء والاستغفار وعدم الإشراك بالله، وفي ذلك كله حضّ على هذه الأسباب والتمسك بها والعض عليها بالنواجذ.

---

(١) الفوائد ص ٨٢.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، ص ١٤٣، ١٤٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

فتح الإسلام باب الاعتذار ورغّب في الإعراض عما أقدم عليه من ذنب، وحرص على الإقلاع عما لا يمدح، وبهذا تستقيم حياة أفراد المجتمع، ويعود المؤمن إلى رشده، يراقب ربه ويعمل على تحقيق مرضاته وذلك من التوبة والإنابة والاستغفار، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية بالتمثيل والتشبيه:

من أساليب التربية الإسلامية التمثيل والتشبيه، ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في توجيهه للصحابة من خلال عرضه لفضل الرجاء وحسن الظن بالله. فقال: «قالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، وَاللّهِ لَلّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضالَّتَهُ بِالْفَلاَةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ ... أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ» فقد أراد النبي ﷺ من خلال ذكر هذا الحديث القدسي أن يوجه الصحابة رضي الله عنهم إلى رجاء رحمة الله، وإلى حسن الظن به سبحانه، ثم استخدم المثل في بيان فرح الله تعالى بتوبة عبده المؤمن، ممن يفقد ضالته ثم يفرح بوجودها، فالله تعالى أفرح بتوبة عبده من هذا الذي فرح بعثوره على دابته بعد فقدها، ولاشك أن هذا التمثيل فيه بيان وتوجيه وتقريب للمعاني والمضامين بطريقة تربوية تستهوى النفوس، ويجعلها مقبلة على الله تعالى، حيث تم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس[1]، وقد أراد النبي ﷺ أن يعمق في النفوس الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى، وما يستلزم ذلك من حسن الظن بالله، لأن الله تعالى كما ورد في الحديث القدسي، عند حسن ظن عبده به وهو سبحانه، مع عباده المؤمنين يؤيدهم ويستجيب لهم، ورحمته قريب من المحسنين، وقد حرص النبي ﷺ على تعميق هذه المعاني في الأذهان لبيان أهمية الرجاء لفضل الله تعالى.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، ص٤٢٣.

ثانياً - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، حيث استخدم ﷺ هذا الأسلوب التربوي في توجيهه للصحابة رضي الله عنهم في قضية من أهم القضايا في حياة الإنسان، وهي قضية الرجاء وعدم اليأس، تلك القضية الكبرى التي قد تكون سبباً في تغيير مسار حياة الإنسان بهذه الروح، وإما بالإعراض عن الله، والارتكاس إلى المعاصي والخوض في المحرمات، وذلك عندما يسيطر اليأس ويخيم القنوط على حياة الإنسان، ويظن أنه هالك هالك، ومن ثم فقد عالج النبي ﷺ هذه القضية من خلال التوجيهات التربوية الجادة التي أكد فيها على حقيقة هامة بقوله: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»... وذلك لتعميق الرجاء وحسن الظن بالله في نفس كل مؤمن، لذا يحسن بالمربي اختيار المواقف واغتنام الفرص والأوقات المناسبة للتوجيه يسهل العملية التربوية، ولذلك وقع على النفس وتأثير في السلوك، فاغتنام المواقف في التوجيه من أفضل طرقها لأنها تعالج خللاً في الحال، وكثيراً ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، وهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته[1].

ثالثًا - التربية بالتفاؤل:

من أساليب التربية الإسلامية التفاؤل، وهذا الأسلوب استخدمه ﷺ، مع أصحابه لأن له فائدة كبيرة في عملية التربية، وفي باب فضل الرجاء ما يدل على ذلك: فعن أنس رضي الله عنه قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، ...».

فهذا توجيه نبوي من الرسول ﷺ يعلم فيه الصحابة التفاؤل ويبعث في نفوسهم الأمل والراحة، والطمأنينة ويزيل عنهم الغم والحزن ويقتل اليأس والقنوط ويحيي فيهم روح التفاؤل والعمل، ولقد حرص الرسول ﷺ في هذا التوجيه أيضاً: على أن لا يتسرب إلى نفوسهم الوهن واليأس ولا يعتريهم التردد في رحمة الله تعالى[2]، ولقد كان

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٨٨. أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٧٨.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٢٩، ٢٣٠.

ﷺ يحب الفأل الحسن، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء تفاءل به، وكان يتفاءل بالرجل الحسن الوجه، الحسن الاسم، وكان يكره الطيره، لذلك قال الحكماء: أن من صفات المتفائل التوكل على الله، وهذا ما غرسه النبي ﷺ في الصحابة في هذا التوجيه النبوي[1].

ولما قدم المدينة المنورة، نزل على رجل من الأنصار، فصاح الرجل بغلاميه، يا سالم، ويا يسار، فقال الرسول ﷺ: «سَلِمت لنا الدّار في يُسْر».

وكذلك حين قدم جد سعيد بن المسيب، حَزْن بن أبي وَهْب على رسول الله ﷺ فقال له: كيف اسمُك قال: حَزْن، فقال: بل سَهْل قال: ما كنتُ لأدع اسماً سَمّتني به أُمّي[2].

❁ ❁ ❁

(١) العقد الفريد، ابن عبدربه، ١٣٨/٢.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، ١٧/١٤، والحديث أخرجه البخاري ٦١٩٠، ٦١٩٣.

٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعلَمْ أنَّ المُخْتَارَ لِلْعَبْدِ في حَالِ صِحَّتِهِ أنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجِيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ سَواءً، وفي حَالِ المَرَضِ يُمحَّضُ الرَّجاءُ، وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وغَيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَى ذلك.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[الأعراف: ٩٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧]، وقال تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران: ١٠٦]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأعراف: ١٦٦]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣ - ١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[القارعة: ٦ - ٩] والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ. فَيَجْتَمِعُ الخَوفُ والرجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أو آيات أو آية.

الحديث رقم (٤٤٣)

٤٤٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قَنَطَ: القنوط: يئس يأسًا شديدًا[(٢)].

---

(١) برقم (٢٧٥٥/٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٤٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ط).

أراد الرسول ﷺ أن يقرر معنى شدة عقاب الله، ويقرر معنى سعة رحمة الله تبارك وتعالى - فاعتمد أسلوب المقابلة بين المعاني؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد كما يقال - فطابق بين المؤمن، والكافر، وهذا الطباق يحقق المفارقة بين الاعتقادين الموجهين للغاية، والأمنية، وطابق بين العقوبة التي تعني العذاب، وبين الرحمة، وبين طمع، وقنط، وهو الشعور الذي تأثر بعدم العلم بشدة العذاب، وعظمة الرحمة، وحرف الشرط (لو) يفيد امتناع عدم الطمع أي وجود الطمع في الجنة لامتناع العلم بمدى شدة عذاب الله، وامتناع عدم القنوط أي :وجود القنوط من رحمة الله لامتناع العلم بمبلغ رحمة الله، وتنكير لفظ (أحد) يفيد العموم، لأنه وقع في سياق النفي، وهذا المعنى يشير إلى جهل الناس جميعاً بهذه الحقائق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جمع المؤمن بين الخوف والرجاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شدة عقاب الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سعة رحمة الله.

رابعًا: من مهام الداعية: الإنذار والبشارة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جمع المؤمن بين الخوف والرجاء:

المؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، فيدفعه الخوف إلى الابتعاد عن الذنوب، ويدفعه الرجاء إلى حسن الظن بالله إن وقع منه تقصير وتفريط، وإن فعل طاعة رجا أن يتقبلها ربه سبحانه، وهذا واضح في الحديث كلّه، فقد أخرجه البخاري في كتاب الرقاق تحت باب الرجاء مع الخوف[1]، قال القرطبي: (ومعنى الحديث لو علم ذلك وجرد النظر إليه ولم يلتفت إلى مقابله، وأما إذا نظر إلى مقابل واحد من الطرفين، فالكافر ييأس من رحمة الله تعالى، والمؤمن يرجو رحمة الله تعالى ويخاف عقابه كما قال بعضهم: لو

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٩.

وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)[١]، ووقال ابن حجر: (أي استحباب ذلك، فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم، والمقصود من الرجاء أن من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأما من انهمك على المعصية راجيا عدم المؤاخذة بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور، وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصى وترجو أن تنجو)[٢].

وقال ابن حجر كذلك: "قال الكرماني: والمقصود من الحديث أن المكلف ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء حتى لا يكون مفرطا في الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة إذا مات عن غير توبة في النار، بل يكون وسطا بينهما كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[٣] ومن تتبع دين الإسلام وجد قواعده أصولا وفروعا كلها في جانب الوسط"[٤].

وقد دخل النبي ﷺ على شابٍ وهو في الموت فقال: ((كَيْفَ تَجِدُكَ؟)) قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ، فِي مِثْلِ هذَا الْمَوْطِنِ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[٥].

(فيجب أن يكون العبد خائفًا راجيًا، فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك، خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٤/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٧/١١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٩/١١.

(٥) أخرجه الترمذي ٩٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٨٥).

رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه أو رجل أذنب ذنبًا، ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

أما إذا كان الرجل متماديًا في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي الروذباري: (الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾[3]، فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا. وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه)[4].

وقال ابن عثيمين: (والإنسان يجب عليه أن يكون طبيب نفسه، إذا رأى من نفسه أنه أمن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومتمنٍّ على الله الأماني فليعدل عن هذه الطريق، وليسلك طريق الخوف، وإذا رأى أن فيه وسوسة وأنه يخاف بلا موجب، فليعدل عن هذا الطريق، وليغلب جانب الرجاء حتى يعتدل خوفه ورجاؤه)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: شدة عقاب الله:

إن الله عقابه لشديد وعذابه لعظيم، فهو سبحانه القائل عن نفسه: ﴿شَدِيدُ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ٢/٤٥٦ - ٤٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٧٧٨.

ٱلْعَذَابِ﴾[١]، وأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢]، وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد"، قال الطيبي: (لو فرض أن المؤمن وقف على كنه صفة القهارية لظهر منها ما يقنط من ذلك الخلق طرًا[٣] فلا يطمع بجنته أحد)[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥].

قال ابن كثير: (قوله "شديد العقاب" أي: لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله")[٦].

وقال عز وجل: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[٨].

قال القاسمي: (ولو يرى الذين ظلموا، أي باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود "إذ يرون العذاب" المعد لهم يوم القيامة، "أن القوة لله جميعا"، أي: القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون أندادهم، "وأن الله شديد العقاب"، أي: العقاب للظالمين، وفائدة عطفها على ما قبلها: المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر، فإن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٦.

(٣) أي: جميعًا. انظر: المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ر ر).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٣/٥.

(٥) سورة غافر، الآيات: ١ - ٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٧/٧.

(٧) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوًا مع القدرة عليه، وجواب "لو" محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه، وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أي: لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة، ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم)[١].

وقال ابن حجر: (من علم أن من صفات الله تعالى الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة، ولو كانت صغيرة، وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: سعة رحمة الله:

إن من أسماء الله تعالى: الرحمن الرحيم، كما أن رحمته وسعت كل شيء، وقد بين النبي ﷺ ذلك فقال: "ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد".

قال الطيبي: (قال المظهر: ورد الحديث في بيان كثرة عقوبته ورحمته، كيلا يغتر مؤمن برحمته فيأمن عذابه، ولا ييأس كافر من رحمته)[٣].

وقال المناوي: (لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة الواسعة لم ييأس، أي: يقنط من الجنة، أي: من شمول الرحمة فيطمع في أن يدخل الجنة، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار أي من دخولها)[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٣/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٨/١١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢٣/٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٣٤/٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

وقد قال النبي ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))(١).

قال النووي: (قال العلماء: المراد بالسبق والغلبة هنا: كثرة الرحمة وشمولها)(٢).

وقال ﷺ: ((جَعَلَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ. فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ. وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا. فَمِنْ ذٰلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الْخَلاَئِقُ. حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ))(٣).

قال النووي: (هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي دار القرار ودار الجزاء؟)(٤).

ورحمة الله وسعت كل شيء، وشملت كل أحد، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، فهو سبحانه الرحيم الذي شمل الخلق كلهم برحمته، فسخر لهم ما في السموات وما في الأرض، فالشمس والقمر، والبر والبحر، والماء والتراب، والنبات والحيوان والهواء، كل ذلك خلقه الله، وسخر منافعه للناس.

وهذه النعم يستفيد منها المؤمن والكافر على حد سواء، وهي مسخرة للإنسان لا خيار لها: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٤، ومسلم٢٧٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١١، وانظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٢١/٥ - ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٠٠، ومسلم ٢٧٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٥) سورة لقمان، آية: ٢٠.

فهذه رحمة الرحمن تشمل الخلق كلهم في الدنيا، أما في الآخرة فإن الله عز وجل يطرد من رحمته من لم يؤمن به، ولم يشكر نعمه من الكفار والعصاة، ولا تشمل رحمته في الآخرة إلا عباده المؤمنين.

ففي الدنيا كثرت متعلقات الرحمة، وفي الآخرة قلّت متعلقات الرحمة، وإن كانت صفة الرحمة ثابتة لم تتغير ولم تتبدل، ولو أن الكفار والعصاة أطاعوا ربهم لوسعتهم رحمة الله في الآخرة، ولكنهم حرموا أنفسهم منها بكفرهم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

ورحمة الله لعباده، ودخولهم الجنة، ليست على قدر أعمالهم، إذ أعمالهم لا تستقل باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقها عليهم لم يقوموا بها كما يجب لعظمته وجلال سلطانه.

فلو عذبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقه، وهو سبحانه غير ظالم لهم فيه، فإن أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم وأعمالهم.

فإذا عذبهم الله عز وجل على ترك شكرهم، وترك أداء حقه الذي يجب عليهم، لم يكن ظالمًا لهم، فإن المقدور للعبد من الطاعات لا يأتي به كله، بل لا بد من فتور وإعراض وغفلة وتوان، وتقصير وتفريط.

وكذلك قيام المرء بالعبودية لا يوفيها حقها الواجب لها من كمل المراقبة والإجلال والتعظيم لله، وبذل مقدوره كله في تحسين العمل وتكميله ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك، وفي حال الفعل، وهذا هو السر في كون أعمال الطاعات تختم بالاستغفار.

ولو أتى العبد بكل ما يقدر عليه من الطاعات ظاهرًا وباطنًا، فالذي ينبغي لربه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، فإن عجز عنه لم يستحق ما يترتب عليه من الجزاء فإذا حرم جزاء ما لم يأت به مما يجب لربه لم يكن الرب ظالمًا له.

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٢٣.

فإذا أعطاه ربه الثواب، كان مجرد صدقة وفضل ورحمة، لا عوضًا عن عمله، والعبد مملوك لا يستحق شيئًا على سيده، فإن أعطاه شيئًا فهو إحسان منه وفضل"[١].

رابعًا - من مهام الداعية: الإنذار والبشارة:

إن من مهام الداعية الإنذار والبشارة، فينذر المدعوين بما أعدّه الله من العقوبة لمن عصى، ويبشرهم بما أعده الله من الرحمة لعباده،وهو إذ يفعل هذا يقتدي بالنبي ﷺ، فقد ذكر النبي ﷺ العقوبة التي عند الله وهذا جانب يحذر منه، كما ذكر ﷺ جانب رحمة الله تعالى وهذه بشارة يفرح بها.

ويقول حنظلة بن الربيع الأُسيِّدي رضي الله عنه: ((نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأي))[٢].

وقال النبي ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ أنس: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ: غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ"[٣][٤].

قال النووي: (معنى الحديث: لم أر خيرًا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ولا شرًا أكثر مما رأيته اليوم في النار، ولو رأيتم ما رأيت وعلمتم ما علمتُ مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتم إشفاقًا بليغًا ولقلَّ ضحككم وكثر بكاؤكم"[٥].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَظَرْتُ إلى الجَنَّةِ، فإذا أكثرُ أهلِها المساكينُ، ونَظَرْتُ في النَّارِ، فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ، وإذا أَهْلُ الجَدِّ محبوسُونَ، وإذا الكُفَّارُ قَدْ أُمِرَ بهمْ إلى النَّارِ))[٦].

---

(١) موسوعة فقه القلوب ١/٩٣ - ٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) الخنين: نوع من البكاء دون الانتحاب، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٠، ومسلم ٢٣٥٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٤٧، ومسلم ٢٧٣٦.

قال ابن حبان: "اطّلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معًا كان بجسمه ونظره العيان تفضلاً من الله جل وعلا عليه وفرقًا فرق به بينه وبين سائر الأنبياء، فأما الأوصاف التي وصف أنه رأى أهل الجنة بها، وأهل النار بها، فهي أوصاف صورت له ﷺ ليعلم بها مقاصد نهاية أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليرغب أمته بأخبار تلك الأوصاف لأهل الجنة ليرغبوا، ويرهبهم بأوصاف أهل النار ليرتدعوا عن سلوك الخصال التي تؤدِّيهم إليها"[١].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جمع النبي ﷺ بين ذكر العقوبة وذكر الرحمة، وهذا جمع بين الترغيب والترهيب، قال ابن كثير عن قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾[٢]، قد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف، وهذه كقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾[٣]، يقرن هذين الوصفين كثيرًا في مواضع متعددة من القرآن، ليبقى العبد بين الرجاء والخوف[٤].

إن الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسبُ أو أخرويًا، كذلك الترهيب لا يستغنى عنه لأن من الأنفس من لا ترجع إلا بالزجر، وإذا كانت النعم تسبب الغفلة، فإن الترهيب يبعث اليقظة في كثير من الأحيان، وكم يفكر الناس في أشياء ثم يتذكرون النتائج السلبية المترتبة عليها فيقلعون عنها مباشرة، وقد استخدم الأنبياء أسلوب الترهيب كوسيلة لردع النفس عن الغواية واتباع خطوات الشيطان كما تضمنت الشرائع أحكامًا للترهيب كالحدود والقصاص وبعض العقوبات المقدرة على بعض المعاصي التي ترتكب ردعًا وزجرًا[٥].

---

(١) صحيح ابن حبان ١٦/٤٩٥.

(٢) سورة غافر، آية: ٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/١٢٧.

(٥) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص ١٤٠-١٤٢.

الحديث رقم (٤٤٤)

٤٤٤ - وعن أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((**إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ واحْتَمَلَهَا (النَّاسُ أَوِ) الرِّجَالُ عَلَى أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ الإِنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الجنازة: يعني الميت بسريره[2].

يا ويلها: دعاء بالويل عند الوقوع في الهلكة. ومعنى النداء: يا حزني[3].

صعق: غشي عليه من شدة ما يسمعه[4].

الحديث يتناول جانباً غيبياً يعرض لكل ميت فالمعنى يشمل الجميع، وقد أخذ هذا العموم من أسلوب الشرط، وبناء فعل الشرط فيه لما لم يسم فاعله، والتعبير بالاحتمال عن الحمل في قوله (واحتملها) يدل على التكلف، والمشقة الجسدية، والنفسية؛ لأن ذكر الموت مما تنقبض له القلوب لاسيما قلوب غير المؤمنين، بالإضافة إلى أن الجنازة تكون حاضرة قريبة على أعناقهم، وقوله (على أعناقهم) توكيد للحمل، والقول المحكي عن الميت الصالح: (قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي) الأمر على غير حقيقته، والمقصود به الإشادة، والتنويه بصاحب العمل الصالح ترغيباً في العمل الصالح، وتكراره يوحي بحسن المصير، وجميل ما أطلعت عليه، والقول المحكي عن الميت غير الصالح (يَا

---

(١) برقم ١٣١٤. وسيكرره المؤلف برقم ٩٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن ز).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٢١.

(٤) المرجع السابق ٣/٢٢١.

وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟) صدر على سبيل التجريد كأنها لما رأت سوء مصيرها كرهت أن تنسب هذا المصير إليها فجردت من نفسها مثلها، وخاطبتها هذا الخطاب، بنداء الترهيب، وإضافة الويل لها، ثم الاستفهام بغرض التهويل، وهو يشير إلى سوء ما رأت، وما ينتظرها، ويؤكد هذا الهول بلوغ مدى الصوت من الألم كل شيء عد الإنسان قال: (يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ) والتعبير بالصعق يحكي قوة الصوت الذي يبلغ حده قتل السامع، وهو هول يستلزم الجد، والاجتهاد في العمل الصالح.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم حمل المرأة للجنازة: اتفق الفقهاء على أنه لا يتولى حمل الجنازة إلا الرجال وذلك لضعف النساء غالبًا، فيكره لهن حملها كما يكره للرجال كراهية شديدة تمكينهن منها[(١)].

٢ - كيفية حمل الجنازة: اختلف الفقهاء في كيفية حمل الجنازة، فذهب الحنفية والحنابلة إلى أن السنة في حمل الجنازة أن يحملها أربعة رجال من جوانبها الأربع، وذهب الشافعية في الأصح أن السنة حملها بين العمودين، وهو أن يحملها رجلان يتقدم أحدهما فيضع جانبي الجنازة على كتفه، ويتأخر الآخر فيفعل مثل ذلك، وقال المالكية إن حمل الميت ليس له كيفية معينة، فيجوز أن يحملها أربعة أشخاص وثلاثة واثنان ولا يتعين البدء بناحية من السرير "النعش"[(٢)].

---

(١) المبسوط ٥٦/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٤٦/٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٨/٥.

(٢) المبسوط ٥٦/٢، والشرح الصغير ٢٢٧/١، ومغني المحتاج ٣٣٦/١، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٥٤/٢، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١/١٦-١٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن حالة الميت بعد موته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استبشار المؤمن بعمله الصالح وفزع العاصي من سوء عمله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بالإنسان بأن لم يسمعه صوت الميت المعذب.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن حالة الميت بعد موته:

أخبر النبي ﷺ عن حال الميت واختلاف ذلك بحسب عمل الإنسان، فالميت الصالح يستبشر فيطلب التقديم بينما غير الصالح يتحسر ويندم ويتمنى ألا يقدم ولكن هيهات هيهات وكثيرة هي الأحاديث النبوية التي تخبر عن أحوال الموتى، وقد اعتنى بعض العلماء بجمعها، كما فعل القرطبي المفسر في كتابه (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة).

ومن هذه الأحاديث، حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الجامع - كما قال القرطبي - لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم[1]، وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وفيه: ((فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولاَنَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولاَنِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ))[2].

---

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١١٩.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٢٨٨ رقم ١٨٥٣٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٠/٥٠٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استبشار المؤمن بعمله الصالح وفزع العاصي من سوء عمله:

إن الميت الصالح يجد جزاء ما قدم، فيجد الخير يفرح به، أما غير الصالح فإنه يجد الشر الذي يسوءه، هذا واضح من الحديث كله، قال العيني: (قال ابن بطال: "قدموني" أي: إلى العمل الصالح الذي عملته يعني إلى ثوابه)[١]، وقال الطيبي: "كل من وقع في هلكة دعا بالويل، ومعنى النداء فيه: يا حزني يا هلاكي يا عذابي، احضر. فهذا وقتك وأوانك، وأضاف الويل إلى ضمير الغائب حملاً على المعنى. وعدل عن حكاية قول الجنازة "يا ويلي" كراهة أن يضيف الويل إلى نفسه)[٢].

وقال ابن حجر: (أو كأنه لما أبصر نفسه غير صالحة نفر عنها وجعلها كأنها غيره)[٣].

وقال النبي ﷺ: ((أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ. وَإِنْ يكُ سوى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ))[٤]، قال الطيبي: (قوله: "فخير تقدمونها إليه" يعني حاله في قبره يكون حسنًا طيبًا فأسرعوا به حتى يصل إلى تلك الحالة الطيبة عن قريب ولما لاحظ في جانب العمل الصالح هذا قابل قرينتها بوضع الشر عن الرقاب، وكان أثر عمل الرجل الصالح راحة، فأمر بإسراعه إلى ما يستريح إليه، وأثر عمل الرجل الطالح مشقة عليهم فأمر بوضع جيفته عن رقابهم، فالضمير في "إليه" راجع إلى الخير باعتبار الثواب والإكرام)[٥].

ويقول ﷺ: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١١٢/٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦١/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٩٤٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٦٠/٣ - ٣٦١.

(٦) أخرجه البخاري ١٣٧٩، ومسلم ٢٨٦٦.

قال النووي: (هذا تنعيم للمؤمن وتعذيب للكافر)[١].

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه السابق قال النبي ﷺ عن الرجل الصالح: ((وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِيَابِ، طَيِبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَب أَقِمِ السَّاعَةَ، رَب أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي)).

وقال ﷺ عن الكافر: ((وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِيَابِ، مُنْتِنُ الرِيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِئُ بِالشَّرِ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَب لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ))[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: رحمة الله بالإنسان بأن لم يسمعه صوت الميت المعذب:

رحمة الله بالإنسان تشمله في جميع أحواله وشؤونه، فتشمله وهو يعيش مع الأحياء كما تلحقه وهو يدفن الأموات، هذا واضح من قول النبي ﷺ: "يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق"، وفي حديث آخر: ((وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ مايقولُ الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطَارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثَقلَينِ))[٣]. (والثقلان هما الجن والإنس)[٤].

قال ابن حجر: (قوله: "لصعق" أي: لغشي عيه من شدة ما يسمعه وربما أطلق ذلك على الموت، والضمير في يسمعه راجع إلى دعائه بالويل أي: يصيح بصوت منكر لو سمعه الإنسان لغشي عليه، قال ابن بزيزة: هو مختص بالميت الذي هو غير صالح، وأما الصالح فمن شأنه اللطف والرفق في كلامه فلا يناسب الصعق من سماع كلامه انتهى. ويحتمل أن يحصل الصعق عند سماع كلام الصالح لكونه غير مألوف، وقد

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٦٧.

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٣٤، وقال محققوه: إسناده صحيح ٥٠٣/٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٧٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل).

روى أبو القاسم بن منده هذا الحديث في "كتاب الأهوال" بلفظ: "لو سمعه الإنسان لصعق من المحسن والمسيء" فإن كان المراد به المفعول دل على وجود الصعق عند سماع كلام الصالح أيضا)[١].

وقال المهلب - كما في فتح الباري - : (الحكمة في أن الله يسمع الجن قول الميت "قدموني" ولا يُسمِعهم صوته إذا عذب بأن كلامه قبل الدفن متعلق بأحكام الدنيا وصوته إذا عذب في القبر متعلق بأحكام الآخرة، وقد أخفى الله على المكلفين أحوال الآخرة إلا من شاء الله، إبقاء عليهم)[٢].

رابعًا - من مهام الداعي: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية يبين الحقائق للمدعوين، حتى يظهر أثر ذلك في حياتهم وأعمالهم وأفعالهم، فتتصلح دنياهم وآخرتهم، وفي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ حال الميت وقت حمله للدفن، وأخبر أن الصالح معدّ له الخير بخلاف غير الصالح فإن العذاب قد أعدّ له، كما أخبر أنه لو سمع الناس صوت دعائه بالويل والهلاك لصعقوا.

وقد كان النبي ﷺ يبين الحقائق للمدعوين دومًا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ))[٣].

قال النووي: (معناه أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)[٤].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٢١.

(٢) المرجع السابق ٣/٢٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٥٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَيْهِ. فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[١] مَيِّتٍ. فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ. ثُمَّ قَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟)) فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ. وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: ((أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟)) قَالُوا: وَاللّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لأَنَّهُ أَسَكُّ. فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: ((فَوَاللّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ))[٢].

قال القرطبي: (ومعنى هوان الدنيا على الله: أن الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها؛ بل جعلها طريقًا موصلة إلى ما هو المقصود لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وأنه ملّكها في الغالب الكفرة والجهّال، وحماها الأنبياء والأولياء ... وحسبك بها هوانًا أن الله قد صغرها وحقرها وذمها وأبغضها وأبغض أهلها، ومحبيها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها)[٣].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

أخبر النبي ﷺ أن الميت الصالح يقول: "قدموني قدموني"، ذلك للخير الذي يجده بخلاف غير الصالح فإنه يدعو بالويل والهلاك لما يجده من العذاب الذي أعد له، ولا شك أن الحالة الأولى ترغيب للناس في إصلاح العمل وأن الحالة الأخرى ترهيب لهم من إفساده.

إن الترغيب في الشيء يكون بتحسينه وتزيينه لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه، وقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق عندما قالوا له جزاك الله خيرًا فعلت وفعلت فقال: راغب راهب أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[٤].

---

(١) أي: صغير الأذنين، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٥٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠٨/٧.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر غ ب)، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (٤٤٥)

٤٤٥ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك)) رواه البخاري[1].

الشرح الأدبي

البداية بالجنة من براعة الاستهلال في الحديث؛ لأنها علم على كل نعيم محبوب، والتعبير بأفعل التفضيل (أقرب) يزيد من شوق المخاطب، وترقبه لشعوره بنعيم جد قريب، ومما يصعِّد شوق المخاطب إضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) والتي تجعله معنياً بالحكم، وقوله :(مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ) كناية عن شدة القرب، وقوله (وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك) أي في القرب، وفي الحديث طباق بين الجنة، والنار يؤكد معنى القرب، ويدعوا إلى الحذر من قرب النار، واغتنام فرصة القرب من الجنة بكثرة الصالحات التي يضاعفها الله تعالى فتقرب إليه الجنة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٦٤٨٨، وتقدم برقم ١٠٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخوف وحده يدفع إلى اليأس والقنوط، والرجاء وحده يدفع إلى التحلل وعدم الالتزام، والجمع بينهما يحمل على الاتزان، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية على الجمع بين الخوف والرجاء:

للخوف والرجاء أثر متميز في بناء الشخصية وتقويمها، ولا يمكن أن يُغلب جانب على آخر، لأن ذلك يؤدي إلى نوع من الخلل في عملية التربية، فلابد من المزج بين الخوف والرجاء، وتربية النفس على الخوف من الله تعالى، مما يدفع إلى البعد عن المعاصي والسعي الجاد في طاعة الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك قول النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللّهَ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». ويعد ذلك توجيه تربوي نبوي في تقويم النفس وحملها على الطاعة والاستقامة بدلاً من التفريط والتسويف الذي قد يورد الإنسان المهالك، وفي المقابل لابد من الرجاء والطمع في رحمة الله تعالى، وغفرانه حتى مع الكافرين فضلاً عن المؤمنين، فإن الكافر إذا تاب وأناب إلى الله تعالى وأقر بالتوحيد وأخلص العبادة لله تعالى، غفر له ما قد سلف، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[1].

ولذا فإن التربية على الجمع بين الخوف والرجاء تربية هادفة وجادة ومثمرة، وفيها علاج لما يعترى النفس البشرية من إفراط أو قنوط.

ثانيًا - التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب، وهو من الأساليب التي استمدها الرسول ﷺ وعمل على تعميقها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، ومن الشواهد

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

على ذلك في أحاديث الباب. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ. وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللّهَ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». وقول في الجنازة: "إذا وضعت الجنازة واحتملها الناس... فإن كانت صالحة... وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها أين تذهبون..."، فهذه توجيهات نبوية تربوية تحث على طاعة الله تعالى والبعد عن المعاصي وأن رحمة الله واسعة وأن عذابه شديد، "واستخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب هنا لأن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، فقد استخدم ﷺ الترغيب بالجنة والطمع فيها بالترغيب عن طريق تحريك دوافع الخير وتنشيطها، واستخدم الترهيب هنا فيما أعده للمفسدين والمنحرفين عن سبل السلام"[1].

ولذا جاءت النتيجة لمن أثر فيه هذا الأسلوب عند جنازته من حيث الصلاح والخيرية، ومن حيث الشقاء وعدم التنفيذ فإن كانت صالحة قالت قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها، من هذه التوجيهات التربوية يُعلّم الرسول ﷺ الصحابة "القدرة على التمييز بين ما يضر وما ينفع كما أنهم يستطيعوا أن يستجيبوا لأوامر التكليف فيمتنع عما نهى عنه والعمل بما أمر به، مما يجعل للترغيب والترهيب أثر في سلوكه.

لكن وضع أهل التربية عوامل لنجاح هذا الأسلوب:

١ - قوة الترغيب والترهيب، فلابد أن يكون هذا الأسلوب قوياً ليقوي عند الإنسان عامل الخوف والرجاء.

٢ - مصدر الترغيب والترهيب، قوة الترغيب والترهيب تتأثر من حيث فعاليتها بالمصدر الذي ورد منه، فإن كانت من الله ورسوله كانت مصدر قوة.

٣ - مراعاته لحاجات الإنسان: من أبرز عوامل نجاح الترغيب والترهيب مراعاته لحاجات الإنسان.

---

(١) أصول التربية الإسلامية الحازمي، ص٣٩٤، أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن البابطين، ص٣١.

من هذه العوامل التي استنتجها أهل التربية من توجيه المصطفى ﷺ تنجح عملية التربية في الإصلاح عن طريق الترغيب والترهيب[١].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٥٩٥.

٥٤ - باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء: ١٠٩]، وقال تَعَالَى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[النجم: ٥٩].

الحديث رقم (٤٤٦)

٤٤٦ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: ((اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ)) قلت: يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((إِنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي)) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلى هذهِ الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[النساء: ٤١] قَالَ: ((حَسْبُكَ الآنَ)) فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حسبُكَ الآن: يكفيك ذلك[(٢)].

تذرفان: يجري ويسيل دمعهما[(٣)].

قول الراوي (قال لي النبي ﷺ) له خصوصية من وجهين: الأول أنه اختصاص لنفسه ونفي عن غيره؛ لأنه قدم الجار والمجرور على الفاعل فأفاد الاختصاص، وتركيب عبارته يوحي باعتزازه بقول النبي ﷺ له هذا القول، ثانياً: أنه سمع بنفسه، وهو الذي نقل الحديث، وأحد طرفي الحوار مما يزيد الخبر الذي يرويه تأكيداً،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠/٢٤٧) والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٤/١، رقم ٢٦٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٣) المرجع السابق في (ذ ر ف).

ومقول القول هو أمر النبي له في قوله (اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ) وتقديم حرف الجر المتصل بياء المتكلم على المفعول به للاختصاص أي عليَّ أنا لا غيري، وهذا الاختصاص لاعتقاد المخاطب أنه يريد أن يقرأ على غيره، ولذلك جاء نداؤه بـ(يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، وكأنه يذكره بمنزلته (رسول الله) ثم تلاه استفهام التعجب (يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟!) وقدم الجار والمجرور على الفعل أي نزل عليك لا على غيرك، وقد جاء رد النبي ﷺ معللاً للأمر، وقد أكد الخبر لينزع من نفسه تلك الحالة من التعجب (إِنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فقرأ ابن مسعود، واستمع الرسول ﷺ حتى قال له (حَسْبُكَ الآنَ)، وقوله (فَالتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان) والفعل التفت فيه مفاجأة قررتها(إذا) قال ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال مصاحب للخوف، والخشية.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - التنبيه على أن الفاضل لا يأنف من الأخذ عن المفضول[(١)].

٢ - تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم[(٢)].

٣ - حكم الاستماع لقراءة القرآن: ذهب بعض الحنفية إلى أن الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم حين يقرأ واجب كفائي إن لم يكن هناك عذر مشروع لترك الاستماع، وذهب البعض الآخر إلى أنه واجب عيني.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٢/٣٢٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/٨٠.

وذهب الحنابلة إلى أنه يستحب استماع قراءة القرآن الكريم[١].

٤ - استحباب البكاء عند استماع القراءة، لحديث الباب، ولقوله ﷺ: ((إنَّ هذا القُرآن نزل بحُزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا))[٢].

كما يستحب تدبرها، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٣].

٥ - استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، خاصة ممن يعلم منه إجادة التلاوة للقرآن الكريم مع حسن الصوت، وهو أبلغ من التفهم والتدبر من قراءته بنفسه.

قال النووي: (اعلم أن جماعات من السلف رضوان الله عليهم كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه، وهو من عادة الأخيار المتعبدين وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ)[٤].

٦ - جواز أمر الغير بقطع القراءة للمصلحة[٥].

فاستماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها، لذا يكره التحدث بحضور القراءة، قال أبو محمد بن عبدالسلام: والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع، سوء أدب على الشرع، وهو يقتضي أنه لا بأس بالتحدث للمصلحة[٦].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٦/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٢/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٣٣٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٢٨١).

(٣) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠/٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٦٧/٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٣٢١/٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن ٤٧٥/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب استماع القرآن الكريم والإصغاء إليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جواز طلب التوقف عن قراءة القرآن الكريم إذا كانت هناك مصلحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: استحباب البكاء عند قراءة القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم.

خامسًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: استحباب استماع القرآن الكريم والإصغاء إليه:

القرآن الكريم كلام الله عز وجل، أنزله سبحانه لهداية الناس، فكان من المستحب استماع القرآن الكريم والإصغاء عند تلاوته يتضح ذلك من قول النبي ﷺ لابن مسعود: (اقرأ عليّ القرآن، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا رسول الله أنا أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحبُّ أن أسمعه من غيري).

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن القرآن في سماعه ثواب كما في تلاوته)[1].

قال النووي: (في حديث ابن مسعود هذا فوائد منها: استحباب استماع القراءة والإصغاء لها. واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم)[2].

وقال أيضًا: (اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرءوا وهم يستمعون، وهذا متفق على استحبابه وهو من عادة الأخيار المتعبدين وعباد الله الصالحين، وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ فقد صحّ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "اقرأ عليّ ..." الحديث، وروى الدارمي وغيره بأسانيدهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/ ٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

الأشعري رضي الله عنه: (ذكرّنا ربنا)، فيقرأ عنده القرآن)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "يستحب للمسلم أن يطلب ممن يعلم منه إجادة التلاوة للقرآن الكريم مع حسن الصوت، التلاوة ليستمع إليها".

والآثار في هذا كثيرة معروفة، قال النووي: (وقد استحب العلماء أن يستفتح مجلس حديث النبي ﷺ ويختم بقراءة قارئ حسن الصوت مما تيسر من القرآن. وقد صرّح الحنفية بأن استماع القرآن الكريم أفضل من قراءة الإنسان القرآن بنفسه، لأن المستمع يقوم بأداء فرض بالاستماع، بينما قراءة القرآن ليست بفرض)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: جواز طلب التوقف عن قراءة القرآن الكريم إذا كانت هناك مصلحة:

إن نفس المؤمن لا تشبع من تلاوة القرآن ومن الإصغاء إليه، لكن قد يعرض له ما يجعله يطلب من القارئ أن يتوقف عن القراءة فكان له أن يفعل ذلك إذا كانت هناك مصلحة في ذلك. هذا واضح من قول النبي ﷺ: "حسبك الآن"، فالتفت ابن مسعود رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فإذا عيناه تذرفان.

فالنبي ﷺ طلب منه أن يتوقف نظرًا لبكائه ﷺ، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك[٣]. وقال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أنه يجوز لمن يقرأ، عنده القرآن أن يقول للقارئ: حسبك)[٤].

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بما رواه نافع مولى ابن عمر قال: (كان ابن عمرَ رضي الله عنهما إذا قرأَ القرآن لم يتكلم حتى يَفرُغَ منه، فأخذتُ عليه يومًا، فقرأَ سورةَ البقرةِ حتى انتهى إلى مكانٍ قال: تدري فيمَ أُنزِلتْ؟ قلتُ: لا. قال: أُنزِلت في كذا وكذا. ثمَّ مضى)[٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٩/٤.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٧/٤ ومراجعها.

(٣) صحيح البخاري رقم ٥٠٥٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٠/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٢٦.

وقال السيوطي: (يكره قطع القراءة لمكالمة أحد، قال الحليمي: لأن كلام الله لا ينبغي أن يُؤْثَر عليه كلام غيره، وأيده البيهقي بما في الصحيح: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، ويكره أيضًا الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهي)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: استحباب البكاء عند قراءة القرآن الكريم:

نزل القرآن موعظة وذكرى للذاكرين، فيه تبشير وتحذير، وفيه حديث عن أهوال يوم القيامة وعن الجنة والنار، كُل هذا يأخذ بالألباب والقلوب فكان المناسب أن يقع عند ذلك البكاء، هذا واضح من قول ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "فإذا عيناه تذرفان".

قال ابن حجر: (والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يفضي إلى تعذيبهم)[٢].

قال النووي: (وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه هذا فوائد منها استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها)[٣].

وقال القرطبي: (قال علماؤنا: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ويؤتى به ﷺ شهيدًا على أمته وغيرهم)[٤].

قال العيني: (في بكاء النبي ﷺ وجوه: الأول: قال ابن الجوزي: بكاؤه ﷺ عند هذه الآية الكريمة لأنّه لا بد من أداء الشهادة والحكم على المشهود وعليه إنما يكون بقول الشاهد، فلما كان ﷺ هو الشاهد وهو الشافع بكى على المفرطين منهم)[٥].

---

(١) الإتقان ٣٠٦/١ - ٣٠٧، وانظر: البرهان ٤٦٤/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٨/١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧١٨/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٤) التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أحمد القرطبي المفسر ص ١٥٠.

(٥) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٠/٢.

الثاني: أنه بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من هول المطلع وشدة الأمر إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب.

الثالث: أنه بكى فرحًا لقبول شهادة أمته ﷺ يوم القيامة وقبول تزكيته لهم في ذلك اليوم العظيم)[١].

وقال النووي: (ويستحب البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء، فإن البكاء عند القراءة صفةُ العارفين وشعار عُباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٢])[٣].

قال القرطبي: (هذا مدح لهم، وحق لكل من توسم العلم وحصّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل)[٤].

قال ابن حجر: (قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود، ثم ينظر تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزنٌ فليبكِ على فقد ذلك وأنه من أعظم المصائب)[٥].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم كتاب هداية، ولا تأتي هذه الهداية إلا بالتدبر والاعتبار عند سماع القرآن الكريم أو قراءته، ولهذا قد يطلب المسلم من أخيه المسلم أن يقرأ عليه القرآن ليتدبره ويتعظ به، وهو في ذلك يتأسى بالنبي ﷺ الذي طلب من ابن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٨/١٧٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠٩.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٣٤١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/١٧٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٧١٧، وانظر: الإتقان ١/٣٠١ - ٣٠٢.

مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، قال النووي: (وفيه استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه)[١].

وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحبَّ أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ، لاشتغاله بالقراءة وأحكامها)[٢].

وقال ابن القيم: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور مَنْ يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ)[٣].

وقال السيوطي: (ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤])[٥].

وقال الزركشي: (واستماع القرآن والتفهم لمعانيه من الآداب المحثوث عليها ويكره التحدث بحضور القراءة، قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام: والاشتغال عن السماع بالتحدث بما لا يكون أفضل من الاستماع سوء أدب على الشرع، وهو يقتضي أنه لا بأس بالتحدث للمصلحة)[٦].

وقال العز بن عبدالسلام: (استماع القرآن أدب، ثمرته فهم معانيه والعمل بمواجبه)[٧].

وخلاصة القول أنه ينبغي على المسلم عند تلاوة القرآن أو استماعه آداب كثيرة منها الآداب القلبية، ومنها:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧١٢/٨.

(٣) الفوائد، ابن القيم ص ١٥.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٥) الإتقان ٣٠٩/١ - ٣١٠.

(٦) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٤٧٥/١.

(٧) شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ٣١٢.

١ - معرفة أصل الكلام: وهو التنبيه إلى عظمة الكلام المقروء وعلوه وإلى تفضل الله تعالى ولطفه بخلقه حيث خاطبهم بهذا الكلام العظيم الشريف وتكفل -تفضلاً منه ورحمة - بتيسير إفهامهم إياه.

٢ - تعظيم مُنزله لأن الذي يقرؤه ليس من كلام البشر خاصة إذا تفكر في صفات الله وأسمائه وأفعاله.

٣ - حضور القلب عند التلاوة.

٤ - تدبر المقروء والمسموع إذ لا خير في عبادة لا فقه فيها.

٥ - أن يتفاعل قلبه مع كل آية بما يليق بها.

٦ - أن يستشعر بأن كل خطاب في القرآن موجه إليه شخصيًا.

٧ - أن يتأثر بكل آية يتلوها.

٨ - التخلي من موانع الفهم.

٩ - أن يتبرأ من حوله وقوته[(١)].

خامسًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

لقد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه، ثم طلب منه التوقف بسبب بكائه ﷺ، وهذا كله تعليم، وهو وسيلة ذات فائدة كبيرة في الدعوة، قال ابن حجر عن حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه في صفة وضوء النبي ﷺ[(٢)]. (وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ وأضبط للمتعلم)[(٣)].

فقد أراد النبي ﷺ أن يعلم الصحابة رضي الله عنهم والأمة ذلك عمليًا من خلال طلبه من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، ثم استوقفه النبي ﷺ فإذا عيناه تذرفان. وتلك وسيلة تعليمية بالغة التأثير في نفوس المدعوين فإنها تبيّن لهم ما ينبغي أن يكون عليه المسلم حال الاستماع للقرآن من تدبر وخشوع، وأهمية ذلك.

---

(١) انظر: حق التلاوة، حسني شيخ عثمان ص ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ومسلم ٢٢٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٣/١.

الحديث رقم (٤٤٧)

٤٤٧ - وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: خطب رسول الله ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَغَطَّى أصْحَابُ رسول الله ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[١]. وَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي بَابِ الخَوْفِ[٢].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخَنين: بكاءٌ دون الانتحاب[٣].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٤٩.

تنبيه: الحديث بهذا اللفظ لم يخرجه مسلم، راجع تعليقنا عليه عند الحديث رقم ٤٠١.

(٢) تقدم برقم ٤٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ن ن).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٠١).

الحديث رقم (٤٤٨)

٤٤٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يلجُ: لا يدخل[2].

الضَّرْع: مدرُ اللبن من الشاة والبقر، وهو كالثدي للمرأة[3].

الحديث يشير إلى فضل البكاء من خشية الله والحديث يبدأ بأسلوب النفي العام، وعمومه جاء من وقوع الفاعل نكرة في سياق النفي وهو ما يجعله شاملاً غير مقصور على أحد بعينه، وإنما كل من بكى من خشية الله، والتعبير بالفعل الماضي يشير إلى تحقق الوقوع و(من) تفيد السببية، والتعبير بالخشية؛ لأنها نوع من الرهبة ممزوج بالإجلال، وإضافتها لله تخصيص، وقوله (حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ) تعليق على مستحيل يؤكد معنى الجملة السابقة، ومعناه استحالة، ولوج الباكي من خشية الله النار، وقوله: (وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سبيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)، لأن بينهما ما يشبه التضاد فالغبار في الدنيا، وغبار جهنم في الآخرة لذلك يستحيل أن يجتمعا فثبت بالطريقة العقلية أن المجاهد لا يدخل النار، وبناء عبارة النبي على هذا النمط يفتح باب الأجر لكل من شارك في الجهاد بأي مشاركة، ولو بدون قتال مباشر كخدمة المجاهدين

---

(١) برقم ١٦٣٣ وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٦٠٧، وقال الحاكم ٤/٢٦٠: هذا حديث صحيح الإسناد ولن يخرجاه. اورده المنذري في ترغيبه ١٩١٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ج).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٥٤.

والجرحى، ورعاية ركائبهم، وغيرها، ولذلك قال (في سبيل الله) أي طريقه ما دامت لله، وهذا يحقق الأجر لأضعاف المجاهدين، ويمكن غير القادر على القتال من المشاركة بما يستطيع من جهد.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النفي.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

إن البكاء من خشية الله دليل على صدق الإيمان وما يصاحب ذلك من خشوع وخضوع وتذلل وإنابة وتضرع إليه سبحانه، لذلك كان له فضل عظيم، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ فقال: ((لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبنُ فِي الضَّرْعِ)). وفي رواية النسائي: ((لاَ يَبْكِي أَحَدٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَطْعَمَهُ النارُ حَتَّى يُرَدَّ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ولا يجتمع غبارٌ في سبيلِ الله ودخانُ جهنم في منخري مسلم أبدًا))[1].

قال السندي: (قوله: "فتطعمه النار" من طعم أي فتأكله النار ..."حتى يرد"، من التعليق بالمحال العادي ليدل على أن دخول الباكي من خشية الله في النار محال، وقبله قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[2]. ولعل الله تعالى لا يوفق للبكاء من الخشية إلا من أراد له النجاة من النار ابتداءً)[3].

قال ابن علان: ("من" فيه تعليلية أي لخشية الله الداعية إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن كان كذلك لا يلجها بالوعد الكريم إلا تحلّة القسم. وقوله: "حتى يعود اللبن في الضرع" أي: يدخل من مسامه إليه، أي وذلك محال عادة، فتعلق ولوج الخائف

---

(١) أخرجه النسائي ٣١٠٧، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩١٠)

(٢) سورة الأعراف، آية : ٤٠.

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٩/٥.

الوجِلُ من الله تعالى العارف بجلاله القائم بما تقتضيه الخشية من امتثال الأوامر واجتناب النواهي، بعود اللبن إلى الضرع، والمراد بالولوج الدخول فيها، فلا ينافي وجوب المرور عليها المفسر به الورود. أما من لم يقم بقضية الخشية مما ذكر ومات على غير الشرك من المعاصي فأمره إلى مولاه، إن شاء أدخله الجنة مع الفائزين وعفا عنه ما جناه. وإن حبسه بالنار قدر ما سبق في علمه. ثم أدخله الجنة لإيمانه؛ بمحض فضله)[١].

وقد ورد في فضل البكاء من خشية الله كثير من الأحاديث، من ذلك أن من اتصف بذلك يكون في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، فقد قال النبي ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" الحديث، منهم "رجل ذكر الله ففاضت عيناه))[٢].

قال النووي: "فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى"[٣].

وقال النبي ﷺ: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله"[٤].

(والمؤمن يعيش في جهاد مع نفسه ويراقب الله في جميع أفعاله وتصرفاته، فهو يخاف الله ويَبْكي عند ذكره سبحانه تعالى، فهذا من المخبتين الذين بشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٥]. وهم الذين عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٣-٦٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠، ٦٤٧٩، ومسلم ١٠٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٤.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٥) سورة الحج، الآيتان: ٣٤-٣٥.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢.

ومما قاله القرطبي[١] في تفسير هذه الآية، مع الإشارة إلى غيرها من الآيات القريبة منها في المعنى: وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره. وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم، وكأنهم بين يديه، ونظير هذه الآية ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]. فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب، والوجل: الفزع من عذاب الله. فلا تناقض، وقد جمع الله بين المعنيين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] أي تسكن نفوسهم مع الله من حيث اليقين، وإن كانوا يخافون الله. فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته)[٤].

إن البكاء من خشية الله من صفات عبادة المؤمنين، فهم دائمو الذكر لله تعالى والاستحضار لعظمته تمتلئ قلوبهم وجلاً منه وتفيض أعينهم بالدموع خشية له خاصة إذا ما تليت آيات الله، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٥]، وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٤/٧/٣٦٥-٣٦٦.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٢٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨/١٦٨-١٦٩.

(٥) سورة الإسراء، آية: ١٠٧-١٠٩.

(٦) سورة مريم، آية: ٥٨.

قال الحسن البصري: (إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرض، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[1] والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا ما أحزن الناس ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار)[2].

إن البكاء دليل على خشية العبد لله ومراقبته له فهو يورث الخوف من الله وهو علامة على صحة الإيمان ودليل على رقة القلب واستقامته[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

أعدّ الله سبحانه للمجاهدين في سبيل الله الفضل العظيم في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا النصر أو الشهادة، وفي الآخرة الابتعاد عن النيران ودخول الجنان، وهذا ما بينه النبي ﷺ ((ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))[4]. قال السندي: (فيه أن المسلم الحقيقي إذا جاهد لله خالصًا لا يدخل النار وعلى هذا فمن علم في حقه خلافه فلابد ألا يكون مسلمًا بالتحقيق)[5].

وقد قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6].

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٤.

(٢) التخويف من النار، ابن رجب الحنبلي، ص ٢٣.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٤٨٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٩٠٧.

(٥) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٩/٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

وقال رسول الله ﷺ "من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار". وفي رواية: ((مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَتَمَسَّهُ النَّارُ))[١]. وقد جعل البخاري هذا الحديث تحت الآية السابقة[٢].

قال ابن حجر: (قال ابن المنير: مطابقة الآية من جهة أن الله أثابهم بخطواتهم وإن لم يباشروا قتالاً، وكذلك دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا. أ. هـ، ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغبير القدم)[٣].

وقال ابن حجر كذلك: ("وقوله فتمسه النار" المعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور. وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم محرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه)[٤].

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ في سبيلِ الله حَرَّمَهُمَا الله على النارِ)) فوثب الناس عن دوابِّهم. فما رأينا يومًا أكثر ماشيًا منه[٥].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النفي:

استخدم النبي ﷺ أسلوب النفي ليعبر ﷺ عن فضل البكاء من خشية الله، وفضل غبار الأقدام في سبيل الله، فعبر عن ذلك بأن نفى دخول من فعل أيًا منهما النار. ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٨١١/٩٠٧.

(٢) كتاب الجهاد: باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، الحديث:٢٨١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/٦.

(٤) المرجع السابق ٣٦/٦.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٤٦٠٤، وقال محققه: حديث صحيح.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

قال الطاهر بن عاشور: (قد جعل لانتفاء دخولهم الجنة امتدادًا مستمرًا، إذ جعل غايته شيئًا مستحيلاً، وهو أن يلج الجمل في سم الخياط أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل وهو البعير في سم الخياط وهو أمر لا يكون أبدًا)[1].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢٧/٨.

الحديث رقم (٤٤٩)

٤٤٩ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَال: إنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا ففاضت عَيْنَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١/٩١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٦. تقدم برقم ٣٧٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٧٦).

الحديث رقم (٤٥٠)

٤٥٠ - وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه، قَالَ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ يُصلِّي ولِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ. حديث صحيح رواه أبو داود، والترمذيُّ في الشمائل[1]، بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الشِّخِّير: وهو عبدالله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر، الحَرَشيّ، ثم الكعبي، ثم العامريّ، من الحَرِيش، وهم بطن من بني عامر بن صعصعة.

((وفد إلى النبي ﷺ في رَهْط بني عامر))[2]. له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة سوى البخاري.

وهو في عداد البصريين، نزل البصرة، وَوَلَدُه بها[3].

غريب الألفاظ:

أزيز: خنين من الخوف وهو صوت البكاء. وقيل: هو أن يجيش جوفُه ويغلي بالبكاء[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٩٠٤، والترمذي في الشمائل ٣٢٢ واللفظ له. وصحّحه ابن خزيمة ٩٠٠، وابن حبان، الإحسان ٧٥٣، وقال الحاكم ٢٦٤/١: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٧٦٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢٣٧/٢٦، حديث رقم ١٦٣١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٤/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٤٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٧٥/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٨٧، ٧٨٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٠/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٢، والسندي ٢٣٢/٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ز ز).

المرجل: الإناء الذي يُغلى فيه الماء[1].

جمع الله لرسوله بين علم اليقين، وعين اليقين، كما جمع له بين الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لبشر غيره، فإذا قام لله تعالى اجتمعت هذا الأمور، وتزاحمت معاني الكمال، والجلال، والهيبة في صدره حتى يمتلأ بها فتفيض منه أزيزاً يرتج منه جسده، ودمعاً تفيض به عيناه، وهذا سر تعبير الصحابي بالأزيز، وهو حركة الإناء إذا غلى، وامتلأ، وتشبيه أزيز جوف الرسول ﷺ بأزيز المرجل يوحي بعدة دلالات منها: امتلأ صدره بهذه المعاني التي لا يحيط بها الوصف، وتزاحمها فيه، كما يوحي بشدة حرارة الشوق إلى ربه مع استشعاره لمقام الربوبية رعاية، وتربية، وحفظاً مع مقام الإلهية تعظيماً، وإجلالاً، وهيبة، يفهم ذلك من الصورة التشبيهية المعروفة عن شدة حرارة المرجل الذي لا يغلي إلا عند اشتدادها، كما يفهم من أزيز المرجل، واضطرابه بما حوله من نيران مشتعلة، قلق الرسول ﷺ وهمه بأمته، وقد أعلمه الله ما ستمر به من الأهوال، وهو لا ينساها في هذا الموقف بين يدي الله يدعوه أن يرحمهم، وأن يقيل عثراتهم فقلبه أعظم القلوب حناناً، وأكثرهم بالله علماً، وإيماناً ﷺ.

فقه الحديث

هذان الحديثان يشيران إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم البكاء في الصلاة: اختلف الفقهاء في البكاء في الصلاة: فذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنه إن بكى فارتفع بكاؤه بأن حصل به الحروف قطع الصلاة، وإن كان من ذكر الجنة والنار، أو خوف الله لم يقطع الصلاة لأنه يدل على زيادة الخشوع، وإن كان من وجع أو مصيبة قطع، لأن فيه إظهار الجزع فكان من كلام الناس. وروي عن أبي يوسف أن صلاته تامة في ذلك كله. وذهب الشافعي في الأصح إلى أن البكاء إن ظهر به حرفان بطلت صلاته ولو كان من خوف الآخرة، وإن لم يَبنْ

---

(١) المرجع السابق في (م ر ج ل).

منه حرفان فلا تبطل، بذلك مطلقًا، لأنه لا يسمى كلامًا في اللغة ولا يكاد يتبين منه حرف محقق، فأشبه الصوت الغفل[١].

وذهب الحنابلة إلى أنه إن كان مغلوبًا عليه لم يؤثر، وإن كان من غير غلبة فإن كان لغير خوف الله أفسد الصلاة، وإن كان من خشية الله لم يفسد.

وذهب المالكية إلى أن البكاء في الصلاة جائز وغير مفسد لها إلا إذا كان بصوت أو من مصيبة أو وجع فإنه يبطل، وإن كان من الخشوع فلا شيء عليه[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان خشية النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والخشية في الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان خشية النبي ﷺ:

إن النبي محمدًا ﷺ أعرف الخلق بربه وأعلمهم به سبحانه، لذا كان ﷺ أخشاهم وأتقاهم له عز وجل، وهذا ما أخبر به الصحابي أن النبي ﷺ "يُصَلِّي وَبِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ البُكَاءِ".

قال السندي: (أزِيزٌ" بفتح الهمزة، وكسر الزاي الأولى، أي: صوت وغليان بالبكاء. والمرجل: القدر، فإنه عند غليان الماء فيه بالنار يخرج منه صوت)[٣].

وقال السندي أيضًا: (أي خنين من الخشية وهو صوت البكاء، قيل: وهو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء)[٤].

---

(١) أي الصوت الخارج منه مع الغفلة عنه وعدم الإفادة منه.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٧٩/٢ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل، وهو مطبوع بهامش مواهب الجليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٨/٢، ومغني المحتاج ١٩٥/١، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٦/٢.

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد، ٢٣٩/٣٠.

(٤) حاشية السندي على النسائي، ١٨/٣.

وقال ابن علان: (فيه دليل على كمال خوفه وخشيته وخضوعه لربه)[١].

وكان النبي ﷺ يصلي ويبكي خشية من الله، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح)[٢].

وعن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة... قال ابن عمير: ((أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ يَا عَائِشَةُ: ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي. قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَكَ. قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لم تَبْكِي، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا. لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣]))[٤].

وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلّى لزومُ البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائنًا عنها مجدًا في إتيان ضدها[٥].

وقد قال النبي ﷺ عن نفسه: "أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له"[٦].

قال الكفوي: (الخشية أشد من الخوف لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية أي يابسة، وهو موات بالكلية. والخوف: النقص. من ناقة خوفاء: أي بها داء وليس بفوات.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٥.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٥/١ رقم ١٠٢٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠-١٩٤.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٢٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) صحيح ابن حبان ٣٨٦/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١١٠٨.

ولذلك خصت الخشية بالله في قوله: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[١]، والخشية تكون من عظم المخشي، وإن كان الخاشي قويًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا. وأصل الخشية خوف مع تعظيم، ولذلك خص بها العلماء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٢]، على قراءة نصب الجلالة)[٣]. فالخشية أعلى درجة من الخوف وغيره؛ إذ (إن الخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون، فالخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العارفين والهيبة للمحبين والوجل للمقربين وعلى قدر العلم والمعرفة تكون الخشية، فصاحب الخوف يلتجأ إلى الهرب والإمساك وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم، ومَثَلهما كمثل من لا علم له بالطب ومثل الطبيب الحاذق فالأول يلتجئ إلى الحمية والهرب، والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء، وكل واحد إذا خفته هربت منه، إلا الله، فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه)[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والخشية في الصلاة:

قال شرف الحق العظيم آبادي: (وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا، وقد قيل: إن البكاء من خشية الله لم يبطل وهذا الحديث يدل عليه)[٥].

وقال ابن حبان بعد أن أخرج هذا الحديث وأخرج قبله حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن"[٦]. قال: (قوله ﷺ: "يتغنى

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢١.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٢٨.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي ٢/٥٤٤-٥٤٦.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٤٢٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣/٢٤١.

(٦) أخرجه ابن حبان ٧٥١، وقال محققه: إسناده صحيح، وهو في البخاري ٥٠٢٤، وفي مسلم ٧٩٢.

بالقرآن"، يريد يتحزن به، وليس هذا من الغنية ولو كان ذلك من الغنية لقال: "يتغاني به"، ولم يقل: يتغنى به، وليس التحزن بالقرآن نقاء الجرم[١]. وطيب الصوت وطاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، ولكن التحزن بالقرآن هو أن يُقارِنَه شيئان: الأسفُ والتلهف: الأسف على ما وَقَعَ من التقصير، والتلهفُ على ما يُؤمّل من التوقير، فإذا تألّم القلب وتوجّع، وتحزن الصوتُ ورجّع، بَدَرَ الجَفْنُ بالدموع، والقلبُ باللُّمُوعِ، فحينئذ يستلِذُّ المتهجِّدُ بالمناجاة، وَيَفِرُّ من الخلق إلى وَكْرِ الخلوات، رجاءَ غفران السالفِ من الذنوب، والتجاوز عن الجنايات والعيوب)[٢].

ثم قال ابن حبان معلقًا على حديث الباب: "في هذا الخبر بيان واضح أن التحزن الذي أذن الله جل وعلا، فيه بالقرآن واستمع إليه، هو التحزن بالصوت مع بدايته ونهايته، لأن بداءته هو العزم الصحيح على الانقلاع عن المزجورات، ونهايته وفور التشمير في أنواع العبادات، فإذا اشتمل التحزن على البداية التي وصفتها والنهاية التي ذكرتها، صار المتحزن بالقرآن كأنه قذف بنفسه في مقلاع القربة إلى مولاه ولم يتعلق بشيء دونه"[٣]. وقد كان للصحابة رضي الله عنهم بكاء في صلواتهم، من ذلك ما رواه عبدالله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر بن الخطاب، وإني لفي آخر الصفوف في صلاة الصبح، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٤]، [٥]، قال ابن الأثير: (النشيج صوت معه توجع وبكاء، كما يردد الصبي بكاءه في صدره)[٦].

---

(١) جِرْم الصوت: جهارته، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر م).

(٢) صحيح ابن حبان ٣/٢٩-٣٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٣١.

(٤) سورة يوسف، آية: ٨٦.

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٢٧١٦، وسعيد بن منصور ١١٣٨، التفسير، وابن سعد ٦/١٢٦، وابن أبي شيبة ١٤/٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٢٠٥٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش ج)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٢، وانظر كذلك صفة الخشوع في نضرة النعيم، ٥/١٨٢٤-١٨٣٧.

جاء في الموسوعة الفقهية: (الخشوع: السكون والتذلل، وخشع في صلاته ودعائه: أقبل بلبه على ذلك، وهو مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت. قال الراغب: الخشوع الضراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضراعة أكثر مما يستعمل فيما يوجد في القلب، ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح، وقال القرطبي: الخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع)[1].

قال عبدالله البسام: (الخشوع في الصلاة هو روحها ويكثر ثوابها أو يقل حسبما عقله المصلي منها، وقد أثنى الله تعالى على الخاشعين فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2]، وقال الحداد: ومن المحافظة على الصلاة والإقامة لها حسن الخشوع فيها وحضور القلب وتدبر القراءة وفهم معانيها واستشعار الخضوع والتواضع لله عند الركوع والسجود، وامتلاء القلب بتعظيم الله وتقديسه عند التكبير والتسبيح وفي سائر أجزاء الصلاة، ومجانبة الأفكار والخوطر الدنيوية والإعراض عن حديث النفس في ذلك، بل يكون الهم مقصورًا على إقامتها وتأديتها كما أمر الله)[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد رأى الصحابي عبدالله بن الشخير رضي الله عنه النبي ﷺ يصلّي وهو يبكي بكاءً شديدًا، فأخبر بذلك من كان معه ونقله لهم. وهم بدورهم أخبروا من جاء بعدهم وهكذا. ولقد أفاد الإخبار في هذا الحديث أهمية الاقتداء بالنبي ﷺ في الصلاة، وأهمية التزام الخشوع والبكاء والتضرع إلى الله تعالى، كما كان يفعل ﷺ.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/١٩.

(٢) سورة المؤمنون الآيتان: ١ - ٢.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٩٨/١.

الحديث رقم (٤٥١)

٤٥١ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لأُبَي بن كعب رضي الله عنه: ((إنَّ الله عز وجل أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) فَبَكَى (أُبَيٌّ)[1]. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وفي رواية[3]: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الخبر الذي يسوقه الرسول ﷺ من الأخبار عظيمة الدلالة تتسم بلون من الغرابة مع الطرافة، ولذلك بدأه الرسول ﷺ بالتوكيد بحرف التوكيد، وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، مع نسبة الفعل لله تعالى التي تزيده توكيداً ثم ذكر الجملة الاعتراضية (- عز وجل -) تنزيهاً، وتعبيره بالأمر الذي يقتضي الفور، واللزوم (أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ) والتقييد بالجار والمجرور يفيد التخصيص، وقول أبي بن كعب (وسماني؟) استفهام تقرير، وتعجب، واستبعاد ومشاعر لا يحيط بها الوصف خالجت نفسه عند سماعه ما قال الرسول ﷺ، وحُقَّ له (فبكى أبي) إجلالاً وتعظيماً، ومحبة، واشتياقاً مصاحباً للخشية، فذكر الله لعبد من عباده، وتسميته، وبعث رسول السماء جبريل إلى رسول الأرض محمد ﷺ، وأمره بأن يقرأ عليه سورة (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا) تشريف، وتكريم، وفضل لا تطمح إلى مثله نفس بشرية - مهما بلغت في الطاعة - ولكنه فضل الله على أبي بن كعب رضي الله عنه لمواقفه المشهودة في الدعوة، وفيما يتعلق بأهل الكتاب، وليجعل منه نموذجاً صالحاً لأهل الكتاب يقتدون به في الإيمان ورسوله ﷺ.

---

(١) قوله: (أُبيّ) لا يوجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٠٩، ومسلم ٧٩٩/٢٤٦ ولفظهما سواء.

(٣) أخرجها البخاري ٤٩٦٠، ومسلم ٧٩٩/٢٤٥.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كان دونه[١].

٢ - استحباب قراءة القرآن على الحذاق فيه وأهل العلم به والفضل، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه، وقد سبق بيانه.

٣ - البكاء للسرور والفرح مما يبشر الإنسان به، ويعطاه من معالي الأمور.

٤ - الاستثبات في المحتملات[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سورة البينة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والجواب.

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أبي بن كعب رضي الله عنه:

في هذا الحديث فضيلة واضحة لأُبيَّ بن كعب رضي الله عنه فقد أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقرأ على أبي: "لم يكن الذين كفروا"، وقد سماه الله له، وتعجب من ذلك أُبيّ وبكى.

قال ابن حجر: (قوله: قال: وسماني؟ أي هل نصّ عليّ باسمي أو قال اقرأ على واحد من أصحابك، فاخترتني أنت؟ فلما قال له: نعم، بكى إما فرحًا وسرورًا بذلك وإما خشوعًا من التقصير في شكر تلك النعمة، قال أبو العباس القرطبي: (تعجب أبي من ذلك، لأن تسمية الله له ونصّه عليه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريفٌ عظيم، فلذلك

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٦/٧٧.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٥٦، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٨٠، وغمز عيون البصائر لأحمد الحموي، ص ١٩٣.

بكى إما فرحًا وإما خشوعًا)[١].

ونص عبارة القرطبي: (الاستفهام على التعجب منه، إذ كان ذلك عنده مستبعدًا، لأن تسميته تعالى له وتعيينه ليقرأ عليه النبي ﷺ تشريف عظيم، وتأهيل لم يحصل مثله لأحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك لما أخبره بذلك بكى من شدة الفرح والسرور لحصول تلك المنزلة الشريفة والرتبة المنيفة)[٢].

وقال ابن حجر: (وفي تخصيص أبي بن كعب التنويه به في أنه أقرأ الصحابة رضي الله عنهم، فإذا قرأ عليه النبي ﷺ مع عظيم منزلته كان غيره لطريق التبع له"[٣]، (فقد كان - كما يقول النووي - بعده ﷺ رأسًا في إقراء القرآن وهو أجل ناشرته أو من أجلهم)[٤].

وقال النووي كذلك: (وفي هذا الحديث فوائد كثيرة... منها المنقبة الشريفة لأبيٍّ بقراءة النبي ﷺ عليه ولا يعلم أحد من الناس شاركه في هذا، ومنها منقبة أخرى له بذكر الله تعالى ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة)[٥].

وقد قال النبي ﷺ: يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ فقال أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[٦]، فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: ((والله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))[٧].

قال النووي: (فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه في التقوى)[٨].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٩/٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٢٦/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٩٧/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦ - ٥٣٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٧) أخرجه مسلم ٨١٠.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

وقال الذهبي: (شهد العقبة، وبدرًا، وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرض على النبيّ عليه السلام، وحفظ عنه علمًا مباركًا، وكان رأسًا في العلم والعمل رضي الله عنه)[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

إن التواضع من الصفات الأساسية التي يجب أن يتحلى بها الداعية فهذا يقربه من المدعوين ويجعلهم على أتم الاستعداد؛ لأن يتقبلوا دعوته ويعملوا بها، ومن التواضع في هذا الحديث قراءة النبي ﷺ سورة البينة على أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا فيه من التواضع ما فيه، قال ابن حجر: (ويؤخذ من هذا الحديث مشروعية التواضع في أخذ الإنسان العلم من أهله وإن كانوا دونه؛ لأنه إن لم يأخذ من الصغار العلماء لكان علمه منفرًا والناس به يقتدون ولا قدوة إلا بالخير والعُجُب بكل أحد قبيح وبالعلماء أقبح، ولأن من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، ومن تواضع بعلمه رفعه الله به)[٢].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أنه لا يجوز أن يتكبر كبير أن يقرأ على صغير)[٣].

وقال القرطبي: (قال بعضهم: إنما قرأ النبيّ ﷺ على أُبيّ، ليعلم الناس التواضع؛ لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة)[٤].

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما أمره النبي ﷺ أن يقرأ عليه القرآن فقرأ ابن مسعود رضي الله عنه سورة النساء[٥]، قال النووي: (وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد وذكر منها: تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم)[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٣٩٠، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٢١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٥٩، وأدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٧٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/١٨٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٨٢، ومسلم ٨٠٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

وقد كان النبي ﷺ معروفًا بالتواضع ملازمًا له، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (كانت الأَمَةُ منْ إماءِ أهلِ المدينةِ تأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ)[١].

قال ابن حجر: (والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمةُ دون الحرة، وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت" أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سورة البينة:

لقد خصّ الله تعالى سورة البينة بأن يقرأها النبي ﷺ على أبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال النووي: (وأما تخصيص هذه السورة فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين وفروعه ومهماته والإخلاص وتطهير القلوب، وكان الوقت يقتضي الاختصار)[٣].

وقال ابن حجر: (قال القرطبي: خص هذه السورة بالذكر لما اشتملت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها)[٤].

وقال ابن تيمية: (إن هذه السورة سورة جليلة القدر، وقد ورد فيها فضائل، وقد ثبت في الصحيح أن الله أمر نبيه ﷺ أن يقرأها على أُبيّ بن كعب رضي الله عنه وتخصيص هذه السورة بقراءتها على أبيّ يقتضي اختصاصها وامتيازها بما اقتضى ذلك)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢، تعليقًا، وأخرجه أحمد ١١٩٤١/١٩ موصولًا، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٦/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٩/٧، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٢٦/٢.

(٥) التفسير الكبير، ابن تيمية، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ٣/٧ - ٤، وانظر: بدائع التفسير، لابن القيم ٢٨٩/٥.

وقال الطاهر بن عاشور عن أغراض سورة البينة: (توبيخُ المشركين وأهلِ الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول ﷺ. والتعجيب من تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها. وتكذيبُهم في ادعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها. ووعيدهم بعذاب الآخرة. والتسجيل عليهم بأنهم شر البرية. والثناءُ على الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضى الله عنهم وإعطائه إياهم ما يرضيهم. وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتماله على ما في الكتب الإلهية التي جاء بها الرسول ﷺ من قبل وما فيه من فضل وزيادة)[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والجواب:

حيث أكد النبي ﷺ إخباره لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه: "إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك"، وجاء التوكيد مناسبًا لأن المقام مقام تشريف وتكريم عظيمين وقد يتعجب منه أبي فجاء التوكيد ليناسب الموقف، ومع هذا التوكيد فإن أبيًا استفصل في السؤال ليتأكد من هذه المكرمة والمنقبة التي له وما أعظمها من منقبة ومكرمة! فأجابه النبي ﷺ على سؤاله، حتى يتأكد أُبيٌّ من هذا الشرف الذي ناله وأعطاه الله إياه.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣٠/٤٦٨.

الحديث رقم (٤٥٢)

٤٥٢ - وعنه، قَالَ: قَالَ أَبو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنه، بعد وفاة رسول الله ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزورُهَا، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فقالا لها: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيرٌ لرسولِ الله ﷺ! قالت: مَا أبْكِي أَنْ لاَ أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لرسولِ الله ﷺ، وَلكِنِّي أبكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَد انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَهَيَّجَتْهُما عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم[1]، وقد سبق في بابِ زِيارَةِ أهلِ الخَيْرِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

هيَّجَتْهُما: أثارتهما[2].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٤٥٤/١٠٣، وتقدم برقم ٣٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ي ج).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٦٠).

الحديث رقم (٤٥٣)

٤٥٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجَعُهُ، قِيلَ له في الصَّلاَةِ، فقال: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ)) فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، فقال: ((مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ))[1].

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: إنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

رجل رقيق: أي: رقيق قلبه[3].

قول الرسول ﷺ (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ) أمر للوجوب، والإلزام على حقيقته، وفيه تزكية لإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ووصل فعل الأمر بواو الجماعة كأنه يريد أن يجتمعوا على تنفيذ الأمر أو إشهاداً لهم على رضاه عنه، فإذا كان قد اختاره، وائتمنه على أعظم أركان دينهم فمن الأولى أن يجمع المسلمون عليه أميناً على دنياهم، خليفة لرسول الله، وكان هذا الموقف من الأسباب المرجحة لخلافته لرسول ﷺ على المسلمين، ولكن أم المؤمنين رضي الله عنها أشفقت على أبيها من هذا الحمل فراجعت الرسول ﷺ في أمره (إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ) وقولها (غلبه البكاء) كناية عن ارتفاع صوته بالبكاء، وانخفاض صوته بالقرآن لرقة قلبه، فكرر الرسول ﷺ أمره (مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ) متصلاً بواو الجماعة يجعل المخاطبين معنيين بتنفيذه أكده بالأمر المباشر له بالصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٨/٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٩ واللفظ له، ومسلم ٤١٨/٩٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٨٨.

فقه الحديث

اشتمل هذا الحديث على أحكام فقهية منها:

١ - جواز البكاء في الصلاة إذ كان من سبب ذكر الجنة والنار فهذا لا يفسدها لأنه يدل على زيادة الخشوع وهو المقصود في الصلاة وإن كان غير ذلك أفسدها لأنه فعل خارج عنها.

٢ - الخلافة للمسلمين تكون للأفضل وفيه الأخذ بالقياس حيث قاس الفقهاء تقديمه في الصلاة يكون مصوغًا لتقديمه في الخلافة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خشية ورقّة أبي بكر رضي الله عنه وغلبة البكاء عليه عند قراءة القرآن.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه في الصلاة دلالة على جدارته بالخلافة من بعده.

أولاً - من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

إن أبا بكر الصديق صلى الله عليه وسلم هو أفضل الصحابة رضي الله عنهم، صحب النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلم إلى حين توفي، رافق النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته، وله المواقف الجليلة والمشاهد العظيمة، فلا عجب أن تكون له المنزلة الرفيعة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا واضح من اختياره صلى الله عليه وسلم ليؤم الناس فقال صلى الله عليه وسلم "مروا أبابكر فيصلِّ بالناس" قال النووي: (فيه فوائد منها فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتفضيله، وتنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيره. ومنها

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣/٣٧١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠/١٠٩، و تبيين الحقاق شرح كنز الدقائق ١/١٥٦.

أن الإمام إذا عرض له عذر عن حضور الجماعة استخلف من يصلي بهم وأنه لا يستخلف إلا أفضلهم)[١].

وقال ابن حجر: (وفي هذه القصة من الفوائد غير ما مضى تقديم أبي بكر، وترجيحه على جميع الصحابة)[٢].

وقال ابن حجر (ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جدا وقد أفرده جماعة بالتصنيف، وترجمته في تاريخ بن عساكر قدر مجلدة. ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٣] فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع ... وثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وهما في الغار ((ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُما))[٤] والأحاديث في كونه كان معه في الغار كثيرة شهيرة ولم يشركه في هذه المنقبة غيره)[٥].

قال السيوطي: (قال النووي في تهذيبه: قال مصعب بن الزبير وغيره: وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ، ولازم الصدق، فلم تقع منه هناة ما، ولا وقفة في حال من الأحوال، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته يوم ليلة الإسراء، وثباته، وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ، وترك عياله وأطفاله، وملازمته في الغار وسائر الطريق، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ: إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة "فاختار الآخرة"[٦] ثم ثباته يوم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٥٣، ٣٩٢٢، ٤٦٦٣، ومسلم ٢٣٨١.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٨/٦-١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٩٠٤، ومسلم ٢٣٨٢.

وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك، ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل، وشرح الله صدروهم لما شرح له صدره من الحق - وهو قتال أهل الردة - ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم بالأمداد، ثم ختم ذلك بمهمّ من أحسن مناقبه وأجلّ فضائله، وهو استخلافه على المسلمين عمر رضي الله عنه وتفرسه فيه، ووصيته له، واستيداعه الله الأمة، فخلفه الله عز وجل فيهم أحسن الخلافة، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله، وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى! هذا كلام النووي)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خشية ورقّة أبي بكر رضي الله عنه وغلبة البكاء عليه عند قراءة القرآن:

اشتهر أبوبكر الصديق رضي الله عنه برقة القلب، فكان يبكي عند قراءة القرآن، وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها ((إِن أَبا بكرٍ رجلٌ رَقيقٌ إِذا قرأَ الْقُرْآنَ غلبَهُ البكاءُ))، وفي رواية ((لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ))[2] وفي حديث عائشة: "إن أبابكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء".

وفي رواية أخرى: ((إنَّ أبا بكرٍ رجُلٌ أَسِيفٌ إذا قام في مقامِكَ لم يَستَطِعْ أَنْ يُصلِّيَ بالناس))[3] قال ابن حجر: (أسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الأسف وهو شدة الحزن، والمراد أنه رقيق القلب، ولابن حبان[4] من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث: قال عاصم: والأسيف الرقيق الرحيم)[5].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٢٦-٢٧.

(٢) صحيح مسلم ٩٤-٤١٨.

(٣) صحيح البخاري ٦٦٤، ومسلم ٩٥-٤١٨ بنحوه.

(٤) صحيح ابن حبان ٢١١٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٩/٢.

بل إن أبابكر رضي الله عنه أراد أن يُقيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكانه يصلي بالناس من أجل ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((فأَرسلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكرٍ رضي الله عنه بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلاً رَقيقًا - يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ))[1].

قال النووي: (وأما قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما صل بالناس فقاله للعذر المذكور، وهو أنه رجل رقيق القلب كثير الحزن والبكاء، لا يملك عينيه، وقد تأوله بعضهم على أنه قاله تواضعًا. والمختار ما ذكرناه)[2].

وقد بلغ من غلبة البكاء على أبي بكر عند قراءة القرآن أن خافه المشركون بمكة على نسائهم وأبنائهم، ففي الحديث الصحيح: ((ثم بدا لأبي بكر فابتَنى مَسجدًا بِفناءِ دارِهِ وكان يُصلِّي فيه ويقرأ القرآن فيتقذَّفُ[3] عليه نساء المشركينَ وأبناؤُهم وهم يعجَبونَ منه وينظُرونَ إليه. وكان أبو بكرٍ رجُلاً بكّاءً لا يملِكُ عينيهِ إذا قرأ القرآنَ، فأفزَع ذلكَ أشرافَ قريشٍ منَ المشركين، فأرسَلوا إلى ابنِ الدغنة، فقَدِمَ عليهم، فقالوا: إنّا كنّا أجَرنا أبا بكرٍ بجوارِك على أن يعبُدَ ربهُ في داره، فقد جاوَزَ ذلك فابتَنى مسجدًا بفِناءِ دارِهِ فأعلنَ بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنّا قد خشينا أن يفتِنَ نساءنا وأبناءنا))[4].

وأفرد السيوطي في ترجمته فصلاً بعنوان: كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه، ساق تحته عدة أخبار، منها: دخل أبوبكر حائطًا إذا بدبسي[5] في ظل شجرة، فتنفس الصعداء ثم قال: طوبى لك يا طير تأكل من الشجر وتستظل بالشجر وتصير إلى غير

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧، ومسلم ٩٠-٤١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٣) قال الحافظ في الفتح ٢٧٥/٧: قال الخطابي ... وأما يتقذف فلا معنى له إلا أن يكون من القذف، أي يتدافعون فيقذف بعضهم بعضًا فيتساقطون عليه.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩٠٥.

(٥) الدُّبْسي: ضرب من الحمام. المعجم المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٧٠.

حساب، يا ليت أبا بكر مثلك. وأخرج أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني، قال: قال أبوبكر الصديق: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وأخرج أحمد في الزهد عن مجاهد قال: كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود، من الخشوع. قال: وحدثت أن أبابكر كان كذلك[١].

إن تدبر قراءة القرآن يؤثر في النفوس وقد يبعثها على البكاء مما يدل على شدة الخوف من عذاب الله أو الشوق إلى ثوابه ورؤيته سبحانه، وهذا البكاء هو خشية الله تعالى والشوق إلى لقائه.

أما الذي لا يتأثر بقراءة القرآن، فهو كالجثة الهامدة، يقول - الفرنسي المسلم الذي تأثر بالقرآن - فنساي مونتاي المنصور بالله الشافعي:"إن مثل الفكر العربي الإسلامي المبعد عن التأثير القرآني: كمثل الرجل أُفرغ من دمه"[٢].

قال فضل الرقاشي: "وأي عين لا تهمل على حسن الصوت بالقرآن إلا عين غافل، أو لاهي"[٣].

أخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن ميمون عن أبي العالية قال:"سيأتي على الناس زمان تخرب صدورهم من القرآن، وتبلى كما تبلى ثيابهم وتتهافت، فلا يجدون له حلاوة، ولا لذاذة"[٤].

وقد روى نحوه الخطيب البغدادي من رواية الصحابي حذيفة[٥].

قال النووي: (وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرؤن القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "هكذا كنا".

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٩٧، وانظر: الزهد، أحمد بن حنبل ٢٤١هـ ص ١١٢ وما بعدها.

(٢) رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي ٥١/٥.

(٣) انظر: الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ٩٤، والحلية لأبي نعيم ٢٠٧/٦.

(٤) انظر: تاريخ دمشق ١٨١/١٨.

(٥) انظر: تاريخ بغداد ٤٠٠/١.

وقال أيضًا: قال الإمام أبو حامد الغزالي: البكاء مستحب مع القراءة وعندها.

قال: وطريقه في تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن... فليبكِ على فقد ذلك، فإنه من أعظم المصائب)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تقديم النبي ﷺ لأبي بكر في الصلاة دلالة على جدارته بالخلافة من بعده:

لقد استدلّ العلماء بقول النبي ﷺ "مروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناس، على أنه أحق الصحابة بالخلافة من بعده. قال النووي: (فيه تنبيه على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره)[٢].

وقال السيوطي: (هذا الحديث متواتر ورد أيضًا من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبدالله بن زمعة وأبي سعيد وعلي بن أبي طالب وحفصة رضي الله عنهم، وقد سقت طرقهم في الأحاديث المتواترة... قال العلماء: في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالإمامة... وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة منهم عمر ومنهم علي. وأخرج ابن عساكر عنه قال: لقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام أبا بكر أن يصلي بالناس وإني شاهد، وما أنا بغائب وما بي مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا. قال العلماء: وقد كان معروفًا بأهلية الإمامة في زمان النبي ﷺ)[٣].

وهذا ما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقره عليه الصحابة رضوان الله عليهم، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال: فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر يؤم الناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر. فقالت الأنصار: نعوذ بالله

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٥٩.

(٣) تاريخ الخلفاء ٥٨-٥٩.

أن نتقدم أبابكر[١].

وقال علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما: إنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره. ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ[٢].

وقال ابن حجر معلقًا على قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: "يا عمر صلِّ بالناس" قال: (ويحتمل أن يكون رضي الله عنه فهم من الإمامة الصغرى الإمامة الكبرى وعلم ما في تحملها من الخطر، وعلم قوة عمر ذلك فاختاره، ويؤيده أنه عند البيعة[٣] أشار عليهم أن يبايعوه أو يبايعوا أبا عبيدة بن الجراح)[٤].

وقال أبو الحسن الأشعري: (وقد دل الله تعالى على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سورة "براءة" فقال للقاعدين عن نصرة نبيه ﷺ والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[٥] وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ يعني قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ ثم قال: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦] وقال: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٣/١ والنسائي ٧٧٧ وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٧٤٩). وانظر: البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٦/٨.

(٢) أخرجه موسى بن عقبة في مغازيه كما في البداية والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٢/٨-٩٣ ومن طريقه الحاكم في المستدرك ٦٦/٣ والبيهقي في السنن الكبرى ١٥٢/٨، ١٥٣. وقال ابن كثير: هذا إسناد جيد.

(٣) الحديث في صحيح البخاري ٦٨٣٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٠/٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٣.

(٦) سورة الفتح، آية: ١٥.

إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] والداعي لهم إلى غير ذلك النبي ﷺ الذي قال الله عز وجل له: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ وقال الله في سورة الفتح: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فمنعم عن الخروج مع نبيه ﷺ وجعل خروجهم معه تبديلاً لكلامه، فوجب ذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ، وقد قال الناس: هم أهل فارس وقالوا: أهل اليمامة. فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه ودعا إلى قتالهم، وإن كانوا الروم، فقد قاتلهم الصديق أيضًا وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وقاتلهم عمر رضي الله عنه من بعده، وفرغ منهم، وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، وجبت إمامة أبي بكر رضي الله عنه، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه، لأنه العاقد له الإمامة، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما وإذا وجبت إمامة أبي بكر بعد رسول الله ﷺ وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه)[2].

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ٣٢٤هـ، تحقيق: بشير محمد عيون ص ١٦٩.

الحديث رقم (٤٥٤)

٤٥٤ - وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أنَّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتِيَ بطعام وكان صائِمًا، فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَيْر رضي الله عنه، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، (فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إلاَّ بُرْدَةٌ) [1] إنْ غُطِّيَ بهَا رَأسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ؛ وَإنْ غُطِّيَ بهَا رِجْلاهُ بَدَا رَأسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أَو قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - قَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي حَتَّى تَرَكَ الطعَام. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف: هو إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، أبوه عبدالرحمن بن عوف أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت من المهاجرات الأول المبايعات. روى عن جماعة من الصحابة منهم: أبواه وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

ذكر الواقدي وغيره أنه ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في أواخر أيامه. لذا ترجمه بعضهم في الصحابة كأبي نعيم الأصبهاني، لكن آخرين ذكروه في الطبقة الأولى من التابعين الثقات، توفي سنة ٧٥هـ وقيل ٧٦هـ[3].

عبدالرحمن بن عوف: هو ابن عوف بن عبدالحارث القرشي.

أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى الذين جعل "عمر" الخلافة فيهم، وأحد السابقين البدريين الذين قيل فيهم ((اعملوا ما شئتم فقد غفرت

---

(١) هذه الزيادة ليست في هذه الرواية، وإنما عنده برقم ١٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٤٥.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٥/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٨/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٢١/١ والتهذيب ٧٤/١ وتقريب التهذيب ٣٨/١.

لكم))[١]، ومن أهل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٢] وكان ممن هاجر الهجرتين، وشهد كل المشاهد مع رسول الله ﷺ ((وكان ممن صلى النبي ﷺ خلفه))[٣]، فحظي بهذا الفضل العظيم.

وقد ولد بعد عام الفيل بعشر سنين وكان أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام وكان اسمه في الجاهلية "عبدالكعبة" وقيل "عبد عمرو" فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبدالرحمن[٤].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فعرض عليه سعد أن يُشاطره نعمته وأن يطلق له أحسن زوجتيه، فأبى وقال له: بارك الله لك في أهلك ومالك، ولكن دُلني على السوق، فذهب، فباع واشترى وربح، ثم لم ينشب أن صار معه دراهم، فتزوج امرأة على زنة نواة من ذهب، فقال له النبي ﷺ ((أولم، ولو بشاةٍ، بارك الله لك في مالك))[٥] فقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: فأقبلت الدنيا عليّ حتى رأيتني لو رفعت حجرًا لتوقعت أن أجد تحتَهُ ذهبًا أو فضة.

وكان عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من الأجواد الذين قلّما يُنجب الزمان مثلهم. فقد تصدق على عهد النبي ﷺ بشطر ماله "أربعة آلاف، وحمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وقد أعتق في يوم واحدٍ ثلاثين عبدًا، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، فلما بلغ ذلك عائشة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون))[٦] ثم قالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري، رقم ٣٠٠٧.

(٢) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٤٧/٤ رقم ١٨١٥٧ وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩١/٣٠.

(٤) المستدرك ٣٠٥/٣ رقم ٥٣٨٧ وصححه الحاكم.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٨١ و٢٢٩٢ و٣٩٣٧.

(٦) أخرجه أحمد ١٠٤/٦ رقم ٢٤٧٢٤ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٤٧/٢٤.

وبلغ جهاده في سبيل الله بالمال مبلغًا عظيمًا، وكان على الرغم من ذلك رجلاً صوّامًا قد أفزعه الخوف من الله، فقد قرب إليه طعامًا ذات يوم وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكُفّن في بردتِهِ؛ إن غُطي رأسُهُ بدت رجلاه، وإن غطت رجلاه بدا رأسُهُ، ثم قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بُسط لنا في الدنيا ما بُسط -قد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلتْ لنا، ثم جعل يبكي، حتى ترك الطعام.

وكان ممن يُفتى في عهد النبي ﷺ، وفي خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم مما سمع من النبي ﷺ، وكان قد قدم مع عمر رضي الله عنه الجابية (من بلاد الشام) وشهد في كتاب صلح أهل بيت المقدس.

وكان من أفضل أعماله، أنه قد عزل نفسه من أمر الخلافة وقت الشورى وقام باختيار من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان رضي الله عنه، ولو كان محابيًا في ذلك لأخذها لنفسه، أو لولاها لابن عمه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقد بلغت أحاديثه عن النبي ﷺ (٦٥ حديثًا).

وقد توفي بالمدينة وبعد وفاته قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه "اذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رنقها -وهو الكدر -

وكانت وفاته سنة (٣٢هـ) ودفن بالبقيع[1].

غريب الألفاظ:

البُردةُ، كساء مخطط يُلتحف به أو كساء مربع أسود صغير[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ١٢٤/٣-١٢٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٢٢-٤٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٢٠-٧٢١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٧٥/٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٦٨/١-٩٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥١/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٤٠/٢، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٢١/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣٦٦/١-٣٧٤.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٨٦.

الحديث يتناول صورة حوارية تصور جانباً من زهد الصحابة رضي الله عنهم مع أن ما كانوا فيه من متاع الدنيا لا يمثل شيئاً بالنسبة لما نحن فيه، وقد حمدوا الله، وسخطنا، وموقف عبد الرحمن بن عوف يدل على ذلك، وقوله عن مصعب رضي الله عنه (وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي)، فيه دلالة على تواضعه، ومحبته لصاحبه، وقوله (، فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إلاَّ بُرْدَةٌ) أسلوب قصر وجدان شيء للكفن على البردة، وتقديم الجار والمجرور (له) اختصاص أي لكفنه، وليس للبس، ولا للزينة، وحتى البردة التي لا يوجد غيرها لم تكف كما وصفها بجملة الشرط (إنْ غُطِّيَ بِهَا رَأسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ؛ وَإنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلاَهُ بَدَا رَأسُهُ) وقوله (، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ) كناية عن سعة الرزق وكثرة الأموال، والتعبير بالبسط يشير إلى السعة، والانشراح، وقوله (قَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا) أكد الفعل بقد، والخشية رهبة ممتزجة بإجلال، وتعجيل الحسنات كناية عن التوسعة في ألوان النعيم الدنيوي وقوله: (ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي) يوحي بشدة تأثُّره، وخوفه الذي يعكس حرصه على الآخرة حتى رفض الدنيا، وقد عبَّر الراوي عن ذلك بقوله: (حتى ترك الطعام) ولا ننسى أنه كان صائماً رضي الله عنهم، وأرضاهم.

فقه الحديث

اشتمل هذا الحديث على حكم فقهي يتعلق بأحكام الكفن والتكفين.

اتفق الفقهاء على أن تكفين الميت بما يستره فرض على الكفايةَ وقد ذهب الفقهاء إلى أن الميت يكفن بعد طهره بشيء من جنس ما يجوز له لبسه في حالة الحياة فيكفن في الجائز من اللباس، ويعتبر في الأكفان حال الميت فإن كان مكثرًا فمن جياد الثياب، وإن كان متوسطًا فأوسطها وإن كان مقلاً فخشنها.

ويجوز جميع أنواع القماش القديم منها والجديد والأفضل أن تكون في الثياب البيض.

- ويشترط في الكفن أن يكون ساتر للبشرة طاهرًا.

- أنواع الكفن ثلاثة: كفن السنة وهو أكمل الأكفان وهو للرجل ثلاثة أثواب وهو كفن المصطفى صلى الله عليه وسلم.

- كفن الكفاية: وهو أدنى ما يلبس حال الحياة وهو ثوبان للرجل وهذا هو كفن أبي بكر رضي الله عنه كان له ثوبان يصلي فيهما فأوصى بأن يكفن فيهما.

- كفن الضرورة: وهو ما يستر العورة فقط وهو ثوب واحد يستر ما بين السرة والركبة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عَدَم الركون إلى الدنيا والرغبة فيها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الغني الشاكر.

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه:

عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أهل الشورى الذين حددهم عمر عند وفاته ليكون أحدهم خليفةً بعده وكان رضي الله عنه متحليًا بكريم الخصال ومحاسن الأخلاق كالتواضع، والخشية والشفقة. أما تواضعه رضي الله عنه فقوله: "قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني"، قال ابن حجر: (لعله قال ذلك تواضعًا)[٢].

وأما مناقبه رضي الله عنه فكثيرة: قال الذهبي: (ومن مناقبه أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر الذي قيل لهم: ((اعملوا ما شئتم))[٣] ومن أهل هذه الآية: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[٤] وقد صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه[٥]... ومن أفضل أعمال عبدالرحمن رضي الله عنه عزله نفسه من الأمر وقت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٣٠٧/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٧/٢، والأم، الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد ٣٠٤/١، والفروع، ابن مفلح ٢٢٨/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٠/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٠٧، ومسلم ٢٤٩٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٨١-٢٧٤.

الشورى واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه أو لولاّها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص)[١].

وأما خشيته وشفقته ألا يلحق بمن تقدمه من الصحابة في الدرجات والفضل، فذكرُه مصعب بن عمير رضي الله عنه وفقره حال استشهاده في أحد ثم قوله "ثم بسط لنا في الدنيا ما بسط - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام".

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لتقل رغبته فيها. قال: وكان بكاء عبدالرحمن شفقًا ألا يلحق بمن تقدمه)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عدم الركون إلى الدنيا والرغبة فيها:

قال ابن حجر: (وفي الحديث فضل الزهد، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله "خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت")[٣].

قال ابن علان: (وقوله: "قد خشينا أن تكون حسناتنا" أي أعمالنا الصالحة الحسنة "عجلت لنا" أي: عجل لنا جزاؤها فلا نقدم على ثواب مدخر... وهذا منه من مزيد خوفه من الله تعالى وشدة خشيته له، خشي أن يكون ما هو فيه من اليسار من جزاء طاعته التي فعلها، مع أن ذلك اليسار من أسباب عمله الصالح ومتجره الأخروي الرابح، كما علم من إنفاقه في سبيل الله تعالى، وتصدقه على عباد الله. ومع ذلك لعدم نظره لعمله واعتداده خشي أن يكون ما يدخره سواه من أسباب إبعاده عن مولاه "ثم جعل يبكي" خوفًا من ذلك وأن يكون صفر اليدين من صالح الأعمال في المآل)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٧٨، ٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٤١٠.

(٣) المرجع السابق ٧/٤١٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٩٠.

وقال ابن هبيرة: (في هذاالحديث أن المؤمن يستحب له إذا بسط له من الدنيا أن يذكر شدة عيش الأفاضل من المؤمنين قبله)[١].

وفي هذا السياق يُستشهد بقول خباب بن الأرت: ((هاجَرنا معَ النبيِّ ﷺ نريدُ وَجهَ اللّه، فوقعَ أجرُنا على اللّه تعالى، فمنّا من مضى لم يأكل من أجرِه شيئًا، منهم مُصعَب بن عُميرٍ قُتِلَ يومَ أُحدٍ وتركَ نَمِرَةً[٢]، فإذا غَطينا رأسَه بَدَتْ رِجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرَنا النبيُّ ﷺ أن نُغَطِّيَ رأسَه ونجعلَ على رِجلَيه منَ الإذخر[٣]. ومنّا مَن أَينَعَتْ له ثمرَتهُ فهو يَهدِبُها[٤]))[٥].

قال ابن حجر: (قوله "لم يأكل من أجره شيئا" أي من عرض الدنيا، وهذا مشكل على ما تقدم من تفسير ابتغاء وجه الله، ويجمع بأن إطلاق الأجر على المال في الدنيا بطريق المجاز بالنسبة لثواب الآخرة؛ وذلك أن القصد الأول هو ما تقدم لكن منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير ومنهم من عاش إلى أن فتح عليهم، ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى به المحاويج أولا فأولا بحيث بقي على تلك الحالة الأولى وهم قليل منهم أبو ذر، وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول، ومنهم من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير ومنهم ابن عمر، ومنهم من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة والمندوبة وهم كثير أيضا منهم عبد الرحمن بن عوف، وإلى هذين القسمين أشار خباب، فالقسم الأول وما التحق به توفر له أجره في الآخرة، والقسم الثاني مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة، ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ((مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٠١/١.

(٢) النَّمِرة: كساء فيه خطوط بيض وسود، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٥٤.

(٣) نبت طيب الرائحة، معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣١.

(٤) أي يجنيها، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٠٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٤٨، ومسلم ٩٤٠.

اللّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ. ويبقى لَهُمُ الثُّلُثُ. وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ))[١] الحديث، ومن ثم آثر كثير من السلف قلة المال وقنعوا به إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة وإما ليكون أقل لحسابهم عليه)[٢].

وقال ابن القيم: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخِسّتها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخرُ ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبُها لا ينفكُّ من هَمٍّ قبل حصولها، وهمٍ في حال الظفر بها، وغَمٍّ وحزن بعد فواتها... فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولا بُدّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٣]. فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة)[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الغني الشاكر:

قال ابن عبدالبر عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: (كان تاجرًا مجدودًا[٥] في التجارة وكسب مالاً كثيرًا وخلّف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٣.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٧.

(٤) الفوائد ١٤٠.

(٥) مجدود: عظيم الحظ. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج د د).

يزرع بالجُرف[١] على عشرين ناضحًا[٢]، فكان يدخل منه قوت أهله سنة)[٣]. قال الذهبي معلقًا على هذا: (هذا هو الغني الشاكر، وأويس فقير صابر وأبوذر أو أبو عبيدة زاهد عفيف)[٤].

وقال ابن تيمية: (قد كثر تنازع الناس: أيهما أفضل الفقير الصابر، أو الغني الشاكر؟" وأكثر كلامهم فيها مشوب بنوع من الهوى، أو بنوع من قلة المعرفة، والنزاع فيها بين العلماء، والعامة والرؤساء وغيرهم. وقد ذكر القاضي أبو الحسين بن القاضي أبي يعلى في كتاب "التمام لكتاب الروايتين والوجهين" لأبيه فيها عن أحمد روايتين:

إحداهما: أن الفقير الصابر أفضل. وذكر أنه اختار هذه الرواية أبو إسحاق بن شاقلا، ووالده القاضي أبو يعلى، ونصرها هو.

والثانية: أن الغني الشاكر أفضل، اختاره جماعة منهم ابن قتيبة.

و"القول الأوّل يميل إليه كثير من أهل المعرفة والفقه والصلاح، والفقراء، ويحكى هذا القول عن الجنيد وغيره.

و"القول الثاني" يرجحه طائفة منهم، كأبي العباس بن عطاء وغيره وربما حكى بعض الناس في ذلك إجماعًا، وهو غلط.

وفي المسألة "قول ثالث" وهو الصواب أنه ليس هذا أفضل من هذا مطلقًا، ولا هذا أفضل من هذا مطلقًا بل أفضلهما أتقاهما. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٥]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيتهما

---

(١) الجرف: موضع قريب من المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ف).

(٢) الناضح: الدابة يستغنى عليها، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ض ح).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٤٤، والمجدد: العظيم الحظ. المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ١١٠: اسم موضع قريب من المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ١٤٩. والناضح الدابة يستقى عليها، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٢٨.

(٤) السير ٩٢/١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

ركبت، وقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾[1] وهذا القول اختيار طائفة منهم الشيخ ابن حفص السهروردي، وقد يكون هذا أفضل لقوم، وفي بعض الأحوال. وهذا أفضل لقوم وفي بعض الأحوال، فإن استويا في سبب الكرامة استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما الآخر في سببها ترجح عليه، هذا هو الحكم العام.

والفقر والغنى حالان يعرضان للعبد باختياره تارة وبغير اختياره أخرى كالمقام والسفر، والصحة والمرض، والإمارة والائتمار، والإمام والائتمام. وكل جنس من هذه الأجناس لا يجوز إطلاق القول بتفضيله على الآخر، بل قد يكون هذا أفضل في حال، وهذا في حال، وقد يستويان في حال.

وكما أن الأقوال في المسألة "ثلاثة" فالناس "ثلاثة أصناف": غني، وهو من ملك ما يفضل عن حاجته. وفقير، وهو من لا يقدر على تمام كفايته، وقسم ثالث: وهو من يملك وفق كفايته، ولهذا كان في أكابر الأنبياء والمرسلين والسابقين الأولين من كان غنيًا: كإبراهيم الخليل وأيوب، وداود وسليمان، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن ابن عوف، وطلحة والزبير، وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير، وأسعد بن زرارة وأبي أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، ونحوهم. ممن هو من أفضل الخلق من النبيين والصديقين.

وفيهم من كان فقيرًا: كالمسيح عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا وعلي بن أبي طالب، وأبي ذر الغفاري، ومصعب بن عمير، وسلمان الفارسي ونحوهم. ممن هو من أفضل الخلق، من النبيين والصديقين، وقد كان فيهم من اجتمع له الأمران: الغني تارة والفقر أخرى؛ وأتي بإحسان الأغنياء وبصبر الفقراء: كنبينا ﷺ، وأبي بكر وعمر.

والنصوص الواردة في الكتاب والسنة حاكمة بالقسط؛ فإن الله في القرآن لم يفضل أحدًا بفقر، ولا غنى، كما لم يفضل أحدًا بصحة ولا مرض، ولا إقامة ولا سفر، ولا إمارة ولا ائتمار، ولا إمامة ولا ائتمام، بل قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

وفضلهم بالأعمال الصالحة: من الإيمان ودعائمه، وشعبه كاليقين والمعرفة، ومحبة الله والإنابة إليه، والتوكل عليه ورجائه، وخشيته وشكره والصبر له. وقال في آية العدل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ﴾[1].

ولذلك كان النبي ﷺ وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين. غنيهم وفقيرهم في أمورهم. ولما طلب بعض الأغنياء من النبي ﷺ إبعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك. وأثنى عليهم بأنه يريدون وجهه، فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[2]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[3]. ولما طلب بعض الفقراء من النبي ﷺ ما لا يصلح له نهاه عن ذلك، وقال: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا. وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ. وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ))[4].

وكانوا يستوون في مقاعدهم عنده، وفي الاصطفاف خلفه، وغير ذلك. ومن اختص منهم بفضل عرف النبي ﷺ له ذلك الفضل، كما قنت للقراء السبعين، وكان يجلس مع أهل الصفة، وكان أيضًا لعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ وأسيد بن الحضير وعباد بن بشر ونحوهم من سادات المهاجرين والأنصار الأغنياء، منزلة ليست لغيرهم من الفقراء، وهذه سيرة المعتدلين من الأئمة في الأغنياء والفقراء. وهذا هو العدل والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة، وهي طريقة عمر بن عبدالعزيز، والليث بن سعد، وابن المبارك ومالك وأحمد بن حنبل، وغيرهم، في معاملتهم للأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء)[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٢٦.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦/٧٣-٧٥.

الحديث رقم (٤٥٥)

٤٥٥ - وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لَيْسَ شَيْءٌ أحَبَّ إلى اللهِ تَعَالَى مِنْ قطْرَتَيْنِ وَأثَرَيْنِ: قَطرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطرَةُ دَمٍ تُهرَاقُ في سَبيلِ اللهِ. وَأمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ في فَريضةٍ مِنْ فَرائِضِ الله تَعَالَى**)) رواه الترمذيُّ، وقال: (حديثٌ حسنٌ).

وفي الباب أحاديث كثيرة منها:

حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، قَالَ: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَوعظةً وَجلَتْ منها القُلُوبُ، وذرِفت منها الْعُيُونُ[1]. وقد سبق في باب النهي عن البدع.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٤).

غريب الألفاظ:

تُهراقُ: الهاء في هراق بدل من همزة أراق، وأراقه: صبَّه[2].

الأثر: ما بقي من رسم الشيء دلالة عليه.

والأثران: أثر في سبيل الله: كخطوة، أو غبار أو جراحة في الجهاد أو سواد حِبْرٍ في طلب العلم، وأثر في فريضة: كإشقاق اليد والرجل من أثر الوضوء، وخلوف فم الصائم، واغبرار القدم في الحجِّ[3].

الحديث قائم على أسلوب التشويق بعدة أساليب منها: النفي، وأفعل التفضيل،

---

(١) تقدم برقم ١٥٧.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي، والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ر ق).

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٤٠، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر).

والتوشيع، أما النفي فقوله: (ليس شيء أحب) وأسلوب النفي يحقق التشويق من حيث إن المخاطب إذا سمع النفي انشغل بالمنفي فترقبه مما يمهد نفسه لاستقبال المعنى، وأفعل التفضيل تأتي لترجيح أحد الشيئين المتفقين في صفة فإذا سمعها المخاطب رغب في معرفة المفضل، وتنكير كلمة (شيء) في سياق النفي يفيد العموم، وقوله (مِنْ قطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ) مثنيان مفسران بما بعدهما ن وهو لون من ألوان الإطناب يؤكد المعنى؛ لأنه يُذكر مرتين الأولى مجمل، والثانية مفصل، وهذا الإجمال ثم التفصيل يحقق التشويق، وهو ما يسمى بالتوشيع، وقد فصَّل المثنى الأول بقوله (قَطَرَةُ دُمُوع مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطَرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبيلِ اللهِ) ونلاحظ أن سر التفضيل، وسبب المزية من القيد المتصل بكل منهما (من خشية الله)، و(في سبيل الله)، وفصَّل المثنى الثاني بقوله (وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ فِي فَريضةٍ مِنْ فَرائِضِ الله تَعَالَى) وسبب الفضل فيهما تعلقهما بالله تعالى، وهذا يدل على أن العمل يشرف بشرف المقصد، يدل على ذلك كثرة تكرار لفظ الجلالة، لأن مدار أفضلية الأعمال المذكورة على تعلقها به، والحديث لون من ألوان غرس الإخلاص في النفوس، وتعويد المسلم العمل لله حتى يتقلب في كل حركة له، وسكْنة بين العادة، والعبادة لله - تعالى - .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل آثار الأعمال الصالحة.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

خامسًا: من أساليب الدعوة: النفي والتفصيل بعد الإجمال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

إن البكاء من خشية الله يدل على صدق إيمان العبد وعلى معرفته بقدر الله عز وجل وإجلاله له وعلى إنابته وتضرعه إليه لذا يجب أن يتصف عبده بهذا الأمر، وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين: قطرة

دموع من خشية الله" قال المباركفوري: (أي قطرة بكاء حاصلة من خشية أي من شدة خوفه وعظمته المورثة لمحبته)[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٢].

قال القرطبي: (قوله تعالى "ويخرون للأذقان يبكون" هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم وحصّل منه شيئًا أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل)[٣].

وقال القاسمي: (دل نعت هؤلاء ومدحهم بخرورهم باكين على استحباب البكاء والتخشع، فإن لكل ما حمد فيه من النعوت والصفات التي وصف الله تعالى بها من أحبَّه من عباده يلزم الاتصاف بها، كما أن ما ذمّ منها من مَقْته منهم، يجب اجتنابه)[٤].

وقد بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إني لا أبكى على دنياكم هذه، ولكن أبكى على بعد سفري وقلة زادي، إني أمسيتُ في صعود على جنةٍ أو نارٍ، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: رَجُلٌ ذكرَ اللهَ [خاليًا] ففاضَتْ عَيناه))[٦].

قال العز بن عبدالسلام: (أسباب البكاء: خوف أو حزن أو محبّة أو مهابة أو فرح أو

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٨١.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣/١٨٩.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٠/٣١٠.

(٥) شرح السنة للبغوي ١٤/٣٧٣، وانظر نضرة النعيم ٣/٨٣٣-٨٤٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦٠، ٦٤٧٩، ومسلم ١٠٣١.

شوق أو غير ذلك على قدر حال الباكي. وبكاء الخلوة إما لحبّ الله أو لخوفه أو إجلاله فمن السبعة الذين يظلّهم الله في ظلّه: رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه)[١].

ولذلك كان جزاؤهم أن لهم الرفيق الأعلى. قال ﷺ: ((قال الله تعالى: البكاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في سبيل الله لا يقدم عليه إلا المؤمنون الصادقون، فقد قدموا أرواحهم وأموالهم لله عز وجل، لذا فإن قطرة الدم التي تراق في سبيل الله تكون لها مكانة كبيرة عنده سبحانه وتعالى، فقد أخبر النبي ﷺ أن "قطرة دم تهراق في سبيل الله" من أحب الأشياء إلى الله عز وجل، قال الطيبي: (وإنما أفرد الدم وأجمع الدمع تنبيهًا على تفضيل إهراق الدم في سبيل الله على تقاطر الدموع بكاءً)[٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادًا فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانًا بِي، وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ٣١٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢-١٧٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٨-١٦٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢٦٥٠ ١٢٠/١٢ والبيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٢٧، ٣٤٥/٧ وسنده ضعيف، كنز العمال ١٢٦٦/٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١١.

كَلْمٍ[١] يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٢].

قال النووي: (وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى)[٣].

قال العز بن عبدالسلام: (الجهاد فيه مخاطرة بالنفوس والأموال، وهو واجب لرجحان مصالحه على المخاطرة، فإن الخطر في تركه أعظم من الخطر في فعله، فإنه لو ترك لاستباح الأعداء النفوس والأبضاع والحُرَم والأموال والأطفال، ولماتت مصالحه من إرهاب العدو وإعزاز الدين وأمن المسلمين... ولاشتماله على هذه المصالح جعل تلو الإيمان)[٤]. وقال ابن القيم: (وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذروتها وهو المحك والدليل والمفرق بين المحب والمدعي، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه متقربًا إليه ببذل أعز ما بحضرته يود لو أن له بكل شعرة نفسًا يبذلها في حبه ومرضاته ويود أن لو قتل فيه ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى ثم قتل فهو يفدي بنفسه حبيبه وعبده ورسوله ولسان حاله يقول:

يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له ... أعز من نفسه شيء فداك به

فهو قد سلم نفسه وماله لمشتريها وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل

---

(١) الكلم بفتح الكاف وإسكان اللام: الجرح، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١٢، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦، ومسلم ١٨٦٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٤) شجرة المعارف والأحوال ٣٥٤.

ثمنها)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل آثار الأعمال الصالحة:

يترتب على بعض العبادات آثار حسية تظهر للعيان، وبعض هذه الآثار أحب إلى الله سبحانه وتعالى. وذلك واضح في قوله ﷺ: ((ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين... وأما الأثران فأثر في سبيل الله تعالى، وأثر في فريضة من فرائض الله تعالى)).

قال الطيبي: (قوله "وأثر في فريضة" قال القاضي ناصر الدين البيضاوي: الأثر بفتحتين: ما بقي من الشيء دالاً عليه. والمراد بالأثر من آثار خطى الماشي في سبيل الله والساعي في فريضة من فرائضه أو ما يبقى على المجاهدين من أثر الجراحات، وعلى الساعي التعب في أداء الفرائض والقيام بها والكد فيها، من علامة ما أصابه فيها، كاحتراق الجبهة من حرّ الرمضاء التي يسجد عليها وانفطار الأقدام من برد الماء الذي يتوضأ به)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((والذي نَفْسي بيده، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله - والله أعلمُ بَمن يُكلَمُ في سبيلهِ - إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[٣].

وقال النبي ﷺ أيضًا: ((ما شَحَبَ وجهٌ ولا اغْبَرَّت قدم في عمل يبتغي فيه درجات الآخرة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله))[٤].

قال ابن حجر: (إن الصفة المذكورة "الريح ريح المسك" لا تختص بالشهيد بل هي حاصلة لكل من جرح، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الجرح هو ما يموت صاحبه بسببه قبل اندماله لا ما يندمل في الدنيا فإن أثر الجراحة وسيلان الدم يزول، ولا ينفي ذلك أن يكون له فضل في الجملة)[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٤/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٨/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٠٣، ومسلم ١٠٥-١٨٧٦.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤٥/٥ رقم ٢٢١٢٢، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٤٣٢/٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/٦.

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية يبين الحقائق للمدعوين ويوضحها لهم حتى يتصرفوا في ضوئها، ليحققوا الصلاح والنفع لهم في الدنيا والآخرة. وقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن أحب الأشياء إلى الله تعالى، وذلك ليمتثلها المدعوون بعد معرفتهم بها وإدراكهم إياها. ومن هذا القبيل ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: ((يا نبي الله، حدِّثني بعمل يدخلني الجنة لا أسألك عن شيء غيرها، قال نبي الله ﷺ: بخ، بخ، لقد سألت بعظيم، لقد سألت بعظيم، ثلاثًا. وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، وإنه ليسير على من أراد الله به الخير، فلم يحدثه بشيء إلا قاله له ثلاث مرات، - يعني أعاده ثلاث مرات حرصًا لكيما يتقنه عنه - فقال نبي الله ﷺ: تؤمن بالله، واليوم الآخر، وتقيم الصلاة، وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئًا، حتى تموت وأنت على ذلك، فقال: يا نبي الله، أعد لي، فأعادها له ثلاث مرات، ثم قال نبي الله ﷺ: إن شئت حدَّثتك يا معاذ برأس هذا الأمر، وقوام هذا الأمر، وذروة السنام، فقال معاذ: بلى، بأبي وأمي أنت يا نبي الله، فحدِّثني فقال نبي الله ﷺ: إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله، إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل))[1].

ومن قبيل بيان الحقائق، ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ. فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّهِ))[2]. قال النووي: (قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير، لأن

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤٥/٥ رقم ٢٢١٢٢، وقال محققو المسند: صحيح بطرقه وشواهده ٤٣٢/٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٠، ومسلم ٢٩٦٣ واللفظ له.

الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلب نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه. هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما من نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير)[1].

خامسًا - من أساليب الدعوة: النفي، والتفصيل بعد الإجمال:

أما النفي فقوله ﷺ "ليس شيء أحب إلى الله" ليثبت الأفضلية لما يذكره بعد ذلك، كما أنه ﷺ فصّل بعد إجمال في قوله: قطرتين وأثرين، وفي هذا جذب لأسماع المدعوين لمعرفة تفصيل هذا الإجمال.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

من فضل الله أنه جعل البكاء سبيلاً لتفريغ شحنة الحزن أو زيادة الانفعال والتي تؤدي في حال البقاء إلى أمراض عضوية جسيمة فكان البكاء في ذاته شفاء من بعض الأمراض.

والإسلام راعى هذه الفطرة، فلم يحرم البكاء، بل جعل الدمع دليل رقة القلب، وجعل البكاء من الخشية دليل الخوف، وما كان الله ليجمع على عبده مشقتين في وقت واحد، خوف من الله دفعه إلى البكاء وعذاب يصاب من جرائه بالشقاء.

إن رسول الله ﷺ قد لفت نظرنا إلى خير البكاء، بل وقع منه ذلك، فلقد بكى لفراق إبراهيم ابنه، وقال: "إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن... وخير البكاء ما كان لسماع نص قرآني واستشعار خوف من الله خوفاً يستحضر الإنسان معه عظمة عظمة الله استحضاراً يدفعه إلى هطول الدمع من عينه ليغسل بهذا الدمع ذنوبه.

فيكون الحجب من النار تحقيقاً لوعد الرسول ﷺ فيما أخبر عن ربه. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - التربية بالحوار:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والسنة النبوية رائدة في استخدام هذا الأسلوب، ومن الشواهد في باب فضل البكاء قوله ﷺ: في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ...»، فهذا توجيه نبوي حواري بين هذا الصحابي الجليل ظهر منه أهمية الحوار النبوي وأثره في عملية التربية حيث دل هذا الحوار على أهمية تدبر القرآن عند تلاوته أو سماعه حتى يكون له أثر على النفس.

"ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة، لما له من فوائد تربوية كجذب الانتباه، وشحذ الذهن، كما أن الحوار يعمل على تحقيق الإقناع، لذا ينبغي للمعلم أن يُعوِّد طلابه على الحوار ليقوي الحجة لديهم ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة

بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على استفساراتهم حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يغيرهم ذلك"[١].

ثانيًا - التربية بالموعظة:

من أساليب التربية الإسلامية: التربية بالموعظة التي تعد من أوسع أساليب التربية انتشارًا. ومن الشواهد على ذلك في باب البكاء... قوله ﷺ عن أنس رضي الله عنه، قال: خَطَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

فهذا توجيه نبوي ظهر منه أسلوب التربية بالوعظ، وماله من تأثير في عملية التربية مع الصحابة رضي الله عنهم، وظهر هذا في قوله ﷺ: «فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ ولَهُمْ خَنِينٌ» من أثر هذه الموعظة، والتربية بالموعظة من أكثر الأساليب تغطية للمواقف التربوية فلا يكاد يخلو موقف تربوي من المواعظ والنصائح والإرشاد التي توجه للمتربين ولا يكاد يستغنى عن هذا الأسلوب مربٍ من المربين، ولقد أكد الإسلام على الموعظة كأسلوب تربوي مهم في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة تحقق الخير لهم ولغيرهم فدعا الحق تبارك وتعالى إلى الاهتمام بالموعظة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[٢].

وحتى تحقق الموعظة آثارها التربوية لابد من مراعاة عدد من الأمور والتي من أبرزها ما يلي:

١ - إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام.

٢ - اتباع التدرج في النصح والإرشاد.

٣ - تخير وقت الوعظ حين تكون النفس هادئة ومرتاحة.

٤ - تنويع الأسلوب المباشر وغير المباشر في النصح والتوجيه[٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٢.

(٢) سورة يونس، آية: ٥٧.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص ٨٣.

ثالثًا: التربية بضرب الأمثال:

من أساليب التربية الإسلامية الأمثلة، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل البكاء. قوله ﷺ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ».

وقد استخدم النبي ﷺ الأمثلة لأجل ترسيخ المعاني في الأذهان وتقريبها للأفهام، وحمل النفوس على طاعة الله وخشيته واجتناب معاصيه.

والأمثلة تستخدم لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، أو لتقريب محسوس غامض وبعيد إلى محسوس آخر أكثر منه وضوحًا وقربًا، وذلك حتى يدركه الإنسان ويتفهمه، قال ابن خلدون: ينبغي الحث على الاعتماد على الأمثلة الحسية في تفهيم المتعلمين، ولا سيما في البداية، وعلماء التربية الإسلامية كثيرًا ما كانوا يسوقون الأمثلة لتوضيح المعنى المقصود من توجيهاتهم ونصائحهم المربية[(١)].

والأمثال هنا مصنفة حسب دلالتها ومغزاها، والمثال مضروب للاعتبار والتحذير، وذلك لأن التربية بالأمثال طريقة تربوية قائمة بذاتها توظف العقل والوجدان، وتربيتها تعمل على تحقيق أهدافها الاعتقادية والسلوكية، كما أنها طريقة ذات نتائج فعالة في حياة الفرد والجماعة ذات أثر عميق في النفس والسلوك، وفي كيان المجتمع وتكوين علاقاته[(٢)].

رابعًا - التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب، وذلك لتماشيه مع الطبيعة البشرية، وهو من الأساليب المهمة في عملية التربية، ومن الشواهد على الترغيب في هذا الباب: قوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...».

فهذا توجيه نبوي تربوي يرغب في الجنة، وظل الله تعالى الذي لا ظل أعظم من ظله. ولقد عود الرسول ﷺ على استعمال هذا الأسلوب كثيرًا في عملية التنشئة.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص ١٩٦، أدب الدين والدنيا، الماوردي، ص ٢٣.

(٢) التربية بضرب الأمثال، عبدالرحمن النحلاوي، ص ١٠.

ولا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج مثمرة وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة، وكل هذا فطرة فيه ورغبة في اللذة والنعيم والرفاهية تكون مقابل القيام بعمل صالح[١].

ومن أنواع الترغيب في التربية الإسلامية التحفيز والشاهد على ذلك قول النبي ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى أُبَيٌّ»، فهذا تحفيز لأبي بن كعب لتميزه عن الصحابة في حفظ القرآن، وهذا تحفيز ودافع تجاه الخير والسلوك الحسن وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء حرصًا على نيل ما حفز عليه وخشية فواته[٢].

خامسًا - التربية على القيادة:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على غرس روح القيادة، وهذا ما أراد النبي ﷺ تعميقه في نفس وشخصية الصحابة رضي الله عنهم، ومن شواهد ذلك في الباب عندما اشتد برسول الله ﷺ المرض فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة رضي الله عنها: ...».

فهذا توجيه نبوي ظهر منه التربية على غرس القيادة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم، وتربية كذلك على إنزال الناس منازلهم، يتضح ذلك من تحديد النبي ﷺ واختياره لأبي بكر رضي الله عنه صاحب المنزلة والمكانة المعروفة.

"إن الحاجة تدعو إلى قيادة ماهرة في صفوف المسلمين من الشباب، فيجب الاعتناء باختيار العناصر التي تملك السمات القيادية والحرص عليها، والاعتناء بإبراز السمات القيادية أمام الشباب، وإبراز النماذج القيادية في سير السلف، وإتاحة فرص عملية

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٢١٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٢١٩.

لممارسة المهمات القيادية من خلال الأنشطة التربوية"[١].

سادسًا - التربية على غرس قيمة الوفاء:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية غرس قيمة الوفاء، ولقد حرص النبي ﷺ على ذلك في تربيته للصحابة، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل البكاء:

قول أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: «بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا. كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَزُورُهَا...»، فهذا نهج تربوي ظهر منه الوفاء سجية في خلق الصحابة رضي الله عنهم، "والوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى لأنه يربي دعائم الثقة في الأفراد ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع، كما أن له أهمية عظيمة على المستويين النفسي والاجتماعي، ونعني بالجانب النفسي ارتفاعه بصاحبه إلى المستوى الإنساني"[٢].

مما يعمق التواصل الاجتماعي بين المسلمين، إنها تربية إسلامية عظيمة على معاني البر والوفاء بعد موت النبي ﷺ، فقد رأى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أن من البر والوفاء للنبي ﷺ أن يزورا أم أيمن رضي الله عنها.

سابعًا - التربية بذكر سير الصحابة رضي الله عنهم:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بذكر سير الصحابة رضي الله عنهم لما لها من خلفية تربوية لا يحققها لون آخر من ألوان الأداء اللغوي، ومن شواهد هذا الباب قول إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أتى بطعام، وكان صائمًا، فقال: قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطى بها رجلاه بدا رأسه.

فهذا توجيه تربوي ظهرت منه سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه كأسلوب تربوي يتعلم منه التقلل من الدنيا وزينتها، والحذر من التوسع فيها والاشتغال بها، والتقصير عن الواجبات بسببها، وذلك من خلال ذكر سير وقصص الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، الدويش، ص ١٣٤.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٦٣٩.

"ولقد امتازت القصة بميزات جعلت لها آثارًا نفسية وتربوية بليغة محكمة، بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة، ومن حيوية وحركية في النفس تدفع الإنسان إلى تغير سلوكه وتعديد عزيمته، بحسب مقتضى القصة وتوجيهها، والقصة لها أهمية تربوية تشمل في:

١ - شد القارئ وتوقظ انتباهه دون توانٍ أو تراخ.

٢ - تعاملها مع النفس البشرية في واقعيتها الكاملة، متمثلة في أهم النتائج التي تريد السنة إبرازها للكائن البشري فيعرضها عرضًا صادقًا يليق بالمقام ويحقق الهدف التربوي من عرضه.

٣ - الإقناع الفكري بموضوع القصة"[١].

"وتعتبر القصة أحد عناصر التوجيه المباشر في إطار أساليب التربية، والقصة لابد أن تنتهي حتمًا إلى عبرة، وغالبًا ما توصف القصة بالتشويق وسهولة الأسلوب وتسلسل الأحداث وترابطها، مما يساعد على تعلق السامع بالقصة"[٢].

ثامنًا - من الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية، منها:

أ - المناقشة: كحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ: "اقرأ عليّ القرآن" قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ والمناقشة من الأساليب التي تُفعّل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع الملل عن المتعلمين وترفع دافعية المتعليم للتعلم.

ب - الإلقاء: كما في قوله ﷺ: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع..." الحديث. وأسلوب الإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويُمَكِّن الإلقاءُ المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٨.

ج - الممارسة العملية: كما في قول عبدالله بن الشِّخير رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلّي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء. ولا شك أن الممارسة العملية من الأساليب التي تتميز ببقاء الأثر طويلاً في نفوس المتعلمين.

د - الموعظة: كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون" الحديث. والموعظة تستخدم في الكثير من الجوانب الحياتية المختلفة: فالآباء يستخدمونها في الكثير من الأمور التي يريدون تعليمها لأبنائهم، وتعد الموعظة من الأساليب التربوية التي تتميز بشدة بقاء أثر التعلم؛ فهي تكون نصب عين من تعلمها ووجهت إليه من قبل الآباء والمعلمين والأفراد الذين تتاح لهم الفرص لاستخدام الموعظة في حياتهم.

٥٥ - باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس: ٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف: ٤٥ - ٤٦]، وقال تَعَالَى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[الحديد: ٢٠]، وقال تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[آل عمران: ١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[فاطر: ٥]، وقال تَعَالَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾[التكاثر: ١ - ٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ

وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت: ٦٤] والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأما الأحاديث فأكثر مِنْ أن تحصر فننبِّهُ بطرف منها عَلَى مَا سواه:

الحديث رقم (٤٥٦)

٤٥٦ - عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ أَبَا عبيدة بنَ الجرَّاح رضي الله عنه إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأتِي بِجِزْيَتِهَا[1]، فَقَدِمَ بمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدُومِ أَبي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلاَةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رسولُ الله ﷺ، انْصَرفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رسولُ الله ﷺ حِيْنَ رآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: ((**أَظُنُّكُمْ سَمِعتُمْ أنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟**)) فقالوا: أجل، يَا رسول الله، فقال: ((**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَى[2] أنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عمرو بن عوف الأنصاري: هو عمرو بن عوف الأنصاري ويقال له: عُمير. وذهب الحافظ ابن حجر إلى أن اسمه: عمرو. وتصغيره: عمير.

وهو حليف بني عامر بن لؤي. وقيل: كان مولىً لسهيل بن عمرو العامري.

كان من مولدي مكة وأسلم بها وهاجر إلى المدينة فارًّا بدينه إلى الله. وشارك في الدفاع عن الإسلام وساهم في قتال أعدائه وحمى قافلة الدعوة إلى الله حتى تصل إلى الناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا تحريف، فشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها.

---

(١) عندهما زيادة: (وكان رسول الله ﷺ هو صالح أهل البحرين، وأمّر عليهم العلاء بن الحضرميّ).

(٢) عندهما زيادة: (عليكم).

(٣) أخرجه البخاري ٤٠١٥، ومسلم ٦/٢٩٦١ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٥٨.

وظلّ بالمدينة حتى توفي في خلافة عمر بن الخطاب فصلى عليه عمر. وليس له إلا هذا الحديث الواحد، رواه عنه الصحابي المسور بن مخرمة[١].

غريب الألفاظ:

الجزية: المال الذي يُعقد للكتابي عليه الذمة[٢].

فتعرضوا له: سألوه بالإشارة دون تصريح[٣].

أمِّلُوا: ترقَّبوا وانتظروا[٤].

تبسم الرسول ﷺ حدث تخشع له الأبصار، وتلتفت إليه الأنظار، وينشر البشر، والسرور على كل من حوله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي يوحى إليه؛ فإن تبسم، فهي بشرى تُزف إليهم بخير قادم، وإذا تبسم لأحد منهم كان دلالة على رضاه عنه، ولا يرضى الرسول ﷺ إلا على من أرضى الله - عز، وجل -، وقوله للوفد القادم (أظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ) استفهام تقريري فيه تودد، ورعاية حال يدل علي ذلك ما بعده من أوامر(أبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ) وهي أوامر للتبشير، وإدخال السرور عليهم، والتعبير بالبشر، والأمل، والسرور لون من مداعبة النفس بما تحب لتحقيق انشراحها، وإقبالها ثم يغرس المعنى المراد في هذه التربة المهيأة حتى تؤتي ثمرتها، ولذلك جاء استدراكه (، وَلَكِنِّي أخْشَى أنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)وبسط الدنيا كناية عن

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٧/٣، ٤٦٣/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٨٥، ٤٩٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٤٦/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٨٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٨/٥ والتهذيب ٢٩٦/٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ز ي).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٣/٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ م ل).

رغد العيش، وسعة الرزق، وفيض المال، والتشبيه يشير إلى الأمم التي اغترت بغناها فطغت، وبغت، ونصبت من نفسها مشرعاً، وحاكما، وردت منهج الرسل فدمرها الله تدميراً، وكما تفعل الأمم الطاغية في عصرنا بقوتها في ضعاف الأمم - حسبنا الله - وهذا أيضاً على مستوى الأفراد كما حدث في قصة قارون، وغيره، وقوله (فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) تشبيه لبيان الحال يحذر من التشبه بهم في المقدمة، وهي التنافس على الدنيا، فيشبهونهم في النتيجة، وهي الهلاك، والحديث فيه إشارة إلى ما ستصير إليه الأمة من الغنى، وهو من أعلام نبوته ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الجزية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين وتبشيرهم.

رابعًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التنافس في الدنيا قد يكون فيه الهلاك.

سادسًا: من تاريخ الدعوة: الإخبار عن أسباب هلاك السابقين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

من أساليب الدعوة في هذا الحديث أسلوب الإخبار، ويظهر ذلك في رواية عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين.. إلخ الحديث)، ولا شك أن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي يمكن أن يفيد منها الداعية في دعوته لأن الإخبار ينطوي على مضامين ذات فائدة ونفع بالنسبة للمدعو، سواء كان ذلك متعلقًا بأمور دنيوية أو أمور أخروية، نظرًا لأن الدعوة إلى الله تعالج قضايا الإنسان وتتسع باتساع الإسلام واستيعابه لسائر أمور الحياة الدنيوية والأخروية.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الجزية:

الجزية هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغارًا[١]، يظهر ذلك من قول عمرو رضي الله عنه: (يأتي بجزيتها)، فبعد أن تم فتح مكة في أواخر السنة الثامنة للهجرة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، واستقرت الجزيرة العربية على دين الله تعالى أمر الله سبحانه وتعالى بمجاهدة أهل الكتاب من اليهود والنصارى[٢]، في قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[٣].

بهذه الآية تم تشريع الجزية، هذا ولم يأخذ رسول الله ﷺ جزية من أحد من الكفار قبل نزول آية الجزية، فلما نزلت أخذها من نصارى نجران، ومجوس هجر ثم أخذها من أهل أيلة، وأذرح، وأهل أذرعات وغيرها من القبائل[٤].

قال د. محمد راوس قلعة جي: "أسباب فرض الجزية: أرى أن الله تعالى فرض الجزية على أهل الذمة لأمرين:

أ - إظهارًا لسيادة الدولة الإسلامية وإقرارًا من أهل الذمة بهذه السيادة.

ب - لتكون الجزية مقابل الخدمات المتعددة التي تقدمها الدولة لأهل الذمة كالأمن وبناء الجسور وغير ذلك وعلى هذا فإن الجزية تعتبر أحد الموارد المالية للدولة تستعين بها على نفقاتها العامة.

- ويشترط فيمن تفرض عليه الجزية أن يكون ذميًا من أهل القتال حين فرضت الجزية عليه، وهو قادر على الاكتساب، وعلى هذا فإن الجزية لا تفرض إلا على حرّ،

---

(١) أحكام أهل الجزية، ابن القيم، ص ٣٤/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٣/١٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٣/١٥.

عاقل، بالغ، قادر على الاكتساب، وهي لا تفرض على الراهب المتعبد في صومعته المنقطع عن الناس، ولا على مريض زمن لا كسب له، ولا على شيخ هرم لا كسب له، ولا على أعمى، ولا على امرأة لا رأي لهما في الحرب.

- أما أنواع الجزية: فالجزية على نوعين:

أ - جزية عن صلح: وذلك إذا ما هاجم المسلمون بلدًا، فعرض عليهم أهله الرجوع عنهم مقابل أن يدفعوا للمسلمين جزية مقدرة، يتم الاتفاق عليها بينهم وبين المسلمين، ثم هم يوزعون هذه الجزية بينهم على ما يرونه من المصلحة لهم.

ب - جزية عن فتح: وذلك إذا ما فتح المسلمون بلدًا ضربوا على كل واحد من أهله ممن تتوفر فيه شروط دفع الجزية مبلغًا معينًا يدفعه للدولة الإسلامية كل عام.

ومن خصائص هذا النوع من الجزية أن مقدار الجزية المفروضة على الأفراد يتغير بتغير الحال المالية لدافع الجزية، فإذا افتقر قلت عليه الجزية، وإذا اغتنى بعد فقد زيدت عليه الجزية.

أما مقدارها: فإذا أراد ولي أمر المسلمين فرض الجزية على أهل الذمة قدَّر القدرة المالية لكل واحد منهم، ويفرض عليه من الجزية ما يتلاءم مع قدرته المالية من غير إرهاق له، ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية على أهل الذمة جعل على الغني ثمانية وأربعين درهمًا في العام، وجعل على المتوسط نصفها أربعة وعشرين درهمًا، وجعل على الفقير نصفها اثني عشر درهمًا، ولا تزاد على الغني مهما كثر ثراؤه، وإذا زاد ثراء المتوسط فرضت عليه جزية الأغنياء، وإذا زاد ثراء الفقير فرضت عليه جزية المتوسطين، وهكذا، وهو أمر اجتهادي من عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وأرى أن تؤخذ الجزية من أهل الذمة اليوم بنسبة مئوية من أموالهم كما هو حال الضرائب الوضعية.

واستيفاء الجزية من حق الدولة، فإذا ضعفت الدولة عن استيفائها واستوفاها من أهل الذمة البغاة - مثلاً - فلا يحق للدولة المطالبة بها بعد ذلك، لأن أهل الذمة لا يستطيعون دفع البغاة عنهم، بل ما هم مكلفون بذلك لأن من شرط وجوب الجزية: أن تتولى الدولة الإسلامية الدفاع عن أهل الذمة.

وتسقط الجزية بواحد مما يلي: فقدُ شرط من شروط وجوب الجزية كما إذا جُن من وجبت عليه الجزية، أو أصيب بعاهة أقعدته عن الكسب ولا مال له، ونحو ذلك، وتسقط بعجز الدولة عن حماية أهل الذمة، وباشتراك أهل الذمة في الدفاع عن الوطن الإسلامي، وبإسلام الذمي وبموته.

أما مصارف الجزية: فبعض موارد بيت مال المسلمين له مصارف خاصة لا يجوز أن يصرف في غيرها، كالزكاة مثلاً، أما الجزية فإنها تدخل خزانة الفيء في بيت المال، وتُصرف من هذه الخزانة سائرُ النفقات العامة للدولة، كميزانيات الوزارات والنفقات الخاصة برئيس الدولة ونحو ذلك[1].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين وتبشيرهم:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من الحديث الرفق بالمدعوين وتبشيرهم، وهذا في قوله ﷺ: (أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم...)، قال الطيبي: (فائدة تقديم المفعول هنا الاهتمام بشأن الفقر، فإن الوالد المشفق إذا حضره الموت كان اهتمامه بحال ولده في المال، فأعلم ﷺ أصحابه أنه وإن كان لهم في الشفقة عليهم كالأب لكن حاله في أمر المال يخالف حال الوالد وأنه لا يخشى عليهم الفقر كما يخشاه الوالد ولكن يخشى عليهم من الغنى عليهم من الغنى الذي هو مطلوب الوالد لولده.

والمراد بالفقر العهدي، وهو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من قلة الشيء ويحتمل الجنس والأول أولى، ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى أن مضرة الفقر دون مضرة الغنى لأن مضرة الفقر دنيوية غالبًا ومضرة الغنى دينية غالبًا)[2].

وقال العيني: (وفيه البشرى من الإمام لأتباعه وتوسيع أملهم منه)[3].

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلع جي ٦٣٢/١.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٣/٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨١/١٥.

في هذا الحديث يبشر الحبيب المصطفى ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالبشرى في نصيبهم من أموال الجزية، فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الرفق وتبشير المدعوين بالخير فلقد تحلى قدوة الدعاة، النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع مَنْ دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاحه في دعوته ﷺ.

وقد حثّ النبي ﷺ المسلمين عامة، ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق فمن ذلك: ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ))[1].

وعن عائشة النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[2].

فبالرفق تُساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطى الدواء لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل[3]، وتبشير المدعوين بالخير يجعل المدعوين يقبلون على الأعمال الطيبة رغبة في المبشرات وقد كان إمام الدعاة محمد ﷺ يبشر أصحاب رضي الله عنهم بالخير لشحذ هممهم ويُفرح قلوبهم فينغي على الدعاة إلى الله أن يتحلوا بصفة الرفق مع المدعوين وأن يبشروهم بالخير.

رابعًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا:

يقع على الداعية عبء تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا، ويظهر ذلك في قول رسول لله ﷺ: (... ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم...إلخ الحديث)، قوله (فتهللكم)، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت أن يحذر من سوء عاقبتها وشر فتنتها فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٧٤ - ٧٥، وصفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٥٤ - ٥٦.

ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأنه فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمن ذلك)[١].

فإن هذا الأمر هو الأخطر، وفي ذلك تصبير لمن يعيش حالة الفقر بأن حالته أخف ممن يعيش التنافس على الدنيا، وفيه تحذير من هذا التنافس، لأن التركيز على أمور الدنيا يؤدي إلى خسارة الآخرة، ولا بد من التوازن بينهما كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٢]، وليس كل من كان يريد الدنيا ينالها إذ بيّن الله تعالى في قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[٣]، فالاستجابة لمن يطلب الدنيا متوقفة على مشيئة الله تعالى، وليست لكل من يرغبها.

وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى فقد قال: ((مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ))[٤].

فالداعية ناصح أمين فيجب عليه تحذير المدعوين من الانصراف إلى الدنيا إذا فتحت عليهم لأن ذلك قد يكون سبب الهلاك كما قال رسول الله ﷺ: ((لا تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ أَلْقَى اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ))[٥]،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/١١.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة ٤١٠٥، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة ٣٣١٣.

(٥) أخرجه أحمد ١٦/١، وقال: أحمد شاكر في التعليق على المسند ٩١/١ - ٣١: إسناد صحيح كما ورد في كتاب: رياض الدعاة والمصلحين، إعداد: بهاء الدين عقيل، د. عبد العزيز مصطفى، خرج أحاديثه: فتحي الجندي هامش ٥٨٤.

فينبغي على الداعية تحذير الناس من الانصراف إلى الدنيا ونعيمها الزائل والاهتمام بالآخرة ونعيمها الباقي.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التنافس في الدنيا قد يكون فيه الهلاك:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "فتنافسوها" كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"، فالتنافس في الدنيا يجر الإنسان إلى فساد الدنيا والدين؛ لأن المال مرغوب فيه، فترتاح النفس لطلبه، فتتمتع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك[1]، وذلك؛ لأن الدنيا تميل إليها القلوب وتأمل الإكثار من لذاتها وزينتها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2]، قال السعدي: (أخبر تعالى عن إيثار الناس الدنيا على الآخرة فأخبر أن الناس زُينت لهم هذه الأمور، فرموها بالأبصار، واستحلوها بالقلوب، ومالوا إليها وجعلوها أكبر همهم)[3].

كل هذه المفاتن جعلت الناس يتنافسون في الإكثار من الأموال وغيرها من مفاتن الدنيا، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[4]، أي: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها[5]، فالتنافس في الدنيا وترك الآخرة فيه هلاك الإنسان وهذا ما ينبغي أن يبينه الدعاة إلى الله.

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٥٢٨/١ - ٥٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٠٢.

(٤) سورة التكاثر، آية: ١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٢/٨.

سادسًا - من تاريخ الدعوة: الإخبار عن أسباب هلاك السابقين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"، فقد بيّن رسول الله ﷺ من أسباب هلاك السابقين التنافس في الدنيا، وذلك لأن التنافس في الدنيا حملهم على البغضاء والحسد والبخل، قال رسول الله ﷺ: ((... وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))[1].

فحذر رسول الله ﷺ أمته من التنافس لما فيه من حسد وبغضاء وحرص على عدم الإنفاق - البخل - ولأن ذلك كان من أسباب هلاك بعض السابقين.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

الحديث رقم (٤٥٧)

٤٥٧ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ: جلس رسولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: ((إنَّ مما أخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

زهرة الدنيا: حُسنها وبهجتها وكثرة خيرها[2].

الرسول ﷺ في هذا الحديث يخبر صحابته بأمر غيبي وهو إقبال الدنيا على المسلمين بعد الشدة التي عاشوا فيها ويحذرهم من الركون إليها والانشغال بمتعها حتى لا تطغى على آخرتهم، وهو يخاطب في صحابته بهذا الحديث كل الأجيال المسلمة إلى قيام الساعة حتى لا تشغلهم مباهج الحياة فينسون الآخرة، وإذا تتبعنا الأسلوب البياني للرسول ﷺ من بداية الحديث نجده ﷺ يبدأ بأسلوب التوكيد الذي يمهد النفوس لاستقبال الخبر، ولا سيما إذا كان الخبر من الأمور المستقبلية، لذا جاء قوله ﷺ (إن مما أخاف عليكم بعدي...) مؤكداً بإن مع اسمية الجملة، لأن الخبر غريب منتظر، وهو ليس تحذيراً من شر كالعادة في التحذير، ولكنه تحذير من خير مما زاد الأمر غرابة مما استدعى توكيد الجملة بأكثر من مؤكد ليمهد تربة القلوب لاستقبال بذور المعنى حتى تنبت شجرة الوعي واليقظة للتغيرات الشاملة لأكثر مناحي الحياة التي ستمر بها الأمة المسلمة من اتساع سلطانها وسعة أرزاقها وتعدد مصادر الخير التي يمكن أن تؤدي بهم إلى الغفلة والتفريط في شيء من شريعتها ومنهجها أو التكاسل في القيام بها، ثم يأتي حرف الجر (من) في قوله: (ما يفتح عليكم من زهرة

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٥، ومسلم ١٠٥٢/١٢٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ ر).

الدنيا) للإشارة إلى كثرة المخاوف وتجددها وأن أشدها الغرور بمباهج الحياة، ثم يأتي استخدام الموصول (ما) وما يفيده من إبهام يحيط بكل المباهج التي يمكن أن يصل إليها الذهن، ويتخيلها كل متلقي ويمكن أن تشغله عن الآخرة وتحمله على ارتكاب الخطايا ثم تأتي صيغة المبني لما لم يسمَّ فاعله (يُفتح) إشارة إلى أن تلك المباهج من أموال وأولاد وسلطان ليست محض كسب الإنسان وإنما هي فتح وعطاء من الله، وهذا الفهم يعالج في النفوس شعورها بالحرمان ويوجهها إلى طلب الفضل من الله مع ضرورة الرضا بقسمته تعالى.

ثم تأتي الاستعارة في إطار التحذير من الافتتان بالدنيا، وشهواتها في قوله ﷺ: (من زهرة الدنيا...) فقد استعار لفظ (الزهرة) وهي مأخوذة من زهرة الأشجار، وهو ما يصغر من أنوارها[1] لمباهج الدنيا وزينتها بجامع المظهر الخلاب مع قلة بقائه وسرعة فنائه في كل. ثم حذف المشبه به واستعمل لفظ المشبه به "الزهرة" في المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

واستعارة الزهرة لمباهج الحياة وجذبها للنظر مع سرعة تحولها يوحي بعدة دلالات منها:

أ- أن هذه المباهج سريعة التحول والانتقال بكثرة مكدراتها من هم ومرض أو خوف الزوال أو موت الإنسان أو ذهاب هذه المباهج من مال أو سلطان أو ولد وهذا مفهوم من حال اللفظ المستعار (الزهرة) إذ أن الزهرة سريعة التحول والذبول وهي أقصر أجزاء النبات عمراً وهذه الإشارة تجعل المتلقي لا يتعلق بزينة الدنيا، وزخرفها على حساب آخرته؛ لعلمه بتحولها السريع، أو تحوله المريع.

ب- أن هذه المباهج خداعة تخطف الأبصار وتأخذ بالألباب وتسر النفوس وتحدث نوعاً من الانفعال المغري بالانجذاب لها، وهذه الإشارة مفهومة من حال الإنسان أمام سحر الزهور وإعجابه الفطري بلونها وعبقها وارتياح النفوس لها، وفي هذه الإشارة تنبيه للإنسان بعدم الانخداع بظاهر المتاع دون التفكير في جوهره.

---

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري ١/٤١٣، مادة (زهر) وعمدة القارى ٦/٤٨٠.

ج- الزهرة دائماً تبشر بالثمرة لأنها أول مراحل الإثمار، وهذا التبشير في حال الزهرة يشبه تبشير الرسول ﷺ بإقبال الدنيا على أمته.

د- في الزهرة إشارة رقيقة إلى أهم مباهج الحياة ومادة التجدد وعنصر الاستمرار وهو الأولاد؛ لأن الزهرة تحمل البذور التي هي مادة تجدد النبات واستمراره.

هـ يؤخذ من سرعة التحول والذبول المفهوم من حال الزهرة ضرورة الإسراع في استغلال هذه المباهج من مختلف الخيرات بالنفقة فيما يرضي الله من المال وغيره والتنشئة الصالحة للولد حتى ينشأ جيل صالح يحمي الأمة، وأن التواني في ذلك ضياع لهذه النعم أو تحول.[1]

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

آداب الخطبة:

أ - استقبال الإمام القوم، واستقبال الناس الإمام إذا خطب:

ذهب الجمهور إلى أنه يستحب للخطيب استقبال القوم بوجهه، إذا خطب، يقبل عليهم في جميع خطبتيه، ولا يلتفت في شيء منهما.

كما يستحب للقوم الإقبال بوجههم عليه، لحديث الباب، ولحديث عدي بن ثابت عن أبيه قال: كان النبي ﷺ إذا قام على المنبر استقبله أصحابه بوجوههم[2].

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، يستحبون استقبال الإمام إذا خطب[3].

ولأنه الذي يقتضيه الأدب، ومكارم الأخلاق، كما أنه أبلغ في الوعظ، وحسن الإصغاء[4].

---

(١) انظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١١٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٩٣٢).

(٣) سنن الترمذي ١٣٤ بعد الحديث ٥٠٩.

(٤) الفتاوى الهندية ١٤٦/١، والقوانين الفقهية ٨٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٨/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٠٣/٢.

قال إمام الحرمين: (سبب استقبالهم له واستقباله إياهم واستدباره القبلة: أن يخاطبهم فلو استدبرهم كان قبيحًا خارجًا عن عرف الخطاب ولو وقف في آخر المسجد واستقبل القبلة فإن استدبروه كان قبيحًا وإن استقبلوه واستدبروا القبلة، فاستدبار واحد واستقبال الجمع أولى من عكسه)[١].

ب - قيام الخطيب أثناء الخطبة:

اختلف الفقهاء في حكم قيام الخطيب أثناء الخطبة:

فذهب الحنفية والحنابلة وابن العربي من المالكية: إلى أن قيام الخطيب أثناء الخطبة سنة، ولا يجب؛ لأنه ليس من شرطها استقبال القبلة، فلم يجب لها القيام، كالأذان. وذهب الشافعية وأكثر المالكية: إلى أن قيام الخطيب - مع القدرة - حال الخطبة شرط وذكر الدردير من المالكية: أن الأظهر أن القيام واجب غير شرط، فإن جلس أساء وصحت.

وقال الشافعية: فإن عجز عن القيام خطب قاعدًا فإن لم يمكنه خطب مضطجعًا كالصلاة، ويجوز الاقتداء به سواء أقال لا أستطيع أم سكت؛ لأن الظاهر أن ذلك لعذر، والأولى له أن يستنيب.

ودليل الشافعية أحاديث منها: عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائمًا. فمن نبأك أنه كان يخطب جالسًا فقد كذب[٢].

وقد دخل كعب بن عجرة رضي الله عنه المسجد وعبدالرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا. فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[٣])[٤].

---

(١) نهاية المطلب في دراية المذهب ٥٤٧/٢، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم ٨٦٢، ٣٥.

(٣) سورة الجمعة، آية: ١١.

(٤) أخرجه مسلم ٨٦٤، ٣٩.

وقد أجاب الشافعي عن حديث أبي سعيد الخدري "أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله" - وهو حديث الباب - أجاب عنه أنه كان في غير جمعة[١]. قال الصنعاني: (وهذه الأدلة تقضي بشرعية القيام والقعود المذكورين في الخطبة، وأما الوجوب وكونه شرطًا في صحتها فلا دلالة عليه في اللفظ إلا أنه قد ينضم إليه دليل وجوب التاسي به ﷺ وقد قال: ((**صلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**))[٢] وفعله في الجمعة في الخطبتين وتقديمها على الصلاة مبين لآية الجمعة فما واظب عليه فهو واجب وما لم يواظب عليه كان في الترك دليل على عدم الوجوب فإن صحّ أن قعوده في حديث أبي سعيد كان في خطبة الجمعة كان الأقوى القول الأول [وهو الجلوس سنة] وإن لم يثبت ذلك فالقول الثاني)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التخويف من زخارف الدنيا والحرص على الزهد فيها.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

خامساً: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته وحرصه على نجاتها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "جلس رسول الله ﷺ" حيث أخبر عن جلوس رسول الله ﷺ على المنبر وجلوسهم حوله وقوله ﷺ لهم، وقد أفاد هذا الإخبار حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ وإصغائهم لكلامه، وكذلك شفقة النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم وخوفه من أن يقبلوا على الدنيا وزخارفها.

---

(١) انظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٩٠.

ثانياً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنّ مما أخاف..." حيث أفاد التوكيد في هذا الحديث شدة خوف النبي ﷺ من الانبهار والإقبال على الدنيا وافتتان الناس بها. ولقد استخدم النبي ﷺ، التأكيد لكونه من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره ما أمكن والأمر إذا ما أكد انتهى إلى الرسوخ في النفوس على أنه حقيقة ثانية[١].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: التخويف من زخارف الدنيا والحرص على الزهد فيها:

حذر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم من التنافس في الدنيا والغفلة عن الزهد فيما يتيسر لهم من زينة الدنيا وبهجتها[٢]، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إنّ مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها).

قال النووي: (حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها، وذلك لأن الذي يحصل من زهرة الدنيا ليس بخير وإنما هو فتنة لما تؤدي إليه من المنافسة والاشتغال بها عن كمال الإقبال على الآخرة)[٣]، قال الحسن البصري: (والله ما أحد من الناس بسط له في أمر من أمور دنياه، فلم يخف أن يكون ذلك مكراً به واستدراجاً له إلا نقص ذلك من عمله ودينه وعقله، ولا أحد أمسك الله الدنيا عنه، ولم ير أن ذلك خيراً له إذا نقص من عمله وبان العجز في رأيه. وكان يقول: إن الله عز وجل ليعطي العبد من الدنيا مكراً به ويمنعه نظراً له)[٤]، وإن الله تعالى بيّن أن الكفار هم الذين يغترون بزينة الدنيا وزخارفها فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٥].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٣٠١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٣٠٩.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

(٤) الزهد، الحسن البصري، ص ٤٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٢.

والحرص على الزهد في الدنيا لليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1]، وكان رسول الله ﷺ أزهد الناس في الدنيا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ، الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ، أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ))[2]، فينبغي على الداعية أن يخوّف الناس من الاغترار بزخارف الدنيا، ويدعوهم إلى الزهد فيها.

ما يعين على الزهد: إن الذي يصحح هذا الزهد ثلاثة أشياء:

أحدهما: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر فهي كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾[3].

الثاني: علمه أن وراءها دارًا أعظم منها قدرًا وأجل خطرًا وهي دار البقاء، فالزاهد فيها لكمال الرغبة فيما هو أعظم منها.

الثالث: معرفته وإيمانه الحق بأن زهده فيها لا يمنعه شيئًا كتب له منها وأن حرصه عليها لا يجلب له ما لم يقض له منها فمتى تيقن ذلك ثلج له صدره وعلم أن مضمونه منها سيأتيه.

فهذه الأمور تسهل على العبد الزهد في الدنيا وتثبت قدمه في مقامه[4].

وللزهد أقسام، قال ابن القيم: الزهد أقسام:

١ - زهد في الحرام وهو فرض عين.

٢ - وزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قويت التحق بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًا.

٣ - وزهد في الفضول وهو زهد النفس حيث تهون عليه نفسه في الله.

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢ هذا والأَدَمُ: الجلد.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٢٥٤، ٢٥٥.

٤ - وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى ما عند الله وفي كل ما يشغلك عن الله [١].

رابعاً - من أساليب الدعوة: التحذير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنّ مما أخاف عليكم" حيث حذر الصحابة رضي الله عنهم من انفتاح الدنيا عليهم.

والتحذير من الأساليب الدعوية المهمة التي تفيد في زجر المدعو عن الأمور التي حُذّر منها، وقد جاء التحذير في هذا الحديث لتنبيه الناس إلى خطورة الانقطاع للدنيا والإقبال عليها بالطريقة التي تُنسي الإنسان آخرته، وتجعله مقصراً في التزود من الأعمال الصالحة.

خامساً - من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته وحرصه على نجاتها:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته، وحرصه على نجاتها، وهذا يظهر في خوفه على أمته من انفتاح الدنيا عليهم فتفتنهم عن الآخرة.

ورسول الله ﷺ هو رحمة الله للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [٢].

وشفقة النبي ﷺ بأمته وحرصه على نجاتها لم تفارقه لذلك بشر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بفوائد الشفقة والتي منها أهم فائدة: أنها تكون سببًا للنجاة من النار؛ فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ. وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا. رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ. فَيُقَالَ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ. لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ. وَهُوَ

---

(١) الفوائد لابن القيم، ص ١١٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً. فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَهُنَا. فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ))[١]، هذه هي شفقة النبي ﷺ بأمته وحرصه على نجاتها.

فقد كان ﷺ رحيماً في كل المواطن، وكانت عيناه تفيضان بالدموع عندما يفيض قلبه بالرحمة، وقد يُسمع صوت بكائه عليه الصلاة والسلام، ولم يفقد الرحمة حتى في المواقف التي يضطهد فيها، يُضيق عليه أهل مكة الخناق هو وأصحابه، بل يؤذونه ويعذبون أصحابه فيقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُون))[٢].

وفي يوم الفتح صنع بمن حاربه السنين الطويلة ووقف في وجه الدعوة وقتل أصحابه فعل بهم كما فعل يوسف عليه السلام بأخوته عندما قال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٣]، وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٤].

وكانت رحمته تسع جميع الناس، ويحس بها كل الناس الضعفاء والأقوياء على حد سواء[٥]، وعندما طلب منه أن يدعو على المشركين قال: ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))[٦]. من فوائد الشفقة:

١ - طريق موصل إلى الجنة.

٢ - دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٣ - تثمر الألفة والمحبة بين الناس.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٩٠.

(٣) سورة يوسف، آية: ٩٢.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٥٥/٤.

(٥) رحمة الله "أسبابها آثارها"، مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن إدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: العدد ٤٥، ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤١٦هـ، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٩٩.

٤ - مظهر من مظاهر مراقبة الله عز وجل.

٥ - الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

٦ - دليل على قرب العبد من ربه ومحبته له[١].

وبهذه الرحمة والشفقة وما تفعله من آثار وما تتصل به من صفات الجلال والكمال أنشأ الرسول ﷺ الأمة الإسلامية[٢].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢٣٩٢/٦.

(٢) تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، إعداد: د. إسحاق بن عبدالله السعدي، سلسلة الرسائل العلمية (٤٩) عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٥٠٢/١.

الحديث رقم (٤٥٨)

٤٥٨ - وعنه: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإنَّ الله تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

خَضِرة: غضة ناعمة طريَّة[2].

جاءت عبارته ﷺ : (إن الدنيا حلوة خضرة) لتجلّي أبعاد أكثر مباهج الدنيا خطورة وهو المال وتبيّن وجه الانتفاع به فبدأ العبارة بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة ولعل السبب في هذا التوكيد يرجع إلى تمكُّن الرغبة للمال وحبه في نفوس الناس وانشغالهم عن خطره فجاءت هذه المؤكدات عناية بالأمر وتنبيهاً إلى خطره، وقوله ﷺ : (الدنيا خضرة حلوة) (ليس هو صفة الدنيا، وإنما هو للتشبيه كأنه قال: الدنيا كالبقلة الخضراء الحلوة) ووجه الشبه إقبال النفس عليه وسرورها به، وهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة مما أعطى المعنى تأكيداً يفيد شدة التشابه في الصفة بين المشبه والمشبه به، والتعبير بالاستخلاف يوحي بتبادلها من خلفاء إلى خلفاء مما يؤكد على عدم بقائها وقوله: (فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) كالتعليل للجملة السابقة قصد به التحذير من الغرور كأنه استخلفهم فيها على سبيل الاختبار لهم، ولذلك جاء الأمر بعدها صريحاً (فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ) والأمر للتحذير، والنص على التحذير من النساء بعد التحذير من الدنيا من ذكر الخاص بعد العام عناية به إشارة إلى أنها من أعظم الفتن فعلى ذلك استلزمت مزيد تحذير، وكأنه ﷺ يرى حال الناس، وما هم فيه من بلاء لأنهم ضربوا عن الذكر صفحاً عن أوامره، ونواهيه، وتركوا النساء

---

(١) برقم ٢٧٤٢/٩٩، وتقدم برقم ٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ض ر).

يتبعن كل ناعق بخراب المجتمع المسلم، وتفريغ تعاليم النبي، وتوجيهاته من مضمونها - وحسبنا الله - .

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧٠).

الحديث رقم (٤٥٩)

٤٥٩ - وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشَ الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الحديث فيه إيجاز قِصر، وهو كثرة المعاني في قلة الألفاظ، وهي طبقة من الكلام لا تتأتى إلا للفصحاء، والمتأمل لهذا الحديث القصير يجده أنه احتوى معاني عظيمة تتضمن جملة الفوارق بين الحياة الدنيا بكل نقصها، والآخرة بكمالها، وقد بدأ بلفظ اللهم، والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم كزيادتها في زرقم قال ابن فارس: (الزرقم: أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق؛ فإن الميم فيه زائدة[2] والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع فقالوا للواحد: أنت فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وكذلك هو، وهم)، وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم ونظائره نحو: به، وبهم، ويقولون للشيء الأزرق: أزرق فإذا اشتدت زرقته واستحكمت، قالوا: زرقم... وتأمل الألفاظ المعقود فيها الميم كيف تجد الجمع معقوداً بها مثل (ألم الشيء يلمه، إذا جمعه، ...وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله - سبحانه - به في كل حاجة - وكل حال إيذانا بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: (اللهم إني اسألك) كأنه قال: (ادعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٣، ومسلم ١٨٠٥/١٢٧ ولفظهما سواء.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٥٣/٣.

وصفاته كما في الاسم الأعظم...)[١] وقوله (لا عيش إلا عيش الآخرة) قصر لصفة العيش الحقيقي الكامل على موصوف هو عيش الآخرة نفياً لها عما سواه على سبيل المبالغة وعدم الاعتداد بغيرها إشارة إلى كمال الصفة في الحياة الأخروية لأنها كاملة من جميع الوجوه بعكس الدنيا التي يحدوها النقص في أكثر نواحيها، ويطويها الفناء، والإنسان مرض فيها للأعراض من فقر، ومرض، وهرم، وموت إن أخطأه هذا نهشه هذا..

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة القصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الآخرة والزهد في الدنيا.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة القصر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، حيث قصر العيش على الآخرة، وهذا يُشعر بأهمية الآخرة واهتمام رسول الله ﷺ بها لما فيها من خير ونعيم فقصر العيش عليها وأسلوب القصر من أساليب الدعوة المعبرة عن أهمية وعظم الأمر الذي أُستُعمل فيه القصر، لذا فإنه ينبغي للداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في دعوته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الآخرة والزهد في الدنيا:

من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث فضل الحياة الأخروية والزهد في الدنيا، وذلك؛ لأن الآخرة دار البقاء ودار النعيم الدائم، أما الدنيا فهي دار الفناء ودار النعيم الزائل، وقال ابن عثيمين: (قوله ﷺ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، يعني: العيشة الهنية الراضية الباقية هي عيش الآخرة، أما الدنيا فإنه مهما طاب عيشها فمآلها للفناء وإذا لم يصحبها عمل صالح فإنها خسارة)[٢]، قال تعالى:

---

(١) انظر: دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، ص ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري، رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٧٩٣.

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، وغاية ما فيها لهو ولعب "وإن الدار الآخرة لهي الحيوان" أي: الدائمة الحق الذي لا زوال لها انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله: "لو كانوا يعلمون" أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى[٤].

فالدنيا بالنسبة للآخرة دنيئة ليست بشيء، قال رسول الله ﷺ: ((ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ من الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدّنْيَا وَمَا عليها))[٥]. وليكن شعار كل مؤمن الزهد في هذه الحياة الدنيا الفانية ولا يحبها حب شهوة كحب من أراد أن يكون كأهل وقوم قارون، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٦].

فهذه هي عادة الناس يحبون ويرغبون في الحياة الدنيا ويتمنوا أن يكونوا كأغنيائها، ولذلك كان الرد من الذين زهدوا الدنيا وعلموا أن الآخرة هي خير من أي أموال. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٢) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٩٤/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٩٢.

(٦) سورة القصص، آية: ٧٩.

(٧) سورة القصص، آية: ٨٠.

فِي حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]) [2].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين فضل الحياة في الآخرة وأنها هي الباقية، أما الدنيا فهي زائلة فلا بد من الزهد فيها مع بيان حقيقة الزهد.

ثالثًا - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من واجبات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث بيان الحقائق للمدعوين، ويظهر ذلك من بيان رسول الله ﷺ لحقيقة العيش والنعيم وأنه هو عيش الآخرة.

فمهما بلغت الحياة الدنيا من الطيبات والملذات فإن مصيرها إلى زوال وفناء، ولكن الله تعالى أعدّ لعباده المؤمنين في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فالداعية ناصح أمين عالم بحقيقة الأشياء فينبغي له أن يبين الحقائق للمدعوين وإلا عوقب على كتمان العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[3].

إن ذلك يوجب على الداعية بيان الحقائق للمدعوين وعدم كتمانها، لأن ذلك من صميم رسالته الدعوية التي كُلّف بها.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٩.

(٢) تفسير البيضاوي ٣٠٤/١ بتصرف يسير.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

الحديث رقم (٤٦٠)

٤٦٠ - وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى المنافع الحقيقية التي يجب أن يسعى إليه الإنسان، ويدخرها للآخرة، ففيه ترغيب ضمناً في التزود من العمل الصالح، وترهيب من سيء العمل، والأسلوب خبري يصور بحركة الفعل المضارع جنازة ميت يصير خلفه ثلاثة يشيعونه يرجع اثنان، ويبقى منهم واحد، وذكر العدد ثلاثة ثم تفصيله من التفصيل بعد الإجمال تشويقاً للسامع، وتوكيداً للمعنى، وفي الحديث حسن تقسيم لأنه ذكر كل ما يتبع الميت في قوله: (ثلاثة) ثم قسمها: (أهله - ماله - عمله) ثم فرقها بقوله: (فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ) ومثل هذا الصنيع من التصرف في فنون القول على ما فيه من التشويق للمعنى، وإعمال ذهن المخاطب بما يجعله مستغرقاً في المعنى، فإنه يقرر المعنى، ويؤكده، حيث كرر من يتبع الميت ثلاث مرات، دون أن نشعر بتكرار، مع إضافة معنى جديد في كل مرة ذكره فيها فقد ذكر أولاً أن من يتبع الميت ثلاثة، هم أهله، وماله، وعمله، ثم ذكر الثلاثة مرة ثانية، وأضاف معنى بقاء اثنين، ورجوع واحد، وهو ما يجب أن يحرص عليه المؤمن، ثم ذكر الثلاثة مرة ثالثة بإضافة معنى التعريف بالباقي ليتنبه الإنسان إليه، والتنبيه على الذي يرجع، وهما أهله، وماله، والتحذير من الانشغال بهما على حساب الباقي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١٤، ومسلم ٥/٢٩٦٠، والسياق للحميدي في جمعه ٢/٥٣٥، رقم ١٨٩٨، وتقدم برقم ١٠٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٢٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٤).

الحديث رقم (٤٦١)

٤٦١ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البؤس: الخضوع والفقر وشدة الحاجة[2].

فيصبغ في النار صبغة: أي: يُغمس كما يغمس الثوب في الصِّبغ[3].

الحديث يتناول مشهداً من الغيب المنتظر يوضح المفارقة بين مقاييس الدنيا، والآخرة في النعيم، والعذاب، والحديث مفعم بوسائل الإنشاء التي تصف أدق المشاعر، وأخفاها في نفس المتكلم كما يعتمد المطابقة بين أنعم أهل الدنيا، وحاله بعد أن يغمس في النار، وبين أبأس أهل الدنيا، وحاله بعد أن يغمس غمسة في الجنة، وقوله (يصبغ صبغة) فيه جناس يقرر المعنى، ويؤكده، ولفظ صبغة يدل بوزنه على أنها صبغة، واحدة مما يدل على قوة الأثر، ومدى التغيير، وقوله (هل رأيت خيراً قط) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت ينوه بشدة أثر العذاب الذي أنسته غمسة فيه ألوان النعيم التي طالما أترف فيها، وقوله (هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟) استفهام تقرير، وتوكيد للأول غير أن الثاني أضاف خصيصة للسؤال، وهي كونه لم يمر، ولو عرضاً بنعيم،

---

(١) برقم ٢٨٠٧/٥٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٣٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب أ س)

(٣) المرجع السابق في (ص ب غ).

ولو لغيره، ومعنى هذا أن تلك الغمسة محت من ذاكرته كل متاع رآه في الدنيا لنفسه، أو حتى لغيره، ويدل على ذلك رده على السؤال (لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ) وعبارته بنيت على إيجاز يتطلبه الموقف، ومعناها: لا لم أر نعيماً ولم يمر بي خير قط، ثم أكد إجابته بالقسم بالله، ولا ننسى أنه يقسم بالله بين يدي الله بعد أن صار إلى عين اليقين، وهو موقف لا يحتمل الكذب فلماذا قال ما قال ؟ مع أنه أكثر أهل الأرض نعيماً دل على ذلك استخدام أفعل التفضيل (أنعم)، والمفضل عليه (أهل) المضاف للدنيا، والحقيقة أنه لم يكذب؛ لأنه لم يخالف قوله ما يشعر به، ولكن شدة الهول محت من ذاكرته ما رآه محواً لم يبق له أثراً ومن هنا نتبيَّن عبقرية اختيار اللفظ في التعبير بـ(صبغة) لأنها تدل على صبغ صاحبها بصبغتها، وتلوينه بلونها، وتحويله، وهو ما حدث مع أنعم أهل الدنيا حيث صبغته بصبغة الجحيم فصار جحيماً حتى الذكرايات التي مرت به صبغتها، وكأنها من هولها انسحبت على الماضي، حتى لا يغتر شقي بما هو فيه من نعيم يذوب في غمسة في الجحيم، ثم قابل هذا المعنى المقرر بمقابله لصورة النعيم الذي يمحو بصبغة منه كل شقاء رآه أشقى أهل الأرض إشارة إلى أن على المؤمن أن يصبر على ما يلاقيه من مشقة الطاعة، وشدة الصبر عن المعصية، وما يكابده في الحياة، لأن غمسة في الجنة ستنسيه ما هو فيه مع أنه أقل شقاء من غيره.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: السعادة الحقيقية بدخول الجنة، والشقاوة الحقيقة بدخول النار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض أحوال أهل الجنة وأحوال أهل النار:

إن من خصوصيات النبي ﷺ التي تظهر في هذا الحديث الإخبار عن بعض أحوال أهل الجنة وأهل النار، يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يؤتى بأنعم الدنيا من أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة.. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة...".

إن هذا من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، وإذا كان من المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده فقد جاءت أدلة تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم[1].

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾[2]، وما وقع من على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[3].

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأخبار التي تتعلق بأهل الجنة وأهل النار منها قوله ﷺ: ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[4].

ثانيًا - من اساليب الدعوة: الترهيب:

ويظهر ذلك في ذكر رسول الله ﷺ لحال من يغمس مرة في النار وفي ذلك ترهيب

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٥٤٢/١.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٥٤٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٣٨.

من النار وشدة عذابها وتخويف الناس منها وذلك من أجل أن يحرصوا على العمل الصالح الذي ينجيهم من عذابها، وقد ورد الترهيب في هذا الحديث لأجل أبعاد المدعو عن الإخلاد إلى الدنيا وزخارفها ومُتعها الزائلة، وتخويفه بالترهيب من الله وحسابه وعقابه وناره. وبيان أن كل ذلك إلى فناء وأنه لا يغني عن الإنسان شيئًا، والدعاة مطالبون بانتهاج هذا الأسلوب مع الناس.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ذكر رسول الله ﷺ لحال من يغمس مرة واحدة في الجنة من أهلها وفي ذلك ترغيب من رسول الله ﷺ في الجنة ونعيمها، وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث تنعيم أهل الجنة وشدة عذاب أهل النار. ويشهد لذلك في الحديث قوله ﷺ: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار".

وتنعيم أهل الجنة قال فيه الله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2]، قال السعدي: (أي: كل ما تعلقت به مشيئتهم فهو حاصل فيها "ولدينا" فوق ذلك "مزيد" أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[3].

وأما شدة عذاب أهل النار فقد قال فيه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[4].

قال السعدي رحمه الله: (ذكر حال أهل النار وعذابهم فقال: "والذين كفروا" أي: جحدوا ما جاءتهم به رسلهم من الآيات وأنكروا لقاء ربهم لهم نار جهنم، يعذبون فيها

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٦.

أشد العذاب، وأبلغ العقاب "لا يقضى عليهم" بالموت "فيموتوا" فيستريحوا، (ولا يخفف عنهم من عذابها) فشدة العذاب وعظمه مستمر عليهم في جميع الآناء واللحظات"[١]، ومن تنعيم أهل الجنة قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢] وسبب هذا النداء هو وعد الله أصحاب أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم يعلموه ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه، ولذلك كان رد أهل النار على أهل الجنة "نعم" لقينا من الخزي والهوان والعذاب ما كان نتيجة لأعمالنا، لكن قال أهل الجنة فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا من النعيم والكرامة[٣]. فينبغي على الداعية أن يذكّر المدعوين بالجنة ونعيمها والنار وعذابها.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: السعادة الحقيقية بدخول الجنة، والشقاوة الحقيقة بدخول النار:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث السعادة الحقيقية تتحقق بدخول الجنة وهذا يظهر من بيانه ﷺ لحال من غُمس مرة في الجنة فينسى بؤس الدنيا كله، والشقاوة الحقيقية في دخول النار ويظهر ذلك في بيان رسول الله ﷺ لحال أكثر الناس نعيمًا في الدنيا فغمسة واحدة في النار تنسيه نعيم الدنيا.

وقد بيّن المولى تبارك وتعالى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٤٩٥/٥.

مَجْذُوذٍ﴾[1]، فأهل النار في شقاء دائم لا ينقطع لاتصال عذابهم وأهل الجنة في نعيم دائم لا ينقطع لاتصال نعيمهم. لأنهم كانوا دائمًا ما يشعرون بمعية الله فتجعلهم في أُنس دائم بربهم، ونعيم موصول بقربة يحسون أبدًا بالنور يغمر قلوبهم ولو أنهم في ظلمة الليل البهيم ويشعرون بالأنس يملأ عليهم حياتهم وإن كانوا في وحشة من الخلطاء والمعاشرين ينشد ما قاله العبد الصالح:

إن قلبًا أنت ساكنهُ ... غير محتاج إلى السرج[2]

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٥ - ١٠٨.

(٢) الإيمان والحياة، القرضاوي، ص ١٠٠.

الحديث رقم (٤٦٢)

٤٦٢ - وعن المُسْتَوْرِد بن شَدَّاد رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**[1] مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

المستورد بن شداد: هو المستورد بن شدّاد بن عمرو القرشي الفِهْري المكي، له ولأبيه صحبة. قيل: إنه كان غلامًا يوم قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه سمع منه ووَعَى عنه.

شارك في الفتوحات وساهم في نشر دين الله، فقد شهد فتح مصر.

سكن الكوفة ثم أقام بمصر وسكنها، وقد روى عنه المحدثون من أهل الكوفة والبصرة ومصر وغيرهم. وله في صحيح مسلم حديثان.

توفي بالإسكندرية ٤٥هـ في خلافة معاوية[3].

غريب الألفاظ:

اليم: البحر[4].

---

(١) عند مسلم قبل هذا زيادة: (والله). تبع فيه المؤلفُ، والمنذريُّ: الحميديَّ في جمعه ٥٣٧/٣، رقم ٣١٠٠ حيث لم يوردها.

(٢) برقم ٢٨٥٨/٥٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٤٢.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٧٠٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٤٨/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٣٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨٢/٧، والتهذيب ٥٧/٤ والأعلام، خير الدين الزركلي ٢١٥/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي م م).

الشرح الأدبي

وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية في تمام الدقة والإصابة، وتمام الوضوح، وأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء لينفي أن تكون الدنيا بالنسبة للآخرة إلا كهذا المقدار الذي أصاب الإصبع فبلله بالنسبة للبحر، وهو قصر موصوف هو (كون الدنيا) على صفة وهي المقدار القليل المشار إليه من خلال المثل، ثم يأتي التشبيه التمثيلي في قوله: ﷺ: (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم) فقد شبه الرسول ﷺ حال الدنيا ونسبتها إلى الآخرة بحال ونسبة الإصبع المبلل بالقياس إلى ماء البحر، ووجه الشبه نسبة المحدود إلى ما لا حدود له سواء في الزمان، أو المكان أو فيما يشتمل على كل منهما"وهذا التشبيه يجعل المعنى واضحاً أتم الوضوح لبيان حال الدنيا بالنسبة للآخرة، ويقرر قصر عمر الدنيا وسرعة زوالها، ويصل بهذا المعنى إلى جميع المخاطبين على اختلاف أفهامهم بنفس الدرجة التي يصل بها إلى أسرعهم فهماً، وهذا مما لا تجده إلا في طبقات الكلام العالي، كالقرآن وكلام الرسول ﷺ، وفي بعض كلام بعض أذكياء البلغاء، ثم يأتي أسلوب الأمر ليؤكد العبرة ويخلص إلى المراد في قوله ﷺ (فلينظر بم يرجع؟) بغرض اللفت والتنبيه والاعتبار؛ ليضع النتيجة المراد استخلاصها من الحديث في بؤرة الشعور بين السمع والبصر ومركز العقل حتى ترسخ فيها صورة حقيقية للدنيا، وحقارتها بجوار الآخرة، والوصول بالمخاطبين إلى حقيقة صارت مؤكدة في الحديث وهو هوان الدنيا - حتى إذا ما ازدهرت يوماً - بين يدي أحدهم تذكر سبابة الرسول ﷺ تحكي إصبعاً مبللاً إزاء بحر هذا البلل هو دنياه[1].

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

---

(١) انظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١١١.

أولاً - من أساليب الدعوة: القصر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ...".

حيث قصر الدنيا بالنسبة للآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة، ودوام لذاتها، ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر"[1].

وأسلوب القصر من أساليب الدعوة التي ينبغي أن يستخدمها الداعية لقصر دعوته أو كلامه على ما يريد حث المدعوي عليه والاهتمام به.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر في قوله ﷺ "... إلا مثل ما يجعل أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع؟" فضرب مثل لتوضيح قلة نعيم الدنيا بالنسبة للآخرة كالذي وضع أصبعه في البحر وأخرجه.

إنه تشبيه وهو قمة في البلاغة، إذ وضح رسول الله ﷺ ضآلة الدنيا وما فيها أمام عظمة نعيم الآخرة، وأن نسبة ما ذكر من نعيم الدنيا وقلة زمانها إلى نعيم الآخرة ليس إلا مثل نسبة ذرات الماء الباقية على الإصبع إذا غمست في البحر.

قال المناوي: (فلينظر نظر اعتبار وتأمل بم يرجع، وضعه موضع قوله "فلا يرجع بشيء" استحضارًا لتلك الحالة بأن يستحضر مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا؟ وهذا تمثيل تقريبي وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغيره؟ والمراد أن نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة في المقدار كذلك أو ما الدنيا في قصر مدتها وفناء لذتها بالنسبة للآخرة في دوام نعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصابع إلى باقي البحر)[2].

وأسلوب ضرب الأمثال أسلوب من الأساليب الدعوية المهمة، فقد كان رسول الله ﷺ يستعين به على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ليكون وقع الموعظة في النفس أشد وفي الذهن أرسخ.

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٥٩/٦.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُها طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لا يقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلا رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفاجِرِ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، ومَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلا رِيحَ لَهَا))[1].

فالناس كما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون... وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة، ثم ينضمون إلى الطائفة الموجودة[2]. فضرب الأمثال من أساليب الدعوة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها[3]؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4].

فينبغي على الداعية استخدام أسلوب ضرب الأمثال ليقرب المعنى إلى الأفهام ويحرك العواطف والوجدان إلى قبول دعوته.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث حقارة نعيم الدنيا مقارنة بنعيم الآخرة، فالحياة الدنيوية لا تقارن بالحياة الأخروية، والإنسان في الدنيا أشبه حالاً بالمسافر أو الغريب عابر سبيل.

قال رسول الله ﷺ: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا في الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧.

(٢) انظر: التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي ص٣١، ٣٢.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٣٣٤.

(٤) سورة النور، آية: ٣٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((أخذ رسولُ اللّه ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبيل. وكان ابنُ عمرَ يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتَظِر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخُذْ من صحتِكَ لمرضِك، ومن حَياتِك لموتك))[١].

قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيئ جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[٢])[٣].

إن التفاوت بين نعيم الدنيا والآخرة كبير، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾[٥].

وقال ابن كثير: (ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية)[٦].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك من بيان رسول الله ﷺ لدنو الدنيا وحقارتها بالنسبة للآخرة ونعيمها وهى حقيقة بينها رسول الله ﷺ لأمته. (فمثل من يتلهى بالدنيا عن الآخرة كمثل من يتشاغل بصورة عما تدل عليه أو تصوره، بل الأمر أيسر من هذا. إن ما يحصله من الخير

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٣٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٥) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦-١٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٨٢.

لا قيمة له بالنظر إلى ما يفوته، إن يفرح بقطرة من بحر النعم الكبير وينسى ما يتركه فعلى المؤمن أن يتعقل وعلى الكافر أن يتدبر ومن الله التوفيق والتسديد)[١].

فالداعية هو الذي يبين للناس الحقائق لأنه يقوم بالأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والناس يثقون في أقواله فينبغي عليه أن يبين لهم حقيقة الأشياء، وإن لم يفعل خشي أن ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[٢]، فينبغي على الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٣١١.

(٢) سورة البقرة، آية : ١٥٩.

الحديث رقم (٤٦٣)

٤٦٣ - وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ بالسُّوقِ[١]، وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((**أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ**[٢] **هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**)) فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: ((**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**)) قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا[٣]، إِنَّهُ أَسَكُّ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فقال: ((**فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

كَنَفَتَيه: عن جانبيه[٥].

الأسَكُّ: الصغير الأذُنُ[٦].

درهم: قطعة نقدية من الفضة وزنها ٢,٨١٢ جرامًا، أي ما يزيد قليلاً عن ثلاثة جرامات من الفضة إلا ربعًا[٧].

أراد النبي ﷺ أن يقرر بصورة عملية أن الدنيا لا تساوى عند الله شيئاً، وقد توصل لهذا بضرب المثل الماثل بينهم بهذه الجيفة التي ألقاها أصحابها زهداً فيها فأمسك بها مسكة تمهد لما يرمي إليه من تحقير للممثل له فأمسك بأُذن الجدي ثم قال :(أيكم

---

(١) عند مسلم زيادة: (داخلاً من بعض العالية)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٢) لفظ مسلم: (أن هذا).

(٣) عند مسلم زيادة: (فيه).

(٤) برقم ٢/٢٩٥٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣٢.

(٥) رياض الصالحين ٢٢٤.

(٦) المرجع السابق ٢٢٤.

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٩.

يحب أن هذا له بدرهم؟) وطريقة عرض الرسول ﷺ زادت هذا المعروض حقارة زادها استفهامه تحقيراً قرره الصحابة بردهم (ما نحب أنه لنا بشيء)، وأكدوه باستفهامة لخّصت حجم هذا التحقير (وما نصنع به؟) ثم عاد يقرر، ويؤكد على هذه الحقيقة مرة أخرى بتقريرهم بها (قال: أتحبون أنه لكم ؟) فإذا انتهي هذا الحوار بالسؤال، والإجابة وانتهي إلى نتيجة مؤكدة ثابتة في الأنفس بمدى هوان هذا الجدى الأسك عند أهله، وأكد تحقيره له حياً؛ لأنه أسك، وميتاً؛ لأنه جيفة - لا تنفع - نقل كل هذا الاحتقار في النفوس لهذه الجيفة السكاء بكامل هوانها؛ ليقرر بها مدى هوان الدنيا عند الله، وأنها لا تساوى جناح بعوضة، وتشبيهها بهذه الجيفة تنفيراً للصحابة منها؛ لكي لا يتنافسوا فيها، ويصرفهم إلي الحياة الكاملة - في الآخرة - ، وطريقة النبي ﷺ طريقة استدراج، وتقرير للحكم بحقارة الدنيا، وهوانها، يتوصل إليه المخاطب بنفسه، ويقرره بنتيجة لا يمكنه إنكارها؛ وبذلك يكون قد خاطب في المخاطبين كل مواطن الحس، وحرك فيهم سواكن المشاعر، وأقرت بذلك عقولهم بعد أن وعته قلوبهم، لقد طبع بدقة أسلوبه، وتنويعه بين الوسائل المرئية، والمسموعة والمعقولة طبع في أنفسهم صورة المتكالبين على الدنيا بصورة لاهثين في مضمار للفوز بجيفة جدي أسك، وهذا من تمام فطنة الرسول ﷺ.

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - جواز مس ميتة مأكول اللحم، وأن غسل اليد بعد مسها ليس بضروري[1].

٢ - حكم الأضحية بالسكاء.

اتفق الفقهاء على أن السكاء إذا كانت صغيرة الأذنين فإنها تجزئ في الأضحية، إلا أن المالكية قالوا: إن كانت الأذن صغيرة جدًا، بحيث تقبح معها الخلقة فلا تجزئ.

أما التي خلقت بلا أذنين، فقد اختلف الفقهاء في حكمها هل تجزئ أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنها لا تجزئ في الأضحية. لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أمرنا رسول

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨/١.

الله ﷺ أن نستشرف العين والأذن[١] أي: أن نتأمل سلامتها من الآفات[٢].

وذهب الحنابلة إلى أنها تجزئ؛ لأن ذلك لا يخل[٣].

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر ذلك في ضربه مثل الدنيا وهوانها على الله بالجدي الميت وهوانه وعدم قيمته عند الناس.

ولضرب الأمثال أثناء الدعوة أكبر الآثار في النفوس - فإن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في العقول مالا يؤثره وصف الشيء ذاته - ذلك بأن الغرض من ضرب المثل تشبيه الخفي بالجلى، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك هو النهاية في الإيضاح[٤].

(والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس فتقبله العقول، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة. ويضرب الممثل للترغيب في المثل به حين يكون مما ترغب فيه النفوس،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٨٠٤، والترمذي ١٥٠٣، والنسائي ٤٣٧٨، وابن ماجه ٣١٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٤٤).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ش ر ف)

(٣) البدائع ٧٥/٥، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٢٠/٢، وحاشية الشبراملسي بهامش نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٢٨/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٢٥/٨.

(٤) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ١٧٧.

ويضرب المثل للتنفير حينما يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، ويضرب المثل لمدح الممثل به، ويضرب المثل حين يكون المُمَثَّل به فيه صفة يستحقها الناس)[١].

(وللأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس، وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى)[٢] (فإن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل الدعوة بنواحيها المختلفة[٣].

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "فو الله ..."؛ حيث أقسم رسول الله ﷺ على أن الدنيا أهون عند الله من هذا الجدي الأسك الميت.

وأسلوب القسم له شأن عظيم وتأثير عجيب في الدعوة إلى الله، إذ أنه يعمل على تعظيم الأمر في نفس المدعو وذهنه، كما يعمل على جمع الانتباه حول المقسم عليه، بصيغة مؤكدة من المقسم، خاصة إذا كان المقسم هو رسول الله ﷺ المؤيد بالوحي من عند الله، فإن ذلك يساعد على تثبيت المعاني المشتملة عليها الدعوة هذا من جهة، ومن جهة أخرى: فإن العقل الإنساني تعود وأدرك أن الكلام العظيم المستحق للاهتمام هو الذي يبدأ بالقسم، فعلى سبيل المثال لما أراد ﷺ أن يبين الوعيد الوارد في عصيان المرأة زوجها، كما جاء ذلك في أحاديث صحيحة، منها ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((إذا دعا الرجل امرأته لفراشه ، فأبت أن تجيء فبات غضبانًا عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح))[٤].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٩٩.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص ٤٢٣-٤٢٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥١٩٣.

وفي رواية عند الإمام مسلم عن أبي هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا، حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا))[1] فعند سماع هذا الوعيد يشعر المدعو بقشعريرة في نفسه وبدنه، ولكن في الرواية الثانية يشعر بمزيد خوف وحذر، والسبب كما هو واضح تقديم النبي ﷺ الوعيد وتأكيد بالقسم بذات الله العظيمة، فأعطى للحديث قوة ترهيب أكثر[2].

والقسم النبوي يبصر بالعاقبة الوخيمة للعصاة ومن ذلك قوله ﷺ ((يا أمةَ محمد والله لو تَعلمونَ ما أعلمُ، لضحِكتم قليلاً ولَبَكيتم كثيرًا))[3] فالحديث فيه إشارة مؤكدة إلى عاقبة الذين اتخذوا الدنيا دارًا للهو والضحك والمسرات، بأن عاقبته ستكون ندمًا وحزنًا وبكاء، وقد أكد عليه الصلاة والسلام ذلك بالقسم لاختصاصه ﷺ بمعارف بصرية وقلبية لم تجتمع لأحد غيره على وجه التفصيل كما جمع الله له بين علم اليقين على وجه لم يجتمع لغيره)[4].

وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تؤكد على أهمية الدعوة وذلك لأن الداعية لا يقسم إلا إذا كان هناك أمر عظيم يريد التأكيد عليه، مما يجعل المدعو أكثر حرصًا على إجابة الدعوة وشعورًا بأهميتها فينبغي على الداعية استخدام أسلوب القسم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث هوان الدنيا على الله ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم...".

قال القرطبي رحمه الله: (وقوله: "والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" الدنيا: وزنها فُعْلى وألفها للتأنيث، وهي من الدنو بمعنى القرب، وهي صفةٌ لموصوف محذوف،

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٣٦.

(٢) انظر: الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصرالله بن محمد نياز، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٣١، ومسلم ٩٠١.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٦/١١، والترهيب في الدعوة ١٣٩.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[١] غير أنه قد كثر استعمالها استعمال الأسماء، فاستغني عن موصوفها، كما جاء في هذا الحديث والمرادُ: الدار الدنيا، أو الحياة الدنيا التي تقابلها الدار الأخرى، أو الحياة الأخرى، ومعنى هوان الدنيا على الله: أنَّ الله تعالى لم يجعلها مقصودة لنفسها؛ بل: جعلها طريقًا موصلةً إلى ما هو المقصودُ لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلةٍ وبلاء، وأنه ملكها في الغالب الكفرة والجهَّال، وحماها الأنبياءَ، والأولياء، والأبدال. وقد أوضح النبي ﷺ هذا المعنى فقال: ((لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))[٢]، وحسبك بها هوانًا، أن الله قد صغَّرها، وحقَّرها، وذمَّها، وأبغضها، وأبغض أهلها، ومحبيها، ولم يرض لعاقلٍ فيها إلا بالتزوُّد منها، والتأهُّب للارتحال عنها، ويكفيك من ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمٌ أَو مُتَعَلِّمٌ))[٣][٤].

وقد استخدم النبي ﷺ عدة أساليب في بيانه وفي هذا الحديث استخدم العبارة والإشارة في قوله وإشارته إلى الجدي الميت، ليرسخ في القلوب معالم ومعاني الزهد في الدنيا وليؤكد على حقارة الدنيا عند الله تعالى.

قال ابن عثيمين رحمه الله: (فهذا جدي ميت لا يساوي شيئًا، ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله تعالى من هذا الجدي الأسك الميت، فهي ليست بشيء عند الله، ولكن من عمل فيها عملاً صالحًا؛ صارت مزرعة له في الآخرة، ونال فيها السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه وهو لم يعمل؛ فإنه يخسر الدنيا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩١).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠٨/٧.

والآخرة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

وكل ابن آدم خاسر إلا هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف الأربعة: آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، جعلنا الله وإياكم منهم)[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٥.

(٢) سورة العصر.

(٣) شرح رياض الصالحين ١/٧٩٣.

الحديث رقم (٤٦٤)

٤٦٤ - وعن أبي ذر رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِي ﷺ فِي حَرَّةٍ بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: ((يَا أَبَا ذَرٍّ)) قلت: لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله. فقال: ((مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ[1] وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ[2]، إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا)) عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ[3]، فقال: ((إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ قَالَ بِالمَالِ[4] هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا)) عن يمينِهِ وعن شِمَالِهِ ومِنْ خَلْفِهِ ((وَقَلِيلٌ مَا هُمْ)). ثُمَّ قَالَ لي: ((مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ)) ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوتًا، قَدِ ارْتَفَع، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ[5] عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيهِ فَذَكَرتُ قَوْلَه: ((لا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ)) فلم أَبْرَحْ حَتَّى أَتَاني، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوتًا تَخَوَّفْتُ مِنْهُ[6]، فَذَكَرْتُ لَهُ، فقال: ((وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟)) قلت: نَعَمْ، قَالَ: ((ذَاكَ جِبرِيلُ أَتَانِي. فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))، قلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[7]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

حرَّة المدينة: الحرة: الأرض ذات حجارة سُود كأنها أحرقت. وحرّة المدينةَ: موضع بظاهر المدينة تحت واقم[8].

---

(١) لفظ البخاري (ثالثة).

(٢) أخرجه مسلم ٩٩١/٣١ إلى هنا، وكذا البخاري برقم ٢٣٨٩.

(٣) لفظ البخاري: (مشى).

(٤) (بالمال) لا توجد عند البخاري.

(٥) (أحد) لا توجد عند البخاري.

(٦) (منه) لا توجد عند البخاري.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٤٤ واللفظ له، ومسلم ٩٤/٣٢ بعد الحديث ٩٩١/٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٧٠.

(٨) انظر: المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ر ر)، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٤٤.

أُحُدُ: جبل أحمر بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها[١].

أرْصُدُهُ: أُعِدُّه أو أحفظه[٢].

أقول به: قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده: أي: أخذ. وقال برجله: أي مشى... وقال بثوبه: أي رفعه. والمراد هنا: إنفاق المال والتصدق به[٣].

قال بالمال: أشار به[٤].

سواد الليل: أي ليلة قد غاب فيها القمر[٥].

توارى: أي غاب شخصه[٦].

عرض للنبي ﷺ: أي تعرّض له بسوء[٧].

الحوار الذي دار بين رسول الله ﷺ وصاحبه يدل على المحبة، والإجلال يجسِّد ذلك النداء في بدايته (يَا أَبَا ذَرٍّ)) والرد المفعم بالإجلال، والتقدير(لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله)، و قول الرسول ﷺ: (أقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله) كناية عن إنفاق المال، وقوله: (هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا) كناية عن جهات الإنفاق التي تشير إلى تعدد طرق الإنفاق، وقد وضحها الراوي بقوله: (عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) ومن الملاحظ أن الإشارة لم تشمل ما بين يديه، ولعل ذلك يرجع إلى أن ما بين يدي الإنسان بيِّن لا يحتاج إلى توضيح، وغالباً ما يكون ما بين يديه من أهله، وخاصته الذين يلزمه نفقتهم، بعكس

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٧٧٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/١١.

(٥) المرجع السابق ٢٧١/١١.

(٦) المرجع السابق ٢٧١/١١.

(٧) المرجع السابق ٢٧١/١١.

من خلفه ومن على يمينه، وشماله، فإنه لا يراهم إلا إذا نبه إليهم، والتفت إليهم، وقول الرسول ﷺ (((إنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ) كثافة المؤكدات في العبارة تؤكد أهمية الخبر، والرغبة في صرف اهتمام المخاطب إلى العناية بالخبر، وتوسيط ضمير الفصل (هم) بين المبتدأ، والخبر يفيد اختصاصه به، والتقييد بالظرف (يوم) وإضافته للقيامة يصعِّد الإحساس بالخطر وقوله (إلاَّ مَنْ قَالَ بالمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا) استثناء من الحكم السابق يخرج المنفقين في وجوه الخير من الوعيد، وقوله (ذَاكَ جِبريلُ أتَانِي. فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ) استخدم إشارة القريب لقرب انصرافه، والإشارة إليه تشوق إلى الخبر الذي أرسل به، ومن اسم موصول متضمن معنى الشرط، يربط موت المسلم على الإخلاص بدخول الجنة، وقول الرسول (وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ ؟) استفهام تقريري للتحقيق، والتثبيت لعظم البشرى، وقول جبريل عليه السلام (وَإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ) جملة شرطية محذوفة الجواب تقديره: دخل الجنة، واستخدام (إن) في الشرط يشير إلى عدم التحقق؛ لأنه من المستبعد أن يسرق المسلم المخلص، أو يزني، والحديث يتضمَّن بشارة عظيمة لأمة محمد ﷺ مع دعوة المسرفين للتوبة، والرجوع إلى الله.

ذكر ابن حجر لحديث أبي ذر فوائد كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ - حسن الأدب مع الأكابر، وأن الصغير إذا رأى الكبير منفردًا لا يتسور عليه، ولا يجلس معه، ولا يلازمه إلا بإذن منه. وهذا بخلاف ما إذا كان في مجمع كالمسجد والسوق فيكون جلوسه معه بحسب ما يليق به.

٢ - جواز تفدية الصغير الكبير بنفسه وبغيرها، والجواب بمثل لبيك وسعديك؛ زيادة في الأدب.

٣ - الانفراد عند قضاء الحاجة.

٤ - أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده، أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي، ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك، فيكون دفع المفسدة أولى.

٥ - جواز استفهام التابع من متبوعه على ما يحصل له فائدة دينية أو علمية أو غير ذلك.

٦ - المراجعة في العلم بما تقرر عند الطالب في مقابلة ما يسمعه مما يخالف ذلك.

٧ - الحث على الإنفاق في وجوه الخير، وأن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى يده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيمن يستحقه، وإما لإرصاده لمن له حق، وإما لتعذر من يقبل ذلك منه؛ لتقييده في رواية همام عن أبي هريرة الآتية في التمني بقوله: ((أجدُ من يَقبَلُه))[1].

٨ - ومما يؤخذ جواز تأخير الزكاة الواجبة عن الإعطاء إذا لم يوجد من يستحق أخذها، وينبغي لمن وقع له ذلك أن يعزل القدر الواجب من ماله ويجتهد في حصول من يأخذه، فإن لم يجد فلا حرج عليه ولا ينسب إلى تقصير في حبسه.

٩ - تقديم وفاء الدين على صدقة التطوع.

١٠ - وفيه جواز الاستقراض.

١١ - الحث على وفاء الديون وأداء الأمانات.

١٢ - جواز استعمال "لو" عند تمني الخير.

١٣ - الحض على إنفاق المال في الحياة وفي الصحة وترجيحه على إنفاقه عند الموت. لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول اللهِ أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: ((**أن تَصدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخشى الفَقْرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلغت الحُلْقُومَ قلتَ: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان**))[2] وذلك أن كثيرًا من الأغنياء يشح بإخراج ما عنده ما دام في عافية فيأمل البقاء ويخشى الفقر، فمن خالف شيطانه وقهر نفسه إيثارًا لثواب الآخرة فاز، ومن بخل بذلك لم يأمن الجور في الوصية، وإن سلم لم يأمن تأخير تنجيز ما أوصى به أو تركه أو غير ذلك من الآفات، ولا سيما إن خلف وارثًا غير موفق، فيبذره في أسرع وقت ويبقى وباله على الذي جمعه[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٩، ومسلم ١٠٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٦٨-٢٧١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: التواضع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق، والبذل في أبواب الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا.

خامسًا: من صفات المدعو: الالتزام بأوامر النبي ﷺ وعدم مخالفتها.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وشناعة الشرك.

سابعًا: من حقوق المدعو: مراجعة الداعية للتأكد من بعض الأمور.

أولاً - من صفات الداعية: التواضع:

يظهر ذلك في قول أبي ذر رضي الله عنه: "كنت أمشي مع النبي ﷺ"، قال ابن علان: (فيه كمال تواضعه ﷺ مع أصحابه وعدم ترفعه على أحد منهم)[2]. التواضع خلق حميد، اتّسم به الأنبياء والعلماء والصالحون، ويكون بتنازل المرء عن شيء من قدره لغرضٍ نبيل، وفيه دليلٌ على شفافية الروح، ورجاحة العقل، وطمأنينة النفس، وصدق الشعور بوجود الآخرين وبالنفس.

والتواضع خلق - كسائر الأخلاق - ذو شقين: فردي واجتماعي؛ فهو في جانبه الشخصي يعكس حالة عليا من التسامي الروحي يتمثل في كسر الميل النفسي إلى التسلط والتفرد، ونفي دواعي العُجب والغطرسة والخيلاء؛ وهذا كله يشق على النفس الإنسانية اتباعه لما يخالف ما رُكِّب في هواها من مسارعةٍ في حب الذات والاستجابة إلى نزعاتها الأنانية ورغبة التملك المطلقة.

ولا يلبث الإنسان المتواضع أن يحصد ثمار تواضعه، وتظهر آثار سلوكه في تعامله الاجتماعي مع الناس، عندما يلتمسون معنى التواصل الإنساني وترك الزيف والادعاء، ويُبدي لهم بشرًا ومباسطةً بعيدة عن التكلف والاصطناع، فعند ذلك تُفتح له القلوب

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٦٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٠٤.

وتلين له النفوس ويصيب منها موقعًا عظيمًا، فينقلب إلى سيّد تنقاد إليه الرغائب طواعية، وينال من التقدير والإكبار والاحترام ما يعجز عن نوله وبلوغه كل أحمق متكبر، ظن أن التعالي على الناس والترفع عن مُوادّتهم والتباسط إليهم يجعله ذا مكانة في نفوسهم.

ثمة حقيقةٌ واضحةٌ تغيب عن أذهان كثير من الناس، في زحمة الحياة ومواجهة مشكلات التفاعل البشري اليومية، هي أن التواضع مفتاح القلوب والسبيل إلى ولوجها والتمكن منها، إذ أن "من لانت كلمته وجبت محبته". لعل ذلك يبدو أمرًا معروفًا لا لبس فيه، لكن مظاهر التعامل الاجتماعي تؤكد غياب هذا المفهوم من الناحية النظرية فضلاً عن الناحية العملية[1].

فقد كان رسول الله ﷺ مع رفعة مقامه شديد التواضع فعندما رأى رجلاً يرتعد منه كان يظنه كملوك الأرض، قال له رسول الله ﷺ "هون عليك فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد"[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يمشي مع أصحابه رضي الله عنهم، ويجلس معهم، ويسعى في قضاء حوائجهم، ولا يستنكف من الجلوس مع فقرائهم وكان يتلطف مع الصغار والأطفال ولا يسارع في نزع يده عندما يصافح أحدًا وغير ذلك من الشواهد التي تدل على تواضعه ﷺ مما يستوجب الاقتداء به.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق، والبذل في أبواب الخير:

إن من موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الحث على الإنفاق والبذل في أبواب الخير، ويتضح هذا من قول رسول الله ﷺ "ما يسرني أن عندي مثل أحد ذهبًا تمضي عليه ثلاثة أيام عندي منه دينار..."، وقوله: "لو كان لي مثل أحد ذهبًا لسرني أن لا تمر عليه ثلاث ليال وعندي منه شيء....."، قال ابن حجر: فيه الحث على الإنفاق في وجوه الخير[3].

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٥/١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٣١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٧٧).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١١.

فالإنفاق والبذل في أبواب الخير من أعظم القربات ثوابًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١].

قال ابن كثير: (هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار، حتى أن النفقة على الأهل تدخل في ذلك"[٢]. كما قال رسول الله ﷺ: "وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعه، حتى ما تجعل في في امرأتك)[٣]. والإنفاق له أثر على أخلاق الناس فهو يخلصهم من الشح -وهو عدم الإجمال في الطلب والتكالب على الجمع - ومن البخل وهو التقتير خوفًا من الفقر أو حبًا للمال ورغبة في عدم التفريط فيه، حتى أن البخيل قد يكتفي بالجمع للمال دون أن يظهر أثر نعمة الله عليه في ملبسه ومأكله ومسكنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

وقد ذمَّ الرسول الكريم ﷺ الشح والبخل بشدة وأثنى على الكرم والسخاء وبذل المال في سبيل الله. وضرب الرسول ﷺ في ذلك الأمثال، فقال: ((مَثَلَ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ. كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ. قَدِ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى ثُدِيِّهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا. فَجَعَلَ الْمُتَصَدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ. حَتَّى تُغَشِّيَ أَنَامِلَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ. وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ. وَأَخَذَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا)). قَالَ أبو هريرة - راوي الحديث - : (فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ. فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَوَسَّعُ)[٥]. قال ابن القيم معقبًا: (لما كان البخيل محبوسًا عن الإحسان،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٧/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٧٣/٤٤٠٩، ومسلم ١٦٢٨.

(٤) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٧٩٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٢١.

ممنوعًا من عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر، ممنوع من الانشراح، ضيق العطن صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن، لا يكاد تُقضى له حاجة، ولا يُعان على مطلوب)[١].

ولا شك أن الإنفاق في سبيل الله يحتاج إلى الترشيد في هذا العصر بحيث تراعى الأولويات، من دعم المجاهدين وإغاثة الملهوفين ورعاية المستضعفين، والاهتمام بتعليم أبناء المسلمين المغتربين، وكذلك في ديار المسلمين الفقيرة التي لا تتمكن من الصرف على التعليم، والإنفاق على طبع الكتب الإسلامية النافعة وقف الأموال على المدارس الدينية، ورعاية اليتامى والأرامل، وقبل ذلك كله نفقة الإنسان على أهله، ففي الحديث: ((إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة))[٢].

والإنفاق في سبيل الله في الأمور المندوبة والواجبة من أموال الأفراد الخاصة أساس في بنية المجتمع الإسلامي، وهو يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي والانتعاش الاقتصادي بدوران المال بين عدد كبير من الناس مما يثمر حركة نشيطة في البيع والشراء نتيجة ارتفاع القدرة الشرائية عند الأفراد، لذلك سعى الإسلام إلى توزيع الثروات وتفتيتها وتأكيد الحقوق العامة فيها، فنهى عن السرف وتبديد المال وحجر على السفهاء، وشرع نظام الميراث الذي يفضي إلى عدم حصر الثروة بابن العائلة الكبير أو بالذكور مستهدفًا أن تعم الفائدة على أكبر عدد من الناس، وكذلك تشريع الزكاة يهدف إلى الارتفاع بمستوى الفئات الفقيرة من أبناء المجتمع، وتحقيق مشاركتهم في التملك والاستثمار والاستهلاك مما يعود بالخير على تماسك المجتمع وتحقيق المودة بين المسلمين إضافة إلى تنشيط الحركة الاقتصادية.

ومضى الصحابة رضي الله عنهم يتصدقون بالأموال العظيمة في سد الخلل في المجتمع وأعمال المروءات، وتجهيز الجيوش، ونشر العلم والعمران، ويحثون على الصدقة، وشعارهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣]. فكان

---

(١) الوابل الصيب، ابن القيم، ص ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥١ واللفظ له، ومسلم ١٠٠٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

عمر رضي الله عنه يقول: (ذكر لي أن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم)[١].

وكان بعض الصحابة - عبدالرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما - يطوف بالبيت الحرام وليس له دأب إلا هذه الدعوة: رب قني شح نفسي، رب قني شح نفسي، فقيل له: أما تدعو بغير هذه الدعوة؟ فقال: إذا وقيت شح نفسي فقد أفلحت[٢].

ورغم كثرة الإنفاق، فإن الأموال كانت تزيد زيادة عظيمة[٣].

فينبغي على الداعية أن يدعو الناس للإنفاق والبذل في أبواب الخير، وعليه أن يبين لهم ثواب ذلك وفضله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على المسارعة في أداء الدين:

إن موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الحث على المسارعة في أداء الدين، وهذا يظهر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... إلا شي أرصده لدين ..."، قال الحافظ ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه إشارة إلى عدم الاستغراق في كثير الدين والاقتصار على اليسير منه أخذًا من اقتصاره على ذكر الدينار الواحد، ولو كان عليه مائة دينار مثلاً لم يرصد لأدائها دينارًا واحدًا، وفيه الاهتمام بأمر وفاء الدين، وما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الزهادة في الدنيا)[٤].

وقال العيني: (ومما يستفاد من الحديث الاهتمام بأمر الدين وتهيئته لأدائه وصرف المال إلى وجوه القربات عند القدرة عليه والخوف من استغراق الدين لان المديون إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف والاحتراز من المطل عند القدرة لأنه في معنى الخيانة في الأمانة، وقد جاء في خيانة الأمانة من الوعيد ما رواه إسماعيل بن إسحاق من حديث زاذان عن عبدالله بن مسعود قال عن القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الدين والأمانة، قال: وأعظم ذلك الأمانة تكون عند الرجل فيخونها فيقال له يوم القيامة: أدّ

---

(١) تفسير الطبري ٢٨/٤٣.

(٢) تفسير الطبري ٢٨/٤٣.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص ٣٠٩، ٣١٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٥.

أمانتك. فيقول: من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: نحن نريكها فيمثل له في قعر جهنم فيقال له: انزل فأخرجها فينزل فيحملها على عنقه حتى إذا كاد زلّت فهوت وهوى في إثرها أبدًا، وفيه ما يدل على فضل أمة محمد ﷺ)[١]. والحث على المسارعة في أداء الدين من الأشياء ينبغي أن يحرص عليها المسلم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٢].

والدين حق على المدين، ومن لم يف بذلك فلم يؤد الحقوق إلى أهلها، أو أخرها تأخيرا بالغًا فقد حمل نفسه إثمًا عظيمًا ووزرًا وعذابًا أليمًا، وسيقتص منه يوم القيامة[٣]. قال رسول الله ﷺ: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"[٤].

فينبغي على المسلم المسارعة إلى أداء ما عليه من دين في الدنيا حتى لا يقتص منه يوم القيامة.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا:

من موضوعات الدعوة في هذين الحديثين الزهد في الدنيا، وذلك يستنبط من قوله ﷺ في الحديثين: "لو أنه له من مال مثل جبل أحد ما أبقى منه شيء بعد ثلاث أيام".

قال ابن حجر: وأن النبي ﷺ كان في أعلى درجات الزهد في الدنيا بحيث إنه لا يحب أن يبقى بيده شيء من الدنيا إلا لإنفاقه فيما يستحقه"[٥].

وقال ابن عثيمين: (وهذا يدل على أن النبي ﷺ من أزهد الناس في الدنيا؛ لأنه لا

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٩/١٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١.

(٣) انظر: دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص ٢٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٥/١١.

يريد أن يجمع المال إلا شيئًا يرصده لدين، وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لأهله)[١].

والإنسان إذا عرف حقيقة الدنيا وحقارتها، وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته[٢]؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

خامسًا - من صفات المدعو: الالتزام بأوامر النبي ﷺ وعدم مخالفتها:

يظهر ذلك في التزام أبي ذر رضي الله عنه بأمر رسول الله ﷺ بالثبات مكانه حتى يأتيه رسول الله ﷺ رغم أنه سمع صوت فخاف على رسول الله ﷺ ولكن ذكر الأمر فالتزم به، ففي الحديث الوقوف عند أمره ﷺ ولزوم طاعته قال ابن حجر: (ففيه أن امتثال أمر الكبير والوقوف عنده أولى من ارتكاب ما يخالفه بالرأي، ولو كان فيما يقتضيه الرأي توهم دفع مفسدة حتى يتحقق ذلك فيكون دفعها أولى اهـ)[٤].

وهذا ما يجب أن تكون عليه جميع الأمة، وذلك لأن رسول الله ﷺ معلم الأمة الذي أمر الله عز وجل بطاعته، فلا تصح مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾[٥]. وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم[٦]، فينبغي على المسلم الالتزام بأوامر النبي ﷺ ويدعو المدعوين إلى ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٩٥/١.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٢٦٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٤/١١.

(٥) سورة النور، آية: ٥٤.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٦/٦.

سادسًا - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد وشناعة الشرك:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "ذاك جبريل أتاني فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة... الخ".

فيظهر في ذلك فضل التوحيد وشناعة الشرك، فالتوحيد فضله عظيم والشرك شناعته شديدة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[2].

قال النووي: (أما حكمه ﷺ على من مات يشرك بدخول النار ومن مات غير مشرك بدخول الجنة فقد أجمع عليه المسلمون)[3]. وقال الحافظ ابن حجر: (قوله: "من مات يشرك بالله دخل النار" وقال القرطبي: معنى نفي الشرك أن لا يتخذ مع الله شريكًا في الإلهية، لكن هذا القول صار بحكم العرف عبارة عن الإيمان الشرعي)[4].

والمعنى الإجمالي الجامع للتوحيد: عرّفه السعدي بتعريف شامل جامع، ذكر فيه حد هذا التعريف وكذا تفسيره، وأركانه، فقال: (فأما حده وتفسيره وأركانه فهو أن يعلم، ويعترف على وجه العلم واليقين، أن الله هو المألوه وحده، المعبود على الحقيقة، وأن صفات الألوهية ومعانيها، ليست موجودة بأحد من المخلوقات، ولا يستحقها إلا الله تعالى، فإذا عرف ذلك واعترف به حقًا أفرده بالعبادة كلها الظاهرة والباطنة، لا يقصد - بذلك - غرضًا من الأغراض غير رضا ربه وطلب ثوابه، متابعًا في ذلك رسول الله ﷺ فعقيدته ما دل عليه الكتاب والسنة، وأعماله ما شرعه الله ورسوله،

---

(١) سورة النساء، آية : ٤٨.

(٢) أخرجه مسلم ٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٣٣.

وأخلاقه، وآدابه - الاقتداء بنبيه ﷺ - في هديه وسمته وكل أحواله)[١].

فينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس فضل التوحيد وشناعة الشرك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الله خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به وحاجتهم إليه في عبادتهم إياه وتألههم كحاجتهم وأعظم في خلقه لهم وربوبيته إياهم فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ولا فلاح، ولا نعيم ولا لذة بدون ذلك بحال. بل من أعرض عن ذكره ربه فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى. ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول: لا إله إلا الله، رأس الأمر)[٢].

سابعًا - من حقوق المدعو: مراجعة الداعية للتأكد من بعض الأمور:

يظهر ذلك في قول أبي ذر: "وإن زنى وإن سرق".

قال ابن حجر: (فيه المراجعة في العلم بما تقرر عند الطالب في مقابلة ما يسمعه مما يخالف ذلك، لأنه تقرر عند أبي ذر من الآيات والآثار الواردة في وعيد أهل الكبائر بالنار وبالعذاب، فلما سمع من مات لا يشرك دخل الجنة استفهم عن ذلك بقوله: "وإن زنى وإن سرق"، قوله: "وإن زنى وإن سرق" واقتصر على ذكر هذين لأن أحدهما متعلق بحق الله سبحانه، والآخر بحق العباد، فكأنه يقول: إن من مات على التوحيد دخلها وإن تلبس بمعصية متعلقة بحق الله تعالى أو بحق عباده، وزيادة شرب الخمر في رواية للإشارة إلى فحش تلك الكبيرة لأنها تؤدي إلى خلل في العقل الذي به شرف الإنسان على البهائم. وبوقوع الخلل فيه قد يزول التوقي الذي يحجز عن ارتكاب بقية الكبائر[٣]. فللمدعو الحق في مراجعة الداعية حتى يتأكد ويزول لديه الشك، وعلى الداعية أن يقبل هذه المراجعة دون إنكار منه على من يراجعه من المدعوين.

---

(١) الفتاوى السعدي ١٠/٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٣/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٤/١١.

الحديث رقم (٤٦٥)

٤٦٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي[1] أنْ لاَ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ لَيالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إلاَّ شَيْءٌ أرْصُدُهُ لِدَيْنٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الجملة التي بدأ الحديث بها فيها لون من التشويق نبع من تركيبها حيث بدأت بداية افتراضية كنموذج معد سلفاً لأصحاب الأموال المتراكمة يبين لهم سنة نبيهم عند تكاثر الأموال، لأن كان يخاطب الزمان على امتداده، والمكان على انبساطه، وقوله ﷺ (لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً) كناية عن محبته الإنفاق، وكراهيته للكنز، وتقديم الجار والمجرور (لى) للاختصاص أي لي خاصة، والتعبير بالسرور يوحي بسعادة ممزوجة بالراحة، واللام لتوكيده، وتنكير كلمة (شيء) للتقليل أي لا أبقي، ولو شيئاً قليلا إلا ما أعده لسداد دين لأن الدين لا يغفر لصاحبه حتى يقض دينه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ البخاري: (ما يسرني).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٩ واللفظ له، ومسلم ٩٩١/٣١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٦٦)

٤٦٦ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم[2].

وفي رواية البخاري[3]: ((إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أجدرُ: أحق[4].

ألا تزدروا: ألا تحتقروا[5].

الخلق: الصورة الظاهرة[6].

الحديث يعالج جانباً نفسياً في المسلم بتصحيح طريقة رؤية نعمة الله، وكثير من الناس لا يرون النعمة لأنهم لا يعرفون كيف يرونها لأنهم ولدوا على حالة معينة من الثراء، والصحة والستر، فلم يشعروا بما هم فيه، فإذا رأوا من هم أحسن حالاً في إحدى النعم سخطوا على ما هم فيه، فعلمنا الرسول ﷺ كيف نرى هذه النعم، بأمره (انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) والأمر توجيه وإرشاد بغرض صرف النظر لاستشعار نعم الله، وفيه دعوة ضمنية للقناعة، والرضى، ثم أكد هذا الأمر بالنهي

---

(١) تنبيه: اللفظ الأول ليس متفقًا عليه، وإنما اللفظ الثاني، هو المتفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٦٣/٩) بهذا اللفظ.

(٣) برقم (٦٤٩٠)، وكذا مسلم (٢٩٦٣/٨).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ق).

عن ضده (وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ)، والتعبير بأفعل التفضيل (أسفل) عند النظر إلى الأقل، لأنه كلما رأى نفسه أحسن حالا من غيره كلما استشعر حجم النعمة عليه فناسب أن يتتبع بالنظر فيمن دونه من هو أقلهم، ولذلك عبر بأفعل التفضيل في جانبه، بينما عبر بالظرف في صورة المصدر (فوق) الذي لا يدعوا إلى تتبع الأعلى فيمن فوقه، وقد علله بقوله: (فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ) تحقيقاً للإقناع العقلي ببيان العلة، وهي عدم احتقار نعمة الله، والتعبير بأفعل التفضيل (أجدر) إشارة إلى أن الجدير بالمؤمن ألا يشغل نفسه بتتبع أحوال الناس بين الغنى، والفقر ولا يحتقر نعمة الله عليه، والأجدر منه أن تكون نظرته لمن حوله في متاع الدنيا لمن هو دونه، وفي الاجتهاد في الطاعات لمن هو أعلى منه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل القناعة والرضا والشكر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر التطلع إلى ما في أيد الناس.

رابعًا من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا.

خامسًا: من واجبات المدعو: استشعار فضل الله عليه.

سادسًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "انظروا... ولا تنظروا... فلينظر".

وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة حيث يبيِّن اهتمام الداعية بالدعوة ويشعر المدعوين بأهمية ما يؤمرون به من النظر إلى من هم أقل منهم في شؤون الحياة، وألا ينظروا إلى من هم أعلى منهم شأنا حتى يستشعروا فضل الله عليهم ويذوقوا طعم الرضا.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل القناعة والرضا والشكر:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أرشدنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث إلى الطريق الذي يورثنا القناعة ويملأ نفوسنا بالرضا، ويعرفنا نعم الله علينا لنقوم

بشكرها واستشعار فضل الله تعالى علينا من خلال ما حبانا به من نعم كثيرة، ومن ثم فقد أمرنا النبي ﷺ أن ننظر إلى من هو دوننا في أعراض الحياة الدنيا دون من هو فوقنا فيها لأن ذلك يدعو إلى الاعتراف بنعمة الله علينا وإكبارها والشكر عليها، لا احتقارها والاستهانة بها[1].

إن هذا الحديث الجليل يجعل النفس البشرية راضية مرضية إذا عمل به، فالنفس لها شهواتها ورغباتها وترغب أن تتطلع إلى أرباب الأموال وأحوالهم، وهذا الحديث يضع لهذه النفس حدود هذا التطلع، حيث جعل لها دائرة تنظر فيها لا تتعداها ألا وهي النظر إلى من هو أدنى في أمور الدنيا، وبهذا النظر يستشعر المسلم النعمة التي يتقلب فيها؛ التي لم ينلها مَن هو أدنى منه، فيحمد الله تعالى على ذلك ويشكره على ما حباه من الخير، وبذلك تزداد النعم لأن الله تعالى وعد وأكد: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]، وحينما تلهج الألسنة وتتحرك الجوارح بالطاعة فهو شكر لله تعالى فتزداد النعم.

وبهذا التوجيه النبوي الرشيد تطمئن النفوس وترتاح لأنها قد أحسَّت بنعمة الله عليها، وعلى العكس فإن النفس إذا حلَّقت في سماء النعم التي يتقلب فيها أرباب الثروات وتنظر إلى من هو أعلى منها في الأموال فإنها قد تتأثر وتتحسر وتعتريها الكآبة وقد تقع في مرض الحسد.

فجاء هذا الحديث في قمة التدابير الوقائية من الأمراض النفسية، وعالج بعض المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فهنيئًا لمن عمل به وحصّن نفسه من تلك المصائب.

فينبغي على الداعية توجيه المدعوين إلى القناعة والرضا والشكر وبيان فضل ذلك.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: خطر التطلع إلى ما في أيدي الناس:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث خطر التطلع إلى ما في

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٢١.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

أيدي الناس وذلك؛ لأن الذي لا ينظر إلى من هو أسفل منه يتطلع إلى من هو أعلى منه وينشغل بالدنيا عن الآخرة فيكون في ذلك الندامة والخسران.

قال المناوي: قال الغزالي: وعجب للمرء كيف لا يساوي دنياه بدينه، أليس إذا لامته نفسه فارقها يعتذر إليها بأن من الفسّاق كثرة فينظر أبدًا في الدين إلى من دونه لا لمن فوقه؟ أفلا يكون في الدنيا كذلك؟

وقال الحكيم: لا يزال الإنسان يترقى في درجات النظر علوًا علوًا كلما نال درجة سما به حرصه إلى النظر إلى ما فوقها، فإذا نظر إلى من دونه في درجات الدين اعتراه العجب فأعجب بنفسه، فطال بتلك الدرجة على الخلق، واستطال فرمى به من ذلك العلو فلا يبقى منه عضو إلا انكسر وتبدد، وكذا درجات الدنيا إذا رمى ببصره إلى من دونه تكبر عليه فتاه على الله بكبره وتجبر على عباده فخسر دينه.

وقد أخذ هذا الحديث محمود الوراق فقال: لا تنظرنَّ إلى ذوي المؤثل والرياش، فتظل موصول النهار بحسرة قلق الفراش، وانظر إلى من كان مثلك أو نظيرك في المعاش تقنع بعيش كيف كان وترض منه بانتعاش[1].

قال ابن علان: قال بعض السلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن أرى دار واسعة ودابة فارهة ولا عندي شيء من ذلك، فصحبت الفقراء فاسترحت. وفي معناه ما أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير رفعه "أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه قِمن أن لا تزدروا نعم الله"[2]، وأما إذا نظر في الدنيا إلى من هو دونه ظهر له نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل ما فيه الخير، وكذا إذا نظر إلى من هو فوقه في الدين ظهر له تقصيره فيما أتى به فحمله ذلك على الخضوع لمولاه، وألا ينظر لعمله ولا يعجب به ويزداد في الجهد في العمل والدأب فيه[3].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي (٥٩/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٢/٤ رقم ٧٩٣٩، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان (٤٠٣/٢-٤٠٤).

هذا فالذي لا ينظر إلى منه أسفل ولكن ينظر إلى من هو أعلى منه يورثه ذلك الهم والحزن وينسيه حمد الله وشكره، ويكون غير راضٍ بما قسم الله له، ويكون حاسدًا لغيره على ما آتاه الله من فضله وهذا منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين خطر التطلع إلى ما في أيدي الناس من الغنى.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا:

يستنبط هذا من عموم الحديث فالذي ينظر إلى من هو أسفل منه يكون على رضا بما قسم الله متوكلاً على الله، غني النفس، لا يحرص على الازدياد لغير الحاجة ولا يلح في الطلب، ولا يلحف في المسألة فكأنه واجد أبدًا[2]. والزهد في الدنيا يجعل الإنسان قانعًا بما رزقه الله ولو كان قليلاً.

قال رسول الله ﷺ ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[3].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين فضل الزهد في الدنيا.

خامسًا - من واجبات المدعو: استشعار فضل الله عليه:

ويظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ "فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم".

قال النووي: (قال ابن جرير وغيره: هذا حديث جامع لأنواع من الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير)[4]. وقال العيني: (قوله: "فلينظر إلى من هو أسفل

---

(١) سورة طه، آية: ١٣١.

(٢) انظر: حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله بن سليمان الطيار ص ١٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (٩٧/١٨).

منه" ليسهل عليه نقصانه ويفرح بما أنعم الله عليه، ويشكر عليه وأما في الدين وما يتعلق بالآخرة فلينظر إلى من هو فوقه لتزيد رغبته في اكتساب الفضائل)[١].

فما من حال للمرء إلا وفي الناس من هو دونه فيها كما فيهم من هو أعلى منه فيها، فالعاقل ينظر إلى المبتلى بالأسقام وينتقل إلى ما فضل عليه من العافية التي هي أساس التمتع بطيبات الحياة، وينظر إلى من في خلقه نقص من عمى أو صمم أو بكم أو تشويه في الشكل ويزن ذلك بسلامته من هذه العاهات وأشباهها، وينظر إلى من ابتلي بالدنيا وجمعها مع إهماله القيام بحق الله فيها، ويعلم أنه قد رجحه بالإقلال وبقلة التبعة في الأموال وبسلامة دينه، وينظر إلى من بلي بالفقر المدقع، والدَّين المثقل، وينتقل إلى سلامته منهما وهكذا يوازن بين حاله وأحوال من دونه فيرى تفضيل الله له على كثير من خلقه، ويستعظم نعم الله عليه فليهج بشكره ويجدّ في عبادته استشعارًا لفضل الله عليه[٢].

سادسًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة:

إن من مهام الداعية التي تستنبط من عموم الحديث إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة ويظهر ذلك في إرشاد النبي ﷺ الإنسان المسلم في هذا الحديث ما يحقق له الخير الكثير.

وقال الحافظ ابن حجر: (قال ابن بطال: هذا الحديث جامع لمعاني الخير لأن المرء لا يكون بحال تتعلق بالدين من عبادة ربه مجتهدا فيها إلا وجد من هو فوقه، فمتى طلبت نفسه اللحاق به استقصر حاله فيكون أبدًا في زيادة تقربه من ربه، ولا يكون على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالاً منه، فإذا تفكر في ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمر أوجبه، فيلزم نفسه الشكر، فيعظم اغتباطه بذلك في معاده).

---

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني (٧٩/٢٣).

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٢١.

وقال غيره: في هذا الحديث دواء الداء؛ لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه حسدًا، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعيًا إلى الشكر[1].

فقد أرشد رسول الله ﷺ أمته في هذا الحديث إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة ويدعوهم إلى استشعار نعم الله عليهم فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في إرشاد المدعوين إلى ما يحقق لهم الرضا والسكينة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (٣٢٣/١١).

الحديث رقم (٤٦٧)

٤٦٧ - وعنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تعس: هو دعاء عليه بالهلاك[٢].

عبد الدينار: طالبه الحريص على حِفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبدُه[٣].

القطيفة: كساء له أهداب[٤].

الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام[٥].

الحديث يبدأ بداية خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأن قوله (تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ) دعاء عليه بالتعس، والتعس في اللغة الانحطاط والعثور...، وهو أن يخطئ حجته - من خاصم - وبغيته أن طلب؛[٦] ودعاء الرسول ﷺ بصيغة الماضي يفيد حرصه على تحقق التعس لمن استعبده الدرهم، والدينار بغرض الترهيب من حب المادة، والتكالب عليها، والتعبير بالعبودية للتنفير، والتقبيح وإضافة العبد للدينار للذم، وقوله (عبد الدينار) كناية عن شدة حب المال وإنفاق الوقت، والجهد في إصلاحه كما يتفانى العبد في خدمة سيده، وصورة الرق، والعبودية صورة

---

(١) برقم ٢٨٨٦، و٦٤٣٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٨٤٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ع س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٩/١١.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ط ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ م ص).

(٦) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤٣٣/١، ٤٣٤ في (ت ع س).

منفرة جعلها الرسول ﷺ وسيلة للتنفير من حب المال الذي يستغرق العمر، ويستنفد الجهد، وينسيه ربه، ودينه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من الإفراط في حب المال.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

رابعًا: من واجبات المدعو: القناعة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التنفير من الإفراط في حب المال:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "تعس عبد الدينار...". في هذا الحديث العظيم يعالج النبي ﷺ مرضًا من أمراض الأمة بل البشرية وذلك بتنفير الإنسان من هذا المرض الذي جثى على القلوب ألا وهو الانغماس بالحب الشديد للدنيا، وقد نهى النبي ﷺ عن هذا الحب بهذا الأسلوب البلاغي العالي وبهذا الدعاء الذي يخوف النفس البشرية من مغبة هذا التعلق الشديد بالدنيا. فهل يرضى مؤمن أن يشمله هذا الدعاء؟! قال الطيبي: (خص العبد بالذكر ليؤذن بإنغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا خلاص له عن أسره، ولم يقل: مالك الدينار أو جامع الدينار؛ لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا بقدر الحاجة[1].

فالإنسان بطبيعته محبٌ للمال لأنه من زينات الدنيا قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

ولكن الإفراط في حب المال منهي عنه؛ لأنه يفتن الإنسان ويجعله عبدًا له ويشغله عن طاعة الله قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[3] قال ابن حجر: (أي

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٨٨/٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٨.

تشغل البال عن القيام بالطاعة)[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ))[٢].

فينبغي للداعية أن ينهى المدعوين عن الإفراط في حب المال حتى لا يكونوا عبيدًا له فالمال وسيلة ولكنه ليس الغاية المبتغاة، فالغاية المبتغاة هي رضا الله واستعمال المال فيما يرضيه.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التمثيل:

حيث مثل النبي ﷺ لصور استعباد المال للإنسان بعبد الدينار والدرهم.

وأسلوب التمثيل من الأساليب التي تقرب المعنى وتوضحه للأفهام قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٣] قال الحكيم الترمذي: (اعلم أن ضرب الأمثال لمن غاب عن الأشياء، وخفيت عليهم الأشياء، فالعباد يحتاجون إلى ضرب الأمثال لما خفيت عليهم الأشياء فضرب لهم مثلاً من عند أنفسهم لا من عند نفسه، ليدركوا ما غاب عنهم، فأما من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فلا يحتاج إلى الأمثال، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. قال عز وجل: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾[٤] فالأمثال نموذجات لما غاب عن الأسماع لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا)[٥].

فينبغي للداعية أن يفيد من الأمثال لتوضيح المعاني وتقريبها لأذهان المدعوين في دعوته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التحذير:

وهذا يستنبط من عموم الحديث حيث حذر النبي ﷺ الإنسان الحريص على جمع المال من أن يكون عبدًا له وذلك بقوله ﷺ "تعس عبدالدينار والدرهم..". قال

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١١.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٠٥).

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٤.

(٥) الأمثال من الكتاب والسنة، لأبي عبدالله محمد بن الحكيم الترمذي، تحقيق: محمد علي البجاوي ١، ٢.

الطيبي: (في قوله: "تعس وانتكس"، فيه الترقي في الدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس انكب على وجهه، فإذا انتكس انقلب على رأسه، وقيل التعس الخر على الوجه والنكس الخر على الرأس... وهذا دعاء عليه بالهلاك). وقال ابن حجر: (وقوله: "عبدالدينار" أي: طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه: فكأنه لذلك خادمه وعبده... وفيه إشارة إلى الدعاء عليه بما يثبطه عن السعي والحركة، وسوغ الدعاء عليه كونه قصر عمله على جمع الدنيا واشتغل بها عن الذي أمر به من التشاغل بالواجبات والمندوبات)[١].

قال سليم الهلالي: (وفيه التحذير من العبودية لغير الله، وخاصة لهذه الأشياء الفانية كالمال والكساء)[٢]. وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية البعد عن حب المال والحرص عليه، حتى لا يكون الإنسان بمثابة العبد له ومما أفاده التحذير خطورة وقوع المؤمن في هذا الأمر.

رابعًا - من واجبات المدعو: القناعة:

يستنبط هذا من عموم الحديث، لأن الإنسان القنوع لن يكون عبدًا للمال وسوف يكون راضيًا بما أُعطي وإن لم يُعط صبر؛ لأنه عبدٌ لله وليس عبدًا للمال. والعبودية لله تورث الرضى والقناعة على خلاف العبودية لغير الله؛ فإنها تولد الشح والبخل والهلع والأثرة[٣]. وقال المناوي: (قال الغزالي: سبيل النجاة أن تخلص عملك وتجرد إرادتك لله والقلوب والنواصي بيده سبحانه وتعالى، فهو يميل إليك القلوب، ويجمع لك النفوس، ويشحن من حبك الصدور، فتنال من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك، وإن لم تفعل وقصدت رضا المخلوق دونه صرف عنك القلوب ونفر منك النفوس، وأسخط عليك الخلق أجمعين فتكون من الخاسرين)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٩/١١.

(٢) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٥٣٤/١-٥٣٥.

(٣) المرجع السابق ٥٣٤/١-٥٣٥.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢١٨/١.

والقناعة من أهم صفات المؤمنين؛ لأن المؤمن على يقين بكرم الله ونعمه والقناعة فيها الغنى التام.

قال رسول الله ﷺ ((ليسَ الغِنى عن كثرةِ العَرَض، ولكنَّ الغَنى غِنى النفس))[1] فقد بيّن رسول الله ﷺ أن الغنى ليس بسعة الثروة ووفرة المال وكثرة المتاع ولكن الغنى غنى النفس، فمن استغنى بما في يده عما في أيدي الناس، ولم تتطلع إليه نفسه، وإن كان المال قلاً إذ رضاه بالقسم، وزهده قناعته، جعلته في درجة من الغنى دونها بطبقات أهل الثراء الذين حرموا الرضا والقناعة[2].

فإذا اقتنعت توفرت لك راحة ... إن القناعة للقلوب نقاء[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ٢٤١٧.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٧٨.

(٣) انظر: حديث النفس، عبدالإله بن سليمان الطيار، ص ١٧.

الحديث رقم (٤٦٨)

٤٦٨ - وعنه ﷺ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبعِينَ مِنْ أهْلِ[١] الصُّفَّةِ، مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إمَّا إزارٌ، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا في أعنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصفة: مكان مُظَلَّلٌ في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبان العصر النبوي بعد الهجرة، يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[٣].

رداء: ما يوضع على المنكبين وفوق الكتفين من ثوب وبُرد ونحوهما[٤].

إزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها، ويسمي كذلك: المئزر[٥].

الكساء: اللباس[٦].

الحديث يعرض صورة لما كان عليه المسلمون من ضيق العيش، وقلة ذات اليد مع الزهد في الدنيا، والرضى بما قسم الله، وقول الراوي (لقد رأيت) يؤكد الخبر لأن الرؤية أقوى طرق العلم، وذكر العدد يشير إلى أنه حال كثير من الناس كما توحي به جملة (مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ) حيث دلت النكرة (رجل) على العموم، وحرف الجر

---

(١) لفظ البخاري: (أصحاب).

(٢) برقم ٤٤٢.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٨.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، و٣٦٦.

(٦) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٨٨.

(من) قبلها يدل على الاستغراق، وهذا النفي يوحي بشدة الفقر، ورثاثة الهيئة، والرداء هو ما يستر النصف الأعلى من البدن، والإزار ما يكسو النصف الأسفل، قوله (قد ربطوا) أي الأكسية فحذف المفعول للعلم به قوله (فمنها) أي فمن الأكسية باعتبار أن الكساء جنس، وهذه الصورة تشير إلى انشغالهم بالآخرة، وترك المظاهر، والجري خلف المتاع الزائل رضي الله عنهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم ستر العورة خارج الصلاة: أجمع الفقهاء على وجوب ستر العورة خارج الصلاة بحضرة الناس[١].

٢ - حكم سترة العورة في الصلاة: أجمع الفقهاء على وجوب ستر العورة في الصلاة، وحدها للرجل ما بين السرة والركبة عند الجمهور، وفي رواية للحنابلة أنها الفرجان[٢].

٣ - حكم دخول السرة والركبة في العورة: اختلف الفقهاء على أقوال:

أ - أنهما داخلتان فيها.

ب - أنهما خارجتان عن العورة، وبه قال مالك والشافعي وأحمد[٣].

ج - أن السرة من العورة بخلاف الركبة فليست منها، وجه عند الشافعية[٤].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٨/٣، وبداية المجتهد ٩٤/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠٤/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، أبو الحسن المرداوي ٢٢٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٥٨/١.

(٢) الاختيار ٦١/١ وما بعدها، وبداية المجتهد ١٥٠/١-١٥١، ومغني المحتاج ١٨٤/١-١٨٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠١/١.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٦/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٣/١٣.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٣/٣.

د - أن الركبة من العورة بخلاف السرة فليست منها، وبه قال أبو حنيفة[١].

٤ - ما يجزئ من الثياب في الصلاة: لا يجزئ من الثياب في الصلاة إلا ما ستر العورة عن غيره وعن نفسه، فإن ظهرت عورته له أو لغيره فسدت صلاته، وإن كان من غير عمد فسترها في الحال لم تبطل، وإن تكشف منها يسير لم تبطل صلاته أيضًا، عند الحنفية والمالكية والحنابلة، وقال الشافعية تبطل لأنه حكم تعلق بالعورة واستوى قليله وكثيره كالنظرة[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رقة حال أهل الصُفَّة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: زهد الصحابة ﷺ.

ثالثًا: من واجبات المدعو: إيثار الآخرة على الدنيا.

أولاً - من موضوعات الدعوة: رقة حال أهل الصُفَّة:

يظهر هذا من قول أبي هريرة ﷺ: "... ما منهم رجل عليه رداء: إما إزار وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ الساقين..."، وهذا يدل على رقة حالهم، وقد جاء في الحديث: (أهل الصُفَّة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، إذا جاءته ﷺ الصدقة أرسل بها إليهم ولم يُصب منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها)[٣].

فقد كان رسول الله ﷺ يواسيهم ويمدهم بما عنده من طعام، وقد ورد في ذلك ما أخرجه الحاكم عن طلحة البصري قال: كان الرجل منا إذا قدم المدينة فكان له

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٥٧/١، ٢٥٨، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٨٦/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٤٤/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٥٠/١، ١٥١، والمهذب ٩٣/١، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠٣/١، ٥٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥٢.

بها عريف نزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصُّفَّة، فقدمت فنزلت الصُّفَّة، فكان يجري علينا من رسول الله كل يوم مدٌّ من تمر بين اثنين ويكسونا الخنف، فصلّى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار، فلما سلَّم ناداه أهل الصفة يمينًا وشمالاً: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الشدة ما لقي من قومه حتى قال: ((وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ وَعلَى صاحِبِي بِضْعَ عَشْرَةَ وَما لي وَلَهُ طَعامٌ إلا الْبرير، قال: قلت لأبي حرب: وأيّ شيء البرير؟ قال: طعام رسول الله ثمر الأراك، فَقَدِمْنا عَلى إِخْوانِنا هؤُلاءِ مِنَ الأَنْصارِ وَعظمُ طعامِهِم التَّمْرُ فَواسونا فِيهِ وَاللهِ لَوْ أَجِدُ لَكُمْ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ لأَشْبَعْتُكُمْ مِنْهُ وَلَكِنْ عَسى أَنْ تُدْرِكوا زَمانًا حَتّى يُغْدى عَلى أَحَدِكُمْ بجَفْنَةٍ وَيُراحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى، قال: فقالوا: يا رسول الله أنحن اليوم خير أم ذاك اليوم؟ قال: بَلْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ أَنْتُمُ الْيَوْمَ مُتحابّونَ وَأَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ))، أراه قال: متباغضون[1].

وقد أخرج الحاكم غيره من الأحاديث الواردة في معاشرة أهل الصفة وقال: "تأملت هذه الأخبار الواردة في أهل الصفة فوجدتهم من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عزّ وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيّه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عزّ وجل وترك الدنيا لأهلها ...، فمن جرى على سنتهم وصبرهم على ترك الدنيا والأنس بالفقر وترك التعرض للسؤال فهم في كل عصر بأهل الصفة مقتدون وعلى خالقهم متوكلون[2].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصُّفَّة كانوا أناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَإِنْ أَرْبَعٌ فَخَامِسٌ أَوْ سَادِسٌ))[3]، كل ذلك يدل على رقة حال أهل الصُّفَّة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٤/٣، رقم ٤٣٤٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٥٥٣/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: زهد الصحابة رضي الله عنهم:

يُستنبط هذا من عموم الحديث فقد كان الصحابة رضي الله عنهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة، وقد ورد في زهد الصحابة رضي الله عنهم الكثير من الأحاديث والآثار منها.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ ثَلاثُمَائَةَ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَفَنِيَ زَادُنَا حَتَّى كَانَ يَكُونُ لِلرَّجُلِ مِنَّا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَأَيْنَ كَانَتْ تَقَعُ التَّمْرَةُ مِنَ الرَّجُلِ؟ فقال: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَقَدْنَاهَا فَأَتَيْنَا الْبَحْرَ فَإِذَا نَحْنُ بِحُوتٍ قَدْ قَذَفَهُ الْبَحْرُ فَأَكَلْنَا مِنْهُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا مَا أَحْبَبْنَا))[1].

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا والتقلل منها والصبر على الجوع وخشونة العيش وإقدامهم على الغزو مع هذا الحال)[2].

وهذا عمر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين يرقع ثوبه، فعن أنس رضي الله عنه قال: (رأيت عمر وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها على بعض).

وقال معمر في حديثه: "لما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض. فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم يرّ في بيته إلا سيفه وترسه ورحله"[3].

ثالثًا - من واجبات المدعو: إيثار الآخرة على الدنيا:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فأهل الصُفَّة كانوا زاهدين في الدنيا إيثارًا للآخرة عليها؛ لأنهم يعلمون أن الآخرة خير وأبقى، ومتاع الدنيا قليل، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٣، ومسلم ١٩٣٥، والترمذي ٢٤٧٥ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٤.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، جمع: أحمد فريد، ص ٥٦ - ٥٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٧٧.

وقد كان ﷺ يربي صحابته رضي الله عنهم على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، فكان يقول: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[1].

فينبغي على المدعو أن يؤثر الآخرة على الدنيا ويقتدي برسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

قال ابن القيم: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر: في الدنيا، وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم من حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها.. فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بُد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2].

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة. فإذا تم هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه. فكل أحد مطبوع على أن يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل، وقويت رغبته في الأعلى الأفضل. فإذا أثر الفاني الناقص، كان ذلك إما لعدم رغبته في الأفضل.

وكل واحد من الأمرين يدلُّ على ضعف الإيمان، وضعف العقل والبصيرة. فإن الراغب في الدنيا، الحريص عليها، المؤثر لها، إما أن يصدق بأن ما هناك أشرف

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٧.

وأفضل وأبقى، وإما أن لا يصدق؛ فإن لم يصدق بذلك كان عادمًا للإيمان رأسًا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره، كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري، لا ينفك العبد من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدّوها سجنًا لا جنة. فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب. فقد عُرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل)[1].

---

(١) الفوائد ١٤٠ - ١٤١.

الحديث رقم (٤٦٩)

٤٦٩ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الحديث يقوم على جملتين قصيرتين في كل واحدة منهما تشبيه بليغ، وبين الجملتين طباق يؤكد المعنى الفارق بين الإيمان الموجه للأفعال، والذي يربط صاحبه بأوامر الله، ونواهيه ويقيده بقيد الشرع، وبين الكافر الذي يعيش دون منهج يحكمه، فيفعل ما يشاء يسوقه هواه إلى حيث رداه كما طابق بين النتيجتين المترتبتين على نوع الاعتقاد، وإذا نظرنا إلى التشبيهين في الجملتين نجد أنهما يشيران إلى عدة دلالات منها: الإشارة إلى أن المؤمن يحي بين أمر الله، ونهيه مسجون في الأمر، والنهي لا يخرج عنهما كما لا يخرج المسجون، وفي المقابل يصور التشبيه الكافر بالحر الطليق من القيود، لا تحده حدود، ولا يعترف بقيود كما يشير التشبيه بالسجين إلى قلة المتاع، وقلة القواطع لأن السجين منقطع عن المتاع منقطع عن الناس، انفراد السجين يشير إلى انفراد المؤمن عن الناس وجمعيته بربه، تسبيه المؤمن بالسجين يقرر أن حريته الحقيقية عند خروجه من الدنيا ولقاء ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تسلية المؤمن لما يواجهه من منغصات في الدنيا.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تسلية المؤمن لما يواجهه من منغصات في الدنيا:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

---

(١) برقم ٢٩٥٦/١.

وفي ذلك بشرى عظيمة للصابرين على فعل الطاعات والحسنات واجتناب المعاصي والسيئات، وأن هذا السجن لم يلبث المؤمن فيه إلا فترة لا يمكن تقدير زمن قصرها بالنسبة للآخرة التي لا يمكن تقدير زمن طولها؛ لأنها ما لا نهاية، هذا بالنسبة للفترة الزمنية، أما بالنسبة للطيبات فإن طيبات الدنيا قليلة جدًا بالنسبة للجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال المناوي: الدنيا أي الحياة الدنيا سجن المؤمن بالنسبة لمن أعد له في الآخرة من النعيم المقيم، وجنة الكافر بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم، وعمّا قريب يحصل في السجن المستدام - نسأل الله السلام يوم القيامة - وقيل المؤمن صرف نفسه عن لذاتها فكأنه في السجن لمنع الملاذ عنه، والكافر سرحها في الشهوات فهي له كالجنة.

قال السهروردي: والسجن والخروج منه يتعاقبان على قلب المؤمن على توالي الساعات ومرور الأوقات، لأن النفس كلما ظهرت صفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد، وهل السجن إلا تضييق وحجر من الخروج؟ فكلما همَّ القلب بالتبري عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تشهيًا إلى الآجلة وتنزهًا في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب، فتدلى بحبل النفس الأمَّارة إليه فكدُر صفو العيش عليه، وحالَ بينه وبين محبوب طبعه، وهذا من أعظم السجون وأضيقها، فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحُبت وضاقت عليه نفسه...

ذكروا أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة[1] مرَّ يومًا بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار، وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والشناعة، فقبض على لجام بغلته. وقال: يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، فأي سجن أنت فيه؟! وأي جنة أنا فيها؟! فقال: أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في جنة، فأسلم اليهودي[2].

---

(١) الأفضل أن يقال: كبير القضاة أو شيخ القضاة.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٤٦/٣.

قال النووي: (أي كل مؤمن مسجون ممنوع من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد الله له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان، وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد)[١].

والمؤمن تقابله بعض المنغصات في الدنيا فأراد رسول الله ﷺ أن يفرّج عنه ويعلمه أن مهما اشتد به الألم أو المنغصات فإن هذا حال الدنيا وأن ذلك هو الذي سوف يوصله للجنة، قال رسول الله ﷺ ((حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ. وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ))[٢] فالمكاره يدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ والعفو والحلم والصدقة والإحسان إلى المسيء والصبر على الشهوات ونحو ذلك[٣]. فينبغي على الداعية أن ينهج نهج رسول الله ﷺ في تسلية المدعوين لما يواجههم من من منغصات.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: شحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة:

وهذا يستنبط من عموم الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ أن الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر، والدنيا زائلة فانية فلابد للمؤمن أن يستعد ويعمل للجنة الخالدة في الآخرة.

وشحذ الهمم للإقبال والاستعداد للآخرة منهج إسلامي يظهر في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ فهما يحثان المسلمين على العمل الصالح من أجل الاستعداد للآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥٢.

(٤) سورة هود، آية: ٢٣.

وقال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً. يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ))[1] وفي هذا شحذ للهمم على العمل الصالح فينبغي على الداعية شحذ همم المسلمين للإقبال والاستعداد للآخرة.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يستنبط من هذا الحديث، أن جنة المؤمن في الآخرة، كما أن سجن الكافر في الآخرة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[2] فقد أخرج الطبري بسند جيد عن ابن عباس ﴿حَصِيرًا﴾ سجنًا[3]. فبين رسول الله ﷺ حقيقة الدنيا بالنسبة للمؤمن وكذلك حقيقتها بالنسبة للكافر.

فالدعوة إلى الله تعالى لا تكون إلا من نفوس ارتوت من حب الله، فأحبت عباد الله، وكان من حبها لله الغيرة على محارمه أن تنتهك، وعلى ينابيع الخير أن تجف وعلى معالم الحق أن تدرس، ثم كان حبها لعباد الله أن تردهم عن مسارب الضلال ومسالك الغوايات والفتن، وكان طريقها إلى بيانها للحقائق للمدعوين، وهذا من مهام الداعية التي ينبغي أن يحرص عليها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٠٨.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤/٥٠٨.

الحديث رقم (٤٧٠)

٤٧٠ - وعن ابن رضي الله عنهما، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فقال: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبِيلٍ)).

وَكَانَ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: إِذَا أَمْسَيتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

قالوا في شَرْحِ هَذَا الحديث معناه: لاَ تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلاَ تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلاَ تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلاَ بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلاَ تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلاَّ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلاَ تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لاَ يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المنكب: ما بين الكتف والعنق[2].

والرسول ﷺ في هذا الحديث يغرس في نفس المؤمن فكرة الاغتراب ليحدث في وجدانه توازناً يجعله قادراً على رؤية حقيقة الدنيا وهي في الوقت نفسه - فكرة الاغتراب - تشير إلى أن له غاية أسمى ووطناً يجب أن يعود إليه في الجنة التي خرج منها في ركاب أبيه آدم عليه السلام.

ولترسيخ هذا المفهوم استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية منها:

البداية بأسلوب الأمر، واختار صيغة الأمر (كن) الدالة على طلب إحداث أمر لم يكن موجوداً وهو أمر إرشاد وتوجيه لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان في شخص

---

(١) برقم ٦٤١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٩٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ك ب).

عبد الله ﷺ لما يجب أن تكون عليه علاقتهم بالدنيا فلا يستكثرون من متاعها بما يشغلهم عن آخرتهم، ثم يأتي التصوير بالتشبيه لإخراج المألوف القريب (الدنيا) مخرج المستغرب البعيد حيث جعل الدنيا دار غربة الأمر الذي يدفع المؤمن إلى عدم التعلق بشيء فيها وعدم الاستكثار من متاعها فجاء قوله ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حيث شبه الحال التي يجب أن يكون عليها عبد الله ﷺ - وكل فرد من الأمة - بالغريب، أو عابر السبيل بجامع عدم التعلق بما يثقل أو يشغل عن المقصود في كلٍ.

وتشبيه الرسول ﷺ للحال التي يجب أن يكون عليها المؤمن في الدنيا بحال الغريب أو عابر السبيل، له عدة دلالات.

أ- عدم الإكثار في الاختلاط المضيع للوقت والمشتت للهدف وهذا مفهوم من حال الغريب الذي يقتصر في اختلاطه بالناس على ما يحتاج إليه في سفره، ويوضح مقصوده.

ب- عدم انشغال المؤمن بما يفسد قلبه من صراع مع الناس وما يتبعه من حقد، وحسد، ونفاق كما لا ينشغل الغريب بمثل هذه الأمور لعدم اختلاطه بالناس، وقلة معرفته بهم.

ج- وحدة الهدف، وعدم تشعب الهموم بالمؤمن كما أن الغريب هدفه واحد وهو الرجوع إلى لوطنه، كما يدل علي السعي الدائب الدائم الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في الدنيا وعدم الاسترخاء، والركون حتى يلقى ربه كما أن الغريب أو عابر السبيل دائمان في سعيهما حتى يصلا إلى وطنهما.

هـ - بث الشعور الوجداني بالحنين إلى الله، وما ادخره للمؤمن في الآخرة كما يشعر الغريب بحنينه إلى موطنه الأمر الذي يدفعه إلى قطع المسافات وعبور المفاوز يحدوه أمل مغداق، وقلب خفاق.

ثم يأتي أسلوب العطف المقرب للفكرة والموضح دلالة اللفظة حيث عطف قوله ﷺ : (أو عابر سبيل) على قوله: (كأنك غريب)، و(أو) للتنويع فإن قيل الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف؟ أجيب: بأن العبور يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر؛

لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب، وهو من عطف العام على الخاص)[١]، ومما تجدر الإشارة إليه في بلاغة الرسول ﷺ في هذا الحديث ما فيه من إيجاز القصر وإذا كان البلغاء يقولون (البلاغة لمحة دالة، فعبارة الرسول ﷺ : (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل) تطوي معاني كثيرة من تحذير من الدنيا، والاغترار بها، والركون إليها، والتنافس فيها، وما يولده من أحقاد وحسد ونفاق وارتكاب لمختلف الخطايا جرياً وراء شهواتها، وفيها أيضاً توجيه للمؤمنين ممثلين في شخص ابن عمر رضي الله عنهما إلى الغاية العظمى والهدف الأسمى ولفت النظر إلى ما يجب التنافس فيه بالعطف المحقق للتنويع والمؤذن بالمنافسة لاختيار أفضل النوعين في طريق الآخرة.

ولا ننسى - في إطار بلاغة الرسول ﷺ في تهذيب النفس البشرية وعلاج أمراضها - ومنها التعلق بالدنيا ذكاء الرسول ﷺ الفطري في إعداد المخاطب فكرياً، وشعورياً، وهدهدة خواطره عن طريق الحركة السابقة لعبارته والتي حكاها عبد الله رضي الله عنه : (أخذ الرسول ﷺ بمنكبي وقال:...) وهذا الفعل الذي قد يبدو عفوياً يوحي للمخاطب بالمودة والقربى والحظوة من المتحدث إضافة إلى أنه يلفت انتباهه ويضمن إنصاته ويحقق متابعته؛ لذلك تجد الصحابي يحكي فعل الرسول ﷺ معه كما يحكي قوله، وكذا أكثر كلام النبي ﷺ وتوجيهاته تصدر بعد تهيئة ذهنية، وتمهيد فكري وتأثير شعوري، مفضٍ إلى الإقناع، ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب عام يناقش قضية شاملة رغم توجيه الخطاب لشخص بعينه، ومما له اتصال بالموضوع، والخطاب فيه عاماً ما جاء في[٢].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٥/٥٠٠.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٠٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: إظهار الهيئة أو الشكل الذي يكون عليه الداعية.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

رابعًا: من واجبات الداعية: حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الفرص في تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: إظهار الهيئة أو الشكل الذي يكون عليه الداعية:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي". وفي هذا بيان للصورة والشكل الذي كان عليه النبي ﷺ حينما وجه دعوته لابن عمر مما يبعث على الاهتمام والتركيز وشد انتباه المدعو، حيث أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي ابن عمر رضي الله عنهما؛ لأن ذلك من أساليب الدعوة المؤثرة في المدعوين.

قال ابن حجر: (وفي الحديث: فإنه للمعلم الإمساك بأعضاء المتعلم عند التعليم والموعوظ عند الموعظة، وذلك للتأنيس والتنبيه ولا يفعل ذلك غالبًا إلا بمن يميل إليه، وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع)[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر هذا في قول رسول الله ﷺ "كن في الدنيا..." وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعوين أهمية ما يؤمرون به مما يجعلهم حريصين على سماع وفهم ما يحمله هذا الأمر، والاهتمام به لذا يحسن بالداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التشبيه:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب التشبيه ويظهر ذلك في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٩/١١.

قوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". قال الطيبي: ليست أو للشك بل للتخيير والإباحة، والأحسن أن تكون بمعنى بل، قال الجوهري: فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقَّى وأضرَب عنه إلى عابر السبيل، لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقُطَّاع طريق، فإن من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة.

ومن ثم عقبه بقوله: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ... الخ" وبقوله وعد نفسك في أهل القبور، والمعنى: استمر سائرًا ولا تفتر، فإنك إن قصرت انقطعت وهلكت في تلك الأودية، وهذا معنى المشبه به، وأما المشبه فهو قوله: "وخذ من صحتك لمرضك" أي: إن العمر لا يخلو عن صحة ومرض، فإذا كنت صحيحا فسر سير القصد، وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة، بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائما مقام ما لعله يفوت حالة المرض والضعف"[1].

قال ابن عثيمين: (وهذا التمثيل الذي ذكره النبي ﷺ هو الواقع؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر؛ بل هي دار ممر، سريع راكبه لا يفتر ليلاً ولا نهارًا، فالمسافر ربما ينزل منزلاً فيستريح، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائمًا في سفر، كل لحظة فإنك تقطع بها شوطًا من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة.

فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير. أليس ينتهي بسرعة؟ الجواب: بلى، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[2].

وينبغي للإنسان أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضى، فالذي مضى كأنه لا شيء، حتى أمسك الأدنى، كأنك لم تمر به، أو كأنه حلم، وكذلك فما يستقبل من دنياك، فهو كالذي تقدم، ولهذا لا ينبغي الركون إلى الدنيا ولا الرضا بها؛ وكأن الإنسان مخلد فيها.

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٢٧/٣.

(٢) سورة النازعات، آية: ٤٦.

فالتشبيه أسلوب دعوي يجعل القول واضحًا، موجزًا، حكيمًا، ينتصب صدقه في العقول فيألفه الناس ويجري بينهم، ويشيع في أحاديثهم.

والناس من قديم الزمان، يجدون في طبائعهم الميل إلى الاستشهاد بالمثل، فقد يكون أحدهم بصدد حال يحكيها أو يسمعها فيحضره مثل يشابهها في المعنى فيستشهد به، لا لأن الكلام يزيد به صدقًا، بل لأن النفس تستأنس بالمثل، ويلتمع في جوانبها ضوء من وضوحه، وجمال حكمته، فما أسرع ما تتفرج جوانب النفس عن ثغرة يتعانق فيها معنى المثل القديم ومعنى المثل الحديث الجديد ثم تنطبق عليهما في تزاوج ووئام فإذا بالحال التي كانت تحكى قد استقرت لدى السامعين في رضى وقبول واطمئنان ويسمى هذا بضرب المثل أو التشبيه فينبغي على الداعية أن يحرص على الاستئناس في دعوته بالتشبيه وضرب الأمثال حتى يقرب المعنى إلى الأفهام)[1].

رابعًا - من واجبات الداعية: حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "كن في الدنيا كأنك غريب...".

قال ابن حجر: (وقوله: "خذ من صحتك ... الخ" أي: اعمل ما تلقى نفعه بعد موتك، وبادر أيام صحتك بالعمل الصالح، فان المرض قد يطرأ فيمتنع من العمل فيخشى على مَن فرط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد، ولا يعارض ذلك الحديث الماضي في الصحيح إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيحا مقيما لأنه ورد في حق من يعمل والتحذير الذي في حديث بن عمر في حق من لم يعمل شيئًا، فإنه إذا مرض ندم على تركه العمل وعجز لمرضه عن العمل فلا يفيده الندم، وفي الحديث مسٌّ المعلم أعضاء المتعلم عند التعليم والموعوظ، وحرص النبي ﷺ على إيصال الخير لأمته، والحضّ على ترك الدنيا والاقتصار على ما لا بد منه)[2].

فينبغي للداعية أن يحث المدعوين على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ويبين لهم أن الحياة قصيرة فلابد من المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٩/١١.

ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، من المسابقة بمعنى المبادرة والمسارعة أى بادروا بالأعمال الصالحة شكرًا لربكم وتزودوا في دنياكم لأخراكم فإن الله تعالى قد بين لكم سبيل النجاة فلا عذر لكم في التفريط[٣].

فيجب على الداعية حث المدعو على المبادرة إلى الأعمال الصالحة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا:

يظهر هذا في قوله ﷺ "... كأنك غريب أو عابر سبيل"، هذه الوصية الجليلة البليغة ترسخ اصلاً من أصول الزهد، وتعالج مرضًا من أمراض القلوب المتفشي في نفوس عشاق الدنيا، للاهتمام بالآخرة، والقناعة بما رزق الله تعالى وقصر الأمل، والتوازن بين الدنيا والآخرة، ولتعيش النفوس محررة من رق عشق الدنيا والركض وراءها، والتنافس فيها والتقاتل عليها.

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: لما كان الغريب قليل الانبساط إلى الناس بل هو مستوحش منهم إذ لا يكاد يمر بمن يعرفه مستأنس به فهو ذليل في نفسه خائف، وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره إلا بقوته عليه وتخفيفه من الأثقال غير متثبت بما يمنعه من قطع سفره معه زاده وراحلته يبلغانه إلى بغيته من قصده شبهه بهما، وفي ذلك إشارة إلى إيثار الزهد في الدنيا وأخذ البلغة منها والكفاف فكما لا يحتاج المسافر إلى أكثر ما يبلغه إلى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المؤمن في الدنيا إلى أكثر مما يبلغه المحل)[٤].

وقال المناوي: (وهذا أصل عظيم في قصر الأمل، وأن لا يتخذ الدنيا وطنًا وسكنًا بل يكون فيها على جناح سفر مهيأ للرحيل، وقد اتفقت على ذلك وصايا جميع الأمم،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٢٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٨/١١.

وفيه حث على الزهد والإعراض عن الدنيا والغريب المجتهد في الوصول إلى وطنه لا بد له من مركب وزاد ورفقاء وطريق يسلكها، فالمركب نفسه ولا بد من رياضة المركوب ليستقيم للراكب، والزاد التقوى والرفقاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصراط المستقيم، وإذا سلك الطريق لم يزل خائفا من القطاع إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه بينها إلا ذراع أو عابر سبيل)[١]. وفي ذلك حث علي المسارعة في العمل للآخرة وقصر الأمل في الدنيا وعدم الركون إليها، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢]، أمر الله تعالى المسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السموات والأرض، فكيف بطولها التي أعدها للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هى الموصلة إليها"[٣].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: اغتنام الفرص في تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة:

يظهر هذا في قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت، فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك). قال الطيبي: (انظر أيها المتأمل في هذا الكلام الجامع، وانتهز الفرصة لكي لا تندم. ونعم ما قال من قال:

إذا هبت رياحك فاغتنمها ... فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها ... فما تدري السكون متى يكون

فإذا ظفرت بذاك فلا تقصر ... فإن الدهر عادية تخون

قال الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾[٤])[٥].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٢/٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٥- ١١٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٢٨/٣.

وفي ذلك بيان لاغتنام تحصيل الثواب متى استطاع الإنسان ذلك حتى لو حصل له تقصير في وقت ما لا نجبر ذلك، قال رسول الله ﷺ: (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسى كافرًا، أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)[١].

قال النووي: (معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أن يمسى مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب)[٢].

فينبغي على الإنسان العاقل أن يغتنم صحته وأوقاته في طاعة الله وأن يعمل على تحصيل الثواب والاستعداد للآخرة.

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول:"إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، فإنك قد تموت قبل أن تمسي، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح" فإنك قد تموت قبل أن تصبح، ولكن انتهز الفرصة، لا تؤخر العمل، لا تركن إلى الدنيا فتؤمل البقاء مع أنك لا تدري.

"وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" انتهز الصحة، انتهز الحياة، فإنك قد تمرض فتعجز، وقد تفتقر فتعجز، وقد تموت فينقطع عملك[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثمين، ٧٩٧/١.

الحديث رقم (٤٧١)

٤٧١ - وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فقال: ((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ)) حديث حسن رواه ابن ماجه[1]، وغيره بأسانيد حسنة.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

ازهد في الدنيا: قال الزهري: الزهد في الدنيا هو أن لا يغلب الحلالُ شكرُه ولا الحرام صبرَه[2].

الشرح الأدبي

قول الرجل للرسول ﷺ (دلني) دليل على أنه جاء يلتمس الهداية ثم إنه رقيق القلب رقيق المشاعر يريد أن يحيا في محبة الله، ومحبة من حوله، وتلك نية طيبة، وتعبيره بالعمل؛ لأنه يشمل الفعل، والقول، ثم إنه استخدم أسلوب الشرط الذي يربط عمله بالنتيجة التي يطلبها، وقد فهم الرسول ﷺ طبيعته، وأجابه بما يصلح حاله، ويحقق غرضه، بقوله (ازهد في الدنيا يحبك الله) والأمر للنصح والإرشاد، والترغيب في الزهد في الدنيا؛ لأنه يوجب محبة الله - تعالى - ثم إنه أمره بالزهد مرة أخرى فيما عند الناس حتى تتحقق محبتهم له، ونلاحظ شيوع ألفاظ المحبة التي تستصحب أجمل المعاني كالإيثار، والوفاء، والعطاء، وهذه المعاني تحقق السعادة وتنمي روح التعاون.

---

(١) برقم ٤١٠٢، وكذا قال المؤلف في أربعينه ٣١، وقال الحاكم في المستدرك ٣١٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ في بلوغ المرام ١٣٧٦: سنده حسن. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ د).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا، و فيما عند الناس.

خامسًا: من آداب المدعو: السعي لتحصيل محبة الله ومحبة الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: النداء، والسؤال والجواب:

يظهر النداء في قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله..."، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي تلفت الانتباه والتي يستخدمها المدعو مع الداعية للفت انتباهه وإعلامه بالرغبة في الإفادة منه، والسؤال والجواب يظهر في قول الرجل: "دلني على عمل... فقال ﷺ "ازهد فيما عند الناس..." الحديث. وقد أفاد ذلك أهمية السؤال عن الأعمال التي تحبب الإنسان إلى الله تعالى وأيضًا الأعمال التي تجعل الإنسان محببًا إلى الناس ويعد ذلك من المؤشرات الإيجابية التي تدل على سلامة قلب المدعو وحرصه على مرضاة ربه سبحانه وتعالى.

فينبغي للداعية أن يفيد من أسلوب السؤال والجواب ويشجع المدعوين على ذلك؛ لأنه يعدّ من الظواهر الصحية في المجتمع المسلم؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ لمعرفة أمور دينهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس:

ويظهر ذلك في قول الرجل الذي جاء إلى رسول الله ﷺ: "يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس". قال سليم الهلالي في فقه الحديث: (حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يقربهم إلى الله وينفعهم في الناس لتستقيم حياتهم معهم، وهو من باب جمع خيري الدنيا والآخرة)[1]. ومما يؤكد على أهمية معرفة ما يحقق

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١/٥٣٧.

محبة الله تعالى، وما يجلب محبة الناس. إن محبة الله للإنسان أساس كل خير في الدنيا والآخرة: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال: وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه. وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفسِ المؤمن يكرَه الموتَ وأنا أكرَه مَساءته))[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[2].

(فالله تبارك وتعالى هو الودود، الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم وهم يحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء، قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليه ودًا ومحبة وإنابة.

وهو سبحانه الودود، الذي يحب ويود من أناب إليه، وذو المغفرة لمن تاب إليه، الواد لأهل طاعته، الراضي عنهم بأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها.

وهو سبحانه الودود، الذي يحب من أطاعه، ويبغض من عصاه، يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المؤمنين والمتقين، ويحب الصابرين والصادقين، ويحب المحسنين والمتوكلين.

ويبغض ويكره الكافرين والمشركين، والمستكبرين والمفسدين، والظالمين والفاسقين، والمسرفين والخائنين، والكاذبين والمنافقين.

فعلى المسلم أن يفعل ما يحبه الله ويرضاه، ويجتنب ما يبغضه ويسخطه، وأن يتودد إلى ربه بامتثال أمره واجتناب نهيه. كما تودد إليه ربه بإدرار نعمه وفضله، وأن يحبه كما أحبه، ويحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليه)[3].

أما محبة الناس فهي أساس التعاون والمودة والرحمة فإذا أحب الناس بعضهم بعضًا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) سورة البروج، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٣) موسوعة فقه القلوب، د. محمد بن إبراهيم التويجري ١/٢٣٧.

عمتهم البركة وساد بينهم التعاون والإيثار والأمن لذلك حرص الصحابة ﷺ على معرفة ما يؤدي إلى محبة الناس. قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[1]. فصحابة رسول الله كانوا حريصين على معرفة ما يؤدي إلى محبة الله ومحبة الناس.

ولهم في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة فقد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "ازهد في الدنيا... وازهد فيما...".

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعوين بأهمية ما يؤمرون به مما يبعث على الاهتمام فهو بذلك من دواعي التركيز والانتباه.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في الدنيا، و فيما عند الناس:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس".

قال الطيبي: (فيه دليل على أن الزهد في الدنيا أعلى المقامات وأفضلها؛ لأنه جعله سببًا لمحبة الله تعالى وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى)[3].

أما الزهد فيما عند الناس: "فإن من أشرف المنى ترك الطمع إلى الناس إذ لا غنى لذي طمع وتارك الطمع يجمع به غاية الشرف، فطوبى لمن كان شعار قلبه الورع ولم يعم بصره الطمع.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ص ٨٤-٨٥.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٧/٩.

"ومن أحب أن يكون حرًا فلا يهوى ما ليس له؛ لأن الطمع فقر، كما أن اليأس غنى، ومن طمع ذل وخضع، أن من قنع عف واستغنى"[١].

ففي هذا الحديث يرشد رسول الله ﷺ المؤمنين بالتقلل من أمور الدنيا لكي لا تتعلق نفوسهم بملذات الدنيا والإكثار منها، وأن تكون الدنيا بأيديهم لا بقلوبهم، حتى يتمكنوا من الإقبال على عبادة الله تعالى بإخلاص، فينالوا محبة الله تعالى، وهذا لا يعني ترك الدنيا إطلاقًا ولكن الوسطية مطلوبة إذ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢].

وفي هذا الحديث معالجة للمشكلات الاقتصادية التي يعاني منها البشر في هذا الزمان، الذين يتسابقون ويتنافسون على جمع المال، وقد يشوبه الربا والشبهات ثم لا يحسنون التصرف فيه فيعيشون حياة الإسراف والبخل، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٣].

وبالتقلل من ملذات الدنيا يقل هذا التسابق المحموم والتنافس المذموم، ويحبب الناس إلى أرباب هذا الفعل المحمود.

وقد بين العلماء الزهد وأنواعه قال العلامة ابن قيم الجوزية: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة. والورع ترك ما تخاف ضرره في الآخرة.

وهذه العبارة من أحسن ما قيل في (الزهد، والورع) وأجمعها.

وقال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا لبس العباء.

وقد قال أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ١٤٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٩.

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين[١].

وقال المناوي: (ازهد) من الزهد بكسر أوله وقد يفتح وهو لغة: الإعراض عن الشيء احتقارًا. وشرعًا: الاقتصار على قدر الضرورة مما يتيقن حِله.

وقيل: أن لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود في الدنيا باستصغار جملتها واحتقار جميع شأنها لتحذير الله تعالى منها واحتقاره لها، فإنك إن فعلت ذلك يحبك الله لكونك أعرضت عما أعرض عنه ولم ينظر إليه منذ خلقه.

وفي إفهامه أنك إذا أحببتها أبغضك فمحبته مع عدم محبتها؛ ولأنه سبحانه وتعالى يحب من أطاعه ومحبته مع محبة الدنيا لا يجتمعان، وذلك؛ لأن القلب بيت الرب فلا يحب أن يشرك في بيته غيره، ومحبتها الممنوعة هي إيثارها بنيل الشهوات لا لفعل الخير والتقرب بها، والمراد بمحبته غايتها من إرادة الثواب فهي صفة ذاتية أو الإثابة فهي صفة فعلية، وازهد فيما في أيدي الناس منها يحبك الناس؛ لأن قلوبهم مجبولة على حبها مطبوعة عليها ومن نازع إنسانا في محبوبه كرهه وقلاه، ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه ولهذا قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس حتى يطمع في دنياهم فيستخفون به ويكرهون حديثه[٢].

خامسًا - من آداب المدعو: السعي لتحصيل محبة الله ومحبة الناس:

يظهر ذلك في قول الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ: "يارسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس".

فالإنسان العاقل يجب أن يسعى لتحصيل محبة الله ومحبة الناس، ومحبة الله تعالى أساس لمحبة الناس، قال رسول الله ﷺ: "إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل، إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/١٠-١٢.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١/٤٨١.

قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض"[١]. ومحبة الله تدرك بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والتقرب إليه بالطاعات فيجب على المسلم أن يحرص على طاعة الله حتى يحبه الله عز وجل.

أما محبة الناس فإنها مما ينبغي أن يحرص عليها الإنسان، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على محبة الناس، ويظهر ذلك في قصة أبي هريرة رضي الله عنه وأمه عندما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء لهما بمحبة الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم حبب عبيدك هذا، يعني: أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين"، فما خُلِقَ مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[٢]. ولمنزلة المتحابين في الله شأن عظيم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الله تعالى يقول: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي))[٣].

فليحرص كل مؤمن على تحصيل هذه المنزلة عن طريق الحب في الله عز وجل، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يحكي عن ربه تبارك وتعالى يقول: ((حقت محبتي للمتحابين في))[٤].

اعلم أن هذا الثواب في هذه المحبة إنما يكون إذا كانت في الله خالصة لا يشوبها كدر، وإذا قويت محبة الله عز وجل في القلب قويت محبته بعباده، فلينظر الإنسان من يؤاخي ممن يحب، ولا ينبغي أن يتخير إلا من سَبَرَ عقله ودينه[٥].

فمن آداب المدعو أن يسعى لتحصيل محبة الله ومحبة الناس.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٠٨.

(٤) موطأ مالك ١٧١١، ٢/٩٥٣.

(٥) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، ص ٤٨٣.

الحديث رقم (٤٧٢)

٤٧٢ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه، مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

الدِّقْل: ردىء التمر[2].

سمة الصالحين تدبر الأحوال، ومراجعة الأعمال، والاعتبار بحوادث الأيام، وهذا الحديث يحكي مراجعة أمير المؤمنين لماضي الأمة، وحالهم مع رسول ﷺ، وقول الراوي (مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا) كناية عما فتح الله عليهم من الأمصار، وما جمعوا من الغنائم، والتعبير بالإصابة دلالة على التحقق، ، والمقصود بالناس المسلمون خاصة، وقوله (لَقَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي) التعبير بالفعل رأى يؤكد وضوح الذكرايات؛ لأنها بنيت على أقوى طرق العلم، وقد أكده باللام الموطئة للقسم، وقد الداخلة على الماضي، والتعبير بالفعل (يظل) يفيد الاستمرار بدلالته، وبصيغته كما يستحضر الصورة، وما أدق استخدامه للفعل يتلوى، والذي يصور حركة الأمعاء يطوي بعضها بعضاً ثم إن الظرف(اليوم) يعطي حركة الفعل امتداداً على المدى الطويل، ثم زادها امتداداً، وتمطياً بنفي الوجدان الذي يمنح الأمل بانطفاء نار الجوع التي أحرقت الجوف الطاهر - بأبي أنت وأمي يا رسول الله - .

---

(١) برقم ٢٩٧٨/٣٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٢٧.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم الزهد.

رابعًا: من صفات الداعية: الزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا.

خامسًا: من معجزات النبي ﷺ: تكثير الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحكاية:

ويظهر ذلك في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: "رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه".

فهو رضي الله عنه حكى ما كان عليه حال النبي ﷺ، وأسلوب الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط[2].

وقد أفادت الحكاية في هذا الحديث بيان تلك الحالة من الزهد في الدنيا التي كان يعيشها رسول الله ﷺ، وإيثاره لذلك على الشبع والتمتع بملذات الحياة، وقد كان ذلك باستطاعته، فلو أنه ﷺ دعا الله تعالى أن يُحوّل بطحاء مكة ذهبًا، لتحقق له ذلك بإذن الله تعالى، ولكنه آثر عيش الزهد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا:

إن من موضوعات الدعوة التي تظهر من هذه الأحاديث بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الزهد في الدنيا، لقد كان النبي ﷺ أزهد الناس في الدنيا، ويكفي تقلله منها وإعراضه عن زهرتها؛ وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن تُوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله[3]، وهو يدعو ويقول: ((اللَّهُمَّ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٧٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٧٣، ٤٧٤).

(٢) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ص ٣١.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١٩٨/١.

اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ))[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ، ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا. حَتَّى قُبِضَ))[٤]. وعنها رضي الله عنها قالت: ((كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم وحَشْوُهُ لِيف))[٥].

لقد دعا ﷺ إلى الله هنا وهناك وبلّغ رسالته للقاصي والداني، وجاهد في الله حق جهاده فلقي من سقط القوم وأذاهم ما تترنح له الجبال الراسيات فاحتمله واحتمل - صابرًا محتسبًا - من ضنك الحياة وضيق العيش ما لا يقدر عليه أحد من الناس سواه

وقد ثابر على زهده وترفعه عن الدنيا في أيام الرخاء كما كان أيام الشدة، وحسبك ما استفاض من أخبار زهده في الدنيا وإعراضه عن زهرتها أيام سيقت إليه بعد الفتوح ووضعت بين يديه[٦].

وقد عد فخر الدين الرازي استمراره ﷺ على الزهادة مع توافر الكنوز بين يديه معجزة عقلية من دلائل نبوته القوية. وقال: (إنه ﷺ تحمّل في أداء الرسالة أنواعًا من المشاق والمتاعب، ولم يظهر في عزمه فتور لا في إصراره قصور. ثم إنه لما قهر الأعداء ووجد العسكر العظيم والدولة القاهرة القوية. ونَفَذ أمره في الأموال والأزواج، لم يتغير

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٤، ومسلم ٢٩٧٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢.

(٦) انظر: نبوة محمد ﷺ في القرآن د. حسن ضياء الدين عنز، ص ١٣٢ - ١٣٣.

عن منهجه الأول والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة. وكل من أنصف علم أن المزور لا يكون كذلك فإن المزور إنما يزور الكذب والباطل على الخلق ليجد الدنيا، فإذا وجدها ولم ينتفع بها كان ساعيًا في تضييع الدنيا والآخرة على نفسه. وذلك ما لا يفعله أحد من العقلاء)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم الزهد:

هذا يظهر من عموم الأحاديث لأن رسول الله ﷺ هو القدوة لصحابته رضي الله عنهم، ولأمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٢]، وبما أن الرسول ﷺ هو القدوة والمعلم لصحابته رضي الله عنهم وأمته يكون زاهدًا في الدنيا معرضًا عنها ففي ذلك تعليم لأمته بأهمية الزهد في الدنيا والتقلل من متاعها، لأن الإنغماس في الدنيا يجعل المؤمن يغفل عن آخرته، وقد بيّن النبي ﷺ أهمية القناعة والزهد في الدنيا.

فقال ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِه مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا))[٣]، وقال ﷺ: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[٤].

وكل ذلك؛ لأن الآخرة خير وأبقى فيجب على المسلمين ألا يضيعوا الآخرة بالانغماس في الدنيا والركون إليها.

رابعًا - من صفات الداعية: الزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا:

يظهر هذا من عموم الأحاديث حيث بينت زهد النبي ﷺ وقناعته وإعراضه عن الدنيا، والدعاة ورثة النبي ﷺ وأتباعه يدعون إلى الله على بصيرة، ويقتدون

---

(١) الأربعين في أصول الدين، الفخر الرازي ص ٣١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٤٧، وابن ماجة ٤١٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٣٩).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

به ﷺ، وإلى التحلي بصفاته في كل صفاته والتي من جملتها الزهد في الدنيا والقناعة بما أعطاهم الله، والإعراض عن الدنيا لحقارتها وهوانها، فمن أجل ذلك كان لا بد للداعية أن يكون متصفًا بالزهد والقناعة والإعراض عن الدنيا، وإلا انطبق عليه ما وصف الله به أهل الكتاب ومن نحى نحوهم حيث قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

إن الزهد هو ترك الشيء والإعراض عنه وهو ضد الرغبة، فكيف يعدُّ زاهدًا من هوى قلبه الدنيا وحرص على كسبها؟ ولا نقصد بذلك إطلاق القول، إنما نقصد من شغلت الدنيا قلبه، واستحوذت على كل رغباته أو بعضها، فلا يعد زاهدًا من خلت يداه من الأموال والضياع وعاش في ضنك شديد، ولبس خشن الثياب، إذا كان يتطلع إلى تحسين الحال وكسب الأموال، إلا إذا كانت نيته وجه الله تعالى. فكم من غني ملك الكثير كان زاهدًا، وزهد مما لا شك فيه أفضل وأعظم من زهد من لم يملك، لهذا قال أحد الصالحين: "الناس يقولون: مالك بن دينار زاهد، إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز الذي أتته الدنيا فتركها"[2].

وعلى هذا ليس إخلالاً بالزهد من ملك الثروات الهائلة، وكسب الأموال الطائلة إذا كان زاهدًا فيها، معرضًا عنها، لم تدخل قلبه ولم تتجاوز يده، فليس هناك من هو أزهد من الصحابة رضي الله عنهم وقد كان منهم من يملك الآلاف المؤلفة كعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي بكر رضي الله عنهم، وقد توفي عبدالرحمن بن عوف وترك ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومئة فرس وترك ثلاث نسوة أصاب كل واحدة مما ترك ثمانون ألفًا[3].

وليس الزهد المطلوب مقتصرًا على الأموال فحسب، بل يتعدى إلى الأمور الشعورية

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٤.

(٢) مناقب عمر بن عبدالعزيز، ابن الجوزي، ص ١٨٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/١٣٦.

والنفسية كالزهد في حب الرئاسة والجاه، والسمعة وذياع الصيت وغيرها.

فالزهد يدفع باتجاه التضحية والجهاد، اللذين فيهما إعزاز للأمة وحفاظ على وحدتها وكرامتها.

والزهدُ ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب كالحسد والغرور، والعجب والرياء وحب الرياسة وذياع الصيت ... إلخ.

وفي الزهد صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها في سلم الكمال الروحي، وفيه صلاح للقلب لخلوه من هم الدنيا وإقباله على هموم الآخرة.

وفيه تهذيب للأخلاق وصلاح لها؛ لأن الزاهد رقيق المشاعر بعيد عن اهتمامات عوام الناس وتوجهاتهم، وعن الانتصار لنفسه وأذية غيره. إن الداعية الزاهد أقدر على استحواذ مشاعر الناس وكسب ودهم ومحبتهم، وبالتالي يكون سماعهم له ولتوجيهه أكثر من سماعهم لغيره، جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ))[(١)(٢)].

خامسًا - من معجزات النبي ﷺ: تكثير الطعام:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فأكلت منه حتى طال فكِلتُه ففنى)، "والذي يظهر أنه كان من الخصوصية لعائشة رضي الله عنها بركة النبي ﷺ[(٣)]، وقد وقع مثل ذلك في مزود أبي هريرة رضي الله عنه فقد ورد عنه أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِتَمَرَاتٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ فَضَمَّهُنَّ، ثُمَّ دَعَا لِي فِيهِنَّ بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ لِي: ((خُذْهُنَّ فَاجْعَلْهُنَّ فِي مِزْوَدِكَ هَذَا أَوْفِي هَذَا الْمِزْوَدِ كُلَّمَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَدْخِلْ يَدَكَ فيه فَخُذْهُ وَلاَ تَنْثُرْهُ نَثْرًا، فَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ كَذَا، وَكَذَا مِنْ وَسْقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكُنَّا نَأْكُلُ مِنْهُ وَنُطْعِمُ، وَكَانَ لاَ يُفَارِقُ حِقْوِي حَتَّى كَانَ يَوْمُ قَتْلِ عُثْمَانَ فَإِنَّهُ انْقَطَعَ))[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٤١٠٢ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٣١٠).

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص ٣٤٣ - ٣٤٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٥/١١.

(٤) أخرجه الترمذي رقم ٣٨٣٩، وقال الألباني: حسن الإسناد (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٥).

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من بركاته في تكثير الطعام وهذا من دلائل نبوته ومعجزاته التي أيده الله بها وخصه دون غيره.

فقد بعث النبي ﷺ في بيئة قليلة الغذاء والماء، وكان هو وأصحابه يتعرضون لحالات من الشدة يقل فيها الطعام والماء أو يكاد ينعدم، فكان مما أيده الله به من المعجزات تكثير القليل من الطعام والماء على يديه، فيتغلب هو وأصحابه بقدرة الله تعالى بهذه المعجزات والخوارق على ظروف البيئة الصحراوية القاسية، التي يحتاجون فيها للطعام والشراب، إلى جانب حاجتهم للماء من أجل الطهارة للعبادة، وأصبح ذلك من معجزاته التي رآها العشرات والمئات بل والآلاف من أصحابه، وتناقلها الناس في عهده ثم نقلت إلينا بأصح طرق الرواية، وإليك طرفًا من هذه المعجزات:

خوارق ازدياد الطعام: فمن معجزاته ﷺ الخارقة للعادة أن يكثر الله الطعام القليل الذي لا يكفي إلا الأفراد، فإذا به بعد نزول البركة فيه بفضل دعائه ﷺ يكفي العشرات أو المئات أو الآلاف وقد وقع ذلك في مواقف متعددة، منها ما حدث عند حفر الخندق[1].

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ خَمَصًا. فَانْكَفَأْتُ. إِلَى امْرَأَتِي. فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللّهِ خَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ. وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[2]. قَالَ فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ. فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي. فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا. ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللّهِ وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا. وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا. فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ. فَصَاحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ: ((يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا. فَحَيَّهَلاً بِكُمْ)) وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ، حَتَّى أَجِيءَ)) فَجِئْتُ وَجَاءَ

---

(١) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، عبدالمجيد الزنداني، ص ٢٧١.

(٢) بهيمة داجن: هي الصغيرة من أولاد الضأن.

رَسُولُ اللّهِ يَقْدُمُ النَّاسَ. حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي. فَقَالَتْ: بِكَ. وبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ. ثُمَّ قَالَ: ((ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ. وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا)) وَهُمْ أَلْفٌ. فَأُقْسِمُ بِاللّهِ لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا. وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ. وَإِنَّ عَجِينَتَنَا ـ أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ ـ لَتُخْبَزُ كَمَا هُوَ[1].

ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير كما يقطع بوجود الوقائع[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٠١، ٤١٠٢، ومسلم ٢٠٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٢/٦.

الحديث رقم (٤٧٣)

٤٧٣ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفي رسول الله ﷺ، وَمَا في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ذُو كبد: شمل جميع الحيوان[2].

شطر شعير: شيء من شعير[3].

الرفُّ: خشب يُرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يُوَقَّى به ما يُوضع عليه[4].

كِلْتُهُ: أخذت منه بالكيْل والمِقدار[5].

ففني: فرغ[6].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يناسب المعنى الذي يرد في ركابه، وغير مؤكد لعدم المعارض، لأنه يُقابل به خالي الذهن من الخبر، وقد صدر في ثوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر وجدان المطعوم على شيء من شعير، وهذا يدل على ما كان عليه رسول ﷺ، وآل بيته رضوان الله عليهم من الزهد والانصراف الكلي إلى الآخرة،

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٩٧ واللفظ له، ومسلم ٢٧/٢٩٧٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٥.

(٣) رياض الصالحين ٢٢٧

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف ف).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ي ل).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٥.

وقولها (من شيء) استخدام من يفيد الاستغراق، وكلمة شيء تفيد العموم، وقولها (ذو كبد) كناية عن الإنسان، والحيوان، والتعبير بذي كبد يفيد عدم وجود ما يصلح لطعام الناس، أو لطعام الحيوان، إلا المقدار المستثنى من الشعير وهو توكيد لنفي وجود أي طعام بخلافه، وقولها: (فَأكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ)أي بقي فترة طويلة تأكل، وهي تظن كل يوم أن ينتهي وقولها(فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ) علمت مقداره فانتهى، بمعنى أنه كان يبارك فيه ما كان مجهولاً، فلما علمته نفد، واستخدام الفاء يدل على سرعة نفاده.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٧٤)

٤٧٤ - وعن عمرو بن الحارث أخي جُوَيْرِيّة بنتِ الحارِث أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، قَالَ: مَا تَرَكَ رسولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ أَمَةً، وَلاَ شَيْئًا إِلاَّ بَغْلَتَهُ الْبَيضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلاَحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: هي "أم المؤمنين" جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية.

إحدى زوجات النبي ﷺ، ولدت قبل البعثة بنحو ثلاثة أعوام تقريبًا وقد سُبيتْ يوم غزوة المُريسيع وهي غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة وقيل السادسة من الهجرة، وكان أبوها سيد قومه، وقَبْلَ زواجها بالنبي ﷺ كانت تحت مسافع بن صفوان فقُتل يوم المريسيع، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس رضي الله عنه، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة جميلة.

قالت فيها عائشة رضي الله عنها: (كانت جويرية عليها حلاوة وطلاوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه) فأتت رسول الله ﷺ تستعينه على كتابتها، فكرهتُها -يعني لحُسنِها- فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك وقد كاتبتُ، فأعني. فقال النبي ﷺ: ((أوخير من ذلك: أؤدي عنك، وأتزوَّجك))؟ قالت نعم ففعل، فبلغ الناس، فقالوا أصهارُ رسول الله ﷺ! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق. فقالت عائشة: فلا نعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها)[2].

وتزوجها النبي ﷺ وهي ابنة عشرين سنة، وكان اسمها "بَرَّة"، فسماها رسول الله ﷺ جويرية[3]، وكانت من فضليات النساء أدبًا وفصاحة، وقد كانت كثيرة

---

(١) برقم ٢٧٣٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨١٩.

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/٢٩٤، ٢٩٥، وأبو داود ٣٩٣١ وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم، رقم ٢١٤٠.

الاجتهاد بالعبادة لله تعالى والإكثار من ذكر الله والصوم وفعل الخيرات.

وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث بلغت سبعة أحاديث.

وقد عاشت بعد رسول الله ﷺ رضيةً مرضيةً إلى أن استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وتوفيت بالمدينة بعد منتصف القرن الأول من الهجرة سنة ٥٦هـ وقيل سنة ٥٠هـ وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة آنذاك[١].

عمرو بن الحارث المصطلقي: وهو عمرو بن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وهو المصطلق بن سعد بن كعب بن عمرو وهو خزاعة، الخزاعي، المصطلقيّ، أخو أم المؤمنين جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكان أبوه صهر عبدالله بن مسعود، له ولأبيه صحبة، روى عمرو بن الحارث عن النبي ﷺ وعن أخته جويرية، وعن أبيه الحارث بن أبي ضرار، وعبدالله بن مسعود، وزينب امرأة عبدالله بن مسعود، وقيل عن ابن أخيها عنها، وروى له الجماعة، وهو في عداد أهل الكوفة، وذكره ابن سعد في الطبقات في أهل الكوفة، ولم يؤرخ لحياته ولا لوفاته[٢].

---

(١) طبقات ابن سعد ١١٦/٨-١٢٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٨٨٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٥٩-١٦٦٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧/٧-٥٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٤٨/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦٧/٤-٦٦٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٢٤/٨٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٦١/٢-٢٦٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٦٩/١-١٧٥.

(٢) طبقات ابن سعد ١٩٦/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٩٧/٤، ١٩٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٩٩/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٦١/٣.

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري غرضه الفائدة، لأن كل حياته ﷺ سنة لأمته، وفي الحديث السابق أخبرت أم المؤمنين عائشة أن النبي ﷺ توفي، وليس في بيتها إلا القليل من الشعير، وهنا يخبر عمرو بن الحارث بأسلوب القصر الذي يتسم بالحسم، والتأكيد، ويقرر الخصوصية، قصر صفة الترك على الأصناف البسيطة المذكورة في الحديث، ونفى كل ما عداها (مَا تَرَكَ رسولُ الله - ﷺ - ... إلا....) والأصناف التي نفاها تمثل غالب أموالهم، ثم استقصاها بكلمة (ولا شيئاً) وهو من ذكر العام بعد الخاص وقوله عن البغلة في جملة الموصول، وصلته (التي كان يركبها) تتميم بلاغي يفيد أنها لم تكن للتجارة، ولا لغرض الادخار، وإنما كانت للاستعمال الشخصي.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوة لهذا الحديث (٤٧٤) مع المضامين للحديث رقم (٤٧٢، ٤٧٣).

الحديث رقم (٤٧٥)

٤٧٥ - وعن خَبابِ بن الأَرَتِّ رضي الله عنه، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ نَلْتَمِسُ[١] وَجْهَ اللهِ تَعَالَى، فَوَقَعَ أجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأكُل مِنْ أجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأسُهُ، فَأمَرَنَا رسول الله ﷺ، أنْ نُغَطِّي رَأسَهُ، وَنَجْعَل عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

خباب بن الأرت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١).

غريب الألفاظ:

نَمِرةً: كساءً ملونًا من صوف[٣].

الإذخر: حشيشة طيبة الرائحة تسقفُ بها البيوت فوق الخشب[٤].

أينعت: أي نضجت وأدركت[٥].

يُهدُبُها: يقطفها ويجتنيها، وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها[٦].

الحديث من مجموعة الأحاديث التي تتناول الأمة وقت الشدة، وما لاقاه الصحابة

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (نريد)، وبهذا اللفظ برقم ١٢٧٦ والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٦٢/٣، رقم ٢٨٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٩٧، ومسلم ٩٤٠/٤٤ والسياق للحميدي في جمعه ٣٦٢/٣، رقم ٢٨٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٨.

(٣) رياض الصالحين ٢٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (إ ذ خ ر).

(٥) رياض الصالحين ٢٢٨.

(٦) رياض الصالحين ٢٢٨.

الأطهار حتى استقر الحال، وصارت الدولة للإسلام، وقول خباب رضي الله عنه (نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى) كناية عن الإخلاص لله، والتوكل عليه، وقوله (فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ) كناية عن تحقق الأجر، والجملة إجمال فصَّله ما بعده، وذكر النموذج الأعلى (فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُل مِنْ أَجْرِهِ شَيْئاً، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ رضي الله عنه) وقد صور حاله بأنه لم يصب من الدنيا شيئاً عن طريق المقابلة في أسلوب الشرط (إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ، بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ، بَدَا رَأْسُهُ) فقابل الفعل غطى بالفعل بدت، وقابل بين رأسه، ورجلاه، والعكس، وهذه المقابلة تصور قصر الثوب عن الجسد الطاهر يجذبه صحابي إلى أسفل ليغطي قدميه، ويجذبه آخر ليغطي رأسه، ففصل بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغطوا به رأسه، ويغطوا قدميه بورق الشجر، وقوله (وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا) كناية عن إقبال الدنيا عليهم بمتاعها من أموال، وضياع، وغيرها، وقوله (يهدبها) على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية، والآتية استحضارا لها في مشاهدة السامع، مع ما يثيره اللفظ بمعناه، وهو قطف الثمر من شعور بالسرور، والفراغ، والأمان الذي - طالما - افتقدوه.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم تكفين الميت: أجمع المسلمون على أن تكفين الميت بما يستره فرض كفاية، ولا يسع عامتَهم تركُه، وإذا قام بذلك بعضْهم أجزأ عن الباقين[1].

٢ - إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره: قال النووي (فيه دليل على أنه إذا ضاق الكفن عن ستر جميع البدن ولم يوجد غيره، جعل مما يلي الرأس، وجعل النقص مما يلي الرجلين ويستر الرأس فإن ضاق عن ذلك سترت العورة، فإن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/٧/٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٣/٢، ومغني المحتاج ٣٣٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٢/٢، وحاشية الخرشي ٢٥٦/٥.

فضل شيء جعل فوقها، فإن ضاق عن العورة سترت السوأتان، لأنهما أهم وهما الأصل في العورة)[١] وقال الشوكاني: (وفيه أنه يستحب إذا لم يوجد ساتر ألبتة لبعض البدن أو لكله أن يغطى الإذخر، فإن لم يوجد فما تيسّر من نبات الأرض)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الهجرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً - من تاريخ الدعوة: الهجرة:

ويظهر ذلك في قول خباب بن الأرت رضي الله عنه "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الشافعي: (كان المسلمون مستضعفين بمكة زمانًا لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله عز وجل لهم بالهجرة وجعل لهم مخرجًا فيقال نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[٣] فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد جعل الله تبارك وتعالى لهم بالهجرة مخرجًا، وقال: ﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗ﴾[٤].

وأمرهم ببلاد الحبشة فهاجرت إليها منهم طائفة، ثم دخل أهل المدينة في الإسلام فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة فهاجرت إليهم غير محرم على من بقي ترك الهجرة إليهم، وذكر الله جل ذكره للفقراء المهاجرين وقال: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/٨.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٧٠٠.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٠.

قرأ الربيع إلى ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١] قال الشافعي: ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، ولم يحرم في هذا على من بقي بمكة المقام بها وهي دار شرك، وإن قلّوا بأن يفتنوا، ولم يأذن لهم بجهاد، ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك)[٢].

فالهجرة إلى المدينة كانت إيذانًا بقيام دولة الإسلام، وتحوّل الدعوة الإسلامية إلى طور جديد مقرون بالعزة والغلبة شعاره "كلمة الله هي العليا" ولما كان فرض الهجرة بعد استقرار النبي ﷺ بالمدينة، بقصد تكثير جمع المسلمين حول النبي ﷺ لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع لتكوين المجتمع المسلم المتكامل المطبق لشريعة الإسلام، وبقصد تكوين جيش الإسلام للقتال مع رسول الله ﷺ ضد أعداء دعوة الإسلام؛ ولتعلم شرائع الدين من النبي ﷺ؛ ولمبايعته ﷺ على الإنضواء تحت راية دولته وتلبية ندائه إلى الجهاد[٣]، فحدث كل ذلك بالهجرة وكانت الهجرة من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة إلى الله، فبعد أن قوي المسلمون بالمدينة علت راية الإسلام وانتشرت الدعوة في كل مكان وظهر الحق، ولذا كانت الهجرة نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى:

يظهر هذا في قول خباب بن الأرت رضي الله عنه هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله تعالى، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم في هجرتهم على التماس الأجر من الله تعالى، وهذا ما أيده المولى تبارك وتعالى في قوله ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٤]

---

(١) سورة النور، آية: ٢٢.

(٢) الأم، الشافعي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد ص ٧٦٠.

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي @ والخلفاء الراشدين، بلاغ الدعوة، د. أحمد فؤاد سيد ص ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الحشر، آية: ٨.

قال ابن كثير: (أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه)[١].

وقال قتادة: (في قوله: "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم" إلى آخر الآية: قال: هؤلاء المهاجرون؛ تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حبًّا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شدة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه؛ ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول خباب رضي الله عنه "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى، فوقع أجرنا على الله، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قتل يوم أحد...".

وهذا يدل على فضل مصعب بن عمير رضي الله عنه فهو أحد السابقين في الإسلام وهاجر إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة[٣] وعن البراء قال: ((أول من قدم علينا من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم مُصعَبُ بن عُمير وابنُ أُمِّ مَكْتوم، فَجَعلا يُقرِئانِنَا القرآنَ...))[٤] وشهد بدرًا ثم شهد أُحدًا ومعه اللواء فاستشهد[٥] وقد ورد ((أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عَوفٍ رضي الله عنه أُتِيَ بطعامٍ ـ وكان صائمًا ـ فقال: قُتِلَ مُصعَبُ بنَ عُمَيرٍ ـ وهو خيرٌ منِّي...))[٦].

فمصعب بن عمير رضي الله عنه صحابي جليل وله فضل عظيم؛ لأنه من السابقين في الإسلام وممن شهد بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لعلّ اللّهَ اطَّلعَ على من شهدَ بدرًا فقال: اعملوا ماشِئتم فقد غفرتُ لكم))[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٦/١٤، ٣٦٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٤٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩٤١.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٤٦.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٧٥.

(٧) أخرجه البخاري ٤٢٧٤.

وكثيرون من الصحابة رضي الله عنهم تمثلوا بمصعب بن عمير رضي الله عنه هذا وتذكروا حاله أيام غناهم سبق ذكر عبدالرحمن بن عوف له، وها هو خباب بن الأرتّ رضي الله عنه يذكره - في هذا الحديث الذي نحن بصدده - . لقد كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد واستشهد فيها، ولم يجدوا ما يستر جسمه بعد موته فأكملوا ستر رجليه بنبات طيب الرائحة يقال له - الإذخر - وأشار كل من تحدثوا عنه من الصحابة رضي الله عنهم إلى أن ذلك كان من دلائل فضله حيث إنه ادُّخِرَ له أجره كاملاً لم يصله منه شيء في الدنيا، أما غيره من الصحابة فقد عجل لهم بعض الثواب في الدنيا فخافوا أن يكون ذلك على حساب الآخرة، وهو شعور طيب صادق يبعث على الزهد وحسن التصرف والتحكم في الدنيا. وهذا ما ينبغي أن نكون عليه، فليس الغنى في الدنيا دليل نجاة ولا الفقر فيها دليل شقاء، والعبرة بالعمل، وكلما مالت بالإنسان ناحية الفقر فصبر كان دليلاً على وفرة ثوابه وكثرة حب الله له[1].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم:

يظهر ذلك في قول خباب ابن الأرت رضي الله عنه "... فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا..." فبيّن ما كان علي حال الصحابة رضي الله عنهم في بداية الدعوة الإسلامية من فقر وشدة العيش وقد ورد في بيان ذلك الكثير من الأحاديث منها: قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إِنِّي لأَوَّلُ رجُلٍ أَهْرَاقَ دَمًا في سَبِيلِ الله، وَإِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ رَمَى بِسَهْمٍ في سَبِيلِ الله، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَغْزُو في العِصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ مُحمَّدٍ مَا نَأْكُلُ إلاَّ وَرَقَ الشَّجَرِ وَالْحُبْلَةَ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ وَالبَعِيرُ))[2].

((عن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ الله كَانَ إِذَا صَلَّى بالنَّاسِ يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاَةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى تَقُولَ الأَعْرَابُ هَؤُلاَءِ مَجَانِينُ أَوْ مَجَانُونُ فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ الله انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَالَكُمْ عِنْدَ الله لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فاقَةً وَحَاجَةً))[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٣١٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٦٥، ٢٣٦٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٠).

إنهم أناس صبروا وتحملوا المشاق في سبيل نصرة دينهم وإعانة نبيهم فكانوا بحق خير الناس.

فينبغي للداعية أن يبين للمدعوين تلك الحال التي كان عليها صحابة رسول الله ﷺ من فقر وقسوة عيش وصبر ابتغاء رضوان الله، فمكّن الله لهم في الأرض وفتحوا البلاد، وفاضت الخيرات، فأكرمهم الله تعالى بفضله ومنّ عليهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى - نعم الدنيا ونعم الآخرة - جزاء صبرهم وتحملهم أصبحوا فيه من نعيم ورغد، مما يستوجب شكر نعم الله، وعبادته وطاعته.

الحديث رقم (٤٧٦)

٤٧٦ - وعن سهلِ بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

البعوضة: واحدة البَعُوض، وهو صغار البقّ[2].

الشرح الأدبي

اختيار الجناح، لأن ليس له وزن، ولا فائدة، وإضافته للبعوضة لإفادة التحقير، وحاصل هذا أنها لا وزن لها عند الله، ولا قيمة، والتعبير ب(لو)وهي حرف امتناع لامتناع، يعني امتناع عدم السقي لامتناع مساواة الدنيا لجناح البعوضة، وتنكير لفظ كافر يفيد العموم؛ لأنه نكرة في سياق النفي، والتعبير بشربة الماء مبالغة في حرمانه، لأنها آخر ما يمكن أن يمنع، ثم إنه عبَّر بالفعل (تعدل) الذي يعني تساوي، ولم يقل (تفوق أو تزيد) مثلاً، ومعناه أن الدنيا في أحسن حالاتها لن تساوي هذا المقدار الحقير، ولو تأملنا الأحاديث التي تقارن بين الدنيا، والآخرة كالأحاديث السابقة في الباب لوجدنا أنه لا توجد نسبة بينهما؛ لأنه لا نسبة بين عمر الدنيا - مهما طالت - لأنها فانية، وبين معنى الخلود في الآخرة، لأن النسبة في تغير مستمر كلما مرَّ الزمان - بعد انقضاء الدنيا - قلت نسبة الدنيا بجوار الآخرة إلى أن تصير كما وصفها رسول الله ﷺ في الحديث الذي مر قريباً في هذا الباب (مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ(فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ !).

---

(١) برقم ٢٣٢٠ وقال: هذا حديث صحيحٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٣٠٦/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ع ض).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعو: بيان هوان الكافر على الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هوان الكافر على الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها جرعة ماء". إن الكافر عدو الله لأنه يشرك به وهو من أهون الأشياء على الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] أي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع عن نفسه ضرًا ولا عذابًا؛ فهو بمنزلة من خَرّ من السماء فهو لا يقدر أن يدفع عنه نفسه "فتخطفه الطير" أي: تقطعه بمخالبها[2]. ولهوان الكافر على الله فمهما يعمل من عمل لا قيمة له عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[3].

قال ابن كثير: (وهذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهوباطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعد من القبول حينئذ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾)[4] قال رسول الله ﷺ:

---

(١) سورة الحج، آية: ٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٥/١٢/٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٣/٦.

((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا. فَيَقُولُ: هذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ))، وفي رواية: ((لاَ يَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلاَّ أَدْخَلَ اللّهُ مَكَانَهُ، النَّارَ، يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا)) وفي رواية: ((يَجِيءُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللّهُ لَهُمْ. وَيَضَعُهَا عَلَىٰ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ))[1].

قال النووي: ("الفكاك" - بفتح الفاء وكسرها - والفتح أفصح وأشهر، وهو: الخلاص والفداء. ومعنى هذا الحديث ماجاء في حديث أبي هريرة: (لكل أحد منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن إذا دخل الجنة خلفه الكافر في النار؛ لاستحقاقه ذلك بكفره)[2]. ومعنى "فكاكك من النار": أنك كنت مُعرضًا لدخول النار، وهذا فِكَاكك؛ لأن الله - تعالى - قدر لها عددًا يملؤها، فإذا دخلها الكفار بكفرهم وذنوبهم صاروا في معنى الفكاك للمسلمين.

وأما رواية: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب"، فمعناه: أن الله تعالى يغفر تلك الذنوب للمسلمين، ويسقطها عنهم، ويضع على اليهود والنصارى مثلها بكفرهم وذنوبهم، فيدخلهم النار بأعمالهم لا بذنوب المسلمين، ولابد من هذا التأويل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3].

وقوله: "ويضعها" مجاز، والمراد: يضع مثلها بذنوبهم كما ذكرناه، لكن لما أسقط - سبحانه وتعالى - عن المسلمين سيئاتهم، وأبقى على الكفار سيئاتهم، صاروا في معنى من حمل إثم الفريقين؛ لكونهم حملوا الإثم الباقي، وهو إثمهم، ويحتمل أن يكون المراد آثامًا كان للكفار سبب فيها؛ بأن سَنُّوها، فتسقط عن المسلمين بعفو الله تعالى، ويوضع على الكفار مثلها؛ لكونهم سَنُّوها، ومن سنّ سنة سيئة كان عليه مثل

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٦٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٣٤١ بلفظ: "ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: "أولئك هم الوارثون" وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٥٠٣).

(٣) سورة فاطر، آية: ١٨.

وزر كل من يعمل بها، والله أعلم.

وقد جاء عن عُمَرَ بن عبدالعزيز، والشافعي رحمهما الله أنهما قالا: هذا الحديث أرجى حديث للمسلمين، وهو كما قالا؛ لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم، وتعميم الفداء، ولله الحمد[١]. وفيه هوان الكافر على الله تعالى.

فينبغي على الداعية أن يبيّن للمدعوين هوان الكافرين على الله تعالى وفضل المؤمنين عند الله تعالى.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: هوان الدنيا على الله:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء".

فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطي شيئًا مما له قدر عند المعطي، فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه[٢]. ويعطيها للكافرين ليمتعهم قليلاً ثم يكون مأواهم الجحيم. فالدنيا وما فيها من المظاهر، التي تسلب العقول، وتبهر العيون وتملك القلوب، أهون على الله عز وجل من جناح بعوضة[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾[٤]، وقال أيضًا: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٥].

قال قتادة (هي متاع متروك توشك أن تضمحل بأهلها؛ فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع)[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩/٨٨-٨٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٥١.

(٣) حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله سليمان الطيار، ص ٨٢.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٣٠٢.

قال الشاعر:

ولا خير في الدنيا لمن لم يكن له ... من الله في دار المقام نصيبُ

فإن تُعجبُ الدنيا رجالاً، فإنها ... متاع قليل، والزوال قريبُ[1]

فالعاقل الذي يعمل في الدنيا لكسب الآخرة وذلك ما أمر الله به عباده في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ﴾[2] (أي: اطلب فيما أعطاك من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة؛ فإن من حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في التجبر والبغي)[3]؛ فينبغي على الداعية أن يبيِّن للمدعوين حقيقة الدنيا وهوانها على الله وأنها دار معبر وممر للآخرة فينبغي الإكثار فيها من الطاعات والاستعداد فيها بالصالحات لتكون عونًا يوم الحساب.

---

(١) حديث النفس ٨٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣١٤/١٣/٧.

الحديث رقم (٤٧٧)

٤٧٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((**أَلاَ إنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**[1])) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَا والاهُ: ما أدناه مما أحبّه الله تعالى. والوَلْي: القُرْب والدنو[3].

الشرح الأدبي

(ألا) طرقة مستفتح تنبه إلى أهمية ما يليها، يأخذ بها الأسماع لتنصت إليه، ويقطع بها شواغل القلوب لتنصرف إليه، ثم إنه أكد الكلام بحرف التوكيد مع الاسمية الدالة على الثبات، والدوام، لأهمية هذا الخبر، وخطره، وفيه تنبيه إلى ضرورة وعيه، ثم إن التعبير باللعنة يوحي بالغضب، وينبه على خطأ، ويوحي بمشاعر الرهبة ثم إن ثبات معنى اللعنة المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية يشير إلى دوام هذه الصفة للدنيا، وأنها لن تنفك عنها يوماً لتطيب لأحد ثم إنه كرر اللعنة لما فيها، وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به، لأنه هو الذي يشغل الناس عن آخرتهم، إلا ما تصل بالآخرة منه، ولذلك جاء قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً) وفيه تعظيم لقيمة الذكر، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير، أو تابعه من اتباع أمره، واجتناب نهيه؛ لأن ذكره يوجب

---

(١) لفظ الترمذي: (وعالمٌ أو متعلمٌ). والمثبت لفظ ابن المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم ٢٣٢٢ وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وسيتكرر برقم ١٣٨٦. أورده المنذري في ترغيبه ١١٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢٠، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٢/٢.

ذلك، وفيه بيان لفضل الانشغال بالعلم تعليماً، وتعلماً؛ لأن العلم طريق لله، ولذلك كان طريقاً للجنة، وفي الحديث سجع بديع بين قوله (إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ) وبين (وَمَا وَالاهُ) وجناس رقيق بين عالِماً، وَمُتَعَلِّماً) يؤكد أفضلية الطرفين باستثنائهم من اللعنة العامة التي شملت الدنيا، وما فيها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان بغض الدنيا وبغض ما يبعد عن ذكر الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأعمال التي تحفل بذكر الله وتعلم العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من ذكر الله وتعلم العلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان بغض الدنيا وبغض ما يبعد عن ذكر الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى...).

فالدنيا مبغوضة من الله لكونها مبعدة عنه وملعون ما فيها مما يشغل عن الله إلا ذكر الله[1].

أي أن الدنيا مبغوضة ساقطة القدر، هي وما فيها، ما عدا ذكر الله وطاعته الموصلة لمرضاته والعلم وأهله، مما يبقي الدين ويحفظ الشريعة ويقرب إلى الله تعالى. ولا يخفى أن الدنيا المذمومة هي دنيا المادة المبعدة عن الله تعالى بين الناس الصارفة عن العبادة، أما ما عدا ذلك فليس بمذموم بل محمود[2].

والدنيا متاع منقطع قد يزول بين عشية أو ضحاها فلا بد أن تكون مبغوضة للمؤمن، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[3]، "أي:

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٢/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، الحسيني هاشم، ص ٣١٨.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٥.

(واضرب) يا محمد مثل الحياة الدنيا في زوالها وفنائها وانقضائها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض)، أي: ما فيها من الحب، فشب وحسن، وعلاه الزهر والنور والنضرة ثم بعد ذلك كله (أصبح هشيمًا) يابسًا (تذروه الرياح) أي: تفرقه وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال"[١].

والدنيا كثيرة المفاتن والملاهي وهذه الأشياء قد تبعد عن ذكر الله وهذا ما أمر الله باجتنابه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢]، يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره فإن في ذلك الربح والفلاح، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، لأن في ذلك الخسارة العظيمة[٣].

فينبغي على الداعية أن يبين بغض الله للدنيا وبغضه ما يبعد فيها عن ذكره تعالى.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأعمال التي تحفل بذكر الله وتعلم العلم:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ: (... إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالمًا ومتعلمًا)، فقد لعن الدنيا وما فيها، واستثنى ذكر الله وتعلم العلم وهذا لفضلهما وترغيبًا في تحصيلهما، وقد ورد في فضل ذكر الله تعالى الكثير من الآيات والأحاديث، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[٤]، وقال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[٥]، وقال تعالى مثنيًا على الذاكرين ومبينًا لثوابهم عنده ومنزلتهم: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾[٦]، وقال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦١/٥.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ...))[١].

قال ابن القيم: (الذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به من قطع الطريق، ومأواهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب...، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلال وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه وإذا واطأ في ذكر قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضًا من كل شيء)[٢].

وكذلك ورد في فضل العلم وتعلمه الكثير من الآيات والأحاديث التي يعرف بها فضل العلم وأجره، وشموخ أهله، ورفعه طلابه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم، المتضلعون منه)[٤]، كما نفى المولى تبارك وتعالى التسوية بين أهله وغيرهم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥]، وكذلك أهل العلم يرفعهم الله، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٦]، وأمر رسوله ﷺ بالدعاء به فقال:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٧٥.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٩/٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ٩.

(٦) سورة المجادلة، آية: ١١.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [١]، وقد بيّن رسول الله ﷺ فضل العلم والتعلم في كثير من الأحاديث، من ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٢]، وقوله ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣].

فينبغي للداعية أن يبين للمدعوين فضل ذكر الله تعالى وفضل العلم ويرغبهم في الثواب العظيم لذلك.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب:

يظهر الترهيب في لعنه ﷺ الدنيا وما فيها ولا يلعن رسول الله ﷺ إلا كل قبيح، ففي ذلك ترهيب منها لتحذير الناس من الركون إليها والتعلق بها ونسيان الآخرة.

أما الترغيب فيظهر في قول رسول الله ﷺ: (إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالما ومتعلمًا)، حيث رغّب في ذكر الله والعلم والتعلم لأنه استثناهم من لعنه الدنيا وما فيها.

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يجتنب ما يُرهب منه فالترهيب يقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثابت عليه بعد قبوله.

وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبوت عليه[٤].

رابعًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من ذكر الله وتعلم العلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ألا إن الدنيا ملعونة... إلا ذكر الله تعالى... وعالمًا ومتعلمًا).

حيث دلّ رسول الله ﷺ أمته على ما ينفعهم في الدنيا مثل: ذكر الله تعالى وتعلم العلم.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٤).

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

فينبغي للداعية أن يعمل جاهدًا على دلالة المدعوين على ما ينفعهم من ذكر الله تعالى، وذلك لأن أفضل حال العبد حال ذكره رب العالمين، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ سيد المرسلين[1].

وكذلك تعلم العلم وتعليمه ويكفي العلم شرفًا أمره تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

لذا فإن من المهام التي ينبغي للداعية أن يوليها اهتمامًا كبيرًا دلالة المدعوين على فعل ما ينفعهم من خلال كثرة ذكر الله تعالى، والحرص على تعلم العلوم النافعة وهذا باب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: الأذكار، النووي، ص ١٧.

(٢) سورة طه، آية: ١١٤.

الحديث رقم (٤٧٨)

٤٧٨ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديثٌ حسنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الضَّيعَةُ: البستانُ والقرية والمزرعة[2].

قوله ﷺ (لا تتخذوا الضيعة) نهي غرضه التحذير مما يمكن أن يشغل عن طاعة الله من أمور الدنيا، واتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة يعطيه عموم ليشمل كل مسلم، وما أروع التعبير بالضيعة الذي يستصحب بمدلوله معنى الضياع، ضياع الطاعة، ضياع الأجر، ضياع الجنة، احذر أن تتخذ من الفاني ما يُضيِّع منك الباقي، ثم إنه أراد أن يحقق الإقناع القلبي؛ لأن النفس إذا اهتدت إلى العلة اقتنعت بالقضية، وسهل عليها اتيان الفعل، واجتناب النهي، فبيَّن العلة (فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا) والتعبير بالرغبة يشير إلى المحبة، والميل الذي يأخذه عن الآخرة، وهو سبب النهي، وهذا النهي الذي انصب على اتخاذ الضيعة ينسحب على كل ما يشغل المؤمن عن فرائض الله - تعالى - .

فقه الحديث

حكم اتخاذ الضيعة:

قال القرطبي: (ولا ينكر أن يكون للوليّ مال وضيْعة يصون بها ماله وعياله وحسبُك بالصحابةِ وأموالهم مع ولايتهم وفضلِهم، وهم الحجةُ على غيرهم. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ((بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا

---

(١) برقم ٢٣٢٨. وقال الحاكم ٣٢٢/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٥/٢.

فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّىٰ ذٰلِكَ السَّحَابُ. فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ. فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذٰلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ. فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ. فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ. لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ. فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَٰذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. لِاسْمِكَ. فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَٰذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ. وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)) وفي رواية ((وَأَجْعَلُ ثُلُثَهُ فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ))[1].

قلت: وهذا الحديثُ لا يناقضُه قولُه عليه الصلاة والسلام: ((لاَ تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فتركَنوا إلى الدُّنْيَا)) خرَّجه الترمذي[2] من حديث ابن مسعود وقال فيه: حديثٌ حسن؛ فإنَّه محمولٌ على من اتخذَها مستكثرًا أو متنعمًا ومتمتعًا بزهرتها، وأمَّا منِ اتخذَها معاشًا يصونُ بها دينَه وعيالَه؛ فاتخاذُها بهذه النيةِ من أفضلِ الأعمال، وهي من أفضلِ الأموال؛ قال عليه الصلاةُ والسلام: ((نِعْمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجُلِ الصالحِ))[3][4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الاستكثار من الضياع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها.

ثالثًا: من صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهي عن الاستكثار من الضياع:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا" فإذا كثر المال عند الناس نسوا الآخرة، ولهذا نهي رسول الله ﷺ عن اتخاذ الضياع يعني الحدائق

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٨ وهو حديث الباب.

(٣) أخرجه أحمد ١٩٧/٤ رقم ١٧٧٦٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٥/١٣-٣٤٦. وانظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٢/٦.

والبساتين، فإن الإنسان يلهو عما هو أهم منها من أمور الآخرة[١].

ولما كانت الدنيا ليست بدار قرار فإنه محاولة الإنسان الإكثار منها والتمتع فيها ولو بالطيبات الحلال تجره إلى الحرام. إنها تعلق قلبه بها، وتميله إليها، وتجعل تركها عليه أليمًا، وتُبَغِّضُ إليه مشاق العبادة، وتحرمه من كثير من الفضائل كالصبر والرحمة وغيرها. ولا شك أن أشد ما يجذب الإنسان إلى الدنيا التوسع في امتلاك الأرض وبناء الدور واستخدام الكماليات، التي لا ينتهي التنافس فيها إلى غاية ولا يصل إلى نهاية[٢].

وقد نهى الله تعالى المؤمنين وحذرهم من أن تلههم الدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٣] حذر المؤمنين أخلاق المنافقين؛ أي لا تشتغلوا بأموالكم كما فعل المنافقون[٤]. وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا" حيث حذر من الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها فالحاصل أن الإنسان يجب أن يكون زاهدًا في الدنيا مقبلاً على الآخرة، وأن الله تعالى إذا رزقه مالاً فيجعله عونًا على طاعة الله، وليجعل الدنيا في يده لا في قلبه حتى يفوز بخيري الدنيا والآخرة[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٩٩/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣١٩.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٩/١٨/٩.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٠١.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٧٩٩/١.

لأن زخارف الدنيا ومتعها إلى زوال، والذي يبقى للإنسان هو العمل الصالح، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

أما الذي يحرص على الإخلاد إلى الدنيا والركون إليها هم المشركون قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

أما المؤمن فلا يحرص في الدنيا إلا على طاعة الله والعمل على مرضاته للاستعداد للآخرة ودخول الجنة قال رسول الله ﷺ ((وموضعُ سوطِ أحدِكُم من الجنةِ خيرٌ منَ الدنيَا وما عيهَا))[3] من أجل ذلك ينبغي على المسلم ألا يخلد إلى الدنيا أو يركن إليها.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[4].

قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر: يهيء جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم، قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[5].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢، ومسلم ١٨٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٩.

وكان النبي ﷺ يقول: ((مَالِي وَلِلدُّنْيَا، ما أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا))[١].

ومن وصايا المسيح عليه السلام لأصحابه أنه قال لهم: اعبروها ولا تعمروها، ورُوي عنه أنه قال: من ذا الذي يبني على موج البحر دارًا، تلكم الدنيا، فلا تتخذوها قرارًا.

فينبغي للمؤمن أن يكون حاله فيها على أحد حالين: إما أن يكون كأنه غريب مقيم في بلد غربة، همه التزود للرجوع إلى وطنه، أو يكون كأنه مسافر غير مقيم البتة، بل هو ليله ونهاره، يسير إلى بلد الإقامة، فلهذا وصَّى النبي ﷺ ابن عمر أن يكون على أحد هذين الحالين)[٢].

ثالثًا - صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين:

يظهر ذلك في خوف وشفقة رسول الله ﷺ على أمته من أن يتخذوا الضياع ويرغبوا في الدنيا.

ورسول الله ﷺ كان يخاف على أمته ويحرص على هدايتهم فهو رحمة للعالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] أي يحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "بالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم أرحم بهم من والديهم[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٦).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧٧-٣٧٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

فليعلم الداعية أن الشفقة على الخلق سبب النجاة قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ﴿١٧﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[1] قال السعدي: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: للخلق من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه[2].

وقال رسول الله ﷺ ((الرّاحِمونَ يَرْحَمُهُمْ الرّحمن، ارْحَمُوا من في الأرْضِ يَرْحَمْكُمْ من في السّماءِ))[3].

فإذا كان الداعية إلى الله يخاف على المدعوين ويشفق عليهم كان ذلك أدعى إلى محبتهم له وقبول دعوته.

---

(١) سورة البلد، الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٥٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

الحديث رقم (٤٧٩)

٤٧٩ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نعالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: ((مَا هَذَا؟)) فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: ((مَا أَرَى الأَمْرَ إِلاَّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ)).

رواه أَبو داود والترمذيُّ[1] بإسناد البخاري ومسلم، وقال الترمذي: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

نعالج خُصًّا لنا: نصلح بيتًا لنا، والخُصُّ: بيت من شجر أوْ قصب[2].

وهى: ضعف[3].

الأمرَ: الأجل[4].

أعجل من ذلك: أسرع من ذلك[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٣٦، والترمذي ٢٣٣٥ ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان ٢٩٩٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٩/٢، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ص ص).

(٣) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

(٥) المرجع السابق ١٨٥٩/٢.

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في قصر الأمل يعالج فيه الرسول ﷺ ظاهرة الانشغال بالدنيا، والتنافس فيها قبل استفحالها، رغم أن صحابته كانوا أقل الناس رغبة فيها، ولكنه كان يعدهم لحمل أمانة نشر الرسالة، وهذا يقتضي تفرغاً تاماً وتوجيهاً لكل طاقات النفس نحوه، ولذلك جاء استفهامه (ما هذا يا عبد الله ؟ !) تقليلاً وتحقيراً وإنكاراً لما انشغل به من إصلاح حائطه، انشغالا، ولو كان بسيطاً، ورغم أن الحائط من طين، وإصلاحه لن يبقيه طويلاً إلا أن الرسول ﷺ قال له في أسلوب قصر :(ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك) أسرع من إصلاح حائط وَهَي فما أقصر الأمل في عيني من رأي الحياة بعين البصيرة!، وما أطول الأمل في أبصارنا القصيرة !.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استحضار الموت.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

يظهر ذلك في قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "مر علينا رسول الله ﷺ...".

فعلى الداعية أن يكون عونًا للمدعو يقضي حاجته، ويعينه في أموره الشخصية، ويتفقد أحواله كما يتفقد أحوال نفسه، ويؤثره على نفسه ويسأل عنه إذا غاب فإذا كان مريضًا عاده، وإن كان مشغولاً أعانه، وإن كان ناسيًا ذكره، يرحب به إذا دنا، ويوسع له إذا جلس ويصغي إليه إذا حدث[1].

وقد ورد في القرآن الكريم في قصة سليمان عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[2].

---

(١) انظر: الأخوة الإسلامية، عبد رب النبي على أبو السعود، ص ١٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٢٠

قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: (ومن واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية، وتفقد العمال ونحوهم بنفسه كما فعل عمر رضي الله عنه في خروجه إلى الشام سنة سبع عشرة هجرية، أو بمن يكل إليه ذلك فقد جعل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري يتفقد العمال)[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٣].

فعلى الداعية أن يقف على ما يعترض المدعو من مشكلات محاولاً حلها قدر الإمكان لتصفو نفس المدعو وتكون قابلة لتلقي الدعوة، فإن المدعو ينظر إلى الداعية نظرة الاحترام والتقدير، وقد يكون أمره مطاعًا أكثر من أمر الوالدين، فليقدر الداعية هذه النظرة حق تقديرها ويشعره بقدر مسؤوليته[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد:

يظهر ذلك في قول عبدالله رضي الله عنهما: (ونحن نعالج خُصًا لنا...).

والخُص بالضم: البيت من القصب أو البيت يسقف بخشبة كالأزج[٥].

وهذا يدل على حال الصحابة رضي الله عنهم وما فيها من رقة وزهد في حياتهم، وزهد الصحابة ورقة حالهم ورد فيها الكثير من الآثار:

فهذا أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين (لما بويع للخلافة أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال: السوق، قال: تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال عمر: انطلق

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٤٥/١٩/٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) انظر: أدب المؤمن، أحمد حمزة عبد الباقي، د. أمينة أحمد يحيى، مطبعة خالد بن الوليد: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ٢٢/١.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢٢٤.

يفرض لك أبو عبيدة، فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقتَ شيئًا رددته وأخذت غيره ففرضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه في الرأس والبطن)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (رأيتُ سَبعينَ من أهلِ الصُّفَّةِ ما منهم رجُلٌ عليه رداء، إما إزارٌ وإما كِساءٌ قد رَبطوا في أعناقِهم، فمنها ما يَبلغُ نِصفَ الساقَينِ، ومنها ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ، فيَجْمعهُ بيَدِه كراهيةَ أن تُرَى عَورَتُه)[٢].

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ. فَيَنْطَلِقُ أَحَدُنَا يَتَحَامَلُ حَتَّى يَجِيءَ بِالْمُدِّ. وَإِنَّ لأَحَدِهِمُ الْيَوْمَ مِائَةَ أَلْفٍ))[٣].

وهذه الآثار تدل على رقة حال الصحابة رضي الله عنهم وزهدهم في الدنيا.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استحضار الموت:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك)، إشارة إلى الموت وقد أوصى رسول الله ﷺ بذكر الموت، فقال: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)) - يعني الموت -[٤].

قال الطيبي: "شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر في الركون إليها، ويشتغل كما يجب عليه من التزود إلى دار القرار وأنشد زين العابدين رضي الله عنه:

فيا عامر الدنيا ويا ساعيًا لها ... ويا آمنًا من أن يدور الدوائر
على خطر تمشي وتصبح لاهيًا ... أتدري بماذا لو عقلت تخاطر
تخرب ما يبقى وتعمر فانيا ... فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر[٥]

---

(١) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ص ٤٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥١).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٧).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣٢٩.

وعن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ رَسُولُ اللّهِ خَطًّا، وَقَالَ: ((هذَا الإنْسَانُ))، وَخَطَّ إِلَى جَنْبِهِ خَطًّا وَقَالَ: ((هذَا أَجَلُهُ))، وَخَطَّ آخَرَ بَعِيدًا مِنْهُ فَقَالَ: ((هذَا الأمَلُ)) فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إِذْ جَاءَهُ الأقْرَبُ[1].

فينبغي استحضار الموت وقربه للإنسان حتى لا ينشغل عن الآخرة وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، فعن البراء رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ فِي جِنَازَةٍ. فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ. فَبَكَى، حَتَّى بَلَّ الثَّرَى. ثُمَّ قَالَ: ((يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هذَا فَأَعِدُّوا))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨٣).

الحديث رقم (٤٨٠)

٤٨٠ - وعن كعب بن عياض رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: (**إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

كعب بن عياض: هو كعب بن عياض الأشعري، له صحبة نزل الشام، له أربعة أحاديث أو أكثر، منها هذا الحديث.

وذكر ابن عبدالبر أن جابر بن عبدالله روى عنه. وقيل: روت عنه أم الدرداء. لكن الحافظ في الإصابة قال: فيه نظر، فإنما روى جابر وكذلك أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعري[2].

غريب الألفاظ:

فتنة: أي ما يمتحنون ويختبرون به[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بلافتة قصيرة تعجل بالحكم، وتمهد لما يريد أن يقرر، وفيه لون من التشويق، والتوكيد كما سيتبين (إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً) وهي تحمل حكماً عاماً مؤكداً بعدة مؤكدات يقرر اشتراك جميع الأمم في وجود الفتنة، وهو يرجع إلى فروق تميز كل أمة عن أختها، ثم ذكر خاصاً من هذا العام، يتعلق بالأمة المحمدية، وهو (وفِتْنَةُ

---

(١) برقم ٢٣٣٦. وصحّحه ابن حبان الإحسان ٣٢٢٣، وقال الحاكم ٣١٨/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦٢٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٥٩/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٩/٦ والتهذيب ٤٧٠/٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢١.

أُمَّتِي: المَالُ) وفيها إيجاز بحذف المسند إليه لدلالة الكلام السابق عليه، وهو قوله: هي المال ؛لأنها آخر الأمم، ومن المعقول أن تطور الإنسان في الدنيا يزداد من عام إلى عام فيحصل تقدم، ورقي يترتب عليه زيادة المال، وتعدد أشكاله، ومن ثم التنافس فيه، والانشغال به عن الآخرة كما نرى حال الناس في زماننا من قلة القناعة، والشكر مع كثرة الخيرات.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والتحذير.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: افتتان الأمم السابقة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المال فتنة للأمة الإسلامية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد، والتحذير:

١ - أسلوب التوكيد: يظهر أسلوب التوكيد في قول رسول الله ﷺ "إن لكل أمة فتنة" حيث أكد وجود الفتن.

وأسلوب التوكيد من الأساليب التي لها آثار إيجابية في الدعوة إلى الله تعالى، نظرًا لما يحدثه هذا الأسلوب من تأثير في نفس المدعو بالنسبة للأمر الذي تم التأكيد عليه.

٢ - أسلوب التحذير: يستنبط أسلوب التحذير من قوله ﷺ "... وفتنة أمتي المال" حيث حذر من فتنة أمته ﷺ بالمال.

وأسلوب التحذير من الأساليب الدعوية المفيدة التي تعمل على تنبيه المدعوين إلى مواطن الخطر التي يجب الابتعاد عنها أو الحذر منها، وقد حذر النبي ﷺ في هذا الحديث من الافتتان بالمال، نظرًا لخطورة ذلك على المسلم وعلى سائر الأمة الإسلامية.

ثانيًا - من تاريخ الدعوة: افتتان الأمم السابقة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "إن لكل أمة فتنة..." فذكر افتتان الأمم السابقة. وقد ورد ما يدل على ذلك في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ٢، ٣.

وقد ذكر القرآن من الأفراد الذين افتتنوا من الأمم من قوم موسى عليه السلام قارون الذي أعطاه الله المال الكثير وكان هذا المال سببًا في افتتانه وسببًا في هلاكه قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[1].

قال ابن عاشور: (كان من صنوف أذى أئمة الكفر النبي ﷺ والمسلمين، ومن دواعي تصلبهم في إعراضهم عن دعوته اعتزازهم بأموالهم وقالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] أي على رجل من أهل الثروة فهي عندهم سبب العظمة ونبذهم المسلمين بأنهم ضعفاء القوم، وقد تكرر في القرآن توبيخهم على ذلك كقوله: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾[3] وقوله: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾[4] الآية. روى الواحدي عن ابن مسعود وغيره بأسانيد: أن الملأ من قريش وسادتهم منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والمطعم بن عدي والحارث بن نوفل. قالوا: أيريد محمد أن نكون تبعًا لهؤلاء، يعنون خبابًا، وبلالاً، وعمارًا، وصهيبًا. فلو طرد محمد عنه موالينا وعبيدنا كان أعظم له في صدورنا وأطمع له عندنا وأرجى لاتباعنا إياه وتصديقنا له

---

(١) سورة القصص، الآيات: ٧٦-٧٧.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣١.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٥.

(٤) سورة المزمل، آية: ١١.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[١] إلى قوله ﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾. وكان فيما تقدم من الآيات قريبًا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾[٢] إلى قوله ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾.

وقد ضرب الله الأمثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السالفة فضرب في هذه السورة لحال تعاظمهم بأموالهم مثلاً بحال قارون مع موسى وإن مثل قارون صالح لأن يكون مثلاً لأبي لهب ولأبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قبل إسلامه في قرابتهما من النبي ﷺ وأذاهما إياه، وللعاصي بن وائل السهمي في أذاه لخباب بن الأرت وغيره، للوليد بن المغيرة من التعاظم بماله وذويه. قال تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾[٣] فإن المراد به الوليد بن المغيرة... وافتتاح الجملة بحرف التوكيد يجوز أن يكون لإفادة تأكيد خبر "إن" وما عطف عليه وتعلق به مما اشتملت عليه القصة وهو سوء عاقبة الذين تغرهم أموالهم وتزيدهم فلا يكترثون بشكر النعمة، ويستخفون بالدين، ويكفرون بشرائع الله)[٤].

وقد بين رسول الله ﷺ أول فتنة بني إسرائيل فقال: ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ. وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[٥].

يظهر من ذلك تأكيد القرآن الكريم وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ على افتتان الأمم السابقة وفي ذلك تنبيه لأخذ العبرة منهم وعدم الوقوع في أخطائهم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٢.

(٢) سورة القصص، آية: ٦٠.

(٣) سورة المدثر، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨/٢٠/١٧٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: المال فتنة للأمة الإسلامية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... وفتنة أمتي المال".

وقد بين القرآن الكريم أن المال فتنة فقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[١].

أي اختبار وامتحان منه لكم، إذا أعطاكموها ليعلم أتشكرونه عليها وتطيعونه فيها، أو تشتغلون بها عنه، وتعتاضون بها منه[٢] كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٣].

فالمال زينة من زينات الدنيا كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٤] والنفس ضعيفة قد تفتن بهذه الزينة وتنشغل بها عن الآخرة؛ لذلك حذر رسول الله ﷺ أمته من فتنة المال. فقال ((فواللهِ ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فتَنافسوها كما تَنافسوها، وتُهلككم كما أهلكَتهم))[٥].

قال ابن عثيمين: (وهذا هو الواقع، وانظر إلى حالنا نحن لما كان الناس إلى الفقر أقرب، كانوا لله أتقى، وأخشع، وأخشى، ولما كثر المال، كثر الإعراض عن سبيل الله، وحصل الطغيان، وصار الإنسان الآن يتشوق لزهرة الدنيا وزينتها.. سيارة، بيت، فرش، لباس، يباهي الناس بهذا ويعرض عما ينفعه في الآخرة.

وصارت الجرائد والصحف وما أشبهها لا تتكلم إلا عن الرفاهية وما يتعلق بالدنيا، وأعرضوا عن الآخرة، وفسد الناس إلا من شاء الله[٦]. فكان في ذلك فتنة للأمة بالمال كما أخبر رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢/٤.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٢٩٦١.

(٦) شرح رياض الصالحين ٧٩١/١.

وفتن الدنيا كثيرة الأنواع، واسعة الأرجاء، ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل أشغل عن طاعة الله ورسوله.

والأموال أعظمها فتنة، وأطمها محنة، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها، وإذا وجدت فلا سلامة منها، وإذا فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفرًا، وإذا وجد حصل فيه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسرًا كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[1].

والأموال بوجه عام لا تخلو من الفوائد والآفات، وفوائدها من المنجيات، وآفاتها من المهلكات، وتميز خيرها من شرها لا يدركه إلا ذو البصائر في الدين من العلماء الأبرار.

فالدنيا فتنها كثيرة، والمال بعض أجزاء الدنيا، والجاه بعضها، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها، وأكل الحرام بعضها ونحو ذلك[2].

أما آفات المال الدينية فثلاث:

الأولى: أن المال يجر إلى المعاصي غالبًا؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت دواعيه إليها.

والمال نوع من القدرة يحرك داعية الإنسان إلى المعاصي، فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أن المال يحرك الإنسان إلى التنعم في المباحات حتى تصير له عادة وإلفًا فلا يصبر عنها، وربما لا يقدر على استدامتها إلا بكسب فيه شبهة فيقتحم الشبهات، ويترقى إلى الكذب والنفاق، ثم يدخل في المحرمات لتكميل شهواته، ثم يترقى إلى الكبائر كما قال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[3].

---

(١) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٢) موسوعة فقه القلوب ٤/٣٢٦٨-٣٢٦٩.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٩.

الثالثة: أن يلهيه ماله عن ذكر الله عز وجل وعبادته، وهذا هو الداء العضال الذي لا ينفك عنه أحد، فإن أصل العبادات ذكر الله عز وجل، والتفكر في جلاله وعظمته، وذلك يستدعي قلبًا فارغًا يناجي ربه لا يشغله شيء عنه، وصاحب الضيعة يصبح ويمسي متفكرًا في أحوال ضيعته، وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكرًا في أحوال تجارته، وفي الخوف على ماله.

هذا سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن، والهم والغم، والعناء والتعب، في متاع يفنى، وخير من ذلك لو كان الجهد في أرباح تبقى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

وقال النبي ﷺ: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[2]. وقال الرسول ﷺ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[3].

والسنة فيمن وجد المال أن يستعمله في السخاء والإيثار، واصطناع المعروف، ومن فقد المال أن يستعمل القناعة والاقتصاد في المعيشة.

وإذا تيسر للإنسان في الحال ما يكفيه فلا يضطرب لأجل المستقبل، وإذا انسد عنه باب كان ينتظر منه الرزق فلا ينبغي أن يضطرب قلبه، فلن ينقص رزقه الذي قدره الله له: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[4].

وقال النبي ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥ واللفظ له.

(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ))[1])[2].

لقد حذر النبي ﷺ أمته من الافتتان بالمال من خلال عدد من النصوص، ومن جملتها أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا فُتِحَتْ عليكُمْ خُزائِنُ فارِسَ والرُّومِ، أيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ قَالَ عبد الرحمن بن عوفٍ: نكونُ كما أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ إِلَى مَسَاكِينِ المُهَاجِرِينَ، فَتَحْمِلُونَ بَعضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَحْسِرُ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْتَتِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فيُقتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»، قالَ: يَا بُنَيّ، إِنْ أَدْرَكتَهُ، فَلا تَكونَنَّ مِمَنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ))[4] وهذا من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته مما اطلع عليه من الغيوب المستقبلة وإخباره عنها[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢١٤٤ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٤٣).

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب ٤/٣٢٧٠-٣٢٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٦٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١/٥٤٢.

الحديث رقم (٤٨١)

٤٨١ - وعن أَبي عمرو، ويقالُ: أَبو عبدِ الله، ويقالُ: أَبو ليلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ في سِوَى هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبزِ وَالماء**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي.

ولد بمكة بعد عام الفيل بست سنين، وأسلم بعد البعثة بقليل وهو أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذين جعل "عمر رضي الله عنه الأمر شورى بينهم، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم فعن شهاب: ((أن عثمان بن عفان رضي الله عنه وامرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجا مهاجرين من مكة إلى الحبشة الأولى، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم هاجرا إلى المدينة))[2] فكان من السابقين إلى الإسلام، وممن صلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، ولقب بذي النورين لزواجه من بنتي النبي صلى الله عليه وسلم "رقية ثم أم كلثوم".

وقد عُدّ في البدريين وأثبت له النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك سهمًا على الرغم من تخلفه وما ذلك إلا لتمريض زوجته رقية التي كانت عليلة، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بأن يمكث معها[3] وعُدّ في أهل الحديبية، بعد أن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، لكونه أعزّ بيت

---

(١) برقم ٢٣٤١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. قال الدارقطني في العلل ٢٦٥: كذا رواه حُريث بن السائب، عن الحسن، عن حمران بن عثمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ووهم فيه. والصواب: عن الحسن، عن حمران، عن بعض أهل البيت. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧١٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٢٢/٢ رقم ٤٣٠٥، وقال قد اتفق الشيخان على إخراج حديث ابن أبي شيبة وغيره والزهري، عن عروة، عن عبيد الله بن عدي، عن المسور بن مخرمة في خروج عثمان بن عفان إلى أرض الحبشة.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٩٨.

بمكّة، فأشيع أنهم قتلوه، فكان ذلك سبب البيعة، فضرب النبي ﷺ بشماله على يمينه، وقال ((هذه يدُ عثمان))[١]، فقال الناس هنيئًا لعثمان وقد أقام بنفسه وماله في واجب النصرة، ثم جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا وخمسين فرسًا!! كما اشترى بئر رومة بعشرين ألفًا، وتصدق بها كما ابتاع توسعة المسجد النبوي بخمسة وعشرين ألفًا.

وقد بويع للخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣هـ، فأتم جمع القرآن وتمت في خلافته فتوحات كثيرة في آسيا وأفريقيا.

وكان ﷺ شديد الحياء، قال فيه النبي ﷺ: ((ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة))[٢]، وهو الذي قال عن نفسه: ما تغنيت ولما تمنيتُ، ولا وضعتُ يدي اليمنى على فرجي منذ بايعتُ بها رسول الله ﷺ!! وما مرّتْ بي جمعة إلا وأعتق فيها رقبة!! ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا سرقت!! وكان رجلاً شديد المتابعة لسنة النبي ﷺ، كثير قيام الليل، بل كان أول من ختم القرآن في ركعة!! وقد اهتز أُحدٌ يومًا وكان عليه النبي ﷺ، وأبو بكر وعمر وعثمان فقال النبي ﷺ اسْكُن أُحُدُ فليس عليك إلا نبيٌّ وصديق وشهيدان[٣]، وصدق الصادق الأمين فقد قتل عثمان شهيدًا بعد ما حوصِرَ أربعين يومًا وكان سبب ذلك أنه رضي الله عنه كان كَلِفًا بأقاربه، لين العريكة كثير الإحسان والحلم. وقد خص أقاربه بالولايات والأعمال، فأقبل عليه أهل مصر يشكون واليهم "عبدالله بن أبي السرح" فعزله وكتب له كتابًا بتولية محمد بن أبي بكر الصديق فرضوا بذلك، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا راكبًا على راحلته، ومعه كتابًا مفترى، إلى ابن أبي السرح يحرّضه ويحثه على قتلهم إذا قدموا عليه، فرجعوا به إلى عثمان رضي الله عنه، فحلف لهم أنه ما كتب، ولا أذن بذلك وصدق رضي الله عنه فهو أجل قدرًا وأنبل ذكرًا، فطلبوا منه أن يسلمهم كاتبه، فخشى عليه منهم القتل ولم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٩٩.

تقم بينة على أنه هو الذي أرسل الكتاب المفترى، وكان كاتبه مروان بن الحكم "ابن عمه" فغضبوا وحاصروه في داره -وكانوا من الكوفة والبصرة ومصر - يراودونه على أن يخلع نفسه فأبى "امتثالاً لقول النبي ﷺ ((يا عثمان، إن الله مقمِّصك قميصًا فإنْ أرادَك الله عز وجل عسى أن يُلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني. يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أدرك المنافقون على خلعه، فلا تخلع حتى تلقاني... ثلاثًا))[1].

ورفض أن يقاتلهم وقال: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا، فأنا صابرٌ عليه[2].

وأراد الصحابة الأطهار أن يدافعوا عنه بحياتهم فأبى رضي الله عنه وقال لأبي هريرة رضي الله عنه عزمًا عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك فإنما يراد نفسي، وسأقي المؤمنين بنفسي، قال أبو هريرة فرميت بسيفي فلا أدري أين هو حتى الساعة فتسوَّروا عليه من دار إلى دار، فدخلوا عليه فقتلوه، فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم.

فقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: والله ما أعنتَ على قتله ولا أمرتُ ولا رضيت، وقال: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين، وقالت عائشة لما بلغها مقتل عثمان: "قتلوه، وإنه لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب"، وبعد مقتله رضي الله عنه انفتح باب الفتنة الأولى وفي الإسلام.

وقد بلغت رواياته عن النبي ﷺ (١٤٦) حديثًا. وتوفي شهيدًا سنة ٣٥هـ وهو ابن تسعون أو ثمانون سنة[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٨٧/٦ رقم ٤٥٦٦، وقال محققو الإسناد: إسناده صحيح ١١٣/٤١.

(٢) أخرجه أحمد ٥٨/١ رقم ٤٠٧، وقال محققو الإسناد: إسناده حسن ٤٦٧/١.

(٣) طبقات ابن سعد ٥٣/٣-٨٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٤٤-٥٥١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٨/٣-٥٨٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٩٠-٨٩١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢١٠/٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٢٦/٥-١٣٠، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣١٠/١-٣٢٠.

غريب الألفاظ:

الخِصال: المراد هنا: ما يحصل للرجل ويسعى في تحصيله[١].

يوارى: يستر[٢].

الجلفُ: قال الترمذي: سمعت أبا داود سليمان بن سالم البلخي يقول: سمعت النضر بن شميل يقول: الجِلْف: الخبز ليس معه إدام[٣]، وقال غيره: هو غليظ الخبز، وقال الهرويُّ: المراد به هنا: وعاء الخبز كالجوالق[٤] والخُرْج[٥].

الحديث يتناول الحد الذي يكفي الإنسان في حياته، ويبني قناعته عليه، وهذا يضمن للإنسان عدم الانشغال بالمال الذي يمكن أن يكون صنماً يستعبد القلب من دون الله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ...)(البقرة ١٦٥) وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي ليعزل عن المؤمن ما يضره مما زاد عن الحاجة، وفيه تقوية لجانب التكافل، والتعاون، (لَيْسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ في سِوَى هذِهِ الخِصَالِ) وهذا إجمال فيه تشويق يتبعه تفصيل يحقق التوكيد بذكر الخصال، والتعبير بالحق يدل على أنه لازم ضروري، والتعبير بالخصال يشير إلى انفراد كل واحدة منها عن الأخرى، وأولها :بيت يسكنه، وذكر فعل السكن بعد ذكر البيت بيان للغاية منه، وهي السكن، وليس لغيره، والثانية: ثَوْبٌ يُوارِي عَوْرَتَهُ، والتعبير بمواراة العورة مبالغة في الاكتفاء بالضروري، وترك ما زاد، الثالثة: جِلْفُ الخُبز وَالماء، أي إناء الخبز، والماء، أو الجلف نوع غليظ من الخبز.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٢٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦١.

(٣) الإدام: هو ما يؤكل مع الخبز، أي شيء كان. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ د م).

(٤) الجوالق: الغِرارة وهي وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ل ق) و(غ ر ر).

(٥) وعاء من شعر أو جلد، ذو عدلين، يوضع على ظهر الدابة لوضع الأمتعة فيه. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ر ج).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا والاقتصار على حد الكفاف.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان حرص الإنسان على المال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن ما يحرص عليه الإنسان من حظوظ الدنيا فانٍ، وما يقدمه للآخرة باق.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال... إلخ"، حيث نفى أن يكون لابن آدم حق ثم أثبت له الحق في ثلاث خصال ذكرها النبي ﷺ، والنفي والإثبات من الأساليب الدعوية التي تجعل المدعو على بينة من أمره فينتفع بما أُمر به ويتجنب ما نُهي عنه وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا والاقتصار على حد الكفاف:

(الزهد هو عدم احتفال القلب بالدنيا والأموال وإن كانت في اليد)[٢]، (وليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون ثواب المصيبة - إذا أصبت بها - أرغب منك فيها لو لم تصبك)[٣]، (فقد يكون الغني زاهدًا وقد يكون الفقير غير زاهد)[٤].

(والزهد على ثلاثة أوجه. الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين)[٥]، (وقد كان القرآن مملوءًا من التزهيد في الدنيا، والإخبار بخستها وقلتها

---

(١) تم دمج المضامين الحديث لهذا الحديث -٤٨١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٨٢).

(٢) الفروق، القرافي ٢٠٩/٤.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٨٣/٢.

(٤) الفروق، القرافي ٢٠٩/٤.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٨١/٢.

وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب في الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها)[١]، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٢] وقال: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٥].

وهذا ما أكد عليه النبي ﷺ في هذين الحديثين من قوله "ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال... الخ" وقوله ﷺ "وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو ما لبست فأبليت أو ما تصدقت فأمضيت".

قال الطيبي: (قال البيضاوي: أراد بـ "الحق" ما يستحقه الإنسان لافتقاره إليه وتوقف تعيشه عليه، وما هو المقصود الحقيقي من المال" اهـ، ومن شرع في سعي الدنيا والاستمتاع بها وبمستلذاتها ومباحاتها أوقع نفسه ودينه في خطر عظيم، فيجب عليه أن يحترز منها كل الاحتراز إلا ما لابد له منه، وهو هذه الخصال الثلاث)[٦]. وقال ابن عثيمين: (في قوله ﷺ: "وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضت" هكذا قال النبي ﷺ وهو كذلك فإن الإنسان ما له من ماله إلا هذه الأشياء، إما أن يأكل طعامًا وشرابًا، وإما أن يلبس من أنواع اللباس،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٧٨/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١٦-١٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٦/٩.

وإما أن يتصدق، والباقي له هو ما يتصدق به، أما ما يأكله وما يلبسه؛ فإن كان يستعين به على طاعة الله كان خيرًا له، وإن كان يستعين به على معصية الله وعلى الأشر والبطر كان محنة عليه والعياذ بالله)[١].

وفي بيان فضل الزهد في الدنيا والاقتصار على الكفاف، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ. قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ. وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ، نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ. وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ. فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ. فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ. وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟ قُلْتُ: بَلَى))[٢].

وقال الحسن البصري: (والله أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه فيقال لهم ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالاً؟ فيقولون لا، إنا لنخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا، وقال: أدركت أقوامًا لا يفرحون بشيء من الدنيا أتوه، ولا يأسون على شيء منها فاتهم، وقال: لقد رأيت أناسًا تعرض لأحدهم الدنيا حلالاً فلا يتبعونها، يقولون: ما ندري ما حالنا فيها)[٣].

فيجب النظر إلى الدنيا بعين الزوال وقصر الأمل فيها وخلو القلب عنها وليس المراد الفقر الذي يضطر الإنسان إلى المسألة والذلة فذلك هو ما استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ((اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ و الفَقْرِ))[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/٨٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩١٣، ومسلم ١٤٧.

(٣) الزهد، الحسن البصري ٢٩.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٤ رقم ١٠٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

ثالثًا - من مصادر الدعوة القرآن الكريم:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "أتيت النبي ﷺ، وهو يقرأ: ألهاكم التكاثر"، فالقرآن الكريم هو (كلام الله المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس)[1]، (أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستورًا للأمة، وهداية للخلق، وحجة قائمة إلى يوم الدين)[2].

(فالقرآن للداعية هو حجته التي لا تضل وبينته التي لا تزول ورايته التي لا تتوارى يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاء ووضاءة ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا... لسان من لا لسان له وفصاحة من لا فصاحة عنده وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج أو شرور وآثام وفتن وأهواء)[3]. ومنه يستمد الداعية مادته الدعوية فيستشهد بآياته ويلتمس شواهده وفي ذلك عظيم الأثر على المدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان حرص الإنسان على المال:

يظهر ذلك من قول عبدالله بن الشخير رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: "ألهاكم التكاثر" قال: "يقول ابن آدم مالي، مالي ... إلخ الحديث"، قال القرطبي: (وقوله: "ألهاكم التكاثر" يعني شغلكم الإكثار من الدنيا، ومن الالتفات إليها عما هو الأولى بكم من الاستعداد للآخرة، وهذا الخطاب للجمهور إذ جنس الإنسان مفطور، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾[4] وكما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

---

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١/١٨٨، والتبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ٦.

(٢) انظر: بحث حفظ القرآن الكريم وتعليمه، د. حمد بن ناصر العمار، ص ٢.

(٣) الخطابة وإعدد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١١٦.

(٤) سورة القيامة، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾[١] الآية. وقوله: "يقول ابن آدم مالي مالي" أي يفتر بنسبة المال إليه وكونه في يديه، حتى ربما يعجب به ويفخر به، ولعلّه تعب هو في جمعه، ويصل غيره إلى نفعه[٢].

(مما لا شك فيه أن المال هو قوام الحياة ووسيلة العيش لكنه ليس غاية العباد وقد ذم الإسلام عباد المال الذين يتخذون من جمع المال هدفًا لحياتهم وكسبهم كما ذم القرآن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، فكنزهم للمال دليل على أنهم اتخذوا المال غاية)[٣]، قال ابن الجوزي: (رأيت من أعظم حيل الشيطان ومكره، أن يحيط أرباب الأموال بالآمال، والتشاغل باللذات القاطعة عن الآخرة وأعمالها فإذا علقهم بالمال - تحريضًا على جمعه وحثًا على تحصيله - أمرهم بحراسته بخلاً به وحرصًا عليه)[٤]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "يقول ابن آدم: مالي، مالي" وهذا ما بينه الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[٥] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٦].

قال ابن كثير: (أي: وإنه لحب الخير - وهو المال - لشديد وفيه مذهبان: أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال، والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال، وكلاهما الصحيح)[٧].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/١١٠-١١١.

(٣) انظر: نظام الإسلام الاقتصادي مبادئ وقواعد عامة، محمد المبارك ص ٢٦.

(٤) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٦٨.

(٥) سورة الفجر، آية: ٢٠.

(٦) سورة العاديات، آية: ٨.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٤٦٧.

(وقد أنذر الله تعالى من استحوذ عليه حب المال ورأى لنفسه حقًا وحرية في التصرف فيه، والضنَّ به، والحدب عليه، فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1])[2].

(وأنذر تعالى المسلمين كذلك بأن الحرص والاضراب عن الإنفاق في سبيل الله بسخاء وعلو همة، وبذل النفس والنفيس لله تعالى، وخذلان هذا الدين الذي به بقاؤهم وحياتهم، وانتصارهم، وازدهارهم سعي في هلاك النفس، ومرادف لما يسمونه اليوم "الانتحار" فقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3])[4].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بيان أن ما يحرص عليه الإنسان من حظوظ الدنيا فان، وما يقدمه للآخرة باق:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، وما ما لبست فأبليت، أو ما تصدقت فأمضيت". فبيّن ﷺ أن ما يحصل عليه الإنسان من مأكل وملبس سيزول أثره بمرور الأيام وبالموت، ويبقى حسابه، إن أسرف فيه أو حصّله من حرام، أما ما تصدق به على المحتاجين قاصدًا به وجه الله فنفعه باق في الآخرة عند الله عز وجل[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٢) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ١٠١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٤) الأركان الأربعة: (الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج)، أبو الحسن الندوي، ١٠١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٠.

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[١] (فبين تعالى الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة؛ بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد، وثبت على العقد، ولقد أحسن من قال:

هب الدنيا تساق إليك عفوًا ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيءٍ ... أظلك ثم آذن بالزوالِ)[٢]

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أن رسولَ الله ﷺ أَمرَ أن تذْبَح شاةٌ فيقسِّمها بين الجيران، فقسَّمَتها بين الجيران، ورفعَت الذِّراع إلى النبيِّ ﷺ، وكان أحبَّ الشاة إليه الذِّراعُ، فلما جاء النبي ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: ما بقي عِندنا منها إلاَّ الذراعُ، قال: كلُّها بَقِيَ إلاَّ الذِّراعُ))، وفي رواية ((ما بقي منها إلا كتفها))[٣] وفي ذلك دليل على أن ما عند الله خير وأبقى.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٣/١٠/٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٣٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥٠).

الحديث رقم (٤٨٢)

٤٨٢ - وعن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ - بكسر الشينِ والخاء المعجمتين - رضي الله عنه، أنه قَالَ: أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: ((يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مَا أكَلْتَ فَأفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فَأبْلَيْتَ، أوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الشِّخِّير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٥٠).

غريب الألفاظ:

أمضيتَ: أنْفَذْتَ فيه عطاءك ولم تتوقَّفْ فيه[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الزهد في الدنيا يبين ما للمال من فتنة، وما لابن آدم حقيقة من ماله وتعلقه به الذي عكسته كلمة (مالى) بإضافته إليه وتكرار الكلمة نفسها يؤكد شغفه به، وتكالبه على جمعه من الحرام، والحلال، ويعكس تمسكه به وظنه أنه خالد فيه بغفلته، ولذلك جاء استفهام النبي ﷺ (وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا....؟) نفي لأن يكون للمال فائدة حقيقية لابن آدم، إلا في هذه الأوجه الثلاثة. يقف بحسم أمام مشاعر الأثرة، فالتكالب على جمع المال من الحرام، والحلال التي أشاعتها عبارة (مالي مالي)، ويقرر خطأ التكاثر في الأموال من حلال، وحرام حتى يفكر الإنسان ملياً في طرق جمعه، وسبل إنفاقه، وأداة الاستفهام (هل) مثلت صحية الاحتجاج على مشاعر حب التملك، والتمسك بالمال، والتكالب على جمعه، ووقفت - لحظات - بالنفس الأمارة بالسوء أمام ضمير الإنسان الواعي، أمام داعي الله في قلب

---

(١) برقم ٢٩٥٨/٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٣١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ض ى).

المؤمن؛ لترجع نفساً لوامة تقر بنفي ما نفاه الرسول ﷺ، وتقر بأنه ليس لها من المال إلا (ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) وأن ما زاد فللورثة يتنعمون، والجامعون يحاسبون. هذا ما أفادته الأداة بالإضافة إلى معنى النفي مع ما بعثته من يقظة، وترقب حتى نهاية الحديث.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٨٣)

٤٨٣ - وعن عبدِ الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رجل للنبي ﷺ: يَا رسولَ الله، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: ((انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟)) قَالَ: وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّات، فَقَالَ: ((إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فإنَّ الفَقْرَ أسْرَعُ إلَى مَنْ يُحِبُّني مِنَ السَّيْلِ إلَى مُنْتَهَاهُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

غريب الألفاظ:

تِجفافًا: التجفاف: شيء يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، ليتقي به الأذى، وقد يلبسه الإنسان[2].

مُنتهاه: أي مستقره[3].

عبارة الإنسان البليغ انعكاس صادق لمشاعره، وإذا نظرنا فى عبارة هذا الرجل الذي جاء يخبر الرسول ﷺ بمشاعره، وأنه يحبه، وقد جاء نداؤه يحمل الإجلال، والتقدير حيث استخدم (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، تشريفاً، ثم صدَّر خبره بالقسم بلفظ الجلالة (الله) ثم بحرف التوكيد، واسمية الجملة، واللام الداخلة على جملة خبر (إن) كما صاغ فعل المحبة في صورة المضارع للدلالة على الاستمرار، والتجدد، وكأن حب النبي في قلبه مع استمراره يتجدد بالزيادة، وهذه العبارة كثيفة المؤكدات التي تشع بالمحبة قابل بها رسول الله ﷺ فقال له (انظر ماذا تقول ؟) الأمر(انظر) للتدبر، والتأمل ليراجع نفسه، والاستفهام (ماذا تقول ؟) للتنبيه، كأنه ينهاه عن الدعوة دون الاجتهاد في العبادة،

---

(١) برقم ٢٣٥٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وله شاهد من حديث أبي ذر، أخرجه الحاكم ٣٣١/٤ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٢٣٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٦/٢.

والعمل، وقوله (فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافاً) استعار التجفاف للصبر؛ لأنه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر، والتشبيه بالسيل يدل على سرعة البلايا المفهومة من سرعة السيل، كما يفيد تتابعها، واتصالها كتتابع الماء في السيل، واتصاله، كما يدل على القوة، لأن السيل يندفع بقوة تجرف ما يلاقيها كما يشير إشارة خفية إلى أنه تلك البلايا يتبعها تقريب من الله للعبد، وفيوضات، وتفريج كما يحدث بعد السيل من الخصب، والنماء، والري فينمو العشب، وتسقي الدواب، وحاصل الحديث أن من ادعى محبة الله ورسوله فعليه أن يجتهد في العبادة، وأن يصبر على البلاء، وأن يقتدي بالرسول ﷺ في الزهد في متاع الدنيا الزائل، وأن يعلم أن الابتلاء سنة الله في المؤمنين فإن أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل خصوصاً سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والقسم والتوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: مراجعة الداعية للمدعو وسؤاله للتأكد من حقيقة ما يقول.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التكرار والشرط.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: نظرة الإسلام إلى الفقر.

خامسًا: من مهام الداعية: بيان أن حب النبي ﷺ مقدم على الدنيا وزينتها.

أولاً - من أساليب الدعوة: النداء والقسم، والتوكيد:

إن النداء من الأساليب الدعوية التي يكون بها لفت انتباه الداعية والمدعوين واستحضار أذهانهم، وهذا ما ورد في الحديث من قول "يا رسول الله"، فالنداء قد يستخدمه الداعية للفت انتباه المدعو واستحضار ذهنه وقد يسخدمه المدعو للفت انتباه الداعية إلى أنه يريد منه الإجابة على شيء أو توضيحه أو إبلاغه بشيء يريد معرفة حكمه وهو أسلوب دعوي مفيد في الدعوة لتحقيقه للفت الانتباه واستحضار الذهن. أما القسم فيقصد به الحلف واليمين، وهو من الأساليب التي أوردها العرب وعرفها الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع انتباه حول غاية، وقد أحسّ

العرب الجاهليون بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق. يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء[١]

وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث في قول الرجل: "والله إني لأحبك"، فالقسم أسلوب دعوي يستخدم من الداعية أو المدعو للتأكيد على كلامه، والتأكيد على هدفه وأهميته. أما التوكيد فيقصد به تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين وهذا ما ورد في الحديث من تأكيد الرجل على حب النبي ﷺ في قوله: "إني لأحبك"؛ حيث أُكد كلامه بـ "إن" وكرره ثلاثًا وفي ذلك زيادة تأكيد، ومن المعلوم أن العرب لا تؤكد إلا ما تهتم به؛ فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد، فالتوكيد أسلوب دعوي يستخدم للتأكيد على الشيء وبيان أهميته[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: مراجعة الداعية للمدعو وسؤاله للتأكد من حقيقة ما يقول:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ "انظر ماذا تقول" أي: رمت أمرًا عظيمًا وخطبًا خطيراً فتفكر فيه، فإنك توقع نفسك في خطر وأي خطر أعظم من أن يستهدفها غرضًا لسهام البلايا والمصائب[٣]. وفي ذلك بيان للأمر وإيضاحه على النحو الذي أراده المدعو، وفي ذلك عظيم الفائدة، لتقديم الإجابة المناسبة للمدعو.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التكرار والشرط:

وقد ورد التكرار في الحديث من قول "والله إني لأحبك، ثلاث مرات" وبالتكرار تعظم الفائدة في ترسيخ المعنى وتأكيده في الأذهان وبيان أهميته وإيضاحه للسامعين، ((وقد كَانَ النبي ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ))[٤]، أما الشرط فهو من الأساليب الدعوية التي يحصل بها استحضار انتباه المدعو في انتظار فعل الشرط

---

(١) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ص ٢٥٧.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٦.

(٤) أخرجه البخاري ٩٥.

وجواب الشرط وقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ "إن كنت تحبني فأعدَّ للفقر تجفافًا... إلخ".

رابعًا - من موضوعات الدعوة: نظرة الإسلام إلى الفقر:

مما لا شك فيه أن الأحاديث الواردة في مدح الزهد في الدنيا لا تعني مدح الفقر فإن الزهد يقتضي ملك شيء يزهد فيه، فالزاهدُ حقًا من ملك الدنيا فجعلها في يده ولم يجعلها في قلبه، والإسلام يجعل الغِنَى نعمة يمتن الله بها، ويطالب بشكرها، ويجعل الفقر مشكلة بل مصيبة يستعاذ بالله منها ويضع مختلف الوسائل لعلاجها.

وحسبنا أن نذكر هنا أن الله امتن على رسوله بالغنى فقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1]، وجعل إيتاء المال من عاجل مثوبته تعالى لعباده المؤمنين: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]، والأحاديث النبوية تعتبر الفقر آفة خطيرة يخشى سوء أثرها على الفرد وعلى المجتمع معًا، وعلى العقيدة والإيمان، وعلى الخلق والسلوك، وعلى الفكر والثقافة، وعلى الأسرة والأمة جميعًا[3].

وقد أراد النبي ﷺ أن يتسامى بهمم الصحابة رضي الله عنهم، وأن يزهدهم في الدنيا حيث أراد أن يؤهلهم التأهل النفسي لتحمل ظروف الفقر وشظف العيش وقسوته، وأن يوطن كل منهم نفسه على تحمل ومكابدة تلك الظروف، ولذا قال النبي ﷺ لمن أخبره بأنه يحبه: (إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه)، قال المباركفوري: (قوله: "إن كنت تحبني حبًا بليغًا كما تزعم "فأعد" أمرمخاطب من الإعداد، أي: درعًا وجنة. وفي القاموس: التجفاف بالكسر آلة الحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب فمعنى الحديث: إن كنت صادقًا في

---

(١) سورة الضحى، آية: ٨.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ١٧ - ١٨.

الدعوى ومحقًا في المعنى فهيء آلة تنفعك حال البلوى، فإن البلاء والولاء متلازمان في الخلا والملا. ومجمله أنه تهيأ للصبر خصوصًا على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع، وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة، وكنى بالتجفاف عن الصبر لأنه يستر الفقر كما ستر التجفاف البدن عن الضر. قال القاري: "من السبيل" أي إذا انحدر من علو "إلى منتهاه" أي مستقره في سرعة وصوله، والمعنى أنه لا بد من وصول الفقر بسرعة إليه، ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل خصوصًا سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم[1].

لأن من علامات حب النبي ﷺ اتباع منهجه والاقتداء به، ومن ذلك التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود.

ولا أدل على ذلك من ترك المهاجرين لديارهم وأموالهم والهجرة إلى المدينة مع النبي ﷺ، ولقد عاش أصحاب رسول الله ﷺ تلك الظروف القاسية فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه الذي كان يعيش حياة حافلة بالمتع في مكة آثر شظف العيش، وهاجر إلى المدينة وأبلى بلاءًا حسنًا في الجهاد مع النبي ﷺ حتى إنه حينما استشهد لم يجدوا له الكفن الذي يكفيه وكفن في بردته وكانوا إذا غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطوا رجليه بدا رأسه وهناك الأمثلة الكثيرة على ذلك، لذا أراد النبي ﷺ أن يوطن أصحابه رضي الله عنهم على تحمل قسوة العيش، وكان من هذه الأمثلة:

أن صهيبًا حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة: أَتَيْتَنَا صُعْلوكًا حقيرًا، فتغير حالُك! قال: أرأيتم إن تركت مالي، أمخلون أنتم سبيلي؟، قالوا: نعم. فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: ((رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهيبٌ))[2][3].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٦.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣/٢٢٧، ٢٢٨ من طريق هوذة بن خليفة عن عوف، عن أبي عثمان النهدي قال: (بلغني)، وقال محققو السير: ورجاله ثقات.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٢.

خامسًا - من مهام الداعية: بيان أن حب النبي ﷺ مقدم على الدنيا وزينتها:

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين[١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢].

قال القاضي عياض: (فكفى بهذا حضًا وتنبيهًا ودلالة وحجة على إلزام محبته ﷺ ووجوب فرضها)[٣].

وهذا ما يوجب تقديم محبته ﷺ وأقواله وأوامره على من سواه وإن تعارض ذلك مع الدنيا وزينتها قدم حبه وأقواله وأوامره وإن كان ذلك يدفع بصاحبه إلى كدر العيش وضيق الدنيا، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ: (إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا... إلخ).

وقد أكد النبي ﷺ على وجوب تقديم حبه على ما سواه فقال: ((لاَ يُؤمِنُ أَحَدَكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ))[٤]، وعن عبدالله بن هشام قال: ((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَارَسُولَ اللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَه عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الآنَ يَاعُمَرُ))[٥]، وفي ذلك بيان على وجوب

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٦٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٣٨١.

(٤) أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٩٤.

تقديم حب النبي ﷺ وأقواله وأوامره وإن أدى ذلك إلى ضيق الدنيا وفقرها. كما دل على ذلك الحديث الذي نحن بصدده، ولكن يلزم التنبيه على أن هذا الحديث لم يسلم بصحة وروده عن النبي ﷺ كثير من العلماء، قال ابن عثيمين: (ولكن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، لأنه لا ارتباط بين الغنى ومحبة النبي ﷺ، فكم من إنسان غني يحب الرسول ﷺ، وكم من إنسان فقير أبغض ما يكون إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ.

فعلامة محبة الرسول ﷺ أن يكون الإنسان أشد اتباعًا له، وأشد تمسكًا بسنته كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1]. فالميزان اتباع الرسول ﷺ، ومن كان للرسول أتبع فهو له أحب، وأما الفقر والغنى فإنه بيد الله عز وجل[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٨٠١.

الحديث رقم (٤٨٤)

٤٨٤ - وعن كعب بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

حِرصَ المرء: شدة اهتمامه ورغبته[2].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يبيِّن خطر الحرص على المال، والجاه على دين المرء فاختار بعبقرية صورة واقعية من بيئة المخاطبين يستوي الجميع في فهمها، وهي صورة الذئاب الجائعة في الغنم، وقد استخدم التشبيه لنقل هذه الصورة، وهذا التشبيه يوحي بعدة دلالات منها :

* شدة التأثير على دين المسلم يفهم ذلك من حال الذئب الجائع كما يفهم من التثنية الإحاطة التي تزيد من صعوبة إفلات الغنم من الذئبين، ويشير هذا في جانب المشبه إلى أن من اجتمع في قلبه حب المال، والشرف فهما أشد تضييعاً لدينه

* في التشبيه بالغنم في مواجهة الذئاب إشارة إلى ضعف النفس البشرية أمام إغراء المال، والمنصب.

* كما أنه اختار الغنم لضعفها، وسرعة استسلامها للمفترس، وكذا نفس الإنسان التي جبلت على حب المال، والجاه.

---

(١) برقم ٢٣٧٦. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٢٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي في (ح ر ص).

* كما أن اختيار الذئب من سائر الوحوش، لخفة حركته، وتسلله إلى فريسته دون جلبة كما يحدث مع الأسد، أو غيره من الوحوش وهذا يشير إلى أن حب المال، والجاه يتسلل شيئاً، فشيئاً إلى النفس، ويظل ينمو مع نمو المال، وارتقاء المنصب، وإشارات الناس حتى يستعبد القلب من دون الله.

كما أن التعبير بالإرسال، يوحي بالنية الموجهة، والقصد، وهو ما يشير إلى الحديث الذي سبق في الباب بأن فتنة الأمة المحمدية في المال، والمال يؤذن بالجاه، فقلما يفترقان، كما أن الذئب حيوان قلما يهاجم منفرداً، والتعبير بأفعل التفضيل (أفسد) يشير إلى أنهما فاقا المشبه به في الإفساد، وفي هذا تأكيد على خطرهما، ووجوب الحرص عليهما وضرورة حراسة الدين منهما كما يحرس الراعي البصير غنمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة الحرص على المال والجاه على الدين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من تفضيل الدنيا على الآخرة.

رابعًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه"، (فهذا مثل عظيم جدًا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين يأتيان في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها، ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن في حرص المرء على المال والشرف: إفسادَه لدينه وليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم؛ بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم مع إفساد الذئبين المذكورين

فيها إلا القليل، فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا)[١].

(وضرب المثل من الأساليب الدعوية الناجحة في الدعوة فهو يستخدم لتقريب المراد وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه، بصورة المثال الذي مُثِّل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه، وضبطه، واستحضاره له، باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر، والأشباه، الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة، وعدم النظير)[٢] وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان خطورة الحرص على المال والجاه على الدين:

(مما لاشك فيه أن حب المال والرياسة والحرص عليهما يُفسدُ دين المرء حتى لا يبقى منه إلا ما شاءَ الله، كما أخبر بذلك النبي ﷺ وأصل محبة المال والشرف: من حب الدنيا، وأصل حب الدنيا اتباع الهوى)[٣].

وهذا ما رهب منه النبي ﷺ وبين خطورته في قوله: "... بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه" وفي بيان خطورة ذلك قال الطيبي: (ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادًا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه...، وأما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات، ويجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفًا، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه فيكفي به إفسادًا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي، فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة، فهو أفسد وأفسد)[٤]. وفي ذلك فساد لدين المسلم.

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ٦٥/١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٢٣٩/١.

(٣) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ٨٩/١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٠٣/٩.

وهذا ما أكده ابن رجب: (في أن الحرص على المال يكون على نوعين: أحدهما مفسدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة، والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه من وجوهه مع الجهد والمشقة...، ولو لم يكن في الحرص على المال إلا تضييع العمر الشريف في الذي يفنى ولا قيمة له، وقد كان يمكن لصاحبه اكتساب الدرجات العلى والنعيم المقيم، فضيعه الحريص في طلب رزق مضمون، مقسوم لا يأتي منه إلا ما قدر وقسم، ثم لا ينتفع به؛ بل يتركه لغيره ويرتحل عنه، ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره، فيجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره، لكفى بذلك ذمًا للحرص، فالحريص يضيع زمانه الشريف، ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الأسفار وركوب الأخطار لجمع مال ينفع به غيره...، والنوع الثاني: من الحرص على المال أن يزيد على ما سبق ذكره في النوع الأول، حتى يطلب المال من الوجوه المحرمة ويمنع الحقوق الواجبة، فهذا من الشح المذموم.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اتقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشح أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ حملهم على أن سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، واستحلوا محَارِمَهُمْ))[2]...، ومتى وصل الحرص على المال إلى هذه الدرجة، نقص بذلك الدين والإيمان نقصًا بينًا...، وأما حرص المرء على الشرف فهذا أشد هلاكًا من الحرص على المال فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها، والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال، وضرره أعظم، والزهد فيه أصعب، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف...، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[3])... وأعلم أن الحرص على الشرف يستلزم شرًا عظيمًا قبل وقوعه في السعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطر

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٩٨.

(٣) سورة القصص، آية: ٨٣.

العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من التظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من تفضيل الدنيا على الآخرة:

(إن من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم، ومن أجل ذلك عتب على صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا وتفضيلها على الآخرة)[٢].

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، وفي ذلك قال تعالى محذرًا ومرهبًا من تفضيل الدنيا على الآخرة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[٤].

قال السعدي: (من كان يريد حرث الآخرة "أي أجرها وثوابها، فآمن بها وصدق وسعى لها سعيها" نزد له في حرثه بأن نضاعف عمله وجزاءه، أضعافًا كثيرة "ومن كان يريد حرث الدنيا" بأن كانت الدنيا هي مقصوده، وغاية مطلوبه فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها "نؤته منها"نصيبه الذي قسم له "وما له في الآخرة من نصيب" قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق النار وجحيمها)[٥].

رابعًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم:

حيث حذر النبي ﷺ أمته من الحرص على المال والشرف - الولاية والمناصب وبيّن

---

(١) شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل ابن رجب، ١/٦٤-٧٢.

(٢) انظر: شرح حديث ما ذئبان جائعان، ضمن مجموع رسائل، ابن رجب، ١/٨٩.

(٣) سورة هود، آية: ١٥-١٦.

(٤) سورة الشورى، آية: ٢٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٠٢-٧٠٣.

لهم أن ذلك يضر بدينهم ودين الإنسان هو رأس ماله الوحيد المطلوب المحافظة عليه وقد حذره النبي ﷺ من أمرين أسرع إلى فساده والقضاء عليه من الذئاب الجائعة في الغنم، وهي الحرص على تحصيل المال والإكثار منه، والحرص على الشرف والجاه، والتفاخر بهما لما في ذلك من بذل الدين والتحلل منه والتستر به والوقع في الشبهات بل المحرمات كما هو معلوم[1].

وإن مما يجب على الداعية القيامُ به تحذيرَ المدعوين مما يضر بدينهم واقتداؤه بحرص النبي ﷺ على ذلك، وقد كان النبي أشد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتحذيرهم مما قد يضر بدينهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[2] وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3] وهذا ما ورد في الحديث من حرصه ﷺ على تحذير الناس من الحرص على الدنيا بما يضر بدينهم.

وقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله بذلك فقال: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[4]

((فأتى النبي ﷺ الصَّفَا، فصَعِدَ عليها، ثُمَّ نادى: يا صَبَاحاهُ، فاجتمعَ النَّاسُ إليهِ، فبين رجلٍ يجيءُ وبينَ رجلٍ يبعث رسولَهُ، فقالَ: يا بَني عَبْدِ المُطَّلِبِ، يا بني فِهْرٍ، يا بني عبدِ مَنَافٍ، يا بني، يا بني، أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بِسَفْحِ هذا الجَبَلِ تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَصَدَّقْتُمُوني»؟ قالوا: نعمْ، قالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شديد))[5].

فقد أراد النبي ﷺ أن يتوجه قومه وعشيرته وغيرهم من الناس إلى العبادة الخالصة لله تعالى بدلاً من الإقبال على الدنيا والحرص على الجاه لأن الحرص على

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٣٢١.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٣.

(٣) سورة الكهف، آية: ٦.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨٠١، ومسلم ٢٠٨.

جمع المال وعدم الاكتراث بالحلال والحرام يؤدي إلى فساد دين الإنسان، وكذلك الحرص على الجاه والتعصب للجنس والقبيلة وإحياء النعرات التي أماتها الإسلام وغير ذلك من الأمور التي تفسد دين المرء، لذا حذر النبي ﷺ من هذه الأمور ومن غيرها؛ فعلى الداعية أن يمتثل لأمر الله ورسوله ﷺ في تحذير المدعوين مما قد يضر بدينهم.

الحديث رقم (٤٨٥)

٤٨٥ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: نَامَ رسول الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. فَقَالَ: ((**مَا لِي وَ**[1] **لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حصير: هو البساط المنسوج من أوراق البردى أو الباريّ أو نحوهما[3].

وطاءً: فراشًا لينًا وبساطًا حسنًا[4].

الشرح الأدبي

الحديث يروي جانباً من حياة الرسول ﷺ المشرقة، وكل لحظة من حياته عبرة لأمته تتعلم منها كيف تعيش، وهذا الحديث الذي يرويه ابن مسعود رضي الله عنه يعرض صوراً مجسدة من الزهد، والتواضع منها قول بن مسعود رضي الله عنه (فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ)، وقوله ﷺ (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟) وهواستفهام تعجب، وإنكار، واستبعاد لعلاقته بالدنيا فهو ليس من أهلها إنما هو ابن الآخرة، شفيعها، وقوله (مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا) أسلوب قصر لحاله في الدنيا على كونه

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ما).

(٢) برقم (٢٣٧٧). ورواه الحاكم (٣١٠/٤) شاهدا لحديث ابن عباس الذي قال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الدارقطني في العلل (١٦٣/٥): حديث عمرو بن مرة: أصحّ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٠٧).

(٣) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (ح ص ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٨/٢.

كالراكب الذي استراح قليلا تحت شجرة ثم مضى، وهو تشبيه يؤكد فكرة الاغتراب التي تحدثنا عنها في حديثه (كن في الدنيا كأنك غريب) والذي سبق شرحه، وهذه الفكرة تذكّر المؤمن بأن موطنه الأصلي الجنة فيعيش في الدنيا وهدفه أن يعود إليه، ويتخذ كل السبل الموصلة إليه، ويتجنب العوائق التي تعترضه لأن الراكب له وجهة يقصد إليها وليس له، بقاء في الدنيا، والتعبير بالراكب يشير إلى انعدام نية الإقامة، والركون في الظل، كما يشير التعبير بالفعل (استظل) إلى أن وقت الإقامة محدود ببقاء الشمس كما أن بقاء الإنسان في الدنيا محدود، والربط بـ(ثم) يشير إلى فترة بقائه في الدنيا، والحديث فيه ترغيب في الزهد في الدنيا، والحذر من الركون إليها.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الزهد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عزوف النبي ﷺ عن ملذات الدنيا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل.

رابعًا: من واجبات المدعو: عدم الاغترار بالدنيا وأهمية قصر الامل.

أولاً - من صفات الداعية: الزهد:

(إن الزهد ليس تشعيث اللمة، ولا قشف الهيئة، ولكنه صرف النفس عن الشهوة، وهو حالة نفسية تنشأ في الضمير حين ينال المرء حظه من معرفة الله بالتفكر في الآيات، فإذا به سعيد بتلك المعرفة، مبتهج عزيز، غني، وتستفيض تلك الحالة حتى تعم ذهنه ووعيه كله، فلا يحس نحو الدنيا إلا إحساس الممتلئ الراغب فيما هو خير منها عند الله)[1].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: "نام رسول الله ﷺ على حصير ... إلخ". (وحري بالداعية أن يعلم أن الله قد أراد له أن يحيى في حياتين، وأن يثبت وجوده المادي في حياة المادة، ووجوده الروحي فيما وراء المادة، عاملاً في الأولى بقوة بدنه

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٧٤-١٧٥.

وملكاته، وعاملاً في الأخرى بقوة قلبه وملكاته، محاذرًا أن تنصرف عواطفه عما في يد الله، إلى متاع الدنيا، فيجب أن يأكل من الطيبات...، ويرتدي الجميل والنظيف من الثياب...، وأن يسعى في الأرض على أن يظل سعيه بقلبه في ملكوت ربه، أي مفكرًا في آيات الخلق...، وأن يعمل في دنياه، جامعًا للمال بما يكون عدة لتأييد دينه وحفظ نفسه. وبهذا يثبت الداعية وجوده في الحياتين، ويؤدي رسالته في الناحيتين، ويحقق معنى الزهد الذي تقاصرت عنه همم العاجزين من عباد الشهوات، فعابوه، وهو زينة الإنسانية، ونظامها الكامل)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عزوف النبي ﷺ عن ملذات الدنيا:

(لم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها دعوة باللسان فقط ودعوة لأمتهم فقط بل كان ذلك مبدءًا ومنهاجًا لحياتهم، وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم)[٢]، وهذا ما بينه النبي ﷺ في زهده بالدنيا وإيثاره للآخرة عليها كما في قوله ﷺ "مالي وللدنيا" عندما رآه أصحابه رضي الله عنهم نائمًا على حصير قد أثر في جنبه فقالوا له يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فأبى ﷺ على أصحابه إشفاقهم عليه من آثار الحصير في جسمه، وبيّن لهم أن الدنيا بالنسبة إليه مرحلة عبور إلى حياة حقيقية جديرة بالاستعداد لها، وليس يهم المسافر إلا الوصول إلى مقصده مهما عانى في أثناء السفر[٣]. وقد بين المباركفوري ذلك فقال: (قال القاري: ما نافية أي: ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها وأنبسط عليها وأجمع ما فيها ولذاتها، أو استفهامية أي: أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إلي فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها)[٤]، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللَّهِ

---

(١) المرجع السابق، ١٧٥-١٧٨.

(٢) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ٦٨-٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٨٧٨/٢.

أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ))[١]، وعن النعمان بن بشير، قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَلْتَوِي، فِي الْيَوْمِ، مِنَ الْجُوعِ. مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))[٢]، وفي ذلك بيان على عزوفه ﷺ عن ملذات الدنيا. وحسبنا من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها، وقد سبقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول: ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا))[٣])[٤].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل:

من الأساليب الدعوية المهمة التشبيه وضرب المثل، (ولم يكن ذلك مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرونق البلاغي فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية ودعوية نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء ومن أهم هذه الأهداف، تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[٥]، وهذا ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (ووجه التشبيه والتمثيل في ذلك سرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب)[٦].

رابعًا - من واجبات المدعو: عدم الاغترار بالدنيا وأهمية قصر الأمل:

مما لا شك فيه أن همة المؤمن متعلقة بالآخرة، فهي همه ونظره، فلا يغتر بالدنيا ولا يطيل الأمل فيها، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ "ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها".

وقد تعجب ابن الجوزي فيمن اغتر بالدنيا وأطال الأمل فيها فقال: (أعجب الأشياء

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤١٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٥).

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، القاضي عياض، ص ١٩٨.

(٥) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٧٨.

إغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للإغترار حدٌّ، فكلما أصبح وأمسى زاد الإغترار، وطال الأمل وأي موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران وأحوال الإخوان وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثم لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا والله شأن الحمقى. حاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك بلى، والله إن العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزود عند القدرة على الزاد لوقت العسرة. خصوصًا لمن قد علم أن مراتب الآخرة إنما تعلو بمقدار علو العمل بها، وأن التدارك بعد الفوات لا يمكن)[1].

وهذا ما حذر الحق تبارك وتعالى منه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[2] أي: (فلا تغرنكم العيشة الدنية بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهو عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية)[3].

وقد بين ابن القيم حقيقة الدنيا في قوله: (إن الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج، إنما تخطب الأزواج ليستحسنوا عليها ... فلا ترضى بالدياثة...

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا القباحة بالملاحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنها حلفت لنا أن لا تفي

... ولما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها، أماتوا فيها الهوى؛ طلبًا لحياة الأبد. ولما استيقظوا من نوم الغفلة، استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق، تلمحوا المقصد، فقرب عليهم البعيد. وكلما أمرَّت لهم الحياة حلى لهم تذكر ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[4])[5].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٤/٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٣.

(٥) الفوائد ٧١-٧٢، والدياثة هي اللين والهولة والديوث من الرجال الذي لا يغار على أهله، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (د ي ث).

فعلى المدعو ألا يغتر بالدنيا ويطيل الأمل (فما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل)[١]، (فالمؤمن في الدنيا غريب لا يجزع ذلها ولا ينافس أهلها في عزها، الناس منه في راحة، ونفسه منه في شغل فطوبى لعبد كسب طيبًا، وقدم الفضل ليوم فقره وفاقته، وجهوا هذا الفضل حيث وجهه الله، ولا تلقوها هاهنا فيما يضركم)[٢].

---

(١) الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ٨٢.

(٢) الزهد، أحمد بن حنبل، ٢٣٩.

الحديث رقم (٤٨٦)

٤٨٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**يدْخُلُ الفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ**)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

المعنى في هذا الحديث يربِّت على قلوب الفقراء الذين حرموا من متع الدنيا ، وقد جاء في صورة خبرية خالية من المؤكدات قابل بها خالي الذهن عن المعنى ، والتعبير بالفعل المضارع يصور هؤلاء الفقراء الذين كان كثير من الأغنياء يزهو عليهم بماله ، ويستهزيء بهم يسيرون في صفوف نحو باب الجنة ، والأغنياء ينتظرون القرن بعد القرن حتى تنقضي خمسمائة عام ، والطباق بين الأغنياء ، والفقراء يستحضر في الذهن صورة النموذجين في الدنيا ، وحالهما ، وصورة النموذجين في الآخرة حيث بقي الأغنياء في الموقف الرهيب ، وسار الفقراء إلى السلامة ، والرضى في الجنة.

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة : البلاغ.

ثانيًا : من موضوعات الدعوة : منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة.

ثالثًا : من موضوعات الدعوة : يسر حساب الفقراء يوم القيامة ، وشدته على الأغنياء.

رابعًا : من أصناف المدعوين : الأغنياء.

---

(١) برقم ٢٣٥٣ وزاد في آخره: (نصف يوم). وصحّحه ابن حبان ، الإحسان ٦٧٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٦٠ وقال: رواته محتج بهم في الصحيح.

تنبيه: الحديث رواه الترمذي بإسنادين ، الأول: بهذا اللفظ من طريق سفيان ، عن محمد بن عمرو ، وقال: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ ، والثاني: من طريق المحاربي ، عن محمد بن عمرو ، وقال: هذا حديث صحيحٌ.

أولاً - من أساليب الدعوة: البلاغ:

البلاغ والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تبليغ دعوته وإخبار المدعوين بالحقائق التي ينبغي عليهم معرفتها والإحاطة بها وهذا ما ورد في الحديث من إخباره ﷺ بفضل ومنزلة الفقراء يوم القيامة وذلك في قوله ﷺ "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه بتبليغ الدعوة والإخبار بها فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1] وفي ذلك عظيم الفائدة في إيصال الدعوة إلى قلوب المدعوين لاسيما إن صادف ذلك صدقًا وإخلاصًا في قول الداعي.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة:

إن من آداب الإسلام الإحسان إلى الفقراء واحترامهم وإشعارهم بقيمتهم ومكانتهم عند الله تعالى يوم القيامة، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: "يدخلُ الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" (فالفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعيم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[2])[3] (ولكن لا يلزم من سبق الفقراء للأغنياء في دخول الجنة ارتفاع منازلهم عليهم بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب - وهم السبعون ألفًا - وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوُجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة الحاقة، آية: ٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٦/٢.

وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ عظم منزلة الفقراء عند الله يوم القيامة فقال ((اطَّلَعْتُ في الجنة فرأيتُ أكثرَ أهلِها الفُقَراءَ، واطَّلعتُ في النار فرأيتُ أكثرَ أهلِها النساءَ))[٢] وقال ﷺ ((هَلْ تَدْرُونَ مَنْ أوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قالُوا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلَمُ، قالَ: أَوَّلُ مَنْ يدخُلُ الجنةُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ الفُقراءُ المُهاجرونَ الذينَ يُسَدُّ بهم الثّغورُ، وتُتَّقَى بهمُ المَكارِهُ، ويَمُوتُ أحدُهُمْ وحاجتُهُ في صَدْرِهِ لا يستطيعُ لها قضاءً، فيقولُ اللَّهُ لِمَنْ يشاءُ مِنْ ملائكتِهِ: ايتُوهُمْ فحَيُّوهُمْ، فيقولُ الملائكةُ: رَبَّنا نحنُ سكانُ سَماواتِكَ وخِيرتُكَ مِنْ خلقِكَ، أفتأمرُنا أنْ نأتيَ هؤلاءِ، فنُسَلِّمَ عليهم؟ قالَ إنَّهمْ كانُوا عبادًا يعبدُوني لا يُشْرِكُونَ بي شيئًا، وتُسَدُّ بهم الثُغورُ، وتُتَّقَى بهمُ المَكارِهُ، ويموتُ أحدُهُمْ وحاجتُهُ في صدرِهِ لا يَستطيعُ لها قضاءً، قالَ: فتأتيهمُ الملائكةُ عندَ ذلكَ، فيدخُلُونَ عليهمْ مِنْ كُلِّ بابٍ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[٣]))[٤]. فأي منزلة أفضل من هذه المنزلة؟ وأي فضل أفضل من هذا الفضل؟ إنها منزلة عظيمة وتكريم كبير للفقراء من المسلمين من العلي العظيم، وملائكته المقربين مما يدل على عظيم منزلتهم وفضلهم عند الله عز وجل.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: يسر حساب الفقراء يوم القيامة، وشدته على الأغنياء:

مما لا شك فيه أن كل امرئ محاسب على ما قدم وأخر من عمله، ولما كان لأصحاب الغنى من النعيم ما لم يكن لغيرهم كان حسابهم في ذلك أشد وسؤالهم على ذلك أعظم، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٥] أي (لتسألن عن الذي تنعمتم

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم، ٩٢-٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٩، ومسلم ٢٧٣٧.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٤) صحيح ابن حبان ٧٤٢١، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٥) سورة التكاثر، آية: ٨.

به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره وأديتم حق الله فيه...، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره)[١].

ومن أجل ذلك كان يسر الحساب يوم القيامة على الفقراء وشدته على الأغنياء وذلك ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "يدخل الفقراء قبل الأغنياء بخمسمائة عام" فالفقير المسلم حسابه يسير، إذ إنه لن يتجاوز التعرف على عباداته وهفواته ثم ينتهي إلى الجنة سريعًا. أما الغنى فحسابه عسير، إذ أن سيحاسب على ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وسيدور نقاش وادعاء ودفاع مما يستغرق وقتًا طويلاً يتمتع فيه الفقير بدخول الجنة والتنعم فيها، هذا الوقت بيّن الرسول ﷺ أنه خمسمائة عام[٢]. وقد بين النبي ﷺ أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء وأصحاب الوجاهة والولايات، فقال: ((قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ. وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ. إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ. فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ))[٣] وفي ذلك قال النووي: (قوله ﷺ: "وإذا أصحاب الجد محبوسون" المراد به أصحاب البخت والحظ في الدنيا والغنى والوجاهة بها، وقيل: المراد أصحاب الولايات ومعناه: محبوسون للحساب ويسبقهم الفقراء بخمسائة عام)[٤].

وقال ﷺ: ((تَجْتَمِعونَ يَوْمَ القِيامةِ فيُقالُ: أينَ فُقراءُ هذهِ الأمةِ ومساكينُها؟ قالَ: فيقومونَ، فيُقالُ لهمْ: ماذا عَمِلْتُمْ؟ فيقولونَ: رَبَّنا ابتليتَنا فصَبَرْنا، وآتيتَ الأموالَ والسُّلطانَ غيرَنا، فيقولُ اللَّهُ: صَدَقْتُمْ، قالَ: فيَدْخُلُونَ الجَنَّةِ قَبْلَ الناسِ، ويبقى شِدَّةُ الحسابِ على ذَوي الأموالِ والسُّلطانِ))[٥] وفي ذلك بيان يسر الحساب على الفقراء وشدته على الأغنياء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٩٦، ومسلم ٢٧٣٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٠٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٧٤١٩، وقال محققو الصحيح: إسناده حسن.

رابعًا - من أصناف المدعوين: الأغنياء:

(إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لا تفرق بين جنس وجنس، ولا تتحيز لطبقة على حساب أخرى، بل تدعو الشعوب والأجناس وتخاطب جميع الطبقات، فتخاطب الفقراء كما تخاطب الأغنياء، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "... قبل الأغنياء..." والأغنياء هم البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس أشرافًا وسادة، أو يعتبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه أشراف المجتمع وسادته، ومن ثم يستحقون -في عرف الناس - قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه،وقد يباشرون ذلك فعلاً)[1] وبناء على ذلك فهم من أهم أصناف المدعوين الذين يجب أن تشملهم الدعوة؛ لأن الأغنياء بحاجة ماسة إلى من يذكر بالله تعالى، ويرغبّهم، ويرهبهم، ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحثهم على الاستعداد ليوم القيامة، وذلك من خلال التقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٣٨٠.

الحديث رقم (٤٨٧)

٤٨٧ - وعن ابن عباس وعِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ، قَالَ: **((اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أكْثَرَ أهْلِهَا النِّسَاءَ))** متفقٌ عَلَيْهِ من رواية ابن عباس[1]، ورواه البخاريُّ أيضًا من رواية عِمْرَان بن الحُصَيْن[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

الحديث قريب من معنى سابقه يرغِّب في الفقر بدأه الرسول بالفعل الماضي (اطلعت) الذي يوحي بانكشاف أمر عظيم، والجارِ والمجرور (في الجنة) يحرك الشوق لما اطلع عليه والتعبير بأفعل التفضيل (أكثر) يزيد الشوق إلى المفضل، وإضافة الأهل لضمير الجنة تشريف، وفيه بشارة للفقراء، والطباق بين الجنة، وبين النار يبرز الفارق بين العاقبتين في المستقر، والتعبير ب(في) في الصورتين يشير إلى تمكن الرؤية حتى استطاع أن يرى الجنس الأغلب على كل دار، وهو ما يؤكده التعبير بفعل الرؤية الذي هو أقوى طرق العلم، والحديث ترغيب في الفقر، وتحذير للنساء من عادات السوء التي تغلب على طباعهن، وتتعلق بهن.

---

(١) أخرجه البخاري، عقب الحديث رقم ٦٤٤٩ معلقًا ولم يسق لفظه، ومسلم ٢٧٣٧/٩٤، وأورده الحميدي في جمعه ٦٢/٢، رقم ١٠٥٤ في المتفق عليه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٤١، و٥١٩٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ واطلاعه على أهل الجنة والنار.

ثانيًا: موضوعات الدعوة: فضل المؤمنين الفقراء.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: خصوصية النبي ﷺ واطلاعه على أهل الجنة والنار:

تضمن هذا الحديث ذكر خصوصية من خصوصيات النبي ﷺ من خلال ما ورد في قوله ﷺ "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء".

(واطلاعه ﷺ إلى الجنة والنار معًا كان بجسمه ونظره العيان تفضلاً من الله جَلَّ وعلا وفرق به بينه وبين سائر الأنبياء، فأما الأوصاف التي وصفَ أنه رأى أهل الجنة بها، وأهل النار بها، فهي أوصاف صورت له ﷺ ليعلم بها مقاصد نهاية أسباب أمته في الدارين جميعًا، ليرغب أمته بأخبار تلك الأوصاف لأهل الجنة ليرغبوا، ويرهبهم بأوصاف أهل النار ليرتدعوا عن سلوك الخصال التي تؤديهم إليها)[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُم كَثِيرًا. قال: فَما أتَى على أصحابِ رسول الله ﷺ يومٌ أشدُّ منهُ، قال: غَطُّوا رؤوسَهم ولَهُم خَنِينٌ، فقامَ عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، رَضِينا بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا...))[2].

قال النووي: (ومعنى الحديث: لم أر خيرًا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ولا شرًا أكثر مما رأيته اليوم في النار ولو رأيتم ما رأيت وعلمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل

---

(١) صحيح ابن حبان ١٦/٤٩٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٥، ومسلم ٢٣٥٩.

اليوم لأشفقتم إشفاقًا بليغًا ولقل ضحككم وكثر بكاؤكم)[١]. وفي ذلك بيان لحكمة اطلاع النبي ﷺ على أهل الجنة والنار وهي حصول الترغيب في الجنة والترهيب من النار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل المؤمنين الفقراء:

إن من فضل الله وكرمه على عباده مجازاة المؤمنين الفقراء بما صبروا على ذلك، بالجنة وحسن العيش في الآخرة، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" قال ابن حجر: (قال ابن بطال: ليس قوله أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء يوجب فضل الفقير على الغني، وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك، كما تقول: أكثر أهل الدنيا الفقراء إخبارًا عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، وإنما بصلاحهم مع الفقر، فإن الفقير إذا لم يكن صالحًا لا يفضل، وتعقبه ابن حجر فقال: ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا، كما أن فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار، وقد أطال ابن حجر قبل ذلك في تحقيق أفضلية الفقر على الغنى أو العكس، والحق أن المدار وإن كان على الأعمال الصالحة دون خصوص الفقر أو الغنى، ولكن الغنى، ربما بسبب المعصية والطغيان، والفقر يؤدي إلى الإنابة والعبادة والتواضع لله، فالأفضل أن لا يتوسع المرء في الغنى إلا بما لا بد منه لحاجته.

وقد جاء هذا الحديث ليدل على فضل المؤمنين الفقراء وأنهم أكثر أهل الجنة وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة، لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه الفقراء المهاجرين الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد))[٢][٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٤٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٨٩).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٧٨-٢٨١ وهذا الملخص منقول عن تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١١/٤٦٩-٤٧٠.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: النساء:

(قد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1] وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول: إن أول من آمن بالله وصدق النبي ﷺ هو امرأة "خديجة رضي الله عنها"، وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة رضي الله عنها" وإن أول من استشهد هو امرأة "سمية رضي الله عنها" وإن أسماء رضي الله عنها، كانت صاحبة النطاقين، ... وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام...، فهي أم الرجال وأخت الرجال... وإنها مربية الأجيال)[2]، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا واهتمامًا خاصًا في دعوتهم وبيان ما قد يقعن فيه من أخطار.

وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ "واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء". فلما كان النساء أكثر انسياقًا مع الهوى واندفاعًا مع المغريات وأخف تحملاً لمسؤوليات الحياة، حذرهن النبي ﷺ من ذلك وحرضهن على المحافظة على أمر الدين ليسلمن من هذا المصير[3].

وقد كان ﷺ يأتي النساء ويعظهن، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ الصَّلاَةَ يَوْمَ الْعِيدِ. فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَىٰ بِلاَلٍ. فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ. وَحَثَّ عَلَىٰ طَاعَتِهِ. وَوَعَظَ النَّاسَ. وَذَكَّرَهُمْ. ثُمَّ مَضَىٰ. حَتَّىٰ أَتَى النِّسَاءَ. فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ. فَقَالَ: تَصَدَّقْنَ. فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ سِطَةِ النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ. فَقَالَتْ: لِمَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ. وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ. يُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرِطَتِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٢.

(٤) أخرجه مسلم ٨٨٥.

قال ابن حجر: (قال القرطبي إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغلب عليهن من الهوى، والميل إلى عاجل زينة الدنيا، والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن)[١].

فحري بالدعاة أن يوجهوا جهدًا كافيًا واهتمامًا خاصًا بالنساء في دعوتهن، وبيان ما قد يقعن فيه من أخطار.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

(الترهيب هو وعيد وتهديد بعقوبة إزاء ارتكاب المرء معصية أو اقترافه سيئة منهيًا عنها أو التهاون في أمر من أمور الدين الذي أمر الله به، ويكون هذا التهديد والوعيد بالتخويف بالنار ووصف عذابها وشدته)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "...واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء". وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية إقبال النساء على الآخرة وطاعتهن لله ورسوله وبعدهن عن كل ما يغضب الله ورسوله، واستحضارهن لهول يوم القيامة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/١١.

(٢) انظر: دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام، فتحية الحلواني، ١٣٩، ودراسات في وسائل الاتصال، عبدالله محمد العوشن ص ١١٦.

الحديث رقم (٤٨٨)

٤٨٨ - وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، قَالَ: ((قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابِ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَ(الجَدُّ): الحَظُّ والغِنَى[2]. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب فَضْلِ الضَّعفَة.

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

أصحاب الجدِّ: ذوو الحظِّ والغِنَى[3].

الفعل الماضي قمت يدل على أن الفعل سابق للحديث ثابت في الواقع، ودلالة القيام توحي بالوقف لهم، والتعبير بعلى يفهم منه تمكن الرؤية، لأن الرؤية من أعلى تحيط بكل جوانب المرئي وإضافة الباب للجنة تعطيه خصوصية أجمل الأبواب، ووقوف الرسول ﷺ عليه يزيده جمالا، ولفظ (عامة)يشير إلى الغلبة أي: أكثر أهلها كما أشارت إليه الأحاديث السابقة، والتعبير بفعل الكينونة الماضي مع الفعل (دخل) العائد على الجنة يشير إلى تحقق الوقوع، وهذا النوع من التصرف في القول يوحي للمخاطب بأن ذلك قد وقع، والرسول ﷺ يخبرهم به، وهو كذلك لأنه ثابت في علم الله، وما هو ثابت في علم الله لا يفترق عن الواقع في الدنيا إلا في المعاينة عندما تقوم الساعة، والتعبير بالأصحاب في جانب الأغنياء فيه إشارة إلى أن هذا الجد سيفارقهم فالمال لا يدوم كما لا تدوم الصحبة بين الصاحبين، والتعبير بالحبس فيه تنفير من الحرص على سببه، وهو الجد وإضافة الأصحاب إلى النار فيها تخصيص، وبناء الفعل لما لم

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٩٦، و٦٥٤٧، ومسلم ٢٧٣٦/٩٣، وتقدم تخريجه ٢٥٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٦٣.

(٢) بنصه في الترغيب ٤٢/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د د).

يسم فاعله لتمام العلم به، وقوله (قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَى النَّارِ) كناية عن دخولهم فيها، والحديث يقسِّم الناس ثلاثة، مساكين هم أكثر أهل الجنة، ومن أمر بهم إلى النار من أهلها، ومحبوسون بينهما من أهل الجد، والحديث يرغب في الفقر، والمسكنة، ويحذر من الحرص على الغنى ويرهب من النار - والعياذ بالله - .

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥٨).

الحديث رقم (٤٨٩)

٤٨٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((أصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: ألاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما خَلا: من أدوات الاستثناء، أي: غير وعدا وإلا[2].

الشرح الأدبي

البداية بأفعل التفضيل (أصدق) تحقق التشويق من حيث انشغال المستمع بالمفضل على، وإضافتها للفظ كلمة، يفيد التخصيص، وألا أداة استفتاح وتنبيه تحقق الإنصات لما بعدها ولفظ كل يلقي بمظلة الشمول الحكم وقوله (ما خلا الله باطل) استثناء من العموم أي كل شيء باطل إلا الله، وهو كلام صادق بليغ، وبين (أصدق) في أول الحديث، وبين (باطل) في آخره طباق يوضح المعنى، ويؤكده.

فقه الحديث

في هذا الحديث الشريف إشادة من النبي صلى الله عليه وسلم ببيت أو شطْر بيت من شِعْر لبيد؛ فكان من المستحسن بيان ما يلي من أحكام تتعلق بالشعر:

إنشاء الشعر وإنشاده واستماعه:

قال ابن قدامة: (ليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة رضي الله عنهم والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية، والاستشهاد به في التفسير، وتعرف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، ويستدل به أيضًا على النسب والتاريخ وأيام

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٤١، ومسلم ٢٢٥٦/٣.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي في (خ ل و).

العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب)[١].

هذا هو الأصل في الشعر، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه قد يكون واجبًا أو مندوبًا، أو مكروهًا أو حرامًا.

فقد يكون فرضًا كما نقل ابن عابدين عن الشهاب الخفاجي قال: معرفة شعر أهل الجاهلية والمخضرمين (وهم من أدرك الجاهلية والإسلام) والإسلاميين رواية ودراية فرض كفاية عند فقهاء الإسلام، لأن به تثبت قواعد العربية التي بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الأحكام التي يتميز بها الحلال من الحرام، وكلامهم وإن جاز فيه الخطأ في المعاني فلا يجوز فيه الخطأ في الألفاظ وتركيب المباني[٢].

وقد يكون مندوبًا، وذلك إذا تضمن ذكر الله تعالى أو حمده أو الثناء عليه أو ذكر رسوله ﷺ أو الصلاة عليه أو مدحه أو الذبّ عنه، أو ذكر أصحابه أو مدحهم أو ذكر المتقين وصفاتهم وأعمالهم أو كان في الوعظ أو الحكم والتحذير من المعاصي أو الحث على الطاعات ومكارم الأخلاق[٣].

وقد يكون حرامًا إذا كان في لفظه ما لا يحلّ كوصف الخمر المهيج لها أو هجاء مسلم أو ذميٍّ أو مجاوزة الحد والكذب في الشعر بحيث لا يمكن حمله على المبالغة، أو التشبيب بمعيّن من أمرد أو امرأة غير حليلة، أو كان مما يقال على الملاهي[٤].

---

(١) المغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٤/١٤.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٩/١٥، ٨٧/١٦، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠ ٥٤٧ ، رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٤٤٣/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٤٦/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٢٦.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١، ٣٣، ٤٤٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٠/١٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٨/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٣٤٦/٤، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٥/١٤.

وقد يكون الشعر مكروهًا وللمذاهب في ذلك تفصيل: فعند الحنفية أن المكروه من الشعر ما داوم عليه الشخص وجعله صناعة له حتى غلب عليه وشغله عن ذكر الله تعالى وعن العلوم الشرعية وما كان من الشعر في وصف الخدود والقدود والشعور وكذلك تكره قراءة ما كان فيه ذكر الفسق والخمر[١].

وقال المالكية: يكره الإكثار من الشعر غير المحتاج إليه لقلة سلامة فاعله من التجاوز في الكلام لأنه غالبه مشتمل على مبالغات[٢].

وقال ابن العربي: من المذموم في الشعر التكلم من الباطل بما لم يفعله المرء رغبةً في تسلية النفس وتحسين القول[٣].

وقال الشافعية: يكره أن يشبب من حليلته بما حقه الإخفاء، وذلك ما لم تتأذ بإظهاره وإلا حرم[٤].

وقال الحنابلة: يكره من الشعر الهجاء والشعر الرقيق الذي يشبب بالنساء[٥].

وقد يكون الشعر مباحًا وهو الأصل في الشعر[٦].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١، ٣٣، ٤٤٣.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٥٨/٢، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٢/١٦.

(٣) أحكام القرآن ١٤٤١/٣.

(٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، والجمل ٣٨٢/٥ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٢٦).

(٥) الفروع، ابن مفلح ٥٧٥/٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية) ١١٦/٢٦.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٦/٢٦-١١٧ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: علي محمد معوض ٣٢/١، ٤٤٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٥٨/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ٢٨٣/٨، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٤/١٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل لبيد بن ربيعة رضي الله عنه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالشعر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان هوان الدنيا.

رابعًا: من مهام الداعية: الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل لبيد بن ربيعة رضي الله عنه:

يظهر ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد..." إلخ الحديث.

قال النووي: (وفي هذه الحديث منقبة للبيد وهو صحابي وهو لبيد بن ربيعة رضي الله عنه)[1].

فهو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلام بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأحسن إسلامه، وكان من فحول شعراء الجاهلية، قال ابن حجر في ترجمته له: قال المرزباني في معجمه: كان فارسًا شجاعًا شاعرًا سخيًا، قال الشعر في الجاهلية دهرًا، ثم أسلم، ولما كتب عمر رضي الله عنه إلى عامله بالكوفة: سل لبيدًا والأغلب العجلي ما أحدثا من الشعر في الإسلام فقال لبيد: أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه. قال ويقال إنه قال في الإسلام بيتًا واحدًا:

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

ويقال بل قوله:

الحمد لله إذا لم يأتني أجلي ... حتى لبست من الإسلام سربالا[2]

وقال جمهور أصحاب السير والأخبار: لم يقل شعرًا منذ أسلم وكان شريفًا في

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٠٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٠.

الجاهلية والإسلام، وكان من المعمرين عاش مائة وأربعين سنة، وقيل إنه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة في أول خلافة معاوية واختلفت الروايات في عمره ولكن اتفقت على إنه كان من المعمرين رضي الله عنه وعن سائر الصحابة أجمعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الاستشهاد بالشعر:

(لقد كان الشعر على مرّ العصور حاضرًا في مسرح الأحداث، قريبًا من روح الأمة، فكان مُعبرًا عن نبضها، وضميرها، وواكب مسيرتها الطويلة، مواكبة فاعلة ومؤثرة، والشعر من الأساليب الدعوية الفريدة والمؤثرة، والتي يستطيع من خلالها الداعية أن يؤثر في المدعوين، وأن يبين المضامين الدعوية التي يريد بيانها وايضاحها)[2]، وقد ورد الشعر كأسلوب دعوي في الحديث من قول لبيد "ألا كل شيء ما خلا الله باطلاً". وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الكلمة وقال فيها: "أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد".

(وقد خاض الشعر العربي معركة الإسلام ضد أعدائه على مر العصور. خاض معركة الإسلام ضد الجاهلية، واليهودية، والنصرانية في العهد النبوي الشريف، في بدر، وأحد، والخندق، وحنين، وخيبر، ومؤتة، وسواها، حيث لمعت أسماء شعراء مجاهدين كثر، وفي مقدمتهم: عبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم...، وخاضها ضد المستعمرين في العصر الحديث، في مختلف أقطار العالم الإسلامي، وما يزال يخوضها ضد أعتى أشكال العداء بين الإسلام وأعدائه، في فلسطين، وكشمير، والبوسنة والهرسك، والشيشان، وأخيرًا العراق.

---

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ص ٦٣٩-٦٤١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٠-١١٤١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٣٢.

(٢) انظر: مظاهر الوعي في شعر الجهاد ضد الصليبيين، د. محمود بن عبدالله أبو الخير، بحث منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع عشر، ١٤١٨هـ، ٤٢٥.

وبهذا يثبت الشعر أنه ليس ترفًا في حياة الإنسان، بل صياغة جديدة للحياة، وتطلعًا مستمرًا نحو التغيير، وتفاعلاً مع الأحداث، وتجسيدًا لمعاناة الأمة، يرمي إلى تعميق إحساسها بواقعها، بقصد تجاوز ذلك الواقع)[١]، لذا يجدر بالداعية الحصيف أن يحسن الاستشهاد بالشعر المناسب في معالجته لبعض القضايا الدعوية، لأنه لا يخفى الأثر الطيب للشعر الجيد.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان هوان الدنيا:

(مما لا شك فيه أن الدنيا وسيلة وليست غاية، إنها وسيلة للآخرة، وإن الله تبارك وتعالى، قد كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لمن كتب عليه الفناء)[٢] وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قول لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل"، قال ابن حجر: (... أو المراد في البيت بالبطلان الفناء لا الفساد، فكل شيء سوى الله جائز عليه الفناء لذاته حتى الجنة والنار، وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وخلق الدوام لأهلهما)[٣].

وكل شيء ما عدا ما يقرب إلى الله تعالى ويحقق مرضاته لا قيمة له، لأنه الحق الثابت الموجود، أما غيره فقابل للهلاك والفناء، وعلى الإنسان أن لا ينشغل به عنه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٤] أي قابل للهلاك، وعلى الإنسان أن يمعن في التعلق به والاستناد إليه[٥].

(فالمؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا يأنس بقربها، ولا يأسى لبعدها ولا يأمن غيرها، للناس حال وله حال، وقد تعجب الحسن البصري من رجل يؤثر الدنيا على الآخرة فقال: ما عجبت من شيء كعجبي من رجل لا يحسب حب الدنيا من الكبائر، وأيمُ الله إن حبها لمن أكبر الكبائر وهل تشعبت الكبائر إلا من

---

(١) المرجع السابق، ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) انظر: الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ص ٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٨/٧.

(٤) سورة القصص، آية: ٨٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٣.

أجلها؟ وهل عبدت الأصنام، وعصي الرحمن إلا بحب الدنيا وإيثارها)[١]، فمن أجل ذلك هانت على الله، وهذا ما أكده النبي ﷺ، فعن جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ مر بالسوق والناس كَنَفَتَيْهِ، فمر بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: (أيكم يحب أن هذا له بدرهم) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به قال: (أتحبون أنه لكم)؟، قالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا أنه أَسَكّ فكيف وهو ميت! فقال: (فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)[٢]، أي: إن الدنيا أذل وأحقر عند الله تعالى من هوان هذا عندكم. وقال ﷺ: ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء))[٣]، وما ذلك إلا دليل على هوان الدنيا عند الله.

رابعًا - من مهام الداعية: الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين:

لقد ظهر ذلك في الحديث من الإفادة من الشعر بما يحقق توضيح الفكرة وتوصيلها للمدعوين، "وقد أدرك الرسول ﷺ أهمية هذه الوسيلة التي يستخدمها أعداؤه لمهاجمة دعوته ويوجهون له من خلالها الاتهامات والدعاوى الباطلة فما كان منه ﷺ إلا أن جعل القصيدة الشعرية واحدة من الوسائل الفعالة لحمل رسالة الإسلام، وبرز من شعراء الإسلام من أسهم بفاعلية في نشر دعوة الحق وهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في أواخر هذه الآية من سورة الشعراء، بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٤]، [٥].

---

(١) الزهد، الحسن البصري، جمع د. محمد عبدالرحيم محمد، ٤٤-٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٩).

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٧.

(٥) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩٤.

فعلى الداعية بشكل عام أن يستفيد من العلوم بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين، وقد بيّن ﷺ ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إنَّ الناس قالوا: يا رسولَ اللهِ، هل نَرَى رَبَّنا يومَ القِيامةِ؟ قال: هل تُمارونَ في القمرِ ليلةَ البدرِ ليس دُونَهُ سحابٌ؟ قالوا: لا يا رسولَ اللهِ. قال: فهل تُمارونَ في الشمسِ ليس دَونَها سحابٌ؟ قالوا: لا. قال: فإنكم تَرَونَهُ كذلكَ... إلخ»[1]، وفي ذلك بيان على الإفادة من العلوم بما يحقق توضيح الفكرة للمدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٨٠٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للناس مع الدنيا اتجاهات ثلاثة: الأول الافتتان بها والعشق لها وتأليهها من دون الله، حتى ظنت هذه الطائفة أن الدنيا هي الوسيلة والغاية، وقد تحدث القرآن عن نظرتهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية:٢٤]، وهذه الفئة من الناس كانت ولا تزال ترى الحياة الدنيا هي الحياة، لا قبل ولا بعد ولهذا فتنوا بها وقعدوا لها ودعوا إليها إذا سمعوا الآذان لم يكرروه، وإذا سمعوا داعي الإقامة لم يجيبوه وإذا سمعوا عن مغنم هرولوا إليه، وما عملوا بهذه الأية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الذاريات:٥٦ - ٥٧].

الثاني: كاره لها معرض عنها لا يلتمس فيها أسباب البقاء ولا يسعى لكسب قوت يومه، يحيا في ضوء ما يساق إليه، مغال في الزهد مفرط في العبادة، مخالف لنص الآية: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:٣٠].

الثالث: وسطي الاتجاه، لا هو طالب للدنيا بالكلية معرض عنها بالمرة، وإنما يعمل بقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [سورة الجمعة:١٠]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى عدم تناسي الدنيا بالكلية أو الانقطاع للآخرة بالمرة، ولهذا وجب التربية على هدي الإسلام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً - من سمات المربي التبسم في وجه المتربين:

من سمات المعلم والمربي تجاه من يعلمهم ويربيهم أن يبتسم أثناء تعليمه لهم، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد في الدنيا.

عندما «بعث الرسول ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم...».

فهذا شاهد تربوي على أهمية التبسم أثناء عملية التربية وليس أدل على ذلك من فعل الرسول مع الصحابة عندما تبسم، وهذا مما يجدر فعله من ناحية المعلم تجاه من يربيهم ويعلمهم، وذلك لأن البشاشة والتبسم مما يوثق العرى ويقوي الروابط بين الناس ويحدد علاقتهم مع بعضهم، وذلك لأن التبسم والبشاشة ركيزة نفسية هامة بها تقوي العلاقات، لأنها تأخذ بمجامع القلوب إذا ارتاحت إلى المتحدث واطمأنت إليه ورضيت به، والوجه السمح البشوش يظل حسنه وبهاؤه حتى مع تقدم العمر بصاحبه، لأن الشمائل الحلوة لا تذهبها السنون[1].

ثانيًا - التربية بالسؤال والجواب:

ومن أساليب التربية الإسلامية أسلوب السؤال والجواب لما له من أهمية كبيرة في عملية التربية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد في الدنيا.. قوله ﷺ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟»، وقوله: «يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط؟...»، وقوله: وهل سمعته، قلت: نعم قال: «ذاك جبريل أتاني فقال:...»، وقوله: «فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله...»، وقوله:... فقال: «ما هذا؟، فقلنا: قد وهي...» وقوله: «وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت...».

فهذه شواهد تربوية تدل على استخدام النبي ﷺ، أسلوب السؤال مع الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك لعلمه أن له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف، ولأهمية السؤال والجواب كان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرن عليها، وكانوا ينقذون الركود الذهني في بلاد المغرب العربي في القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك لأنها أهملت السؤال والجواب في التعليم، وهم يرون أن السؤال في المسائل العلمية يساعد على فهمها وعلى التعبير عنها، وكانوا يرون، أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة

---

(١) انظر: آداب المتعلمين د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٥، موسوعة القيم ومكارم الأخلاق والإسلام، ٢٣/١١، ٢٤ مع تصرف بسيط.

والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل في الحفظ والتكرار[١].

وعلى المربي أن يعود المتربين على السؤال والجواب ليشحذ أذهانهم، ويقوي الجهة لديهم، ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة حتى يكونوا على وعي واقتناع[٢].

ثالثًا - التربية بالتبشير:

من أساليب التربية الإسلامية التي استخدمها رسول الله ﷺ التبشير. والشاهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: "أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى ..." وقوله ﷺ: "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ..." وقوله ﷺ: "قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها من المساكين..." فهذه شواهد تربوية تعلمنا منها صراحة أن التبشير سلوك إنساني رائع ومطلب اجتماعي محبب ولذا حرص النبي ﷺ على التبشير وذلك لأن في التبشير تيسيراً للأمور وتبسيطاً لها وعرضها دون تشدد أو تكلف، وفي هذا إشعار للبهجة أن تعم، وبعد ثقل التكاليف والواجبات، لأن التشدد يؤدي إلى ردود أفعال عكسية ومنفرة من الإسلام وأهله، ويؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء؛ ولذا كان من هدي النبي ﷺ ((بشروا ولا تنفروا)) [٣] وذلك لأن التبشير له تأثير على النفوس لأنه يكاد يخرج بأهله إلى عوالم أخرى من الفرحة والسرور، وتنقل المسلمين من جو الرتابة والسأم إلى جو السعادة عن طريق التبشير، من هنا نرى أن الرسول ﷺ كان يعرض الإسلام عرضًا سهلاً وبسيطًا دون تعقيد أو تكلف، مع الحرص الشديد على التبشير كوسيلة من وسائل التربية التي تدفع باتجاه الخير والسلوك الحسن[٤].

---

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها، محمد عطية الإبراشي، ص ٢٠٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٦/١١.

(٤) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص ٣٣٣.

رابعًا - التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير: وهو أسلوب تربوي وقائي، كي لا يتم الوقوع في الخطأ: ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد قوله ﷺ... إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها...، وقوله ﷺ: «...واتقوا النساء ...» وقوله ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم...»، وقوله ﷺ: «...لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا...»، وقوله ﷺ: «إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال ...»، وقوله ﷺ: «واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ...».

فهذه شواهد تربوية دلت بمنطوقها تارة وبمفهومها تارة أخرى على استخدام الرسول ﷺ أسلوب التحذير مع أصحابه من الوقوع في المنهيات التي نهى عنها الله ورسوله ﷺ، والنبي ﷺ كان دائم التحذير لأصحابه من اتيان فعل منهي عنه أو امتناع عن فعل مأمور به، وذلك خوفًا من غضب الله وعذابه، وخوفًا من إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع هذا باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وهذه التحذيرات تحمل في طياتها أسلوب تربوي توجيهي من خطر قادم يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة، والتحذير هنا يمثل قوة صادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأن التحذير فيه إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنه أن يقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل وأن يضعف من قوته وتجعله قلقًا حذرًا وعلى مقدار نمو الحذر من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها[1].

خامسًا - التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب الترغيب والترهيب، ولقد استخدمه رسول الله ﷺ في تربية الصحابة لما له من أثر كبير في عملية التربية، ومن الشواهد التي تدل على ذلك في باب فضل الزهد، وقوله ﷺ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ

---

(١) المرجع السابق ص٢٥٠.

النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً: ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ. فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ. وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

فهذا شاهد تربوي استخدم الرسول ﷺ، فيه أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى.

والرسول استخدم أسلوب الترغيب في عملية تنشئة الصحابة، لأنه أسلوب فيه تحريك الدوافع على الخير، وتنشيطها فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه، وهذا يكفل للفرد الاستقامة على طريق الجنة، وهذا ليس بغريب على التربية الترغيبية لأنها من الأسس التي يقوم عليها صلاح الفرد، كما استخدم الرسول ﷺ الترهيب من النار والأسباب التي تؤدي إليها، والرسول ذكر الترغيب والترهيب مقترنان لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر الله فيمتنع عن ما نهى عنه ويعمل بما أمر به مما يجعل للترهيب أثراً في سلوكه ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان لهذا الأسلوب أثر تربوي ولقد بين الرسول ﷺ الكيفية التربوية التي ينبغي للمربين اتباعها في عملية التربية وهي الموازنة والاعتدال والموضوعية من الإفادة من الترغيب والترهيب فلا يغلب أحدهما على الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة دون تشدد[1].

سادسًا - التربية بالتشبيه وضرب الأمثال:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه وضرب الأمثال، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلَ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَه فِي الْيَمِّ ...»، وعن جابر رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ بالسُّوق، وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ...»، وقوله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقوله ﷺ: «إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلفَقْرِ تِجْفَافًا، فَإِنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ»، قال رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٦، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات، ص٨٤.

بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»، وقوله ﷺ: «مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا».

فهذه شواهد تربوية تدل على أن الرسول ﷺ استخدم التشبيه والتمثيل مع أصحابه أثناء عملية التربية، وذلك لأن التشبيه أوقع في النفس وأبلغ من الوعظ وأقوى من الزجر وأقوم في الإقناع والرسول ما أتى بالأمثال للتسلية بل أتى بها للتذكر والتدبر وأخذ العبرة، والمربي البارع الناجح يستطيع عن طريق ضرب المثل المساعدة في فهم الأشياء غير المحسوسة بتقريبها إلى فهمه بضرب الأمثال بالأشياء المحسوسة لديه - وليس أدل على ذلك من مثال الجدي الميت والذي ظهر منه حقارة الدنيا - وأسلوب التشبيه وضرب الأمثال من أحد أساليب التربية الناجحة والمؤثرة في تربية المسلم، فينبغي على المربين استعمال هذا الأسلوب التربوي المؤثر الذي يشد انتباه المتربي، ومن خلاله يوجه ضرب الأمثال إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية الرفيعة لكن ينبغي على المربين استغلال الظروف المناسبة في استخدام هذا الأسلوب التربوي، وذلك لكي يحقق أسلوب التشبيه وضرب الأمثال الهدف المنشود من وراء استخدامه كأسلوب من أساليب التربية الإسلامية[1].

سابعًا - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد قوله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل..».

فهذا شاهد تربوي دل على أن الرسول ﷺ استخدم أسلوب التوجيه المباشر في تربية الصحابة رضوان الله عليهم لأنه أراد أن ينبه على أهمية ما يقول من توجيه مباشر عن الزهد في الدنيا والاقتصاد على ما لابد منه، ومن أراد ذلك كان كعابر سبيل، والرسول ما استخدم أسلوب التوجيه المباشر إلا لعلمه بأنه مؤثر في سلوك الفرد أثناء عملية التعلم، ولعلمه أنه بامتثال هذه التوجيهات تحقق له الفائدة والسعادة، وبنجاحه فإنه يغير مجرى حياة الإنسان لأنه يعقبه أثار تربوية منها تزكية النفس وتطهيرها،

---

(١) أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن عبدالوهاب البابطين، ص٦٠.

وبهذا يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم، وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم ومن المفيد أن يبتعد المعلمون عن التوجيه، وهذا الأسلوب له عدة عوامل لنجاحه ينبغي مراعاتها: وهي إشعار الأفراد محل التوجيه بالعطف والاهتمام، وتخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئة للتقبيل[1].

ثامنًا - التربية بالتكرار والتأكيد:

من أساليب التربية الإسلامية التكرار والتأكيد، ومن الشواهد على ذلك قول عبدالله بن مغفل رضي الله عنه، قال: قال رجل للنبي ﷺ «يا رسول الله، والله إني لأحبك، فقال: انظر ماذا تقول؟، قال: والله إني لأحبك، ثلاث مرات، فقال:....».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه التكرار كأسلوب تربوي استخدمه رسول الله ﷺ في أثناء عملية التربية مع الصحابة رضي الله عنهم والتكرار من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، ولا يكون التكرار والتأكيد لهما أثر إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة، ولاشك في أن التكرار له أثر كبير في النفوس لأن للفطرة دخلاً في قبول هذا التكرار لما له من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه، والرسول ﷺ قد استخدم التكرار والتأكيد وسيلة تربوية تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، وكان من عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيداً لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[2].

تاسعًا - التربية على ذكر الله عز وجل:

من أهداف التربية الإسلامية التنشئة على ذكر الله عز وجل، وذلك لأن الذكر من

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٨٤، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٠٢، ٣٠١.

أعظم أسباب حياة القلب ونماء الإيمان فيه، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: قوله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ تَعالَى».

فهذا شاهد تربوي دل على أهمية ذكر الله وعلى أن كل ما في الدنيا فهو لعب ولهو إلا ذكر الله، وما كان سببًا في ذلك، والذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا أخرج من الماء، والذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشود الولاية الذي من أعطيه اتكل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب العارفين التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، والذكر دواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبيل الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ ربَّهُ والذي لا يَذْكُرُهُ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ»[1]، فهذا دليل على أن القلوب بور خراب، بدون ذكر الله عز وجل الذي هو جلاء للقلوب وصقالتها، وكلما ازداد الذاكر عند ذكره استغراقًا ازداد محبة إلى لقائه للمذكور واشتياقًا، وعليه فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وفي قراءة القرآن[2].

عاشرًا - التربية على التعلم:

من أساليب التربية الإسلامية: التعلم، لأن التعلم أنفع ما يخلص النفوس من الرذائل ويصلحها، فالعلم الشرعي يعرف المرء الحلال من الحرام، ويعرف الفضيلة ومكانتها فيتخلق بها، وبالعلم يعرف شر الرذيلة فيهجرها، فالعلم هو مطية طالبي الأخلاق الكريمة، ومن الشواهد التي تدل على التعلم في باب فضل الزهد. قول النبي ﷺ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ. مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالاَهُ، وعَالِمًا ومُتَعَلِّمًا».

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٤٠٧، ٢٠٨/١١، مسلم، ٧٧٩، ٦٨/٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٥٨.

فهذا شاهد تربوي دل بمنطوقه على بيان فضل العلم وأهله وطلابه، وفي هذا الشاهد حث على طلب العلم لأن به الرشد والنجاة وذلك لأن العلم الشرعي مفتاح الخير كله، وعنوان سعادته، لأنه محتاج إليه في عبادته، وفي جميع شؤون حياته الشخصية والاجتماعية، وأولى العلوم وأفضلها علم الدين لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبالجهل به يضلون فالإنسان الجاهل بدينه جاهل بخير الدنيا والآخرة، والعالم بدينه عارف بما ينفعه في دار الدنيا والآخرة، فيكون للخير راغبًا به عامل، وللشر كارهًا ومفارقًا، وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرًا ويقدمك ويسودك كبيرًا ويصلح زيفك وفاسدك، ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم ميلك وعوجك، ويصحح همتك وأملك والعلم طريق الجنة، وحياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور، وجدير بكل مسلم أن يأخذ حظه من العلم الذي يقربه إلى الله تعالى[1].

حادي عشر - التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التربية بالقدوة لما له من دور كبير وهام في عملية سير التربية الإسلامية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد، حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَتَلوىَ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه أن القدوة أسلوب تربوي اتخذه الصحابة من القدوة الأول الرسول ﷺ - وكيف كان قدوة في الزهد وهجر الدنيا - ، لذلك قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2]، والتربية الإسلامية لا غنى لها عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مرب يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، كذلك بعث الله

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٧٩، ٨٠، ٢٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

محمدًا ﷺ عبده ورسوله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، والرسول ﷺ بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته، ولقد فطر الله الناس على اتخاذ القدوة والبحث عنها لتكون نبراسًا يضيء سبيل الحق، ومثالاً حيًا يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله، لذلك لم يكن لرسالات الله من وسيلة لتحقيقها على الأرض إلا إرسال الرسل يبينون للناس ما أنزل الله من شريعة، وعليه فالقدوة الصالحة مطلوبة.

وهكذا تظل القدوة في الإسلام، شاخصة ماثلة للعيان تتدفق حيويتها ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حبه الأرواح، دون تأثير واقعي ولعل الحكمة في ذلك ما أودعه الله في طبيعة النفس الإنسانية من استعداد للمحاكاة[1].

ثاني عشر: من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

القرآن الكريم أول مصدر من مصادر التربية الإسلامية، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد، قول عبدالله بن الشخير أنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي. مَالِي قَالَ وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه أن النبي ﷺ استخدم القرآن كمصدر من مصادر التربية أثناء تعليمه للصحابة - رضوان الله عليهم - والرسول ما استخدم أسلوب التربية بالقرآن إلا لعمله أنه يوفر له الشمول في المحتوى والمنهجية ويحقق الموضوعية في التطبيق، وذلك لأن القرآن مشتمل على جميع العناصر الأساسية للأصول الدينية أصل الإنسان، ومن هنا يدخل القرآن الكريم - بوصفه دستور الحياة للمسلمين بالعديد من التصنيفات المنهجية لجوانب متعددة تتناول الحياة الدنيا وما بعدها، ومنها العقيدة الدينية الواضحة التي تعد منهج حياة للمسلمين والتي تتمثل هنا في حديث الباب بالإيمان بقدرك وحالك في هذه الحياة، وأن كل شيء مقسوم ومعد له، ولقد أثر القرآن في نفوس الصحابة والمسلمين تأثيرًا بالغًا، فقد اجتهدوا بتطبيق القرآن مع تعلمه كمنهج

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٠٥، ٢٠٧.

تربية لأن أسلوبه يستخدم الإقناع العقلي مقترنًا بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية مع التجارب السلوكية المشحونة بها والمصاحبة لموضوع معين، وكل هذا يمكن من القول بأن القرآن هو كتاب تربية قبل أن يكون أي شيء آخر[(١)].

ثالث عشر - التربية على البذل والإنفاق:

إن من أهداف التربية الإسلامية الحث على الإنفاق في سبيل الله، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد: ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيْهِ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ...»، وقال ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا لَسَرَّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ».

فهذه شواهد تربوية تبين أن النبي ﷺ ضرب أروع الأمثلة للصحابة رضوان الله عليهم على أهمية البذل والإنفاق في سبيل الله وفي وجوه الخير، وعدم كنز الأموال... وذلك لأن البذل والإنفاق يعد محمدة يجلب المودة وينفي العداوة ويكسب الذكر الجميل، وذلك لأن المنفق قريب من كل خير وبر، وإذا ما تربى المسلم على الإنفاق صفت نفسه ولانت شدته، وقاده ذلك إلى مكارم الأخلاق، والبذل والإنفاق من الصفات المحمودة التي تعد من مقومات الشخصية وأساسياتها. وقد كان العرب يعدون هذه الصفات من المفاخر التي يفاخرون بها غيرهم لكن جاء الإسلام لينمي هذه الصفة، ويوجهها التوجيه الصحيح، ويحث على اكتسابها، لكن دون مفاخرة، والبذل ينم عن طيب نفس وكرم، وإثبات عملي للمخاطب، والمراد تدريبه على أن هذه الدنيا فانية لا تستحق الكنز[(٢)].

---

(١) التربية الإسلامية، د. عماد محمد عطية، ص٢٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٤٦، رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ص٥٢٤.

رابع عشر - التربية على غرس قيمة الزهد:

من أهداف التربية الإسلامية الحث على غرس قيمة الزهد، ومن الشواهد على ذلك في باب فضل الزهد. جملة شواهد، قوله ﷺ: «وَلكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...»، وقوله: «إِنَّ مما أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا...»، وقوله: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ. وَإِنَّ اللّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»، وقوله: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»، قال: «يَتْبَعُ المَيتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَمَالُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ، يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ»، وقال رسول الله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ. فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ؟»، قال: «فَوَاللّهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»، وقوله: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»، وقوله: «لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته»، وقوله ﷺ: «بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وقوله: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقوله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله»، وقوله: «لقد رأيت رسول الله ﷺ ظَلَّ يَتَلوىَ مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ»، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «توفي رسول الله ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ، فِي رَفٍّ لِي...»، وقوله: «ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارٌ، ولا درهما، ولا عبدًا...»، قوله: «قتل مصعب بن عمير ﷺ يوم أحد، وترك نمرة فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه، بدا رأسه...»، وقال: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء...»، وقوله: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز، والماء...».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: «نام رسول الله ﷺ على حصير... فقال ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها...»، وقوله:

«يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام...»، قال: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: إلا كل شيء ما خلا الله باطل».

فهذه شواهد تربوية دلت على أن الحياة الدنيا مصيرها الفناء والهلاك، كما دلت على زهد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، كما دلت على أن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق، وأن التعلق بالدنيا يفسد الدين، ويشغل عن الآخرة، فالزهد انصراف الرغبة في الشيء إلى ما هو خير منه شرط أن يكون المرغوب عنه مرغوبًا فيه، وذلك كاستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب، والزهد ليس مطلوبًا لذاته، إنما لما يترتب على وجوده من أمور تعد الميزان الصحيح للشخصية الإسلامية السوية، ذاك أن التكليف في الإسلام مبني على الثواب والعقاب فمن أخل بالزهد بقدر ولو بسيط، فإن ذلك يخل بآخرته على مقدار ذلك الخلل، وإن الحرص على أمر من الأمور المطلوب الزهد فيها، يعد خللاً في المواصفات الشخصية الإسلامية السوية، ومن هنا تكمن أهمية الزهد، وضرورة اعتماده وسيلة هامة من وسائل التربية والتوجيه في المجتمع الإسلامي.

ومن الفوائد التربوية لقيمة الزهد:

١ - الزهد: يدفع باتجاه التضحية والجهاد.

٢ - الزهد: ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب.

٣ - الزهد: صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها.

٤ - الزهد: تهذيب للأخلاق وصلاح لها.

٥ - الزهد: يساعد على استحواذ المشاعر عند الناس.

فهذه فوائد تربوية دلت على أن غرس قيمة الزهد في نفوس المتربين أمر هام.

وعلى هذا ليس إخلالاً بالزهد من ملك الثروات الهائلة وكسب الأموال الطائلة، إذا كان زاهدًا فيها، معرضًا عنها، لم تدخل قلبه ولم تتجاوز يده، فليس من هو أزهد من الصحابة، وقد كان منهم من يملك الآلاف المؤلفة كعثمان، وأبي بكر، وعبدالرحمن بن عوف[1].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٤٣، ٣٣٤، ٣٣٦.

خامس عشر - من الأساليب التربوية:

ورد في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية، ويمكن للمعلم أن يستفيد منها في العملية التعليمية، منها:

أ - الحوار والمناقشة: كحديث أبي ذر رضي الله عنه: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرّة بالمدينة، فاستقبلنا أُحدٌ فقال: يا أبا ذر" الحديث.

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية وتنقله من المتعلم السلبي إلى المشارك الإيجابي.

ب - الإلقاء كحديث يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله" ويستخدم الإلقاء في بيان بعض الحقائق والمعلومات التي يريد المعلم أن يوضحها للمتعلمين. ويمكن من خلاله توجيه المتعلمين إلى بعض القيم النافعة لهم ولمجتمعهم.

ج - الإقناع العقلي: كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق والناس كَنَفَتَيْه فمرّ بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأُذُنه ثم قال: أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟ ..." الحديث.

فقد زهد النبي ﷺ أصحابه في الدنيا ونفرهم من التهافت عليها عن طريق الإقناع العقلي من خلال عرض القضية بالتدريج على المتعلمين ثم بيان بعض الأمور المرتبطة به. ويمكن للمتعلم استخدام هذا الأسلوب في الفصل ليبين للمتعلمين بعض الأمور المفضلة ويقنعهم بخطورة ما ترغب فيه نفوسهم.

د - العصف الذهني: كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه السابق، وهذا الأسلوب يعتمد على طرح قضية معينة على المتعلمين ومعرفة رأيهم فيها ثم بيان الرأي النهائي في هذه القضية.

هـ - استخدام الأسئلة: كما في حديث جابر رضي الله عنه السابق كذلك، والأسئلة تستخدم في تقريب المعنى وفي شدّ انتباه المتعلمين وفي قياس ما يعرفونه عن بعض القضايا المعينة وفي معالجة بعض أفكار المتعلمين.

و - التلقين: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" فالنفس تتأثر بما يلقى عليها من كلام يحرك الوجدان، والتربية بالتلقين من الأمور المتكررة، مما يميزها بالتثبيت في ذهن المتعلمين، مما يجعلها أطول بقاء، وهذا ما وضح في تأثر ابن عمر رضي الله عنه بما نصحه به رسول الله ﷺ، فكان يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

ز - القصة: كما في حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه عن مصعب بن عمير رضي الله عنه واستشهاده يوم أحد، وبيان زهده وانصرافه عن الدنيا وابتغاء رضوان الله، مع أنه كان قبل أن يسلم أكثر الناس تنعمًا وأشدهم ترفهًا.

ح - التربية بالمواقف: كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مرّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًا لنا. فقال: ما هذا؟ فقلنا: قد وَهَى فنحن نصلحه، فقال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك.

وغير ذلك من الأساليب التربوية التي يمكن للمعلم أن يفيد منها في حجرة الدراسة في عرض عناصر درسه، والاجتهاد في تنويع طرق شرحه، من أجل مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

٥٦ - باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قَالَ اللّٰه تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٥٩ - ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[القصص: ٧٩ - ٨٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾[الإسراء: ١٨] والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الحديث رقم (٤٩٠)

٤٩٠ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

وفي رواية[(٢)]: مَا شَبِعَ آلُ محمّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ[(٣)] ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٢/٢٩٧٠ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٧٧.

(٢) أخرجها البخاري ٦٤٥٤، ومسلم ٢٠/٢٩٧٠ ولفظهما سواء. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٧٧٧.

(٣) عندهما: (بر) بدون أل التعريف.

غريب الألفاظ:

قبض: توفي رسول الله ﷺ[(١)].

الشرح الأدبي

الحديث يبين جانباً من زهد النبي ﷺ، وأهل بيته رضي الله عنهم وزهدهم في الدنيا، ورغبتهم في الآخرة، وقول: أم المؤمنين عائشة (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمّد ﷺ) أسلوب نفي ينفي الشبع لأنه ﷺ كان لا يأكل حتى يجوع، وإذا أكل لم يشبع وإضافة الآل لمحمد ﷺ تشريف ينبه لفضلهم، ويذكر بحقهم صلة لرسول الله ﷺ، وذكر الاسم الظاهر (محمد) من باب المحبة، لأنه الاسم المحبوب، وقولها (يومين متتابعين) توكيد للزمن، ودلالة على التواصل، وفي الرواية الثانية ذكرت (ثلاث ليال) وهي، وإن كانت تتضمن اليومين إلا أن ذكر الثلاث أدل على شدة الجوع لأن العدد المذكور أكبر، ثم إن الليل على الجائع أشد لضعف الأمل في وجود طعام، لأنه ليس وقت سعي على الرزق بالإضافة إلى أن الجوع يطرد نومه فيجتمع عليه مع الجوع قلة نوم، وغرض ذكر الخبر الذي جاء به الحديث الترغيب في الزهد.

المضامين الدعوية[(٢)]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان عيش النبي ﷺ وآل بيته، وزهدهم في الدنيا.

ثالثًا: من صفات الداعية: الزهد في الدنيا.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار رضي الله عنهم وحبهم للنبي ﷺ.

خامسًا: من واجبات المدعو: الإحسان والتواصل مع الجيران.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٤٩١).

وهذا ما أمر الله به عباده بقوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١] وقد بين تعالى عظم فضل ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديثين من إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حال آل محمد ﷺ في قولها رضي الله عنها: "ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير... إلخ". وقولها لعروة بن الزبير رضي الله عنهما: "والله يا ابن أختي، إن كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار..." إلخ الحديث، فالإخبار أسلوب دعوي مهم جدًا للداعية ولا غنى له عنه بحال من الأحوال فعليه أن يستخدمه في ما ينفع المدعوين من إخبارهم بأحكام الدين وسنة خير المرسلين ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان عيش النبي ﷺ وآل بيته:

(مما لا شك فيه أن دعوة الرسل إلى الإقبال على الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها لم تكن دعوة باللسان فقط أودعوة لأمتهم فقط، بل كانت منهج حياة حيث عاش النبي ﷺ هو وأزواجه رضي الله عنهن ذلك عمليًا. فقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

وكان من تأثير صحبته أن أزواجه رضي الله عنهن، كلهن آثرن الله ورسوله وآثرن الفقر والضيق مع الرسول على الرخاء وخفض العيش مع غيره)[٤]، وهذا ما أشار إليه الحديثان في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير... إلخ"

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٤) انظر: النبوية والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ص ٦٨-٧٠.

وأيضًا في قولها: "... إن كنا ننظر إلى الهلال، ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار... إلخ".

قال ابن عثيمين رحمه الله: (وذلك بيان في عيش النبي ﷺ، وأنه ما شبع من خبز الشعير ليلتين تباعًا؛ لقلة ذات يده ﷺ، وأنه كان يمضي عليه الشهران في ثلاثة أهلة ما يوقد في بيته نار، وإنما هو الأسودان التمر والماء...)[1] ثم بين ابن علان: (أنه لم يضطره مولاه لذلك بل عرض عليه جبال مكة وبطحاءها تسير معه ذهبًا أينما سار فاختار إعراضه عن الدنيا وزهده فيها إعلامًا بحقارتها وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ تحريضًا لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة منها)[2].

وفي بيان ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ. قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ. وَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ، نَحْوِ الصَّاعِ، وَقَرَظٍ فِي نَاحِيَةٍ فِي الْغُرْفَةِ. وَإِذَا إِهَابٌ مُعَلَّقٌ. فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ. فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى وَذَلِكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ. وَأَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. قَالَ: «يَا بْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى))[3]، وفي ذلك بيان لعيشة النبي ﷺ وآله وما كانوا عليه من زهد في الدنيا.

ثالثًا - من صفات الداعية: الزهد في الدنيا:

(إن الزهد في الدنيا هو أن تعرف أن الله أراد لك أن تحيى في حياتين، وأن تثبت وجودك المادي في حياة المادة، ووجودك الروحي فيما وراء المادة عاملاً في الأولى بقوة بدنك وملكاته، وعاملاً في الأخرى بقوى قلبك وملكاته، محاذرًا أن تنصرف عواطفك عما في يد الله، إلى متاع الدنيا)[4]. (فها هو ذا رسول الله ﷺ تنصب بين يديه أموال

---

(١) شرح رياض الصالحين ٨٠٣/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٣٥-٧٣٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٠٥).

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٧٥.

الجزيرة العربية وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المسلمين، فما وقف قلبه على شيء من هذا، بل كان يصرفه لفوره إلى وجوه البر، والمصالح العامة، وربما ربط الحجر على بطنه يثبت به قلق معدته الجائعة، فما كان جوعه عليه السلام من إقلال، بل عن غنى زهدت فيه نفسه)[1]، وهذا ما أشار إليه الحديثان؛حيث أن النبي ﷺ وآل بيته لما يشبعوا من خبز الشعير يومين متتالين،وكانوا يكتفون بالماء والتمر شهرين كاملين، وقد أمره ﷺ الحق تبارك وتعالى بذلك ليكون القدوة والأسوة الحسنة لأمته من بعده، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3].

(فعلى الداعية أن يتخفف من الدنيا التي قد تكبله عن الدعوة)[4] (ولكن الزهد في الدنيا وتجريد القلب من أهواء الجاه والملك والمال، ليس معناه الامتناع عن تحصيله بكل وسيلة مشروعة...، فهذا نبي الله سليمان عليه السلام، سأل ربه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فاستجاب له، ووهب له الملك...، فهل طلبه شهوة فيه، ولأن نفسه نزعت إليه؟ وهل تصرف فيه تصرف المترفين من أهل الشهوات؟ كلا ... لم يطلبه لحاجة نفسه، وإنما طلبه في حاجة ربه وتصرف فيه على ما يحب الله... وهذا مثال واقعي، ساقه الله عز شأنه، يشرح به معنى الزهد،. وكيف يكون الإنسان الصالح، ملكًا محاطًا بالجاه وأسباب الترف والفتنة، ونفسه مع هذا ناظرة إلى ما هو أرفع... مسخرة كل ما تملك من جاه ومال وقوة في تأييد الحق، وإرضاء الله سبحانه...، فليس الدين دين تخلف عن حقائق الحياة فبعدًا لكل غافل أضله هواه، واستعبدته شهوته. اطلب المال، واطلب الملك، ولكن شتان من طلب وطلب... شتان من طلب يبعث عليه باعث الشهوة والرغبة

---

(١) المرجع السابق ١٩٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) رياض الدعاة والمصلحين، بهاء الدين عقيل ود. عبدالعزيز مصطفى، ص ٥٢٢.

في التفاخر والتكاثر... وطلب يبعث عليه باعث الرغبة في تطهير الأرض من المنكر، وإقامة معالم الحق)[١].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الأنصار وحبهم للنبي ﷺ:

(لقد كان الجيل الإسلامي الأول الذي أنشأته دعوة النبي ﷺ وأحكمت تربيته من أفضل الأجيال البشرية في تاريخ الإنسان كله وقد وصفه أحد أفراده، عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ببلاغة نادرة وكلمات موجزة عميقة دقيقة، زاخرة بالمعاني الكبيرة البعيدة المدى)[٢]، فقال: (أبر الناس قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه وإعزاز دينه)[٣] وكان من ذلك الجيل الأول "الأنصار" وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول عائشة رضي الله عنها "إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا".

(ولما كان الأنصار قد أسدوا إلى كل مسلم يدًا بيضاء، وفعلة زهراء، من حيث إنهم آووا رسول الله ﷺ، ونصروه، وصبروا على حرب الأحمر والأسود معه، فكانت الهجرة إليهم، ونزول الوحي عليه في دارهم، وود كل مؤمن أن يُقْدر له أن يحسن جزاءهم، فلما فاته ذلك عدل عنه إلى حبهم، فلا يحبهم إلا عن إيمان منه برسالة محمد ﷺ، كما أنه إذا أبغضهم دلّ ذلك على نفاقه، فكان حبهم ناشئًا عن محض الإيمان)[٤].

ولذلك قال ﷺ: ((حُبُّ الأَنْصَارِ آيَةُ الإِيمَانِ. وَبُغْضُهُمْ آيَةُ النِّفَاقِ))[٥].

وقد بين النبي ﷺ عظم فضل الأنصار ومكانتهم فقال: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا منَ الأنصار. فقال

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٩١- ١٩٣.

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ١٦١.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٨١٠. وقال محققو الجامع والأثر لا بأس به.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٨٩/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٧٤.

أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[١].

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار حيث رضي أن يكون واحدا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه.أ.هـ وقوله: (فقال أبو هريرة ما ظلم) أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه"، وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله: "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)[٢] وفي ذلك بيان لفضل الأنصار وحبهم للنبي ﷺ.

خامسًا - من واجبات المدعو الإحسان والتواصل مع الجيران:

قد ورد ذلك في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار... إلخ" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ﴾[٣].

وفي بيان ذلك قال السعدي: (... ثم بعدما أمر الله تعالى بعبادته والقيام بحقه، أمر بالقيام بحقوق العباد، الأقرب، فالأقرب، ثم ذكر الله تعالى من هذه الحقوق حق "الجار ذي القربى" أي الجار القريب، الذي له حقان، حق الجوار، وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان، راجع إلى العرف وكذلك "الجار الجنب" أي الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب بابًا، كان آكد حقًا. فينبغي للجار، أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة، والدعوة، واللطافة بالأقوال والأفعال، وعدم أذيته، بقول أو فعل)[٤] وفي ذلك

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/ ١٤٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٤٣.

بيان لضرورة الإحسان والتواصل مع الجيران ومشاركتهم في مناسباتهم والتعاون معهم وتحقيق مبادئ التعاون والتكافل الاجتماعي وما أمر به النبي الكريم ﷺ من إحسان للجيران خاصة والناس عامة.

الحديث رقم (٤٩١)

٤٩١ - وعن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: وَاللهِ، يَا ابْنَ أُخْتِي، إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ[١]: ثَلاَثَةُ أهلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أبْيَاتِ رسول الله ﷺ نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إلاَّ أنَّهُ قَدْ كَانَ لرسول الله ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رسول الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

المنائح: جمع منيحة وهي: عطية الناقة أو الشاة للانتفاع بلبنها ثم إعادتها وردها[٣].

الشرح الأدبي

بداية الكلام بالقسم لصرف الاهتمام، وتوفير العناية به، والقسم في بداية الكلام يحقق التشويق لما بعده، ونداؤها له بهذه الصيغة، وهذا التركيب يدل على التودد، والتلطف، والمحبة، وقولها (إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ: ثَلاَثَةُ أهلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ) فيه تفصيل، وإجمال يؤكد المعنى زادته تأكيداً بذكر الشهرين، وقولها (وَمَا أُوقِدَ فِي أبْيَاتِ رسول الله ﷺ نَارٌ) عدم ذكر الفاعل لعدم تقييده بمعين حتى يعم الجميع، وذكر الأبيات مبالغة في نفي إيقاد النار عنهم جميعاً، وقولها (الأسودان التمر، والماء) إطلاق الأسودين على التمر، والماء من باب التغليب، وهو أسلوب توشيع يحقق التوكيد، والتشويق، وقولها، وكانت لهم منائح هي جمع منيحة، وهي ناقة أو شاة، ينتفع بلبنها، ثم تعاد إلى أصحابها.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عند مسلم: ثلاث مرات، وعند البخاري برقم ٢٥٦٧ مرتين.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦٧، ومسلم ٢٩٧٢/٢٨ واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٩٢)

٤٩٢ - وعن أَبي سعيد المقبُريِّ، عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ بِقَومٍ بَيْنَ أيديهمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أنْ يأْكُلَ. وقال: خرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَصْلِيَّة: مشويَّةٌ[2].

الشرح الأدبي

تربَّى أبو هريرة في مدرسة الرسول ﷺ، وكان من أكثر الصحابة ملازمة له، ومن أكثرهم رواية عنه، وقول الراوي (أَنَّهُ مَرَّ بِقَومٍ بَيْنَ أيديهمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ) تنكير القوم يشير إلى أنه لم يكن قاصداً لهم بل كان مروره عرضاً، وقوله (فأبى) يشير إلى أنه رفض بشدة، وقوله (خرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا) كناية موته، وقوله (وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ) عدم شبعه ﷺ زهد أكثر منه فقراً، وقد مرت به أوقات كان يملك فيه المال، ولكن كان يزهد فيه، وينفقه في المسلمين ويقدمهم على نفسه، وآل بيته، ولذلك أبى أبو هريرة ﷺ أن يأكل من الشاة المشوية، وزهد كما رأى رسول الله ﷺ يفعل.

---

(١) برقم ٥٤١٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٨٣.

(٢) رياض الصالحين ٢٣٢.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة حال النبي ﷺ والتأسي به.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار الصحابة رضي الله عنهم بالحالة المعيشية للنبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النفي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التنعم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة حال النبي ﷺ والتأسي به:

(إن القرآن يدعو المؤمنين إلى اتباع الأنبياء، والأخذ بسيرتهم، والسير على نهجهم العام في الحياة والتشبه بهم ما أمكن، فيقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] ويأمر المسلمين بأن يدعوا دائمًا بقولهم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٣] وجعل هذا الدعاء في صلب الصلاة، ولا شك أن في مقدمة هؤلاء المنعم عليهم وعلى رأسهم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وكلما كان الإنسان أتبع لسننه، وأكثر تخلقًا بأخلاقه وأشبه به هديًا ودلاً وسمتًا كان أقرب إلى الله وأعلى منزلة عنده)[٤].

وهذا ما ورد في نص الحديث من فعل أبي هريرة رضي الله عنه في أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية، فدعوه فأبى أن يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير (وقد رأى أبو هريرة رضي الله عنه أن ذلك من الترفهات وشأن المحب أن يتبع آثار

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٢- مع مضامين الحديث رقم (٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان: ٦، ٧.

(٤) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ١٠١-١٠٢.

محبوبه ويأتم بها، فلذا امتنع)[١].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكون على متابعة حاله ﷺ والتأسي به. فها هو ذا أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ)[٢]، وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصبُّ في أصلها الماء لكيلا تيبس، وكان رضي الله عنه يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)[٣]، وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعه حاله ﷺ والتأسي به، وكيف لا وهو القدوة والأسوة الحسنة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخبار الصحابة رضي الله عنهم بالحالة المعيشية للنبي ﷺ:

(مما لاشك فيه أن النبي ﷺ هو القدوة الصالحة، والأسوة الحسنة لأمته، وللأجيال البشرية على اختلاف الزمان والمكان، وقد اتجهت عناية الله تعالى إلى حفظ أخباره وآثاره وصفاته، وأخلاقه وعاداته وتصرفاته، وكان من وسائل ذلك إخبار الصحابة رضي الله عنهم بما كان منه ﷺ في كل دقيق وجليل)[٤].

وهذا ما أشارت إليه الأحاديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير"، ومن قول أنس رضي الله عنه "لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات..."، وأخيرًا من قول سهل بن سعد رضي الله عنه ما رأى رسول الله ﷺ النقي حين ابتعثه الله تعالى حتى قبضه الله تعالى، وفي إخبارهم رضي الله عنهم عن حال معيشته ﷺ قال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ٧٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤١/٣.

(٤) انظر: النبوة والأنبياء، أبو الحسن الندوي، ١٨٠.

عمر رضي الله عنه: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْتَوِي، فِي الْيَوْمِ، مِنَ الْجُوعِ. مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))[١] قال القرطبي: (هذه الأحاديث كلها، وإن اختلفت ألفاظها تدل على: أن النبي ﷺ لم يكن يديم الشبع،ولا الترفُّه في العيش، لا هو ولا من حوته بيوته، ولا آله. بل كانوا يأكلون ما خشن من المأكل العلق، ويقتصرون منه على ما يسدّ الرمق،معرضين عن متاع الدنيا مؤثرين ما يبقى على ما يفنى ثم لم يزل كذلك حالهم مع إقبال الدنيا عليهم واجتماعها بحذافيرها إلى أن وصلوا إلى ما طلبوا، وظفروا بما فيه رغبوا)[٢]. وفي أهمية الإخبار بذلك قال ابن علان: (وفي ذلك إعلام بحقارة الدنيا، وأنها ليست بحيث ينظر إليها ﷺ، وفي ذلك تحريضٌ لأمته على الزهد فيها والإعراض عما زاد على الحاجة)[٣].

وفي بيان خشونة عيشه ﷺ قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ((كَانَ ضِجَاعُ رَسُولِ اللَّهِ أَدَمًا حَشْوُهُ لِيفٌ))[٤] وقال أنس رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ مِرَارًا: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ صَاعُ حَبَ وَلاَ صَاعُ تَمْرٍ. وَإِنَّ لَهُ، يَوْمَئِذٍ، تِسْعَ نِسْوَةٍ))[٥]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ((أخرجَت إلينا عائشةُ كِساءً وإزارًا غليظًا فقالت: قُبِضَ روحُ النبيِّ ﷺ في هذين))[٦]، وفي ذلك بيان على خشونة العيش التي كان عليها رسول الله ﷺ، وفي ذلك قال ابن عثيمين (لو شاء ﷺ لصارت الجبال معه ذهبًا، ولكنه اقتصر من الدنيا على الضروري منها فقط، وادخر حظه في الآخرة)[٧].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٢٨/٧-١٢٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٣٦.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤١٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٨).

(٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٤٦).

(٦) أخرجه البخاري ٥٨١٨.

(٧) شرح رياض الصالحين ٨٠٣/١.

وقد كان زهده ﷺ عن غنى زهدت فيه نفسه، وما كان جوعه من إقلال ولقد رأى عليه السلام جبل أحد مرة فعبر عن منهجه بقوله: ((ما يسُرُّني أن عندي مِثلَ أحد هذا ذَهبًا تمضي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دِينار، إلا شيئًا أرصُدُهُ لِدَين، إلا أن أقولَ به في عبادِ اللّه هكذا وهكذا وهكذا عن يَمينهِ، وعن شِماله، ومِن خلفهِ ثم مشى ثم قال: إن الأكثرينَ همُ المقلونَ يومَ القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شِمالهِ ومن خلفهِ وقليلٌ ما هم))[1].

(وفي ذلك بيان على أن الزهد وتجريد القلب من أهواء المتاع الأدنى، ليس معناه أبدًا الامتناع عن تحصيله، والسعي إليه بكل الوسائل والأسباب الشريفة... إن تجريد القلب ينشئ في نفس صاحبه حاجات ومطالب لله، فينبعث نداء هذه المطالب إلى السعي والتحصيل، بهمة لا تقل عن همة المنهمكين في أمور الدنيا ثم بعد تحصيل المرء لهذه المطالب الدنيوية لا يأخذ منها إلا كفاية بدنه ثم يرصد سائر ذلك من أعراض الدنيا وأموالها لأحد أمرين أو لكليهما: الأول: تفريج كروب الناس، وتخفيف ما ينزل بهم، وتيسير مصالحهم، والثاني: أنه لابد للحق من قوة مادية تكون من أسباب حراسته ونصرته... والقوة مال، وسلاح، وجنود مدربون فليرصد المرء من ماله، لينفق في هذه الأغراض، وليعمل على الاستكثار من هذا المال واستخلاصه من أيدي أعوان الشر وجنوده، بكل ما يسعه من علم وحيلة ووسيلة...، فإذا جاز له أن يفرح بما جمع، فليفرح لا لنفسه بل لأنه استكثر للحق من أسباب العون والنصر)[2]، وهذا عين الزهد وحقيقته وفي ذلك كمال الدين ورفعته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النفي:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من نفي الصحابة رضي الله عنهم تعلق النبي ﷺ بالدنيا، وإعراضه ﷺ عنها وتركه التنعم بها، وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه "... ولم يشبع من خبز الشعير"، ومن قول أنس رضي الله عنه لم يأكل...، وما أكل "ومن قول

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٨.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ١٩٥-١٩٦ بتصرف يسير.

سهيل رضي الله عنه: "ما رأى..." فالنفي من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إظهار الحقائق وتوضيحها لدى المدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التنعم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان:

إن الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء وبقاء، والتنعيم في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله للإنسان. وخير شاهد على ذلك ما ورد في الأحاديث مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من شدة العيش، فإن كان الإنسان قائمًا بمعصية الله تعالى، وهو مُنعَّمٌ في الدنيا فليس ذلك دليلاً على تكريم الله تعالى له، قال ﷺ: ((إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1]))[2].

قال ابن كثير في قوله تعالى: ("فلما نسوا ما ذكروا به" أي: أعرضوا عنه وتناسوه وجعلوه وراء ظهورهم "فتحنا عليهم أبواب كل شيء" أي فتحنا عليهم أبواب الرزق من كل ما يختارون، وهذا استدراج منه تعالى وإملاء لهم؛ ولهذا قال "حتى إذا فرحوا بما أوتوا" أي من الأموال والأولاد والأرزاق "أخذناهم بغتة" أي: على غفلة "فإذا هم مبلسون" أي: آيسون من كل خير)[3]، فعلى المرء أن يعلم أن معصيته لله تعالى مع تنعمه في الدنيا ليس دليلاً على تكريم الله تعالى له بل هو استدراج لعذاب أليم.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٤٥/٤ رقم ١٧٣١١، وقال محققو الإسناد، حديث حسن ٥٤٧/٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٦/٣.

الحديث رقم (٤٩٣)

٤٩٣ - وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: لَمْ يَأكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ. رواه البخاري[١].

وفي رواية لَهُ[٢]: وَلاَ رَأى شَاةً سَمِيطًا بعَيْنِهِ قَطُّ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخِوان: المائدة المعدة[٣].

خبزًا مرقَّقًا: قال القاضي عياض: أيْ ملينًا محسنًا[٤].

شاةً سميطًا: السميط هو ما أزيل شعره بالماء المسخن وشُوي بجلده أو طبخ، وهو من فعل المترفين، وفي النهاية: شاةً سميطًا: مشويّة[٥].

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث الوصفية التي تتبع أحوال النبي في مختلف شؤون حياته وقد جاء في أسلوب خبري لا يتوقع شكاً، أو معارضة، مع إقبال من المخاطبين، ولذلك لم يؤكد، وقد بدأ بأسلوب النفي الجازم المباشر لأكل الرسول ﷺ على خوان، وهي ما يوضع عليه الطعام، لأنه لم يكن يحفل بتلك المظاهر الدنيوية التي لا تقدم، ولا تؤخر، وعطف عليه نفياً آخر يؤكد النفي الأول، ويقرر نفي شيء آخر، وهو أكله

---

(١) برقم ٦٤٥٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٨٩.

(٢) أخرجها البخاري ٥٤٢١. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٧٨٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤١/٩، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٠/٢.

(٤) المرجع السابق ٤٤١/٩.

(٥) المرجع السابق ٤٤١/٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س م ط).

الخبز المرقق، وهذا النفي يثبت ضمناً أنه كان يأكل الخبز الغليظ لأن همه أعظم من النظر في نوع الطعام، وإنما كان يتناول منه ما يقيم صلبه مما لابد منه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٤٩٤)

٤٩٤ - وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

الدَّقَل: رديءُ التَّمْر[2].

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث مبني على الرؤية البصرية، وأسلوبه وصفي كسابقه، وقد أكد الفعل باللام الموطئة للقسم، وقد التي تفيد تحقيق الفعل الماضي ؛لأنها أحداث وقعت أراد أن ترسخ في قلوبهم، وتصير بين أعينهم لتكون مرجعاً لهم في الصبر على ما سيلاقون من شدائد الحياة، وتنسحب على كل مسلم في أي زمان، ومكان حتى لا ييئس من رحمة الله لعلمه أنها سنته فيمن يحب، وأضاف النبي لهم استمالة لقلوبهم مع ما فيه من تشريف لهم، والتعبير بالدقل، وهو رديء التمر يشير إلى ما مر بهم من الشدائد، وشظف العيش، ولو شأ الرسول ﷺ لجعل له الله أحداً ذهباً، ولكنه يرجو الآخرة، ويدخر ثوابه عند ربه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٩٧٧/٣٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ق ل).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا -٤٩٤- مع مضامين الحديث رقم (٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥).

الحديث رقم (٤٩٥)

٤٩٥ - وعن سهلِ بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِين ابْتَعَثَهُ الله تَعَالَى حَتَّى قَبضَهُ الله تَعَالَى. فقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهدِ رسول الله ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأى رسول الله ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فيَطيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

النّقيّ: الخبز الحواري، وهو: الدَّرمكُ، أي: المنخول دقيقُه[2].

مناخل: جمع منخل، وهو الغربال[3].

ثَرَّيناهُ: بلَّلْناهُ وعجنَّاهُ[4].

الشرح الأدبي

الحديث من نوعية سابقيه يعتمد الأسلوب الوصفي، ويقوم في بعض مراحله على الحوار خلال السؤال، والجواب، وقد بدأ بأسلوب النفي، وهو أسلوب خبري يقرر الحقائق في ثقة دون مؤكدات (مَا رَأى رسول الله ﷺ النَّقِيَّ)، وهو الخبز الحواري، ونفي الرؤية أكثر مبالغة في نفي الأكل من تسليط النفي على فعل الأكل المباشر، وقولهم) هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهدِ رسول الله ﷺ مَنَاخِلُ ؟) وهي الأداة التي كان ينقى

---

(١) برقم ٥٤١٣ وزاد في آخره: (فأكلناه). أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٩١.

(٢) رياض الصالحين ٢٣٣، والدرْمك: الدقيق الأبيض. والخبز الحوّاري الخبز المتخذ من الدقيق الأبيض. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر م ك)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٦٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٧٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٣٣.

بها المطحون، وقوله (مَا رَأى رسول الله ﷺ مُنْخُلاً) سلط النفي على فعل الرؤية، لأنه أبلغ في نفي الأكل مما استخدم فيه، وتنكير (منخلاً) للتعميم وهذا يشير إلى أنها كانت حالة عامة تشمل المجتمع كله، أو أكثر ؛لأنه لو كان شائعاً مستخدماً لرآه في مكان ما، وتكرار جملة (مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى) يشير إلى أن الدعوة استغرقت أقطار نفسه، فلم يكن له هم سواها، ولم ينشغل إلا بما يتعلق بها، والطعام آخر ما يفكر فيه، ولإتمام ما هو فيه .

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٤٩٥- مع مضامين الحديث (٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤).

الحديث رقم (٤٩٦)

٤٩٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما ، فَقَالَ: **((مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هذِهِ السَّاعَةَ؟))** قَالا: الجُوعُ يَا رسول الله. قَالَ: **((وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومَا))** فقَامَا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ، قالت: مَرْحَبًا وَأَهلاً. فقال لَهَا رسول الله ﷺ: **((أَيْنَ فُلانٌ؟))** قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنَا[1] المَاءَ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رسول الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا[2]، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: **((إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ))** فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رسول الله ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما: **((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ))** رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يستعذب: أي يطلب الماء العذب[4].

العِذق: بكسر العين وإسكان الذال المعجمة وهو الكِباسة، وهي الغُصْنُ[5].

البسر: التمر قبل إرطابه[6].

---

(١) عند مسلم زيادة: (من).

(٢) عند مسلم زيادة: (من هذه).

(٣) برقم (٢٠٣٨/١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٢٢).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٥) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٤/٢.

المُديَةَ: السكين[١].

الحلُوب: ذات اللبن[٢].

رووا: شربوا وشبعوا[٣].

والسؤال عن هذا النعيم: سؤال تعديد لا سؤال توبيخ وتعذيب[٤].

وهذا الأنصاري الذي أتوه هو أبو الهيثم بن التيِّهان، كذا جاء مبينًا في رواية الترمذي وغيره[٥].

الحديث يحكي موقفا من المواقف المعلمة للبشرية لنبي مرسل، حكم دولة مترامية الأطراف في موقف الجوع، والشدة التي دعتهم للخروج وقول الرسول ﷺ (مَا أخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ ؟) استفهام على حقيقته، وقوله في هذه الساعة يشير، إلى أنه ليس وقت خروج معتاد لهما، وقوله (وَأنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) قسم الرسول بهذه الصيغة مع تقديم الضمير (أنا) الدال على الاختصاص فيه إيناس لهما، وشد من أزرهما؛ لأنه إن كان النبي ﷺ في نفس الحال، وهو صاحب المكانة التي لا مطمح فيها لغيره، فالأمر بالنسبة لهما أهون، وبين قوله (أخرجني، وأخرجكما) جناس يؤكد المعنى الدافع للخروج المتفق في حالهم جميعا، وربط الأحداث بالفاء المؤذنة بالسرعة في قوله (قُوما) فقَامَا مَعَهُ، فَأتَى رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ، فَإذَا هُوَ لَيْسَ في بيْتِهِ) يدل على شدة الجوع التي تدفعهم إلى سرعة الاستجابة في البحث عما يطفيء نار الجوع، ولا يحرك أمثال هؤلاء العظماء إلا جوع بلغ المدى واستمر أياماً، وقوله (فَإذَا هُوَ لَيْسَ في بيْتِهِ) يوحي بالمفاجأة التي تهدد باستمرار ثورة الجوع، وقول الرجل بعد مجيئه (الحَمْدُ

---

(١) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ى).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٤.

(٥) المرجع السابق ٢٣٤

للهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أكْرَمَ أضْيَافاً مِنِّي) يدل على فرحه وسروره بضيوفه، وحقَّ له يدل على ذلك تقديمه الحمد بين يدي الكلام علامة على النعمة، ثم النفي الداخل على النكرة الدالة على العموم (ما أحد) وأفعل التفضيل الدالة على اعتزازه بهم، والتعبير بالانطلاق، واستخدام الفاء في الربط بين الجمل في قوله (فَانْطَلَقَ فَجَاءهُمْ) يوحي بحفاوة الرجل برسول ﷺ وصاحبيه، وقوله (وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ) يشير إلى نية الذبح إكراماً لهم، وقول الرسول ﷺ للرجل (إيَّاكَ وَالْحَلُوبَ) أسلوب تحذير يحافظ على المصلحة العامة في أشد الظروف؛ لأن ذبح الحلوب قطع لمصدر من مصادر الطعام، وإن كانت الصورة تبدو بسيطة لكنها تعكس نظرة اقتصادية عظيمة، وقول الرسول: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ) قسم يعظّم الخبر، ويؤكد المعنى، ويرفع درجة الترقب في نفس شخصيتين مؤثرتين في تاريخ البشرية ينمي في نفوسهما الإحساس بنعمة الله أكثر، وأكثر؛ لأنهما في القدر يُهيئان لمهمة عظمى، وقد صعَّد الإحساس بتوكيد الفعل باللام، ونون التوكيد (لتسألن) والإشارة لاستحضار النعمة، حتى ينظر كل مسلم ما بين يديه من نعم الله التي لا تعد، ولا تحصى، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يعطي فعل السؤال أبعادا أخرى في الشدة، والصعوبة تنبع من طبيعة اليوم، وبين قوله أخرجكم، ورجعتم طباق يقرر النعمة ببيان المفارقة بين حالة الخروج في الجوع، وحالة الرجوع في الشبع، فتأمل حالهم في مرة شبعوا فكيف بمن يتقلب في نعم الله ليل نهار، وقد غفل عن شكره؟.

فقه الحديث

ذكر النووي لهذا الحديث من الفوائد ما يجدر أن نذكره هنا:

١ - جواز ذكر الإنسان ما يناله من ألم ونحوه، لا على سبيل التشكي وعدم الرضا، بل للتسلية والتصبر، كفعله ﷺ هنا، ولالتماس دعاء أو مساعدة على التسبب في إزالة ذلك العارض، فهذا كله ليس بمذموم، إنما يذم ما كان تشكيًا وتسخطًا وتجزعًا.

٢ - جواز الحلف من غير استحلاف.

٣ - جواز الإدلال على الصاحب الذي يوثق به، واستتباع جماعة إلى بيته.

٤ - استحباب إكرام الضيف بقول (مَرْحَبًا وأهلاً) وشبهه، وإظهار السرور بقدومه، وجعله أهلاً لذلك، كل هذا وشبهه إكرام للضيف، وقد قال ﷺ: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه))[١].

٥ - جواز سماع كلام الأجنبية ومراجعتها الكلام للحاجة[٢].

٦ - جواز إذن المرأة في دخول منزل زوجها لمن علمت علمًا محققًا أنه لا يكرهه بحيث لا يخلو بها الخلوة المحرمة.

٧ - استحباب حمد الله تعالى عند حصول نعمة ظاهرة، وكذا يستحب عند اندفاع نقمة كانت متوقعة، وفي غير ذلك من الأحوال.

وقد قال النووي في الأذكار: (يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة، أن يسجد شكرًا لله تعالى، وأن يحمد الله تعالى أو يثني عليه بما هو أهله، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة مشهورة، روينا في صحيح البخاري عن عمرو بن ميمون الأودي في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الشورى الطويل: (أن عمر أرسل ابنه عبدالله إلى عائشة رضي الله عنها يستأذنها أن يدفن مع صاحبيه فلما أقبل عبدالله بن عمر، قال عمر: ما لديك؟ قال الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أهمّ إلي من ذلك)[٣].

وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَأى مُبْتَلًى فَقَالَ الْحَمدُ لله الّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاءُ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/١٩٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٣٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٩).

قال النووي: (قال العلماء من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقول هذا الذكر سرًا بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية فلا بأس أن يسمعه ذلك إن لم يخف من ذلك مفسدة)[١].

٨ - استحباب إظهار البشر والفرح بالضيف في وجهه وحمد الله تعالى، وهو يسمع، على حصول هذه النعمة، والثناء على ضيفه إن لم يخف عليه فتنة، فإن خاف لم يثن عليه في وجهه؛ وهذا طريق الجمع بين الأحاديث بجواز ذلك ومنعه[٢].

٩ - استحباب تقديم الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما.

١٠ - استحباب المبادرة إلى الضيف بما تيسر، وإكرامه بعده بطعام يصنعه له لا سيما إن غلب على ظنه حاجته في الحال إلى الطعام، وقد يكون شديد الحاجة إلى التعجيل وقد يشق عليه انتظار ما يصنع له: لاستعجاله للانصراف.

حكم التكلف:

كره جماعة من السلف التكلف للضيف، وهو محمول على ما يشق على صاحب البيت مشقة ظاهرة؛ لأن ذلك يمنعه من الإخلاص وكمال السرور بالضيف، وربما ظهر عليه شيء من ذلك فيتأذى به الضيف، وقد يحضر شيئًا يعرف الضيف من حاله أنه يشق عليه، وأنه يتكلفه له فيتأذى لشفقته عليه، وكل هذا مخالف لقوله ﷺ: ((من كان يُؤمن بالله واليوم الآخِرِ فلْيُكرِم ضَيفَه)) لأن أكمل إكرامه، إراحة خاطره، وإظهار السرور به.

١١ - جواز الشبع، وما جاء في كراهة الشبع فمحمول على المداومة عليه، لأنه يقسي القلب وينسي أمر المحتاجين[٣].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٢، ٣٣٨.

(٢) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٨-٣١١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/٧/١٧٧-١٨٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: معاناة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ألم الجوع.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: القسم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الأنصار رضي الله عنهم وإكرامهم للنبي ﷺ.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: السؤال عن النعيم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[2]، فبالإخبار تكون الدعوة إلى الله تعالى وهي أكرم الأعمال، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد.

وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قول الراوي: (خرج رسول الله ﷺ ذات يوم... إلخ)، حيث أفاد الإخبار في هذا الحديث خروج النبي ﷺ وهو يعاني ألم الجوع؛ وصادف ذلك خروج أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقد خرجا لنفس السبب الذي خرج النبي ﷺ لأجله، وقد أفاد ذلك تلك الحالة المعيشية التي كان النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم يعيشونها.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: معاناة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ألم الجوع:

لقد كان نبي الإسلام ﷺ أعظم نبي وأفضل رسول، وكان الصحابة رضي الله عنهم أعظم جيل شهدته البشرية، فلم تشغلهم شهوة أو رغبة دنيوية عن نشر دينهم وتطبيق سنة نبيهم، وكأن لسان حالهم يقول:

دعوني أجدُّ السعي في طلب العلا ... فأدرك سؤلي أو أموت فأعذرا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وقد عانوا من الجوع وشدته، لأنه لم يكن لهم غاية أو مقصد، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟، قالا: الجوع يا رسول الله، قال: وأنا، والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما... إلخ)، قال القرطبي: (قوله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: "ما أخرجكما من بيوتكما؟" قالا: الجوع. قال: "وأنا أخرجني الذي أخرجكما" هذا يدل على شدة حالهم في أول أمرهم وسبب ذلك: أن أهل المدينة كانوا في شظف من العيش عندما قدم عليهم النبي ﷺ مع المهاجرين وكان المهاجرون فرُّوا بأنفسهم، وتركوا أموالهم، وديارهم، فقدموا فقراء على أهل شدة، وحاجة، مع أن الأنصار رضي الله عنهم واسوهم فيما كان عندهم، وشركوهم فيما كان لهم، ومنحوهم، وهادوهم، غير أن ذلك ما كان يسد خلاتهم، ولا يرفع فاقاتهم، مع إيثارهم الضراء على السراء، والفقر على الغنى. ولم يزل ذلك دأبهم إلى أن فتح الله عليهم وادي القرى، وخيبر، وغير ذلك؛ فردوا لهم منائحهم، واستغنوا بما فتح الله عليهم. ومع ذلك فلم يزل عيشهم شديدًا، وجهدهم جهيدًا حتى لقوا الله تعالى مؤثرين بما عندهم، صابرين على شدة عيشهم، معرضين عن الدنيا وزهرتها ولذاتها. مقبلين على الآخرة، ونعيمها، وكراماتها، فحماهم الله ما رغبوا عنه، وأوصلهم إلى ما رغبوا فيه. حشرنا الله في زمرتهم واستعملنا بسنتهم)[1].

وفي بيان معاناته ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لألم الجوع، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (رَأَى أَبُو طَلْحَةَ رَسُولَ اللّهِ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ. يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ. فَأَتَى أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ مُضْطَجِعًا فِي الْمَسْجِدِ. يَتَقَلَّبُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَأَظُنُّهُ جَائِعًا، وفي رواية: وَقَدْ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ فَهَلْ عندك مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ.. إلخ)[2]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً يملأ به بطنه)[3]، أما في معاناة أصحابه رضي الله عنهم فقال أبو هريرة رضي الله عنه: (لقد رأيتني وإني لأخرُّ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٣٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٤٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٧٨.

فيما بينَ مِنبر رَسول اللّه ﷺ إلى حُجرةِ عائشَةَ مَغشيًّا عليّ، فيجيء الجائي فيضَعُ رجلهُ عَلَى عنقي ويُرَى أني مجنون وما بي من جُنون، ما بي إلاّ الجوع)[1]، فقد كانت همة الجيل الأول همة عالية، لا ترمق إلا مجد الآخرة، فزهدوا في الدنيا تحقيرًا للذائذها فلم يشغلهم عن غايتهم جوع أو ضعف، فبلغوا غايتهم في إقامة دين ربهم وسنة نبيهم ﷺ فسادوا وملكوا.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: القسم:

إن القسم بإيجازه وقصره يلائم الطبع العربي الفصيح الذي تكفيه الإشارة وتقنعه اللمحة ويستنتج بالهمسة، وقد عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء. أو جمع لانتباه حول غاية[2]، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما)، مؤكدًا ﷺ على خروجه من أجل دفع ألم الجوع.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ:

إن من المعجزات التي أكرم الله تعالى بها نبيه ﷺ أصحابه رضي الله عنهم فقد كانوا أشد الناس حبًا وإيثارًا للنبي ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وهذا ما أشار إليه الحديث من فعل الأنصار في قول الراوي: (فأتى رجلاً من الأنصار.. إلخ).

قال القرطبي: (اسم هذا الرجل الأنصاري مالك بن التيهان، ويكنى أبا الهيثم، وفي هذه القصة يقول عبدالله بن رواحة يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان:

فَلَمْ أرَ كالإسلامِ عِزًا لأمّةٍ ... ولا مِثلَ أضيافِ الإراشيّ مَعْشَرَا
نبيّ وصِدِّيقٌ وفاروق أمّة ... وخير بني حوّاء فرِّعا وعُنْصُرا
فوافَوْا لِميقاتٍ وقَدْرِ قَضيةٍ ... وكان قضاء الله قَدْرا مُقَدَّرَا
إلى رجلٍ نَجْدٍ يُباري بِجودِهِ ... شُموسَ الضُّحَى جودًا ومجدًا ومَفخرا
وفارِسِ خلقِ الله في كل غارةٍ ... إذا لبس القومُ الحديدَ المُسَمَّرَا

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٢٤.

(٢) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

فَفَـدًّى وحَيّـا ثـم أَدْنَـى قِـراهُمُ فلَـمْ يَقْـرِهِمْ إلاَّ سَـمِينًا مُتَمَّـرَا [١]

وفي بيان فضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ، قال تعالى - مادحًا لهم، ومبينًا شرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة - : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم..، ثم قال تعالى: يحبون من هاجر إليهم، أي: من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم)[٣]، وفي ذلك قال ﷺ: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[٤]، قال ابن حجر: (فقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما ظلم أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله: "آووه ونصروه"، وقوله: "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم)[٥]، وفي ذلك بيان لفضل الأنصار وإكرامهم للنبي ﷺ.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: السؤال عن النعيم:

مما لا شك فيه أن كل امرئ موقوف بين يدي ربه ومسؤول عما قدم وآخر، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم"، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٦]، وقال: ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧]، وقال:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢/٤٥٨.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٧٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٧) سورة يونس، آية: ٢٣.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٢]، قال ابن كثير: (أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك، ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته)[٣]، وقال القرطبي نقلاً عن الماوردي: (إن هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وسؤال الكافر تقريع أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية...، وقال القشيري: إن الكل يسألون، ولكن سؤال الكافر توبيخ؛ لأنه قد ترك الشكر. وسؤال المؤمن سؤال تشريف؛ لأنه شكر. وهذا النعيم في كل نعمة)[٤]، فعلى المرء أن يلتزم الجادة ويقدم لنفسه ما ينفعه بين يدي ربه يوم سؤاله وذلك بشكره تعالى على نعمه وآلائه، والشكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادًا[٥].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ ، ٨.

(٢) سورة التكاثر، آية: ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٤/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٦٠/٢٢.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٧٩/٢ - ٥٨٠.

الحديث رقم (٤٩٧)

٤٩٧ - وعن خالد بن عُمَيْر العَدَوِيِّ، قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ (وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى البَصْرَةِ) [(١)]، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ [(٢)] جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا. رواه مسلم [(٣)].

ترجمة الراوي:

عتبة بن غَزْوان: وهو عتبة بن غَزْوان - بفتح المعجمة وسكون الزاي - بن جابر بن وهب المازني، حليف بني نوفل، وقيل بني عبد شمس، يكنى أبا عبدالله، وقيل أبو غزوان.

له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ (٤) أحاديث، وروى له مسلم وأصحاب السنن.

وكان رضي الله عنه من السابقين الأولين إلى الإسلام، حدث عن نفسه قائلاً ((ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا - أي صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته - فالتقطت بردة

---

(١) هذا من زيادة إسحاق بن عمر كما في الرواية التي بعدها.

(٢) لفظ مسلم: شفة.

(٣) برقم ٢٩٦٧/١٤ وزاد في آخره: (وإنها لم تكن نبوّة قط إلا تناسخت، حتّى يكونَ آخر عاقبتها ملكا، فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا). أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٦.

فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتّزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرًا على مِصرٍ من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيمًا عند الله...)) الحديث الذي نحن بصدده.

وكان ممن هاجر الهجرتين، فهاجر إلى الحبشة، ثم قدم على النبي ﷺ وهو بمكة، وأقام معه حتى هاجر إلى المدينة رفيقًا للمقداد، وكان عتبة وقتها ابن (٤٠) سنة، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي دجانة، وكان رضي الله عنه من الرماة المذكورين المعدودين من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وولاه عمر بن الخطاب في الفتوح، ومن بين هذه الفتوحات، البصرة، سيره عمر إلى أرضها وكانت تسمى الأُبلة أو أرض الهند، وكانت من فارس، واختط البصرة من جديد وكان هو أول من قصَّرها وعمّرها وأمر محجن بن الأدرع فاختط مسجد البصرة الأعظم، وبناه بالقصب، ولم يبن عتبة لنفسه فيها دارًا، أما عن صفاته الخَلْقيّة فكان رجلاً طوالاً جميلاً وعن وفاته، قالوا إنه لما اختط البصرة وولاه عمرُ عليها، خرج حاجًّا، وخَلَّف مجاشع بن مسعود، وأمره أن يسير إلى الفرات، وأَمَرَ المغيرة بن شعبة أن يُصلي بالناس، فلم ينصرف عتبة من سفره ذلك في حجته حتى مات، فأقر عمرُ المغيرة بن شعبة على البصرة، وكان عتبة قد استعفى عمرَ عن ولايتها فأبى أن يعفيه فقال: (اللهم لا تردني إليها)، فسقط عن راحلته، وقيل أصابه بطن، فمات، بموضع يُقال له مَعْدِنُ بني سليم، وقيل بمكان يسمى "الرَّبَذة" وقيل بالمدينة المنورة، سنة (١٤) أو (١٥) أو (١٧) وقيل سنة (٢٠)، مات وهو ابن سبع وخمسين سنة، وقدم غلامه "سُويد" بمتاعه وتركته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعًا[1].

---

(١) طبقات ابن سعد ٩٨/٣، ٩٩، ٥/٧-٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٦٥، ٥٦٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٥٨/٣-٥٦٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٢، ٨٨٣، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٠٤/١-٣٠٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٩٧/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٣/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠١/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣٠٩/٢، ١٣١٠.

غريب الألفاظ:

آذنت: آذنت أعلَمَتْ. بصرم: بانقطاعها وفنائها[١].

حذَّاء: سريعة[٢].

الصُبابةُ: البقية اليسيرة[٣].

يتصابُّها: يجمعها[٤].

شفير جهنم: أي حرفها[٥].

قعرًا: القعر من كل شيء أجوف: منتهى عمقه[٦].

مصراعين: مصراع الباب: أحد جزايه، وهما مصراعان أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار[٧].

الكظيظ: الكثير الممتلئ[٨].

قرحت: هو بفتح القاف وكسر الراء، أي صارت فيها قروح[٩].

الأشداقُ: جوانب الفم[١٠].

بردة: كساء مخطط يلتحف به أو كساء مربع أسود صغير[١١].

---

(١) رياض الصالحين ٢٣٥.

(٢) المرجع السابق ٢٣٥.

(٣) المرجع السابق ٢٣٥.

(٤) المرجع السابق ٢٣٥.

(٥) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ر).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ع ر).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ر ع).

(٨) رياض الصالحين ٢٣٥

(٩) المرجع السابق ٢٣٥.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش د ق).

(١١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٨٦.

فاتَّزرتُ: أي وضعته على النصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها وهو يسمى إزار ومئزر[١].

المِصرُ: أي: البلد[٢].

الشرح الأدبي

قوله (فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ وَوَلَّتْ حَذَّاءَ) كناية عن قرب نهاية الدنيا، واقتراب القيامة، وهو خبر أريد به لازم فائدته، وهو التحذير من الغرور بها، والتعبير بالإيذان توكيد للإعلام، والإخبار، والتعبير بالتولي يوحي بالإعراض لأن من لم يتركها تركته، والتعبير بالحذاء يشير إلى السرعة التي توجب الحذر من الغرور بها، والتشبيه في قوله (وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا) يشير إلى مقدار الدنيا الذي يصوره الفراغ الكبير مقابل الجزء القليل الممتليء في قعر الإناء الذي عبر عنه بالصبابة، وأكدها الجناس بين الصبابة، وبين يتصابها، والتي تؤكد القلة؛ لأنها آخر ما يستخدمه الشخص مما في الإناء الصبابة، وإضافة الصبابة إلى الإناء يشير إلى أنه محدود بحدود تنبيء بمدى الغرور الذي يجعل جهلاء البشر يتنافسون فيها مع ترك الآخرة، وقوله: (وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لاَ زَوَالَ لَهَا) وتوكيد الجملة بكل هذه المؤكدات تنزيل للمخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن العمل بمضمون المعنى، والتمسك بضده وهو حب الدنيا، والغرور بها، وقوله (فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ) أمر نصح، وإرشاد وتحذير منها وقوله (فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَاماً، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً، وَاللهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ ؟!) البداية بالتوكيد وتكثيفه في العبارة يحافظ على نبرة الكلام العالية في المعاني المقتحمة لجدار القلب الغافل، وعدم ذكر الفاعل في قوله (يلقى) يذهب بالنفس كل مذهب في تصور الفاعل، ولفظ (شفير) الذي يقف بالنفس على حافة الهول مع الإطلاع،

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ص ر).

والمكاشفة لجهنم، والتعبير بـ(يهوي) الماضي الذي يصور السقوط دون أن يحدد له مدى، أو يصل به إلى إحدى الجهتين، وذكر العدد يؤكد طول الفترة التي تدل على بعد القعر، وقوله (لا يدرك لها قعراً) يزيد المسافة بعداً، ويوحي بالضياع الأبدي لمن ألقي فيها لأنه هول يفوق حجم المعقول البشري، ولا يصل إليه وهم العبقري، وقوله (وَاللَّهِ لَتُمْلأَنَّ أَفَعَجِبْتُمْ ؟!) القسم يقذف الهيبة في القلوب، والاستفهام بمعنى النهي أي لا تتعجبوا، ثم قابل الترهيب بالترغيب جرياً مع أسلوب القرآن في شفع الترهيب بالترغيب حتى يأخذ النفس من قطبيها بين الرغبة، والرهبة، (وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَاماً) يقرب للأذهان مدى سعة الجنة، وقوله: (وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ) يقرر أن الله خلق للجنة أهلها، وللنار أهلها، والتعبير بكظيظ يصور بجرس الكلمة ووزنها بعض معناها، وهو الممتليء، ومن الجدير بالذكر أن الزحام في الأبواب دليل على كثرة الداخلين، أما في داخل الجنة فلكل واحد منهم ملكه الخاص، وأقلهم من له مثل ملك عشرة من ملوك الدنيا، وقوله (وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ) وما بعده يشير إلى تبدل الأحوال، وعدم ثباتها، ويشير إلى صبر الرسول، وصحابته على الشدة، وكذلك صبرهم في النعيم، لأن كلاهما يحتاج إلى ضبط النفس على حدود الشرع، والنظر فيه إلى ما يرضي الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النصح.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الاغترار بالدنيا وبيان حقيقتها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصبر على خشونة العيش التي عاشها الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الخطبة هي وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل[١]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: (خطبنا عتبة بن غزوان ... إلخ)، ومما لا شك فيه أن الخطابة من مستلزمات تبليغ الدعوة الإسلامية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي، وبيان ناصع وصوت داوٍ، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه[٢]، وللخطابة ثمرات كثيرة فهي التي تهدئ النفوس الثائرة، وهي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة، وهي التي ترفع الحق، وتخفض الباطل، وتقيم العدل، وترد المظالم، وهي صوت المظلومين، وهي لسان الهداية. ولأمر ما قال موسى عليه السلام عندما بعثه ربه تعالت حكمته إلى فرعون: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾[٣]، والخطابة هي الدعامة التي قامت عليها الثورات الكبيرة التي نقضت بنيان الظلم؛ وهدمت قصور الباطل..، والخطابة قوة تثير حمية الجيوش، وتدفعهم إلى لقاء الموت وتزيد قواهم المعنوية[٤]، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته لكثرة فائدته وعظيم جدواه.. ولعل أكبر ما يدلنا على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالخطابة أنها أول وسيلة أبرزها بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا[٥]، وتتنوع الخطبة حسب موضوعاتها، وحسب مناسبتها، وحسب المدعوين واختلاف ثقافتهم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النصح:

إن النصح من الأساليب الدعوية التي يبنى عليها لب الدين وجوهر الإيمان، فبالنصح يكون الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد[٦]، وهذا ما ورد في

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب" محمد خير رمضان يوسف، ص ١٠٦.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ٣٠.

(٣) سورة طه، الآيات: ٢٥ - ٢٨.

(٤) الخطابة "أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند الغرب"، محمد أبو زهرة، ص ٢١ - ٢٢.

(٥) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

(٦) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٩٦.

نص الحديث من نصح عتبة بن غزوان رضي الله عنه، وتحذيره من الدنيا وعدم الاغترار بها والاستعداد للآخرة بخير الأعمال وأفضل الأفعال.

وقد بيّن الحق تبارك وتعالى منزلة النصح وأهميته، وذلك في قسمه تعالى أن الإنسان في خسر وهلاك: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1]، وذلك في سورة العصر، وقد بيّن ابن كثير أن الله تعالى استثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، (وتواصوا بالحق) وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، (وتواصوا بالصبر)، على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي مما يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر[2]، وهذا ما أكد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في بيان عظم منزلة النصح كأسلوب من أساليب الدعوة في قوله: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ))[3]، "أي أن عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: (الحج عرفة) أي عماده ومعظمه عرفة"[4]، وفي ذلك بيان على أهمية وعظم أسلوب النصيحة في الدعوة إلى الله لما فيه من صلاح المجتمع والفرد معًا.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الاغترار بالدنيا وبيان حقيقتها:

مما لا شك فيه أن الدنيا فانية، وفانٍ كل ما فيها، وأن الآخرة باقية وباقٍ كل ما فيها، فمن آثر دنياه على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة، فالتحذير من الاغترار بالدنيا وذمها من أنفع الأمور وأجلّها، لما في ذلك من الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة، وقد ورد التحذير من الاغترار بالدنيا في الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء يتصابها صاحبها)، وقد شدد الحق تبارك وتعالى في التحذير من الاغترار بالدنيا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ

---

(١) سورة العصر، آية: ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مُوهنًا أمر الحياة الدنيا ومحقرًا لها: "إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد" أي: إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا، كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[٣]، ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائفة فقال: "كمثل غيب" وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس...، وقوله: "أعجب الكفار نباته"، أي: يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث؛ وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار، فإنهم أحرص شيء عليها وأميل الناس إليها، "ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا" أي: يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرًا بعد ما كان خضرًا نضرًا ثم يكون بعد ذلك كله حطامًا، أي: يصير يبسًا متحطمًا، هكذا الحياة الدنيا تكون أولاً شابة، ثم تكتهل ثم تكون عجوزًا شوهًا، والإنسان كذلك يكون في أول عمره وعنفوان شبابه غضًا طريًا لين الأعطاف، بهي المنظر، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه وينفد بعض قواه، ثم يكبر فيصير شيخًا كبيرًا ضعيف القوى، قليل الحركة، يعجزه الشيء اليسير...، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، حذر من أمرها ورغب فيما

---

(١) سورة فاطر، آية: ٥.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

فيها من الخير، فقال: وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور")[١].

فمن تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر[٢]، وفي ذلك قال الشاعر:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

وما الدنيا بباقية لحي ولا ... حي على الدنيا بباق

فالمؤمن الفطن اللبيب في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا يأنس بقربها، ولا يأسى لبعدها ولا يأمن من غيرها، للناس حال وله حال[٣]، وهذا ما يجب على الداعية أن يبينه ويوضحه للمدعوين لما في ذلك من الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة

إن من أهم ما يجب أن يتيقظ له المؤمن هو الاستعداد للآخرة، بجميل الأفعال وحسن الأقوال وهذا ما أشار إليه الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (... وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم)، وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٤]، وقال تعالى آمرًا عباده بالتزود من الأعمال الصالحة: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، "أي: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لا بدّ له من سفر في الدنيا، ولا بد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب؛ وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولا بد فيه من زاد أيضًا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٤.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ص ٥٧.

(٣) انظر: الزهد، للحسن البصري، ص ٤٥ - ٤٩.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

وهو تقوى الله، والعمل بطاعته، واتقاء المحظورات..! وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة... وفي هذا المعنى قال الأعشى:

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم تُرصد كما كان أرصدا..!

وثَمَّتْ وجه آخر: وهو أن قوله تعالى: (وتزودوا) أمر باتخاذ الزاد هو طعام السفر، وقوله: (فإن خير الزاد التقوى) إرشاد إلى زاد الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها بعد الأمر بالزاد للسفر في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1]، لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة، وذكر أنه خير من هذا وأنفع"[2].

وقال السعدي: (وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار)[3]، وقد حثّ النبي ﷺ على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: ((كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سَبيل)) ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيتَ فلا تنتَظِر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء. وخُذْ من صحتِكَ لمرضِك، ومن حَياتِك لموتك)[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترهيب والترغيب:

وهما أسلوبان ناجحان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٤/٣/٢ - ١٥٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

للعمل، ويحذرونها من التفريط في حق الله [١]، وقد ورد أسلوب الترهيب في الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عامًا، لا يدرك لها قعرًا...)، أما أسلوب الترغيب فقد ورد في الحديث من قول عتبة رضي الله عنه: (ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصارع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام).

سادسًا - من موضوعات الدعوة: بيان حال الصبر على خشونة العيش التي عاشها الصحابة رضي الله عنهم:

لقد كانت الدعوة إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، غاية جيل الإسلام الأول من الصحابة رضي الله عنهم، فلم يشغلهم عن ذلك طيب عيش أو ترف دنيا، وهذا ما ورد في الحديث من قول عتبة بن غزوان رضي الله عنه: (ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا.. إلخ)، حيث أخبر عتبة رضي الله عنه أنه قد بلغ به الجوع وشدة العيش هو وستة من الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى الغزوات إلى أكل أوراق الشجر حتى تقرحت أشداقهم [٢]. وفي بيان صبرهم رضي الله عنهم على ذلك قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: (بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ وَنَحْنُ ثَلاثُمَائَةٍ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا فَفَنِيَ زَادُنَا حَتَّى كَانَ يَكُونُ لِلرَّجُلِ مِنَّا كُلَّ يَوْمٍ تَمْرَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَأَيْنَ كَانَتْ تَقَعُ التَّمْرَةُ مِنَ الرَّجُلِ؟ فقالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَقَدْنَاهَا.... إلخ) [٣]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (...وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَغْزُو فِي العِصَابَةِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مَا نَأْكُلُ إِلاَّ وَرَقَ الشَّجَرِ وَالْحُبْلَةَ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ وَالبَعِيرُ..) [٤]، وغير ذلك الكثير من الأحاديث والآثار التي تدل على صبر الصحابة رضي الله عنهم على الجوع، وتحملهم لخشونة العيش وألم الحاجة.

---

(١) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ٩٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٨.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٤١٥٩، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجة ٣٣٥٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٦٥، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ١٩٢٨.

الحديث رقم (٤٩٨)

٤٩٨ - وعن أَبي [بردة عامر بن أبي][1] موسى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: أخْرَجَتْ لَنَا[2] عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإزارًا غَلِيظًا ، قالَتْ: قُبِضَ[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم في هَذَيْنِ. متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الكساء: اللباس، وجمعه: أكسية[5].

إزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها، ويسمى كذلك المئزر[6].

قبض: تُوُفِّي[7].

الشرح الأدبي

الحديث الذي يرويه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يكشف جانبا من زهد النبي صلى الله عليه وسلم وتقشفه، ورغبته فيما عند الله تعالى وقد روى الحديث في أسلوب خبري هادىء يناسب الجو النفسي للمعنى وقوله (أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها) يشير إلى القصد منها لكي تعطيهم القدوة في الزهد من فعل رسول صلى الله عليه وسلم وتعلمهم درسا ممن كانت الدنيا في يده

---

(١) الزيادة من الصحيحين.

(٢) عندهما بلفظ: (إلينا).

(٣) عند البخاري زيادة: (روح).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨١٨ واللفظ له، ومسلم ٢٠٨٠/٣٥.

(٥) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك س و).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

لم ينظر إليها، والآخرة في قلبه لم ينصرف عنها، وتقديم الجار، والمجرور (لنا) يقرر خصوصيتهم بالحدث دون غيرهم، وقولها (كساءً وَإزاراً غَلِيظاً، قالَتْ: قُبِضَ رسول الله ﷺ في هَذَيْنِ) يشير إلى حال ملبسه في نهاية حياة حافلة بالجهاد غيرت، وليوم القيامة وجهه الأرض وحالة الثياب، ونوع القماش يدلان على حال لابسهما في الزهد، وإغفال الدنيا بالتعلق الكلي بالآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

الإخبار من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وبيان سنة نبيه، وقد حث تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث بيان زهد النبي ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها؛ حيث أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن ذلك بأن عائشة رضي الله عنها أخرجت لهم كساءً وإزارًا غليظًا وقالت: "قبض رسول الله ﷺ في هذين".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الزهد في الدنيا:

(إن من مظاهر خلق علو الهمة الترفع عن محقرات الأمور وصغائرها، ونشدان معالي الأمور وكمالاتها فالتعلق بمحقرات الأمور من دناءة النفس وانحطاط همتها، ولا يفعله كبار القلوب والنفوس، لأن هؤلاء تكون نظراتهم آخذة في طريق صاعدة، ومتطلعة إلى آفاق المعالي)[2]، وليس هناك أعظم همة ولا أكبر غاية من همة وغاية رسول الله ﷺ فما وقف قلبه على شيء من الدنيا، وما كان زهده فيها عن إقلال،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ٤٧٧.

بل كان عن غنى زهدت فيه نفسه، وقد أشار نص الحديث إلى كمال زهده ﷺ في الدنيا، وذلك من قول الراوي "أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساءً وإزارًا غليظًا، قالت: "قبض رسول الله ﷺ في هذين".

فلم يكن ﷺ رغم كبر مكانته وكبر سنه مترفهًا يعيش عيش الناعمين، ويحفل بمظاهر الحياة، بل لقد أدركه الموت وهو يلبس ثيابًا غليظة ثخينة، لتبين إعراضه ﷺ عن الدنيا طول بقائه فيها حتى انتقل إلى الآخرة[1].

وقد بين ابن القيم (أن الزهد في الدنيا لا يستقيم إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر إلى الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها. وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد، وآخرُ ذلك الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف. فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها، وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها... فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولابُدّ، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرَّات، والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا. فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2] فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة.

فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضي الزهد فيه. فكل أحدٍ مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة، إلا إذا تبين له فضل الآجل على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل...، وهذا تقسيم حاضر ضروري، لا ينفك العبد من أحد القسمين منه. فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فسادٍ في الإيمان، وإما من فساد في العقل. وما أكثر ما يكون منهما. ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه وصرفوا عنها قلوبهم،

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٢٩.

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٧.

وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة. فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب.

فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل)[1].

(ولكن ليس معنى الزهد المطلوب ترك السعي في عمران الدنيا، وإعلاء بنيانها الحضاري، وترقية وسائلها، والانتفاع من خيراتها، بل الزهد الذي يتطلبه الإيمان باليوم الآخر إنما هو عدم تعليق همة القلوب والنفوس بمتع الحياة الدنيا وزخارفها وزينتها، وهذا الزهد المطلوب يستلزم تسخير ما يصل إليه يد الإنسان منها في طاعة الله التي تحقق له يوم القيامة الثواب العظيم)[2].

وليس أدل على ذلك من نبي الله يوسف عليه السلام. (فقد أخذ حظه من الملك، فدفع الله به شدة عن الناس، وكشف غممًا وكروبًا كثيرة، فكانت مصر في أشد أيام قحطها وجدبها، بمنجاة من خطر المجاعة المهلكة... أما هو فلم يفتنه المنصب ولم يعلق الترف بذرة من قلبه، وظلت بصيرته تهفو إلى ما عنده من مقامات الإحسان، فيناجي ربه قائلاً: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3])[4].

(فهذا هو الزهد الحقيقي الذي يتفق والدين، أما ترك الدنيا وقطع الأسباب كلها فهذا جهل بالعلم، فإن النبي ﷺ دخل الغار وشاور الطبيب، ولبس الدرع، وحفر

---

(١) الفوائد ١٤٠-١٤١.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ٤٧٨.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٤) تذكر الدعاة، البهي الخولي، ١٩٤.

الخندق، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي وكان كافرًا، وقال لسعد: ((لأَنَ تَدَعَ وَرَثَتكَ أَغْنِيَاءَ خيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عالةً يتكَفَّفُونَ النَّاسَ))[1] وقال: ((نِعْمَّا المالُ الصَّالحُ للرَّجُلِ الصالحِ))[2][3].

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٨، مسلم ١٦٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٧/٤ رقم ١٧٧٦٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٩٩/٢٩.

(٣) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ١٣٠.

الحديث رقم (٤٩٩)

٤٩٩ - وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: إنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ[1]، وَهذَا السَّمُرُ، حَتَّى إنْ كَانَ أحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خَلْطٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

الحُبلة والسَّمُرُ: نوعان معروفان من شجر البادية[3].

ليضعُ: كناية عن الذي يخرج منه في حال التغوط[4].

ما له خلط: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث بيان لما كان عليه الصحابة من الزهد فى الدنيا، والتقلل منها والصبر فى طاعة الله تعالى على المشاق الشديدة، وقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (إنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ) البداية بتوكيد الخبر استشعار من المتكلم بعظمة الخبر - وهو كذلك - وأسلوب التفضيل يشير إلى الاعتزاز بفضل الله عليه، و(ال) في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني، والفعل الماضي يدل على التحقق الذي يثبت نقطة التفوق، ويبين مدار الفضل، وقوله (وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسول الله ﷺ) يشير

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (الشجر)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١/١٩٣، رقم ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٢٨ واللفظ له، ومسلم ١٢/٢٩٦٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٤٥.

(٣) رياض الصالحين ٢٣٥، ٢٣٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٥.

(٥) المرجع السابق ٧/١٠٦.

إلى أنهم كانوا على هذه الحال في كل غزوة، أو في أكثر الغزوات، وضمير الجمع يشير إلى وحدتهم على الضراء والسراء، وقوله (مع رسول الله ﷺ) يعطي الحدث صفة الشرعية، لأنه فعل نبي، أو إقراره، وقوله (مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ) أسلوب قصر يقصر طعامهم على هذين النوعين من الشجر دون غيره، وأسلوب القصر ينفي المبالغة، ويؤكد المعنى وقوله: (حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خَلْطٌ) كناية عن ما يلاقيه أحدهم بسبب نوع الطعام غير الصالح بسبب الاضطرار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الغزو في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وشدته.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

هذا ما يظهر جليًا في نص الحديث من قول سعد رضي الله عنه "إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله" قال النووي: (فيه منقبة ظاهرة له)[1] وقال ابن حجر: (قوله: "إني لأول العرب رمى" كان ذلك في سرية عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان القتال فيها أول حرب وقعت بين المشركين والمسلمين، وهي أول سرية بعثها رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، بعث ناسًا من المسلمين إلى رابغ ليلقوا عيرًا لقريش فترامو بالسهام ولم يكن بينهم مسايقة فكان سعد أول من رمى، ذكر ذلك الزبير بن بكار بسند له وقال فيه عند سعد إنه أنشد يومئذ:

ألا هل أتى رسول الله: أني حميت صحابتي بصدور نبلي)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٦/٧.

(فهو صحابي جليل القدر كان من السابقين الأولين المهاجرين، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى)[١] قال فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد من غير سعد بن أبي وقاص)[٢] وهو من دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللَّهُمَّ اسْتَجِبْ لِسَعْدٍ إِذَا دَعَاكَ))[٣] وهو القائل رضي الله عنه: (ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت، ولقد مكثت سبعة ليالٍ. وإني لثلث الإسلام)[٤]. فهو صحابي جليل وكان فارسًا مغوارًا جاهد في سبيل الله ونصرة دينه حق جهاد فرضي الله عنه وأرضاه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان وذروة سنام الإسلام، به تمحص القلوب وتختبر النفوس، وقد علم الصحابة رضي الله عنهم شرفه وعلو منزلته، فبذلوا أرواحهم وأنفسهم قبل أموالهم، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول سعد رضي الله عنه: (ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ... إلخ)، وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في حرصهم على الجهاد في سبيل الله لنشر دعوته وإقامة دينه، فها هو ذا عمرو بن الجموح رضي الله عنه يقول يوم أحد: يا رسول الله، من قتل اليوم دخل الجنة؟ قال: (نعم) قال: فوالذي نفسي بيده، لا أرجع إلى أهلي حتى أدخل الجنة

فقال له عمر بن الخطاب: يا عمرو، لا تألَّ على الله، فقال رسول الله ﷺ: ((مَهْلا يا عُمَرُ، فإنَّ مِنهُم مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ: مِنْهمْ عَمْرُو بنُ الجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الجَنَّةِ بعَرْجَتِهِ))[٥] (وقد كانت رجله رضي الله عنه عرجاء حينئذ)[٦]، وها هو ذا حنظلة بن

---

(١) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك، ٢/٨٨٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٨٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٠).

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٢٦، ٣٧٢٧، ٣٨٥٨.

(٥) أخرجه ابن حبان ٧٠٢٤، وقال محققه: إسناده جيد.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٤.

أبي عامر رضي الله عنه يجاهد في أحد حتى قتل فيقول رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم ((صاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ المَلائِكَةُ، فَسَلُوا صاحِبَتَهُ، فقالتْ: خرجَ وهُو جنبٌ لَمّا سَمِعَ الهائعةَ، فقالَ رسولُ الله: فَذَاكَ قَدْ غسَّلَتْهُ المَلائِكَةُ))[1]. وغير ذلك الكثير ما يدل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الغزو والجهاد في سبيل الله لعظيم شرفه وعلو منزلته.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الغزو في سبيل الله:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول سعد رضي الله عنه "ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ" (وعلاقة الغزوة أو الجهاد في سبيل الله بالدعوة إلى الله جيدة وقوية جدًا، ذلك أن الجهاد إنما فرض لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى والدعوة هي كذلك، لأن هدفها نشر الإسلام وإبلاغ هذا الدين للناس أجمعين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بعدها يشرع القتال ضد المعاندين...، فالكثير من البشر لا ينقادون لأوامر الله سبحانه وتعالى إلا بالقوة، والقوة مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كما هو معلوم لدى دعاة الإسلام)[2].

(ولكن ينبغي التأكيد على أن دعوة الإسلام في الأساس تقوم على السلم والمسالمة، وتعتمد على المنطق والحجة: فلا يكره الإسلام أحدًا الدخول فيه، ولا يرضى إلا أن يوفر الأمن والسلام لمتبعيه ومخالفيه، وهو يطلب العدل حكمًا في أحوال الناس دون تأثر بحب أو بعض أو عداوة أو صلح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

وأن مشروعية القتال في الإسلام لرد الاعتداء ودفع الظلم لتتوافر للناس حرياتهم

---

(١) أخرجه ابن حبان ٧٠٢٥، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٢٤٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨.

وتسلم لهم مقدساتهم، فهو دفع لتأمين البيع والصلوات والمساجد، وتلك ليست أماكن للعبادة للمسلمين وحدهم.

وتأمين الناس ورفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة قوة أمن ذاتية تقوم مع الإسلام بشكل طبيعي عادلة معتدلة، لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[1] [2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وشدته:

إن المبادئ العظيمة والأهداف النبيلة لها رجالها الذين لا يشغلهم شيء آخر عن تحقيقها، مهما قابلوا في سبيل ذلك من متاعب ومشاق وعوائق وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في هذا المضمار، فانشغلوا بنصر دين الله وإقامة سنة نبيه، ففتح الله على أيديهم قلوب العباد وأبواب البلاد.

وهذا ما ورد في نص الحديث من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة، وهذا السمر حتى إن كان أحدُنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط".

وهذا ما أكد عليه أبو هريرة في بيان ما كان بهم من ضيق العيش وشدته فقال: ((كنت ألزَمُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لِشِبَع بطني، حينَ لا آكلُ الخَميرَ، ولا ألبَسُ الحرير، ولا يَخدُمُني فلانٌ ولا فلانة، وألْصقُ بطني بالحصباء، وأستقرىء الرَّجلَ الآية - وهي معي - كي يَنقلِبَ بي فيطعِمَني. وخيرُ الناسِ للمساكين جعفرُ بن أبي طالب: يَنقلِبُ بنَا فيطعِمُنا ما كان في بيتهِ، حتَّى إنْ كان ليُخرِجُ إلينا العُكةَ ليس فيها شيء، فَنَشتقُّها، فنَلعقُ ما فيها))[3] قال ابن حجر: في قوله "فنشتقها" أي: (أنهم لعقوا ما في العكة بعد

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

(٢) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي، ص ٥١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٣٢.

أن قطعوها ليتمكنوا من ذلك)[١].

وقد ترفع الصحابة رضي الله عنهم عن محقرات الأمور وصغائرها فلم يشغلهم طيب العيش ولذته، وهم أقدر الناس على ذلك، بل آثروا ما عند الله من أجر عظيم في جنات النعيم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٦٩.

الحديث رقم (٥٠٠)

٥٠٠ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالغَرِيبِ: مَعْنَى (قُوتًا) أيْ: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

آل: أهل[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة أشارت بطرق مختلفة فعلية، وقولية إلى زهد النبي ﷺ ورغبته التامة في الآخرة، وهذا الدعاء النبوي يعكس رغبة قوية في دفع العوائق الدنيوية يدل على ذلك تصدير الدعاء بهذه الصيغة ذات الخصوصية في التذلل، والخضوع لله تعالى - ثم التعبير بالجعل، وهو التصيير، والتحويل إلى تلك الحالة التي فيها سلامة القلب، وهو تعليم لأمته؛ لأن قلبه ﷺ ليس فيه سوى محبة الله تعالى - كثر ماله، أو قل، وقوله (قوتاً) أي يوماً بيوم حتى لا يشغلهم شيء عن الله، وهم أسوة الأمة، وقدوتها، وإنما خص الدعاء بآل محمد، ولم يقل أمة محمد حتى لا يضيق عليهم، ولا يحملهم ما لا يطيقون بل أراد أن يكون هذا الزهد نابعا من قلب أحدهم حبا، واختيارا، وهذا من رحمته، وذوقه العالي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٢٦/١٠٥٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٧٢٥.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي ٩٦٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا.

ثالثًا: من واجبات المدعو: سؤال الله تعالى واللجوء إليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان حال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ:

(إن القناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام بما تعزف نفس القانع عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله، وقد كانت معيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته معروفة بالقناعة في التاريخ، معروفة في السيرة النبوية تثير العجب وتسحر النفوس وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارًا عاليًا من نور، وكان شعارهم الدائم ((اللَّهمَّ لا عيشَ إلاّ عيشُ الآخِرة))[1])[2].

وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" قال القرطبي: (وقوله: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" أي: ما يقوتهم، ويكفيهم، بحيث لا يشوشهم الجهد، ولا ترهقهم الفاقة، ولا تذلهم المسألة والحاجة، ولا يكون أيضًا في ذلك فضول يُخرج إلى الترف والتبسط في الدنيا، والركون إليها، وهذا يدل على زهد النبي ﷺ في الدنيا وعلى تقلله منها)[3]. وقد بين ابن حجر نقلاً عن ابن بطال أن في الحديث: (دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الآخرة وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى)[4]، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ وَاخْلُفْ عَلَى كُلِّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ))[5]

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠٩٨، ومسلم ١٨٠٤.

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي، ٧٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/١٠٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٩.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٥٥ رقم ٣٤١١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال ﷺ ((لو كانَ لي مِثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ما يَسُرّني أن لا يَمُرّ عليّ ثلاثٌ وعندي منهُ شيءٌ، إلاّ شيءٌ أرصُدُهُ لِدَينٍ))[١].

وقد قنع النبي ﷺ واقتصر على ما سَنَحَ من العيش، ورضي بما تسهّل من المعاش، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم وحَشْوُهُ لِيف))[٢] وقالت: ((لقد تُوفّيَ النبيُّ ﷺ وما في رفّي من شيءٍ يأكله ذو كبد، إلاّ شَطرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي، فأكلت منه حتى طال عليَّ، فكِلْتُهُ فَفني))[٣] وعن قتادة رضي الله عنه قال: ((كنّا نأْتي أنسَ بن مالكٍ ﷺ وخبّازُهُ قائمٌ، وقال: كلوا، فما أعلمُ النبيَّ ﷺ رأى رغيفًا مُرققًا حتى لحقَ بالله، ولا رأى شاةً سَميطًا بعينِهِ قط))[٤]. وفي ذلك بيان لحال القناعة التي كان عليها رسول الله ﷺ.

ثانيًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا:

إن مما يستفاد من نص الحديث هو التأسي بالنبي ﷺ في القناعة والرضا فقد كان يقول ﷺ: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" قال ابن بطال: (فيه دليل على فضل الكفاف وأخذ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفر نعيم الحياة وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى فينبغي أن تقتدي به أمته في ذلك)[٥]، (والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، ومبعث التأسي والاقتداء بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٨٩، ومسلم ٩٩١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥١، ومسلم ٢٩٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٩/١١.

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1])[2] فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ ويتأسى به في كفافه وقناعته.

وقد بين النبي ﷺ أن ذلك طريق الفلاح فقال: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ))[3] قال النووي: (الكفاف الكفاية بلا زيادة ولا نقص وفيه فضيلة هذه الأوصاف)[4]، (ولا تنال القناعة إلا بمجاهدة النفس وبتوفيق من الله)[5] فعنه ﷺ أنه قال: ((مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّه اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ))[6] وقد كان حكيم بن حزام رضي الله عنه يمتنع عن أخذ الفيء رغم إلحاح عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه، وقد فسر ابن حجر ذلك فقال: (وإنما امتنع حكيم من أخذ العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه...)[7] فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ في القناعة والرضا وأن يجاهد نفسه ممتثلاً في ذلك قول الشافعي:

رَأَيْتُ القَنَاعَةَ رَأْسَ الغِنَى ... فَصِرْتُ بأَذيالِهَا مُمتَسِكْ
فَلا ذَا يَرانِي عَلَى بَابِهِ ... وَلاَ ذَا يَرَانِي بِهِ مُنْهَمِكْ
فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلا درهم ... أَمُرُّ على النَّاسِ شِبْهَ المَلِكْ)[8]

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) صفات الداعية، عبدالرب نواب الدين، ٥٨-٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦٣.

(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٣٦٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٤٦٩.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٨) ديوان الشافعي ٥١.

ثالثًا - من واجبات المدعو: سؤال الله تعالى واللجوء إليه:

(إن سؤال الله تعالى واللجوء إليه من أجل أنواع العبادة، إذ يلقي المرء فيه الهم على الرب لحسن الظن بالقرب)[١]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من سؤال النبي ﷺ ربه تعالى بقوله: "اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بسؤاله ودعائه فقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣] وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤].

وقد بين النبي ﷺ فضل سؤال الله تعالى واللجوء إليه فقال ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا فِي الآخِرَةِ، وإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا))[٥] فينبغي على المسلم أن يحرص على اللجوء إلى المولى عز وجل وسؤاله.

---

(١) انظر: نضرة النعيم ١٩٤٤/٥.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٥٥، ٥٦.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٠، (وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

الحديث رقم (٥٠١)

٥٠١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَومًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ[1]، فَمَرَّ بِي النبي صلى الله عليه وسلم، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: ((أَبَا هِرٍّ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((الْحَقْ)) وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: ((مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟)) قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ - أَو فُلانَةٌ - قَالَ: ((أَبَا هِرٍّ)) قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول اللهِ، قَالَ: ((الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي)).

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّة أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ[2] إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أَحَقُّ[3] أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ.

فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: ((يَا أَبَا هِرٍّ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((خُذْ فَأَعْطِهِمْ)) قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ،

---

(١) عند البخاري زيادة: (فمرَّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل. ثمَّ مرَّ بي عمرُ، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرَّ ولم يفعل)، وأظن أنها ساقطة من النسخ.

(٢) (كان) لا توجد عند البخاري.

(٣) عند البخاري زيادة: (أنا).

فَنَظَرَ إليَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: ((أَبَا هِرٍّ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: ((بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ)) قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله، قَالَ: ((اقْعُدْ فَاشْرَبْ)) فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ ((اشْرَبْ)) فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: ((اشْرَبْ)) حَتَّى قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا! قَالَ: ((فَأَرِنِي)) فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ الله تَعَالَى، وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لأعتمد بكبدي على الأرض: ألصق بطني بالأرض[2].

لبيك: أي إجابة بعد إجابة[3].

القدح: إناء يشرب فيه الماء ونحوه[4].

أهل الصفة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبان العصر النبوي بعد الهجرة يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[5].

يروى: يشبع[6].

لا أجد له مسلكًا: أي مكانًا يسلك فيه منِّي[7].

الفضلة: البقية[8].

---

(١) برقم ٦٤٥٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٩/١١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٥٤.

(٤) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٧٣٣، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢٦.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي في (ر و ى).

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٥٧.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٤/١١.

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه (إنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ) يشير إلى المدى الذي بلغه الجوع منهم حتى صار لهيبا يحرق أمعائهم ويشوي أكبادهم، وقوله (، فَمَرَّ بِي النبي ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي) تبسم الرسول ﷺ كناية عن رضاه، وهو من عادته عند لقاء أصحابه ﷺ وقول أبي هريرة (وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي) فيه إيجاز أي: عرف ما في وجهي من آثار الجوع، وما في نفسي من رغبة في الطعام (ثُمَّ قَالَ: (أَبَا هِرٍّ) وهذا النداء نداء رحمة، وتلطف، وإيناس وتأمل حركة أبي هريرة محمولا على أجنحة الجوع بعد أمر الرسول له (قَالَ: ((الْحَقْ)) وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَنَاً فِي قَدَحٍ) والفاء تحكي سرعة الأحداث التي تعكس الرغبة في إطفاء نار الجوع، وقول أبي هريرة (: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ؟) استفهام تقليل يبين المفارقة التي أوقعته في حيرة لكثرة أهل الصفة المدعوين، وقلة اللبن مما يحرمه من رشفة يروي بها لهيب الجوع وقوله: (فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ) يحكي تفاصيل المعجزة النبوية في شرب العدد الكبير من اللبن القليل، وقوله فيشرب يصور حال الشارب، وعين أبي هريرة معلقة بالإناء، ونفسه معلقة بما فيه يمني نفسه برشفة، والتعبير ب(حتى) يشير إلى غاية الشارب، وهي الري، والتعبير بـ(ثم) يشير إلى طول المدة حقيقة في فعل الشارب، أو في إحساس أبي هريرة الذي يمر عليه الوقت طويلا، وقول الرسول ﷺ له (اقْعُدْ فَاشْرَبْ) أمر تكريم طالما انتظره أبو هريرة، وتكرار الأمر توكيد لإعجازه ﷺ، وطي الحديث عبر، ودروس تستلزم الوقوف في محرابها طويلا.

فقه الحديث

ذكر ابن حجر لحديث أبي هريرة رضي الله عنه فوائد نذكر منها ما يلي:

١ - استحباب الشرب من قعود.

٢ - إذا دار خادم القوم عليهم بما يشربون يتناول الإناء من كل واحد فيدفعه هو إلى الذي يليه ولا يدع الرجل يناول رفيقه لما في ذلك من نوع امتهان الضيف.

٣ - جواز الشبع عند الجوع، ولو بلغ أقصى غايته.

وذلك لمن وقع له ذلك نادرًا، ولا سيما بعد شدة جوع واستبعاد حصول شيء بعده عن قرب، أما ما ورد من أحاديث تزجر عن الشبع كقوله ﷺ ((إِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ القِيَامَةِ))[1]، فيحمل على من يتخذ الشبع عادة، لما يترتب على ذلك من الكسل عن العبادة وغيرها.

٤ - سد الرجل خلة أخيه المؤمن إذا علم منه حاجة من غير أن يسأله ذلك.

٥ - كتمان الحاجة والتلويح بها أولى من إظهارها والتصريح بها.

٦ - أن المدعو إذا وصل إلى دار الداعي لا يدخل بغير استئذان.

٧ - جلوس كل أحد في المكان اللائق به.

٨ - دعاء الكبير خادمه بالكنية وترخيم الاسم.

٩ - استئذان الخادم على مخدومه إذا دخل منزله.

١٠ - سؤال الرجل عما يجده في منزله مما لا عهد له به ليرتب على ذلك مقتضاه.

١١ - قبول النبي ﷺ الهدية وتناوله منها وإيثاره ببعضها الفقراء، وامتناعه من تناول الصدقة ووضعه لها فيمن يستحقها.

١٢ - شرب الساقي آخرًا وشرب صاحب المنزل بعده.

١٣ - الحمد على النعم والتسمية عند الشرب.

١٤ - العمل بالفراسة[2].

ولا بأس أن نذكر هنا بإيجاز ما يتعلق باعتبار الفراسة وسيلة من وسائل الإثبات في القضاء أو عدم اعتبارها.

الفراسة في الاصطلاح: هي الاستدلال بالأمور الظاهرة على الأمور الخفية، وأيضًا هي ما يقع في القلب بغير نظر وحجة[3] وقد قسمها ابن الأثير إلى قسمين:

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٨، وابن ماجه ٣٣٥٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٧٠٥).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٨٨-٢٨٩، والفِراسة: المهارة في تعرف بواطن الأمور من ظواهرها، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (ف ر س).

(٣) قواعد الفقه للبركتي عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/٧٧.

الأول: ما دلّ عليه ظاهر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله عزَّ وجلَّ))[1] وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس.

الثاني: نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس[2].

وللمتفرس المؤمن الأخذ بفراسته في خاصة نفسه ما لم يؤدِ ذلك إلى محظور شرعي.

أما عما يتصل بحقوق العباد فقد اختلف الفقهاء في اعتبار الفراسة من وسائل الإثبات في القضاء أو عدم اعتبارها:

فذهب الطرابلسي من الحنفية وابن العربي وابن فرحون من المالكية إلى عدم جوازم الحكم بالفراسة، لأنه حكم بالظن والحزر والتخمين، ووصف الحاكم الذي يعتمد ذلك في أحكامه بالفسق والجُور. لأن الظن يخطئ ويصيب ولأن مدارك الأحكام معلومة شرعًا مدركة قطعًا، وليست الفراسة منها.

وذهب قاضي القضاة الشامي المالكي ببغداد إلى الأخذ بالفراسة والحكم بها، جريًا على طريقة إياس بن معاوية في قضائه، وذهب إلى هذا ابن القيم وقال: (ولم يزل حذاق الحكام والولاة يستخرجون الحقوق بالفراسة والأمارات، فإذا ظهرت لم يقدموا عليها شهادة تخالفها ولا إقرارًا)[3].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣١٢٧، وقال حديث غريب. كما ضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٠٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في "ف ر س".

(٣) الطرق الحكمية ٢٤، تحقيق محمد حامد الفقي، وانظر: معين الحكام ص ٢٠٦، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المالكي ١٠٣/٢، وأحكام القرآن، ابن العربي ١١٣١/٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٦/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٧/٣٢-٧٩.

المضامين الدعوية[1]

أولاً : من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا: من صفات الداعية: الفطنة والفراسة.

رابعًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة.

سادسًا: من واجبات المدعو: الاستجابة والطاعة لله ولرسوله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستئذان قبل الدخول.

ثامنًا: من أساليب الدعوة : الأمر.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ تكثير اللبن.

عاشرًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

القسم من الأساليب الدعوية التي يراد بها تأكيد وتحقيق المقسم عليه، وهذا ما ورد في الحديث من قسم أبي هريرة رضي الله عنه وتأكيده على ما كان به من شدة الجوع وذلك في قوله: "والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع" (والقسم كأسلوب دعوي قد عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية. وقد أحس العرب الجاهليون بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم:

(إن التجافي عن الترف والنعيم من أعظم أسباب بلوغ المجد وعلو الهمة كما قيل:

فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكبَّ على اللذات عضَّ على اليد

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٠٢).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ٣٢٩.

ولهذا جرت العادة على أن من ينغمس في النعيم، ويغرق في الترف، تخور عزائمه وتقل همته، فيكون أشد كراهية للحروب، وأقلهم نبوغًا في العلم، وأبعدهم عن معاناة المشاق، وتحمل الصعاب)[1]، ولقد كان لنا في سلفنا الصالح أفضل القدوة وأمثل الأسوة، فلم يصرفوا همهم إلى طيب العيش ولذته وقد كانوا أقدر الناس على ذلك، بل ترفعوا عن محقرات الأمور وصغائرها، وآثروا غايات قد ارتبطت بالسماء، فأقاموا الدعوة إلى الله حق إقامة، ولم يشغلهم عن ذلك ضيق العيش وشدته.

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من ضيق العيش وذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع...." وأيضًا في قوله رضي الله عنه: "لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ... وما بي إلا الجوع" وفي بيان شدة معيشة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال عتبه بن غزوان رضي الله عنه: "لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام نأكله إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا"[2].

وقال جابر بن عبدالله: "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ثلاث مئة نحمل أزوادنا على رقابنا ففنى أزوادنا حتى يكون للرجل منا تمرة، فقيل: "يا أبا عبدالله وأين تقع التمرة من الرجل؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فقدناها... الخ"[3]، وفي ذلك بيان على شدة عيش الصحابة رضي الله عنهم وعدم اهتمامهم بمحقرات الأمور وسفسافها من أجل السعي في نشر الدعوة إلى الله.

ثالثًا - من صفات الداعية: الفطنة والفراسة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي..." ومما لا شك فيه أن من أهم صفات الداعية التي يجب أن يتصف بها "أن يكون له من الفطنة والفراسة ما يتوسم بهما حال

---

(١) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ١٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤١٥٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٥٥).

السامعين ليعرف مبلغ طاقتهم وقدر استحقاقهم وإقبالهم على الانتفاع ليعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون ويوجز إذا خشى الانصراف أو رأى عليهم مللاً وسآمة. ومن الحكم المأثورة، من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مئونة الاستماع منك": وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه. "إذا أنا لم أعلم ما لم أرى فلا علمت ما رأيت"[١].

رابعًا - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

(إن من مهام الداعية الناجح أن يتعرف على أحوال الناس وأوضاعهم، ولا تغيب عنه كثيرًا من أمورهم الفكرية والاجتماعية والنفسية...، ومن جوانب المعرفة الضرورية والمفيدة معرفة أوضاع المدعو الاقتصادية، فإن كان فقيرًا معوزًا كانت مساعدته من أهم القضايا التي تهم الداعية)[٢]، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "فمر بي النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، ثم قال: "أبا هرّ" قلت: لبيك يا رسول الله... إلخ".

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على تفقد أحوال أصحابه رضي الله عنهم رحمة وشفقة بهم، وليس أدل على ذلك من قول أنس رضي الله عنه ((إنَّ النَبيَّ صلى الله عليه وسلم افْتَقَدَ ثابتَ بن قَيْس، فقال رجُلٌ يا رَسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوَجَده جالسًا في بيتِهِ مُنكِّسًا رأسَه، فقال له: ما شأنُكَ؟ فقال شرٌّ. كانَ يَرْفع صَوْته فوقَ صوتِ النّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقد حَبطَ عَمَله وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرَه أنَّه قال كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليْه المرَّةَ الآخِرَة ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: إنَّك لَسْتَ من أهل النَّار، ولكنَّك من أهلِ الجنَّة))[٣].

قال النووي: (وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم أن يتفقد أصحابه ويسأل عمن غاب منهم)[٤].

---

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، على محفوظ، ١٢١.

(٢) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد ص ١٦٤-١٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦١٣، ومسلم ١١٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٩.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة:

(قد كان أهل الصفة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله ﷺ اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها)[1]، وقد كان النبي ﷺ يواسيهم بالقليل والكثير، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي" قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها"، وفي تأكيد مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة قال حرب بن أبي الأسود: ((حدّثني طلحة البصري قال: كان الرجل منا إذا قدم المدينة فكان له بها عريف نزل على عريفه وإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة، فقدمت فنزلت الصفة، فكان يجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدٌّ من تمر بين اثنين ويكسونا "الخنف"[2]، فصلّى بنا رسول الله ﷺ بعض صلاة النهار، فلما سلّم ناداه أهل الصفة يمينًا وشمالاً: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر وتخرقت عنا الخنف فمال رسول الله ﷺ إلى منبره فصعده فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر الشدة ما لقي من قومه حتى قال: وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ وَعلَى صاحِبِي بِضْعَ عَشْرَةَ وَما لي وَلَهُ طَعامٌ إلا الْبرير، قال: قلت لأبي حرب: وأيّ شيء البرير؟ قال: طعام رسول الله ﷺ ثمر الأراك، فَقَدِمْنا عَلى إِخْوانِنا هؤُلاءِ مِنَ الأَنْصارِ وَعظمُ طعامِهِم التَّمْرُ فَواسونا فِيهِ وَاللهِ لَوْ أَجِدُ لَكُمْ الْخُبْزَ وَاللّحْمَ لأَشْبَعْتُكُمْ مِنْهُ وَلكِنْ عَسى أَنْ تُدْرِكوا زَمانًا حَتّى يُغْدى عَلَى أَحَدِكُمْ بجَفْنَةٍ وَيُراحُ عَلَيْهِ بِأُخْرَى))[3]. وفي ذلك بيان عظيم على مواساة النبي ﷺ لأهل الصفة.

---

(١) قاله الحاكم في المستدرك، ٥٥٣/٣.

(٢) وهو نوع غليظ من أردأ الكتّان، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٢٨٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٨٧/٣ رقم ١٥٩٨٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٦٤/٢٥، كما أخرجه الحاكم، المستدرك ٤٣٤٧، وقال حديث صحيح الإسناد.

سادسًا - من واجبات المدعو: الاستجابة والطاعة لله ولرسوله:

إن طاعة الله ورسوله من صفات المؤمنين اللازمة لهم والواجبة عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1]

وقد أشار الحديث إلى أهمية ووجوب طاعة الله ورسوله من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بُدٌّ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[2].

ثم بين عز وجل عظم فضل الاستجابة والطاعة في ذلك فقال: ﴿لِّلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3]، أي انقادت قلوبهم للعلم والإيمان، وجوارحهم للأمر والنهى وصاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم، فلهم "الحسنى" أي: الحالة الحسنة، والثواب الحسن، فلهم من الصفات أجلها ومن المناقب أفضلها ومن الثواب العاجل والآجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[4].

سابعًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الاستئذان قبل الدخول:

(والاستئذان هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[5]، وهذا ما أشار إليه الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه "فأقبلوا واستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٣٠

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١١.

بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾[١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ﴾[٢] وقال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾[٣].

قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدَّب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثًا، فإن أُذن وإلا انصرف)[٤]، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الإِسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ. فَإِنَّ أُذِنَ لَكَ. وَإِلاَّ فَارْجِعْ))[٥] وقد بين الشنقيطي ذلك فقال: (اعلم أن المستأذن إن تحقق أن أهل البيت سمعوه لزمه الانصراف بعد الثالثة؛ لأنهم لما سمعوه، ولم يأذنوا له دل ذلك على عدم الإذن، وقد بينت السنة الصحيحة عدم الزيادة على الثلاث خلافًا لمن قال من أهل العلم: إن له أن يزيد على الثلاث مطلقًا، وكذلك إذا لم يدر هل سمعوه أو لا؛ فإنه يلزمه الانصراف بعد الثالثة ثم قال: والذي يظهر لنا رجحانه من الأدلة، أنه إن علم أن أهل البيت لم يسمعوا استئذانه لا يزيد على الثالثة بل ينصرف بعدها لعموم الأدلة، وعدم تقييد شيء منها بكونهم لم يسمعوا خلافًا لمن قال: له الزيادة، ومن فصّل في ذلك، قال: والصواب - إن شاء الله تعالى - هو ما قدمنا من عدم الزيادة على الثلاث؛ لأنه ظاهر النصوص ولا يجوز العدول عن ظاهر النص إلا بدليل يجب الرجوع إليه)[٦].

وللاستئذان آداب منها: (أن يقف المستأذن عن يمين أو شمال الباب حتى لا يقع بصره على موضع لا يحل له النظر إليه، أو على شيء يكره رب الدار لأحد رؤيته)[٧]،

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) سورة النور، آية: ٥٨.

(٣) سورة النور، آية: ٥٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٦) أضواء البيان ١٧٥/٦-١٧٥.

(٧) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ٦٣.

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فعن عبدالله بن بُسر رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ ((أن النبي ﷺ كان إذا أتى بابًا يريد أن يستأذن لم يستقبله جاء يمينًا وشمالاً فإن أُذن له وإلا انصرف))[١]، ومن آداب الاستئذان عدم نظر الرجل في بيت غيره إلا بإذنه، فالاستئذان لم يشرع إلا من أجل البصر، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال: ((لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن فإن فعل فقد دخل))[٢].

ومن آداب الاستئذان أن يوضح ويبين المستأذن اسمه أو كنيته ولا يقل أنا، فعن جابر رضي الله عنه قال: ((أتيتُ النبيَّ ﷺ في دَين كان على أبي، فدقَقْت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا أنا. فقال: أنا أنا. كأنه كرِهَها))[٣]، وفي ذلك بيان على أهمية الاستئذان قبل الدخول ومراعاة آدابه.

ثامنًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من أمره ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه بإعطاء قدح اللبن لأهل الصفة وذلك في قوله ﷺ "خذ فأعطهم" قال: فأخذت القدح، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى"، والأمر من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو وإرشاده إلى فعل الأمر والمدعو إليه.

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ تكثير اللبن:

(قد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم. فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[٤])[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٧٨)، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٩٣)، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٣١).

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٥٠، ٢١٥٥.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١/٥٢٠.

وهذا ما أكد عليه الحديث من تكثير اللبن ببركته ﷺ حتى أن أهل الصفة شربوا منه جميعًا وذلك من قوله ﷺ: "خذ فأعطهم" قال أبو هريرة رضي الله عنه: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روى القوم كلهم..."، قال ابن حجر: (وفيه معجزة عظيمة، ... من تكثير الطعام والشراب ببركته ﷺ)[1]، وفي ذلك بيان على نبوته ﷺ.

عاشرًا: من صفات الداعية: التواضع:

حيث لم يُؤثر النبي ﷺ نفسه على أهل الصفة بل كان ﷺ آخر من شرب، "والتواضع بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف والعجب منفر وهو بكل أحد قبيح وبالمرشدين أقبح؛ لأن الناس بهم يقتدون وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل"[2]، وفي ذلك قال ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٢٩٤.

(٢) مستلزمات الدعوة، على بن صالح المرشد ، ٢١٥-٢١٦

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

الحديث رقم (٥٠٢)

٥٠٢ - وعن محمد بن سيرين، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلاَّ الْجُوعُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لأخرُّ: لأسقط[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه عن أحداث، وأحوال شخصية وقعت معه تعكس شدة الحال، وضيق المعيشة، وقلة الرزق، وقد بدأ بأسلوب خبري مؤكد، والتعبير بالرؤية ونسبة الفعل لنفسه (رأيتني) بضميري المتكلم، وهو من خصائص أفعال القلوب أي لقد رأيت نفسي ليعطي المخاطبين تصورا عن الحدث يقرب لهم الصورة، والتعبير بالفعل (أخرّ) يوحي بسقوط مع سرعة مؤذنة بفقدان السيطرة على النفس، وذكر ظرف الحدث المكاني (بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها) يشير إلى أنه لم يبرح مكانه في المسجد ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم رغم شدة جوعه، وذكر المنبر يشير إلى سبب لزوم المسجد، وهو الانشغال بنقل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن الثابت أن أبا هريرة رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن رسول صلى الله عليه وسلم، والتعبير بالغشي يشير إلى شدة وطأة الجوع التي أفقدته الحس مما يدل على أنه استمر أياما حتى بلغ به ما بلغ،

---

(١) برقم ٧٣٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ر).

وقوله (فَيَجِيءُ الجَائِي) جناس يؤكد المعنى، ويقرره، وقوله (فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي) كناية عن شدة الضعف التي أعجزته عن الدفع عن رقبته العضو الأقرب إليه، وقوله: (مجنون، وجنون) جناس يقرر شدة الالتباس على الناظر من شدة تأثير الجوع فيه، وحالة الضعف التي أحاطت به، وهو ما يعكس شدة ما لاقى الجيل الطاهر في سبيل أداء الأمانة، وتبليغ الأمة شرع الله، وسنة نبيه التي ضيعها كثير من الناس في هذا الزمان - ولا حول، ولا قوة إلا بالله - .

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٠٣)

٥٠٣ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوُفِّي رسول الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِي فِي ثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِير. متفق عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الدرع: هو ما يلبسه المحارب من قميص. والجمع: دروع وأدراع[(٢)].

صاعًا: وحدة من وحدات المكاييل[(٣)].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل أعظم الدلائل على أعلى أمثلة الزهد في الدنيا، والانشغال بالآخرة، وهو موت أعظم خلق الله، وأكرمهم عليه، وأحبهم عنده، ودرعه - أخص خصوصياته مرهونة عند يهودي - ولا ننسى أن الدرع عدة جهاد، وليس لمتاع الدنيا، ومرهونة في طعام، وأي طعام؟! طعام من شعير أي أنه لم يملك من الطعام ما يكفيه، وأهله، ولعله أطمع به الفقراء، والمساكين فقد كان يصبر، وأهله الأيام دون طعام، ولكن المحتاجين من المساكين، وأبناء السبيل لا يردهم بل يستدين، ويطعمهم فهو بابهم المقصود، وأملهم المنشود، والظرف عند، وإضافته لليهودي يشير إلى شدة الحال عند جميع من حوله من المسلمين؛ لأنهم جميعاً على قلب رجل واحد في البذل، والإنفاق، والانشغال بالآخرة، كما أن كون اليهودي هو المقرض للطعام يشير إلى النزعة المادية عند اليهود، والتركيز على السيطرة على ضروريات الناس للتحكم بهم إذا دعت الحاجة، كما تشير تلك

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩١٦ واللفظ له، ومسلم ١٦٠٣/١٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٢١.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٥.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٤١، ٤١٩.

الواقعة إلى سوء طبع اليهود الذين يحيون بالغدر حيث أن اليهودي لم يقرض الرسول ﷺ، وهو يعلم أمانته - وإن أنكر نبوته - إلا بعد أن أخذ رهنا، وهذه الواقعة تهيب بالأمة اليقظة لهم، والعمل على إبطال كيدهم، وقد عاش الرسول ﷺ ولم يمكنهم من تنفيذ مخطط مكر من مخططاتهم التي لا يكفون عنها.

فقه الحديث

في هذين الحديثين[1] من الأحكام الفقهية ما يلي:

١ - معاملة أهل الذمة وغيرهم من الكفار: قال النووي: (فيه [أي في حديث عائشة رضي الله عنها] جواز معاملة أهل الذمة ... وقد أجمع المسلمون على جواز معاملة أهل الذمة وغيرهم من الكفار إذا لم يتحقق تحريم ما معه لكن لا يجوز للمسلم أن يبيع أهل الحرب سلاحًا وآلة حرب ولا يستعينون به في إقامة دينهم ولا بيع مصحف ولا العبد المسلم لكافر مطلقًا)[2]. وقال ابن حجر: (وفيه [أي في حديث أنس رضي الله عنه] جواز بيع السلاح ورهنه وإجارته وغير ذلك من الكافر ما لم يكن حربيًا)[3].

٢ - ثبوت أملاك أهل الذمة في أيديهم: قال النووي: (فيه الحكم بثبوت إملاكهم على ما في أيديهم)[4].

٣ - معاملة من أكثر ماله حرام: قال ابن حجر: (واستنبط منه جواز معاملة من أكثر ماله حرام)[5] وقد ذكر السيوطي أن معاملة من أكثر ماله حرام إذا لم يعرف عينه لم يحرم ولكن تكره[6].

---

(١) أي في الحديثين رقمي ٥٠٣، ٥٠٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٣٣-٣٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٣٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/١٤١.

(٦) الأشباه والنظائر ١٠٥.

وقال ابن قدامة: (وإذا اشترى ممن في ماله حرام وحلال كالسلطان الظالم والمرابي، فإن علم أن المبيع من حلال ماله فهو حلال، وإن علم أنه حرام فهو حرام، ولا يقبل قول المشترى عليه في الحكم، لأن الظاهر أن ما في يد الإنسان ملكه، فإن لم يعلم من أيهما هو كَرِهْناه؛ لاحتمال التحريم فيه ولم يبطل البيع لإمكان الحلال، قلّ الحرام أو كثر)[١].

٤ - قول المرتهن في قيمة المرهون: قال ابن حجر: (فيه أن القول قول المرتهن في قيمة المرهون مع يمينه حكاه ابن التين)[٢].

٥ - حكم الرهن ورهن آلة الحرب والرهن في السفر:

قال النووي: (فيه جواز الرهن، وجواز رهن آلة الحرب عند أهل الذمة، وجواز الرهن في الحضر وبه قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا مجاهدًا وداود [الظاهري] فقالا: لا يجوز إلا في السفر؛ تعلقًا بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾[٣] واحتج الجمهور بهذا الحديث، وهو مقدم على دليل خطاب الآية)[٤]. وقال ابن حجر: (إن التقييد بالسفر في الآية خرج للغالب فلا مفهوم له لدلالة الحديث على مشروعيته في الحضر وهو قول الجمهور، واحتجوا له من حيث المعنى بأن الرهن شرع توثقة على الدين لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ فإنه يشير إلى أن المراد بالرهن الاستيثاق، وإنما قيده بالسفر لأنه مظنة فقد الكاتب فأخرجه مخرج الغالب)[٥].

---

(١) المغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٢/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤١/٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٤/١١/٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠/٥، و انظر: الجوهرة النيرة ٣٦٦/٢، وبداية المجتهد ٢٢٢/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٧/١٣، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٤٤/٦، والمحلى، ابن حزم ٧٨/٨.

٦ - الشراء بالثمن المؤجل: قال ابن حجر: (فيه جواز الشراء بالثمن المؤجل)[١] قال القرطبي: (لا خلاف بين العلماء أن من باع معلومًا من السلع بثمن معلوم إلى أجل معلوم من شهور العرب أو إلى أيام معروفة العدد، أن البيع جائز، وكذلك قالوا في السلم إلى الأجل المعلوم)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً : من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: أهمية الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله.

رابعًا: من واجبات الدعاة: الاقتداء بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة..."، ومن قول أنس رضي الله عنه "رهن النبي ﷺ درعه بشعير..."، ومن قول عائشة رضي الله عنها "كان فراش رسول الله ﷺ من أُدم..."، حيث أفاد الإخبار في هذه الأحاديث زهده ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها، وقول أبي هريرة رضي الله عنه: "لقد رأيت سبعين من أهل الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء..." والإخبار من الأساليب الدعوية التي يكون بها تبليغ الدعوة إلى الله، وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤١/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٣٢/٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٣- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦).

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الزهد في الدنيا والتعلق بالآخرة:

(إن من تدبّر حقائق الأمور وجد الحياة الدنيا وما فيها من زينة ومتاع أمورًا صغيرة قليلة القيمة، لا تستحق الحرص عليها، وإيثارها على ما عند الله من أجر عظيم في جنات النعيم. فإذا دعاه الواجب الرباني إلى بذلها أو الزهد فيها بذلها في سبيل الله وزهد بها...، فإن أعظم ما في الحياة الدنيا من نعيم لا يعادل قطراتٍ من بحر نعيم الدار الآخرة، وأن أعظم ما في الدنيا من مصائب وشدائد يهون أمام نعيم دار الآخرة، ولا يُعادل مقدار شرارة صغيرة من عذاب جهنم...، فمن عرف هذه الحقائق وآمن بها فلابدّ أن يزهد بعرض الحياة الدنيا ويقطع علائق قلبه منه، ترفعًا إلى ما هو أجل وأعظم، وأكرم وأبقى)[1].

وهذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث في بيان زهد النبي ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾[2]، (وقد توعَّد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا، واطمأن بها وغفل عن آياته، ولم يَرْجُ لقاءه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3] وعَيَّر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[4] وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها، يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة ويكفي للزهد في الدنيا قوله

---

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٦.

(٣) سورة يونس، آية: ٧-٨.

(٤) سورة التوبة، آية: ٣٨.

تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾[1])[2].

ولكن ليس معنى الزهد المطلوب ترك السعي في عمران الدنيا (فقد فهم بعض الناس الزهد فهمًا خاطئًا، إذ يرون أن الإسلام يحب الفقر للمسلمين ويدعوهم إلى تفضيله وإيثاره، فيجعلهم هذا التصور الخاطئ يبطّئون همتهم عن العمل والإنتاج وعمران الدنيا، ويرغبون في اللجوء إلى الزّوايا والتكايا والصوامع بزعم التفرغ للعبادة وإيثار عمل الآخرة ويصابون بعد ذلك بداء الكسل والإخلاد إلى الراحة...، وسبب خطئهم أنهم لم ينظروا إلى جملة النصوص الإسلامية التي يكمّل بعضها بعضًا، لقد تعلقوا بنصوص التزهيد في الدنيا وأساؤوا فهمها، ولم ينظروا إلى نصوص الحث على العمل والكسب وعمران الدنيا والأخذ بأسباب القوة، ونصوص الحث - بعد ذلك - على البذل في سبيل الله بعد الكسب الحلال زهدًا في الدنيا وابتغاءً لرضوان الله... فدعوة الإسلام إلى الزهد في الدنيا ليست دعوة إلى ترك العمل والإنتاج والاستثمار، وليست ترغيبًا في الفقر والضعف والمسكنة، بل هي تربية أخلاقية تدفع المسلم إلى فضائل البذل والعطاء، والبعد عن رذائل البخل والشح، ومسببات قسوة القلب...، فهي دعوة إلى أن يصرف المؤمن قلبه عن التعلق بالأشياء الدنيوية... كي يتوجه شطر الآخرة ومحبة الله وابتغاء مرضاته)[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمْسَى" وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: "كان فراش رسول الله ﷺ من آدم حشوه ليف. وفي بيان شدة وخشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وآله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كَانَ رَسُولُ

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٧.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ١٤٣.

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة، ٤٨٢-٤٨٥.

اللهِ ﷺ، يبيتُ اللَّيالِيَ المُتَتابِعَةَ طَاوِيًا وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ»[١].

وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ. إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ[٢].

قال المباركفوري نقلاً عن الطبري: (إنه استشكل بعض الناس كون النبي ﷺ وأصحابه كانوا يطوون الأيام جوعًا مع ما ثبت أنه كان يرفع لأهله قوت سنة، وأنه قسم بين أربعة أنفس ألف بعير مما أفاء الله عليه، وأنه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها وأطعمها المساكين، وأنه أمر للأعرابي بقطيع من الغنم، وغير ذلك مع من كان معه من أصحاب الأموال كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم، مع بذلهم أنفسهم وأموالهم بين يديه. وقد أمر بالصدقة فجاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بنصف ماله، وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم عثمان بألف بعير إلى غير ذلك.

والجواب: أن ذلك كان منهم في حالة دون حالة، لا لعوز وضيق، بل تارة الإيثار وتارة لكراهة الشبع ولكثرة الأكل)[٣].

رابعًا - من واجبات الدعاة: الاقتداء بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وفي بيان زهده ﷺ قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((أخذ رسولُ اللّه ﷺ بمنكبي فقال: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ))[٤]، وكان ﷺ يقول: ((لَوْ كَانَ عِنْدِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي أَنْ لاَ تَمُر

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٣).

(٢) أخرجه البخاري٢٥٦٧، ومسلم ٢٩٧٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ١٨٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

عَلَي ثَلاَثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاَّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ))[١]. فعلى الدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإعراضه عنها (فلا يطيلوا فيها الأمل ولا يتخذوها وطنًا ومسكنًا، فيطمئنوا فيها، ولكن ينبغي أن يكونوا فيها كأنهم على جناح سفر: يهيئُ المؤمن فيها جهازه للرحيل ...، ومن كان في الدنيا كذلك فلا همَّ له إلا في التزود بما ينفعه عند عودته إلى وطنه، فلا ينافس أهل البلد الذي هو غريب بينهم في عزِّهم...، قال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن)[٢].

(وهذا ما دعا إليه الإسلام، فقد دعا إلى العمل في الدنيا مع عدم التعلق بها، لأنها متاع قليل، ولأن الهدف الأسمى للإنسان أن يحيا الحياة الحقيقية في الآخرة، وأن يزهد في الدنيا، وأن يعيش فيها كأنه غريب عنها، أو عابر سبيل ليترفع عن أدرانه المادية، ويسمو إلى المثل العليا، والصلة الروحية مع رب العالمين)[٣].

وفي ذلك قال ابن عثيمين: (إن الإنسان لا ينبغي أن تتعلق نفسه بالدنيا، وأن تكون بيده لا بقلبه، حتى يُقبل بقلبه على الله ﷻ؛ فإن هذا هو كمال الزهد، وليس المعنى أنك لا تأخذ شيئًا من الدنيا، بل خذ من الدنيا ما يحل لك، ولا تنس نصيبك فيها، ولكن اجعلها في يدك ولا تجعلها في قلبك)[٤]. فحري بالدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في زهده في الدنيا وإقباله على الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٥، ومسلم، ٩٩١

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧٧-٣٧٨.

(٣) العز بن عبدالسلام، د. محمد الزحيلي ص ٣١٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٧٩٦

الحديث رقم (٥٠٤)

٥٠٤ - وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((**مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ [إلا]**[1] **صَاعٌ وَلاَ أَمْسَى**)) وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبيَات. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الإهالةُ: بكسر الهمزة: الشحم الذائب[3].

السَّنِخةُ: المتغيرة الريح[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى معنى سابقه، وهو زهد النبي ﷺ، وآله، والذي يدل عليه هذا الخبر الذي يرويه أنس رضي الله عنه دون مؤكدات مما يشير إلى أنه مشهور لا يتوقع له إنكارا، وقول أنس رضي الله عنه (رَهَنَ النَّبيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ) الرهن يدل على مفارقة مؤقتة للمرهون مما يشير إلى عدم التفريط في وسيلة الجهاد؛ لأنه لم يبعه في أشد الظروف التي تضطر الإنسان إلى التصرف بأي وجه لينقذ من حوله من جوع قاتل، ولكن رهنه على نية استعادته في أقرب فرصة، وذكر الدرع، وإضافته للنبي ﷺ يشير إلى مدى الشدة التي اضطرتهم لذلك لأن الدرع آخر ما يمكن أن يفرط فيه العربي مما يشير إلى عدم وجود غيره والجار، والمجرور (بشعير) بيان لنوع الطعام الذي

---

(١) الزيادة من البخاري.

(٢) برقم ٢٥٠٨.

(٣) رياض الصالحين ٢٣٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ن خ).

رهن فيه الدرع يشي بجانب من التقشف الذي عاشوا فيه حيث لم يرهنه بقمح، أو لحم، أو غيره من الأطعمة الشهية، وإنما رهنه في أقل ما يدفع الجوع، وأردئ الأطعمة التي تمنع الموت جوعا، وقوله (وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةِ سَنِخَةٍ) كناية عن تقديمهما له ليأكل منهما، وخبز الشعير، أقل أنواع الطعام عندهم، ووصف الإهالة وهي الشحم المذاب بالسنخة تتميم بلاغي أفاد أنها متغيرة الرائحة مع ذلك، وقول الرسول ﷺ (مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلاَ أَمْسَى) كناية عن كثرة الإنفاق، وعدم بقاء أي طعام مدة ليلة، أو مدة نهار إلا انفق على الفقراء، والمساكين، ورغم كثرة أبيات آل محمد فإنه لم يبق عندهم هذا القدر القليل من الطعام - رضوان الله عليهم جميعا - .

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٠٥)

٥٠٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: فقراء المهاجرين، كانوا يأوون إلى مكانٍ مظلل في المسجد يُسَمَّى الصُّفَّة[2].

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه: (لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ) يؤكد الخبر من عدة وجوه منها التعبير بالفعل في الماضي المحقق، ودخول اللام الموطئة للقسم، وقد التي تفيد التحقق بدخولها على الماضي، ثم إنه عبر بفعل الرؤية وهي أقوى طرق العلم، ثم ذكر العدد سبعين الذي يؤكد التدقيق في العدد وذكر الأهل، وإضافتهم للصفة تحديد لهولاء المعروفين بشدة الفقر، وضيق الحال يدل على ذلك وصفه لهم (مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ) وهو أسلوب نفي، مستغرق للسبعين عن طريق تسليط النفي على النكرة (رجل) وقبلها حرف الجر مع الضمير المجرور به، الذي ينفي أن يكون لأحد منهم رداء، وقوله (إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ) إما تفصيلية، والرداء هو ما يستر النصف الأعلى من البدن، والإزار ما يكسو النصف الأسفل، قوله (قد ربطوا) أي الأكسية فحذف المفعول للعلم به قوله (فمنها) أي فمن الأكسية باعتبار أن الكساء جنس، وهذه الصورة تشير إلى انشغالهم بالآخرة، وترك المظاهر، والجري خلف المتاع الزائل رضي الله عنه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٤٤٢، أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٩١، وتقدم برقم ٤٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ف ف).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٥- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦).

الحديث رقم (٥٠٦)

٥٠٦ - وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أُدْمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ. رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الأَدمِ: الجلد المصبوغ[(٢)].

حشوه: محشوّة[(٣)].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض مشهدا من بيت الرسول ﷺ لفراشه يدل على الزهد، وترك التلذذ بالمنام كما تركه في الشراب، وفي الطعام، وفي اللباس، وفي كل شيء، وقول عائشة رضي الله عنها (كَانَ فِرَاشُ رسول الله ﷺ مِنْ أُدْمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ) التعبير بكان يشير إلى أنه كان فراشه الدائم لدلالة كان في الماضي على العادة في الشيء - غالبا - وهو عبارة عن نوع من القماش حشوه من ليف النخل، وهو حشو خشن ليس فيه ليونة، ولا يستغرق النائم عليه فيه، لأنه يريد من النوم ما يعينه على استكمال المهمة، وتبليغ الرسالة، واستئناف العبادة بأقل ما يمكن، وهذا الصورة، وغيرها من صور الزهد المشرقة من الرسول ﷺ تدعونا إلى ترك التكلف الفراش، وفي اللباس، وفي الطعام وغيره من صور التكلف البعيدة عن روح الإسلام الذي تعاني منه الأسر المسلمة،

---

(١) برقم ٦٤٥٦، وكذا مسلم ٢٠٨٢/٣٧ بلفظ: (وسادة) بدل: (الفراش)، وأورده الحميدي في جمعه ١٢٩/٤، رقم ٣٢٣٨ في المتفق عليه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٨٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣١، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٨/١١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٢

وتستدين بسببه، تقليداً لغيرها من أهل الترف، والغرور بالدنيا لاسيما من غير المسلمين.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: جواز اتخاذ الفرش والوسائد، والنوم عليها، والارتفاق بها، وجواز المحشو، وجواز اتخاذ ذلك من الجلود وهي الأدم[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٤/٥٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٠٦- مع مضامين الأحاديث رقم (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥).

الحديث رقم (٥٠٧)

٥٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسول الله ﷺ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟**)) فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟**)) فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلاَ خِفَافٌ، وَلاَ قَلاَنِسُ، وَلاَ قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلك السِّبَاخِ، حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْله حَتَّى دَنَا رسول الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خفاف: جمع خُفٍّ: الحذاء الساتر للكعبين[2].

قلانس: جمع قَلَنْسُوَة: نوع من ملابس الرأس ويكون على هيئات وأشكال متعددة[3].

قُمُصُ: جمع قميصٍ[4].

السباخ من الأرض: الذي ما لم يحرث ولم يعمر لملوحته[5].

---

(١) برقم ٩٢٥/١٣.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧٥.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل س).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي ٦٢٩.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب خ).

الشرح الأدبي

قول ابن عمر رضي الله عنهما، (كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول الله ﷺ) يشير الفعل كان إلى حدث ثابت قبل زمن الحديث، ونسبته لناء الفاعلين يشير إلى الاجتماع، وهو يؤكد الحدث، وقوله (إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ) يوحي بالمفاجأة وعدم توقع حضور أحد، أو عدم توقعه هو تحديداً، وقوله (يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟) النداء تودد، وتكريم مع ما فيه من التنبيه لما يتلوه، والاستفهام على حقيقته مع ما يعكسه من شفقة، ومحبة يوحي بها التعبير بالأخ الذي يدل على تلك الرابطة الأبدية، وهي الأخوة، ثم إضافته لنفسه، وهو تشريف لسعد رضي الله عنه ثم استفهام العرض، والترغيب في الزيارة (مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟) وقول الراوي (فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ) يشير إلى خفتهم إلى عمل الخير يدل على ذلك تكرار فعل القيام وإضافته لناء الفاعلين ثم ذكر العدد الموجود تحديداً وقوله (مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلاَ خِفَافٌ، وَلاَ قَلاَنِسُ، وَلاَ قُمُصٌ) يشير إلى الحالة العامة، وشدة الفقر التي قصرت لباسهم على ما يستر العور فقط دون ما يكون للزينة زهدا في الدنيا، ورغبة فيما عند الله، وانشغالا به .

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: جواز المشي حافيًا[1]، وقال القرافي: (الحفاة الغالب مصادفتهم النجاسة، ولو في الطرقات ومواضع قضاء الحاجات، والنادر سلامتهم، ومع ذلك جوز الشرع صلاة الحافي كما جوز له الصلاة بنعله من غير غسل رجليه، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي حافيًا، ولا يعيب ذلك في صلاته لأنه رأى النبي ﷺ يصلي بنعله[2]، ومعلوم أن الحفاء أخف في تحمل النجاسة من النعال فقدم الشارع حكم النادر على الغالب، توسعة على العباد)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، ٢٠١/٦/٣.

(٢) أخرج البخاري ٣٨٦، ومسلم ٥٥٥ عن أبي سلمة سعيد بن يزيد الأزدي، قال: سألت أنس بن مالك: "أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم".

(٣) الفروق ٢٠٦/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش ورقة الحال التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

حرص الصحابة الكرام رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ للاستفادة من علمه والتأدب بآدابه، والاقتداء به من خلال رصدهم الدقيق لما يقوم به ﷺ من أفعال، ومن شواهد في الحديث: "كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ"، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ ذلك لأنه القدوة الطيبة لهم في كل أمور حياتهم بهذا أخبرهم الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، وفي مجالسة النبي ﷺ كانوا يتعلمون منه العلم، وأمور الحلال والحرام ويسألونه عما يعرض لهم من أمور، ويجعلونه حكمًا بينهم فيما ينشأ بينهم من منازعات، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2]، وأيضًا في مجالسته كانوا يتبعون هديه فيما يأتي ويذر، ويفعل ويترك ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس خاتمًا من ذهب فنبذه وقال: ((لا ألبسُهُ أبدًا فنبذَ الناسُ خواتيمَهم))[3]، ومن ثم فقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على مجالسة النبي ﷺ.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٥١، ومسلم ٢٩٠١.

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

إن من عوامل التأثير في المدعوين واستمالة قلوبهم التواضع معهم، والسؤال عنهم وتفقد أحوالهم، ولذا كان من أهم الصفات التي ينبغي للداعية أن يتصف بها: التواضع وتفقد أحوال المدعوين، حيث جاء في الحديث: "كيف حال أخي"، "نمشي في تلك السباخ حتى جئناه"، قال ابن علان: "وفي قوله: كيف حال أخي فيه كمال تواضعه ومزيد فضله ﷺ إذا أطلق هذا اللفظ في حقه تشريفًا له، وفيه إيماء إلى صدق إيمانه فيكون فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وظاهر عبارة نمشي في تلك السباخ، أنه ﷺ كان كذلك ليتأسوا به ويقتدوا بهديه"[2]، والتواضع من أهم صفات الداعية، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، (ولا شك أن الداعية إلى الله إذا تزود بالعلم، وتحلى بالحلم وتخلق بالتواضع يستطيع أن يقوم بدوره في الإصلاح والتغيير، ويستطيع أن يهدي أمة بأسرها، وأن يصلح مجتمعًا بأكمله)[4]، إن الله سبحانه علّم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، ومن جملة ما أرشده إليه التواضع، (فإن التواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية - قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة)[5].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

إن المسلم يشارك إخوانه في أفراحهم وأتراحهم وهذا من شأنه أن يوطد العلاقات الاجتماعية، ومن صور هذه المشاركة عيادة المريض، حيث جاء في الحديث: "من يعوده منكم"، وعيادة المريض دلت النصوص الشرعية على فضلها وعظيم ثوابها فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٦٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) أخلاقيات الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٣٣.

(٥) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم البكار، ص ١٣١.

يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ))، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ ((جَنَاهَا))[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللّه نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٢].

وجاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي))[٣].

وفي ضوء هذه النصوص تتبين أهمية وفضل عيادة المريض وثوابها عند الله تعالى، (إن عيادة المريض مندوبة في الأصل وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض الناس دون بعض، وعيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة، فهي تذكر الإنسان بنعم الله عليه، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها، فينطق بشكر مسديها، وهي تزرع المحبة بين المريض وعواده، بل بينهم وبين قرابته، وهي نافعة المريض تروّح عنه وتسليه، وربما وصف العائد دواء يذهب بالداء، أو أرشد إلى طبيب ماهر، وينبغي أن تكون العيادة في الأوقات المعتادة، وألا يطيل الجلوس حتى يضجر المريض، أو يشق على أهله، ما لم تدع ضرورة إلى ذلك)[٤]. وعلى الدعاة الهداة تذكير المدعوين بفضل عيادة المريض والحث عليها لأن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لنا فضل عيادة المريض.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٩.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٧.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش ورقة الحال التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ:

لقد ضرب صحابة النبي ﷺ المثل الرفيع في الزهد في الدنيا وعدم التطلع لها وهم مع خشونة عيشهم ورقة حالهم صابرين راضين غير ساخطين، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في الحديث: (ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباخ)، وما من شك أن الصحابة رضي الله عنهم تحملوا شدة الحال، وقلة الزاد من أجل الدعوة إلى الإسلام، ولقد كان الداعية الأول ﷺ في نفس الحال التي يعيشونها من الزهد وخشونة العيش ورقة الحال، ففي الصحيح ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: (لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي، مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ)[1]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا شَبِعَ مِنَ الأَسْوَدَيْنِ: التَّمْرِ وَالمَاءِ)[2]، ومن شدة ما كان يصيب الصحابة من شظف العيش كانوا يأكلون الجراد، فعن أبي أوفى رضي الله عنه قال: (غَزَونا مع النبيِّ ﷺ سبعَ غزَوَات - أو ستًّا - كنا نأكُلُ فيهن الجَرادَ)[3]، وحتى في الكساء، واللباس لم يجدوا ما يلبسونه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (رأيتُ سَبعينَ من أهلِ الصُّفَّةِ ما منهم رجُلٌ عليه رداء، إما إزارٌ وإما كِساءٌ قد رَبطوا في أعناقِهم، فمنها ما يَبلغُ نِصفَ الساقَينِ، ومنها ما يَبلُغُ الكَعْبَينِ، فيَجْمعهُ بيَدِه كراهيةَ أن تُرَى عَورَتُه)[4]، إن هذه النصوص تدل على مدى شدة العيش التي كان فيها صحابة رسول الله ﷺ، وكيف أنهم لم يكونوا يتطلعون إلى الدنيا وزينتها وبهرجها وإنما جعلوها وراء ظهورهم، وأسكنوها خلف قلوبهم، وطرحوها بعيدًا عن عقولهم.

قال ابن القيم: (إن إيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٩٥، ومسلم ١٩٥٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٢.

وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها وعدُّها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد. ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب فقد عُرضتْ عليه مفاتيح كنوزها فردّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر لا دار مقام ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتمّ الزيارة حتى أذَّن بالرحيل)[1].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: "إن الصحابة رضي الله عنهم ورائدهم في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا متخففين في العيش واللباس صابرين على البأساء والضراء حيث ساروا حفاة في ثياب عادية لا قمص تحتها ولا لباس خاص للرأس، ومع ذلك احترمهم الأنصار أصحاب البلد وقاموا تكريمًا لهم وإعزازًا لشأنهم، وليأتنس بهم المريض ويذهب عنه بعض الكلام فالعبرة بالمخبر لا بالمظهر وبالإيمان لا بالحطام"[2].

---

(١) الفوائد، القاضي عياض ١٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٣٣٢.

الحديث رقم (٥٠٨)

٥٠٨ - وعن عِمْرَان بنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ ، أنّه قَالَ: ((**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)) قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أدْري قَالَ النبي ﷺ مَرَّتَيْنِ أَو ثَلاثًا ((**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

القرون: جمع قرن: أهل كل زمان، وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان[(٢)].

يشهدون ولا يُستشهدون: أي: يؤدون الشهادة بدون طلب لها[(٣)].

السِّمَنُ: أي يحبون التوسع في المأكل والمشارب[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الأفضلية، وعلاقتها بالقرب أو البعد من زمن النبوة وقوله (خيركم قرني) البداية بأفعل التفضيل من براعة الاستهلال التي تحقق السيطرة على انتباه المخاطب، وتوجهه للمتكلم، وإضافته إلى كاف الخطاب، وميم الجمع تعطي التفضيل عموماً يرتقي بأفضيلة قرن الرسول ﷺ كل القرون إلى يوم القيامة، وإضافة القرن إليه ﷺ فيها تشريف له؛ لأنه القرن المعلم لكل القرون، واستخدام ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٨ واللفظ له، ومسلم ٢٥٣٥/٢١٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤١٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ن).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ش هـ د)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٧/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٨/٥.

يشير إلى مساحة كبيرة بين الفضلين تشير إلى فضل منزلة الصحابي على التابعي، وفضل منزلة التابعي على تابع التابعي، وهذه المسافة صورها حرف العطف ثم الدال على التراخي في الترتيب بين القرون، وقوله (ثم يكون بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) يعرض بعض صور الانحراف عن المنهج الأول ممن وليهم من القرون عن طريق الجناس في قوله (يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ) والذي يصور الاندفاع في الباطل، والجرأة على الكذب، وارتكاب الموبقات، والخيانة، وانعدام الأمانة، وهو من علامات الساعة، وقوله (وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ) هو كناية عن رغبتهم فى الدنيا، وإيثارهم شهواتها على الآخرة، وما أعد الله فيها لأوليائه من الشهوات التى تنفد، والنعيم الذى لا يبيد، فهم يأكلون فى الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا فى أخذ القوت والبلغة، وتوفير الشهوات إلى الآخرة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١ - حكم تحمل الشهادة وأدائها: اتفق الفقهاء على أن تحمل الشهادة وأداءها فرض كفاية[1] لكن هناك خلافًا في أداء الشهادة قبل أن تطلب، وذلك بسبب وجود تعارض في الظاهر بين حديث عمران رضي الله عنه المذكور في الباب وفيه "قومٌ يشهدون ولا يُستشهدون" وبين حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا: ((ألا أخبركم بخير الشهداء، الذي يأتي بشهادته قَبْل أن يُسألها))[2] فذهب فريق من العلماء إلى الجمع بين هذين الحديثين بناءً على أن الأصل في أداء الشهادة عند الحاكم أن لا يكون إلا بعد الطلب من صاحب الحق، فأجابوا بعدة أجوبة: أحسنها أن المراد بحديث زيد من عنده شهادة

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٠٨/٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١١٤/٦، ١١٥، ومغني المحتاج ٤٥٠/٤، ٤٥١، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٥/١٠، ٢١٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٩.

لإنسان بحق لا يعلم بها صاحبها فيأتي إليه فيخبره بها، أو يموت صاحبها العالم بها ويخلف ورثة فيأتي الشاهد إليهم أو إلى من يتحدث عنهم فيعلمهم بذلك، قال ابن حجر: (وهذا أحسن الأجوبة وبهذا أجاب يحيى بن سعيد شيخ مالك ومالكٍ وغيرهما)[١].

(وذهب بعضهم إلى جواز أداء الشهادة قبل السؤال، على ظاهر عموم حديث زيد بن خالد، وتأولا حديث عمران بتأويلات: أحدها: أنه محمول على شهادة الزور، أي يؤدون شهادة لم يسبق لهم تحملها، وهذا حكاه الترمذي عن بعض أهل العلم)[٢].

٢ - حكم النذر: أجمع الفقهاء على صحة النذر في الجملة ولزوم الوفاء به إن كان طاعة، كما أجمعوا على أنه لا يحل الوفاء بالنذر إن كان معصية كالقتل وشرب الخمر[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة التي ذكرها النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبعض الآفات والأمراض الاجتماعية من بعده.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٠.

(٢) السابق الموضع ذاته، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١٢/١٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٧٢٥-١٧٢٦، وانظر كذلك: المغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/٢١٠-٢١١، ورد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤/٣٧٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦/١٦٥، مغني المحتاج ٤/٤٣٦، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ٦/٤٩٤، ٤٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٨٠٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨/٥٧٢، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠/٩٢-٩٣، والاختيار ٣/٢٥٧، وبداية المجتهد ١/٥٥٨، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧/٢٦١.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى:

إن ملاقاة رسول الله ﷺ وصحبته لا يعدلها شيء وكذلك صحبة أصحابه. وقد أخبر النبي ﷺ بخيرية القرون الثلاثة الأولى؛ حيث جاء في الحديث "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" قال النووي: (اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ والمراد أصحابه وتطلق على كل مسلم رأى النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه، والقرن الثاني هم التابعون والثالث هم تابعوهم)[1].

وقال ابن حجر: (وقوله "خير أمتي قرني" أي أهل قرني والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة والمراد بقرنه: الصحابة رضي الله عنهم والذين بعدهم التابعون، ثم الذين يلونهم هم أتباع التابعين واقتضى هذا الحديث أن يكون الصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، وفضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ وأما من اتفق له الذبّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقي عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم)[2]. ولا أدل على فضل الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين مما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يأتي على الناس زمانٌ فَيغزو فِئامٌ من الناس، فيقولون: فيكم مَن صاحبَ رسولَ اللّهِ ﷺ؟ فيقولون لهم: نعم، فيُفتَحُ لهم. ثمَّ يأتي على الناسِ زمانٌ فَيغزو فِئام منَ الناس فيقال: هل فيكم مَن صاحبَ أصحابَ رسولِ اللّه ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيفتح لهم))[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٤٩، ومسلم ٢٥٣٢.

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدعوة، والجهاد مع رسول الله ﷺ ولذا استحقوا هذه الخيرية، واستحقها أيضًا من تشرف بصحبتهم.

قال أبو الحسن الندوي: (إن الصحابة رضي الله عنهم لما جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدقتها قلوبهم، ووضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله، وأفضى يقينها إلى قلوبهم وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول والرحمة على المؤمنين، والشدة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها والاستهانة بزخارف الدنيا وحطامها، والشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة وعلو الهمة وبعد النظر في نشر رفد الإسلام وخيراته في العالم وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها حتى أقبلت القلوب إلى الله، ودخل الناس في دين الله أفواجًا)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخباره ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة التي ذكرها ﷺ:

لقد أيد الله تعالى نبيه بالكثير من الدلائل والمعجزات التي تبرهن على صدقه في نبوته، وصحة رسالته ومن دلائل نبوته التي أعطاه الله إياها إخباره عن الغيوب المستقبلة. جاء في الحديث "ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن" قال النووي: (وفي هذا الحديث دلائل للنبوة، ومعجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فإن كل الأمور التي أخبر بها وقعت كما أخبر)[2].

ومما لا شك فيه أن هذا من دلائل نبوته فإن الله عز وجل هو الذي يخبره قال تعالى:

---

(١) من مقدمة أبو الحسن الندوي لكتاب: حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي، ص ٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٤.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[١] والنصوص الشرعية في هذا المعنى كثيرة فمن نصوص القرآن في الإخبار عن الأمور التي ستقع ووقعت بالفعل قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾[٢] ومما جاء في السنة قوله ﷺ ((لاَ يَزَالُ هذَا الدينُ قَائِمًا حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً مِنْ قُرَيْشٍ ثُمَّ يَخْرُجُ كَذَّابُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ))[٣].

ومن الأحاديث أيضًا التي فيها من دلائل النبوة بإخبار النبي ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة الأولى ما جاء في مسند أبي داود الطيالسي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنكم في النُّبُوَّةُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلاَفَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ))[٤].

ولا يُعد إخبار النبي ﷺ بحدوث النقص في القرون التالية للقرون الثلاثة الأولى من قبل علمه بالغيب من تلقاء نفسه فلقد علم الله نبيه أن ينفي عن نفسه علم الغيب قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٥] وإنما يخبر الرسول ﷺ عن ذلك بإخبار الله تعالى له، واطلاعه على بعض الغيوب وقد نص الله على ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن

---

(١) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٢) سورة الروم، آية: ٢-٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٢.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده رقم ٤٣٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن. انظر: مسند أبي داود الطيالسي ١/٣٥٠.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٥٠.

رَّسُولٍ﴾[١] ويأتي إعلام الله لنبيه ببعض الغيوب للدلالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التحذير:

يظهر هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن أسلوب التحذير يبين للمدعو خطورة المحذر منه ومن ناحية أخرى يبين مدى حرص الداعي على المدعوين ولذا يحذرهم مما فيه شر ولقد قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبعض الآفات والأمراض الاجتماعية من بعده:

إن المجتمع قد تصيبه بعض الآفات والأمراض الاجتماعية، وهنا يبرز دور الداعية في كشف هذه العلل، وإبراز هذه الأمراض ليحذر منها المسلم ويتوقاها وفي الحديث بعد أن بيّن النبي ﷺ خيرية القرون الثلاثة أبان عن صفات من يأتي بعدهم فقال: ثم يكون بعدهم قوم "يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن") قال ابن حجر: (والمعنى أنهم لا يثق الناس بهم ولا يعتقدونهم أمناء، بأن تكون خيانتهم ظاهرة، بحيث لا يبقى للناس اعتماد عليهم، وكونهم يشهدون ولا يستشهدون يحتمل أن يكون المراد التحمل بدون التحميل، أو الأداء بدون طلب، والثاني أقرب، وقيل هذا محمول على شهادة الزور أي: يؤدون شهادة لم يسبق لهم تحملها، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن أي يحبون التوسع في المأكل والمشرب، وهي من أسباب السمن، وقيل المراد يظهر فيهم كثرة المال، وإنما كان السمن مذمومًا لأن السمين غالبًا بليد الفهم ثقيل عن العبادة كما هو مشهور)[٣].

هذا ويجب على المدعو أن يتجنب هذه الآفات والأمراض الاجتماعية لأنها مذمومة وغير محمودة في الشرع، وواجب الدعاة تذكير الناس وتحذيرهم من تلك الآفات

---

(١) سورة الجن، آية: ٢٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٣٠٨.

والأمراض الاجتماعية التي قد تصيبهم، لأن الداعية أشبه بالطبيب الذي ينصح المرضى، ويحذرهم من العلل. ولقد كان النبي ﷺ - وهو إمام الدعاة - قدوة في هذا الأمر فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[1].

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

الحديث رقم (٥٠٩)

٥٠٩ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، ولاَ تُلامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدأ بِمَنْ تَعُولُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الفضلَ: ما زاد على قدر الحاجة[2].

الكفاف: قدر الحاجة[3].

من تعول: من يلزمك نفقته[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالنداء العام لكل بني آدم قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[5] وبين يبذل، وتمسك طباق يقرر معنى أفضلية الإنفاق، وضرر الإمساك، والجار، والمجرور (لك) يقرر تعلق نتيجة الفعل بصاحبها في الحالتين، وقوله (ولاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ)، ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وان أمسكته فهو شر لك؛ لأنه إن

---

(١) برقم ٢٣٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٣.

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم ١٠٣٦/٩٧ ولفظهما سواء. وزاد في آخره: (واليد العليا خير من اليد السفلى). وكذا عزاه المنذري في الترغيب إلى مسلم والترمذي.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٦٢/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٦٢/٢.

(٥) التباين في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي ص ٢٩٢.

أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر، ومعنى لا تلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وقوله (ابدأ بمن تعول) أمر بمعنى التوجيه، والإرشاد ومعناه أن العيال، والقرابة أحق من الأجانب في البداية بالإنفاق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على البذل وعدم الإمساك.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: رفع الحرج.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات في الإنفاق.

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء، والترغيب:

١ - **النداء:** حيث جاء في الحديث: "يا ابن آدم" وهذا نداء للإنسان وتذكيره بأنه ابن آدم حيث ينتسب الناس جميعًا إلى هذا الأصل، ولا شك أن أسلوب النداء من الأساليب الدعوية النافعة، وهو يُشعر المنادَى عليه بالقرب من المنادي واهتمامه به، وأسلوب النداء يلفت انتباه المدعو، ويشده إلى الموعظة، ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾[2]، وقوله جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[3].

٢ - **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: "إنك إن تبذل الفضل خير لك"، وهذا ترغيب في إنفاق الفضل من المال، وبأن هذا الإنفاق خير للإنسان في الدنيا والآخرة، ويعتبر أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الناجحة حيث يحبب الخير إلى النفوس، ويشد

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٢) سورة الحج، آية: ١.

(٣) سورة الانفطار، آية: ٦.

القلوب إلى الطاعة والرغبة والترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيهما من عاجل، وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان[١]، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب الترغيب، قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[٢]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على البذل وعدم الإمساك:

إن من الأخلاق الإسلامية الطيبة البذل والعطاء وعدم الإمساك، ولقد فاضت نصوص الكتاب والسنة في الحث على التزام هذا الخلق، ولقد جاء الحديث الذي معنا: "(إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك"، قال النووي: (ومعناه إن بذلت الفضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر)[٤]، وقال المباركفوري: (أي: إنفاق الزيادة على قدر الحاجة والكفاف خير لك أي في الدنيا والآخرة وإن تمسك ذلك الفضل وتمنعه فهو شر)[٥].

وقد دلت النصوص الشرعية على فضل الإنفاق والبذل في سبيل الله للفقراء والمساكين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٦]، وقال سبحانه وتعالى:

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٥٠٩.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٣) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٢.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[١]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وبينت الآيات أن الشح مرض خطير والمفلح من يتوقاه قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤]، واستنكرت الآيات على من يمسك ماله قال جلّ شأنه: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾[٥].

إن هذا الحديث الذي معنا يبين للمسلم أن عاقبة البذل والعطاء تعود على صاحبها بالنفع، وعاقبة الإمساك والشح الشر البوار، "إن الإنسان له الحق فيما يكف عن الحاجات ويدفع الضرورات والفاقات، ولا يلحق بأهل الترفيهات، وهذا أحسن الأحوال لسلامته من وصمة كل من الفقر والغنى. وما فضل عن ذلك فالإنسان إما أن يمسكه ويحرص عليه بأي ادعاء، وإما أن ينفقه في سبيل الله، إن أنفقه انتفع بثوابه، وإن أمسكه تحمل مسؤوليته، ويتدرج الإنفاق الواجب على الإنسان ابتداء ممن يعولهم ويقوم بتوفير متطلبات عيشتهم، ثم بالقريب الذي لا يعول، ثم بفقير الحي ثم البلدة، ثم أي فقير، وبهذا يتخلص المجتمع من التكالب على الماديات والتفاني في تحصيلها"[٦].

ثالثًا - من خصائص الدعوة: رفع الحرج:

إن الشريعة الإسلامية جاءت بالتيسير ورفع الحرج والمشقة والإصر، وهذا من أعظم

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٣) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٥) سورة النساء، آية: ٣٩.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ص ٣٣٣.

خصائصها، ومما يدل على ذلك من الحديث في قوله ﷺ: "ولا تلام على كفاف"، قال النووي: (والمراد أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه وهذا إذا لم يتوجه في الكفاف حق شرعي كمن كان له نصاب زكوي ووجبت الزكاة بشروطها وهو محتاج إلى ذلك النصاب لكفافه وجب عليه إخراج الزكاة ويحصل كفايته من جهة مباحة)[١].

ولا شك أن هذا من يسر الشريعة وسماحتها حيث لا يطالب المسلم بالبذل والإنفاق ما دام الذي عنده من مال على قدر حاجته، وقد دلت نصوص القرآن أن رفع الحرج من خصائص الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٣]، أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء شقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا[٤].

لذا كان الضيق والمشقة مما يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية التي بنيت على التيسير والتخفيف عن الناس[٥]، ويظهر رفع الحرج في الفرائض والتكاليف التي أمر الله بها العباد، (فإن من مظاهر عدم الحرج في الشريعة الإسلامية: قلة التكاليف التي كلف الله بها عباده، إذ في كثرة التكاليف من الحرج ما يضعف النفس ويورثها الملل، والانقطاع عن الأعمال النافعة، وقد تكرم الله برفع ذلك)[٦]، إن الإسلام دين الفطرة، ولذا فهو يتواءم معها، (لأن فطرة الإنسان الطبيعية تأنف الإكراه، وتتأذى من المشقة وتضيق بالحرج، وربما دفعها هذا إلى خلع ربقة الطاعة، والسير في طريق المعصية وترك التكاليف الشرعية جملة، ولأن الإسلام يراعي الفطرة فقد راعى التيسير ورفع الحرج

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢.

(٥) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٢٥.

(٦) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز عزام، ص ٢٣.

عن الناس، ليسلموا لله قلوبهم وترضى بحكمه نفوسهم، ويزداد لله حبهم. وعلى العكس من ذلك فإن التعسير وطلب المشقة والتشدد والفهم الخاطئ لحقيقة هذا الدين يضع حواجز كبيرة بين الناس وبين الاستجابة لأمر الله)[١]، ويظهر من هذا أن من خصائص الدعوة رفع الحرج، وعلى الدعاة الهداة إبراز هذه المعاني للمدعوين، وبيان روح الشريعة وروح الدين الإسلامي.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مراعاة الأولويات في الإنفاق:

إن الإسلام يعلم المسلم مراعاة فقه الأولويات في حياته فيبدأ بالأهم ثم بالمهم، ويظهر هذا التوجيه من الحديث في قوله ﷺ: "وابدأ بمن تعول"، قال المباركفوري: (أي ابتدئ في إعطاء الزائد على قدر الكفاف بمن تعول أي بمن تمونه وتلزمك نفقته، وفي هذا تقديم نفقة النفس والعيال لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم وفي الحديث الابتداء بالأهم فالأهم في الأمور الشرعية)[٢]، وقد بيّن الله هذا التدرج في الإنفاق فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾[٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ﴾[٤]، وقد علمَّ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم مراعاة الأولويات في النفقة والبدء بمن تلزمه النفقة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً))[٥]، وعن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أنها أعتقت وليدة في زمان رسول الله ﷺ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: ((لو أعطَيْتِها أخوالَكِ كانَ أعظمَ لأجرِكِ))[٦].

---

(١) التيسير ورفع الحرج، د. جمال عبدالستار محمد ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٢٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٥، ومسلم ١٠٠٢ واللفظ له .

(٦) أخرجه البخاري ٢٥٩٢، ومسلم ٩٩٩ واللفظ له.

ويتحصل من هذه النصوص أنه ينبغي مراعاة ترتيب الأولويات في النفقة، قال العز بن عبدالسلام: (ومن رفقه سبحانه وتعالى بنا أمرنا إذا اجتمع مصلحتان: قاصرتان أو متعديتان أن نحصلهما، فإن عجزنا عن تحصيلهما حصَّلنا أعلاهما، وإن اجتمعت مفسدتان: قاصرتان أو متعديتان، أن ندفعهما فإن تعذر دفعهما دفعنا أقبحهما وأكثرهما، فتُقدِّم الفرض على النفل، والمضيق على الموسع، والأوجب على الواجب، والأفضل على الفاضل، ونقدم الأرواح على الأعضاء والأبضاع، ونقدم النفقات على الديون، والديون على الهبات والصدقات وسائر التبرعات. وإن بذلنا الأموال أو شيئًا من أنواع قدَّمنا بالرحم والجوار والضعف والعجز وشدة الضرورة ومسيس الحاجة. ونقدم المستور الخامل على المستور السائل فإن اجتمع مضطرون لا تجب نفقتهم ومعنا كفاية أحدهم قدمنا الأفضل فالأفضل)[1].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ٣٥١ - ٣٥٢.

الحديث رقم (٥١٠)

٥١٠ - وعن عُبيْدِ الله بنِ محْصن الأنصَارِيِّ الخطمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أصبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سربِهِ، مُعَافىً في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبيد الله بن مِحصَن الأنصاري: هو عبيدالله - ويقال: عبدالله - بن مِحصَن الأنصاريّ الخَطْمي، كنيته أبو سلمة.

مختلف في صحبته، روى عنه ابنه سلمة، وليس له في السنن إلا هذا الحديث الواحد المذكور. قال ابن عبدالبر: منهم من جعل هذا الحديث مرسلاً وأكثرهم يصحح صحبة عبيدالله بن مِحصَن هذا. فيجعل حديثه مسندًا[2].

غريب الألفاظ:

سربِهِ: نفسه، وقيل: قومِه[3].

حِيزَتْ: جُمعت وضُمَّت[4].

---

(١) برقم (٢٣٤٦) وقال: حديث حسنٌ غريبٌ. وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (١٤٦/٢) وقال: وقد روي مثل هذا الكلام عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ بإسناد يشبه هذا في اللين، ولا أبعد أن يكون عبد الرحمن بن أبي شميلة هذا هو محمد بن سعيد المصلوب، لأن مروان بن معاوية يغيّر اسمه على أنواع كثيرة، فلعل سعيد هذا هو أبو شميلة، وجعله عبد الرحمن وهو كذلك، لأن الألفاظ في هذا الحديث تشبه ألفاظه. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢٤).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٤٦٢ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٢٥/٣) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٧٤، والتاريخ الكبير للبخاري (٣٧٢/٥) وثقات ابن حبان (٢٤٨/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٦٤/٤)، والتهذيب (٤١٩/٢).

(٣) رياض الصالحين ٢٣٩.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ذ ف ر).

بحذافيرها: جمع حُذفور وحِذْفار: جانب الشيء، أي: بأسرها[1].

الشرح الأدبي

من اسم موصول بمعنى الذي يؤذن بتنبيه أهل العقل إلى الفضل، ومعنى أصبح أي أدرك الصباح، والجار، والمجرور (منكم) يفيد الشمول، والاستغراق، والتعبير بالأمن يوحي بالطمأنينة التي تؤذن بتمتع النفس ببقية النعم، وبدونها لا يتم للإنسان متاع بأي نعمة، وقوله :(في سربه) السرب الطريق، وبالكسر الطريق، والبال والقلب، والنفس، والجماعة، وبالتحريك جحر الوحشي، والحفير تحت الأرض، فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن ولو في بيت تحت الأرض ضيق كجحر الوحش، أو التشبيه به في خفائه، وعدم ضيائه، والمعافاة في الجسد تشير إلى سلامته من الأمراض، والتعبير بالظرف (عنده) يشير إلى الملك، والتعبير بالقوت إشارة إلى الضروري مما يقتات به الإنسان، وذكر الظرف يوم، وإضافته للضمير يشير إلى اليوم الذي هو فيه، وقوله (فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) الفاء للترتيب، والتعقيب وكأن أداة تشبيه تدل على قوة الشبه بين الطرفين، وتشبيه من كانت هذه حاله بحال من جمع الدنيا من كل أطرافها، يشير إلى أنه نال كل ما يلزمه من نعم الله، ولزمه الشكر ووجه الشبه تمام تحقق المراد الذي يهيب بكل من تجمعت عنده هذه النعم الرضا، وحمد الله تعالى.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الأمن والعافية وتوفر القوت.

ثالثًا: من واجبات المدعو: شكر الله تعالى والصبر على صعوبة العيش.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية من شأنه أنه مبلغ لوحي الله كاشف لحقائق الدين مذكر للناس إذا غفلوا، معلم إذا جهلوا، ولذا كان من واجبات الداعية بيان الحقائق للمدعوين. وقد

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ح ي ز).

جاء في الحديث "من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده..." وهذا بيان للحقائق في حياة الناس التي يمكن أن يكونوا في غفلة عنها، ومن ثم تبرز واجبات الداعية لتتأكد الضرورة الشرعية ببيان الحقائق للمدعوين حتى يستيقظ من كان منهم في غفلة، ويفيق من كان منهم في سبات عميق وبين الله عز وجل أن مهمة الرسل هي البلاغ والبيان للناس قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2] وقال جل شأنه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾[3] وفي بلاغ الرسل، وبيان حقائق الدين الذي يدعون إليه تقوم الحجة على الناس، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾[4] وأرشد الله نبيه محمدًا ﷺ أنه أنزل عليه الذكر ليبينه للناس، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

قال الدكتور عبدالكريم البكار: (إن الوظيفة الأساسية للرسل عليهم الصلاة والسلام ليست إعمار الأرض ولا توفير الرفاهية للناس أو إطعام الفقراء، وإنما تبليغهم الرسالة التي حملهم الله تعالى إياها، والقيام بعملية التبليغ هو أكبر ضمان لتحجيم الثورات الاجتماعية التي تعصف بالصالح والطالح فمن خلال التذكير بالواجبات، والحث على ترك المنكرات، وبيان المبادئ الأساسية التي تبغي مراعاتها ينشط التبادل الاجتماعي الذي يعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم)[6].

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٤) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٦) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ١٤٨، ١٤٩.

والدعاة الهداة أحوج الناس إلى معرفة الطرق التي تعينهم على بيان الحقائق للمدعوين (إن الدعاة وعلماء الشريعة بحاجة إلى أن يكتسبوا ويتعلموا قواعد وأصول وأساليب الإقناع والبلاغ حتى يكونوا دعاة مؤثرين، يجتذبون الناس ويستقطبون الشباب، ويرشدون العامة والخاصة، وبدون معرفة فن الإبلاغ وكيفية إيصال العلم إلى المحتاجين إليه يظل العلم حبيسًا في أعماقهم)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الأمن والعافية وتوفر القوت:

إن من أعظم النعم التي امتن الله بها على خلقه وعباده نعمة الأمن والعافية ولا يعرف قيمتها إلا من ابتلي بفقدها، ولذا ذكّر بها النبي ﷺ في الحديث فقال: "من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا" قال المباركفوري: (من أصبح منكم أيها المؤمنون آمنًا غير خائف من عدو في سربه أي في نفسه، وقيل: في أهله وعياله وقيل: في مسلكه وطريقه، وقيل: في بيته، فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن، ولو في بيت تحت الأرض ضيق، ومعافى أي صحيحًا سالمًا من العلل والأسقام في جسده ظاهرًا وباطنًا، عنده كفاية قوته من وجه الحلال، فكأنما جمعت وضمت له الدنيا، والمعنى فكأنما أعطي الدنيا بأسرها)[٢].

ويتضح من هذا أهمية استشعار نعمة الله تعالى في الأمن والعافية والرزق، وواجب المسلم ألا يجعل نفسه تتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا، فإن هذا يجعله يجحد نعمة الله عليه إذا ما فقد شيئًا من زينة الدنيا وزخرفها (والزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها علمًا بأن المتروك حقير بالإضافة إلى المأخوذ، وعلى الإنسان أن يمرن نفسه أن لا تفرح بموجود ولا تحزن على مفقود، وأن يكون الإنسان أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة)[٣]. وقد امتن الله على قريش بنعمة

---

(١) رؤى على طريق الدعوة، د. عبدالقادر طاش ص ٢٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٦٤.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بدون ذكر التاريخ ورقم الطبعة ٢/٣٦٤.

الإطعام والأمن فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾[١].

قال ابن كثير: (أرشدهم الله إلى شكر هذه النعمة العظيمة فرب البيت هو الذي أطعمهم من جوع وتفضل عليهم بالأمن فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له، ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة، ومن عصاه سلبهما منه)[٢].

ثالثًا - من واجبات المدعو: شكر الله تعالى والصبر على صعوبة العيش:

من الخصال الطيبة التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن شكر الله في السراء والضراء لأنه سبحانه مستحق للحمد والشكر على كل حال، ويتضح الإرشاد إلى ذلك من سياق الحديث وما من شك في أن نعم الله كثيرة ووفيرة، وواجب المسلم الشكر عليها لينال الزيادة منها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣] (إن شكر الله تعالى يتجلى في شهوده في نعمه ومعرفته في آلائه، كما يتجلى في حبه والثناء عليه، ولا يتحقق الشكر إلا إذا صرف المرء النعمة التي وهبها الله له فيما يرضاه وينفع الإنسان وينفع غيره، وفي المقابل الجحود ونكران الجميل شر ما يبتلى به الإنسان لأنه يحول النعمة إلى نقمة والمنحة إلى محنة، وتذهب الصحة والثروة وتضيع آلاء الله عبثًا)[٤].

وبين الله لنا نموذجًا لمن يجحد نعمته، ويكفر بآلائه فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[٥].

قال صاحب التفسير الواضح: (جعل الله القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم بالنعم فأبطرتهم النعمة، وكفروا وتولوا فأنزل الله عليهم نقمته، وبدل

---

(١) سورة قريش، آية: ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٢/٨.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) إسلامنا، السيد سابق، ٧٣-٧٤.

(٥) سورة النحل، آية: ١١٢.

نعمتهم سوءًا وسرورهم ألمًا وحزنًا، وقد ضربها الله مثلاً لكل قرية خصوصًا مكة، وانظر إلى وصف الله أهل القرية بالأمن والطمأنينة فلا يزعجهم خوف، ولا قلق ثم بالرزق الرغد الواسع الكثير، ومع هذا قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق لعل الناس يعتبرون بهذا، ولكنها لما قابلت النعمة بالكفر لا بالشكر أذاقها الله عاقبة عملها ذوقانًا عميقًا، يشبه تذوقهم طعم المر أو أشد)[1].

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ٢/١٤/٧٠.

الحديث رقم (٥١١)

٥١١ - وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

كَفافًا: بقدر الحاجة[2].

قَنَّعَه: رضَّاه[3].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ) افتتاح بديع لأنه من جوامع الكلم فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، فالإخبار بفلاح من أسلم دون ذكر متعلّق بفعل الفلاح يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب، فكأنه قيل: قد أفلح من أسلم في كل ما رغب فيه، ولما كانت همة المسلم منصرفة إلى تمكن الإسلام والعمَلِ الصالح من نفسه كان ذلك إعلاماً بأنه نجح فيما تعلقت به همته من خير الآخرة ومن خيْر الدنيا، ويتضمن بشارة برضى الله عنه، ووعداً بأن الله مكمل له ما يتطلبه من خير، وأكد هذا الخبر بحرف (قد) الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف (قد) في الجملة الفعلية يفيد مفاد (إنّ واللام) في الجملة الاسميَّة، أي يفيد توكيداً قويّاً، لأن من يدخل في الإسلام يترقب بدخوله الفلاح والظفر، ويترقب البشارة بذلك، والإتيان بحرف التحقيق لتنزيل ترقبهم إياه لفرط الرغبة والانتظار منزلة الشك في حصوله،

---

(١) برقم ١٢٥/١٠٥٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ف).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ن ع).

وحُذف المتعلق بفعل الفلاح يشير إلى أنهم أفلحوا فلاحاً كاملاً في كل شيء، والفلاح: الظفَر بالمطلوب من عمل العامل، وربط الفلاح بالإسلام للإشارة إلى أنه السبب الأعظم في الفلاح لتعلق قبول جميع الأعمال على دخوله (﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران٨٥)، وقوله (وكان رزقه كفافا) أي بقدر الكفاية لا يزيد عليها فيطغيه ولا ينقص عنها فيؤذيه فإن الغنى مبطرة مأشرة والفقر مذلة مأسرة، وقوله (وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) كناية عن رضاه بما قسم الله له، ونسبة الفعل لله تشير إلى أن القناعة نعمة من الله مما يستلزم على العبد شكرها.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الفلاح في الدنيا في كمال الدين والقناعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الهداية إلى الإسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الفلاح في الدنيا في كمال الدين والقناعة:

إن الفلاح الحقيقي ليس في جمع المال، والاستكثار من الدنيا، ولكن الفلاح في كمال الدين والقناعة برزق الله تعالى، وهذا المعنى يستنبط مما ورد في الحديث في قوله ﷺ: (قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافًا وقنعه الله بما آتاه) وفي التأكيد على ذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ. وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[2].

قال النووي: (والعرض هنا هو متاع الدنيا، ومعنى الحديث الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة الحرص عليها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى)[3]، وقد وجهت نصوص الشرع الحنيف إلى ضرورة التطلع إلى ما عند الله في الآخرة وعدم الانبهار بزينة الحياة الدنيا،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥١١- مع مضامين الحديث رقم (٥١٢).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٣]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤].

قال ابن القيم: (والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبد خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار، وقال الجنيد: الزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود، وهو خلو القلب عما خلت منه اليد)[٥].

والمسلم يقنع بما آتاه الله مع حسن إسلامه لله قال ابن قدامة: (وينبغي للفقير أن يكون قانعًا منقطع الطمع عن الخلق، غير ملتفت إلى ما في أيديهم، ولا حريص على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس، وقال أبو حازم: ثلاث من كن فيه كمل عقله: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عز وجل، وقرأ بعض الحكماء أنت أخو العز ما التحفت بالقناعة)[٦].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الهداية إلى الإسلام:

إن من أجل أنواع الهداية، هداية الله الإنسان للإسلام إذ به تكون السعادة في الدنيا والآخرة، وبه تكون النجاة من النار والفوز بالجنة، وبه تكون السعادة

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٣) سورة الضحى، آية: ٤.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٧٨/٢.

(٦) مختصر منهاج القاصدين ٢١٦ - ٢١٧.

والسكينة والطمأنينة، وقد جاء بيان فضل الهداية إلى الإسلام في الحديث في قوله ﷺ: "طوبى لمن هدي إلى الإسلام".

ونعمة الإسلام من نعم الله العظيمة على الإنسان، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يلهج لسانه بذكر هذه النعمة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾[1]، والإسلام هو دين الفطرة قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

"وبناء على هذا فإن من هُدي إلى الإسلام فقد هُدي إلى صراط مستقيم، "ذلك لأن الإسلام وحده هو الذي وضحت معالمه، وكرمت مبادئه وثبتت مصادره وحفظت من التغيير والتبديل والتصحيف، والإسلام وحده كفيل بأن يحقق للإنسان ما ينشده من ارتقاء، وما يرجوه من كمال ورفعة.

والإسلام هو الذي استهدف قيام حياة إنسانية رفيعة، يتحرر فيها العقل والضمير، وتستقل فيها الإرادة والتفكير، ويشعر فيها كل فرد أنه سيد نفسه ومالك أمره، وأنه لا سلطان لأحد عليه سوى سلطان الحق الذي يعلو ولا يُعلى عليه[3]، والذي يهتدي للإسلام فقد اهتدى إلى الدين الذي ارتضاه الله لعباده: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[4]، وقوله سبحانه: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[5]، ومن اهتدى للإسلام فقد استمسك بالعروة الوثقى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦١.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ص ٨ - ٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣.

بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[١]، والذي يهتدي للإسلام فقد اهتدى إلى أسباب سعادته وسكينته"، إن أول أسباب السكينة لدى المؤمن أنه قد هدي بفطرته إلى الإسلام فإن في فطرة الإنسان فراغًا لا يملؤه علم ولا ثقافة ولا فلسفة، إنما يملؤه الإيمان بالله جلّ وعلا وستظل الفطرة الإنسانية تحس بالتوتر والجوع والظمأ حتى تجد الله وتؤمن به هناك تستريح من تعب وترتوي من ظمأ وتأمن من خوف وتحس بالهداية بعد الحيرة والاستقرار بعد التخبط والاطمئنان بعد القلق[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: "قد أفلح"، وقوله: "طوبى لمن هدي"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة، حيث إن النفس تميل بطبعها إلى الأجر والثواب والمنفعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٣]، والمقصود بالترغيب هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل فيه أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[٤].

والداعية الحصيف هو الذي يجعل من أسلوب الترغيب طريقًا إلى قلوب المدعوين لجذبهم إلى تعاليم الإسلام، واستمساكهم به.

وفي الحديث جاءت البشارة والترغيب بالفلاح والخير للفقراء إذا حسن إسلامهم ورزقهم الله القناعة، وهذا من قبيل التخفيف عليهم بأن يفتح الله لهم طرقًا موصلة إلى الخير كما جاءوا إلى الرسول الله ﷺ وقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: ((أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَبِكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَبِكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً...))[٥].

---

(١) سورة لقمان، آية: ٢٢.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٧.

(٣) سورة العاديات، آية: ٨.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

الحديث رقم (٥١٢)

٥١٢ - وعن أَبي محمدٍ فضَالَة بن عبيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلإِسْلاَمِ**[1]، **وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: هو فَضَالة بن عُبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسى، كنتيه: أبو محمد.

أسلم قديمًا لكنه لم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وما بعدها من غزوات، وكان ممن بايع النبي ﷺ تحت الشجرة، وقيل: إنه كان أصغر من شهدها. كان مشهورًا بسرعة العدو فكان يسبق الخيل، وظلّ على جهاده فشهد فتح مصر والشام. واستعمله معاوية نظرًا لكفاءته وتقواه، فكان يَسْتخلفه على دمشق إذا غاب عنها. وولاه القضاء بتزكية من أبي الدرداء وقال له: إني لم أحْبُكَ بها، ولكني استترت بك من النار. فاستتْر منها ما استطعت.

ثم ولاه أمر الغزو، فعبر البحر وغزا الروم وانتصر عليهم.

كان من كبار القراء وله أقوال تدل على عقل راجح وفكر سديد ورأي صائب فضلاً عن تقوى الله وخشيته، من ذلك قوله: لأن أعلم أن الله يقبل مني مثقال حبّة أحبّ إلي من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

ومن قوله كذلك: اخلطوا حديثكم بالاستغفار.

مات في خلافة معاوية ٥٣هـ وحمل معاوية جنازته وقال لابنه عبدالله بن

---

(١) لفظ الترمذي: (إلى الإسلام).

(٢) برقم ٢٣٤٩. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٧٠٥، وقال الحاكم ١/٣٤: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٧.

معاوية: تعال اعقبني، فإنك لن تحمل مثله أبدًا[١].

غريب الألفاظ:

طوبي: قيل من الطيب. والمعنى: العيش الطيب. وقيل: الحسن. وقيل: الخير. وأصلُها طيبى، فقلبت الياء واوًا لمجانسة الضمة[٢].

كفافًا: قدر حاجته[٣].

وَقَنِعَ: رضي بالقسم ولم تطمح نفسه لزيادة عليه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه عن القناعة مع الإسلام في قلب المسلم، وأسلوب الحديث فيه بعض الاختلاف في الأسلوب عن سابقه من وجوه منها أنه بدأ بلفظ (طوبى) وهو علم على البشارة في الخير، وقد تعددت فيه الأقوال فقال ابن عباس معناه: فرح وقرة عين لهم، وقيل: الحسنى لهم، وقيل: خير، وكرامة لهم، وقيل: اسم شجر في الجنة، وقيل معناه: أصيب خيرا على الكناية، لأن إصابة الخير مستلزمة لطيب العيش، ولأنه يقال: في حق المصيب طوبى لك فأطلق اللازم على الملزوم، وقيل طوبى تأنيث أطيب أي الراحة، وطيب العيش حاصل لمن كانت هذه صفته، ولذلك فهي تشويق لما بعدها ينتج عنه ترقب، ومتابعة للخبر، وبناء فعل الهداية لما لم يسم فاعله للعلم به، والتعبير بكان

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٦/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٥٤، والسير ١١٣/٣ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٨/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ١٤٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٥٣١/٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٦٩، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٦٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٤) المرجع السابق ١٨٦٥/٢.

يشير إلى صيرورته عادة في حياته كفاف يمنعه الشر في قناعة تمنعه الضر، فيسلم في الدنيا، ويسعد في الآخرة، ولذلك بدأ الإخبار عنه بطوبى.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥١٣)

٥١٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعِيرِ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

طاويًا: خالي البطن جائعًا[2].

الشرح الأدبي

تعبير ابن عباس رضي الله عنهما بكان يدل على أنه نسق حياته وعادته، وقوله يبيت يصور اجتماع ظلام الليل مع شدة الجوع مع تعذر الرزق لأن لليل الذي يدل عليه فعل المبيت وقت سكن، وليس وقت سعي، وقوله الليالي يؤكد هذا المعنى وقوله المتتابعة تتميم بلاغي أفاد تواصل الجوع دون أن يتخلله قاطع وهو ما يجعل وطأة الجوع تستحكم، وهو ما صوره اسم الفاعل الذي جاء في صورة الحال (طاويا) ليصور الدوام في الطي، والأمعاء يطوي بعضها بعضاً، وما أقساه من إحساس! وقوله (وأهله) عطف على الضمير أكد ذلك بقوله (لا يجدون) أي الرسول وأهله (عشاءا) بالفتح عند العشاء بالكسر بمعنى آخر النهار يعني لا يجدون ما يتعشون به في الليل، وقد أفاد ذلك ما كان دأبه، وديدنه من التقلل من الدنيا، والصبر على الجوع، وتجنب السؤال رأسا كيف؟!، وهو أشرف الناس نفساً، وفيه فضل الفقر، والتجنب عن السؤال مع الجوع.

---

(١) برقم ٢٣٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط و ي).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وأهله.

ثالثًا: من صفات الداعية: الصبر على شدائد الحياة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي"، فقد أخبر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بأن النبي ﷺ كان يبيت الليالي طاويًا، وهذا إخبار عن حاله ﷺ، ومما لا شك فيه أن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة في تعريف المدعو بحقائق الدين وبسيرة سيد المرسلين ﷺ، وبالإخبار تقوم الحجة على المدعو في تبليغه وتعريفه، وبيّن الله في القرآن أن مهمة الرسول ﷺ هي الإخبار والبيان قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان خشونة العيش التي كان عليها النبي ﷺ وأهله:

ما كان رسول الله ﷺ إلى الدنيا متطلعًا، ولا فيها راغبًا، وإنما كان بما قسم الله راضيًا وعلى لأواء الحياة وشدتها صابرًا، ويتضح هذا المعنى من قول عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير)، قال المباركفوري: "ومعنى طاويًا، أي: جائعًا والطاوي هو خالي البطن الجائع الذي لم يأكل، وكان أكثر خبز النبي ﷺ وأهله خبز الشعير فكانوا يأكلونه من غير نخيل"[2]، هذا ولقد كان من دعاء النبي ﷺ وأهله: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا))[3]، وعن أبي حازم قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه يشير بإصبعه مرارًا: (وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَهْلُهُ

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ١٠٥٥.

ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ، حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا)[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان ضجاع النبيّ ﷺ ينام عليه بالليل من أدم محشوًّا ليفًا))[٢].

وعن قتادة قال: كنا نأتي أنسًا وخبَّازه قائم قال: فقال يومًا: (كُلُوا فَمَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللَّهِ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا، بِعَيْنِهِ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ. وَلاَ شَاةً سَمِيطًا قَطُّ)[٣]، لقد كان رسول الله ﷺ زاهدًا في الدنيا، راغبًا عنها.

قال ابن القيم: (ولا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا، ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين: النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها ونقصها وألم المزاحمة عليها، والنظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، وهذا تقسيم حاضر ضروري، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره هو وأصحابه رضي الله عنهم وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها ولم يميلوا إليها، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد عرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فآثروا بها ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها...)[٤].

إن في زهد النبي ﷺ وخشونة العيش التي كان عليها دليل على أنه كان يملك الدنيا ولا تملكه، حتى وإن كان الطعام والشراب مما تدعو إليه ضرورة الحياة فإن الفضل في قلته، (ولم تزل العرب والحكماء قديمًا تتمادح بقلة الغذاء والنوم وتذم بكثرتهما، لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة، وهو سبب لمضار الدنيا والآخرة، جالب لأدواء الجسد وخسارة النفس، وقلة الأكل دليل

---

(١) أخرجه البخاري٥٣٧٤، ومسلم ٢٩٧٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٥٦، ومسلم ٢٠٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٥٧.

(٤) الفوائد ص ١٤٠ - ١٤١.

على القناعة وملك النفس، وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحجة الذهن، كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف، وعدم الذكاء والفطنة وسبب للكسل وعادة العجز وقساوة القلب وغفلته وموته، وكان ﷺ قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل وحض عليه)[1].

ثالثًا - من صفات الداعية: الصبر على شدائد الحياة:

إن الداعية لا بد له من الابتلاء والتمحيص لأنه يحمل رسالة الأنبياء عليهم السلام، فحياته تسير بين عسر ويسر، وشدة وفرج ومنشط ومكره، ومن ثم فلا بد للداعي من أن يتحلى بالصبر، وله في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، يتضح هذا من سياق الحديث الذي يبين حال النبي ﷺ وخشونة العيش الذي كان فيه، وإذا كان رسول الله ﷺ هو الداعية الأول، والقدوة الأكمل لجميع الدعاة من بعده فمن صفات الداعي أن يصبر على شدائد الحياة ولأوائها وبؤسها وشقائها، كما صبر وتحمل الرسول الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

والداعية الفطن الحصيف هو الذي يستطيع الموازنة بين صعوبة الحياة وخشونة العيش والدعوة إلى الله على بصيرة، ولا يتحقق هذا إلا لمن استطاع أن ينظر إلى الدنيا على أنها دار بلاغ لا دار متاع، قال البهي الخولي: (إن الدنيا في منطق الفطرة دار بلاغ، ولكن تعليق الهمة بها جعلها في نظر أكثر الناس دار متاع، والفرق شاسع بين البلاغ والمتاع، فمن اتخذها بلاغًا فقد جعلها وسيلة يبلغ عليها ما يريد من ربه لحياة قلبه، ومن اتخذها متاعًا فقد جعلها غاية يدور حولها برغبات قلبه، وهمة نفسه وأهواء غرائزه، أي أنه يحشد قواه كلها لدنياه، ويجرد حياته الأخرى من كل قوة تسعى في عمارتها، فيذرها قاعًا صفصفًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا، والخط الفاصل بين البلاغ والمتاع هو

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحد الفاصل بين الرشد والهدى، هو الحد الذي يجب أن تقام عنده الحواجز بين حياة المادة وحياة الروح"[١].

ولقد أخبر الله عز وجل أنه يبتلى عباده المؤمنين بنقص الأموال والأنفس والثمرات ليظهر مدى صبرهم وتحملهم قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢].

قال القاسمي: (هذا خطاب لمن آمن مع النبي ﷺ خُصّوا به، وإن شمل من ماثلهم؛ لأنهم المباشرون للدعوة والجهاد ومكافحة الفجار، وكل قائم بحق وداع إليه، معرض للابتلاء بما ذكر كله أو بعضه، والتنوين للتقليل أي: بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه، وإنما قلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان، وإن جلّ، ففوقه ما يقل إليه. وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم، وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليهم نفوسهم، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة، وبشر الصابرين الذين يقولون عند وقوع البلاء "إنا لله" أي ملكًا وخلقًا فلا ينبغي أن نخاف غيره، لأنه غالب على الكل، أو نبالي بالجوع لأن رزق العبد على سيده، فإن منع وقتًا فلا بد أن يعود إليه، وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له فله أن يتصرف فيها بما يشاء، وقولهم "إنا إليه راجعون" أي في الآخرة فيحصل لنا عنده ما فوّته علينا لأنه لا يضيع أجر المحسنين)[٣].

---

(١) تذكرة الدعاة ١٧٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٣٢٥ - ٣٢٦.

الحديث رقم (٥١٤)

٥١٤ - وعن فُضَالَةَ بن عبيدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إذَا صَلَّى بالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ - وَهُمْ أصْحَابُ الصُّفَّةِ - حَتَّى يَقُولَ الأعْرَابُ: هؤُلاء مَجَانِينُ[1]. فَإذَا صلَّى رسول الله ﷺ انْصَرَفَ إلَيْهِمْ، فَقَالَ: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لأَحْبَبْتُمْ أنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٢).

غريب الألفاظ:

يخرُّ: يسقط[3].

الخصاصةُ: الفاقةُ والجوع الشديد[4].

أصحاب الصفة: الصُّفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبَّان العصر النبوي بعد الهجرة يأوي إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[5].

الفاقة: الفقر[6].

الشرح الأدبي

مر في أحاديث سابقة وصف لحال الناس، وما هم فيه من الشدة بصفة عامة في صدر الإسلام، ووصف أهل الصفة في لباسهم، وهذا الحديث يعرض لحالهم مع الجوع، وقوله: (يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ) الخصاصة شدة الفقر،

---

(١) زاد الترمذي: (أو مجانون) بالشكّ.

(٢) برقم ٢٣٦٨. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٧٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٣٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ر).

(٤) رياض الصالحين ٢٣٩.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف و ق).

والحاجة، والعبارة صورة بالكناية عن أثر الجوع فيهم، والفعل (يخر) يصور سرعة السقوط مع غياب الوعي لسيطرة الضعف على الأركان، وعدم قدرتها على حمل صاحبها، وقوله (في الصلاة) يزيد صورة الجوع ضراوة؛ لأن المؤمن في الصلاة يكون أقوى على التحمل منه في غيرها كما يصور حالة التخبط التي أصابتهم بسبب سيطرته والتي صورها الراوي بقوله (حَتَّى يَقُولَ الأعْرَابُ: هؤُلاء مَجَانِينٌ) والتعبير بحتى يشير إلى الغاية التي بلغها بهم الجوع، وتخصيص الأعراب لأنهم لا يعرفونهم فيحكومون عليهم بالظاهر الذي يوحي بالجنون، وقول الرسول ﷺ لهم (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، لأَحْبَبْتُمْ أنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً) وهذا خبر أريد به لازم فائدته وهو المواساة، وتطييب النفوس، وشد الأزر، والتعالي على الغرائز باليقين بما عند الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أصحاب الصفة.

ثالثًا: من واجبات الداعية: مواساة المدعوين وتسليتهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

من الشواهد على ذلك في هذا الحديث "كان إذا صلى بالناس" إن أساس الصلة بين العبد وربه تكون بالصلاة ففيها المناجاة والدعاء والتضرع إليه في السراء والضراء، ومن ثمّ عظمت مكانة الصلاة في الإسلام، فالصلاة لها شرف عظيم وفضل كبير، وقد جاء الأمر بإقامتها، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾[2]، وجاء الأمر بالمحافظة عليها، قال سبحانه: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[١]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٢]، ومدح الخاشعين فيها فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٣]، وتوعد الله من يضيع الصلاة ولا يؤديها قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٤]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه عن أصحاب النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[٦].

والصلاة لها أثر كبير في حياة المؤمن، قال أبو الحسن الندوي: (إن الصلاة سر لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى، والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوي إليه والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، ولقد كان شأن الصحابة رضي الله عنهم أن يفزعوا إلى الصلاة عند الملمات، وكان حنينهم إلى الصلاة وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين)[٧]، ولا شك أن الصلاة تشعر المرء بوجود الله وجودًا حقيقيًا يسمع دعاءه ويلبي نداءه ويستجيب له، (إن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٢) سورة المعارج، آية: ٣٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٥) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

(٦) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٧) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩ - ٣٠.

لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة فتتجدد قواها، ويحفزها ذلك إلى العمل الجاد، والأمل في وجه الله الكريم، والصلاة هي وسيلة الإنسان للتطهر من الرذائل وسائر الصفات السيئة؛ لأن المواظبة عليها تربي في المصلي الضمير الحي الذي يبعث على الخير، ويحض عليه ويمنع الشر ويحذر منه)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أصحاب الصفة:

حيث جاء في الحديث: "يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة - وهم أصحاب الصفة - "، قال المباركفوري: (وأصحاب الصفة هم زهاد من الصحابة فقراء غرباء وكانوا سبعين، ويقلون حينًا، ويكثرون حينًا، ويسكنون صفة المسجد لا مسكن لهم ولا مال ولا ولد، وكانوا متوكلين ينتظرون من يتصدق عليهم بشيء يأكلونه ويلبسونه)[٢].

وقال ابن سيد الناس: (وأصحاب الصفة قوم فقراء لا منزل لهم غير المسجد، وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "رأيت ثلاثين رجلاً من أهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عليهم أردية"، وقد عُدّ منهم أبو هريرة وأبو ذر وواثلة بين الأسقع، وقيس بن طخفة الغفاري رضي الله عنهم، وقد ذكر في عددهم أكثر من ذلك بكثير)[٣]، هذا وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على حالهم ومبلغ فقرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ))[٤].

---

(١) إسلامنا، السيد سابق، ص ١١٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٣/٢.

(٣) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٣٨٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٢.

ثالثًا - من واجبات الداعية: مواساة المدعوين وتسليتهم:

إن الداعية الناجح قريب من المدعوين يشاركهم ويخالطهم فيما يعرض لهم من أمور حتى يؤثر فيهم بدعوته، ولقد كان ﷺ يحرص على مواساة أصحابه رضي الله عنهم ومشاركتهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (فإذا صلى رسول الله ﷺ انصرف إليهم)، وتعتبر المواساة للمدعوين من أهم واجبات الداعية حيث تؤلف قلوبهم، وكان من هدي النبي ﷺ أن يواسي أصحابه بالقليل والكثير، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: (إِنَّا وَاللَّهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ)[1]، ومدح ﷺ مواساة المسلمين بعضهم لبعض، فعن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الاِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ. وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ))[3].

قال ابن حجر: (وفي الحديث الإشارة إلى أن المواساة إذا حصلت، حصلت معها البركة فتعم الحاضرين)[4].

قال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم. وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة

---

(١) أخرجه أحمد ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٩٢، ومسلم ٢٠٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٤٦.

لأصحابه رضي الله عنهم بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[١].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (ومن فوائد المواساة أنها تورث حب الله عز وجل ثم حب الخلق، وهي دليل حب الخير للآخرين، وتشيع روح الأخوة بين المسلمين، وتدخل السرور على المسلم وترفع من معنوياته، فيقبل على الحياة مسرورًا، والمواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة، وبالمواساة تدفع الغيظ وتذهب الغل وتميت الأحقاد، وتدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنشر المحبة)[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة)، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب يعمل على إمالة النفس البشرية إلى حب الخير، وإلى الوعد بالأجر والثواب، والترغيب يحمل النفس على الطاعة لنيل المرغوب.

وفي الحديث الذي معنا رغبّ النبي صلى الله عليه وسلم أهل الصفة ومن يأتي من بعدهم من أصحاب الحاجات ومن بهم فاقة فيما عند الله في الدار الآخرة لتتطلع نفوسهم إلى الأحسن والأكمل، وليجدوا عوضًا في الآخرة عما فقدوا في الدنيا، (إن طبيعة النفس البشرية أنها تتطلع لإشباع أعظم وأوسع مما عليه، وعلى أساس هذا يرتكز الدافع الأخروي، حيث يتم إغراء الإنسان، ووعده بأنواع العطاء والنعيم المطلقين كمًا وكيفًا، ويتم استثمار هذا التطلع المادي الأصيل لشده وإقناعه بالمتعة الأعظم والسعادة الأشمل، والملك الأكبر الذي لا يضاهيه ما في الدنيا، وذلك ما في الحياة الآخرة حيث النعيم العظيم المقيم)[٣].

---

(١) الفوائد، القاضي عياض ص ٢٤٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٤٦٩/٨.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي، ص ١٥٠.

الحديث رقم (٥١٥)

٥١٥ - وعن أَبي كريمة المقدام بن معد يكرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالةَ فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٨٣).

غريب الألفاظ:

بحسب ابن آدم: أي يكفيه[2].

أُكلاتُ: لُقم[3].

صُلبهُ: ظهره[4].

إن كان لا محالة: إن كان لا بد من التجاوز عما ذكر[5].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب النفي الذي يقرر أن شر وعاء يملؤه الإنسان هو البطن، وتنكير الوعاء يفيد التعميم لأنه في سياق النفي، وعدم إضافة البطن مع تنكيرها يفيد العموم أيضا ليشمل بطن الإنسان، وبطن من يعوله حتى ينصح لهم بما يعلم في التعامل

---

(١) برقم ٢٣٨٠، وابن ماجه ٣٣٤٩، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٦٧٤، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل ب)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

مع هذا الوعاء؛ وقوله (بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ) أي كافي ابن آدم مبتدأ، والباء زائدة، وقوله (أكلات) خبره، والأكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للإشارة إلى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير (يقمن صلبه) أي ظهره، والعبارة كناية عن القيام للطاعة، والقيام للمعيشة، وإسناد الإقامة إلى الأكلات مجازية سببية، وقوله (فإن كان لا محالة) أي لا بد وإن شرطية تشير إلى استبعاد الوقوع وهو الأكل الكثير الذي يتعدى إقامة الصلب، وهو حسن ظن بالتزام المؤمن للتوجيه النبوي، وقوله (فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسه) فيه حسن تقسيم بديعي حيث تتبع أقسام المعنى، وأتى عليها، وحسن تقسيم طبي يضمن السلامة للبدن، والصحة لصاحبه، لأن فيها مكانا لكل شيء دون تخمة.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: صفة الأكل بالنسبة للآكل:

إن الأكل قد يكون فرضًا، يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه، وذلك إذا كان للغذاء بقدر ما يدفع عنه الهلاك، لأن الإنسان مأمور بإحياء نفسه وعدم إلقائها إلى التهلكة.

وقد يكون واجبًا، وذلك بقدر ما يستطيع معه أداء الصلاة المفروضة عليه قائمًا، وأداء الصوم الواجب، لأنه من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به.

ومنه مندوب، وهو ما يعينه على تحصيل رزقه وتحصيل العلم وتعلمه وتحصيل النوافل.

وقد يكون الأكل مباحًا يجوز للإنسان أن يتناوله، وذلك إلى حد الشبع الذي لا يضر معه الامتلاء.

وقد يكون حرامًا، وهو ما فوق الشبع، وكل طعام غلب على ظنه أنه يفسد معدته، لأنه إسراف منهي عنه، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ﴾[1] إلا إذا كانت الزيادة على الشبع لا تضره، وقصد بالأكل القوة على صوم الغد، أو الزيادة في الطاعات، أو لئلا

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

يستحيي الحاضر معه بعد إتمام طعامه. وقد قال النبي ﷺ: ((مَا مَلأَ آدمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ))[1].

ومن الأكل ما هو مكروه، وهو ما زاد على الشبع قليلاً، فإنه يتضرر به[2]، وقد قال البعض: إن الآكل لا ينبغي له أن يقصد به التلذذ والتنعم، فإن الله تعالى ذم الكافرين بأكلهم للتمتع والتنعم وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((المؤمِنُ يَأكُلُ فِي مِعي وَاحدٍ، والكَافِرُ يَأكُلُ فِي سَبْعَةِ أمْعَاءٍ))[4].

هذا، والتحقيق أنه يجوز للإنسان الأكل بقصد التمتع والتلذذ بما أنعم الله علينا به، لقصد التقوي على أعمال الخير لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ وأما الآية التي احتج بها هذا القائل فإن الله تعالى ينعي عليهم أنهم يتمتعون بالأطعمة التي رزقهم الله من غير أن يفكروا في المنعم، وأن يشكروه على نعمه.

وأما الحديث فليس فيه دلالة على ما احتجوا عليه، وإنما فيه النعي على من أكثر من الطعام[5].

---

(١) هو حديث الباب.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢١٥/٥.

(٣) سورة محمد، آية: ١٢.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٩٣، ومسلم ٢٠٦٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/٦، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٥، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٨٣/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشبع والبطر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل القصد في الأكل والشرب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في تقليل الطعام والشراب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الشبع والبطر:

إن المعدة بيت الداء، ولا شيء أخطر على المرء من بطنه وفي هذا الحديث يرهب النبي ﷺ من الشبع والبطر حيث جاء في الحديث: "ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن"، قال المباركفوري: (جعل البطن أولاً وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفًا لحوائج البيت توهينًا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها استعملت فيما هي له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرًا منها)[1]، هذا وقد نهى الله تعالى عن السرف في الطعام والشراب فقال سبحانه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الْمُسْلِمُ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ))[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال: ((كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[4].

وقال أبو الحسن الماوردي: "وأما حال الإنسان في مأكله ومشربه فإن الشهوة فيه نوعان: شهوة في الإكثار والزيادة، وشهوة في تناول الألوان اللذيذة، فأما شهوة الزيادة على قدر الحاجة والإكثار على قدر الكفاية فهو ممنوع منه في العقل والشرع لأن تناول

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٧٩/٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٩٦، ومسلم ٢٠٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٧٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٥).

ما زاد على الكفاية، نهم معر، وشره مضر وقد قال علي رضي الله عنه: (إن كنت بطنًا فَعُد نفسك زمنًا)، وقال بعض البلغاء: أقلل طعامًا تحمد منامًا، وقال بعض الأدباء: الرغب لؤم والنهم شؤم، وقال بعض الشعراء:

فكم من لقمة منعت أخاها ... بلذة ساعة أكلات دهر

وكم من طالب يسعى لأمر ... وفيه هلاكه لو كان يدري

ورب أكلة هاضت الأكل، وحرمته مآكل، وأما شهوة الأشياء اللذيذة فالناس في تمكين النفس منها مذاهب)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل القصد في الأكل والشرب:

إن خير علاج للترهل والشبع القصد في الأكل والشرب وهو ما أرشد إليه الحديث حيث جاء فيه: "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه"، قال الطيبي: (قال أبو حامد: ومن فوائد الجوع: صفاء القلب وإيقاد القريحة ونفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب، ومن فوائد الجوع رقة القلب وصفاؤه والانكسار والذل وزوال البطر والأشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان ولا تنكسر النفس لشيء ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده تستكين لربها وتقف على عجزها، ومن فوائده تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات ومن فوائده صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق)[2].

وقال ابن القيم: (ويستفاد من قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[3]، أن الله أرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشراب عوض ما تحلل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن: في الكمية والكيفية فمتى تجاوز ذلك كان إسرافًا، وكلاهما مانع من الصحة جالب للمرض، أعني: عدم الأكل والشرب، أو الإسراف

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٠/٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

فيه فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الإلهيتين ومن تأمل هدي النبي ﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء)[١].

وقال ابن الجوزي: (إن العاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه، ولا تظنن أني آمر بأكل الشهوات ولا بالإكثار من الملذوذ، إنما آمر بتناول ما يحفظ النفس، وأنهى عما يؤذي البدن فأما التوسع في المطاعم فإنه سبب النوم، والشبع يعمي القلب ويهزل البدن ويضعفه)[٢].

ولعل فيما ذكره ابن رجب من بيان سبب ورود الحديث، ما يوضح الصورة بشكل واضح وجلي، حيث قال: (فروى أبو القاسم البغوي في معجمه من حديث عبدالرحمن بن المرقع قال: فتح رسول الله ﷺ خيبر وهي مخضرة من الفواكه، فوقع الناس في الفاكهة فغشيتهم الحمى... فقال رسول الله ﷺ: "لم يخلق الله وعاء إذا ملئ شرًا من بطن، فإذا كان لا بد فاجعلوا ثلثًا للطعام، وثلثًا للشراب، وثلثًا للريح". قال ابن رجب: (وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلِّها... فهذا بعض منافع قليل الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته، وأما منافعه بالنسبة إلى القلب وصلاحه فإن قلة الغذاء توجب رقة القلب، وقوة الفهم، وانكسار النفس، وضعف الهوى والغضب، وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك)[٣].

وفي الحديث ما يشير إلى وجوب أن يتحلى الإنسان بالقناعة بما رزقه الله تعالى، لأن حرص الإنسان على أن يشبع من كل شيء، أمر لا يمكن تحققه إلا بهلاك الإنسان نفسه، فهذا السلوك يجعل صاحبه يتصف بالنهم، مما يؤدي به إلى الانصراف عن الاهتمام عن الغاية التي خلق لأجلها الإنسان، فالتوجيه للإنسان أن يجعل ثلثًا لطعامه

---

(١) الطب النبوي، ابن القيم ص ١٧٥.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٥٦٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٤٦٧-٤٦٨.

وثلثًا لشرابه... كل هذا دعوة للاكتفاء بالقليل الذي يصلحه، ومن أجل ذلك سمي هذا البطن وعاء.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الإعجاز العلمي في تقليل الطعام والشراب :

حيث جاء في الحديث: "فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"، وهذا يعتبر من الإعجاز الطبي في السنة النبوية، "وهذا الحديث قمة من قمم الإعجاز الصحي والوقائي والغذائي فهو من معجزات الرسول ﷺ وجوامع كلمه ومن القوانين التي سنها الرسول ﷺ في الأكل لكي يعيش الإنسان معافى من الأمراض، ولم يذكر الرسول الكريم ﷺ شيئًا عما يجري في المعدة، إلا أنه اكتفى بذكر الثلث الثالث للنفس حيث إن الطعام بحاجة إلى هضم، والهضم لا يتم بدون مفرزات المعدة، فإذا امتلأت المعدة بالطعام فأين تجد العصارات الهاضمة مكانًا لها؟ فمن ملأ معدته بالطعام والشراب، ولم يدع فيها متنفسًا شعر بعد ذلك بالتخمة وعسر الهضم، وقد ابتكر العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية طريقة جديدة لإنقاص الوزن وذلك بإدخال بالون إلى المعدة وينفخ بشكل يملأ ثلث المعدة ويبقى ثلثا المعدة الآخران فارغين للطعام والشراب، وقد وجد الباحثون أنها طريقة فعالة لإنقاص الوزن فهذا حديث رسول الله ﷺ تثبته تجارب الطب الحديث وأبحاثه العلمية التجريبية[1].

إن في الحديث ما يدل على حقيقة علمية أخرى، فقوله ﷺ: "بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه"، والصلب - الناحية القطنية في أسفل الظهر - لا يستقيم استقامة كاملة إلا إذا كانت المعدة مستريحة، ولا يتم لها ذلك إذا هي أتخمت بالطعام، فالحديث أشار إلى أن ما يقيم الصلب أكلات أو لقيمات فقط[2]، فامتلاء البطن بحيث يتخم بالطعام والشراب، أمر يتنافى مع حصول استقامة الصلب، الذي أشار إليه قوله ﷺ: "يقمن صلبه".

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٢٧٢/١.

(٢) الحقائق الطبية في الإسلام، عبدالرزاق أشرف الكيلاني ص ٢٣٣.

إن الأصل في أكل الإنسان الاكتفاء باللقم المعدودة فلو اكتفى بذلك فلن يصيبه ضرر في جسده أو صحته، ولا يتغير عن هذا الأصل إلا استثناء لقوله ﷺ: (فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه).

قال بعضهم: (إن ما ورد في الحديث ليس للتحديد ولكنه للتنبيه والتأديب، ولو أكل الإنسان حتى شبع ما كان عليه بأس... فإن قلل إنسان في طعامه حتى ضعف عن القيام بالمطلوب منه من أمور الدنيا والآخرة، فإن ذلك يعتبر خطأ وعدم فهم للدين، وبعيدًا عن المسلك الإسلامي الصحيح)[1].

رابعًا - من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

إن من آداب المدعو المنوطة به الاستجابة لما يسمع من توجيهات النبي ﷺ لأنه لا يأمر إلا بخير ولا ينهى إلا عن شر، والذي يهتدي بهداه هو السعيد، والمعرض عن هديه هو الشقي التعيس، وقد أرشد النبي ﷺ في الحديث إلى ضرورة الإقلال من الطعام والشراب وعدم امتلاء المعدة، حيث يؤدي ذلك إلى أضرار وخيمة بالصحة والبدن، وخير الناس من يلتزم بهدي النبي ﷺ وإرشاده لأنه حريص على نفع أمته وإسداء النصح لها.

وفي هذا الحديث توجيه وترغيب من النبي ﷺ لأمته في الاكتفاء بالقليل من الطعام، وذلك لما في البطنة من الأذى، والضرر والأمراض والآلام، فلذلك كانت الوصية بأن يكون طعام ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، وقد وردت أحاديث شريفة كثيرة، كلها تحث على عدم الإسراف في الطعام أو الشراب، والاكتفاء بما يقيم الأود منه. فكل شيء في الدين الإسلامي له هدف يسعى إليه، ووظيفة يعمل من أجلها، فالإنسان ليس غايته من تناول الطعام الشعور باللذة فقط، وإنما من أجل حفظ صحته وقوته، لكي يستطيع أن يحيا، ويعمل، ويعبد الله سبحانه وتعالى.

إن صلاح بدن الإنسان وجسده إنما يكون في تناول ما يكفيه من الطعام، فلا يزيد على قدر حاجته، بمعنى أن يتوسط في غذائه، قال ابن القيم: (فإذا توسط في

---

(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب ص ٣٤١.

الغذاء، وتناول منه قدر الحاجة، وكان معتدلاً في كميته وكيفيته، كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير)[١].

إن التوجيه النبوي الوارد في الحديث له غاية أكثر أهمية، يتم الوصول إليها من خلال ما ذكر في الحديث، وذلك أن المسلم ينبغي عليه أن يعمر وقته بالطاعات، ولا يتيسر له ذلك إن هو ترك نفسه تبعًا لشهواته، بحيث يملأ بطنه بما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات، لأن من هذا حاله سيكون مآله أن يكسل عن الطاعات، بل قد يؤدي به هذا الأمر إلى أن تجمح به شهواته، وهذا ما أشار إليه ابن القيم بعدما ذكر هذا الحديث حيث قال: وهذا أنفع للبدن والقلب، فإن البطن إذا امتلأ من الطعام، وضاق عن الشراب، فإذا أورد عليه الشراب، ضاق عن النفس وعرض له الكرب والتعب، وصار محمله بمنزلة حامل الحمل الثقيل، هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، كسل الجوارح عن الطاعات، وتحركها في الشهوات التي يستلزمها الشبع)[٢].

وفي الحديث تفصيل لما أجملته الآية القرآنية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣]، فالإنسان مطالب بأن يكون معتدلاً في مآكله ومشربه، فلا يسرف فيهما، وقد بيّن الحديث حد الاعتدال في الطعام والشراب.

وعلى الإنسان أن يعمل بجانب الوقاية، فهي خير من العلاج، لأن اتباع التوجيه النبوي الوارد في الحديث يقيه شرور امتلاء البطن.

إن في التقلل من الطعام ما يعين الإنسان على الطاعات والبعد عن المعاصي، قال ذو النون: ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية. ولعل أكبر المفاسد من وراء الشبع

---

(١) الطب النبوي، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم (٧٥١ هـ)، إشراف عبدالمنعم العاني، دار مكتبة الحياة، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٢٢.

(٢) الطب النبوي ابن القيم ٢٢.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.

وامتلاء البطن ما ورد في كلام عائشة رضي الله عنها: أول بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع، إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا[1].

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤/٣٥٤ - ٣٥٦.

الحديث رقم (٥١٦)

٥١٦ - وعن أَبي أُمَامَة إياسِ بن ثعلبةَ الأَنْصَارِيِّ الحارثي ﷺ ، قَالَ: ذَكَرَ أصْحَابُ رسول الله ﷺ يَومًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : ((**ألاَ تَسْمَعُونَ؟ ألاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ**)) يَعْنِي: التَّقَحُّلَ. رواهُ أَبو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٤).

غريب الألفاظ:

البذاذة: رثاثةُ الهيئة وترك فاخر اللباس[2].

المُتَقحِّلُ: الرجل اليابسُ الجلد من خشونة العيش وترك الترفه[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (ذَكَرَ أصْحَابُ رسول الله ﷺ يَوماً عِنْدَهُ الدُّنْيَا) يشير إلى أن الذكر كان بمجمع من الصحابة، والموعظة في المجمع لها وضع خاص من حيث تقليب الذكر من جميع الوجوه؛ لأن كل واحد يستطيع أن يستفسر عن أي إشكال يعرض في نفسه مما يوسع أفق الحوار كما يعرض لمختلف الآراء التي تكشف خلفيات العقول فيصلح ما حاد عن الفهم الصحيح منها، ويقر الصواب، وأن الحكم الذي يُقَر في المجلس يأخذ حكم الخبر الموثوق بخلاف خبر الواحد الذي يكون أقل توكيداً منه، وذكر الظرف (عنده) المتصل بالضمير العائد على الرسول ﷺ يعطي الخبر صفة التشريع؛ لأنه في حضور الرسول ﷺ كما يشير إلى شرف المجلس، وقول الرسول ﷺ (ألاَ تَسْمَعُونَ؟ ألاَ تَسْمَعُونَ ؟) استفهام خرج عن معناه الحقيقي، وهو طلب الفهم إلى معنى الأمر أي

---

(١) برقم ٤١٦١ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٣٦٨/١٠: هو حديث صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٦٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٠.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٠.

اسمعوا ! وتكراره للتوكيد، وهو تنبيه بديع يحقق الترقب لما بعده، وقوله (إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإيمَانِ) أي الرثاثة يقال رجل بذ الهيئة وباذ الهيئة أي رث اللبسة، والمراد من الحديث أن التواضع في اللباس، والتوقي عن الفائق في الزينة من أخلاق أهل الإيمان، والإيمان هو الباعث عليه والتكرار للتأكيد ففيه اختيار الفقر، وترك الفخر والزينة، والاهتمام الزائد بالأمور الفانية التي تستنفذ الوقت، والجهد، وتشغل قلبه عن الله تعالى فلبس الخلق من الثياب من خلق أهل الإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاقتصاد في حظوظ النفس.

رابعًا: من واجبات الداعية: تسلية المحتاجين والمعوزين ومواساتهم.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية تقوم مهمته على البلاغ، ولا يتحقق البلاغ إلا ببيان الحقائق، ويظهر هذا من الحديث: "ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يومًا عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان"، ومما لا شك فيه أن أولى واجبات الداعية بيان الحقائق فعلى البيان تقوم الدعوة، وبالبيان أمر الله نبيه في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

قال محمد الغزالي: (إن العالم محتاج إلى أن يدرك جملة الحقائق التي جاء بها الإسلام من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات، فإن هذه الحقائق هداية نافعة له،

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وبالعمل بها - مجتمعة - يحصل خيرًا جزيلاً وينفي شرًا كثيرًا)[١].

وبالبيان تبلغ الدعوة إلى جميع الآفاق، وتقوم الحجة على العالمين قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[٢].

ومن خلال ما سبق يتضح أن من المهام الأساسية للداعية بيان حقائق الإسلام للمدعوين وتعريفهم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار:

لقد تكرر في الحديث قوله: "ألا تسمعون ... ألا تسمعون"، وأسلوب التكرار يعمل على لفت انتباه المدعو إلى ما يقوله الداعية، والتكرار يفيد التوكيد ويدل على أهمية الشيء المكرر، وقد تعدد في السنة النبوية استخدام هذا الأسلوب، وفائدة التكرار في الحديث أن فيه إثارة لانتباههم، فينبغي لمن يريد أن يتحدث إلى قوم وهم منشغلون عنه، أن يصرف أسماعهم إليه قبل الشروع في الحديث، لأن ذلك مما يعين على فهم مقصد الكلام.

وفي القرآن الكريم أيضًا جاء استخدام هذا الأسلوب في غير ما موضع ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٣]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[٤].

وعن السر في استخدام أسلوب التكرار في القرآن قال القاسمي: (وتكرير صفات الله دالّ على الاعتناء بمعرفتها والعمل بموجبها، وتكرير القصص دال على الاهتمام بالوعظ للإيقاظ والاعتبار، وفائدة تكرير القصص تطرئة المواعظ وتشديدها، لأن منها: ما يحث على الطاعة والإيمان، ومنها ما يزجر عن الكفر والعصيان، وكذلك

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة ٢٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الفجر، آية: ٢١.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٣٦.

تكرير الوعد والوعيد، وكذلك تكرير ذكر الأحكام، وكذلك تكرير المدح والذم، وما يترتب على المأمورات والمنهيات من المؤكدات المذكورات، وتكرير الأمثال يدل على الاعتناء بالإيضاح والبيان، وتكرير تذكر النعم يدل على الاعتناء بشكرها)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاقتصاد في حظوظ النفس:

إن مغريات الحياة كثيرة وتتبع ملذاتها هلكة، والمسلم يقتصد في حظوظ نفسه في هذه الحياة، ويقتصر على ما يعينه على أمور معاشه وطاعته لله تعالى، وينأى بنفسه عن الركون إلى ملذات الحياة وزخارفها، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: "إن البذاذة من الإيمان" قال العظيم آبادي: (قال الخطابي: البذاذة سوء الهيئة والتجوز في الثياب ونحوها، يقال: رجل باذ الهيئة إذا كان رث الهيئة واللباس، والتقحل تكلف اليبس والبلى والمتقحل الرجل اليابس الجلد السيئ الحال)[٢]، ودلت النصوص الشرعية على أن المسلم الحق يأخذ نفسه بالشدة، ولا يغريه متاع الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٣].

وجاء عن ابن المبارك عن مصعب بن سعد أن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت لعمر رضي الله عنه: (ألا تلبس ثوبا لينًا من ثوبك، وتأكل طعاما أطيب من طعامك هذا؟ فقد فتح الله عليك الأرض، وأوسع عليك من الرزق، قال سأخصمك إلى نفسك فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلقى من شدة العيش، ولم يزل يذكر حتى بكت، ثم قال عمر لأشركنهما في مثل عيشهما الشديد، لعلى أدرك معهما مثل عيشهما الرخي)[٤].

وجاء عن الحسن البصري أنه قال: (والله أدركت أقوامًا لو شاء أحدهم أن يأخذ هذا المال من حله أخذه فيقال لهم: ألا تأتون نصيبكم من هذا المال فتأخذونه حلالاً؟

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١/٢٥٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٨١.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ص ١٩٢.

فيقولون: لا إنا لنخشى أن يكون أخذه فسادًا لقلوبنا، وأدركت أقوامًا لا يفرحون بشيء من الدنيا أتوه، ولا يأسون على شيء منها فاتهم)[1].

وينبغي على المؤمن أن لا تكون الدنيا أكبر همه، بحيث يبقى منشغلاً بها، بل الواجب عليه أن يجعل من دنياه مزرعة لآخرته؛ لأن هذه الدنيا زائلة، وكذلك نعيمها، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ لما رأى من أصحابه هؤلاء اهتمامًا بأمر من أمور الدنيا بحيث انشغلوا بالحديث عنها من خلال حديثهم الذي سمعه منهم، أنكر عليهم ما سمعه منهم بقوله: (ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟).

إن الإنسان إذا رأى من الناس إقبالاً على الدنيا وزينتها، فعليه أن يذكرهم بأن الدنيا شأنها أحقر من ذلك؛ لأن الإنسان لم يخلق للدنيا، وأنه يكفيه منها ما يعينه على أن يؤدي ما هو مطلوب منه، لا أن يكون منشغلاً بها بحيث تصير أكبر همه؛ لأن المؤمن ينبغي أن يكون متميزًا عن غير المؤمن، فإذا كان الكافر ليس له من أمره في دنياه، إلا بأن يتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام، فإن المؤمن غير ذلك.

إنه ينبغي للمؤمن أن يتعاهد أصحابه وإخوانه بتذكيرهم بأمر الآخرة، والتنبيه عليهم بالحسنى، فإن ذلك مما ينفعهم؛ لأن الإنسان قد يغفل عن الحق، وليس هناك أفضل من إخراج الإنسان من غفلته إلا بتذكيره، ووعظه بالحسنى.

لقد بيّن الحديث أن البذاذة من الإيمان، بمعنى أن على الإنسان أن يكتفي بلباسه بما يؤدي المقصود إليه من اللباس ألا وهو ستر الجسد، لا أن يبالغ أو يحرص على اقتناء أغلى أصناف اللباس وأثمنها دائمًا، وفي كل حال؛ لأن هذه صفة من يكون حريصًا على دنياه، ومن يكون حريصًا على حب سماع مدح الناس له، والثناء عليه بهذا الأمر، وهذا قد يدفع المرء غالبًا إلى الشعور بالعجب والفخر، بل والتعالي على غيره بلباسه، أي أن الأمر يكون مدخلاً لما ينافي الإيمان، فلذلك أوصى النبي ﷺ هؤلاء لما سمع منهم ما سمع، وأرشدهم إلى نقيضه، وإلا فإن الإنسان المؤمن لو اعتنى بمظهره وحسن مظهره

---

(١) الزهد، الحسن البصري، تحقيق: د. محمد عبد الرحيم محمد، دار الحديث، القاهرة، دون ذكر التاريخ ورقم الطبعة، ص ٢٩.

فلا بأس عليه، وعليه أن لا ينسى سريرته، فيكون حسن المظهر والمخبر.

ولا شك أن الإنسان الذي يأخذ نفسه بالشدة ولا يتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا إنما يحقق معنى الزهد المشروع، قال ابن تيمية: (والزهد المشروع هو ترك كل شيء لا ينفع في الدار الآخرة، وثقة القلب بما عند الله وأما في الظاهر فترك الفضول التي لا يستعان بها على طاعة الله من مطعم وملبس ومال وغير ذلك كما قال أحمد: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وصبر أيام قلائل)[1].

والواجب على المسلم أن يفهم البذاذة على حقيقتها، وأن يعلم أن الزهد في الدنيا، وترك متاعها ليس على إطلاقه.

قال ابن قدامة: (قد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقاً، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تاقت منعوها، ظنًا منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس وعلى هذا أكثر المهتدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحلة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور يمدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنفها الشره وقع في الذم، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج.

---

(١) الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، تحقيق: حماد سلامة ص ٧٣ - ٧٤.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة، فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون)[1].

وقال أبو حامد الغزالي: (وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية، ولا يقمع الشهوات بالكلية، أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد، وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل، ولا يتبع كل شهوة، ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا، بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا، وبحفظه على حد مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك)[2].

رابعًا - من واجبات الداعية: تسلية المحتاجين والمعوزين ومواساتهم:

إن الفقير بحاجة إلى الإحسان، لأنه مهيض الجناح، والمفترض في الداعية أن الفقير والغني لديه سواء، ولذا كان من أهم واجباته أن يراعي الفقراء ويواسي المحتاجين، ويظهر هذا من سياق الحديث، حيث جعل النبي ﷺ هذه الصورة من هيئة الفقر لمن لا يجد غيرها من الإيمان، وفي هذا تخفيف من معاناة الفقراء، وبيان لفضلهم ومنزلتهم، والرسول ﷺ رحيم بالناس مشفق عليهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، وقال عنه سبحانه وتعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) انظر: منهاج القاصدين ٢١١ - ٢١٢.

(٢) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٢/١٦٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

هذا وقد حثّ الإسلام على تسلية المحتاجين ومواساة المحرومين، فعن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَاءِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((أَلاَ مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ))[1].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: "عن بكر بن عبدالله رضي الله عنه قال: (إني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء)، قال الذهبي: فكان كذلك يلبس كسوته ثم يجيء إلى المساكين، فيجلس معهم يحدثهم ويقول: لعلهم يفرحون بذلك، وقال ابن عيينة: كان سعيد بن العاص إذا قصده سائل وليس عنده شيء قال: اكتب عليَّ سجلاً بمسألتك إلى الميسرة"[2]، فعلى الداعي إلى الله مراعاة الفقراء وتسليتهم ومواساتهم.

قال د. الحسيني هاشم: الدنيا بمظاهرها ومفاتنها وتصارع الأحياء في اقتنائها والتنعم بها لا قيمة لها في نظر الإسلام، وعلامة الإسلام بالنسبة للمسلم الرضا بما قسم الله له، وعدم الاعتناء الزائد بالمظهر، أو احترام مظاهر الناس دون النظر إلى شخصيتهم الدينية ومبادئهم في الحياة، وكلما ابتعد الإنسان عن الدنيا زاهدًا فيها عاملاً بما كُلِّف عمله كلما قرب من الله)[3].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٠).

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣٤٦٨/٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٣٦.

الحديث رقم (٥١٧)

٥١٧ - وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه، نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبو عُبيدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقيلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالماءِ فَنَأكُلُهُ. قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ، فَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُول الله ﷺ، وفي سبيل الله وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا، وَنَحْنُ ثَلاثُمِئَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِن وَقْبِ عَيْنِهِ بِالقِلالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كَالثَّوْرِ (أَوْ: كَقَدْرِ الثَّوْرِ)، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَقْعَدَهُمْ في وَقْبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**)) فَأَرْسَلْنَا إِلَى رسول الله ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

العيرُ: الإبلُ[2].

جرابًا: وعاء من جلد[3].

الخبط: ورق شجر معروف تأكله الإبل، وقيل: ما سقط من ورق الشجر بالخبط والنَّفض[4].

---

(١) برقم ١٩٣٥/١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٥٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤١.

(٤) رياض الصالحين ٢٤١، والمعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢١٦.

الكثيب: التلُّ من الرمال[١].

العنبر: حيوان ثدييّ بحري من رتبة الحيتان[٢].

وَقْبُ عينِهِ: نُقرةُ العين[٣].

القلالُ: الجرار[٤].

الفِدرَ: القطع، مفردها: فِدْرَة[٥].

رَحَل البعير: جعل عليه الرحل[٦].

الوشائقُ: اللحمُ الذي اقتطعُ ليقدَّد منه، ومفردها: وشيقة[٧].

الشرح الأدبي

الحديث قصصي طويل يعتمد الحوار في بعض مراحله والأسلوب القصصي يجذب السامع لميل النفس الفطري لسماعه كما أنه يعلم بطريقة غير مباشرة، ويقرر الحقائق، ويصحح الأخطاء دون مواجهة للمخاطب قد لا تجد عنده قبولا إذا وجهت إليه مباشرة وقوله (قَالَ: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضي الله عنه) ضمير الجماعة المتصل بالفعل يشير إلى أنهم كانوا عددا كبيرا، وهو المناسب للغرض وهو اعتراض عير قريش، ونسبة البعث للرسول ﷺ تقرر أنهم في مهمة شرعية خرجوا لله، والفعل (أمَّر) يضبط حركة البعث بالتنظيم الشرعي الذي ينظم حياة المسلم في جميع سلوكياته بما يحقق الغاية، ويمنع الشقاق وقوله (وَزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ) هو من باب الأخذ بالأسباب بالقدر، وإفراد الجراب، وتنكيره يشير إلى قلته، ونقصه عن قدر

---

(١) رياض الصالحين ٢٤١.

(٢) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٣٠.

(٣) رياض الصالحين ٢٤١.

(٤) المرجع السابق ٢٤١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف د ر).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ش ق).

(٧) المرجع السابق ٢٤١.

الحاجة، وقوله (لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ) يشير إلى الاضطرار الذي يستلزم التصرف على قدر الموقف، وهو ما فعله أبو عُبيدَةَ وصوره المضارع (يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً) مع المفعول الدال على حسن التصرف على قدر الحاجة، وقد أثار الخبر بعض المخاطبين فسأل(كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟) وهو استفهام يحمل تعجبا أزالته إجابته (نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ) ثم النتيجة التي حققتها (فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ) وقوله (نَحْنُ رُسُلُ رَسُول الله ﷺ) فيه جناس يشير إلى المنطلق الذي يتحركون منه، ويتصرفون على أساسه، وقوله(وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا) يشير إلى اجتهاد أبي عبيدة رضي الله عنه في المسألة، وقوله (فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ) التعبير بالإتيان للإشارة إلى المجيء بشيء، وقوله فذكرنا إشارة إلى مراجعة العمال للفصل بين الصواب، والخطأ عن طريق التقويم البناء، والفاء تدل على السرعة في عرض نتائج الرحلة على الرسول ﷺ، وقوله (هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ) إقرار قولي من الرسول ﷺ لفعلهم) أكده بالاستفهام المؤذن بالإقرار الفعلي بالأكل معهم (فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟).

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - تأمير الرفقة بعضهم عليهم: قال النووي: (فيه [أي هذا الحديث] أن الجيوش لا بدّ لها من أمير يضبطها وينقادون لأمره ونهيه وأنه ينبغي أن يكون الأمير أفضلهم أو من أفضلهم. قالوا: ويستحب للرفقة من الناس - وإنْ قلُّوا - أن يؤمروا بعضهم عليهم وينقادوا له)[1].

٢ - صد أهل الحرب: قال النووي: (في هذا الحديث جواز صد أهل الحرب واغتيالهم والخروج لأخذ مالهم واغتنامه)[2].

٣ - خلط أزواد الرفقة: قال النووي: (قال العلماء: يستحب للرفقة من المسافرين

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٧٢.

(٢) السابق، الموضع نفسه.

خلط أزوادهم، ليكون أبرك وأحسن في العشرة وأن لا يختص بعضهم بأكل دون بعض)[١].

٤ - سؤال الإنسان من مال صاحبه: قال النووي: (طلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك، في هذا دليل على أنه لا بأس بسؤال الإنسان من مال صاحبه ومتاعه إدلالاً عليه، وليس هو من السؤال المنهي عنه، إنما ذاك في حق الأجانب للتمول ونحوه. وأما هذه فللمؤانسة والملاطفة والإدلال)[٢].

٥ - الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي ﷺ: قال النووي: (فيه جواز الاجتهاد في الأحكام في زمن النبي ﷺ، كما يجوز بعده)[٣].

٦ - تعاطي المفتي بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي: قال النووي: (يستحبّ للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشكّ فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي وكان فيه طمأنينة للمستفتي)[٤].

٧ - حكم أكل ميتة السمك: ذهب جمهور الفقهاء إلى إباحة أكل ميتة السمك سواء أمات حتف أنفه أو بالاصطياد، بينما ذهب الحنفية إلى أنه لا يحل أكل ما مات حتف أنفه "وهو الطافي"[٥].

٨ - المباح من ميتات البحر غير السمك: ذهب الحنابلة والصحيح عند الشافعية أنه يباح جميع ميتات البحر إلا الضفدع والحية والتمساح، وقال المالكية: يحل الجميع

---

(١) السابق، ٧/١٣/٧٣.

(٢) السابق، الموضع نفسه.

(٣) السابق، الموضع نفسه.

(٤) السابق، ٧/ج١٣/٧٣-٧٤.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨/٤٧٠، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٧٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦/١٧٣، وبداية المجتهد ١/٦١٢، ٦١٣، ومغني المحتاج ٤/٢٩٧، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤/٢٤٥.

سواء الضفدع وغيره، وذهب الحنفية والشافعية في وجه ثانٍ إلى أنه لا يحل غير السمك.

وذهب الشافعية في وجه ثالث إلى أن ما حرم نظيره في البر فهو حرام في البحر كذلك، ككلب الماء وخنزيره[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البعوث.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة رضي الله عنه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة الحالة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: رزق الله تعالى لعبادة المتوكلين الصادقين.

سادسًا: من آداب المدعو: استفتاء الداعية فيما يشغله من أمور.

سابعًا: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح وإقرار المدعوين على الفعل الصواب.

أولاً - من وسائل الدعوة: البعوث:

حيث جاء في الحديث "بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم" قال الإمام النووي: (وفي الحديث جواز صدّ أهل الحرب واغتيالهم، والخروج لأخذ مالهم واغتنامه)[2] ومما هو معلوم أن البعوث والجهاد في سبيل الله من وسائل الدعوة قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4] ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام عظمت به الوصية واشتدت الحاجة إليه (إن الجهاد من لوازم

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٨، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٤/١٣/٧، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٧٣/٦ وما بعدها، وبداية المجتهد ٦١٣/١، ومغني المحتاج ٢٨٧/٤، ٢٩٨، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٤٥/١٤-٣٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

الحياة الكريمة، حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله، ونشر الدعوة إلى الله، وإبلاغ هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن)[١].

(إن المسلمين لمَّا أصبحت لهم دولة بالمدينة، ورضي أهلها جميعًا بالنبي ﷺ نبيًا رسولاً، ورئيسًا مسؤولاً عن أمنها وسلامتها، كان لابد من حماية هذا الوضع من العدوان ومن ثم حض القرآن على القتال لمقاومة الظلم وتحرير المستضعفين، ونصرة المظلوم، ومنع الفتنة في الدين، وكفالة حرية العبادة، ولذا فبعد الإذن بالقتال، بدأ الرسول ﷺ في بعث سرايا من أصحابه كمناورات على الحدود وذلك لتأمين المدينة، ومعرفة حركات أعدائه حتى لا يؤخذ على غرة وقد خرج بنفسه في عدد منها)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة رضي الله عنه:

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم لهم فضل عظيم، ومكانة كبيرة فقد جاهدوا وصبروا وأوذوا وتحملوا، ومن كوكبة الصحابة رضي الله عنهم أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، حيث جاء في الحديث "وأمَّر علينا أبا عبيدة رضي الله عنه" وهو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال مشهور بكنيته: أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي انتزع حلقتي المغفر[٣] من وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فسقطت ثنيتاه رضي الله عنه[٤]، له من الفضائل والمناقب ما لم تحوز لغيره، فهو أمين الأمة، لقوله ﷺ: ((إن لكلِّ أمةٍ أمينًا، وإن أميننَا أيَّتُها الأمَّةُ أبو عُبيدةَ بنُ الجّراح))[٥] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((قال النبيُّ ﷺ لأهلِ نَجْرانَ: لأبعَثَنَّ -

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ٢٤٢.

(٢) الجهاد في الإسلام، أ. محمد شديد، ٩٢-٩٣.

(٣) المغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزَّرَد ونحوه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ف ر).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٦٤٤، ٦٤٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٤٤، ومسلم ٢٤١٩.

يعني عليكم ـ أمينًا حقَّ أمين. فأشرَفَ أصحابُهُ رضي الله عنهم ، فبعثَ أبا عُبيدةَ رضي الله عنه))[١].

وفي بيان عظم مناقبه رضي الله عنه وفضله قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحابه: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهبًا أنفقه في سبيل الله عز وجل. ثم قال: تمنوا فقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤًا وزبرجدًا أو جوهرًا أنفقه في سبيل الله عز وجل وأتصدق به ثم قال: تمنوا فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح)[٢].

وكيف لا وهو القائل: ما من الناس من أحمر ولا أسود حر ولا عبد عجمي ولا فصيح، اعلم أنه أفضل مني بتقوى إلا أحببت أن أكون في مسلاخه[٣]، وقد أورد ابن حجر عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت لأخذت عليه في خلقه ليس أبا عبيدة بن الجراح))[٤]، ومات رضي الله عنه في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: نمصها كما يمص الصبي" و أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المهمة وهو يفتح باب المحاورة بين الداعية والمدعو، وفيه زيادة إفهام للسائل حيث يسوق الداعية إليه الجواب مباشرة، ومن صور استخدام القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾[٥] وقوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٤٥، ومسلم ٢٤٢٠.

(٢) صفة الصفوة ١/١٦٣-١٦٤.

(٣) المسلاخ: الجلد يقال في المدح: ملك في مسلاخ إنسان وهو كناية عن ملازمته له. انظر: المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٤٢.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٦٤، ٦٦٥، وقال ابن حجر: حديث مرسل، ورجاله ثقات.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٦) سورة الأنفال، آية: ١.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة الحالة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم لم تفتنهم زينة الحياة الدنيا، ومرّت بهم الأيام الشداد التي لا يجدوا فيها ما يأكلون وهم صابرون محتسبون، ويتضح هذا من الحديث "كان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة" "كنا نمصها كما يمص الصبي" "كنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله" ولاشك أن كل هذا يبين مدى شدة الحالة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم.

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر على الجوع وخشونة العيش وإقدامهم على الغزو مع هذه الحال)[١].

وعن خالد بن عمير قال: خطبنا عتبة بن غزوان على المنبر فقال: ((وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللّهِ. مَا لَنَا طَعَامٌ نأكله إلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا))[٢].

ومن صور ذلك أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا))[٣].

وعن سعد رضي الله عنه قال: ((رَأَيتُني سابعَ سَبعةٍ معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ما لنا طعامٌ إلاَّ وَرَقُ الحُبْلة[٤] أوِ الحَبَلة حتَّى يَضَعَ أحدُنا ما تَضَعُ الشاة، ثم أصْبَحَتْ بنو أَسَدٍ تُعزِّرُني على الإسلام، خَسِرتُ إذَن وضلَّ سَعيي))[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنه مرَّ بقومٍ بينَ أيديهم شاةٌ مَصْلِيَّة، فدَعوهُ، فأبى أن يأكل قال: خرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يَشبَعْ من خبزِ الشعير))[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٣٨.

(٤) الحبلة: ثمرة فصيلة القطانيات كالفول والعدس والفاصوليا وغيرها وتكون ذات فلقتين وبضع بزرات، وهي تتفتح عندما تنضج. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٤٨، المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٥٣.

(٥) أخرجه البخاري ٥٤١٢، ومسلم ٢٩٦٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٤١٤.

وعن أبي حازم قال: ((سألتُ سهلَ بن سعدٍ فقلتُ : هل أكلَ رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ؟ فقال سهلٌ: ما رَأَى رسول الله ﷺ النَّقيَّ مِن حِينِ ابتعَثَهُ اللهُ حتى قَبضَه الله. قال: فقلت: هل كانت لكم في عهدِ رسولِ الله ﷺ مَناخِلُ؟ قال: ما رَأَى رسولُ الله ﷺ مُنخُلاً من حينِ ابتَعَثَهُ الله حتى قبضَه الله. قال: قلت: كيف كنتم تأكلونَ الشعيرَ غيرَ منخولٍ؟ قال: كنَّا نَطحَنه ونَنفُخُه، فيطيرُ ما طار، وما بقي ثَرَّيْناه فأكلناه))[1]. وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أنتم اليوم أطول اجتهادًا وأطول صلاة وأكثر صلاة من أصحاب محمد ﷺ وكانوا خيرًا منكم فقيل لم؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا وأرغب في الآخرة)[2].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: رزق الله تعالى لعباده المتوكلين الصادقين:

إن فضل الله واسع ورزقه كبير لمن صدق في توكله عليه ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أصدق الناس توكلاً وأشدهم يقينًا في الله ولذا رزقهم الله من حيث لم يحتسبوا؛ حيث جاء في الحديث "فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم فإذا هي دابة تدعى العنبر" وما من شك في أن هذا يدل على رزق الله لمن يتوكل عليه قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾[3] وقال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[4] وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ﴾[5].

وقد جاء في الحديث أن حسن التوكل على الله من ثماره الرزق الكثير فعن عمر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤١٣.

(٢) كتاب الزهد، عبدالله بن مبارك المروزي، تحقيق وتعليق الشيخ: حبيب الرحمن الأعظمي ص ١٧٢.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٢، ٣.

(٤) سورة هود، آية: ٦.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ أَنَّكُمْ كنتم تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا))[١].

قال ابن القيم: (التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين وعموم التوكل. ومن صدق توكله على الله في حصول شيء ناله فإن كان محبوبًا له مرضيًا كانت له فيه العاقبة المحمودة ولذا فإن التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات، فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات)[٢].

والإنسان عندما يقنع ويرضى بما قسمه الله له من الرزق يبارك له ويزاد له في رزقه قال ابن رجب الحنبلي: (والمتوكل حقيقة من يعلم أن الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمنه، ويثق بقلبه، ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير أن يخرج التوكل مخرج الأسباب في استجلاب الرزق به، والرزق مقسوم لكل أحد من بر وفاجر ومؤمن وكافر فما دام العبد حيًا فرزقه على الله وقال عمر رضي الله عنه بين العبد وبين رزقه حجاب فإن قنع ورضيت نفسه أتاه رزقه وإن اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق رزقه وقال بعض السلف: توكل تسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف[٣].

سادسًا - من آداب المدعو: استفتاء الداعية فيما يشغله من أمور:

حيث جاء في الحديث: "فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا ذلك له" وهذا من أهم آداب المدعو أن يستفتي الداعية في كل ما لا يعلم، وفيما يشغله من الأمور، وقد أمر الله بهذا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤].

قال السعدي: (وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١١).

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٥١-٣٥٣.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٥٠٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا أنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، نهي له أن يتصدى لذلك)[١].

وقال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾[٢] وحث النبي ﷺ على الاستفتاء والسؤال عند عدم العلم فقال لما أخبر عن المجروح الذي اغتسل فمات ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٣].

سابعًا - من واجبات الداعية: البيان والتوضيح وإقرار المدعوين على الفعل الصواب:

حيث جاء في الحديث "هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا" والبيان والتوضيح من أهم واجبات الداعية لأنه هو الذي يُرجع إليه في المسائل الشرعية فكان لابد من البيان والجواب وقد قال الله لنبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤] قال الإمام النووي: (وأما طلب النبي ﷺ من لحمه وأكله ذلك فإنما أراد به المبالغة في تطييب نفوسهم في حله، وأنه لاشك في إباحته وأنه يرتضيه لنفسه ويستفاد من هذا أنه يستحب للمفتي أن يتعاطى بعض المباحات التي يشك فيها المستفتي إذا لم يكن فيه مشقة على المفتي وكان فيه طمأنينة للمستفتي)[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣٤.

الحديث رقم (٥١٨)

٥١٨ - وعن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسول الله ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رواه أَبو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: هي أمُّ عامر الأنصاري الأشهلية، بنت عمّة معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه وكانت من أخطب نساء العرب وكان يُقال لها خطيبة النساء، حضرت بيعة الرضوان وبايعت يومئذ، وكانت من ذوات الشجاعة والإقدام، وقد شهدت اليرموك (سنة ١٣هـ) وكانت تسقي الظماء وتضمد جراح الجرحى فلما اشتدت الحرب أخذت عمود خيمتها وانغمرت في الصفوف فصرعت به تسعة من الروم، وقد روت عن النبي ﷺ أحاديث صالحة.

وقد قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ في مسجِدنا المغربَ فجئتُ منزلي فجئته بلحمٍ وأرغفةٍ، فقلت: تعَشَّ!! فقال لأصحابه: (كلُوا)!! فأكل هو وأصحاب الذين جاؤوا ومن كان حاضرًا من أهل الدار، وإنَّ القومَ لأربعونَ رجلاً، والذي نفسي بيده لرأيتُ بعضَ العِرقِ لم يتعرّقْهُ وعامَّة الخُبْز قالت: وشربَ عندي في شَجْبٍ -أي قربة مقطوعة الفم، شبه الدلو - فأخَذْتُهُ فدهنتُهُ وطرّيتُهُ، فكنا نسقي فيه المرضى ونشربُ منه في الحين رَجَاءَ البركة[٢].

وقالت مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا في نسوة فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السَّلامَ[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٢٧ واللفظ له، والترمذي ١٧٦٥ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. فيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد تفرد به، ورواه النسائي في الكبرى ٩٦٦٧ عن بديل بن ميسرة فذكره مرسلًا. وسيكرره المؤلف برقم ٧٩٠.

(٢) ذكره ابن سعد في الطبقات، ٣١٩/٨.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣٢٠/٨.

وتوفيت بعد اليرموك بزمن طويل[١].

غريب الألفاظ:

الرُّصغُ: المِفْصَلُ بين الكفِّ والساعِدِ[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الذي ترويه أسماء بنت يزيد رضي الله عنها يشير إلى جانب من لباس رسول الله ﷺ في القميص، وتقرر عن طريق الفعل الماضي (كان) تحققه لتشير إلى أنه الثابت عنه في هذا الصدد، والتعبير بفعل الكينونة الماضي يشير إلى أنه المعتاد في لبسه للقميص أن يكون كمه إلى الرصغ أو الرسغ، وكلاهما بمعنى واحد، وهُوَ المَفْصِلُ بَيْنَ الكفِّ، والسَّاعِدِ، وهذا الخبر منها بقصد بيان لازمه، وهو بيان الحد المسنون في كم القميص، وهذا يشير إلى قمة العناية من الصحابة رجالا، ونساء بكل ما يخص الرسول ﷺ في عبادته، أو في عادته؛ لأنهم يعلمون أنهم ينقلون دينهم لمن بعدهم فاهتموا بكل حدث في حياته مهما صغر، ونقلوه عنه بكل دقة، وأمانة رضي الله عنهم.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

الحدّ الذي يكون عنده كمّ القميص: قال المباركفوري: (قال الجزري: فيه دليل على أن السنة أن لا يتجاوز كم القميص الرسغ. وأما غير القميص فقالوا: السنة فيه أن لا يتجاوز رؤوس الأصابع من جبة وغيرها)[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣١٩/٨-٣٢٠، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٨٧٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٦/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٣٥، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٩٦/٢-٢٩٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥١٨/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦٤/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٠٦/١، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٤٥/٣.

(٢) رياض الصالحين ٢٤١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

ولكن جاءت أحاديث فيها أن الكمّ أسفل الرسغ أو أنه يساوي أطراف الأصابع، فقد أخرج أبو الشيخ في "أخلاق النبي" بإسناده عن أسماء بنت يزيد: (كان قميص النبي ﷺ أسفل الرسغ)[١]. وأخرج أبو الشيخ أيضًا والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان النبي ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين مستوى الكمين بأطراف أصابعه)[٢] وقال العزيزي: (أي مساويًا لها)[٣].

قال العظيم آبادي: (ويجمع بين هذه الروايات وبين حديث الباب إما بالحمل على تعدد القميص، أو بحمل رواية الكتاب على رواية التخمين[٤]، أو يحمل الرسغ على بيان الأفضل وحمل الرؤوس على بيان الجواز، وقيل يحتمل أن يكون الاختلاف باختلاف أحوال الكم، فعقيب غسل الكم لم يكن فيه تثنٍ فيكون أطول، وإذا بعد عن الغسل ورفع فيه التثني كان أقصر)[٥].

ومن الجدير بالذكر أن النووي قال في المجموع: (يستحب تقصير الكم واستدل بحديث أسماء رضي الله عنها)[٦].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ ٢٤٨، والبغوي في شرح السنة ١٢/٧-٨.

(٢) أخرجه أبو الشيخ ٢٤٧، والحاكم ٤/١٩٥ رقم ٧٤٩٧. وإسناده ضعيف جدًّا. قاله الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٤٦٢٦.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٢٩.

(٤) كذا في المطبوع من عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ولم أهتد لفهم هذه العبارة، ويغلب على الظن أن هناك تصحيفًا وصواب العبارة "أو بحمل رواية الكتاب على رؤية التشمير" والله أعلم.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٢٩، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥٣٩-١٥٤٠، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥/١٧٣.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٣٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في لبس القميص.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد جاء في هذا الحديث: "كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ"، فقد أخبرت أسماء بنت يزيد أن كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ، وأسلوب الإخبار من أهم الأساليب الدعوية، إذ أن الدعوة تقوم على الإخبار في الأصل، وأهم ما يتميز به أسلوب الإخبار: الصدق حيث إن أخبار القرآن والسنة كلها صادقة، والصدق يحقق الثقة والقبول لدى المدعو، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[2]، وبأسلوب الإخبار تقوم الحجة على المدعوين بالبلاغ والبيان ومن أجل هذا كانت مهمة الرسل عليهم السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في لبس القميص:

إن هدي النبي ﷺ هو أكمل الهدى وأحسنه وأتمه، وهذا الحديث يبين هدي النبي ﷺ في لبس القميص وحجم كمه، حيث جاء فيه: (كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرصغ)، قال المباركفوري: "قال في النهاية: الرسغ بالسين المهملة والصاد لغة فيه وهو مفصل ما بين الكف والساعد، قال الجزري: فيه دليل على أن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

السنة أن لا يتجاوز كم القميص الرسغ وأما غير القميص فقالوا: السنة فيه أن لا يتجاوز رءوس الأصابع من جبة وغيرها"[١].

وقال ابن علان: (وحكمة الاقتصار على كم القميص إلى الرسغ أنه متى تجاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش، ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد فكان جعله إليه أمرًا وسطًا، وخير الأمور أوساطها، والرسغ: هو من الإنسان مفصل ما بين الكف والساعد والقدم أي مشترك بينهما)[٢].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (كان كم قميص الرسول ﷺ قصيرًا لا يغطي كل ساعده لتتحقق له حرية الحركة وليوفر من طول الثياب ما لا حاجة إليه، ولاعتنائه بالضرورات دون ما عداها مما لا حاجة إليه)[٣].

وجاء في عون المعبود: (الحديث يدل على أن السنة في الأكمام أن لا تجاوز الرسغ).

وأخرج ابن حبان أيضًا من طريق مسلم بن يسار عن مجاهد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصًا فوق الكعبين، مستوى الكمين بأطراف أصابعه.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ:

إن المؤمن الحق هو من يتأسى برسول الله ﷺ ويتبع سمته وهديه ودله في كل شيء ولذا كان من آداب المدعو التأسي برسول الله ﷺ، ويفهم هذا من سياق الحديث، وبيان هيئة كم قميص رسول الله ﷺ، ولقد كان من توجيهات القرآن للمسلم أن يهتدي بهدي النبي ﷺ ويتأسى به، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٤].

قال الطاهر بن عاشور: (الأسوة اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٧٧٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٣٧

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وحق الأسوة أن يكون المؤتسى به هو القدوة، وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله بامتثال أوامره، واجتناب ما ينهى عنه والائتساء بأفعاله من الصبر والشجاعة والثبات، وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ وأنه الأسوة الحسنة لا محالة، واصطلاح أهل الأصول على جعل التأسي لقبًا لاتباع الرسول ﷺ في أعماله التي لم يطالب بها الأمة على وجه التشريع)[1].

قال ابن القيم: (ولبس ﷺ القميص وكان أحب الثياب إليه، وكان كمه إلى الرسغ، وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول، قصير الكمين، وأما هذه الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج فلم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه ألبتة وهي مخالفة لسنته، وفي جوازها نظر فإنها من جنس الخيلاء، ولا شك أن الصواب في أن أفضل الطرق طريق رسول الله ﷺ التي سنها وأمر بها ورغب فيها، وداوم عليها)[2].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ١/١٣٧.

الحديث رقم (٥١٩)

٥١٩ - وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: إنَّا كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إِلَى النبي ﷺ ، فقالوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ. فَقَالَ: ((أَنَا نَازِلٌ)) ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أيّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النبي ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ[1] فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ (أو: أَهْيَمَ)، فقلت: يَا رسول الله، ائْذَنْ لي إِلَى البَيْتِ، فقلتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بالنَّبيِّ ﷺ شَيئًا مَا[2] فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقالت: عِنْدي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النبي ﷺ ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ[3] تَنْضِجُ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رسول اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ، قَالَ: ((كَمْ هُوَ؟)) فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: ((كثيرٌ طَيِّبٌ، قُل لَهَا لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حتى آتِي)) فَقَالَ: ((قُومُوا))، فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فقلتُ: وَيْحَكِ قَدْ جَاءَ النبيُّ ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ومن مَعَهُمْ! قالت: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: ((ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا)) فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّور إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ[4] وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ[5]، فَقَالَ: ((كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[6].

وفي رواية[7]: قَالَ جابر: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبيِّ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى

---

(١) عند البخاري زيادة: (في الكدية)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه ٢/٣٥٨، رقم ١٥٧٩.

(٢) عند البخاري زيادة: (كان).

(٣) عند البخاري زيادة: (أن).

(٤) عند البخاري زيادة: (الكسرة)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٥) لفظ البخاري: (وبقي بقيّة) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٠١ من حديث عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له ٤١٠٢، ومسلم: ٢٠٣٩/١٤١ عن سعيد بن ميناء، عن جابر.

تنبيه: الحديث باللفظ الأول، انفرد البخاري بإخراجه، وباللفظ الثاني متفق عليه، واللفظ للبخاري، أورده الحميدي في جمعه ٢/٣٥٧، رقم ١٥٧٩ في المتفق عليه، وساق أولًا لفظ المتفق عليه، ثمَّ ساق لفظ البخاري لفظ البخاري، فعكسه المؤلف، فانعكس معه العزو.

امْرَأَتِي، فقلت: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ برسول الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهِيمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رسول الله ﷺ، فقالت: لاَ تَفْضَحْنِي برسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، ذَبَحْنَا بهيمَة لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ[1]، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((**يَا أَهلَ الخَنْدَقِ: إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلا بِكُمْ**)) فَقَالَ النبي ﷺ: ((**لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلاَ تَخْبِزنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**)) فَجِئْتُ، وَجَاءَ النبي ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ[2] عَجِينًا، فَبَسَقَ[3] فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: ((**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلاَ تُنْزِلُوهَا**)) وَهُم أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يوم الخندق: غزوة الأحزاب، في شوال ٥هـ[4].

عَرَضتْ كُدية: قطعة غليظة صُلبةٌ من الأرض، لا يعملُ فيها الفأسُ[5].

لا نذوق ذوقًا: أي لا نطعم فيها شيئًا[6].

المعوْلَ: الفأسُ[7].

---

(١) عند البخاري ومسلم زيادة: (كان عندنا).

(٢) عند البخاري ومسلم زيادة: (له).

(٣) لفظ البخاري، ومسلم: (فبصق) بالصاد المهملة.

(٤) انظر: أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٣٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ و ق).

(٧) المرجع السابق في (ع و ل).

كثيبًا: الكثيب: تل الرمال[١].

أهْيل: صار تُرابًا ناعمًا[٢].

عَناقٌ: هي الأنثى من المعز[٣].

البرمة: القِدر وجمعها برام[٤].

والعجين قد انكسر: أي لان ورطب وتمكن منه الخمير[٥].

الآثافيّ: الأحجار التي يكون عليها القِدْرُ[٦].

التنور: الفرن يخبز فيه[٧].

تضاغطوا: تزاحموا[٨].

ويخمر البرمة والتنور: يغطيهما[٩].

الخمصُ: الجوع[١٠].

انكفأتُ: انقلبتُ ورجعتُ[١١].

جرابًا: وعاءً من جلد[١٢].

---

(١) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر م).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(٦) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ف ر).

(٨) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٩) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٧.

(١٠) رياض الصالحين ٢٤٣.

(١١) المرجع السابق ٢٤٣.

(١٢) المرجع السابق ٢٤١.

الصاعُ: هو وحدة من وحدات المكاييل[١].

بُهيمةٌ: تصغير بهَمْة، وهي العناق[٢].

داجنٌ: هي التي ألفت البيتَ[٣].

فساررتُه: كتمته قولاً[٤].

السُّؤرُ: الطعام الذي يدعى الناس إليه، وَهُو بالفارسية[٥].

حيهلا: تعالوا[٦].

بكَ وبكَ: أي خاصمتْهُ وَسَبَّتْهُ لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم؛ فاستحيت وخفى عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من هذه المعجزة الظاهرة والآية الباهرة[٧].

بسق: بصق، ويقال أيضًا: بزق، ثلاث لغات[٨].

عَمَدَ: بفتح الميم أي قصَدَ[٩].

اقدحي: اغرفي، والمقدحة: المغرفة[١٠].

انحرفوا: انصرفوا[١١].

لَتَغطّ: أي لغليانها صوتٌ[١٢].

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٤١، ٤١٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٤) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، الفيروز آبادي ٤٠٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٤٣.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ر ف).

(١٢) رياض الصالحين ٣٤٤.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من الأحاديث القصصية الواقعية الطويلة التي اشتملت على عناصر القصة، وقول جابر رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ) يعرض تفاصيلها من الشخصيات التي دل عليها بضمير الجماعة المتصل بالفعل (كنا) والحدث، وزمانه، ومكانه؛ لأن لفظ اليوم يشير إلى الزمان، وإضافته للخندق تشير إلى المكان، والحدث هو الحفر، وناء الفاعلين تشير إلى فريق العمل الذي شمل الصحابة، والتعبير بكنا يشير إلى العودة إلى الماضي الذي وقعت فيه القصة، والعقدة التي أشار إليها قوله (فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ) قطعة صعبة من الأرض مع قلة أدوات الحفر وعدم ملاءمتها كما عرض للحل في قوله (فَجَاؤُوا إِلَى النبي - صلى الله عليه وسلم) وقوله (قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ) كناية عن شدة الجوع، وقوله (وَلَبِثْنَا ثَلاثَة أيّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقاً) يشير إلى الشدة التي ترفع مستوى العقدة في النص، والتعبير بنفي الذوق يفيد المبالغة في نفي الأكل، وقوله (فَأَخَذَ النبي صلى الله عليه وسلم المِعْوَلَ، فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً أَهْيَلَ أَو أَهْيَمَ) الفاء التي عطفت الأفعال الثلاثة تشير إلى تسارع الأحداث التي تعرض لوجه الإعجاز في الفعل لأن قوله (فعاد كثيبا) يشير إلى تفتت الأرض الصلبة كما يوحي بضخامتها التي دل عليها لفظ الكثيب، والتعبير بأهيل يشير إلى حل المشكلة لأنها صارت غير متماسكة وقوله (قُومُوا)، فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ) الأمر العام شمل الجميع مع أن الطعام الذي دعي إليه قليل،وهو ما يسمى بالحبكة القصصية التي يتبعها بحث عن الحل، والذي تمثل في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم المعجز في قوله (فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّور إِذَا أَخَذَ مِنْهُ) والتعبير بالجعل للإشارة إلى الشروع في الفعل، والأفعال المضارعة تصور حركة يد النبي صلى الله عليه وسلم بين البرمة، والتنور، وقلب الصحابي يخفق خوفا من نفاد الطعام، مع بقاء بقية الضيفان وهو أمر ثقيل على نفس العربي أن يرد ضيفه، وقوله (فَلَمْ يَزَلْ يكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ) التعبير بالفعل زال المنفي يشير إلى الاستمرارية في الإطعام مع البركة في الطعام التي أحدثت توازنا بين كمية الطعام، وعدد المدعوين بل وفاضت عن حاجة أهل البيت ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم فأمرها بقوله (كُلِي هَذَا وَأَهدِي) وهو أمر توجيه، وإرشاد رعاية لحالها، وحال الناس، علله بقوله

(فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ) لحملها على الامتثال للأمر حيث أكد الخبر بأكثر من مؤكد، وأشار إلى عمومه بالمفهوم من دلالة لفظ الناس، والتعبير بالإصابة الذي يشير إلى التحقق مع قوة الأثر مع لفظ المجاعة الذي يدل على المبالغة في حالة الجوع العامة، وهذا يستلزم مزيد البذل، والعطاء.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - جواز المسارة بالحاجة بحضرة الجماعة: قال النووي: ("قوله فجئته فسررته فقلت يا رسول الله" فيه جواز المسارة بالحاجة بحضرة الجماعة، وإنما "نهى أن يتناجى اثنان دون الثالث"[(١)])[(٢)].

٢ - جواز التكلم بألفاظ غير عربية: قال النووي: (قوله ﷺ "إن جابرًا قد صنع لكم سورًا فحي هلا بكم" أما السور -فبضم السين وإسكان الواو غير مهموز، وهو الطعام الذي يدعى إليه، وقيل: الطعام مطلقًا وهي لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله ﷺ تكلم بألفاظ غير العربية، فيدل على جوازه)[(٣)].

المضامين الدعوية[(٤)]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الجوع.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة تكثير الطعام بين يديه.

---

(١) أخرج البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤ عن ابن مسعود > مرفوعًا: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه".

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٨٤/١٣/٧.

(٣) المرجع السابق، ١٨٤/١٣/٧-١٨٥.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥١٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٢٠).

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

سابعًا: من واجبات المدعو: التضحية والإيثار خاصة عند اشتداد الأزمات.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إنا كنا" ولاشك أن أسلوب التوكيد يبين للمدعو مدى صدق الداعية فيما يقول ووثوقه به، وهذا مما يساعد في إقناع المدعو، وقد تكرر في القرآن الكريم استخدام هذا الأسلوب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2]. قال القاسمي: (واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به؛ فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد وكلما خفّ، خفّ التأكيد، وإن توسط الاهتمام، توسط التأكيد فإذا قال القائل: زيد قائم فقد أخبر بقيامه فإن أراد تأكيد ذلك عند من شك فيه أو يكذبه أو ينازعه فيه أكده فقال: إن زيدًا قائم فإن زاد في التأكيد قال: إن زيدًا لقائم)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استشارة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ:

إن الإنسان العاقل هو من يستشير الحكماء فيما يعرض له من أمور فكيف إذا كان المستشار هو رسول الله ﷺ، ولذا كان من ديدن الصحابة رضي الله عنهم الرجوع إلى النبي ﷺ ومشاورته لعلمهم بتنزل الوحي عليه، ويتضح هذا من الحديث "فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق" ولقد كان مبدأ المشاورة مما علّمه رسول الله ﷺ لأصحابه وبهذا أمره الله تعالى في القرآن قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[4] ومدح الله الجماعة المؤمنة بقوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾[5].

---

(١) سورة الكوثر، آية: ١.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٧/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٨.

قال القرطبي: (أي يتشاورون في الأمور وقال الحسن: أي إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم وقال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب.

فمدح الله المشاورة في الأمور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك)[1]. وقال الماوردي: (اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فإن الله عز وجل أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسددها برأيه؛ ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة لا يضل معهما رأي، ولا يفقد معهما حَزْم. وقال بعض البلغاء: من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ وقال بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافي قوةٌ للقوادم)[2]

ولقد كان ديدن الصحابة رضي الله عنهم، مشاورة النبي والرجوع إليه فيما يعرض لهم من أمور صعاب وجسام، وذلك لما أكرمه الله به من النبوة وتنزل الوحي الكريم عليه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٣٦/١٦/٨، ٣٧، ومسبار العقول أي محل اختبارها وبيان ذكائها، انظر: الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (س ب ر) بتصرف يسير.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٨٩، ومعنى "بائر" أي رجل غير موفق لم يحقق المقصود المطلوب، الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد في (ب ا ر) بتصرف.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من الجوع:

إن النبي ﷺ صبر وصابر وتحمّل، وجاهد؛ لأجل نشر الدعوة، ولم ترغب نفسه إلى التلذذ بأنواع الطعام والتمتع بصنوف الطيبات وسيرته ﷺ تشهد بما تحمَّل من الجوع أيامًا وما لاقى من الشدة ألوانًا ولا أدل على ذلك مما جاء في الحديث: "وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا" وقوله "سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع" قال ابن حجر: (وفائدة ربط الحجر على البطن أنها تضمر من الجوع فيخشى على انحناء الصلب بواسطة ذلك فإذا وضع فوقها الحجر وشد عليها العصابة استقام الظهر وقال الكرماني: لعله لتسكين حرارة الجوع ببرد الحجر، ولأنها حجارة رقاق قدر البطن تشد الأمعاء فلا يتحلل شيء مما في البطن فلا يحصل ضعف زائد بسبب التحلل)[1]. ولا شك أن هذا يدلل على ما لقيه رسول الله ﷺ من الجوع فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ((لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، مَرَّتَيْنِ))[2] وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: ((أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ، مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ))[3] وعن أنس رضي الله عنه قال: ((مَا أَكَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَى خِوَانٍ وَلاَ أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ))[4].

إن النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة للمؤمنين، وإذا ما كان يدعو الجماعة المؤمنة إلى التقليل من الطعام، وعدم التشبع فإنه أول من يطبق ذلك على نفسه، وأول من يصيبه ما أصابهم من الجوع وعدم وجود الملذات والمطاعم والمشارب.

وفي هذا الحديث ما كان يتميز به الرسول ﷺ عندما يتحدث حيث كان يعطي الكلام حقه، بحيث يبدو ذلك على قسمات وجهه، وفي نبرة صوته كأنه النذير العريان... فلما كانت حاله هنا، كما بينها أنس رضي الله عنه في الحديث، مخالفة لما هو

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٧٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٧٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٦).

مألوف منه في سائر أحواله، عرف أن سبب ذلك راجع إلى ضعفه في تلك الحال بسبب شدة الجوع، قال ابن حجر: (في حديث أنس عن أبي طلحة كان صوت النبي ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع، كأنه لم يسمع في صوته - لما تكلم إذ ذاك - الفخامة المألوفة منه، فحمل ذلك على الجوع بقرينة الحال التي كانوا فيها)[١].

كان من أحوال الرسول ﷺ أنه تمر عليه الأيام ولا يأكل فيها، فيصيبه الجوع، وتبدو آثاره ظاهرة على العيان، بالرغم مما ورد عنه من أن الله تعالى يطعمه ويسقيه، وذلك حتى يكون أسوة لأصحابه في كل حال). قال ابن حجر: (وفيه رد على دعوى ابن حبان أنه لم يكن يجوع، واحتج بحديث: ((أبيت يطعمني ربي ويسقيني))[٢]. وتعقب بالحمل على تعدد الحال، فكان يجوع أحيانًا ليتأسى به أصحابه لا سيما من لا يجد مددًا وأدركه ألم الجوع صبر فضوعف له)[٣].

ويبين ما كان عليه القوم من المجاعة في ذلك الوقت، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (ما شبعنا حتى فتحنا خيبر)[٤].

ويؤخذ من قصة أبي طلحة: أن من أدب من يضيف أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار تكرمة له، وهذا ما ورد عن أبي طلحة، أنه انطلق حتى لقي رسول الله ﷺ حتى دخلا.

قال ابن حجر: (قال ابن بطال في هذه الأحاديث جواز الشبع وأن تركه أحيانًا أفضل. وقد ورد عن سلمان وأبي جحيفة أن النبي ﷺ قال: إن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا في الآخرة، قال إن الشبع وإن كان مباحًا فإنه له حدًا ينتهي إليه وما زاد على ذلك فهو سرف، والمطلق منه ما أعان الآكل على طاعة ربه ولم يشغله ثقله عن أداء ما وجب عليه)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٨/٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٧٧٨.

(٣) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

(٤) المرجع السابق ٥٢٧/٩.

(٥) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

قال ابن حجر: (وفيه دليل على جواز الشبع وما جاء من النهي عنه محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام للعبادة إلى البطر والأشر والنوم والكسل، وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وذكر الكرماني تبعًا لابن المنير أن الشبع المذكور محمول على شبعهم المعتاد منهم وهو أن الثلث للطعام والثلث للشراب والثلث للنفس)[1].

قال أبو الحسن الندوي: (ولم تكن دعوة الرسل إلى الآخرة وإيثارها على الدنيا والاستهانة بقيمة الدنيا ومتاعها دعوة باللسان فقط ودعوة لأمتهم فقط بل كان ذلك مبدًا ومنهاجًا لحياتهم وكانوا من أول المؤمنين بها، السائرين عليها في حياتهم وخواصهم وعشيرتهم وقد قيل لسيد الرسل ﷺ ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[2] وكان من تأثير صحبته أن أزواجه رضي الله عنهن كلهن آثرن الله ورسوله، وآثرن الفقر والضيق مع الرسول ﷺ على الرخاء وخفض العيش مع غيره، ومعيشة النبي ﷺ وحياته وحياة أهل بيته تثير العجب وتسحر النفوس، وتملأ القلوب عظمة ومهابة، وتنصب للدعاة والسائرين على منهاج النبوة منارًا عاليًا من نور)[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم:

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم بلغوا في الكرم والجود والإيثار درجة عالية ومكانة سامقة، ويتضح هذا من الحديث "فقلت يا رسول الله ائذن لي إلى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبي شيئًا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء فقالت عندي شعير وعناق" وقوله: "فأخرجت أقراصًا من شعير".

---

(١) المرجع السابق ٥٢٨/٩.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

(٣) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم ٦٩-٧٠.

ففي هذا الحديث بيان ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من توقير الرسول وتعظيمه، والشعور والإحساس بما يؤذيه أو يؤلمه، وحرصهم على سلامته، واقتدائه بأنفسهم، وبما يملكون، لئلا يصيبه أدنى أذى، وهذا ما نلحظه من قول جابر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: ائذن لي إلى البيت. وقوله بعد ذلك لامرأته: رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما في ذلك صبر فعندك شيء؟

ما كان يتصف به أصحاب رسول الله ﷺ من الإيثار، بحيث يجود أحدهم بكل ما عنده ليطعم غيره. وهذا نراه في قول جابر رضي الله عنه لامرأته: فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق، فذبح العناق وطحن الشعير، ولم يبق شيئًا عنده.

ويشير الحديث إلى التوكل على الله، وهذا من اليقين التام بأمر الله، حيث أنفق كل ما عنده دون أن يكون في حسبانه أن يبقى شيئًا بالرغم من شدة الحال، وقلة ذات اليد.

والصحابة رضي الله عنهم هم أجود الناس وأكرم الناس ولقد بلغوا الثريا في هذا الأمر حتى مدحهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] قال الكاندهلوي: (ولقد كان النبي ﷺ وأصحابه ينفقون الأموال، وما أعطاهم الله تبارك وتعالى في سبيل الله ومواقع رضاه، وكان ذلك أحب إليهم من الإنفاق على أنفسهم ولقد كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)[2] وقد أخرج البخاري ومسلم قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ وطلب ضيافة فلم يجد النبي ﷺ في بيوت أزواجه إلا ماء فقال ﷺ ((مَنْ يُضِيفُ هذاَ، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللّهِ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا. يَا رَسُولَ اللّهِ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ. فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لاَ. إلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ. فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ. فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي ٣٧١.

حَتَّىٰ تُطْفِئِيهِ. قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِي. فَقَالَ: قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ))[١].

ولا شك أن في صنيع جابر رضي الله عنه وذهابه إلى بيته لإحضار طعام للنبي ﷺ دليل على كرم وجود الصحابة رضي الله عنهم وإيثارهم.

قال محمد الغزالي: (الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق ويضيق على الشح والإمساك، ولذلك حبب إلى نبيه أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

ومن الواجب على المسلم أن يقتصد في مطالب نفسه حتى لا تستنفد ماله كله فإن عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله وأن يجعل في ثروته متسعًا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين. ومع النهي عن التبذير أمر الإسلام بالإنفاق على القرابة والمساكين فإن المبذر متلاف سفيه يضيع في شهواته الخاصة زبدة ماله فماذا يبقى بعد للحقوق الواجبة والعون المفروض؟ إن دعوة الإسلام إلى الجود والإنفاق مستفيضة مطردة، وحربه على الكزازة والبخل موصولة متقدة ولم يوجد في الدنيا - ولن يوجد - نظام يستغني البشر فيه عن التعاون والمواساة)[٣].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة تكثير الطعام بين يديه:

إن الله عز وجل أيّد نبيه بكثير من المعجزات والدلائل على نبوته، ومن ذلك تكثير الطعام بين يديه ﷺ، ويتضح هذا من الحديث "فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه" فقال الرسول ﷺ "هلمي ما عندك يا أم سليم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ومسلم ٢٠٥٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٣) خلق المسلم ١١٥-١١٦.

ثم قال فيه رسول الله ما شاء الله أن يقول" قال الإمام النووي: (وفي الحديث أنواع من الفوائد وجمل من القواعد فيها الدليل الظاهر والعلم الباهر من أعلام نبوة رسول الله ﷺ وهو انخراق العادة بما أتى به ﷺ من تكثير الطعام القليل الكثرة الظاهرة، وقد تظاهرت أحاديث آحاد بمثل هذا حتى زاد مجموعها على التواتر، وحصل العلم القطعي بالمعنى الذي اشتركت فيه هذه الآحاد فلله الحمد على ما أنعم به على نبينا محمد ﷺ وعلينا بإكرامه ﷺ)[1].

والأحاديث الواردة في تكثير الطعام بين يديه كثيرة حتى قال الإمام البيهقي في الدلائل: (وأبواب دعوات نبينا ﷺ المستجابة في الأطعمة والأشربة وبركاته التي ظهرت فيما دعا فيه وغير ذلك من دعواته كثيرة ولذا سأنقلها باختصار فلا سبيل إلى نقلها جميعًا لما فيه من الإكثار)[2].

ولا أدل على تكثير الطعام بين يديه من حديث أبي أنس بن مالك أن أبا طلحة صنع لرسول الله ﷺ طعامًا فقال الرسول ﷺ للناس: ((قُومُوا فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّمَا صَنَعْتُ لَكَ شَيْئًا. قَالَ فَمَسَّهَا رَسُولُ اللّهِ . وَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ. ثُمَّ قَالَ: أَدْخِلْ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِي، عَشَرَةً وَقَالَ: كُلُوا وَأَخْرَجَ لَهُمْ شَيْئًا مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. فَخَرَجُوا. فَقَالَ: أَدْخِلْ عَشَرَةً فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا. فَمَا زَالَ يُدْخِلُ عَشَرَةً وَيُخْرِجُ عَشَرَةً حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ. ثُمَّ هَيَّأَهَا. فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا))[3].

سادسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

وذلك حيث جاء في الحديث "قوموا" "ادخلوا" "كلي هذا" ومما لاشك فيه أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة، وهو يدل على زيادة الاهتمام بالمأمور به وأهميته وإذا جاءت صيغة الأمر من الأعلى للأدنى فهو أمر صريح وإذا جاءت من المساو للمساو فهو التماس

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩٠.

(٢) دلائل النبوة ٨٣/٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٤٠.

وإذا جاءت من الأدنى للأعلى فهو دعاء ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾[١] ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾[٢] وقوله جل شأنه: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[٣].

سابعًا - من واجبات المدعو: التضحية والإيثار عند اشتداد الأزمات:

إن المسلم مشارك لإخوانه في السراء والضراء، وباذل ما عنده عند اشتداد البلاء، ومُؤثر لإخوانه على نفسه حين البأساء، وهكذا كان هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام الأتقياء رضي الله عنهم، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة" والمسلمون يتعاونون فيما بينهم في كل وقت خاصة عند الأزمات والملمات قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٤].

وقال ﷺ في الحديث ((إن المؤْمِنَ للمؤْمِنِ كالبنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضًا» وشَبَّكَ ﷺ أصابعَهُ))[٥] ومدح الله صنيع الأنصار مع إخوانهم المهاجرين لما أحسنوا استقبالهم وشاركوهم في الأموال والدور فقال الله سبحانه في حقهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٦].

قال القرطبي: (الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، رغبة في

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٦) سورة الحشر، آية: ٩.

الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة ومن ترك شيئًا لله لم يجد فقده، ومن وقى شح نفسه فقد أفلح فلاحًا لا خسارة بعده والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، وإن عاد إلى النفس، ومن الأمثال السائرة:

يجود بالنفس إذا ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وأفضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله ﷺ ففي الصحيح أن أبا طلحة ترَّس على النبي ﷺ يوم أحد وكان النبي ﷺ يتطلع ليرى القوم فيقول له أبو طلحة: ((لا تُشرف يا رسول الله لا يصيبونك نحري دون نحرك))[1]. قال أبو يزيد البسطامي: ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بَلْخ قدم علينا حاجًا فقال لي: يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم؟ فقلت إن وجدنا أكلنا وإن فقدنا صبرنا فقال: هكذا كلاب بَلْخ عندنا فقلت: وما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا وإن وجدنا آثرنا. وسئل ذو النون المصري: ما حد الزاهد المنشرح صدره؟ قال: ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت)[2].

وقال ابن القيم: (إن الإيثار ضد الشح فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شيء شحَّ عليه وبخل بإخراجه فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل، فالبخيل من أجاب داعي الشح، والمؤثر: من أجاب داعي الجود، والناس على مراتب ثلاث فمن لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه فهو منزلة السخاء، ومن يعطي الأكثر ويُبْقي له شيئًا أو يبقى مثل أعطى فهو الجود، ومن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه فهو بمرتبة الإيثار)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨١١، ومسلم ١٨١١.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٣٦٥-٣٦٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٤٤-٤٥.

الحديث رقم (٥٢٠)

٥٢٠ - وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسول الله ﷺ ضَعيفًا أعْرِفُ فيه الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأخْرَجَتْ أقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أخَذَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أرْسَلَتْنِي إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسولَ الله ﷺ، جَالِسًا في المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: ((**أرْسَلَكَ أبو طَلْحَةَ؟**)) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ: ((**أَلِطَعَامٍ؟**)) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ[1]: ((**قُومُوا**)) فَانْطَلَقُوا[2] وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أبو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رسول الله ﷺ بالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أبو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ، فَأقْبَلَ رسول الله ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخَلاَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**)) فَأتَتْ بِذلِكَ الخُبْزِ، فَأمَرَ بِهِ رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[3] فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: ((**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**)) فأذنَ لَهُمْ فَأكَلُوا حتى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: ((**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**)) فأذِنَ لهم حَتَّى أكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أو ثَمَانُونَ. متفقٌ عَلَيْهِ[4].

وفي رواية[5]: فَمَا زَالَ يَدْخُلُ عَشَرَة، وَيخرجُ عشرةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إلاَّ دَخَلَ، فَأكَلَ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأهَا فَإذَا هِيَ مِثْلُهَا حِيْنَ أكَلُوا مِنْهَا.

وفي رواية[6]: (فَأكَلُوا عَشَرَةً عَشرةً)[7]، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلاً، ثُمَّ أكَلَ النبيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ وَأهْلُ البَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْرًا.

---

(١) عند مسلم زيادة: (ومن معه).

(٢) لفظ مسلم: (وانطلق).

(٣) عند مسلم زيادة: (لها).

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٨٨، ومسلم ٢٠٤٠/١٤٢ واللفظ له.

(٥) أخرجها مسلم ٢٠٤٠/١٤٣.

(٦) أخرجها مسلم بعد حديث ٢٠٤٠/١٤٣ بحديثين، بدون رقم من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى.

(٧) هذه الزيادة لا توجدُ عند مسلم.

وفي رواية[١]: ثُمَّ أفْضَلُوا مَا بَلَغُوا جيرانَهُمْ.

وفي رواية[٢]: عن أنس، قَالَ: جِئتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أصْحَابِه، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ[٣]، فقلتُ لِبَعْضِ أصْحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ الله ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَى أَبي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْت مِلْحَانَ، فقلتُ: يَا أبتَاهُ، قَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أصْحَابِهِ، فقالوا: من الجُوعِ. فَدَخَلَ أَبو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيءٍ؟ قالت: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءنَا رسول الله ﷺ وَحْدَهُ أشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الخمار: ثوب تغطي به المرأة رأسها[٤].

دسَّتْهُ: أخفته[٥].

وردَّتني ببعضه، المراد أنها لفت الخبز ببعض الخمار ولفت أنسًا بباقيه[٦].

هلُمي: أحضري ما عندك[٧].

---

(١) أخرجها مسلم بعد حديث ٢٠٤٠/١٤٣ بثلاثة أحاديث بدون رقم من حديث عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة.

(٢) عند مسلم زيادة: (قال أسامة: وأنا اشكُّ على حجر).

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث ٢٠٤٠/١٤٣، بخمسة أحاديث، بدون رقم.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ م ر).

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، الفيروز آبادي في (د س س).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٦.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨٣/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٧.

العُكّة: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبًا والعسل[١].

فآدمتهُ: أي جعلت فيه إدامًا، وهو ما يُستمْرَأُ به الخُبْزُ[٢].

هيأها: جمعها بعد الأكل[٣].

وتركوا سؤرًا: أي البقية[٤].

أفضلُوا: أبقوا. وفي رواية عند مسلم ١٤٣ - ٢٠٤٠: وفضلت فضلة فأهديناه لجيراننا[٥].

عَصَبَ بطنه: شد على بطنه[٦].

العصابة: الخرقة التي تُوضع على البطن من الجوع[٧].

الشرح الأدبي

قول أَبي طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيمٍ (قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسول الله ﷺ ضَعيفاً أعْرِفُ فيه الجُوعَ) يشير إلى محبتهم للرسول ﷺ ورفقهم به، وهو شيء تعلموه منه حيث كان يتفرسهم، ويعرف أحوالهم، ويتفاعل معهم تفاعلا بناءً وقد تفاعلوا معه بقدر ما استطاعوا يدل على ذلك قوله: (فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ ؟) وهو استفهام على حقيقته لسؤال الطعام وقوله (فَأخْرَجَتْ أقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ) يدل على قلة الطعام يدل على ذلك جمع القلة (أقراصا) وتنكيره، واستفهام الرسول ﷺ (أرْسَلَكَ أَبو طَلْحَةَ ؟) فقلت: نَعَمْ، فَقَالَ: ((أَلِطَعَامٍ؟) استفهام تقرير للتحقيق والتثبيت فلما أقرت له بذلك أمر الناس

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ د م).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨٤/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩٢.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨٣/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٨٨.

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ص ب).

(٧) انظر: المرجع السابق في (ع ص ب).

بالقيام، وقوله (فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) الربط بالفاء، والتعبير بالانطلاق يشيران إلى السرعة في الحركة التي توحي بكرم المضيف، ورغبة الضيوف أو مسارعتهم إلى أمر رسول الله ﷺ، وقول الرسول ﷺ (هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ !) أي هات ما عندك، والنداء نداء تكريم، وقول الراوي (، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ) كناية عن الدعاء، والذكر، وقول الرسول ﷺ (ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ) فأذنَ لَهُمْ فَأكَلُوا حتى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا) أي ادعو عشرة عشرة إلى الطعام، والتعبير بالفاء العاطفة في الإذن، والأكل إيذانا بالسرعة، وحتى بيان للغاية وهي الشبع، وعطف الخروج ب(ثم) يشير إلى فترة قضوها في الطعام تحقق معها الشبع مع قلة الطعام، ثم أذن لعشرة آخرين، وما زال يأذن لعشرة حتى أكل الجميع (حَتَّى أكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أَو ثَمَانُونَ)، والعدد المذكور يشير إلى أنها من معجزاته ﷺ لأن المعتاد في الواقع أن هذا العدد من الناس يستحيل أن يشبعه هذا القدر من الطعام، ولكنها معجزة من جملة معجزات النبي ﷺ يؤكد ذلك ما ورد في الرواية الثانية (مَا زَالَ يَدْخُلُ عَشرَة، وَيخرجُ عشرةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إلاَّ دَخَلَ، فَأكَلَ حَتَّى شَبعَ، ثُمَّ هَيَّأهَا فَإذَا هِيَ مِثْلُهَا حِيْنَ أكَلُوا مِنْهَا).

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - استحباب بعث الهدية وإن كانت قليلة بالنسبة إلى مرتبة المبعوث إليه؛ لأنها وإن قلت فهي خير من العدم، ودليله: "فأخرجت أقراصًا من شعير ... ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ".

٢ - جلوس العالم لأصحابه يفيدهم ويؤدبهم. واستحباب ذلك في المساجد. ودليله: "فوجدت رسول الله ﷺ جالسًا في المسجد ومعه الناس".

٣ - انطلاق صاحب الطعام بين يدي الضيفان وخروجه ليتلقاهم. دليله: "فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ".

٤ - استحباب فت الطعام واختيار الثريد على الغمس باللقم. ودليله: "فأتت بذلك

الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففتّ".

٥ - يستحب لصاحب الطعام وأهله أن يكون أكلهم بعد فراغ الضيفان. دليله: (ثم أكل رسول الله ﷺ وأكل أهل البيت)[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣/٧/١٨٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الدنيا ليست غاية المسلم، بل هي وسيلة إلى غاية (الجنة) والرسول ﷺ قد ضرب المثل للزهد في الدنيا بنفسه، فهو قليل الطعام، كثير الصيام رافض للصدقة، مكثر للعطاء، يرضى بالأدنى من سبل العيش يكفيه تمر وماء وكسرة خبز ولبن، يطوى اليوم بلا طعام، وينوي كثيراً الصيام لعدم وجود ما يطعمه، فإن وجد ما يطعمه لم يكثر منه... وأهل بيته على شاكلته. إن هذا مدعاة إلى شكر المنعم على ما نحن فيه من نعم، فالأكل أنواع والشر أصناف والموائد فارهة، والأثاثات فاخرة، والثياب مبهرة، والحلي ظاهرة ورغد العيش عند كثيرين لا يحد، والمال لا يعد، والشكر لم يرد لزعم بعضهم القول: "إنما أوتيته على علم عندي".

إن هذه ليست الغاية والدنيا دار بداية لا دار نهاية، وإنها غاية غير المسلمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ﴾ [سورة محمد:١٢]، إن أحاديث هذا الباب تنبئ عن مفاهيم تربوية عدة منها:

أولاً - التربية على الزهد والتقلل من الدنيا:

إن مما ينبغي الاهتمام والتركيز عليه في أمور التربية الحث على الزهد في الدنيا والتقلل منها، وجعل الهمة عالية في تحصيل الثواب والأجر من الله تعالى.

وقد ورد في أحاديث الباب صور حية تطبيقية من الرسول ﷺ وأصحابه للتعالي على الدنيا وملذاتها، فلقد أراد رسول الله ﷺ أن يفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفار... أنه ما أراد من دعوته التي يدعو الناس إليها جمع المال ولا المظاهر الفانية ولا الدنيا الزائلة، ولا النعيم ولا الترف، وإنما مراده بذلك التماس الأجر من الله وحده، وشعاره وشعار الأنبياء من قبله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].

---

(١) سورة هود، آية: ٢٩.

لقد أراد ﷺ أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع... مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله، ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم كما أهلكت مَنْ كان قبلهم[(١)].

لقد كان ﷺ مشغولاً بالدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولاشتغاله بعظائم الأمور أعرض عن الدنيا وما فيها من مغريات ومفاتن فكان في غاية البساطة في عيشته، في ملبسه ومطعمه ومشربه، بل لقد كانت تمر عليه الليالي والأيام هو وأهله وما يُطْبَخ في بيوته ولا يوقد فيها نار، كما نرى ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها في نقلها لصورة من صور حياة رسول الله ﷺ وأهله، فعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: «وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ نَارٌ.....»، وما كان هذا منه ﷺ ضعفًا أو عجزًا، وإنما كان إعراضًا منه ﷺ عن الدنيا وزهدًا فيها لانشغاله بما هو أكبر وأعظم وأسمى منها، أَلا وهو انشغاله بالحقيقة الكبرى وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإخراج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعلم.

إن التربية على الزهد والخشونة لا يقصد بها تعذيب النفس أو حرمان الجسد من متاع الدنيا، وإنما يقصد به ويراد من ورائه تمكين المتربي من تلك الشخصية القوية التي تتعالى على كل الشهوات والغرائز، "فإن المؤمن إذا زهد في الدنيا وعرف حقارتها وعرف الآخرة وخطرها فإنه يبادر ببذل نفسه وماله رغبة في رضا الله عز وجل والفوز بجنته ورضوانه"[(٢)].

وقد جاءت أحاديث الباب ضاربة لنا أروع المثل في تحمل خشونة العيش وغيره من حظوظ النفس وترك الشهوات والاستعلاء عليها "إلى تحقيق الآمال بالعلم والعمل لا إلى تحقيق الشهوات بالأكل والكسل، فإن قيمة الإنسان ليست بأكله وملبسه بل بعمله وقدرته على التحكم في نفسه ومواجهة مشاكل الحياة"[(٣)].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٦٣٩/٢، ٦٤٠.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٦٤.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٣٢٦.

فها هي أفضل أسرة في تاريخ البشرية على الإطلاق تتحمل الجوع وشظف العيش، حيث اختار قيِّمُها ﷺ "لنفسه وأهل بيته معيشة الكفاف لا عجزًا عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض وكثرت غنائمها وعَمَّ فَيْؤُها، ومع ذلك كان يمضي الشهران ولا توقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا[1].

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لابن أختها عروة بن الزبير رضي الله عنهما: «وَاللّهِ يَا ابْنَ أُخْتِي. إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ. ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ. وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ نَارٌ.....»، وتوفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيّ فِي ثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ»، وكان فراشه ﷺ بسيطًا فهو لا يعدو كونه من جلد مدبوغ محشو بليف خشن، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان فِراشُ رسولُ الله ﷺ من أدَم حَشْوُهُ لِيف»، كما كان ملبسه بسيطًا لا تكلف فيه، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «كَانَ كُمِّ قَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَى الرُّصْغِ».

وكان ﷺ يدعو لنفسه ولأهله بالعيشة الكفاف التي بها يسد الرمق وتستر العورة ولا تدخل في عداد المظاهر والترف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا».

إن الزهد وسيلة مهمة من وسائل التربية والتوجيه في المجتمع الإسلامي، لما له من فوائد تربوية جمة والتي منها:

أ - أن الزهد ينقي النفس مما يعتريها من أمراض القلوب، كالحسد والغرور والعجب والرياء، وحب الرياسة وذياع الصيت وحب المدح والتصدر، فالزهد حاجز بين المؤمن وهذه الأمراض، متى زال هذا الحاجز لم نأمن من تسربها إلى القلب فتفسده.

ب - في الزهد صفاء للروح والنفس، وارتقاء لها في سُلَّم الكمال الروحي، وفيه صلاح للقلب لخلوه من هم الدنيا وإقباله على هموم الآخرة، وطلب النجاة والانشغال بالعبادة وصالح الأعمال.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٤٥، ٣٤٦.

ج - كما أن في الزهد تهذيباً للأخلاق وصلاحاً لها، لأن الزاهد رقيق المشاعر بعيد عن اهتمامات عوام الناس وتوجهاتهم، وعن الانتصار لنفسه وأذية غيره[١].

د - التربية على الرجولة والخشونة والبعد عن الترف، إذ أن من إفرازات الحضارة المعاصرة اليوم أن غدت بعض مجتمعات المسلمين تعاني من انتشار مظاهر الترف، مما وَلَّد جيلاً من المترفين لا يطيق العزيمة والجد، وهو جيل يبحث عن الراحة والكسل والتقاعس عن معالي الأمور.

ومن ثَمَّ أصبح على التربية عبء أكثر من ذي قبل، وصارت بحاجة إلى أن تجعل غرس معاني الرجولة والبعد عن حياة الترف والترهل هدفًا من أهدافها التربوية[٢].

ثانيًا - التربية على الخشونة والرجولة والجد والاجتهاد:

إن مما ينبغي على الآباء والمربين تعويد الأولاد على الخشونة والرجولة والجد والاجتهاد وتجنيبهم الكسل والبطالة والراحة والدَّعة، لأن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا وإما في العقبى، وإما فيهما، فأروح الناس أتعب الناس، وأتعب الناس أروح الناس، فالسيادة في الدنيا والسعادة في العقبى لا يوصل إليها إلا على جسر من التعب والمشاق[٣].

وقد جاءت أحاديث الباب مبينة فضل خشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات والتحلي بالصبر والتغلب على متاعب الدنيا وآلام الحياة وما فيها من مصاعب ومشقات، ومن مظاهر ذلك ما جاء في أحاديث الباب من بيان لما ضربه الصحابة رضي الله عنهم من صبر وجَلَد وتحمل ورضا بالقليل إضافة إلى ما كان عندهم من الإيمان الذي أورثهم من القدرات التي مكنتهم من التغلب على كل المشاق والصعاب.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٩.

ومن تلك الصور حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ. نَتَلَقَّىٰ عِيرًا لِقُرَيْشٍ. وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. قَالَ فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ. ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ. فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ. وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ. ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ....»، وفي ذلك بيان لمدى "تحمل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم أعباء الحياة وتقديمهم رضا الله تعالى على آلام الدنيا وما قابلهم من المشقات"[(١)].

إن غرس معاني الرجولة والبعد عن حياة الترف والترهل هدف أصيل للتربية الإسلامية.

ومن وسائل الوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه:

أ - غرس مفهوم الجدية وبيان مساوئ حياة الترف والبطالة.

ب - التقليل من مظاهر الترف في البرامج المقدمة للشباب مع مراعاة الاعتدال والتدرج في ذلك، ولتكن البداية في إيجاد فَرْق بين حياة الولد في المنزل وحياته في مثل هذه البرامج، بل الواجب على الأب أن يخفف من مظاهر الترف في تربيته لأبنائه.

ج - تنظيم بعض البرامج الجادة كالرحلات والبرامج العلمية التي تعوِّد الشباب والأولاد على الجدية والرجولة وعلى التخلي عن بعض ما اعتادوه من حياة مترفة منعمة[(٢)].

ثالثًا - التربية على الاعتدال في الطعام والشراب:

إن من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية الاعتدال في التوجيهات، ومن مظاهر ذلك العناية بأمور الطعام والشراب والتوسط في ذلك لأن الإسلام دين وسط لا يحرم الجسم من إشباع حاجته، وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط[(٣)].

ومن مظاهر اهتمام التربية الإسلامية بصحة الإنسان في أحاديث الباب ما جاء في

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٣٣٧.

(٢) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) انظر: النظرية التربوية، د. محمد سيف الدين فهمي ص٦٧.

حديث المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه من الإرشاد إلى الاعتدال في المطعم والمشرب، وتوقي الجسد مضارَّ الشبع والإفراط فيه، فعن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شرًا منْ بطنِه، بحسبِ ابن آدَم أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنفسه»، إذ أن الإفراط في المطاعم والمشارب مضرٌّ بصحة الإنسان وبأجهزته الهضمية والتنفسية وغيرهما.

وهكذا نجد أن الحديث تضمن نظامًا لتربية الجسد، ومن مظاهر ذلك تنظيم طعامه وشرابه والإرشاد إلى الاعتدال والتجافي عن الإفراط وكذلك التفريط.

"إنَّ الطعام وكل ما يتناوله الإنسان عن طريق الفم ويصل إلى المعدة هو وسيلة لحفظ الأود، فغاية الطعام هي بناء الجسد والمحافظة عليه قويًا سليمًا ينمو حسب الاستعدادات البيولوجية التي وهبها الله إياه وزوده بها ليقوم بمهامه الدنيوية والدينية، ويجب أن يربى الإنسان على اتباع الطرق الملائمة له في تناول طعامه وشرابه.

إن المسلم يأكل ليتقوى على تحصيل رزقه ومباشرة عمله وعبادة ربه، وقد وضع الرسول ﷺ آدابًا وضوابط للطعام والشراب والتي منها ما ورد في الحديث من الدعوة إلى الاعتدال في الطعام والشراب، كما في قوله ﷺ: «ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شرًا منْ بطنٍ، بحسبِ ابن آدَم أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ لطعامه، وثُلثٌ لشرابه، وثُلثٌ لنفسه».

ومن خلال ما سبق يتضح أن التربية الإسلامية تؤكد على أن:

أ - الطعام له غايته، وهي بناء الجسد بالقدر الذي يحتاجه الجسد على أن لا يخضع الإنسان لشهوة الطعام ويصير عبدًا لها.

ب - الطعام له آدابه التي يتضافر العقل مع الجسم في التحكم فيها بناء على الضوابط التي يربى عليها الإنسان والتي حددها الإسلام[1].

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧١-٢٧٦، وص٣٧٦.

رابعًا - غرس روح التعاون:

إن التعاون واجب ديني وضرورة اجتماعية، فلقد اقتضت سنة الله تعالى أن لا تقام هذه الحياة إلا على المعاونة والمشاركة، فالتعاون يعتبر بمثابة مستلزم ضروري لا يمكن أن يستغنى عنه الفرد، ولا المجتمع لأنه إذا كان هناك تعاون تمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض التي خلق من أجلها[1].

ومن مظاهر التعاون في أحاديث الباب ما جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما الذي نقل لنا تعاون الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق وكان ذلك من أسباب إنجاء الله لهم مما أحاط وأحدق بهم من أخطار، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق ...».

إن التعاون سبب لبقاء المجموع، فالإنسان محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته، فإذا لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته، أما إذا كان التعاون حصل له القوت والسلاح للمدافعة، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه[2].

وللتعاون فوائده التربوية العظيمة التي لا تنكر، والتي منها:

أ - إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد.

ب - شعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز عن نفسه.

ج - دليل حب الخير للآخرين.

د - مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسان ممن حوله.

هـ - التعاون ثمرة من ثمار الأخوة الإسلامية، كما أنه أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق.

و - التعاون يشعر بالمساواة في الإنسانية، كما أنه ينزع الحقد من القلوب الضعيفة

---

(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص٤٩.

(٢) انظر: المقدمة، لابن خلدون، ١٠١٢/٣، نقلاً عن: كتاب القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع المانع، ص٤٨.

ويزيل أسباب الحسد.

ز - إن التعاون يحقق سنة الله في خلقه ويوافق طبيعة الأشياء، وفي هذا يقول الشاعر:

النّاسُ للنّاسِ من بَدْوٍ وحَاضِرة بعضٌ لبعضٍ، وإن لم يَشعُروا خدَمُ[1]

خامسًا: التربية على الكرم وحسن الضيافة وغيرها من مكارم الأخلاق:

إن الكرم والسخاء والجود من الصفات المحمودة التي تعد من مقومات الشخصية وأساسياتها، وقد كان العرب يعدون هذه الصفة من المفاخر التي يفاخرون بها غيرهم بل إنها عامل مهم من عوامل السيادة عندهم، وقد جاء الإسلام لينمي هذه الصفة ويوجهها التوجيه الصحيح، ويحث على اكتسابها لكن دون تفاخر ولا مباهاة.

إن الكرم يَنمُّ عن طيب نفس وبذل للموجود، وإثبات عملي للمخاطب، والمراد تربيته على الزهد بالقدوة في العَرَض الزائل وعلو همته واحتقاره للمتاع الفاني مما جعل الناس تقبل على الأخذ عنه والتلقي منه، لمطابقة فعله قوله، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2]، كما أن فيه استمالة للنفوس وكسبًا لودهًا، وتطهيرًا لنفس الكريم من الشح والبخل، وإعدادًا له على البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الله تعالى[3].

وقد وردت صور كثيرة في أحاديث الباب تنقل لنا ما كان عليه رسول الله ﷺ من كريم الأخلاق وحميد الصفات، ومن ذلك:

أ - استضافته ﷺ لأبي هريرة وأهل الصفة جميعهم رضي الله عنهم، فعنه رضي الله عنه قال من حديث طويل: «... قال: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، قالَ: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ١٠٢٧/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٤٧.

فَادْعُهُمْ لِي»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ لاَ يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، وكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا ...».

ب - وقد تربى الصحابة الكرام على هذه الأخلاق الكريمة ونشأوا عليها، ومن دلائل ذلك ما كان عليه الأنصار رضي الله عنهم من إكرام لرسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك قول عائشة رضي الله عنها: «... إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَا».

كذلك ما كان من شأن جابر بن عبدالله وزوجته رضي الله عنهما في غزوة الخندق، قال رضي الله عنه: «فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحَتِ الْعَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ...».

كذلك ما كان من أبي طلحة وزوجته أم سليم رضي الله عنهما، قال أبو طلحة لأم سليم: «قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ضَعِيفًا. أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ. فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ ...» وبارك الله تعالى في طعام أم سليم حتى أكل منه ثمانون رجلاً وبقي منه الكثير لأهل البيت.

بل لقد كان الواحد منهم يفرح أشد الفرح إذا نزل به أضياف، لاسيما إذا كان بينهم رسول الله ﷺ، كما نرى ذلك واضحًا جليًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فعنه أنه قال: «خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما. فَقَالَ «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَٰذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومَا» فَقَامَا مَعَهُ. فَأَتَىٰ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللّهِ «أَيْنَ فُلاَنٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للّهِ. مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ...».

إنها صورة رائعة من الجود والكرم إضافة إلى ما صاحبها من فرح لهذا الأنصاري فنجده قد هش وبش وحمد الله تعالى على ما أكرمه وتفضل به عليه من قصد رسول الله ﷺ وصاحبيه إليه وزيارتهم له.

إن الجود بالمال وبذله في وجوه البر والتي منها الهبة والهدية وإكرام الضيف والجار وغير ذلك محمود ومطلوب في التربية والتنشئة على مكارم الأخلاق، ونفيس الصفات، وهو أمر محمود ومطلوب، وهو من أعظم الأسس والأصول التي يبني عليها سلوك الإنسان المحمود[1].

سادسًا - التربية على التأدب بالآداب الإسلامية في الضيافة والتعامل مع الكبار:

إن مما ينبغي تعويد الأولاد وتربيتهم عليه تعليمهم الأمور المستحسنة، وتدريبهم عليها كتشميت العاطس وكتمان التثاؤب والأكل باليمين وآداب السلام ورده واستقبال الضيوف ونحو ذلك.

فإذا تدرب الولد على هذه الآداب والأخلاق والأمور المستحسنة منذ الصغر ألفها وأصبحت سجية له[2].

وقد ورد في أحاديث الباب الإلماح إلى عدة آداب للمجالس والمطاعم منها:

أ - حسن استقبال الضيوف وإكرامهم، كما نرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وما كان من الرجل الأنصاري من ترحيب وهش وبش لاستضافة رسول الله ﷺ وصاحبيه: "إذا جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه ثم قال: الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافًا مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب ...".

ب - التأدب بآداب الطعام والشراب ككون ساقي القوم آخرهم والقيام على خدمة الأصحاب والإخوان، كما نرى في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأمْرِ رسول الله ﷺ له بخدمة إخوانه من أهل الصفة: «فأتيتُهم فدَعَوتهم، فأقبَلوا فاستَأذنوا فأذِنَ لهم،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص١٦٠-١٦٣، ورسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص٦٦.

(٢) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٦.

وأخذوا مجالِسَهم من البيت. قال: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: خذ فأعطهم، فأخَذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشرَبُ حتى يَروىَ، ...»، حتى انتهى أبو هريرة رضي الله عنه من سقي القوم جميعًا ولم يبق إلا رسول الله ﷺ وهو «فأخذَ القدَحَ فوَضعهُ على يدهِ، فنظرَ إليَّ فتبسمَ فقال: أبا هرٍّ، قلت: لبيك يا رسول الله. قال: بَقيتُ أنا وأنت. قلتُ: صدَقتَ يا رسول الله، قال: اقعد فاشرَب، فقعدتُ فشربت، فقال: اشرَبْ، فشربت، فما زال يقول: اشرب، حتى قلتُ: لاوالذي بَعثك بالحق، ماأجدُ له مَسلكًا. قال: فأرني، فأعطيتُه القدح، فحمدَ الله وسمَّى وشربَ الفَضْلة».

ج - التأدب مع الأكابر في المجالس، كما نرى في حديث ابن عمر رضي الله عنه الذي نقل لنا عيادة رسول الله ﷺ ونفر من أصحابه لسعد بن عبادة رضي الله عنه، وإفساح قوم سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ ومَنْ مَعه، ففي الحديث: «فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ. حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ».

إنَّ للمجالس وما تحتويه من مطاعم ومشارب آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها وتدريب الأولاد والمتربين عليها، فإنه مهما قام المربي بتوجيه مَنْ يربيه، وتعليمه آداب المجالس فإنه ما لم يشارك في هذه المجالس فيحضر فيها ويقول رأيه ويشارك في الحديث ... ما لم يُوضع أمام التجربة العملية فلن يكفي البناء المعرفي المجرد.

ولذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ﷺ، بل ويقتربون منه، ولم يُعُدَّ ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يعين على ذلك أيضًا تدارس آداب المجالس والتعرف عليها، والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الولد ولو مع زملائه وأقرانه، فتراعى فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكًا وسمتًا لهم لا يحتاجون إلى تكلفة.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب، فلابد حينئذ من تصحيح ذلك، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك[1].

---

(١) انظر: تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٦١، ١٦٢.

سابعًا - التربية على التواضع:

إن من أهم الأخلاق التي تهتم التربية الإسلامية بغرسها خلق التواضع، "إذ أن التواضع مطلوب من المسلمين عامة ومن الموجهين والمرشدين والمربين خاصة، فالتكبر والتعالي على الآخرين والنظر إليهم بعين الاستصغار يعد عقبة كأداء بين المربي وتلميذه، إذ كيف يسمع الأخير لمن ميَّز نفسه عنه وتعالى عليه وتطاول حتى بدا وكأنه ليس من بني جنسه.

إن التواضع مطلوب من القدوة سواء كان حاكمًا أو عالمًا أو مربيًا أو عابدًا أكثر مما هو مطلوب من غيره"[(١)].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أنبل الأمثلة وأعظمها تطبيقًا لخلق التواضع وتمثلاً به، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى، ومنها ما ورد في أحاديث الباب التي نقلت لنا تواضع رسول الله ﷺ في معيشته وحياته ومطعمه ومشربه ونحو ذلك، فكان ﷺ بسيطًا في ملبسه ومشربه وطريقة حياته، فما أكل ﷺ على خوان قط تواضعًا منه ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ»، فقد كان ﷺ مثلاً حيًا لعدم التقيد بالمظاهر والأشكال.

كما كان صحبه الكرام رضي الله عنهم أرفع الأمثلة في التواضع، ومن مظاهر ذلك في أحاديث الباب ما قام به أبو هريرة رضي الله عنه من خدمة مَنْ كانوا معه من أهل الصفة في ضيافة رسول الله ﷺ، فعنه رضي الله عنه من حديث طويل: قال ﷺ: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: خذ فأعطهم، فأخَذتُ القدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيَشرَبُ حتى يَروىَ، ...».

إن التواضع وخدمة أهل الصلاح وسيلتان من وسائل تزكية النفس وتربيتها، وهما علامتان على أن النفس مزكاة، لذلك ندب الله تعالى رسوله ﷺ إلى التواضع، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)(٣)]، وجعله سبحانه شرطًا مهمًا في دخول الجنة

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حَوَّى، ص١٢٥.

والفوز في الآخرة، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

إن التواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى عن الكبر والتعالي[2].

ثامنًا - من صفات المربي: الفطنة والذكاء:

إن المعلم القدير هو الذي يتمتع بحضور البديهة وصحة القريحة وسرعة الخاطر والتفكير اللماح، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في مواطن كثيرة في أحاديث الباب، ومن الدلائل على ذلك إدراك رسول الله ﷺ وتفطنه لجوع أبي هريرة رضي الله عنه وحاجته إلى الطعام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو إِنْ كُنْتُ لأعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِم الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بِي أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلاَّ لِيُشْبِعَنِي، ثُمَّ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قالَ: «يَا أَبَا هرّ»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَأَتْبَعْتُهُ، ...»، وفي ذلك من الدلالة الواضحة على ما كان يتمتع به ﷺ من حضورٍ للبديهة وسرعة الخاطر والتفكير اللماح.

إن مما يزيد في رصيد المعلم العلمي والفكري والتوجيهي فطنته وذكاؤه، وأن يحسن التصرف في كل الأمور مما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب في المآزق والمشكلات الطارئة، والمواقف المفاجئة والأمور الآنية، التي لم تكن في الحسبان، ومعالجة الأمور بحكمة وروية وهدوء واتزان: مثل حدوث شجار بين الطلبة أو إصابة

---

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص٥٣١.

طالب ما بمرض مفاجئ، أو انطفاء التيار الكهربائي، أو ظهور حشرة سامة في الصف، أو سقوط السبورة من مكانها.

إن حسن تصرف المعلم دليل على ألمعيته وبراعته، مما يزيد من ثقة الطلبة فيه ويرغبهم فيه وفيما يعلمه، وبالتالي يكون أقدر على السيطرة على الموقف التعليمي[1].

تاسعًا - من أساليب التربية: التشبيه:

ورد استخدام أسلوب التشبيه في مواطن عدة من أحاديث الباب ومنها:

أ - تشبيه النبي ﷺ لبطن الإنسان بالوعاء بجامع احتواء الطعام في كلٍّ، فقال ﷺ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، ...».

ب - تشبيه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ما رُفع لهم على ساحل البحر من دابة العنبر كهيئة الكثيب، فقال رضي الله عنهما: «... وَانْطَلَقْنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ. فَرُفِعَ لَنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ. فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ...».

وتأتي أهمية أسلوب التشبيه في التربية الإسلامية في تقريبه للصور وتبيينه للأفهام، إذ أن "الصورة المحسوسة أقرب تصورًا وأسرع فهمًا وأثبت بقاءً، لأنها تحدد الأبعاد وتبرز الأجزاء وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء، زاهية الألوان، نابضة بالحركة.

ولهذا كان أسلوب التشبيه من أساليب البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية.

إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك، وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة وتدرسها وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حُكْمُك بعيدًا عن الخطأ قريبًا من الصواب.

تسمع قائلاً يقول الكلمة الطيبة خفيفة الوقع على الأذن، والكلمة الخبيثة شديدة الوقع على الأذن، فلا تدرك إلا حقيقة محدودة لا تقف طويلاً عندها ولا تلتفت كثيرًا لما تحدثه من الأثر.

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٥١، ٥٢.

وتسمع قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾[1]، فترتسم في مخيلتك صورة واضحة كل الوضوح، حولت المعنى المجرد إلى صورة قريبة منك تراها كل يوم، هي صورة شجرة من الأشجار المظلة المثمرة تتملاها العين لما يشيع فيها من الحياة ولما تتميز به من جذور ضاربة، تُقَوِّي صمودها، وأغصان وأوراق تفرش ظلالها، يتفيؤه الناس، وتخرج ثمارها يطعمونه، إنها عظيمة الفائدة بقيَّةُ الأثر، أو صورة لشجرة تشغل حيزًا وتعطل مساحة وتتغلغل جذورها هنا وهناك، تشارك النبات غذاءه وماءه، فيضعف عوده، ويقل نتاجه، وإنها لعقيمة لا تثمر أو تزهر فلا قيمة لها ولا نفع من وجودها فأولى أن تزول[2].

عاشرًا - التربية الاقتصادية:

إن الاعتناء بالتربية الاقتصادية والاهتمام بتحقيق قدر من الفهم للنواحي الاقتصادية والاجتماعية أمر له أثره في إعداد المتربين للعمل والحياة المادية[3].

وقد وردت في أحاديث الباب عدة إشارات اقتصادية من أظهرها ما يلي:

أ - الحفاظ على الأصول المنتجة:

ونرى ذلك واضحًا جليًا في قول رسول الله ﷺ لذلك الرجل الأنصاري الذي أراد أن يكرم ضيافة رسول الله ﷺ ومَنْ معه فأخذ السكين ليذبح لهم شيئًا، فقال له الرسول ﷺ: «إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ» وذلك لما تدره من خير ونفع ينقطع بذبحها.

ب - العدد والإحصاء:

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤-٢٦.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، د. محمد أحمد جاد صبح، ١٢٥/١، ١٢٦.

(٣) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٨٥.

وقد تكررت الإشارة إلى ذلك في مواطن كثيرة من أحاديث الباب منها: «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَىٰ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ. ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ».

في حديث عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ... «وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ...».
- حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، ...».
- حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً...».
- حديث أنس بن مالك في الخندق: «فأكلوا عشرة عشرة حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ...».

وغير ذلك من الإشارات إلى أهمية التربية الاقتصادية وضرورة الاعتناء بها، إذ أن الإسلام "ينظم شئون الحياة كلها على أساس من الفطرة والواقعية والعبودية لله، والنشاط الاقتصادي في الإسلام وسيلة لتحقيق استخلاف الإنسان في الأرض على وجهها الصحيح، وقد وضع الإسلام من المبادئ والقواعد التي توجه هذا النشاط وتسمو به من مجرد كونه نشاطًا ماديًا بحتًا يُطلب لذاته إلى مجال واسع من مجالات العبادة ووسيلة يتقرب بها العبد إلى ربه، وتبرز هذه المبادئ والقواعد في موقف الإسلام من العمل ورأس المال وتنمية الإنتاج ورفع الكفاية الإنتاجية وتحسين مستوى المعيشة.

إن الإسلام يرى أن المال في يد مالكه لا يخرج عن كونه مال الله، وأن الإنسان مستخلف فيه وأمين عليه ومأمور بالمحافظة عليه وإنمائه ومنهي عن إضاعته وتبديده، كما جعل الإسلام في المال وفي ثماره حقًا لأصحاب الحاجة والمصالح العامة، لذا أقر الإسلام مبدأ الملكية الفردية للمال ولمختلف وسائل الإنتاج وجعلها أساسًا للنظام الاقتصادي، وفي ذلك أكبر دافع للإنسان للعمل وإشباع حاجته للتملك إلا أنه في المقابل يضع حدودًا وقيودًا على هذا المبدأ حتى لا يتحول إلى معول هدم في يد المحتكرين وأصحاب المصالح الضيقة والنفوس الضعيفة.

لقد تضمن القرآن الكريم والسنة المطهرة قواعد أساسية وأوامر وتوجيهات تتعلق بالسلوك الواجب اتباعه في التعامل الاقتصادي ومنها: الأمر بإقامة القسط ورعاية العدل

في كافة المعاملات والأمر بالوفاء بالعهود والعقود وأداء الأمانات وتحريم أكل الأموال بالباطل وتحريم بخس الناس أشياءهم وتحريم الخيانة والغش والتطفيف في الميزان، هذا كله وكثير مثله، من شأنه أن يجعل التعامل الاقتصادي على اختلاف ضروبه مسألة محكومة بإطار مرجعي هو دائرة الحلال والحرام في الإسلام[1].

حادي عشر - التربية الصحية:

كما في حديث ((مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكْلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ...))الحديث، فقد تضمن هذا الحديث بعض جوانب التربية الصحية للمسلم من خلال بيان واستنباط بعض الأضرار الناجمة عن الإكثار في تناول الطعام، مع بيان كيفية حفاظ الإنسان على صحته من خلال تنظيمه لتناول الوجبات الغذائية المختلفة.

وقد وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في العملية التعليمية، ومن هذه الأساليب ما يلي:

أ - القصة: وهي بكثرة في هذا الباب، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما ...)) الحديث. ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب في الفصل لتشْويق المتعلمين إلى الموقف التعليمي واستثارة دافعيتهم ودفع الملل عنهم، لأن القصة أمر محبب للناس، وتترك أثرها في النفوس.

ب - الحوار والمناقشة: كحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((واللّه الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُو إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ ...)) الحديث. وهو من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية وتدفع عنه الملل وتعمل على استثارة دافعيته للتعلم.

ج - الممارسة العملية: كقول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((رَهنَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم دِرعَهُ بِشَعيرٍ، ومَشيتُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بخُبزِ شعيرٍ ...))الحديث. والممارسة العملية من الأساليب التي تُفَعِّل دور المتعلم في العملية التعليمية ويعد أسلوب الحوار والمناقشة والممارسة العملية من أبرز الاستراتيجيات الحديثة التي تنادي بها الاتجاهات التربوية المختلفة والتي من شأنها

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٢١١-٢١٤.

أن تفعل دور المتعلم في العملية التعليمية كما أنها تتميز بقوة بقاء أثر التعلم.

د - التربية بالأحداث والمواقف: كحديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ)) والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمامه دون أن يستفيد منها وإبراز ما فيها من عبر ومواعظ ودروس، وتمتاز التربية بالمواقف والأحداث بأنها تحدث في النفس أثرًا كبيرًا وتنفعل معها انفعالاً خاصًا، ولقد قامت التربية النبوية باستثمار الأحداث في التوجيه والتعليم وتصويب الأخطاء.

وتستطيع الوسائل التربوية المختلفة أن تستغل التربية بالمواقف والأحداث من خلال إبرازها بمصداقية تامة، فوسائل الإعلام لابد أن تقوم بدورها في هذا المجال، وعلى الأسرة أن تستخدم هذه الوسيلة في توجيه المتعلمين لما فيه النفع في دينهم ودنياهم.

هـ - استخدام الأسئلة: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ((من يعوده منكم؟))، أي يعودون سعد بن عبادة رضي الله عنه، وهذا الأسلوب يستخدم في توجيه بعض أفكار المتعلمين وقياس مدى تعلم المتعلمين للنقاط المختلفة، وفي التعرف على مدى تحقق الأهداف التربوية.

و - الإلقاء: كما في حديث ((خيركم قرني، ثم الذين يلونهم....))، وهذا أسلوب تربوي يمكن للمعلم استخدامه في حجرة الدراسة، وذلك بإلقاء بعض المعلومات على المتعلمين، ويقوم المعلم بدور المرسل والمتعلمون بدور المرسل إليه، وبينهما قناة اتصال تتمثل في المادة العلمية التي يقوم المعلم بتعليمهم إياها.

ز - الوصية: كما في حديث ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ. وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ...))الحديث، وأسلوب الوصية من الأساليب التي يمكن لكل من يقع على عاتقه مجال تربية الأبناء استخدامه في مواقف الحياة المختلفة، فالأب يمكن له استخدام الوصية في توجيه أبنائه لما فيه النفع لهم في دينهم ودنياهم، وكذلك الأمر للمعلم فإنه يمكن له استخدام الوصية مع طلابه في حجرة الدراسة وخارجها وخاصة في توجيههم إلى الأمور المهمة والتي تحتاج إلى تذكير واهتمام.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٤٣٢)	٥
الحديث رقم (٤٣٣)	١٢
الحديث رقم (٤٣٤)	٢٠
الحديث رقم (٤٣٥)	٢٦
الحديث رقم (٤٣٦)	٣٤
الحديث رقم (٤٣٧)	٣٥
الحديث رقم (٤٣٨)	٣٦
الحديث رقم (٤٣٩)	٥٨
٥٢-باب فضل الرجاء	٧٩
الحديث رقم (٤٤٠)	٧٩
الحديث رقم (٤٤١)	٩٣
الحديث رقم (٤٤٢)	١٠٠
٥٣-باب الجمع بين الخوف والرجاء	١١٢
الحديث رقم (٤٤٣)	١١٢
الحديث رقم (٤٤٤)	١٢٢
الحديث رقم (٤٤٥)	١٢٩
٥٤-باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه	١٣٣
الحديث رقم (٤٤٦)	١٣٣
الحديث رقم (٤٤٧)	١٤٢
الحديث رقم (٤٤٨)	١٤٣
الحديث رقم (٤٤٩)	١٥٠
الحديث رقم (٤٥٠)	١٥١
الحديث رقم (٤٥١)	١٥٨

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٤٥٢)	١٦٤
الحديث رقم (٤٥٣)	١٦٥
الحديث رقم (٤٥٤)	١٧٤
الحديث رقم (٤٥٥)	١٨٥
٥٥-باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها	٢٠٠
الحديث رقم (٤٥٦)	٢٠١
الحديث رقم (٤٥٧)	٢١١
الحديث رقم (٤٥٨)	٢٢١
الحديث رقم (٤٥٩)	٢٢٣
الحديث رقم (٤٦٠)	٢٢٧
الحديث رقم (٤٦١)	٢٢٨
الحديث رقم (٤٦٢)	٢٣٤
الحديث رقم (٤٦٣)	٢٤٠
الحديث رقم (٤٦٤)	٢٤٧
الحديث رقم (٤٦٥)	٢٦٠
الحديث رقم (٤٦٦)	٢٦١
الحديث رقم (٤٦٧)	٢٦٨
الحديث رقم (٤٦٨)	٢٧٣
الحديث رقم (٤٦٩)	٢٨٠
الحديث رقم (٤٧٠)	٢٨٤
الحديث رقم (٤٧١)	٢٩٣
الحديث رقم (٤٧٢)	٣٠٠
الحديث رقم (٤٧٣)	٣٠٨
الحديث رقم (٤٧٤)	٣١٠
الحديث رقم (٤٧٥)	٣١٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٤٧٦)	٣٢٠
الحديث رقم (٤٧٧)	٣٢٥
الحديث رقم (٤٧٨)	٣٣١
الحديث رقم (٤٧٩)	٣٣٧
الحديث رقم (٤٨٠)	٣٤٢
الحديث رقم (٤٨١)	٣٥٠
الحديث رقم (٤٨٢)	٣٦١
الحديث رقم (٤٨٣)	٣٦٣
الحديث رقم (٤٨٤)	٣٧٠
الحديث رقم (٤٨٥)	٣٧٧
الحديث رقم (٤٨٦)	٣٨٣
الحديث رقم (٤٨٧)	٤٨٧
الحديث رقم (٤٨٨)	٣٩٣
الحديث رقم (٤٨٩)	٣٩٥
٥٦-باب فضل الجوع وخشونة العيش	٤١٨
الحديث رقم (٤٩٠)	٤١٨
الحديث رقم (٤٩١)	٤٢٦
الحديث رقم (٤٩٢)	٤٢٧
الحديث رقم (٤٩٣)	٤٣٣
الحديث رقم (٤٩٤)	٤٣٥
الحديث رقم (٤٩٥)	٤٣٦
الحديث رقم (٤٩٦)	٤٣٨
الحديث رقم (٤٩٧)	٤٤٨
الحديث رقم (٤٩٨)	٤٥٩
الحديث رقم (٤٩٩)	٤٦٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٥٠٠)	٤٧٠
الحديث رقم (٥٠١)	٤٧٥
الحديث رقم (٥٠٢)	٤٨٨
الحديث رقم (٥٠٣)	٤٩٠
الحديث رقم (٥٠٤)	٤٩٨
الحديث رقم (٥٠٥)	٥٠٠
الحديث رقم (٥٠٦)	٥٠١
الحديث رقم (٥٠٧)	٥٠٣
الحديث رقم (٥٠٨)	٥١٠
الحديث رقم (٥٠٩)	٥١٨
الحديث رقم (٥١٠)	٥٢٥
الحديث رقم (٥١١)	٥٣١
الحديث رقم (٥١٢)	٥٣٦
الحديث رقم (٥١٣)	٥٣٩
الحديث رقم (٥١٤)	٥٤٤
الحديث رقم (٥١٥)	٥٥٠
الحديث رقم (٥١٦)	٥٦٠
الحديث رقم (٥١٧)	٥٦٨
الحديث رقم (٥١٨)	٥٧٩
الحديث رقم (٥١٩)	٥٨٥
الحديث رقم (٥٢٠)	٦٠١
فهرس المحتويات	٦٢٥

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثامن

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٨

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٦ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٠٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٨)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-٠٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٨)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨- ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠ .

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٥٧ - باب القناعة والعَفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، وقال تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان: ٦٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات: ٥٦ - ٥٧].

وَأَمَّا الأحاديث، فتقدم معظمها في البابينِ السابقينِ، ومما لَمْ يتقدم:

الحديث رقم (٥٢١)

٥٢١ - عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العَرَض: المَالُ[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقوم على النفي، والاستدراك لتقرير المعنى، لأنه يعمد إلى مفهوم راسخ في أذهان الناس فيبطله ثُم يقرر المفهوم الصحيح، وهو لون من ألوان تصحيح

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٢٠/١٠٥١ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٤٦.

المفاهيم في الحديث النبوي الشريف، والمعنى الذي نفاه (لَيْسَ الغِنَى عَن كَثْرَةِ العَرَض) نفى لكون الغنى عن كثرة العرض، والعرض هو مختلف أشكال المال، ثم استدرك لتصحيح المفهوم (وَلكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ) والجناس يقرر أن الغنى إحساس نابع من داخل الفرد، قل ما معه أو كثر، وإن فقد هذا الإحساس وملك الدنيا فهو في نفسه فقير يدافع هذا الإحساس بمزيد من النهم في جمع المال فيصير كالعطشان الذي يشرب الماء المالح كلما ازداد شربا ازداد عطشاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيًا: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الحقائق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على القناعة والرضا.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

حيث جاء في الحديث: "ليس الغنى" وهذا نفي "ولكن الغنى" وهذا إثبات ومما لا شك فيه أن أسلوب النفي والإثبات من أساليب الدعوة، وهو يلفت انتباه المدعو، ويشد تركيزه إلى المنفي والمثبت من الحديث وهو من التنويع في عرض قضايا الدعوة.

ثانيًا - من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الحقائق:

إن المجتمع قد تظهر فيه بعض المفاهيم الخاطئة، والرؤى المخالفة للشرع، وهنا يبرز دور الداعية في إيضاح الحقائق وتصحيح المفاهيم، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "ليس الغنى عن كثرة العرض..."، حيث بين النبي ﷺ أن الغنى الحقيقي ليسَ في كثرة المال وعرض الحياة الدنيا، ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وقناعتها ورضاها، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: معنى الحديث ليس حقيقة الغنى كثرة المال لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه، فكأنه فقير لشدة حرصه، وإنما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى

بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب فكأنه غني)[١].

ومن صور تغيير وتصحيح المفاهيم الخاطئة ما جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟)) قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ. وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)) قَالَ: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟)) قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ ((لَيْسَ بِذَلِكَ. وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[٢].

قال النووي: (ومعنى الحديث: إنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا؛ بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته فيحتسبه يكتب له ثواب مصيبته به وثواب صبره عليه، ويكون له فرطًا وسلفًا وكذلك تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو القوي الذي لا يصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعًا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قلّ من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول)[٣].

وقال ابن الأثير: (والرقوب في اللغة: الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، لأنه يرقب موته يرصده خوفًا عليه فنقله النبي ﷺ إلى الذي لم يقدم من الولد شيئًا، أي: يموت قبله تعريفًا أن الأجر والثواب لمن قدم شيئًا من الولد، وأن الاعتداد به أكثر، والنفع فيه أعظم، وأن فقدهم وإن كان في الدنيا عظيمًا فإن فقد الأجر والثواب على الصبر والتسليم للقضاء في الآخرة أعظم، وأن المسلم ولده في الحقيقة من قدمه واحتسبه، ومن لم يرزق ذلك فهو كالذي لا ولد له)[٤].

والداعية الموفق الحصيف هو الذي يستطيع القضاء على المفاهيم الخاطئة في المجتمع ويصححها، ويبين حقائق الدين الصحيحة للمدعوين دون أن يصطدم بهم وإنما يسلك سبيل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/١١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٠٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٦٩ - ٣٧٠.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على القناعة والرضا:

إن القناعة والرضا من الأمور الهامة التي ينبغي أن يتخلق بها المسلم حيث تولد لديه السكينة والطمأنينة النفسية والسعادة القلبية، ويأتي التوجيه إلى هذا من خلال الحديث في قوله ﷺ: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)، قال النووي: (والعرض المراد به متاع الدنيا ومعنى الحديث: الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة؛ لأن من كان طالبًا للزيادة لم يستغن بما معه فليس له غنى)[١].

إن الغنى أنواع، وأن أفضله ما يثنى على الإنسان به ألا وهو غنى النفس، والمقصود بذلك أن يرزق الإنسان القناعة بما رزقه الله تعالى من الحلال، فهذا لا تدفعه نفسه إلى المطامع ، قال القرطبي: (معنى الحديث: إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس وبيانه أنه إذا استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزّت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله من يكون فقير النفس لحرصه)[٢].

وفي الحديث عدم اعتبار أن كثرة المال دائمًا هي الغنى، وذلك لأن كثيرًا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازدياد ولا يبالي من أين يأتيه لحرصه فإنه يورطه في رذائل الأمور وخسائس الأفعال لدناءة همته وبخله ويكثر من يذمه الناس ويصغر قدره عندهم فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل[٣]، فهذه صفة فقير النفس، لكونه لا يقنع بما أعطي بل هو أبدًا في طلب الازدياد من أي وجه أمكنه، لأنه لم يستغن بما أعطي فكأنه ليس بغني.

وفي الحديث اعتبار أن الغنى غنى النفس دائمًا وفي كل حال، لأن غنى النفس هو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب، ولا ألحف في السؤال، بل يرضى بما قسم الله له، فكأنه غني.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٦١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥/٧.

(٣) المرجع السابق ٣٥/٧.

أن على من كان يملك المال الإنفاق منه، لأن غنى النفس لمن كانت هذه حاله أن ينفق مما رزقه، قال ابن حجر: (فإن كان في نفسه غنيًا لم يتوقف في صرفه في الواجبات والمستحبات من وجوه البر والقربات، وإن كان في نفسه فقيرًا أمسكه وامتنع من بذله فيما أمر به خشية من نفاده، فهو في الحقيقة فقير صورة ومعنى، وإن كان المال تحت يده؛ لكونه لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة بل ربما كان وبالاً عليه)[١].

وهذا الحديث يحث المسلم أن يكون قانعًا راضيًا بما آتاه الله وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ. وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ. فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّهِ))[٢]، والقناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام، "والقانع تعزف نفسه عن حطام الدنيا رغبة فيما عند الله، والقنوع يحبه الله ويحبه الناس، ولو قنع الناس بالقليل لما بقي بينهم فقير ولا محروم وقد قيل في القناعة:

اضرع إلى الله ولا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغنيَّ من استغنى عن الناس[٣]

قال ابن القيم: (حقيقة غنى القلب: تعلقه بالله وحده، وحقيقة فقره المذموم تعلقه بغيره، وغنى النفس هو استقامتها على المرغوب، وسلامتها من الحظوظ وبراءتها من المراءاة)[٤].

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ما يضر عبدًا يصبح على الإسلام ويمسي عليه ماذا أصاب من الدنيا"، وعن الحسن أنه قال: (ما من مسلم يرزق رزق يوم بيوم ولا يعلم أنه قد خير له: إلا عاجز أو قال غبي الرأي)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٦٠، ومسلم ٢٩٦٣ واللفظ له.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣١٧٤/٨.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٠٥/٣.

(٥) كتاب الزهد، عبدالله بن المبارك، ص ١٩٠.

وقال ابن القيم: (ومتى عرف العبد أن الله سبحانه هو الذي يتولى تدبير أمور العباد بموجب علمه وحكمته ورحمته سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة فإنه لا يزال راضيًا عن ربه، طيب النفس بما يجري عليها من المقادير التي هي عين اختبار الله له وطمأنينتها إلى أحكامه الدينية وهذا هو الرضا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولاً)[١].

رابعًا - من آداب المدعو: عدم التطلع إلى ما في أيدي الناس:

إن النفس البشرية متى استشرفت وتطلعت إلى ما عند الغير من متع ومباهج فإنها لا تنفك تؤلب صاحبها، وتورثه الحزن والحسرة على ما لم يحصل، والمسلم الحق يربي نفسه على الرضا بعطاء الله، والزهد فيما في أيدي الناس، ويتضح هذا من عموم الحديث فإن كان الإنسان قانعًا راضيًا فإنه لا يتطلع لما في أيدي الناس بل يزهد فيه: (لقد كان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد، وقال بعضهم: ازهد بما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله يحبك الله، وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك، وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس)[٢]، وقال السعدي: (وإذا علم العبد أن الله تعالى عنده جميع مطالب السائلين وبيده خزائن الخيرات من عرف هذا حق المعرفة اضطرته إلى تعليق الأمور كلها على الله، وتعلق القلب به وانقطاعه عن الخلق وعلم العبد أنه كلما تعلق بالله أتاه من الخير والبركة وطيب الحياة ما لا يخطر له على بال)[٣].

وقد علّم الله نبيه ﷺ أن لا يتطلع إلى زهرة الحياة الدنيا وزينتها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤].

---

(١) الفوائد، القاضي عياض ص ١٣٩.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٣١٧٣/٨.

(٣) الرياض الناضرة، السعدي ص ١٨٨.

(٤) سورة طه، آية: ١٣١.

قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه ﷺ: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما هم فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: "أزواجًا منهم"، يعني: الأغنياء فقد آتاك الله خيرًا مما آتاهم، وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الدار الآخرة أمر عظيم لا يُحد ولا يوصف، وفي الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن، فرآه متوسدًا مضطجعًا على رمال حصير وليس في البيت إلا صُبْرة من قرظ[1] وأهب[2] معلقة فابتدرت عينا عمر رضي الله عنه بالبكاء، فقال رسول الله ﷺ: ما يُبْكيكَ؟ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ كِسْرى وقيصَرَ فيما هما فيه، وأنت رسولُ اللّهِ؟ فقال: ((أوَ فِي شَكٍّ أنْتَ يا ابنَ الخَطّابِ أولَئكَ قوْمٌ عُجّلَتْ لهُمْ طَيّباتُهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا))[3]، فكان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها، إذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله، ولم يدخر لنفسه شيئًا لغد)[4].

---

(١) الصبرة: الطعام المجتمع كالكومة، والقرظ: الجلد، وصبرة من قرظ، أي: مجموعًا قد جعل صبرة كصبرة الطعام. انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ص ٥٠٧.

(٢) أهب: جلد، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٣٢٦ - ٣٢٧.

الحديث رقم (٥٢٢)

٥٢٢ - وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وقَنَّعَهُ الله بِمَا آتَاهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ١٢٥/١٠٥٤، أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥١١).

الحديث رقم (٥٢٣)

٥٢٣ - وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، قَالَ: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: **((يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى))**.

قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أرْزَأُ أحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكيمًا لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأبَى أنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا[1]، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَى أنْ يَقْبَلَهُ[2]. فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ[3]، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكيمٍ أنّي أعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ فِي هَذَا الفَيءِ فَيَأبَى أنْ يَأخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكيمٌ أحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي صلى الله عليه وسلم حَتَّى تُوُفِّي[4]. متفقٌ عَلَيْهِ[5].

ترجمة الراوي:

حكيم بن حزام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩).

غريب الألفاظ:

خَضِرٌ حلوٌ: محبوب مستلذ ومرغوب فيه[6].

بسخاوة نفس: بكرمٍ وجود، من غير طمع في الشيء[7].

---

(١) (شيئًا) لا توجد عند البخاري برقم ١٤٧٢، وإنما عنده برقم ٢٧٥٠.

(٢) هذا اللفظ عند البخاري برقم ٢٧٥٠، وفي ١٤٧٢: (أن يقبل منه شيئًا).

(٣) هذا في رواية الأوزاعي برقم ٢٧٥٠، وفي رواية يونس برقم ١٤٧٢: (إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم).

(٤) من بعد قوله: (يا حكيم) إلى هنا عند البخاري برقم ٢٧٥٠.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٧٢، و٢٧٥٠، ومسلم ١٠٣٥/٩٦ والسياق للحميدي في جمعه ٣٨٤/٣، رقم ٢٨٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ١١٩٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٧) رياض الصالحين ٢٤٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س خ و).

إشراف النفسُ: تطلُّعها وطمعها في الشيء[١].

لم يرزأُ: لم يأخذ من أحد شيئًا، وأصل الرزء: النقصان، أي: لم ينقص أحدًا شيئًا بالأخذ منه[٢].

العطاء: ما يستحقه من المغنم[٣].

الفيء: الخراج والغنيمة تنالُ بلا قتال[٤].

الشرح الأدبي

جاءت عبارته ﷺ: (وإن هذا المال خضر حلو) لتجلّي أبعاد أكثر مباهج الدنيا خطورة وهو المال وتبيّن وجه الانتفاع به فبدأ العبارة بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة ولعل السبب في هذا التوكيد يرجع إلى تمكُّن الرغبة للمال وحبه في نفوس الناس وانشغالهم عن خطره فجاءت هذه المؤكدات عناية بالأمر وتنبيها إلى خطره، ولأن حكيم كرر السؤال كثيرا والرسول ﷺ كرر له العطاء كما ذكر(سألتُ رسول الله ﷺ فَأعْطَانِي، ثُمَّ سَألْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَألْتُهُ فَأعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ) كما تشير ثم التي سبقت القول إلى فترة زمنية قبل أن يقول له هذا القول، وتعريف الرسول ﷺ للمسند إليه بالإشارة (هذا المال) لكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز أو للتنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير لأجل تلك الأوصاف التي وصفه بها من خضرة وحلاوة تبعثان الرغبة فيه، وقوله ﷺ: (المال خضر حلو) (ليس هو صفة المال، وإنما هو للتشبيه كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة) ووجه الشبه إقبال النفس عليه وسرورها به، وهو تشبيه بليغ حذف منه الوجه والأداة مما أعطى المعنى تأكيداً يفيد شدة التشابه في الصفة بين المشبه والمشبه به، وقد قابل بين قوله (فمن أخَذَهُ بِسَخَاوَةِ

---

(١) المرجع السابق ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق ٢٤٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٩٥.

(٤) المعجم المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ي أ).

نفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ) وبين قوله: (وَمَنْ أخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ) ليوضح أثر العامل النفسي، والإحساس القلبي على حدوث البركة في المال من عدمها حتى يبحث كل إنسان في نفسه عن شكل إحساسه به، ويحذر سيطرة المال على قلبه، وقوله (وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)قابل العليا بالسفلى، ليصور الفارق بين الاثنين بالمدى المحسوس بين الجهتين ارتفاعا في سمو بمحاسن الأفعال، وانخفاضا، وانحطاطا بذل السؤال، وحتى لا ينظر إنسان لعلو اليد، وانخفاضها من ناحية القوة، والضعف أو من ناحية الغنى، والفقر، وقد كان لهذه المعاني بالغ الأثر في نفس حكيم رضي الله عنه حتى قال للرسول ﷺ (وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أرْزَأُ أحَداً بَعْدَكَ شَيْئاً حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا) أي لا آخذ شيئا من أحد حتى أموت، وقد صدق رضي الله عنه، كما دل باقي الحديث .

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١ - جواز تكرار السؤال ثلاثًا، وجواز المنع في الرابعة.

٢ - سؤال الأعلى ليس بعار، وأن رد السائل بعد ثلاث ليس بمكروه.

٣ - أن السائل إذا ألحف لا بأس برده وتخييبه وموعظته، وأمره بالتعفف وترك الحرص على الأخذ.

٤ - أنه لا يستحق أحد أخذ شيء من بيت المال إلا بعد أن يعطيه الإمام إياه، وأما قبل ذلك فليس ذلك مستحقًا له[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء، والكناية والتمثيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتعفف عن المسألة.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٣٧، وشرح ابن بطال ٦/٤٨.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ:

إن الله عز وجل منح نبيه ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره، ومن ذلك ما حباه الله به من سخاء اليد، وكرم النفس، والجود بالقليل والكثير، وقد جاء في الحديث ما يبين هذه المعاني، ومن ذلك قول حكيم بن حزام رضي الله عنه: "سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني" ولقد كان ﷺ أجود الناس وأكرم الناس قال الكفوي: (الكرم يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه والجود صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال والجواد يطلق على الله تعالى دون السخي)[١].

ومما يدل على كرم وجود النبي ﷺ ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ أَحْسَنَ النَّاسِ. وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ))[٢] وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((كانَ رسولُ اللَّهِ أجودَ النَّاسِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في شهرِ رمضانَ وحينَ يلقاه جبريلَ، وكانَ جبريلُ يلقاهُ في كُلِّ ليلةٍ مِنْ رمضانَ، فيُدَارِسُهُ القرآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ حينَ يلقاهُ جبريلُ أجودُ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))[٣] وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[٤] وعن أنس رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَوَاللّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[٥] وعن صفوان رضي الله عنه قال: ((وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[٦] وعن

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٣٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢٠، ومسلم ٢٣٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥، ومسلم ٢٣٠٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٥) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: ((بينما أسيرُ معَ رسولِ الله ﷺ ومعه الناسُ، مَقفَلَهُ من حُنَينٍ، فَعَلِقَتِ الناسُ يسألونَه حتّى اضطَرّوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفَتْ رِداءه فوقفَ النبيّ ﷺ فقال: أَعْطونِي رِدائي، لو كان لي عدد هذهِ العِضاهِ نَعمًا لقَسمتهُ بينكم، ثمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوبًا ولا جَبانًا))[١].

قال محمد الخضري: (وأما الجود والكرم والسخاء فكان ﷺ لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يبارى، وصفه بهذا كل من عرفه. ولقد قالت خديجة رضي الله عنها في صفته ﷺ مخاطبة له: ((إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))[٢]. وحسبك شاهدًا في هذا الباب ما فعله مع هوازن من ردِّ السبي إليها، وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الأعطية، وحمل إليه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفًا، فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها. والأخبار بجوده وكرمه عليه الصلاة والسلام كثيرة)[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النداء، والكناية والتمثيل:

١ - النداء: حيث جاء في الحديث "يا حكيم" وأسلوب النداء من أساليب الدعوة وهو يشعر المدعو بالقرب من الداعية لاختصاصه بالنداء وفيه شد لانتباه المدعو.

قال القاسمي: (والنداء تنبيه للمنادى ليسمع ما يلقى عليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه، ولذلك كثر النداء في القرآن والنداء بوصف الإيمان فيه الحث على ما يأمر به وينهى عنه بعد النداء، فإن الإيمان موجب للطاعة والإذعان وفيه أيضًا إكرام المؤمنين بندائهم بأشرف أوصافهم وأحبها فيحثهم ذلك الإكرام على لزوم الطاعة والإذعان)[٤].

٢ - الكناية والتمثيل: حيث جاء في الحديث "إن هذا المال خضرٌ حلوٌ" قال النووي: (شبه المال في الرغبة فيه والميل إليه، وحرص النفوس عليه بالفاكهة الخضراء الحلوة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٣، ومسلم ١٦٠.

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٧٤-١٧٥.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٥/١.

فإن الأخضر مرغوب فيه على انفراده والحلو على انفراه فاجتماعهما أشد)[١] وقال ابن حجر: (وفيه ضرب المثل لما لا يعقله السامع من الأمثلة لأن الغالب من الناس لا يعرف البركة إلا في الشيء الكثير، فبين بالمثال المذكور أن البركة هي خلق من خلق الله تعالى وضرب لهم المثل بما يعهدون)[٢]. ومما لاشك فيه أن أسلوب الكناية والتمثيل من أساليب الدعوة النافعة التي تقرب المعنى إلى الأذهان، وتجعل الصورة المعنوية واضحة لدى المدعو بالمثل المحسوس.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتعفف عن المسألة:

إن مما يغرسه الإسلام في نفوس أتباعه ويربيهم عليه هو عزة النفس والأنفة والتعفف عما في أيدي الناس ويتضح هذا من الحديث "فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى، قال النووي: (وفي هذا الحديث الحث على التعفف والقناعة والرضا بما تيسر في عفاف وإن كان قليلاً، والإجمال في الكسب وأنه لا يغتر الإنسان بكثرة ما يحصل له بإشراف ونحوه فإنه لا يبارك له فيه)[٣].

وفي فضل الاستغناء والتعفف جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغنِ يُغنِهِ اللهُ))[٤] قال السعدي: (ومما يوجب للعبد الاستعفاف والاستغناء علمه بأن افتقاره إلى الخلق وتعلقه بهم واستشرافه لما بين أيديهم أو سؤالهم يجلب الهم والغم والأكدار والقلق وأن استغناءه عنهم وعدم تعلقه بهم يوجب راحة القلب وروحه وطمأنينته وكلما قوي طمع العبد بالله وقوي رجاؤه لربه يسر الله كل عسير وهون عليه كل صعب ورزقه من حيث لا يحتسب وكفاه الهموم كلها)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٥) الرياض الناضرة، السعدي ص ١٩٠.

ولقد طبق الصحابة الكرام رضي الله عنهم هذا التعليم النبوي فشرفت نفوسهم وعزَّت، ولم تتطلع إلى ما في أيدي غيرهم ولا أدل على ذلك من موقف حكيم بن حزام رضي الله عنه من رفضه قبول العطاء من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث جاء في الحديث "والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا". قال ابن حجر: (وإنما امتنع حكيم من قبول العطاء مع أنه حقه لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئًا فيعتاد الأخذ فتتجاوز به نفسه إلى ما لا يريده ففطمها عن ذلك، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وإنما أشهد عليه عمر لأنه أراد أن لا ينسبه أحد لم يعرف باطن الأمر إلى منع حكيم من حقه)[1]. ومما لا شك فيه أن هذا يدل على شرف نفسه رضي الله عنه وعلو همته. قال الماوردي: (وأما شرف النفس فإن به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهذيب، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي به عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة. وإذا شرفت النفس كانت للآداب طالبة وفي الفضائل راغبة فإذا مازجها صارت طبعًا ملائمًا، فنما واستقر وقال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هوانًا بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا

وإياك والسكنى بمنزل ذلةٍ يُعَدُّ ... مسيئًا فيه من كان مُحْسِنا[2]

وفي الدروس المستفادة من الحديث قال ابن أبي جمرة: (ظاهر الحديث يدل على أن أخذ المال بسخاوة النفس بركة فيه، وأخذه بإشراف النفس عدم البركة فيه) أي أن المال تنزع البركة منه إذا أخذه الإنسان بإشراف النفس.

فعلى الإنسان أن يكون زاهدًا في أخذه للمال؛ لأنّ ذلك من أسباب البركة فيه، لأنّ سخاء النفس هو عين الزهد.

وعلى الإنسان أن يتجنّب الحرص الشديد على المال، لأنّه ينزع البركة منه ، وهو

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٤.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٠٧، ٣٠٨.

المقصود بإشراف النفس، لأنّ هذا الإشراف يورث التعب لصاحبه لعدم قناعته بما رزقه الله إياه، ولأنّه يولّد بين من هذه صفتهم الحسد والضغائن والغيبة والشح بمنع الحقوق كلها أو بعضها أو توفيتها.

الحديث رقم (٥٢٤)

٥٢٤ - وعن أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ ونَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَت أقدامُنَا ونَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ، قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، (وقال: مَا كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ !) [1] قَالَ: كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

غزاة: غزوة[3].

نعتقبه: أي يركبه كل واحد منا نوبة[4].

فنقبت أقدامنا: قرحت من الحفاء[5].

الخِرقة: القطعة من الثوب الممزق، والجمع خرق[6].

غزوة ذات الرقاع: وهي التي كانت في محرم ٥هـ، وقد سار النبي ﷺ في ٤٠٠ من أصحابه يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان الذين تجمعوا لمحاربته وسميت ذات

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي في الجمع للحميدي ٣٠٤/١، رقم ٤٤٩ وكذا عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٢٨، ومسلم ١٨١٦/١٤٩ واللفظ له، إلا الزيادة، فهي لفظ البخاري، وجمعه الحميدي في جمعه بين الروايتين، وتبعه عليه المؤلف.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ر ق).

الرقاع لعصب المسلمين أرجلهم بالخرق، ولقد كان كل ستة نفر على بعير يعتقبونه، فدميت أرجلهم وجرحت وهي عند نخل شمال خيبر. وقيل على بعد ١٠٠ كم فقط شمال المدينة المنورة[١].

نعصب على أرجلنا: أي نشد على أرجلنا[٢].

أفشاه: أي أظهره ولم يكتمه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ضيق الحال من جهة، ويشير من جهة أخرى إلى صلابة الصحابة رضوان الله عليهم، وقوة تحملهم في سبيل الله وقول الراوي (وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ) يشير إلى قلة المؤن، وقلة العدد، وقلة السلاح، لكنهم كانوا على يقين بالله يستمدون القوة منه مع ما لديهم قل، أو كثر، والتعبير بالفعل (نعتقب) تصور تتابعهم على البعير يركب أحدهم مسافة، ويسير خمسة أو ستة أضعافها مما سبب لهم التعب، والمعاناة والذي صورها الفعل (نقبت) أي تشققت من وعورة الأرض وطول المسير، يزيده توكيدا أنه أضاف الأقدام إلى ضمير الجماعة (أقدامنا)، ثم فصَّل ما حدث له (وَنَقِبَت قَدَمِي، وسَقَطت أظْفَاري) ونسبة النقب والسقوط للأقدام، والأظافر من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في قوة الأثر الذي نقب القدم وأسقط الأظافر، وقوله (فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ) والتعبير بضمير الجمع يدل على عموم الأثر الذي ضم الجميع مما يشير إلى قوته، وقول أبي موسى رضي الله عنه (مَا كُنْتُ أصْنَعُ بِأنْ أذْكُرَهُ ؟!) استفهام لوم، وعتاب لنفسه مع ما يوحي به من ندم لأنه ذكره وقد فسَّره الراوي بقوله (كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يَكُونَ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ أفْشَاهُ) لأنهم كانوا أشد الناس إخلاصا، وأحرصهم على إخفاء أعمالهم.

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٧٩. وهناك أقوال أخرى في تحديد تاريخ غزوة ذات الرقاع، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨١/٧ - ٤٨٢.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ص ب).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٧٩.

فقه الحديث

من الفقه في هذا الحديث:

١ - جواز ركوب جماعة بالنوبة، بأن يركب هذا قليلاً ثم ينزل، فيركب الآخر بالنوبة، حتى يأتي على سائرهم، إذا لم يضر بالمركوب.

٢ - استحباب إخفاء الأعمال الصالحة، وما يكابده العبد من المشاق في طاعة الله تعالى، ولا يظهر شيئًا من ذلك إلا لمصلحة مثل بيان حكم ذلك الشيء، والتنبيه على الاقتداء به فيه ونحو ذلك. وعلى هذا يحمل ما وجد للسلف من الإخبار بذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً : من وسائل الدعوة: الغزو.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للمشقة والعناء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة : الصبر وتحمل الشدائد.

أولاً - من وسائل الدعوة: الغزو:

إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، ولابد أن تنتشر في بقاع الأرض، وإذا اعترض مسيرة الدعوة معترض، أو وقف في طريق انتشار الإسلام أحد فلا مناص من الجهاد تحقيقًا لعالمية الدعوة، وتبليغًا للرسالة ومن هذه الغزوات التي غزاها رسول الله ﷺ غزوة ذات الرقاع حيث جاء في الحديث "خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة"، والمراد بالغزاة، غزوة ذات الرقاع قال ابن عبدالبر: (وفي السنة الرابعة من الهجرة غزا رسول الله ﷺ نجدًا يريد بني محارب وبني ثعلبة بن سعد بن غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، وسميت هذه الغزوة ذات الرقاع، لأن أقدامهم نقبت فكانوا يلفون عليها الخرق وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم فيها، وقيل غير ذلك، وفي هذه الغزوة "جاء رجل من بني محارب ليفتك بالنبي ﷺ فأمسك السيف وقال: من يمنعك مني يا محمد؟ قال: الله، فرد السيف في غمده)[2].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ٦/١٢/١٦٥-١٦٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/٤٢١.

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر ١٦٦، ١٦٧

ومما لا شك فيه أن الغزو والجهاد وسيلة من وسائل الدعوة لتبليغ كلمة الله إلى الناس أجمعين (ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة، حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جل وعلا، والجهاد يضمن بقاء الأمة الإسلامية قوية مهابة الجانب، يحسب لها الطامعون ألف حساب، والجهاد له أثر فاعل في الدعوة إذ يفلح مع ممن لا ينقادون لأوامر الله سبحانه إلا بالقوة، والقوة مرحلة من مراحل الدعوة)[1]. والناظر المتأمل في غزوات الرسول ﷺ وجهاد الصحابة رضي الله عنهم يراها كلها دفاعًا عن بيضة الإسلام، والذبّ عن حياضه، وكف المناوئين له، المعادين لرسالته (فحقيقة موقف الإسلام من القتال إنما هو موقف معتدل شجاع لا هو إلى الجبن ولا هو إلى التهور، وإنما هو بين سلبية الدفاع ضد العدوان البادئ من العدو، وإيجابية نشر الدين البادئة من المسلمين، ومنه يبدو أن الإسلام قد يبدأ الحرب حينًا، وقد يكون مثنيًا حينًا على أنه مهما بدأ أو ثنى فقد أوجب على نفسه ألا يسترق الظفر أو ينتهب النصر، بل عليه أن يدعو عدوه أولاً إلى الإسلام وأغراضه الصالحة وكذلك يرى الإسلام أن يدعو قبل القتال، ولكنه بعد أن يكون قد استعد وقوي ثم يرسل دعوته، حتى لو كان على رؤوس القوم، ومن ثم صار الجهاد فريضة في الإسلام بغية الأمرين: نشر الدين ورد المعتدين، والأُهبة للأمرين على الدوام.

ومسؤولية المسلمين نحو دينهم من حيث إنه دين الكافة، ومن حيث إنهم مكلفون بالدعوة له ورد المعتدين عنه إلى يوم القيامة مسؤولية ذات خطر وبال، والعالم كله متدينه وعاطله مفطور على قبول الحجة القوية التي هي من صنع الداعي وحيلته، ولذا وجب على المسلمين متابعة ما بدأوا به من دعوة كل إنسان إلى ما دعا إليه الإسلام منذ البدء، فإما إلى الإسلام، وإما إلى السلام)[2].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٢٤١-٢٤٢

(٢) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي، ص ١٤٨-١٤٩.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصحابة رضي الله عنهم وتحملهم للمشقة والعناء:

إن الدعوة إلى الله والجهاد والغزو بحاجة إلى مزيد من الجهد والمصابرة وتحمل المشقة والعناء، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم مثالاً عاليًا في التضحية والصبر على شدة الحياة في سبيل الدعوة وتبليغ كلمة الله، ويتضح هذا من الحديث "ونحن ستة نفرٍ بيننا بعيرٌ نتعقبه، فنقِبت أقدامُنا ونقَبت قدمايَ وسَقَطتْ أظفاري، فكنا نلفُّ على أرجُلِنا الخرَق". ولا شك أن كل هذا يدل على فضل الصحابة وجهادهم رضي الله عنهم.

قال د. سعيد البوطي: (وفي غزوة الرقاع صورة واضحة عن مدى ما كان يتحمله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالة ربهم والجهاد في سبيله، ولقد تبين أنهم كانوا فقراء لا يجدون حتى الظهر الذي يمتطونه لجهادهم وغزواتهم، ولكن الفقر لم يعقهم عن أداء رسالتهم حيال دينهم والجهاد في سبيل نصرته، فقد تحملوا في سبيل ذلك كل النتائج، وكل ألوان المحن نقبت أقدامهم، وتساقطت أظافرهم، وتعرت أقدامهم، ومع ذلك فما ضعفوا وما استكانوا واستهانوا بكل ذلك في جنب عظم المسؤولية الملقاة على أعناقهم، منذ أن أصبحوا مسلمين)[1]، ولقد كان الصحابة الكرام يتمثلون قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[2]، ولا أدل على ذلك مما جاء عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالسًا من شدة الضُّرِّ الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة[3].

---

(١) فقه السيرة، ص ٢٩٢-٢٩٣

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ص ١٥٨.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة : الصبر وتحمل الشدائد:

إن الصبر من الخِلال الطيبة للمؤمن والتي تعينه على مواجهة العقبات والشدائد وفي الحديث ما يدلل على تحمل الصحابة وصبرهم. ويتضح ذلك من مضمون الحديث وسياقه حيث يدل على صبر الصحابة رضي الله عنهم على المشقة والعناء، وقد جاء الأمر بالصبر في القرآن قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾[2]، وأثنى الله على الصابرين فقال جل شأنه: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[3]، وأخبر أنه يحبهم فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[4]، وأرشد أن الصبر خير فقال سبحانه: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[5]، وأطلق البشرى لهم فقال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[6].

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: "... والصبر ضياء..."[7] وبين ﷺ أن الصبر خير فعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[8].

قال ابن القيم: (والصبر نصف الإيمان فإن الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤٦.

(٥) سورة النحل، آية: ١٢٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٧) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٨) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

شكر، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، قال ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]، ولذا فالصبر حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش[2].

إن (الصبر: خلق نفسي فطري أو مكتسب من آثاره القدرة على الدأب في الأعمال الظاهرة أو الباطنة، وعلى تحمل المشقات النفسية والجسدية مما يخالف أهواء النفس وشهواتها ورغباتها في فعل ما تكره فعله أو ترك ما تحب فعله، وهو خلق يمكن من يتحلى به ويضعه في المواضع الملائمة له من الظفر بأفضل النتائج التي يريد الحصول عليها، مما يقوم به من أعمال ظاهرة أو باطنة والصبر من أجل الصفات النفسية، ذوات الأثر في السلوك الباطن والظاهر، وذوات القيمة الثمينة مما يتحلى به العقلاء ذووا الإرادات القويات، والأنفس العاليات الزاكيات وهو من صفات الله جل جلاله فمن أسمائه تبارك وتعالى "الصبور" وهو يحب الصابرين، وهو مع الصابرين، وهو يبشر الصابرين بالنتائج التي يحبونها، وبالأجر العظيم عنده يوم الدين)[3].

---

(١) سورة السجدة، آية : ٢٤.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٢٤/٢.

(٣) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ١٢٥/١.

الحديث رقم (٥٢٥)

٥٢٥ - وعن عمرو بن تَغْلِبَ - بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام - رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أُتِي بمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَّمَهُ، فَأعْطَى رِجَالاً، وَتَرَكَ رِجَالاً، فَبَلَغَهُ أنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **((أمَّا بعْدُ، فَواللهِ إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إنَّمَا أُعْطِي أقْوَامًا لِمَا أرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأكِلُ أقْوَامًا إلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ[1] عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ))** قَالَ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَم. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عمرو بن تغلب: هو عمرو بن تغلب النَّمَري - بفتحتين - ويقال العبدي.

كان من أهل جُواثا - قرية من قرى البحرين - لما سمع بالإسلام قطع المسافات الطويلة وتحمل العناء والتعب الشديدين مهاجرًا إلى الله ورسوله، فأعلن إسلامه وحُسن وصدق فيه، لذا استحق ثناء الرسول ﷺ أمام أصحابه كما في الحديث المذكور.

نزل العراق فسكن البصرة وعاش إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وروى عنه الحسن البصري[3].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (فيهم) والمثبت لفظه برقم (٧٥٣٥).

(٢) برقم (٩٢٣).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٠٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٨٨/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٩٦/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٥٨/٣)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٤٠٠/٢).

غريب الألفاظ:

السبي: نساء وصغار الكفار المحاربين المأخوذون في الحرب[١].

عتبوا: العتاب: مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموْجِدة[٢].

الجزع: الخوف[٣].

الهلع: أشدُ الجزع وقيل: الضجر[٤].

وأكلُ: أترك[٥].

حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه[٦].

الشرح الأدبي

قوله (فَأعْطَى رِجَالاً، وَتَرَكَ رِجَالاً) طباق يشير إلى المفارقة بين العطاء للبعض، ومنع البعض مما أثار حفيظة من لم تتكشف له الحكمة في فعل النبي ﷺ، وبداية الرسول ﷺ بـ(أما) التفصيلية التي تفيد توكيد ما بعدها ثم القسم بالله الذي يحقق الترهيب وحرف التوكيد (إن) واللام ليزيل ما في القلوب المعترضة من عتب وما تظن في تصرف الرسول، وأن العطاء ليس دليل محبة ولا المنع دليل كره، ولذلك (إنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أدَعُ أحَبُّ إلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي) ويدل عليه تعبيره بـ(أدع) الذي يشير إلى ترك في لين، ثم تعبيره بأفعل التفضيل أحب التي تشير إلى حقيقة الدافع

---

(١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت ب)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٧٩٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ز ع).

(٤) رياض الصالحين ٢٤٧.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (و ك ل).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

العطاء، والمنع، وأسلوب القصر الذي يقصر العطاء على أقوام صفتهم الجزع (إنَّمَا أُعْطِي أقْوَاماً لِمَا أرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ)، وتنكير الأقوام للستر عليهم، وقول الرسول ﷺ (لما أرى في قلوبهم) يشير إلى نفاذ بصيرته ﷺ وتفقده لمن حوله حتى يعامل كل واحد منهم بما يصلح شأنه والتعبير بالهلع بعد الجزع يشير إلى نوع مسيطر من الخوف، ومزلزل للإيمان في قلوبهم مما ينتج عنه هلاكهم، ولذلك ألف قلوبهم، وسكن جزعهم بما أعطاهم من مال، وقد اتخذ موقفا مخالفا مع أصحاب الإيمان الراسخ في قوله (وَأكِلُ أقْوَاماً إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ) وقد رفع لهم من هؤلاء قدوة في هذا المجال فقال: (مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ) بينما ستر على أهل الجزع، والهلع، حتى يستقر الإيمان في قلوبهم، وبذلك يصلح الجميع، ويكون المال حماية لهم جميعا.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التأليف على الإسلام: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنابلة وبعض المالكية إلى أن أحكام المؤلفة باقية، فيجوز التأليف لمن لم يرسخ إيمانه، وذهب الحنفية والمالكية في الراجح والشافعية إلى أنه قد انقطع سهم المؤلفة بعد رسول الله ﷺ فلا يعطى أحد تأليفًا بحال، ورجح بعض المالكية أن التأليف جائز لبقاء حكمهم غير ألا يعطوا إلا وقت الحاجة[1].

---

(١) العناية على الهداية ١٨٩/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٨١/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ١٩٧/٥، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٥٦/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حكمة النبي ﷺ في إعطاء بعض الصحابة رضي الله عنهم وعدم إعطاء البعض.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: تأليف القلوب.

رابعًا: من واجبات الداعية: تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن وسائل الدعوة تتنوع وتتعدد، وتبقى الخطبة لها أثرها ودورها الفعال من بين الوسائل الدعوية لارتباطها بالجانب التعبدي في حياة المسلم، خاصة فيما يتعلق بخطبة الجمعة، وخطبة العيد، وخطبة عرفة، وقد أشار الحديث إلى وسيلة الخطبة في قول عمرو بن تغلب رضي الله عنه "فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد" والخطبة وسيلة هامة من وسائل الدعوة قال محمد الغزالي: (ودعمًا للحق في أنحاء الجماعة جعل الله الخطابة من شعائر الإسلام ففي كل أسبوع يحتشد المسلمون في المسجد الجامع، ليسمعوا داعية إلى الله يذكر بربه ويعلم دينه، وفي كل عيد يجتمع المسلمون ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد، وفي كل موسم جامع للحجيج تلتقي وفود الأمة الإسلامية لتستمع إلى خطاب عرفة، فالخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة)[1].

إن الخطبة كوسيلة من وسائل الدعوة يمكن أن يستغلها الداعية في الوعظ والتوجيه والوصايا والزواج وإصلاح ذات البين، ومعالجة المشكلات الاجتماعية،

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ٣٠٧.

والقضايا الجماهيرية (ولما جاء الإسلام سارت الخطابة في ركاب الدعوة الجديدة تخدم أغراضها، وتنادي الناس إلى الدخول فيها، ففي كل مسجد خطبة، وعلى كل منبر خطيب، والجماهير تهوى هويًا إلى هذه المنابر التي كانت ولا تزال خطبة الجمعة فيها قبل الصلاة حتى لا يجد المصلون سببًا إلى التسلسل أو التخلص من سماعها لأي سبب من الأسباب ومن هنا كان تقدير الإسلام للخطابة الدينية تقديرًا مبنيًا على الوجوب، وربأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حكمة النبي ﷺ في إعطاء بعض الصحابة رضي الله عنهم، وعدم إعطاء البعض:

إن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومَنْ غير الأنبياء أولى أن يتصف بالحكمة؟ ومن غير النبي ﷺ أولى أن تصطبغ تصرفاته بالحكمة؟ هكذا كان رسول الله ﷺ حكيمًا فيما يفعل، حكيمًا فيما يترك، ويتضح هذا مما جاء في الحديث من قول النبي ﷺ: "فو الله إني لأعطى الرجل وأدع الرجل والذي أدع أحب إلى من الذي أعطى" ولا شك أن هذا يدل على حكمة النبي ﷺ وحسن تقديره للأمور والأحوال، ودرايته بنفوس أصحابه رضي الله عنهم قال ابن حجر: (وأما في الدنيا فإنما تقع العطية والمنح على حسب السياسة الدنيوية، فكان ﷺ يعطي من يخشى عليه الجزع والهلع لو منع، ويمنع من يثق بصبره واحتماله وقناعته بثواب الآخرة ومن فوائد الحديث استئلاف من يخشى جزعه أو يرجى بسبب إعطائه طاعة من يتبعه والاعتذار إلى من ظن ظنًا والأمر بخلافه[٢]، ولا يخفى أن الحكمة من صفات الأنبياء قال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[٣] وإذا كانت الحكمة هي الإصابة في القول والسداد في الفعل (فإن الحكيم يعمل على وفق الشرع، ويصيب في القول والفعل

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان راجح الهجاري ٥٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٢٠.

(٣) سورة ص، آية: ٢٠.

والتفكير، ويسير على هدى من الله ونور، والحكمة دليل على كمال العقل ونفاذ البصيرة، وهى سمة من سمات الأنبياء الصالحين والعلماء العاملين)[١]. إن المتأمل في سيرة النبي ﷺ يظهر بجلاء لا يخفى لذي عينين ما فطر الله عليه نبيه ﷺ من الحكمة في جميع تصرفاته وأحواله، وجميع تعاملاته مع أصحابه رضي الله عنهم وغيرهم في العطاء والمنع، والفعل والترك، والإقدام والإحجام.

قال علي محفوظ: (لقد كان لسياسته الحكيمة ﷺ عظيم الأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، إذ لم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أية أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن مِن المصلحين المبرزين سواء أكان قائدًا محنكًا، أم مربيًا حكيمًا اجتمع لديه من رجاحة العقل وأصالة الرأي وقوة العزم وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله ﷺ؟ ولقد برهن على وفور ذلك كله فيه: صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تألفه، وأنه ما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديدة، ومن شواهد سياسته الحكيمة تأليفه القلوب بالمال فكان يؤثر حديثي العهد بالإسلام بجانب من المال، للاحتفاظ بالبقاء على الهداية للإسلام، وهذا إذا ظهر له أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم رسوخًا لا تزلزله الفتن)[٢].

ثالثًا - من وسائل الدعوة : تأليف القلوب:

إن النفس البشرية جبلت على حب المنفعة وترقب الخير، ولذا كان تأليف القلوب من وسائل الدعوة للترغيب في الإسلام والثبات عليه، ويظهر هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: "ولَكِني إنَمَا أُعْطِي أقوامًا لِمَا في قلوبِهِمْ من الجَزَعِ والهَلَعِ"، ويعتبر تأليف القلوب من وسائل الدعوة الهامة ولذا جعل الله لهم سهمًا في مصارف الزكاة قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[٣].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ١٧٠٥/٥.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٤-٣٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

قال ابن كثير: (ومن المؤلفة قلوبهم من يعطي ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين، ومنهم من يعطي ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم ومنهم من يعطي لما يرجى من إسلام نظرائه، ومنهم من يعطي ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد"[١].

وفي تأليف القلوب بالعطاء جاء عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ((أَعْطَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ. قَالَ : فَتَرَكَ رَسُولُ اللّهِ مِنْهُمْ رَجُلاً لَمْ يُعْطِهِ. وَهُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ. فَقُمْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ فَسَارَرْتُهُ. فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ وَاللّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلاً. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا فَسَكَتُّ قَلِيلاً. ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَالَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللّهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنًا. قَالَ: أَوْ مُسْلِمًا قَالَ: إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ. خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ))[٢].

ومن التطبيقات العملية لاستخدام وسيلة تأليف القلوب في الدعوة ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس رضي الله عنه : ((إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا. فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا))[٣].

قال النووي: (وقد وقع في هذه الرواية "فما يسلم" وفي بعضها "فما يمسي" وكلاهما صحيح ومعنى الأول: فما يلبث بعد إسلامه إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه. والمراد: أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا لا بقصد صحيح بقلبه ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ويتمكن من قلبه فيكون حينئذٍ أحب إليه من الدنيا وما فيها)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٨، ومسلم ١٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٨.

ومن صور استخدام وسيلة تأليف القلوب في الدعوة ما قام به النبي ﷺ في عام الفتح عندما أعطى أهل مكة الكثير من الغنائم. قال د. محمد سعيد البوطي: (وفي إعطاء النبي ﷺ لأهل مكة الذين أسلموا عام الفتح مزيد من الغنائم عن غيرهم، دليل على أنه يجوز للإمام أن يزيد في عطاء من يتألف قلوبهم على الإسلام بالقدر الذي تدعو إليه مصلحة تألف قلوبهم، بل يجب عليه ذلك عندما تدعو إليه المصلحة، ولا مانع أن يكون العطاء من أصل الغنائم، ومن هنا كان لهؤلاء الناس سهم خاص باسمهم في الزكاة يجتمع تحت يد الحاكم ليعطي منه كلما دعت الحاجة لمن يرى أن المصلحة الإسلامية تدعو إلى تألف قلوبهم"[1].

رابعًا - من واجبات الداعية : تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم:

إن الدعوة إلى الله تحتاج في تبليغها إلى الرفق واللين ومجانبة الشدة والعنف، ومداواة قلوب الناس وبلسمة جراحاتهم ومن ثم فإن من أهم واجبات الداعية الناجح تطييب قلوب المدعوين ومدحهم بما فيهم، ويتضح هذا من الحديث "وأَكِلُ أقوامًا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير" والداعية الذي يوفق إلى هذا يجعل القلوب تقبل إليه ولا تنفر منه قال ابن حجر: (وفي الحديث أن البشر جبلوا على حب العطاء وبغض المنع والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله رغم أن المنع قد يكون خيرًا للممنوع، ومن ثم قال الصحابي: ما أحب أن لي بتلك الكلمة حمر النعم)[2].

ولما خص رسول الله ﷺ رجالاً من قريش بكثير من المال فَوَجَد الأنصار في نفوسهم ذلك فطيب رسول الله ﷺ خاطرهم ومدحهم وجمعهم وخاطبهم بلطيف الكلام، وجميل الحديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جَمَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الأَنْصارَ. فَقَالَ: أَفِيكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» فَقَالُوا: لاَ. إلاَّ ابْنُ أُخْتٍ لَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ وَمُصِيبَةٍ. وَإِنِّي

---

(١) فقه السيرة النبوية ٤٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٣.

أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُمْ وَأَتَأَلَّفَهُمْ. أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَرْجِعَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللّهِ إِلَى بُيُوتِكُمْ؟ لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ))[1].

قال علي محفوظ: (وبمثل هذه المعاملة الحسنة اجتمعت قلوب أصحابه رضي الله عنهم حوله ﷺ فتفانوا في محبته والدفاع عن دعوته بمؤازرته ومناصرته، وليس ما يبدو من مخالفة الأصحاب إلا أمور نادرة صورية، يبعد كل البعد أن يقصد بها المخالفة بل مثارها على ما يظهر من فحواها، إنما هو الرأي والاجتهاد ثم تبين لهم حسن تصرف النبي ﷺ وصواب عمله فتابعوه وأثنوا عليه)[2].

ومن خلال هذه التطبيقات النبوية ينبغي للداعية الموفق أن يقتدي برسول الله ﷺ في الدعوة ويطيب قلوب المدعوين، ويثني عليهم بما فيهم جذبًا لنفوسهم، واستمالة لقلوبهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٤٦، ومسلم ١٠٥٩.

(٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٧-٣٨.

الحديث رقم (٥٢٦)

٥٢٦ - وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

ترجمة الراوي:

حكيم بن حزام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩).

غريب الألفاظ:

من تعول: من يلزمك نفقته[2].

ظهر غنى: يستبقي من ماله بعد صدقته قدْر الكفاية[3].

الشرح الأدبي

الطباق بين اليد العليا، واليد السفلى يوضح الفارق في التعامل مع الناس بين المفيد، والمستفيد بين اليد التي تمتد لتبني، وتعلو، وبين اليد التي سفلت تستجدي الناس وهو معنى يدور حوله الحديث، والأمر (وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ) أمر نصح، وإرشاد يحدد الأولويات في الأنفاق لأنه من المنطقي أن يبدأ بالأقرب لأنه أخص به، والتعبير بلفظ (خير) يقتضي الأفضلية، وإضافته للصدقة يوجه القلوب الصافية التي تحرك الأيدي العليا إلى قمة المستهدف من الصدقة وقوله (مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنىً) كناية عن الكفاية بعد الصدقة ومعناه: أَنْ يَبْقَى خَلْفَهَا غِنًى لِصَاحِبِهِ قَلْبِيٌّ كَمَا كَانَ لِلصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُ أَوْ قَالَبِيّ فَيَصِير الْغَنِيُّ لِلصَّدَقَةِ كَالظَّهْرِ لِلْإِنْسَانِ وَرَاء الْإِنْسَان فَإِضَافَة الظَّهْر إِلَى الْغِنَى

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٣٤/٩٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٦٢/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٧/٣.

بَيَانِيَّة لِبَيَانِ أَنَّ الصَّدَقَة إِذَا كَانَتْ بِحَيْثُ يَبْقَى لِصَاحِبِهَا الْغِنَى بَعْدهَا إِمَّا لِقَوْةِ قَلْبه أَوْ لِوُجُودِ شَيْءٍ بَعْدَهَا يَسْتَغْنِي بِهِ عَمَّا تَصَدَّقَ فَهُوَ أَحْسَنُ وَإِنْ كَانَتْ بِحَيْثُ يَحْتَاج صَاحِبهَا بَعْدهَا إِلَى مَا أَعْطَى وَيُضْطَرّ إِلَيْهِ فَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِهَا التَّصَدُّقُ بِهِ، وبين يستعفف، ويعفه جناس يؤكد المعني الذي يقوي خلق العزة، والكرامة الذي ترتقي به من السؤال إلى التعفف ثم من التعفف إلى الإنفاق متى تيسر لها ذلك، وقوله (ومن يستغن يغنه الله) هو أسلوب شرط كالجملة السابقة يربط طلب الاستغناء عن الناس بالغنى الذي يتحقق من الله، وفيه جناس كسابقه يؤكد عزة النفس وترك سؤال الناس.

فقه الحديث

من الفقه في هذا الحديث:

١ - وجوب النفقة على الأهل:

فقد أمر النبي ﷺ بالبدء بالإنفاق عليهم فقال: "وابْدأ بمن تعول" (أي بمن يجب عليك نفقته، يقال عالِ الرجل أهله، إذا مانهم: أي قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة، وهو أمر بتقديم ما يجب على ما لا يجب)[١]. وقال ابن حجر: (قال الطبري ما ملخصه: الإنفاق على الأهل واجب، والذي يعطيه يؤجر على ذلك بحسب قصده، ولا منافاة بين كونها واجبة وبين تسميتها صدقة[٢]، بل هي أفضل من صدقة التطوع. وقال المهلب: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع، وإنما سماها الشارع صدقة خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه؛ وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرّفهم أنها لهم صدقة؛ حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم، ترغيبًا لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع)[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٥٠٠.

(٢) كما في حديث أبي مسعود الأنصاري > مرفوعًا: "إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة" أخرجه البخاري ٥٣٥١، ومسلم ١٠٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٤٩٨.

النفقة على البالغين من الأولاد ولا مال لهم ولا كسب:

قال ابن حجر: (قال ابن المنذر: اختلف في نفقة من بلغ من الأولاد ولا مال له ولا كسب، فأوجبت طائفة النفقة لجميع الأولاد أطفالاً كانوا أو بالغين إناثًا وذكرانًا إذا لم يكن لهم أموال يستغنون بها. وذهب الجمهور إلى أن الواجب أن ينفق عليهم حتى يبلغ الذكر أو تتزوج الأنثى، ثم لا نفقة على الأب إلا إن كانوا زمنى، فإن كانت لهم أموال فلا وجوب على الأب وألحق الشافعي ولد الولد وإن سفل بالولد في ذلك)[١].

٢ - كراهة السؤال: قال ابن حجر: (فيه كراهة السؤال والتنفير عنه، ومحله إذا لم تدع إليه ضرورة من خوف هلاك ونحوه، وقد روى الطبراني من حديث ابن عمر بإسناد فيه مقال، مرفوعًا: "ما المعطي من سعةٍ بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجًا"[٢])[٣].

٣ - الصدقة بجميع المال: قال النووي: (وقد اختلف العلماء في الصدقة بجميع ماله، فمذهبنا أنه مستحب لمن لا دين عليه ولا له عيال ولا يصبرون بشرط أن يكون ممن يصبر على الإضاقة والفقر، فإن لم تجتمع هذه الشروط فمكروه، قال القاضي[٤]: جوز جمهور العلماء وأئمة الأمصار الصدقة بجميع ماله، وقيل: يردّ جميعها، وهو مروي عن عمر بن الخطاب وقيل: إن زاد على النصف ردت الزيادة، وهو محكي عن مكحول، قال أبو جعفر الطبري: ومع جوازه فالمستحب أن لا يفعله وأن يقتصر على الثلث)[٥].

---

(١) السابق ٩/٥٠٠-٥٠١، وللمزيد من التفصيل. انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤١/٣٤، ٧٢-٧٤ ومراجعها ومصادرها.

(٢) كما عزاه له في المعجم الكبير، المنذري في الترغيب والترهيب ١٢٧١، وحكم عليه الألباني في ضعيف الترغيب ٥٠٤، بأنه ضعيف جدًا.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٩٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٥٦٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤/٧/١١١-١١٢، وانظر للمزيد من التفاصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/٣٣٧ ومراجعها، رد المحتار على الدر المختار ابن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢/٧٧، والاختيار لتعليل المختار ٣/٥٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٣٢٣، وكفاية الأخيار للحسيني ١/١٢٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ١/٤٠٧، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٨٣، ٨٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق والتصدق.

ثالثًا: من أولويات الدعوة : البدء بالأقرب في الدعوة والعطاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التعفف والاستغناء عن مسألة الناس.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة، ومما تتميز به الدعوة الإسلامية أن جميع أخبار القرآن والسنة كلها صادقة لا يتطرق إليها كذب أو شك وهذا يعطيها مصداقية لدى المدعوين وصدق الله سبحانه وتعالى إذ قال جلّ شأنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق والتصدق:

إن الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق، ويضيق على الشح والإمساك. ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه[3].

لذا حث النبي ﷺ على الإنفاق في وجوه الطاعات[4]، فقال: "اليد العليا خير من اليدِ السفلى" والمراد بالعلو هنا: علو الفضل والمجد ونيل الثواب[5]، ولا يحصل هذا إلا

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ، ٦٥٤.

(٥) المرجع السابق.

بالبذل والإنفاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

ومما لا شك فيه أن في الإنسان نزعة اجتماعية غيرية، فطرية كذلك، ولكنها لا تقاوم نزعته الذاتية لو خليّت وشأنها. ومن هنا ترى الإنسان - كل إنسان - حريصًا على أن يجمع لنفسه من أسباب النعمة ما استطاع، حريصًا على الاستئثار به دون غيره، حتى أنه ليشيب ويهرم، ويشب معه الحرص والشح، ولذا وصفه خالقه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾[٤] ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[٥] وصور رسول الله ﷺ مبلغ حرص الإنسان على الدنيا وطمعه في متاعها فقال: ((لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثًا))[٦].

وإذا ترك الإنسان لهذه الأنانية تسيطر على نفسه، وتحكم سلوكه وتوجه علاقاته بالناس، فلن تجد فيه إلا إنسانًا جشعًا شحيحًا، كل همه أن ينتفع ولا ينفع، وأن يأخذ ولا يعطي، يريد أن يربح، ولا يريد أن يعمل، يقول دائمًا: لي ولا يقول ويومًا عليّ، ضنين بكل ما عنده، شَره إلى ما عند غيره[٧]؛ لذا أتت السنة النبوية - كما في حديث الباب - تخضدُ شوكة الشُّح، وتبذرُ نبتة الإنفاق، بعد أن عظمت فضل البذل والصدقة في جعل صاحبها له العلو وعظم الثواب.

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٠.

(٥) سورة النساء، آية: ١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧٢، ومسلم ١١٦.

(٧) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٥٩-٢٦٠.

وكان من هذا الثواب محو الخطايا وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1] فإذا انزلق المسلم إلى ذنب وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه، فإن الطهور الذي يعيد إليه نقاءه ويرد إليه ضياءه ويلفه في ستار الغفران والرضا، أن يجنح إلى مال عزيز عليه فينخلع عنه للفقراء والمساكين، زلفى يتقرب بها إلى أرحم الراحمين[2].

وقد بين النبي ﷺ في نص الحديث أن أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه، وذلك في قوله ﷺ "وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى" والسبب في ذلك أن من تصدق بماله يندم إذا احتاج ويود أنه لم يتصدق بخلاف ما بقي من ماله بشيء مستغنيًا فإنه لا يندم عليها بل يسر بها[3].

وقد يتعارض ذلك مع ورد في درجة الإيثار التي أثنى الله بها على الأنصار؛ إذ قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4] وقد روي: أن هذه الآية نزلت بسبب رجل من الأنصار ضافه ضيف فنوَّم صبيته وأطفأ السراج، وآثر الضيف بقوتهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[5] أي على شدة الحاجة إليه والشهوة له، ولا شك أن صدقة من هذه الحاله أفضل. وفي حديث أبي ذر: ((أفضل الصدقة جهد مقل))[6]. وقد أفاد مجموع ما ذكرنا: أن صدقة المؤثر والمقل أفضل. وحينئذ يثبت التعارض بين هذا المعنى وبين قوله: "خير الصدقة ما كان عنى ظهر غنى"

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٢٠-١٢١.

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ، ٦٥٥.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٨.

(٦) أخرجه الدارمي ١٤٢٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٦٦.

وللجمع بين النصوص نبين أن معنى الغنى: أي حصول ما تُدفع به الحاجات الضرورية؛ كالأكل عند الجوع المشوِّش الذي لا صبر عليه، وستر العورة، والحاجة إلى ما يدفع به عن نفسه الأذى. وما هذا سبيله؛ فهذا ونحوه مما لا يجوز الإيثار به، ولا التصدق، بل يحرم. وذلك: أنه إن آثر غيره بذلك أدى إلى هلاك نفسه، أو الإضرار بها، أو كشف عورته، فمراعاة حقه أولى على كل حال. فإذا سقطت هذه الواجبات صحَّ الإيثار، وكأن صدقته هي الأفضل، لأجل ما يحمله من مضض الحاجة وشدة المشقة، والله تعالى أعلم[1].

ثالثًا - من أولويات الدعوة : البدء بالأقرب في الدعوة والعطاء:

إن الإسلام يعلم المسلم ترتيب الأولويات في النفقة والدعوة ويظهر هذا من الحديث "وابدأ بمن تعول"، قال النووي: (وفيه تقديم نفقة نفسه وعياله لأنها منحصرة فيه بخلاف نفقة غيرهم وفيه الابتداء بالأهم فالمهم من الأمور الشرعية"[2].

وقال القرطبي: (وقوله "وابدأ بمن تعول" يعني أنه يبدأ بكفاية من تلزمه كفايته، ثم بعد ذلك يدفع لغيرهم، لأن القيام بكفاية العيال واجب، والصدقة على الغير مندوب إليها، ولا يدخل في ذلك ترفيه العيال الزائد على الكفاية، فإن الصدقة بما يرفه به العيال أولى، لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشرع)[3].

وإذا كان ما سبق في البدء بالأقرب من الزوجة والأولاد في النفقة فإنه أيضًا يجب البدء بهم في الدعوة قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: دَعَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قُرَيْشًا. فَاجْتَمَعُوا. فَعَمَّ وَخَصَّ. فَقَالَ: يَا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٠، ٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيَ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ. فَإِنِّي واللهِ لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا. غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا))[1].

قال المباركفوري: (هذه الصيحة العالية هى غاية البلاغ، فقد أوضح الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله)[2].

قال ابن كثير: (ودعا رسول الله ﷺ جهرةً على الصفا، وأنذر بطون قريش عمومًا وخصوصًا، حتى سمَّى من سمى من أعمامه وعمامته وبناته لينبه بالأدنى على الأعلى، أي: إنما أنا نذير والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالواحد الدمشقي أنه قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم، وولده إلى جنبه، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون فقيل له: ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم، وأهل بيتك جلوس لاهين؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أزهد الناس في الدنيا الأنبياء، وأشدهم عليهم الأقربون" وذلك فيما أنزل الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] ثم قال: "إن أزهد الناس في العالم أهله حتى يفارقهم ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4])[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٤.

(٢) الرحيق المختوم ٨٠.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٤-٢١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/ ١٧٠-١٧١.

وقال الطاهر بن عاشور: (وقوله تعالى: "وأنذر عشيرتك الأقربين" عطف على قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[1] فهو تخصيص بعد تعميم للاهتمام بهذا الخاص، ووجه الاهتمام أنهم أولى الناس بقبول نصحه وتعزيز جانبه ولئلا يسبق إلى أذهانهم أن ما يلقيه الرسول من الغلظة في الإنذار وأهوال الوعيد لا يقع عليهم لأنهم قرابة هذا المنذر وخاصته ويدل على هذا قوله ﷺ في ندائه لهم "لا أغني عنكم من الله شيء" وأن فيه تعريضًا بقلة رعي كثير منهم حق القرابة إذ آذاه كثير منهم وعصوه مثل أبي لهب فلا يحسبوا أنهم ناجون في الحالتين وأن يعلموا أنهم لا يكتفي من مؤمنهم بإيمانه حتى يضم إليه العمل الصالح فهذا مما يدخل في النذارة ولذلك دعا النبي ﷺ عند نزول هذه الآية قرابته مؤمنين وكافرين)[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل التعفف والاستغناء عن مسألة الناس:

الأصل في المسلم أنه شريف النفس عفيف عن المسألة وذلها، فلا يسأل إلا الله، ولا يلوذ إلا بغناه، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "... ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله".

فمن اجتهد في تحصيل العفة والاستغناء بحسب ما يقتدر عليه ويستطيعه من الأسباب وبذل جهده وجاهد نفسه على ذلك أعانه الله ووفقه ويسر له هذا الأمر فرزقه القناعة برزق الله والاستغناء بفضل الله، ومتى عزم الإنسان على قطع أمله من الناس وقطع استشراف قلبه وسؤاله لهم حصلت له العفة التامة والغنى التام[3].

فعلى المحتاج أن يطلب من الله العفة عن السؤال، ويحاول التخلق بهذه العفة بالصبر والتعود عليها والعمل والبحث عنها، وسوف يهيء الله تعالى له طريق ذلك. وعلى الإنسان مهما قلَّ دخله، وقل ما يرد إليه أن يحاول الاستغناء به عن الناس وسؤالهم والتطفل

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨/١٩/٢٠٠-٢٠١.

(٣) الرياض الناضرة، السعدي، ١٨٦.

عليهم، وسوف يحقق الله ذلك وفي هذا إعزاز للمسلم ورفع لمستوى المسلم وإقامة للعلاقات بينهم على أساس التكافؤ والتوازن واحترام القيم والمثل والمبادئ[1].

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٣٤٤.

الحديث رقم (٥٢٧)

٥٢٧ - وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سفيان: صخر بن حرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٦).

غريب الألفاظ:

لا تُلحفوا : لا تُلِحُّوا[2].

الشرح الأدبي

الحديث تصدره أسلوب إنشائي مفعم بالحركة في ثوب النهي الذي يحفظ ماء وجه المسلم (لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ) نهياً عن الإلحاف الذي يريق ماء وجه المؤمن ويسبب الحرج للمسئول، وبين قوله (المسألة، ويسألني) جناس يقوي المعنى، ويؤكده، ويضع المسألة في حيز النهي المصور لقبحها من ذي المروءة المسلم، وقد صعّد النبرة العالية التي أثارها النهي عن طريق القسم في قوله (فَوَاللهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا) وتنكير (شيئا) يفيد التعميم ووصل حرف الجر بكاف الخطاب وميم الجمع شكل من أشكال تعميم الحكم ونسبة الإخراج إلى المسألة من نسبة الشيء لسببه على سبيل المجاز للمبالغة، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد تخصيصهم بالإخراج أي يسألون لأنفسهم خاصة، وقوله (وأنا له كاره)، وتقديم الجار والمجرور (له) يخصصه دون غيره أي للشيء المخرج كاره، وقوله: (فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ)الفاء عاطفة في جواب النهي،والمعنى لا تجتمع بركة لشيء أخذه إنسان عن طريق المسألة دون رضا الرسول ﷺ ، والحديث ترهيب من الإلحاف بالتهديد بنزع البركة، ومحق الخير.

---

(١) برقم ١٠٣٨/٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٢٩.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

حرمة الإلحاح في المسألة مع الغنى: قال القرطبي: (الإلحاح في المسألة والإلحاف فيها مع الغنى عنها حرام لا يحلّ، قال رسول الله ﷺ: ((من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقلّ أو ليستكثر))[1]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزْعةُ لحم))[2])[3].

وقال ابن كثير في تفسير الإلحاف: ((إن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال فقد ألحف في المسألة))[4].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (حرم الإسلام السؤال على من يملك ما يغنيه عنها من مال أو قدرة على التكسب، سواء كان ما يسأله زكاة أو تطوعًا أو كفارة، ولا يحلّ له أخذ ذلك إن أعطى بالسؤال أو إظهار الفاقة، قال الشبراملسي: لو أظهر الفاقة وظنه الدافع متصفًا بها لم يملك ما أخذه، لأنه قبضه من غير رضا صاحبه، إذ لم يسمح له إلا على ظن الفاقة، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته خموش أو خدوش أو كدوح))[5] قيل: يا رسول الله وما

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٤، ومسلم ١٠٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٩/٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٨/٢، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٦/٤-٣٧٩.

(٥) خمش وجهه: خمشًا وخموشًا: جرح بشرته. والخمْش: اسم لجرح البشرة، وهو أثر الخمش والجمع: خموش. وخدش الجلد ونحوه: خدشًا: قشره والخَدْش: الأثر في الجلد حين يخدش والجمع: خدوش، والكدْح: كل أثر من عضٍّ أو خدش. والجمع كدوح. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية "خدش، خمش، كدح".

يغنيه؟ قال: ((خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب))[١] وحديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: ((لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه))[٢].

أما إذا كان محتاجًا إلى الصدقة وممن يستحقونها لفقر أو زمانة أو عجز عن الكسب فيجوز له السؤال بقدر الحاجة، وبشرط أن لا يذل نفسه وأن لا يلحّ في السؤال أو يؤذي المسؤول، ولم يعلم أن باعث المعطي الحياء من السائل أو من الحاضرين، فإن كان شيء من ذلك فلا يجوز له السؤال وأخذ الصدقة، وإن كان محتاجًا ويحرم أخذها، ويجب ردها إلا إذا كان مضطرًا بحيث يخشى الهلاك إن لم يأخذ الصدقة، فإن خاف هلاكًا لزمه السؤال إن كان عاجزًا عن التكسب.

فإن ترك السؤال في هذه الحالة حتى مات، أثم لأنه ألقى بنفسه إلى التهلكة والسؤال في هذه الحالة في مقام التكسب، لأنها الوسيلة المتعينة لإبقاء النفس، ولا ذلك فيها للضرورة والضرورة تبيح المحظورات كأكل الميتة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً - من أساليب الدعوة: النهى، والقسم.

ثانيا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإلحاح في المسألة والعطاء.

ثالثًا - من واجبات الداعية : تبصير المدعوين بمواطن الخطر وإرشادهم لما فيه فلاحهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهى، والقسم:

١ - النهى: حيث جاء في الحديث: "لا تلحفوا" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة

---

(١) أخرجه أبو داود ١٦٢٦، والترمذي ٦٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٢٥٤، وابن ماجه ٤٠١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٣).

(٣) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي ١٦٩/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٧٣/٢، والاختيار لتعليل المختار ١٧٥/٤-١٧٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٧/٢٤-٩٨). وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣/٧/٤-١١٤، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٩/٣٤-٢٤١.

التي تشعر المدعوين بالخطورة والتحذير من المنهي عنه ومن صور استخدام القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[٢].

جاء في البلاغة الواضحة: (والنهي هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية. وقد تخرج صيغة النهي معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء والالتماس والتمني والإرشاد والتوبيخ والتيئيس والتهديد والتحقير)[٣].

والداعية عندما يستخدم أسلوب النهي فإنما يزجر المدعوين عن الوقوع في محظور شرعي وقد أمر الله الجماعة المؤمنة بالاستجابة للأمر والنهي الذي أمرنا به الرسول ﷺ أو نهانا عنه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٤].

٢ - القسم: ويتضح هذا من الحديث: "فو الله لا يسألني أحد منكم شيئًا" ويعتبر أسلوب القسم من أساليب الدعوة المقنعة للمدعوين حيث تدلل على مدى صدق الداعية فيما يقوله، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[٥]، وقوله جل شأنه: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين، ص ٢٢٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٦) سورة التغابن، آية: ٧.

(٧) سورة الليل، الآيتان: ١-٢.

وأسلوب القسم عرفه الناس قديما وحديثًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمعًا للانتباه حول غاية (وأسلوب القسم يبصر بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية، وهو موعظة حسنة لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة فمن الناس من لا يقتنع ولا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم وهو أسلوب يناسب طبيعة البشر، وينطلق من بين فكرهم)[١].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإلحاح في المسألة والعطاء:

إن المسلم عالي الهمة كريم النفس لا يلح في السؤال حتى ولو كان محتاجًا، ومما يرشد إلى ذلك من الحديث قوله ﷺ: "لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ. فَوَاللَّهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ". قال القاضي عياض: (وفي هذا الحديث وغيره ذم الحرص وكثرة السؤال، وكثرة عطاء النبي ﷺ وأنه كان لا يرد سائلاً وفضل القناعة والإجمال في الطلب وأن البركة مع القناعة)[٢].

وقال القرطبي: (وقوله "لا تلحفوا في المسألة" معناه: لا تنزلوا بي المسألة الملحف فيها أي: لا تلحوا عليَّ في السؤال، والإلحاف: الإلحاح وإنما نهى عن الإلحاح لما يؤدي إليه من الإبرام واستثقال السائل، وإخجال المسؤول، حتى أنه إن أخرج شيئًا أخرجه عن غير طيب نفس، بل عن كراهة وتبرم، وما استخرج كذلك لم يبارك فيه؛ لأنه مأخوذ على غير وجهه، ولذلك قال: "فتخرج له المسألة شيئًا وأنا كارهٌ له" ثم قد كانوا - أعني المنافقين - يكثرون سؤال رسول الله ﷺ ليبخِّلوه، فكان يعطي العطايا الكثيرة بحسب ما يُسأل، لئلا يتمَّ لهم غرضهم من نسبته إلى البخل. كما قال: ((إِنَّهُمْ يُخَيِّرُونِي بَيْنَ أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ))[٣])[٤].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ١٦٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٦٨/٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٨٣/٣.

وقال صاحب فتح الملهم: (وفي هذا الحديث النهي عن السؤال، واتفق العلماء عليه إذا لم تكن ضرورة واختلف أصحابنا في مسألة القادر على الكسب على وجهين أصحهما: أنها حرام لظاهر الأحاديث. والثاني: حلال مع الكراهة بثلاث شروط: أن لا يذل نفسه ولا يلح في السؤال، ولا يؤذي المسؤول فإن فقد أحد هذه الشروط فهي حرام بالاتفاق والله أعلم)[١].

وقال ابن علان: (لا تلحوا في المسألة ومن وجد مني ما سأله بسبب إلحاحه وإشراف نفسه وحرصه على حصول مطلوبه وأنا كاره لدفعه ولكن دفعته له لنحو اتقاء فحشه فلا يبارك له فيه بوجه، ومن هنا غلبت الفاقة على كثير لاستشرافهم الأحوال وإخراجهم بالإلحاح في السؤال فإن من أخذ شيئًا على أمر أظهره وهو غير متصف به باطنًا فإنه لا بركة فيه)[٢].

وهذا التحذير من الإلحاح في المسألة إنما لأن الرزق مقدر ومقسوم قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾[٤]، وبدل الإلحاح في السؤال يجب على الإنسان أن يحسن التوكل على الله بمباشرة أسباب الرزق، قال ابن القيم: (والذي يحقق التوكل القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية إلى حصول الخير يحقق رجاءه فمن لم يقم بها كان رجاؤه تمنيًا.

كما أن من عطلها يكون توكله عجزًا وعجزه تواكلاً. وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ١٢٥/٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٠.

عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله : توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به)[١].

ثالثًا - من واجبات الداعية : تبصير المدعوين بمواطن الخطر وإرشادهم لما فيه فلاحهم:

إن الداعية مصدر خير لمن حوله من الناس وهو في كل الأحوال حريص على المدعوين يأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده ولا شك أن من أهم واجبات الداعية أن يبصر المدعوين بمواطن الخطر لما في ذلك من إشعارهم بالحرص عليهم، وتمني الخير لهم وقد قال الله تعالى عن إمام الدعاة ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، والداعية دائمًا يرشد إلى الفلاح والخير قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣].

ولقد كان النبي ﷺ نموذجًا يحتذى في تبصير المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه فلاحهم ولقد جاء في صحيح مسلم باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[٤].

قال النووي: (وقوله ﷺ "وإني أنا النذير العريان" قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أرد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم

---

(١) الفوائد ١٣٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣ .

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

ليخبرهم بما دهمهم وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأعزب وأشنع منظرًا فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا. وقوله "فالنجاء" أي أنجوا النجاء أو اطلبوا النجاء)[١].

ومما يدل على الحرص على المدعوين وتبصيرهم والشفقة عليهم ما جاء عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[٢].

قال النووي: (ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله)[٣].

والداعية عندما يقوم بتبصير المدعوين بمواطن الخطر، وإرشادهم إلى ما فيه فلاحهم فإنه بذلك يقوم بواجب النصيحة فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٤].

قال أبو الحسن الندوي: (والإيمان بالآخرة وتمثل مافيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء وللكفار العصاة من عقاب هو الحافز الحقيقي إلى دعوتهم وبذل نصحهم، وهو الذي يقلقهم ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم ويجعلهم لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطانًا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٥.

على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه الفساد، ويجعلون ذلك سببًا لدعوتهم وإنذارهم، وسببًا لقلقهم وإشفاقهم)[1].

(١) النبوة والأنبياء ٦٥-٦٦.

الحديث رقم (٥٢٨)

٥٢٨ - وعن أَبي عبدِ الرحمن عوف بن مالِك الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسول الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً ، فَقَالَ: ((**ألاَ تُبَايِعُونَ رسولَ الله ﷺ**)) وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ ببَيْعَةٍ ، فَقُلْنَا : قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ اللهِ ، ثمَّ قَالَ: ((**ألا تُبَايِعُونَ رسولَ اللهِ**[1])) فَبَسَطْنا أيْدينا ، وقلنا : قدْ بايعناكَ فَعَلامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: ((**عَلَى أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا الله**)) وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً ((**وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**)) فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أحَدًا يُنَاوِلُهُ إيّاهُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغَطفاني كنيته: أبو عبدالرحمن وقيل غير ذلك.

أسلم عام فتح خيبر وشهدها مسلمًا وآخى النبي ﷺ بينه وبين أبي الدرداء، وشارك في غزوتي مؤتة وتبوك وشهد فتح مكة وكانت معه راية قومه أشجع.

كان من نبلاء الصحابة ورؤسائهم قال عنه أبو مسلم الخولاني [من كبار التابعين] حدثني الحبيب الأمين: أما هو إليّ فحبيب، وأما هو عندي فأمين: عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ سبعة ... فذكر حديث الباب.

كان مُحبًّا لرسول الله ﷺ مُجّلاً له مُعظّمًا. قال: عرّس بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة [نزل بنا آخر الليل للنوم والاستراحة] فافترش كلُّ رجل منا ذراع راحلته، فانتبهت في بعض الليل فإذا ناقة رسول الله ﷺ ليس قدّامها أحد، فانطلقت أطلب رسول الله ﷺ. فإذا معاذ بن جبل وعبدالله بن قيس [أبو موسى الأشعري] قائمان، فقلت: أين

---

(١) عند مسلم زيادة: (فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثمَّ قال: ألا تبايعون رسول الله)، وهذه الزيادة لا توجد عند الحميدي في جمعه ٤٥١/٣، رقم ٢٩٧٢ فتبعه عليه المؤلفُ، والمنذري، ولم يورداها.

(٢) برقم ١٠٤٣/١٨. أورده المنذري في ترغيبه ١١٩٤.

رسول الله؟ فقالا. لا ندري غير أنا سمعنا صوتًا بأعلى الوادي فإذا مثل هدير الرحى فلبثنا يسيرًا ثم أتانا رسول الله ﷺ فقال: إنه أتاني من ربي آتٍ فخيّرني بأن يَدخل نصفُ أمتي الجنة وبين الشفاعة. وإني اخترت الشفاعة. فقالوا: يا رسول الله نَنشُدك بالله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك؟ قال: فأنتم من أهل شفاعتي.

فلما ركبوا قال: فإني أُشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا من أمتي[(١)].

نزل الشام في خلافة أبي بكر الصديق واستقرّ هناك، وكان غيورًا على محارم المسلمين وحُرُماتهم، لما قدم عمر الشام شكى إليه يهودي أن عوف بن مالك قد ضربه وشجه فسأله عمر فقال: رأيته يسوق بامرأة مسلمة على حمار فنخس بها لتصرع فلم تصرع فدفعها فصرعت [سقطت] فغشيها أو أكبّ عليها. ففعلتُ به ما ترى فعاقب عمر اليهوديّ.

وظلّ على جهاده في سبيل الله، فشارك في غزو القسطنطينية أيام خلافة معاوية. ومسنده ٦٧ حديثًا، وعاش طويلاً وعُمِّر ومات ٧٣هـ في خلافة عبدالملك بن مروان[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التعفف والقناعة، والأكل من كسب يده جاء فيه عرض المبايعة من النبي ﷺ على الصحابة بطريق الاستفهام، وفيه من اللطف وجلب الامتثال، وتحريك كامنة المخاطب ما ليس في صيغة الأمر: بايعوني؛ لأنه يشعر

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/٦ رقم ٢٤٠٢ وابن حبان ٢١١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٢٩/٣٩.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٨٠/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٥٧٣، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٠٠/٤. والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٢٢، والسير ٤٨٩/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٠٦/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٣٧/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ٥٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٤٧٣/٢.

المخاطب بشخصيته، وأنه طرف حر السلوك والاختيار، خلافا لظاهر صورة الأمر الذي يوحي بالعلو والإلزام، وذلك التلطف في الطلب أولى بلباقة الداعي عليه السلام لأنه من معدن فصاحته، وقد كان الإسلام في مفترق الطرق.[1] وأضاف المبايعة للاسم الظهار (رسول الله) دون الضمير (ألا تبايعوني) إشعارا بقدسية البيعة، ولذلك أضاف الرسول ﷺ لله، وتكرير العرض (ألا تبايعون...) إعلاء لدرجة الترقب والتيقظ للاهتمام بما سيذكر وإثارة لمواطن الفضول لديهم وقد كانوا حديثي عهد ببيعة، ونرى اثر ذلك الأسلوب العالي في نفوس الصحابة المخاطبين فيما ذكره الراوي في نهاية الحديث قال (فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه) والفضل في ذلك يرجع إلى طريقة عرض النبي ابتداءً، وتكرار العرض زيادة في التقرير، والتأكيد، وتلوين السياق وتنوع النبرة بين الارتفاع، والانخفاض، وما أجمل إسراره بالكلمة الخفية ﷺ والتي أوحت لهؤلاء النفر بأنها خصيصة من النبي ﷺ لهم فاحتضنتها قلوبهم . حتى أن سوط أحدهم يسقط فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه حتى لا يخالف - ما رآه - سر رسول الله ﷺ له[2].

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة ومجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: البيعة.

ثالثًا: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والنهى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل العفة وعدم السؤال.

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين علي السيد، ص ٣٤٩.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على ملازمة ومجالسة النبي ﷺ:

يتضح من هذا الحديث "كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة..." ومما لا شك فيه أن الصحابة رضوان الله عليهم كان عندهم حرص على ملازمة النبي ﷺ ومجالسته للاهتداء بهديه والاقتداء به في أقواله وأفعاله، قال ابن القيم: (وبحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكونُ الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة.

وقد أقسم ﷺ بأن "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[(١)] وأقسم الله سبحانه وتعالى بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجًا مما حكم به ثم يسلم له تسليمًا، وينقاد له انقيادًا[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[(٣)].

فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره ﷺ، بل إذا أمر، فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره، وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع، لا واجب الاتباع، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه،

---

(١) الحديث أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ سورة النساء، آية: ٦٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

ولو ترك الأخذ بقول غيره، لم يكن عاصيًا لله ورسوله. فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه، ويحرم عليهم مخالفته، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله؟ فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه، فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به، ونهى عما نهى عنه، فكان مبلغًا محضًا ومخبرًا لا منشأ ومؤسسًا، فمن أنشأ أقوالاً، وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله، لم يجب على الأمة اتباعها، ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول ﷺ، فإن طابقته، ووافقته، وشهد لها بالصحة، قُبلّت حينئذ، وإن خالفته، وجب ردها واطراحها، فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جُعلت موقوفة، وكان أحسنُ أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه. وأما أنه يجب ويتعين، فكلا)[1].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من ولدي وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي أنظر إليك"[3]، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ إنما لتطبيق أوامره واجتناب نواهيه قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[4].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: البيعة:

حيث جاء في الحديث: "ألا تبايعون رسول الله" والبيعة من وسائل الدعوة الهامة فهى

---

(١) زاد المعاد ١/٣٧-٣٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير ٥٢، والأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن عمران العابدي وهو ثقة. قاله الهيثمي ٧/٧، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٤/٢٤٠، عن عائشة رضي الله عنها بهذا السياق والإسناد ونحوه وقال: هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم تفرد به فضيل وعنه العابدي كذا في حياة الصحابة للكاندهلوي ٤٥٢.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

تعني العهد والميثاق، وقد أمر الله بالوفاء به قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[١]، وقال جل شأنه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٢].

ولأهمية البيعة كوسيلة من وسائل الدعوة باشرها النبي ﷺ بنفسه مع أصحابه (وتمثل البيعة منعطفات أساسية في تاريخ الإسلام فنحن ندرك أهمية بيعتى العقبة وأثرهما في النقلة الكبيرة بين مرحلتين من مراحل الدعوة، والعهود والمواثيق مع اليهود ثم مخالفتهم لها، ومن ثمَّ تطهير المدينة منهم مما كان عاملاً حاسمًا في انتصار الدولة الإسلامية أما صلح الحديبية - العهد مع المشركين - فقد سماه الله فتحًا مبينًا، وجاء فتح مكة أثرًا من آثار هذا العهد)[٣].

وعلق محمد الغزالي على بيعة العقبة الكبرى كوسيلة من وسائل الدعوة فقال: (تلكم بيعة العقبة، وما أبرم فيها من مواثيق، وما دار فيها من محاورات. إن روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت في كل كلمة قيلت، وبدا أن العواطف الفائرة ليست وحدها التي توجه الحديث أو تملي العهود كلا، فإن حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم، والمغارم المتوقعة نظر إليها قبل المغانم الموهومة.

مغانم؟ أين موضوع المغانم في هذه البيعة؟ لقد قام الأمر كله على التجرد المحض والبذل الخالص.

هؤلاء السبعون مُثُل لانتشار الإسلام، عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخالص.

فقد جاءوا من "يثرب" مؤمنين أشد الإيمان، وملبين داعي التضحية، مع أن معرفتهم بالنبي كانت لمحة عابرة؛ غبرت عليها الأيام؛ وكان الظن بها أن تزول.

لكننا لا يجوز أن ننسى مصدر هذه الطاقة المتأججة من الشجاعة والثقة؛ إنه

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩١.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ص ١٠٢.

القرآن!! لئن كان الأنصار قبل بيعتهم الكبرى لم يصحبوا الرسول إلا لمامًا فإن الوحي المشع من السماء أضاء لهم الطريق، وأوضح الغاية.

لقد نزل بمكة قريب من نصف القرآن، سال على ألسنة الحفاظ وتداولته صحائف السفرة الكرام البررة، والقرآن النازل بمكة صوَّر جزاء الآخرة رأي العين، فأنت توشك أن تمد يدك تقطف من أثمار الجنة، ويستطيع الأعرابي المتعشق للحق أن ينتقل في لحظة فداء من رمضاء الجزيرة إلى أنهار النعيم والرحيق المختوم!

وحكى القرآن أخبار الأولين وكيف أخلص المؤمنون لله فنجو مع رسلهم، وكيف طغى الكفار وأسكرهم الإمهال فتعنتوا وتجبروا، ثم حل العدل الإلهي، فذهب الظالمون بددًا، وتركوا وراءهم دنيا مدبرة، ودورًا خربة.

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم!!

ثم إن الرسول ﷺ جعل من هذا الإيمان بالحق رباطًا يعقد من تلقاء نفسه صلة الحب والتناصر بين أشتات المؤمنين في المشرق والمغرب.

فالمسلم في المدينة - وإن لم يرَ أخاه المستضعف في مكة - يحنو عليه، ويتعصب له ويغضب من ظالمه، ويقاتل دونه، وذلك ما استقدم الأنصار من يثرب تجيش في حناياهم مشاعر الولاء لمن أحبوهم بالغيب في ذات الله.

عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: ((يا أَيُّها النَّاسُ اسْمَعُوا واعْقِلُوا، واعْلَمُوا أَنَّ لله - عزّ وجلّ - عِبَادًا لَيْسُوا أَنْبِيَاءَ ولا شُهَدَاء، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ عَلى مَنَازِلِهِمْ وقُرْبِهِمْ مِنَ الله فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله؟! انعتهم لنا حلّهم لنا - يعني: صفهم لنا - ، فسر وجه النبي ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ ونَوَازِعِ القَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ، تَحَابُّوا في الله وتَصَافُوا، يَضَعُ الله لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ولا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ الله الذينَ لا خَوْفَ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون))[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٤١/٥ رقم ٢٢٨٩٤، وقال محققو المسند: أصل الحديث صحيح لكن من حديث معاذ بن جبل، وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند ٢٢٩/٥ برقم ٢٢٠٠٢ وقال

إن الإيمان بالله، والحب فيه، والأخوة على دينه، والتناصر باسمه، ذلك كله كان يتدافع في النفوس المجتمعة في ظلام الليل بجوار مكة السادرة في غيها، يتدافع ليعلن أن أنصار الله سوف يحمون رسوله كما يحمون أعراضهم، وسوف يمنعونه بأرواحهم فلا يخلص إليه أذى وهم أحياء.

إن مشركي مكة حسبوا أنهم حصروا الإسلام في نطاق لا يعدوه، وأرهقوا المسلمين حتى شغلوهم بأنفسهم، فناموا نومة المجرم الذي اغترف الإثم وأمن القصاص.

حسنّت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

أجل، ففيه هذه الليلة تحالف جند الحق أن يقصموا ظهر الوثنية، وأن ينتهوا بالجاهلية ورجالها إلى الفناء)[1].

ثالثًا - من فقه الداعية : ترتيب الأولويات:

حيث جاء في الحديث:" على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا والصلوات الخمس وتطيعوا ..."، وما من شك في أن ترتيب الأولويات من فقه الداعية حيث يبدأ بالأهم من الأمور ثم المهم، ولا يخفى أن توحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به هو أولى المطلوبات من المسلم وإلى ذلك كانت دعوة الرسل قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[2].

إن على الداعية أن يعرف واقعه الذي يعيش فيه، والبيئة التي يدعو إلى الله فيها، (فلا يكفي الداعية أن يكون قد حصّل العلوم الإسلامية، وجال في مراجع الأدب والتاريخ، وأخذ بحظ وافر من العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، ولكنه مع هذا كلّه

محققو المسند: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح ٣٢٦/٣٦، وأخرجه الحاكم ١٦٩/٤-١٧٠ من طريق سعيد بن عامر عن شعبة به ٣٢٧/٣٦، وقال الألباني: حديث حسن في تخريجه لأحاديث كتاب فقه السيرة، محمد الغزالي، ص ١٥٢.

(١) فقه السيرة ١٥٠-١٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

لا يعرف عالمه الذي يعيش فيه، وما يقوم عليه من مبادئ، وما يسوده من مذاهب، وما يصطرع فيه من قوى، وما يجري فيه من تيارات، وما يعاني أهله من متاعب.

إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدّم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟

وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ، وطريقة الذين اتبعوه بإحسان... أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: ((إنك ستأتي قومًا من أهلِ الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يَشهَدُوا أن لا إله إلاّ اللّهُ وأَنَّ محمدًا رسولُ الله. فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنّ اللّهَ قَد فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنَّ اللّهَ قد فرضَ عليهم صَدَقةً تؤخذُ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فُقرائهم. فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم فإنهُ ليسَ بينَه وبين اللّهِ حِجابٌ))[1].

من هذا النص يتبين أن على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم، أن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة.

ومما يؤكد هذه الأهمية: دعوة النبي ﷺ إلى ما هو أهمّ عما هو مهم في الفترة المكية، ففي هذه الفترة بالذات كان صلوات الله وسلامه عليه يركز في الدعوة إلى الله على الإيمان بالله ووحدانيته، والتعرف على الله عن طريق الظواهر والآثار، ويركّز أيضًا في الرد على مزاعم الدهريين وإقامة الحجة عليهم، ومنكري البعث ودحض مفترياتهم؛ ويركز كذلك على إثبات الرسالة، وإظهار خصائصها، وفضح الجاهلية، وتجسيد عوارها ومفاسدها.

ولو لم يكن النبي ﷺ عالمًا بمعتقدات القوم، بصيرًا بأحوال الجاهلية، خبيرًا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

بعادات البيئة. لما بدأ معهم بإصلاح العقيدة التي هي في نظره الأهم، ولما ركّز في دعوته على هذه القضايا التي تتصل بالإيمان بالله، ووحدانية الخالق، وترتبط بالاعتقاد بالمغيّبات، حتى إذا دخل القوم حظيرة الإسلام، وخالط الإيمان بشاشة قلوبهم، جاءت مرحلة المهم: ألا وهي التزام القوم الإسلام على أنه أصول معاملة، ومبادئ حكم، ومناهج حياة، وهذا ما ركّز عليه ﷺ في الفترة المدنية حين أقام النبي ﷺ معالم المجتمع الفاضل في المدينة المنورة بعد أن صلحت عقيدة الأمة، وترسّخ في أبنائها الإيمان بالمغيبات)[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة : السؤال والنهى:

١ - السؤال: حيث جاء في الحديث: "فعلام نبايعك" والسؤال أسلوب من أساليب الدعوة التي بها يتوصل المدعو إلى معرفة ما يريد، والاستفسار عما يجهل من الأمور. وفي الحديث سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن الأشياء التي يبايعونه عليها.

٢ - النهى: وذلك حيث جاء في الحديث: "ولا تسألوا الناس شيئًا" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة النافعة حيث يشعر المدعو بخطورة المنهي عنه وضرورة الحذر منه. وفي الحديث نهاهم الرسول ﷺ عن سؤال الناس شيئًا من حوائج الدنيا، وأن المسلم يجب أن يتعود على العفة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل العفة وعدم السؤال:

حيث جاء في الحديث: "فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه"، قال النووي: "وفي الحديث التمسك بالعموم لأنهم نهو عن السؤال فحملوه على عمومه وفيه الحث على التنزه عن جميع ما يسمى سؤالاً وإن كان حقيرًا"[2]، وما من شك أن العفة مطلوبة ويجب على المسلم الابتعاد عن سؤال الناس إلا في أضيق الأمور".

قال القرطبي: (وأخذه ﷺ على أصحابه البيعة "ألا يسألوا أحدًا شيئًا" حَمْلٌ على

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٤٧-٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٨.

مكارم الأخلاق، والترفع عن تحمل مِنن الخلق، وتعليم الصبر على مضض الحاجات، والاستغناء عن الناس، وعزة النفوس. ولما أخذهم بذلك التزموه في جميع الأشياء وفي كل الأحوال حتى فيما لا تلحق فيه مِنَّة، طردًا للباب وحسمًا للذرائع)[1].

والواجب على المسلم أن يتحلى بالعفة وعدم السؤال حتى وإن كان فقيرًا من المال؛ فالعاقل يرى أن الأموال والأشياء كلها في خزائن الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون بيده أو بيد غيره، وكل رزق في الكون فهو من رزقه.

وللفقير إلى الله آداب في باطنه وظاهره، وآداب في مخالطته، وآداب في أفعاله.

فأما أدب باطنه، فأن لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، فالله أعلم بما يصلح له، وإن كان كارهًا للفقر، فهذا أقل درجاته وهو واجب، وأرفع من هذا أن لا يكون كارهًا للفقر بل يكون راضيًا به، وأرفع منه أن يكون طالبًا له وفرحًا به، لعلمه بغوائل الغنى، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2].

وأما أدب ظاهره فأن يظهر التعفف والتجمل، ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر فقره، ويستر أنه يستره، مستغنيًا بربه مفتقرًا إليه وحده، فهؤلاء الفقراء الأغنياء: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[3].

وأما في أعماله فأن لا يتواضع لغني لأجل غناه، فهذه رتبة، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء، ولا يرغب في مجالسهم؛ لأن ذلك من مبادئ الطمع وهو مذموم.

وأما أدبه في أفعاله فينبغي له أن لا يفتر بسبب الفقر عن العبادة، ولا يمنع بذل قليل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٦.

(٢) سورة العلق، آية: ٦، ٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

ما يفضل عن حاجته، فإن ذلك جهد المقل، وفضله أكثر مما يبذل عن ظهر غني.

والسؤال محرم في الأصل، وإنما يباح لضرورة أو حاجة مهمة.

وإنما حرمه الشرع؛ لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

الأول: أنه إظهار لشكوى الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر، وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه، وهو عين الشكوى لله.

وكما أن العبد المملوك لو سأل غير سيده لكان سؤاله تشنيعًا على سيده، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى، فهو محرم لا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة للمضطر.

الثاني: أنه فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه، فأما الخلق فإنهم عباد أمثاله، فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل، وظلم للمسؤول من الخلق.

الثالث: أن السؤال لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالبًا؛ لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب نفس، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع. ففي المنع نقصان جاهه، وفي البذل نقصان ماله، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، وأذى المسلم محرم.

والفقراء أربعة:

فقير لا يسأل، وإن أعطي لا يأخذ، فهذا بأرفع المنازل.

وفقير لا يسأل، وإن أعطي أخذ، فهذا دونه.

وفقير يسأل عند الحاجة، فهذا دونه. وهؤلاء كلهم محمودون.

وفقير يسأل من غير حاجة وضرورة، فهذا مذموم، وصاحبه مأزور غير مأجور. قال النبي ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))[1].

وحب الدنيا رأس كل خطيئة، ومقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد،

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤١.

ويسمى ذلك فقرًا، وإما بانزواء العبد عنها، ويسمى ذلك زهدًا. ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة.

والدنيا ليست محذورة لعينها، بل لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى. والفقر ليس مطلوبًا لعينه، بل لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى، وعدم التشاغل به، وكم من غني شغله غناه عن ربه؟ وعن تنفيذ أوامره؟

وكم من فقير شغله فقره عن ربه، وعن امتثال أوامره، وصرفه عن حب الله والأنس به، وإنما الشاغل له حب الدنيا، والدنيا معشوقة الغافلين.

فالمحروم منها مشغول بطلبها. والقادر عليها مشغول بحفظها وجمعها والتمتع بها، وتنميتها والاستكثار منها)[1].

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢/١٩١٣-١٩١٥.

الحديث رقم (٥٢٩)

٥٢٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المُزعة: القطعة[2].

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الزوال المنفي (لا تزال) الدال على الاستمرارية المؤذنة بالإصرار، والتمادي في الفعل المذموم وقوله (بأحدكم) يشمل كل من يسأل الناس من غير ضرورة، والتعبير ب(حتى) بيان للغاية، وقوله (يلقى الله) يصعِّد الرهبة من الموقف مع تعاطي الفعل، وهو سؤال الناس، وقوله (وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ) قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَحْتَمِل وُجُوهًا أَنْ يَأْتِي يَوْم الْقِيَامَة ذَلِيلًا سَاقِطًا لَا جَاه لَهُ وَلَا قَدْر كَمَا يُقَال: لِفُلَانٍ وَجْه عِنْد النَّاس فَهُوَ كِنَايَة، وَأَنْ يَكُون قَدْ نَالَتْهُ الْعُقُوبَة فِي وَجْهه فَعُذِّبَ حَتَّى سَقَطَ لَحْمه عَلَى مَعْنَى مُشَاكَلَة عُقُوبَة الذَّنْب مَوَاضِع الْجِنَايَة مِنْ الْأَعْضَاء كَقَوْلِهِ ﷺ رَأَيْت لَيْلَة أُسْرِيَ بِي قَوْمًا تُقْرَض شِفَاههمْ: فَقُلْت يَا جِبْرِيل مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَأَنْ يَكُون ذَلِكَ عَلَامَة لَهُ وَشِعَارًا يُعْرَف بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عُقُوبَة مَسَّتْهُ فِي وَجْهه وَقَالَ اِبْن بَطَّال: جَازَاهُ اللَّه مِنْ جِنْس ذَنْبه حِين بَذَلَ مَاء وَجْهه وَعِنْده الْكِفَايَة وَإِذَا لَمْ يَكُنْ اللَّحْم فِيهِ فَتُؤْذِيه الشَّمْس أَكْثَر مِنْ غَيْره وَأَمَّا مَنْ سَأَلَ مُضْطَرًّا فَيُبَاح لَهُ السُّؤَال وَيُرْجَى لَهُ أَنْ يُؤْجَر عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِد عَنْهُ بُدًّا[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٣/١٠٤٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١٧٤).

(٢) رياض الصالحين ٢٤٨.

(٣) انظر: حاشية السندي حديث (٢٥٣٨).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم السؤال من غير ضرورة: اتفق العلماء على كراهية السؤال والتنفير منه إذا لم تدع إليه ضرورة من خوف هلاك ونحوه، واختلفوا فيمن تحل له المسألة، فذهب الحنفية إلى أن من كان له قوت يومه لا يحل له السؤال، وذهب المالكية إلى أن من كان له أوقية من فضة "وهي أربعون درهم"[(١)] فالسؤال له مكروه، وذهب الشافعية إلى أنه إذا كان قادرًا على الكسب حرم عليه السؤال، وإن كان عاجزًا محتاجًا فليس بحرام، وذهب الحنابلة إلى أنه إذا كان له ما يكفيه حرم عليه السؤال[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر المسألة يوم القيامة

ثالثًا: من أهداف الدعوة : الترهيب من المسألة والحث على الاستعفاف

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب:

١ - الإخبار: وذلك حيث جاء في الحديث: "لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى"، ومما لا شك فيه أن أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تُعرِّف المدعوين عما خفى عليهم، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس بالتبليغ وبالإخبار أمر الله المرسلين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[(٣)] وعلى الدعاة إلى الله تحري

---

(١) درهم الفضة يساوي ٢,٨١٢ جرامًا، وعلى هذا فأوقية الفضة تساوي ١١٢,٥١٢ جرامًا. معجم لغة الفقهاء ٧٧.

(٢) الاختيار ٣٦/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٩/٦، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، السيوطي ٣٢٠/٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

الصدق في الخبر بالاعتماد على القرآن والسنة لأن جميع أخبارهما صادقة لا ريب فيها، وهذا الأمر مما تتميز به الدعوة الإسلامية.

٢ - الترهيب: حيث جاء في الحديث: "حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم" ولا شك أن في هذا ترهيب للمدعوين من خطورة المسألة، وأسلوب الترهيب يحمل النفس على سلوك الطريق السوي (والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله تعالى من شديد العقاب، وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى، فإذا ما أحسن الداعية في عرض ما لديه وإيراد ما عنده فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه لأن الإنسان لا يتحمل الزواجر مجرد سماع فكيف إذا كانت حقيقة، وكفى بالموت واعظًا)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطر المسألة يوم القيامة:

حيث جاء في الحديث: "يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لحم"، قال القاضي عياض: (قيل: معناه: يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل هو على ظاهره يحشر وجهه عظمًا دون لحم، عقوبة من الله، وتمييزًا له وعلامة بذنبه لما طلب المسألة بالوجه كما جاء في الأحاديث الأخرى من العقوبات في الأعضاء التي كان بها العصيان، وقيل: ليس على وجهه لحم يقيه حر شمس المحشر وهذا ضعيف، هذا فيمن سأل لغير ضرورة وتكثرًا إذ غر من نفسه، وأخذ باسم الفقر ما لا يحل له، أو يكون مجازًا من ذل السؤال، وبذل الوجه لغير فاقة مضطرة فاستعار لذلك احتراق الوجه بذلك، وأن الاحتطاب وتكلف صعب المعيشة ومشقة الكسب خير له وأصون لإراقة ماء وجهه ورونق محياه، وقد يكون الجمر على وجهه، أي يرد ما يأخذ جمرًا فيكوى به كما جاء في مانع الزكاة. وقد يكون عندي قوله "لقي الله وما في وجهه مزعة لحم"

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص٥١٥.

على ضرب المثل والاستعارة لحاله في الدنيا من ذهاب الحرمة عن وجهه، والصون بذُلّ السؤال حتى مات ولم يبق له وجه عند الناس ولا قدر)[١].

وقال القرطبي: (وقوله في الحديث "وليس في وجهه مزعة لحم" أي قطعة لحم، ومنه: مزعت المرأة الصوف، إذا قطعته لتهيئه للغزل وتمزع أنفه أي تشقق وهذا محمول على كل من سأل سؤالاً لا يجوز له. وخص الوجه بهذا النوع، لأن الجناية به وقعت إذ قد بذل من وجهه ما أمر بصونه عنه، وتصرف به في غير ما سوِّغ له)[٢].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: يحتمل أن يكون المراد أنه يأتي ساقطًا لا قدر له ولا جاه أو يعذب في وجهه حتى يسقط لحمه لمشاكلة العقوبة في مواضع الجناية من الأعضاء لكونه أذل وجهه بالسؤال، أو أنه يبعث ووجهه عظم كله فيكون ذلك شعاره الذي يعرف به وقال ابن أبي جمرة: "معناه ليس في وجهه من الحسن شيء لأن حسن الوجه هو بما فيه من اللحم. والمراد به من سأل تكثرًا وهو غني لا تحل له الصدقة وأما من سأل وهو مضطر فذلك مباح له فلا يعاقب عليه)[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: (طَبْع الإنسان الاستكثار من الدنيا، وقد يلجأ إلى تحصيله بالسؤال وإذلال النفس، والتحايل على الناس، فيلقى الله تعالى يوم القيامة ذليلاً حقيرًا ظاهرة عليه علامات ذلك، بتهري وجهه وذهاب لحم هذا الوجه وبقاء هيكله)[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة : الترهيب من المسألة والحث على الاستعفاف:

يظهر هذا من سياق الحديث حيث: إن من أهداف الدعوة ترهيب المدعوين وتخويفهم من المسألة، وبيان لخطورتها، وحث للمدعوين على الاستعفاف، وقد مدح

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٥٧٤-٥٧٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩٧

(٤) شرح رياض الصالحين ٣٤٥.

الله الذين يتعففون عن السؤال فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1].

قال ابن كثير: (إن الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم فهم لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس مالا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال فقد ألحف في المسألة)[2].

وقال د. محمد محمود حجازي: (وهذه الآية في بيان صفات الفقراء الذين يستحقون الصدقة والإنفاق عليهم فهم يحسبهم الجاهل أغنياء من عفتهم وصبرهم وقناعتهم فعندهم عزة المؤمنين وتوكل المتوكلين، وتعرفهم بسيماهم وعلامتهم الضمور والنحول والضعف ورثاثة الثياب، وفي الواقع هذا متروك لفراسة المؤمن فرب فقير له مظهر، وغني رث الثياب ملحف في السؤال، ولا يسألون الناس أصلاً أو لا يسألون ملحين وملحفين. والسؤال في الإسلام محرم إلا لضرورة فالمسألة لا تحل إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع)[3]. إن من الأمور التي يجب أن يوجه إليها الدعاة المدعوين العفة عن السؤال وتربية الجماعة المؤمنة على العزة والكرامة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٤/١.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ، ٢١/٢/١-٢٢.

الحديث رقم (٥٣٠)

٥٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ: ((**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر أفضلية اليد المنفقة المتصدقة التي تواسي، وتعين، وتمسح دموع الحزن التي تفجرت من ينابيع الحاجة، وقد استخدم أسلوب المطابقة بين المعاني لتقرير الأفضلية بين اليد الممتدة بالعطاء، واليد الممتدة فقط لتأخذ حيث قابل العليا بالسفلى، ليصور الفارق بين الاثنين بالمدى المحسوس بين الجهتين ارتفاعا في سمو بمحاسن الأفعال، وانخفاضا، وانحطاطا بذل السؤال، وحتى لا ينظر إنسان لعلو اليد، وانخفاضها من ناحية القوة، والضعف أو من ناحية الغنى، والفقر، وقد جاء تفسيره للعلو، والانخفاض بقوله: (وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ) في طباق بين المنفقة، والسائلة يقرر سبب الانخفاض، والارتفاع، حتى يحرص كل مؤمن على أن تكون يده عالية دائماً تقرباً لله تعالى.

فقه الحديث

إباحة الكلام للخطيب بكل ما فيه إصلاح:

قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: في الحديث إباحة الكلام للخطيب بكل ما يصلح من موعظة وعلم وقربة)[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٩، ومسلم ١٠٣٣/٩٤ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٨/٣.

(٣) هذا الحديث تقدم معظم معناه برقم ٢٩٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و٥٢٦ من حديث حكيم ابن حزام رضي الله عنه.

الحديث رقم (٥٣١)

٥٣١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا، فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تكثرًا: ليكثر ويزيد ماله[(٢)].

جمرًا: يعاقب بالنار[(٣)].

الشرح الأدبي

فقول الرسول ﷺ (فليستقل أو ليستكثر) أمر للتهديد والوعيد عن طريق التخيير بعد أن أحال مال هذا المستكثر من المسألة إلى جمر يجمعه السائل، ثم ترك له بعد أن بيَّن له حقيقة المسألة حرية الاختيار في الكثرة، والقلة تهديدا ووعيداً، قال الأحوذي :(فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر) وهما أمرا تهديد ونظيره قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾[(٤)][(٥)]، وقال الفخر الرازي: في تفسير الآية أيضاً أن الأمر يأتي كثيراً لغير الطلب في كتاب الله ثم نقل عن على بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد وليست للتخيير)[(٦)] وعلى هذا

---

(١) برقم ١٠٤١/١٠٥. أورده المنذري في ترغيبه ١١٨٧.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ك ث ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٧.

(٤) سورة الكهف الآية ٢٩

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٥٦/٣.

(٦) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب للرازي الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمي الرازي الشافعي) ١٠٢/٢١.

القول ليس المقصود من الآية التخيير بل هي للتهديد، والوعيد، وذكر العلامة الألوسى أن قوله :(فمن شاء فليؤمن ....) من تمام القول المأمور به، فالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد .. ونقل عن غيره: أن قوله :(فمن شاء فليؤمن....) الخ تهديد من جهته تعالى غير داخل تحت القول المأمور به فالفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على نفس الأمر أي قل لهم ذلك، وبعد ذلك فمن شاء أن يؤمن به أن يصدقك، فليفعل ومن شاء أن يكفر أو أن يكذبك فيه فليفعل، وعلى الوجهين ليس المراد حقيقة الأمر والتخيير وهو ظاهر)[1]. وعلى ذلك ومن خلال تنظير العلامة الأحوذي بين الآية الكريمة والحديث الشريف :(فليستقل أو ليستكثر) يمكننا القول أن الأمر في الحديث للتهديد والوعيد عن طريق التخيير دون أن يكون المقصود التخيير بل كان هذا التخيير وسيلة للتهديد والوعيد لكل من تسول له نفسه الاسترسال في سؤال الناس ليستكثر، وهو في الحقيقة يستكثر من الجمر؛ وهذا من أبلغ التهديد وأبعده غوراً في النفس[2].

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: التحذير من المسألة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة : التشبيه والتحذير.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً – من موضوعات الدعوة: التحذير من المسألة:

حيث جاء في الحديث: "من سأل الناس أموالهم تكثرًا فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو ليستكثر" قال النووي: (قال القاضي: معناه أن يعاقب بالنار ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوي بها كما ثبت في مانع الزكاة)[3].

---

(١) تفسير (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للعلامة الألوسي البغدادي ٢٦٦/١٥.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٥٧.

وقال القرطبي: (وقوله "من سأل الناس أمواله تكثرًا" أي استكثارًا منها من غير حاجة ولا ضرورة. وقوله "فإنما يسأل جمرًا" أي يعذب بحسب مسائله التي هي غير جائزة. وقوله "فليستكثر من ذلك أو ليستقلل" هو أمر على جهة التهديد أو على جهة الإخبار عن مآل حاله والمعنى: فإنه يعاقب عن القليل من ذلك والكثير)[١].

وقد دلت الأحاديث على التحذير من المسألة فعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ خُمُوشٌ أَوْ خُدُوشٌ أَوْ كُدُوحٌ فِي وَجْهِهِ، فَقِيلَ يَا رسولَ الله وَمَا الْغِنَى؟ قَالَ خَمْسُونَ دِرْهَمًا أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ))[٢].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يكفَّلُ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وأَتَكَفَّلَ لَهُ بالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا))[٣].

وعن سمرة عن النبي ﷺ قال: ((المَسَائِلُ كُدُوحٌ يَكْدِحُ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ. إِلاَّ أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ ذَا سُلْطَانٍ أَوْ فِي أَمْرٍ لاَ يَجِدُ مِنْهُ بُدًّا))[٤].

قال العظيم آبادي: (والمراد هنا سؤال أموال الناس وقوله "كدوح" مثل صبور للمبالغة من الكدح بمعنى الجرح أو هي آثار الخموش قال في المرقاة فالإخبار به عن المسائل باعتبار من قامت به، أي سائل الناس أموالهم جارح لهم بمعنى مؤذيهم أو جارح وجهه. وقوله "يكدح بها الرجل" أي يجرح ويشين بالسائل "وجهه" ويسعى في ذهاب عرضه بالسؤال يريق ماء وجهه فهي كالجراحة. فمن شاء الإبقاء على ماء وجهه من الحياء بترك السؤال والتعفف، ومن شاء عدم الإبقاء وقوله "إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان" فيه دليل جواز سؤال السلطان من الزكاة أو بيت المال أو نحو ذلك فيخص به

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٨٥/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٢٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود ١٦٤٣ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٣٩ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٣).

عموم أدلة تحريم السؤال وقوله "أو في أمر لا يجد منه بدًا" أي علاجًا آخر غير السؤال أو لا يجد من السؤال فراقًا وخلاصًا وفيه دليل على جواز المسألة عند الضرورة والحاجة التي لابد عندها من السؤال كما في الحمالة والجائحة والفاقة بل يجب حال الاضطرار في العري والجوع)[١].

وقال ابن علان: (من سأل الناس تكثرًا أي ليكثر ماله مما يجتمع عنده بسبب السؤال فإنما يسأل جمرًا فليستقل أو فليستكثر أو فيه للتخيير أي فهو مخير، إذ عرف مآل ذلك بين الاستكثار والاستقلال فيكثر عذابه أو يقل)[٢]، ومما لا شك فيه أن العفة عن السؤال من مطالب الشريعة قال الجرجاني : (العفة هي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة)[٣].

وقال ابن الجوزى: (ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق. فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره. والأخلاق: الكرم والإيثار وستر العيوب وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل فمن رزق هذه الأشياء رقته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجبت النقص)[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ وهو يقول: ((والله لأن يأتي أحدكم صيرًا ، ثم يحمله يبيعه فيستعف منه، خير له من أن يأتي رجلاً يسأله))[٥].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ. فَأَقُولُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. حَتَّى أَعْطَانِي مَرَّةً مَالاً. فَقُلْتُ: أَعْطِهِ أَفْقَرَ إِلَيْهِ مِنِّي. فَقَالَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٧٤٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٣.

(٣) التعريفات ١٥١.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٨٩.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٥١٣/٢، رقم ١٠٦٥٨، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ٣٨٥/١٦.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ: خُذْهُ. وَمَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ. وَمَا لاَ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ))[١].

قال ابن مفلح: (كان يقال الشكر زينة الغني والعفاف زينة الفقر والصبر)[٢]. وما من شك في أن ترك المسألة وعفة النفس لها فوائد ومن ذلك: (أنها ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف، وإشاعتها في المجتمع تجعله صالحًا وهى دليل كمال النفس وعزها، ودليل وفرة العقل ونزاهة النفس)[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة : التشبيه والتحذير:

١ - التشبيه: حيث جاء في الحديث: "فإنما يسأل جمرًا" وفيه تشبيه المال المأخوذ عن طريق السؤال بالجمر ولا شك أن التشبيه من أساليب الدعوة التي تساعد على إيصال المعنى إلى المدعوين" إن إبراز المعاني باختصار في معرض التمثيل ابتداء أو مجيئه في أعقاب المعاني وعلى أثرها لإيضاحها وتقريرها آكد وقعًا في القلوب وأبلغ أثرًا في النفوس[٤].

٢ - التحذير: حيث جاء في الحديث: "من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا" وأسلوب التحذير من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين إلى خطورة المحذر منه. وفي الحديث حذر النبي ﷺ من المسألة وجعل من يفعل هذا كأنما يسأل جمرًا.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

يظهر هذا من دلالات الحديث ذلك لأن الرسول الكريم لا يحذر إلا من كل مكروه وسيئ، وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب الاستجابة لتوجيهات الله ورسوله ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٦٤ ، ومسلم ١٠٤٥ واللفظ له.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣١٠/٢

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٢٨٨٨/٧.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٧٨.

تُحْيِيكُمْ﴾[١]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[٢]، فواجب المدعو أن يسارع إلى الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ. وذلك لأنه الأسوة والقدوة.

قال ابن حزم: (من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها - فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ - وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بمَنِّهِ آمين)[٣].

وقال الشاطبي: (وحاصل الأمر أن أصحابه رضي الله عنهم كانوا مقتدين به مهتدين بهديه، وقد جاء مدحهم في القرآن الكريم وأثنى على متبوعهم محمد ﷺ، وإنما خلقه ﷺ القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤] فالقرآن إنما هو المتبوع على الحقيقة وجاءت السنة مبينة له، فالمتبع للسنة متبع للقرآن، والصحابة كانوا أولى الناس بذلك فكل من اقتدى بهم فهو من الفرقة الناجية الداخلة للجنة بفضل الله فالكتاب والسنة هما الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئ عنهما)[٥].

وقد تكاثرت النصوص الشرعية في ضرورة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ واتباع سنته وهديه. والسنة مصدر للتشريع، دل على هذا الكتاب بنصوصه الكثيرة وبأساليب مختلفة، من ذلك:

أ - التصريح بأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي من الله، وما كان من عند الله يلزم اتباعه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥١.

(٣) الأخلاق والسير ٢٤.

(٤) سورة القلم، آية: ٤.

(٥) الاعتصام ٢/٤٤٣.

(٦) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

ب - الأمر بطاعة الرسول قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾[١].

ج - جعل طاعة الرسول طاعة لله قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[٢].

د - الأمر باتباع ما يأتينا به الرسول قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[٣].

هـ - وجوب رد المتنازع فيه إلى الله أي إلى كتابه وإلى الرسول أي إلى سنته، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٤].

و - وجوب تحكيم الرسول ﷺ فيما يحصل فيه الاختلاف، وقبول ما يحكم به قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٥].

ز - لا خيار للمسلم فيما قضى به الله أو قضى به رسوله قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[٦].

ح - التحذير بالعذاب الأليم من مخالفة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٧].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٧) سورة النور، آية: ٦٣.

ط - أعطى الله رسوله سلطة بيان أحكام القرآن، لأن في القرآن أحكامًا مجملة تحتاج إلى تفصيل وبيان حتى يصح بها التكليف، ولهذا بينها النبي ﷺ بما له من سلطة البيان قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]. فهذه النصوص وأمثالها تدل على أن السنة حجة وواجبة الاتباع ومتممة للكتاب ومصدر للتشريع[2].

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ١٦٠-١٦١.

الحديث رقم (٥٣٢)

٥٣٢ - وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدبٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلاَّ أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطانًا أَوْ في أمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ)) رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

الكدُّ: الخدش ونحوه[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ) تشبيه للمسألة بالخدوش، والجروح بجامع التشويه، وإحداث الضرر في كل، والغرض منه التقبيح، والتنفير من السؤال ثم إن هذه الصورة توقع في نفس المخاطب الراغب في المسألة الإحساس بالرهبة من تمزيق وجهه مما يحدث الألم، ويشوه الوجه، وقد أكدها بقوله (يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ) وتخصيص الوجه؛ لأنه الذي يمتهن بذل السؤال وهو أكرم أعضاء الإنسان، ونسبة كد الوجه إلي صاحب الوجه تزيد الصورة تقبيحاً، وتنفيراً لأنه هو الذي فعل ذلك بنفسه، حتى لا يقدم عليه إلا شديد الحاجة الذي لا يجد منه بدا، ولذلك استثنى رحمة بذي الحاجة المضطر، في قوله (إلاَّ أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطاناً أَوْ في أمْرٍ لاَ بُدَّ مِنْهُ) فجعل المسألة في السلطان، أو عند الاضطرار.

---

(١) برقم ٦٨١. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٣٣٨٦. أورده المنذري في ترغيبه ١١٧٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ك د د).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة المسألة.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في تأكيد كلامه ﷺ بـ"إن" فقال "إن المسألة كدّ يَكُدُّ بها الرجل وجهه... الحديث" وذلك تأكيدًا لشناعة المسألة وتأثيرها السلبي على صاحبها في الدنيا والآخرة، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المؤثرة لما يوقعه في قلب المدعو من اقتناع وحمله على الامتثال لما دعي إليه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطورة المسألة:

إن من أخطر الأمراض الاجتماعية وأسوأ الأخلاق على المجتمع والأفراد المسألة ومد اليد للغير، وقد بين النبي ﷺ في الحديث خطورة المسألة على المستوى الفردي فقال "إن المسألة كد يَكُدُّ بها الرجل وجهه" قال ابن الأثير: الكد: الأتعاب، يقال كد يَكُدُّ في عمله كدًا إذا استعجل وتعب، وأراد بالوجه ماءه ورونقه[1] فالمسألة تذهب بحياء الرجل وعزته وكما قال ﷺ ((المَسَألة كُدُوحٌ يَكْدِحُ بهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ فَمَنْ شَاءَ أَبْقَى عَلَى وَجْهِهِ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَ))[2] أي من شاء أبقى على ماء وجهه من الحياء بترك السؤال والتعفف ومن شاء ترك[3] وقد لمح إلى هذا المعنى من قال:

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعًا وريا

فكن رجلاً رجله في الثرا ... وهامة همته في الثريا

فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا[4]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ص ٧٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٣).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ص ٧٤٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٠٣، ٨٠٤.

فنجد أن الإسلام منع وحذر أتباعه من المسألة وحضّهم على التعفف وأثنى على المتخلقين به، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1] ولما نهى الإسلام عن التطلع إلى ما في يد الغير، وأمر بالعفة لفت الأنظار إلى ما عند الله من رزق هو خير وأبقى، وذلك من عناصر التربية القرآنية الحكيمة، وهي التربية بالتحويل والتصعيد[2] قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[3].

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم ما ينبغي أن يتصف به الداعية البيان والتوضيح للمدعوين، وقد أمر الله نبيه بذلك فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] وفي الحديث صورة تطبيقية لذلك، فالرسول ﷺ لم يحرم المسألة على إطلاقها وإنما بين أنها محرمة إلا ما اضطر عليها، فقال: "إن المسألة كد يَكُدُّ بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لابد منه" فاستثنى الرسول ﷺ أن يسأل الرجل السلطان، أو مَنْ على بيت المال حقه فيعطيه منه إن كان مستحقًا، أو في أمر لابد منه ولا فراق عنه كما في الحمالة والجائحة والفاقة[5] وإن البيان لمن الأهمية بمكان ومن يتصفح آيات البلاغ في القرآن يجد أن معظمها وصفت البلاغ بالمبين قال تعالى: ﴿وَمَا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٤٩٧.

(٣) سورة طه، آية: ١٣١.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٦/١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٠٤.

عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[١] قال السعدي: (وما علينا إلا البلاغ المبين) أي البلاغ الذي يحصل به توضيح الأمور المطلوب بيانها[٢].

(١) سورة يس، آية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٤٠.

الحديث رقم (٥٣٣)

٥٣٣ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأنْزَلَهَا بالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أنْزَلَهَا باللهِ[1]، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

فاقة: أي حاجة شديدة[3].

فيوشكُ: فيُسرع[4].

الشرح الأدبي

الحديث في الترغيب في الاستعانة بالله، وسؤاله دون الناس، وقد بدأ بالموصول (من) المؤذن بخطاب العاقل المنوط بالحكم، والتكليف مع الرغبة في التزام التوجيه النبوي، والتعبير بالإصابة في صيغة الماضي يفيد التحقق، ونسبة الإصابة للفاقة من نسبة الفعل لمفعوله مبالغة في تمكن الفاقة منه، وشدتها عليه، والفاقة الحاجة الشديدة، وأكثر استعمالها في الفقر، وضيق المعيشة، وقوله (فأنزلها بالناس) أي أظهرها على وجه الشكاية شبه إظهارها للناس، وشكايتها إليهم بالإنزال الذي يتعلق بالمحسوسات، وهي أمر معنوي للمبالغة في إظهارها كالنازل بين الناس من حيث تمام ظهوره لهم، برؤيتهم له، والتعبير بالإنزال يفيد التمكن، لدلالة النزول على سبق العلو،

---

(١) إلى هنا اللفظ لأبي داود، والشطر الباقي اللفظ للترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٦٥، والترمذي ٢٣٢٦ وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. قال الحاكم ٤٠٨/١: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٤/٢.

(٤) رياض الصالحين ٢٤٩.

وبناء الفعل (تسد) المنفي لما لم يسم فاعله يعطي المعنى عموما أي لم يجد من يقضي حاجته من أي إنسان، التعبير بـ(يوشك) يدل على اقتراب الفرج منه، والطباق بين عاجل أو آجل يفيد توكيد تحقق الفرج بحصره بين زمانين لا بد من أن يقع في أحدهما .

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: التحذير من سؤال الناس وعدم سؤال الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل اللجوء إلى الله - تعالى - في الشدائد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة : الإنذار والتبشير.

رابعًا: من آداب المدعو : الاستعفاف واللجوء إلى الله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من سؤال الناس وعدم سؤال الله:

حذر النبي ﷺ في هذا الحديث من سؤال الناس، وبيّن أن ذلك من أسباب الفقر ودوام الفاقة إضافة إلى غضب الله تعالى، ورغّب في التوجه بالسؤال إلى الله تعالى "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل" وقد قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[1] أي سلوا الله ما تتمنونه من النعم[2] وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب[3]، وترك سؤاله سبب لغضبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أنه من لم يسأل الله يغضب عليه"[4] وقد أخذ بعض العلماء هذا المعنى فنظمه فقال:

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب[5]

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، ٢/٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ٣/١٦٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦١٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٦).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ٣/١٦٤.

وأمر الله باللجوء إليه بالسؤال والتضرع فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل اللجوء إلى الله تعالى في الشدائد:

في هذا الحديث أرشد النبي ﷺ الناس إلى اللجوء إلى الله لاسيما في الشدائد ومنها الفاقة التي ذكرت في الحديث فإن اللجوء إلى الله سبب للفرج، ولا يملك ذلك أحد غير الله، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢] وفي الحديث تطبيق لذلك: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك له برزق عاجل أو آجل" فمن اعتمد على مولاه أسرع له بكفايته وغناه[٣]. فالواجب على العاقل لزوم الالتجاء إلى الله والتوكل عليه، فهو سبحانه قد تكفل بالأرزاق، فالتوكل على الله هو نظام الإيمان وقرين التوحيد وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله الله إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب، قال الشاعر:

توكل على الرحمن في كل حاجة ... أردت فإن الله يقضي ويقدر

متى ما يرد ذو العرش أمرًا بعبده ... يصبه وما للعبد ما يتخير

وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر[٤]

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإنذار والتبشير:

ورد هذان الأسلوبان في الحديث، فأنذر النبي ﷺ من ينزل بالناس فاقته ويسألهم من غير ضرورة ملحة بدوام فقره، وبشر من وكل أمره إلى الله واعتمد عليه بالفرج والغنى، فقال: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) عون المعبود، العظيم آبادى، ص ٧٥١.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، الحافظ ابن حبان البستي ص ١٥٥.

الله له برزق عاجل أو آجل" وأسلوب التبشير والإنذار من الأساليب الدعوية المفيدة، فالتبشير بفضل الله عز وجل - وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته[١] له أثر كبير في هداية القلوب وتأليفها، وكذلك الإنذار لما فيه من الإعلام والتحذير[٢] قبل وقوع الجزاء ليأخذ الحذر، وبالتبشير والإنذار كان يدعو رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٣].

والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر واجتناب المنهيات، وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد أمته[٤].

رابعًا - من آداب المدعو: الاستعفاف واللجوء إلى الله تعالى:

شاء الله عز وجل أن يرفع من شأن المسلم، وأن يشعره بكرامته وعزته وذلك بالتحلي بخلق الاستعفاف، واللجوء إلى الخالق، وذلك ما أراد النبي ﷺ أن يغرسه في نفوس المؤمنين حيث قال: "من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل" وقد أثنى الله على من اتصفوا بالعفة في جوانب الحياة ومنها مجالات مغريات النفس المالية، وأوصانا بالبحث عنهم وتعهدهم بالعطاء، قال تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٥] وقد أمر الله رسوله ﷺ وهو في نفس الوقت أمر لأمته

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ص ٦٦٨.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٠٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ٥٣/٢٢/٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

بالتعفف وعدم النظر والتطلع إلى ما لدى الغير من متاع الحياة الدنيا، ولفت الأنظار إلى ما عند الله من الرزق الذي هو خير وأبقى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (يقول الله لنبيه محمد ﷺ لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم وما فيه من النعيم فإنما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة، أما رزق الله وما ادخره لرسوله وللمؤمنين في الدار الآخرة فهو أمر عظيم لا يُحدُّ ولا يوصف[2].

---

(١) سورة طه، آية: ١٣١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٣٢٦/٥.

الحديث رقم (٥٣٤)

٥٣٤ - وعن ثوبان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟**)) فقلتُ: أنا، فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أحَدًا شَيْئًا. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

تكفَّل: التزم وتعهَّد[2].

الشرح الأدبي

الحديث من نوعية الأحاديث التي تربي المؤمن على العزة، والكرامة، وقد ورد المعنى في أسلوب الاستفهام بغرض العرض، والترغيب، وتقديم الجار، والمجرور (لي) يفيد التخصيص أي تعهد للرسول ﷺ عدم سؤال الناس، وتنكير (شيئا) للتعميم فتشمل ما قل، وما كثر، ولفظ الناس يعطي للحكم عموما لا يستثني أحدا منهم بحيث يجعل حاجته لله، وحده، وقوله وأتكفل أي أضمن والجار والمجرور(له) للتخصيص المقابل للتخصيص الأول (لي) وقوله (بالجنة) يشير إلى عظمة الأجر كما يلوِّح بصعوبة عدم سؤال الناس، ومشقة الصبر على ذلك مع عموم الحكم لجميع الناس، وعمومه لجميع الحاجات.

---

(١) برقم ١٦٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٠ وقال: إسناده صحيح.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ف ل)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستعفاف وعدم سؤال الناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتنزه عن المسألة.

رابعًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء أسلوب الشرط في الحديث حيث تكفل النبي ﷺ بالجنة للمسلم شريطة ألا يسأل أحدًا " من تكفل لي ألا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية المثمرة لما فيه من وضع النتيجة والعاقبة على الفعل نصب عين المدعو مما يجعله على بصيرة من الجزاء وذلك ما يدفعه إلى فعل أُمر به واجتناب ما نُهي عنه، وقد استخدم أسلوب الشرط كثيرًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الاستعفاف وعدم سؤال الناس:

دعا النبي ﷺ في الحديث إلى التعفف والاستغناء عن الناس وعدم سؤالهم ورغّب في ذلك بالثواب العظيم فقال "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" (أي ضمن والتزم لي أن لا يسأل الناس وأضمن له الجنة[2] والتعفف من أسباب الكمال الباطني يقول ابن الجوزي: ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق، فالطبائع: العفة والنزاهة والأنفة من الجهل ومباعدة الشره)[3] فالدناءة والنظر إلى ما في أيدي الناس والتعلق القلبي الزائد بزينة الحياة يستعبد المرء، وقد دعا رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الشورى، آية: ٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ص ٧٤٩.

(٣) صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٢٨٩.

على من اتصف بذلك بالتعاسة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَميصةِ: إن أعطِيَ رضيَ وإن لم يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ... الحديث))[1] والعفة إنما تنال بمجاهدة النفس وبتوفيق من الله، وصاحبها من عداد أهل الجنة، فجاء من حديث طويل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ((وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ بِكُل ذِي قُرْبَىٰ، وَمُسْلِمٌ عَفِيفٌ مُتَعَفِفٌ ذُو عِيَالٍ))[2] إذ أنه يجاهد نفسه مع وجود الحاجة[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستغناء والتنزه عن المسألة:

صرح النبي ﷺ في هذا الحديث أن من فضل الاستغناء وعدم المسألة دخول الجنة فقال "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة" كما أن العفة دليل كمال النفس وعزها، ودليل وفرة العقل ونزاهة النفس، وهي ركن من أركان المروءة التي ينال بها الحمد والشرف[4] وهي من أخلاق الأحرار وشمائل أهل العلا والارتقاء، فمن لم ير لنفسه قدرًا ويرى المال أعظم خطرًا فقد استعبدت نفسه المطامع، قال بعض الشعراء:

ومن كانت الدنيا مناهُ وهَمَّه ... سبته المُنى واستعبدته المطامع[5]

فالجزاء على جنس العمل وقدره، وكلما ألجم الإنسان نفسه عن الانحراف وفطمها عن الدنيا ارتفع ثوابه وعظم أجره، إضافة إلى ما في ذلك من حفاظ الإنسان على كرامته ورفعة منزلته أما من لجأ إلى الاستكثار من الدنيا ولجأ إلى تحصيله بالسؤال وإذلال النفس والتحايل على الناس فسيلقى الله تعالى يوم القيامة ذليلاً ظاهرة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، ٢٨٨٨/٧.

(٥) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣١٤.

عليه علامات ذلك[١]، فضلاً عن تفويته الجزاء العظيم والذي جاء في الحديث "ومن تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة".

رابعًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك أرفع المثل، وفي استجابة ثوبان لإرشاد النبي ﷺ في الحديث دليل على ذلك، فعن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة؟ فقلت أنا، فكان لا يسأل الناس شيئًا" وفي رواية ابن ماجه بيان ذلك تطبيقيًا ((فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ، وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلاَ يَقُولُ لأَحَدٍ: نَاوِلْنِيهِ. حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ))[٢] وقد أمرنا الله في كثير من آي القرآن بالاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٣] فإن ما دعا الله ورسوله إليه فيه الحياة، فأكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ، إذ أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٣٤٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٨٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤٨٧).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) انظر: بدائع التفسير، ابن القيم، ٣٣١/٢.

الحديث رقم (٥٣٥)

٥٣٥ - وعن أَبي بِشْرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ: ((أقِمْ حَتَّى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأمُرَ لَكَ بِهَا)) ثُمَّ قَالَ: ((يَا قَبيصةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثَةٍ: رَجُلٌ تحمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قوامًا مِنْ عَيش (أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ) وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِه: لَقَدْ أصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ. فَحلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يصيب قوامًا من عيش (أَوْ قَالَ: سدادًا من عيشٍ) فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا)) رواه مسلم[1].

(**الحَمَالَةُ**) بفتح الحاءِ: أنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. وَ(**الجَائحةُ**) الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإنْسَانِ. وَ(**القَوَامُ**) بكسر القاف وفتحهَا: هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أمْرُ الإنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. وَ(**السِّدَادُ**) بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ الْمَعْوِزِ وَيَكْفِيهِ، وَ(**الفَاقَةُ**): الفَقْرُ. وَ(**الحِجَى**): العَقْلُ[2].

ترجمة الراوي:

قبيصة بن المخارق: هو قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد العامري الهلالي، كنيته: أبو بشر.

جاء إلى النبي ﷺ وافدًا فأعلن إسلامه وكان من أهل المروءة والنجدة يسعى للصلح بين الناس وإصلاح ذات البين، فكن يصلح بين المقتتلين ويتحمل ما اصطلحوا عليه من مال. كما يتضح ذلك جليًا في حديث الباب، حقنًا للدعاء، وحفظًا للنفوس وصونًا للأعراض، وحفظًا للمال.

وكان حريصًا على تعلم ما ينفعه رغم كبر سنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال

---

(١) برقم ١٠٤٤/١٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٠٣.

(٢) بنصه في الترغيب ٦٣٥/١- ٦٣٦.

لي: ((يا قبيصة ما جاء بك؟)) قلت: كبرت سني ورق عظمي، فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله عزّ وجلّ به قال: ((يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مَدَرٍ إلا استغفر لك...))[١].

نزل العراق وسكن البصرة واختط دارًا بها[٢].

غريب الألفاظ:

حَمَالةً: بفتح الحاء أي يقع قتال ونحوه بين فريقين، فيصلحُ إنسان بينهم على مالٍ فيتحمُلهُ ويلتزمهُ على نفسه[٣].

جائحة: الآفةُ تصيب مال الإنسان[٤].

القوام: بكسر القاف وفتحها هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه[٥].

السِّدادُ: ما يَسُدُّ حاجة المعوز ويكفيه[٦].

فاقة: الفاقة: الفقر[٧].

الحجى: العقل[٨].

السحت: أي الحرام الذي لا يحل فعله[٩].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦٠٢/٣٤ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٠٩/١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ٦١٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٥/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٦٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٨/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٤٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق ٢٥٠.

(٧) المرجع السابق ٢٥٠.

(٨) المرجع السابق ٢٥٠.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤١٩.

الشرح الأدبي

قول أبي قبيصة رضي الله عنه (تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً) جناس يبين سبب السؤال، وهو تحمل تبعات الصلح بين المتقاتلين، والتعبير بالإتيان يشير إلى مشقته على نفسه، وقول الرسول له (أقِمْ حَتَّى تَأتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأمُرَ لَكَ بِهَا) يشير إلى أنه لم يكن عنده شيء يعطيه إياه وقوله (يَا قَبِيصةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثةٍ) النداء تنبيه فيه تلطف، وتوكيد الكلام بعده تنبيه لأهمية الخبر، وأسلوب القصر في قوله (إنَّ المَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إلاَّ لأَحَدِ ثلاثةٍ) نفي للحل عن كل أحد، وإثباته لأحد الثلاثة المذكورة، وفيه تشويق يحقق الترقب، ومتابعة الخبر بيقظة، واستشراف، وقوله (جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ) جناس يؤكد المعنى، وينص على سبب من أسباب حل المسألة، وقوله (وَرَجُلٌ أصَابَتْهُ فَاقَةٌ) التعبير بالإصابة يفيد التحقق مع الإشارة إلى قوة الأثر، ونسبة الفعل للفاقة وهو في الحقيقة فعل الله به للمبالغة في شدة الفاقة، وقوله (حَتَّى يَقُولَ ثَلاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِه: لَقَدْ أصَابَتْ فُلاناً فَاقَةٌ) كناية عن شدة ظهورها الذي لا لبس معه، ولا تردد فيه، وقد جعل لكل واحد من الثلاثة حدا يتوقف عنده عن المسألة مما يشير إلى أنه ليس هناك تسول دائم في الإسلام بل حاجة تعرض ثم تنقضي، ولذلك قال بعدها (فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتاً) والنداء وسط الكلام لتوفير مزيد الانتباه لما يتلوه، والتعبير بالأكل عن عموم الاستعمال للتقبيح، والتعبير بالصاحب، ونسبته لضميره للذم، وتكرار كلمة سحت يؤكد الحرمة، وينفي وهم المبالغة.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه:

١ - دفع الزكاة لمن تحمل حمالة:

قال ابن قدامة: (ومن الغارمين صنف يعطون مع الغنى، وهو من غرم لإصلاح ذات البين، وهو أن يقع بين الحيين وأهل القريتين عداوة وضغائن يتلف فيها نفس أو مال، ويتوقف صلحهم على من يتحمل ذلك، فيسعى إنسان في الإصلاح بينهم ويتحمل الدماء

التي بينهم والأموال، فيسمى ذلك حمالة بفتح الحاء، وكانت العرب تعرف ذلك، وكان الرجل منهم يتحمل الحمالة ثم يخرج في القبائل فيسأل حتى يؤديها فورد الشرع بإباحة المسألة فيها، وجعل لهم نصيبًا من الصدقة، فروى قبيصة بن المخارق قال: "تحملت حمالة ... الحديث"[١].

٢ - اشتراط التيقظ في الشهادة:

قال النووي: (وإنما شرط الحجي في قوله ﷺ: "حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى من قومه ..."] تنبيهًا على أنه يشترط في الشاهد التيقظ، فلا تقبل من مغفل)[٢].

٣ - عدد الشهود على الإعسار: قال النووي: (أما اشتراط الثلاثة [حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجى..." فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار، فلا يقبل إلا من ثلاثة لظاهر هذا الحديث، وقال الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث على الاستحباب[٣]، وهذا محمول على من عرف له مال فلا يقبل قوله في تلفه والإعسار إلا ببينة، وأما من لم يعرف له مال فالقول قوله في عدم المال)[٤].

---

(١) المغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٢٤/٩، وانظر للمزيد في اختلاف الفقهاء في ذلك: روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣١٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٦/٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨/٧/٤، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١٧/٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٢/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٧/٤، وانظر: القوانين الفقهية ٣٠٣، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المالكي ١٧٢/٢، ومغني المحتاج، ٤٣٦/٤، والمغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٠/١٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/٢٦).

(٣) وانظر: المغني، أبن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢٦/١٤-١٢٨، والشرح الكبير ٨٤/١٢، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين المالكي ٢٦٥/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٥٣/١١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٧/٢٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٧/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: خطر المسألة في غير الأمور الثلاثة التي بينها رسول الله ﷺ.

سادسًا: من أهداف الدعوة: صيانة كرامة المسلم وحثه على العمل والإنتاج.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قول قبيصة بن المخارق: (تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ)، وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المؤثرة إذ أنه يقوم على توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق، وإثارة اهتمام المدعوين، وتحفيزهم على الإقبال على الداعية وامتثال دعوته [(١)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ لقبيصة بن المخارق: (أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها)، وهو من الأساليب المفيدة لما فيه من توجيه الدعوة إلى المدعو وحمله عليها واستجابته لها خاصة إذا كان ممن أذعن للدعوة وأقبل عليها.

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من ألزم الصفات للداعية: التوضيح والبيان للمدعوين، ونرى ذلك في الحديث فالرسول ﷺ لم يكتف بإجابة قبيصة إلى حاجته من سداد دينه، وإنما بيّن له الأسباب التي تباح فيها المسألة فقال: "يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل يحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك..." الحديث، وذلك أن أهم

---

(١) انظر: وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ص ١١٦.

الصفات والواجبات على الداعي أن يبين للمدعوين ولا يكتم، وأن يوضح ولا يبهم، فإن بيان ما جاء به شرع الله الكتاب والسنة أمر واجب[١]، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، في ترهيب النبي ﷺ من المسألة من غير ضرورة: (يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة... فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتًا)، أي حرام لا يحل فعله لأنه يسحت البركة أي يذهبها، وأصل السحت الإهلاك[٣]، والترهيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من حمل المدعو على ترك فعل واعتقاد أو تصور، والترهيب يقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان من منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهي عنه، ولما كان الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم، لهذا كان لأسلوب الترغيب والترهيب تأثير كبير في تربية الإنسان وتقويم وتوجيه سلوكه[٤].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: خطر المسألة في غير الأمور الثلاثة التي بينها رسول الله ﷺ:

لقد بيّن النبي ﷺ خطر المسألة في غير الضرورة والتي ذكر النبي ﷺ صورها في الحديث بأنها سحت يشقي الإنسان به نفسه، فقال ﷺ: يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة.. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتًا)، والسحت هو الحرام الذي لا يحل كسبه[٥]،

---

(١) انظر: واجبات الداعي إلى الله، سعيد بن عوض الأسمري، ص ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٦.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٣٧/٣.

إضافة إلى أن المسألة تصيب الإنسان في أخص مظهرٍ لكرامته وإنسانيته، وهو وجهه[١]، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ))[٢].

وما في المسألة من ظلم للنفس، فلأن السائل أراق ماء وجهه، وذل لغير خالقه وأنزل النفس أدنى المنزلتين، ورضى لها بأبخس الحالتين، ورضى بإسقاط شرف نفسه وعزة تعففه وباع صبره ورضاه وتوكله واستغناءه عن الناس بسؤالهم، وهذا عين ظلمه لنفسه[٣].

لا تحسبن الموت موت البلى ... فإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكنَّ ذا ... أشد من ذلك لذل السؤال[٤]

فالمسألة وامتهان التسول عمل دنيء تَمُجُّه الأذواق السليمة، ودليل على دناءة النفس وحقارتها فضلاً عن أنه يورث سفولاً وانحطاطًا في المجتمع ناهيك عن استحقاق الوعيد عليه في الآخرة[٥].

سادسًا - من أهداف الدعوة: صيانة كرامة المسلم وحثه على العمل والإنتاج:

إن من أبرز الأهداف العملية التي تهدف إليها الدعوة الإسلامية العفة وصيانة كرامة الإنسان وعزته، وقد أرشد الإسلام في ذلك إلى عدة سبل منها: العمل والإنتاج، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٦]، ونهى رسول الله ﷺ عن المسألة والعيش على حساب الآخرين كما في

---

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٤٠.

(٣) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٣٢/١ - ٣٣٣.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢٨٠/٣.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح ٤١٧/٩.

(٦) سورة الملك، آية: ١٥.

الحديث: (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة... الحديث)، وأرشد إلى العمل مبينًا أنه أفضل من المسألة مهما كانت نظرة الناس إليه وإلى العائد منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: ((لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ. فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))[1]، بل إن رسول الله ﷺ ليعطينا المثل التطبيقي في الإرشاد إلى العمل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: ((أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟)) قال بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ. قال: ((ائْتِنِي بِهِمَا)). قالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ وقال: ((مَنْ يَشْتَرِي هذَيْنِ؟)) قال رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قال: ((مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا)). قال رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فأَعطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وقال: ((اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُّومًا فَآتِنِي بِهِ))، فأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُم قَال لَهُ: ((اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا)). فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((هذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ))[2].

ففي هذا الحديث نجد النبي ﷺ لم ير للأنصاري أن يأخذ من الزكاة وهو قوي على الكسب، ولا يجوز له ذلك إلا إذا ضاقت أمامه المسالك وأعيته الحيل، وقد أوجد النبي ﷺ الحلول العملية البناءة التي يصون بها كرامة الإنسان، من خلال سعيه وعمله، وبهذا بين لكل فرد مسلم أن يسعى ويعمل ويجتهد ملتمسًا الرزق في خبايا الأرض وتحت أديم السماء، فهو بعمله يغني نفسه بنفسه ويسد حاجته وحاجة أسرته غير مفتقر إلى معونة[3]، وبهذا نرى أن العمل في الإسلام له غايتان: منع البطالة والحث على

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٤٢.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٤١، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٦٠).

(٣) انظر: مشكاة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٥٨ - ٦٠.

العمل والإنتاج[١].

فالمسلم الحق يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج، وهو كذلك حريص على أن يكون يومه خيرًا من أمسه وغده خيرًا من يومه وأن يطيل حياته - بعد موته - بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن يخلف وراءه علمًا نافعًا أو عملاً طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به تكون مثوبته عند الله تعالى[٢].

---

(١) نظام الإسلام: الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، محمد المبارك ص ٣٧.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٠٥.

الحديث رقم (٥٣٦)

٥٣٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يتضمن تصحيح خطأ في التصور، وفي المفهوم الخاص بالمسكين وحقيقته، وقد بدأ بالنفي إزالة للمفهوم الخاطيء (لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ)، والفعل يطوف يصور حركة السائل المعتاد للسؤال ينتقل من باب إلى باب يجمع كل ما يستطيع وهو ما يشير إليه قوله (تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ) ونسبة الرد اللقمة مجاز مرسل يصور حقارة الغاية، وقبح الفعل، وأكده بقوله (وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ) ثم تبعه باستثناء يقرر المفهوم الصحيح بعد أن أزال المفهوم الخاطيء والذي قرره الجناس، وأكده في قوله (وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ) وقوله (وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ) يشير إلى غفلة الناس عنه مع حاجته، وفقره، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة٢٧٣).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٧٩ واللفظ له، ومسلم ١٠٣٩/١٠١. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١٧. وتقدم برقم ٢٦٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الشره مرض والقناعة صحة، فإذا ابتلي الإنسان بمرض الشره فإنه لن يشبع، وإن أعطي الدنيا بأسرها، ويشعر الشره أن ما معه أقل مما يتطلع إليه، وينظر دائماً إلى ما في يد غيره، ولا ينظر إلى ما في يده، يندرج حاله تحت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة ص:٢٣].

هذا الصنف من الناس هم الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله: (ولو كان لابن آدم وادياً من ذهب لتمنى أن يكون له واديان، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب).

إن الشر يدفع صاحبه إلى:

١/ جمع المال من حلال أو حرام في غير مبالاة لأن الإكثار منه هو الغاية.

٢/ سؤال الآخرين ما في أيديهم ومحاولة تملكه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٣/ الإلحاح في السؤال حال المنع حتى يتحقق الوصول إلى المراد.

٤/ يكرهون الآخرين على العطاء والدفع بسيف الحياء حتى إنهم ليعطونهم عن غير قناعة مما يدفعهم إلى أخذ المال بدون سخاوة نفس من المعطي فلا يبارك لهم فيه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً - غرس قيمة التعفف عن سؤال الناس:

إن من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة التعفف وعدم سؤال الناس والقناعة برزق الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والعفاف قوله @: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»، وقوله: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما أتاه»، وقوله: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وقوله: «ولا تسألوا الناس شيئًا»، وقوله: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى، وليس في وجهه مزعة لحم»، وقوله: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ...»، وقوله: «من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأتكفل له بالجنة ...»، وقوله ﷺ: «ليس

المسكين الذي يطوف على الناس... ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس».

فهذه جملة أحاديث أفادت أهمية التربية على غرس قيمة العفة عن السؤال، وكأنها رسالة إلى الأمة من الرسول ﷺ مفادها الرضا برزق الله تعالى دون سؤال أو إلحاح؛ أن العفة والاستغناء بالله تعالى مجلبة للرزق الحسن وطريق للكرامة، ولذلك مدحهم الرسول ﷺ في حديثه «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللّهِ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللّهُ»[1]. فهذا نداء من الرسول ﷺ إلى عدم التعفف بغير الله تعالى في أي شيء من الرزق، بل يصبر الفقير حتى يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[2].

والعفة من مكارم الأخلاق، والدناءة والخسة وكل ما ينافي العفة من رذائل الأخلاق، ولدى تحليل دوافع العفة نجدها ترجع إلى الكثير من أساس خلقي، وميزان ذلك القوة الضابطة التي تضبط النفس، فبمقدار ما لدى الإرادة من قدرة على الصبر تستطيع القيام بضبط النفس عن تلبية الدافع المثار، فتكون العفة عندئذ من مظاهر خلق الصبر وحين يكون الضبط بتأثير الخوف من العاقبة، أو بتأثير الطمع بالثواب، تكو العفة من مظاهر ذلك، وحين يكون الضبط بتأثير خلق حب الحق تكون العفة من مظاهره، وحين تجتمع كل هذه العوامل تكون العفة مظهرًا اشتركت فيه جملة أسس أخلاقية، والعفة لا تكون إلا إذا وجد الدافع النفسي إلى ما ينافيها، فإذا لم يكن في النفس دافع إلى ما ينافي العفة، أو لم يوجد ما يثير الدافع لم يكن للعفة وجودٌ أصلاً.

لكن هناك وقفة تتمثل في: أنه إذا جاء مال للمحتاج بغير سؤال ولا استشراف نفس فلا مانع من أخذه. لقوله ﷺ: «إِذَا جَاءَكَ مِنْ هذَا الْمَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٠، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ»[١]. ومن يتعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله[٢].

ثانيًا - من مهام المربي: مراعاة الفروق الفردية:

من أهداف التربية الإسلامية مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والعفاف: قوله ﷺ: «فَوَاللَّهِ إِنِي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِي أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، ...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه كيف راعى النبي ﷺ الفروق الفردية بين الصحابة رضي الله عنهم أثناء عملية التوزيع، ولذلك كانت الحكمة هي التأليف، وإنقاذها من الهلاك، والرسول ﷺ راعى الفروق الفردية لأنها تُراعى تباين الأفهام من شخص لشخص آخر وفق استعداداته، وإمكانته العقلية، وحريٌّ بعلماء التربية الإسلامية المحافظة على هذه المعاني لأنها من علامات نجاح المربي، والعناية بالفروق الفردية أمر لم تبتكره التربية المعاصرة بل أشار إليه أسلافنا الأوائل وأدركوه وأوصوا المسلم به، بأن يخاطب كل واحد على قدر درجته وبحسب فهمه وهمته، لأن الناس يختلفون فيما بينهم اختلافًا واضحًا من حيث الفهم والتحصيل والاستجابة والثبات وغير ذلك.

والتربية السليمة هي التي تأخذ في الاعتبار هذه الاختلافات وتوجه كل فرد نحو تحقيق أقصى درجة من النمو، كما أن الاهتمام بفرد دون آخر لا يتعارض مع مبدأ المساواة الذي تنادي به الفلسفة الديمقراطية، فالمساواة هي أن نتعامل مع كل فرد على أنه إنسان له إمكانات وطاقات خاصة تميزه عن غيره من الأفراد واحترام إنسانية الإنسان تقتضي منا أن نضعه في المكان الذي يتفق مع قدراته وإمكانته والتربية من أجل مراعاة الفروق الفردية تتطلب من انطلاقة جريئة نحو فهم جديد لمعنى المنهج ووظيفة التربية والأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها، ولهذا فإن العمل من أجل

---

(١) أخرجه البخاري، ١٤٧٣، ومسلم، ١٠٤٥.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص٤٩١. موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ص٢٤١.

مراعاة الفروق الفردية يتطلب تغيرات جذرية تتناسب مع حجم المشكلة وأهميتها، وبقدر ما يكون استعدادنا للعمل من أجل هذه التغيرات بقدر ما نتوقع من نجاح في مواجهة صريحة للمشكلة، والتفاعل الجماعي معها[١].

ثالثًا - من مهام المربي: تبيان الحقائق:

إن من أهداف التربية الإسلامية ومهام المربي تبيان الحقائق للمتربين، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد في المعيشة. قوله ﷺ: "ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس".

فهذا توجيه نبوي ظهر منه أن من مهام المربي تبيان الحقائق لأنه من السهل أن تحدث الناس دون أن تبين لهم الحقائق، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في توجيهه للصحابة وبيانه في كل موطن وحال الحقائق ليسهل العملية التربوية ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، وفي تبيان الحقائق فائدة وهي التوجيه الإيجابي الحسن والتأثير في السلوك إن المتربي يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية باغتنام بيان الحقائق في وقتها من أفضل الأهداف التربوية، وإن مثل هذه التربية هي التي خَرَّجت الجيل الجاد العملي[٢].

رابعًا - التربية بالأحداث والمواقف:

من أساليب التربية الإسلامية: الأحداث والمواقف. والشاهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع...».

فهذا توجيه تربوي ناتج عن تصرف حديث ومواقف جرت في غزوة ذات الرقاع، بين

---

(١) انظر: المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش، ص٣٤. المنهج والفروق الفردية، د. فتحي الديب، ص١١٢. نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص١٠٨.

(٢) انظر: مجلة البيان، عدد ١٢٥، ص٣٣. أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٧٨.

الصحابة رضي الله عنهم، والمصطفى ﷺ: والأحداث التي جرت مع الصحابة وقعت بسبب تصرفاتهم الخاصة وأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، ولذا فإن المربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، لأن من مزايا المواقف والأحداث أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال - وهذا ما حدث من معايشة أحداث غزوة ذات الرقاع وما حدث للصحابة رضي الله عنهم مما يعد زادًا لعلماء التربية الإسلامية للإفادة من أحداث هذه الغزوة لتربية النفوس على التضحية والبذل والصبر، وكانت الحكمة من الإفادة من هذه المواقف والأحداث، حتى لا تمر الحادثة بلا عبرة مستفادة وهي بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التقشف وخشونة العيش وصبرهم على ذلك مع الرضا، لأن هدفهم الأسمى هو إعلاء كلمة الله تعالى[1].

خامسًا - التربية بالتشبيه:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التشبيه، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد، قول حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: ياحكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه...».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه التشبيه كأسلوب تربوي يستخدم في عملية التربية، وهذا ما فعله الرسول ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم في قوله: المال خضرة حلوة. قال ابن الأنباري: ليس هو صفة المال وإنما هو تشبيه، كأنه قال: المال كالبقلة الخضراء الحلوة على اعتبار ما يشتمل عليه الحال من زهرة الدنيا، وفي هذا بيان لأهمية القناعة والرضا والتعفف عن المسألة، والرضا بما قسم الله عز وجل، والحديث ليس دعوة إلى الزهد في طيبات الحياة، ولكنه دعوة إلى الاعتدال والتوازن في مجالات الحياة الدنيوية المتعددة، ودعوة إلى تقوية الصلة بالله والرضا بما قسم الله تعالى والتعفف حتى لا

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٤.

تتهاوى النفوس، أمام زينة الثراء، ولا تفقد اعتدالها بالقيم العليا، وتبقى دائمًا تحس حرية الاستعلاء على الزخارف الباطلة التي تبهر الأنظار، كل هذا أتى عن طريق الصورة المحسوسة التي هي أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد وتضع الصورة بين يديك[1].

سادسًا - التربية بالحوار:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والرسول ﷺ كان حريصًا على تعليم الصحابة بطريقة الحوار من خلال ما يطرح من أسئلة: وما يدل على ذلك في أحاديث الباب: قول عبدالرحمن بن عوف مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: ألا تبايعون رسول الله ﷺ، وكنا حديثي عهد بيعة، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: ألا تبايعون رسول الله....».

فهذا شاهد تربوي ظهر منه الحوار بين الصحابة رضي الله عنهم وبعضهم البعض وبينهم وبين رسول الله ﷺ فالحوار دار عن استحباب تجديد العهد مع الله عز وجل على صدق الإيمان به والإخلاص في عبادته والتزام شريعته، وكذلك البيعة ينبغي أن تكون واضحة غير عمية، وكذلك التنزه عن كل ما يسمى سؤالاً ولو في أمر تافه، ولقد اتسم هذا الحوار بالتدرج حيث بدأ بالسؤال فلما أنس منهم هذا الصحابي اللين والموافقة اتبع معهم البيان والحوار، وكان من فوائد هذا الحوار الذي دار: أنه جذب الانتباه وشحذ الأذهان، كما أنه أفاد فائدة هامة وهي إبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف. لكن يشترط في من يجري الحوار عدة شروط:

١ - الإلمام بالموضوع.

٢ - التحلي بالهدوء وسعة الصدر.

---

(١) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي، ص٤٢٦، ٤٢٧. التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أمجد جاد، ١٢٥.

٣ - مراعاة مستويات مَنْ يخاطبهم[١].

سابعًا - التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية: أسلوب التوجيه المباشر ويعد من أهم أساليب التربية لما فيه من توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر: ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد قوله ﷺ وهو يوجه قبيصة قال: «يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلت له.....».

فهذا توجيه يستفاد منه أن على الإمام والمربي توجيه المتربين على تعهد الرعية بالنصح والإرشاد وحثهم على التعاون، وسد حاجة المحتاج، وهذا ما أراده النبي ﷺ من توجيهه للصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث، وهذا هو دور المربي أن يقوم بتلقين المتربين التوجيه الذي يساعد على تغيير السلوك وتقويمه، في الحاضر والمستقبل، واستخدام التوجيه في هذا الحديث كان لحكمة هي أن التوجيه من وسائل العادة التعليمية كما يعد من أساليب الرسل والأنبياء المؤثرة التي اقترنت بالشعور والمحبة، وتجلى هذا في قوله ﷺ: "ياقبيصة"، فالتوجيه من مرب محب يساعد على تغير حياة الإنسان، ولذلك كان من الآثار التربوية لهذا التوجيه تزكية النفس، وتطهيرها وهو هدف من أسمى الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها. كما أن فيه مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم[٢].

ثامنًا - التربية بالتأكيد:

من أساليب التربية التأكيد، ومن الشواهد على ذلك في باب القناعة والاقتصاد قوله ﷺ: في حديث عمر بن ثعلب قال: «أما بعد: فوالله إني لأعطي الرجل وأدع

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٨٢. أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، أ. د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٣.

الرجل والذي أدع أحب إليَّ من الذي أعطى ...»، وقوله ﷺ: في حديث سفيان بن صخر: «فوالله لا يسألني أحد منكم شيئًا ...».

فهذه شواهد تربوية أفادت استخدام التأكيد كأسلوب تربوي في عملية التربية، ولقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد ليجعل من الأمر المؤكد عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، وهذا ما فعله مع الصحابة رضي الله عنهم.

وكان من عادته ﷺ التأكيد على الأمور المهمة أكثر من مرة والمقصد من التنبيه على السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره، والسنة عندما استخدمت هذه الوسيلة التربوية أفادت من ذلك تثبيت المعنى في النفوس حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، بل إن في التأكيد حملا للنفس على التصديق والإيمان ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا ذكر في مَعرِض القسم كما فعل ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم لعدم وضوح المعنى لما في ذلك من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديها، واستقراره في مناطق اللاشعور العميقة حيث تنضج عوامل سيرنا[1].

تاسعًا - التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في توجيه الصحابة رضي الله عنهم: وفي أحاديث الباب ما يدل على ذلك: من تحذير من السؤال من غير حاجة وضرورة: قال ﷺ: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم...»، وقوله ﷺ: «من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرًا...»، وقوله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ...».

فهذه تحذيرات من النبي ﷺ عن سؤال الناس من غير حاجة. لما في السؤال من ذل في الدنيا وعذاب في الآخرة، والرسول ﷺ ما استخدم هذا الأسلوب التربوي التوجيهي إلا لعلمه أن فيه ردعاً للسلوكيات الخاطئة - كالسؤال والذلة من غير ضرورة - التي

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص١٠١، ١٠٢. آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٠٠.

قد توجد عند بعض الأفراد لأنه يوجد من يفعلها ويجترئ على فعلها بل وتكرارها - كما نشاهد الآن في شتى أنحاء البلاد - وهذا سلوك فيه فَقْدُ لِقَيم الخير والإيمان وفضائل الأعمال فكان لابد من تحذير شديد فيه زجر ووعيد يوقظ المجترئ الجاني مما يجعله بين خيارين لا ثالث له: إما غضب الله وعذابه ومقته عز وجل، وإما التوبة عن هذا السلوك الخاطئ. من هنا نتعلم أن التحذير له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين[1].

عاشرًا - التربية بالتبشير:

من أساليب التربية الإسلامية التبشير، ويعد التبشير من أساليب التربية عند رسول الله ﷺ، وهذا ما ثبت في حديث الباب. فعن ابن مسعود > قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل».

إن الرسول ﷺ في هذا التوجيه يبشر صراحة من أعرض عن السؤال واعتمد على الله تعالى في سؤاله وشكواه بأن له رزقاً. كما أن فيه تربية على الاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمر لله لأن من اعتمد على غير الله ضل، ومن اعتز بغير الله ذل، ومن فوض أمره إلى الله ما زل وما ضل، ولقد اصطحب هذا التوجيه تبشير من رسول الله ﷺ فيه تحفيز وتيسير الأمور يرافقها تبشيرٌ بالرزق، ولقد كان التبشير منهجاً ثابتاً عند رسول الله ﷺ، باعتباره خلق من أخلاق النبوة، لأن الرسل من شأنهم أن يكونوا مبشرين بالخير، وذلك لأن البشرى سلوك إنساني رائع ومطلب اجتماعي محبب ووسيلة للصلة يحترمها الناس ويحبونها، كما أنها خصلة حسنة يمدح بها المرء ويثاب عليها[2].

وقد وردت في أحاديث الباب كثير من الأساليب التربوية التي يستطيع أن يفيد منها المربي في العملية التعليمية من هذه الأساليب ما يلي:

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٥٠، ٣٣٠.

(٢) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١١/٢٧، ٢٨ بتصرف.

أ - التقويم: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))، وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا المرفوع: ((ليس المِسْكينُ الذي يَطوفُ على الناسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقمتانِ ...)) الحديث، والتقويم يستخدم في معالجة بعض أفكار المتعلمين وتصحيحها إن اقتضى الأمر ذلك.

ب - المناقشة: كما في حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، والمناقشة من شأنها تفعيل موقف المتعلم في العملية التعليمية وينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعّال في مقام التعليم والتعلم.

ج - القصة: كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن غزوة ذات الرقاع، ويمكن للمعلم الاستفادة من أسلوب القصة في تدريسه في عرض بعض الكلمات المألوفة لدى المستمعين. والتي يمكن أن تقرب إليهم المعاني المجردة وتوضحها في أذهانهم.

د - التربية بالأحداث والمواقف: كما في حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه: ((أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بمال - أو سَبيٍ - فقسَمه، فأَعطى رِجالاً وتركَ رجالاً ...))الحديث، ويمكن للمعلم والتربويين الاستفادة من الحديث في كيفية الاستفادة من مواقف الحياة المختلفة في غرس القيم والمضامين التربوية المرغوبة في نفوس المتعلمين، فالحياة كلها مواقف وأحداث، والإنسان في تفاعل مستمر مع هذه الأحداث ما دام هو على قيد الحياة، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة المختلفة تمر أمام عينيه دون أن يستفيد منها في تقديم ما هو مرغوب. ولأسلوب التربية بالمواقف آثار تربوية تميزها عن غيرها ومنها أنها تُحدث في النفس تأثيرًا كبيرًا، وتنفعل معها النفس انفعالاً خاصًا.

كما يمكن للمنظمات التربوية الاستفادة من الأحداث المختلفة التي تقع في المحيطات العربية والإسلامية والدولية في توجيه فكر المتعلمين لما هو مطلوب منهم في كل الأمور.

هـ - الترهيب كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((لاَ تُلْحِفُوا فِي الْمَسْأَلَةِ. فَوَاللّهِ لاَ يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا، وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ))،

ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب مع المتعلمين في تدريس الموضوعات التي تتضمن كثيرًا من القيم وفي توضيح بعض الأمور النافعة لهم في دينهم ودنياهم.

و - عملية التمهيد: ورد في حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: ((كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً. فَقَالَ: «أَلا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ؟)) ورد في هذا الحديث ما يعرف في التربية الحديثة بعملية التمهيد من خلال إلقاء سؤال على الحضور ويُطلب منهم ردّ على ذلك السؤال سواء أكان الرد قوليًا أم فعليًا، ويمكن للمعلم استخدام التمهيد والاستفادة من الكيفية التي مهد بها النبي ﷺ لما ذكره للصحابة رضي الله عنهم.

ز - استخدام الأسئلة كما في حديث ((مَنْ تَكَفَّلَ لِيَ أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟)) واستخدام الأسئلة يكون وسيلة لتقويم ومعالجة بعض أفكار المتعلمين.

٥٨- باب جواز الأخذ من غير مسألة وَلاَ تطلع إليه

الحديث رقم (٥٣٧)

٥٣٧- عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطيني العَطَاءَ، فَأقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إِلَيْهِ مِنّي. فَقَالَ: **((خُذْهُ، إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا، فَلاَ تُتبعهُ نَفْسَكَ))** قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لاَ يَسألُ أحَداً شَيْئاً، وَلاَ يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَه. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

مشرف: متطلع إليه[٢].

فتموَّلْهُ: اجعلهُ لك مالاً[٣].

وما لا فلا تتبعه نفسك: أي ما لا يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٧٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٤٥/١١٠، وقول سالم: أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ١٠٤٥/١١١.

تنبيه: الحديث أورده هكذا المنذريُّ في ترغيبه ١٢٣٧ وتبعه عليه المؤلف.

(٢) رياض الصالحين ٢٥٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م و ل).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٨، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٠٩.

الشرح الأدبي

الحديث يروي موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجاه ما يأتيه من مال، حيث كان يرفضه، والذي صوره، وأكده الجناس في قوله (يعطيني العطاء) وقوله (أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إلَيْهِ مِنّي) المر للإيثار يصور الغاية النبيلة وراء رد المال، وذكر الضمير (هو) للاهتمام، والتعبير بأفعل التفضيل يجعل الأولوية للأكثر حاجةً، وقول الرسول ﷺ (خُذْهُ) أمر نصح، وإرشاد تبعه أسلوب الشرط يربط مجيء المال دون استشراف بالأمر بأخذه، وقوله (فخذه فتموله) والتمول هو صرف المال في وجوهه المختلفة بين الصدقة، والنفقة، وقوله (فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ) أسلوب شرط يعطيه حرية التصرف وفق ما يريد، وقوله (وما لا، فلا تتبعه نفسك) فيه إيجاز بالحذف أي، وما لم يأتك، وقوله (فلا تتبعه نفسك) كناية عن التعلق بالمال، ومحبته، والتصوير الكنائي يصور النفس المتعلقة بمحبة المال بحال محب مع محبوبه يسير حيث سار، ويقف حين يقف، وهذه الحال مذمومة للمؤمن في تعلقه بأي شيء سوى الله تعالى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم قبول العطية من السلطان: الأصل أن للسلطان أو من في معناه أن يعطي بعض رعيته إذا رأى لذلك وجهاً، وإن كان غيره أحوج إليه منه.

أما موقف المُعطى وحكم قبوله فقد اختلف فيه الفقهاء: فذهب الحنفية إلى أنه لا يجوز قبول عطية أمراء الجور أو هداياهم، لأن الغالب في مالهم الحرمة إلا إذا علم أن أكثر المال حلال، أما من لم يعرف بالجور فقد اختلفوا في أخذها، فقال بعضهم: يجوز ما لم يعلم أنه يعطيه من حرام، قال محمد بن الحسن: وبه نأخذ ما لم نعرف شيئاً حراماً بعينه، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.

وذهب الشافعية إلى أنه لا يحرم الأكل والمعاملة، ولا أخذ الصدقة، والهدايا، ممن أكثر ماله حرام، إلا ما علم حرمته، ولا يخفى الورع.

وقال المالكية: جوائز الخلفاء جائزة لاشك فيها لاجتماع الخلق على قبول العطية من الخلفاء ممن يُرضى منهم وممن لا يُرضى، وجل ما يدخل بيت المال مستقيم، وما يظلم فيه قليل في كثير.

وقال أحمد بن حنبل في جائزة السلطان: أكرهها، وكان يتورع عنها، ويمنع بنيه وعمه من أخذها، ويأمرهم بالصدقة بما أخذوه، وذلك لأن أموالهم تختلط بما يأخذونه من الحرام من الظلم وغيره فيصير شبهة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كرم النبي ﷺ وجوده.

ثانياً: من آداب المدعو: إيثار غيره من ذوي الحاجات.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام.

خامساً: من واجبات المدعو: ترك المسألة وعدم أخذ المال بغير حقه.

سادساً: من صفات المدعو الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً: من موضوعات الدعوة: كرم النبي ﷺ وجوده:

في الحديث إشارة إلى ذلك في قول عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء" فكان رسول الله ﷺ مضرب المثل في الكرم والجود، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناسِ، وكانَ أَجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حِينَ يلْقاهُ جبرِيلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فَيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرَسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَة))[2] فكان ﷺ في الجود والكرم والسخاء والسماحة وغير ذلك من الأخلاق الكريمة لا يُوازى ولا يبارى[3].

---

(١) الاختيار ٣٦/٤، ومنح الجليل ١٢٤/١٨، وحاشيتا قليوبي وعميرة ١٧١/١٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٠/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٥٤.

(٣) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٤.

والأمثلة على كرم وجود رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى فلقد كان ﷺ لا يرد سائلاً ويجود حتى بما قد يكون في حاجة إليه، روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءتِ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ ببُردةٍ ـ فقال سهلٌ للقوم: أتدرون ما البردةُ؟ فقال القوم: هي شَملةٌ فقال سهلٌ: هي شملة منسوجةٌ فيها حاشيتُها - فقالت: يا رسولَ الله، أكسوكَ هذهِ، فأخذَها النبيُّ ﷺ محتاجاً إليها فلبِسَها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابةِ فقال: يا رسولَ الله، ما أحسَنَ هذهِ، فاكسُنيها. فقال: نعم. فلما قامَ النبيُّ ﷺ لامَهُ أصحابهُ فقالوا: ما أحسَنتَ حينَ رأيتَ النبيَّ ﷺ أخذَها مُحتاجاً إليها ثم سألتَهُ إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسألُ شيئاً فيَمنَعُه. فقال: رجوتُ برَكتَها حين لَبِسَها النبيُّ ﷺ لعلّي أُكفَّنُ فيها))[1].

ووجب على الدعاة الاقتداء بالنبي ﷺ، في جوده وكرمه لما في ذلك من أثر نفسي في المدعويين.

ثانياً- من آداب المدعو: إيثار غيره من ذوي الحاجات:

جاء الإيثار في الحديث في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه من هو أفقر إليه مني" وتلك منقبة لعمر رضي الله عنه، وبيان فضله وزهده وإيثاره[2] والإيثار مرتبة راقية جداً من مراتب خُلُق حب العطاء، إذ هو تقديم الإنسان أخاه على نفسه في أمر هو بحاجة إليه، وقد سجل الله للأنصار فضيلة إيثارهم إخوانهم المهاجرين بكثير مما لهم به ضرورة أو حاجة، وفي ثنائه عليهم تحريض على الاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3][4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٨.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٢٥، ٤٢٦.

والإيثار هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة[١] شريطة أن لا ينقص ديناً ولا يضيع حقوقاً، قال ابن القيم مبيناً أن من درجات الإيثار (أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك ديناً يعني أن تقدمهم على نفسك في مصالحهم، بحيث لا يؤدي إلى ارتكاب إتلاف لا يجوز في الدين، فكل سبب يعود عليك بصلاح قلبك ووقتك وحالك مع الله فلاتؤثر به أحداً، فإن آثرت به فإنما تؤثر الشيطان على الله وأنت لا تعلم)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة:

جاء في الحديث ما يدل على جواز الانتفاع بالمال الذي جاء من طريق حلال من غير مسألة، وذلك في قول رسول الله ﷺ لعمر رضي الله عنه "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله وإن شئت تصدق به".

والإشراف: التعرض للشيء والحرص عليه والتطلع إليه من قوله أشرف على كذا إذا تطاول له والمعنى من أعطاه الله مع انتفاء القيدين المذكورين -الإشراف والمسألة- فليقبل[٣].

قال الدكتور الحسيني هاشم في شرحه لهذا الحديث "ما جاء إلى الإنسان أجراً أو هدية أو ما إلى ذلك لا حق له في رده لئلا يندم على ذلك أو يورط غيره في مثل فعله، أو يدفع المعطي إلى الإهمال في إعطائه وقد يكون محتاجاً، ثم إن أخذ الأجر على العمل أدعى إلى اتقانه والإخلاص فيه وإلى المحاسبة على ذلك، وهذا ما أرشد إليه الرسول ﷺ ابن عمر، حيث أرشده إلى وجوب الأخذ، فإذا تحصل عنده وأصبح في ملكه فله الحرية في إنفاقه على نفسه أو التصدق به على الغير، بشرط أن لا يكون المال المعطى له ناشئاً عن طمع منه فيه، أو توريط لغيره في دفعه، فإن كان شيء من ذلك فعليه أن يبتعد عنه ولا يدفع نفسه إلى محاولة تحصيل المال عن طريقه، حرصاً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٥/١٨/٩.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٥/٣-٥٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/٣، رياض الصالحين، النووي ص ٢٥٠.

على بقاء العزة الإسلامية واستمرار كرامة المسلمين)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام:

إن تعاليم الإسلام مبنية على التيسير والتخفيف على الناس في إطار الأمور المشروعة، والحديث فيه مظهر من مظاهر تيسير الإسلام حيث أباح النبي ﷺ أخذ العطية ما دامت لم تأت نتيجة استشراف أو سؤال، وتخيير الآخذين الانتفاع بها أو التصرف بها "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت فكله وإن شئت تصدق به" فالإسلام يتميز عن غيره من التشريعات بأنه دين اليسر ورفع الحرج واليسر أهم المبادئ التي راعاها الإسلام وقد خص الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعاً، ورسالةٌ هذا شأنُها من العموم والخلود لابد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع وهذا واضح في شريعة الإسلام، قال ﷺ ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[٢]، [٣].

خامساً- من واجبات المدعو: ترك المسألة وعدم أخذ المال بغير حقه:

جاء في الحديث النهي عن أخذ المال بغير حقه، وذكر من صور ذلك أخذه عن طريق السؤال، واستشراف النفس وتطلعها إليه "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله، فإن شئت كله وإن شئت تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك" وقد أثنى القرآن على من لا يتعرضون الناس بالسؤال، والتعفف عن ذلك، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٤] وبين ﷺ أن الله لا يبارك في مال

---

(١) شرح رياض الصالحين ٣٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩.

(٣) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

أُخِذ بإشراف نفس وسؤال له، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ((سألتُ النبيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سألتُهُ فأعطانِي، ثُمَّ سألتُهُ فأعطانِي، ثُمَّ قالَ: إنَّ هذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ. فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ. وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))[١].

لذا كان من واجبات المدعو ترك السؤال لما فيه من انتزاع للبركة ولما يورثه من ذلٍ وهوان في الدنيا والآخرة وسفولاً وانحطاطاً في المجتمع إذ أن التسول وسؤال الناس عمل دنيء تمجه الأذواق السليمة ودليل على دناءة النفس وحقارتها[٢].

سادساً- من صفات المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

جاء في الحديث مثل تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من استجابةً لتوجيهات النبي ﷺ، قال سالم: "فكان عبدالله لا يسأل أحداً ولا يرد شيئاً أعطيه" وذلك عملاً بالحديث، ووقوفاً عنده، وقد كان ابن عمر رضي الله عنهما شديد الاتباع، وقد أمر الله عباده بالطاعة والاستجابة له ولرسوله ﷺ وجعل ذلك فرضاً لازماً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[٣] فإن ذلك سبب للهدى والرحمة والفوز والسعادة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[٤] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٥]، [٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٣٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤١٧٣/٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٧١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٣.

(٦) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١١١، ١١٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على التكافل الاجتماعي:

إنَّ التربية والتنشئة على التكافل، تتضمن مبادئ تربوية عظيمة، لعل من أبرزها تأصيل هذه الروح في نفوس الناس، وتنمية عملية المشاركة الإيجابية في مساعدة الآخرين ومواساتهم والإحساس بحاجاتهم، ولقد ظهر هذا السلوك التربوي في التعامل مع الصحابة رضي الله عنهم الذي تجلى في عملية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ومن شواهد روح التكافل الاجتماعي الذي يربي عليه الصحابة رضي الله عنهم، ما جاء واضحًا في قول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: «أعطه من هو أفقر مني ...». فهذا نهج تربوي نتعلم منه الإيثار وعدم الأنانية وتطبيق السلوك التربوي الذي يحقق التكافل الاجتماعي والإيثار الذي هو أعلى منزلة في البذل[1].

ثانيًا- التربية الاقتصادية:

إن من أصول التربية الإسلامية التنشئة على التربية الاقتصادية، لأن الإسلام ينظم شئون الحياة، والنشاط الاقتصادي في الإسلام وسيلة لتخفيف استخلاف الإنسان في الأرض والإسلام أرسى مبادئ التربية الاقتصادية، وتبرز هذه المبادئ في موقف التربية الإسلامية من رأس المال، فإن جمع المال في الإسلام غير محرم ولا مذموم لأنه أصبح واضحًا عند مالك هذا المال أنه مستخلف فيه وأن كونه يملكه لا يخرجه عن كونه ملك لله تبارك وتعالى، ولذلك أمر بالمحافظة عليه، من هنا أقر الإسلام التربية على مبدأ الملكية الفردية للمال ولمختلف وسائل الإنتاج وجعلها أساسًا للنظام الاقتصادي. وظهر ذلك من النهج التربوي لرسول الله صلى الله عليه وسلم... "إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله..." فمن خلال هذا الهدي النبوي ندرك أن من مبادئ الإسلام التربوية التربية على التنمية الاقتصادية، فإذا تربى عليها الفرد المسلم

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٢٥٩. تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٧/١. التدين والصحة النفسية، د. صالح عبداللطيف الصنيع، ص٣٠٢.

وطبقها في واقعه غدت هذه التنمية منسجمة مع الهدف الحقيقي لوجود الإنسان[١].

ثالثًا- التربية على ممارسة الحقوق المشروعة:

إن من أهم ما نادى به الإسلام من مبادئ تفوق بها على سائر الأديان والتشريعات هو: منهج إعطاء الإنسان حقه الكامل في ممارسة حريته المقننة ومباشرته لحقوقه دون أي ضغوط أو مؤثرات، ولا شك أن التربية على هذه المبادئ تؤدي إلى تكوين الشخصية الإسلامية المؤثرة والمنتجة والقادرة على اتخاذ القرار والمشاركة في دفع عجلة التنمية والإنتاج، لذا أراد النبي ﷺ أن يعمق هذا الفهم الواعي من خلال تربية أصحابه رضي الله عنهم على ذلك عمليًا ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «فإن شئت كله، وإن شئت تصدق به ...» إن هذه التوجيهات التربوية العظيمة تمنح الثقة في القدرة على التصرف واتخاذ القرار المناسب من إلغاء الشخصية، ولاشك أن ذلك توجيه تربوي عظيم من النبي ﷺ يعلمنا كيفية بناء الشخصية الإيجابية مما يعد زادًا للقائمين على التربية الإسلامية في كيفية صياغة الإنسان القادر على اتخاذ القرار وممارسة حقوقه دون تردد وعدم تنازله عن حقوقه دون تردد وعدم تنازله عن حقوقه المشروعة وتحمله المسؤوليات في اتخاذ القرار، ويعد ذلك من مميزات التربية الإسلامية.

رابعًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار:

وهذا واضح من قوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما كان النبي ﷺ يعطيه العطاء: أعطه من هو أفقر إليه مني، فيحاوره النبي ﷺ ويبين له الصواب ويقول له: ((خذه، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله...)).

والمناقشة والحوار من الأساليب التربوية ذات الأهمية، لأنها تُفعِّل دور المتعلم وتجعله مشاركًا إيجابيًا في العملية التعليمية، كما تدفعه إلى مزيد من البحث والاطلاع، فضلاً عن أنها تدفع عنه الملل وغير ذلك.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، أ.د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٢١١. الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، د.جورج شهلا وآخرون، ط دار العلم للملايين، بيروت، ص٦٩.

٥٩- باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ١٠].

الحديث رقم (٥٣٨)

٥٣٨- وعن أَبي عبد الله الزبير بن العَوَّام رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لأَنْ يَأخُذَ أحَدُكُمْ أحبُلَهُ ثُمَّ يَأتِيَ الجبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزمَةٍ مِنْ حَطَب عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**)) رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام بن خويلد القرشي.

حواريُّ رسول الله ﷺ، لقوله ﷺ ((لكل نبيٍّ حواريٌّ، وحواريَّ الزبير))[(٢)]، وهو ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله، فقد خرج يوماً وهو غلام ابن اثنتي عشرة سنة وبيده سيفه فلقيه النبي ﷺ فقال مالك؟ قال: أُخبرتُ أنك أُخذت، فقال له النبي ﷺ: ((فكنت صانعاً ماذا؟ فقال الزبير: كنت أضرب به من أخذك، فدعا له النبي ﷺ ولسيفه[(٣)]، وكان رجلاً طويلاً، إذا ركب خطت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

وقد أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين، وكان عمه يُعلّقه ويُدَخِّنْ عليه ولكنه رضي الله عنه يقول: لا أرجع إلى الكفر أبداً، وقد هاجر الهجرتين،

---

(١) برقم ١٤٧١ والسياق للحميدي في جمعه ١/١٨٥، ١٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧١٩، ومسلم ٢٤١٥.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٦٠٥، قال محققو السير: رجاله ثقات.

وشهد بدراً، وكان على ميمنة النبي ﷺ يومئذ[١]، وشهد أحداً وغيرها.

وهو الذي جمع له النبي ﷺ أبويه يوم قريظة فقال بأبي وأمي[٢]، وقد تحرك حراء يوماً وكان عليه النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: اسكن حراء! فما عليك إلا نبيٌّ أو صديقٌ، أو شهيد، وكان عليه أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير[٣].

وقالت فيه عائشة رضي الله عنها إنه من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح، وكان موسراً، كثيراً المتاجر، كثير الصدقة.

وكان شجاعاً، وكان رضي الله عنه في صدره أمثالُ العيون من الطعن والرمي، قال عروة كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف إحداهن في عاتقه، إن كنت لأُدخِلُ أصابعي فيها، وقد ضُرب ثنتين يوم بدر، وواحدةً يوم اليرموك.

وقد روى عن النبي ﷺ أحاديث يسيرة، لخوفه من قول النبي ﷺ ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعدهُ من النار))[٤] وقد بلغت روايته لحديث النبي ﷺ ٣٨ حديثاً وتوفي شهيداً، قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل بوادي السباع (على ٧ فراسخ من البصرة).

وقال النبي ﷺ في ذلك لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((بشر قاتلُ ابن صفية بالنار))[٥].

وتوفي سنة ٣١هـ وله ست أو سبع وستون سنة[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني ٢٣١ وذكره الهيثمي في المجمع ٨٣/٩.

(٢) أخرجه الترمذي، رقم ٣٧٤٣ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي (٢٩٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي، رقم ٣٦٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٧).

(٤) أخرجه البخاري، رقم ١٢٩١.

(٥) أخرجه أحمد ١٠٢/١ رقم ٧٩٩ وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٨١/٢.

(٦) الطبقات الكبرى ابن سعد ١٠/٣-١١٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٦١-٢٦٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٠٧/٢-٣١٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٤٢٥-٤٢٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤١/١-٦٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧/٣-١٩، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٢٦/١-٦٢٧، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤٣/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٣٤٥/١-٣٥١.

غريب الألفاظ:

أحبلهُ: جمع حبل وهو الرّباطُ[١].

فيكف الله بها وجهه: أي فيمنع الله بها ذاته من الحاجة، وعبّر بالوجه عن اكلّ؛ لأنه أشرف الأجزاء الإنسانية أو لأن السؤال إنما يكون به غالباً[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يضرب مثالا افتراضيا لشكل من أشكال التكسب الحلال التي يصون بها المرء وجهه من سؤال الناس، وينفع بها غيره في ما يقدم لهم من أعمال، وفيما ينفع به أهله من رزق حلال ينفقه عليهم، وما يتصدق به على الفقراء، والمساكين وقد بدأ الحديث بالتوكيد للخبر لتمهيد النفوس، وتعظيم الخبر، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وجمع الحبل يشير إلى العزم في السعي وتقوية الأسباب، والربط بـ(ثم) يشير إلى مسافة يقطعها الساعي حتى يصل إلى غرضه، وهي تشير إلى أن الإنسان يجب أن يصبر حتى يثمر عمله، والتعبير بالإتيان يشير إلى مجيء في مشقة، وتكلف، والتعبير بقوله (على ظهره) يشير إلى التمكن في الحمل، وتتابع الفاءات يشير إلى سرعة تحقيق الثمرة المرجوة بعد فترة العناء في البحث، وقوله (فيكف الله بها وجهه) كناية عن صيانته عن الذل بسؤال الناس، وقد أكده بتقرير الخيرية، وتفضيلها على سؤال الناس، والطباق بين العطاء، والمنع يقرر أن الأمر في الحالين مرجوح بكسب اليد التي تضمن صيانة النفس.

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٩٨٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٥٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨١٠.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه: المفاضلة بين أنواع المكاسب المختلفة:

اختلف الفقهاء في أفضل المكاسب فمنهم من فضل الزراعة ومنهم من فضل التجارة ومنهم من فضل العمل باليد من الصنائع والحرف[١]. وقال ابن حجر: (والحق أن ذلك مختلف المراتب، وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[٢].

وقال الشيخ البسام: (قال السعدي: وأحسن ما يقال في هذا الباب: أن الأفضل لكل أحد ما يناسب حاله، ولا بدّ في جميع المكاسب من النصح وعدم الغش والقيام بالواجب من جميع الوجوه)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أهداف الدعوة: إيجاد الحلول العملية لمشكلة الفقر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الكسب من عمل اليد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في العمل والتنفير من المسألة.

رابعاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى العمل والإنتاج.

أولاً- من أهداف الدعوة: إيجاد الحلول العملية لمشكلة الفقر:

إن إيجاد الحلول العملية لمشلكة الفقر ظاهر بصريح الحديث "لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من يسأل الناس

---

(١) انظر في ذلك: المبسوط ٢٥٨/٣٠-٢٥٩، والاختيار ١٧١/٤، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٤٩/٥، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٨١/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٩/٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٤/٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٨٦ ط/ بيت الأفكار، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٨/٣٤-٢٣٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٤/٤.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٠٨/٣.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٣٩).

أعطوه أو منعوه" فقد أعلن الإسلام الحرب على الفقر وشدد عليه الحصار وقعد له كل مرصد درءاً لخطره على العقيدة وعلى الأخلاق والسلوك، وحفظاً للأسرة وصيانة للمجتمع وعملاً على استقراره وتماسكه، وسيادة روح الإخاء بين أبنائه، فأمر كل إنسان في المجتمع الإسلامي بالعمل والمشي في مناكب الأرض، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[1] فالعمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر، وهو السبب الأول في جلب الثروة، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف فيها الإنسان وأمره أن يعمرها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[2].[3] والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسين والتاء للمبالغة كالتي في استبقى واستفاق، ومعنى الإعمار أنهم جعلوا الأرض عامرة بالبناء والفرس والزرع لأن ذلك يعد تعميراً للأرض[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الكسب من عمل اليد:

لقد أمر الله بطلب المعيشة، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[5]،[6] والحديث بين أن العمل خير للنفس حيث يحفظ عليها كرامتها، وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث فقال "لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" وفي ذلك حضّ على العمل والتعفف عن المسألة والتنزه عنها، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشاق في ذلك، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لما فضل عليها ذلك، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال، ومن الرداء إذا لم يعط[7].

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة هود، آية: ٦١.

(٣) انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٤٣، ٤٤.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٠٨/١٢/٥.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٦/٢.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٠.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في العمل والتنفير من المسألة:

جاء في الحديث الترغيب في العمل والتنفير من المسألة "لئن يحتطب أحدكم حزمة خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه" وذلك حفاظاً على ماء وجه المسلم، لذا أمر الله تعالى المسلم بالسعي في الأرض والأخذ بالأسباب "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا" أي مذللة سهلة لم يجعلها ممتنعة بالحزونة والغلظ[١] ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٢] فذكر الله في الآية نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب، بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار، وأمر بالتردد في أقاليم الأرض وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات[٣]. قال بعض الحكماء: (لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فإن الكريم محتال والدني عيّال، وقال:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى ... تعش ذا يسارٍ أو تموت فتعذرا

ولا ترض من عيش بدونٍ ولا تنم ... وكيف ينام الليل من كان معسرا[٤]

ففي العمل سعادة العبد في الدارين، وحفظٌ للكرامة وعفة للإنسان وصونٌ لماء وجه صاحبه من السؤال[٥].

رابعاً- من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى العمل والإنتاج:

إنَّ مما ينبغي على الداعية فعله والحرص عليه هو توجيه المدعوين إلى العمل

---

(١) زاد المسير، ابن الجوزي، ٣٢١/٨.

(٢) سورة الملك، آية: ١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٨.

(٤) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي ص ٢٨٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٠٥١/٧.

والإنتاج كما في الحديث "لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل... الحديث" وتلك دعوة من الرسول ﷺ للعمل الدؤوب والإعمال وتنمية الإنتاج لتحقيق مجتمع الرفاهية الذي يسعى إليه كل نظام اقتصادي على الأرض[١].

لذا جاء خطاب الرسول ﷺ لأصحابه محرضاً لهم على العمل قدر استطاعتهم وبأي وسيلة ممكنة، فعلى الإنسان أن يعمل ولا يبالي بنوع العمل أو ما يتطلبه من تحمل المشاق والمتاعب في سبيل التعفف عن الفقر والتخلص من ذل السؤال، فلأن يأخذ الإنسان أحبله فيصعد الجبل فيأتي بحزمة من الحطب بعد أن يتحمل مشاق قطعها حاملاً لها على ظهره أو دابة فيبيعها وينتفع بثمنها ويكتفي بما يحصله عن الناس ويستغني به عن غيره خير له من سؤال الناس والاحتياج إليهم وتوقف مصيره على ما يجودون به من إحسان[٢].

---

(١) انظر: عدالة توزيع الثروة في الإسلام، عبدالسميع المصري ص ٢٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٤٨.

الحديث رقم (٥٣٩)

٥٣٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((لأَنْ يَحْتَطِبَ أحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ أحداً، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يهيب بكل من ليس له عمل البحث، والتفكير فيما يمكن أن يفتح له باب رزق حلال دون النظر إلى حقارة العمل، أو أهميته، وإنما ينظر فيه إلى كونه حلالا، والتعبير بالفعل المضارع يصور معاناة المحتطب وصيغة الافتعال تدل على مشقة، وتكلف، ومعاناة في طلب العمل الحلال، والتعبير بالظهر؛ لأنه المختص بالحمل، والتعبير بـ(على) يفيد التمكن، وإضافته إليه للإشارة إلى مباشرته الحمل بنفسه مما يشير إلى قيمة العمل الذي يحقق عزة المسلم، وينمي في نفسه الثقة، والاعتزاز بالنفس، والإحساس بالكيان، وأنه عضو نافع في المجتمع مما يعمق الانتماء له، والمحافظة عليه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٤ واللفظ له، ومسلم ١٠٤٢/١٠٧. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٤٠)

٥٤٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((كَانَ دَاوُدُ عليه السلام لا يَأكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)) رواه البخاري[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يضرب في أعماق التاريخ عن طريق الماضي (كان) الذي يعود بالمخاطبين مع المتكلم لاستحضار نموذج فريد في فضيلة من الفضائل يكون قدوة للأمة حتى لا تتبع نماذج هدامة تقودها إلى الهاوية، واختيار نبي الله داود عليه السلام وحصر ما يأكله على عمل يده دون غيره، لأنه لم يكن محتاجاً للعمل من أجل الطعام، لأنه كان خليفة في الأرض، وإنما كان يحرص على أن يأكل من عمل يده، فيصنع الدروع، ويبيعها ثم إن عمله فيه صنع لآلة من آلات الحرب التي تحقق قوة لجند الله، وتشير إلى حرص القائد على قوة جنده الذين هم حماة دينه.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من تاريخ الدعوة: ذكر حال نبي الله داود وزكريا عليهما السلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة في حياة الداعية والمدعو.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله زكريا.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: احتراف أنبياء الله لبعض الحرف الشريفة وكسبهم من عمل أيديهم.

أولاً- من تاريخ الدعوة: ذكر حال نبي الله داود وزكريا عليهما السلام:

ورد في الحديثين فيما حكاه النبي ﷺ عن داود وزكريا عليهما السلام من احترافهما

---

(١) برقم ٢٠٧٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٢١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٤٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٤١).

وأكلهما من كسب أيديهما، فقال: (كان زكريا عليه السلام نجاراً)، وفي حكاية سير الأولين وذكر قصصهم، الوقوف على ما جرى لهم أخذاً للعبرة والعظة ولبعث وإحياء تلك المعاني والصفات الذي ينبغي الناس بها من سيرهم[١].

لذا ينبغي على الداعية الاهتمام بأخبار السابقين مما جاء في كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ﷺ والعناية بها وما اشتملت عليه من عبر وعظات وأسرار وحكم بالغات، وليتبع في ذلك طريقة القرآن والسنة في سرد قصص الماضين غير معتمد على ذكر التفصيلات، إنما يهتم برؤوس العبر ورسم ملامح الشخصيات التاريخية واتجاهات الأحداث ونتائجها وذكر الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، لتنفذ إلى النفس والعقل[٢]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٣].

إن من الدروس والعبر في تاريخ الدعوة ما كان من حال نبي الله داود عليه السلام من اعتماده على نفسه وأكله من كسب يده (كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)، وقد ذكر القرآن عمله وإكرام الله به بإلانة الحديد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٤]، فأعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها[٥]، مع ما آتاه الله مع الملك (وشددنا ملكه) فمع أنه كان من كبار الملوك ومع سعة ملكه هذا كان يتورع ولا يأكل إلا من عمل يده[٦]، وبذلك كان داود عليه السلام مضرب المثل في الاحتراف وطلب العيش عن

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبد القادر السباعي ص ٣١.

(٢) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاي ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٤) سورة سبأ، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢/٣٠٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١١.

طريق بعض الحرف والصناعات اليدوية دون حياء أو استكبار[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة في حياة الداعية والمدعو:

للحرفة أهمية كبيرة في حياة الداعية؛ لأنها تعمل على صيانة كرامة الإنسان، وتجعله صاحب اليد العليا، وما أحوج الدعوة والداعية إلى المال الذي يذلل العقبات من طريق الدعوة، ويعمل فتح الآفاق الرحبة أمام الدعوة إلى الله، ومما يؤكد أهمية الحرفة أن الأنبياء عليهم السلام أنفسهم كانوا يحترفون، وفي الحديث مثال لذلك فيقول ﷺ: (كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده)، فبالعمل تبرز مكانة الإنسان في الحياة ويعلو شأنه وترفع منزلته، وبالعمل سعادة الإنسان في دنياه وأخره[٢]، وفي عمل الداعية دافع للمدعوين إلى الناس به، وقد ضرب النبي ﷺ أرفع الأمثلة في العمل ومشاركة الآخرين بغض النظر عن ماهية العمل، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ ﷺ يَنقُلُ التُّراب يوم الخندق حتى أَغْتَمَر بطنَهُ - أو أغبرَّ بطنهُ))[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله زكريا:

في الحديث إشارة إلى زكريا عليه السلام وفضله، وأنه مثل من الأمثلة الحية التي يحتذى بها فقال: (كان زكريا عليه السلام)، قال النووي: (فيه جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة لزكريا عليه السلام فإنه كان صانعاً يأكل من كسبه)[٤]، وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائماً يضرب الأمثال للصحابة رضي الله عنهم بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك[٥]، ومثل هذه التوجيهات تقوم بتعديل النظرة الخاطئة إلى بعض الحرف وأصحابها.

---

(١) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

(٢) إصلاح الوعظ الديني، محمد عبد العزيز الخولي ص ٢٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤١٠٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥٣.

(٥) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: احتراف أنبياء الله لبعض الحرف الشريفة وكسبهم من عمل أيديهم:

إن الأنبياء عليهم السلام لم يعيشوا عالة على غيرهم بل كانوا يكسبون قوتهم بأنفسهم ويأكلون من عمل أيديهم، بل احترف بعضهم وذلك كزكريا عليه السلام وكما في الحديث: (كان زكريا عليه السلام نجاراً)، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي إخوانه الأنبياء عليهم السلام رعى الغنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما بَعثَ اللهُ نبيّاً إلاّ رَعَى الغَنَمَ)). فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: ((نعم، كنتُ أرعاها على قَرارِيطَ لأهلِ مكةَ))[1]، وكان الأنبياء يؤجرون أنفسهم إذا لم يجدوا طريقاً لكسب العيش غيرها[2]، وقد ذكر القرآن قصة موسى عليه السلام مع الشيخ الكبير: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾[3]، وفي ذلك حث على العمل واكتساب المال عن طريق بعض الحرف اقتداء بالأنبياء عليهم السلام ومَنْ على شاكلتهم من الصالحين[4]. استشعاراً لقيمة العمل وتكريماً للعاملين، وإيثاراً للعمل على حب الراحة والدعة إضافة إلى ما في العمل (من الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهو وكسر النفس بذلك والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير)[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الإجارة، باب: رعي الغنم على قراريط، رقم ٢٢٦٢ ص ٣٦٠.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٠٦/٢.

(٣) سورة القصص، آية: ٢٧.

(٤) انظر: الحرف والصناعات في الحجاز، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٤.

الحديث رقم (٥٤١)

٥٤١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((كَانَ زَكرِيّا عليه السلام نَجَّاراً)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى نموذج من النماذج العملية في تاريخ البشرية تقتدي به في وجه من وجوه الخير، وهو العمل باليد، واتخاذ الحرفة، والصنعة اليدوية التي تبني الأمة، وتمنع البطالة، والتكاسل، وقول النبي ﷺ (كَانَ زَكرِيّا عليه السلام نَجَّاراً) خبر خلى من المؤكدات أريد به الفائدة، وهي مضمون الخبر لكي يعلم كل سامع أنها سنة في أنبياء الله، وأن مزوالة العمل كرامة تحقق للإنسان صيانة وجهه من ذل السؤال، والتعبير بكان في صيغة الماضي يشير إلى أنها مهنته الدائمة التي اعتادها .

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم ٢٣٧٩/١٦٩.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٤٢)

٥٤٢- وعن المقدام بنِ مَعْدِ يكرِبَ رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**مَا أكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ** صلى الله عليه وسلم **كَانَ يَأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

المقدام بن معدي كرب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٨٣).

الشرح الأدبي

الحديث يثمن غاليا سعي الإنسان لتحصيل معاشه، ويقرر أنه خير طعام يأكله الإنسان وهو ما ينمي العزة في نفس المؤمن، ويعوِّده الاعتماد على نفسه، والاستقلالية في تحقيق أسباب رزقه كما أنه بتقوية تلك الروح في نفوس المسلمين ينادي بهم لتحقيق أسباب التقدم، وعدم الاعتماد على غيرهم في شيء لاسيما في طعامهم، ولاسيما من أعدائهم، وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي (مَا أكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أنْ يَأكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه) وتنكير كلمة أحد يفيد العموم لكل أحد، وتنكير الطعام يفيد عموم كل طعام، وكلمة قط تأكيد للنفي، وأسلوب التفضيل المنفي يقرر أفضلية أكل الإنسان من عمل يده، ونسبة العمل إلى اليد مجاز؛ لأن اليد سبب فيه، وهذا المجاز يفيد المبالغة في تأكيد المعنى، وقد زاد المعنى توكيدا بإبراز النموذج الأعلى للبشر وهم الأنبياء فقدم منهم نموذجاً (وَإنَّ نَبيَّ الله دَاوُدَ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَأكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)، وخص داود لكون اقتصاره في أكله على عمل يده لم يكن لحاجة، لأنه كان خليفة في الأرض بل أراد الأفضل، وكان يعمل عملا يشق على غيره، وهو من الأهمية بمكان، وهو صنع الدروع من الحديد لقوته، ولأن فيه تقوية لجند الله على أعدائهم، وفيه أن الكسب لا ينافي التوكل، وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في النفس، والحديث يرغب في

---

(١) برقم (٢٠٧٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢٨).

أن يكون لكل إنسان عملا؛ لأن فيه إيصال النفع إلى الكاسب، وإلى غيره، والسلامة عن البطالة المؤدية إلى الفضول وكسر النفس، والتعفف عن ذل السؤال .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الأكل من عمل اليد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أكل نبي الله داود من عمل يده.

رابعاً: من آداب المدعو: التعفف والأكل من عمل اليد.

خامساً: من أهداف الدعوة: الحث على العمل والإنتاج والأكل من كسب اليد.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد الإخبار في الحديث ببيان أن الكسب من عمل اليد خير من مسألة الناس؛ لأن ذلك يحقق عفة الإنسان ويعمل على صيانة كرامته، ولذا كان نبي الله داود عليه السلام يأكل من عمل يده: (ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)، وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المؤثرة لما فيه إطلاع المدعوين على الحقائق وحملهم على الالتزام بها والدعوة إليها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الأكل من عمل اليد:

لقد أوضح الرسول ﷺ في الحديث فضل الأكل من عمل اليد، وأنه أفضل من الاتكال على الغير فقال: (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده)، والمراد من الحديث كما تدل عليه القواعد الشرعية كسب حلال خالص من الغش بسائر وجوهه، وترك الاتكال على الغير[1]، قال ابن حجر: "والمراد بالخيرية في الحديث: ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس"[2]، فالإسلام يحب لأهله أن يحيوا كأقوى ما تكون الحياة، وأن يناضلوا كأشد ما يكون النضال، وأن يكون لهم في كل ميدان جهاد، وفي كل مجال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

عمل، حتى تتحقق لهم السيادة والقيادة عن جدارة واستحقاق[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أكل نبي الله داود من عمل يده:

لقد صرح الرسول ﷺ بذلك في الحديث فقال: (وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)، وأورد النبي ﷺ قصته في الحديث في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وفضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة في تخصيص داود عليه السلام بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل[٣]، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾[٤]، قال القرطبي: (هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب، وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شَرِّعَ للضعفاء، فالسبب سنة الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب مَنْ ذكرنا - أي داود عليه السلام- إلى الضعف وعدم المنعة"[٥]، وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان يضرب المثل بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون ويعملون بأيديهم دون أن يأنفوا، وفي ذلك حث للمخاطبين على الاستجابة لهذه التوجيهات[٦].

رابعاً- من آداب المدعو: التعفف والأكل من عمل اليد:

إن في الحديث حثًا على التعفف والأكل من عمل اليد (ما أكل أحد طعاماً خيراً

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٦٢.

(٢) سورة ص، آية: ٢٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢١/١١/١٦.

(٦) الحرف والصناعات في الحجاز، د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري ص ٤٦.

من أن يأكل من عمل يده) وفي ذلك حث على العمل والأكل من ثمرته، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[١]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، وبهذا أمر الإسلام بالمشي في مناكب الأرض لاكتساب الرزق والنأي بالنفس عن الاتكال على الغير تكريماً للمسلم عن المهانة والمذلة والضعة، وإعلاء لهمته وحفاظاً على كرامته[٣].

خامساً- من أهداف الدعوة: الحث على العمل والإنتاج والأكل من كسب اليد:

إن من أهم الأهداف للدعوة تحقيق الذاتية الإسلامية، ومن أهم العوامل التي تساعد على إيجادها العمل والإنتاج والاعتماد على النفس، كما أشار إلى ذلك الحديث (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من يده)، وتلك دعوة من الإسلام إلى الكسب والتحصيل[٤].

وفي دعوة الإسلام إلى العمل والكسب استغلال للموارد البشرية والمادية الإسلامية حتى تتحقق الرفاهية العامة للشعوب الإسلامية، وبذلك تتحقق للمسلمين القوة والمنعة، فالإسلام ليس مجرد تراث بل هو طريق التنمية والإنتاج السليم[٥]. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[٦].

---

(١) سورة الملك، آية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

(٣) البطالة - العمالة - العمارة من منظور الاقتصاد الإسلامي، د. زيد بن محمد الرماني ص ٨٥ - ٨٦.

(٤) عناصر القوة في الإسلام، سيد سابق ص ١٠٨.

(٥) النظام الاقتصادي في الإسلام "خصائصه وأركانه ونظرته لبعض المشكلات الاقتصادية"، محمود بن إبراهيم الخطيب ص ٧٤.

(٦) سورة هود، آية: ٦١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الرسول ﷺ على عزة المسلم، والمسألة ذلة، والأكل من كسب اليد عزة وكرامة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- التربية على العمل والإنتاج:

إن السعي لتحصيل الرزق الحلال الطيب يعد غاية من غايات التربية الإسلامية للتنشئة على العمل والإنتاج الإبداعي لأجل مواجهة الفقر، وتوفير متطلبات الحياة وتحقيق الحياة الكريمة التي ينشأ الإنسان في كنفها عزيزًا كريمًا قويًا، يستطيع أن يسهم في بناء ورفعة أمته، ويحقق الغاية من استخلافه بعبادة الله تعالى وعمارة الأرض، واستثمار النعم التي أودعها الله تعالى في هذا الكون، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تربية النفوس على العمل المثمر في شتى المجالات المشروعة، ومن ثَمَّ فإنه ﷺ أمر بالعمل حتى ولو أن يأخذ الإنسان حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها، ولا شك أن ذلك يعد نموذجًا للسعي في طلب الرزق، مما يؤكد على أهمية السعي في طلب الرزق، وبذل الجهد والكدّ في سبيل تحصيل الرزق، ويدخل في ذلك كل عمل شريف يجب على الإنسان مباشرته طمعًا في تحقيق المستوى الطيب في العيش، ويعد هذا الأمر النبوي بالسعي حتى لو كان بجمع الحطب، توجيه تربوي نبوي لتربية النفوس على الإفادة من كافة المقومات الاقتصادية للحياة، فلربما ناسب ذلك تلك البيئة آنذاك، وإنه لينسحب على سبيل الإفادة من إمكانات الحياة والبيئة في كل زمان ومكان، مما يرسخ في النفوس الرغبة الجادة في العمل والإنتاج.

ولقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قومًا قابعين في ركن من المسجد بعد صلاة الجمعة فسألهم من أنتم؟، فقالوا نحن المتوكلون على الله، فعلاهم عمر بدرته، ونهرهم وقال لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، وأن الله يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

هذا نموذج تربوي عملي من عمر رضي الله عنه حث على العمل والتربية على تحصيل الرزق، والأخذ بالأسباب والشروع في العمل لا ينافي التوكل على الله تعالى، مهما كانت طبيعة العمل فلا ينبغي الاستحياء منه، ولو كان يسيرًا صغيرًا، والتربية على العمل تعتبر سلاحًا لمحاربة الفقر لأن التنشئة على طلب الرزق تجلب الثروة[١].

ثانيًا- التربية على التعفف:

وقد أثنى الله تبارك وتعالى على الفقراء المتعففين عن المسألة، وأوصى الله تعالى بالبحث عنهم وتعهدهم بالعطاء، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٢].

فهذا تعبير إلهي تربوي عن حال الفقراء الذين لا يسألون الناس مع شدة الفقر، فهم ما فعلوا ذلك لا لكونهم تربوا على التعفف وعدم السؤال، وقد أكد النبي ﷺ على أهمية العفاف بقوله: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ، أَوْ يَمْنَعَهُ». فهذا توجيه تربوي عظيم من رسول الله ﷺ إلى عدم المسألة وإلى الأكل من عمل اليد، ولنا في داود وزكريا عليهما السلام المثل التربوي للتربية بالقدوة في ذلك لأنهما كانا يأكلان من عمل أيديهما.

وهذا من النماذج التربوية الرائعة في تربية النفوس على العفاف والاستغناء عن الناس، مما يسهم في إرساء مناهج تربوية عملية على أن الأكل من عمل اليد أكرم وأفضل، ولذلك قال ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»، فمن هذا الهدي التربوي النبوي نتعلم أن أطيب الطعام وأهنأ العيش ما كان نتيجته السعي، أسوة بالقادة التربويين الأنبياء عليهم السلام[٣].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٣٠٧، مشكلة الفقر، وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٥٢. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليِّل ٢/٣٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

(٣) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٤٩٥. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ص٣٩٠. الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٦٢-١٦٧.

والرسول ﷺ قد رغب في العمل وإن كان عائده كفافًا، لأنه يكسب صاحبه العزة والكرامة، ويدرأ عنه الدونية والإهانية، وأشار إلى أشق الأعمال قيامًا وإلى أقلها أجرًا ماديًا، وهي جمع حزمة من حطب على ظهره ليبيعها، فيكف الله تعالى بها وجهه، خير من أن يسأل فيُعطي أو لا يُعطي.

والرسل في هذا الميدان هم مضرب المثل، بدءًا من آدم عليه السلام الذي أهبط إلى الأرض وأمر بالتماس أسباب الرزق، وذكر العلماء من شأنه أنه أول من خاط الثوب وفلح الأرض وسقى الزرع وأكل من كد يده بعد أن أهبط إلى الأرض، وتباعًا بنوحٍ الذي احترف النجارة، ومثل ذلك قيام إبراهيم بالتجارة وبنوه معه، وإسماعيل يرعى الغنم وموسى كذلك، ومحمد ﷺ، اتجر في مال غيره وكان لا يقتات إلا مما كسبت يداه وحرم الله عليه وعلى آل بيته الصدقة "إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد"[(١)].

وقد نص رسول الله ﷺ على بعض الحرف التي اشتغل بها الأنبياء عليهم السلام، فذكر داود وصرح بأنه كان يأكل من عمل يده، ولعله اكتفى بما ورد في القرآن بحقه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٢)]، وتخصيص داود في الحديث للإشارة إلى أن ملكه وكونه جامعًا بين الرسالة والملك لم يَحُل دون قيامه بالعمل ليأكل من كسب يده، وهذا خطاب عام وهو إلى اليهود أقرب منه إلى غيرهم. كما نص على زكريا عليه السلام وصرح بأنه كان نجارًا.

إن الثقافة التي تسود العالم الإسلامي بشأن العمل، تستمد الكثير من التراث الجاهلي، لا من التشريع الإسلامي، فاحتقار بعض الأعمال والوظائف والنظرة الدون إلى بعض المهن، كل هذا مخالف لتعاليم الإسلام.

إن الطبيب بحاجة إلى عامل نظافة أكثر من حاجة عامل النظافة إلى الطبيب لأن الحاجة إلى النظافة يومية وقائمة ومستمرة والمرض مواسم، والمهندس بحاجة إلى النجار

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٧٢.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٩، ١٠.

أكثر من حاجة النجار إليه، وهكذا فالناس جميعًا يحتاج بعضهم إلى بعض، ولله دَرُّ القائل:

النـــاس للنـــاس مـــن بـــدو وحاضـــرة بعـــض لـــبعض وإن لم يـــشعروا خـــدم

إن كثيرين في السنوات الأخيرة قد أعرضوا عن العمل لأسباب عدة منها:

١-عدم تناسب العمل مع مستواهم الاجتماعي أو موقعهم العائلي.

٢-توفر قدر من المال جعلوه في البنوك أو المؤسسات الاستثمارية ليدر عليهم دخلاً يكفيهم للعيش بلا مشقة.

٣-تقاضي معاش حكومي أو دخل شهري من طرق شتى يكفيهم العيش فيكون التقاعس والتخلي عن العمل.

٤-إعداد بنايات وإنشاء شركات وإقامة مصانع تدر عليهم من الدخل ما يكفيهم وزيادة فقعدوا عن العمل.

٥-التعود على الرفاهية مع الحرص على ترفيهها وصحبة أهل البطالة ورواد إهدار الأوقات والطاقات.

٦-عدم تناسب الأجر مع العمل المؤدى، فيكون الإعراض عنه، وما درى هؤلاء أن كل إنسان يبدأ بأجر قليل ثم يكون النماء حتى إذا قطع شوطًا في العمل كان الخير في الأجر وفيرًا والعطاء جزيلاً.

إن الإنسان ليعجب من فئة من شباب المسلمين حين يذهبون إلى الغرب لطلب الرزق فيعملون في المطابخ والمقاهي وورش الحدادة والنجارة، ومنهم من يعمل في جمع القمامة وأفران الخبز وجني الثمر ومحطات غسيل السيارات، ويجنون من وراء ذلك الخير الكثير، فإذا عادوا إلى ديارهم أنفوا أن يقوموا بهذا العمل، بل لا يأذنون لذويهم بالقيام به.

إن الشعور بالولاء من ناحية والانتماء من ناحية ثانية والرغبة في الأداء من ناحية ثالثة كل هذا ينبغي أن نغرسه في قلب وعقل الناشئة، في مراحل التعليم الأولى، حتى نسقط تراثًا ثقافيًا معاديًا للتقدم والحضارة والكسب المشروع ونحيي مشروعًا إسلاميًا لا تابعًا بل متبوعًا.

٦٠- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير

ثقةً بالله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾[سبأ: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٧٣].

الحديث رقم (٥٤٣)

٥٤٣- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((**لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الحسد: الغبطة، وهو أن يتمنى مثله[2].

هلكته في الحق: إنفاقه في الطاعات[3].

الحكمة: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦/٢٦٨) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقمي ٥٧٢، ٩٩٨. أورده المنذري في ترغيبه (١٢١).

(٢) رياض الصالحين ٢٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٢.

(٤) المرجع السابق ٥٤٣.

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

فقه الحديث

١- حكم الغبطة: (الغبطة إن كانت في الطاعة فهي محمودة، وإن كانت في المعصية فهي مذمومة، وإن كانت في الجائزات فهي مباحة)[١].

وقد تحرم كأن يكون عند غيره مال ينفقه في المعاصي، فيقول: لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أنفقته في مثل ما ينفقه في المعاصي[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠١/١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٨٩/٣-١٩١. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٧/٣١.

٢- التصدق بجميع المال: قال ابن حجر: (قال ابن المنير: في هذا الحديث حجة على جواز إنفاق المال وبذله في الصحة والخروج عنه بالكلية في وجوه البرّ، ما لم يؤدِ إلى حرمان الوارث ونحو ذلك مما منع منه الشرع)[1].

٣- الترغيب في ولاية القضاء: قال ابن حجر: (في الحديث الترغيب في ولاية القضاء لمن استجمع شروطه وقوى على إعمال الحق ووجد له أعوانًا؛ لما فيه من الأمر بالمعروف ونصر المظلوم وأداء الحق لمستحقه وكف يد الظالم والإصلاح بين الناس وكل ذلك من القربات، ولذلك تولاه الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء الراشدين ومن ثم اتفقوا على أنه من فروض الكفاية، لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه ... واختلفوا هل يستحب لمن استجمع شرائطه وقوى عليه أو لا؟ والثاني قول الأكثر لما فيه من الخطر والغرر، ولما ورد فيه من التشديد، وقال بعضهم: إن كان من أهل العلم وكان خاملاً بحيث لا يحمل عنه العلم أو كان محتاجًا، وللقاضي رزق من جهة ليست بحرام، استحب له؛ ليرجع إليه في الحكم بالحق وينتفع بعلمه، وإن كان مشهورًا فالأول له الإقبال على العلم والفتوى، وأما إن لم يكن في البلد من يقوم مقامه فإنه يتعين عليه لكونه من فروض الكفاية لا يقدر على القيام به غيره فيتعين عليه، وعن أحمد: لا يأثم لأنه لا يجب عليه إذا أضرّ به نفعُ غيره ولا سيما من لا يمكنه عمل الحق؛ لانتشار الظلم)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٣ ط/ السلفية. وقد سبق تناول هذه المسألة في الحديث ٥٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢١/١٣، وانظر لمزيد من التفصيل: كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٨/٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦/٩، ورد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٦/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣/٤، ٣٧٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٩٣/١١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٣٠/٤/١٣١، وتبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين ابن فرحون المالكي ١٦/١، ١٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨٧/٣٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعوة النبي ﷺ إلى المنافسة الشريفة في الأعمال.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل العلم النافع.

رابعاً: من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنافس في الخيرات والأمور النافعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: دعوة النبي ﷺ إلى المنافسة الشريفة في الأعمال:

لقد وردت في الحديث دعوة ضمنية للتنافس الشريف في أعمال الخير، فقال ﷺ "لاحسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" والمنافسة في الخير من الأمور التي رغب فيها الإسلام، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1] وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] وقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[3] أي يستبق المستبقون[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير:

لقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى فضل الإنفاق في أوجه الخير مما يحمل الغير على المنافسة في ذلك ومن لم يمكنه يتمنى لو كان مثله "لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق" فالله سبحانه يحب من عبده أن يكون جواداً سخياً مبسوط اليد بالعطاء، ولهذا يضاعف الله أجور المتصدقين، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٥٣.

مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)(٢)] وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون في الإنفاق في سبيل الله وممن كان لهم شرف فضل الإنفاق أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[(٣)] وسمى ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حثاً للنفوس، وبعثاً لها على البذل، لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه طوعت له نفسه، وسهل عليه إخراجه فإن علم أن المستقرض مليء وَفِيٌّ محسن كان أبلغ في طيب فعله وسماحة نفسه فإن علم أن المستقرض يتّجر له بما اقترضه وينمّيه له ويثمِّرُه حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض، فإن ذلك القرض حظ عظيم وعطاء كريم[(٤)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل العلم النافع:

لقد بين النبي ﷺ فضل العلم النافع وإحسان العمل به مما يجعل صاحبه مثالاً يحتذى به فقال "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" ومن فضل العلم النافع ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "فهو يقضي بها ويعلمها" أي يقضي ويفصل بين المتنازعين ويعلمه من يطلبه من الناس[(٥)] فالعلم نور يهتدي به صاحبه ويهتدي به الناس في أمور دينهم ودنياهم، وبه يرفع صاحبه في الآخرة وفي الدنيا، في الآخرة بأن يرفع الله درجات صاحبه بحسب ما قام به في الدعوة إلى الله

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها ابن القيم، عبدالعزيز مصطفى ص ٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٥.

(٤) التفسير العظيم، ابن القيم، ١/١٥٠.

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٤.

والعمل بعلمه، وفي الدنيا برفعه بين الناس بحسب ما قام به، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[١][٢].

رابعاً- من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنافس في الخيرات والأمور النافعة:

إن مهمة الداعية لا تقتصر على دعوة الناس والبيان والتوضيح لهم، بل لابد له أيضاً من حثهم على التسابق والتنافس في فعل الخيرات، كما هو مستفاد من قوله ﷺ في الحديث "لاحسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" وحث المدعوين على التنافس من خلال تحريك الداعي لوجدان المدعوين وإثارة عواطفهم إلى الله[٣]، وبيان تفاضل الأجر بقدر التنافس والتشمير عن ساعد الجد. ولقد أمر الله بالمسارعة في الخيرات والمسابقة إلى فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤] وقال: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥] وكان من شأن الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٦] ووصف المؤمنين بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[٧] والمسارعة في الخير ناشئة عن فرط الرغبة فيه، لأن من رغب في أمر بادر إليه وإلى القيام به وآثر الفوز على التراخي[٨].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) كتاب العلم، محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ص ٢٢.

(٣) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٨) البحر المحيط، ابن حيان، ٣٨/٣.

الحديث رقم (٥٤٤)

٥٤٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟)) قالوا: يَا رسول اللهِ، مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: ((فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث نموذج فريد في استدراج النفس من محبة ما فيه هلاكها من الشح والبخل، إلى ما فيه صلاحها من الإنفاق، والبذل، وقد استخدم أسلوب التشويق بالاستفهام الذي يفتح أفاق العقل ليراجع الأفعال بعواقبها في قوله (أيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟) وهو استفهام تشويقي تنبيهي يأخذ العقل تجاه شعاع النور المنبثق من الفكرة النبوية بالنافع من المال للإنسان، والنافع لغيره، وقد جاءت إجابتهم في اتجاه الفكرة المطروحة عن طريق أسلوب القصر لحب كل واحد لماله دون مال وارثه (مَا مِنَّا أحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أحَبُّ إِلَيْهِ) ثم قرر الحقيقة واثقة بناءً على ما اقتنعوا به وتوصلوا إليه بأنفسهم موكداً بعدة مؤكدات لأنه قلب حقيقة ما يعتقدون في مسألة نفع المال (فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أخَّرَ) والطباق بين قدم، وأخر يؤكد المعنى النبوي في مسألة المال المدخر عند الله الذي أنفق في سبيله، والمال المتروك للورثة .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من مهام الداعية: استثارة اهتمام المدعوين وشد انتباههم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على استثمار المال في النفع الأخروي.

---

(١) برقم ٦٤٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٢.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله ﷺ "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا يا رسول الله: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه" والسؤال من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إثارة للانتباه وإيجاد نوع من التفاعل بين الداعية المدعو، لذا فإنه يحسن بالداعية أن يفيد من هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى. وذلك أن إثارة اهتمام المدعو بطرح الأسئلة يحقق النتائج الطيبة والقيّمة ويؤدي إلى نشر المعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصّلات لا غموض فيها ولا التباس[1] وكثيراً ما استفتح القرآن عرض قضاياه باستفهام تمهيدي لها لشدّ الأذهان وإثارة الانتباه. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2] وقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[3]، وقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾[4].

ثانياً- من مهام الداعية: استثارة أذهان المدعوين وشد انتباههم:

من الشواهد على ذلك من الحديث الذي نحن بصدد دراسته دعوياً طرح النبي ﷺ السؤال على أصحابه رضي الله عنهم بقوله: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا يا رسول الله مامنا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" وتلك مهمة الداعي بيان الحقائق وتنبيه الغافل وإيقاظ القلوب الميتة والتذكير بحسن الأخلاق والاقتداء بالأنبياء والصالحين.. الخ[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على استثمار المال في النفع الأخروي:

لقد دعا النبي ﷺ في الحديث إلى استثمار المال في النفع الأخروي من خلال بيان

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٦٢/٢.

(٢) سورة النبأ، آية: ١.

(٣) سورة النازعات، آية: ١٥.

(٤) سورة الغاشية، آية: ١.

(٥) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٣.

أن المال الحقيقي الذي ينتفع به الإنسان هو ما قدمه لنفسه وتصدق به[١] وادخره عند ربه "فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر" قال ابن بطال وغيره: فيه التحريض على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه القربة والبر لينتفع به في الآخرة، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكاً للوارث فإن عمل فيه بطاعة الله اختص بثواب ذلك وكان ذلك الذي تعب في جمعه ومنعه، وإن عمل فيه بمعصية الله فذلك أبعد لمالكه الأول من الانتفاع به إن سلم من تبعته[٢].

ففي هذا الحديث نجد دعوة الرسول ﷺ إلى تصحيح المفاهيم بين المسلمين، فإذا دعاهم الشيطان والهوى إلى الحرص على الأموال وكنزها والضنّ بها عن وجوه إنفاقها، فليسألوا أنفسهم لماذا الحرص ولمن الجمع؟ إن الوارث هو الذي سينتفع به في حين أنه في أمس الحاجة إلى الانتفاع بثوابه في الآخرة، فليقدم لنفسه ببذل المال ما لا يمكن تقديمه لها بعد الموت، فعلى الإنسان أن ينفق من ماله وأن يتغلب على الحرص والطمع ما استطاع، وسيبقى له في ظلال الإسلام وتعاليمه ما يحفظ على الورثة ماء الحياة[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٦٥/١١.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٣٥٠، ٣٥١.

الحديث رقم (٥٤٥)

٥٤٥- وعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

الشرح الأدبي

الأمر (اتقوا النار) أمر تحذير، وترهيب وفي اتصاله بواو الجماعة عموم لجميع المخاطبين بالحكم يجعلهم في قلب الإنذار، ويجعل الجميع تحت مظلة المُنذَرين وهو مما يرفع درجة التنبيه، والتشويق، والاستشراف؛ وتعلق الأمر بالنار أكَّد الإحساس بالخطر، وزاد الشعور بالرهبة المنبعثة من لفظ (النار) التي تستصحب إحراقها، ولظاها، دون إنارتها، ودفئها لوقوعها مفعولاً للفعل (اتقوا) وهو علم على التحذير، والترهيب، وهو بذلك يغرس في وجدانهم الشعور بالخوف الذي يقف سدا منيعا بينهم، وبين ما يغضب الله، كما يدفعهم للتحرك ضد الاتجاه المؤدي إلى النار، وهو عمل الصالحات، وقد فتح لهم النبي ﷺ الباب بعبقرية لا تترك لمتعلل بقلة ذات اليد حجة (ولو بشق تمرة) أي ولو كان المتصدق به شق تمرة، والتعبير بالشق مبالغة في القدر المتصدق به الذي يمنع النار، لأن أقل ما يطعم الإنسان التمرة فلو تصدق بنصفها لأدت الغرض ومنعته النار ما دام مخلصا فيها، والمفارقة العجيبة التي أثارها الافتراض الذي جاء في ثوب الشرط بين هول عظيم مصدره أعظم نار، وبين شيء بسيط قدَّمه الإنسان فحجبه، ومنعه عن هذه النار.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦/٦٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٣٤٧. وتقدم برقم ١٣٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٩).

الحديث رقم (٥٤٦)

٥٤٦- وعن جابرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ، فقالَ: لاَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث خبري قصير ينقل خبرا عن الرسول ﷺ يكون سنة يقتدي بها الصالحون في كل مكان، وزمان تصلح دينهم، ودنياهم، وتلك سمة بارزة في كل هديه ﷺ، وأسلوب النفي الذي صاغ فيه جابر رضي الله عنه المعنى يقرر نفي قول الرسول ﷺ (لا) في كل ما سؤل عنه، وبناء الفعل (سئل) لما لم يسم فاعله شكل من أشكال التعميم التي تشمل جميع ما سُئل عنه، وتنكير كلمة (شيئا) يفيد العموم لأنه نكرة في سياق النفي فيشمل قليل المسئول عنه، وكثيره، وحاصل التعميم الأول، والثاني أنه كان لا يرد سائلا في قليل أو كثير، وقد أكد هذا النفي بلفظ (قط) الذي ينفي وهم المبالغة، ويقرر الحقيقة كما أثبتها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان جود وكرم النبي ﷺ.

ثالثاً: من آداب الداعية: السخاء مع المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

جاء أسلوب الإخبار في الحديث في قول عائشة رضي الله عنها "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إعلامٍ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١/٥٦ واللفظ له.

للمدعو[١] وإيقافه على حقائق الأمور، وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ من الكرم والجود والسخاء، الذي كان من مظاهره أنه ما سئل فقال لا، مما يؤكد سعة كرم وجود النبي ﷺ.

وجاء في قول عائشة رضي الله عنها الإخبار عن جانب من جوانب شخصية رسول الله ﷺ، فشخصيته ﷺ هي الشخصية الأولى في حياة المسلمين وهي المثل والقدوة، والكشف عن حقائقها مما يحقق الاستجابة لدعوة الحق[٢]. فلأن الاستجابة للدعوة تتأثر إلى حد كبير بعناصر شخصية الداعية فإن شخصية الرسول ﷺ قد استحوذت على الكمال البشري وتمكنت منه. فقد جمعت شخصيته ﷺ الفضائل الخلقية والمكارم الإنسانية الرفيعة. وليس هناك وصف لشخصية رسول الله ﷺ أعظم قدراً وأفصح بياناً من قول الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان جود وكرم النبي ﷺ:

جاء في الحديث بيان لمدى جود النبي ﷺ وكرمه لحد أنه ما قال لأحد سأله لا، فلقد منحه الله سبحانه من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده، آتاه الله خزائن الدنيا ومفاتيح البلاد، وأحل له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما إلى ذلك من الشام والعراق وجلب إليه كثير من أخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهماً بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين[٤]، وهو ﷺ القائل ((ما يسُرُّني أن عندي مِثلَ أحد هذا ذَهباً تمضي عليَّ ثالثةٌ وعندي منه دينار، إلا شيئاً أرصُدُهُ لِدَين، إلا أن أقولَ به في عبادِ اللّه هكذا وهكذا وهكذا -عن يَمينهِ،

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٣.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٦٥، ١٧٢.

وعن شِماله، ومِن خلفهِ-))[١] فقد كان كرمه ﷺ مضرب الأمثال، فمن أراد أن يكتسب الأخلاق الفاضلة والتي منها الكرم فليتأسَّ برسول الله ﷺ إذ هو المثل الأعلى في باب الأخلاق يحمل المسلم على اكتساب الأخلاق الفاضلة ويدفعه إلى التجمل والتحلي بها ليكمل بها ويشرف عليها[٢].

ثالثاً- من آداب الداعية: السخاء مع المدعوين:

إن مما ينبغي على الداعية أن يتخلق به السخاء مع المدعوين والكرم والجود وأن تكون يده دائماً هي المعطية العليا، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الطيبة والتي حدثتنا عنه السيدة عائشة رضي الله عنها قائلة "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا" فالدعوة الإسلامية تتطلب من أتباعها أن يصرفوا أنفس أوقاتهم، وأعز ما لديهم من جهد ووقت ومال في سبيل الله خدمة هذا الدين وخدمة أتباعه[٣] إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ . فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَوَاللّهِ إِنَّ مُحَمَّداً لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ))[٤].

فالسخاء من الصفات التي غرسها الإسلام في نفوس أتباعه، فضلاً عن أنه ينبغي أن يكون من أبرز صفات الدعاة إلى الله عز وجل، لأن في ذلك دليلاً على كرم الداعية وعزة نفسه عما في أيدي غيره، قال ابن القيم، والسخاء نوعان فأشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك والثاني: سخاؤك ببذل ما في يدك، فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لا يعطيهم شيئاً لأنه سخا عما في أيديهم، وهذا معنى قول بعضهم: السخاء أن تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً[٥].

---

(١) رواه البخاري ٦٤٤٤.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر الجزائري ص ٤١٠.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٥) الوابل الصيب، ابن القيم ص ٥٣.

الحديث رقم (٥٤٧)

٥٤٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إلاَّ مَلَكَانِ يَنْزلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))** متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خَلَفًا: عِوَضًا[٢].

ممسكًا: بخيلاً[٣].

الشرح الأدبي

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوِّم خطر الشح، والأثرة، والفردية، ويرغب في الإنفاق، والبذل فاستخدم عدة أساليب بلاغية منها: البداية بأسلوب القصر بالنفي، والاستثناء الذي يستخدم في الأمر الذي ينكره المخاطب، أو يشك فيه ففي قوله: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان...) قصر إصباح العباد في كل يوم على نزول الملكين قصر موصوف على صفة يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك نزول هذين الملكين كل صباح يوم جديد للدعاء للمنفق بالخلف، والدعاء للمسك بالتلف، وهذا التأكيد يترك في نفس المخاطب إحساساً يخالج نفسه كلما أشرقت شمس يوم جديد بملك يدعو له بالخير إذا ما أنفق، أو يدعو عليه ملك آخر بالتلف إن أمسك فتسخو نفسه،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠/٥٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤١. وتقدم برقم ٢٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

وتطيب للصدقة، ويهش لها، ومنها: أسلوب النداء المحكى على لسان الملائكة، وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ في تقويم خطأ الإمساك لتصوير حال تأييد الله للعبد المنفق بدعاء الملك له بالخير كل يوم، والدعاء بالتلف، والخسران للممسك وذلك في قوله ﷺ (اللهم أعط منفقاً خلفاً) وفي الدعاء (اللهم) خصوصية في الحديث النبوي، فالنداء بها نداء تفخيم، وتعظيم، "وأصل الأسلوب يا الله ! حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة"، فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله – سبحانه – به في كل حاجة، وكل حال إيذاناً بجميع أسمائه، وصفاته، فالسائل إذا قال: اللهم إني أسألك، كأنه قال: أدعوا الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، بأسمائه، وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذاناً بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته كما في الاسم الأعظم[1]. وهذه الصيغة بتركيبها من أقرب صيغ الدعاء للإجابة، وأجدرها بالقبول لما اشتملت عليه من تفخيم، وتعظيم للمنادى يقابله شعور بالذلة، والانكسار من المنادي يرى فيها نفسه على حقيقتها حتى تتلاشي في هذه اللحظات حتى أنه لا يكاد يراها، وهذه الحالة من الدعاء لا يخطئها القبول خاصة إذا دعا بها ملك مقرب على علم يقيني بعظمة الله، وهو أشد خوفاً من سلطانه، وأكثر تفانياً في الدعاء، والطاعة[2]. لذا فإن هذه الحكاية لنداء الملك بهذه الصيغة تقع في نفس المخاطب موقعها من العناية، والاهتمام؛ لأنه يراها إن أمسك سهماً لا يخطئ يُصوَّب إليه عند مطلع شمس كل يوم، وهي في نفس اليوم يد الرحمة الحنون التي تقيه ريب المنون إذا ما ظل عطاؤه في سُبل الخير غير ممنون، والنداء في الجملة الدعائية الأولى (اللهم أعط منفقاً خلفاً) ترغيب في الإنفاق المطرد باطراد الأيام قدر المستطاع،

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٧٦/١.

(٢) انظر: مواقع اللهم في الحديث النبوي في (دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري) مخطوط بكلية اللغة العربية بأسيوط للباحث ناصر راضي الزهري ص ٣٠٤.

والجملة الدعائية الثانية (اللهم أعط ممسكاً تلفاً) ترهيب من الإمساك، ومنها: أسلوب الأمر المحكي في حديث الرسول ﷺ تصويرا، وحكاية في قوله على لسان الملك (أعط منفقاً خلفاً) أمر بمعنى الدعاء لصدوره من الأدنى إلى الأعلى بغرض الإشادة بالفعل، وتنويه بالفاعل، وترغيب للسامع، والأمر في الجملة المقابلة لها، وهي قوله: (أعط ممسكاً تلفاً) الغرض منه التوبيخ، والذم للفاعل، والترهيب من الفعل مع ما يعكسه دعاء الملك في الأولى للمنفق من رضا، وما يعكسه في الثانية من سخط "والتعبير بلفظ العطية في هذه الجملة من قبيل المشاكلة ؛لأن التلف ليس بعطية"، ومنها: المقابلة، وهي من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لتوضيح المعنى، وتقريره إذ من المعلوم أن الضد يظهر حسنه الضد، ووضع الحسن بإزاء القبيح يبيّن قبح القبيح كما يؤكد حسن الحسن، وفي الحديث قابل الرسول ﷺ بين قوله: (اللهم أعط منفقاً خلفاً) وبين قوله: (اللهم أعط ممسكاً تلفاً) فقابل بين الإمساك، والإنفاق، وبين عاقبتهما بين الخلف، والتلف، وهذه المقابلة في إطار تقويم الخطأ تضع أمام المخاطبين نموذجين واضحين على طريقين مختلفين ليختار كل منهم مسلكه، ويتحمل عاقبته ليحي من حي عن بينة، ويهلك من يهلك عن بينة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري ص ٢٨٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٥).

الحديث رقم (٥٤٨)

٥٤٨- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((قَالَ الله تَعَالَى: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ) ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني؛ دون الأساليب؛ لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول ﷺ، ومعناه من الله، وقول الله تعالى (أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ) الأمر حث وترغيب في الإنفاق ربطه بالإنفاق عليه مما يعطي السامع شعورا بأنه بما ينفقه على الفقراء إنما ينفق على نفسه على نطاق أوسع؛ لأن الله هو الذي سينفق عليه والأثر يرتبط بالمؤثر قوة، وضعفا، وبناء الفعل لما لم يسم فاعله يعطي النفس في تصوره فرصة تتخيل تعدد المنفقين عليها من كل وجه مما يجعلها أكثر رغبة في الإنفاق، وإتباع الأمر بالنداء (يا ابن آدم) فيه تعميم للحكم، وذكر آدم في النداء تذكير بالأصل الذي عصى فغوى، ولما تاب تاب الله عليه، وكأنه ينادي بهم أن اعتبروا، وأطيعوني فيما أمرتكم به، ولا تستمعوا لتسبيط الشيطان، وهوى النفس، فتُأَخذوا بالحرص الذي أخذ به أبوكم حين حرص على الخلود فخالف الأمر، والتعبير بالجار والمجرور (عليك) يشير إلى استعلاء العطاء من الله، والإنفاق عليه، وإحاطته به لما استعلى على الأثرة، وعلى نفسه الحريصة، والجزاء من جنس العمل.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٥٢، ومسلم ٩٩٣/٣٦، والسياق للحميدي في جمعه ٢٢١/٣، رقم ٢٤٧٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في أوجه الخير:

لقد دعا الإسلام إلى الإنفاق وإلى البذل وحض على ذلك بأسلوب يستهوي الأفئدة، ويبعث في النفس الراحة والسكينة والأنس بعظيم فضل الله وكرمه[١]، حيث ورد في حديث الباب الحث على الإنفاق في وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى، وذلك في قوله ﷺ "قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك" وهو معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٢][٣].

قال ابن كثير: (أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب)[٤].

فعلى المنفق أن يعلم ... أن يد الله بالخير ملأى، لا يغيضها الإنفاق، قال ﷺ: "يمين الله ملأى لا يغيضها سحاء الليل والنهار[٥]، أرأيتم ما أنفق مُذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض أو الغيض، يرفع ويخفض"[٦]. وذلك لئلا يتوهم متوهم أن كثرة عطاء الله وإنعامه يؤثر، فيقصر به المنة على مقدار مبلغ سؤاله، ومعنى سحاء: دائمة الليل والنهار فلا تعقب عطاياه للفقراء أبدًا، بل عطاء جامع بين التتابع والموالاة الليل والنهار.

---

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٢٨.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦..

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٢٥٨/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤١٩، ومسلم ٩٩٣.

فيا أهل الإنفاق، لا تظنوا أن ما أعطيتم كان من شيء يقبل النقص، فيمسك أحدكم عن إنفاقه، فإنه بقدر ما ينفق يُنفق عليه لا أن يوكئ، فيحيئذ يُوكئ عليه؛ لأنه جنس مسيل العطاء من باب خرجه فانحبس من باب دَخْله، ولو لم يمسكه ههنا لما أمسك عليه من هناك، وإنما أمسك عنه الفضل من حيث إنه منع الإنفاق، وأن الله سبحانه بحبه للإنفاق، يبعث الفضل إلى من ينفقه لا إلى من يمسكه[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن حسن العاقبة وعظم الجزاء، مما يستميل النفس البشرية ويدفعها نحو اتقان العمل وحسن أدائه، وكان الترغيب من أهم الأساليب الدعوية في ذلك، حيث إثارة همم المدعوين نحو تحقيق عظم الأجر، وهذا ما ورد في نص الحديث من الترغيب في الإنفاق والوعد بالخير والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: "أنفق يا ابن آدم ينفق عليك".

(١) الإفصاح، ابن هبيرة، ٦/٢٥٨-٢٥٩.

الحديث رقم (٥٤٩)

٥٤٩- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلاً سَأَلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في خصال من الخير تدعم الصلات الاجتماعية، وتشيع المحبة بين المسلمين وقد ورد المعنى في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعظم بتوكيده دون مقابلة بإنكار، أو معارضة، وقد بدأ بقول الراوي (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ)، وتنكير لفظ (رجل) للجهل به، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وسؤاله (أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟) فيه إيجاز بالحذف أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعاً، وقوله: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) فيه إيجاز بحذف ما دل عليه السؤال أي: أعظم الأعمال أن تطعم، والتعبير بالفعل (تطعم) دون المصدر، لأن فيه ترغيباً بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويجسِّد الحدث المرغب فيه، وفي قوله (تطعم الطعام)جناس يأثر السمع ويؤكد المعنى، وقوله (وَتَقْرَأُ السَّلامَ) أي تلقي التحية المعروفة بصيغتها، وبين هذه الجملة، والتي سبقتها سجع طبعي أحدث جرساً يستوقف السمع فيقر المعنى في القلب، وقوله (عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) تتميم بلاغي أفاد عموم السلام، لأنه ينشر الألفة، والمحبة بين عامة المسلمين، وبين قوله (عرفت، لم تعرف) طباق سلب يؤكد عموم السلام وشموله.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩/٦٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٧٦.

فقه الحديث

إلقاء السلام: قال النووي: (معنى "تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" أي تسلم على كل من لقيته عرفته أم لم تعرفه، ولا نخصّ به من نعرفه كما يفعله كثيرون من الناس)[١].

وقال ابن حجر: (قوله "ومن لم تعرف" أي لا تخص به أحدًا تكبرًا أو تصنعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام ومراعاة لأخوة المسلم، فإن قيل: اللفظ عام فيدخل الكافر والمنافق والفاسق، أجيب بأنه خص بأدلة أخرى أخرى أو أن النهي متأخر[٢]، وكان هذا عامًا لمصلحة التأليف، وأما من شك فيه، فالأصل البقاء على العموم حتى يثبت الخصوص)[٣].

ولا بأس هنا أن نذكر كلام النووي عن إلقاء السلام على من يظن أنه لا يرد.

قال النووي: (إذا مر على واحد أو أكثر، وغلب على ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه، إما لتكبر المرور عليه، وإما لإهماله المار أو السلام، وإما لغير ذلك، فينبغي أن يسلم ولا يتركه لهذا الظن، فإن السلام مأمور به، والذي أمر به المار أن يسلم، ولم يؤمر بأن يحصل الرد، مع أن المرور عليه قد يخطئ الظن فيه ويرد.

وأما قول من لا تحقيق عنده: إن سلام المار سبب لحصول الإثم في حق المرور عليه، فهو جهالة ظاهرة وغباوة بينة، فإن المأمورات الشرعية لا تسقط عن المأمور بها بمثل هذا الخيالات، ولو نظرنا إلى هذا الخيال الفاسد لتركنا إنكار المنكر على من فعله جاهلاً كونه منكرًا، وغلب على ظننا أنه لا ينزجر بقولنا، فإن إنكارنا عليه، وتعريفنا له قبحه يكون سببًا لإثمه إذا لم يقلع عنه، ولا شك في أنا لا نترك الإنكار

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠/٢/١.

(٢) من ذلك حديث أبي هريرة مرفوعًا: "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه" أخرجه مسلم ٢١٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣/١.

بمثل هذا ، ونظائر هذا كثيرة معروفة.

ويستحب لمن سلم على إنسان وأسمعه سلامه وتوجبه عليه الرد بشروطه فلم يرد أن يحلله من ذلك فيقول: أبرأته من حقي في رد السلام، أو جعلته في حل منه، ونحو ذلك، ويلفظ بهذا ، فإنه يسقط به حق هذا الآدمي.

ويستحب لمن سلم على إنسان فلم يرد عليه أن يقول له بعبارة لطيفة: رد السلام واجب، فينبغي لك أن ترد علي ليسقط عنك الفرض)[1].

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل إطعام الطعام وإفشاء السلام.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه من أمور دينه.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في سؤال الرجل للنبي ﷺ "أي الإسلام خير" وأجابه النبي ﷺ بقوله " تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وأسلوب السؤال والجواب من أنجح الأساليب الدعوية لما فيه من لفت الأنظار وشد للأذهان وإثارة للانتباه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على معرفة أفضل الأعمال:

لقد اتسم الصحابة رضي الله عنهم بالحرص على معرفة ما يقربهم إلى الله تعالى من الأعمال الفاضلة ومن أمثلة ذلك ما ورد في سؤال الرجل للنبي ﷺ "أي الإسلام خير" فهذا مثل واضح لبيان ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من الحرص على معرفة الأفضل

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩١ ط/ مكتبة الصفا.

طلباً للأكمل والأفضل والأرفع درجة عند الله تبارك وتعالى[١]. يحملهم على ذلك ما غرسه رسول ﷺ فيهم من التطلع دائماً والحرص على الأرفع والأشرف، ومما يدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة أَراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[٢].

قال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير إنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إطعام الطعام وإفشاء السلام:

إن صريح الحديث دال على أن إطعام الطعام وإفشاء السلام من أفضل الأعمال في الإسلام، حيث سأل الرجل النبي ﷺ بقوله أي الإسلام خير؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله "تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وذلك لما فيهما من استئلاف للقلوب واستجلاب لودها[٤]. كما أنهما من أسس الذوق والأدب في الإسلام في جانب المعاملة والحقوق بين الناس[٥].

فالإسلام الحقيقي هو الذي يهذب النفس ويملؤها بالخير والرحمة والحب والحنان،

---

(١) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في القصائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص ١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢٢٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٧.

(٥) انظر: الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الزحيلي ص ١٦٩.

فتحسن معاملة الناس وترحم ضعفهم وتجبر قصورهم ببذل ما تستطيع من خير مادي كالطعام وغيره أو معنوي كالسلام وبشاشة الوجه وحسن المعاملة، فالحديث فيه تربية المسلم على البذل والعطاء، واستخراج مكامن القوة في نفس المسلم والارتفاع بمستوى المسلمين[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة : الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنياً في الحديث، وذلك في بيانه ﷺ أن إطعام الطعام وإفشاء السلام من أفضل الأعمال في الإسلام "أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" وأسلوب الترغيب من أنجح الأساليب الدعوية لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٢].

وبيان عطاء الله وفضله وما أعده لعباده المؤمنين من نعيم لا ينفد في جنات الخلد مما يجعل النفوس المؤمنة تتطلع لإدراك هذا الفضل ومن الأحاديث التي وردت في ذلك الشأن ما روي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه : ((شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ. حَتَّى انْتَهَى. ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ثُمَّ اقْتَرَأَ هذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]))[٤].

خامساً- من واجبات المدعو: السؤال عما خفي عليه من أمور دينه:

في الحديث أنموذج حي لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من طلب للمعرفة وسؤال عما خفى عليه "أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟" فالسؤال فيه طلب لعلم مالا يعلمه الإنسان كما أن فيه تصورًا للمعاني وإدراكًا لحقائقها إن خفيت عليه،

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٥٢.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٢٥.

وإن من أوجب الأمور على الإنسان أن يسأل عما خفي عليه من أمر دينه طالما أن باستطاعته معرفة الإجابة، ليتسنى له العمل بها، لأنه إن قصر في ذلك أو أهمل مع استطاعته فإنه لا يعذر بجهله لأنه تعالى أمر بسؤال أهل العلم فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

الحديث رقم (٥٥٠)

٥٥٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاهَا**[1] **مَنِيحةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ**)) رواه البخاري[2]. وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب بَيَانِ كَثْرَةِ طُرُقِ الخَيْرِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بذكر العدد تشويق لما بعده لأن المخاطب ينتظر ما يسفر عنه، وإضافته لخصلة خصصته، ولم تزل إبهامه، وفي الكلام إيجاز بالحذف يشحذ العقل، ويدمجه في عمق المعاني ليصل إلى من خلال السياق لأصل الكلام وتقديره بين اعتبار قوله (أربعون) خبرا يقدر له مبتدأ (هذه أربعون) أو مبتدأ يقدر له خبرا (أربعون خصلة أذكرها) ولكل تقدير أثره، ومذاقه في العبارة، وذكر العدد أربعون يقرر كثرة طرق الخير مع سهولتها الذي دلَّ عليه قوله (أعلاها منيحة العنز) والتعبير بأفعل التفضيل، وإضافتها إلى الضمير العائد على الأربعون يزيد التشويق إلى معرفتها لاسيما قمتها، والتعبير بالمنيحة وهي الشيء الممنوح المعطى، وإضافته للعنز يشير إلى بساطة هذه الخصال، وقدرة الجميع عليها حتي يشارك الفقراء في هذه الخصال التي تفتح لهم آفاق الخير لتكون لهم يدا عليا في العطاء تدفعهم للمزيد، وقوله (مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أدْخَلَهُ الله تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ) الأسلوب قصر للعامل بخصلة منها بالشرط المذكور على دخول الجنة، وهو توكيد يدفع وهم المبالغة لأنها خصال يراها الناس بسيطة لكنها في أثرها عظيمة شريطة النية في تحصيل

---

(١) لفظ البخاري: (أعلاهنَّ) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣/٤٤٠ رقم ٢٩٤٧.

(٢) برقم ٢٦٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٩. وتقدم برقم ١٣٨.

الثواب والإخلاص لله، وهو باب خير في العطاء، والإنفاق يفتحه الرسول ﷺ لاسيما للفقراء الذي لا يملكون الكثير، وتنكير (عامل) للتعميم، ومن لاستغراق الجنس، وبين عامل، ويعمل جناس يؤكد معنى الجدية في إتيان هذه الخصال، والتعبير بالإدخال في الماضي، ونسبته لله تحقيق للدخول يطمئن النفس المتعلقة بالجنة، والجار والمجرور (بها) معناه بسببها مما يقرر عظمة الجزاء المترتب عليها مع بساطتها.

فقه الحديث

قال النووي: (تستحب المنيحة، وهي أن تكون له ناقة أو بقرة ذات لبن فيدفعها إلى من يشرب لبنها ثم يردها إليه، لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: (أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ...) الحديث[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الهبة: تمليك العين بلا عوض، والعارية: تمليك المنفعة بلا عوض، والمنيحة: الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلاً ليشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن)[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٦/٦، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٤/٧/٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٣/٥ وما بعدها.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩/٢٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٨).

الحديث رقم (٥٥١)

٥٥١- وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أن تَبْذُلَ الفَضلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأن تُمْسِكَه شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٤).

غريب الألفاظ:

اليد العليا: المتَعَفِّفةُ، وقيل: المعطية[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالنداء العام لكل بني آدم قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد)[3] وبين يبذل، وتمسك طباق يقرر معنى أفضلية الإنفاق، وضرر الإمساك، والجار، والمجرور (لك) يقرر تعلق نتيجة الفعل بصاحبها في الحالتين، وقوله (ولاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ)، ومعناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وان أمسكته فهو شر لك؛ لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه، وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر، ومعنى لا تلام على كفاف أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه، وقوله (ابدأ بمن تعول) أمر بمعنى التوجيه، والإرشاد ومعناه أن العيال، والقرابة أحق من الأجانب في البداية بالإنفاق.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم ١٠٣٦/٩٧. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٤٣. وتقدم برقم ٥٠٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل و).

(٣) التباين في علم المعانى والبديع والبيان للطيبي ص ٢٩٢.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٠٩).

الحديث رقم (٥٥٢)

٥٥٢- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَى الإسْلاَمِ شَيْئاً إلاَّ أعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجَعَ إلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً يُعطِي عَطَاءَ مَن[1] لا يَخْشَى الفَقْرَ[2]، [3].

وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإسْلاَمُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يدور حوله الحديث هو العطاء ممثلا في النموذج الأعلى في شخص النبي ﷺ ، وفي إحدى المواقف الكثيرة التي تدلل على عظمة كرمه، والراوي صاغ المعنى في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر معنى سؤال الرسول ﷺ على العطاء دون المنع، وكلمة (شيئا) نكرة تفيد العموم فتشمل الإجابة ما قل، وما كثر، وقوله (أعطاه غنما بين جبلين) كناية عن كثرة الأغنام التي فاقت العد فحصرها بين الجبلين، وتنكير (غنما) للتعظيم، وقول الرجل (يَا قَوْمِ) النداء العام لقومه يعكس إحساسه بعظمة العطاء، ويعلن أهمية ما نادهم من أجله وقوله: (أسْلِمُوا فإنَّ مُحَمَّداً

---

(١) (من) لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (الفاقه) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٦٣٦/٢، رقم ٢٠٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢/٥٧.

(٤) هذا القول لأنس، أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ٢٣١٢/٥٨.

تنبيه: فرَّق مسلم في روايته بين هذين اللفظين لهذا الحديث، فاللفظ الأول، رواه مسلم عن حديث موسى بن أنس. واللفظ الثاني: رواه عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، وكذا فرَّقه الحميدي في جمعه ٢٠٩٧/٢، رقم ٢٠٩٧، وجمع بينهما المؤلف، مما يوحي أن اللفظ الأخير يكون مرفوعًا، وليس كذلك بل هو موقوف عن أنس، كما بيّناه.

يُعطِي عَطَاءَ مَن لا يَخْشَى الفَقْر) الأمر للترغيب في الإسلام الذي يفتح لهم باب الخير وقول الراوي (وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا) يحصر سبب الإسلام بداية في الدنيا، لا رغبة في الإسلام، مما يشير إلى أهمية تأليف القلوب على الإسلام، وقوله (فَمَا يَلْبَثُ إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا) يشير إلى سرعة التحول إلى الرغبة في الإسلام، ورسوخ الإيمان بعد أن كان الغرض دنيويا صرفا، وهو ما يدل على أن الإسلام هو الموافق للفطرة إذا ما أشربت النفس تعاليمه، وقرَّ الإيمان في القلوب صار أغلى قيمة في حياة الفرد يبذل دونها ماله، وروحه.

فقه الحديث

قال النووي: (لا خلاف في إعطاء مؤلفة المسلمين، لكن هل يعطون من الزكاة؟ فيه خلاف، الأصح عندنا أنهم من يعطون الزكاة ومن بيت المال، والثاني: لا يعطون من الزكاة بل من بيت المال خاصة، وأما مؤلفة الكفار فلا يعطون من الزكاة، وفي إعطائهم من غيرها خلاف، الأصح عندنا لا يعطون، لأن الله تعالى قد أعز الإسلام عن التآلف بخلاف أول الأمر ووقت قلة المسلمين)[1].

وقال ابن قدامة: (والمؤلفة قلوبهم ضربان: كفار ومسلمون وهم جميعًا السادة المطاعون في قومهم وعشائرهم، فالكفار ضربان: أحدهما من يرجى إسلامه، فيعطى [من الزكاة] لتقوى نيته في الإسلام وتميل نفسه إليه فيسلم... والضرب الثاني: من يخشى شره ويرجى بعطيته كف شره وكف غيره معه)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩/١٥/٨ ط/ دار الكتب العلمية.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٧/٩، وانظر اختلاف الفقهاء في ذلك في: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١٤/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤٩٥/١، والقليوبي على شرح المنهاج ١٩٦/٣-١٩٨، والروضة ٣١٤/٢، والأحكام السلطانية ١٢٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٦/٩-٣١٨ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٩/٢٣-٣٢٠).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: التفاعل مع المدعو ومساعدته.

ثانياً: من صفات الداعية: السخاء والجود والكرم.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: المال.

رابعاً: من أصناف المدعوين: المشركون.

أولاً- من مهام الداعية: التفاعل مع المدعو ومساعدته:

إن من المهام الأساسية التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية، التفاعل مع المدعوين ومساعدتهم لما لذلك من أثر بالغ في إيصال الدعوة للمدعوين واستجابتهم لها، لقد حكى لنا أنس بن مالك رضي الله عنه جانباً مما كان عليه رسول الله ﷺ من الكرم والجود الذي كان عليه ﷺ حيث قال: "ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ..." فالداعية لا يعيش لنفسه[1]، فلا بد وأن يكون كريماً جواداً مع نفسه ومع إخوانه من المدعوين.

ثانياً- من صفات الداعية: السخاء والجود والكرم:

إنه يجب على الداعية أن يطابق عمله قوله وأن يتحلى بمكارم الأخلاق بحيث يرى الإسلام في سلوكه شكلاً ومضموناً، أقوالاً وأفعالاً"[2].

وقد أعطانا رسول الله ﷺ في هذا الحديث مثالاً أعلى لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من كرم وسخاء "ماسئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ..." فكان ﷺ أجود الناس جميعاً، وكان الخير يتدفق من بين يديه وفيراً يسابق الريح المرسلة فيما تأتي به من سحب تهطل منها الأمطار مدراراً، فيعم الرى والخصب البلاد والعباد[3].

---

(١) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ١٥٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، النظرية والتطبيق، د. طلعت محمد عفيفي ص ١٠٦

(٣) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ص ١٠٦.

فإن للسخاء أثرًا في ائتلاف القلوب وتأكيد رابطة الإخاء، ذلك أنه يبذر محبة المحسنين في قلوب ذوي الحاجات ثم إن من وجوه السخاء صرف المال في نحو ضيافة أو هدية ولو لغير ذي حاجة، وهذا مما يذهب الجفوة، ويجعل القلب من القلب قريباً[١].

وليكن شعار الداعي الكرم في كل شيء لأن هذه الصفة إلهية إضافة إلى أنها نبوية، والله عز وجل عم الجميع بعطائه وتفضل على الأغنياء بأن رزقهم من رزقه وأعان وحبب إلى من شاء منهم لصرفه فيما يرضيه، فهو سبحانه الكريم الذي أعان على الأعمال الصالحة وأثابهم عليها[٢].

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرّق، وتقرّب بين البشر ولا تبعد، وتحبب ولا تنفر، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور، وتعمل على لم الشعث، ورأب الصدع، في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل[٣].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: المال:

إن من وسائل الدعوة التي لا يستهان بها المال، فهو وسيلة لتأليف القلوب لمن لم يدخل الإيمان وتثبيتٌ لمن يخاف على إيمانه واستجلاباً للمحبة والمودة، وتظهر أهمية المال كوسيلة دعوية من خلال الحديث: "وما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ...". وقد يقول قائل "إن الاستجابة في الدعوة بالمال تكون للمال، وليست لما يدعى إليه، فما فائدة هذه الدعوة ؟ فنقرأ في الحديث ما قاله أنس لمعرفة الإجابة على هذا السؤال[٤].

---

(١) الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٢٠.

(٢) موسوعة فقه القلوب ١/٢٢٧.

(٣) موسوعة القيم والأخلاق ٤٧/٦.

(٤) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل الهي ص ٢٣٧

"وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" . قال النووي: والمراد : أنه يظهر الإسلام أولاً للدنيا لا بقصد صحيح بقلبه ثم من بركة النبي ﷺ ونور الإسلام لم يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره بحقيقة الإيمان ويتمكن من قلبه فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها[١].

إن المال يعمل على تأليف القلوب، ولذا ينبغي أن يستفاد منه في الدعوة إلى الله تعالى، فيعطي المال لكافر يُرجى إسلامه، ولمسلم يُرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره[٢]، بل أن الإسلام ليجعل تأليف القلوب مصرفاً من مصارف الزكاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في تأليف القلوب بالمال، ولا سيما مع هؤلاء القوم الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولا شك أن ذلك، أسلوبًا عظيمًا من أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

والأمثلة التي وردت عن رسول الله ﷺ على ذلك كثيرة، منها ما روي عن سعيد بن المسيب أن صفوان قال: ((وَاللّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[٤]، فما أعظم التحول الذي أوجده الله تعالى بسبب الإعطاء في قلب صفوان رضي الله عنه ومما لا شك فيه أن الداعي الذي يُعطى إذا صار أحب الناس إلى المدعو فإن كلامه يُسمع وأمره ينفذ ونهيه يحترم[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

(٥) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٣٦.

أ- القيام بالتنصير الصريح من خلال قيام مؤسسات تنصيرية ترعى الحملات التنصيرية وتمكن لها وتمدها بما تحتاجه من الموارد المالية والبشرية، وتتلقى الدعم المادي والمعنوي من الحكومات الغربية ومن المؤسسات والأفراد عن طريق المخصصات والتبرعات والهبات والأوقاف[١].

ب- التطبيب، فإن بعثات التطبيب التي يبدو من ظاهرها الإسهام في مجالات الإغاثة الطبية والصحية تعمل على خدمة النصرانية والتنصير من خلال إنشاء المستشفيات والمستوصفات والعيادات المتنقلة وتعمد إلى تشغيل فتيان المجتمع ممرضات ومشرفات اجتماعيات يتمشين مع سياسة هذه المؤسسات الطبية[٢].

ج- الإغاثة، فإن بعثات الإغاثة، حيث يَهبُّ الجميع رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً يجلبون معهم المؤن والملابس والخيام وغير ذلك ويقدمونها على أنها نعمة من عيسى بن مريم عليهما السلام سواء أكان هذا الإيحاء واضحاً بالرموز والشعارات، أم بطريقة خفية يصلون إليها بحذر خشية الابتعاد عنهم أو التحريض عليهم من قِبل المتنبهين[٣].

لقد أفاد غير المسلمين من النصارى من توظيف المال في مجالات مختلفة -كالتعليم والطب والتمريض والإغاثة- لأجل الدعوة إلى دينهم ولذا فمن الواجب على المؤسسات والمنظمات الإسلامية والدعاة إلى الله وكافة العاملين في حقل الدعوة أن يفيدوا من توظيف المال في الدعوة إلى الله تعالى، خاصة وأن قطاعات كبيرة من غير المسلمين من الوثنيين في عدد من البلاد الأفريقية والآسيوية يعانون الفقر والجهل والمرض، مما يستوجب الإفادة من المال لعلاج مشكلات هذه الشرائح المختلفة، وتأليف قلوبهم وترغيبهم بالوسائل والأساليب المناسبة للدخول في الإسلام، هذا بالإضافة إلى توظيف المال في علاج مشكلات الأقليات المسلمة في أفريقيا وفي أوروبا وفي آسيا"[٤].

---

(١) الغارة على العالم الإسلام، أ. ل. شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، بدون تاريخ ص ١٢ - ١٣.

(٢) التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي، عبدالمالك التميمي ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) التنصير في المراجع العربية، علي بن إبراهيم النملة ص ٨١.

(٤) انظر بتوسع: موقف الدعوة الإسلامية من قضايا الأقليات الإسلامية في أفريقيا، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ٣٩٠.

- الأقليات المسلمة في أوروبا "الواقع - التحديات - الحلول" د. محي الدين عفيفي أحمد ص ٣٧٩.

رابعاً- من أصناف المدعوين: المشركون:

ورد هذاالصنف في الحديث: (ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ...، وإن كان الرجل ليسلم -أى يدخل في الإسلام وينتظم في عداد المسلمين، ما يريد إلا الدنيا - لما يرى من مزيد بذله ﷺ تأليفاً على الإسلام وترغيباً فيه وذلك من كمال رحمته ﷺ ومزيد معرفته أن دواء كل داء بما يقطع مادته من أصلها لتقلب تلك الأمراض إلى ضدها[1].

فالمشركون من أصناف المدعوين الذين ينبغي أن تكثف الجهود لتعريفهم بالإسلام وهدايتهم إليه وذلك ما تقتضيه عموم دعوة الرسول ﷺ، فقد قام النبي ﷺ يدعو الناس، فقد دعا المشركين واليهود والنصارى والأطفال والمرضى والمنكوبين والتجار وأصحاب الصفة والأعراب وغيرهم[2]، وذلك استجابة لقول الله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[3].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩.

(٢) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٢٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٤.

الحديث رقم (٥٥٣)

٥٥٣- وعن عمر رضي الله عنه، قَالَ: قسم رسول الله ﷺ قَسْماً، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: ((إنَّهُمْ خَيرُونِي أنْ يَسألُوني بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

الفُحش: التعدي في القول والجواب، وقد يكون بمعنى الزيادة والكثرة[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (قسم... قسما) فيه جناس يؤكد المعنى الذي فتح باب الحوار وأثار المسألة، واستفهام عمر ﷺ (لَغَيْرُ هؤلاءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ ؟) استفهام تعجب من إعطاء هؤلاء، وترك من هو أولى في نظر عمر رضي الله عنه وتقديم الجار والمجرور (لغير) يشير إلى أنهم أولى باختصاصهم بالعطاء ممن أعطوا لذلك أكده بأفعل التفضيل (أحق) قوله (إنَّهُمْ خَيرُونِي أنْ يَسألُوني بالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) كناية عن كثرة إلحاحهم وكثرة سؤالهم، و معناه أنهم ألحوا في المسألة لضعف إيمانهم، وألجأونى بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش، أو نسبتى إلى البخل ولست بباخل، ولا ينبغى احتمال واحد من الأمرين ففيه مداراة أهل الجهالة، والقسوة، وتألفهم إذا كان فيهم مصلحة، وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة، وقوله (يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ) فيه جناس يقرر المعنى، ويشير إلى عاقبة سؤالهم، ومعرفة الرسول ﷺ بكيفية علاج النفوس، وموازنة المصالح بما يحقق خدمة الإسلام، والتعبير عن فعلهم بالمضارع المفيد

---

(١) برقم ١٢٧/١٠٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ح ش).

للتجدد، والاستمرار يشير إلى تكرار سؤالهم وإلحاحهم في المسألة التي تعجز الكريم عن الوفاء بها إلا بعد تكلف، وعناء، وتعبير الرسول باسم الفاعل المنفي (بباخل) يشير إلى كرمه الدائم، وعدم ردهم مع كثرة سؤالهم.

فقه الحديث

قال النووي: (في الحديث [جواز] مدارة أهل الجهالة والقسوة وتألفهم إذا كان فيهم مصلحة وجواز دفع المال إليهم لهذه المصلحة)[1].

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان الكرم الحسي والمعنوي للنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد ذلك في إخبار عمر رضي الله عنه عن قسم النبي ﷺ لقَسْم ما "قسم رسول الله ﷺ قسماً"، وفي إخبار النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بالدافع الذي حمله على إعطاء قوم رأى الصحابة رضي الله عنهم أن هناك من هم أحق بهذا القسم منهم "إنهم خيَّروني أن يسألوني بالفحش فأعطيهم، أو يُبَخِّلوني ولست بباخل" والإخبار من الأساليب الدعوية الهامة لما فيه من نقل الحقائق وإزالة اللبس وإقناع المدعو وإقباله على الدعوة واستجابته لها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ:

جاء سؤال عمر للنبي ﷺ ضمنياً في الحديث "عن عمر رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت يارسول الله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم" وعمر رضي الله عنه بهذا يعطينا أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من السؤال وحب العلم والمعرفة والفهم لما أشكل عليه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. قال ابن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٧/٤ ط/ دار الكتب العلمية، وانظر: الفروق للقرافي ٣٤٨/٤-٣٤٩، الفرق ٢٦٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

الحاج: (المقصود بأهل الذكر في الآية: العلماء فهم يسألون عن النوازل وبفتواهم يعبد الله ويطاع ويمتثل أمره ويجتنب نهيه)[١].

قال الماوردي: وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتاً، ولو امتنع المسؤول عن الإجابة لكان هذا منكر بين. ولا قبول ما صح في النفس تقليداً، وأنشد المبرد عن أبي سليمان الغنوي:

فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله ... لا خير في علم بغير تدبر

وإذا تعسرت الأمور فأرجها ... وعليك بالأمر الذي لم يَعْسُرِ[٢]

ثالثاً- من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال والتأدب واحترام أهل الفضل:

إنَّ من جميل الآداب وأحسن الأخلاق: التأدب مع أهل الفضل واحترامهم، وعدم إيذائهم بأي صورة كالإلحاح في السؤال وما شاكله، وقد عاب النبي ﷺ في الحديث على أولئك الذين ألحوا عليه في السؤال، فقال "لأنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش فأعطيهم أو يبخلوني" أى ألحوا على في السؤال لضعف إيمانهم وألجأوني بمقتضى حالهم إلى السؤال بالفحش أو نسبتي إلى البخل[٣]. قال ابن عبدالبر في الاستذكار: (إن العالم إذا سئل عما لا يريد الجواب فيه إن سكت ولم يجب بنعم ولا بلا فيجب السكوت، كما أن فيه من الأدب أن على المتعلم ترك الإلحاح إذا سكت العالم عن الجواب كما أن فيه الندم على إيذاء العالم والإلحاح عليه خوفًا من غضبه وحرمان فائدته في المستقبل)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان الكرم الحسي والمعنوي للنبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ أجود الناس جميعهم وأكرمهم، أمضى عمره ينفق كل ما تصل إليه يداه من المال لا يدخر منه شيئاً خشية إملاق، بل يعطي عطاء من لا يخشى

---

(١) المدخل لمحمد بن محمد العبدري، الحاج ص ٩٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٧٩، ٧٨

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩

(٤) الاستذكار ٢/٤٩٦.

فقراً[١]، وفي الحديث صورة من صور كرمه ﷺ بجانبيه الحسي والمعنوي، "إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش فأعطيتهم، أو يبخلوني ولست بباخل" فمن حيث الجانب المادي فقد أعطاهم النبي ﷺ ومن الناحية المعنوية أنه ﷺ تغاضى عن سوء خلقهم وعدم تأدبهم معه لما كان عليه ﷺ من عظيم الخلق والصبر والحلم والإعراض عن الجاهلين[٢].

كما أمره الحق تبارك وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٣].

فلقد منح رسول الله ﷺ من الكرم والجود ما لا يدانيه فيه غيره ولا يناوئه فيه أحد (فلقد جاد رسول الله ﷺ بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب، ومات ودرعه مرهونة عند يهودي على آصُعٍ من شعير لطعام أهله. وقد ملك جزيرة العرب، وكان فيها ملوك وأقيال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخراً ويتباهون بها فخراً ويستمتعون بها أشراً وبطراً، وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً، لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن، ويعطي الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الإقلال، ويصبر على سغب الاختلال، وكان يقول أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن ترك ديناً أو ضياعاً فعليَّ ومن ترك مالاً فلورثته، فهل مِثْل هذا الكرم والجود كرم وجود؟ أم هل لمثل هذا الإعراض والزَّهَادة إعراض وزُهد؟ هيهات)[٤].

---

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ١٠٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨١٩

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٤٤٦.

الحديث رقم (٥٥٤)

٥٥٤- وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْن، فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ[١] يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فقال: ((**أعْطُوني رِدَائي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَينَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذّاباً[٢] وَلاَ جَبَاناً**)) رواه البخاريُّ[٣].

ترجمة الراوي:

جبير بن مطعم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٤).

غريب الألفاظ:

مقفلةُ: حال قفوله: رُجُوعه[٤].

حنين: واد بين الطائف ومكة المكرمة[٥].

فعلقه، أي تعلقوا به[٦].

سمرة: شجرة[٧].

العضاه: شجرٌ له شوك[٨].

نعماً: هي الإبل والشاة، وقيل الإبل خاصة. وقيل: السوائم من الإبل والبقر والغنم[٩].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية رقم ٢٨٢١: (الناس)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وكذا البخاري برقم ٣١٤٨.

(٢) لفظ البخاري في الروايتين: (كذوبًا) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٣) برقم ٢٨٢١، والسياق للحميدي في جمعه ٣٦٨/٣، رقم ٢٨٥٥.

(٤) رياض الصالحين ٢٥٤.

(٥) أطلس الحديث النبوي ١٥٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ل ق).

(٧) رياض الصالحين ٢٥٤.

(٨) المرجع السابق ٢٥٤.

(٩) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٣.

الشرح الأدبي

تصدر الظرف (بين) المضاف لـ(ما) يوحي بالمفاجأة، وتوسط الضمير(هو) بينه وبين الفعل يفيد تخصيصه، وهو ما يعطي المعنى تحقيقا لأنه يحكي عن نفسه ثم إن رصده للأحداث يكون أكثر دقة، وينقل الحدث بما خالجه من شعور اعتراه عند وقوعه وقوله (مقفله من حنين) وهو المرجع من الغزوة المعروفة، والحديث يشير إلى شرف القصد لأنهم في سبيل الله وقوله (فَعَلِقَهُ الأعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ) كناية عن تكاثرهم حوله يطلبون منهم حاجتهم، والأعراب هم أهل البادية وقوله (حتى اضطروه) لبيان الغاية التي وصلوا إليها في تكاثرهم عليه والتعبير بالاضطرار يشير إلى التضييق والتشديد وقوله (إِلَى سَمُرَة، فَخَطِفَت رِدَاءهُ) يدل على ذلك، والسمرة نوع من الشجر له شوك علق به رداؤه ونسبة الخطف للسمرة مجاز بنسبة الفعل لسببه مبالغة في تمكن الأخذ كما أن التعبير بالخطف يوحي بالسرعة في الأخذ، وقوله (فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَماً، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ) الفاء عاطفة، ولو للشرط وتقدي الجار، والمجرور (لي) يفيد التخصيص أي لي خاصة، وهو ما يؤكد الخصوصية، وعدم التحكم في أموال الناس، والعضاه شجر منتشر عندهم والتمثيل به للتكثير بيانا لرغبته في إعطائهم ما يتمنون وهو ما يؤكده جواب الشرط (لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ) وقد زاده تأكيدا بذكر جملة الصفات المنفية التي يبغضها العربي لاسيما مؤمن لاسيما نبي (ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذّاباً وَلاَ جَبَاناً).

فقه الحديث

١- جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة: قال ابن حجر: (فيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة كخوف ظن أهل الجهل به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم)[1].

٢- رضا السائل بالوعد: قال ابن حجر: (فيه رضا السائل للحق بالوعد إذا تحقق

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٥٤.

عن الواعد التنجيز)[١].

٣- التخيير في قسمة الغنائم: قال ابن حجر: (فيه أن الإمام مخير في قسمة الغنيمة إن شاء بعد فراغ الحرب وإن شاء بعد ذلك)[٢] وقال ابن حجر كذلك: (وقال الجمهور [جمهور الفقهاء] هو راجع إلى نظر الإمام واجتهاده)[٣].

المضامين الدعوية

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: الحلم والكرم والجود.

أولاً- من آداب المدعو: التأدب واحترام أهل الفضل:

إن خلق الإنسان في التعامل مع الناس يأتي تبعاً لخلقه في تعامله مع الله، فإن المتأدب مع ربه لا يسعه إلا التأدب مع خلقه[٤]، وفي الحديث صورة من صور سوء الأدب التي ينبغي الاحتراز عنها مع أولي الفضل خاصة رسول الله ﷺ "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه" أي طفقوا يسألونه حتى ألجئوه إلى شجرة من شجر البادية ذات شوك فخطفت ردائه لذا ينبغي للمسلم أن يتأدب في التعامل مع سنة رسول الله ﷺ ويعمل على تطبيقها، وأن يتأدب مع أهل العلم والفضل[٥].

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: الحلم والكرم والجود:

إن الأخلاق فضائل نفسية لا تعرف حقيقتها ومستوياتها إلا إذا شقت طريقها إلى الواقع العملي، فشوهدت ماثلة للعيان على بساط الطبيعة والعلاقات الاجتماعية ولقد مَثُل النبي ﷺ بأخلاقه أمام البشرية مثولاً وصل إلى درجة الكمال[٦]، وفي الحديث

---

(١) المرجع السابق ٦/٢٥٤.

(٢) المرجع السابق ٦/٢٥٤. وفي المسألة خلاف انظره في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/٣٠٦ ومراجعها.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٨١-١٨٢.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٨٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٤٢، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٠.

(٦) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء عنز، ص١٠٣، ١٠٢

صورة حية لما اتصف به النبي ﷺ من الحلم وسعة الصدر والكرم والجود وغير ذلك، تحمل إيذاء الأعراب له، وبين لهم مع ذلك أنه يعطي ما يستطاع إلى ذلك سبيلاً "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاة نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذابا ولا جباناً". وما يدل على الكرم والجود أن النبي ﷺ ((كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة))[١].

ويكفي بيانًا لمنزلة الكرم أنه لا يوصف به إلا كل من سما قدره وشرفت منزلته وعلت همته وربت قيمته ومنه جاء التكريم والإكرام[٢].

والذي يدل على الحلم وسعة الصدر قوله ﷺ: ((تحلم عمن جهل عليك))[٣] فالحلم سكون النفس عن دواعي الغضب وأن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك[٤].

ثالثاً- من آداب الداعية: التعامل بالحلم والصفح والكرم مع الناس:

إن الداعية في دعوته يواجه صنوفاً شتى من الناس، وأخلاقاً متنوعة من فئات المجتمع، ولكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات وتحت كافة الظروف فلابد أن يتحلى بالرفق ولين الجانب والحلم والصفح والكرم وغير ذلك من كريم الأخلاق[٥]، وفي الحديث أعطانا النبي ﷺ صورة ومثالاً حياً للدعاة يُحْتذى به، فَصَبَر وحلم على إيذاء الأعراب له، وبين أنه لن يبخل عليهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت ردائه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي..." قال ابن حجر: (وفيه ما كان في النبي ﷺ من الحلم وحسن الخلق

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٠٣، ومسلم ٥٠.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٢٢/٤٧.

(٣) أخرجه النسائي ٢٢٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٠٤، ٢١٠٥).

(٤) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٤٠/٢٤، ٤١.

(٥) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٨٥

وسعة الجود والصبر على جفاة الأعراب)[١]. ففي الحديث ذم للخصال المنفعية من البخل وغيره، وأن إمام المسلمين يجب أن يتجرد عنها، وما كان عليه الرسول ﷺ من الحلم وسعة الصدر، والصبر على جفاة الأعراب[٢] وذلك عملاً بمقتضى قول الله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣].

قال القرطبي: قال جعفر الصادق في تفسير الآية: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية، ولله در القائل:

كل الأمور تزول عنك وتنقضي ... إلا الثناء فإنه لك باقي

ولو أنني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاق[٤]

رابعاً- من صفات الداعية: تحمل الأذى:

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج من أصحابها إلى البذل والتضحية، والصبر على ملاقاة المكاره في سبيلها وتحمل الأذى والتجمل بطول البال حتى تؤتي الدعوة ثمرتها وتحقق رسالتها[٥]، وليكن للداعية في رسول الله ﷺ الأسوة الطيبة والقدوة الحسنة في تحمل الأذى حتى من حمقى الناس وجهلائهم، كما هو مَرْئِيٌّ في الحديث "فعلق الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت ردائه فوقف النبي ﷺ فقال أعطوني ردائي...". وفي ذلك دعوة للداعية إلى التجمل بالصبر وتحمل الأذى - إن حصل - في سبيل تبليغ دعوته، فكما أن الداعية ينبغي عليه أن يصبر على طاعة الله وعن معصيته ويصبر على أقدار الله المؤلمة كذلك ينبغي عليه أن يصبر على المشكلات التي قد تعترضه في طريق دعوته، وذلك من عزائم الأمور[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٩٣/٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٤٦/٧/٤.

(٥) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٧٠.

(٦) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ١١٧.

وإذا كان الصبر ضرورياً لكل مسلم فإن الداعية لا يستغني عنه لأن الداعية يعمل في ميدانين: ميدان نفسه يجاهدها ويحملها على الطاعة ويمنعها عن المعصية وميدان خارج نفسه، وهو ميدان الدعوة الفسيح، ومخاطبة الناس ومخالطتهم، لأن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم[1] خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في صبره وشدة تحمله على ما أصابه في طريق الدعوة، فقد ألصقت به ﷺ عبارات السوء فقالوا عنه: شاعر، وكاهن، وساحر، ويعلمه بشر... الخ.

وقد كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد، وصبر على ذلك ومن صور صبره ﷺ ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَا لِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي. فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. قَالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ. فَمَا شِئْتَ؟ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً))[2].

---

(١) الدعوة، قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز ص ٦٠، ٦١.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٥.

الحديث رقم (٥٥٥)

٥٥٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً، وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ** عز وجل)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بالنفي أمورا رسخت في كثير من النفوس تطهيرا للمجتمع من توابعها التي تشعل الأحقاد، وتقطع الأرحام، وتنمي العداوة، والبغضاء، وقد عالج بحكمة جذورها في النفس فقرر أولا أن الصدقة طهرة للمال وطهرة للنفس من الشح، وتقوية لروابط الأخوة بين المسلمين، والله تبارك وتعالى يجازي بالحسنة أضعافها، وقوله ﷺ (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَال) يؤكد هذا المعنى بأسلوب النفي لنقصان الصدقة من مال المال، والرسول ﷺ يعالج بهذا النفي أكبر المشاعر النفسية التي تمنع الإنسان من التصدق، وتنكير المال للتعميم لأن النقص يلاحظ في بعض المال، ولا يلاحظ في بعضه كالأموال الكثيرة غير المكيلة، وغير المعدودة فالتعميم يشير إلى أنه قد يكون هناك نقص في ظاهر بعض الأموال، ولكن في الحقيقة هو لم ينقص لأن الله يبارك في بتزكيته، وقول الرسول ﷺ (وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلاَّ عِزّاً) أسلوب قصر يقصر زيادة العبد بالعفو على العز، وينفي عنه الذله التي يعتقدها البعض إذا لم ينتصر لنفسه، وبذلك يطفيء النبي ﷺ نار الثورة التي يشعلها الشيطان بين الناس، ويوقعهم بها في المهالك، وقوله (وَمَا تَواضَعَ أحَدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ - عز وجل) وهو كسابقه في أسلوب القصر الذي يقصر التواضع لله على الرفعة، وهذا القصر يعالج في النفس حب الظهور، والتعالي، والفخر المبغوض من الخلق، ومن الخالق.

---

(١) برقم ٢٥٨٨/٦٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٥٧. وسيكرره المؤلف برقم ٦٠٣.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدقة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: منزلة العفو.

ثالثاً: من صفات الداعية: الجود والعفو والتواضع.

رابعاً: من أساليب الدعوة : الترغيب.

خامساً: من أهداف الدعوة: الحث على بذل الصدقة والعفو عن الناس والتواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الصدقة:

إنَّ الصدقة من الأعمال التي لها عظيم الفضل وجزيل الثواب فهي برهان على صحة الإيمان وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه[١]، وكما قال ﷺ: ((والصدقة برهان))[٢] ومن أوجه فضل الصدقة، ما جاء في الحديث ببيان أنها سبب للبركة والثواب، فقال ﷺ "ما نقصت صدقة من مال" وإن كان الظاهر عند الناس أن هذا مال ويختل منه على أساس أنه شيء محسوس، فإن المال المصدَّق منه مال مبارك فيه ويدفع عنه المفسدات فيجبر النقص الصوري بالبركة الخفية، فضلاً عن الثواب المعد في الآخرة فإنه جابر لنقصه[٣].

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[٥] ومن نظر إلى معاني الزكاة والصدقة يجد أنها تتلاقى وتتعانق

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢١، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨/٣٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٥) سورة الروم، آية: ٣٩.

في كون الزكاة زيادة في الأموال وحصن لها ونماء وكثرة وطهارة، كما أن الزكاة تستل الحقد والضغينة من قلوب الفقراء، وتدعو إلى التماسك فتذيب الطبقية وتمنع الأحقاد والضغائن، بل هي علاج هام وبلسم لجروح المجتمعات[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: منزلة العفو:

جاء في الحديث التصريح بعلو منزلة العافين عن الناس عند الله وعزتهم فقال ﷺ "وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً"، قال النووي: فيه وجهان أحدهما: أنه على ظاهره وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعَظُمَ في القلوب وزاده عزه وإكرامه، والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك[٢]، وإن العفو لمن أهم القواعد الأخلاقية وهو أقرب ما يكون إلى التقوى[٣]، قال تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤].

إن من يعفو عن المسيء يقدم له بالعفو وسيلة تربوية عظيمة لإصلاحه وتهذيبه ويهيئه بذلك لتقبل نصيحته، ولقد ضرب رسول الله ﷺ أروع المثل في الحلم والصفح، فلقد كان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة[٥]، ولقد جاءت سيرته ملأى بالأمثلة والأدلة على ذلك ومنها ما روي عن أنس خادم رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. ورجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي حتى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ . فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))[٦].

---

(١) انظر: جوانب تربوية في الفقه الإسلامي، د. مصطفى رجب ص ١٩٨، ١٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٦.

(٣) انظر: الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٤٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٥) أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ١٣.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٥٧.

ثالثاً- من صفات الداعية: الجود والعفو والتواضع:

إن تحلى الداعية بمكارم الأخلاق يجعله أقرب ما يكون إلى قلوب الناس ودعوته أنفذ إلى صدورهم، وقد أرشدنا النبي ﷺ في هذا الحديث إلى الجود والعفو والتواضع مبيناً الأثر الإيجابي لذلك فقال: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا" إذ أن الداعية قدوة، ومن ثم فهو يحتاج إلى عمق في العقيدة وقوة في الخلق، يحتاج إلى صفات تعطيه ثقة الناس واطمئنانهم وحبهم والميل إليه[١]، ومن هذه الصفات الجود والعفو والتواضع والتي أشار إليها الحديث. وهذه الصفات إذا اجتمعت في إنسان صار محبوباً في قومه وبيئته، لذا كان أمر الله للمؤمنين جميعاً في خطابه للرسول ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٢]. قال ابن هبيرة: (قوله: "ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا" فإن العفو عز في وقته، وبعد ذلك، فما زاد به أحد إلا عزًا، وإذا وسوس الشيطان للمسلم بأن هذا يخرجه الناس مخرج الذل؛ فتلك خديعة منه، فكلام رسول الله ﷺ دواء لذلك الداء.

وأما قوله: "وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله" فقوله: "لله" يعني ألا يكون تواضعه لأهل الدنيا، ثم يتكبر على أهل الدين، ولكن يتواضع لله فيرفعه الله تعالى جل جلاله)[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة : الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ببيان الآثار الإيجابية والحسنة للصدقة والعفو والتواضع فقال ﷺ، ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّه عز وجل)). والترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليها[٤].

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١٨٨

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٥/٦.

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

خامساً- من أهداف الدعوة: الحث على بذل الصدقة والعفو عن الناس والتواضع:

إن من أهداف الدعوة إشاعة المودة في المجتمع وتقوية أواصر المحبة بين أفراده، وفي الحديث أرشد النبي ﷺ إلى بعض روافد تلك المحبة من كرم وجود وعفو وتواضع فقال ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ عز وجل". إضافة لما لهذه الصفات من تقوية لمبدأ الإخاء الذي يقوم عليه المجتمع الإيماني[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. وفي ذلك دلالة قوية على تقرر وجوب الأخوة بين المسلمين والعمل بما تقتضيه هذه الأخوة من إحسان للمعاملة[3] والتجمل والتعامل مع المسلمين بمكارم الأخلاق ورفيع الصفات من تواضع وعفو ومحبة وبذلك للمحتاج منهم وما شاكل ذلك.

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٩٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٥/٢٦/١٠.

الحديث رقم (٥٥٦)

٥٥٦- وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه: أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزّاً، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلماً، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذا بأفضَلِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ رَزَقهُ اللهُ عِلْماً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بنيَّتِهِ، فأجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً، فَهُوَ يَخبطُ فِي مَالِهِ بغَيرِ عِلْمٍ، لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقّاً، فَهذَا بأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو كبشة الأنماري: هو أبو كبشة الأنماري المَذحِجيُّ مختلف في اسمه: فقيل: سعد بن عمرو. وقيل: عمرو بن سعد. وقيل: عمر بن سعد وقيل: عامر بن سعد.

شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك. قال: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى في الناس: الصلاة جامعة. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُمسكٌ بعيره وهو يقول: ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟[2] وقال كذلك: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ من مغازيه فنزلنا منزلاً فأتيناه فيه ... الحديث[3].

---

(١) برقم ٢٣٢٥. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم ٢٥٨٨/٦٩. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٨٠٢٩/٢٥، وقال محققو المسند: هذا إسناد حسن.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ٨٥٧/٢٢ وقال الهيثمي في المجمع ٥٦/١٠: ورجاله رجال الصحيح غير عروة بن رويم وهو ثقة.

وقد قدم الشام مع عمر بن الخطاب حين قدمها في خلافته، ونزل حمص وله رواية عن أبي بكر الصديق[١].

غريب الألفاظ:

نفر: النفر: الناس كلهم، والجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة[٢].

يخبطُ في ماله: يصرفه في شهوات نفسه[٣].

وزرهما: ذنبهما[٤].

سواء: متساويان[٥].

الشرح الأدبي

والحديث من باب الترغيب في النفقة، والإخلاص والحث على الزهد وابتغاء ما عند بدأه الرسول ﷺ بأسلوب خبري يشعر بالثقة، والهدوء فالرسول ﷺ ليس مواجها بالتكذيب فـ(الصحابة) رضوان يجزمون بصدق الرسول ﷺ في كل قول يقوله: فهو لا يقسم – وحاشاه- ليجتذب القلوب لتصديقه، وقد كان قبل الرسالة يوصف بالصادق الأمين، وإذا ينصرف وجه اليمين إلى أن المحلوف عليه من الأمور المهمة ذات البال التي ينبغي يستشرف لها السامع، ويتلقاها تلقى الاهتمام لما تعيه من مدلول ديني خطير في

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤١٦/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٥٥/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٤١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٠٦/٨ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٤.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن ف ر)، والكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٦٨٦، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٥٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٥٤/٢.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ز ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و ي).

حياة الفرد والمجتمع، ومما يلاحظ في هذا الحديث أنه ذكر القسم بأسلوب الخبر وليس فيه ذكر للمقسم به، وذلك مما يفيدنا أن هذه صيغة من صيغ اليمين معتبرة يتأكد بها مدلول ما كان القسم من أجله، ومن الملاحظ أن هناك اختلافا في الموقف النفسي الذي يصاحب كل صيغة من هذه الصيغ ودرجة الانفعال إذ أننا نرى في القسم (والذي نفسي بيده أو الذي نفس محمد بيده) نجد درجة الانفعال ترتفع والموقف يعلوه الجلال، والهيبة بما توحي به عبارات القسم من انقباض، وخوف، واضطراب، والتي تصور هيئة روح الحالف في يد المحلوف به مسيطر عليه تمام السيطرة ولذلك كثر وروده في سياق الترهيب، والقسم بنحو (ورب الكعبة) فإن الانفعال أقل ودرجة التوتر منخفضة يشعر لفظ (رب) فيها بالرعاية والقرب ولفظ (الكعبة) بالأمان والسكينة ولذلك كثر وروده في الترغيب، والقسم بأسلوب خبري (أقسم) فإن الأسلوب الخبري يوحي بالثقة والهدوء في تقرير الخبر، وتثبيته، ومن الجدير بالذكر أن الصحابة رضوان كانوا يدركون الفرق بين هذه الصيغ في درجة القوة، والحالة النفسية للرسول ﷺ فيما رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اجْتَهَدَ فِي الْيَمِينِ قَالَ وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ[1] وأمر الرسول ﷺ في قوله (وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ) يشير إلى أهمية ما فيه من معان لا يكاد يشعر بها الناس، وهي عظيمة التأثير وهي أن لعالم الأماني، والمشاعر، والعواطف ميزانا عند الله إن خلصت له، وتعلقت بإرضائه، وجرت في طريقه وصلت لمصب عطائه، وتفضله تأمل كيف أدرك ذلك المتمنى -في لحظة من اللحظات-، وهو في مكانه لم يتحرك، ولم يتكلم ثواب من كد من أجل المال، والتعب ثم أنفقه في مرضاة الله؟ في قوله: (لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ) إنه عالم عجيب تتغير فيه مقاييس الأعمال، وتحكمه النية ويبلغه الإخلاص، وتأمل الوجه المقابل له وهو صاحب النية السيئة، والأمنية المحرمة (وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ) إذن فعالم الأماني المتصلة بالله لو وزن عند الله يعدل ما أتى صاحب

---

(١) الحديث في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٥٣٤.

الفعل في الواقع مع أنها آمال علت نفسه واختلطت بوجدانه لكن قدرته وقفت به دون تحقيقها فصاغها أمنيات لله معبقة بالإخلاص فقبلها الله، وأثابه بمثل صاحبه والله أعلى، وأمنيات هذا العبد صدرت كاعتذار على قصر ذات اليد في حنان، واستعطاف كما قال ابن يعقوب: أن تمنى ما لا سبيل إليه قد يكون للاستعطاف أو للاعتذار أو ما شابه ذلك[1] أما أمنيات الآخر الذي رأي صاحب المال الذي يتخبط فيه، ولا يرعي حق الله فتمنى مثله فهو يتمنى المال ليفعل به مثل فعل هذا الآثم فلما عزَّ عليه أمله في الواقع صاغه أمنية لمجرد موافقة الخاطر والترويح عن النفس عن طريق المحرَّم فكان جزائه من جنس عمله أن يكون كصاحب المال الآثم لأن النية موجودة، والفارق بينهما أن هذا مَلَك فَفَعل، وهذا لم يملك، فتمنى ما لا سبيل إليه لمجرد موافقة الخاطر، والترويح عن النفس' وقد جاء التمنى بـ(لو) (التي تدخل في الأصل على الممنوع، والمحال، وهو المتمنى كثيرا' والغرض من استعمال لو "هنا في موضع (ليت) إظهار عزة المتمنى وندرته وإظهاره في صورة الأمر الذي لا يمكن حصوله، لأن (لو) في وصفها اللغوي حرف يفيد الامتناع")[2]

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ "ثلاثة أقسم عليهن" وأسلوب القسم من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً ونفوذاً إلى القلب لما فيه من تأكيد الخبر أو تعظيم لشيء أو جمع للانتباه حول غاية، ثم إن أسلوب القسم موعظة حسنة فالقرآن دائماً يقصر به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به[3].

---

(١) انظر: مواهب الفتاح لابن يعقوب – ضمن شروح التلخيص، ٢/٢٤٠.

(٢) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٣) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٢ -١٦٣.

ثانياً- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينبغي عليهم حفظه واستيعابه:

إن من مهام الداعية التي ينبغي العناية بها إرشاده للمدعوين لما ينبغي عليهم حفظه واستيعابه وتقديمه إليهم معالم توضح لهم طريق الحياة وتؤنسهم فيها وتعينهم على متاعبها[١]، وفي الحديث لفت الرسول ﷺ الناس إلى ما ينبغي أن يحفظوه ويجعلوه نصب أعينهم فقال: "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه".

فإرشاد المدعوين إلى الخير ومعالم الحق والخير تبنى عليه الدعوة وحوله تدور، إذ أن الدعوة إلى الله: حث على فعل الخير واجتناب الشر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة والتنفير من الرذيلة واتباعٌ للحق ونبذ للباطل[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

جاء في الحديث بيان لجانب من جوانب فضل الصدقة، فقال ﷺ "ما نقص مال عبد من صدقة" وقال: "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ"، لتقواه في ماله وعمله بالصلة والصدقة من المال وبالإسعاف بجاه العلم ويعلم لله فيه حقاً من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس فذلك العبد بأفضل الدرجات عند الله تعالى[٣].

ففي الحديث تأكيد وإثلاج لصدر المتصدق بأن الصدقة لا تؤول بماله إلى النقصان وإنما إلى البركة والنماء، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[٤] فالصدقة تحمل معاني: الطهارة والنماء والزيادة، فهي طهارة لنفس الغني من الشح البغيض[٥]، والبخل

---

(١) تذكرة الدعاة، البهى الخولي ص ٢٠٣.

(٢) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ص ٢٤.

(٣) تحفة الأحوزي، المباركفوري، ١٨٥٤/٢.

(٤) سورة الروم، آية: ٣٩.

(٥) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٢٧٣.

والحقد وتغرس بذور المحبة في المجتمع وإرساء التضامن الاجتماعي بين أفراده[١].

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على أن الصدقة لا تنقص من المال، والمراد بذلك أنها لا تنقص منه من حيث المعنى، أن الله يبارك في ذلك المال الذي تصدق به بما ينفع منه، ويوفر وجوهه في الخرج أضعاف تلك الصدقة، وقد يكون ذلك صدقة، فإنه حدثني والدي رحمه الله قال: قفلت من الحج، فلما وصلت إلى فيد وزنت ما كان في خرقتي، وكان مبلغه ثلاثة دنانير ودانقين، أو قال: ودانقًا، ثم قال: إني أنفقت من ذلك منذ كنت بفيد إلى أن جئت العراق، ثم وزنته فكان مثل ما وزنته بفيد من غير أن ينقص.

وأما أنا فحصل لي مرة مقدار من الحنطة، فأخرجت منها فيما أظن قريبًا من ربعها أو ثلثها، ثم كِلْتُ الباقي فلم ينقص شيئًا فيما أظن، فأما من حيث المعاني؛ فإن ذلك فيما لا أحصيه كثرة[٢].

قال أبو العباس القرطبي: ("ما نقصت صدقة من مال" فيه وجهان أحدهما: أنه قدر ما ينقص منه يزيد اللهُ فيه، وينميه، ويكثره، الثاني: أنه وإن نقص في نفسه ففي الأجر والثواب ما يجبر ذلك النقص بإضافة)[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة : فضل الصبر على المظالم:

صرح النبي ﷺ في الحديث بجانب من جوانب فضل الصبر على المظالم وهو أن الصبر على المظالم سبب لإعزاز الإنسان في الدنيا والآخرة، فقال: "ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاً" أي حبس نفسه على ألمها ولم ينتقم من ظالمه بشيء من الانتقام احتساباً، إلا زاده الله عزاً في الدنيا والآخرة"[٤]، وذلك من رفيع الأخلاق وعظام الأمور، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٥]، قال سعيد بن جبير:

---

(١) الزكاة تطبيق محاسبي معاصر، د. سلطان بن محمد علي السلطان ص ٥٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة ١٧٥/٦.

(٣) المفهم، القرطبي ٥٧٤/٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٢

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٣.

يعني لمن حق الأمور التي أمر الله بها، أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل[١]. فالآية فيها ترغيب في الصبر على المظالم وحث على العفو والصبر على الأذى، وذلك بين الأمة الإسلامية ظاهر، وأما مع الكافرين فتعتريه أحوال تختلف بها أحكام الغفران، وملاكها أن تترجح المصلحة في العفو أو المؤاخذة[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: خطر المسألة على الإنسان:

صرح النبي ﷺ في هذا الحديث بخطورة المسألة على الإنسان فقال: ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر" وذلك معاملة له بنقيض قصده[٣]، ولقد بالغ الإسلام في النهى عن مسألة الناس وحذر منها، لأنها لا تليق بشخصية المؤمن الكامل المبنية على السمو والشرف والابتعاد عن السفاسف وإراقة ماء الوجه[٤]، فقال ﷺ: ((مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً فَأَتَكَفَّلَ لَهُ بالْجَنَّةِ، فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَداً شَيْئاً))[٥].

ولخطورة المسألة منع الإسلام منها وحرمها إلا لضرورة لا تدفع إلا بها، قال أبو حامد الغزالي: (السؤال حرام في الأصل، وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، وإنما قلنا: إن الأصل فيها التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة:

أ- إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى.

ب- أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه، فإن فيه عزة، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله، فلا ينبغي أن يَذلّ لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى إيذاء المسؤول.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٣/٧

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٢٣/٢٥/١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٢.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٥) أخرجه أبو داود ١٦٤٣، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٦).

ج- أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول غالباً، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياءً من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع، إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء، والإيذاء حرام إلا بضرورة[1].

سادساً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "وأحدثكم حديثاً فاحفظوه" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من توجيه للمدعوين إلى ما ينفعهم وحملهم عليه وسوقهم إليه. كما هو ظاهر في الحديث في توجيه النبي ﷺ للأمة وأمرهم وحملهم على الاستجابة لهذه الإرشادات ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

سابعاً- من آداب المدعو : إدراك حقيقة الدنيا:

ففي الحديث بين رسول الله ﷺ أصناف الناس في تعاملهم مع المال، وبين ﷺ أن أفضل ذلك كله من آتاه الله مالاً وعلماً فهو يتقي الله فيهما، ويؤدي ما عليه فيهما من حقوق، ويلحق به في الثواب من آتاه الله علماً ولم يرزقه مالاً ويتمنى أن لو كان مثله فيعمل بعمله فقال ﷺ إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل" لذا ينبغي على من يريد أن ينقل نفسه من أحطّ المنازل إلى أفضلها أن يدرك حقيقة الدنيا ويؤدي ما عليه من واجبات في المال والعلم بما على الإنسان من واجبات يهديه إلى الصواب بأداء الواجبات واجتناب المحظورات والإخلاص لله في عمله[2].

ثامناً- من موضوعات الدعوة: بيان أحوال الناس في الدنيا:

بيّن النبي ﷺ أحوال الناس مع الدنيا، وتشعبهم في التعامل معها واختلاف مقاصدهما فيها فقال ﷺ "إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ:

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢٢٣/٤.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٣.

أ- عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ" فهذه أفضل الحالات وأجملها وصاحبها بأفضل الدرجات عند الله تعالى[1]، ومثل هذا الصنف مَنْ حمده الإسلام ووجه الهمم إلى الإتيان بفعله وتمني حاله لمن يقدر عليه فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاّ في اثْنتينِ: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلِّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلِّمُها))[2].

ب- وهو النوع الآخر من المؤمنين "وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً" فلا يتمكن من مساعدة المحتاج ويتشوق للوقوف بجانبه فهو بهذه النية يؤجر وأجره لا يقل عن النوع الأول.

ج- "عبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً" فهو يخبط في ماله بغير علم ولا يتق فيه ربه، لعدم علمه في أخذه وصرفه.

د- والصنف الأخير "عبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: "لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان" أي من أهل الشر فهو يتمنى أن ينغمس في الملذات ويبتعد عن القيم الخلقية ويتودد إلى أصحاب المعاصي ويتمنى أن ينضم إليهم ويحذو حذوهم. "فهو بنيته فوزرهما سواء"[3].

---

(١) دراسات تربوية، الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ١٧

(٢) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٥، ٨١٦

(٣) انظر: تحفة الأحوزي، المباركفوري، ١٨٥٤/٢، دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٢، ٢٣.

الحديث رقم (٥٥٧)

٥٥٧- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَا بَقِيَ مِنْهَا؟)) قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إلاَّ كَتِفُها. قَالَ: ((بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

بقى كلُّها غير كتفها: معناه: تصدقوا بها إلا كتفها. فقال: بقيت لنا في الآخرة إلا كتفها[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يضع الأمور في نصابها بالنسبة للباقي، والفاني حتى ينظر إليها المسلمون خلال هذا المنظور الذي يضع الأمور في موضعها المناسب، وفي حجمها الحقيقي، والحديث يقرر بطريقة لطيفة شيقة في حوار عابر قيمة الصدقة في رصيد العبد عند ربه، وأنها هي الباقية حقيقة من ماله، واستفهام النبي ﷺ عما تبقى من الشاة (ما بقي منها؟) إرصاد للمعنى الذي يريد أن يقرره في الباقي حقيقة، وأنه هو ما عند الله فلما أجيب بأسلوب القصر الجازم الذي يقصر الباقي على الكتف لا يتعداه لغيره منها، وهو المفهوم الراسخ في أذهان الناس في قول أم المؤمنين رضي الله عنها (مَا بَقِيَ مِنْهَا إلاَّ كَتِفُها) جاء تقرير للمفهوم الصحيح للباقي حقيقة (بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا) في إشارة إلى أن الصدقة صبغته بصبغة الخلود؛ لأنها خلصت لله دون حظ النفس.

---

(١) برقم ٢٤٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٠.

(٢) رياض الصالحين ٢٥٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات الداعية: بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن من أساليب الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث أسلوب الإخبار، يظهر ذلك فيما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ: "ما بقي منها؟..."، والإخبار من الأساليب الدعوية المهمة، حيث أفاد في هذا الحديث أهمية الكرم والجود والسخاء لأن ما يتصدق به الإنسان هو الذي يبقى، وأن ما يأكله أو يلبسه هو الذي يفنى.

ثانياً- من صفات الداعية: بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم:

إن بيان الحقائق وتصحيح المفاهيم الخاطئة من الأمور التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "بقي كلها غير كتفها"، فقد بيّن لها رسول الله ﷺ حقيقة الصدقة فصحح المفهوم الخاطئ بأن الصدقة تنقص الشيء، وهذا ما بيّنه في قوله ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[1].

فإن التصدق وإن كان ينقص الشيء ظاهراً ولكن بركته وحقيقته عند الله باقية، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[2].

أي: ثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فإنه دائم لا يحول ولا يزول[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٠١/٤.

والله يخلف الصدقة خيراً منها، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[١]، قال السعدي: (فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو خير الرازقين)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "بقي كلها غير كتفها"، قال ابن علان: (هذا تحريض على الصدقة والاهتمام بها وأن لا يستكثر المرء ما أنفقه)[٣].

والصدقة من أفضل القربات وقد جعلها الله من أكثر الأعمال ثواباً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[٤].

وأثنى الله على المتصدقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥]، قال ابن عاشور: (هذه بشارة للمنفقين بطيب العيش في الدنيا فلا يخافون اعتداء المعتدين لأن الله أكسبهم محبة الناس إياهم، ولا تحل بهم المصائب المحزنة إلا ما يسلم منه ما هو معتاد في إبانة، أما انتفاء الخوف والحزن عنهم في الآخرة فقد علم من قوله: فلهم أجرهم عند ربهم)[٦].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عليها، حتى ما تَجعلُ في في امرأتِكَ))[٧].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٢٤.

(٤) سورة الحديد، آية: ١١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧٨/٣/٢.

(٧) أخرجه البخاري ٥٦، ومسلم ١٦٢٨.

وقال ﷺ: ((اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ))[١].

لقد بيّن أن الصدقات وقاية من النار فمن بذل المال في سبيل الله للفقراء والمساكين والغارمين والمجاهدين، والمصالح العامة كان ما بذل سوراً منيعاً، وحاجزاً حصيناً، يقيه لهيب الجحيم[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٢٣، ومسلم ١٠١٦.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٢٤.

الحديث رقم (٥٥٨)

٥٥٨- وعن أسماء بنت أَبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما ، قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ : ((**لاَ تُوكِي فَيُوكى عَلَيْكِ**)) [١].

وفي رواية : ((**أنفقي (أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي)، وَلاَ تُحصي فَيُحْصِي اللهُ عَلَيْكِ، وَلاَ تُوعي فَيُوعي اللهُ عَلَيْكِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: تقدمته ترجمتها في الحديث رقم (٣٢٥).

غريب الألفاظ:

لا تُوكي: أي لا تدخري وتَشُدي ما عندك وتمنعي ما في يديك[٣].

فيوكي عليك: أي يقطع الله مادة الرزق عنك[٤].

انْفحي: أنفقي[٥].

انضحي: أنفقي[٦].

لا توعي: لا تجمعي وتشحي بالنفقة[٧].

الشرح الأدبي

قول أسماء رضي الله عنها (قال لي رسول الله ﷺ) يوحي بالاعتزاز، والسرور لأنها قدمت الجار، والمجرور : (لي) لتفيد اختصاص نفسها بهذا الحديث دون غيرها، ثم إنها

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٣٣ ، ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٥١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٩١ ، ومسلم ١٠٢٩/٨٨ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ك ى).

(٤) المرجع السابق.

(٥) رياض الصالحين ٢٥٥.

(٦) المرجع السابق ٢٥٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ع ى).

استخدمت صيغة الماضي دلالة على التحقق، وقول الرسول ﷺ لها (لا توكي فيوكى عليك) النهي نصح، وإرشاد تضمن تحذيرا بليغا عن طريق الجناس بين الكلمتين (توكي فيوكى) ومعناه لا تمنعي، ولا تحبسي فيمنع عنك، ويحبس عنك الرزق، والذي يوحي بأن الجزاء من جنس العمل، والذي يدل عليه للفظ بدلالته، وبظاهره وهو شعور يربي الإحساس في النفس بأن إمساكها المال عن الفقراء إمساك عن نفسها يفهم منه ضمنا أن إنفاقها على الفقراء إنفاق على نفسها والذي قررته الرواية الثانية عن طريق أسلوب الأمر (أنفقي أَوِ انْفَحِي، أَوْ انْضَحِي) وهو أمر توجيه، وإرشاد وترغيب في الإنفاق وتغاير الألفاظ (انفحي أو انضحي) تردد من الراوي وهي ذات معان متقاربة في الدلالة على الإنفاق ترتبط بظلال من البيئة التي يعيشون فيها تعطي الإنفاق ثباتا في الأذهان وإيحاءً مناسبا لمدلولها في الواقع.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (بهذا الحكم [أي بالجواز] قال الجمهور: وخالف طاوس فمنع مطلقًا، وعن مالك لا يجوز لها أن تعطى بغير إذن زوجها ولو كانت رشيدة إلا من الثلث، وعن الليث لا يجوز مطلقًا إلا في الشيء التافه، وأدلة الجمهور من الكتاب والسنة كثيرة، واحتج لطاوس يحدث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: ((لا يجوز عطية امرأة في مالها إلا بإذن زوجها))[1].

وقال ابن بطال: (وأحاديث الباب أصح، وحملها مالك عن الشيء اليسير، وجعل حده الثلث فما دونه))[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٥٤٦، والنسائي ٣٧٨٧، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٠٣١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٨/٥، وانظر: الاختيار ٩١/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٣٠٨/٣، وجواهر الإكليل ١٠٢/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٠٢/٦-٦٠٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢٩/٢٦-٣٣٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة والجود وعدم البخل والمنع.

ثالثاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه نفعه وتحذيره مما قد يضره.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والترهيب:

١- **أسلوب النهي:** يظهر أسلوب النهي في قول رسول الله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (لا توكي فيوكى عليك لا تحصي فيحصى عليك، ولا توعي فيوعى عليك)، فقد نهاها عن منع ما في يدها.

قال ابن حجر: (والمعنى النهي عن منع الصدقة خشية النفاذ، فإن ذلك أعظم الأسباب لقطع مادة البركة، لأن الله يثيب على العطاء بغير حساب، ومن لا يحاسب عند الجزاء لا يحسب عليه عند العطاء، ومن علم أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فحقه أن يعطي ولا يحسب)[1].

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في نهي المدعوين عن الأشياء غير المقبولة أو التي تركها أفضل من فعلها وهو أسلوب يشعر المدعوين بأهمية اجتناب ما نهي عنه الداعية.

٢- أسلوب الترهيب: يظهر أسلوب الترهيب في قوله ﷺ: (لا توكي فيوكي الله عليك، ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيُوعى عليك)، حيث رهّب رسول الله ﷺ من منع الصدقة لأن ذلك يكون سبباً في منع الرزق عن المانع.

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي يقصد بها ترهيب المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والإسلام يرهب من الكفر ولوازمه، من الآثام والمعاصي والفواحش، وسوء الأخلاق والزنا، والنفاق، والبخل، ومن غضب الله، والنار وإيثار الدنيا على الآخرة[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٣.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٩ - ١٠٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على الصدقة والجود وعدم البخل والمنع:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث نهى رسول الله ﷺ عن منع فضل ما عند الإنسان عن من هو محتاج إليه، وقصد من ذلك الحث على الإنفاق[١].

وقد حثّ الإسلام على الصدقة والجود وذم البخل والمنع نظراً لأهمية البذل والإنفاق، ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية، وأكفهم ندية، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعي الإحسان ووجوه البر، وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم، لا ينفكون عنه في صباح أو مساء[٢]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]، وقال في ذم البخل: ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ...﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ مبيّناً فضل الصدقة وذم البخل والمنع: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ. وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ. وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى))[٥].

قال النووي: (إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته فهو شر لك لأنه إن أمسك عن الواجب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه في آخرته وهذا كله شر)[٦].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ. فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً))[٧].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٨٢٥.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٤٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٥.

(٧) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

قال النووي: (قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان والصدقات، ونحو ذلك، بحيث لا يذم ولا يسمى سرفاً والإمساك المذموم عن هذا)[١].

ثالثاً- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى ما فيه نفعه وتحذيره مما قد يضره:

يظهر ذلك في إرشاد النبي ﷺ أسماء رضي الله عنها إلى ما فيه نفعها من الحث على الصدقة والجود وحذرها مما يضرها وهو البخل والمنع.

فإن هدف الداعية هو حب الخير للمدعوين إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال[٢]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ويظهر حرص الداعية على إرشاده المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم في نصح صاحب عيسى عليه السلام لقومه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

فحرص الداعية على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم يجعل القلوب تلتف حوله وتقبل دعوته وترضى قوله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٣.

(٢) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد عبد الفتاح الدميري ص ٦١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) سورة يس، آية: ٢٠.

الحديث رقم (٥٥٩)

٥٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ، يَقولُ: ((مَثَلُ البَخيلِ وَالمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ[1] مِنْ حَديد مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ - أَوْ وَفَرَتْ - عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ، وأَمَّا البَخِيلُ، فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجُنَّةُ: الدرع[3].

ثُديِّهما: جمع ثدي، وهو النتوء في صدر الرجل والمرأة[4].

تراقيهما: مفردها الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان والجمع تراق[5].

سبغت: امتدت وغطت[6].

---

(١) لفظ البخاري في المواضع الثلاثة: (جُبَّتان)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١٣٧/٣، رقم ٢٣٥٤ وأما مسلم فرواه برقم ١٠٢١/٧٥ بالشكّ: (جبتان، أو: جنتان) وبرقم ١٠٢١/٧٧ والذي قبله بدون رقم: (جنتان) بدون الشكّ. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٢٧١/٤ قوله: (جبتان) كذا في هذه الرواية بضمّ الجين بعدها موحدة، ومن رواه فيها بالنون، فقد صحّف، وكذا رواية الحسن بن مسلم ٥٧٩٧ ورواه حنظلة بن أبي سفيان الجُمحيّ عن طاوس بالنون، ورجّحت لقوله: (من حديد).

(٢) أخرجه البخاري ١٤٤٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٢١/٧٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٧٣.

(٣) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث د ي).

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ق).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٣.

وفرت: اتسعت[١].

تعفو أثره: تستر أثره[٢]. ومعناه: أن المنفق كلّما أنْفق سبغت وطالت حتى تَجرّ وراءه. وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته[٣].

لزقت: لصقت[٤].

الشرح الأدبي

بدأ ﷺ بأسلوب خبري يتسم بالتشويق، والطرافة حيث بدأ بكلمة (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وإضافة الكاف لكلمة (مثل) تؤذن بتشبيه الهيئات، ، والأحوال حتى لا يتوهم أنه تشبيه الأفراد، وقد تضمن الحديث مثلا ضربه الرسول ﷺ للجواد والبخيل شبههما برجلين أراد كل منهما أن يلبس درعا يستجن بها، والدرع ما يلبس على موضع الصدر، والثديين إلى أن يسلك لابسها يديه في كميه، ويرسل ذيلها على أسفل بدنه فيستمر سفلا فجعل مثل المنفق مثل من لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه، وخصته، وجعل البخيل كرجل يداه مغلولتان ما دون صدره فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينها، وبين أن تمر سفلا على البدن، واجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته فكانت ثقلا، ووبالا عليه من غير وقاية له، وتحصين لبدنه، وحاصله أن الجواد إذا همَّ بالنفقة اتسع لذلك صدره، وطاوعت يداه فامتدتا بالعطاء، وأن البخيل يضيق صدره، وتنقبض يده عن الإنفاق، وقيل ضرب المثل بهما؛ لأن المنفق يستره الله بنفقته، ويستر عوراته في الدنيا، والآخرة كستر هذه الجبة لابسها، والبخيل كمن لبس جبة إلى ثدييه فيبقى مكشوفا ظاهر العورة مفتضحا في الدارين وقال ابن بطال يريد أن المنفق إذا أنفق كفرت

---

(١) الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٥٩.

(٣) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٦٠.

الصدقة ذنوبه ومحتها كما أن الجبة إذا أسبغت عليه سترته، ووقته، والبخيل لا تطاوعه نفسه على البذل فيبقى غير مكفر عنه الآثام كما أن الجبة تبقي من بدنه ما لا تستره فيكون معرضا للآفات[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وثمراتها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر البخل.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

إن من أساليب الدعوة التي تستنبط من الحديث أسلوب التمثيل، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جُنتان من ثُديهما إلى تراقيهما..."، حيث مثّل المنفق والبخيل برجلين عليهما درعان من حديد لتصوير معنى الانبساط والتقلص، والأسلوب من التشبيه المفرق فقد شبه السخي الموفق إذا قصد التصدق يسهل عليه ويطاوعه قلبه بمن عليه الدرع ويده تحت الدرع، فأراد أن يخرجها منها وينزعها يسهل عليه، والبخيل على عكسه[٢].

وأسلوب التمثيل به دوافع تحرك العواطف والوجدان، فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على سلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، فعلى الداعية العمل على تحقيق هذا الجانب من تربية السلوك والإرادة الطيبة والنزوع إلى الخير؛ وذلك باستحضار الأمثال القرآنية والنبوية في المواقف المختلفة والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية والاجتماعية الطيبة[٣].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٣٤٤١).

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/٧٧.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٣٣.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة وثمراتها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت -أو وفرت- ..."، وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة[١].

فالصدقة فضلها عظيم وثمراتها كثيرة وقد وعد الله المنفق ببركة المال، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٢]، أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب[٣].

كما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((قَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ))[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللَّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً))[٥]، والصدقة وإن كانت قليلة فضلها عظيم وثوابها جزيل، قال رسول الله ﷺ: ((مَن تَصدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيِّب -ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ- فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثمَّ يُرَبِّيهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْل الجبلِ))[٦].

قال النووي: (قيل: عبر باليمين هنا عن جهة القبول والرضا إذ الشمال بضده في هذا... وقد قيل في تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل أن المراد بذلك تعظيم أجرها وتضعيف ثوابها، قال: ويصح أن يكون على ظاهره وأن تعظم ذاتها ويبارك الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٨.

(٢) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

تعالى فيها ويزيدها فضله حتى تثقل في الميزان، وهذا الحديث نحو قول الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1])[2].

فهذه الصدقة ولو كانت قليلة تكون وقاية من النار كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ: ((اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تَمرةٍ))[3].

فعلى الداعية أن يبين للمدعوين فضل الصدقة وثمراتها الدنيوية والأخروية.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر البخل:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "... وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقه مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع"، فجعل البخيل كلما همّ بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها... ولما كان البخيل محبوساً عن الإحسان ممنوعاً عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح، ضيق العطن، صغير النفس، قليل الفرح، كثير الهم والغم والحزن لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب.. فالبخيل بعيد من الله، بعيد من خلقه، بعيد من الجنة، قريب من النار[4]، والبخل أخطاره جسيمة على البخيل وعلى من حوله وقد ورد في ذلك الكثير من النصوص منها: قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[5].

قال السعدي: (ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال، والجاه، والعلم وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك وأمسكوه وضنوا به عن عباد الله، وظنوا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢٣، ومسلم ١٠١٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٢٩٠ - ٢٩١، ضمن مجموعة الحديث ج/٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنياهم وعاجلهم وآجلهم (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة)، أي: يجعل طوقاً يعذبون به)[١].

وإنه لعذاب أليم ينتظرهم عند الله، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾[٢].

والبخل كان سبباً في هلاك السابقين لذلك حذر منه رسول الله ﷺ فقال: ((وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))[٣].

فالبخل يجر الهلاك والشقاء للأفراد والشعوب لذلك كان خطره جسيم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ في الإنفاق ورهّب من البخل.

ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ويقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله.

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام عليهم السلام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٥.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٥٦٠)

٥٦٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَصَدَّقَ بعَدلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إلاَّ الطَّيبَ، فَإنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بعدل تمرة: أي بقيمتها[٢].

يربيها: أي يُزيدها ويضاعفها[٣].

الفَلُوُّ: بفتح الفاء وضمّ اللام وتشديد الواو. ويقال أيضاً: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وهو المهر[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر عظمة الصدقة، وحفاوة الله تعالى بها عن طريق الموصول المتضمن لمعنى الشرط، والذي يربط الصدقة الطيبة بقبول الله لها، ومضاعفتها، والذي صورها التشبيه التمثيلي بحال العربي مع مهره الصغير، وبالنظر في حال المشبه به في البيئة يتبين مدى عظمة صدقة المتصدق، وحفاوة الله بها يفهم ذلك من معاملة العربي لفلوه وهو المهر الصغير،وهو من كرائم ماله، ووسيلة رفاهيته، ودليل عزه، وحب الخيل في طبع البشر، وقصة سليمان عليه السلام فيها دليل على ذلك قال تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)[٥]

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٠ واللفظ له، ومسلم ١٠١٤/٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٥٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٥) سورة ص الآية ٣١ -٣٢.

وتشبيه حفاوة الله بصدقة المتصدق بها يقرر هذا المعنى، ويثمِّن غالياً قيمة الصدقة ترغيبا فيها لما تحققه من التكافل، والتحابب الذي يقرب بين طبقات المجتمع، وأفراده.

فقه الحديث

عدم إجزاء الصدقة بالمال الحرام: قال القرطبي: (الكسب الطيب في هذا الحديث، الحلال، ... وإنما لا يقبل الله الصدقة من المال الحرام، لأنه غير مملوك للمتصدق وهو ممنوع من التصرف فيه، والتصدق به تصرف فيه، فلو قبلت منه لزم أن يكون مأمورًا به، منهيًا عنه من وجه واحد، وهو محال)[١].

وقال النووي: (قال أصحابنا: تكره الصدقة بما فيه شبهة، ويستحب أن يختار أحلّ ماله وأبعده من الحرام، لحديث الباب وغيره)[٢].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وقد اختلف العلماء في حجٍّ من حجّ بمال حرام، ومن صلّى في ثوب حرام. هل يسقط عنه فرض الصلاة والحج بذلك؛ وفيه عن الإمام أحمد روايتان، وهذه الأحاديث المذكورة[٣] تدل على أنه لا يتقبل العمل مع مباشرة الحرام، لكن القبول قد يراد به الرضا بالعمل، ومدحُ فاعله والثناء عليه بين الملائكة والمباهاة به، وقد يراد به حصول الثواب والأجر عليه، وقد يراد به سقوط الفرض به في الذمة، فإن كان المراد ههنا القبول بالمعنى الأول أو الثاني لم يمنع ذلك من سقوط الفرض به من الذمة، كما ورد أنه لا تقبل صلاة الآبق، ولا المرأة التي زوجها عليها ساخط، ولا من أتى كاهنًا ولا من شرب الخمر أربعين يومًا، والمراد -والله أعلم- نفي القبول بالمعنى الأول أو الثاني)[٤].

---

(١) المفهم ٣/٥٨-٥٩.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/١٥٤ .

(٣) انظر هذه الأحاديث في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٥٨-٢٦٢ شرح الحديث العاشر.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٦٢.

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترغيب:

يظهر أسلوب الإخبار في قول رسول الله ﷺ "من تصدق بعدل تمرة ..." فقد أخبر عن فضل الصدقة من كسب طيب، وأن الله تعالى يُنمّي هذه الصدقة ويضاعفها حتى يعظُم أجرها عند الله تعالى وذلك للحث على الصدقة ولو بالشيء القليل؛ لأن الله يضاعف لمن يشاء.

ويظهر أسلوب الترغيب في قول رسول الله ﷺ: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيّب -ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ- فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثمَّ يُرَبيِّهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْل الجبلِ".

فقد رغب رسول الله ﷺ في التصدق من كسب طيب وإن كان قليلاً.

وأسلوب الترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهى. ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم[1]. فعلى الداعية أن يرغب المدعوين فيما يحقق لهم الخير.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة من الكسب الطيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيّب ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثمَّ يُرَبيِّهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْل الجبلِ".

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه -وهو خبيثه- فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا[١].

قال القاسمي: (هذا بيان لحال ما ينفق منه، إثر بيان أصل الإنفاق وكيفيته أي أنفقوا من جياد ما كسبتم لقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢] فمقتضى الإيمان الإنفاق من الجيد. لا سيما ما يطلب به رضا الله وتثبيت النفس. وفي الأمر إشعار بأنه يمثل بالزرع المنبت سبع سنابل، أو بالجنة بربوة، وما أنفق من الجيد "ومما" أي ومن طيبات ما "أخرجنا لكم من الأرض" من الحبوب والثمار "ولا تيمموا" أي لا تقصدوا "الخبيث" أي الرديء من أموالكم "منه تنفقون ولستم بآخذيه" أي بقابليه "يعني الرديء" إذا اهدي إليكم "إلا أن تغمضوا فيه" أي إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه[٣].

وقال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ، ولا صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً. وَإِنَّ اللّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ. فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٥] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[٦]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ. أَشْعَثَ أَغْبَرَ. يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ. يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟))[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٧/١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٤٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٤

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٧) أخرجه مسلم ١٠١٥.

قال القاضي عياض: (قوله ﷺ "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً" الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث)[١]، وقال النووي: (وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام...، وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون خالصاً لا شبهة فيه وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: إثبات اليد لله تعالى:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث إثبات اليد لله تعالى، ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه ...".

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٣]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤].

ومن السنة حديث أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[٥]، [٦].

وكذا أيضاً ما أثبته الرسول ﷺ وجب تلقيه بالقبول ووجب إثباته على ما يليق بعظمة الله وكبريائه ومجده وعزته "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فالله جل وعلا في ثلاث عشرة آية أثبت لنفسه اليدين. وأحاديث الرسول ﷺ كثيرة وشهيرة في ذلك وأقوال السلف والخلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في وصف الله باليدين كثيرة جداً.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٣٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٤) سورة ص، آية: ٧٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٦) كتاب أصول الإيمان، نخبة من العلماء ص ٨٨.

وقيام رسول الله ﷺ يوم القيامة عن يمينه وتخيير آدم بين ما في يديه فقال اخترت يمين ربي، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها. وكتابته بيده على نفسه إن رحمته تغلب غضبه، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان اختر فقال: اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة.

وأن يمينه ملأى لا يغضيها نفقة سحاء الليل والنهار. وبيده الأخرى القسط يرفع ويخفض. وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى. وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة : التشبيه:

إن التشبيه من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية لتقريب المراد وتوضيح المعنى، يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ثم يُرَبِّيها لِصاحِبِها كما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فلوهُ). فقد شبه الصدقة بالمهر لأنه يفلى أي يفطم.. وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينه، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال، وكذلك عمل ابن آدم - لاسيما الصدقة - فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل[2].

وأسلوب التشبيه من الأساليب الدعوية الناجحة؛ لأنه يقوم بتقريب المراد وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي شبه به فقد يكون أقرب إلى تعلقه وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير[3].

---

(١) عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ط١، ١٤٠١هـ، ٢/٥٠١-٥٠٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٢٨.

(٣) انظر: الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم، ص٢٢.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الله على المتصدق من الرزق الطيب:

يظهر ذلك في بيان النبي ﷺ: أن يقبل الصدقة من كسب طيب ولو كانت بقيمة تمرة فيربيها لصاحبها حتى تكون مثل الجبل. وهذا من فضل الله على عبده المتصدق من الرزق الطيب.

قال القاضي عياض: (لما كان الشيء الذي يرتضى ويعز يُتلَقى باليمين ويؤخذ بها استعمل في مثل هذا للقبول والرضى، كما قال: "تلقاها عرابة باليمين وقيل: وعناها هاهنا بنعمته"، يريد سرعة المبادرة ليعلمها فلما استعار بهذه الخصال والأفعال الجميلة من خصال المجد وأنه استعار للمبادرة لفعلها تلقى باليمين على العادة فيما تحرص عليه وتبادر إليه، ويقبلها تفضله الواسع، وقيل: عبر باليمين هاهنا عن جهة القبول والرضى إذ الشمال بضده في هذا وغيره. وقد فرق الله بين أصحاب اليمين والشمال، وقد قيل: إن المراد هنا بكف الرحمن ويمينه كف المتصدق عليه ويمينه، وإضافتها إلى الله إضافة ملك واختصاص بوضع هذه الصدقة لوجهه فيها، وقد قيل في تزكيتها وتعظيمها حتى تكون مثل الجبل، أن المراد بذلك تعظيم الأجر وتضعيف الثواب، وقد يصح أن يكون على وجهه، وأن تعظم ذاتها ويبارك الله فيها، ويزيدها من فضله لتعظم في الميزان وتثقل، ولعله يصح أن يكون المراد بالكف هنا كفة الميزان، وطرف كل شيء كفه وكفيه، وهذا الحديث يصدقه قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[1])[2].

وفضل الله على عباده عظيم فهو يضاعف لهم الحسنات: فيضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

فمضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنات وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٣٦/٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

أما زيادة المضاعفة على العشر لمن شاء الله أن يضاعف له فدل عليه قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وفي صحيح مسلم[2] عن أبي مسعود، قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله فقال: (لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة)[3] فعلى الداعية حث المدعوين على فعل الخير وبيان فضل الله على عباده في مضاعفة أجر المتصدق.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣١٣.

الحديث رقم (٥٦١)

٥٦١- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي[١] بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإِذَا رَجُلٌ قَائمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ، للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتاً فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الفلاةُ: الأرض الواسعة المقفرة[٣].

فتنحى: أي قصد[٤].

الحرة: الأرضُ المُلبَّسَةُ حجارة سوداء[٥].

الشَّرْجَةُ: مسيل الماء[٦].

بمسحاته: هي المِجرفَة من الحديد[٧].

---

(١) (يمشي) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم ٢٩٨٤/٤٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٦٣.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية / في (ف ل و).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

(٥) رياض الصالحين ٢٥٦.

(٦) رياض الصالحين ٢٥٧.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٦٩.

الشرح الأدبي

الحديث قصصي يقرر عن طريق القصة والحوار فضل الصدقة في تحقيق الخير، والبركة للعبد، وتيسير أسباب الرزق في الأرض، وفي السماء، والتي تبينت في أثناء الحوار بين الملك وبين السحاب، وبين الرجل، وصاحب البستان، فقول الملك الموكل بالسحاب (اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ) أمر للتكريم، والإشادة بفضل المذكور الذي خصه بمزيد العطاء، وحكاية حركة السحاب، وتفصيلها تصور كيف تتحول الأسباب وتتيسر حتى تحقق مراد الله بالوصول إلى العبد الكريم المنفق تأمل تتابع الأحداث في قوله (فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ) تجد الفاء تحكي تتابع الأحداث وسرعتها التي تمثل سرعة الخير إلى العبد المنفق، والتعبير بالتنحية التي تمثل تغيير الاتجاه قصدا إلى بستان هذا الكريم، ثم إشارة التعظيم (ذلك) التي تشير إلى أنه سحاب عظيم ثم إنه تسخير لجرم عظيم لسقي بستان عبد لا يملك أن يحرك فيه شيئا لو تخطاه، ثم التعبير بقوله (فأفرغ ماءه) الذي يشير إلى المبالغة في كثرة الماء عن طريق التعبير بالإفراغ، وتعريف الماء بالإضافة للضمير العائد على السحاب، وهو تسخير لأجرام السماء، وتأمل تسخير الأسباب في الأرض (فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ) تحكي تشكيلا صخريا بطريقة تجمع الماء ثم توجهه إلى بستانه، وهو أمر بالغ المشقة لا يستطيع أن يفعله صاحب البستان بنفسه؛ لأن الحرة حجارة سوداء صلبة، والتعبير بالاستيعاب يشير إلى احتواء الماء، والتعبير بـ(ذلك) تعظيم لهذا الماء لكثرته، والتوكيد بلفظ (كله) الذي يوحي بتوفيره على هذا البستان، والفعل تتبع الذي يحكي عدم تفلته ووحدة اتجاهه للهدف المقصود نحو بستان العبد الصالح، ثم إن هذا العبد أخذ بالأسباب، واجتهد (فإذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسحَاتِهِ)، و سؤال الرجل له (يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ ؟)استفهام تحقيق، وتثبيت يحمل تعجبا من حاله يدفعه لمعرفة سر اجتماع تلك الأسباب في السماء، والأرض فكانت إجابته في نهاية القصة مقررة للمعنى الذي أراده الرسول ﷺ بداية بهذه القصة قال: (فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا) وهو كناية عن تجميعه لكل ثمارها

وقوله : (فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ) حسن تقسيم يكشف سبب تكاتف أسباب التوفيق العليا في السماء، والسفلى في الأرض لتحقيق النماء، والبركة في هذا البستان الذي سقته الصدقة، وزكاه الإنفاق.

المضامين الدعوية

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر هذا في قول رسول الله ﷺ: "بَيْنَا رَجُلٌ يمشي بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ..."، فقد ذكر رسول الله ﷺ قصة هذا الرجل.

والاتصال عن طريق القصة محبب للنفس تميل إليه وتأخذ العبرة والعظة منه خاصة إذ أجاد القاص في سرد القصة وأحسن اختيار عناصرها والكتاب العزيز اشتمل على القصص، بل هناك سورة القصص، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[1] ويقول سبحانه وتعالى في نفس السورة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[2].

القصة فن من فنون الأدب العربي التعبيرية تجسد الشخصيات التي تحتويها بشكل يقرب إلى الواقع فيعيشها المستمع لما تتميز من طريقة خاصة تعمل على جذب المستمع إلى أحداثها ووقائعها حتى النهاية.

وأحسن القصص وأفضله وأبلغه وأفصحه ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ[3]. ولاشك أن هذه القصة التي وردت في هذا الحديث اشتملت على المعاني العظيمة التي تؤثر تأثيراً إيجابياً في نفوس المدعوين، وتبين أهمية الصدقة وفضل الكرم والجود وأن ذلك من أسباب مضاعفة الحسنات، وزيادة الأرزاق، وتيسير أسباب الخير.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥١٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسخير الله للسحاب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فسمع صوتاً في سحابة؛ اسق حديقة فلان، فتنحى السحاب فأفرغ ماءه في حرة ...". وتسخير الله تعالى للسحاب أمر ثابت.

(فإن ما نشاهده من سير السحب وتنقلها من مكان إلى آخر قد يظن بعض الناس أن هذا من تلقاء نفسها، أو أن الطبيعة العمياء هي التي تصرفها وتوجهها ولكن الأمر غير ذلك، فإن هذا الأمر المشاهد والمنضبط بالسنن الربانية تسيره الملائكة بأمر خالقها سبحانه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا ياأبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله، فقالوا فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: "زجرة بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر) قالوا صدقت[1].[2].

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[5].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق من كسب الإنسان

يستنبط هذا من عموم الحديث فقد بيّن رسول الله ﷺ فعل هذا الرجل من الإنفاق من حديقته وجزاء الله له على ذلك بتسخير السحاب لريّ حديقته.

قال النووي: وفي الحديث فضل الصدقة والإحسان إلى المساكين وأبناء السبيل وفضل أكل الإنسان من كسبه والإنفاق على العيال[6]. فإن المال نعمة من نعم الله التي

---

(١) أخرجه الترمذي ٣١١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٩٢).

(٢) علم الإيمان، عبدالمجيد الزنداني، ٣٧٧/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٤) سورة الرعد، آية: ١٢.

(٥) سورة فاطر، آية: ٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١٦.

أنعم بها على عباده في هذه الحياة الدنيا، فالمال ينتفع به العباد في قضاء حوائجهم، وتوفير سبل الراحة المختلفة فكان المال زينة الحياة الدنيا[١]، قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢].

فمن محاسن المال أن صاحبه ينفق منه على نفسه، وعلى من تجب عليه نفقتهم، ويعينه على أداء العبادات كالحج، والجهاد، وغيرها. كما أنه يمكن صاحبه من فعل أعمال الخير، والبر والإحسان، وإكرام الضيف، فينتفع العبد منه في حياته، وبعد مماته[٣].

وقال رسول الله ﷺ: (أفضل دينار ينفقه الرجل: دينار ينفقه على عياله. ودينار ينفقه الرجل على دابته في سبيل الله. ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله)[٤].

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الإنفاق والبذل

يستنبط ذلك من عموم القصة التي ذكرها رسول الله ﷺ فقد بيّن فيها إكرام الله وتسخيره السحاب لمن ينفق من حديقته وفي ذلك ترغيب في الإنفاق والبذل، وقد وعد الله في كتابه أن ما ينفقه الإنسان فإن الله يخلفه عليه، ويعطيه خلفاً عنه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[٥].

قال ابن كثير: (أي مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالجزاء والثواب، كما ثبت في الحديث: (قال الله عز وجل: أنفق أنفق عليك)[٦].

---

(١) العمل الخيري في الإسلام د. حمدان بن مسلم بن مكتوم المزروعي ص ٧٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٣) انظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم، الشيخ جمال الدين أبو بكر الخوارزمي، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ص ١٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٩٩٤.

(٥) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ٤٦٨٤، ومسلم ٩٩٣.

وفي الحديث: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفاً، ويَقولُ الآخَرُ: اللّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً))[1])[2]. وقد بيّن المصطفى ﷺ شمول معنى الصدقة، فقال: ((نفقةُ الرجلِ على أهلهِ صدَقة))[3] وقال ((ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقة))[4].

فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في الإنفاق والبذل ويحذرهم من الشح والبخل.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٣/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٢٠، ومسلم ١٥٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الفقر والغنى من سنن الله في الوجود، والإسلام لا يبقي الفقراء على حالهم، ولا الأغنياء على يسارهم دون الشعور بإخوانهم، وإنما حرص الإسلام على مساعدة الفقراء على دفع غائلة الفقر ودرء شرهه، ومن السبل التي سلكها من أجل هذا ما يلي:

١/ سخاء الأغنياء.

٢/ زهد الفقراء.

٣/ الحقوق التي فرضها في الأموال.

٤/ الكفارات على اختلاف أشكالها وألوانها.

٥/ النذور والهبات والوقف الإسلامي.

ونظراً لأن الفقر يشكل مشكلة اجتماعية في سقها الاقتصادي فقد رأينا أحاديث تبلغ حداً في الكثرة تدعو إلى الصدقة - في غير فريضة - وتحث على العطاء بدءً بالقليل "ولو بشق تمرة" وانتهاءً بالكثير "رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق" ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- إيجاد البديل التربوي:

إن من منهج التربية الإسلامية، منهج متكامل، ووحدة رصينة، إن هَدَمَ شيئًا من مرذول الأخلاق، وقبيح الأفعال، أقام البديل والعوض، في أنبل معانيه، وأحسن أوصافه.

"فالحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لو فاته كسبها حتى يساويها في العدم كما قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٩.

أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾[١]، فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو"[٢].

ولكن... كيف عالج الإسلام -كمنهج تربوي فريد- هذه الوضاعة في النفس، والدناءة في الخلق!

نقول إنه:

عالجها بتربية النفس على التنافس في الخير، دون أدنى إثارة للشحناء والبغضاء، أي أوجد وأقام البديل التربوي عن مرذول خلق الحسد، بإيجاد وغرس خلق المنافسة في بناء النشء المسلم وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ...إلخ».

والمراد بالحسد هنا الغبطة: أي: لا يراد تمني زوال النعمة من الغير، بل المنافسة والتطلع لأن يكون للنفس من الخير ما للغير دون تمني زوال نعمته[٣].

وهذه اللفتة التربوية تكشف عن طبيعة تكامل هذا الدين، وتبين منهجه السامق في مراعاته لخلجات نفوس المتربين والمتعلمين، حيث الواقعية وعدم حرفية الأحكام، في منع أمور دون إيجاد بديلها، لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه: مراعاة ذلك عند تربية النشء، فإن بينوا -مثلاً- حرمة الزنا والنظر المحرم، أوجدوا الدعوة إلى الزواج، أو الصيام لغير القادر، "وإن حذروا الأسر المسلمة من فساد البث الإعلامي، أوجدوا التوجيه والدعوة إلى الإعلام الإسلامي الهادف، كقناة المجد والفجر ...إلخ، حيث يأمن الآباء والأمهات على تربية أبنائهم لما يُبَثُ من هذه القنوات الفضائية، وكذلك مراعاة إيجاد البديل عن المواقع الإلكترونية المحرمة، كموقع: إسلام أون لاين وإسلام ويب، وموقع الإسلام لشركة حرف، وشبكة رينيم العربية[٤].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٢) التدين والصحة النفسية، د. صالح إبراهيم الصنيع، ٢٩٧.

(٣) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ١٠٣.

(٤) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٦٠-١٦٤ بتصرف.

ثانيًا- غرس روح المنافسة:

إن المنافسة بين المتربين والمتعلمين من غير شحناء، تعدو بحق من أعظم طرق التربية الناجعة في حمل المتربين على الجد والاجتهاد، لبلوغ أوجه التربية الإسلامية.

وقد أشارت أحاديث الباب إلى مراعاة ذلك، لقوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ... إلخ»، وقوله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ... إلخ».

وقد ورد عن السلف الصالح ما يؤكد أهمية إثارة المنافسة بين المتربين من غير شحناء، فعن سعيد بن جبير «أن امرأة أتت ابن عباس رضي الله عنهما بكتاب بعد ما ذهب بصره، فدفعه إلى ابنه فتبرأ منه - أي أن القراءة قد استصعبت عليه فانقطع-فدفعه إليَّ فقرأته، فقال لابنه: ألا هذرمته -أي كنت سريع القراءة- كما هذرمه الغلام البصري»[1].

وغرس المنافسة في تربية النشء ليس قاصرًا على مرحلة تربوية بعينها بل يشمل جميع المراحل التربوية، وإنما الذي يختلف في هذه الحالة هو مضمون المنافسة، وقد ورد في السنة شيء كثير من ذلك[2]، والتي منها:

قوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[3].

وهذه المنافسة التي أوجدها المربي الأول لجيل الإسلام هي التي حدت بعمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن يقول: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ

---

(١) التمهيد، ابن عبدالبر، ١٦/٩٠.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ٩١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

اللهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللهِ، لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»[1].

ولكن... التساؤل الذي يطرح نفسه هنا، هو كيف يستطيع المتربي أن يوجد لنفسه جو المنافسة حتى يبلغ آفاق ما يرجو؟!

وللإجابة على ذلك نقول:

إن المتربي والمتعلم إن طالت صحبتهما لسير السلف استوحش من أهل زمانه وأنكر أسلوب حياتهم، وتعلق بالآفاق العالية التي حلق فيه أولئك الرجال العظماء النبغاء الموهوبون، فهو في كل ساعة مشغول بمنافستهم ومزاحمتهم، وكلما حل بمنزلة من منازل السير: تراءت له أخرى أعلى، وكلما دهمه كسل أو فتور: تذكر أنه في حلبة سباق، وأي تهاون أو تباطؤ سيلقى به في مؤخرة المتنافسين، ويزيده تشجيعًا: أن الاجتماع بهؤلاء السلف الصالح هو في السير على نهجهم والتخلق بأخلاقهم، وإن الاقتباس من السير الناجحة والتجارب الموفقة هو ما يحدث للمتربي والمتعلم جو المنافسة المستمر، مما يدفعه إلى بلوغ كمال غايته وحسن مبتغاه[2].

ثالثًا- التربية على حب البذل والإنفاق:

إن من الوقفات التربوية اللازمة، والتي تتعلق بحقائق النفس ومساربها البشرية، وقفة البذل والجود، وحب الإنفاق في وجوه الخير، فالشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم، ويخوفه من الإنفاق في سبيل الله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3][4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٦٧٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٠٢).

(٢) مقاصد التوبة، دعوة إلى السير في مدارج الكمال، د. محمد عز الدين توفيق، مجلة البيان، العدد ١٠٦، بسنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٨.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي ص ٢١.

والمتربي أو المتعلم الناظر في حال الناس، يجد أنهم لا يخرجون عن صورتين:

الأولى: صورة الحليم الرشيد الذي إذا رزقه الله مالاً وولداً، وسع عليه فيما وهب له، وعرف حق الله في ذلك، فأحسن التربية وعلم الأبناء، وأكل وشرب ولبس وركب وأنفق وتصدق وبرّ وأحسن في غير سرف ولا مخيلة، يفعل الخير وينتظر الجزاء عليه من الله في الدنيا بالخلق ويوم القيامة بالأجر العظيم.

الثانية: صورة البخيل الشحيح المأثوم المحروم لا يتمتع بماله، ولا ينفعه حقه حيًا ولا ميتًا، يسير حافيًا، ويأكل اليابس والناشف، ويلبس المخرَّق والبالي، ولو مرض وكان دواؤه بدرهمين ما اشتراه ولا استعمله إلا أن يأتيه مجانًا، أو يتصدق به عليه، ولو شاء لافترش الوثير، ولبس الريش، وأكل وشرب أطيب الطعام، وألذ الشراب، وأنى له ذلك وهو المسكين الحزين على ما فات، والحريص على ما هو آت؛ ومن بخل بشيء على نفسه فهو على غيره أبخل: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[1][2].

وبعد عرض هاتين الصورتين، والتي تجسد حال مجموع الناس، يجدر بالمربي والمتعلم أن يلوذ بامتثال صورة الإنفاق والجود والكرم، خاصة إن علم أنها تجسد امتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ، حيث قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ۝٢٨ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾[3].

أما السنة النبوية فقد استفاضت في ترسيخ هذا المعاني، وتأكيدها في تربية

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٨-١١.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ٢٦-٢٩.

النشء، وهذا ما ترائى من مجمل أحاديث الباب، والتي من أبرزها، قوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ ... إلخ»، وقوله ﷺ: «إن تبذل الفضل خير لك ... إلخ»، وقوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال...إلخ»، وقوله ﷺ: «بقى كلها غير كتفها»، وقوله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة ... إلى قوله: حتى تكون مثل الجبل».

والمتربي الصالح يهيئ الله له أسباب الخير من كل ناحية، فنفسه طيبة تجود بالكثير، ولا تحتقر القليل، ويرى عليه حقًا لكل بائس فقير، وقد يرزقه الله مالاً يسع كثرة الإنفاق في سبيل الله، ولا تأتي على نفاده وجوه البر والإحسان، وله بطانة صالحة، وأسرة طيبة تعينه على الجود والسخاء، فيصبح بعد ذلك كريمًا لا يبالي بما أنفقت زوجته، وما تصدقت به من درهم أو ثوب أو لقمة خبز، ..... فالمرأة الصالحة المتدينة تعين زوجها على ما يحبه الله ويرضاه، ومن ذلك أن تذكر له حاجة الجار والمسكين، فيرق له ويأمرها بمواساته، وأن ترضخ له ما تيسر ولو من قوته وقوت عياله[1].

وهذا ما بينه النبي ﷺ في أحاديث الباب من قوله ﷺ لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما «لاَ تُوكِي ... إلخ»، وقوله ﷺ: «أَنْفِقِي، أَوِ انْفَحِي أَوِ انْضَحِي، وَلاَ تُحْصِي ... إلخ».

وعلى المرأة إذا أنفقت أن تراعي حال زوجها، فلا تعتمد إلى كل شيء في البيت فتخرجه، ولا تأخذ شيئًا يعز عليه وتتصدق به، فإن ذلك يغضبه ويؤذيه، ويحمله على منعها من الخير؛ وليس بلازم أن تكون الصدقة بالكبير أو من الكثير، ولكنها بما تيسر[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في أحاديث الباب -عند تربيته لأمته- وذلك في قوله «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

---

(١) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٣٠.

وعند تربية الناشئة على الإنفاق والبذل، يجدر بدعاة التربية والتوجيه مراعاة الآتي:

١-بيان أن الإنفاق من باب شكر النعمة، فإن لله عز وجل على عبده نعمًا في نفسه، وفي ماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال. وما أخسَّ من ينظر إلى الفقير، وقد ضُيِّق عليه الرزق وأُحوجَ إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه.

٢-الإسرار في الإنفاق؛ فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

وفائدة الإخفاء للمتربي والمتعلم تحقيق الخلاص من آفات الرياء والسمعة، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه، ويوصيه بان لا يفشيه. كل ذلك احترازًا من الرياء والسمعة.

٣-إعلان المتربي للصدقة والإنفاق، إن كان في ذلك ترغيب للناس في الاقتداء بالإنفاق، لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[2].

٤-أن لا يفسد المتربي والمتعلم، صدقته بالمن والأذى، لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[3]، واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل: المن أن يذكرها، والأذى: أن يظهرها، وقال سفيان: المن: هو ذكر الصدقة والتحدث بها والأذى أن يعيره بالفقر.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

٥- أن ينتقي المتربي من ماله أجوده وأحبه إليه وأحلّه وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا.

رابعًا- تعلم العلم ونشره:

إن استحكام الأهداف التربوية العليا، في قلوب المتربين والمتعلمين مما يحدو بالمجتمع نحو الصلاح العاجل، والفلاح الدائم، ومن أهم الأهداف التربوية المناط غرسها في بناء النشء، تعلم العلم ونشره.

وهذا ما يترائى جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ»، ثم ذكر ﷺ: «ورجُلٍ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها».

فالمربي عمله التربية، وهو يقوم بعملية بناء منظمة، لتنشئة من يربي تنشئة سوية متزنة، فلا ينتظر المربي وقوع الخلل والخطأ حتى يبدأ في معالجته، بل يكون هو البادئ بالتربية والتعليم[1].

ومن المسلمات التربوية الواجب ترسيخها في أذهان ووجدان القائمين على التربية والتوجيه، أن طفولة المتربي قد خُلقت لطلب العلم وقد أطالها الله تعالى أكثر من طفولة الحيوانات ليتسنى للصغار الاستمرار طويلاً في الدراسة، وإن مخالفة ذلك، بوضع الأطفال في العمل في سن مبكرة ينهك أجسامهم ويعرضهم لأخطار وآفات العمل، فضلاً عن جعلهم ينقمون في كبرهم على ذويهم وعلى مجتمعهم بسبب العقد النفسية التي تكونت لديهم من التعذيب الذي لاقوه في صغرهم[2].

ويجب على القائمين بالتربية والتعليم مراعاة الآتي في تعليمهم لأبنائهم وذويهم:

١- الرفق والرحمة وعدم الإثقال في التعليم:

فرغبة المربي والمعلم في الوصول بتلميذه إلى الدرجة العليا قد تدفعه إلى نسيان ما ينبغي عليه في ذلك، فيثقل كثيرًا على التلميذ، حتى يكاد التلميذ أن يملّ من ذلك، ولكن ينبغي أن يراعي أوضاعهم حتى تؤتي التربية ثمارها، وهذا رسولنا

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١١٨.

(٢) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي الاستانبولي، ١٢٧.

الكريم ﷺ، وقد أتاه مجموعة من الشباب متقاربين في السن، فأقاموا عنده عشرين ليلة، فلما ظن أنهم قد اشتاقوا لأهلهم أمرهم بالرجوع إليهم وأوصاهم[١]، وهذا ما يخبرنا به مالك بن الحويرث رضي الله عنه يقول: « أتينا النبيَّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عندَهُ عشرينَ ليلةً، وكان رسولُ اللَّه ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أَهلَنا - أو قد اشتَقنا - سَأَلَنا عمن تركنا بعدَنا فأخبرناهُ، قال: ارجعوا إلى أَهْلِيكم فأقيموا فيهم، وعلموهم ومُرُوهم - وذكرَ أشياءَ أحفَظها ولا أحفَظها - وَصَلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، ....إلخ»[٢].

لذا وجب على المعلم أن يتعاهد تلاميذه ويعرف احتياجهم، ويرفق بهم ولا يهمل النوازع الإنسانية، فلا يتعامل معهم على أنهم ملائكة، بل هم بشر من البشر[٣].

٢- ضرورة غرس همة الاقتداء بالسلف الصالح في تعلم العلم ونشره:

"تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصفوة والشباب في طلب العلم، فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي لندمت عليه، ثم تأملت حالي: فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم، وما طالت طريق أدت إلى صديق -كما يقال-، وقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أرجو وأطلب".

وقال: "كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى في ضواحي بغداد، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا تحصيل العلم ... إلخ"[٤].

وذكر أنه سار ماشيًا من الكوفة إلى بغداد مرات عديدة، ومن مكة إلى المدينة

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٩٥.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١١٨.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، ٥٩٧.

مرارًا، ومن البحر من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيًا، ومن مصر إلى الرملة، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان، ومن الرملة إلى طبرية، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص، ومن حمص إلى أنطاكيا، ومن أنطاكيا إلى طرسوس، ثم من طرسوس إلى حمص، ومن حمص إلى بيسان، ومن بيسان إلى الرقة، وقبل ذلك من واسط إلى النيل، ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشيًا في سفره الأول، وسنه عشرون عامًا"[١].

وقال: بعد أن نوزع مرة في النقل عن الوسيط - أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة.

وقال: فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قد مر بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض...، وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة[٢].

وأخيرًا ... أختم بقول ابن عابدين في مقدمة حاشيته للرد على الدر المختار: "وقد كنت صرفت في معاناته برهة من الدهر، وبذلت له مع المشقة مشقة من جديد العمر، واقتنصت بشبكة الأفهام أجل شوارده، وقيدت بأوتاد الأقلام جلىّ أوابده، وصرت في الليل والنهار سميره، حتى أسرّ إليّ سره وضميره وأطلعني على حوره المقصورة في الخيام، وكشف لي عن وجوه مخدّراته اللثام، فطفقت أوشي حواشي صحائف صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض للصحيفة، ثم أردت جمع تلك الفوائد، وبسط سمط هاتيك الموائد، من متفرقات الحواشي والرقاع، خوفًا عليه من الضياع[٣].

فهذه هي همة العلماء التي أضاءت سبيل الطالبين وكشفت عن طريق المسترشدين لتعلم العلم وتحصيله.

---

(١) حوار مع فضيلة الشيخ/عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ضمن مجلة البيان، العدد ١٣٢، شعبان ١٤١٩هـ، ديسمبر ١٩٩٨، ص٣٣.

(٢) المنهاج السوي في ترجمة النووي، جلال الدين السيوطي، مطبوع في مقدمة كتاب روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٤-٥٨، ٥٥.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٦٩-٧٠.

٣- ضرورة بيان الأسباب المعينة على طلب العلم وتعلمه، والتي على النحو التالي:

أ/ تقوى الله: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

ب/ كثرة الاستغفار والتوبة والدعاء، والانطراح بين يدي الله تعالى وسؤاله العلم النافع والعلم الصالح.

ج/ ذكر الموت والآخرة ليعين على شغل الوقت بالنافع.

د/ المحافظة على الأوقات، وحسن ترتيبها، والحرص على استغلالها، بحيث يُعطي كل ذي حق حقه، بدون غلو ولا جفاء، وهذا شرط لا يحصل العلم بدونه.

و/ سلوك الوسائل المباشرة للتعليم، مثل: ملازمة العلماء والمشايخ في المساجد والبيوت، والتلقي عنهم، والتعليم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، والقراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم، وكثرة الاطلاع، والقراءات الخاصة المنتقاة المرتبة، وإعداد البحوث الدقيقة، والاستماع إلى الأشرطة النافعة[3].

٤-وكان من أجلِّ مهام القائمين على التربية والتعليم، غرس الإخلاص في نفوس المتعلمين، حيث لا تستقيم طاعة ولا تقبل عبادة إلا بالإخلاص، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعني رِيحَهَا»[4].

وكان من أعظم وسائل غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، القراءة في أخبار العلماء المخلصين ومعرفة أحوالهم، ليكسب طالب العلم معرفة بهم، وقدوة في شمائلهم، حيث قال أبو حنيفة: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إلى من كثير

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٣) أهمية العلم الشرعي، عبدالحكيم محمد بلال، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ١١١، ذو القعدة، ١٤١٧هـ، ابريل ١٩٩٧م، ص٦٥، ٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود، ٣٦٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣١١٢).

من الفقه لأنها آداب القوم؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1][2].

وقد كان من أخبار السلف في بيان الإخلاص:

قول الشافعي: لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليَّ منه شيء[3].

وقال الحسن البصري: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا[4].

خامسًا- السؤال والاستفهام:

إن مما يوجه المتربي نحو معالم التربية، السؤال والاستفهام، حيث توضيح ما خفي عنه، وكشف ما التبس عليه؛ لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه، طرح الأسئلة على المتربين، وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من سؤال النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟».

والسؤال والاستفهام كما يكون من المعلم والمربي، يكون كذلك من المتربي إن استعصى واستشكل عليه أمر، وهذا ما ظهر جليًا في حديث الباب من قوله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟»، وهنا يجب على المتربي والمتعلم احترام العالم في ألا يسأل إلا فيما يعلم، فلا ينبغي في الأصل أن يوجه للعالم الأسئلة في غير تخصصه، خاصة إذا كانت مبتورة أو ملتوية، أو موجهة لتحصيل غرض مبيت، فهذا من التغرير بالعالم والتوريط له.

ومما يجب مراعاته أيضًا في ذلك، دقة السؤال وأمانة السائل: فليست الأمانة مطلوبة فقط من المسؤول، بل من السائل أيضًا، فمن الأمانة أن يحسن المتربي صياغة

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي ص ١٥-١٧ باختصار.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٢٥١.

(٤) الزهد، ابن المبارك ص ٤٥.

السؤال، ويجرده من الإيهام والإبهام، وقد عد العلماء حسن السؤال في أول مراتب العلم.

ومن أمانة السائل أيضًا: أن يتحرى أمانة المسؤول وصدقه وأهليته، قيل لعبدالله بن المبارك: كيف نعرف العالم الصادق؟ قال: الذي يزهد في الدنيا ويقبل على الآخرة.

وأخيرًا كان من الواجب بيان أن العالم الأمين لا يجيب على السؤال مجردًا، بل ينظر في القرائن المحيطة بالسائل، فلعله يستعين بالعلم على البطالة، أو يستخدم الفتوى في ضلالة، أو يبتغي الرفعة على صنعة الدين، أو يريد تسخيره لهدف دفين، ولهذا كان ديدن العلماء والمصلحين أن يتأسوا برسول الله ﷺ في النظر إلى حال السائل قبل إعطائه الجواب، وفي عدم التمكين كمن يريد أن يختل الدنيا بالدين[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ. وَلَكِنَّهُمْ وَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ. فَهَانُوا عَلَيْهِمْ»[2]، وقال أحمد: «لْيَتَّقِ اللَّهَ عَبْدٌ وَلْيَنْظُرْ مَا يَقُولُ وَمَا يَتَكَلَّم، فَإِنَّه مَسْؤُولٌ»[3].

سادسًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب.

والسنة النبوية تؤكد أهمية هذا الجانب بما تضمنه من ترغيب وترهيب، تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه لذلك، وتخوفه من الانحراف، وتحذره من ذلك[4].

وهذا ما ترائى جليًا في مجمل أحاديث الباب، حيث ترغيب النبي ﷺ في الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى، وترهيبه ﷺ من التقتير والبخل وعدم الإنفاق.

---

(١) كيف نحمي ثوابتنا، عبدالعزيز كامل، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ٩١، ربيع أول ١٤١٦هـ/أغسطس ١٩٩٥م، ٣٧، ٤٠.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٤٨.

(٣) المرجع السابق ٢/٥٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

ومن شواهد الترغيب، التي تضمنتها أحاديث الباب، قوله ﷺ: «...اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا»، وقوله ﷺ: عن رب العزة: «أَنْفِقْ يا ابنَ آدمَ يُنفَقْ عليكَ»، وقوله ﷺ: «... مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ...إلخ»، وقوله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ... إلى قوله ...، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ».

وقد اعتبر التربويون المسلمون الأوائل الثواب والمدح والثناء الأسلوب الأمثل، والحافز الأقوى للتعليم، ولذلك طالبوا المعلم والمربي المبادرة بالترغيب قبل غيره، وأن لا يلجأ إلى غيره إلا لحاجة ملحة قد تفرضها طبيعة المتربي، كأن يكون قليل الحياء مستخفًا بالكرامة قليل الألفة محبًا للكذب[1].

وقد جاء في وصية ابن سحنون لمعلم ولده: "لا تؤدبه إلا بالمدح ولطيف الكلام، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف"[2].

وقد بين ابن خلدون سوء مخالفة البدء بالترغيب في تربية المتربي، فقال: "ومن كان مَرْباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر، وضيَّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه ذلك إلى الكسل، وحمله على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقًا، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله، وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل؛ فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين[3].

---

(١) الثواب والعقاب في التربية، د. عمر النمري، ضمن بحوث مجلة البيان، العدد ١٣٧، المحرم ١٤٢٠هـ/يونيو ١٩٩٩، ص٢٧.

(٢) آداب المعلمين، محمد بن سحنون، ملحقة في كتاب التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، ص ١٤٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون، ١٢٥٣/٣، ١٢٥٤.

أما الترهيب والوعيد الشديد فهو مرحلة ثانية في تأديب المتربي إن لم يفلح الترغيب، وقد ظهر هذا الأسلوب التربوي في أحاديث الباب من ترهيبه ﷺ من التقتير والبخل وعدم الإنفاق، وكان من الشواهد في أحاديث الباب على ذلك:

قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، وقوله ﷺ: «... وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ».

فإذا لم ينفع مع المتربي أسلوب الترغيب يلجأ المربي والمعلم إلى أسلوب أشد في العقوبة المعنوية وهو أسلوب الترهيب والوعيد الشديد دون إيقاع الضرب ودون التبذل في العذل والتقريع في الكلام أو اللجوء إلى الشتم والسب. وقد جعل أبو الحسن القابسي هذا الأسلوب في العقوبة أعلى درجات العقوبة المعنوية، ويليه مباشرة إيقاع العقوبة البدنية بالمتربي إذا استأهل ذلك[1].

كذلك أشار الغزالي إلى أن المتربي إذا نُهي عن التخلق بسيئ الأخلاق فلم ينته، فينبغي أن يعاقب سرًا ويعظم الأمر فيه؛ فيقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفضح بين الناس. فإن لم ينته المتربي عن ذلك يلجأ إلى العقاب الجهري والتغليظ في القول لينزجر السامع ومن معه ويتأدبوا بذلك؛ فإن لم ينفع معه ذلك يُلجأ إلى العقوبة البدنية[2].

إن الترغيب والترهيب يثير عند الإنسان عامل الخوف، وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان، ويعملان على تحديد أهدافه، وسلوكه، ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يخاف، ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو، يكون التأثير في السلوك والاتجاه. ولذلك ينبغي أن يكون حجم الترغيب والترهيب يتوافق مع حجم ونوعية ما وضع من أجله[3].

---

(١) الثواب، والعقاب في التربية، د. عمر النمري، ضمن بحوث مجلة البيان، ٢٩.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٧٣.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٥.

سابعًا- التربية الخلقية:

إن تربية الخلق في نفوس المتربين، من أهم ما يجب مراعاته من قِبل القائمين بالتربية والتوجيه، حيث امتثال قوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ»، وفي رواية «صَالِحَ الأَخْلاَقِ»[1]، وقد ترائى في أحاديث الباب، دعوة النبي ﷺ للتخلق بأخلاق الكرم والصدق والشجاعة، وذلك في قوله ﷺ: «... ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذَّابًا وَلاَ جَبَانًا».

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2][3].

وقد يجد المتربي أن من الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهًا - يتهرب من صاحب الحاجة الفقير ولو كان قريبًا له، لا كبرًا عليه، وإنما خوفًا من أن يفتح الباب عليه من أقاربه، فيبدؤون بالاستدانة منه، ويكثرون الطلبات عليه، أو غير ذلك!.

وبدلاً من أن يفتح الباب لهم، ويستضيفهم، ويوسع عليهم ويقوم على خدمتهم بما يستطيع، أو يعتذر لهم عما لا يستطيع- إذا به يعرض عنهم، ويحرمهم، ويهجرهم، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم -كما يزعم-!!

وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب؟ قال: زهير بن أبي سلمى -وما أجمل ما قال-:

وَمَن يَكُ ذا فَضْلٍ فيَبْخَلْ بفضْلِهِ ... على قَوْمِهِ يُستَغْنَ عنهُ ويُذْمَمِ

وما أجمل قول البارودي:

فَلاَ تَحْسَبَنَّ الْمَالَ، يَنْفَعُ رَبَّهُ ... إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعَشَائِرُ[4]

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤٥.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٣) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ١١٨.

(٤) ديوان البارودي ٢/٩٧.

ومما قيل في ذلك:

ومن ذا الذي ترجو الأباعد نفعه ... إذا كان لم يصلح عليه الأقارب[١]

لذا كان البخل خلقًا ذميمًا يتولد من سوء الظن وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعًا، فكان من الواجب على القائمين بالتربية والتوجيه تنقية أنفس المتربين من شر الشح وشؤم البخل.

وأما الخلق الثاني الذي حذر منه النبي ﷺ، هو الكذب وذلك في قوله ﷺ: «... ولا كذاب ... إلخ».

ولله درُّ القائل:

مَا أَقْبَحَ الْكَذِبَ الْمَذْمُومَ صَاحِبُهُ ... وَأَحْسَنَ الصِّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال القائل:

عليْكَ بالصّدْقِ ولوْ أنّهُ ... أحرَقَكَ الصّدقُ بنارِ الوَعيدْ

وابْغِ رِضَى المَوْلى فأغْبى الوَرى ... منْ أسخَطَ المَوْلَى وأرضى العَبيدْ

وكلما أفرط المرء في الكذب والإخبار بما لم يقع عرف عند الله وخلقه بأنه كذاب، فلا يقام له وزن، ولا يأمنه أحد على شيء؛ فإن كان عالمًا اتهم في قلمه ولسانه، أو تاجرًا اتهم في مكياله أو ميزانه، أو صانعًا اتهم في قوته وإتقانه، أو طبيبًا اتهم في آلته ومعرفته، أو محاميًا اتهم في أمانته وقدرته. فالكاذب يجني على نفسه قبل أن يجني على أحد، ولاسيما إذا تحرى الكذب حتى يكتب كذابًا في السماء وكذابًا في الأرض[٢]، وبهذا التحذير تنفر النفوس الصادقة عند تربيتها من الكذب وقبحه.

أما الخلق الأخير الوارد ذمه في نص الحديث هو، الجبن، حيث قوله ﷺ: «... ولا جبانًا».

وليس أضيع لجيل الأمة من هذا الخلق المرذول، حيث سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء[٣]، وقد كانت تربية أبناء السلف الصالح تربية قويمة استقت مشاربها من

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٦٦، ٦٧.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ٧١.

(٣) التدين والصحة النفسية، د. صالح إبراهيم الصنيع، ٢٩٥.

مدرسة النبوة، فمضى الآباء يربون أبناءهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الأخطار والشدائد... حتى إذا بلغوا سن الحركة والانطلاق - وهم لم يناهزوا الحلم بعد- مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين، وأبطالاً مجاهدين، وطلابًا للكسب عاملين!![1].

ثامنًا- تحرير النية الصالحة:

إن من أعظم التوجيهات التربوية الواجب إدامتها في تربية النشء، تحرير النية لله في كل عمل وفعل، وهذا ما ظهر من حديث الباب في قوله ﷺ: «... وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِيَ مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، ... إلخ».

وتحرير النية الصالحة للمتربي يشمل سائر الأعمال الحيوية.. فالأكل، والشرب، والنوم، والنزهة البريئة، والتمتع بسائر الطيبات.... إذا فعلها المتعلم أو المتربي أو أي مسلم آخر بنية الامتثال لأمر الله، والتعفف عن الحرام، وتقوية الجسم ليكون أقدر على حمل المسؤوليات والتكاليف.. يصبح العمل بهذه النية الصالحة عبادة يتقرب بها المؤمن إلى الله زلفى، وعلى هذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن الإنسان يعد مثابًا ومأجورًا إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية إيناسها وإدخال السرور عليها، وأخبر أيضًا ﷺ أن الذي يضع شهوته في الحلال بنية الإحصان، وإنجاب الذرية الصالحة... فله ثواب وأجر. وعلى هذا استنبط فقهاء الشريعة من هذه الأحاديث المتقدمة هذا الحكم: "إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة"[2]، لذا وجب مراعاة ذلك أثناء توجيه المتربي والمتعلم نحو القيام بسائر أفعاله وأعماله.

---

(١) تربية الأولاد، عبدالله ناصح علوان ٣١٤/١.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٨٩٥/٢.

٦١- باب النهي عن البخل والشح

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[الليل: ٨-١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[التغابن: ١٦].

وأما الأحاديث فتقدمت جملة مِنْهَا في الباب السابق.

الحديث رقم (٥٦٢)

٥٦٢- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الظلم: هو مجاوزة الحد، والتعدي بكل أشكاله، والشح أشد البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور والشح عام، وقيل: البخل في أفراد الأمور، والشح بالمال، والمعروف، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده، والبخل بما عنده، والشح بهذه المعاني مبعث كثير من الأخطاء، والآثام؛ لأنه يدعو إلى منع حق الله في المال والضن بالمعروف بل، ويدعو إلى منع الصدقة، وقطيعة الرحم وحرمان الانتفاع بالنعمة والتكالب على الدنيا، وأكل أموال الناس بالباطل، ونسيان الآخرة، وقد جاء تحذير الرسول ﷺ منه معطوفاً على الظلم بتبعاته ؛لأنه طريق إليه لذلك جاء الأسلوب محذراً، ومبيناً علاقته بمختلف الشرور، وتأثيره على المجتمع بعدة ألوان بلاغية منها:

---

(١) برقم ٢٥٧٨/٥٦، وتقدم برقم ٢٠٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٧٩.

البداية بأسلوب إنشائي يتسم بالحركة التي تقاوم دفعاً حركة الظالم تقدماً وحركة الشحيح بما له تأخراً عن سبل البر، وهذا الأسلوب هو الأمر في قوله: (اتقوا الظلم...) بمعنى احذروه وانتهوا، والظلم يشمل كل ألوان التعدي على النفس وعلى الغير، وقوله: (فإن الظلم ظلمات) أكّد الجملة باسمية الجملة و(إن) قبلها إشارة إلى أهمية الخبر، وعنايته به حيث أنه لم يواجه بإنكار، والمقام لخال الذهن، فالتوكيد لأهمية الخبر، والتنبيه إلى خطره، أو لعله ﷺ نزّل المخاطبين غير المنكرين منزلة المنكرين لما استهانة من بعضهم بأمر الظلم، وغفلة عن خطره ؛فأكد الخبر بأكثر من مؤكد لدفع هذا التهاون، وبيان خطر الظلم يوم القيامة.

وما أروع تأثير الجناس في قوله (الظلم ظلمات) الذي يجذب الانتباه، ويؤكد المعنى وقوله: (فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) تشبيه بليغ حيث شبه الرسول -ﷺ- (الظلم) وهو شيء معنوي بالظلمات، وهي شيء حسي يدرك بالبصر، ووجه الشبه هو التخبط، وعدم الاهتداء.

والتشبيه البليغ محذوف الوجه، والأداة يفيد شدة الشبه بين المشبه، والمشبه به حتى كأنهما شيء واحد لإثبات المشبه به في الظاهر للمشبه، وحذف الوجه، الذي يجعل نفسه تذهب في تخيله كل مذهب. وتشبيه الرسول ﷺ للظلم بالظلمات يوحي بعدة دلالات منها:

أ- الإشارة إلى ضلال الظالم، وعدم اهتدائه إلى طريق الحق كما أن السائر في الظلمات لا يهتدي إلى طريقه.

ب- كثرة عثرات الظالم، وتعرضه للأخطار الذي لا يدركها كما يقع للسائر في الظلمات دون نور يهتدي به يمكّنه من رؤية الطريق، والظالم عرضة لانتقام المظلوم ودعائه عليه، أو انتقام الله في الآخرة.

ج- إفراد المشبه، وجمع المشبه به يوحي بأن الظلم بأنواعه جنس واحد مهما اختلف ومصيره كذلك، وجمع الظلمات يوحي بسوء المصير الذي ينتظر هذا الظالم ويوحي بأن الظلم يولد بعضه بعضاً، وأن الظالم تدفعه شروره إلى

التمادي وعدم الوصول في ظلمه لغاية حتى يسلمه إلى مصيره الأسود كالظلمات المطبقة التي تحكي تتابع ظلام أفعاله.

د- حذف وجه الشبه بين الظلم والظلمات يوحي بتشابههما في كل من التعثر، وعدم الهداية، وعدم الوصول لغاية، أو تحقيق هدف مع سوء المصير المحتوم لمن اختار طريق الظلمات المطبقة من ظلم الناس.

والمتأمل لحديث الرسول ﷺ يجد أنه نداء منذر شفيق، وتحذير معذر رقيق رأى العاقبة، وأبان الحجة، وترك كل ذي قوة، ومال بعد أن وضَّح العاقبة والمآل ليتصرف في مال الله بمراد الله [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ١٧٨.

(٢) تقدم ذكرها في الحديث رقم (٢٠٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إذا تجاوز الحرص المدى، أدى بصاحبه إلى الهلاك، فالبخيل يمسك على نفسه وعلى غيره، ويصير المال غايته، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب:

أولاً- التربية الوقائية:

ومن الشواهد على ذلك قول ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

لقد عمل النبي ﷺ من خلال هذه التحذيرات على الوقاية من الأخطار الناجمة عن الظلم والشح، وهذا مما يؤكد أهمية الحرص على اجتناب مثل هذه الأمراض الاجتماعية الفتاكة.

إنها التربية الإسلامية الوقائية للفرد والمجتمع المسلم للبعد عن الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهذه التوجيهات تعد بمثابة جرعة وقائية وحمية يتقي بها من الأمراض المهلكة، والوقاية التي استخدمها رسول الله ﷺ تعد أسلوبًا تربويًا يهدف إلى قطع دابر الظلم والبخل لأن من شأنهما أن يؤديان إلى خلخلة الصف المسلم وتوهينه[1].

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية: الترهيب، ومن الشواهد على ذلك في باب النهي عن البخل والشح، قوله ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

فهذا توجيه نبوي اشتمل على الترهيب من الظلم والشح، واعتبارهما من أكبر الذنوب التي تسبب الهلاك في الدنيا والكربات الشديدة يوم القيامة والبخل عدو لأهل الإيمان، لأن من صفات المؤمنين الكرم والجود، كما أن البخل والظلم من أسباب انتشار الجريمة، ولذا جاء الترهيب من هذين الأمبين الخطيرين على اعتبار أن الترهيب

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٦٢.

يمثل القوة الصادرة من الانحراف إلى سبيل غير سبيل الله، والترهيب أسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة[١].

١-أنه أحد الأساليب التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي.

٢-إن الإنسان مفطور على كره الشر والشقاء، والإسلام استخدم هذا الأسلوب فيما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين.

٣-إن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه.

٤-إن الترهيب أسلوب تربوي وقائي لأنه يقوم على جانب من التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية[٢].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٦٩.

٦٢- باب الإيثار والمواساة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[الدهر: ٨].

الحديث رقم (٥٦٣)

٥٦٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ، ثُمَّ أرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثلَ ذَلِكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ. فَقَالَ النبي ﷺ: ((مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟[1])) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: (أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ)[2].

وفي روايةٍ[3]: قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لاَ، إِلاَّ قُوتَ صِبيَانِي. قَالَ: فَعَلِّليهم بِشَيْءٍ، (وَإِذَا أرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأرِيهِ أنَّا نَأكُلُ. فَقَعَدُوا وَأكَلَ الضَّيْفُ)[4] وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ: ((لَقَدْ عَجِبَ الله مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[5].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) عند مسلم زيادة: (رحمه الله)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٢) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٣٧٩٨.

(٣) أي في رواية جرير بن عبد الحميد عند مسلم برقم ٢٠٥٤/١٧٢.

(٤) هذه الزيادة في رواية أبي أسامة عند البخاري برقم ٤٨٨٩.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٩٨، ومسلم ٢٠٥٤/١٧٢، والسياق للحميدي في جمعه ١٨٠/٣، رقم ٢٤٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٠٥.

غريب الألفاظ:

مجهودٌ: أي أصابني الجهد وهو: المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع[١].

رحله: منزله[٢].

فعلليهم بشيء: أي اشغليهم بشيء[٣].

السراج: المصباح[٤].

طاويين: جائعين[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفا من المواقف التي تبين شدة الحال، وضيق الرزق الذي عاش فيه الصحابة رضي الله عنهم عامة، وما عاش فيه النبي ﷺ، وآل بيته من هذه الشدائد خاصة، وقول الرجل السائل (إني مجهود) كناية عن التعب الناتج عن شدة الفقر من الجوع، والتعبير بالإرسال فيه عناية، واهتمام من الرسول ﷺ بقضاء حاجة الرجل يؤكد ذلك العطف بالفاء الدالة على السرعة، وقول بعض نسائه (وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ) يشير توكيدها للخبر إلى تعظيمها لطلب النبي ﷺ وعنايتها به لكنها لا تملك شيئا تجيبه، وقوله (ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ) يشير إلى تطابق الحال في الشدة، وضيق المعيشة، وقلة الرزق لكثرة الصدقة، وإطعام المساكين، ولما لم يجد شيئا في بيوته عمم السؤال (مَنْ يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ ؟) وهو استفهام عرض يفتح أفقا أوسع لحل المشكلة، وقول الأنصاري (أَنَا يَا رسولَ الله) فيه إيجاز بالحذف أي أنا أضيفه، وقوله: (فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ) الفاء توحي بالسرعة، والتعبير بالانطلاق يؤكده، وقوله (فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمِي ضَيْفَ رسول الله ﷺ)

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ل ل).

(٤) المرجع السابق في (س ر ج).

(٥) المرجع السابق في (ط و ى).

الأمر للندب، وإضافة الضيف للرسول ﷺ فيها تشريف، وترغيب يقتضي مزيد العناية بالضيف، وإكرامه، والرواية الثانية تقرر هذا عن طريق تفصيل الأحداث، حيث قدما حاجة الضيف على الأبناء الصغار يدل على ذلك قول الرسول ﷺ (لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ) وهو كناية عن رضاه عنهما بسبب حسن صنيعهما بالضيف.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه [أي الحديث] فضيلة الإيثار والحث عليه، وقد اجتمع العلماء على فضيلة الإيثار بالطعام ونحوه من أمور الدنيا وحظوظ النفس، أما القربات فالأفضل أن لا يؤثر بها، لأن الحق منها لله تعالى)[١].

وذهب ابن عابدين إلى جواز الإيثار بالقرب بلا كراهة[٢].

قال النووي: (قوله: فقال لامرأته: هل عند شيء؛ قالت: لا إلا قوت صبياني قال: فعلليهم بشيء" هذا محمول على أن الصبيان لم يكونوا محتاجين إلى الأكل، وإنما تطلبه أنفسهم على عادة الصبيان من غير جوع يضرهم، فإنهم لو كانوا على حاجة بحيث يضرهم ترك الأكل لكان إطعامهم واجبًا ويجب تقديمه على الضيافة، وقد أثنى الله ورسوله على هذا الرجل وامرأته فدلَّ على أنهما لم يتركا واجبًا بل أحسنا وأجملا رضي الله عنهما)[٣].

قال ابن حجر: (قيل: في الحديث دليل على نفوذ فعل الأب في الابن الصغير وإن كان مطويًا على ضرر خفيف إذا كان في ذلك مصلحة دينية أو دنيوية، وهو محمول على ما إذا عرف بالعادة من الصغير الصبر على مثل ذلك، والعلم عند الله تعالى)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/١٤/٧، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٨/٦-١٤٩.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٢/١-٣٨٣، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٦٥/٢٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/١٤/٧، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٨/٦، ١٤٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة العيش.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لدعوة النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة العيش:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث بيان الحال التي كانت عليها بيوت النبي ﷺ من شدة، ويظهر ذلك في إرسال النبي ﷺ إلى نسائه فلم يجد إلا الماء. قال النووي: هذا الحديث مشتمل على فوائد كثيرة: منها ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا والصبر على الجوع وضيق حال الدنيا[1].

وقال ابن عثيمين: (... هذا الحديث العظيم العجيب، الذي يبين حال رسول الله ﷺ وأصحابه حيث جاءه رجل فقال : يا رسول الله إني مجهود... وهو ضيف رسول الله ﷺ فأرسل ﷺ إلى زوجاته الواحدة تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كل واحدة تقول والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، تسعة أبيات للرسول ﷺ ليس فيها إلا ماء مع أن النبي ﷺ لو شاء أن يسير الله الجبال معه ذهباً لسارت، لكنه ﷺ، كان أزهد الناس في الدنيا كل بيوته التسعة ليس فيها شيء إلا الماء وفي ذلك بيان حال رسول الله ﷺ وما كان عليه من شظف العيش وقلة ذات اليد)[2].

فرسول الله ﷺ كان في حياته مثالاً للزهد في الدنيا والإعراض عن ملذاتها. وزهده من الدلائل على صدق نبوته، فقد أقبلت عليه الدنيا -ولاسيما بعد فتح مكة- فلم يتحول عن سيرته في المأكل والملبس والأثاث.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١/٨٣٣-٨٣٤.

ولندع الكلام إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوجه تصف حياته البسيطة ((إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ، أَدَماً حَشْوُهُ لِيفٌ))[١]، ((مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ، ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعاً. حَتَّى قُبِضَ))[٢].

ويُروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللّه ﷺ، يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِياً وَأَهْلُهُ لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ))[٣].

وليس معنى هذا أنه اقتصر على هذه الأصناف من الطعام طيلة حياته، فقد رُوي أنه كان يحب الحلوى والعسل، وكان يأكل اللحم و الخضار والفواكه ولا يتناول من الطعام إلا ما يقيم أوده[٤].

ثانياً- من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب الدعوة التي تظهر من هذا الحديث أسلوب القسم، ويظهر ذلك في كل واحدة من قول زوجات النبي ﷺ: "والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء".

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية النافعة التي يمكن للداعية أن يفيد منها في دعوته وقد ورد القسم في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٩٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٦٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٢٣).

(٤) مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: ٧٥-٧٦.

(٦) سورة البروج، الآيات: ١-٣.

(٧) سورة الفجر، الآيات: ١-٤.

قال ابن حجر: (وأما ما وقع في القرآن من القسم بشيء من المخلوقات فقال الشعبي: فالخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق)[١].

قال رسول الله ﷺ: ((مَن كانَ حالِفاً فَلْيَحلِفْ باللهِ أو لِيَصْمُت))[٢]. فالحلف على الشيء يفيد توكيد المحلوف عليه باقترانه بما يعظم عند السامع والمتكلم. وفي هذا الحديث يعلمنا رسول الله ﷺ بمن نحلف ونؤكد أقوالنا إذا أردنا الحلف، ومن نعظم ويبين لنا أن نحلف بالله ولا نحلف بغيره، لأن التعظيم الحقيقي لا يكون إلا له سبحانه وتعالى وهو الجدير بالإجلال والإكبار[٣]. فأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في توكيد دعوته للمدعوين.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لدعوة النبي ﷺ:

على المدعو المسلم الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ، ويظهر ذلك في قول هذا الرجل الذي من الأنصار: أنا يا رسول الله عندما سأل النبي عمن يُضيف الرجل هذه الليلة.

فمن آداب المدعو أن يستجيب لدعوة النبي ﷺ، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ في الدلالة على وجوب طاعته واتباع سنته منها قوله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ . وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ. وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي))[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((كلُّ أمتي يَدخلونَ الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسولَ اللّه ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخلَ الجنة، ومن عصاني فقد أبى))[٥].

وتواترت النصوص النبوية في الحث على اتباعه وطاعته، والاهتداء بهديه والاستنان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٥٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ١٦٤٦.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

بسنته، وتعظيم أمره ونهيه، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: ((صلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي))[١] وقوله ﷺ: ((لِتَأْخُذُوا عَنِي مَنَاسِكَكُمْ))[٢].

فطاعة الرسول ﷺ هي المثال الحي الصادق لمحبته ﷺ، فكلما ازداد الحب، زادت الطاعات، ولهذا قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣][٤].

فاتباع رسول الله والاستجابة لدعوته أمر لازم على كل مسلم، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الاستجابة لدعوة النبي ﷺ لهم في مواساة إخوانهم أو إكرامهم، واستضافتهم، أو إعانتهم أو غير ذلك من أوجه التعاون والتكافل، وذلك لحرصهم على تلبية دعوة النبي ﷺ وحبهم لإخوانهم.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإيثار والمواساة:

ويظهر ذلك في صنيع الأنصاري وزوجته بضيفهما وتقديمهما الطعام له رغم حاجتهما الشديدة هو وأطفالهما إلى ذلك حتى أن النبي ﷺ قال للأنصاري: (لقد عجب الله من صنيعكما الليلة).

ومعناه: الرضا من الله، فكأنه قال إن ذلك الصنيع حل من الرضا عند الله حلول العجب عندكم. والرضا من الله يستلزم الرحمة[٥].

ولعظم الإيثار والمواساة أثنى الله على فاعليهما وجعلهما من صفات أهل الإيمان فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، بحث ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨١-٨٢.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠١/٨.

(٦) سورة الحشر، آية: ٩.

ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

وقد كان من صفات النبي ﷺ "الإيثار"، وكان يدعو المسلمين إليه ومن الأمثلة التطبيقية من حياة النبي ﷺ في الإيثار، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه ((قال: جاءَتِ امرأةٌ ببردةٍ ـ قال سَهلٌ: هل تدرون ما البردةُ؟ قال: نعم، هيَ الشملةُ منسوج في حاشيتها ـ قالت: يا رسولَ الله، إني نَسجتُ هذهِ بيدي أكسوكها، فأخذها رسولُ الله ﷺ محتاجاً إليها، فخرَجَ رسول الله ﷺ إلينا وإنها لإزارهُ، فجسها رجل منَ القوم فقال: يا رسولَ الله، اكسنِيها، قال: نعم: فجلسَ ما شاءَ اللهُ في المجلس، ثم رَجعَ فطواها، ثم أرسلَ بها إليه، فقال له القومُ: ما أحسنتَ، سألتها إياه وقد عَرَفتَ أنهُ لا يرُدُّ سائلاً، فقال الرجلُ: والله ما سألتها إلا لتكونَ كفني يومَ أموتُ. قال سهل: فكانت كفنَه))[2].

فالإيثار والمواساة من صفات المؤمنين حقاً وثوابها عند الله عظيم. (ويتجلى أثر هذا الضمير الذي صنعه الإيمان بالله واليوم الآخر في مجال المواساة والإيثار بالمال والنفس بين الصحابة رضي الله عنهم فكان الرجل يحب، لأخيه ما يحب لنفسه، ويبذل له من ذات يده، ومن جهده ووقته ما يبذله لأعز بنيه عليه، وأحب أهليه إليه. وقد يرتقي الإيمان بأحدهم فيؤثر أخاه على نفسه فيجود له بالشيء، وهو أحوج ما يكون إليه كلي ذلك ولا قانون يلزمه، ولا حكومة تطالبه، ولا أجهزة تراقبه، ولا عقوبة تسلط عليه، إنما هو دافع الإيمان بين جنبيه، يحفزه على عمل الخير والتطوع بالبر، ابتغاء ما عند الله، وما عنده خير وأبقى)[3].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الأشْعَريينَ إذا أرمَلوا في الغَزو أو قلّ طعامُ عِيالهم بالمدينةِ جَمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحد، ثمّ اقتَسَموهُ

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧٧، ٥٨١٠، ٦٠٣٦.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤٤.

بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسّوِيّةِ، فهم مِنّي وأنا منهم))[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((قدِم عبدُ الرحمن بن عوفٍ فآخى النبيُّ ﷺ بينَه وبين سعدِ بن الرَّبيع الأنصاريّ، وعند الأنصاريِّ امرأتان، فعَرض عليهِ أن يُناصِفهَ أهله وماله. فقال: بارك الله لك في أهلكَ ومالك، دلُّوني على السُّوق، فأَتى السوقَ فَرَبحَ شيئاً مِن أقِط وشيئاً من سَمْن، فرآه النبيُّ ﷺ بعدَ أيام وعليه وَضَرٌ من صُفْرَةٍ، فقال: مَهْيَمْ يا عبدَ الرحمن؟ فقال: تَزَوجتُ أنصاريةً. قال: فما سُقْتَ؟ قال: وزْنَ نَواةٍ من ذهَب. قال: أوْلِمْ ولَوْ بشاةٍ))[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٧٢، ومسلم ١٤٢٧.

الحديث رقم (٥٦٤)

٥٦٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأربَعَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور التكافل التي يُربِّي عليها الإسلام أفراده، كما يغرس خلق الإيثار، وينميه بالحث على مثل هذه الخصال، وقد ساق النبي ﷺ المعنى في صورة خبرية خالية من المؤكدات حقيقة مجردة، وكأن الخبر من الوضوح بحيث لا يتوقع وجود من يعارضه، وفي هذا إعلاء من شأن المعنى، وقوله: (طعام الاثنين كافي الثلاثة) قاعدة عامة تؤسس مبدأً عاماً في التكافل والإيثار، والتعبير باسم الفاعل (كافي) دون الفعل إشارة إلى ثبات الكفاية في كل حالة يطعم يتشارك فيها الثلاثة طعام الاثنين، والجملة الثانية (وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الْأَرْبَعَةِ) توكيد لمضمون معنى الجملة الأولى، وهي دعوة إلى المشاركة، والإيثار، ونهي ضمني بألا يضيق المسلم بأخيه في طعامه، وماله، وحسن خلقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى:

استحباب الاجتماع على الطعام:

قال ابن حجر: (قال ابن المنذر: يؤخذ من حديث أبي هريرة استحباب الاجتماع على الطعام، وأن لا يأكل المرء وحده)[2]، فيستحب تكثير الأيدي على الطعام، والأكل

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣٩٢، ومسلم ٢٠٥٨/١٧٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٢. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٩.

مع جماعة، لأنه إذا اجتمعت الأيدي، وكانت المواساة، وأكل الناس عظمت البركة[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الإيثار:

لقد بين النبي ﷺ أن طعام الواحد يكفي الاثنين، وأن طعام الاثنين يكفي الأربعة، وأن طعام الأربعة يكفي الثمانية، وهذا حث منه ﷺ على الإيثار، يعني أنك لو أتيت بطعامك الذي قدرت أنه يكفيك، وجاء رجل آخر فلا تبخل وتقول هذا طعامي وحدي، بل أعطه منه حتى يكون كافيًا للاثنين، وكذلك الاثنين والأربعة.

وإنما ذكر الرسول ﷺ هذا من أجل أن يعود الإنسان بفضل طعامه على أخيه[٣].

إن الإيثار مبدأ إسلامي قام النبي ﷺ بتربية أصحابه رضي الله عنهم عليه، ومن حكمة النبي ﷺ أنه لم يكتف بالتوجيهات النظرية في هذا المجال، بل إنه طبق ذلك عمليًا من خلال المواقف التي عاشها الصحابة رضى الله عنهم عمليًا، وكانوا نماذج رائعة ورائدة في الإيثار والتضحية، وكان ﷺ لا يفتأ يذكرهم ويحثهم على ذلك ومن قوله: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ))[٤].

ومن الصور العملية للإيثار ذلك الإيثار الذي حدث بين المهاجرين والأنصار حيث بلغت مشاعر الأخوة وتأثيراتها بين المهاجرين والأنصار أعلى درجات الأخوة ومشاعر الوحدة من الإيثار والسماحة والنبل؛ ولذلك شواهد عدة سجلها التاريخ وامتدحها الله

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٣٣٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠٢/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٦٥).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٨٣٦/١.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٢٨.

عز وجل في محكم التنزيل وهي من الكثرة بمكان، تعج بها كتب السنة والسيرة والتاريخ والتراجم سواء ما كان منها في صفوف الرعيل الأول من المهاجرين والأنصار أو من جاء بعدهم وسار على نهجهم واقتفى أثرهم في فهم عقيدة الإسلام واعتناقها، وطبّق شريعته وارتبك بآصرة الأخوة الإسلامية ووحدة الأمة، ويكفي شاهدًا على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ما ذكره الواقدي من أن الرسول ﷺ لما تحول من بني عمرو بن عوف (في قباء) إلى المدينة تحول أصحابه رضي الله عنهم من المهاجرين، فتنافست فيهم الأنصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهمان فما نزل أحد منهم على أحد إلا بقرعة سهم[2].

أنزل الأنصار إخوانهم المهاجرين في منازلهم وأشركوهم في أموالهم وأحسنوا إليهم[3]، وآووا رسول الله ﷺ، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوؤوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلاً ومرجعًا يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن حماه المسلمون إذا كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين يأوون إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي وجعل يزداد شيئًا فشيئًا[4].

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "يحبون من هاجر إليهم" (أي: من كرمهم وشرف نفوسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. وقوله: "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا"، أي: ولا يجدون في أنفسهم حسدًا للمهاجرين فيما فضلهم الله به، من

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) كتاب المغازي، الواقدي، تحقيق: مارسون جونس١/٣٧٨.

- وانظر: دراسات في السيرة، عماد الدين خليل ص ١٥٣.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٥/٢٠١.

(٤) تيسر الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٨٩.

المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة)[١].

وقال القرطبي في معنى قوله تعالى: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة": (الإيثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقيم وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، يقال: آثرته بكذا، أي: خصصته به وفضلته)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قالتِ الأنصارُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: أقسِمْ بينَنا وبينَ إخوانِنا النَّخيلَ. قال: لا. فقالوا: تَكفونا المؤونةَ ونُشرِكُكم في الثمرةِ. قالوا: سمعنا وأطَعْنا))[٣]، فهذه صورة أخرى من الإيثار الذي اتصفت به الأنصار فقد أشركوا إخوانهم المهاجرين في أموالهم[٤].

فإن الإيثار الذي اتصف به الأنصار مع المهاجرين رضي الله عنهم من أروع الأمثلة وأعظمها في التاريخ الإنساني وهو من الأدلة الصادقة على كرم الأنصار وفضلهم، ومن الموضوعات المليئة بالعبر والعظات للمسلمين جميعًا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حصول البركة بالاجتماع على الطعام:

يظهر ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ كَافِي الثَمَانِيَة) وذلك لحصول البركة بالاجتماع على الطعام).

قال النووي: (هذا فيه الحث على المواساة في الطعام وأنه وإن كان قليلاً حصلت منه الكفاية ووقعت فيه بركة تَعُم الحاضرين عليه)[٥].

فمن الآداب النبوية استحباب الاجتماع على الطعام، وأن اجتماعهم سبب لحلول

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦/١٨/٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٧١.

(٤) انظر: تميز الأمة الإسلامية، د. إسحاق بن عبدالله السعدي ٥٣٤/١ - ٥٣٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٤.

البركة فيه، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة[١].

وقد ورد عن وحشي بن حرب، عن أبيه عن جده: ((أنَّ أصْحَابَ النَّبيِّ ﷺ قالُوا: يَارَسُولَ الله إنَّا نَأْكُلُ وَلا نَشْبَعُ، قال: فَلَعَلَّكُم تَفْتَرِقُونَ؟ قالُوا: نَعَمْ، قال: فاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُم وَاذْكُرُوا اسْمَ الله عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُم فِيهِ))[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإيثار والكرم والمواساة:

فالإسلام يحث المسلمين فيما بينهم على التكافل والتناصر والمواساة امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٣].

قال السعدي: (هذا عقد عقده الله بين المؤمنين أنه إذا وجد من أي شخص في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم ولهذا قال النبي ﷺ أمرًا بالأخوة الإيمانية «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا، عِبَادَ اللّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا))[٤].

وفيهما عن النبي ﷺ: ((المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُّ بعضُهُ بعضًا، وشَبَّكَ بينَ أصابعِه))[٥]، ولقد أمر الله ورسوله بالقيام بحقوق المؤمنين بعضهم لبعض، وما يحصل به التآلف والتواد والتواصل بينهم، كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض.... ثم أمر بالتقوى عمومًا، ورتب على القيام بالتقوى وبحقوق المؤمنين الرحمة فقال (لعلكم ترحمون) وإذا حصلت الرحمة حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك على أن عدم القيام بحقوق المؤمنين من أعظم حواجب الرحمة)[٦] فيكون بذلك من أهداف الدعوة

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ١٧١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٦٤ وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٩٩).

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٩٥١ ومسلم ٢٥٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٢٦.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٤٤.

الإسلامية حث المدعوين على الإيثار والكرم والمواساة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلاَثَةِ ..." إلخ الحديث.

حيث رغّب رسول الله ﷺ في الاجتماع على الطعام وبين أن ذلك من أسباب بركته.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تشوق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبول الحق والثبات عليه، وذلك؛ لأن الأصل في الترغيب يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[1].

فعلى الداعية استخدام أسلوب الترغيب مع المدعوين حتى يستثيرهم ويستنهض عزائمهم في التزام الإيثار في حياتهم، وإشاعته فيما بينهم، فتتحرر النفوس من الشح والبخل والأنانية، فيسعد الناس في حياتهم.

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٧.

الحديث رقم (٥٦٥)

٥٦٥- وفي رواية لمسلمٍ عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِية))[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه مسلم ٢٠٥٩/١٧٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٥٣. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥٦.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٦٦)

٥٦٦- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبيِّ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: **((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ))** فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لاَ حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الراحلةُ: الناقة التي تصلح لأن يُرحل عليها[2].

فضل ظهر: مركوب فاضل وزائد عن حاجته[3].

الشرح الأدبي

قوله (فجعل يصرف بصره يميناً، وشمالاً) كناية عن البحث والحيرة التي تدل على الحاجة، مما استلزم الدعوة للتكافل وقد بني الرسول ﷺ حديثه في الدعوة للتكافل على أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط يعلق الجزاء على الفعل، ويتميز بشدة الاتصال مع التشويق الذي يثيره فعل الشرط لمعرفة جوابه واستخدام(مَنْ) كأداة للشرط وهي لعموم من يعقل، وكأنها تنادي من له أدنى عقل بالاستجابة، وقوله: (فضل ظهر) المقصود به الدابة، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأنه عبر بالجزء وهو الظهر، وأراد الكل وهو الدابة ،وفضل المجاز على الحقيقة أن لفظ (الظهر) يعين نوع الفائدة المرادة

---

(١) برقم ١٧٢٨/١٨. وسيكرره المؤلف برقم ٩٧٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٣.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٣، معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٦٧، ٣١٦.

من الجنس ليوازي ما عطف على هذه الجملة من الزاد، وغيره، والظهر أيضاً أدل على شدة الحاجة إليه للركوب، أو الحمل، وتعبيره ﷺ بلفظ المعية (معه)، لأنه أعم من حروف الملكية والاختصاص، وأصدق وأولى في التآزر منها، وأشمل في بذل المنفعة، وأنفى للاستئثار، والشعور بالتملك في مواطن الإيثار، وتنكيره ﷺ لكلمة (ظهر) للتقليل إشارة إلى أن الشيء مهما قل ففيه المشاركة والتعاون، وتحقيق التكافل الذي أمر به الإسلام، وحتى لا يحقر إنسان فضل ما عنده، فيكون تنكيره أعود بالنفع على المؤمنين، فالتكافل شعور، وإحساس بحال الآخرين قبل أن يكون فعل، حتى يعم مبدأ التكافل بين الأغنياء، والفقراء، وبين الفقراء فيما بينهم كل بما يستطيع، وهو ذكاء شديد من النبي ﷺ وأسلوب عالٍ في تحقيق تماسك المجتمع بتعاون الجميع، وهذا ما حققه بأسلوبه حيث وضع كلمة (ظهر) و(زاد) وهما مركز الحديث، منكرتين لإفادة التقليل الذي يستوعب ما قل من فضل الظهر والزاد، حتى يشارك كل فرد في التكافل، ولا يَحْتجَّ أحد بقلة ذات اليد، والأمر في قوله ﷺ: (فليعد به) في الجملتين بالعودة يشعر بانصراف الطبع عما ينبغي من حب النفس، وإيثارها بالمال إلى ما يليق بالرجوع إلى ما هو الأفضل في تماسك الفرد بالجماعة، وقد جعل الإسلام الضعيف أمير الركب حتى يحس بالعزة والكرامة فتقوى نفسه، ويزداد إيمانه بعدالة الإسلام ورحمة المجتمع فيرتفع عن الحقد، ويسمو عن الحسد، ولا يعرف الشماتة[(١)(٢)].

فقه الحديث

قال النووي: (فيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجًا، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان موسرًا في وطنه، ولهذا يعطى من الزكاة في هذه الحال)[(٣)].

---

(١) انظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٣٠٤.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٠/١٢/٦.

المضامين الدعوية

ثانيا: من صفات النبي ﷺ: الفطنة والذكاء.

أولاً- من آداب المدعو: التعفف والترفع عن المسألة:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً دون أن يسأل أحداً حاجته تعففاً وترفعاً عن المسألة".

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ. وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ))[1].

وقد بين رسول الله ﷺ أن السؤال ذل في الدنيا، وعذاب وفضيحة في الآخرة[2]، وفي ذلك يقول ﷺ: ((مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْراً. فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ))[3]. وكذلك: مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنَ النَّارِ[4].

ومن تمام الاستعفاف أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبايعون رسول الله ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئاً، ويصف الراوي حالهم بعد رسول الله فيقول: فَلَقَدْ كَانَ بَعْضُ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ فَمَا يَسْأَلُ أَحَداً أَنْ يُنَاوِلَهُ إِيَّاهُ[5].

فالمسلم يتعفف ويترفع عن مسألة الخلق، فلا تكون مسألته إلا لله ينتظر الفرج منه سبحانه ففي الحديث: ((مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ. فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ أَوْشَكَ اللَّهُ لَهُ بِالْغِنَى إِمَّا بِمَوْتٍ عَاجِلٍ أَوْ غِنًى عَاجِلٍ))[6].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٣٣.

(٢) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٣٦٤

(٣) أخرجه مسلم ١٠٤١.

(٤) أخرجه أبو داود ١٦٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٣٥).

(٥) أخرجه مسلم ١٠٤٣.

(٦) أخرجه أبو داود ١٦٤٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٤٨).

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: الفطنة والذكاء:

حيث فطن النبي ﷺ لحال الرجل: الذي يصرف بصره يميناً وشمالاً دون أن يتكلم وهذا من فطنته وذكاء عقله ﷺ. (وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبير أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم وقَدَّرَهُ من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه: لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه، وقد قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا[1].

ورسول الله ﷺ اصطفاه الله تعالى لرسالته والله لا يصطفي لرسالته إلا من يتمتع بصفة الفطانة التامة والعقل الراجح.

ومما يدل على فطانة نبينا محمد ﷺ آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3].

فتحريك الرسول ﷺ لسانه بالقرآن لحفظه عند نزول الوحي من فطانته وذكائه، وكذلك تعجله بترديد آياته من قبل أن يقضي إليه وحيه من كمال فطانته وذكائه[4].

---

(١) الشفا بتعريف المصطفى ١/١٥٦.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ١٦-١٧.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٨٠.

ثالثاً- من واجبات الداعية: دعوة الناس إلى التعاون والمواساة والتكافل الاجتماعي:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له". والداعية إلى الله له في رسول الله ﷺ أعظم قدوة، فما كان جناب الرسالة مانعاً له ﷺ من مشاركة أصحابه، وتقديم العون لهم، ومن ذلك مشاركته ﷺ أصحابه في بناء مسجده في المدينة، يقول أنس رضي الله عنه: وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي معهم وهو يقول: اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[1]، ومن حديثه ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه))[2].

(ذلك مثل المؤمن للمؤمن، فهو معه كالبنيان يشد بعضه بعضاً فالمؤمنون شأنهم التعاون والتناصر، والتظاهر والتكاتف على مصالحهم الخاصة والمصالح العامة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[3].

ولقد مثل الرسول ﷺ اتحاد المسلمين ومعونة بعضهم لبعض بالتشبيك بين أصابعه. وإدخال بعضها في خلال بعض، ولاشك أن ذلك يزيد من متانة كل إصبع ويعطي كل يد قوة إلى قوتها؛ كذلك المسلمون إذا تضامت أيديهم، وتظاهرت قواهم، وتحابّت نفوسهم؛ وتساندت أممهم، زادوا قوة، وخلقوا لهم عزة فدانت الأمم لسلطانهم وخضعت لأمرهم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

فيا أيها المسلمون ذلكم رسولكم، وأسوتكم وإمامكم، يرشدكم إلى سلاح ماضٍ وجيش غلاب، وعدة عتيدة تنفعكم في البأساء والضراء، وتدفع عنكم الأعداء وتزيل عنكم الاستعباد، وترد إليكم العزة الماضية، والكرامة الراحلة، وتبوئكم

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٨، ومسلم ٥٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

المكانة العالية ذلكم هو سلاح الائتلاف، والاتحاد والوفاق، سلاح ضم اليد إلى اليد. ومعونة الأخ للأخ، وترك النزاع جانباً، والعداء ظهرياً. فاستمعوا لإرشاده، واعملوا بنصحه فإنه من يطع الرسول أطاع الله، ومن يعصه عصاه واذكروا قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2].[3].

فالداعية يجب أن يدعو الناس إلى أن يتعاونوا فيما بينهم في سد خلة فقيرهم أو الشفاعة الحسنة في قضاء حاجة محتاجهم، أو غير ذلك من شتى صور التعاون[4]. (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[5].

رابعاً- من أهداف الدعوة: تنمية روح التكافل والتعاون بين الناس:

يظهر ذلك في دعوة النبي ﷺ أصحابه إلى مساعدة وإعانة محتاجهم وفقيرهم وفي ذلك تنمية لروح التكافل والتعاون بين الناس، والتكافل صفة شاملة لصور كثيرة من التعاون والتآزر والمشاركة في سد الثغرات تتمثل في تقديم العون والحماية والنصرة والمواساة إلى أن تقضي حاجة المضطر، ويزول هم الحزين، ويندمل جرح المصاب، وغاية الإسلام من هذا كله أن يطهر المجتمع من الفقر الذي كاد يكون كفرًا، وأن يحفظ للفقراء قواهم البدنية بهذه الرعاية والكفالة؛ فإن لهم أفواهًا ومعًى وأجسادًا، ولهم قلوب ومشاعر وعواطف، ولهم كرامة، ولا بد من أن تصان هذه الأجسام، وأن تراعى هذه القلوب والمشاعر، وأن تحفظ هذه الكرامات.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٥٩-٦١.

(٤) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٣٢٩، ٣٣٠.

(٥) أخرجه مسلم برقم ٢٦٩٩.

وما ينبغي أن تهدر كرامة فقير، والفقر هو أعظم مهدر للكرامة، ولا أن تضعف جسومهم، والفقر هو أعظم معول لهدم الجسم، ولا أن ينظر إلى الفقراء نظرة ازدراء واحتقار، فقد يكون لهم من الملكات والقدرات، ومن القوى العقلية ما يستطيعون بها أن يصلوا إلى القمة من السيادة، والقيادة، والعلم، والعمل[١].

وقد ضرب أنصار رسول الله ﷺ أكبر الأمثلة في التكافل مع إخوانهم المهاجرين، وكان منها أن أشاروا على رسول الله ﷺ يقسم النخل بينهم وبين المهاجرين فقال: لا، فقال الأنصار (تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة)[٢]. وبذلك عمل بعض المهاجرين في بساتين الأنصار، وقاسموهم الثمار، وحلت مشكلة البطالة والفقر، وكان من صور تكافلهم أن المهاجر كان يرث أخاه الأنصاري دون ذوي رحمة[٣]. للأخوة التي آخى رسول الله ﷺ بينهما وكانت مرحلة استصفت النفوس، وأخلصتها لله، ثم نسخ ذلك، وهذا التكافل والتعاون لا يبرز بأسمى صوره، إلا كلما تعمقت معاني الأخوة والإيثار، واندثرت جذور الأنانية والاستئثار. فإن المجتمع الذي تنمو فيه روح التكافل والتعاون لهو المجتمع المتماسك الذي تسود فيه المحبة والفضيلة. وتتلاشى منه الكراهية والرذيلة، لا يضيع فيه عاجز ولا مسكين، والحد الأدنى في ذلك هو فريضة الزكاة -الركن الثالث في الإسلام- والتي يقوم عليها حراس ثلاثة: حارس من داخل ضمير الفرد المسلم، وهو الإيمان، وحارس من داخل المجتمع وهو الرأي العام المسلم، وحارس من قِبل الدولة وهو القانون والسلطان: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٤].

وفي الحديث: ((ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره إلى جانبه جائع))[٥].

---

(١) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ١٧٣، وعناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧١٩، والفتح ٣٨٠/٥

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٨٠، الفتح ٩٦/٨.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١١٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢).

والتكافل الإسلامي يستوعب كل جوانب الحياة: مادية، ومعنوية، فهو تكافل معيشي وعلمي وأدبي وعسكري إلى غير ذلك من المجالات التي فصلها الدكتور مصطفى السباعي في كتابه "اشتراكية الإسلام"[1].

(١) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ١٧٤، والإسلام حضارة الغد ص ١٨٩.

الحديث رقم (٥٦٧)

٥٦٧- وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه: أنَّ أمْرَأةً جَاءَتْ إلَى رسول الله ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ[١]، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ[٢] لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إلَيْهَا، فَخَرَجَ إلَيْنَا وَإنَّهَا إزَارُهُ[٣]، فَقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أحْسَنَهَا[٤]! فَقَالَ: ((نَعَمْ)) فَجَلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أرْسَلَ بِهَا إلَيْهِ: فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أحْسَنْتَ[٥]! لَبِسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحتَاجاً إلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلاً، فَقَالَ: إنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ[٦]. رواه البخاري[٧].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

البردة: كساء مخطط يُلتحفُ به[٨].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها ويسمى كذلك المئزر[٩].

فطواها: أي ضم بعضها على بعض[١٠].

---

(١) عند البخاري زيادة: (فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم).

(٢) عند البخاري زيادة: (جئت).

(٣) لفظ البخاري: (فحسنها فلان، فقال).

(٤) إلى هنا لفظ البخاري برقم ١٢٧٧.

(٥) إلى هنا لفظ البخاري برقم ٢٠٩٣.

(٦) إلى هنا رواية البخاري برقم ١٢٧٧.

(٧) برقم ١٢٧٧، و٢٠٩٣. وقد بيّن الزيادات في كل رواية الحميدي في جمعه ٥٥٦/١، رقم ٩٢٥ والمؤلف جمع بين الروايتين من دون توضيح.

(٨) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر د).

(٩) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(١٠) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط و ى).

الشرح الأدبي

الحديث يحكي موقفا من مواقف الإيثار التي كثرت في حياة النبي ﷺ حتى أنه كان لا يبقي في بيته مالا، ولا طعاما إلا أنفقه على الفقراء، والمحتاجين، وقول المرأة التي أهدت البردة للرسول ﷺ (نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا) يدل على التقدير، والمحبة، والإكرام لرسول ﷺ دل عل ذلك نسبة فعل النسج لنفسها في قولها نسجتها، وتقديم الجار والمجرور (بيدي) لتأكيد الفعل واللام الدالة على السببية، والتعبير بالكسوة، وقوله (مُحْتَاجاً إِلَيْهَا) يشير إلى عدم وجود غيرها ويدل على ذلك سرعة استخدامها (فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ) والتوكيد على أنها صارت على جسده الشريف، وقول الرجل (اكْسُنِيهَا) لعلمه أنه لا يرد سائلا، وقوله (مَا أَحْسَنَهَا!) أسلوب تعجب يوهم إعجابه بها ليخفي غرضه الحقيقي، وهو رغبته في أن تكون كفنا له بعد أن مسَّت جسد النبي ﷺ، وانظر إلى إيثار الرسول ﷺ وحسن خلقه رغم حاجته إليها (فَقَالَ: ((نَعَمْ)) فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسُ) أعلمه بقبوله حتى لا يظن أنه رده فيقع في الحرج ثم إنه لم يعطه إياها في المجلس لكي لا يقع الرجل في الحرج أمام الناس لأنه سأله ثوبه الذي على جسده (ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ) والطي يدل على حرصه أن تصله في السر، ولذلك أرسلها بعد فترة دلت عليها ثم بينما استخدم الفاء المؤذنة بالسرعة في عطف فعل الطي الذي يدل على العزم في إعطائها له، وقوله (فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحتَاجاً إِلَيْهَا) يدل على دور الجماعة في تقويم الفرد إذا أخطأ، وبيان الصواب، ورده إليه، وإجابة الرجل تدل على حسن نيته، وأنه لم يرغب في البردة ذاتها، وإنما طمع فيها لمسها جسد رسول الله ﷺ فأراد أن تكون كفنه، وقد صدق كما سجل الراوي.

فقه الحديث

١-تحصيل ما لا بد للميت منه حال حياته:

قال ابن حجر: (يستفاد منه جواز تحصيل ما لا بد منه من كفن ونحوه في حال حياته، وهل يلتحق بذلك حفر القبر، قال ابن بطال: فيه جواز إعداد الشيء قبل وقت الحاجة إليه، قال: وقد حفر جماعة من الصالحين قبورهم قبل الموت، وتعقبه الزين بن

المنير بأن ذلك لم يقع من أحد من الصحابة، قال: ولو كان مستحبًا لكثر فيهم)[١].

٢-جواز استحسان الإنسان ما يراه على غيره من الملابس وغيرها:

قال ابن حجر: (فيه جواز استحسان الإنسان ما يراه على غيره من الملابس وغيرها إما ليعرفه قدرها وإما ليعرض له بطلبه منه حيث يسوغ له ذلك)[٢].

٣-مشروعية الإنكار ولو لم يبلغ المنكر درجة التحريم:

قال ابن حجر: (فيه مشروعية الإنكار عند مخالفة الأدب ظاهرًا وإن لم يبلغ درجة التحريم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: محبة النبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي ﷺ

أولاً- من آداب المدعو: محبة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول المرأة التي أهدت البردة للنبي ﷺ: "نسجتها بيدي لأكسوكها" ففعلها وقولها دلا على محبتها الشديدة للنبي ﷺ.

وحب المسلم لرسول الله ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان يتوقف على وجوده وجود الإيمان، فلا يدخل المسلم في عداد المؤمنين الناجين حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه بل ومن الناس أجمعين[٤].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٤٣-١٤٤ ط/ السلفية.

(٢) المرجع السابق ٣/١٤٤.

(٣) المرجع السابق ٣/١٤٤.

(٤) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٤٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٢٤.

قال القاضي عياض في شرح الآية: (فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّعَ الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، ثم فسقهم بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله)[1].

فألزم سبحانه وتعالى المسلم بتوجيه قلبه إلى الله وتعلق فؤاده برسول الله ﷺ حباً ووداً؛ وإجلالاً لمقامه واعترافاً بفضله، فهو الذي وصلك ووصل الإنسانية بحبل الله بعد انقطاعها عنه أمداً بعيداً. وقدم الله حب رسوله عليه السلام على أعز ما لدى الإنسان في حياته الدنيا من أهل وعشيرة وأموال ومساكن بل توعّد تعالى كل عبد تعز عنده هذه الأمور، حتى تصير أحب إليه من السعي لرضوان الله والجهاد في سبيله، ومن حب رسل الله ﷺ واتباع أمره، وتوعد من تردى إلى هذه الحال بعقاب في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً. ووصفه تعالى بالفسق وأبان أنه ممن ضل فحرمه الله هدايته إلى تحقيق إيمانه.

وأنت ترى أي مكانة لرسول الله ﷺ عند ربه، حتى قدم حبه وما يستلزمه من طاعته على الجهاد في سبيل الله، فإن الجهاد لا يكون إلا بمحبة رسول الله ﷺ والتفاني في طاعته. فمن لوازم المحبة الطاعة. كقول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحبّ لمن يُحب مطيع

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمان: أَنْ يَكونَ اللَّهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاّ لله، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ كما يكرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّار))[2].

---

(١) الشفا ٣٨١.

(٢) أخرجه البخاري ١٦، ٢١، ٦٠٤١، ومسلم ٤٣.

فتذوق المسلم حلاوة الإيمان والالتذاذ بنعيمه موقوف على التحلي بخصال ثلاث، أولها وأجلّها حب الله ورسوله حباً جماً يهون في سبيله كل نفيس وعزيز. ولعمري هذا ركن في الدين ركين تتوقف عليه سعادة الدنيا والآخرة.

وعن أنس رضي الله عنه: ((أنَّ رجُلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعةِ فقال: متى الساعةُ؟ قال: وماذا أعددْتَ لها؟ قال: لاشيء، إلاّ أني أحبُّ اللّهَ ورسوله ﷺ. فقال: أنتَ مع من أحببت))[١].

وفي رواية ابن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: ((المرءُ معَ من أحبَّ))[٢].

وفي رواية لأنس رضي الله عنه عند البخاري أيضاً أن رسول الله ﷺ قال للرجل: ((إنكَ معَ من أحبَبْت. فقلنا: ونحنُ كذلك؟ قال: نعم. ففَرحنا يومئذ فرَحاً شديداً))[٣].

فهنيئاً لمن بلغ تلك المنزلة وارتقى إلى تلك الرتبة وفاز بتلك الصحبة[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: قبول الهدية وإدخال الفرحة على مهديها:

يظهر ذلك من خلال قبول رسول الله ﷺ هدية المرأة التي أهدت إليه البردة، وكان ﷺ لا يرد هدية ويثيب عليها صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من كرمه وحسن خلقه[٥].

وقبول الهدية وإدخال السرور على مهديها أمر دعا إليه الإسلام، قال تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾[٦] وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾[٧]. ومن السنة ((يا نساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٧١، ومسلم ٢٦٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٦٩، ومسلم ٢٦٤٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٦٧، ومسلم ٢٦٣٩، ٢٩٥٣.

(٤) نبوة محمد ﷺ، د. حسن ضياء الدين العنزي ص ٣٤١ - ٣٤٣.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٨٣٦/١.

(٦) سورة النساء، آية: ٤.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

فِرْسَنَ شاةٍ))[١]، وقوله ﷺ: ((لو دُعِيتُ إلى ذراعٍ أو كُراعٍ لأجَبتُ، ولو أُهدِيَ إليَّ ذراعٌ أو كُراعٌ لقَبِلتُ))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسولُ الله ﷺ يَقبلُ الهديةَ ويُثيبُ عليها))[٣]، وقال ﷺ: ((تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الغِلُّ. وَتَهَادُوا تَحَابُّوا، وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ))[٤].

ثالثاً-من صفات الداعية: الإيثار والمواساة للمدعوين:

يظهر هذا في إعطاء النبي ﷺ البردة لمن سأله إياها رغم حاجته إليها.

والإيثار والمواساة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته لأن الإسلام دعا إليها ومدح صنيعهما، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٦].

قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة غُرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها"، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله، قال: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام)[٧]. فحرى بالداعية أن يتصف بالإيثار والمواساة في تعامله مع المدعوين.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٨٥.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٣٨٨٠، وقال ابن عبدالبر في التمهيد: وهنا يتصل من وجوه شتى حسان كلها، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبد البر، ضمن موسوعة شروح الموطأ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢/١١٤.

(٥) سورة الحشر، آية: ٩.

(٦) سورة الإنسان، الآيتان: ٨-٩.

(٧) أخرجه الحاكم في المستدرك، ١/٨٠ رقم ٢٧٨، وصححه على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

لأن الإيثار يوجد عند المؤمنين الصادقين، الذين يعاملون الله تعالى، ويبتغون رضوانه، ويرجون الأجر عنده. فهؤلاء هم الذين تتسع دائرة الإيثار عندهم، فحيثما وجدوا مرضاة الله في إيثار غيرهم على أنفسهم، توقد في قلوبهم الإيمان، فآثروا على أنفسهم ابتغاء مرضاة الرحمن، ولو كان بهم خصاصة: "أي ضرورة أو حاجة" وقَدَّموا مصالح أنفسهم الدنيوية ضحايا وقرابين لتذبح على مذبح ابتغاء الخير والفضيلة، جوداً بها، وعطاءً غير محدود، وقد يبلغ بهم جود الإيثار أن يقدموا أرواحهم وحياتهم ضحايا، فداء لغيرهم، ولكن ابتغاء مرضاة الله[1]. والإيثار أوسع أبواب العطاء وأكثر مجالات الإنفاق، وهو قيمة خلقية رفيعة تسود كل الخصال السامية التي تشكل بمجملها الإطار الكامل للأريحية المعطاءة الباذلة التي تسعد بالبذل مثلما يسعد الآخرن بالأخذ وهي أريحية تمم البناء النفسي الصحيح، وهو عنوان علو الهمة وشرف النفس، ودليل الكرم.

كما أن الإيثار علامة على المروءة لأن من المروءة أن يبذل الإنسان ماله عند الحاجة، ونفسه عند النكبة، ويحفظك عند المغيب[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي ﷺ:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث حرص الصحابة رضي الله عنهم على التبرك بآثار النبي ﷺ، ويظهر ذلك في قول الرجل لرسول الله ﷺ: اكسنيها، وعندما أنكر عليه الصحابة رضي الله عنهم فعله قال: "إني والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفني".

وقد اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخباراً كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من آثاره منها[3]: التبرك بوضوئه ونخامته ﷺ. وفي ذلك قال عروة بن مسعود الثقفي حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية لما رجع إلى قريش: ((فوالله ما تَنَخَّمَ رسولُ الله

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٢٤.

(٢) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للرجوي، تحقيق: علاء الدين زعتري ص ٦٣، ١٠٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/٧٠.

نُخَامَةً إلاَّ وَقَعَتْ في كفِّ رجلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ على وُضُوئِهِ...))[١].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بشعره ﷺ فقد كان رسول الله ﷺ يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على أن يحصلوا شيئاً من شعره ﷺ ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به[٢].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَتَىٰ مِنًى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا. ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: خُذْ وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ))[٣].

وعنه رضي الله عنه قال: ((لَقَدْ رَأَيْت رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ. وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ رضي الله عنهم. فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ))[٤].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بعرقه ﷺ؛ فعن أنس بن مالك قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَىٰ فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ. قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَىٰ فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَىٰ قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَىٰ الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا[٥] فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ))[٦].

ومنها: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بلباسه ﷺ فقد ثبت كذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه للتبرك بها والاستشفاء؛ فعن أسماء بنت أبي

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠/٧١.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٠٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٢٥.

(٥) عتيدها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعزّ من متاعها.

(٦) أخرجه البخاري ٦٢٨١، ومسلم ٢٣٣١.

بكر رضي الله عنهما: ((أنها أخرجَتْ جُبَّةَ طيالِسَةٍ وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يلبَسُها، فنحنُ نغْسِلُها للمَرضى يستشفى بها))[1].

وغير ذلك الكثير في تبرك الصحابة رضي الله عنهم بآثار النبي ﷺ وهذا التبرك خاص به ﷺ فلا يجوز التبرك بآثار غيره من الخلق.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٦٩.

الحديث رقم (٥٦٨)

٥٦٨- وعن أَبي موسى رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((**إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذَا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ في إنَاءٍ وَاحِدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأنَا مِنْهُمْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الأشعريون: هم قبيلة باليمن منهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه[2].

أرملوا: فرغ زادُهم أو قارب الفراغ[3].

السَّوِيَّة: بالعدل والنصيفة[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرفع نموذجاً أعلى في التعاون، والتكافل بين المسلمين، وقد شرف هذا النموذج بأن الذي رفعه الرسول ﷺ ، وأنه رفعه بين صحابته، وأنه صار نموذجاً للأمة كلها في التكافل، والتعاون زاده أهمية كونه في الغزو، وهو موقف شدة يحتاج إلى مزيد عناية نظرا للخافية التي يمثلها على سير الغزوة، والتي تؤثر على مستقبل الدعوة، وعلى الأمة بوجه من الوجوه، أو في وقت الشدة العامة التي تعظم فيها حاجة الناس، وهذا النموذج الذي اختاره الرسول للأشعريين، وهم قوم أبي موسى الأشعري لجميل فعلهم في الشدائد، وقوله (أرْمَلُوا في الغَزْوِ) فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ، والتعبير بالإرمال يوحي بسرعة النفاد وقوله: (جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ في ثَوْبٍ وَاحِدٍ) وهي صورة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠/١٦٧ ولفظهما سواء.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر م ل).

(٣) رياض الصالحين ٢٥٩.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ى).

الاتحاد التي تجعل كل ما لدى الفرد ملكا للجماعة، وما لدى الجماعة ملكا للفرد وفق منهج إسلامي وعلى سنن نبوي (ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ) وهو ما يحقق الغاية بكفالة الجميع مع وجه يحفظ كرامة الفقير الذي لا يملك شيئا، ويقوي الاتحاد والمحبة، ولذلك مدحهم النبي بقوله: (فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ) لأن هذا الفعل يشبه فعل النبي ﷺ، ويجري في طريق ما أرسل من أجله، وهو غرس التكافل، والتعاون، وروح المحبة بين جميع الناس إخلاصا لله – تعالى-.

فقه الحديث

١- جواز تحديث الرجل بمناقبه وفضائله: قال ابن حجر: (في الحديث [جواز] تحديث الرجل بمناقبه)[١].

٢- استحباب خلط الزاد: قال ابن حجر: (وفيه استحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة أيضًا)[٢].

٣- جواز هبة المجهول: قال ابن حجر: (فيه جواز هبة المجهول)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "إن الأشعريين..." حيث أكد قوله بـ"إن" وأسلوب التوكيد من الأساليب التي تفيد الداعية في دعوته، حيث يستطيع أن يؤكد على أهمية الدعوة وعلى الحقائق الواردة بها وكذلك يُشعر المدعوين بأهمية الموضوع أو القضية التي يتناولها الداعية.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٠/٥.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه. وفي المسألة خلاف بين الفقهاء انظره في: بدائع الصنائع ١١٩/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٢١٦/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٩/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٩٨/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٦/٤٢-١٢٧.

والتأكيد من أهم الأساليب الدعوية في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، والأمر إذا تم تأكيده انتهى إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة[١].

ولا شك أن التأكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع فيما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على المواساة والتعاون:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء." الحديث

فقد أثنى ﷺ على فعل الأشعريين وفي ذلك حث على المواساة والتعاون وفيه فضيلة الإيثار والمواساة، واستحباب خلط الزاد في السفر وفي الإقامة[٣].

والحث على المواساة والتعاون ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٤].

قال ابن كثير: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم)[٥].

وكل ما يخطر على البال من صور التعاون بين المؤمنين يعمه قول رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية ص ٣٤، وروح الجماعات لجوستاف ليبون ١١٥، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبد الغني محمد سعيد بركة ص ٣٤ نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٣٠١.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٣.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢/٣-١٣.

((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[١].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يستحثوا المدعوين على إشاعة المواساة والتعاون فيما بينهم.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأشعريين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... فهم مني وأنا منهم" قال ابن حجر: (وفي الحديث فضيلة عظيمة للأشعريين قبيلة أبي موسى الأشعري)[٢].

وبيّن رسول الله ﷺ فضل الأشعريين في قوله ﷺ: ((إني لأعرفُ أصواتَ رُفقة الأشعريينَ بالقرآن حين يَدخلونَ بالليل، وأعرِفُ مَنازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أرَ مَنازِلهم حين نزَلوا بالنهار، ومنهم حكيمٌ، إذا لقِيَ الخيلَ - أو قال: العدوَّ - قال لهم: إنَّ أصحابي يأمُرونَكم أن تنظروهم))[٣].

قال النووي: (فيه دليل لفضيلة الأشعريين وفيه أن الجهر بالقرآن في الليل فضيلة إذا لم يكن فيه إيذاء لنائم أو لمصل أو غيرهما ولا رياء)[٤].

قال القرطبي: (إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم، ثم اقتسموا)، هذا الحديث يدلُّ على أن الغالب على الأشعريين الإيثار، والمواساة عند الحاجة، كما دلّ الحديث الثاني على أن الغالب عليهم القراءة والعبادة، فثبت لهم بشهادة رسول الله ﷺ: أنهم علماء عاملون، كرماء مؤثرون. ثم إنه ﷺ شرفهم بإضافتهم إليه، ثم زاد في التشريف بأن أضاف نفسه إليهم، ويمكن أن يَكون معنى: (هم مني): فعلوا فعلي من القراءة والعبادة والكرامة، (وأنا منهم):

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٥٥/٥

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٣٣، ومسلم ٢٤٩٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١٢.

أفعل من ذلك ما يفعلون، كما قال بعض الشعراء:

وقلتُ أخي، قالوا أخٌ وكرامةٌ فقلتُ ولكنَّ الشُّكولَ أقاربُ

نَسِيبيَ في عَزْمٍ ورأْيٍ ومَذْهَبِي وإنْ باعَدتْنا في الأُصُولِ المَنَاسِبُ[1]

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ترغيب النبي ﷺ في الإيثار والمواساة والتعاون بين المسلمين، وذلك في ثنائه على فعل الأشعريين ووصفه لهم بأنهم منه وهو منهم.

وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق وذلك، لأن الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2]، وحصول الخير الكثير في الدنيا. فعلى الداعية ترغيب المدعوين في الدعوة وتحفيزهم إلى قبولها بما ترغب فيه النفس البشرية من مرغبات تتفق مع ما جاء به الشرع الحكيم.

خامساً- من أهداف الدعوة: تنمية روح المواساة والتعاون بين المسلمين:

يظهر ذلك من عموم الحديث فقد ذكر رسول الله ﷺ فعل الأشعريين واقتسامهم الطعام فيما بينهم وفي ذلك تنمية لروح المواساة والتعاون بين المسلمين.

وهذا هدف من الأهداف التي ترمي إليها الدعوة الإسلامية لأنها تهدف إلى التعاون والمواساة بين المسلمين بحيث يصبحوا كالجسد الواحد، قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى))[3]. فالأصل في مجتمع المسلمين أنه مجتمع تعاون وتكاتف وتعاضد، ولكن باتجاه الخير والبر والتقوى، وبعيداً عن الشر والإثم والعدوان.

وطالما يعيش الإنسان في المجتمعات البشرية فإنه مدفوع لا محالة إلى صور من التعاون تعبر عن ولائه لأبناء مجتمعه، ومحتاج لا محالة إلى صور من التعاون تعبر عن

---

(١) المفهم، القرطبي ٤٥٢/٦.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة، على بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

ضعفه وعجزه وعدم استغنائه بنفسه عن معونة من يعيشون حوله من الصدقات التي يزكي بها المسلم يومه ويتصدق بها على نفسه أنه ((يعين ذا الحاجة الملهوف))[١] ((...ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه...))[٢].

إن مجتمعاً يفشو فيه التعاون والمواساة لا يضيع فيه أحد ولا يشتكي مخلوق، لأن كل واحد منهم عندئذ مقضي الحاجة، معان على الشدة، وينبغي التنبيه على أن التعاون خلق يشمل النواحي المادية والمعنوية من بذل للمال، وتعاون بالجاه، كما يكون التعاون في كل معاني الحياة وأكرم الناس عندهم من نفعهم وعم فضله فيهم وإن كان غريبًا عنهم أو بعيدًا منهم فينبغي تنمية هذه الجوانب. ويكون فيه ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[٣])[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

(٤) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٢١٣-٢١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حب النفس والولد فطرة وتقديمهما على ما سواهما لا ينكر، ولكن الله تعالى رزق بعض الناس خلق الإيثار، وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه حين قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [سورة الإنسان:٨-٩]، أي مع حاجتهم للطعام وإعدادهم له لتناوله ويطعمونه غيرهم ابتغاء وجه الله، أو يحبون الإنفاق في سبيل الله فلا يتوانون عنه ابتغاء مرضاته.

وقد ذكر القرآن حال أناس يجودون بما يملكون وإن كانوا أحوج إلى المجود به إلى المجاد عليه، وذلك لمقاومة شح النفس وتحقيقاً للفلاح، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية: القدوة، حيث تؤثر تأثيرًا مباشرًا في السلوك، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ. فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلاَّ مَاءٌ ...».

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: «أن امرأة جاءت إلى رَسُول اللّهُ ﷺ ببردة منسوجة فقالت: نسجتها بيدي لأكسوكها. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فخرج إلينا وإنها لإزاره. فقال فلان: اكسنيها ما أحسنها! فقال: (نعم) ...».

فهذه تربية بالقدوة عن طريق الجود والكرم والإيثار، كما أن فيها تربية بالقدوة على استحباب عدم رد السائل.

إن رسول الله ﷺ هو المربي والمعلم الأول والقدوة الحسنة لجميع المسلمين في الإيثار والمواساة، وذلك من خلال الممارسات العملية التي تحمل النفوس على البذل والعطاء، وتحررها من الشح والأنانية، وهذا مما يشيع المودة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي.

ومن ثمرات القدوة: أنه تبرهن عمليًا على نجاح القيم والمثل والسجايا لأن الإنسان الذي يتحلى بجملة من الفضائل السلوكية يعطي غيره قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية[١].

وفي معرض التربية بالقدوة يوجه النبي ﷺ توجيهًا مباشرًا إلى التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده؛ فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام، ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ. فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ. فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا. وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا. فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينِ. عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. وَإِيَّاكُمْ والأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ. فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢].

فهذا حث على أهمية التربية بالقدوة في القول والفعل، حيث يقول "عليكم بسنتي" أي ضرورة الاقتداء والاتباع لها، وكذلك لسنة الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم من بعده[٣]. من هنا يبرز دور القدوة التربوي في ترجمة المعاني السامية والمثل العليا إلى أفعال على أرض الواقع تدعو الجميع إلى الاقتداء بها[٤].

ثانيًا- التربية على الإيثار:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية غرس روح الإيثار، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، قوله ﷺ: في حديث أبي هريرة "... من يضيف هذا الليلة..." وقوله: «طعام الاثنين كافي لثلاثة»، وقوله: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر

---

(١) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن البابطين، ص١٠. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجة، ٤٢، وصححه الألباني، انظر: (صحيح سنن ابن ماجة ٤٠).

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٣٤.

(٤) أساليب التربية الإسلامية، البابطين، ص١١.

له» وقوله: «فقال فلان اكسنيها ما أحسنها! فقال نعم...» وقوله ﷺ: «إنّ الأشْعَريينَ إذا أرمَلوا في الغَزو أو قلّ طعامُ عِيالهم بالمدينةِ جَمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحد، ثمّ اقتَسَموهُ بينهم...».

فهذه توجيهات نبوية تربوية تدل على أهمية الإيثار، لأن الإيثار قيمة خلقية سامية فهو عماد البر الذي هو سبب الألفة، لما يوصل إلى القلوب من الراحة والتلاطف، ولذلك ندب الشرع إليه لما فيه من عموم المصلحة في الدنيا والآخرة، ولعلو من تحلوا بالإيثار مدحهم الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. الآية أظهرت أن الإيثار هو غاية الجود وهو بذل المال مع الحاجة إليه، وهو من أوسع أبواب العطاء وأكثر مجالات الإنفاق، وهو قيمة خلقية رفيعة تسود كل الخصال السامية، ومن مؤكدات الإيثار: قوله ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2]. لقد علمنا النبي ﷺ أن الإيثار من القيم الاجتماعية التي تتجاوز فاعليتها المدى الذاتي لتبلغ أوسع دوائر النفع الاجتماعي العام.

ونرى الآثار التربوية والمعنوية المترتبة على الإيثار، إذا صارت هذه القيمة الأخلاقية دعامة أساسية من دعائم المجتمع العربي والإسلامي، لأنها لم تعد مجرد قيمة سائدة بالمعنى المعتاد المألوف، بل صارت تتطور لتتولد عنها معاني مستجدة نابعة من طبيعتها الاجتماعية الإيجابية التي تؤدي إلى نشوء مثل تلك الظواهر الدالة على عافية المجتمع من الناحية الأخلاقية، ولعل علاقة المؤاخاة التي تنتفي فيها المصالح الشخصية من أهم تلك الظواهر السامية الناجمة عن قيمة الإيثار[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٤٢/١٠، الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٥٤١/١.

إن رسول الله ﷺ دعا أهل الخير ومن توفر عنده شيء من المال على اختلاف صوره أن يجود به، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة -ولله الحمد- جماعات وجمعيات خيرية لتنزيل هذا الحديث على الواقع، فهي تجمع فائض الأثاث، وفائض الثياب وفائض الطعام، لتعيد توزيعه من جديد وعلى أهل الخير أن يوسعوا دائرة نشاط هذه الجمعيات، وعلى الحكومات أن تيسر لها المكان والإجراءات وتخفف من الأعباء التي تفرض عليها لأن في هذا من المنافع ما يلي:

أولاً: الخروج من دائرة التبذير لأن كثيرين من ميسوري الحال يلقون بهذا الفائض في صناديق القمامة.

ثانيًا: استثمار رأس مال مهدر لولا هذه الطريقة لكان مصيره إلى العدم.

ثالثًا: حل مشكلة الفقراء في بعض جوانبها، فكثيرون منهم يَلْقَون ما يتطلعون إليه من كساء أو غذاء أو أساس... إلخ من طريق هذه الأعمال.

رابعًا: ومما نحن بحاجة إلى إحيائه التصدق بالعلم على اختلاف صوره وأشكاله ألا ليت الطبيب يكشف يومًا بالمجان كل أسبوع والمدرس يعطي يومًا للفقراء والاستشاري يجود بمشورته على الفقراء ويلحق بهذا كل ذي فن في فنه لتسود روح الإيثار والعطاء.

إن الناس في بعض الأحيان يفتقرون إلى العطاء الأدبي أكثر من افتقارهم إلى العطاء المادي، فالمريض الذي لا يجد من يَصْدُقه القول، والسائل الحائر في الفتوى والتي لا تبذل في بعض البلدان إلا بأجر، وصاحب المصلحة الذي لا يعرف الطريق لحلها ولا السبيل لقضائها عندما ينهض هذا أو ذاك لمد يد العون له، كل هذا عطاء من جنس ما يملك الإنسان. وهو لون من المواساة يُحمد عليه الإنسان.

إن رسول الله ﷺ قد أثنى على جماعة من أهل المدينة تُعرف بالأشعريين كانوا إذا أصابهم قحط أو نزلت بهم فاقة أو قل طعامهم واستشعروا معه النفاد، جمعوا ما عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم بالسوية، ولهذا نص عليه السلام أن هذا خلقه وأنهم قد تخلقوا بخلقه وأنه منهم فهل من محاكاة؟

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في باب الإيثار والمواساة، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود... فقال ﷺ: من يضيف هذا الليلة» وقوله: «طعام الواحد يكفي الاثنين» وقوله ﷺ: «من كان معه فضل ظهرٍ فليعد به على من لا ظهر له...» فهذه توجيهات تربوية مباشرة أراد النبي ﷺ منها إبراز قيمة الإيثار والمواساة في نفوس الصحابة رضي الله عنهم. من خلال هذه التوجيهات.

لأن التوجيه المباشر من الأساليب التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم، وإن اختيار المواقف واغتنام فرصها والأوقات المناسبة للتوجيه، يسهل العملية التربوية، ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1].

رابعًا- التربية على المواساة:

من أهداف التربية الاجتماعية، التربية على المواساة، ومن الشواهد على ذلك في باب الإيثار والمواساة قوله ﷺ: «... من يضيف هذا الليلة فقال رجل من الأنصار: أنا يارسول الله ...» وقوله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين...»، وقوله ﷺ: «بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له...»، وقوله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ، إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ. فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»، فهذه شواهد تدل على المواساة بين الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٧٦، أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٥.

والذي معنا في الباب: المواساة بالمال وما يتبعه من طعام وشراب، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه[1].

فحاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، أو دفع ظلم، ولقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرفة في المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يعلم قدر هذه القيمة عندهم[2].

وقد ورد في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-القصة: وهذا موجود في معظم أحاديث الباب، كحديث سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة ...)) الحديث.

ب-المناقشة والحوار: كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أيضًا، وأسلوب المناقشة والحوار من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التربوية وتدفع عنه الملل وتستثير دافعيته للتعلم.

ج-التربية بالمواقف: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: ((من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ...)) الحديث، والمربي البارع لا يترك أحداث الحياة تمر أمام عينيه دون أن يستفيد منها في تقديم ما هو مرغوب، ولأسلوب التربية بالمواقف أثار تربوية تميزها عن غيرها، فهو يحدث في النفس تأثيرًا كبيرًا وتنفعل معه انفعالاً كبيرًا.

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ص٢٢٤.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٤٩/٥.

٦٣- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦].

الحديث رقم (٥٦٩)

٥٦٩- وعن سَهْلِ بن سَعدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشَرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلغُلاَمِ: ((أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟)) فَقَالَ الغُلاَمُ: لاَ وَاللهِ يَا رسولَ الله، لا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا. فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

غلام: هذا الغلام هو ابن عباس رضي الله عنهما[(٢)].

لا أُوثرُ: لا أفضل أحدًا على نفسي. فأعطيه نصيبي من الشراب[(٣)].

تَلَّهُ: وضعه[(٤)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقرر بطريق عملية سنة فعلية، وهي التيمن، ويقرر أحقية صاحب الحق بحقه، وقد بدأ الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة تصدَّره حرف التوكيد (أن) مع اسمية الجملة لاستعظام الصحابة النقل عن الرسول ﷺ ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٥١ واللفظ له، ومسلم ١٢٧/٢٠٣٠. وسيكرره المؤلف برقم ٧٦١.

(٢) رياض الصالحين ٢٦٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ث ر).

(٤) رياض الصالحين ٢٦٠.

رغبة منهم في نقل هذا التعظيم إلى المخاطبين بنفس الدرجة؛ ولذلك نجد أن أساليب التوكيد تتقدم تحديث الصحابة عن الرسول ﷺ كثيراً مع أنهم لا يواجهون بتكذيب، ولا إنكار، وقوله (وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ) في العبارة طباق بين اليمين، والشمال، وبين لفظ غلام، وأشياخ يوضح المفارقة التي سببت هذا الموقف، لأن سنته ﷺ البدء باليمين، وعلى يمينه غلام، وعلى شماله أشياخ، فأراد النبي ﷺ أن يخرج من هذا الموقف دون أن يتعدى على حق الغلام، أو يجرح الأشياخ فقال للغلام ("أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ) وهو أسلوب استفهام قصد به طلب الإذن، تأمل هذا المشهد النبي ﷺ مع جلال قدره يطلب الإذن من صبي! أرأيت كيف يربي طفل الإسلام؟ وكيف يبني شخصيته ويربي فيه ملكة التفكير وحرية اتخاذ القرار؟ بما يجعله فرداً صالحاً ينفع أمته، ويخدم دينه، وتأمل ردَّه لِتَعلَم أثر التربية النبوية قال (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْك أَحَدًا) فقد بدأ بأسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يدل على الجزم بما بعده، ثم إن اعتزازه بنفسه، وتمسكه بحقه لم ينسه مقام رسول ﷺ فجاء نداؤه (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة حيث استخدم (يا) التي لنداء البعيد مع قرب النبي ﷺ منه إقراراً بعلو مكانته، ثم نداء الرسول ﷺ بلقبه دون اسمه، ثم إضافته لله تشريفاً وتكريماً، وتقديم الجار والمجرور (بنصيبي) يفيد إعتزازه، وتمسكه بحقه، وتقديم الجار والمجرور (منك) على المفعول (أحداً) يشير إلى أن سرَّ تمسكه به هو كونه من رسول الله ﷺ يريد أن ينال شرف الشرب من المكان الذي شرب منه رسول الله ﷺ، ولذلك احترم الرسول رغبته وأعطاه إياه (هذا الغلام أصبح حبر الأمة، ابن عباس رضي الله عنهما.

فقه الحديث

١- تقديم الأيمن في الشرب، ونحوه، وإن كان صغيرًا أو مفضولاً. وأما تقديم الأفاضل والكبار فهو عند التساوي في الحقوق في باقي الأوصاف[(١)].

٢- أن من وجب له شيء من الأشياء لا يصرف عنه، ولا يؤخذ منه إلا بإذنه، صغيرًا كان أو كبيرًا[(٢)].

٣- أن الجلساء شركاء في الهدية على جهة الأدب والفضل لا الوجوب، للإجماع على أن المطالبة بذلك لا تجب[(٣)].

المضامين الدعوية

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والاحترام والتقدير للمدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل ما ينفعهم.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبير ومراعاة حقوق الآخرين.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والاحترام والتقدير للمدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للغلام: "أتأذن لي أن أعطي هؤلاء" وهذا يدل على تواضع النبي صلى الله عليه وسلم واحترامه وتقديره للمدعوين، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية. فدعوة الداعية للمدعوين تستلزم خفض جناحه لهم وعدم تكبره عليهم، وأن يكون رحيمًا بهم شفيقًا عليهم مقدرًا لهم[(٤)].

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٧٤/٤، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢٤/٢١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٣١٩/٢.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢٤/٢١.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٧٤/٤.

(٤) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ١٥٨.

فالتواضع من صفات الإيمان التي تدل على القرب من الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

قال ابن كثير: (من صفات المؤمنين الكُمَّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه)[2].

وقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[3].

فالداعية إلى الله إذا تحلى بالتواضع واحترام وتقدير المدعوين كان ذلك حاملاً لهم على قبول دعوته وحبهم له.

وذلك لأن التواضع يؤلف القلوب النافرة، ويجمع النفوس الشاردة، وبذلك تصبح الأمة قوية الدين شديدة على الأعداء، رحيمة بالضعفاء[4]. والتواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وسبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، يرفع من قدر صاحبه يكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكبر، والاستنكاف عن قبول الحق والأخذ به.

قال ابن المبارك: (كان يقال: الغنى في النفس، والكرم في التقوى، والشرف في التواضع، وثمرة التواضع المحبة)[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل ما ينفعهم:

يظهر ذلك في حرص الغلام على الشرب وراء رسول الله ﷺ للتبرك بسؤره ﷺ.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٦/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٤) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز الدميري ص ١٥٨-١٥٩.

(٥) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني، ٢٣١/٢.

قال القاضي عياض: (الغلام هو ابن عباس واستأذنه النبي ﷺ ثقة منه بطيب نفسه باستئذانه بدفعه للأشياخ والكبراء من آله وقومه... فشح ابن عباس على نصيبه من النبي ﷺ، وفضل شرابه وبركته لا على نصيبه من المشروب)[١].

ويؤيد ذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن عباس قال: ((دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ عَلَى مَيْمُونَةَ فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ فِي لَبَنٍ فَشَرِبَ رسولُ اللهِ ﷺ وأَنَا عَنْ يَمِينِهِ وخَالِدٌ عَلى شِمَالِهِ فقالَ: لِي الشَّرْبَةُ لَكَ فإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا فَقُلْتُ مَا كُنْتُ أُوثِرُ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا))[٢].

فهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على ما ينفعهم من التبرك بآثار النبي ﷺ وقد ورد في صحيح البخاري عن عروة أنه: ((... رأى أصحاب النبي ﷺ زمن الحديبية. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ، لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ، إِنْ يَتَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ...))[٣].

وقد روى البخاري ومسلم صورًا كثيرة أخرى من تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ والتوسل بها للاستشفاء، أو العناية والتوفيق، وما شابه ذلك[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية توقير الكبير ومراعاة حقوق الآخرين:

يظهر ذلك في استئذان النبي ﷺ الغلام ليعطي الشيوخ وفي ذلك توقير للشيوخ ومراعاة لحقوق الغلام.

قال القاضي عياض: (واستأذن الغلام -وهو ابن عباس-... بدفعه للأشياخ والكبراء

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٤٩٧-٤٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٥٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٤٩).

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٤) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد البوطي، ٢٠٥.

من آله وقومه وفي بعض الروايات ((عمك وابن عمك أتأذن لي أن أعطيه؟))[١] يعني خالد بن الوليد، ولحمله عليه، وإدلاله لقرباه منه وصغر سنه واستئلاف الاشياخ أيضًا بهذا الاستئذان من تعريف الحكم في ذلك، بأن لا يصرف عنه إلا بإذنه لمن لم يكن علمه منهم.

وفيه أن مثل هذا من الحقوق إذا تميزت لأحدٍ أن صاحب الحق أولى به، لا يلتفت في ذلك إلى الأسن، ولا الأفضل كصاحب الدابة أولى بمقدمها، وإمامة صاحب الدار، وإنما يراعى الترجيح بالفضائل والمزايا مع استواء الأقدام في ذلك الحق وترك السبق إليه، كالبداية بالشرب، وغسل اليد وبالشهادة، والتقديم للصلاة، وغير ذلك)[٢].

وتوقير الكبير من الأشياء التي دعا إليها الإسلام، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيوقِّرْ كَبِيرَنَا))[٣].

وقال ﷺ: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[٤]. وقال ﷺ: ((ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا))[٥].

فهذا أثر حمل في طياته أسلوبًا رائعًا يدل على كمال خلقه ﷺ وشدة اهتمامه بالأخلاق والآداب الشرعية التي ترشد إلى احترام الكبير.

وكان ﷺ يعلم أصحابه سلوك هذا المنهج في تصرفاتهم بحيث يعطي كل ذي فضل ومكانة وكبر سن ما يُناسب حاله[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨٤/١ رقم ٢٥٦٩ بلفظ "أتأذن أن أسقي عمك؟" وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٤٤/٤، ٣٤٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٦-٤٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨٤٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٥) أخرجه أبو داود ٤٩٤٣، والترمذي ١٩١٩، ١٩٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥، ١٥٦٦).

(٦) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن الحماد ص ١٣٨، ١٣٩.

فإذا كان الإسلام يدعو إلى توقير الكبير واحترامه ولكن ذلك لا يكون على حساب أصحاب الحقوق فإن صاحب الحق مقدم على غيره وإن كان أكبر منه لذلك نجد رسول الله ﷺ يستأذن الغلام لأنه صاحب حق وهو أولى بحقه، وعندما لم يقبل الغلام التنازل عن حقه أعطاه رسول الله ﷺ الشراب دون إنكار عليه.

وهذا يؤكد على أهمية مراعاة أحقية الناس، وأن كل إنسان أولى بحقه وله مطلق الحرية في التنازل بعد ذلك عن جزء أو إيثار إخوانه لكن لا بد وأن تعطى الحقوق لأصحابها.

الحديث رقم (٥٧٠)

٥٧٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((بَيْنَا أيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عز وجل: يَا أيُّوبُ، أَلَمْ أكُنْ أغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خَرَّ: سقط[(٢)].

الجراد: فصيلة من الحشرات المستقيمات الأجنحة[(٣)].

يَحْثِي: يأخذ بيديه جميعاً[(٤)].

الشرح الأدبي

البداية بالظرف (بين) من براعة الاستهلال التي تحقق التشويق لأنه يمثل منطقة وسطى بين زمانيين أو مكانين يرتبطان غالبا بحدث ذي دلالة يبشر بمفاجأة، وتعلقه بنبي يزيد الخبر تشويقا، ويزداد أكثر إذا كان نبي الله أيوب عليه السلام لعجيب ما حدث معه في بدنه، وأهله ثم إنه بالنسبة للصحابة من غيب الماضي، وقوله (يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً) قوله عريانا تأكيد للفعل يغتسل لأنه من دلائله، وقوله (فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ) التعبير بالخرير يشير إلى الكثرة، والتتابع، وهي طبيعة عيش الجراد الحي أنه يحيا في جماعات كبيرة، والتعبير بالجار، والمجرور (عليه) يشير إلى الجهة التي جاء منها

---

(١) برقم ٢٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/٦.

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر د)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٥/٦.

ويؤكد فعل الخرير لأنه من جهته وقول الله لأيوب عليه السلام (يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتكَ عَمَّا تَرَى ؟!) استفهام تقرير لحمل المخاطب على الإقرار بمضمون الخبر، وقد أقر أيوب عليه السلام به (بَلَى وَعِزَّتِكَ) وأكده باليمين إشارة إلى أن أخذه هذا الذهب لم يكن عن حاجة، وإنما رغبة في نعم الله لا رغبة عنها، يصرفها في مرضاته - تعالى- وهو ما قرره صراحة بالاستدراك (وَلَكِنْ لاَ غِنى بي عن بَرَكَتِكَ).

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وجه الدلالة من حديث أيوب أن الله تعالى عاتبه على جمع الجراد، ولم يعاتبه على الاغتسال عريانًا فدلّ على جوازه)[1] لكن قيد أكثر الفقهاء هذا الجواز بالكراهة. وقالوا: يستحب التستر وإن كان خاليًا[2].

قال ابن حجر: (في الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه)[3].

قال ابن حجر: (واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار في الإملاك، وتعقبه ابن التين، فقال: هو شيء خصّ الله به نبيه أيوب، وهو بخلاف النثار، فإنه من فعل الآدمي، فيكره لما فيه من السرف، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر[4]، ويستأنس فيه بهذه القصة، والله أعلم)[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦١/١، وانظر: فتح الباري لابن رجب ٣٣٢/١-٣٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٢/١٤، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١ ، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٠/١-٢٣١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦٨/٣٠).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/٦ ط السلفية.

(٤) انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٢٠٠/٣-٢٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢١/٦، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء. انظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٤٥/٥، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦/٤، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٧١/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٤٠/٨، ٣٤١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٨/١٠-٢١٠، (الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧١/٤٠-٧٣).

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص نبي الله أيوب ﷺ على الاستزادة من الفضل والبركة.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

يظهر ذلك حيث ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث: "بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً خَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ ...، وقد كثر استخدام رسول الله ﷺ وسيلة الحكاية في أحاديثه من ذلك حديث صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ. فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلاَماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلاَماً يُعَلِّمُهُ. فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ، رَاهِبٌ. فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلاَمَهُ. فَأَعْجَبَهُ. فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ. فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ. فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ. فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَراً فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ. حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا. وَمَضَى النَّاسُ. فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ. فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ، الْيَوْمَ، أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى. وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى. فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلُّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلاَمُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ. فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ. فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ. فَقَالَ: مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَشْفِي أَحَداً. إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ))[1].

والحكاية من وسائل الدعوة التي تفيد الداعية في دعوته بذكره حكايات السابقين عليه للمدعوين.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

ويلاحظ أن في الحكاية المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط، بخلاف القصص فإنها تنقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلى الزمان الغابر لتعيش فيه فتأخذ العبرة والعظة[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص نبي الله أيوب عليه السلام على الاستزادة من الفضل والبركة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "بَينا أيُّوبُ ﷺ يَغتَسِلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذَهبٍ، فجعَلَ أَيُّوبُ يَحتثي في ثَوبِهِ، فناداه ربُّه ﷺ: يا أيُّوبُ ألم أكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمّا تَرى؟ قال: بَلَى وعزَّتِكَ، ولكنْ لاغِنى بي عن بَرَكتِكَ"... الحديث.

قال ابن حجر: وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكر[٢].

قال د. الحسيني هاشم: (كان أيوب عليه السلام شاكراً في حال غناه صابراً في حال ابتلائه وإفقاره، أظهر سبب فرحه بالجراد وسروره به، وهو أنه وإن أغناه الله عنه من حيث أنه مال، فإنه حريص على أخذه من حيث أنه بركة لكونه نعمة جديدة خارقة للعادة فينبغي تلقيها بالقبول، ولأنه ليس لأحد حق فيه أو طمع في أخذه ورده رد لنعم الله)[٣].

وأيوب عليه السلام من أنبياء الله الصابرين حيث ابتلاه الله في جسده وماله وولده فصبر وقد ورد ذكر قصته في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٤].

---

(١) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ص٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٥/٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٦١.

(٤) سورة ص، الآيات: ٤١-٤٤.

فأيوب عليه السلام أثنى عليه ربه فقال: "نعم العبد" الذي كمل مراتب العبودية، في حال السراء والضراء والشدة والرخاء، "وإنه أواب" أي كثير الرجوع إلى الله، في مطالبه الدينية والدنيوية، كثير الذكر لربه والدعاء، والمحبة والتأله[1]. من أجل ذلك كان حريصاً على الاستزادة من فضل الله وبركته.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في طلب فضل الله:

إن موضوعات الدعوة التي تستنبط من الحديث الترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى. يظهر ذلك من عموم الحديث فذكر رسول الله ﷺ حرص أيوب عليه السلام على الاستزادة من فضل الله وعطائه فيه ترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: جواز استكثار الغني من الغنى بنية الإنفاق.

وفيه أيضاً: أنه إذا رأى المؤمن فضل الله سبحانه وتعالى نازلاً عليه، فلا يقطع تناوله ما دام نازلاً ويكون ناوياً بذلك أنه لا يشبع من رحمة الله كما قال أيوب، فإن الله سبحانه لا يحب من عبده أن يرد عليه فضله)[2]. فينبغي على الداعية ترغيب المدعوين في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى.

وهذا كان شأن رسول الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يرغبهم في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى ويفعل ذلك بنفسه فيوم بدر قد بات ﷺ يصلي إلى جذم[3] شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول "يا حي يا قيوم" يكرر ذلك

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٦١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٥/٧.

(٣) جذم كل شيء: أصله.

ويلظ[١] به عليه الصلاة والسلام[٢].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ... فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك منا شدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٣] فأمده الله بالملائكة[٤].

والترغيب في طلب فضل الله وعطائه والشعور بالحاجة إلى فضله تعالى من الأشياء التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، وذلك لأن الفضل بيد الله وكل مخلوق يحتاج إلى فضل الله وعطاءه فهو المنعم ومن بيده الخير كله.

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء والاستفهام:

يظهر أسلوب النداء في قول الله تعالى: يا أيوب. والاستفهام في قوله سبحانه، "ألم أكن أغنيتك عما ترى؟". وهو استفهام تقريري، قال ابن هبيرة: وأما قوله جل جلاله: (ألم أكن أغنيتك) فإنه فيما أرى إنما قيل له؛ ليقول أيوب ما قاله، فيهتدي به في غير ذلك[٥].

ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم

---

(١) يقال: ألظّ بالشيء يُلظُّ إلظاظاً إذا لزمه وثابر عليه... وجاء في حديث الدعاء... ألظوا بياذا الجلال والإكرام، أي إلزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. وألظ تأتي بمعنى ألحّ في سؤاله وألزمه إياه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٣٦.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، ٨١/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٥/٧.

وإعدادهم إعدادًا إسلامياً صحيحاً، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[1]، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[2].

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على علو الهمة:

إن الدعوة إلى التنافس في أمور الآخرة ترتقي بهمة المسلم، وتخلق لديه روح المسارعة إلى الأعمال الصالحة التي توصله إلى مرضاة الله عز وجل، وقد قال الله تعالى في بيان ضرورة التنافس على علو الهمة، والتحليق والتطلع إلى معالي الأمور وأشرف المنازل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾[1].

"وكان من هديه ﷺ المبارك أنه كان يرغب الصحابة رضي الله عنهم في الدرجات العالية والرتب السامية ويبعث فيهم الرغبة في التنافس في الخير، وهذا يوجب الارتفاع بهِمَم مَنْ يقوم المربي بتربيتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس والرغبة في الوصول إلى أعلى المراتب وأرفع الدرجات"[2].

بلغنا السماء مجدًا وجودًا وسُؤددا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

إن عظيم الهمة لا يشغل بَالَه أمرٌ صغير، ولا يقلق فكره عمل يسير، بل يقوم بجلائل الأعمال فلا يتبرم ولا يقلق، ولا يشكو كثرة الأعباء، ولمَّا كان مجد الآخرة أعظم المجد كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمَم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية، فالآخرة هي أولى بأن تُبْتغى، ويُسعى لها سعيها؛ فنعيمها خير وأبقى، وملكها ملك لا ينقطع ولا يبلى"[3].

ثانيًا- تربية الصغير على ممارسة حقوقه المشروعة:

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٢-٢٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص٢٧٧، ٢٧٨.

(٣) الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٨، ١١٤ بتصرف.

من المضامين التربوية التي يشير إليها الباب تعويد الصغير وتدريبه وتربيته على ممارسة حقوقه المشروعة، ويبدو هذا من قول النبي ﷺ للغلام: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَـٰؤُلَاءِ ؟» فَقَالَ الْغُلَامُ: لاَ. وَاللّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا.

لقد أقر الرسول ﷺ بالحق المشروع للغلام في الشرب قبل الأشياخ فاستأذنه، فلم يأذن الغلام وتمسك بأحقيته في الشرب فأقر له النبي ﷺ بذلك، ومن ثَمَّ يجب على المربين أن يقروا بالحقوق المشروعة للصغار ولا يهضمونهم إياها لكونهم صغارًا، ويعودوهم على ذلك. ويدربوهم على التعبير بحرية عما يريدون، لأن هذا سيكون له الأثر الطيب في تكوين شخصية هؤلاء الصغار، وتنمية قدراتهم ومواهبهم.

"إن إعطاء الصغير حقه، وقبول الحق منه، يغرس في نفسه شعورًا إيجابيًا نحو الحياة، ويتعلم أن الحياة أخذ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للصغير على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له، تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها، ويولد لدى الصغير إحساسًا بالقهر، ومن ثَمَّ فإن رسول الله ﷺ استأذن غلامًا عن يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي عن يساره، فإذا بالغلام لا يُؤْثِرُ أحدًا على نفسه بسُؤْر رسول الله ﷺ، فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب، ويهنأ في الاستمتاع بحقه، ولقد سار السلف الصالح على قبول الحق من الصغير مهما كان نوعه[1].

ثالثًا- دور المجالس في التربية:

إن مجالس المربين ينبغي أن تكون وسيلة من وسائل تحقيق التربية، والتربية في وسط المجموع قد يكون لها أبلغ الأثر في تحقيق القدوة، وفي حديث الباب كان مجلس النبي ﷺ بمَنْ فيه من أشياخ وغلام أحد الوسائط التربوية التي من خلالها يوصل المربي ما يريد أن يغرسه من قيم في نفوس المتربين.

---

(١) انظر: المنهج التربوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص٨٢.

"لقد استخدم المنزل كمكان لنشر العلم وللتعليم منذ الصدر الأول للإسلام، وذلك عندما اتخذ الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا لتعليم مبادئ الإسلام، وفي بعض الأحيان كان يلتقي ﷺ بأصحابه في منزله أو في مجالسه بأي مكان ليرشدهم ويعلمهم أمور دينهم.

وكان بعض المربين يتخذون منازلهم مكانًا للتعليم يلتقون فيه بغيرهم من طلبة العلم فيفيدونهم، وليست مجالس العلماء هذه قاصرة على مجالس علماء الدين فحسب، ولكنها كل المجالس العلمية التي يقدم فيها أي نوع من أنواع العلوم النافعة كالمؤتمرات والندوات واللقاءات والمنتديات الشعرية والأدبية والعلمية والطبية والنفسية والتربوية... وغيرها من المجالس التي تقوم بدور أو بآخر في التربية الإسلامية" (١).

رابعًا- التربية بالقصة:

إن من الأساليب التربوية المهمة التربية بالقصة، وذلك لما تتركه من أثر حميد في نفس المتلقي، وفي هذا الباب جاء الحديث عن جزء من قصة أيوب عليه السلام ونزول الجراد عليه.

"والقصة التربوية هي الخبر الصادق المنقول لفظًا أو كتابة. أما ما يُخْتلق من أكاذيب، فليست من الصدق في شيء، وبالتالي لا ينبغي نقلها ولا استخدامها، وتبرز أهمية القصة من التأثير النفسي العميق الذي تتركه في ذهن المستمع أو القارئ، وتتجاوز ذلك إلى التأثير في سلوكه وأفكاره، فهي أحد أساليب التربية الإسلامية حيث تضمن القرآن الكريم الكثير من القصص، وتضمنت السنة النبوية العديد من القصص التي قَصَّهَا رسول الله ﷺ على أصحابه وحفظتها كتب الأحاديث النبوية" (٢).

ومن ثَمَّ فيجب على المربين استعمال القصة في تربية النشء وغرس القيم الصحيحة

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٥٦-١٥٧ بتصرف.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد حامد الحازمي ص٣٨٩.

في نفوس المتربين.

خامسًا- من الأساليب التربوية المناقشة والحوار:

كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ((أن رسول الله ﷺ أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطى هؤلاء..))الحديث. وأسلوب المناقشة والحوار من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم في العملية التربوية وتدفع الملل عنه وتستثير دافعيته للتعلم. لذا كان من الأجدر أن يستخدمه المعلم في حجرة التدريس وخارجها.

٦٤- باب فضل الغَنِيّ الشاكر

وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بهَا

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسْرَى﴾[الليل: ٥-٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[الليل: ١٧-٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿إنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِي وَإنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢٧١]، وقال تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٩٢] والآيات في فضلِ الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

الحديث رقم (٥٧١)

٥٧١- وعن عبدِ اللّه بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: **((لاَ حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا))** متفقٌ عَلَيْهِ[(١)]. وتقدم شرحه قريبًا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

هلكته: إنفاقه[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يوجه الطاقة الداخلية الهدامة في الإنسان إلى الاتجاه الذي يجعلها طاقة

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦/٢٦٨ ولفظهما سواء، أورده المنذري في ترغيبه ١٢١. وتقدم برقم ٥٤٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ل ك).

نافعة في سبيل الله تسعى في الخير لا في الشر، والمقصود بالحسد هنا تلك الطاقة الشعورية الموجهة لتمني الخير الأخروي وهي على ذلك تقابل الغبطة التي تعني تمني مثل ما لغيره دون أن تتمنى زواله، وبذلك فهي تفارق معنى الحسد المذموم الذي يعني زوال نعمة غيره، وهي بهذه الدلالة خلق مذموم محرم أما شعور الغبطة: فَلَيْسَ بِحَرَامٍ، بَلْ هُوَ إمَّا وَاجِبٌ أَوْ مَنْدُوبٌ أَوْ مُبَاحٌ، فَالْوَاجِبُ يَكُونُ فِي النِّعَمِ الدِّينِيَّةِ الْوَاجِبَةِ كَنِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَالزَّكَاةِ، فَيَجِبُ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ الْقَائِمِ بِذَلِكَ، وَإِلَّا كُنْتَ رَاضِيًا بِالْمَعْصِيَةِ، وَالرِّضَا بِهَا حَرَامٌ، وَالْمَنْدُوبُ يَكُونُ فِي الْفَضَائِلِ: كَالْعُلُومِ، وَإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِي الْمَبَرَّاتِ، وَالْمُبَاحُ يَكُونُ فِي النِّعَمِ الْمُبَاحَةِ كَالنِّكَاحِ، نَعَمْ الْمُنَافَسَةُ فِي الْمُبَاحَاتِ تُنْقِصُ مِنْ الْفَضَائِلِ وَتُنَاقِضُ الزُّهْدَ وَالرِّضَا وَالتَّوَكُّلَ، وَتَحْجُبُ عَنْ الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ مِنْ غَيْرِ إثْمٍ، وقوله (لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ) أسلوب قصر لقصر الحسد على الاثنين المذكورين، وهو أسلوب توكيد يقابل به المنكر والمتردد في وخاطبهم به لكثرة وقوعه بين الناس فصاروا كالمنكرين لحقيقة الخبر أو المترددين بين الفعل، والترك، وأطلق الحسد وأراد الغبطة من قبيل إطلاق اسم المسبب على السبب وقال الخطابي معنى الحسد ههنا شدة الحرص والرغبة كنى بالحسد عنهما لأنهما سببه، والداعي إليه، ولهذا سماه البخاري اغتباطا وقوله (رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا) نكر (مالا) وعرف (الحكمة)؛ لأن المراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء الشرع بها يعني الشريعة فأراد التعريف بلام العهد أو المراد منه القرآن، فاللام للعهد أيضا بخلاف المال فلهذا دخل صاحبه بأي قدر من المال أهلكه في الحق تحت هذا الحكم قوله (فسلط على هلكته) في هذه العبارة مبالغتان أحداهما التسليط فإنه يدل على الغلبة، وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ، والأخرى: لفظ (على هلكته) فإنه يدل على أنه لا يبقي من المال شيئا ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا ينبغي ذكر قوله (في الحق) احتراساً يدفع ذلك الوهم وكذا القرينة الأخرى اشتملت على مبالغتين إحداهما: الحكمة فإنها تدل على علم دقيق محكم، والأخرى القضاء بين الناس، وتعليمهم

فإنها من خلافة النبوة ثم إن لفظ الحكمة إشارة إلى الكمال العلمي ويفضي إلى الكمال العملي وبكليهما إلى التكميل والفضيلة إما داخلية وإما خارجية وأصل الفضائل الداخلية العلم وأصل الفضائل الخارجية المال، ومعنى الحديث الترغيب في طلب العلم، وتعلمه، والتصدق بالمال.[1]

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٧٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٣).

الحديث رقم (٥٧٢)

٥٧٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(**الآناء**): السَّاعاتُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الآناء: الساعات[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٥، ومسلم ٨١٥/٢٦٦ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١٢. وقد تقدم برقم ٥٤٣ وسيكرره المؤلف برقم ٩٩٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٦١.

وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إنفاق المال وشكر النعم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

ورد ذلك في قول رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين". حيث نفى الحسد وأثبته لاثنتين. واستخدم في ذلك أداة الاستثناء "إلا" والاستثناء يقصد: إخراج ما لولاه لدخل في الكلام، بإلا أو إحدى أخواتها.

والمراد بالإخراج: الطرح بإسقاط ما بعد أداة الاستثناء من المعنى الذي قبلها فيخالف ما بعدها ما قبلها فيما تقرر من حكم مثبت أو منفي[1].

وقد ورد استخدام الاستثناء في القرآن والسنة. قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾[3].

---

(١) انظر: شرح الورقات في أصول الفقه، عبدالله بن صالح الفوزان، تقديم أحمد بن عبدالله بن حميد ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٢.

وقال رسول الله ﷺ: ((الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ. إلاَّ صُلْحًا حَرَّمَ حَلاَلاً أوْ أحَلَّ حَرَامًا. والمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إلاَّ شَرْطًا حَرَّمَ حَلاَلاً أوْ أحَلَّ حَرَامًا))[1]. وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: ((إنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي. وَلَمْ يَحِلَّ لِي إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ. فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ. وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ. وَلاَ يَلْتَقِطُ إلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا. وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إلاَّ الإِذْخِرَ. فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ. فَقَالَ: إلاَّ الإِذْخِرَ))[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار....". وفضل تلاوة القرآن آناء الليل وآناء النهار عظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3].

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد إنه: "شفاء ورحمة للمؤمنين" أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله. وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠٨٩).

(٢) أخرجه البخاري ١٨٣٤، ومسلم ١٣٥٣ واللفظ له.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

يكون شفاء في حقه ورحمة. وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وتكذيبًا وكفرًا)[١].

فالقرآن هو كلام رب العالمين، وهو النبراس العظيم، هو النور حقًا، هو النور الساطع والبرهان القاطع.

نور يتلألأ، نور لا كالأنوار، نور ياله من نور، نور لا أفول له ولا يعتريه اضمحلال، نور ينير الطريق للسالكين، نور يهتدي به كل تائه وحيران نور أطل من العلا على كل الملا، نور أشعته تشفي من أمراض الشهوات والشبهات[٢].

فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءة القرآن في جميع الأوقات لان ذلك فضله عظيم قال رسول الله ﷺ: ((الذي يقْرَأ القُرْآنَ وَهُوَ ماهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرَرَةِ، وَالّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شاقٌّ فله أَجْرانِ))[٣].

قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ. لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ. لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ))[٤].

وينبغي على المسلم استذكار القرآن وتعاهده قال رسول الله ﷺ: ((إنما مَثَل صاحبِ القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة، إن عاهَدَ عليها أمسكها، وإن أطلَقها ذهَبَتْ))[٥]. واستذكار القرآن أي: المواظبة على التلاوة وطلب ذكره. والمعاهدة: أي: تجديد العهد به بملازمته وتلاوته... فإن الذي يداوم على ذلك يذل له لسانه ويسهل عليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٢/٥.

(٢) الهدي والبيان في أسماء القرآن، صالح بن إبراهيم البليهي ص ١٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٥).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧ واللفظ له.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٣١.

قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه[١].

وعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ))[٢].

وقال رسول الله ﷺ : (خيرُكم من تعلم القرآن وعلمهُ)[٣]، وعن رسول الله ﷺ قال: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[٤].

وقد بين ﷺ أن تلاوة القرآن بكل حرف منه حسنة فقال: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ))[٥].

فالقرآن كتاب الله العظيم أنزله الله على رسوله وجعل فضل تلاوته والتغني به عظيم.

قال السيوطي: (قال ابن الصلاح في فتاويه: قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك، وأنها حريصة لذلك على استماعه من الأنس)[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل إنفاق المال وشكر النعم:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... ورجل آتاه مالاً، فهو ينفقه آناء الله وآناء النهار". فبين أن الحسد يكون أيضًا في إنفاق المال، وذلك لأن إنفاق المال ابتغاء مرضاة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٧).

(٦) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢٩١/١.

الله ثوابه عظيم . قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١]. قال ابن كثير: (هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار، والأحوال من سر وجهار)[٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾[٣].

وقال رسول الله ﷺ: ((ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ: اللَّهمَّ أعطِ مُمسِكًا تلَفًا))[٤].

وقال ﷺ: (قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم ينفق عليك)[٥].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر أسلوب الترغيب في قصر النبي ﷺ الحسد على تلاوة القرآن والإنفاق في الخير آناء الليل والنهار.

ولا ريب أنَّ هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين ولا يعمر إلا بهما)[٦].

وفي ذلك ترغيب في تلاوة القرآن وإنفاق المال ابتغاء مرضاة الله ﷺ وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ينبغي أن يحرص الداعية على استخدامها لما لها من أثر فعال في قبول الدعوة والحرص على القيام بها وذلك لأن الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الدعوة وكذلك الترغيب في حصول الثواب وكثرة الخيرات.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٧/١.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٤٢.

(٥) أخرجه البخاري ٥٣٥٢. ومسلم ٩٩٣

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٦٤٩.

الحديث رقم (٥٧٣)

٥٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرينَ أتَوْا رسول الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيم المُقيم، فَقَالَ: ((وَمَا ذَاك؟)) فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((**تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً**)).

فَرَجَعَ فُقَرَاء المُهَاجِرينَ إلَى رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وَهَذا لفظ رواية مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الدثور: الأموال الكثيرة[2].

دُبر كل صلاة: أي بعد انتهائها[3].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض لصورة من صور التنافس في الخير بين المؤمنين، ويقوم المعنى فيه على الحوار بين فقراء المهاجرين، وبين الرسول ﷺ وقولهم (: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ

---

(١) أخرجه البخاري ٨٤٣، ومسلم واللفظ له ٥٩٥/١٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٦٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٦١، ٤٨٩.

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٣.

بالدَّرَجَاتِ العُلَى) كناية عن تحصيلهم الأعمال الصالحة الكبيرة، والتعبير بالذهاب مبالغة في الحيازة كأنهم لم يبقوا لها أثرا وجمع الدرجات للتعظيم، ووصفها بالعلي مبالغة في العلو، وقول الرسول ﷺ (وَمَا ذَاك ؟) استفهام على حقيقته يضع على إثره الحل بعد الإحاطة بأبعاد المشكلة، وقولهم: (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) فيه جناس بين يُصَلُّونَ ونُصَلِّي، وبين يَصُومُونَ ونَصُومُ يؤكد المعنى، ويقرر التطابق في الفعل، والتساوي في العمل، وليس في هذا الجزء اعتراض والمفارقة في قوله (وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ) وفيه طباق سلب بين يَتَصَدَّقُونَ، وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَبين يَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، لأنهم يملكون المال، والفقراء لا يملكون، وقول الرسول (أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق، وترغيب يسيطر على العقل حتى يتقرر المعنى وقد جعل لهم فيه ما يبحثون عنه من إدراك السابق، وفوت اللاحق، والتفرد في المنزلة، وهو ما تسعى خلفه النفوس المؤمنة الطامحة وقوله (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً)يدل على فضل الذكر وعظمة ثوابه مع عدم الكلفة، وقلة الجهد، وقولهم (سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟) يشير إلى روح المنافسة في الخير السائدة في الجيل الطاهر والتي تشبه منافستنا اليوم، ولكن على الدنيا، وقول الرسول ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يرد المسألة إلى أصلها، وهو توفيق الله، والإشارة (ذلك) للتعظيم، وإضافته لله تزيده تعظيماً مع التخصيص الذي يقرر أن مرد الأمر لمشيئة الله.

فقه الحديث

١- **الذكر عقب الصلاة:** ورد في هذا الحديث: (تسبحون وتكبرون وتَحْمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة).

وعند مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ سَبَّحَ اللّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللّهَ ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللّهَ ثَلاثًا وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ، تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))[١].

وعند مسلم من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه: ((وأربع وثلاثون تكبيرة))[٢].

وفي رواية عند البخاري من حديث أبي هريرة: ((تُسَبِّحُوْنَ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ عَشْرًا وتَحْمَدُوْنَ عَشْرًا وتُكَبِّرُوْنَ عَشْرًا))[٣].

وفي رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة ((إِحْدَى عَشَرَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ. فَجَمِيعُ ذٰلِكَ كُلُّهُ ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ))[٤].

قال ابن حجر: (وجمع البغوي في شرح السنة بين هذا الاختلاف باحتمال أن يكون ذلك صدر في أوقات متعددة أولها عشر عشرًا ثم إحدى عشرة إحدى عشرة ثم ثلاثًا وثلاثين ثلاثًا وثلاثين، ويحتمل أن يكون ذلك على سبيل التخيير أو يفترق بافتراق الأحوال)[٥].

وقال عبدالله البسام: (وما دام الأحاديث صحّت بهذه الأعداد فينبغي أن يفعل هذا مرة وتلك مرة أخرى، ولعل العدد القليل يؤتى به في الأزمنة الضيقة، حتى لا تفوت المصلي السنة والفضيلة والله لطيف بعباده، أما العمل بالروايات كلها أو بأكثر من واحدة في صلاة واحدة، فلا يستحب)[٦].

٢- **الدعاء عقيب الصلاة:** قال ابن حجر: (استدل به البخاري على فضل الدعاء عقيب الصلاة كما سيأتي في الدعوات[٧]. لأنه في معناها، ولأنها أوقات فاضلة يرتجى فيها إجابة الدعاء)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٧، ١٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٦، ١٤٤، ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٢٩، وانظر: روايات أخرى في سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٢٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٥، ١٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٩/٢ ط/ السلفية.

(٦) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٢.

(٧) بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، وساق تحته حديث الباب برقم ٦٣٢٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣١/٢، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٥٧/١-٢٥٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٩٢/٢٢ ط/ ابن قاسم، ٢٥٧/١١-٢٥٨ ط/ العبيكان، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٣/١١-١٣٥.

المضامين الدعوية

أولاً : من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تحصيل الأجر والثواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على تحصيل الأجر والثواب:

حيث جاء في الحديث: "إن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا ذهب أهل الدثور بالأجور"، وفيه أيضًا "سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا". وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة على تحصيل الأجر والثواب، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث دليل على أن الصحابة كانوا يتسابقون إلى الخير فالأغنياء، لما سمعوا بما أرشد إليه النبي الفقراء بادروا إليه وفعلوه والفقراء جاءوا يشكون أنهم لا يستطيعون فعل بعض العبادات المالية لقلة ذات أيديهم فأرشدهم النبي لما يدركون به من سبق، ويسبقون به من بعدهم ففعلوا ذلك ثم جاءوا يشكون أن إخوانهم الأغنياء لما سمعوا بذلك بادروا بفعله)[1]، وقال السيد سابق: (إن أسمى الغايات، وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه.

وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده، الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول سبحانه: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا. وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٨٤٢/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[1] والخير الذي ندب الله إليه، ينتظم كل بر، ويشمل كل عمل صالح فطاعة الله خير.

وممارسة الفضائل خير، والإخلاص والنية الطيبة خير، والإحسان إلى الناس خير، وبر ذوي القربى خير، والقول الجميل خير، وكل عمل ينهض بالفرد ويرقي الجماعة فهو خير.

والفطر السليمة تهتدي إلى الخير، وتشعر به، وتنجذب إليه، وقلما تحتاج إلى من يبصرها به، أويدلها عليه، إذ الخير هو الكمال الذي تنشده وتسعد به.

ومن أجل هذا تأتي الدعة إلى الخير في كتاب الله، وفي سنة نبيه ﷺ دون أن تُعرَّف ماهيته، وتضع له الحدود التي تكشف عن معالمه[2]. وما من شك أنه في ذلك فليتنافس المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون وقد مدح الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[3]. وجعل ذلك من صفات أنبيائه فقال عن زكريا ويحيى عليهما السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "وما ذاك؟" "إلا من صنع مثل ما صنعتم؟" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعوين، وتفتح باب الحوار والمناقشة بين الداعية والمدعو، وهي تعمل على فتح قنوات اتصال مع الداعية للسؤال

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٢) إسلامنا ١٣٣، ١٣٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

والاستفسار عن الأمور الهامة وقد أمر الله بالسؤال في القرآن فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ثالثًا- من واجبات الداعية : توجيه المدعوين إلى إدراك ما يحصل به نفعهم:

يظهر هذا من الحديث (أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم" والداعي إلى الله هو منارة الهدى دائمًا إلى الخير والرشاد، "وعلى الدعاة أن يقتفوا أثر رسول الله ﷺ في دعوة الأمم إلى الخير، وهداية البشرية إلى الصراط السوي، وعلى الداعية أن يبذل كل ما يستطيع من جهد لاستمالة الآخرين وجذبهم إلى نداء الله لأن الدعاة هم المبلغون لدين الله). وقد بين الرسول الكريم ﷺ ثواب من يرشد إلى الخير فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من دل على خير فله مثل أجر فاعله))[٢].

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا لذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٣].

وقد قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٥.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

وحثّ الرسول ﷺ المسلم أن يكون مفتاحًا للخير فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إِنَّ هذَا الْخَيْرَ والشَّر خَزَائِنُ، وَلِتِلْكَ الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ، فَطُوبى لِمَن كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلاَقًا لِلْخَيْرِ))[1].

وضد ذلك عدم رغبة العبد في الخير يفوته خيرًا كثيرًا، فإن كان مع ذلك عادمًا للنصح للعباد، لا يقصد نفعهم بوجه من الوجوه، وربما قصد إضرارهم وغشهم لأغراض نفسية؛ أو عقائد فاسدة، فقد أتى بالسبب الأعظم لحصول المضرات وتفويت الخيرات، وكان هذا الذي يصدق عليه أنه مفتاح للشر، مغلاق للخير، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ومن أعظم الأصول فتحًا للخيرات وإغلاقًا للشرور الإيمان التام بالرسول ﷺ، فإذا آمن به إيمانًا تامًا، وفهم كلامه ومراده تحقق ما قاله قطعًا، وعلم أن ما ناقض ذلك أو خالفه فإنه باطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فهذا يغلق على العبد أبوابًا من الشرور فتحها أهل الكلام الباطل عارضوا بها ما جاء به الرسول، ولكن الإيمان التام وفهم مراد الرسول تمامًا يرد كل ما ناقضه[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير في دبر كل صلاة:

حيث جاء في الحديث: "تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة"، قال الإمام ابن حجر: (والأولى البداءة بالتسبيح لأنه يتضمن نفى النقائض عن الباري سبحانه وتعالى، ثم التحميد لأنه يتضمن إثبات الكمال له إذ لا يلزم من نفى النقائض إثبات الكمال ثم التكبير، إذ لا يلزم من نفى النقائض وإثبات الكمال أن لا يكون هناك كبير آخر ثم يختم بالتهليل الدال على انفراده سبحانه وتعالى بجميع ذلك ومقتضى الحديث أن الذكر المذكور يقال عند الفراغ من الصلاة فلو تأخر عن الفراغ فإن كان يسيرًا بحيث لا يعد معرضًا أو كان ناسيًا أو متشاغلاً بما ورد أيضًا بعد

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ٢١٣-٢١٥.

الصلاة كآية الكرسي فلا يضر)[١].

وقال ولي الله الدهلوي: والأدعية كلها بمنزلة أحرف القرآن، من قرأ منها شيئًا فاز بالثواب الموعود، والأولى أن يأتي بهذه الأذكار قبل الرواتب، فإنه جاء في بعض الأذكار ما يدل على ذلك نصًا، كقوله: "من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح: لا إله إلا الله وحده... الخ" وكقول الراوي "كان إذا سلم من صلاته يقول بصوته الأعلى: "لا إله إلا الله... إلخ"، قال ابن عباس: "كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير". وفي بعضها ما يدل ظاهرًا، كقوله: "دبر كل صلاة" وأما قول عائشة رضي الله عنها: "كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: اللهم أنت السلام..." إلخ، فيحتمل وجوهًا:

منها: أنه كان لا يقعد بهيئة الصلاة إلا هذا القدر، ولكنه يتيامن ويتياسر، أو يقبل على القوم بوجهه، فيأتي بالأذكار، لئلا يظن الظان أن الأذكار من الصلاة.

منها: أنه كان حينًا بعد حين يترك الأذكار غير هذه الكلمات، يعلمهم أنها ليست فريضة وإنما مقتضى "كان" وجود هذا الفعل كثيرًا، لا مرة ولا مرتين، ولا المواظبة، والأصل في الرواتب أن يأتي بها في بيته، والسر في ذلك كله أن يقع الفصل بين الفرض والنوافل بما ليس من جنسهما، وأن يكون فصلاً معتدًا به يدرك بادي الرأي، وهو قول عمر رضي الله عنه لمن أراد أن يشفع بعد المكتوبة: "اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنه لم يكن بين صلواتهم فصل" فقال النبي ﷺ: "أصاب الله بك يا ابن الخطاب" وقوله ﷺ: "اجعلوها في بيوتكم" انتهى كلامه.

قلت: فالإتيان بشيء من الأذكار والأدعية المأثورة بعد الفرائض متصلاً بها هو الراجح في نظري، فإنه يفيد فصلاً زمانيًا بين الفريضة والنافلة، كما أن التحول من موضع الفريضة يفيد فصلاً مكانيًا. والله أعلم)[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٨٢.

(٢) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٤/١٨٤-١٨٥ بتصرف.

وقد دلت الكثير من النصوص الشرعية على فضل هذه الأذكار قال تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[٢]، وقال عن يونس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: العطاء فضل الله يؤتيه من يشاء:

حيث جاء في الحديث "سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

قال ابن علان: (ومراد الفقراء أن الأغنياء ساووهم في الفضل وزادوا عليهم بالعمل المالي فقال النبي ﷺ ذاك ثواب الله يعطيه من يشاء من فقير وغني، ويحتمل أن يكون المراد أن الله أنالهم ذلك، وقصره عليهم فلا سبيل لمشاركتهم فيه من غيرهم، ويحتمل أن يكون الثواب المرتب على هذا المذكور أنه فضل الله إن شاء خص به الفقراء فلا يلزم من إتيان الأغنياء به مساواة الفقراء فيه)[٥].

وقال القاضي عياض: (وقول النبي ﷺ في الحديث: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". قال أبو القاسم بن أبي صفرة: فيه نص على فضل الغني نصًا لا تأويلاً إذا استوت أعمالهم بما فرض الله عليهم، فللغني حينئذ فضل أعمال البر المتعلقة بالأموال بما لا سبيل للفقير إليها، وإنما يفضل الفقر والغنى إذا فُضِل صاحبه بالعمل، فهذا ظاهر معنى قوله: (فضل الله يؤتيه من يشاء)، إنها الأشياء الزائدة على ما يقدر عليه الفقراء

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٢.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٣) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣-١٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١١١.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٤٤.

من أعمال البر المالية، ورأيت بعض المتكلمين ومن يحتج لتفضيل الفقر على الغنى أغرق في تأويله، وخالف ظاهره، وذهب أن هذا الفضل راجع إلى ثواب الفقراء على الأغنياء، وأنهم يختصون بما خاطبهم به النبي ﷺ، وأعلمهم من فضل ذكرهم وسبقهم به من بعدهم ودرك من سبقهم، وإن هذا الفضل لهم دون غيرهم من الأغنياء وإن قالوه، والفضائل ليست بقياس والأجور بفضل الله يؤتيها من يشاء، وهذا خلاف ظاهر الكلام ومفهومه، وقد قال في الحديث الآخر: "لا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع ما صنعتم" ولم يقل: "منكم" مطلقًا، وجعل الفضل لقائله كائنًا من كان)[1].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية أن فضل الله واسع، وأنه يؤتيه من يشاء، وأنه يختص برحمته من يشاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

وكل هذا يدل على سعة فضل الله وواسع رحمته، وعظيم فضله ومنته على الخلق.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٦/٢.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على خلق الشكر:

"يقع على عاتق التربية الإسلامية غرس القيم الإسلامية السامية في نفوس النشء بخاصة، والمسلمين جميعًا بعامة، ولذا تسعى التربية الإسلامية بأقصى درجة ممكنة إلى غرس الخصال الحميدة والخلال الطيبة، كالصدق والأمانة والإخلاص والرفق والصبر والشكر ونحو ذلك في نفوس الناشئين، وتشريبهم إياها بأسلوب فاعل مؤثر، حتى تصبح صفات راسخة في نفوسهم أولاً، وأنماطًا سلوكية ثانيًا، ولابدّ من الحرص على غرس كراهية الصفات الذميمة في نفوسهم، والحيلولة دون تسربها إلى سلوكهم وذلك بعدم الغفلة، ودوام اليقظة تجاه الناشئ" (١).

ثانيًا- دور الحوار والمناقشة في التربية:

ومن خلال أحاديث الباب تبرز أهمية الحوار والمناقشة في التربية، ويتضح هذا جليًا في حوار فقراء المهاجرين مع الرسول ﷺ.

"إن أسلوب الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك. ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع، ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف، لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته وجدواه" (٢).

ومن ثَمَّ يجب على المربين والمشتغلين بالتربية استخدام هذا الأسلوب في تربية الناشئة، وتوجيه الناس إلى الخير.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٥٨-٦٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص٨٥، ٨٦.

"إن أسلوب السؤال والحوار من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها الإنسان الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير، وهو في حياته اليومية يجد نفسه في حوار أو سؤال مع جيرانه أو أصدقائه أو أهله أو غيرهم، والمرء في حياته العادية يحتاج إلى هذا الأسلوب كي يشعر بالراحة والطمأنينة. ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفيرٍ للجهد والوقت والمال، وفيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين، فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال حتى لا يحدث مالا تُحمد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل"[(١)].

ثالثًا- التربية بإثارة المنافسة والتحفيز:

إن من الأساليب التربوية الناجعة إثارة المنافسة والتحفيز في نفوس المتربين لما في ذلك من تشجيع لهم على ممارسة الأعمال الصالحة، ولعل الناظر في أحاديث الباب يلمس هذا في قول النبي ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ ...». وقوله ﷺ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ ...».

"إن من الأمور المهمة في التربية إثارة المنافسة من غير إثارة الشحناء، وهي تحمل على الجِدِّ والاجتهاد في التعلم أو التأدب أو التربية، وهذا الأسلوب ليس قاصرًا على مرحلة الطفولة فحسب بل هو صالح للمرحلة التي تسبقه والتي تليه، وإنما الذي يختلف في هذه الحالة هو مضمون المنافسة، وقد ورد في السنة شيء كثير من ذلك"[(٢)].

رابعًا- التربية على الإفادة من العمل الدنيوي في الجزاء الأخروي:

إن أحاديث الرسول ﷺ تجمع بين أمرين في وقت واحد:

إلا أن فئة من المسلمين في بعض الفترات التي تمر بهم، يلتمسون من السنة ما يطابق مقتضى الحال، وإن كانت الحال غير ما دعا إليه الرسول ﷺ بل إنهم ليطلبون مبررات للتقاعس عن الخروج مما هم فيه، معللين ذلك ببشارات أو إخبارات الرسول عليه السلام.

إن ما ذهب إليه البعض من ترجيح الفقير الصابر على الغني الشاكر مردود للأسباب الآتية:

---

(١) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم على أحمد ص١٢٣، ١٢٤.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص٩١.

السبب الأول: أن حب التملك فطرة فطر الله تعالى الإنسان عليها، وآيات القرآن كثيرة في هذا الصدد، فكيف يكون التملك فطرة ويدعو الإسلام إلى تركه أو ينص على كونه تركه محمدة مع أنه مصادم -أي الترك- للفطرة.

السبب الثاني: الأغنياء الشاكرون محل ثناء القرآن والسنة، وكثيرة هي المواقف التي جاء فيها الأغنياء بمالهم فنالوا ثناء الله تعالى وثناء رسوله ﷺ، ففضل العطاء لا يخفى على أحد، وقد أثنى القرآن الكريم على أبي بكر رضي الله عنه لإنفاقه في سبيل الله تعالى وتحريره الأرقاء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1] وقد أثنى الرسول عليه السلام على أبي بكر رضي الله عنه لكثرة عطائه ونصرته للإسلام بماله، وفي الحديث: ((ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها إلا أبا بكر رضي الله عنه فإن له يدًا عندنا يكافئه الله عز وجل بها يوم القيامة))[2] وموقف عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة العسرة غير غائب عن أحد، وبشارته إياه "ما على عثمان ما فعل بعد اليوم"[3] حين جهز ثلث جيش العسرة.

السبب الثالث: إن من الأجر الجاري للإنسان بعد وفاته أعمالاً تعتمد على المال بالدرجة الأولى، ومن هذه الأعمال (صدقة جارية، نهر أجراه، بيت لابن السبيل أواه، مصحف ورثه)[4].

السبب الرابع: وضع الإسلام بدائل يدرك الفقراء بها درجة الأغنياء في الثواب إذا قصروا عن الالتزام بخاصة وهذه البدائل هي: الإكثار من الذكر والشكر والتوبة والاستغفار، وأخصها بالذكر والتسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة.

---

(١) سورة الليل، آيات: ٤-٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٦١، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٠١، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه المنذري في الترغيب ص ٤٦.

٦٥- باب ذكر الموت وقصر الأمل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾[لقمان: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ٩-١١]، وقال تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ۝ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ إلى قوله تَعَالَى: ﴿... كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون: ٩٩-١١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟

كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[الحديد: ١٦]، وَالآيات في الباب كَثيرةٌ معلومة.

الحديث رقم (٥٧٤)

٥٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: أخذ رسول الله ﷺ بِمنْكَبي، فَقَالَ: ((**كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**)).

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

عابرُ السَّبيل: المسافر[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يغرس في نفس المؤمن فكرة الاغتراب ليحدث في وجدانه توازناً يجعله قادراً على رؤية حقيقة الدنيا وهي في الوقت نفسه – فكرة الاغتراب – تشير إلى أن له غاية أسمى ووطناً يجب أن يعود إليه في الجنة التي خرج منها في ركاب أبيه آدم عليه السلام، ولترسيخ هذا المفهوم استخدم الرسول ﷺ عدة أشكال بلاغية منها:

البداية بأسلوب الأمر، واختار صيغة الأمر (كن) الدالة على طلب إحداث أمر لم يكن موجوداً وهو أمر إرشاد وتوجيه لجميع المؤمنين في كل زمان ومكان في شخص عبد الله رضي الله عنه لما يجب أن تكون عليه علاقتهم بالدنيا فلا يستكثرون من متاعها بما

---

(١) برقم ٦٤١٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٩٩. وتقدم برقم ٤٧٠.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ب ر).

يشغلهم عن آخرتهم، ثم يأتي التصوير بالتشبيه لإخراج المألوف القريب (الدنيا) مخرج المستغرب البعيد حيث جعل الدنيا دار غربة الأمر الذي يدفع المؤمن إلى عدم التعلق بشيء فيها وعدم الاستكثار من متاعها فجاء قوله ﷺ (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) حيث شبه الحال التي يجب أن يكون عليها عبد الله رضي الله عنه – وكل فرد من الأمة – بالغريب، أو عابر السبيل بجامع عدم التعلق بما يثقل أو يشغل عن المقصود في كلٍ، وتشبيه الرسول ﷺ للحال التي يجب أن يكون عليها المؤمن في الدنيا بحال الغريب أو عابر السبيل، له عدة دلالات. منها: عدم الإكثار في الاختلاط المضيع للوقت والمشتت للهدف وهذا مفهوم من حال الغريب الذي يقتصر في اختلاطه بالناس على ما يحتاج إليه في سفره، ويوضح مقصوده، ومنها: عدم انشغال المؤمن بما يفسد قلبه من صراع مع الناس وما يتبعه من حقد، وحسد، ونفاق كما لا ينشغل الغريب بمثل هذه الأمور لعدم اختلاطه بالناس، وقلة معرفته بهم، ومنها: وحدة الهدف، وعدم تشعب الهموم بالمؤمن كما أن الغريب هدفه واحد وهو الرجوع إلى لوطنه، كما يدل علي السعي الدائب الدائم الذي يجب أن يكون عليه المؤمن في الدنيا وعدم الاسترخاء، والركون حتى يلقى ربه كما أن الغريب أو عابر السبيل دائمان في سعيهما حتى يصلا إلى وطنهما، ومنها بث الشعور الوجداني بالحنين إلى الله، وما ادخره للمؤمن في الآخرة كما يشعر الغريب بحنينه إلى موطنه الأمر الذي يدفعه إلى قطع المسافات وعبور المفاوز يحدوه أمل مغداق، وقلب خفاق.

ثم يأتي أسلوب العطف المقرب للفكرة والموضح دلالة اللفظة حيث عطف قوله ﷺ: (أو عابر سبيل) على قوله: (كأنك غريب)، و(أو) للتنويع فإن قيل الغريب هو عابر سبيل فما وجه العطف؟ أجيب: بأن العبور يستلزم الغربة والمبالغة فيه أكثر؛ لأن تعلقاته أقل من تعلقات الغريب، وهو من عطف العام على الخاص)[1]، ومما تجدر الإشارة إليه في بلاغة الرسول ﷺ في هذا الحديث ما فيه من إيجاز القصر وإذا كان

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٥/٥٠٠.

البلغاء يقولون (البلاغة لمحة دالة، فعبارة الرسول ﷺ: (كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل) تطوي معاني كثيرة من تحذير من الدنيا، والاغترار بها، والركون إليها، والتنافس فيها، وما يولده من أحقاد وحسد ونفاق وارتكاب لمختلف الخطايا جرياً وراء شهواتها، وفيها أيضاً توجيه للمؤمنين ممثلين في شخص ابن عمر رضي الله عنهما إلى الغاية العظمى والهدف الأسمى ولفت النظر إلى ما يجب التنافس فيه بالعطف المحقق للتنويع والمؤذن بالمنافسة لاختيار أفضل النوعين في طريق الآخرة.

ولا ننسى – اذكاء الرسول ﷺ الفطري في إعداد المخاطب فكرياً، وشعورياً، وهدهدة خواطره عن طريق الحركة السابقة لعبارته والتي حكاها عبد الله رضي الله عنه: (أخذ الرسول ﷺ بمنكبي وقال:...) وهذا الفعل الذي قد يبدو عفوياً يوحي للمخاطب بالمودة والقربى والحظوة من المتحدث إضافة إلى أنه يلفت انتباهه ويضمن إنصاته ويحقق متابعته؛ لذلك تجد الصحابي يحكي فعل الرسول -ﷺ- معه كما يحكي قوله، وكذا أكثر كلام النبي ﷺ وتوجيهاته تصدر بعد تهيئة ذهنية، وتمهيد فكري وتأثير شعوري، مفضٍ إلى الإقناع، ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب عام يناقش قضية شاملة رغم توجيه الخطاب لشخص بعينه، ومما له اتصال بالموضوع، والخطاب فيه عاماً ما جاء في[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ١٠٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٧٠).

الحديث رقم (٥٧٥)

٥٧٥- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ، هَذَا لفظ البخاري[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ[2]: ((يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالٍ)) قَالَ ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ، إلاَّ وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقرر ضرورة أن يحافظ الإنسان على أداء الحقوق، الأمر الذي يستلزم أن يعد وصيته بما خلّف من أموال، وحقوق للناس عليه، أو على الناس له، وقد جاء المعنى في ثوب القصر الذي يصبغه بصبغة التوكيد، وهو قصر لصفة المبيت ليلتين على وجود وصية مكتوبة، والتعبير بالكتابة يفيد التوكيد ثم إن التعبير بالحق في بداية الحديث يشير إلى اللازم الضروري، وتنكير (شيء) يفيد التعميم ليشمل ما له قليل، وما له كثير، والتعبير بالجملة الاسمية (وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ) إشارة إلى الدوام، والثبوت، والظرف عنده يجعل مكانها في خصوصياته التي تقصد بعد موته.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الوصية: اتفق الفقهاء على مشروعية الوصية، واختلفوا في حكمها، فذهب الجمهور إلى أنها مندوبة، وليس واجبة، إلا على من عليه دين، أو عنده وديعة، أو عليه واجب يوصي بالخروج منه، بينما ذهب إسحاق، وداود، والزهري، وغيرهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٣٨ واللفظ له، ومسلم ١٦٢٧/١. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠٧.

(٢) برقم ١٦٢٧/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠٧.

وحكاه البيهقي عن الشافعي في القديم، إلى وجوبها[١].

٢-كتابة الوصية: اتفق الفقهاء على أنه يستحب أن يكتب الموصي وصيته، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، وهل تكفي الكتابة، أم لابد من الإشهاد عليها؟ خلاف بين الفقهاء: ذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية، وأحمد في رواية "هي المذهب" إلى أنه لا يكفي الكتابة، ولا يعمل بها، إلا إذا كان أشهد عليها، لاحتمال رجوعه.

وذهب أحمد في رواية ثانية، إلى أنه يكفي الكتابة من غير إشهاد، إذا عرف خطه، وهو قول محمد بن نصر المروزي، أيضاً[٢].

المضامين الدعوية

ثالثاً: من واجبات المدعو: المسارعة في الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في كتابة الوصية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل ابن عمر رضي الله عنهما.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المبادرة إلى كتابة الوصية:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث الحث على المبادرة إلى كتابة الوصية. يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شيء يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ". وفي رواية مسلم: يبيت ثلاث ليال، وفي ذلك حث على المبادرة إلى كتابة الوصية.

---

(١) بدائع الصنائع ٤٦٨/١٠ وما بعدها، وحاشية الصاوي ٤٩٣/١٠، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٤١٠/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٦/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٠٩/٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٢٤/٢٤، والمنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٧٦/٤، وإعانة الطالبين ٢٣٥/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣٦/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٣/١٧.

قال القرطبي: (وقوله: "يبيت ليلتين" المقصود بذكر الليلتين، أو الثلاث: التقريب، وتقليل مدة ترك الوصية. ولذلك لـمَّا سمعه ابن عمر لم يبت ليلة إلا بعد أن كتب وصيته، والحزم المبادرة إلى كتبها أول أوقات الإمكان، لإمكان بغتة الموت التي لا يأمنها العاقل ساعة. ويحتمل: أن يكون إنما حصل الليلتين بالذكر فسحة لمن يحتاج إلى أن ينظر فيما له وما عليه، فيتحقق بذلك، ويُروِّي فيها ما يوصي به، ولمن يوصي، إلى غير ذلك)[١].

قال النووي: (قال الشافعي: معنى الحديث ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده، ويستحب تعجيلها وأن يكتبها في صحته ويشهد عليه فيها ويكتب فيها ما يحتاج إليه، فإن تجدد له أمر يحتاج إلى وصية به ألحقه بها، قالوا: ولا يكلف أن يكتب كل يوم محقرات المعاملات وجزئيات الأمور المتكررة)[٢].

وقال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

وحكمة مشروعية الوصية تحصيل ذكر الخير في الدنيا، ونوال الثواب والدرجات العالية في الآخرة، لذا شرعها الشارع تمكيناً من العمل الصالح، ومكافأة لمن أسدى للمرء معروفاً، وصلة الرحم والأقارب غير الوارثين، وسد خلة المحتاجين وتخفيف الكرب عن الضعفاء والبؤساء والمساكين، وتجنب الإضرار في الوصية[٤]. لقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾[٥].

---

(١) المفهم، القرطبي ٥٤٢/٤.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٨٠-١٨٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/٤٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١٢.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية قصر الأمل في الدنيا والإقبال على الآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من عموم الحديث أهمية قصر الأمل في الدنيا والإقبال على الآخرة بالاستزادة من العمل الصالح.

قال ابن حجر: (وفيه الندب إلى التأهب للموت والاحتراز قبل الفوت، لأن الإنسان لا يدري متى يفجؤه الموت، لأنه ما من سن يفرض إلا وقد مات فيه جمع جم؛ وكل واحد بعينه جائز أن يموت في الحال، فينبغي أن يكون متأهباً لذلك فيكتب وصيته، ويجمع فيها ما يحصل له به الأجر ويحبط عنه الوزر من حقوق الله وحقوق عباده)[1].

(فإن ذلك من أعظم الموقظات للهمة، ومن أكبر البواعث على الجد والاجتهاد، ذلك أن المرء إذا تذكر قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعته للآخرة، وأنها فرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم -زهد في متع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات.

قصر الآمال في الدنيا تفز فدليل العقل تقصير الأمل[2]

فالحث على المبادرة على الوصية يبين أهمية قصر الأمل في الدنيا، والإقبال عل الآخرة بالاستزادة من العمل الصالح، وقصر الأمل في الدنيا لحقارتها، والرغبة فيما هو خير منها فالفارق بين الدنيا والآخرة كبير قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٤/٥.

(٢) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٩٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها وغاية ما فيها لهو ولعب: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾. أي: الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾. أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى[1].

ثالثاً- من واجبات المدعو: المسارعة في الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في كتابة الوصية:

يظهر ذلك من فعل ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال: (ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي). فيجب على المدعو إذا دعي لأمر نافع سرعة الاستجابة لتحصيل ثوابه لأنه لا يدري إذا أخره هل يمكنه القيام به بعد ذلك أم لا؟. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون في الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ لما في ذلك من الثواب العظيم والخير العميم.

والمسارعة إلى الأعمال الصالحة من الأشياء التي أمرت بها الشريعة الإسلامية وبينت فضلها، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

قال السعدي: (ثم أمرهم، بالمسارعة إلى مغفرته، وإدراك جنته، التي عرضها السموات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها)[3].

ولما سقط مسطح بن أثاثه مع من سقط في حادثة الإفك بالافتراء والكذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل شق ذلك على أبي بكر رضي الله عنه وقال: والله لا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٢٩٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١١٥-١١٦.

أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال أبو بكر رضي الله عنه: (بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، قال: والله لا أنزعها منه أبداً)[2]. فيجب على المدعو المسارعة إلىّ الاستجابة للأمور النافعة وعدم التسويف والتأجيل لأن ذلك من أشد الآفات.

قال بعض الحكماء: (التسويفُ لمن يعلم أن المنية تأتيه بغتة غرور)[3].

ولهذا الأمر آثارٌ وخيمةٌ في الدنيا وفي الآخرة، فهو سبب للحسرة والندامة، والحرمان من الأجر والثواب، وهو سبب لتراكم الذنوب، وصعوبة التوبة، وتراكم الأعمال، وصعوبة الأداء[4].

فانهض إذا ما لمحت الخير في عملٍ ... وخلِّ "سوف" لعزمٍ خاملٍ واهي[5]

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل ابن عمر رضي الله عنهما:

ويظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: ما مرت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ذلك إلا وعندي وصيتي.

قال ابن حجر: وفي الحديث منقبة لابن عمر لمبادرته لامتثال قول الشارع ومواظبته عليه[6].

وابن عمر أسلم مع أبيه وهاجر وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ببدر فاستصغره، ثم

---

(١) سورة النور، آية: ٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٥٠ مطولاً في قصة الإفك.

(٣) عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة لأبي الحسين علي بن عبدالرحمن ابن هذيل ص ٢٤٣.

(٤) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ٣/١٣١-١٥٣.

(٥) خواطر الحياة ص ٢٦١ نقلاً عن الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٢-٥٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٤٢٤

بأحد، فكذلك بالخندق، فأجازه وهو يومئذ ابن خمسة عشر سنة[١].

وقال عنه رسول الله ﷺ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ. فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاَّ قَليلاً))[٢].

فابن عمر رضي الله عنهما كان سريع الاستجابة لأمر الشارع وشديد الحرص على ما ينفعه.

عن ابن وهب: عن مالك عمن حدَّثه، أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله ويهتم به، حتى قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك.

وعن خارجة بن مصعب: عن موسى بن عقبة عن نافع، قال: لو نظرت إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ، لقلت: هذا مجنون[٣].

وعن نافع: ((أن ابن عمر كانَ يَتَّبِعُ آثارَ رسولِ الله ﷺ ويُصَلِّي في كل مكان صلى فيه، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ نَزَلَ تحتَ شَجَرَةٍ، فكانَ ابنُ عُمَرَ يتعاهد تلك الشجرة، فيَصُبُّ في أصلها الماءَ لكيلا تَيْبَسَ))[٤].

وقال نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْبَابَ لِلنِّساءِ. قال نَافِعٌ: فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ ابنُ عُمَرَ حَتَّى مَاتَ))[٥][٦].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ فِي يَدِي قِطْعَةَ إِسْتَبْرَقٍ. وَلَيْسَ مَكَانٌ أُرِيدُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ طَارَتْ إِلَيْهِ. قَالَ: فَقَصَصْتُهُ عَلَى حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهُ حَفْصَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ: أَرَى عَبْدَ اللّهِ رَجُلاً صَالِحاً))[٧].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٨٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ١١٢٢/١١٥٧، ومسلم ٢٤٧٩.

(٣) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، الأصبهاني ٣١٠/١.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٣٨/٣.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٦٢/٤ من طريق أبي الوليد الطيالسي عن أبي عوانة، عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك...، ورجاله ثقات.

(٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٧) أخرجه البخاري ١١٥٦، ومسلم ٢٤٧٨ واللفظ له.

قال النووي: (قوله ﷺ "أرى عبدالله رجلاً صالحاً" أي: أعلمه وأعتقده صالحاً والصالح هو القائم بحقوق الله وحقوق العباد)[١]. وعن أبي الزناد قال: اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبدالله بن الزبير وابن عمر فقالوا تمنوا. فقال عبدالله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أما أنا فأتمنى أن يؤخذ عني العلم، وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين. قال عبدالله ابن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة. قال: فنالوا ما تمنوا، ولعل ابن عمر غفر له.

وعن طاوس قال: ما رأيت رجلاً أورع من ابن عمر، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس.

وقال سعيد ابن المسيب: لو كنت شاهداً لرجل من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبدالله بن عمر[٢].

وفضائل ابن عمر كثيرة ومناقبه عظيمة فهو من الصحابة الأخيار الزاهدين العاملين الحريصين على مرضاة ربهم فرضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٠٣.

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢٥٢/١.

الحديث رقم (٥٧٦)

٥٧٦- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خُطُوطاً ، فَقَالَ: ((هَذَا الإنْسَانُ[(١)]، وَهَذَا أجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ)) رواه البخاري[(٢)].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

خط النبي ﷺ على الأرض بطريقة معينة يلفت النظر، ويقرر العبارة بطريقة أوكد لأنه يستقبل المعنى بحاسة السمع مع حاسة البصر فيرسخ مضمون الحديث بتطاول الأمل للإنسان مع قصر العمر الذي يستوعب هذا الأمل والرسول ﷺ يستعين في تقرير المعاني، وتثبيتها بشتى الوسائل التي تضمن لها البقاء في النفوس والرسوخ في العقل، وإشارة الرسول ﷺ في بداية الحديث تميز المشار إليه أكمل تمييز، وتعريف الإنسان بلام الجنس يفيد الشمول للجميع، وقوله (وهذا أجله) يقرر المفارقة بين تعلق الإنسان بأمله الذي يتطاول، وعمره الذي يتقاصر حتى يدركه أكد ذلك الظرف (بين) المضاف لـ(ما) التي توحي بالمباغتة التي تفجأه على حاله دون سوابق إنذار مما يستلزم من الإنسان الحرص من غرور الأماني، والزهد في الدنيا.

المضامين الدعوية[(٣)]

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الموت والاستعداد له:

يظهر ذلك من حديث أنس رضي الله عنه في قوله: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: (هذا الإنسان، وهذا أجله، فبينما هو كذلك إذ جاء الخط الأقرب، وكذلك حديث ابن

---

(١) لفظ البخاري: (الأمل) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وفي الجمع للحميدي ٦١٦/٢، رقم ٢٠٢٩ خطأ مطبعي، حيث دخل لفظ حديث في حديث، وما في الفهرس يؤكد هذا اللفظ.

(٢) برقم ٦٤١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٧٧).

مسعود رضي الله عنه في قوله: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً... فقال: (هذا الإنسان وهذا أجله محيطاً به...) وفي ذلك حثٌّ من رسول الله ﷺ على ذكر الموت والتذكير به لأن الإنسان لا يدري ما بقى من عمره، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[1]. أي وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا من كسب دينها ودنياها "وما تدري بأي أرض تموت" بل الله تعالى هو المختص بعلم ذلك جميعا "إن الله عليم خبير" محيط بالظواهر والبواطن والخفايا والجنايا والسرائر، ومن حكمته التامة أن أخفى علم هذه الأمور عن العباد؛ لأن في ذلك من المصالح ما لا يخفى على من تدبر ذلك[2].

وقال رسول الله ﷺ في التذكير بالموت: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ. يَعْنِي المَوْتَ))[3]، وبيّن أن الموت أقرب ما يكون من الإنسان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطاً لِي أَنَا وَأُمِّي فقَالَ: مَا هذَا يَا عَبْدَ الله؟ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فقَالَ: الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَاكَ))[4]. أي مر بي رسول الله ﷺ وأنا أصلح حائطًا لي بالطين فقال: "الأمر أسرع من ذلك" أي: الموت أسرع من فساد ذلك الحائط الذي تخاف فساده وهدمه لو لم تصلحه[5].

وقد أحسن من قال:

اذكر الموت هاذم اللذات ... وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

---

(١) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠١.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣٠٧، وابن ماجة ٤٢٥٨، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود ٥٢٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦١).

(٥) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢٢٤.

واذكر الموت تجد راحة ... في ادكار الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعد لذلك[١].

ثانياً- من واجبات المدعو: قصر الأمل في الدنيا والاستعداد للآخرة:

يظهر ذلك في حديث ابن مسعود، قال رسول الله ﷺ: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيطاً به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله...". وفي حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((خَطَّ النبيُّ ﷺ خَطاً مُرَبعاً، وخط خَطاً في الوسَطِ خارجاً منه، وخط خُططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسَط من جانبهِ الذي في الوسط فقال: هذا الإنسان؛ وهذا أجَلهُ محيطٌ به -أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارجٌ أمَله، وهذه الخُططُ الصغارُ الأعراض، فإن أخْطأهُ هذا نهشَهُ هذا، وإن أخطأهُ هذا نهشَهُ هذا))[٢]، قال ابن حجر العسقلاني: (والمراد بالأعراض الآفات العارضة له فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته الأجل، والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل، وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل، وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك، والأحاديث والآثار كلها متوافقة على أن الأجل أقرب من الأمل)[٣].

يعمّر واحد فيغرُّ قوماً ... وينسى من يموت من الشباب

فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً. وإنما يقدم المعاصي ويؤخر التوبة؛ لطول الأمل، وتبادر الشهوات، وتنسى الإنابة، لطول الأمل[٤]، وقال رسول الله ﷺ: (يهرم

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ص ٨، ٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٢/١١.

(٤) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢٧٤.

ابن آدم، وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل)[١]. فعلى المدعو أن يقصر أمله في الدنيا ويستعد للآخرة.

ثالثاً: من مهام الداعية : تنبيه وحث المدعوين على تذكر الموت والتزود للآخرة

وهذا يظهر من عموم الحديثين حيث نبه ﷺ وحث المسلمين على تذكر الموت وحثهم على التزود للآخرة.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية فإن هدف الداعية هو حب الخير للمدعو، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للمدعوين، والحرص على تحقيق المصلحة لهم، وظهور هذا الحرص يجعل النصيحة محل قبول وامتثال[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[٣].

ففيه ترغيب للدعاة إلى الله وحث لهم على مضاعفة جهودهم في دعوة الناس إلى الله، وإرشادهم إلى طريقه والمسارعة إلى مرضاته، ليكون خيرهم موفوراً، وسعيهم مشكوراً، كما فيه تحذير لذوي الأهواء والضلالة من أصحاب الدعوات الهدّامة، والبدع المضلّة التي يضلون بها أنفسهم ويضلون غيرهم فيحملون أوزارهم وأوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ١١٥/٣ رقم ١٢١٤٢، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين ١٨٩/١٩.

(٢) انظر: النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز عبدالفتاح الدميري، ص ٦١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصّافح ص ٤١-٤٢.

الحديث رقم (٥٧٧)

٥٧٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: خَطَّ النَّبيُّ ﷺ خَطّاً مُرَبَّعاً ، وَخَطَّ خَطّاً في الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إِلَى هَذَا الَّذِي في الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي في الوَسَط، فَقَالَ: ((**هَذَا الإِنْسَانُ، وَهذَا أَجَلُهُ مُحيطاً بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا**)) رواه البخاري[1]. وَهذِهِ صُورَتُهُ:

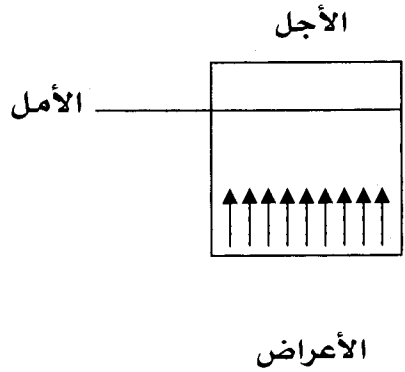

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الأعراضُ: جمع عرض، وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير وفي الشر[2].

نَهشَهُ: أصابه[3].

---

(١) برقم ٦٤١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٢/١١.

(٣) المرجع السابق.

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقرر بطريقة فعلية قولية قرب أجل الإنسان، وبعد أمله وهو متردد بينهما معرض لأحداث الزمان، وهذا الرسم التوضيحي للمعنى في حديث الرسول ﷺ يؤكد بما لا يدع مجالا للشك ويقرر حقيقة واقعة لبعد أمل الإنسان وقصر الأجل إيقاظا للقلوب لتتنبه إلى ما يجب عليها من تقصير الأمل وترقب الآجل، والعمل للآخرة، وتشبيه الرسول ﷺ لحال الإنسان مع أجله، وأمله بالخط المربع، والخط الخارج في وسطه والخطوط الصغار حوله يقرر معنى طول أمل الإنسان وتقاصر الأجل عن استيعابه، والإنسان بينهما عرضة لنهش الأعراض إن نجا من عرض نهشه عرض آخر وإن نجا منها أدركه أجله لا محالة.واستخدام الرسول ﷺ للخط على الأرض يحقق مجموعة من الأغراض :

١- تقرير المعنى في ذهن المتلقي لاعتماده على حاستي البصر مع السمع.

٢- الوصول بالمعنى إلى مختلف الأفهام لاعتمادها على المشاهدة.

٣- تثبيت المعنى في ذهن المتلقي بالإضافة إلى التشويق الذي تحققه الرغبة في رؤية المرسوم والغرض منه.

٤- تشبيه الرسول ﷺ لحال الإنسان مع أمله وأجله بهذه الخطوط يشير إلى عدة معاني منها: أن الإنسان في خطر دائم لا ينفك عنه، ثم إنه محاط بأجله مما يؤكد استحالة الانفلات عن هذه الدائرة الأمر الذي يستلزم الجد وعدم الركون للدنيا، كما يؤكد قصر العمر مما يدعو إلى اليقظة وحسن استغلاله في الباقيات الصالحات.

واستعارة النهش، وهو لدغ ذات السم لحدوث الآفات التي تصيب الإنسان مبالغة في الإصابة، وشدة الألم، وسرعة القضاء على من أدركه هذا العرض لأن الملدوغ يتسارع إليه الفناء،والحديث بتركيبه يقرر المفارقة بين طول الأمل وقصر الأجل،وشدة الغفلة، وعظم الخطر وهو في جملته دعوة إلى الزهد، وعدم الركون إلى الدنيا[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم، بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج، العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (٥٧٦).

الحديث رقم (٥٧٨)

٥٧٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**بَادِرُوا بِالأعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إلاَّ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ غِنَىً مُطْغِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسداً، أَوْ هَرَماً مُفَنِّداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوْ الدَّجّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أدْهَى وَأمَرُّ؟!**)) رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بادروا: سابقوا وسارعوا[(٢)].

هرمًا: كِبَرًا[(٣)].

مفنِّدًا: مخرفًا ومذهبًا للعقل[(٤)].

مُجْهِزًا: يأتي بغتة من غير أن يُقدر معه على توبة ووصية[(٥)].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قصر الأمل، والمبادرة بالعمل أتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم النبرة العالية في الأمر (بادروا) بالمفعول المنكر (سبعا) الذي يشيع حوله عدة معان كالتعظيم، والتحذير، والتشويق زاد هذه السبع تهويلا بالاستفهام (هل تنظرون إلا...؟)

---

(١) برقم ٢٣٠٦ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، قال المنذري: فيه محرر، وهو واهٍ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩١٣. وتقدم برقم ٩٣.

(٢) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٥١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (هـ ر م).

(٤) المرجع السابق في (ف ن د).

(٥)المرجع السابق في (ج هـ ز).

وهو استفهام معناه النفى أي لا تنظرون إلا أحد هذه الأمور ثم بدأ يعدد هذه السبع، ويفصِّل ما أجمله بالعدد (سبعا) بعد أن أيقظ الأسماع وشوق النفوس للخبر بهذا الأسلوب، وأتبع كل نكرة بصفة تزيل إبهامها، وبدأ بـ(الفقر المنسي فقد يكون الفقر أصلح لبعض المؤمنين، ولذلك أتبعه بصفته "منسيا") وبدأ به دون باقي السبع؛ لأن الفقر كان أغلب على حال الناس آنذاك ثم تلاه بضده (غنى مطغيا)، واتبعه بصفة المطغى، لأن هناك غنى محموداً يؤدي صاحبه زكاته، ويصرفه في وجوه الخير، ثم أتبعه بـ (مرضاً مفسداً) ووصف المرض بالإفساد، لأن هناك نوعا من المرض يزيد المؤمن تعلقا بربه أما المفسد، والعياذ بالله فإنه يضيع الدنيا، ويضيع الدين بفساد حال العبد بينه وبين ربه، ثم تلاه بالهرم المفند، ووصف الهرم بالتفنيد؛ لأن بعض الهرم يكون سببا في لجوء العبد لربه لإحساسه بدنو أجله وقرب الرحيل إليه فيزيد من الطاعات، ويستكثر من عمل الخير ثم أتبعها بالموت المجهز، ووصف الموت بأنه مجهز إشارة إلى المباغتة التي لا تعطي مجالا للتوبة لسرعة القضاء، ثم إن الناجي من هذه – ولا ينجو منها أحد- ينتظره الدجال – ووصفه بأنه شر غائب ينتظر لما يتبعه من فساد، وإفساد في الدين، والدنيا ثم الساعة المؤذنة بانقضاء الدنيا، وزوال نعيمها، وما تحمل الساعة من أهوال أدهي، وأمر بصيغة (أفعل) التفضيل إشارة إلى ارتقاء هولها لكل ما سبق ذكره من أهوال، فقد ترقي النبي ﷺ في ذكره للأخطار التي تهدد دين المرء ودنياه من الأدنى إلى الأعلى ليعجل الإنسان بعمل الخير، ولا يسوِّف فيه إذا ما كان عرضة لإحدى هذه الدواهي، والاستفهام المتصدر لهذه الدواهي طرقه بعنف على أبواب القلوب الغافلة والعقول الآفلة تتفتح لها القلوب رغبة في التزود من العمل الصالح، ورهبة من مفاجأة إحدى هذه الدواهي بعد أن نفت عبارة الاستفهام (هل تنظرون إلا....؟) كل خير ينتظر مع الغفلة عن مفاجأة الدواهي، وتقرر أيضاً قرب هذه الأمور وتجعلها بقليل من التدبر تجوس في حنايا القلوب تهديدا لها لتستفيق من غفلة الهوى ورقدة الأبدان رغبة في رحمة الرحمن أو رهبة من غضبة الديان.

وسياق الحديث سياق ترهيب بدا فيه أثر الاستفهام بمعنى النفى في معنى الحديث

ومغزاه فيما سبق الأداة وما تلاها فقد جاءت عبارة الاستفهام(هل تنظرون إلا....؟)تأكيداً للأمر السابق لها (بادروا بالأعمال سبعا....؟) الذي حمل دفقة مركزة من الترهيب توحي من خلال النكرة (سبعاً) بهول عظيم، وربطت هذه الدفقة بموجات من التحذير تمثلت في النكرات التي تبعتها (فقرا منسيا)، (غنى مطغيا)، (هرما مفندا)، (موتا مجهزا) والتي فسرت كل منها صفة حددت نوعها وقد سرى الاستفهام المنفى خلالها سريانا خفيا ينتقل مع حرف العطف (أو) من خطر أصغر إلى خطر أكبر، فما ثمَّ شيء ينجى إلا التعجيل بصالح العمل لمبادرة هذه الأخطار ثم انتقل إلى الدواهى العامة التي تفاجئ البشر مجتمعين (أو الدجال فشر غائب ينتظر) أو(الساعة فالساعة أدهي وأمر) حتى إذا ما ارتقي النبي ﷺ بأصحابه -عن طريق الأسلوب- أعلى درجات الترهيب - وأنهى موجات التحذير تشعر بأثر الاستفهام (هل....؟) في نفس كل مخاطب ووجدانه يجيب عنه في عالم الشعور المتأجج بحسب حاله، فالذي يخشى الفقر يجيب بنعم لقد أنساني -أو كاد- خوفى من الفقر الإعداد لآخرتي، والغنى يتذكر إغراء ماله وشغله به عما أمر الله به، والذي يخشي المرض كذلك. تخاطب أداة الاستفهام(هل) كلاً منهم بحسب حاله، وهذا منتهى ما يمكن أن يصل إليه بشر في مطابقة الكلام لمقتضي الحال إيفاء بحق البلاغة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٣).

الحديث رقم (٥٧٩)

٥٧٩- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ)) يَعْنِي: المَوْتَ. رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

هذام اللذات: قاطعها بغتةً[(٢)].

الشرح الأدبي

القلوب دائمة التقلب تحتاج إلى الذكرى من وقت لوقت حتى تلين، وتخشع، ومن الأمور التي تجلو عن القلوب صداها، وتذكرها بالمرجع إلى مولاها ذكر الموت لأن الجميع مقرون به مؤمنون، وكافرون، فإذا ما ذكر به المؤمن وجل قلبه، وأناب إلى ربه، ولذلك جاء توجيه الرسول ﷺ (أكثروا ذكر هاذم اللذات) أمر نصح، وإرشاد بكثرة ذكر الموت، وليس بمجرد الذكر يلين القلب بل الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك إلى تكثيف الذكر حتى يظل قريبا من ربه،وقوله (هازم اللذات) كناية عن الموت والتعبير بهذه الكناية يأتي على أكثر ما يشغل الناس فيصوره في صورة المهزوم بالموت حتى لا يغتر الإنسان بطيب الملذات، ولا يركن إلى الدنيا.

---

(١) برقم ٢٣٠٧ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٢٩٩٢، وقال الحاكم ٣٢١/٤: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٥٠/٤: حسن. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٨١.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ذ م).

فقه الحديث

قال ابن علان: (ومن هذا [الحديث] وأمثاله أخذ أئمتنا قولهم: يسن لكل أحد من صحيح وغيره ذكر الموت بقلبه ولسانه وإلا فبقلبه والإكثار منه حتى يكون نصب عينيه، فإن ذلك أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة)[1].

وقال النووي: (يستحبّ لكل أحدٍ أن يكثر ذكر الموت، قال أبو حامد وغيره: وحالة المرض أشد استحباباً، لأنه إذا ذكر الموت رقّ قلبه وخاف فيرجع عن المظالم والمعاصي ويقبل على الطاعات ويكثر منها)[2].

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات"، حيث أمر بكثرة ذكر الموت.

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المهمة التي يستطيع أن يفيد منها الداعية في دعوته حيث إن الداعية يأمر بالمعروف وبعمل الطاعات، وقد أفاد الأمر في هذا الحديث أهمية تذكر المؤمن للموت وضرورة الاستعداد له بالأعمال الصالحة، وتحري مرضاة الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الإكثار من ذكر الموت والاستعداد للآخرة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث الإكثار من ذكر الموت والاستعداد للآخرة. يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "أكثروا ذكر هاذم اللذات" فأمر ﷺ بكثرة ذكر الموت.

وأنشد زين العابدين رضي الله عنه:

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٣-٨٥٤، وانظر: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٣٦٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٧٠.

فيا عامر الدنيا، ويا ساعياً لها ... ويا آمناً من أن يدور الدوائر
على خطر تمشي، وتصبح لاهياً ... أتدري بما ذا لو عقلت تخاطر
تخرب ما يبقى وتعمر فانياً ... فلا ذاك موفور، ولا ذاك عامر[1]

وكان رسول الله ﷺ يكثر تذكير أصحابه رضي الله عنهم بالموت ويأمرهم بالاستعداد للآخرة، فعن البراء قال: كنا مع رسول الله في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلَّ الثرى، ثم قال: (يا إخواني لمثل هذا فأعدوا)[2].

١-الاستعداد للموت وإعداد الأهبة له، إذ أن ذكر الموت يورث الإنسان استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ونعمة ومحنة، فإذا كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها[3].

٢-الإتيان بأسباب حسن الخاتمة:

أ-صلاح المعتقد: فالواجب على كل من أراد أن يختم له بخاتمة حسنة عند الممات أن يصحح معتقده وأن يكون في ذلك على عقيدة أهل السنة والجماعة وأن يأخذ في أمور الاعتقاد بأقوال السلف الصالح وأن يحذر من مخالطة فاسدي الاعتقاد وأهل البدع والضلال حتى لا يكون من الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4].

ب-الاستقامة: فإن تذكر الموت يحمل الإنسان على الاستقامة على المنهج القويم[5]

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣/٣٢٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨٣).

(٣) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ص ٢٥، ٢٦.

(٤) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٢٦-٥٣٣.

والتي يجني ثمارها في الحياة وعند الموت وبعده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[1] حيث يخبر الله سبحانه عن أوليائه.

ومن ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم فقال: "إن الذي قالوا ربنا الله ثم استقاموا" أي اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى واستسلموا لأمره ثم استقاموا على الصراط المستقيم علمًا وعملاً فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة "تتنزل عليهم الملائكة" الكرام أي يتكرر نزولهم عليهم مبشرين لهم عند الاحتضار "ألا تخافوا" على ما يستقبل من أمركم "ولا تحزنوا" على ما مضى، فنفى عنهم المكروه الماضي والمستقبل "وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا[2].

ثالثاً- من مهام الداعية : تحذير المدعوين من الغفلة ودعوتهم لتذكر الموت:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بتذكر الموت، والإكثار من ذلك حتى لا يقعوا في الغفلة ويركنوا إلى الدنيا، لأن الدنيا تلهو الإنسان بمفاتنها فإذا انغمس في شهوات الدنيا غفل عن الآخرة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3]. فالداعية ينبغي عليه تحذير المدعوين من الانغماس في شهوات الدنيا

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠-٣٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤.

وتذكيرهم بالموت، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢]. حيث يخبر سبحانه إخبارًا عامًا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت، وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، "وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز" أي من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" تصغيرًا لشأن الدنيا وتحقيرًا لأمرها وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة[٣]. وإنما وصف عيش الدنيا بذلك لما تمنِّيه لذاتها من طول البقاء وأهل الدوام فتخدعه ثم تصرعه، قال بعض السلف: الدنيا متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم[٤].

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظاً متمشراً ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يصلي عنك بعد الموت من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يرضي عنك ربك بعد الموت، ثم يقول: يا أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باق حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله؟ ثم يبكي

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/١٧٧، ١٧٨.

(٤) نظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤/٣١٦.

حتى يسقط مغشياً عليه... وكان عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً فإن سئل عن شيء قال لا أدري... وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة. فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته. فيا للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله، كفي بالموت مفزعاً للقلوب، ومبكياً للعيون، ومفرقاً للجماعات، وهادماً للذات[1].

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ٩.

الحديث رقم (٥٨٠)

٥٨٠- وعن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ**[1]، **جَاءتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**)) قُلْتُ: يَا رسول الله، إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فَقَالَ: ((**مَا شِئْتَ**)) قُلْتُ: الرُّبُع، قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: فَالنِّصْف؟ قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: فالثُّلُثَيْن؟ قَالَ: ((**مَا شِئْتَ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**)) قُلْتُ: أجعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((**إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

غريب الألفاظ:

الراجفة: النفخة الأولى[3].

الرادفة: النفخة الثانية[4].

الشرح الأدبي

والحديث من باب (الترغيب في الصلاة على النبي ﷺ وفضلها) بدأه النبي ﷺ بهذا النداء (يا أيها) كثيف المؤكدات والتنبيهات الذي ينبئ بعظيم يتبعه ثم فعل الأمر (اذكروا) المتعلق بالمفعول لفظ الجلالة، وهو يوحي بعظيم حدث كعادة الإنسان يتذكر ربه عند الشدائد صعَّد معنى الترهيب الخبر الذي تلاه في جملة (جاء الراجفة)

---

(١) عند الترمذي مرّتين.

(٢) برقم ٢٤٥٧ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ٥١٣/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٨١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٩٢٠/٢.

والراجفة النفخة الأولى وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية التي يكون عندها البعث، وفي هذا السياق خصيصة تجدر الإشارة إليها وهي كثرة الكلمات الموحية بطبيعتها، والتي تتعامل مع الأرواح مباشرة، وهي عالقة دائما بالقلوب كلفظ (الله - الراجفة - الرادفة - الموت) بمجرد ذكرها تطرق الأسماع، وتسكت الألسنة، وتضطرب القلوب جلالاً وهيبة، ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ من سمات الحديث النبوي، وعلامة جلية على صحته فكل سياق يحمل كلمة، أو كلمات من هذه النوعية تفيض جلالا، وقدسية تأتي في حديثه كواسطة العقد حسنا وبهاءً، وتَدَبَّر جملة (جاء الموت)، وتصويره حاضراً قد سعى إليهم، وتعلقه بالجار والمجرور (بما) (وفيه) وكثرة الضمائر، والظروف، وحروف الجر توحي بالوجل، والخوف، والاضطراب، وتكرار الجملة ذاتها الذي يلح على تحقق المجيء، وما أثاره التعميم في قوله (بما فيه) دون أن يقول بسكراته، أو آلامه من رؤية ملك الموت، وما يتبعه من عذاب في سؤال الملكين، وفي القبر أو رحمة، كل ذلك، وما يمكن أن يتصوره عقل، ويصل إليه خيال طي عباراته (بما فيه) مع إيجاز عباراته بالتعميم الذي لو أراد تفصيله لما وسعه المقام، ولو وسعهم لما استوعبه المخاطبون كما استوعبوه من هذه اللفظة الموجزة، لاختلاف درجات الفهم بينهم لكن هذه العبارات تعطى كل مستمع القدر الذي يمكن أن يصل إليه خياله في التصور، ولا شك أن ذلك هو عين البلاغة، ومقصدها بخطاب كل إنسان بقدر ما يفهم مع إيجاز واف، وجواب كاف، وعلاج شاف لتحقيق اليقظة المطلوبة للقيام بحق عبادة الله، وترك الغفلة، والكسل

نضيف طرفا من بلاغة النبي ﷺ مع رعاية المقام، ورعاية مقتضى حال المخاطبين وهو رعاية زمان الحديث فكما أخبر أبي بن كعب (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ.....) وهو وقت السكينة، والسكون، والراحة من تعب النهار وكده والنفس بطبيعتها تميل إلى الراحة، والدعة فكان لزاما رعاية للظرف الزماني - أن يكون الأسلوب مزلزلاً مدوياً يطرد النوم من الأجفان، ويبعث على الذكر، والصلاة ولذلك عبر بالماضي (جاءت الراجفة) عند نفخة الإماتة التي تشبه النوم (فهو موت

أصغر) إشارة إلى تحقيق الموت فهو مصير كل حي حتى يعد كل مستمع نفسه له، وعبر بالمضارع (تتبعها الرادفة) عند نفخة البعث والتي تشبه الاستيقاظ استحضارا للصورة المفزعة بخروج الأموات وهي مشاهد مفزعة تذر القلوب واجفة والأبدان راجفة لا تجد ملجأ إلا الله فتهوى إليه ذكرا، وشكرا، وتقربا رغبة في النجاة، [1] وقول الراوي: (فَكَمْ أجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي ؟) استفهام على حقيقته والمقصود بالصلاة الدعاء له، والصلاة عليه، وقد تدرج معه من الربع إلى الثلث إلى النصف إلى جعل الصلاة كلها دعاء للنبي، وصلاة عليه، وبذلك جوزي من جنس عمله بقوله (إذاً تُكْفى هَمَّكَ، وَيُغْفَر لَكَ ذَنْبكَ).

فقه الحديث

١-جواز ذكر الإنسان صالح عمله:

قال ابن علان: (قوله: "قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك"، فيه جواز ذكر الإنسان صالح عمله إذا أمن العجب لغرض، كالاستفتاء هنا، المدلول عليه بقوله "فكم أجعل لك من صلاتي؟")[2].

٢-مشروعية الصلاة على النبي ﷺ:

المقصود بالصلاة على النبي ﷺ: الدعاء له بصيغة مخصوصة والتعظيم لأمره[3].

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ، للأمر بها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[4].

قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي

---

(١) انظر: الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٢٢٠، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣٤/٢٧، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٤/١٧.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا... وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه. قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد... فساق إسناده إلى كعب بن عجرة قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ فقال: قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد"[1])[2].

وأما ألفاظ الصلاة على النبي ﷺ فقال أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب: (إن أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ أن يقول المصلّي عليه "اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" لما روى كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال ذلك[3]، وهناك صيغ أخرى، وأقل ما يجزي هو اللهم صلّ على محمد)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٩٧، ومسلم ٤٠٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١/٢١٠-٢١١، .

(٣) قال النووي في الأذكار ٨٨-٨٩ ط/ مكتبة الصفا: وروينا هذه الكيفية في صحيح البخاري ومسلم عن كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ إلا بعضها، فهو صحيح من رواية غير كعب.

(٤) المهذب وشرحه المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٣٠٩-٣١١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٨٨، ١٤٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/٢٣٧-٢٣٨، وانظر في مواطن وجوب الصلاة على النبي ﷺ واستحبابها، انظر: رد المحتار ١/٣٤٣، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١/٢٧٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١/٥٤٣، والمجموع الموضع السابق، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٢٦٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/١٦٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥٤١، وجلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ص ٢٥١ وما بعدها (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/٢٣٥-٢٣٩)، وتفسير ابن كثير ١٤/٢١٤-٢٣٧. وسيأتي مزيد من التفصيل في ذلك في كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ، وهو الكتاب رقم ١٤ من كتب رياض الصالحين وتحته الباب رقم ٢٤٣ بعنوان: باب الأمر بالصلاة عليه وفضلها وبعض صيغها، الأحاديث: ١٣٩٢-١٤٠٩.

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية ذكر الله تعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وأمته من الغفلة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التكرار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والدعاء للنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

يظهر أسلوب النداء في قوله رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس..." والأمر في قوله ﷺ: "اذكروا الله ...".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية ذكر الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "يا أيها الناس ... اذكروا الله...". وذكر الله تعالى يحي ميت القلوب ويذكي فاتر الهمم، ويحوط المرء بسياج من العصمة، ويقيه نزغات الشيطان، ويباعد بينه وبين المعاصي[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

وقال سبحانه مدحاً لأصحاب العقول السليمة: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

وقال رسول الله ﷺ مبيناً أهمية ذكر الله: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[4].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

وقال رسول الله ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى» فقالَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رضي الله عنه ما شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ))[1].

إن لذكر الله تعالى بين العبادات شأنًا عظيمًا إذ أمر الله تعالى، في غير ما آية من كتابه، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[3] وأثنى على أهله بقوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[4] ولا شك أن من وفقه الله تعالى وجعل لسانه رطبًا بذكر الله تبارك كان من الذاكرين الفائزين بولاية الله ومحبته ورضوانه.

وبين ابن القيم الفارق ما بين الذكر وباقي العبادات فيقول: وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور خراب وهو عمارتها وأساسها وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذ غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا، وبالذكر يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[5].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧. وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٢/٤٤٠، ٤٤١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم وأمته الغفلة وطول الأمل:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة..." أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد[(١)].

فالغفلة من أخطر الآفات على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[(٣)].

والإنذار قد ينفع ويوقظ الغافلين المستغرقين في الغفلة كما قال سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[(٤)].

والإنذار لا ينفع قلباً غير مهيأ للإيمان، مشدود عنه، محال بينه وبينه بالسدود والأغلال والأغشية، فالإنذار لا يخلق القلوب، إنما يوقظ القلوب الحية المستعدة للتلقي: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[(٥)].

فعلينا أن نعيش في بيئة الذاكرين لربهم، المستقيمين على منهجه، ونصبر على ذلك؛ لننال الأجر والثواب من الله، ونحذر من أهل الأهواء والغفلة كما قال سبحانه:

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٩/٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٣) سورة يونس، آية: ٧.

(٤) سورة يس، آية: ٦.

(٥) سورة يس، آية: ١١.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[1].

والإنسان كلما غفل قلبه عن ذكر الله، وجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2].

ووظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون، وهذا أسوأ ما يصنعه قرين السوء بقرينه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[3].

والإنسان إنما يقع في المعاصي بسبب الغفلة عن الله... والغفلة عن أوامر الله... والغفلة عن عقوبة المعصية في الدنيا والآخرة، وعلاج الغفلة بذكر الله كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[4].

والذين غفلوا عن الله وعن لقائه، ورضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة وغفلوا عن آيات الله الكونية، وآياته القرآنية، هؤلاء مأواهم جهنم، لكفرهم وغفلتهم عن آيات ربهم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[5])[6].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٣٧.

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.

(٦) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجري ٤/٣٠٨٨-٣٠٩٣.

ورسول الله ﷺ أحرص الناس على نفع أصحابه وأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر ويسعى جهده في تنفيركم عنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم[2]. لذلك حذر أصحابه رضي الله عنهم وأمته من الغفلة وطول الأمل.

رابعاً- من أساليب الدعوة: التكرار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه".

وأسلوب التكرار من الأساليب الدعوية المهمة، لأن التكرار يوضح المعنى المراد من الدعوة، ويبين أهميتها، والدليل على ذلك قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: (أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثاً حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم عليهم، ثلاثاً)[3].

فالتكرار أسلوب من أساليب البلاغة يؤكد المعاني في القلوب بمنهج عال شيق بليغ، واللفظ إن تكرر تقرر في نفس سامعيه، ومتى كانت المعاني الأصيلة المرادة حاصلة في الجُمل والألفاظ فلا يضر بعد ذلك ما يرى في هذه الألفاظ أو الجمل من اختلافات لفظية لا تسيء بأصول المعاني وجواهرها والمراد منها فلا تؤدي إلى تناقض أو اختلاف بل يمكن الجمع والتوفيق بينها، وما كان ذلك إلا للبلاغة، ومن أجل اعتبارات ومناسبات تختلف باختلاف السياق من ناحية إبرازها بوجوه متعددة ولكن الجوهر واحد... ويكرر اللفظ أو الجملة أو الموضوع على صور متعددة فغلب على جميع

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٩٥.

وجوهه المختلفة لإظهار ما فيه من عبر متنوعة وعظات متعددة تتأتى من ذلك التعدد، وتتضح في كل مناسبة[١].

وقد جاء أسلوب التكرار في كثير من سور القرآن وآياته وكذلك في أحاديث النبي ﷺ. ويذكر الرافعي وهو يوضح بلاغة القرآن وأسلوب التكرار وقيمته فيقول: (إذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له رشاقة العبارة، وحسن العرض، ووضوح اللفظ، وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى، وتكرار الكلام لكل ما يفيده التكرار توكيداً ومبالغة وإبانة وتحقيقاً ونحوها، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى، ومقابلة الأضداد وغيرها مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين التكرار المعنوي)[٢].

فالتكرار إذن يعد من الأساليب التي صدرت ممن يعلم كل خافية على عباده[٣].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة والدعاء للنبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول أُبي بن كعب رضي الله عنه: (يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: "ما شئت" ... قلت أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفي همك، ويغفر لك ذنبك)، والصلاة على النبي ﷺ فضلها عظيم وقد أمر الله عباده بها فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٤].

قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة. وصلاة الملائكة الدعاء، وقال ابن عباس: (يصلون يُبَرِّكُون)[٥].

---

(١) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٨٢.

(٢) إعجاز القرآن للرافعي، مصطفى صادق الرافعي ص ١٩٦.

(٣) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٨٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٥) علقة البخاري فوق الحديث ٤٧٩٧، قال ابن حجر: وصله الطبرى "في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي" من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٣/٨.

قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة المقربين تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً)[١].

وقال السعدي: ("إن الله" تعالى "وملائكته يصلون على النبي" أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى إياه، ويثني عليه الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم... وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة)[٢].

وقال ﷺ مبيناً فضل الصلاة عليه: (من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً)[٣].

فالصلاة والدعاء للنبي ﷺ فضلها عظيم وفوائدها كثيرة عدّها ابن القيم في أربعين فائدة وثمرة منها: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ... وموافقة ملائكته، وحصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، ويرفع له عشر درجات، ويكتب للمصلي عشر حسنات، ويمحى عنه عشر سيئات ... إلخ الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٨.

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم ص ٦١٢-٦٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

آفة الإنسان النيسان، وقد يؤدي النيسان إلى غفلة تورد صاحبها موارد الهلاك، ولهذا حرص الإسلام على تذكير الإنسان بمآله وتبصرته بحاله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢﴾ [سورة الانشقاق:٦-١٢].

ورسول الله ﷺ قد حثّ على عدم تناسي الموت ودعا إلى عدم الركون إلى الدنيا ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- أهمية التربية الإيمانية:

"إن مما يدفع الإنسان للعمل الصالح، ويزيده إقبالاً على الآخرة، وزهدًا في تذكر الموت والدار الآخرة ذكر الموت، لذا فقد حث النبي ﷺ على تذكر الموت والدار الآخرة ودعا إلى ذلك، ومن الوسائل التي تحقق ذلك التذكير به والحديث عن الدار الآخرة والاعتناء بتلاوة القرآن وقراءة أحاديث النبي ﷺ التي فيها الحديث عن الآخرة ووصف حال أهلها، ومن ذلك الصلاة على الجنائز وشهودها، واتباع السنة في اتباعها إلى المقبرة، وتذكر حال أهلها" (١).

"ومن هدية ﷺ أنه كان يربي الصحابة الكرام على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم كذلك، كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه للتابعين: لأنتم أكثر عملاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولكنهم كانوا خيرًا منكم، كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، وهذا الزهد في الدنيا هو الذي دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى البذل والتضحية وطلب الآخرة، وعدم الاغترار بزينة الدنيا وزخرفها" (٢).

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص٥٠.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، مرجع سابق، ص٢٨٥.

ثانيًا- استعمال الوسائل التوضيحية في التربية:

إن من الأمور المهمة في التربية استعمال الوسائل التوضيحية للمتربين من أجل إقناع المتربي وتفهيمه، وهذا ما يتضح في أحاديث الباب من قول النبي ﷺ: "خط النبي ﷺ خطوطًا..."، وقوله: خط النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط.." ورَسْم النبي ﷺ خطوطًا إنما هي بمثابة وسائل إيضاح.

"لقد كان ﷺ يخط أمام أصحابه خطوطًا ليوضح لهم بعض المفاهيم المهمة، ويقرّب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة، وبين الرسول ﷺ بما رسم على الأرض كيف يُحَالُ بين الإنسان وبين آماله الواسعة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة، أو الهرم المضني المقعد، وهذا توضيح جميل من المعلم الأول ﷺ"[1].

إن وسائل الإيضاح من الوسائل التعليمية المهمة في الميدان التربوي "لأنها تسهل عملية التعلم والتعليم وتوضح المعاني وتشرح الأفكار لعلاقتها بإثارة الحواس، والمعلم المسلم لابد أن يوظف الوسائل التعليمية في تدريس التربية الإسلامية لأنها توفر الجهد في التدريس وتخفف العبء عن كاهل المعلم وتسهم في رفع مستوى التعلم في أية مرحلة من المراحل التعليمية، ولقد استخدم النبي ﷺ كل وسيلة من شأنها أن تساعد على الفهم أو توضح صورة معينة رغم أن البيئة في عهده لم تكن لتساعد على توفير الكثير من وسائل التعليم، ومن هذه الوسائل الإشارة بالأصابع أو اليد الواحدة، أو باليدين أو باستخدام الحصى أو العصا أو الرسم على الأرض، أو ما شاكل ذلك"[2].

ثالثًا- المبادرة بأداء الواجبات:

إن من القيم التربوية التي تتضح من أحاديث الباب أهمية التربية على المبادرة بأداء الواجبات، وخاصة في قول النبي ﷺ: "بادروا بالأعمال سبعًا..."، وقوله: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وقول ابن عمر رضي الله عنهما: "إذا أمسيت فلا تنتظر

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، مرجع سابق، ٢/٧١٧.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص١٢٦-١٢٨، بتصرف.

الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ..."، ولاشك أن هذا يدلل على أهمية الوقت في حياة المسلم، وضرورة المبادرة والمسارعة إلى أداء الواجبات خشية العوارض والشواغل الطارئة التي قد تعوق الإنسان عن أداء المطلوب منه.

قال أحد الحكماء: "من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه أو مجد أثله "أي ورثه" أو حمد حصّله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد عقّ يومه، وظلم نفسه". وقال يحيى بن معاذ: "الفوت أشد من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق"، وقال ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة من غير قُربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والفعل" [(١)].

رابعًا- من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة:

وهذا واضح من حديث أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بما فِيهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، ...)) الحديث، والمناقشة والحوار من الأساليب التدريسية التي يمكن من خلالها تفعيل دور المتعلم وتهيئته لعملية التعليم.

❁ ❁ ❁

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، مرجع سابق، ١/٦٠٠-٦٠٢.

٦٦- باب استحباب زيارة القبور للرجال

وما يقوله الزائر

الحديث رقم (٥٨١)

٥٨١- عن بُرَيْدَة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**كُنْتُ**[1] **نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: هو ابن عبدالله بن الحارث بن الأعرج.

من أكابر الصحابة أسلم قبل بدر، ولم يشهدها.

وقد أسلم حين اجتاز به النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً، هو ومن معه، وكانوا زهاء ثمانين بيتاً، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، فصلّوا خلفه. وقيل إنه أسلم بعد انصراف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر.

وقدم بُريدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد، فشهد خيبر، وشهد الحديبية، فكان ممّن بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة، وشهد فتح مكة، وكان معه لواء "أسلم" يومئذ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه، وكان يحمل لواء أسامة رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض البلقاء، إثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد ثبت في الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ست عشرة غزوة وكان من سكان المدينة، ثم تحول إلى البصرة، وكان من أمراء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نوبة سَرْغ - وهي أول الحجاز وآخر الشام- وقد غزا خراسان في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم نزل مرو، ونشر العلم بها.

---

(١) (كنت) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم ٩٧٧/١٠٦ اختصره المؤلف. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٤ وعزاه إلى الترمذي.

وقد روى عن النبي ﷺ، جُلة أحاديث بلغت ١٥٠ حديث، وقيل ١٦٧ حديث.

وقد توفي بمرو في خلافة يزيد بن معاوية سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ[(١)].

الشرح الأدبي

أمر الرسول ﷺ فزوروا إباحة لزيارة القبور بعد النهى السابق ارتقى بها أسلوبه الشريف من الإباحة إلى الترغيب بما لها من موعظة، وقوله (كنت نهيتكم) تذكير بالنهي السابق تمهيداً لإبطاله بتقرير الإباحة، واتصال فعل النهي بكاف الخطاب، وميم الجمع لتعميم النهي، ثم إن وصل الأمر بالزيارة بواو الجماعة تعميم للحكم يشمل المخاطبين، ومن بعدهم ليوم القيامة؛ لأن مشهد القبور يذكر الإنسان بمنزله الأخير، فإذا تذكر حاله فيه انقبض قلبه، وخشعت جوارحه، وأناب إلى ربه، ولذلك علل الرسول ﷺ الأمر في الرواية الثانية بقوله (فإنَّهَا تُذَكِّرُنَا الآخِرَةَ) وقول الرسول ﷺ (تذكرنا) بضمير الجماعة يوحي بأن التذكرة بزيارة القبورة تنفع المؤمنين خاصة، وليس عموم الزائرين.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم زيارة القبور: وهي مشروعة للرجال في قول أكثر أهل العلم، وقد حكى الحازمي والعبدري والنووي اتفاق أهل العلم على ذلك، وحكى الشربيني الخطيب الإجماع، وروي عن ابن سيرين والنخعي والشعبي أنها مكروهة مطلقاً.

أما بالنسبة للنساء فقد اختلف فيها الفقهاء: فذهب الحنفية إلى أنه لا بأس

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٤١/٤-٢٤٣ و٣٦٥/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١١٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٧/١-٣٧٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٣٦/١، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٥٠/٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٦٩/٢-٤٧١.

بزيارتهن للقبور على الأصح، وذهب المالكية في الأصح إلى التفريق بين الشابة والمتجالة، فقالوا يباح للقواعد ويحرم على الشواب اللاتي يخشى منهن الفتنة، وذهب الشافعية، والحنابلة في المذهب إلى أنه تكره زيارتهن للقبور لما فيهن من رقة القلب وكثرة الجزع وقلة احتمال المصائب[1].

٢-أدب زيارة القبور: ينبغي لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآدابها، فيستحب له في قول العلماء جميعاً التسليم على أهلها والدعاء لهم بالعافية.

أما صفة السلام: فقد وردت فيه أحاديث بصيغ كثيرة منها ما أورده المصنف ومنها غيرها، والأمر واسع، والمقصود هو الاجتهاد لهم في الدعاء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إذن الرسول ﷺ بزيارة القبور بعد النهى عن زيارتها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحقيق الغاية من زيارة القبور بتذكر الآخرة والعمل بها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إذن الرسول ﷺ بزيارة القبور بعد النهى عن زيارتها:

لقد نهى النبي ﷺ المسلمين عن زيارة القبور أول الأمر، فلما تمكن الإيمان من قلوبهم ورسخت عقيدة التوحيد في قلوبهم أذن لهم. وهذا واضح من الحديث كله. قال القاضي عياض: (وقوله: "فزوروها" بين في نسخ النهي وفي علة الإباحة أن يكون زيارتها

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٢/٥-٣٨٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٧٠/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٧٦/٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٨٢/٥، ٣٨٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٥٠/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٥/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٧٠/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧٥/١.

للتذكير والاعتبار لا للفخر والمباهاة ولا لإقامة النوح والمآتم)[١]، وقال ابن عثيمين: (كان النبي ﷺ نهى عن زيارتها، خوفاً من الشرك بأهل القبور، لأن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية، فنهى عنها رسول الله ﷺ سداً لذرائع الشرك، لأن الشرك لما كان أمره عظيماً سد النبي ﷺ كل ذريعة وكل باب يوصل إليه.

وكلما كانت المعصية عظيمة كانت وسائلها أشد منعاً. الزنا مثلاً فاحشة، فوسائله من النظر والخلوة وما أشبه ذلك محرمة. وكذلك فإن الشرك أعظم الظلم كما سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[٢]، فلما كان الناس يعظمون القبور نهاهم النبي ﷺ عن ذلك. فلما استقر الإيمان في قلوبهم أذن لهم فقال: ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة))[٣][٤].

وقال ابن علان معللاً النهي ثم بعد ذلك الإذن "لقرب عهدهم بالجاهلية وكلماتها القبيحة التي كانوا يألفونها على القبور "فزورها" نسخ لذلك النهي لما تمهدت القواعد واتضحت الأحكام فعلموا ما ينفع وما يضر فحينئذٍ طلبها منهم وعللها كما في رواية أخرى بأنها تذكر الآخرة، أي لأنها ترق القلوب بذكر الموت وأحواله وما بعده، وأكد في تحفظهم على عادة الجاهلية كما صح ((ألا يقولوا هجراً))[٥] أي: باطلاً لأجل ما في ذلك من التذكير بالآخرة خلاف ما هنا، والقاعدة الأصولية أن الأمر بعد الحظر للإباحة على أنه اعتضد بتكرر زيارته ﷺ للأموات وبالإجماع على طلبها، بل حكى ابن عبدالبر عن بعضهم وجوبها)[٦].

وقال عبدالله البسام: (لما رسخت العقيدة في القلوب وفقهوا دينهم وعلموا معنى

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٥٢/٣، ٤٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٠١، ومسلم ١٤٢، ٨٥.

(٣) أخرجه أحمد ٣٥٥/٥ رقم ٢٣٠٠٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١١٤/٣٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٨٦٠/١.

(٥) أخرجه النسائي ٢٠٣٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٩٢٢).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٥٦.

الزيارة نسخ تحريمها، ولم ينسخ إلى الإباحة، وإنما إلى الاستحباب وحكى النووي والموفق الإجماع على استحبابها للذكور دون الإناث)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحقيق الغاية من زيارة القبور بتذكر الآخرة والعمل لها:

علل النبي ﷺ الإذن في زيارة القبور بعد النهى بـ "أنها تذكر الآخرة" وفي حديث أبي هريرة: ((فإنها تذكر الموت))[٢] قال ابن عثيمين: (فرفع النبي ﷺ النهى وأباح الزيارة بل رغب فيها لقوله: "فإنها تذكر الآخرة")[٣].

وقد قال النبي ﷺ: ((وكُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارةِ القبورِ ثم بَدَا لِي فَزُوْرُوْهَا فإنَّهَا تُرِقُّ القلبَ وتُدْمِعُ العَيْنَ وتُذَكِّرُ الآخرةَ فَزُوْرُوْا وَلاَ تَقُوْلُوا هُجْراً))[٤].

قال عبدالله البسام: (إن الأمر بالزيارة قارنها بيان الحكمة منها وهو تذكرة الآخرة والزهد في الدنيا، وهذان مطلبان أساسيان في الإسلام، فإن الاعتبار والاتعاظ والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة أكبر معين للعبد على تقوى الله تعالى)[٥].

وقال الصنعاني: (الحكمة من زيارة القبور أنها للاعتبار، فإنه في لفظ ابن مسعود فإنها عبرة وذكرى للآخرة والتزهيد في الدنيا، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعاً)[٦].

قال ابن عثيمين: (إن الإنسان ينبغي له أن يزور القبور في كل وقت في الليل والنهار في الصباح والمساء في يوم الجمعة وفي غير يوم الجمعة، ليس لها وقت محدد، كلما غفل قلبك واندمجت نفسك في الحياة الدنيا فاخرج إلى القبور وتفكر في هؤلاء القوم الذين

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٦٢/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٦-٩٧٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨٦٠/١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٧٦/١ رقم ٣٤٣٤، وقال محققه: حديث حسن صحيح، والهجر -بالضم- أي الفحش، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ح ش).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٦٢/٢.

(٦) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٣٣٦ بتصرف.

كانوا بالأمس مثلك على الأرض يأكلون ويشربون ويتمتعون والآن: أين ذهبوا؟ صاروا مرتهنين بأعمالهم لم ينفعهم إلا ما قدموا، كما أخبر بذلك النبي ﷺ حيث قال: ((يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاثَةٌ. فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ. يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ. فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ))[1])[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على مباشرة كل عمل يذكره بالآخرة:

بيّن النبي ﷺ الغاية من زيارة القبور وهى التذكير بالآخرة (والذي يذكّر الآخرة ينبغي للإنسان أن يعمل به، لأن القلب إذا نسى الآخرة غفل واشتغل بالدنيا، فأضاع الدنيا والآخرة، لأن من أضاع الآخرة فقد أضاع الدنيا والآخرة)[3].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال العلماء: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات. قال رسول الله ﷺ ((أكثروا ذكر هاذم اللذات))[4].

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضَرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته مما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل ويزيد في الاجتهاد والتعب.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١٤ ومسلم ٢٩٦٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/ ٨٦١.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١/ ٨٦٠.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٤).

ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه. فإن انتفع بها فذاك وإن عظم عليه ران القلب[١] واستحكمت فيه دواعي الذنب فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول والثاني والثالث)[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النهي والأمر والتعليل:

أما النهي فقوله ﷺ: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور) وأما الأمر فقوله ﷺ: (فزوروها) فجاء الأمر ليلغي النهي السابق وينسخه، أما التعليل فقوله ﷺ: (فإنها تذكر بالآخرة) قال عبدالله البسام: (هذا هو العلة في مشروعية زيارة القبور، والعلة إذا نُصّ عليها فإنها تفيد ثلاث فوائد:

الثالثة: إمكان القياس على الحُكم المنصوص عليه بحُكم لم ينص عليه، بجامع العلة المشتركة بينهما، وفي هذا إثراء للفقه الإسلامي)[٣].

---

(١) ران القلب: الران: الغطاء والحجاب الكثيف. وما غطّى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذب. الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٨٦.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي ١٢ – ١٣ بتصرف يسير.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٥٦٣.

الحديث رقم (٥٨٢)

٥٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ -كلَّما كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رسول الله ﷺ- يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ، فَيقولُ: ((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَداً مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

البقيع [بقيع الغرقد]: هو المكان المتسع فيه أشجار مختلفة، وهو: مقبرة أهل المدينة، وهي اليوم داخل المدينة بجوار المسجد النبوي الشريف شرقاً[2].

مؤجلون: أي أتاكم ما مؤجلونه أنتم، والأجل: هو الوقت المضروب المحدد في المستقبل[3].

الغرقد: هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك[4].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كَانَ رسول الله ﷺ) التعبير بكان يدل على أنه من عادته ﷺ زيارة القلوب في هذا التوقيت من الليل يؤكده قولها (كلما كان ليلتها) والفعل المضارع يدل على التجدد، والاستمرار واختيار آخر الليل للزيارة لأنه وقت السكينة، والخشوع، وقوله (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) دار قوم منصوب على النداء أي يا أهل فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو منصوب على

---

(١) برقم ٩٧٤/١٠٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٨ من رواية أبي هريرة.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤١٧/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر ق د).

الاختصاص، ويكمن البعد النفسي لخطاب الموتى بإلقاء السلام عليهم بالشعور بالتواصل معهم، واستشعار عالمهم مما يوقع في النفس الإحساس بقربه الأمر الذي يستلزم الإعداد له، ولذلك ذكّر بقوله (غَداً مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ)، والتعبير بالتأجيل يشير إلى موعد سبق تحديده وإيمان به يجب تجديده، والتقييد بالمشيئة على سبيل التبرك، وامتثال قول الله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا إن يشاء الله﴾ أو أن المشيئة عائدة إلى الكون معهم في تلك التربة، ودعاؤه لهم رحمة بهم، واستشعارا لفقرهم وحاجتهم إلى حسنة تأتيهم بعد أن صاروا إلى دار الجزاء التي ليس فيها كسب، وفيه تذكير للأحياء بالاجتهاد في الصالحات الباقيات قبل الفوات.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها.

ثانيا: من آداب المدعو: زيارة القبور والالتزام بما جاء عن النبي ﷺ في ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها:

كان البقيع مقبرة من مات من الصحابة رضي الله عنهم لذلك كان النبي ﷺ يكثر زيارته ويدعو لأهله من الموتى، وهذا واضح جليٌّ في الأحاديث. من ذلك قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ، كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فإن لفظ "كلما" يدل على التعميم[2].

وحديث بريدة رضي الله عنه "كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم..." كل هذا يدل على حرص النبي ﷺ على زيارة القبور والدعاء لأهلها"، وفي حديث لعائشة رضي الله عنها عند مسلم: أن جبريل ﷺ جاء إلى النبي ﷺ بالليل وقال له: ((إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ))[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٨٣، ٥٨٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٩٦.

(٣) أخرجه مسلم ٩٧٤.

قال عبدالله البسام: (إن كان السلام على أهل البقيع، فيدخل فيه اللحاق بهم في البقعة، فإن النبي ﷺ دعا لأهل البقيع فقال: (اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد)، والدعوة شاملة للأولين والآخرين)[١].

قال ابن القيم: (كان ﷺ إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية)[٢]. وكان هديه ﷺ أن يقول ويفعل عند زيارتها من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت من الدعاء والترحم والاستغفار، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به، وسؤاله الحوائج، والاستعانة به، والتوجه إليه، بعكس هدية ﷺ، فإنه هدى توحيد وإحسان إلى الميت، وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعوا الميت، أو يدعوا به، أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد، ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه، تبين له الفرق بين الأمرين)[٣].

ثانياً- من آداب المدعو: زيارة القبور والالتزام بما جاء عن النبي ﷺ في ذلك:

قال عبدالله البسام: (يدل الحديثان [أي حديث بريدة وحديث ابن عباس] على السلام على الموتى من المسلمين والمؤمنين، وسؤال الله تعالى لهم العافية من عذاب القبر وعذاب النار. وعلى استحباب هذا الدعاء والقول لزائر القبور، فإن النبي ﷺ دعا به لأهل البقيع وعلمه عائشة أن تقوله... قال الشيخ صديق بن حسن في السراج الوهاج: وحاصل المسألة أن الزيارة للقبور سنة ثابتة قائمة تذكر الزائر الموت والآخرة، وهذا معظم مقصودها وغاية فعلها، ومن زار قبراً اي قبر كان، وفعل عنده ما لم يرد به دليل من كتاب وسنة صحيحة فقد خالف السنة المطهرة وعكس القضية) اهـ كلامه.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٧٨/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٩٧٥.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٦/١-٥٢٧.

والدعاء هنا مناسب للزائر وللموتى. أما الزائر فهو يسأل الله لنفسه العافية من أمراض الأبدان وأمراض القلوب التي هي أشد ضرراً من أمراض الأبدان. وأما الموتى فهو يدعو لهم بالسلامة والعافية من العذاب ويسأل الله تعالى لهم الرحمة والمغفرة[١].

وقال القرطبي: (أما زيارة القبور فوجودها أسرع والانتفاع بها أليق من الاعتبار بحال المحتضرين وأجدر، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في إتيانها ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة.

ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه أو نفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن... ويجتنب المشي على المقابر والجلوس عليها إذا دخل المقابر ويخلع نعليه كما جاء في أحاديث[٢]، ويسلم إذا دخل المقابر ويخاطبهم خطاب الحاضرين فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول: وكنى بالدار عن عمارها وسكانها، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم، لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضاً فيقول: عليك السلام... وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حياً، ولو خاطبه حياً لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذلك ههنا)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الاعتبار بزيارة القبور والاستعداد للموت:

إنما شرعت زيارة القبور للاعتبار والاستعداد للموت، وقد وضح النبي ﷺ ذلك بقوله فإنها "تذكر الآخرة"[٤] وقال ﷺ كذلك: "فإنها تذكر الموت"[٥].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٧٨/٢ - ٥٧٩.

(٢) ورد حديث الأمر بخلع النعال عند أبي داود ٣٢٣٠، وابن ماجه ١٥٦٨ من حديث بشير بن الخصاصية وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٧٤)، وهناك أحاديث يفهم منها جواز لبس النعلين وعدم خلعهما. انظر في الجمع بين هذه الأحاديث المجموع شرح المهذب للنووي، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٢٠٥/٥.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ١٣، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٢/٥، ٢٠٥، والمغنى لابن قدامة تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي والدكتور عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٧/٣-٥٢٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٨/٢٤-٩٠.

(٤) أخرجه أحمد ٣٥٥/٥ رقم ٢٣٠٠٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١١٤/٣٨.

(٥) أخرجه مسلم ٩٧٦.

قال عبدالله البسام: (قوله: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون" يدل على أنه يستحب للإنسان أن يوطن نفسه على هذا المستقبل، وأنه لاحقٌ بهؤلاء الأموات حتى يستعد، فإن في الموت موعظة وذكرى) [١].

قال أبو عبدالله القرطبي عن زائر القبور: (ثم يعتبر بمن صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم أموالهم ومحا التراب محاسن وجوههم وافترقت في القبور أجزاؤهم وترمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتم أولادهم واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم، وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لابد صائر إلى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحاله ومآله كمآله.

وعند هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ويقبل على الأعمال الأخروية فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه وتخشع جوارحه) [٢].

وقال الحسن البصري: (كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون كدت والله أن أكون أنا السواد [٣] المختطف فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهاداً فيلبث بذلك ما شاء الله ثم يبلغه موت الأخ من أخوانه فيقول: إنا لله وإنا إليه

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٥٧٩.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ١٣- ١٤.

(٣) السواد: الشخص. الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٤٦١.

راجعون كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهاداً. فردّد الحسن هذا الكلام غير مرّة فوالله ما زال كذلك حتى مات موتاً كيساً)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة : الإخبار:

أما الإخبار فقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ، كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ((السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَومٍ مُؤمِنينَ وأتانا ...))، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : مرّ رسول الله ﷺ بقبور بالمدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: ... وقد استخدم الإخبار كثيراً جداً في نقل أحوال النبي ﷺ من قِبل الصحابة رضي الله عنهم ، ليقتدي بها المدعوون ويطبقوها في حياتهم[٢].

خامساً- من وسائل الدعوة : التعليم:

التعليم من وسائل الدعوة التي يفيد منها الداعية في تعامله مع المدعوين، وهذا واضح من قول بريدة رضي الله عنه : كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: ((السلامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الديارِ من المؤمنينَ والمسلمينَ، وإنَّا إنْ شاءَ الله بِكُمْ للاحقونَ، أسأل الله لنا ولكم العافيةَ)). وفي رواية لمسلم من حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها : فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك فأجبته فأخفيته منك، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.

قال القاضي عياض: وفي الحديث تعليمه ﷺ لعائشة رضي الله عنها ما تدعو به لأهل القبور، وتعليمه ذلك للناس ما يجب امتثاله واختياره من الدعاء المنصوص لهم[٣].

---

(١) الزهد، أحمد بن حنبل، ٢٧٠.

(٢) انظر فهارس كتب الأحاديث، مثل فهرس مسند أحمد بن حنبل ٤٨/١٤٥-٢٤٧، وموسوعة أطراف الحديث النبوي ٦/٣-٣٨٥.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٤٤٩، ٤٥٠.

وقد استخدم النبي ﷺ وسيلة مرات ومرات، من ذلك التشهد في الصلوات. فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: علمني رسول الله ﷺ التشهد كفى بين كفيه، كما يعلمني السورة من القرآن[١]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن"[٢] ومن هذا القبيل أيضاً دعاء الاستخارة فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن"[٣]، قال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٤٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٨٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٩٠ وانظر: الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان: ٧٥.

الحديث رقم (٥٨٣)

٥٨٣- وعن بريدة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: ((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ**[1] **للاَحِقونَ، أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨٦).

غريب الألفاظ:

العافية: السلامة من البلايا[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث بيان عملي لكيفية التفاعل مع أهل العالم الآخر بما يجعلنا نشعر بهم ونشعر بعالمهم ذلك العالم المخيف الذي سيصير عالمنا بعد قليل فنشعر بالإنس بدعاء الصالحين، وهداياهم من الصالحات، وقوله (أن يقول قائلهم) فيه جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى تجاوبهم مع إخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان وقوله : (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ) وعموم الأموات بالسلام استشعار لحاجتهم، ودعاء بسلام روحي يعم المؤمنين، ويتدرج إلى المسلمين ليشمل قطاعا أكبر قد يكون أكثر حاجة إلى تلك الدعوة ممن أعلى منهم رتبة من المؤمنين، وقوله (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ للاَحِقونَ) تقديم الجار والمجرور (بكم) يفيد التخصيص، وتوكيد العبارة تمهيد للنفس النافرة من الفكرة التي تنقبض منها النفوس التي ألفت الدنيا، وتعظيم للخبر بما يليق بجلال الموقف وقوله (أسْألُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ) بدايته بالدعاء للأحياء وهو

---

(١) (بكم) لا توجد عند مسلم، وهي من الجمع للحميدي ١/٣٧٤، رقم ٦٠١.

(٢) برقم ١٠٤/٩٧٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف و).

فيهم أقرب لإجابة الدعوة من تقديم الأموات، ويستحب أن يجمع الإنسان بينه، وبين إخوانه في الدعاء لأن صلاح بعضهم ينفع بعضاً، والتعبير بالعافية يستوعب السلامة من كل الآفات للأحياء ومن الذنوب وتبعاتها للأموات.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٨٤)

٥٨٤- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: مرَّ رسول الله ﷺ بِقُبورٍ بالمدِينَةِ فَأقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((**السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من الآباء وذوي القربى[2].

ونحن بالأثر: أي تابعون لكم من ورائكم لاحقون بكم[3].

الشرح الأدبي

يبدو أن السلام على الأموات في هذا الحديث كان عرضيا، ولم يكن يقصد الزيارة بل كان ماراً عليهم دون قصد يدل على ذلك التعبير بالمرور، وهو فعل السائر العابر كما أنه نكَّر كلمة قبور، وقوله (أقبل عليهم بوجهه) يشير إلى أنه لم يكن متوجها إليه أصلا، وإنما التفت بغرض السلام، كما أنه ناداهم بلفظ أهل، وأضافهم للقبور، ولم يضفهم للمؤمنين، وفي الحديث السابق ناداهم بأهل الديار، وأضافهم للمؤمنين، لأن من بالبقيع من المؤمنين معروفا للرسول ﷺ بعكس غيرهم، ثم إنه في هذا الحديث دعا لهم بالمغفرة، وهناك دعا لهم بالعافية، والعافية أكثر شمولا من المغفرة لأنها تستلزم النجاة من كل مخيف، وقوله (أنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ) التعبير بالسالف تشير إلى عموم السابق وقوله (ونحن بالأثر) أي خلفكم دون تخصيص اللحوق

---

(١) برقم ١٠٥٣ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١١٢.

(٣) المرجع السابق ١/١١٢.

بهم هم خاصة، وفي الحديث السابق خصص اللحوق بهم في قوله (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) لما علم من حال هؤلاء من المؤمنين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٨٤- مع المضامين للحديث رقم (٥٨٢، ٥٨٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أحوال الناس في التعامل مع الموتى مختلفة، فمنهم المقدس لهم، ومنهم الجاحد لآثارهم ومنهم المتبع لهدي نبيه ﷺ، الذي لم يقدس لهم ولم يجحد ذكرهم وإنما جعلهم مصدر عبرة وعظة وأذن بزيارة القبورومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالممارسة العملية:

إن من أهم الأساليب التربوية التربية بالممارسة العملية، ولقد كان النبي ﷺ نموذجًا حيًا في التطبيق والممارسة العملية، ففي هذا الباب -استحباب زيارة القبور- جاء في أحاديثه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قال: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللّهِ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ الْبَقِيعِ. فَيَقُولُ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فقَالَ «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ...». وهذا تطبيق عملي في زيارة القبور، وهذه الممارسة العملية تؤثر في نفس المتربي.

"إن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، والدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا، ولقد اهتم الرسول ﷺ باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملي لكل تعاليم الإسلام، على شخصه أولاً، وفي تربيته لصحابته ثانيًا"[1].

ثانيًا- أهمية التعليم والتلقين في التربية:

إن التعليم والتلقين من الأمور المهمة في مجال التربية، وفي أحاديث الباب ما يشير

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، مرجع سابق، ص١٧٧-١٧٩.

إلى أن النبي ﷺ كان يحرص على تعليم أصحابه وتلقينهم، فعن بريدة رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: السلام عليكم أهل الديار..."، وعلى المربي استصحاب التلقين في تربية النشء، وتعليمه ما يجهل.

"إن التربية بالموعظة والتلقين هي الطريقة التربوية التي يتحمل فيها الآباء والمربون وحدهم عبء الكلام، والأولاد مستمعون فقط لكنهم واعون لما يستمعون، يتلقون النصائح ويعملون بها، وهذه الطريقة في التربية قديمة قِدَم الإنسان نفسه فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمون ينتظرون أن يتلقوا بعضًا مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم" [1].

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٩٥.

٦٧- باب كراهة تمنّي الموت بسبب ضُرّ نزل بِهِ وَلاَ بأس بِهِ لخوف الفتنة في الدين

الحديث رقم (٥٨٥)

٥٨٥- عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**لا يَتَمَنَّ**[١] **أحَدُكُمُ المَوْتَ، إمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ [٢]، وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم[٣] عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: ((**لاَ يَتَمَنَّ**[٤] **أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ؛ إنَّهُ إذَا مَاتَ**[٥] **انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إلاَّ خَيْراً**)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) لفظ البخاري: (لا يتمنى)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه. قال الحافظ في الفتح ٨٢/١٧: كذا للأكثر بلفظ النفي، والمراد به النهي، أو هو للنهي، وأشبعت الفتحة، ووقع في رواية الكشميهني: (لا يتمنين) بزيادة نون التأكيد.

(٢) ليس هذا اللفظ متفق عليه، بل أخرجه البخاري ٧٢٣٥ وحده. قال الحميدي في جمعه ٢٠٨/٣، رقم ٢٤٥٦: كذا أخرجه البخاري من حديث أبي عبيد، عن أبي هريرة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٢.

(٣) برقم ٢٦٨٢/١٣ من حديث همام بن منبه، عن أبي هريرة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٢.

تنبيه: هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه ٢٠٨/٣، رقم ٢٤٥٦ في المتفق عليه، وعزا اللفظ الأول إلى البخاري وحده، واللفظ الثاني إلى مسلم، ففهم المؤلف منه أن اللفظ الأول المتفق عليه، وليس كذلك. وقد يكون المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه حيث قال: رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، ثم قال: وفي رواية لمسلم، فذكره.

(٤) لفظ مسلم: (لا يتمنى) في المطبوع، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨٢/١٧ ووقع في رواية همام الذي أخرجها مسلم: (لا يتمنَّ).

(٥) عند مسلم زيادة: (أحدكم) وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

الشرح الأدبي

الحياة هبة من الله وهبها للإنسان، وهو إذا شاء استردها، وليس لإنسان حق في إنهاء هذه الحياة بل، ولا تمنيها وقد جاء نهي النبي ﷺ (لاَ يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلاَ يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ) نهيا عاما عن تلك الأمنية التي تخالف ما قدر الله للعبد، وقد أخذ النهي عمومه من الفاعل (أحد) المضاف لكلف الخطاب، وميم الجمع التي تجعل الجميع تحت مظلة الحكم، كما نهى عن الدعاء بها لأن الأمنية حركة القلب بالرغبة، وإذا قويت تحولت إلى دعاء باللسان فتوافق مع القلب فيها، فإذا مات على هذه الحال مات على معصية لله بمخالفة رسوله ﷺ، وقد علل للنهي بقوله (إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لاَ يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيْراً) وقد بدأ الخبر بالتوكيد بحرف التوكيد، وضمير الشأن المؤذن بتفخيم ما بعده تعظيماً له، وتأكيدا للنفس التي ضجرت من الحياة، وملت البقاء أنه قد يكون خيراً لها لأنه بموته انقطع عمله، والمؤمن يزداد خيرا بكل يوم يعيشه، وإن لم يستطع الحركة فإن الله يجري عليه أجره من العبادات التي كان يؤديها في صحته.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تمني الموت والدعاء به: اتفق الفقهاء على أنه يكره للمرء تمني الموت لضر أصابه في بدنه، أو ضيق في دنياه، أو محنة من عدو، أو نحو ذلك، فإن خالف ولم يصبر على بلواه فيقل: (اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي).

كما اتفقوا على أنه لا يكره تمني الموت لخوف فتنة في دينه، أو لغرض أخروي كتمني الشهادة في سبيل الله، أو بمكان شريف نحو مكة المشرفة أو المدينة المنورة، بل يندب ذلك، وقد فعله كثير من السلف[1].

---

(١) الجوهرة النيرة ٣٩٩/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٣٥٠/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٠٦/٥-١٠٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٩٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة ولحظات العمر في الاستزادة من الإحسان والتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى لكل ما يصيب الإنسان.

رابعًا: من مهام الداعية : توجيه المدعو وإرشاده إلى ما ينبغي عليه فعله عند الشدائد.

خامسًا: من أساليب الدعوة : الترغيب والتوكيد والقصر.

أولاً- من أساليب الدعوة : النهي:

وهذا واضح في قوله ﷺ "لا يتمن أحدكم الموت" وفي قوله "لا يتمنين أحدكم الموت". وذلك لينهى عن تمني الموت، وأكد ذلك بأن أدخل نون التوكيد على الفعل المنهي "لا يتمنين" والنهى أسلوب مباشر لطلب الامتثال والانقياد، وقد أفاد في هذا الحديث عدم تمني الموت لما في ذلك من مصلحة للمؤمن.

لأن الحياة هبة من الله تعالى، حدد سبحانه بدايتها ونهايتها، هو المتصرف فيها كيف يشاء، لذا فإن على الإنسان ألا يتمنى الموت بسبب لحقه إلا أن يكون خوفاً على دينه، وذلك واضح في قوله ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه"، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أنه لا يجوز أن يتمنى الموت أحدٌ من أجل ضيق نزل به، لأن طلبه الموت فرار من قدر الله)[1].

وقال النووي: (فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره . وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم)[2].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٥١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٥.

وقال ابن حجر: (لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم... فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهى، ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا")[١]. على أن "في" في هذا الحديث سببية: أي بسبب أمر من الدنيا[٢]. وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: ((وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون))[٣].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (وروى عن سهل عن عبدالله التستري أنه قال: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه أو مشتاق محب لله عز وجل)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اغتنام الحياة ولحظات العمر في الاستزادة من الإحسان والتوبة والإنابة إلى الله تعالى:

إن الحياة هي دار العمل، فالعاقل من اغتنم لحظاتها وأوقاتها بالاستزادة من العمل الصالح أو التوبة من الذنوب، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تمني الموت. وهذا واضح في قوله ﷺ: "لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب"، وفي رواية أخرى: "وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً".

قال أبو عبدالله القرطبي: (قوله "لعله أن يستعتب": الاستعتاب طلب العتبى وهو الرضى، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب، قال الجوهري: استعتب، طلب أن يعتب، تقول: استعتبته فأعتبني: أي استرضيته فأرضاني)[٥].

وقال ابن هبيرة: (ويستعتب: يستفعل من العتبى، فكأنه أشار إلى أنه حيث كان في الإساءة، فإن العتاب متوجه إليه، فلا ينبغي أن يتمنى الموت، فلعله يستعتب، اي يتوب

---

(١) صحيح ابن حبان ٢٩٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٣ بتصرف، وانظر: التذكرة في أحوال الموتى، القرطبي ص ٤، ٥.

(٣) أخرجه الترمذى ٣٢٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٢).

(٤) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، القرطبي ص ٥.

(٥) المرجع السابق ٥.

إلى ربه ويعود إلى استعطاف المالك المقتدر للعبد الضعيف الجاهل)[١].

وقال ابن حجر: (فيه إشارة إلى أن المعنى في النهى عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت، فإن الحياة يتسبب منها العمل، والعمل زيادة الثواب ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال، ولا يرد على هذا أنه يجوز أن يقع الارتداد والعياذ بالله تعالى عن الإيمان، لأن ذلك نادر والأيمان بعد أن يخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد، وعلى تقدير وقوع ذلك -وقد وقع لكن نادراً- فمن سبق له في علم الله خاتمة السوء فلا بد من وقوعها طال عمره أو قصر، فتعجيله لطلب الموت لا خير له فيه ... ووقع في رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم "وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً)[٢].

واستشكل بأنه قد يعمل السيئات فيزيد عمره شراً. وأجيب بأجوبة: أحدها: حمل المؤمن على الكامل وفيه بعد. والثاني: أن المؤمن بصدد أن يعمل ما يكفر ذنوبه إما من اجتناب الكبائر وإما من فعل حسنات أخر قد تقاوم بتضعيفها سيئاته. وما دام الإيمان باق فالحسنات بصدد التضعيف والسيئات بصدد التكفير. والثالث: يفيد ما أطلق في هذه الرواية بما وقع في رواية الباب من الترجي، حيث جاء بقوله "لعله" والترجي مشعر بالوقوع غالباً لا جزماً، فخرج مخرج تحسين الظن بالله وأن المحسن يرجو من الله الزيادة بأن يوفقه للزيادة من عمله الصالح وأن المسيء لا ينبغي له القنوط من رحمة الله ولا قطع رجائه. أشار إلى ذلك شيخنا (أي الحافظ العراقي) في "شرح الترمذي")[٣].

وقال ابن تيمية: (المؤمن دائماً في نعمة من ربه تقتضي شكراً، وفي ذنب يحتاج إلى استغفاره)[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٢/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/١٠. وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥١/٥، ٢٣٢/٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٦٩/٨.

وقال العز بن عبدالسلام: (الحرص على الحياة إن كان لإكثار الطاعات، فيا حبذا ذلك الحرص، لأن طول عمر المؤمن لا يزيده إلا خيراً، إما محسن فيستكثر، وإما مسيء فيستعتب، وإن كان لإكثار المخالفات فما أقبحه من حرص، وإن كان لنيل الشهوات المباحات، فهو شاغل عن تكثير الحسنات ورفع الدرجات)[١].

وقال ابن عثيمين: (والمؤمن يجب عليه الصبر إذا أصابته الضراء، فإذا صبر نال شيئين مهمين: الأول: تكفير الخطايا، فإن الإنسان لا يصيبه همٌّ ولا غم ولا أذى ولا شيء إلا كفّر الله به عنه حتى الشوكة يشاكها، فإنه يكفر بها عنه.

الثاني: إذا وفق لاحتساب الأجر من الله وصبر يبتغي بذلك رحمة الله، فإنه يثاب، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

أما كونه يتمنى الموت، فهذا يدل على أنه غير صابر على ما قضى الله عز وجل ولا راضٍ به، وبيّن الرسول ﷺ أنه إما أن يكون من المحسنين، فيزداد في بقاء حياته عملاً صالحاً. ومن المعلوم أن التسبيحة الواحدة في صحيفة الإنسان خير من الدنيا وما فيها، لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول والتسبيح والعمل الصالح يبقى. قال الله عز وجل: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٣] فأنت إذا بقيت ولو على أذى ولو على ضرر، فإنك ربما تزداد حسنات. وإما مسيئاً قد عمل شيئاً، فلعله يستعتب أي يطلب من الله العتبى أي الرضا والعذر، فيموت وقد تاب من سيئاته، فلا تتمن الموت لأن الأمر كله مقضيٌّ، وربما يكون في بقائك خير لك أو خير لك ولغيرك، فلا تتمن الموت، بل اصبر واحتسب، فإن الله سيجعل بعد عسر يسرا)[٤].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ١٢٣.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٨٦٣-٨٦٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة : الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى لكل ما يصيب الإنسان:

إذا نزل بالمؤمن ضرٌّ، فإن عليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى، وذلك واضح من قول النبي ﷺ "لا يتمن أحدكم الموت" وقوله ﷺ: "لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي".

قال النووي: (فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضر نزل به من مشاق الدنيا ... وفيه أنه إن خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ...". والأفضل الصبر والسكون للقضاء)[1].

وقال ابن حجر: (وهذا يدل على أن النهى عن تمني الموت مقيد بما إذا لم يكن على هذه الصيغة، لأن في التمني المطلق نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم. وفي هذه الصورة المأمور بها نوع تفويض وتسليم للقضاء. وقوله: "فإن كان ..."، فيه ما يصرف الأمر عن حقيقته من الوجوب أو الاستحباب، ويدل على أنه لمطلق الإذن، لأن الأمر بعد الحظر لا يبقى على حقيقته)[2].

قال عبدالله البسام: (يدل الحديث وأمثاله على وجوب الصبر وحكاه شيخ الإسلام إجماعاً، وقال: إن الثواب على المصائب معلق على الصبر عليها، وأما الرضا فمنزلة فوق الصبر، فإنه يوجب رضا الله عز وجل، والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها والشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر، وهي مطلوبة شرعاً مندوب إليها إجماعاً ومن شكا إلى الناس وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله لم يكن ذلك جزعاً وجاز)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٣/١١.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٦٨/٢.

وقال السعدي في شرحه لحديث الباب: (هذا نهي عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرضٍ أو فقر أو خَوْف أو وقوع في شدة ومهلكة أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس ويحدث الخور والكسل ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به. وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها. والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمنى الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كالمستجير من الضرّ إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها والقيام بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له، فكيف يتمنى انقطاع عملٍ، الذرة منه خيرٌ من الدنيا وما عليها؟! وخصّ من هذا العموم قيامه بالصبر على الضرّ الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب)[1].

رابعًا- من مهام الداعية: توجيه المدعو وإرشاده إلى ما ينبغي عليه فعله عند الشدائد:

إن الداعية بما عنده من علمٍ يوجه المدعوين ويرشدهم إلى ما ينبغي عليهم فعله عند الشدائد والمصائب، وقد نهى النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب ضر دنيوي فإنه كان لابد من تمني الموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي.

قال عبدالله البسام: (هذا هو الرخصة، ذلك أن الدنيا دار ممر والأخرى هي المقر، فلا يعلم المبتلى في بدنه أو ماله أو جاهه أو غير ذلك أن ذلك خير له في أخراه إذا صبر واحتسب... فهذا الدعاء لمن أراد تمني الموت تفويض الأمر إلى الله تعالى، فهو جلّ وعلا الذي يعلم مصالح العبد وما هو أولى به في الحياة أو الموت)[2].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٢٥١-٢٥٢، نقلاً عن الدعاء مفهومه وأحكامه ص ٧٠-٧١.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٦٧ - ٤٦٨.

ومن هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة تبكي عند قبر، فقال: اتقي الله واصبري، فقالت إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها: إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى"[١].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ((ألا أُريكَ امرأةً من أهل الجنة؟ قلت: بَلى. قال: هذهِ المرأة السوداءُ أتتِ النبيَّ ﷺ فقالت: إني أُصرَعُ وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله لي. قال: إن شِئتِ صَبرتِ ولكِ الجنة، وإن شِئتِ دَعَوتُ الله أن يُعافِيكِ. فقالت: أصبرُ. فقالت: إني أتكشفُ، فادعُ الله لي أن لا أتكشفَ، فدعا لها))[٢].

قال ابن حجر: (في الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة، أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[٣].

وقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[٤].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والتوكيد والقصر:

الترغيب في قول النبي ﷺ: (لا يتمن أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب). فقد رغب ﷺ في عدم تمني الموت، نظراً لما في ذلك من خير للمسلم وقد أكّد هذا الترغيب بالتوكيد، "إنه إذا مات انقطع عمله"، وزاده توكيداً بأسلوب القصر: "وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً".

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٩٩، ٧٢٠٠، ومسلم ١٧٠٩.

الحديث رقم (٥٨٦)

٥٨٦- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((**لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أصَابَهُ، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه من حيث الموضوع مع اختلاف بسيط في المعنى، وفي الأسلوب حيث جاء الفعل المنهي عليه مؤكدا تشديدا في النهي، وذكر العلة الباعثة على تمني الموت (لضر أصابه) وقد وضع له علاجا نفسيا يستل من نفسه هذا الشعور اليائس، وهو حمل الأمر في الدعاء على علم الله بالخير الراجح في الحياة أو في الممات وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط الذي يعلق الجزاء على الفعل، وقد استخدم أداة الشرط (إن) الدالة على عدم تحقق الشرط؛ لأن إقدام المسلم على هذا الأمر مستبعد لخوفه من الله، وقوله (لا بد) يشير إلى الاضطرار، والتعبير باسم الفاعل الدال على الثبوت، والدوام يؤكده، ويشير إلى أنه ليس له فكاك مما هو فيه إلا بالموت، وقوله (فليقل) أمر في جواب الشرط للتوجيه، والإرشاد إلى القول الذي يرضي الله تعالى ولا يخرج به إلى الحد المنهي عنه، وقوله (اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْراً لي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيراً لي) وهو حمل للدعاء على ما في علم الله من الخير العاجل، والآجل، وتفويض له لا يخرج عن سمت الإيمان، وهو علاج نفسي يقرب العبد من ربه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧١ واللفظ له، ومسلم ١٠/٢٦٨٠، أورده المنذري في ترغيبه ٤٩٣٣. وتقدم برقم ٤٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٠).

الحديث رقم (٥٨٧)

٥٨٧- وعن قيسِ بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّاب (بن الأرَتِّ) رضي الله عنه نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإنَّا أَصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلاَّ التُّرَابَ، وَلولا أنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ. ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ، فَقَالَ: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ رواية البخاري.

ترجمة الراوي:

خباب بن الأرت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١).

غريب الألفاظ:

سلفوا: تقدموا وسبقوا[2].

مضوا: ماتوا[3].

لم تنقصهم الدنيا: أي لم تنقص أجورهم بمعنى أنهم لم يتعجلوها في الدنيا بل بقيت موفرة لهم في الآخرة[4].

وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب: أي الإنفاق في البنيان أو ما أصابوه من المال[5].

الشرح الأدبي

الحديث يروي قصة عملية في الصبر على قضاء الله في المرض عن خباب بن الأرت رضي الله عنه، وقول الراوي (نعوده) يشير إلى أنهم مجموعة كما أن التعبير بالعيادة يشير إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٢ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨١/١٢ مختصرًا. أورده المنذري في ترغيبه ٢٧٩٩ من رواية الترمذي.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ف).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٤/١٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٦١.

معنى التكرار، والتفقد، وقوله (وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ) يشير إلى مدى المعاناة التي عاناها هذا الصحابي في مرضه والتي أكدها الجناس بين قوله اكتوى، وكيات، وقوله (إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا) يقصد بهم الصحابة، وما لاقوا في عهد النبي ﷺ من شدة، وعناء وفقر، وأنهم لم يتمتعوا كما تمتعوا هم بعد الفتوحات وقوله (وَإنَّا أَصَبْنَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلاَّ التُّرَابَ) كناية عن كثرة المال، والمقصود بالتراب البناء، وقوله (وَلولا أنَّ النبي ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ) لولا حرف امتناع لوجود أي امتناع التمني لوجود النهي، والعبارة تعكس ما هو فيه من عناء وتعب، مع خوفه من الانشغال بالدنيا، وقول الراوي (ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطاً لَهُ) التعبير بثم يشير إلى فترة زمنية فرقت بين الزيارة الأولى، والثانية، وبين قوله ندعوا، وقوله لدعوت جناس يؤكد المعنى المراد ويقرر وقوفه عند نهي رسول الله ﷺ، وعدم تخطيه وقوله (إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلاَّ فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ) أكد الكلام بكثير من المؤكدات لتعظيم الخبر، وصرف المخاطبين للعناية به، والعبارة تقرر أن المؤمن لا يؤجر في البناء الزائد عن الحاجة بينما يؤجر في كل نفقة ينفقها في غيره.

فقه الحديث

٢-حكم التداوي بالكي: اختلف الفقهاء في حكم التداوي بالكي بالنار، فذهب الجمهور إلى جواز ذلك إذا دعت إليه حاجة أو ضرورة، وكان يقول أهل الخبرة بينما ذهب المالكية في قول ورواية عن الحنابلة إلى كراهة ذلك، لأن الكي فيه تعذيب بالنار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار تبارك وتعالى[1].

---

(١) شرح معاني الآثار ٤٨٢/٥ وما بعدها، وحاشية الصاوي ٢٩٨/٤، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٢٤١/٥، والفروع، ابن مفلح ١٧٧/٣. وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٨/١١.

المضامين الدعوية

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم ممن ماتوا ولم يدركوا حظاً من الدنيا، ومن عاشوا وأدركوا حظهم منها.

ثالثاً: من آداب المدعو: عدم الدعاء بما نهى النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء به.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

عيادة المريض من الآداب التي حضّ عليها الإسلام، وحثّ أتباعه على التخلق بها، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يكثرون من عيادة المريض. يتضح هذا في قول التابعي: "دخلنا على خباب بن الأرت رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات. وكذلك قوله: "ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبني حائطاً له".

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويأمر الصحابة رضي الله عنهم بذلك؛ لأن عيادة المريض من الآداب الإسلامية التي ينبغي للمؤمن أن يحرص عليها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أعرابي يعوده قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل على مريض يعوده قال له: لا بأس، طهور إن شاء الله[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني[2].

وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما: ((أَمَرَنَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بِسَبْعٍ. وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ. أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ))[3].

وبوب البخاري على هذين الحديثين الأخيرين: باب وجوب عيادة المريض[4]، وقال ابن حجر: (كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة، وتقدم حديث أبي هريرة في الجنائز: حق المسلم على المسلم خمس[5]، فذكر منها عيادة المريض، ووقع في رواية

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٥٠، ومسلم ٢٠٦٦.

(٤) من كتاب المرضى رقم ٧٥ والباب برقم ٤.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

مسلم "خمس تجب للمسلم على المسلم"[١] فذكرها منها. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب للحث على التواصل والألفة ... وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض ويلتحق بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك في العادة سبباً لوجود نشاطه وانتعاش قوته)[٢].

وقال ابن القيم: (وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض ونوع يعود على العائد ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان حال الصحابة رضي الله عنهم ممن ماتوا ولم يدركوا حظاً من الدنيا، ومن عاشوا وأدركوا حظهم منها:

قال ابن حجر: (قوله "إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، زاد في الرقاق[٤]: "شيئاً" أي لم تنقص أجورهم، بمعنى أنهم لم يتعجلوها في الدنيا بل بقيت مؤخرة لهم في الآخرة، وكأنه عنى بأصحابه بعض الصحابة رضي الله عنهم ممن مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. فأما من عاش بعده فإنهم اتسعت لهم الفتوح، ويؤيده حديثه الآخر ((هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير، قُتلَ يومَ أحُدٍ وتركَ نَمِرَةً، فكُنَّا إذا غطَّينا بها رأسَهُ بَدَتْ رِجلاهُ، وإذا غطَّينا رجلَيهِ بدا رأسُه، فأمَرَنا رسولُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم أن نُغطي رأسَهُ ونجعلَ على رجلَيهِ شيئاً من إذخِر. ومِنَّا مَن أينَعَت له ثمرَتهُ فهوَ يَهدبُها))[٥].

---

(١) صحيح مسلم ٤-٢١٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١١٧، ١١٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/١١٦.

(٤) أي البخاري في كتاب الرقاق ٦٤٣١.

(٥) يهدبها: أي يجتنيها، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥، والحديث أخرجه البخاري ١٢٧٦، وفي مواضع أخرى، ومسلم ٩٤٠.

ويحتمل أن يكون عنى جميع من مات قبله، وأن من اتسعت له الدنيا لم تؤثر فيه إما لكثرة إخراجهم المال في وجوه البر، وكان من يحتاج إليه إذ ذاك كثيراً فكانت تقع لهم الموقع، ثم لما اتسع الحال جداً وشمل العدل في زمن الخلفاء الراشدين استغنى الناس بحيث صار الغني لا يجد محتاجاً يضع برّه فيه، ولهذا قال خباب "وإن أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب" أي الإنفاق في البنيان[1].

ثالثاً- من آداب المدعو: عدم الدعاء بما نهى النبي ﷺ من الدعاء به:

إن من آداب المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ ويقتدي به، في صلاته وصومه وحجه ودعائه ونحو ذلك، وهذا ما التزم به الصحابة رضي الله عنهم، وهم خير القرون، وهذا واضح في قول خباب: "ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به".

قال عبدالله البسام: (يكره تمني الموت خشية الوقوع في محنة دنيوية أو خوف من عدو أو مرض نزل به أو فاقة حلّت به ـو نحو ذلك من مشاق الدنيا. والحكمة في هذا أنه منافٍ للصبر الذي أمرنا به. ووعدنا عليه الأجر العظيم، ولأنه يدل على الجزع وعدم الثبات والاحتساب على قضاء الله تعالى. فإن كان غير صابر ولا بد من الدعاء فليقل: "اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي")[2].

قال ابن القيم: (قال الفضيل بن عياض: العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً -لم يقبل. وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة. وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[4]، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني كذلك ١١/٢٨٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٦٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٥.

خالصاً لوجهه على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه، هباءً منثوراً. وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ "كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد"[١] وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً، فإن الله تعالى إنما يعبد بأمره لا بالآراء والأهواء[٢].

رابعاً- من مهام الداعية : بيان الحقائق للمدعوين:

إن من مهام الداعية أن يبين الحقائق للمدعوين حتى يتصرفوا في ضوء هذه الحقائق فيأتي عملهم موافقاً للصواب مبتعداً عن الخطأ ومجانباً له، وقد بيّن خباب بن الأرت رضي الله عنه هذا، فقال: "إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه إلا في شيء يجعله في هذا التراب" قال ابن حجر: (أي الذي يوضع في البنيان، وهو محمول على ما زاد على الحاجة)[٣].

قال ابن عثيمين: (المال الذي يجعل في البناء لا يؤجر الإنسان عليه، اللهم إلا بناء يجعله للفقراء يسكنونه أو يجعل غلته في سبيل الله أو ما أشبه ذلك، فهذا يؤجر عليه، لكن بناء يسكنه هذا ليس فيه أجر، بل ربما إذا زاد الإنسان فيه حصل له وزر مثل ما يفعل بعض الفقراء الآن. الآن عندنا فقراء يستدين الإنسان منهم إلى عشر سنين أو خمسة عشر وإن طال الأجل إلى عشرين سنة، من أجل أن يرصع بنيانه بالأحجار الجميلة ومن أجل أن يضع له أقواساً أو شرفات وهو مسكين يعمل هذا العمل المنهي ويستدين على نفسه الديون الكثيرة. وأما البنيان الذي يكون على حسب العادة، وليس فيه تفاخر ولا سرف ولا استدانة من أحد، فهذا لا بأس به وليس فيه إثم إن شاء الله)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/١٧٦ وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٢٠٥. والذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني ص ٨٩٤ – ٨٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١/٨٦٦.

وقد قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطاً لِي أَنَا وَأُمِّي فقَالَ: مَا هذَا يَا عَبْدَ اللهِ؟ فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فقَالَ: الأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَاكَ))[١].

وأخرج ابن حبان هذا الحديث في صحيحه وجعله تحت عنوان: ذكر الزجر عن أن يطول المرء أمله في عمارة هذه الدنيا الزائلة الفانية"[٢]. وقال ابن حجر: " وهذا كله محمول على ما لا تمس الحاجة إليه مما لا بد منه للتوطن وما يقي البرد والحر، وقد أخرج أبو داود[٣] أيضاً من حديث أنس رفعه "أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا، إلا ما لا" أي إلا ما لا بد منه"[٤].

ومن قبيل بيان الداعية الحقائق للمدعوين ما رواه المستور بن شداد قال: «كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ المَيِّتَةِ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا؟ قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا))[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٣٥، والترمذي ٢٣٣٥، وابن ماجه ٤١٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٩١).

(٢) أخرجه ابن حبان ٢٩٩٦، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أبو داود ٥٢٣٧، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ٢٨٣٠) وكان قد ضعّفه في السلسلة الضعيفة ١٧٦، لكنّه انتهى إلى تصحيحه آخر الأمرين.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٥/١١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٢١، وابن ماجه ٤١١١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- تربية النفس على تحمل المكاره:

يأتي هذا الباب في بيان كراهة تمني الموت بسبب ضر نزل بالإنسان، وإن من أهم أهداف التربية الإسلامية تربية النفس على تحمل المكاره والصمود أمامها، وأن يعلم المتربي أن الحياة تسير بين عسر ويسر وشدة ورخاء، فلابد من توطين النفس على ذلك، "ومن هديه ﷺ أنه كان يربي الصحابة على الصبر على البلاء، ويعلمهم أن الابتلاء سُنَّةٌ ماضية، وأن أصحاب الدعوات لابد أن يبتلوا، فإذا صبروا واحتسبوا كانت لهم العاقبة في الدنيا والآخرة"[(١)].

ومن أحاديث الباب التي تؤكد هذا المعنى ما جاء في قوله ﷺ: «لا يَتَمَنّى أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرَ أَصَابَهُ، فإنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً فَلْيَقُلْ، اللّهُمَّ أَحْيِني ما كانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لي، وَتَوَفَّني إذا كانَتِ الوفاةُ خَيْرًا لي».

"إن من أبرز مؤشرات التكيف السوي والصحة النفسية السوية هو قدرة الفرد على الصبر والصمود أمام الشدائد والأزمات، فالفرد يتعرض خلال مسيرته في سبيل تحقيق أهدافه ومطامحه، وإشباع حاجاته إلى كثير من الصعوبات، وقد يجد نفسه أمام مشكلات عسيرة الحل، أو يتعرض لأزمات مالية كأن يفقد ثروته أو بيته، أو بعض ممتلكاته أو يفقد عزيزًا أو صديقًا حميمًا، إن هذه المواقف صعبة يحتاج فيها المرء إلى كثير من الاتزان الانفعالي الذي يمكنه من مواجهة المواقف وتخطي الصعوبات والأزمات، لذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى قد وعد الصابرين بمكانة عالية في الجنة لأن الصبر من بين أحسن الخصال التي ينبغي على المؤمن أن يتحلى بها، والفرد الذي لا يملك القدرة على التذرع بالصبر تجده يعاني من القلق والتذمر والشكوى لمجرد مواجهته أية صعوبة أو مشكلة"[(٢)].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٦.

(٢) مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان ص١٨٦.

ثانيًا- أهمية التربية الصحية:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية الصحية للمتربي، وهي تتحقق بالاعتناء بالجسد والصحة العامة، والتداوي من المرض، وقد ورد في أحاديث الباب ما يبين اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالتداوي، فعن قيس بن أبي حازم قال: "دَخَلْنَا عَلَىٰ خَبَّابٍ وَقَدِ اكْتَوَىٰ سَبْعَ كَيَّاتٍ ..."، ولاشك أن الكي وسيلة من وسائل التداوي في عهدهم.

"وتكون تربية الجسد برعايته صحيًا، فالصحة قِيمة من القيم الإنسانية الأساسية، والعمل على ترقية الصحة الطيبة التزام من الالتزامات الخلقية الأساسية، والقيمة الخلقية لصحة الجسد والمحافظة عليه ترتبط بواجب وتكامل الأشخاص تكاملاً يجعل طاقاتهم الإنسانية تعمل وتتآزر إلى أقصى حد في توافق تام مع طبائعهم السليمة. وتهدف التربية الصحية إلى تنمية الثقة بالعلاج والدواء والاعتماد عليه، وتهدف إلى إعطاء الإنسان مقدرة على الوقاية من الأمراض والمعيشة الصحية والفهم الجيد لاستخدام الوسائل والخدمات الصحية"[(١)].

ثالثًا- التربية على الأمل في الحياة وعدم اليأس:

"إن تقوية الإرادة لا يمكن أن تتحقق بمجرد قرار يتخذه الفرد في نفسه، ولا يمكن أن نغرسه في نفوس أبنائنا بمجرد توجيه أو أمر نصدره إليهم فلابدَّ من تعويد وتدريب للنفس حتى يصبح هذا السلوك سلوكًا طبيعيًا للنفس تؤديه بتلقائية، ومما يعين على ذلك غرس الثقة في النفس؛ فنظرة الإنسان لنفسه تمثل عاملاً مهمًا في حفزه على العمل ورفع همته إليه، ومن ثَمَّ كان للثقة بالنفس أثرها الفعال في قوة الإرادة، فالواثق بنفسه هو الذي يتطلع للنجاح ويتجه للعمل خلافًا للمحبط واليائس. وشعور الإنسان بجوانب من النجاح في حياته، والتعامل مع الخطأ بحكمة مما يعزز ثقته بنفسه ويقوي إرادته" [(٢)].

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على غرس الأمل ونهى عن اليأس من الحياة وبين أن رأس المال الحقيقي هو عمر الإنسان، وعلى الإنسان أن لا يتعجل فناء عمره، بل يغتنم الوقت ويعبد ربه ويزداد.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧٦، ٢٧٧ بتصرف.

(٢) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٢٣١، ٢٣٢.

فأما خير الدنيا الذي غاب عن كثيرين ففي كونها دار عبادة ودار زيادة في العبادة ودار توبة ودار ابتلاء ودار نماء للحسنات وهي دار الزراعة ومن جنس الزرع يكون الحصاد، مراجعة النفس فيها ممكنة والإقلاع عن الذنوب، بل واستبدالها بالحسنات ممكن، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وأما الفئة الأخرى فإنها تبكي على الدنيا ويتمنون العود إليها من لحظة الاحتضار، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[2]، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾[3].

إن رسول الله ﷺ قد أذن له أن يفرج عن نفسه بكلمات فيها دلائل الإيمان، وذلك بتفويض الأمر لله تعالى ليختار للإنسان ما فيه الخير، وذلك بدعائه ربه بهذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي))[4]، فلا جزع ولا تبرم بالقضاء ولا رفض له، بل تفويض وتسليم.

ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يكفُّون عن تمني الموت، مهما كان المرض الذي أصابهم أو الألم الذي نزل بهم، وها هو خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه يعالج بالكي سبع مرات ولا يُقْدم على تمني الموت أو طلبه، ويذكر علة عدم تمني الموت في كونه متبعًا لسنة الرسول ﷺ والذي نهى عن تمني الموت.

رابعًا- التربية على التزام سنة النبي ﷺ:

وهذا واضح من قول خباب بن الأرتِّ رضي الله عنه: ((ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٤٧، ومسلم ٢٦٨٠.

بالموت لدعوت به))، فإنه كان يريد أن يقدم على الدعاء بالموت، ولكن ما منعه وحجزه عن ذلك هو نهي النبي ﷺ عن الدعاء بالموت، وعلى ذلك ينبغي أن يتربى الناشئة والكبار على التزام سنة النبي ﷺ فما أمر به فعلوه وما نهى عنه اجتنبوه ودافعوا عنه، ولم يكتفوا بذلك فحسب وإنما بالدعوة إلى ذلك أيضًا بكل طريق ممكن وعلى سبيل متاح، وبيان أن في ذلك الصلاح والنفع للبشرية جمعاء، لأنه ﷺ ما جاء إلا ليرشد الناس إلى ما فيه نفعهم وخيرهم وينهاهم عما فيه ضررهم ومفسدتهم.

٦٨- باب الورع وترك الشبهات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤].

الحديث رقم (٥٨٨)

٥٨٨- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**إنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألاَ وَإنَّ لكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألاَ وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)]، ورويناه مِنْ طرقٍ بألفَاظٍ متقاربةٍ.

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

مشتبهات: التبس أمرهما فلا يدري أحلال أم حرام[(٢)].

استبرأ: أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي وصان عرضه عن كلام الناس فيه[(٣)].

عرضه: جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويُحامي عنه أن يُنتقص ويُعاب[(٤)].

يرتع فيه: يرعى فيه. وفي رواية عند البخاري (٥٢): كراع يرعى حول الحمى يوشك

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩/١٠٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٨٥).

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ب هـ).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص (١٠١٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

أن يواقعه[١].

الحمى: الموضع فيه كلأ يُحمى من الناس[٢].

مضغة: قطعة من اللحم[٣].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة خال من المؤكدات لأن المقام لخالي الذهن؛ ولأنه يقرر حقيقة من الظهور بمكان، بحيث لا يُتوقع لها منكر، وهي قضية ظهور الحلال وظهور الحرام، أيضاً بداية الحديث بجملة اسمية أعطت قضية ظهور الحلال وظهور الحرام ثباتاً دائماً حاصل ما تفيده الجملة الاسمية في قوله: (الحلال بين، والحرام بين)، واستخدم لفظ (بَيِّن) كمسند ولفظ (الحلال) كمسند إليه ثم تكرار لفظ (بيّن) مع كل جملة تأكيد للمعنى وتحقيق للاستقلالية في بيان كل من النقيضين مع ما أضافته المقابلة بين لفظ (الحلال) ولفظ (الحرام) من تأكيد للمعنى وتقريره، وقد وصل بين الجملتين؛ لأن بينهما مناسبة تامة في المعنى لاتفاقهما في الخبرية، وقوله: (وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس) الظرف (بين) المضاف للضمير المثنى العائد على الحلال والحرام يشير إلى مسافةٍ قد تطول، وقد تقصر بين الحلال والحرام يلفها الغموض وتخفى على كثير من الناس تستلزم الحذر هي منطقة الشبهات المحذورة، والمراد من (المشبهات): أي التي شُبّهت بغيرها مما لم يتبين به حكمها على التعيين.[٤] وقوله: (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه...) أسلوب شرط يربط العاقبة ويعلقها على الفعل ترغيباً في اتقاء الشبهات، وأداة الشرط (من) لعموم من يعقل، وهذا الشرط بتركيبه ينادي كل عاقل بالحذر من الشبهات والحرص على سلامة دينه وحفظ عرضه، وقوله ﷺ: (ومن وقع في

---

(١) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ت ع)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح م ى).

(٣) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ض غ).

(٤) فتح البارى ١/٣٣٨.

الشبهات...) أسلوب شرط على اعتبار أن (من) شرطية ويكون جواب الشرط محذوفاً تقديره – وقع في الحرام – كما ثبت في رواية أخرى[١]، ولا يخفى أثر المطابقة بين أسلوبي الشرط في قوله: (فمن اتقى الشبهات...) وقوله (ومن وقع في الشبهات...) والتي أوضحت المعنى وقررته ووضعت الاتقاء وحسن عاقبته بإزاء الوقوع وسوء عاقبته، وتكررت (من) التي تنادي من لديه أدنى عقل ليختار فعلاً بعاقبته، وما أجمل المناسبة في المعاني والألفاظ بين فعل الشرط (اتقى) وجوابه (استبرأ)، وتعبيره في الصورة الثانية بالفعل (وقع) وجوابه المتوقع (وقع) التي توحي بالهبوط وتذكر بالهزيمة والخسران، وقوله: (كراع يراعي حول الحمى...) تشبيه تمثيلي لحال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن من الوقوع فيه، وقيل: هو تشبيه ملفوف من حيث شبه المكلف بالراعي والنفس البهيمية بالأنعام، والمشبهات بما حول الحمى، والمحارم بالحمى، وتناول المشبهات بالرتع حول الحمى، ووجه التشبيه حصول العقاب بعدم الاحتراز عن ذلك، كما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى استحق العقاب بسبب ذلك فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب بسبب ذلك)[٢] قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى) و(ألا) مفتوحة الهمزة واللام حرف استفتاح؛ وفائدة هذا الحرف توكيد مضمون الجملة كأنه مركب من همزة الإنكار، وحرف النفي، والإنكار نفي، ونفي النفي إثبات فركب الحرفان لإفادة التوكيد والتحقيق فصارا بمعنى (إن) وقد تكون حرف تنبيه إذا كان الغرض من إدخاله تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلة عنه. وهي في قوله: (ألا وإن لكل ملك حمى...) حرف تنبيه على صحة ما بعدها[٣] مع ما توحي به من أهمية

---

(١) انظر: رواية الدارمي عن أبي نعيم شيخ البخاري فيه، فقال: ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى، فتح الباري، ١/٢٣٠.

(٢) انظر: عون الباري ١/١٧٥، ١٧٨.

(٣) المجازات النبوية للشريف الرضي، تحقيق: طه محمد الزيني ص ١٣٨، ط. مؤسسة الحلبي، القاهرة، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ١/٤٣٧.

ما يليها، وقوله: (وإن لكل ملك حمى) الواو عاطفة على كلام سابق في النفس طوته هذه الواو، وقامت دليلاً عليه، و(إن) أداة توكيد تزيد الأمر خطورة وتستبعد كل خواطر الشك وتقطع هواجس النفوس عما تسمع، وتقديم متعلق المسند وهو الجار والمجرور (لكل ملك) زيادة في الاهتمام وتربية للمهابة بذكر المضاف إليه، وتنكير كلمة (حمى) يفيد التفخيم.

قوله: (ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) (ألا) أداة تنبيه على صحة ما بعدها، وفي إعادتها وتكريرها دليل على عظم شأن مدلولها، و(إن) حرف توكيد يعكس عناية المتكلم بالخبر واهتمامه به ورغبته في نقل هذه العناية وهذا الاهتمام إلى نفس المخاطب، وتنكير كلمة (حمى) للتفخيم وإضافتها (لله) إشعار بالجلال وتربية للمهابة إذ أن المتجرئ على هذا الحمى مرصود بعين لا تغفل ولا تنام، وقوله (ألا إن حمى الله في أرضه محارمه) استعارة تمثيلية حيث شبه المحرمات التي حرمها الله ومن يقع فيها فيستحق العقاب ومن قاربها بالدخول في الشبهات يوشك أن يقع فيها بحال حمى ملوك العرب – على عادتهم – في أنهم يحمون مراعي لمواشيها يتوعدون من يقربها، فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته خوف الوقوع وغير الخائف يقرب منها ويرعى في جوانبها، فلا يأمن من أن يقع فيها من غير اختياره فيعاقب على ذلك[1] فاستعار الحالة الثانية للأولى بجامع استحقاق العقاب بسبب تفريط أو غفلة في ارتكاب محظور في كلٍ.

وهذه الاستعارة التمثيلية التي تصوّر المحرمات بحصن لملك ذي مهابة محاط بحرس لا يغفل تتخطف كل من تجرأ عليه أو حاول الاقتراب منه، تلك الحالة النفسية التي تبنيها العبارة النبوية في وجدان المخاطبين تصبح وتمسي سداً منيعاً بينهم وبين مواقعة حدود الله، ثم تناول الحديث عن القلب، ولعل حديث الرسول ﷺ عن القلب إثر حديثه عن حدود الله؛ لأن القلوب محل استقبال الأمر الإلهي ومنها صدور ردود الأفعال سلباً، أو إيجاباً، وهي محل النزاع بين الخير والشر وموطن الصراع بين الأهواء وتجاذب

---

(١) عمدة القارى شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١/٤٣٨.

الرغبات ومنبت الأحلام والآمال، وقوله: (ألا وإن في الجسد مضغة...) (ألا) أداة تنبيه – كما سبق وأشرنا – تشير إلى أهمية ما يليها، وتكرارها في الحديث يؤكد هذه الأهمية وينادي بضرورة اليقظة والوعي من المخاطبين، وقوله (وإن) الواو عاطفة على كلام مقدر ووجه ذكر الواو في قوله: (ألا وإن في الجسد مضغة) بالنظر إلى وجود المناسبة بين جملتين نظراً إلى أن الأصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب؛ لأنه عماد الأمر وملاكه، وبه قوامه ونظامه وعليه تبنى فروعه وبه تتم أصوله، وتقديم الجار والمجرور (في الجسد) يفيد التخصيص إشارة إلى أنه ظرف حاو للقلب والمظروف دائماً أثمن من الظرف وتنكير كلمة: (مضغة) للتقليل، والكلام تعجيب من حال مضغة صغيرة في الجسم بها يتقرر صلاحه أو فساده يرتبط مصيره بمصيرها، والأسلوب بهذا النسق يثير الوجدان ويشوق النفوس لمتابعة الخبر، ولا يخفى جمال المقابلة بين قوله: (إذا صلحت صلح الجسد كله) وبين قوله: (وإذا فسدت فسد الجسد كله) التي توضح المعنى وتؤكده وتضع صورة القلب الصالح وأعضائه إزاء صورة القلب الفاسد وجوارحه حتى يتبين حسن الحسن بجوار قبح القبيح، ولذلك جاءت جملة الختام (ألا وهي القلب) تقرر تقريراً مباشراً حقيقة مبعث الخطأ والصواب حتى يعمل الإنسان على صلاح قلبه وتعهده بما يحفظه من ذكر وقراءة قرآن ودعاء وحسن توكل على الله، وهو بذلك يعالج القضية من جذورها ويصل إلى لبّها وهو القلب الذي بصلاحه يصلح – الجسد كله بل لا أكون مبالغاً إن قلت إن صلاح القلب صلاح المجتمع كله – أليس المجتمع مجموعة أجساد، داخل كل منها قلب إن صلح صلح...؟!

فقه الحديث

الشبهة في الاصطلاح: ما لم يتقين كونه حرامًا أو حلالاً، أو ما جهل تحليله على الحقيقة وتحريمه على الحقيقة أو ما يشبه الثابت وليس بثابت[(١)].

يدلّ لهذا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن المعراض[(٢)]،

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤/٢٩٠، ٢٥/٣٣٨.

(٢) المعراض: خشبة ثقيلة أو عصًا في طرفها حديدة. وقد تكون بغير حديدة هذا هو الصحيح في تفسيره. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٦٥.

فقال: إذا أصاب بحدّه فكل وإذا أصاب بعرضه[١] فقتل فلا تأكل، فإنه وقذ[٢]، وسألت رسول الله ﷺ عن الكلب؟ فقال: إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل، فإن أكل منه فلا تأكل، فإنه إنما أمسك على نفسه. قلت: فإن وجدت مع كلبي كلبًا آخر، فلا أدري أيهما أخذه؟ قال: فلا تأكل، فإنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره)[٣].

ويدل له كذلك حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: ان امرأة سوداء جاءت فزعمت أنها أرضعتهما فذكر للنبي ﷺ فأعرض عنه وتبسم النبي ﷺ قال: كيف وقد قيل؟ وقد كانت تحته ابنة أبي إهاب التميمي[٤].

ووجه الدلالة من الحديث قوله ﷺ "كيف وقد قيل؟" مشعر بأنه أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما فاحتمل أن يكون صحيحًا، فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطًا.

الثانية: ما أصله الإباحة كالطهارة إذا استوفيت لا ترفع إلا بتيقن الحدث، يدل له حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: شكى إلى النبي ﷺ الرجل يجد في الصلاة شيئًا أيقطع الصلاة؟ قال: ((لا حتّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوَ يَجِدَ رِيحاً))[٥].

الثالثة: ما لا يتحقق أصله ويتردد بين الحظر والإباحة، فالأولى تركه، يدل له حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي. ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا. ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً. فَأُلْقِيهَا))[٦] وإنما ترك ﷺ أكلها تورعًا وليس بواجب، لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم.

---

(١) أي بغير المحدد منه، السابق مج٧/١٣/٦٧.

(٢) الوقذف والموقوذ: هو الذي يقتل بغير محدد من عصا أو حجر وغيرهما. فإنه وقيذ أي مقتول بغير محدد، والموقوذة المقتولة بالعصا ونحوها، وأصله من الكسر والرض. السابق ٧/١٣/٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٧٥، ومسلم ٢٩٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٥٢.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٧، ١٧٧، ٢٠٥٦، ومسلم ٣٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم ١٠٧٠، ١٦٣.

الخامسة: ما يكره اجتنابه: ومثاله الرخص الشرعية على سبيل التنطع[١].

قال ابن رجب الحنبلي: (واختلف العلماء: هل يطيع والديه في الدخول في شيء من الشبهة أم لا يطيعهما؟ فروى عن بشر بن الحارث قال: لا طاعة لهما في الشبهة. وعن محمد بن مقاتل العبَّاداني قال: يطيعهما. وتوقف أحمد في هذه المسألة، وقال: يداريهما وأبى أن يجيب فيها)[٢].

٣- المصيب في مسائل الحلال والحرام المشتبهة المختلف فيها، واحدٌ عند الله عز وجل:

قال ابن رجب: (كلام النبي ﷺ يدل على أن هذه المشتبهات من الناس من يعلمها، وكثير منهم لا يعلمها، فدخل فيمن لا يعلمها نوعان: أحدهما: من يتوقف فيها لاشتباهها عليه. والثاني: من يعتقدها على غير ما هي عليه.

ودل كلامه على أن غير هؤلاء يعلمها، ومراده أنه يعلمها على ما هي عليه في نفس الأمر من تحليل أو تحريم، وهذا من أظهر الأدلة على أن المصيب عند الله في مسائل الحلال والحرام المشتبهة المختلف فيها واحد عند الله عز وجلّ، وغيره ليس بعالم بها، بمعنى أنه غير مصيب لحكم الله فيها في نفس الأمر، وإن كان يعتقد فيها اعتقادًا يستند فيه إلى شبهة يظنها دليلاً، ويكون مأجورًا على اجتهاده، ومغفورًا له خطؤه لعدم اعتماده)[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/١٥١-١٥٣، الإقناع ٢/٨١، وتحفة المحتاج ٧/٣٠٤، والاختيار ٤/٩٠، وفتح المبين ١١٢-١١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٢٩٠-٢٩٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/٥٣٠ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٣٤٢-٣٤٣). وانظر للمزيد من التفصيل: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٩٧-٢٠٦ شرح الحديث السادس.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٠٦ ط الرسالة.

(٣) السابق ١/٢٠٣.

المضامين الدعوية

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

لقد استخدم النبي ﷺ التوكيد في هذا الحديث فقال: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وإن لكل ملك حمى ... وإن حمى الله محارمه. وإن في الجسد مضغة" وكثرة التوكيد في هذا الحديث تدل على أهمية ما ذكر فيه. قال ابن حجر: (وقد عظم العلماء أمر هذا الحديث فعدوه رابع أربعة تدور عليها الأحكام كما نقل عن أبي داود، وفيه البيتان المشهوران، وهما:

عمدة الدين عندنا كلمات ... مسندات من قول خير البرية

اترك المشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنية

وأشار ابن العربي إلى أنه يمكن أن ينتزع منه وحده جميع الأحكام، قال القرطبي[1]: لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعلق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن ترد جميع الأحكام إليه[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية معرفة الحلال والحرام واتقاء الشبهات:

أحلّ الله الحلال وحرّم الحرام، والمؤمن يأتي الحلال ويجتنب الحرام، فإذا كانت أمور متشابهة فعليه أن يتقيها، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: "إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ".

قال ابن رجب الحنبلي: (ومعنى استبرأ : طلب البراءة لدينه وعرضه من النقص والشين. والعرض هو موضع المدح والذم من الإنسان، وما يحصل له بذكره بالجميل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤/٤٩٩-٥٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٧، وقد ساقه النووي في الأربعين النووية الحديث السادس. انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٩٣، وانظر كذلك: كلام النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

مدح وبذكره بالقبيح قدح، وقد يكون ذلك تارة في نفس الإنسان وتارة في سلفه أو في أهله، فمن اتقى الأمور المشتبهة واجتنبها فقد حصن عرضه من القدح والشين الداخل على من لا يجتنبها، وفي هذا دليل على أن من ارتكب الشبهات فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن. كما قال بعض السلف: من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن. وفي رواية للترمذي[1] في هذا الحديث: "فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم" والمعنى: أنه يتركها بهذا القصد -وهو براءة دينه وعرضه من النقص- لا لغرض آخر فاسد من رياء ونحوه)[2].

وقال النووي: (إن الأشياء ثلاثة أقسام: حلال بين واضح لا يخفى حله، كالخبز والفواكه والزيت والعسل ... وغير ذلك من المطعومات وكذلك الكلام والنظر والمشى وغير ذلك من التصرفات [فهي][3] حلال بين واضح لا شك في حله.

وأما الحرام البين كالخمر والخنزير والميتة وكذلك الزنا والكذب والغيبة والنميمة والنظر إلى الأجنبية وأشباه ذلك. وأما المشتبهات فمعناه أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها. وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك. فإذا تردد الشيء بين الحل والحرمة ولم يكن فيه نص ولا إجماع اجتهد فيه المجتهد فألحقه بأحدهما بالدليل الشرعي، فإذا ألحقه به صار حلالاً [أو حراماً]، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال البين فيكون الورع تركه ويكون داخلاً في قوله ﷺ: "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر الوقوع في الشبهات:

إن الاجتراء على فعل الشبهات أمر خطير، فقد يؤدي ذلك إلى اقتراف الحرام، فقد قال النبي ﷺ: "وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى،

---

(١) سنن الترمذي ١٢٠٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٠٣-٢٠٤.

(٣) في المطبوع: "فيها" وما أثبتناه هو الغالب على الظن أنه صحيح.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمىً، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللّهِ مَحَارِمُهُ".

قال النووي: (قال العلماء: وسبب عظم موقعه "أي الحديث" أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه وحذّر من مواقعة الشبهات وأوضح ذلك بضرب المثل ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب)[1].

قال ابن حجر: (حاصل ما فسر به العلماء الشبهات أربعة أشياء : أحدها: تعارض الأدلة. ثانيها اختلاف العلماء. وهى منتزعة من الأولى. ثالثها أن المراد بها مسمى المكروه وأن يجتذبه جانبا الفعل والترك. رابعها أن المراد بها المباح. ولا يمكن لقائل هذا أن يحمله على متساوي الطرفين من كل وجه، بل يمكن حمله على ما يكون من قسم خلاف الأولى بأن يكون متساوي الطرفين باعتبار ذاته راجح الفعل أو الترك باعتبار أمر خارج. ونقل ابن المنير في مناقب شيخه "القباري" عنه أنه كان يقول: المكروه عقبة بين العبد والحرام فمن استكثر من المكروه تطرق إلى الحرام. والمباح عقبة بينه وبين المكروه. فمن استكثر منه تطرق إلى المكروه. وهو منزع حسن. ويؤيده رواية ابن حبان من طريق ذكر مسلم إسنادها ولم يسق لفظها فيها من الزيادة: "اجعلوا بينكم وبين الحرام سترة من الحلال، من فعل ذلك استبرأ لعرضه ودينه ومن أرتع فيه كان كالمرتع إلى جنب الحمى يوشك أن يقع فيه)[2]. والمعنى أن الحلال حيث يخشى أن يؤول فعله مطلقاً إلى مكروه أو محرم ينبغي اجتنابه كالإكثار مثلاً من الطيبات، فإنه يحوج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذ مالا يستحق أو يفضي إلى بطر النفس، وأقل ما فيه الاشتغال عن مواقف العبودية، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعيان)[3].

وقال عبدالله البسام: (وقد كان السلف رضي الله عنهم يتركون المباحات اليسيرة خوفاً من

---

(١) المرجع السابق ١٠١٣.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٥٦٩، وقال محققه: إسناده حسن.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٥/١.وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٧٠/٦ - ٢٧١.

المكروه والحرام، ذلك أن من لم يتق الشبه في كسبه ومعاشه فقد عرض دينه وعرضه للطعن)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة : التشبيه والتمثيل:

يلجأ الداعية إلى التشبيه والتمثيل ليزيد المعنى وضوحاً وبياناً، وهذا واضح في قوله: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، إلا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه" ووقع عند ابن حبان، "وسأضرب لكم في ذلك مثلاً: إن الله حمى حمى ..."[٢].

وقال ابن حجر: (مثل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم)[٣]. وقال عبدالله البسام: (وهو تصوير بديع ومثال قريب)[٤].

قال ابن رجب: (هذا مثل ضربة النبي ﷺ لمن وقع في الشبهات، وأنه يقرب وقوعه في الحرام المحض، وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال: "وسأضرب لذلك مثلاً" ثم ذكر هذا الكلام، فجعل النبي ﷺ مثل المحرمات كالحمى الذي تحميه الملوك ويمنعون غيرهم من قربانه)[٥].

وقال القرطبي: (هذا مثلٌ ضربه النبي ﷺ لمحارم الله تعالى، وأصله: أنَّ ملوك العرب كانت تحمي مراعي لمواشيها الخاصة بها، وتُحرِّجُ بالتوعد بالعقوبة على من قربها. فالخائف من عقوبة السلطان يبعد بماشيته من ذلك الحمى، لأنه إن قرب منه فالغالب الوقوع وإن كثر الحذر؛ إذ قد تنفرد الفادَّة[٦]، وتشذُّ الشاذَّةُ[٧] ولا تنضبط،

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٧١/٦.

(٢) أخرجه ابن حبان ٧٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٦/١.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٧١/٦.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٧/١-٢٠٨.

(٦) أي: المنفردة. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي في (ف ذ ذ).

(٧) أي المنفردة أو الخارجة عن الجماعة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ذ ذ).

فالحذرُ أن يجعل بينه وبين ذلك الحمى مسافة بحيث يأمنُ فيها من وقوع الشاذة والفاذَّة. وهكذا محارمُ الله تعالى، لا ينبغي أن يُحوَّمَ حولها مخافةَ الوقوع فيها على الطريقتين المتقدمتين)[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة القلب:

للقلب منزلة عظيمة في الإسلام، ولذا فقد عُني الإسلام بسلامة القلب عناية كبيرة وحرص على سلامته من الآفات والعلل والأمراض التي تؤثر عليه كالنفاق والحسد والحقد، وغير ذلك، وما ذلك إلا لأن للقلب أثراً كبيراً جداً على صلاح الإنسان وفساده، وقد وضح النبي ﷺ ذلك فقال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب".

قال النووي: "في هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد... فإنه ﷺ جعل صلاح الجسد وفساده تابعاً للقلب"[٢] وقال ابن حجر: (وخص القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه، والإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه)[٣].

وقال ابن رجب: (فيه إشارة إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقاء الشبهات بحسب صلاح قلبه. فإن كان قلبه سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات. وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي

---

(١) المفهم ٤/٤٩٣. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٥٦.

والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب، ولهذا يقال: القلب ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له، منبعثون في طاعته وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة)[١].

وقال عبدالله البسام: (إن القلب هو السلطان المدير لمملكة الأعضاء وما تأتي من أعمال فعلية مدار فسادها أو صلاحها. فإن صلح القلب فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير، وسيصلح الجسد كله، وإن فسد فسيأمر بالفساد والشر، وتكون الأعمال معكوسة منكوسة)[٢].

سادساً- من مهام الداعية: البيان والإرشاد:

إن من وظائف الداعية ومهامه بيان الحقائق للمدعوين وإرشادهم لما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم، وهذا واضح من عموم الحديث، فقد بين النبي ﷺ وأرشد إلى أن الحلال بين وكذلك الحرام بين، وأرشد أن بينهما أموراً مشتبهة على المسلم أن يتقيها حتى يستبرئ لدينه وعرضه، كما أرشد ﷺ إلى وجوب صلاح القلوب. قال النووي: (أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام... قال العلماء: وسبب عظم موقعه أنه ﷺ نبه فيه على إصلاح المطعم والمشرب والملبس وغيرها، وأنه ينبغي ترك المشتبهات، فإنه سبب لحماية دينه وعرضه، وحذر من مواقعة الشبهات. وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى ثم بين أهم الأمور وهو مراعاة القلب... فبين ﷺ أن بصلاح القلب يصلح باقي الجسد وبفساده يفسد باقيه[٣]).

وقال أبو العباس القرطبي: (إنَّ الإنسان إنما شرفه الله تعالى على سائر الحيوان بهذا القلب، وأن هذا القلب لم يشرف من حيث صورته الشكلية، فإنها موجودةٌ لغيره

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦/٢١٠

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٢٧١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٣.

من الحيوانات البهيمية، بل من حيث هو مقرٌّ لتلك الخاصية الإلهية؛ لذا فإنه أشرف الأعضاء، وأعزُّ الأجزاء؛ إذ ليس ذلك المعنى موجوداً في شيء منها. ثمَّ إنَّ الجوارح مسخَّرةٌ لهن ومطيعةٌ، فما استقرَّ فيه ظهر عليها، وعملت على مقتضاه؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. وعند هذا انكشف لك معنى قوله: "إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله". ولمَّا ظهر ذلك وجبت العنايةُ بالأمور التي يصلحُ بها القلبُ، ليتَّصف بها، وبالأمور التي تفسد القلب ليتجنبها. ومجموع ذلك علومٌ، وأعمالٌ، وأحوال.

وأما الأحوال: فمراقبة الله تعالى في السرِّ والعلن، والتمكن من الاستقامة على السنن)[1].

وقال عبدالله البسام: (وبالجملة فهذا حديث عظيم جليل وقاعدة من قواعد الإسلام وأصل من أصول الشريعة عليه لوائح أنوار النبوة ساطعة ومشكاة الرسالة مضيئة، فهو من جوامع كلام النبي ﷺ ويحتاج استيفاء الكلام عليه إلى مصنَّف مستقلّ طويل)[2].

---

(١) المفهم، القرطبي ٤/٤٩٦.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٧١.

الحديث رقم (٥٨٩)

٥٨٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: ((**لَوْلاَ أنِّي أخَافُ أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَة لأَكَلْتُهَا**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

أني أخاف) بيانا لامتناع أكل التمرة لوجود الخوف من أن تكون من الصدقة، والصدقة لا تحل للنبي ﷺ، ولا لآل بيته رضي الله عنهم، وتركه لأكل هذه التمرة التي منعه تورعه، وخوفه من أن تكون من الصدقة يحمل عدة دلالات منها شدة تورعه ﷺ الذي جعل أكل التمرة أمرا مستحيلا فاستخدم (لولا) التي تدل على امتناع الوجود مهما كانت بساطة الأمر تورعا يليق به، وأيضاً تواضعا جما عكسته رغبته في أكل تمرة وجدها في الطريق، وتركه للشبهة التي أشار إليها بامتناعه عن طريق (لولا التي هي في الأصل حرف امتناع لوجود.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الصدقة على النبي ﷺ: ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم الصدقة على رسول لله ﷺ لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع. وقد نقل الخطابي الإجماع على ذلك[2].

بينما ذهب الشافعية في وجه ورواية عن الإمام أحمد إلى أنه تحرم عليه صدقة الفرض دون التطوع[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٣١ واللفظ له، ومسلم ١٠٧١/١٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٤/٣ ط السلفية.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٨٥/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٤/١٠، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد الأنصاري ٢٢٧/١٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٥١/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٧/٥.

٢-حكم الصدقة على آل النبي ﷺ: أما الصدقة على آل النبي ﷺ فقد قال أكثر الحنفية، والشافعية في الصحيح، والحنابلة، يجوز صدقة التطوع لهم دون الفريضة على حين ذهب المالكية إلى جواز صدقة التطوع مع الكراهة.

وقال أبو يوسف وأبو العباس بن سريج، تحرم عليهم أيضاً، لأن الدليل لا يفصل[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الورع.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ عدم الأكل من الصدقة.

أولاً- من صفات الداعية: الورع:

الورع من الصفات المهمة التي يجب أن يتحلى بها الداعية، لأن هذا يجعله يبتعد عن الأمور المشتبهة كما ينبئ عن إجلاله لله تعالى والخوف منه. وقد كان النبي ﷺ - وهو إمام الدعاة- أشد الناس ورعاً. وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "لولا أني أخافُ أن تكونَ منَ الصدقةِ لأكلتُها".

قال النووي: (فيه استعمال الورع، وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها بل يباح أكلها والتصرف فيها في الحال، لأنه ﷺ إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطة وهذا الحكم متفق عليه)[٢].

وقال الطيبي: (فيه تنبيه للمؤمن أن يجتنب عمّا فيه تردد واشتباه، لئلا يقع في الحرام)[٣].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن الشيء قد يجوز أن يكون مما لا يصلح فيترك احتياطاً)[٤].

---

(١) المراجع السابقة. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٦، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٣/٥-١٠٤.

(٣) شرح الطيبي على مشكاةالمصابيح، الطيبي ٤٧/٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٤/٥.

بل كان النبي ﷺ يجد التمرة على فراشه فلا يأكلها تورعاً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها))[١].

قال ابن حجر: (قال المهلب: إنما تركها ﷺ تورعاً وليس بواجب، لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم))[٢].

قال ابن القيم: (الورع أن يتوقى الحرام والشبه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه التوقي... ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشبه إما حذر حلول الوعيد وإما تعظيم الرب، وإجلالاً له أن يتعرض لما نهى عنه)[٣].

إن الورع هو أعلى درجات التقوى، وهو أرفع درجة من الزهد، فالزهد هو الامتناع عما لا ينفع إما لانتفاء نفعه أو كونه مرجوحًا لأنه مفوت لما هو أنفع منه أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، أما الورع فإنه الإمساك عما قد يضر فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يواقعه.

كما أن الزهد من باب عدم الرغبة والإرادة في المزهود فيه، والورع من باب وجود النفرة والكراهة للمتورع عنه[٤].

وقد جمع النبي ﷺ معاني الورع كلها في نص واحد فقال ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[٥] فهذا يعم الترك لما لا يعني من كلام والنظر

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم ١٠٧٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٥/٤، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٩٧/١-١٩٨.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٩٧/٢-١٩٨ بتصرف يسير، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٥/٤٣.

(٤) انظر: الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية ص ٥٠-٥٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٧).

والاستماع والبطش والمشي والفكر وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة شافية في الورع[١].

وقال ابن رجب: (وإذا حسن الإسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها فإن هذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان وهو أن يعبد الله تعالى كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه فمن عبد الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه أو على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فإنه يتولد من هذين المقامين الاستحياء من الله وترك كل ما يُستحى منه)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ عدم الأكل من الصدقة:

إن مقام النبوة مقام عظيم، والنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء، لذا كان مقامه أعظم ومنزلته أكرم، ومن هذا الإكرام أن النبي ﷺ لا يأخذ الصدقة، وهذا واضح من الحديث "لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها".

قال ابن حجر: (وفيه تحريم قليلُ الصدقة على النبي ﷺ، ويؤخذ منه تحريمُ كثيرها من باب أولى)[٣].

وقال النووي: (فيه تحريم الصدقة عليه ﷺ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع، لقوله ﷺ "الصدقة" بالألف واللام، وهي تعم النوعين ولم يقل الزكاة)[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق العلماء على أن الله تعالى قد حرم علي رسوله ﷺ أخذ شيء من صدقات الناس سواء أكانت مفروضة أو تطوعاً، كالزكاة والكفارة والنذر والتطوع؛ صيانة لمنصبه الشريف، ولأنها تنبئ عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ١٩٥/٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٨٩/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٥/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٥.

وقد أبدل الله تعالى رسوله بها الفيء الذي يؤخذ على سبيل الغلبة والقهر، المنبئ عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه. وقال ﷺ: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّدٍ . إِنَّما هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ))[1] هذا وإن تحريم الصدقات على آل البيت إنما هو لقرابتهم منه ﷺ)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٧٢ من حديث عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث رضي الله عنه. وقال النووي: (ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣] فهي كغسالة الأوساخ). شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٧٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٢٦١-٢٦٢. وانظر: غاية السول في خصائص الرسول لابن الملقن، ١٢٥-١٢٧.

الحديث رقم (٥٩٠)

٥٩٠- وعن النَّواسِ بن سمعان رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: هو النواس بن سمعان الكِلابي ويقال: الأنصاري، له ولأبيه صحبة.

قال ابن عبدالبر: يقال إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له رسول الله ﷺ وأعطاه نعليه، فقبَلَهما رسول الله ﷺ وزَوَّجه أخته فلما دخلت على النبي ﷺ تعوَّذت منه فتركها وهي الكلابية.

وقد سكن الشام وروى عنه أبو إدريس الخولاني، وأهل الشام[(٢)].

وهو راوي حديث الدجال المطوّل، وفيه: ((قلنا: يا رسول الله ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا قدره))[(٣)].

غريب الألفاظ:

حاك في صدرك: تردد فيه[(٤)].

---

(١) برقم ٢٥٥٣/١٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٧. وسيكرره المؤلف برقم ٦٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٣٠/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٣١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٥/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٣٤٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٦٤/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٤٤/٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٠-٢١٣٧.

(٤) رياض الصالحين ٢٦٧.

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يوضح، ويحدد مفهوم البر، ومفهوم الإثم اللذين عليهما مدار الحسنة، والسيئة، واللام في لفظ (البر) للجنس حتى يشمل المفهوم جميع أنواع البر، وقد عرفه الرسول ﷺ بكلمة (حسن) واللفظ يوحي بجمال في جودة، وقبول، وإضافته للخلق تضبط حركة البار بميزان المعاملة مع الله، ومع الناس ببذل نفسه في تحمل أذاهم ورده بالمعروف، وقد قابله بالأثم الذي عرفه بأنه (مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)والتعبير بالحياكة لبيان شدة الأثر في القلب مع ما يوحي به من حركة في حنايا النفس، وقوله (وكرهت) يشير إلى الشعور ببغضه، وقبحه، وتوقع رفضه، والتعبير بالإطلاع يوحي بأنه مستور، كما أنه يحتاج إلى تكلف، وتعب لمعرفته، وهذا التحديد للإثم يزيد مفهوم البر وضوحا؛ لأن النفس لا تردد فيه، ولا يكره الإنسان إطلاع الناس عليه، كما أن تعريف البر بالحسن، يتضمن وسم الإثم بالقبيح، ويترك كل مصطلح في تمام الوضوح بإزاء ضده، فإن كثيرا من أصحاب العقول الفاسدة يجد في تزييف المصطلحات، وتلبيسها على الناس سبيلا لتضليلهم، وحملهم على الباطل.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال رسول الله ﷺ عن البر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: البر وعلاماته والإثم وعلاماته.

رابعاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على معرفة الإثم بما يكتنفه من علامات.

خامساً: من مهام الداعية: تقديم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو.

سادساً: من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٥٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٥٩١).

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال رسول الله ﷺ عن البر:

إن البر من الكلمات الجامعة لمعاني الخير وأنواع الطاعات؛ لذا حرص الصحابة رضي الله عنهم أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن البر وعن علاماته وعن حَدّه. يتضح ذلك من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ فقال: "جئت تسأل عن البر؟ "وفي رواية في مسند أحمد بن حنبل، قال: ((أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البر والإثم إلاّ سألته عنه وحوله عصابة[1] من المسلمين يستفتونه، فجعلت أتخطاهم، فقالوا: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ، فقلت: دعوني فأدنو منه فإنه أحبّ الناس إليّ أن أدنو منه، قال: دعوا وابصة، ادن يا وابصة - مرتين أو ثلاثاً - قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، فقال: يا وابصة أخبرك أم تسألني؟ قلت: لا، بل أخبرني؟ فقال: جئت تسألني عن البر والإثم؟ فقال: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكت بهن في صدري ويقول: يا وابصة استفت قلبك واستفت نفسك - ثلاث مرات - البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك))[2]. وفي حديث النواس بن سمعان: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم؟[3].

قال القرطبي: (أي عمّا يبرّ فاعله فيلحق بالأبرار وهم المطيعون لله تعالى، وعما يأثم فاعلُه فيلحق بالآثمين)[4].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه: ((أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ قال: إذا سرَّتْك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن، قال: يا رسول الله، فما الإثم؟ قال: إذا حاك في نفسك شيء فدعه))[5].

---

(١) العصابة: الجماعة من الناس. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ص ب).

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٨/٤ رقم ١٨٠٠٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف جداً ٥٣٣/٢٩، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٩٤/٢.

(٣) هذا هو أصل الحديث في صحيح مسلم ٢٥٥٣.

(٤) المفهم، القرطبي ٥٢٢/٦.

(٥) أخرجه أحمد ٢٥٢/٥ رقم ٢٢١٦٦، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٩٧/٣٦، وانظر أحاديث أخرى في هذا المعنى في: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٩٤/٢-٩٦

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد أراد وابصة رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن البر فقال له النبي ﷺ بصيغة السؤال: "جئت تسأل عن البر؟" فقال: نعم. فأخبره النبي ﷺ عن البر وعن ضده وهو الإثم. وذلك للامتثال والانقياد والطاعة والفعل. فكان ذلك من أساليب الدعوة. قال القرطبي: (فأجابه النبي ﷺ بجواب جُمْليٍّ أغناه به عن التفصيل)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: البر وعلاماته والإثم وعلاماته:

إن البر له علامات والإثم له علامات، ومن المهم جداً توضيح علامات كل قسم، حتى يعرف المدعو البرّ فيفعله ويعلم الإثم فيجتنبه. وقد قال النبي ﷺ عن البر "البر حسن الخلق" وقال عن علاماته: البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب.

قال القرطبي: (قوله ﷺ "البر حسن الخلق" يعني أن حسن الخلق أعظم خصال البر، ويعني بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة والرفق في المجادلة والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان)[2].

قال ابن رجب: (إن البر يطلق باعتبارين مُعيّنين:

أحدهما: باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم، وربما خص بالإحسان إلى الوالدين، فيقال: بر الوالدين، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً... وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين.

وإذا قرن البر بالتقوى كما في قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[3]، فقد يكون المراد بالبر معاملة الخلق بالإحسان. وبالتقوى معاملة الحق بفعل طاعته، واجتناب محرماته وقد يكون أريد بالبر فعل الواجبات، وبالتقوى اجتناب المحرمات...

والمعنى الثاني من معنى البر: أن يراد به فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة

---

(١) المفهم، القرطبي ٥٢٢/٦.

(٢) المرجع السابق ٥٢٢/٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[1].

فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبه الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد والصبر على الأقدار كالمرض والفقر، وعلى الطاعات كالصبر عند لقاء العدو. وقد يكون جواب النبي ﷺ في حديث النواس شاملاً لهذه الخصال كلها، لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه. كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن"[3]، يعني أنه يتأدب بآدابه، فيفعل أوامره ويجتنب نواهيه، فصار العمل بالقرآن له خلقاً كالجبلة والطبيعة لا يفارقه، وهذا أحسن الأخلاق وأشرفها وأجملها، وقد قيل: إن الدين كله خلق.

وأما حديث وابصة فقال: "البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس"، وفي رواية: "ما انشرح إليه الصدر" وفسر الحلال بنحو ذلك في حديث أبي ثعلبة[4] وغيره، وهذا يدل على أن الله فطر عباده على معرفة الحق والسكون إليه وقبوله وركز في

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٤) حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه نصه: "قلت يا رسول الله أخبرني بما يحل لي ويحرم عليّ. فقال: البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب، وإن أفتاك المفتون" أخرجه أحمد ١٩٤/٤ رقم ١٧٧٤٢. وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٧٩/٢٩.

الطباع محبة ذلك والنفور عن ضده ... فهذا يدل على أن الحق والباطل لا يلتبس أمرهما على المؤمن البصير بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله قلبه وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه. ومن هذا المعنى قول النبي ﷺ: ((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ))[1].

يعني أنهم يأتون بما تستنكره قلوب المؤمنين ولا تعرفه. وفي قوله: "أنتم ولا آباؤكم" إشارة إلى أن ما استقرت معرفته عند المؤمنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق، وأن ما أحدث بعد ذلك مما يستنكر فلا خير فيه. فدل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه فما إليه سكن القلب وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال، وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام)[2].

رابعاً- من مهام الداعية: دلالة المدعوين على معرفة الإثم وعلاماته لاجتنابه:

إن على الداعية أن يدل المدعوين على الإثم وعلى علاماته ودلائله حتى يجتنبوه ويبتعدوا عنه، وهذا ما بينه النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم كما هو واضح في الحديثين.

قال القرطبي: (قوله: "والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلَّعَ عليه الناس" أي: الشيء الذي يؤثر نفرة وحزازة في القلب. يقال: حاك الشيءُ في قلبي: إذا رسخ فيه وثبت، ولا يحيك هذا في قلبي، أي: لا يثبتُ فيه، ولا يستقرّ. قال شمرٌ: الكلامُ الحائك: هو الراسخُ في القلب، وإنما أحاله النبي ﷺ على هذا الإدراك القلبيِّ، لما علم من جودة فهمه، وحسن قريحته، وتنوير قلبه، وأنه يدركُ ذلك من نفسه. وهذا كما قال في الحديث الآخر: "الإثم حزَّازُ القلوب"[3] يعني به القلوبَ المنشرحة للإسلام، المنوَّرة بالعلم

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٩٧-١٠١.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٢٧٧) عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه. وقال ابن الأثير: هي الأمور التي تحزّ فيها، أي تؤثر كما يؤثر الحزّ في الشيء، وهو ما يخطر فيها أن تكون معاصي لفقد الطمأنينة إليها، ... ورواه شمر "الإثم حواز القلوب" -بتشديد الواو- أي يحوزها ويتملكها ويغلب عليها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٤.

الذي قال فيه مالك: العلمُ نورٌ يقذفهُ اللهُ تعالى في القلب، وهذا الجوابُ لا يصلح لغليظ الطبع قليل الفهم، فإذا سأل عن ذلك من قلَّ فهمه فصلّت له الأوامر والنواهي الشرعية)[1].

قال ابن رجب: (وقوله ﷺ في حديث النواس: "الإثم ما حاك في الصدر، وكرهت أن يطلع عليه الناس" إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فهو عند الناس مستنكر، بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه، وهذا أعلى مراتب معرفة الإثم عند الاشتباه، وهو ما استنكره الناس على فاعله وغير فاعله. ومن هذا المعنى قول ابن مسعود رضي الله عنه: ((ما رآه المؤمنون حسناً فهو عندَ اللهِ حَسن، وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيح))[2].

وقوله في حديث وابصة وأبي ثعلبة: "وإن أفتاك المفتون" يعني: أن ما حاك في صدر الإنسان فهو إثم وإن أفتاه غيره بأنه ليس بإثم. فهذه مرتبة ثانية وهو أن يكون الشيء مستنكراً عند فاعله دون غيره، وقد جعله أيضاً إثما، وهذا إنما يكون إذا كان صاحبه ممن شرح صدره بالإيمان، وكان المفتي يفتي له بمجرد ظن أو ميل إلى هوى من غير دليل شرعي، فأما ما كان مع المفتي به دليل شرعي فالواجب على المستفتي الرجوع إليه وإن لم ينشرح له صدره. وهذا كالرخص الشرعية مثل الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاة في السفر ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من الجهال، فهذا لا عبرة به)[3].

(وأما ما ليس فيه نص من الله ورسوله ولا عمن يقتدى بقوله من الصحابة وسلف الأمة فإذا وقع في نفس المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان المنشرح صدره بنور المعرفة واليقين، منه شيء وحك في صدره لشبهة موجودة، ولم يجد من يفتى فيه بالرخصة إلا من يخبر عن رأيه، وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه، بل هو معروف باتباع الهوى، فهنا يرجع المؤمن

---

(١) المفهم، القرطبي ٥٢٣/٦.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧٩/١ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٨٤/٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٠١/٢-١٠٢.

إلى ما حك في صدره، وإن أفتاه هؤلاء المفتون)[١].

خامساً- من مهام الداعية: تقديم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو:

إن الداعية عليه أن يقدم الإجابة الواضحة الشافية للمدعو، وذلك حتى يعرف المدعو ما الذي يفعله وما الذي يتركه، وهو إذ يفعل ذلك يقتدي بالنبي ﷺ كما هو واضح من عموم هذين الحديثين، فقد بيّن النبي ﷺ البر والإثم خير بيان وشفى وكفى.

قال النووي: (قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة. وهذه الأمور هى مجامع حسن الخلق، ومعنى "حاك في صدرك" أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً)[٢].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: لا تغضب. فردد مراراً قال: لا تغضب"[٣] زاد أحمد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ، ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله[٤].

قال ابن رجب الحنبلي: (وقول الصحابي: ففكرت فيما قال النبي ﷺ فإذا الغضب يجمع الشر كله. يشهد لما ذكرناه أن الغضب جماع الشر. قال جعفر بن محمد، الغضب مفتاح كل شر. وقيل لابن المبارك: اجمع لنا حسن الخلق في كلمة. قال: ترك الغضب)[٥].

سادساً- من موضوعات الدعوة: من خصوصيات النبي ﷺ: جوامع الكلم:

النبي ﷺ أفصح العرب وأبلغهم، آتاه الله تعالى جوامع الكلم، فكان كلامه ﷺ على وجازته يجمع الكثير من المعاني التي تحتاج إلى ألفاظ كثيرة

---

(١) السابق ١٠٣/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٧٣/٥ رقم ٢٣١٧١ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٣٧/٣٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٦٣/١

لشرحها، وذلك واضح في قوله ﷺ: "البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" وكذلك حديث وابصة.

(إن هذا الحديث من جوامع الكلم، لأن البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر)[١]، وقد جعل النووي هذا الحديث من الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فجعله في الأربعين النووية برقم (٢٧)[٢].

وقال القاضي عياض: (وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع وبداعة منزع وإيجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معانٍ وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم)[٣].

وقال الكفوي: (وأسدُّ عبارات الأدباء في حدّ البلاغة وأوفاها بالغرض قولهم: البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان. فعلى هذا فكلما ازداد الكلام في المطابقة للمعنى وشرف الألفاظ ورونق المعاني والتجنب عن الركيك المستغث كان بلاغته أزيد... ورجحان بلاغة النظم الجليل إنما هو بإبلاغ المعنى الجليل المستوعب إلى النفس باللفظ الوجيز، وإنما يكون الإسهاب أبلغ في كلام البشر الذين لا يتناولون تلك الرتبة العالية من البلاغة)[٤].

---

(١) تطريز رياض الصالحين: فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله آل حمد ص ٣٩٢.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٦/١، ٩٣/٢.

(٣) الشفا ١٥٨/١. وانظر: نضرة النعيم ٤٥٩/١-٤٦١.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٢٣٦-٢٣٧.

الحديث رقم (٥٩١)

٥٩١- وعن وَابِصَةَ بن مَعبدٍ رضي الله عنه ، قَالَ: أتَيْتُ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ: ((**جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟**)) قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: ((**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وَأفْتُوكَ**)) حديث حسن، رواه أحمد والدَّارمِيُّ فِي مُسْنَدَيْهِمَا[1].

ترجمة الراوي:

وابصة بن مَعبد: هو وابصة بن معبد بن عتبة الأسَدَي، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة رهطٍ من قومه من بني أسد سنة تسعٍ، ورجع إلى بلاد قومه ثم نزل الجزيرة وسكن الرَّقة.

كان مكثراً من القراءة للقرآن الكريم متدبراً لآياته، كثير البكاء عند قراءته وعظيم الخشية عند تلاوته.

قال عنه أبو راشد الأزرق: كنت آتي وابصة بن معبد وقلّ ما أتيته إلا أصبت المصحف موضوعاً بين يديه ثم إنه كان يبكي حتى أرى دموعه قد بلّت الورق.

وقد قيل في وصفه كذلك: كان قارئاً، بكّاء لا يملك دمعه.

وقد روى أنه كان من أعوان الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز، فقد ذُكر أن عمر بعث إليه بمالٍ يقسمه بين الناس، وقال له: لا تقسمه إلا على نهر جارٍ؛ فإني أخاف أن يعطشوا.

وقد ذكر ذلك أبو علي الحراني في كتابه تاريخ الرقة، ثم قال: ولا أظن هذا إلا وهماً، لأن وابصة ما عاش إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز. وصوّب الحافظ ابن حجر في الإصابة قول أبي علي الحراني.

وقد مات وابصة في الرقة[2].

---

(١) أخرجه أحمد ١٨٠٠١، والدارمي ٢٥٧٥ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٨ وقال: رواه أحمد بإسناد حسن.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٧٦/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٦ وأسد الغابة في معرفة الصحابة ٣٩٨/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٣٧٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠/٤.

الشرح الأدبي

الحديث يحكي حوار طريفا بين الرسول ﷺ، وبين وَابِصَةَ بن مَعبدٍ رضي الله عنه يقرر في نهايته مفهوم البر، ومفهوم الإثم، وكيف يستطيع أن يفصل بينهما، وطرافة الحديث جاءت من إخبار الرسول ﷺ لوابصة رضي الله عنه بما جاء يسأل عنه قبل أن يتكلم فقال له (جئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ ؟) وهو استفهام تقريري، وأبرزه في حيز الاستفهام التقريري مبالغة في إيضاح إطلاعه عليه، وإحاطته به، وهو من معجزاته ﷺ لأنه أخبره بما في نفسه، فقال له نعم، وقول الرسول ﷺ (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفسُ، وَاطْمأنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ) الاستفتاء هو سؤال المفتي، والمقصود به هو استشعار ما في القلب تجاه الموضوع، والتعبير بالطمأنينة يوحي بالسكينة وعدم القلق وذكر النفس، والقلب يشير إلى تحقق الطمأنينة الكاملة التي تتمثل في الاقتناع العقلي مع الاقتناع القلبي ثم وضح نقيضه إمعانا في بيانه لأن الضد يصير أكثر تميزا بالمقارنة بضده وهو الإثم والتعبير بالتردد في جانبه يوحي بعدم الاستقرار، وعدم الاقتناع بالأمر وهو حال كثير من الناس في مسائل محرمة تشتهيها نفوسهم فيتردد الواحد بين الناس يسأل هذا، ويسأل ذاك، وإنما يريد أن يجد من يطيعه في هوى نفسه ويفتيه بالحل حتى أن بعضهم يلجأ إلى حكاية موضوع الفتوى بطريقة توهم المفتي حتى يحكم له بما يريد، فيذهب وفي صدره ما فيه مما يريب، وقد حذر الرسول ﷺ(وإن أفتاك الناس، وأفتوك) والجناس يؤكد المعنى، ويشير إلى كثرة المفتين لأنه نسب الإفتاء للمعرف بلام الجنس الشامل للجميع (الناس) وليس أهل العلم (خاصة) دلالة على التخبط الذي لا ينبيء عن الوصول لغاية، ولا يعتزم تحقيق الهداية.

فقه الحديث

حجية الإلهام:

الإلهام: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعث على الفعل أو الترك وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده[1].

---

(١) شرح الكوكب المنير ص ٣٢٥ ط/ السنة المحمدية، وشرح جمع الجوامع ٣٣٩/٢، ٣٤١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٨/٦).

ويتفق الأصوليون على أن الإلهام من الله تعالى لأنبيائه حق، وهو بالنسبة للنبي ﷺ حجة في حقه، كذلك هو في حق أمته، ويكفر منكر حقيقته، ويفسق تارك العمل به كالقرآن.

أما إلهام غير الأنبياء من المسلمين، فإنه ليس بحجة، لأنه من ليس معصومًا لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان فيها، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو المختار عند الحنفية، ولا عبرة بما قاله قوم من الصوفية بأنه حجة في الأحكام[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) جمع الجوامع ٣٥٦/٢، والتقرير والتحبير ٢٩٥/٣، ٢٩٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨٨/٦). وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٠٣/٢-١٠٤ شرح الحديث ٢٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٥٩٢)

٥٩٢- وعن أَبي سِرْوَعَةَ -بكسر السين المهملة وفتحها- عُقبَةَ بنِ الحارِثِ رضي الله عنه: أنَّهُ تَزَوَّجَ ابنَةً لأبي إهَابِ بن عزيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إنّي قَدْ أرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أعْلَمُ أنَّك أرضَعْتِنِي وَلاَ أخْبَرْتِني، فَرَكِبَ إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ: فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كَيْفَ؟ وَقَد قِيلَ)) فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو سروعة النوفلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى ورع الصحابة، ويعرض صورة من صور هذا الورع حدثت مع عقبة بن الحارث رضي الله عنه عندما تزوج، وأتته امرأة فَقَالَتْ: (إنّي قَدْ أرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا) وعبارة المرأة مؤكدة ب(إن) ونسبة الفعل لنفسها التي تنفي وهم الظن، أو الخطأ، وتحقيق الفعل بصياغته في الماضي، ودخول حرف التحقيق قد التي تزيده تأكيدا لتوقعها إنكار مضمون الخبر، وقول عقبة رضي الله عنه للمرأة (مَا أعْلَمُ أنَّك أرضَعْتِنِي وَلاَ أخْبَرْتِني) ظاهره إنكار قولها لعدم علمه، وقد أكده بنفي الإخبار قبل الزواج تبرئة لنفسه من التعدي (فَرَكِبَ إِلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمَدِينَةِ) كناية عن سفره للقاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشير إلى مدى عنايته بالأمر، واهتمامه به، لأن الركوب عندهم يكون عند الخطب العظيم، وقوله (بالمدينة) يشير إلى تجشمه المصاعب للوقوف على الحقيقة، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم له: (كَيْفَ ؟ وَقَد قِيلَ) استفهام إنكاري بني على الإيجاز أي كيف تستمر في زواجك بها، وقد قيل أنكما أخوان من الرضاعة ؟، وقول الراوي (فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجاً غَيْرَهُ) تشير فاء الربط إلى سرعة امتثاله للتوجيه

---

(١) برقم ٨٨.

النبوي المفهوم من الاستفهام، والتعبير بالفراق كناية عن الطلاق، ولكنه أعم منه، والطلاق مختص بفراق الزوجين، ولعله لم يعبر بالطلاق؛لأن الفراق لم يكن عن كراهة أو خلاف، وإنما مطلق فراق امتثالا لأمر الشارع وهو من شدة ورعهم رضي الله عنهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم شهادة المرأة الواحدة في الرضاع: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية إلى أنه لا يقبل في الرضاع شهادة النساء منفردات، وإنما يثبت بما يثبت به المال، وهو شهادة رجلين، أورجل وامرأتين ولا يقبل أقل من ذلك، ولا شهادة النساء بانفرادهن[(١)].

وذهب الشافعية إلى أنه يقبل في الرضاع شهادة النساء منفردات، ولا يقبل أقل من أربع نسوة، وتجوز شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين[(٢)].

وقال المالكية: يثبت الرضاع بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين مطلقاً قبل العهد وبعده، ويعمل قبل العقد في غير الرشيد بإقرار أحد الأبوين ولو أماً وأولى بإقرارهما معاً، فيفسخ إن وقع، ولا يعتبر إقرارهما بعده، وأما بعد العقد فيقبل شهادة رجل وامرأة أو شهادة امرأتين إن فشا قبل العقد، ولا يقبل شهادة أمرأة واحدة ولو فشا ذلك.

كما يثبت برجل وامرأتين ولا يشترط الفشو في ذلك، أما شهادة المرأة منفردة فلا يثبت بها الرضاع فشا أم لا، حتى لو كانت عدلاً على المشهور[(٣)].

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٤٠/٦، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٣٧/٧.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٤٢/٤، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٦٦/٧ وما بعدها.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٧٩/١٠.

أما المذهب عند الحنابلة فهو قبول شهادة المرضع المنفردة، وفي رواية: تحلف الشاهدة. وفي ثالثة لا يقبل فيه أقل من امرأتين[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستفتاء والسؤال عما قد يعرض من الأمور.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الأخذ بالورع.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا واضح من أن امرأة أتت عقبة بن الحارث رضي الله عنه فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي قد تزوّج بها، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، ثم أرسل إلى آل أبي إهاب يسألهم فقالوا: ما علمنا أرضعت صاحبتنا[٢]، ثم ركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله: فقال رسول الله ﷺ: كيف وقد قيل؟ فكان الحوار من أساليب الدعوة التي استخدمت هنا لبيان الورع وترك الشبهات.

ثانياً- من آداب المدعو: الاستفتاء والسؤال عما قد يعرض له من الأمور:

إن المدعو يعرض له في حياته ما يحتاج معه إلى سؤال الداعية، ليوضح له الصواب في الأمر، ومن ثم يكون الامتثال والانقياد، وهذا واضح من أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه ركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يسأله عما أخبرته به المرأة من كونها أرضعته هو وزوجته، قال ابن حجر: (قوله: فركب، أي: من مكة؛ لأنها كانت دار إقامته)[٣].

وقد ساق البخاري هذا الحديث في عدة مواضع من صحيحه أولها في كتاب: العلم، وجعله تحت باب: الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله[٤]، وفي رواية للبخاري:

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٧٣/١٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٢٤/١٠ وما بعدها.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٢٦٤٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٣، و ٨٨.

فَذَكَرْتُ ذلكَ لهُ، فأعْرَضَ، فَتَنَحَّيْتُ فَذَكَرْتُ ذلكَ لهُ، فقالَ: ((كيفَ وقَدْ زَعَمَتْ أَنَّهَا أَرْضَعَتْكُمَا)) فنهاه عنها[1]. قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث جواز إعراض المفتي ليتنبه المستفتي على أن الحكم فيما سأله الكف عنه، وجواز تكرار السؤال لمن لم يفهم المراد والسؤال عن السبب المقتضي لرفع النكاح)[2].

ومن هذا القبيل - قبيل الاستفتاء والسؤال عما يعرض للمدعو من الأمور- ما روته زينب رضي الله عنها امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تَصَدَّقْنَ، يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حَلْيِكُنَّ)) قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللّهِ فَقُلْتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ. وَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ. فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يَجْزِي عَنِّي وَإِلاَّ صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لِي عَبْدُ اللّهِ: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللّهِ. حَاجَتِي حَاجَتُهَا. قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ. قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلاَلٌ فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللّهِ . فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلاَنِكَ: أَتَجْزِي الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا، عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلاَ تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلاَلٌ عَلَى رَسُولِ اللّهِ. فَسَأَلَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ : ((مَنْ هُمَا؟)) فَقَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((أَيُّ الزَّيَانِبِ؟)) قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللّهِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ : ((لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ))[3].

وقال د. فاروق حمادة: "وقد شرعت لنا السنة النبوية الشريفة إذا ما نزلت نازلة في مكان أو جهة ما أو شخص أو جماعة ما من الأمة، ولم تجد لها جواباً، فلا بد لها من تَكلُّف البحث والسعي في حلّ المشكل، ولو تكلف ذلك جهداً ومالاً، وقد بوّب البخاري في صحيحه، كما فعل ذلك غيره - باب الرحلة في المسألة النازلة، وساق حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه وركوبه من مكة إلى المدينة ليسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نازلته التي حلّت به. إن المفكر المسلم وبتوجيه السنة الشريفة باحث عن الحكمة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٨/٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٦، ومسلم ١٠٠٠.

متطلع إلى آفاقها منقب عن مصادرها ومكامنها متشبع بهداها وآثارها، ولن يشبع من الخير حتى يكون منتهاه الجنة... وإن الأمة التي تتشبع بروح البحث هذه وتعمل بذلك مهما حلّ بها من مشاكل أو ادلهم في طريقها من أحداث لن تتوقف مسيرتها، ولن تعجز عن حلّها، ولن تنزوي في ركن من أركان الحياة. بل ستبقى مسيطرة على مشاكلها، مالكة لزمام أمرها، نافذة في طريقها متجددة تجدد أيام الحياة، فإذا ما ضعفت هذه الروح خارت وتراجعت"[(١)].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الأخذ بالورع:

إن الأخذ بالورع في موضعه يدل على صدق الإيمان وخشية الرحمن، كما يجنب الوقوع في الشبهات ومن ثم البعد عن الحرام والزلل، وقد أخذ بذلك عقبة بن الحارث رضي الله عنه، ففي الحديث: (ففارقها عقبة)، قال ابن حجر عن هذا الحديث: "وجه الدلالة من قوله: كيف وقد قيل؟، فإنه يشعر بأن أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما، فاحتمل أن يكون صحيحاً فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطاً على قول الأكثر. وقيل: بل قبل شهادة المرأة وحدها على ذلك"[(٢)].

وقال البغوي: "وقوله صلى الله عليه وسلم: (كيف وقد قيل؟) إشارة منه صلى الله عليه وسلم إلى مفارقتها من طريق الورع، لا من طريق الحكم، أخذاً بالاحتياط في باب الفَرْج، وليس فيه دلالة على وجوب الحكم بقول المرأة الواحدة لأن سبيل الشهادات أن تقام عند الحكام ولم يوجد ههنا إلا إخبار امرأة عن فعلها في غير مجلس الحكم، والزوج مكذب لها، وبمثل هذا لا يثبت الحكم حتى يكون دليلاً على جواز شهادة المرأة الواحدة"[(٣)].

وقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام من طريق عمر والمغيرة بن شعبة وعلي بن أبي طالب وابن عباس أنهم امتنعوا من التفرقة بين الزوجين بذلك، فقال عمر: فرق بينهما إن

---

(١) أسس العلم وضوابطه في السنة النبوية، د. فاروق حمادة ص ١٩ - ٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٣/٤.

(٣) شرح السنة ٨٧/٩ - ٨٨، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء، انظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٧١٨، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٦/٥.

جاءت بينة وإلا فخل بين الرجل وامرأته إلا أن يتنزها، ولو فتح هذا الباب لم تشأ امرأة أن تفرق بين الزوجين إلا فعلت[١]، فقوله: (إلا أن يتنزها)، هو معنى الورع"[٢].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: كل ما شككت فيه فالورع اجتنابه ثم هو على ثلاثة أقسام: واجب ومستحب ومكروه، فالواجب اجتناب ما يستلزمه ارتكاب المحرم، والمندوب اجتناب معاملة من أكثر ماله حرام، والمكروه اجتناب الرخص المشروعة على سبيل التنطع)[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٨/٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٨/٤٣، وانظر هناك: نصوص أخرى متعلقة بالموضوع نفسه.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٣/٤.

الحديث رقم (٥٩٣)

٥٩٣- وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قَالَ: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ: ((دَعْ مَا يريبُكَ إِلَى ما لاَ يَرِيبُكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

معناه: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لاَ تَشُكُّ فِيهِ.

ترجمة الراوي:

الحسن بن علي بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٥).

الشرح الأدبي

حديث الرسول ﷺ مبني على إيجاز القصر يحقق المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته وإبعاد السأم، والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال) وحديث الرسول ﷺ قليل الألفاظ كثير المعاني لأن المعنى الذي يتناوله يصلح أن يكون قاعدة كلية يتعامل بها الإنسان في مختلف مناحي الحياة، وفي أمور الدين، وقوله: (دَعْ مَا يريبُكَ إِلَى ما لاَ يَرِيبُكَ) أمر توجيه، وإرشاد والتعبير بالفعل (دع) عن معنى الترك؛ لأنه ترك في هوادة لا تعلق للنفس به، ولا جلبة حوله لأن المريب تكثر حوله الشبهات، والعاقل يستل نفسه مبتعدا عنه من غير تعلق به، وتعريفه بالموصول (ما) للإشارة إلى أن ما يتبعه من صفات حقيق بها، والتعبير بالريبة يشير إلى خفي العواقب مخيفها، وقوله (إلى ما لا يريبك) توجيه لاختيار ما صفى في العادة، والعبادة، والاعتقاد يوفر على العبد طاقته العقلية، ويجنبه خطر المخالفة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥١٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة ٢٣٤٨، وابن حبان، الإحسان ٧٢٢، وقال الحاكم ١٣/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص ٩٩/٤: سنده قويٌّ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩١. وتقدم برقم ٥٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٥٥).

الحديث رقم (٥٩٤)

٥٩٤- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ لأبي بَكر الصديق رضي الله عنه غُلاَمٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْماً بِشَيءٍ، فَأكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلامُ: تَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إلاَّ أنّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأعْطَانِي لِذلِكَ، هَذَا الَّذِي أكَلْتَ مِنْهُ، فَأدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري[1].

(الخَرَاجُ): شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤدِّيهِ كُلَّ يَومٍ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الخَرَاجَ: هو شيء يجعله السيد على عبده يؤديه كل يوم، وباقي كسبهِ يكونُ للعبد[3].

تكهَّنت: أخبرت بالغيب؛ ادّعاءً لمعرفته[4].

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الكينونة الماضي يضرب في عمق الماضي ليسترد منه قصة واقعية من نماذج الورع العليا في تاريخ الإنسانية توافق غرضا عند المتكلم، وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كَانَ لأبي بَكر الصديق رضي الله عنه غُلاَمٌ) أي عبد بينت عمله بالجناس في قولها (يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ) أي يعمل، ويعطي سيده قدرا من المال متفقا عليه، ويأخذ الباقي لنفسه، وقول الغلام (تَدْرِي مَا هَذَا؟) استفهام تنبيه، وإعلام فأجابه بسؤال (ما هو؟) عن حقيقته، وقول الغلام (كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ

---

(١) برقم ٣٨٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٢.

(٢) بنصه في الترغيب ٥٤٦/٢.

(٣) رياض الصالحين ٢٦٩.

(٤) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك هـ ن).

الكَهَانَةَ،) بين قوله تكهنت، وكهانة جناس يؤكد المعنى ويشير إلى موضع الخطأ، وقوله (وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ) يشير إلى أنها حيلة وخداع أكدها صراحة بقوله (إلاَّ أنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأعْطَانِي لِذلِكَ، هَذَا الَّذِي أكَلْتَ مِنْهُ) والإشارة للقريب تشير إلى الطعام الحاضر الذي تناوله أبو بكر رضي الله عنه وأكده تعريفه بالموصول وقوله (، فَأدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ) تعبيره بإدخال اليد مجاز للمبالغة في تصوير الفعل للخلاص من الطعام المشبوه وقوله (فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ) التعبير بكل، وإضافته للنكرة (شيء) تفيد شدة التحري، والمبالغة في تجنب الحرام، وتطهير النفس، وهو نموذج في الورع، والتقوى يرتفع مثالا بين الشرفاء في كل زمان ومكان.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التكهن وإتيان الكهانة وأخذ العوض عن ذلك: أجمع العلماء على أن التكهن، وإتيان الكهانة، والتنجيم، والضرب بالرمل، وبالشعير، والحصى، والشعوذة، حرام، تعليماً، وتعلماً، وفعلاً، وكذا إعطاء العوض أو أخذه عنها، بالنص الصحيح في حلوان الكاهن، وهو أنه صلى الله عليه وسلم (نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن)[1]، والباقي بمعناه.

كما لا يحل لأحد تصديقه لأنه كفر[2]، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ أَتى كَاهِنَاً أوعَرَّافاً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلى مُحَمَّدٍ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم ١٥٦٧ من حديث أبي مسعود البدري.

(٢) شروح مسلم للنووي ٢٣٠/١٠/٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٧/٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٨٨-٤٨٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٩٧٦، وروضة الطالبين، الإمام النووي، ٤٠٣/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٥/١٦، ورد المحتار على الدر المختار المسمى "حاشية ابن عابدين"، محمد امين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٨/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٨٦/١٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٣٥/٦ وما بعدها، وشرح منتهى والإرادات ٣٣٣/١١ وما بعدها، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥. الكفر المذكور في الحديث قال عنه السندي: هذا إن كان مستحلاً لذلك. وقيل: بل هو تغليظ وتشديد، أي عمل عَمَل من كفر. قاله السندي على حاشية مسند أحمد بن حنل ١٦٦/١٥.

(٣) أخرجه أحمد ٤٢٩/٢ رقم ٩٥٣٦، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٣١/١٥.

المضامين الدعوية

أولاً : من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

رابعاً: من آداب المدعو : تحري الحلال والبعد عن الشبهات

أولاً- من أساليب الدعوة: الحكاية:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج... إلخ، فكانت الحكاية أسلوباً لبيان ورع الصديق رضي الله عنه.

وقد أُستخدم أسلوب الحكاية بكثرة في الدعوة[1]، ومن ذلك حديث الغلام والساحر والراهب وأوله: ((كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...))[2]. والذي أفاد مدى صدق الغلام وتحمله الأذى من أجل تمسكه بدينه، حتى إنه دلّ عدوه على طريقة قتله من أجل نشر دين الله.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد وجه الغلام لأبي بكر رضي الله عنه سؤالاً: تدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ فأجابه الغلام بأنه أجر على كهانته في الجاهلية. فعرف أبو بكر رضي الله عنه عن طريق السؤال والجواب حقيقة ما أكله، فسارع بإخراجه من بطنه تنزهاً وتورعاً أو من باب الحرمة.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث جواز أكل السيد من غلة المملوك وخراجه، وعلى أن أبا بكر رضي الله عنه لم يسأل عبده هذا، الوجه الذي جاء به حتى ابتدأ العبد فذكر ذلك، فيدل على جواز أكل الرجل من غلة عبده من غير أن يسأله، وعلى ذلك فإن العبد إذا ذكر لسيده الوجه الذي جاءه بذلك منه في المقام المشتبه عليه كهذه الحالة كان العبد بذلك مثاباً عند الله عز وجل)[3].

---

(١) انظر على سبيل المثال: فهارس مسند أحمد بن حنبل ٤٨/١٧٣-١٩٣ ط مؤسسة الرسالة.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٩١ - ٩٢.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لازمه منذ إسلامه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان معه في الغار، وهو خليفته، وهو أفضل الصحابة رضي الله عنهم، فلا عجب أن يشتهر بالورع. وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها " فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه وقد وقع ذلك لأبي بكر رضي الله عنه غير مرة، قال ابن حجر: (ووقع لأبي بكر مع النعيمان أحد الأحرار من الصحابة قصة ذكرها عبدالرزاق[1] بإسناد صحيح: "أنهم نزلوا بماء، فجعل النعيمان يقول لهم: كذا وكذا فيأتونه بالطعام فيرسله إلى أصحابه، فبلغ أبا بكر خبره فقال: أراني آكل كهانة النعيمان منذ اليوم ثم أدخل يده في حلقه فاستقاءه" وفي الورع لأحمد[2] عن إسماعيل عن أيوب عن ابن سيرين "لم أعلم أحداً استقاء من طعام غير أبي بكر، فإنه أتى بطعام فأكل ثم قيل له: جاء به ابن النعيمان. قال فأطعمتموني كهانة ابن النعيمان. ثم استقاءه" ورجاله ثقات لكنه مرسل.

ولأبي بكر قصة أخرى في نحو هذا أخرجها يعقوب بن أبي شيبة في مسنده من طريق نبيح العنزي عن أبي سعيد قال: كنا ننزل رفاقاً، فنزلت في رفقة فيها أبو بكر على أهل أبيات فيهن امرأة حبلى ومعنا رجل. فقال لها: أبشرك أن تلدي ذكراً. قالت: نعم فسجع لها أسجاعاً، فأعطته شاة فذبحها وجلسنا نأكل، فلما علم أبو بكر بالقصة قام فتقيأ كل شيء أكله)[3].

وقد يكون من المناسب هنا ذكر ما كان عليه أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية من عفّة وصيانة نفس، فقد عنون السيوطي في ترجمته: فصل كان أبوبكر رضي الله عنه أعفّ الناس في الجاهلية، ساق تحته جملة من الأخبار منها: أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: والله ما قال أبوبكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.

---

(١) مصنف عبدالرزاق ٢٠٣٤٦/١١.

(٢) الورع، أحمد بن حنبل: تحقيق د. مصطفى الذهبي، مكتبة نزار مصطفى الباز ص ٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٩/٧-١٩٠، والقصة بنحوها في الورع لأحمد بن حنبل ص ٦٧.

وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت: لقد كان حرّم أبوبكر الخمر على نفسه في الجاهلية. وأخرج ابن عساكر عن عبدالله بن الزبير قال: ما قال أبوبكر شعراً قط[١].

رابعاً- من آداب المدعو : تحري الحلال والبعد عن الشبهات:

إن على المدعو أن يتحرى الحلال ويبتعد عن الأمور المشتبهة، فإن ذلك أسلم لدينه وأحفظ له، وهذا واضح من استقاءة أبي بكر الطعام، فهذا دعوة للغلام -وهو المدعو- أن يتحرى الحلال ويبتعد عن الشبهات أو المحرمات.

قال ابن حجر: (قال ابن التين: إنما استقاء أبو بكر تنزهاً لأن أمر الجاهلية وضع، ولو كان في الإسلام لغرم مثل ما أكل أو قيمته ولم يكفه القيء. كذا قال. والذي يظهر أن أبا بكر إنما قاء لما ثبت عنده من النهى على حلوان الكاهن[٢]. وحلوان الكاهن ما يأخذه على كهانته، والكاهن من يخبر بما سيكون من غير دليل شرعي، وكان ذلك قد كثر في الجاهلية خصوصاً قبل ظهور النبي ﷺ)[٣].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه ما يدل على ورع أبي بكر رضي الله عنه ولا سيما في هذه الصورة، فإن أخذ الأجر على الكهانة محرم، ثم الخديعة في ذلك محرمة، فتغلظ الأمر بأنه خدع في الحرام، فبادر أبو بكر رضي الله عنه إلى بذل جهده من كونه أخرج ما حصل في بطنه من ذلك... إلا أن هذا الحديث إن بلى بمثله مؤمن على مثل صورته، فخاف إن هو جاء على نفسه التلف، فلا يتعرض للقئ بل يستغفر الله

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ٣٠.

(٢) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن. أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم١٥٦٧. وجاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية : (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله كفر. ونهى عن أكل ما اكتسبه بالكهانة لأنه سحت، جاء عن طريق غير مشروع... وتشمل الكهانة كل ادعاء بعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ويشمل اسم الكاهن كل من يدعي ذلك من منجم وعراف وضراب بالحصباء ونحو ذلك، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٠/٧.

تعالى، إذ لا يجوز له التعرض لإتلاف نفسه)[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[٣]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[٤].

قال النووي: (وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وقد جمعت منها أربعين حديثاً في جزء. وفيه الحث على الإنفاق من الحلال والنهى عن الإنفاق من غيره، وفيه أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره)[٥].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اجتناب الشبهات على مراتب:

الأولى: ما ينبغي اجتنابه لأن ارتكابه يستلزم ارتكاب الحرام وهو ما يكون أصله التحريم كالصيد للشكوك في حل اصطياده فإنه يحرم أكله قبل ذكاته فإذا شك فيه بقي على أصل التحريم حتى يتيقن الحل.

يدل لهذا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ((سألتُ رسولَ الله ﷺ عنِ المِعْراضِ[٦]، فقال: إذا أصابَ بحَدِّهِ فكُلْ، وإذا أصابَ بعَرْضهِ فقَتَلَ فلا تأكُلْ، فإنه

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩١/١.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤٤.

(٦) صيد المعراض: موت الحيوان بفعل ضغط الآلة على جسمه لا بالجرح. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ٤١٠.

وَقِيذ[١]. قلت: يا رسولَ الله أُرسِلُ كلبي وأُسَمِّي، فأجِدُ معَهُ على الصَّيدِ كلباً آخَرَ لم أُسَمِّ عليه، ولا أدْري أيُّهما أخَذَ. قال: لا تأكُلْ، إنما سمَّيتَ على كلبِكَ ولم تُسمِّ على الآخَرِ))[٢].

ويدل له كذلك حديث أبي سروعة عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: ((أنَّ امرأةً سَوداءَ جاءت فزَعمَتْ أنها أرضعَتْهما، فذَكر للنبيِّ ﷺ، فأعرَضَ عنهُ وتَبسَّمَ النبيُّ ﷺ قال: كيفَ وقد قِيلَ؟ وقد كانت تحتَهُ ابنةُ أبي إهابٍ التَّميميّ))[٣]. ووجه الدلالة من الحديث قوله ﷺ "كيف وقد قيل؟" مشعر بأنه أمره بفراق امرأته إنما كان لأجل قول المرأة إنها أرضعتهما فاحتمل أن يكون صحيحاً فيرتكب الحرام فأمره بفراقها احتياطاً.

الثانية: ما أصله الإباحة كالطهارة إذا استوفيت لا ترفع إلا بتيقن الحدث. يدل له حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: ((شُكِيَ إلى النبيِّ ﷺ الرَّجُلُ يَجدُ في الصلاةِ شيئاً أيَقْطَعُ الصلاةَ؟ قال: لا، حتّى يَسمَعَ صَوتاً أو يَجِدَ رِيحاً))[٤]. ومن أمثلته من له زوجة وشك هل طلق فلا عبرة لذلك وهي باقية على عصمته.

الثالثة: ما لا يتحقق أصله ويتردد بين الحظر والإباحة فالأولى تركه. يدل له حديث أنس رضي الله عنه قال: ((مرَّ النبيُّ ﷺ بتمرةٍ مَسْقوطةٍ فقال: لولا أن تكونَ صَدَقةً لأكَلتُها))[٥]. وإنما ترك ﷺ أكلها تورعاً وليس بواجب لأن الأصل أن كل شيء في بيت الإنسان على الإباحة حتى يقوم دليل على التحريم.

الرابعة: ما يندب اجتنابه. ومثاله عند بعض الفقهاء اجتناب معاملة مَنْ الأقلُّ من ماله حرام.

الخامسة: ما يكره اجتنابه ومثاله: اجتناب الرخص الشرعية على سبيل التنطع[٦].

---

(١) وقيذ: فعيل بمعنى مفعول، أي موقوذ، والموقوذة: المقتولة بالخشب، كانوا في الجاهلية يضربونها بالعصا. فإذا ماتت أكلوها. معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٥٤، ومسلم ١٩٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٥٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٥٦، ومسلم ٣٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٥٥، ومسلم ١٠٧١.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٣٤٢-٣٤٣ ومصادرها ومراجعها. والتنطع: تنطع في الشيء: غالى وتكلّف فيه وتعمق. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ط ع).

الحديث رقم (٥٩٥)

٥٩٥- وعن نافِع: أن عُمَرَ بن الخَطّاب رضي الله عنه كَانَ فَرَضَ لِلمُهَاجِرينَ الأَوَّلِينَ أرْبَعَةَ الآفٍ[١]، وَفَرَضَ لابْنِهِ ثَلاثَة آلافٍ وَخَمْسَمئَةٍ، فَقيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المُهَاجِرينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ[٢]؟ فَقَالَ: إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أبُوهُ[٣]. يقول: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري[٤].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

فرض: أي أوجب وقطع من العطاء[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور ورع أولى الأمر، وعدالتهم، وتحريهم الحق حتى مع أقرب الناس إليهم، وهذه القصة لعمر رضي الله عنه تؤكد ذلك عمليا حيث خالف في فرض ابنه ما فرض للناس نقصا، وليس زيادة، وهو ما أثار سؤال من حوله (هُوَ مِنَ المُهَاجِرينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ ؟) استفهام يبحث عن العلة، ويحمل تعجبا بسبب النقص، وقول عمر رضي الله عنه (إنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أبُوهُ) أسلوب قصر يقصر الهجرة به على أبوه لا على نفسه، ويشير إلى أنه كان يوم الهجرة صغيرا دون البلوغ، وبذلك رأى أنه لا يستحق فرض المهاجر بنفسه، وهو ما وضحه بقوله (لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ) لم يسو بين المهاجر بنفسه، والمهاجر تبعا لوالديه، وهذا النموذج في الورع، والتحري لكل من تولى أمرا من أمور المسلمين ألا يميز أولي القرابة عن غيرهم من المسلمين، فإنهم مسئولون عنهم في يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا مولود عن والده.

---

(١) عند البخاري زيادة: (في أربعة)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه ١٣٨/١، رقم ٧٦.

(٢) عند البخاري زيادة: (من أربعة آلاف).

(٣) لفظ البخاري: (أبواه) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٤) برقم ٣٩١٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ض).

فقه الحديث

يستحبّ للإمام أن لا يخص أحدًا من أهل بيته أو ممن ينتمي إليه بمنفعة من مال الله لمكانة منه. لأن هذا مما ينبغي أن يتورع منه الحاكم ويبالغ في التوقي منه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه من الأمور.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: منزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورعه.

رابعاً: من صفات الداعية: العدل وعدم المحاباة في الحق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم:

المهاجرون هم الجيل الأول من الصحابة الذين أسلموا وتحملوا من الأذى ما تحملوا وثبتوا على إسلامهم ثبات الجبال، وضحوا بالأهل والمال من أجل نصرة دين الله، ومن ثم فلا عجب أن كانت لهم المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم وعند الخلفاء الراشدين من بعده، وعند المسلمين جميعاً. وهذا واضح من فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمهاجرين الأولين أربعة آلاف. وفي رواية عن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَتَبَ الْمُهَاجِرِينَ عَلى خَمْسَةِ آلاَفٍ، وَالأَنْصَارَ عَلى أَرْبَعَةِ آلاَفٍ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ عَلى أَرْبَعَةِ آلاَفٍ))[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]. وقال سعيد بن المسيب عن السابقين الأولين: هم الذي صلُّوا

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي ٤٧٢/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١١/١٢ برقم ١٢٩٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

القبلتين جميعاً، وهم أهل بدر[١].

وقد قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[٢] قال السعدي: (قد هجروا المحبوبات والمألوفات من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال رغبة في الله ومحبة لرسول الله ﷺ. فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة)[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (قال الشافعي: كان المسلمون مستضعفين بمكة زماناً، لم يؤذن لهم فيه بالهجرة منها، ثم أذن الله عز وجل بالهجرة منها...)[٤]. فكانت الهجرة في أول الإسلام مندوباً إليها غير مفروضة (ثم أذن الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة، ولم يحرم في هذا على من بقي بمكة المقام بها وهي دار شرك، وإن قلّوا بأن يفتنوا، ولم يأذن لهم بجهادٍ، ثم أذن الله عز وجل لهم بالجهاد، ثم فرض بعد هذا عليهم أن يهاجروا من دار الشرك)[٥].

وقال البغوي: (فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة أمروا بالهجر والانتقال إلى حضرته ليكونوا معه، ويتظاهروا إن حزبهم أمر، وليتعلموا منه أمر دينهم، وقطع الله الولاية بين من هاجر من المسلمين وبين من لم يهاجر، كما قال جلّ ذكره: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٤٩٥/٧)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في المعرفة.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٧، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨. وخدمة أتباعه إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام؛ فعن أنس

(٤) الأم، الإمام الشافعي ص ٧٦٠.

(٥) السابق: الموضع نفسه.

يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾[١])[٢].

وقد أكد هذا المعنى أبو الوليد بن رشد حيث قال: فكانت الهجرة إلى النبي ﷺ قبل فتح مكة على من أسلم من أهلها واجبة مؤبدة، افترض الله عليهم فيها البقاء مع رسول الله ﷺ حيث استقرّ. والتحول معه حيث تحوّل، لنصرته ومؤازرته وصحبته، وليحفظوا عنه ما يشرعه لأمته. ويبلغوا ذلك عنه إليهم، ولم يرخص لأحد منهم في الرجوع إلى وطنه وترك رسول الله ﷺ ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: ((لا يُقيمَنَّ مُهَاجِر بِمَكَّةَ، بَعْدَ قَضَاءِ نُسُكِهِ، فوق ثَلاَث))[٣]، خص الله بهذا من آمن من أهل مكة بالنبي ﷺ وهاجر إليه، ليتم له بالهجرة إليه والمقام معه وترك العودة إلى الوطن الغاية من الفضل الذي سبق لهم في سابق علمه، وهم الذين سماهم الله بالمهاجرين، ومدحهم بذلك، فلا ينطلق هذا الاسم على أحدٍ سواهم)[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه من الأمور:

إن من طرق العلم السؤال، والمدعو عليه أن يسأل إذا عرض له أمر يشكل عليه ولا يعلم حقيقته، وهذا واضح من قول الراوي: فقيل له: هو من المهاجرين فلم نقصته؟ فقال: إنما هاجر به أبواه. يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه.

وبهذا السؤال زال الإشكال، ووضح عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأساس الذي أَنقَص به ابنَه عبدالله رضي الله عنهما من العطاء. جاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبيّن والتعلم عما تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه)[٥].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٧٢.

(٢) شرح السنة ٣٧٢/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٣٣، ومسلم ١٣٥٢ واللفظ له من حديث العلاء بن الحضرمي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "للمهاجر إقامة ثلاث بعد الصدر بمكة" كأنه يقول لا يزيد عليها. وخدمة أتباعه إضافة إلى ما في السخاء من تأليف القلوب وإقبالها على الدعوة وذلك من الأساليب التي انتهجها الإسلام؛ فعن أنس

(٤) المقدمات الممهدات لابن رشد ١٥٢/٢، نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٩/٤٢-١٨٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: منزلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وورعه:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الفاروق، له المناقب العظيمة والمواقف الشريفة، كان ورعاً أشد ما يكون الورع، أنقص ابنه عبدالله بن عمر عن بقية المهاجرين الأوائل في العطاء معللاً ذلك بقوله: "إنما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه" قال ابن حجر: (المراد أنه كان حينئذ في كنف أبيه، فليس هو كمن هاجر بنفسه، وكان لابن عمر حين الهجرة إحدى عشرة سنة)[1].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على ورع عمر رضي الله عنه وشدة محاسبته لنفسه في أمر الله عز وجل، فإنه نظر في ذلك من هاجر بنفسه فإن له فضلاً على من هاجر مع أبيه من حيث إنه قد كانت لهجرة أبيه مماسة أو حصة في هجرته فقد قدّرها بسهم من ثمانية... وقيمة ذلك خمسمائة)[2].

وفي أثر أنس بن مالك رضي الله عنه السابق: ((أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه كَتَبَ المهاجرينَ على خَمْسَةِ آلافٍ، والأنصارَ على أربعةِ آلافٍ، ومَنْ لَمْ يَشْهَدْ بدراً من أبناءِ المهاجرينَ على أربعةِ آلافٍ، فكانَ مِنْهُمْ عُمَرُ بنُ أبي سَلَمَةَ بنِ عبدِ الأسد المخزوميُّ وأسامةُ بنُ زيدٍ ومحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ جحشٍ الأَسَدِيُّ وعبدُ الله بنُ عُمَرَ، فقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ: إنَّ عبدالله ليسَ مثل هؤلاءِ، إن عبدالله من أمره من أمره! فقالَ عبدالله بنُ عُمَرَ لعمر: إنْ كانَ حقاً لِي فأَعْطِنِيهِ، وإلا فلا تعطنيه، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: فاكتبني على أربعة آلاف وعبد الله على خمسة آلاف، والله لا يجتمع أنا وأنت على خمسة آلاف، فقال عبد الله ابن عمر: إن كان حقًا فأعطنيه وإلا فلا تعطنيه))[3].

قال ابن الأثير عن عمر: (وأدرّ العطاء على الناس، ونزل نفسه بمنزلة الأجير وكآحاد المسلمين في بيت المال، ودوّن الدواوين، ورتب الناس على سابقتهم في العطاء

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩٩/٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٣/١ - ١٩٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، ٣١١/١٢ رقم ١٢٩٢٦.

والإذن والإكرام، فكان أهل بدر أول الناس دخولاً عليه، وكان عليٌّ أولهم وكذلك فعل بالعطاء)[١].

قال السيوطي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أسلم في السنة السادسة من النبوة، وله سبع وعشرون سنة قاله الذهبي: وقال النووي: ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم -أو بينهم وبين غيرهم- بعثوه سفيراً، أي رسولاً، وإذا نافرهم منافراً أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً أو مفاخراً. وأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة... وهو أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار النبي عليه الصلاة والسلام وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم)[٢].

رابعاً- من صفات الداعية: العدل وعدم المحاباة في الحق:

لقد أنقص عمر بن الخطاب ابنه رضي الله عنهما في العطاء ولم يساوه مع المهاجرين الأوائل، وعلل ذلك إنه لم يهاجر بنفسه وإنما هاجر به أبواه، فاعتنيا به وأنفقا عليه، بل رُوي عن عمر أنه فضل أسامة بن زيد في العطاء على ابنه عبدالله رضي الله عنهما، فقال له عبدالله: فرضت لأسامة ثلاثة آلاف وخمسمائة وما هو أقدم مني إسلاماً ولا شهد ما لم أشهد. فقال عمر: لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وكان أسامة بن زيد أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، فذلك زدته عليك خمسمائة[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كَانَ عُمَرُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ إِلى أَهْلِهِ: فقال: لاَ أَعْلَمَنَّ أَحَداً وَقَعَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ إِلاَّ أَضْعَفْتُ لَهُ الْعُقُوبَةَ))[٤].

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٥٩/٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٠١-١٠٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣١١/١٢ برقم ١٢٩٢٤ عن ابن جريج.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢٨٩/٣ بإسناد فيه الواقدي.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ عن عمر بن الخطاب ﷺ: ((فأَمَّر [أي أبوبكر] علينا عمر، فقام فينا بأَمر صاحبيه، لا ننكر منه شيئاً، نعرف فيه الزيادة كل يوم في الدين والدنيا، فتح الله به الأَرضين، ومَصَّرَ به الأَمصار، لا تأْخذه في الله لومة لائم، البعيد والقريب سواءٌ في العدل والحق، وضرب الله بالحق على لسانه وقلبه، حتى إن كنا لنظن أَن السكينة تنطق على لسانه، وأَن ملكاً بين عينيه يُسَدِّده ويوفقه))[1].

قال الدكتور مصطفى السباعي: (ومع شدة عمر في الحق، كانت له رحمة بالشعب، من ضعفاء، وفقراء، وعطف على الرعية، قلَّ أن نجد له مثيلاً في التاريخ. ولما خاف المسلمون من أن يشتد عليهم في ولايته، خطب فيهم فكان مما قاله: اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت[2]، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد، فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحداً يظلم أحداً أو يعتدي عليه، حتى أضع خده على الأرض، وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن بالحق. وإني بعد شدتي تلك أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف.

تلك هي رحمة عمر، رحمة القوي الحازم العادل، بمن يستحق الرحمة، رحمة الحاكم الناصح لأمته ودينه. وبذلك كان يعسُّ في الليل والناس نيام، يتفقد المنقطعين والمعوزين والبائسين. ولعلكم جميعاً تعرفون قصته مع المرأة التي كان تدق لأطفالها الجياع على الحصى، وتوهمهم أنها تطبخ لهم، حتى يسكتوا ويناموا، حتى إذا جاء عمر ورأى ما رأى حمل بنفسه الطحين والسمن، وطبخ بيده الطعام، وأطعم الأولاد حتى شبعوا ولعبوا.

ولعل أروع مآثر عمر في الرحمة بالشعب، موقفه عام الرمادة، وقد كان ذلك في سنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس في الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت

---

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٤/١٥٦-١٥٧.

(٢) تضاعفت وازدادت.

الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات. واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرة والطعام، ففعلوا، وكانت سنة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، واسودَّ لونه، حتى قالوا: لو لم يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًّا بأمر المسلمين.

ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئاً، وإنما كان يأكل الزيت والخبز الأسود، وكان يقول: لقد آليت على نفسي ألا آكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعا)[1].

(١) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفى السباعي ص ١٣٧-١٣٩.

الحديث رقم (٥٩٦)

٥٩٦- وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْديِّ الصحابيِّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : **((لاَ يَبْلُغُ الْعَبدُ أنْ يَكُونَ منَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ))** رواه الترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عطية بن عروة السعدي: هو عطية بن عروة السعدي وقيل غير ذلك في اسم أبيه. وهو من بني سعد بن بكر وقيل غير ذلك.

أسلم ووفد مع قومه إلى المدينة وكان أصغرهم، ولاطفه النبي ﷺ ، فكلمه بلغة قومه التي تقلب العين نوناً ، فتقول في المعطية -المنطية. قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أناس من بني سعد بن بكر وكنت أصغر القوم، فخلفوني في رحالهم ثم أتوا رسول الله ﷺ فقضى حوائجهم ثم قال هل بقي منكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله غلام منا خلفناه في رحالنا فأمرهم أن يبعثوا إليه، فأتوني فقالوا: أجب رسول الله ﷺ فأتيته فلما رآني قال: ما أغناك الله فلا تسأل الناس شيئاً، فإن اليد العليا هي المنطية واليد السفلى المنطاة وإن مال الله مسؤول ومنطي. فكلمني رسول الله بلغتنا[2].

ولما حارب النبي ﷺ قبيلة هوازن في حنين وهزمهم وأسر منهم كلمه عطية في سبيهم أن يطلق سراحهم ويمنَّ عليهم.

نزل الشام، وله ثلاثة أحاديث، وهو جد عروة بن محمد بن عطية كان من ولاة عمر بن عبدالعزيز استعمله على اليمن، وكان من صالح الولاة[3].

---

(١) برقم ٢٤٥١ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وقال ابن رجب في الفتح ١٦/١: في إسناده بعض مقال. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه ابن سعد وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ١١٦٨ والطبراني في الكبير ٤٤٢/١٧ والحاكم ٣٢٧/٤ وابن عبدالبر في الاستيعاب، وحسّنه محقق الاستيعاب.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٣٠/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٧٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٣/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٩١٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٤/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١١٥/٣).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقرر معنى لا يتوقع له معارضا في هدوء، وثقة شأن أكثر الأساليب الخبرية، وهو حديث قصير بليغ قام على أسلوب النفي الذي يقرر أن منزلة المتقين لها أعمال ترتقي بها درجة غيرها من المنازل تستلزم درجة من الحساسية تجاه الحرام تجعله دائما تاركا لما فيه أدنى شك فهو لا يبتعد عن الحرام فقط، ولا عن المشتبه بالحرام، بل إنه قد يترك ما هو حلال إذا ظن أنه قد يؤدي إلى الحرام أو المشتبه به، وقد دل على ذلك بقوله (حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأسَ بِهِ، حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأسٌ) قوله (ما لا بأس به) كناية عن الحلال البين، والتعبير بـ(حتي) لبيان المدي الذي يصل به العبد هذه الدرجة، وكلمة (حذرا) التي تصور التوجس، والخيفة من الحرام كما يخاف الإنسان وحوش الليل في البرية، قال الطيبي: إنما جعل المتقي من يدع ذلك لذلك لأن المتقي لغة اسم فاعل من وقاه فاتقى، والوقاية فرط الصيانة، وشرعا من يقي نفسه تعاطي ما يستوجب العقوبة من فعل، أو ترك، والحديث بإشارته إلى هذه المنزلة يقرر أن الناس درجات فليس كل الناس مسلمين، وليس كل المسلمين مؤمنين، وليس كل المؤمنين متقين، وليس كل المتقين أبرارا، وليس كل الأبرار مقربين، والمقربون منهم الشهداء، والصديقون، والأنبياء، وكل له مقام معلوم، فأين تتوقع أنت أن تكون منزلتك ؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التقوى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الورع.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

لقد بين النبي ﷺ درجة المتقين، وأن العبد لا يبلغ هذه الدرجة حتى (يترك فضول الحلال -كما قال المناوي- حذراً من الوقوع في الحرام)[1].

---

(١) كما في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٨/٢.

ومن هذا القبيل يمكن الاستشهاد كذلك بقوله ﷺ عن مكان التقوى: ((التَّقْوَى ههُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ))[١] قال النووي: (معنى الرواية: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته، ومقصود الحديث أن الاعتبار في هذا كله بالقلب)[٢].

ومن قبيل بيان النبي ﷺ للحقائق ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((أصدَقُ كلمةٍ قالَها الشاعر كلمةُ لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا الله باطلُ))[٣].

قال أبو العباس القرطبي: (الباطل هنا: أراد به: المضمحلّ، المتغيِّر؛ الذي هو بصدد أن يهلك، ويتلف. هذا نحو من قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٤]. ولا شكَّ في أنَّ هذه الكلمات أصدقُ ما يتكلَّم به ناظمٌ به ناظمٌ أو ناثرٌ؛ لأن مقدمتها الكليَّة مقطوعٌ بصحَّتها وشمولها عقلاً ونقلاً، ولم يخرج من كليتها شيءٌ قطعاً إلا من استثني فيها، وهو: الله تعالى؛ فإنَّه لم يدخل فيها قطعاً؛ فإنَّ العقلَ الصَّريح قد دل على أن كل ما نشاهده من هذه الموجودات ممكنٌ في نفسه، متغيِّرٌ في ذاته، وكل ما كان كذلك كان مفتقراً إلى غيره، وذلك الغير إن كان ممكناً متغيراً كان مثل الأول؛ فلابدَّ أن يستندَ إلى موجودٍ لا يفتقر إلى غيره، يستحيل عليه التغيُّر، وهو المعبَّر عنه في لسان النظَّار: بواجب الوجود. وفي لسان الشرع: بالصمد المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾[٥]، وبقوله: ﴿...ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[٦]. وعند الانتهاء إلى هذا المقام يفهم معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[٧])[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٢) شرح النووي ١٥٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨٤١، ومسلم ٢٢٥٦.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٥) سورة الإخلاص، الآيتان: ١، ٢.

(٦) سورة النور، آية: ٢٥.

(٧) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٨) المفهم ٥/٥٢٧-٥٢٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٨٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التقوى:

إن منزلة التقوى منزلة لا ينالها إلا المؤمنون الصادقون المخلصون الورعون، الذين قد يدعون ويتركون بعض المباح خوفاً من الوقوع في الحرام، وهذا قد بينه النبي ﷺ بقوله: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذراً مما به بأس".

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (لا يبلغ العبدُ حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر)[١] وذكر ابن تيمية قول ابن عمر هذا بلفظ: (لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال)[٢] قال ابن حجر: (المراد بالتقوى وقاية النفس عن الشرك والأعمال السيئة والمواظبة على الأعمال الصالحة... وقد أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى عن أبي الدرداء قال: تمام التقوى أن تتقي الله حتى تترك ما ترى أنه حلال خشية أن يكون حراماً)[٣].

قال الطيبي: (إنما جعل المتقي من يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس؛ لأن المتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم: وقاه فاتقى، والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واقٍ. وهذه الدابة تقي من وجاها، إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقةِ الحافر، فهي تقي حافرها أن يصيبها أدنى شيء يؤلمه، وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.

وقيل: التقوى على ثلاث مراتب:

الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبري من الشرك كقوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤].

---

(١) علقه البخاري في صحيحه في أول باب في كتاب الإيمان ص ٢٥ وبعده الحديث رقم ٨. وقال الحافظ ابن حجر: ولم أره إلى الآن موصولاً.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/١٥ دون أن يعزوه لابن عمر.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٣/١.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٦.

والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعلٍ أو تركٍ حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع. والمعنيُّ بقوله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾[١].

والثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق، ويتبتل بشراشره[٢] إلى الله. وهو التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٣] والحديث وإن استشهد به للمرتبة الثانية، فإنه يجوز أن ينزل على المرتبة الثالثة)[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الورع:

إن الورع من الوسائل الموصلة إلى التقوى، لذا بيّن الحديث أهمية الورع بأن جعل العبد لا يصل إلى درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس، قال المناوي: (أي يترك فضول الحلال حذراً من الوقوع في الحرام)[٥].

وقال د. الحسيني عبدالمجيد هاشم: (من شرائط التقوى توقي الشبهات وترك الحلال المشتبه فيه إذا جرّ إلى الحرام، أو ارتبط به ارتباطاً وثيقاً، وذلك طريق الارتقاء والكمال. وفي الحديث الحث على كمال المراقبة والابتعاد عن الحرام وما يجرّ إليه)[٦].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يفعلون ذلك: قال ابن عمر رضي الله عنهما: إني لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترة من الحلال ولا أخرمها[٧]. وقال سفيان بن عيينة: لا يصيب العبد حقيقة الإيمان حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابه منه[٨].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

(٢) الشراشر: أطراف الأجنحة والجسم بجملته. الواحدة: شُرْشُرَة وقالوا: ألقى عليه شراشره: أعباءه وهمومه أو ألقى عليه نفسه حرصاً ومحبة. الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٧٨.

(٣) سورة آل عمران، آية:١٠٢.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٢٤/٦.

(٥) كما في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩١٨/٢.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ٣٧٤.

(٧) كتاب الورع، أحمد بن حنبل ص ٤٨.

(٨) المرجع السابق ٤٧.

وقال الحسن البصري[١]: إن أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم لله في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي همُّوا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا. وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها على غير محاسبة فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر. ثم قرأ: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾[٢].

وقال ابنُ تيمية مبيناً فائدة ترك بعض الحلال للخروج من التعود على المعصية يقول: (وذلك لأن النفوس إذا اعتادت المعصية فقد لا تنفطم عنها انفطاماً جيداً إلا بترك ما يقاربها من المباح كما قيل: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال")[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب رسول الله ﷺ في التقوى والوصول إليها بأن جعل طريق ذلك ترك فضول الحلال حذراً من الوقوع في الحرام والإثم. ولاشك أن المتقين لهم عند الله مكانة كبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[٤] وجعل الله جزاءهم الجنة: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[٥]. فكان الحديث حضاً وترغيباً على ترك بعض المباح من أجل الوصول إلى درجة المتقين الفائزين في الدنيا والآخرة.

---

(١) السابق ص ٢٩.

(٢) سورة الكهف، آية:٤٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/١٥.

(٤) سورة الحجرات، آية:١٣.

(٥) سورة الرعد، آية:٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

أولاً- التربية على الورع وترك الشبهات:

إن التربية على الورع وترك الشبهات من أهم جوانب التربية الخلقية التي تعتني التربية الإسلامية بغرسها في نفوس المتربين،ومن ثَمَّ وجب على المشتغلين بالتربية من الدعاة والمعلمين والآباء الاهتمام بتعميق قيمة الورع وتأصيلها، وأحاديث الباب الذي معنا تؤكد على هذا الجانب، ومنها "إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه..."، وحديث: "دع ما يريبك إلى مالا يريبك"، وحديث: «لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَالاَ بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ البَأْس». وغير ذلك.

"إن الورع هو ترك ما يريبك، ونفي ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحمل النفس على الأشق، وقيل: هو ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا.

وقال سفيان الثوري: عليك بالورع يُخفف اللهُ حسابك، ودع ما يريبك إلى مالا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك، وقال يونس بن عبيد الله: الورع الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة عين، وقال خالد بن معدان: من لم يكن له حِلْم يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه فلا حاجة لله فيه" [(١)].

فالواجب على المربين أن يغرسوا في نفوس المتربين أن الورع وترك الشبهات إنما يكون لأجل الله تعالى، وتعظيمًا له، وخوفًا منه سبحانه.

قال ابن القيم: "والورع أن يتوقى الحرام والشُّبَه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي. والتوقي فعل الجوارح، والحذر فعل القلب، ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشُّبَه: إما حذر الوعيد وإما تعظيم الرب -جلا جلاله- وإجلالاً له أن

---

(١) الموسوعة "الأم في تربية الأولاد في الإسلام"، د. أحمد مصطفى متولي، ص١/٧٣٥.

يتعرض لما نهي عنه، فقد يتوقى العبد شيئًا لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمور أخرى، من إظهار نزاهة وعزة وتصوف أو اعتراض آخر كتوقي الذين لا يؤمنون بمعاد ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة تصونًا عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقعتها، وطلبًا للمحمدة ونحو ذلك"[١].

ثانيًا- التربية عن طريق التشبيه:

إن من أساليب التربية المؤثرة في نفوس المتربين التربية عن طريق التشبيه، وفي أحاديث الباب استعمل النبي ﷺ أسلوب التشبيه في إيضاح المقصود، وبيان المراد، وذلك في قوله ﷺ: " وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ...".

وما من شك في "أن الصورة المحسوسة أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد وتبرز الأجزاء، وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين، أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء زاهية الألوان نابضة بالحركة، ولهذا كان أسلوب التشبه من أساليب البلاغة القرآنية أو البلاغة النبوية.

إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة وتدرسها وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حكمك بعيدًا عن الخطأ قريبًا من الصواب" [٢].

ثالثًا- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

يعتبر أسلوب القدوة والممارسة العملية من أنجح الأساليب التربوية المؤثرة في سلوك الآخرين، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية على الورع وترك الشبهات من خلال أسلوب القدوة والممارسة العملية ما جاء عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق، فقال: لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها".

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ٢/٢٣.

(٢) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، د. محمد أحمد جاد صبح، ١/١٢٥.

"والتربية بالقدوة تطبيق عملي يثبت القدرة والاستطاعة الإنسانية على التخلي عن الانحرافات، والتحلي بفضائل الأعمال والأقوال، فهي تنقل المعروف من الحيز النظري إلى الجانب التطبيقي المؤثر فتلامس بها الأبصار والآذان والأفئدة، فيحصل الاقتناع والإعجاب ثم التأسي. والمشاهدة العينية للسلوك المراد تربية الإنسان عليه أقوى وأبلغ في التأثير من أسلوب المقال لأن مشاهدة السلوك تبين وتترجم إمكانية التطبيق وتعطي قناعة بذلك، وتؤكد أهمية الأخذ به" [(١)].

رابعًا- التربية بالقصة:

من وسائل التربية المؤثرة التربية من خلال القصة لما لها من أثر على النفوس، ومما جاء في أحاديث الباب التربية على الورع وترك الشبهات من خلال القصة، ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج..." وما جاء عن نافع: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان فرض على المهاجرين الأولين...".

"إن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي، يقع لأشخاص غير قارئي القصة أو مستمعيها، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وقارئ القصة أو مستمعها يضع نفسه مع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، ومنهج التربية الإسلامية يدرك الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب فيستغلها كوسيلة من وسائل التربية والتقويم" [(٢)].

ويجب على المربين استعمال القصة في توجيه المربين، وغرس القيم والفضائل في نفوس الناشئة، واستغلال تأثيرها على المتلقين.

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت عدة أساليب تربوية، في أحاديث الباب يستفاد منها في التعليم والتربية، ما يلي:

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) انظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص٤٤١، ٤٤٢.

أ-الإلقاء: كقوله ﷺ: ((إنَ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَن كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ...)) الحديث، وأسلوب الإلقاء يمَكّن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات على المتعلمين في وقت قصير، وهو يناسب المراحل العليا من التعليم، كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

ب-التربية بالمواقف: كما في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ وجد تمرة في الطريق، فقال: ((لَوْلاَ أَني أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأَكَلْتُهَا))، وقد استثمر النبي ﷺ هذا الموقف بأحسن ما يكون وعلّم أصحابه الورع وترك الشبهات. وكذلك على المربي البارع ألا يترك المواقف تمر من بين يديه دون أن يغرس قيمة تربوية مهمة أو يزرع سلوكًا طيبًا في نفوس المتعلمين، وما أكثر المواقف التي تقع في الحياة بصفة يومية، كما أن التربية بالمواقف يظل أثرها باقيًا في نفوس المتعلمين.

ج-المناقشة والحوار: كما في حديث أبي سِرْوعة عقبة بن الحارث رضي الله عنه ((أنَّه تَزوَّجَ ابنةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ فأتَتْهُ امرأةٌ فقالَتْ: إنِّي قد أرضَعتُ عُقبة والتي تَزوَّجَ بهَا...)) الحديث، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يُفعِّل فيها دور المتعلم كما أنه أسلوب يتميز بقوة بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

٦٩- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان

أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[الذاريات: ٥٠].

الحديث رقم (٥٩٧)

٥٩٧- وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ، يقول: ((إنَّ اللّه يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيّ الْخَفِيَّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

الغَنيّ: غَنيُّ النَّفسِ[2]. وغنى المال كذلك.

الخفي: المعتزل عن الناس الذي يخفي عليهم مكانُه، فهو لا يُحبُّ الظهور والشُّهْرَة[3]. وهو ينفق المال، حتى يتمنى أن لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

الشرح الأدبي

الحديث يتناول نوعا من العباد اختص بميزة في الدنيا خصته بمحبة اللّه، وهي أعظم ما يسعى إليه المحبون فكم من محب لحبيب لا يعيره نظرا !، وهؤلاء نالوا محبة اللّه تعالى التي تعني التوفيق، والتقريب، والحماية من كل ما يخشاه المؤمن في حياته، وبعد مماته وقول الرسول ﷺ (إنَّ اللّه يُحِبُّ) مؤكدة بحرف التوكيد، واسمية الجملة، تعظيما للخبر، وصرفا للمخاطبين للعناية به، ثم إن تصدر لفظ الجلالة

---

(١) برقم ٢٩٦٥/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٩.

(٢) رياض الصالحين ٢٦٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ف ي).

الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين توجل قلوبهم بذكره لأنه يبث في النفوس الهيبة والجلال بقدر صفاء هذه النفوس﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج:٢٥] هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره من كل ألفاظ كل لغات البشر، وقوله (العبد) اللام فيه للجنس فيشمل كل عبد كانت هذه صفته وجملة الصفات بعده تبين الخصوصية التي أوجبت له المحبة وهي جملة الصفات (التَّقِيَّ الغَنِيّ الْخَفِيَّ) وليست على انفرادها ؛ لأن التقوى تستلزم مراقبة الله تعالى فتضبط حركته، وسكنته بضابط الشرع، والغنى يستلزم ذله لله وحده، واستغنائه عن الناس، وهو شعور قلبي يجعله يستشعر أنه مالك للدنيا ؛ لأنه يتصرف بحول الله، وقوته فما عساه أن يحتاج من الناس ؟!، وقوله (الخفي) يستلزم الإخلاص، والخمول في الناس، لأنه مشغول بالله عن الناس، ولذلك استحق –تفضلا – هذه المحبة الغالية من ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى لعبده التقي غني النفس غني المال من حلال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل اعتزال الناس عند خوف الفتنة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: كثرة الصفات الطيبة تجلب حب الله للإنسان المسلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من استخدام النبي ﷺ: "إن" المؤكدة، وذلك ليؤكّد حب الله تعالى لمن اتصف بالتقوى وبغنى النفس وجاد ببعض ما يملك.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: محبة الله تعالى لعبده التقي غني النفس غني المال من حلال:

من كرم الله على عباده أن أحبّ بعضهم، فمن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بتلك

المحبة من اتصفوا بالتقوى وغنى النفس ولم ينسوا عبادته، يتضح هذا من عموم الحديث.

قال الطيبي: (التقي قيل: هو الذي يتقي المحارم والشبهات ويتورع عن المشتهيات)[١].

وقال ابن هبيرة: (يعني بالتقي الورع عن محارم الله تعالى، والغني بالله سبحانه، والخفي يكون حريصاً على إخفاء فقره، فبذلك يكون خفياً، إذ لو كان مثل هؤلاء يظهرون السؤال لم يخف له حال)[٢].

وقال النووي: (المراد بالغنى غني النفس هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: ((وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ))[٣]، وأشار القاضي [أي: عياض] إلى أن المراد: الغنى بالمال. وأما الخفي فمعناه: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه)[٤].

وقال ابن هبيرة: (أما الغني الحقيقي الذي لا فقر معه فإنه غنى النفس بربها سبحانه وتعالى، لأن النفس ههنا معرفة بالألف واللام لا يشار بها إلى النفس التي لا تحتاج إلى غير ربها، ومن استغنى بربه افتقر إليه كل شيء، فمتى استغنت نفس بربها عز وجلّ عن جميع خلقه، فذاك هو الغنى على الحقيقة، لا وجود شيء يوجب زيادة فقر)[٥].

وقال أبو العباس القرطبي: (الغنى يعنى به: من استغنى بالله، ورضى بما قسم الله له، وقيل يعنى به غنى النفس، والخفي يعنى به الخامل الذي لا يريد العلوّ فيها ولا الظهور في مناصبها)[٦].

وقال الطيبي: (إن الصفات الثلاث الجارية على العبد واردة على التفضيل والتمييز،

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٥١/٩ - ٣٥٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٥٠/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٤٦، ومسلم ١٠٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١. وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥١٦/٨.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٤٦/٧.

(٦) المفهم، القرطبي ١٢٠/٧.

فالتقي يخرج للعاصي والغني للفقير والخفي على الروايتين لما يضادهما، فإذا قلنا: إن المراد بـ (الغنى) غنى القلب، اشتمل على الفقير الصابر والغني الشاكر فعمّ وكان أولى وعلى هذا الخفي - بالخاء المعجمة- أنسب؛ لأن الغني حينئذ تكميل للتقي والخفي تتميم للغني، لأن غني القلب مستغن بالله عن الخلق ويؤثر العزلة استيناساً بالله تعالى)[١].

وقال د. عائض القرني عن فوائد العزلة: (وأقصد بها العزلة عن الشرّ وفضول المباح وهي مما يشرح الخاطر ويذهب الحزن، قال ابن تيمية: لابد للعبد من عزلة لعبادته وذكره وتلاوته ومحاسبته لنفسه ودعائه واستغفاره وبعده عن الشر ونحو ذلك.

ولقد عقد ابن الجوزي ثلاثة فصول في "صيد الخاطر"[٢] ملخصها أنه قال: ما سمعت ولا رأيت كالعزلة راحة وعزاً وشرفاً. وبعداً عن السوء وعن الشرّ. وصوناً للجاه والوقت وحفظاً للعمر، وبعداً عن الحُسَّاد والثقلاء والشامتين وتفكراً في الآخرة واستعداداً للقاء الله - عز وجل - واغتناماً في الطاعة وجولان الفكر فيما ينفع وإخراج كنوز الحكم والاستنباط في النصوص. ونحو ذلك من كلامه الذي ذكره في العزلة، هذا معناه بتصرف)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل اعتزال الناس عند خوف الفتنة:

الحديث في صحيح مسلم نصه كالآتي: (كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاء ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي).

قال النووي: (وفي هذا الحديث حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط...، ومن قال بالتفضيل للاختلاط قد يتأول هذا الاعتزال وقت الفتنة ونحوها)[٤]. لما فيه من

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٥٢/٩.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٣٧، ٣٥٥، ٥١٣.

(٣) لا تحزن ١١٤-١١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١.

البعد عن الفتن والمحافظة على سلامة الدين وعدم الخوض مع الخائضين.

وفي الحديث: ((يُوشِكُ أن يكونَ خَيْرَ مالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبالِ، وَمَواقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدينِهِ مِنَ الفِتَنِ))[١].

قال ابن حجر: (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في أصل العزلة فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم، من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك، وقال قوم: العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين)[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (تظاهرت نصوص الكتاب والسنّة على التحذير من الفتن والأمر بتجنبها واعتزالها وعدم الخوض فيها، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٣]، وما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة ((اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وَأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وَأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ. اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ المأْثَمِ وَالمَغْرَمِ))[٤] قال ابن دقيق العيد[٥]: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان في مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت)[٦].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في هذه الصفات: التقوى وغنى النفس والانقطاع إلى العبادة والاشتغال بأمور النفس، وحثّ على اكتسابها بأن أخبر أن الله يحب العبد المتصف

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/١٣.

(٣) سورة الأنفال، آية:٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ١٦٦.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٨/٣٢.

بهذه الصفات، وإذا أحب الله العبد أكرمه وجزاه خير الجزاء، فكان في هذا الحديث ترغيب للمدعوين أن يسارعوا إلى التحلي بهذه الصفات وتلك الشمائل حتى يكونوا ممن يحبهم الله فينعم عليهم بفضله ومنِّه.

خامساً- موضوعات الدعوة: كثرة الصفات الطيبة تجلب حب الله للإنسان المسلم:

إن التقوى تدفع إلى اتباع أوامر الله والغنى يجعل المال في يد العبد وإخراج الحق الشرعي يكون في السر لا في العلن، وذلك مما يكسب الإنسان الصفات الحميدة.

الحديث رقم (٥٩٨)

٥٩٨- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ رَجُلٌ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ[1] فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ)) [2].

وفي رواية[3]: ((يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

شِعْبٍ: وهو الطريق في الجبل وما انفرج بين الجبلين، والجمع شِعاب[5].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر فضل الجهاد ، والعزلة للعبادة وتقوى الله يقوم على الحوار عن طريق السؤال، والجواب الذي يدل حيوية النص، والتواصل بين المتحاورين، وقد بدأ الحديث بسؤال من رجل (أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله ؟) والاستفهام ليس عن العمل بل عن صاحبه الذي نال به الأفضلية ، وفي هذا تنويه بالعمل، وقول الرسول ﷺ (مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ) الكلام فيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن ...، وذكر الجهاد بعد الإيمان يشير إلى سبب الأفضلية على عامة المؤمنين، وتقييد الجهاد بالنفس، والمال يعطيه خصوصية يفضل بها كل المجاهدين، وتقييد الجهاد

---

(١) (معتزل) لا توجد عندهما ، وهي من الجمع للحميدي ٤٣٢/٢ ، رقم ١٧٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٩٤ ، ومسلم ١٨٨٨/١٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ١٩٥٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٨٦ عن شعيب، عن الزهريّ.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٨٦ ، و ٦٤٩٤ ، ومسلم ١٨٨٨/١٢٢ والسياق للحميدي في جمعه ٤٣٢/٢ ، رقم ١٧٤٦. وسيكرره المؤلف برقم ١٢٩١.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ب)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٧٤.

بالجار، والمجرور (في سبيل الله) ينص على صفة الإخلاص لله في إتيان العمل، وسؤال الرجل (ثُمَّ مَنْ ؟) سؤال عن مرتبة أسهل في أسبابها، ولعله رأى فيما أجيب به مشقة لا يستطيعها فسئل غيرها كأنه يسأل عن خصوصية له يستطيع أن يأتيها فجاءت إجابة النبي ﷺ (ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ) والربط بـ (ثم) خاصة يشير إلى مسافة يعلمها الله بين الاثنين في الأفضلية، وتنكير (رجل) لعدم إرادة التخصيص لتشمل كل رجل على هذه الصفة، وقوله (فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ) جناس يؤكد معنى الاعتزال بانفصال المكان عن الناس، والفعل المضارع في قوله (يعبد الله) يصور التجدد في أنواع العبادات ما بين صلاة، وصيام، وذكر وهو الانقطاع الهادف الموصول بالله، وليس مطلق انقطاع بل إنه لتفريغ القلب، والجوارح للعبادة .

فقه الحديث

حكم العزلة: ذهب العلماء إلى أفضلية العزلة عند ظهور الفتن وفساد الناس، إلا أن يكون للإنسان قدرة على إزالة الفتنة، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها بحسب الحال والإمكان[1]. وأما في غير أيام الفتنة فقد اختلف العلماء في المفاضلة بين العزلة والاختلاط ولكلٍّ أدلته[2].

وذهب بعض العلماء إلى أن حكم العزلة والمخالطة يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجّح في حقه أحدهما[3].

ونقل ابن حجر عن الخطابي: (أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٣/١ ط المنيرية، وتفسير القرطبي ٤٨٧/٩، ٢١٦/١٣-٢١٩ ط/ الرسالة، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٣/٣٠.

(٢) انظر: العزلة للخطابي بتحقيق: ياسين محمد ياسين، ص ٥٣، نشر دار ابن كثير، وإحياءعلوم الدين ٢٢٣/٢، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٠/١٣/٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١٣-٤٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٦٣/١، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١١٨/٤-١٢٧، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٣/٣٠-٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/١٣، وانظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٢٠/٤.

فتحمل الأدلة الواردة في الحضّ على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والاقتران بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه، فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، شرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد، وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك. والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عن أفضل الأعمال وأفضل المؤمنين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن.

خامساً: من واجبات المدعو: كف الأذى عن الناس.

أولاً- من آداب المدعو: السؤال عن أفضل الأعمال وأفضل المؤمنين:

من علامات حرص المدعو على الامتثال والتسابق إلى الطاعات السؤال عن معالي الأمور وأحسن الأعمال وأفضل المؤمنين، وذلك ليفعل ما هو أحب إلى الله تعالى وأكثر ثواباً عنده. ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على هذا، فقد سأل الرجل النبي ﷺ فقال: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ ولما أجابه النبي ﷺ سأله عن المؤمن الذي يليه في الفضل.

وهكذا كان حال الصحابة، دوماً يسألون عن أفضل الأعمال وخير المسلمين، وقد اعتنى المحدثون بجمع الأحاديث التي تدل على ذلك، وخاصة مسلم بن الحجاج،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣٢-٣٣٣، ، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٨٥.

فقد ساق في كتاب الإيمان من صحيحه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ: أَيُّ الأَعمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللّه قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّه قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ))[١].

كما ساق أيضاً حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ!، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بِاللّه وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنا))[٢].

وساق كذلك حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللّهِ))[٣].

وقد بوّب النووي على هذه الأحاديث: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال.

كما ساق الإمام مسلم حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَجُلاً سَأَل رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الإِسْلامِ خَيرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ))[٤].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ))[٥].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قلت: ((يا رسولَ اللّهِ، أيُّ الإسلام أفضلُ؟ قال: مَنْ سَلِمَ المسلمونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٦) أخرجه مسلم ٤٢.

وقد بوّب النووي لهذه الأحاديث: بباب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل وقد نقل النووي أن اختلاف جواب النبي ﷺ على أسئلة الصحابة على (حسب اختلاف الأحوال والأشخاص فإنه قد يقال: خير الأشياء كذا، ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه، وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال أو نحو ذلك.

الوجه الثاني: أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا أو من خيرها أو من خيركم من فعل كذا فحذفت من، وهي مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم... وعلى هذا الوجه الثاني يكون الإيمان أفضلها مطلقاً، والباقيات متساوية في كونها أفضل الأعمال والأحوال، ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[1].

قال ابن القيم مبيناً أثر الهمة العالية في جعل العبد يطلب المطالب العالية والأمور المهمة، قال: (المطلب الأعلى موقوف حصوله على همّة عالية ونية صحيحة. فمن فقدهما تعذّر عليه الوصول إليه، فإن الهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده دون غيره. وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه. فالنية تفرد له الطريق والهمة تفرد له المطلوب. فإذا توحّد مطلوبه والطريق الموصلة إليه كان الوصول غايته. وإذا كانت همته سافلة تعلقت بالسفليات ولم تتعلق بالمطلب الأعلى. وإذا كانت النية غير صحيحة كانت طريقة غير موصلة إليه. فمدار الشأن على همة العبد ونيته وهما مطلوبه وطريقه، ولا يتم له إلا بترك ثلاثة أشياء:

الأول: العوائد والرسوم والأوضاع التي أحدثها الناس.

الثاني: هجر العوائق التي تعوقه عن إفراد مطلوبه وطريقه، وقطعها.

الثالث: قطع علائق القلب التي تحول بينه وبين تجريد التعلق بالمطلوب.

والفرق بينهما أن العوائق هي الحوادث الخارجية. والعلائق هي التعلقات القلبية بالمباحات ونحوها، وأصل ذلك ترك الفضول التي تشغل عن المقصود من الطعام

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٥.

والشراب والمنام والخلطة. فيأخذ من ذلك ما يعينه على طلبه. ويرفض منه ما يقطعه عنه أو يضعف طلبه)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد سأل الرجل النبي ﷺ: أي الناس أفضل؟ فأجابه النبي ﷺ بقوله: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله. ثم سأل الرجل مرة ثانية: ثم من؟ قال: ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه. وفي رواية: يتقي الله ويدع الناس من شرّه.

فكان السؤال والجواب أسلوباً من أساليب الدعوة لبيان فضل المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، وبيان أن الذي يليه في الفضل رجل معتزل في الشعاب يعبد ربه. وكان هذا البيان دعوة للمدعوين للامتثال والعمل والتطبيق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله:

إن المجاهد يجاهد بماله وبنفسه في سبيل الله، لذا كان من أفضل المسلمين وأعلاهم، ويتضح ذلك من قول النبي ﷺ جواباً لسؤال: أي: الناس أفضل؟ فقال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله.

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في كتاب الجهاد تحت باب: أفضل الناس مؤمن بنفسه وماله في سبيل الله[٢].

قال ابن حجر: (كأن المراد بالمؤمن من قام بما تعين عليه القيام به ثم حصل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينية، وحينئذ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النفع المتعدي)[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وأفضل ما يتطوع به الجهاد، وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد. وقد روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من

---

(١) الفوائد، ابن القيم ٢١١-٢١٢.

(٢) كتاب: الجهاد رقم ٥٦، ورقم هذا الباب ٢، ورقم الحديث ٢٧٨٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩/٦.

أصحابه. قال أحمد: الذين يقاتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريمه، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج نفوسهم)[١].

ومن الآيات الدالة على فضل الجهاد بالنفس والمال قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٢].

قال د. صالح الفوزان: (شرع الله الجهاد في سبيله لإعلاء كلمته ونصرة دينه ودحْر أعدائه، وشرعه ابتلاءً واختباراً لعباده ﴿ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾[٣]. والجهاد في سبيل الله له الأهمية العظيمة في الإسلام، فهو ذروة سنام الإسلام، وهو من أفضل العبادات، وقد عدّه بعض العلماء ركناً سادساً من أركان الإسلام)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن:

إن أهم ما يحافظ عليه المسلم دينه، فإنه يحافظ عليه بكل ما أوتي من قوة وبشتى الطرق والوسائل، ومن ذلك العزلة عند الفتن وتكاثرها، فتكون العزلة محمودة حينئذٍ، وهذا واضح من ترتيب النبي ﷺ المؤمن المعتزل بعد المؤمن المجاهد بماله ونفسه في سبيل الله، وذلك من ناحية الأفضلية، قال ابن حجر: (وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة، لأن الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام فقد لا يفي

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٢٧.

(٢) سورة الصف، الآيات: ١٠-١٢.

(٣) سورة محمد، الآيات: ٤-٦.

(٤) الملخص الفقهي ١/٤٥٩، وانظر: الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٩٩.

هذا بهذا، وهو مقيد بوقوع الفتن)[١].

قال أبو العباس القرطبي: (إنه أجابه بقوله: رجل مجاهد بنفسه وماله. ثم ذكر بعده من جاهد نفسه بالعزلة عن الناس، إذ كلٌّ واحد من الرجلين مجاهد. فالأول للعدوِّ الخارجيِّ. والآخر للداخليِّ؛ الذي هو: النفس والشيطان، فجاهدهما بقطع المألوفات، والمستحسنات من الأهل، والقرابات، والأصدقاء، والأوطان، والشهوات المعتادات. وكلُّ ذلك فراراً بدينه، وخوفاً عليه. وهذا هو الجهادُ الأكبر؛ الذي من وصل إليه فقد ظفر بالكبريت الأحمر[٢]. غير أنَّ العزلة إنما تكون مطلوبةً إذا كفى المسلمون عدوهم، وقام بالجهاد بعضُهم. فأمَّا مع تعيُّن الجهاد؛ فليس غيرُه بمرادٍ؛ ولذلك بدأ النبي ﷺ بهذا الحديث بيان أفضلية الجهاد على العزلة)[٣].

قال النووي عن حديث الباب: (فيه دليل لمن قال بتفضيل العزلة على الاختلاط وفي ذلك خلاف مشهور، فمذهب الشافعي وأكثر العلماء أن الاختلاط أفضل بشرط رجاء السلامة من الفتن، ومذاهب طوائف أن الاعتزال أفضل. وأجاب الجمهور على هذا الحديث بأنه محمول على الاعتزال في زمن الفتن والحروب أو فيمن لا يسلم الناس منه ولا يصبر عليهم أو نحو ذلك من الخصوص. وقد كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والعلماء والزهاد مختلطين، فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك)[٤].

وعلى ذلك (فإن العزلة المحمودة في هذا الحديث ليست الرهبانية المذمومة في القرآن، لأن الرهبانية تتضمن إهمال الحقوق الواجبة للنفس والأهل والعباد بخلاف هذه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦.

(٢) يقال: أعز من الكبريت الأحمر. هذا مثل يضرب في العزة. انظر: لسان العرب، ابن منظور مج١/٢/٣٨١ ٤٤٥/٦/٣، ومختار الصحاح ٥٦٢.

(٣) المفهم، القرطبي ٧٢٢/٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٣.

العزلة، فإن المقصود منها ترك الاختلاط مع الناس مع أداء حقوق النفس والأهل في العزلة)[١].

خامساً- من واجبات المدعو: كف الأذى عن الناس:

إن الإنسان مدني بطبعه لا يعيش إلا في مجتمع من الناس، وهذا الاجتماع يصاحبه في العادة أذىً وإضرار من بعض الناس، لذا كان الواجب على المدعو ألا يكون مصدراً للأذى وإنما يكف أذاه عن الناس، وذلك واضح في قول النبي ﷺ في بيان أفضل الناس بعد منزلة المجاهد بنفسه وماله: ((مؤمنٌ في شِعبٍ منَ الشعابِ يَتَّقي اللّهَ ويَدعُ الناسَ مِن شَرِّه))[٢]، وفي رواية مسلم: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللّهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ))[٣]، قال ابن حجر: (في الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك)[٤].

وقال النبي ﷺ: ((مِنْ خيرِ معاشِ الناسِ رجلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ في سبيلِ اللّه... الحديث)) وفيه: ((وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ. لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ))[٥].

وسأل أبو ذر رضي الله عنه النبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ!، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الإِيمَانُ بِاللّه وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ)) قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلاَهَا ثَمَنًا)) قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: ((تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ)) قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[٦].

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٤٨/٩.

(٢) هذه رواية البخاري ٢٧٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣ - ١٨٨٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

قال ابن حجر: (قوله: "تدع الناس من الشر"[١] فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب، غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول قاله القرطبي ملخصاً)[٢].

قال ابن هبيرة: (قوله: "فإنها صدقة منك على نفسك" في هذا من الفقه: أن الإنسان إذا أتى شيئاً من الشر فقد عرض نفسه لاحتمال العقوبة على ذلك الشر، فإذا كفّ عنه فقد تصدق على نفسه بإراحتها من احتمال تلك العقوبة حين لم يمكنه أن يسعى في أن يحصل لنفسه الفوائد والغنائم، فلا أقلّ من أن يتصدق عليها بألا يعرضها من البلاء لما لا تطيقه)[٣].

وقال ابن الجوزي عن فوائد العزلة النافعة: (ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق خصوصاً للعالم والزاهد، فإنك لا تكاد ترى إلا شامتاً بنكبة، أو حسوداً على نعمة، أو من يأخذ عليك غلطاتك.

فيا للعزلة ما ألذّها! سلمت من كدر[٤] غيبة، وآفات تصنع[٥]، وأحوال المداجاة[٦]، وتضييع الوقت.

ثم خلا فيها القلب بالفكر، بعد ما كان مشغولاً عنه بالمخالطة، فدبر أمر دنياه وآخرته، فمثله كمثل الحِمْيَة يخلو فيها المِعَى بالأخلاط فيذيبها.

وما رأيت مثل ما يصنع المخالط، لأنه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس وكلامهم، فيشتغل بها عما بين يديه. فمثله كمثل رجل يريد سفراً قد أزف[٧]،

---

(١) هذه رواية البخاري ٢٥١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٨/٥. وانظر: المفهم ٢٧٨/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٢/٢.

(٤) الكدر: ضد الصفو. نقلاً عن محقق صيد الخاطر، د. عبدالرحمن البر، وما يلي ذلك من تفسيرات لغوية أخذناها عنه، وذلك في نطاق هذا النص المأخوذ من صيد الخاطر.

(٥) التصنع: تكلف حسن السّمت.

(٦) المداجاة: المداراة. يقال داجاه، أي داراه وساتره العداوة.

(٧) أزِف: دنا وقرب.

فجالس أقواماً، فشغلوه بالحديث، حتى ضرب البوق[١] وما تزود.

فلو لم يكن في العزلة إلا التفكير في زاد الرحيل، والسلامة من شر المخالطة- كفى.

ثم لا عزلة على الحقيقة إلا للعالم والزاهد، فإنهما يعلمان مقصود العزلة وإن كانا لا في عزلة.

أما العالم فعلمه مؤنسه، وكتابه محدثه، والنظر في سير السلف مقومه، والتفكر في حوادث الزمان السابق فرجته. فإن ترقى بعلمه إلى مقام المعرفة الكاملة للخالق سبحانه، وتشبث بأذيال محبته تضاعفت لذاته، واشتغل بها عن الأكوان وما فيها، فخلا بحبيبه، وعمل معه بمقتضى علمه.

وكذلك الزاهد تعبده أنيسه، ومعبوده جليسه، فإن كشف لبصره عن المعمول معه غاب عن الخلق، وغابوا عنه.

إنما اعتزلا ما يؤذي، فهما في الوحدة بين جماعة. فهذان رجلان قد سلما من شر الخلق، وسلم الخلق من شرورهما. بل هما قدوة للمتعبدين وعلم للسالكين، ينتفع بكلامهما السامع، وتجري موعظتهما المدامع، وتنتشر هيبتهما في المجامع.

فمن أراد أن يتشبه بأحدهما فليصابر الخلوة وإن كرهها؛ ليثمر له الصبر العسل.

وأعوذ بالله من عالِم مخالط للعالَم، خصوصاً لأرباب المال والسلاطين يَجتلب ويُجتلب، ويَخْتلب ويُختلَب[٢]، فما يحصل له شيء من الدنيا إلا وقد ذهب من دينه أمثاله.

ثم أين الأنفة من الذل للفساق؟

فالذي لا يبالي بذلك هو الذي لا يذوق طعم العلم، ولا يدري ما المراد به. وكأنه به وقد وقع في بادية جُرُزٍ[٣] وقفر أمل مهلك في تلك البراري.

---

(١) البوق: الذي ينفخ فيه فيصفر، وهو إشارة إلى نداء السفر والرحيل.

(٢) يَخْتِلب ويُخْتلَب: يَخْدَع، ويُخْدَع.

(٣) الأرض الجُرُز: التي لا نبات بها. والقَفْر: المفازة التي لا نبات بها.

وكذلك المتزهد إذا خالط وخلط، فإنه يخرج إلى الرياء والتصنُّع والنفاق، فيفوقه الحظان، لا الدنيا ونعيمها تحصل له، ولا الآخرة.

فنسأل الله عز وجل خلوة حلوة، وعزلة عن الشر لذيذة، يستصلحنا فيها لمناجاته، ويلهم كلاً منا طلب نجاته، إنه قريب مجيب)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الأذى حرام وتركه واجب بالاتفاق، ما لم يعارض بما هو أشد، فعندئذٍ يرتكب الأذى عملاً بالقاعدة المتفق عليها: يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما)[2].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٣٥٥-٣٥٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٣٥٦.

الحديث رقم (٥٩٩)

٥٩٩- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفُ الجِبَالِ، وَمَواقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

شَعَفُ الجبال: أعلاها[(٢)].

مواقع القَطْر: بطون الأودية، القطر هو الغيث والمطر[(٣)].

الفتن: ما ينال الإنسان من البلاء والاختبار[(٤)].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الدال على المقاربة (يوشك) يعطي الاستهلال خاصية يتفرد بها عن غيره، وتؤثر على المخاطبين لأنها تشعرهم بقرب طارق لا يعلمونه مما يحدث ترقبا يمهد لاستقبال المعنى، وذكر المسلم لأنه الحريص، والمَعْني بالآخرة، وَقَوْلُهُ ﷺ (خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ) خَصَّ الْغَنَمَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي صَاحِبِ غَنَمٍ، وَأَمَّا صَاحِبُ الإِبِلِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الأَمْوَالِ فَلا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِيهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّهُمْ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ الْكَافَّ عَنْ الْفِتْنَةِ وَالْمُعْتَزِلَ لأَهْلِهَا مُقْتَصِرٌ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمَالِ؛ لأَنَّهُ لا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْفِتْنَةِ وَلا عَوْنَ مِنْهُ عَلَيْهَا وَمَا يَكَادُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيْهَا إِلاَّ مُتَقَلِّلٌ مِنْ الدُّنْيَا، فَأَرْعَنُ الْفِتْنَةِ مُقْتَصِرٌ عَلَى مَا يُبْعِدُهُ عَنْهَا، أَوْ يُضْعِفُهُ عَنْ التَّشَوُّفِ

---

(١) برقم ١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٣١.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٨/١، والوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٤٤، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٧٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ن)، وغريب القرآن ٣٧٢.

إِلَيْهَا، وقوله (يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) كناية عن تتبع مواقع الكلأ، والماء، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم (يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ) التعبير بالفرار يشير إلى سرعة توحي بشدة الحرص على الدين، وجمع الفتن يشير إلى كثرتها التي تستلزم الفرار، والباء في (بدينه) للسببية، وكلمة من في قوله (من الفتن) ابتدائية تقديره يفر بسبب دينه، ومنشأ فراره الدين ويجوز أن تكون الباء للمصاحبة، والحديث يكشف جانبا من الغيب المنتظر في آخر الزمان، والتي تكشف أكثرها في زماننا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة الإخبار عما يقع من أمور مستقبلة.

ثانياً: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين على طرق النجاة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن وأهمية الورع والبعد عن الشبهات.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أهمية طلب السلامة حفاظًا على الدين.

أولاً- من دلائل النبوة: الإخبار عما يقع من أمور مستقبلة:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً بالمعجزات والآيات التي تدل على صدق نبوته، وكان من ذلك إخباره ﷺ عما يقع في الزمن المستقبل، كما هو الأمر في هذا الحديث، وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه في عدة مواضع، منها كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام[1].

وقد ساق ابن كثير هذا الحديث في الفتن والملاحم من البداية والنهاية وساق بعض الأحاديث الأخرى التي في معناه، ثم قال: (وهذه الأحاديث المتقدمة على أنه يأتي على الناس زمان شديد لا يكون فيه للمسلمين جماعة قائمة بالحق، إما في جميع الأرض أو في بعضها)[2].

وقد أفرد الحافظ البيهقي في دلائل النبوة وتبعه ابن كثير في آخر السيرة النبوية

---

(١) الحديث ٣٦٠٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤١/١٩.

هذه الأخبار تحت عنوان: جماع أبواب إخبار النبي ﷺ بالكوائن بعده وتصديق الله - جل ثناؤه - ورسوله ﷺ في جميع ما وعده[١].

وساقها ابن كثير تحت عنوان: (ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب المستقبلة)[٢]، فضلاً عن الكتب الكثيرة المؤلفة تحت عنوان (دلائل النبوة).

وقال ابن تيمية: (وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية. وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر.

ففي الصحيحين عن حذيفة قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَاماً. مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. إلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ. قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤلاَءِ. وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ. كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ. ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ))[٣].

وفي صحيح مسلم عن أبي زيد عمرو بن أخطب قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[٤].

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم قال: ((بَينا أنا عندَ النبيِّ ﷺ إذا أتاهُ رجُلٌ فشَكا إليهِ الفاقَةَ، ثمَّ أتاهُ آخَرُ فشكا إليه قَطعَ السبيل، فقال: يا عَدِيُّ، هل رأيتَ

---

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٣١٢/٦ وما بعدها.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٦١/٩ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١ بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

الحِيرةَ؟ قلت: لم أرَها، وقد أُنبئتُ عنها. قال: فإن طالتْ بكَ حَياةٌ لتَرَيَنَّ الظَّعينةَ[١] تَرتحِلُ منَ الحِيرةِ حتى تَطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ أحداً إلا اللهَ. قلتُ فيما بيني وبينَ نفْسي فأين دُعّارُ طَيىء[٢] الذينَ قد سَعَّروا البلادَ؟[٣] ولئنْ طالَتْ بكَ حياةٌ لتُفتَحنَّ كُنوزُ كِسرَى، قلتُ: كِسرَى بن هُرمُزَ؟ قال: كِسرَى بنِ هُرمُزَ. ولئنْ طالت بكَ حياةٌ لَتَرَينَّ الرجلَ يُخرجُ مِلْءَ كفِّهِ من ذهبٍ أو فضةٍ يَطلُبُ مَن يَقبلهُ منهُ فلا يَجِدُ أحداً يَقبلهُ منه. ولَيلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يومَ يَلقاهُ وليسَ بينَهُ وبينهُ ترجمانٌ يُترجمُ لهُ، فيقولَنَّ: ألم أبعَثْ إليكَ رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطِكَ مالاً وأُفْضِلْ عليك؟ فيقول: بلى. فيَنظرُ عن يَمينه فلا يَرى إلا جهنَّم، وينظرُ عن يَسارهِ فلا يَرى إلا جهنَم. قال عَديٌّ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: اتَّقُوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ، فمن لم يَجِدْ شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ. قال عديٌّ: فرأيتُ الظعينة ترتحلُ منَ الحِيرةِ حتى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلا اللهَ، وكنتُ فيمن افتتحَ كنوزَ كسرَى بنِ هُرمُزَ، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ: يُخرجُ مِلءَ كفه))[٤].

قلت: [القائل ابن تيمية] وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله، ظهر كما أخبر، في زمن عمر بن عبدالعزيز)[٥].

ثانياً- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين على طرق النجاة:

إن الفتن تكون كقطع الليل المظلم، يلتبس أمرها على كثير من المدعوين، الذين قد يلتبسون بها، فيكونون على خطر من أمر دينهم، ويحاولون النجاة بكل سبيل،

---

(١) أصل الظعينة: الراحلة التي يرحل عليها ويظعن عليها أي يسار بها. وقيل: للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن. أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. النهاية في غريب الحديث في (ظ ع ن).

(٢) أي قطاع الطرق. وطيء قبيلة مشهورة، منها عدي بن حاتم المذكور وبلادهم مابين العراق والحجاز، وكانوا يقطعون الطريق على من مرّ بغير جوار، ولذا تعجب عدي كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة. النهاية في غريب الحديث ٣٠٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٩/٦.

(٣) أي أوقدوا نار الفتنة. وملؤوا الأرض شراً وفساداً. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٩/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٩٥ مطولاً بهذا اللفظ وهو عند مسلم ١٠١٦ مقتصراً على الحث على الصدقة فقط.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم ٧٢٨هـ، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر، ود. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر ود. حمدان بن محمد الحمدان ٨٠/٦-٨٣.

وهنا يأتي دور الداعية الذي يبين لهم طرق النجاة، وذلك يستفاد من عموم الحديث كله، وآخره (يفر بدينه من الفتن)، قال الطيبي: (إن المطلوب حينئذٍ الاعتزال وتحري الخير بأي وجه كان)[١]، وقال ابن حجر: (والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

قال القاسمي: (الفتنة إما بمعنى الذنب، كإقرار المنكر وافتراق الكلمة والتكاسل في الجهاد. وإما بمعنى العذاب، فإن أريد الذنب فإصابته بإصابة أثره وإن أريد العذاب فإصابته بنفسه "ولا تصيبن" جواب للأمر. أي: إن إصابتكم لا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل تشملهم وغيرهم بشؤم صحبتهم وتعدي رذيلتهم إلى من يخالفهم كقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[٤]. قاله القاشاني... قال الكرخي: "ولا يستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥]، لأن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فالواجب على كل من رآه أن يغيره إذا كان قادراً على ذلك، فإذا سكت فكلهم عصاة، هذا بفعله وهذا برضاه، وقد جعل تعالى الراضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة.. انتهى"، وذكر القسطلاني: (أن علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي، فلا يتحقق كون الإنسان كارهاً له، إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده، فكل من لم يكن بهذه الحالة فهو راض بالمنكر، فتعمه العقوبة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠/٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٤) سورة الروم، آية: ٤١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٦٤، سورة الإسراء، آية: ١٥، سورة الزمر، آية: ٧.

والمصيبة بهذا الاعتبار)[١].

وقد حذّر النبي ﷺ من سكوت عامة المسلمين عن إنكار المنكر الذي تفعله خاصتهم، لأن ذلك يؤدي إلى عذاب العامة والخاصة، فعن عدي بن عميرة الكندي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن اللَّهَ لاَ يُعَذبُ الْعَامَّةَ بِعَمَلِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَرَوُا الْمُنْكَرَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يُنْكِرُوهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَذَّبَ اللَّهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ))[٢].

كما أخبر النبي ﷺ بما يفعله المسلم في الفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ. وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً فَلْيَعُذْ بِهِ))[٣]. وفي لفظ: ((تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ. وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ. وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي. فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَسْتَعِذْ))[٤].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ. أَلاَ ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا. وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلاَ، فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَلْيَدُقَّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ. ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ. اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ، أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قَالَ: يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ. وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[٥].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨/٣٦ - ٣٧.

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٩٢ رقم ١٧٧٢٠، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢٩/٢٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨١، ومسلم ٢٨٨٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٨٢، ومسلم ٢٨٨٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٨٧.

قال ابن حجر: (فيه التحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها وأن شرها يكون بحسب التعلق بها، والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل. قال الطبري: اختلف السلف فحمل ذلك بعضهم على العموم وهم من قعد عن الدخول في القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة وآخرين، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها، ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت، وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً. ثم اختلفوا فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قتل، ومنهم من قال: بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قتل أو قتل. وقال آخرون إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب، وهذا قول الجمهور، وفصل آخرون فقالوا: كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ ممنوع، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك وهو قول الأوزاعي.

قال الطبري: والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها. وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك. وقيل إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك)[1].

وقال النووي: (وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام: يجب نصر المحق في الفتن، والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ الآية[2]. وهذا هو الصحيح. وتَتَأوّل الأحاديث على من لم يظهر له المحق، أو على طائفتين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٣٤-٣٥.

(٢) سورة الحجرات، آية:٩.

ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما. ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتن وأهمية الورع والبعد عن الشبهات:

إن العزلة في موضعها تكون مطلوبة حينما تقع الفتن، ويجد المدعو نفسه معرضاً للوقوع فيها والتلبس فيها، فيعتزلها حتى يحمي دينه ويحفظه من النقص والضياع، وهذا واضح من عموم الحديث. قال ابن حجر: (الخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه، وقد اختلف السلف في أصل العزلة)[٢]، وبوّب البخاري في كتاب الرقاق، باب العزلة راحة من خلاط السوء وساق تحته هذا الحديث[٣].

وقال ابن حجر: (قال ابن المبارك في "كتاب الرقائق" عن شعبة عن خبيب بن عبدالرحمن عن حفص بن عاصم قال: قال عمر: خذوا حظكم من العزلة، وما أحسن قول الجنيد: "مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة"، وقال الخطابي: (لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته - لكان ذلك خيراً كثيراً. وفي معنى الترجمة ما أخرجه الحاكم[٤] من حديث أبي ذر مرفوعاً بلفظ: "الوحدة خير من جليس السوء"، وسنده حسن لكن المحفوظ أنه موقوف عن أبي ذر أو عن أبي الدرداء، وأخرجه ابن أبي عاصم)[٥].

قال د.عائض القرني: (للعزلة عزٌّ لا يعلمه إلا الله، ففي العزلة استثمار العقل وقطف جني الفكر وراحة القلب وسلامة العرض وموفور الأجر، والنهي عن المنكر واغتنام

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٦.

(٣) الحديث رقم ٦٤٩٥.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/٣٤٣ رقم ٥٥١٧، وقال محققه: قال الذهبي: لم يصح ولا صححه الحاكم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٣٩.

الأنفاس في الطاعة، وتذكر الرحيم وهجر الملهيات والمشغلات والفرار من الفتن، والبعد عن مداراة العدوّ، وشماتة الحاقد ونظرات الحاسد ومماطلة الثقيل والاعتذار إلى المعاتب، ومطالبة الحقوق ومداجاة المتكبر والصبر على الأحمق، وفي العزلة ستر للعورات عورات اللسان وعثرات الحركات وفلتات الذهن ورعونة النفس)[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: أهمية طلب السلامة حفاظًا على الدين:

إن أهم الأمور في هذه الحياة المحافظة على الدين وعدم التعرض لما يخلّ به أو يكون سبباً في ضعفه أو ذهابه في النفوس. وهذا يستفاد من عموم الحديث. قال ابن حجر: (وذكر الخطابي في "كتاب العزلة" أن - حكم - العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتها، فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه. وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحابة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء فيقتصر منه على ما لا بد منه فهو أروح للبدن والطلب)[٢].

وقال ابن كثير: (وقد اعتزل جماعة من السلف الناس والجمعة والجماعة - وهم أئمة كبار- كأبي ذر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وسلمة بن الأكوع في جماعة من الصحابة، حتى اعتزلوا مسجد النبي ﷺ الذي الصلاة فيه بألف صلاة... وكذلك اعتزل سفيان الثوري وخلق من التابعين وتابعيهم لما شاهدوه من الظلم والشرور والفتن خوفاً على إيمانهم أن يسلب منهم)[٣].

---

(١) لا تحزن ١١٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/ ٣٤٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/ ٤٠.

وقال ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره. وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه. ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرَّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا؛ فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس)[1].

وقال ابن القيم كذلك: (العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافرٌ فيها إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه تعالى، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكلّ يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزالُ يطويها مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهي السفر.

فالكيِّسُ الفطن هو الذي يجعلُ كل مرحلة نصب عينيه، فيهتم بقطعها سالماً غانماً، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه، ويمتد أمله، ويحصر بالتسويف والوعد والتأخير والمطل، بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة، فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته، فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل، فطوَّعت له نفسه الانقياد إلى التزود، فإذا استقبل المرحلة الأخرى من عمره ليستقبلها كذلك، فلا يزال هذا دأبه حتى تطوى مراحل عمره كلها فيحمد سعيه، ويبتهج بما أعدّه ليوم فاقته وحاجته. فإذا طلع صبحُ الآخرة وانقشع ظلام الدنيا فحينئذ يحمد سُرَاه، وينجاب عنه كِرَاه، فما أحسنَ ما يستقبل يومه وقد لاح صباحه واستبان فلاحه)[2].

---

(١) الفوائد ٨٣.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ، تحقيق: يوسف علي بديوي ص ٣٣٧.

الحديث رقم (٦٠٠)

٦٠٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**)) فَقَالَ أصْحَابُهُ: وأنْتَ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القيراط: هو جزء من الدينار أو الدرهم[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول حرفة الرعي وعمل الأنبياء بها، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة هذه الحرفة التي تعلم الإنسان الصبر، والتأمل، والصفاء، والوضوح للتأثر بطبيعة المكان بين السماء، والأرض، كما أنها تعلم حسن التدبير، واختيار الأصلح، ورعاية الضعيف وسط الأقوياء، ثم إن كونها بهائم خرساء لا تستطيع أن تعبر عن حاجتها، احتاجت إلى مزيد تفقد، وتفرس لأفرادها ثم إنها ضعيفة تحتاج إلى من يدفع عنها الذئاب، ومراتع الهلاك، فهي مدرسة في صورة مهنة، ولا يدرك عظيم فوائدها إلا من مارسها، وقول الرسول ﷺ (مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إلاَّ رَعَى الْغَنَمَ) أسلوب قصر يقصر كل نبي مبعوث على صفة الاشتغال برعي الغنم، وتنكير (نبيا) يفيد العموم، واختيار الغنم لأنه أضعف، وتحتاج إلى مزيد عناية لكثرة الوحوش التي تستطيع افتراسها، ورِعاءُ الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً، وأبعد من الفظاظة والغلظة، وأقرب للتواضع وقول الرسول ﷺ (نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ) يقرر المعنى السابق، ويؤكده والتعبير بالرعاية

---

(١) برقم ٢٢٦٢. وسيكرره المؤلف برقم ٦٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٥١٦.

يشير إلى العناية، والحفظ، والحنو، والأنبياء رعاة الأمم فكان تدريبهم على الصبر، والرحمة، والتفقد، والاحتمال وغيرها من معان عن طريق تلك المهنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحكمة من رعي الأنبياء الغنم.

رابعاً: من آداب المدعو: السؤال والتثبت.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة لأجل الكسب الحلال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد قال النبي ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، فأخبر ﷺ أن الأنبياء قد رعوا جميعاً الغنم وأنهم اشتغلوا بذلك وعالجوه. ومن قبيل الإخبار قوله ﷺ: ((ما منْ نبيٍّ إلا أنذرَ أمتَه الأعورَ الكذَّاب، ألا إنَّه أعورُ، وإنَّ ربَّكم ليسَ بأعورَ، مكتوبٌ بينَ عينيه كافر))[1].

ومن الملاحظ أن هذا الإخبار جاء بصيغة القصر، ليدل على أن جميع الأنبياء وقع منهم ذلك. وأن هذا أمر من الأمور المشتركة بينهم صلى الله عليهم وسلم.

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع:

جبلت النفوس على حب من تواضع والنفور ممن تكبر وطغى، والداعية لا نجاح له إلا بحب الناس له، لذا كان التواضع من الصفات المهمة للداعية، ومحمد ﷺ وهو إمام الدعاة كان رأس المتواضعين، مع أنه ﷺ أفضل الخلق على الله. وذلك واضح في قوله ﷺ: "كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"، قال ابن حجر: (وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله بيان لما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣١، ومسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٥١٧.

وقال الله تعالى مخاطباً رسوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى (أمره أن يلين جانبه للمؤمنين وأن يعطف عليهم ويطايبهم ليرسخ الإيمان في قلوبهم ويسلموا من غائلة الردة فيما لو عُوملوا بالقسوة والشدة وهم في بداية الطريق إلى الله تعالى)[2]. وقال الطاهر بن عاشور: (وخفض الجناح مثل للمعاملة باللين والتواضع)[3].

قال ابن القيم عن تواضع النبي ﷺ: (وكان ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هيّن المؤنة، ليّن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساماً متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مُسلم، خافض الجناح للمؤمنين، ليّن الجانب لهم)[4].

(إن التواضع من أخلاق الأنبياء، وهو من أسباب الرفعة والعزة وفي ترك التواضع وقوع التشاحن)[5].

وقال ابن القيم عن الفرق بين التواضع والمهانة: (والفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله، خلقُ هو التواضع. وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً بل يرى الفضل للناس عليه

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري ٦٨٨/٣.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٠٢/١٩.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٣.

(٥) معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان ص ١٦٦.

والحقوق لهم قبله وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي: الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة. وفي الصحيح عنه ﷺ وأوحِي إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحكمة من رعي الأنبياء الغنم:

إن أهل الحق دائمون معرضون لأن يعاديهم كثير من الناس وأن ينفر عنهم خلق كثير، لذا كان من الصفات الواجب توافرها في أهل الحق الحلم والصبر على دعوة الناس وتبليغها لهم، والشفقة على المؤيدين منهم والمعارضين، ولاشك أن هاتين الصفتين تحتاجان في الأغلب إلى تمرين وتدريب، قبل أن يتوجهوا إلى الناس بدعوتهم، وهذا ما يفسر قول النبي ﷺ: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم"، قال ابن حجر: (قال العلماء: الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره - كالسارق - وعلموا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل، مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم. وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة. ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقياداً من غيرها)[2].

---

(١) الروح: ابن القيم: محمد بن أبي بكر ٧٥١هـ، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٣٣. والحديث أخرجه مسلم ٦٤-٢٨٦٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٥١٦ - ٥١٧.

وقال الشيخ محمد أبو شهبة: (هذا إلى ما في رعى الغنم من قضاء نهاره وبعض ليله في البادية، فيتمتع بالسماء الصافية والشمس المشرقة والهواء النقي ويطيل التأمل والنظر في السماء ذات الأبراج، والأرض ذات الفجاج، والجبال ذات الألوان، وبذلك يصير التأمل والتدبر ملكة من ملكات النفس)[1].

وقال د. عبدالعزيز بن إبراهيم العمري: (ولقد امتاز رعاة الغنم عن غيرهم من الرعاة بالحساسية والخبرة، فقد كانت طبيعة الأغنام تتطلب من الرعاة نوعاً من الحذر المتمثل في معرفة أنواع الأعشاب التي ترعاها هذه الأغنام، فإن بعض الأعشاب سام ويقتل الغنم بمجرد أن تأكله، بل إن بعضاً منها يقتل الغنم بمجرد أن تشم رائحته... كما أن هنالك بعض الأعشاب تصيب الأغنام بأمراضٍ معينة أو تتسبب في رمي الحوامل منها لحملها. إضافة إلى ذلك فإن الأغنام لا تستطيع مقاومة السباع كالذئب وغيره بعكس الإبل، فالرعاة للأغنام دائماً يُجنّبُون أغنامهم المواطن التي تسكنها الذئاب خصوصاً في الليل... كما أن الغنم تحتاج إلى الماء باستمرار فراعي الغنم لا يستطيع أن يبتعد بها عن الماء كثيراً وإلا هلكت من العطش... إضافة إلى ذلك فإن راعي الغنم يجب أن تكون لديه القدرة على التصرف السريع في كثير من الحالات التي تواجهه)[2].

رابعاً- من آداب المدعو: السؤال والتثبت:

يحتاج المدعو أن يسأل الداعية عن بعض الأمور التي يريد أن يتأكد منها. هذا واضح في قول أصحابه ﷺ لما أخبرهم ﷺ بأن جميع الأنبياء قد رعَوَا الغنم - فقالوا له: وأنت؟ قال: نعم. ومن هذا القبيل ما كان من شأن الصحابي عُمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه في غزوة بدر لما سمع النبي ﷺ يقول لأصحابه: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ١/٢١٠.

(٢) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ ص ٦٩-٧٠.

قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[١]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ[٢].

فلما تأكد عمير بن الحمام من أن جزاء من يستشهد الجنة أقدم فقاتل حتى قُتل، وقد ذكر ابن جرير الطبري أن عميراً قاتل وهو يقول:

ركضا إلى الله بغير زاد ... إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في الله على الجهاد ... فكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد[٣]

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرفة لأجل الكسب الحلال

من المهم بمكان أن يعمل الإنسان عملاً يكتسب به قوته، لأن في ذلك من الفوائد ما لا يخفى، لذا كان الأنبياء صلوات الله عليهم يعملون بأيديهم، وكذلك كان أفضلهم محمد ﷺ يعمل. وذلك واضح في قول النبي ﷺ: (كُنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)، وفي رواية ابن ماجه[٤] عن سويد بن سعيد عن عمرو بن يحيى: (كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط، قال سويد: "يعني كل شاة بقيراط"، قال ابن حجر: (يعني القيراط الذي هو جزء من الدينار أو الدرهم)[٥].

قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (أما إقباله على رعي الأغنام لقصد اكتساب القوت والرزق ففيه ثلاث دلالات هامة:

---

(١) جعبة النشاب والنبل. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤٤٨/٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٠٧/٥، والمنتظم، قافية الدال ١٠٨/٣.

(٤) سنن ابن ماجه ٢١٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٤٥).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/٤.

الأولى: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمّل الله تعالى بهما نبيه محمداً ﷺ. لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة، وكان له في الحنّو والشفقة كالأب الشفوق، ولكنه ﷺ ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب، ويجهد جهده لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤونة الإنفاق عن عمه. وربما كانت الفائدة التي يجنيها من وراء عمله الذي اختاره الله له، فائدة قليلة غير ذات أهمية بالنسبة لعمه أبي طالب، ولكنه على كل تعبير أخلاقي رفيع عن الشكر، وبذل للوسع، وشهامة في الطبع، وبرّ في المعاملة.

الثانية: وتتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا. لقد كان سهلاً على القدرة الإلهية أن تهيئ للنبي ﷺ، وهو في صدر حياته، من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعياً وراء القوت.

ولكن الحكمة الإلهية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه، وشر المال ما أصابه الإنسان وهو مستلق على ظهره دون أن يرى أي تعب في سبيله، ودون أن يبذل أي فائدة للمجتمع في مقابله.

الثالثة: إن صاحب أي دعوة، لن تقوم لدعوته أي قيمة في الناس إذا ما كان كسبه ورزقه من وراء دعوته أو على أساس من عطايا الناس وصدقاتهم. ولذا فقد كان صاحب الدعوة الإسلامية أحرى الناس كلهم بأن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة أو فضل في دنياه فيعوقه ذلك عن أن يصدع بكلمة الحق في وجهه غير مبال بالموقع الذي قد تقع من نفسه.

وهذا المعنى وإن لم يكن قد خطر في بال الرسول ﷺ في هذه الفترة، إذ إنه لم يكن يعلم بما سيوكل إليه من شأن الدعوة والرسالة الإلهية، غير أن هذا المنهج الذي هيأه الله له ينطوي على هذه الحكمة ويوضح أن الله تعالى قد أراد أن لا يكون في

شيء من حياة الرسول قبل البعثة ما يعرقل سبيل دعوته أو يؤثر عليها أي تأثير سلبي، فيما بعد البعثة)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٢].

قال ابن حجر: (المراد بالخيرية ما يستلزم العمل باليد من الغنى عن الناس. وفي الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد)[٣].

قال ابن الجوزي: (إن كمال العز وبعد الرياء إنما يكون في البعد عن العمّال الظلمة، ولم نر من صح له هذا إلا في أحد رجلين: إما من كان له مال كسعيد بن المسيب، كان يتجر في الزيت وغيره، وسفيان الثوري كانت له بضائع وابن المبارك. وإما من كان شديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه، كبشر الحافي وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجد الإنسان كصبر هذين، ولا كمال أولئك، فالظاهر تقلبه في المحن والآفات، وربما تلف دينه. فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس، فإنه يجمع لك دينك. فما رأينا في الأغلب منافقاً في التدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم إلا بحبّ الدنيا، وغالب ذلك الفقر)[٤]. (فأسعد الناس من له قوت دارٌ بقدر الكفاية، لا مِنْ مِنَنَ الناس وصدقاتهم وقد قنع به. وأما إذا لم يكن له قوت

---

(١) فقه السيرة، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٨/٤.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٣٩.

يكفي فالهمُّ الذي يريد اجتماعه في تلك الأمور يتشتت ويصير طالباً للتحيل في جمع القوت، فيذهب العمر في تحصيل قوت البدن الذي يريد من بقائه غير بقائه. ويفوت المقصود ببقائه، وربما احتاج إلى الأنذال)[1].

(١) المرجع السابق ٤٠٣.

الحديث رقم (٦٠١)

٦٠١- وعنه، عن رسول الله ﷺ، أنَّه قَالَ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العنان: سَير اللّجَام الذي تُمسك به الدابة[2].

يَطيرُ: يُسْرِعُ[3].

متنه: ظَهْرُهُ[4].

الهيعةً: الصوت للحرب[5].

الفزعة: الصوت للحرب[6].

مظان الشيء: المواضعُ التي يُظِنُّ وجودُهُ فيها[7].

غُنَيمَةٍ: تصغير الغنم[8].

الشعفةُ: أعلى الجبل[9].

---

(١) برقم ١٨٨٩/١٢٥. وسيأتي برقم ١٣٠١، أورده المنذري في ترغيبه ١٨٤٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ن ن).

(٣) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٤) رياض الصالحين ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق ٢٧١.

(٧) المرجع السابق ٢٧١.

(٨) المرجع السابق ٢٧١.

(٩) المرجع السابق ٢٧١.

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رجل) ورجل بالابتداء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي معاش رجل هذا شأنه من خير معاش الناس وقوله (لهم) أي معاش الناس الكائن لهم لا عليهم أي هو من خير معاشهم النافع لهم، وقوله (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّه) كناية عن دوام الاستعداد للجهاد في سبيل الله في كل وقت، وذكر العنان يشير إلى تمام السيطرة، والفرس لتمام إعداد العدة ، وآلة الحرب، والتعبير بالطيران يشير إلى الخفة في إجابة الداعي الأمر الذي يوحي بمحبته للجهاد ، لأن النفس تخف إلى ما تحب وتثقل عندما تكره ، وقوله (على متنه) يشير إلى التمكن، والتعبير بـ(كلما) يشير إلى العادة في الفعل وقوله (هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) كناية عن شجاعته ، ورغبته فيه، والهيعة والفزع صوت المنادي للحرب ، والمستغيث، والتعبير بالماضي الدال على التحقق يؤكد السرعة في التلبية ، وتمام الاستعداد رغبة في الشهادة، ومظان الموت أماكن غلب الظن على وقوعه فيها ، (أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ) والشعفة أعلى الجبل ، والإشارة (هذه) في هذه العبارة والتي تليها للتحقير ؛ لأنه لا يبحث عن ترف ، و تصغير غنيمة للتحقير الذي يوحي بأن الرجل لم يسع إلى طلب دنيا بل سعى إلى عزلة لتفريغ القلب للعبادة وهو ما صورته الأفعال في صورة المضارع الدال على التجدد ، والاستمرار (يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ) إلى الغاية المنتظرة (حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يوذي الناس ، ولا يؤذونه .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتنة وفساد الناس.

ثالثاً: من واجبات المدعو: إمساك الأذى عن الناس وجلب الخير لهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

إن الجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال وأعلاها، فمن قام به فقد ضحّى بنفسه وماله، وهذا واضح في قوله ﷺ: "من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه"، قال النووي: (المعاش هو العيش وهو الحياة، وتقديره - والله أعلم - من خير أحوال عيشهم رجل ممسك [عنان فرسه] يسارع على ظهره وهو متنه، كلما سمع هيعة، وهي الصوت عند حضور العدو... والفزعة - بإسكان الزاي - النهوض إلى العدو... ومعنى "يبتغي القتل مظانه": يطلبه في مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة، وفي هذا الحديث فضيلة الجهاد والرباط والحرص على الشهادة)[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ المُجَاهِدِ في سبيلِ الله مَثَلُ الصائم القائم الذي لا يَفْتُرُ مِنْ صلاةٍ ولا صِيَامٍ، حتى يَرْجِعَ))[2].

قال ابن عبدالبر: (هذا أفضل حديث وأجله في فضل الجهاد، لأنه مثله بالصلاة والصيام وهما أفضل الأعمال، وجعل المجاهد بمنزلة من لا يفتر عن ذلك ساعة؛ فأي شيء أفضل من الجهاد؟ يكون صاحبه راكباً، وماشياً، وراقداً، ومتلذذاً بكثير من حديث رفيقه وأكله وشربه، وغير ذلك مما أبيح له؛ وهو في ذلك كله كالمصلي التالي للقرآن في صلاته الصائم مع ذلك المجتهد، إن هذا لغاية في الفضل وفقنا الله برحمته.

ولهذا ومثله قلنا: إن الفضائل لا تدرك بقياس ونظر والله المستعان، وحسبك من فضل الجهاد بقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[3])[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٧٧، ومسلم ١٨٧٨.

(٣) سورة الصف، آية: ١٠-١١.

(٤) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر، رتبه محمد بن عبدالرحمن المغراوي ٣٣/١١.

جاء في الموسوعة الفقهية: (فضل الجهاد عظيم، وحاصله بذل الإنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى، وتقرباً بذلك إليه سبحانه وتعالى... وأفضل ما يتطوع به الجهاد، وقد قال أحمد بن حنبل: لا أعلم شيئاً بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وقد روى هذه المسألة عن أحمد جماعة من أصحابه، قال أحمد: الذين يقاتلون العدو هم الذين يدافعون عن الإسلام وعن حريمه، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم. والأحاديث متظافرة بذلك"[(١)].

قال ابن القيم: (وأما الجهاد فناهيك به من عبادة هي سنام العبادات وذورتها وهو المحكّ والدليل المفرق بين المحب والمدعي، فالمحب قد بذل مهجته وماله لربه وإلهه متقرباً إليه ببذل أعز ما بحضرته يودّ لو أن له بكل شعرة نَفْساً يبذلها في حبه ومرضاته ويود أن لو قتل فيه ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل فهو يفدي بنفسه حبيبه وعبده ورسوله، ولسان حاله يقول:

يفديك بالنفس صبٌّ لو يكون له ... أعز من نفسه شيء فداك به [(٢)]

فهو قد سلّم نفسه وماله لمشتريها وعلم أنه لا سبيل إلى أخذ السلعة إلا ببذل ثمنها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ﴾[(٣)])[(٤)].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل العزلة عند الفتنة وفساد الناس:

أعز ما يملك المسلم في هذه الدنيا دينه، يحافظ عليه بالغالي والنفيس، ويستعين على ذلك بكل الوسائل والطرق المشروعة، وقد تكون العزلة أفضل هذه الطرق كما هو واضح في قوله ﷺ: "من خير معاش الناس" ثم ذكر: "أو رجل في غنيمة في رأس

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٢٧، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/٥.

(٢) محاضرات الأدباء ٢/٥٨، المستظرف قافية الحاء ٢/٣٩٤، ونسبه الشاعر الوأواء الدمشقي - العصر العباسي.

(٣) سورة التوبة، آية:١١١.

(٤) مفتاح دار السعادة ٢/٤.

شعفة من هذه الشعف أو بطن من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين".

ذكر الطيبي عن هذا الجزء من الحديث أنه جاء (وصفاً لقناعة هذا الرجل بأنه سكن في أحقر مكان ويجتزئ بأدنى قوت، واعتزال الناس بكفه شره عنهم ويستكفي شرهم عنه ويشتغل بعبادة ربه حتى يجيئه الموت. وعبّر عن الموت باليقين ليكون نصب عينيه مزيداً للتسلي فإن في ذكر هازم اللذات ما يعرضه عن أغراض الدنيا ويشغله عن ملاذها بعبادة ربه. ألا ترى كيف سلّى حبيبه صلوات الله عليه حين لقى ما لقى من أذى الكفار بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[1].

... وفي تخصيص ذكر المعاش تلميح، فإن العيش المتعارف بين أبناء الدهر هو استيفاء اللذات والانهماك في الشهوات كما سميت البيداء المهلكة بالمفازة والمنجاة، واللديغ بالسليم، وتلميح إلى قوله ﷺ: ((اللّهمَّ لا عَيشَ إلا عَيشُ الآخرهْ))[2]، وفيه أن لا عيش ألذ وأمرأ وأشهى وأهنأ مما يجد العبد من طاعة ربه ويستروح إليها حتى يرفع تكاليفها ومشاقها عنه. بل إذا فقدها كان أصعب عليه مما إذا وتر أهله وماله... وجماع معنى الحديث: الحث على مجاهدة أعداء الدين، وعلى مجاهدة النفس والشيطان والإعراض عن استيفاء اللذات العاجلة)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب العلماء إلى أفضلية العزلة عند ظهور الفتن وفساد الناس، إلا أن يكون الإنسان له قدرة على إزالة الفتنة فإنه يجب عليه السعي في إزالتها بحسب الحال والإمكان. وأما في غير أيام الفتنة فقد اختلف العلماء في المفاضلة بين العزلة والاختلاط)[4].

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩٣٢، ومسلم ٥٢٤، وعندهما: (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٧١/٧.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٣/٢٠.

وقال د. عائض القرني: (للعزلة فوائد كثيرة ومنافع وفيرة، منها جمع القلب على طاعة الرب، وكف اللسان عن الغيبة واللغو وردئ القول والبعد عن الحاسد والشامت، ومتتبع السقطات، والفارح بالغلطات، والجامع للزلات ومفارقة الثقيل، والبعد عن سوء الظن، والسلامة من ضياع الزمان الذي هو أشرف العطايا، واليأس مما في أيدي الناس، وحبس الفكر على استجلاء الفكر، والبعد عن كل مشوش، والأمان من لدغ الأقران، ومنة الإخوان، وحقوق الخلان، ومطالب الجيران، والابتعاد عن النظر إلى زينة الدنيا والاستحسان لما ذمه الله من زخرفها وعابه من زبرجد غرورها، والنأي عن منافسة أهلها ومباراة خدامها ومعاداة أبنائها ومحاكات أخدانها في طمعهم وجشعهم.

وفي العزلة خلوة للقلب من الهموم، وحمية البال من الغموم، وسلامة الخاطر من الكدر، ومطالعة العقل للعبر.

وفي العزلة الاستعداد للموت، والتأهب للفوت، وتدبير أمر القوت، والنجاة من الغوغاء، وأقاويل الدهماء، وأراجيف الأعداء، وفضول الثقلاء.

وفي العزلة الأمان من حيف السلطان؛ لأن في الخلطة فرصة للنمام لنقل الكلام، وعدم التحرز من اللسان عن العوام، فرب كلمة سقط معها الرأي أو وقع على النفس منها بأس، سببها مجالسة الناس.

وفي العزلة التحفظ من الاسترسال في حال الغفلة والانبساط في أحاديث يطير بها الناس فتحمل على غير محملها، ويتأولونها على غير تأويلها وتجر على صاحبها الويلات والأمور المدلهمات.

وفي العزلة حفظ الأنفاس مع نفائس وتلقيح الفهوم بقطوف الحكمة وثمار المطالعة وأبكار الأفكار، ونتائج القراءة ودرر الاستنباط وبدائع التأمل، ومجالسة من سلف مع كتبهم وعلومهم وكنوز ميراثهم.

وفي العزلة الابتعاد عن أسباب قسوة القلب، من كثرة الكلام، وفضول النظر والخلطة، والمزاح، والتهتك في الضحك، ومجاراة السفهاء، ومداهنة الكبراء، ومنافسة الأغنياء، ومجادلة الأغبياء.

وفي العزلة حفظ الجاه، وصون العرض من التبذل.

وفي العزلة تعلو قيمة المرء كاختفاء الشمس حتى يعرف نفعها، واحتجاب القمر حتى تظهر فائدته، فما رفع الدر في النحور إلا لأنه اختفى في البحور.

وفي العزلة إقامة ناموس الهيبة، وإقامة دولة العز في النفس والناس، وحبس الطبع عن سرقة العادات، فإن الطبع لص يَسْرق والنفس تهوى التقليد، فمن جلس مع أبناء الزمان، وضيع العمر مع من يسمَّوْن بالإخوان، سرق منهم سقوط الهمم، وموت الذمم وبرود العزائم، وكثرة الأماني، وسماع الأراجيف، ونشر المعائب، والاشتغال بالتوافق، والإقبال على ما يشغل وترك المهمات وهجران الصالحات، وحب البطالة والكسل في العبادة، والإعراض عن العلم، وإزجاء الوقت في قيل وقال، وبيع الأيام في سوق الأماني، ومشاركتهم في مقاصدهم، ومصاحبتهم في مكاسبهم)[1].

ثالثاً- من واجبات المدعو: إمساك الأذى عن الناس وجلب الخير لهم:

ما أجمل أن يكون المدعو جالباً الخير للناس وممسكاً الشر عنهم، مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، فإن من تحلّى بذلك فإنه يكون ذا منزلة طيبة ومكانة عالية، وبهذا وصف النبي ﷺ الرجل المعتزل بأنه "ليس من الناس إلا في خير" وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: ((رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللّهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ))[2].

قال ابن هبيرة عن حديث الباب: (هذا الحديث يدل على أن خير الكسب الجهاد، لأنه يكون فيه إرغام أعداء الله وإعزاز أوليائه، وعلى هذا القياس كل كسب يكون في فروض الكفايات وتحمل بعض أعباء الخلق، كالزراعة والتجارة في جلب الأشياء النافعة لعموم الناس وغير ذلك، فإنه تكون من أطيب الكسب الذي يجمع فيه

---

(١) هكذا حدثنا الزمان، د. عائض بن عبدالله القرني ص ٩-١١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٦، ومسلم ١٨٨٨.

الكاسب بين الارتزاق ونفع الخلق)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[٢].

ويوضح النبي ﷺ أن المسلم جالب للخير لنفسه ولأهله ومجتمعه فيقول: ((كلُّ سُلامي[٣] منَ النَّاس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: يَعْدِلُ بينَ الاثنَينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرَّجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ علَيها أوْ يَرفعُ علَيها مَتاعَه صَدقةٌ، والكلمَةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوَةٍ يَخطُوها إلى الصَّلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقةٌ))[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي للعبد -إذا آثر العزلة- أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره. ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحدٍ فهو متكبر)[٥].

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

لقد رغّب النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله وحب الاستشهاد واعتزال الناس عند خوف الفتنة، بأن أخبر أن ذلك من خير معاش الناس وأشرفه[٦]، أي من خير أحوال عيشهم في الدنيا والآخرة، قال الطيبي: (وجماع معنى الحديث: الحث على مجاهدة أعداء الدين، وعلى مجاهدة النفس والشيطان والإعراض عن استيفاء اللذات العاجلة)[٧].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٣) السلامي: المفصل، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٩١، ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٥/٣٠.

(٦) انظر: المفهم، القرطبي ٧٢٣/٣.

(٧) شرح الطيبي على المشكاة ٢٧١/٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأصل في العلاقات الإنسانية التعارف والتآلف لا التباغض والتنافر، فإذا ترتب على ذلك ما لا يحمد فقد وجبت العزلة أحياناً وصارت مستحبة أحياناً أخرى، بحسب مقتضى الحال ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية الوقائية:

إن العزلة عن كل ما يشغل عن الخير والطاعة دواء عزيز جرّبه أطباء القلوب فنجح أيما نجاح. والاجتماع المحمود والاختلاط الممدوح في الصلوات والجُمَع ومجالس العلم والتعاون على الخير، أما مجالس البطالة والعطالة فحذارِ حذار، ولذا فالواجب عليك إقبالك على شأنك والانزواء في غرفتك إلا من قول الخير أو فعل خير حينها تجد قلبك عاد إليك، فسلم وقتك من الضياع، وعمرك من الإهدار، ولسانك من الغيبة، وقلبك من القلق، وأذنك من الخنا ونفسك من سوء الظن، ومن جَرَّب عرف" [(١)].

إن أحاديث الباب ترشد المسلم إلى اعتزال الفتن حفاظًا على الدين، والمتأمل لأحاديث الرسول ﷺ ومواقف السلف أيام الفتن يجد فيها التحذير الشديد من المشاركة فيها بأي نوع من أنواع المشاركة وضرورة اعتزالها وأهلها ففي ذلك النجاة بإذن الله تعالى، وفي ذلك العافية والسلامة في الدنيا والآخرة، ما نقل إلينا من مواقف السلف، ومَنْ بعدهم شاهدة بذلك، فما من أحد اختار لنفسه العزلة أيام الفتن إلا كان محمود العاقبة، قال ابن تيمية: ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجرى بين المسلمين تبين له أنه ما دخل فيها أحد فحمد عاقبة دخوله لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه والإمساك عنها من المأمور به" [(٢)].

ثانيًا- التربية بالعزلة والمخالطة:

"إن العزلة تعني اعتزال الفرق الضالة وعدم ألفة الفاسدين، وهي دواء للنفس والقلب

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني، ٣٠، ٣١.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٣/٥٦١.

ونجاة للإنسان من الشرور والآثام، ووسيلة للحفاظ على القلب من الضياع، ومعايير العزلة ألا تكون على حساب الوقت وآدابه، ولا تؤدي إلى تضييع حق، أو ضياع علم أو ضياع رزق، ومن لزم العزلة والخلوة يكون أقل عرضة لفضيحته في الدنيا. والعزلة نوعان فريضةٌ، وهي الاعتزال عن الشر وأهله، وفضيلةٌ وهي العزلة عن الفضولِ وأهله والفتنِ لا تظهر إلا بالخلطة" (١).

ومن فوائد العزلة في التربية الذاتية "التفرغ للعبادة والتفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، وكذلك اعتزال أهل الفسق والباطل ومفاصلتهم وخاصة أثناء مقارفتهم للمعاصي والمنكرات كي يسلم المرء من أذاهم وباطلهم، ومن فوائد العزلة الابتعاد عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبًا بالمخالطة مثل الغيبة والنميمة والرياء والتربية للناس، وإذا تخلصت الذات من شرورها وسلبياتها أصبحت قوة فعّالة واتجهت للبناء والتنمية والسمو بالذات إلى مراتب الكمال، ومن فوائدها الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها" (٢).

وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله ﷺ.

فاختيار المخالطة مطلقا خطأٌ، واختيار الانفراد مطلقا خطأٌ. وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال فهذا يحتاج إلى نظر خاص" (٣).

لقد حثت نصوص السنة على الترابط الاجتماعي، وعلى فعل الخير بأسلوب مطلق ففي الحديث: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ والمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى

---

(١) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٧١.

(٢) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ص١٢٩، ١٣٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ٤٢٥/١٠ بتصرف.

دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))[1]، كل ذلك يدل على التفاعل الاجتماعي بين المسلم وغيره ومن السنن النبوية ما يؤكد قوة الرابطة بين المسلم وغيره، فلا يوجد نص يدعو إلى العزلة مطلقًا إلا لضرورة تقدر بقدرها.

فمما أمرنا به: اتباع الجنائز وعيادة المريض ورد السلام وتشميت العاطس وبذل المعروف وإلقاء السلام وإغاثة الملهوف وإعانة الآخرين على دوابهم والأخذ بيد العاجز والإقراض للفقير والإنساء للمدين المعسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فهل يكون ذلك كله إلا في إطار العلاقات الاجتماعية.

إن الارتباط والاختلاط هو الأصل في الإسلام، وإن حقوق الوالدين أو الزوجة والأولاد والجيران والرحم المحرم وذوي القربى والمسلمين لتوجب هذا الارتباط والاختلاط.

إن أداء التكاليف الشرعية مدعاة إلى إحياء هذه الروح، فالصلاة في جماعة وشهود الجنائز وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف والكسوف فضلاً عن الجمعة كل هذا داعٍ إلى الاختلاط والارتباط.

كما أن الصبر على أذى الآخرين، وتحمل المكاره، والعفو عن الزلات والهفوات كل هذا مما يكسب أجرًا ويعلي قدرًا.

إن العزلة في الإسلام مقيدة بالخوف على الدين، وذلك عند اليقين من كون الاختلاط مفسدة، ويفضي إلى غير محمدة.

وقد وردت في الأحاديث بعض الأساليب التربوية التي يمكن أن يستفاد منها في العملية التعليمية، منها:

١- الإلقاء: كما في حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه مرفوعًا: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ)) والإلقاء يكون بقيام المعلم بعرض معلومات أمام المتعلمين، في وقت وجيز، فَضْلاً عن كونه مناسبًا لمن تقدم في التعليم كالمتعلمين في المدارس

---

(١) أخرجه البخاري، ١٠، ٦١١٩، ومسلم، ٤١.

الثانوية والجامعات.

٢- الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلاّ رَعَى الغَنَمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم...)) والحوار والمناقشة من الأساليب التي تتميز بتفعيل دور المتعلم التعليمية وتتميز بقوة بقاء أثر التعلم.

٣- التربية على إتيان أفضل الأعمال: وهذا واضح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((قال رجل أي الناس أفضل؟ قال: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَال: ثُمَّ مَنْ؟...)). وقوله صلى الله عليه وسلم: ((مِنْ خيرِ معاشِ الناسِ رجلٌ مُمْسِكٌ عِنَانِ فَرَسِهِ في سبيلِ الله يطيرُ على مَتْنِهِ كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً أو فَزْعَةً طارَ...)) الحديث.

❁ ❁ ❁

٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمَعِهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر عَلَى الأذى

اعْلم: أنَّ الاختلاط بالنَّاسِ عَلَى الوجهِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدون، ومن بعدَهُم مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابعِينَ، ومن بَعدَهُم من عُلَماءِ المُسلمين وأَخْيَارِهم، وَهُوَ مَذْهَبُ أكثرِ التَّابعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وبه قَالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأكثرُ الفقهاءِ رضي اللهُ عنهم أجمعين. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢٠] والآيات في معنى مَا ذكرته كثيرة معلومة.

٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[النجم: ٣٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[الأعراف: ٤٨-٤٩].

الحديث رقم (٦٠٢)

٦٠٢- وعن عِيَاضِ بنِ حمارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عياض بن حِمار: هو عياض بن حِمار بن أبي حمار بن ناجية المجاشعي التميمي.

كان صديقًا قديمًا لرسول الله ﷺ قبل أن يبعث. وكان إذا قدم مكة لا يطوف إلا في ثياب رسول الله ﷺ، لأنه كان من الذين لا يطوفون إلا في ثوب أحمسي[٢].

ولما بعث النبي ﷺ ظل عياض على شركه وأهدى للنبي ﷺ هدية فلم يقبلها منه وقال له: إنا لا نقبل زَبْد المشركين؟ فاستفسر فقال: وما زَبْد المشركين؟ قال: رِفْدُهُم، هديتهم[٣]. ثم أنعم الله عليه بالإسلام، وقد سأل النبي ﷺ عن الرجل من قومه يشتمه وهو أقل منه مكانةً: هل عليه من بأس إن رد عليه وانتصر لنفسه؟ فقال ﷺ (المستبَّان شيطانان يتهاذيان ويتكاذبان)[٤].

نزل العراق فسكن البصرة وتوفي في خلافة علي بن أبي طالب أو ما بعدها[٥].

غريب الألفاظ:

لا يبغي: لا يعتدي[٦].

---

(١) برقم ٢٨٦٥/٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٦٥.

(٢) الأحمسي من الحُمْس وهم أهل قريش، سموا لذلك لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م س).

(٣) أخرجه أحمد ١٦٢/٤ رقم ١٧٤٨٢ وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٩/٢٩-٣٠. وهناك خلاف في قبول هدايا المشركين، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧١/٥.

(٤) أخرجه أحمد ١٦٢/٤ رقم ١٧٤٨٣ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٠/٢٩-٣١.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٦/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٧١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣١١/٤ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٠٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٣٦/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٣.

(٦) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ع ي).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول نوعا من العباد اختص بميزة في الدنيا خصته بمحبة الله، وهي أعظم ما يسعى إليه المحبون فكم من محب لحبيب لا يعيره نظرا !، وهؤلاء نالوا محبة الله تعالى التي تعني التوفيق، والتقريب، والحماية من كل ما يخشاه المؤمن في حياته، وبعد مماته وقول الرسول ﷺ (إنَّ الله يُحِبُّ) مؤكدة بحرف التوكيد، واسمية الجملة، تعظيما للخبر، وصرفا للمخاطبين للعناية به، ثم إن تصدر لفظ الجلالة الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين توجل قلوبهم بذكره لأنه يبث في النفوس الهيبة والجلال بقدر صفاء هذه النفوس﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الحج: ٢٥]. هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره من كل ألفاظ كل لغات البشر، وقوله (العبد) اللام فيه للجنس فيشمل كل عبد كانت هذه صفته وجملة الصفات بعده تبين الخصوصية التي أوجبت له المحبة وهي جملة الصفات (التَّقِيَّ الغَنِيّ الْخَفِيَّ) وليست على انفرادها؛ لأن التقوى تستلزم مراقبة الله تعالى فتضبط حركته، وسكنته بضابط الشرع، والغنى يستلزم ذله لله وحده، واستغنائه عن الناس، وهو شعور قلبي يجعله يستشعر أنه مالك للدنيا؛ لأنه يتصرف بحول الله، وقوته فما عساه أن يحتاج من الناس؟!، وقوله (الخفي) يستلزم الإخلاص، والخمول في الناس، لأنه مشغول بالله عن الناس، ولذلك استحق - تفضلا - هذه المحبة الغالية من ربه.

فقه الحديث

بوّب النووي على هذا الحديث في الأذكار: باب النهي عن الافتخار[1].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٩٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل التواضع وعدم التعالي.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

رابعًا: من آداب المدعو: التواضع وعدم الكبر والبغي.

خامسًا: من أهداف الدعوة: تعميق المحبة والمودة بين الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ عن أن الله عز وجل "أوحى إليَّ" أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد. فأخبر ﷺ أن الله عز وجل أمر بالتواضع، لأن ذلك يؤدي إلى ألا يظلم أحد أحدًا، ولا يفخر إنسان على غيره.

وهذا الحديث في صحيح مسلم مطول، قد جاء بصيغة الإخبار: أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، يَوْمِي هَذَا. كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ. وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ. وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ...)) الحديث[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل التواضع وعدم التعالي:

خلق الله الناس سواسية لا فضل لأحد على أحدٍ إلا بالتقوى والعمل الصالح، لذا أمر سبحانه وتعالى بالتواضع وعدم التعالي، كما أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد". قال القرطبي: (وقوله: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد" التواضع نقيض التكبر، والتكبر: هو الترفع على الغير، فالتواضع: هو الانخفاض للغير، وحاصله أن المتكبر يرى لنفسه مزيَّةً على الغير تحمله على احتقاره، والمتواضع لا يرى لنفسه مزية، بل يراها لغيره بحيث يحمله ذلك على الانخفاض له مراعاة لحقه. ولاشك أن الكبرَ مذموم، فمنه

---

(١) أخرجه مسلم ٦٣ - ٢٨٦٥.

كفر، وهو الكبر على الله، وعلى أنبيائه، وماعداه من الكبائر. والتواضع أيضًا منه أعلى وأدنى، والأعلى: هو التواضع لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله، والأدنى ما عداه والله أعلم)[١].

وقال ابن عثيمين: (قوله ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا" يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر منه مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد وهذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عز وجل ولإخوانه من المسلمين)[٢]. فلا يفخر أحد على أحد مما امتحنه الله به من المال الوافر أو الحسب الفاخر أو المنصب العريض، ولا يظلم الناس أو يعتدي عليهم مستندًا إلى ذلك، فأما التذلل لأهل الدنيا والتدلي عن العزة الإسلامية والركون إلى الجبن والخور في مواقف الجد والحزم فليس من قبيل التواضع في نظر الإسلام. والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض في الحكم وإظهار الذل لمن يراد تعظيمه وقبول الحق من كل من قاله ولو خالف الهوى ورفعة المنصب[٣].

لذا كان التواضع من صفات عباد الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤].

قال القاسمي: (أي هينين أو مشيًا هينًا، أي بسكينة وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون نعالهم أشرًا وبطرًا، "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا"، أي إذا خاطبهم

---

(١) المفهم، القرطبي ٧/١٤٠-١٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٨٨٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٧٧.

(٤) سورة الفرقان، آية:٦٣.

السفهاء بالقول السيئ لم يقابلوهم بمثله بل قالوا كلامًا فيه سلام من الإيذاء والإثم سواء كان بصيغة السلام كقولهم: "سلام عليكم"، أو غيرها مما فيه لطف في القول أو عفو أو صفح وكظم للغيظ، دفعًا بالتي هي أحسن)[1].

وقال ابن القيم: (إن الله سبحانه مدح عباده الذين ذكرهم في هذه الآيات بأحسن أوصافهم وأعمالهم فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ فـ"سلامًا" هنا صفة لمصدر محذوف هو القول نفسه أي قالوا قولاً سلامًا، أي سدادًا وصوابًا وسليمًا من الفحش والخنا، ليس مثل قول الجاهلين الذين يخاطبونهم بالجهل. فلو رفع السلام هنا لم يكن فيه المدح المذكور بل كان يتضمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون سلّموا عليهم، وليس هذا معنى الآية ولا مدح فيه، وإنما المدح في الإخبار عنهم بأنهم لا يقابلون الجهل بجهل مثله بل يقابلونه بالقول السلام فهو من باب دفع السيئة بالتي هي أحسن التي لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم، وتفسير السلف وألفاظهم صريحة بهذا المعنى.

وتأمل كيف جمعت الآية وصفهم في حركتي الأرجل والألسن بأحسنها وألطفها وأحكمها وأوقرها فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي بسكينة ووقار. والهون بفتح الهاء من الشيء الهين وهو مصدر هان هونًا أي "سهل"، ومنه قولهم: يمشي على هينته، ولا أحسبها إلا مولدة. فوصف مشيهم بأنه مشيُ حلم ووقار وسكينة لا مشي جهل وعنف وتبختر ووصف نطقهم بأنه سلام فهو نطق حلم وسكينة ووقار لا نطق جهل وفحش وخنا وغلظة فلهذا جمع بين المشي والنطق في الآية فلا يليق بهذا المعنى الشريف العظيم الخطير أن يكون المراد منه: سلام عليكم. فتأمله)[2].

وقال ابن القيم كذلك: (قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾[3] أي سكينة ووقارًا متواضعين، غير أشرين ولا مرحين ولا متكبرين، قال

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي مج٧/١٢/٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) بدائع الفوائد ٢/١٥٨-١٥٩.

(٣) سورة الفرقان، آية:٦٣.

الحسن: علماء حلماء.

وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون. وإن سفه عليهم حلموا. "والهون" بالفتح في اللغة الرفق واللين. و"الهُون" بالضم: الهوان. فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان. والمضموم: صفة أهل الكفران وجزاؤهم من الله النيران)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ: "أوحى إليّ أن تواضعوا"، فالحديث أوله في صحيح مسلم: ((إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي))[٢]. أما التعليل فقوله ﷺ "حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد" فقد علل النبي ﷺ الأمر بالتواضع؛ لمنع الفخر والظلم والعدوان.

وينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكم والمنافع من وراء العبادات ذاتها مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى لقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٣] وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٤] وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥] وفي الحج: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[٦].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٠٨/٣.

(٢) صحيح مسلم ٦٣ - ٢٨٦٥.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٦) سورة الحج، آية: ٢٨.

فإذا كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن لبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيرًا من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرءًا عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون[١].

رابعًا- من آداب المدعو: التواضع وعدم الكبر والبغي:

إن التواضع خلق جميل يقرب صاحبه من الناس ومن قلوبهم، لأنه يحمله على عدم الظلم والبغي والافتخار. وهذا واضح من الحديث كله، وقد قال الله تعالى حكاية عن لقمان وهو يوصي ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢].

قال القاسمي: (ولا تصعر خدك للناس"، أي: لا تعرض بوجهك عنهم إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء في الحديث: ((وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ))[٣]، "ولا تمش في الأرض مرحًا"، أي خيلاء متكبرًا "إن الله لا يحب كل مختال"، أي معجب في نفسه "فخورًا" أي على غيره)[٤].

قال ابن القيم: (التواضع انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة بعباده، فلا يرى له على أحدٍ فضلاً، ولا يرى له عند أحدٍ حقًا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذاخلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه)[٥].

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٨٣.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٧٠، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٠٥).

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي مج٨/١٣/٢٠٢.

(٥) الروح ٢٣٣.

وقال عبدالله البسام: (التواضع هو التذلل والاستسلام للحق فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس، وبهذا فهو أعمّ من الخشوع الذي لا يكون إلا لله. وإذا اتصف الناس بهذا الخلق الكريم، فإنه لن يتكبر أحد على أحد، لأن التواضع ضد الكبر، ولن يبغى أحد على أحد، لأن المتواضع لا يرى لنفسه مزية على أحد فيتكبر عليه أو يبغى عليه، وإنما البغي والكبر ينشآن ممن يرى نفسه فوق الناس، وله ميزة عليهم تحمله على الكبر عليهم والبغي عليهم)[١].

وقد قال رسول الله ﷺ رؤيا عن ربه: ((الْعِزُّ إِزَارُهُ. وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ. فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ))[٢]. قال ابن هبيرة: (كذا فيما رأيناه في نسخ كتاب مسلم، وأخرجه البرقاني "يقول الله: العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني شيئًا منهما عذبته").

قال الخطابي: (معنى هذا الحديث أن الكبرياء والعظمة صفتان لله عز وجل اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وإنما ضرب الرداء والإزار مثلاً، يقول: -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد فلا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق)[٣].

وأقول: إن متن الحديث قوله: "العز إزاره، والكبرياء رداؤه" وهذا العز معرفة، يعني أنه العز الذي لا ينبغي لغيره. فأما العزُّ فإن المؤمن إذا اعتز بالله كان في الحسن على نحو الخضوع لهيبة الله، وليس الاعتزاز بالله منازعة له سبحانه في العز، بل إيمان بأن العزة له، وثقةً بأنه يُعزُّ حِزْبَهُ، وينصر عباده، قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤]. وأما قوله: "والكبرياء رداؤه" فإن ذلك مما ينبغي لكل أحد أن يخرج الكبرياء من جميع أجزائه؛ لأن العبودية منافية للكبرياء، بل يخضع العبد لربه ويذل لسيده)[٥].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٣٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢٠.

(٣) معالم السنن للخطابي ٦/٥٣-٥٤.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/٥٢-٥٣.

خامسًا- من أهداف الدعوة: تعميق المحبة والمودة بين الناس:

هذا واضح من الأمر بالتواضع وعدم التعالي، وذلك منعًا للظلم والبغي والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

قال ابن القيم: (لما كان الذل منهم رحمة وعطف وشفقة وإخبات عدّاه بأداة "على" تضمينًا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول؛ فالمؤمن ذلول كما في الحديث: ((المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل))[2]. وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب والنمام والبخيل والجبار، وقوله "أعزة على الكافرين"، هو من عزة القوة والمنعة والغلبة، قال عطاء رضي الله عنه: "للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته"، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[3].

فالشريعة الإسلامية تدعو إلى كل ما يعمق المحبة والمودة بين المسلمين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[4].

قال النووي: (فيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف. والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة. وفي إفشائه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) قال محقق مدارج السالكين: لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد ورد بلفظ: (... فإنما المؤمن كالجمل الأنف، حينما قيد انقاد...) رواه أحمد ١٧١٤٢/٢٨، وابن ماجه ٤٣، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤١).

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩. والنص من مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٠٨/٣ - ١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع والتهاجر والشحناء وفساد ذات البين التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه ولايخص أصحابه وأحبابه به)[1].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

الحديث رقم (٦٠٣)

٦٠٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ،وَمَا زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر فضل الجهاد، والعزلة للعبادة وتقوى الله يقوم على الحوار عن طريق السؤال، والجواب الذي يدل حيوية النص، والتواصل بين المتحاورين، وقد بدأ الحديث بسؤال من رجل (أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ اللهِ؟) والاستفهام ليس عن العمل بل عن صاحبه الذي نال به الأفضلية، وفي هذا تنويه بالعمل، وقول الرسول ﷺ (مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ) الكلام فيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن...، وذكر الجهاد بعد الإيمان يشير إلى سبب الأفضلية على عامة المؤمنين، وتقييد الجهاد بالنفس، والمال يعطيه خصوصية يفضل بها كل المجاهدين، وتقييد الجهاد بالجار، والمجرور (في سبيل الله) ينص على صفة الإخلاص لله في إتيان العمل، وسؤال الرجل (ثُمَّ مَنْ؟) سؤال عن مرتبة أسهل في أسبابها، ولعله رأى فيما أجيب به مشقة لا يستطيعها فسئل غيرها كأنه يسأل عن خصوصية له يستطيع أن يأتيها فجاءت إجابة النبي ﷺ (ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ) والربط بـ (ثم) خاصة يشير إلى مسافة يعلمها الله بين الاثنين في الأفضلية، وتنكير (رجل) لعدم إرادة التخصيص لتشمل كل رجل على هذه الصفة، وقوله (فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ) جناس يؤكد معنى الاعتزال بانفصال المكان عن الناس، والفعل المضارع في قوله (يعبد الله) يصور التجدد في أنواع العبادات ما بين صلاة، وصيام، وذكر وهو الانقطاع الهادف الموصول بالله، وليس مطلق انقطاع بل إنه لتفريغ القلب، والجوارح للعبادة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥٨٨/٦٩. وتقدم برقم ٥٥٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٥٥).

الحديث رقم (٦٠٤)

٦٠٤- وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صبيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النبيُّ ﷺ يفعله. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الدال على المقاربة (يوشك) يعطي الاستهلال خاصية يتفرد بها عن غيره، وتؤثر على المخاطبين لأنها تشعرهم بقرب طارق لا يعلمونه مما يحدث ترقبا يمهد لاستقبال المعنى، وذكر المسلم لأنه الحريص، والمَعْني بالآخرة، وَقَوْلُهُ ﷺ (خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ) خَصَّ الْغَنَمَ بِذَلِكَ؛ لأَنَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي صَاحِبِ غَنَمٍ، وَأَمَّا صَاحِبُ الإِبِلِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الأَمْوَالِ فَلا يَتَأَتَّى ذَلِكَ فِيهَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَصَّهُمْ بِذَلِكَ؛ لأَنَّ الْكَافَّ عَنْ الْفِتْنَةِ وَالْمُعْتَزِلَ لأَهْلِهَا مُقْتَصِرٌ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنْ الْمَالِ؛ لأَنَّهُ لا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْفِتْنَةِ وَلا عَوْنَ مِنْهُ عَلَيْهَا وَمَا يَكَادُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيْهَا إِلاَّ مُتَقَلِّلٌ مِنْ الدُّنْيَا، فَأَرْعَنُ الْفِتْنَةِ مُقْتَصِرٌ عَلَى مَا يُبْعِدُهُ عَنْهَا، أَوْ يُضْعِفُهُ عَنْ التَّشَوُّفِ إِلَيْهَا، وقوله (يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ) كناية عن تتبع مواقع الكلأ، والماء، وَقَوْلُهُ ﷺ (يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ) التعبير بالفرار يشير إلى سرعة توحي بشدة الحرص على الدين، وجمع الفتن يشير إلى كثرتها التي تستلزم الفرار، والباء في (بدينه) للسببية، وكلمة من في قوله (من الفتن) ابتدائية تقديره يفر بسبب دينه، ومنشأ فراره الدين ويجوز أن تكون الباء للمصاحبة، والحديث يكشف جانبا من الغيب المنتظر في آخر الزمان، والتي تكشف أكثرها في زماننا.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧ واللفظ له، ومسلم ١٥/٢١٦٨. وسيكرره المؤلف برقم ٨٦٣.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه استحباب السلام على الصبيان المميزين ... واتفق العلماء على استحباب السلام على الصبيان... ولو سلم الصبي على رجل لزم الرجَل ردُّ السلام)[١].

قال ابن حجر: (ويستثنى من السلام على الصبي ما لو كان وضيئًا وخشي من السلام عليه الافتتان فلا يشرع، ولا سيما إن كان مراهقًا منفردًا)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: إفشاء السلام.

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه:

كان أنس بن مالك رضي الله عنه من أعلام الصحابة رضي الله عنهم، صحب النبي ﷺ وجاهد معه وروى حديثه، وكان مثل كل الصحابة متبعًا لسنته. فقد مرّ أنس رضي الله عنه على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله، قال الذهبي عنه: (الإمام المفتي المقرئ المحدث راوية الإسلام أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادم رسول الله ﷺ، آخر أصحابه موتًا، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًا... وكان أنس يقول: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ. وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ. وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحُثُّنَنِي عَلَى خِدْمَتِهِ)[٣]، فصحب أنس نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر إلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايع تحت الشجرة)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٥/١٤/٧ ط/ دار الكتب العلمية، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٨ ط/ مكتبة الصفا، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٥/٤-٣٢٦ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣/١١ ط/ السلفية.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٩٥/٣ - ٣٩٧.

ودعا النبي ﷺ له فقال: ((اللّهمَّ ارزُقْهُ مالاً وولَدًا، وبارِكْ لهُ))، فقال أنس رضي الله عنه: (فإني لمن أكثر الأنصار مالاً)[1].

قال عبدالحميد طهماز: (هو أحد كبار رواة الإسلام من الصحابة الكرام، الذين قام بهم صرح السنة المطهرة، والذين شرفُوا بتلقيها من النبي ﷺ، فحفظوها وعلموها تلاميذهم من علماء التابعين، كانت قلوبُهم الأرضَ الطيبةَ التي بذر فيها النبيُ ﷺ بذور الخير بيده المباركة، فأعطت بعد زمن يسير عطاء خيّرًا طيبًا لم تعرف الإنسانية أنبل وأطيب منه، ولا زالت وستبقى إلى قيام الساعة تنتشي بعبيره وتستضيء بنوره.

وقد كان أنس رضي الله عنه من هؤلاء الحفظة النقلة، الذين اختارهم الله سبحانه ليكونوا أساتذة الإسلام، والأمناء عليه بعد رسول الله ﷺ، بل كان رضي الله عنه من كبار حفاظهم، فلم يسبقه في رواية السنّة سوى اثنين منهم، وهما: أبو هريرة وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فهو ثالث الصحابة حفظًا للسنة ورواية لها.

ووراء كثرة روايته للسنة عاملان هامان:

أولهما: ملازمته للنبي ﷺ أثناء خدمته له مدة عشر سنوات، مما ساعده على أن يتلقى الكثير من السنة عنه ﷺ مباشرة.

وثانيهما: امتداد عمره رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ الذي أعطاه فسحة زمنية كبيرة لتعليم السنة وتحفيظها للناس، فقد عاش بعد النبي ﷺ نيفًا وثمانين سنة، قضى العشرين الأولى منها متنقلاً في ميادين الجهاد أثناء حروب الردة والفتح، ثم استقر بعد ذلك في البصرة، فمكث فيها مدة تزيد على ستين سنة، وهويعلم الناس سنة رسول الله ﷺ. وتمكن خلال هذه المدة من تكوين طبقة من العلماء في البصرة يعتبرون سادة علماء التابعين! كان لهم أثر كبير في تاريخ الإسلام الفكري منهم، الحسن

---

(١) أخرجه البخاري١٩٨٢، ومسلم ٢٤٨٠، وعنده: (فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادّون على نحو المائة يوم).

البصري، وسليمان التيمي، وثابت البُناني، ومحمد بن سيرين، وحُميد الطويل، وغيرهم)[١].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: إفشاء السلام:

قد مرّ أنس رضي الله عنه على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في السلام على الصبيان تدريبهم على آداب الشريعة، وفيه طرح الأكابر رداء الكبر وسلوك التواضع ولين الجانب، قال أبو سعيد المتولي في التتمة: من سلم على صبي لم يَجْب عليه الرد، لأن الصبي ليس من أهل الفرض، وينبغي لوليه أن يأمره بالرد ليتمرن على ذلك)[٢].

وقال ابن هبيرة: (وفي هذا الحديث دليل على استحباب تسليم الرجل على الصبيان إذا مرّ عليهم، وإذا سلم عليهم قال: سلام عليكم يا صبيان، والمراد من التسليم عليهم أنه لا يحقر الصبي، ربما خرج عالمًا أو عابدًا، وكأن المسلم رأى بعين إيمانه منتهى أحدهم، ثم إن ذلك يكون سببًا لتعلم الصبي ذلك، فكأنه أودع تلك السنة من يغلب على ظنه أنهم أطول منه عمرًا)[٣].

وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ((ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصافُ من نفسك، وبذلُ السلام للعالَمِ، والإنفاقُ من الإقتار))[٤].

قال النووي: (قد جمع في هذه الكلمات الثلاث خيرات الآخرة والدنيا، فإن الإنصاف يقتضي أن يؤدي إلى الله تعالى جميع حقوقه وما أمره به، ويجتنب جميع ما نهاه عنه، وأن يؤدي إلى الناس حقوقهم ولا يطلب ما ليس له، وأن ينصف أيضًا نفسه فلا يوقعها في قبيح أصلاً، وأما بذل السلام للعالَم فمعناه لجميع الناس فيتضمن أن لا

---

(١) أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، عبدالحميد طهماز، سلسلة أعلام المسلمين رقم ٧ ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥/١١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٤/٥.

(٤) علقه البخاري في كتاب الإيمان: باب إفشاء السلام من الإسلام، فوق الحديث ٢٨، وانظر من وصله في: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

يتكبر على أحد، وأن لا يكون بينه وبين أحدٍ جفاء يمتنع من السلام عليه بسببه. وأما الإنفاق من الإقتار، فيقتضي كمال الوثوق بالله تعالى، والتوكل عليه والشفقة على المسلمين إلى غير ذلك)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ومن معاني السلام السلامة والأمن والتحية، ولذلك قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات كالهرم والأسقام والموت. قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٢] والسلام اسم من أسماء الله تعالى.

والسلام يطلق عند الفقهاء على أمور منها: التحية التي يحيى بها المسلمون بعضهم بعضًا، والتي أمر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه حيث قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٤] ذلك أن للعرب وغيرهم تحيات خاصة بهم، فلما جاء الإسلام دعا المؤمنين إلى التحية الخاصة وهي قول: "السلام عليكم" وقصرهم عليه وأمرهم بإفشائه.

والسلام أيضًا تحية أهل الجنة قال سبحانه: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٥].

وقد اختير هذا اللفظ دون غيره، لأن معناه الدعاء بالسلامة من الآفات في الدين والنفس، ولأنه في تحية المسلمين بعضهم لبعض بهذا اللفظ عهدًا بينهم على صيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم)[٦].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٤، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٠٧/٢ - ٤١٠، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) سورة النور، آية: ٦١.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٣-٢٤.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٥/٢٥-١٥٦ ومراجعها ومصادرها.

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

بعث الله محمدًا نبيًا ورسولاً، وأمر بطاعته واتباعه، وهذا لا يكون إلا بالتأسي والاقتداء به، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على هذا، كما يتضح في هذا الحديث. فقد سلّم أنس رضي الله عنه على الصبيان لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك. وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه عن أنس: (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله من ابن أم سليم يعني أنس بن مالك)[1].

وقد بلغ من شدة اتباع الصحابة النبي ﷺ وتأسيهم به ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: (اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتمًا من ذَهبٍ فاتخذَ الناس خَوَاتيم من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: إني اتخذتُ خاتمًا من ذهبٍ فنَبَذَه وقال: إني لن ألبَسَهُ أبدًا، فنَبذَ الناسُ خواتيمهم)[2].

قال النووي: (فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله)[3].

(ولقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثّل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق. وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة.

ولم تزل تلك السيرة تبدع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٧/ ٢٠ - ٢١، وقال محققو السير ٣/ ٤٠٠: رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٣.

وقد كان لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام، واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيدهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة)[1].

وقال الشافعي مبينًا فضل النبي ﷺ على أمته الواجب عليها اتباعه: (فصلّى الله على نبينا كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، وصلّى عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صلّى على أحد من خلقه، وزكانا وإياكم بالصلاة عليه أفضل ما زكّى أحدًا من أمته بصلاته عليه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، وجزاه الله عنا أفضل ماجزى مرسلاً عمن أرسل إليه، فإنه أنقذنا من الهلكة وجعلنا في خير أمة أخرجت للناس، دائنين بدينه الذي ارتضى واصطفى به ملائكته ومن أنعم عليه من خلقه فلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطنت نلنا بها حظًا في دين ودنيا أو دفع بها عنّا مكروه فيهما وفي واحدٍ منهما إلا ومحمد ﷺ سببها القائد إلى خيرها والهادي إلى رشدها الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبه للأسباب التي تورد الهلكة القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها، فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد، كما صلّى على إبراهيم وآل إبراهيم إنه حميد مجيد)[2].

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر ٢/٧٥.

(٢) الرسالة، الشافعي: محمد بن إدريس ٢٠٤هـ، تحقيق: خالد السبع العلمي، وزهير شفيق الكبّي ص ٤٥.

الحديث رقم (٦٠٥)

٦٠٥- وعنه، قَالَ: إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ أهل المَدينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبيِّ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأمَةُ: أي المرأة المملوكة خلاف الحرة[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدل دلالة قطعة على مدى تواضع النبي ﷺ ودماثة خلقه، ومحبته، ورحمته بالصغار، وقوله (إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ المَدينَةِ) الفعل الماضي يدل على ما وقع، وثبت، واللام في لفظ (الأمة) للجنس أي أمة شاءت وتكرار لفظ الأمة يحدث جناسا مع الفظة السابقة التي تقرر المعنى، ولفظ الجارية يدل على حداثة السن، مما يشير قمة التواضع من النبي ﷺ ثم إن إقدام الأطفال على مثل هذه الأفعال يشير إلى أنهم عرفوا الرحمة في خلق النبي، وأحبوه، وقد كان أهل الجاهلية من قريب يمر الواحد في طريق فيسلك الصبيان طريقا آخر من الخوف منهم، أو من بغضهم فتأمل الموقفين، وتأمل قوله (لتأخذ بيد) والتعبير بالأخذ باليد دلالة على شدة القرب، وعلى السيطرة، وسهولة الحركة لما كان يبديه ﷺ معهم من لين يشجعهم على ذلك، وقوله (فتنطلق) يصور سرعة حركة الجارية مع سهولة الحركة، والسلاسة في الانقياد من النبي ﷺ مع هذه الصغيرة، وتأمل التعبير بفعل المشيئة المسبوق بالظرف حيث الذي يحرر الحركة حتى تنقاد خلف مشيئة الصغيرة، وهو خير خلق الله ﷺ إنه مثال للتواضع، والرحمة يرغم أنوف المتكبرين في كل زمان، ومكان.

---

(١) برقم ٦٠٧٢ معلقًا. راجع: تغليق التعليق ٥/٩٥، والفتح ١٠/٤٩٠.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: لين الجانب والتباسط مع المدعو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: السعي في قضاء حوائج الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

لقد كان النبي ﷺ رأس المتواضعين، فكان يتواضع مع جميع المسلمين، الضعفاء وعلية القوم، ذلك واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت". قال ابن حجر: (قوله "فتنطلق به حيث شاءت"، في رواية أحمد[1]، فتنطلق به في حاجتها، وله[2] من طريق علي بن زيد عن أنس إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت، وأخرجه ابن ماجه[3] من هذا الوجه.

والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: "حيث شاءت"، أي من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة، والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[4].

قال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (وإذْ حرَّمَتِ النصوص الإسلامية الاستكبار بغير حق، وأبانت أن الكبر من قبائح أخلاق الإنسان، حثّت على التواضع

---

(١) مسند أحمد ٩٨/٣ رقم ١١٩٤١.

(٢) مسند أحمد ١٧٤/٣ رقم ١٢٧٨٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٤١٧٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٠٥/٩ - ٥٠٦، وانظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١١/٣ - ١١٣.

ابتغاء مرضاة الله ورغبت فيه، وأبانت أن من تواضع الله كافأه الله على تواضعه بالرفعة: ((وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله))[١]. وهذا من سنن الله في عباده، كما أن من استكبر وتعالى على خلق الله أذلّه الله.

ومن الملاحظ أن الناس يحبون المتواضع ويألفونه، ويكرهون المستكبر ويأنفون عنه ولا يألفونه، والسر في ذلك أن المتواضع ينزل نفسه إلى مستوى جلسائه فيعيش معهم بوداعة وانطلاق، ويعيشون معه بمثل ذلك، فيتم بينه وبينهم الإلف والوئام، وذلك يولد المحبّة، بخلاف المستكبر، فإنه يرفع نفسه فوق مستوى جلسائه، فيعيش وحده في جوّه النفسي المتعاظم، ويحيط نفسه بسياج شائك، لا وداعة فيه ولا انطلاق، وحين يرى جلساؤه ومعاشروه ذلك منه يبتعدون عنه بنفوسهم فلا يألفونه، ويرونه يضع نفسه فوقهم فيكرهونه، فكلتا الثمرتين من النتائج الطبيعية لكلا العملين.

يضاف إلى ذلك أن المتواضع لا يثير في الناس دافع المنافسة فيكون مألوفًا محبوبًا، بخلاف المستكبر فهو يثير في الآخرين دافع المنافسة بقوة، فيكون مكروهًا غير مألوف للنفوس، ولا سيما إذا كان هو في نظرهم دون المكانة التي يرفع نفسه إليها.

ولما كان التواضع من الأخلاق التي تملك القلوب بالمحبة، أمر الله رسوله بأن يخفض جناحه للمؤمنين، مع أنه ﷺ رفيع المكانة في نفسه، عظيم المنزلة عند الله فقال الله له: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢].

فكان صلوات الله وسلامه عليه يخفض جناحه للمؤمنين، فلا يتعاظم عليهم ولا يستكبر، ويجلس بينهم كواحد منهم، حتى يدخل عليه وهو في أصحابه من لا يعرفه فيقول: أيُّكم محمد؟

وربما كانت توقفه الأمة وتأخذ بيده ليقضي حاجة لها؛ روى البخاري عن أنس قال: إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ لتنطلق به حيث شاءت.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

وكان من تواضعه تحبُّبه إلى الصغار بالسلام عليهم والمسح على رؤوسهم ووجوههم، روى البخاري ومسلم عن أنس، أنه مرّ على صبيان فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[1].

وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال: ((صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلاَةَ الأُولَى "أي الظهر" ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ))[2]. من جؤنة عطار: أي من السلّة التي يضع فيها متاعه وعطره.

ولما للتواضع من أثر اجتماعي كبير أوحى الله إلى رسوله بأن يأمر المسلمين بأن يتواضعوا. روى مسلم عن عياض قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[3][4].

ثانيًا- من صفات الداعية: لين الجانب والتباسط مع المدعو:

إن لين الجانب من قبل الداعية من الأسباب التي تقربه إلى المدعوين وتجعل العلاقة بينه وبينهم عامرة، فيستطيع الداعية أن ينقل دعوته إلى المدعوين الذين يتقبلونها ويؤمنون بها، كما أن لين الجانب يجعل المدعوين يقصدون الداعية لقضاء حوائجهم كما هو واضح في هذا الحديث. وقد قال ابن القيم عن تواضع النبي ﷺ ولين جانبه - وهو إمام الدعاة-: (وكان ﷺ يخصف نعله ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسامًا متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب، رحيمًا بكل مسلم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٤) الوجيز في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢٩٧ - ٣٠١.

خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم... وكان ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد. وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل ليف عليه إكاف[١] من ليف)[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ. فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا. فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا))[٣].

قال النووي: (في هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم، ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدى بها وهكذا ينبغي لولاة الأمور، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأله حاجة أو تبريكًا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا)[٤].

وقد رغّب النبي ﷺ في لين الجانب مع الناس، فقال: ((حُرِمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ))[٥] وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المرء إذا كان هينًا لينًا قريبًا سهلاً قد يرجى له النجاة من النار بها[٦]. كما أخرج قبله حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ، فَلَاقِ النَّاسَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِمْ مُنْبَسِطٌ))[٧] وبوّب عليه: ذكر الأمر بالملاينة للناس في

---

(١) الإكاف: البردعة، الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٢٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٣، وانظر: تخريج ما في هذا النص من أحاديث في حواشي المحقق على مدارج السالكين.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٢٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٣٢.

(٥) أخرجه أحمد ٤١٥/١ رقم ٣٩٣٨، وقال محققو المسند: حسن بشواهده، وانظر هناك تتمة تخريجه ٥٢/٧-٥٣.

(٦) صحيح ابن حبان ٢١٥/٢ الحديث ٤٦٩.

(٧) أخرجه ابن حبان ٤٦٨ وقال محققه: حديث صحيح.

القول مع بسط الوجه لهم[١]. وقال السندي: (قوله "كل هين": يريد حسن الأخلاق حميد الخصال مقبولاً عند الناس محبوبًا لديهم كذلك)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: السعي في قضاء حوائج الناس:

إن السعي لقضاء حوائج الناس من معالي الأخلاق ومحاسنها، والنبي ﷺ أكمل الناس خلقًا وأحسنهم أدبًا، لذا كان يسارع إلى قضاء حوائج الناس، هذا واضح من الحديث، وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن امرأة كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: ((يَا أُمَّ فُلَانٍ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ» فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ[٣]. حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا))[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (هذا أمر بصيغة الإخبار، لينزل المؤمن نفسه في الشدِّ من أخيه في النوائب بمنزلة البنيان الذي يدعم بعضه بعضًا، فلا يتماسك بعضه إلا ببعض، وفيه أمر بالمساعدة والمعاضدة من الطرفين)[٦].

قال ابن حبان: (الواجب على المسلمين كافة نصيحة المسلمين والقيام بالكشف عن همومهم وكربهم، لأن من نفس كربة من كرب الدنيا عن مسلم نفس الله عنه

---

(١) صحيح ابن حبان ٢/٢١٤.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٧/٥٣-٥٤.

(٣) قال النووي: "أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره -والله أعلم-، شرح مسلم ١٤٣٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٢٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٩٩ مطولاً.

(٦) شجرة المعارف والأحوال ٢٢٤.

كربة من كرب يوم القيامة، ومن تحرّى قضاء حاجته ولم يُقضَ قضاؤها على يديه فكأنه لم يقصر في قضائها، وأيسر ما يكون في قضاء الحوائج استحقاق الثناء. والإخوان يعرفون عند الحوائج. كما أن الأهل تختبر عند الفقر، لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشر الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة كما أن شر البلاد بلدة ليس فيها خصب ولا أمن)[1].

قال محمد بن إبراهيم النعيم: (إن بعض الناس من يتأفف من لجوء الناس إليه لقضاء حوائجهم خاصة إذا كان ذا وجاهة أو سعة من المال. ولا يدري أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، وأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. فلئن تقضي لأخيك حاجة كأن تعلمه أو ترشده أو تحمله أو تقرضه أو تشفع له في خير أفضل عند الله من ثواب اعتكافك شهرًا في المسجد النبوي فكيف لو كنت تسعى لحاجة والديك؟

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضىً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَتِهِ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللَّهُ تَعَالَى قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ))[2].

إن مجرد أن تقضي لأخيك حاجة قد لا يستغرق أداؤها أحيانًا نصف ساعة، فإنه يسجل لك بها ثواب شهر واحد. فتخيل لو أردت اعتكاف شهر كامل كم ستحتاج من مجاهدة للنفس بترك أعمالك الخاصة وبقائك في المسجد ثلاثين يومًا ذاكرًا لله وساجدًا وقارئًا للقرآن؟ ولكن خلال دقائق معدودة تنجز فيها لأخيك حاجته أو تسعى

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣/١٣٦٤٦ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٠٦.

فيها لأرملة، يسجل في صحيفتك كأنك اعتكفت شهرًا كاملاً، فكم سَنَةً لم تُحيها في الواقع سيسجل لك ثوابُها إذا سخرت جزءًا من وقتك لخدمة إخوانك المسلمين؟

إن جلوس الموظف الذي يقابل الجمهور على مكتبه ليخدم إخوانه وينجز لهم معاملاتهم لو استحضر هذا الحديث واحتسب عمله، فكم من السنوات سيسجل له ثواب اعتكافها يا ترى؟ إن بعض هؤلاء الموظفين تجدهم يشغلون أنفسهم عن المراجعين بأحاديث جانبية مع زملائهم في الوظيفة أو يتغيبون عن مكاتبهم، وبعضهم يتعمد تعطيل المراجعين وتأخير معاملاتهم، ولو علم بمثل هذه الأحاديث النبوية لما بدر منه مثل هذه التصرفات.

فاحرص أخي القارئ على قضاء حوائج إخوانك المسلمين، وبادر بذلك للذين تصيبهم جوائح الحروب والكوارث، ولا تدعهم عرضة لفتن المنظمات المعادية للإسلام التي تتسابق فيما بينها على تقديم المساعدات الإنسانية لأولئك المنكوبين وذلك لتكسب ودهم وتستدرجهم إلى دينها تحت وطأة الجوع والمرض والحاجة، وعليك أن تتعلم حسن مساعدة الناس وقضاء حوائجهم وليس فن التفلت من ذلك. واعلم أنه كلما كانت العبادة يتعدى نفعها إلى غيرك كان أجرها أعظم إذا احتسبتها عند الله.

رحم الله حكيم بن حزام كان يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجًا ليقضي له حاجته حيث قال: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها. وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهديه. فقال ما هذا؟ قال لما أسديته إلي، فقال خذ مالك عافاك الله. إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده من الموتى)[1].

---

(١) كيف تطيل عمرك، محمد بن إبراهيم النعيم ص ٧١-٧٣ بتصرف. وانظر: مراجعه ومصادره.

الحديث رقم (٦٠٦)

٦٠٦- وعن الأَسْوَدِ بن يَزيدَ، قَالَ: سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها مَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ -تعني: خِدمَة أهلِه- فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عائشة بنت أبي بكر: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

بناء الفعل (سئلت) لما لم يسم فاعله إما للجهل باسمه، أو عدم تعلق غرض بذكره، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أعلم الناس بأحواله، وأكثرهم فقها بكلامه ﷺ. وهذا السؤال المطروح لا يستطيع أن يجيب عنه إلا أحد من آل بيته

يحيا معه لأن السؤال عن حاله في بيته ما كان يصنع؟ ومن الواضح من السؤال أنه لا يسأل عن عبادته، لأن دلالة كلمة (يصنع) تشير إلى عمله في حاجة أهل بيته، ولذلك كانت الإجابة (كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أهْلِهِ - يعني: خِدمَة أهلِه -) والتعبير بـ (كان) قبل (يكون) للدلالة على العادة الغالبة، وقولها (في مهنة أهله) يشير إلى تواضع النبي ﷺ، ورحمته، وحسن خلقه، وتعاونه البناء الذي يدعم المحبة الأسرية، ويجعل أفراد الأسرة في تعاون، ومحبة، مهما كانت الأعمال بسيطة فإن لها فرقة كبيرا في تنمية المودة بين الزوجين، وهو درس غال لكل زوج يتكبر على إعانة أهله، وقولها (فإذا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ) يشير إلى قضاء غالب وقته في البيت في مساعدة أهله لا يتركهم في عمل لأنه ساعد في آخر بل إنه في عونهم ما بقي في المنزل، وهذه منتهى الرحمة، والمودة التي تشعر المرأة بقرب زوجها، ومحبته.

---

(١) برقم ٦٧٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان تواضع النبي صلى الله عليه وسلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها:

عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابيات وأفقههن وزوج النبي صلى الله عليه وسلم، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم وكثير من التابعين يسألونها من أجل معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث. قال الذهبي: (بنت الإمام الصديق الأكبر، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر رضي الله عنه... القرشية التيمية المكية النبوية، أم المؤمنين، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، أفقه نساء الأمة على الإطلاق... هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبي الله صلى الله عليه وسلم قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا، وقيل: بعامين. ودخل بها في شَوّال سنة اثنتين، مُنصَرفه - عليه الصلاة والسلام - من غزوة بدر وهي ابنة تسع، فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. وكانت امرأة بيضاء جميلة ومن ثم يقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بكرًا غيرها ولا أحب امرأة حبها، ولا أعلم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها... نشهد أنها زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فهل فوق ذلك مفخر؟... وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بها إثر وفاة خديجة رضي الله عنها، فتزوج بها وبسودة رضي الله عنها في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرد بها ثلاثة أعوام حتى بنى بعائشة في شوال بعد وقعة بدر. فما تزوج بكرًا سواها وأحبها حبًا شديدًا كان يتظاهر به، بحيث إن عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو ممن أسلم سنة ثمان من الهجرة سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحبّ إليك يا رسول الله؟ قال: (عَائِشَةُ. قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا)[1]. وحبه عليه السلام لعائشة رضي الله عنها كان أمرًا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

مستفيضًا، ألا تراهم كيف كانوا يتحرون بهداياهم يومها تقربًا إلى مرضاته)[١].

وقال ابن كثير عنها: (ولم يتزوج بكرًا سواها، ولم يأته الوحي في لحاف امرأة من نسائه سواها، ولم يحب أحدًا من النساء مثلها وقد كانت لها مآثر وخصائص ذكرت في القرآن والسنة، ولا يعلم في هذه الأمة امرأة بلغت من العلم مبلغها، وتوفيت سنة سبع وقيل ثمانٍ وخمسين)[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد سأل الأسود بن يزيد عما كان النبي ﷺ يصنع في بيته، وذلك ليُعرف فعل النبي ﷺ في منزله، وذلك من باب الاقتداء والاتباع، فأجابت عائشة رضي الله عنها بأنه "كان يكون في مهنة أهله -يعني: خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"، فعن طريق السؤال والجواب عرفنا ما الذي يصنعه النبي ﷺ في بيته، فكان هذا دعوة لأن يقتدي به المدعوون ويتخذونه مثلاً لهم في بيوتهم.

لذا كان السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفيد العمل الدعوي إفادة بالغة، إذ أنه يساعد على إثارة الأسئلة من قبل المدعو وإجابة الداعية لها، كما أن السؤال قد يكون من الداعية حتى يتضح له الأمر، وتكون دعوته على صواب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان تواضع النبي ﷺ:

إن منزلة النبوة منزلة عظيمة، ومحمد ﷺ هو أفضل الأنبياء وأعلاهم قدرًا، ومع ذلك لم تمنعه مهام النبوة وأعباؤها الجسام من أن يخدم أهله، وقد بينت ذلك عائشة رضي الله عنها بقولها: "يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"، وقد ورد هذا الحديث بروايات أخرى: فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ: (مَا كَانَ النبيُّ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قالتْ: كان يَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَعْمَلُ ما يَعْمَلُ الرِّجالُ فِي بُيوتِهِمْ)[٣].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٣٥-١٤٢.

(٢) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ابن كثير، تحقيق: د. محمد العيد الخطراوي ود. محيي الدين مستو ص ٢٤٤.

(٣) أخرجه أحمد ٦/١٢١ رقم ٢٤٩٠٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤١/٣٩٠.

وعن الزهري عن عروة قال: (قُلْتُ لِعائشة: يا أمَّ المؤمنين أيَّ شيءٍ كان يَصْنَعُ رسول الله إذا كانَ عِندَك؟ قالتْ: ما يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ في مِهْنَةِ أهلهِ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، ويَخِيطُ ثَوْبَهُ، ويَرْقَعُ دَلْوَهُ)[١].

وعن عمرة عن عائشة أنها سئلت ما كان عمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: (ما كانَ إلا بَشَرًا مِنَ البَشَرِ، كانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، ويَحْلُبُ شَاتَهُ، ويَخْدِمُ نَفْسَهُ)[٢]. قال ابن حجر: (وفيه الترغيب في التواضع وترك التكبر وخدمة الرجل أهله)[٣].

وقال الطيبي: (قولها: "كان بشرًا" تمهيدًا لما تقوله بعده، لأنه لما رأت اعتقاد الكفار أن النبي ﷺ لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس، وجعلوه كالملوك فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنية تكبرًا، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[٤] فقالت: إنه ﷺ كان خلقًا من خلق الله تعالى، وواحدًا من أولاد آدم شرفه الله بالنبوة، وكرمه بالرسالة، وكان يعيش مع الخلق بالخلق، ومع الحق بالصدق فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في أفعالهم تواضعًا وإرشادًا لهم إلى التواضع ورفع الترفع، وتبليغ الرسالة من الحق إلى الخلق كما أمر تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[٥])[٦].

ونقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: (من أخلاق الأنبياء التواضع والبعد عن التنعم وامتهان النفس ليستن بهم، ولئلا يخلدوا إلى الرفاهية المذمومة، وقد أشير إلى ذمها بقوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[٧])[٨]. وقال الشيخ عبدالرحمن

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٧/٦ رقم ٣٥٣٤١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٠٩/٤٢.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٦٧٥، وقال محققه: إسناده قوي على شرط مسلم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩١/٢.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٧.

(٥) سورة فصلت، آية: ٦.

(٦) شرح الطيبي على المشكاة ٣٧/١١.

(٧) سورة المزمل، آية: ١١.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٦/١٠.

حسن حبنكة الميداني: (ومن تواضع الرسول وسماحة نفسه صلوات الله عليه أنه كان يشارك أهله في البيت مهنتهن وأعمالهن)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد:

إن إقامة الصلاة والمحافظة عليها من علامات صدق الإيمان، وقد كان النبي ﷺ - وهو أعبد العابدين- أشد ما يكون حرصًا على أداء الصلاة في أوقاتها جماعة في المسجد مع كامل الخشوع والخضوع، وهذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: "فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".

قال د. صالح الفوزان: (شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، هي صلاة الجماعة في المساجد، فقد اتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أوكد الطاعات وأعظم القربات، بل هي أعظم وأظهر شعائر الإسلام، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها ما هو في اليوم والليلة كالصلوات الخمس، فإن المسلمين يجتمعون لأدائها في المساجد كل يوم وليلة خمس مرات، ومن هذه الاجتماعات ما هو في الأسبوع مرة كالاجتماع لصلاة الجمعة، وهو اجتماع أكبر من الاجتماع للصلوات الخمس... وإنما شرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين ليحصل التواصل بينهم بالإحسان والعطف والرعاية ولأجل التوادد والتحابب بينهم في القلوب ولأجل أن يعرف بعضهم أحوال بعض... ومن فوائد صلاة الجماعة: تعليمُ الجاهل ومضاعفة الأجر والنشاط على العمل الصالح عندما يشاهد المسلم إخوانه المسلمين يزاولون الأعمال الصالحة فيقتدى بهم)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[٣]

وقال ابن كثير: (يأمر الله تعالى بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠٠.

(٢) الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان ١/١٩١-١٩٢، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/١٣١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

وأدائها في أوقاتها)[١].

وقال الطاهر بن عاشور: (والمحافظة عليها هي المحافظة على أوقاتها من أن تؤخر عنها والمحافظة تؤذن بأن المتعلق بها حق عظيم يخشى التفريط فيه. والمراد: الصلوات المفروضة وهي الصلوات الخمس المتكررة، لأنها التي تطلب المحافظة عليها)[٢].

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما: (لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إِلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ. أَوْ مَرِيضٌ. إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى. وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ)[٣]، وفي رواية: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى. وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ. وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً. وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً. وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً. وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٤٥/١، وانظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٧/١٢/٦ ٢٩٢/١٨/٩.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشورمج٤٦٦/٢/١-٤٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦ - ٦٥٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٧ - ٦٥٤.

الحديث رقم (٦٠٧)

٦٠٧- وعن أَبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب، فقلت: يَا رسول الله، رَجُلٌ غَريبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دينهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَليَّ رسولُ اللهِ ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ[1]، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

تميم بن أسيد: هو أبو رفاعة العدوي، تميم بن أسيد بن عدي بن عبد مناة بن أدٍّ بن طابخة المضري من فضلاء الصحابة.

وكان ذا تعبُّد وتهجد، وكان يقول: ما عَزَبَتْ عني سورةُ البقرة منذ علّمنيها رسول الله ﷺ، وأخذت معها ما أخذتُ من القرآن، وما وُجِعَ ظهري من قيام الليل قط.

وكان إذا صلّى ففرغ من صلاته ودعائه كان آخر ما يدعو به اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي فإذا كانت الوفاة فتوفني وفاة طاهرة طيبة يغبطني بها من سمع بها من إخواني المسلمين من عفّتها وطهارتها وطيبها، واجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، فخرج في جيش عليهم عبدالرحمن بن سُمرة، فبات تحت حصن يُصلي ليلة، ثم توسد تُرْسه، فنام، وركب أصحابه وتركوه نائمًا، فبصُر به العدوُّ، فنزل ثلاثةُ أعلاجٍ[3]، فذبحوه رضي الله عنه وكان ذلك في كابل عندما غزا سجستان.

وكانت وفاته سنة ٤٤هـ[4].

---

(١) عند مسلم زيادة: (حسبت قوائمه من حديد).

(٢) برقم ٨٧٦/٦٠.

(٣) العلج في لغة العرب: من ليس بعربي (مادة: ع ل ج).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٦٨/٧-٦٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٧-٩٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٢٧/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٤٧١، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٤/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٩/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٤.

الشرح الأدبي

قول الراوي (انتهيت إلى) يوحي ببلوغه غايته كما يوحي بأنه جاء قاصدا النبي ﷺ، ولعله جاء من مسافة بعيدة أشار إليه التعبير بالانتهاء المسبوق بابتداء يتخلله قصد، وعزم، ويؤكدها قوله (رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ) وقوله (وهو يخطب) يشير إلى أنه لم ينتظر، وقاطعه في أثناء الخطبة، وقوله (يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟) يفصح عن غرضه، وغايته التي حركته من موطنه وقوله (فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى سرعة استجابته، والتعبير بالإقبال يشير إلى القبول، والبشاشة ما لم يقيد بما يعطي دلالة مخالفة، وقوله (وترك خطبته حتى انتهى إليَّ) يشير إلى اهتمامه به، وعنايته بتحقيق غرضه والتعبير بالانتهاء إليه يؤكد حفاوته به، وأهمية ما جاء يسئل عنه، وقوله: (فأتى بكرسي فقعد عليه) يشير إلى تواضعه ومودته، وتقريبه لهذا السائل الغريب؛ لأنه مسلم جاء يسأل عن دينه فهو قريب حبيب للرسول ﷺ فلما اقترب الرجل بغايته من الرسول ﷺ قربه الرسول ﷺ في مكانه، واحتفى به، وعلمه ما يريد، والربط بالفاء بين الجمل يشير إلى هذه الحفاوة، والتقريب الذي يحتاج إليه طالب العلم، وقوله (يعلمني.. مما علمه) جناس يؤكد تحقيق المعنى الذي جاء ساعيا إليه.

فقه الحديث

١- استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم: قال النووي: (قوله: "رجل غريب يسأل عن دينه لا يدري ما دينه"، فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم)[(١)].

٢- إجابة من سأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام على الفور: قال النووي: (فيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور، فأهمها ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)[(٢)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/١٤٤.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

٣- وقوع الفصل في الخطبة: قال النووي: (يحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها، ولا يضر المشي في أثنائها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه.

ثانيًا: من آداب الداعية: الإقبال على المدعو.

ثالثًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات.

رابعًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً- من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه:

إن السؤال المباشر من أسرع الوسائل التي يستخدمها المدعو وأنجحها لمعرفة أمور دينه، وقد وقع السؤال من الصحابة رضي الله عنهم كثيرًا من أجل هذه الغاية النبيلة. وهذا واضح من قول أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه: (يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه؟).

قال النووي: (فيه استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وعن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين يديْ ابن عباس وبين الناس، فأتته امرأة تسأله عن نبيذ الجرّ. فقال: إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: من الوفد؟ أو من القوم؟ قالوا: ربيعة. قال: مرحبًا بالقوم، أوْ بالوفد غير

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٣، وسورة الأنبياء، آية: ٧.

خزايا ولا الندامى. قال: فقالوا: يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام. فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة. قال: فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده...) الحديث[١].

قال النووي: (أما الجرّ فبفتح الجيم وهو اسم جمع الواحدة: جرة. ويجمع أيضًا على جرار وهو هذا الفخار المعروف. وفي هذا دليل على جواز استفتاء المرأة الرجال الأجانب وسماعها صوتهم وسماعهم صوتها للحاجة... وفي حديث الباب من الفوائد أنه لا عتب على طالب العلم والمستفتي إذا قال للعالم: أوضح لي الجواب ونحو هذه العبارة)[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: (نعم النِّسَاءُ نِسَاء الأنْصَارِ، لَمْ يَكُنَّ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أنْ يَسْأَلْنَ عن الدِّينِ وَأنْ يَتَفَقَّهْنَ فِيهِ)[٣].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (زيادة العلم الابتغاء ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت)[٤].

وقال الزهري: (العلم خزانة مفتاحها المسألة)[٥].

ثانيًا- من آداب الداعية: الإقبال على المدعو:

من آداب الداعية أن يقدم دعوته بما يجعل المدعو يقبل دعوته ويستجيب له ومن الصفات التي تعينه على ذلك أن يُقبل على المدعو ويهتم به ويوليه العناية التي تلائمه وتناسبه وهذا يؤخذ من قول الصحابي أبي رفاعة رضي الله عنه: (فأقبل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إليّ فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله).

قال النووي: (فيه تواضع النبي صلى الله عليه وسلم ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم وخفض جناحه

---

(١) أخرجه البخاري ٥٣، ومسلم ١٧ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٣، ٩٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦١-٣٣٢، وأبو داود ٣١٦، وهذا لفظه.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١/٣٧٤ رقم ٥٢٣.

(٥) المرجع السابق ٥٢٤.

لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي)[١].

وقال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني عن هذا الحديث: (ومن تواضع الرسول ﷺ أنه قطع خطبته مرة لتعليم جاهل غريب، وأقبل عليه، حتى إذا انتهى منه عاد إلى ما كان فيه)[٢].

ومن هذا القبيل حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللّه فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[٣].

قال النووي: (قوله: "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه" فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)[٤].

(لأن طالب العلم [ومثله الداعية] كالمورد يرد الناس عليه وعنه يصدرون، فلابد أن يوطّن نفسه على حسن مقابلتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وليحذر من تنفيرهم وإظهار التضجر والملل، فإن ذلك يحملهم على البعد عن أهل العلم، بل وإلى تعميم الحكم عليهم جميعًا. ولذا كان سلفنا الصالح أرحب الناس صدرًا لعوام المسلمين، فنفع الله بهم القاصي والداني. والأمر يسير على من يسّره الله عليه)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٠٩.

(٥) معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد السدحان، ١٧٢.

ثالثًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات:

عندما تتزاحم الأمور أوتتعارض فإن حسن الفهم يقتضي تقديم الأهم فالأهم، وهذا واضح من ترك النبي ﷺ الخطبة وإقباله على تعليم الصحابي أمور دينه.

قال النووي: (وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها. ولعله قد سأل عن الإيمان وقواعده المهمة. وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور وقعوده ﷺ على الكرسي ليسمع الباقون كلامه ويروا شخصه الكريم ﷺ ويحتمل أن هذه الخطبة التي كان النبي ﷺ فيها خطبة أمر غير الجمعة، ولهذا قطعها بهذا الفصل الطويل، ويحتمل أنها كانت الجمعة واستأنفها، ويحتمل أنه لم يحصل له فصل طويل، ويحتمل أن كلامه لهذا الغريب كان متعلقًا بالخطبة فيكون منها ولا يضر المشي في أثنائها)[1].

(فيحسن بالداعية أن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، وينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور)[2].

قال ابن القيم عن أهمية حفظ مراتب الأعمال ومعرفتها: (فهذا أصل نافع جدًا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح إبليس الفضل الذي بينهما، أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها إن كان ذلك وقته، فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا. وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها. وفقه في إعطاء كل عمل منها حقه. وتنزيله في مرتبته وتفويته لما هو أهم منه. أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لإمكان تداركه والعود إليه، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه، فالاشتغال به أولى. وهذا كترك القراءة لرد السلام وتشميت العاطس. وإن كان القرآن أفضل، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل. بخلاف ماإذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطش. وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٧٢ (مجموعة الحديث).

رابعًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول الصحابي: "وجعل يعلمني مما علمه الله"، وقد كان التعليم من وسائل الدعوة التي استخدمها النبي ﷺ بكثرة[١]. وقد بوّب النووي على هذا الحديث باب حديث التعليم في الخطبة[٢].

من ذلك حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، إن رسول الله ﷺ خطبنا فبيّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ فَأَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ. ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَحَدُكُمْ. فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا. وَإِذَا قَالَ: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. فَقُولُوا: آمِينَ. يُجِبْكُمُ اللهُ. فَإِذَا كَبَّرَ وَرَكَعَ فَكَبِّرُوا وَارْكَعُوا. فَإِنَّ الإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ)) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ...))[٣].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[٤] قال: علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم[٥].

جاء في الموسوعة الفقهية: (قال النووي: تعليم الطالبين فرض كفاية، فإن لم يكن هناك من يصلح إلا واحد تعين عليه. وإن كان جماعة يصلحون، فطلب ذلك من أحدهم فامتنع فهل يأثم؟ يجري في ذلك وجهان. والأصح: لا يأثم.

هذا ويلزم تعليم العلم اللازم تعليمه، كاستعلام كافر يريد الإسلام عن الإسلام، أو استعلام حديث عهد بالإسلام عن صلاة حضر وقتها، وكالمستفتي في الحلال

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، إعداد: مجموعة من المستشرقين ٣٢١/٤ - ٣٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٧٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٤.

(٤) سورة التحريم، آية:٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٣/٢٣، والحاكم في المستدرك ٤٩٤/٢ رقم ٣٨٧٩، وصححه على شرط الشيخين. ولتتمة تخريجه انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩٠/١٤.

والحرام فإنه يلزم في هذه الأمور الإجابة، ومن امتنع كان آثمًا.

وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها.

قال ابن الحاج: ينبغي للعالم، أو يتعين عليه: إذا رأى الناس قد أعرضوا عن العلم أن يعرض نفسه عليهم، لتعليمهم وإرشادهم وإن كانوا معرضين.

وقد حث الشرع على تعليم العلوم التي تحتاجها الأمة في دينها ودنياها، وجاءت الآيات والأحاديث والأخبار بذلك)[1].

خامسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

هذا واضح من قول الصحابي عن الرسول ﷺ: (وهو يخطب.. وترك خطبته... ثم أتى خطبته فأتمّ آخرها).

قال د. توفيق الواعي: (تظهر أهمية الخطابة الدينية من تتبعنا لتاريخ الإنسانية حيث نشاهد صرعى الأهواء والشهوات وقتلى الظلم والبغي وهلكى الضياع والعصيان لتنكب هذه الإنسانية طريق الصواب وبعدها عن الخالق الباري جل وعلا.

كما نجد أن الرواد الذين قاموا بتغيير هذا الدمار كانوا خطباء دينيين أخذوا العقول والنفوس إلى رحاب الله وإلى هديه وصراطه المستقيم، لهذا ترجع أهمية الخطابة الدينية في الإسلام إلى ما يلي:

١- الدعوة إلى الإسلام وإلى تعاليمه ومبادئه، وإلى سيادته في الأرض لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

٢- الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى إنشاء المجتمع الذي يمثل تعاليم الإسلام حية عملية واقعية في دنيا الناس.

٣- تغذية الشعور وإثارة الحماس وبعث الهمم حتى تستطيع الإنسانية أن تحقق أشواقها ورغباتها في هذه الحياة)[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧/١٣ ومراجعها ومصادرها.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ٤٢-٤٣.

الحديث رقم (٦٠٨)

٦٠٨- وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ. قَالَ: وقال: ((**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِط عنها الأذى، وليَأكُلْها وَلاَ يَدَعْها لِلشَّيْطان**)) وأمرَ أن تُسلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: ((**فإنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لعق أصابعه: لحس أصابعه[2].

يُميط: يزيل وينحى[3].

تسلت القصعة: أي تلعق[4].

القصعة: وعاء يؤكل فيه[5].

الشرح الأدبي

ذكرنا مرارا أن قول الراوي عن الرسول ﷺ (كان) يشير إلى العادة الغالبة وقوله (كَانَ إِذَا أكَلَ طَعَاماً، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاَثَ) يشير إلى أنه اعتاد لعق أصابعه بعد الأكل كما يؤكد ذلك أسلوب الشرط الذي يدل على التلازم بين الفعل، الجزاء أي بين الأكل، واللعق، وقوله (إذا وقعت لقمة) نسب فعل الوقوع إلى اللقمة وهي في الحقيقة مفعولاً والفاعل هو الآكل الذي أوقعها إشارة إلى أن المسلم لا يلقي بطعامه وإن لم

---

(١) برقم ٢٠٣٤/١٣٦. وسيكرره المؤلف برقم ٧٥١.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية ٨٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٨٧.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ع).

يكن له به حاجة، فلابد أن أحد إخوانه في حاجة إليه، ولذلك رتب الرسول ﷺ على وقوع اللقمة بالفاء المؤذنة بالسرعة أخذها، ثم إصلاحها، ثم استخدامها مرة أخرى، انظر كيف يعلمنا الرسول ﷺ المحافظة على أموالنا، وألا نترك منها قليلاً، ولا كثيراً يضيع هباءً، ثم إن في المسألة بُعداً آخر، وهو عدم تركها للشيطان ليتقوى بها علينا، ألا يعلمنا ذلك أن إهدار مال المسلمين إضعاف لهم، وقوة لأعدائهم؟ لذلك جاء نهي الرسول ﷺ (ولا يدعها للشيطان) إشارة إلى ذلك، وقوله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ) الفاء للتعليل، والجملة تعليل للأمر السابق بسلت القصعة، وتتبع بقايا الطعام فيها، وترغيب فيه. وجملة السنن التي يتناولها هذا الحديث، وإن كانت تبدو سهلة بسيطة في تنفيذها إلا أن أثرها عظيم، إذا طُبقت، وصارت سلوكاً في مختلف التعاملات في الحفاظ على نعمة الله التي سنسئل عنها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الأكل بثلاثة أصابع: السنة الأكل بثلاثة أصابع، ويكره الأكل بأكثر منها، لأنه من الشره، وسوء الأدب، ولأنه غير مضطر لذلك لجمعه اللقمة، وإمساكها من جهاتها الثلاث، إلا أن يضطر إلى الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع، لخفة الطعام مثلاً، وعدم تلفيقه بالثلاث، فيدعمه بالرابعة أو الخامسة[(١)]. هذا إن أكل بيده، ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها[(٢)].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٦/١٣/٧، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٧، ١٦٣٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٦.

٢-أكل اللقمة الساقطة: يستحب عند جمهور الفقهاء إذا وقعت اللقمة أن يميط الآكل عنها الأذى، ويأكلها، ما لم تتنجس، ولا يدعها للشيطان، لأنه لا يدري موضع البركة في طعامه، وقد يفوّت تركها على المرء بركة الطعام. فإن تنجست غسلها، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

بينما ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك[١].

٢-لَعْق الإناء والأصابع: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من السنة للآكل لعق أصابعه قبل غسلها، أو مسحها، تحصيلاً لبركة الطعام، وكذلك يسن له لعق الإناء وتتبع ما بقي فيه من طعام[٢]. وذهب ابن حزم إلى وجوب لعق الأصابع ولعق الصحفة[٣].

وهل لِلعْق الأصابع صفة واردة؟

ورد عند الطبراني في الأوسط من حديث كعب بن عجرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، الإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاثة قبل أن يمسحها، ويلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[٤].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٦٨/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٧/٦. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٦/١٣/٧، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٧.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٦٨/٩.

(٣) المحلى، ابن حزم ١١٧/٦ ص ٩٢٨.

(٤) المعجم الأوسط ١٦٩/٤ ح ١٧٠٩. وقال الهيثمي في المجمع فيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة، ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان هدي النبي ﷺ في أكل الطعام.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع وصيانة النعم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار والشرط والأمر والتعليل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان هدي النبي ﷺ في أكل الطعام:

لقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أحوال النبي ﷺ أشد ما يكون الحرص، وذلك للاقتداء والتأسي به، فنقلوا جميع أحواله كلها حتى آداب قضاء الحاجة، ومن ذلك حرصهم على نقل هديه في الطعام، وهذا واضح في قول الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة..).

ومن هذا القبيل ما ذكره ابن مفلح المقدسي في الآداب الشرعية من أحاديث فصل آداب الأكل والشراب[1].

من ذلك حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: كُنْتُ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللّهِ. وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي: ((يَا غُلاَمُ سَمِّ اللّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)). فما زالت تلكَ طِعمتي بعدُ))[2].

قال النووي: (في هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل وهي: التسمية، والأكل باليمين، والثالثة الأكل مما يليه، لأن أكله موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة فقد يتقذره صاحبه لا سيما في الأمراق وشبهها، وهذا في الثريد والأمراق وشبهها، فإن كان تمرًا أو أجناسًا فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق ونحوه،

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٩/٣ - ٢٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

والذي ينبغي تعميم النهي حملاً للنهي على عمومه حتى يثبت دليل مخصص)[١].

ولقد بلغ الأمر أن رأي بعض العلماء من زواج النبي ﷺ بأكثر من امرأة أن الحكمة من ذلك هو نقل جميع أحوال النبي ﷺ.

قال محمد سليمان الأشقر: (قال السبكي في ترشيح التوشيح عن والده: إن السر في نكاح النبي ﷺ أكثر من أربعة نسوة، أن الله أراد نقل بواطن الشريعة وظواهرها، وما يُستحيا من ذكره وما لا يُستحيا. وكان رسول الله ﷺ أشد الناس حياء. فجعل الله له نسوة ينقلن من الشرع ما يرينه من أفعاله، ويسمعنه من أقواله التي قد يستحيا من ذكرها بحضرة الرجال، فيكتمل نقل الشريعة. وكثر عدد النساء كتكثير الناقلين لهذا النوع. ومنهن عرف غالب مسائل الغسل والحيض والعدة وغيرها. وأيضًا فقد نقلن ما لم ينقله غيرهن مما رأينه في منامه وحالة خلوته، من الآيات البينات على نبوته)[٢].

ثانيًا- من صفات الداعية: التواضع وصيانة النعم:

إن تواضع الداعية لا يكون مع الناس فقط، بل يكون أيضًا بتعامله مع النعم التي أنعم الله عليه بها، فيكون محافظًا عليها ولا يحاول أن يضيع جزءًا منها ولو بسيطًا، وهذا يستفاد من الحديث.

قال ابن هبيرة: "في لعق الأصابع معانٍ منها: زوال الكبر وحفظ بعض أجزاء الزاد وإن قلّ، لأن الكثير يجتمع من القليل، ومتى لم يلعق الأصابع ويمسح القصعة ضاع ما فيها، وقد نهى عن إضاعة المال[٣]. وقوله في اللقمة: (فيلمط عنها الأذى)، وذلك لئلا يكون مضيعًا للمال من جهة أن تلك اللقمة قد تكون سادة جوع مسلم أو مثقلة للميزان.

---

(١) شرح مسلم ١٢٨١.

(٢) قال د. الأشقر: نقله عبدالحي الكتاني في الترتيبات الإدارية ٢/٢٣٦، ومنه نقلناه. أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية ١/٧٢، وانظر: هذا الكتاب فإنه قيّم في بابه.

(٣) أخرج البخاري ٥٩٧٥، ومسلم ٥٩٣ كتاب الأقضية، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه مرفوعًا: إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعًا وهات. وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال.

ميزان متصدق بها أو ببعضها، فلا معنى في إضاعتها، فربما تكون ميزانه في القيامة قد وقفت على أن ترجح تلك اللقمة. وإذا رجحت بها دخل الجنة. وإن لم تكن اللقمة فرجحت سيئاته دخل النار. فيكون إهماله لتلك اللقمة تكبره عن أن يزيل عنها الأذى قد أدخله النار، ولو فعل لأدخله الجنة. وهذه اللقمة أمر ظاهر وميزانها مكشوف والوزن فيها بيّن وكم فيها من ذرة. وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]"[2].

وقال القرطبي: (قوله: "ليأكلها" أمر على جهة الاحترام لتلك اللقمة، فإنها من نعم الله تعالى، لم تصل للإنسان حتى سخر الله فيها أهل السماوات والأرض. وقوله: "ولا يدعها للشيطان" يعني أنه إذا تركها ولم يرفعها فقد مكّن الشيطان منها. إذ قد تكبّر عن أخذها ونسي حق الله تعالى فيها، وأطاع الشيطان في ذلك، وصارت تلك اللقمة مناسبة للشيطان، إذ تُكبر عليها، وهو متكبر فصارت طعامه. وهذا كله ذم لحال التارك وتنبيه على تحصيل غرض الشيطان من ذلك"[3]، وقال ابن القيم في منزلة التواضع من مدارج السالكين: (وكان النبي ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه...)[4].

ولا يمنع الإسلام من استخدام الوسائل الحديثة لنظافة الأيدي، ويبقى عدم إضاعة شيء من الطعام أمرًا وجوبيًا يسأل عنه المسلم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإخبار والشرط والأمر والتعليل:

لقد أخبر أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة، قال ابن هبيرة: (في لعق الأصابع معانٍ منها: زوال الكبر وحفظ بعض أجزاء

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٧٠/٥.

(٣) المفهم، القرطبي ٣٠١/٥ - ٣٠٢.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١١/٣.

الزاد وإن قلّ)[١]، وأما الشرط فقوله ﷺ: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى"، قال ابن هبيرة: (وذلك لئلا يكون مضيعًا للمال من جهة أن تلك اللقمة قد تكون سادة جوع مسلم أو مثقلة للميزان)[٢]، وأما الأمر فقوله ﷺ: "وليأكلها"، قال القرطبي: (أمر على جهة الاحترام لتلك اللقمة)[٣]، وكذلك الأمر في قول أنس رضي الله عنه: "وأمر أن تسلت القصعة"، وقد اتبع هذا الأمر بالتعليل: "فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة"، قال ابن هبيرة: (وهذا لأن البركة ربما تكون في الجزء الملقى)[٤].

فهذه الأساليب الدعوية تفيد الداعية في دعوته إذ هي بمثابة أدواته التي يبلغ بها الدعوة، ويثير بها رغبة المدعوين في قبولها والعمل على تحقيقها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ:

لقد ساق مسلم في صحيحه عدة أحاديث أخرى في معنى هذا الحديث، وقال النووي: (في هذه الأحاديث أنواع من سنن الأكل منها: استحباب لعق اليد، محافظة على بركة الطعام، وتنظيفًا لها، واستحباب الأكل بثلاثة أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لعذر، بأن يكون مرقًا وغيره مما لا يمكن بثلاثة، وغير ذلك من الأعذار، واستحباب لعق القصعة وغيرها، واستحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصيبها، هذا إذا لم تقع على موضع نجس، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان)[٥].

ولا يمنع الإسلام من استخدام الوسائل الحديثة في تناول الطعام، بل هي الأولى، سلامة ليده وصونًا لشعور غيره من الأذى.

هذا في جانب آداب الطعام وسننه، ويتعدى هذا إلى أفعاله ﷺ وأقواله الأخرى،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٦٩.

(٢) المرجع السابق ٥/٣٧٠.

(٣) المفهم، القرطبي ٥/٣٠١.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٥.

وتكمن أهمية التأسي به ﷺ في سبب هذا التأسي ومبعثه، (فمبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه والتأسي به واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وحبه ﷺ على هذا الوجه المقدم على حب الولدان والوالدين والناس أجمعين أمارة بينة على كمال الإيمان، وفي هذا يقول النبي ﷺ: ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أكونَ أَحَبَّ إليهِ مِنْ والِدِهِ وَوَلَدِهِ والنَّاس أَجْمَعين))[2].

والسبب في هذا الحب العظيم الذي يوليه المسلم لنبيه المصطفى ﷺ هو أنه رسول يوحي إليه)[3].

قال د. مصطفى السباعي: (إن محمدًا عبد الله ورسوله، أما محمد الرسول ﷺ فلن يفكر أحدٌ أن يكون مثله أو قريبًا منه، في إشراق روحه واتصاله بالملأ الأعلى، يتلقى الوحي ويتنزل عليه الهدى آيات بينات، لن يصل أحد إلى هذا ولا قريب منه، لأن الله ختم بنبوته النبوات وبشريعته الشرائع. وأما محمد الإنسان فهو الذي يحرص كل مسلم على أن يكون ظله في الأرض، يتخلق بخلقه ويهتدي بهديه، ويتأسى[4] به في صبره وجهاده وزهده وعبادته وتضحيته وإيثاره، ومأكله وملبسه. وما أعتقد أن الله أكرم رسوله الإنسان بمدح أعلى من هذا المديح: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5])[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ١٥، ومسلم ٤٤.

(٣) صفات الدعاة، د. عبد الرب بن نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٤) في المطبوع: ويأتي. وما أثبتناه أوضح.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) عظماؤنا في التاريخ ٤٩.

الحديث رقم (٦٠٩)

٦٠٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا بَعَثَ الله نَبيًّا إلاَّ رَعَى الغَنَمَ)) قَالَ أصْحَابُهُ: وَأنْتَ؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قراريط: جمع قيراط، جزءٌ من الدرهم[2].

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[3]

(١) برقم ٢٢٦٢، وتقدم برقم ٦٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٦/٤.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٠).

الحديث رقم (٦١٠)

٦١٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

كُراعٍ: هي قوائم الدابة أو ما دون الركبة إلى الكعب[2].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى خلق التواضع ممثلا في شخص النبي ﷺ يبدو خلف عبارته التي تربِّت على قلوب الفقراء الذي لا يجدون مالاً يقيم عظيم الولائم، ثم إنه يعلم أمته ألا ينظر الإنسان إلى الداعي من حيث الشرف، والوضاعة فيلبي دعوة الشريف، ولا يعير غيره اهتماما؛ لأن هذا يجعل الأمة طبقات تشتعل بينه البغضاء بينما أراد الله بما وضع لها في منهجها أن تكون طبقة واحدة متحابة متكافلة على قلب رجل واحد أغنياء، وفقراء شرفاء، ووضعاء، والافتراض الذي فرضه الرسول ﷺ بـ (لو) وهو أشرف الأمة يقدم النموذج العملي لذلك، ويغرس البذرة المباركة لشجرة الخلق الكريم لتستظل بها الأمة، وتقتدي به في فعله فنجد دعوة المسلم تجمع كل إخوانه دون نظر لغنى، أو فقر، أو شرف، وغيره، وكذلك دعوة الفقراء تجمع الأمة في صورة مصغرة بكل فئاتها، وبناء الفعل في الحديث للمجهول (دعيت - أهدي) يشير إلى عدم النظر لشخص الداعي مادام مسلما تقياً، وقوله (كراع، أو ذراع) يشير إلى عدم النظر إلى المدعو إليه من حيث نوع الطعام، كما يشير اتصال الفعلين (لأجبت - لقبلت) إلى العزيمة الماضية،

---

(١) برقم ٢٥٦٨.

(٢) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر ع).

والنية الصادقة لذلك، وهو لون من راعية أحاسيس الناس ليس غريبا على أعظم القلوب، ولكنها دعوة للأمة كلها لتنمية الروابط الأخوة، والمحبة بينهم.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الحكم التكليفي لدعوة الآخرين إلى طعام: ذهب الحنفية إلى أنها سنة، وذهب المالكية إلى أنها مندوبة، وذهب الشافعية في الأصح إلى أنها مستحبة، وذهب الحنابلة إلى أنها جائزة، إلا وليمة العرس فهي سنة مؤكدة، والعقيقة فهي سنة، والوضيمة[١] فإنها مكروهة[٢].

٢-حكم إجابة الدعوة: ذهب الجمهور إلى أن الدعوة إذاكانت إلى وليمة عرس فهي واجبة، أما ما عداها، كما لو كانت لبناء أو ولادة أو ختان أو غير ذلك، فقد اختلفوا فيها: فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة: إلى أن إجابتها سنة مستحبة، إن لم يكن هناك مانع من منكر أو بدعة، فلا يستحب إجابتها حينئذ. وذهب المالكية إلى أن إجابة الدعوة لغير العرس مباحة، إلا العقيقة فهي مندوبة[٣].

٣-الحكم التكليفي لتقويم الهدية: اتفق الفقهاء على أن الهدية مندوب إليها[٤]،

---

(١) الوضيمة: طعام المأتم. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ض م).

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢٠٢/٨، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٩٠/٨، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٤/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥، ١٨٨.

(٣) الاختيار ٣٦/٤، ٣٧، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، وهو مطبوع مع الشرح الكبير للدردير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤١٣/٨، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٤/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٥/٥.

(٤) بدائع الصنائع ٩٢/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٢١٦/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٣١/٦.

لأنها خلق من أخلاق الإسلام، تؤلف القلوب وتنفي سخائم الصدور، حث عليها المصطفى بقوله ﷺ ((تهادوا تحابوا))[١].

٤-حكم قبول الهدية وردها: اتفق الفقهاء أيضًا على أنه يكره رد الهدية وإن قلّت، ويندب قبولها لغير الحاكم، لأن القصد من قبولها تأليف القلوب، وإحكام المحبة، وبالرد يحدث النفور والعداوة[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب الداعية: إجابة الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قبول الهدية.

رابعًا: من أهداف الدعوة: نشر الود والتآلف بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

لقد بلغ من تواضع الرسول ﷺ أنه ما كان يستكبر عن طعام يُدعى إليه مهما قلّت قيمته، تألفًا لقلوب المؤمنين وتكريمًا لهم وتربية لهم على فضيلة التواضع، وتعظيمًا لنعمة الله[٣]، وهذا واضح من عموم الحديث، قال ابن حجر: (وفي الحديث دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه وجبره لقلوب الناس وعلى قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل)[٤].

ونقل الطيبي القول في معنى الحديث: (يعني لو دعاني أحد إلى ضيافة كراع غنم لأجبته، هذا إظهار للتواضع وتحريض عليه)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٢) المبسوط ٧٢/١٦، والقوانين الفقهية ٣١٥، والبيجرمي على الخطيب ٤٤٥/١٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٨/٤.

(٣) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها ٣٠١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥٠/٤.

وقال ابن هبيرة: (هذا الحديث يتضمن الندب إلى إجابة الدعوة، ويدل على حسن أخلاق رسول الله ﷺ وتواضعه ويندب إلى قبول الهدية)[١]، (إن الله تعالى علّم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه قوله: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، إن التواضع - فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية- قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائمًا أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة)[٣].

"ومما يروع[٤] في سيرة رسول الله ﷺ أنّه ظل هو الإنسان المتواضع تواضع الأنبياء العظماء في مختلف مراحل دعوته حين كان مضطهدًا، وحين كان منتصرًا، وحين كان وحيدًا، وحين كان سيد الجزيرة العربية المطاع، حين كان في أشد المحن وحين كان في أوج المجد والانتصار،وما عهدنا بمثل هذا في تاريخ العظماء وما كان محمد عظيمًا فحسب ولكنه رسول الله أيضًا... وظلّ رسول الله ﷺ يستمع إلى العبد والعجوز والأرملة والمسكين، يقف في الطريق لكل من يستوقفه، ويصافح كل من يلقاه، فلا يترك يده حتى يكون الذي استوقفه هو الذي يترك يده، يتفقد أصحابه ويزور مرضاه ويشهد جنائزهم، ويستمع إلى مشاكلهم ويشاركهم أحزانهم وأفراحهم"[٥].

ثانيًا- من آداب الداعية: إجابة الدعوة:

حضّ الإسلام على إجابة الدعوة لما في ذلك من فوائد ومنافع، كما أن الداعية

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٥/٧.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكّار ص ١٢٥.

(٤) يقال: راع الشيء فلانًا: أعجبه. يقال: راعني جماله وراعني كلامه فهو رائع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٨٢.

(٥) عظماؤنا في التاريخ، د. مصطفى السباعي ص ٦١ - ٦٢.

يجني من وراء هذه الإجابة ما يقربه ويقرب دعوته إلى المدعوين، ولهذا حثّ النبي ﷺ على الإجابة، وهذا واضح من الحديث: "لأجبت"، قال ابن حجر: (في الحديث دليل على قبول الهدية وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل، قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه والتحبب إليه بالمؤاكلة وتوكيد الذمام[1] معه بها، فلذلك حض النبي ﷺ على الإجابة ولو نزر[2] المدعو إليه)[3].

وعن نافع مولى ابن عمر قال: سمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: ((أَجِيبُوا هَـٰذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا)) قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يَأْتِي الدَّعْوَةَ فِي الْعُرْسِ وَغَيْرِ الْعُرْسِ. وَيَأْتِيهَا وَهُوَ صَائِمٌ[4].

وقال النبي ﷺ: ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ))[5].

ولذا كان النبي ﷺ يجيب الدعوة، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: (إِنَّ خَيَّاطًا دَعا رسولَ اللهِ ﷺ لطَعامٍ صَنَعهُ، قال أنسُ بنُ مالكٍ: فذهَبتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ فرأيتُ النبيَّ ﷺ يَتتبَّعُ الدُّبّاءَ[6] مِن حَوالَي القَصعةِ. قال: فلم أزَلْ أُحِبُّ الدُّبّاءَ مِن يومِئذٍ)[7].

قال ابن حجر: (في الحديث جواز أكل الشريف طعام من دونه من محترف وغيره وإجابة دعوته، ومؤاكلة الخادم، وبيان ما كان في النبي ﷺ من التواضع واللطف بأصحابه وتعاهدهم بالمجيء إلى منازلهم، وفيه الإجابة إلى الطعام ولو كان قليلاً... وفيه

---

(١) الذمام: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص٣١٥.

(٢) نزر الشيء: قلّله. ونزر فلانًا: احتقره واستقلّه، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص٩١٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٥٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥١٧٩، ومسلم ١٠٢ - ١٤٢٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٤٣٠.

(٦) الدُّباء: القرع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٦٨.

(٧) أخرجه البخاري ٥٣٧٩ واللفظ له، ومسلم ٢٠٤١.

الحرص على التشبه بأهل الخير والاقتداء بهم في المطاعم وغيرها، وفيه فضيلة ظاهرة لأنس لاقتفائه أثر النبي ﷺ حتى في الأشياء الجبلية، وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضي الله عنه)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (لا ينبغي أن يكون فقر الداعي أو خفة شأنه أو قلّة الطعام مانعًا من إجابة الدعوة، فإن ذلك من الكبر، والدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد التآلف)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قبول الهدية:

إن التهادي وقبول الهدية من الوسائل التي تنشر المودة والتآلف بين أفراد المجتمع لذا حث النبي ﷺ على قبول الهدية، وهذا واضح من عموم الحديث، قال ابن حجر: (وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف وإجابة الدعوة لما قلّ أو كثر وقبول الهدية كذلك)[٣].

ونقل ابن حجر قول ابن بطال: (أشار ﷺ بالكراع والفرسن إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت؛ لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء فحض على ذلك لما فيه من التألف)[٤].

والإشارة إلى الفرسن وردت في حديث النبي ﷺ: ((يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا. وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ))[٥].

قال ابن حجر: (وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير، لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار كثيرًا، وفيه استحباب المودة وإسقاط التكلف)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٦/١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٣٨/٢٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٣ - ١٥٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/٥.

وقال أبو عبدالله القرطبي: (الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة؛ وعلى الجملة: فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية، وفيه الأسوة الحسنة. ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدَى إليه رنّة[1] في اللقاء والجلوس. ولقد أحسن من قال:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تُولِّد في قلوبهمُ الوِصَالاَ
وتزرعُ في الضمير هَوًى ووُدًّا ... وتُكسبهمْ إذا حضروا جَمالاَ[2]

وآخر:

إنّ الهدايا لها حظٌّ إذا وَرَدتْ ... أحظى من الابن عند الوالد الحدب[3]

وجاء في الموسوعة الفقهية: "لا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الهدية بل ولا خلاف في استحبابها في الأصل إلا لعارض، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة المطهرة وإجماع المسلمين.. وصرفها إلى الجيران والأقارب أفضل منه إلى غيرهم. ولا يحتقر المُهْدِي والمُهْدَى إليه القليل فيمتنع الأول من إهدائه والثاني من قبوله)[4].

رابعًا- من أهداف الدعوة: نشر الود والتآلف بين الناس:

إن الإسلام جاء لصلاح المجتمع الإنساني، ومن طرقه في ذلك نشر الود والتآلف بين الناس، وهذا مستفاد من الحديث، قال ابن حجر: (وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف)[5]، وقد قال النبي ﷺ: ((تهادُوا تَحَابُّوا))[6]، قال الطيبي: (إن السخط جالب للضغينة والحقد، والهدية جالبة للرضا، فإذا جاء سبب الرضا ذهب سبب السخط)[7].

---

(١) قال محققو تفسير القرطبي: هكذا في النسخ. ولم يتضح لنا معناها، ولعلها: رغبة.

(٢) الشعر: تاريخ دمشق ٢٥٦/١٧، قافية الألف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦١/١٦.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٤/٤٢ - ٢٥٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٧) شرح الطيبي، على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٧/٦.

قال العز بن عبد السلام مبينًا الإحسان في الهدايا وغيرها من الهبات إعطاء وقبولاً مما ينعكس على المجتمع كله بالمودة والتآلف وذلك بأن يوليها الأبرار الصلحاء والأعِفّاء من الأقارب والأجانب مقدمًا لمن اشتدت فاقته وعظمت ضرورته خلية من العيوب والشبهات غير مكدرة بمنة ولا أذية ولا إظهار ولا طلب مكافأة... وإحسان القابل لذلك بأن يكافئه بمثله أو أفضل منه، فإن عجز عن ذلك فبالدعاء له"[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوادِّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَى عضْوًا، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى))[٢].

قال النووي: (هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه)[٣].

وقال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه)[٤].

وقال ابن تيمية: (من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلّم باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ... الذين كانوا يأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار،

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٥٣ - ٤٥٤.

والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك؛ وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق؛ ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها. وكل ما يقولونه، أو يفعلونه من هذا أو غيره: فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة)[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢/١٠٣ - ١٠٥ بتصرف.

الحديث رقم (٦١١)

٦١١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ ناقةُ رسول الله ﷺ العضْبَاءُ لاَ تُسْبَقُ، أَوْ لاَ تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أعْرَابيٌّ عَلَى قَعودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: ((**حَقٌّ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ**)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

العضباء: هو اسم ناقة للنبي ﷺ. قال ابن الأثير: هو علم لها منقول من قولهم: ناقة عضباء، مشقوقة الأذن، ولم تكن مشقوقة الأذن[2].

القعود من الدواب: ما يَقْتعِده الرجل للركوب والحمل ولا يكون إلا ذَكَرًا[3].

حتى عَرَفَهُ: عرف أثر المشقة[4].

وَضَعَهُ: خفضه[5].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى عميق في حوار بسيط هادف قرر خلاله الرسول ﷺ معنى ارتباط البداية بالنهاية فكل شيء من متاع الدنيا له بداية، ولابد، وأن تكون له نهاية، وما حدث في القصة من سبق قعود الأعرابي، وهو الجمل الذكر للعضباء ناقة الرسول ﷺ يشير إلى تصرف عفوي خال من الرياء، والتملق في سباق هو ترفيه مشروع

---

(١) برقم ٢٨٧٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ض ب)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٨٨٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ع د)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٥) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ض ع).

من جهة، وهو تقوية لأسباب القوة التي تتصدى به الأمة لأعدائها وقت الخطر، كما أنه ينمي روح التنافس الشريف في قلوب المؤمنين بغض النظر عن الرابح، أو غيره، وقول الرسول ﷺ (حَقٌّ عَلَى اللهِ أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ وَضَعَهُ) أسلوب قصر يقصر ارتفاع الشيء في الدنيا على وضعه لا يتعداه للبقاء على حال الرفعة، وهو توكيد للمعنى سبقه توكيد بقوله (حق) أي لازم حتم، والجار، والمجرور (على الله) الذي يشير إلى استحالة تخلف هذا الحق لتعلقه بالله ثم الطباق بين الارتفاع، والوضع الذي يؤكد تبدل الأوضاع وتغير الأحول فيعلم كل من على حال من الشر، أو الخير أنها إلى تحول فيستعد لما بعدها، وأن الشيء إذا ما بلغ التمام فقد بدأ النقصان، وقد صاغه الأديب الشهير أبي البقاء صالح بن شريف الرندي في قوله:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-الحكم التكليفي للمسابقة: أجمع المسلمون على جواز المسابقة في الجملة، لأنها ليست من العبث بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى تحصيل المقاصد في الغزو، والانتفاع بها عند الحاجة.

٢-ما تقع عليه: إن كانت بغير عوض فقد وقع اتفاق الفقهاء على جوازها مطلقًا من غير تقييد بشيء معين.

أما إن كانت بعوض، فقد اختلفوا فيما تجوز المسابقة عليه، فذهب المالكية والحنابلة والشافعية في وجه إلى أنها لا تجوز إلا في النصل والخف والحافر لا غير، وذهب الحنفية والشافعية في الأظهر إلى أنها تجوز في كل شيء، هذه الثلاثة. وعلى الأقدام، والمصارعة، ورفع الأحجار ليعرف الأشد، وغير ذلك أيضًا.

٣-حكم بذل العوض فيها: لا يخلو الحال أن يكون العوض من المتسابقين أو من

غيرهما، فإن كان من غيرهما فقد اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أنه إذا كان العوض من غير المتسابقين جاز، سواء أكان الباذل له الإمام أم غيره، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز بذل العوض من غير الإمام.

أما إن شرط من المتسابقين فهو قمار حرام بالإجماع، إلا أن يكون بينهما محلل لا يبذل عوضًا، وإنما بفرس كفء لفرسيهما، أو ببعير كفء لبعيريهما، أو كان يكافئ رميه رميهما، فهو جائز في قول الجمهور، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز بذل المال منهما وإن دخل محلل.

فإن كان العوض من أحد المتسابقين فقط دون صاحبه، كأن يقول إن سبقتني فلك مائة درهم، وإن سبقتك فلا شيء عليك، فذهب الجمهور إلى جوازه، وذهب المالكية إلى أنه لا يجوز أيضًا لأنه قمار[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المفاخرة والتعصب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وحرصه على تطييب نفوس الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي عن ناقة النبي ﷺ وأن اسمها العضباء ومن صفتها أنها لا تُسْبَق ثم حدث بعد ذلك أن سُبِقَتْ وأن ذلك شق على المسلمين، وظهر منهم ذلك للنبي ﷺ فبين لهم رسول الله ﷺ سنة من سنن الله الكونية في خلقه وهي: عدم

---

(١) الاختيار ٢٦/٤ وما بعدها، والقوانين الفقهية ١٣٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١١/٤ وما بعدها، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٦٦/٩ وما بعدها، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٦/٤ وما بعدها.

دوام الحال فإذا ارتفع شيء وعلا فإنه معرض حتمًا للنزول والهبوط وعلو غيره عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المفاخرة والتعصب:

إن المفاخرة والمباهاة والتعصب من الصفات التي تدل على الإقبال على الدنيا وعدم الانشغال بالآخرة وهذا نقص في التدين والتفقه في الدين، لذا حض النبي ﷺ على ترك المفاخرة وعدم الوقوع في شرك التعصب. وذلك واضح في قول النبي ﷺ "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه".

قال ابن حجر: (فيه إشارة إلى الحث على عدم الترفع والحث على التواضع والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة، قال ابن بطال: فيه هوان الدنيا على الله والتنبيه على ترك المباهاة والمفاخرة، وأن كل شيء هان على الله فهو محل الضعة فحق على كل ذي عقل أن يزهد فيه ويقل منافسته في طلبه. قال الطبري: في التواضع مصلحة الدين والدنيا، فإن الناس لو استعملوه في الدنيا لزالت بينهم الشحناء ولاستراحوا من تعب المباهاة والمفاخرة)[1].

وقال ابن قدامة عن الكبر: (واعلم أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات" ثم ذكر الدرجة الثالثة وهي: "أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخر وتزكية النفس وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة وكثرة الأتباع ونحو ذلك)[3].

وقال ابن القيم: (وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤٩/١١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٤.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩/١.

والظلم ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت فنظره إلى الناس شزر[١] ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف ذاهب بنفسه تيهًا لا يبدأ من لقيه بالسلام وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لأحد عليه حقًا ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم لا يزداد من الله إلا بعدًا ومن الناس إلا صغارًا أو بغضًا)[٢].

وقال ابن الجوزي: (الكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير وذلك يكون بسبب الترفع على من هو دونه إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة أو غير ذلك. وعلامة الكبر: الأنفة ممن يتكبر عليه والاختيال والفخر ومحبة تعظيم الناس له، وعلاج ذلك نوعان: جملي وتفصيلي: فأما الجملي فنوعان: علمي وعملي: فالعلمي في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر، وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم، وأما التفصيلي فإنه ينظر إلى رذائل النفس وأن يعلم أن ما يتكبر به، إن كان مالاً فهو مأخوذ منه عن قريب. والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لا به، لأن الغني بالشيء فقير إليه، وإن كان علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه ثم علمه ينهاه عن حالته فهو حجة عليه، كذلك إن كان عملاً ثم رؤيته للعمل بعين التمام نقصية)[٣].

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن الداعية بما عنده من علم يبين الحقائق للمدعوين حتى تتضح لديهم، ومِن ثمَّ تأتي أفكارهم وأعمالهم في ضوئها. وقد وضح النبي ﷺ حقيقة أن الله قدر أنه ما من شيء في الدنيا ارتفع إلا قد وضعه الله وأنزل مكانته. وهذه سنة من سنن الله في كونه وخلقه ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾[٤].

---

(١) الشزر نظرة الإعراض أو الغضب أو الاستهانة. يقال نظر إليه شزرًا. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ز ر).

(٢) الروح، ابن القيم، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ ص ٢٣٤.

(٣) الطب الروحاني، ابن الجوزي، تحقيق: محمد السعيد زغلول ص ٣١-٣٢.

(٤) سورة الفتح، آية:٢٣.

قال ابن هبيرة: (فيه دليل على أن كل شيء يرتفع من الدنيا فإن حقًا على الله أن يضعه. يرتفع في كلام العرب يفتعل. ولم يقل في هذا الحديث: ما رفع الله شيئًا إلا وضعه. لأن ما رفعه الله فلا واضع له في الدنيا ولا في الآخرة)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((إنَّمَا أَهْلَكَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ. وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ))[٢].

قال ابن حجر: (فيه الاعتبار بأحوال من مضى من الأمم ولا سيما من خالف أمر الشرع)[٣].

ومن أعلى درجات بيان الحقائق بيان السنن الربانية، لما في ذلك من أهمية كبيرة، (لأنه من خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف. على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي، والطاعة والمعصية والإيمان والكفر والتوحيد والشرك، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله أصاب شر السنة الربانية)[٤].

ومن هذا القبيل -قبيل بيان الحقائق للمدعوين- ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ((انكسفَتِ الشمسُ يومَ ماتَ إبراهيمُ، فقال الناسُ انكسفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشمسَ والقمرَ آيَتانِ من آياتِ الله، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى يَنجليَ))[٥].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٠٩/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٨٨، ومسلم ١٦٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٨/١٢.

(٤) العلم بالسنن الربانية، د. محمد أمحزون، مجلة البيان، العدد ١١٥ ص ٥١.

(٥) أخرجه البخاري ١٠٦٠، ومسلم ٩١٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وحرصه على تطييب نفوس الصحابة رضي الله عنهم:

بعث محمد ﷺ إلى العالم كافة، فبعث إلى الحضري والأعرابي، والغني والفقير والسيد والمسود، والأشراف والأتباع، وكان في تعامله ﷺ معهم، المثل الأعلى للتواضع والحرص على تطييب نفوس أصحابه.

ذلك واضح من أنه لما شق على المسلمين أن يسبق أعرابي ناقة رسول الله ﷺ قال لهم ﷺ "حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه" والحديث رواه أبو الشيخ بلفظ: ((كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى العَضْباء وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبق، فشقّ ذلك على المسلمين، فقال: ما لكم؟ فقالوا: سبقت العضباء. فقال: إنه حق على الله عز وجل ألا يرتفع شيء في الدنيا إلا وضعه))[1]. قال ابن حجر: (وفيه الحث على التواضع، وفيه حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه وعظمته في صدور أصحابه)[2].

وقال كذلك: (وفيه أيضًا حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه، لكونه رضي أن أعرابيًا يسابقه)[3].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو مسعود رضي الله عنه قال: ((أَتَى النَّبِيَّ رَجُلٌ. فَكَلَّمَهُ. فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ[4]. فَقَالَ لَهُ: هَوِّنْ عَلَيْكَ. فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ. إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ))[5].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وآدابه ٤٦٤ ومن طريقه البغوي في شرح السنة ٢٦٥٢/١٠. وقال محققا شرح السنة: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٧/٦.

(٣) المرجع السابق ٣٤٩/١١.

(٤) الفرائص: المفرد: الفريصة: لحمة بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع وهما فريصتان. الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ر ص).

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٣١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦٧٧).

(والقديد: اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى مفعول)[١].

وعن الصعب بن جثامة رضي الله عنه ((أنهُ أهدَى لرسولِ اللهِ ﷺ حِمارًا وَحشيًا وهوَ بالأبْواءِ - أو بوَدّانَ - فردَّهُ عليهِ، فلما رأى ما في وَجهه قال: إنا لَمْ نَرُدَّهُ عليكَ إلا أنّا حرُم))[٢].

قال ابن حجر: (في حديث الصعب الاعتذار عن رد الهدية تطييبًا لقلب المهدي)[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق د د).

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩/٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حفلت أحاديث الباب بعدد من المضامين التربوية ومن أبرزها ما يلي:

أولاً- غرس خلق التواضع:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية تأصيل التربية الخلقية في نفوس المتربين، ومن موضوعات التربية الخلقية خلق التواضع، وأحاديث الباب تؤكد هذا المعنى، وتدعو إلى غرس خلق التواضع، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا..."، وقوله ﷺ: "... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".

"إن التواضع دليل على كِبَر النفس وعلو الهمة، وهو -في الوقت نفسه- سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكِبْر، والاستنكاف عن قبول الحق والأخذ به، ومن هنا يكمل السُّؤْدد، ويعلو القدر، ويتناهى الفضل. والمتواضع يرفع من أقدار الناس، وينزلهم منازلهم، ويشعر النوابغ بقيمتهم واستعدادهم كي يكونوا من ذوي الشرف والمروءات:

وأحسن أخلاق الفتى وأتمُّها ... تواضعه للناس وهو رفيع"[1]

"إن المعلم القدير هو الذي يتواضع للطلبة ولا يتعالى أو يتكبر عليهم، ويعاملهم بالرفق والملاطفة ولين الجانب ويسعى للتقرب إليهم ومحادثتهم خارج الصف، وهذا ما يجعلهم يثقون به ويتقبلون منه النصح والإرشاد، ويبادلونه الوُدَّ والاحترام ويقبلون على الدرس برغبة ورضا وسعادة، أما المعلم المتعالي المتكبر فإنه لا يحظى باحترام طلبته ولا بثقتهم فيه"[2].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

إن من أساليب التربية النافعة التربية بالترغيب، ومن أحاديث الباب التي ترغب في

---

(١) الهمة العالية، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص١١٧، ١١٨.

التواضع قوله ﷺ: "... وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"، والتربية بالترغيب تحفظ المتربي إلى الإقدام على فعل الصالحات، وترك المنهيات.

"إن لاستخدام أسلوب الثواب في التربية الإسلامية مسوغات تجعل من الضروري المصير إليه في العملية التربوية المستمرة، لما له من الآثار الإيجابية الفاعلة في تحقيق تربية إسلامية مستدامة لدى الفرد المسلم لاسيما وأن مفردات الثواب في التربية الإسلامية مستمدة من النصوص الشرعية والهدي النبوي الشريف، ومنهج السلف الصالح، ترتبط لدى المربي برضا الله عز وجل، وترتبط لدى الناشئ بحصول الأجر ثم المصلحة"[(١)].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

إن من أساليب التربية الناجحة التربية بالممارسة العملية، وذلك لأن المربي يطبق عمليًا ما يدعو المتربي إليه، وفي أحاديث الباب جاء ما يثبت الممارسة العملية لخُلُق التواضع، ومن ذلك ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما سئلت ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله..."، وقول أبي رفاعة رضي الله عنه "... فأقبل عليّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ فأتى بكرسي فقعد عليه وجعل يعلمني مما علمه الله ..."، وقول أنس رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاثة ...".

"إن الإسلام يرى أن القدوة هي أعظم طرق التربية، ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب المبادئ الإسلامية ويسير على نهجها، ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، ولابد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولابد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول ﷺ التي تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه"[(٢)].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٩٥.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٣٠.

إن التواضع في الإسلام قلبي وليس شكليًا، والأحاديث قد دعت المسلمين إلى التواضع ورسمت بعض السبل التي تحققه وبينت الآثار المترتبة عليه، وضرب الرسول ﷺ المثل بنفسه في تحقيق هذا الخلق.

١) التصريح بوحدة المنشأ والأصل الإنساني، والنص على ذلك في كثير من آي القرآن وأحاديث النبي ﷺ.

٢) النص على أن المصدر الأول والثاني، مما يزدري أو يحتقر، ولم يعرف البشر لهما ثقل في المعيار أو الثمن، فالمصدر الأول "تراب" والثاني "ماء مهين".

٣) بيان معيار الفضل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1].

٤) التصريح بالأخوة الإنسانية بالنسبة للبشرية جمعاء أو الأخوة في الدين بالنسبة للعلاقة بين المسلمين، وكلاهما لا يأذن بالتعالي أو التكبر.

٥) النص على الأوامر الإلهية الصادرة بحق المسلمين من قِبَل الحق "أن تواضعوا" وأن لا يكتفى بالقول بل بتحريم الاعتداء والتفاخر بالأموال.

٦) تصحيح مفهوم التواضع، والدعوة إلى نتائجه "وما تواضع أحد إلا رفعه الله".

٧) الحرص على الاقتداء بالرسول ﷺ فمع سمو مكانته وعلو منزلته كان مضرب المثل في التواضع ومن مظاهر ذلك:

أ- تسليمه على صغار السن، وهو أمر يأنفه العرب ويأنفه كثيرون الآن لأنه من وجهة نظرهم يشكل ضياع هيبة الرجال، ويدعو إلى إسقاط الرهبة فكان فعله ﷺ دليلاً عمليًا على استحباب ذلك.

ب- سَيْره مع مَنْ تسأله وإتباعه إما حلاً لمشكلة أو إجابة على سؤال أو رعاية لمصلحة، والتعبير بأمَةٍ فيه دلالة على وضعها الاجتماعي والذي لم يأخذ به الرسول ﷺ من أجل إحياء روح التواضع.

جـ- قيامه ببعض الأعمال المنزلية، لمساعدة أهل بيته، وهو أمر لو قام به

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

أحد في هذا الزمان لأنكره الناس عليه، لأن هذا خارج عن سمة الرجولة بمفاهيم الجاهلية، وهو لون من ألوان ائتلاف القلب وتقوية المودة والمحبة.

د- إخباره ﷺ عن نفسه أنه كان يرعى الغنم، ومثل هذا الإخبار يدل على الثقة في الله تعالى والثقة في النفس، لأن كثيرين إذا أعطاهم الله تعالى تنكروا لتاريخهم وتناسوا ماضيهم ونظروا إلى زمن الفقر ومرحلة العوز على أنها عار ينبغي ستره، وأما الواثق في ربه الواثق في نفسه فإنه لا يخجل إلا مما خالف الشرع فإن لم تكن مخالفة فلا حرج، بل هو تحدث بنعمة الله تعالى. وبخاصة أن مهنة الرعي مما يقوم بها الأُجراء، وقد نص ﷺ على قلة الأجر الذي كان يتقاضاه "قراريط" أو المسافة التي يرعى الغنم فيها، فالكل محتمل.

هـ ومن باب التبسط في العيش، وعدم إجهاد المُكرِمِ لغيره، أعلن ﷺ أنه لا يفاضل في الأطعمة ولا يفاوت في المقدم إليه، بل إنه ليقبل الهدية من الذراع أو الكراع، وإن دعي إلى تناول طعام أعد منهما ما تردد عن قبول الدعوة، ومثل هذا النوع من الأطعمة كان العرب يأنفون تناوله "الكراع" وإنما يأكلون من صفوة الطعام.

و- ومن هديه ﷺ دخوله السَّبق بنفسه أو بدابته، فقد سابق عائشة رضي الله عنها فسبقته وسابقها ثانية فسبقها، وكانت ناقته العضباء لا تُسبق، حتى جاء أعرابي بقعود -فتى الإبل- فسابقها فسبقها، وعز ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: (حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه)، والنص عام فكأن كل من رأى في نفسه ما لم ير في غيره، حق على الله تعالى أن يذهب ما به في يوم ما.

ز- ومن تواضعه ﷺ أنه كان يلقي درسًا، فجاء أعرابي فقطع عليه درسه وأعلن عن رغبته في تعلم الدين، فتوجه الرسول ﷺ إليه، وأُتِيَ له بكرسي ليجلس عليه وبدأ يعلم الأعرابي.

رابعًا- تدريب الصبيان على آداب الشريعة:

من أبرز الأهداف التربوية تدريب الصبيان على آداب الشريعة وغرس قيم الإسلام في نفوسهم وتنشئتهم عليها، ومن أحاديث الباب التي تؤكد هذا المعنى "ما جاء عن أنس رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلّم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله".

ومن الأمور التي درّب رسول الله ﷺ الأطفال عليها سنة إلقاء السلام وإفشائه.

"إن السلام هو التحية الإسلامية بين المسلمين، والطفل يتعرض للقاء الناس على اختلاف مستوياتهم فهو يحتاج لمعرفة مفتاح الكلام معهم، لذلك فإن النبي ﷺ كان يعلم الصبيان السلام بطريق غير مباشر، وذلك أن يبادئهم بالسلام حتى يتعودوه، واقتدى الصحابة رضي الله عنهم بذلك، وكذلك وجّه رسول الله ﷺ الأطفال إذا دخلوا بيوتهم أن يُسلّموا على أهليهم، وذلك زيادة في حصول البركة، وبالجملة فالتوجيه الخاص للطفل أن يُعلّم السلام، وأن يبدأ من هو أكبر منه تمثلاً لأمر رسول الله ﷺ"[1].

إن مرحلة الطفولة هي المرحلة الملائمة لغرس الكثير من آداب الشريعة في نفوس الناشئة لتكوين شخصية مسلمة بناءة نافعة.

"إنه لا تغيير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله تعالى من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد وتكوين وتربية، وإن أخصب مجال للبناء التربوي مرحلة الطفولة، وتتميز الطفولة البشرية بالمرونة والصفاء والفطرية، وهي تمتد زمنًا طويلاً يستطيع المربي خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله قدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية والإشراف والتوجيه كانت أثبت وأرسخ أمام الهزات المستقبلية التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه، ومن ثَمَّ فإن فكرة استصغار الطفل وإهمال توجيهه تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد والأمر والنهي والترغيب والترهيب والتحبيب والتقبيح وهكذا"[2].

---

(١) انظر: بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٦٩، ٧٠.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٧٩، ١٨٠.

خامسًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء والأسئلة والمناقشة والحوار:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يمكن أن يستفاد منها في التعليم والتربية، منها:

أ-الإلقاء: كحديث: ((إنَّ اللّهَ أَوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حتى لا يَفْخر أَحدٌ على أحدٍ ولا يَبْغي أَحدٌ على أَحدٍ)) والإلقاء أسلوب تعليمي يستخدم مع المتعلمين الكبار السن، والمتعلمين في المراحل السنية المتقدمة، كالتعليم الثانوي والجامعي، وهو يناسب الموضوعات التي تتناول القيم والعلوم الإنسانية، ولا يحول صغر السن دون ذلك.

ب-استخدام الأسئلة: كما في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه وفيه: ((يَا رَسُولَ اللّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ)) والأسئلة تستخدم في طلب تعلم المعارف المختلفة التي تخص المسلم في دينه ودنياه، وفي التقويم وفي معالجة بعض السلوكيات غير السليمة التي تصدر من المتعلمين.

ج-المناقشة والحوار كما في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه: ((فقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم وأجابه صلى الله عليه وسلم)).

د-التلقين: وهو موجود أيضًا في حديث أبي رفاعة تميم بن أُسيد رضي الله عنه: ((فَأُتِيَ صلى الله عليه وسلم بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللّه)) والتلقين من الأساليب التي تناسب المتعلمين عند دراستهم للجديد من المعارف والعلوم، كما أنها تكون مناسبة في تعليم العلوم التي تحتاج إلى التلقين، مثل قراءة القرآن الكريم.

سادسًا- التربية الصحية:

كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَة ...)) الحديث، وهذا يدخل في نطاق التربية الصحية للمسلم، فلقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة في مجال الصحة أن لِلَعق الأصابع كثيرًا من الفوائد الصحية، ولكن لابد من المحافظة على السلوكيات الإسلامية في النظافة من حيث غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، وكذلك الحرص على سنن الفطرة والتي من جملتها تقليم الأظافر، وهذا هدي نبوي رائع في مجال التربية الوقائية، لأن إطالة

الأظافر وعدم تقليمها يساعد على تكوّن الجراثيم والميكروبات، ويضر بالإنسان ضررًا بالغًا فلا يُمْكن لإنسان بهذا الشكل المزري من عدم النظافة أن يلعق أصابعه.

وهذا من المباح الذي لا يجب فعله ولا يحرم تركه، وقد استخدم الرسول ﷺ السكين في قطع اللحم، واستعان ببعض الوسائل التي تستخدم في الموائد الآن.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
٥٧-باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق	٥
الحديث رقم (٥٢١)	٥
الحديث رقم (٥٢٢)	١٢
الحديث رقم (٥٢٣)	١٣
الحديث رقم (٥٢٤)	٢١
الحديث رقم (٥٢٥)	٢٨
الحديث رقم (٥٢٦)	٣٧
الحديث رقم (٥٢٧)	٤٧
الحديث رقم (٥٢٨)	٥٦
الحديث رقم (٥٢٩)	٦٩
الحديث رقم (٥٣٠)	٧٤
الحديث رقم (٥٣١)	٧٥
الحديث رقم (٥٣٢)	٨٣
الحديث رقم (٥٣٣)	٨٧
الحديث رقم (٥٣٤)	٩٢
الحديث رقم (٥٣٥)	٩٦
الحديث رقم (٥٣٦)	١٠٥
٥٨-باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه	١١٧
الحديث رقم (٥٣٧)	١١٧
٥٩-باب الحث على الأكل من عمل يده	١٢٦
الحديث رقم (٥٣٨)	١٢٦
الحديث رقم (٥٣٩)	١٣٣
الحديث رقم (٥٤٠)	١٣٤
الحديث رقم (٥٤١)	١٣٨
الحديث رقم (٥٤٢)	١٣٩
٦٠-باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير	١٤٧
الحديث رقم (٥٤٣)	١٤٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٥٤٤)	١٥٣
الحديث رقم (٥٤٥)	١٥٦
الحديث رقم (٥٤٦)	١٥٧
الحديث رقم (٥٤٧)	١٦٠
الحديث رقم (٥٤٨)	١٦٣
الحديث رقم (٥٤٩)	١٦٦
الحديث رقم (٥٥٠)	١٧٢
الحديث رقم (٥٥١)	١٧٤
الحديث رقم (٥٥٢)	١٧٥
الحديث رقم (٥٥٣)	١٨٢
الحديث رقم (٥٥٤)	١٨٦
الحديث رقم (٥٥٥)	١٩٢
الحديث رقم (٥٥٦)	١٩٧
الحديث رقم (٥٥٧)	٢٠٦
الحديث رقم (٥٥٨)	٢١٠
الحديث رقم (٥٥٩)	٢١٥
الحديث رقم (٥٦٠)	٢٢١
الحديث رقم (٥٦١)	٢٢٩
٦١-باب النهي عن البخل والشح	٢٥٣
الحديث رقم (٥٦٢)	٢٥٣
٦٢-باب الإيثار والمواساة	٢٥٨
الحديث رقم (٥٦٣)	٢٥٨
الحديث رقم (٥٦٤)	٢٦٧
الحديث رقم (٥٦٥)	٢٧٣
الحديث رقم (٥٦٦)	٢٧٤
الحديث رقم (٥٦٧)	٢٨٢
الحديث رقم (٥٦٨)	٢٩١
٦٣-باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به	٣٠٣
الحديث رقم (٥٦٩)	٣٠٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٥٧٠)	٣١٠
٦٤-فضل الغني الشاكر	٣٢١
الحديث رقم (٥٧١)	٣٢١
الحديث رقم (٥٧٢)	٣٢٤
الحديث رقم (٥٧٣)	٣٣٠
٦٥-باب ذكر الموت وقصر الأمل	٣٤٣
الحديث رقم (٥٧٤)	٣٤٤
الحديث رقم (٥٧٥)	٣٤٧
الحديث رقم (٥٧٦)	٣٥٥
الحديث رقم (٥٧٧)	٣٥٩
الحديث رقم (٥٧٨)	٣٦١
الحديث رقم (٥٧٩)	٣٦٤
الحديث رقم (٥٨٠)	٣٧٠
٦٦-باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر	٣٨٤
الحديث رقم (٥٨١)	٣٨٤
الحديث رقم (٥٨٢)	٣٩١
الحديث رقم (٥٨٣)	٣٩٨
الحديث رقم (٥٨٤)	٤٠٠
٦٧-باب كراهة تمني الموت بسبب ضُر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين	٤٠٤
الحديث رقم (٥٨٥)	٤٠٤
الحديث رقم (٥٨٦)	٤١٣
الحديث رقم (٥٨٧)	٤١٤
٦٥-باب الورع وترك الشبهات	٤٢٥
الحديث رقم (٥٨٨)	٤٢٥
الحديث رقم (٥٨٩)	٤٣٩
الحديث رقم (٥٩٠)	٤٤٤
الحديث رقم (٥٩١)	٤٥٣
الحديث رقم (٥٩٢)	٤٥٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٥٩٣)	٤٦٢
الحديث رقم (٥٩٤)	٤٦٣
الحديث رقم (٥٩٥)	٤٧٠
الحديث رقم (٥٩٦)	٤٧٨
٦٩-باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها	٤٨٨
الحديث رقم (٥٩٧)	٤٨٨
الحديث رقم (٥٩٨)	٤٩٤
الحديث رقم (٥٩٩)	٥٠٦
الحديث رقم (٦٠٠)	٥١٦
الحديث رقم (٦٠١)	٥٢٥
٧٠ -٧١-باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به ...	٥٣٧
الحديث رقم (٦٠٢)	٥٣٨
الحديث رقم (٦٠٣)	٥٤٨
الحديث رقم (٦٠٤)	٥٤٩
الحديث رقم (٦٠٥)	٥٥٦
الحديث رقم (٦٠٦)	٥٦٤
الحديث رقم (٦٠٧)	٥٧٠
الحديث رقم (٦٠٨)	٥٧٨
الحديث رقم (٦٠٩)	٥٨٦
الحديث رقم (٦١٠)	٥٨٧
الحديث رقم (٦١١)	٥٩٦
فهرس المحتويات	٦١١

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد التاسع

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٩

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-٠٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٩)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٧٢- باب تحريم الكبر والإعجاب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[القصص: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ﴾[الإسراء: ٣٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨].

ومعنى (تُصَعِّر خَدَّكَ لِلنَّاسِ): أيْ تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ. وَ(المَرَحُ): التَّبَخْتُرُ. وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[القصص: ٧٦]، إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ الآيات.

الحديث رقم (٦١٢)

٦١٢- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: ((**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**)) رواه مسلم[(١)].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

مثقال ذرة: مقدار ذرة، والذرة: ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة[(٢)]، والمراد: أقلّ الكبر. ويضرب بها المثل في أصغر الأوزان.

---

(١) برقم ٩١/١٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٩٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ ر ر).

بَطَرُ الحق: دفعُهُ وردُّهُ على قائلِهِ[١].

غمط الناس: احتقارهم[٢].

الشرح الأدبي

وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها: بداية الحديث بأسلوب النفي في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) حيث قدم المسند المنفي الذي يشكل الحكم على المسند إليه هنا، وكون هذا المسند فعلاً مضارعاً له أثره في تمكين الحكم، والتأثير به تأثيراً قوياً يلفت الذهن إلى خطورته، ولعل ذلك ما دعا إلى الاستفسار عنه، ثم دفع إيهام ما قد يتصور من وجوه غير داخلة في معناه، ثم البلوغ في نهاية الأمر إلى وضع دلالة لغوية موضحة لدقائق هذا المعنى في أسلوب محدد، ثم جاءت أساليب التوكيد لتمهد النفس وتلفت الانتباه وتثير الاهتمام لتصحيح خطأ التصور وتحديد المفاهيم، وتعريفها كما جاء في الرد على السائل بقول الرسول ﷺ (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس)، فقد أكدَّ الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة لدفع شك السامع، وتردده في فهم المعنى، وإجابته بأسلوب يتساوق مع أسلوبه حيث قال: (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً) فرد عليه ﷺ بنفس درجة التأكيد (إن الله جميل) تصحيحاً لتصوره الخاطئ بأن محبة الثوب الحسن والنعل الحسن من الكبر وبيَّن له أن الكبر ليس بالتجمل واتخاذ الزينة من الثياب، بل هو أمر نفسي يرجع إلى أحوال النفوس وصفات القلوب، فهو التكبر على الحق، فيزهو بأصله، أو بجنسه، أو يتيه بمنصبه، وجاهه، أو يصعِّر خده للناس بقوته وماله، أو يحتقر من سواه من خلق الله ممن لا يساوونه، أو غير ذلك من مظاهر الكبر[٣]، وهذا ما بيَّنه بقوله: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس) موضحاً ومحدداً لمفهوم الكبر، وقد فصّل هذه الجملة عن سابقتها وهي جملة: (إن الله جميل يحب

---

(١) رياض الصالحين ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ٢٧٥.

(٣) أحاديث نبوية شريفة، د. محمود فرج العقدة صـ٨٥.

الجمال)، لأن الثانية وقعت إجابة لسؤال مقدر نتج عن الأولى، فكأنه لما سمع قول الرسول ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال) سأل: فما الكبر إذن؟ فجاء قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغمط الناس)، وهو ما يسمى بشبه كمال الاتصال، وهذا النوع من الفصل يعطي النص حيوية، ويوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، ويشعر بالتواصل بينهما، والحديث في مجمله تحديد بليغ ودقيق لمفهوم الكبر، وبيان لشدة عقابه، وأنه يحرم صاحبه من كل خير بحرمانه من الجنة، وفيه عقاب لما يؤدي إليه الكبر من بطر الحق وغمط الناس مما يستجلب كراهية الناس لهذا المتكبر، الأمر الذي يحدث التصدع في وحدة المجتمع المسلم[١].

فقه الحديث

تحريم الكبر:

اتفق العلماء على أن الكبر من الكبائر، ذكر ذلك الذهبي[٢] وقال ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[٣] قال: (من ضرب بنعله إن فعل ذلك عجبًا[٤] حرم، فإن العجب كبيرة)[٥] وذلك لقوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) وقوله ﷺ: "مثقال ذرة" يشمل القليل والكثير منه، فلا يرخص بالكبر مهما كان قليلاً. قال الشوكاني: (والحديث يدل على أن الكبر مانع من دخول الجنة وإن بلغ في القلة إلى الغاية، ولهذا ورد التحديد بمثقال ذرة)[٦].

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري، ١٥٧.

(٢) الكبائر، الذهبي ٧٦.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) وفي تفسير القرطبي: تعجبًا. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٢٢٧.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي ٣/١٣٧٦.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٢.

وإذا كان الكبر هو الصفة النفسية، وهي قصد الاستعلاء على الغير في مكرمة من المكارم، فإن هذا الكبر - أي التكبر- إما أن يحتاج إليه أو لا يحتاج إليه.

فإن احتيج إليه كان محمودًا كالتكبر على الظَّلَمة وعلى أعداء الله من الكفار المحاربين ونحوهم، ولذلك جاز الاختيال في الحرب إرهابًا للعدو[١].

وإن لم يكن من شعار المتكبرين كالأكل متكئًا وتشمير الأكمام، ونحو ذلك لم يكن به بأس، قال في الفتاوى الهندية: (والحاصل أن كل ما كان على وجه التكبر يكره، وإن فعل لحاجة أو ضرورة لا -أي لا يكره-)[٢]. وعلى هذا فإن من لبس الثياب الجميلة الرفيعة من غير نية التكبر فلا إثم عليه، قال الشوكاني: (وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم)[٣] بل إن لبس رفيع الثياب من غير نية التكبر، بل بنية أن يكون له وقع في قلوب سامعيه وهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كان مثابًا، قال الشوكاني: (إن الأعمال بالنيات، فلبس المنخفض من الثياب تواضعًا وكسرًا لسورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر إن لبست غالي الثياب، من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله ولبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوعٍ من التكبر، لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات، ومن الجدير بالذكر أن النووي بوَّب على هذا الحديث وغيره في الأذكار باب تحريم احتقار المسلمين والسخرية منهم. وقال: وإجماع الأمة منعقد على تحريم ذلك)[٤]. لا شك أنه من الموجبات للأجر، لكنه لا بدّ من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعًا)[٥].

---

(١) الروض المربع بحاشية ابن قاسم العاصمي النجدي ٥١٥/١

(٢) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٥٩/٥.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٢ ط/ بيت الأفكار.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٩٠.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٣ ط/ بيت الأفكار، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٦/٣٤-١٦٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شناعة الكبر وخطره.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما يجهله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل النظافة والتجمل.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)، ولا شك أن أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الذي يعرف المدعوون من خلاله مآل حال المؤمنين ومآل العاصين والمتكبرين، وتتميز أخبار الدعوة الإسلامية بالصدق، ذلك لأنها مستقاة من معين القرآن الكريم والسنة النبوية، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس في البلاغ، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شناعة الكبر وخطره:

إن الإسلام يحث أتباعه على التواضع وخفض الجناح، ولذا شدد النكير على المتكبرين، وبين شناعة ما هم عليه ويتضح هذا مما جاء في الحديث في قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

قال النووي: (والمراد بالكبر غمط الناس، أي: احتقارهم، وبطر الحق دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: "إنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه وهذا جزاؤه أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه الله تعالى بكبره، وقيل: هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم بأنه لا يجازيه، بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً وإما ثانيًا بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة)[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥١ - ١٥٢، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض ٣٥٩/١ - ٣٦٠.

قال القرطبي: (الكبر والكبرياء في اللغة: هو العظمة. يقال فيه: كبر الشيء، بضم الباء، أي: عظم، فهو كبير وكبار، فإذا أفرط قيل: كبّار بالتشديد، وعلى هذا فيكون الكبر والعظمة اسمين لمسمى واحد، وقد جاء في الحديث ما يُشعر بالفرق بينهما، وذلك أن الله تعالى قال: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قصمته"[(١)]، فقد فرق بينهما بأن عبر عن أحدهما بالإزار وعن الآخر بالرداء وهما مختلفان، ويدل أيضًا على ذلك قوله: "فمن نازعني واحدًا منهما" إذ لو كانا واحدًا لقال: فمن نازعنيه فالصحيح إذن الفرق، ووجهه: أن جهة الكبرياء يستدعي مُتكبرًا عليه؛ ولذلك لما فسر الكبر قال: "الكبر: بطر الحق وغمط الناس" وهو احتقارهم، فذكر المتكبر عليه وهو الحق أو الخلق، والعظمة لا تقتضي ذلك، فالمتكبر يلاحظ ترفع نفسه على غيره بسبب مزية كمالها، فيما يراه، والمعظم يلاحظ كمال نفسه من غير ترفع لها على غيره، وهذا التعظيم هو المعبر عنه بالعجب في حقنا إذا انضاف إليه نسيان منة الله تعالى علينا فيما خصنا به من ذلك الكمال، وإذا تقرر هذا فالكبرياء والعظمة من أوصاف كمال الله تعالى، واجبان له، إذ ليست أوصاف كمال الله وجلاله مستفادة من غيره، بل هي واجبة الوجود لذواتها، بحيث لا يجوز عليه العدم ولا النقص، ولا يجوز عليه تعالى نقيض شيء من ذلك فكماله وجلاله حقيقة له، بخلاف كمالنا، فإنه مستفاد من الله تعالى ويجوز عليه العدم وطروء النقيض والنقص، وإذا كان هذا فالتكبر والتعاظم خرق منا ومستحيل في حقنا، ولذلك حرمهما الشرع، وجعلهما من الكبائر؛ لأن من لاحظ كمال نفسه ناسيًا منة الله تعالى فيما خصّه به، كان جاهلاً بنفسه وبربه، مغترًا بما لا أصل له، وهي صفة إبليس الحاملة له على قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾[(٢)]، وصفة فرعون الحاملة له على قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[(٣)]، ولا أقبح مما صارا إليه، فلا جرم كان فرعون وإبليس أشد أهل النار عذابًا، نعوذ بالله من الكبر والكفر.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٢٠، وأبو داود ٤٠٩٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٢.

(٣) سورة النازعات، آية: ٢٤.

وأما من لاحظ من نفسه كمالاً، وكان ذاكرًا فيه منة الله تعالى عليه به؛ وأن ذلك من تفضله تعالى ولطفه، فليس من الكبر المذموم في شيء، ولا من التعاظم المذموم، بل هو اعتراف بالنعمة وشكر على المنة، والتحقيق في هذا: أن الخلق كلهم قوالب وأشباح تجري عليهم أحكام القدرة، فمن خصه الله تعالى بكمال، فذلك الكمال يرجع للمكمل الجاعل لا القالب القابل، مع ذلك فقد كمل الله الكمال بالجزاء والثناء عليه، كما قد نقص النقص بالذم والعقوبة عليه، فهو المعطي، والمثني والمبلي، والمعافي.

ولما تقرر أن الكبر يستدعي متكبرًا عليه، فالمتكبر عليه إن كان هو الله تعالى، أو رسوله، أو الحق الذي جاءت به رسله، فذلك الكبر كفر، وإن كان غير ذلك فذلك الكبر معصية وكبيرة، يخاف على المتلبس بها، المصر عليها أن تفضي به إلى الكفر، فلا يدخل الجنة أبدًا، فإن سلم من ذلك، نفذ عليه الوعيد، وعوقب بالإذلال والصغار، أو بما شاء الله من عذاب النار، حتى لا يبقى في قلبه من ذلك الكبر مثقال ذرة، وخلص من خُبث كبره حتى يصير كالذرة، فحينئذ يتداركه الله برحمته، ويخلصه بإيمانه وبركته، وقد نص على هذا المعنى النبي ﷺ في المحبوسين على الصراط لما قال: "حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة"[١]، والله تعالى أعلم)[٢].

وقال الطيبي: (وقوله: "مثقال" مأخوذ من الثقل والمراد وزن حبة وهذا تمثيل للقلة والكبر من صفات الكافرين المتمردين فيجب أن يجتنب عنه، وبالكبر لمح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين المحسنين فينبغي أن يرغب فيه"[٣]، وقال الكفوي: "التكبر هو أن يرى المرء نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك التشبع وهو التزين بأكثر مما عنده)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/٢٨٦ - ٢٨٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٢٥٠.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٢٨.

وقال الغزالي: (مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الكبر والغفلة فالكبر آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، ومن عظم آفته أنه صار حجابًا دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من الكبر فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه، والأخلاق الذميمة متلازمة، والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له)[١].

وقد دلت النصوص الشرعية على شناعة الكبر وخطره فالكبر من صفات الكافرين، قال تعالى عن فرعون وجنوده: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾[٢]، والمتكبرون مأواهم النار، قال تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٣].

وبشر رسول الله ﷺ من يتبرأ من الكبر بدخول الجنة فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ فَارَقَ الرُّوحُ الْجَسَدَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلاَثٍ: الكبر وَالغُلُولِ والدَّيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ))[٤]، والمتكبر لا ينال رضا الله ولا يكلمه الله يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ. وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ))[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٣٤٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٣٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٢٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٧٦، رقم ٢٢٣٦٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٣٧/٥٣.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٧.

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستفسار عما يجهله:

إن الإسلام يحث المسلم على السؤال والتطلع للمعرفة حتى يعبد الله عن علم، لا عن جهل ولذا كان من أهم آداب المدعو: أن يستفسر عما يجهل ويسأل عما لا يعلم ويتضح هذا من الحديث: "فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة"، وقد أمر الله الجماعة المؤمنة بالسؤال عند عدم العلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وأنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل عند جهله وعدم علمه فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[2].

ومن هذا يظهر حاجة المدعو إلى العلم والاستفسار دائمًا، قال ابن القيم: (إن حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء، لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحبًا لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة في نفس من أنفاسه فقد عطب، وقرب هلاكه، وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم فالحاجة إليه فوق الحاجة إلى الطعام والشراب. وفضيلة الشيء وشرفه يظهر من عموم منفعته، وشدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وظهور النقص والشر بفقده، وحصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده وهذه الوجوه بأسرها حاصلة للعلم)[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل النظافة والتجمل:

إن من المعاني السامية، والآداب العالية التي يغرسها الإسلام في نفس المسلم الحرص على الطهارة والنظافة والتجمل، ذلك لأن المسلم ينبغي أن يكون شامة في الناس، وقد جاء في الحديث ما يشير إلى حب الإسلام للنظافة والتجمل حيث قال رجل لرسول الله ﷺ: "إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: إن الله

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) فضل العلم والعلماء ٣٦ - ٣٧.

جميل يحب الجمال"، ومما هو معلوم أن النظافة من الإيمان.

قال المباركفوري: (أي: إن الله حسن الأفعال كامل الأوصاف، وقيل: مالك النور والبهجة، وقال المناوي: أي: إن الله له الجمال المطلق، جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة أو في قلة إظهار الحاجة لغيره والعفاف عن سواه)[١]، ولقد كان من توجيهات النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم دائمًا مراعاة النظافة والتجمل، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فرآني رثّ الثياب فقال: ((أَلَكَ مَالٌ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَالَ: ((إِذَا آتَاكَ الله مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ))[٢].

قال ابن القيم: (إن الله سبحانه يحب ظهور أثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نِعَمه، وهو جمال باطن، فيجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تُجمِّل ظواهرهم، وتقوى تُجمِّل بواطنهم فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[٣]، وقال سبحانه في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[٤]، فجمّل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله)[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٦٠.

(٢) أخرجه النسائي ٥٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٨٨٨).

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٤) سورة الإنسان، الآيتان: ١١ - ١٢.

(٥) الفوائد ٢٦٢ - ٢٦٣.

قال ابن كثير: (لقد قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[١]، قالوا: وفّى جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه، وكان لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل، ولا ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار فكان لا يشغله الإخلاص بالله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة بدنه، وإعطاء كل عضو ما يستحقه من الإصلاح والتحسين، وإزالة ما يشين من زيادة شعر أو ظُفر، أو وجود قلح أو وسخ فهذا من جملة المدح العظيم في حقه)[٢].

(ومما هو معلوم أن الأنبياء عليهم السلام كمّل الله بواطنهم وظاهرهم فإن الهيئة الحسنة تدعو إلى القرب منها والاستماع إليها، وقد ينفر المدعو ممن يدعوه بسبب هيئته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه رضي الله عنهم إلى الاهتمام بمظهرهم وهيئتهم، وكان إذا أرسل رسولاً جعله حسن الهيئة والصورة، وكان يدعو أصحابه رضي الله عنهم إلى نظافة الشعر والثياب وعدم إهمال الهيئة الظاهرة)[٣].

ومن خلال ما سبق يتضح أهمية وفضل النظافة والتجمل، وأن ذلك من خلال المسلم التي ينبغي ألا ينفك عنها، لأن الإسلام دين النظافة والهيئة الحسنة، والمسلم عنوان الإسلام ولذا فيجب عليه أن يتعاهد بدنه وملبسه وحاله بالنظافة والتجمل، (إن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام إليها عناية فائقة واعتبرها من صميم رسالته ولن يكون الشخص راجحًا في ميزان الإسلام محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدًا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد وطهارته صلاحًا ماديًا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان من النهوض لأعباء الحياة)[٤].

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١/٣٩٦ - ٣٩٧.

(٣) هيئة الداعية، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، بحث منشور بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ٣٢، شوال ١٤٢١هـ ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٤) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٤٨.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال" وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة الناجعة في تحبيب الناس في فعل الطاعات، وترغيبها في الصالحات، (ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه من خلال ترغيبه في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)[1].

وفي الحديث الشريف رغّب النبي ﷺ في الجمال والتجمل بأن أخبر بأن الله جميل، وأنه يحب الجمال مما يعطي دافعًا للمسلم لأن يحرص على جمال الظاهر والباطن، ومراعاة حسن النظافة والهيئة حتى يكون ممن يحبهم الله.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦١٣)

٦١٣- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أنّ رَجُلاً[١] أكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ بيَمِينِكَ)) قَالَ: لاَ أسْتَطِيعُ! قَالَ: ((لا اسْتَطَعْتَ)) مَا مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ. قَالَ: فما رفَعها إلَى فِيهِ. رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه بيان لأهمية اتباع السنة، وخطر مخالفتها، بدأه الراوي بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة لغرابة القصة التي يتضمنها وقوله (أن رجلا أكل) بيان للحدث الذي تدور حوله القصة، و الظرف (عند رسول ﷺ) فيه إشارة إلى شرف الموضع الذي يلزم منه توقيره، وطاعته، وقوله (بشماله) فيه بيان لموضع الخطأ، والباء فيه للاستعانة، وقول الرسول ﷺ (كل بيمينك) أمر توجيه وإرشاد وفيه تصويب للخطأ وقول الرجل: (لا أستطيع) فيه تكبر وتعالٍ ورفض لأمر رسول الله ﷺ وقول الراوي (مامنعه إلا الكبر) احتراس بليغ ينص على هذا المعنى وقد جاء في ثوب القصر حيث يقصر سبب رفضه لأمر رسول الله ﷺ على الكبر، وينفيه عن غيره من الأسباب كالعجز، والمرض، ونحوه، وقول الرسول ﷺ (لا استطعت) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى؛ لأنها دعائية، وقول الراوي (فما رفعها إلى فيه) إشارة إلى استجابة دعوة النبي ﷺ ودليل على أن الرجل كان كاذباً متكبراً وفيه تهديد لكل من يخالف سنن رسول ﷺ كبراً وبطراً في كل زمان ومكان فقد قال ﷺ (... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) هو: بسر بن راعي العير، كذا في آداب العباد لابن المنذر، وفي أمالي السلفي، قاله ابن بشكوال، وقال ابن طاهر: إنه من أشجع، وأنه قيل فيه: بشر بالمعجمة. تنبيه المعلم ٨٣٩.

(٢) برقم ٢٠٢١/١٠٧، تقدم برقم ١٥٩، وسيكرره المؤلف برقم ٧٤١.

(٣) صحيح البخاري حديث (٤٦٧٥).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩).

الحديث رقم (٦١٤)

٦١٤- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**ألا أُخْبِرُكُمْ بأهْلِ النَّار: كلُّ عُتُلٍ جَوّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وتقدم شرحه في بابِ ضعفةِ المسلمين.

ترجمة الراوي:

حارثة بن وهب الخزاعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥٢).

غريب الألفاظ:

عُتُلّ: الغليظُ الجافي من الرجال[2].

جَوّاظ: الكثير اللحم المختال في مشيته[3].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل لافتة قصيرة يتصدرها أداة العرض (ألا) (ألا أخبركم بأهل النار) وهو استفهام عرض، وتشويق يحقق اليقظة، والترقب، وذكر الأهل، وإضافتها للنار يملأ القلوب رهبة تزيده تشويقا، واستشرافا لمعرف صاحبها وهو (كل عتل جواظ مستكبر) والعتل هو الغليظ الجافي، والجواظ هو الجموع المنوع المتكبر، ، ويبدو من معنى الكلمتين سبب الكره، وانظر إلى معنى لفظ (العتل - الجواظ) - وتأمل معناهما - إذ تحكى كلمة (الجواظ) ثقلاً غير متناهي يحكى جسامة الموصوف؛ والثقل والطول في اللفظ يصور الثقل، وامتداده في الموصوف، وجاءت كلمة الجواظ على صيغة المبالغة مضعف العين ممتد المطي مختوما بالظاء التي ينتهي لديها إفراط الغلظ فحكت اللفظة معنى الذات، وصورتها.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩١٨، ومسلم ٢٨٥٣/٤٦ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ٢٥٢.

(٢) الصحاح في (ع ت ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج و ظ).

(٤) تقدم ذكرها في شرح شطر الحديث رقم (٢٥٢).

الحديث رقم (٦١٥)

٦١٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: ((احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ. وقالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفاءُ الناس ومساكينُهُم، فقضى اللهُ بَينهُما: إنكِ الجنّةُ رَحْمَتِي أرْحَمُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث يبين صفات أهل الجنة، ، ويبين صفات أهل النار من خلال الحوار الطريف بين الجنة، والنار، وفي نسبة المحاجة للجنة، والنار تشويق للخبر يجذب المخاطب ليعرف ما تسفر عنه هذه المحاجة، والقول المحكي على لسان النار (فِيَّ الجبارون) قد يكون على الحقيقة، بكيفية خلقها الله فيها فتكلمت، وقد يكون كناية عن اختصاصها بهم، وتقديم الجار، والمجرور (فِيَّ) للاختصاص أي في الْجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ، وليسوا في الجنة، وكذلك في قول الجنة: أي في ضُعفاءُ الناس، ومساكينُهُم، وليسوا في النار، وقوله (فقضى اللهُ بَينهُما) كناية عن الفصل بينهما في الحجاج، والجناس بين (رحمتي أرحم) يقرر ما اختصها الله به وخلقها من أجله وتعلق الجار والمجرور (مَنْ أشَاءُ) بالفعل أرحم يشير إلى طلاقة القدرة في فعل الرحمة، وقوله (عَذَابِي أُعَذِّبُ) جناس يقرر

---

(١) برقم ٢٨٤٧ ولم يسق منه إلا قوله: (احتجت الجنة والنار) ثمَّ قال: فذكر نحو حديث أبي هريرة، إلى قوله: (ولكليكما عليَّ ملؤها) ولم يذكر ما بعده من الزيادة. والسياق للحميدي في جمعه ٤٦٤/٢، رقم ١٨٠٢ حيث أورده بتمامه، ثمَّ قال: أدرجه أيضًا مسلمٌ على حديث قبله لأبي هريرة في نحو معناه، ولم يذكر من أوله إلا قوله: (احتجت الجنّة والنار) فقط ٢٨٤٧، وهذا الذي أوردنا هو لفظ حديث أبي سعيد على ما بيّنه أبو بكر البرقانيّ، وأبو مسعود الدمشقيّ. وتبعه عليه المؤلفُ والمنذريُّ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٨٥.

وظيفة النار، وما اختصها الله به، وتعلق الجار والمجرور (مَنْ أشَاءُ) بالفعل أعذب يشير إلى طلاقة القدرة في فعل التعذيب، وتقديم الخبر على المبتدأ في جملة الختام يفيد اختصاص كل واحدة بملئها، لا تنقص، والحديث يحمل تهديدا، ووعيدا لكل متكبر بنار تشتعل غيظا على من فيها، وبشرى للضعفاء، والمساكين بجنة اختصت بهم لها منهم ملؤها.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥٤).

الحديث رقم (٦١٦)

٦١٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن من السرة إلى ما تحتها ويسمى كذلك المئزر[٢].

البَطَر: أي جرّه تكبرًا وطغيانًا. وأصل البطر: الطغيان عند النعمةِ وطولِ الغنى[٣]. وفي حديث ابن عمر مرفوعًا: "لا ينظر الله إلى من جرّ ثوبه خيلاء"[٤]. قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحدٍ وهو حرام[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى خطأ يقع فيه كثير من الناس ،وهو التكبر بأي شكل من الأشكال أو في أي صورة من الصور، والحديث يعرض لإحدى تلك الصور كنموذج يقيس عليه المؤمن الحريص أفعاله حتى لا يقع في مثلها، وقوله (لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) أسلوب نفي لحرمان من كان على هذه الصفة من نظر الله يبين خطر هذا الفعل الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٨٨ واللفظ له، ومسلم ٢٠٨٧/٤٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٤. وسيكرره المؤلف برقم ٧٩٢.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥، ٣٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٨٣، ومسلم ٢٠٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٠.

قد يظنه الإنسان بسيطاً لكن ارتباطه بحركة القلب فجعله بهذه المثابة لأنه عكس كبرا رمز إليه بهذا الفعل ،وارتباط الحرمان بيوم القيامة يشير إلى شدة خطر هذا الذنب الذي يوجب الحرمان من رحمة الله في يوم لا قوة فيه لغيره ، والتعبير بالجر يشير إلى الإسبال ،ولفظ بطر يوحي بالظلم ،والتجاوز والغرور ،المفضي للعجب بارتباطه بالجر.

فقه الحديث

قال النووي: (قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبختر كلها بمعنًى واحد، وهو حرام ... وقد ورد الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلاَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[1]. وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء، فإن كان لغيرها فهو مكروه، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء، تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء، وهكذا نصّ الشافعي على الفرق، وأجمع العلماء على جواز الإسبال للنساء، وقد صحّ عن النبي ﷺ الإذن لهن في إرخاء ذيولهن ذراعًا[2]. والله أعلم، وأما القدر المستحب فيما ينزل إليه طرف القميص والإزار فنصف الساقين كما في حديث ابن عمر[3] وفي حديث أبي سعيد [الخدري] رضي الله عنه ((إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، وابن ماجه ٣٥٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٠).

(٢) أخرج الترمذي ١٧٣١، والنسائي ٥٣٣٨، وابن ماجه ٣٥٨٠ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من جر ثوبه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخين شبرًا، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن. قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه). وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٤١٥).

(٣) أخرج مسلم ٢٠٨٦ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مررت على رسول الله ﷺ وفي إزاري استرخاء، فقال: يا عبدالله، ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال: "زد" فزدت، فما زلت أتحراها بعد. فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: أنصاف الساقين.

وَمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فِي النَّارِ))[١] فالمستحب نصف الساقين والجائز بلا كراهة ما تحته إلى الكعبين فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه، وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد بها ما كان للخيلاء، لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد، والله أعلم، قال القاضي[٢]: (قال العلماء: وبالجملة يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد من اللباس من الطول والسعة، والله أعلم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: التواضع والبعد عن مظاهر الكبر.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب:

١- **الإخبار:** حيث جاء في الحديث: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا)، ويعتبر أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة، حيث يعرف المدعو الكثير من الأمور الغيبية عن طريق الإخبار، ومما لا شك فيه أن أخبار القرآن والسنة كلها صادقة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٩٣، وابن ماجه ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح أبي داود ٣٤٥٠).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٠١/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٩٩/٢/١ ٥٣/١٤/٧ ط/ دار الكتب العلمية، بتصرف يسير، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١٠-٢٦٤، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٣٤-٩٣٥ ط/ بيت الأفكار، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٠٣-٣٠٥ ط/ بيت الأفكار، و انظر كذلك: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

وواجب الدعاة أن يجعلوا مصادر أخبارهم التي ينقلوها للمدعوين من معين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2].

وفي الحديث أخبر النبي ﷺ أن من جر إزاره بطرًا لا ينظر الله إليه يوم القيامة، وهذا من شأنه أن يعرف المدعو بمصير وعاقبة المتكبر.

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تكبح النفس عن المعاصي والمخالفات الشرعية ذلك لأن النفس بطبيعتها تخشى البطش والعقاب، (والترهيب هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور، والترهيب يقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهى عنه، والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم)[3].

وفي الحديث رهّب النبي ﷺ من الكبر والتكبر، بأن المتكبر لا ينال رضا الله ولا يفوز برحمة الله ونظره إليه، وهذا من شأنه أن يخوّف المدعو من سوء الكبر.

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر:

إن الكبر والاستعلاء من الصفات الذميمة التي ينبغي أن ينأى المسلم بنفسه عن

---

(١) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ٣٩٣.

(٤) سورة محمد، آية: ١٥.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٦.

الاتصاف بها، ولذا جاء هذا الحديث محذرًا منه مبينًا لخطورته وذلك في قوله ﷺ: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، قال النووي: (والبطر هو الكبر والزهو والتبختر ومعنى لا ينظر الله إليه: أي لا يرحمه ولا ينظر إليه نظر رحمة)[1]، وقال ابن حجر: (وقوله: "بطرًا" أي جره تكبرًا وطغيانًا وأصل البطر الطغيان عند النعمة واستعمل بمعنى التكبر، ومعنى "لا ينظر الله إليه": أي: لا يرحمه أو لا ينظر إليه نظر رحمة، وقوله "يوم القيامة": أشارة إلى أنه محل الرحمة المستمرة، بخلاف رحمة الدنيا فإنها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث)[2]، وقال الماوردي: (والكبر يكسب المقت ويلهى عن التألف ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوءًا عن استقصاء ذمه، وقد وصف بعض الشعراء الإنسان فقال:

يا مظهر الكبر إعجابًا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب ... أقصر فإنك مأكول ومشروب[3]

وقال الحسن البصري: "حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال: يا ابن آدم، كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين، وقيل: رأى الحسن نعيم بن رضوان يمشي مشية المتكبر فقال: انظروا إلى هذا ليس فيه عضو إلا ولله تعالى فيه نعمة وللشيطان لعنة)[4].

وقال الغزالي: (قال المسيح عليه السلام: "إن الزرع ينبت في السهل، ولا ينبت على الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع، ولا تعمل في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجّه ومن طأطأ أظله وأكنّه"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل إذا تواضع رفع الله حكمته، وقال: انتعش نعشك الله فهو في نفسه صغير وفي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧٠.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٣.

(٤) الزهد، الحسن البصري، تحقيق: د. محمد عبدالرحيم محمد ص ٩٠.

أعين الناس كبير وإذا تكبر وعدا طوره رهقه الله في الأرض، وقال: أفأخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى إنه لأحقر عندهم من الخنزير. وقال النعمان بن بشير رضي الله عنهما على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخًا، وفخوخه البطر بأنعم الله والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يختال في مشيته ويجر إزاره فقال: "إن للشيطان إخوانًا")[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: التواضع والبعد عن مظاهر الكبر:

يظهر هذا من سياق الحديث، وإذا كان المتكبر لا ينظر الله إليه فأحرى بالإنسان أن يتواضع، قال ابن القيم: (سئل الفضيل بن عياض عن التواضع؛ فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله، وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب، وقال الجنيد: هو خفض الجناح ولين الجانب، وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان، والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر فهو كتطلب الماء من النار)[2].

(إن من حمل قلبًا لئيمًا وصدرًا ذميمًا وخلقًا رذيلاً فكان جافي الطبع غليظ القلب مختالاً سمينًا، لدودًا في المخاصمة فظًا عنيدًا متكبرًا على الخلق، معرضًا عن الحق، إذا سمع آيات الله تتلى عليه ولى مستكبرًا كأن لم يسمعها، يستنكف أن يكون لله عبدًا، وبوحدته مقرًا، ولرسوله متبعًا، ويتعالى بما لا يعليه، ويستكبر بما ليس فيه، من كان كذلك فهو إلى الله بغيض قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3]، مأواه الجحيم، ومسكنه السعير، وإن كان ضخمًا بدينًا وجبارًا عنيدًا. فلا تغتر أخي بقوتك وتسخرها في التجبر على الضعفاء الذين يحملون نفوسًا عظيمة، وقلوبًا رحيمة، فإنهم

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/١١٣ - ١١٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٢٣.

عباد الله المقربون، وجنده المخلصون لا يرد عليهم دعاء، ولا يخيب لهم رجاء)[1].

ومن خلال هذا يظهر أن المدعو من أهم آدابه أن يتحلى بالتواضع، ويجانب الكبر والاستعلاء فإنه ليس من أخلاق المؤمن.

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٤٣.

الحديث رقم (٦١٧)

٦١٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العائلُ: الفقيرُ[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة والترقب والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير، والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل، ثم تقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف

---

(١) برقم ١٠٧/١٧٢. أورده المنذري في ترغيبه ٣٥٣٢. وسيكرره المؤلف برقم ١٨٥٤.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٥.

المسند إليه وصفاً على المبالغة قطع كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل، وتقييد الكلام والنظر بيوم القيامة تتميم جيء به لنكتة وهي زيادة الترهيب والتخويف لهؤلاء الثلاثة، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهي حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما - حكى الصحابي - فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام' فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم، ثم بدأ في ذكرهم (شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ) وعندما يكشف السياق عنهم تدرك السر وراء هذا الهول لأنهم أصحاب ظروف خاصة، الأول شَيْخٌ زَانٍ وتجد بين الوصفين تنافراً طبعيا تخطاه هذا المتصابي ليواقع الكبيرة مع تقدم سنه، وتأخر توبته، وإصراره على معصيته، (وَمَلِكٌ كَذَّابٌ) لأن كذبه مما تعم به البلوى، ويعظم به الخطب والكذب كبيرة على الأفراد فما بالك بمن يكذب على الأمم؟!، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ وهو الفقير ذو الحاجة، والعيال، وتكبره اعتراض على أمر له، ورفض لأحكامه، والكبر مذموم في أصغر صوره فما بالك بمن يتكبر على قدر الله ويضيع من يعول؟!.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الزنا والكذب والكبر.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الآفات والأمراض الاجتماعية الخطيرة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة"، هذا إجمال ثم التفصيل: "شيخ زان - ملك كذاب وعائل مستكبر"، ولا شك أن أسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تشد المدعو وتلفت انتباهه، ومن جانب آخر تركز المعلومة لدى المدعو زيادة في إفهامه، ومن صور استخدام القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الزنا والكذب والكبر:

إن الإسلام يبني المجتمعات على شيوع الفضيلة ومجانبة الرذيلة. والزنا والكذب والكبر من أخطر الرذائل التي تدمر المجتمعات، وتقوّض بنيانها، ومن ثم حرّم الإسلام هذه الرذائل وحذر منها، وتوعد من يقع فيها ويسقط في حبائلها، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر)، ومما لا شك فيه حرمة هذه الأمور الثلاثة وعن تخصيصها بالوعيد في حالة وقوعها من المذكورين الثلاثة.. كان الذنب أعظم.

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٢.

قال القاضي عياض: (وسببه أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه وعدم ضرورته إليها وضعف دواعيها عنده، وإن كان لا يعذر أحد بذنب، لكن لما لم يكن إلى هذه المعاصي ضرورة مزعجة ولا دواعي معتادة، أشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى وقصد معصيته لا لحاجة غيرها، فإن الشيخ لكمال عقله، وتمام معرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وضعف أسباب الجماع والشهوة للنساء، واختلال دواعيه لذلك، عنده ما يريحه من دواعي الحلال في هذا ويخلي سره منه فكيف بالزنا الحرام؟ وإنما دواعي ذلك الشباب والحرارة الغريزية وقلة المعرفة وغلبة الشهوة، لضعف العقل وصغر السن، وكذلك الإمام لا يخشى من أحد من رعيته ولا يحتاج إلى مداهنته ومصانعته، فإن الإنسان إنما يداهن ويصانع بالكذب، وشبهه من يحذره ويخشى أذاه ومعاتبته، أو يطلب عنده بذلك منزلة أو منفعة وهو غني عن الكذب مطلقًا، وكذلك العائل الفقير قد عدم المال، وإنما سبب: الفخر، والخيلاء، والتكبر والارتفاع على القرناء، والثروة في الدنيا لكونه ظاهرًا فيها وحاجات أهلها إليه، فإذا لم يكن عنده أسبابها فلماذا يستكبر ويحتقر غيره؟ فلم يبق فعله وفعل الشيخ الزاني والإمام الكاذب إلا لضرب من الاستخفاف بحق الله تعالى ومعاندة نواهيه، وأوامره، وقلة الخوف من وعيده إذ لم يبق ثم حامل لهم على سواه، مع سبق القدر لهم بالشقاء"[1].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على حرمة هذه الأمور. فأما الزنا فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٨٣ - ٣٨٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

مُؤْمِنٌ))[١]، وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلاَّ بِإِحدَى ثَلاَثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ))[٢]، وأما الكذب فقد جعله النبي ﷺ من علامات النفاق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[٣]، وحذر منه النبي ﷺ وبيّن خطورته، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا))[٤].

وأما الكبر فقد جاء ذمه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٥]، وقال على لسان موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[٦]، وعن حارثة بن وهب أنه سمع النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلُّ عُتُلٍ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[٧]. فإذا كانت حرمة الزنا، والكذب والكبر مطلقة، فهي في حق من لم نتوقع منه كالشيخ في الزنا، والمَلِك أو الإمام في الكذب، والفقير في الكبر أشد حرمة كما دل على ذلك الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٧٥، ومسلم ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، آية: ٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣ واللفظ له.

ثالثًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الآفات والأمراض الاجتماعية الخطيرة:

إن واجب طبيب الجسم السهر على مرضاه، وبلسمة جراحاتهم، وعلاج المجتمع من أمراضه الاجتماعية هو واجب الدعاة إلى الله للنهوض به إلى العيش الأمثل والحياة الأفضل، ويؤخذ هذا من سياق الحديث وبيان النبي ﷺ لجزاء من يفعل هذه الآفات ومما لا شك فيه أن الداعية حريص على المدعوين، وعلى هدايتهم وإرشادهم إلى الخير، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والداعية الناجح هو الذي يعالج الأمراض الاجتماعية ويحذر من الآفات والمعاصي حتى يعيش المدعوون في مجتمع آمن مطمئن.

قال د. مصطفى السباعي: "إن رسالة العالم فهم الشريعة وتفهيمها، وحفظها على الناس من تحريف المبطلين وعدوان الظالمين، وموجز خلق العالِم أنه: خشية من الله، وإشفاق على الناس، ونصح لأولي الأمر، وتجرد عن حظوظ النفس وشهواتها، ويقظة في مداخل الأمور ومخارجها، ولقد كان سلفنا الصالح منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فمن بعدهم تغلب في علمائهم هذه الصفات فكانوا مبعث خير، ومصابيح هداية وأدلة طريق، وكانوا كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن، وما بلغوا هذا المبلغ في أمتهم إلا لأنهم كانوا كما قال خالد بن صفوان في الحسن البصري: أشبه الناس علانية بسريرة، وسريرة بعلانية. والعلماء عند الجهل هم ألسنة الحق التي تكشف الشبهات، وتزيح المفتريات، وعند العدوان هم ألسنة الصدق التي تضع الأمور في مواضعها"[2].

ومن هذا يتبين أن من واجبات الدعاة الأولى حراسة الفضيلة، ومقاومة الرذيلة فهذا هوالدور الرئيس المنوط بهم الذي ينبغي أن يقوموا به، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بكشف

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية ١٩٩.

الأمراض الاجتماعية، والتحذير من الآفات الخلقية وذلك لما للأخلاق الفاضلة من مكانة في نهوض الأمم والجماعات.

قال الميداني: (لقد دلت التجارب الإنسانية، والأحداث التاريخية على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة ومتناسب معه، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها ومتناسب معه، وذلك لأن الأخلاق الفاضلة في أفراد الأمم والشعوب تمثل المعاقد الثابتة التي تعقد بها الروابط الاجتماعية، ومتى انعدمت هذه المعاقد أو انكسرت في الأفراد لم تجد الروابط الاجتماعية مكانًا تتعقد عليه، ومتى فقدت الروابط الاجتماعية صارت الملايين في الأمة المنحلة عن بعضها مزودة بقوة الأفراد فقط لا بقوة الجماعة، بل ربما كانت القوى المبعثرة فيها بأسًا فيما بينها، مضافًا إلى قوة عدوها)[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم"، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة، حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تخشى العقاب، (ويقصد بالترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها)[2].

وفي الحديث: جاء الترهيب للشيخ الزان والملك الكذاب والعائل المتكبر، بأن الله عز وجل لا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وفي هذا ترهيب شديد ووعيد أكيد لمن يقارف هذه المنكرات فأحرى بالنفس أن تستقيم على الطاعات، وتسارع إلى الخيرات وفعل الصالحات حتى تنجو من هذه العقبات في يوم لا تنفع فيه الحسرات ولا الندم على ما فات.

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ٣٤، ٣٥.

(٢) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦١٨)

٦١٨- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((قَالَ الله ﷻ: العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ضرب الإزار: والرداء في انفراده بصفة العظمة والكبرياء، أي ليْستا كسائر الصفات التي قد يَتَّصفُ بها الخلق مجازًا كالرَّحمة والكروم وغيرهما، وشَبَّهَهُما بالإزار والرِّداء لأن المتَّصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان؛ ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد، فكذلك الله تعالى لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد[2].

الرداء في اللغة: هو ما يوضع على المنكبين وفوق الكتفين من ثوب وبُرُد ونحوهما[3].

ينازعني: أي يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك[4].

---

(١) لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ، بل أخرجه بهذا اللفظ أبوبكر البرقاني في مستخرجه، قال الحميدي في جمعه ٢٧٥/٣، رقم ٢٦٢١ وأخرجه أبو بكر البرقاني في كتابه من حديث عمر بن حفص بن غياث الذي أخرجه مسلم ٢٦٢٠/١٣٦ من حديثه، وبذلك الإسناد إلى أبي مسلم الأغرّ، عن أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي مِنْهُمَا شَيْئًا عَذَّبْتُهُ) وهكذا أخرجه أبو مسعود في كتابه. قلتُ: وأشار إلى ذلك أيضًا المنذري في ترغيبه عقب حديث أبي سعيد ٤٢٧٧ ورواه البرقاني من الطريق الذي أخرجه مسلم ولفظه: (يَقُولُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي شَيْئًا مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ).

تنبيه: حديث أبي هريرة أورده المنذري في ترغيبه ٤٢٧٨ وعزاه إلى أبي داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وفي آخره: (قذفته بالنار) بدل: (فقد عذّبته).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ز ر).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٩٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥٩.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري قصد منه إفادة الخبر مع إثارة مشاعر الإجلال والرهبة حول المقول في قوله (قال الله - عز، وجل) لصدوره عن الذات الإلهية، ، وإسناد الرسول ﷺ الكلام لله تعالى في قوله (قال الله - عز وجل -) ارتقاء بمستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهذه النقلة تعطي الخبر صفة القدسية التي توفر عليه اهتماماً، وعناية، وقبولاً، لأن الفرق بين كلام الله، وكلام خلقه كالفرق بين الله وخلقه، بالإضافة إلى أن إسناد القول لله زاد الأمر توكيداً لصدق الخبر وقبول المخاطبين له، وقوله (العِزُّ إزَاري، والكبرياءُ رِدائي) كناية عن اختصاصهما بالله تعالى، وحرمتهما على غيره، لأن الكبرياء والعظمة صفتان لله اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع، والتذلل، وضرب الرداء، والإزار مثلا يقول - والله أعلم كما لا يشرك الإنسان في ردائه، وإزاره أحد فكذلك لا يشركه في الكبرياء والعظمة مخلوق، وقوله (فَمَنْ يُنَازِعُنِي في وَاحِدٍ منهما فَقَد عَذَّبْتُهُ) والتعبير بالمنازعة يوحي بمحاولة الإنسان الحصول على ما لا يخصه ونسبة المنازعة لله تجعل المنازع له هالك لا محالة، والتعبير بالماضي (عذبته) يفيد التحقيق وقد أكده بقد إشارة إلى أنه محقق الهلاك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من صفات الله العز والكبرياء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر والتعالي وفضل التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: من صفات الله العز والكبرياء:

حيث جاء في الحديث: "العز إزاري والكبرياء ردائي"، قال النووي: (قال المازري: معناه: صفته العز والكبرياء، ومعنى الاستعارة هنا أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه وهما جمال له، قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله تعالى أحق

وله ألزم واقتضاهما جلاله)[١]، وقال العظيم آبادي: (قال الخطابي: معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وضرب الرداء وإزاره مثلاً في ذلك، ومعنى نازعني: "تخلق بذلك فيصير في معنى المشارك فمن يفعل ذلك عذبته)[٢].

قال أبو بكر البيهقي: (والمراد أن العز والكبرياء صفتان له سبحانه، يقال: اتزر فلان بالصلاح وارتدى بالورع، على معنى أنه اتصف بهما. والعزة إن كانت بمعنى الشدة، وهي القوة فمعناها يرجع إلى صفة القدرة، وكذلك إن كانت بمعنى الغلبة فمعناها يعود إلى القدرة، وإن كانت بمعنى نفاسة القدر فإنها ترجع إلى استحقاق الذات تلك العزة، وأما الجلال والجبروت والكبرياء والعظمة والمجد فهذه صفات يستحقها بذاتها)[٣].

وقال محمد خليل هراس: (والعزة صفة أثبتها الله عز وجل لنفسه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٤]، وأقسم بها سبحانه كما في حديث الشفاعة من حديث أنس رضي الله عنه: ((وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ))[٥]، والعزة تأتي بمعنى الغلبة والقهر من عزَّ يُعزّ يقال: عزَّه إذا غلبه. وتأتي بمعنى القوة والصلابة من عزّ يَعزُّ ومنه أرض عزاز للصلبة الشديدة. وتأتي بمعنى علو القدر والامتناع عن الأعداء من عزَّ يَعزّ، وهذه المعاني كلها ثابتة لله عز وجل)[٦].

وقال ابن تيمية: (ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٥٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٧.

(٣) الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ٢٢١/١ - ٢٢٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥١٠، ومسلم ١٩٣.

(٦) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هرّاس ص ١٦٠ - ١٦١.

به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد. وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله، فكما تيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقةً، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة، وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله)[1].

وقال الطيبي: (والعزيز: الغالب ومرجعه إلى القدرة المتعالية عن المعارضة. وقيل: إنما يعرف الله عز وجل عزيزًا من أعز أمرهُ طاعته فأما من استهان بأوامره فمن المحال أن يكون متحققًا بعزته. وقيل: العزيز: من ضلّت العقول في بحار عظمته، وحارت الألباب دون إدراك نعمته، وكلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله، ومن آداب من عرف أنه العزيز: أن لا يعتقد لمخلوق إجلالاً، وإذا عرف أنه المعز لم يطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته)[2].

هذا وقد وصف الله سبحانه نفسه بأن له العزة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: "فمن ينازعني عذبته"، فقد جاء الترهيب من الكبر والاستعلاء بأن من يفعل هذا يعذبه الله، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة في تهذيب النفس وحملها على الطاعة والاستقامة، وعلى الدعاة

---

(١) مجموعة الفتاوى، ابن تيمية ٣/٢٠.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/١٩ - ٢٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٤) سورة المنافقون، آية: ٨.

إلى الله استخدام هذا الأسلوب والموازنة بينه وبين أسلوب الترغيب إذ يجب أن يستخدم كلاً في موطنه وموضعه، (لأن الترغيب والترهيب يثيران عند الإنسان عامل الخوف وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان ويعملان على تحديد أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يخاف ونوع ما يخاف، وعلى قدر ما يرجو ونوع ما يرجو يكون التأثير في السلوك والاتجاه، ولذلك ينبغي أن يكون حجم الترغيب والترهيب متوافقًا مع حجم ونوعية ما وضع من أجله)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر والتعالي وفضل التواضع:

إن الكبر والتعالي من الأخلاق الذميمة التي ينبغي أن يتجافى عنها المسلم، وهذا في حق البشر، لأن من يفعل هذا ينازع الله تعالى في عزته وكبريائه ويظهر هذا من سياق الحديث ومورده، قال ابن عثيمين: (فمن نازع الله في عزته، وأراد أن يتخذ سلطانًا كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله فإن الله يعذبه، يعذبه على ما صنع ونازع الله تعالى فيما يختص به)[٢].

وقد توعد الله المتكبرين بالنار فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣]، وصوّر القرآن حالة قارون في تكبره وعجبه فقال سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[٤]، وبيّن عاقبة تكبره وعتوه، فقال جل شأنه: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾[٥].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٠٣/١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٦.

(٤) سورة القصص، آية: ٧٩.

(٥) سورة القصص، آية: ٨١.

وقد جاء الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ. ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟))[1].

وإذا كان الله تعالى توعد المتكبرين بالعذاب فحري بالمسلم أن يتواضع ويلين جانبه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: "من تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظمًا وضعه الله يوم القيامة، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يختال في مشيته ويجر إزاره، فقال: إن للشيطان إخوانًا"، وقال الأحنف بن قيس: "عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين"، وقال محمد بن الحسين بن علي: "ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر"، وقال الحسن: (السجود يذهب بالكبر، والتوحيد يذهب بالرياء)[2]، وقال الماوردي: (والكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لأن الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤١٢ ومسلم ٢٧٨٨ واللفظ له.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٣٧٦/١١.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٣١.

الحديث رقم (٦١٩)

٦١٩- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ (رَأسَهُ)[١]، (يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ)[٢]، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحلة: ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل إزار ورداء وهو الأشهر[٤].

مرجِّل رأسه: أي ممشِّطه[٥]. وترجيل الشعر: تسريحه ودهنه[٦].

يختال: يتكبر[٧].

خسف الله به: غيَّبَه في الأرض[٨].

يتجلجلُ: يغوص وينزل[٩].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يبيّن خطر العُجب والخيلاء وشدة عقابهما بأساليب متعددة بحسب ما يقتضيه المقام وفي هذا الحديث اختار أسلوب القصة لتقرير هذا المعنى لما للقصة في النفوس من ميل فطري، وما تؤديه من تربية للقيم، وغرس للفضيلة، وتحقيق

---

(١) عندهما بلفظ: (جمته).

(٢) قوله: (يختال في مشيته) لا يوجد عندهما.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٨٩، و٥٧٩٠، ومسلم ٢٠٨٨/٤٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٥) المرجع السابق ٢٧٢/١٠.

(٦) المرجع السابق ورياض الصالحين ٢٧٦.

(٧) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ل).

(٨) الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ س ف).

(٩) رياض الصالحين ٢٧٦.

للعظة، والعبرة دون اللجوء للأساليب التعليمية المباشرة التي قد لا تتقبلها بعض النفوس، وبالنظر في بنية القصة من جهة البلاغة نرى أنها بدأت بأسلوب تشويقي يثير الانتباه ويحقق الترقب والتطلع لمتابعته حيث بدأ بالظرف (بينما) الذي يوحي بطارق يحدث، ومفاجأة تنتظر، لأن أصلها (بين) زيدت فيها (ما) وتضاف لجملة وتحتاج لخبر، ثم تنكيره لكلمة (رجل) المبهمة التي تزيد النفوس شوقاً لتوضيحها، الأمر الذي يربط المخاطب بالمتكلم حتى نهاية الحديث ثم الفعل المضارع (يمشي) الذي يستحضر صورة رجل في حلة معجب بنفسه يخطو باختيال نحو مصير مرتقب، ثم الجار والمجرور (في حلة) التي توحي بالزهو، والعجب، وتمهد لهذا المصير، ثم جملة (تعجبه) التي تؤكد الخيلاء، وتنص على موضع الخطأ قبل أن يقع عليه العقاب بسبب إعجابه بنفسه، وإعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم، ثم تأتي (إذ) الفجائية التي توحي بسرعة الأخذة، وعجلة الانتقام ثم لفظ (خسف) وروده في صيغة الماضي دلالة على تحقق الخسف، وهو الأخذ في الأرض مقابلة لخيلائه، وتكبره، ثم شبه جملة: (إلى يوم القيامة) التي تشير إلى طول العذاب مع ما تضيفه كلمة (القيامة) بإضافتها لليوم من هول، لأنها من الألفاظ الموحية بطبيعتها، وما تثيره في العقول من مشاهدها، والمتأمل لنسق للعبارات يجد أنها جاءت متناهية الانسجام في فقرات متقاربة (يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجل جمته، يختال في مشيته) مما أعطى القصة في الأسماع جمال تناغم ترتاح له النفوس، وتستلذه الأسماع، أيضاً هناك التناسب بين الألفاظ والمعاني فمشية المختال المعجب يناسبها ترجيل الشعر، والاختيال في المشية كذلك، والخسف يناسبه التجلجل، أيضاً صياغة الفعل يتجلجل على (تفعلل) يوحي بالاضطراب المشعر بشدة الأخذة، وألم الخسف، وصياغة كل أفعال القصة (يمشي - تعجبه - يختال - يتجلجل) على صورته المضارعية ما عدا الفعل (خسف) على صورة الماضي؛ لأن الفعل المضارع في هذه القصة له عدة فوائد منها: إفادة التجدد، والحدوث، وهي في جانب الرجل تؤكد على تكرار فعله واعتياده لهذه العادات السيئة في المشي اختيالاً، وإعجابه بنفسه، وغروره بزينته، وكذا في الفعل الذي يصوِّر عقابه وما أوقعه فيه من عذاب (يتجلجل) الذي يوحي

بتكرار العذاب وتجدده إلى يوم القيامة ومنها: استحضار الصورة فمن طبيعة الفعل المضارع أن يستحضر الصورة ساعة الحديث، وكأن المخاطب يراها الآن مما يجعله في قلب الحدث فيكون أكثر تفاعلاً مع الأحداث، وانفعالاً بالموقف، ومنها: الحركة، والحيوية التي يُضفيها على النص فالفعل (يمشي) يعطي حركة المتمطي في مشيته كبراً، والفعل (تعجبه) الذي يحكي حركة النفس زهواً، والفعل (يختال) الذي يحكي حركة الأعضاء الموافقة لحركة النفس زهواً، والثياب زينة. والفعل (يتجلجل) الذي يصوِّر بدلالته حركة المتكبر هبوطاً في الأرض ويصوِّر بوزنه حركته المضطربة من هول الأخذة، وقد استخدم في الحديث جملة اسمية واحدة في التصوير بالوصف في قوله: (مرجل جمته) التي تدل على الثبات والدوام في إشارة إلى أن هذا التزين فخراً صار طبيعة راسخة في نفسه وهو داعيه إلى الكبر[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الحكاية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر وعاقبة المتكبرين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

إن وسائل الدعوة متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل: الحكاية بما لها من جذب للمدعو، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "بينما رجل يمشي في حلة" والحكاية من وسائل الدعوة التي تشد انتباه المدعوين وتعطيهم العظة والعبرة من حكايات السابقين، قال الشيخ علي محفوظ: (والداعي يعظ الناس بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد بأن يذكرهم نعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل في سائر ما سلف من الأيام، ويذكرهم عذاب الله وانتقامه ممن كذب بالرسل من الأمم فيما سلف من الأيام كالذي نزل بعاد وثمود ليزداد الطائع ويقلع العاصي، فهذا محمود لأن فيه عبرة لمعتبر

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٦٣.

وعظة لمزدجر)[١]، وقد نص الله تعالى في القرآن على أن القصص والحكاية جاءت للعبرة والعظة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٢]، ومن هنا كانت القصة والحكاية وسيلة هامة من وسائل الدعوة تناسب حالة أي مدعو سواء أكان من عِلْية القوم أو من الضعفاء أو من الأغنياء أو من الفقراء، أو من أصحاب المعاصي والأهواء.

(وإذا كانت القصة أو الحكاية من غير القرآن والسنة فعلى الداعية إلى الله تعالى أن ينتقي من هذه القصص الشيء الصالح المفيد والذي يحوي على العبر التي يقف الناس عندها أما القصص الخيالي أو الكاذب أو الذي ليس فيه خير أو نفع فعلى الداعية أن يضرب صفحًا عنه)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرمة الكبر وعاقبة المتكبرين:

حيث جاء في الحديث: "بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به"، قال ابن حجر: (والحلة ثوبان أحدهما فوق الآخر، وقيل: إزار ورداء وهو الأشهر وخص الإزار بالذكر لأنه هو الذي يظهر به الخيلاء غالبًا، قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم)[٤]، ولقد دلت النصوص الشرعية على حرمة الكبر، فلقد كان الكبر سببًا في تمرد وعصيان إبليس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[٦].

---

(١) هداية المرشدين ٨٠ - ٨١.

(٢) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٢٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٣٤.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٣.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَنْظُرُ اللّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ))[١]، وقد جاء عن يحيى بن جعدة قال: (من وضع جبينه لله ساجدًا فليس بمتكبر وقد برئ من الكبر، وعن عبد الله بن هبيرة أن سليمان سئل عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة؟ قال: الكبر)[٢]، وقال ابن القيم: (أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة)[٣]، وجاء في القرآن من وصايا لقمان لابنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[٤].

وقد جاء في الحديث ما يبين عاقبة المتكبرين في قوله ﷺ: (إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)، وهذا بيان لعاقبة المتكبرين يجعل المدعو في حذر دائم من سوء هذه العاقبة، وقد بين القرآن أن مآلهم النار، قال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٦]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ))[٧].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الداعية الناجح يستخدم من الأساليب الدعوية ما يستطيع أن يبلغ به دعوته

---

(١) البخاري ٥٧٨٣، ومسلم ٢٠٨٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٣٧٨/١١.

(٣) الفوائد، ابن القيم ٢٠٦.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٥) سورة النحل، آية: ٢٩.

(٦) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٧) أخرجه البخاري ٧٤٤٩، ومسلم ٢٨٤٦ واللفظ له.

ويصل برسالته إلى قلوب المدعوين، ومن هذه الأساليب أسلوب الترهيب حيث جاء في الحديث: "إذا خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض يوم القيامة"، حيث رهّب النبي ﷺ من الكبر والاستعلاء والفخر والخيلاء بأن من يفعل هذا يخسف به، ويتجلجل في النار إلى يوم القيامة جزاء لفخره وخيلائه واستعلائه، وهذه الصورة والعاقبة السيئة ترهب المدعو من الوقوع في هذا الأمر، والحذر من الولوج فيه، ومن ثم فإن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تردع المدعو عن مقارفة الآثام والمخالفات الشرعية، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية بالأسلوبين، والدعاة إلى الله مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه"[1]، ومن استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[3].

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٢) سورة القصص، آية: ٨١.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٦.

الحديث رقم (٦٢٠)

٦٢٠- وعن سَلَمَةَ بنِ الأكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجبَّارِين، فَيُصيبَهُ مَا أصَابَهُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

غريب الألفاظ:

يذهب بنفسِهِ: يرتفع ويتكبر[2].

الشرح الأدبي

الحديث تهديد، ووعيد لأهل الكبر بمصير أسود في الجبارين، - والعياذ بالله - والحديث قصير أسلوبه خبري دون مؤكدات بدأ بجملة تعطي الحدث دلالة الاستمرارية التي تمثل الإصرار، والتمادي في الذنب (لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) وقوله (يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ) كناية عن العجب بالنفس والتعالي، والتكبر، فالباء للتعدية أي يعلي نفسه، ويرفعها، ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر أو للمصاحبة أي يرافق نفسه في ذهابها إلى الكبر، ويعززها، ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة، و (حتى) تشير إلى الغاية التي وصل به الكبر إليها، وقوله (يكتب في الجبارين) التعبير بالكتابة يفيد توكيد الإثبات (في الجبارين) أي في ديوان الظالمين، والمتكبرين، أو معهم في أسفل السافلين وقوله (فيصيبه ما أصابهم) جناس يؤكد المطابقة في العقاب كما كانت المطابقة في الفعل وهو الذهاب بالنفس فينالهم من بليات الدنيا، وعقوبات العقبى ما أصاب الجبارين كفرعون، وهامان، وقارون.

---

(١) برقم ٢٠٠٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، انتهى. في إسناده: عمر بن راشد، وهو ضعيفٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٠٦.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر وخطورته.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحذر من الكبر ومظاهره.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والترهيب:

١- **الإخبار:** حيث جاء في الحديث: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه"، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تعرِّف المدعوين بالأمور الشرعية وعاقبة اقتراف المنهيات، وبالإخبار تقوم الحجة على الناس بتبليغهم وتعريفهم أمور الحلال والحرام، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وفي إقامة الحجة على أهل النار قال تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[2].

٢- **الترهيب:** حيث جاء في الحديث: "حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم"، والترهيب من أساليب الدعوة التي ترد جماح النفس، وأسلوب الترهيب يخوف النفس عاقبة المعصية، "والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم، لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام واجتناب الجرائم والذنوب وما أعده الله من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ۝ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ۝ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾[4].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١٥.

(٤) سورة الحج، الآيات: ١٩ - ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم الكبر وخطورته:

إن الكبر بجانب كونه حرامًا؛ فإنه خطر على الإنسان حيث يورده المهالك والمهاوي ويجني الإنسان ثماره المرة يوم القيامة، ويتضح هذا من سياق الحديث ومما لا شك فيه حرمة الكبر والترفع، (لأن الكبر والعظمة لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء، فمن أين يليق بحاله الكبر واستعظام النفس واستحقار الغير، فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، ومما هو معلوم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك إلى كمال ديني أو دنيوي، فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار)[1]، والكبر آفة عظيمة كبيرة وفيه يهلك الكثير من الناس، "ويح المتكبرين ما أعظم حمقهم وما أضلهم وأجهلهم بأي وصف يتكبرون، وبأي عمل يتجبرون، من علم أنه مخلوق فقير ناقص من كل وجه فبأي شيء يتكبر، مَنْ فهم أن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة فبأي شيء يعجب ويفتخر، تا الله إن الفخر كل الفخر بالتواضع لله ولعباد الله)[2].

ومما هو معلوم: خطورة الكبر على الإنسان حيث يورده المهلكات ويصده عن قبول الحق، (إن المتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، فلذلك وجب تقويم القول فيهما بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم فلو تصور المعجب المتكبر ما فطر عليه من جبلة، وبلي به من مَهْنة لخفض جناح نفسه، واستبدل لينًا من عتوه، وسكونًا من نفوره)[3]، وإذا كان الكبر بهذه الخطورة وعاقبته وخيمة فواجب الدعاة إلى الله أن يبينوا للناس خطورة الكبر ليحذروه ويجانبوه.

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، جمال الدين القاسمي ص ٢٩٣.

(٢) الرياض الناضرة، عبد الرحمن السعدي ص ١٠٩.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٣.

ثالثًا- من آداب المدعو: الحذر من الكبر ومظاهره:

يتضح هذا من سياق الحديث، وإذا ثبت للمدعو خطورة الكبر فيجب عليه أن يحذر منه ومن مظاهره حتى لا يتخلق ولا يتشبه بأفعال المتكبرين، قال ابن قدامة: (واعلم أن التكبر يظهر في شمائل الإنسان كصعر وجهه ونظره شزرًا وإطراق رأسه وجلوسه متربعًا ومتكئًا وفي أقواله وصيغة إيراده الكلام، ويظهر ذلك أيضًا في مشيه وتبختره وقيامه وقعوده وحركاته وسكناته وسائر تقلباته)[1].

وهذه سمات المتكبرين في عصره، وفي زمننا عدم القاء السلام والرد بأنفة والحرص على صدارة المجلس، فضلاً عن أسلوب كلامه.

وقد بين ابن قدامة درجات الكبر فقال: (اعلم أن العلماء والعُبّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات: الأولى: أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أعضائها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران والإنكار على من يقصر في حقه فترى العالم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ حين قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه كالدعاوى والمفاخرة وتزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً. وكذلك التكبر بالمال والجمال والقوة وكثرة الأتباع ونحو ذلك، وفي الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالاً فإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى إن الفاسق قد يفتخر بكثرة

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ص ٢٥٠.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

شرب الخمر والفجور لظنه أن ذلك كمالاً)[١]، قال الميداني: (يرجع الكبر في جذوره النفسية إلى شعور المغرور بالاستعلاء الذاتي على الأقران والنظراء وإلى المكانة التي يجد المستكبر نفسه فيها داخل مجتمعه، ويرجع إلى الرغبة بإشعار الآخرين بالامتياز عليهم، ولو لم يكن لهذا الامتياز وجود في الواقع فهو انتفاخ بغير حق، وتطاول بغير حق)[٢].

وقال ابن حجر الهيثمي: (للكبر أنواع ثلاثة:

الأول: الكبر على الله تعالى وهو أفحش أنواع الكبر، وذلك مثل تكبر فرعون ونمرود حيث استنكفا أن يكونا عبدين لله.

الثاني: الكبر على رسول الله ﷺ بأن يمتنع المتكبر من الانقياد له تكبرًا وجهلاً وعنادًا كما فعل كفار مكة.

الثالث: الكبر على العباد بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره ويزدريه فيتأبى عن الانقياد له ويترفع عليه وهذا وإن كان دون الأولين إلا أنه عظيم إثمه أيضًا، لأن الكبرياء والعظمة إنما يليقان بالله تعالى وحده)[٣].

فعلى المدعو أن يحذر الكبر ويجتنبه، فإن خطره عظيم، وإثمه كبير، وعاقبته الخسران، والغضب من العلي الجليل في يوم لا تنفع فيه توبة ولا ندم.

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية ٢٨٦.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي ص ٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية التي ترمي إلى البعد عن الكبر والتحلي بالتواضع، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية على مجانبة الكبر:

إن من الأمور المهمة في التربية التدريب والتنشئة على مجانبة الكبر والعجب لما له من آثار سلبية على تصرفات صاحبه، ولما له من أثر في شرخ العلاقات الاجتماعية بين الناس، وما ينتظر صاحبه من وعيد في الآخرة، ومن ثَمَّ أورد الإمام النووي في باب تحريم الكبر والإعجاب عددًا من الأحاديث تكشف عن خطورة الكبر وما يحيق بصاحبه، ومنها: "لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر..."، وقوله: "ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر"، وقوله: "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا"، وغير ذلك من أحاديث الباب، وعلى هذا فواجب المربين الاهتمام بالتربية على مجانبة الكبر والعجب، واستئصال هذا السلوك السيئ وبيان خطره.

"ومن الممكن أن نتصور خطورة الكبر على الحياة البشرية من خلال تصورنا أن هذا المرض قد عم كل الناس فكيف يكون الحال؟ تصوروا أن كل إنسان قد ازدرى كل الناس فماذا يكون؟ لا يبقى في هذه الحالة احترام لأحد ولا هيبة لأحد ولا حرمة لأحد ولا أدب مع أحد، وتصوروا حياة بشرية ليس فيها احترام ولا هيبة ولا حرمة ولا أدب. ثم تصوروا أن كل إنسان في هذا العالم إذا عرض عليه الحق رفضه، فكيف يكون أمر هذا العالم؟ عندئذٍ لا يستطيع اثنان أن يتفاهما على شيء إلا بالقهر على الباطل، فما لم يجتمع الناس على حق يجتمعون على باطل، وعندئذٍ فالقوي هو الذي ينفذ أمره، ويترتب على هذا الظلم والغصب والإرهاب والإرهاق والعدوان، وإهدار الكرامات والحقوق، وإذا عُلم هذا عرف كم يجب على الدعاة والمربين أن يمتلكوا ناصية علم التزكية كطريق لابد منه لإيجاد جماعة صالحة ومجتمع صالح"[1].

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حَوَّى، ص١٩٥.

إن الناس في كثير من الأحيان يعجزون عن التفرقة بين عزة المؤمن والكبر، والمسلمون أحيانًا يعجزون عن التفرقة بين التواضع والمظهر الحسن، وهذا اللبس دفع كثيرين إلى الخلط في الأمور، وهو ما يتطلب جلاءً وإيضاحًا نقول: "المسلم مطالب بإظهار العزة والتظاهر بها، أخذًا من الآية الكريمة: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وتتأكد هذه العزة إذا لاقى المسلم غير المسلم، وأدرك أن التواضع سيفهم على غير وجهه فلا بد من إظهار العزة في هذه الحالة.

وشراح الحديث قالوا: إنما نهى الرسول ﷺ عن بدء اليهود والنصارى بالسلام حتى يظهروا عزة الإسلام، ولا يفهم السلام ابتداء على أنه ضعف أو تواضع ولين.

ومع عزة الإسلام فالمسلم متواضع كل التواضع في صيغ الخطاب مع المسلمين، أخذًا من الآية الكريمة ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[3]. ولهذا كان النهي عن تكبر المسلم على المسلم وكان الأمر بالتواضع.

وهل التكاليف الشرعية في الصلاة إلا داعية إلى المظهر الحسن بالدرجة الأولى إن الكبر في القلب قبل أن يكون على اللسان، وإنه في الجوهر قبل المظهر، ولهذا بيّن الرسول ﷺ أن مثقال ذرة من كبر في قلب الإنسان تمنع من دخوله الجنة، وإذا برجل يسأل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، فقال له الرسول ﷺ: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس.

١) أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره من سائر خلق الله في المنزلة والمكانة.

٢) أن يحتقر الآخرين لنسبهم أو فقرهم أو مرضهم أو جهلهم.

٣) أن يرد على الناصحين نصحهم وعلى المرشدين إرشادهم لأنه أكبر من أن ينصح.

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

٤) أن يمشي مختالاً تعجبه نفسه، يرى أنه سيدٌ والناس له خدم، يشعر بعلية ويرى الآخرين في دونية.

وأما التواضع فإنه سمة الأنبياء والمرسلين، فقد رأيناهم على سمو مكانتهم وعلو منزلتهم يحيون كما يحيا غيرهم، يجلسون معهم ويأكلون مما يأكلون، بل هم دونهم في العيش، يعتمدون على كسب اليد وإن كانوا ملوكًا، كما ورد بحق داود وسليمان عليهما السلام.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

إن من أساليب التربية أسلوب التربية بالترهيب، وهو يزجر النفس ويخوفها من مغبة الوقوع في المنهي عنه، وقد جاء الترهيب في أحاديث الباب في مواضع متعددة منها قوله ﷺ: "ألا أخبركم بأهل النار..."، ومنها: "احتجت الجنة والنار فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون..." ومنها: "لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم" وغير ذلك من الأحاديث التي جاءت ترهب من الكبر.

"إن أسلوب الترهيب أسلوب تربوي ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة، ولأهميته ورد ذكره في عدة مواضع من القرآن الكريم، ولأهميته في العملية التربوية فقد استخدمه رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية ويُغضب الله تعالى، فكان رسول الله ﷺ يربي الصحابة رضي الله عنهم على تجنب المنكرات والوقوع فيها" [1].

ثالثًا- التربية بالمراقبة والملاحظة:

من وسائل التربية النافعة التربية بالمراقبة والملاحظة وهي تشمل الكبار والصغار، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية بالمراقبة والملاحظة ما جاء عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك...."،

---

(١) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ص٣٦-٣٨.

وهذا يدلل على مراقبة الرسول ﷺ وملاحظته لهذا الرجل، وأكله بيده الشمال، وتوجيهه وإرشاده إلى تعديل سلوكه، وأن يأكل باليمين.

"ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها... ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة، حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته، فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه، وإن رأى منه شرًا نهاه عنه وحذرّه منه، وبيّن له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة وتطبيقات النبي ﷺ للملاحظة والمراقبة لأفراد المجتمع تَخُطُّ للمربين جميعًا المنهج العملي في التربية، والطريقة المجدية المؤثرة في الإصلاح وتهيب بكل من كان في عنقه حق التربية، ومسؤولية التوجيه أن يبذل قصارى جهده وأن يوجه غاية اهتمامه في سبيل إسعاد الولد وإصلاحه، والرفع من مستواه العقلي والنفسي والأخلاقي"[(١)].

رابعًا- التربية الجمالية:

إن من أهداف التربية الإسلامية التي تهدف إلى غرسها في نفوس المتربين التربية الجمالية، والمتأمل في أحاديث الباب يلمس هذا الجانب التربوي الجمالي، وذلك في الحديث: "... فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال...".

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين، ويسري في النفس إحساس بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات، ولذا كان الهدف الأول للتربية الإسلامية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، فإن الجانب الجمالي يعتبر في نظر المربين لا يقل أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي"[(٢)].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ٢/٧٢٩-٧٣٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، د. عبدالجواد سيد بكر ص٢٤٢، ٢٤٣.

خامسًا- من الأساليب التربوية: المناقشة والحوار والتمهيد:

وردت في الباب عدة أساليب تربوية، يجدر أن يستفاد منها في التعليم والتربية، من ذلك:

أ-المناقشة والحوار: كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، فقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً))، والمناقشة والحوار من الأساليب التي يجدر بالمعلم أن يفعلها في تعليمه وفي تربيته لمن يقوم بتربيتهم، لأنها تتيح للمتعلم أن يشارك وأن يكون إيجابيًا، وأن تنمو لديه الدافعية للتعلم والاطلاع والرغبة في المعرفة.

ب-التمهيد: كما في حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟))، ويمكن للمعلم أن يمهد للدراسة بسؤال أو نحو ذلك؛ ليجذب انتباه المتعلمين نحو الدرس.

٧٣- باب حسن الخلق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣٤] الآية.

الحديث رقم (٦٢١)

٦٢١- وعن أنس رضي الله عنه، قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ أحْسَنَ النَّاس خُلُقاً. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز يتناول في إجمال أخلاق النبي ﷺ والتعبير بكان إشارة إلى حالة واقعة ثابتة في زمن قبل زمن الحدث معتادة للمُتحدَث عنه، والتعبير بأفعل التفضيل (أحسن) ترتقي بالصفة روؤس جميع الموصفين، وبكونها وصفا لرسول الله ﷺ تتخطى حدود الزمان، والمكان لترتقي بالصفة روؤس العالمين في حسن خلقه يدل على ذلك تعريف الناس بلام الجنس التي تشمل الجميع بحكم التفضيل عليهم في هذه الصفة، والشواهد على حسن خلق النبي ﷺ أكثر من أن تحصى في موضع وليس أدل على ذلك من شهادة علام الغيوب (وإنك لعلى خلق عظيم)، قال الشيخ سيد قطب في تفسير الآية: وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم؛ ويثبت هذا الثناء العلوي في صميم الوجود! ويعجز كل قلم، ويعجز كل تصور، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله مما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٠٣، ومسلم ٥٥/٢٣١٠ ولفظهما سواء.

يبلغ إلى إدراك مداه أحد من العالمين! ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد ﷺ تبرز من نواح شتى: تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضمير الكون، وتثبت في كيانه، وتتردد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله، وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد ﷺ لتلقيها. وهو يعلم من ربه هذا، قائل هذه الكلمة. ما هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المطلقة، التي يدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين، والله أعلم حيث يجعل رسالته. وما كان إلا محمد ﷺ بعظمة نفسه هذه من يحمل هذه الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى. فيكون كفئاً لها، كما يكون صورة حية منها، إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشمول، والصدق والحق، بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يثني عليه الله هذا الثناء. فتطيق شخصيته كذلك تلقي هذا الثناء. في تماسك وفي توازن، وفي طمأنينة. طمأنينة القلب الكبير الذي يسع حقيقة تلك الرسالة وحقيقة هذا الثناء العظيم. ثم يتلقى بعد ذلك عتاب ربه له ومؤاخذته إياه على بعض تصرفاته، بذات التماسك وذات التوازن وذات الطمأنينة. ويعلن هذه كما يعلن تلك، لا يكتم من هذه شيئاً ولا تلك.. وهو هو في كلتا الحالتين النبي الكريم. والعبد الطائع. والمبلغ الأمين[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان كمال خلق النبي ﷺ.

ثالثاً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الخلق.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: البعد عن الفحش والتفحش.

خامساً: من موضوعات الدعوة: الحث على حسن الخلق.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، تفسير سورة القلم.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٢٥).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديثين من إخبار أنس رضي الله عنه بكمال خلق النبي ﷺ، وذلك في قوله رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً" وقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً... إلخ" والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته وبيان سنة نبيه وهذا ما ورد في نص الحديث وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان كمال خُلُق النبي ﷺ:

(إن حسن الخلق لا يؤسس في المجتمع بالتعاليم المرسلة، أو الأوامر والنواهي المجردة، إذ لا يكفي في طبع النفوس على الفضائل أن يقول المعلم لغيره: افعل كذا، أولا تفعل كذا، فالتأديب المثمر يحتاج إلى تربية طويلة، ويتطلب تعهداً مستمراً، ولن تصلح تربية إلا إذا اعتمدت على الأسوة الحسنة، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثراً طيباً، وإنما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون إلى شخصه، فيروعها أدبه ويسبيها نبله، وتقتبس -بالاعجاب المحض- من خلاله، وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره، بل لابد -ليحصل التابع على قدر كبير من الفضل- أن يكون في متبوعه قدر أكبر، وقسط أجل، وقد كان رسول الإسلام بين أصحابه مثلاً أعلى للخلق الذي يدعو إليه فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامي، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات)[1].

وهذا ما أشار إليه الحديثان: الأول من قول أنس رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً" والثاني من قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً...الخ"، وقد شهد الحق تبارك وتعالى لنبيه بكمال خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] أي: "عليٌّ به مُستَعل بخُلُقِك الذي منّ الله عليك به وحاصل خلقه

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٤.

(٢) سورة القلم، آية:٤.

العظيم، ما فسرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمن سألها عنه فقالت: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))[١]، فكان ﷺ سهلاً ليناً، قريباً من الناس مجيباً لدعوة من دعاه، قاضياً لحاجة من استقضاه، جابراً لقلب من سأله، لا يحرمه، ولا يرده خائباً، وإذا أراد أصحابه منه أمراً، وافقهم عليه، وتابعهم فيه، وإذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر، لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم، ويؤامرهم، وكان يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم ولم يكن يعاشر جليساً إلا أتم عِشْرَةً وأحسَنَها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنهِ بِشْرَهُ، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر منه، من جفوة، بل يحسن إليه غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال"[٢].

وفي ذلك قال القاضي عياض: (وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها، والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها؛ فجميعها قد كانت خلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها. والاعتدال إلى غايتها)[٣].

وليس أدل على ذلك من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت))[٤].

وعنه رضي الله عنه أنه قال: ((كانتِ الأَمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت))[٥] (والمقصود من الأخذ باليد وهو الرفق والانقياد. وقد اشتمل

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨١٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/١٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، مسلم ٢٣٠٩.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

على أنواع المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة وحيث عمم بلفظ الإماء أي أمة كانت. والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ)[1]، وما ذلك إلا لكمال خلقه ﷺ، وعن أنس رضي الله عنه قال: ((مَا رَأَيْتُ رَجُلاً الْتَقَمَ أُذُنَ رسول الله ﷺ فَيُنَحِّي رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يُنَحِّي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدَعُ يَدَهُ))[2]. وفي ذلك بيان لعظم وكمال خلق النبي ﷺ.

ثالثاً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الخلق:

إن الداعية إلى الله بحاجة إلى أن يتأسى بالنبي ﷺ في كافة أموره التي من جملتها حسن الخلق، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ في عموم أمره فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، قال القرطبي في قوله تعالى: "أسوة": (الأسوة القدوة، والأسوة ما يتأسى به؛ أي: يُتعزى به فيقتدي به في جميع أفعاله ويتعزّى به في جميع أحواله)[4]، فعلى الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في عظم وكمال أخلاقه ﷺ لما في ذلك من الفلاح في الدنيا والآخرة حيث قال ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً...))[5]. فالداعية خليفة رسول الله ﷺ وهو قدوته التي يجب أن يتأسى بها، فعليه أن يلتزم بحسن الخلق تأسيًا بالنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥٠٦/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٩٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٩).

(٣) سورة الأحزاب، آية:٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٥/١/٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

رابعاً- من موضوعات الدعوة: البعد عن الفحش والتفحش:

هذا ما أشار إليه نص الحديث الثاني في قول الراوي: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً. قال الجرجاني: (والفحش هو ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل السليم)[١]. وقال ابن حجر: (والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدل في القول والفعل والصفة...، والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه)[٢].

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن يَهودَ أتَوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنَكُم الله وغضِبَ الله عليكم. قال: مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرِّفق، وإياكِ والعنفَ والفُحش. قالت: أولم تَسمع ما قالوا؟ قال: أَوَلم تسمعي ما قلتُ؟ ردَدتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((استأذَنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ، فقال: ائذَنوا له، بئسَ أخو العشيرة أو ابن العشيرة. فلما دَخلَ ألانَ له الكلام. قلت يا رسول الله قلتَ الذي قلتَ ثم أَلنتَ له الكلام. قال: أي عائشة رضي الله عنها، إنَّ شر الناس مَن تركه الناس - أو وَدَعهُ الناس - اتقاءَ فُحشهِ))[٤]. وفي ذلك قال ابن حجر الهيتمي: (إن ملازمة الشر والفحش من الكبائر...، وإن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحسنهم خلقاً)[٥]. وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ))[٦] والله دَرُّ القائل:

---

(١) التعريفات ٢١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٦٧.

(٣) البخاري، ٦٠٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٥٤، ومسلم ٢٥٩١.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٣م، ١٥٢-١٥٣.

(٦) أخرجه أحمد ١/٤٠٥ رقم ٣٨٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٦/٣٩٠.

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلماً وشرُّ الناس من يهوى السبابا [١]

خامساً- من موضوعات الدعوة: الحث على حسن الخلق:

هذا مما يستنبط من الحديث الأول حيث أخبر أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، وهو القدوة والأسوة الحسنة لجميع المسلمين وفي هذا حث على التحلي بحسن الخلق، وكذا ما أشار إليه نص الحديث الثاني في قوله ﷺ "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" قال النووي: (فيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه، قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم والحلم عنهم والصبر عليهم في المكاره وترك الكبر والاستطالة عليهم ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة قال: وحكى الطبري خلافاً للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره)[٢].

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق ببيان عظيم فضله فقال: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[٣] قال صاحب عون المعبود (... وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوساً كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد)[٤].

---

(١) مكارم الأخلاق. قافية الباء ص ٣١، العقد الفريد. قافية الألف ١٣٢/٢، كتاب السحر الحلال. قافية الباء ١٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق بن العظيم آبادي، ٢٠٨٣.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في حسن الخلق في الحديث في قول أنس رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً" وهذا من أعظم المرغبات، وكيف لا؟ وقد تحلى القدوة العظمى، وصاحب الصفات العليا بحسن الخلق، فهل يوجد مسلم يرجو الهداية و الثواب، ولا يرغب أن يتخلق بما اتصف به خير الخلق محمد ﷺ، كما ورد الترغيب في الحديث الثاني من قوله ﷺ "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً" (والترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي ينبغي للداعية استخدامها في دعوته مما يشوق نفس المدعو إلى ما رغبت فيه، فيحملها ذلك على الانقياد والقبول، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)[1]. وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في حسن الخلق.

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٢١.

الحديث رقم (٦٢٢)

٦٢٢- وعنه، قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ﷺ[(١)].

لَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذا؟ متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ديباجاً: الثوب المصنوع من الحرير[(٣)].

أُفٍّ: كلمة تضجُّر وتكرُّه[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره أسلوب نفي (مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ﷺ) يقرر جانبا من جماله الظاهري ﷺ، وهو لين كفه ﷺ وطيب رائحته، ويقرر الراوي عن طريق أفعل التفضيل (ألين - أطيب) أنه فاق الجميع في لين يده، وطيب رائحته، وتنكير كلمة ديباج، وحرير يفيد التعميم ويفضلها على رمز النعومة مما هو معروف عندهم من أنواع الثياب، وتأكيد النفي بلفظ (قط) يؤكد طيب النشر تأكيدا ينفي وهم المبالغة، ويقرر التفوق على كل ريح طيب شمها أنف أنس ﷺ، وقوله (وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ﷺ عَشْرَ سنين) أكد الخبر باللام الموطئة للقسم، وقد التي

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٦١ واللفظ له، ومسلم ٢٣٣٠/٨١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩/٥١ واللفظ له.

تنبيه: الحديثان جمعهما المؤلف، وفرّقهما البخاري ومسلم، وكذا الحميدي في جمعه، وجميع من أخرج رياض الصالحين، لم ينتبه إلى أنهما حديثان فاعتبروه حديثًا، وهذا قصورٌ في التخريج.

(٣) اللسان في (د ب ج).

(٤) الوسيط في (أ ف ف).

تفيد التحقيق بدخولها على الماضي، ثم بالماضي الدال بصيغته على سبق التحقق، وذكر المدة يفيد تأكيد طول الملازمة، ومعرفة الأحوال التي تهيأ صواب الحكم، والخبر بمؤكداته غرضه لازم فائدته، وهي التمهيد، والتأكيد لحسن خلقه المتمثل في عدم نطقه بقول نابٍ يجرح، ويدل على الضجر، أو يفيد مجرد الاعتراض، وهو ما قرره في قوله (فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله: ألاَ فَعَلْتَ كَذا؟) وكلمة (أف) الأف كل مستقذر من وسخ كقلامة الظفر، وما يجري مجراها، ويقال ذلك لكل مستخف به، ويقال أيضا عند كره الشيء، وعند التضجر من الشيء، وهي أقل ما يقوله المتضجر، وفي ذكرها مبالغة في نفي قوله أي كلمة قبيحة لأن نفي الأقل يستلزم نفي الأكثر، ونفي قوله (ألا فعلت كذا؟) الذي يشير إلى التحضيض على إتيان فعل دون فعل، والذي يوحي بشيء من الرفض للفعل الأول دليل على لون من الأخلاق لا يتكرر مع طول الزمان، واتساع المكان مما يدل عل عظيم حلمه، وخلقه ﷺ.

فقه الحديث

التسامح في حظوظ الإنسان:

قال ابن حجر: (يستفاد من هذا فائدة تنزيه اللسان عن الزجر والذم واستئلاف خاطر الخدم بترك معاتبته، وكل ذلك في الأمور التي تتعلق بحظ الإنسان، وأما الأمور اللازمة شرعًا فلا يتسامح فيها، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات النبي ﷺ: طيب رائحته ولين مسه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان حسن معاملة النبي ﷺ للناس.

ثالثاً: من مهام الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن معاملة الناس.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٤٦٠.

أولاً- من صفات النبي ﷺ: طيب رائحته ولين مسه:

هذا ما ظهر جلياً من قول أنس رضي الله عنه: "ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ"، قال النووي: (وفيه بيان طيب ريحه ﷺ وهو مما أكرمه الله تعالى، قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات، مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين)[1]، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرِقَ. وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ. فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا. فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: ((يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟)) قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا. وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ[2]. وفي رواية: قَالَتْ: (عَرَقُكَ أَدُوفُ بِهِ طِيبِي)[3].

(وقد كانت أم سليم ذات محرم من النبي ﷺ من الرضاعة، وفي ذلك جاز الخلوة مع المحارم، والنوم عندهن...، وقولها أدوف به طيبي: أي أخلطه)[4]، وفي ذلك بيان على طيب ريحه وعرقه ﷺ ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة[5].

وقد أشار الحديث إلى لين مسه ﷺ، وهذا ما أكده جابر بن سمرة رضي الله عنه في قوله: (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى. ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِداً وَاحِداً. قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيحاً كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ)[6]. قال القاضي عياض:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٣٢.

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٧/٧ - ٢٩٨.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ص ١٥٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٢٩.

(والجؤنة، بضم الجيم، كالسقط يجعل فيه العطار متاعه)[١]، وقال ابن حجر: (وفيه أنه ﷺ كان على أكمل الصفات خلقاً وخلقاً فهو كل الكمال وجل الجلال وجملة الجمال عليه أفضل الصلاة والسلام)[٢]. وقال د. الحسيني هاشم في حديث الباب: (ضم الرسول ﷺ إلى جانب الجمال المعنوي بحسن الخُلْق الجمال الحسي بحسن الخلق، فهذا أنس رضي الله عنه يجد راحة في مس يد النبي ﷺ لما فيها من حنو ورقة وطيبة ونعومة، وهي اليد التي طالما مارست الشؤون الدنيوية، وأمسكت بآلات الحرب وخاضت حامي المعارك، ويستنشق من رائحة الرسول ﷺ ما لا تدانيه رائحة العطور)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان حسن معاملة النبي ﷺ للناس:

قد كان من مقاصد البعثة المحمدية إتمام محاسن الأخلاق لقوله ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ))[٤]، فكما كان النبي ﷺ يدعو الناس بلسان مقاله، فإنه أيضاً كان يدعوهم بأخلاقه وكريم فعاله)[٥]، وهذا ما ورد في نص الحديث من قول أنس رضي الله عنه: "... ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط: أف ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا".

وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (يقول ولقد خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍ، يعني ما تضجر منه أبدًا، عشر سنوات يخدمه ما تضجر منه، والواحد منا إذا خدمه أحد وصاحبه أحد لمدة أسبوع أو نحوه لا بد أن يجد منه تضجرًا، لكن الرسول ﷺ عشر سنوات وهذا الرجل يخدمه، ومع ذلك ما قال له أفٍ قط.

ولا قال لشيء فعلته لما فعلت كذا؟ حتى الأشياء التي يفعلها أنس اجتهادًا منه ما كان الرسول ﷺ يؤنبه أو يوبخه أو يقول لما فعلت كذا، مع أنه خادم، وكذلك ما

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٥/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٥/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٣٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٢٠٧).

(٥) انظر: مكارم الأخلاق، محمد بن عثيمين ص ١١.

قال لشيء لِمَ لَمْ تفعل كذا وكذا فكان ﷺ يعامله بما أرشده الله سبحانه وتعالى إليه في قوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

أتدرون ما العفو؟ ما عفا من أخلاق الناس وما تيسر، يعني خذ من الناس ما تيسر، ولا تريد أن يكون الناس لك على ما تريد في كل شيء، من أراد أن يكون الناس له على ما يريد في كل شيء فاته كل شيء، ولكن خذ ما تيسر، عامل الناس بما إن جاءك قبلت، وإن فاتك لم تغضب، ولهذا قال: ما قال لشيء لم أفعله لِمَ لمْ تفعل كذا وكذا، وهذا من حسن خلقه ﷺ)[2].

وفي بيان حسن معاملته ﷺ للناس قالت عائشة رضي الله عنها: ((ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة، ولا ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّرَ بين أمرين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله عز وجل فيكون هو ينتقم لله عز وجل))[3]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ أَعْرَابِياً بالَ في المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ أُناسٌ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهُ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ دَلْواً مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[4]، (فالنبي ﷺ لم يوبخ هذا الأعرابي ولم يأمر بضربه، بل إنه تركه حتى قضى بوله، ثم أعلمه أن المساجد لا تصلح لما فَعَل، إنما هي للصلاة والذكر وقراءة القرآن)[5]، وهذا من كمال خلق النبي ﷺ وحسن معاملته للناس، وقد شمل حسن خلقه ﷺ الأطفال، فكان يلاطفهم ويلاعبهم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن كان النبيُّ ﷺ ليخالطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٠٧/١.

(٣) أخرجه أحمد ٢٣٢/٦ رقم ٢٥٩٥٦، وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٠٩/٤٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٢٨، ومسلم ٢٨٤.

(٥) مكارم الأخلاق، محمد بن عثيمين ص ٥٤.

ما فَعلَ النغَير؟))[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كنتُ ألعَبُ بالبنات عندَ النبي ﷺ، وكان لي صَواحبُ يَلعبنَ معي، فكان رسولُ الله ﷺ إذا دخل يَتَقَمَّعْنَ منه، فيُسَرِّبهنَّ إليَّ فيلعَبْنَ معي))[٢].

قال ابن عثيمين: (ولم يتخلق أحد بمثله ﷺ، في كل شيء، خُلق مع الله، خُلق مع عباد الله، في الشجاعة والكرم وحسن المعاملة، وفي كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن يتأدب بآدابه، يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه)[٣]، فكان ﷺ أحسن الناس معاملة مع عباد الله.

ثالثاً- من مهام الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن معاملة الناس:

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، وإذا كان هذا مطلب عامة المسلمين لا يسعهم إلا ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٤]، (فهو في حق الدعاة ألزم وأوجب، ذلك أن الدعاة إنما يدعون إلى هدي النبي ﷺ، ومنهجه، وطريقته، وهديه هو سبيل النجاة من كل شر والفوز بكل خير وبر، والنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره؛ لأن الدعاة يدعون بالأقوال والأفعال، بالبيان والقدوة، والناس يرون في أفعال الدعاة وسيرتهم تطبيقاً حياً لما يدعون إليه، فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ متتبعين منهجه مقتدين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٩٠٥/١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٥) صفات الدعاة، د. عبد الرب نواب الدين ص ٥٨ - ٥٩.

وقد بين ابن القيم منهج النبي ﷺ في حسن معاملة الناس فقال: (وكان النبي ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت...، وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ينتقم لنفسه قط، وكان ﷺ يحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم ويجالس المسكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، ليّن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم...، وكان ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة... ويجيب دعوة العبد"[1]، وفي ذلك بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته ومعاملته للناس، فعلى الدعاة أن يجعلوا ذلك لهم منهاجاً وطريقاً، وفي ذلك عظيم الفائدة وكمالها في إنفاذ الدعوة ووصولها إلى قلوب المدعوين.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/١١١ - ١١٢.

الحديث رقم (٦٢٣)

٦٢٣- وعن الصعب بن جَثَّامَةَ ﷺ، قَالَ: أهديتُ رسولَ الله ﷺ حِمَاراً وَحْشِيّاً[(١)]، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي، قَالَ: ((إنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلاَّ لأنَّا حُرُمٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

الصَّعْب بن جثّامة: واسمه يزيد بن قيس بن ربيعة بن يعمر اللَّيثي الحجازي، وكان حليفاً لقريش، هاجر إلى النبي ﷺ وكان الصعب ينزل ودّان، والأبواء من أرض الحجاز، كان له صحبة ورواية، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عوف بن مالك. وكان ﷺ فيمن شهد فتح فارس.

أما عن وفاته فجاء في معظم كتب الرجال أنه توفي في خلافة أبي بكر، وخطّأ ابن حجر والسندي هذا القول، إذ أن الصعب بن جَثَّامة شهد فتح فارس وعاش إلى خلافة عثمان بن عفان ﷺ جميعاً[(٣)].

غريب الألفاظ:

حرم: محرمون بالحج أو العمرة[(٤)].

---

(١) هذا لفظ حديث الليث، ومعمر، وصالح، عن الزهري، عند مسلم ١١٩٣/٥١.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣/٥٠.

تنبيه: الشطر الأول من الحديث، هو لفظ مسلم برقم ١١٩٣/٥١، والشطر الأخير عند مسلم أيضًا برقم ١١٩٣/٥٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٤٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٩/٣، ٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٠٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥٢/٣، ٤٥٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/٢، والسندي ٣٥١/٢٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر م).

الشرح الأدبي

قول الراوي (أهديتُ رسولَ الله ﷺ) يشير إلى المحبة، والتودد منه لرسول ﷺ، كما يبشر بالقبول لما هو معروف عنه ﷺ أنه يقبل الهدية، ويأكل منها، ولا يقبل الصدقة على نفسه، وآل بيته بل ينفقها على الفقراء، وقوله (حِمَاراً وَحْشِيّاً) يبين موضع الخلاف وسبب الرد الذي ترتب عليه (فرده عليٌّ) كناية عن رفضه قبوله منه وقوله (فَلَمَّا رأى مَا فِي وجهي) كناية عن علامات الحرج والحياء، والكآبة - وكانوا ﷺ في قمة الحرص على رضاه - وقول الرسول ﷺ (إنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلاَّ لأنَّا حُرُمٌ) احتراس ينفي وهم كره لشخص المهدي أو الطعن فيه، ويبين السبب وراء الرد بما يذهب كآبة الرجل، وحزنه، ويزيل سبب الحرج، وهو من رعايته لمشاعر الناس، ورقته في معاملتهم ﷺ.

فقه الحديث

١-أَكْلُ المُحْرِم من صيد غير المحرم "الحلال":

قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على تحريم الأكل من لحم الصيد على المحرم مطلقاً، لأنه اقتصر في التعليل على كونه محرمًا، فدل على أنه سبب الامتناع خاصة، وهو قول عليٍّ وابن عباس وابن عمر والليث والثوري وإسحاق؛ لحديث الصعب هذا، ولما أخرجه أبو داود وغيره من حديث عليٍّ أنه قال لناس من أشجع: أتعلمون أن رسول الله ﷺ أهدى له رجلٌ حمار وحشٍ وهو محرم فأبى أن يأكله؟ قالوا: نعم[1]، لكن يعارض هذا الظاهر ما أخرجه مسلم من حديث طلحة أنه أُهْدي طير وهو محرم، وطلحة راقد فمنا من أكل ومنا من تورع فلما استيقظ طلحة وفّق من أكله، وقال: أكلناه مع رسول الله ﷺ[2] وحديث أبي قتادة: (فلما أتوا رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إنا كنا أحرمنا، وقد كان أبو قتادة لم يحرم، فرأينا حمر وحش، فحمل

---

(١) أخرجه أبو داود ١٨٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٦٣١).

(٢) أخرجه مسلم ١١٩٧.

عليها أبو قتادة فعقر منها أتانًا، فنزلنا فأكلنا من لحمها ثم قلنا: أنأكل لحم صيد ونحن محرمون؟ فجعلنا ما بقي من لحمها، قال: منكم أحد أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟ قالوا: لا قال: فكلوا ما بقي من لحمها)[1]... وبالجواز مطلقًا قال الكوفيون [الحنفية] وطائفة من السلف، وجمع الجمهور بين ما اختلف من ذلك بأن أحاديث القبول محمولة على ما يصيده الحلال لنفسه ثم يهدي منه للمحرم، وأحاديث الردّ محمولة على ما صاده الحلال لأجل المحرم. قالوا: والسبب في الاقتصار على الإحرام عند الاعتذار للصعب أن الصيد لا يحرم على المرء إذا صيد له إلا إذا كان محرمًا، فبين الشرط الأصلي وسكت عمّا عداه فلم يدل على نفيه. وقد بينه في الأحاديث الأخر، ويؤيد هذا الجمع حديث جابر مرفوعًا: ((صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه أو يصاد لكم))[2][3].

٢-الحكم بالعلامة: قال ابن حجر: (وفي حديث الصعب الحكم بالعلامة؛ لقوله "فلما رأى ما في وجهي")[4].

٣-جواز رد الهدية لعلة: قال ابن حجر: (فيه جواز رد الهدية لعلة، وترجم له المصنف [التجاري] (من ردّ الهدية لعلة)[5])[6].

٤-ملك الهبة لا يكون إلا بالقبول: قال ابن حجر: (وفيه أن الهبة لا تدخل في الملك

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٢٤، ومسلم ١١٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود ١٨٥١، والترمذي ٨٤٦، والنسائي ٢٨٣٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي دود ٤٠١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣/٤-٣٤. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٥/٨/٤-٨٦، وانظر كذلك: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني ٢٧٤/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣١٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٣٠/٧، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٤٦٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١١/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/٤.

(٥) الباب رقم ١٧ من كتاب الهبة من صحيح البخاري، الحديث ٢٥٩٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/٤.

إلا بالقبول، وأن قدرته على تملكها لا تصيره مالكًا لها)[١].

٥-استحباب اعتذار من أهديت له هدية فردّها لمعنى شرعي: بوّب النووي على هذا الحديث في كتاب الأذكار: باب استحباب اعتذار من أهديت له هدية فردّها لمعنى شرعي بأن يكون قاضيًا أو واليًا أو كان فيها لون شبهة أو كان له عذر غير ذلك)[٢].

٦-إرسال المحرم ما في يده من الصيد الممتنع عليه اصطياده: قال ابن حجر: (وفيه أن على المحرم أن يرسل ما في يده من الصيد الممتنع عليه اصطياده)[٣].

٧-قبول الهدية: قال ابن حجر: (مفهوم قوله ﷺ: "لم نرده عليك إلا أنا حرم" مفهومه [أي مفهوم المخالفة] أنه لو لم يكن محرمًا لقبله منه، وفيه أنه لا يجوز قبول ما لا يحلّ من الهدية)[٤]، وقال ابن حجر كذلك: (واستنبط المهلب رد هدية من كان ماله حرامًا أو عرف بالظلم)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإهداء للنبي ﷺ.

ثانياً: من صفات الداعية: الحرص على تطييب نفس المدعو.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإهداء للنبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس حباً وتعظيماً وإجلالاً لرسول الله ﷺ، وقد كان ما يدل على حبهم رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ إهداءه والحرص على

---

(١) المرجع السابق ٣٤/٤، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء. انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣١٠/٧، والشرح الكبير ١٠٠/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣٧٥/٥، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢٧٧/٥.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٣٤٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٣/٥

(٥) المرجع السابق ٢٣١/٥.

ذلك، وهذا ما أشار إليه الحديث من قول الصعب بن جثامة رضي الله عنه: "أهديت رسول الله ﷺ..." إلخ، قال النووي: (فيه جواز قبول الهدية للنبي ﷺ بخلاف الصدقة)[١].

وفي بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على إهداء النبي ﷺ قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ الناسَ كانوا يَتحرَّونَ بهداياهُم يومَ عائشةَ يَبتَغونَ بها -أو يَبتَغونَ بذلكَ- مَرْضاةَ رسولِ الله ﷺ))[٢]، والمقصود بالتحري: أي: "القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"[٣].

وقالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَصَفِيَّةُ وَسَوْدَةُ، وَالْحِزْبُ الاخَرُ أم سَلَمَةَ وَسَائِرُ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَائِشَةَ، فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَّرَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ بَعَثَ صَاحِبُ الْهَدِيَّةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَكَلَّمَ حِزْبُ أم سَلَمَةَ، فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَقُولُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَدِيَّةً فَلْيُهْدِهِ إِلَيْهِ حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ، فَكَلَّمَتْهُ أم سَلَمَةَ بِمَا قُلْنَ، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئاً. فَقُلْنَ لَهَا فَكَلِّمِيهِ. قَالَتْ فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا أَيْضاً، فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئاً، فَسَأَلْنَهَا. فَقَالَتْ: مَا قَالَ لِي شَيْئاً. فَقُلْنَ لَهَا: كَلِّمِيهِ حَتَّى يُكَلِّمَكِ. فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ. فَقَالَ لَهَا: لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَأْتِنِي، وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ إِلاَّ عَائِشَةَ.... إلخ))[٤].

وعنها رضي الله عنها قالت: ((....، إِلاَّ أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ. وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ. فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ))[٥]، وعن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٧٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥٨١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٦٧، ومسلم ٢٥٨١.

جابر ﷺ: ((أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْناً...))[١]، وفي ذلك بيان الحرص من الصحابة ﷺ على الإهداء إلى النبي ﷺ حباً وتعظيماً وإجلالاً وإكرامًا له ﷺ.

ثانياً- من صفات الداعية: الحرص على تطييب نفس المدعو:

قد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: (فلما رأى ما في وجهي قال: إنا لم نرده عليك إلا أنا حرُم)، قال النووي: (وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبل هدية ونحوها أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييباً لقلبه)[٢]، وقال ابن حجر: (وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطييباً لقلب المهدي)[٣].

(فعلى الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في حرصه على تطييب نفس الصحابة ﷺ، فإن من أعظم معايير نجاح الداعية في دعوته: أن تجتمع عليه القلوب بالحب والمودّة وأن يجد الناس في قربه الأنس والطمأنينة، وارتياح النفس، وانشراح الصدر)[٤]، وهذا لا يكون إلا بالحرص على تطييب نفوس المدعوين، وليس أدلّ على ذلك من قول أبي سعيد الخدري ﷺ: (لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِى قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِى الأَنْصَارِ مِنْهَا شَىْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار شيء قال: ((فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يا سَعْدُ؟)) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي، وما أنا؟. قال: ((فَاجْمَعْ لي قَوْمَكَ في هَذِهِ الحَظِيْرَةِ)). (قال: فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة). قال: فجاء رجل من

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧٤٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٤.

(٤) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبد المجيد البيانوني ص ١٣٢.

المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا أتاه سعد فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار قال: فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو له أهل، ثم قال: ((يا مَعْشَرَ الأنصار مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ، وَجْدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتكم ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللهُ؟، وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فألَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟)) قالوا: بَلْ اللهُ ورسوله أمنّ وأفضل، قال: ((أَلاَ تُجِيبُونني يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ؟)) قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولرسوله المنّ والفضل؟ قال: ((أَمَا واللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ، فَلَصَدَقْتُمْ، وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّباً فَصَدَّقْنَاكَ، ومَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ، وعَائِلاً فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ - يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ - فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا؟ الَّفْتُ قَوْماً لِيُسْلِمُوا؟ وَوَكَلْتُكُمْ إلى إسْلاَمِكُمْ؟ أَفَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ)). قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْماً وَحَظًّا. ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا[1]. وهذا أعظم دليل على أهمية تطييب نفوس المدعوين لما في ذلك من أثر في قبول الدعوة ونفاذها.

ثالثاً- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم:

قد ورد حسن تعامل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم في الحديث من تطييب النبي ﷺ لقلب الصعب بن جثامة رضي الله عنه عندما رد النبي ﷺ عليه هديته وذلك في قوله ﷺ: "إنا لم نرد عليك إلا أنا حرم"، قال ابن عثيمين: (إنه ينبغي للإنسان أن يجبر خاطر أخيه إذا فعل معه ما لا يحب، ويبين السبب لأجل أن تطيب نفسه، ويطمئن قلبه، فإن هذا من هدي النبي ﷺ)[2]. وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالتأسي بالنبي ﷺ في حسن تعامله مع أصحابه رضي الله عنهم، وفي كل دقيق وجليل من أمور حياته ﷺ فقال:

---

(١) مسند أحمد ٣/٧٦-٧٧ رقم ١١٧٣٠، وقال محققوا المسند: إسناده حسن ١٨/٢٥٣-٢٥٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٩٠٨.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١]، وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقاً مع أصحابه رضي الله عنهم، (فالسير على نهجه ﷺ وترسم طريقه، والاقتداء به، من أمر الله، وطاعة لله جل وعلا، وامتثالاً لأمره سبحانه وتعالى)[٢].

وقد كان النبي ﷺ أحسن الناسُ خُلقاً مع أصحابه رضي الله عنهم، وليس أدل على ذلك من قول أبي هريرة رضي الله عنه: ((قَالُوا يا رسولَ الله إِنَّكَ تُدَاعِبُنا؟ قالَ: إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا))[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ. فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ. فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً. نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللّهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ. مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللّهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللّهِ. فَضَحِكَ. ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ))[٤].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ((جاءتِ امرأةٌ إلى النبيِّ ﷺ ببُردةٍ - فقال سهلٌ للقوم: أتدرون ما البردةُ؟ فقال القوم: هي شَملةٌ فقال سهلٌ: هي شملة منسوجةٌ فيها حاشيتُها - فقالت: يا رسولَ الله، أكسوكَ هذهِ، فأخذَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها فلبِسَها، فرآها عليه رجلٌ من الصحابةِ فقال: يا رسولَ الله، ما أحسَنَ هذهِ، فاكسُنيها. فقال: نعم... إلخ))[٥].

وفي ذلك بيان على حسن تعامل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم وكمال خلقه، وفي تأسي المدعو بذلك يكون الفلاح والقرب من النبي ﷺ يوم القيامة لقوله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقاً... إلخ))[٦].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري ص ٢٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٢١).

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٨، ومسلم ١٠٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣٦.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

الحديث رقم (٦٢٤)

٦٢٤- وعن النَّوَاس بنِ سمعان ﷺ، قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البرِّ وَالإثم، فَقَالَ: ((البرُّ: حُسنُ الخُلقِ، والإثمُ: مَا حاك في نفسك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

حاك: أثَّر ورسَخَ[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يوضح، ويحدد مفهوم البر، ومفهوم الإثم اللذين عليهما مدار الحسنة، والسيئة، واللام في لفظ (البر) للجنس حتى يشمل المفهوم جميع أنواع البر، وقد عرفه الرسول ﷺ بكلمة (حسن) واللفظ يوحي بجمال في جودة، وقبول، وإضافته للخلق تضبط حركة البار بميزان المعاملة مع الله، ومع الناس ببذل نفسه في تحمل أذاهم ورده بالمعروف، وقد قابله بالأثم الذي عرفه بأنه (مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) والتعبير بالحياكة لبيان شدة الأثر في القلب مع ما يوحي به من حركة في حنايا النفس، وقوله (وكرهت) يشير إلى الشعور ببغضه، وقبحه، وتوقع رفضه، والتعبير بالإطلاع يوحي بأنه مستور، كما أنه يحتاج إلى تكلف، وتعب لمعرفته، وهذا التحديد للإثم يزيد مفهوم البر وضوحا؛ لأن النفس لا تردد فيه، ولا يكره الإنسان إطلاع الناس عليه، كما أن تعريف البر بالحسن، يتضمن وسم الإثم بالقبيح، ويترك كل مصطلح في تمام الوضوح بإزاء ضده، فإن كثيرا من أصحاب

---

(١) برقم ٢٥٥٣/١٤، وتقدم برقم ٥٩٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٨٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ي ك).

العقول الفاسدة يجد في تزييف المصطلحات، وتلبيسها على الناس سبيلا لتضليلهم، وحملهم على الباطل.

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٩٠).

الحديث رقم (٦٢٥)

٦٢٥- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً، وكان يَقُولُ: ((إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاَقاً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

الفاحش: ذُو الفحش في كلامه وفعاله، والمتفحش الذي يتكلف ذلك ويتعمّده[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقدم نموذجا حيا في حسن الخلق يُرفع للمؤمنين يقتدون به في كل زمان، ومكان، وقد استخدم الراوي أسلوب النفي الصريح الواقع على فعل الكينونة الذي يقرر عدم التلبس بالصفات المذكورة، وهي الفحش، والتفحش، وأصله الزيادة بالخروج عن الحد قوله (ولا متفحشا) أي ولا متكلفا في الفحش، وحاصله أنه لم يكن الفحش له لا جبليا، ولا كسبيا، ونفي هذه الصفات يثبت ضمنا عكسها، وقول الرسول ﷺ (إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاَقاً) توكيد قولي للتأكيد السابق العملي الذي كان عليه الرسول ﷺ، والتعبير بالخيار يشير إلى جماع الخير منهم في الدنيا مع الناس، ومن الله معهم في الآخرة، والتعبير بالأحسن يشير إلى مجموعة الصفات التي تجعل العبد قريبا من عباد الله الصالحين، وقريبا من رب العالمين، وجمع الأخلاق يشير إلى ذلك.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٥٩ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢١/٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٩٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٢٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٢١).

الحديث رقم (٦٢٦)

٦٢٦- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ شَيْءٍ أثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

البَذيُّ: الذي يتكلم بالفُحْشِ، ورديء الكلام[2].

الشرح الأدبي

تأكيد الراوي الخبر عن النبي ﷺ إحساس منه بعظمة من يحدِّث عنه، وإحساس بعظمة الخبر، وقول الرسول (مَا مِنْ شَيْءٍ أثْقَلُ فِي مِيزَانِ) أسلوب نفي مستغرق شامل لكل شيء، والتعبير بأفعل التفضيل (أثقل) يشير إلى خاصية في الوزن، لأنه متعلق بقوله (في ميزان)، وإضافته للعبد يعطي الميزان خصوصية تحقق مزيدا من التشويق، والترقب للخبر، واللام في لفظ العبد للجنس، ووصفه بالمؤمن تخصيص بطائفة عنيت بالتنافس في الخيرات، وتحصيل الصالحات، وتقييده بالظرف (يوم) وإضافته للقيامة يعطي الصورة أبعادا أخرى من حيث طبيعة الموزون، وأهميته في تحقيق الفلاح وقوله (مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ) بيان للراجح في ميزان العبد بكل شيء، وفيه تنويه على فضل وعظمة ثواب حسن الخلق، مما يرغب في التخلق بالأخلاق الحسنة.

---

(١) برقم ٢٠٠٢. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٥٦٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠١.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الخلق الحسن يوم القيامة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيئ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإخبار:

الإخبار من الأساليب الدعوية التي تستعمل في تبليغ الدعوة إلى الله، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بالإخبار عنه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، وقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، وقد حثّ تعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخباره ﷺ بعظم وأهمية حسن الخلق في إثقال ميزان العبد يوم القيامة، وبيان بغض الله تعالى لسوء الخلق.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الخلق الحسن يوم القيامة:

(إن الخلق الحسن من الخصال الحميدة التي سعى الإسلام إليها، حثاً وتأييداً ودعا إليها تخلقاً وعملاً، ورغّب فيها بالأجر وحسن النتيجة)[4]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)، قال المباركفوري: (قوله: "ما من شيء" أي ثوابه أو صحيفته أو عينه المجسد "من خلق حسن" فإن الله تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه)[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) سوء الخلق "مكانته وحقيقته"، د. محمد بن سعد الشويعر ص ٢٢.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٦١.

قال ابن عثيمين: (وفي الحديث الحث على حسن الخلق، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان يوم القيامة وهذا من باب الترغيب فيه)[١]، (وحسن الخلق أن يكون المرء سهل العريكة، لين الجانب، طلق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة)[٢].

(ولحسن الخلق مكانة عظيمة فهو تربية ربانية، ومنهج سماوي، اختاره الله للأنبياء والرسل عليهم السلام وهم صفوة الخلق، كجزء من مهمتهم في تبليغ رسالة الله إلى خلقه... ومن حكمة الله جلّت عظمته أن جعل حسن الخلق في الكلام، وحسن الخلق في المعاملة، من البراهين المعينة على تقبل الدعوة، ومعرفة حقيقتها؛ لأن الفؤاد لا يصفو، والعقل لا يتبصّر، والأعصاب لا تهدأ، والنفس لا تتقبل إلا مع الخلق الحسن، والاستمالة اللينة في الحديث، والرقة في المعاملة)[٣].

ومن أجل ذلك عظّم الشرع مكانة ومنزلة حسن الخلق يوم القيامة فقال النبي ﷺ: ((أَتَى اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللَّه مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّه حَدِيثاً﴾. قَالَ يَا رَبِّ: آتَيْتَنِي مَالاً، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي))[٤]. وقال ﷺ: ((أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ))[٥]، بل إن حسن الخلق لا يقل درجة عن بقية العبادات بل يرتقي بصاحبه إلى مصاف العباد الزهاد؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))[٦] قال

---

(١) شرح رياض الصالحين ١/١٩٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٣٧.

(٣) حسن الخلق "مكانته وحقيقته"، د. محمد الشويعر ص ٢٦ - ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٦٠.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٠٥).

(٦) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

العظيم آبادي: (أي إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة صائم النهار قائم الليل، وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد)[١]. وفي ذلك بيان لفضل الخلق الحسن يوم القيامة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيئ:

(إن سوء الخلق عمل مرذول، ومسلك دنيء، به يُبذل القبيح، ويكف الجميل فضلاً عن التحلي بالرذائل، والتخلي من الفضائل، يمقته الله عز وجل ويبغضه الرسول ﷺ)[٢]، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (... وإن الله يبغض الفاحش البذيء)، أي: إن الله يبغض الفاحش يتكلم بما يكره سماعه أو من يرسل لسانه بما لا ينبغي)[٣]، (والبذيء في النهاية من البذاء بالمد ويعني الفحش في القول)[٤]، وفي ذلك قال الأحنف بن قيس: (ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى. قال: الخلق الدني، واللسان البذيء)[٥]، بل إن سوء الخلق من أسباب دمار الأمم، وانهيار الحضارات وصدق شوقي إذ يقول:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتماً وعويلاً [٦]

وقد بين ابن القيم: (أن منشأ جميع الأخلاق السافلة، وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي ٢٠٨٢، ٢٠٨٣.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٣/٣، وسوء الخلق، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٦١/٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٩.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٦٠.

(٦) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد ص ١٣.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً والنقص كمالاً.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والنَّهمة والجشع، وإفراط النفس في الذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه، ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق أخلاق مذمومة. وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراطا في الضعف وإفراطها في القوة فيتولد من إفراطها في الضعف: المهانة، والبخل، والخسة، واللؤم، والذل، والحرص، والشح، وسفاسف الأمور والأخلاق، ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب والحدة، والفحش والطيش)[1].

ومن أجل ذلك نجد أن النبي ﷺ قد رهّب من سوء الخلق ببيان سوء عاقبة صاحبه يوم القيامة في قوله: ((وإِنَّ مِنْ أَبْغَضِكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدِكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةَ الثَّرثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يا رسولَ الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرثَارِينَ وَالمُتَشَدِّقِينَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ المُتَكَبِّرُونَ))[2]، وقال ﷺ: ((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْجَوَّاظُ وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ))[3].

والجواظّ: الغليظ الفظ، بتشديد الظاء، أي: سيء الخلق...، وقد قيل: الجواظ كثير اللحم المختال في مشيه، وقيل: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطيء الجافي القلب، وقيل: الفاجر، وقيل: الأكول، والجعظري: الفظ الغليظ المتكبر وقيل: هو

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٥ - ٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠١٨، وقال الألباني: حديث حسن، (صحيح سنن الترمذي ١٦٤٢).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٠١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٦).

الذي لا يصدع رأسه، وقيل: هو الذي يتمدح وينفخ بما ليس عنده وفيه قصر[١]، وفي ذلك بيان على بغض الله تعالى لأصحاب الخلق السيء.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

قد ورد أسلوب الترغيب في الحديث من قوله ﷺ: (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق)، قال ابن عثيمين: (وفيه أيضاً الحث على حسن الخلق...، وهذا من باب الترغيب فيه)[٢]، أما الترهيب فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: "... وإن الله يبغض الفاحش البذيء"، (فالنفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين...، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه...)[٣].

والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وأن يكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة[٤].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١/٩١٠.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٤) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

الحديث رقم (٦٢٧)

٦٢٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: ((تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ))، وَسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: ((الفَمُ وَالفَرْجُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

السؤال عن الجنة سؤال عن الطريق إلى الغاية العظمى في موطن الخلود، وعن المطلوب الأكبر لجماعة العقلاء الذين فتح الله بصائرهم، وقوله (عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟) فيه خصوصية في السؤال اكتسبها من استخدام أفعل التفضيل (أكثر) وهي خصيصة تجعل المراد من السؤال هو المقدم على الجميع في إدخال الناس الجنة، وهو سؤال ذكي، والتعبير بالفعل المضارع يصور تجدد الفعل بتتابع الداخلين بالعمل المذكور، وقول الرسول ﷺ (تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ) مبني على إيجاز يستلزمه مقام السؤال، والجواب، والتقدير: أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله..، وتقوى الله، تحدد المعاملة مع الله وهي: اسم جامع لكل ما يحقق تنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وحسن الخلق اسم جامع لكل ما يحقق المودة، والتراحم، والتلاحم بين جموع المسلمين من وجهين: الأول: تحمل أذاهم، والرد بالحسنى، والثاني: بذل ما يحقق المحبة من طلاقة الوجه، والتهادي والصلات وغيرها؛ ولذلك كان لها عظيم الأثر في إدخال الناس الجنة، والسؤال المقابل لهذا السؤال هو قوله: (وَسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟) ومقابلة الضد بضده تجعله في أتم الوضوح، وقوله (الفم والفرج) يقرر خطرهما، وما يمكن أن يبلغا بالعبد في دركات الهلاك مما يستلزم الحرص منهما، والحذر المؤدي للسلامة.

---

(١) برقم ٢٢٠٤ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٧٦، وقال الحاكم ٣٢٤/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل التقوى وحسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من آفات اللسان والفرج.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد ورد ذلك في الحديث من قول الراوي: "سُئل رسول الله ﷺ...؟ قال: ..."، والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على استحضار أذهان المدعوين، فضلاً عن وضعهم في حالة استعداد فكريّ ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[1]، وقد أفاد السؤال والجواب في هذا الحديث أهمية حرص المدعو على معرفة الأمور التي تكون سبباً في دخول الجنة، ومعرفة الأمور التي تكون سبباً في دخول النار.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل التقوى وحسن الخلق:

قد جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[2]، وهذا ما رغّب فيه النبي ﷺ من الحديث في قوله - عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ - قال: (تقوى الله وحسن الخلق)، "وتقوى الله كلمة جامعة لفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، فيكون بها اتخاذ الوقاية والاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وتقوى الله في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٥٩/٢.

(٢) الفوائد، ابن القيم ص ٨٤ - ٨٥.

وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: محافظة آداب الشريعة[١].

وللتقوى ثمرات عظيمة، وفضائل عميمة، فبها تكون محبة الله تعالى، وهي الغاية لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، وهي طريق معية الله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقد جعلها الله تعالى طريق الفلاح فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]، وبها تكون الكرامة عند الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥]، وقد جعل الله الفوز والنجاة وحسن الجزاء لصاحبها فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٦]، وقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[٧].

ولله درُّ القائل:

وإذا تناسبت الرجال فما أرى ... نسباً يقاس لصالح الأعمالِ
إذا بحثت عن التقى وجدته ... رجلاً يُصدِّق قوله بفعالِ
وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه ... فتراه بين مكارم ومعالِ
وعلى التقيِّ إذا ترسخ في التقى ... تاجان سكينةٍ وجلالِ[٨]

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني ص ٩٤، وانظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة ٥٩/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٠.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٦) سورة النور، آية: ٥٢.

(٧) سورة الزمر، آية: ٢٠.

(٨) التقوى، صلاح الدين مارديني ص ١٦٢.

أما حسن الخلق، فهو خلق فاضل عظيم، أساسه الصبر، والحلم والرغبة في مكارم الأخلاق، وآثاره العفو، والصفح عن المسيئين، وإيصال المنافع إلى الخلق أجمعين، فهو احتمال الجنايات، والعفو عن الزلات ومقابلة السيئات بالحسنات، وقد جمع الله ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1][2].

وقد كان لحسن الخلق فضائل عظيمة في الدنيا والآخرة، فبه يكمل الإيمان لقوله ﷺ: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً . وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقاً))[3]. وهو سبب رفع الدرجات لقوله ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[4].

(وهو سبب لكسب القلوب في الدعوة إلى الله، فهو يحبب صاحبه للبعيد والقريب وبه ينقلب العدو صديقًا، ويصبح البغيض حبيباً، ويصير البعيد قريباً، وبحسن الخلق يتقرب المرء للناس، ويتمكن من إرضائهم على اختلاف مشاربهم، وطبقاتهم، فكل من جالس حَسَن الخلق أحبه، ورغب في مجلسه وفي ذلك عظيم الفائدة في الدعوة إلى الله)[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من آفات اللسان والفرج:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ عندما سُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال لهم: الفم والفرج، ويقصد من الفم اللسان، واللسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه... وهو رحب الميدان ليس له مرد،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي ص ٧٤.

(٣) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٥) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد ص ٣٨.

ولا لمجاله منتهى وحد، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب فمن أطلق عذبه اللسان، وأهمله مرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله...، ومن أخطر الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه قد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله، والحذر من مصائده، وحبائله، وأنه أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان)[١].

ولذلك قال النبي ﷺ: ((أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ))[٢].

وقال ﷺ: ((لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إلاَّ يَشْكُو إلى الله اللِّسَانِ عَلَى حِدَّتِهِ))[٣].

ولذلك كان اللسان سبباً من أسباب دخول النار لقوله ﷺ: ((وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إلاَ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[٤]، وقوله ﷺ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَرَى أَنْ تَبْلُغَ حَيْثُ بَلَغَتْ يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً))[٥].

(أما الفرج فله شهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل، إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه، ويخشى من اقتحامه، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز، أو لخوف أو لحياء، أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب، فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر..وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب)[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٤٢/٣ - ١٥٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، وحفظ اللسان ط/٢، دار الاعتصام: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ١٨/٤١، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٤.

(٣) المرجع السابق ١٣/٣٩، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٣٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٢١١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٧٧، ومسلم ٢٩٨٨.

(٦) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٣٤/٣.

(ولهذا سدّ النبي ﷺ كل باب يكون سبباً لهذه الفاحشة فمنع خلو الرجل بالمرأة فقال ﷺ: ((لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تُسافِرَنَّ امرأةٌ إلا ومعَها مَحْرَم))[١]، ونهى المرأة أن تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[٢]، إلى غير ذلك من السياج المنيع الذي جعله النبي ﷺ حائلاً دون فعل الفاحشة؛ لأن هذه الفاحشة تدعو إليها النفس، فلهذا أكثر ما يدخل الناس النار: أعمال اللسان وأعمال الفرج، ومن أجل ذلك عظّم النبي ﷺ جزاء من حفظ لسانه وفرجه فقال: ((اضمَنُوا لي ستّاً، أَضمَنْ لَكُمُ الجنَّةَ: اصدُقُوا إذا حَدَّثتُمْ، وأَوْفُوا إذَا وَعَدْتُمْ، وأدُّوا إذَا ائْتُمِنْتُمْ، واحْفَظُوا فُروجَكُم، وغُضُّوا أبْصَارَكُم، وكُفُّوا أيْدِيَكُم))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ يَضمَنْ لِي مَا بَيْنَ لِحيَيْهِ وما بينَ رِجْلَيْهِ، أَضمَنْ لَهُ الجنَّةَ))[٤]، قال ابن حجر: (أي: من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام، ضمن النبي ﷺ له الجنة)[٥].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

الترغيب والترهيب أسلوبان ناجعان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها لعمل، ويحذرانها من التفريط في حق الله[٦]، وقد رد هذا الأسلوب الدعوي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥ رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات ٤١٧/٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٥/١١.

(٦) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان يوسف ص ٩٧.

في الحديث من ترغيبه ﷺ في تقوى الله وحسن الخلق، وترهيبه من سلبيات الفم والفرج، وذلك عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: (تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج).

الحديث رقم (٦٢٨)

٦٢٨- وعنه، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: ((اكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَاناً احسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في حسن الخلق له خصوصية في التركيب لأنه عمد إلى تمييز أهل الأفضلية من الطائفة الطاهرة ذات الطموح في منازل الجنة العليا؛ لذلك اختار المؤمنين، وأضاف لهم أفعل التفضيل أكمل ليرتقي بهم قمة المتصفين بالإيمان، لخصيصة تميزوا بها، وإن وجدت في بقية المؤمنين وهي حسن الخلق، ولكن هؤلاء ارتقوا قمة حسن الخلق، وحازوا السبق فيه فاستحقوا درجة الكمال واستقروا على أعلاها، وقوله (وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ) جناس يقرر أن الخيرية المطلقة ترتبط بالخيرية في الأهل لأنهم أولى الناس بها، وهم أكثر من يحتاج لذلك لكثرة احتكاكهم ببعضهم لاسيما النساء لطبيعة خلقتهن، وحاجتهن للرحمة، والمودة مع كثرة ما يقعن فيهن من خطأ، وتقصير يستلزم مزيد صبر من الرجال عليهن.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حسن معاملة النساء وإكرامهن.

---

(١) برقم ١١٦٢ وزاد: (خلقًا). وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٧٩، وقال الحاكم ٣/١: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم بن الحجاج. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٧٦. وتقدم برقم ٢٧٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقًا"، لأن كمال الإيمان يوجب حسن الخلق والإحسان إلى كافة الناس[١]، وفي بيان هذا التلازم والصلة بين كمال الإيمان وحسن الخلق، قال ابن عثيمين: (وفي هذا دليل على أن الإيمان يتفاوت، وأن الناس يختلفون فيه فبعضهم في الإيمان أكمل من بعض بناء على الأعمال، وكلما كان الإنسان أحسن خلقًا كان أكمل إيماناً، وهذا حث واضح على أن الإنسان ينبغي له أن يكون حسن الخلق بقدر ما يستطيع)[٢]، وقال ابن علان: (فكلما كان العبد أحسن أخلاقًا كان أكمل إيمانًا، وفيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه)[٣]، وفي ذلك بيان على الصلة والتلازم بين كمال الإيمان وحسن الخلق.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها -ذكراً كان أو أنثى صغيراً كان أم كبيراً- يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، وبيان أن المرء إذا قام بما أوجبه الله عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤][٥]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في حسن الخلق، ببيان أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وبيان أن خير الناس خيرهم لأهله.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٨٤/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩١١/١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حسن معاملة النساء وإكرامهن:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "... وخياركم خياركم لنسائهم"، وذلك بالبشاشة وطلاقة الوجه وكف الأذى وبذل الندى والصبر إلى إيذائها[١]، فينبغي للإنسان أن يكون مع أهله خير صاحب وخير محب، وخير مربي لأن الأهل أحق بحسن خلقك من غيرهم[٢]، لأنهن محل الرحمة لضعفهن[٣]. وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[٤]، أي: (طيبوا أقوالكم لهن وحسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله...)[٥]، وقال رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ. وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي))[٦]، (وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك)[٧]، قالت: ((سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَقْتُهُ))[٨].

(ومما يدخل في حسن العشرة وجميلها أن يترفق الزوج بزوجته ولا يؤذيها، وأن يغض طرفه عمّا قد يكون من نقص أو تقصير ما لم يكن في ذلك إخلال بشرع الله، وإلى هذا أرشد النبي ﷺ بقوله: ((لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))[٩]، وعلى الزوج ألا يؤذي زوجته بفعل ولا بقول لقوله ﷺ لما سأله أحد

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٩١١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٨٤/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجة ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٦٠٨).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٢.

(٨) أخرجه ابن ماجة ١٩٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٦٠٨).

(٩) أخرجه مسلم ١٤٦٩.

الصحابة رضي الله عنهم: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أو اكْتَسَبْتَ وَلا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلاَّ فِي الْبَيْتِ))[1] [2].

وقال ﷺ: ((أَلاَ واسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيراً، فإِنَّمَا هُنَّ عَوانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلِكَ، إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ. فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُم حَقّاً. ولِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقاً. فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ولاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. أَلاَ وحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وطَعَامِهِن))[3]. وفي ذلك بيان عظيم على أهمية وضرورة حسن معاملة النساء وإكرامهن، وكانت هذه الوصية إحدى البنود الرئيسة في حجة الوداع التي جمع فيها النبي ﷺ معظم الفوائد والقواعد التي تبنى عليه حياة المسلمين، ومنها قوله ﷺ: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله..."[4] وفي ذلك الحث على مراعاة حق النساء والوصية بهن ومعاشرتهن بالمعروف[5].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢١٤٢، وقال الألباني: حديث صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٨٧٥).

(٢) انظر: فقه الزوج في ضوء الكتاب والسنة، د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢ دار بلنسية، الرياض: ١٤١٦هـ ص ١٢٧.

(٣) أخرجه الترمذي ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٩٢٩).

(٤) من حديث طويل أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧٥.

الحديث رقم (٦٢٩)

٦٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((إنَّ المُؤمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يتميز هذا الحديث بإيجاز القصر حيث تضمن معاني كثيرة في عبارة قصيرة موجزة صدرت في أسلوب خبري مؤكد بكثير من المؤكدات منها حرف التوكيد، ثم تقرير الثبات، والدوام المفهوم من اسمية الجملة ثم لام التوكيد الداخلة على جملة الخبر (ليدرك) وتخصيص المؤمن لأنه المَعْنِيّ بتحصيل الدرجات العلى، وقوله (بحسن خلقه) الباء للسببية، أي بسبب حسن خلقه، وقوله (دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ) أي مثل درجة الصائم القائم، وقيل عن سر ذلك أن الصائم، والقائم يجاهدان أنفسهما؛ لأن الصيام والقيام مخالفة النفس، إذ النفس حظها، واستمتاعها بالمطاعم، والشراب والنكاح، والصائم يمنع عن هذه الأشياء، والنفس أمارة بالسوء، تدعو إلى هذه، وبهذه الأشياء تتقوى هذه النفس، بالنوم تربو، وتنمو، والقيام يمنع النوم، والصائم، والقائم يجاهدان كل واحد منهما نفسه، ومن جمعهما فإنما يجاهد نفسا واحدة، فيعظم قدره، وتعلو رتبته بمجاهدته نفسه، ومن حسن خلقه، فإنما يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس؛ لأن الحسن الخلق هو الذي لا يحمل غيره ثقله، ويتحمل أثقال غيره، وهو جهاد كبير، فأدرك هذا بحسن خلقه درجة الصائم القائم؛ لأنه يجاهد نفسه كما يجاهدها الصائم القائم، فاستويا في الرتبة لاستوائهما في الفعل الذي هو مجاهدة النفس.

---

(١) برقم ٤٧٩٨. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٨٠، وقال الحاكم ١/٦٠: صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٠٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: منزلة حسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام والقيام.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعملها الداعية لبيان أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه وهذا ما أكده النبي ﷺ في بيان فضل حسن الخلق فقال في الحديث: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: منزلة حسن الخلق:

(إن حسن الخلق له مكانة عالية في نماء المجتمعات وسعادتها، لأنه يدعو إلى التآلف والترابط، ويحث على الأعمال الفاضلة التي هي جزء من تعاليم الإسلام، فهو يشدّ القلوب، ويأسر النفوس، ويربطها بوشائج التقارب، ويباعدها عن المؤثرات بما يدعو إليه من التسامح والتحمل...، ولأهمية حسن الخلق في قوام المجتمعات، وتمكين روابط المحبة بين الأفراد، جاء حث الإسلام عليه)[1].

وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث من قوله: (إنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)، أي: "قائم الليل في الطاعة وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل العظيم لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوساً كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد"[2].

وقال ابن علان في شرح الحديث: (أي: ليبلغ بحسن خلقه الداعي له إلى التحلي

---

(١) حسن الخلق "مكانته - حقيقته"، د. محمد بن سعد الشويعر ص ٧ - ٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٨٢ - ٢٠٨٣.

بالمحامد والتخلي عن المذام "درجة الصائم القائم" أي: أعلى الدرجات فإن أعلى درجات الليل درجات القائم في التهجد، وأعلى درجات النهار درجات الصائم في حر الهواجر)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام والقيام:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم"، وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل الصيام والقيام، فقال في فضل الصيام: ((إنَّ في الجنَّةِ باباً يُقالُ لهُ الرَّيّانُ، يَدخُلُ منهُ الصائمونَ يومَ القِيامةِ لا يَدخُلُ منه أحدٌ غيرُهم، يقال: أينَ الصائمون؟ فَيقومونَ، لا يَدخلُ منهُ أحدٌ))[٢]، وقال: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فِي سَبِيلِ اللّهِ. إلاَّ بَاعَدَ اللّهُ، بِذَلِكَ الْيَوْمِ، وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفاً))[٣].

قال النووي: (فيه فضيلة الصيام في سبيل الله وهو محمول على من لا يتضرر به ولا يفوت به حقاً ولا يختل به قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه: المباعدة عن النار والمعافاة منها والخريف السنة والمراد سبعين سنة)[٤].

وفي ذلك بيان على عظم فضل الصيام، أما القيام فبين ﷺ عظيم فضله فقال: ((إنَّ في الجَنَّةِ غُرَفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللّهُ لِمَنْ أَطعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى باللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ))[٥].

وقال ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى ربكم مكفرة للسيئات وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ))[٦]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (شرف المؤمن قيامه بالليل)، وقال وهب بن منبه: (قيام الليل يشرف به الوضيع ويعز به الذليل)، وقيل للحسن: (ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٠، ومسلم ١١٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧١٤.

(٥) صحيح ابن حبان ٥٠٩، وقال محققوه: إسناده قوي.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٥٤٩، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٤).

من نوره نوراً، وقال: ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل)، وعن سعيد بن جبير قال: (قال ابن عمر رضي الله عنهما حين حضرته الوفاة: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على ظمأ الهواجر ومكابدة الليل...)[١]، وفي ذلك بيان على عظيم فضل القيام. إضافة إلى ما ينعم به مُقيم الليل من أسباب السكينة النفسية، فالصلاة عامة - وقيام الليل خاصة- لحظات ارتقاء روحي يفرغ المرء فيها من شواغله في الدنيا ليقف بين يدي ربه ومولاه ويثني عليه بما هو أهله ويفضي إليه بذات نفسه داعيًا راغبًا ضارعًا، وفي ذلك قوة للنفس ومدد للعزيمة وطمأنينة للروح.

لهذا جعل الله الصلاة سلاحًا للمؤمن يستعين بها في معركة الحياة ويواجه بها كوارثها وآلامها[٢]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[٤]، وقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب للترغيب في حسن الخلق وشحذ الهمم لبلوغه، وذلك في قوله: "... ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

إن أسلوب الترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير التي قد تدفع عن الإنسان الصوارف النفسية التي تصرفه عنه إذ تستعطف شهواته مغريات أخرى واقفة في اتجاه سبل الشر المختلفة[٥].

---

(١) مختصر قيام الليل، محمد المروزي ص ٥٨، ٦٢ - ٦٣.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٢٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٥) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٣.

الحديث رقم (٦٣٠)

٦٣٠- وعن أَبي أُمَامَة الباهِلِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَض الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ، وَإنْ كَانَ مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإنْ كَانَ مَازِحاً، وَبِبَيْتٍ في أعلَى الجنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)). حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الزَّعِيمُ: الضامن[2].

ربض الجنة: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع[3].

المراء: الجدال[4].

الشرح الأدبي

الحديث من باب حسن الخلق يبين مكانة حسن الخلق في الجنة، وقول الرسول ﷺ ((أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَض الجنَّةِ)) كون المسند إليه الرسول ﷺ والمسند الزعامة وهي الضمان، والكفالة يشير إلى تأكيد تحقق المضمون، والتعبير بالبيت يشير إلى السكن، والطمأنينة، والراحة، والربض هو ما حول البيت مما اتصل به والمراد فِي طَرَف الْجَنَّة دَاخِلهَا لا خَارِجًا عَنْهَا، وإضافته للجنة تعطيه أبعادا إيحائية

---

(١) برقم (٤٨٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٩١٣).

(٢) رياض الصالحين ٢٧٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ب ض).

(٤) الوسيط في (م ر ي).

ينطلق فيه الخيال حتى يتصور ما يستطيع من جمال، وكمال لقصر في الجنة، وقوله (لمن ترك المراء) أي للذي ترك المراء وقيل: حد المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظا، أو معنى، أو في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الاعتراض، والإنكار، فكل كلام سمعته، فإن كان حقا فصدق به، وإن كان باطلا، ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه، وقوله (وَإِنْ كَانَ مُحِقّاً) جملة شرطية محذوفة الجواب لدلالة السابق لبيان ضرورة الترك، ولو كان صاحب حق لأن التمادي في المراء يذهب الدين، وينقص المروءة، ويضيع اللذة، ويشغل القلب وقوله (وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ مَازِحاً) ارتقى بالمنزلة من الربض وهو الطرف، والجانب إلى الوسط ترغيبا في ترك الكذب، وقوله (وَبِبَيْتٍ فِي أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ) ارتقى بالمنزلة من وسط الجنة إلى أعلاها؛ لأن حسن الخلق يجمع ما سبق مع شمول لجملة الأخلاق المحمودة من الله، ومن الناس، وهو يشير إلى قيمة حسن الخلق، وينبه إلى ضرورة تحسينه لمن لا يجد ذلك في نفسه، وليجعل هذا التحسين قربة لله يسكن بها أعلى الجنة، ويكون بها قريبا من رسوله ﷺ.

فقه الحديث

قال النووي: (ومما يذم من الألفاظ: المراء والجدال والخصومة: قال أبو حامد الغزالي: المراء: طعنك في كلام الغير لإظهار خلل فيه، لغير غرض سوى تحقير قائله وإظهار مزيتك عليه، قال: وأما الجدال: فعبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها. قال: وأما الخصومة فلجاج في الكلام يستوفي به مقصوده من مالٍ أو غيره، وتارة يكون ابتداءً وتارة يكون اعتراضًا، والمراء لا يكون إلا اعتراضًا، هذا كلام الغزالي)[1].

والجدل قسمان: ممدوح ومذموم:

فأما الممدوح فهو الذي قصد به تأييد الحق أو إبطال الباطل، أو أفضى إلى ذلك

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ص ٤١٣، ٤١٤.

بطريق صحيح، وقد يكون فرض عين إذا تعين على شخص ما الدفاع عن الحق. وقد يكون فرض كفاية بأن يكون في الأمة من يدافع عن الحق بالأسلوب السليم، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[2] والجدل المذموم هو كل جدل بالباطل أو يستهدف الباطل أو يفضي إليه، أو كان القصد منه التعالي على الخصم والغلبة عليه، فهذا ممنوع شرعًا. ويتأكد تحريمه إذا قلب الباطل حقًا أو الحق باطلاً. وقد يكون الجدل مكروهًا إذا كان القصد منه مجرد الظهور والغلبة في الخصومة.

وعلى ذلك فالنصوص الشرعية الآمرة بالجدل محمولة على النوع الأول كقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وأما النصوص الشرعية التي ذمت الجدل فمحمولة على النوع الثاني كقوله تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[4][5].

الكذب في المزاح: قال النووي: (قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وجماع الأمة منعقد على

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ٥٦.

(٤) سورة غافر، آية: ٤.

(٥) استخراج الجدال من القرآن لناصح الدين بن الحنبلي ص ٥٢-٥٣، والسيرة النبوية لابن كثير ١٢٠/٣، ٢٠٢، ٣١٩، ٣٢٠، والرد على المنطقيين ص ٤٦٧-٤٦٨، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، ١٢٠/٢-١٢٣، ودرء تعارض العقل والنقل ٣٥٧/١٠، والإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢٥/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٦/١٥-١٢٧)، وانظر كذلك: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٤ ط/ مكتبة الصفا.

تحريمه مع النصوص المتظاهرة: ... قال أبو حامد الغزالي: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يكن بالصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل المقصود مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، فإذا اختفى مسلم من ظالم وسأله عنه، وجب الكذب بإخفائه ... وكذلك لو كان مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه في العفو عن الجناية لا يحصل إلا بكذب، فالكذب ليس بحرام، وهذا إذا لم يحصل الغرض إلا بالكذب، والاحتياط في هذا كله أن يورِّي... وينبغي أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدقة، فإن كانت المفسدة في الصدق أشد ضررًا فله الكذب، وإن كان عكسه أو شكّ حرم عليه الكذب، والحزم تركه في كل موضع أبيح إلا إذا كان واجبًا)[1].

وأما الكذب في المزاح فحرام كالكذب في غيره[2] لحديث أبي هريرة مرفوعًا: ((لا يؤمن العبدُ الإيمان كلّه حتى يترك الكذب في المزاح ويترك المراء وإن كان صادقًا))[3] وحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: (إني لأمزح ولا أقول إلا حقًّا))[4].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤٢١-٤٢٢ ط/ مكتبة الصفا، وانظر: إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٥٨٨/٩، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٤٥/١ وما بعدها، ط/٣، مؤسسة الرسالة، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠/١٦/٨، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٠٠/٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٥٢/١.

(٣) أخرجه أحمد ٣٥٢/٢-٣٥٣، رقم ٨٦٣٠، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٧٨/١٤.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٩٩/١١، ١٣٤٤٣، وقال الهيثمي في المجمع ٨٩/٨، إسناده حسن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المراء والجدال.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن الكذب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من آداب المدعو: التمسك بالخلق الحسن.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الدعوة إلى الله تعالى من أكرم الأعمال عند الله، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد، وقد حثّ الحق تبارك وتعالى على تبليغها والإخبار بها فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فالإخبار من أهم الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دين ربه وسنة نبيه ﷺ، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخباره ﷺ وبيانه لدرجات الجنة وكيفية بلوغها وذلك في قوله: (أنا زعيم بيت في الجنة في ربض لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة... إلخ).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية ترك المراء والجدال:

إن من أهم أصول الدين تحقيق الجماعة ونبذ الفرقة، فالجماعة من لب الدين، والفرقة من صميم الشرك، وإن من أهم ما يضرب بجذوره في القضاء على الجماعة هو المراء والمجادلة، ومن أجل ذلك عظّم النبي ﷺ جزاء من ترك المراء والجدال وإن كان محقاً بأن ضمن له بيتاً في ربض الجنة، وهذا ما ورد في نص الحديث، والبيت كما قال الخطابي: (هو القصر، وهو كائن في ربض الجنة، أي: ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع، وكل ذلك لمن ترك المراء أي الجدال)[2]،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي ص ٢٠٨٢.

(وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير، بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم)[١]، وقيل: (هو المخاصمة بما يشغل عن ظهور الحق، ووضوح الصواب)[٢]، (وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين، فأسكت عنه)[٣]، (والجدال والمراء روح خبيث شرير، شديد الأثر في مَحْق المحبة، وهدم الجماعة، فضلاً عن توريث البغضاء والكراهية)[٤]، وقد شدد النبي ﷺ في ذمه والنهي عنه بقوله: ((مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلاَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾))[٥][٦].

(والجدال قد يكون محموداً إذا تعلق بإظهار الحق وقد أمر بذلك النبي ﷺ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٧]، وقد يكون مذموماً إذا شغل عند ظهور الحق ووضوح الصواب)[٨]، وهذا ما عدّه الذهبي من الكبائر في قوله: (إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدال في مدافعة الحق، أو كان بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه)[٩].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/١٥٦٠.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ١١٤.

(٣) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/١٥٦٠.

(٤) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٦٥.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٥٨.

(٦) أخرجه الترمذي ٣٢٥٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٩٣).

(٧) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٨) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ١١٤، موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٩/٤٣٣٩.

(٩) الكبائر، ط/٢، مؤسسة الريان للتوزيع والنشر، لبنان: ١٤١٧هـ ص ٢١.

وقد حذر من ترك المراء والجدال الصالحون وأوصى بتركه العالمون، فعن مسعر ابن كدام يوصي ابنه كداماً قائلاً:

إنِّي منحتُكَ يا كِدَامُ نَصِيحَتي ... فاسْمَعْ مَقَالَ أَبٍ عَلَيْكَ شَفِيقِ
أَمَّا المُزَاحَةُ والمِراءُ، فَدَعْهُما ... خُلُقَانِ لا أَرْضَاهُما لِصديقِ
إنِّي بَلَوْتُهُما فَلَمْ أَحْمَدْهُما ... لِمُجَاوِرٍ جَاراً ولا لِرَفيقِ [(١)]

وقال مصعب بن عبدالله:

أأقعُدُ بعدَما رَجَفَتْ عِظامي ... وكانَ الموتُ أقربَ ما يَلِيني
أُجَادِلُ كلَّ معترضٍ خَصيمٍ ... وأجعَلُ دينَه غرضاً لديني
وأترُكُ ما عَلِمْتُ لرأي غيري ... وليسَ الرأيُ كالعِلْمِ اليَقِينِ [(٢)]

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن الكذب:

(إن الكذب من دلائل خسة النفس، ودناءتها، فهو جماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه)[(٣)]، وقد رغب النبي ﷺ في البعد عنه ولو كان المرء مازحاً، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "... وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً"، والكذب: (هو الإخبار بخلاف الواقع، والمراد ترك المذموم منه وهو ما لا مصلحة راجحة فيه فيكون عاماً مخصوصاً بما عدا ذلك...، وفي قوله ﷺ: "وإن كان مازحاً" أي: بكذبه غير قاصد به الجد)[(٤)].

وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن كان الكذب مسلكه ونهجه فقال: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ٩٥٢/٢، والأبيات: حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني ٢٢١/٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٧٠/٧.

(٢) المرجع السابق ٩٣٦/٢ - ٩٣٧.

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٥٣، والأبيات: بغية الطلب قافية الياء ١٣٨٢/٣.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٠٦.

لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[١]، وبيّن النبي ﷺ أن الكذب من علامات النفاق فقال: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ))[٢]، وقد توعد النبي ﷺ من اتخذ الكذب وسيلة لإضحاك الناس فقال: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ))[٣].

وقد بين ابن القيم أضرار الكذب فقال: (إياك والكذب فإنه يفسد عليك تصوُّر المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس. فإن الكاذب يصور المعدوم موجوداً، والموجود معدوماً، والحق باطلاً والباطل حقاً، والخير شراً والشر خيراً، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له. ثم يصور ذلك في نفس المخاطب والمغتر به الراكن إليه فيفسد عليه تصوره وعلمه. ونفس الكاذب مُعْرضة عن الحقيقة الموجودة، نزَّاعة إلى العدم، مؤثرة للباطل. وإذا فسدت عليه قوة تصوره علمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي، فسدت عليه تلك الأفعال، وسرى حكم الكذب إليها، فصار صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان؛ فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله.

ولهذا كان الكذب أساس الفجور، كما قال النبي ﷺ: ((وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ))[٤].

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها كما أفسد على اللسان أقواله؛ فيعمّ الكذب أقواله وأعماله وأحواله؛ فيستحكم عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة، إن لم يتداركه الله بدواء الصدق يقلع تلك المادة من أصلها"[٥].

---

(١) سورة المرسلات، آية: ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٣١٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٥).

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٥) الفوائد ١٩٩.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية التي تشتاق النفس فيها إلى فعل الأمر المرغب إليه والثبات عليه، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في ترك المراء وترك الكذب والتحلي بمكارم الأخلاق، وذلك في قوله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقاً وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

خامساً- من آداب المدعو: التمسك بالخلق الحسن:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "... وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"، وقد بين ابن القيم: (أن النبي ﷺ جعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق. والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله)[١].

وقد حض النبي ﷺ على التحلي بحسن الخلق في كثير من الأحاديث منها ما أخرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))[٢] وجعله النبي ﷺ أكمل خصال الإيمان؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا))[٣] وأخبر النبي ﷺ أن حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ما من شيء أثقل في الميزان من حسن خلقه))[٤].

إن حسن الخلق صفة سامية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي تطهر صاحبها من آفات اللسان وترتقي به إلى مراتب الإحسان مع خالقه ومع سائر الناس[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٢/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٦٨٢، قال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٩١٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٤).

(٥) انظر: كيف تطيل عمرك، د. محمد ن إبراهيم النعيم ص ٢٥.

وقد وصف الله رسوله محمدًا ﷺ بأنه على خلق عظيم ووجه له الوصف على سبيل الخطاب الذي يمدحه ويثني عليه فيه؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فهذا النص القرآني يثبت أن محمداً ﷺ على خلق عظيم، أي: فهو متمكن من أخلاقه العظيمة المثلى قابض على ناصيتها... وإذا وصف الله رسوله بأنه على خلق عظيم، وجّه المؤمنين إلى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، فعلى المدعو أن يتمسك بالخلق الحسن لما في ذلك من الاقتداء بالنبي ﷺ[3]، فضلاً عن بلوغ عظم الأجر والثواب.

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ١٩٨.

الحديث رقم (٦٣١)

٦٣١- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ، وَأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ، أحَاسِنَكُم أخْلاَقاً، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)) قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا (الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ)، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: ((المُتَكَبِّرُونَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الثرثار: كثير الكلام تكلفاً[2].

المتشدِّقُ: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصُحاً وتعظيماً لكلامه[3].

المتفيهق: أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأُ فَمَهُ بالكلام، ويتوسَّعُ فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً، وإظهاراً للفضيلة على غيره[4].

الشرح الأدبي

التعبير عن المعنى بأفعل التفضيل له خصوصية الرتبة، وصدارتها ارتفاعا في الصفة، أو انخفاضا، وهي بذلك تحقق التشويق للخبر للحاجة إلى معرفة الفاضل، والمفضول، والتعبير بفعل المحبة يشير إلى خصوصية وجدانية لها تعلق بالقلب، وحرف الجر المتصل بضمير المتكلم العائد على الرسول ﷺ (إليَّ) يعطي بُعدا آخر لفعل المحبة لا يتساوى فيه مع غيره؛ لأن محبة الرسول ﷺ لا تعدلها محبة ثم إن تكرار أفعل

---

(١) برقم ٢٠١٨ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩١٤. وسيكرره المؤلف برقم ١٧٤٠.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٨.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

التفضيل في حديث واحد يدل على أعالي طبقات الأعمال، وأعالي طبقات العاملين، ويحافظ على درجة الترقب، والانتباه إلى نهاية الحديث، وقوله (وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ) قول الرسول ﷺ (مني) يشير إلى شرف هذا المجلس وتنكير لفظ (مجلسا) للتعظيم، وتقييده بيوم القيامة يشير إلى أهمية المجلس، وحاجة كل مؤمن بل كل إنسان إليه لأنه حتما سيكون مجلسا في أعلى الجنة في قلب النعيم، بينما من لم يدرك هذا المجلس من الناس فهو مرهون بعمله وقوله (أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقاً) جمع أحسن، ويشير الجمع إلى التكثير، والعبارة تبين فضل حسن الخلق في الموقف العظيم، ثم إن مقابلة البغض بالمحبة، والبعد بالقرب في الصورة المقابلة بيان بليغ لتفاضل ما بين الخلقين، ومدى تفاوت العاقبتين بينهما في قوله (وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ) والنوعية المذكورة في الجانب المقابل للرسول ﷺ، وأصحابه البعيدة عن منزلة الزلفى هم أهل الجدل والكبر (الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ) والتعبير بالثرثرة يوحي بالخبط في الحديث دون تعقل يمنع من تجنب الخطأ، والتعبير بالتشدق يدل على محاولة الرياء بالفصاحة أو تمويه الحق بالخداع اللفظي، والتفيهق التكبر كما أجاب الرسول ﷺ السائل، وفي الحديث مع الترغيب في حسن الخلق ترهيب من هذه الصفات التي تجعل صاحبها في الجهة المقابلة للرسول ﷺ وصحبه، وكلنا نعلم أين - أعاذنا الله -.

فقه الحديث

قال النووي: (يكره التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون وزخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تكلف السجع، وكذلك التحري في دقائق الإعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظًا يفهمه صاحبه فهمًا جليًا ولا يستثقله؛ وما في معناه [1]، كحديث الباب، عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول

---

(١) ستأتي هذه الأحاديث بنصّها في الباب رقم ٣٢٨ من رياض الصالحين، وهو بعنوان: باب كراهة التقعر في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحش اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبته العوام ونحوهم، الأحاديث ١٧٣٨-١٧٤٠.

الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ عز وجل يَبْغضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ بِلِسَانِهَا))[١].

ولا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب، لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله عز وجل، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر كثرة الكلام والتشدق به والكبر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تأكيد الأمر وبيانه في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من تأكيده ﷺ على أن حسن الخلق هو سبب القرب من مجلسه يوم القيامة، وأن سوء الخلق هو سبب البعد عن مجلسه يوم القيامة. فقال ﷺ: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أحسانكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون... إلخ).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل حسن الخلق:

إن من أجلّ العبادات وأفضلها حسن الخلق، "فبه يبذل الندى، ويكف الأذى، ويتحلى بالفضائل، ويتخلى من الرذائل"[٣]، وقد عظّم النبي ﷺ فضل صاحب الخلق الحسن بأن جعله أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة وهذا ما أكد عليه نص الحديث

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٠٥، والترمذي ٢٨٥٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٨٥).

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٥، ٤١٦ .

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٧٣/٣.

في قوله ﷺ: (إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً).

قال ابن علان: (إن من أحبكم إليّ، أي: أكثركم حباً إليّ؛ أي: اتباعاً لسنتي وقوله: "وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة"، أي: في الجنة، أحسنكم أخلاقاً"[١]، "وليس أدلّ على فضل حسن الخلق من أنه يراد به التخلق بأخلاق الشريعة والتأدب بآداب الله التي أدّب بها عباده في كتابه كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢])[٣].

وقد بين ابن القيم: (أن حسن الخلق يقوم على أربعة أركان، ولا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة. والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء؛ وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة والنميمة. والشجاعة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش؛ كما قال النبي ﷺ ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[٤]، "وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الإمساك والإسراف والتبذير وعلى خلق الحياء الذي

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢١.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

هو توسطا بين الجبن والتهور؛ وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس)[١].

وقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل حسن الخلق فقال: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ))[٣]، وقال الماوردي في فضل حسن الخلق: (إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقلّ مُعادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب)[٤]، وفي ذلك بيان على فضل حسن الخلق.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر كثرة الكلام والتشدق به والكبر:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: ".. وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون.. إلخ" وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (... وأبعد الناس منزلة من رسول الله ﷺ الثرثارون والمتشدقون، والمتفيهقون، والثرثارون: الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس)[٥].

وقال ابن علان: (هم الذين يتعمقون في الكلام، والتشدق تكلف السجع والفصاحة والتصنع بالمقامات)[٦].

وورد في النهاية أن معنى الثرثارون والمتشدقون، أي: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: أراد بالمتشدق: المستهزئ بالناس يلوي شدقه بهم وعليهم، وقال ابن القيم: (والمتشدق هو المتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعاظماً وتطاولاً، وإظهاراً لفضله على غيره)[٧]، والمتفيهقون هم الذين يتوسعون في الكلام، ويفتحون به أفواههم، مأخوذ

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٣ - ٧٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠١٣).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٢٩).

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ١/٩١٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٠٧.

(٧) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٧٢ - ٧٣.

من الفهق وهو الامتلاء والاتساع[١]، وقيل: (هذا من الكبر والرعونة)[٢]، وهذا لا شك خلق ذميم، ويجب على الإنسان أن يحذر منه، ولهذا جاء في الحديث: من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: ((عائل مستكبر))[٣][٤]، وفي ذلك بيان على الحذر من كثرة الكلام والتشدق به والكبر؛ إذ إن هذه الصفات السلبية من أسباب الشقاء الموردة لصاحبها موارد الهلكة وأكبر جرمًا الكبر والتعالي، قال الغزالي: (مفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومتبع الشقاوة الكبر والغفلة، فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية ولا داعي إليهما سوى عمي القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم فشرح صدورهم للإسلام والهدي، والمتكبرون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء، فالمتكبر هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدًا والشيطان دليلاً.

فالكبر آفة عظيمة هائلة، فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ كبره وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه، والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة، وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له[٥].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

(الترغيب من الأساليب التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[٦]،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٤٧٠، ٧٢٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ص ١٧٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩١٣/١.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣٤٥/٣.

(٦) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ١٩٢.

وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في التحلي بمحاسن ومكارم الأخلاق وذلك في قوله: (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحسنكم أخلاقاً).

(أما الترهيب فهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ من كثرة الكلام والتشدق به والكبر، وذلك في قوله ﷺ: (وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون... إلخ)، والترغيب والترهيب أسلوبان ناجعان للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب، فهما يحركان النفس وينشطانها للعمل، ويحذرانها من التفريط في حق الله[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. النحلاوي ص ٢٥٧.

(٢) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان ص ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية التي تبرز حسن الخلق، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية الخلقية:

إن من أهم جوانب التربية الإسلامية التربية الخلقية، ويتضح هذا من باب حسن الخلق الذي أورد الإمام النووي تحته جملة من الأحاديث ترغب في حسن الخلق ومنها "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"، ومنها: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق..."، وهذه الأحاديث وغيرها تنمي في المسلم، وتربي فيه مَلَكَة الأخلاق الحميدة الحسنة.

"إن حقيقة التربية الأخلاقية في الإسلام هي تنشئة الشخصية الإنسانية منذ الصغر، وتكوينها تكوينًا متكاملاً من الناحية الأخلاقية بحيث تكون سباقة إلى كل خير وفضيلة، ومتوقفة عن كل شر ورذيلة، والقرآن الكريم تضمن كثيرًا من القواعد الخلقية، وتحلي الشخصية الإنسانية بالأخلاق والتأدب بآداب النبي ﷺ يعتبر مصدر السعادة لها، لأن هذه الأخلاق والآداب تحمل في طياتها أسباب السعادة التي تجلب لها الصحة الكاملة وتقيها شر الأمراض النفسية، والعقلية، والخلقية، فعن طريق التربية الأخلاقية يتم تحسين الأخلاق التي هي السبب في سعادة الشخصية دنيا وآخرة" [1].

ثانيًا- التربية بالقدوة:

إن من أساليب التربية الناجعة التربية بالقدوة لما لها من أثر فعال في إقناع المتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالقدوة في مجال الأخلاق ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"، وقوله: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟"، وما جاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا...".

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٥٩٠-٥٩٦.

وهذه الأحاديث تبرز كيف كان رسول الله ﷺ قدوة لغيره في الأخلاق الحسنة.

"إن الأخلاق تعتبر المجال الثاني من مجالات التربية بالقدوة في نطاق التربية الإسلامية، ولا يخفى أن كثيراً من القيم الأخلاقية تكتسب عن طريق القدوة والأسوة الصالحة، لأن السلوك الأخلاقي من أكثر القيم السلوكية تأثرًا بالمخالطة والصحبة. ومهما يكن من أمر فإن الأصل في التربية بالقدوة الصالحة في مجال الأخلاق التأسي بطريقته ﷺ في تربيته أصحابه الكرام رضي الله عنهم على قيم الدين الحنيف في مجال الأخلاق، فالمربي القدوة يتمثل أخلاق الرسول الكريم ﷺ ابتداءً ويترجمها إلى سلوك عملي أصيل بحيث يكون نابعًا من ذاته، ولا مكان للتكلف فيه، لأن الناشئ أو الشخص المستهدف بالتربية يدرك مدى صدق المربي، وقناعته بسلوكه" [(١)].

ولا شك أن التربية بالقدوة لها أثر فاعل في بناء الشخصية، ويرجع ذلك إلى "أن القدوة الحسنة تحتل مكانة مرموقة في المجتمع وتحظى بالاحترام والتقدير من غالب المجتمع، وهذا يكون حافزًا قويًا لمحاكاتها، وتقليدها في السلوك الحسن، ومن هنا: يكتسب الفرد شخصية متحلية بالفضائل، ونجد أن القدوة الحسنة ذات الفضائل الخلقية الرفيعة تكوِّن لدى الأفراد ممن حولها الاقتناع الكامل بأن الوصول إلى هذه الفضائل والتحلي بها ممكن وغير مستحيل، والإنسان مفطور على المحاكاة والتقليد، وهذا مما يسهل عليه اكتساب الفضائل والسلوك الإسلامي إذا جعل أمام عينيه قدوة حسنة يقتدى بها والمنهج الإسلامي اتخذ من القدوة الحسنة وسيلة من وسائله لترقية الإنسان في سلم الكمال السلوكي"[(٢)].

ثالثًا- مراعاة مشاعر الآخرين:

إن من القيم التربوية المهمة التي ينبغي أن ينشأ عليها المتربون مراعاة مشاعر الآخرين، وعدم إحراجهم، وفي أحاديث الباب ما يشير إلى ذلك، ففي حديث الصعب

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٧٩، ٨٠.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٢٠٣، ٢٠٤.

ابن جثامة رضي الله عنه قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا، فردّه عليّ، فلما رأى ما في وجهي قال: إنّما لم نرده عليك إلا أنا حُرُم"، ففي الحديث لما رأى النبي ﷺ في وجه الصعب التغير لعدم قبول هديته بيّن له النبي ﷺ السبب في ذلك وهو أنه مُحْرِمٌ، وفي هذا مراعاة لخاطره ومشاعره، "ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا على اختلاف خصائصهم وقدراتهم الفكرية والنفسية والجسدية الطبيعية، ولم يكن لفئة منهم دون فئة، اقتضت الواقعية في أسسه أن يراعى كل صنف من أصناف الناس بإعطائه ما يناسبه من بياناته التعليمية وأساليبه التربوية، وأن يراعى فروق الاستعدادات والقدرات والخصائص الفردية لدى محاسبة كل منهم؛ لذا سبق الجميع في اهتماماته بالجوانب النفسية للأفراد، وعدم إهمالها عند إرادة التربية أو التوجيه له، والرسول ﷺ كان يراعي الجوانب النفسية عند المسلمين ويحسب لذلك حسابًا، ويعامل كل فرد بما يناسب استعداده النفسي"[1].

إن الأخلاق هي المظهر الجمالي للإسلام وللإنسان، وقد حرص الإسلام على صبغ المسلمين بهذه الصبغة، ليكون المظهر الجمالي للمجتمع، ومع أن رسول الله ﷺ قد جمع من الفضل الشيء الكثير إلا أن القرآن قد أثنى على حسن خلقه بأسلوب الإجمال في قول الحق سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وبأسلوب التفصيل من خلال وصفه بالرأفة والرحمة ونفي الغلظة والفظاظة وتطبيقه للشورى وخفضه الجناح لأتباعه فضلاً عن صدقه وإخلاصه وأمانته وكل ما يمدح به إنسان.

ومما أظهره رسول الله ﷺ من حسن خلق عملي ما يلي:

أولاً: تعامله مع الأجراء برفق ولين ورحمة، وهذا الخلق غاب عن كثيرين في هذا الزمان، إن كثيرين يظنون أنهم مالكي هؤلاء الأجراء، ومنهم من يطلب من هؤلاء ما حرم شرعًا، ومنهم من يكلفه بما هو فوق الطاقة دون إعانة، ومنهم من يضرب وجهه ويسب دهره.. إلخ.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

إن رسول الله ﷺ لم يقل يومًا لخادمه قط "أف" وهي أقل كلمات التضجر ولم يعتب عليه شيئًا فعله ولم ينكر عليه شيئًا لم يفعله، إنها أقصى درجات ضبط النفس. ولا يعني هذا ترك الخطأ دون تنبيه، وترك الفساد دون عتاب، حتى لا يستمريء هؤلاء ما يتأتى، وأظن أننا لو وجدنا خادمًا مثل أنس فلن نجد مخدومًا مثل رسول الله ﷺ.

ثانيًا: مراعاة مشاعر الآخرين من باب حسن الخلق، فإذا أراد الإنسان الإعراض عن أمر من الأمور فعليه أن يبين السبب وبخاصة إذا كان في الإعراض إيلام نفسي للمعرض عنه، والبصير من يدرك الانفعالات على وجه الآخرين، ويتعامل معها حسب ما تبدي من أمر صاحبها.

إن جرح الشعور لا يقل عن جرح السهام، وإن جراح السهام تلتئم ولكن جرح المشاعر لا يندمل، إلا إذا أبان الإنسان عن علة التصرف حتى تفهم الأمور صوابًا.

ثالثًا: إن ضبط الانفعالات مطلوب شرعًا وبخاصة إذا كان رد الفعل غير حميد.

رابعًا: إن الكلمة الملقاة أمانة، واختيار اللفظة مسؤولية شرعية، وكل لفظة تخدش الحياء العام لا يتأتى النطق بها، وكم حذر رسول الله ﷺ من إساءة استخدام الكلمة وامتدح حسن الاختيار، كما ورد في الحديث الشريف: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ. لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا. فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا))[1].

خامسًا: سوء الخلق يضيع ثواب العمل، وفي الحديث الشريف: ((أتدرونَ مَنِ المُفْلِسُ»؟ قالوا: المُفْلِسُ فينا يا رسولَ اللَّهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لهُ ولا مَتَاعَ لهُ، فقال: «المُفْلِسُ مِن أُمتي يَأْتي يَوْمَ القيامةِ بصَلاتِهِ وصيامِهِ وزَكاتِهِ، فيأتي وقَدْ شَتَمَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيَقْعُدُ، فيُعْطَى هذا من حَسناتِهِ، وهذا من حسناتِهِ، فإن فَنِيَتْ حسناتُهُ قَبْلَ أنْ يُعْطِيَ ما عليهِ، أُخذَ من خطاياهُمْ، فَطُرِحَ عليهِ، ثُم طُرِحَ في النارِ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٨، ومسلم ٢٩٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

سادسًا: والخلق الحسن مردوده غير قاصر على صاحبه في الدنيا، بل له من الإيجابيات في الآخرة ما لا يحد، ومن هذه الإيجابيات ما يلي:

١) إنه من أثقل موازين الخير يوم القيامة.

٢) أنه أكثر ما يدخل الجنة بعد تقوى الله.

٣) يدرك به المسلم درجة الصائم القائم.

٤) ضمان بيت في أطراف الجنة لمن ترك المراء، ووسط الجنة لمن ترك الكذب، وأعلى الجنة لمن حسن خلقه.

٥) جوار رسول الله ﷺ في الجنة مضمون لمن حسن خلقه، وعلى النقيض من هذا من ساء خلقه وكثر كلامه بالثرثرة وتكلف الكلام فيما لا قبل له به ومن تكبر فهل بعد جوار الرسول ﷺ جوار؟ وهل بعد الجنة دار؟

رابعًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب حيث يولد في نفس المتربي الحماس على الإقدام على الأعمال الصالحة، والفضائل الخلقية، وفي أحاديث الباب ورد ما يدل على الترغيب في حسن الخلق من خلال قوله ﷺ: "ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق...". وقوله لما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق...، وقوله: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا..."، وقوله: "إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم"، وقوله: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محقًا... وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

وما من شك في أن هذه الأحاديث وغيرها ترغيب في حسن الخلق، وتحفيز للمؤمن أن ينال هذه البُشْريات والدرجات من خلال حسن الخلق.

"والترغيب تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة مؤكدة خيرة خالصة من الشوائب مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى، ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا وواقعيًا في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عنصر الترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما

يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلا لكي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان ودلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، ومن ثَمَّ كانت التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية، والتربية الترغيبية أسلوب رائع يساعد على نشر مكارم الأخلاق"[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ١٨٦، ١٨٧.

٧٤- باب الحلم والأناة والرفق

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٤-٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣].

الحديث رقم (٦٣٢)

٦٣٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: ((إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الأناة: التَّمهُّل والتَّرفُّق[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ للأشج عبد القيس ما قال يشير إلى أنه كان يبني في نفوس أصحابه حب الخير، والتخلق بمحاسن الأخلاق، ويرفع من أخلاق بعضهم الحسنة نموذجا يقتدون به في فضائل الخير لأنهم يرون أنه مثلهم لا يتميز عنهم كما يتميز

---

(١) برقم ١٧/٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٠.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧١.

النبي ﷺ بخصائصه مما يقوي الرغبة في تحصيل هذه الخصال الممدوحة من الرسول ﷺ، وقوله (إنَّ فيكَ خَصلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأنَاةُ) قدَّم الجار والمجرور فأفاد الاختصاص أي فيك خاصة، وقوله (خصلتين) أسلوب توشيع ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (خصلتين...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكَّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وقد صعَّد التشويق بجملة (يُحِبُّهُمَا اللهُ) لما لمحبة الله تعالى من قيمة في قلب كل مؤمن، وقوله (الحلم، والأناة) يفسر المثنى السابق، ويكشف عن قيمة هذين الخلقين، ويرغب في التخلق بهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حب الله للحِلْم والأناة.

ثالثاً: من آداب الداعية: مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة إذا أمن عليه من الغرور.

رابعاً: من أساليب الدعوة: المدح.

خامساً: من واجبات الداعية: تنمية جوانب الخير في نفوس المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين"، وأسلوب التوكيد من أبرز الأساليب الدعوية أثراً لما فيه من اقناع المخاطب وحمله على قبول الدعوة والاستجابة لها، ولا شك أن التأكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[1].

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حب الله للحلم والأناة:

جاء الحديث صريحاً بحب الله لصفتي الحلم والأناة، فقال ﷺ لأشج عبد القيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)، وذلك لما في الحلم من عقل، بل هو العقل ذاته، قال أبو العباس القرطبي: (والحلم هنا هو العقل، والأناة الرفق والتثبت في الأمور، وقد يقال الحلم على الأناة وقد ظهر من حديث أبي داود أن نبي الله ﷺ إنما قال ذلك للأشج لما ظهر له منه من رفقه وترك عجلته)[١] "فعن زراع وكان في وفد عبدالقيس" قال لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيته فلبس ثوبيه ثم أتى النبي ﷺ فقال له: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"[٢]، وقال النووي: (وفي الأناة من التثبت وترك العجلة وهاتان الصفتان إذا اجتمعتا في إنسان دلتا على صحة عقله ونظره للعواقب)[٣].

والحلم من صفات الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٤]، ومعناهُ: الصبور، وقيل: هو الذي لا يستخفه عصيان العصاة، ولا يستفزه الغضب عليهم، ولكنه جعل لكل شيء مقداراً فهو مُنته إليه [٥]، وقيل: حلم الله: هو تأخيره العقوبة عن المستحق لها، فيؤخر العقوبة عن بعض المستخفين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم، وقد يعجِّل العقوبة لبعضهم[٦]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[٧]، فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب لما فيه من سلامة العِرض وسلامة الجسد واجتلاب الحمد[٨].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٧٨/١.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥٣).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٥.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ٢١٠/١١/٦.

(٦) موسوعة الأسماء الحسنى، أحمد الشرباصي ١٨٢/١.

(٧) سورة النحل، آية: ٦١.

(٨) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٠٣.

ثالثاً- من آداب الداعية: مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة إذا أمن عليه من الغرور لإثارة التنافس في الخير:

إن من آداب وفقه الداعية استخدامه الحوافز للمدعوين، وذلك استثماراً لميولهم العاطفية والانفعالية والاجتماعية، ومن ذلك مدح المدعو بما فيه من الخصال الطيبة شريطة أمن الفتن والغرور[١]، ونجد في الحديث مدحه لأشج عبدالقيس والتنويه بخصاله فخاطبه بقوله: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة). قال أبو العباس القرطبي: (وفيه: جواز مدح الرجل مشافهة بما فيه إذا أمنت عليه الفتنة)[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: المدح:

لقد كان رسول الله ﷺ يُسر إذا لاحظ في بعض أصحابه خلقًا فاضلاً وسلوكًا حسنًا، ويثني به عليه ويشجعه على التمسك به لاستخراج عناصر الخير من النفوس وتدعيمها وتقويتها[٣]، ومن الأمثلة على ذلك ما نراه في الحديث من تنويه الرسول ﷺ بخصال الأشج والثناء عليها وبيان محبة الله لها فقال: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة)، وأسلوب المدح من الأساليب الدعوية الهادفة لما فيه من تحفيز المدعوين على الإقبال على الدعوة والاستمساك بها، وكان رسول الله ﷺ يمدح ويثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه[٤]، كما هو بيّنٌ في الحديث.

إن المدح والثناء من أبرز الأساليب لجذب المدعوين وإقبالهم عليه، وذلك من المعالم البارزة في دعوة الرسول ﷺ، ومن دلائل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: من أسعد الناس بشفاعتك؟ فقال ﷺ: ((لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ))[٥]، فلنتخيل موقف

---

(١) علم النفس الدعوي، د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي ص ١٠٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٧٩/١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٩٠.

(٤) المرجع السابق ١٠٩.

(٥) أخرجه البخاري ٩٩.

أبي هريرة ﷺ وهو يسمع هذا الثناء وهذه الشهادة من النبي ﷺ بحرصه على العلم، بل وتفوقه على الكثير من أقرانه، ولنتصور كيف يكون أثر هذا الشعور دافعاً لمزيد من الحرص والاجتهاد والعناية[١]، وحين سأل أُبيّ بن كعب أبا المنذر: أي آية في كتاب الله أعظم فقال أبي: آية الكرسي، فقال له ﷺ: ((وَاللهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ))[٢].

لقد كان رسول الله ﷺ يُسرُّ إذا لاحظ في بعض أصحابه ﷺ خلقاً فاضلاً وسلوكاً حسناً، ويثني به عليه ويشجعه على التمسك به لاستخراج عناصر الخير من النفوس وتدعيمها وتقويتها[٣].

خامساً- من واجبات الداعية: تنمية جوانب الخير في نفوس المدعوين:

إن الإنسان غالباً ما يكون مفطوراً على الخير، ولكن قد يحتاج في بعض الأحيان إلى من يلفت نظره وانتباهه إليه لينمّيه فيه، وذلك ما ينبغي على الداعية أن يضطلع به، وإن ذلك فيه من الإثارة القوية، وحث الهمة إلى الفضيلة[٤]، كما رأينا في الحديث كيف لفت النبي ﷺ نظر الأشج إلى ما فيه من خصال حميدة قائلاً له: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة).

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، حمد بن عبدالله الدويش ص ٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٨١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٣٩٠.

(٤) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ١٣٠.

الحديث رقم (٦٣٣)

٦٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ رفيقٌ، يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الرفق خلق كريم من شأنه أن يزلل العقبات بين الناس، ويمنع كثيرا من تبعات العنف المقابل له، والتي تؤدي إلى تعقيد الأمور، والقطيعة بين المسلمين، وقول الرسول ﷺ (إن الله رفيق) خبر مؤكد تعظيما لصرف الانتباه إلى فضله، وأريد به بيان لازمه، وهو الترغيب فيه عن طريق الإخبار به لحرص المؤمن على ما يرضي ربه، وعلى أن يتخلق بأخلاق الله، وقوله (يحب) يوحي بالرضا، والقبول، وبين (رفيق، ويرفق) جناس يؤكد المعنى الذي يدور حوله الحديث، وقوله (في الأمر كله) اللام في الأمر للجنس فتشمل كل شؤون الحياة التي يصادفها الإنسان، و (كله) توكيد لهذا الشمول يعمم الحكم حتى يصطبغ بحياة المؤمن، وتصبغ به، ويصير ثمة غالبة على جميع المؤمنين.

فقه الحديث

حكم الرفق:

حكم الرفق على وجه العموم الاستحباب، فهو مستحب في كل شيء، لأحاديث الباب، وقد يخرج عن الاستحباب كالرفق بالوالدين فإنه واجب، والرفق بالكفار الحربيين فإنه ممنوع لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[(٢)(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢٧ واللفظ له، ومسلم ٢١٦٥/١٠.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٩/١٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩١/٢٢-٢٩٢.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الرفق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التحلي بالرفق واستصحابه.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الرفق.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أثر الرفق على النفوس.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الأحاديث في قوله ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق" وقوله: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه"، والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد الكلام وإيقاعه في قلب المدعو موقع القبول والاستجابة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الرفق:

يظهر فضل الرفق واضحاً جلياً ببيان رسول الله ﷺ أنه من صفات الله تعالى ومحبته له فقال: "إن الله رفيق يحب الرفق"، والرفيق هو الكثير الرفق وهو اللّين والتسهيل وضده العنف والتشديد والتصعيب، وقد يجيء الرفق بمعنى الإرفاق، وهو: إعطاء ما يرتفق به، قال أبو زيد: يقال رفقت به وأرفقته بمعنى نفعته، وكلاهما صحيح في حق الله تعالى، إذ هو الميسر والمسهِّل لأسباب الخير والمنافع كلها، والمعطي لها، فلا تيسير إلا بتيسيره ولا منفعة إلا بإعطائه وتقديره، وقد يجيء الرفق أيضًا بمعنى: التمهل في الأمر والتأني فيه، يقال منه: رفقت الدابة أرفقها رفقًا: إذا شددت عضدها بحبل لتبطئ في مشيها وعلى هذا فيكون الرفيق في حق الله تعالى بمعنى الحليم فإنه لا يعجل بعقوبة العصاة، بل: يمهل ليتوب من سبقت له السعادة ويزداد إثمًا من سبقت له الشقاوة، وقوله: "إن الله رفيق يحب الرفق" أي يأمر به ويحض عليه، وحب الله للطاعة شرعه لها وترغيبه فيها، وحب الله لمن أحبه من عباده: إكرامه له[2].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٣٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٣٤، ٦٣٥).

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٧٦/٦، ٥٧٧.

وتتجلى أهميته وآثاره في أنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه[١]، فقال ﷺ: "إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ".

والرفق من الخلال الحميدة والصفات الرفيعة.

قال السعدي: (ومن أسمائه تعالى "الرفيق" في أفعاله وشرعه، ومن تأمل ما احتوى عليه شرعه من الرفق وشرع الأحكام شيئاً بعد شيء وجريانها على وجه السداد واليسر ومناسبة العباد وما في خلقه من الحكمة إذ خلق الخلق أطواراً ونقلهم من حالة إلى أخرى بحِكَم وأسرار لا تحيط بها العقول، وهو تعالى يحب من عباده أهل الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، والرفق من العبد لا ينافي الحزم، فيكون رفيقاً في أموره متأنياً، ومع ذلك لا يُفوِّت الفرص إذا سنحت ولا يهملها إذا عرضت)[٢].

وقد أمر الله الأنبياء بانتهاج الرفق واللين في دعوتهم بالمدعوين ومن الأمثلة على ذلك ما قاله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣].

وبين الحق سبحانه أن اللين والرفق سبب لتأليف القلوب وإقبال الناس على الدعوة، وذلك ما غلب على منهج رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التحلي بالرفق واستصحابه:

في بيان رسول الله ﷺ بأن الرفق من صفات الله ومحبة الله له وبيان الأثر الإيجابي للرفق وبيان الأثر السلبي لفقدانه حَثٌّ على التحلي بالرفق واستصحاب الإنسان

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩١٧/١.

(٢) توضيح الكافية الشافية ١٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

له في شئونه وأحواله جميعها، رفيقا في معاملة أهله وإخوانه وأصدقائه ومعاملة عامة الناس، ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة، والإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذة وانشراحاً بخلاف ما لو عاملهم بعنف وغلظة[١].

وقد جاءت الأحاديث النبوية حاثّة على الرفق وذلك في كل شيء، ففي ولاية الأمور أرشد الرسول ﷺ إلى الرفق ودعا الله بأن يرفق به كما رفق بمن ولى أمره، فعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت من رسول الله ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[٢]. ولا يقتصر ذلك على مواطن القيادة وزمام الأمور وإنما يمتد ليشمل كافة مناحي الحياة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مسير له فحدا الحادي فقال رسول الله ﷺ: ((ارْفقْ يا أَنجَشهُ -ويحك- بِالقَوَارِير))[٣].

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالرفق، فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤] فهذه الآية من ثلاث كلمات تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات، فقوله: "خذ العفو" دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين[٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٦] فكان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى في الامتثال، بالرفق في الأمور عامة والدعوة إلى الإسلام وعرضه على الناس، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: ((بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ .

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٧، وشرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩١٧/١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٠٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٤٤/٧/٤.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٥، ٢١٦.

إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[1]، قال النووي: (قوله: "فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه" فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ من الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه)[2].

فلو أن المسلمين تمسكوا بهذا الخلق الرفيع من الرفق في الدعوة وحسن النصح والإرشاد لعاشوا سعداء ولما كانت بينهم مشاحنات ولوصلوا إلى الغاية المنشودة من أقرب طريق.

وهكذا يكون أسلوب الدعوة وأسلوب النصح والتذكير خاصة مع الجاهل، فلله ما ألطف أخلاق الرسول ﷺ وما أروع تربيته وما أحوج المسلمين إلى مثل هذه التربية الحميدة الرشيدة التي تخرج العظماء والأبطال[3].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الرفق:

وردت الإشارة إلى الرفق كأسلوب في الدعوة ومنهج حياة في الأحاديث ببيان محبة الله وعطاء الله عليه فقال ﷺ "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على سواه"، والرفق من أعظم الأساليب الدعوية لما فيه من جذب لقلوب المدعوين، ورد الإنسانية إلى الدين الحق، فبالرفق تساس الطباع ويعرف مكمن الداء، ويعطي الدواء لتستقيم الأنفس على الخير وتقبل دعوة الله،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩.

(٣) انظر: من كنوز السنة، محمد علي الصابوني ص ١٣٧، ١٣٨.

ويزول ما في الصدور ما حلّ فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء[١].

وليكن لنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة الذي كان الرفق عنواناً لأفعاله وسلوكه كما هو وارد في أقواله، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ أعرابياً بال في المسجد، فثار إليه الناسُ ليَقَعوا به، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: دَعوهُ وأهريقوا على بولهِ ذَنوباً من ماء أو سَجْلاً من ماء - فإنما بُعِثتم مُيسِّرين ولم تُبعثوا مُعسرين»[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: أثر الرفق على النفوس:

جاء في الأحاديث التي معنا التصريح بعظيم الأجر وجزيل الثواب على الرفق، وأن الله يعطي عليه ما لا يعطى على غيره، فقال ﷺ: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على ما سواه" فاللين والرفق صورة من صور الرحمة يضعها الله في قلب العبد، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[٣]، والهين اللين يحظى بمحبة الله تعالى[٤]، كما صرح بذلك الحديث "إن الله رفيق يحب الرفق".

إضافة إلى ما في الرفق من حوز للخير وما في التجافي من الحرمان من الخير، روى عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من يحرم الرفق يحرم الخير))[٥]. فدلت النصوص على أن الرفق في الأمور والرفق بالناس واللين والتيسير من جواهر عقود الأخلاق الإسلامية وأنه من صفات الكمال، وأن الله تعالى من صفاته أنه رفيق وأنه يحب من عباده الرفق، فهو يوصيهم به ويرغبهم فيه ويعدهم عطاء لا يعطيه على شيء آخر، فالواجب على المسلم لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها، إذ أن الرفق

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علون ص ٦١ ص ٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٨

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) انظر: أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٤٦٤، ٤٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

يصلح النفوس ويؤثر فيها تأثيراً لطيفاً حسناً ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديه صلابة التحدي والعناد وعدم الاستجابة للمطلوب منها، فالرفق يؤلف قلوب الناس ويمتلك مودتهم ويطوعهم، أما العنف في معاملة الناس فإنه يورث العداوات والأحقاد ورغبات الانتقام متى سنحت الفرصة لتنفيذه[1].

---

(١) أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ٨٩، ٩٠.

الحديث رقم (٦٣٤)

٦٣٤- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يدور حول الترغيب في الرفق، وبيان فضله كما اتفق مع سابقه في الأسلوب، وقد زاد عليه في المعنى بزيادة في المبنى، وهي قوله (وَيُعْطِي عَلَى الرِّفق، مَا لاَ يُعْطِي عَلَى العُنْفِ) وفي العبارة فضل ترغيب لم يرد في الحديث السابق عن طريق التعبير بالعطاء في جانب الرفق، وسلب العطاء في جانب العنف، وهو طباق يؤكد المعنى، والفرق بين الرفق، وبين العنف ليوضح الفارق بين الخلقين تمام الوضوح، كما طابق بين يعطي، ولا يعطي، وهو طباق سلب يبين أن الرفق يفتح باب العطاء، وأن العنف يغلق باب العطاء، وهو أمر مشاهد في تعاملات الناس فيما بينهم، وحذف مفعول العطاء في الجملتين يفيد التوسع في الدلالة الإيحائية: في تخيل مفعول العطاء، وهو من الأبعاد النفسية التي تفيدها ظاهرة الإيجاز، ويتمثل في فتح باب التخيل، والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته، ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوحي به النص، وينسجم معه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٢٥٩٣/٧٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٣٥)

٦٣٥- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

زانه: حسّنه[٢].

شانه: عابه وقبحه[٣].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه مع اختلاف في بسيط في الألفاظ، والأسلوب حيث قام المعنى في هذا الحديث على أسلوب القصر مع المقابلة، فقد قصر معنى وجود الرفق على الزين، وقصر نزع الرفق عن الشيء على الشين وهذ الأسلوب يفيد توكيد المعنى لأن فيه توكيدا من طريق النفي ثم بالإثبات عن طريق الاستثناء، وفيه مقابلة بين يكون، وينزع، وبين زانه، وشانه، ليضع الرفق، وعاقبته، إزاء العنف، وعاقبته في صورة واحدة ليتضح بحسن الحسن قبح القبيح، ويتضح بقبح القبيح حسن الحسن ويترك الصورة في تمام الوضوح للمؤمن ليختار فعلا بعاقبته.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٢٥٩٤/٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ز ي ن).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ش ي ن).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٣٣، ٦٣٤).

الحديث رقم (٦٣٦)

٦٣٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: بَال أعْرَابيٌّ في المسجد، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَرِيقُوا[1] عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ليقعوا فيه: يقال: وقع فلان في فلان وقيعة ووقوعاً: سبّه واغتابه وعابه[3].

أراقهُ: صبَّه[4].

سَجْلاً: دلوًا ممتلئةً[5].

الذنوب: وهي أيضاً الدلو الممتلئةُ ماءً[6].

الشرح الأدبي

الحديث يتناولا تطبيقا عمليا لخلق الرفق يبين لهم كيفية تعاطيه لأن التطبيق العملي من أقوى أسباب تثبيت المعنى النظري، وقوله (بَال أعْرَابيٌّ في المسجد) يصور الحدث الذي أثار حفيظة الحاضرين لأنهم يرون للمسجد قدسية لا يجب أن تمس بفعل خارج عن الأدب منجس للموضع الواجب تطهيره وقد صوَّر الراوي رد فعلهم (فَقَامَ النَّاسُ

---

(١) لفظ البخاري برقم ٢٢٠ (هريقوا)، وفي ٦١٢٨ (أهريقوا). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذريُّ والمؤلفُ.

(٢) برقم ٢٢٠ والسياق للحميدي في جمعه ٢٤٠/٣، رقم ٢٥٠٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٥.

(٣) الوسيط في (و ق ع)، وينظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٢.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر و ق).

(٥) رياض الصالحين (٢٨٠).

(٦) المرجع السابق.

إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ) الفاء التي تفيد السرعة في القيام، والجمع الذي يوحي به لفظ (الناس) واللام التي تشير للعلة مع الفعل المبين لها (ليقعوا فيه) والعبارة كناية عن رغبتهم في عقابه، والتعبير بالوقوع مع الجار، والمجرور (فيه) يشير شدة تمكنهم منه، وقد جاء رد النبي ﷺ سريعا في الرفق سرعتهم في العقاب بقوله (دعوه) أمر بترك في وداعة يدل الرفق، تبعه بالتصرف اللائق بالرفيق المصحح للخطأ في يسر (وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ) ثم يتبع الأمر بالعلة المحققة للإقناع القلبي بعد الإقناع العقلي المنبعث من يقينهم بوجوب طاعة رسول الله ﷺ (فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ) وأسلوب القصر يتعاضد في العبارة مع أسلوب الطباق في التأكيد على معنى كونهم أمة التيسير، وليسوا أمة التعسير، ويدعوهم ضمنا إلى العمل بموجب هذا الأمر الذي يستلزم الرفق في كل الأمور.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-نجاسة بول الآدمي: أجمع الفقهاء على نجاسة بول الآدمي[١].

٢-دفع أعظم المفسدتين بارتكاب أيسرهما[٢]: قال النووي: (قال العلماء: كان قوله ﷺ "دعوه" لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، والثانية أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد)[٣].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٣٦، ومجمع الأنهر ١٤٨/١، والقوانين الفقهية ص ٣٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٧٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٢/٢.

(٢) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين السيوطي ١٦١/١، والمنثور في القواعد ٤٠٠/١، وغمز عيون البصائر ١١٩/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي مج١٩٤/٣/٢ ط/ دار عالم الكتب، وإحكام الأحكام لابن دقيق العيد، ٥٨، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٢/١.

هل يتعين الماء لإزالة النجاسة؟ ذهب الحنفية عدا زفر إلى أن الأرض إذا أصابها نجس، فجفت بالشمس أو الهواء أو غيرهما وذهب أثره طهرت وجازت الصلاة عليها، لقوله ﷺ: ((أَيُّمَا أَرْضٍ جَفَّتْ فَقَدْ ذَكَتْ))[1].

وذهب المالكية والحنابلة، والشافعية في الأصح عندهم، وزفر من الحنفية إلى أنها لا تطهر بغير الماء، لأمره ﷺ أن يصبّ على بول الأعرابي ذَنُوب ماء، ولو كفى ذلك لما حصل التكليف بطلب الماء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان حلم ورفق النبي ﷺ بالمدعوين.

ثانياً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان حلم ورفق النبي ﷺ بالمدعوين:

في هذا الحديث بيان لصورة من صور حلمه ﷺ ورفقه بأمته[3]، فلم يعنف النبي ﷺ ذلك الأعرابي الذي بال في المسجد بل رفق به وعلمه وأنكر على من أراد أن يقع به، كما هو واضح في الحديث "فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء، فإنما بعثتم ميسرين" وذلك من

---

(١) هذا الحديث ذكرته كتب الحنفية، لكن لم نعثر عليه في كتب الأحاديث، كما ذكروا الحديث بلفظ: "زكاة الأرض يبسها" قال ابن حجر في التلخيص الحبير ١/٣٧: احتج به الحنفية ولا أصل له في المرفوع، نعم ذكره ابن أبي شيبة ١/٥٧ موقوفاً على أبي جعفر محمد بن علي الباقر، ورواه عبدالرزاق [وابن أبي شيبة ١/٥٧] عن أبي قلابة من قوله.

(٢) الاختيار ١/٤٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/١٦، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٧٩.

(٣) انظر: أخلاق النبي وآدابه، الأصفهاني ص ٦١، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩١٢.

رحمته بالمؤمنين، وكما وصفه الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

فلقد كان الرفق ديدن دعوة الأنبياء السابقين، فقد دعا نوح عليه السلام قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً قبل أن يغرقهم الطوفان، استخدم معهم أنواعاً من الأساليب ليقبلوا على دعوته ويقبلوا منه، لكن المحصلة كانت قليلة، وكذلك عاش إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء على لأواء أقوامهم يدعونهم إلى الله برفق وعدم عجلة، حتى نص القرآن الكريم على وجه من توجيهات الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢]،[٣]. (فهذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، فكانت دعوة موسى وهارون عليهما السلام بكلام رقيق لين قريب سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٤])[٥].

فما أحرى بالدعاة أن يكون الرفق عنوان رسالتهم وديدن أخلاقهم، فبالرفق تُساس الطباع ويعرف مكامن الداء، ويعطي الدواء لتستقيم الأنفس على الخير وتقبل دعوة الله عزوجل ويزول من الصدور ما حلَّ فيها من عوارض البغض وأسباب الشحناء، ولاشك أن الدواء لهذا كله بلسمُ الرفق[٦].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٥٤.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٩٤/٥.

(٦) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٧٤.

ثانياً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

إن من أهم الآداب اللازمة للداعية التي ينبغي ألا تنفك عنه بأى حال من الأحوال تأسيه برسول الله ﷺ في شئونه كلها خاصة في عَرْض دعوته على المدعوين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، ومن الصفات التي يقتدى بها ما ورد في الحديث من رفق النبي ﷺ بالأعرابي، فلقد كان من خلق نبينا محمد ﷺ الذي اشتهر وعرف به: الرفق في دعوته للناس ومعرفة أحوالهم ومراعاة شؤونهم وعدم المشقة عليهم بأي وجه من الوجوه وتلمس العذر لهم[2]. فلكي ينجح الداعية في التعامل مع شتى الطبقات فلابد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله، وأن يتصف بلين الجانب وسهولة المعاشرة حتى يفتح لدعوته مغاليق القلوب، وينفذ بنصحه إلى أعماق النفوس[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير:

ورد ذلك في الحديث بلسان حال النبي ﷺ من الرفق والتيسير بالأعرابي وعدم نهره وبلسان مقاله، فقال ﷺ: فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" وإن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية، والنصوص التي استنبطت منها، فسوف يجد لا محالة أنه قد روعى فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية، وذلك مما يدل على أن مبدأ اليسر ودفع الحرج والمشقة أصل من أصول التشريع الإسلامي[4]، بل إنَّ الدين قوامه اليسر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) انظر: الأصول العلمية للأمر المعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٣٣٦.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٨٥.

(٤) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ٨.

(٥) صحيح البخاري، ٣٩.

قال ابن حجر: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغْلَب، قال ابن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل أو إخراج الفرض عن وقته -إلى أن قال- وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تَنَطّع[١]، وإنما الواجب السداد والمقاربة وذلك بين الإفراط والتفريط فلا غلو ولا تقصير[٢].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

ورد في الحديث التعليم كوسيلة من وسائل تبليغ الدعوة وذلك في تعليم النبي ﷺ لذلك الأعرابي لما بنيت من أجله المساجد، كما جاء في رواية ابن ماجه: ((إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بنى لذكر الله وللصلاة))[٣]، وذلك التعليم الذي ورد في الحديث الممزوج بالتيسير والرحمة، إشارة إلى أنه ينبغي على الداعية التيسير على المدعوين، والتعامل معهم بما يناسبهم، وذلك ما يدفع المدعوين إلى حرصهم ومتابعتهم وعنايتهم بالدعوة، ومن ثَمَّ إحداث الأثر الدعوى المناسب[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٧.

(٢) انظر: شرح مسلم، النووي، ٥١٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٥٢٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٤٢٨).

(٤) انظر: علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٩٩، ٣٠١.

الحديث رقم (٦٣٧)

٦٣٧- وعن أنس رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ولا تنفروا: لا تلقوا النّاسَ بما يحملهم على النفور من الغلظة والشدة[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يقوم على الأساليب الإنشائية بين الأمر، والنهي يدعمهما الطباق في تقرير المعنى فقوله (يسروا) أمر ندب، وإرشاد تبعه بنهي يعضده (وَلاَ تُعَسِّرُوا) تدعيما لخلق الرفق، وقوله (وبشروا) أمر بالبشارة التي تدخل السرور على الناس وتجعلهم يقبلون على ما يرضي الله، وقد دعمه بنهي عن ضده (وَلاَ تُنَفِّرُوا) قال الإمام النووي (جمع في هذه الألفاظ بين الشيء، وضده؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين فلو اقتصر على (يسروا) لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات فإذا قال (ولا تعسروا) انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في بشروا، ولا تنفروا وفي هذا الحديث الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف، وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٣٤/٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٣) شرح النووي علي صحيح مسلم حديث (١٧٣٤) بتصرف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التبشير وعدم التنفير.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: التيسير والتبشير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التيسير وعدم التعسير:

إن من أهم الأسس التي بنى عليها الإسلام التيسير، وقد جاءت النصوص متضافرة بالأمر بالتيسير والنهى عن التعسير، ومنها هذا الحديث الذي يقول فيه النبي ﷺ "يسروا ولا تعسروا"، قال القاضي عياض: (وفيه ما يجب الاقتداء به من التيسير في الأمور والرفق بالناس وتحبيب الإيمان إليهم وترك الشدة و التنفير لقلوبهم لا سيما فيمن كان قريب العهد به)[١]، وفي ذلك بيان لما أراده الله تعالى من التيسير، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٣]، وقد التزم النبي ﷺ بمبدأ التيسير ولم يفارقه، ودليل ذلك ما روى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه"[٤] وكان ينهى أصحابه عن التشدد، ويأمرهم بالأخذ بما هو أيسر وأسهل عليهم في الدين والدنيا[٥]. كما في الحديث "يسروا ولا تعسروا" وقد اتبع العلماء الحاذقون هذا الأسلوب في فتاويهم وعرضهم الدعوة على الناس كابن تيمية الذي كان يرى أن أمور التشريع تؤخذ بالاستطاعة، ويراعى فيها تحصيل المصالح وتعطيل المفاسد[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧/٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩.

(٥) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤، ١٥.

(٦) منهج شيخ الإسلام، ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني ٦٦٥/٢.

ثانياً- من أساليب الدعوة: التبشير وعدم التنفير:

ورد التصريح في الحديث باتباع أسلوب التبشير طريقاً ومنهاجاً فقال ﷺ: "وبشروا ولا تنفروا" لما في ذلك من تأليف القلوب، لذا ينبغي التبشير والتلطف مع المدعوين، ليكون أدعى إلى القبول، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج لأنَّ الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه انبساطاً، وكانت عاقبته غالباً الازدياد بخلاف ضده[١]، وكان التبشير أحد أساليب النبي ﷺ في الدعوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢].

فالتبشير يكسب الداعية حب المدعوين واستئناسهم به[٣]، وإقبالهم عليه، فالتبشير أمر محبوب إلى النفوس وهو ذات قيمة تأثيرية عظيمة، لذا ينبغي على الداعية أن يلج إلى قلوب المدعوين من خلال أسلوب التبشير بغية التأثير فيهم وتأليف قلوبهم وكسبها، فضلاً عن أن التبشير ينبغي أن تصبغ به أحوال المسلمين عامة، قال ابن عثيمين: (ينبغي للإنسان إدخال السرور على إخوانه المسلمين ما أمكن بالقول أو بالفعل ليحصل له بذلك خير كثير وراحة وطمأنينة قلب وانشراح صدر)[٤].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: التيسير والتبشير:

قَعَّد الحديث القاعدة التي ينبغي أن يتعامل بها الداعية مع الآخرين، والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية، وهى قاعدة التيسير والتبشير[٥]، فقال ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" لذا كان من أهداف الدعوة التبشير، والبعد عن كل ما يجلب المشقة حتى يقبل الناس على الدعوة وتتحقق استجابتهم لتوجيهات الإسلام.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١٩٧/١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٨١١/٣.

(٤) القول الحفيد على كتاب التوحيد، محمد بن عثيمين، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٥هـ، ٥٤/١.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٧٥.

فإن علاج الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير من الصفات التي تساعد الدعاة على تحقيق الأهداف الدعوية بين الناس، وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه الداعية.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة [١]، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢]، ويسر الله الأخذ بتعاليم الإسلام فجعلها مقدورة من جهة، ويتفاوت التكليف عند حدوث المشقة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما نَهَيْتُكُمْ عَنْه فَاجْتَنِبُوهُ، وَما أَمَرْتُكُمْ به فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ مسائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ))[٤]. وإن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية والنصوص التي استنبطت منها فسوف يجد لا محالة أن هذه الأحكام قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جلية في ابتدائها ودوامها[٥].

والأدلة على ذلك من التشريع الإسلامي كثيرة، فمثلاً أوجب الله الصلاة على المكلف في اليوم خمس مرات، وأوجب عليه أن يؤديها من قيام، وهذا تكليف يسير لا حرج فيه ومع ذلك فقد رخص أن يؤديها من قعود، أو كما يقدر إذا لم يستطع القيام، وكذلك الصيام فرضه الله شهراً في السنة فالمشقة فيه لا تصل إلى درجة العسر والحرج ومع هذا فقد أباح له الفطر في حالات تعظم فيها المشقة، فأباح الفطر للمسافر والمريض والحامل والمرضع، وقد حرم الله الميتة ولكن أباحها عند المخمصة، وشرع التيمم عند

---

(١) المرجع السابق ٧٥، ٧٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٢٨٨، ومسلم١٣٣٧.

(٥) انظر: الفقه الإسلامي أساس التشريع، محمد مصطفى شلبي ص ١٢٨.

فقد الماء، والقصر في الصلاة، وشرع الكفارات لتمحو آثار الذنوب، إلى غير ذلك مما يدل على أن مبدأ اليسر ودفع الحرج والمشقة في الأحكام الشرعية أصل من أصول التشريع الإسلامي سواء أكان الحكم منصوصاً عليه صراحة في الشريعة أم مستنبطاً بواسطة الفقهاء والمجتهدين[1].

(١) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ١٩٧/٢.

الحديث رقم (٦٣٨)

٦٣٨- وعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقولُ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الرفق ورد في أسلوب الخبر القصير الذي يصدر كلافتة قصيرة تعجل بالحكم وتعتمد الإجمال في تقرير المعنى المراد حيث قرر أن فقدان الرفق فقدان لكل خير، عن طريق الموصول (من) بمعنى الذي، وصلته (يحرم) الواقع على الرفق مع بناء الفعل (يحرم) لما لم يسم فاعله وبهذا التركيب فإن الحكم يصدق على كل من كانت هذه صفته بغض النظر عن زمانه، ومكانه، وجملة (يحرم الخير كله) تقرر أهمية الرفق، وفضله في التأثير على فتح أبواب الخير له لأن المفهوم ضمنا من العبارة أن من يعطى الرفق يعطى الخير كله، ولفظ كله في الحديث ينفي المبالغة، ويمنع الشك؛ لأنه يؤكد الشمول المفهوم من لام الجنس في كلمة الخير مما يوجب على العاقل مراجعة نفسه في تعامله مع خلق الله لأنه بذلك يفتح لنفسه باب الخير، أو يغلقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: خطورة الحرمان من الرفق.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على الأمور النافعة.

---

(١) برقم ٢٥٩٢/٧٤ بدون قوله: (كله). أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٤٧ وقال: ورواه مسلم وأبو داود مختصرًا: (من يحرم الرفق يحرم الخير)، وزاد أبو داود: (كلّه). وجمع المؤلف بين اللفظين من دون ان يشير إلى ذلك.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب في الحديث، حيث رهَّب النبي ﷺ من مجانبة اللين والرفق والميل إلى العنف مبيناً أن ذلك سببًا للحرمان من الخير فقال ﷺ: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، وأسلوب الترهيب من أشد أساليب الدعوة تأثيراً في جذب الناس حول الحق خوفاً من العقاب وخوفاً من فقدان الخير والسلامة والأمن[١].

إن الحرمان من الخير من أشد أساليب الترهيب، فإن بيان النتائج على الأعمال من نعيم وعذاب تحدث في النفس التطلع إلى فعل الخير والاتصال بالفضيلة، ومجانبة الذنوب والمعاصي ولزوم التوبة والإنابة إلى الله عز وجل[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: خطورة الحرمان من الرفق:

إن خطورة الحرمان من الرفق والتجافي عنه تكمن في حرمان الإنسان من الخير كما صرح بذلك رسول الله ﷺ فقال: ((من يحرم الرفق يحرم الخير كله))، أي يفض به ذلك إلى أن يُحرم خيرَ الدنيا والآخرة[٣]. وقال النووي: (وفي هذا فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير)[٤]، والعنف سبب للحرمان من كل خير، ثم إن صورة الإنسان الشديد الغليظ العنيف، صورة مشينة معيبة تنفر منها الطباع البشرية، بينما صورة السهل الرفيق اللين اللطيف، صورة تزين صاحبها، وترتاح إليها النفوس، وتأنس إليها القلوب[٥]، وهذه المعاني وغيرها ضَمَّنها النبي ﷺ في قوله: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[٦].

لذا جاءت النصوص الكثيرة في ذم العنف والنهي عنه، ومن ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها أن يهوداً أتوا النبي ﷺ فقالوا: "السام عليكم" فقالت عائشة رضي الله عنها:

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٣١.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبدالله دراز ص ٣٨٨.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٥٧٨/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٥٤٧.

(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٤٦٥

(٦) أخرجه مسلم، ٢٥٩٤.

"عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم"، قال: ((مهلاً ياعائشة، عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال: أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم فيَّ))[١]. إضافة إلى ما ينم عن العنف من سوء الخلق، فترى صاحبه فظاً غليظاً لا يتراخى ولا يتألف ولا يلذّ إلا المهاترة والأقذاع، ولا يتكلم إلا بالعبارات النابية التي تحمل في طياتها الخشونة والشدة والغلظة والقسوة، وذلك كله مدعاة للفرقة والعداوة ونزغ الشيطان وعدم قبول الحق.

فهذا النبي ﷺ مع انه مرسل من الله ومؤيد بالوحي، ومع أنه جاء بالهدى ودين الحق، قال ربه عز وجل في حقه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، [٣]. قال البغوي: (قوله تعالى: "فبما رحمة من الله" أي فبرحمة من الله، و"ما" صلة وقوله: "لنت لهم" أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك "ولو كنت فظًا" يعني جافيًا سيء الخلق قليل الاحتمال "غليظ القلب" قال الكلبي: فظا في القول غليظ القلب في الفعل "لانفضوا من حولك" أي لنفروا وتفرقوا عنك ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم)[٤].

إن الإنسان الكَيِّس الفطن يحرص على معرفة أبواب الخير والولوج إليها، ويبتعد عن أسباب الحرمان من الخير، وفي هذا الحديث بيان لمغلاق من مغاليق الخير ألا وهو العنف، والحرمان من الرفق، فقال ﷺ: "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، فالواجب الحرص على ملازمة خلق الرفق لأن به انتظام خير الدارين واتساق أمرهما وفي العنف ضد ذلك، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سوء الخلق، مظاهره، أسبابه، علاجه، محمد إبراهيم الحمد ص ١٤.

(٤) انظر: معالم التنزيل ٢/٤/١٢٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

قال ابن عثيمين عن أثر الرفق في الواقع والحياة العملية: (وهذا الشيء مجرب ومشاهد، إن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة، فإنه يحرم الخير ولا يناله، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر، حصل على خير كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رفيقاً حتى ينال الخير)[1].

(١) شرح رياض الصالحين ١/٩٢٤.

الحديث رقم (٦٣٩)

٦٣٩- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ: أوْصِني. قَالَ: ((لاَ تَغْضَبْ))، فَرَدَّدَ مِرَاراً، قَالَ: ((لاَ تَغْضَبْ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ بفراسته، وبنور الله في قلبه يدرك بواطن المخاطبين، وطبائعهم تتكشف له في حوراهم فيجيب كل سائل بما يصلح حاله، ويناسب طبيعته، والحديث يروي قصة هذا السائل الذي جاء يطلب وصية رسول الله ﷺ بقوله (أوصني) وهو أمر قصد به طلب الاسترشاد والنصيحة، وقول الرسول ﷺ (لا تغضب) نهي عن الاسترسال مع الغضب بأن يسيطر على نفسه ويكبح جماحها حتى لا تنساق مع الغضب إلى الانتقام، وقوله (فردد مرارا) كأنه يريد شيئا آخر غير هذه الوصية، فكرر له الرسول ﷺ نفس النهي (لا تغضب) ولعله كان عيبه الذي يمكن أن يهلكه في الدنيا بالتسبب له في عقوبة مهلكة، أو يهلكه في الآخرة بأن يتسبب في ضياع حسناته إذا ما حمله الغضب على أذى الناس فالغضب جمرة تشتعل في قلب الغضبان فتعمي بصره بغشاوة الانتقام ويسيطر عليه الشيطان، وعلاجها أن يترك الاسترسال مع الغضب، ويسيطر على نفسه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٦١١٦، أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٤٦. وتقدم برقم ٤٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٨).

الحديث رقم (٦٤٠)

٦٤٠- وعن أبي يعلى شَدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإذَا قَتَلْتُم فَأحْسِنُوا القِتْلَة، وَإذَا ذَبَحْتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ[1]، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٦).

غريب الألفاظ:

القِتْلة: هيئة القتل وحالته[3].

الذبحة: هيئة الذبح[4].

وَلْيُحِدَّ: ليشحذ، وذلك لتكون أقطع وأمضى إذا حَدَّ سنها[5].

شفرته: سكينه التي سيذبح بها[6].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ رحمة للعالمين تخطت رحمته حدود البشر إلى الحيوان بل إلى الجماد، وقصة حنين الجزع دليل على ذلك، وهذا الحديث يعرض صورة من صور هذه الرحمة في الرفق بالحيوان، وقوله (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...) مقدمة عامة شملت الحكم المراد تقريره، وتوكيد الخبر لتفخيمه والتعبير بالكتابة يفيد تأكيد الثبوت أيْ أَوْجَبَ عَلَيْكُمْ الإِحْسَان فِي كُلّ شَيْء فَكَلِمَة عَلَى بِمَعْنَى فِي وَمُتَعَلّق الْكِتَابَة

---

(١) لفظ مسلم: (الذبح).

(٢) برقم ١٩٥٥/٥٧. أورده المنذري في ترغيبه ١٦٣٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٢، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٤٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٥.

(٥) الوسيط في (ح د د).

(٦) الوسيط في (ش ف ر).

مَحْذُوف، ولفظ الشمول (كل) وإضافته إلى النكرة (شيء) أفاد عموماً يجعل الإحسان مبدأ عاما يحكم كل تصرفات المسلم، وقوله (فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ) أسلوبي شرط يربطان القتل، والذبح بالإحسان وهما من ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً إليها لغفلة الناس عنها؛ لأنها أفعال لا يعتبرها الإنسان موطن رحمة، وهي من أهم المواطن التي تحتاج إلى رحمة لشدة ما يلاقيه المشرف على الموت من الألم، وقد لفت الرسول ﷺ برحمته المسلمين إلى هذه المواطن رفقا بالمذبوح، أو المقتول، ولأن قتل الإنسان يكون في أوقات، وظروف محددة كالحروب، والحدود، وغيرها، وقتل الحيوان، والطير للأكل كثير مستمر نبه إليه الرسول ﷺ بالأمر بحد الشفرة، وإراحة الذبيحة في قوله: (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِح ذَبِيحَتَهُ) رحمة، وإحسانا بها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

آداب الذبح: يستحب في الذبح أمور:

أ-إحسان الذبح: وهو بالإجماع، ويتحقق ذلك بإحداد السكين، ونحوه، وسرعة القطع، وأن يوجِّه الذبيحة للقبلة، وأن يسمي عليها، ويكبر.

ومن إحسان الذبح أن يحد السكين، قبل أن يضجع الذبيحة، ويكره له في قول الجمهور أن يحدها بين يدي الذبيحة، أو يذبح واحدة أمام أخرى، أو يجرها إلى مذبحها.

ب-إضجاع الذبيحة: وهو بالإجماع، لأنه أرفق بها، ويكون الإضجاع على الجانب الأيسر، لأنه أيسر للذابح في أخذ السكين باليمنى، وإمساك رأس الذبيحة باليسرى، ولا يتعين ذلك، بل كيفما تيسر له فعل[1].

---

(١) مراتب الإجماع ١٧٨، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، وحاشية الصاوي ١٢٥/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٠/٩ وما بعدها، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٣٩٠/١١، ٣٩٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان وفضله.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: مظاهر الإحسان.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة المؤثرة لما فيه من إقناع المدعو بما يلقي إليه وإقراراه به ووقعه في قلبه موقع القبول. فإن تأكيد الكلام يعطيه قوة في نفس السامع، وقد استخدم القرآن التوكيد في تقرير كثير من القضايا والأحكام، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنياً في الحديث بإحسان القتل والذبح، فقال ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" ولا يجازي الله على الإحسان إلا إحسانا". قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[2]. وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[3].

والترغيب من أبرز أساليب الدعوة شيوعاً في القرآن والسنة قال الزرقاني: (الترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير وأن يحميها من كل شر، سواء ما كان فيهما من عاجل وما كان من آجل، وشواهد الترغيب والترهيب كثيرة في الكتاب والسنة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠

فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضرورة الترغيب والترهيب وفنون الوعد والوعيد وأساليب التبشير والإنذار على وجوه مختلفة)[١]، ومن نماذج ترغيبات القرآن ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان وفضله:

إن مما يزيد من أهمية الإحسان ويرفع من شأنه أنه ليس من قبيل المباحات أو المندوبات، وإنما هو أمر واجب كما في الحديث "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" قال ابن رجب الحنبلي: فهذا الحديث في وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال[٣]، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[٥]، والإحسان يدخل في جميع الأقوال والأفعال ومع سائر الأصناف إلا ما حرم الإحسان بحكم الشرع، وإلى حقيقة الإحسان ترجع أصول وفروع الآداب والأخلاق[٦].

ولأهمية الإحسان أمر الله به بني آدم، فعندما نشر الله أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات ولم يستريحوا إلى نقص

---

(١) مناهل العرفان، ٣٠٨/١، ٣٠٩.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٥-١٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٣٨١/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٥٥/١٤/٦، ٢٥٦.

أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع كما جاء في الحديث: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"، وذلك يقتضي من المسلم إتقان العمل المنوط به، إتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله وبهذا الإتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات[١]، فالإحسان يثمر الرقي لأنه يعني التفضل والعطاء دون مقابل من الجزاء أو الشكر، ويؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون[٢]؛ فإن المؤمن إذا أراد أن يكون من أهل الإحسان فعليه أن يشعر قلبه أن عين الله ترقبه في كل زمان ومكان، وأنه لا يخفى على الله منه خافية، فإذا أشعر المؤمن نفسه بمراقبة الله له، فإنه ولا شك سيراقب الله بقلبه وفكره في جميع الأعمال التي يقوم بها، والأحوال التي يكون عليها، وبذلك يجني ثمار الإحسان[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: مظاهر الإحسان:

إن مظاهر الإحسان متعددة متنوعة كالإحسان إلى الوالدين والأرحام، والإحسان في الإتيان بالمأمورات على وجه كمال واجباتها، والإحسان في ترك المحرمات والصبر على المقدورات، وغير ذلك ومنها ما ورد في الحديث "فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" والإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب: إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأوحاها من غير زيادة في التعذيب[٤]. وذلك مثال للإحسان، فإنه ما من شعبة من شعب الإيمان ولا ركن من أركان الإسلام إلا وقد قرن به إحسان لائق به بدليل عموم قوله ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"[٥].

والإحسان إلى المخلوقات حتى فيما جاء في الحديث من صور الإحسان بإحسان الذبح يأتي تبعاً لحال التعامل مع الله تعالى، فمن كان لله أقرب كان من ظلم هذه

---

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي ص ١٩٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٤٤.

(٣) انظر: المختار من كنوز السنة، شرح أربعين حديثًا، د. محمد عدالله دراز ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٣٨١/١، ٣٨٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩١٥.

المخلوقات أبعد، ومن كان متأدباً مع الله تعالى كان لنفسه مؤدباً تجاه مخلوقات الله، والإحسان إلى المخلوقات يعتمد على أصول منها:

أ- الالتزام نحوها بما شرعه الله من الأدب تجاهها وعدم ظلمها.

ب- استثمارها والانتفاع بها وفق ما أباحه الله له وشرعه، والبعد عن التعدي في ذلك او التقصير فيه.

ج- التعرف على ما شرعه الله له في التعامل معها بحسب ما تدعو إليه حاجة التعامل نحوها.

د- استشعار الإنسان بكونها مخلوقة لله تعالى، عابدة له، قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]، [2].

هـ - تقدير كل ذي روح ورعايته حقه من مطعم ومشرب إن كان محبوسًا له، يقوم بذلك بنفسه أو غيره، مع مراعاة عدم التعذيب ل، وذلك كالحبس للمصارعة بين الحيوان والطيور وما شاكل ذلك.

و - الإحسان إلى الأرض التي يقيم عليها الإنسان وذلك بإماطة الأذى ودفع الروى وتيسير السبل ورعاية حق الطريق.. إلخ.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٢) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٩١، ٩٢.

الحديث رقم (٦٤١)

٦٤١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إثماً، فَإنْ كَانَ إثماً، كَانَ أبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ في شَيْءٍ قَطُّ، إلاَّ أن تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ الله، فَيَنْتَقِمَ[1] للهِ تَعَالَى. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

تنتهك حرمة الله: تُخرق وتؤتى[3].

الشرح الأدبي

يقرر الحديث تطبيق الرسول ﷺ مبدأ اليسر في كل الأمور المباحة تطبيقا عمليا أشارت إليه أم المؤمنين رضي الله عنها بقوله (مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلاَّ أَخَذَ أيْسَرَهُمَا) وهو أسلوب قصر لمعنى التخيير على اختيار الأيسر، والتعبير بالأخذ أقوى في الدلالة على الاختيار ووقوع الأخذ على أفعل التفضيل يشير إلى التطبيق العملي لمبدأ اليسر، وقوله (مَا لَمْ يَكُنْ إثماً) احتراس يخرج المحرم من فعله ﷺ، وأسلوب الشرط يقرر أنه أبعد الناس عن الإثم، والجناس بين (انتقم.. فينتقم) يؤكد معنى كونه لا ينتقم إلا عندما تنتهك حرمة من حرمات الله وبذلك يكون انتقام النبي ﷺ لله تعالى وينفي انتقامه لنفسه لأن الفعل الأول منفي وهو انتقامه لنفسه، والثاني مثبت يؤكد سمو الرسول ﷺ، وتعاليه على حظوظ النفس، وملاحظتها عند إتيان كل عمل قلبي أو بدني، كما يقرر وقوفه على أمر الله - عز وجل -.

---

(١) عند البخاري زيادة: (بها).

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣٢٧/٧٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن هـ ك)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩١٦.

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١-استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حرامًا أو مكروهًا[١]:

وقال ابن حجر: (وفي الحديث الحث على ترك الأخذ بالشيء العُسْر، والاقتناع باليسر، وترك الإلحاح فيما لا يضطر إليه، ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص ما لم يظهر الخطأ)[٢].

٢-أنه يستحبّ للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بالعفو والحلم واحتمال الأذى فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى[٣]. قال القاضي عياض: (وقد أجمع العلماء على أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لا يجوز شهادته له)[٤].

وقال ابن حجر: (وفيه ترك الحكم للنفس وإن كان الحاكم متمكنًا من ذلك بحيث يؤمن الحيف على المحكوم عليه، لكن لحسم المادة)[٥].

٣-الندب إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحلّ ذلك ما لم يفض إلى ما هو أشد منه[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات النبي ﷺ: اليسر والحلم والعفو.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام.

ثالثاً: من صفات الداعية: التيسير على المدعوين.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الغضب عند انتهاك محارم الله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٨/١٥/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٨/١٥/٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٤/٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٦/٦.

(٦) المرجع السابق ٥٧٦/٦.

أولاً- من صفات النبي ﷺ: اليسر والحلم والعفو:

لقد منح الله سبحانه نبينا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده، وجمع له محاسن الصفات وأحاسن الآداب[1]، ومنها اليسر والحلم والعفو كما أخبرتنا بذلك السيدة عاشة رضي الله عنها، فوصفت ميوله لليسر ومجانبته للعنف والمشقة قائلة: "ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه"، وعن حلمه وعفوه قالت: "وما انتقمَ رسولُ الله ﷺ لنفسِهِ في شيء قطُّ، إلا أن تُنتَهَكَ حُرمة الله، فيَنتقمُ لله تعالى». فقد اشتهر النبي ﷺ بالسماحة والعفو عند المقدرة على إنزال العقاب، فلقد طرح حظوظ الذات، وأعرض عن مطالب الأنا، فليس له غرض في التشفي أو الانتقام لحقوقه، فلقد تحلى ﷺ بأخلاق القرآن المحضة فلم ينطق أو يتصرف في الرضا والغضب والسخط إلا حقاً وخيراً ومن هنا جاء تنازله ﷺ عن حقوقه الشخصية عجيباً مدهشاً، وإغضاؤه عن إساءة الآخرين فوق تحمل البشر العاديين وطاقتهم، مما لا يقدر عليه إلا إنسان مؤيد بمدد إلهي عظيم[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: يسر الإسلام:

إن الإسلام هو دين اليسر، فمع وفائه بكل مقومات الحياة، فهو تشريع سهل سمح ليس فيه ما يشق على الناس فهمه أو يصعب عليهم العمل به، وهو تشريع مرن يتسع لكل ما فيه مصلحة وعدل، فحيثما توجد المصالح فثم شرع الله[3]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[4]. ولقد أعطانا النبي ﷺ أنموذجاً تطبيقياً ليسر الإسلام وسماحته. وكما قالت عائشة رضي الله عنها في الحديث: "ما خُيِّرَ رسولُ

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٢) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ١١٣.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٧٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناس منه".

قال ابن حجر: وفيه الحث على ترك الشيء لعسر، والاقتناع باليسر[١]، ما لم يؤد ذلك إلى الوقوع في الإثم.

وبهذا يتبين أن اليسر من أهم وأبرز ما يتميز به الإسلام "فلقد جمع الله عز وجل، شريعة الإسلام بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل[٢]، فإن الله سبحانه لم يكلف النفس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى غاية الطاقة والمجهود[٣]، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤]، وقال قتادة: قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥]، فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم[٦].

ثالثاً- من صفات الداعية: التيسير على المدعوين:

إن الداعية في دعوته متأسٍ برسول الله ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٧] ومما يجب التأسي به التيسير على المدعوين الذي ندب إليه القرآن: ﴿يُرِيد ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٨] وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٦/٦.

(٢) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ١٥٨/١.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ٢٠٤/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٥٦/١.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

حَرَجٍ﴾[١] فلا يجشمهم صعباً ولا يكلفهم عسراً يتأذون به، أو تتململ منه نفوسهم، فإذا صلى بهم إماماً لا يطيل في صلاته بل يخفف كتخفيف رسول الله ﷺ فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة، وإذا أراد نهيهم عن قبيح، وإقلاعهم عن باطل سلك بهم في الزجر سبيلاً سهلاً خالياً من الغلظة في القول، والقسوة في الموعظة[٢]، وليكن التيسير شأنه والتبشير ديدنه.

فإن التيسير من الصفات التي تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس، فالقاعدة النبوية في التعامل تبدو واضحة جلية في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))[٣].

إن سماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هى التي تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطى مساحة حياة الداعية كلها، وأن يكون ملازماً في كل شأن من شئون دعوته، وفي حياته اليومية وفي حياته العامة[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الغضب عند انتهاك محارم الله:

إن من كمال الإيمان الغضب عند انتهاك محارم الله، كما هو حال النبي ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى"، وفي ذلك ما كان عليه الصلاة والسلام من الحلم والصبر والقيام بالحق والصلابة في الدين، ونضرب مثالين أحدهما في بيان حلمه وعفوه والآخر في غضبه لمحارم الله تبارك وتعالى، فأما عن حلمه وعفوه، فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنتُ أمشي مع رسولِ الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ فجبَذَه بردائهِ جَبذَةً شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عاتقِ

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٢، ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

(٤) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٧٥، ٧٦.

النبيِّ ﷺ وقد أثرَت فيها حاشيةُ البرد من شدَّة جَبْذته، ثم قال: يامحمد، مُرْ لي من مالِ الله الذي عندَك. فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمرَ له بعطاء))[١].

وأما عن غضبه لمحارم الله إذا ما انتهكت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أنَّ قريشاً أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزوميةِ التي سَرقَت، فقالوا: ومَن يكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومَن يَجترىء عليه إلا أسامةُ بنُ زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلمهُ أسامةُ، فقال رسول الله ﷺ: أتَشفَعُ في حدٍ من حُدودِ الله؟ ثم قام فاختطَبَ ثم قال: إنما أهلكَ الذين قبلَكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهمُ الشريفُ تَركوه، وإذا سرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليهِ الحدَّ. وأيمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدَها))[٢].

فإن الغضب لانتهاك حرمات الله غضب محمود، وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام في مواضع عديدة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾[٤].

وبهذا يكون المسلم سمحًا سهلاً لينًا هاديًا مهديًا لا يثور ولا يغضب إلا إذا رأى حقًا يُضاع أو ظلمًا يقع فيغضب لله دون سواه، وأولى الناس بهذا هم الدعاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٤٩، ومسلم ١٠٥٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٤.

(٤) سورة طه، آية: ٨٦.

الحديث رقم (٦٤٢)

٦٤٢- وعن ابن مسعود ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**الا اخبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ (لَيِّنٍ)** [1]، **سَهْلٍ**)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

قوله (ألا أخبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّار؟) استفهام عرض، وتشويق، وترهيب، يفهم العرض من دلالة الأداة (ألا) التي تفيد العرض، والتنبيه، ويفهم التشويق من عرض الخبر الصادر من رسول يوحى إليه مع تعميم الخطاب المفهوم من اتصال الفعل بكاف الخطاب، وميم الجمع، ويفهم الترهيب من ذكر لفظ النار، وهو من الألفاظ التي وضعت علما للألم، والعذاب، والهول، وقوله (بمن يَحْرُمُ عَلَى النَّار) من اسم موصول بمعنى الذي، والفعل (يحرم) منسوب إليه أي هو لا يقرب منها، وفي قوله (تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار) أي النار لا تقربه، ويفهم من حرمته على النار أو حرمة النار عليه ضمنا أنه من أهل الجنة، وقوله (تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ) إعادة الفعل لتوكيده، لأنه مدار الفلاح قال تعالى: (... فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران١٨٥)، والصفات المذكورة صفات تجاوب، وتفاعل مع الناس في المعاملات، والعادات، وقضاء حوائج الناس، والصفح، والعفو، وغيرها، وهو ترغيب للمسلمين في لين الجانب وحسن المعاملة، وصفاء القلب.

---

(١) (ليّن) لا توجد عند الترمذي، وهذه الزيادة عند أحمد في المسند ٣٩٣٨، وابن حبان، الإحسان ٤٦٩.

تنبيه: المؤلفُ تبع فيه المنذريَّ في ترغيبه ٣٩٥٨، حيث أورده بهذه الزيادة.

(٢) برقم ٢٤٨٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٦٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل التعامل الحسن مع الناس.

رابعاً: من آداب المدعو: التحلي بالحلم والخلق الحسن.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث في قوله ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من نقل الحقائق للمدعوين وحملهم على الاستجابة لما فيها.

فإن الإخبار عن أحوال الناس يوم القيامة ومصائر المكلفين وتباينها، والإيمان بذلك على الوجه الصحيح يفضي إلى سلامة النفس ورشد التصور واستقامة السلوك ورقي الحياة، وهو ضمان ليقظة القلب وعلو الهمة واستعلاء النفس [(١)]، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [(٢)].

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في التجمل بمكارم الأخلاق وسامي الآداب بالتحريم على النار فقال ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب هين لين سهل"، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخداماً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه [(٣)].

---

(١) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. محمد ساداتي الشنقيطي ص ٣٠٨.

(٢) سورة الروم، الآيات: ١٤-١٦.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

والترغيب يتخذ صورًا متعددة، منها الترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل، فمما لا شك فيه أن لكل أجير أجره، ولكل عامل أجر على عمله، ورب العزة والجلال أعطى عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم، واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه سبحانه وتعالى، وهذا في الدنيا حيث السعادة والاطمئنان النفسي وراحة النفس واستقرارها[١]، وفي الآخرة حيث الجنة وكريم الأجر وحسن الثواب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل التعامل الحسن مع الناس:

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بوجوب الإحسان مع كل شيء فقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ))[٣]. ومنه الإحسان في معاملة الخلق ومعاشرتهم[٤]، وقد بين النبي ﷺ في الحديث ألواناً من إحسان المعاملة مع الناس والصفات الواجب التحلي بها فقال: "كل قريب هين لين سهل" أى كل قريب إلى الناس سهل طلق حليم لين الجانب سهل الخلق كريم الشمائل[٥] وحسن الخلق والتعامل مع الناس دلالة على كون صاحبه كريما محموداً[٦] وسبب لجلب محبة الله تعالى للإنسان، كما قال رسول الله ﷺ لأشج عبدالقيس: ((إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[٧].

وقد أمر الله عز وجل بحسن المعاملة وسعة دائرة الإحسان لتضم المجتمع الذي

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) أخرجه مسلم، ١٩٥٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٣٨٢/١.

(٥) تحفة الأحوزي، المباركفوري، ١٩٣٥/٢.

(٦) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٥٥.

(٧) أخرجه مسلم، ١٧، ١٨.

يعيش فيه الإنسان[١]، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[٢]. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه المتواضع لعباد الله المنقاد لأمر الله وشرعه الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل.

ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه غير منقاد لأوامر ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله[٣].

رابعاً- من آداب المدعو: التحلي بالحلم والخلق الحسن:

إن التحلي بمكارم الأخلاق والتجمل بأحاسن الآداب علاج للمفاسد[٤] ودعامة المجتمع الصحي الآمن، لذا كان التخلق بها من الواجب على الداعية والمدعو على حد سواء، وكما ذكر الرسول ﷺ في الحديث جانباً من صفات الشخصية الإسلامية السوية ومن تحرم عليه النار، فقال: "كل قريب هين لين سهل"، وفي ذلك بيان لفضل لين الجانب، وسهولة الأخلاق، وقرب المأخذ، والتواضع[٥] فالمؤمن ليس بجاف ولا فظ ولا غليظ[٦]، وقد وصف الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٧]، وعباده المؤمنين بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية، ماجد الكيلاني ص ١٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٢.

(٤) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري ص ٦.

(٥) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا ص ٣١٧.

(٦) أخلاق العلماء، الآجري، تحقيق: أمنية عمر الخراط ص ٥٨.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[١]، فتلك الصفات تَحَلٍّ بالكمالات الدينية وفعل الخيرات[٢].

ولقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أعظم المثل في حسن الخلق والمعاملة الحسنة فلقد كان ﷺ مطبوعاً على الحلم والعفو مع القدرة على الانتقام أو المحاسبة، متمثلاً أوامر ربه ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣]، وحلمه ﷺ أوسع من أن يحاط بجوانبه، ولولا هذا الحلم بعد توفيق الله تعالى له ما استطاع أن يسوس شعباً كالعرب، يأنف أن يطاع أو ينصاع[٤]، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

لقد جاءت النصوص الإسلامية توجه الاهتمام العظيم والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتَذْكر الخلق الحسن بتمجيد كبير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا))[٦].

فربط رسول الله ﷺ الارتقاء في مراتب الكمال الإيماني بالارتقاء في درجات حسن الخلق، وذلك لأن السلوك الأخلاقي النابع من المنابع الأساسية للخلق النفسي في الإنسان موصول هو والإيمان وظواهره وآثاره في السلوك ببواعث نفسية واحدة.

فصدق العبادة لله تعالى عمل أخلاقي كريم لأنه وفاء بحق الله على عبيده.

وحسن المعاملة مع الناس وفاء بحقوق الناس المادية والأدبية، فهي بهذا الاعتبار من الأعمال الاخلاقية الكريمة.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣/٨/٦٨، ٦٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري ص ٣٩٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) أخرجه الترمذي ١١٦٢، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٩٢٨).

فإذا تعمقنا أكثر من ذلك فكشفنا أن الإيمان إذعان للحق واعتراف به، رأينا أن الإيمان أيضًا هو عمل أخلاقي كريم بخلاف الكفر بالحق فهو دناءة خلقية.

فإذا ضممنا هذه المفاهيم إلى المفهوم الإسلامي العام الذي يوضح لنا أن كل أنواع السلوك الإنساني الفاضل فرع من فروع الإسلام والإسلام التطبيقي آثار للإيمان وثمرات عملية له.

إذا جمعنا كل هذه المفاهيم وجدنا أن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا كما قال رسول الله ﷺ فأحسن الناس خلقًا لابد أن يكون أصدقهم إيمانًا وأخصلهم نية وأكثرهم التزامًا بما يجب على العباد نحو ربهم من عبادة وحسن توجه له وصلة به وأكثرهم التزامًا بحقوق الناس المادية والأدبية[1].

---

(١) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٩، ٥٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يحرص الإسلام على الحد من الاندفاع والعجلة والحدة، ومن أجل هذا سلك السبل التالية:

أولاً- غرس قيمتي الرفق والتيسير:

إن من القيم الرئيسة التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين الرفق والحلم والتيسير، لما لها من أثر طيب في العلاقات بين الأفراد والجماعات.

وفي هذا الباب -باب الحلم والأناة والرفق- أورد النووي جملة من الأحاديث تغرس في نفوس المتربين الرفق والتيسير والحلم والأناة، ومن هذه الأحاديث "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"، وقوله: "إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"، وقوله" إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"، وقوله" فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين" وقوله "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"، وقوله "من يحرم الرفق يحرم الخير كله"، وفي هذه الأحاديث وغيرها دعوة إلى هذه القيم النبيلة.

"إن من أخطر الأمور على المسلم أيام الفتن عجلته وتسرعه وتركه الرفق والأناة والتودد، فكم من الذين تورطوا في الفتن أيًا كان نوع هذه الفتن، قد أقروا بندمهم على تسرعهم وتعجلهم في أمر كان لهم فيه أناة، ولكن حين لا ينفع الندم في بعضها، وإذا كان الحلم والأناة والرفق صفات محمودة في كل آن وحال فإنها في أيام الفتن واضطراب الأحوال تكون محمودة بشكل أكبر والحاجة إليها تكون أشد" [(١)].

ولاشك أن الرفق والأناة والتيسير والحلم كلها قيم مطلوبة في حياتنا وتصرفاتنا، ويجب أن نربى على ذلك أبناءنا.

"إن حياتنا تحتاج إلى رفق نرفق بأنفسنا ونرفق بإخواننا، ونرفق بالمرأة، فالرفق

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٥٣٧/٣.

شفيع لا يُرَدُّ في طلب الحاجات، قال بعض السلف: إن من فقه الرجل رفقه في دخوله منزله وخروجه منه، وارتداء ثوبه، وخلع نعليه وركوب دابته. إن العجلة والهوج والطيش في أخذ الأمور وتناول الأشياء كفيلة بحصول الضرر وتفويت المنفعة، لأن الخير بني على الرفق، وإن الرفق في التعامل تُذعن له الأرواح، وتنقاد له القلوب، وتخشع له النفوس. إن الرفيق من البشر مفتاح لكل خير، تستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحاقدة:

ترفق أيها القمر المنير ... ولاتك كالرياح لها زئيرُ
فإنك بالسناء ملأت وجهي ... ووجهك في دياجينا نضيرُ
وتلك الريح هاجت في عتوٍ ... فزلزلت المنازل والقصورُ [1]

إن الإنسان مطبوع على العجلة، قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾[2]، وفيه من الحدة والشدة الشيء الكثير، ولهذا حرص الإسلام على دعوة المسلم إلى التأني في الأمور، والرفق في التصرف، وهو لون من مجاهدة النفس لا يرقى إليه إلا الصفوة من المسلمين.

إن الهدوء في التصرف يؤدي إلى ائتلاف القلوب، وإن الشدة تؤدي إلى النفرة والقسوة، والهدوء في ذاته يكسب الإنسان راحة نفسية ويحول دون الانفعال الذي يفضي إلى الموت أو الهلكة.

كما أن عدم العجلة في اتخاذ القرار يؤدي إلى دراسة الأمر كما ينبغي، ويمكن الإنسان من تجنب رد الفعل السريع الشديد والذي لا يحمد في كثير من الأحيان، لأن الصدمة الأولى قد تفقد الإنسان القدرة على اتخاذ القرار، ومثل ذلك البشارات المفاجئة قد تدفع إلى التصرف فيما لا يحمد.

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني ص ٤٦٨-٤٧١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٧.

ورسول الله ﷺ قد اتسم بهذه الأخلاق في كثير من المواطن، فكم هوجم فصبر وكم أوذي فاحتمل، وكم قال له الأعراب ما لا يحمد فكان لا يقابل السيئة بالسيئة بل يقابلها بالحسنة والعفو، قال له أعرابي: إنكم قوم مطل، وكان عمر حاضرًا فهم أن يضربه فمنعه الرسول ﷺ وقال له: أنا وهو أحوج إلى غير هذا منك تأمره بحسن الطلب وتأمرني بحسن الأداء.

والرفق في الإسلام يشمل كل صور التعامل، لأن العنف يفضي إلى الهلاك وخير الرفق ما كان مع الإنسان، لأنه يؤدي إلى الألفة ويحمل على الاستجابة ويستبقي المودة، وهو مظهر جمالي في كل صور التعامل.

إن العنف سبيل للهلكة، والرفق كذلك في الفتاوى مطلوب، فالأصل في الإسلام اليسر ورفع الحرج ورسول الله ﷺ كان يدع بعض الأمور حتى لا يشق على الصحابة الالتزام بها، مثل ترك صلاة التراويح في رمضان في جماعة، وعندما واصل في الصيام بين العلة وذكر النهي بحق المسلمين.

وكثيرًا ما كانت تصدر عنه البدائل القائمة على الرفق بالسائل أو السائلين مثل النص على كون التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة يكسب أجر الصدقات وزيادة..

ورفق الإنسان بنفسه مطلوب، وليس للإنسان أن يبالغ في العبادة حتى يفضي إلى قتل نفسه، ورسول الله ﷺ قد أقر سلمان الفارسي على تقسيم الحقوق مع الدعوة إلى القيام بها، حين قال لأبي الدرداء: إن لبدنك عليك حقًا وإن لزوجك عليك حقًا وإن لربك عليك حقًا وإن لأهلك عليك حقًا، فاعط كل ذي حق حقه.

إن الأمة كلها مطالبة بإظهار هذه الجوانب في تعاملها، إن قوله عليه السلام (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[1] فيه دلالة على أن هذه الأمة مكلفة بإظهار الإسلام بصورة سمحة وأن التشدد في الأقوال والأفعال منهي عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٧.

ثانيًا- الثناء على المتربي وتشجيعه:

إن من أساليب التربية الرئيسة الثناء على المتربي وتشجيعه ليستمر على ما هو عليه من خير، ويتشجع للمداومة عليه، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب قول الرسول ﷺ لأشج عبدالقيس رضي الله عنه: "إن فيك خصلتين يحبها الله: الحلم والأناة".

"ومن هديه ﷺ في التربية أنه كان يثني على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله عز وجل" (١).

إن الثناء والمدح يقوي العزيمة، وينمي الموهبة، ويندب الباقين للقيام بما قام به الممدوح أو المثنى عليه، وهذا أسلوب تربوي هام يجب استصحابه مع المتربيين.

"لقد استخدم الرسول ﷺ التشجيع مع أصحابه رضي الله عنهم لأن المعرفة لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بل لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية، تحفز الإرادة، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر، كما أن النفوس تتفاوت في الاستعداد للتأثر، فلابد من تنويع وسائل التربية مهما بلغ الإنسان من الحضارة والرقي والتشجيع الذي استخدمه الرسول ﷺ إما: لفعل لم يقع، أو لفعل قد وقع" (٢).

ثالثًا- التربية على النظافة والطهارة:

إن من القيم التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين التربية على النظافة والطهارة، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب ما وجه إليه النبي ﷺ أصحابه عندما بال أعرابي في المسجد فقال: "دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء"، وفي هذا الإرشاد ملمح تربوي إلى ضرورة الحرص على نظافة المكان وطهارته من النجاسات.

"إن ديننا الحنيف يهتم بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا، إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة فمن العبادات ما يقوم على الطهارة ولا تقبل بدونها، وديننا الإسلامي الذي هو حريص على صحة وسلامة المسلم، لا يقصر النظافة على نظافة البدن، بل يتعدى ذلك إلى نظافة كل ما من شأنه أن يجلب نفعًا أو يدفع

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية د. زياد محمود العاني ص ٢٢٥.

ضررًا، فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن، ونظافة المكان والبيئة والمجتمع، ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كبر أو صغر كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه؛ لما لذلك من انعكاسات إيجابية صحية وجمالية على المستوى الفردي والجماعي والإنساني" [(١)].

رابعًا- التربية بالمواقف:

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في بول الأعرابي في المسجد، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه، وقد أراد أن يقعوا في الأعرابي، قال لهم: ((دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))، فقد ربى أصحابه ﷺ في هذا الموقف على الرفق بالناس، ليكون ذلك سجية لهم فيما بعد ذلك.

خامسًا- التربية بالتمهيد:

كما في قوله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أو بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟))، فقد مهد النبي ﷺ لما يلقيه على أصحابه بهذا السؤال الذي جذب انتباههم وشد أسماعهم.

سادسًا- من موضوعات التربية: الجودة والاعتماد التربوي:

وهذا واضح في حديث شدّاد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ...)).

فقد تناول الحديث الشريف قضية الإحسان، والإحسان في تأدية الأعمال، وهو من الأمور التي تعرف الآن بأنظمة الجودة في التعليم، حيث تتمحور الأبحاث التربوية الآن وتلهث المؤسسات التعليمية وراء أفكار الغرب التي تنادي بالجودة في العملية التعليمية، وقد تناسوا أن الإسلام جاء بكل مضامين الجودة، بل فاقها في كل الأمور من حيث إن بعض المفاهيم كالإتقان والإحسان من المفاهيم التي تتضمن العمليات التي يقوم بها الإنسان، وتفوق ما تنادي به أنظمة الجودة الغربية.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٥٤.

٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: ﴿ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[الحجر: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾[النور: ٢٢]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (٦٤٣)

٦٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أتى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ اشَدُّ مَا لَقيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْني إلَى مَا اردْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَانا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ اسْتَفِقْ إلاَّ وانَا[1] بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذَا انَا بِسَحَابَةٍ قَدْ اظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإذَا فِيهَا جِبريلُ عليه السلام، فَنَادَاني، فَقَالَ: إنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ الله إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنَّ اللهَ قَدْ سَمِع قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَانا مَلَكُ الجِبال، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي[2] إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إنْ شئْتَ اطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ)). فَقَالَ النبي ﷺ: ((بَلْ ارْجُو انْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ اصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

---

(١) (وانا) لفظ البخاري، وليس عند مسلم، وهو كذلك في الجمع للحميدي ٤/٧٤، رقم ٣١٨٤.

(٢) لفظ مسلم: (ربك).

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١٧٩٥/١١١ واللفظ له.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي وقعت سنة ٣هـ[١].

ليلة العقبة: ليلة عرض النبي ﷺ الإسلام على اثني عشر رجلاً من الأنصار في موسم الحج عند العقبة فآمنوا به وبايعوه وهذه هي العقبة الأولى، أما الثانية فقد حدثت في الموسم التالي وكان عدد الأنصار ٧٣ رجلاً وامرأتين[٢].

قرْن الثعالب: ويسمى قرْن المنازل وهو: اسم موضع يحرم منه أهل نجد ويبعد ٨٠ كم عن مكة المكرمة[٣].

أطبقت: جمعتُ، أي: هدمت هذين الجبلين عليهم[٤].

الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة. والأخشب: هو الجبل الغليظ[٥].

أصلابهم: جمع صلب، وهو الظهر والمراد من ذريتهم[٦].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض نموذجا من الرحمة البشرية في أعظم صورها وقد بدأ الحديث على إثر سؤال من أم المؤمنين عائشة تستدرج به ذكريات النبي ﷺ عن الحدث (هَلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟) وقوله (وَكَانَ أشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ) أفعل التفضيل تشير إلى أنه كان أشد عليه من يوم أحد لأنه كان يوم العقبة وحيدا غلق

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٧١، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٧٢.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٠٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ر ن).

(٤) اللسان في (ط ب ق).

(٥) رياض الصالحين ٢٨٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل ب).

الناس دونه أبوابهم جاءهم بكل الخير، فقابلوه بكل شرورهم، يدل على ذلك قوله (إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي) الذي يوحي بضعفه بالقياس العادي لفرد يحمل دينا يخالف بلدا كاملا بل يخالف أهل الأرض جميعا وقوله: (فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ) الذي يقرر رد دعوته، وتبدد أمله، وقوله: (فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ) الذي يوحي باستمرار حالة الضعف بل زيادتها، وقوله (عَلَى وَجْهِي) كناية عن سيره دون قصد اتجاه محدد، وإنما سير المهموم ينفس عن نفسه بسيره، ويؤكده قوله (فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) وهو ميقات لأهل نجد وقوله (فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ) يشير إلى بداية التحول السريع للأحداث والتي توالت في سرعة دل عليها الربط بالفاء في الجمل ثم تتابع العطايا بداية بظل السحابة ثم رؤيته جبريل عليه السلام، وندائه إياه ثم عرضه للتفويض الذي جاء به بهلاكهم (لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ) ومعه قوة ملك يستطيع أن يهلكهم بكلمة، ولا يبقي لهم أثرا، وقول الملك (أنا ملك الجبال) استعراض للقوة المطلقة في مواجهة القوة المحدودة حتى تحقق الطمأنينة القلبية للرسول ﷺ وقد جعل نفسه بأمر الله رهن أمره (وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ) وهذا الجناس بين (لِتَأْمُرَنِي) وبين (بِأَمْرِكَ) يؤكد التفويض، ثم عرضه عليه نموذجا مما يسيطيع فعله بهم (، إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ) وهما الجبلان المحيطان بمكة، وهو ما لا يبقي لهم أثرا، وقول الرسول ﷺ (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً) بل للإضراب عن السابق وهو ما عرضه الملك من هلاكهم، والتعبير بالرجاء يشير إلى إمكان تحقق المرجو وقوله (أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ) كناية عن إسلام أبنائهم، والتعبير بالصلب إشارة إلى الأصل الذي يستلزم الحفاظ على هؤلاء، وإن كانوا مشركين رحمة بزراريهم فتأمل بعد نظره ﷺ مع رحمته التي أربت على كل نماذج الرحمة البشرية.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان تحمل النبي ﷺ وصبره على الأذى والشدائد في سبيل الدعوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مؤازرة الله لنبيه ﷺ.

رابعاً: من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح.

خامساً: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ..." إلخ الحديث.

فقص إيذاء المشركين له ﷺ، ومؤازرة الله له بإرسال جبريل ﷺ له وملك الجبال وعفوه وصفحه ﷺ.

إن القصة وسيلة دعوية لا يستغنى عنها الداعية، وخاصة إذا كان القصص من القرآن أو السنة النبوية، وذلك راجع إلى أثر القصة في النفس البشرية وما تحدثه فيها من إقناع العقل، وإمتاع العاطفة. والقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالقصص الذي يجد فيه الداعية طريقاً ووسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تناسب حالة كل مدعو، سواء أكان من علية القوم أو من الضعفاء أو من الأغنياء أو من الفقراء. من أجل ذلك كانت القصة في القرآن والسنة ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على اليقين والإقناع العقلي والاطمئنان القلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالقدر، وبما تحمل من مثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء في سبيل الدعوة إلى الحق، والتوجيه إلى الخير والهدى والتنكر للباطل والضلال، والصمود في وجه الظلم والطغيان[1].

---

(١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب ص ٨، نقلاً عن وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ص ١٢٩.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان تحمل النبي ﷺ وصبره على الأذى والشدائد في سبيل الدعوة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عندما سألته: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ لأن يوم أحد كان شديداً على رسول الله ﷺ[(١)].

فقال النبي ﷺ "نعم"، وذكر لها قصة ذهابه إلى الطائف، لأن النبي ﷺ لما دعا قريشاً في مكة ولم يستجيبوا له خرج إلى الطائف لنشر دعوة الإسلام، ودعا أهل الطائف. لكن كانوا أسفه من أهل مكة، حيث اجتمعوا هم وسفهاؤهم وجعلوا يرمونه بالحجارة والحصى حتى أَدْمُوا عَقِبه ﷺ، وخرج مغموماً مهموماً، ولم يفق إلا وهو في قرن الثعالب، فأظلته غمامة فرفع رأسه فإذا في الغمامة جبريل ﷺ فقال له: هذا ملك الجبال يقرؤك السلام، فسلم عليه، وقال: إن ربي أرسلني إليك فإن شئت أطبق عليهم - يعني الجبلين- فعلت[(٢)].

ولكنه رفض وقال: (لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً، وتحمل وصبر على الأذى في سبيل الدعوة. ومن يتأمل هذا الحديث ينكشف له من حاله ﷺ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٣)])[(٤)].

ومن أعظم ما كان: أنه كان ذات يوم ساجداً عند الكعبة يصلي لله فقال أبو جهل وناس من قريش.. وقد نحرت جزور بناحية مكة من يأت بلاها؟ فأرسلوا، فجاءوا من سلاها وطرحوا عليه، فجاءت فاطمة فألقته عنه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى

---

(١) انظر: الأحاديث الواردة عن غزوة أحد في صحيح البخاري في المغازي من الحديث رقم ٤٠٤١، ٤٠٨٢

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/٩٣٠، ٩٣١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣/٦٥٤.

القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي ﷺ ووضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئًا لو كان لي منعة قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرع رأسه، ثم قال: "اللهم عليك بقريش" ثلاث مرات فشق عليهم إذا دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى "اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط" وعد السابع فلم نحفظه قال: فو الذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر))[1].

فقد أوذي رسول الله ﷺ كثيراً ولكنه تحمل وصبر في سبيل تبليغ دعوة الحق ودين الإسلام.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مؤازرة الله لنبيه ﷺ:

يظهر ذلك في تظليل الغمامة له ﷺ وإرسال جبريل ﷺ وملك الجبال، ليرد عليهم أذيتهم له إن شاء وفي ذلك مؤازرة من الله لنبيه في شدته ولا غرو في ذلك فهو نبيه الذي اصطفاه لتبليغ رسالته وحبيبه الذي اجتباه. ووعده بالنصر فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[2].

ووعده المؤمنين معه بالمدد منه تعالى بالملائكة فقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[3].

ووعده بالحفظ فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4]، أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يقتلك عليه[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٠، ومسلم ١٧٩٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٥١/ ١٥٢.

قال القاضي عياض: لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم، بتعظيم الله قدر نبينا ﷺ، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه...، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعودا، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال، والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة...، والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة، والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره، ورآها من أدركه، وعلمها علم يقين من جاء بعده، حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا، "ﷺ كثيراً"[1].

رابعاً- من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح:

يظهر ذلك من رفضه ﷺ عقاب من آذوه وقوله: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً". إن هذا الحديث ليبين بوضوح الأخلاق والعفو والحلم الذي جُبل عليه الرسول ﷺ يأتي ملك الجبال في ساعة ضيق وحرج ويأتي إليه لكي ينتصر له وأي نصر إنه هلاك القوم، ولكنه يعفو ويصفح[2].

إن الحلم والاحتمال، والعفو مع القدرة، والصبر على ما يكرهه. مما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[3] وقد سأل عليه الصلاة والسلام جبريل عن تأويلها، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وقال له: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ

---

(١) الشفا ١١٨ بتصرف.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ١/ ٣٠٠.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[١]، ولقد تضافرت الأخبار على اتصافه عليه الصلاة والسلام بهذه الأوصاف، فما من حليم إلا عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ونبينا ﷺ لا يزيد مع كثرة الإيذاء، إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً[٢].

خامساً- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

يظهر هذا من عموم الحديث فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره[٣]، لذا ينبغي للداعية أن يقتدي بالرسول ﷺ بالحلم والعفو ولا ينظر إلى الساعة التي هو فيها. الانتقام من المدعو أو الذي حصل لديه رد فعل جراء دعوته، بل يعفو ويحلم ويصفح فلعل الله سبحانه وتعالى أن يجعل سبب عفوه ومسامحته وكلمته الطيبة هداية لا ضلال بعدها[٤].

وقد ندب الله تعالى المسلمين إلى العفو والصفح، ومقابلة الإساءة بالإحسان، فقال تعالى واصفاً المتقين من أهل الجنة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾[٨].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) انظر: صفات الدعاة: عبدالرب نواب ص ٩.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ١/٣٠٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٦) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٨) سورة الحجر، آية: ٨٥.

والعفو يدل على نبل الأخلاق ودماثتها، وطيب سجايا العافين، وانتصارهم على هوى النفس وحمية الانتقام، والعفو له وقع كبير في نفس المعفو عنه، بل قد تنقلب عداوته إلى مودة حميمة كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[1].

والعفو والسماحة لا يسكنان إلا قلباً خالياً من الأحقاد والأضغان، ومن يعمل ليقود الخلق إلى الحق لا بد أن يكون نظره إلى ما هو أمامه، ولا ينظر إلى الوراء.

والأحقاد والأضغان، ومحاسبة كل امرئٍ على ما كان منه، إنما تشد بصاحبها إلى الوراء. فلا يكون تفكيره إلى ما يجب عليه القيام به في المستقبل، بل يكون تفكيره في شفاء غيظه من أسقامه التي كانت في الماضي، ومن يأتي برسالة داعيا إلى الحق لا يكون دبري النفس، يشغله الماضي عن الحاضر، بل يكون عاملاً للمستقبل[2]، فلا غرابة إذن أن يكون الرسول ﷺ القدوة الحسنة والأسوة المثلى في عفوه عن الناس، لكمال خُلقه، ولما للعفو من أثر كبير في قلوب الناس واستمالتهم نحو العافي الذي ما أرسل إلا ليكون القدوة في ذلك، والرحمة للعالمين[3].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٢) خاتم النبيين، محمد أبو زهرة ١/٢٥٠.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

الحديث رقم (٦٤٤)

٦٤٤- وعنها، قالت: مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نيل منه شيء: أصيب بأذى من قولٍ أو فعل[2].

ينتهك: تُخرَق وتُؤْتَى[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب النفي؛ لأن أم المؤمنين رضي الله عنها تريد أن تقرر معنى عدم استخدام الرسول ﷺ يده في الضرب، ولذلك أوقعت الفعل المنفي على المفعول النكرة في سياق النفي (شيئا) وبذلك ضم تحته كل الكائنات، وليس الآدمي فقط، ثم إنها أرادت أن تقول أن هذا الكلام ليس على وجه المقاربة أو المبالغة، بل هو على سبيل الحقيقة، والواقع فاستخدمت لفظ (قط) لتأكيد النفي؛ لأن من يعرف بيئتهم يرى أن عدم استخدام الإنسان يده في الضرب، لكائن ما كان أمر مستحيل أو مستبعد جداً، والباء في (بيده) للاستعانة (وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً) من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها على خصوصية فيه، وهي أن أكثر ما يحتك بالرجل احتكاكا يوميا هي المرأة، والخادم، وقوله (إلاَّ أنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ) استثناء من النفي السابق لأن الجهاد مفروض ليس فيه اختيار، وقولها (وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ) كناية عن

---

(١) برقم ٢٣٢٨/٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن هـ ك).

خلق الحلم، والعفو، ومعناه أنه لم ينتقم لنفسه من أحد (إِلاَّ أن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى) استثناء من حكم النفي السابق؛ لأنه كان يغضب لله، ويرضى لله، ويعاقب لله، ويصفح لله، أما فيما يخصه فقد كان أكثر الناس حلما، وعفوا ومواقف صفحه، وعفوه حفلت بها كتب السيرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والإثبات.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق والعفو والغضب لمحارم الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والإثبات:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه... إلا أن ينتهك...".

وأسلوب النفي والإثبات من أساليب الدعوة التي تستخدم في نفي شيء أو فعله وكذلك إنكاره. والإثبات في إثبات هذا الشيء في موضع آخر أو جزء منه وهذا يسمى بالقصر من أساليب الدعوة التي تجذب الانتباه إلى الدعوة وإلى كلام الداعية.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله:

إن من موضوعات الدعوة في هذاالحديث الجهاد في سبيل الله، ويظهر ذلك في قولها رضي الله عنها: إلا أن يجاهد في سبيل الله.

قال د. الحسيني هاشم: الجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2] وقوله تعالى:

---

(١) سورة الحج، آية:٧٨.

(٢) سورة التوبة، آية:٤١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

والمجاهدة تكون بالمال واليد واللسان قال ﷺ: ((جاهدوا المشركينَ بأموالِكُم وأنفسِكُم وألسِنَتِكُم))[2][3].

ورسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم جاهدوا في سبيل الله للذود عن الإسلام ونشره؛ وقد وجههم الله إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4]. ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[5].

وقد أمر الله رسوله بالجهاد فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[6].

قال السعدي: يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله، وينقاد لحكمه، فإن هذا، يُجاهد ويغلظ عليه[7]. والجهاد في سبيل الله من أفضل الأعمال وأعظمها أجراً.

---

(١) سورة الأنفال، آية:٧٢.

(٢) أخرجه النسائي ٣٠٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩٠٠).

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٣٩٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٣.

(٦) سورة التحريم، آية: ٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٠٩.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ ((إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض))[2].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرفق والعفو والغضب لمحارم الله:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ... إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى.

لم يستخدم الرسول ﷺ طاقته البدنية إلا في طاعة الله والدفاع عن الدين، ولم ينتقم لنفسه مما أصابه عن جهل أو شراسة من صاحبها -كما حدث من الكفار وبعض جهلة المسلمين- رغم قدرته على الانتقام، ما دام الأمر لم يتعد شخصه الكريم إلى أمور دينية كارتكاب ما يوجب حداً أو عقوبة أو الاستهتار بالسنة أو التلاعب بالدين[3].

وهذا يدل على رفق النبي ﷺ وعفوه في الأمور كلها إلا في حدود الله ومحارمه.

قال القاضي عياض: (وقولها: "وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحب إلا أن ينتهك شيئاً من محرام الله تعالى، فينتقم لل تعالى": فيه ما كان عليه ﷺ من الحلم والصبر. وما كان عليه من القيام بالحق والصلابة فيه، وهذا هو الخلق الحسن المحمود، فإنه لو كان يترك ذلك كله في حق الله تعالى وفي حق غيره كان ضعفاً ومهانة، ولو كان ينتقم أيضاً لنفسه في كل شيء لم يكن ثَمَّ صبر ولا حلم ولا احتمال، وكان هذا الخلق بطشاً وانتقاماً، فانتفى عنه الطرفان المذمان، وبقي وسطها، وخير الأمور أوسطها، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ٣٩٥.

ويحتمل قوله: "ينتهك شيء من محارم الله" استثناء مما تقدم في حقه من أذاه ﷺ فيما فيه غضاضة عن الدين، فذلك من انتهاك حرمات الله.

قال بعض علمائنا: لا يجوز أن يؤذى النبي بفعل مباح ولاغيره، وأما غيره من الناس فتجوز إذايته بما يباح للإنسان فعله، ولا يباح أن يمنع من إذايته، واحتج بقول النبي ﷺ في مراده على تزويج بنت أبي جهل، أي لا أحرم ما أحل الله، ((وأن فاطمة يؤذيني ما آذاها، ولا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجل أبداً))[١]. وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢] فأطلق وعمم، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾[٣]. فقيد وشرط: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾.

قال مالك: كان النبي ﷺ يعفو عن شتمه، وقد عفا عن الذي قال له: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، وهذا وإن كان فيه غضاضة على الدين فقد يكون عفوه عنه لأنه لم يقصد الطعن عليه في الميل عن الحق، بل اعتقد أنه من رأي مصالح الدنيا الذي يصح الخطأ فيه والصواب، أو كان هذا استئلافاً لمثله كما استألفهم بماله ومال الله رغبة في إسلام مثله، أو تثبيت قومه[٤]، لكن ينبغي أن يفهم أن صفحه عمن آذاه كان مخصوصاً به وبزمانه وأما بعد ذلك فلا يعفى عنه بوجه)[٥].

قال القاضي عياض: (وأجمع العلماء أن من سب النبي كفر. واختلفوا هل حكمه حكم المرتد يستتاب؟ أو حكم الزنديق ليقتل ولا يستتاب! ولا تقبل توبته؟ وهو مشهور مذهب مالك، وقول الليث والشافعي وأحمد وإسحاق ورأوا أن قتله وإن تاب للحد، وأن حد من سب النبي ﷺ القتل لا يدفعه التوبة، كما لا يدفع التوبة حد قذف غيره من

---

(١) انظر ما أخرجه البخاري ٥٢٣٠، ومسلم ٢٤٤٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية:٥٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٢/٧-٢٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١١٩/٦.

المسلمين، وسواء كانت توبته عندهم بعد القدرة عليه، أو جاء معترفاً تائباً من قبل نفسه. لكن هذا تنفعه توبته عند الله ولا يسقط حد القتل عنه. كذا بينه شيوخنا رحمهم الله. وقال أبوحنيفة والثوري: هي كفر وردة ويُقبل توبته إذا تاب، وهي رواية الوليد بن مسلم عن مالك.

واختلفوا إذا سبه بغير الوجه الذي كفر، فعامة العلماء على أنه يقتل لحق النبي كالمسلم. وأبو حنيفة والثوري والكوفيون لا يرون قتله، قالوا: وما هو عليه من الكفر أشد.

واختلف أهل المدينة وأصحاب مالك في قتله إذا كان سبه بالوجه الذي كفر به من تكذيبه أو جَحْد بنبوته، والأصح والأشهر قتله. وقد اختلفوا في إسلام الكافر بعد سبه، هل يسقط ذلك القتل عنه؟ فالأشهر عندنا سقوطه؛ لأن الإسلام يجب ما قبله. وحكى أبو محمد بن نصر في درء القتل عنه بإسلامه روايتين.

وقد يكون قوله: "إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله منها" استثناءً منقطعاً أيضاً، أي لا ينتقم لنفسه وحقوقه الذي له العفو عنها، وإنما ينتقم لحقوق الله وحدوده التي لا خيار له في تركها ولا رخصة.

وهذا الحديث أصل مما يجب للحكام وأولي الأمر والقدرة امتثاله بترك الانتقام لأنفسهم، والتجافي عمن أذاهم تأسياً بالنبي ﷺ، وأخذاً بالفضل والخلق الحسن. وقد أجمع العلماء أن القاضي لا يقضي لنفسه ولا لمن لايجوز شهادة له[1].

فينبغي للداعية أن يتأسى برسول الله ﷺ في رفقه بالمدعوين. قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[2].

وقد دعا رسول الله لمن رفق بأمته فقال ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ))[3].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧/٢٩٣-٢٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

أما الغضب لانتهاك محارم الله فهذا ما كان يفعله ﷺ، أنه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢].

أي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها[٣].

فيجب على الداعية أن يتأسى بالنبي ﷺ في رفقه وعفوه وغضبه لانتهاك محارم الله.

فالمحمود من الغضب هو: الغضب الذي ينتظر إشارة العقل والدين، فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه على حد الاعتدال هوالاستقامة التي كلف الله بها عباده، وهو الوسط بين الطرفين.

فمن مال غضبه إلى الفتور، حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة، وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه.

ومن رقا غضبه إلى الإفراط حتى جره إلى التهور، واقتحام الفواحش، فينبغي أن يعالج نفسه ليُنْقِص من سَوْرة الغضب، ويقف على الوسط الحق بين الطرفين، فهو الصراط المستقيم، وهو أدق من الشعرة، وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه؛ كما قال النبي ﷺ: ((ليس الشديدُ بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب))[٤].

فليس من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٤/١٢/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

والإنسان إذا أُخذ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قُصد بمكروه غضب لا محالة، فمن قُصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وأن يغضب، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه أو ماله أو طعامه فلابد أن يغضب.

وكذلك المسلم يغضب إذا انتهكت محارم الله فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها، ومن غضبٍ على من يتعرض لها[1].

---

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجري ٤/٣١٧٢-٣١٧٣.

الحديث رقم (٦٤٥)

٦٤٥- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رسول الله ﷺ، فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

برد نجراني: هو كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، يُنسب إلى نجران[2].

غليظ الحاشية: غليظ الطرف والجانب[3].

فجبذه: فجذبه[4].

صفحة العاتق: وجهه وجانبه. والعاتق: ما بين المنكب والعنق[5].

الشرح الأدبي

والحديث من نفس باب سابقه فيه دلالة على السمو النفسي للنبي ﷺ حيث صبر، وحلم على تطاول هذا الأعرابي الذي تعدى على ذي السلطان في مقر سلطانه بهذا الأسلوب العنيف فقد آثرت جذبته في صفحة عنق النبي ﷺ والتي صورها الجناس في قوله (فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً) التي توحي بالسرعة، والمفاجأة والقوة التي أكدها قوله

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٠٩ واللفظ له، ومسلم ١٠٥٧/١٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٨/١٠، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ش ى).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٥) انظر الوسيط في (ص ف ح) و (ع ت ق)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ) ثم ناداه (يا محمد) نداء متعجرف متكبر حيث ناداه باسمه الصريح دون صفة الرسالة، أو النبوة، وهو لا يقل في غلظته عن جذبته، ثم الأمر المتعالى (مر لى) وعلى قدر ما حملت عبارات الأعرابي، وأفعاله من سوء الأدب، والغلظة على قدر ما حمل تصرف الرسول ﷺ من حسن الخلق، وطلاقة الوجه فقد قابل جفاء الأعرابي في جذبته بالالتفات إليه إقبالا عليه بوجهه الشريف مع ضحك يعكس دماثة خلق ن ولين عريكة، وسمو نفس، وقابل نداءه الفظ، وأمره المتعالى بأن أمر له بعطاء، فهل رأيت سماحة كسماحته، ونبلا كنبله؟!، وهل تستطيع أن تقتدي بنبيك في حسن الخلق، وتحمل أذى الناس؟

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح.

ثالثاً: من صفات الداعية: الإعراض عن الجاهلين.

رابعاً: من آداب الداعية: الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

أولاً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه "كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه برد نجراني..." فقد ذكر أنس قصة الأعرابي مع النبي ﷺ وما حدث فيها. وتمتاز القصة بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص وحركاتهم، وأخلاقهم، وأفكارهم واتجاهات نفوسهم، وبيئتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال، ومضيت مع الحوار والنقاش، عرفت ما يَستكِنُّ في النفوس من طباع وما يهجس فيها من خواطر وانشرح صدرك لأهل الخير، وضقت ذرعاً بأهل الشر.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، ففريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب[1]، وقد أفادت القصة في هذا الحديث بيان حلم النبي ﷺ وصفحه

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٤٤، ٤٥.

وعفوه عن الجهلاء، وسعة صدره ﷺ، وما ينبغي أن يكون عليه الداعية من الحلم والعفو.

ثانياً- من صفات النبي ﷺ: العفو والصفح:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه ... فأدركه أعرابي فجَبَذه بردائه جَبْذَةً شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وهذا يدل على حسن خلق النبي ﷺ وعفوه وصفحه؛ فانظر إلى هذا الخلق الرفيع؛ لم يوبخه النبي ﷺ ولم يضربه ولم يكفهر في وجهه، ولم يعبس؛ بل ضحك ﷺ ومع هذا أمر له بعطاء[1] فهذا الرسول الذي قال الله فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2].

قال القرطبي: (وهذا الحديث يدلُّ على ما وصف الله به نبيه ﷺ: أنه على خُلُق عظيم، وأنه رؤوف رحيم. فإنَّ هذا الجفاء العظيم الذي صدر من هذا الأعرابي، لا يصبرُ عليه، ولا يحلم عنه مع القدرة عليه إلا مثله، ثم ضحكه ﷺ عند هذه الجبذة الشديدة التي انشق البردُ لها، وتأثر عُنُقِه بسببها حتى انفلت عن وجهته، ورجع إلى نحر الأعرابي، دليلٌ على أن الذي تم له من مقام الصبر والحلم ما تم لأحد، وهذا نظيرُ صبره وحلمه يوم أحد؛ حيث كسرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وصُرع على جنبه، وهو في هذا الحال يقول: ((اللّهمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يَعلمون))[3]، ﷺ، وشرَّف وكرَّم[4].

ثالثاً- من صفات الداعية: الإعراض عن الجاهلين:

يظهر ذلك في مقابلة فعل الأعرابي وجبذه له بالضحك من النبي ﷺ وأمره له

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٩٣٢/١.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) أخرجه الطبراني ٥٦٩٤، وابن حبان ٩٧٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٠١/٣-١٠٢.

بالعطاء وهذا من حلمه ورفقه بالجهال وإعراضه عن جهالاتهم.

وقد أمره الله تعالى بذلك فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[1]، قال ابن عاشور: (فأمر الرسول ﷺ بأن يعفو ويصفح وذلك بعدم المؤاخذة بجفائهم وسوء خلقهم، فلا يعاقبهم ولا يقابلهم بمثل صنيعهم كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[2])[3].

وقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جاء أعرابيٌّ فبالَ في طائفةِ المسجدِ، فزجَرَهُ الناسُ، فنَهاهُمُ النبيُّ ﷺ. فلمّا قَضَى بَولَهُ أمرَ النبيُّ ﷺ بذَنوبٍ مِن ماءٍ فأُهْرِيقَ عليه))[4].

فالداعية يجب أن يقتدي برسول الله ﷺ في عفوه عن الجاهلين ومقابلة جهلهم بالحلم ويصبر على صفاتهم حتى يحتضنهم ويدعوهم بالحسنى.

والإعراض عن الجاهلين سبب لعلو الهمة، ورفعة المنزلة، ووفور الكرامة، والبعد عن موجبات الذلة.

فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه.

فبالإعراض يحفظ الرجل على نفسه عزتها؛ إذ يرفعها عن مجاراة الطائفة التي تلذ الإقذاع والمهاترة.

قال الشافعي:

أعرض عن الجاهل السفيه ... فكل ما قال فهو فيه

ما ضر نهر الفرات يوماً ... لو خاض بعض الكلاب فيه[5]

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٢٦/٩/٤، ٢٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢١.

(٥) ديوان الشافعي ٢٢١. قافية الهاء. بحر.

وقال:

إذا سبّني نذلٌ تزايدتُ رفعةً ... وما العيبُ إلا أن أكونَ مسابِبَه

ولو لم تكنْ نفسي عليّ عزيزةً ... لمكنتُها من كل نذلٍ تحاربُه[1]

وقال الأصمعي: بلغني أن رجلاً قال لآخر: والله لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً.

فقال له الآخر: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

(وشتم رجل الحسن وأربى عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئاً، وما يعلم الله أكثر)[2].

وقال ابن المقفع: (واعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه سيطلع منك حقداً. فإن عارضته أو كافأته بالسفه فكأنك رضيت ما أتى به، فأحببت أن تحتذي مثاله. فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته. فأما أن تذمه وتمتثله فليس في ذلك سداد)[3][4].

رابعاً- آداب الداعية: الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى:

يظهر ذلك في صبر النبي ﷺ على الأعرابي الذي آذاه بَجبْذه هذه الجَبْذَة الشديدة.

والصبر على الأذى من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، قال تعالى في صفات المتقين: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

قال السعدي: أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية، توجه غيظهم -وهو امتلاء قلوبهم من الحنق الموجب للانتقام بالقول والفعل- هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم.

"والعافين عن الناس" يدخل في العفو ترك المؤاخذة، مع السماحة عن المسيء، وهذا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) عيون الأخبار ٢٨٥/٣، ٢٨٧.

(٣) الأدب الصغير والأدب الكبير ١٥٥.

(٤) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد ص ١٨٢-١٨٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

إنما يكون ممن تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحساناً إليهم، وكراهة لحصول الشر عليهم، وليعفو الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1][2]. فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الصبر مع المدعوين.

وترجع أهمية الصبر في حياة الدعاة إلى عدة عوامل من أبرزها ما يلي:

١-أن الناس تأنس بالدعاة، وترى فيهم الإنقاذ والخلاص من كثير مما ينوبهم، ولذا يلجأون إليهم سائلين، ويفصحون لهم عن دواخلهم شاكين، على أمل أن يجدوا لديهم ما يزيل همومهم ويعيد الطمأنينة إلى نفوسهم، ويستلزم ذلك: أن يكثر المترددون على بيت الداعية، والمقتحمون عليه أوقات راحته.

وإزاء هذا لابد للداعية من التحلي بالصبر، والتجمل بطول البال حتى تؤتي الدعوة ثمرتها، وتحقق رسالتها.

٢-أن الداعية سيواجه جيوشاً جرارة من أصحاب العقائد الباطلة تتفانى في سبيل إقرارها ودعوة الناس إليها، وتبذل في سبيل ذلك المليارات في كل يوم.

فإذا طمع الداعية في التغلب على أولئك المفسدين من غير بذل من ماله ووقته وجهده فقد أعرب عن فشله، وذهبت جهوده سدى[3].

لأن الذي يحمل هدي الله للدنيا وما فيها ما لم يكن له حظ من الصبر يفوق حظ المتربصين به المعاندين له كان عمله في الناس شبيها بالمصل الضعيف أمام الجراثيم المدمرة، لا يلبث أمامها طويلاً حتى تأتي عليه[4].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٦.

(٣) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٧٠-١٧١.

(٤) انظر: في موكب الصبر والصابرين، د. يحيى إسماعيل، عدد رقم (٥) من سلسلة نحو النور، دار التوزيع والنشر الإسلامية ص ٢٩.

ومن الضروري أيضاً ألا تُعْجِب جهودُ الدعاة أصحاب هذه العقائد الباطلة أو من يتأثر بهم، فتبدأ المضايقات والمناوشات للدعاة، مما يترتب عليه تعرضهم للأذى أحياناً، وملاقاتهم للمكاره في سبيل إحقاق الحق.

ويستلزم هذا من الداعية أن يوطن نفسه على تحمل مثل هذه المكاره، والتي أشار القرآن الكريم على أنها قرينة التمسك بالحق والدعوة إليه، فقال تعالى على لسان لقمان الحكيم: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (عَلِمَ - أي لقمان - أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر. وقوله "إن ذلك من عزم الأمور" أي: إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور)[2].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٨/٦.

الحديث رقم (٦٤٦)

٦٤٦- وعن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ: كأني أنظر إِلَى رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيّاً مِنَ الأنبياءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

أدموه: أسالوا دمه من أثر ضربهم[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الرفق، والحلم، والأناة يحكى فيه الصحابي الجليل تجربته الشعورية كما انطبعت في نفسه، والمشهد ما زال قائما بين عينيه (كأني انظر) والتعبير بأداة التشبيه (كأن) والتي تعكس شدة الشبة في الموقف المحكي بالموقف المشاهد من قبل، وكلمة (أنظر) بصيغة المضارع التي تفيد التجدد، والاستمرار فكأنه يعاد في نفسه من خلال تداعى الذكريات بكل انطباعاته الوجدانية لكي ينقل إلينا من خلال هذه الانطباعات النفسية حجم الموقف بكل أبعاده صورة نبي من الأنبياء ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، والصورة إلى هنا ترسم في الخيال هيئة الوقار في شخص النبي ﷺ الذي جاء يحمل إلى قومه خيري الدنيا، والآخرة؛ فقابله قومه بالإهانة، والضرب حتى أدموا وجهه الشريف، قمة التناقض الخلقي في مقابلة الإحسان بالإساءة من القوم، وباقي الحديث يحمل موقف الرسول الذي جاء بمنتهي الخير، وقوبل بمنتهي الشر قد مسح الدم عن وجهه الشريف، ودعا لقومه لا عليهم، وإذا تتبعنا سمو نفسه خلال ألفاظه لوجدناها تحمل الصدق المطلق في الشعور المفعم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩٢٩ واللفظ له، ومسلم ١٧٩٢/١٠٥، تقدم برقم ٣٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٤.

(٢) اللسان في (د م و).

بكل التسامح الذي علا حتى فاض رحمة، وشفقة حتى على من آذوه، تجد ذلك ابتداء من لفظ النداء (اللهم) التي تتصدر كل عظيم في دعاء النبي ﷺ إعلانا للتوجه إلى الله في كامل تفخيمه وكمال إجلاله - لا ليدعو على قومه - بل يدعو لهم ثم يأتي أسلوب الأمر دعاءً (اغفر) طلبا لستر ذنوبهم يعكس مدى السمو النفسي، أضف إلى ذلك ما ليس فوقه مطمح لمتسامح، وهو التماس العذر في دعائه لقومه، وكأنه لا يريد أن يحمِّلهم خطأ إيذائه فيقول: (فإنهم لا يعلمون) وانظر إلى إصرار النفس الذكية على تأكيد العذر بـ (إن) تنزيلا للمخاطب منزلة المتردد، وهو - وحاشاه لا يقصد إزالة التردد في ندائه لربه - ولكنه انعكاس صدى نفسه المشفقة على من آذوه، وسلوكا بالأسلوب كل مسلك للإقناع تأكيدا على ما يضمن نجاتهم من انتقام الله ممن آذوا نبيه إن حق عليهم القول، إن الموقف الوجداني يحمل أعظم مواقف البشرية تناقضا بين أسمى صور البشرية في الرحمة المحيطة، والتسامح المطلق من جانب رسول ضُرب وأُدمى وجهه - وهو يمسح الدم عن وجهه ويدعو لقومه- لا عليهم بأعظم صيغ الدعاء مع التماس الأعذار، والتأكيد، والإصرار على الدفاع عنهم، وبين قوم جاءهم بشير خير يحمل لهم أعظم الخيرات فيقابلونه بالإهانة، والضرب يمكنك أن تتخيل قمة الوقار، والعظمة الخاشعة في شخصه المهيب، وهيئة سفهاء القوم يقذفونه بالحجارة، ومن يقذفون نبي الله ﷺ؟وهو يستطيع أن ينتقم - لكنه توجه إلى الله بقلب مفعم بالتسامح، والرحمة وهو يمسح الدم عن وجهه، وكأنه يمسح آثار جريمتهم، وجنايتهم عليه قبل أن يطلب لهم المغفرة من الله - لكنه؛ قد علم أن الله مطلع على سيئ فعلهم؛ فبحث لهم عن عذر بعدم العلم وصدره بـ (إن) ؛ لأنه يريد أن ينفي من نفسه كل شك في براءتهم يمكن أن يكون سببا في دعائه عليهم فيكون فيه هلاكهم، إن نداءه (اللهم) ودعاءه (اغفر) بما حمل من خلجات نفسية - مثال ماثل في أعين الدهر - وباقة من التسامح فواحة بأعبق الزهر.. رجع حديث يتردد ونبع عطاء يتجدد... به استحق أن يكون خير الخلق عند الخالق[1].

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من صفات الأنبياء: الصبر والصفح والعفو.

ثالثاً: من آداب الداعية: التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: أثر الصفح والعفو على الدعوة إلى الله تعالى.

أولاً- من وسائل الدعوة: الحكاية:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه: "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء...".

قال د. الحسيني هاشم: "لا ندري مم نتعجب؟ أمن قوة تأثير الرسول ﷺ، أو من استيعاب أصحابه رضي الله عنهم لتعاليمه طول حياتهم؟ فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يستحضر حكاية الرسول ﷺ حتى كأنه يعاينها رغم مرور زمن على سماعها، حيث حكى الرسول ﷺ مدى صبره على أذى قومه "دون تصريح بذلك" وهو يدعو لهم بالمغفرة، لعلمه أن ذلك من جهلهم وسوء تقديرهم وعدم معرفتهم بعلو مرتبته، إذ لو عرفوه لقدروه حق قدره"[(١)].

"والحكاية من قولك: حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية، وحكيت عنه الكلام حكاية"[(٢)].

فالحكاية يلاحظ فيها المحاكاة والوقوف على ما جرى فقط"[(٣)].

والحكاية من وسائل الدعوة التي ورد استخدامها في كثير من أحاديث رسول الله ﷺ، منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((بَينا أيُّوبُ عليه السلام

---

(١) شرح رياض الصالحين ص ٣٩٦.

(٢) اللسان في (ح ك ى).

(٣) الوحدة الموضوعية، د. محمد محمود حجازي، نقلاً عن القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣١.

يَغتَسِلُ عُرياناً فَخَرَّ عليه جَرادٌ من ذَهبٍ، فجعَلَ أَيُّوبُ يَحتثي في ثَوبِهِ، فناداه ربُّه: يا أيُّوبُ ألم أكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمّا تَرى؟ قال: بَلَى وعزَّتِكَ، ولكنْ لاغِنى بي عن بَرَكتِكَ))[1]، فالحكاية من وسائل الدعوة التي يحكي بها الداعية ما رآه أو سمعه للمدعوين كما هو.

ثانياً- من صفات الأنبياء: الصبر والصفح والعفو:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه: (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه حتى أدموا وجهه فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

قال النووي: (فيه ما كانوا عليه -صلوات الله وسلامه عليهم- من الحلم والتصبر والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبينا ﷺ يوم أحد مثل ذلك)[2].

وقال ابن عثيمين: (هذا من حلم الأنبياء وصبرهم على أذى قومهم، وكم نال الأنبياء من أذى قومهم؟)[3]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[4]، قال ابن كثير: (... وهذا أَمْرٌ له بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، وَوَعْد له بالنصر كما نُصِرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ)[5].

إن رسل الله السابقين عليهم السلام تحملوا كثيراً من أذى قومهم وصبروا عليها وشأن الرسول ﷺ هو شأنهم وها هي قضيتهم تعرض عليه ليكون مثلهم صبراً وتحملاً.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٣٣/١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٣.

وقد أمره بذلك فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1].

فشأن الرسل عليهم السلام أنهم ذوو عزم دائم وقوة صلبة يتحملون بهما تكذيب القوم وأذاهم وفي النهاية يأتي نصر الله لرسوله ﷺ وتقع الهزيمة على أعدائه لا محالة. هكذا مع كل رسول بلا تخصيص ومن هنا يرجح أن تكون "من" في قوله: "من الرسل" في الآية الأولى بيانية. وضعف أن تكون تبعيضية، وأيضاً فإن الرسل عليهم السلام جميعاً كُذبوا وجميعهم تحمل وصبر ولم يتحدث القرآن عن نبي وصل إلى النصر بلا عناء ومشقة أو استقبله قومه بالتصديق والإيمان لأول وهلة.

فلزم أن يتخلق كل رسول بالعزم والقوة. وإن تفاوت الرسل فيهما فإن تملك الجميع لأصل هاتين الصفتين مؤكد وضروري حيث لا يختار الله من الناس إلا الكفء للرسالة. ومن الكفاءة في الرسول أن يكون قوياً ذا عزم وجلد[2].

ولم يكتف القرآن بمجرد ذكر صبر الرسل عليهم السلام وتحملهم ولا بمجرد أمر الرسول ﷺ بذلك، وإنما أخذ يبين للرسول حقيقة من الحقائق الثابتة التي تدفع إلى الصبر والتحمل، هذه الحقيقة أن النصر الإلهي حتمي، وعلى الرسول أن يصبر حتى ينتصر، وهذا النصر سوف يأتيه بلا ريب حتى يكون التأميل في النصر مُسلّماً هو الآخر، يذكر القرآن أن النصر واضح من انتصار الرسل ودعواتهم بعد كل ما تحملوه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[3].

وهكذا الشأن مع كل الرسل السابقين حيث نصرهم الله وجعل جندهم غالباً وهزم المعارضين المعاندين، والدعوة تبين ثبات هذه الحقيقة فمع نوح عليه السلام نقرأ قوله

---

(١) سورة الأحقاف، آية: ٣٥.

(٢) الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) سورة الصافات، الآيات: ١٧١ - ١٧٣.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

ومع هود عليه السلام نقرأ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[٢].

ومع صالح عليه السلام نقرأ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[٣].

ومع شعيب عليه السلام نقرأ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾[٤].

وهكذا اتبع القرآن في تثبيت قلب النبي ﷺ من خلال ذكره للدعوات السابقة ما سبق من أمره بالصبر والتحمل كالرسل السابقين. والتأميل في النصر بعد الصبر. وتسهيل كل المشاق عليه بسبب هذه المشابهة بينه وبين إخوانه السابقين.

ولئن كان هذا درساً للرسول فهو درس كذلك للدعاة، يبين الطريق ويعرف بالنصر ويؤكد أن الفوز بالصبر، والنجاح بالتحمل والعمل، ولا مبدل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين[٥].

ثالثاً- من آداب الداعية: التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم:

إن من آداب الداعية التماس الأعذار للمدعوين رحمة بهم، يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وإذا تأمل الفطن هذا الدعاء في مثل

---

(١) سورة هود، آية: ٤٩.

(٢) سورة هود، آية: ٥٨.

(٣) سورة هود، آية: ٦٦.

(٤) سورة هود، آية: ٩٤.

(٥) الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ١٨٨.

تلك الحال علم معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، فإنه ﷺ لم يدع عليهم فينتصر، ولم يقتصر على العفو حتى دعا لهم، ولم يقتصر على الدعاء لهم حتى أضافهم لنفسه على جهة الشفقة، ولم يقتصر على ذلك حتى جعل لهم جهلهم بحاله كالعذر، وإن لم يكن عذراً.

وهذا غاية الفضل والكرم التي لا يُشارك فيها ولا يوصل إليها)[٢]. وهذا يدل على شفقة النبي ﷺ على قومه فرغم إيذائهم له نجده لا يَدْعُ عليهم للانتصار لنفسه، بل يلتمس لهم الأعذار ويدعو لهم بالمغفرة رحمة بهم، ويظهر ذلك في رده ﷺ على إيذاء قومه له فالتمس لهم ﷺ عُذْرَ عدم العلم بمكانته وفضله ووجوب تكريمه وتوقيره ودعا لهم.

وهذا من آداب الداعية وذلك لما كانت مخالطة الناس ومعاشرتهم - لا بد - وأن يعتريها شيء من التقصير والتفريط والتعدي من بعضهم على بعض إما بقول أو فعل[٣].

فيستحب للداعية أن يلتمس الأعذار للمدعوين رحمة بهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أثر الصفح والعفو على الدعوة إلى الله تعالى:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث بيّن صفح وعفو رسول الله ﷺ عمن ضربوه وآذوه.

وقد كان عفو رسول الله ﷺ وصفحُه عمن أساء إليه سبباً في انتشار الدعوة الإسلامية، والتفاف الناس حوله وقبولهم دعوته، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]، أي: برحمة الله لك ولأصحابك،

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣/٦٥٠.

(٣) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبد العزيز الشلهوب ص ٣٢٥.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترفقت عليهم وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك"[١].

والعفو عن الزلات والهنات والمظلمات ليس ضعفاً ولا نقصاناً، بل هو رفعة لصاحبها وعزاً. قال رسول الله ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ. وَمَا زَادَ اللّهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا. وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[٢].

فالعفو والصفح من الداعية للمدعوين يزيد المحبة بينهم ويعمل على نشر الدعوة فيما بينهم.

والداعية الذي يهدف إلى استمالة القلوب وهدايتها لا يقسو لأن "القسوة التي استنكرها الإسلام جفاف في النفس لا يرتبط بمنطق ولا عدالة، إنها نزوة فاجرة تتشبع من الإساءة والإيذاء، وتمتد مع الأثرة المجردة والهوى الأعمى"[٣]، ومن أعظم مواقف العفو عفو النبي ﷺ عن المشركين يوم فتح مكة[٤].

وهكذا فإن برحابة الصدر وسماحة النفس تنتظم الرحمة التي تدعو إلى الحلم الذي يقود إلى العفو، فيكون من وراء ذلك التأثير التلقائي؛ لأن الإنسان يتأثر بالإحسان كما في قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٥].

وهذا أمر مشاهد، حيث نرى أن من كان سمح النفس يستطيع أن يظفر بأكبر قسط من محبة الناس له، وثقة الناس به؛ لأنه يعاملهم بالسماحة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح كان في نصحه رقيقاً ليناً، سمحاً هيناً، يسر بالنصيحة، ولا يريد الفضيحة، يسد الثغرات ولا ينشر

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٢٠٧.

(٤) انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(٥) سورة فصلت، آية: ٣٤.

الزلات والعثرات[١].

وإن سيرة المصطفى ﷺ كلّها دلالات وآيات بينات على سماحته التي وسعت كل الناس، ورحمته التي ظللتهم في مواقف الشدة، وحلمه الذي آواهم به إلى كنفه بعيداً عن الغضب والحدة، وعفوه الذي استمال نفوسهم بالتسامي عن الانتصار للنفس، ولقد كانت سيرته كلُّها مثلاً عظيماً للدعاة لتأليف القلوب وتحبيب النفوس، وتطييب الخواطر، كان منه الصبر على بعض الأعراب القُساة، واللين في النصح للآخرين، وتأليف قلوب بعضهم بالمال ونحوه، والتوجه بالتجاوز عن عثرات ذوي الهيئات، وتقدير منازل الناس وإنزالهم إياها مراعاة لطبائع النفوس، وإفساح الصدر للآراء المخالفة، مع أنه ﷺ نبي مرسل، ودعوة الناس إلى الشورى، والإبانة لهم عما هو رأي له ﷺ وما هو وحي يوحى لفتح المجال أمام بسط الآراء المخالفة في الموقف[٢]، ونحو ذلك مما يؤصل ويؤكد هذه السمة ويبين أهميتها.

إننا نريد الداعية ذا الصدر الرحب، والسماحة الفياضة حتى يقول الناس عنه:

قد عهدناك تُوسِعُ الناسَ حِلْماً ... وعهدناك تُوسِع الناسَ زجراً

وعهدناك كلما اتسع الخطبُ ... حواليك كنتَ أوسعَ صدراً[٣]

---

(١) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ٢/٤٤٣.

(٢) مسافر في قطار الدعوة، نقلاً عن مقومات الداعية الناجح د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٢.

(٣) ديوان اليازجي ص ٤٤، نقلاً عن مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٢ - ١٢٣.

الحديث رقم (٦٤٧)

٦٤٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصُّرَعَة: المبالغ في الصِّراع، الذي لا يُغلبُ[2].

الشرح الأدبي

سلك الرسول ﷺ في هذا الحديث مسلكاً لطيفاً في بيان أثر الغضب، وشدته باستخدام أسلوب الإحلال والتجديد لتصحيح المفاهيم؛ فنفي بداية مفهوم الصرعة المعهود في ذهن العربي بأن الصرعة: هو الذي يقهر الرجال، ولا يقهرونه، ويطرحهم، ولا يطرحونه، وإنما الشديد حقاً الذي يملك نفسه عند ثوران الغضب، فيقهرها بحلمه، ويصرعها بثباته، ولا يمكنها من أن تسترسل مع تيار الغضب فتشتم وتسب، وتضرب وتقتل... تلبية لداعي الانتقام، وقد استخدم الرسول لتحريك المفهوم القديم للصرعة وتأكيد المعنى الجديد بغرض التنبيه على خطر الغضب حيث ثورة الانفعال وسيطرة الشيطان وغياب العقل استخدم عدة أساليب بلاغية، فقد بدأ بأسلوب التشويق والإثارة بذكر الخبر الغريب حيث نفى مفهوماً راسخاً في أذهان المخاطبين (ليس الشديد بالصرعة...) مما أثار دهشتهم وحقق استشرافهم لمعرفة ما يتلوه، وبذلك حقق الرسول ﷺ ما يريد من ضمان الإنصات، وتحقيق الترقب، وتحريك المفهوم في

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩/١٠٧ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ٤٥. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٥٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ر ع).

الأذهان، ثم يأتي أسلوب القصر في قوله ﷺ: (إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) وهو قصر موصوف (الشديد) على صفة (الذي يملك نفسه عند الغضب) وهو قصر قلب ؛لأنه ﷺ قلب المفهوم الراسخ في أذهان المخاطبين عن الصرعة وأنه الذي يطرح غيره، وجعل الصرعة الذي يطرح غضبه وهو جزء من انفعالاته فكأنه يطرح نفسه الغضبية، ومن الملاحظ في أسلوب القصر في الحديث أنه استخدم طريق القصر بـ (إنما) وهي تستخدم في الخبر الذي لا يجهله المخاطب ولا ينكره، أو لما ينزل هذه المنزلة كما قال الإمام عبد القاهر: "اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفعه أو لما ينزل هذه المنزلة، وعلى ذلك نرى في استخدام الرسول ﷺ لـ (إنما) طريقاً للقصر تنزيلاً لمفهوم الصرعة الجديد والذي يملك نفسه عند الغضب تنزيل الأمر المجهول منزله المعلوم الذي لا ينكره المخاطب إشارة إلى تمام وضوحه، وقوله ﷺ (يملك نفسه) استعارة حيث شبه النفس بشيء مادي وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الملك على سبيل الاستعارة المكنية ليصور شدة التمكن في السيطرة على النفس، وهو ما يجب أن يكون عليه المؤمن[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ١٤٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

"العَفُوّ" اسم من أسماء الله، والعَفو صفة من صفاته، والمسلم مطالب بالتخلق بأخلاق الله، والسبيل إلى ذلك يكون بـ:

أولاً- التربية على خلق العفو والتسامح:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية غرس التربية الخلقية في نفوس المتربين، ويعتبر خلق العفو والتسامح من أبرز الجوانب الخلقية التي ينبغي على المؤمن أن يجعلها واقعًا في سلوكه وتصرفاته، وفي هذا الباب -باب العفو والإعراض عن الجاهلين- أورد النووي جملة من الأحاديث كلها تغرس في نفوس الناشئة والمتربين خلق العفو، وتبين تطبيقاته العملية من سنة النبي ﷺ، ومن ذلك ما قاله عندما جاءه ملك الجبال يأتمر بأمره "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "... وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى"، وقوله ﷺ عندما حكى إيذاء قومه له: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"، وقوله: ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)).

وما من شك في أن صاحب العفو والتسامح دليل على تمتع صاحبه بالصحة النفسية "إن الحلم والصفح والعفو هو خلق المسلم المتمتع بالصحة النفسية حيث تكون نفسه حليمة مع تصرفات الآخرين عافية عن حقها الذي اعتدى عليه من قِبَل الآخرين، وذلك ابتغاء وجه الله تعالى، والعفو من صفات المتقين، ودعا الله المؤمنين إلى التزامه، وقد كان من أخلاق الأنبياء الحلم والصفح"[(١)].

إن العفو من الأصول النفسية التي يسعى الإسلام لغرسها في نفوس أتباعه "وهو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدى ظالمًا

---

(١) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع ص ٤٩٣، ٤٩٤.

وجائزًا.. بشرط أن يكون المعتدى عليه قادرًا على الانتقام، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين، ومقدسات الإسلام... وإلا... كان العفو ذلة ومهانة واستسلامًا وخضوعًا... والعفو بهذا المعنى، وبهذه الشروط شيمة أصيلة تدل على إيمان راسخ، وأدب إسلامي رفيع، ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح... فإنه يكون مثلاً يحتذى في الملاطفة وسمو الخلق، ولين الجانب وحسن المعشر.... بل يكون كالمَلَك يمشي على الأرض نبلاً وطهرًا وصفاءً" [١].

إن الانتصار من النفس خير من الانتصار لها، لأن الإنسان إذا أراد أن ينتصر من نفسه، فهو أمام ذات واحدة، يعرفها ويعرف قدراتها ويعرف مواطن القوة والضعف فيها، فإمكانية الانتصار متاحة، وما أشبهها صاحبها بفرس له لجام في يده، فإن أمسك باللجام دائمًا، لم تتفلت منه، وإن ترك لها اللجام أو ألقى الحبل على الغارب، فقد يتعذر عليه التحكم فيها.

إن البوصيري كان حكيمًا حين وصف النفس بقوله:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وخير مواطن التحكم في النفس إذا يسرت السبل للانتقام لها، بعد إساءة إليها ونزول أذى بها، وكان الانتقام محققًا حال قبوله، وكان الإعراض مؤلمًا إلا أنه يحقق إشباعًا في الانتصار على الذات.

إن هذا ما حدث مع الرسول ﷺ حين لاقى من قومه ما لاقى، وأتاه ملك الجبال سامعًا مطيعًا، وعرض عليه كيفية إبادة مكذبيه، رأي العين، أطبق عليهم الأخشبين، وأمام هذا كله قال ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا)[٢].

إننا في هذا الزمان نسعى إلى هذا وذاك من المعارف، والأصدقاء لننتقم لأنفسنا

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ١/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٥٩، ومسلم ١٧٩٥.

ولغيرنا في كثير من الأحيان، وكم نسعى لإيذاء أناس لم يؤذونا ولكنهم لم يقدرونها كما نتصور نحن، فكان لا بد من إثبات من نحن؟ بطريق الأذى المباشر أو غير المباشر، وكم يعتذر المخطئون فيكون التعنت في قبول الاعتذار، وفرض قيود وشروط ما أنزل الله بها من سلطان، كم نطلب مالاً وكم نطلب مطالب فيه ذلة وإهانة لراغب الاعتذار، وما درينا أن العفو يكسب الإنسان قوة ويعلي الإنسان قدرًا.

إنه ليس بإمكان الإنسان أن ينتصر لنفسه من الآخرين دومًا، فمنهم أصحاب المنعة ومنهم - بمقياس الدنيا- أهل الرفعة، ومنهم من آذى وتفلت، ومنهم من فرّ وكم يتردد، ومنهم من فرضت عليه الضرورة سوء الخلق ومنهم من دعته الحاجة إلى رفع الصوت، ومنهم المريض الذي رأى التفريج عن نفسه في كلمة يقولها أو إشارة يبديها أو نميمة يخفيها.

إن الإنسان ليتعامل مع آلاف البشر في هذه الحياة، وخير ما يأتلف قلوبهم الحلم والأناة والإحسان.

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

إن من أساليب التربية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، وفي أحاديث الباب ما يشير إلى هذا الأسلوب، ومن ذلك موقف النبي ﷺ يوم العقبة عندما عرض نفسه على ابن عبديا ليل بن عبد كلال فلم يجبه ... ثم مجيء مَلَك الجبال له لينظر بما يأمر، وأن يطبق عليهم الأخشبين فكان جواب النبي ﷺ "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" فكان هذا الموقف والحدث أسلوبًا عمليًا في بيان العفو والإعراض عن الجاهلين، ومن ذلك أيضًا ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

"إن من طرق التربية الفعالة التربية بالأحداث، أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين. وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في

أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث - تلقائية، كانت أم مخططة- تذهب سُدَىً بغير عبرة توجيهية في الاتجاه المرغوب" [(١)].

ثالثًا- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية المؤثرة في نفوس المتربين التربية بالقدوة حيث يقدم المربي للمتربين التطبيق العملي لما يدعو إليه من قيم وأخلاق، ومن شواهد أحاديث الباب التي تبين التربية بالقدوة ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة لا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله تعالى، ومنها ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة... فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء"، وما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون".

"إن القدوة الصالحة هي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي، ولذا اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية خصوصًا في مرحلة الاكتساب، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدى بها، أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها، ولذا حرص الإسلام أشد الحرص على إيجاد القدوة الصالحة والمثل الطيب للإنسان لأن المحاكاة غريزة كامنة في النفس" [(٢)].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ١٧٧، ١٧٨.

وإذا كان الأمر كذلك فواجب القائمين على التربية الاهتمام بإيجاد القدوة الحسنة أمام المتربين ليجدوا الترجمة العملية، والتطبيقات الفعلية للقيم والأخلاق، والسلوكيات الصالحة.

رابعًا- التربية على عدم الاستجابة لنوازع الغضب:

وهذا يتضح من فعل النبي ﷺ وقوله: ما فعله ﷺ عندما لقي من فوق ما لقيه يوم العقبة، فقال عن نفسه: ((فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ...)) الحديث، فالنبي ﷺ قد أصابه الهمّ لإعراض قومه عن الاستجابة لما يدعوهم إليه مما فيه نفعهم وخيرهم، فانطلق على وجهه، وانتقل من المكان الذي وقع فيه الهمّ والغضب إلى مكان آخر ليس فيه ذلك، وهذا مما لاشك يخفف عنه شدة الغضب والهمّ، فإن الإنسان -كما تشهد التجربة- إذا كان مهمومًا فإن غادر مكان الهمّ وخرج إلى مكان فسيح يتأمل فيه خلق الله من أشجار وخضرة وأزهار أو جبال ووديان وسهول، فإن ذلك يسري عنه كثيراً مما يحس به من غضب وضيق. وهذا ما تنادي به التربية الحديثة، وهو الخروج إلى المنتزهات عند وقوع غضب أو نحو ذلك.

وما سبق كان من فعله ﷺ، أما قوله ﷺ فهو ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))، فبيّن ﷺ: أن القوي الشديد هو من تحكم في نفسه وكظمها عن الاستجابة لنوازع الغضب وبلغ غيظه وضيقه ولم يفسح المجال لغضبه بل أغلق الطريق أمامه وجعل سدًا منيعًا بينه وبين أن يؤثر عليه في التصرفات والأفعال الظاهرة على الأقل.

والمقصود أنه ينبغي أن تكون التربية على عدم الاستجابة لنوازع الغضب من الأساسيات في التربية والتنشئة.

٧٦- باب احتمال الأذى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣] وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

الحديث رقم (٦٤٨)

٦٤٨- وعن أَبي هريرة رضي الله تَعَالَى عنه: أنَّ رَجُلاً، قَالَ: يَا رسول الله، إنّ لي قَرَابةً أصِلُهم وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: **((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكأنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))** رواه مسلم[(١)].

وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في بَابِ صلة الأرحام.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسفهم: تطعمهم[(٢)].

الملَّ: الرمادُ الحارُّ، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحّق آكل الرماد الحار من الألم[(٣)].

ظهير: ناصر ومعين[(٤)].

---

(١) برقم ٢٥٥٨/٢٢، وتقدم برقم ٣١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٧١٦.

(٢) الوسيط في (س ف ف).

(٣) اللسان في (م ل ل).

(٤) الوسيط في (ظ هـ ر).

الشرح الأدبي

أسلوب النبي ﷺ قائم على أسلوب الشرط ثم التشبيه في قوله ﷺ (لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ) وأسلوب الشرط بهذه الصياغة له فائدتان: الأولى: تعميم الحكم حتى لا يقيد بشخص معين، وإنما يشمل كل من كانت هذه حاله كل زمان ومكان - إذ لو قال ﷺ للرجل (إنك تسفهم المل) لاحتمل أن يكون خاصاً به لكن تعليق الرسول ﷺ للجواب على الشرط يعطى الحكم شمولية يندرج تحتها كل من كانت هذه حاله، وهذه إحدى فوائد أسلوب الشرط الثانية: تعليق الجواب على الشرط من الرسول ﷺ لكونه لا ينطق عن الهوى، ولو قال ﷺ: إنك تسفهم المل لكان حكماً بصدق الرجل، وإشارة إلى أنه قد استوفى ما عليه تجاه قرابته ولعله ﷺ لم يرد إثباته، وأراد الجواب معلقاً على الشرط (إن كنت كما قلت) حتى يبحث الرجل في نفسه، ويتأكد من أنه لم يقصر في حقهم، ويبحث أوجه التقصير فيما فعل فيتمه، ثم جاء التشبيه في جواب الشرط مرتبطاً بالفاء (فكأنما تسفهم المل) والمل: هو الرماد الحار، ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شئ على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإيذائه، والحديث يحث على تحمل الأذى، والرد الجميل، والإحسان لأولي القربى في حال إحسانهم، وفي حال إساءتهم[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د: ناصر راضي الزهري، ٣٥٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية التي تربي المؤمن على الخلق الحسن وتحمل الأذى، ومن أبرز هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والمناقشة، حيث إن هذا الأسلوب يعطي مساحة للأخذ والرد، والسؤال والجواب، وفي حديث الباب دار الحوار والنقاش بين الرجل السائل ورسول الله ﷺ: "إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ... فقال ﷺ: لئن كنت كما قلت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ...".

"لقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة، والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى والتقليد المجرد من الإقناع، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاورة وطَرْحِ الأسئلة والاستفسارات. ولقد كان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرُّن عليها، فعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة ليشحذ أذهانهم ويقوي الحجة لديهم ويُعوّدهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس" [(١)].

ثانيًا- التربية على تحمل الأذى وسعة الصدر:

إن من أهداف التربية الإسلامية تدريب المسلم وتعويده على تحمل الأذى وسعة الصدر خصوصًا مع الأقارب والأهل، ويتضح هذا من حديث الباب، وفيه قوله ﷺ للرجل الذي يشكو من إيذاء قرابته "لئن كنا كما قلت فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ولا يزال معك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك".

فالواجب على المسلم "ألا يحزن من أذية الآخرين له ويعفو عمن أساء إليه، فإن ثمن القصاص الباهظ، هو الذي يدفعه المنتقم من الناس الحاقد عليهم، يدفعه من قلبه ومن

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨١، ١٨٣.

لحمه ودمه، من أعصابه ومن راحته، وسعادته وسروره، إذا أراد أن يتشفى، أو غضب عليهم أو حقد. إنه الخاسر، بلاشك وقد أخبرنا الله سبحانه بدواء ذلك وعلاجه، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[١]، وقال جل شأنه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٣][٤].

إن التربية على تحمل الأذى تساعد على توطيد العلاقات الاجتماعية، وإدامة الحب والصلة بين الأهل والأقارب والجيران، "واحتمال الأذى يكون بعدم مقابلة الإساءة بمثلها، وإنما يكون بأحد وجهين:

فأولاً: مقابلة الإساءة بالعفو والإعراض عنها، وقد رغب الله تعالى في العفو حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٥]. فشرع تعالى العدل وهو القصاص، وندب إلى الفضل، وهو العفو ولا يضيع ذلك عند الله تعالى.

وثانيًا: مقابلة الإساءة بالحسنة، وقد رغب الإسلام في ذلك وحث عليه، وصلة القاطع تكون بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار له والثناء عليه والزيارة له، وأن تَعْطِيَ مَنْ حَرَمَك، ويكون ذلك بالتعليم والمنفعة والمال، وأن تعفو عمن ظلمك فيكون ذلك في دم أو عرض، وبعض هذا واجب وبعضه مستحب، والواجب مثل أن تصل من قطعك من الأرحام، والمستحب مثل أن تعفو عمن ظلمك"[٦].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٤.

(٤) لا تحزن، د. عائض القرني ص ٩٢.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٦) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ١٦٩-١٧٠.

ولا شك أن عدم احتمال الأذى يزيد من القطيعة والجفاء، ويؤدي إلى الخصام والعناد، ويضعف حبال المودة والتواصل، والوئام.

"ومن الأمور التي تؤدي إلى قطيعة الرحم قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم، فبعض الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه، فبمجرد أي هفوة، أو زلة، أو عتاب من أحد من أقاربه يبادر إلى القطيعة والهجر"[1].

وواجب المشتغلين بالتربية في جميع المراحل أن يهتموا بغرس هذه القيمة، وأن يدربوا المتربين على احتمال الأذى ابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه وطمعًا في ثوابه وغفرانه.

قد يتقبل الإنسان الصدمة من الآخرين ويبرر ذلك لنفسه أنه ليس كل الناس أسوياء في التصرف ولا محبين لغيرهم، وكم دفعت النعم بأصحابها إلى النقم، حيث جلبت عليهم حقد الحاقدين ومكر الماكرين وغيرة الغيورين، الذين يتمنون زوال النعمة ويكيدون لصاحبها ويحرصون على آذاه في غير ذنب جنته يداه، إلا أن الله امتن عليه وأعطاه.

وأشد ما يؤلم الإنسان ويؤذيه أن يكون الإيذاء من ذويه، وبخاصة الذين يعطيهم فلا يشكرون، ويمد يده إليهم فيجحدون، ومع هذا يقابلون الصلة بالقطيعة والحسنة بالإساءة والحلم بالجهل.

إن الإنسان يصبح في حيرة من أمره أمام هؤلاء، ماذا يفعل معهم، لقد حدث هذا في حياة الرسول ﷺ وجاءه صحابي يشكو حاله من أهله، فبين الرسول ﷺ أن صنيعه هذا يكسبه أمرين:

الأمر الأول: أنه ألزمهم الحجة وأقام عليهم البرهان وكأنما جعلهم يسفون التراب الحار.

الأمر الثاني: أن الله سيمده بعون من عنده يظل ناصرًا له ما بقي على هذه الحال وكم احتمل ﷺ الأذى من غير المسلمين كما احتمله من الأعراب المسلمين واحتمله كذلك من المنافقين، وما كان ينتصر لنفسه قط.

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٦٩.

إن الانتصار للنفس في الإسلام مقيد إن وقع وتركه أولى، أما الترك الأولى ففي قول الحق سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، وقول الحق: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقول الحق: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وأما الانتقام لها ففي قول الحق سبحانه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[5]، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[6].

وهذا الانتصار للنفس مقيد، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾[7]، إذن فالإنسان أمام المظالم التي تقوم به بين خيارات ثلاثة:

١) العفو المطلق أو بلا مقابل.

٢) العفو بمقابل.

٣) الأخذ بالحق.

وأما انتهاك حرمات الله والخروج على الشرع أو الازدراء به، وتعمد المخالفة الشرعية كل هذا مما يوجب الانتصار لدين الله، رأينا ذلك واضحًا في كثير من المواقف، التي استوجبت غضب الرسول ﷺ سواء التي أطال فيها الإمام الصلاة حتى آذى المصلين، أو قطعة القماش التي فيها صور قد تؤدي إلى الشرك، أو شفاعة أحد

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.

(٤) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤١.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٨.

(٧) سورة النحل، آية: ١٢٦.

الصحابة في تعطيل حد، أو في تصرف غير حميد، حين بصق إنسان في المسجد، كل هذا ومثله قد حرك غريزة الغضب عند الرسول ﷺ انتصارًا لدين الله.

إن المسلمين لو طبقوا ذلك في حياتهم لتبدلت أحوالهم.

إن أرض الإسلام تُسلب وإن دماء المسلمين تُسفك وإن أعراض المسلمات تنتهك وما تحرك ساكن ولا بعث كامن، بل حكمنا على كل من يقاوم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان.

إن موائد القمار أصبحت تدار في عدد من ديار الإسلام، منها ما هو بترخيص رسمي ومنها ما هو بتجاهل عمدي، وما هو ناتج عن غض الطرف.

إن بيوت الدعارة وشقق العهر وعصابات الاتجار فيها قد وجدت لها موطئ قدم في ديار الإسلام.

إن الفطر في رمضان أصبح في كثير من بلدان الإسلام جهارًا نهارًا، وإن البارات والحانات والمطاعم والمقاهي لتفتح أبوابها في نهار رمضان كغيره من شهور العام في بعض بلاد المسلمين.

إن ترك الفرائض داخل الأسرة الواحدة، قد بدا في السنوات الأخيرة، وإن حمل الأبناء على الطاعة قد قلّ، وإن المراقبة قد ضعفت، وفي بعض الأحيان تلاشت، فكان من آثارها ما كان. إن المجاهرة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة بخاصة في ضوء مؤتمر بكين والقاهرة وغيرهما من المؤتمرات ليبشر بشر مستطير، دون أن نسنهض لدين الله.

إن المصطلحات الأجنبية التي حلت محل المصطلحات الإسلامية فأبعدتها عن الساحة، وأقصتها عن الاستعمال، وحلت محلها دون وقفة من أهل العلم الشرعي لدليل على التهاون في الانتصار للحق، لقد سمى أعداء الإسلام الجهاد إرهابًا، ودعوا المقاومة بالتطرف، والمتمسكين بالدين بالراديكاليين، والمتحللين منه بالليبراليين.

إن أفراد الأمة مطالبون بالانتصار لدين الله على النحو التالي:

١- الانتصار لدين الله بإحيائه في نفس الإنسان قولاً وعملاً ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[١].

٢- الانتصار لدين الله بإحيائه في أهل الإنسان قولاً وعملاً ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢].

٣- الانتصار لدين الله بإحيائه في المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٣].

٤- الانتصار لدين الله بإحيائه في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٤].

٥- الانتصار لدين الله بإحيائه في حال الاعتداء على الأمة ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾[٥].

٦- الانتصار لدين الله بإحيائه بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

٧- الانتصار لدين الله بإحيائه بمراعاة آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا- من الأساليب التربوية: التشبيه والتربية بالمواقف:

ورد في حديث الباب من الأساليب التربوية ما يلي:

أ-التشبيه: وهذا واضح من قول النبي ﷺ: ((لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ))، والتشبيه يستخدم لتقريب المعاني المجردة باستخدام معاني حسية يشترك في معرفتها المتعلمون.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٣٥.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة العصر، كاملة.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة البقرة، آيات: ١٩٠، ٢٤٤.

ب-التربية بالمواقف: فقد استثمر النبي ﷺ موقف الرجل مع ذوي رحمه، وموقفهم معه، وعلّمه التصرف الصحيح الذي يسلكه والمنهج السليم الذي ينهجه معهم، وهذا يبين حرص النبي ﷺ على تعليم صحابته في المواقف الحياتية المختلفة التي يمرون بها.

۞ ۞ ۞

٧٧- باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشّرع والانتصار لدين الله تعالى

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[الحج: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة السابق في باب العفو[١].

الحديث رقم (٦٤٩)

٦٤٩- وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: إنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئذٍ؛ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ (وَالصَّغِيرَ)[٢] وَذَا الحَاجَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مُنَفِّرين: جمع مُنَفِّر: من يلقى الناس بالغلظة والشدة، فينفرهم من الإسلام والدين[٤].

فليوجز: فليخفف[٥].

---

(١) تقدم برقم ٦٤٣.

(٢) لفظ البخاري ومسلم: (والضعيف)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١/٤٩٣، رقم ٧٩١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤، ومسلم ١٨٢/٤٦٦ واللفظ له.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٣٦.

الشرح الأدبي

قول الرجل (إنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا !) أكده بعدة مؤكدات تعكس إصراره على بيان سبب التأخير بسبب إطالة الإمام، وأنه السبب في التأخير لا غيره مما استثار غضب النبي ﷺ والذي صوره الراوي بأسلوب النفي في قوله (فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ)، وقد بدا هذا الغضب في بناء عبارته حيث صدَّر عبارته بالنداء العام الذي يتصدر العظائم، ثم توكيد العبارة بأكثر من مؤكد بيانا لخطر الأمر ثم الأمر المصحح للخطأ المبين للصواب في قوله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ)، وقوله: (فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ) الفاء للتعليل وإن حرف توكيد، ونصب تشير إلى عنايته ﷺ بالخبر، واهتمامه به، وتقريره، وتأكيده لمضمونه، والظرف (وراءه) يرصد حال المصلين، وقد طال وقوفهم ما بين كبير خارت قواه يراوح بين قدميه، وضعيف يئن، وذي حاجة تمزقه الرغبات، وكل من كانت هذه حاله، فهو قلق مضطرب فاقد للخشوع منقطع عن الذكر مشغول بحاله، وهو ما يفرغ الصلاة من مضمونها، وهذا ما يفسر سر انفعال الرسول ﷺ في تقويمه لخطأ الإطالة رغم أن الذي أطال مجتهد في العبادة راغب في التقرب.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم التطويل في الصلاة: يستحب لمن صلى إماماً ألا يطيل على وجه يمل منه القوم؛ لأنه يصير سبباً للتنفير وذلك مكروه، إلا إذا طلبت منه الجماعة ذلك، أو فهم منه[1].

---

(١) المبسوط ٤٧٣/١، وحاشية الخرشي ٣٨٥/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٥٠/٢.

وهل يعتبر التطويل عذراً يرخص في ترك الجماعة؟ نعم، هو كذلك عند المالكية، والشافعية، والحنابلة إذا كان المأموم لا يصبر على التطويل لضعف أو شغل، مثلاً[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يشغلهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النداء، والموعظة.

رابعاً: من صفات الداعية: التيسير والتخفيف على الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يشغلهم:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا؟) وهذا سؤال للنبي ﷺ واستفتاء عن فعله، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على سؤاله واستفتاءه في أمور دينهم لأنه معلم الأمة وهاديها إلى شرع ربها، وقد ورد الكثير من الأحاديث والآثار التي تدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال رسول الله ﷺ فيما يشغلهم من أمور دينهم ودنياهم، منها ما ورد عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قالت: قدمت عليّ أمي وهي راغبة أَفَأَصِلُ أمي؟ قال: ((نعم، صِلي أُمَّك))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال:

---

(١) حاشية الدسوقي ٢/٤٣٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٢٥٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٢٠، ومسلم ١٠٠٣.

((إلى أقربهما منكِ باباً))[١]، وعن أبي مليكة: أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ))[٢]، وغيرها من الأحاديث التي لا حصر لها، وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أصول الدين من رسول الله ﷺ والإتيان بالعمل بما يتفق وشرع الله عز وجل.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ وإنكاره الإطالة في الصلاة:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود: "فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذٍ"، قال ابن حجر: (قوله: "أشد"، بالنصب نعت لمصدر محذوف، أي غضباً أشد وسببه إما لمخالفة الموعظة أو للتقصير في تعلم ما ينبغي تعلمه، كذا قال ابن دقيق العيد... قال: ويحتمل أن يكون ما ظهر من الغضب لإرادة الاهتمام بما يلقيه لأصحابه ليكونوا من سماعه على بال لئلا يعود من فعل ذلك إلى مثله، وأقول: هذا أحسن في الباعث على أصل إظهار الغضب)[٣].

وقال النووي: (فيه الغضب لما ينكر من أمور الدين والغضب في الموعظة)[٤]، وغضب رسول الله ﷺ لأنه يريد لأمته التيسير عليهم وليس المشقة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٥].

فغضب رسول الله ﷺ حرصاً منه على الرحمة بأمته والشفقة عليهم فهو يريد التخفيف على أمته في أمور دينهم ودنياهم ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنه قال: صلى معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه لأصحابه العشاء، فطوّل

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٥٩، ٢٥٩٥، ٦٠٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٧٩.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

عليهم، فانصرف رجل منا فصلى، فأخبر معاذ عنه، فقال إنه منافق، فلما بلغ ذلك الرجل، دخل على رسول الله ﷺ فأخبره ما قال معاذ، فقال له النبي ﷺ: ((أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّاناً يَا مُعَاذُ؟ إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ ﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. و﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾. و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾. ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾))[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ. فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَالضَّعِيفَ، وَالْمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ))[2].

وقد دعا رسول الله ﷺ على من شقّ على أمته، ودعا لمن رفق بأمته فقال: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[3].

وغضبُ رسول الله ﷺ كان دائماً لانتهاك حرمات الله، فكان ﷺ مثالاً يُحتذى في غضبه عند انتهاك محارم الله[4].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النداء والموعظة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يا أيها الناس! إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز"، فالنداء في قوله ﷺ: "يا أيها الناس..."، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في لفت انتباه المدعوين، وتركيزهم، وذلك بتوجيه النداء إليهم. والموعظة في وعظه ﷺ المطيل في الصلاة بأنه منفر، وتوجيه العظة لمن يؤم الناس بالتخفيف، ولا ريب أن للموعظة الحسنة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح، أو التذكير أو الترغيب والترهيب، وغير ذلك من صفات وأساليب الموعظة الحسنة.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٣، ومسلم ٤٦٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٢٨.

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود ٣٠٦/١.

وتتضح أهمية الموعظة في احتفاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بها، واعتناء سلف الأمة الصالح وأخذه بها[١].

فمن القرآن قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[٢]، ومن السنة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموْعظةِ في الأيامِ، كَراهةَ السَّآمةِ علينا)[٣].

رابعاً- من صفات الداعية: التيسير والتخفيف على الناس:

إن من صفات الداعية التي تستنبط من هذا الحديث: التيسير والتخفيف على الناس، يظهر ذلك من عموم الحديث فقد أنكر وغضب رسول الله ﷺ على من أطال بالناس وأمر من يؤم الناس بالتخفيف والتيسير على المدعوين، وهذا ما ينبغي أن يتصف به الداعية؛ لأن التيسير من الصفات التي تساعد الدعاة على الإيغال بدعوتهم بين الناس ومعالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير، إن القاعدة النبوية في التعامل مع الآخرين والتي يجب أن تحكم أسلوب الدعوة والداعية تبدو واضحة جلية[٤] في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا))[٥].

والتيسير والتبشير من أساليب التربية عند الرسول ﷺ، كما مرّ في الحديث أعلاه. وهو من وسائل التحفيز للإنسان، لا سيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلا بد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه البهجة ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي ما زالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها. لأن

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٧١.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومُنفّرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغاً واضحاً للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه"[١].

ومن هنا نرى أن الرسول ﷺ كان يعرض الإسلام عرضاً سهلاً وبسيطاً دون تعقيد أو تكلف، فحين سأله رجل فقال: يا رسول ما الإسلام؟ قال: ((لاَ تُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ))[٢].

وكان يختار أيسر الأمور وأسهلها، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعدَ الناسِ منه))[٣].

ذلك أن الإسلام جاء بالتيسير ورفع الحرج، فليست العبادة فيه انقطاعاً عن الدنيا وأهلها، بل هي تفاعل مع الدنيا وأهلها، وفقاً لمنهج الله الذي أراده ديناً للناس كافة، ملائماً لكل الأزمان والأجيال والعصور، فالعبادة في الإسلام معتدلة ومقدورة لكل إنسان بكل سهولة ويُسر، ومن أراد التطوع في مزيد منها فلا مانع في ذلك، والباب مفتوح أمامه[٤].

والحكمة من التيسير في التكاليف أن الإسلام يراعي طبيعة الإنسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم، في ضوء هذا النظر الواقعي، جعل الإسلام حدًّا أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه، لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، ولأنه أقل ما يمكن

---

(١) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد ص ١١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠، ٤٤٧٧، ومسلم ٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ٦١٢٦.

(٤) النظم الإسلامية، د. منير حميد البياتي، وفاضل شاكر النعيمي ص ٥٤ - ٥٥.

قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوى الكمال[(١)(٢)].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٨٤.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

الحديث رقم (٦٥٠)

٦٥٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ، وقال: ((يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

السهوة: كالصُّفَّة تكون بين يدي البيت[2].

القِرام: سِتر رقيق[3].

هتكه: أفسد الصورة التي فيه[4].

تماثيل: جمع تمثال: وهي الشيء المصوّر سواء ما نحت من حجر أو صنع من نحاس ونحوه أو الصورة في الثوب ونحوه[5].

يضاهون بخلق الله: يشبهون ما يصنعون بما يصنعه الله[6].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين رضي الله عنها: (قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ) يشير إلى أنه لم يكن حاضرا عند اتخاذ أم المؤمنين لهذا الثوب سترا يدل على ذلك قولها (فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكَهُ) الذي يوحي بالمفاجأة، وتعبيرها بالهتك يعكس شيئا من شدة الغضب

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٥٤، ومسلم ٢١٠٧/٩٢، والسياق للحميدي في جمعه ٢٢/٤، رقم ٣١٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٨٣. وسيكرره المؤلف برقم ١٦٨١.

(٢) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٣) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٠، والمعجم الوسيط في (م ث ل).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٠.

ويؤكده التصوير بالكناية عن شدة الغضب في قولها (وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ) كما أكده بناء عبارته التي حملت قدرا كبيرا من الترهيب في قوله (يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بخَلْقِ اللهِ !) والنداء تنبيه يشير إلى أهمية ما بعده تلته أفعل التفضيل (أشد) المضافة للعذاب الذي بلغ معها المدى بالهالك الموعود زادها ترهيبا بالظرف (عند) المضاف لله مما يجعل للعذاب بُعدا خاصا يفارق به كل تصور بشري، ويفوق به وَهْم كل عبقري، ثم صعَّده بذكر الظرف (يوم) المضاف للقيامة الذي يعطي العذاب صفة الخلود ثم عرَّفهم بالمسند إليه (الذي) للذم، والتعبير بالمضاهاة يشير إلى ارتباط العمل اليدوي بالتصوير، والتمثيل بغطرسة، وكبر، ومناظرة لله فيما خلق مما استوجب هذا المصير الأسود الذي حاق بهم، - والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تغيير المنكر.

ثانياً: من واجبات الداعية: الغضب لانتهاك محارم الله.

ثالثاً: من فقه الداعية: بيان عِلّة إنكار المنكر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية تغيير المنكر:

يظهر ذلك في فعل النبي ﷺ الذي ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترْت سَهوَة لي بقرَام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه. وهذا يدل على أهمية تغيير المنكر وهذا ما حثّ عليه رسول الله ﷺ في قوله: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[1].

فتغيير المنكر من الأشياء ذات الأهمية، خاصة مع انتشار المنكرات في هذا العصر انتشاراً ذريعاً.. وتغلغلها في المجتمعات الإسلامية، مما يؤدي إلى ابتعاد المسلمين عن التمسك بدينهم، فهي تنازعهم من كل جانب، وتلاقيهم من كل منتدى وموضع،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

فيجب التصدي لهذه المنكرات والسعي إلى إزالتها، سواء كانت مشاهدة في الواقع، أو متغلغلة في العقول والقلوب والأفكار"[١].

ثانياً- من واجبات الداعية: الغضب لانتهاك محارم الله:

إن من واجبات الداعية التي يجب أن يقوم بها: الغضب لانتهاك محارم الله، يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه وتلون وجهه.

وذلك لأن الداعية لا بد أن يظهر الاعتزاز بالإسلام وقواعده ومحارمه، وتظهر صفة انتماء الداعية لدينه بارزة من صفاته واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، فهذه الآية تبين قدر الداعية من خلال انتمائه للإسلام فتعلي قدره، وتجعله عزيزًا على غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٣].

إن الداعية قد تجاوز درجة التدين الشخصي والذاتي إلى درجة الدعوة إلى هذا الدين بالقدوة، والقول، والفعل ولذلك الشرف وهذه المكانة فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

والداعية الحق هو الذي اقتنع بفكرته وقضيته التي يدعو إليها، فهو يدافع عنها، ويتحمس لها لأنه يعتز بالانتساب إليها ويفخر ويتشرف بالانتماء إليها[٤].

فإذا كان الداعية مأموراً بالحلم والرفق في دعوته فينبغي ألا يكون حلمه وعفوه عن ضعف وخوف وجبن. وأيضاً لا يكون ذلك عند انتهاك حرمات الله تعالى. فيغض الطرف عن ذلك ويعتبره من الحلم والعفو المشروع، لا، فالله سبحانه وتعالى أثنى على من يعظم حرمات الله. ولقد كان الرسول ﷺ مثالاً يحتذى في غضبه عند انتهاك محارم الله.

---

(١) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، خالد بن عثمان السبت ص ٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٨ - ٤٩.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[١]، أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيماً في نفسه فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل[٢].

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))[٣].

والشاهد هو تغير وجه الرسول ﷺ وتأثره عند انتهاك حرمة الله تعالى فليتبين ذلك الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر[٤].

ثالثاً- من فقه الداعية: بيان علة إنكار المنكر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يا عائشة: أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله)، فبيّن علة إنكاره اتخاذ السترة التي بها التماثيل وهذا كان شأنه ﷺ في بيان علة إنكاره للشيء حتى يزيل اللبس عن الذي أنكر عليه فعله فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما كلمه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت ليشفع لها عنده فأنكر رسول الله ﷺ ذلك وقال: ((أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟)). وبيّن علة إنكاره على أسامة بقوله ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ))[٥]، فبيّن علة إنكاره عليه.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٩/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٠، ومسلم ٤٦٦.

(٤) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود ٣٠٦/١ - ٣٠٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ٦٧٨٨، ومسلم ١٦٨٨.

وهذا من فقه الداعية في دعوته حتى يبين للمدعوين أن إنكاره مستندًا إلى دليل من كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ فهو لا ينكر بالهوى، ولا يقول بغير علم، لأن هذا من أكبر الكبائر لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فينبغي على الداعية أن يقتدي بالقرآن والسنة في تعليل الأحكام، وبيان حكمها وثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول.

وقد وجدنا القرآن الكريم يذكر الحكمة والمنافع من وراء العبادات ذاتها، مع أن الأصل فيها التعبد والامتثال لأمر الله تعالى، كقوله في الصلاة: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وفي الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وفي الصيام: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، وفي الحج: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[5].

فإذ كان هذا في الأمور التعبدية، فكيف بغيرها من المعاملات وشؤون الحياة؟ فهذا مطلوب في كل حين، ولكن طلبه في عصرنا ألزم، والحاجة إليه أوكد، لأن كثيراً من الناس لم يعد يغلب عليهم التسليم، وإنما يغلب عليهم البحث والتساؤل لمعرفة الأسرار والعلل، ورحم الله امرءاً عرف زمانه، وخاطب أهله بما يعرفون. وحتى يكون

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٥) سورة الحج، آية: ٢٨.

تعليل الداعية للأحكام صحيحاً[١].

فلا بد أن يكون الداعية على دراية بعلم أصول الفقه، حتى يعرف الأدلة المتفق عليها بين فقهاء الأمة وهي الكتاب والسنة، والتي اتفق عليها جمهورهم، وهي: الإجماع والقياس والتي اختلفوا فيها بعد ذلك بين مثبت ونافٍ، ومضيق وموسع ومتوسط، وهي أدلة ما لا نص فيه من الاستحسان والاستصلاح والاستصحاب، وشرع من قبلنا، وقول الصحابي وما إلى ذلك مما اختلفت فيه وجهات النظر.

وإذا كان الكتاب والسنة هما الأصلين والمصدرين الأساسيين، فكيف تستنبط منهما الأحكام؟ ومن يجوز له الاستنباط أو يجب عليه؟ ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه؟

هنا نجد مسائل كثيرة، بعضها اتفقوا عليه، وبعضها اختلفوا فيه (ولكل وجهة هو موليها)، ولا بد للداعية أن يعرف الراجح من المرجوح ليأخذ بالراجح، ويعذر الآخذين بالمرجوح، أو يقنعهم إذا استطاع[٢].

وحتى يستطيع ربط الأحكام بأدلتها من الكتاب والسنة، وما أرشد إليه من اعتبارات أخرى، كالإجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان وغيرها من أدلة ما لا نص فيه... وذلك لأن الدليل يكسو الحكم أو الفتوى نوراً وجمالاً[٣].

---

(١) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي.

(٢) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٩١ - ٩٢.

(٣) المرجع السابق ٨١.

الحديث رقم (٦٥١)

٦٥١- وعنها: أن قريشاً أهمَّهُمْ شأنُ المرأةِ المخزوميَّةِ الّتي سرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكلِّمُ فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئ عليْهِ إلاَّ أُسامةُ بنُ زيْدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلَّمَهُ أُسامةُ، فقالَ رسول الله ﷺ: ((أتشفعُ في حدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تعالى؟!)) ثُمَّ قامَ فاختطبَ، ثُمَّ قالَ: ((إنَّما أهلَكَ مَنْ قبلَكُمْ أنَّهُمْ كانُوا إذا سرَقَ فيهِمُ الشَّريفُ تركُوهُ، وإذا سرَقَ فيهِمُ الضَّعيفُ أقامُوا عليْهِ الحدَّ، وايْمُ الله، لوْ أنَّ فاطمةَ بنْتَ محمّدٍ سرَقَتْ لقطعتُ يدَها)) متفقٌ عليْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أهمَّهم: أجلب إليهم الهمَّ وأقلقهم[2].

يجتريء عليه: من الجرأة وهي الإقدام على الأمر بإدلال[3].

حِبُّ: محبوب[4].

أتشفع: من الشفاعة وهي: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، وتكون فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨/٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٤٦٣. وسيكرره المؤلف برقم ١٧٧٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٠/١٢.

(٣) المرجع السابق ٩٥/١٢.

(٤) المرجع السابق ٩٦/١٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

الحد: الذنب الذي يُوجب العقوبة المكتوبة كالسَّرقة والزنا[١].

فاختطب: فخطب[٢].

وايمْ الله: هو حلف وقسم أصله: أَيْمُنُ جمع: يمين[٣].

الشرح الأدبي

حارب الرسول ﷺ السرقة بكل صورها، كما تصدى لخطأ التفريق في إقامة الحدود بين الناس على أساس الشرف، والضعف، الأمر الذي يوغر صدور الضعفاء، وهم الأكثرية، ويولد في نفوسهم كراهية إخوانهم بل، وكراهية المجتمع، ويذهب بانتمائهم، ويجعلهم في أوطانهم بلا هوية مما يفضى إلى تدمير المجتمع، و قد حقق الرسول ﷺ ذلك باستخدام عدة أساليب بلاغية اتسمت بالانفعال والنبرة العالية التي تتساوق مع عظم الخبر، وخطره منها:

١- أسلوب الاستفهام: في قوله ﷺ (أتشفع في حد من حدود الله؟) وهذا الاستفهام في إطار تقويم خطأ في حد من حدود الله، وقد خرج عن حقيقته إلى معنى الإنكار أي لا ينبغي أن يكون ذلك منك، وقول الرسول ﷺ (في حد من حدود الله) ومعلوم أن الحدود حدود الله، وإنما نصَّ رسول الله ﷺ على هذا المعلوم ليبيِّن أنه ﷺ لا يملك هذه الحدود، ولا أملك قبول شفاعتك، وحدود الله إذا بلغت الحاكم فليس لها مترك.

٢- أسلوب القصر في قوله ﷺ: (إنما ضل من قبلكم) والمتأمل لبلاغة هذه الجملة في إطار تقويم الخطأ يجد أنها تناولت الموضوع من عدة جهات منها: دقة اختيار هذه الصياغة بهذا الأسلوب، وإثارتها دون غيرها ليس في مبناها فحسب؛

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د د)، وانظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٥٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٧/١٢.

(٣) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٤٥٠، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٩. وهمزته همزة وصل لا قطع (مادة: أي. م) المعجم الوجيز.

لأنه ﷺ لم يقل مثلاً: إن أسامه تشفع إليَّ، وقد رفضت شفاعته لأن الحدود حدود الله، وأنه ضاد الله في أمره، أو في ملكه، أو يذكر العقوبة المترتبة على ذلك كما قال في حديث ابن اللتبية[1]. بل ترك رسول الله ﷺ ذلك وما يشبهه، واستخرج من الموقف أمراً بعيد المغاص، ونبه إلى أن التفريق بين الناس في تطبيق الأحكام، وقبول المجتمع لوجود فئة تعاقب على ذنبها، وتقطع يدها إذا سرقت، وفئة لا تقطع يدها؛ لأن وجود هذا في المجتمع خطر يفضى إلى تدمير المجتمع[2].

ومنها: استخدام الرسول ﷺ لأسلوب القصر الإدعائي وهو قصر صفة على موصوف حيث قصر صفة إهلاك الأمم السابقة على موصوف هو الفعل المؤدى إلى التفريق بين أفراد المجتمع من حيث النباهة، والخمول، والشرف، والضعف ونفاه عن كل ما سوى هذا الفعل مبالغة في بيان شدة خطره حتى يلفت الأذهان إلى مبدأ مهم يحقق الانتماء، ويعمق الشعور بالعدل، والأمن، وهذا المبدأ هو مبدأ المساواة في الحقوق، والواجبات، ومنها: استخدم الرسول ﷺ (إنما) دون غيرها من طرق القصر، ومن المعلوم أن (إنما) تجيء لخبر لا يجهله المخاطب، ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة. والرسول ﷺ بذلك يجعل أمر هلاك الأمم لغياب مبدأ المساواة والتفريق بين أبناء المجتمع الواحد في الحقوق، والواجبات هو السبب في ذلك دون غيره لكمال صفة الهلاك في هذا الأمر، ويجعله من الوضوح بحيث لا ينكر، ومن العلم بحيث لا يجهل إمعاناً في تأكيده.

٣- أسلوب التوكيد: وقد وردت عدة أشكال من التوكيد في إطار تقويم خطأ الطبقية، والتفريق في إقامة الحدود، وتنبيهاً إلى خطر الأمر، ودفعا للتساهل أو الاستهانة، وذلك في قوله (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد)، وليس المراد بالقسم إزالة الشك عند المخاطبين، أو لغرابة الخبر كما يقول البلاغيون في غير هذا المقام؛ لأن الأمة تأخذ عن رسول الله ﷺ وتتلقف ما يقول بالقبول، والإذعان، ورسول الله ﷺ يعلم

---

(١) انظر: حديث ابن اللتبية في صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، حديث رقم ١٨٣٢.

(٢) انظر: شرح أحاديث من صحيح البخارى ص ٣٢٤، ٣٢٥ بتصرف.

ذلك، وإنما أراد بالقسم بيان مزيد العناية بالأمر المقسم عليه، وهو ضرورة إنفاذ أمر الله في القريب، وفي البعيد، وفي الصغير، وفي الكبير لا يستثنى من ذلك أحد، لأن الحد حد الله، والخلق خلق الله لا فرق بين خلقه في إنفاذ حده.[1] أضف إلى ذلك ما يُضفيه القسم الشريف على السياق من شعور بالهيبة والإجلال اللذين يمهدان القلب بالخشوع، والعقل بتأكيد الإقناع، والقبول.

كما استخدم من أساليب التوكيد في الحديث ما يعالج خواطر النفس، وتحافظ على توازن الأسلوب العالي النبرة ليمضى على نفس الدرجة من الجزالة، والقوة مع نبرة الانفعال الموازية لحجم الخطأ المقوَّم استخدامه ﷺ (أن) في قوله (لو أن فاطمة بنت محمد) والجملة تحتاج لهذا التوكيد لما سبق ذكره، ولغرابة الخبر المذكور بعدها، وهو الفرض المستحيل مبالغة في إقامة حد الله، ولو على أقرب الناس، وأحبهم إليه.

٤- أسلوب الشرط، والشرط معناه، وقوع الشيء لوقوع غيره[2] فيوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه، الأمر الذي يجعل أسلوب الشرط شديد الاتصال، قال الإمام عبد القاهر: "ووزان هذا أن الشرط، والجزاء جملتان، ولكنا نقول أن حكمهما حكم جملة واحدة من حيث دخل في الكلام معنى يربط إحداهما بالأخرى حتى صارت الجملة لذلك بمنزلة الاسم المفرد في امتناع أن تحصل الفائدة"[3]، وعلى ذلك، فإن المخاطب إذا سمع جملة الشرط استشرف إلى معرفة الجزاء بما يحقق الترقب، واليقظة، ويحقق متابعة المخاطب حتى نهاية الحديث، وتمام المعنى، وقول الرسول ﷺ (أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) أسلوب شرط فعله (سرق) وفاعله (الشريف) وجواب الشرط تركوه، واستخدام الرسول ﷺ لأداة الشرط (إذا) فيه إشارة إلى أن هذا الفعل كان من عادة هؤلاء القوم ؛لأن (إذا) من بين أدوات الشرط تستعمل في مواضع الشرط الواجب الذي

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخارى صـ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) انظر: المقتضب للمبرد ٢/ ٤٦.

(٣) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر صـ ١١١.

لابد أن يتحقق، وكذا في قوله ﷺ (وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وهذا الفعل منهم هو الذي عجل بهلاكهم، لأنه جعل المجتمع طبقات يحقد بعضها على بعض ويحتقر بعضهم بعضاً شرفاؤهم ينغمسون في ملذاتهم اعتماداً على نفوذهم، وضعفاؤهم يثبطهم الإحساس بالظلم والإحباط، فيفقدون الانتماء، والرغبة في خدمة مجتمعهم، فيصير المجتمع دون أبناء مخلصين يذودون عنه.

وقوله ﷺ (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) و (لو) أداة شرط غير جازمة تدل على الزمن الماضي، والمتأمل لمعنى (لو) في الحديث الشريف يجد أنها توحي بمعانٍ أكثر عمقاً بحسب السياق التي ترد فيه، وهذا الشرط الافتراضي من الرسول ﷺ له عدة دلالات منها: تعظيم أمر إقامة الحدود على الجميع دون أي اعتبار لشخص المحدود من ناحية الشرف، أو عدمه، ومنها: ضرورة تأسيس مبدأ المساواة في الحقوق، والواجبات، ومنها: أن على القائد أن يكون أول المطبقين لشرائع الأمة على نفسه، وخاصته، ومنها: بيان غَيْرة الرسول ﷺ، وحرصه على أمته، ومنها: ضرورة أن يعتبر القادة، وغيرهم بدروس التاريخ، وأسباب اضمحلال الأمم لاجتنابها، وأسباب ازدهارها للاستفادة منها.

٥- الكناية: وقد وردت في قوله ﷺ (في حد من حدود الله) ومعلوم أن الحدود حدود الله، وإنما نص رسول الله ﷺ على هذا المعلوم ليبيِّن أنه ﷺ لا يملك هذه الحدود، ولا يملك قبول شفاعته، فالكلام كناية عن صفة عدم الملك لقبول الشفاعة، وعدم القدرة على التصرف فيها.

٦- أسلوب المقابلة: وقد وردت المقابلة في إطار تقويم الخطأ بغرض توضيح المفارقة في إقامة الحدود بين طبقات المجتمع في الأمم السابقة، والذي أودى بها وأوردها موارد الهلكة، وذلك في قوله ﷺ (إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) حيث قابل الشرط الأول، وجزاءه بالشرط الثاني وجزائه بياناً للخطأ وتوضيحاً لأبعاده بغرض التحذير منه.

وقوله (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) هذه الجملة معطوفة على ما قبلها من باب عطف المعنى على المعنى لاختلافهما خبراً، وإنشاءً، وقد وقعت هذه الجملة من القلوب والعقول موقعاً حميداً، وذلك لجزالة اللفظ، وقربه، وعذوبته، وخفته، ولأنها تعلم الناس أنبل مبادئ السيادة، والشرف، وأصدق أصول السياسية، ،وأرشد أصول العمران، وهل ترى أصدق في سياسية الناس من أن يطبق الحاكم على نفسه، وولده ما يطبقه على أضعف طبقات الناس الذين يسوس أمرهم، وأن يقطع هو بيده يد أحب الناس إليه؟ وهل تفيض القلوب بالحب لأوطانها، وشعوبها بدافع أفضل من هذا الدافع؟[1][2].

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الشفاعة في الحدود: اتفق الفقهاء على حرمة الشفاعة في الحدود، إذا بلغت الإمام، فإذا رفعت إليه فلا شفاعة، ووجب عليه إقامتها.

فترك الحدود، والمداهنة فيها، وإسقاطها عن الأكابر من أسباب الهلاك، وإقامتها على كل أحد، من غير فرق بين شريف، ووضيع من أسباب الحياة، يقول ﷺ: ((حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ، خَيْرٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا -ثلاثين- أَرْبَعِينَ صَبَاحاً))[3]. أما قبل ذلك، فيجوز العفو، ويكون الستر هو الأفضل وفي الحديث: "تعافوا الحدود بينكم فما بلغ من حد وجب"[4].

٢-هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ ذهب الحنفية، والمالكية، والحنابلة، إلى أنه شرع

---

(١) ينظر: شرح أحاديث من صحيح البخاري، د. أبو موسى ص ٣٢٩، ٣٣٠.

(٢) بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري ٣٢١.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٣/٢ رقم ٨٧٣٨، وضعّف إسناده محققو المسند، وانظر تتمة تخريجه في المسند ٣٥١/١٤.

(٤) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٣٢٠/١١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٣٢/١٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٧/٢٠، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٧٤/١١، والحديث في المستدرك ٤٢٤/٤.

لنا ما لم يرد ناسخ، وذهب الشافعية في الصحيح إلى أنه لا يعد شرعاً لنا[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب رسول الله ﷺ وإنكاره على أسامة رضي الله عنه لشفاعته في حد من حدود الله.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

رابعاً: من تاريخ الدعوة: هلاك الأقوام السابقين بسبب تركهم إقامة الحد على الشريف وإقامته على الضعيف.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب والقسم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول قريش: "من يجترئ عليه إلا أسامة وأباه زيد حِبُّ رسول الله ﷺ، قال النووي: وفي هذا منقبة ظاهرة لأسامة رضي الله عنه"[٢]. وأسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما صحابيان جليلان لهما منزلة عظيمة عند رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك قوله ﷺ فيه وفي أبيه، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((بعثَ النبيُّ ﷺ بَعثاً وأمَّرَ عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ، فطَعَن بعضُ الناسِ في إمارتِهِ، فقال النبيُّ ﷺ إن تَطعنوا في إمارتِه فقد كنتم تطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبلُ. وايمُ اللَّهِ إنْ كان لَخليقاً للإمارة، وإنْ

---

(١) رد المحتار ٢٢٣/١، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ١٦٣/١٦، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢١٩/٧، وحاشية الخرشي ١٦/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٩٨/٣، وإعانة الطالبين ٣٠٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٠/٥، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٤/٢، والتقرير والتحبير ٣٠٧/٤ وما بعدها، والبحر المحيط ٢٩٨/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٨٣

كان لَمن أحبِّ الناسِ إليَّ، وإنَّ هذا لَمن أحبِّ الناس إليَّ بَعدَه))[١]. وقوله ﷺ "وإن كان لخليقًا للإمارة" أي: حقيقًا بها[٢].

وقد ورد في صحيح البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: حدَّثَ عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: ((اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبُّهُمَا))[٣].

قال ابن حجر: قوله: (اللهم أحبهما فإني أحبهما) هذا يشعر بأنه ﷺ ما كان يحب إلا لله وفي الله، ولذلك رتب محبة الله على محبته، وفي ذلك أعظم منقبة لأسامة والحسن رضي الله عنهما[٤].

قال الذهبي: كان أسامة أكبر من الحسن بأزيد من عشر سنين. وكان شديد السواد، خفيف الروح، شاطراً، شجاعاً، رباه النبي ﷺ، وأحبه كثيراً[٥].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لا يَنْبَغِي لأحَدٍ أَنْ يَبْغَضَ أُسامة بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولَهُ فَلْيُحِبَّ أُسامة))[٦].

وعنها رضي الله عنها قالت: ((أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُنَحِّيَ مُخَاطَ أُسامة، قَالَتْ عَائِشَةُ: دَعْنِي حتَّى أنا الَّذِي أفْعَلُ. قَالَ: يَاعَائِشَةُ أحِبِّيهِ، فَإِنِّي أُحِبُّهُ))[٧].

فمنزلة أسامة بن زيد رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ عظيمة وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون هذه المنزلة، وكانوا يسمون أسامة رضي الله عنه: حِبُّ رسول الله ﷺ بكسر المهملة أي محبوبه لما يعرفون من منزلته عنده ﷺ، وليس أدل على محبة النبي ﷺ لأسامة من فعله ﷺ عند موته، فعن محمد بن أسامة بن زيد، قال: ((لما ثقل رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٣٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٤٧٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٣٥

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١١/٧

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٩٨/٢.

(٦) أخرجه أحمد ١٥٦/٦ رقم ٢٥٢٣٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٧) أخرجه الترمذي ٨١٣٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٠١).

هبطت وهبط الناس المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يده عليَّ ويرفعها فأعرف أنه يدعو لي))[١].

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب رسول الله ﷺ وإنكاره على أسامة رضي الله عنه لشفاعته في حد من حدود الله

يظهر ذلك في إنكار رسول الله ﷺ على أسامة رضي الله عنه شفاعته، وقال له: "أتشفع في حد من حدود الله".

ورسول الله ﷺ، غضب لشفاعة أسامة بن زيد رضي الله عنهما في حد من حدود الله، فالغضب لله محمود، وهو من هدى الرسول ﷺ، ودليل على غيرة الإنسان على محبته لإقامة شريعة الله[٢]. وقد كان رسول الله ﷺ يغضب عند الموعظة لانتهاك حرمات الله، قال جابر رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا خطب يوم الجمعة احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم"[٣].

أي أن الغضب يكون محموداً إذا كان لله عز وجل عندما تنتهك حرماته وقد أثبت القرآن ذلك للرسل الكرام في مواضع عديدة[٤] منها: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا...﴾ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[٥]. ومنها قوله تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨١٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٠).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٩٤٠/١.

(٣) أخرجه مسلم ٨٦٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٠٧٩/١١.

(٥) سورة الأعراف، الآيات: ١٤٨-١٥٤.

غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾[١].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[٢].

قال القرطبي: والمعنى: مغاضباً من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عُصي[٣].

كما أن النبي ﷺ كان يغضب في بعض الأحيان لله عز وجل لا لنفسه[٤]، في أحاديث عديدة منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رخص رسول الله ﷺ في أمر، فتنزه عنه ناس من الناس، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فغضب، حتى بان الغضب في وجهه، ثم قال: «ما بال أقوام يرغبون عما رُخِصَ لي فيه، فو الله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[٥].

ومنها عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ لأَرْبَعِ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ خَمْسٍ. فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهُوَ غَضْبَانُ. فَقُلْتُ: مَنْ أَغْضَبَكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ. قَالَ: أَوَمَا شَعَرْتِ أَنِّي أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ قَالَ الْحَكَمُ: كَأَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ أَحْسِبُ وَلَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، مَا سُقْتُ الْهَدْيَ مَعِي حَتَّى أَشْتَرِيَهُ، ثُمَّ أَحِلُّ كَمَا حَلُّوا))[٦].

---

(١) سورة طه، آية: ٨٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢٩/١١/٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٠٧٩/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٠١، ومسلم ٢٣٥٦ واللفظ له.

(٦) أخرجه مسلم ١٢١١.

قال النووي: (قولها: فدخل علي وهو غضبان فقلت: من أغضبك يارسول الله أدخله الله النار، قال: أوما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون) أما غضبه ﷺ فلانتهاك حرمة الشرع وترددهم في قبول حكمه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، فغضب ﷺ لما ذكرناه من انتهاك حرمة الشرع، والحزن عليهم في نقص إيمانهم بتوقفهم، وفيه دلالة لاستحباب الغضب عند انتهاك حرمة الدين)[2].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ثم قام فاختطب.

والخطابة هى أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم والحث على الفضائل، وجمع الشمل وإرهاب الأعداء، وقد كانت الخطبة وسيلة الرسول عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى سبيل الله، لإيقاظ الضمائر، وتدبر الكون والإيمان بالله الواحد الأحد، ومعرفة أوامر الدين ونواهيه التي تحقق سعادة البشرية.

فعلى الداعية أن يصور الحدث أو الفكرة بكل دقة ووضوح في خطبته حتى ينسجم معه المستمع ويشاركه في انفعالاته.... ويكون متمكناً من علمه وثقافته... عارفًا بأبعاد فكرته، ومستوعباً عناصر الموضوع كله[3].

رابعاً- من تاريخ الدعوة: هلاك الأقوام السابقين بسبب تركهم إقامة الحد على الشريف وإقامته على الضعيف:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" فذكر من تاريخ الدعوة هلاك بني إسرائيل بسبب إقامة الحد على الضعفاء وترك إقامته على الشرفاء،

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦٤.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٦-١٠٧.

وهذا ما بينه في قوله ﷺ: ((إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الْوَضِيعُ قَطَعُوهُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُهَا))(١).

قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: الظاهر أن هذا الحصر ليس عاماً، فإن بني إسرائيل كان فيهم أمور كثيرة تقتضي الإهلاك، فيحمل ذلك على حصر مخصوص وهو الإهلاك، بسبب المحاباة في الحدود فلا ينحصر في حد السرقة، قال ابن حجر قلت: يؤيد هذا الاحتمال ما أخرجه أبو الشيخ في (كتاب السرقة) من طريق زاذان عن عائشة مرفوعاً، (أنهم عطلوا الحدود عن الأغنياء وأقاموها على الضعفاء)(٢).

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب، والقسم:

يظهر الترهيب في قوله ﷺ: "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد".... حيث رهب من ترك إقامة الحد وبين أن ذلك كان سبباً في هلاك السابقين.

وأسلوب الترهيب له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله لأن بعض الناس لا يجدى فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتضييق وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة، فكان الترهيب والتخويف مناسباً لذلك. وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب لكى يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله ﷺ(٣).

ويظهر أسلوب القسم في قوله ﷺ: وايم الله، ويعد القسم من الأساليب الدعوية: وذلك لبيان أهمية الأمر ولفت انتباه المدعوين إليه. وقد أقسم النبي وهو الصادق المصدوق لبيان أهمية الأمر، وحثهم على تجنبه.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٣٣، والنسائي ٤٩٠٠ واللفظ له.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/ ٩٧.

(٣) انظر: وسائل الدعوة: د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩٤-١٩٥

قال النووي: (قوله ﷺ: (وَايْمُ الله لو أن فاطمة) فيه دليل لجواز الحلف من غير استحلاف وهو مستحب إذا كان فيه تفخيم لأمر مطلوب كما في الحديث)[1].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٨٣.

الحديث رقم (٦٥٢)

٦٥٢- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى نُخَامَةً في القبلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ في وَجْهِهِ؛ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: ((إن أحدَكُمْ إذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبلَةِ، فَلاَ يَبْزُقَنَّ أحَدُكُمْ قِبَلَ القِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ)) ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ((أَوْ يَفْعَلُ هكذا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النخامة: البزقة التي تخرج من أقصى الحلق أو من الصدر[2].

فشق ذلك عليه: كره ذلك كرهاً شديداً حتى ظهر ذلك على وجهه[3].

يبزقن: البزاق: البصاق وهو: إلقاء النخامة إلى خارج الفم[4].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أمور من الأدب في المسجد، وقوله (حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ) كناية عن كراهيته لهذا الفعل، وقوله (فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ.....) حتى يزيل أثر العادة السيئة بالفعل، ويمنع غيرها بالقول عن طريق الترهيب تهديدا بإعراض الله عمن يبصق قبل وجهه؛ لما ينم عنه من سقم في الذوق وسوء في الأدب، وعدم تقدير للموقف بين يدي الله، وهو مقبل عليه، وقوله (إن أحدَكُمْ) يشمل الجميع بالحكم (إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٠٥ واللفظ له، ومسلم ٥٥١/٥٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن خ م)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

(٤) المعجم الوسيط في (ب ز ق)، وقال النووي: والأمر بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه هو فيما إذا كان غير المسجد. فأما المسجد فلا يبصق إلا في ثوبه. رياض الصالحين ٢٨٥.

فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ) أسلوب شرط ينوه على شرف الموضع، ورفعة المقام التي تستلزم مزيد أدب، والتعبير بالمناجاة يوحي بالقرب، والمحبة التي لا تتناسب مع فعل البصق، وذكر لفظ رب، وإضافته للضمير العائد على المصلي يشير إلى ضرورة أن يقدر له قدره بما يليق من أقوال، وأفعال وقوله (وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبلَةِ) كناية عن شدة قربه الذي يستلزم مزيد الخشوع، والتذلل، والأدب، وقوله لاَ يَبْزُقَنَّ أحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) نهي عن هذا الفعل الذي يؤذي الملائكة، ويؤذي المصلين، ويحدث نفورا من المكان، في حين أنه مكان خشوع، وسكينة، وقد أتبع البيان القولي للحكم بالبديل لمن اضطره البصاق (ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: ((أَوْ يَفْعَلُ هكذا) وهو تصرف فيه أدب، ولا يسبب الاستقذار، ولا النفور لأن لم يظهر.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

التنخم في المسجد: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم إلقاء النخامة ونحوها في أرض المسجد وعلى جدرانه وعلى حصيره، بل يجب أن يصان المسجد عن كل قذر وقذارة وإن لم تكن نجساً كالنخامة ونحوها. جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: ((البزاق خطيئة وكفارتها دفنها))[1]. وكتب الخطيئة بمجرد البصاق يدل دلالة واضحة على أنها حرام، ولكنها تزول بالدفن وتبقى بعدمه[2]، وإن كانت على حائطه وجب إزالتها وتطييب موضعها لفعله عليه الصلاة والسلام. وقال المالكية: إن البصق في أرض المسجد مكروه مع حكّه وعن الإمام مالك أنه قال: إن كان محصباً فلا بأس أن يبصق بين يديه، وعن يساره وتحت قدمه، ويدفنه، وإن كان لا يقدر على دفنه فلا يبصق في المسجد بحال، سواء كان مع ناس أو كان وحده[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٤٦٠.

(٣) بدائع الصنائع ٨١/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠٢/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٠/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تغيير النبي ﷺ للمنكر باليد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ لانتهاك حرمة قبلة المسجد وعدم نظافتها.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على نظافة المساجد والحفاظ عليها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تغيير النبي ﷺ للمنكر باليد:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق عليه ... فقام فحكه بيده"، أي: تولى ذلك بنفسه وقام بإزالة النخامة بيده، وفي ذلك تعليم منه ﷺ لأمته وللدعاة بأهمية أن يغير الإنسان المنكر بيده، إذا رآه وكان يستطيع تغييره، ولا ينتظر لأن الأمة الإسلامية من خير الأمم وقد جعل الله تعالى من صفاتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

والداعية عندما يغير المنكر بيده يكون قدوة لغيره، ويكون عمله مطابقًا لقوله فهو ينهي عن المنكر بلسانه ويغيره بيده، وله في ذلك الأسوة والقدوة الحسنة في إمام الدعاة محمد ﷺ.

والأصل في تغيير المنكر باليد، الكتابُ والسُنة وإجماعُ المسلمين على ذلك.

يقول تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ۝ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[2]، فإبراهيم عليه السلام كسر الأصنام بيده.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾[1].

فأخبر سبحانه وتعالى عن كليمه موسى عليه السلام أنه أحرق العجل الذي عبد من دون الله ونسفه في اليم.

ويقول تعالى آمراً نبيه أن يقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2].

وذلك حينما دخل مكة عام الفتح فأخذ يطعن الأصنام بعود بيده وهو يتلو هذه الآية.

ورد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده. ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾»[3][4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده»[5] الحديث.

فهذا نص صريح من الرسول صلى الله عليه وسلم بتغيير المنكر باليد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا. فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ))[6].

---

(١) سورة طه، آية: ٩٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٤٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٢٢٢.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيَّ بن كعب من فضيخ زَهوٍ وتمر، فجاءهم آتٍ فقال: إنَّ الخمرَ قد حُرِّمت. فقال أبو طلحة: قم يا أنسُ فهرِقها، فهرَقتها))[١].

وفي رواية لمسلم: فقال أبو طلحة: ((يا أنس قم إلى هذه الجرة فاكسرها فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى تكسرت))[٢].

فهذه الأحاديث دليل واضح بالقول والفعل من الرسول ﷺ وصحابته على تغيير المنكر باليد[٣].

قال أبو العباس القرطبي في شرحه لحديث: ("من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"[٤]، هذا الأمر على الوجوب، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإيمان ودعائم الإسلام، بالكتاب والسنة وإجماع الأمة...

ولوجوبه شرطان:

أحدهما: العلم بكون ذلك الفعل منكراً أو معروفاً.

والثاني: القدرة على التغيير.

فإذا كان كذلك تعين التغيير باليد إن كان المنكر مما يحتاج في تغييره إليها مثل كسر أواني الخمر، وآلات اللهو كالمزامير والأوتاد والكبر، وكمنع الظالم من الضرب والقتل وغير ذلك. فإن لم يقدر بنفسه استعان بغيره فإن خاف من ذلك ثوران فتنة، وإشهار سلاح، تعين رفع ذلك، فإن لم يقدر بنفسه على ذلك غير بالقول المرتجى نفعه من لين أو إغلاظ حسب ما يكون أنفع وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالسيف والرياسة، فإن خاف من القول القتل أو الأذى، غير بقلبه)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٨٢

(٢) أخرجه مسلم ١٩٨٠.

(٣) درجات تغيير المنكر د. عبدالعزيز أحمد المسعود ص ١٧-٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١/٢٣٣ - ٢٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: غضب النبي ﷺ لانتهاك حرمة قبلة المسجد وعدم نظافتها:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه، حتى رؤى في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: (إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبلة القبلة).

قال المازري: (وكأن تلك الجهة علامة على أن قاصدها موحد وأنها عَلَمٌ على التوحيد ولها حرمة لكون المصلي متقرباً بتوجيهه إليها إلى الله سبحانه)[١].

وقال النووي: قوله ﷺ: (فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه) أي: الجهة التي عظمها، وقيل فإن قبلة الله، وقيل ثوابه ونحو هذا، فلا يقابل هذه الجهة بالبصاق الذي هو الاستخفاف بمن يبزق إليه وإهانته وتحقيره)[٢].

وقال العيني: (ولا يصح هذا الكلام على ظاهره، لأن الله تعالى منزه عن الحلول في المكان، فالمعنى على التشبيه، أي: كأنه بينه وبين القبلة)[٣].

قال ابن حجر: قال الخطابي: (معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه، فصار التقدير كأن مقصوده بينه وبين قبلته، قيل على حذف مضاف أي عظمة الله أو ثواب الله).

قال ابن عبدالبر: هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة[٤].

قال القرطبي: (وهذا يدل على تحريم البُصاق في جدار القبلة، وعلى أنه لا يتكفر بدفنه، ولا بحكه، كما قال في حلة المسجد: "البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها"[٥]، فلو يكفر البزاق في القبلة بالحك لما غضب، إذ قد كان تكفي الكفارة

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/١٧٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤١٦.

(٣) موسوعة فتح الملهم، ٤/٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢، والنسائي ٧٢٣ واللفظ له.

في ذلك، وهي الحك، كما اكتفى بها في حديث الأعرابي الذي وطىء في نهار رمضان، ولم يذمه ولا غضب عليه. وقد ظهرت خصوصية جهة القبلة حيث نزلها منزلة الرب تعالى، كما تقرر. وظهر أيضاً التخفيف في ساحة المسجد، كما قد ضرب رسول الله ﷺ فيه خيمة لسعد بن معاذ بعدما رُمي في أكحله، فكان الدم يسيل من خيمته إلى جهة الغفاريين، هذا مع ما قيل: إن هذا كان لضرورة داعية إلى ذلك وقد ذكر مسلم في حديث جابر الطويل[1]: أن النبي ﷺ جعل مكان النخامة عنبراً، وروى النسائي الحديث الأول من طريق أنس[2]، فقال: غضب حتى احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكّتها، وجعلت مكانها خلوقاً، فقال رسول الله ﷺ ((ما أحسن هذا)). ويصح الجمع بين هذه الأحاديث، بأن يقال: كان ذلك في أوقات مختلفة: ففي وقت حكها ﷺ وطيبها بيده، ومرة أخرى فعلت هذه المرأة ما ذكر. ويمكن أن يقال: نسب الحك والطيب للنبي ﷺ من حيث الأمر به، والمرأة من حيث المباشرة[3].

فالقبلة يتوجه المسلم إليها قبل وجه ربه فحرص رسول الله على تنزيهها ورهب من البصاق إليها وقد ورد في ذلك عنه الكثير من الأحاديث الدالة على ذلك منها: قوله ﷺ: «مَنْ تَفِلَ تُجَاهَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»).[4]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُ يَوْماً إِذْ رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَتَغَيَّظَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَكَّهَا قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: فَدَعَا بِزَعْفَرَانٍ فَلَطَّخَهُ بِهِ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ وَجْهِ أَحَدِكُمْ إِذَا صَلَّى فَلاَ يَبْصُقْ بَيْنَ يَدَيْهِ»)[5]. وغيره من الأحاديث التي تبين حرص النبي ﷺ على تعظيم القبلة وغضبه إذا انتهكت حرمتها.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٨.

(٢) أخرجه النسائي ٧٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٧٠٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٥٨/٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٣٩).

(٥) أخرجه البخاري ٤٠٦، ومسلم ٥٤٧.

ثالثاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليمه ﷺ أمته تغيير المنكر إذا رأوه باليد إن استطاعوا.

والتعليم من وسائل الدعوة التي حث عليها الإسلام ودعا إليها رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله.

فلم تعرف البشرية دينا رفع مكانة العلم، وأعلى من شأنه مثل الإسلام ويكفي أن نعلم أن الله تعالى جعل شهادة أولي العلم بعد شهادة الحق سبحانه، وشهادة الملائكة المقربين، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، ولقد كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه تقوم على الاعتناء بالعلم غاية الاعتناء، وحث الأمة على التعلم والتعليم[2]. فينبغي الاهتمام بالتعليم كوسيلة من وسائل الدعوة المؤثرة.

رابعاً- من آداب الداعية: حث المدعوين على نظافة المساجد والحفاظ عليها:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه فقام لحكه بيده فقال: (إن أحدكم إذ قام في صلاته ... الحديث)، قال النووي: وفي هذا الحديث تعظيم المساجد وتنزيهها من الأوساخ ونحوها وفيه استحباب تطييبها[3].

والمسجد له أهمية عظمى في المجتمع الإسلامي، وذلك لما يؤديه من وظائف سامية في إعلاء كلمة الله والدعوة إلى دين الله، ولذا فقد أولى الإسلام للمسجد المكانة اللائقة به عمارة واعتناء بكل ما يحتاجه ويتطلبه، فالمسجد بيت الله، وفي هذا دلالة على قدسية المسجد ونزاهته، وخلوه من الأغراض والمقاصد الدنيوية، والأشياء المستقذرة، فمن يدخله لابد أن يكون عمله خالصاً لله وحده[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، عبدالمجيد البيانوني ص ١٥٤.

(٣) شرح مسلم، ١٧٢٥.

(٤) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٢١٧.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ: «لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا لِلْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[٢].

قال النووي: (قوله ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله وقراءة القرآن" أو كما قال رسول الله ﷺ فيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والقذى والبصاق ورفع الأصوات والخصومات، والبيع والشراء وسائر العقود وما في معنى ذلك) [٣].

وقد حث رسول الله ﷺ على نظافة المساجد والحفاظ عليها فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب"[٤].

فعلى الداعية حث المدعوين على الاهتمام بنظافة المساجد والحفاظ عليها وهذا من واجبات جميع المسلمين نحو بيوت الله.

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٩، ٢٢١، ومسلم ٢٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٨٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٣٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ما لم تتحرك غريزة الغضب لحرمات الشرع، ضاعت القيم وغابت الأخلاق وانتهكت الحرمات وساد الفساد وعمت الفوضى، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية وبيانها كالتالي:

أولاً- توجيه انفعال الغضب إلى أن يكون لله تعالى:

إن من أهداف التربية الإسلامية توجيه انفعال الغضب إلى أن يكون لله تعالى، وليس من أجل الانتصار للنفس، والانتقام من الآخرين، وذلك من أجل ضبط علاقات الأفراد بعضهم ببعض والسمو والارتقاء بها، ومن أجل تغيير المنكر عندما تنتهك حرمات الله تعالى، وقد أورد الإمام النووي تحت هذا الباب جملة أحاديث تبين مشروعية الغضب، وذلك عندما تنتهك حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى، ومن ذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ. فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ. إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ تَعَالى". وفي حديث ابن مسعود وعقبة بن عمرو البدري رضي الله عنهما: «... إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ».

وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «... وَايْمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». وفي حديث أنس رضي الله عنه: «أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى نُخامَةً في القِبلةِ فشقَ ذلكَ عليهِ حتى رُؤِيَ في وجهِهِ». ففي جملة هذه الأحاديث بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغضب لنفسه إنما كان غضبه لله تعالى، ومن أجل تغيير المنكر، وانتصارًا لدين الله تعالى.

"والغضب من أمراض الباطن التي يغفل عنها بعض الناس فيكون سببًا في اختلال صحتهم النفسية، وإن كان مما ركب في الإنسان إلاّ أن لديه القدرة على التحكم فيه، والتقليل من آثاره على سلوكه، والغضب إنما ركب في طبع الآدمي لدفع الأذى عنه والانتقام من المؤذي له، وإنما المذموم إفراطه، فإنه حينئذ يزيل التماسك ويخرج عن الاعتدال، فيحمل على تجاوز الصواب، وربما كانت مكانته في الغضبان أكثر من

مكانته في المغضوب عليه والغضب حرارة تنتشر عند وجود ما يغضب فيغلى عندها دم اللذات طلبًا للانتقام وربما أثر الحمى"[١].

إن الإنسان لا يخلو عن غضب "فأصل الغضب لا يعتبر عيبًا ولا يعتبر وجوده مرضًا، ولكن هناك غضب في الباطل لا يصح، وهناك غضب ظالم لا يجوز، وإن الغضب في غير محله لا تستقيم معه حياة اجتماعية ولا علاقات صحيحة، فغضبة واحدة قد تفسد جماعة بأسرها فتصدع صفّها أو تعرقل أعمالها أو تشل نموها، وإذا أصبح الغضب جزءً من حياة الإنسان عندئذ يكون ما يخربه أكثر مما يعمره، لذلك كان لا بد من السيطرة على الغضب من أجل الدنيا والآخرة، فقد يدخل الغضب صاحبه النار، وقد يفسد عليه أمر دنياه، ونموذج الكمال البشري في الرضا والغضب هو رسول الله ﷺ، وكان من أخلاقه أنه لا يغضب لنفسه، وكان من وصفه أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وكان ﷺ يغضب إذا انتهكت حرمات الله فلا يقوم لغضبه شيء وهذا الذي يطالب به كل الخلق للقضاء على المنكر" [٢].

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة أسلوب الممارسة العملية حيث يبين للمتربي إمكانية تطبيق الفعل المأمور به، ويسوق ترجمة عملية للمتربي، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، ...».

ففي هذا الحديث قام النبي ﷺ بالممارسة العملية بهتك القِرَام وإفساد الصورة التي فيه، وأيضًا ما جاء في أحاديث الباب عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه فقام فحكه بيده...».

---

(١) التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الصنيع ص ٢١٥.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّي ص ٢٣١، ٢٣٢.

والممارسة العملية للمتربي تتضح في حَكّ النبي ﷺ النخامة التي في القبلة بيده "ولقد كان من أساليب النبي ﷺ الموعظة بالفعل التطبيقي حيث يعطي لأصحابه الأنموذج الحي في أسلوب التعليم والتربية والتكوين"[١].

إن أسلوب الممارسة العملية له العديد من الآثار والفوائد التربوية "كإتقان العمل وتعوُّد الدقة وتَوخِّي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة، وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا، والرسول ﷺ اهتم باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملي لكل تعاليم الإسلام على شخصه أولاً وفي تربيته لصحابته ثانيًا [٢].

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالمواقف والأحداث حيث يستثمر المربي أي فرصة للتوجيه والإرشاد من خلال الحدث والموقف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا ما جاء عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ».

وفي موقف المرأة المخزومية ربىّ النبي ﷺ أصحابه من خلال هذا الموقف كما جاء في الحديث"... ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".

إن المربي الناجح يستغل المواقف والأحداث في إيصال القيم التربوية والتنشئة عليها.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧١٨/٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

إذ "أن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة، ففي حادثة المرأة المخزومية كان لابد من درس يُثبت ويُبْرِز معنى المساواة في العقوبات كما هي ثابتة في التكاليف، ويزيل أوهام الفوارق الطبقية بين الناس، لذا جاء الدرس التربوي في حينه" وموضعه فقال الرسول ﷺ لأسامة "أتشفع في حد من حدود الله" ثم قام فخطب ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم..."، وهكذا تكون التربية بالحدث ومن خلال الحدث"[1].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: تحقيق الأمن الاجتماعي:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: ((أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ تعالى؟». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ، تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))، فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على حرص النبي ﷺ على تطبيق حدود الله تعالى في أرضه، وعلى حرصه ﷺ على عدم التفرقة بين الناس في ذلك بسبب شرف أو نسب، كما كانت تفعل في الأمم السابقة فكان سببًا من أسباب هلاكهم؛ لكون ذلك أدى إلى اختفاء الأمن الاجتماعي فيما بينهم، أما الإسلام فكان حريصًا أشد الحرص على تحقيق الأمن الاجتماعي ومنع كل السبل المؤدية إلى زعزعته أو خلخلته.

خامسًا- التربية بتعليل الأحكام:

لما رأى النبي ﷺ النخامة في القبلة- كما في حديث أنس رضي الله عنه- قام فحكها بيده ثم قال: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، أو إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

القِبْلَةِ، فلا يَبْزُقَنَّ أحدُكُم قِبَل القِبْلَة))، فقد بيّن ﷺ سبب غضبه لوجود النخامة في القبلة، ومما لاشك فيه أن بيان أسباب الأحكام والتصرفات - إن اقتضى الأمر ذلك- من الأساليب التربوية المهمة، التي تجعل التعليم أشد أثرًا، فضلاً عن أنها تزيد اقتناع المتعلم بما يأمر به أو ينهي عنه.

سادسًا- من مهام المربي: بيان البدائل المشروعة للفعل غير المشروع:

وهذا واضح من قوله ﷺ: ((فَلاَ يَبْزُقَنَّ أحدُكُم قِبَل القِبْلَة، وَلكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أو تَحْتَ قَدَمَيْه، ثم أخذ طرف ردائه وبصق فيه ثم ردَّ بعضه عَلى بعض، فقال: أَوَ يَفْعَلُ هكَذا))، فقد بيّن ﷺ البدائل المتاحة لمن أراد أن يتنخم بعد أن نهى عن النخامة قِبل القبلة، وبناء على ذلك كان على المربي الفطن إنه إذا منع من يقوم بتربيتهم من شيء دلّهم على الأفعال المقبولة والمباحة، وفي ذلك توسيع عليهم وعدم تضييقه.

❁ ❁ ❁

٧٨- باب أمر وُلاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠].

الحديث رقم (٦٥٣)

٦٥٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مال سيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

المتأمل لبنية الحديث يجد أنها تشير إلى أقوى معاني الترابط والتماسك بين طبقات المجتمع، وتحيط أفراده بمظلة الرعاية المنسوجة من أفراده أنفسهم كل في إطار المهمة المنوط بها تجد ذلك إجمالاً في أمور منها: استهلال الرسول ﷺ لحديثه بلفظ (كل) الذي يفيد التعميم الذي جعل الجميع تحت مظلة الحكم المراد ككتلة واحدة، ثم ختام الحديث بنفس المعنى وكأنه مبدأ يريد تأكيده، ومنها: بداية الحديث بجملة اسمية، تفيد الثبوت والدوام، وهو في تمام المطابقة لمقتضى الحال والوفاء بالمعنى حيث يشير إلى أن هذه المسئولية، والرعاية المذكورة ثابتة لكل فرد في جميع الأحوال،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٥٨، ومسلم ١٨٢٩/٢٠، وتقدم برقم ٢٨٣، ٣٠٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٧٥.

ودائمة على مر الأزمان، ومنها: شدة التشابك والتلاحم بين جمل الحديث والتي جعلته كجملة واحدة، وهي في مجملها تأكد المعنى العام في وحدة المجتمع، وهو كلية الرعاية، وكلية المسئولية التي بني عليها معنى الحديث، وإذا نظرنا إلى بنية الحديث تفصيلاً نجد أنها تؤكد على ضرورة الترابط والتواصل والرعاية المتبادلة ففي قوله ﷺ (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته) جملة خبرية تؤذن بثقة المتكلم، وشعوره بصلاحية القابل، واستعداده لتلقي مضمون الخبر، وأن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر إنكاره؛ لذا لم يؤكد الخبر بأي مؤكدات، ولأن المخاطب خالي الذهن من الخبر، والجملة تقرر مبدأ عاماً يشمل كل أفراد المجتمع المسلم فلفظ (كل) يفيد الشمول بمعناه وإضافته لكاف المخاطب وميم الجمع تؤكد على هذه الشمولية، وقوله: (راع) هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما أؤتمن عليه حفظه، فهو المطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه، ودنياه، ومتعلقاته، فإن وَفَّى ما عليه من الرعاية حصل له الحظ الأوفر، والجزاء الأكبر، وإن كان غير ذلك طالبه كل أحد من رعيته بحقه.

وقوله: (راع) مسند وقع اسماً فأفاد ثبوت الصفة ودوامها وأما تنكير (راع) فلإرادة عدم الحصر، والعهد، والتعيين في المسند حيث يقتضي المقام ذلك؛ لأن كل فرد راع فيما يخصه؛ فالمرعي متعدد بحسب تعدد مسئوليات كل راع وجملة: (وكلكم مسئول عن رعيته) عطفت على ما قبلها بالواو لاتفاقهما من حيث الخبرية، وتناسبهما مع اتحاد المسند إليه فيهما، ولفظ (كل) المضاف لكاف الخطاب وميم الجمع - كما ذكرنا سابقاً - يؤكد عموم المسئولية كما سبق، وأكد عموم الرعاية، وقوله: (رعيته) والرعية كل من شمله حفظ الراعي ونظره' وقوله: (الإمام راع) فصلت عما قبلها (كلكم راع) لكمال الاتصال حيث وقعت الثانية من الأولى موقع البدل من المبدل منه وهو بعض من كل؛ لأن الإمام وما عطف عليه بعض من قوله: (كلكم راع)، وقوله: (الإمام راع) بعد قوله: (كلكم راع) من ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس هذا العام، تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات، وكأنه امتاز عن سائر أفراد العام بما له من الأوصاف الشريفة جعل كأنه شيء آخر

مغاير للعام لا يشمله العام، ولا يعرف حكمه منه' ونص الرسول على ذكر المسند (راع) والمسند (مسئول) وتكراره مع كل مسند إليه مع إمكانية تركه لدلالة السابق عليه، فقد كرره مع الإمام والرجل والمرأة والخادم، وذلك ليتقرر المعنى، ويتأكد في النفس مع إفادة الثبوت والدوام لصفة الرعاية والمسئولية لكل فرد ممن ذكر على حدا، وحتى لا نظن أن الحكم الخاص فقط بالأئمة، أو الأمراء، أو فئة دون فئة، أو شخص دون شخص بل الجميع واقع تحت الحكم، والبداية بالإمام تدرج من الأعلى إلى الأدنى ؛لأن رعايته تشمل الجميع، ومسئوليته أكبر.

والمتأمل لحديث رسول الله ﷺ يجد أنه تدرج بمظلة الرعاية والمسئولية من الدائرة العظمى التي تشمل الجميع ابتداءً بالإمام، ومروراً بالرجل، والمرأة والعبد، وكل أفراد المجتمع حتى من ليس له شيء، فهو راعٍ لجوارحه، ومسئول عنها أمام الله، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[1]، هذه المسئولية، والرعاية التي حددها الرسول ﷺ تجعل في عنق كل فرد من أفراد المجتمع أمانة يجب أن يؤديها، وتقرر أنه مسئول عنها أمام الله، هذا الإحساس الذي يبثه الحديث يجعل المخاطب يفتش في نفسه، ويحاسبها عمن يرعاهم ومسئوليته تجاههم مما يجنبه خطأ التقصير في حقوقهم، أو ظلمهم ويجعله عنصراً إيجابياً في المجتمع، وقوله في جملة الختام: (وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) رد للعجز على الصدر وسماه بعض المتأخرين بـ (التصدير) ومن مزاياه أنه نوع من الدلالة فيه تقرير وبيان وتدليل؛ وأن فيه نوعاً من زيادة المعنى، حاصلاً من إيحاء اللفظ الأول بالثاني الذي هو تكرار له، وأن الأول كما أوحي بالثاني فإنه يذكر به... فهو رابط من روابط التذكر، وفيه فوق كل ما تقدم رونق من حسن السبك في الصناعة ومائية وطلاوة من جمال العرض[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ٥٦.

(٣) تقدم هذا الحديث برقم (٢٨٣).

الحديث رقم (٦٥٤)

٦٥٤- وعن أبي يعلى مَعْقِل بن يَسارٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسترْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة)) متفقٌ عليه[1].

وفي رواية[2]: ((فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّة)).

وفي رواية لمسلم[3]: ((مَا مِنْ أميرٍ يلي أمور[4] المُسْلِمينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ[5]، إلاَّ لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ)).

ترجمة الراوي:

معقل بن يسار: هو معقل بن يسار بن عبدالله المزني البصري، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان، فكان من أهل البيعة. قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافعٌ غصناً من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة[6].

نزل العراق فسكن في البصرة وبنى بها داراً، وهو الذي حفر نهر معقل بالبصرة بأمر عمر، فنسب إليه.

قال يونس بن عبيد: ما كان هاهنا - يعني بالبصرة- أحد من أصحاب النبي ﷺ أهنأ من معقل بن يسار.

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٥١، ومسلم ١٤٢/٢٢٧.

(٢) أخرجها البخاري ٧١٥٠ عن أبي نعيم. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٢٦٠.

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث ١٤٢/٢٢٩، بدون رقم من حديث أبي المليح عامر بن أسامة، عن معقل. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٢٦١.

(٤) لفظ مسلم: (أمر) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٨٣/١، رقم ٦١٥.

(٥) (لهم) لا توجد عند مسلم، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه.

(٦) أخرجه مسلم (٧٦-١٨٥٨).

مات في آخر خلافة معاوية، وقيل: في خلافة يزيد. ذكره البخاري في التاريخ الأوسط فيمن مات بين الستين إلى السبعين، حديثه في الصحيحين والسنن[١].

غريب الألفاظ:

يسترعيه: يستحفظه[٢].

رعية: كل من شمله حفظ الراعي ونظره[٣].

يحطها: يكلؤها ويصنها[٤].

لا يَجْهَد لهم: لا يستفرغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في رعاية مصالح الرعية[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول ترهيب من ولي أمور الناس ثم قصَّر فيها، أو ضيعها، وقد جاء في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء لقصر الراعي الغاش على تحريم الجنة مما يعني ضمنا أنه من أهل النار، وقوله (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً) أسلوب نفي مستغرق للجنس عن طريق وقوع النكرة (عبد) في سياق النفي وسبقها بحرف الجر (من)، والتعبير بالعبد للتذكير بالأصل حتى لا يغريه المنصب فيظن نفسه أفضل منهم فيتكبر على رعايتهم، والقيام بأمورهم، والتعبير بالفعل (يسترعي) أي يطلب منه رعايته، ونسبته لله إشارة إلى أن الله هو الذي ولاه، رعايتهم وبالمنطق العقلي سيحاسبه على ما

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٤/٧ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧٤ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٢٤/٥ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٧٣، والسير ٥٧٦/٣ وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٦/٧ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٢١/٤ والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٧١/٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٨١٥/٣.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٢٨٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٦٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/١٣.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٥.

ولاه، وقوله (يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ) أي يدركه الموت وهو على حالة الغش، والتعبير باسم الفاعل (غاش) للدلالة على الثبوت، والدوام في الغش، وتكرار الفعل (يموت) في صورة المضارع يصور الوالي الغاش في لحظة الفراق بين الدنيا، والآخرة، يصارع الموت، وما غش الناس من أجله من ملك، أو جاه، ومال لا يغني عنه شيئا، بل يكون حسرات عليه، وهو يرى ما ضيع فيه عمره، ودينه وهو يفارقه دون رجعة، إلى نار دون خروج لأنه حرم نفسه جنة لا تزول بسبب غشه لرعيته، مما يجعل كل مسئول عن قليل، أو كثير يفكر في من تحت يده ما حالي معهم؟!

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته والاجتهاد في مصالحهم والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم، وفي قوله ﷺ: "ويموت يوم يموت وهو غاش" دليل على أن التوبة قبل حالة الموت نافعة)[1].

وقال الصنعاني: (والأحاديث دالة على تحريم الغش وأنّه من الكبائر لورود الوعيد عليه بعينه)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عظم المسؤولية في الإسلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النصح للمسلمين والإخلاص في ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان مسئولية ولي الأمر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عظم المسؤولية في الإسلام:

إن من المعاني العظيمة التي يغرسها الإسلام في نفوس أتباعه حاكمين ومحكومين مبدأ التبعة والمسؤولية عن التصرفات والأعمال، ويتضح هذا مما جاء في الحديث "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة".

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨١/١٢/٦.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٩٦٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١٣.

قال ابن حجر: قال ابن بطال هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة، ومعنى حرم الله عليه الجنة، أى أنفذ الله عليه الوعيد، ولم يُرْض المظلومين عنه، وقد جاء في هذه الرواية وهو غاش لرعيته، وفي رواية أخرى فلم يحطها بنصحه، والحاصل فيهما أنه أثبت الغش في إحداهما، ونفى النصيحة في الأخرى، فكأنه لا واسطة بينهما، ويحصل ذلك بظلمه لهم بأخذ أموالهم أو سفك دمائهم، أو انتهاك أعراضهم وحبس حقوقهم، وترك تعريفهم ما يجب عليهم في أمر دينهم ودنياهم، وبإهمال إقامة الحدود فيهم، وردع المفسدين منهم وترك حمايتهم[1]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظم المسئولية في الإسلام، وقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))[2].

ولعظم المسئولية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾[3]، وحذر الله من خيانة الأمانة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4]، قال الدكتور دراز: "إن المسئولية تفترض الإلزام سلفاً، وإن ذلك ينتج عنه من ناحية أن الحساب يجب أن يكون موضوعه الطريقة التي تم بها أداء عمل إلزامي، أو إهماله وسواء كان الإنسان مسئولاً أمام نفسه أم أمام الإنسان أم أمام الله سبحانه، فإنه يبقى مسئولاً"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٥٤، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٥) دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، تحقيق وتعريب، د. عبدالصبور شاهين ١٤٠-١٤١.

وقد جاء في موسوعة نضرة النعيم: "من المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسئول وحده، فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه، أو نسب إليه. وقد كان التشريع اليوناني القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى وفي انتهاك الأشياء المقدسة، وحماية للإمام المسلم من الانزلاق في الظلم جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1]، والراعي والرعية يَدان تتعاونان على خير الأمة ورعاية مصالحها وكفالة الأمن على حياة الناس وأعراضهم وأموالهم، ولا يستقيم أمر الأمة، ولا تتسق شئونها إلا إذا قام كل من الحاكم والمحكوم بمسئولياته، وأخلص المعاونة لصاحبه، ولكى تنجح الأمة في مسيرتها، وتحقق غايتها لابد من أن ينهض كل بمسئولياته"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النصح للمسلمين والإخلاص في ذلك:

إن الإسلام يدعو أفراد المجتمع المسلم إلى التناصح فيما بينهم، وتقديم المشورة لمن يستشير، ويتضح هذا من الحديث مما جاء في رواية "فلم يحطها بنصحه" وفي رواية: "ثم لا يجهد لم وينصح لهم" قال الطيبي: يعني أن الله تعالى إنما ولاه واسترعاه على عباده ليديم النصيحة لهم، لا ليغشهم فيموت عليه، فلما قلب القضية استحق أن لا يجد رائحة الجنة، قال القاضي عياض: (من قلده الله تعالى شيئاً من أمور المسلمين، واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضييع حقوقهم، وما يلزمه من أمور دينهم أو دنياهم، أو غير ذلك فقد غشهم. وتحريم دخول الجنة عليه إما أنه محمول على المستَحِلّ أو أنه محرم عليه دخولها مع الفائزين السابقين)[3].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٠٤/٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٩٤/٧.

وما من شك في أن النصيحة واجبة وقد جاء في الحديث عن تميم الداري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[١]. وجعل الرسول ﷺ النصيحة من حقوق المسلم لأخيه المسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))[٢].

قال النووي: (وقوله ﷺ: "إذا استنصحك" فمعناه طلب منك النصيحة فعليك أن تنصحه، ولا تداهنه ولا تغشه، ولا تمسك عن بيان النصيحة والله أعلم)[٣].

وقال ابن رجب: (وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ويشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم، وإن ضره ذلك في دنياه كرخص أسعارهم، ويحب صلاحهم وإلفتهم ودوام النعم عليهم ونصرهم على عدوهم، ودفع كل أذى ومكروه عنهم)[٤].

وقال ابن حجر: (والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حملوا القيام به، وتنبيههم عند الغفلة، وسد خلتهم عند الهفوة، وجمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد، وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم. والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم، والسعي فيما يعود نفعه عليهم، وتعليمهم ما ينفعهم، وكف وجوه الأذى عنهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٥٥.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢/١

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/١.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةُ"، وفي رواية "لم يجد رائحة الجنة"، وفي رواية "إلا لم يدخل الجنة معهم"، وما من شك في أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة الناجعة في رد النفس إلى الحق، وكبح جماحها عن المعصية والرزيلة، (ومن الملاحظ أن الله سبحانه وتعالى فطر النفوس الإنسانية على الحرص الشديد على السعى لما تصيب منه لذة أو منفعة، وعلى الحرص الشديد على الابتعاد عما ينالها منه ألم أو مضرة أو خسارة، أو شيء مما تكرهه وتنفر منه، والمطلوب من الداعية إيصال المدعو إلى الوثوق بصدق ما يقدم له من وعد مؤجل بثواب عظيم، والوثوق بصدق ما ينذر به من وعيد عظيم على المعصية ومخالفة الأوامر والنواهي)[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[2].

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان مسئولية ولي الأمر:

إن الإمارة أمانة ومن ثم كان ولي الأمر مسئولاً عن رعيته وعن النصح لهم، ويتضح هذا من سياق الحديث ورواياته فولى الأمر مسئول عن رعيته وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية.

قال القاضي عياض: (وهذا الحديث وما في معناه بيِّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلّده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم ونصبه خليفة لمصلحتهم، وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه، ولم ينصح فيما قُلّده واستخلف عليه إما بتضييع لتعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل مُتصد لإدخال داخلة فيها، أو

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني ٦٣٥/١.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠-٣٤.

تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم - فقد غشهم. وقد نبه ﷺ أن ذلك من كبائر الذنوب الموبقة المبعدة عن الجنة إذا دخلها السابقون والمقربون، إن أنفذ الله عليه وعيده الموجب لعذابه بالنار، أو إيقافه بالبرزخ والأعراف المدة التي يشاء الله تعالى، أو يحرم الجنة رأساً إن فعل ذلك مستحلاً)[1].

قال ابن تيمية: (والواجب على الوالي المسلم أن يجتهد في القيام بمسئولياته حسب وسعه، فمن ولى ولاية يقصد بها طاعة الله، وإقامة ما يمكنه من دينه ومصالح المسلمين، وأقام فيها ما يمكنه من الواجبات واجتناب ما يمكنه من المحرمات بما يؤاخذ بما يعجز عنه، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار)[2].

قال أبو يعلي الفراء: (ومما يلزم الإمام من أمور الأمة حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل. ويلزمه تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم، وحماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعايش وينتشروا في الأسفار آمنين، ويلزمه إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك ويلزمه استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة، ويلزمه أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ليهتم بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح. ويلزمه تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً، ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد)[3].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٤٦/١ - ٤٤٧.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص ١٤٢.

(٣) الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين الفراء، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي ص ٢٧، ٢٨.

الحديث رقم (٦٥٥)

٦٥٥- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول في بيتي هَذَا: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارفُقْ بِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فشق عليهم: من المشقة وهي الشدة والثقل والجهد[2].

الشرح الأدبي

في الحديث التالي يسلك الرسول ﷺ في تقويمه للخطأ مسلكاً خاصاً يتسم بالعموم، و ينزع في علاجه منزعاً نفسياً بحتاً من خلال أساليب بلاغية بلغت القمة في الترهيب، والترغيب ببراعة، ودقة، وهو بصدد تقويم خطأ المشقة على الناس ممن تولى أمراً من أمورهم، وصارت حاجة الناس إليه، ومصالحهم في يده، وقد استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية منها:

١- أساليب النداء، وقد جاء بصيغة خاصة هي (اللهم) وهذه الصيغة لها خصوصية علي غيرها حيث أنها - دائما- تتصدر العظائم، وإذا كان النداء عامة يتصدر الأمور المهمة علي اختلاف المنادَي والمنادي فإن صيغة (اللهم) تتصدر أعظم ما ينادى من أجله، وتختص بأعظم منادَىً، وليدة لحظات القرب، والتعلق بالله خوفاً من ضر، أو رجاءً في خير، وقوله الرسول ﷺ (اللهم من ولي من أمر أمتي) بصيغته هذه للتوجه إلي الله توحي بعظم ما سيليها وأنه يستحق الاهتمام والإنصات وتحقق للأسلوب عدة فوائد: تحقيق اللفت، والتنبيه، و تحقيق الإنصات الممهد لبلوغ الخبر لأسماع المخاطبين،

---

(١) برقم ١٨٢٨/١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٥٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

وتحقيق الترقب، والتشويق الباعث علي متابعة الخبر حتى النهاية، وتبعث مشاعر الوجل، والرهبة، والإشفاق بمعونة باقي السياق، وهذا النداء في إطار تقويم الخطأ سوط مشهر يدوى خلف كل من ولي شيئا من أمور الناس يحميه من نفسه الأمارة بالسوء، ويحمى الناس من جوره عليهم.

٢- أسلوب الشرط في قول (من ولى من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه) وجملة الشرط هي قوله (من ولى من أمر أمتي شيئا) بما عطف عليها في قوله (فشق عليهم) وهى توجه جملة الترهيب، وقذفة الوعيد المنبعثه من النداء الخاص في (اللهم) وما تبعها إلى ولاة الأمور، وساسة الناس، وهذا التوجيه من الرسول ﷺ يجعل الأسماع تطرق، والقلوب تخشع لمعرفة خبرهم، أو وجلاً من إدراك سهم الدعاء المنطلق من كنانة مَنْ لا تخطيء له رمية صوب من هذه صفتهم، وهذا الترقب، والإشفاق مبعثه أسلوب الشرط علاوة على ما حملت جملة الشرط من ألفاظ تدل علي المشقة المتداركة بالعذاب من الله.

ثم إضافة الرسول ﷺ الأمة لنفسه، والذي يوحي بشمول الحكم لكل من انطبقت عليه الصفة لكونهم جميعا من أمته ﷺ حتى إذا جاءت جملة الجواب (فاشقق عليه) معطوفة علي سابقتها (فشق عليهم) جزاء من جنس العمل غير أن مشقة الله عذاب لا يتصور، ولعنة تطاردهم في كل موقف حتى تسلمهم في قيد المشقة لزبانية جهنم- أو ما شاء الله.

وعلي النقيض من السهم المنطلق من كنانة الرسول ﷺ تجاه الوالي الذي يشق علي رعيته في جملة الشرط الأولى تجد الصورة الثانية طي جملة الشرط (ومن ولى من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به) تنبعث ورودا هفافة ومشاعر رفرافة، وعبقاً يحيط بالوالي الرفيق ينبعث من دعوة الرسول ﷺ في كل مكان وزمان، حتى يستقر في ظل عرش الرحمن معه بطاقة مكتوب فيها (وإمام عادل).

١- التنكير، وهو في إطار تقويم الخطأ يسوِّى كل صغير وكبير في الحكم في كلمة (شيئاً) وتنكيرها يفيد التقليل الإشارة إلي أن الحكم ينال كل من ولي من

أمر المسلمين قليلاً أو كثيراً، ورغم بساطة هذه اللمسة البلاغية في التركيب إلا أنها كانت في استيعابها أعظم مما يتصور، فلم تدع هذه اللمحة شخصاً ذا رتبة، أو منصب في المجتمع المسلم يباشر من خلاله أمراً صغر، أو كبر إلا، وجعلت دعوة الرسول ﷺ سيفاً علي رقبته إن شق؛ أو نبع حنان إن رق، واستخدام كلمة من في قوله (من أمر) استغراق للعمل الصغير، والكبير.

٤- الطباق بين مادة (الشق) في قوله (من ولي من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشفق عليه) وبين مادة (الرفق) في قوله (ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به) تبدو فيه براعة الرسول ﷺ في وضع الضد بإزاء الضد حتى يتضح مدى الفارق بين والٍ تطارده المشقة أينما حل بمشقته على رعيته وبين والٍ تحيط به رحمة الله برفقه على من وليهم، وهذا الأسلوب له بُعد نفسي يتمثل في مراجعة الوجدان مرة بعد مرة لكلتا الصورتين يرى من خلالها المخاطب المنوط بالحكم دعوة الرسول ﷺ لعنة تطارده إن شق في ولايته بينما يرى الرفيق دعوة الرسول ﷺ رحمة تغمر قلبه وترضى ربه كلما رَق.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اهتمام النبي ﷺ وشفقته على أمر أمته.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: رفع الحرج ودفع المشقة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

خامساً: من صفات الداعية: الرفق.

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث " يقول في بيتي هذا"، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين، وتبين مدى ثقة الداعي فيما يقول وتمكنه منه ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[1]، وقوله سبحانه:

---

(١) سورة النبأ، آية: ٣١.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[١].

قال ابن عثيمين: (والتوكيد معناه: التقوية والتثبيت فيقال مثلاً: وكّد الحديث أو أكّد الحديث، ويقال وكّد الخبر أو أكّد الخبر وما أشبه ذلك. إذن هو التقوية وله ألفاظ مخصوصة ومعينة في اللغة العربية وتعيينه علم بالتتبع والاستقراء)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اهتمام النبي ﷺ وشفقته على أمر أمته:

إن الرسول الكريم ﷺ شفيق رحيم بأمته ويظهر هذا من الحديث في قول النبي ﷺ: "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولى من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به"، ومما لاشك فيه أن النبي ﷺ رحيم بأمته قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

قال السيوطي: (قال قتادة: جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه من النبوة والكرامة، عزيز عليه عنت مؤمنهم، حريص على ضالهم أن يهديه الله، بالمؤمنين رءوف رحيم، وعن ابن عباس قال: شديد عليه ما شق عليكم حريص عليكم أن يؤمن كفاركم)[٤].

وبيّن الله تعالى شفقة النبي ﷺ ورحمته فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٥]، ومما يدل على شفقة النبي ﷺ واهتمامه بأمته ما جاء عن مالك بن الحويرث قال: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عشرينَ ليلةً، وكانَ رسولُ

---

(١) سورة الفجر، آية: ٢١.

(٢) شرح الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين ص ٢٦٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦١٤/٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الله ﷻ رَحِيماً رَقِيقاً، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قد اشْتَهَيْنَا أَهْلِينَا واشْتَقْنَا، سأَلَنَا عمن تَرَكْنَا بعدنَا، فأخبرناهُ فقالَ: ((ارجعُوا إلى أهاليكُمْ فأقيمُوا فيهمْ وعلِّمُوهمْ ومروهُمْ))[١].

ومما يدل على شفقته وحرصه ﷺ على أمته ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[٢]. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[٣]. أما يوم العرض فكامل شفقته ﷺ بأمته، لقوله ﷺ: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة"[٤].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: رفع الحرج ودفع المشقة:

إن الشريعة الإسلامية جاءت برفع الحرج ودفع المشقة عن الناس والتيسير عليهم، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "فشق عليهم فاشقق عليه"، قال النووي: (وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس وأعظم الحث على الرفق بهم وقد تكاثرت وتظاهرت النصوص الشرعية على هذا)[٥].

ولا شك أن من أهم أهداف الدعوة رفع الحرج عن الناس، ودفع المشقة عنهم قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦]، قال ابن كثير: (أي: ما كلفكم ما لا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨، ومسلم ٦٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥

(٦) سورة الحج، آية: ٧٨.

تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجاً، ومما يدل على ذلك الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات)[١].

وقال: ابن عاشور: (بين سبحانه تفضيل هذا الدين المستتبع تفضيل أهله بأن جعله ديناً لا حرج فيه لأن ذلك يسهل العمل به مع حصول مقصد الشريعة من العمل فيسعد أهله بسهولة امتثاله، وقد امتن الله بهذا المعنى في آيات كثيرة من القرآن)[٢].

وفي بيان رفع الحرج وتيسير الشرع قال سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤]، ولهذا (كان من مظاهر عدم الحرج في الشريعة الإسلامية، ونتيجة له قلة التكاليف التي كلف الله بها عباده، إذ في كثرة التكاليف من الحرج ما يضعف النفس ويورثها الملل والانقطاع عن الأعمال النافعة، وقد تكرم الله برفع ذلك)[٥].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث "فاشقق عليه" وهذا ترهيب، "فارفق به" وهذا ترغيب، وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة النافعة التي تكون سبباً في حمل المدعوين على الخير وبعدهم عن الشر، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والترهيب كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، والقرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٤٥٥/٥.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣٤٩/١٧/٧.

(٣) سورة المائدة، آية : ٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز عزام، ١٣.

(٦) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي صالح المرشد، ١٦٠.

خامساً- من صفات الداعية: الرفق:

يتضح هذا من سياق الحديث ورفق النبي ﷺ بأمته، وقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[1]، وفي الحديث أيضاً عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ))[2]. والدعاة أحوج الناس إلى أن يتصفوا بالرفق (فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ)[3].

قال أبو حامد الغزالي: (اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة. فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه. قال سفيان الثوري لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه، وهذه إشارة إلى أنه لابد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل:

وَوَضْعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السيفِ ... مُضِرٌّ كوضعِ السيفِ في موضعِ الندى[4]

فالمحمود وسط بين العنف واللين، كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدَّة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف)[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

(٣) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ٤٨.

(٤) خزانة الأدب. قافية الأدب ٢٠٠/١، نفح الطيب ٢٨٧/١، يتيمة الدهر ٢٥١/١.

(٥) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٨٤/٣-١٨٥.

الحديث رقم (٦٥٦)

٦٥٦- وعن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((كَانَتْ بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنبِيَاء، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكثُرُونَ))، قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: ((أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ (وَاسْأَلُوا الله الَّذِي لَكُمْ)[1]، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)) متفقٌ عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تسوسهم: من السياسة وهي القيام على الشيء بما يصلحه والمراد: يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية[3].

البَيْعة: المعاقدة والمعاهدة والتولية وبذل العهد على الطاعة والنصرة. كما أنها عقد بين الأمة والحاكم يرتب على كل منهما تجاه الآخر حقوقاً وواجبات[4].

استرعاهم: استحفظهم[5].

الشرح الأدبي

البداية بالفعل الماضي كان عودة في الزمن لنقل خبر محقق الوقوع سابق للحديث وتعلقه ببني اسرائيل يعطيه طرافة تجذب المخاطبين لعجيب ما أحدثوا مع أنبيائهم، وقوله (تسوسهم الأنبياء) أي تحكمهم وتتولى إمرتهم وقوله (كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ)

---

(١) هذه الزيادة ليست عندهما، وإنما هي عند إسحاق بن راهويه في مسنده ٢٥٦/١، رقم ٢٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢/٤٤ ولفظهما سواء، بدون الزيادة.

(٣) شرح مسلم ١١٩٣.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٩٥.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١٢٨٩.

أسلوب شرط يربط هلاك نبي بخلف نبي، وبين الهلاك والخلاف طباق يؤكد تتابع الأنبياء على حكمهم دون فترة يتخللها حكم غيرهم وقوله (وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي) أسلوب نفي مؤكد بحرف التوكيد وضمير الشأن الذي يؤذن بتفخيم ما بعده، وهو خبر انقطاع النبوة بموت الرسول ﷺ (وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ) السين المتصلة بالفعل تدل على المستقبل القريب، وهو من معجزاته ﷺ حيث أخبر بما كان في الماضي وما يكون بعده في المستقبل يدل على ذلك الظرف المضاف لياء المتكلم (بعدي) والخلفاء جمع خليفة وهو ما يتلو السابق، وقول الصحابة: (فَمَا تَأْمُرُنَا؟) يشير إلى أنهم فهموا أنه سيكون هناك خلاف، وهو ما دل عليه قوله (فيكثرون) وقوله (أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ) التعبير بالوفاء يشير إلى الطاعة وتسليم الحق لأهله والترتيب، والتعقيب المفهوم من الربط بالفاء في قوله (الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ) يشير إلى عدم مبايعة خليفة في وجود خليفة؛ لأن ذلك شق مباشر لوحدة الأمة التي تضعف كيانها، وتضيع البلاد، والعباد كما حدث بعد، وبين قوله (وَاسْأَلُوا... سَائِلُهُمْ) جناس يؤكد المعنى الذي يخص كل فرد بما يسأل عنه بعد الوفاء بما عليه.

فقه الحديث

١- جواز القول هلك فلان (قال النووي في هذا الحديث جواز قول هلك فلان إذا مات، وقد كثرت الأحاديث به، وجاء في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[1])[2].

٢- تقديم أمر الدين على أمر الدنيا، لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة[3].

---

(١) سورة غافر، آية: ٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/١٢/٦.

(٣) المرجع السابق ١٩٤/١٢/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٧/٦.

٣- حكم بيعة الأول:

إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة، قال النووي: (سواءًا عقدوا للثاني عَالِمين بعقد الأول أم لا، سواءًا كانوا في بلد واحد أو أكثر. سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا. هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجماهير العلماء، وقيل: تكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره، وقيل: يقرع بينهما، قال: وهما قولان فاسدان.

واتفق العلماء على أنه لا يجوز أن يعقد لخليفتين في عصر واحد سواء اتسعت دار الإسلام أم لا، وقال إمام الحرمين في كتابه الإرشاد: قال أصحابنا: لا يجوز عقدها لشخصين، قال: وعندي أنه لا يجوز عقدها لاثنين في صقع واحد، وهذا مجمع عليه. قال: فإن بعد ما بين الإمامين وتخللت بينهما شسوع فللاحتمال فيه مجال، قال: وهو خارج من القواطع، وحكى المازري هذا القول عن بعض المتأخرين من أهل الأصل، وأراد به إمام الحرمين، وهو قول فاسد مخالف لما عليه السلف والخلف، ولظواهر إطلاق الأحاديث)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد وتعذرت الاستنابة، جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: سياسة الأنبياء لبني إسرائيل.

ثانياً: من وسائل الدعوة: البيعة وأهمية الوفاء بها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين.

رابعاً: من حقوق المدعو: مناصحة الحاكم المسلم بالحسنى والرفق.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/١٢/٦.

(٢) جواهر الإكليل ٢٥١/١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٧/١٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٢/٤ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦).

أولاً- من تاريخ الدعوة: سياسة الأنبياء لبني إسرائيل:

حيث جاء في الحديث "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء"، وهذا يعتبر من تاريخ الدعوة الذي يجب أن يستفيد منه الدعاة إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، قال النووي: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء" أى يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه)[2]، وقال ابن حجر: (تسوسهم الأنبياء، أى أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبياً يقيم لهم أمرهم، ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة، وينصف المظلوم من الظالم)[3].

ولعل من أبرز الأنبياء الذين ساسوا بني إسرائيل وجمعوا بين النبوة والملك فيهم هو نبي الله داود وابنه سليمان، وقد أنعم الله عليه أيضاً بالنبوة والملك وآتاه الحكمة. ولقد صور القرآن الكريم سياسة الأنبياء لبني إسرائيل فيما جاء في قصة طالوت وجالوت، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]، وفي هذه المعركة كان طالوت قائدًا عليهم ومعه داود عليه السلام وهو الذي قتل جالوت.

قال عفيف عبدالفتاح طبارة: (اجتاز طالوت النهر مع الذين صبروا على العطش والتعب. وقال الفريق المؤمن منهم كم حدث أن جماعة قليلة غلبت جماعة كثيرة العدد

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٧٣/٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤٦.

بإذن الله فلنصبر على لقاء العدو فإن الله مع الصابرين بالنصر والتأييد. ولما خرج المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا إلى الله ضارعين أن ينصرهم على أعدائهم فاستجاب الله دعاءهم، وقتل داود جالوت، وأعطاه الله ملك بني إسرائيل وعلّمه ما شاء من علم وحكمة)[١].

ثانياً- من وسائل الدعوة: البيعة وأهمية الوفاء بها:

إن وسائل الدعوة متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل البيعة حيث جاء في الحديث "أوفوا ببيعة الأول فالأول" وإن البيعة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، قال ابن الأثير: (والبيعة عبارة عن المعاقدة والمعاهدة على أمرٍ كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[٢].

وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب الوفاء بالبيعة التي هى العهد والوعد، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٣]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٤]. وإذا كانت البيعة معاهدة ومعاقدة على أمر فإن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[٥].

قال أبو بكر الجزائري: (يأمر الله المؤمنين بأمر عظيم هو الوفاء بالعهود والعقود وأولها الوفاء بالعهود التي بينهم وبينه سبحانه ومثلها في وجوب الوفاء بها عهود الناس فيما بينهم، إذ الكل أمر الله تعالى بالوفاء به لاسيما العهود الموثقة بالأيمان وما كان متعلقاً بحقوق الناس)[٦].

---

(١) مع الأنبياء في القرآن ٢٨٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٩٨.

(٣) سورة النحل، آية: ٩١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) سورة المائدة، آية: ١.

(٦) نداءات الرحمن لأهل الإيمان ص ٧٦.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين:

إن من الأمور الهامة التي تستقيم بها الدول السمع والطاعة لولاة الأمر المسلمين وعدم المنازعة ويتضح هذا مما جاء في الحديث "ثم أعطوهم حقهم"، قال ابن حجر: (أى أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم)[١]. وقد دلت النصوص الشرعية على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٢].

قال ابن كثير: (فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء ولهذا قال: "أطيعوا الله" أى اتبعوا كتابه، "وأطيعوا الرسول" أى خذوا بسنته، "وأولي الأمر منكم" أى فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله)[٣]. وقد جاء في الحديث الشريف: ((السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمرْ بمعصية، فإذَا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة))[٤].

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللّه . وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى اللّهَ. وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي))[٥].

قال القاضي عياض: (إن الله تعالى أمر بطاعة رسوله فمن عصاه فقد عصى أمر الله، وأمر الرسول بطاعة أميره فمن عصاه فقد عصى أمر رسوله. ولا خلاف في وجوب طاعة الأمراء فيما لا يخالف أمر الله وما لم يأمر بمعصية. وقد جاء في الأحاديث السمع والطاعة في المنشط والمكره، وهذا يدل على وجوبها فيما يشق ويكره في باب الدنيا لا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٤/٦

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٣٥.

فيما يخالف أمر الله، وقد جاء في الأحاديث: السمعُ والطاعةُ وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف، وإنما أشار بهذا الوصف إلى أدنى العبيد السود، ووحشهم ووغدهم لاستعمالهم في الرعية للإبل وغليظ الخدمة، فقد تتقطع أصابع أرجلهم من خشونة الأرض وشديد الأعمال، على طريق المبالغة في طاعة الأمراء كيف ما كانوا من شرف أوضعة. والطاعة تكون فيما لم يخالف أمر الله)[1].

وقال محمد تقي العثماني: (ومن مبادئ السياسة الإسلامية العظيمة مبدأ طاعة الأمير، وأن المسلم يجب عليه أن يطيع أميره في الأمور المباحة فإن أمر الأمير بفعل مباح، وجبت مباشرته، وإن نهى عن أمر مباح حرم ارتكابه لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[2]. فلو كان المراد من إطاعة أولي الأمر إطاعتهم في الواجبات الشرعية فحسب لما كان هناك داع لاستقلالهم بالذكر في هذه الآية لأن إطاعتهم في الواجبات الشرعية ليست إطاعة لأولي الأمر وإنما هي إطاعة لله ورسوله، فلما أفردهم الله سبحانه بالذكر ظهر أن المراد إطاعتهم في الأمور المباحة. ومن هنا صرح الفقهاء بأن طاعة الإمام فيما ليس بمعصية واجبة. وهذه الطاعة كما أنها مشروطة بكون أمر الحاكم غير معصية، فإنها مشروطة بكون الأمر صادراً عن مصلحة لا عن هوى أو ظلم، لأن الحاكم لا يطاع لذاته، وإنما يطاع من حيث كونه متولٍ لمصالح العامة)[3].

رابعاً- من حقوق المدعو: مناصحة الحاكم المسلم بالحسنى والرفق:

إن المجتمع الإسلامي يقوم على التناصح والتواصي فيما بين أفراده حكاماً ومحكومين ورؤساء ومرءوسين، ومن حقوق المدعو مناصحة ولي الأمر، ولكن ينبغي أن يكون ذلك بالحسنى والرفق، ويتضح هذا من الحديث في قوله ﷺ: "واسألوا الله الذي لكم" هذا، وقد جعل الرسول الكريم أمر الدين يقوم على النصيحة، فعن تميم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٤٠-٢٤٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) تكملة فتح الملهم ٩/٢٦٨، ٢٦٩

الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الدِّينُ النّصيحةُ» ثلاثاً، قُلْنا: لمنْ يا رسولَ اللّهِ؟ قال: ((للّه ولكتابه ولرسوله ولأئمَّةِ المُسْلمين وعامَّتهِمْ))[1].

قال ابن رجب الحنبلي: (وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحُب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل. ومن نصيحتهم - كما قال أبو عمرو ابن الصلاح- معاونتهم على الحق، وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك)[2].

(ومن الأمور الهامة الرفق في نصيحة ولاة الأمر. "فمن أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِ له علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلوا به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه، وقد قال الله تعالى خطاباً لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3]، وإذا كان الرفق في النصيحة واجباً مع العامة فهو مع الحكام أوجب، لما لهم من حقوق، الاحترام والتوقير، ولما نتوخى منهم ويرجى لهم من القبول والاستجابة)[4].

قال ابن مفلح: (ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة. قال ابن الجوزي: الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: ياظالم، يامن لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير، لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. قال: والذي أراه المنع من ذلك لأن المقصود إزالة المنكر،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٢٢/١، ٢٢٣.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٤٣-٤٤.

(٤) النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ١٣٦.

وحمل السلطان بالانبساط عليه على فعل المنكر أكثر من فعل المنكر الذي قصد إزالته. وأما ما جرى للسلف من التعرض لأمرائهم فإنهم كانوا يهابون العلماء فإذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الأغلب. وقال سفيان: ينبغي لمن وعظ أن لا يعنف، ولمن وعظ أن لا يأنف، ويذكر من يعظه ويخوفه ما يناسب الحال، وما يحصل به المقصود، ولا يطيل ولكل مقام مقال، ولكل فن رجال. ولقد وعظ شبيب بن شيبة المنصور فقال له: إن الله عز وجل لم يجعل فوقك أحداً فلا تجعل فوق شكرك شكراً)[1].

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ١/١٩٧، ١٩٨.

الحديث رقم (٦٥٧)

٦٥٧- وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه: أنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْد اللهِ بن زيادٍ، فَقَالَ لَهُ: أيْ بُنَيَّ، إنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ شَرَّ الرِّعَاء الحُطَمَةُ)) فإيَّاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عائذ بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩٢).

غريب الألفاظ:

الرِّعاء: جمع راعٍ.

الحُطمة: العنيف برعاية الإبل في السَّوق والإيراد والإصدار، ويُلقى بعضها على بعضٍ ويسعفها، ضربَه مثلاً لوليّ السُّوء[2].

الشرح الأدبي

قوله (: أيْ بُنَيَّ) نداء تودد، وشفقة، وعطف ينبيء عن محبته له، وقوله (إنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول) يشير إلى توثيق الخبر؛ لأنه سمع من الرسول بنفسه فهو أوثق ممن نقله عن غيره، وقول الرسول ﷺ (إنَّ شَرَّ الرِّعَاء الحُطَمَةُ) أي: الذي يحطم الماشية أي يكسرها، ويضربها إذا ساقها بعنف، وإذا أسامها قصَّر في إسامتها، ولم يراع ضعيفها بين قويها، وصغيرها بين كبيرها، ولم يختر لها المرتع الصالح، وتركها ترتع فيما فيه هلاكها، وهو مثل يضرب في سوء السياسة، لأنه ينبغي أن يحرص الرعي على رعايتها، والنظر فيما يصلحها في معاشها، ومعادها، وقوله (فإيَّاكَ أن تَكُونَ مِنْهُمْ) أسلوب تحذير من حال الرعاة الذين يهلكون رعيتهم بالمشقة، وتحميلهم فوق ما يطيقون، وعدم النصح لهم، والعمل على ما فيه صلاحهم معاشهم، ومعادهم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٣٠/٢٣ فقط، ولم يخرجه البخاري، ذكره الحميدي في جمعه ٣٧٦/١، رقم ٦٠٦ في أفراد مسلم، تقدم برقم ١٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ط م).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٩٢).

الحديث رقم (٦٥٨)

٦٥٨- وعن أبي مريم الأزديِّ ﷺ: أنّه قَالَ لِمعاوية ﷺ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ وَلاَّهُ اللهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1])) فجعل معاوية رجلاً عَلَى حوائج النَّاسِ. رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[2].

ترجمة الراوي:

ابو مريم الأزْدي: هو أبو مريم الأزدي الفلسطيني، وقيل إنه يقال له: عمرو بن مرة الجهني.

وفد على النبي ﷺ فأسلم، وسكن فلسطين.

شارك في الغزوات والفتوحات، وكان قائماً بالنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

قدم دمشق على معاوية، وروى له هذا الحديث فاستجاب له معاوية وجعل رجلاً لقضاء حوائج الناس كما في الحديث. وفي رواية لابن عساكر: فقال معاوية: ادعوا لي سعداً -يعني حاجبه- فقال: اللهم إني أخلع هذا من عنقي وأجعله في عنق سعد، من جاء يستأذن عليّ فائذن له. يقضي الله على لساني ما شاء.

وأثنى معاوية على أبي مريم وقال: ما أنعمنا بك يا أبا مريم.

له حديث واحد وهو هذا الحديث[3].

---

(١) قوله: (يوم القيامة) لا يوجد عندهما، وهذه الزيادة عند الطبراني في الكبير ٣٣١/٢٢، رقم ٨٣٢، والحاكم في المستدرك ٩٣/٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٩٤٨ واللفظ له، والترمذي ١٣٣٢، وصححه الحاكم في المستدرك ٩٤/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٦٤.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٧٩/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٥٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٢٥/٨ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٨٦/٤.

غريب الألفاظ:

فاحتجب: امتنع من الخروج أو من الإمضاء عند احتياجهم إليه[١].

خَلَّتهم: حاجتهم الشديدة والمعنى: منع أرباب الحوائج أن يدخلوا عليه ويعرضوا حوائجهم[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الترهيب لمن ولي أمرا من أمور المسلمين ثم قصَّر فيما ولاه الله، ومنع نفسه عنهم، وقد جاء المعنى في ثوب الشرط الذي يقرر أن الجزاء من جنس العمل لأنه يربط عمل العبد بجزائه عطاءً بعطاء، أو منعاً بمنع في قوله: (مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومن اسم موصول متضمن معنى الشرط، وجملة الشرط هي قوله: (وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ) ونسبة التولية لله إشارة إلى أنه عطاء الله له، وتكليف منه يلزم عنه أنه يحاسبه عليه، وتنكير (شيئا) يفيد العموم حتى يدخل تحت الحكم من ولي قليلا، أو كثيرا من أمور المسلمين وحتى لا يظن ظآن أن الوعيد مختص، بالخلفاء، والأمراء فقط دون من ولي ما هو أقل من شؤون المسلمين، وجملة الجواب قوله: (احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وهو جزاء من جنس عمله له بعد نفسي يجعل الوالي إذا ما فكر في منع الناس عنه يرى أنه يمنع عن نفسه رحمة الله، وعطائه، وجنته، وتقييد الاحتجاب بيوم القيامة يرفع درجة الترهيب لأنه يوم لا ينفع فيه غير الله فماذا يفعل إذا احتجب عنه.

فقه الحديث

اتخاذ القاضي أو الأمير حاجبًا:

لا يجوز للقاضي أن يحتجب عن الناس من غير عذر إلا في أوقات استراحته، لحديث الباب.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢٥٣.

(٢) المرجع السابق ١٢٥٣.

وكره الشافعية والحنابلة أن يتخذ القاضي حاجبًا، لأن حاجبه ربما قدم المتأخر وأخر المتقدم، فإن دعت حاجة إلى ذلك اتخذ أمينًا بعيدًا من الطمع.

وأجاز المالكية والحنفية أن يتخذ القاضي حاجبًا لمنع دخول من لا حاجة له وتأخير من جاء بعد، حتى يفرغ السابق من قضيته.

أما الأمير فإنه يجوز له أن يتخذ حاجبًا، لأنه ينظر في جميع المصالح، فتدعوه الحاجة إلى أن يجعل لكل مصلحة وقتًا لا يدخل فيه أحد[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الراعي عن حاجات رعيته.

ثالثاً: من صفات النبي ﷺ: الشفقة والحرص على مصالح أمته.

رابعاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الرسول ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الداعية الناجح هو الذي يستفيد من الأساليب الدعوية في هداية المدعوين وإرشادهم، ومن أساليب الدعوة الترهيب، حيث جاء في الحديث "احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة"

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يحذر من الوقوع في المخالفات الشرعية، باعتبار أن النفس البشرية بطبيعتها تخاف العقاب وتخشاه، ولابد

---

(١) أدب القضاء لابن أبي الدم ٦٠-٦١، وحاشية الدسوقي ١٣٨/٤، وجواهر الإكليل ٢٢٣/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١١٤/٦، والمهذب ١٣٩/١١، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٣٩/١١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٤١/٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣١٣/٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٦/٩ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٤/١٦-٢٤٦، ٩/١٧).

للنفس من الثواب والعقاب والترغيب والترهيب، حتى تستقيم على الطاعة وتثبت على الحق "ولما كان الترهيب أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، كان لابد أن يكون مبنياً على الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه الأمة، وعلى الداعية إذا أراد أن يرهب من معصية أن يلجأ إلى بحر الكتاب والسنة الصحيحة، فمددهما فياض بأوفى ما عرف العلم من ضروب الترهيب، وفنون الوعيد وأساليب الإنذار على وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة، وعلى الداعية أن يجمع بين الترغيب والترهيب، ذلك لأن من طبيعة النفس الإنسانية أن تتحرك تحت عاملين متضادين، عامل الرغبة وعامل الرهبة، وكلاهما يؤثر على النفس تأثيراً تربوياً مباشراً" (١).

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾(٣).

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الراعي عن حاجات رعيته:

إن الحاكم في النظام السياسي في الإسلام مسئول عن رعيته وعن قضاء مصالحها وأحوالها ويتضح هذا من قول النبي ﷺ في الحديث: ((مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

ولا شك أن هذا يبين مدى مسئولية الراعي في قضاء حاجات رعيته، قال المباركفوري: (قال القاضي: والمراد باحتجاب الوالي أن يمنع أرباب الحوائج والمهمات أن يدخلوا عليه فيعرضوها له ويعسر عليهم إنهاؤها، واحتجاب الله تعالى أن لا يجيب دعوته، ويخيب آماله، وقيل: أبعده الله ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية والدنيوية،

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، ٤٠.

(٢) سورة الدخان، الآيات: ٤٣-٤٨.

(٣) سورة المطففين، الآيتان: ١٥-١٦.

فلا يجد سبيلاً إلى حاجة من حاجاته الضرورية)[١]، (فإن من تولى شيئاً من أمور المسلمين - أي شيء- ولو كان مالاً موروثاً فمنعه عن فقرائهم واشتغل بنفسه عنهم، وتقوقع في أنانيته القاسية، منع الله عنه الرحمة ولم يجب دعاءه ولم يحقق آماله يوم القيامة، ولما سمع معاوية هذا التحذير، عين رجلاً على حوائج الناس لإيصالها إليه وإبلاغه إياها لتخف عنه المؤنة فلا يصعب عليه الأمر، ومسارعة في تنفيذ ما يعلم من أمور الإسلام)[٢].

وقد عدّ أبو الحسن الماوردي ما يجب على الإمام فعله وما يلزمه من الأمور في عشرة أشياء، منها أن عليه: (استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة، كما أن عليه أيضًا أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين، ويغش الناصح، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣]. (فلم يقتصر الله سبحانه على التفويض دون المباشرة، ولا عذره في الاتباع حتى وصفه بالضلال، وهذا وإن كان مستحقاً عليه بحكم الدين ومنصب الخلافة فهو من حقوق السياسة لكل مسترع)[٤].

ثالثاً- من صفات النبي ﷺ: الشفقة والحرص على مصالح أمته:

إن النبي ﷺ فطره الله على معاني جليلة، وأخلاق كريمة، ومن ذلك الحرص والشفقة على مصالح الأمة، يظهر هذا من سياق الحديث ومورده، وقد بينت نصوص القرآن الكريم مدى شفقة النبي ﷺ وحرصه على مصالح أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٨٦/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٠٢.

(٣) سورة ص، آية: ٢٦.

(٤) الأحكام السلطانية ١٦.

جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال السعدي: (يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله لكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. وهو شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم، ولذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه وتوقيره وتعزيره)[2].

وقال الله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[3]. جاء في الدر المنثور: (يقول: "فبما رحمة من الله لنت لهم" أي والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريباً رحيماً رءوفاً بالمؤمنين، وذُكر لنا أن نعت محمد ﷺ في التوراة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح. وعن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال: هذا خلق محمد ﷺ نعته الله)[4].

رابعاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الرسول ﷺ:

حيث جاء في الحديث "فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس"، ولا شك في أن أهم

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٨٦/٤.

واجبات المدعو الاستجابة للتوجيهات النبوية لأن فيها الصلاح والخير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾[4] ولم يبح الله تعالى لمؤمن ولا مؤمنة مخالفة حكم الرسول ﷺ أو أمره، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[5] وقد كان المسلمون الأوائل ملتزمين حدود أمره ونهيه ومتبعين له في عبادتهم ومعاملاتهم، وقد بلغ من طاعتهم للرسول ﷺ واقتدائهم به أنهم كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك، ولم يجز واحد منهم لنفسه مراجعة الرسول ﷺ إلا إذا كان هناك أمر غريب عن عقولهم فيناقشونه ليعرفوا الحكمة فيه فقط كما لم يجز واحد منهم مراجعته في أمر إلا إذا كان فعله، أو قوله اجتهادًا منه في أمر دنيوي كما في غزوة بدر حين راجعه الحباب بن المنذر[6].

وإذا كان الحال هكذا في حياة الرسول ﷺ فإنه أيضًا تجب طاعته واتباع سنته بعد وفاته، لأنه ﷺ حث المسلمين أن يطيعوه ويتبعوه في حياته وبعد وفاته إلى يوم

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧-١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ٦٦.

القيامة تمسكًا بالكتاب والسنة، وسيرًا على نهجهما فقال ﷺ: ((فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ))[١].

ولقد أمر الله بالتأسي بالنبي ﷺ ومتابعته، والاستجابة لأمره، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢]. قال الإمام ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل)[٣].

ولقد تواترت النصوص الشرعية في الحث على اتباعه وطاعته والاهتداء بهديه والاستنان بسنته، وتعظيم أمره ونهيه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦/٤ رقم ١٧١٤٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٧٥/٢٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٥/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإمامة العظمى مما يستقيم به أمر المجتمع، حيث تصان الحقوق والحدود، وترعى الحرمات وتطبق العقوبات، كل هذا أوجبه الدين وأقره العقل، إلا أنهم بشر، يقع منهم ما يقع من بعض البشر، ولهذا كثرت وصايا الرسول ﷺ لهم، وبين ما عليهم وما لهم، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على تحمل المسئولية:

إن من أهم أهداف التربية الإسلامية غرس وتدريب المتربين على تحمل المسئولية، والقيام بالواجبات، وتحت هذا الباب أورد النووي جملة من الأحاديث التي تؤكد على هذا الجانب، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، ...». وحديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "... فإن الله سائلهم عما استرعاهم".

فيجب على المربي الاهتمام بتدريب المتدربين على تحمل المسئولية، إذ "أن أساس المسؤولية هو شعور الشخص المسؤول بأهليته لتحمل أعباء المسؤولية، وقدرته على الالتزام بواجباته الأخلاقية، وتحمل نتائجها، فلا يمكن للمرء أن يكون ملتزمًا بالقيم متمثلاً بها في واقع حياته ما لم يكن عنده شعور عام بالمسؤولية، ولهذا كان هذا الموضوع جديرًا بجعله أساسًا من أسس القيم، فالشعور بالمسؤولية أمر على جانب كبير من الأهمية في بناء الأفراد والمجتمعات، والشعور بالمسؤولية لفظًا مجردًا له ميادينه فهناك شعور الفرد بالمسؤولية نحو المجتمع ونحو أسرته ونحو نفسه وهناك الشعور بالمسؤولية نحو مهنته ونحو فكره، فالشخص الذي يشعر بالمسؤولية ويحس بها إحساسًا متزنًا هو شخص سعيد في حياته، لأنه يهتم بنفسه ويحترمها كما يهتم بغيره من الناس ويحترمهم، ويرغب في تحمل نصيبه من العمل وينجز التزاماته ويعتمد على

نفسه دون أن يسبب لغيره متاعب لا داعي لها، يعرف قدر نفسه ويتحمل مسؤولية آرائه وشعوره وتصرفاته"[١].

إن كل إنسان لو قام بتحمل مسؤولياته والوفاء بها لاستقامت أحوال الناس، فإن المطلوب أن يكون كل واحد تحت رعاية من يرعاه ويسأل عنه في الدنيا والآخرة.

"إن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كلٍ حسب مهمته وواجباته، فبدأ بالإمام "الإمام راع ومسؤول عن رعيته"، والإمام هو المسؤول الأول في الدولة الإسلامية، وقد أوجب الإسلام عليه أن يقوم بواجبات تمثيل الأمة والوكالة عنها، وفي مقابل ذلك أوجب الإسلام على الأمة تجاهه بعض الواجبات هي كالحقوق له عليهم لأن كل واجب لابد أن يقابله حق والعكس، ومسؤولية الإمام مسؤولية ضخمة وأمانة ثقيلة فيجب على كل من وَلِيَ شيئًا من أمر المسلمين أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أَصْلَح مَنْ يقدر عليه" [٢].

إن للحاكم العادل من المنزلة الشيء الكثير عند الله، وإنه في الدنيا لسعيد، وإن رسول الله ﷺ قد دعا لكل من ولي من أمر الأمة شيئًا فرفق بهم وعدل بينهم وكان أمينًا على رعاية مصالحهم مجهدًا نفسه من أجل إسعادهم.

وكما دعا لهؤلاء فقد دعا لمن خالف ذلك وبخاصة من ظلمهم أو غشهم أو لم يعدل بينهم أو شق عليهم أو خانهم، والعاقل من هؤلاء من اختار من بين ما سبق..

والرسول ﷺ قد وزع المسؤوليات من خلال أحاديثه النبوية الشريفة، ولم يجعل كل شيء منوطًا بالحاكم بل جعل كل فرد في موقع مسؤولاً عن هذا الموقع، وعبر عنه بأنه "راع" كما عبر عن الأمر كذلك، ثم فصل ما أجمل، ليتحمل كل فرد تبعته فالرجل مسؤول عن البيت من ناحيتين: الدينية والأدبية، والمرأة مسؤولة عن بيتها أو بيت زوجها من ناحية حسن التدبير وعدم التبذير والقيام بحق الزوج والولد ورعاية مشاعر

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ١٠٠، ١٠١.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٩٨.

الزوج وعدم الإذن في بيته إلا بإذنه، وعدم الإنفاق خارج البيت إلا بعلمه فضلاً عن رعاية ولده وصيانة عرضه والنزول على قسمه.

والخادم راع من مال سيده، لأنه لا رقيب عليه إال الله، وقد عادت ظاهرة الخدم وتبدلت من كونها قاصرة على الإبل والغنم إلى كونها قائمة على مكونات الأمم "البنين والبنات" وبخاصة في الدول ذات اليسار، فليتق الله هؤلاء فيما ائتمنوا عليه فإنهم وإن كانوا أجراء إلا أنهم على هؤلاء أمناء، لا يجوز فتنهم في دين، ولا ذبحهم بالسكين، ولا تصفية حسابات الوالدين من هؤلاء.

وإذا كان الرسول ﷺ قد ذكر حالات من شرائح المجتمع (الإمام -الرجل - المرأة - الخادم) فإن صدر الحديث قد جاء بصيغة العموم (كلكم) فالمدرس والمهندس والطبيب والمحاسب والسائق والصانع والخائط والحائك والحداد والحارس والضابط وكل من هو في موقع هو راع له ومسؤول عنه.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية النافعة التربية بالترهيب لما يتركه من أثر في نفوس المتربين. وذلك لأن من الأنفس من لا ترجع إلا بالزجر، وإذا كانت النعم تسبب الغفلة، فإن الترهيب يبعث اليقظة في كثير من الأحيان، وكم يفكر الناس في أشياء، ثم يتذكرون النتائج السلبية المترتبة عليها فيقلعون عنها مباشرة، وقد استخدم النبي ﷺ في كثير من أحاديثه أسلوب الترهيب كوسيلة لردع النفس عن الغواية واتباع خطوات الشيطان[1].

ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». وفي رواية: "... لم يجد رائحة الجنة"، وفي رواية "... إلا لم يدخل معهم الجنة"، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "اللهم من ولى من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه..."، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "... فإن الله سائلهم عما

---

(١) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض ص ١٤٢.

استرعاهم"، وفي حديث أبي مريم الأزدى رضي الله عنه: "«مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وحديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه: «إن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ» ففي هذه الأحاديث ترهيب لولاة الأمور من عدم الرفق بالرعية، وعدم السعي على مصالحهم ونصيحتهم، وقضاء حاجتهم.

"والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي، ويقوم الترهيب القرآني والنبوي على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، فكل من خاف ربه كان إنسانًا فاضلاً عادلاً في سلوكه ومعاملاته، ومن لم يستح من ربه يفعل ما يشاء بلا ضابط ولا وازع، له قلب كالحجارة أو هو أشد قسوة"[1].

ثالثًا- غرس قيمة الرفق في نفوس المسئولين:

من القيم التربوية النبيلة قيمة الرفق، وإذا كان أفراد المجتمع بحاجة شديدة للالتزام فإن حاجة المسؤولين وولاة الأمر إليها أشد، ومن ثَمَّ تهتم التربية الإسلامية بقيمة الرفق لما في وجودها والتخلق بها من إصلاح للعلاقات بين الأفراد، والراعي والرعية.

ومن أحاديث الباب التي تؤكد على قيمة الرفق والوصية به ما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "... ومن ولى من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به"، وفي حديث عائذ بن عمرو رضي الله عنه «إن شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ. فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

والمسئولون وولاة الأمر عندما يتعاملون بالرفق مع الرعية وينصحون لهم ويسدون حاجتهم فإنهم يهتدون بهَدي النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرغم من كونه نبيًا كان في غاية الرحمة والشفقة واللين مع أتباعه ومحبيه.

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٢، ٢٣٣.

"فالناس بحاجة إلى كَنَفٍ رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق ذرعًا بجهلهم، وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى مقابل، ويحمل همومهم، ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، والود، والرضا، وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئًا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد عاشره، أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكريمة الرحيمة" (١).

رابعًا- التربية على الاستجابة لأوامر الشرع:

من أهداف التربية الإسلامية تدريب وتعويد المتربين على الاستجابة لأوامر الشرع، وتنفيذ المأمور فالاستجابة هي ثمرة التربية الحقيقية، وهي الغاية التي يسعى ويطمح إليها المربون على اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم وأساليبهم.

ومن أحاديث الباب التي تبين الاستجابة لأوامر الشرع حديث أبي مريم الأزدى رضي الله عنه أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ وَلاَّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ قَالَ فَجَعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلاً عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ».

ففي هذا الحديث الاستجابة السريعة من معاوية رضي الله عنه لما سمع الحديث الشريف بأن جعل رجلاً على حوائج الناس، وهذه الاستجابة إنما هي دليل على تعظيم أوامر الله سبحانه وأوامر رسوله ﷺ. "والأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد هي تقوية تعظيم الله تعالى في النفوس، فحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس ويملك صاحبه العلم الصحيح، فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى،

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١١٨/٢، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٦٨، ٣٦٩.

فالذي يعظم الله تعالى لا يقدم بين يدي قوله وقول رسوله ﷺ ولا يتردد في تصديق الأخبار والتزام الأوامر وترك المنهيات، ولا يتعلق قلبه بغير الله ولا يتجه لمخلوق فيصفو اعتقاده ويستقيم عمله، ويضع للمخلوقين منزلتهم التي يستحقونها"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية: الدعاء والحوار والمناقشة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الدعاء: كما في قوله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))، والدعاء من الأساليب التربوية التي ترغب في فعل الطيب، وترهب من فعل الشر والقبيح.

ب- الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كانتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسوسُهُم الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا، قالَ أَوْفُوا بَيْعَةَ الأَوَّلِ فالأَوَّلِ...)) الحديث.

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعّل دور المعلم في العملية التعليمية وتدفعه إلى أن يكون مشاركًا إيجابيًا فيها.

❁ ❁ ❁

(١) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٥٤.

٧٩- باب الوالي العادل

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩].

الحديث رقم (٦٥٩)

٦٥٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَا في عِبادة الله تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ اجتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجَمالٍ، فَقَالَ: إنّي أخافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال تحقق سيطرة المتكلم على سمع، وبصر المخاطب منشؤها البداية بنكرة موصوفة تشير إلى معنى الاجتماع تحت ظل الله، وأعظم به من ظل !؛ لأن هؤلاء السبعة اجتمعوا تحت مظلة الطاعة لله، وربط بينهم الإخلاص له، وجملة (يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ) تصعِّد التشويق، ووقوع الفعل على ضمير الجمع شمول لهم بهذه النعمة، وكون الله هو الفاعل يؤكد التحقق، وتقييد الفعل بالجار والمجرور تخصيص للظل يقرر عظمته، وإضافة الظل للضمير العائد على الله تشريف، وتعظيم، وقد صعَّد شوق المخاطب حتى صار لهفة بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ)، ثم بدأ بتفصيل هؤلاء السبعة بعد أن بلغ المخاطبون ذروة الاستشراف إلى معرفتهم، وقد ذكر كل واحد منهم بقيد خاص،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٣، واللفظ له، ومسلم ١٠٣١/٩١، وتقدم برقم ٣٧٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٦.

فذكر الإمام بقيد العدل، وذكر الشاب بقيد النشوء في عبادة الله، وذكر الرجل بقيد تعلق قلبه بالمساجد، وهو كناية عن حبه للصلاة والمحافظة عليها، وكثرة النوافل، ولذلك جمع المساجد، وذكر الرجلان بقيد التحابب في الله، وقوله (اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ) تضاد يوضح المعنى، ويقرره، وهو كناية عن الإخلاص في التعامل بينهما، وملازمة هذه المحبة لهما، ودوامها، وذكر الخامس بقيد الصبر على المحرمات مهما قويت الدواعي لذلك وصف الداعية بأنها (ذات حسن، وجمال) وذكر السادس بقيد الإخلاص في الصدقة (، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ) كناية عن شدة الإخلاص، والطباق بين شماله، ويمينه، يؤكد شدة الإخلاص في الإنفاق حتى عن أقرب المقربين، وذكر السابع بقيد شدة الخشية لله، ونلاحظ في أعمال السبعة أنها يربطها جميعاً خيط واحد، وهو الإخلاص، ولها ارتباط بالقلب بشكل من الأشكال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٧٦).

الحديث رقم (٦٦٠)

٦٦٠- وعن عبدِ اللهِ بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ[1]: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِم وَمَا وَلُوا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المقسطين: العادلين[3].

ما وَلُوا: الذي كانت لهم عليه ولاية[4].

الشرح الأدبي

بداية الحديث بمؤكدات متتابعة دون أن يواجه المتكلم بإنكار، أو شك تشير إلى أهمية الخبر، ورغبة المتكلم في نقل هذا الاهتمام إلى المتكلم مع تفخيم للخبر يحقق مزيد الإنصات، وقوله (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ) والمقسطين جمع مقسط، وهو العادل، وقوله (عند الله) يوحي بشرف المجلس، وحسن العاقبة المبشرة بالخير، وقوله (على منابر) يوحي بالظهور، والعلو، والرفعة، وسمو المكانة، دل على ذلك حرف الاستعلاء على، والذي يفيد مع العلو التمكن، كما يدل عليه كون الاستعلاء، والتمكن على المنبر الذي يوضع أصلا للعلو، والرفعة وقوله: (من نور) يوحي مع شدة الظهور بالبهاء ولما وصف منزلتهم هذا الوصف البالغ تطلعت النفوس لمعرفة

---

(١) عند مسلم زيادة: (عن يمين الرحمن عزَّ وجلَّ وكلتا يديه يمين).

(٢) برقم ١٨٢٧/١٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

حالهم وما بلغ به هذه المنزلة، وحقق هذا الفضل فزادهم وضوحا، وبيانا، بقوله (الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) والتعريف بالموصول للمدح لهم العدالة في الحكم على الناس، وذكر الأهل تخصيص لهم، وقوله (وما ولوا) يشمل كل ما يقومون بهم من العمال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل العدل بين الرعية ومنزلة المقسطين يوم القيامة.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن المقسطين" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين حيث إن التوكيد من أساليب الإقناع؛ وهو أسلوب يدلل على مدى اقتناع الداعية أيضاً بما يقول ووثوقه منه. قال القاسمي: (واعلم أنه لا تؤكد العرب إلا ما تهتم به، فإن من اهتم بشيء أكثر ذكره، وكلما عظم الاهتمام كثر التأكيد. وكلما خفَّ، خف التأكيد، وإن توسَّط الاهتمام، توسط التأكيد)[1].

وقد أفاد التوكيد في هذا الحديث المنزلة العظيمة التي بوأها الله للمقسطين في الجنة. ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[4].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢٧/١.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل العدل بين الرعية ومنزلة المقسطين يوم القيامة:

إن الإسلام يحث على إقامة العدل بين الناس، ومن ثم وعد المقسطين بالمنزلة العالية بكونهم على منابر من نور. ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث "إن المقسطين عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم". قال القاضي عياض: (المقسطون: العادلون، وقد فسره آخر الحديث بقوله: "الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" فدل هذا الفضل لكل من عدل فيما تقلده من خلافة وإمارة، أو ولاية يتيم أو صدقة أو غير ذلك، أو فيما يلزمه من حقوق أهله أو من يقوم به والأقساط والقسط العدل، وقوله: "على منابر من نور" أصل تسمية المنبر لارتفاعه فيحتمل أن يكون "منابر" كما ذكر على وجهها، أو منازل رفيعة وأماكن عالية)[1].

وقال النووي: (والمنابر جمع منبر سمى به لارتفاعه، والظاهر أنهم على منابر حقيقية يوم القيامة على ظاهر الحديث ويكون متضمناً للمنازل الرفيعة، فهم على منابر حقيقية ومنازلهم رفيعة وهذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده، من خلافة، أو إمارة، أو قضاء، أو حسبة، أو نظر على يتيم، أو صدقة، أو وقف. وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله والمقسطون في الحديث هم العادلون)[2].

وقد نص الله تعالى على وجوب العدل بين الرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[3]، وأخبر سبحانه أنه خاطب نبيه داود عليه السلام فقال له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[4].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٢٧.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٤) سورة ص، آية: ٢٦.

قال السيد سابق: (وإذا كان هذا الخطاب موجهاً إلى داود عليه السلام فهو في الواقع موجه إلى ولاة الأمور في هذه الأمة، ولا شك أن العدل في الحكم يمكن للحاكم ويبقى عليه، فإذا تحول عن العدل إلى الظلم والجور، فقد أذن الله بذهابه وزوال ملكه، ويتحقق العدل في الحكم بإيصال كل حق إلى مستحقه، والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام وبتجنب الهوى، وبالقسمة بين الناس بالسوية"[١]. والعدل مما أمر الله به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[٢]، وقد جعل الرسول ﷺ الإمام العادل من الذين يظلهم الله فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ ...))[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس:

إن من المعاني السامية والأهداف الرئيسة التي تحث عليها الدعوة، وتسعى لتحقيقها إقامة العدل بين الناس ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده ويعتبر إقامة العدل بين الناس من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية، قال الماوردي: "إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به البلاد والأموال ويكبر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور، لأنه ليس يقف على حد ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل"[٤].

وقد أمر الله المؤمنين بإقامة العدل فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ﴾[٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ

---

(١) عناصر القوة في الإسلام ١٥٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٤١-١٤٢.

(٥) سورة النساء، آية: ١٣٥.

ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

قال القاسمي: (والعدل هو القسط والتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقه. وعن ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية. ولما تليت هذه الآية على أكثم بن صيفي قال لقومه: إني أراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناباً)[٢]، وقد دلت الأحاديث على العدل وأهميته فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((بينما رسولُ الله ﷺ يَقسِمُ غنيمةً بالجِعْرانةِ إذ قال له رجل: اعدل. فقال له: لقد شَقيت إن لم أعدلْ))[٣]. وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُل قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهَلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ))[٤]. قال ابن حزم: (أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه وعلى الحق وإيثاره)[٥].

إن العدل إذا ساد في مجتمع كان له الأثر العظيم في كافة نواحي الحياة، في القضاء وفي الحكم وفي مختلف النواحي الاجتماعية بحيث تتاح الفرص المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة فيه، كلٌّ يحصل على حقه دون زيادة أو نقصان؛ فحين نبحث عن الأسس العامة لأحكام الشرائع الربانية يتبين لنا أن العدل أحد هذه الأسس، ولا سيما ما يتعلق من أحكام الشرائع بتنظيم علاقات الناس المادية والأدبية والسياسية لضمان حقوقهم ومصالحهم[٦].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٠/١٥٠

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٨، ومسلم ١٠٦٣.

(٤) أخرجه أبو داود، ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٠٥١).

(٥) مداواة النفوس، لابن حزم، ٩٠.

(٦) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٦٨.

ونُقل عن بعض البلغاء قوله: إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزان ولا تعارضه في سلطانه واستعن على العدل بخلتين: قلة الطمع وكثرة الورع، فإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلا به ولا صلاح فيها إلا معه، وجب أن يُبدأ بعدل الإنسان في نفسه ثم بعدله في غيره[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث "إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في الطاعة (والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة)[2]، وفي الحديث رغب النبي ﷺ في العدل والقسط من خلال بيان منزلة المقسطين عند الله يوم القيامة بأنهم على منابر من نور في درجات عالية ومنزلة رفيعة.

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٤١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

الحديث رقم (٦٦١)

٦٦١- وعن عوفِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((خِيَارُ ائِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ[1]. وشِرَارُ ائِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ)))، قَالَ: قُلْنَا: يَا رسول اللهِ، أفَلاَ نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: ((لاَ، مَا اقَامُوا فِيْكُمُ الصَّلاَةَ. لاَ، مَا اقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٢٨).

غريب الألفاظ:

أئمتكم: جمع إمام وهو: من يؤتم به من رئيس أو غيره، وإمام المسلمين: الخليفة ومن جرى مجراه[3].

تُصلُّون عليهم: تدعون لهم[4].

ننابذهم: نخالفهم بترك الطاعة لهم[5].

الشرح الأدبي

الحديث يضع علامات تميز أهل الخيرية من الأئمة من أهل الشر وقد اتخذ من أسلوب المقابلة طريقاً إلى ذلك حيث قابل بين خيار أئمتكم، وبين شرار أئمتكم حتى ينظر كل إمام في نفسه، ويسألها من أي طائفة أنا؟ كما قابل بين (تحبونه،

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (ويصلون عليكم، وتصلون عليهم)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٥٣/٣، رقم ٢٩٧٦، وكذا عند مسلم برقم ١٨٥٥/٦٦.

(٢) برقم ١٨٥٥/٦٥ وزاد في آخره: (وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (أ ي م)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٦٨.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٣٧، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٩٦.

ويحبونكم)، وبين (تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ) ليشير إلى طبيعة العلاقة القلبية بين النوعين، والتي يترتب عليها طبيعة المعاملة، والتعاون بينهم، كما قابل بين رد الفعل المترتب على الشعور القلبي لكل طائفة فقابل بين (وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ) وبين قوله (وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ) وهو تصوير لتطور العلاقة من المحبة إلى الدعاء لهم، أو عليهم، ولا ننسى العلاقة التبادلية بالتجاوب في الشعور محبة أو بغضا، والتي صورتها الأفعال المضارعة (تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ) و (وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ) في جانب الإمام الخير ورعيته، وقوله (تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ!) في جانب الإمام الموصوف بالشر وهذه الصورة الجلية لأئمة الخير في مقابلة أئمة الشر لا تعني أن يشتغل المجتمع المسلم من داخله فيقتل بعضه بعضا دل على ذلك جواب الرسول ﷺ علي سؤال السائلين (أَفَلاَ نُنَابِذُهُم؟ قَالَ: ((لاَ، مَا أَقَامُوا فِيْكُمُ الصَّلاَةَ. لاَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ) وقوله (لا) أي لا تنابذوهم، وتكرارها يؤكد المعنى، ويحذر من المخالفة حفاظا على وحدة الأمة في وجه أعدائها، وحتى لا تتآكل الأمة من داخلها، فتحقق لأعدائها ما يريدون دون أن يبذلوا أي عناء.

فقه الحديث

الخروج على الإمام: أجمع العلماء على أن الإمام إذا كان عادلاً تجب طاعته، ويحرم الخروج عليه، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1]. وأما الخروج على الإمام الجائر فذهب الجمهور إلى أنه لا يجوز الخروج على أئمة الجور، ولا القيام عليهم، ولا خلعهم، بمجرد الظلم أو الفسق، ما لم يغيروا شيئًا من قواعد الإسلام، ككفرهم بعد الإيمان، وتركهم إقامة الصلوات، وأما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطأ أمرهم وأمر الناس معهم؛ لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، وفي القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتت الألفة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

وكذلك لا يجوز القتال معهم لمن خرج عليهم عن ظلم صدر منهم؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةِ))[1] ولحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا: ((لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عز وجل))[2][3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عدم الخروج على ولاة الأمر وعدم منابذتهم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس والحفاظ على شعائر الإسلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية:

إن من الأمور الهامة أن تقوم العلاقة بين أفراد المجتمع على المودة والتآلف والتآخي،وخاصة بين الأئمة والرعية؛ لأن هذا يجنب الأمة شر كبير، ومما يدل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم" أي تدعون لهم في المعونة على القيام بالحق والعدل ويدعون لكم في الهداية والإرشاد وإعانتكم على الخير، وكل فريق يحب الآخر لما بينهم من المواصلة والتراحم والشفقة والقيام بالحقوق، ونقيض ذلك في الشرار لترك كل فريق منهما القيام بما يجب عليه من الحقوق للآخر ولاتباع الأهواء والجور والبخل والإساءة، فينشأ عن ذلك التباغض والتلاعن وسائر المفاسد[4]. ومما لا شك فيه أهمية التآلف والمودة بين الأئمة والرعية، وقد نص الله على ذلك في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ

---

(١) أخرجه الخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٥٧، ومسلم ١٨٤٠.

(٣) شرح ابن بطال ١٦٨/٩، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٧، ورد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٦٨/١، وحاشية الدسوقي ٢٩٩/٤، وروضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٥٠/١٠.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٥/٤.

وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3]، ونهى الله عن التفرق والاختلاف، فقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[5].

وحث الرسول الكريم ﷺ على التآلف والمودة ونهى عن التباغض والتناجش فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا. وَكُونُوا عِبَادَ اللّهِ إِخْوَاناً))[6]، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسلمٍ كُربَةً فرَّجَ الله عنهُ كُربةً من كُرباتِ يومِ القيامةِ، ومَن سَتَرَ مُسلِماً سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة))[7].

قال السعدي: (ومتى امتثل المسلمون لما جاء في القرآن من الالتزام بكل ما يقوي الألفة ويزيد في المحبة ويدفع العداوة والبغضاء، ومتى سعوا في حصول الاتفاق وإزالة العداوات وأسبابها وكانوا يداً واحدة في السعي في مصالحهم المشتركة ومقاومة الأعداء، وبتحصيل القوة المادية بكل مقدور ومستطاع متى عملوا على ذلك كله،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٥) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩.

(٧) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ٦٩٥١، ومسلم ٢٥٨٠.

حصل لهم قوة عظيمة يستدفعون بها الأعداء، ويستجلبون بها المصالح والمنافع وعاد صلاح ذلك إلى دينهم وجماعتهم وأفرادهم ولم يزالوا في رقي مطرد في دينهم ودنياهم)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عدم الخروج على ولاة الأمر وعدم منابذتهم:

إن من دعائم استقرار المجتمع عدم الخروج على ولاة الأمر، وعدم منابذتهم، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: "قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة"، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "أفلا ننابذهم؟" أي أفلا ننبذ إليهم عهدهم أي: ننقضه، كما قال تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾[٢] ونخرج عليهم بالسيف، فيكون المجرور متعلقًا بمحذوف دل عليه المعنى وحذف إيجازًا واختصارًا.

وقوله: "لا ما أقاموا الصلاة" ظاهره: ما حافظوا على الصلوات المعهودة بحدودها وأحكامها وداموا على ذلك وأظهروه، وقيل معناه: ما داموا على كلمة الإسلام، والأول أظهر[٣]. ومما لا شك فيه أن قيام الولاية والإمامة من أهم الواجبات ولا يتحقق ذلك إلا بعدم الخروج على الولاة ومنابذتهم، قال ابن تيمية: (يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس ولهذا كان السلف - كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان- فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها)[٤].

---

(١) الرياض الناضرة ٥٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٥٨.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٥/٤، ٦٦.

(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ١٢٧ - ١٣٨.

قال ابن حجر: (قد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها)[١].

ومما يدل على عدم منابذة ولاة الأمر ما جاء في الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. قال: ((إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))[٢].

قال النووي: (ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق)[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إقامة العدل بين الناس والحفاظ على شعائر الإسلام:

إن الإسلام جاء بالعدل والمساواة، وحثّ الناس على التحاكم بالعدل، ونشر العدل فيما بينهم، ولذا كان من أهداف الدعوة إقامة العدل، يتضح هذا من الحديث: "ما أقاموا فيكم الصلاة"، ومن سياق الحديث ومورده تعتبر إقامة العدل والشعائر من الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية، بهذا أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٠٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

بِٱلْقِسْطِ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: بينما رسولُ الله ﷺ يَقسِمُ غنيمةً بالجِعْرانةِ إذ قال له رجل: اعدل. فقال له: ((لقد شَقيت إن لم أَعدلْ))[٣]، وجاء في الحديث أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ. يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ. وَيُتَّقَى بِهِ. فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ. وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ، كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ))[٤]، وإقامة العدل من وظائف الرسول ﷺ التي كلفه الله بها، قال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[٥].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستصحبون معنى إقامة العدل في الأرض في الفتوحات الإسلامية، فكان مما قاله ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس لما سأله: ما جاء بكم؟ قال: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبي قاتلناه أبداً حتى نفئ إلى موعود الله. قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي)[٦].

قال ابن القيم: (إن من له ذوق في الشريعة وإطلاع على كمالها وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بُغية العدل الذي يسع الخلائق يجد أنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها، وفرع من فروعها، وأن من أحاط علماً بمقاصدها ووضعها موضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها إلى سياسة غيرها ألبتة. فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٨ واللفظ له، ومسلم ١٠٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٥٧ واللفظ له، ومسلم ١٨٤١.

(٥) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٧/٤٠.

فالشريعة تحرمها. وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الشريعة عَلِمها مَنْ علمها وجهلها من جهلها)[1].

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٤ - ٥.

الحديث رقم (٦٦٢)

٦٦٢- وعن عياضِ بن حمارٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((أهلُ الجنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ[1] مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عياض بن حمار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٠٢).

غريب الألفاظ:

مقسط: عادل[3].

متعفف: كافٌّ عن الحرام والسؤال من الناس[4].

الشرح الأدبي

قول الراوي سمعت رسول الله ﷺ يؤكد الخبر لأنه خبر سماع مباشر من الرسول ﷺ، وقول الرسول ﷺ (أهل الجنة ثلاثة) أسلوب تشويق يضمن إنصات المخاطب، وقد جاء التشويق من تركيب العبارة حيث بدأ بكلمة (أهل) التي توحي بالدفء الأسري، والطمأنينة زادها تشويقا بإضافتها للجنة، وهي علم على النعيم الذي يخفق له القلب، ثم ذكر النكرة (ثلاثة) وهي إجمال يحتاج إلى تفصيل تبعه بأولها وهو (ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ) لأن اقتران السلطان بالعدل لا يتأتى إلا لمن جاهد نفسه لله تعالى، وقوله (موفق) يوحي بتوالي أفعاله على وفق ما يرضي الله تبارك وتعالى، وكونه على صيغة المفعول يشير إلى توفيق الله له للعدل، وقوله: (وَرَجُلٌ رَحيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لكُلِّ ذي قُرْبَى ومُسْلِمٍ) واجتماع الرحمة مع الرقة يشير إلى خصوصية في الرحمة، وهي

---

(١) عند مسلم زيادة: (مُتصدِّق).

(٢) برقم ٢٨٦٥/٦٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨٥، ١٦٦٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف ف).

التفاعل مع كل ذي شدة لاسيما مع أقاربه، ومع المسلمين، وهو ما يشير إلى أنه واصل لرحمه بار بالمسلمين، وقوله: (وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عيالٍ) جناس يؤكد المدلول الذي جعله ضمن النماذج الثلاثة في الجنة ومعناه أنه عفيف عما لا يحل له متعفف عن سؤال غيره، وقوله (ذو عيال) تكميل بلاغي أفاد تمكن صفة العفة في نفسه، لأن الإنسان قد يصبر ويتعفف عن حاجة نفسه، وقد لا يصبر عن حاجة عياله لاسيما إذا كانوا صغارا، أو نساءً، والحديث ترغيب في التخلق بهذه الأخلاق بجعلها بطاقة الدخول للجنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة الوالي العادل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والشفقة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل العفة والتعفف.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من أبرز واجبات الداعية بيان وإبراز حقائق الإسلام، وقد بين النبي ﷺ حقائق الدين أوضح بيان وأتمه، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة" ويعتبر بيان الحقائق للمدعوين من أهم واجبات الداعية، ذلك لأن رسالة الداعية تقوم على البيان، وقد قال الله لنبيه ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] وبالبيان للحقائق تقوم الحجة على المدعوين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

قال السعدي: (هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو:

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا، كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، ودَعَا وأنذر، وبشر ويسَّر وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان منزلة الوالي العادل:

إن الإسلام يحث على العدل؛ ومن ثم بيّن الحديث منزلة الوالي العادل وأنه من أهل الجنة وهذا يدل على عناية الإسلام بإقامة العدل، ويتضح هذا مما جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق" وهذا يدل على فضل ومنزلة الوالي العادل وقد جعله الرسول الكريم من الذين يظلهم الله في ظله ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((سَبعةٌ يُظلُّهمُ اللّهُ تعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلّهُ: إمامٌ عَادلٌ))[2].

قال القاضي عياض: (وإضافة الظل هنا إلى الله إضافة ملك، وكل ظل فهو لله ومن خلقه وملكه وسلطانه وهو ظل العرش، والمراد بذلك يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين، ودنت منهم الشمس، ويشتد عليهم الحر ويأخذهم العرق، ولا ظل هناك لشيء إلا ظل العرش. وقد يراد به هنا ظل الجنة أو ظل طُوبى - اسم من أسماء الجنة - وهو نعيمها والكون في دارها. والإمام العادل: هو كل من إليه نَظَرٌ في شيء من أمور المسلمين من الولاة والحكام)[3].

وقال ابن حجر: (والإمام العادل: اسم فاعل من العدل وقد جاء في رواية بلفظ "العدل" وهو أبلغ لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً، والمراد به صاحب الولاية العظمى،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٢/٣.

ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه. والعادل هو الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط، وقدمه في الذكر لعموم النفع به)[١].

والإمام العادل لا ترد دعوته ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ثَلاثٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ))[٢]. وفي رسالة بعث بها الحسن البصري لعمر بن عبدالعزيز قال: (اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونَصَفَة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده، والإمام العادل هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم، والإمام العادل كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرحمة والشفقة:

إن المسلم رقيق القلب جياش العاطفة، وقد جعل الإسلام الرحمة والشفقة سببًا لدخول الجنة، ويتضح هذا من الحديث "ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم" ولا شك أن هذا يدل على فضل الرحمة والشفقة، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] ووصف الله نبيه وأصحابه بالرحمة فقال جل شأنه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾[٥] وأمر الجماعة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٩-١٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٢٦، وصححه الألباني دون قوله في نص الحديث: (مم خلق الخلق...)، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٥٠).

(٣) موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز ٧٤٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٩.

المؤمنة بالتواصي بالرحمة فقال عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[1].

ومن ضروب رحمة النبي وشفقته ما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ))[2].

لقد جعل الإسلام رحمة الناس بعضهم بعضًا سببًا لرحمة الله إياهم، فقال رسول الله ﷺ ((الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))[3].

وقد كان رسول الله ﷺ أرحم البشر، كان مثالاً للرحمة والرفق ورقة القلب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[4]

قال السعدي: (أي برحمة الله لك ولأصحابك منَّ الله عليك أن ألنت لهم جناحك، وترفقت عليهم وحسنت لهم خلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك وامتثلوا أمرك "ولو كنت فظًا" أي سيء الخلق "غليظ القلب" أي قاسي "لانفضوا من حولك" لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيء.

فالأخلاق الحسنة مع الرئيس في الدنيا تجذب الناس إلى دين الله وترغبهم فيه مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة مع الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين وتبغضهم إليه مع ما لصاحبها من الذم والعقاب الخاص فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول فكيف بغيره.

أليس من أوجب الواجبات وأهم المهمات الاقتداء بأخلاقه الكريمة ومعاملة الناس

---

(١) سورة البلد، آية: ١٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٧ واللفظ له، ومسلم ٤٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

بما كان يعاملهم به ﷺ من اللين وحسن الخلق والتأليف امتثالاً لأمر الله وجذبًا لعباد الله إلى دين الله تعالى)[١].

(إن الرحمة فضيلة والقسوة رذيلة، وهي تكون للناس جميعاً فتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لها، فإن كانت الرحمة خليقتك رحمك الناس كما رحمتهم، وكانوا لك كما كنت لهم ورحمك الرحمن الرحيم: فأسْبَغَ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، وإن تركتها إلى القساوة قست عليك الخليقة فإن نابتك نائبة، أو حلت بك ضائقة أغضوا عنك وفرُّوا منك فتجرعت وحدك صابها، وصليت نارها، وكذلك يصنع الله بك، يرفع عنك رحمته، فإذا أنت في الدنيا في معيشة ضنك لا تنعم بعزة أو هناءة، وفي الآخرة لا ينظر الله إليك، ولا يكلمك، ولك العذاب الهون جزاء بما اكتسبت فارحم تُرْحم وكن للناس يكونوا لك وتخلق بخلق الله يرفع شأنك، ويُعْل نفسك والله لا يضيع أجر المحسنين)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل العفة والتعفف:

إن المسلم عفيف النفس، لا يمد يده إلى الناس يستجديهم ويطلب منهم، ومن ثم مدح الرسول ﷺ المسلم العفيف، وجعله من أهل الجنة حيث جاء في الحديث "وعفيف متعفف ذو عيال" والعفة والتعفف مما مدحه الله في القرآن قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[٣].

قال ابن كثير: (أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم، وهم لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل وله ما يغنيه عن السؤال، فقد ألحف في المسألة)[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢١، ١٢٢.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٢٢-١٢٣.

(٣) سورة البقرة، آية:٢٧٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٤/١، ٧٠٥.

وقال القرطبي: (والمراد أنهم من ترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء. والتعفف تفعّل وهو بناء مبالغة من عفَّ عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه. وكونهم "لا يسألون الناس إلحافاً" أي لا يسألون ألبتة وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة، وعلى هذا جمهور المسلمين، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم، أي لا يسألون إلحاحاً ولا غير إلحاح قال إبراهيم بن أدهم: سؤال الحاجات من الناس هي الحجاب بينك وبين الله تعالى، فأنزل حاجتك بمن يملك الضر والنفع، وليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك الله ما سواه وتعيش مسروراً)[1].

وقد بين الرسول الكريم ﷺ صورة هذا التعفف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهذَا الطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ واللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ. ولكِنْ الْمِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنىً يُغْنِيهِ. وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ. وَلاَ يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئاً))[2]. أي أن المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحق بالصدقة وأحوج إليها ليس هو هذا الطوَّاف، بل هو الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له ولا يسأل الناس[3]، وبين ﷺ أن من يستعفف يعفه الله فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ومَن يَستعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَسْتغنِ يُغنِهِ اللهُ))[4].

قال السعدي: (ومن استغنى بالله وبرزقه وما قسم له الله وأعطاه ولم يلتفت إلى غير ربه وغير فضله وإحسانه استعف عن الخلق ولم يعلق بهم قلبه لا خوفاً ولا رجاءً ولا طمعاً ولا رغبة وهذه المرتبة أعلى المراتب وأشرفها)[5].

وقال الماوردي: (والنفس الشريفة تطلب الصيانة وتراعي النزاهة، وتحتمل من الضر ما احتملت ومن الشدة ما أطاقت، فيبقى تحملها، ويدوم تصونها فتكون كما قال

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٣/٣٤١-٣٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٥٣٩، ومسلم ١٠٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٥٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣ واللفظ له.

(٥) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ١٨٦.

الشاعر:

وقد يَكْتَسِي المرءُ خَزَّ الثيابِ ... ومن دونها حالةٌ مُضْنِيهْ

كما يكتسي خدُّه حُمْرةً ... وعِلَّتُه ورم في الرِّيَهْ

فلا يرى أن يتدنس بمطالب الشؤم، ومطالع اللؤم، فإن البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه، قال الشاعر:

وليس الليثُ من جوعٍ بغادٍ ... على جيفٍ يطوف بها الكلابُ [1]

فكيف بالإنسان الفاضل الذي هو أكرم الحيوان جنساً، وأشرفه نفساً، هل يحسن به أن يرى لوحش البهائم عليه فضلاً وقد قال الشاعر:

على كل حال يأكل المرء ... على البؤس والضراء

وقد قيل لبعض الزهاد: لو سألت جارك؟ فقال: والله ما أسأل الدنيا من يملكها فكيف ممن لا يملكها. فأما من يسأل من غير ضرورة مَسَّت، ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم، ومحض الدناءة وقلما تجد مثله ملحوظاً، أو ممولاً محفوظاً، لأن الحرمان قاده إلى أضيق الأرزاق، واللؤم ساقه إلى أخبث المطاعم، فلم يبق لوجهه ماء إلا أراقه ولا ذلاً إلا ذاقه)[2].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث "أهل الجنة ثلاثة" ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع بالمدعو إلى الإقبال على الخير، لأن النفس بطبيعتها تحب وتميل إلى الثواب والأجر ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[3]. وفي الحديث رغب النبي ﷺ ببيان ثلاثة أنواع من

---

(١) يتيمة الدهر. قافية الباء ٣/٦٠.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٩٢-١٩٣.

(٣) سورة الزمر، آية:٧٣.

الناس يدخلون الجنة، وجعلهم من أهلها وهم ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال. وفي هذا ترغيب لهؤلاء الثلاثة وبشارة لهم بدخول الجنة.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن الولي فرد من أفراد الأمة، يتولى أمرها وفق صور عدة أقرها الشرع، وإن تربية أفراد الأمة على قيم الإسلام ومبادئه، ومن أهم غايات التربية الإسلامية ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة التربية بالترغيب، لما له من أثر في تحفيز النفس وحثها على فعل المرغَّب فيه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ...»، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»، وحديث عوف بن مالك رضي الله عنه: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم...»، وحديث عياض بن حمار رضي الله عنه: «أهل الجنة ثلاثة...». ففي هذه الأحاديث ترغيب في الاستظلال بظل الله تعالى يوم القيامة وترغيب في الجنة لمن يحقق العدل.

"ولما كان الإسلام هداية للناس جميعًا وواقعيًا في جوانبه العملية كانت الواقعية فيه تتطلب إيجاد عنصر للترغيب في وسائله التربوية للناس، وذلك في كل ما يهديهم إليه من خير، ويدعوهم إليه من فضيلة، وما ذاك إلا لكي يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان، ويدلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، وليس بغريب أن تكون التربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية فهي تعتبر أساسًا محددًا لبناء شخصية الفرد، تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها، وعداوتها، في بيعها وشرائها في عملها وراحتها، في أفكارها وآرائها، في توجيهها وإرشاداتها، في نصائحها وتحذيراتها، وتبرز أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق

وبثها بين الناس ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا لكونها خطوة حتمية لتنفيذ الشريعة في المجتمع الإسلامي، وذلك لأن أساس الأوامر والنواهي في الإسلام هو جلب المصلحة ودفع المضرة" [(١)].

ثانيًا- غرس قيمة العدل:

تعتبر قيمة العدل من القيم الإسلامية ذات الأهمية في مجال التربية الإسلامية، ومن ثَمَّ كان من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة العدل، وجعلها مظهرًا من مظاهر الجماعة المسلمة، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على قيمة العدل، حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ ...».

فجاء على رأس السبعة الذي يظلهم الله في ظله: الإمام العادل لما للعدل من أهمية كبرى في المجتمع المسلم، ومن أحاديث الباب أيضًا حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»، وحديث عياض بن حمار: «أهلُ الجنةِ ثلاثةٌ: ذو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّق ...».

"ومن المثل العليا في الإسلام تكليف متبعيه بأن يكونوا قائمين بالعدل بين الناس مع صرف النظر عن جميع الاعتبارات التي تحد من سلطانه، والقرآن الكريم أمر المؤمنين أن يكونوا مبالغين في تحري العدل، ومراعاة قواعد العدل حتى مع الأعداء، وبين الله سبحانه أن العدل تُبْعَث الرسلُ لأجله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [(٢)]، فهذه الآية بينت أن الله أراد بإرسال الرسل إقامة العدالة الاجتماعية على أساس ما أنزله عليهم من الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين، وما أمرهم به من استعمال الميزان، لأن به يتميز الحق من

---

(١) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ١٨٧.

(٢) سورة الحديد، آية:٢٥.

الباطل، وبه يحصل الناس على حقوقهم"[١].

وإذا كانت العدالة مطلوبة من كل أحد فإنها من ولاة الأمر أولى، ولذا جاء في أحاديث الباب البشارة للولي العادل بالجنة، لذلك لأن العدل هو أساس الحكم الصالح.

"والعدل هو تنفيذ حكم الله، أي أن يحكم الناس وفقًا لما جاءت به الشرائع السماوية. ولما كانت الشريعة الإسلامية هي كمال هذه الشرائع فإن العمل بها إذن هو تحقيق للعدل الذي أمر الله به، ونظام الحكم الإسلامي يقوم على العدل من الحكام، وهو فرض لا يقوم الحكم الإسلامي به، وفي مقابل ذلك فإن الطاعة من المحكومين للحكام واجبة، إذا سار الحكام وفق منهج الله تعالى وشريعته، وحكموا بالعدل المفروض عليهم. ومن ثَمَّ كان العدل واجبًا حتى على الأنبياء، والعدل واجب حتى للأعداء وهذه من أعظم فضائل الإسلام"[٢].

ثالثًا- تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر:

من أهداف التربية الإسلامية تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر، وما يكون فيه من جزاء وحساب وثواب وعقاب، حيث يتكون لدى المتربي اليقين في أحداث اليوم الآخر، وفي أحاديث الباب جاء الحديث عن الجنة وأصحابها وحال أهلها، ومن ذلك قوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ:...»، وقوله: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ...»، وقوله: «أهل الجنة ثلاثة...». والتصديق باليوم الآخر، والثقة فيما أعدّه الله في الجنة لمن أطاعه يولد داخل المتربي الهمة العالية والتطلع لنيل هذا الثواب.

"إن تذكر الإنسان لليوم الآخر له العديد من الآثار التربوية منها تربية الشعور الحقيقي بالمسئولية إذ أن الإيمان باليوم الآخر هو المحرك الأساسي لشعور الإنسان بالمسئولية الحقيقية، وهذا الإحساس يبني على الخوف من يوم الحساب، ومنها تحقيق

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ١٩٥، ١٩٦.

الهدف الأسمى من وجود الإنسان حيث إن الإحساس بالمسئولية يمكّن الإنسان من أن يكون عبدًا صالحًا لأن العبودية هي جوهر الإنسانية، ومنها: تحقيق الأخلاق الفاضلة، فالإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من خشية المؤمن من الجزاء يوم الحساب يحقق في الإنسان الأخلاقيات الفاضلة في السلوكيات الحياتية بحيث تأتي هذه الأخلاقيات مراعية لشرع الله"[1].

ومن ثَمَّ يجب على المربين تعميق معاني الإيمان باليوم الآخر حتى يمكن غرس الكثير من القيم التربوية "إذ أن الإيمان بالحياة الآخرة والمسئولية العظمى أمام الله وجزاء الأعمال يكّون في أعماق النفس دافعًا قويًا إلى عمل الخير ومكافحة الشر، ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامنًا تنفيذ قواعد الأخلاق والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي، ومن قواعد الزجر والعقاب، ومن آثار هذا الإيمان أيضًا أنه يسبب الإخلاص في العمل فلا يكون عمل المؤمن ترقبًا لمكافأة أو شكراً ينتظرهما من الناس ومن المجتمع فإنه يعمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وانتظارًا لِحُسْن العاقبة في الحياة الأبدية" [2].

رابعًا- التربية الاجتماعية:

وهذا واضح من قوله ﷺ ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ منهم: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ))، ففي هذا تربية اجتماعية للفرد والمجتمع عن طريق تقوية المحبة والمودة بين المسلمين، فيظللّ أفراد المجتمع حبٌّ بعضهم لبعض، لا لحاجة من حاجات الدنيا، وإنما حبٌّ يقصد به وجه الله تعالى، فمحبة المسلم لأخيه المسلم -حينئذ- تكون نابعة من حبه لله ولرسوله ﷺ ولدينه، فالحب في الله يدوم كما أن المحبة في الله من كمال الإيمان.

كما أن الأمن الاجتماعي ينشر في المجتمع المسلم إذا تحققت المحبة بين المسلمين في الله، وحينئذ يسود الأمن والاطمئنان في المجتمع، لأن الجميع سوف يسعى في صلاح من

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٧٢، ٧٣.

(٢) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، د. محمد المبارك ص ١٥٦.

يحب وجلب الخير له، ودفع ما يضره عنه، كل واحد منهم آمن على نفسه وأهله وماله وعرضه.

خامسًا- من الأساليب التربوية الإلقاء والحوار والمناقشة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ- الإلقاء: كما في حديث ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ)) كما أن في هذا الحديث ترغيبًا، ويمكن للمعلم أن يمزج بين الإلقاء والترغيب بهدف استثارة انتباه المتعلمين وتشويقهم للموقف التعليمي، هذا من جانب، ومن جانب آخر ضمان وصول المعلومة إلى أذهان المتعلمين.

ب- الحوار والمناقشة: كما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ((خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ...)) الحديث، والحوار والمناقشة من الأساليب التي تسمح للمتعلم أن يعرض ما في نفسه من أفكار وآراء، مما يفعل دوره في العملية التعليمية ويزيد من استفادته منها بدرجة كبيرة.

❁ ❁ ❁

٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

الحديث رقم (٦٦٣)

٦٦٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((عَلَى المَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أحَبَّ وكَرِهَ، إلاَّ أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإذَا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر قواعد عامة تنظم العلاقة بين الرئيس، والمرؤوس وبين الحاكم، والرعية بما يضمن منع الخلاف وتحقيق الترابط الذي يصب في مصلحة الأمة، وبداية الحديث بقوله (عَلَى المَرْءِ الْمُسْلِمِ) يدخل الجميع تحت مظلة الحكم مما يستلزم إنصاتهم؛ لأن (ال) في لفظ المسلم للجنس فيشمل كل المسلمين، والتعبير بـ (على) يشير إلى الوجوب، ولإلزام لأن على تشير إلى تمكن الأمر، وعلوه، وأنه تشريع من الله، وذكر المرء للتوكيد، وتخصيص المسلم لأنه المعني بتنفيذ أمر الله، ورسوله، وقد استخدم أسلوب الطباق بين المعاني حيث طابق بين أحب، وكره الذي يقرر أن طاعة ولي الأمر مقدمة على رغبة النفس رعاية لوحدة المسلمين، كما أنه طابق بين السمع، والطاعة، وبين قوله فلا سمع، ولا طاعة وهو طباق سلب يقرر أنه لا طاعة مطلقة إلا

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩/٣٨ واللفظ له.

لله، ولرسوله ﷺ ولذلك استثنى بقوله: (إلاَّ أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ) وبناء الفعل (يؤمر) للمجهول ليشمل كل ولي أمر أو نائب عنه يأمر بمعصية عندها يتوقف عن الطاعة، ولا يسمع، ولا يطيع.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم انعقاد الإمامة: أجمعت الأمة على وجوب عقد الإمامة[١].

٢-حكم طاعة ولاة الأمور: لا خلاف بين الفقهاء أن طاعة ولي الأمر إنما تكون في المعروف، ولا تجوز في معصية، فإذا أمر ولي الأمر بما يخالف الشرع، حرم على المكلفين طاعته، أو تنفيذ أمره، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٢].

٣-حكم الخروج على ولي الأمر العادل: لا خلاف بين الفقهاء أن من اتفق المسلمون على مبايعته، ثبتت إمامته، ووجبت طاعته، فمن خرج عليه كان باغياً وجب قتاله[٣].

٤-حكم الخروج على ولي الأمر الجائر: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى حرمة الخروج عليه، ولو كان ذلك بقصد منعه من جوره، إذ لا يعزل السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق بعد انعقاد إمامته، وإنما يجب موعظته.

---

(١) مراتب الإجماع ١٤٤، رد المحتار ٢٠٤/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠١/٦.

(٢) مراتب الإجماع ١٤٥، وشرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٩٩/٦ وما بعدها، وحاشية الخرشي ٦٠/٨، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٢٠٤/٧، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨/١٠.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٣٠/٣، وحاشية الدسوقي ٢٩٨/٤ وما بعدها، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٢/٧، المغني والشرح الكبير ٥٢/١٠ وما بعدها.

بينما ذهب بعض المالكية، وبعض الشافعية إلى جواز الخروج على الإمام الجائر، إذا كان الخروج من عادل، وحينئذ تجب معاونته[١].

٥-العدد المعتبر خروجاً: يرى المالكية أن الواحد. والعدد القليل يعد خروجاً، بينما ذهب الشافعية إلى أن العبرة بوجود شخص مطاع بين الخارجين قلة كانوا أم كثرة، وقال الحنابلة والحنفية: إن الواحد والعشرة ليسوا خارجين، بل الكثرة التي تعتبر قوتهم، بما يحتاج معهم الإمام إلى إعداد وترتيب لمواجهتهم[٢].

٦-تعدد الأئمة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز كون إمامين في دولة مسلمة في وقتٍ واحد، ولا يجوز إلا إمام واحد، لحرمة التفرق والتنازع بين المسلمين، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم، ووقعت المعصية لله تعالى.

فإن عقدت لاثنين معاً بطلت فيهما، أو مرتباً فهي للسابق منهما، ويُعزَّر الثاني ومبايعوه. وإن جهل السابق منهما بطل العقد فيهماعند الشافعية، لامتناع تعدد الأئمة، وعدم المرجّح لأحدهما.

وعن الإمام أحمد روايتان: إحداهما: بطلان العقد، والثانية: استعمال القرعة، قال القاضي: هذا قياس المذهب كالأذان.

وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد، وتعذرت الاستنابة، جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٩/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، وحاشية الخرشي ٦٠/٨، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٢/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٩٥/٤، والمحلى، ابن حزم ٥٢٦/٨.

(٢) بدائع الصنائع ١٤٠/٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٧/٦، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣٨٣/٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٩/١٠، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٦/٤.

(٣) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين السيوطي ٥٩/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٢٥/١، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ٣٦١/١٩، ٣٦٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٠٣/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٦٠/١٦. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية لله.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على حرمات الله.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لما دعا إليه رسول الله ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية لله:

إن طاعة ولاة الأمر مشروطة بأن تكون في المعروف، فإن أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا ما ينص عليه الحديث، حيث قال ﷺ: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" قال النووي: (قال العلماء: معناه: تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت في معصية فلا سمع ولا طاعة، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[1].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[2]، في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي بعثه النبي ﷺ في سرية)[3].

وقصته ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَعَثَ رسولَ اللَّهِ علقمةَ بن مُجَزِّزٍ المُدْلِجي على بَعْثٍ أنا فِيهِم، فخرجنا حتَّى إذا كُنا على رأسِ غزاتِنا، أو في بعضِ الطَّريقِ استأذَنَتْهُ طائفةٌ، فأَذِنَ لهم، وأمَّرَ عليهم عَبْدَ اللَّه بنَ حُذافةَ السَّهمي، وكان من أصحابِ بدرٍ، وكانتْ فيهِ دُعَابةٌ، فكنتُ فِيمَنْ رَجَعَ معهُ، فبينا نحنُ في الطريقِ نزلنا منزلا، وأوقدَ القومُ ناراً يَصْطَلُونَ بها، أو يصنعون عليها صنيعاً لهم، إذ قال لَهُمْ عَبْدُ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٨٤، ومسلم ١٨٣٤.

اللّه بنُ حُذافة: أليسَ لي عليكمُ السَّمْعُ والطاعةُ؟ قالوا: بلى، قالَ: فأنا آمُرُكُمْ بشيءٍ ألا فعلتموهُ؟ قالوا: بلى، قالَ: فإني أَعْزِمُ عَلَيْكُمْ بحقّي وطاعتي إلا توائبْتُمْ في هذه النار، قالَ: فَقَامَ ناسٌ حتى إذا ظَنَّ أنَّهم واثبونَ فيها، قالَ: أمْسِكُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ، إنما كُنْتُ أضحكُ مَعَكُمْ، فلما قَدِمُوا على رسولِ اللّهِ ذكروا ذلك لَهُ، فقالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَنْ أمركُمْ بمعصيَةٍ، فلا تُطيعُوهُ))[1].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) قال: (أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب واجتناب نهيهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده. ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولعل السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم، وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على حرمات الله:

إن حرمات الله هي محارمه، وعدم الجرأة على انتهاكها من علامات الإيمان الصادق، لذا حذّر النبي ﷺ من الطاعة في المعصية، وذلك واضح من تقييد النبي ﷺ طاعة أولي الأمر بألا تكون في معصية، وإلا فلا سمع ولا طاعة.

ومن هذا القبيل حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ ﷺ اللّهِ فَبَايَعْنَاهُ. فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا. وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: ((إلاَّ أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ))[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٨٦٣، وحسنه الألباني ص حيح سنن ابن ماجه ٢٣١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٥٥، ٧٠٥٦، ومسلم ٤٢ - ١٧٠٩.

قال النووي: (قوله ﷺ: "إلا أن تروا كفراً بواحاً"، وفي بعضها "بداحاً" - والباء مفتوحة فيهما، ومعناهما: كفراً ظاهراً، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى عندكم من الله فيه برهان: أي تعلمونه من دين الله تعالى، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث كنتم)[1]، قال ابن حجر: (وقال غيره -أي: غير النووي-: المراد بالإثم هنا المعصية والكفر فلا يعترض على السلطان إلا إذا وقع في الكفر الظاهر)[2].

وقال ابن هبيرة: (تجوز طاعة الأمير إلى الحد الذي لا ينتهي إلى معصية الله عز وجل، فإذا انتهى إليها فحينئذ لا طاعة له ولا لغيره.

وأن المأمورين إذا رأوا أميرهم قد أمرهم بما يتحققون أنه معصية لله عز وجل فواجبٌ عليهم أن لا يطيعوه وأن طاعة الأمير إنما هي فرع على طاعة الله عز وجل التي هي الأصل، فإذا انتهت المراعاة لحفظ فرع من الفروع إلى أن ينتقض ذلك الأصل الذي بنيت الفروع عليه بناء في الحكم فبطل من أصله)[3].

وقال البغوي: (وحكي أن عمر بن هُبيرة كان على العراق، قال لعدة من الفقهاء منهم الحسن والشعبي: إن أمير المؤمنين يكتب إلي في أمور أعمل بها فما تريان؟ قال الشعبي: أنت مأمور، والتبعة على آمرك، فقال للحسن: ما تقول؟ قال: قد قال هذا، قال: قل، قال: اتق الله يا عمر، فكأنك بملك قد أتاك، فاستنزلك عن سريرك هذا، فأخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فإياك أن تعرض لله بالمعاصي، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

وروي عن أبي برزة أنه مرّ على أبي بكر وهو يتغيظ على رجل من أصحابه، وقيل: إن الرجل كان يسب أبا بكر، فقال أبو برزة: قلت: يا خليفة رسول الله من هذا الذي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٨/١.

تتغيظ عليه؟ قال: فلِمَ تسأل عنه؟ قلتُ: لأضرَب عنقه. وفي رواية قال أبو بكر لأبي برزة: لو قلت لك ذلك أكنت تفعله؟ قال: نعم. فقال: ما كان ذلك لأحد بعد رسول الله ﷺ. فهذا يؤيد ما قلنا، وهو أن أحداً لا يجب طاعته في قتل مسلم إلا بعد أن يعلم أنه حق إلا رسول الله ﷺ، فإنه لا يأمر إلا بحق ولا يحكم إلا بعدل، وقد يتأول هذا أيضاً على أنه لا يجب القتل في سب أحد إلا في سب رسول الله ﷺ)[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لما دعا إليه رسول الله ﷺ:

لقد أمر رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة لأولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية وإلا فلا سمع ولا طاعة. وهذا الحديث يوضح العلاقة بين أولي الأمر والرعية، فإذا استجابت الرعية لذلك كان في هذا فلاحها وصلاحُها وإلا انتشرت الفتن والاضطرابات. وقد تمثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذا المعنى في خطبته التي خطبها عندما بايعه المسلمون خليفة عليهم، فقال: (أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه[٢] إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)[٣].

وقد أجاب ابن عثيمين على سؤال نصه: (إذا ندب الله عز وجل إلى أمر من الشريعة ندباً عاماً، كالدعوة إلى الله مثلاً، ومنع من إيقاعه ولي الأمر مثلاً، فهل يستجاب لولي الأمر في هذا مع قول الرسول ﷺ: ((إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))[٤]، مع الضابط إذا تيسر جزاك الله خيراً؟.

---

(١) شرح السنة ١٠/٤٤ - ٤٥.

(٢) أي: أرده إليه، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ح).

(٣) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ٤/٣١٢، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/٩٠، ٩/٤١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٤٠، ومسلم ١٨٤٠.

فأجابه الشيخ بقوله: (إذا قال ولي الأمر لشخص مثلاً: لا تدعُ إلى الله، فإن كان لا يقوم أحد سواه بهذه المهمة، فإنه لا يطاع ولي الأمر في ذلك، لأنها تكون فرض عين على هذا الشخص، ولا طاعة لولي الأمر في ترك فرض عين.

أما إذا كان يقوم غيره مقامه نظرنا: إذا كان ولي الأمر نهاه لأنه يكره دعوة الناس، فهنا يجب أن يناصح ولي الأمر في هذا، ويقال: اتق الله، لا تمنع من إرشاد عباد الله، أما إذا كان نهيه هذا الشخص لسبب آخر يحدث من جراء كلام هذا الرجل، ورأى ولي الأمر أن المصلحة إيقافه، وغيره قائم بالواجب فإنه لا يحل لهذا أن ينادد ولي الأمر، وقد كان عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفر، فأجنب عمار -أصابته جنابة- فجعل يتمرغ في الصعيد كما تتمرغ الدابة، يعني يتقلب ليشمل التراب جميع بدنه، ثم عاد إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ لعمار: ((إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدِكَ هَكَذَا))، وأراه التيمم، ثم جاءت خلافة عمر، وصار عمار يحدث بذلك، فاستدعاه عمر رضي الله عنه يوماً من الأيام وقال: كيف تحدث بهذا الحديث؟ لأن عمر يرى أن الجنب لا يتيمم، وأن التيمم في الحدث الأصغر فقط، وأن من عليه جنابة ينتظر حتى يجد الماء ثم يغتسل ويصلي، هذا رأيه. فقال له عمار: يا أمير المؤمنين أما تذكر أن النبي ﷺ قال كذا وكذا، فكأن عمر نسي هذا، فقال له: يا أمير المؤمنين إن شئت بما جعل الله لك علي من الطاعة ألا أحدث به فعلت، فقال عمر: لا، نوليك ما توليت[1]، يعني فحدث به، والشاهد أنه ما أنكر عليه قوله: (إن شئت بما جعل الله لك علي من الطاعة ألا أحدث به، فعلت).

أما لو قال ولي الأمر مثلاً: لا تصل النافلة، فنقول: صلها، لكن بدون منابذة، صلها في بيتك، لأن منابذة ولي الأمر يترتب عليها مفاسد كثيرة، لا بالنسبة لك أنت أيها المنابذ، لأنك أنت أيها المنابذ ربما تؤخذ وتؤذي وأنت تعتقد أنك أوذيت في الله، لكن غيرك أيضاً يصاب بهذه المنابذة، وربما يقتدي بك غيرك ممن لا يعرف ما عرفت، ينابذ بدون علم، وربما تتحسس الأخبار من حولك ويؤتى بكل إنسان حولك، ويؤذى

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦ ومسلم ٣٦٨.

بدون جريمة ثم إن الحط من قدر ولاة الأمور من العلماء أو الأمراء في أعين الناس له ضرر كبير، لأن قدر ولاة الأمور إذا سقط من أعين الناس تمرد الناس على ولي الأمر، ولم يروا لأمره قيمة، وصاروا يرونه كسائر الناس، وإذا انحط قدر العلماء في أعين الناس لم يكن لما يقولونه للناس من شريعة الله قيمة، ولم يهتم الناس بأقوالهم، وخُربت الشريعة من هذا الجسر، لأن قدرهم هون في أعين الناس، فصار الناس لا يبالون بهم، ولا يأخذون بأقوالهم، يذهبون يأخذون من فلان وفلان ممن هو دونهم في فقه شريعة الله عز وجل.

فهذه الأمور لا ينبغي لنا أن ننظر إلى ظاهرها وسطحها؛ لأن لها غوراً بعيداً عميقاً، وقد سئل النبي ﷺ عن ولاة الأمور الذي يطالبون بحقهم، ويضيعون حق الله في رعيتهم فقال ﷺ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا. فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ))[1]، نحن نعطيهم ما لهم علينا، ونسأل الله سبحانه وتعالى حقنا، وذلك بأن يهديهم الله حتى يقوموا به.

فينبغي لنا أيها الإخوة ألا ننظر إلى الأمور من سطحيتها فقط؛ بل ننظر لما يترتب عليها من المفاسد العظيمة، والأمن حتماً له قيمة، فالدنيا كلها تبذل في سبيل الأمن، ويضحي الإنسان من نفسه بأشياء كثيرة من أجل الأمن، ولا يعرف قدر الأمن إلا من ابتلي بالخوف، اسألوا آباءكم الأولين، ماذا كانت عليه هذه البلاد من الخوف فيما سبق؟

كان الناس لا يذهبون من بريدة إلى عنيزة، أو من عنيزة إلى بريدة إلا مسلحين، وعلى خوف شديد، بل قال بعض الكبار: كنا -والله- نخرج في رمضان من بيوتنا بعد العشاء، بل بعد المغرب ونحن نحمل السلاح يخافون على أنفسهم من عدو يدخل البلد، أو غير ذلك. فنعمة الأمن والرخاء لا يساويها نعمة بعد الدين، فيجب علينا أن نتجنب كل ما يثير الناس، ونحن لا نبرئ ولاة الأمور من الخطأ، ولاة الأمور من العلماء والأمراء عندهم خطأ كثير، لكن جاء في الأثر: (كما تكونون يولى عليكم)[2]،

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٤٦.

(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بكرة كما في المقاصد الحسنة ص ٣٨٥ وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٣٢٠.

انظروا إلى أحوال الناس، فمن حكمة الله أن الولي والمولى عليه يكونون متساوين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1].

كذلك يولي الله على الصالحين صلحاء، وإذا نظرنا إلى أحوال الرعية وجدنا أنفسنا نحن الرعية عندنا تفريط في الواجبات وإخلال وتهاون، وتهافت على المحرمات؛ نجد الغش في المعاملات، والكذب، والتزوير، وشهادة الزور، وأشياء كثيرة، فلو أن الإنسان تعمق وسلط الأضواء على حال المجتمع الإسلامي اليوم، لعرف القصور والتقصير، فالمجتمع الإسلامي صدق ووفاء وأمانة، وكل هذه مفقودة الآن إلا ممن شاء الله.

فإذا أضعنا نحن الأمانة فيما نحن أمناء فيه، وليس عندنا ولاية كبيرة، فكيف من له ولاية كبيرة، قد يكون أشد منا إضاعة للأمانة، لكن استقيموا يول الله عليكم من يستقيم.

ثم إن الواجب أيضاً أن ندعو لولاة الأمور سراً وعلناً، أن ندعو لهم بالتوفيق والصلاح والإصلاح، لأنهم ولاة أمورنا، أعطيناهم البيعة، فلا بد أن نسأل لهم الصلاح حتى يصلح الله بهم، ويذكر أن أحمد قال: "لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان"، لأنه إذا صلح السلطان صلحت الأمة، وهذا صحيح.

فالواجب علينا يا إخواني ألا نيأس، وأن ندعو لولاة أمورنا أن يصلح الله لهم الأمور، وأن يعينهم على ما حملهم، وأن يبعد عنهم كل بطانة سوء، لأن ولي الأمر ليس وحده، فله أعوان، وله وزراء، وله جلساء فإن وفق بجليس صالح ومعين صالح، ووزير صالح، فهو من توفيق الله له وللرعية، وإن كان الأمر بخلاف ذلك فهو من شؤمه وشؤم الرعية، ولهذا يجب أن ندعو الله لولاتنا أن يوفقهم للصلاح والإصلاح، وأن ييسر لهم البطانة الصالحة، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق"[2].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٢) نقلاً عن كتاب: ابن عثيمين الإمام الزاهد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ص ١١٦ - ١١٩.

الحديث رقم (٦٦٤)

٦٦٤- وعنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله ﷺ عَلَى السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: ((فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بايعنا: من البيعة وهي المُعَاقَدة والمُعَاهَدة: أي أعطى غيره، خالصةَ نفسِه وطاعته ودخيلة أمره[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا إذا بايعنا الرسول ﷺ) يقرر عدة أمور منها أن التعبير بكان يشير إلى أنه عادة غالبة في الفعل أي عند كل مبايعة يقول هذا القول، ومنها أنه عبَّر بضمير الجمع الذي يشير إلى تأكيد الخبر؛ لأنه فعل جماعة، وليس فعل شخص واحد ثم إنه عبر بالماضي الدال على التحقق وقوله (السمع، والطاعة) أي السماع منه والمقصود منه لازمه، وهو التنفيذ للأمر، والانتهاء بالنهي والطاعة في الأقوال، والأفعال وقول الرسول ﷺ (فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ) احتراس رقيق من النبي ﷺ يحرس به أمته من العجز، والتقصير مما يدل على عظيم محبته لهم وحرصه عليهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: مراعاة طاقات وإمكانات الناس في السمع والطاعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الشفقة والرفق بالناس.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق والشفقة.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٠٢ واللفظ له، ومسلم ١٨٦٧/٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

أولاً- من أهداف الدعوة: مراعاة طاقات وإمكانات الناس في السمع والطاعة:

جاء الإسلام باليسر ورفع الحرج والمشقة عن المكلفين، ومن مظاهر ذلك أنه راعى الطاقة البشرية في امتثال التكاليف وفعلها، وهذا واضح من قول الصحابي: (كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم).

ومن ذلك حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: (بايعتُ النبيَّ ﷺ على السمع والطاعة، فلقنَني: فيما استطعتُ، والنُّصح لكل مسلم)[١].

قال ابن حجر: (قوله: فيما استطعت، المقصود بهذا التنبيه على أن اللازم من الأمور المبايع عليها هو ما يطاق، كما هو المشترط في أصل التكليف، ويشعر الأمر بقول ذلك اللفظ حال المبايعة بالعفو عن الهفوة وما يقع من خطأ وسهو)[٢].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]، قال: هم المؤمنون وسع عليهم أمر دينهم، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥]، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٦][٧].

وقال ابن تيمية: (ففي الجملة أهل السنة يجتهدون في طاعة الله ورسوله بحسب الإمكان كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٨]، وقال النبي ﷺ: ((إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[٩])[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٠٣، ومسلم ٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٨/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٧) أخرجه ابن جرير الطبري ١٥٣/٥، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٣/٣.

(٨) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٩) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧.

(١٠) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط/٢ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٥٢٧/٤.

قال النووي: (قوله ﷺ: "فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم" هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات، أو فطرة[1] جماعة من تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة وهي مشهورة في كتب الفقه والمقصود التنبيه على أصل ذلك.

وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2] وأما قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[3] ففيها مذهبان: أحدهما أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ والثاني وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة بل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسرة لها ومبينة للمراد بها، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5])[6].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الشفقة والرفق بالناس:

إن الرفق والرأفة من الأخلاق التي حضّ الإسلام عليهما وحثّ أتباعه أن ينشروهما

---

(١) الفطرة: زكاة الفطر. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣١٧.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٣٧.

فيما بينهم، حتى لا يقع بعضهم في حرج ومشقة وعنت، وهذا واضح من الحديث، قال النووي: (قوله: "فيما استطعت"، أي: قل فيما استطعت، وهذا من كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، يلقنهم أن يقول أحدهم: فيما استطعت؛ لئلا يدخل في عموم بيعة ما لا يطيقه، وفيه: أنه إذا رأى الإنسان من يلتزم ما لا يطيقه ينبغي أن يقول له: لا تلتزم ما لا تطيق في ترك بعضه، وهو من نحو قوله ﷺ: ((عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ))[1].

والحديث الذي ذكره النووي فيه قصة تدل على الشفقة والرفق بالناس، قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ حَصِيرٌ. وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ. فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. فَإِنَّ اللّه لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللّه مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ))[2].

قال النووي: (وفي هذا الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحاً فتتم العبادة بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق فإنه بصدد أن يتركه أو بعضه أو يفعله بكلفة وبغير انشراح القلب فيفوته خير عظيم)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يتضح رفق الله تعالى بعباده المكلفين فيما شرعه لهم من الأحكام، فإنه سبحانه وتعالى لم يكلفهم إلا بما يدخل تحت قدرتهم وطاقتهم بلا مشقة، فقد أمرهم بالصلاة وبصوم رمضان إلا أنه شرع لهم الرخص التي تخفف عنهم المشقة الحاصلة من تلك العبادات، فرخص لهم الفطر والقصر والجمع في المرض والسفر، وأباح لهم المحظور عند الضرورة، إن كانت تلك الضرورة مساوية للمحظور أو تزيد عليه. كإباحة الميتة للمضطر، ولم يوجب عليهم من العبادات إلا ما هو يسير عليهم، وأمرهم أن يأخذوا من النوافل ما يطيقون وألا يتحملوا منها ما فيه مشقة زائدة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٠.

عليهم رفقا بهم، لأن تلك المشقة تؤدي إلى عدم المداومة على تلك الأعمال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التنطع والتكلف[١]... فإن الشارع الحكيم لم يقصد من التكاليف التي فرضها على عباده العنت والمشقة)[٢].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرفق والشفقة:

إن الداعية للمدعوين كالأب الشفيق على أولاده، فيبعدهم عن مواطن المشقة عليهم، وإذا أخذت الحماسة بأحدهم مبلغها، فإنه يدله على ما يهذّب حماسته، فتكون في موضعها الصحيح، فلا تؤدي به إلى الإخلال أو العجز عما التزم به، وذلك واضح في قول النبي ﷺ لمن بايعه من الصحابة رضي الله عنهم: (فيما استطعت) وذلك واضحٌ أيضاً في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: فلقنني: (فيما استطعت). قال النووي: (وتلقينه من كمال شفقته ﷺ إذ قد يعجز في بعض الأحوال، فلو لم يقيده بما استطاع لأخلّ بما التزم به في بعض الأحوال)[٣].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[٤].

قال الطاهر بن عاشور: (أُرسِل محمَّدٌ ﷺ مفطوراً على الرحمة، فكان لينه رحمة من الله بالأمَّة في تنفيذ شريعته بدون تساهل وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مصاحباً لرحمةٍ من الله أودعها الله فيه، إذ هو قد بُعِث للنَّاس كافّة، ولكن اختار الله أن تكون دعوته بين العرب أولَ شيء لحكمةٍ أرادها الله تعالى في أن يكون العرب هم مبلغي الشَّريعة للعالم. والعرب أمَّة عُرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامةِ

---

(١) أخرج مسلم ٢٦٧٠ عن عبدالله بن مسعود مرفوعاً: (هلك المتنطعون) قال النووي: (هم المتعمقون المشددون في غير موضع التشديد). رياض الصالحين ١٠٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢/٢٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الفطرة. وسرعةِ الفهم. وهم المتلقُّون الأوّلون للدين فلم تكن تليق بهم الشّدة والغلظة، ولكنّهم محتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم، ليتجنّبوا بذلك المكابرةَ الّتي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان إلى الحقّ. وورد أن صفح النبي ﷺ وعفوه ورحمته كان سبباً في دخول كثير في الإسلام، كما ذكر بعض ذلك القاضي عياض في كتاب الشفاء. فضمير "لَهُمْ" عائد على جميع الأمَّة كما هو مقتضى مقام التَّشريع وسياسة الأمَّة، وليس عائداً على المسلمين الّذين عصوا أمر الرسول يوم أُحُد)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي لمن يتصدى لتغيير المنكر أن يأخذ نفسه بما يحمد قولاً وفعلاً، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق حتى يكون عمله مقبولاً وقوله مسموعاً، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[2]، ومن وسائل تغيير المنكر التعريف باللطف والرفق، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[3]، وخصوصاً مع من يُخاف شرُّه كالظالم المتسلط والجاهل إذا لم يكن معانداً. ويدل على ذلك حديث بول الأعرابي في المسجد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: ((دَعوهُ، وهَريقوا على بَولهِ سَجْلاً من ماءٍ - أو ذَنوباً منْ ماءٍ - فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[4]، وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً)[5].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٤٥/٤/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٤/٢٢ ومصادرها ومراجعها.

الحديث رقم (٦٦٥)

٦٦٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: ((وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط في سياق ترهيبي يزلزل أركان النفس الجامحة التي تميل إلى المخالفة، والانفراد عن جماعة المسلمين في قوله (مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ حُجَّةَ لَهُ) وهو أسلوب شرط يربط ترك الطاعة بلقاء الله دون حجة أي دون مدافع عنه، وقوله (مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ) كناية عن نقض البيعة لما كان وضع اليد كناية عن العهد، وإنشاء البيعة لجري العادة بوضع اليد على اليد حال المعاهدة كنى عن النقض بخلع اليد، ونزعها يريد من نقض، وخلع نفسه عن بيعة الإمام لقي الله تعالى يوم القيامة، ولا حجة له أي آثما، ولا عذر له، وقوله (وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ) التعبير بالعنق من المجاز بعلاقة الجزئية، ولفظ العنق يشير إلى التقييد بها، أي: ومن مات، وليس مبايعا لإمام مات ميتة جاهلية.

---

(١) برقم ١٨٥١/٥٨. عن ابن عمر، وبرقم ١٨٤٨/٥٣ عن أبي هريرة.

(٢) قال الحميدي في جمعه ٢٩٧/٢، رقم ١٤٩٨ ومن حديث أسلم مولى عمر، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: ((من نزع من طاعة فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وهو مفارق للجماعة، فإنه يموت ميتة جاهلية)). قلتُ: حديث زيد بن أسلم، عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أخرجه مسلم عقب الحديث رقم ١٨٥١/٥٨ بحديث واحد، بدون رقم. ولم يسق لفظه، وإنما قال: بمعنى حديث نافع، عن ابن عمر. ولم يبين الحميدي كذلك كعادته من أين أتى بهذا اللفظ، هل من مستخرج البرقاني أو غيره. والحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند ٥٧١٧، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٤٥٧٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مبايعة ولي الأمر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطر نقض العهد في البيعة ومخالفة المسلمين ومفارقتهم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحرص على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد رهّب النبي ﷺ من الخروج على الإمام بأن أخبر أن من فعل ذلك لقى الله لا حجة له في فعله، ولا عذر له ينفعه، وأن من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ولا شك أن هذا لترهيب المدعوين من هذين الفعلين وعدم الاقتراب منهما.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مبايعة ولي الأمر:

إن مبايعة ولي الأمر من الأمور ذات الأهمية بمكان في الدعوة الإسلامية، لما في ذلك من جمع للكلمة وسدٍ للفرقة ومنع للمدعو أن يلحق به الضرر في دنياه وآخرته، وهذا واضح من قوله ﷺ: (ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية).

وهذا ما فعله عبدالله بن عمر رضي الله عنه فالحديث في صحيح مسلم: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان في أمر الحرة[1] ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ حُجَّةَ لَهُ. وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))[2]، قال أبو العباس

---

(١) كانت وقعت الحرّة سنة ٦٣هـ وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية، فوجه إليهم جيشاً لحربهم، فهزموا أهل المدينة وقتلوهم واستباحوها ثلاثة أيام، وقتل فيها عدة من بقية الصحابة من أبناء المهاجرين والأنصار وعطلت الصلاة والأذان في مسجد النبي ﷺ تلك الأيام. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦١٤/١١، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦١/٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٥١.

القرطبي: (وتحديث ابن عمر ابن مطيع بالحديث الذي سمعه من النبي ﷺ إنما كان ليبيّن له: أنه لم ينكث بيعة يزيد ولم يخلعها من عنقه مخافة هذا الوعيد الذي تضمنه هذا الحديث. والله تعالى أعلم)[١]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[٢].

أبو عبدالله قال القرطبي: (قد قيل: إنها نزلت في بيعة النبي ﷺ على الإسلام)[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: (ذكرهم الله سبحانه وتعالى بالعهد الذي عاهدوا الله عليه عندما أسلموا، وهو ما بايعوا عليه النبي ﷺ مما فيه: ألا يعصوه في معروف، وقد كان النبي ﷺ يأخذ البيعة على كل من أسلم من وقت ابتداء الإسلام في مكة، وتكررت البيعة قبيل الهجرة وبعدها على أمور أخرى مثل: النصرة التي بايع عليها الأنصار ليلة العقبة، ومثل بيعة الحديبية، والخطاب للمسلمين في الحفاظ على عهدهم بحفظ الشريعة، وإضافة العهد إلى الله، لأنهم عاهدوا النبي ﷺ على الإسلام الذي دعاهم الله إليه)[٤].

وقال ابن الأثير عن المبايعة على الإسلام: (هو عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[٥].

وقال ابن خلدون: (البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره. وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد. فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع. وصارت البيعة مصافحة بالأيدي. هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع. وهو المراد

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦١/٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٨/١٠/٥.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٦٠/١٣ - ٢٦١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ا ع).

في الحديث في بيعة النبي ﷺ ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ. ومنه بيعة الخلفاء. ومنه أيمان البيعة فقد كان الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الأيمان كلها. فسمي هذا الاستيعاب أيمان البيعة)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (وقد استفاض عن رسول الله ﷺ أن الناس كانوا يبايعونه تارة على الهجرة والجهاد. وتارة على إقامة أركان الإسلام، وتارة على الثبات والقرار في معركة الكفار، وتارة على التمسك بالسنة واجتناب البدعة والحرص على الطاعات)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطر نقض العهد في البيعة ومخالفة المسلمين ومفارقتهم:

جاء الإسلام بجمع الكلمة ومنع الفرقة، لذا كان نقض البيعة والخروج على الجماعة عملاً يترتب عليه العقوبة الكبيرة والجزاء العظيم، وذلك واضح من نص الحديث، قال الطيبي: (قوله: "من طاعة" أي طاعة كانت قليلة أو كثيرة، ولما كان وضع اليد كناية عن العهد وإنشاء البيعة لجري العادة على وضع اليد على اليد حال المعاهدة، كنى عن النقيض بخلع اليد ونزعها، يريد من نقض العهد وخلع نفسه عن بيعة الإمام، لقي الله آثماً لا عذر له)[٣].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "لا حجة له"، أي: لا يجد حجة يحتج بها عند السؤال، فيستحق العذاب والنكال، لأن رسول الله ﷺ قد أبلغه ما أمره الله بإبلاغه من وجوب السمع والطاعة لأولي الأمر في الكتاب والسنة)[٤].

ومن هذا القبيل حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠٩، وص ١٠٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٤/٩.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٧/٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٦٢/٤.

جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍ. فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. وَفِيهِ دَخَنٌ)) قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: ((قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي. تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ)). فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ. مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا)). فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: ((نَعَمْ. قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا. وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا)) قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: ((تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)) فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: ((فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا. وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ))[1].

وقد عنون النووي لهذا الحديث في صحيح مسلم العنوان التالي: (باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يختلف حكم المبايعة باختلاف المبايعين، فأهل الحلّ والعقد لوهم العلماء وجماعة الرأي والتدبير الذين اجتمع فيهم العلم بشروط الأمانة والعدالة والرأي] يجب عليهم بيعة من يختارونه للإمامة ممن استوفى الشروط الشرعية لها، وأما سائر الناس فالأصل وجوب البيعة على كل واحد منهم، بناء على بيعة أهل الحلّ والعقد؛ لقول النبي ﷺ: "من مات وليس في عنقه بيعة لإمام مات ميتة جاهلية"، ويحرم المسلم إذا بايع الإمام أن ينقض بيعته أو يترك طاعته، إلا لموجب شرعي يقتضي انتقاض البيعة، كردة الإمام... فإن نقض البيعة لغير ذلك فهو حرام.

وقد ورد النهي عنه في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

(٢) صحيح مسلم وشرحه ١١٩٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٤٠ - ٤١.

عَظِيمًا﴾[١]، وقول النبي ﷺ: ((منْ بايَعَ إماماً، فأعطاهُ صفقَةَ يدِه، وثمرَةَ قلبِه، فلْيُطِعْهُ إنِ استَطاعَ))[٢])[٣].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحرص على توحيد المسلمين وجمع كلمتهم:

يد الله مع الجماعة، والخير في الاجتماع والائتلاف، والشر في الافتراق والاختلاف، لذا كان من أهداف الدعوة: توحيدُ المسلمين والعملُ على جمع كلمتهم وهذا واضح من الحديث بروايتيه، ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((إنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ، كَائِناً مَنْ كَانَ))[٤]، وفي رواية: ((مَنْ أَتَاكُمْ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ، عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ))[٥]، قال النووي: "قوله ﷺ: "يريد أن يشق عصاكم" معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة، وهو عبارة عن اختلاف الكلمة وتنافر النفوس، وقوله ﷺ: (فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)، فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام أو أراد تفريق كلمة المسلمين، ونحو ذلك، وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل، وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدراً"[٦].

وقد قال النبي ﷺ: ((إنَّ اللّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثاً: أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا))[٧].

قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "ولا تفرقوا" فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتألف

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٥/٩، ٢٧٨، ٢٨٠.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩ - ١٨٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٦٠ - ١٨٥٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٧، وانظر: شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٧.

(٧) أخرجه مسلم ١٧١٥.

بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام)[١].

وقال ابن تيمية: (إن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[٢]، ويقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[٤]، وأمثال ذلك من النصوص التي تأمر بالجماعة والائتلاف وتنهى عن الفرقة والاختلاف. وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة)[٥].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يجوز كون إمامين في دولة مسلمة في وقت واحد. ولا يجوز إلا إمام واحد. واستدلوا بخبر: ((إذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا))[٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾[٧]، ووجه الاستدلال: أن الله سبحانه وتعالى حرّم على المسلمين التفرق والتنازع، وإذا كان إمامان فقد حصل التفرق المحرم، فوجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى. فإن عقدت لاثنين معاً بطلت فيهما أو مرتباً فهي للسابق منهما ويعزر الثاني ومبايعوه، لخبر: (إذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ، فَاقْتُلُوا الآخَرَ مِنْهُمَا).. وذهب المالكية إلى أنه إذا تباعدت البلاد وتعذرت الاستنابة جاز تعدد الأئمة بقدر الحاجة، وهو قول عند الشافعية)[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٩/١٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٥٣.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

(٨) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٦/٦.

الحديث رقم (٦٦٦)

٦٦٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ، كأنَّ رأسَهُ زَبيبةٌ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

زبيبة: واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جف، وإنما شبه رأس الحبش بالزبيبة لتجمعها ولكون شعره أسود[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب إنشائي وهو الأمر المتصل بواو الجماعة الذي يوجه الأمر للأمة في كل زمان، ومكان بطاعة الإمام والسمع له أي الأخذ عنه ما يراه في صالح الأمة من توجيهات لا تتعارض من شرع الله، وقوله (وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ) أسلوب شرط محذوف الجواب أي: اسْمَعُوا وأطِيعُوا، ووصف العبد بالحبشي يشير إلى سواد الوجه وقوله (كأنَّ رأسَهُ زَبيبةٌ) يريد سوادها، وقيل يريد قصر شعرها، واجتماع بعضه، وتفرقه حتى يصير كالزبيب، وقال الكرماني كأن رأسه زبيبة أي حبة من العنب يابسة سوداء، وهذا تمثيل في الحقارة، وسماجة الصورة، وعدم الاعتداد بها، وقيل معناه صغيرة، وذلك معروف في الحبشة، والمقصود المبالغة في طاعة الإمام الذي لم يأمر بمعصية مهما كان شكله، وجنسه ما دام مقيما للصلاة كما مرَّ سابقا حفاظا على دماء المسلمين، وأموالهم التي يهدرها نقض البيعة، والشقاق بين المسلمين.

---

(١) برقم ٧١٤٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٣١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والعمل على ما يحقق وحدة المجتمع الإسلامي.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

لقد كان الأمر في قول النبي ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا..." وقد جاء الأمر هنا لخطورة أمر طاعة الإمام، لأن الأمر أسلوب مباشر لطلب الامتثال والفعل والإذعان، ومن هذا النحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر ما لم يأمروا بمعصية:

لقد حث الإسلام على طاعة ولاة الأمر والتزام الجماعة. وهذا واضح من نص الحديث وقد جاءت أحاديث أخرى في هذا المعنى، منها قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((اسمعْ وَأَطِعْ ولو لِحَبشيٍّ كأَنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ))[2]. قال ابن تيمية: (قد أمر النبي ﷺ بطاعة ولي الأمر، وإن كان عبداً حبشياً)[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ. وَإِنْ كَانَ عَبْداً مُجَدَّعَ الأَطْرَافِ))[4] قال النووي: (أي مقطع الأطراف، والمجدع أردأ العبيد لخسته وقلة قيمته

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١١/١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٦٤٨.

ومنفعته ونفرة الناس منه. وفي هذا الحث على طاعة ولاة الأمور ما لم تكن معصية)[١].

وقال ابن هبيرة: (وهذا يدل على أن طاعة الأمير متعينةٌ، لا لأجل شوكته، ولا لأجل قوته، ولكن لأنه ولاه الإمام)[٢].

وفي حديث أم الحصين رضي الله عنها: ((إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ أَسْوَدُ، يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا))[٣].

قال النووي: (أمر ﷺ بطاعة ولي الأمر ولو كان بهذه الحالة ما دام يقودنا بكتاب الله تعالى. قال العلماء: معناه ما داموا متمسكين بالإسلام والدعوة إلى كتاب الله تعالى على أي حال كانوا في أنفسهم وأديانهم وأخلاقهم ولا يشق عليهم العصا بل إذا ظهرت منهم المنكرات وعظوا وذكروا)[٤].

قال ابن تيمية: (وقد استفاض وتقرر ما قد أمر به ﷺ من طاعة الأمراء في غير معصية الله، ومناصحتهم، والصبر عليهم في حكمهم، وقسمهم، والغزو معهم، والصلاة خلفهم، ونحو ذلك، من متابعتهم في الحسنات التي لا يقوم بها إلا هم، فإنه من "باب التعاون على البر والتقوى" وما نهى عنه من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك؛ مما هو من "باب التعاون على الإثم، والعدوان".

وما أمر به - أيضاً - من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لهم ولغيرهم على الوجه المشروع، وما يدخل في ذلك من تبليغ رسالات الله إليهم؛ بحيث لا يترك ذلك جبناً، ولا بخلاً، ولا خشية لهم، ولا اشتراء للثمن القليل بآيات الله، ولا يفعل أيضاً للرئاسة عليهم، ولا على العامة، ولا للحسد، ولا للكبر ولا للرياء لهم، ولا للعامة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٩٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩٨، ١٨٣٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٥. وقد استبدلنا كلمة الحالة بكلمة الخساسة لأن الإسلام لا يزن الناس بألوانهم بل بأعمالهم.

ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح؛ وتقام الفتن، كما هو معروف من أصول أهل السنة والجماعة كما دلت عليه النصوص النبوية؛ لما في ذلك من الفساد الذي يَرْبَى على فساد ما يكون من ظلمهم، بل يطاع الله فيهم وفي غيرهم، ويفعل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه)[١].

إن السمع والطاعة لولاه أمور المسلمين فيها سعادة الدنيا وبها تنظيم مصالح العباد في معايشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، قال الحسن في الأمراء: هم يَلُون من أمورنا خمسًا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع أن - والله- طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر[٢].

وإنما وجب لزوم طاعة ولاة الأمر وإن جاروا (لأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جَوْرِهم بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٦]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فيتركوا الظلم[٧].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٥/١٨.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ١١٧/٢.

(٣) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٧٩.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ٥٤٢/٢، ٥٤٣.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والعمل على ما يحقق وحدة المجتمع الإسلامي:

إن الإسلام ينشد مجتمعاً موحداً لا مفرقاً تكون فيه الأيدي والقلوب على اجتماع واتحاد لا على تفرق واختلاف، وهذا واضح من حديث الباب والأحاديث التي في معناه مما ذكر في العنصر السابق. قال الطيبي: (هذا وأمثال ذلك حث على المداراة والموافقة والتحرز عما يثير الفتن، ويؤدي إلى اختلاف الكلمة)[1] قال ابن حجر: (واستدل به على المنع من القيام على السلاطين وإن جاروا، لأن القيام عليهم يفضي غالباً إلى أشد مما ينكر عليهم، ووجه الدلالة منه أنه أمر بطاعة العبد الحبشي والإمامة العظمى إنما تكون بالاستحقاق في قريش فيكون غيرهم متغلباً، فإذا أمر بطاعته استلزم النهي عن مخالفته والقيام عليه، ورده ابن الجوزي بأن المراد بالعامل هنا من يستعمله الإمام لا من يلي الإمامة العظمى، وبأن المراد بالطاعة الطاعة فيما وافق الحق. انتهى، ولا مانع من حمله على أعم من ذلك، فقد وجد من ولي الإمامة العظمى من غير قريش من ذوي الشوكة متغلباً)[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[3] قال ابن تيمية: (فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعاً ولا يتفرقوا، وقد فسّر حبله بكتابه وبدينه وبالإسلام وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وكلها صحيحة، فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجماعة ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله... والله تعالى قد حرّم ظلم المسلمين، أحيائهم

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٩/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/٢.

(٣) سورة آل عمران، آية:١٠٣.

وأمواتهم وحرّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: ((إنَّ دماءَكم وأموالَكم عليكم حرامٌ كحُرْمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بَلدِكم هذا، ألا هل بلغتُ؟ ألا ليُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامِع))[1].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2]. فمن آذى مؤمناً حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك فقد دخل في هذه الآية. ومن كان مجتهداً لا إثم عليه فآذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب. ومن كان مذنباً وقد تاب من ذنبه أو غفر له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة فآذاه مؤذٍ فقد آذاه بغير ما اكتسب)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩.

(٢) سورة الأحزابن آية:٥٨.

(٣) منهاج السنة النبوية ٥/١٣٤-١٣٥.

الحديث رقم (٦٦٧)

٦٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مَنْشَطِك: الأمر الذي تنشط له وتؤثر فعله[2].

مكرهك: ما يشقُّ عليك فعله ولا تحبُّه[3].

الأثَرَةُ: الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا[4].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يقرر ضرورة طاعة الإمام في المحبوب للنفس، والمكروه، وقوله (عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ) أسلوب أمر بمعنى الزم عن طريق اسم الفعل (عليك) والتعبير به يشير إلى الإلزام كما أنه يوحي باستعلاء الأمر، وتمكنه، والجمع بين السمع، والطاعة دلالة على الإصغاء، والتنفيذ، والطباق بين العسر، واليسر يؤكد المعنى ويشير إلى ضرورة التحامل على النفس في تنفيذ الأمر طاعة لله، وحرصا على أمن المسلمين، وقوله (منشطك، ومكرهك) مفعل من النشاط، والكره، وهما أسماء زمان، أو مكان، أي فيما يوافق طبعك، وما لا يوافقه (وأثرة عليك) وهو الإيثار يعني إذا فضل ولي أمرك أحدا عليك بلا استحقاق، ومنعك حقك فاصبر ولا تخالفه وإنما قال، وأثرة عليك، وإن شمله مكرهك إشارة لشدة تلك الحالة.

---

(١) برقم ١٨٣٦/٣٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ش ط).

(٣) المرجع السابق في (ك ر هـ).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة في جميع الأحوال إلا حال الأمر بالمعصية.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ "عليك السمع والطاعة"، فعليك اسم فعل بمعنى: الزم، تقول: عليك زيداً أي الزمه[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة في جميع الأحوال إلا حال الأمر بالمعصية:

طاعة أولي الأمر واجبة في جميع الأحوال سواء في ذلك حال الرضا أو حال الغضب، وحال أخذ الحقوق أو حال منعها والاستئثار بها من قبل الولاة، لكن لا تجوز إلا في حالة واحدة، وهي حالة المعصية، وذلك واضح في الحديث، قال النووي: (قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمر فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية)[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (أجمع العلماء على وجوب طاعة أولي الأمر من الأمراء والحكام، وقد نقل النووي عن القاضي عياض وغيره هذا الإجماع[4]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل ٢/٣٠٣.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١٩٠، وانظر: شرح الطيبي على المشكاة ٧/١٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي ص ١١٨٩، وإكمال المعلم، للقاضي عياض ٦/٢٤٠ - ٢٤٦.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1] وقد ذهب جمهور الفقهاء والمفسرين إلى أن المقصود بأولي الأمر في الآية الأمراء وأهل السلطة والحكم، وهناك قول بأن المقصود بأولي الأمر في الآية هم العلماء، قال الطبري: وأولي الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الأمراء والولاة لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان طاعة لله وللمسلمين مصلحة... وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال وسبب اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3].

قال ابن تيمية: (قال العلماء: نزلت هذه الآية الأولى في ولاة الأمور، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولى الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإذا أمرو بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك، أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله ورسوله، لأن ذلك من طاعة الله ورسوله، وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله. لأن ذلك من طاعة الله ورسوله)[4]، وقال أيضاً: (وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨/٣٢٣-٣٢٤.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤/٤٠٤ ط/ العبيكان، ٢٨/٢٤٥ ط/ ابن قاسم.

الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان، وإن لم يعاهدهم عليه وإن لم يحلف لهم بالأيمان المؤكدة، كمايجب عليه الصلوات الخمس والزكاة والصيام وحج البيت وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة)[١].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة:

إن الأصل الجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، لكن إذا تعارضتا أو تزاحمتا قدمت المصلحة العامة على الخاصة، لأن نفعها يناله أكبر عدد ممكن بخلاف الخاصة فإنها تكون قاصرة على عدد محدود. وذلك واضح في قول النبي ﷺ "وأثرة عليك" قال ابن الأثير: (أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء)[٢].

وقال النووي: (وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم)[٣]. وقال ابن تيمية: (ومعنى قوله "وأثرة عليك" أي وإن استأثر ولاة الأمور عليك فلم ينصفوك، ولم يعطوك حقك)[٤].

ومن ذلك حديث ابن مسعود قال لنا رسول الله ﷺ: ((إنكم سَتَرونَ بعدي أثرةً وأموراً تُنكرونها. قالوا: فما تأمرُنا يا رسولَ الله؟ قال: أدُّوا إليهم حقّهم، وسَلوا اللّهَ حقكم))[٥].

قال النووي: (فيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)[٦].

---

(١) المرجع السابق ٩/١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٥٢، ومسلم ١٨٤٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

وقال الطيبي: (وأجمع أهل السنة على أن السلطان لا ينعزل بالفسق، لتهييج الفتن في عزله وإراقة الدماء وتفريق ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه)[١].

وجاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (لقد دلّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على وجوب طاعة الإمام وإن جار في حدود طاعة الله تعالى، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما تجب الصلاة خلفه والحج والجهاد معه، ويطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف وتجنب مفسدة الفرقة والاختلاف، أعم من أمر المصالح الخاصة، كما تجب النصيحة له بالطرق المشروعة وترك منازعته وعدم الخروج عليه. قال الإمام الطحاوي: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة)[٢] والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة)[٣].

ومن صور تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في الشريعة الإسلامية:

أ- منع الاحتكار. وتعريفه: (هو حبس ما يضرّ بالناس بقصد إغلاء السعر أو نشر البلبلة، ويتحقق الاحتكار بحبس كل ما يضر بالناس حبسه من الأقوات واللباس والأدوية والوقود ونحو ذلك)[٤]، والحكمة في تحريم الاحتكار (رفع الضرر عن عامة الناس، ولذا فقد أجمع العلماء على أنه لو احتكر إنسان شيئاً واضطر الناس إليه ولم يجدوا غيره أُجبر على بيعه، دفعاً للضرر عن الناس، وتعاوناً على حصول العيش. وهذا

---

(١) شرح الطيبي ١٨٢/٧.

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها ٥٤٠/٢.

(٣) أصول الإيمان ٢٨٨.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، الدكتور محمد رواس قلعة جي ٧٣/١.

ما يستفاد مما نقل عن مالك من أن رفع الضرر عن الناس هو القصد من التحريم. إذ قال:إن كان ذلك لا يضر بالسوق فلا بأس وهو ما يفيده كلام الجميع)[1].

ب- التسعير: (وهو - كما قال محمد رواس قلعة جي- فرض السلطان أسعاراً محددة لسلع الناس وإجبار الناس على التبايع بها. ويشرع التسعير لتحقيق مصالح التجار وحمايتهم من الخسائر الكبيرة أو من الإفلاس، حيث يمنع السلطان أحدهم أن يبيع ما يبيعون بأقل من أسعارهم، يريد بذلك الإضرار بهم، وحماية المشترين من جشع التجار الذين لا يقنعون بالربح العادل، حيث يأخذون أكثر من حقهم، فيزيد ذلك الفقير فقراً. والأصل في التسعير التحريم ويكون واجباً حماية للناس ورعاية لمصلحة الفقير -فيما رأى- في أحوال ثلاث:

١- إذا كثر جشع التجار ولم يعودوا يقنعون بالربح العادل.

٢- إذا كان بيع سلعة معينة محصوراً بشخص واحد أو أشخاص معينين لا يبيعها غيرهم.

٣- إذا خرج جماعة من التجار يبيعون ما يبيعه جماهير التجار بأرخص من أسعارهم يريدون بذلك الإضرار بهم)[2].

---

(١) الموسوعة الفقهية الصادرة من وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٩١-٩٢.

(٢) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٤٨٠-٤٨١.

الحديث رقم (٦٦٨)

٦٦٨- وعن عبدِ اللهِ بن عمرو رضي الله عنهما، قَالَ: كنا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يُصلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ في جَشَرِهِ، إذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: ((إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أوَّلِهَا، وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَتَجِيءُ الفتنَةُ فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي، ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذهِ هذهِ. فَمَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إمَاماً فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

خِبَاءه: البيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة[2].

ينتضل: يُسَابق بالرمي بالنَّبل والنُّشَّاب[3].

جَشَرِهِ: الدواب التي ترعى وتبيت مكانها[4].

عافيتها: العافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا[5].

---

(١) برقم ١٨٤٤/٤٦.

(٢) المعجم الوسيط في (خ ب أ).

(٣) رياض الصالحين ٢٨٩.

(٤) رياض الصالحين ٢٨٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ف ي).

يرقق بعضها بعضاً: أي: يُصَيِّر بعضها بعضاً رقيقاً: أي خفيفاً لعظم ما بعده، فالثاني يرقق الأول. وقيل: معناه يُشَوِّق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها، وقيل يشبه بعضها بعضاً[1].

يُزَحْزِح: يُبْعِد ويُنَحَّى[2].

صَفْقَةَ يده: عهده وميثاقه؛ لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر[3].

الشرح الأدبي

الحديث اشتمل على جملة من الأخبار المستقبلية التي تدل على صدق الرسول ﷺ والتي تنبه إلى فتن آخر الزمان، وتنص على بعض المبايء التي تنظم العلاقة بين الراعي، والرعية، وقوله: (الصَّلاة جَامِعَة) جملة خبرية لفظا إنشائية معنى أَيْ إِئْتُوا الصَّلاة بِنَصْبِ الصَّلاة عَلَى الإِغْرَاء وَنَصْب جَامِعَة عَلَى الْحَال أَيْ أُحْضُرُوا الصَّلاة حَال كَوْنهَا جَامِعَة لِلْجَمَاعَةِ، وفي العبارة إشارة إلى أهم خصوصيات الصلاة، وهي صفة الجمع للمسلم مع إخوانه يتفقد كل واحد منهم الآخر، وجمع للمسلمين مع ربهم في اتصال لا يخترقه عدو، وقوله (يَدُلُّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ) فيه مقابلة مع قوله (وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ) تشير إلى شمول تبليغه لكل ما يهم المسلم من خير، أو شر، ويمهد لما بعده من الحديث عن فتن آخر الزمان، وقد استخدم أسلوب المقابلة بين المعاني لتوضيحها حيث قابل بين جملة (جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا) أي سلامتها في دينها، وبين جملة (وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ) وقوله: (وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا) كناية عن الفتن العظيمة التي لم يعرفها سلفهم، وقوله: (وَتَجِيءُ فِتنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً) كناية عن تتابع الفتن، وتعاظمها بحيث يَجْعَل بَعْضهَا بَعْضًا رَقِيقًا وَالْحَاصِل أَنَّ الْمُتَأَخِّرَة مِنْ الْفِتْنَة أَعْظَم مِنْ الْمُتَقَدِّمَة فَتَصِير الْمُتَقَدِّمَة عِنْدهَا رَقِيقَة وقوله (وَتَجِيءُ الفتنَةُ) وتكرارها يؤكد

---

(١) رياض الصالحين ٢٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ح ز ح).

(٣) المرجع السابق في (ص ف ف).

تتابعها، وتخصيص المؤمن بالذكر عند تتابع الفتن لأنها فتن في الدين، والمؤمن هو الذي يكترث لها، وغيرها لا تعنيه، وربما لا يراها لانشغاله بالدنيا فلا يرى فتنة إلا فيما يخصها، وقوله: (أَنْ يُزَحْزَحَ) عَلَى بِنَاء الْمَفْعُول للعلم بالفعل وقوله (فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ) أمر أريد به لزوم الإيمان واستمراره حتى الموت (وَلْيَأْتِ إِلَيَّ النَّاس) أمر نصح، وإرشاد أَيْ لِيُؤَدِّ إِلَيْهِمْ وَيَفْعَل بِهِمْ مَا يُحِبّ أَنْ يُفْعَل بِهِ والتعبير بالإتيان فيه دلالة على أن الأمر لا يخلو من جهد ومشقة، وتكلف وقوله: (فَأَعْطَاهُ صَفْقَة يَمِينه) كناية عن عَهْده، وَمِيثَاقه؛ لأَنَّ الْمُتَعَاقِدَيْنِ يَضَع أَحَدهمَا يَده فِي يَد الآخَر كَمَا يَفْعَلهُ الْمُتَبَايِعَانِ، وَهِيَ الْمَرَّة مِنْ التَّصْفِيق بِالْيَدِ، وقوله: (وَثَمَرَة قَلْبه) استعارة للإخلاص في العَهْد لما كان أعظم ما يبذله الإنسان لأخيه شبه بالثمرة، وهي خير ما يرجى في الشجرة، وفيه إشارة إلى ضرورة العمل بإخلاص معه لتحقيق مصلحة الأمة، وجملة الشرط التي ختم بها الحديث تبين أن الأمر جد خطير فهو مما يعظم به الخطب، وتعم به البلوى، ولذلك قال (فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ) لأن قتل واحد هنا يعصم دماء أمة هناك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من وسائل الدعوة: جمع الناس المدعوين في مكان واحد.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على الخير.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القصر والتوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ، وإخباره عن بعض ما يحدث في أمته من فتن.

سادساً: من واجبات الداعية: بيان سبل النجاة عند ظهور الفتن.

سابعاً: من آداب المدعو: معاملة الناس بما يحب أن يعامل به.

ثامناً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة والحذر من الخروج على ولاة الأمر.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي عن حال الصحابة رضي الله عنهم في سفرهم وما حدث بعد ذلك من خطبة النبي ﷺ فيهم، وذلك بقوله: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلاً فمنا من يصلح خباءه... إلخ. وقد استخدم أسلوب الإخبار كثيراً في الدعوة[1]، ومن ذلك حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا تصوبنا سبحنا))[2].

ثانياً- من وسائل الدعوة: جمع الناس في مكان واحد:

من الوسائل المهمة لنشر الدعوة جمع الناس في مكان واحد؛ لأن ذلك يجعل الداعية يبلغ دعوته إلى أكبر عدد ممكن، ومن ثم تزداد احتمالات الاستجابة والامتثال للدعوة، وقد استخدم النبي ﷺ هذه الوسيلة كما هو واضح في قول الصحابي: "إذ نادى مناد رسول الله ﷺ: "الصلاةُ جامعة".

قال ابن حجر: (هو بالنصب فيهما على الحكاية، ونصب الصلاة في الأصل على الإغراء، وجامعة على الحال، أي: احضروا الصلاة في حال كونها جامعة. وقيل برفعها على أن الصلاة مبتدأ وجامعة خبره، ومعناه: ذات جماعة. وقيل: جامعة صفة والخبر محذوف تقديره: فاحضروها)[3]. وقالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها في حديث الدجال الطويل: ((فَنُودِيَ فِي النَّاسِ: إِنَّ الصَّلاَةَ جَامِعَةٌ. قَالَتْ: فَانْطَلَقْتُ فِيمَنِ انْطَلَقَ مِنَ النَّاسِ. قَالَتْ: فَكُنْتُ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ مِنَ النِّسَاءِ. وَهُوَ يَلِي الْمُؤَخَّرَ مِنَ الرِّجَالِ))[4].

وقال ابن عثيمين: (قوله: إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، هذا

---

(١) انظر على سبيل المثال فهارس مسند أحمد بن حنبل ٢٦٥/٤٨-٢٧٥، وفهارس زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٩/٢.

(٤) أخرج مسلم ١٢٠-٢٩٤٢.

النداء ينادى به لصلاة الكسوف، وينادى به إذا أراد الإمام أو الأمير أن يجتمع بالناس، بدلاً من أن يقول: يا أيها الناس هلموا إلى المكان الفلاني. فاجتمع الناس، فخطبهم النبي ﷺ)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أن الأذان إنما شرع للصلوات المفروضة ولا يؤذن لصلاة غيرها كالجنازة والوتر والعيدين وغير ذلك، لأن الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة، والمكتوبات هي المخصصة بأوقات معينة.... أما كيفية النداء لهذه الصلوات التي لا أذان لها فقد ذكر الشافعية أنه بالنسبة للعيدين والكسوف والاستسقاء والتراويح إذا صليت جماعة... وفي وجه للشافعية بالنسبة لصلاة الجنازة فإنه ينادى لها: الصلاة جامعة، هو رأي الحنابلة بالنسبة للعيد والكسوف والاستسقاء. وهو مذهب الحنفية والمالكية بالنسبة لصلاة الكسوف، وعند بعض المالكية بالنسبة لصلاة العيدين. واستحسن عياض ما استحسنه الشافعي وهو أن ينادي لكل صلاة لا يؤذن لها: الصلاة جامعة. ومما استدل به الفقهاء حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((خَسَفَتْ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَ مُنَادِيًا يُنَادِي بِالصَّلَاةُ جَامِعَةٌ))[2])[3].

وقد كان الأنبياء ﷺ أحرص ما يكونون على عرض دعوتهم في مجتمع الناس وملتقاهم، ولعل ما يوضح هذا خير توضيح قصة موسى عليه السلام مع فرعون. قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٩٦٠/١، وقال أبو العباس القرطبي: "الصلاة جامعة: خبر بمعنى الأمر، كأنه قال: اجتمعوا للصلاة، وكأنه كان وقت صلاة، فلما جاءوا وصلوا معه، وسكت الراوي عن ذلك، وإلا فمن المحال أن ينادي منادي الصادق بالصلاة ولا صلاة، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤، وأياً ما كان الأمر فإن النبي ﷺ خطبهم بعد هذا النداء. والصواب أنه كان شعاراً لجمع الصحابة إلى المسجد لأمر جلل وأما صلاة الفريضة فينادى لها بالأذان.

(٢) أخرجه مسلم ٤-٩٠١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧١/٢.

مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[1].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن فرعون أنه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى، وهى إلقاء عصاه فصارت ثعباناً عظيماً ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال: هذا سحر، جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس، فيتبعونك وتكاثرنا بهم، ولا يتم هذا معك، فإن عندنا سحراً مثل سحرك، فلا يغرنك ما أنت فيه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: يوماً نجتمع: تجمع نحن وأنت فيه، فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ وهو يوم عيدهم ونَوْرُوزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعًا؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهذا قال: ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ أى: جميعهم ﴿ضُحًى﴾ أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بين، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل "ليلاً" ولكن نهاراً ضحى. قال ابن عباس: وكان يوُم الزينة يومَ عاشوراء. وقال السدى، وقتادة، وابن زيد: كان يوم عيدهم. وقال سعيد بن جبير: يوم سوقهم، ولا منافاة)[2].

ولم يكن هذا مسلك الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - فحسب، وإنما كان أيضاً مسلك الدعاة إلى الله من غيرهم، ففي حديث الغلام والراهب والساحر، قال الغلام للملك الذي كان يريد قتله؛ لأنه آمن بالله وترك عبادة هذا الملك «فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد

---

(١) سورة طه، الآيات: ٥٧-٥٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٢٩٩-٣٠٠.

واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته. ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام. ثم رماه فوقع في صدغه فوضع يده في صدغه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك. قد آمن الناس»[(١)].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على الخير:

هناك تلازم بين الداعية وبين دلالة الناس على الخير، لأن من أبرز صفات الداعية دلالة الناس على الخير وذلك واضح في قوله ﷺ: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم"، قال القرطبي: "أى حقاً واجباً، لأن ذلك من طريق النصيحة والاجتهاد في التبليغ والبيان"[(٢)].

وقال ابن عثيمين: (أخبرهم ﷺ أنه ما من نبي بعثه الله إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم وأنذرهم شر ما يعلمه لهم، كل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كان منهم النصيحة لأقوامهم يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذرونهم منه، وهكذا يجب على أهل العلم وطلبة العلم أن يبينوا للناس الخير ويحثوهم عليه ويبينوا الشر ويحذروهم منه؛ لأن علماء هذه الأمة ورثة الأنبياء. فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي ختمت النبوة به. فلم يبق إلا العلماء الذين يتلقون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والحذر منه"[(٣)]. (فالرسول في أمته هادٍ ومعلم لا يألوهم نصحاً ودلالة على الخير"[(٤)]، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٦٠/١.

(٤) العقيدة الإسلامية، وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٣١١.

لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن القيم: (إنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضى الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال)[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: القصر والتوكيد:

أما القصر فقوله ﷺ: "إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم". وقد أفاد القصر في هذا الحديث أهمية اقتداء الدعاة بالرسل عليهم السلام وبرسولنا الكريم ﷺ في دلالة الأمة على كل خير وإنذارهم وتحذيرهم من كل شر.

وأما التوكيد فقوله ﷺ: "إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ...".

خامساً- من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ، وإخباره عن بعض ما يحدث في أمته من فتن:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً وأيده بالمعجزات والآيات التي تدل على صدقه وأنه رسول من قبل رب العالمين ومن هذا القبيل إخباره ﷺ بما سيقع من فتن، وهذا واضح من قوله ﷺ: ((وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا. وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا. وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً ...)).

قال القرطبي: "يعني بأول الأمة زمانه وزمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان، فهذه الأزمنة كانت أزمنة اتفاق هذه الأمة واستقامة أمرها وعافية دينها. فلما قتل عثمان

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١-٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١.

ماجت الفتن كموج البحر، وتتابعت كقطع الليل المظلم، ثم لم تزل ولا تزال متوالية إلى يوم القيامة، وعلى هذا فأول آخر هذه الأمة المعنى في هذا الحديث - مقتل عثمان، وهو آخر بالنسبة إلى ما قبله من زمان الاستقامة والعافية، وقد دلّ على هذا قوله: "وأمور تنكرونها" والخطاب لأصحابه. فدلّ على أن منهم من يدرك أول ما سماه آخراً، وكذلك كان"[١].

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا))[٢].

قال النووي: (هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً، ووجد مخبره متكرراً)[٣].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((لقد خَطَبَنا النبيُّ ﷺ خطبةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعةِ إلا ذكره، عَلِمهُ من عَلمه وجَهِله من جهلهِ، إنْ كنتُ لأرى الشيءَ قد نسيتهُ، فأعرفهُ كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غابَ عنه فرآهُ فعرَفه))[٤].

وفي صحيح ابن حبان باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، وذلك في كتاب التاريخ، أخرج فيه جملة كبيرة من الأحاديث[٥]، وساق ابن كثير هذه الأحاديث وغيرها في آخر السيرة النبوية تحت عنوان: ومن كتاب دلائل النبوة في باب إخباره - عليه الصلاة والسلام - عن الغيوب المستقبلة[٦].

وقال ابن تيمية: (وكان ﷺ يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته ﷺ ومعجزاته تزيد على ألف معجزة، مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات، ومثل القرآن المعجز، ومثل أخبار أهل الكتاب قبله، وبشارة الأنبياء به، ومثل أخبار الكهان والهواتف به، ومثل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥١/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٠٣، ومسلم ١٨٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٥) صحيح ابن حبان ١٥/ الأحاديث، ٦٦٣٦-٦٨٥٣.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٦١/٩-٣٠٥.

قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولده، وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته، ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين، بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه، ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل، من غير أن يعلمه إياها بشر.

فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى والمسيح وصالح وشعيب وغيرهم، وبالمستقبلات، وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم، ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه، بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي، ولا كان هو يحسن لساناً غير العربي، ولا كان يكتب كتاباً ولا يقرأ كتاباً مكتوباً.

ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين: سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم، وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم، ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.

وأخبر من كان معه بإخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بَحِيرَي الراهب بنبوته، وما ظهر لهم منه مما دلهم على نبوته، ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.

وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر، ولكن المقصود هنا التنبيه بأن محمداً ﷺ له معجزات كثيرة، مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة، ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم، وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير.

وهذا قد جرى غير مرة له، ولأمته من الآيات ما يطول وصفه، فكان بعض أتباعه يحيي الله له الموتى من الناس والدواب، وبعض أتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا إلى الناحية الأخرى[1].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ١/٣٩٩-٤٠٣.

سادساً- من واجبات الداعية: بيان سبل النجاة عند ظهور الفتن:

اقتضت حكمة الله تعالى ظهور الفتن التي يخشى على المسلمين منها، وكان من رحمته سبحانه أن جعل الرسول ﷺ يبين طرق النجاة منها عند ظهورها، لأن أولى ما يخاف المدعو عليه هو دينه، لذا فإن عمل الدعاة أن يبينوا للناس سبل الوقاية من الفتن وهم إذ يفعلون هذا يقتدون بالنبي ﷺ الذي يبيّن للأمة طريق نجاتها من الفتن، وهذا واضح من قوله ﷺ: ((وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَـٰذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنْكَشِفُ. وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَـٰذِهِ هَـٰذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ)).

قال السندي: (والحاصل أن المتأخرة من الفتن أعظم من المتقدمة فتصير المتقدمة عندها دقيقة رقيقة)[1].

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((ستكونُ فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم خير منَ الماشي، والماشي فيها خير منَ الساعي، مَن تَشرَّف لها تَستَشرِفْه، فمن وَجَدَ ملجأً أو معاذاً فلْيَعذْ به))[2].

وفي حديث آخر عند مسلم: ((فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ. وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلاَ غَنَمٌ وَلاَ أَرْضٌ؟ قَالَ: «يَعْمِدُ إِلَىٰ سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَىٰ حَدِّهِ بِحَجَرٍ. ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ))[3].

قال ابن حجر: (فيه التحذير من الفتنة، والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها)[4].

---

(١) حاشية السندي على سنن النسائي ١٧٢/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٨٢، ومسلم ٢٨٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤/١٣، وانظر شرح مسلم ١٦٧٤.

(إن المنجيات من الفتن: أن تتنازل عن حقك في الدنيا، وإن كان الصبر على ذلك شاقاً على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: ((إن السعيد لمن جنب الفتن -ثلاثاً- ولمن ابتلى فصبر فواهاً))[١]. ومن كانت الفتنة تحيط به ولا منجي له منها فليفر بدينه من الفتن أو ليكثر من العبادة كما في الحديث: ((العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ))[٢]. والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال ﷺ: ((بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافرًا أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا))[٣].

يقول النووي في شرح الحديث: (معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة المتكاثرة)[٤].

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها كما جاء في الحديث: ((كسروا فيها قسيكم))[٥]. حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خُلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه (.. قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك) يقول كعب: (فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيممت التنور فسجرته بها)[٦].

وحاول في الفتنة ألا تكون أميراً فإن أسامة رضي الله عنه كان يقول: (ما أنا بالذي أقول لرجل - بعد أن يكون أميراً على رجلين -: أنت خير)[٧]، يقول ابن حجر: (فكان أسامة

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٢٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٥٨٥). أما قوله ﷺ "فواها" فقد يحمل على التعجب: أي من ابتلى وصبر فطوبى له. انظر شرح الطيبي على المشكاة، ٦٨/١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٣١١/٣٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) أخرجه مسلم ١١٨، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٨.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٢٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٩٥).

(٦) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٧) أخرجه البخاري ٧٠٩٨، ومسلم ٢٩٨٩.

يرى أنه لا يتأمر على أحد، وإلى ذلك أشار بقوله: لا أقول للأمير: إنه خير الناس)[١].

والدعاء بالحماية من شرور الفتن سبب من أسباب النجاة ففي الحديث: ((وإذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون))[٢]. وفي دعاء عمر رضي الله عنه: ((نعوذ بالله من شر الفتن))[٣].

وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضى بها، ولا تعين عليها، قال ﷺ: ((..وأي قلب أنكرها نكتت فيه نُكتة بيضاء حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض))[٤].

وأهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع -دون التباس- فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثاً عن حذيفة يقول فيه: (لاتضر الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل)[٥].

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لابد للقلب من أن يبقى معلقاً بالله، وحقاً: إن السعيد لمن جنب الفتن) فاجتناب الفتن حفظ رباني، أكثر من كونه كسباً بشرياً، فخذ بالأسباب واستعن بالله.

والخلاصة أن: من أسباب الوقوع في الفتنة:

- استعداد القلب لقبولها.
- الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام.
- تقديم الرأي على حكم الشرع.
- استلام إمارة لا يعان عليها.
- الانشغال بالقول عن العمل.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٠).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٩، ومسلم ٢٣٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٤٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٥٣.

من آثار الفتنة:

- تُنسى الناس حقائق يعرفونها.
- تُرقق الدين.
- تُذهب العقل.
- تعدم التأثر بالموعظة.

من المنجيات من الفتن:

- التنازل عن حقك في الدنيا.
- الفقه في الدين.
- التخلص من وسائل الفتنة وأسبابها.
- عدم تولي إمرة في الفتنة.
- الدعاء بالحماية من شرها.
- إنكار القلب للفتنة.
- التزود بالعمل الصالح.

اجتناب الفتن حفظ رباني أكثر من كونه كسباً بشرياً)[1].

سابعاً- من آداب المدعو: معاملة الناس بما يحب أن يعامل به:

من يزرع الخير يحصد الخير، ومن زرع غير الخير فلا يلومن إلا نفسه إن حصد الشر، لذا فمن أراد دخول الجنة فليعامل الناس كما يحب أن يعاملوه مع الإيمان بالله. لذا قال النبي ﷺ فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، قال السندي: (أي ليؤدى إليهم ويفعل بهم ما يحب أن يفعل به)[2].

قال النووي: (إن هذا من جوامع كلمه ﷺ، وبديع حِكَمه، وهذه قاعدة مهمة،

---

(١) هذه أخلاقنا حتى نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٣٧٦ -٣٧٩.

(٢) حاشية السندي على النسائي ١٧٢/٧

فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس، إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[١].

ويمكن الاستئناس هنا بحديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا))[٢].

قال الطيبي: (ومعنى الحديث: أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطناً للإحسان، والتقدير: وطنوا أنفسكم على الإحسان إن أحسن الناس فأحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا، لأن عدم الظلم إحسان)[٣].

إن معاملة المرء للناس بما يحب أن يعاملوه به من الأسس الأخلاقية المهمة التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع، فإذا التزم الفرد بذلك فإنّه سوف يكتسب إخواناً صالحين له، يحرصون على معاملته بالأخلاق الفاضلة التي يعاملهم بها، ومن ثم يزداد هو وهم فضائل ومكارم وخلالاً طيبة وتشيع بينهم روح الودّ والمحبة، وهذا ولاشك يزيد من حسناتهم ويقلل من سيئاتهم. أما الذين أصروا على معاملته بعكس ما يعاملهم به، فيقابلون إحسانه بالإساءة والخير والشر والمحبة بالعداوة فإن نسبة كبيرة من هؤلاء ستغير من معاملته بعد فترة إن رأت تمسكه بالمعاملة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤].

كلُّ هذا يجعل العلاقة بين معظم الأفراد تقوم على التوادد والتحابّ والتعاطف، مما يكون له أبلغ الأثر على سلامة المجتمع وتماسكه الاجتماعي بسبب انتشار

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٤، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٢/٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٣٤٥).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٦٥/٩.

(٤) سورة فصلت، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

الأخلاق الطيبة والفضائل الكريمة وشيوعها حتى أصبحت هي الأسس التي يتحاكم إليها الأفراد.

والخلاصة: أن التزام كل فرد بأن يعامل الناس كما يحبّ أن يعاملوه، من الأسباب الحيوية التي تحفظ للمجتمع قيمه ومبادئه وتعمل على ترسيخ الأخلاق الفاضلة في نفوس الأفراد، مما يكون له أكبر النفع على الفرد والمجتمع معاً. يقول الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة: (إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده ان يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة. ولو فرضنا احتمالاً أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن يكون وراء ذلك غرض أسمى فإنه لابد لسلامة هذا المجتمع من خلق الثقة والأمانة على أقل التقادير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار ... لقد دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة. ومتناسب معه وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائماً صاعدين وهابطين)[1].

ثامناً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة والحذر من الخروج على ولاة الأمر:

(إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض. ولابد لهم عند الاجتماع من رأس)[2]. لذا أوجب الإسلام طاعة أولي الأمر وحذر من الخروج عليهم ومنازعتهم كما هو واضح من قول النبي ﷺ: "ومن بايع إماما فأعطاه صفقةَ يده

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٣٣-٣٥.

(٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ٤٤٩.

وثمرة قلبه فليُعطِه، إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"، قال ابن الأثير: (هو أن يعطي الرجل عهده وميثاقه، لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الأخر كما يفعل المتبايعان وهي المرة من التصفيق باليدين)[١].

ومن ذلك قول ﷺ: ((إنهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خُلَفاءُ فيَكثُرون. قالوا: فما تأمُرنا ؟ قال: فُوا ببيعةِ الأولِ فالأوَّلِ، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ الله سائلُهم عمّا استرعاهم))[٢].

قال ابن حجر: ("أعطوهم حقهم" أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم)[٣].

وقال ابن رجب: (وأما الطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي رضي الله عنه: (إن الناس لا يصلحهم إلا إمام، برٌّ أو فاجر، إن كان فاجراً عبد المؤمن فيه ربه وحُمل الفاجر فيها إلى أجله)[٤]، وقال الحسن في الأمراء: (هم يلون من أمورنا خمساً: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وظلموا، والله لـمَا يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، مع أن - والله - إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر)[٥].

(وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة. وأن الخروج على طاعة ولي الأمر والافتيات عليه من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد والعدول عن سبيل الهدى والرشاد)[٦].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٤/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ٣٢٨/١٥ بنحوه.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٧/٢.

(٦) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا: كتبها أصحاب الفضيلة العلماء: محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسعد بن حمد بن عتيق، وعمر بن محمد بن سليم، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، تحقيق عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ص ٤١.

الحديث رقم (٦٦٩)

٦٦٩- وعن أَبي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ ﷺ، قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بن يَزيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ[1]، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

وائل بن حُجْر: هو وائل بن حجر الحضرمي القطحاني أحد الأشراف كان سيد قومه، وبقية أولاد الملوك بحضرموت، فقد كان أبوه من الأقبال لوهم ملوك حمير دون الملك الأعظم] لما بلغه ظهور أمر النبي ﷺ وانتشاره في أنحاء الجزيرة أقبل مسلماً تاركاً وراءه ملكاً كبيراً ورعية كثيرة يقول عن إسلامه: بلغني ظهور النبي ﷺ فتركت ملكاً عظيماً وطاعة عظيمة فهبطت إلى النبي ﷺ فأخبرني أصحابه فقالوا: بشرنا النبي ﷺ بمقدمك قبل أن تقدم بثلاثة أيام. ثم لقيته فقرب مجلسي وأدناني وبسط لي رداءه وأجلسني معه وقَبِل إسلامي. ثم هبط إلى منبره فصعد وأصعدني معه فقمت دونه، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيين وقال: هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره راغباً في الله عز وجل وفي رسوله وفي دينه، بقية أبناء الملوك، اللهم بارك في وائل بن حجر وفي ولده وولد ولده.

ثم أنزلني معه، فبعث معاوية بن أبي سفيان وأمره أن يعطيني أرضاً فيدفعها إلي وكتب لي كتاباً خاصاً يفضلني فيه على قومي وكتاباً لي ولأهل بيتي بمالنا وكتاباً لي ولقومي[3].

---

(١) عند مسلم زيادة: (في الثانية أو في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس).

(٢) برقم ١٨٤٦/٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ١٧٥/٨-١٧٦ وانظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين أبي بكر الهيثمي ٣٧٣/٩ والطبقات الكبرى، ابن سعد، والثقات لابن حبان ٤٢٤/٣-٤٢٥.

وقد شارك في الفتوح واستوطن الكوفة، ويقال: إنه كان على راية قومه يوم صفين مع علي بن أبي طالب. فلما استقر الأمر لمعاوية بايعه عندما دخل الكوفة. ومات في خلافته ٤٤هـ.

وانتقل أحد أحفاده خالد المعروف بـ "خلدون بن عثمان" إلى الأندلس فكان من ولده بنو خلدون بإشبيلية، ومنهم المؤرخ وعالم الاجتماع عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ)[1].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول العلاقة بين الحاكم، والمحكوم قائم على حوار يدل على الحيوية، ويبنى على سؤال، وجواب وهو سؤال الراوي بعد نداء التكريم، والتودد (أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسألُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟) استفهام بمعنى أخبرني ماذا أفعل، والطباق بين قوله يَسألُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا يشير إلى المفارقة في الفعل التي سببت الحيرة، وقوله (فَأعْرَضَ عنه) الإعراض كناية عن الرفض أو الكراهية للخوض في المعنى، وقوله (اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) اسمعوا أي ظاهرا، وأطيعوا باطنا، أو اسمعوا قولا، وأطيعوا فعلا، وقوله (فإنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ) الجناس بين حملوا، وحملتم يؤكد معنى مسئولية كل منهم عن ما كلف به دون أن يتحمل مسئولية غيره يدل على ذلك صياغة المعنى في أسلوب القصر الذي يدل على التخصيص، والذي أكده بالتخصيص بتقديم الجار والمجرور على عامله أي ليس على الأمراء إلا ما حملهم الله وكلفهم به من العدل والتسوية فإذا لم يقوموا بذلك فعليهم الوزر، والوبال، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع، والطاعة، وأداء

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٦/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٠٥/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٢، والسير ٥٧٣/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥١/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٤/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٦/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٥٩/٣.

الحقوق فإذا قمتم بما عليكم فالله تعالى يتفضل عليكم ويثيبكم به، وفي الحديث إشارة إلى قول الله تعالى (﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ (النور٥٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من حقوق المدعو: السؤال عما خفي عليه واحتاج إليه.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعو.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية كل إنسان عما اكتسب.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضح من سؤال الصحابي رسول الله ﷺ عن الأمراء يمنعون حق الرعية على حين يأخذون حقهم، فكيف يكون حال الرعية وقتئذ، ثم سأله مرة ثانية فأخبره النبي ﷺ بالواجب على الرعية في هذا الحال وهو السمع والطاعة وعدم منازعة الأمر أهله، فأفاد هذا الأسلوب أهمية الامتثال لولاة الأمر والسمع والطاعة، وأكدَّ النبي ﷺ أن على الولاة ما حُمِّلوا، وعلى الرعية ماحملوا.

ثانياً- من حقوق المدعو: السؤال عما خفي عليه واحتاج إليه:

لقد سأل الصحابي رضي الله عنه عما يشغله فأجابه النبي ﷺ ووضح له الأمر الذي سأله عنه، فدل هذا على أن من حق المدعو أن يسأل عما خفي عليه واحتاج إليه في دينه ودنياه.

ومن هذا القبيل حديث أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيَ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ. ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[1].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

قال النووي: (فيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعو:

من الأهمية بمكان أن يبين الداعية الحقائق للمدعو حتى يكون على بينة وتتضح له الأمور، فيأتي الصواب ولا يفعل الخطأ. يتضح ذلك من قول النبي ﷺ "فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم".

قال أبو العباس القرطبي: (يعني أن الله تعالى كلّف الولاة العدل وحسن الرعاية وكلف المُولَّى عليهم الطاعة وحسن النصيحة، فأراد أنه إن عصى الأمراءُ اللهَ فيكم ولم يقوموا بحقوقكم، فلا تعصّوا اللهَ أنتم فيهم. وقوموا بحقوقهم، فإن الله مجازٍ كل واحدٍ من الفريقين بما عمل)[٢].

ومن قبيل بيان الحقائق للمدعو ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ. قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي. قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ»؟))[٣].

قال النووي: (قوله "الإسلام يهدم ما كان قبله" أي يسقطه ويمحو أثره... ففيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

إن من (أعظم المسؤوليات مسؤولية الإمام والحاكم ومن ينيبه في بعض مسؤولياته، ولعظم هذه المسؤولية جعل الإسلام للإمام حقوقاً يجب على المسلم أن يتعرف عليها، كما يجب على الأمة أن تقوم بها؛ ليصلح شأنها وتستقيم حياتها.

وأول هذه الحقوق - أعني حقوق الإمام-: السمع والطاعة بالمعروف، والمراد بها:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٥/٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٢١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٩/٢/١ ط/ دار عالم الكتب.

الانقياد له والتنفيذ لأمره، وترك ما ينهى عنه ما لم يكن بمعصية الله، وهذا الحق أعظم الحقوق وأظهرها على الرعية، وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على إيجاب هذا الحق على أعيان المسلمين)[١]. ومنها هذا الحديث كما هو واضح في قول النبي "اسمعوا وأطيعوا".

وقد قال النبي ﷺ: ((ثَلاثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ. فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ))[٢].

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: ((خِيَارُكُمْ وخِيَارُ أئمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ويُحِبُّونَكُمْ، ويُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وتُصَلُّونَ عليهمْ، وشِرَارُكُمْ وشِرَارُ أئمَّتِكُمُ الذينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتَلْعَنُونَهُمْ ويَلْعَنُونَكُمْ قِيلَ: أفلا نُنَابِذُهُمْ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لا ما أَقَامُوا الصَّلواتِ الخَمْسَ؛ ألا ومَنْ لَهُ وَالٍ فَيَرَاهُ يأتي شيئاً مِن معصيةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهْ ما يأتي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، ولا يَنْزِعْ يداً مِنْ طَاعَتِهِ))[٣].

قال النووي: (فيه معنى أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الدين)[٤].

قال الماوردي: (إذا قام الإمام بحقوق الأمة فقد أدى حق الله تعالى فيما لهم وعليهم ووجب عليهم حقان: الطاعة والنصرة ما لم يتغير حاله)[٥].

جاء في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: (فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٦] كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، إعداد الدكتور فالح بن محمد بن فالح الصغير ص ٩١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٠٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٥٨.

(٥) الأحكام السلطانية ١٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٥٩.

الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعةً لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جارُوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾[2] وقال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[4]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم)[5].

خامساً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية كل إنسان عما اكتسب:

الإسلام دين العدل، لذا فإن من مبادئه الأساسية أن كل إنسان مسؤول عما اكتسب. وهذا واضح من قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتهم".

قال الطيبي: (قوله ﷺ "فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم" قدم الجار

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٢٩.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٤٢-٥٤٣.

والمجرور على عامله للاختصاص، أي ليس على الأمراء إلا ما حمله الله عليهم من العدل والتسوية. فإذا لم يقيموا بذلك فعليهم الوزر والوبال، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة، وأداء الحقوق، فإذا قمتم بما عليكم فالله تعالى يتفضل عليكم ويثيبكم به)[١].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٢] قال أبو عبدالله القرطبي: (أي مرتهنة بكسبها مأخوذة بعملها، إما خلّصها وإما أوبقها، والمعنى: كل نفس رهن بكسبها عند الله)[٣].

لذا فإن (من المبادئ التي قررها الإسلام قصر المسؤولية على المسؤول وحده. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤] ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥].

فلا يؤخذ بريء بجريرة مذنب، ولا يشترك أهله فيما اقترفت يداه، أو نسب إليه.

وقد كان التشريع اليوناني القديم يقضي بالإعدام على المجرم نفسه، وعلى جميع أفراد أسرته في الخيانة العظمى، وفي انتهاك الأشياء المقدسة)[٦].

وقال د. محمد عبدالله دراز: (أول ما يجب ذكره هو أن المسؤولية الأخلاقية والدينية شخصية محضة. ولسوف يكون من باب الإطالة أن نذكر جميع النصوص القرآنية التي تقر هذا المبدأ الأساسي، ولذا نجتزئ بعضها، وهي التي تنص على هذه الحقيقة في ألفاظ تامة الوضوح، قوله تعالى في آيات: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٦/٧-١٨٧.

(٢) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨٦/١٩/١٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٤١.

(٥) سورة سبأ، آية: ٢٥.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٠٤/٨.

ٱكْتَسَبَتْ﴾[١]، ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ﴾[٢]، ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ﴾[٣]، ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾[٤]، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۗ﴾[٥]، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ﴾[٦]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٧].

وينتج من هذا كله بوضوح، أن الثواب والعقاب لايمكن أن يتأتى فيهما أي تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء؛ وإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسؤولين مثلاً عن الأمثلة التي لقنوها لنا، والعادات التي أخذناها عنهم. وإذا كنا مسؤولين عن الطريقة التي استعملنا بها هذه التركة، فلا يجب مطلقاً أن نتحمل معهم وزر ما عملوا: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٨])[٩].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١١١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٤) سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٥) سورة غافر، آية: ١٧.

(٦) سورة الأحقاف، آية: ١٩.

(٧) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٨) سورة البقرة، الآيتان: ١٣٤، ١٤١.

(٩) دستور الأخلاق في القرآن ١٤٨-١٤٩. وانظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٢١٤-٢١٨.

الحديث رقم (٦٧٠)

٦٧٠- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا)) قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: ((تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الأثرة: الاختصاص بحظ دنيوي[2].

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد مع ضمير الشأن يؤذن بأهمية الخبر، وينادي بالعناية به لأنه جد خطير، وقوله (إنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ) والسين للمستقبل القريب والظرف (بعد) المضاف للرسول ﷺ يؤكد غياب النبي ﷺ مما يزيد الأمر شدة لغياب الحصن، والمرشد، والخبر من معجزاته ﷺ وقوله: (وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا) كناية عن الفتن التي لم يعرفها سلفهم، وقد أثار خبره عن فتن المستقبل سؤال (كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟) وهو استفهام حائر عن كيفية التصرف في هذه الفتن، وقد أجاب عن سؤالهم عن طريق المقابلة بين قوله: (تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ) وبين قوله (وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ) وهي تقرر أن عليهم أن يؤدوا الحق الذي كلفوا به أولا ثم يسألون الله الذي لهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٠٣، ومسلم ١٨٤٣/٤٥ واللفظ له، تقدم برقم ٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/١٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ: إخباره ببعض ما يحدث من تغير أحوال الأمة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد واضح من قوله ﷺ: "إنها ستكون بعدي أثره وأمور تنكرونها"، فاستخدم النبي ﷺ أداة التوكيد "إن" ليؤكد وقوع هذه الأمور، وحتى يكون المسلمون على استعداد للتعامل مع تلك المتغيرات بما يوافق منهج الإسلام، وفي هذا توجيه إلى معالجتها والتغلب عليها دون أن تضيع طاقتهم في الحزن والأسى والأسف لوقوعها.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: من دلائل نبوته ﷺ: إخباره ببعض ما يحدث من تغير أحوال الأمة:

لقد كانت الدلائل على نبوة النبي ﷺ كثيرة ومتنوعة، ومن ذلك إخباره بأمور تقع في حياته وبعدها، فوقعت طبق ما أخبر به. قال ابن كثير: (وهذا باب عظيم لا يمكنه استقصاء جميع ما فيه من آيات لكثرتها)[1]، وحديث الباب من هذا القبيل، وذلك في قوله ﷺ: "إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا". قال النووي: (هذا من معجزات النبوة، وقد وقع هذا الإخبار متكرراً ووجد مخبره متكرراً)[2].

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في موضعين من صحيحه، أحدهما في كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام[3].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/١١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣.

(٣) الحديث ٣٦٠٣.

قال ابن حجر: قوله: ("باب علامات النبوة في الإسلام" العلامات: جمع علامة، وعبر بها المصنف "أي البخاري" لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة والكرامة، والفرق بينهما أن المعجزة أخص لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبي ﷺ من يكذبه بأن يقول إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق؟ أو يقول من يتحداه، لا أصدق حتى تفعل كذا. ويشترط أن يكون المتحدي به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة، وقد وقع النوعان للنبي ﷺ في عدة مواطن)[1].

وقال ابن تيمية: (ولما كان محمد ﷺ رسولاً إلى جميع الثقلين: جنّهم وإنسهم عربهم وعجمهم وهو خاتم الأنبياء -لا نبي بعده- كان من نعمة الله على عباده، ومن تمام حجته على خلقه. أن تكون آيات نبوته، وبراهين رسالته، معلومة لكل الخلق الذي بعث إليهم، وقد يكون عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته ما ليس عند هؤلاء)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على سؤال النبي ﷺ، حتى يعلموا ويتعلموا، وهذا واضح من قول الصحابة للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذٰلِكَ؟.

ومن ذلك قول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ((كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عنِ الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أنْ يُدركنى))[3].

قال أبو العباس القرطبي: (يعني أنه كانت أكثر مسائل الناس عن الخير، وكانت أكثر مسائله عن الشر، وإلا فقد سأل غيره رسول الله ﷺ عن كثير من الشر، وقد كان حذيفة أيضاً يسأل رسول الله ﷺ عن كثير من الخير. والخير والشر المعنيان في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٧٣.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٥/٤٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

هذا الحديث إنما هما استقامة أمر دين هذه الأمة، والفتن الطارئة عليها بدليل باقي الحديث، وجواب النبي ﷺ له بذلك)[١].

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف أقام كلا منهم فيما شاء؛ فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعلموا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببا في دفعه عمن أراد الله له النجاة)[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: وجوب السمع والطاعة:

لا تنتظم مصالح العباد إلا بوجود ولاة الأمر يديرون شؤون البلاد والعباد ويقومون على حفظها، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطاعة ولاة الأمر وعدم الخروج عليهم حتى لو جاروا أو ظلموا، وهذا واضح في قول النبي ﷺ: "تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم"، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث دليل على أن الأمير إذا أتى ما ينكر لم يمنع ذلك الحق الذي له بل يعطاه، وأن يسأل الحق الذي عليه من الله عز وجل ولا ينازع ولا يقاتل)[٣]، وقال النووي: (وفيه الحث على السمع والطاعة، وإن كان المتولي ظالماً عسوفاً فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى الله تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه)[٤].

قال الطيبي: (والمراد بالأمور أشياء أخر لا تستحسنونها، وسلوا الله حقكم أى لا تكافئوا استيثارهم باستيثاركم، ولا تقاتلونهم لاستيفاء حقكم، بل وفروا إليهم من السمع والطاعة وحقوق الوالدين، واسألوا الله من فضله أن يوصلوا إليكم حقكم من الغنيمة والفيء ونحوهما، وكلوا إليه أمركم[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٥/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/١٣

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤٧/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٣

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٦/٧.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي. وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَتَكْثُرُ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ. وَأَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ. فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ))[1].

قال القرطبي: (قوله: "أعطوهم حقهم": يعني به السمع والطاعة والذب عرضاً ونفساً والاحترام والنصرة له على من بغى عليه)[2].

وقال ابن هبيرة: (المعنى: لا تكونوا أنتم الذين تحاسبونهم، وإنما عليكم إعطاؤهم الحق، وحسابهم على الله، وهذا دليل على شرف الخلافة، لكونها نزهت أن يكون عليها مشرف أو معارض، بل الله تعالى هو المتولي لذلك، بل يجب على الناس طاعتهم وفاءً بحقهم، ومن حقهم طاعتهم سراً وجهراً)[3].

وقال ابن تيمية: (ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على المسلم، وإن استأثروا عليه، وما نهى الله عنه ورسوله من معصيتهم محرم عليه، وإن أكره عليه. وما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان وإن لم يعاهدهم عليه، وإن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة، كما يجب عليه الصلوات الخمس، والزكاة، والصيام، وحج البيت، وغير ذلك مما أمر الله به ورسوله من الطاعة، فإذا حلف على ذلك كان ذلك توكيداً وتثبيتاً لما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم. فالحالف على هذه الأمور لا يحل له أن يفعل خلاف المحلوف عليه، سواء حلف بالله أو غير ذلك من الأيمان التي يحلف بها المسلمون؛ فإن ما أوجبه الله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟! وما نهى الله ورسوله عن معصيتهم وغشهم محرم وإن لم يحلف على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٥٥، ومسلم ١٨٤٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٠/٤.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٦٢/٧ - ١٦٣.

وهذا كما أنه إذا حلف ليصلين الخمس، وليصومن شهر رمضان، أو ليقضين الحق الذي عليه، ويشهدن بالحق، فإن هذا واجب عليه وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟! وما نهى الله عنه ورسوله من الشرك، والكذب، وشرب الخمر، والظلم، والفواحش، وغش ولاة الأمور، والخروج عما أمر الله به من طاعتهم هو محرم، وإن لم يحلف عليه، فكيف إذا حلف عليه؟!.

ولهذا من كان حالفاً على ما أمر الله به ورسوله من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم، أو الصلاة، أو الزكاة، أو صوم رمضان، أو أداء الأمانة، والعدل ونحو ذلك، لا يحوز لأحد أن يفتته بمخالفة ما حلفوا عليه، والحنث في أيمانهم، فهو مفتر على الله الكذب، مفت بغير دين الإسلام، بل لو أفتى في آحاد العامة بأن يفعل خلاف ما حلف عليه من الوفاء في عقد بيع، أو نكاح، أو إجارة، أو غير ذلك مما يجب عليه الوفاء به من العقود، التي يجب الوفاء بها وإن لم يحلف عليها، فإذا حلف كان أوكد. فمتى أفتى مثل هذا بجواز نقض هذه العقود، والحنث في يمينه، كان مفترياً على الله الكذب، مفتياً بغير دين الإسلام، فكيف إذا كان ذلك في معاقدة ولاة الأمور التي هى أعظم العقود التي أمر الله بالوفاء بها.

وهذا كما أن جمهور العلماء يقولون: يمين المكره بغير حق لا ينعقد سواء كان بالله، او النذر، أو الطلاق، أو العتاق، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد. ثم إذا أكره ولي الأمر الناس على ما يجب عليهم من طاعته، ومناصحته، وحلفهم على ذلك، لم يجز لأحد أن يأذن لهم في ترك ما أمر الله به ورسوله من ذلك، ويرخص لهم في الحنث في هذه الأيمان؛ لأن ما كان واجباً بدون اليمين فاليمين تقويه، لا تضعفه، ولو قدر أن صاحبها أكره عليها.

ومن أراد أن يقول بلزوم المحلوف مطلقاً في بعض الأيمان؛ لأجل تحليف ولاة الأمور أحياناً، قيل له: وهذا يرد عليك فيما تعتقده في يمين المكره؛ فإنك تقول: لا يلزم وإن حلف بها ولاة الأمور. ويرد عليك في أمور كثيرة تفتى بها في الحيل، مع ما فيه من معصية الله تعالى ورسوله وولاة الأمور.

وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم)[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٨/ ٩ -١٠.

الحديث رقم (٦٧١)

٦٧١- وعن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأميرَ فَقَدْ عَصَانِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول بيان وجوب طاعة الأمير حيث ربط الرسول ﷺ طاعة الله بطاعته وربط طاعته بطاعة الأمير مما يوثق الصلة بين الثلاثة؛ لأن الرسول ﷺ مكلف برعاية الأمة من قبل الله، والأمير مكلف برعاية الأمة من قبل الرسول ﷺ وإن لم يفوضه تفويضا مباشرا، وإنما مفوض بصفته التي صار إليه، أو صارت إليه مما يعطي الحكم قوة في التنفيذ ترتبط بقوة تنفيذ أمر النبي ﷺ إذا أمر المؤمن ثم إنه أكد هذا الاتصال في الطاعة بالمقابل له في حالة المعصية فربط معصيته بمعصية الله، وربط معصية الأمير بمعصية الرسول ﷺ، وينتج عن ذلك أن طاعة الأمير طاعة لله، ومعصية الأمير معصية لله تلزم كل مؤمن بلزوم أميره مما يجعل الأمة كلها متحدة لا تمزقها الصراعات على الكراسي، والعروش فيضيع دين الناس، ودنياهم وفي الحديث إشارة بلاغية إلى قول تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء٨٠).

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٥٧ واللفظ له، ومسلم ١٨٣٥/٣٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله.

ثالثاً: من آداب المدعو: طاعة ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

لقد بين الرسول ﷺ أن طاعته من طاعة الله وعصيانه من معصية الله، و طاعة الأمير من طاعته، وكذلك عصيان الأمير من عصيانه ﷺ.

قال الخطابي: (كانت قريش ومن يليهم من العرب لا يعرفون الإمارة، ولا يدينون لغير رؤساء قبائلهم، فلما كان الإسلام وولي عليهم الأمر أنكرته نفوسهم وامتنع بعضهم من الطاعة، وإنما قال لهم ﷺ هذا القول، لتعليمهم أن طاعتهم مربوطة بطاعته، وليطاوعوا الأمراء الذين كان النبي ﷺ يوليهم فلا يستعصوا عليهم)[1].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

(وقد اقتضت حكمة الله العظيمة أن يجعل للنصوص التي ينزلها للناس صفة الشمول والعموم والكليات الدستورية، فهي إذن بحاجة إلى بيان وتوضيح، ولذلك جعل من وظائف الرسول أن يبين للناس معاني هذه النصوص المنزلة للناس، ويوضح لهم مدلولاتها وإشارتها)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله:

بعث الله محمداً ﷺ نبياً ورسولاً وأمر بطاعته، وجعل طاعته من طاعة الله،

---

(١) نقلاً عن شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٣١١.

وكذلك الأمر في معصيته، وذلك واضح من قول النبي ﷺ: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله".

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن طاعة الله عز وجل في طاعة رسوله ﷺ وعصيان الله في عصيان رسوله ﷺ)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله: "من أطاعني فقد أطاع الله"، هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ وذلك أنه ﷺ لما كان مبلغاً أمر الله وحكمه وأمر الله بطاعته، فمن أطاعه فقد أطاع أمر الله، ونفذ حكمه).

وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٢]. (فجعل الله تعالى طاعة رسوله من طاعته وقرن طاعته بطاعته)[٣].

قال القاضي عياض: (قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا: ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه، ثم أخرج حديث الباب، ثم قال: "فطاعة الرسول من طاعة الله، إذ الله أمر بطاعته، فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له"[٤].

(ومن حقه ﷺ - بل هو ثمرة الحقوق العملية- تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، فهو المبلغ عن ربه، وهو المبعوث بالرسالة للعالمين، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٥/٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣٥/٤.

(٤) الشفا ٣٦٩/٢-٣٧٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[٢]، وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[٥].

وبين الله سبحانه أن ثمرة هذه الطاعة عظيمة وكبيرة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٧].

فهذه الآيات وأمثالها تبين هذا الحق العظيم، الذي هو: طاعته واتباعه ﷺ فيما بلّغ به عن ربه عز وجل، فإن طاعته طاعة لله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[٨]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٩])[١٠].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

(٥) سورة النور، آية: ٥٤.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٧١.

(٧) سورة النساء، آية: ١٣.

(٨) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٩) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(١٠) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير، ٤٣-٤٥.

ثالثاً- من آداب المدعو: طاعة ولاة الأمر:

إن طاعة ولاة الأمر لها أهمية كبرى ومنزلة خطيرة في الإسلام، يوضح ذلك قول النبي ﷺ: ((ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني)).

قال ابن هبيرة: (في الحديث أن طاعة الأمير من جانب رسول الله ﷺ، وكل أمير ولايته من شرع رسول الله ﷺ، فإنه من جانب رسول الله ﷺ، فطاعته طاعة لرسول الله ﷺ)[1]، وقال القاضي عياض: (وأمر الرسول بطاعة أميره، فمن عصاه فقد عصى أمر رسوله، ولا خلاف في وجوب طاعة الأمراء فيما لا يخالف أمر الله وما لم يأمر بمعصيته)[2].

ونقل ابن حجر القول أنه: (كانت قريش ومن يليها من العرب لا يعرفون الإمارة فكانوا يمتنعون على الأمراء، فقال هذا القول يحثهم على طاعة من يؤمرهم عليهم والانقياد لهم إذا بعثهم في السرايا وإذا ولاهم البلاد فلا يخرجوا عليهم لئلا تفترق الكلمة ... ووقع عند أحمد وأبي يعلي والطبراني من حديث ابن عمر: ((قال كان رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فقال: ألستم تعلمون أن من أطاعني فقد أطاع الله وإن من طاعة الله طاعتي؟ قالوا: بلى نشهد، قال فإن من طاعتي أن تطيعوا أمراءكم. وفي لفظ "أئمتكم"))[3]، وفي الحديث: وجوب طاعة ولاة الأمور وهى مقيدة بغير الأمر بالمعصية. والحكمة في الأمر بطاعتهم المحافظة على اتفاق الكلمة لما في الافتراق من الفساد)[4].

ومما يؤيد ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((آمركم بثلاث، وأنهاكم عن ثلاث: آمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وتعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تتفرقوا، وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم، وأنهاكم عن قيل وقال،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٥/٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٠/٦.

(٣) أخرجه أحمد ٩٣/٢ رقم ٥٦٧٩، وأبو يعلي ٥٤٥٠، وابن حبان ٢١٠٩، والطبراني في الكبير ١٣٢٣٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٩١/٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠/١٣.

وكثرة السؤال وإضاعة المال))[١].

قال ابن حبان: (وتطيعوا لمن ولاه الله أمركم لفظه عام له تخصيصان:

أحدهما: أن يؤمر المرء بما له فيه رضى.

والثاني: إذا أُمِرَ بما استطاع دون ما لا يستطيع)[٢].

وقد بين رسول الله ﷺ أن طاعة الأمير أو الإمام إنما هي فيما يرضي الله ورسوله، وليس فيما فيه معصية فقال ﷺ: ((إنما الطاعة في المعروف))[٣].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))[٤].

وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٥] فأمر عباده المؤمنين بطاعته، وطاعة رسوله، وأولي الأمر فأفاد أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

لأنه إذا أمر بمعصية فأطعناه، لم نحقق طاعة الله وطاعة الرسول، فكانت الآية شاهد ما قال الرسول ﷺ وأنه لا طاعة لأولياء الأمور فيما فيه مخالفة الله أو الرسول.

وينبغي التنويه إلى أن أولي الأمر هم الذين وكل إليهم القيام بالشؤون العامة والمصالح المهمة، فيدخل فيهم كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين من ملك ووزير ورئيس ومدير، ومأمور وعمدة، وقاضٍ ونائب وضابط وجندي وقد أوجب الرسول ﷺ على كل مسلم السمع لأوامر هؤلاء. والمبادرة إلى تنفيذها، سواءٌ كانت محبوبة له أم بغيضة إليه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٦] فإذا دعونا إلى الحرب. وبذل المال

---

(١) أخرجه ابن حبان ٤٥٦٠، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) صحيح ابن حبان ٤٢٥/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٤٥، ومسلم ١٨٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧١٤٤، ومسلم ١٨٣٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

في سبيلها لبيَّنا الطلب. وإذا طالبونا بالضرائب المشروعة دفعناها. وإن طلبوا منا المساعدة على حفظ الشواطئ والمزارع من المياه الطاغية أجبنا. وإن رغبوا في معونتنا لأهل بلد اجتاحهم حريق أو نابتهم نائبة حققنا رغبتهم. وهكذا نسمع كل ما أمروا به وننفذه، سواء وافق رغباتنا وميولنا أو خالفها، وسواء شق علينا أم سهل ما دام في المصلحة العامة، وما دام في دائرة الحلال المشروع، أما إن أمرونا بمعصية كاتهام بريء، أو حبسه، أو إيذائه، أو مصادرة ماله ظلمًا وعدوانًا، أو رغبوا إلى القضاء أن يحيد عن الحق ويحكم بالباطل، أو أرادوا مالنا وحيواننا ورجالنا لمساعدة عدونا. أو أرادوا أن نخط بيدنا صك الاستعباد لنا ولأبنائنا وأحفادنا، أو طلبوا أن نرخص لمن يرغبن في الاتجار بأعراضهن، أو من يتجرون في الخمور، أو يفتحون ناديًا للميسر -إن أمرنا بشيء من ذلك، أطعنا الله وعصيانهم وأرضيناه وإن أغضبناهم، فطاعتهم محرمة، ومخالفتهم واجبة [(١)].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

لقد رغب رسول الله ﷺ في طاعته بأن أخبر أن ذلك من طاعة الله، قال ابن حجر: (أي لأني لا آمر إلا بما أمر الله به، فمن فعل ما آمره به فإنما أطاع من أمرني أن آمره، ويحتمل أن المعنى: لأن الله أمر بطاعتي فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي، وفي المعصية كذلك)[(٢)]. كما رغب ﷺ في طاعة الأمير بأن جعل ذلك من طاعته ﷺ، كما رهب من معصية الرسول بأن أخبر بأن من يفعل ذلك فقد عصى الله، ورهب أيضاً من معصية الأمير بأن جعل ذلك من معصيته ﷺ.

قال أبو العباس القرطبي: (ووجهه: أن أمير رسول الله ﷺ إنما هو منفذ أمره، ولا يتصرف إلا بأمره، فمن أطاعه فقد أطاع أمر رسول الله ﷺ، وعلى هذا: فكل من أطاع أمير رسول الله ﷺ فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. فينتج: أن من أطاع أمير رسول الله فقد أطاع الله. وهو حق، صحيح. وليس هذا الأمر خاصاً

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٩٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠/١٣.

بمن باشره رسول الله ﷺ بتولية الإمارة، بل هو عام في كل أمير للمسلمين عدل، ويلزم منه نقيض ذلك في المخالفة والمعصية)[١].

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة ذات الأهمية الكبيرة في الدعوة نظرًا لما يحدثه في نفوس المدعوين من تأثير.

ويقصد بالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، ويقصد بالترهيب كل ما يحيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٢].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٣٦/٤.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٦٧٢)

٦٧٢- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَرِه مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شبراً: الشِّبر: ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريج المعتاد.

والمراد: الكناية عن معصية السلطان ومحاربته ولو بأدنى شيء فكنى عنها بمقدار الشبر[2].

الشرح الأدبي

معنى الحديث ورد في أسلوب الشرط الذي اشتمل على خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وهو قوله (مَنْ كَرِه مِنْ أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ) حيث ربط كره شيء من الأمير بالأمر بالصبر حتى لا يتزعزع المجتمع المسلم باضطراب أفراده أمام ما يقررهم أميرهم فيرضى هذا، ولا يرضى ذاك، ويحدث الشقاق لأنه من المعلوم أن إرضاء الناس جميعا غاية صعبة المنال، فحمَّل الفرد مسئولية الصبر عندما يقع أمرا على غير رضاه ضمانا لسلامة المجتمع، وقوله (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْراً مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) الفاء للتعليل الذي يحمل المؤمن على امتثال الأمر يدل على ذلك توكيد الخبر بحرف التوكيد، وتفخيمه، وتعظيمه بضمير الشأن، والتعبير بالماضي الدال على

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٥٣ واللفظ له، ومسلم ١٨٤٩/٥٥.

(٢) المعجم الوسيط في (ش ب ر)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

التحقق، والتعبير بالسلطان يوحي بالسيطرة، والسطوة، وحوزة الملك، واستخدام حرف الجر (من) قبلها يشير إلى ذلك، ويوحي بأن السلطان كالحصن الذي يحمي صاحبه من عدوه وخروجه منه خروج من حصنه، وذكر المسافة (شبرا) يؤكد المعنى وقوله (مات ميتة) جناس يؤكد خاتمة السوء بمفارقة الجماعة، والخروج عن السلطان، ووصف الميتة بالجاهلية تنفير من هذه العاقبة وهو تشبيه بليغ حذف منه، وجه الشبه، وأداته كدليل على شدة الشبه بين الميتتين أي مات كما يموت أهل الجاهلية من الضلال، والفرقة، والغرض منه التنفير من هذا الفعل المؤدي لتلك العاقبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الصبر على ما يُكْره من ولي الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الخروج على ولي الأمر.

ثالثاً: من واجبات الداعية: العمل على جمع كلمة المسلمين والتحذير من التفرق والخروج على ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الصبر على ما يُكْره من ولي الأمر:

إن الخروج على ولي الأمر يترتب عليه مفاسد كثيرة، لذا حضّ الإسلام على طاعته ولو رأى المدعو منه ما يكرهه فليتمسك بالصبر، وهذا واضح في قوله ﷺ "من كره من أميره شيئاً فليصبر" ومن ذلك قول الزبير بن عدي قال: ((أتينا أنسَ بن مالك فشكَونا إليه ما يلْقونَ منَ الحَجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تَلقوا ربكم؛ سمعته من نبيكم ﷺ))[1].

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ. وَأُخِذَ مَالُكَ. فَاسْمَعْ وَأَطِعْ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢-١٨٤٧.

وقال النبي ﷺ ((عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ. وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ. وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ))[١].

(وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم)[٢].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً فعليه الوزر، وعليك الصبر)[٣].

وقال ابن عثيمين: (مذهب السلف الصالح، السمع والطاعة للأمراء وعدم عصيانهم فيما تجب الطاعة فيه، وعدم إثارة الضغائن عليهم، وعدم إثارة الأحقاد عليهم، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، حتى الإمام أحمد يضربه السلطان، يضربه ويجره بالبغال، يُضرب بالسياط حتى يغمى عليه في الأسواق، وهو إمام أهل السنة رحمه الله ورضي عنه، ومع ذلك يدعو للسلطان ويسميه أمير المؤمنين، حتى إنهم منعوه ذات يوم، قالوا له: لا تحدث الناس، فسمع وأطاع ولم يحدث الناس جهراً، بدأ يخرج يميناً وشمالاً ثم يأتيه أصحابه يحدثهم بالحديث)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الخروج على ولي الأمر:

إن الخروج على ولاة الأمر شيء على درجة كبيرة من الخطورة، لذا رهّب النبي ﷺ من ذلك، فقال: "فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية".

وفي ذلك أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ، وَيُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي. وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩٠.

(٣) بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية، محب الدين، تحقيق سالم بن طعمة بن مطر الشمري، رسالة ماجستير مخطوطة ص ١٢٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٦٢/١.

وَفَاجِرَهَا، لاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي بِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي))[١].

قال الطيبي: (قوله "ميتة جاهلية" الميتة والقِتْلة بالكسر، الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت أو القتل، والمعنى أن من خرج عن طاعة الإمام وفارق جماعة الإسلام وشذ عنهم، وخالف إجماعهم ومات على ذلك، فمات على هيئة كان يموت عليها أهل الجاهلية، لأنهم ما كانوا يرجعون إلى طاعة أمير، ولا يتبعون هدى إمام، بل كانوا مستنكفين عنها مستبدين في الأمور لا يجتمعون في شيء ولا يتفقون على رأي)[٢].

وقال أبو العباس القرطبي: (ويعني بميتة الجاهلية: أنهم كانوا فيها لا يبايعون إماماً ولا يدخلون تحت طاعته، فمن كان من المسلمين لم يدخل تحت طاعة إمام فقد شابههم في ذلك، فإن مات على تلك الحالة مات على مثل حالهم مرتكباً كبيرة من الكبائر، ويخاف عليه بسببها ألا يموت على الإسلام)[٣].

وقد قال النبي ﷺ: ((وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْجِهَادِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ))[٤].

قال الطيبي: (قال البيضاوي: قوله: "قيد شبر" أي قدره، يريد به قدر خالف وانحرف عن الجماعة وخرج عن موافقتهم، و"الرِبْق" بالكسر: حبل فيه عدة عرىً يشد به البهم، الواحدة من تلك العرى رِبْقَة. شبه ذمة الإسلام وعهده بالربقة التي تجعل في أعناق البهائم من حيث إنه يقيده فيمنعه أن يتخطى حدود الله ويرتع مراتع حرماته. والمعنى أن من فارق الجماعة بترك السنة وارتكاب البدعة ولو بشيء يسير، نقض عهد الإسلام ونزع اليد عن الطاعة)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٤٨.

(٢) شرح الطيبي ١٨٣/٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ٥٩/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣ من حديث الحارث الأشعري، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٧.

ثالثاً- من واجبات الداعية: العمل على جمع كلمة المسلمين والتحذير من التفرق والخروج على ولاة الأمر:

إن الداعية يدرك ببصيرته الفوائد الجمة من جمع كلمة المسلمين وطاعة ولاة الأمر، كما يدرك أيضاً المفاسد العظيمة الناشئة عن التفرق والخروج على ولاة الامر، لذا فإنه يبذل جهده ووسعه في جمع كلمة المسلمين والتحذير من الافتراق والاختلاف، كما يستفاد من هذا الحديث. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها)[1].

ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يحثون على طاعة أولي الأمر ولزوم الجماعة، ذَكَر د. مصطفى السباعي أنه دخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور فاستأذناه في الحج فأذن لهما، فقالا له: إن غلب هؤلاء القوم "أي دعاة الفتنة" مع من نكون؟ قال عليكم بالجماعة، قالوا فإن كانت الجماعة هي التي تغلب عليك! مع من نكون؟ قال: فالجماعة حيث كانت.

ثم علق د. مصطفى السباعي فقال: (هذا هو الفقه بدين الله وهذا هو الإسلام الذي حمله صحابة رسول الله ﷺ لنا، لا كإسلام بعض الناس الذين يفرقون الصفوف وينبذون الجماعة. وهم يزعمون أنهم على الحق وما آذى الحق شيء كاختلافهم وتمردهم وخداع الشيطان لهم بأنهم وحدهم على الحق والجماعة كلها ضالة منحرفة نعوذ بالله من الخذلان وركوب الهوى)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

(٢) عظماؤنا في التاريخ ١٦٢.

قال ابن مسعود: ((أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به))[١].

وعن سماك بن الوليد الحنفي أنه لقي ابن عباس فقال: ((ما تقول في سلطان علينا يظلمونا ويشتمونا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟ قال: لا. أعطهم، الجماعة الجماعة إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها أما سمعت قول الله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾))[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد رهب النبي ﷺ من الخروج على ولاة الأمر حين جعل جزاء من فعل ذلك بأنه يموت ميتة جاهلية (والمراد بالميتة الجاهلية حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرا بل يموت عاصيا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد)[٣]. وكل ذلك يدل على الترهيب من الخروج على ولاة الأمر، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المهمة، ذلك لأن النفس البشرية يقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى وهو من الأساليب كثيرة الاستخدام في الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه الطبري ٦٤٨/٥، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧١٢/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية:١٠٣، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧١٢/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٣.

والداعية المسلم لا بد له من إتقان هذا الأسلوب من أساليب الدعوة واستحضار الأدلة وبيان ذلك من الكتاب والسنة ليصل إلى قلوب المدعوين فيضعها على الطريق الصحيح لتسير بأصحابها إلى رضوان الله ومغفرته بالقيام بما أوجب والابتعاد عما حرم ونهى[1].

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجع المهدي الهجاري ص ٥١٥، ٥١٧.

الحديث رقم (٦٧٣)

٦٧٣- وعن أَبي بكرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ أهانَ السُّلطَانَ[1] أَهَانَهُ الله)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح. وَقَدْ سبق بعضها في أبواب سابقة.

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

الحديث صدر كلافتة قصيرة تعجل بالحكم في ثوب الشرط الذي يربط إهانة السلطان برد الله عليه بنفس العقاب، وهو الإهانة، غير أن إهانة الله أشد، وأعظم لما هو معلوم من ارتباط الأثر بالمؤثر قوة، وضعفا مما يعني الوعيد الشديد لمن أقدم على هذا الفعل، والحديث ترهيب من كل أشكال السخرية من السلطان في الخفاء أو العيان؛ لأن العقاب مختص بالله، وهو مطلع على العبد في كل حال وسيدركه أينما كان بإهانة لا يعلم مداها، ولا يتوقع مكانها مما يجعله على خطر عظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة واحترام ولاة الأمر.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم.

أولاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

لقد حذر النبي ﷺ من إهانة ولاة الأمر بأن جعل عاقبة ذلك أن الله يهينه ويذلّه، وقد أفاد التحذير في هذا الحديث أهمية احترام ولاة الأمر وتقديرهم لما في ذلك من جمع كلمة المسلمين، وسد منافذ الفتن.

---

(١) لفظ الترمذي: (سلطان الله في الأرض).

(٢) برقم ٢٢٢٤ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وجوب طاعة واحترام ولاة الأمر:

لم يكتف الإسلام بالأمر بطاعة أولي الأمر فحسب، بل طلب أيضاً توقيرهم واحترامهم وإنزالهم منازلهم وحذر من إهانتهم. وهذا واضح من نص الحديث، وقد أخرجه الترمذي وفيه قصة: فعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفسّاق. فقال أبوبكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله".

قال الطيبي: (يحتمل أن تكون ثياباً محرمة من الحرير والديباج لأن الغالب منها أن تكون رقاقاً، وألا تكون محرمة لكن لما كان لبس ثياب الرقاق من دأب المتنعمين لا المتقشفين، نسبه إلى الفسق تغليظاً. لأن أبا بكرة رده بقوله: من أهان سلطان الله يعني: تفسيقك إياه بسبب لبسه هذه الثياب التي يصون بها عزته، ليس بحق، لأن المعنى من أهان من أعزه الله وألبسه خُلَع السلطنة أهانه الله. "وفي الأرض" متعلق بـ"سلطان الله" تعلقها بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1] والإضافة في "سلطان" إضافة تشريف كَبَيْت الله)[2].

وقال حذيفة: ((ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلاّ أذلهم الله قبل أن يموتوا))[3].

قال ابن تيمية مبيناً أهمية ولاية أمر الناس: (يجب أن يُعْرَف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها؛ فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع، لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ: ((إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[4].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٢/٧.

(٣) شرح السنة، البغوي ٥٤/١٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، ٢٦٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢، ٢٢٧٣).

وروى أحمد في المسند عن عبدالله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: ((ولا يَحِلُّ لِثلاثَةٍ يَكُونُونَ بأرْضٍ فَلاَةٍ إلاَّ أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُم))[1].

فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع العارض في السفر، تنبيهاً على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم إلا بقوة وإمارة.

وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة.

ولهذا كان السلف؛ كالفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مستجابة لدعونا بها للسطان)[2].

لذا فإن من حق الإمام إكرامه وتوقيره، (روى ابن أبي عاصم بإسناد صحيح إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذة لقيه ركب من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذر، قد بلغنا الذي صنع بك، فاعقد لواءً يأتيك رجال ما شئت، قال: مهلاً مهلاً يا أهل الإسلام، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطانٌ فَأَعِزُّوهُ، مَنْ التمس ذله ثغر ثغرة فِي الإسْلاَمِ، ولم يقبل لَهُ تَوْبَةٌ حتى يعيدها كما كانت))[3].

وأخرجه أحمد وغيره بأسانيد يقوي بعضها بعضاً عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ أَكْرَمَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا، أَهَانَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[4].

وأخرج أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٍ، مَنْ فَعَلَ

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٧/٢ رقم ٦٦٤٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٢٧/١١.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ٤٤٧-٤٥١.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١١١٣ وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد ٤٢/٥ رقم ٢٠٤٣٣، ٢٠٤٩٥، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف. وانظر فيه: تتمة تخريجه ٧٩/٣٤.

مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا على اللهِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ دَخَلَ على إِمَامٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيزَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ، فَيَسْلَمُ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلِمَ))[1].

فدلت هذه النصوص الكريمة على وجوب توقير الإمام وإكرامه وتعزيزه، الذي هو في الحقيقة إكرام وتوقير للإسلام الذي حثّ على هذا التقدير والتبجيل للقائم بأمر الأمة؛ تقديراً لما يتحمله من أعباء عظيمة ومهام جسيمة. وقد ربط الله تعالى إجلاله بإكرام الإمام المقسط، كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: ((إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ))[2]، وقال سهل التُّسْتَري: (لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم)[3].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع المسلم:

إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى أن تحفظ على المجتمع أمنه واستقراره وجمع كلمته، واستخدمت لهذه الغاية وسائل كثيرة منها: احترام ولاة الأمر وعدم إهانتهم. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)[4].

وقال سفيان الثوري: (لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجلٌ عالمٌ بما يأمر وينهى، رفيق بما يأمر وينهى، عدل)[5].

ويمكن أن يستأنس هنا أيضاً بما رواه الشعبي قال: (خرج ناس من أهل الكوفة

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥ رقم ٢٢٠٩٣، وقال محققو المسند: حديث حسن ٤١٢/٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٥٣).

(٣) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، ١٠١-١٠٣.

(٤) شرح السنة للبغوي، ٥٤/١٠.

(٥) المرجع السابق ٥٤/١٠.

إلى الجبانة يتعبدون، واتخذوا مسجداً وبنوا بنياناً فأتاهم عبدالله بن مسعود فقالوا: مرحباً بك يا أبا عبدالرحمن لقد سَرّنا أن تزورنا. قال: ما أتيتكم زائراً، ولست بالذي أنزل حتى يهدم مسجد الجبان، إنكم لأهدى من أصحاب رسول الله ﷺ؟ أرأيتم لو أن الناس صنعوا كما صنعتم، من كان يجاهد العدو، ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن كان يقيم الحدود، ارجعوا فتعلموا ممن هو أعلم منكم، وعلموا من أنتم أعلم منهم قال: واسترجع فما رجع حتى قلع أبنيتهم وردّهم)[1].

لذا (فإن السمع والطاعة لولي الأمر من مقررات عقيدة أهل السنة والجماعة، فقد ذكر اللالكائي عدة مقالات لأئمة السلف الصالح رحمهم الله تعالى، تُقرر هذا الأمر، فقد ذكر عن عبدالله بن المبارك قوله: (وصَلِّ العيدين وعرفات، والجماعات، مع كل إمام، بر أو فاجر).

وذكر عن علي بن المديني قوله: (ثم السمع والطاعة للأئمة وأمراء المؤمنين، البر والفاجر) إلى أن قال: (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا وعليه إمام، براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين).

وذكر عن أحمد بن حنبل: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البر والفاجر).

وقال: (وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعة، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة).

وقال ابن أبي حاتم: (سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا، ولا ننزع يداً من طاعة، ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة)[2].

---

(١) شرح السنة ١٠/٥٤-٥٥.

(٢) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، ٩٥-٩٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الحاكم ظل مأمور بتطبيق شرع الله والسير على منهج الإسلام، والقيام على أمور الشرعية يسعى لهم صغاراً ويرعاهم كباراً إن استقام استقامت رعيته، وإن اعوج اعوجت، ولما كانت مسؤوليات الحاكم تبلغ حداً في الكثرة، فقد أوجب الإسلام على الرعية ألا تكون عقبة في مسيرته، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- احترام ولي الأمر وتوقيره وطاعته:

من الأمور التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين احترام ولاة الأمور وتوقيرهم وطاعتهم في غير معصية، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب قول النبي ﷺ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ. إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ. فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ». وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة...". وحديث أنس رضي الله عنه: «اسمعوا وأطيعوا وإنِ استعملَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ ...». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك..."، وحديث أبي بكرة رضي الله عنه: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ».

وهذه الأحاديث تؤكد على معنى احترام ولاة الأمر وتوقيرهم والسمع والطاعة لهم في غير معصية.

"ومن هديه ﷺ التربوي أنه كان يربيهم على الطاعة المطلقة لله عز وجل ولرسوله ﷺ، أما طاعة ولي الأمر أو طاعة الولد لأبيه أو الزوجة لزوجها فهي مقيدة؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف، وقد تقررت هذه المعاني في نفوس الصحابة الكرام؛ فلما استُخْلِف أبو بكر رضي الله عنه خطب الناس، وقال: «أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإذا عصيتُ الله، فلا طاعة لي عليكم»، وقال عمر بن عبدالعزيز: يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم"[1].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨١، ٢٨٢.

وما من شك في أن هذا الاحترام والتوقير والطاعة في غير معصية إنما هو من حقوق ولي الأمر على رعيته فهي في غاية الأهمية، ويجب القيام بها وعدم التقصير فيها.

"إن حق ولاة الأمر توقيرهم واحترامهم وإجلالهم وتنزيلهم منازلهم التي يستحقونها، قال طاووس: من السنة أن يوقر أربعة: العالم وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، ويقول سهل بن عبدالله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم، ومن توقيره واحترامه: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه، قال ابن جماعة: لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة، ولاشك أن هذا يقتضي النهي عن سبهم، أو الوقيعة بهم أو غشهم، ومن حقوق ولاة الأمر: السمع والطاعة لهم في غير معصية، إذ به يحصل التلاحم بين الراعي والرعية، وتتحقق وحدة الأمة وتنتظم أمور الدولة وأحوالها ويستتب الأمن والاستقرار في ربوعها وتظهر بمظهر القوة والعزة" [(١)].

إن طاعة ولي الأمر في الإسلام لا تقوم على أساس من الرهبة أو الرغبة أو المنفعة أو المضرة إنما تقوم على أساس الأمر الإلهي "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، وأحاديث الرسول ﷺ في هذا الصدد تبلغ حدًا في الكثرة، والرسول عليه السلام بين أن طاعته ليست لذاته بل لم أمر الله بإطاعته، وكذلك إطاعة الأمير إطاعة لأمر الرسول ﷺ والذي أمر بإطاعته، فهي سلسلة من الطاعة درجات بعضها فوق بعض.

ومما حذر منه الرسول عليه السلام الفتن في هذه الأمة وبين أن الفتن درجات وأن بعضها أقوى من بعض، حتى إن فتنة لتقع فيعجب لها الناس، فتأتي التي بعدها أشق منها وأقسى، حتى إنها لتجعل التي سبقتها كأنها عارض من أذى، إلى أن تمحى الجديدة بفتنة أكبر وأشد. أو لسنا نرى ابتلاءات تعتري الأمة على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي وكل ابتلاء نراه عظيمًا، فيأتي الذي بعده فنرى السابق هينًا. في العصر الحاضر دمرت دولة الخلافة ومصدر العلوم والمعارف، ألم تخرج مدارس الحديث والفقه

---

(١) انظر: طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن، د. أحمد بن يوسف بن أحمد الدريويش ص ٥٠-٥٥.

والنحو من العراق، ألم تنهض الحركة العلمية سنين عددًا منها.

ومن الفتن الاقتصادية غلبت المادية وغياب الروحية، حتى صارت المعايير بالدرهم والدينار، وغابت الأخلاق في بعض الديار، وأصبح الإنسان بقدر ما يملك لا ما يسلك من الخير، وكان لهذا السلوك كبير الأثر في فتنة كثيرين في هذا الزمن، حتى إننا لنرى بعض الأفراد يملكون من الأرصدة ما يفوق خزينة بعض الدول، مليارات تتلوها مليارات، والعجب كل العجب أن الكثير منها مدخر خارج ديار الإسلام. إن العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام تقوم على الاحترام المتبادل والمحبة المشتركة وهؤلاء هم خيرة الرعاة، وإن شر الولاة من كره الناس وكرهه الناس، فليكن الصبر والنصح وتحميل المسؤولية لأهل الحل والعقد.

ثانيًا: التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية المهمة التربية بالترغيب والترهيب لما لهما من أثر في نفس المتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ حُجَّةَ لَهُ. وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ. وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ. وَمَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي. وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي». وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: "من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتةً جاهلية"، وحديث أبي بكرة رضي الله عنه: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ».

وهذه الأحاديث بما فيها من ترغيب في السمع والطاعة في غير معصية وترهيب من معصيته، وخلع بيعته وإهانته تَحْمِلُ المتربي على الاستجابة لأوامر الشرع: "إن الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وكذلك السنة النبوية التي تؤكد أهمية هذا الجانب بما تضمنته من ترغيب وترهيب تستجيش قلب الإنسان نحو الخير وتوجهه لذلك وتخوفه من الانحراف وتحذره منه"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

ثالثًا- التربية بالموعظة:

تعتبر الموعظة من أساليب التربية المؤثرة، وفيه حرص على الموعوظ، ورجاء الخير له، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً. فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ. وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ. إِذْ نَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ ﷺ: الصَّلاَةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ ...".

وهذه الدعوة من الرسول ﷺ لصحابته أن يجتمعوا، ووقوفه بينهم واعظًا وناصحًا إنما يدل على أثر التربية بالموعظة. "إن أسلوب التوجيه والموعظة الحسنة من أساليب الرسل والأنبياء عامة، وهو من الأساليب المؤثرة في سلوك الصغار والكبار معًا، ولكي تحدث الموعظة أثرها في نفوس الأبناء فإنه ينبغي أن تقترن بالشعور بالمحبة والعطف فالنصح والوعظ والبر من والد محب أو أم حانية أو أخ كبير أو صديق مخلص أو معلم عطوف أو شيخ وقور، قد يغير مجرى حياة الإنسان، ومن الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه والموعظة تزكية النفس وتطهيرها، وهو هدف أسمى من أهداف التربية الإسلامية وبه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء ويسلك الجميع وفق منهج الله تبارك وتعالى وشرعته"[1].

رابعًا- الحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، والتربية الناجحة تعتمد على الحوار بين المربي والمتربي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث أبي هنيدة وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يانبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم..."، وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها قالوا: يارسول الله كيف تأمر

---

(١) المرجع السابق ص ٨٣، ٨٤.

من أدرك منا ذلك؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم".

ففي هذين الحديثين يبرز أسلوب الحوار والمناقشة بين الرسول ﷺ وصحابته الكرام يسألون ويجيبهم ويستفسرون ويوضح لهم.

"لقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم" (١).

خامسًا- من أهداف التربية: تنمية روح الجماعة:

إن من أهداف التربية الإسلامية تنمية روح الجماعة في نفوس المتربين وحثهم على التوحد ونبذ الفرقة والاختلاف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الجانب ما جاء في روايات حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «وَمَنْ مَاتَ وهو مُفارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جاهليَّةً»، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «... وَمَنْ بَايَعَ إمَامًا، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إنِ اسْتَطَاعَ. فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ».

وروح أحاديث الباب تنمي وتحث على الاجتماع وعدم الفرقة ونبذ التنازع واطراح أسباب الشقاق والاختلاف.

"لقد كان الصحابة رضي الله عنهم من أحرص الناس على أسباب الرفعة والنصر والعزة، ولاشك أن من أسباب النصر والرفعة والعزة الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والخلاف، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (٣)، ومن ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه قال: «اقْضُوا كَمَا كُنْتُمْ

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

تَقْضُونَ فَإِنِّي أَكْرَهُ الاخْتِلافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي».

وسأل ابن الكواء عليًا رضي الله عنه عن السنة والبدعة والجماعة والفرقة، فقال: يا ابن الكواء حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة والله سنة محمد صلى الله عليه وسلم، والبدعة ما فارقها، والجماعة والله مجامعة أهل الحق، والفرقة مجامعة أهل الباطل، وإن كثروا"[1].

سادسًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء والبيعة والوصية:

أ-الإلقاء: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ. فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ. إلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ. فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ))، والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين في المراحل العليا كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية، ويمكن لإلقاء المعلمين من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب.

ب-البيعة: كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السَّمْعِ والطاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: فِيما اسْتَطَعْتُمْ)).

ج-الوصية: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: ((اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ)).

والوصية من الأساليب التربوية شائعة الاستخدام في ميادين الحياة المختلفة، فتستخدم في البيت، وفي المسجد، وفي الشارع، وفي كل مكان في المجتمع المسلم.

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٢.

٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدعُ حاجة إليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

الحديث رقم (٦٧٤)

٦٧٤- وعن أَبي سعيدٍ عبدِ الرحمنِ بن سَمُرَة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: **((يَا عَبْدَ الرَّحمن بن سَمُرَةَ، لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: هو عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، وكان اسمه عبد كُلال أو عبد كلوب أو عبدالكعبة، فغيّر النبي ﷺ اسمه فسماه عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي سعيد، وكان أحد الأشراف، أسلم يوم الفتح على المشهور، وقيل قبل الفتح على قول من قال إنه شهد مؤتة، صحب النبي ﷺ فله صحبة ورواية، له في كتب الحديث ١٤ حديثاً.

سكن البصرة، وكانت له بدمشق دارٌ، وكان رضي الله عنه من المجاهدين في سبيل الله، ومن القادة والولاة، فشهد غزوة تبوك مع النبي ﷺ ثم شهد فتوح العراق، وغزا خراسان، استعمله عبدالله بن عامر لما كان أميراً على البصرة على جيشٍ فافتتح سِجِسْتان سنة ٣٣، وصالح صاحب الرُّخَّج، وأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان بن عفان فسار عنها، واستخلف رجلاً من بني يشكر، فأخرجه أهل سِجِسْتان، ثم لما استعمل

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٦، ومسلم ١٦٥٢/١٩ والسياق للحميدي في جمعه ٣٥٨/١، رقم ٥٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢٢١.

معاويةُ عبدالله بن عامر على البصرة، سيرّ عبدالرحمن بن سمرة إلى سجستان أيضاً سنة ٤٢، ثم عزله معاوية سنة ٤٦ عن سجستان، فلماعُزل عاد إلى البصرة، فتوفي بها سنة (٥٠)، وإليه تنسب سكة سَمُرة بالبصرة، أما عن صفاته الخلقية، منها أنه اتصف بالتواضع، فيذكر أنه إذا كان اليوم المطير لبس بُرْنُساً[1]، وأخذ المسحاة يكنس الطريق.

مات رضي الله عنه بالبصرة سنة (٥٠) وقيل (٥١) وصلى عليه زياد بن أبي سفيان، وقيل مات بمَرْو[2].

غريب الألفاظ:

وُكِلْتَ إليها: صرفت إليها، ومن وكل إلى نفسه هلك[3].

وكَفِّر: من الكفارة: وهي الفَعْلة والخَصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها وتمحوها[4].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ (يا عبد الرحمن بن سمرة) نداء تنبيه فيه تخصيص؛ لأنه ناداه باسمه، واسم أبيه، وهو يستلزم منه مزيد إنصات، وقوله (لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ) نهي للنصح، والإرشاد علل له بقوله (فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ

---

(١) البُرْنُس: لباس للرأس مختلف الأشكال والأنواع. انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ب ر ن س).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٥/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٤٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٥٠/٣، ٤٥١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٠٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٧١/٢، ٥٧٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤١٣/٤، ٤١٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٩٣/٢، ١٢٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣٣/١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر)، وانظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٥٠.

أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا) والمطابقة بين أعنت عليها، ووكلت بها تبين أثر الحرص على الإمارة في عدم التوفيق، والذي صوره طباق السلب بين: (مسألة، غير مسألة) ؛ لأن حرصه عليها قد يحمله على التعدي، والظلم للمحافظة عليها، وهو أمر مشاهد في الواقع في أهل المناصب، والكراسي ممن تمكنت الدنيا من قلوبهم فحرصوا على الدنيا أكثر من حرصهم على الآخرة فظلموا، وبغوا للحفاظ عليها، أما من أسندت إليه، وهو راغب عنها؛ فإنه يتقي الله فيها ويعمل فيها بما يرضي الله تعالى فيعان بذلك على القيام بأعبائها، وبناء لفعل يعان لما لم يسم فاعله يجعل مصدر العون مفتوح للخيال يتصوره من ربه، ومن الصالحين، ومن كل ما يخطر بباله، وقوله (وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ) أسلوب شرط يضع حلولا مستقبلية لمسائل متوقعة، وقوله (فرأيت) رأى هنا ظنية أي اعتقدت، وقوله (فأت) أمر نصح، وإرشاد واقع في جواب الشرط، والتعريف بالموصول (الذي) للمدح والحديث ترغيب في الزهد في الإمارة، وفعل الخير.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم سؤال الحكم والإمارة ونحو ذلك: اتفق الفقهاء على أن الأصل، أنه يكره للمرء سؤال الإمارة، أو الحرص عليها، أو طلب تولي الحكم،أو القضاء، أو ما شابه ذلك، إن كان هناك من هو أولى منه، فإن كان غير صالح لها حرم عليه طلبها.

أما إن كان لا يصلح لها إلا شخصه وجب عليه أن يطلبها، ووجب على أهل الحل والعقد أن يبايعوه.

وإن كان يصلح لها جماعة صح أن يطلبها واحد منهم، ووجب اختيار أحدهم، وإلا أجبر أحدهم على قبولها جمعاً لكلمة الأمة[1].

---

(١) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٣٣٢/١٦، ومنح الجليل ٢٩٧/١٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٧٣/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣٣/١٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن طلب الإمارة، والحرص عليها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إعانة الله تعالى لمن قبل الإمارة من غير سؤال لها.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

سادساً: من موضوعات الدعوة: سماحة الإسلام ويسر شريعته.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا عبدالرحمن بن سمرة" ناداه باسمه واسم أبيه من أجل أن ينتبه لما يلقى إليه، لأن الموضوع ليس بالهين: (لا تسأل "لا تسأل الإمارة" يعني لا تطلب أن تكون أميرًا[1]. وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من لفت انتباه المدعو إلى الإقبال على الدعوة، فضلاً عما يستشعره المدعو بمكانته لدى الداعي وتخصيصه بالنداء. ولقد استخدم القرآن أسلوب النداء في كثير من الآيات فنادى أمة النبي ﷺ بأجمل ما وصفت به وهو الإيمان، وجاء النداء بـ "يا أيها الذين آمنوا" تسعين مرة، فالله سبحانه إذا نادى عباده المؤمنين ناداهم بعنوان الإيمان، لأن المؤمن حيٌّ بإيمانه مُكرَّمٌ باستجابته[2].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث "لا تسأل الإمارة" وأسلوب النهي من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً، لما فيه من لفت الانتباه بمكامن الخطورة، وأخذ الحذر والحيطة من الانزلاق والاندفاع إليها. كما جاء في الحديث النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، اللهم إلا إذا وجد في نفسه الأهلية التامة لهذا الأمر وافتقادها في غيره، فإن هذاالوقت لا

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٦٧/١.

(٢) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري ص ٥-٧.

كراهة في طلبه رعاية لمصالح المسلمين، والقرآن ضرب لنا مثلاً على ذلك بطلب يوسف عليه السلام من ملك مصر ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها:

جاء الحديث بالتصريح في النهي والمنع من سؤال الإمارة، فقال ﷺ "يا أبا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة" قال القرطبي: (قوله: "لا تسأل الإمارة" هو نهي، وظاهره التحريم، وعلى هذا يدل قوله ﷺ: "إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدًا سأله ولا أحدًا حَرَصَ عليه"[2]، وسببه: أنَّ سؤالها والحرص عليها، مع العلم بكثرة آفاتها، وصعوبة التخلص منها، دليلٌ على أنه يطلبها لنفسه، ولأغراضه. ومن كان هكذا أوشك أن تغلب عليه نفسه، فيهلك، وهذا معنى قوله: "وُكلت إليها".

وقال الطيبي: (قوله: "وكلت إليها" معناه أن الإمارة أمر شاق لا يخرج عن عهدتها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشرف النفس، فإنك إن سألتها تركت معها: فلا يعينك الله عليها، وإن أوتيتها عن غير مسألة أعانك الله عليها)[3].

وقال النووي: (وفي هذا الحديث فوائد، منها كراهة سؤال الولاية، سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها، ومنها بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من الله تعالى، ولا تكون فيه كفاية به لذلك العمل، فينبغي أن لا يولى)[4].

ولكن ينبغي بيان، هل أن النهي عن طلب الإمارة على إطلاقه، أم أن هناك حالات يجوز فيها طلب الإمارة؟

لقد فصل القول في ذلك محمد تقي العثماني، ونقل مجموعة من آراء العلماء فيه.

فقال: واستدل بهذا الحديث - حديث الباب - من منع طلب الإمارة والقضاء

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧١٤٩، ومسلم ١٧٣٣. واللفظ لمسلم.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٤/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٥٢.

مطلقًا، ويدل على خلاف ذلك قول الله تعالى حكاية ليوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقوله ﷺ: ((من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار))[2]. وكذلك قوله ﷺ: ((لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها))[3].

ومن أجل هذه الدلائل اختار أكثر الفقهاء التفصيل، فإن كان الطالب غير أهل لذلك المنصب من الإمامة أو القضاء، فإن طلبه محظور مطلقًا، وكذلك إذا كان الطلب لحب المال والرئاسة والشرف، فإنه منهي عنه على الاطلاق، وأما إذا كان للإصلاح بين الناس وإقامة العدل فليس بمنهي عنه.

قال أبو يعلى في الأحكام السلطانية[4]: (فإن كان "طالب الولاية" من غير أهل الاجتهاد كان تعرّضه لطلبه محظورًا، وكان بذلك مجروحًا، وإن كان من أهله وومن يجوز له النظر فيه نظر، فإن كان القضاء في غير مستحقه، إما لنقص علمه، أو لظهور جوره، فيخطب القضاء دفعًا لمن لا يستحقه، ليكون فيمن هو بالقضاء أحق، ففيه روايتان: إحداهما: يكره له طلب القاضي، وأصل هذا من كلام أحمد، ...ما قاله في رواية ابنه عبدالله في الرجل يكون في بلد لا يكون فيه أحد أولى بالقضاء منه، لعلمه ومعرفته، فقال: لا يعجبني أن يدخل الرجل في القضاء، هو أسلم له ... والثانية: لا يكره. وأصل هذا من كلامه ما قاله في رواية المروزي: لا بد للمسلمين من حاكم، أفتذهب حقوق الناس؟ والوجه فيه أن هذا رفع منكر.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٢) أخرجه أبو اداود ٣٥٧٥، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود).

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٢٥، ٧٥٢٩، ومسلم ٨١٦ واللفظ له.

(٤) الأحكام السلطانية ٧٠.

فعلى هذه الرواية ينظر، فإن كان أكثر قصده به إزالة غير المستحق، كان مأجورًا، وإن كان أكثره اختصاصه بالنظر فيه كان مكروهًا، أو مباحًا.

وإن كان القاضي في مستحقه، وهو من أهله، ويريد أن يعزله عنه إما لعداوة بينهما، أو ليجرّ بالقضاء إلى نفسه نفعًا، فهذا الطلب محظور، وهو مجروح بذلك. وإن لم يكن في القضاء ناظر، نظرت، فإن كان له رغبة في إقامة الحق، وخوفه من أن يتعرض له غير مستحق، تخرج على الروايتين اللتين تقدمتا.

وإن قصد بطلبه المنزلة والمباهاة كره له ذلك، رواية واحدة، لأن طلب المباهاة في الدنيا مكروه، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] وذهب قوم إلى نفي الكراهة، لأن نبيّ الله يوسف عليه السلام رغب إلى العزيز في الولاية والخلافة، فقال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[2]. وهذا لا يدل على جواز الطلب من غيره، لأن يوسف عليه السلام كان نبيًا معصومًا من الظلم والجور فيما يليه من الأعمال، وهذا المعنى غير مأمون في حق غيره. انتهى كلام أبي يعلى وبمثله ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية[3].

وقال العثماني التهانوي[4]: (ولا يبعد أن يقال إن طلب الإمارة والحكومة لحب المال والرئاسة والشرف منهي عنه مطلقًا، سواء كان بالقلب وحده، أو باللسان أيضًا، لكونه من ناحية الدنيا لا الدين. وأما طلبها لا من حيث الإمارة، بل لإرادة الإصلاح بين الناس، وإقامة العدل فيهم، والقضاء بالحق، لما في العدل من الأجر الجزيل، فليس بمنهي عنه، لا بالقلب ولا باللسان، بدليل قوله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين" الحديث. ولما كان الغالب في العادة، أن طلب الولاية وإرادتها والرغبة فيها، لا تكون إلا من

---

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥٥.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٧٤.

(٤) إعلاء السنن ١٥/٤٤.

حيث الولاية والإمارة لحب المال والشرف، والرئاسة وطلبها لمصلحة الناس وحاجتهم لا لحظ النفس نادرًا أشد الندرة، ومبنى الأحكام إنما هو الغالب من أحوال الناس دون النادر منها، نهى رسول الله ﷺ عن سؤالها وإرادتها والحرص عليها، وحضهم على أن لا يدخلوا فيها إلا كارهين مكرهين، وقال: إنا والله لا نولّي هذا العمل أحدًا يسأله، أو أحدًا حرص عليه، وليس معناه أن سؤالها والحرص عليها محظور مطلقًا، وبهذا تجتمع الآثار في الباب ولا يبقى بينها تضاد، والله الملهم الحق والصواب).

(ومع ذلك، فلا يخفى أن من تعاطى أمرًا، وسولت له نفسه أنه قائم بذلك الأمر، فإنه يخذل فيه في أغلب الأحوال، لأن من سأل الإمارة لا يسألها إلا وهو يرى نفسه أهلاً لها إلا من عصمه الله، ومن دعى إلى عمل أو إمامة في الدين، فقصر نفسه عن تلك المنزلة وهاب أمر الله، رزقه الله المعونة. قال النبي ﷺ: ((ما تواضع لله أحد إلا رفعه الله))[1]. فمن كان على قدم التواضع لله مع سؤاله الإمارة، كما هو شأن الأنبياء والكمل من الأولياء، يجوز له سؤالها وطلبها، ومن لم يقدر على الجمع بينهما لم يجز له إرادتها، ولا طلبها، ولا الحرص عليها، فضلاً عن سؤالها باللسان، والاستعانة عليها بالشفعاء.

فتبيّن بهذا أن ما يفعله الناس اليوم في الانتخابات الديمقراطية من ترشيخ أنفسهم لشتى المناصب، ودعوة الناس إلى التصويت في حقهم ليس من الإسلام في شيء، لأن المقصود به في الغالب هو طلب المنصب والرئاسة والشرف، على ما يصحبه من مدح الرجل نفسه، والنيل من أعراض مخالفيه، واشتراء الأصوات بالرشوة، وما إلى ذلك من المفاسد الظاهرة.

فينبغي إن عُقدت الانتخابات بطريقة شرعية أن لا يكون الرجل مُرشّحًا لنفسه، ولا داعيًا إلى ترشيحه أو التصويت في حقه، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٢) تكملة فتح الملهم ٩/٢٤٣-٢٤٦.

فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها، فعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ على المالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ))[١] فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه، مثل أو أكثر من فساد الذئبين الجائعين للغنم[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إعانة الله تعالى لمن قبل الإمارة من غير سؤال لها:

إنّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لاقيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ ((إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[٣] والإمارة لون من ألوان التقرب إلى الله تعالى[٤]، فإذا ما نظر إليها الإنسان بهذه الرؤية، وجاءت إليه الإمارة ولم يطلبها، فليوقن بإعانة الله كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في الحديث فقال "فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها". قال ابن عثيمين: (وإن أعطيتها من غير مسألة، بل الناس هم الذين اختاروك وهم الذين طلبوك، فإن الله تعالى يعينك عليها، يعني فاقبلها وخذها)[٥]. وذلك لأن من جاءته من غير طلب، أباها لعلمه بآفاتها، ولخوفه من التقصير في حقوقها، وفرّ منها، ثم ابتلي بها، فيرجى له ألا تغلب عليه نفسه، للخوف الغالب عليه، فيتخلص من آفاتها، وهذا معنى قوله: "أعنت عليها"[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٩٥، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٥).

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢).

(٤) انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ١٣٧-١٣٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، ٩٦٧/١.

(٦) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١٦/٤.

خامساً- من أساليب الدعوة الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رهّب النبي ﷺ من سؤال الإمارة حباً للمال والرياسة، وأنه إن أعطيها وكل إليها، فلا يلق إعانة من الله تعالى، ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل[1] وإن جاءته من غير طلب، وقصد بها نية التقرب إلى الله تعالى، أعين عليها فقال ﷺ "فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها" وأسلوب الترغيب والترهيب من آكد الأساليب الدعوية، لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وتحذيرٍ من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[2].

سادساً- من موضوعات الدعوة: سماحة الإسلام ويسر شريعته:

ورد في الحديث جانب من جوانب التيسير في الشريعة الإسلامية في قوله ﷺ (وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك)، قال ابن عثيمين: (يعني إذا حلفت ألا تفعل شيئًا، ثم تبين لك أن الخير في فعله، فكفر عن يمينك وافعله، وإذا حلفت أن تفعل شيئًا ثم بدا لك أن الخير في تركه، فاتركه وكفر عن يمينك.

وإنما قال له النبي ﷺ ذلك، لأنه إذا كان الإنسان أميرًا، فحلف على شيء، فربما تملي عليه أنفة الإمارة ألا يتحول عن حلفه، ولكن ينبغي -وإن كان أميرًا- إذا حلف على شيء ورأى الخير في تركه أن يتركه، أو حلف ألا يفعل شيئًا ورأى الخير في فعله أن يفعله، وهذا شامل للأمير وغيره.

وإذا حلفت على شيء ورأيت الخير في خلافه، فكفر عن يمينك وافعل الخير. مثال ذلك: رجل حلف ألا يزور قريبه؛ لأنه صار بينه وبينه شيء فقال: والله لا أزوره؛ فهذا حلف على قطع الرحم؛ وصلة الرحم خير من القطيعة، فنقول: يجب عليك أن تكفر عن يمينك وأن تزور قريبك، لأن هذا من الصلة والصلة واجبة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٢.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

مثال آخر: رجل حلف ألا يكلم أخاه المسلم ويهجره نقول: هذا غلط، كفر عن يمينك وكلمه. وهكذا كل شيء تحلف عليه، ويكون الخير بخلاف ما حلفت، فكفر عن يمينك وافعل الخير، وهذه قاعدة في كل الأيمان، ولكن الذي ينبغي للإنسان ألا يتسرع في الحلف؛ فإن كثيرًا من الناس يتسرعون في الحلف أو في الطلاق أو ما أشبه ذلك، ويندمون بعد ذلك، فنقول: لا تتعجل ولا تتسرع، إذا كنت عازمًا على الشيء فافعله أو اتركه بدون يمين وبدون طلاق، ثم إن ابتليت بكثرة الحلف فاقرن حلفك بقولك: إن شاء الله، فإنك إن حلفت وقلت: إن شاء الله، فأنت في حل، حتى لو خالفت ما حلفت عليه فإنه لا يضر.

فلو قلت: والله إن شاء الله لا أفعل هذا الشيء، ثم فعلته فليس عليك شيء، لأن من قال في يمينه إن شاء الله، فلا حنث عليه)[1]، ولكن إذا حلف، فمن فضل الله علينا أنه شرع لنا التكفير عن الأيمان المنعقدة، فذلك أبوبكر رضي الله عنه لما حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة بعد الذي قال في حق عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، فنزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فرجع إليه النفقة وكفر عن يمينه[3] وإذا كانت نعم الله كثيرة على الإنسان فإن هذه النعم تظهر بصورة أقوى وأشد في مظاهر التيسير، ففي كل تصرف وتعاون وتبادل يبرز التيسير ملازماً لروح الشريعة[4]، وصدق الله العظيم ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[5]. وفي هذا المعنى كثير من آيات الكتاب العزيز مثل قوله تعالى:

---

(١) شرح رياض الصالحين ٩٦٨/١.

(٢) سورة النور، آية: ٢٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣١/٦.

(٤) مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية، د. محمد عبدالعزيز عزام ص ٤٣٠.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٢] وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾[٣] وهي آيات تدل دلالة واضحة على أن الله شرع الأحكام سهلة ميسرة على العباد، فما من عمل من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهو في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه[٤]. وهذا ما تميزت به شريعة الإسلام عن بقية الشرائع السماوية.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة النساء، آية:٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية:٢٨٦.

(٤) تهذيب الفروق في الأسرار الفقهية والقواعد السنية، محمد بن علي بن الحسين، بهامش الفروق، دار إحياء الكتب العربية: ١٣٤٧هـ، ١٣١.

الحديث رقم (٦٧٥)

٦٧٥- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي. لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

تأمَّرَنَّ: لا تتأمرن أي تصير أميراً[2].

تَوَلَّيَنَّ: أي لا تتولين، وتولّى الأمر: تقلده وقام به، ومنه ولي اليتيم: الذي يلي أمره ويقوم بكفايته[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قريب من معنى سابقه في المضمون مع اختلاف في الأسلوب، وقوله (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) أسلوب تشويق، وتنبيه يفيض بالمحبة، والرحمة بدا ذلك من نداء التودد (يَا أَبَا ذَرٍّ) ثم الخبر الذي أريد به لازم فائدته، وهو إظهار الشفقة، والرحمة، وعبارة الإشادة والتكريم، والمحبة، والتخصيص (وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي) ولك أن تتخيل من يسمع الرسول ﷺ بعظيم قدره يخصه بهذه العبارة لابد، وأنها ذهبت بعقله كل مذهب في الحبور، والسرور يكاد بها - لو يحلق الإنسان من فرح - أن يمسك النجوم، ثم جاء نهيه بعد أن وطن نفسه لاستقباله بفيض غامر من المحبة يجعله يستقبل النهي بقلبه قبل عقله وبعقله قبل سمعه (لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ) نهي إرشاد، ونصح، لما للجاه، والسلطان من سيطرة على النفس لا تلبس أن تحملها بعد أن تتعلق بها على التعدي، والظلم.

---

(١) برقم ١٨٢٦/١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢١٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٤٩، والمعجم الوسيط في (أ م ر).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٤٩، والمعجم الوسيط في (و ل ي).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان محبة الرسول ﷺ لأبي ذر ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الولاية على مال اليتيم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الولاية على المسلمين مسؤولية كبيرة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

جاء أسلوب النداء في الحديثين[٢] في قوله ﷺ: "يا أبا ذر" وأسلوب النداء من أرجى الأساليب الدعوية نفعاً لما فيه من لفت الانتباه للمدعو، فضلاً عما يستشعره من مكانة لدى الداعية. وقد أفاد النداء في هذا الحديث إشفاق النبي ﷺ على أبي ذر ﷺ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان محبة الرسول ﷺ لأبي ذر ﷺ:

جاء في الحديث تصريح رسول الله ﷺ لأبي ذر بما يكنه له من حب ورحمة، فقال: (يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي)، وذلك من تلطف النبي ﷺ[٣]، وحسن خلقه، والمعنى: لم أقل لك ذلك، إلا أني أحب لك ما أحب لنفسي[٤]، فبين له مبلغ حبه له وكفاه بذلك فخرًا[٥]. وتُبيِّنَ حب رسول الله ﷺ لحرصه عليه، وإرادته إبعاد العنت والمشقة عنه، وصدق الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٧٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٧٦).

(٢) الحديث رقم ٦٧٥، ٦٧٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٤٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٩٦٩/١.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١٠.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

وفي ذلك تنويه بصفات رسول الله ﷺ الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداية الناس، ورغبته في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام، وذلك بالنسبة للناس عامة أما بالنسبة للمسلمين، فهو أحرص الناس على إيصال الخير إليهم في الدنيا والآخرة[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الولاية على مال اليتيم:

في الحديثين حذر النبي ﷺ من التطلع للإمارة حباً للمال والرياسة[٢]، خاصة إن وجد في نفسه ضعفاً لا يقوم معه بحقوقها، وذلك لا يقتصر على الإمارة العامة، وإنما يتطرق ذلك الحكم إلى كل ما فيه ولاية، حتى ولو على مال يتيم، فقال ﷺ: (لا تأمَّرن على اثنين ولا تولين مال يتيم)، واليتيم هو الذي مات أبوه، فنهاه الرسول ﷺ أن يتولى على مال اليتيم؛ لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية، وأبو ذر ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال حق رعايته[٣]. ومال اليتيم أمر خطير إذ أن عدم القيام بالواجب فيه، أو ضعف النفس أمامه، والتطاول عليه من موارد الردى والتهلكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٤].

أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة[٥]، وهذا أعظمُ وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدلّ ذلك أنها من أكبر الكبائر[٦]، وقد جاءت

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٧٢/١١/٥.

(٢) انظر: السياسة الشرعية، ابن تيمية ص ١٣٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٦٩/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢٢/٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٣٢.

الأحاديث المصرحة بذلك، ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((اجتنِبوا السَّبعَ الموبقات)). قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: ((الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ؛ وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيم، والتَّولّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ))[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الولاية على المسلمين مسؤولية كبيرة:

لقد دلت سنة رسول الله ﷺ على أن الولاية أمانة[2]، وكما هو واضح صريح في الحديث: "يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة"، قال ابن تيمية: وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب، فإن الولاية لها ركنان: القوة، والأمانة[3]، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[4]، وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[5]، والقوة في كل ولاية بحسبها، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب، والمخادعة فيها؛ فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال، من رمي وطعن وضرب، وركوب، وكر، وفر، ونحو ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[6]، وقال ﷺ: ((من علم الرمي ثم تركه فليس منا، أو قد عصى))[7].

والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٦٦ واللفظ له، ومسلم ١٤٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٨/ ٢٥٠.

(٤) سورة القصص، آية: ٢٦.

(٥) سورة يوسف، آية: ٥٤.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٧) أخرجه مسلم ١٩١٩.

وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام[١].

والأمانة ترجع إلى خشية الله، وألا يشتري بآياته ثمنًا قليلاً، وترك خشية الناس، وهذه هي الخصال الثلاث التي أخذها الله على كل من حكم على الناس، في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] ولهذا قال النبي ﷺ: ((القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو النار))[٣].

والقاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما، سواء كان خليفة، أو سلطانًا، أو نائبًا، أو وليًا، أو كان منصوبًا ليقضي بالشرع، أو نائبًا له، حتى يحكم بين الصبيان في الحظوظ إذا تخايروا، هكذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ وهو ظاهر.

واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها[٤]، وعلى من يقوم بالاختبار، أن يختار من هو أصلح لأمر الإمارة أو المنصب المطلوب شغله بأمانة وعدل. إذ أن مسؤولية الإسلام والمسلمين تقع على الولاة، ولن ينجوا من الإثم إن قصروا في جنب الإسلام وأهملوا جانب الدعوة إليه[٥]، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في الحديث: (وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها).

إن المراد أن تسند إلى ذوي الكفاءات القادرين على القيام بأعبائها، "فإن ولاية أمر المسلمين من أقوى الأسباب التي يصلح بها أمور الخلق والعباد، فإذا صلح ذوو السلطان

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٣/٢٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٤/٢٨، ٢٥٥.

(٥) الإسلام بين العلماء والحكام، عبد العزيز البدري ص ١٤.

صلحت أمور الناس، وإذا فسد فسدت بحسب فساده، ومن تولى على الناس وساسهم بعلم وعدل فعمله من أعظم العبادات وأرفع المنازل، فإن الراعي وولاة الأمر إذا اجتهدوا في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان، كانوا من أفضل أهل زمانهم[1]، وكانوا في مقدمة من يستظلون بظل عرش الرحمن يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمامُ العادِلُ، وَشابٌّ نَشأَ في عِبادةِ ربِّه، ورجلٌ قلبُه مُعَلَّقٌ في المساجد، وَرجُلانِ تَحابّا في اللهِ اجتَمَعا عليهِ وتَفَرَّقا عليه، ورجلٌ طَلَبَتهُ امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجمال فقال: إني أخافُ اللهَ، ورجلٌ تَصدَّقَ أخفىٰ حتى لا تَعلمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يمينُه، ورَجُلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضَتْ عَيناه))[2].

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن باز ٢/٣٦٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣ واللفظ له، ومسلم ١٠٣١.

الحديث رقم (٦٧٦)

٦٧٦- وعنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُني؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنها أمانةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلاَّ مَنْ أخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

المنكب: مجتمع رأس العضد والكتف[2].

الخِزْيُ: الهلاك والوقوع في بلية[3].

الشرح الأدبي

معنى الحديث قريب من سابقه من ناحية الموضوع، ومن ناحية سبب الحديث، وهو طلب الإمارة، ومن ناحية أطراف الحوار، ويختلف من حيث البداية بالاستفهام بغرض الحث، والتحضيض (ألا تستعملني؟) ثم في الحركة التعبيرية التي سبقت رد الرسول القولي في قوله: (فضرب بيده على منكبي) والتي جاءت بمثابة التنبيه، والإيقاظ للمعنى؛ لأنها تستولي على المخاطب بكل حواسه، وتقسرها على المتكلم حتى ينتهي مما يريد مع تثبيت المعنى، وترسيخه في ذهنه، وهي كناية عن المودة، والاهتمام يدل على ذلك نداؤه الصحابي باسمه، ثم تحذيره من الإمارة، ، ثم إخباره بمآلها يوم القيامة، (وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ) ثم الاستثناء الذي يخرج أهل الصلاح، والتقوى من المؤمنين، وتأمل عبقرية المزج بين الحال الدالة، والسياق اللفظي حيث ترك مهلة بعد

---

(١) برقم ١٦/١٨٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢١٧.

(٢) المعجم الوسيط في (ن ك ب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٣.

هذه الحركة يهيئ فيها المخاطب نفسه، ويصفي له ذهنه، ويفرغ له قلبه تُفهم هذه المهلة من ربط الراوي بـ (ثم) في قوله (ثم قال) بعد ضربه على منكبه، والحديث ترغيب في الزهد في الإمارة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٧٧)

٦٧٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

توكيد أبي هريرة للخبر الذي ينقله عن الرسول ﷺ مع عدم مواجهته بالتكذيب أو الشك، تعظيم للخبر، وبيان لأهميته، وتوكيد الخبر النبوي من الرسول ﷺ في قوله: (إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ) تعظيم لخطر الأمر، وهو الحرص المهلك على الإمارة، واتصال حرف التوكيد بكاف الخطاب يأخذ بجميع المخاطبين من بداية الحديث لتجعلهم في قلب الحدث، والسين في الفعل (ستحرصون) للمستقبل القريب، والسين في قوله (ستكون) تشير إلى المستقبل القريب في علم الله لأنها من أحداث القيامة، واستخدام السين بدل سوف لذلك كما أنه يشير إلى أن الأمر جد قريب، وتقييد تحولها لندامة بيوم القيامة تصعيد للترهيب المفهوم من التعبير بالندامة، لأنها تدل على فوت خير، ووقوع شر، والحديث من أعلام نبوة النبي ﷺ لأن ما قاله وقع كما أخبر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإمارة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إنكم ستحرصون على الإمارة"، وأسلوب التوكيد من أنفذ الأساليب الدعوية إلى قلوب المدعوين لما فيه من تأكيد ما

---

(١) برقم ٧١٤٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٢١٩.

يُدعى إليه، وإيقاعه في القلب موقع الاستجابة والقبول[١]؛ لأن هذا ما هديت إليه الفطرة الإنسانية، وبه يكون التوجيه أبلغ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دلائل نبوته ﷺ:

هذا الحديث تضمن دليلاً من دلائل نبوة رسول الله ﷺ، حيث أخبر ﷺ بحرص الناس على الإمارة، فقال: "إنكم ستحرصون على الإمارة"، قال ابن علان: (وهذا من جملة معجزاته ﷺ من الإخبار عن المغيب قبل وقوعه فوقع كما أخبر)[٢]، وقال القاضي عياض: والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا، وقد خَرَّج أهل الصحيح والأئمةُ ما أعلم به أصْحَابَهُ مما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وغير ذلك[٣].

فعن الخباب بن الأرتِّ ﷺ قال: ((شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلاَّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون))[٤].

وهكذا وقع، فقد عم وظهر الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في عهد الصحابة ومن بعدهم، وذلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم، وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين،

---

(١) أساليب الدعوية والتربية، د. زياد محمود العاني، ٣٠٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٥٠.

(٣) كتاب الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ١/٣٢٩-٣٣٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٩٨، ومسلم١١٢.

وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الإمارة:

لقد لفت النبي ﷺ الأنظار إلى خطورة الإمارة وسوء مآلها إن لم تُرْعَ حقوقها، كما جاء في الحديث "إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة"، وهذا أصل عظيم في اجتناب الولاية، ولاسيما لمن كان فيه ضعف، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل، فإنه يندم على ما فرط منه، إذا جوزى بالخزى يوم القيامة، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم، ولكن في الدخول فيها خطر عظيم ولذلك امتنع الأكابر منها[٢]، إذ أن جميع الحقوق المشروعة للمحكومين أمانة في عنق الولاة، وهم مسئولون عن حمايتها وتمكينها، وذلك من أخطر الوظائف على الإطلاق[٣].

وكما جاء في الحديث فيما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدهِ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ ـ قال: وَحَسِبتُ أَنَّه قال: وَالرجلُ راعٍ في مالِ أَبيهِ وَمَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَكلُّكم راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتهِ»[٤]. فولاة الأمر مسئولون عن الأمن واستتبابه والمحافظة عليه، حتى يأمن كل فرد على نفسه ودينه، وعرضه وماله، وحريته وكرامته، إضافة إلى الوظائف الأساسية من إقامة العدالة، والتسوية بين الناس في الحقوق، حتى يأخذ كل ذي حق حقه، وتنفيذ الشريعة وإقامة حدود الله، وتوحيد الكلمة وجمع الشمل، وتوحيد كيان الأمة،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٣٤/١٣.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٢٠٠- ٢٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٣ واللفظ له، ومسلم ١٨٢٩.

وإيجاد رباط بين المسلمين في مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كي تستطيع الأمة مواجهة الأحداث، ورد عدوان المعتدين ومنع إغارات المغيرين[1].

(١) انظر: عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ٢٠٠-٢٠٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

غريزة الأنا أو حب الاستعلاء والسيطرة لها سبل شتى أخصها بالذكر: السلطان أو الولاية أو التسلط على رقاب العباد، وهذا الاتجاه له سبيلان:

السبيل الأول: تحقق الولاية أو الإمارة من طريق ولي الأمر على أساس من الكفاءة والأهلية للعمل دون أي اعتبار لحسب أو نسب أو واسطة...

السبيل الثاني: التسلط على الولاية أو الإمارة وتحقق الغلبة للمتسلط، فإن كان فعله هذا لقطع ظلم وإحقاق عدل ونشر سلام وإقامة توازن اجتماعي بين أفراد الأمة فهو محمود، وإن كانت الأخرى فعليه التبعة، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- مراعاة الفروق الفردية:

إن من الأمور المهمة التي ينبغي أن يفطن إليها ويراعيها المربي في العملية التربوية مراعاة الفروق الفردية بين المتربين، ومراعاة القدرات والاستعدادات، ومن أحاديث الباب التي تشير إلى هذه النقطة، حديث عبدالرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحمنِ بْنَ سَمُرَةَ: لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا»، وحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي فَلاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ»، وعنه رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ...».

ففي هذه الأحاديث خصّص النبي ﷺ عبدالرحمن بن سَمُرة وأبا ذر رضي الله عنهما بالنهي عن الإمارة وطلبها مما يبين أنهما غير مستعدين لها، وقد قال النبي ﷺ لأبي ذر: إنك ضعيف، وبهذا راعى النبي ﷺ الفروق الفردية بين أصحابه.

"ورغم اشتراك الناس في كثير من الخصائص إلا أنهم يفترقون في بعضها، بل إن

الفروق تكون حتى بين الأشقاء، وحتى بين التوائم، وأبرز ما تكون فيه الفروق الفردية الاستعدادات والقدرات، قال ابن تيمية: إن الناس متباينون في نفس عَقْلِهِمُ الأشياء من بين كامل وناقص، وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير، وجليل ودقيق وغير ذلك. وحيث إن الناس يختلفون في درجة الاستعداد والميول فإنه ينبغي للمعلم أن لا يشير عليه بشيء حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله، ولهذا فإن المعلم يحتاج إلى معرفة استعدادات كل متعلم ومدى تقبله للتوجيهات، ولا ينبغي تكليف المتربين بما لا يطيقون، ولا بأعمق مما يدركون ويفهمون فإن في ذلك إحباطًا لقدراتهم"[1].

وإذا راعى المربي الفروق الفردية بين المتربين، وعلم مدى استعدادهم وقدراتهم فإنه يضع كل واحد منهم في مكانه المناسب وموضعه الملائم الذي يجيد فيه ويتقن.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية التي تؤثر في المتربين التربية بالترهيب، حيث إن الترهيب يحمل نفس المتربي على الاستجابة لما يؤمر به وينهى عنه، ومن أحاديث الباب التي تبين التربية بالترهيب، حديث أبي ذر رضي الله عنه: "... وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة ..."، وقوله ﷺ: «إنكم ستحرِصونَ على الإمارة، وستكون ندامةً يومَ القيامة». ففي هذين الحديثين رهَّب النبي ﷺ من تَحمُّل الإمارة لمن لم يقم بحقها بأنها تكون يوم القيامة خزياً وندامة، وفي هذا الترهيب ردع للمتربي من الإقدام عليها طالما أنه ليس لها أهلاً، ولا يمكنه القيام بها.

"إن أسلوب الترهيب أو العقاب يتماشى مع طبيعة البشرية، ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان ولا يمكن أن تُجْدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه، ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٦٨.

ولا تُستخدم التربيةُ الإسلاميةُ الترهيبَ والعقوبةَ إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب، وحين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة، ولا غير ذلك من أساليب تربوية ساعتها لابد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح والعلاج الحاسم هو العقوبة"[1].

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية الناجعة التربية بالتوجيه المباشر ويراد به توجيه الأمر أو الطلب أو النصح أو التوجيه إلى المتربي مباشرة، ومن أحاديث الباب التي تبرز التوجيه المباشر قول النبي ﷺ: "يا عبدالرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة..."، وقوله ﷺ: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي..."، وقوله ﷺ: "يا أبا ذر، إنك ضعيف وإنها أمانة..."، وقوله ﷺ: "إنكم ستحرصون على الإمارة..."، ففي هذه الأحاديث توجيه مباشر من النبي ﷺ بعدم سؤال الإمارة والحرص عليها لمن لم يقدر على تكاليفها.

"والتربية بالتوجيه المباشر من الأساليب التي تعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى السامع (الشخص المستهدف بالتربية) مباشرة بصيغة الأمر أو بصيغة النهي، وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب هو الأغلب لدى المربي"[2].

ومن خلال التوجيه المباشر يتم تقويم سلوكيات المتربي، وتصحيح مساره، وتوظيف طاقاته وقدراته وجهده في جوانب الخير: "إن في كل نفس استعدادًا للخير أو الشر وحين يُترك الناس بلا توجيه معين فقد تنحرف فِطَرُهم ذات اليمين، وذات الشمال، والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من المتربين القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦، ١٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤، ١٥٥.

المعلم يرافقها تصحيح لأخطائه"[١].

ومن خلال التوجيه المباشر يفهم المتربي عِظَم مسئولية الحكم، ومتطلباته، ومعرفة معاني الأمانة والإخلاص، والتدريب على أن يضع الإنسان نفسه في المكان المناسب له، والعمل الملائم لقدراته وإمكانياته.

رابعًا- من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة واستخدام الحركات المعبِّرة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي. ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ...)) الحديث، والحوار والمناقشة من الأساليب التربوية التي تتيح للمتعلم أن يفصح عمَّا في نفسه وعمَّا بداخلها، ومن ثم يشعر بالفائدة التي تعود عليه من التعليم والتربية.

ب-استخدام الحركات المعبِّرة: كما في حديث أبي ذر السابق: ((فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي)) فهذا الضرب باليد يعبِّر عن معانٍ يمكن استنباطها من جواب النبي ﷺ، فيمكن أن يحمل على معنى الشفقة عليه من تبعات الإمارة أو يحمل على معنى لفت الانتباه إلى جسامة مسؤوليات الإمارة، ويمكن حمله على إشعاره بحبه ونحو ذلك ويمكن حمله على جميع ما سبق.

ونحن نظن أن وضع النبي ﷺ يده على منكب أبي ذر رضي الله عنه سهَّلت كثيرًا من تقبل أبي ذر لما أرشده إليه النبي ﷺ، والله أعلم.

خامسًا- من مهام المربي: التبصير بحقائق الأمور:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: ((يَا أَبَا ذَرَ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا. وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي))، و((يَا أَبَا ذَرَ إِنَّكَ ضَعِيفٌ. وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ. وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ. إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))، فرغم حب النبي ﷺ لأبي ذر "إني أحب لك ما أحب لنفسي"، رغم حبِّه ﷺ له، إلا أنه بصّره بما فيه ولا يجعله صالحًا لتولي أمر الإمارة والقيام بمسؤولياتها، فنصحه بالابتعاد عن الإمارة لكونها قد

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨١-٢٨٤.

تجعله يقف يوم القيامة موقف الخزي والندامة، وأبو ذر رضي الله عنه صحابي جليل جاهد في الله حق جهاده وأبلى في الإسلام بلاءً حسنًا وصدع بما رآه حقًا وجاهد في ذلك جهادًا كثيرًا، لكن الأمر أمر قدرات ومواهب يعطيها الله لمن يشاء. والمهم أن يعرف المربي ما يصلح لكل واحد من المتعلمين وما لا يصلح له حتى يدله على طريق الصلاح والنجاح.

۞ ۞ ۞

٨٢- باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور عَلَى اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف: ٦٧].

الحديث رقم (٦٧٨)

٦٧٨- وعن أَبي سعيدٍ، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

بطانة: بطانة الرجل: صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله[2].

الشرح الأدبي

الحديث تحذير بليغ لكل من ولى شيئا من أمور المسلمين لكي يفتش فيمن حوله حتى يميز بطانة السوء من بطانة الخير فيسمع للمخلصين، ويصم أذنه عن أهل الشر، والمعنى ورد في ثوب القصر (مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ) حيث قصر بعث النبي، واستخلاف الخليفة على وجود البطانتين، وقوله (بطانتان) أسلوب توشيع يحقق التشويق؛ لأنه مثنى مجمل يحتاج المخاطب إلى معرفة تفصيله وهو قوله: (بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ

---

(١) برقم ٧١٩٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٩٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ن).

عَلَيْهِ) وهو أسلوب مقابلة بين الصورتين يوحي بصراع بينهما على السيطرة على فكر الخليفة، وتوجيهه بما يخدم رغباتهم في الشر أو في الخير صوَّر ذلك الصراع بالفعل المضارع (تأمره) الذي يصور التزيين القولي، وقوله (تحضه) الذي يصور الدفع ناحية مقصد البطانة، وقوله (وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ) تكميل بلاغي يقرر مع ضرورة الانتباه لمن حوله أن يتوكل على الله في الاستعانة على أداء ما كلفه به من أعباء قد تهلكه، والجناس بين (المعصوم - وعصم) يؤكد المعنى، ويشير إلى أثر العصمة، ومصدرها.

فقه الحديث

اتخاذ البطانة الصالحة:

لما كانت الشورى من قواعد الشريعة، ومن لوازم الحكم في الإسلام، وأن العادة جارية بأن الإنسان يطمئن إلى بطانته، فإنه يجب على ولاة المسلمين أن يتخذوا بطانة صالحة من أهل التقوى والأمانة، وممن يخشى الله.

وجاء في كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي في معرض عد واجبات الإمام: (استكفاء الأمناء، وتقليد النصحاء فيما يفوضه إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة، والأموال بالأمناء محفوظة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: وجوب اختيار المستشارين من ذوي التقوى والأمانة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من بطانة السوء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث، حيث أخبر النبي ﷺ عما يكون للأنبياء والخلفاء من بطانة وبين أصنافها، فقال ﷺ: «ما بَعثَ اللّه من نبيٍّ ولا استخلَفَ من

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ١٢-١٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/٨.

خَليفةٍ إلا كانت له بطانتان...))، والإخبار من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على الحقائق وتوجيهه لكيفية التعامل معها.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

ويستفاد هذا من عموم الحديث، ومن قوله ﷺ: "ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة ..." إن أهم ما ينبغي أن يضطلع به الدعاة هو القيام ببيان الحقائق للناس، ولقد كلف الله نبيه ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وأوصى الأمة بتخصيص فئة منهم للتفقه في الدين للقيام بالبيان للناس، ليتفقهوا في دينهم وليأخذوا حذرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2]، وفي هذا الحديث بيان للبطانة وأصناف أصحابها[3]، وذلك ليأخذ الولاة هذا على وجه الاعتبار، فيقربوا الصالحين إليهم، وينأون بأنفسهم عن غيرهم طلباً للسلامة والنجاة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: وجوب اختيار المستشارين من ذوي التقوى والأمانة:

وظهر هذا في قوله وحثه ﷺ: "بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه" وفي بيان رسول الله ﷺ في الحديث للبطانة وأصناف أصحابها، وتأثيرهم على الولاة، أمر ضمني بوجوب اختيار المستشارين من أهل التقوى وذوي الأمانة، وقد ضرب القرآن لنا مثلاً في طلب واختيار البطانة الصالحة، وذلك في طلب موسى ﷺ من ربه ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى﴾[4]، وإنما خص هارون لفرط ثقته به، ولأنه كان

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١/ ٩٧٠-٩٧١.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٩-٣٠.

فصيح اللسان مقوالاً، فكونه من أهله، وممن تيقن صلاحهم، مظنة النصح له، ولذا سأل الله أن يجعله معيناً له في أعماله[١]، قال الشيخ ابن عثيمين: (وإذا كان هذا في الأمراء ففتش نفسك أنت، فأنت بنفسك، إذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكروك، وإذا جهلت علموك، فاستمسك بحجزهم وعض عليهم بالنواجذ)[٢].

وأولى الناس بالتقريب هم أهل العلم والصلاح، ولذلك فقد كانت بطانة عمر رضي الله عنه من القراء، روي عن ابن عباس أنه قال: (كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته)[٣]. وكلما كانوا من أهل العلم والتقوى كان ولي الأمر أبعد عن الزلل. فالمقياس صلاح دين الرجل وأمانته وتقواه، وليست معايير الطين والمادة والذوبان في شخصية الصاحب، لذا ينبغي على أولي الأمر أن يعمدوا إلى التحري والاصطفاء البعيد عن الهوى، حتى يجد المرء من يأمنه ومن يطمئن لصحبته[٤]. وقد وصف أشهب بطانة الحاكم بقوله: (وليكن ثقة مأموناً فطناً عاقلاً، لأن المصيبة إنما تدخل على الحاكم المأمون من قبول قوله من لا يوثق به، إذا كان هو حسن الظن به، فيجب عليه أن يتثبت في مثل ذلك[٥].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من بطانة السوء:

حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طرف خفي من بطانة السوء، حيث بين أنها تأمر بالشر وتحضّ عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: "وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه"، وقد نهانا الله عن اتخاذ البطانة السوء خاصة من غير المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾[٦]، فالحذر الحذر من بطانة السوء، فكثيراً ما نرى من

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢١٢/١٦/٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٩٧٢/١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٤٢.

(٤) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٢٦٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٠٢/١٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١١٨.

أهل الصلاح من يزل زلات، إنما استدرجته إليها بطانة فاسدة، زينت له الباطل، وحجبت الحق عن عينيه[١].

فإن خطورة البطانة إذا فسدت أنها قد تُحَسِّنُ القبيح أو تُقَبِّحُ الحسن بالوسوسة والتظاهر بالإخلاص. لذا كانت وصايا السلف الصالح لولاة الأمر وللناس عامة باصطفاء البطانة الصالحة واجتناب الطالحة[٢]، ومن ذلك ما كتبه قاضي القضاة أبو يوسف في مقدمة كتابه الخراج الذي وجهه إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، جاء فيه: (وإن الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور، فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاة الأمر، إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين، وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت، وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته لغير أهل الثقة والخير هلاك العامة)[٣].

---

(١) هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقاً، محمود محمد الخزندار ص ٢٥٩

(٢) انظر: الإسلام بين العلماء والحكام، عبدالعزيز البدري ص ٤٦.

(٣) الخراج، القاضي أبو يوسف، دار المعرفة، بيروت: ١٩٧٩م ص ٦.

الحديث رقم (٦٧٩)

٦٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صدقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على أسلوب الشرط الذي يربط الخير، وغيره بمشيئة الله، واللام في الأمير للجنس لتشمل كل أمير، وتنكير (خير) للتعظيم لأنه أعُين به على آخرته وقوله (جعل له) أي صير له وسخر، وتقديم الجار والمجرور على المفعول به يفيد التخصيص أي له خاصة لا لغيره، ووصف الوزير بالصدق يبشر بالعون الصالح على هذا العبأ الثقيل، وكون الوصف على صيغة المصدر (صدق) خاصة يفيد المبالغة في الصفة وهو ما يجب على كل أمير أو مسئول أن يبحث عنه فيمن حوله لأن نصيحته له ستكون خالصة لله تعالى مجردة عن هوى النفس والطباق بين (نسي، وذكر) يؤكد المعنى ويبين الفارق بين النموذجين وقد وضع النموذج المقابل له في الصورة حتى تتضح صفاته، وأعماله، ومآله (وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ)، وقوله (أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ) كناية عن الشر، وعبَّر بالكناية تأدبا مع الله بعدم نسبة الشر إليه، وإن كان كل شيء بقدره - تعالى - والتعبير بالمصدر (سوء) مبالغة في الصفة تقرر قوة الضرر للرعية من ناحية، وللأمير من ناحية، وتأمل سوء فعله في معاملة أميره (إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ) يبخل بالفكرة، ويعطل الحركة ويضر الجميع.

---

(١) برقم ٢٩٣٢. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٤٩٤). أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٨٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الوزير الصادق الأمين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دور المستشار في حياة ولى الأمر.

ثالثاً: من أصناف المدعوين: ولاة الأمر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

خامساً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية اختيار الوزير الصادق الأمين:

إن اختيار الحكام والولاة للوزير الصادق الأمين من الأهمية بمكان، ومن إرادة الله الخير بهم، فقال ﷺ: "إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق"، ولذا وجب تحري الدقة في اختيار الوزير ما استطاع الوالي إلى ذلك سبيلاً، وأن يراعى فيه مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، وحسن الرأى، ونفاذ البصيرة، "حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير: إني التمست لأموري رجلاً جامعاً لخصال الخير، ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض بها، له صولة الأمراء وأناة الحكماء، وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء، إن أُحسن إليه شكر، وإن ابتلى بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه"[1].

إن من علامات التسديد والتوفيق للحكام والرؤساء، الحاشية الصالحة المعينة على الخير بالرأي والقول والفعل، لذا ينبغي لولاة الأمر حسن اختيار البطانة والعاملين والتفويض إلى الله تعالى بعد ذلك، إذ على الإنسان أخذ الاحتياط، وممارسة الأسباب، ثم الاعتماد على الله وحده دون سواه، وقياس الناس بمواهبهم واستعداداتهم، لا بأقاربهم ومعارفهم[2].

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي ص ٢٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دور المستشار في حياة ولى الأمر:

إن أية صحبة لا تخلو من تأثير وتأثر، إذ أن النفوس المتماثلة تتجاذب فيما بينها، كما بين رسول الله ﷺ، ذلك بقوله: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))[(١)]، [(٢)]، وقد بين رسول الله ﷺ في الحديث دور المستشار، وأثره في حياة ولي الأمر إيجاباً وسلباً فقال: ((إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ)).

لذا ينبغي أن يكون أولى الناس بالتقريب إلى الولاة هم أهل العلم والصلاح، لذلك فقد كانت بطانة عمر رضي الله عنه من القراء، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً"[(٣)]، فكلما كانت البطانة من أهل العلم والتقوى كان وليُّ الأمر أبعد عن الزلل، قال الإمام ابن حجر العسقلاني: (وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم)[(٤)]. ومهمة المستشار: أن يشير بالنصيحة المحضة وأنه ينبغي له أن يستفصل من مستشيره ليُدله على ما هو أفضل، وذلك لأن المستشار مؤتمن. فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته[(٥)].

ثالثاً- من أصناف المدعوين: ولاة الأمر:

إن الدعوة إلى الله لا تقتصر على فئة بعينها وإنما تمتد لتشمل جميع فئات المجتمع وشرائح الناس، ومنهم ولاة الأمر، والذي جاء الحديث في الأصل موجهاً لهم إلى اختيار البطانة الحسنة، والتجافي عن سيئها وبيان أثرهما، فقال ﷺ: "إذا أراد الله بالأمير

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٨٣٣، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٤٦).

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين، محمود محمد الخزندار ص ٢٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٩/٣.

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٦١/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٨/٣١.

خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه...."، لذا يحرص العلماء دائماً على إبداء النصيحة والموعظة الحسنة للحكام حرصاً جعلهم يتحملون كل مشقة وأذى في هذا السبيل، ويبذلون جهدهم لتحقيق هذا المطلب الشرعي الكريم[١]، ولكن لابد من مراعاة مكانة ولاة الأمر ومنزلتهم الرفيعة بين الناس، فيجب التلطف في دعوتهم والإلانة القول معهم، ومخاطبتهم بالأسلوب الذي يليق بهم، واختيار الزمان والمكان المناسب لدعوتهم، لأن ذلك أدعى إلى استجابتهم. والواجب في نصحه: أن يبين أن الإمار تتخذ قربة إلى الله ودينًا، فإن التقرب إلى الله بها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس، لابتغاء الرياسة أو المال بها، كما هو مشاهد في عصرنا[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في البطانة الحسنة، ورهب من نقيضها ببيان أثرهما، فقال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِير صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». وأسلوب الترغيب والترهيب من آكد الأساليب الدعوية تأثيراً، لما فيهما من تشويق للمدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وتحذيره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[٣].

خامساً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن من أهم الواجبات على الداعية بيان الحقائق للمدعوين، حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، وتبيين الحقائق من أهم الوظائف التي كلف بها الأنبياء "وظيفة التبيين" قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

---

(١) الإسلام بين العلماء والحكام، عبدالعزيز البدري ص ١٠٤.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ص ٢١٩.

(٣) مستلزمات الدعوة الإسلامية، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

وفي الحديث صورة من صور تبيين النبي ﷺ للحقائق وتبصير الناس بها، فقال: "إذا أراد الله بالأمير خيراً، جعل له وزير صدق، إن نسى ذكره، وإن ذكر أعانه ..."، فالدعوة الإسلامية منهج يقوم على بيان الحق والخير والهدى، وكشف وسائل الباطل وأساليبه، ومنهج الزيغ فيه، بكل الطرق والأساليب والوسائل والمناهج التي يجمعها قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1][2].

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب، مكتبة المعارف، الرياض: ١٩٨٧م ص ١٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

مساعدوا المسؤولين هم الأعين التي يرون بها الآخرين، فإن كانوا أمناء نقلوا الصورة صحيحة وإن كانوا خائنين، فقد ضلوا وأضلوا، كما أن طباع الصحبة تؤثر على الصاحب، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- اتخاذ الرفقة الصالحة وتجنب قرناء السوء:

إن من أهم الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية لغرسها في نفوس المتربين الحرص على اتخاذ الرفقة الصالحة وتجنب قرناء السوء، ذلك لأن الرفيق له أثر ليس بالهين على صاحبه وقرينه من ناحية تفكيره وسلوكه وعاداته وغير ذلك، يزداد الأمر أهمية في حق ولاة الأمر والقضاة وأصحاب الولايات، لأن الأثر يتعدى إلى الغير بما يتخذونه من قرارات وأمور تخص الرعية، ومن ثَمَّ فيلزم هؤلاء الحرص على اتخاذ الرفقة الصالحة التي تعين على الخير وتدل عليه، وتجنب الرفقة الفاسدة التي تحرض على الشر وترشد إليه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب قوله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتُحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ»، وقوله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ»، فمن خلال هذين الحديثين يبرز أهمية اتخاذ الرفقة الصالحة، ووجود المعين على الخير، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين كل الحرص على اصطفاء البطانة الصالحة.

"فعمر رضي الله عنه كان مربيًا بطبعه وفطرته، كان أستاذ التربية في المدينة، يربي في المسجد وفي السوق وكان على كل حالاته مربيًا، وتاريخه حافل بحوادث الزجر والتوجيه والتربية. وقف على المنبر يومًا وقال: "ماذا تقولون لو مِلت برأسي إلى الدنيا؟ فقام إليه رجل فسلّ سيفه، وقال: نقوِّمك بهذا، قال عمر: إياي تعني بقولك، قال: نعم

إياك أعني، فقال: عمر: رحمك الله... الحمد لله الذي جعل في رعيتي من إذا تعوّجت قوّمني، وقال حذيفة: دخلت على عمر فرأيته مهمومًا حزينًا، فقلت له: ما يهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد تعظيمًا لي، فقال حذيفة: والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك، فإن لم تنته ضربناك بالسيف، ففرح عمر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي جعل لي أصحابًا يقوموني إذا اعوججت" [(١)].

وما من شك في أن قرناء السوء يزينون للإنسان الخطأ والشر، "ومن وسائل المنهج الإسلامي في علاجه لأمراض الشخصية التحذير من مجالسة قرناء السوء والحث على قطع الصلة بهم، لما لهم من تأثير كبير في إفساد الشخصية الإنسانية وتحطيم أخلاقها. ولأنها إذا استمرت في علاقتها فإنها لن تتغير حالها، ولن تجدي فيها مختلف الأدوية، وقال الله عز وجل محذرًا من مخالطة قرناء السوء: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[(٢)]، فيجب البعد عن مجالسة الدنيء والسخيف والفاسق والمرائي، وكل متهم في دينه وعرضه، وقد نفى الله سبحانه الإيمان عن الإنسان الذي يجالس أصحاب السوء الذين يحادُّون الله ورسوله، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه، فقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[(٣)]، وهذا يدل على مدى الخطورة التي تلحق بالإنسان من جرّاء مجالسته لهم" [(٤)].

ثانيًا- غرس روح التناصح:

من أهداف التربية الخلقية غرس روح التناصح بين أفراد المجتمع رؤساء ومرءوسين وحكام ومحكومين لما في التربية على التناصح والتواصي من صلاح البلاد والعباد،

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة الكهف، الآية:٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية:٢٢.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٥٧٩، ٥٨٠.

واستقامة الأمور وكثرة الخير للحاضر والباد، وفي حديثي الباب نلمح هذه التربية الخلقية، وضرورتها للمجتمع، ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: «... إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتُحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ»، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ».

فمن خلال هذين الحديثين يتبين ضرورة اهتمام واعتناء المربين بغرس روح التناصح والتواصي على ذلك.

"إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي من أساليب التربية الإسلامية التي بدت خلالها أحاديث المربي الرسول ﷺ، وفي طريقة التواصي دعوة كل مسلم إلى أن يكون مربيًا يعلم أخاه المسلم والتذكير بالخير والحق، والدعوة إليهما، والتنبيه إلى الشر والضرر والنهي عنهما هو من صميم الأساليب التربوية الإسلامية للإنسان المسلم والتي يحتاجها أي إنسان في كل زمان، وفي كل مكان في العالم الذي نعيش فيه"[1].

وعلى المشتغلين بالتربية، تدريب وتعويد المتربين على النصيحة والتواصي تحقيقًا لأهداف التربية الخلقية، فالدين النصيحة.

"والنصيحة تكون للغير وللنفس، فالذي ينصح نفسه تُكرم، والذي يتشاغل عن نصيحتها تهون نفسه عليه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يوصل إلى الغاية المنشودة من التربية الخلقية، والنصيحة أمر واجب لأن الأئمة فعلوا ذلك أي نصحوا للخلق كما أن الصحابة رضي الله عنهم بايعوا الرسول ﷺ على النصيحة، ويتصل بالنصيحة الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من طرق التربية الخلقية المباشرة، وهو القطب الأعظم في الدين، ولو طوى بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأُهْمِل لفشت الضلالة

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٢، ٣٣٣.

وشاع الجهل واستشرى الفساد وخربت البلاد، وهلك العباد فله دور هام في التربية الخلقية أو التهذيب الخلقي، وهو دليل الصدق في الله والدين، ولابد أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشفقة والرأفة واللين في القول، وذلك حتى يؤتي ثماره في إحداث الغاية المرجوة من تهذيب الأخلاق وتطهيرها"[1].

❁ ❁ ❁

(١) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ٢٦١.

٨٣- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرّض بها

الحديث رقم (٦٨٠)

٦٨٠- عن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ أنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أمِّرْنَا عَلَى بَعْض مَا ولاَّكَ اللهُ ﷻ، وقال الآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: ((إنَّا وَاللهِ لاَ نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أحَداً سَألَهُ، أوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض المعنى في ثوب القصة التي يحكيها أحد أفرادها، وهو أبو موسى الأشعري ﷺ والمعنى الذي يعرضه الحديث قاعدة عامة يجب أن تراعى عند اختيار من يلي عملا من أعمال المسلمين، وهو ألا يولاه من طلبه، وسعى إليه، وقول الرسول ﷺ لمن سألوه الولاية قرَّر ذلك (إنَّا وَاللهِ لاَ نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أحَداً سَألَهُ، أوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ) ونلاحظ طبيعة التوكيد القوية في بداية الكلام حيث أكده بإن مع اسمية الجملة، والقسم بلفظ الجلالة تلاه بأسلوب النفي ليقطع من نفوسهم كل رغبة تستبقي لهم أملا فيها، ولفظ (أحد) نكرة في سياق النفي تفيد التعميم، وقوله (أوْ أحَداً حَرَصَ عَلَيْهِ) لأن الأول طلبه بالقول، والثاني عنده الرغبة، والحرص، وإن لم يطلبها مما يشير إلى ضرورة التدقيق فيمن يلي هذه النوعية من الأعمال، وتحري الدقة حتى لا تخدعهم الرغبة المتسترة بلباس الزهد حتى إذا تمكن مما أراد تهتكت تلك سترة النفاق، وكشفت عن وجه قبيح يفوق الآخر شرا، وما ابتلي المسلمين بأشر من ذلك بلية، حيث

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٩، ومسلم ١٤/١٧٣٣، كتاب الإمارة، باب ٣ واللفظ له.

تصدر المنافقون كثيرا من أعمال الأمة فلبّسوا على الناس الحقائق، واتخذوا من هذه المناصب وسيلة يتاجرون فيها بدين الناس، ودنياهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن طلب تولي الإمارة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

رابعاً: من واجبات الداعية: عدم المجاملة على حساب مصلحة المسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن طلب تولي الإمارة:

لقد تضافرت النصوص النبوية على النهى عن طلب تولى الإمارة، بل إن النبي ﷺ بيّن ذلك عملياً بعدم الاستجابة لذينك الرجلين اللذين طلبا منه توليتهما الإمارة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ أنا ورجلانِ من بني عمي. فقالَ أحدُهما: يا رسولَ اللّهِ! أمِّرْنا على بعضِ ما ولاّكَ اللّهُ عز وجل. وقال الآخر مثلَ ذلكَ فقال: "إنَّا واللّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه"، فإن الحرص على طلب الإمارة، والحرص على الشرف، يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه، في السعى في أسبابه، وبعد وقوعه، بالحرص العظيم الذي قد يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد[1].

وقال ابن عثيمين في شرح الحديث: (لا ينبغي لولي الأمر إذا سأله أحد أن يؤمره على بلد أو على قطعة من الأرض فيها بادية أو ما أشبه ذلك أن يؤمره، وذلك لأن الذي يطلب أو يحرص على ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة، لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة منع النبي ﷺ أن يولي من طلب الإمارة "إنا والله لا نولي هذا الأمر أحداً سأله أو أحدًا أحرص عليه" فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه السلام للعزيز ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[2].

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٣/٣٥٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥٥.

فإننا نجيب بأحد جوابين:

أ) إما أن يقال إن شرع من قبلنا إذا خالفه شرعنا، فالعمدة على شرعنا، بناء على القاعدة المعروفة عند الأصوليين، وشرع من قبلنا شرع لنا مال لم يرد شرعنا بخلافه"، وورد شرعنا بخلافه أننا لا نولي الأمر أحداً طلب الولاية عليه.

ب) أو يقال إن يوسف عليه السلام رأى أن المال ضائع، وأنه يُفَرطُ فيه ويُلْعَبُ فيه، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب، ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة سوء التدبير وسوء العمل، ويكون هذا لا بأس به)[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: "إِنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ..."، وأسلوب القسم من أبلغ الأساليب الدعوية تأثيراً، إذ أن القَسَم أحد أسباب ثبوت الحق، ويبصر المدعوين بالدعوة ويبين دعائمها الأساسية[2]، ولقد عرف أسلوب القسم واستعمله العرب تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة:

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وحثّ أصحابه رضي الله عنهم على ذلك يظهر ذلك، في هذا الحديث، حيث منع الرسول ﷺ الولاية عمن يضعف عن القيام بها أو بالتقصير فيها، أو طلبه لها حباً للرياسة والمال، فقال ﷺ: ((إِنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه)). وفي ذلك تقديم للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بتعطيل الخاصة، حفاظاً على العامة، إذ أنه مما يجب على الراعي أن يكون تصرفه منوطًا بالمصلحة وتعظيم هذه المصلحة، إذا كانت تتعلق بالعموم[3].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٩٧٣/١، ٩٧٤.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٩-٣٣٦.

(٣) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ص ٣٠٩.

فيقدَّم في كل ولاية أعرف الناس بمعالجتها ومفاسدها، وأقوامهم بجلب المصالح ودفع المفاسد، فيقدم في كل موقع مسئولية أكمل الناس في أوصافه وأقوامهم بأعبائه[1]، وذلك وغيره يندرج تحت القاعدة الأصولية المشهورة، تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بل إنه ليتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام. من هنا لا بد أن يُعلم الداعي المدعو أن رتب المصالح والمفاسد متفاوتة، وعلى رتب المصالح تترتب الفضائل في الدنيا، والأجور في العقبى، وعلى رتب المفاسد تترتب الصغائر والكبائر، وعقوبات الدنيا والآخرة[2].

رابعاً- من واجبات الداعية: عدم المجاملة على حساب مصلحة المسلمين:

إن من واجبات الداعية أن يلزم الإخلاص في كافة الأمور، ويراعي مصلحة عموم المسلمين، فلا مجال في الدعوة للمجاملة والمحاباة، وكما هو واضح في الحديث من منع الولاية ممن طلبها، حرصاً على مصلحة المسلمين، فقال: "إِنَّا واللَّهِ لا نُوَلِّي على هذا العملِ أحداً سأله، ولا أحداً حرَصَ عليه". فنجد أن الرسول ﷺ منعهما الولاية، مؤكداً لامتناعه لهما، ولمثلهما بقوله: "إنا والله ..." وذلك لأن سؤاله لذلك وحرصه عليه، يشعر أنه لم يسع في ذلك لنفع الإسلام والمسلمين، وإنما سعى لجمع الدنيا وتكثيرها له، وفي ذلك إفساد لأمر الناس دنيا وأخرى وإهلاك له[3].

لذا وجب على ولاة الأمور والقادة كل حسب موقعه، أن يجعلوا إقامة شرع الله والمحافظة على مصالح المسلمين نصب أعينهم، وألا يدعو ثغرة للمجاملة والمحاباة، خاصة في تقليد الأمور وإسناد الأعمال، فيجب حسن اختيار الأعوان والعمال من الأمناء المخلصين ذوي الدراية والكفاية، مما يحقق الغايات والأهداف، ويزيل من دنيا الناس

---

(١) انظر: شجرة المعارف والأحوال، العز بن عبدالسلام ص ٣٥٢.

(٢) انظر: شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا ص ١٩٧، ١٩٨، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، ٢٩/١.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٩٥٣، شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٦٣٠/١.

الوساطة والمحسوبية[١]، وذلك رعاية لمصالح المسلمين، واستبراءً للذمة أمام الله عز وجل.

دخل أعرابي على سليمان بن عبدالملك فقال: تكلم يا أعرابي، فقال يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله، وإن كرهته فإن وراءه ما تحبه إن قبلته، فقال يا أعرابي إنا نجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه؟ فقال الأعرابي يا أمير المؤمنين، إنه قد تكنّفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، ابتاعوا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعاً، وفي الأمة خسفاً وعَسْفاً، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا بمسئولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره[٢].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٠٥/٨.

(٢) انظر: كلمات في الأخلاق الإسلامية، كمال محمد عيسى ص ١٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

طالب الإمارة إما أن يكون كفؤا لها أو دونها بمراحل، فمن طلبها وليس من أهلها فقد نهاه الإسلام عن ذلك، وحرم على ولي الأمر الاستجابة له، ومن كان أهلاً لها وجب أن يعطاها كما في قصة يوسف عليه السلام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

من الأساليب التربوية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، فالمربي الناجح يغتنم الموقف والحدث ليبرز من خلاله القيم التربوية التي يريد غرسها في نفوس المتربين، وحديث الباب الذي معنا تتضح فيه التربية من خلال المواقف والأحداث في قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "دخلت على النبي ﷺ أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ بَنِي عَمِّي. فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِّرْنَا عَلَىٰ بَعْضِ مَا وَلاَّكَ اللَّهُ ..." استغل النبي ﷺ هذا الحدث والموقف وأبرز من خلاله أن مثل هذه الأمور لا توكل لمن يطلبها، ويحرص عليها لأن ذلك دليلٌ على إرادته نفع نفسه، وجمع الدنيا إليه، ولا يبتغي من ذلك نفع الإسلام والمسلمين.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يَكْمُن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة" [1].

إن المربي الأريب لا يترك الأحداث أو المواقف دون أن يعطي منها درسًا تربويًا يصحح مسار الإنسان، ويوجه سلوكه وتصرفه إلى الأفضل.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

"إن من طرق التربية الفعّالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم، وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقًا كي يمر بها الصغير أو الكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله، ولقد قام الإسلام بتربية الأمة من منشئها باستغلال الأحداث"[1].

ثانيًا- انتقاء القيادات:

من الأمور التي ينبغي أن يحرص عليها المربي انتقاء القيادات، ولاشك أن ذلك من الأمور المهمة في العملية التربوية فليس كل أحد مؤهلاً للقيادة، وتقلد المناصب، ففي حديث الباب رفض رسول الله ﷺ أن يمنح القيادة لمن طلبها وسألها، "... إنا والله لا نولي هذا العمل أحدًا سأله، أو أحدًا حرص عليه"، فيبدو من هذا السائل للولاية أنه أراد نفع نفسه بجمع الدنيا، ومن ثَمَّ أعرض عنه رسول الله ﷺ فإن الجدير بالولاية والمنصب مَنْ يسعى لنفع الإسلام والمسلمين، ويحرص على أن يوظف خبراته وما يمتلك من قدرات وإمكانات لصالح إخوانه المسلمين.

إن عملية الانتقاء للقيادات على جميع المستويات والوظائف والأعمال من الأهمية بمكان، "والانتقاء هو اختيار نماذج من طبقات المجتمع المختلفة تتمتع بميزات عالية في سلم الكمال السلوكي، يمكن الاعتماد عليها في المهمات الصعبة، ولابد لمن يريد أن يقيم بنيانًا شامخًا من أن يهتم بالأعمدة والركائز التي ستتحمل ثقل البنيان وتبعاته، وأن يقيمه على أرض صُلْبة قد جرى اختبارها ومعرفة قوة تماسكها وإلا تداعى بنيانه عند تعرضه لأدنى اهتزاز، ولذا فينبغي التشدد في الانتقاء وعدم التساهل فيه، وأن

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٧.

تكون شروط الانتقاء متكاملة شاملة غير ناقصة خاصة لأولئك الذين "يتَوقع منهم أن يتبوءوا مكانًا رفيعًا" [١].

وأشد ما تكون إليه الحاجة في عملية الانتقاء في اختيار الوزراء والأمراء لأنهم المباشرون للأعمال، المخالطون لأنواع الرجال.

"والوزارة يُحتاج فيها إلى شرط زائد على شروط الإمامة وهو أن يكون من أهل الكفاية، فلا يصل إلى استتابة الكفاءة إلا أن يكون منهم، كما لا يقدر على المباشرة إذا قصر عنهم وعلى هذا الشرط مدار الوزارة، وبه تنتظم السياسة.

حكي أن المأمون كتب في اختيار وزير:

إني التمست لأموري رجلاً جامعًا لخصال الخير ذا عِفَّةٍ في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب، إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهمات الأمور نهض فيها، يسكته الحلم، وينطقه العلم، وتكفيه اللحظة، وتغنيه اللمحة، له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء، وفهم الفقهاء إن أُحسن إليه شكر، وإن ابتلي بالإساءة صبر، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه، فهذه الأوصاف إذا أكملت في الزعيم المدبر، وقل ما تكمل فالصلاح بنظره عام وما يناط برأيه وتدبيره تام، وإن اختلت فالصلاح بِحَسَبِها يختل والتدبير على قدرها يَعْتَلُّ ولئن لم يكن هذا من الشروط الدينية المحضة فهو من شروط السياسة الممازجة لشروط الدين لما يتعلق بها من مصالح الأمة واستقامة الملة" [٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ١٠٩-١١٤.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي ص ٢٢، ٢٣.

١- كتاب الأدب

٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

الحديث رقم (٦٨١)

٦٨١- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أخَاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فَإنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث في الترغيب في الحياء، وقوله: (من الأنصار) والألف، واللام فيه للعهد أي أنصار رسول الله الذين آووا ونصروا من أهل المدينة رضي الله عنهم قوله (وهو يعظ أخاه) أخاه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الرجل الذي وعظ أخا للواعظ في الإسلام على ما هو عرف الشرع فعلى هذا يكون مجازا لغويا، أو حقيقة عرفية، والآخر، وهو الظاهر أن يكون أخاه في القرابة، والنسب فعلى هذا هو حقيقة قوله (في الحياء) فيه إيجاز بالحذف أي: في شأن الحياء، وفي حقه، ومعناه: أنه ينهاه عنه ويخوفه منه فزجره النبي عن وعظه فقال (دعه) أي اتركه على حيائه فإن الحياء من الإيمان، والوعظ الزجر يعني يزجره عن الحياء ويقول له لا تستحي فقال رسول الله ﷺ (دعه) يستحي فإن الحياء من الإيمان إذ الشخص يكف عن أشياء من مناهي الشرع للحياء، ويكثر مثل هذا في زماننا، وقيل: معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان فسمي إيمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه وقوله (فإن الحياء) وجه التأكيد بأن فيه أن المخاطب كان شاكا أو كان منكرا له؛ لأنه منعه من ذلك فلو

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤ واللفظ له، ومسلم ٣٦/٥٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٦.

كان معترفا بأنه من الإيمان لما منعه من ذلك، أو جعل كالمنكر لظهور أمارات الإنكار عليه، ويجوز أن يكون هذا من باب التأكيد لدفع إنكار غير المخاطب، ويجوز أن يكون التأكيد من جهة أن القصة في نفسها مما يجب أن يهتم بها، ويؤكد عليها، وإن لم يكن ثمة إنكار، أو شك من أحد[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ربعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء.

خامسًا: من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وعظ الإنسان لأخيه:

في الحديث ورد أنموذج يحتذى به في وعظ المسلم لأخيه، "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ". وإن وعظ المسلم لأخيه من الأهمية بمكان، فإن الوعظ - والإرشاد وتوجيه الناس الوجهة الصحيحة، بناء للأمم وحفاظ للمجتمعات، يمنعها من التردي في مهاوى الضلال والفساد، وإن شعور كل امرئ بأن في الجماعة من يعظه ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، يدفعه إلى الكمال، والسير في طريق الرقى[٣] وقد جعل الله الموعظة أحد ركائز الدعوة الإسلامية، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٤].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني حديث (٢٤)

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٨١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٨٢)

(٣) الخطابة، محمد أبو زهرة ص ١٩١.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

يقول د. محمود محمد حجازي في تفسير الآية: "هذه تذكرة الدعاة والمرشدين وقانون سنه لهم رب العالمين، والمعنى: كل خير في الوجود لابد له من دعاة ومحامين يدافعون عنه ويشرحون حقيقته، ويبينون أغراضه ومراميه، إذ الحق وحده لا يستوي قائمًا أمام أعاصير الدنيا، وألاعيب الشيطان، وغرائز الإنسان الفطرية، التي تدعوه إلى التحلل، فعلى المسلمين الدعوة بالموعظة الحسنة، التي تستحسنها العقول السليمة، وتألفها الطباع المستقيمة[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الموعظة:

ورد أسلوب الموعظة في الحديث: "إِنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ"، والموعظة من آكد الأساليب الدعوية تأثيرًا، لما فيها من النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل، وفيها العلاج الناجح لصلاح العالم[2]. ولأهمية الوعظ ذكر الله هذه المادة في القرآن في مواضع متعددة، بل إن الله سبحانه ليسند الوعظ إلى نفسه، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[4].

فالوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب، من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية، فالترغيب والترهيب اللذان هما ركنا الموعظة الحسنة يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ، والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان، ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات، فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه، وتشد رغائبه، وترتقي به إلى

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٤/٧٦.

(٢) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣١.

أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه، إلى جانب أنها تنبه مشاعره، وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة، إذا ما اقترف معصية وأصر عليها[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "دعه فإن الحياء من الإيمان" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان الحقائق للمدعوين وحملهم عليها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء:

إن الحياء من الأخلاق السَّنِيَّة، ولا أَبْيَنَ لفضل الحياء من قول رسول الله ﷺ في الحديث "دعه فإن الحياء من الإيمان"، قال ابن قتيبة، معناه أن الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الإيمان[٢]، ووصف النبي ﷺ بأنه فيه الخير، بل كله خير فقال: "الحياء خير كله أو قال الحياء كله خير"[٣]، يقول الإمام الماوردي: سمة الخير: الدَّعَةُ والحياء، وسمة الشر: القحة والبذاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاء شرًا أن يكونا إلى الشر سبيلاً، ويقول بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. وقال بعض البلغاء: حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه. وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذَ قَلَّ ماءُ الوجه قَلَّ حياؤُه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤُه

حَيَاءَكَ فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه[٤]،[٥]

ثم إن الحياء مظهر من مظاهر علو الهمة، فالإنسان لا يستحي من الكمال، وإنما

---

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١/٩٤.

(٣) أخرجه مسلم ٣١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٤٠-٢٤١.

(٥) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢.

يستحي مما فيه نقص، أو مما يخشى أن يكون فيه نقص، لذلك فالحياء من علو النفس، وحبها للكمال، وحرصها على أن تتصف بصفاته[١].

فالحياء وازع من كل قبيح، فمن لاحظ جانب العباد استحى منهم، ومن لاحظ جانب الله استحى منه، ومن لاحظ الجانبين أعطى كل واحد منهما حقه من الحياء، ومن اطرح الحياء صنع ما شاء من القبائح والسيئات[٢]، وذلك المعنى ما جاء فيما روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[٣].

وقد صرح النبي ﷺ في الحديث بفضل الحياء فقال: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله" إذ أن الحياء يمنع القبائح[٤]، ويدفع إلى فعل المحاسن، وهو أصل لكل خير. يقول ابن القيم: "وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأَجَلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء"[٥] ولله در القائل:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقى اللحاء[٦]

كما أن الحياء من الأخلاق الفاضلة، التي تضافرت نصوص من السنة على الحث

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام ص ١٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٨٤.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ١٠٤.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم، ١٠٤/٢.

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادى، ١٥٥، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨١١/٥.

عليها، التحلي بها، وبيان ما فيه من خير، وكما في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقوله "الحياء خير كله"، وقال ﷺ الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبَذاء من الجفاء والجفاء في النار"[١].

واستوصت الأمة سلفًا وخلفًا بالتحلي بخلق الحياء، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب الغائط في الفضاء متقنعًا بثوبي استحياءً من ربي عز وجل"[٢].

فإن قيل إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه الباطل بالحق، فيترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق، وغير ذلك مما هو معروف في العادة، فإن ذلك ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما أطلقوا عليه حياءً تشبيهًا ومجازًا، فلقد كان رسول الله ﷺ لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله[٣]، مع أنه قد ثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، ومع ذلك لم يمنعه حياؤه عن قولة الحق والدعوة إليه.

خامسًا- من أهداف الدعوة: ربط السلوك بالإيمان:

إن من أهداف الدعوة ربط الأعمال والسلوكيات بالإيمان، وفي الحديث تطبيق لذلك، فقال ﷺ " دعه فإن الحياء من الإيمان"، فإن ربط السلوكيات بالإيمان أحد الطرق المهمة لدفع الإنسان لمزيد من الأعمال الصالحة والأنشطة النافعة، ولتقليص السلوكيات المشينة والأعمال الرديئة[٤].

فالإيمان مستلزم للعمل[٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠٠٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٤).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٢٠.

(٣) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ٥٤/٢.

(٤) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز محمد النغميشي ص ١٣٩.

(٥) انظر: كتاب الإيمان، لابن تيمية ص ١٥٢.

سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[١]، فالعمل الصالح هو ثمرة الإيمان، فما أن يستقر الإيمان في قلب الإنسان، فإنه يسعى إلى تحقيقه في واقع الحياة على هيئة أعمال صالحة، تُكَوِّنُ لديه شخصية إسلامية بارزة في هذه الحياة، وهذا هو الإيمان الذي يريده المنهج الإسلامي، وبذلك يتراءى لنا ذلك الرباط الوثيق بين الإيمان والعمل، كما أن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن يجعلها الداعي نصب عينيه، تعميق خلق الحياء بين المسلمين، وذلك ما أشارت إليه الأحاديث، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وقال: "الحياء كله خير"، فإن الحياء سبب من أسباب بناء المجتمعات النظيفة، البريئة من الأمراض الاجتماعية، والأخلاق الذميمة، فالحياء يحجز صاحبه عن الفواحش، وإن غلبته نفسه، وسقط في شيء من أوحالها، تستر واستحيا[٢]، وذلك مما يقلل من شيوع المعصية في المجتمع، ولذلك صرح النبي ﷺ: بأن من تجرد من الحياء وجاهر بالمعصية لَنْ يعفى من العقوبة، لما في ذلك من شيوع للمعصية، وتحريض عليها، وتحبيب وتشويق الأنفس إليها، فقال ﷺ: ((كلُّ أمَّتي مُعَافى إلا المجاهرين ...))[٣].

وذلك أن المجاهرة بالسوء والمعاصي تنبئ عن انعدام الحياء، فإذا عرى الإنسان من الحياء، وعطل من التحلي به، فلا تسل عما سيقترفه من رذائل، ولا تعجب مما سيرتكبه من حماقات، فقليل الحياء لا يأبه بدنو همته، ولا يبالي بسفول قدره، ولا يجد ما يبعثه للفضائل، ولا ما يقصره عن الرذائل[٤]. وقد رتب القرآن الكريم على الربط بينهما صلاح الدنيا والآخرة لتلك الشخصية المسلمة[٥]، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٥.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٦٩-٤٧١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٩، ومسلم ٢٩٩٠.

(٤) سوء الخلق، مظاهره، أسبابه، علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦، ٣٧.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ١٦٣.

(٦) سورة النحل، الآية: ٩٧.

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب الرسول ﷺ في الحياء بما يكمن فيه، وما يترتب عليه من خير، فقال ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير" وفي رواية "الحياء خير كله" وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوءان بما يرغب الناس في قبول الدعوة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب، وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[1].

والترغيب من أبرز الأساليب الدعوية ورودًا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، التي هي أحد الركائز الدعوية الأساسية والتي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، فالمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد[3].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج٢/٦٨٨.

الحديث رقم (٦٨٢)

٦٨٢- وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلمٍ[2]: ((الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ)) أَوْ قَالَ: ((الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ)).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في الحياء يتكون من جملة واحدة قصيرة في صورة الخبر المؤكد بمؤكد واحد وهو القصر، فعبارة الرسول ﷺ (الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ) جاءت في ثوب القصر حيث قصر ما يأتي به الحياء على الخير، ونفى عنه الإتيان بالشر، وحقيقة الحياء: خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ومعنى العبارة النبوية: أن من استحى من الناس أن يروه يأتي بالفجور، وارتكاب المحارم فذلك داعيه إلى أن يكون أشد حياء من الله تعالى، ومن استحى من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه، وركوب معاصيه، والحياء يمنع من الفواحش، ويحمل على البر، والخير كما يمنع الإيمان صاحبه من الفجور، ويبعده عن المعاصي، ويحمله على الطاعات.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧/٦٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٧.

(٢) برقم (٣٧/٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨٧).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٦٨٣)

٦٨٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"البِضْعُ": بكسر الباء، ويجوز فتحها، وهو من الثلاثة إلى العشرة "والشُّعْبَةُ": القطعة والخَصْلة. "والإماطَةُ": الإزالة. "والأَذى": ما يُؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقَذَرٍ ونحو ذلك.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: القِطعة والخصلة[2].

إماطة: إزالة[3].

الأذى: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يقابل به خالي الذهن من الخبر يقوم على إجمال يتلوه تفصيل، وهو ما يحقق التشويق لمتابعة الخبر مع توكيده بذكره مجملا ثم مفصلا فالإجمال في قوله: (الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً)، والإيمان اسم يشمل عقائد القلب، وأعماله، وأعمال الجوارح، وأقوال اللسان، فكل ما يقرب إلى الله، وما

---

(١) أخرجه البخاري ٩ الشطر الأول فقط، ومسلم ٣٥/٥٧ واللفظ له، وتقدم برقم ١٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٨٨٨.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٤.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٤.

يحبه ويرضاه، من واجب ومستحب، فإنه داخل في الإيمان، ثم بدأ تفصيل هذا الإجمال مع ترقب المخاطبين الذي حققه الإجمال: ((فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّه)، لأنها السبيل لقبول الأعمال وعلامة الإخلاص قرارها في القلب، وذكر أدناها لكي يفتح بابا لفعل الخيرات بكافة أشكالها تتميز باليسر، وقلة الكلفة يستطيع كل مسلم أن يأتيها حتى تلك التي يظن الإنسان حقارتها؛ فإنها داخلة في مفهوم الإيمان لأنه المحرك إليها، وقوله: (وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)، وذكر هنا أعلاه، وأدناه، وما بين ذلك، وهو الحياء. « والحياء شعبة من الإيمان » ولعل ذكر الحياء ؛ لأنه السبب الأقوى للقيام بجميع شعب الإيمان. فإن من استحيا من الله لتواتر نعمه، وسوابغ كرمه، وتجليه عليه بأسمائه الحسنى، والعبد - مع هذا كثير التقصير مع هذا الرب الجليل الكبير يظلم نفسه، ويجني عليها - أوجب له هذا الحياء التوقي من الجرائم، والقيام بالواجبات، والمستحبات.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٥).

الحديث رقم (٦٨٤)

٦٨٤- وعن أَبي سعيدٍ الخدري ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فَإذَا رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِه. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ في حَقِّ ذي الحَقِّ. وَرَوَيْنَا عَنْ أَبي القاسم الْجُنَيْدِ، قَالَ: الحَيَاءُ: رُؤيَةُ الآلاءِ -أيْ النِّعَمِ- ورُؤيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً[2]. وَاللّه أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

العذراء: المرأة البكر[3].

خدرها: الموضع الذي تحبس فيه العذراء وتستتر[4].

الشرح الأدبي

قول (كَانَ رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً) يشير إلى أن شدة الحياء كانت له عادة، وطبعا فاق فيه أكثر أمثلة الحياء دل على ذلك التعبير بأفعل التفضيل المضافة للصفة (أشد حياء) والمفضل عليه هو النموذج الأعلى الذي يعهد فيه شدة الحياء، وهو العذراء وهو التي لم تتزوج، وقوله (في خدرها) هو تتميم بلاغي أفاد المبالغة في كمال حيائها الذي لم ينتقص بالتكشف على الناس؛ فإن العذراء في خدرها تكون أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه، وهو ما يشير إلى أن حياء المرأة أوفر ما يكون مع قلة خروجها،

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٦٧/٢٣٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي (٢٢١/١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٩/١٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٩/١٠، وفي معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي (١٧١): غرفة من السكن تخصص للبنت لا يدخلها أحد إلا بإذنها.

فإذا كثر خروجها، واختلاطها بالناس ذهب حياؤها، وهو أمر مشاهد في نساء عصرنا وجرأتهن التي جرَّت على الأمة البلاء - نسأل الله لهم الهداية، والعودة للقدوة بأمهات المؤمنين - وقد بيَّن أثر الحياء الباطني على التصرف الظاهري للقدوة العظمى في الرسول ﷺ في قوله: (فإذا رأى شيئا يكرهه) أي من جهة الطبع، أو من طريق الشرع عرفناه في وجهه أي من أثر التغير فأزلناه فإنه ما كان يعاين أحدا بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة قال النووي معناه أنه لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته، وفيه فضيلة الحياء، وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف، والخور.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ.

ثالثاً: من صفات الداعية: الحياء

رابعاً: من آداب المدعو: التخلق بالحياء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، ليدل على أن الحياة كان من أخلاق الرسول ﷺ، وذلك أدعى ما يكون إلى التخلق به، اقتداءً برسول الله ﷺ "كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، إذ أن غرس الرجاء في النفوس، والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يؤهله لنفحات الله وعطائه[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شدة حياء النبي ﷺ:

لقد تحلى النبي ﷺ بكمالات الأخلاق، وامتثل بها مثولاً يسمو إلى صورة

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٥.

الكمال[١]، ومن ذلك حياؤه ﷺ، وكما جاء في الحديث "كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراء في خِدْرها". لما جبل عليه من كمال وهمة عالية[٢]. ونضرب مثلاً تطبيقياً من حياته ﷺ دال على شدة حيائه[٣]. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بُنِيَ عَلَى النبيِّ ﷺ بزينبَ بنتِ جحشٍ بخبزٍ ولحمٍ، فأُرسلتُ عَلَى الطعام داعياً، فَيَجيء قوم فيأكلونَ ويَخرجون ثم يَجيء قومٌ فيأكلونَ ويخرجون، فدَعَوتُ حتى ما أجد أحداً أدعو، فقلتُ: يا نبيَّ الله ما أجدُ أحداً أدعوه، فقال: فارفعوا طعامَكم. وبقيَ ثلاثة رَهطٍ يَتحدَّثونَ في البيت، فخرجَ النبيُّ ﷺ فانطَلَق إلى حُجرةِ عائشةَ فقال: السلام عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ الله، فقالت: وعليكَ السلامُ ورحمةُ الله، كَيفَ وَجدتَ أهلك، باركَ اللهُ لك. فتَقرَّى النبيُّ ﷺ حُجَرَ نسائِهِ كلِّهن، يقول لهنَّ كما يقول لعائشةَ، ويَقُلنَ له كما قالت عائشة. ثم رجعَ النبيُّ ﷺ فإذا ثلاثةٌ من رهط في البيتِ يتحدَّثون -وكان النبيُّ ﷺ شديدَ الحياء- فخرجَ مُنْطَلِقاً نحوَ حجرةِ عائشةَ، فما أدري آخْبَرْته أو أُخبِرَ أنَّ القوم خرجوا، فرجعَ حتى إذا وضعَ رِجلَه في أُسْكُفَّةِ الباب داخلةً وأُخرى خارجةً أرخى السترَ بيني وبينَه، وأنزِلت آية الحجاب))[٤].

وذلك من دلائل حيائه وكريم أخلاقه، فلقد كان ﷺ لطيف العشرة رقيق الظاهر، رقيق الإحساس، لطيف المشاعر، وذلك من عظم خلقه، وحسن عشيرته، وأدبه مع أصناف الخلق، وذلك مما انتشرت به الأخبار الصحاح[٥].

ثالثاً- من صفات الداعية: الحياء:

إن هناك صفات بارزة يحتاجها الداعية دائماً، وبغيرها يصبح من المتعذر عليه

---

(١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عنز ص ٩٢، ١٠٣.

(٢) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٧٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٨٠٨/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٩٣، ومسلم ١٤٢٨

(٥) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٦.

النجاح في دعوة الناس، ومن أهمها الحياء الذي يمنع صاحبه من الميل عن الطريق المستقيم[١]. ولذا بين النبي ﷺ أن في الحياء إبعادًا عن كل شر، وإتيانًا بكل خير، فجاء في الحديث "الحياء لا يأتي إلا بخير" ولا يراد بالحياء هنا الجبن والخور، وإنما يراد الحياء بمعانيه الفاضلة، فهو امتثال لأوامر الله، والكف عن زواجره، والكف عن أذى الناس وترك المجاهرة بالقبيح، والحياء من النفس، وذلك بالعفة وصيانة الخلوات[٢]، فإذا لم يتجمل الداعية بالأخلاق الحميدة، ومنها الحياء، كان أصرف ما يكون للناس عن دعوته.

رابعاً- من آداب المدعو: التخلق بالحياء:

إن في بيان النبي ﷺ لفضل الحياء وأثره الإيجابي دعوة إلى التخلق والتحلي بهذا الأدب الرفيع، فقال ﷺ "الحياء لا يأتي إلا بخير" فإنه يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، قال ابن رجب الحنبلي: إن الحياء الممدوح في كلام النبي ﷺ إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح، فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله، أو حقوق عباده، فليس هو من الحياء، إنما هو ضعف وخَوَر، وعجز ومهانة[٣].

أما الحياء بمعناه المحمود فإنه أصل لكل خير، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها، وأعظمها وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وصورتهما الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقر الضيف، ولم يُوف بالوعد ولم تُؤَدَّ أمانة، ولم تُقْضَ لأحد حاجة، ولا تحرّى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤد شيئاً من الأمور المفترضة عليه ولم يرع لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا بر له

---

(١) المصفى من أخلاق الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٢٦، ١٠٤

(٢) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١٢، ٢١٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٥٠٢/١.

والداً، فإن الباعث على هذه الأفعال، إما ديني وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيوي علويٌ وهو حياء فاعلها من الخلق، فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق، أومن الخلائق، لم يفعلها صاحبها[1].

وبالجملة فإن الاستحياء من الله ومن عباده، يؤدي إلى حياة القلب بنور الإيمان وابتعاده عن مزاولة المخالفة ومحاولة العصيان، وهو من الحياء لشدة علمه بمواقع الغيب، والحياء من قوة الحس ولطفه وقوة الحياة، ولا يطعن في كون الحياء كله خير امتناع بعض أصحاب الحياء من مواجهة من يستحي منه بالحق، أو الإخلال ببعض الحقوق، لأن ذلك ليس من الحياء الحقيقي، فالحياء الحقيقي خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ونحو ذلك، وما خرج عن ذلك حياء صوري ليس من الدين، فالحياء يقاس بنتائجه وموافقته للشرع، ويقاس أيضاً ببواعثه وأسبابه[2].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

جاء الإسلام وكثير من الناس لا يستحيون من أقوالهم وأفعالهم، بل تباروا في بعض أشعارهم بمستهجن الكلام، ولما كانت الأخلاق الفاضلة من غايات الإسلام، فقد حرص الإسلام على ضبط الأقوال والأفعال بكثير من النصوص الصادرة في القرآن والسنة، حتى أتت ثمارها بحق المسلمين. وكان الحياء من الله، كما أمر بحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى. وكان الحياء من الناس بأن لا يكشف الإنسان من جسده ما يسوء كشفه، وأن لا ينطق بما يؤذي سمعهم، وأن لا يتصرف بما يحرج مشاعرهم.

إن الحياء من النفس بأن لا ينظر الإنسان إلى ما لا فائدة من النظر إليه، كالتأمل في العورة أو مشاهدة مثيلاتها في المرائي، وبعض الناس لا يقبل هذا الخلق من ذويه، لاعتقاده أن الحياء قد يضيع الحقوق ويفقد الشخصية شيئاً من قوتها، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- غرس قيمة الحياء:

من أبرز القيم الأخلاقية التربوية قيمة الحياء لما يتركه من آثار إيجابية في نفس المتربي، ولما له من أثر في سلوكيات الإنسان وتصرفاته وأعماله، وعند النظر إلى عنوان الباب والأحاديث التي اندرجت تحته يتبين لنا مدى أهمية خلق الحياء، ولقد حرص الإسلام على اتصاف أتباعه به، وغرسه في نفوس الناشئة والمتربين، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذه المعاني قوله ﷺ: ".....فإن الحياء من الإيمان"، وقوله ﷺ: "الحياء لا يأتي إلا بخير"، وفي رواية: "الحياء خير كله"، وفي أخرى: "الحياء كله خير"، وقوله ﷺ: "....والحياء شعبة من الإيمان".

ونلمس في هذه النصوص النبوية التلاحم والتمازج بين الحياء والإيمان، والحياء والخير فهو من الإيمان، ومن شُعَبه، وهو جالب للخير، وهو خير كله، وكله خير.

"إن خلق الحياء إذا غرس في النفس، ونمت عروقه فيها ازداد رونقُها صفاءً ونفض على ظاهر صاحبه مآثر خيرات حسان، وإذا انتزع من شخص فَقَدْ فَقَدَ المروءة، وتَكَل

الديانة التي هي الجناح المُبَلِّغُ لكل كمال؛ ذلك أن الحياء خلق يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح وهو عبارة عن انقباض النفس عما تُذَم عليه، وثمرته ارتداعها عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، فإذا تمزق ستر هذه الفضيلة بغلبة الشهوة على النفس اختلت هيئة الإنسان بالضرورة وبقي صاحبها سائمًا في مراتع البغي والفسوق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ولئن كان الحياء جِبِلِّيًا فإنه يزيد، ويتأتى بالأخذ بالأسباب، والتي منها مطالعة أخلاق الكمَّل، واستحضار مراقبة الله، فمن ذلك يتولد الحياء، فإذا اتصف المرء بالحياء قرب من الكمال، ونأى بنفسه عن النقائص" (١).

والحياء هو الخلق الحسن الذي يدعو صاحبه إلى الحسن من الفعل أو القول ويحثه على اجتناب كل قبيح.

"إن التحلي بالحياء من أهم أسباب الفلاح ومن أجلِّ وسائل السعادة والصلاح في الدين والدنيا، وما انفكت هذه الخليقة الفاضلة مبدأً سلوكيًا ساميًا، وقاعدة أخلاقية في تربية الإنسان وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق منذ بدء الحياة البشرية، وكذلك كان الحياء خلق الإسلام ومنطلق القيم التربوية للأفراد والجماعات التي تحفظ للفرد حياته وتصون عرضه، وتقيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على مبادئ الاحترام المتبادل وشيوع الأمن ونصب موازين العدالة وغير ذلك الكثير من مكارم السلوك والأخلاق، ولهذا سعدت بالخير كل الأقوام المؤمنة بالقيم الفاضلة والمثل العليا والتي على رأسها الحياء" (٢).

ثانيًا: التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، فالمربي الناجح لا يترك موقفًا ولا حدثًا إلا وبث من خلاله درسًا تربويًا، وقيمة خلقية، ومن أحاديث الباب التي تدلل على التربية بالمواقف والأحداث حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارَ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: دَعْهُ فإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٤٧٢.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٧٥/٢٥، ٧٦.

الإيمانِ». والرسول ﷺ جعل من هذا الموقف درسًا تربويًا، وإرشادًا نبويًا ببيان أن الحياء من الإيمان.

"وأسلوب الأحداث الجارية من الأساليب التربوية حيث يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم، وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدَىً بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها- باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة العملية:

تعتبر الممارسة العملية من أساليب التربية المهمة حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يريد أن يؤصله ويغرسه في نفوس المتربين، وهذا أدعى لهم إلى الاستجابة، والتنفيذ الفعلي، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ».

فمن خلال الممارسة العملية للحياء لاحظ الصحابة رضي الله عنهم خلق الحياء في وجه الرسول ﷺ مما يظهر على سبحات وجهه من تغيرات.

"إن نظريةً مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر، وإن تعليمًا مهمًا يكن رائعًا ويقع من الناس موقع الإعجاب، وإن هدايةً مهما تجمع من صنوف الخير كل أولئك لا يغني غناءً، ولا يثمر ثمرة ولا يبقى على الدهر إلا إذا كان له من يمثله بعمله، ويدعو إليه بأخلاقه وفضائله، ويعرفه إلى الناس بالقدوة والأسوة، فيقتدي الناس بدعاته عن طريق

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

العمل بعد العلم، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة، معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم، وزكاء نفوسهم ونظافة أخلاقهم ورجاحة عقولهم وحصافة آرائهم وسداد أفكارهم"[1].

رابعًا: من الأساليب التربوية: الإلقاء والحركات المعبِّرة:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية منها:

أ- الإلقاء: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ)).

والإلقاء يستخدم في عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان مناسبًا مع الطلاب الذين لديهم القدرة الكبيرة على الاستيعاب كطلاب المرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

ب- الحركات المعبِّرة: كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراء في خِدرِها، فإذا رأى شيئًا يكرهُه عرفناه في وجهه)).

والمعلم الناجح الذي يمزج بين الأساليب التربوية المختلفة لينجح في تعليم الطلاب وتحقيقهم للمراد من تعليمهم.

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٦٥.

٨٥- باب حفظ السر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[الإسراء: ٣٤].

الحديث رقم (٦٨٥)

٦٨٥- وعن أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يفضي إلى المرأة: يجامعها[2].

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد دون توقع تكذيب تشير إلى خطر ما بعدها، وضرورة التنبه له، وتوفير العناية اللازمة عليه، ثم التعبير بأفعل التفضيل الدالة بصيغتها على بلوغ قمة أحد الطرفين ارتفاعا، أو انخفاضا في الوصف، ثم دلالة الفعل على الشر الذي يبث شعور القلق في النفس، والذي يجعل المخاطبين في ترقب لما تسفر عنه الصيغة، وإضافتها للناس تعطيها بعداً إيحائيا بالتضخم، والاتساع في حجم محتواها من هذا الشر مما يوقع الرهبة في النفوس زادها الظرف عند المضاف لله تهويلا لصعوبة لقاء الله بكل هذا الشر، كما أن تقييدها بيوم القيامة يمزج العذاب المعنوي بلقاء الله بهذه الشرور، بالعذاب الجسدي في مواقف القيامة، وقوله (يفضي إلى امرأته وتفضي إليه)

---

(١) برقم ١٤٣٧/١٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٩٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ض ي).

كناية عن الجماع بقضاء الرجل شهوته من امرأته، وقضاء المرأة شهوتها منه، وقوله (ثم ينشرها) وهذا موضع الخطأ، وكم هدم هذا الخطأ من بيوت، وتسبب في فساد حال الزوجين بإطلاع الناس على حالهم !!

فقه الحديث

تحريم إفشاء سر المرأة:

قال النووي: (في هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين امرأته من أمور الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجري من المرأة فيه من قولٍ أو فعل ونحوه. فأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وقد قال ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيراً أو ليَصمُت))[1] وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع، أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره، كما قال ﷺ: ((إِنِّي لأَفْعَلُ ذٰلِكَ، أَنَا وَهٰذِهِ، ثُمَّ نَغْتَسِلُ))[2] وقال ﷺ لأبي طلحة: ((أَعَرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟))[3] وقال لجابر: ((إِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ! الْكَيْسَ!))[4])[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية.

ثالثاً: من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٢) أخرجه مسلم ٣٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤٧٠، ومسلم ٢١٤٤، ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٤٦، ومسلم ٧١٥، ٥٧، بعد الحديث ١٤٦٦. قال النووي: قال ابن الأعرابي: الكيس الجماع والكيس العقل، والمراد حثه على ابتغاء الولد، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/٨.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

١- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فقد أكد النبي ﷺ كلامه بأن الرجل الذي يفضي بسر زوجته، هو شر الناس منزلة. ومما لا شك فيه أن أسلوب التوكيد من أساليب الدعوة النافعة، حيث يبين للمدعو أهمية وخطورة الشيء والأمر المؤكد، ويدلل على مدى صدق الداعية فيما يقول بدليل تأكيده، مما يزيد من اقتناع المدعو، وهذا ما ظهر في تأكيد النبي ﷺ على كونه أشر الناس، ومن الشواهدعلى التوكيد ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2].

٢- **الترهيب:** حيث جاء في الحديث "إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فهذا ترهيب صدر من النبي ﷺ ظهر فيه خطورة إفشاء العلاقة الزوجية، لأنه بهذا يكون في شر المنازل عند الله يوم القيامة، وفي هذا ردع لمن يفعل ذلك. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تحذر المدعو وتخوفه من الوقوع في المخالفات الشرعية، "والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها، وانحرافها عن الصراط المستقيم لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب"[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[4]. وقوله جل شأنه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

(٢) سورة الدخان، آية: ٤٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ٥١٥.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٥) سورة عبس، الآيات: ٤٠-٤٢.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان خطورة إفشاء أسرار العلاقة الزوجية:

إن الإسلام يحث على كتمان الأسرار، وأخص الأسرار التي يطلب حفظها أسرار العلاقة الزوجية، ولذا حذر الحديث من إفشائها، فقد جاء فيه «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». قال النووي: وفي هذا الحديث تحريم إفشاء الرجل ما يجرى بينه وبين امرأته من أمر الاستمتاع، ووصف تفاصيل ذلك، وما يجرى من المرأة فيه من قول أو فعل ونحوه، وأما مجرد ذكر الجماع، فإن لم تكن فيه فائدة ولا إليه حاجة فمكروه، لأنه خلاف المروءة، وإن كان إليه حاجة أو ترتب عليه فائدة بأن ينكر عليه إعراضه عنها، أو تدعى عليه العجز عن الجماع أو نحو ذلك، فلا كراهة في ذكره"[(١)].

وقال الأبي الوشتاني: (وقد ورد في النهي عن إفشاء ما يحصل بينهما أحاديث كثيرة ووعيد شديد، لأنه يعد كشفاً للعورة، إذ لا فرق بين كشفها بالنظر أو الوصف. وأما مجرد ذكر المجامعة والخبر عنها على الجملة فليس بمنكر إذا دعت إلى ذكره ضرورة كقوله: "إني لأفعله أنا وهذه"، وكقوله "هل عرستم" وأما لغير ضرورة فالتحدث عنه ليس من مكارم الأخلاق، ولا حديث أهل المروءة)[(٢)].

وقال ابن علان: (ومعنى ينشر سرها، أى بذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، والحديث يقتضي كون فعل ذلك كبيرة للوعيد المذكور فيه)[(٣)].

وقال د. الحسيني هاشم: (أكثر الناس انحطاطاً في المنازل، وانحداراً في الدرجات يوم القيامة، من يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدمات، وما يحدث من امرأته من قول أو فعل، فضلاً عن انحطاط منزلته في الدنيا وضياع كرامته. وفي الحديث: الحفاظ على أسرار البيوت، ووجوب التحفظ في الحديث، وحرمة نشر الأسرار الزوجية بدون داع شرعي)[(٤)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٩٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٩/٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤١٥، ٤١٦.

وقال ابن عثيمين: (وعندما ينشر سرها، أو تنشر سره، فالغائب كأنه يشاهد، وكل هذا حرام ولا يحل، فالواجب أن الأمور السرية في البيوت وفي الفرش وغيرها تحفظ، وألا يطلع عليها أحد أبداً، فإن من حفظ سر أخيه حفظ الله سره، فالجزاء من جنس العمل)[١]، وإفشاء السر من الخيانة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٢].

وقد جعل النبي ﷺ هذا الأمر من أعظم الأمانات التي ينبغي أن يحافظ عليها الزوج فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))[٣].

قال السفاريني: (إفشاء السر نشره وإذاعته بين الناس، والسر هو ما يكتم في النفس كالسريرة، ويحرم على كل مكلف إفشاء السر، قال: ولعله يحرم حيث أمر بكتمه دلّت قرينة على ضرورة كتمانه، أو كان مما يكتب عادة، وقيل الذي يحرم هو إفشاء السر المضر)[٤].

قال الغزالي: (وإفشاء السر منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، وهو حرام إذا كان فيه إضرار، وهو من قبيل اللؤم إن لم يكن فيه إضرار. قال الحسن رضي الله عنه إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروي أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال عتبة لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثاً وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سرَّه كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وابنه؟ فقال: لا والله يابني ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر، قال:

---

(١) المرجع السابق ٩٨٦/٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٤٣٧.

(٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ١١٥/١، نقلاً عن موسوعة نظرة النعيم، ٣٩٤٦/٩.

فأتيت معاوية فأخبرته، فقال: ياوليد أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإفشاء السر خيانة)[١].

ثالثاً- من آداب الداعية: استخدام الألفاظ العفيفة:

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش من أجل أن يظل المجتمع نظيفاً، ومن ثم كان من واجبات الداعية استخدام الألفاظ العفيفة، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث " الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ" حيث كنى ﷺ عن الجماع بالإفضاء، وهذا تعليم للدعاة أن يستخدموا الألفاظ العفيفة التي لا تجرح في الدعوة، وهذا أسلوب قرآني، حيث عبر القرآن عن حالة الجماع بقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[٢].

قال القاسمي: (والرفث أصله: قول الفحش، وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه كما كنى عنه في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ... ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ... ﴾[٤]، فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجاناً لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختياناً لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. قال الراغب: وجعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء، كما أن اللباس ستر يمنع أن يبدو منه السوأة، وعلى ذلك كنى عن المرأة بالإزار، وسمي النكاح حصناً لكونه حصناً لذويه عن تعاطي القبيح)[٥].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ١٣٢/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٥) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١١١/٣، ١١٢.

(إن الداعية الناجح يراعي الألفاظ العفيفة في عرض دعوته حتى لا يخدش الحياء، ولا يجرح المشاعر، لقد عبر المولى جل وعلا عن المباشرة الجنسية التي تكون بين الزوجين بتعبير سام لطيف، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء، فقال سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1]، فالتعبير على طريقة الاستعارة، والمراد اشتمال بعضهم على بعض لما تشتمل الملابس على الأجسام)[2].

وقال النووي: (والمستحب في قبيح الأسماء الكناية، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض، ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن، ولا يستعمل صريح الاسم إلا لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس، أو الاشتراك، أو نفي المجاز أو نحو ذلك)[3].

إن الإسلام لا يحب الفحش ولا التفحش وقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: ((لم يَكنِ النبيُّ ﷺ فاحِشاً ولا مُتفحِّشاً، وكان يقول: ((إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقاً))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) تفسير آيات الأحكام، محمد على الصابوني، ١٩٩/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

الحديث رقم (٦٨٦)

٦٨٦- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ رضي الله عنه حِينَ تأيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، فقلتُ: إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَأنْكَحْتُهَا إيَّاهُ. فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟ فقلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أنْ أرْجِعَ إلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إلاَّ أنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَهَا، فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاريُّ[(١)].

قوله: "تَأيَّمتْ" أي: صارت بلا زوج، وكان زوجها توفي رضي الله عنه. "وَجَدْتَ": غضبت.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تأيَّمت: صارت بلا زوج وكان زوجها توفي رضي الله عنه[(٢)].

أَوْجد: أغضب[(٣)].

وَجَدْت: غضبت[(٤)].

لأفشي: لأنشر[(٥)].

---

(١) برقم ٤٠٠٥، والسياق للحميدي في جمعه ٨٨/١، رقم ٧.

(٢) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٣) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٤) رياض الصالحين ٢٩٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش ي).

الشرح الأدبي

الحديث من باب بيان جواز عرض الرجل ابنته، أو أخته على أهل الخير، والصلاح، ولا نقص فيه، وقوله (حِيْنَ تأيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ) الأيم بتشديد الياء هي التي مات زوجها أو طلقها وقيل من لا زوج لها ولو كانت بكرا، فقوله) تأيمت حفصة) أي مات زوجها (فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ) كناية عن طلبه الزواج بها، والذي فسره بالجملة الشرطية بعده (إنْ شِئْتَ أنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بنْتَ عُمَرَ) أي إن شئت الزواج أنكحتك) ففيه إيجاز بالحذف، والتعبير بالجملة الشرطية لأنها تجعل المخاطب حر الاختيار، فكان رد عثمان رضي الله عنه (سأنْظُرُ فِي أمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أنْ لاَ أتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا) وقوله (قد بدا لي) يشعرك بنور الله في قلوبهم الذي يضيء اختيارهم فيجري على وفق ما يرضي الله، ورسوله ﷺ وقوله في رد أبي بكر (فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيَّ شَيْئاً!) بعد قوله ((فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه) يفيد المبالغة في توكيد عدم الرد لا بقول، ولا بإشارة، ولا بدلالة حال مما يوحي بالإهمال، وعدم العناية، وقول عمر رضي الله عنه (فَكُنْتُ عَلَيْهِ أوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ) الموجدة الضيق، والغضب، وإنما كان أوجد على أبي بكر رضي الله عنه أي أشد غضبا منه على عثمان، وذلك لأمرين أحدهما: ما كان بينهما من محبة أكيدة، والثاني: أن عثمان رضي الله عنه أجابه أولا، ثم اعتذر له ثانيا، ولكون أبي بكر رضي الله عنه لم يعد عليه جوابا، وقول أبي بكر رضي الله عنه (: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شَيْئاً؟) استفهام بغرض التلطف، والاعتذار لعمر رضي الله عنه بسبب طريقة الرد التي أشعرت بعدم العناية، وقول أبي بكر رضي الله عنه (فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ) يكشف عن علة الرد، وعن طريقته التي أغضبت عمر رضي الله عنه حتى يرضى، وقوله (وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا) أسلوب شرط أي لو حصل ترك من الرسول ﷺ لحدث قبول مني، وهذا يدلل على أنه لم يرفضها لشخصها، وإنما لعلمه بنية رسول ﷺ تجاهها.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-عرض الرجل أخته أو ابنته على من يرجى صلاحه: ذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يجوز للولي عرض ابنته أو أخته أو غيرهما من مولياته، على من يعتقد خيره، وصلاحه[١].

٢-حكم الزواج بمن عرَّض بخطبتها النبي ﷺ: يجوز التزوّج بمن عرض النبي ﷺ بخطبتها، أو أرد أن يتزوجها، لقول الصديق: لو تركها لقبلتها[٢].

٣-حكم كتمان السر: يستحب كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه، ارتفع الحرج عمن سمعه[٣].

٤-متى يحنث من حلف لا يفشي سراً؟ من حلف لا يفشي سر فلان، فأفشى فلان سر نفسه، ثم تحدث به الحالف، لا يحنث، لأن صاحب السر هو الذي أفشاه، فلم يكن الإفشاء من قبل الحالف، بخلاف ما لو حدث رجل آخر بشيء، واستحلفه ليكتمه، فلقيه ثالث فذكر له أن صاحب الحديث حدثه بمثل ما حدثه به، فأظهر التعجب، وقال: ما ظننت أنه حدث بذلك غيري! فإنه يحنث، لأن تحليفه وقع على أنه يكتم أنه حدثه، وقد أفشاه[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج أو مصاهرة ذوي الإيمان والفضل.

ثالثاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

رابعاً: من آداب الداعية: تطييب النفوس.

---

(١) إعانة الطالبين ٣/٣١٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥/٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١١٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

إن الصحابة الكرام لهم فضل عظيم ومنزلة رفيعة بما قدموا من تضحيات في سبيل الله ونشر الإسلام، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويتضح هذا من الحديث من قول عمر رضي الله عنه: لقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه: لقيت أبا بكر رضي الله عنه: ولا شك أن لهم المنزلة الرفيعة والمكانة السامية السامقة، فهم من العشرة المبشرين بالجنة، فأما أبو بكر رضي الله عنه فهو الذي نال شرف الصحبة، وفيه جاء قول الله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾[1].

قال الإمام الذهبي: (هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبدالله ويقال: عتيق روى عنه خلق من الصحابة وقدماء التابعين، وكان أول من آمن من الرجال، وكان أعلم قريش بأنسابها، وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه يا رسول الله أى الرجال أحب إليك؟ قال أبو بكر: وقال ابن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"[2]، وعن ابن عمر أن النبي قال لأبي بكر: أنت صاحبى على الحوض وصاحبي في الغار)[3]، وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ))[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ اللَّهَ بَعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكرٍ: صدقَ، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تارِكو لي صاحبي؟ (مرَّتين). فما أوذيَ بعدَها))[5].

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فهو ثاني الخلفاء الراشدين، قال ابن حجر: هو

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٣٤/١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٥٤، ومسلم ٢٣٨٢.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦١

أبو حفص أمير المؤمنين، كان إسلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهم من الضيق، قال عبدالله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر، ودعا رسول الله ﷺ فقال: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب"، وفي رواية عن عبدالله بن مسعود: أن الرسول ﷺ قال: "اللهم أيد المسلمين بعمر، وفي رواية: "اللهم اشدد الدين بعمر"[1].

وفي فضله رضي الله عنه جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إيهاً يا ابنَ الخطّاب، والذي نفسي بيده، ما لقيَكَ الشيطانُ سالكاً فجّاً قطُّ إلاّ سَلَكَ فجّاً غيرَ فجِّك»[2]. وجاء في الحديث أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما رأيتُ أحداً قطُّ بعدَ رسولِ الله ﷺ من حين قُبضَ كان أجدَّ وأجودَ - حتى انتهى - من عمر بن الخطّاب»[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لقد كان فيما قبلَكم منَ الأمم محدَّثون، فإن يكُن في أمتي أحدٌ فإنه عمر))[4].

وأما عثمان رضي الله عنه، فهو ثالث الخلفاء الراشدين، قال ابن عبدالبر: (ولد عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة بعد الفيل، وهاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وبايع رسولُ الله عن عثمانَ في صلح الحديبية، قال ابن عمر: يد رسول الله ﷺ لعثمان، خير من يد عثمان لنفسه، زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته رقية ثم أم كلثوم واحدة بعد واحدة، وقال لو كان عندي غيرهما لزوجتكها، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «سألت ربي عز وجل أن لا يدخل النار أحداً صاهر إليَّ أو صاهرت إليه، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفى وهو عنهم راض، وهو الذي جهز جيش العسرة بتسعمائة

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٨٣، ومسلم ٢٣٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٨٧

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٩

وخمسين بعيراً))[١]. وجاء في الحديث عن عبدان أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ، وقال مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ))[٢].

وجاء في فضل الثلاثة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: ((اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان))[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في تزويج أو مصاهرة ذوي الإيمان والفضل:

إن معيار الشخصية السوية ليس المال أو الجاه، إنما هو الدين والخلق، ومن ثم رغب الإسلام في تزويج ومصاهرة أهل الإيمان والفضل، لما في ذلك من الخير لكلا الطرفين، ومما يدل على هذا ما جاء في سياق الحديث، حيث عرض عمر رضي الله عنه تزويج ابنته على أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما وهما بلا شك من أهل الإيمان والفضل، قال ابن حجر: "وفي الحديث عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه، لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجا، لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجا"[٤]، وعن ثابت البناني، قال: «كنتُ عندَ أنسٍ وعندهُ ابنةٌ له، قال أنس: جاءتِ امرأةٌ إلى رسولِ الله ﷺ تعرضُ عليه نفسَها قالت: يا رسولَ الله ألَك بي حاجة؟ فقالت بنتُ أنسٍ: ما أقلَّ حياءها، واسوأتَاهُ. قال: هيَ خيرٌ منكِ، رَغِبت في النبيِّ ﷺ فعرَضت عليهِ نفسَها»[٥].

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٤٤.

(٢) أخرجه البخاري معلقاً، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، مقدمة باب مناقب عثمان رضي الله عنه، قبل حديث رقم ٣٦٩٥، وانظر: حديث رقم ٢٧٧٨، قال ابن حجر: وقد وصله الدار قطني والاسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بتمامة، ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق عن أبي سلمة عن عثمان، أخرجه النسائي أيضاً، وتابعه أبو قطن عن يونس أخرجه أحمد قلت: وتفرد عثمان والد عبدان لا يضره فإنه ثقة. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/٥..

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٢٠.

وزوَّج رسول الله رجلاً بما معه من القرآن، فعن سهل بن سعد: ((أنَّ امرأةً عرضت نفسها على النبيِّ ﷺ فقال له رجل: يارسولَ الله زوِّجنيها. فقال: ماعندكَ؟ فقال: ماعندي شيء قال: اذهب فالتمِس ولو خاتماً من حديد. فذهب، ثم رجعَ فقال: لا واللهِ ماوَجدتُ شيئاً ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري ولها نِصفُهُ. قالَ سَهل: وماله رداء. فقال النبيُّ ﷺ: وماتَصنعُ بإزارك؟ إن لبستَهُ لم يَكن عليها منه شيء، وإن لبستْه لم يكن عليكَ منه شيء. فجَلَس الرجل حتى إذا طالَ مَجلسه قام، فرآهُ النبيُّ ﷺ فدَعاهُ - أو دُعِيَ له - فقال له: ماذا معكَ من القرآن؟ فقال معي سورة كذا وسورةُ كذا - لسُوَرٍ يُعدِّدُها - فقال النبيُّ ﷺ: أملكْناكها بما معكَ منَ القرآن))[1].

قال عبدالله ناصح علوان: (لقد أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة أن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق. ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة، وأداء حقوق الزوجية وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق. وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل، أو زوج ملحد لا يرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً؟ وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، لا يقيم لمبادئ الفضيلة أية قيمة، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار؟ إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة، وللأولاد تربيتهم الإسلامية الفاضلة، وللأسرة شرفها الثابت، واستقرارها المنشود)[2].

إن اختيار الزوج الصالح وتزويجه يحقق السعادة والاستقرار للأسرة، ومن أجل هذا جاء في توجيهات النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذَا خَطَبَ إلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ، فَزَوِّجُوهُ. إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرْضِ وفَسَادٌ عرِيضٌ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣١٠ - ٥١٢١، ومسلم ١٤٢٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام ١/٣٥، ٣٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٠٨٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٨٦٥).

ثالثاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من الأخلاق العظيمة، والخلال الحميدة التي يرغب فيها الإسلام، حفظ السر وكتمانه، وعدم إذاعته ونشره، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ". ولا شك أن هذا يدل أن من آداب المدعو أن يحفظ السر، قال ابن حجر: (وفي الحديث فضل كتمان السر، فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج عمن سمعه)[1].

قال الجاحظ: (ومن الأخلاق المحمودة كتمان السر، وهذا الخلق مركب من الوقار، وأداء الأمانة، فإن إخراج السر من فضول الكلام، وليس بوقور من تكلم بالفضول، وكتمان السر محمود من جميع الناس، وخاصة ممن يصحب السلطان، فإن إخراجه أسراره مع أنه قبيح في نفسه، يؤدي إلى ضرر عظيم يدخل عليه من سلطانه)[2].

وقال الماوردي: (اعلم أن كتمان الأسرار، من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سرُّك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره. وقال بعض الحكماء لابنه: يابني كن جواداً بالمال في موضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر. وقال بعض الأدباء: من كتم سره، كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. وقال بعض الشعراء:

لاَ تُفْشِ سِرَّكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ... فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا
فَإِنِي رَأَيْتُ وُشَاةَ الرِجَالِ ... لاَ يَدَعُونَ أَدِيماً صَحِيحا

وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتمه كان من سطوته آمناً، وفي عواقبه سالماً، ولنجاح حوائجه راجياً)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) تهذيب الأخلاق، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٢٠٤/٨.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٩٥.

رابعاً- من آداب الداعية: تطييب النفوس:

حيث جاء في الحديث: "لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئاً".

قال ابن حجر: (وفي الحديث عتاب الرجل لأخيه، وعتبه عليه واعتذاره إليه، وقد جبلت الطبائع البشرية على ذلك)[1].

ومما لا شك فيه أن من أهم آداب الداعية تطييب النفوس، لكي يجمع إليه القلوب والأفئدة، ويقبل عليه الناس وعلى موعظته ودعوته.

"إن من أعظم معايير نجاح الداعية في دعوته أن تجتمع عليه القلوب بالحب والمودة، وهذا يستلزم أن يكون لديه فقه في التعامل مع النفوس، ومعرفة دوافعها ومؤثراتها، فعليه أن يتحرى في اتخاذ المواقف، وأن يتدارك الهواجس والوساوس قبل أن تكون حقائق مسلمة، وأن يعالج الظنون والأوهام قبل أن تتمكن من النفس، وتوغر الصدر، وينفث الشيطان فيها سمه، فتستعصى على التدارك"[2].

إن تطييب خاطر المدعو له، مفعول السحر في نفسه، والداعية الذي يهتم بهذا الجانب إنما يضمن لدعوته قدراً كبيراً من النجاح.

(إن الداعية الناجح شخصية متميزة، فهو كالمنارة الهادية من بعد لمن ضل أو حار، وهو كالظل الوارف لمن لفحه حر الشمس والمسير في الهجير، وبالتالي فهو نقطة تجمع بالنسبة للمدعوين. فإن الناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم وفي حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم، ولا يعنتهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية، والعطف والسماحة، والود والرضاء)[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٩.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ، في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ١٣٢-١٣٣.

(٣) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٠٠.

الحديث رقم (٦٨٧)

٦٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّ أزْوَاجُ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً، فَلَمَّا رآهَا رَحَّبَ بِهَا، وقال: ((مَرْحَباً بابْنَتِي))، ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بالسِّرَارِ، ثُمَّ أنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسولُ الله ﷺ سَألْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسول الله ﷺ؟ فقالتْ: أمَّا الآن فَنَعَمْ، أمَّا حِينَ سَارَّنِي في المَرَّةِ الأُولَى فأخْبَرَنِي أنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ في كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ، وَأنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإنِّي لا أرَى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأيْتِ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: ((يَا فَاطِمَةُ، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟)) فَضَحِكتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأيْتِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سارَّها: ألقى إليها سرًّا[2].

جزعها: حزنها وخوفها[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٥، ٦٥٨٦، ومسلم ٢٤٥٠/٩٨ واللفظ له.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ر).

(٣) المرجع السابق في (ج ز ع).

السرار: ما يُكتم من الأمور[١].

أفشي: أنشر[٢].

عزمت عليك: أقسمت عليك[٣].

يعارضه القرآن: يدارسه القرآن، من المعارضة بمعنى المقابلة[٤].

السلف: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته[٥].

الشرح الأدبي

محبة النبي ﷺ للناس عامة محبة لا تساويها محبة، ومحبته لآل بيته ذات خصوصية، ومحبته لفاطمة رضي الله عنها أكثر خصوصية عكستها ألفاظ، وعبارات الحديث التي تفيض بالمشاعر النبيلة (رحب بها - مَرْحَباً بابْنَتِي - ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ- ثُمَّ سَارَّهَا) وقول الراوي (مَا تُخْطِئُ مِشيتُها مِنْ مشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً) كناية عن شدة الشبه بينهما، وقوله (ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكتْ بُكَاءً شَديداً، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا) البكاء كناية عن الحزن لعلمها بقرب موت النبي ﷺ والتعبير بالجزع يشير إلى شدة الحزن الذي اعتراها من الخبر، والذي احتواه بقول (سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ) والطباق بين الضحك والبكاء، ولّدت استفهامة أم المؤمنين رضي الله عنها التي ترى الموقف (مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟) وقوله (: مَا كُنْتُ لأُفْشِي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ) أسلوب نفي مؤكد يقطع أمل السائل في معرفة ما سأل عنه وقول الرسول ﷺ (وَإنِّي لا أُرَى الأجَلَ إلاَّ قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ) أكد الخبر بعدة مؤكدات وأمرها بالتقوى تصبيرا لها على فراقه لعلمه بشدة تعلقها به، ولذلك أمرها بالصبر

---

(١) انظر القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (س ر ر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ز م).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

(٥) المرجع السابق في (س ل ف).

لتتخطى هذه المصيبة الشديدة، وقول الرسول ﷺ ((يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِساءِ هذِهِ الأُمَّةِ؟)) النداء تودد، ومحبة، والاستفهام تحضيض وحث على الرضا حمل أعظم بشارة يمكن أن تحلم بها امرأة في العالمين أن تصبح سيدة نساء المؤمنين أو سَيِّدَةَ نِساءِ هذه الأمة؟، وقولها (فَضَحِكتُ ضَحِكِي) جناس يؤكد الفعل ويقرر عمليا رضاها ببشارة النبي ﷺ.

فقه الحديث

١-مسارة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: مسارة الواحد مع الواحد بحضرة الجماعة جائزة، وليس من باب نهيه ﷺ عن مناجاة الاثنين دون الواحد[١]، لأن المعنى الذي يخاف من ترك الواحد، لا يخاف من ترك الجماعة)[٢].

٢-جواز إفشاء السر إذا أمنت المضرة: قال ابن حجر: (فيه جواز إفشاء السرّ إذا زال ما يترتب على إفشائه من المضرة، لأن الأصل في السر الكتمان، وإلا فما فائدته؟)[٣].

٣-جواز العزم بغير الله، قال ابن حجر: (قال ابن التين: يستفاد من قول عائشة: "عزمت عليك بما لي عليك من الحق" جواز العزم بغير الله، قال: وفي المدونة عن مالك: إذا قال أعزم عليك بالله فلم يفعل، لم يحنث، وهو كقوله: أسألك بالله، وإن قال أعزم بالله أن تفعل فلم يفعل حنث، لأن هذا يمين. انتهى، والذي عند الشافعية أن ذلك في الصورتين يرجع إلى قصد الحالف، فإن قصد يمين نفسه فيمين، وإن قصد يمين المخاطب أو الشفاعة أو أطلق فلا)[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٨، ومسلم ٢١٨٣ عن ابن عمر { مرفوعًا: "إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث".

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٠/١١.

(٣) المرجع السابق ٨٠/١١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٠/١١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٨/٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها.

ثانياً: من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة.

ثالثاً: من واجبات الدعية: إيناس ومواساة المدعو.

رابعاً: من آداب المدعو: حفظ السر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل ومنزلة فاطمة رضي الله عنها:

إن فاطمة رضي الله عنها لها مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة، فهي بنت رسول الله ﷺ وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم الحسن والحسين رضي الله عنهما ولقد جاء في الحديث ما يدل على فضلها في قوله ﷺ: " يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة"، قال ابن علان: "ولكمال شرفها وطيب أصلها، لم يغير توقع فقدها لسيد الأحباب، استسلامها لربها، وإنما دمعت عيناها، وجزع قلبها مع الصبر على مراد مولاها سبحانه، ولا لحقها أشر ولا بطر، إذ بشرت بما بشرت به، لكمال يقينها ومزيد تمكينها"[1]، وعن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ: ((أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: فاطمةُ بضعةٌ مني، فمَن أغضَبَها أغضبَني))[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: حدثتني فاطمة قالت: أسر إلى رسول الله ﷺ فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه: إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي ونعم السلف أنا لك قالت: فبكيت، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين. فضحكت"[3].

وقال الذهبي: "فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين في زمانها مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذي القعدة أو قبيله من سنة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

اثنتين بعد وقعة بدر. وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويُسر إليها، ومناقبها غزيرة، وكانت صابرةً دينة خيرة، صينةً قانعةً شاكرةً لله. ولما تُوفي النبيُّ حزنتْ عليه، وبكته، وقالتْ: يا أَبَتَاه إلى جبريل نَنْعاه، يا أبتاه أجابَ رَبّاً دعاه، يا أبتاه جنةُ الفردوس مأواه، وقالت عائشة رضي الله عنها: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقام إليها، وقال: مرحباً يا ابنتي. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجة من فاطمة إلا أن يكون الذي ولدها"[1].

وقال ابن حجر: (فاطمة الزهراء: بنت إمام المتقين رسول الله محمد ﷺ كانت تكنى أم أبيها وتلقب بالزهراء، وكانت أصغر بنات النبي ﷺ وأحبهن إليه، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلا من فاطمة، وقال الشعبي عن جابر رضي الله عنه قال: حسبك من نساء العالمين أربع: مريم وآسية وخديجة وفاطمة وقد عاشت رضي الله عنها بعد النبي ﷺ ستة أشهر. وقال الواقدي: توفيت فاطمة رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: الصبر عند المصيبة:

إن الإنسان يتعرض في حياته لبعض المحن والشدائد، والواجب أن يلقاها بالصبر وعدم الجزع، وقد جاء في الحديث: "ثم سارها فبكت بكاءً شديداً" ومما لا شك فيه أن الصبر مأمور به في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[4]، وأخبر أن أهل الصبر هم أهل العزائم، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[5]، ووعد الصابرين بالأجر، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٠١١/٢

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٤٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥-١٥٦.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٦) سورة الزمر، آية: ١٠.

وفي الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ومَن يَتصبَّرْ يُصبِّرْهُ اللّه))[١]، وأمر بالصبر عن المصيبة فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّما الصبرُ عندَ الصَّدْمةِ الأولى))[٢].

قال ابن القيم: (الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقال أبو علي الدقاق: فاز الصابرون بعز الدارين لأنهم نالوا من الله معيته، فإن الله مع الصابرين، وقال الجريري: الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة، وحال المحنة، مع سكون الخاطر فيهما، وقال عمرو بن عثمان، هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والسعة، وسئل الجنيد عن الصبر فقال: "تجرع المرارة من غير تعبُّس")[٣].

وجاء في الدر المنثور: (قال سليمان بن عبدالملك لعمر بن عبدالعزيز عندما مات ولد سليمان: أيصبر المؤمن حتى لا يجد لمصيبته ألماً؟ قال: يا أمير المؤمنين: لا يستوي عندك ما تحب وما تكره، ولكن الصبر مُعَوَّل المؤمن. وقيل لربيعة بن عبدالرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: يكون يوم تصيبه المصيبة مثل قبل أن تصيبه)[٤].

وقال القاسمي: (اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: ما يوافق هواه، وما لا يوافقه بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن هذين النوعين، فإذاً لا يستغنى قط عن الصبر. فأما ما يوافق هواه، وهو الصحة والسلامة، والمال والجاه، وكثرة العشيرة، واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار، وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور. وأما ما لا يوافق الهوى والطبع، فمنه ما لا يرتبط باختيار العبد كالمصائب مثل موت الأعزة، وهلاك الأموال، وزوال الصحة وسائر أنواع البلاء، فالصبر على ذلك من

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦٩، ومسلم ١٠٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨٣، ومسلم ٩٢٦.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٤٢٩/٢.

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٨/١.

أعلى مقامات الصبر، ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب، ولا فيضان العين بالدمع، لأن ذلك مقتضى البشرية)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: إيناس ومواساة المدعو:

إن الداعية يشارك المدعوين فيما يعرض لهم من شدائد، ويواسيهم، ويداوي جراحهم، ويحنو عليهم، ومن هنا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: "إنه نعم السلف أنالك" وقوله: "فلما رأى جزعى سارني الثانية، فقال: "يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين".

قال ابن علان: "وهذا مسلٍ لها عن عظيم ألم توقع فراقها لسيد الأحباب، فلما كان ذلك المصاب أعظم مصاب، ناسب أن يجازى الصابرون عليه بأعظم الثواب من فضل الوهاب، وهى أفضل الأمم فتكون أفضل نساء أهل الجنة"[٢]. ولهذا كان من أهم واجبات الداعية إيناس ومواساة المدعو، ومشاركته فيما يعرض له من أمور.

قال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوى قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له، ودخلوا على بشر الحافى في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٣].

رابعاً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن الإنسان الذي يفضي له صاحبه بسر فهو مؤتمن عليه وينبغي حفظه، ولذا كان من آداب المدعو حفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث في قول فاطمة رضي الله عنها: " ما

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٣٤٦/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٢.

(٣) الفوائد ٢٢٤.

كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره"، ولا شك أن حفظ السر مأمور به.

قال د. الحسيني هاشم: "لم تفشِ فاطمة سر الرسول ﷺ لأقرب الناس إليه وهي زوجته، فلما انتهى أمد السر، وتحقق ما أخبرها به بيَّنت ذلك، لما فيه من الحب الأبوي الكريم، والعلاقة الحميمة بينها وبين أبيها صلوات الله وسلامه عليه"[1].

ولقد كان ديدن الصحابة دائماً حفظ سر رسول الله ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَتَىٰ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَبَعَثَنِي إِلَىٰ حَاجَةٍ. فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لاَ تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ أَحَداً. قَالَ أَنَسٌ: وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَداً لَحَدَّثْتُكَ، يَا ثَابِتُ»[2]. وفي رواية عن أنس أيضاً قال: «أسر إليَّ نبي الله ﷺ فما أخبرت به أحداً بعد، ولقد سألتني عنه أم سليم فما أخبرتها به»[3].

قال ابن مفلح: "قال أكثم بن صيفي: إن سرَّك من دمك فانظر أين تريقه، وقال الشاعر:

وَسِرُّك مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ ... وَسِرُّ الثَّلاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سراً فأفشاه فلمته، لأني كنت أضيق صدراً منه حيث، استودعته إياه، وإلى هذا ذهب القائل:

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرٍّ ... فَصَدْرُ الَّذِي يَسْتَوْدِعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

وكان يقال: لا تطلعوا النساء على سرِّكم، يصلح لكم أمركم. وكان يقال: كل شيء تكتمه عن عدوك، فلا تظهر عليه صديقك. وقال الشاعر:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُك عَنْ حَدِيثٍ ... فَأَفْشَتْهُ الرِّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ

إِذَا عَاتَبْتَ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي ... وَسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظَّلُومُ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤١٧.

(٢) ثابت: راوي الحديث عن أنس.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢.

فَـإِنِّي حِـينَ أَسْـأَمُ حَمْـلَ سِـرِّي وَقَـدْ ضَـمَّنْته صَـدْرِي سَـؤُومُ
وَلَـسْت مُحَـدِّثًا سِـرِّي خَلِـيلا وَلا عُرْسِـي إذَا خَطَـرَتْ هُمُـومُ
وَأَطْـوِي الـسِّرَّ دُونَ النَّـاسِ إنِّـي لِمَـا اُسْـتُوْدِعْت مِـنْ سِـرٍّ كَتُـومُ"[1]

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ٢/٢٥٨-٢٦٠ بتصرف.

الحديث رقم (٦٨٨)

٦٨٨- وعن ثابتٍ، عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسلَمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَني إلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهاَ سرٌّ. قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً.

قَالَ أنسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أحَداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم، وروى البخاري بعضه مختصراً[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

إلى حاجة: إلى أمر يطلبه[2].

الشرح الأدبي

قول أنس رضي الله عنه: (أتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى النية، والقصد إليه، وقوله (وَأنَا ألْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ) يشير إلى أنه كان صغيرا رضي الله عنه وقوله (فَسلَمَ عَلَيْنَا) يصور مع التواضع النبوي عبقرية التربية النبوية في معاملة الصغار بما يشعرهم بكيانهم، وأنهم مقدرون من رأس الأمة ممثلة في النبي ﷺ وتأمل أثر هذه المعاملة في تربيتهم على تحمل المسئولية في قوله (فَبَعَثَني إلَى حاجَةٍ، فَأبْطَأتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهاَ سرٌّ) صار الغلام رسول رسول الله ﷺ في حاجته ثم إنه حفظ السر فلم يخبر أحدا حتى أمه أقرب الناس إليه رحما عندما سألته (: مَا حَاجَتُهُ؟) فقال: (إنَّهاَ سرٌّ) وأكد الكلام

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ٢٤٨٢/١٤٥ واللفظ له.

(٢) المعجم الوسيط ٢٠٤.

بعدة مؤكدات تقطع كل أمل في معرفتها، ونكر كلمة سر للتعظيم والتفخيم وقول أمه (لا تُخْبِرَنَّ بِسرٍّ رسول الله ﷺ أحَداً) نهي بغرض التأييد والنصح يشير إلى احترام الأم لعقلية الصغير وتشجيعه على الصواب، وتعزيزه في نفسه.

فقه الحديث

إباحة السرّ بعد الموت:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: الذي عليه أهل العلم أن السرّ لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول: إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته، إلا أن يكون عليه فيه غضاضة، قلت [القائل ابن حجر]: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السرّ، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك. وإلى ما يكره مطلقًا وقد يحرم وهو الذي أشار إليه ابن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به، فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه، أن يفعل ذلك)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: التواضع.

ثانياً: من آداب المدعو: حفظ السر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهى والقسم.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع:

إن من طبيعة عمل الداعية أنه يخالط المدعوين، ولذا ينبغي عليه أن يتحلى بالتواضع لتقبل عليه القلوب، وتتفتح له النفوس، ومما يدل على ذلك من الحديث: " أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ"، وصفة التواضع من أهم صفات الداعية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٢/١١.

لكى يجمع إليه القلوب ولا تنفر منه، وقد جاء التوجيه إليه في القرآن، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]. وحذر لقمان الحكيم ابنه من الكبر، فمما جاء على لسانه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3]. وبه وصف الله عباد الرحمن، بقوله جلّ شأنه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[4].

وإلى التواضع أرشد الرسول الكريم فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[5]، وعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اللّهَ أَوحى إليَّ أَنْ تواضَعُوا حتى لا يَبْغي أَحدٌ على أحدٍ ولا يَفْخر أَحدٌ على أَحدٍ))[6]، وفي التحذير من الكبر، جاء في الحديث عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «كُلُّ عُتُلَ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[7]. ومن صور تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس رضي الله عنه ((أنه مرَّ على صِبيانٍ فسلم عليهم وقال: كان النبيُّ ﷺ يَفعله))[8]. ولا يخفى أن الدعاة إلى الله أحوج الناس إلى التواضع.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣، واللفظ له.

(٨) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨، واللفظ له.

"إن الله تعالى علم نبيه ﷺ كل ما يجعل منه الداعية الأول في العالم، وكان من جملة ما أرشده إليه خلق التواضع في قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، والتواضع فوق أنه تعبير دقيق عن العظمة الحقيقية فإنه قليل التكلفة على المستوى الشعوري والعملي، فالمتواضع يبدو دائماً أقل من حقيقته، وبذا فإنه يظل يكبر في أعين الناس دون جهد يبذل، كلما كشفت لهم الأيام عن جواهره المخبوءة"[2].

ثانياً- من آداب المدعو: حفظ السر:

إن من أشد آفات اللسان إفشاء الأسرار ونشرها بين الناس، ومن هنا كانت وصية الإسلام بحفظ السر، ويستفاد هذا من الحديث: "قلت إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً"، قال ابن عثيمين: "وفي الحديث أنه لا يجوز للإنسان أن يبدي سر شخص حتى لأمه وأبيه، فلو أن إنساناً أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك ما الذي أرسلك به؟ لا تخبره ولو كان أباك، ولو كانت أمك، لأن هذا من أسرار الناس، ولا يجوز إبداؤها لأحد"[3]. وكتمان السر وحفظه نوع من الوفاء بالعهود، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[4].

قال الماوردي: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره، وقال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ... ولام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق[5]

ولا يتأتى حفظ السر وكتمانه إلا بحفظ اللسان، وتدريبه وتعويده الصمت.

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ٢/٩٨٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص، ٢٩٥-٢٩٦.

"إن اللسان من نعم الله العظيمة، فهو صغير جرمه، عظيم نفعه، وعظيم جرمه، رحب الميدان له في الخير مجال رحب، وله في الشر مجال رحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار. ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة. فخطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع، الصمت وحث عليه. ومن أخطر آفات اللسان، الكلام فيما لا يعني، والخوض في الباطل وإفشاء السر وغير ذلك كثير"[(١)].

قال ابن قدامة: "إن آفات اللسان لها في القلب حلاوة ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت، فالصمت يجمع الهمة ويفرغ الفكر، قال بن مسعود رضي الله عنه: ماشئ أحوج إلى طول سجن من لساني. وقال أبو الدرداء: انصف أذنيك من فيك فإنما جعلت لك أذنان وفم واحد، لتسمع أكثر مما تتكلم به. وقال مخلد بن الحسين: ما تكلمت منذ خمسين سنة بكلمة أريد أن أعتذر منها"[(٢)].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهى والقسم:

١-السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو وتوصيل الحقائق إليه، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٣)].

والداعية الناجح هو الذي يتخذ من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً إلى إفهام المدعوين، قال الشيخ الميداني: "وعلى حامل الرسالة الدينية الدعويةن أو النصيحة الإرشادية، أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ٣١٤٢/٤، ٣١٤٣.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني، للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيماً كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن، يقظاً حسن التصرف، واسع الصدر محترماً لأسئلة السائلين، ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يُشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادراً على البيان المفهم بأسلوب حسن"[١].

٢- النهى: حيث جاء في الحديث: "لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ. أحداً" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وقد أمر الله بالابتعاد عما نهى عنه رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٢].

٣-القسم: حيث جاء في الحديث: " والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به"، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور القسم في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[٣].

(إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب على وفق أساليبهم، ليعجزهم بلفظه ومعناه، ويحدث تأثيره فيهم على نحو يجعلهم يؤمنون به وبدعوته، ومن هذه الأساليب التي أوردها العرب أسلوب القسم، الذي عرفه الناس قديماً، واستعملوه تأكيداً لخبر أو تعظيماً لشيء، أو لجمع الانتباه حول غاية، فأسلوب القسم موعظة حسنة، لأن القرآن دائماً يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، بما فيه من مزية في نظر المستمع، تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه، وهو الدعوة المرجوة)[٤].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٦٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الطارق، الآيتان: ١-٢.

(٤) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٢، ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العاقل لا ينطق بما لا يتأتى النطق به بدعوى ائتمان الآخر على السر، ومن يعجز عن كتم سره كيف يطلب من الآخرين ذلك، فضلاً عن أن يعتب عليهم إذا كشفوا سره، وطبع الإنسان لا يمكنه من كتم كل شيء، وهو بحاجة إلى من يبوح له بشيء مما هو كامن في الصدر، وأحياناً يفتقر إلى من يستشيره، لهذا حرص الإسلام على جعل المجالس بأماناتها، ونهى النبي ﷺ أن يفشي الإنسان على جليسه سره، وخص الرسول ﷺ من السر العلاقات الخاصة بين الرجل والمرأة، لأن أساس هذه العلاقة هو الستر والسرية، ومن يفعل ذلك يكشف ستر ربه، والشيطان يحقق مبتغاه، وقد ورد النهي بصورة تدعو إلى الإعراض عنه، ومن المضامين ما يلي:

أولاً: التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية التي تؤثر في المتربي وتغير في سلوكه، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». فقد رهب النبي ﷺ من نشر سر الزوجة بأنَّ من يفعل ذلك من أَشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة.

وما من شك في أن الترهيب هو أحد جناحيْ العملية التربوية، والتي تعتمد على الترغيب والترهيب "فإن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه، وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، وقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب وتارة بالترهيب، والإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه مما يجعل للترغيب والترهيب أثره الواضح في سلوكه" [1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٤.

ثانيًا: التربية على حفظ السر:

من القيم الخلقية في الإسلام حفظ السر وعدم إفشائه للآخرين مهما كانت قرابتهم أو صداقتهم، فالأسرار أمانة يعهد بها الناس إلى مَنْ يثقون به ويوقنون في حفظه للسر، ومن أحاديث الباب التي جاءت تبرهن على هذه القيمة قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». وفي حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "... ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ...، وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من قول فاطمة ﷺ: "... ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سره ..."، وحديث ثابت عن أنس رضي الله عنه من قول أمه "... لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا، قال: أنس والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك به يا ثابت".

ففي جملة هذه الأحاديث الوصاية بحفظ السر، والاحتراز عن نشره وإذاعته، "ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها، ويسرد أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وذكرهم ما يدور فيه من كلام، منسوبًا إلى قائله أو غير منسوب، وحرمات المجالس تُصانُ ما دام الذي يجري فيها مضبوطًا بقوانين الأدب وشرائع الدين، وإلا فليست لها حرمة، وللعلاقات الزوجية -في نظر الإسلام- قداسة، فما يضمه البيت من شؤون العِشْرة بين الرجل وأهله، يجب أن يُطوى في أستار مسبلة، فلا يطلع عليه أحد مهما قرب، والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور، وهذه وقاحة حرمها الله تبارك وتعالى"[1].

إن واجب المربين تدريب وتعويد المتربين على حفظ السر وعدم إفشائه ونشره، وها هي أم أنس رضي الله عنها تقوم بهذه المهمة، وتؤدي واجب التربية الصحيحة، فلما قالت لابنها: وما حاجة رسول الله ﷺ؟ وقال لها: إنها سر، فقالت الأم: توصي ولدها في حزم. وقد نأت بنفسها عن الفضول: ((يابني لا تخبرنّ بسر رسول الله ﷺ أحدًا)).

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٠، ٥١.

ويستوقفنا في هذا الحوار بين أنس رضي الله عنه وأمه مَعْلَمًا من معالم التربية الإسلامية القويمة التي نشأت عليها أم أنس ودرج عليها ولدها أيضًا، فالأم تؤكد لولدها أن حفظ السر أمانة ومسؤولية "يابني: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحدًا حتى أمك. وهنا يتراجع الفضول النفسي لدى الأم، فالأسرار أمانات، هكذا تعلمت من رسول الله ﷺ، ومن ثَمَّ فلا مسوغ مطلقًا للإلحاح على أنس بأن يكشف لها سر رسول الله ﷺ، فهذه دروس وآداب تربوية نسوقها إلى الأمهات المسلمات ليُنَشِّأن أولادهن على كريم الخلق والرجولة الحقة التي من خصائصها الأمانة خاصة فيما يعهد إليهم من أسرار.

ثالثًا: التربية بالقصة:

من أساليب التربية التي تشوق المتربي: التربية بالقصة، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه «حين تأيمت بنته حفصة قال: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة...» الحديث. وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «كن أزواج النبي ﷺ عنده فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ...»، وكذلك حديث ثابت عن أنس رضي الله عنه: "أتى عليَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان...".

فكل واحد من الصحابة رضي الله عنهم رواة الحديث ذكر قصة تشير إلى حفظ السر وعدم نشره وإفشائه.

"إن التربية بالقصة لون آخر من التربية يستخدم الحادث، ولكنه حادث خارجي يقع لأشخاص غير قارئي القصة أو مستمعيها، ومع ذلك فهو مؤثر في النفس كما لو كان يقع للقارئ أو المستمع ذاته، وهذا التأثير للقصة يقع عن طريقين اثنين في وقت واحد أحدهما هو المشاركة الوجدانية كالمستمع أو المشاهد أو القارئ يتابع حركة الأشخاص في القصة ويتفاعل معهم، وأما الطريق الآخر فربما كان يتم عن غير وعي كامل من الإنسان ذلك أن قارئ القصة أو سامعها يضع نفسه مع أشخاص القصة أو يضع نفسه إزاءهم ويظل طيلة القصة يعقد مقارنة خفية بينهم وبينه، وبهذا التأثير المزدوج تثير القصة انفعالاتنا وتؤثر فينا تأثيرًا توجيهيًا" (١).

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤١، ٤٤٢.

رابعًا: تنمية ثقة الطفل بنفسه:

إن من الأسس المهمة في تربية الطفل تنمية ثقة الطفل بنفسه، ففي حديث الباب الذي أورده النووي عن ثابت عن أنس رضي الله عنه: "أتى عليّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا فبعثني في حاجة ...". فأنس غلام صغير يلعب مع الغلمان ولكنه رضي الله عنه يتمتع بذكاء حادٍ وعقل رزين يفوق الكثير من أقرانه، ولقد أدرك رسول الله ﷺ تلك الصفات التي يتمتع بها هذا الصحابي، فكان يعهد إليه بما يريد موقنًا أن هذا الصغير لن يخذل رسول الله ﷺ بأن يفشي سره أو يتحدث مع الناس بأمور لا يريدها ﷺ، يقول أنس رضي الله عنه: "أتى عليّ رسول الله ﷺ ..."أي أقبل عليَّ وهو يلعب مع أقرانه من الصبية فأقبل عليه ﷺ بصفة شخصية اختصها ﷺ لأنس دون بقية الغلمان والمشهد يوحي بأن الرسول ﷺ أبصر أنساً رضي الله عنه يلعب فجاء إليه وأخذه من بين الغلمان، ليكلفه بأمر من الأمور، قال أنس: "فبعثني في حاجة..."، هذا التكليف من الرسول ﷺ لأنس، وهو غلام يُعْطِي بعدًا تربويًا يتعلمه المربون والقائمون على التربية وهو ضرورة غرس الثقة وبثها في نفوس الأطفال حتى ينشئوا على تحمل المسؤولية والتكليف وهم صغار "ومن الأسس النفسية المؤثرة تنمية ثقة الطفل بنفسه، ولقد اتبع رسول الله ﷺ لتنمية ثقة الطفل بنفسه عددًا من الطرق منها تقوية إرادة الطفل، وذلك بتعويده حفظ الأسرار كما فعل مع أنس رضي الله عنه إذ عندما يتعلم الطفل كتم الأسرار ولا يفضحها فإن إرادته تنمو وتقوى وبالتالي تكبر ثقته بنفسه"[1].

خامسًا: التربية على تخير الألفاظ:

إن من أهداف التربية الخلقية والسلوكية التربية على تخير الألفاظ المناسبة البعيدة عن الفحش وخدش الحياء، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». ففي هذا الحديث التعبير عن حالة الجماع وما يكون فيه بالإفضاء، وفي هذا تربية على ضرورة الدقة في تخير وانتقاء الألفاظ.

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ١١٧، ١١٨.

"ومن الأدب الشرعي أن يُكنّى عما يُستَحي منه، فجاءت التكنية في نصوص الكتاب والسنة عن الجماع، بإتيان الرجل زوجته: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

بل كنّى العرب عما يخرج من الإنسان باسم موضعه الغالب، وهو المكان المنخفض، ثم جاءت الألفاظ الشرعية بالتكنية عنه بـ "قضاء الحاجة" ولا يأتي التصريح إلا حين الحاجة إليه لبيان حكم لا يبين إلا به أو لإقامة حدٍّ وحكم شرعي، وحفظ اللسان يحتاج إلى ترويض ومجاهدة للنفس وتعويد لها على المنطق الحسن واختيار الألفاظ والبعد عن الفحش، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة"[2].

إن واجب الآباء والمربين الاعتناء بتربية الأبناء على انتقاء الألفاظ وحفظ اللسان من الفحش والبذاء ومما يخدش الحياء.

"ومن أنواع الفحش اللفظي التصريح بأسماء الأعضاء التي يحتشم من ذكرها كالقبل والدبر،وما أشبه ذلك من ألفاظ الوقاع والجماع، وقد أدبنا الإسلام بأدب القرآن الذي لم يصرح بمثل هذه التسميات، وإنما كنى عنها واستعمل أرق التعابير في الإشارة إليها، والمتأمل في القرآن يجد ضربًا عجيبًا من تخير الألفاظ اللطيفة الرقيقة العذبة للتعبير عن أدق المعاني الجنسية، ولا غرو، فالبيان السماوي أجلُّ وأعلى وأسمى من أن يتدنّى إلى أي أسلوب لا يليق قوله أو سماعه، وقد كان كرام الناس والعِلْية من القوم يوصفون بنبل منطقهم وتحفظهم في كلامهم، قال أبو عبيد: ما رأيت رجلاً قط أشد تحفظًا في منطقه من عمر بن عبدالعزيز" [3].

سادسًا: التربية الأسرية:

كما في حديث ((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))، فقد تضمن الحديث الترهيب من نشر سرّ المرأة، ويشمل كذلك الترهيب من نشر سر الرجل، أي الترهيب من نشر الأسرار

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٥٥، ١٥٦.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٢١/١٧، ١٨.

الزوجية الخاصة، وفي ذلك تربية أسرية للمسلم.

سابعًا: من الأساليب التربوية: الحوار والمناقشة والوصية:

وردت بعض الأساليب التربوية في أحاديث الباب، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه في عرض عمر ابنته حفصة على عثمان وأبي بكر رضي الله عنهما. وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وإخباره فاطمة رضي الله عنها عن قرب أجله.

ب-الوصية: كما في قول أم أنس بن مالك رضي الله عنها لأنس: ((لا تخبرن بسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا)).

۞ ۞ ۞

٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[النحل: ٩١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[المائدة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢-٣].

الحديث رقم (٦٨٩)

٦٨٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زَادَ في روايةٍ لمسلم[2]: ((وإنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّهُ مُسْلِمٌ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافق: الذي يكتم كفره ويُظهر إيمانه[3].

الشرح الأدبي

الحديث يرصد خطرا عظيما قد يغفل الناس عنه ناتجاً عن مرض من أمراض النفوس في المجتمعات، وهو داء النفاق، وبيان الرسول ﷺ لهذه الصفات تشخيص من الطبيب الأكبر للمرض لكي يعرض كل إنسان نفسه عليه، ويتفرس علامات المرض، فإن وجد نفسه مصابا بعرض من أعرضه سارع بعلاجه، ومنع نفسه عما يزيد هذا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩/١٠٧ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٢) برقم ٥٩/١٠٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

المرض، وقوله (آية المنافق) أي علامته، وقوله (ثلاث) فيه إيجاز بالحذف المنشط لعقل المخاطب، والمنسق لجزالة النص، وتقدير ثلاث خصال، أو علامات، وأسلوب الشرط يربط التحديث بالكذب، ويربط الوعد بالإخلاف، ويربط الائتمان بالخيانة، ويقرر أنها عادته كلما حدث، وكلما وعد، وكلما اؤتمن، والحديث يوجه الإنسان بمنظار البيان النبوي لينظر في نفسه إن كان فيه شيء من هذه الخصال فيتوب، ويصلحها، وينظر فيمن حوله ليتجنب من تجمعت فيهم هذه الصفات، فلن يجد منهم إلا الأذى.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٩٩).

الحديث رقم (٦٩٠)

٦٩٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

خصلة: أي شعبة من شعبه وجزء منه أو حالة من حالاته[2].

فجر: الفجور: الميل عن الحق والاحتيال في رده[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب التشويق بالعدد النكرة (أربع) الموصوفة بالجملة (مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً) وهو لون من ألوان الإجمال يحتاج إلى تفصيل وهو ما يحدث تشويقا للمخاطب الذي يستشرف إلى معرفة التفصيل وأسلوب التشويق من الأساليب التي تكثر، وتتنوع في حديث الرسول ﷺ حيث كان شديد الحرص على أن يصل المعنى إلى المخاطبين، وهم في كامل وعيهم، وفاءً بحق تبليغ الرسالة، ثم إنه لم يكن يريد منهم الفهم المجرد، وإنما كان يريد الفهم، والاستيعاب، والاقتناع التام؛ لأنهم حملة رسالته إلى من سيأتي من أمته إلى يوم القيامة ثم بدأ بتعديد الصفات، وبيانها عن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤ واللفظ له، ومسلم ٥٨/١٠٦ ولفظه: (وإذا وعد أخلف) بدل: (إذا اؤتمن خان). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٤٢٥/٣، رقم ٢٩٢٥، وتبعه عليه المنذريُّ والمؤلفُ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٢٦. وسيكرره المؤلف برقم ١٥٩٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٢/١.

طريق المقابلة بين الصفات التي تتركها في ذهن المخاطب في أتم وضوح (إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ) حيث قابل بين الائتمان، والخيانة، وبين العهد، والغدر، وصياغة الصفات الأربعة في أسلوب الشرط يقرر أن هذه الصفات صارت عادة له، وارتبطت بتصرفاته، وتحكمت في أفعاله حتى صارت كالطبع الغالب، والمتأمل لجملة الصفات التي تميز المنافق يجد أنها أخطر الصفات التي تضر الفرد، والمجتمع لاسيما إذا ولي شيئا من أمور الناس، فالخيانة، والغدر، والكذب، والفجور صفات ممقوتة حري بالأمة أن تطرح من تلطخ بها في أقصى مكان فيها كما سيطرحه ربه في الدرك الأسفل من النار، والعياذ بالله.

فقه الحديث

فيما يلي بعض الأحكام الفقهية في هذين الحديثين:

١-الوفاء بالوعد:

قال النووي: (قد أجمع العلماء على أن من وعَدَ إنسانًا شيئًا ليس بمنهي عنه، فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بينهما:

ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنّه مستحبّ، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم).

وذهب جماعة إلى أنه واجب، قال أبو بكر بن العربي المالكي: (أجلّ من ذهب إلى هذا المذهب عمر بن عبدالعزيز. قال: وذهبت المالكية مذهبًا ثالثًا: أنه إذا ارتبط الوعد بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعدًا مطلقًا لم يجب)[1].[2]، واستدل من لم يوجبه بأنه في معنى

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٨٠٠.

(٢) والمشهور عند المالكية أن الوعد إذا كان مرتبطًا بسبب ودخل الموعود في السبب، فإنه يجب الوفاء به كما يجب الوفاء بالعقد، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا شيء على الواعد. وذلك كما إذا وعده أن يسلفه ثمن دار يريد شراءها فاشتراها الموعود حقيقة، يلزم الواعد قضاءً بإيجاز وعده، أما إذا لم يباشر الموعود السبب فلا يلزم الواعد بشيء وهذا هو القول المشهور والراجح.

الهبة. والهبة لا تلزم إلا بالقبض عند الجمهور، وعند المالكية: تلزم قبل القبض[١].

٢-تحريم الغدر: ذهب الفقهاء إلى تحريم الغدر، لأنه من علامات النفاق ومن كبائر الذنوب، ولا سيما إذا كان الغادر من أصحاب الولايات العامة، لأن ضرر غدره يتعدى إلى خلق كثير. وقيل: لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء. والغدر محرم بشتى صوره، سواء أكان مع فرد أم جماعة، وسواء أكان مع مسلم أم ذمي أم معاهد.

واستدل الفقهاء على تحريم الغدر بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٢] وبحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو حديث الباب[٣].

٣-وجوب المحافظة على الأمانة بصفة عامة، وديعة كانت أو غيرها، لأن ذلك مما يوجب سعادة الدارين، والخيانة توجب الشقاء فيهما.

والحفظ يكون بحسب كل أمانة، فالوديعة مثلاً يكون حفظها بوضعها في حرز مثلها. والعارية والشيء المستأجر يكون حفظهما بعدم التعدي في الاستعمال المأذون فيه وبعدم التفريط. وفي مال المضاربة يكون بعدم مخالفة ما أذن فيه للمضارب من التصرفات وهكذا[٤].

٤-خيانة الأمانة:

خيانة الأمانة حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥] ولحديث الباب.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٣٥٤، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٠-٢٩١، وللمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٤/٧٤-٧٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/٢٢٤، وجواهر الإكليل ١/٢٥٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨/٤٦٥ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/١٤٣).

(٤) تكملة رد المحتار ٢/٢٣١، ٣٣٢ وما بعدها، والمهذب ١/٤١٥، ومنتهى الإرادات ٢/٣٢٧ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/٢٣٧).

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: (الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فِلْس ليس كمن خانك في أهلك)[1].

٥- ذم الفجور في الخصام، وإثم من فعل ذلك:

إن من تعدى في المخاصمة مال عن الحق، وقال الباطل والكذب، ورمي بالأشياء القبيحة.

وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: ((إنّ أبغَضَ الرّجالِ إلى اللهِ الألَدّ الخَصِمُ))[2].

فإن قيل: لا بد للإنسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه:

فالجواب ما أجاب به الغزالي وهو ما نقله النووي في الأذكار: أن الذم المتأكد إنما هو لمن خاصم بالباطل أو بغير علم، كوكيل القاضي، فإنه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف أن الحق في أي جانب هو، فيخاصم بغير علم.

ويدخل في الذم أيضًا من يطلب حقه، لكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد والكذب للإيذاء والتسليط على خصمه، وكذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي، وليس له إليها حاجة في تحصيل حقه، وكذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع، من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة، من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعله هذا ليس حرامًا، ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما، حتى يفرح كل واحد بمساءة الآخر، ويحزن بمسرته، ويطلق اللسان في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيه اشتغال القلب، حتى إنه يكون في صلاته وخاطره معلق بالمحاجة والخصومة، فلا يبقى حاله على الاستقامة.

---

(١) الزواجر ١/٢٤٨-٢٤٩، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/١٨٥-١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥٧، ومسلم ٢٦٦٨.

والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدال والمراء، فينبغي أن لا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها، وعند ذلك يحفظ لسانه وقلبه عن آفات الخصومة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين.

ثالثاً: من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

إن أساليب الدعوة تتنوع وتتعدد، ومن هذه الأساليب أسلوب الإجمال والتفصيل، ومما يدل عليه ما جاء في الحديث: "أربع، من كن فيه كان منافقاً خالصاً" حيث أجمل النبي ﷺ خصال المنافق في أربع ثم فصلها وعددها، ذاكراً لها واحدة بعد الأخرى، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تساعد على إفهام المدعو، وتوصيل الحقائق إليه، ولفت انتباهه إلى أهمية ما أجمل، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحذر من صفات المنافقين:

إن خصال النفاق من الخيانة والكذب والغدر والفجور تعتبر بمثابة السوس الذي ينخر في عظام الأمة، ولذا وجب التحذير منها، وهو ما أرشد إليه الحديث الشريف

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيى الدين مستو ٤١٤-٤١٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١، والزواجر ٣/٢٢٦. وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٨٠-١٨١.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ١٨-٢٠.

حيث جاء في بيان هذه الخصال قوله ﷺ في الحديث: " إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" وكل هذه الصفات من صفات المنافقين التي يجب أن يحذر منها المسلم، قال النووي: (وهذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه، وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يُرِد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار)[1].

وقال ابن حجر: (والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك، وتتفاوت مراتبه، والمراد في هذا الحديث أن صاحب هذه الخصال كالمنافق، والمراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال"[2].

ولقد جعل النبي ﷺ هذه الصفات من خصال المنافقين ليحذرها المسلم فأما خيانة الأمانة، فمما جاء من ذمها في القرآن، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[3]. وأمر سبحانه بأداء الأمانة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك))[5]، وأما الكذب فمما نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي ١٢٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠١٥).

مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾[١]، وقال جل شأنه آمراً بالصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٢].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً))[٣].

وأما الغدر فلقد جاءت النصوص الشرعية تأمر بالوفاء بالوعد والعهد. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[٤]. ومدح الله المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[٥]. وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٦]. وأما الفجور فمما نهى عنه الشرع، ووصف الله عباد الرحمن بما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[٧]. وبقوله سبحانه: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[٨].

ولقد كان في وصف النبي ﷺ، كما قال أنس رضي الله عنه: ((لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحِشاً ولا لَعّاناً ولا سَبّاباً))[٩].

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٩١.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٠.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٨) سورة الحج، آية: ٢٤.

(٩) أخرجه البخاري ٦٠٤٦.

ثالثاً- من واجبات الداعية: التحذير من الأخطار:

إن الداعية حريص على قومه يدعوهم إلى الخير، ويحذرهم من الشر والخطر، ولقد كان النبي ﷺ قدوة ومثلاً في ذلك، ومما يدل على ذلك تحذير النبي ﷺ من خصال النفاق، حيث جاء في الحديث: "ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها"، ومما لا شك فيه، أن الداعي إلى الله يجب أن يحذر من الأخطار التي قد تلحق بأفراد المدعوين، إذا استمروا على أمر معين، وقد جعل الله من مهام الرسول ﷺ الإنذار والتحذير. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1] . والداعية حريص على قومه. قال تعالى في وصف رسولنا ﷺ: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: "يمتن الله على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو ﷺ في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم، ويشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم، وهو حريص عليكم فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم، أي شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم"[3].

والنبي ﷺ كان دائماً يحذر أمته من الأخطار، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الصلة بين السلوك والإيمان:

يظهر هذا من سياق الحديث إذ لا يكتمل إيمان المسلم إلا بترك هذه السلوكيات السلبية. قال ابن حجر: (أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، وخلف الوعد لا يقدح إلا إذا كان العزم عليه مقارنا للوعد)[1].

قال ابن رجب: وحاصل الأمر أن النفاق الأصغر كله يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، وقال الحسن: من النفاق اختلاف القلب واللسان، واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج.

وقال طائفة من السلف: خشوع النفاق أن تري الجسد خاشعا، والقلب ليس بخاشع. وقالوا لعمر رضي الله عنه: كيف يكون المنافق عليماً ؟ قال: يتكلم بالحكمة، ويعمل بالجور أو قال: المنكر.

وسئل حذيفة رضي الله عنه عن المنافق، قال: (الذي يصف الإيمان ولا يعمل به)[2].

قال ابن القيم: (جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[3].

وقال القرضاوي: (إن الدين لا يقف عند حد الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتمجيدها إنه هو الذي يرسى قواعدها، ويحدد معالمها، ويضبط مقاييسها الكلية، ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك، ثم يغري بالاستقامة، ويحذر من الانحراف، ويضع الأجزية مثوبة وعقوبة على كلا السلوكيين نصب العين. إن الدين هو المصدر الفذ المعصوم، الذي يُعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها، والدين هو الذي يربط الإنسان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١١٢

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٩٠.

(٣) الفوائد ٨٤، ٨٥.

بمثل أعلى يرنو إليه، ويعمل له، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد، ويكفكف من طغيان غرائزه، وسيطرة عاداته، ويخضعها لأهدافه ومثله، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق)[1].

(١) الإيمان والحياة ١٧٤، ١٧٥.

الحديث رقم (٦٩١)

٦٩١- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي النبيُّ ﷺ: ((لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ قَدْ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا)) فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَينِ حَتَّى قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأتِنَا، فَأتَيْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البحرين: ساحل الخليج العربي بين عُمَان جنوباً حتى الكويت والبصرة شمالاً[2].

قُبِض: توفي[3].

عِدَة: وعده ومنّاه بشيء[4].

فحثى لي حثية: أعطاه غرفة بيده[5].

الشرح الأدبي

قول جابر رضي الله عنه (قَالَ لي النبيُّ ﷺ) يشير إلى الاختصاص المفهوم من تقديم الجار، والمجرور وقول الرسول ﷺ (لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا) أسلوب شرط يربط عطاء الرسول ﷺ لجابر رضي الله عنه بقدوم مال البحرين، وقوله (هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا) كناية عن تكثير العطية، فالهاء للتنبيه، والكاف

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٩٦ واللفظ له، ومسلم ٢٣١٤/٦٠.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ض).

(٤) المعجم الوسيط في (و ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث و).

للتشبيه، وذا للإشارة المتجهة نحو اليد أو اليدين، وتكرارها مبالغة في كثرة ما سيعطيه، وقوله (حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ) كناية عن موته ﷺ وقوله لأبي بكر (إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا) كناية عن وعد الرسول بما سيعطيه من مال البحرين عندما يأتي، والجناس في قوله (فحثى لي حثية) يقرر انفاذ أبي بكر رضي الله عنه وعد رسول الله ﷺ، والجار، والمجرور (لي) يفيد الاختصاص أي لي خاصة، وقول أبي بكر له (خُذْ مِثْلَيْهَا.) يشير إلى دقة تنفيذه لوعد رسول الله ﷺ لجابر حيث كرر لفظ (هكذا) ثلاث مرات فحثا له ثلاث حثيات.

فقه الحديث

١- قضاء الإمام من ادّعى شيئًا في بيت المال:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: لما كان النبي ﷺ أولى الناس بمكارم الأخلاق أدى أبوبكر مواعيده عنده، ولم يسأل جابرًا البينة على ما ادعاه؛ لأنه لم يدع شيئًا في ذمة النبي ﷺ وإنما ادعى شيئًا في بيت المال، وذلك موكول إلى اجتهاد الإمام)[1].

وقال ابن حجر: (وفيه قبول خبر الواحد العدل من الصحابة ولو جرّ ذلك نفعًا لنفسه؛ لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهدًا على صحة دعواه، ويحتمل أن يكون أبوبكر علم بذلك فقضى له بعلمه، فسيتدل به على جواز مثل ذلك للحاكم)[2].

٢- من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع:

بوّب البخاري على هذا الحديث وحديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى جنازة ليصلي عليها فقال: ((هل عليه من دين؟)) قالوا: لا. فصلّى عليه. ثم أتى بجنازة أخرى فقال: ((هل عليه دين؟)) قالوا: نعم. قال: فصلوا على صاحبكم" قال أبو قتادة: عليّ دَيْنُه يا رسول الله: فصلّى عليه" بوّب عليهما البخاري في كتاب الكفالة: باب من تكفل عن ميت دينًا فليس له أن يرجع، وبه قال الحسن[3]. قال ابن حجر: (يحتمل قوله:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٩٠.

(٢) السابق ٤/٤٧٥.

(٣) الحديثان ٢٢٩٥، ٢٢٩٦.

"فليس له أن يرجع" أي عن الكفالة بل هي لازمة له، وقد استقرّ الحق في ذمته، ويحتمل أن يريد فليس له أن يرجع في التركة بالقدر الذي تكفل به. والأول أليق بمقصوده ... ووجه دخوله [أي دخول حديث الباب] في الترجمة: أن أبا بكر لما قام مقام النبي ﷺ تكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه من دين أو عِدة، وكان ﷺ يحب الوفاء بالوعد، فنفذ أبو بكر ذلك. وقد عدّ بعض الشافعية أن من خصائصه ﷺ وجوب الوفاء بالوعد، أخذًا من هذا الحديث. ولا دلالة في سياقه على الخصوصية ولا على الوجوب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء.

ثانياً: من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: وعد النبي ﷺ لجابر رضي الله عنه بالعطاء:

حيث جاء في الحديث: "قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا"، قال ابن حجر: "قال الإسماعيلي ليس ما قاله النبي ﷺ لجابر هبة، وإنما هي عدة على وصف، لكن لما كان وعد النبي ﷺ لا يجوز أن يخلف، نزّلوا وعده منزلة الضمان في الصحة، فرقا بينه وبين غيره من الأمة، ممن يجوز أن يفي وأن لا يفي، هذا وقد أمر الله بإنجاز الوعد"[2]. ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ إذا وعد وعداً كان من هديه الوفاء به، وفي هذا الحديث: قُبض النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين. ومما هو معلوم أن الوفاء المطلق من صفة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه عليهم. قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٤٧٤-٤٧٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥/٢٦٣.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٧.

إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[١].

ولقد حرص أبو بكر رضي الله عنه على الوفاء بوعد النبي ﷺ ويتضح هذا مما جاء في الحديث. "أمر أبو بكر فنادى: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا"، وقوله: "فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمسمائة". قال النووي: (وإنما حثى له أبو بكر بيده لأنه خليفة رسول الله ﷺ فيده قائمة مقام يده، وكان له ثلاث حثيات بيد رسول الله ﷺ، وفيه إنجاز العدة)[٢].

قال ابن عثيمين: (ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد رسول الله ﷺ نادى من كان له عند رسول الله عدة أو دين فليأتنا، لأنه ربما يكون الرسول اشترى من أحد شيئاً فلزمه دين، أو وعد أحداً شيئاً، وهو ﷺ ليس عنده مال، ولم يبعث جابياً للمال، ولا يبقى عنده المال إلا بمقدار ما يفرقه على المسلمين، ولما جاء جابر وأخبره بعدة النبي ﷺ له، أعطاه أبو بكر العدة التي وعده إياها رسول الله ﷺ، وفي هذا الحديث فضيلة أبي بكر رضي الله عنه)[٣].

ثانياً- من آداب الداعية: الوفاء بالعهد وانجاز الوعد:

إن الداعية لكي يكسب قلوب المدعوين، ويجعلهم يقبلون عليه، لابد وأن يحرص على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، حتى تكون له مصداقية في نفوس المدعوين، ويتضح هنا مما جاء في الحديث.. "من كان له عدة أو دين فليأتنا"، فهذا تكليف من أبي بكر لمنادي فنادى من كان له عند النبي ﷺ عدة أو دين، فأبو بكر قام مقام النبي وتكفل بما كان عليه من واجب أو تطوع، فلما التزم ذلك لزمه أن يوفي جميع ما عليه، فهذا وفاء بالوعد وتنفيذ له[٤]. ويعتبر من أهم آداب الداعية الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد،

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ٩٩٢/٢.

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٢٠/١٢.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[2]، وهو من سمات المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾[3]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[4]، والداعية عندما يلتزم بالوفاء بالعهد وينجز الوعد، يكون صورة طيبة وقدوة صالحة للناس، ويضرب مثالاً عملياً للالتزام بآداب الإسلام، مما يجعل الناس يثقون في قوله، ويطمئنون إلى صلاحه.

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الإسلام الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، ولا شك أن الوفاء بالعهد مما أمر الله به. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾[6]، وقال جلّ شأنه في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[7]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾[8].

والوفاء من صفات الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[9]، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بالعهود،

---

(١) سورة النحل، آية: ٩١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٧.

(٤) سورة الرعد، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٨) سورة المائدة، آية: ١.

(٩) سورة البقرة، آية: ٨٠.

فعن عقبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أحق ما وفيتم من الشروط أن توفوا به ما استحللتهم به الفروج))[١]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم))[٢].

قال الراغب: (الوفاء: أخو الصدق والعدل، والغدر: أخو الكذب والجور، ذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معاً، والغدر كذب بهما، لأن فيه مع الكذب نَقْضًا للعهد. والوفاء: يختص بالإنسان، فمن فقد فيه الوفاء فقد انسلخ من الإنسانية، وقد جعل الله تعالى العهد من الإيمان، وصيره قِواماً لأمور الناس، فالناس مضطرون إلى التعاون، ولا يتم تعاونهم إلا بمراعاة العهد والوفاء به، ولولا ذلك لتنافرت القلوب وارتفع التعايش؛ ولأن للوفاء قيمة عظيمة ضُرب به المثل في العزة، فقالت العرب: أعز من الوفاء)[٣]. وقال ابن حجر الهيتمي في الزواجر: إن عدم الوفاء بالعهد من الكبائر. لأن الوفاء به إلزام على سبيل الإحكام والاستيثاق، ويجب على الخلق إظهار الانقياد لله تعالى في جميع التكاليف، التي أخذوا العهد بها على أنفسهم أن يوفوا بها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٥١، ومسلم ١٤١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥، رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات ٤١٧/٣٧.

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٩٢، ٢٩٣، نقلاً عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٦٣٩/٨.

(٤) الزواجر في اقتراف الكبائر ١٨١/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

كثيرة هي أوامر القرآن الموجبة الوفاء بالعهد والعقود، والسنة قد فصلت ذلك وبينت جوانب الإيجاب حال الوفاء، وجوانب السلب حال الغدر ونقض العهد ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد:

إن من القيم الأخلاقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، ذلك لأن الوفاء من صفات المؤمنين، والخلف والغدر من صفات المنافقين، ومن أحاديث الباب التي تبين قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف...".

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: "... وإذا عاهد غدر...". وجاء التطبيق العملي لقيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: "....فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَة أو دين فليأتنا...".

ومن خلال هذه النصوص تتضح قيمة الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد. "والمسلم إذا أبرم عقدًا فيجب أن يحترمه، وإذا أعطى عهدًا فيجب أن يلتزمه، ومن الإيمان أن يكون المرء عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماء عند شطآنه، فُيعرف بين الناس بأن كلمته موثق غليظ، لا خوف من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها. والعهد لابد من الوفاء به كما أن اليمين لابد من البر بها، ومناط الوفاء والبر أن يتعلق الأمر بالحق والخير، وإلا فلا عهد في عصيان، ولا يمين في مأثم، ومن ثَمَّ فلا تعهد إلا بمعروف، فإذا وثق الإنسان عهدًا بمعروف فليصرف همته في إمضائه، ما دامت فيه عَينٌ تَطْرِف، وليعلم أن منطق الرجولة وهدى اليقين لا يتركان له مجالاً للتردد والانثناء"[1].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٥٤.

إن واجب المربين التربية على إنجاز الوعد ووفاء العهد وتحذير المتربين من الوعد الكاذب: "فإن اللسان سبَّاق إلى الوعد، ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفًا، وذلك من أمارات النفاق، وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾[1]، ولما حضرت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الوفاة، قال: إنه كان خطب إليّ ابنتي رجل من قريش وقد كان إليه مني شِبْه الوعد فوالله لا ألقي الله بثلث النفاق! أشهدكم أني قد زوجته ابنتي. وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا إلا ويقول: إن شاء الله، وهو الأولى، ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلابد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق"[2].

ثانيًا- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالتحذير حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من مغبة الوقوع في ضرر أو الاتصاف بوصف ينأى المسلم بنفسه عن الاتصاف به، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتحذير قوله ﷺ: "آية المنافق ثلاث...."، وقوله ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها..."، ففي هذين الحديثين حذر النبي ﷺ من الاتصاف بصفة من صفات المنافقين المشينة، وأبان عن شدة التحذير من خلال العدد بقوله في الحديث الأول "ثلاث" وفي الحديث الثاني "أربع" ليتنبه المسلم الكامل ويحذر من الوقوع في إحداها.

"والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وكما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي توجيهي، فإن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل"[3].

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٤.

(٢) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩، ٢٥٠.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المهمة، حيث إن الموقف والحدث يكون شاخصًا دائمًا في ذاكرة المربي والمتربي على السواء، وتتجسد القيمة التربوية كأنها حاضرة شاهدة في ثنايا الحدث لا تنفك عنه، والمربي الناجح يستغل الموقف والحدث في تحقيق الأهداف التربوية المبتغاة، وتعميق القيم التربوية الأخلاقية في نفوس الناشئة، ومن أحاديث الباب التي تبرز لنا التربية بالمواقف والأحداث حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال لي النبي ﷺ لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا، فلم يجيء مال البحرين، حتى قبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى: مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ عِدَة أو دين فليأتنا فأتيته وقلت له: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى لي حثية فعددتها فإذا هي خمس مئةٍ فقال لي: خذ مثليها".

ففي هذا الموقف والحدث الذي ساقه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما تبدي قيمة إنجاز الوعد، والوفاء بالعهد ظاهرة جلية من خلال حرص أبي بكر رضي الله عنه على الوفاء بعِدَة رسول الله ﷺ وإنجاز وعده، فإن أولى الناس بمكارم الأخلاق وأرعاهم لها هو رسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

٨٧- باب المحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾[النحل: ٩٢].

وَ(الأَنْكَاثُ): جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ.

وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[الحديد: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: ٢٧].

الحديث رقم (٦٩٢)

٦٩٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: **((يَا عبْدَ الله، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))** متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث من باب (الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح وترك قيام الليل) جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله رضي الله عنه (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم بعد النداء الذي يشعره بالتكريم (يا عبد الله)، ويكفيه شرفا أن يجري اسمه على لسان رسول الله ﷺ، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩/١٨٥، وتقدم برقم ١٥٤. وسيكرره المؤلف برقم ١١٧٠. أورده المنذري في ترغيبه ٩٤٣.

فلان) كناية عن هذا العبد المقصر، وفائدة الكناية هي الستر بإبهامه، وعدم ذكر اسمه صراحة، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-فضل قيام الليل: اتفق الفقهاء على أن صلاة النافلة بالليل أفضل من مطلق النافلة في غيره[١].

٢-ذكر الشخص بما فيه من عيب: قال ابن حجر: (قال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه)[٢].

٣-المداومة على الطاعات: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للمرء الدوام على ما اعتاده من الخير، من غير تفريط، وكراهة قطع العبادة، وإن لم تكن واجبة[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) الجوهرة النيرة ٢٨٥/١، وحاشية الصاوي ١٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٢٢٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٢/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٤٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١٦/٢، ١١٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٣.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النفس البشرية تميل إلى الحرية وترفض التكاليف في كثير من الأحيان، ولهذا ورد الحديث الشريف: "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات"، والإنسان يعيش فترة من الزمن تتقاذفه الأمواج، وتدفعه الريح إلى اليمين مرة وإلى اليسار مرة أخرى - إلا من رحم ربي - وفي كل يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه.

ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي.

أولاً- التربية على المداومة على الخير:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية التربية على المداومة على الخير واستدامته، لأن ذلك يؤصل في نفس المتربي فعل الخيرات دائمًا، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يؤكد هذا المعنى فيروي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، ويقول: قال لي رسول الله ﷺ: "ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، فالنبي ﷺ يرشد ويربي الصحابي الجليِّل على المواظبة والمداومة على أفعال العبادة والطاعة.

"ويجدر بالمؤمن الذي يقدر قيمة الوقت وأهميته أن يغمره بفعل الخير ما استطاع إليه سبيلاً، ولكن لا يكفي أن ينهض إلى الخير في تثاقل وتكاسل، أو يؤدي بعضه ويؤجل بعضه، أو يؤخره كله من يوم إلى آخر عجزًا أو كسلاً، وقد قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل ... إلى غد إن يوم العاجزين غد

وينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته"[1].

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ١٦-١٨.

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة بحثه على فعل الخير باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل.

"وغاية المنهج الإسلامي هو تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام وبذور الخير، فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل ومدتها محدودة قليلة والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة ويداوم عليها [(١)].

ثانيًا: التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال التوجيه المباشر للمتربي، وحديث الباب الذي معنا يدلل على ذلك، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: ياعبدالله..." ففي هذا الحديث جاء التوجيه المباشر من الرسول ﷺ بالحرص على المداومة على قيام الليل وعدم تركه.

"والتربية بالتوجيه المباشر من أساليب التربية التي تعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى الشخص المستهدف بالتربية مباشرة بصيغة الأمر أو بصيغة النهي"[(٢)].

ثالثًا- التربية العبادية:

إن من جوانب التربية الإسلامية التربية العبادية وتتمثل في حديث الباب في قيام الليل، وهذا ما يتضح من قول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ياعبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، ففي هذا توجيه للمداومة على قيام الليل.

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤.

"ومن الأمور التي حث الشرع عليها قيام الليل، ويقصد به صلاة النافلة وقت منام الخلق وخاصة في الهزيع الأخير من الليل، ويقال له التهجد، وما أكثر الفوائد التي يجنيها الفرد من قيام الليل لتربية ذاته وصلاح حاله، وفي قيام الليل يحقق الإنسان الإخلاص الذي هو أحد شرطي قبول العمل، وفي قيام الليل يربي الإنسان نفسه على تحقيق الشرط الثاني من شرطي قبول العمل وهو المتابعة حيث ثبت أن نبينا محمدًا ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، ويعتبر قيام الليل مدرسة عظيمة تعلم تلاوة القرآن بخشوع وتدبر، وهي تربي في الفرد المداومة على ذكر الله والإخلاص في عبادته وتشد القلب إلى خالقه"[1].

ولا شك أن تربية النشء على قيام الليل يربطه بالله عز وجل ويشده إليه سبحانه، وواجب المشتغلين بالتربية تعميق معنى الصلة بالله عزَّ وجلَّ من خلال التربية العبادية بقيام الليل.

"والإنسان بطبعه ضعيف في حاجة إلى القوة المعينة واليد الحانية، فإذا أحس بأنه وحيد في ضيقه ومحنته وَهَى وتخاذل فلا يصبر على متاعب ولا يقوي على كفاح أو تحمل، وإذا أحس بأن الله معه، يأخذ بيده، إذا كبا ويسدده إذا زل ويمده إذا احتاج، ويجيبه إذا سأل، ويعينه إذا ضعف، وينصره إذا جاهد، آمن بأنه موصول بقوة الله التي لا تُغْلب، مُعَان بمدد الله الذي لا ينفد، فإذا هو قَويٌّ على نفسه، قوي على متاعبه، قوي على شهواته وأعدائه"[2].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ٩٣-٩٥.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١٠٥.

٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[آل عمران: ١٥٩].

الحديث رقم (٦٩٣)

٦٩٣- عن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عدي بن حاتم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٢).

الشرح الأدبي

الأمر (اتقوا النار) أمر تحذير، وترهيب وفي اتصاله بواو الجماعة عموم لجميع المخاطبين بالحكم يجعلهم في قلب الإنذار، ويجعل الجميع تحت مظلة المُنذَرين وهو مما يرفع درجة التنبيه، والتشويق، والاستشراف؛ وتعلق الأمر بالنار أكّد الإحساس بالخطر، وزاد الشعور بالرهبة المنبعثة من لفظ (النار) التي تستصحب إحراقها، ولظاها، دون إنارتها، ودفئها لوقوعها مفعولاً للفعل (اتقوا) وهو علم على التحذير، والترهيب، ، وهو بذلك يغرس في وجدانهم الشعور بالخوف الذي يقف سدا منيعا بينهم، وبين ما يغضب الله، كما يدفعهم للتحرك ضد الاتجاه المؤدي إلى النار، وهو عمل الصالحات، وقد فتح لهم النبي ﷺ الباب بعبقرية لا تترك لمتعلل بقلة ذات اليد حجة (ولو بشق تمرة) أي ولو كان المتصدق به شق تمرة، والتعبير بالشق مبالغة في القدر المتصدق به الذي يمنع النار، لأن أقل ما يطعم الإنسان التمرة فلو تصدق بنصفها لأدت الغرض ومنعته النار ما دام مخلصا فيها، والمفارقة العجيبة التي أثارها الافتراض الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٦٣، ومسلم ١٠١٦/٦٨، وتقدم برقم ١٣٩. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٤.

جاء في ثوب الشرط بين هول عظيم مصدره أعظم نار، وبين شيء بسيط قدَّمه الإنسان فحجبه، ومنعه عن هذه النار، وقوله (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ) أسلوب شرط يضع احتمالا بعيدا لا يترك لمتعلل حجة بضيق ذات اليد فلابد أن يجد كلمة طيبة يتقي بها النار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٩).

الحديث رقم (٦٩٤)

٦٩٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وَهُوَ بعض حديث تقدم بطولِه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول النبي ﷺ (وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ) الواو عاطفة على كلام سابق، والعبارة تربّت على قلوب الفقراء، والمساكين الذين لا يملكون ما يتصدقون، كما تفتح باب صدقة لا يغلق للجميع؛ لأن الغني لا يستطيع أن يبذل ماله طول الليل، والنهار، لكنه، ومعه الفقراء يستطيع أن يبذل الصدقة بالكلمة الطيبة على مدار الساعة سلاما على هؤلاء، وردا على سلام هؤلاء، وإصلاح بين هؤلاء، ودعوة صالحة لمكروب صدقة وابتسامة مع كلمة تشجيع لكادح صدقة، وكلمة حنونة للوالدين صدقة، وكلمة رقيقة لزوجة صدقة، ونصيحة لولد، أو صديق، أو جار صدقة، أو ذكر لله بأي شكل صدقة، وغيرها، وغيرها خير فتحته عبارة الرسول ﷺ لا حدود لها فالكلمة اسم جنس خصصه بالصفة (طيبة)، وأطلقها باب خير لا يغلق لا كلفة فيه، ولا عناء، ألا يجدر بك، وبكل عاقل أن تتخذ من هذا العمل الخالي من الكلفة بابا لكسب الحسنات يكون قربتك لربك.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩/٥٦ ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٥.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٢٢).

الحديث رقم (٦٩٥)

٦٩٥- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلِيقٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[2].

المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى الناس[3].

طَلْق: مستبشر[4].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل

---

(١) برقم ٢٦٢٦/١٤٤، وتقدم برقم ١٢١، وسيكرره المؤلف برقم ٨٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٦٧.

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ف).

(٤) المرجع السابق في (ط ل ق).

التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلقي الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقوية الروابط بين المسلمين مبدأ أصيل، وليست تقوية الروابط قاصرة على البعد المادي، بل هناك عوامل أدبية تبلغ حداً في الكثرة تدفع إلى تقوية الروابط الاجتماعية منها: إلقاء السلام ورده، زيارة المرضى وعيادة الجرحى، الابتسامة في وجه الآخر، المشاركة في الأفراح والأتراح، إلقاء الكلمة الطيبة إلى الآخرين.

كما كان رسول الله ﷺ يسمع سيئ الكلام من خصومه، فيرد عليهم بما ينبئ عن حسن خلقه، بل كان يكني خصومه ويلعب أعدائه بما يشعر بالمدح للحد من غلوائهم وائتلافا لقلوبهم.

إن الإنسان ليعجز عن إعطاء كل إنسان صدقة مادية، ولكنه لا يعجز عن إلقاء الكلام الطيب وإظهار الابتسامة.

إن إعطاء المال قد يصادم هوى النفس، وأما الابتسامة فهي محببة لقلب صاحبه وقلب المتلقي في نفس الوقت.

والإسلام راعى الفطرة حين رتب على هذا الأمر أجراً جزيلاً، وجعل الكلمة الطيبة من دوافع النار عن الإنسان في الآخرة كما جعلها من المعروف، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية النافعة التربية بالترغيب والترهيب، حيث إن النفس الإنسانية تتقلب ما بين الرغبة والرهبة، والرجاء والخوف، ومن أحاديث الباب التي تبين هذا الأسلوب حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: "اتقوا النار ولو بشق تمرة..." ففي هذا الحديث ترهيب من النار، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "والكلمة الطيبة صدقة..."، وفيه الترغيب في الكلمة الطيبة باعتبارها صدقة يثاب عليها المرء.

"وفي تنوع الأسلوب مابين الترغيب والترهيب مدعاة للاستجابة، ومناسب للفطرة واختلاف الفِطَر، ثم اختلاف عوامل البيئة وعوامل الوراثة مما يؤكد على أن أسلوب

الترغيب والترهيب من أساليب التربية ليكون لكل حالة ما يناسبها فلا يضعف الترهيب ثقة المتعلم بنفسه فيصرفه عن التعليم أو يطمع الترغيب المتعلم فيهمل، إنه ترغيب في حال لا تصلح إلا به، وترهيب في حال لا تتم المعرفة بدونه"[١].

والإنسان مفطور على حب الخير وكره الشر، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي.

"إن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس الإنسانية، و الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بما أمر به مما يجعل للترغيب والترهيب أثراً في سلوكه، ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان للترغيب والترهيب أثر تربوي، والترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"[٢].

ثانيًا- التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه:

إن من أهداف التربية الأخلاقية التربية على طيب الكلام وطلاقة الوجه لما يتركه ذلك من توطيد العلاقات بين الأفراد والجماعة، ويشيع جوًا من السرور والبشْر بين الناس، وقد أورد الإمام النووي في أحاديث الباب ما يؤكد هذا المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة"، وقوله ﷺ: "والكلمة الطيبة صدقة"، وقوله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق".

وواجب المشتغلين بالتربية الاهتمام بتعويد المتربين على طيب الكلام "وطلاقة الوجه ضد العبوس، وتعني الانبساط للإخوان ببشاشة الوجه، وهو مصدر للألفة والمحبة، وهي أحد مصادر الحسنات، كما أن طلاقة الوجه من وسائل كسب المحامد، كما قال القائل:

---

(١) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، د. محمد أحمد جاد صبح، ١٥٨/١٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٤، ٣٩٥.

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق[١].

إن طيب الكلام وطلاقة الوجه سبب رئيس في إشاعة الحب، وقطع دابر التنازع والتخاصم.

"فالكلام الحسن مصدر عظيم للنجاح، وسبب في تكوين مجتمع راقٍ، لهذا عُني به المربون والمصلحون، ودعوا إلى حسن مخاطبة الغير ومراعاة اللهجة اللينة، فاختيار الكلام الحسن يجعل الإنسان محبوبًا في بيئته وسببًا للترقي في مجال عمله، وللحصول على أصدقاء كثيرين يقدمون له كثيرًا من المعونة في مجالات هذه الحياة، والقول الحسن والمعاملة الكريمة من الضروريات عند الأنبياء وقادة الأمم لتجتمع القلوب حولهم فيكونوا مسموعي الكلمة في قومهم. وهذا الأدب في معاشرة الناس إنما لإقرار المودة فيما بينهم، وهو فيما نرى لا غنى عنه لكل جماعة تبتغي السلام والسعادة في هذه الحياة"[٢].

ولا شك أن صاحب الوجه البشوش المنبسط ينشر النور، ويترك الخير في كل مكان يرتاده فالبِشْر علامة كاشفة وواضحة يدل ظاهرها على مخبر الشخص، "ومن أهم سمات البشاشة وانعكاساتها على الجوارح بسط الوجه وطلاقته، وهي سمة تظهر على المحيا فتوحي بالرضا والحبور، وتبعث في نفوس الآخرين الاطمئنان والراحة فيقبلون نحوه بصدور منشرحة، وقلوب تنبض بالحب والمودة، ولبسط الوجه آثار نفسية رائعة تقرب النفوس بعضها من بعض، وتبعث على التآلف، وتثير كوامن الخير وتُمتِّن الروابط بين الأخلاء والمتحابين والأصدقاء.

والرسول ﷺ يدعو إلى البشاشة المتمثلة في بسط الوجه، ويحث الناس على البشر، فإن كانوا معدمين لا تملك أيديهم ما يتصدقون به فإن أيسر شيء يتصدقون به هو بسط الوجه، وهو عمل لا يكلف صاحبه غاليًا، بل هو من قبيل الرخيص الغالي، لا

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٢٢، ٢٢٣.

ينقص من المال، ولا يكلف بما هو فوق الطاقة، وهو غالٍ لأنه يحبب الناس فيهم، ولا ينقص من قدرهم، فإن بسطوا وجوههم للناس فكأنهم أعطوهم، وإن كان منعٌ وتتطيبٌ أو ردٌ وإحجام فهذا ما يبعث البغض والحقد والضغينة في النفوس وهو ما تأباه الأخلاق"[١].

ثالثًا- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه المباشر، حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي مباشرة، ومن أحاديث الباب التي تبرز التربية بالتوجيه المباشر حديث أبي ذر رضي الله عنه: "قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"، حيث وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه توجيهًا مباشرًا بألا يحتقر أي عمل ولو صغيرًا من أعمال المعروف، ولو أن يلقى أخاه المسلم ببشاشة ووجه طليق، "ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال إلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[٢].

أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ...﴾[٣].

وفي كلتا الحالتين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصيغة جلية واضحة على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[٤].

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ١١/٤٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٥٤، ١٥٥.

رابعًا- التربية الاجتماعية:

وهذا واضح في أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ-التصدق ولو بالقليل كنصف تمرة، وفي ذلك سد لحاجات المحتاجين في المجتمع وقيام بمتطلباتهم المعيشية والحياتية.

ب-الكلمة الطيبة، وما لها من أثر فعّال في نشر المودة والمحبة بين أفراد المجتمع ونزع لما في الصدور من إحنٍ ومشاعر سلبية وعدائية.

ج-التبسم وطلاقة الوجه عند اللقاء، وما لذلك من نشر التفاؤل والإيجابية والإقبال على العمل والاجتهاد فيه والاهتمام والتعلق بالأخبار السارة وعدم الالتفات إلى الأخبار والأفعال غير السارة أو على الأقل عدم إعطائها أكبر من حجمها.

خامسًا- التربية على تعدد طرق الخير:

وهذا واضح وضوحًا جليًا من أحاديث الباب أيضًا، فإذا كان الإنسان يملك ما يتصدق به تصدق ولو بالقليل، فإن لم يجد هذا القليل فإنه يستطيع أن يكون من فاعلي الخير والمتصفين به عن طريق الكلمة الطيبة التي تنفع ولا تضر والتي تبني ولا تهدم، فإن عجز عن ذلك - وهذا على فرض أسوأ الاحتمالات- فإن باب الخير ما زال مفتوحًا أمامه، وذلك بأن يبتسم عند لقاء أخيه ويبش في وجهه، ولا يلقاه بوجه عبوس يحزن أخاه أو ينفره أو يضايقه.

والخلاصة أن طرق الخير كثيرة ومتعددة إذا عجز الإنسان عن باب، فما زال أمامه أبواب مفتوحة على مصراعيها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة والكبار.

❁ ❁ ❁

٨٩- باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إلا بذلك

الحديث رقم (٦٩٦)

٦٩٦- عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استجد كلام استجدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته؛ لذلك كان ﷺ كما وصفه هند بن هالة رضي الله عنه (متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكت يفتتح

---

(١) برقم ٩٥. وسيكرره المؤلف برقم ٨٥٣.

الكلام، ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول، ولا تقصير[١] وقد أحسن الجاحظ في وصف كلامه ﷺ بأنه الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف... فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وشدّ بالتأييد، ويسر بالتوفيق...، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ[٢].

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم تكرير الكلام: يستحب للمتكلم بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب، وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك[٣].

٢-السلام على الجماعة:

قال النووي: (إذا دخل على جماعة قليلة يعمهم سلام واحد، اقتصر على سلام واحد على جميعهم، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب، ويكفي أن يرد منهم واحد، فمن زاد فهو أدب، قال: فإن كانوا جمعًا لا ينتشر فيهم السلام الواحد كالجامع والمجالس الواسعة، فسنة السلام أن يبدأ به الداخل أول دخول إذا وصل القوم، ويكون مؤديًا سنة السلام في حق كل من سمعه، ويدخل في فرض كفاية الرد كل من سمعه، فإن أراد الجلوس فيهم سقط عنه سنة السلام على الباقين الذين لم يسمعوه، وإن أراد أن يتجاوزهم ويجلس فيمن لم يسمعوا سلامه المتقدم فوجهان أحدهما: أن سنة السلام حصلت بسلامه على أولهم لأنهم جمع واحد، فعلى هذا إن

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي ١٥٤/٢، حديث (١٤٣٠).

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ ٢٢١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٧/١١.

أعاد السلام عليهم كان أدبًا. وعلى هذا يسقط متى رد عليه واحد من أهل المسجد، وإن لم يسمعه سقط الحرج عن جميع من فيه، والثاني: أنها باقية لم تحصل لأنهم لم يسمعوه، فعلى هذا لا يسقط فرض الرد عن الأولين برد واحد ممن لم يسمع، ولعل هذا الثاني أصح.

وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" وهذا الحديث محمول على ما إذا كان الجمع كثيرًا، وقيل محمول على السلام مع الاستئذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثاً.

خامساً: من آداب المدعو: إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

استعمل الراوي رضي الله عنه هذا الأسلوب في الحديث مخبراً عن صفة كلام وسلام النبي ﷺ، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وإيصال ما يريد إلى أذهانهم.

ثانياً- من مهام الداعية: إعادة الكلام والتأني فيه من أجل إفهام السامع:

إن إعادة الكلام ووضوحه قدر الإمكان من أهم ركائز بلوغ الدعوة وبيانها لدى المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في إعادة النبي ﷺ لما يقول ثلاثاً، فضلاً

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٦٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٦٩٧).

عن كون كلامه فصلاً يفهمه كل من يسمعه، وقد بين ابن علان: (أن إعادة النبي ﷺ لما يقول ثلاثاً إذا كان المقام يقتضي الإعادة والتكرار، إما لمزيد الاعتناء بمدلول ذلك، أو لكثرة المخاطبين، أو لغير ذلك)[١]. والمعنى كما قال ابن عثيمين: (إنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بيِّن، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلاً بيناً واضحاً، حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة)[٢]. (فالعجلة في الحديث مظنة عدم فهم الكلام على وجهه من لدن المستمع، ولذا كان كلام النبي ﷺ لا عجلة فيه يفهمه من جلس إليه)[٣].

وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ كان يُحدِّثُ حديثاً لو عَدَّهُ العادُّ لأحصاه))[٤] (أي لو عد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه، لأطاق ذلك وبلغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم)[٥]، وقالت رضي الله عنها: ((...إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يَسرُدُ الحديثَ كسَرْدِكم))[٦] (أي: يكثره ويتابعه)[٧]، وقال ابن حجر: (أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض، لئلا يلتبس على المستمع)[٨]، وفي ذلك بيان على أهمية التأني في الكلام، وعدم الإسراع فيه، بل وإعادته إن اقتضى المقام ذلك، وفي ذلك بيان على أن التمهل بالكلام أثناء الحديث من أهم مهام الداعية حتى يفهم الناس منه، ويعقلوا عنه؛ وهذا ما كان يفعله صلوات الله وسلامه عليه تعليماً للدعاة، وإرشاداً

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/٩٩٧.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٦٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٦/٦٦٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥٦٨، ومسلم ٢٤٩٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٠٩.

(٨) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٦٩.

لمن يتصدون لتعليم الناس... (ولكن هناك فرق كبير بين تحدث رسول الله ﷺ وبين تحدث الداعية، والفرق ملحوظ في أمرين مهمين:

١- الرسول صلوات الله وسلامه عليه أوتي جوامع الكلم، وأكثر أحاديثه كلمات معدودات، والداعية مهما كان بليغاً على خلاف ذلك تماماً.

٢- النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، بل كل أقواله وأحاديثه تشريع لأمة الإسلام، والداعية مهما كان حكيماً ليس كذلك، وإذا كان هذا هو الفرق فبود الداعية أن يطنب في كلامه، وأن يتعجل في حديثه، ولا سيما في المواقف التي فيها تفاعل وإطناب - والإطناب كما عرفه علماء البلاغة: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة كالتكرار لداع، والإيضاح بعد الإجمال- كالحث على الجهاد، أو التحدث في مناسبات الشدائد والأزمات... ولكن على الداعية أن لا يسرع كثيراً في خطبته أو حديثه... حتى لا يأكل الكلام بعضه بعضاً، وحتى لا تختلط على المستمتعين الحقائق والأفهام)[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول الراوي: إنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وأيضاً من قول عائشة رضي الله عنها "كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه" وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢] وقال ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٣] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة، وفي ذلك يكون من الواجب على الداعية أن يراعي البيان والإيضاح في دعوته للمدعوين)[٤].

---

(١) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ٣٤-٣٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦-٢٧.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التسليم والاستئذان ثلاثا:

(التسليم دعاءٌ بالسلامة من الشرور والآثام، وهي من أفضل ما يرام)[١]، (أما الاستئذان: هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن)[٢]، وقد ورد أهمية التسليم والاستئذان ثلاثاً في الحديث من قول أنس رضي الله عنه "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً" قال ابن حجر نقلاً عن الإسماعيلي: (إن السلام إنما يشرع تكراره إذا اقترن بالاستئذان، والتعقب عليه، وأن السلام وحده قد يشرع تكراره إذا كان الجمع كثيراً، ولم يسمع بعضهم وقصد الاستيعاب، وبهذا جزم النووي ...، وكذا لو سلم وظن أنه لم يسمع، فتسن الإعادة، فيعيد مرة ثانية وثالثة ولا يزيد على الثالثة)[٣]. وهذا ما أكده ابن عثيمين في قوله: (وكان ﷺ إذا سلم على قوم "سلم عليهم ثلاثاً" معناه: أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة فإذا لم يُجب سلم الثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه، وكذلك في الاستئذان، كان ﷺ يستأذن ثلاثاً يعني: إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته، يدق الباب ثلاث مرات فإذا لم يجب انصرف، فهذه سنته ﷺ أن يكرر الأمور ثلاثاً ثم ينتهي)[٤]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٥] قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده. وينبغي أن يستأذن ثلاثاً)[٦] كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثًا فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلا فَارْجِعْ))[٧].

---

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام، ٢٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٥/١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩/١١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٧/٢.

(٥) سورة النور، آية: ٢٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

خامساً- من آداب الدعوة: إفشاء السلام:

(لقد حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام كافة، حتى تتوثق عرى الأخوة، وتتوطد أركان الأمة الإسلامية، فعلاقة المسلم مع أخيه المسلم تعني تدعيم أواصر بنيان الأمة)[١]، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على إفشاء السلام بين الناس، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي: "...، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً"، وقد أكد الحق تبارك وتعالى على أهمية السلام وإفشائه بين الناس فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلى صُورَتِهِ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلى أُولئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَذَهَبَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلى صُورَةِ آدَمَ فِي طُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً فَلَمْ تَزَلِ الْخَلْقُ تَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ))[٣]. وقد رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام بأن جعل بذله سبباً في دخول الجنة فقال: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٤].

قال النووي: (وفيه الحث العظيم على إفشاء التآلف السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت ومن لم تعرف...، والسلام أول أسباب التألف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين...)[٥].

---

(١) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ٥٠٦/١.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٤١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠.

الحديث رقم (٦٩٧)

٦٩٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ كَلاَمُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فَصْلاً: مفصولاً بين أجزائه وواضحاً[2].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الله جمع لرسوله أسباب البيان، وطلاقة اللسان، وقوة الجنان، ثم أوحى إليه التكاليف، والأحكام في القرآن، وجعل سنته تفصيلاً له، وبياناً، وأمره بتبليغ كل ذلك للناس جميعاً على اختلاف أجناسهم، ولغاتهم، واختلافهم في درجات الفهم، والاستيعاب، مع علم الرسول ﷺ بأنه يخاطب في جيله كل أجيال الأمة، ومع إدراكه لتطور الزمان، واختلاف المكان؛ لذلك كان كلامه ﷺ كما وصفته أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كلاماً فصلاً) أي فاصلا بين الحق، والباطل، وقد آثرت التعبير بـ (فصل) على (فاصل) ؛ لأنه أبلغ، أو على معنى أنه مفصول عن الباطل، أو مصون عنه فليس في كلامه باطل أصلاً، أو أنه مختص، أو متميز في الدلالة على معناه، وحاصله أنه بيِّنُ المعنى لا يلتبس على أحد بل (يفهمه كل من سمعه) من العرب، وغيرهم لظهوره تفاصيل حروفه، وكلماته، واقتداره لكمال فصاحته على إيضاح الكلام، وتبيينه،

---

(١) برقم ٤٨٣٩، وأخرجه الترمذي ٣٦٣٩ وقال: حسنٌ صحيحٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء ٢٣٩١: إسناده حسن.

تنبيه: حديث عائشة أصله في الصحيحين بلفظ: (إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم) ذكره البخاري برقم ٣٥٦٨ معلقًا، ومسلم ٢٤٩٣/١٦٠ موصولا.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٢.

وقولها رضي الله عنها (يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ) هذه خصيصة في البيان النبوي؛ لأن الله اختصه بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره[1]. فكان يخاطب كل قبيلة بلغتها، ويراعي تفاوت الأفهام فيما بينهم لإحاطته ببواطن من يخاطبهم فيقع كلامه من سمع كل سامع، وقلبه في المكان اللائق به.

المضامين الدعوية[2]

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٥٢٧/١١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن إيضاح الكلمة عند الإلقاء وتكرارها من أجل الاستماع والاستيعاب من القيم الإسلامية، إن سماع الإنسان لنصف الكلمة أو نصف الكلام لعدم الإيضاح من المتحدث مؤلم نفسياً، حيث يظل في حيرة من أمره، ماذا قيل له؟ وإذا كانت الكلمة غامضة حار المستمع في معناها وإن لم يكمل المتكلم كلامه معلقاً المستمع قائلاً له: نكمل الموضوع بعد جعله في قلق إذا كان الموضوع متعلقاً به، ولهذا كان رسول الله ﷺ يعيد الكلام ثلاث مرات لشد الانتباه من ناحية، ولدخولها إلى لقلب من ناحية ثانية، ولثباتها في العقل من ناحية ثالثة.

كما أن إرسال الكلام بهدوء يتيح فرصة للمستمع أن يستقبل بأذنه ويستوعب ما يسمعه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتكرار والتأكيد:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتكرار والتأكيد، ومما من شك في أن هذا الأسلوب يساعد على الفهم والإدراك لدى المتربي، ومما يدل على ذلك في حديثي الباب قول أنس رضي الله عنه: «أن النبيَّ ﷺ: كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم عليهم، ثلاثًا»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كَانَ كَلَامُ رَسُولِ الله ﷺ كَلَامًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

والكلام الواضح من خلال تكراره وتأكيده يقع في نفس المتربي موقعًا حسنًا. "والتكرار من طرق التربية، ويمكن أن تبدو أهميته للأطفال في حفظ الكلمات، وفي ذكر الأشكال، والتكرار قد يقصد به التأثير في النفس، فهناك تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، وقد استخدم الرسول ﷺ المربي هذه الطريقة في التربية الإسلامية"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣١.

والتكرار هو إعادة الشيء مرارًا وهو من أهم الوسائل في تثبت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس.

"ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هُديَت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه، وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد. والتكرار وسيلة تربوية تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم، ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره"[1].

ثانيًا- من مهام المعلم: البيان والتوضيح:

إن من المهام الأساسية للمعلم: البيان والتوضيح ليستطيع أن يقوم بدوره في العملية التربوية من غرس القيم، وتوجيه وإرشاد المتربين، وقد أبان حديثا الباب عن هدْي النبي ﷺ في كلامه وقوله، وما اشتمل عليه من البيان والإيضاح ففي حديث أنس رضي الله عنه "أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه ...". وفي حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كَانَ كَلاَمُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلاَمًا فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ».

"ومن آداب المعلم أن يتكلم ببطء وروية ولا يسرع حتى يتمكن السامع من فهم كلامه وإدراك مرامه، ويملي على تلاميذه ما كان له داع أو مبرر من ضرورة أو أهمية أو نحو ذلك، وأن يخاطب التلاميذ على قدر عقولهم وأفهامهم"[2].

إن العملية التربوية تقوم على المعلم في المقام الأول، ومن ثَمَّ فينبغي أن يحرص المعلمون على البيان والتوضيح لما يوجهونه من آداب وتوجيهات.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٣٠٧، ٣٠٨.

"إن التدريس عملية تعتمد على الأخذ والعطاء في الحديث وعلى بلاغة المعلم في الكلام وعليه فإنه يجب أن يخلو المعلم من الحبسة الكلامية، كما أن المعلم الذي يتحدث بسرعة كبيرة لا يستطيع طلبته فهم ما يقوله، ولا يستطيعون متابعة ما يسرده من أفكار ومعاني، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شر القراءة الهذرمة. أي القراءة السريعة بحيث لا تتبين أحرف الكلمات بيانًا واضحًا، وفي المقابل فإن البطء الشديد في الحديث مدعاة للملل والسأم وانصراف الطلبة عن الدرس، لذا فإنه من البدهيات أن يكون المعلم محدثًا لبقًا، وناطقًا فصيحًا ومتكلمًا بليغًا، يتحدث بعفوية وسلاسة، كأنما يغرف من بحر، وأن يكون كلامه ذا رونق وحلاوة وعذوبة وطلاوة، وأن يتميز أسلوبه بجودة الحَبْك، وإتقان السَبْك، وأن يكون كلامه فصلاً، لا فضول فيه ولا تقصير، فلا يسترسل فيه هذرًا، ولا يحجم عنه حصرًا"[1].

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد صالح بن على جان ص ٣٣.

٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه

الحديث رقم (٦٩٨)

٦٩٨- عن جرير بن عبدِ اللهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)) ثُمَّ قَالَ: ((لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

حجة الوداع: هي الحجة التي حجَّها النبي ﷺ عام ١٠هـ قبل وفاته بعام؛ فكأنه ودَّع الناس قبل وفاته[2].

اسْتَنْصِتِ الناس: مُرْهم بالإنصات ليسمعوا الأمور المهمة والقواعد التي سأقررها وأُحمِّلُكُموها[3].

الشرح الأدبي

أراد الرسول ﷺ أن يقرر، ويبيِّن خطر التقاتل بين المسلمين الذي يضعفهم، ويقوي أعداءهم حيث إن الخسارة في الجانبين تكون من المسلمين، فاستخدم بعبقرية، وبراعة الظرف المكاني في البيت الحرام، والظرف الزماني في موسم الحج حيث تتعلق القلوب بربها متجردة من دنياها مما يجعلها في قمة الاستعداد لقبول أمر الله، واجتناب نهيه، لأن المعنى الذي أراد أن يقرره ﷺ من الأهمية بمكان لذلك هيَّأ له الأسماع

---

(١) أخرجه البخاري ١٢١، ومسلم ٦٥/١١٨ ولفظهما سواء.

(٢) انظر: أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٢٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

بالأمر الموجه للصحابي (اسْتَنْصِتْ النَّاسَ) والهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب أي: طلب سكوتهم، ثم وجّه نهيه لجموع الأمة الحاضرة تتناقله من جيل إلى جيل (لا ترجعوا بعدي كفاراً) وقد حملت العبارة تشويقاً، وإثارة، وترهيباً من عدة أوجه: منها طبيعة النهي التي تجعل النفس كلفة بمعرفة المنهي عنه، ثم الظرف المتوسط للجملة (بعدي) والذي يقرر غياب النبي يومئذ، وهوأمر ثقيل على نفوس الصحابة، ثم التشبيه بالكفار، وهو أمر يُفْزِع المؤمن لاسيما، وهو في لحظة يرجو فيها الخلاص من ذنوبه في الحج.

ثم وضَّح سر النهي، وقرَّر موضع الخطر بعد أن أصغت الأسماع، واستشرفت النفوس إليه (يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) وهو مجاز مرسل عن القتل، أطلق الجزء (الرقاب)، وأراد الكل (جميع البدن)، وعبَّر به عنه تصويراً له بأشنع صورة، لأن ضرب الرقبة فيه إطارة الرأس الذي هو أشرف أعضاء البدن، ومجمع حواسه، وبقاء البدن ملقى على هيئة منكرة، والفعل المضارع (يضرب) يصوِّر الحدث، وكأن الرقاب تطير، والدماء تسيل، ولا شك أن تطاير الأشلاء، وتناثر الدماء من الأمور التي تتقبض لها النفس، وتنفر منها، والتنفير من الفعل هو الغرض من التصوير بالمجاز، ونسبة الفعل للفظ (بعض) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى أن الضارب، والمضروب كيان واحد بعضه من بعض، وحاصل تركيب هذه العبارة النهي عن التشبه بما لا ينبغي من أفعال الجاهلية، وأخلاق أصحابها في كل ما يؤدى بالمسلمين إلى الشقاء، والاختلاف، والصراع لا سيَّما ما يؤول بصاحبه إلى الكفر من الكبائر، - والعياذ بالله -.

فقه الحديث

لزوم الإنصات للعلماء:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه أن الإنصات للعلماء لازم للمتعلمين، لأن العلماء ورثة الأنبياء)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٢/١ ط/ الريان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حجة الوداع.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار.

رابعاً: من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حجة الوداع:

قد ورد ذكر حجة الوداع في الحديث من قول الراوي: (قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع)، (وقد كانت حجة الوداع في سنة عشرة من الهجرة، ويقال لها: (حجة البلاغ) و(حجة الإسلام)، و(حجة الوداع)؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وسميت حجة الإسلام؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها... وسميت حجة البلاغ، لأنه عليه الصلاة والسلام بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقى من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه عليه الصلاة والسلام، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه، وشرحه، أنزل اللهُ عز وجل عليه وهو واقف بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[(١)(٢)].

(وقد خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة، بعد أن استعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي)[(٣)]، فقضى رسول الله ﷺ الحج وقد أرى الناس مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم: من الموقف، ورمي الجمار، والطواف بالبيت، وما أحلّ لهم من حجّهم، وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحج الوداع[(٤)].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٤/٧.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٤٥/٤.

(٤) المرجع السابق ٢٥١/٤.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

قد ورد ذلك في الحديث من أمره ﷺ للراوي أن يستنصت الناس، ثم نهيه ﷺ عن الرجوع إلى الكفر في قوله: (لا ترجعوا بعدي كفاراً) والأمر والنهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على فعل المدعو إليه أو اجتنابه، فضلاً عن إظهار أهمية الأمر المدعو إلى فعله أو تركه، بما في ذلك عظيم الفائدة في تحقيق الاستجابة لدى المدعوين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحريم أفعال الكفار:

لقد ذم الإسلام ما كان من الكفار من قبيح أفعالهم وشؤم معاصيهم، وكان من ذلك تحريم دماء المسلمين، والعمل على حفظها بكل وسيلة ممكنة، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، قال النووي: (وأما قوله ﷺ: "لا ترجعوا بعدي كفاراً" فقال القاضي: قال الصبري: معناه بعد فراقي من موقفي هذا، وكان هذا يوم النحر بمنى في حجة الوداع، أو يكون بعدي أي خلافي، أي لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحقق ﷺ أن هذا لا يكون في حياته فنهاهم عنه بعد مماته، وقال في قوله ﷺ: "يضرب بعضكم رقاب بعض"، وفي معناه سبعة أقوال: أحدها: إن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق. والثاني: أن المراد كفر النعمة وحق الإسلام. والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه. والرابع: أنه فعل كفعل الكفار. والخامس: المراد حقيقة الكفر ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين. والسادس: حكاه الخطابي وغيره: أن المراد بالكفار المتكفرون بالسلاح، يقال: تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه...، والسابع: قاله الخطابي معناه: لا يكفر بعضكم بعضاً فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً. وأظهر الأقوال الرابع وهو اختيار القاضي عياض"[1].

وقال ابن حجر: (والمعنى: لا تفعلوا فعل الكفار فتشبهوهم في حالة قتل بعضهم بعضاً)[2]، ثم ذكر ابن حجر في شرح كتاب الفتن: (أن المراد بقوله ﷺ "كفاراً":

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٢/١

ستر الحق، والكفر لغة الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويعينه، فلما قاتله كأنه غطى على حقه الثابت له عليه)، وقال: (إن من الأقوال التي وردت في ذلك، أن الفعل المذكور يفضي إلى الكفر، لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها، فيخشى أن لا يختم له بخاتمة الإسلام، وقال الداودي: معناه: لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار، ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حراماً)[1].

وقال ابن عثيمين: (يعني: لا ترجعوا بعدي كفاراً حال كونكم يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي هذا دليل على أن قتال المؤمنين بعضهم بعضاً كفر، وقد أيد هذا الحديث قوله ﷺ: ((سِبابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[2]، لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على أنه لا يخرج من الملة قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3])[4].

وفي عموم ما سبق يظهر نهيه ﷺ عن الاتيان بأفعال الكفر والكفار من قتل وفسوق... إلخ".

فالمسلم له حرمة يجب أن تصان بكل الوسائل والطرق ويمنع من الاعتداء عليها بشتى الوسائل الممكنة، كما أن شعار المسلمين فيما بينهم يجب أن يكون الحفاظ على هذه الحرمات وتعظيم حقها.

رابعاً- من مهام الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين وهدايتهم:

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، وهذا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٤٤.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٩ - ١٠.

(٤) شرح رياض الصالحين ٩٩٩/٢.

ما أشار إليه نص الحديث من استنصاته للناس في حجة الوداع، وبيان ما يحذر عليهم بقوله: "لا ترجعوا بعد كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" والنبي ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى للدعاة إلى الله، وقد كان للداعية في قيامه بالدعوة إلى الله، والحرص على هداية الناس، لعظيم الأجر وجزيل الثواب، فهو أحسن الناس قولاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، "أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين العاملين، المسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد[2].

وقد عظّم النبي ﷺ أجر الداعية إلى الله، والمبلغ كلامه إلى غيره فقال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا. فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ. وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[3]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: ((انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[4]، وقال ﷺ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[5]، (ويجب أن يكون الحافز الحقيقي إلى الدعوة إلى الله وبذل النصح، فضلاً عن عظيم الأجر، هو الإيمان بالآخرة، وتمثل ما فيها من سعادة دائمة وشقاء دائم، وما أعد الله فيها لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء، وللكفار العصاة من عقاب، فهذا هو الحافز الذي يقلق الدعاة إلى الله، ويطير نومهم ويكدر صفو عيشهم، ويجعلهم لا يهدأ لهم بال، ولا يقر لهم قرار، وهو حافز أقوى وأعظم سلطاناً على نفوسهم مما يشاهدونه من اختلال النظام، واضطراب الأحوال، وما يشعرون به من الأخطار المحيطة بهذا المجتمع إذا انتشر فيه

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢٤٤، وصححه الألباني، سنن ابن ماجه ١٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

الفساد، ويجعلون ذلك موجباً لدعوتهم وإنذارهم لقلقهم وإشفاقهم، فيقول القرآن عن نوح عليه السلام وهو أول رسول يذكره القرآن بتفصيل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1]، ويقول عن هود عليه السلام وهو من أقدم الأنبياء عليهم السلام وقد بعث في قوم تهيأت لهم أسباب العيش، وتوسعت لهم الدنيا، وطابت لهم الحياة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ويقول عن شعيب عليه السلام وقد بعث في قوم لان لهم العيش، وانتشر في أرضهم الخصب: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾[3])[4].

---

(١) سورة هود، الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٣٢ - ١٣٥.

(٣) سورة هود، آية: ٨٤.

(٤) انظر: النبوة الأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥ - ٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم العملية التعليمية - في ضوء الهدي النبوي - على أسس عدة منها:

١/ حسن العلاقة بين المتعلم والمعلم.

٢/ تكلف المعلم في القول والفعل مع المتعلم.

٣/ اختيار الموضوع المناسب لقدرات المتعلم العقلية.

٤/ اختيار الزمان المناسب والجو النفسي المساعد على الطلب.

وهذا ما فعله الرسول ﷺ في حجة الوداع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من ميادين التربية: الحج:

إن الحج يعتبر من ميادين التربية المهمة، حيث يجتمع الحجيج في مكان واحد، ويوجه إليهم المربي التوجيهات والمواعظ، وفي الحج تكون حرارة الإيمان مرتفعة، واستحضار التقوى عظيمًا، مما يحض المتربي على الاستجابة والقبول، وتلقي التوجيه بلهفة وشوق ورغبة في الاستزادة من الخير.

وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يدلل دلالة واضحة جلية على أهمية الحج كميدان من ميادين التربية، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع..."، فالراوي يذكر أن وقت إلقاء النصح والتوجيه كان في حجة رسول الله ﷺ -حجة الوداع- والمربي الناجح يستغل الحدث المناسب، والمكان المناسب الذي يسوق فيه ما يريد من أمور التربية.

"إن في الحج تربية روحية حيث يتزود المسلم بهذه التربية، فتملأ جوانحه خشية وتُقَىً لله وعزمًا على طاعته، والحج تربية للجانب الفكري إذ هو توسيع لخبرة الإنسان ففيه يلتقي بثقافات متعددة ولغات متعددة لأبناء الإسلام من مختلف بقاع الأرض فيتعلم ويكتسب الخبرات المختلفة، ويكون رصيد معرفي من هذه الثقافات، والحج كذلك تربية جسدية حيث يدرب الإنسان على تحمل المشاق والمكابدة، وهو أيضًا تربية اجتماعية حيث التقاء المسلمين الذين يأتون من مختلف بقاع العالم تحت راية واحدة،

ويتعارف البعض على البعض الآخر، ويشعرون بوحدة الهدف والانتماء لمجتمع واحد هو المجتمع الإسلامي، وفي الحج تربية انفعالية نفسية إذ يتجرد فيه المسلم عن شهوات الجسد وضبط النفس والتحكم في الانفعالات خلال تعامله مع الآخرين في الحياة"[1].

وفي حديث الباب استغل النبي ﷺ حجة الوداع كميدان من ميادين التربية في سَوْق القيم الإسلامية، وبيان الحقائق الدينية، وتعليم الشعائر العبادية.

"وقد دلت كل القرائن على أن هذه الحجة -حجة الوداع- كانت مقصودة من الله بهذا التفصيل، وجاءت في وقتها المناسب، وكان في تأخيرها إلى هذا الوقت حكمة بالغة، ومصلحة راجحة، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب، وكثر المسلمون، وقوى الإيمان، وشبّ الحب، واستعدت النفوس للتعلم والاستفادة، وهفت القلوب، ورَنَت العيون إلى المشاهدة والمراقبة، ودنت ساعة الفراق، فألجأت الضرورة إلى وداع الأمة، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة ليحج البيت، ويلقي المسلمين ويعلمهم دينهم ومناسكهم، ويؤدي الشهادة، ويبلغ الأمانة، ويوصي الوصايا الأخيرة، ويأخذ من المسلمين العهد والميثاق، ويمحو آثار الجاهلية ويطمسها ويضعها تحت قدميه، فكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة، وألف درس، وكانت مدرسة متنقلة، ومسجدًا سيّارًا، وثكنة جوّالة، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل وينشط فيها الكسلان، ويقوي فيها الضعيف، وكانت سحابة واحدة تغشاهم في الحل والترحال هي سحابة صحبة رسول الله ﷺ وحبه وعطفه وتربيته وإشرافه"[2].

ثانيًا- من آداب المتعلم: الإنصات للمعلم:

إن من الأمور التي تحرص التربية الإسلامية على تأصيلها في نفوس المتربين آداب المتعلم، ومن هذه الآداب الإنصات للمعلم، والاستماع لما يقول وعدم رفع الصوت، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي فيه ما يدلل على هذا، وذلك في قوله ﷺ: «... استنصت الناس ...» ففي هذا الحديث طلب النبي ﷺ من راوي الحديث أن يطلب من

---

(١) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ٨٨.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٧٥، ٢٧٦.

الناس الإنصات للاستماع إلى خطبته وموعظته، والإمام النووي جعل عنوان الباب: "باب إصغاء الجليس لحديث جليسه ..."، مما يدلل على أن من آداب المتعلم الإنصات لما يقول المعلم: "ومن آداب المتعلم أن يتحرى رضى المعلم، ويتأدب مع رفقته وحاضري المجلس، ويقعد قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبث بيده ولا غيرها، ولا يلتفت بلا حاجة، بل يُقْبل على الشيخ مصغيًا إليه، وينبغي أن يكون حريصًا على التعلم مواظبًا عليه في جميع أوقاته"[(١)].

وقال الغزي: "ومن أهم آداب المتعلم أن يصغى إلى الشيخ ناظرًا إليه، ويقبل بكُلِّيته عليه متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله، أو فوقه، أو أمامه لغير حاجة، ولاسيما عند بحثه معه أو كلامه له فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة، ولا يسارّ في مجلسه ولا يغمز أحدًا، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي ما يضحك منه أو ما فيه بذاءة، أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب بل ولا يتكلم ما لم يسأله، ولا يسأل ما لم يستأذنه أولاً"[(٢)].

ولا شك أنه مما ينبغي الحرص عليه توقير مجلس العلم واحترامه وعدم رفع الصوت فيه والإنصات للمعلم.

ثالثًا- التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على سلامة الصدر ونبذ التدابر لما في ذلك من دوام الألفة والمحبة، وترابط وتكاتف المجتمع، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي، يشير إلى هذا في قول النبي ﷺ: «... لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وفي هذا وعيد شديد في التفاؤل بين المسلمين، واجتناب الأسباب المؤدية

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، ٨٦/١.

(٢) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزي ص ١٤٦.

إلى ذلك من التقاطع والتحاسد والتباغض والتدابر والتظالم.

"إن مما يغرسه الإيمان في قلب المؤمن هو سلامته من الغلّ والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلة أن تبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يمسي ويصبح سليم الصدر، نقيَّ الفؤاد، يدعو بما دعا به الصالحون ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، والمؤمن لا يحسد لأن الحسد داء نفسي يصنع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجسام، والمؤمن لا يحقد لأنه عفو كريم يكظم غيظه، وهو يستطيع أن يمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن.

وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به، ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه. فأين من هذه المعاني الرفيعة ما تنادي به اليوم دعوات هدامة، كل همّها زرع الأحقاد، وبث البغضاء والكراهية والعداوة بين الطوائف والطبقات، حتى يعيش الناس في تنازع وصراع دائم"[2].

ومن أسباب التنازع بين الناس فتنة المال والغنى، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جاءته غنائم من بلاد فارس، وكانت تقدر بالملايين نظر إليها وبكى فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، فوالله إن هذا لموطن شكر، فقال عمر: تالله ما أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلاّ ألقي بأسهم بينهم. يعني حارب بعضهم بعضًا[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٢-١٥٥.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٥٥، ٥٦.

رابعًا: توفير المناخ المساعد على التعليم:

ورد في حديث الباب بعض جوانب التربية التي يمكن للمعلّم الاستفادة منها في فصله في أثناء عرضه لدروسه، وهي ألا يتكلم إلا إذا كان الجميع في حال إنصات له: "استنصت الناس"؛ لكي يضمن أكبر استفادة من المعلومات التي سوف يعرضها وهو ما يعرف في التربية الحديثة بتوفير مناخ يساعد على التعلم.

۞ ۞ ۞

٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥].

الحديث رقم (٦٩٩)

٦٩٩- عن أَبي وائلٍ شقيقِ بن سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ ابنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا[١] في كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"يَتَخَوَّلُنَا": يتعهدنا.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يتخولنا: يتعهدنا[٣].

السآمة: الملل أو المشقة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يكشف عن جانب نفسي في رعاية حال المخاطبين، في الموعظة فليست النفوس مهيأة في كل وقت لتقبُّلها، وهو ما أدركه الرسول ﷺ وطبَّقه في تعهد أصحابه بالموعظة بين الحين والحين كلما وجد فرصة لذلك، وهو ما يؤكده بناء عبارة الصحابي (يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا) فقد عبَّر بالتخول، وهو التعهد والإصلاح

---

(١) لفظ البخاري: (يذكر الناس).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢١/٨٣.

(٣) رياض الصالحين ٣٠٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١.

بالإضافة إلى صياغة الفعل في صورة المضارع التي توحي بالتجدد، والحدوث، والوزن الخاص بالفعل (التفعل) الذي يشير إلى التدرج في الأمر، ثم قوله (مخافة) والتي تؤكد حرص النبي ﷺ على سلامة صدور أصحابه ثم التعبير بلفظ (السآمة) وهي الضجر، والضيق، وهما كفيلان باستغلاق الفهم، وحجب الموعظة عن العقل مما قد يضيِّع الغرض، وهو أرحم الناس بهم، وإذا كان هذا حال الناس، والرسول ﷺ هو المتحدث، والصحابة المستمعون، وهو أحب إليهم من أنفسهم، فالناس في زماننا إلى مرعاة هذا أحوج.

فقه الحديث

استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح:

قال ابن حجر: (يستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجدّ في العمل الصالح؛ خشية الملال وإن كانت المواظبة مطلوبة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التذكير.

ثانياً: من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس.

ثالثاً: من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التذكير:

"إن التذكير كأسلوب دعوي من أهم ما يزيل الغفلة عن المدعوين، فكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح، أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وقد أمر تعالى بذلك فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2][3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١ ط/ الريان.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٣.

ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس".

ثانياً- من مهام الداعية: الحرص على موعظة الناس:

(إن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير... وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحاً كشعاع الشمس، شائعاً كأمواج الهواء)[١]، وهذا لا يكون إلا بحرص الدعاة على تذكير وموعظة المدعوين، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: "... وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها... إلخ".

وقال ابن حجر نقلاً عن الخطابي: (إن الخائل بالمعجمة هو القائم المتعهد للمال، يقال خال المال يخوله تخولا إذا تعهده وأصلحه)[٢]، (ومما لا شك فيه أن حاجة الناس إلى من يتخولهم بالموعظة والتذكير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل)[٣]، وقد احتفى القرآن الكريم ببيان أهمية الموعظة والحرص على ذلك في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٦]، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمدًا ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله (بالحكمة)، قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (والموعظة الحسنة)، أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس يذكرهم بها، ليحذروا

---

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٦/١.

(٣) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٨.

(٥) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٦) سورة النحل، آية: ١٢٥.

بأس الله تعالى ...)[١].

وقد حرص النبي ﷺ -وهو القدوة والمثل الأعلى للدعاة- على موعظة الناس ودعوتهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى شدة حرصه ﷺ على ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٤]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه: "فلعلك باخع نفسك" أي: مهلك نفسك بحزنك عليهم...، وقوله تعالى: "أسفا"، أي: لا تهلك نفسك أسفاً)[٦]، (وقد استمر عليه الصلاة والسلام في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك، بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى)[٧].

ولا بد للداعية أن يتوخى بموعظته بلوغ هدفه بتغيير ما بنفوس الناس من فساد، فكل وعظ لا يبلغ هذا الهدف، أو لا يرمي إلى هذه الغاية، فهو جهد ضائع، وعمل باطل.

وفي بيان الطريق إلى ذلك، قال البهي الخولي: "لا يكن كل همك أيها الداعية أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦١٣/٤.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٥.

(٧) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي ص ١٩.

تتظرف بالنكت اللبقة، والفكاهات البارعة، ليقول الناس إنك مجدد في الوعظ، وعند هذا تنتهي مهمتك، ولا يكن همك أن تسلي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدف... لا تكن كذلك الذي يقبل على الناس في حذر وخفة. فلا يمسهم إلا مساً رقيقاً كأنما يخشى عليهم أن يتكسروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ، وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعاً ذا غرض معين، وهدف مقصود... لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقت قضاه معهم في مؤانسة، ومتعة عاطفية بريئة... هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا. إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أبن لهم عن غرضك، وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله.

أيها الداعية: حذار الوعظ الجاف، الذي لا حياة فيه، وحذار الوعظ الركيك المفكك الذي لا غرض له، وحذار أن تقف موقفاً وأنت لا تنوي أن تخرج منه بصيد... أنت صياد ماهر فاطرح شبكتك، وانقل ما يخرج لك منها إلى محيط آخر، محيط دعوة الله ورسوله.

قد يكون الوعظ السلبي ضرورياً في وقت ما، ولكنه على كل حال ضار في أوقات النهضات، وإرادة التخلص من الفساد العام... فإذا استوت النهضة على أمر الله، وتخلصت الأمة من الفساد، جاء دور الوعظ السلبي الذي يحذر ويزجر، ويمنع، لا الذي يثير ويغير، وينقل... وتكون مهمة الواعظ حينئذ أشبه بالطبيب الذي يقوم على رعاية الجسم السليم بالوقاية، ويأخذ بالحكمة الطبية المعروفة: (الوقاية خير من العلاج).

أيها الداعية: هذه هي الدعوة، وهذا هو الداعية، وهكذا الفهم فافهم دعوتك به، والله يؤيدك بروح منه، ويهدينا وإياك سواء السبيل"[1].

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة ص ٣٩ - ٤٠ بتصرف يسير.

ثالثاً- من فقه الداعية: الاقتصاد في الموعظة:

(إن من فقه الداعية في التحدث، أن يكون في حديثه مقتصداً معتدلاً، حتى لا يقع الناس في الملل، ولا تعتريهم السآمة، وهذا المنهج في تبليغ الدعوة هو أوقع في نفوس السامعين، وأشوق إلى قلوبهم، وأحب إلى أسماعهم، وهذه الطريقة في الاعتدال في التحدث، والاقتصاد في الموعظة، هي طريقة رسول الله ﷺ وأصحابه من بعده)[1].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه: (أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا)، وفي ذلك قال ابن حجر: "قال الخطابي: والمعنى: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئلا نمل..."[2]، وقال ابن عثيمين: "إنه ينبغي الاقتصاد في الموعظة، فلا تكثر على الناس فتملهم، وتكرّه إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، لأن النفوس إذا ملت كلّت وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقاً، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة، ما يكثر عليهم لئلا يملوا ويسأموا، ويكرهوا ما يُقال من الحق"[3].

(فالداعية إذا ابتعد عن الثرثرة اللسانية، وتجنب الحشو في الكلام والتكرار في الأفكار، وتكلم بلبّ الموضوع بلا مقدمات طويلة مملة.. جاءت موعظته مقتصدة معتدلة مقبولة لدى مستمعيه، بل يعطي - في انجذاب الناس له، واستجابتهم إليه، وتأثرهم به، واستفادتهم منه - المثل الأعلى للدعاة جميعاً في وسطية أحاديثه، واقتصاد مواعظه... اللهم إلا في بعض حالات خاصة، وجد من المصلحة أن يطنب في الحديث، ويكرّر في الكلام، ويؤكد بالشواهد، كأن يكون مثلا في بيئة عامية جاهلية، يشرف على توجيهها، ويقوم على تعليمها، فلا بأس من الإطناب والتكرار، على أن لا يطيل كثيراً، حتى لا ينفر الناس منه، ويعرضوا عنه)[4].

---

(١) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ١٣٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٠١.

(٤) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٣٩، ١٣٧.

الحديث رقم (٧٠٠)

٧٠٠- وعن أَبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ، فأطِيلُوا الصَّلاَةَ وَاقْصِرُوا الْخُطْبَةَ)) رواه مسلم[1].

"مَئِنَّةٌ" بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشددة، أي: علامة دالة على فقهه.

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك العنْسي حليف بني مخزوم كنيته: أبو اليقظان.

أحد السباقين إلى الإسلام هو وأبوه وأمه، قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبوبكر[2]. وقال عبدالله بن مسعود: أول من أظهر الإسلام سبعة فذكر منهم عماراً[3].

وعذب الثلاثة واستشهدت أمه من العذاب، فكانت أول شهيدة في الإسلام، ولما اشتد المشركون في عذابهم وأذاهم تلفظ عمار بكلمة الكفر مع اطمئنان قلبه بالإيمان، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[4] وهاجر إلى المدينة فكان أول من بنى مسجداً في الإسلام، فبنى مسجد قباء يصلي فيه النبي والمسلمون. وشارك في حمل راية الجهاد والدفاع عن الإسلام، فشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها.

---

(١) برقم ٨٦٩/٤٧ وزاد: (وإن من البيان لسحرًا).

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٥٠ وقال الألباني: قال محققو السير ٣٤٨/١: إسناده حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢).

(٤) سورة النحل، آية: ١٠٦.

وزكّى النبي ﷺ إيمانه، وشهد لصدقه فيه، فقال: ((مُلِئ عمار إيماناً إلى مُشاشه))[١].

ولذلك أوصى أصحابه ومن بعدهم، بأن يهتدوا بهديه، فقال: ((اقْتَدُوا بالذين مِنْ بَعْدِي أبي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما واهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ [عبدالله بن مسعود]))[٢].

وأثنى عليه النبي ﷺ الثناء العطر، فكان إذا استأذن عليه قال: ((ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب))[٣].

ومناقبه وفضائله كثيرة جداً.

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظلّ قابضاً على راية الجهاد، فشارك في معركة اليمامة وأصيبت أذنه.

واستعمله عمر والياً على الكوفة، وأخبر أهلها بفضله فكتب إليهم: إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بهما على نفسي.

فلما وقعت الفتنة بين المسلمين قاتل مع علي بن أبي طالب، وقد قال النبي ﷺ فيه: ((ما خُير عمار بن أمرين إلا اختار أرشدهما))[٤] فشهد معه الجمل وصفين، قال أبو عبدالرحمن السلمي - أحد كبار التابعين -: رأيت عمار بن ياسر في صفين لا يأخذ ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب النبي ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم، وهو يقول: اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه، والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هجر

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٧ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٠). ومُشاشه: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. النهاية ٨٧١ "مشش".

(٢) أخرجه الترمذي ٣٧٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٩٩)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٩٦٦).

لعلمت أنَّا على حق وأنهم على الباطل أهـ.

وظلّ يقاتل حتى قتل. قال ابن حجر: وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عماراً تقتله الفئة الباغية. وأجمعوا على أنه قتل مع عليٍّ بصفين سنة ٣٧هـ في شهر ربيع وله ثلاث وتسعون سنة[1].

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بجملة كثيفة المؤكدات تنبىء بأهمية ما يليها مع اللفت، والتنبيه إلى عناية المتكلم بما يقول، ورغبته أن ينُزِّل في نفس المخاطب تلك المنزلة.. هذا إن لم يكن يتوقع معارضة، أو شكاً حقيقة، أو تنزيلاً، والتوكيد- مع هذا - تشويق لما بعده، وتمهيد للأمر المترتب عليه.

وقد أكّد الجملة بأكثر من مؤكد مع أنه لم يواجه بشك، أو إنكار إشارة إلى ضرورة تقصير الخطبة؛ لأن الإطالة تورث الملل لاسيما في عصر اتسم بالسرعة، وازداد الناس فيه عجلة كعصرنا، وإضافة الصلاة للرجل في قول (صلاة الرجل) لتضمُّنها لتعظيم شأن المضاف إليه، ثم إن الطباق بين الطول، والقصر مع توضيحه للمعنى أحدث توازناً في الزمان يخرج بالمخاطبين عن حد الملل، ولذلك عقّب بالأمر بمضاد الحالة الأولى (فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ) والطباق بين (أطيلوا، وأقصروا) يلح على هذا المعنى، ويقرره حتى تتم الفائدة دون تجاوز يخرج بها عن غرضها.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٤٦/٣) (١٤/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٨١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٢٢/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٤٣، والسير (٤٠٦/١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣١٩/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٥/٣) والأعلام، خير الدين الزركلي (٣٦/٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٣٧٩/٢).

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

هيئة خطبة الجمعة، وآدابها: يستحب عند الفقهاء بلا خلاف، الاقتصاد في الخطبة، وترك التطويل، وأن تكون الصلاة أطول منها، ولكن بشرط عدم التطويل بما يشق على المأمومين، فتكون قصداً، أي معتدلة، والخطبة قصداً بالنسبة إلى وضعها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثالثاً: من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته علامة من فقهه، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يكون بها تقوية الكلام وإثباته في أذهان المدعوين، والتأكيد على أهمية العمل وتحري إقامته.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

(الخطبة: هي مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته نحو الهدف المرجو.. فهي سلاح المجتمع الإنساني في سلمه وحربه، وفي ترقيته والبلوغ به إلى القيم المحمودة والمثل العُلا، فمن ثم كانت بلاغ النبيين إلى أممهم، والقوة التي قاد بها الدعاة والمصلحون الإجتماعيون أممهم إلى الحياة المثالية الكريمة)[2]؛ (ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أية أمة، إما دعوة دينية أو سياسية، وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من

---

(١) بدائع الصنائع ١٩٨/٢، والقوانين الفقهية ٧٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/٢.

(٢) خطب مختارة، الرسائة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد ص ٧.

أهلها لتأييدها ونشرها، وألسنة من خصومها لإدحاضها والصد عنها، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات، وذوي النجدات في المحافل والمنتديات، والحج والمواسم والأسواق ومواطن الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك، كان ظهور الإسلام وبعثة الرسول - بالأمر الجلل، والشأن الخطير، والدعوة العظمى، التي لم يعهد لها مثيل في العالم - من أهم الحوادث وأعظم البواعث التي أطلقت الألسنة من عقالها، وأثارت الخطابة من مكمنها وأغرت العقول بأحكامها، والتفنن فيها، واختلاب الألباب بسحر بيانها فوق ما كانت عليه في جاهليتها. وابتدأ طور الخطابة الإسلامي بظهور رسول الله ﷺ خطيباً غير شاعر)[1].

وأول موقف وقفه للخطابة كان يوم نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2]، فدعا قومه على الصفا ثم قال: ((أرأيتَم لو أخبرتُكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم أكنتم مُصَدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك إلاّ صِدقاً. قال: فإني نَذيرُ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ))[3].

(فكان العمل الأكبر لصاحب هذه الدعوة العظمى -صلوات الله وسلامه عليه- بادئ أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة، ثم ورثها من بعده ﷺ خلفاؤه الراشدون، وهم أركان البلاغة وسادات الفصاحة)[4].

(ولقد بلغت الخطابة على عهد الخلفاء الراشدين أوج أهميتها، ولم تعد قاصرة على وقت الجمعة، بل أصبحت تلقى كلما دعت إلى ذلك حاجة، وكان لها من الأهمية ما يجعل الخطبة البليغة تسكن فتنة، أو تنفي فرقة، أو تهديء ثائرة، أو تثير حرباً يقوم لها الناس ويقعدون)[5].

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، على محفوظ ص ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٧٠.

(٤) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٤.

(٥) خطب مختارة، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ص ٨.

(وقد تميزت الخطابة النبوية بآداب عظيمة، وأحكام جليلة، جعلتها تلامس القلوب وتقنع العقول: منها أنه ﷺ لم يلق قولاً بلا تدبر فيه، بل كان دائم الفكر، واسع التدبير، ولذلك لامس بخطبه عقول الناس وعواطفهم. وكثيراً ما روى صحابته رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا استمعوا خطبة من رسولهم ﷺ ذرفت الدموع وخشعت القلوب، ولانت الجوارح. وما كان ذلك إلا لما فيها من دقة شاملة لألفاظها ومعانيها وموضوعها، وبالجملة فلقد كان ﷺ يعد خطبه ويهيئها، ولذلك جاء قدرها الممتاز، وقد كان من جملة الآداب التي بينها النبي ﷺ في خطبه، أنه كان صادق الإخلاص لخطبته، (ولذلك كانت تحْمَرُّ عَيْنَاهُ، ويعلو صَوْتُهُ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ)[1]، وكان ﷺ يتمسك بأخلاقه العظيمة في أثناء خطبته، فلا يعيب ولا يشتم، ولا يجابه فرداً بأمر خاص، وإذا أراد مخاطبة فرد بأمر خاص يقول: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا؟))[2]، وكان ﷺ يفخم لفظه، ويملأ به فمه ويخرج كل حرف من مخرجه، وبذلك ساعده النطق الصحيح على الإرشاد السليم، وهكذا جمع النبي ﷺ مزايا الخطيب الممتاز، مما جعل خطبته ذات أثر واضح في تبليغ الدعوة)[3].

ثالثاً- من فقه الداعية: طول الصلاة وقصر الخطبة:

إن من العلامات الدالّة على فقه الداعية طول صلاته، وقصر خطبته، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه)، قال النووي: (والمراد بالحديث الذي نحن فيه أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة، لا تطويلاً يشق على المأمومين، وهي حنيئذ قصد أي معتدلة والخطبة قصد بالنسبة إلى وضعها)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٠١، ٧٣٠١.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها" د. أحمد غلوش ص ٤٢٠ - ٤٢٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٨.

وليس أدلّ على ذلك من قول جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه قال: (كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَانَتْ صَلاَتُهُ قَصْداً. وَخُطْبَتُهُ قَصْداً))[١]، قال النووي: (أي: بين الطول الظاهر والتخفيف الماحق)[٢].

وعن الحَكَمِ بن خَزَنٍ الكُلَفِيّ رضي الله عنه قال: وَفَدْتُ إِلَى رسولِ اللهِ ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَقُلْنَا: يارسولَ اللهِ زُرْنَاكَ فَادْعُ اللهَ لَنَا بِخَيْرٍ. فَأَمَرَ بِنَا، أَوْ أَمَرَ لَنَا بِشَيْءٍ مِنَ التَّمْرِ، وَالشَّأْنُ إِذْ ذَاكَ دُونٌ، فَأَقَمْنَا بِهَا أَيَّاماً شَهِدْنَا فيها الْجُمُعَةَ مع رسولِ اللهِ ﷺ فَقَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَصاً أَوْ قَوْسٍ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ... إلخ))[٣]، وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: ((أَمَرَنَا رسولُ اللهِ ﷺ بِإِقْصَارِ الْخُطَبِ))[٤].

قال صاحب عون المعبود: (إنما إقصار الخطبة علامة من فقه الرجل، لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ، فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ المختصر عن المعاني الكثيرة)[٥]، وعن جابر بن سمرة السوائي رضي الله عنه قال: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ))[٦]، وفي الحديث أن الوعظ في الخطبة مشروع وأن إقصار الخطبة أولى من إطالتها[٧].

(هذا وإن كان ظاهراً في خطبة الجمعة، فهو عام ايضاً حتى في الخطب العارضة، فلا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، وكلما قصرت كان أحسن لوجهين: الوجه الأول: ألا يمل الناس، والوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال، لأن الكلام إذا طال ضيع

---

(١) أخرجه مسلم ٨٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٦٥.

(٣) أخرجه أبو داود ١٠٩٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١١٠٦، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٩٧٨.

(٥) عون المعبود محمد أشرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٥٣٢.

(٦) أخرجه أبو داود ١١٠٧، وحسنه الألباني، صحيح سنن أبي داود ٩٧٩.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٣٢.

بعضه بعضاً، فإذا كان قصيراً مهضوماً مستوعباً انتفع الناس به، وكذلك لا يلحقهم الملل)[١].

وما يؤكد ذلك قول عائشة رضي الله عنها لابن أبي السائب قاصّ أهل المدينة: (ثَلاثاً، لتُتَابِعَنِّي عليهنَّ أَوْ لأُناجِزَنَّكَ، قال: وما هنَّ؟ بل أُتابِعُكِ أَنا يا أُمَّ المؤمنينَ، قالَتْ: اجتنِبِ السَّجْعَ في الدعاءِ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ وأَصحابَهُ كانوا لا يفعلونَ ذلِكَ، وقُصَّ على النّاسِ في كلِّ جمعةٍ مرةً، فإنْ أَبيتَ فثنتينِ، فإنْ أَبيتَ فثلاثٌ، ولا تُحلِّنَّ النّاسَ هذا الكتابَ، ولا أَلفينَّكَ تأتي القومَ وهُمْ في حديثِهِم فتقطَعَ عليهِمْ حديثَهُمْ، ولكِنْ اتركْهُمْ فإذا حَدَّوْكَ عليهِ وأَمروكَ بهِ فحَدِّثْهم)[٢].

(فعلى الداعية أن يتفقه إلى مراعاة الناس في خطبته أو موعظته، بعدم الإطالة عليهم حتى لا ينفروا ويملوا، لكن بعض الأساليب العصرية التي طرأت حديثاً ولم تكن معروفة من ذي قبل، فيحتاج الداعية فيها إلى التطويل أو التفصيل في ذكر بعض القضايا، والإكثار من الشواهد، وتكرار الأفكار كما يحدث في المحاضرات العامة التي يدعى لها أصحاب الفكر، والمعلّمون، فلا بأس في ذلك لتعارف الناس على طولها، ولكن ينبغي مع ذلك محاولة جذب أنظار المستمعين، وإذهاب الملل عليهم بين فترة وأخرى ببعض المداخلات الأدبية والظريفة)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠٠٤/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٧/٦ رقم ٢٥٨٢٠، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٩/٤٣.

(٣) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر ص ٦١٣ - ٦١٤.

الحديث رقم (٧٠١)

٧٠١- وعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي ﷺ، قَالَ: بَيْنَا أنَا أُصَلّي مَعَ رسول الله ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأنُكُمْ تَنْظُرُونَ إلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَى أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلّى رسول الله ﷺ، فَبِأبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلاَ ضَرَبَنِي، وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرآنِ))، أوْ كَمَا قَالَ رسول الله ﷺ. قلتُ: يَا رسول الله، إنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإسْلاَمِ، وَإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأتُونَ الْكُهَّانَ؟ قَالَ: ((فَلاَ تَأتِهِمْ)) قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ((ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ)) رواه مسلم[1].

"الثُّكْلُ" بضم الثاء المثلثة: المصيبة الفجيعة. "ما كَهَرَنِي" أي: ما نهرني.

ترجمة الراوي:

معاوية بن الحكم السُّلمي: هو معاوية بن الحكم السُّلَمي الحجازي، صحابي مشهور كان يسكن بني سُليم وينزل المدينة.

كان رجلاً رجّاعاً إلى الحق، مكفراً عما قد يكون فعله من خطأ، كانت له جارية ترعى غنماً له، فأكل الذئب شاة منها، فغضب لذلك فضربها. وأتى النبي ﷺ فعظّم له ذلك الفعل، فقال للرسول ﷺ بعد أن أحس بذنبه: أفلا أعتقها؟ فقال له النبي ﷺ: "ائتني بها". فأتاه بها. فقال لها: "أين الله؟" قالت: في السماء. قال: "من أنا؟" قالت: أنت رسول الله ﷺ فقال له: "أعتقها فإنها مؤمنة"[2].

وكان مشاركاً في الشعر يقول الشعر الجميل؛ كان أخوه علي بن الحكم على

---

(١) برقم (٥٣٧/٣٣).

(٢) انظر: الحديث في صحيح مسلم (٥٣٧).

فرسٍ له فأنزلها خندقاً، فأصاب رجله جدار الخندق فدقّها. فأتى النبي ﷺ، فمسحها وقال: بسم الله. فما آذاه منها شيء. وفي رواية: فما نزل عنها حتى برأ.

فاستجاش هذا الموقف عواطف معاوية ومشاعره، فقال في ذلك:

وأنزلها عليّ فَهْوَ يَهْوي ... هُويّ الدلو مشرعة بحبل
فَعصب رجلَه فَسَما عليها ... سموّ الصقر صادف يوم ظِلٍّ
فقال محمدٌ صلّى عليه ... مليكُ الناس قولاً غير فعل
لَعاً لك فاستمرّ بها سوياً ... وكانت بعد ذاك أصحَّ رجل[1]

له حديث واحد في صحيح مسلم طويل، وبعضهم يقطعه فيجعله أحاديث وهو الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

واثكل أمياه: الثكل: المصيبة والفجيعة، أمياه: أمي[3].

يصمتونني: يسكتونني[4].

فبأبي هو وأمي: فرسول الله ﷺ مفدى، أو أفديه بأبي وأمي[5].

---

(١) أخرج هذا الحديث البغوي والطبراني وابن السكن وابن منده وبعضهم ليس عنده الشعر وقال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٣٨: في الإسناد صفار بن حميد لا يعرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٧١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٩٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٨، ٩٣٨ ترجمة أخيه علي، والثقات لابن حبان (٣٧٣/٣) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠٦/٤).

(٣) رياض الصالحين ٣٠١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص م ت).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٩٧٣.

ما كهرني: ما نَهَرَني[١].

الكهان: جمع كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدّعي معرفة الأسرار[٢].

يتطيرون: يتشاءمون بالشيء[٣].

يَصُدُّنَّهم: يصرفنَّهم ويمنعنَّهم[٤].

الشرح الأدبي

الصلاة صلة بين العبد، وربه، ولا ينبغي أن يقطعها شيء مهما كان لذلك نجد الرسول ﷺ شديد الحرص على أن تؤدي في كامل هيئتها حتى تحقق كامل غرضها - نجد صدى ذلك في بناء عبارته المؤكدة بأكثر من مؤكد مع أنه - وحاشاه - لم يواجه بإنكار، ولا شك، ولكنه أكّدها تعظيماً لها فقد بدأها بحرف التوكيد المشعر بالتعظيم لما بعده ثم صعَّد هذا التعظيم باسم الإشارة (هذه) المؤذن بدرجة من القرب الروحي لصلاة حاضرة يلق فيها المؤمن ربَّه مع إفادة الإشارة للتقرير، واستحضار المسند إليه، وجعله ملأ السمع، والبصر قبل أن يقرر الحكم المميز لها وهو أنها (لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) وفي ذكر كلام الناس إيماء إلى أن المصلي منقطع مع الحوار الإلهي بين القرآن، والدعاء؛ ولذلك نجد العبارة التالية تقرر ذلك بأسلوب القصر (إنما هي التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن) الذي يقصر الصلاة على تلك الأمور، وينفي أي شيء غيرها، ثم إن استخدام الرسول لـ (إنما) طريقاً للقصر فيه إشارة إلى أن هذا من المعلوم الذي لا يجهل، أو لا ينبغي أن يجهله أحد، وهو توكيد

---

(١) رياض الصالحين ٣٠١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك هـ ن).

(٣) المرجع السابق في (ط ي ر).

(٤) المرجع السابق في (ص د د).

معنوي للجملة الأولى، وهو سر فصلها عنها لكمال الاتصال، أضف إلى ذلك تنكيره لكلمة (شيء) والتي تفيد شمول القليل، والكثير من كلام الناس بحكم عدم صلاحيته في أثناء الصلاة، وتبقيها قاصرة بين العبد، وربه حالة إيمانية في حضرة إلهية لا يقطعها قاطع.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الكلام في الصلاة: أجمع أهل العلم على أن من تكلم في صلاته عامداً، وهو لا يريد إصلاح شيء من أمرها، أن صلاته فاسدة[1].

واختلفوا في كلام الساهي والجاهل: فذهب الحنفية إلى بطلان الصلاة بالكلام، سواء أكان المصلي ناسياً أم نائماً أم جاهلاً، أم مُخطئاً أم مكرهاً؛ فتبطل الصلاة بكلام هؤلاء جميعاً، دون فرق.

وذهب المالكية إلى أن الكلام مبطل للصلاة؛ سواء أصدر من المصلي بالاختيار، أم بالإكراه، حتى لو وجب عليه، كإنقاذ أعمى، واستثنوا من ذلك الكلام لإصلاح الصلاة فلا تبطل به إلا إذا كان كثيراً، أو كان سهواً، فإن كان كثيراً فإنه تبطل به الصلاة أيضاً.

وذهب الشافعية إلى عدم بطلان الصلاة بكلام الناسي، والجاهل بالتحريم إن قرب عهده بالإسلام، أو نشأ بعيداً عن العلماء، ومن سبق لسانه، إن كان الكلام يسيراً عرفاً، فيعذر به، ومرجع القليل والكثير إلى العرف على الأصح. وأما المكره على الكلام فإنه تبطل صلاته على الأظهر، ولو كان كلامه يسيراً، ومقابل الأظهر لاتبطل كالناسي. وأما إن كان كلامه كثيراً فتبطل به جزماً.

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٨، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٤٠، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ٢/٦٧٣.

وذهب الحنابلة إلى بطلان الصلاة بكلام الساهي والمكره، وبالكلام لمصلحة الصلاة، والكلام لتحذير نحو ضرير، ولا تبطل عندهم بكلام النائم إذا كان النوم يسيراً، فإذا نام المصلي قائماً أو جالساً، فتكلم فلا تبطل صلاته، وكذا إذا سبق الكلام على لسانه حال القراءة فلا تبطل صلاته؛ لأنه مغلوب عليه فأشبه ما لو غلط في القراءة فأتى بكلمة من غيره[1].

٢-حكم تشميت العاطس في الصلاة: من كان في الصلاة وسمع عاطساً حمد الله عقب عطاسه فشمته بطلت صلاته، عند الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والمشهور عند الشافعية؛ لأن تشميته له بقوله: يرحمك الله يجري في مخاطبات الناس، فكان من كلامهم الذي لا تصلح معه الصلاة، وقال أبو يوسف: لا تبطل صلاته؛ لأنه دعاء بالمغفرة والرحمة، فإن فعل ذلك جاهلاً لم تبطل صلاته[2].

٣-حكم الكهانة: وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٥٩٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

ثانياً: من صفات الداعية: الرفق واللين.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٥/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٦٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٥/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٠/٢ وما بعدها.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني ٢٣٨/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٩٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٧/١، والشرح الكبير ٥٨٧/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

الصلاة عماد الدين، وطريق المتقين، والفارق بين الكفار والمسلمين، وبها تكون الصلة بين العبد وربه الكريم، وقد ورد ذكرها في الحديث من قول الراوي: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ... إلخ).

وللصلاة مكانة عظيمة في الإسلام، فهي آكد الفروض بعد الشهادتين وأفضلها، وأحد أركان الإسلام، وحارسة الإيمان.

(وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2]، وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[3]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[5]، وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6].

وهي فريضة دائمة مطلقة على عبد وحر، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة،

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٣) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٢.

والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أُمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال، وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2]»[3].

والصلاة وجبات روحية، وحقن صحية، عيّن أعدادها، وأوقاتها العليم الحكيم فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾[4]، وأشار إلى أوقاتها في القرآن ولها ركعات معدودة تؤدى بها هذه الصلوات الخمس دائماً، وقد داوم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، حتى في الحروب، وتواترت أخبارها تواتراً لا يُعرف لأي عمل أو عبادة في ملة من الملل، وفي دور من أدوار التاريخ، وتوارثتها الأمة جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة من غير فترة يوم واحد، حتى في أدق ساعاتها وأعظم محنها وأزمانها، وهذه

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

الصلوات الخمس بأوقاتها وركعاتها، وجبات روحية... شرّعها الخلاق العظيم المبدع الحكيم، الذي ليس طبيب النفوس فحسب، بل هو خالقها العليم وصانعها الحكيم كذلك، فلا بد من الإيمان والخضوع لحكمتها وتشريعها، ولا بد من التمسك بها، والعض عليها بالنواجذ...، وفي تكرّر هذه الصلوات وتعاقبها في يوم وليلة حكمة بالغة، وتغذية صالحة كاملة للنفوس، ووقاية لها عن الغفلة عن الله، واستحواذ المادية على القلب والروح[1]. وقد كان للناس في الصلاة أحوال بينها ابن القيم في قوله: والناس في الصلاة على مراتب خمس:

الأولى: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثانية: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالثة: من حافظ على حدودها وأركانها، وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابعة: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها؛ لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، فقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامسة: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه عز وجل ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به.

---

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٢٤ - ٢٥.

فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب من ربه؛ لأن له نصيباً ممن جعلت قرة عينه بقربه من ربه عز وجل في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)[١].

(وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم للصلاة جواً من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، ما يجعل للصلاة أداة لتقوية حس النظام والتنظيم من أجل إظهار قوة الإيمان عند المسلمين، فالمقصود في الإسلام ليس الفرد وحده فحسب، بل وحدة الأمة وقوتها، فالفرد يعيش داخل هذه الأمة ليؤدي دوره فيها، ولكن إذا لم يكن الفرد قوياً بذاته ومنظماً ومتلائماً مع محيطه، لا يمكن أن يضيف قوته إلى قوة المجموع. بل سوف يعارضها، ومن هنا تظهر أهمية الصلاة وآثارها من الناحية الاجتماعية[٢].

ثانياً- من صفات الداعية: الرفق واللين:

إن من دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام، أن يتصف الداعية ويتحلى بخلق الرفق واللين، فبه تؤلف القلوب ويثمر إصلاح النفوس، ويقصد به "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[٣]، وهذا ما ورد في الحديث من قول معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: (... فلما صلى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني)، قال النووي: (وفي الحديث بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه)[٤].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٧٦ - ٢٧٧، مجموعة الحديث.

(٢) انظر: الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٦٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠٩.

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نصوص كثيرة تبين ضرورة اتصاف الداعية بالرفق واللين. فقد أمر الله تعالى نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما السلام بإلانة القول مع عدوه فرعون أثناء دعوتهما له، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، قال القرطبي: (القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه، يقال: لان الشيء يلين ليناً...، فإذا كان موسى عليه السلام أُمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2])[3].

(فالرفق يصلح النفوس، ويؤثر فيها تأثيراً لطيفاً حسناً، ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية، بخلاف معاملتها بالعنف، فإنه يولد لديها صلابة التحدي والنفور من صاحبها، ولو عظم شأنه وكثرت فضائله)[4].

وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[5].

قال القاسمي: (في قوله تعالى: "ولو كنت فظاً" أي: سيء الخلق خشن الكلام "غليظ القلب" أي: قاسيه وشديده. تعاملهم بالعنف والجفاف "لانفضوا" أي: تفرقوا "من حولك" فلم يسكنوا إليك فلا تتم دعوتك. ولكن الله جعلك سهلاً سمحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رؤوفاً رحيماً...، وقال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب التمسك بمكارم

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٥/١٤.

(٤) انظر: أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص ص ٨٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الأخلاق، وخصوصاً لمن يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف)[١].

(فعلى الداعية أن يقف طويلاً عند هذه الآية الكريمة، إذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلوب، مما يجعل الناس يفرّون وينفرون من أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى وحبيب رب العالمين ﷺ - إن وجدتا فيه - فكيف بمن عداه إذا كان فظاً غليظ القلب؟)[٢].

وقد تجلّت الدعوة بالرفق واللين في سنة النبي ﷺ وهو القدوة الحسنة حتى يتخذ الدعاة إلى الله في ذلك منهجاً وطريقاً، وليس أدل على ذلك من رفقه ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد، وذلك فيما رواه أنس رضي الله عنه في قوله: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[٣].

"فعلى الداعية أن يتصف باللين والرفق في دعوته، وأن تكون خالية من العنف، والخشونة، والقسوة، والشدة، والجفاء"[٤].

ثالثاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يعد التعليم من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم[٥]، وهذا ما ورد في الحديث من تعليم النبي ﷺ لمعاوية بن الحكم

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤/٢٧٦ - ٢٧٩.

(٢) انظر: من صفات الداعية "اللين والرفق"، د. فضل إلهي ص ١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) من صفات الداعية الين والرفق، د. فضل إلهي ص ٩.

(٥) وسائل الدعوة "مفهومها مشروعيتها، أنواعها"، د. حمد ناصر العمار، بحث منشور ضمن مجلة دراسات إسلامية" وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ص ٤٤.

السلمي ﷺ ما يجوز وما لا يجوز فعله في الصلاة وذلك من قوله ﷺ : "... ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه... إلخ".

وعلى الداعية الناجح ألا يكتفي ببث تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه فحسب، بل لا بد أن يحمل من يعلمه على التمسك بهذه المبادئ الحية، وأن يصوغ سلوكه على نحوها حتى يتربى تربية إسلامية، فيتعلم ويعمل في نفس الوقت، كما فعل المربي والداعية الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم مع أصحابه ﷺ فكانوا مصابيح يستنار بنورهم ومعلمين يسمع لقولهم، وهداة يقتفى أثرهم.

وهذه الطريقة من أهم المبادئ التي يجب على الداعية المعلم أن يحتذيها، وأن يحاول أن يربط كل من يعلمه من تلاميذه أو سامعيه بشؤون الحياة التي يعيشها لكي يرى آثار ما علمه في الناس مباشرة أو بعد حين، حتى يكون التعليم نافعاً وأقوى رسوخاً في الأذهان، لأن التعليم والتعلم وسيلة وليس غاية، وإنما غاية التعليم هي الآثار الناتجة في المتعلم، وتأثيرها على سلوكه وأعماله.

فالمعلم النابه هو الذي لا يعتمد قياسه الآثار التعليمية في المتعلم، كالحفظ وقوة الذاكرة فقط، بل يجب أن ينظر إلى الآثار السلوكية، ومدى تطبيقه لما علمه، لأن الحفظ وقوة الذاكرة لا ينفعان بدون الآثار السلوكية، التي تطرأ عليه بعد معرفته الحقيقة واقتناعه بها، وإن كان الحفظ وقوة الذاكرة من الأهمية الكبرى في العمل، فإن العمل يحتاج إلى علم يرشده إلى ما فيه الخير، الموافق لما رسمته الشريعة والمرضي لله تبارك وتعالى في جميع العبادات، كما أن المؤمن مطالب بالدعوة، وهي كذلك تحتاج إلى علم[1].

وقد كان من أهم الركائز الأساسية في التعليم كوسيلة دعوية، أن يبنى على الرفق واللين بالجاهل، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قول معاوية بن الحكم ﷺ : ((مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيماً مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ

---

(١) المرجع السابق ٤٤ - ٤٥.

ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي... إلخ)). قال ابن عثيمين: (ومن فوائد الحديث، حسن تعليم النبي ﷺ، وأنه يعلم بالرفق واللين، وهذاهديه ﷺ وهو أسوة أمته، فالذي ينبغي للإنسان، أن ينزل الناس منازلهم، فالمعاند المكابر يخاطب بخطاب يليق به، والجاهل الملتمس للعلم يخاطب بخطاب يليق به)[1].

وهذا ما أكده النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن عباد بن شرحبيل (رجل من بني غبر) رضي الله عنه قال: أَصَابَنَا عَامُ مَخْمَصَةٍ. فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ . فَأَتَيْتُ حَائِطاً مِنْ حِيطَانِهَا. فَأَخَذْتُ سُنْبُلاً فَفَرَكْتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي. فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ. فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي. فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ: ((مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعاً أَوْ سَاغِباً. وَلاَ عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلاً)) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس... إلخ"، والتوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه في أذهان المدعوين، وحيث أكد النبي ﷺ في أذهان المدعوين أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن.

خامساً- من موضوعات الدعوة: النهي عن إتيان الكهان والتطير:

قد ورد في الحديث النهي عن ذلك من قول معاوية بن الحكم رضي الله عنه: (يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم، قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم).

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٠٥/٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٢٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦١).

(والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب، والعرّاف: المنجم. وقال الخطابي: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق والضالة ونحوهما)[١].

(والحاصل أن الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة، فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف، والرمال، والمنجم: وهو الذي يخبر عن المستقبل بطلوع النجم، والذي يضرب الحصى، والذي يدعي أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعاً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر)[٢].

لقوله ﷺ ((مَنْ أَتى حَائِضاً أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِها أَوْ كَاهِناً: فقدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً حَائِضاً، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ))[٤].

ومن أجل ذلك (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة، بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله: كفر)[٥].

وقد بيّن ابن عابدين أن حاصله -أي التكهن والكهانة- أن دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها، إلا إذا أسند ذلك صريحاً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي أو إلهام[٦].

ويدخل في النهي عن إتيان الكهان، النهي عن أكل ما اكتسبه بالكهانة، لأنه

---

(١) التعريفات ٢٣٣، رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

(٢) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٥، وصححه الألباني (صحيح سن الترمذي ١١٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٠٤).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٦) رد المحتار على الدر المختار المسمى، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٨٥/٦.

سحت، جاء عن طريق غير مشروع، كأجرة البغي، فعن أبي مسعود الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ: ((نَهى عن ثمنِ الكلبِ، ومَهْرِ البَغيّ، وحُلوانِ الكاهنِ))[١] وهو ما يأخذه على كهانته"[٢].

وقال النووي: (وأما حلوان الكاهن فهو ما يعطاه على كهانته، يقال: منه حلوته حلواناً إذا أعطيته، قال الهروي وغيره: أصله من الحلاوة، شبه بالشيء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلاً بلا كلفة ولا في مقابلة مشقة... وقد أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن، لأنه عوض عن محرم، ولأنه أكل المال بالباطل)[٣].

قال صاحب عون المعبود نقلاً عن الأزهري: (وكانت الكهانة في العرب قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث نبياً، وحرست السماء بالشهب، ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع، وإلقائه إلى الكهنة، بطل علم الكهانة، وأزهق الله أباطيل الكهانة بالفرقان الذي فرق الله عز وجل به بين الحق والباطل، وأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ بالوحي على ما شاء من علم الغيوب التي عجز الكهنة عن الإحاطة به، فلا كهانة اليوم بحمد الله ومِنّتِه)[٤].

أما التطير: هو ما يُتشاءم به من الفأل الرديء[٥]، وقد كان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، فإذا طار يميناً فله حال، وإن طار يساراً فله حال، وإن اتجه أماماً فله حال...[٦].

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقال: ((لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيرَةَ وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ)). فقالَ أعْرَابيٌّ: مَا بَالُ الإبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٣٧، ومسلم ١٥٦٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٧.

(٤) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٦٨.

(٥) التعريفات، الجرجاني ص ١٨٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٠٠٦/٢.

قَالَ فَمَنْ أعْدَى الأَوَّلَ[١]، وقال ﷺ: ((الطِّيَرَة شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ثَلاَثاً وَمَا مِنَّا إلاَّ وَلكِنَّ الله يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ))[٢].

(وقوله ﷺ: (الطيرة شرك) أي: لاعتقادهم أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً، فإذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا بالله في ذلك، ويسمى شركاً خفياً ومن اعتقد أن شيئاً سوى الله ينفع أو يضر بالاستقلال، فقد أشرك شركاً جليا. قال القاضي: إنما سماها شركاً لأنهم كانوا يرون ما يتشاءمون به سببا مؤثراً في حصول المكروه، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي، فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد (ثلاثا) مبالغة في الزجر عنها (وما منا) أي أحد (إلا) أي إلا من يخطر له من جهة الطيرة شيء ما لتعوّد النفوس بها، فحذف المستثنى كراهة أن يتلفظ به. قال التوربشتي: أي إلا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة، وكره أن يتم كلامه ذلك، لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا نوع من أدب الكلام، يكتفي دون المكروه منه بالإشارة، فلا يضرب لنفسه مثل السوء.

قال الخطابي: معناه إلا من قد يعتريه الطيرة، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصاراً للكلام واعتماداً على فهم السامع ...، وقوله ﷺ: (ولكن الله يذهبه) من الإذهاب (بالتوكل) أي: بسبب الاعتماد عليه، والاستناد إليه سبحانه. وحاصله أن الخطرة ليس بها عبرة، فإن وقعت غفلة لا بد من رجعة. والله أعلم)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠٧، ومسلم ٢٢٢٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٠٩).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم آبادي ص ١٦٧٢.

الحديث رقم (٧٠٢)

٧٠٢- وعن العِرْباض بن ساريَةَ ﷺ، قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ فِي بَابِ الأَمْرِ بِالمُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَّةِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ التِّرْمِذِيَّ[1]، قَالَ: ((إنّه حديث حسن صحيح)).

ترجمة الراوي:

العرباض بن سارية: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٧).

غريب الألفاظ:

وجلت: فزعت[2].

وذرفت: دمعت[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام في قوله (قام فينا) يوحي بأهمية الأمر، ويؤكده ضمير الجمع المتصل بحرف الجر (فينا) ووصف الموعظة بأنها بليغة فيه إشارة إلى خصوصية في هذه الموعظة أربَت على غيرها؛ لأن مواعظ الرسول ﷺ كلها بليغة كما أنه يشير إلى عمق تأثيرها في النفوس يدل على ذلك تعبيره بقوله: (وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون) الذي يدل على الأثر الباطني، والأثر الظاهري، وتقديم القلوب على العيون؛ لأنه مترتب عليه ترتب الأثر على المؤثر، والتعبير بالجمع في (القلوب، والعيون) فيه دلالة على

---

(١) تقدم برقم (١٥٧). أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥)، وقال الحاكم (٩٥/١): هذا حديث صحيحٌ ليس له علة. وقال الحافظ ابن كثير في تحفة الطالب (٤٦): وصحّحه أيضًا أبو نعيم الإصبهاني، وقال شيخ الإسلام الأنصاري في ذم الكلام (١٢٢/٣): هذا من أجود حديث في أهل الشام وأحسنه. ونقل أيضًا عن أبي العباس الداغولي أنه قال: حديث العرباض هذا صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٥٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ج ل).

(٣) اللسان والوسيط في (ذ ر ف).

عمق الموعظة، وعموم تأثيرها على جموع المخاطبين.

وقولهم (كأنها موعظة مودع) يكشف سر الخصوصية في هذه الموعظة؛ لأن وصية المودع يكون فيها من المعاني والعواطف ما لا يكون في غيرها.

ولذلك جعل فيها الرسول ﷺ جماع الخير في الآخرة في قوله: (أوصيكم بتقوى الله) وجماع الخير في الدنيا بطاعة أولي الأمر في غير معصية، وترك الاختلاف، والتمسك بسنته، وسنة خلفائه، وقد ورد تعبيره في قمة الوفاء بالمعنى (عضوا عليها بالنواجذ) وهو كناية عن شدة التمسك بهديه، ولزوم سنته مهما كلّف ذلك.

ثم جاء أسلوب التحذير من المخالفة، والابتداع (وإياكم ومحدثات الأمور...) ليؤكد الأمر السابق بلزوم السنة، وإخباره ﷺ بما سيقع من الخلاف من أعلام نبوته، ولسان حال الزمان يقول صدق رسول الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٧) بكماله.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قدرات المستمعين العقلية في التركيز متفاوتة، ومثل ذلك الظروف الصحية، ولهذا كان الأمر بقصر الخطبة مع تجويدها وتحسينها وإطالة الصلاة، لأن قليل الكلام الجامع خير من كثيره المرسل، الخالي من الفكرة والمضمون.

كما أن التعليم لا يقوم على التلقين فقط، بل على الاستفهام وإجابة السؤال، حتى لا يكون الكبت الذي يولد الانفجار، أو يشوش على المعلومة، وحتى لا يساء الظن بالمعلم. ورفق المعلم ورأفته بالمتعلم من دواعي استيعابه وتجيبه في العلم والشدة والغلظة من دواعي كره المعلم والنفرة منه، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالتخول بالموعظة:

من الأساليب التربوية الناجعة التخول بالموعظة، وذلك حتى لا يمل المتربي من النصح والوعظ والتوجيه، وقد أورد النووي تحت هذا الباب -باب الوعظ والاقتصاد فيه- جملة أحاديث تبرز التخول بالموعظة. ومن ذلك حديث أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: «كان ابن مسعود رضي الله عنه يُذكِّرنا في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذَكَّرتنا كلَّ يوم، فقال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملِّكم، وإني أتخوَّلكم بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوَّلنا بها مخافة السآمة علينا»، وحديث أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما: «إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ. فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ». وكذلك أيضًا حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون...".

"والتخول بالموعظة أسلوب من أساليب التربية التي ربى بها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه والمراد بالتخول كما قال الخطابي: إنه كان يراعي الأوقات في تعليمهم ووعظهم ولا يفعله كل يوم خشية الملل فينذرهم أيامًا ويتركهم أيامًا، والموعظة ليست مطلوبة لذاتها، إنما لما يحصل بها من تأثير على النفوس، وتغيير في السلوك، واستقامة على

الطريق الصحيح، واستجابة لما يريد المربي لأنها تملك مشاعر المتدربين، وتليين القلوب القاسية، بقوة تأثيرها للاستجابة إلى الحق والموعظة بالتخول الأَوْلَى فيها مراعاة الوقت وعدم الإكثار حتى يكون ذلك مدعاة لاستعداد النفس للتقبل"[1].

ومن خلال الموعظة الحسنة يستطيع المربي أن يوجه المتربي بأدب ولطف "وهذا الأسلوب من أساليب التربية قوي التأثير في النفوس لأنه يدل على احترام الواعظ لمن يخاطبه فيجذبه ذلك إليه أكثر، ويجعله أكثر ميلاً لتصديقه واتباعه، وفي المواعظ القرآنية نلحظ أسلوبًا تربويًا رائعًا ينبغي أن يتمثله المربي والمتعلم؛ فالمعلم يجب أن يتفهم المتعلمين، وأن يقف على ظروفهم وتفكيرهم، وأن يعاملهم بالحسنى، بدلاً من العنف والسب الذي يتسبب في نفور المتعلم من التعلم، وهذا ما تدعو إليه التربية الحديثة... بعد أن نادى به الإسلام منذ ظهوره، فهذا الأسلوب من شأنه تكوين وتنشئة وإعداد المسلم العابد الصالح بحيث يكون سلوكه صائبًا في عقيدته وعقله وعمله، وهذا هو الهدف من القرآن الكريم[2].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي باستغلال الموقف أو الحدث في تنمية وغرس قيمة معينة أو التوجيه والإرشاد لأمر معين، ومن أحاديث الباب التي تشير إلى التربية بالمواقف والأحداث حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ ... قَالَ ﷺ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ...».

ففي الحديث بيَّن النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٩٣-٣٩٥.

(٢) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد عطية ص ٢٢-٢٤.

"والتربية بالأحداث من طرق التربية الفعّالة أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين. وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"(١).

ثالثًا- من آداب المعلم: الرفق بالمتعلم:

إن من الصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم الرفق بالمتعلم، وذلك حتى يتقبل النصح والتوجيه والإرشاد، ومن أحاديث الباب التي تؤكد على هذا المعنى حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ وجاء فيه: «... فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ ...».

ففي الحديث يظهر كيف تعامل النبي ﷺ برفق ولين مع الصحابي الجليل، وكيف وجهه وأرشده إلى الصواب بدون تعنيف، ولا تأنيب ولا زجر.

قال الماوردي: "ومن آداب المعلمين أن لا يعنفوا متعلمًا، ولا يحقروا ناشئًا ولا يستصغروا مبتدئًا، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم، ومن آدابهم ألا يمنعوا طالبًا، ولا ينفروا راغبًا، ولا يُؤْيِسُوا متعلمًا، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرارٍ مُفْضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم، ومن آدابهم نصح مَنْ علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفْدهم ومعونتهم فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم"(٢).

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٣٣٦، ٤٤٧.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٩٣.

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية يستفاد منها في التعليم والتربية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكّرنا في كلّ خميس ..." الحديث، وكذلك في حديث معاوية ابن الحكم السُّلمي رضي الله عنه.

والحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة التي تنادي بها الاتجاهات المختلفة في التربية الحديثة، فإنها تتيح فرصة طيبة ليعبر المتعلم عن نفسه وعن أفكاره وآرائه في جوّ مشجع، فينتقل إلى الإسهام بدور إيجابي ويشعر بفائدة ما يتعلمه وما يتربى عليه.

ب-الموعظة: كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجَلَتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون..." الحديث. وتستخدم الموعظة في الكثير من الجوانب الحياتية المختلفة، فالآباء -على سبيل المثال- يستخدمونها في الكثير من الأمور التي يريدون تعليمها لأبنائهم، وتعد الموعظة من الأساليب التربوية التي تتميز بشدة بقاء أثر التعلم، فهي تكون نصب عين من وجهت إليه.

خامساً- التربية على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم:

وهذا واضح من قول ابن مسعود رضي الله عنه "أما إنه ما يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكم وإني أتخوَّلكم بالموعظة، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها، مخافة السآمة علينا".

فقد بين ابن مسعود رضي الله عنه أنه يسير على نهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والوعظ، وأنه يلتزم به ويقتدي به صلى الله عليه وسلم، لأنه الأسوة والقدوة لكل مسلم، وعلى ذلك ينبغي أن يربى كل فرد مسلم، وأن يستحضر دائمًا وأبدًا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٧٢-باب تحريم الكبر والاعجاب	٥
الحديث رقم (٦١٢)	٥
الحديث رقم (٦١٣)	١٧
الحديث رقم (٦١٤)	١٨
الحديث رقم (٦١٥)	١٩
الحديث رقم (٦١٦)	٢١
الحديث رقم (٦١٧)	٢٨
الحديث رقم (٦١٨)	٣٥
الحديث رقم (٦١٩)	٤١
الحديث رقم (٦٢٠)	٤٧
٧٣-باب حسن الخلق	٥٧
الحديث رقم (٦٢١)	٥٧
الحديث رقم (٦٢٢)	٦٥
الحديث رقم (٦٢٣)	٧٢
الحديث رقم (٦٢٤)	٨٠
الحديث رقم (٦٢٥)	٨٢
الحديث رقم (٦٢٦)	٨٣
الحديث رقم (٦٢٧)	٨٩
الحديث رقم (٦٢٨)	٩٦
الحديث رقم (٦٢٩)	١٠٠
الحديث رقم (٦٣٠)	١٠٤
الحديث رقم (٦٣١)	١١٤
٧٤-باب الحلم والأناة والرفق	١٢٧
الحديث رقم (٦٣٢)	١٢٧
الحديث رقم (٦٣٣)	١٣٢
الحديث رقم (٦٣٤)	١٣٩
الحديث رقم (٦٣٥)	١٤٠
الحديث رقم (٦٣٦)	١٤١

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٦٣٧)	١٤٧
الحديث رقم (٦٣٨)	١٥٢
الحديث رقم (٦٣٩)	١٥٦
الحديث رقم (٦٤٠)	١٥٧
الحديث رقم (٦٤١)	١٦٣
الحديث رقم (٦٤٢)	١٦٩
٧٥-باب العفو والإعراض عن الجاهلين	١٨٠
الحديث رقم (٦٤٣)	١٨٠
الحديث رقم (٦٤٤)	١٨٩
الحديث رقم (٦٤٥)	١٩٧
الحديث رقم (٦٤٦)	٢٠٤
الحديث رقم (٦٤٧)	٢١٣
٧٦-باب احتمال الأذى	٢٢٠
الحديث رقم (٦٤٨)	٢٢٠
٧٧-باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى	٢٢٩
الحديث رقم (٦٤٩)	٢٢٩
الحديث رقم (٦٥٠)	٢٣٧
الحديث رقم (٦٥١)	٢٤٣
الحديث رقم (٦٥٢)	٢٥٦
٧٨-باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم	٢٧٠
الحديث رقم (٦٥٣)	٢٧٠
الحديث رقم (٦٥٤)	٢٧٣
الحديث رقم (٦٥٥)	٢٨١
الحديث رقم (٦٥٦)	٢٨٨
الحديث رقم (٦٥٧)	٢٩٧
الحديث رقم (٦٥٨)	٢٩٨
٧٩-الوالي العادل	٣١٢
الحديث رقم (٦٥٩)	٣١٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٦٦٠)	٣١٤
الحديث رقم (٦٦١)	٣٢٠
الحديث رقم (٦٦٢)	٣٢٨
٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية	٣٤٢
الحديث رقم (٦٦٣)	٣٤٢
الحديث رقم (٦٦٤)	٣٥٢
الحديث رقم (٦٦٥)	٣٥٨
الحديث رقم (٦٦٦)	٣٦٥
الحديث رقم (٦٦٧)	٦٦٧
الحديث رقم (٦٦٨)	٣٧٧
الحديث رقم (٦٦٩)	٣٩٤
لحديث رقم (٦٧٠)	٤٠٢
الحديث رقم (٦٧١)	٤٠٩
الحديث رقم (٦٧٢)	٤١٧
الحديث رقم (٦٧٣)	٤٢٤
٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لَمْ يتعين عليه أوْ تَدْعُ حاجة إليْه	٤٣٥
الحديث رقم (٦٧٤)	٤٣٥
الحديث رقم (٣٧٥)	٤٤٧
الحديث رقم (٦٧٦)	٤٥٣
الحديث رقم (٦٧٧)	٤٥٥
٨٢- باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور عَلَى اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم	٤٦٤
الحديث رقم (٦٧٨)	٤٦٤
الحديث رقم (٦٧٩)	٤٦٩
٨٣- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أوْ حرص عليها فعرّض بها	٤٧٨
الحديث رقم (٦٨٠)	٤٧٨
١- كتاب الأدب	٤٨٦
٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التخلق به	٤٨٦
الحديث رقم (٦٨١)	٤٨٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٦٨٢)	٤٩٤
الحديث رقم (٦٨٣)	٤٩٥
الحديث رقم (٦٨٤)	٤٩٧
٨٥- باب حفظ السر	٥٠٦
الحديث رقم (٦٨٥)	٥٠٦
الحديث رقم (٦٨٦)	٥١٣
الحديث رقم (٦٨٧)	٥٢٢
الحديث رقم (٦٨٨)	٥٣١
٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد	٥٤٣
الحديث رقم (٦٨٩)	٥٤٣
الحديث رقم (٦٩٠)	٥٤٥
الحديث رقم (٦٩١)	٥٥٥
٨٧- باب المحافظة على ما اعتاده من الخير	٥٦٤
الحديث رقم (٦٩٢)	٥٦٤
٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوَجه عند اللقاء	٥٦٩
الحديث رقم (٦٩٣)	٥٦٩
الحديث رقم (٦٩٤)	٥٧١
الحديث رقم (٦٩٥)	٥٧٢
٨٩- باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لَمْ يفهم إلا بذلك	٥٧٩
الحديث رقم (٦٩٦)	٥٧٩
الحديث رقم (٦٩٧)	٥٨٦
٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه	٥٩١
الحديث رقم (٦٩٨)	٥٩١
٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه	٦٠٣
الحديث رقم (٦٩٩)	٦٠٣
الحديث رقم (٧٠٠)	٦٠٩
الحديث رقم (٧٠١)	٦١٧
الحديث رقم (٧٠٢)	٦٣٣
فهرس المحتويات	٦٣٩

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد العاشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٠

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٥٥ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٠٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٠)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٥-٠٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٠)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٩٢- باب الوقار والسكينة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[الفرقان: ٦٣].

الحديث رقم (٧٠٣)

٧٠٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا، حَتَّى تُرَى[١] مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"اللَّهَوَاتُ": جمع لَهَاةٍ: وهي اللحمة التي في أقصى سقف الفم.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مستجمعًا: مبالغًا في الضحك لم يترك منه شيئًا[٣].

لهواته: جمع لهاة: اللحمة التي في أقصى سقف الفم[٤].

الشرح الأدبي

حمل الرسول ﷺ همَّ هداية البشر جميعاً، وأطلعه الله على كثير من الغيبيات، وما ستتعرض له أمته من خير، وشر نضيف إلى ذلك ما رآه، وعلمه من الدين بالضرورة، فقد رأى الملكوت السفلي بجنِه وإنسه ودوابّه، فقد قال ﷺ إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا...[٥] وقال أيضا (... مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ قَدْ

---

(١) لفظ مسلم: (أرى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٥٦/٤، رقم ٣٢٧٤) وكذا لفظ البخاري برقم (٤٨٢٨).

(٢) اخرجه البخاري (٦٠٩٢)، ومسلم (٨٩٩/١٦) ولفظهما سواء.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٢.

(٥) صحيح مسلم كتاب: (الفتن) باب: (هلاك هذه الأمة بعضها ببعض) رقم (٢٨٨٩).

رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا.....]"[1] ورأى الملكوت العلوي، ورأى مشاهد من الآخرة ليلة الإسراء"[2] ورأى الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها؛ (قَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفًا فِي عُرْضِ هَذَا الْحَائِطِ فَلَمْ أَرَ كَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ)"[3] ورأى كل المواقف التي تمر بأمته في الحشر والنشر، والثواب والعقاب، قال ﷺ (إِنَّهُ عُرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولَجُونَهُ.....]"[4]

كل هذه المشاهد التي رآها عين يقين"[5] ﷺ تحوَّلت إلى معانٍ جاشت في صدره وحملها قلبه، فصار يتقلَّب بين هموم الدعوة، وينشغل بحال الناس، وهو ما عبَّرت عنه أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهو أقرب المقربين إليه بقولها: (ما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَطُّ مُسْتَجْمِعًا ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ) حيث نفت عنه هيئة الضاحك بملء فيه، وأكدتها بقولها (قط) لنفي توهم المبالغة، وتأكيد معنى النفي، وقد زادت المعنى توكيداً بأسلوب القصر (إنما كان يتبسم) حيث قصرته على التبسم لا يتعداه إلى الضحك، وقد كان أكثر الناس يبسماً وهو من أدبه العالي ﷺ.

فقه الحديث

المكروه من الضحك:

قال ابن حجر: (الذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)"[6].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح - ينظر عمدة القارى - بشرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين ٦٦/٣ رقم (٤٨) طبع ونشر علماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

(٢) ينظر حديث الإسراء في صحيح مسلم ١٤٥/١ كتاب الإيمان رقم (٣٥٩).

(٣) صحيح مسلم جـ ٤ صـ ١٨٣٢. كتاب: (الفضائل) رقم (١٣٦).

(٤) صحيح مسلم ٦٢٢/٢ كتاب الكسوف رقم (٩).

(٥) رؤية عين بأن كشف له دونها فرآها علي حقيقتها، وطويت المسافة بينهما....) شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك - (للإمام محمد الزرقاني) ٣٧٧/١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥/١٠، وانظر: شرح ابن بطال ٣٣٦/١٧، وتنبيه الغافلين للسمرقندي ٢١٦/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٤/٢٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي والقصر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الوقار والسكينة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والقصر:

لقد نفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ المبالغة في الضحك، وقصرت ضحكه ﷺ على التبسم، وذلك إخبارًا عن وقار النبي ﷺ وسكينته. قال ابن حجر: (قوله: "مستجمعا قط ضاحكا" أي مبالغا في الضحك لم يترك منه شيئًا، يقال استجمع السيل: اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره: اجتمع له ما يحبه... أي ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك بحيث يضحك ضحكًا تامًا مقبلاً بكليته على الضحك)[١].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ))[٢].

قال ابن حجر: (والنواجذ جمع ناجذة، هي الأضراس، ولا تكاد تظهر إلا عند المبالغة في الضحك، ولا منافاة بينه وبين حديث عائشة "ما رأيته ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا ..." لأن المثبت مقدم على النافي، قاله ابن بطال، وأقوى منه أن الذي نفته غير الذي أثبته أبو هريرة، ويحتمل أن يريد بالنواجذ الأنياب مجازًا أو تسامحًا، وبالأنياب مرة[٣]، فقد تقدم في الصيام هذا الحديث بلفظ ((حتّى بَدَتْ أنيابهُ))[٤]، والذي يظهر من مجموع الأحاديث، أنه ﷺ كان في معظم أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك، والمكروه من ذلك إنما هو الإكثار منه أو الإفراط فيه، لأنه يذهب الوقار)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٨٧، ومسلم ١١١١.

(٣) جاء في حاشية فتح الباري: لعل هنا سقط تمامه "فعبر بالنواجذ مرة وبالأنياب مرة. .. إلخ".

(٤) صحيح البخاري ١٩٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٠.

ثانيًا- من صفات الداعية: الوقار والسكينة:

إن الداعية له منزلة كبيرة في قلوب المدعوين، ومن الطرق الموصلة لهذه المنزلة التزام الداعية الوقار والسكينة، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما جاء في هذا الحديث، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتى تُرى من لهواته، إنما كان يبتسم"، قال ابن عثيمين: إن النبي ﷺ لم يستجمع قط ضاحكًا تبدو منه لهواته، يعني ليس ضحكًا فاحشًا بقهقهة، يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه ﷺ كان يبتسم، أو يضحك حتى تبدو نواجذه، أو تبدو أنيابه؛ وهذا من وقار النبي ﷺ)[1].

والنبي ﷺ هو إمام الدعاة وقدوتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[2].

قال ابن كثير: (هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة ووقار، من غير جبرية ولا استكبار. كما قال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[3]. فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبار ولا مرح، ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له[4]، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابًا يمشي رويدًا فقال: مالك؟ أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين فعلاه بالدرة. وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد ههنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ ((إذا أتيتُمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٠٨ - ١٠٠٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٧٧).

الصلاةَ فَلاَ تأتوهَا تسعَوْنَ، وأتوهَا وعليكُمْ السكينةِ، فَمَا أدركتم فصلّوا، وَمَا فاتكُمْ فأتمّوا))[١][٢].

وقال النووي عن معنى السكينة والوقار: (قيل هما بمعنًى وجمع بينهما تأكيدًا، والظاهر أن بينهما فرقًا، وأن السكينة التأني في الحركات واجتناب العبث وغير ذلك، والوقار في الهيئة وغض البصر وخفض الصوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك)[٣].

وقال أبو العباس القرطبي مبينًا أثر الحياء في التحلي بالوقار والسكينة -قال: (إن منه [أي من الحياء] ما يحمل صاحبه على أن يوقر الناس ويتوقر هو في نفسه، ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير ما يتحرك الناس إليه، من الأمور التي لا تليق بذوي المروءات)[٤].

ويربط ابنُ القيم بين وقار الظاهر ووقار الباطن، وأن وقار الباطن هو الطريق للظاهر، وأن أساس ذلك توقير الله وتعظيمه، فيقول: (من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس، وقلبك خالٍ من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتجلّه أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[٥]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[٦]، قال الحسن: ما لكم لا تعرفون لله حقًا ولا تشكرونه؟ وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم. وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة. وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/١٢١-١٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وآخرين ١/٢٢٠.

(٥) سورة نوح، آية: ١٣.

(٦) سورة الفتح، آية: ٩.

وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله، وعرفوا حق عظمته، وحَّدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه، واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يُستَحى من ذكره، فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله.

ومن وقاره أن لا تعدل به شيئًا من خلقه، لا في اللفظ، بحيث تقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره نهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء. وَبِجَعْلِه أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويُقدِّم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حدٍ وناحية، والناس في ناحية وحد، فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس، دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولُبَّه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدَّمًا على مراد ربه.

فهذا كله من عدم وقار الله في القلب. ومن كان كذلك فإن الله لا يلقي له في قلوب الناس وقارًا ولا هيبة، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم. وإن وقروه مخافة شرِّه فذاك وقارُ بغضٍ لا وقار حب وتعظيم. ومن وقار الله أن يستحيى من اطلاعه على سره وضميره فيرى فيه ما يكره. ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحيى من أكابر الناس.

والمقصود أن من لا يوقر الله وكلامه، وما آتاه من العلم والحكمة، كيف يطلب من الناس توقيره وتعظيمه؟! القرآن والعلم وكلام الرسول ﷺ صلاتٌ من الحق وتنبيهات وروادع وزواجر واردةٌ إليك، والشيب زاجر ورادع وموقظ قائم بك، فلا ما ورد إليك وعظك! ولا ما قام بك نصحك! ومع هذا تطلب التوقير والتعظيم من غيرك! فأنت كمصاب لم تؤثر فيه مصيبته وعظًا وانزجارًا، وهو يطلب من غيره أن يتعظ وينزجر

بالنظر إلى مصابه. فالضَّربُ لم يؤثر فيه زجرًا، وهو يريد الانزجار ممن نظر إلى ضربه)[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إنما بعث الله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وأولى الناس به هم المؤمنون به، الذين يقتدون به في دينهم ودنياهم وفي مختلف أحوالهم، لأن الله سبحانه وتعالى نصبه قدوة وأسوة للخلق يتأسون به، ولذلك ما أجمل أن يقتدي المدعوون به ﷺ في ضحكه وتبسمه فلا يخرج عن وقاره وسمته إن فعل ذلك. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: والذي ينبغي أن يقتدى به من فعله ما واظب عليه من ذلك)[٢].

وقال ابن القيم: (وفي صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة "إني باعث نبيًا أميًا، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش ولا قوّال للخنا[٣] أسدده لكل جميل، وأهب له كل خُلُق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه والبرّ شعاره، والتقوى ضميره والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه. والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه)[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((لاَ تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ))[٥].

وقال الحسن البصري في قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٦] قال: (إن المؤمنين قوم ذلت منهم - والله - الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض، وإنهم والله لأصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف

---

(١) الفوائد ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢١/١٠.

(٣) الخنا: الفحش في القول. النهاية في غريب الحديث في (خنا).

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٩٣/٣-٣٩٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٤١٩٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٨١).

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله نعمةً إلا في مطعم أو في مشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه)[1].

وتأسي المدعو بالنبي ﷺ في سكينته ووقاره يعود عليه بفوائد جمّة في دينه ودنياه، فأهمها أن ذلك طاعة لله وامتثالٌ لأمره بالاقتداء بالنبي ﷺ، كما يبتعد المدعو عن الرذائل والأمور المستنكرة، فضلاً عن حب الناس له واحترامهم إياه، كما أن الوقار والسكينة من صفات أهل الرئاسة والقيادة والشرف والسؤدد[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٢/٦، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠٣/١١-٢٠٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٦٧٤/٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

المسلمون ليسوا كغيرهم المسلمين في قيمهم وسلوكهم، فإن للمسلم من الهيبة والوقار ما ليس لغيره لأن هناك سمت مميز يجب الحفاظ عليه وعدم التخلي عنه في كل الأحوال، حتى في المزاح وفي الفرح وغير ذلك.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على الوقار والسكينة:

إن من أهم أهداف التربية الخلقية التربية على الوقار والسكينة، ذلك لأنهما يدلان على شخصية الفرد ومدى اتزانه، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى صفات التوازن والاعتدال، والسكينة والوقار في شخص رسول الله ﷺ، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

والوقار من آثار الحياء والحشمة، "ومن فوائده أنه يبعد صاحبه عن الرذائل ويجافيه عنها، والناس يحبون الشخص الوقور، والوقور يدرك ما لا يدركه غيره من معاني العز والشرف والسؤدد والرياسة، والوقار عز لصاحبه في الدنيا والآخرة، ويكسبه المهابة بين الناس"[1].

إن المسلم الذي يتربى على الوقار والسكينة يبتعد عن كل ما يؤدي به إلى سقوط الهيبة، ومن ذلك المزاح والضحك، ولذا فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما وصفت ضحك رسول الله ﷺ بأنه لا يبالغ في الضحك حتى ترى منه لهواته، إنما كان يتبسم "وأما الإفراط في المزاح فإنه منهي عنه حيث إن كثرة الضحك تميت القلب، وتورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «مَنْ كَثُرَ

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٨/٣٦٧٤.

ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ مزَح استُخِفَّ بِهِ»، ونظر وُهَيْب بن الورد إلى قوم يضحكون في عيد الفطر، فقال: "إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟"، وكان عبدالله بن أبي يعلي يقول: "أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار!"، وقال محمد بن واسع: "إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى، قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه، فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا والمحمود منها التبسم الذي ينكشف فيه السنّ ولا يسمع له صوت، وكذلك كان ضحك رسول الله ﷺ"[1].

وقال الماوردي: (وأما الضحك فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة مُذْهل عن الفكر في النوائب الملمة، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار، ولا لمن وُسِم به خطر ولا مقدار، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلت هيبته»، وقال علي رضي الله عنه: «إذا ضحك العالم ضحكة مَجَّ من العلم مجة»، وقيل في منثور الحكم: ضحكة المؤمن غَفْلة من قلبه. والقول في الضحك كالقول في المزاح: إن تجافاه الإنسان نفر عنه، وأوحش منه، وإن ألفه كانت حاله ما وصفناه، فليكن بدل الضحك عند الإيناس تبسما وبِشْرًا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «التبسم دعابة»، وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً وتعجبًا، وليس ينكر منه المرة النادرة، لطارئ استغفل النفس عن دفعه، فهذا رسول الله ﷺ وهو أملك الخلق لنفسه، قد تبسم حتى بدت نواجذه، وإنما كان ذلك منه ﷺ على الوجه الذي ذكرناه)[2].

ثانيًا- التربية بالقدوة:

إن من أساليب التربية النافعة التربية بالقدوة لما لها من أثر طيب في إقناع المتربي، وإظهار التطبيق العملي لما يدعو إليه المربي، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبين كيف كان رسول الله ﷺ قدوة في الوقار والسكينة، ولا أدل على ذلك من بيان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ يتبسم ولا يبالغ في الضحك

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى ص ٤٠٢.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٠٢.

حفاظًا على الوقار والهيبة والسكينة، «مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ».

"والقدوة هي متابعة من المقتدي للمقتدى به في فعله، ويراد فيها في المعنى الأسوة والتقليد والمحاكاة والتشبه، ولا يقتدي المرء إلا بمن أحبه، وأُعْجِبَ به وأَكْبَره في نفسه، وتكون القدوة في الأقوال والأفعال والمواقف، والمراد بالقدوة في إطار التربية الإسلامية: إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه عن طريق القدوة الصالحة، وذلك بأن يتخذ شخصًا أو أكثر تحقق فيهم الصلاح ليتشبه بهم ويأخذ عنهم سلوكه، ولذا فإن الله تبارك وتعالى بعث الرسل الكرام من أطهر البشر وأحسنهم سمعة وأسماهم خلقًا ممن عصمهم الله تعالى من الدنايا والرذائل وذميم السلوك والأفعال ليكون ذلك هو الجانب العملي للشرائع والأديان في حياة الناس بعامة، وأما نحن المسلمين فقدوتنا وأسوتنا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ومما لاشك فيه أن الجانب السلوكي العملي أوقع في النفس وأكثر طمأنينة لها من القول في كثير من الأحيان"[1].

إن القدوة الصالحة من أعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة حتى إنها لتيسر معظم الجهد في كثير من الحالات، إن من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن المنهج يظل حبرًا على ورق... يظل معلقًا في الفضاء... ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض... ما لم يتحول إلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئَ المنهج ومعانيه، عندئذٍ فقط: يتحول المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس، ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي، الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ"[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٧٣، ١٧٤.

(٢) مناهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ١٤٨/٢.

٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

الحديث رقم (٧٠٤)

٧٠٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَلاَ تَأتُوهَا وَأنْتُمْ تَسْعَونَ، وَأتُوهَا وَأنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتكُمْ فَأَتِمُّوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

زاد مسلِمٌ[٢] في روايةٍ لَهُ: ((فَإنَّ أحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ في صَلاَةٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تَسْعَون: تجرون وتعدون[٣].

الشرح الأدبي

الخشوع هو الذي يحدث الأثر الأكبر في تهذيب نفس المصلى، وتنقيته داخلياً مع صفاء روحه، فالصلاة لها تأثير في النفس، لأنها تدعو إلى تفريج القلب، وتقويته وشرحه، وكشف همه، ولذلك شرعت صلاة الحاجة، والاستخارة، فهى تسكّن ظنون النفس، وتطرد شكوكها، وترددها، وتذهب بقلق صاحبها، وخوفه، وهمه وحزنه[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٦٠٢/١٥١)، وهذا لفظ الترمذي (٣٢٧).

(٢) برقم (٦٠٢/١٥٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د و).

(٤) روضة المحبين لابن القيم ص١٥١ والطب النبوي لابن القيم صـ ١٩٣.

لذلك حرص الرسول ﷺ على أن يهيأ المصلي نفسه قبل أن يدخل في الصلاة، ونهى عن كل ما يؤثر في سكينة نفسه، وخشوعه، لذلك بدأ حديثه بأسلوب الشرط الذي يربط فعلاً بجزائه (إذا أقيمت الصلاة..) وقد استخدم أداة الشرط (إذا) المؤذنة بتحقق الشرط، وقد جاءت جملة الجواب في صورة النهي (فلا تأتوها وأنتم تسعون) وعطف عليها الأمر المؤكد لها (واتوها وأنتم تمشون) فنهى عن الحركة السريعة التي تنفي الخشوع المتمثلة في السعي، وأمر بضدها، وهو السير الهادىء الذي يوفّر السكينة، وهو من طباق السلب، ثم إنه صعَّد الإحساس بأهمية هذا الأمر بقوله (وعليكم بالسكينة) أي الزموا، ثم عالج ما يترتب عل ذلك من فوت بعضها بقوله (فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا) ونلاحظ تتابع الفاءات المؤذنة بفورية الدخول مع الإمام حال الوصول.

لأن الغاية المتحققة أولى لأنها تحفظ خشوع من في المسجد، وتوفر السكينة على القادمين وهو ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين في المسجد.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يستحب لمن قصد الجماعة: يستحب للرجل، عند الحنفية، والحنابلة، والأصح عند الشافعية، إذا أقبل إلى الصلاة: أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع، وعليه السكينة والوقار، وإن سمع الإقامة لم يسع إليها في عجلة، وقال الإمام أحمد وأبو إسحاق: إن خاف فوات التكبيرة الأولى فلا بأس أن يسرع، إذا طمع أن يدركها ما لم يكن عجلة تقبح، وقال المالكية: يجوز الإسراع في المشي للصلاة في جماعة لإدراك فضلها إسراعًا يسيرًا بلا جري يذهب الخشوع، وإلا يكره[1].

---

(١) الاختيار ٦٣/١، وبداية المجتهد ١٩٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٨٧/١.

٢- القدر الذي تدرك به الجماعة: اختلف الفقهاء في القدر الذي تدرك به فضيلة الجماعة: فذهب الحنفية والحنابلة، وهو الصحيح عند الشافعية، وهو قول ابن يونس وابن رشد من المالكية إلى أن فضيلة الجماعة تدرك باشتراك المأموم مع الإمام في جزء من صلاته، ولو في القعدة الأخيرة قبل السلام، وذهب الشافعية في مقابل الصحيح، وخليل، والدردير، وابن الحاجب من المالكية، إلى أنها لا تدرك إلا بإدراك ركعة كاملة[١].

٣- هل ما أدرك المأموم، هو آخر صلاته، أم أولها؟ ذهب المالكية والشافعية، إلى أن ما أدركه المسبوق مع الإمام هو أول صلاته، وما يفعله بعد تسليم الإمام هو آخرها.

وذهب الحنابلة إلى أن ما أدركه المسبوق من صلاة مع إمامه هو آخرها، أي: آخر صلاته، وما يقضي، مما فاته، هو أولها[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على السكينة في إتيان الصلاة:

(الصلاة آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله)[٣]. قال

---

(١) شرح فتح القدير، ابن همام الحنفي ٤٨١/٢ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢٨/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣١/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٠/٢ وما بعدها.

(٢) حاشية الصاوي ٢٧٨/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٦٠/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ١٢٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٠/٢.

ابن قدامة: (وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقول الله تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1] وأما السنة فما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامَ الصَّلاةِ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً))[2] مع آي وأخبار كثيرة وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وجوب خمس صلوات في اليوم والليلة)[3].

قال النووي: فيه [أي في حديث الباب] فيه الندب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار والنهي عن إتيانها سعيًا، سواء في صلاة الجمعة وغيرها، وسواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا، والمراد بقول الله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[4] الذهاب)[5].

وقال صالح الفوزان: (أيها المسلم إنك بحاجة ماسة إلى معرفة الآداب المشروعة التي تسبق الصلاة استعدادًا لها، لأن الصلاة عبادة عظيمة ينبغي أن يسبقها استعداد وتهيؤ مناسب، ليدخل المسلم في هذه العبادة على أحسن الهيئات. فإذا مشيت إلى المسجد لتؤدي الصلاة مع جماعة المسلمين، فليكن ذلك بسكينة ووقار، والسكينة هي: الطمأنينة في المشي، والوقار: الرزانة والحلم، وغض البصر، وخفض الصوت، وقلة الالتفات)[6].

وقال النووي: (قال العلماء: والحكمة في إتيانها بسكينة، والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاةٍ عامدٌ في تحصيلها ومتوصِّلٌ إليها، فينبغي أن يكون متأدِّبًا بآدابها،

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٥-٦.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤١.

(٦) الملخص الفقهي ١/١٢٠.

وعلى أكمل الأحوال. وهذا معنى الرواية الثانية: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة، فهو في صلاة". وقوله ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة" إنما ذكر الإقامة للتنبيه بها على ما سواها؛ لأنه إذ نهى عن إتيانها سعيًا في حال الإقامة، مع خوفه فوت بعضها، فقبل الإقامة أولى، وأكد ذلك ببيان العلة فقال ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو في صلاة"، وهذا يتناول جميع أوقات الإتيان إلى الصلاة، وأكد ذلك تأكيدًا آخر فقال: "فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" فحصل فيه تنبيه وتأكيد؛ لئلا يتوهم متوهم أن النهي إنما هو لمن لم يخف فوت بعض الصلاة، فصرح بالنهي، وإن فات من الصلاة ما فات، وبيَّن ما يُفعل فيما فات)[١].

وقال ابن حجر: (وقد لحظ فيه بعضهم معنًى غير هذا فقال: الحكمة في التقييد بالإقامة، أن المسرع إذا أقيمت الصلاة يصل إليها وقد انبهر[٢] فيقرأ وهو في تلك الحالة فلا يحصل له تمام الخشوع في الترتيل وغيره، بخلاف من جاء قبل ذلك، فإن الصلاة قد لا تقام فيه حتى يستريح. انتهى. وقضية هذا أنه لا يكره الإسراع لمن جاء قبل الإقامة، وهو مخالف لصريح قوله "إذا أتيتم الصلاة"[٣] لأنه يتناول ما قبل الإقامة، وإنما قيد في الحديث الثاني بالإقامة، لأن ذلك هو الحامل في الغالب على الإسراع)[٤].

وقال النووي: (قوله ﷺ: "فإن أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو صلاة"، دليل على أنه يستحب للذاهب إلى الصلاة ألا يعبث بيده، ولا يتكلم بقبيح، ولا ينظر نظرًا قبيحًا، ويجتنب ما أمكنه مما يجتنبه المصلي، فإذا وصل المسجد، وقعد ينتظر الصلاة كان الاعتناء بما ذكرناه آكد)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٠١ - ١٠٢ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) يقال بُهِر: انقطع نفسه من الإعياء. فهو مبهور وبهير. المعجم الوسيط ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣ من حديث أبي قتادة ﷺ مرفوعًا: "إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة".

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٣٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/١٠٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية المحافظة على الصلاة في جماعة والتبكير إليها:

أداء الصلاة في جماعة من شعائر الإسلام الكبرى، لذا رغب في المحافظة عليها، قال ابن حجر: (واستدل بهذا الحديث على حصول فضيلة الجماعة بإدراك جزء من الصلاة لقوله "فما أدركتم فصلوا" ولم يفصل بين القليل والكثير، وهذا قول الجمهور... واستدل به أيضًا على استحباب الدخول مع الإمام في أي حالة وجد عليها"[١].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على صلاة الجماعة، فكانوا يسرعون إليها حتى تسمع لهم جلبة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: ((بينما نحن نُصَلِّي مع النَّبيِّ ﷺ، إذْ سمعَ جلبةَ[٢] رِجالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: مَا شَأْنكم. قالوا: اسْتَعجَلْنَا إلى الصَّلاةِ. قَالَ: فلا تفعلوا، إذَا أَتَيْتُم الصَّلاةَ فعلَيْكُم بالسَّكِينة، فما أَدْرَكْتُم فصلُّوا، ومَا فَاتكم فأَتِمُّوا))[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ولأهمية صلاة الجماعة يقول الفقهاء: الصلاة في الجماعة معنى الدين، وشعار الإسلام، ولو تركها أهل مِصْرٍ قوتلوا، وأهل حارة جبروا عليها وأكرهوا)[٤].

قال صالح الفوزان: (وليكن خروجك أيها المسلم إلى المسجد مبكرًا، لتدرك تكبيرة الإحرام، وتحضر الصلاة مع الجماعة من أولها)[٥].

وقال النبي ﷺ ((من صلى لله أربعين يومًا في جماعةٍ يدرك التكبيرةَ الأُولى كُتِبَ لهُ براءَتَان: بَراءَةٌ مِنْ النَّارِ، وبراءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ))[٦].

(وصلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام. واتفق المسلمون على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٠/٢.

(٢) أي أصواتًا لحركتهم وكلامهم واستعجالهم. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٥، ومسلم ٦٠٣.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧.

(٥) الملخص الفقهي ١٢١/١.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠).

أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقُّد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[1])[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين على إقامة الصلاة والالتزام بآدابها:

وهذا واضح من نص الحديث، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[3].

والله سبحانه وتعالى (قد عظم من خطر الصلاة في القرآن، وعظم أمرها وشرفها وشرف أهلها، وخصها بالذكر من بين الطاعات كلها في مواضع من القرآن كثيرة، وأوصى بها خاصة... وإلى الصلاة خاصة ندبه الله عز وجل فقال: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ﴾[4]، فأمره أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها ثم أمر الله تعالى جميع المؤمنين بالاستعانة على طاعته كلها بالصبر، ثم خص الصلاة بالذكر بين الطاعة كلها فقرنها مع الصبر بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5] فهذا ما أخبر الله به من آي القرآن من تعظيم الصلاة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ٧٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٤١.

(٤) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

وتقديمها بين يدي الأعمال كلها، وإفرادها بالذكر من جميع الطاعات، والوصية بها خاصة دون أعمال البر عامة، فالصلاة خطرها عظيم وأمرها جسيم... فالصلاة أول فريضة فرضت عليه، وهي آخر ما أوصى به أمته، وآخر ما يذهب من الإسلام، وهي أول ما يسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة، وهي عمود الإسلام، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين[١].

وقال ابن القيم: (واعتناء ولاة الأمور بإلزام الرعية بإقامة الصلاة: أهم من كل شيء. فإنها عماد الدين، وأساسه وقاعدته. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله "إن أهم أمركم عندي الصلاة. فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه. ومن ضيَّعها كان لما سواها أشد إضاعة". ويأمر والي الحسبة بالجمعة والجماعة وأداء الأمانة والصدق، والنصح في الأقوال والأعمال)[٢]. (وإنما كان الحرص على إقامة الصلاة لأنها الغاية في العبودية، والتذلل والقرب من الله تعالى)[٣].

---

(١) رسالة الصلاة وعظم خطرها وما يلزم الناس من تمامها وإحكامها ضمن مجموعة الحديث المعروف "مجموعة الحديث النجدية" ص ١٥-١٨.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٤٠.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٧١/١.

الحديث رقم (٧٠٥)

٧٠٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ)) رواه البخاريُّ[١]، وروى مسلم بعضه[٢].

(الْبِرُّ): الطَّاعَةُ. وَ(الإِيضَاعُ) بِضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ، وَهُوَ: الإِسْرَاعُ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

دفع: أفاض[٣].

البر: الطاعة[٤].

الإيضاع: الإسراع[٥].

الشرح الأدبي

يقوِّم الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ الاضطراب، والعجلة المنافيين للسكينة، والوقار اللازمين لتمام مناسك الحج، وتحقيقه لأغراضه، ولبيان أهمية الطمأنينة، والسكون في مناسك الحج، وتقويم خطأ العجلة، والاضطراب المنافى للسكينة استخدم عدة أساليب بلاغية منها: الإشارة بالسوط، وللإشارة في البيان النبوي مواقع فريدة لا يؤدى فيه غيرها - المعنى المراد - وإشارة الرسول ﷺ كما حكاها

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧١).

(٢) برقم (١٢٨٢/٢٦٨) وهو قوله: (في عشية عرفة، وغداة جمع للناس حين دفعوا: عليكم بالسكينة).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٦٥، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٨٦.

(٤) رياض الصالحين ٣٠٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

الصحابى (فأشار بصوته) إلى موقع الخطأ، وموضع المخطئين تحديداً يجعلهم أكثر انتباهاً، ووعياً لما يقول مما يحقق تقويم الخطأ، ومعرفة مصدره، وهي أول خطوات تقويمه، ثم النداء في قوله (أيها الناس)، والنداء من وسائل التنبيه، وجذب الأسماع وغالباً ما يرد في البيان النبوى في عظائم الأمور، واستخدام الرسول ﷺ صيغة النداء (أيها) مع حذف أداة النداء عجلة بالمطلوب، وتوجه إلى المقصود حيث التنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلى التوضيح في (أى) والاسم المعرف بعدها، وكلها وسائل تعطى لهذه الصيغة قوة في التأثير، وتركيزاً لأدوات التنبيه، وإضافة (أى) إلى (الناس) تجعل النداء عاماً، ومن طبيعة النداء العام أن يتصدر الأمور العظيمة مما يوحي بعظمة ما نودى من أجله، ثم أسلوب الإغراء: وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ في تقويم خطأ العجلة، والاضطراب عند الإفاضة مما ينافى جلال الموقف ويُضيِّع ثمرة الحج بضياع السكينة التي تُعدَّ علامة الاتصال بالله، وطبيعة الأثر الذي يتركه على الحاج من طمأنينة، وسكينة، ووقار ؛فجاء أسلوب الإغراء في قوله (عليكم بالسكينة) أى: لازموا السكينة في السير يعني الرفق، وعدم المزاحمة [1]، ولما في السكينة من رعاية حال الغير، فإن في الناس الكبير، والضعيف، والمريض، وأخيراً أسلوب التوكيد المرتبط بما قبله بالفاء بياناً للعلة، وتأكيداً للخبر لتنزيله للمخاطبين منزلة المنكرين لما رأى من عجلتهم، واضطرابهم، وتدافعهم، وذلك في قوله ﷺ (فإن البر ليس بالإيضاع) حيث أكد الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه ﷺ رأى من حالهم ما يشبه الإنكار، والاعتقاد بأن البر يقتضى الإسراع فأكد الكلام تقويماً لخطئهم، وبياناً لأهمية السكينة، ونفياً لاعتقادهم أن يكون الإسراع طريقاً للبر[2].

---

(١) عمدة القارى ٧/ ٣٦٦.

(٢) ينظر بلاغة الرسول في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري، ٣١١.

فقه الحديث

استحباب الدفع من عرفة بالسكينة:

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[1]. وقال النووي: (ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات.

خامسًا: من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

(إن النبي ﷺ دفع من عرفة متجهًا إلى مزدلفة فسمع وراءه جلبة وضربًا وزجرًا للإبل وأصواتًا للإبل، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعًا عظيمًا، يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضربًا شديدًا، فأومأ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة، يعني الطمأنينة والهدوء، فإن البر ليس بالإيضاع)، اي ليس بالإسراع، والإيضاع نوع من السير سريع)[3].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ. إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ))

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٩/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥/٩/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ١٠١٢/٢ - ١٠١٣.

قَالَ: وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ. فَقَالَ: ((يَا عَبْدَ اللّهِ بْنَ قَيْسٍ أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟)) فَقُلْتُ: بَلَىٰ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ))[1]. وإن تفقد الداعية للمدعوين، يمكنه من توجيههم إلى ما فيه الصواب والنفع لهم، وتحذيرهم ممّا يضرهم ويؤذيهم، كما أن تفقده إياهم، يجعله قريبًا منهم، محببًا إلى نفوسهم، مما يجعلهم يتقبلون دعوته، ويزدادون إقبالاً على إقبال.

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الإشارة:

وهذا واضح من قول ابن عباس رضي الله عنهما: (فأشار بسوطه إليهم)، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث باب: أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم بالسوط[2]، ولا شكّ أن الإشارة هنا بالسوط جاءت مناسبة لأنه ﷺ يخاطب جمعًا كثيرًا من الصحابة، فكانت هذه الإشارة لفتًا لهم جميعًا أن ينتبهوا لما يقوله ﷺ لهم بعد هذه الإشارة التي يراها القريب والبعيد، المسرع وغيره، الطويل وغيره.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتوكيد:

أما النداء فقوله ﷺ: (أيها الناس) وهذا النداء تنبيه لهم، لما يأمرهم به بعد ذلك وهو قوله ﷺ: (عليكم بالسكينة)، أي: الزموا السكينة، وتحلوا بها. أما التوكيد فقوله ﷺ: (فإن البر ليس بالإيضاع)، فقد بيّن ﷺ وأكد "أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي: مما يتقرب به"[3]، ويصحّ كذلك أن تكون جملة: (فإن البر ليس بالإيضاع) أن تكون أسلوب تعليل لما أمرهم به ﷺ من التزام السكينة والوقار في الدفع من عرفة.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التزام السكينة والوقار في العبادات:

(في هذا الحديث استحباب أن يدفع الناس من عرفات وعليهم السكينة، وهي الرفق بهم وبظهرهم، وأهنأ في ذكرهم لربهم)[4]، وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٠٥، ومسلم ٢٧٠٤.

(٢) الباب رقم ٩٤ من كتاب: الحج، الحديث رقم ١٦٧١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٦١٠.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣/١٥٩.

على أن الإنسان لا ينبغي أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة، لأن الذين يدفعون من عرفة يتجهون إلى مزدلفة إلى عبادة. وبهذا يُتم المؤلف [أي النووي] ما ترجم به من الندب إلى إتيان الصلاة، ومجالس العلم وغيرها من العبادة بسكينة ووقار. فإذا أتيت إلى مجالس العلم والخير، فكن ساكنًا وقورًا مهيبًا، حتى لا يستهان بك أمام الناس، ويكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله عز وجل"[1].

قال ابن القيم: "أصل السكينة هي الطمأنينة والوقار"[2]، وقال الهروي في منازل السائرين: "وأما سكينة الوقار التي نزلها نعتًا لأربابها، فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها، [وهي السكينة التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين]، وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام للخدمة رعاية وتعظيمًا وحضورا.

وقال ابن القيم في شرح ذلك في كتابه (مدارج السالكين): "سكينة الوقار هي نوع من السكينة، ولكن لما كانت موجبة للوقار، سماها الشيخ (سكينة الوقار)، وقوله: (نزلها نعتًا)، يعني: نزلها الله تعالى في قلوب أهلها ونعتهم بها، وقوله: (فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها)، أي: نتيجتها وثمرتها وعنها نشأت، كما أن الضياء عن الشمس حصل. ولما كان النور والحياة والقوة مما يثمر الوقار، جعل سكينة الوقار كالضياء لتلك السكينة، إذ هو علامة حصولها، ودليل عليها كدلالة الضياء على حامله.

قوله: الدرجة الأولى: (سكينة الخشوع عند القيام للخدمة)، يريد به الوقار والخشوع الذي يحصل لصاحب مقام الإحسان، ولما كان الإيمان موجبًا للخشوع وداعيًا إليه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3]، دعاهم في مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أما آن لهم أن يصلوا إلى الإحسان

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠١٢/٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٩٢/٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم

قوله: (رعاية وتعظيمًا وحضورًا)، هذه ثلاثة أمور تحقق الخشوع في الخدمة وهي [الأول]: رعاية حقوقها الظاهرة والبطانة، فليس يضيعها خشوع ولا وقار.

الثاني: تعظيم الخدمة وإجلالها، وذلك تبع لتعظيم المعبود وإجلاله ووقاره، فعلى قدر تعظيمه في قلب العبد وإجلاله ووقاره، يكون تعظيمه لخدمته وإجلاله ورعايته لها.

والثالث: الحضور وهو إحضار القلب فيها مشاهدة المعبود كأنه يراه. فهذه الثلاثة تثمر له (سكينة الوقار)[١].

خامسًا - من آداب المدعو: عدم المزاحمة في أعمال الحج:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالسكينة وعدم الإسراع، لما ينتج عن الإسراع من المزاحمة والتدافع، ولهذا قال عمر بن عبدالعزيز لما خطب بعرفة: (ليس السابق من سبق بعيره وفرسه ولكن السابق من غفر له)[٢]، ومن مواضع الزحام استلام الحجر الأسود في الطواف، جاء في الموسوعة الفقهية: "قال الفقهاء: إذا تعذر استلام الحجر لزحام الناس نُظر، إن صبر يسيرًا وخفّ الزحام وأمكنه الاستلام صبر، وإن علم أن الزحام لا يخف ترك الاستلام ولم يزاحم النّاس، بل أشار إليه بيده رافعًا يده ثم يقبلها"[٣].

وقد قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((يا عمرُ إنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ لا تُزَاحِمْ على الحَجَرِ فَتُؤْذِيَ الضَّعِيفَ، إنْ وَجَدْتَ خَلْوَةً فاسْتَلِمْهُ، وإلاَّ فاسْتَقْبِلْهُ، وهَلِّلْ وكَبِّرْ))[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذَا وَجَدْتَّ عَلَى الرُّكْنِ زِحَامًا ، فَانْصَرِفْ وَلاَ تَقِفْ)[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٠٢/٣ - ٤٠٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٠/٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٩/٣٧.

(٤) أخرجه أحمد ٢٨/١، رقم ١٩٠، وقال محققو المسند: حديث حسن ٣٢١/١.

(٥) أخرجه الشافعي في الأم ص ٣٦٣، رقم ٩٥٧، ومن طريقه البيهقي في السنن ٨٠/٥-٨١.

واستصحاب عدم المزاحمة في أعمال الحج يزداد طلبًا وحثًّا هذه الأيام، وذلك مع الازدياد الكبير في عدد الحجاج، فتؤدي المزاحمة إلى كثير من الأضرار، فضلاً عن إزهاق عدد غير قليل من الأرواح كما هو واقع ومشاهد.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن مما يجلب الأذى ويسبب الضرر في بعض الأحيان: السرعة الزائدة، أو التدافع اللا محسوب سواء تعلق ذلك بالعادات أم بالعبادات، فكم من أناس انكسرت أرجلهم وهشمت رؤوسهم ولحق بهم الضرر بسبب التأخر في الذهاب إلى موعد لم يخرجوا إليه مبكرين، وحاولوا استدرك ما فاتهم بالسرعة، وكم من أناس قد أزهقت أرواحهم بسبب السرعة الجنونية، لأنهم تأخروا عن وقت الخروج، أو خرجوا متأخرين عامدين بدعوى استدراك التأخير في السرعة، فلا هم وصلوا راغبين ولا قعدوا سالمين، بل انتهى الأمر ببعضهم إلى رحيل من دنيا الأحياء، ولذا أوجب الإسلام آداباً بشأن السير ولو إلى الصلاة وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على السكينة في العبادات:

إن من الأهداف الخلقية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على السكينة عند الذهاب لأداء العبادات كالصلاة والحج ونحوهما، ومما جاء في حديثي الباب قوله ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم بالسكينة..." وقوله ﷺ "... أيها الناس عليكم بالسكينة...".

فالحديث الأول يشير إلى استحباب السكينة عند أداء الصلاة وأن ما أدركه المسلم يصليه وما فاته يتمه، والحديث الثاني يشير إلى السكينة في الحج وقال ﷺ ذلك عندما كان يدفع من عرفة وسمع زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، وما من شك أن مثل هذه المواطن التي يكثر فيها الزحام تشتد الحاجة فيها إلى السكينة والهدوء والوقار حتى لا يحدث ضرر للآخرين، قال النووي: (وهذا إرشاد إلى الأدب والسنة في السير تلك الليلة ويلحق بها سائر مواضع الزحام)[1].

وأما الصلاة فالحكمة في (إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠٦.

عامداً في تحصيلها ومتوصلاً إليها فينبغي أن يكون متأدبًا بآدابها وعلى أكمل الأحوال)[١].

والمسلم عند أدائه للعبادات يحرص على الهدوء والسكينة والوقار ليؤدي شعائر الله تعالى على أكمل وجه، وأتم حال (والصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام والدعاء والمناجاة، وغريزة الحب والحنان وغريزة الخضوع والتواضع والعبودية والتذلل، والصلاة هي معقل المسلم ومفزعه، وكل من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا لا روح فيه ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا عادلاً فللجسم قيام وركوع وسجود وانتصاب وانحناء وللسان تلاوة وتسبيح وللعقل تفكر وتدبر وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ)[٢].

وما من شك أن المسلم الذي تربى على السكينة والوقار والطمأنينة والهدوء في أداء العبادات ينال الأجر كاملاً عليها، ويكون قد تأدب بآداب العبادات.

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن من أساليب التربية التي تؤثر في نفس المتربي، وتعمل على تغيير سلوكه التربية بالمواقف والأحداث ومن حديثي الباب الذي معنا يبرز هذا الأسلوب من أساليب التربية حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع (ففي الحديث بين النبي ﷺ من خلال الموقف والحدث أن السكينة مطلب هام في هذا الموطن، و المربي الناجح يستغل المواقف والأحداث في تصحيح السلوكيات الخاطئة والعادات المخالفة، ويجتهد في غرس القيم

---

(١) المرجع السابق نفسه ٤٤١.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩-٣١.

الخلقية النبيلة حيث إن تصويب الخطأ في الموقف والحدث مباشرة من شأنه أن يعلق بذهن المتربي.

(والتربية بالأحداث منهج أصيل في التربية الإسلامية حيث يُستغل الحدث في ترسيخ القيم المطلوبة، حيث يكون هناك توافق بينها وبين الحدث الواقع، فيحدث من جراء ذلك فهم عميق وتأثر كبير، وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم جاءت عقب أحداث ما، تعد نموذجًا للتربية بالأحداث، والأمثلة من سنته ﷺ كثيرة فعلى المربي أن يستغل الأحداث التي تجري أمامه -وما أكثرها- ليتخذها منطلقًا للتربية المطلوبة)[1].

إن واجب المربين أن يهتموا بالتربية بالحدث والمشاهد وهي تعني (استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ أو مشهد في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة أو الحديث الطارئ أو المشهد المثير مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات وأعمال يقوم بها الإنسان وواجب المربي الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المُعْوَجّ منها وتصويبه ولاشك في أن الأحداث من أبلغ وسائل التربية وأعظمها أثرًا)[2].

ثالثًا- من الأساليب التربوية:

وردت في حديثي الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا". ويمكن للمعلم أن يستخدم أسلوب الإلقاء ولكن مع المراحل التعليمية العليا. وهي في أحسن صورها عرض شفهي للمعلومات، ويمكن للمعلم استخدامها في حجرة الدراسة، كما يمكن للمعلم الاكتفاء بالكلمة المنطوقة، أما الطلاب فهم يستمعون ويسجلون ما يستمعون من معلومات. ويلجأ المعلم إلى هذا الأسلوب لميزته لكونه

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٨٣، ٣٨٤.

يمكن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، ولكن هذا الطريقة قد تؤدي إلى ملل الطلاب وسلبيتهم ويمكن للمعلم المزج بين أسلوب الإلقاء وبين غيره من الأساليب الأخرى، لدفع الملل عن المتعلمين وبث الحيوية في نفوسهم.

ب-الإشارة: كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فسمع النبي ﷺ وراءه زجرًا شديدًا وضربًا وصوتًا للإبل، فأشار بسوطه إليهم" والإشارة يراها العدد الكثير وتكون في بعض الأحيان أبلغ من الكلام والنطق؛ فضلاً عن أنها قد توضح المنطوق وتزيده وضوحًا وبيانًا.

رابعًا- التربية على تقديم أهم المصلحتين:

ويتضح ذلك جليًا في حديث "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وآتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة ..." قال القرافي: (الخشوع في الصلاة مندوب إليه لا يأثم تاركه فهو غير واجب مع أنه قد ورد في الصحيح قوله ﷺ: "إذا نودي للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فأتموا" ... قال بعض العلماء: إنما أمر بعدم الإفراط في السعي، لأنه إذا قَدِم على الصلاة عقيب شدة السعي يكون عنده انبهارٌ وقلق يمنع من الخشوع اللائق بالصلاة، فأمره عليه السلام بالسكينة والوقار، واجتناب ما يؤدي إلى فوات الخشوع، وإن فاتته الجُمُعات والجماعات، وذلك يدل على أن مصلحة الخشوع أعظم من مصلحة وصف الجمعة والجماعات، مع أن الجمعة واجبة، فقد فَضَل المندوبُ الواجب في هذه الصورة، وظهر [من ذلك] أن بعض المندوبات قد تفضل الواجبات في المصلحة، فنقول: إنا حيث قلنا: إن الواجب يقدم على المندوب، والمندوب لا يقدم على الواجب، حيث كانت مصلحة الواجب أعظم من مصلحة المندوب، أما إذا كانت مصلحة المندوب أعظم ثوابًا، فإننا تقدم المندوب على الواجب كما تقدم في الخشوع وغيره)[1].

---

(١) الفروق ٢/٢٤٥-٢٤٧، الفرق: ٨٥.

٩٤- باب إكرام الضيف

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[هود: ٧٨].

الحديث رقم (٧٠٦)

٧٠٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بنى النبي ﷺ حديثه على أسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٨) واللفظ له، ومسلم (٤٧/٧٤)، وتقدم برقم (٣١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٧٥١).

وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها؛ لأنه جعل فعل الشرط هو الإيمان (يؤمن) وعلّقه علي هذه الأعمال كما أن صياغة الفعل في صورة المضارع يشير إلى التجدد، والاستمرار المرتبط بتجدد الإكرام للضيف، والصلة للرحم، وقول الخير، أو الصمت.

ثم إن الفاء التي ربطت جواب الشرط في الأفعال الثلاثة، ولام الأمر التي اتصلت بالأفعال الأربعة (فليكرم - فليصل - فليقل - ليصمت) تقتضي المسارعة، وترغّب فيها؛ لأن من شأن هذه الخصال أن تحقق المحبة، والتكافل، وتنزع الأحقاد، وتمنع الفتن، وهو من الأهداف السامية التي قررها الإسلام.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٤).

الحديث رقم (٧٠٧)

٧٠٧- وعن أبي شُرَيْح خُوَيْلِد بن عَمرو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ)) قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ يَا رسول الله، قَالَ: ((يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لِمسلمٍ[2]: ((لاَ يَحِلُّ[3] لِمُسْلِمٍ أنْ يُقِيمَ عِنْدَ أخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ)) قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: ((يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلاَ شَيْءَ لَهُ يَقْرِيه بِهِ)).

ترجمة الراوي:

أبو شُرَيْح الخُزاعيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٠).

غريب الألفاظ:

جائزته: عطيتُه ومنحته[4].

يَقْرِيه به: يُضيِّفُه ويُكرمُه[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث البداية بأسلوب الشرط، والموضوع، وهو الوصية بالضيف والحث على البذل والعطاء.ثم إنه زاد على سابقه نوعاً من التشويق بالخبر الطريف الذي يحرك علامات الاستفهام في نفوس المخاطبين، وهو نوع من التواصل مع المخاطبين في الحديث النبوي، وهذا الخبر الطريف هو الإخبار بأن للضيف جائزة في قوله: (فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ) وقد ترتب عليها استفهامة أرصد لها بدايةً، وهي قولهم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨/١٤، كتاب اللقطة، باب ٣) واللفظ له.

(٢) برقم (٤٨/١٥، كتاب اللقطة، باب ٣).

(٣) عند مسلم زيادة: (لرجل).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٣.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ي).

(وما جائزته؟) وقد جاءت إجابته مبنية على الايجاز بالحذف (يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ) أي: حقه الاهْتِمَام بِهِ فِي الْيَوْم وَاللَّيْلَة وَإِتْحَافه بِمَا يُمْكِن مِنْ بِرّ وَإِلْطَاف، وَأَمَّا فِي الْيَوْم الثَّانِي وَالثَّالِث فَيُطْعِمهُ مَا تَيَسَّرَ، وَلا يَزِيد عَلَى عَادَته، وَأَمَّا مَا كَانَ بَعْد الثَّلاثَة فَهُوَ صَدَقَة وَمَعْرُوف إِنْ شَاءَ فَعَلَ، وإن شاء ترك، وبين اليوم، والليلة طباق يقرر العناية بالضيف على مدارهما، وإضافة الضمير المتصل بهما إليه يؤكد هذا الحق.

فقه الحديث

مقام الضيف عند المضيف: من نزل ضيفاً فلا يزيد مقامه على ثلاثة أيام، لقوله ﷺ: "الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه" لئلا يتبرم به ويضطر لإخراجه، إلا إن ألحّ عليه رب المنزل بالمقام عنده عن خلوص قلب، فله المقام[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب.

ثالثًا: من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على إكرام الضيف:

حثّ النبي ﷺ على إكرام الضيف، بأن جعل ذلك من الإيمان، وهذا واضح من الحديث، كما جعله ﷺ حقًّا، فقال: ((إِنَّ لِزَورِكَ عليكَ حَقًّا))[2]، (وزورك، أي: زائرك)[3]. وجاء في الموسوعة الفقهية: "تعتبر الضيافة من مكارم الأخلاق وسنة الخليل

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١٨/٢٨، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٤/١٢/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٣/١٠-٥٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٣٤، ومسلم ١١٥٩.

(٣) في غريب الحديث ٤٠٤.

عليه الصلاة والسلام والأنبياء بعده، وقد رغب فيها الإسلام وعدها من أمارات صدق الإيمان، وهي حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، وقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن الضيافة سنة، ومدتها ثلاثة أيام، وهو رواية عن أحمد، والرواية الأخرى عن أحمد - وهي المذهب - أنها واجبة، ومدتها يوم وليلة، والكمال ثلاثة أيام، وبهذا قال الليث بن سعد، ويرى المالكية وجوب الضيافة في حالة المجتاز الذي ليس عنده ما يبلغه ويخاف الهلاك"[١].

وقال القاضي عياض: "والضيافة من آداب الإسلام، وخلق النبيين والصالحين"[٢].

وقال أبو العباس القرطبي: "والضيافة من مكارم الأخلاق، ومن محاسن الدين، ومن خلق النبيين"[٣]، (وقد أفاد هذا الحديث أنها من أخلاق المؤمنين مما لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عنها، لما يحصل عليها من الثواب في الآخرة، ولما يترتب عليها في الدنيا من إظهار العمل بمكارم الأخلاق، وحسن الأحدوثة الطيبة، وطيب الثناء، وحصول الراحة للضيف المتعوب بمشقات السفر المحتاج إلى ما يخفف عليه ما هو فيه من المشقة والحاجة. ولم تزل الضيافة معمولاً بها في العرب من لدن إبراهيم عليه السلام، لأنه أول من ضيّف الضيف، وعادة مستمرة فيهم، حتى أن من تركها يذم عرفًا، ويبخل ويقبح عليه عادة، فنحن وإن لم نقل إنها واجبة شرعًا، فهي متعينة لما يحصل منها من المصالح، ويندفع بها من المضار عادة وعرفًا"[٤].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والحث والنفي والسؤال والجواب:

أما الترغيب والحث فقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته)، فهذا حث وترغيب لإكرام الضيف بأن جعل ذلك من فعل المؤمنين

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨/٣١٦ - ٣١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/١٨٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٢٣٠.

(٤) المرجع السابق ٥/١٩٧ - ١٩٨.

وخصالهم، قال ابن حجر: "قال الطوفي: ظاهر الحديث انتفاء الإيمان عمن لم يفعل ذلك، وليس مرادًا بل أريد به المبالغة كما يقول القائل: إن كنت ابني فأطعني، تهييجًا له على الطاعة، لا أنه بانتفاء طاعته ينتفي أنه ابنه"(١).

أما النفي فقوله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، أي: لا يجوز له، وهو نفي بمعنى النهي، أي: لا يفعل المسلم ذلك. أما السؤال والجواب فسؤال الصحابة رضي الله عنهم: وما جائزته يا رسول الله؟ وسؤالهم كذلك: (يا رسول الله وكيف يؤثمه؟) فأجاب النبي ﷺ على هذين السؤالين بما أفاد المدعوين في أدب الضيافة سواء أكانوا مضيفين أم ضيوفًا.

ثالثًا- من آداب المدعو: مراعاة شعور إخوانه وظروفهم وعدم دفعهم إلى الوقوع في الحرج:

المسلم أخو المسلم فمن حقه عليه ألا يدفعه في الوقوع في الحرج والإثم، فإذا استضافه فلا يجوز للضيف أن يطيل في الإقامة عنده حتى يدفعه إلى ما يكرهه، ولذا قال النبي ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه)، قال القرطبي: " وقوله بعد ذلك: (والضيافة ثلاثة أيام) يعني بها الكاملة التي إذا فعلها المضيف فقد وصل إلى غاية الكمال، وإذا أقام الضيف إليها لم يلحقه ذمٌّ بالمقام فيها؛ فإنّ العادة الجميلة جارية بذلك. وأما ما بعد ذلك فخارجٌ عن هذا كله، وداخلٌ في باب: إدخال المشقات والكلف على المضيف، فإنه يتأذى بذلك من أوجه متعددة. وهو المعني بقوله ﷺ: (ولا يحل له أن يقيم حتى يؤثمه)، أي: حتى يشق عليه، ويُثقل، لا سيما مع رقة الحال وكثرة الكلف. وقيل: معنى: يؤثمه: يحرجه فيقع في الإثم. وقد جاء ذلك مفسَّرًا في بعض الروايات: (حتى يُحرجه). فإن تحمّل المضيف شيئًا من ذلك؛ هو صدقةٌ منه على الضيف، فحقُّه أن يأنف منها، ولا يقبلها، لا سيما إن لم يكن أهلاً لها، فإنها تحرمُ عليه"(٢).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٩/١٠، بتصرف يسير.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٩٨/٥ - ١٩٩.

وقال النووي: "معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم لأنه قد يغتابه لطول مقامه، أو يعرض له بما يؤذيه، أو يظن به ما لا يجوز، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1]، وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المضيف، أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته، أو علم أو ظن أنه لا يكره إقامته فلا بأس بالزيادة، لأن النهي إنما كان لكونه يؤثمه وقد زال هذا المعنى والحالة هذه، فلو شك في حال المضيف هل يكره الزيادة ويلحقه بها حرج أم لا؟، [لا][2] تحل إلا بإذنه؛ لظاهر الحديث"[3].

وجاء فيها كذلك: "من آداب الضيف أن يجلس حيث يُجلس، وأن يرضى بما يقدم إليه، وألا يقوم إلا بإذن المضيف"[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الارتباط بين الإيمان والسلوك:

لقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان وبعض الأفعال، فقد ربط بين الإيمان وإكرام الضيف كما في هذا الحديث، وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[5]، قال النووي: "قال القاضي عياض: معنى الحديث: إن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما"[6]، وقال القرطبي: "يعني: من كان آمن بالله الإيمان الكامل المنجي من عذاب الله، الموصل إلى رضوان الله، لأن من آمن بالله حق إيمانه خاف وعيده، ورجا ثوابه، ومن آمن باليوم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) غير موجودة فيما اطلعنا عليه من طبعات لشرح مسلم للنووي، لكن لا بد من إضافتها ليستقيم المعنى. والله أعلم.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٢.

(٤) المرجع السابق ٣١٨/٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٣، وانظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض ٢٨٤/١ - ٢٨٥.

الآخر استعد له واجتهد في فعل ما يدفع به أهواله ومكارهه، فيأتمر بما أُمر به وينتهي عما نهي عنه، ويتقرب إلى الله تعالى بفعل ما يقرب إليه، ويعلم أن من أهم ما عليه، ضبط جوارحه التي هي رعاياه، وهو مسؤول عنها جارحة جارحة"[1].

وقال القرضاوي: "إن الإيمان ليس مجرد إدراك ذهني أو تصديق قلبي غير متبوع بأثر عملي في الحياة، كلا إنه اعتقاد وعمل وإخلاص، ومهما اختلف علماء الكلام والجدل في العقائد حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به: أهو جزء من مفهومه أم شرط له أم ثمرة من ثمراته، فإنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان الكامل، وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونًا بالعمل في أكثر من سبعين آية من آياته، ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل الصالحات، وهي كلمة جامعة من جوامع القرآن تشكل كل ما تصلح به الدنيا والدين، وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معًا، والمؤمن بالدين عامة، وبعقيدة الإسلام خاصة، لا يساق إلى العمل الدنيوي سوق القطعان، ولا يدفعه إليه قهر حكومي أو ضغط خارجي، أو رقابة من سلطة تنفيذية تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان، أو عذاب الهون كما يعرف في الأنظمة الاشتراكية، وإنما يندفع المؤمن إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته وبإيحاء ينبعث من داخله، لا سوطًا يسوقه من الخارج. ذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله، وبرسالة السماء، وبمهمته في عمارة الأرض، والسيادة على الكون"[2].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٩/١.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم القيم الإسلامية والعلاقات الاجتماعية على أساس من التوازن بين الأطراف ويحرص الإسلام على توظيفها في تقوية العلاقة بين الناس عامة والمسلمين بخاصة، دون أن يجعلها سبيلاً للقطيعة. ومن الآداب الإسلامية تنظيم العلاقة بين الضيف والمضيف، فقد أوجب الإسلام للضيف حقاً هو الإكرام بحسب اليسار والإعسار، وأوجب على الضيف أن لا يحمل المضيف فوق الطاقة حين لا يدفعه إلى الإعسار. ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من التربية الاجتماعية: إكرام الضيف وصلة الرحم:

إن من أهم الجوانب التي تهتم بها التربية الإسلامية التربية الاجتماعية بتعميق الجانب الاجتماعي في نفوس المتربين، والدعوة إلى كل ما يعمل على التماسك الاجتماعي، وفي حديثي الباب جاء ما يرشد إلى بعض الأمور التي تساعد على تحقيق الجانب الاجتماعي ومنها إكرام الضيف وصلة الرحم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه..." وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته...".

(إن الحياة الاجتماعية إطار يدخل فيه جملة من الدوائر التي تمثل كل واحدة منها عددًا من العلاقات الحميمية، وتتسع الدائرة لتشمل الأقارب والجيران والحي والشعب والأمة ومن ثَمَّ تتجه التربية الإسلامية إلى زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن والوحدة في نفوس الناشئين من أجل تحقيق اتجاه العمل الجماعي والشعور بالمسؤولية عن الجماعة، وذلك عن طريق إبراز أهمية العمل المنظم والهادف إلى رَصِّ الصف وتنسيق الجهود الفردية لخدمة الأهداف العليا في المجتمع الإسلامي وعنوان ذلك كله ربط الناشئ بالمسجد وصلوات الجماعة، وتقوية الروابط الأسرية وتنمية التحابب والمودة في النفوس وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة

وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حسن التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن)[١].

إن التأكيد على إكرام الضيف وصلة الرحم يهدف إلى بناء الوحدات الاجتماعية الصغيرة على أساس من التكافل والتعاطف والحب مما يجعل الأسرة والعشيرة والمجتمع مترابط مرصوص، (إن الأسر والعشائر المتكافلة تكوِّن مجتمعًا متراحمًا متكافلاً حيث يسعى سائر أفراده إلى سد الثغرات والخلل، بإغاثة اللهفان وإطعام الجوعان وإكساء العريان لذلك اهتم الإسلام بإبراز حقوق وواجبات أفراد الأسرة تجاه بعضهم كما اهتم بتوضيح واجبات وحقوق الجيران بعضهم على بعض، وأبناء القرية الواحدة فيما بينهم فإن توثيق عرى التعاون والأخذ بمبدأ التكافل الاجتماعي داخل الوحدات الاجتماعية الصغيرة يدعم التكافل العام على صعيد المجتمع الإسلامي)[٢].

وما من شك في أن إكرام الضيف وصلة الرحم مما يوطد العلاقات الاجتماعية ويقوي أواصر الأخوة فإن من إكرام الضيف تلقيه بطلاقة الوجه وتعجيل قِرَاه وإكرام الضيف وصلة الرحم وقول الخير والصَمْت عن الشر من الإيمان.

ثانيًا- من التربية العقدية: الإيمان باليوم الآخر:

إن من الأمور المهمة في التربية العقدية الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وفي حديثي الباب اللذين أوردهما الإمام النووي ربط النبي ﷺ بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين فعل المكرمات الأخلاقية من إكرام الضيف وصلة الرحم والصمت عن الشر، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت" وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته..." ولا شك (أن الإيمان بالحياة الآخرة والمسؤولية العظمى أمام الله تبارك وتعالى وجزاء الأعمال يكوّن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٦١، ٦٢.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٤٢.

في أعماق النفس دافعًا قويًا إلى عمل الخير ومكافحة الشر ويكون هذا الشعور النفسي القوي ضامنًا تنفيذ قواعد الأخلاق والسلوك والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوي ومن قواعد الزجر والعقاب ومن آثار هذا الإيمان أيضًا أنه يسبب الإخلاص في العمل فلا يكون عمل المؤمن ترقبًا لمكافأة أو شكر ينتظرهما من الناس ومن المجتمع، وسواء عليه أشكر الناس أم لم يشكروا أقابلوه بالإحسان أم العقوق فإنه يعمل لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وانتظارًا لحسن العاقبة في الحياة الأبدية)[1].

إن الإيمان باليوم الآخر يبنى على عقيدة التوحيد فيما يتعلق بالإيمان بالله تعالى وقدرته ووحدانيته وأنه هو خالق هذا الكون وهو خالق الحياة الآخرة (إن تذكر الإنسان لليوم الآخر بشكل دائم له العديد من الآثار التربوية ومنها تحقيق الأخلاق الفاضلة فالإيمان باليوم الآخر وما يترتب عليه من خشية المؤمن من الجزاء يوم الحساب يحقق في الإنسان الأخلاقيات الفاضلة في السلوكيات الحياتية بحيث تأتي هذه الأخلاقيات مراعية لشرع الله تعالى وباستمرار وتكون ثابتة لا يزعزعها شيء من مغريات الحياة الدنيوية والإيمان باليوم الآخر يحقق الانضباط للدوافع والغرائز وهذا الانضباط يرتبط بالخوف من الله والجزاء يوم الحساب ولهذا فإنه يجعل الإنسان المؤمن منضبطًا في غرائزه ودوافعه فهو يستغل هذه الدوافع كطاقات موجهة وجهة معتدلة ليس فيها ما يتعارض مع تعاليم الإسلام وأن تكون له إرادة قوية)[2].

ثالثًا-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الرئيسة التربية بالحوار والمناقشة حيث يتدرب المتربي على السؤال والاستفسار عما يجهل، ومما جاء في حديث الباب يبرز هذا الأسلوب قوله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام...".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة حول إكرام الضيف وبيان جائزة الضيف

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك ص ١٥٦.

(٢) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٧٣، ٧٤.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف؛ لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

وواجب المربين استخدام هذا الأسلوب في غرس القيم الخلقية مع المتربين (ولقد استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة حيث إن له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة وكذلك السنة النبوية، وعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة ليشحذ أذهانهم، ويقوي الحجة لديهم ويعودهم على الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يفيدهم بذلك)[2].

ويمكن للمعلم استخدام طريقة المناقشة في حجرة الدراسة، فيعتمد على معارف الطلاب وخبراتهم السابقة، كما أنه يمكن أن يدفع المتعلمين إلى توجيه الأسئلة له عن المعلومات المختلفة في الدرس، وتتميز تلك الطريقة بأنها تعمل على إثارة المعارف السابقة وتثبيت المعارف الجديدة، والتأكد من فهم هذا وذاك، كما أن فيها استثارة للنشاط العقلي عند الطلاب وتنمية انتباههم.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٠-١٨٢.

٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة: ٢١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات: ١٠١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[هود: ٦٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[هود: ٧١]، وقال تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾[آل عمران: ٣٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾[آل عمران: ٤٥] الآية، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جدًّا وهي مشهورة في الصحيح، مِنْهَا:

الحديث رقم (٧٠٨)

٧٠٨- عن أَبي إبراهيم، ويقال: أَبُو محمد، ويقال: أَبُو معاوية عبد اللهِ بن أَبي أوفى رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَديجَةَ رضي الله عنها ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"القَصَبُ" هنا: اللؤلؤ المجوف. "والصَّخَبُ": الصياح واللغط. "والنَّصَبُ": التعب.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٢)، ومسلم (٢٤٣٣/٧٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث في فضل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها قدوة الصالحات في البذل، والعطاء، والوفاء، والوقوف خلف الزوج بكل إخلاص لآداء أعظم مهمة في تاريخ البشر حتى لقيت ربَّها راضية مرضية.

لذلك كرَّمها الله أيما تكريم، وكرَّمها رسوله ﷺ وهو شاهد على عظمة الإسلام في تقدير المرأة الصالحة التقية وتكريمها على مستوى ليس فوقه مطمح لمكرَّم لأن تكريمها جاء من الله على لسان رسوله.

وقد جاء الحديث بأسلوب خبري بدأ بلفظ مشوق يحقق اليقظة والانتباه (بَشَّرَ) صَعَّد هذا التشويق، وأزكى جذوة اليقظة الجار والمجرور: (ببيت في الجنة) وتنكير كلمة (بيت) للتعظيم والتعبير ببيت يوحي بالسكينة، والراحة.

ثم انظر إلى جمال المعنى في جمال المبنى في وصف هذا البيت (ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب) حيث جاءت العبارة مسجوعة تأخذ السمع كما يأخذ معناها القلب مع جناس ناقص يحقق سيطرة الأسلوب، وترصيع يُعِين على الحفظ، ويساعد على الانتشار، وكأنه ﷺ يريد أن تكون هذه الجائزة بين سمع كل النساء المسلمات، وبصرهن تحثُّهن على اتباع سيرة أمِّهنَّ خديجة سيدة التقيات المجاهدات العابدات قدوة لهنَّ عبر الزمان، والمكان حتى لا يفقدن القدوة الصالحة فيصرن وراء نماذج هدَّامة من تافهات العصور المتأخرة.

فقه الحديث

استحباب البشارة: إخبار الناس بما يسرهم أمر مستحب لما ورد في ذلك من الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1] وما ورد كذلك من أحاديث، منها

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

أحاديث الباب وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه المخرج في الصحيحين في قصة توبته قال: (سمعتُ صوتَ صارخٍ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، فذهب الناس يبشروننا، وانطلقت أتأمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فلما سلَّمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال وهو يبرقُ وجهه من السرور: ((أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ))[1].

وفي قصة كعب: (أنه لما جاءه البشير بالتوبة، نزع له ثوبيه وكساهما إياه نظير بشارته) قال القاضي عياض: (دليل على جواز البشارة والتهنئة بين الناس فيما يسر من أمر الدنيا والآخرة، وجواز إعطاء البشير جعلاً على بشارته ومكافأته)[2].

وقد بوّب النووي في كتاب الأذكار: باب استحباب التبشير والتهنئة، ساق تحته آيات من القرآن الكريم في البشارة، ثم قال: (وأما الأحاديث الواردة في البشارة فكثيرة جدًّا في الصحيح[3] مشهورة فمنها...) فذكر منها حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي أن النبي صلى الله عليه وسلم بشّر خديجة ببيت في الجنة، ولا شك أن هذا الإخبار تنويه بمكانة خديجة رضي الله عنها، وبيان لفضلها، وعظيم بلائها مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن الإخبار هنا دعوة للمدعوين إلى الاقتداء بها والتأسي بأفعالها.

ثانيًا - من صفات الداعية: التبشير:

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبشر أصحابه الطائعين بالجنة والفلاح،وعلى الداعية أن

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٢) إكمال المعلم ٢٨١/٨، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٤/٨.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٣٦٥ - ٣٦٦، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٣٨/٥ - ٣٣٩.

يقتدي به ﷺ في ذلك، فيذكر الآيات والأحاديث التي فيها تبشير عندما يقتضي المقام ذلك، وفي الحديث هنا قد بشّر ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة، قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن هذه الآية التي في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1]، قال في التَّوْراةِ: يا أَيها النبيُّ إِنَّا أَرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأميِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتك المتوكِّلَ، ليس بفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ بالأسواق، ولا يدفع السَّيئةَ بالسَّيئة، ولكن يعفُو ويصفح، ولن يقبضَه الله حتى يقيمَ به المِلةَ العَوْجاءَ بأَنْ يقولوا: لا إِله إلا الله، فيفتَحَ بها أَعْيُنًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلْفًا"[2].

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه رضي الله عنهم بأن يبشروا ولا ينفروا، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا، وتطاوَعا ولا تختَلِفا))[3]. قال العز بن عبدالسلام: "بشارة الطائعين حث لهم على الطاعة، فإنهم يعملون ليصلوا إلى ما بشروا به من الأجر العظيم والنعيم المقيم"[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: منزلة خديجة رضي الله عنها:

إن خديجة رضي الله عنها لها منزلة كبيرة ودرجة عالية في الإسلام، وقد بشرها النبي ﷺ ببيت في الجنة. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْكَ. مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ. فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ. وَمِنِّي. وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ. لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ))[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

(٤) شجرة المعارف والأحوال ٢٣٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٨٢٠، ومسلم ٢٤٣٢.

قال القرطبي: "وإبلاغ الملك لها: أن الله يقرأ عليها السلام فضيلة عظيمة وخصوصية شريفة، لم يسمع بمثلها لمن ليس بنبي إلا لعائشة رضي الله عنها"[١].

قال ابن القيم عنها: "تزوجها قبل النبوة، ولها أربعون سنة، ولم يتزوجْ عليها حتى ماتت، وأولاده كلُّهم منها إلاَّ إبراهيمَ، وهي التي آزرته على النبوة، وجاهدت معه، وواسته بنفسها ومالها، وأرسل الله إليها السلامَ مع جبريل، وهذه خاصة لا تُعرف لامرأة سواها، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين"[٢].

قال ابن حجر: "روى مسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ عَلَىٰ خَدِيجَةَ حَتَّىٰ مَاتَتْ)[٣]، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل العلم بالأخبار، وفيه دليل على عظم قدرها عنده، وعلى مزيد فضلها، لأنها أغنته عن غيرها واختصت به بقدر ما اشترك فيه غيرها مرتين، لأنه صلى الله عليه وسلم عاش بعد أن تزوجها ثمانية وثلاثين عاما، انفردت خديجة منها بخمسة وعشرين عاما، وهي نحو الثلثين من المجموع، ومع طول المدة فصان قلبها من الغيرة ومن نكد الضرائر الذي ربما حصل له هو منه ما يشوش عليه بذلك، وهي فضيلة لم يشاركها فيها غيرها، ومما اختصت به سبقها نساء هذه الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها، فيكون لها مثل أجرهن، لما ثبت ((أن مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً))[٤]، وقد شاركها في ذلك أبو بكر الصديق بالنسبة إلى الرجال، ولا يعرف قدر ما لكل منهما من الثواب بسبب ذلك إلا الله عز وجل"[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٦/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٠٥/١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٣٦.

(٤) الحديث في صحيح مسلم ١٠١٧ من حديث جرير رضي الله عنه وفيه: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء...).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٠/٧ - ١٧١، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٨/٦ - ٣١٩.

وقال الذهبي: "خديجة أم المؤمنين وسيدة نساء العالمين في زمانها... القرشية الأسدية، أم أولاد رسول الله ﷺ وأول من آمن به وصدقه، قبل كل أحد، وثبّتت جأشه، ومضت به إلى ابن عمها ورقة، ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة ديّنة، مصونة كريمة من أهل الجنة، وكان النبي ﷺ يثني عليها ويفضلها على سائر أمهات المؤمنين، ويبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: (ما غِرتُ على امرأةٍ ما غِرتُ على خَديجة من كثرةِ ذكرِ رسولِ الله ﷺ إياها)[1]، ومن كرامتها عليه أنه لم يتزوج امرأة قبلها، وجاءه منها عدة أولاد، ولم يتزوج عليها قط، ولا تسرى إلى أن قضت نحبها، فوجد لفقدها، فإنها كانت نعم القرين، وكانت تنفق عليه من مالها"[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨١٧، ومسلم ٢٤٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٠٩ - ١١٠.

الحديث رقم (٧٠٩)

٧٠٩- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رسول الله ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: [1] وجَّهَ هاهُنَا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أريسٍ، فَجَلَسْتُ عِندَ البَابِ[2] حتَّى قضى رسول الله ﷺ حاجتهُ وتوضأ، فقمتُ إليهِ، فإذا هو قد جلسَ على بئرِ أريسٍ وتوسَّطَ قُفَّهَا، وكشَفَ عنْ ساقيهِ ودلاَّهُما في البئرِ، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ، فجلستُ عِندَ البابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَدَفَعَ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فقُلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذهبْتُ، فقلتُ: يَا رسول الله، هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَستَأْذِنُ، فَقَالَ: ((**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**)) فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرسول الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رسول الله ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فقلتُ: إنْ يُرِدِ الله بِفُلانٍ - يُرِيدُ أَخَاهُ - خَيْرًا يَأْتِ بِهِ. فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَاب، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بن الخَطَّابِ، فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رسول الله ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَستَأْذِنُ؟ فَقَالَ: ((**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**)) فَجِئْتُ عُمَرَ، فقلتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رسول الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رسول الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بن عَفَّانَ. فقلتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ، فقالَ: ((**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ**)) فَجِئْتُ، فقلتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصيبُكَ، فَدَخَلَ فَوجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فجلس وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخرِ.

---

(١) عندهما زيادة: (خرج).

(٢) عندهما زيادة: (وبابها من جريد).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وزاد في رواية[٢]: وأمرني رسولُ الله ﷺ بحفظِ الباب. وَفيها: أنَّ عُثْمانَ حِيْنَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللهُ المُسْتَعانُ.

قوله: "وَجَّهَ" بفتح الواو وتشديد الجيم، أي: توجه.

وقوله: "بئر أريسٍ": هو بفتح الهمزة وكسر الراء، وبعدها ياء مثناة تحت ساكنة، ثم سين مهملة، وهو مصروف ومنهم من منع صرفه. "والقُفُّ" بضم القاف وتشديد الفاء: هو المبنى حول البئر. قوله: "عَلَى رِسلك" بكسر الراء على المشهور، وقيل بفتحها، أي: ارفُق.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

وجَّه: توجه[٣].

بئر أريس: بئر كان غربي مسجد قباء، والأريس في لغة أهل الشام: الفلاح وهو الأذكار[٤].

قُفّها: القف: المبنيُّ حول البئر[٥][٦].

علي رِسْلِك: الرِّسل: الهينة والتأني، وعلى رسلك معناها: اتئد وتمهل[٧].

الشِّقُّ الآخر: الجانب الآخر[٨].

أولتها: فسرتها[٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣/٢٨) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٣)، ومسلم (٢٤٠٣/٢٨).

(٣) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٤) معجم البلاد في (أ ر س).

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤.

(٦) رياض الصالحين ٣٠٦.

(٧) ل في (ر س ل).

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤٨٩.

(٩) المرجع السابق في (أ و ل)، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦/٧.

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ لأنه أخبر فيه بأمور مستقبلية وقعت كما أخبر وهو ما حدَّث به عن عثمان رضي الله عنه ، وأرضاه كما أنه صورة عملية لنموذج من محبة الصحابة لرسول الله ﷺ تمثَّلت في موقف أبي موسى الأشعري مع ما فيه من توقير، وأدب الصحابة في معاملة الرسول ﷺ وحبه لهم، ورغبته في إدخال السرور عليهم، والذي جسَّده في عبارته مع كل واحد منهم (ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ) لم ينتظر حتى يدخل عليه فيبشره بنفسه بل بادر بها تعجيلاً بالمسرة فأصدر أمره بالإذن بالدخول، وعطف عليه الأمر بالبشارة حتى يدخل عليه مسروراً سعيد اً وهو بذلك يعطيناً مثلاً حياً لتعبد الله بإدخال السرور على قلوب الناس كل بما يستطيع.

فقه الحديث

١- جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه[(١)].

٢- استحباب قول "والله المستعان" عند مثل هذا الحال[(٢)] [أي حال مَنْ يُخْبَر ببلوى تصيبه ونحو ذلك].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات النبي: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

خامسًا: من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٩/١٥/٨.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

سابعًا: من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء في البيت:

الوضوء سلاح المؤمن، وله فضل في إطالة غرة المؤمنين يوم القيامة؛ لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الوضوء وعلى إسباغه، وقد أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: (إنه توضأ في بيته ثم خرج)، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً))[1].

قال ابن عثيمين عن حديث أبي موسى: "وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا، لأجل أن يكون مستعدًا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكان لا يوجد فيه ماء كان على طهارة، وصلى، وإذا حضرت جنازة صلّى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر، لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر، وربما أيضًا يحصل له الموت في هذا الوقت، فيكون على طهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر، لا سيما إذا خرج عن بيته"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على مصاحبة النبي ﷺ وملازمته، ويوضح هذا قول أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا).

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٦٢.

قال ابن كثير: "وهذا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ، من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك - أمرهم الله تعالى ألا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وإن من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين"[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (وإنَّ أبا هُرَيرةَ كانَ يَلْزَمُ رسولَ اللّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطنِه)[٢].

قال ابن حجر: "كان أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ الصحابة رضي الله عنهم للحديث. قال الشافعي رضي الله عنه: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد كان ابن عمر يترحم عليه في جنازته، ويقول: كان يحفظ على المسلمين حديث النبي ﷺ رواه ابن سعد"[٣].

وملازمة الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ هي التي حفظت لنا سنة النبي ﷺ وأفعاله وأقواله وأحواله، فكان في ذلك حفظ لدين الله تعالى نقيًا خالصًا واضحًا بعيدًا عن التحريف والتضليل الذي أصاب الأديان السابقة، كما حفظ لسيرة النبي ﷺ الشمول والوضوح والتفصيل، بحيث أصبحت سيرته ﷺ معلومة تفاصيلها ومراحلها المختلفة من المولد إلى الوفاة، فضلاً عن الوثوق بها.

ثالثًا- من صفات النبي: التبشير:

لقد بشر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، وقد قال الله سبحانه وتعالى عن الرسل عليهم السلام: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٤]، وقال الله عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٥]، وقال الله جلّ شأنه مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٨/٦.

(٢) أخرجه البخاري ١١٨، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٨/١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٥.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[١]. وقال سبحانه وتعالى عنه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[٢].

قال القاسمي: "(إنا أرسلناك شاهدًا)، أي: على أمتك بما أجابوك فيما دعوتهم إليه، (ومبشرًا): أي: لمن استجاب لك بالجنة (ونذيرًا): أي لمن خالفك بالنار"[٣].

وكان النبي ﷺ يبعث أصحابه رضي الله عنهم ليبشروا الناس، من ذلك قوله لأبي هريرة رضي الله عنه: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ))[٤]. ولا شكّ أن التبشير في موضعه يؤتي بثماره الطيبة من حث على الطاعات، ونشر للفضائل، وزيادة إقبال على الطاعة، ودعوة للاقتداء والتأسي.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

أفضل الخلق بعد الرسل عليهم السلام الصحابة رضي الله عنهم، وأفضل الصحابة العشرة المبشرون بالجنة، وأفضلهم الأربعة الخلفاء الراشدون، وفي هذا الحديث بشّر النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة، قال النووي: "وفيه فضيلة هؤلاء الثلاثة وأنهم من أهل الجنة، وفضيلة لأبي موسى رضي الله عنه، وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه فتنة الإعجاب ونحوه"[٥].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إن النبيَّ ﷺ صعِدَ أُحُدًا وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ، فرَجَفَ بهم، فقال: ((اثبُتْ أُحُدُ، فإن عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشَهيدان))[٦].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦٨/١٥/٩.

(٤) أخرجه مسلم ٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦٧٥.

قال ابن عثيمين: "ارتج بهم الجبل، وهذا من آيات الله، ليس هو ارتجاج نقمة وخسف، لكنه ارتجاج فرح، فلما ارتج بهم الجبل قال له النبي ﷺ: (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان). فالنبي ﷺ والصديق أبو بكر، والشهيدان عمر وعثمان، وكلاهما قتل شهيدًا. أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قتل في المحراب، أما عثمان فقتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما"[١].

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: (كنّا في زَمن النبيِّ ﷺ لا نَعدلُ بأبي بكر أحدًا)[٢].

قال ابن أبي العز: "فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم، وقد روي عن أبي حنيفة تقديم عليّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة، وقال أيوب السختيابي: من لم يقدم عثمان على عليّ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"[٣].

خامسًا - من آداب المدعو: تمني الخير لإخوانه والدعاء لهم:

وهذا واضح من قول أبي موسى رضي الله عنه: (إِنْ يُرِدِ اللّهُ بِفُلاَنٍ خَيْرًا - يَعْنِي أَخَاهُ - يَأْتِ بِهِ) وفي رواية للبخاري: (ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُرِدِ اللّهُ بفلانٍ خيراً - يريدُ أخاهُ - يأتِ بهِ)[٤].

وقد قال النبي ﷺ: ((لأنْ يَهديَ اللّهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

قال د. عبدالكريم زيدان: "إن الداعي [ومثله المدعو] لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم والنصح لهم، ومن شفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم برضوان الله تعالى، إنه يحب

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٩٧.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ٧٢٧/٢ - ٧٢٨.

(٤) صحيح البخاري ٣٦٧٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى، فهو يحب ذلك إليهم أيضًا"[١].

ومن هذا القبيل ما وقع من أبي ذر رضي الله عنه عندما أسلم فقال له النبي ﷺ: ((فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ ؟ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ)). فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ، فَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي[٢].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: تحقق ما قاله النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه:

لقد قال النبي ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه: (ائذن له [أي لعثمان] وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه)، قال النووي: "وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى"[٣].

وقال القرطبي: "هذا من النبي ﷺ إعلام لعثمان رضي الله عنه بما يصيبه من البلاء والمحنة في حال خلافته، وقد جاء من الأخبار ما يدل على تفصيل ما يجري عليه من القتل وغيره"[٤].

وقد عنون ابن كثير في دلائل نبوته ﷺ آخر السيرة النبوية عنوانًا هو: "ذكر إخباره ﷺ عن الفتن الواقعة في آخر أيام عثمان بن عفان وفي خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنهما"[٥].

---

(١) أصول الدعوة ص ٣٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٦٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٦٥/٦.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٧٧/٩ - ١٩٧.

قال ابن عثيمين: "وهذه البلوى هي ما حصل له ﷺ من اختلاف الناس عليه وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته ﷺ، حيث دخلوا عليه في بيته وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه، ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1]، والله أعلم. لكن على كل حال كان ﷺ معروفًا بكثرة القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه شهيدًا"[2].

سابعًا - من صفات المدعو: الاستعانة بالله والصبر في مواجهة الشدائد والمكاره:

وذلك واضح في قول عثمان بن عفان ﷺ حين بشره أبو موسى ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبه - حمد الله تعالى ثم قال: (الله المستعان)، وفي رواية لمسلم: ((اللَّهُمَّ صَبْرًا. أَوِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ))[3]، وفي رواية لأحمد: (فجعل يقول: اللهم صبرًا حتى جلس)[4].

قال القرطبي: "أي: اللهم صبرني صبرًا، وأعني على ما قدّرت عليّ، فيه استسلام لأمر الله تعالى، ورضا بما قدره الله تعالى"[5].

فعلى المدعو أن يستعين بالله ويصبر عند مواجهة الشدائد، وليكن قدوته نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6].

وهذا ما فعلته عائشة ﷺ عندما رميت بما برأها الله منه في قرآنه الكريم، فقد قالت: (إني واللهِ لقد علمتُ: لقد سَمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٢٥/٢، وانظر: تفصيل ذلك في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٧٠/١٠ - ٤٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٠٣.

(٤) أخرجه أحمد ٣٩٣/٤، رقم ١٩٥٠٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٦٧/٦ - ٢٦٨.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٨.

وصدَّقتم به، فَلَئن قلتُ لكم إني بريئة - واللهُ يعلمُ أني بريئة - لا تُصدِّقوني، ولَئن اعترَفتُ لكم بأَمر، والله يعلم أني منه برئية، لتصدِّقنِّي. فواللهِ ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا قولَ أبا يوسف حين قال: ﴿فصبرٌ جميل، والله المستَعانُ على ماتُصِفون﴾)[1].

وقال ابن القيم: "الصبر على البلوى ينشأ من أسباب عديدة: الأول: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسيئات.

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها، وأنها مقدرة في أمّ الكتاب قبل أن يخلق فلا بُدّ منها، فجزعُه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حقّ الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خوف بين الأمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمورٌ بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[2]، فهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في دفع تلك المصيبة.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء قطّ إلاّ بذنب ولا رفع بلاء إلاّ بتوبة).

السادس: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له، واختارها، وقسمها، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيده ومولاه، فإن لم يوف قدر المقام حقه فهو لضعفه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها، فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدي الحق.

السابع: أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته، الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلاً.

الثامن: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٤١، ومسلم ٢٧٧٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ٣٠.

لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[2].

وفي مثل هذا قول القائل:

لَعَلّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ ... فرُبّمَا صَحّتِ الأجْسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدمًا له وعونًا له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرد، وصُفع قفاه، وأُقصي، وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأن المصيبة في حقه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعمًا عديدة. وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة. والمصيبة لا بد أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، ولكن تقلع عن هذا وعن الآخر بالحرمان والخذلان، لأن ذلك تقدير العزيز العليم، وفضلُ الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال. فإن العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة النساء آية: ١٩.

لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما إيمان العافية فلا يكادُ يصحبُ العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبتُ على البلاء والعافية. فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه: فإما أن يخرج تبرًا أحمر، وإما أن يخرج زغلاً[1] محضًا، وإما أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا، فلو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية، لشغل قلبه بشكره ولسانه ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[2].

وكيف لا يشكر من قيّض له ما يستخرج خبثه ونحاسه، وصيّره تبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر. فنسأل الله أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه"[3].

---

(١) الزغل: الغش، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٣٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) طريق الهجرتين ص ٤٩٨ - ٥٠١.

الحديث رقم (٧١٠)

٧١٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ الله ﷺ، وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نَفَرٍ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنَا فَأبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ، حَتَّى أتَيْتُ حَائِطًا للأنصَارِ لِبَني النَّجَارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أجِدْ! فَإذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ في جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ) فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**)) فقلتُ: نَعَمْ، يَا رسول اللهِ، قَالَ: ((**مَا شأنُكَ؟**)) قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأبْطَأتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، ففزعنا، فَكُنْتُ أوّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائِي. فَقَالَ: ((**يَا أَبَا هُرَيرَةَ**)) وَأعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: ((**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ الله مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ...**)) وَذَكَرَ الحديثَ بطوله، رواه مسلم[1].

"الرَّبِيعُ": النهر الصغير، وهو الجدول - بفتح الجيم - كما فسره في الحديث. وقوله: "احتَفَزْتُ" روي بالراء والزاي ومعناه بالزاي: تَضَاممتُ وتَصَاغَرْتُ حتى أمكنني الدخول.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يقتطع دوننا: أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره[2].

حائطًا: أي بستانًا وسمى بذلك لأنه حائط لا سقف له[3].

---

(١) برقم (٣١/٥٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٣) المرجع السابق ص ١١٢.

الرَّبيع: النهر الصغير[١].

احتفرت: روى بالراء وبالزاي ومعناه بالزاي: تضاممت وتصاغرت حتى أمكنني الدخول[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يحكي جانباً من الحياة اليومية لرسول الله وصحبه، وطبيعة هذه النوعية من الأحاديث أنها تحمل دروساً متعددة، وموضوعات مختلفة تكون مصدر تعليم لأجيال الأمة في كثير من الأمور وهذا الحديث يصوِّر عملياً شدة حرصهم على الرسول ﷺ وسلامته يدلك على ذلك عدة أمور في بناء الصحابي لعبارته منها: كثرة الألفاظ التي تدل على الفزع (خشينا - فزعنا - فزع) ومنها العبارت التي تدل على القلق (أبطأ علينا - أن يقتطع دوننا - فاحتفرت) ومنها كثرة استخدام الفاء في الربط بين الأحداث، والتي تدل على سرعة الاستجابة (فقام - فأبطأ - فقمنا- فكنت - فخرجت - فدرت - فاحتفرت - فدخلت) ومنها عموم الأثر والذي يدل عليه استخدام الصحابي (نا) الفاعلين بكثرة، لذلك جاءت بشارة الرسول ﷺ لهم بالجنة جزاءً من جنس العمل، فتأمل كيف تحولت نصرتهم للرسول ﷺ نصرة لأنفسهم، وكذلك كل من ينصر رسول الله، وسنته، فإنه في الحقيقة يحي قلبه، وينصر نفس.

فما أحوج الشباب المسلم إلى نموذج كأبي هريرة يكون قدوة لشباب الأمة في الحرص على نبيهم، والدفاع عنه والذبِّ عن سنته بالتمسك بها والدفاع عنها ضد من يحاول إقصائها عن ميدان الحياة، وهذه نصرة للمسلمين جميعاً لأنه ﷺ أجلُّ من أن ينقص من قدره جاهل بفعل أو قول وقد نصره الله فلا غالب له، وإنما إلتفافنا حوله نصرة لنا.

---

(١) رياض الصالحين ٣٠٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٠٧.

فقه الحديث

جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه:

قال النووي: (فيه [أي في هذا الحديث] جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه، إذا علم أنه يرضى ذلك لمودة بينهما أو غير ذلك، فإن أبا هريرة رضي الله عنه دخل الحائط وأقرّه النبي ﷺ على ذلك، ولم ينقل أنه أنكر عليه. وهذا غير مختص بدخول الأرض، بل يجوز له الانتفاع بأدواته وأكل طعامه، والحمل من طعامه إلى بيته، وركوب دابته، ونحو ذلك من التصرف الذي يعلم أنّه لا يشق على صاحبه، هذا هو المذهب الصحيح الذي عليه جماهير السلف والخلف من العلماء رحمة الله عليهم، وصرح به أصحابنا. قال أبو عمر بن عبدالبر: وأجمعوا على أنه لا يتجاوز الطعام وأشباهه إلى الدراهم والدنانير وأشباههما. وفي ثبوت الإجماع في حق من يقطع بطيب قلب صاحبه بذلك، نظر، ولعلّ هذا يكون في الدراهم الكثيرة التي يشكّ أو قد يشك في رضاه بها، فإنهم اتفقوا على أنه إذا تشكك لا يجوز التصرف مطلقاً فيما تشكك في رضاه به، ثم دليل الجواز في الباب الكتاب والسنة، وفعل وقول أعيان الأمة، فالكتاب قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[1] والسنة هذا الحديث وأحاديث كثيرة معروفة بنحوه، وأفعال السلف وأقوالهم في هذا أكثر من أن تحصى. والله تعالى أعلم)[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٦١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١١/١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثًا: من صفات النبي ﷺ: التبشير.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ عليهم ومسارعة أبي هريرة في طلبه ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفدون النبي بالغالي والنفيس، وقد كثر على ألسنتهم قولهم له ﷺ: "فداك أبي وأمي"، وحديث الباب يوضح بعض هذا، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: "كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ...".

قال النووي: (قوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر وإما بغيره. قوله "وفزعنا وقمنا فكنت أول من فزع" قال القاضي عياض[1]: الفزع يكون بمعنى الروع وبمعنى الهبوب للشيء والاهتمام به، وبمعنى الإغاثة، قال: فتصح هذه المعاني الثلاثة، أي ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ عنا، ألا تراه كيف قال: وخشينا ان يقتطع دوننا، ويدل على الوجهين الآخرين قوله: فكنت أول من فزع)[2].

كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يحرسونه خوفًا من أن يصيبه ﷺ أدنى أذى، قال ابن سيد الناس: (حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ، ويوم أحد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٦٣/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٠٤/١.

محمد بن مسلمة، ويوم الخندق الزبير بن العوام، وحرسه ليلة بنى بصفية أبو أيوب الأنصاري بخيبر أو ببعض طريقها، وحرسه بوادي القرى بلال وسعد بن أبي وقاص وذكوان بن عبد قيس، وكان على حرسه عباد بن بشر، فلما نزلت ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] ترك الحرس)[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: منزلة أبي هريرة رضي الله عنه:

أبو هريرة رضي الله عنه هو راوية الإسلام، ولقد لازم النبي ﷺ منذ أسلم حتى وفاته ﷺ، فحفظ عنه علمًا جمًا، استفاد منه الصحابة والمسلمون كلهم - وما يزالون - استفادة كبيرة، وكان رضي الله عنه يحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، ويفديه بالروح وبكل ما يملك كما في هذا الحديث (فكان أول من فزع أبو هريرة رضي الله عنه حتى أتى حائطًا لبني النجار، فجعل يطوف به لعله يجد بابا فلم يجد ... ولكنه وجد فتحة صغيرة في الجدار فضم جسمه حتى دخل فوجد النبي ﷺ)[3]. وقال ابن هبيرة: (فيه جواز أن يحمل الشفيق إشفاقه على مصحوبه إلى أن يلج عليه في المكان الذي هو فيه من غير بابه، كما فعل أبو هريرة، وإنما يرخص في مثل هذا، إذا جرى مثل تلك الحال من الخوف على رسول الله ﷺ وإلا فلا تؤتى البيوت إلا من أبوابها)[4].

ومما يدل على منزلة أبي هريرة قوله ﷺ: ((إنكم تزعمون أنَّ أبا هريرةَ يُكثرُ الحديثَ على رسولِ اللّه ﷺ، واللّهُ الموعد، إني كنتُ امرأً مسكينًا ألزَمُ رسولَ اللّه ﷺ على مِلْءِ بطني، وكان المهاجرونَ يَشغَلُهُمْ الصفقُ بالأسواق، وكانتِ الأنصارُ يشغلُهُم القيام على أموالهم، فشَهِدتُ من رسولِ اللّه ﷺ ذاتَ يومٍ وقال: "من يَبسُطُ رِداءَهُ حتى أقضيَ مقالتي، ثم يَقبِضُهُ، فلن يَنسى شيئًا سَمِعَهُ منّي، فبَسَطتُ بُردةً

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) عيون الأثر ٢/٣٨٣-٣٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٢/١٠٢٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/١٩٨

كانت عليَّ، فوالذي بَعثهُ بالحق ما نسيت شيئًا سمعتهُ منه))[١].

قال عنه الذهبي: (الإمام الفقيه المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات... حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه لم يلحق في كثرته)[٢]. وقال كذلك: (وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة)[٣].

ثالثًا - من صفات النبي ﷺ: التبشير:

وهذا واضح من إعطاء النبي ﷺ نعليه لأبي هريرة وقوله له: (اذهب بنعليّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة). قال ابن هبيرة: (فيه أن رسول الله ﷺ لما أخبره أبو هريرة بشدة إشفاق المسلمين عليه وحذرهم، عرف ﷺ أن هذا من أمارة الإيمان، وأراد أن يسر قلوبهم بهذه البشرى، فقال له: اخرج وخذ نعلي، وإنما أعطاه نعليه لتكون أمارة على أنه هو الذي أرسله بتلك الرسالة)[٤].

قال ابن عثيمين: (ففي هذا الحديث بشارة بالخير، وهو أن من شهد ألا إله إلا الله موقنًا بها قلبه فليبشر بالجنة)[٥].

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٦]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٥٤، ومسلم ٢٤٩٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٥٧٨-٥٧٩.

(٣) السير ٢/٥٩٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/١٩٨.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٢٧.

(٦) سورة البقرة، آية: ١١٩.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٥٦.

وقال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١].

وقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان الراسخ في القلب:

وذلك واضح في آخر الحديث "اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة".

قال النووي: (وأما إعطاؤه النعلين فلتكون علامة ظاهرة معلومة عندهم، يعرفون بها أنه لقي النبي ﷺ ويكون أوقع في نفوسهم لما يخبرهم به عنه ﷺ ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيدًا، وإن كان خبره مقبولاً من غير هذا. قوله ﷺ "فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه، فبشره بالجنة" معناه: أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم)[٣].

قال ابن عثيمين: (لأن الذي يقول هذه الكلمة مستيقنًا بها قلبه لابد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول لا معبود بحق إلا الله، وإذا كان هذا معنى تلك الكلمة العظيمة، فإنه لا بد أن يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له. أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه - والعياذ بالله - فإنها لا تنفعه، فهاهم أولئك المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله لكنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ويقومون ويصلون، لكنهم يصلون صلاة المنافقين، فالصلاة ثقيلة عليهم، وأثقلها صلاة العشاء والفجر، ويأتون للرسول ﷺ يقولون نشهد إنك لرسول الله ويؤكدون هذا، ولكن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) سورة يونس، آية: ١.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٧-١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1] لم تستيقن قلوبهم بلا إله إلا الله، ولا بمحمد رسول الله، ولهذا لم تنفعهم، أما من استيقن بها قلبه فهذا هو الذي يبشر بذلك)[2].

قال ابن القيم: (ومن منازل "إياك نعبد وإياكم نستعين" منزلة اليقين وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشاراتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الإمامة في الدين. قال تعالى: - وبقوله يهتدي المهتدون- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾[3] وخص سبحانه وتعالى أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين، فقال - وهو أصدق القائلين - ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[4] وخص أهل اليقين بالهدى والفلاح بين العالمين، فقال سبحانه: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5] وأخبر عن أهل النار: بأنهم لم يكونوا من أصحاب اليقين، فقال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[6].

فاليقين روح أعمال القلوب، التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وقطب هذا الشيء الذي عليه مداره، واليقين قرين التوكل، ولهذا فسر التوكل بقوة

---

(١) سورة المنافقون، آية: ١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٢٦/٢.

(٣) سورة السجدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٢٠.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة الجاثية، آية: ٣٢.

اليقين. ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل شك وريب، وهّم وغّم، فامتلأ محبة لله، وخوفًا منه، ورضى به، وشكرًا له، وتوكلاً عليه، وإنابة إليه، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها)[1].

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٢٠-٢٢١ باختصار، وقد استفدنا هذا الاختصار عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٣٧١٨-٣٧١٩.

الحديث رقم (٧١١)

٧١١- وعن ابن شِمَاسَةَ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ ﷺ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ، يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ بكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ اللهِ ﷺ بِكَذَا؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغضًا لرسولِ اللهِ ﷺ مِنِّي، وَلاَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قد اسْتَمكنتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُه، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسلامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فقُلْتُ: ابسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْك، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: ((مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟)) قلتُ: أردتُ أنْ أشْتَرِطَ، قَالَ: ((تَشْتَرِط بِمَاذا؟)) قُلْتُ: أنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: ((**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**)) وَمَا كَانَ أحدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطيقُ أن أملأ عَيني مِنْهُ؛ إجلالاً لَهُ، ولو سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَه مَا أطقتُ، لأني لَمْ أكن أملأ عيني مِنْهُ، ولو مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟ فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلاَ تَصحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلاَ نَارٌ، فَإِذا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذا أُرَاجِعُ بِهِ رسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[1].

قوله: "شُنُّوا" روي بالشين المعجمة وبالمهملة، أي: صبوه قليلاً قليلاً. والله سبحانه أعلم.

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

---

(١) برقم (١٢١/١٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٤٢) بلفظ ابن خزيمة مختصرًا، وقال: ورواه مسلم وغيره أطول منه.

غريب الألفاظ:

سياقة الموت: حال حضور الموت[١].

أطباق: أحوال[٢].

فلأ بايعك: أعاقدك وأعاهدك[٣].

النائحة: التي تبكي وتنوح من النساء على الميت[٤].

فشنوا: صبوه قليلاً قليلاً[٥].

الجزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل[٦].

أراجع: أجاوب وأجادل[٧].

الشرح الأدبي

الحديث يصوِّر حالة لابد وأن تمرَّ بكل إنسان وهي حالة الاحتضار حينها تعتري الإنسان مشاعر متعددة لا يمكن وصفها يحتاج إلى رجاء المغفرة والبشارة بالخير وحسن الظن بالله وهو مدار الحديث.

بداية الحوار بين عمرو رضي الله عنه والرسول ﷺ عند مبايعته على الإسلام تصدرتها جملة عمرو رضي الله عنه (ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ فَقَبَضْتُ يَدِي) وقد تصدرها أسلوب الأمر (ابسط) والمقصود منه القبول والرضى وتخصيص اليمين لأنها المعتادة في السلام وأخذ البيعة وفي استعمالها عند العرب خصوصية وتكريم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠.

(٣) ل في (ب ي ع).

(٤) انظر: المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٤٦.

(٥) رياض الصالحين ٣٠٨.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ز ر).

(٧) المرجع السابق في (ر ج ع).

وقوله: (فبسط... فقبضت) فيه تضاد يؤكد المعنى ويوضح مفارقة في الموقفين موقف الرسول ﷺ وموقف عمرو ﷺ، وتوقفه عن البيعة مما أثار استفهامة في نفس الرسول ﷺ وهو الحريص على إسلامه فقال: (مالك يا عمرو؟) وهو استفهام تعجب واستبطاء فتأتي إجابة عمرو ﷺ بأنه يريد أن يشترط المغفرة، فجاءت بشارة الرسول ﷺ له وللمسلمين بقوله (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟) وهو استفهام تقرير للتعليم والإخبار وكأن ما سأل عنه مما لا ينبغي أن يجهل ثم إن تعبيره بقوله: (يهدم) للدلالة على محو الذنوب استعارة مكنية فيها تشبيه الذنوب بالبناء وقد أشار إليه بشيء من لوازمه وهو الهدم وهذه الاستعارة تفيد عدة دلالات منها: أن الذنوب سور، وحجاب يحجز صاحبه عن كل خير ومنها الدلالة على التفكيك والنقض المفهوم من طبيعة الهدم وهو في جانب المشبه به يؤكد محو الإسلام والهجرة والحج لما قبله من الذنوب محواً لا يبقي لها أثراً.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- ما يكره في اتباع الجنائز: اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز أن يكون مع الجنائز، ما يخالف الشرع، كالنياحة، ورفع الصوت بالبكاء، أو اتباعها بمجمرة، أو بخور[1]، ويلحق بذلك ما كان في معناه، كالموسيقى، واللطم، ونحوهما.

٢- سنن وآداب الدفن:

أ- حثو التراب في القبر: يستحب عند جمهور الفقهاء، لمن حضر الدفن، أن يحثو

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٣٤/٢، ٣٣٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٣١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٦/١، ٣٥٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٢/٢، ١٥٣.

على الميت من تراب القبر ثلاث حثيات بيديه جميعًا، وذلك بعد الفراغ من سد اللحد، ويكون الحثو من جهة رأس الميت[١].

وروي عن الإمام مالك أنه قال: لا أعرف حثيات التراب في القبر ثلاثًا، ولا أقل، ولا أكثر، ولا سمعت من أمر به، والذين يلون دفنها يلون رد التراب عليها. لكن المعروف من مذهب المالكية: استحباب الحثو، كالجمهور[٢].

ب-صرح جمهور الفقهاء بأنه يستحبّ أن يجلس المشيعون للميت بعد دفنه لدعاء وقراءة بقدر ما ينحر الجزور ويفرق لحمه[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف وبكاء عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما سبقهم من الذنوب.

خامسًا: من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شفقة وخوف عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال ابن شماسة: "حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً، وحوّل وجهه إلى الجدار... فأقبل بوجهه فقال: (إني قد كنت على أطباق ثلاث،

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٢٠/٢، حاشية الخرشي ٤٣٣/٥، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٣/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٠/٢، ١٦١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥٣/٢، وحاشية الخرشي ٤٣٣/٥.

(٣) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٢٩/٥، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٩٤/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢١/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢١.

لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ منِّي ولا أحب إلي من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار... إلخ).

قال ابن عثيمين: (إنه حضره بعض أصحابه وهو في سياقة الموت، فبكى بكاءً شديدًا وحول وجهه نحو الجدار رضي الله عنه، وهو في سياقة الموت سيفارق الدنيا، فقال له ابنه: علام تبكي وقد بشرك النبي ﷺ بالجنة؟ فقال: يابني إني كنت على أطباق ثلاث، أطباق يعني أحوال، ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث، أنه كان يبغض النبي بغضًا شديدًا، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحد يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يود أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه... فبايع رضي الله عنه النبي ﷺ وأحب النبي ﷺ حبًا شديدًا، حتى كان أحب الناس إليه، حتى إنه لا يستطيع أن يحد النظر فيه إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، سبحان مقلب القلوب، بالأمس كان يبغضه بغضًا شديدًا حتى يتمنى أن يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه لأنه لا يحيط به، حيث إنه لم يدركه إدراكًا جيدًا؛ مهابة له ﷺ.

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول لكان من أهل النار ويقول: ولو مت على تلك الحال يعني الطبق الثاني لرجوت أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية: فإنه لشدة خوفه قال: لومت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ولم يقل: لكنت من أهل الجنة، لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها. ثم إنه تولى بعد ذلك أمورًا رضي الله عنه تولى إمارات وقيادات وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره. وكان عمرو بن العاص معروفًا أنه من أدهى وأذكى العرب، فيقول: أخشى من

---

(١) سورة الانشقاق، آية: ١٩.

هذا الذي حدث به بعد الطبق الأوسط، أن يكون أحاط بعمله)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله تعالى:

إن المحتضر مفارق الدنيا مقبل على الآخرة، لذا حَسُنَ أن يذكَّر بما يجعله يحسن الظن بالله، وهذا ما فعله ابن عمرو بن العاص، فقد قال لأبيه وهو يحتضر: يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال النووي: (وفيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى، وذكر آيات الرجاء، وأحاديث العفو عنده، وتبشيره بما أعده الله تعالى للمسلمين، وذكر حسن أعماله عنده ليحسن ظنه بالله تعالى ويموت عليه، وهذا الأدب مستحب بالاتفاق، وموضوع الدلالة له من هذا الحديث، قول ابن عمرو لأبيه: أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا)[٢].

وعن أنس بن مالك: ((أَنَّ النبيَّ دَخَلَ على شَاب وهُوَ بالمَوْتِ فقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قالَ والله يا رسولَ الله إنِّي أرْجُو الله وإنِّي أَخَافُ ذُنُوبي. فقَالَ رسولُ الله لاَ يَجْتَمِعَانِ في قَلْبِ عَبْد في مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إلاَّ أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو، وآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ))[٣].

وقال القرطبي: (حسن الظن بالله تعالى، ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك، حتى يدخل في قوله تعالى: ((أنا عند ظن عبدي بي))[٤])[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادتين:

لا يقبل الله إلا دين الإسلام، ولا يدخل في الإسلام أحدٌ إلا بالشهادتين، لذا كان لهما فضل عظيم وثواب جزيل، ولذا قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله).

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٠٢٨-١٠٢٩.

(٢) شرح مسلم ١٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٠٧، ومسلم ٢٦٧٥.

(٥) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ٢٨.

قال أبو العباس القرطبي المحدث: (أي أن أفضل ما نتخذه عدة للقاء الله تعالى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده وتصديق رسوله ﷺ، والنطق بذلك، وأن الإيمان أفضل الأعمال كلها، ويتأكد أمر النطق بالشهادتين عند الموت، ليكون ذلك خاتمة أمره وآخر كلامه)[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. وأن محمداً رسول الله. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَصِيَامِ رَمَضَانَ. وَحَجِّ الْبَيْتِ))[٢].

وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ((أَتَدْرُونَ مَا الإِيْمَانُ بِاللهِ؟ قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[٣].

وقال الرسول ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وأن محمدًا رسولُ اللّهِ حَرَّمَهُ اللهُ على النّارِ))[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (وتطلق الشهادة أيضًا على كلمة التوحيد، وهي قولنا: "لا إله إلا الله" وتسمى العبارة "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" بالشهادتين. ومعناها هنا متفرع عن مجموع المعنيين "الإخبار والإقرار" فإن معنى الشهادة هنا هو الإعلام والبيان لأمر قد علم، والإقرار الاعتراف به. وقد نص ابن الأنباري على أن المعنى هو: "أعلم أن لا إله إلا الله وأبيّن أن لا إله إلا الله، وأعلم وأبين أن محمدًا مبلغ للأخبار عن الله عز وجل، وسمى النطق بالشهادتين بالتشهد، وهو صيغة تفعل من الشهادة)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٢٨/١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣، ومسلم ١٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٥/٢٦.

وجاء في كتاب أصول الإيمان: (معنى الشهادتين: معنى شهادة أن لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله. ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر به، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)[١].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: هدم الإسلام والهجرة والحج لما قبلها من الذنوب:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ قال النووي: (فيه عظم موقع الإسلام والهجرة والحج، وأن كل واحد منها يهدم ما كان قبله من المعاصي)[٢].

قال ابن عثيمين: (أما الإسلام فإنه يهدم ما كان قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٣] وأما الهجرة إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها وهي بلد كفر هدمت ما قبلها، والحج يهدم ما قبله لقول النبي ﷺ ((مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[٤])[٥].

قال ابن العربي تعليقًا على الآية السابقة: (قال علماؤنا: هذه لطيفة من الله سبحانه منّ بها على الخليقة، وذلك أن الكفار يقتحمون الكفر والجرائم، ويرتكبون المعاصي ويرتكبون المآثم، فلو كان ذلك يوجب مؤاخذتهم لما استدركوا أبدًا توبة، ولا نالتهم مغفرة، فيسّر الله عليهم قبول التوبة عند الإنابة، وبذل المغفرة بالإسلام، وهدم جميع ما تقدم، ليكون ذلك أقرب إلى دخولهم في الدين، وأدْعَى إلى قبولهم كلمة الإسلام، وتأليفًا على الملة، وترغيبًا في الشريعة، فإنهم لو علموا أنهم يؤاخذون لما أنابوا ولا أسلموا)[٦].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٥٦.

(٢) شرح مسلم ص ١٧٠. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٢٩/١.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٠٢٨/٢-١٠٢٩.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ٨٥٢/٢.

خامسًا - من آداب المدعو: إجلال وتعظيم النبي ﷺ:

بعث الله النبي محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، فكان له على الخلق حقوق، منها إجلاله ﷺ وتعظيمه، وهذا ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم، فقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه".

قال النووي: (وفيه ما كانت الصحابة رضي الله عنهم عليه من توقير رسول الله ﷺ وإجلاله)[1].

وقد شهد بذلك عروة بن مسعود الثقفي عندما رأى النبي ﷺ وما يفعله أصحابه معه، وذلك في صلح الحديبية، قال عروة: ((والله لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووَفدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلكًا قطُّ يُعظِّمهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجِلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأَ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له))[2].

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[3].

قال أبو عبدالله القرطبي: (معنى الآية الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته، أي إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته، وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه غالبًا لكلامكم، وجهره باهرًا لجهركم، حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٢.

واضحة... وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام، وكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس العلماء تشريفًا لهم، إذ هم ورثة الأنبياء)[١].

وقال ابن العربي: (حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به، وقد نبه الله تعالى على دوام الحرمة المذكورة على مرور الأزمنة بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[٢]، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي، وله من الحرمة مثل ما للقرآن، إلا معاني مستثناة بيانها في كتب الفقه)[٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/١٦/٣٠٦-٣٠٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٧١٤-١٧١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الخبر السار يدعى بشارة لأنه محبب إلى النفس والقرآن قد نص على ذلك في كثير من المواطن ومثل ذلك السنة.

وقد تستخدم الكلمة في التهكم والسخرية لمزيد من الإيلام. ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التبشير بالخير:

إن من الأمور المهمة التي تحرص التربية الإسلامية على غرسها في نفوس المتربين التربية على التبشير بالخير والتهنئة لما تتركه من أثر طيب، ومن تحفيزٍ على العمل، والاجتهاد في الطاعة، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الجانب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال له الرسول ﷺ عن أبي بكر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة ... ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة ...» وقوله في الحديث عن عمر رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة، فجئت عمر فقلت: أَذِنَ ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة»، وقوله عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «... ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه، فجئت فقلت: ادخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة مع بلوى تصيبك...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، وفي حديث ابن شماسة: «... فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا...».

والتبشير كان من منهج النبي ﷺ دائمًا، "ومن هديه ﷺ أنه كان يثني على مَنْ ظهر منه ما يستحق الثناء ويبشره بالخير والرفعة فيكون ذلك دافعًا له ولغيره إلى طاعة الله تعالى"[1].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٨٢.

وواجب المسلم الحرص على التبشير بالخير دائمًا، والتهنئة به "والتيسير والتبشير من وسائل التحفيز للإنسان لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه بحِمْلٍ كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها"[١].

ثانيًا- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالترغيب حيث إن له أثرًا في نفس المتربي يحفزه إلى العمل والاجتهاد في الطاعة، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «.....اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»، والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه وهو تشويق الناس إلى ثواب الله تعالى والجنة والترغيب يأتي في الشريعة حسب الأحوال والنفوس، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذِكْرُ الخير يرغبها ودَعوةُ الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[٢].

إن المربي الناجح يجعل من الترغيب وسيلة لحث المتربين على المزيد من الطاعات، "فالتربية الترغيبية هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح الإسلامي في الأسرة وفي المدرسة وفي المجتمع الكبير مجتمع الأمة الإسلامية فهي تعتبر أساسًا محددًا لبناء شخصية الفرد تلك الشخصية التي تهب نفسها لله تعالى في قيامها وجلوسها، في نومها ويقظتها، في غضبها ورضاها، في صداقتها وعداوتها في بيعها وشرائها في عملها وراحتها في نصائحها وتحذيراتها، وتبرز أهمية التربية الترغيبية في كونها أسلوباً رائعاً يساعد على نشر مكارم الأخلاق وبثها بين المتربين ليصبحوا قادرين على تطبيق حقائق ومفاهيم وتشريعات الدين الإسلامي تطبيقًا عمليًا واقعيًا"[٣].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٣.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص٢٠٠.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد بن عبدالرحمن العك، ص١٨٧.

ثالثًا- التربية بالمواقف والأحداث:

إن من الأساليب التربوية الناجعة التربية بالمواقف والأحداث، حيث إنه من خلال الحدث والموقف يقدم المربي توجيهاته وإرشاداته للمتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يبين هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقال: «لألزمن رسول الله ﷺ ...»، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في نفر ...» وفي حديث شماسة قال: «حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحوّل وجهه إلى الجدار ...».

ففي جملة هذه الأحداث مواقف وأحداث جاءت لتبين معاني تربوية وقيم خلقية، وتوجيهات إرشادية.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين. وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إن عادة الناس دائمًا أن الأحداث والمواقف تثبت في أذهانهم وعقولهم، فإذا ما ارتبط بها توجيهات تربوية، كان أدعى لقبولها وتنفيذها "يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدَىً بغير عبرة وتوجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث - كأسلوب تربوي- أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، وقد قام القرآن الكريم -وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها-باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر... وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديدُ ساخن...

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[١].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمربي والمعلم أن يستفيد منها، من تلك الأساليب ما يلي:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه، ويمكن للمعلم استخدام هذا الأسلوب بينه وبين المتعلمين أو بين المتعلمين بعضهم بعضًا، بهدف معرفة بعض المعلومات والحقائق التي تثري العملية التعليمية وتفعل دور المتعلم في حجرة الدراسة، وتكون مناخ فعّال للتفاعل الصفي في حجرة الدراسة. ومن الجدير بالذكر أن الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التعليمية التي تترك أثرها على المتعلم وتتميز ببقاء أثر التعلم.

ب-القصة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتعتبر القصة من طرق التدريس التي يمكن للمعلم استخدامها في تقديم الأفكار والخبرات والتجارب في شكل مشوق جذاب مؤثر وعن طريقها تثري المفردات اللغوية للتلميذ ويرغب في القراءة، وتحقق القصة للمتعلم الإمتاع والتسلية ثم تنمية الخيال والقدرة على الابتكار.

كما يمكن للمعلم استخدام القصة للتمهيد للدرس بحيث ترسم الإطار النفسي له.

خامساً - آداب البشارة في الإسلام:

١/ يستحب إخبار أي إنسان بما يسره إذا توفر العلم اليقيني بالخبر، وأن يكون مصدر الخبر كرأي العين حتى لا يبشر الإنسان بأمر ويظهر عكسه، فيكون ضرر الخبر أكثر من نفعه.

٢/ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالبشارة بأمر إلهي صريح أو بإلهام رباني صحيح، ويبشر كل من كلف ببشارته بنفسه أو بغيره.

٣/ يستحب للمبشَّر أن يهدي المبشِّر شيئاً ما، جبراً لخاطره وإشاعة للسرور، وتبادلاً له، هكذا فعلت خديجة رضي الله عنها عند إخبارها بمواقة الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج منها،

---

(١)أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٩٦.

وفعل كثير غيرها.

٤/ يمكن إقامة الدليل على صدق البشرى أو العلم بمصدرها بدليل قطعي بدليل أن الرسول ﷺ أعطى أبا هريرة رضي الله عنه نعليه، ثم كلفه أن يبشر كل من يشهد أن لا إلا إلا الله وأن محمداً رسول الله بالجنة.

٥/ يجوز التحفظ على البشارة إذا كان ذكرها يؤدي إلى عكس المراد منها، فحين طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الرسول ﷺ أن لا يبشر الناس بإيجاب الجنة لمن شهد شهادة التوحيد حتى لا يتكلوا، قَبِلَ الرسول ﷺ منه ذلك.

❁ ❁ ❁

٩٦- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة: ١٣٢-١٣٣].

وأما الأحاديث فمنها:

الحديث رقم (٧١٢)

٧١٢- حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه - الَّذي سبق في بَابِ إكرام أهْلِ بَيْتِ رسول الله ﷺ - قَالَ: قَامَ رسول الله ﷺ فينا خَطِيباً، فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: ((**أمَّا بَعْدُ، ألاَ أيُّهَا النَّاسُ، إنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أنْ يَأتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**))، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: ((**وَأَهْلُ بَيْتِي، أذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أهْلِ بَيْتِي**[1])) رواه مسلمٌ[2]، وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

رسول ربي: الموت.

ثقلين: مفردها ثقل: الشيء النفيس الخطير[3].

---

(١) تكررت عند مسلم ثلاث مرات.

(٢) برقم (٢٤٠٨/٣٦)، وتقدم برقم (٣٤٦).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث ق ل).

الشرح الأدبي

التعبير بالقيام مؤذن بمهم يتلوه، وحرف الجر المتصل بضمير الجمع (فينا) يؤكد الاحتشاد لهذا المهم، ثم إن الحمد، والثناء، والموعظة من لوازم خطبته ﷺ ثم إنه بدأ بفصل الخطاب بقوله (أما بعد) فصلاً للمقدمة عن موضوع الخطبة تلاه أداة الاستفتاح (ألا) وهي أشبه بطرقة عنيفة على الأسماع أتبعه بنداء الجمع (أيها الناس) الذي يؤكد أهمية الأمر، ويجعل الجميع في دائرة الحوار معنيين بما يتلوه، ثم أعقبه أسلوب قصر بإنما لنفسه ﷺ على كونه بشراً ونفي ما عداه من كونه ملكاً لا يموت، وهو تمهيد لما يريد أن يقرر من قرب الأجل، والذي قرره قوله (يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) وقد طوت العبارة أسراراً متعددة منها أن إتيان رسول ربه وإجابته له كناية عن موته ﷺ ومنها: أن التعبير بـ (يوشك) يقرر اقتراب ذلك مما يكون له أعظم الأثر في تلقيهم لما يقول ومنها: أن إضافة ضمير المتكلم لكلمة (رب) فيها استشعار للحظة القرب ورغبة في لازم الربوبية من العناية، والتربية، والحفظ عند الخطوب، ومنها: الربط بالفاء التي ترتب الإجابة علي الإتيان وتوحي بالسرعة مما يدل على شوقه إلى لقاء ربه، وقوله: (وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ) وهذه الجملة تمهيد لتربة القلوب لتستقبل موعظة مودع بسمع مصغٍ وقلبٍ متفتح لا ينساها وتعبيره بالجملة الإسمية يفيد الثبات والدوام، وتصدير الكلام بالضمير (أنا) العائد عليه ﷺ ربط وجداني بحديث المودع السابق، ووصل له باللاحق؛ لأنها الفائدة التي يمهد لها وهي الوصية بالتمسك بكتاب الله وأهل بيته، وتنكير (الثقلين) للتعظيم وهو أسلوب توشيح يؤكد المعنى لأنه ذكر مثنى مجملاً ثم فصَّله بقوله (أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ) وإضافة الكتاب لله ارتقاء به لذروة الشرف التي ليس فوقها مرتقى لكتاب، وجملة (فيه الهدى والنور) تقديم الجار والمجرور (فيه) تفيد اختصاصه بهداية الناس وإرشادهم دون غيره من الكتب، وفيه إشارة خفية إلى تعرض الأمة لفتن ومحن لا تخرج منها إلا بكتاب الله يضيء لها الطريق كما أن فيه إشارة إلى أن الإنسان في الحياة كالساري بليل مظلم يحتاج إلى ما يضيء طريقه وهو كتاب الله مع كل مؤمن وفي قوله: (وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي

أَهْلِ بَيْتِي) إيجاز بالحذف تقديره: وثانيهما، والتكرار في الجملة يفيد التعظيم لشأنهم والتنبيه إلى فضلهم، ووجوب العناية بهم أينما كانوا ومهما تقلب بهم الزمان.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٣٤٦).

الحديث رقم (٧١٣)

٧١٣- وعن أبي سليمان مالك بن الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ رَحِيماً رَفِيقاً، فَظَنَّ أنّا قد اشْتَقْنَا أهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: ((ارْجِعُوا إِلَى أهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، (وَصَلُّوا صَلاَةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا)، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد البخاريُّ[2] في رواية لَهُ: ((وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)).

وَقَوْلُه: (رحِيماً رَفِيقاً) رُوِيَ بفاءٍ وقافٍ، وَرُوِيَ بقافَينِ.

ترجمة الراوي:

مالك بن الحويرث: هو مالك بن الحويرث بن أَشْيم الليثي أبو سليمان. وقيل غير ذلك في نسبه.

قدم على النبي ﷺ في جماعة من الشباب، فأعلنوا إسلامهم وعلمهم الصلاة وأمرهم بتعليم قومهم إذا رجعوا إليهم كما في الحديث.

وقد عمل بهذه الوصية، فكان ينشر العلم يعلمه الناس، ويبلغ الخير إليهم، ويسدي النصح لهم، فقد قال للناس وقد أمّهم في الصلاة: إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة ولكني أريد أن أريكم كيف صلاة رسول الله ﷺ[3].

وكان وقّافاً عند سنة رسول الله ﷺ، فقد زار قوماً، فقدموه للصلاة، لكنه أمرهم أن يقدموا رجلاً منهم يصلي بهم، ثم قال لهم مُبيناً سبب فعلته أن رسول

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨، و، و٦٣١، و٦٨٥)، ومسلم (٦٧٤/٢٩٢)، والسياق للحميدي في جمعه (٣٨٥/١، رقم ٦٢٠).

(٢) برقم (٦٣١).

(٣) أخرجه البخاري (٨٢٤).

الله ﷺ قال: من زار قوماً فلا يؤمهم وليؤمهم رجلٌ منهم[١].

سكن البصرة ومات بها ٧٤هـ[٢].

غريب الألفاظ:

شببة متقاربون: جمع شاب ومعناه: متقاربون في السن[٣].

رفيقاً: رقيق القلب[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يبيِّن رحمة الرسول ﷺ بأصحابه وعنايته بهم ورعايته لهم وتفقده لأحوالهم وهو ما يجب أن يكون عليه كل راع لأنه مسئول عن رعيته. سأل الرسول ﷺ عن أحوال أصحابه فلما أحيط بها علماً أمرهم بما فيه صلاحهم وما فيه حفاظ على دنياهم وأخراهم، وهو درس في التوازن بين إعمار الدنيا وإصلاح الآخرة فقال: (ارجعوا إلى أهليكم...) ليقضوا وطرهم ويقضوا حاجتهم، وقوله: (فأقيموا فيهم الصلاة) أمر مترتب على العودة بإقامة الصلاة، والتعبير بالإقامة، يفيد الإصلاح، والتقويم من قومت العود، بمعنى أزلت اعوجاجه، ولم ينص على قضاء الحوائج الدنيوية عند العودة، لأنها معلومة ضمناً وقد كانت السبب في ردهم إلى أهلهم وهو ما يؤكده قول الراوي: (فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا).

وقوله: (فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ) أسلوب

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٦)، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٥٦).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٨/٥)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٥٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٦/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٦٨٩/٣).

(٣) شرح مسلم ٤٧٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣١/٢.

شرط يربط بين حضور الصلاة، والآذان لها مع الفورية التي تدل عليها (الفاء) والوجوب الذي تدل عليه لام الأمر المتصلة بالمضارع في قوله (فليؤذن - ليؤمكم) وقد عبَّر بحرف العطف (ثم) بين الآذان والإقامة للدلالة على فترة زمنية تؤَدىً فيها النافلة.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الأذان: اتفق الفقهاء على أن الأذان من خصائص الإسلام وشعائره الظاهرة، وأنه لو اتفق أهل بلد على تركه قوتلوا، ولكنهم اختلفوا في حكمه، فقيل: إنه فرض كفاية، وهو الصحيح عند الحنابلة في الحضر، والمالكية على أهل المصر، واستظهره بعض المالكية في مساجد الجماعات، وهو رأي للشافعية ورواية عن الإمام أحمد. كما نقل عن بعض الحنفية أنه واجب على الكفاية.

وقيل: إنه سنة مؤكدة وهو الراجح عند الحنفية، والأصح عند الشافعية، وبه قال بعض المالكية، للجماعة التي تنتظر آخرين ليشاركوهم في الصلاة، وفي السفر على الصحيح عند الحنابلة، ومطلقاً في رواية عن الإمام أحمد وهي ظاهر كلام الخرقي.

وقيل: هو فرض كفاية في الجمعة دون غيرها، وهو رأي الشافعية، والحنابلة[1].

٢-الأحق بالإمامة: وردت في ذلك أحاديث كثيرة، وقد اتفق الفقهاء على أن بناء أمر الإمامة على الفضيلة والكمال، لذا اتفقوا أنه إذا اجتمع قوم، وكان فيهم ذو سلطان، كأمير أو وال أو قاض، فهو أولى بالإمامة من الجميع، حتى من صاحب

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤٥٠/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٨٧/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٣/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٨/١ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٤٥/٢.

المنزل، وإمام الحي، بشرط أن يكون مستجمعاً لشروط صحة الصلاة، حتى ولو كان بين القوم من هو أفقه أو أقرأ منه، لأن ولايته عامة. وإن لم يكن بينهم ذو سلطان يقدم صاحب المنزل، ويقدم إمام الحي، فإن كان غيره أفقه أو أقرأ أو أورع منه، إن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده. لكنه يستحب لصاحب المنزل أن يأذن لمن هو أفضل منه.

ولا خلاف بينهم أيضاً في تقديم الأعلم والأقرأ على سائر الناس، ولو كان في القوم من هو أفضل منه في الورع والسن وسائر الأوصاف.

وجمهور الفقهاء: (الحنفية والمالكية والشافعية) على أن الأعلم بأحكام الفقه أولى بالإمامة من الأقرأ، وهذا آخر الأمرين من رسول الله ﷺ.

وقال الحنابلة، وهو قول أبي يوسف من الحنفية: إن أقرأ الناس أولى بالإمامة ممن هو أعلمهم، لأن القراءة ركن لابد منه، والحاجة إلى العلم إذا عرض عارض مفسد، ليمكنه إصلاح صلاته، وقد يعرض وقد لا يعرض.

أما إذا تفرقت خصال الفضيلة من العلم والقراءة والورع وكبر السن وغيرها في أشخاص، فقد ذهب جمهور الفقهاء: إلى تقديم الأعلم على الأقرأ. فإن استووا في العلم والقراءة، قال الحنفية والمالكية والشافعية: يقدم أورعهم، ثم إن استووا في الورع يقدم عند الجمهور الأقدم إسلاماً، فيقدم شاب نشأ في الإسلام على شيخ أسلم حديثاً، أما إن أسلما معاً، أو كانوا مسلمين في الأصل قدم الأكبر سناً.

فإن استووا في العلم والقراءة والورع والسن، فعند الحنفية يقدم الأحسن خلقاً، فإن كانوا فيه سواء فأحسنهم وجهاً، فالأشرف نسباً، فالأنظف ثوباً. فإن استووا يقرع بينهم.

وذهب المالكية والشافعية إلى أنه يقدم بعد الأسن، الأشرف نسباً، ثم الأحسن وجهاً، ثم الأحسن خلقاً، ثم الأحسن ثوباً ثم يقرع بينهم.

أما الحنابلة فقالوا بأنه عند الاستواء في القراءة والفقه يقدم أقدمهم هجرة، ثم أسنهم، ثم أشرفهم نسباً، ثم أتقاهم وأورعهم، فإن استووا في هذا كله أقرع بينهم.

ولا تقديم بحسن الوجه عندهم، لأنه لا مدخل له في الإمامة.

وهذا التقديم أمر مستحب، وليس على سبيل الإيجاب، فلو قدم المفضول كان جائزاً اتفاقاً، ما دام مستجمعاً شرائط الصحة، لكن مع الكراهة عند الحنابلة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: الشباب.

ثانياً: من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرحمة والرفق.

رابعاً: من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله.

خامساً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر.

سادساً: من وسائل الدعوة: التعليم.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر.

ثامناً: من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين.

تاسعاً: من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة.

عاشراً: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة.

أولاً - من أصناف المدعوين: الشباب:

قال مالك بن الحويرث رضي الله عنه "أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة" فأخبر رضي الله عنه عن وفده الذي وفد على النبي ﷺ بأنهم "شببة" وهو

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ١٧٥/٢ وما بعدها، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٧٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٢/١ وما بعدها، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٠/٢ وما بعدها، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٢٩/٣ وما بعدها.

"جمع شابّ، وهو من كان دون الكهولة"[١]. وقال ابن حجر: (قوله "أتينا النبي ﷺ"[٢] أي وافدين عليه سنة الوفود، وقد ذكر ابن سعد[٣] ما يدل على أن وفادة بني ليث، رهط مالك بن الحويرث المذكور كانت قبل غزوة تبوك، وكانت تبوك في شهر رجب سنة تسع)[٤].

أي أن هذا الوفد كان من الشباب، والشباب هم أمل كل أمة، وهم قادة التغيير في كل زمان ومكان، لذا يعتني بهم أصحاب الدعوات أشد الاعتناء، ويخصونهم بفائق الاهتمام وبالغ الخطاب. فإذا كان أصحاب الأفكار، الغالب عليهم أنهم تجاوزوا مرحلة الشباب، فإن أفكارهم لا تطبق ولا ترى الواقع إلا على أيدي الشباب المتحمسين المؤمنين بها المدافعين عنها.

وهناك مواقف حاسمة في تاريخ الدعوة اضطلع بها الشباب، و يُحسن بنا أن نذكر نماذج منها: المهمة التي أسندها النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه في تعليم أهل المدينة[٥]، والمهمة التي قام بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليلة هجرة النبي ﷺ[٦]، والمهمة التي قام بها معاذ بن جبل رضي الله عنه في اليمن[٧] وغير ذلك كثير من المهام الدعوية التي لم تسند إلا للشباب.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣ .

(٢) هذه رواية البخاري ٧٢٤٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٠٥/١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣.

(٥) قال ابن إسحاق في المغازي - كما في السيرة لابن هشام ٨٢/١ عناية عمر تدمري-: لما انصرف الناس عن العقبة بعث النبي ﷺ معهم مصعب بن عمير يفقههم. هكذا ساقه بدون إسناد، وأخرج البخاري ٣٩٢٥ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس.

(٦) ذكره ابن إسحاق في المغازي -كما في السيرة لابن هشام ١٢٤/٢ عناية عمر تدمري- بدون إسناد، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٨٩/٤.

(٧) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٤٢ ومسلم ١٧٣٣ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن، فقال: يسرا ولا تعسّرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا.

هذا شيء من التفصيل، أما على وجه العموم فإن الله قيض للنبي ﷺ كوكبة نيرة من الشباب الأطهار، الأنقياء المخلصين الذين آمنوا به وبدعوته، وتحملوا عبء الدفاع عنها في كل مراحلها وأوقاتها: فكانوا الثابتين الراسخين وقت ضعفها واشتداد العداوة لها وقلة المناصرين وكثرة المهاجمين والمخذلين، وكانوا الجنود المخلصين وقت قوتها وانتصارها على أعدائها، وكانوا الحاملين لواءها وقت الفتوحات والتمكين لها في الأرض.

ويكفي دليلاً على ما سبق أن العشرة المبشرين بالجنة -وهم أفضل الصحابة- كانوا من الشباب وقت إسلامهم، وكذلك كان معظم الصحابة رضي الله عنهم، لذا كان على الداعية أن يهتم بالشباب اهتماماً بالغاً، إن أراد لدعوته النجاح والقبول، فيخاطبهم بما يناسبهم وبما يرغبهم في التمسك بدينهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة مما يعصمهم من الزلل والانحراف، ويجعلهم يقبلون على الدعوة إقبالاً يجعل منهم نماذج مشرفة لغيرهم، مما يدفع الآخرين إلى النهج على نهجهم والعمل بمثل أعمالهم.

ثانياً- من فطنة الداعية: استشعار احتياجات المدعوين والعمل على تلبيتها:

إن الداعية يعيش بين المدعوين، فيعرف ما يتطلعون إليه، ويشعر بما يحتاجون إليه، فإن هو بادر بتلبية هذه الاحتياجات، كان ذلك من عوامل تمكين الدعوة في نفوس المدعوين وإقبالهم عليها، والداعية إذ يفعل هذا يقتدي بالنبي ﷺ كما أخبر عنه مالك بن الحويرث رضي الله عنه: "فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: ارجعوا إلى أهليكم ..." "والمراد بأهل كل منهم زوجتُه أو أعمّ من ذلك"[1] وفي رواية عند البخاري: (فلما ظنّ أنا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا، سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١، ٧٢٤٦.

وفي رواية أخرى عند البخاري (فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلُّوا...)[١].

قال ابن حجر: (إنما أذن لهم في الرجوع؛ لأن الهجرة كانت قد انقطعت بفتح مكة، فكانت الإقامة بالمدينة باختيار الوافد، فكان منهم من يَسْكنها، ومنهم من يرجع بعد أن يتعلم ما يحتاج إليه)[٢].

قال ابن عثيمين: (إن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين، لا يكون أنانياً إذا تمت له الأمور نسي من سواه، فإن رسول الله ﷺ كان مقيماً في أهله مستريح البال، مطمئن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الشبيبة الذين جاءوا يتعلمون الدين، وكانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم، وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه، أمرهم أن يرجعوا إلى أهليهم، فينبغي على الداعية أن يشعر بشعور الآخرين، وأن يجعل نفسه مكانهم، حتى يعاملهم بما يحب أن يعامل به نفسه)[٣].

ولعل من هذا القبيل ما رواه البيهقي بإسناده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: ((خَرَجَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه من الليلِ، فَسَمِعَ امرأةً تقولُ:

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهْ ... وَأَرَّقَنِي أَنْ لاَ حَبِيبَ أُلاَعِبُهْ

فقالَ عُمَرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه لِحَفْصة بنتِ عُمَرَ رضي الله عنها: كَمْ أَكْثَرُ ما تَصْبِرُ المرأةُ عن زَوْجِهَا، فقالتْ: سِتَّةُ أو أَرْبَعَةُ أشهرٍ، فقالَ عُمَرُ رضي الله عنه: لا أَحْبِسُ الجيشَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا))[٤].

وأخرج عبدالرزاق[٥] بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب: لا يحبس أكثر من أربعة أشهر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦ .

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٣٣.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٩/٢٩ ، وانظر: التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٣/٢١٩-٢٢٠.

(٥) كما في التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني ٣/٢٢٠.

ولذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب في الناس فيقول لهم: أيها الناس إني لم أبعث إليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن بعثتهم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فعل به غير ذلك فليرفعه إليّ فأقصه منه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم فتكفروهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم[1].

قال السندي: (قوله "لا تجمروهم": من التجمير - بالجيم والراء المهملة - وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهليهم. فتكفروهم: أي تحملوهم على الكفران وعدم الرضا بكم، أو على الكفر بالله، لظنّهم أنه ما شرع الإنصاف في الدين. الغياض: جمع غيضة -بفتح الغين- وهي الشجر الملتف، قيل: لأنهم إذا نزلوها تفرقوا، فتمكن منهم العدو)[2].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرحمة والرفق:

إن الداعية هو من يدعو الناس إلى الحق، فمهمته إرشادهم إلى الحق والخير والعدل، وهو إذ يقوم بمهمته الجليلة تلك يكون متحلياً بالصفات التي تعينه على ذلك، ومن أهمها الرحمة والرفق، وهو إذ يتحلى بهما يقتدي بسيد الدعاة محمد ﷺ، الذي كان أشد الخلق رحمة ورفقاً، وهذا ما عبّر عنه الصحابي مالك بن الحويرث رضي الله عنه إذ قال: "كان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً، فظنّ أنا قد اشتقنا أهلنا".

قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه فوائد: منها: أن النبي ﷺ كان مشهوراً بالرحمة والرفق، فكان أرحم الناس بالناس، وكان أرفق الناس بالناس ﷺ، رحيماً رفيقاً، حتى إن الجارية من أهل المدينة -البنت الصغيرة- كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز كذلك، فكان ﷺ أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالناس)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٤١/١، رقم ٢٨٦ مطولاً، وكذلك الحاكم ٤٣٩/٤، رقم ٨٤٠٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي ٢٩/٩ وهذا لفظه، وأخرجه كذلك ٤٢/٢ مطولاً. وفيه راوٍ لم يوثقه إلا ابن حبان وقال أبو زرعة: لا أعرفه. قاله محققو المسند. وانظر تتمة تخريجه في المسند ٣٨٥/١.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٣٨٥/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٣٢/٢.

وقد قال الله تعالى مبيناً فضله على رسوله ﷺ بأن جعله رحيماً لين الجانب، فكان ذلك من أسباب اجتماع المؤمنين عليه واستجابتهم له، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1] قال ابن كثير: (الفظ الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك "غليظ القلب" أي: لو كنت سيء الخلق قاسي القلب عليهم، لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم، كما قال عبدالله بن عمرو[2]: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح)[3].

رابعاً- من علامات نجاح الداعية: إحساس المدعوين بحسن أخلاقه وكريم خصاله:

وذلك واضح من قول مالك بن الحويرث رضي الله عنه "وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً" وقال ابن حجر: (من الرفق: وفي رواية الأصيلي والكشميهني بقافين[4]: أي رقيق القلب)[5]. ورواية عند البخاري: "وكان النبي ﷺ رحيماً فقال: لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم" قال ابن حجر: (قوله "رحيماً فقال: لو رجعتم" في رواية ابن علية وعبدالوهاب "رحيماً رقيقاً فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا، وسألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم" ويمكن الجمع بينهما بأن يكون عرض ذلك عليهم على طريق الإيناس بقوله "لو رجعتم" إذ لو بدأ بالأمر بالرجوع لأمكن أن يكون فيه تنفير، فيحتمل أن يكونوا أجابوه بنعم، فأمرهم حينئذٍ بقوله: "ارجعوا"[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢١٢٥، ٤٨٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٣/٣، ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٨/٥-٣٧٩.

(٤) وكذلك أخرجه مسلم ٦٧٤، وكذلك أخرجه البخاري ٧٢٤٦ لكن بلفظ "رقيق" فقط دون لفظ رحيم.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٢.

(٦) المرجع السابق ١٧١/٢ .

والشاهد أن الصحابي لما أقام عند النبي ﷺ لمس حسن أخلاقه ﷺ، وجميل شمائله على قصر المدة التي أقامها عنده وهي عشرون ليلة، ولا شك أن حسن خلق الداعية يأسر قلوب المدعوين، سواءً أكانوا من المستجيبين له أم من غير المستجيبين.

فهذا خادم النبي ﷺ أنس بن مالك وقد أدهشه وأعجبه حسن خلقه ﷺ ولم ينقص هذا الإعجاب يوماً واحداً، بل ظلّ في ازدياد، رغم طول خدمته للنبي ﷺ وهي عشر سنين، مع أن العادة تقضي بأن طول العشرة والتعامل يؤدي إلى انطفاء وهج الإعجاب والانجذاب، ولكن ذلك لم يحدث -ولن يحدث- مع النبي ﷺ، فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ((خَدَمْتُ رَسُولَ اللّهِ عَشْرَ سِنِينَ. وَاللّهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ. وَلاَ قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا؟))[1]. وفي رواية: ((فخدَمتهُ في السفَر والحضَر))[2].

قال النووي: (في هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه)[3].

كما كانت أخلاقه ﷺ مثار إعجاب المنصفين من المفكرين من غير ملة الإسلام وخاصة الغربيين منهم، يقول الدكتور مصطفى السباعي: (إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم، كان محمد ﷺ من أعظم من عرفهم التاريخ، وأخذ بعض علماء الغرب ينصفون محمداً، مع أن التعصب الديني أعمى بصائر مؤرخيهم عن الاعتراف بفضله. قال العلامة بارتلمي سنت هيلز: كان محمد أكثر عرب زمانه ذكاءً وأشدهم تديناً وأعظمهم رأفة، ونال محمد سلطانه الكبير بفضل تفوقه عليهم، وكان لدينه الذي دعا الناس إلى اعتقاده، جزيل النعم على جميع الشعوب التي اعتنقته).

وقال وليم موير في كتابه "سيرة محمد": (امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد).

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٦٨، ومسلم ٢٣٠٩، ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٣/١٥/٨.

ويؤخذ مما قاله لين بول: (إن محمداً كان يتصف بكثير من الصفات الحميدة كاللطف والشجاعة ومكارم الأخلاق، حتى إن الإنسان لا يستطيع أن يحكم عليه دون أن يتأثر بما تتركه هذه الصفات في نفسه من أثر، ودون أن يكون هذا الحكم صادراً من غير ميل أو هوى. كيف لا وقد احتمل محمد عداء أهله وعشيرته أعواماً، فلم يهن له عزم، ولا ضعفت له قوة؛ وبلغ من نبله أنه لم يكن في حياته البادئ بسحب يده من يد مصافحه، حتى ولو كان المصافح طفلاً، وأنه لم يمر بجماعة يوماً رجالاً كانوا أو أطفالاً دون أن يقرئهم السلام، وعلى شفتيه ابتسامة حلوة)[1].

والخلاصة أن إحساس المدعو بصدق الداعية في أخلاقه، وبكريم خصاله، من أكبر الدلائل على نجاح الداعية في دعوته، فإن ذلك يدل على مدى إيمان الداعية الشديد بدعوته، وإقباله عليها بكل جوارحه، وعلى أنه يطبقها في كل حركاته وسكناته. وهذا من أنجح السبل لاقتناع المدعو بالدعوة والإيمان بها. كما أن هذا يجعل الداعية قدوة للمدعوين يتأسون ويقتدون به، كما أن هذا أيضاً يقلل إلى حد كبير العدد المحتمل للمناوئين لدعوة الداعية، لأنه بحسن خلقه سينقل عدداً لا بأس منهم من صف المناوئين إلى صف المؤيدين والأتباع، كما سينقل أيضاً عدداً آخر إلى صف المحايدين. ولا شك أن هذا سيجعل الداعية يصرف جلّ وقته في الدعوة إلى دعوته، وبيان فضائلها ومزاياها، دون أن تعيقه كثيراً مكائد المناوئين ودسائسهم.

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر:

السؤال والجواب من الأساليب التي يستخدمها كل من الداعية والمدعو، فإن كان المدعو يسأل عما لا يعرف، فإن الداعية يسأل المدعو، ليرشده إلى ما فيه نفعه وصلاحه، وقد سأل النبي ﷺ هؤلاء الشباب عن أهليهم الذين تركوهم في أوطانهم، فأخبروه، فأمرهم ﷺ بما يصلح حالهم وحال أهليهم، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا..." الحديث.

---

(١) عظماؤنا في التاريخ ٨٥-٨٧.

سادساً- من وسائل الدعوة: التعليم:

من الوسائل الدعوية الناجحة التعليم، لأنها تدل على مزيد من العناية والاهتمام من المعلم بالمتعلم، وقد قال النبي ﷺ لهؤلاء الشباب الأطهار: "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم"... الحديث.

ولعلّ مناسبة الأمر بالتعليم هنا، أن الأهل محتاجون إلى بذل كثير من الجهد والوسع مع التحلي بالعطف والرفق والشفقة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1] وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ((أدبوهم وعلموهم))[2]. وقال القرطبي: (قال الكيا الهراسي: فعلينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب)[3].

كما أرشد النبي ﷺ صحابته إلى الاقتداء به في صلاته، فقال ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، وهذا لا يكون إلا بالتعليم، قال الشيخ عبدالله البسام: (متعلم الصلاة من غيره بالاقتداء، لا يضره ولا يخلّ بصلاته أن يلاحظ صلاة من يتعلم منه الصلاة ويراقبه في ذلك، كما أن المصلي إذا أراد أن يعلم بصلاته غيره، فإن النية لا تنقص من صلاته ولا تخل بها)[4].

بل إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون التابعين ما تعلموه هم من النبي ﷺ، قال أبو قلابة[5]: ((جاءنا مالكُ بنُ الحُوَيرثِ في مسجدنا هذا فقال: إني لأصلي بكم وَما أُريدُ

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٠٣-١٠٤، وانظر: تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤/٥٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/١٣٥.

(٥) اسمه عبدالله بن زيد الجرْمي، وهو من ثقات التابعين، مات بالشام ١٠٤هـ وقيل بعدها. كما في تقريب التهذيب ١/٤١٧.

الصلاةَ، أُصلّي كيفَ رأيتُ النبيَّ ﷺ يُصلّي))[١] قال ابن دقيق العيد: (أي أصلي صلاة التعليم، لا أريد الصلاة لغير ذلك، ففيه دليل على جواز مثل ذلك. وأنه ليس من باب التشريك في العمل)[٢].

وقال ابن حجر: (كأنه قال: ليس الباعث لي على هذا الفعل حضور صلاة معينة من أداء أو إعادة أو غير ذلك. وإنما الباعث لي عليه قصد التعليم، وكأنه تعيّن عليه حينئذٍ، لأنه أحد من خوطب بقوله "صلوا كما رأيتموني أصلّي" ورأى أن التعليم بالفعل أوضح من القول، ففيه دليل على جواز مثل ذلك، وأنه ليس من باب التشريك في العبادة)[٣].

سابعاً- من موضوعات الدعوة: توديع الصاحب ووصيته عند فراقه للسفر:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لمالك بن الحويرث رضي الله عنه ومن معه: "ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلّموهم ومروهم، وصلوا كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال ابن حجر: (في رواية وهيب في الصلاة ((أتيتُ النبيَّ ﷺ في نفَرٍ من قومي))[٤] والنفر عدد لا واحد له من لفظه، وهو من ثلاثة إلى عشرة. ووقع في رواية في الصلاة ((أَنَا وَصَاحِبٌ لِي))[٥]، وجمع القرطبي[٦] باحتمال تعدد الوفادة، وهو ضعيف، لأن مخرج الحديثين واحد، والأصل عدم التعدد، والأولى في الجمع أنهم حين أذن لهم في السفر كانوا جميعاً، فلعل مالكاً ورفيقه عادا إلى توديعه، فأعاد عليهما بعض ما أوصاهم به

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٧.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ١٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٨.

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ٢٨٤٨، ومسلم ٦٧٤، ٢٩٣.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٢٠٠.

تأكيداً، وأفاد ذلك زيادة بيان أقل ما تنعقد به الجماعة)[١].

ومن الملاحظ أن النبي ﷺ أوصاهم بما يلي:

١- أن يعلموا أهليهم ويأمروهم بالطاعات: قال ابن حجر: (قوله "وعلموهم ومروهم" بصيغة الأمر ضد النهي، والمراد به أعمّ من ذلك، لأن النهي عن الشيء أمر بفعل خلاف ما نهى عنه اتفاقاً، وعطف الأمر على التعليم لكونه أخصّ منه، أو هو استئناف كأن سائلاً قال: ماذا نعلمهم؟ فقال: مروهم بالطاعات وكذا وكذا. ووقع في رواية حماد بن زيد عن أيوب كما تقدم في أبواب الإمامة[٢] "مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا" فعرف بذلك المأمور المبهم في رواية الباب. ولم أر في شيء من الطرق بيان الأوقات في حديث مالك بن الحويرث، فكأنه ترك ذلك لشهرتها عندهم)[٣].

٢- أن يحافظوا على الأذان والصلاة في جماعة: وذلك في قوله ﷺ: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة ... وفيه أن الأذان والجماعة مشروعان للمسافرين، وفيه الحث على المحافظة على الأذان في الحضر والسفر، وفيه أن الجماعة تصح بإمام ومأموم، وهو إجماع المسلمين، وفيه تقديم الصلاة في أول الوقت)[٤].

٣- أن يؤمهم أكبرهم: وذلك في قوله ﷺ: "وليؤمكم أكبركم" قال النووي: (فيه تقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال، وهؤلاء كانوا مستويين في باقي الخصال، لأنهم هاجروا جميعاً وأسلموا جميعاً وصحبوا رسول الله ﷺ ولازموه عشرين ليلة، فاستووا في الأخذ عنه، ولم يبق ما يقدم به إلا السن)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣-١٧٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٠/٢-١١٣ .

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣ ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٢-١٧٢.

٤- التأسي به ﷺ في الصلاة: وذلك في قوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلّي" قال الأمير الصنعاني: (فيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها، وجب على الأمة، إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[١]. قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه ﷺ من الشفقة والاهتمام بأحوال الصلاة وغيرها من أمور الدين)[٢].

ثامناً - من أهداف الدعوة: نشر العلم النافع بين المدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ "ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم" وفي رواية عند البخاري[٣]: "لو رجعتم إلى بلادكم فعلمتموهم، مروهم فليصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا".

قال ابن حجر: (اقتصار الصحابي على ذكر سبب الامر برجوعهم، بأنه الشوق إلى أهليهم دون قصد التعليم، هو لما قام عنده من القرينة الدالة على ذلك، ويمكن أن يكون عَرَف ذلك بتصريح القول منه ﷺ، وإن كان سبب تعليمهم قومهم أشرف في حقهم، لكنّه أخبر بالواقع ولم يتزين بما ليس فيهم، ولما كانت نيتهم صادقة صادف شوقهم إلى أهلهم الحظ الكامل في الدين، وهو أهلية التعليم، كما قال الإمام أحمد في الحرص على طلب الحديث: "حظٌّ وافق حقاً"[٤]. كما قال ابن حجر: (وفي الحديث أيضاً فضل الهجرة والرحلة في طلب العلم وفضل التعليم)[٥]. كما أوجب النبي ﷺ تبليغ العلم ونشره، فقال ﷺ: ((لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ، فإنَّ الشاهِدَ عَسى أن يبلِّغَ مَن هُو أوْعى لهُ منه))[٦]، قال النووي: (فيه وجوب تبليغ العلم وهو فرض كفاية، فيجب

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧١/٢ .

(٥) السابق ١٧٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

تبليغه بحيث ينتشر)[١].

وقال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحثّ على تبليغ العلم، وجواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطاً في الأداء، وأنه قد يأتي في الآخر من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة)[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣].

قال أبو عبدالله القرطبي: (هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم)[٤].

وقال الشوكاني: (قد جعل الله سبحانه الغرض من هذا النفير هو التفقه في الدين وإنذار من لم يتفقه، فجمع بين المقصدين الصالحين والمطلبين الصحيحين، وهي تعلم العلم وتعليمه، فمن كان غرضه بطلب العلم غير هذين، فهو طالب لغرض دنيوي لا لغرض ديني)[٥].

وقال ابن القيم: (ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين، وهو تعلمه وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم، وقد اختلف في الآية فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة، تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير تعلم... وقالت طائفة أخرى: المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن تنفر طائفة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/١١/٦ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٣/١، شرح الحديث ٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٨/١٠، وانظر: أحكام القرآن، ابن العربي ١٠٣٠/٢-١٠٣١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣١٦/٧-٣١٩ .

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٤١٦/٢.

للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين. فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدةُ وعلمتها ما أُنزل من الدين والحلال والحرام. وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة. وهذا قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد ... وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين، وتعلمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه)[١].

وكان كذلك، لأنه بنشر العلم يختفي الجهل، وتزول البدع والمنكرات، ويُعبد الله على بصيرة، فإن كان الجهاد يحارب أعداء الدين الظاهرين، فإن العلم يحارب أعداءه الضالين المضلين الذين قد لا يُعلمون، بل ربما ارتدى بعضهم زي العلماء نفاقاً وزوراً.

تاسعاً - من وسائل الدعوة: الأذان والإمامة:

لقد خاطب النبي ﷺ هؤلاء الصحابة، فقال لهم: "فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم".

قال النووي: (فيه الحث على الأذان والجماعة، وتقديم الأكبر في الإمامة إذا استووا في باقي الخصال)[٢]. وهذا الحث يستفاد منه أن للأذان والإقامة رسالة دعوية ذات قيمة كبيرة، يوضح هذا ما يلي:

١- أن الأذان في اللغة معناه الإعلام، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[٣] أي أعلمهم[٤] كما أن لفظي الدعوة والنداء يتفق مع الأذان في المعنى العام، وهو النداء والدعاء وطلب الإقبال[٥].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٥٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٨/٥/٣ .

(٣) سورة الحج، آية: ٢٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور ١٤٩/١٦/٨، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ص ١٥.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٧/٢.

كما أن الحكمة من الأذان هي (الإعلام بدخول وقت الصلاة، وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله، ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح)[١] أي أن الأذان دعوة إلى إقامة الصلاة التي هي عماد الدين.

٢- أما الإمامة في الصلاة فهي ارتباط صلاة المصلي بمصلٍّ آخر بشروط بينها الشرع، فالإمام لم يصر إماماً إلا إذا ربط المقتدي صلاته بصلاته، وهذا الارتباط هو حقيقة الإمامة، وهو غاية الاقتداء[٢].

(وإمامة الصلاة تعتبر من خير الأعمال التي يتولاها خير الناس ذوو الصفات الفاضلة من العلم والقراءة والعدالة وغيرها، ولا تتصور الجماعة إلا بها، وصلاة الجماعة من شعائر الإسلام، ومن السنن المؤكدة التي تشبه الواجب في القوة عند أكثر الفقهاء، وصرّح بعضهم بوجوبها)[٣].

أي أن الإمامة في الصلاة يستفاد منها دعوياً بلفت انتباه المأمومين إلى الاقتداء والتأسي بمن هو أعلم وأفضل، ولفت انتباههم أيضاً إلى الاتحاد ولزوم الجماعة والبعد عن الفرقة والاختلاف، كما أنها بيان بأن التقدم في هذا الدين والأفضلية والسبق لمن هو أكثر تقوىً وصلاحاً وعلماً وفقهاً.

عاشراً - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما فعله في الصلاة:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي".

قال الصنعاني: (هذا الحديث أصل عظيم في دلالته على أن أفعاله ﷺ في الصلاة وأقواله، بيانٌ لما أجمل من الأمر بالصلاة في القرآن وفي الأحاديث، وفيه دلالة على وجوب التأسي به ﷺ فيما فعله في الصلاة، فكل ما حافظ عليه من أفعالها وأقوالها وجب على الأمة إلا لدليل يخصص شيئاً من ذلك)[٤]. لكن عبدالله البسام قال: (وهذا

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٩/١ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٩/٢.

(٢) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٤/٢ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠١/٦-٢٠٢.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٢٢٧. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/١٣-٢٣٧ .

الأصل مستقيم لو لم يعارضه حديث المسيء في صلاته[١] الذي قال العلماء فيه: إن ما لم يذكر فيه من أحكام الصلاة فهو غير واجب إلا بدليل خاص، فحينئذ يقال في حديث مالك بن الحويرث "صلوا كما رأيتموني أصلي" ما كان الأمر فيه للوجوب يجب، وما كان الأمر فيه للاستحباب يستحب. وهو يدل على المشروعية المطلقة للرسول ﷺ.

وإن صلاة النبي ﷺ هي الصلاة التامة والكاملة، التي من احتذاها فقد أكمل صلاته وأتم عبادة ربه، وما دام المسلم مأموراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته، فإنه لا يمكن ذلك إلا بتعلمها. فيجب أن يتعلم كيف كانت صلاة النبي ﷺ، ووجوب الاهتمام والعناية بالصلاة وإجادتها وإتقانها، ذلك أنه ﷺ هو القدوة والأسوة بالأفعال كلها، ولم تخص قدوته بالصلاة هنا إلا لما لها من الأهمية)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧ ومسلم ٣٩٧.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٣٥/٢.

الحديث رقم (٧١٤)

٧١٤- وعن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: اسْتأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ في العُمْرَةِ، فَأذِنَ، وقال: ((لا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ)) فقالَ كَلِمَةً ما يَسُرُّني أنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية قَالَ: ((أشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ في دُعَائِكَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحد يث يكشف جانباً من الأدب العالي للصحابة مع الرسول ﷺ مهما كانت مكانة أحدهم، فلابد من أن يستأذن كما يكشف عن مدى محبتة الرسول ﷺ لهم يدلك على ذلك سرعة الاستجابة في قوله (فأذن) ثم قوله: (لا تنسنا يا أخي) نهي يفيض تواضعاً وعطفاً وحباً ويثمن غالياً صلاح عمر رضي الله عنه، وإيمانه وقوله: (يا أخيَّ) النداء فيه تودد وتكريم صعَّد هذا التكريم وزاد التودد بالتعبير بكلمة (أخ) وإضافته إلى نفسه تعظيماً لعمر رضي الله عنه ثم صدوره بِصِيغَةِ التَّصْغِيرِ وَهُوَ تَصْغِير تَلَطُّف وَتَعَطُّف يدل على مزيد محبة وتقريب له وقوله: (مِنْ دُعَائِك): فِيهِ إِظْهَار الْخُضُوع وَالْمَسْكَنَة فِي مَقَام الْعُبُودِيَّة بِالْتِمَاسِ الدُّعَاء مِمَّنْ عُرِفَ لَهُ الْهِدَايَة وَحَثٌّ لِلْأُمَّةِ عَلَى الرَّغْبَة فِي دُعَاء الصَّالِحِينَ وَأَهْل الْعِبَادَة، وَتَنْبِيه لَهُمْ عَلَى أَنْ لا يخصوا أَنْفُسهمْ بِالدُّعَاءِ وَلا يُشَارِكُوا فِيهِ أَقَارِبهمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ لا سِيَّمَا فِي مَظَانِّ الإِجَابَة، وَتَفْخِيم لِشَأْنِ عُمَر وَإِرْشَاد إِلَى مَا يَحْمِي دُعَاءَهُ مِنْ الرَّدّ وقوله (فَقَالَ): عَطْف عَلَى قَالَ لا تَنْسَنَا لِتَعْقِيبِ الْمُبَيَّن بِالْمُبَيِّنِ أَيْ قَالَ عُمَر فَقَالَ بِمَعْنَى تَكَلَّمَ النَّبِيّ ﷺ (كَلِمَة): وَهِيَ لا تَنْسَنَا (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا): الْبَاء

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨) واللفظ له، والترمذي (٣٥٦٢)، وتقدم (٣٧٣). قال ابن كثير في مسند الفاروق (٣٢٦/١): قال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من هذا الوجه، وعاصم بن عبيد الله فيه ضعفٌ، روى أحاديث مسندة.

لِلْبَدَلِيَّةِ وَمَا نَافِيَة وَأَنَّ مَعَ اِسْمه وَخَبَرِهِ فَاعِل يَسُرُّنِي أَيْ لا يُعْجِبُنِي وَلا يُفْرِحُنِي كَوْن جَمِيع الدُّنْيَا لِي بَدَلَهَا ، وهذا دليل على منتهى الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٧٣).

الحديث رقم (٧١٥)

٧١٥- وعن سالم بنِ عبدِ الله بنِ عمر: أنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَراً: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: ((أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينك: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينك[2].

وأمانتك: أي حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر. وقيل المراد بالأمانة الأهل والأولاد، وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها[3].

خواتيم عملك: المراد به حسن الخاتمة[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول لحظة فراق عند السفر حين يخرج الإنسان عن أهله، وماله، وهي لحظة قلق، وحزن، وهَمٍّ، وقد علّم الرسول ﷺ صحابته دعاءً يبعث السكون في النفس المضطربة التي توشك أن تفارق أحبائها ويربِّتُ عليها بذكر الله فيَقدُم على ما يَقدُم عليه في ذمة الله، ويَخْلُف ما يَخْلُف من الأهل والمال في ذمة الله؛ ولذلك جاء قوله: (أستودع الله دينك) جملة خبرية ملؤها المحبة، والرحمة، ومعناها أطلب من الله أن

---

(١) برقم (٣٤٤٣). وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٢٥٣١)، وقال الحاكم (٢/٩٧): وهذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٣) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

(٤) المرجع السابق ٢/٢٤٥٥.

يحفظ دينك وقوله (وأمانتك) وهي كل ما يجب على الإنسان حفظه من حقوق الناس في المعاملات، وحقوق الله في العبادات، و (خواتيم عملك) نهايته؛ لأن ما قبلها مجبور بها إن حسنت، والإنسان يبعث على ما مات عليه، وجاء ترتيب العبارة النبوية وفق الأهمية فقد طلب حفظ الدين أولاً؛ لأنه المطلوب الأول، ثم الأمانه، وهي المكملة للدين، ثم العمل، لأن من كان على دين يكون أميناً، ومن يكون عنده دين وأمانة يرجى له حسن الخاتمة.

فقه الحديث

آداب السفر: ذكر النووي في كتاب المجموع وكتاب الأذكار آداب السفر[1] يجدر أن نذكر منها ما يلي:

١- إذا استقر عزم المسافر على السفر لحج أو غزو أو غيرهما، فينبغي أن يبدأ بالتوبة من جميع المعاصي، ويخرج من مظالم الخلق، ويقضي ما أمكنه من ديونهم، ويرد الودائع، ويستحلّ كل من بينه وبينه معاملة في شيء أو مصاحبة، ويكتب وصيته ويشهد عليها، ويوكل من يقضي دينه ما لم يتمكن من قضاء ديونه، ويترك نفقة لأهله ومن تلزمه نفقتهم إلى حين رجوعه. ومن السنة أن يستخير الله تعالى فيصلي ركعتين غير الفريضة ثم يدعو بدعاء الاستخارة، وينبغي إرضاء والديه، ومن يتوجب عليه بره وطاعته[2].

٢- يستحب أن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه وسائر أحبابه وأن يودعوه ويقول كل واحد لصاحبه: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسر الخير لك حيثما كنت؛ لأحاديث الباب.

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٨٦ - ٢٠١، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٤ - ٢٥٨.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٤٠-٤١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر على امتثال فعل النبي ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنه على امتثال فعل النبي ﷺ:

لقد اشتهر عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما التتبع الدقيق والامتثال التفصيلي لأفعال النبي ﷺ، وفي هذا الحديث فعل كما يفعل النبي ﷺ مع المسافر، فكان يقول للرجل إذا أراد سفراً "ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا" وقد كان ابن عمر مشهوراً بالاقتداء بالنبي ﷺ في كل أفعاله. قال الزبير بن بكار: (وكان ابن عمر يحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحته في طريق رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته فيه، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفة يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ)[1].

(وكان أشد الصحابة رضي الله عنهم في هذه الناحية وأدومهم عليها، وأحرصهم على التحري عن أفعاله ﷺ حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثية نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثر، بل يكاد يكون هذا المعنى هو مفتاح فقه ابن عمر، والسمة الرئيسية لما ينقل عنه من الآراء التشريعية... وقد أحصى ابن عمر الأماكن التي صلّى فيها النبي ﷺ عند سفره لحجة الوداع من مكة إلى المدينة، وحدد مواقعها بأوصاف دقيقة، وقد أورد البخاري حديثه في ذلك بتمامه[2]،

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٤، و مسلم ١٢٥٧.

وهو حديث طريف طويل فليرجع إليه)[١].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتتبع سنة رسول الله ﷺ في جميع أفعاله وأقواله رضي الله عنه)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: توديع المسافر أهله وأصحابه قبل سفره:

إن المسافر مقدم على الابتعاد عن الأهل والأصحاب والأقارب، لذا كان من المستحب له أن يودعهم قبل سفره، وهذا واضح من الحديثين، جاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب للمسلم إذا أراد الخروج لسفره أن يودع إخوانه وأهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم). قال الشعبي: (السنة إذا خرج الرجل إلى سفر أن يأتي إلى إخوانه فيودعهم ويغتنم دعاءهم، وإذا قدم من سفر أن يأتوا إليه فيسلموا عليه)[٣]. وفي فتح القدير لابن الهمام (يودع المسافر أهله وإخوانه، ويستحلهم ويطلب دعاءهم، ويأتي إليهم لذلك، وهم يأتون إليه إذا قدم)[٤].

قال النووي: (ويستحب [أي للمسافر] أن يودع أهله وأقاربه وأصحابه وجيرانه ويسألهم الدعاء له ويدعو لهم)[٥]. ولاشك أن فعل المسافر لذلك يترتب عليه فوائد عدة، ففي ذلك صلة للرحم ونشر للود والمحبة، وإطفاء الخصومات والعداوات، وقيام الأهل والأصدقاء برعاية أهله أثناء سفره، فضلاً عن دعائهم له وقيامهم بواجب النصيحة.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للمسافر:

يكون المسافر في شغل وانشغال، فضلاً عما قد يعرض له أثناء السفر من أشياء قد

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر ١/٧٤-٧٥، بتصرف يسير.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٢٨.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١/٤٥٠.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني ٢/٣١٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٣٧٠.

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٤٧.

تشعره بالفزع والحزن، لذا فهو أحوج ما يكون إلى الدعاء، ولذا كان النبي ﷺ يدعو للمسافر فيقول له: "أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" قال الطيبي: (قوله ﷺ: "أستودع الله" هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع، لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض أمور الدين، فدعا له النبي ﷺ بالمعونة والتوفيق، ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ والإعطاء والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة. ثم إذا انقلب إلى أهله، يكون مأمون العاقبة عما يسوءه في الدين والدنيا)[1].

قال ابن مفلح: (المراد بالأمانة ههنا: أهله ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه ويستحفظه أمينه ووكيله، وجرى ذكر الدين من الودائع، لأن السفر قد يكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين. فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، ذكر ذلك الخطابي وغيره)[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه - عبدالله بن عمر رضي الله عنهما - أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً، ادْنُ مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا: فيقول: "أستودع الله دينك.. إلخ الحديث"، كما أخبر الصحابي عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه عن بعض حال النبي ﷺ فقال: كان رسول الله إذا أراد أن يودع الجيش قال: .... وهذا الإخبار القصد منه بيان حال النبي ﷺ وهديه في توديع الجيوش والسرايا، ونقل ذلك إلى المدعوين حتى يمتثلوا ذلك ويفعلوه ويعملوا به، ومثال الإخبار كذلك قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ((كانَ خُلُقُهُ القرآنُ))[3].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٧٣/٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٤٩/١. وانظر: معالم السنن للخطابي ٤٠٩/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: توديع النبي ﷺ الجيش والدعاء لهم:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَشَى مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ثُمَّ وَجَّهَهُمْ وَقَالَ انْطَلِقُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ أَعِنْهُمْ يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ))[1].

قال السندي: (قوله: "انطلقوا على اسم الله)، أي ثابتين على بركته أو ذكره أو معه، "إلى كعب بن الأشرف" أي ليقتلوه فإنه كان يهودياً مؤذياً)[2].

ومن هذا القبيل ما فعله أبوبكر رضي الله عنه عند إيفاده جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى الشام تنفيذاً لوصية رسول الله ﷺ فقد نهض بنفسه إلى الجرف، فاستعرض جيش أسامة، وأمرهم بالمسير، وسار معهم ماشياً وأسامة راكباً، وعبدالرحمن بن عوف يقود راحلة الصديق، فقال أسامة: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل. فقال: والله لست بنازل ولست براكب[3].

ولا شك أن توديع الجيوش والسرايا من قبل ولي الأمر، من أهم الأمور التي تلهب الحماس في قلوب الجنود والمقاتلين، لأن ذلك يشعرهم بمدى خطورة المهمة الملقاة على عاتقهم، كما يشعرهم أنهم ليسوا وحدهم في ميدان القتال، بل معهم شعوبهم وأهلوهم بأرواحهم يدعون لهم بالتوفيق والظفر والنصر، وليس أدل على أهمية التوديع من انتشاره في العصر الحديث، فلا يكاد جيش يرسل إلى مكان بعيد عن وطنه، إلا قام بتوديعه ولاة الأمر أو من يقوم مقامهم.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٦/١ رقم ٢٣٩١ وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢١/٤.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٢٢١/٤، وانظر خبره كاملاً في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١٨٧/٣-٢٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٢٢٥/٣، ٢٢٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٢٤/٩.

الحديث رقم (٧١٦)

٧١٦- وعن عبد الله بن يزيدَ الخطْمِيِّ الصحابيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيشَ، قَالَ: ((أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن يزيد: هو عبدالله بن يزيد بن زيد الأنصاري الأوسي الخَطْمي، كنيته أبو موسى، له ولأبيه صحبة، وقد شهد أبوه أحداً وما بعدها، وتوفي في حياة النبي ﷺ قبل فتح مكة.

كان عبدالله من صغار الصحابة، قال عنه الذهبي: الأمير العالم الأكمل. أهـ.

شهد غزوة الحديبية وعمره ١٧ سنة، وكان ممن بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وشهد ما بعدها من غزوات.

وفي عهد الخلفاء شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح فارس، ولما هزم المسلمون أمام الفرس في موقعة يوم الجسر (١٤هـ)، كان هو الذي أخبر عمر بن الخطاب بما وقع للمسلمين.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع علي بن أبي طالب في الجمل وصفين والنهروان.

وفي ٦٥هـ ولاه عبدالله بن الزبير على الكوفة، فاتخذ عامراً الشعبي -أحد كبار التابعين- كاتب سرّه.

أما عن عبادته فكان أكثر الناس صلاةً ولا يصوم تطوعاً إلا يوم عاشوراء.

وقد روى عن جماعة من الصحابة كالبراء بن عازب وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان.

مات قبل سنة ٧٠هـ وله نحو ثمانين عاماً[2].

---

(١) برقم (٢٦٠١).

(٢) الطبقات (١٨/٦)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٤٢، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٣/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٤٨، والسير (١٩٧/٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٣/٤) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٥٦/٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٤٦/٤).

غريب الألفاظ:

أستودع الله دينكم: أستحفظ وأطلب منه حفظ دينكم[١].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الوداع غير أن الموقف النفسي مختلف فهناك وداع مسافر على خطر محتمل، وهنا مقاتل على خطر محقق، وهناك فرد أو جماعة محدودة وهنا جيش متأهب للقتال وقلب الرسول ﷺ وسع الجميع رحمة وحناناً المسافر والحاضر والمقاتل، والقافل، الصغير، منهم والكبير والقوي، والضعيف، ولذلك نجد الدعاء نفسه مع اختلاف الضمير من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع لتسكن النفوس، وتطمئن القلوب، وتزداد توكلاً على الله تعالى، وتكون أقوى في مواجهة عدوها وقد أفرد الدين في قوله (دينكم) لأنه واحد فليس بينهم من هو على غير الإسلام فكلهم على قلب رجل واحد؛ لأن دخول غير المسلمين في جيوش المسلمين خرق لهذه الوحدة، ومخاطرة بكشف سترهم وإضعاف قوتهم. كما أفرد الأمانة (أمانتكم) لأنها واحدة بالنسبة لهم جميعاً لأنها تتمثل في آداء كل ما عليهم من الحقوق والواجبات لله أو للناس وكلهم متساون في ذلك، وجمع الخواتيم (خواتيم الأعمال) لأنها تختلف باختلاف الأشخاص وبحسب أعمالهم والأعمال متنوعة فتنوعت تبعاً لها.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧١٧)

٧١٧- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إنّي أُرِيدُ سَفَراً، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: ((زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى)) قَالَ: زِدْنِي قَالَ: ((وَغَفَرَ ذَنْبَكَ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من باب سابقيه نفسه، وهو باب الدعاء للمسافر، وقد اختلف سياق الحديث لاختلاف الواقعة موضع الحديث، واختلاف أحد طرفي الحوار، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يتميز بالحركة، والانفعال، والتواصل حيث بدأ بنداء تنبيهٍ، وتكريمٍ للرسول (يا رسول الله) ؛ لأنه ناداه بلقبه دون اسمه مع إضافته لله، ثم عرض حاجته، ورتب عليها طلبه، وقد سبقها بتوكيد يكشف مدى حاجته (إني أريد سفراً فزودني) طلب الزاد، وهو ما يحتاج إليه المسافر من الطعام، والشراب والمؤن، فنزل الدعاء منزلته، وطلبه من الرسول ﷺ فقال (زودك الله التقوى) وهي جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، لأن معناهاالدعاء، وإيثاره التعبير بالأسلوب الخبرى عن المعنى الإنشائي، لأن الأسلوب الخبري يوحي بتحقق مضمونه؛ فكأنه دعا وأجيبت دعوته، وهو يخبر عنها، ولا يخفى ما فيه من التفاؤل الذي يهدهد وجدان المسافر المضطرب، وقول السائل (زدني) يحتمل أن يكون أراد حقيقة الزاد من الطعام والشراب، وأجابه الرسول ﷺ على أسلوب الحكيم بما هو أنفع له مما طلب فلما أجيب بغير ما يريد كرر الطلب وقول الرسول ﷺ (غفر لك ذنبك) لما طلب الزيادة زاده من جنس المزيد فعاد، وقال (زدني) وقد قدم بين يدي طلبه جملة ملؤها المحبة، والفداء (بأبي أنت

---

(١) برقم (٣٤٤٤) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن خزيمة (٢٥٣٢).

وأمي) كاعتذار عن الإلحاح في الطلب وحثاً على المزيد، واعترافاً بمضمونها، فدعا له الرسول ﷺ بدعوة جامعة لخير الدنيا والآخرة (ويسر لك الخير حيثما كنت) والظرف (حيثما) مع فعل الكينونة في دعوة النبي ﷺ يجعل التيسير قرينه إلى يوم القيامة بل، وبعدها في عرصاتها حتى الجنة فهنيئاً من فضل الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى والمغفرة وتيسير الخير للإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على دعاء النبي ﷺ لهم:

إن النبي ﷺ هو الهادي البشير، بعثه الله رحمة للعالمين، وقد اتخذه الله خليلاً[1]، ويأتيه الوحي من السماء، وكان للصحابة رضي الله عنهم كالوالد لأولاده، لذا كانوا حريصين جداً على طلب النصيحة منه وأن يدعو لهم، كما هو واضح في هذا الحديث.

ومن هذا القبيل حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ. فَدَعَوْتُهَا يَوْماً فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللّهِ مَا أَكْرَهُ. فَأَتَيْتُ رَسُول اللّهِ وَأَنَا أَبْكِي. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ. فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ. فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَهْدِي أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: «اللّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِراً بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللّهِ. فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ. فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ. فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ. فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ. قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا. فَفَتَحَتِ الْبَابَ. ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللّهُ دَعْوَتَكَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٨٣ عن عبدالله بن مسعود < مرفوعاً: "اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً" وانظر: الشفا للقاضي عياض ١/٢٤٨-٢٤٩.

وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْراً. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ اللّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: اللّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذَا ـ يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ ـ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ. وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلاَ يَرَانِي، إِلاَّ أَحَبَّنِي))[1].

وإذا كان النبي ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإننا يمكن أن نتمثل فعل الصحابة رضي الله عنهم بحرصهم على أن يدعو لهم النبي ﷺ يمكننا أن نتمثل ذلك بأن نحرص على فعل الخصال والصفات التي دعا النبي ﷺ، بالخير لمن تحلى بها واتصف بها، فتلحق بنا بركة دعائه، فعلى سبيل المثال لو تمثلنا قوله: ((اللّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ))[2]. فإننا لو تمثلنا هذا الحديث جيداً، واستحضار حرص الصحابة على أن ينالهم دعاء النبي ﷺ، لو تمثلنا هذا كله، فإننا لا شك سنلتزم بالرفق في كل شؤوننا وأحوالنا حتى نكون أهلاً لأن يصيبنا دعاء النبي ﷺ. وهكذا يكون حالنا مع سنة النبي ﷺ.

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء بالتقوى ومغفرة الذنوب وتيسير الخير للإنسان:

لقد دعا النبي ﷺ للرجل بأن يزوده الله بالتقوى، وأن يغفر له الذنوب، وأن ييسر له الخير حيث كان، فدل ذلك على فضل هذه الدعوات. قال الطيبي: (يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه ﷺ بما أجابه على طريقة أسلوب الحكيم أي زادك أن تتقي محارمه وتجتنب معاصيه، ومن ثم لما طلب الزيادة قال "وغفر ذنبك". فإن الزيادة من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا تكون تقوى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٩١ وقد جعل القاضي عياض فصلاً في الشفا عنوانه: في إجابة دعائه ﷺ وقال: هذا باب واسع جداً، وإجابة دعوة النبي ﷺ لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة، ثم قال في آخره: وهذا الباب أكبر من أن يحاط. الشفا ١/٣٢١-٣٢٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٨.

يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله "وغفر ذنبك" أي أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة ثم ترقّى منه إلى قوله "ويسر لك الخير" فإن التعريف في "الخير" للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة)[١].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٢].

قال القاسمي: (ويقال في معنى الآية: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لابد له من سفر في الدنيا ولابد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب، وسفر من الدنيا إلى الآخرة، ولابد منه من زادٍ أيضاً، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات، وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زاد الدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة)[٣].

أما مغفرة الذنوب (فإن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة، وقد قال النبي ﷺ ((حولها ندندن))[٤] يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها)[٥].

أما تيسير الخير حيث كان، فعلامة لتوفيق الله للعبد، لأن العبد إن فعل الخير الموصل إلى الجنة فقد فاز وسعد، وكذلك إن تيسر له الخير الدنيوي، مكّنه ذلك من تسخيره في فعل ما يوصله إلى رضا ربه ودخول جنته، فضلاً عن تمتعه في حياته في الدنيا بكل ما يسره ويسعده، دون أن يُغضب ربه.

ثالثًا- من آداب المدعو: طلب الدعاء من أهل الفضل والصلاح:

المدعو يحب أهل الصلاح والفضل، لأن منزلتهم عند الله كبيرة، فالله سبحانه

---

(١) شرح الطيبي ١٧٤/٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٤/٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢).

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٠٤/٢.

وتعالى يحبهم ويقربهم إليه، لذا كان من علامات حب المدعو الخير لنفسه، أن يطلب من أهل الفضل والصلاح أن يدعوا له. كما فعل هذا الصحابي بطلبه الدعاء من النبي ﷺ وعن أنس بن مالك (أَنَّ رجُلاً دخلَ المسجدَ يومَ جُمعةٍ من بابٍ كان نحوَ بابِ دارِ القضاءِ - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يخطبُ - فاستقبلَ رسولَ اللهِ ﷺ قائماً ثم قال: يا رسولَ اللهِ هلَكَتِ الأموالُ، وانقطَعَتِ السبلُ، فادعُ اللهُ يُغيثُنا. فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَيهِ ثم قال: اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثْنا اللّهمَّ أغثنا. قال أَنسٌ: ولا واللهِ ما نرَى في السماءِ من سحابٍ ولا قَزَعةً، وما بَينَنا وبينَ سَلعٍ من بيتٍ ولا دارٍ. قال فطلَعَتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التُّرسِ، فلمَّا توسَّطَتِ السماءَ انتَشَرتْ، ثم أمطرَتْ، فلا واللهِ ما رأينا الشمسَ سَبْتًا[1].

ثمَّ دَخلَ رجلٌ من ذلكَ البابِ في الجُمعةِ - يعني الثانية - ورسولُ اللهِ ﷺ قائمٌ يَخطب فاستقبلَهُ قائماً فقال: يا رسولَ اللهِ هَلكَتِ الأموالُ، وانقطَعتِ السبُلُ، فادعُ اللهَ يُمسِكها عنا. قال فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يديهِ ثم قال: اللّهمَّ حَوالَينا ولا علينا، اللّهمَّ عَلَى الآكامِ والظرابِ وبُطونِ الأوديةِ ومَنابتِ الشجرِ». قال: فأَقلعَتْ وَخرجْنا نمشي في الشمسِ)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب طلب الدعاء من أهل الفضل، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه)[3]. قال النووي: (اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وهو مجمع عليه، ومن أول ما يستدل به ما روينا في كتابي أبي داود والترمذي[4] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسنا يا أخي من دعائك. فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا، وفي رواية: أشركنا يا أخي في دعائك)[5].

---

(١) أي: قطعة من الزمان، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٨٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١٣، ومسلم ٨٩٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٩٨، والترمذي ٣٥٦٢، وابن ماجه ٢٨٩٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٢٢).

(٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٤٤٧.

وقال ابن تيمية: (فطلب النبي ﷺ من عمر أن يدعو له، كطلبه أن يصلي عليه ويسلم عليه، وأن يسأل الله له الوسيلة والدرجة الرفيعة، وهو كطلبه أن يعمل سائر الصالحات، فمقصوده نفع المطلوب منه، والإحسان إليه، وهو ﷺ ينتفع بتعليمهم الخير وأمرهم به، وينتفع أيضاً بالخير الذي يفعلونه من الأعمال الصالحة ومن دعائهم له)[1]. وقال ابن تيمية: (ويشرع للمسلم أن يطلب الدعاء ممن هو فوقه ومن هو دونه، فقد روي طلب الدعاء من الأعلى والأدنى)[2].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤٣/١.

(٢) المرجع السابق ٤٣/١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إن ترك الأحبة لبعضهم فيه مشقة على النفس بالغة القسوة، وقد وضحت أحاديث الباب هدي النبي ﷺ في توديع أصحابه رضي الله عنهم قبل السفر، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

وصية كلا الطرفين بالتقوى للآخر، واستدياع كل منهما الآخر أمانة عند ربه، ودعاء كل منهما للآخر بالخير مع اتباع السنة في هذا، ودعاء المسافر في طاعة من الأدعية المستجابة، ولهذا طلب الرسول ﷺ الدعاء من عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومن الأساليب التربوية ندرك:

أولاً- التربية بالموعظة:

من أساليب التربية النافعة التربية بالموعظة حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد إلى المتربي من خلال الموعظة، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا الأسلوب حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه: «قام رَسُول اللَّهِ ﷺ فينا خطيبًا فحمد اللَّه وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس ...».

والتربية بالموعظة تؤثر في نفس المتربي، وتدفعه إلى الاستجابة والامتثال.

"والوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل، ومن أشكال الوعظ النصح، وهو بيان الحق والمصلحة بقصد أن نُجنِّب المنصوح الضرر وندُلّه على ما يحقق سعادته وفائدته، ودليل النصح الصادق ألا يتوخى الناصح مصلحة شخصية دنيوية مادية لنفسه، ولذلك وجب على المربي الناصح أن يتنزه أثناء أداء واجبه التربوي عن كل رياء وعن كل ما يوحي للآخرين بأن له في فعله مصلحة خاصة، لئلا يَشُوبَ إخلاصه وسمعته، فيفقد هيبته التربوية وتأثيره في نفوس طلابه"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٢٦.

ولقد بيّن النبي ﷺ أنه لا يريد من خلال موعظته منفعة أو مكسبًا، فمما جاء في حديث الباب: «... ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ...».

"وطريقة التربية بالموعظة طريقة قديمة قِدَمَ الإنسان نفسه، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضًا مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم. والنفس الإنسانية على استعداد تام للتأثر بما يلقى إليها من كلمات والنفوس الصافية، والقلوب المتفتحة، والعقول الواعية المتدبرة إذا تراءى لها الحق مناسبًا بالكلمة المؤثرة والموعظة البليغة والنصيحة الرشيدة، فإنها سرعان ما تستجيب من غير تردد، وتتأثر من غير توقف بل سرعان ما تخضع للحق، وتتقبل هدي الله الذي أنزله"[1].

ثانيًا- التربية بالتواصي:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتواصي حيث يقوم كل مسلم بمهمة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأخيه المسلم، وهذا الباب الذي أورده الإمام النووي -باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره- أورد تحته جملة من الأحاديث تشير إلى أهمية التواصي والتناصح، ومن ذلك حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «... وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ. فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ. وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي. أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ...» ومن ذلك أيضًا حديث أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «... فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا ...» وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يارسول الله إني أريد سفرًا فزوِّدني، فقال: زودك الله التقوى، قال: زدني ...».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى التواصي والتناصح بين الجماعة المؤمنة "والقرآن الكريم يوصي ويفرض ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد-ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

جل شأنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1].

إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي من أساليب التربية الإسلامية التي بدت من خلال أحاديث المربي الرسول ﷺ وفي طريقة التواصي دعوة لكل مسلم إلى أن يكون مربيًا، يذكر بالخير والحق ويدعوا إليهما وينبه إلى الشر والضرر وينهي عنهما، وذلك من صميم الأساليب التربوية الإسلامية لتنمية القيم والأخلاق الإسلامية في نفس المسلم، وهذه الوسيلة من أهم الوسائل التربوية التي حث عليها القرآن الكريم، والتي يتحقق بها الهدف من التربية لأنها تقوم بصيانة الحياة من الشر والفساد، وفي هذه الطريقة تتحقق مبادئ التربية"[2].

ثالثًا- التربية على أهمية الدعاء:

إن من الموضوعات التي تعتني بها التربية الإسلامية التربية على أهمية الدعاء، وذلك لما في الدعاء للغير وطلبه للنفس من آثار تربوية حميدة في نفوس المتربين، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن وقال: لا تنسانا يا أخي من دعائك ...، وفي رواية: «أشركنا يا أخي في دعائك»، وحديث أنس رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي، قالَ: زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى. قالَ زِدْنِي. قالَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ. قالَ زِدْنِي. قالَ ويَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ» ففي هذين الحديثين طلب النبي ﷺ الدعاء من غيره، ودعا لغيره.

"وتشريع الدعاء في الإسلام ليوثق صلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، وعلاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية، ومن هنا فإن الدعاء الذي يمكن أن يتم في سائر الأوقات خلافًا للعبادات الأخرى المحدودة بأوقات مخصوصة أو التي تحتاج إلى جهد بدني أو مالي، فالدعاء أيسر العبادات التي إذا اعتاد عليها الإنسان كفلت حياةَ قلبه وأيقظت روحه وأثمرت

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) الأخلاق والقيم التربوية في الإسلام، د. علي خليل أبو العينين، ضمن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ص١/١٤٠، ١٤١.

صلاح سلوكه مع الله تعالى ومع الناس. والدعاء طلب الإنسان من الله تعالى العناية والعون وإظهاره والافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة وتعظيم الخالق والثناء عليه. والله تعالى قريب من عباده يسمع دعاءهم، ويستجيب لمن أطاعه منهم بالتزام شريعته واجتناب معصيته"[١].

إن الدعاء هو الصلة التي تربط المسلم بالله، "والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد ويتضرع إليه في كشف السوء عنه فهو ضعيف أمام أحداث الحياة لا يجد سَنَدًا لضعفه غير الدعاء، والدعاء الذي يطلبه الإسلام هو أن يكون في السراء كما يكون في الضراء، لأن ذلك أدعى للإنسان أن يكون على الدوام متذكرًا ربه مستجيبًا لأوامره محققًا معنى العبودية له، فإن الإنسان بطبيعته يلجأ إلى ربه عند الشدة، ولكن ما أن يكشف الله عنه ما به من ضر حتى ينسى الله ويغتر بقوته، فيؤدي به إلى الإعراض عن أوامر الله والإفساد في الأرض. وقد شرع الإسلام الدعاء للسمو الروحي والترفع عن شهوات الجسد الضارة والعروج به في معارج الكمالات بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله وتيسير أموره وكشف الضر عنه"[٢].

خامسًا- التربية بالممارسة العملية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، حيث يلمس المتربي التطبيق الفعلي، والممارسة العملية للقيم والموضوعات التربوية التي يراد غرسها، ومما جاء في أحاديث الباب، يدلل على هذا الأسلوب حديث سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما «أنَّ عبدالله ابنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إذَا أَرَادَ سَفَرًا أنْ ادْنُ مِنِّي أوَدِّعْكَ كَمَا كَانَ رسولُ الله يُوَدِّعُنَا فَيَقُولُ: أسْتَوْدِعُ الله دِينَكَ وأمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». وكذلك أيضًا حديث عبدالله بن يزيد الخَطْمي الصحابي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يودِّع الجيش قال: «أسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وأمانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أعمالِكُمْ».

فمن هذين الحديثين يتبين لنا أسلوب الممارسة والتطبيق العملي من النبي ﷺ.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦، ٩٧.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩، ٢٠٠.

"إن التناول النظري وحده ليس كافيًا في دفع الشباب للدعوة بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرص المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي المتعلق بالتذكير بالدعوة وفضائلها، وتبدو أهمية التدريب العملي في أن ممارسة العمل تزيد الإنسان شوقًا له وإلفًا واعتيادًا، وهي تزيل الرهبة والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، وتنمي لدى الشباب مهارات وقدرات الدعوة كطلاقة الحديث والحوار والإقناع والتأثير، وتعود على التعامل المتزن الهادئ مع ردود أفعال المدعوين"[١].

وما من شك في أن التربية من خلال الممارسة العملية أوقع في النفس، وأدعى للاستجابة.

"إن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرّسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية والتعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أرسخ في النفس، وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة، ولقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة بالممارسة العملية ليكون ذلك أعمق أثرًا في نفوسهم"[٢].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢١٢، ٢١٣.

٩٧- باب الاستخارة والمشاورة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقال الله تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨] أي: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

الحديث رقم (٧١٨)

٧١٨- عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ[١] مِنَ القُرآنِ، يَقُولُ: ((إِذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بِالأمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أعْلَمُ، وَأنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أمْرِي)) أَوْ قَالَ: ((عَاجِلِ أمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرْضِنِي بِهِ)) قَالَ: ((وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)) رواه البخاري[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عاقبة أمري: آخر أمري وخاتمته[٣].

---

(١) لفظ البخاري: (كما يعلمنا السورة).

(٢) برقم (١١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ق ب).

الشرح الأدبي

دعاء الاستخارة له خصوصية في التركيب ترجع إلى طبيعته، والغرض منه فموضعه بعد صلاة أي: صلة بالله، والقلوب متعلقة به، ثم إنه بدأ بلفظ له خصوصية في النداء لأنه مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء؛ لأنه مجمع الأسماء الحسنى، وهو (اللّهم) (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم كزيادتها في زرقم قال ابن فارس: (الزرقم: أجمع أهل اللغة أن أصله من الزرق؛ فإن الميم فيه زائدة[1] والميم حرف شفهي يجمع الناطق به شفتيه، فوضعته العرب علماً على الجمع فقالوا للواحد: (أنت فإذا جاوزوه إلى الجمع قالوا: أنتم، وكذلك هو، وهم)، وكذلك في المتصل يقولون: ضربت، وضربتم، وإياك، وإياكم، وإياه، وإياهم ونظائره نحو: به، وبهم، ويقولون للشيء الأزرق: أزرق فإذا اشتدت زرقته واستحكمت، قالوا: زرقم..وتأمل الألفاظ المعقود فيها الميم كيف تجد الجمع معقودا بها مثل (ألم الشيء يلمه، إذا جمعه، ومنه (ألم الله شعثه) ..وإذا علم هذا من شأن الميم؛ فهم ألحقوها في آخر هذا الاسم الذي يسأل الله -سبحانه- به في كل حاجة - وكل حال إيذانا بجميع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: (اللهم إني اسألك) كأنه قال: (ادعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعى مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه)[2].

ثم إن الاستخارة تضمنت أمرين مهمين، وهما طلب الأكثر خيراً في قوله

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٥٣.

(٢) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري صـ ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري / رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

(أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ) وطلب العون عليه في قوله: (وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ) كما تضمنت طلب الفضل أي المزيد (وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ) كما تضمنت التفويض في قوله: (فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) واشتمال الاستخارة على تلك الأمور وغيرها يجعلها أقرب إلى الإجابة وأوفى بحاجة المستخير كما أنه يتحرك بها في معية الله حتى يقضي ما هو فيه ؛لذلك حرص الرسول ﷺ على تعليمها لأصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن - كما أخبر الصحابي -.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم صلاة الاستخارة: يستحب لمن أراد أمرًا من الأمور المباحة، والتبس عليه وجه الصواب فيه، أن يصلي ركعتين - أي ركعتين - من غير الفريضة، ولو من السنن الرواتب، ثم يدعو بعدهما بالدعاء الوارد في هذا الحديث[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها.

ثالثًا: من آداب المدعو: ردّ الأمور كلها لله تعالى.

رابعًا: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن من وسائل الدعوة في هذا الحديث التعليم. يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها".

والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن العلم الشرعي هو أفضل العلوم، وهو

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٤٤/٤ وما بعدها، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٥٠/٣، وإعانة الطالبين ٢٩٧/١، ومنتهى الإرادات ٧٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١١١/١.

الجدير بالطلب والحرص على تحصيله، لأنه به يعرف الله سبحانه وتعالى، وبه يعبد، وبهذا العلم يعرف ما أحل الله وما حرم، وما يرضيه وما يسخطه، وبهذا العلم يعرف المصير إليه والنهاية من هذه الحياة، وأن قسمًا من هؤلاء المكلفين، ينتهون إلى الجنة والسعادة، وأن الآخرين وهم الأكثرون ينتهون إلى دار الهوان والشقاء[١].

قال رسول الله ﷺ ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاستخارة في الأمور كلها:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين...".

قال العيني: ("يعلمنا الاستخارة" أي: صلاة الاستخارة ودعاءها وهي طلب الخيرة... وهو في لسان العرب على معان، منها سؤال الفعل والتقدير اطلب منكم الخير فيما هممت به، والخير هو كل معنى زاد نفعه على ضره، قوله "في الأمور كلها" دليل على العموم، وأن المرء يجب عليه ألا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به، فيترك الاستخارة فيه، فرب أمر يستخف بأمره، فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه، ولذلك قال ﷺ: "ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأل شسع نعله"[٣] قوله "كما يعلمنا السورة من القرآن" دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغب فيه، وفيه استحباب صلاة الاستخارة والدعاء المأثور بعدها، في الأمور التي لا يدري العبد وجه الصواب فيها أما ما هو معروف خيره، كالعبادات وصنائع المعروف لا حاجة للاستخارة فيها، نعم قد يستخار في الإتيان بالعبادة في وقت مخصوص، كالحج مثلاً في هذه السنة لاحتمال عدو أو فتنة أو حصر عن الحج، وكذلك يحسن أن يستخار في النهي عن المنكر، كشخص متمرد عاتٍ يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص)[٤].

---

(١) حديث النفس وجولات الخاطر، عبدالإله سليمان الطيار ص ٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢، ومسلم ١٠٣٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٣٥).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٣/٧، ٢٢٤.

والاستخارة من الأمور التي سنها رسول الله ﷺ لأمته حتى يريحهم من الحيرة ويطلبوا تيسير الخير في الأمرين من الفعل أو الترك، في الأمور التي يريدون الإقدام عليها، مباحة كانت أو عبادة، فيستخيروا، فيظهر ببركة الصلاة والدعاء ما هو الخير[1]؛ وهو نوع من الاستعانة بالصلاة الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2].

فقد كان ﷺ إذا حَزَبَه أمر، فزع إلى الصلاة، ليجد فيها الاطمئنان والراحة؛ لانها علاقة مع الله وحده، ينقطعُ المرء فيها عن المنغّصات والمكدِّرات.

وشُرع لنا عند الاستخارة الصلاة وبعدها الدعاء، الذي هو توحيد وافتقار، عبودية وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله، الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبيده رحمةً لم يستطع أحد حبسها عنهم، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليهم.

قال ابن تيمية: (ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وتثبت في أمره، فقد قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3][4].

والنبي ﷺ حين يُعلم أصحابه هذه الصلاة، وهذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن ما كان ذلك إلا بعلمه بحاجتهم لمثل هذا الدعاء، فكما أن القرآن يحتاج إلى مدارسة ومتابعة ومجاهدة، فكذلك هذا الأمر، أو كما أن القرآن لا يستغني عنه المؤمن، فكذلك دعاء الاستخارة يحتاجه المرء في أموره كلها.

إن مما يجب أن يُعلم هو أن صاحب الشرع قد اختار لنا ألفاظًا منتقاةً، جامعة لخيري الدنيا والآخرة حتى إن الراوي قال في صفتها والحض عليها والتمسك بألفاظها:

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) الكلم الطيب ١/٥٧.

(كان يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن)، ومعلوم أن القرآن لا يجوز أن يُغيّر فيه أو يُزاد فيه أو يُنقص منه.

وإذا صلى الإنسان ركعتي الاستخارة لأمر، فليفعل بعدها ما بدا له، سواء انشرحت نفسه له، أو لا، فإن فيه الخير، وإن لم تنشرح له نفسه، وليس في الحديث ما يدل على اشتراط انشراح النفس[١].

واشترط ابن عثيمين وغيره من العلماء: انشراح الصدر فقال: (وينتهي بعد ذلك - صلاة الاستخارة- إن انشراح صدره بأحد الأمرين، بالإقدام أو الإحجام، فهنا المطلوب، يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره، وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة)[٢].

وقال عفيف طبارة: (وينبغي أن يفعل المصلي بعد الاستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغي أن يعتمد على إنشراح كان فيه رغبة قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره، وإلا فلا يكون مستخيرًا لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة)[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: رد الأمور كلها لله تعالى:

إن من آداب المدعو التي تستنبط من هذا الحديث: رد الأمور كلها لله. يظهر هذا في تعليم النبي ﷺ أمته الاستخارة حتى يفوضوا أمرهم لله تعالى، فهو العالم بكل شيء ما يريده يكون وما لم يرده لا يكون، قال ابن حجر: (والله هو خالق العلم بالشيء للعبد وهمه به واقتداره عليه، فإنه يجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله تعالى والتبري من الحول والقوة إليه، وأن يسأل ربه في أموره كلها)[٤].

وقال العيني: (وفيه... وأن لا يروم شيئًا من دقيق الأمور ولا جليلها حتى يسأل الله فيه، ويسأله أن يحمله فيه على الخير، ويصرف عنه الشر إذعانًا بالافتقار إليه في كل

---

(١) انظر: حديث النفس، عبدالإله بن سليمان الطيار ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٣٩/٢ - ١٠٤٠.

(٣) روح الصلاة في الإسلام ٢٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩١/١١.

أمره، والتزامًا لذاته بالعبودية له، تبركًا لاتباع سنة سيد المرسلين في الاستخارة، وربما قدر ما هو خير، ويراه شرًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[1])[2].

فمن آداب المدعو أن يسلم لأمر ربه ويلجأ إليه سبحانه. للجمع بين خيري الدنيا والآخرة، ويحتاج إلى قرع باب الملك، ولا شيء أنجع لذلك من الصلاة والدعاء، لما فيها من تعظيم الله، والثناء عليه، والافتقار إليه قالا وحالا[3].

قال ابن القيم: (ماذا يملك من أمره مَنْ ناصيته بيد الله، ونفسه بيده، وقلبه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء، وحياته بيده، وسعادته بيده، وشقاوته بيده، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته. فلا يتحرك إلا بإذنه، ولا يفعل إلا بمشيئته. إن وكله إلى نفسه وكله إلى عجز وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة. وإن وكله إلى غيره وكله إلى مَن لا يملك له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وإن تخلى عنه استولى عليه عدوّه وجعله أسيرًا له. فهو لا غنى له عنه طرفة عين، بل مضطر إليه على مدى الأنفاس في كل ذرة من ذراته، باطنًا وظاهرًا، فاقته تامة إليه)[4].

لذا فالمؤمن ينبغي أن يفوض أمره كله لله، لأنه موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفات فيرى آثار بره تعالى ورحمته، فيناجي ربه ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[5] فالخير بيديه، والشر ليس إليه، وما يظنه شرًا في الحقيقة، وإذا كان لابد

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٢٥/٧.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٢/٣.

(٤) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

من تسميته شرًا؛ فإنما هو شر جزئي خاص، مغمور في جانب الخير الكلي العام)[١].

فالمؤمن يكتنفه أمران: الاستخارة قبل وقوع الأمر، والرضا بعد وقوعه، والسعيد من جمع بينهما، وذلك هو المؤمن، والشقي من حرمهما[٢].

رابعًا- واجبات الداعية: تعليم المدعوين ودلالتهم على ما ينفعهم:

ينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم المدعوين، ودلالتهم على ما ينفعهم. يستنبط هذا من عموم الحديث، فقال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم[٣]. وهذا كان نهجه مع أمته ﷺ وقال في ذلك: ((مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا . فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا. وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ فِيهَا. قَالَ: فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ. أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. هَلُمَّ عَنِ النَّارِ. فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا))[٤].

فيجب على الداعية التأسي بالنبي ﷺ في الشفقة على أمته وحرصه على تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

قال رسول الله ﷺ: ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ يا رسول الله؟ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[٥].

ونصيحة المدعوين تكون: بإرادة الخير لهم، وبيان الحق لهم، ودلالتهم عليه، وعدم غشهم ومجاملتهم في دين الله، ويدخل فيه أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولو خالف هواهم وطريقتهم. وأما مسايرتهم في طريقتهم، ومجاملتهم في الدين باسم الأخوة، وحتى لا ينفضوا أو ينفروا، فهذا ليس من النصح الذي أمر به نبينا عليه الصلاة

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٣٥.

(٣) المرجع السابق ١١/١٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٤.

(٥) أخرجه مسلم ٥٥.

والسلام. نعم الحكمة مطلوبة عند عرض النصيحة عليهم، ولكن الحق لابد أن يبين ويعلم لجميع المدعوين[١].

(١) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٣٢٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية التي تبين هدي النبي ﷺ وتوجيهاته التربوية في الاستخارة والمشورة، من هذه المضامين ما يلي:

أولاً- التربية بالتعليم:

من أهم أساليب التربية الإسلامية: التربية بالتعليم، ويتضح هذا من حديث الباب من قول جابر رضي الله عنه: «كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاستخارةَ في الأمورِ كُلِّهَا كَالسُورةَ من القرآن، ...»، والتربية بالتعليم من أساليب التربية المهمة، "فلا حصول على العلم دون تعلم، فالتعلم أساس في الحصول على العلم، ولا حياة كريمة للإنسان دون علم، ولا قيمة للعلم ما لم ينشر في الناس عن طريق التعليم فهذه الثلاثية: تعلم وعلم وتعليم متماسكة متكاملة لا يمكن أن يستغنى عن أي شيء منها، ولا يمكن لأحدها أن يغني عن الآخر، وليس أجدى على العقل من أن يعمل في مجال العلم والبحث ليتوصل من وراء ذلك إلى الكشف والابتكار، وتهيئة الأسباب للحصول على سعادة الدنيا والآخرة وللتعلم والعلم والتعليم أهمية قصوى في الإسلام، فإذا قلنا: إن الإسلام دين العلم ما جاوزنا الصواب في شيء ولو قلنا: إن العلماء أرفع قدرًا في المجتمع من غيرهم ما عدونا الصواب"[1].

إنه من خلال التعليم يتم غرس القيم والمبادئ التربوية، ويمكن توجيه المتربين إلى الطاعة والامتثال، وخاصة عندما يُعتنى بالتعليم من الصغر.

"والمقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية والثقافة العلمية والعصرية والتوعية الفكرية الحضارية حتى ينضج الولد فكريًا ويتكون علميًا وثقافيًا، ولاشك أن مسئولية الواجب التعليمي بالغة الأهمية والخطورة في نظر الإسلام، لأن الإسلام حَمَّلَ الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من مَعِينِ الثقافة والعلم وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب،

---

(١) التربية العقلية، د. علي عبدالحليم محمود، ص٢١٠.

والمعرفة المجردة، والمحاكمة المتّزنة، والإدراك الناضج الصحيح، وبهذا تتفتح المواهب، ويبرز النبوغ، وتنضج العقول، وتظهر العبقرية، ومن المعلوم تاريخيًا أن أول آيات نزلت على قلب الرسول الأعظم ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]. وما ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه[2].

ثانيًا- التربية على الاستخارة والمشاورة:

إن من الجوانب المهمة في التربية الإسلامية التربية الإيمانية والتي تتمثل في التربية على الاستخارة والمشاورة لما في ذلك من الثقة واليقين في الله عز وجل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا، فعن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسولُ الله يُعَلِّمُنَا الاستخارة في الأمورِ كلِّها كالسورة مِنَ القرآنِ، يقول: إذا هَمَّ أحدُكُم بالأمر فليركَعْ ركعَتَيْنِ من غيرِ الفريضةِ ثم ليقلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلمِكَ، وأستَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، ...».

وهذا الحديث يبين استحباب الاستخارة في الأمور كلها، والإيمان والتسليم بقدر الله تعالى والرضا به.

والإيمان بالقدر من لوازم الإيمان بالله، فالله هو الذي قدر كل الأحداث الكونية، وإيمان الإنسان بقضاء الله يتحقق من علمه بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن كل ما يحدث له إنما هو من قدر الله تعالى، وان في الرضا بالقدر وحسن ظن العبد بالله وثقته في رحمته مفاتيح السعادة، في الدنيا والآخرة، ومن الآثار التربوية للإيمان بالقدر العزم والقضاء على التردد فالمرء في حياته يقدم على تحقيق أعمال معينة فالمؤمن إذا ناقش الأمور ورجح بينها واستشار غيره، واستخار ربه يمضي فيما عزم عليه دون تردد، أو

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/ ٢٥٠، ٢٥١.

خوف فهو يدرك يقينًا بأن جميع الأحداث الواقعة تكون بقدر الله، فإذا يسر الله له ما عزم عليه فهو الخير المقدر له، وإن لم ييسر له ذلك فهذا ليصرف الله عنه شرًا كان محتملاً، ومن الآثار أيضًا أن المؤمن لا يتحسر على شيء مضى فهو يدرك أن ذلك قدر الله، وان الندم لن يعيد له ما فات ولا اعتراض على ما حدث أو ما قدره الله، فإذا تربى المؤمن على ذلك أصبح جريئًا أمام كل شيء، ويتخلص قلبه من القلق الناتج عن الحزن على ما فقد"[١].

وفي الاستخارة دعاء ولجوء إلى الله تعالى، "فالدعاء ثمرة المعرفة والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها. وفي الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به، ومن ثَمَّ كانت حياة الرسول ﷺ دعاء دائمًا يدعو مع كل عمل، وكل حركة بالليل أو النهار، وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها، ويعلمها لأصحابه"[٢].

وإذا كانت الاستخارة مطلوبة من المسلم فإن المشاورة مستحبة كذلك قال الماوردي: "اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفَّل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٣]. قال قتادة: أمره بمشاورتهم تألفًا لهم، وتطبيقًا لأنفسهم، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل تَرِد عليه الأمور فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رُشْدًا، ولا يطيع مرشدًا. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص٧٥، ٧٦.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص٢٢٢، ٢٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رأي، ولا يفقد معهما حزم، وقال سيف بن ذي يزن: من أعجب برأيه لم يشاور، ومن استبدّ برأيه كان من الصواب بعيدًا[1].

❁ ❁ ❁

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٨٩.

٩٨- باب استحباب الذهاب إِلَى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

الحديث رقم (٧١٩)

٧١٩- عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبي ﷺ إِذَا كَانَ يومُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاريُّ[(١)].

قوله: "خَالَفَ الطَّرِيقَ" يعني: ذهب في طريق ورجع في طريق آخر.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الرسول ﷺ وهدي من هديه في صلاة العيد، وقد صاغ معناها الصحابي في أسلوب الشرط، وقد استخدم أداة الشرط إذا للدلالة على تحقق الوقوع فهو أمر معتاد سار عليه، ولزمه في حياته وصار سنة من بعده لأصحابه، وهذه السنة التي يغفل عنها كثير من الناس تجعل العالم الإسلامي بكل بقاعه في عيد، لأن كل شخص يذهب من طريق، ويعود من طريق، وكأن الرسول ﷺ يريد أن تحتفل الأرض كلها مع المؤمنين في تجاوب وانسجام بين المسلمين، وبين الكون المسبح، ثم إن مخالفة الطريق تعطي فرصة أكبر للقاء مزيد من المؤمنين يهنىء بعضهم بعضاً.

---

(١) برقم (٩٨٦).

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان[١] إلى:

حكم مخالفة الطريق في العبادات والعادات: ذهب أكثر أهل العلم إلى أنه يستحب الذهاب إلى صلاة العيد من طريق، والرجوع من طريق آخر، يستوي في ذلك الإمام والمأموم[٢]، وقال المرداوي: (يخرج لنا فعل ذلك على استحباب ذلك في الجمعة، وهو الصحيح من المذهب، وقيل: لا يستحب)[٣].

أما عن دخول مكة فقال النووي: (ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون كاليمني. فيستحب لليمني وغيره أن يستدير ويدخل مكة من الثنية العليا. وقال بعض أصحابنا إنما فعلها النبي ﷺ، لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمني. وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق، ويرجع من أخرى لهذا الحديث)[٤].

---

(١) حديث رقم (٧١٩)، (٧٢٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٧٢-٤٧٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ٣١٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٤٩، وانظر كذلك: مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢/٥٩، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٨٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٢٨٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٥/٣٣٢-٣٣٣ المطبوع المقنع والشرح الكبير.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٤/٩-٥ . وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٩١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك من قول جابر رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق"، حيث أخبر عن ذهاب النبي ﷺ إلى صلاة العيد من طريق وعودته من طريق غيره.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفاد منها في العديد من الأمور، والتي من جملتها بيان الحقائق والحكم والعظات. وقد أفاد الإخبار في هذا الحديث بيان هدي النبي ﷺ في الذهاب إلى صلاة العيد والعودة منها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في العيدين

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر جابر رضي الله عنه عن ذهاب النبي ﷺ من طريق وعودته من طريق.

وقد كان هدي النبي ﷺ في العيدين، يلبس أجمل ثيابه للخروج إليهما، فكان له حُلّة يلبسها للعيدين والجمعة، ومرة كان يلبس بُردين أخضرين، ومرة بُردًا أحمر، وليس هو أحمر مُصمتًا كما يظنه بعض الناس، وإنما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية.

وكان ﷺ يأكل قبل خروجه في عيد الفطر تمرات، ويأكلهن وترًا، وأما في عيد الأضحى، فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته، وكان يغتسل للعيدين، ويذهب إلى العيد ماشيًا، والعنزة تحمل في يديه، ثم يصلي بالناس، وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الأضحى.

وإذا انتهى إلى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة[١] ثم يخطب الناس ويوعظهم ويذكرهم، ثم يعود من طريق غير التي ذهب منها[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية: الحرص على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى بفعل الأسباب النافعة:

يظهر ذلك في قول جابر ﷺ: "كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق" قيل ليسلم على أهل الطريقين، وقيل: لينال بركته الفريقان، وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما، وقيل ليظهر شعائر الإسلام في سائر الفجاج والطرق وقيل: لتكثر شهادة البقاع، فإن الذاهب إلى المسجد والمصلى إحدى خطوتيه ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة حتى يرجع إلى منزله، وقيل ليزور أقرباءه الأحياء والأموات، وقيل ليصل رحمه وقيل وهو الأصح: إنه كان ذلك كله، ولغيره من الحكم التي لا يخلو فعله عنها[٣].

وكل ذلك يدل على حرص النبي ﷺ على ابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية وكل مسلم.

وإن الأصل في تشريع صلاة العيدين أن لكل أمة أعيادًا في السنة، يتجملون فيها ويخرجون فيها بزينتهم، وتلك عادة لا تخلو منها أمة من الأمم. وقد قَدِمَ النبي ﷺ إلى المدينة وكان لأهلها يومان يلعبون فيهما في الجاهلية ويمرحون فقال الرسول ﷺ: ((أَبْدَلَكُمُ اللَّهُ بِهِمَا خَيْرًا مِّنْهُمَا: يَوْمَ الفِطْرِ وَيَوْمَ الأَضْحَى))[٤].

وإنما أبدلهما الرسول ﷺ لأنه ما من عيد في الناس، إلا وسبب وجوده تنويه بشعائر دين أو شيء يضاهي ذلك، فخشي النبي ﷺ إن تركهم مع عاداتهم أن يكون هناك تنويه بشعائر الأسلاف الذين كانوا على ضلال، فأبدل بهما الرسول يومين، فيهما تنويه بشعائر الإسلام، وقرن مع هذا التنويه، التجمل والمرح البريء، وصنوفًا من العبادة والطاعة لئلا يكون اجتماع المسلمين في أعيادهم اجتماع لهو ولغو وعربدة، ولئلا يخلو اجتماع كهذا من الغاية الأساسية التي أرادها لهم، وهي إعلاء كلمة الله، وتوثيق

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، والبخاري الأحاديث ٩٤٨-٩٨٩، الأحاديث ٨٨٤-٨٩٣.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٤١-٤٤٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٤٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٥٤٨.

(٤) أخرجه النسائي ١٥٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٤٦٥).

الألفة بينهم.

عيد الفطر: فأحد هذه العيدين هو عيد الفطر، ويكون بعد الانتهاء من تمضية شهر في الصيام والعبادة، فيجتمع فيه الفرح الطبيعي من المؤمنين بانتهائهم مما يشق عليهم من الصيام، مع الابتهاج بما أدّوه من طاعة، وبما وفقهم الله على أدائه من فرائض تستهدف خيرهم.

كما أن عيد الفطر سبيل إلى تآخي المسلمين وتوادهم، فقرائهم وأغنيائهم، فقد أوجب الإسلام فيه صدقة الفطر على الموسرين، لتصرف على الفقراء قبل صلاة العيد.

عيد الأضحى: والعيد الثاني هو يوم النحر، أو بعبارة أخرى عيد الأضحى، وهو ذكرى اليوم الذي ابتلى الله فيه صفيّه ونبيه إبراهيم، وأمره بذبح ولده إسماعيل، فاستجاب لنداء ربه، واستجاب إسماعيل للتضحية بنفسه تنفيذًا لحكم ربه، ولكن ربهما بعد أن رأى مبلغ إخلاصهما فَدَى إسماعيل بذبح كبش. ففي هذا اليوم يتذكر المؤمنون عظمة الفداء والتضحية، ويكون لهم من هذه الذكرى المجيدة نبراس وضياء يسترشدون بهما كل عام لبذل المهج والأموال في سبيل إعلاء كلمة الله.

كما أن عيد الأضحى مصدر فرح وغبطة للمسلمين، لأنه يأتي عقب أداء فريضة الحج، فهو فرحة للمسلمين بانتهاء هذه الفريضة العظيمة التي توحد بين المسلمين، وتوثق عراهم في جميع أقطار العالم، لأن الحج هو المؤتمر العالمي لجميع المسلمين، يجتمعون فيه ليشهدوا منافع لهم ويتعارفوا ويخططوا ما فيه خيرهم، ويذكروا الله على ما رزقهم من نعمه التي لا تحصى.

هذه هي الذكرى التي يوحيها هذان العيدان، وما أروعها وأبلغها من ذكرى[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الذهاب من طريق والعودة من طريق آخر في الحج:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنه "إن رسول الله ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى".

قال النووي: (قيل فعل النبي ﷺ هذه المخالفة في طريقه داخلاً وخارجًا، تفاؤلاً بتغير الحال إلى أكمل منه، كما فعل في العيد، وليشهد له الطريقان، وليتبرك

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٩٣-١٩٥.

أهلهما، ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث، ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي، أو لا تكون وقال بعض أصحابنا: إنما فعلها النبي ﷺ لأنها كانت على طريقه، ولا يستحب لمن ليست على طريقه كاليمنى وهذا ضعيف والصواب الأول، وهكذا يستحب له أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من آخر لهذا الحديث[1].

وفضل الذهاب من طريق في الحج والعودة من آخر إنما هو لإظهار شعيرة الحج للناس، وإظهار عزة المسلمين وقوتهم للأعداء.

ولكن هل هذا الأمر كان النبي ﷺ يفعله على سبيل (التعبد) أم أنه كان صدفة غير مقصود، أو هو ما تيسر له؟

قال ابن عثيمين: (أما في الحج: فإن الرسول ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة، دخل مكة من أعلاها، وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عرفة، ذهب من طريق ورجع من آخر.

واختلف العلماء في هذه المسألة: هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؟ لأنه كان الأسهل لدخوله أن يدخل من الأعلى، ولخروجه أن يخرج من الأسفل.

فمن العلماء من قال بالأول، قال: إنه سنة أن تدخل من أعلاها - أي أعلى مكة - وتخرج من أسفلها، وسنه أن تأتي عرفة من طريق وترجع من طريق آخر.

ومنهم من قال: إن هذا حسب تيسر الطريق، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل، وعلى كل حال إن تيسر لك أن تدخل من أعلاها وتخرج من أسفلها فهذا طيب، فإن كان ذلك عبادة فقد أدركته، وإن لم يكن عبادة لم يكن عليك ضرر فيه، وإن لم يتيسر كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطريق قد وجهت توجيهًا واحدًا، ولا يمكن للإنسان أن يخالف، فالأمر - والحمد لله- واسع)[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٤٢/٢.

الحديث رقم (٧٢٠)

٧٢٠- وعن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِن الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

طريق الشجرة: موضع معروف على طريق من أراد الذهاب إلى مكة من المدينة وكان النبي ﷺ يخرج منه إلى ذي الحليفة، وهو يبعد ستة أميال من المدينة[2].

طريق المعرس: مكان معروف على طريق مكة المكرمة عند الحليفة[3].

الثنية العليا: الثنية: كل عقبة في جبل أو طريق عالٍ فيه، والثنية العليا في مكة المكرمة هي المعلى مقبرة أهل مكة وهي التي يقال لها الحجون[4].

الثنية السفلى: هي كل ما انحدر من المسجد الحرام، وهي في مكة المكرمة عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في معناه، وهو مخالفة الرسول ﷺ لطريقه المعتاد في يوم العيد، وقد وصف الراوي طريقه بأسلوب الطباق بين الأفعال (يدخل) و (يخرج) والفعل المضارع يستحضر الصورة التي تبعث البهجة في النفوس إشراقاً بنعمة الله على عباده في

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٣٣)، ومسلم (١٢٥٧/٢٢٣) واللفظ له.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٣.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١١/٣، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٠٤.

يوم فرحتهم، وأيضا الطباق بين العليا، والسفلى الذي يؤكد معنى المخالفة بين طريق الذهاب، وطريق الرجوع التي تنشر السرور، وتعمم مظاهر البهجة، وتقررها.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٠) مع المضامين الدعوية للحديث (٧١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إشاعة البهجة ونشر الخير من أهداف الإسلام، وكان ذلك في صدر الإسلام عن طريق: تعدد طرق السير، الأمر بمغايرة الطرق في الذهاب والعودة، في العيدين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية المهمة: التربية بالقدوة، والقدوة لها أثر كبير في إقناع المتربي، وفي بيان التطبيق العملي للفعل المأمور به، وفي حديثي الباب جاء ما يدلل على أسلوب القدوة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى»، ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتطبيق الفعلي للمخالفة في الطريق حتى يكون قدوة لغيره في فعل هذا الأمر.

"وتعد القدوة من أنجح أساليب التربية ومن أوقعها تأثيرًا، وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية ومع فطرة الإنسان، ومع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها، وللقدوة تأثيرها الإيجابي أو السلبي تبعًا في ذلك لاختلاف نوعية القدوة "حسنة كانت أم سيئة"، حيث لا يقتصر التقليد على حسنات السلوك بل قد يتعداها إلى غيرها، ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ في سلوك من يمثل القدوة، وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة باعتبارها أسلوبًا تربويًا مهمًا في تنشئة الأجيال تنشئة سليمة تحقق الخير لهم ولغيرهم"[(١)].

إن القدوة الحسنة هي الصورة الحية للفكرة والتطبيق العملي للدعوة والتوضيح الجلي للحجة: "إنه في كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٤، ١٧٥.

أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي"[١].

ثانيًا- التربية على تكثير مواطن العبادة:

إن من الأهداف التعبدية التي تهدف إليها التربية الإسلامية التربية على تكثير مواطن العبادة، وذلك لنيل الأجر والثواب الجزيل من الله تعالى، حيث إن هذه المواطن تشهد للعبد يوم القيامة، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك حيث قول جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما: «كان النبيُّ ﷺ إذا كان يومُ عيدٍ خالفَ الطريقَ»، وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ. وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى».

والمخالفة في الطريق يترتب عليها التكثير لمواضع العبادة التي هي أحوج ما يكون العبد إليها، وفي مخالفة الطريق عند أداء العبادات يقابل المسلم أكبر عدد ممكن من إخوانه يسلم عليهم ويصافحهم ويطمئن على أحوالهم.

"ويستحب لمن جاء إلى المصلي في صلاة العيد من طريق أن يرجع من أخرى، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا خرج إلى العيدين، رجع في غير الطريق الذي خرج فيه»[٢]. قيل كان يفعل ليعمهم السرور بمرآه والتبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعليم، وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام، ويستحب للمسلم في العيد أن يظهر البشاشة والفرح في وجه من يلقاه من المؤمنين"[٣].

وما من شك في أن مخالفة الطريق تقوي الروابط الاجتماعية. فالإسلام حبب في صلاة الجماعة، وأوجب صلاة الجمعة كل أسبوع، واجتماع أهل الحي في اليوم خمس

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص٣٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٣٨/٢، ٨٤٥٤، وقال الأرنؤوط حسن لغيره، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٦٦/١٤.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٩٩.

مرات مع اجتماعهم يوم الجمعة اجتماعًا أوسع مدى -يقوي الروابط الاجتماعية، ويشد أواصر الصلات بين الجماعة، ويشعر كل واحد بأنه أخ لكل من في المسجد، وأنه مساوٍ له، فتنمو روح المساواة الحقيقية لا فرق بين غني وفقير، ولا بين عظيم وحقير، فكلهم عباد الله اجتمعوا في بيته تظللهم ظلال المحبة والأخوة في الله، وبهذه الممارسة العملية تنتفي فوارق اللون، وفوارق الثراء، وفوارق الدم فيشعر الفرد شعورًا حقيقيًا بأنه للجماعة، وتشعر الجماعة بأنها الفرد"[1].

❁ ❁ ❁

(١) إسلامنا، سيد سابق، ص١١٨.

٩٩- باب استحباب تقديم اليمين

في كل ما هو من باب التكريم

كالوضوءِ وَالغُسلِ وَالتَّيَمُّمِ، وَلُبسِ الثَّوبِ وَالنَّعلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخولِ المَسجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكتِحَالِ، وَتقليم الأظفار، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبطِ، وَحلقِ الرَّأسِ، وَالسَّلامِ مِنَ الصَّلاةِ، وَالأكلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحةِ، وَاستِلامِ الحَجَرِ الأَسوَدِ، والخروجِ منَ الخلاءِ، والأخذ والعطاء وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ في معناه. ويُستَحَبُّ تَقديمُ اليسارِ في ضدِ ذَلِكَ، كالامتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عن اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروج من المَسجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوبِ، والاستِنجَاءِ وفِعلِ المُستَقذَرَاتِ وأشبَاه ذَلِكَ.

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة، الآيات: ١٩]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[الواقعة: ٨-٩].

الحديث رقم (٧٢١)

٧٢١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأنِهِ كُلِّهِ: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

التيمن: الابتداء باليمين[٢].

وترُّجله: ترجيل شعره وهو تسريحه ودهنه[٣].

وتنعله: لبس نعله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٦٧/٢٦٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٣٢٤.

(٣) المرجع السابق ١/٣٢٤.

(٤) المرجع السابق ١/٣٢٤.

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خصلة يحبها النبي ﷺ بأسلوب خبري يتسم بالهدوء والثقة خالٍ من المؤكدات غرضه إفادة معناه، وهو قولها (يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ) وهو البدء باليمين، وقولها: (في شأنه كله) يفيد عموم الحكم وقولها: (في طهوره) من ذكر الخاص بعد العام عناية به، والطهور: صيغة مبالغة من الطهر، ويراد به الوضوء، والغسل، وتقديم الطهور؛ لأنه مقدمة العبادات، وقولها (وترجله) وهو تسريح الشعر ودهنه و (في تنعله) أي لبس النعل، وحرصه على البدء باليمين لأَنَّهُ كَانَ يُحِبّ الْفَأْل الْحَسَن إِذْ أَصْحَاب الْيَمِين أَهْل الجنة.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الابتداء في الأفعال باليد اليمنى، والرجل اليمنى، والجانب الأيمن: لا خلاف بين أهل العلم على استحباب البداءة باليمين في كل ما هو من باب التكريم، والتزيين، والنظافة، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر. إلا من به علة تمنعه من ذلك، كأن قطعت يمناه، فلاحرج عليه[2].

قال القاضي أبو بكر بن العربي: (التيامن أمر مشروع في جميع الأعمال، لفضل اليمين على الشمال حسًا في القوة والاستعمال، وشرعًا في الندب إلى تقديمها وصيانتها)[3].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والشرح الكبير ١٠٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٠/١، والإقناع ٤٥/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤٣٣/٨.

فيبدأ باليمين من يديه ورجليه في الوضوء، والتيمم مثله، ويقدم الجانب الأيمن على الأيسر في الغسل، ويدخل كمه الأيمن قبل الأيسر في لبس الثوب، ورجله اليمنى قبل اليسرى في دخول المسجد، وكذا في النعل والخف والسراويل، ويبدأ بجانب فمه الأيمن قبل الأيسر في السواك، وبالعين اليمنى قبل اليسرى في الاكتحال، وكذلك يقدم اليد اليمنى في الأكل، والشرب، والمصافحة، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، والأخذ والعطاء، والجهة اليمنى في استلام الحجر الأسود، وقص الشارب، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغير ذلك مما هو في معناه.

ويقدم اليسار في ضد ذلك، كالامتخاط، والبصاق عن اليسار، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف، والنعل، والسراويل، والثوب، والاستنجاء وفعل المستقذرات وأشباه ذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه.

رابعًا: من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إعجاب النبي ﷺ بالتيمن في شأنه كله:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله".

قال ابن حجر: (قيل لأنه يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة)[2].

قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨﴾[3]، قال شبير العثماني:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٩٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٨.

(قوله: "في شأنه كله..." إلخ. "الشأن" الحال والخطب، وتأكيده بلفظ "كل" يدل على التعميم، وقد خص ذلك من دخول الخلاء، والخروج من المسجد)[١].

وقال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدها استحب فيها التياسر. قال: وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين في الوضوء سنة، من خالفها فاته الفضل،وتم وضوؤه)[٢]. ولإعجابه ﷺ بالتيمن كان يأمر به ويرغب فيه.

وعن ابن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: ((كنتُ غلامًا في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: يا غلامُ، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك))[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

يظهر أسلوب الإجمال والتفصيل في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في شأنه كله. وهذا هو الإجمال، والتفصيل في قولها في طهوره، وترجله، وتنعله. وأسلوب الإجمال والتفصيل من الأساليب التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهذا أسلوب بلاغي رفيع، ففي الإجمال لا إخلال، وفي البيان لا حشو ولا إسهاب.

فقد ذكر الله في سورة البقرة، أنه قد أخذ الميثاق على بني إسرائيل، دون أن يبين أو يفصل في ذلك. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[٤] فتتشوق النفوس، وتتطلع الأفئدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ

---

(١) موسوعة فتح الملهم ٢/٥٢٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٦٣.

وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[١])[٢].

ومن الشواهد على الإجمال والتفصيل ما ورد في قوله ﷺ: ((كلُّكم راعٍ ومَسْؤولٌ عن رعيَّتِه: فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رَعيَّتِه، والرجُلُ في أهلِهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، والمرأةُ في بيتِ زوجِها راعيةٌ وهيَ مسؤولةٌ عن رعيَّتِها، والخادمُ في مالِ سيِّدِهِ راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيتِه))[٣]. فأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو إلى سماع الدعوة.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في كل شؤونه:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث إن المسلم مأمور بإتيان ما أتى به رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر)[٥].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[٦] أي فتأسوا به في الأمر كله[٧].

رابعًا - من واجبات الداعية: الالتزام بما يدعو إليه:

يظهر ذلك في تطبيق النبي ﷺ التيمن عمليًا في شأنه كله.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٧) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

وهذا ما يجب أن يكون عليه الداعية، حتى يكون عمله مطابقًا لقوله، فلا يخفى أثر التزام الدعاة بما يقولون في نجاح الدعوة، أو في النجاة من المؤاخذة والحساب يوم الدين، ولقد مضت رسالات الله على التلازم التام بين الأقوال والأفعال وهو معلوم بارز، بل أساس وطيد من أسس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن الأمثلة على ذلك قول نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[1].

فالداعية الملتزم يمضي قُدُمًا في سبيل الدعوة، ويحقق بفضل الله ما لا يحققه المتهاون أو المتخاذل المتكاسل[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيدًا فائدة القدوة في الدعوة، ويعلم جيدًا مدى اهتمام أصحابه رضي الله عنهم بالاقتداء به والتأسي بهديه، لذلك نراه حين أراد التخفيف عنهم في أمر، ألزموا أنفسهم العزيمة فيه، يبدأ بنفسه فيتابعونه عليه مقتدين به ومتأسين بفعله، فمثلا: إفطاره علانية أمام الناس عند فتح مكة ويوم حنين: روى الإمام البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((خرجَ النبيُّ ﷺ في رمضانَ إلى حُنَين والناسُ مُختلِفونَ: فصائمٌ ومُفطرٌ. فلما استوى على راحلتِهِ دعا بإناء من لبن أو ماءٍ فوضَعَهُ على راحَتِه - أو على راحلتِه- ثمَّ نظرَ إلى الناس، فقال المفطرِونَ للصُّوَّمِ: أفطروا))[3].

وفي رواية أخرى للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سافَرَ رسولُ اللهِ ﷺ في رمضانَ، فصامَ حتى بلغَ عُسفانَ، ثمَّ دعا بإناءٍ من ماءٍ فشربَ نهارًا ليَراه الناسُ فأفطرَ حتى قَدِمَ مكة))[4].

إن رسول الله ﷺ كان قدوة لأصحابه في خصال الخير وأنواع الهدى، وهذه بعض

---

(١) سورة هود، آية: ٨٨.

(٢) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ١٠، ١١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٢٧٩.

سجايا الرسول ﷺ التي اتصف بها، والتي هي من أساسيات شخصية القدوة، التي يجب على المسلمين عامة، وعلى القدوات خاصة، التحلي بها تأسيًا برسول الله ﷺ[1].

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٣٢-٣٣٤.

الحديث رقم (٧٢٢)

٧٢٢- وعنها، قالت: كَانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أذىً. حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب سابقه نفسه بدأته أم المؤمنين عائشة بأسلوب خبري غرضه إفادة معناه؛ لأنه لم يكن معلوماً لدى المخاطبين، وهو من باب تعليم الأمة حسن الأدب في العادات، وقد كان الصحابة يرجعون إليها فيما أُشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)[2]، وهو من الأمور التي تدلل على مكانة المرأة في الإسلام، وتقديرها مادامت مطيعة لزوجها مخلصة لربها، وقد بنت أم المؤمنين العبارة على المقابلة بين المعاني، فإن الضد يتضح إذا ذكر مع ضده فقد قابلت بين اليمنى، واليسرى، وبين الطهور، وما كان من أذى؛ لأنه في معنى النجس، كما قابلت بين الطعام، وبين الخلاء الذي هو كالضد منه، والتعبير بالخلاء كناية عن موصوف وهو ما لا يستحسن ذكره، وكذا التعبير بالأذى وهو من أدب أم المؤمنين - رضي الله عنها وأرضاها - كما أن في العبارة إيجاز بالحذف في قولها (كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ) أي مختصة، وكذلك في قولها (وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلائِهِ) أي مختصة وسميت اليسرى؛ لأنها تيسر لليمنى عملها، فاليمنى هي الأصل.

وقد ورد في معنى هذا الحديث عن حَفْصَةَ رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ) الحديث: (٧٢٩).

---

(١) برقم (٣٣).

(٢) سنن الترمذي حديث: (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدامه ليده اليمنى ويده اليسرى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى.

ثالثًا: من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في استخدمه ليده اليمنى ويده اليسرى:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى. وقول أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك".

فكان ﷺ يقدم اليمنى فيما فيه تكريم، مثل الوضوء والغسل والتيمم والثياب وكذلك الطعام، فلا يجوز أن يأكل باليسرى[1] لنهي النبي عن ذلك وقال ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ))[2]، وكان ﷺ يقدم اليسرى فيما فيه مهانة، وأذى كما في الاستنجاء فقد نهى ﷺ أن يستنجي الرجل بيمينه[3]. لأن اليمين محل الإكرام، ويؤكل بها ويُشرب بها؛ فينبغي إبعادها عن القاذورات، وكذلك كل شيء مستقذر. فإنه يكون باليسرى، فاليسرى تكون للأذى، واليمنى لما سواها[4]، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٠٤٣/٢، ١٠٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٠٤٥/٢.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التأسي بالنبي ﷺ في استخدام اليد اليمنى واليد اليسرى:

يظهر هذا من عموم الحديثين[١]، حيث بينت عائشة وحفصة رضي الله عنهما استعمالات النبي ﷺ ليده اليمنى فيما هو مكرم ومحبوب من عبادات وطعام وغيره، واستعمالات يده اليسرى فيما هو مهان وضيع، وهذا من هدي النبي ﷺ الذي حرص عليه وأمر به، فينبغي على المسلم التأسي برسول الله في ذلك، وتعليم الصغار على استعمال اليد اليمنى فيما أمر به رسول الله ﷺ، واستعملها فيه، وتقديم اليسرى في غيره مما به أذى.

ومما ورد في ذلك عن عمر بن أبي سلمة قال: ((كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا غُلاَمُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ))[٢].

قال القرطبي: (هذا الأمر على جهة الندب، لأنه من باب تشريف اليمين على الشمال لأنها أقوى في الغالب وأسبق للأعمال وأمكن في الأشغال، وهي مشتقة من اليمن، وقد شرف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، وعكسه في أصحاب الشمال. قال: وعلى الجملة فاليمين وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغة وشرعًا ودينًا، والشمال على نقيض ذلك، وإذا تقرر ذلك فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق والسيرة الحسنة عند الفضلاء، اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة والأحوال النظيفة، وقال أيضًا: كل هذه الأوامر من المحاسن المكملة، والمكارم المستحسنة، والأصل فيما كان من هذا الترغيب والندب)[٣].

قال ابن حجر: وقوله "فما زالت تلك طعمتي بعد" بكسر الطاء أي صفة أكلي، أي لزمت ذلك وصار عادة لي.

---

(١) حدرث رقم (٧٢٢)، (٧٢٥)..

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٩٥ - ٢٩٨.

قال وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه)[١].

والتأسي بالنبي ﷺ من أهم أعمال المسلم وأفضلها أجرًا، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، أي: إلى الصراط المستقيم قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك لا يمكن، بل هو محال[٣].

ثالثًا - من آداب الداعية: نقل أخبار النبي ﷺ وهديه للمدعوين:

ويظهر ذلك في نقل أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما لهدي النبي ﷺ في استعمالات يده اليمنى واليسرى وأخباره.

وهذا من الآداب التي يجب أن يحرص عليها الداعية، وذلك لأن النبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً، وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٤] وعلى ذلك فمجالات متابعة النبي ﷺ والتأسي به في كل صور الحياة، وأنماطها، وأشكالها الاجتماعية والثقافية والفكرية والسياسية والاقتصادية والفردية والجماعية... الخ[٥]؛ ونشر سنته ﷺ وتبليغها، من تمام محبته وتعظيمه، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ))[٦] وقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٧] وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمثَلِ الغَيثِ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣٣/٩، ٤٣٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب بن نواب الدين ص ٦٣.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٧) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[1].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية المشار إليها في الحديث. فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا، مع حفظه للعلم، فانتفع أولاً ونفع ثانيًا، فهو لاشك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعي لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس، ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه[2]. لذا فينبغي على الدعاة نقل أخباره وهديه ﷺ للمدعوين، حتى يلتزموا بها ويقتدوا برسولهم ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف محمد الحسن بحث ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨، ٨٩.

الحديث رقم (٧٢٣)

٧٢٣- وعن أم عطية رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لهن في غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ رضي الله عنها: ((ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم عطية الأنصارية: هي نُسيبة - ويقال: نسيبة بالفتح - بنت الحارث. ويقال: بنت كعب الأنصارية، معروفة باسمها وكنيتها.

أسلمت وبايعت النبي ﷺ وكانت من كبار نساء الصحابة، ومن كبار الصحابيات المجاهدات، فشهدت مع النبي ﷺ كثيرًا من الغزوات، وشهدت معه فتح خيبر، وكانت تتقن الأعمال الطبية، فكانت تمرض المرضى، وتعالج الجرحى، وتصنع الطعام. قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى[2] وكانت من فقهاء الصحابة، فكانت تغسل الموتى، وهي التي تولت غسل بنت النبي ﷺ زينب كما في الحديث الذي نحن بصدده فأتقنت ذلك، وحديثها أصل في غسل الميت. وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت.

وكان النبي ﷺ يبعث إليها بطعام من الصدقة، فتهدي منه إلى بيت النبوة. قالت: بعث إليّ رسول الله ﷺ بشاة من الصدقة فبعثتُ إلى عائشة منها بشيء. فلما جاء رسول الله ﷺ إلى عائشة قال: هل عندكم شيء؟ قالت: لا، إلا أن نسيبة بعثت إلينا من الشاة التي بعثتم بها إليها. قال: إنها قد بلغت محلها[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩/٤٢) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجه مسلم (١٤٢-١٨١٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٦)، ومسلم (١٧٤ - ١٠٧٦) واللفظ له.

نزلت العراق وسكنت البصرة حيث نشرت علمها وفقهها. قال الذهبي: عاشت إلى حدود سنة سبعين[1].

الشرح الأدبي

قصت خبر هذا الحديث - أُمُّ عَطِيَّةَ رضي الله عنها وقد صاغته في صورة خبرية مؤكدة بأن مع اسمية الجملة لتنفي أي شك فيما تذكر، أو لرغبتها في تعظيم الخبر في نفوس المخاطبين، أو لإحساسها بأهميته، وقولها (قال لهن) يقرر أنها لم تكن وحدها بل اشترك معها غيرها كما أن نون النسوة تقرر أن الذي قام بتغسيلها جماعة من النسوة، لأنه لا يجوز لرجل أن يغسل امرأة أجنبية، وقولها (في غسل ابنته) يشير إلى أنه، وإن كان في شدة الحزن، فلا ينسى أوامر الله، وقوله لهن: (إبدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها) على عادته في البدء بالميامن كما مرَّ في الحديث السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في غسل الميت.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: البدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت:

يظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها "ابدأن بميامنها، ومواضع الوضوء".

---

(١) الطبقات (٤٥٥/٨)، و الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٥٦/٧) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٢، والسير (٣١٨/٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٨١/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢١٥٢/٣).

وهذا هديه ﷺ في غسل الميت مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت، ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وكان هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال، والإحسان إلى الميت، وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها[1]. والبدء في غسل الميت بالميامن وأعضاء الوضوء من الأشياء التي يُرغب فيها رسول الله ﷺ لأنه كان يستعمل يده اليمنى في كل تعبد وعمل فيه تكريم، وتغسيل الميت نوع من العبادة لمن يقوم به وتكريم للميت، فينبغي البدء بغسل الأعضاء الشريفة، وهي الميامن وأعضاء الوضوء.

وقد شرَّف الله أصحاب الجنة إذ نسبهم إلى اليمين، قال تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[3].

قال السعدي: (قوله "وأما إن كان من أصحاب اليمين" وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم بعض التقصير في بعض الحقوق، التي لا تخل بإيمانهم وتوحيدهم، "فـ" يقال لأحدهم: "سلام لك من أصحاب اليمين" أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليه ويحيونه عند وصوله إليهم، ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين الذين سلموا من الموبقات[4].

فالبدء بميامن وأعضاء الوضوء في غسل الميت؛ لأن الموت أول منازل الآخرة إنما هو ترغيب في التيامن، ورغبة من المسلمين في أن يكون الميت من أصحاب اليمين عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٨.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٧.

ثانيًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في غسل الميت:

يظهر ذلك في أمر النبي ﷺ لمن يغسلن ابنته "ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها". والمدعو مأمور باتباع أمره ﷺ لأنه لا يأمر إلا بخير وأما الذي يخالف أمره وهديه فقد قال عنهم الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]. أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا "أن تصيبهم فتنة" أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة "أو يصيبهم عذاب أليم" أي: في الدنيا، بقتل أو حد، أو حبس، أو نحو ذلك[2].

وعلى المسلم أن يتبع هدي النبي ﷺ في كل أقواله وأفعاله وليحذر من مخالفة هديه ﷺ.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: النساء:

إن من أصناف المدعوين في هذا الحديث النساء. ويظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها، إن النبي قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها...".

وقد اهتم الإسلام بالنساء، واعتبرهن شقائق الرجال، وشملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" في كثير من آيات القرآن الكريم، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول أن أول من أسلم وصدق النبي ﷺ امرأة "أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها" وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة" وأول من استشهد "سمية رضي الله عنها" وإن أسماء ذات النطاقين كان لها دور في الهجرة، وإن المرأة هي أم الشهداء "الخنساء" وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير، واحترام عال في شريعة الإسلام سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، ومادام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، والمؤثرات على الأزواج والمحارم فالعناية بهن عناية بالدعوة[3].

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦/٩٠.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

الحديث رقم (٧٢٤)

٧٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأْ بِالشِّمَالِ. لِتَكُنْ اليُمْنَى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

انتعل: لبس النعل[2].

الشرح الأدبي

بُني الحديث على أسلوب الشرط الذي يرتب الحكم على إرادة الفعل في قوله: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ) والفاء واقعة في جواب الشرط، ووجْه الابْتِدَاء بِالشِّمَالِ عِنْد الْخَلْع أَنَّ اللُّبْس كَرَامَة لأَنَّهُ وِقَايَة لِلْبَدَنِ، فَلَمَّا كَانَتْ الْيُمْنَى أَكْرَم مِنْ الْيُسْرَى بُدِئَ بِهَا فِي اللُّبْس، وَأُخِّرَتْ فِي الْخَلْع لِتَكُونَ الْكَرَامَة لَهَا أَدْوَم وَحَظّهَا مِنْهَا أَكْثَر.

وبين انتعل، ونزع طباق يقرر المعنى، ويوضحه كما أن بين اليمين، والشمال، وكذا بين الفعل تنعل، وتنزع، طباق يقرر كيف يبدأ المؤمن، وكيف ينتهي في أمور هي من العادات حتى إذا ما وطَّنَ المؤمن نفسه عليها صارت كل حركة، وسكْنة عبادة لله تعالى - ومن هنا تتحقق البركة في العمر، وقد كان بعض الصالحين يقول إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، فالمؤمن يحتسب حياته لله في كل لحظة، وفي كل عمل مهما قلَّ؛ لأنه يعلم أنه محاسب على اللحظة بما فيها من عمل، ولذلك نجد الصحابة يرصدون حركة الرسول ﷺ بكل ما يحيط بها، ويرصدون لكل لحظة عملها الذي وقع فيها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٩٧/٦٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: المسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

من مهام الداعية التي تظهر من هذين الحديثين البيان والإيضاح، وذلك في قول رسول الله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال... إلخ الحديث" وقوله ﷺ "إذا لبستم وإذا توضأتم، فابدأوا بأيامنكم" حيث بيّن ووضح طريقة اللباس سواء كان ثيابًا أو نعلاً وغيره، وبين طريقة نزع الخف.

وقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[2] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[3].

قال د. محمد محمود حجازي في تفسير قوله تعالى "وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس..." (ما تشير إليه الآية: إن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والأحكام الدينية وعلاقتها بمصالح الأمة، وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء فيثابروا ويتعاونوا ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر، فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ- تبيين الدين وحقيقته لغير المسلمين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

ب- تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد وداء كامن ومستعمر جاثم فوالله أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن، فتعلموه وافهموه وادرسوه، تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة. وقد روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا)[1].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين دعوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في لبس النعل وخلعه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع" قال ابن حجر: (قال ابن العربي: البداءة باليمين مشروعة في جميع الأعمال الصالحة لفضل اليمين حسًا في القوة وشرعًا في الندب إلى تقديمها) وقال النووي: (يستحب البداءة باليمين في كل ما كان فيه التكريم أو الزينة، والبداءة باليسار في ضد ذلك كالدخول إلى الخلاء ونزع النعل والخف والخروج من المسجد والاستنجاء وغيره من جميع المستقذرات، وقال الحليمي: (وجه الابتداء بالشمال عند الخلع، أن اللبس كرامة لأنه وقاية للبدن، فلما كانت اليمنى أكرم من اليسرى، بدئ بها في اللبس، وأخرت في الخلع، لتكون الكرامة لها أدوم وحظها منها أكثر.

وقال ابن عبدالبر: من بدأ بالانتعال في اليسرى أساء لمخالفته السنة، ولكن لا يحرم عليه لبس نعله. وقال غيره: ينبغي أن ينزع النعل من اليسرى ثم يبدأ باليمنى ويمكن أن يكون مراد ابن عبدالبر ما إذا لبسهما معًا، فبدأ باليسرى فإنه لا يشرع له أن ينزعهما ثم يلبسهما على الترتيب المأمور به، إذ قد فات محله. ونقل عياض وغيره الإجماع على أن الأمر فيه للاستحباب)[2].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٥٩/٤/١ - ٦٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٤/١٠.

ثالثًا - من أصناف المدعوين: المسلمين:

يظهر ذلك في توجيه الأمر في الحديثين لعامة المسلمين وذلك بقوله ﷺ: "إذا انتعل أحدكم... أي: أحد المسلمين، وقوله "إذا لبستم وإذا توضأتم". والمسلمون من أصناف المدعوين الذين يجب الاهتمام بهم، فكثير من المسلمين اليوم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا يفهمون منه إلا بعض صوره وأشكاله.

وهكذا حال الكثير من المسلمين، وهناك البقية المتمسكة بدينها الحنيف وبمبادئه القيمة وأخلاقه السامية، بيد أنه يخشى عليها وهي محاطة بهذه الأجواء الداكنة، فتحتاج هي وغيرها احتياجًا ملحًا إلى الدعوة إلى الله تعالى، ليرجع الجميع إلى دينهم الحنيف، ويفهموا حقائقه ويعلموا أنه دين الحق، ولا دين سواه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1].

إن المسلمين في حاجة إلى من يبصرهم بأمور دينهم، كما هم في حاجة إلى من يبصرهم بأمر أعدائهم ومؤامراتهم، شرقيين كانوا أو غربيين، ومدى عداوتهم للإسلام والمسلمين[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "... فابدأوا بأيامنكم" حيث أمر رسول الله ﷺ بالبدء بالميامن في اللباس والوضوء، وذلك كان شأنه، فهو يحب أهل اليمين، لأن أهل اليمين من أهل الفضائل في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[4] وكان ﷺ يعجبه التيامن في شأنه كله: ((في طهوره،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي ابن الحبيب ص ٥٨ -٥٩.

(٣) سورة الحاقة، آية: ١٩.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

وَتَرَجُّلِهِ وتَنعُّلِهِ))[1] لذلك يأمر به في اللباس والوضوء وكل أمر فيه تكريم.

والأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في أمر المدعوين بما ينفعهم وما فيه خيرهم.

(١) أخرجه البخاري ١٦٨، ومسلم ٧٦، ٢٦٨.

الحديث رقم (٧٢٥)

٧٢٥- وعن حفصة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يجعل يَمينَهُ لطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ[1] لِمَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود والترمذي وغيره[2].

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه ولدت بمكة قبل مبعث الرسول ﷺ بخمسة أعوام، تزوجها خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام، فأسلما وهاجرت معه إلى المدينة، فمات عنها، فلمَّا تأيمَّت ذكرها عمر لأبي بكر، وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبوبكر رضي الله عنه كلمة، فغضب من ذلك عمر رضي الله عنه، ثم عرضها على عثمان رضي الله عنه، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فشكا إليه عثمان، فقال له النبي ﷺ ((يتزوج حفصة من هو خيرٌ من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة)) ثم خطبها النبي ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ، فلقي أبوبكر عمر بن الخطاب فقال له: لا تجد عليَّ في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة فلم أكن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تركها لتزوجتها[3].

وقد تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، وقالت فيها عائشة بنت الصديق - رضوان الله عليهما - هي التي كانت تُسَاميني من أزواج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ قد طلق حفصة ثم راجعها بعد ما قال له جبريل عليه السلام ((راجع حفصة، فإنها

---

(١) لفظ أبي داود: (شماله).

(٢) برقم (٣٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٧)، وقال الحاكم (١٠٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٤٦/١): حديث حسنٌ.

(٣) أخرجه ابن سعد وهذا لفظه في بعض طرقه وأصله في الصحيح عند البخاري رقم ٤٠٠٥، ٥١٢٢. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٦٥.

قوّامة صوّامةُ وإنها زوجتك في الجنة))[١].

وبهذه الشهادة الصادقة من أمين الوحي جبريل عليه السلام وعتْ حفصةُ مواعظ الله تعالى حق الوعي، وتأدبتْ بآداب كتابه الكريم حقّ التأدّب، فقد عكفت على المصحف تلاوةً وتدبُّرًا وتفهمًا وتأملاً، مما أثار انتباه أبيها الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عظيم اهتمامها بكتاب الله تبارك وتعالى، مما جعله يُوصي بالمصحف الشريف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابنته "حفصة" أم المؤمنين، وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عُهِدتْ الصحيفة التي كتب عليها القرآن كله إلى حفصة، وقد سأل عثمان رضي الله عنه حفصة رضي الله عنها أن تعطيه الصحيفة؛ وحلف ليردَّنها إليها، فأعطته إياها فعرض المصحف عليها، فردَّها إليها، وطابتْ نفسُهُ، وأمر الناس فكتبوا المصاحف.

وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث بلغت في الصحيحين ٦٠ حديثًا.

وقد استمرت في المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن توفيت بها سنة ٤١هـ وقيل ٤٥هـ. وصلى عليها مروان بن الحكم[٢].

المضامين الدعوية[٣] الشرح الأدبي[٤]

---

(١) أخرجه البزار في مسنده ١٤٠١، وابن أبي عاصم ٣٠٥٢، والطبراني ٣٠٦/٢٣ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث أنس، وفي إسناد الحديثين الحسن بن أبي جعفر، وهو ضعيف، وأخرجه ابن سعد ٨٤/٨، والطبراني ٩٣٤/١٨، والحاكم ١٦/٤ من حديث قيس بن زيد، وقيس هذا تابعي صغير لكنه مجهول وروي من أوجه مرسلة عند ابن سعد ٨٤/٨ و٨٥، وأخرجه أبو داود ٢٢٨٣، وابن ماجه ٢٠١٦ من حديث عمر، والنسائي ٣٥٦٠، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها"، وهو صحيح، وهذا تخريج محقق الاستيعاب، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٨٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٨٢/٨-٨٣)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٦٧/٧-٦٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٨٢-٨٨٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (١٦٦٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي (٥٢٧/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٦٩/٤)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥٢٧/١)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٦٤/٢-٢٦٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٢٩/١-١٣٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٢٥) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٢٢).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث (٧٢٥) مع الشرح الأدبي للحديث (٧٢٢).

الحديث رقم (٧٢٦)

٧٢٦-وعن أَبي هُريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَأوا بأيَامِنِكُمْ)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فابدأوا بأيامنكم: أي البداءة بالميامن أي اليمين عند لبس الثياب والوضوء[2].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما سبقه من ناحية الموضوع، وهو التيمن في كل شيء، وقد جاء في أسلوب خبري بأسلوب الشرط المؤذن بقوة الصلة بين جملتيه، والذي يربط وقوع الجواب بوقوع الفعل وقد استخدم (إذا) كأداة للشرط وهي تمحض الفعل الماضي للاستقبال والمعنى في قوله (لبستم - توضأتم) أي إذا أردتم اللباس وإذا أردتم الوضوء، وهي الأنسب لهذا المقام؛ لأنها توحي بتحقق حدوث الفعل؛ لأن الفعل من الأمور المعتادة ففعل الشرط (لبستم) و (توضأتم) أمور متكررة في حياة المؤمن، وتقديم اللباس ؛لأن فيه ستر العورة وحفظ البدن، ومن الملاحظ أن فعل الشرط تكرر، وجاء جوابه واحداً، وهو قوله (فابدأوا بأيامنكم) وذلك لأن اللبس، والتطهر من باب الإكرام، واليمين أولى، وخص اللباس، والوضوء بالذكر، وكرر أداة الشرط ليؤذن باستقلالهما، وأنهما يستوعبان جميع ما يدخل في الباب أما الوضوء، فلأنه فتح لأبواب الطاعات كلها فبذكره يستغنى عنها كلها، وأما اللباس، فلأنه من النعم التي امتن الله بها على عباده في آية (قد أنزلنا عليكم لباساً) إشعاراً بأن الستر باب عظيم في التقوى، ولذلك لما عصى آدم ربه عاقبه بإبداء السوءة، ونزع اللباس.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٤١)، والترمذي (١٧٦٦). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٩٠)، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/١٤٨): هذا حديث صحيحٌ غريبٌ.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا (٧٢٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٢٤).

الحديث رقم (٧٢٧)

٧٢٧- وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أتى مِنىً، فَأتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أتَى مَنْزِلَهُ بِمِنَىً ونحر، ثُمَّ قَالَ لِلحَلاَّقِ: ((خُذْ)) وأشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: لما رمَى الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَلاَّقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنه ، فَأعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ، فَقَالَ: ((احْلِقْ))، فَحَلَقَهُ فَأعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: ((اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

منى: بكسر الميم وفتح النون، مكان قريب من مكة ضمن الحرم، يقيم فيه الحجاج أيام التشريق، سمى بذلك لما يُمنى فيه من الدماء[٣].

الجمرة: هي في الأصل: الحصاة، ويسمى الموضع الذي ترمى فيه الحصيات السبع: جمرة[٤].

نسكه: جمع نسيكة: الذبيحة[٥].

شقه: جانبه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٠٥/٣٢٣).

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٥٥٠/٢، رقم ١٩٠٥) وقال: عن محمد بن سيرين، عن أنس، أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه، كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره، كذا في رواية ابن عون، عن محمد، ولم يزد، هكذا قال الحميدي، وهذه الرواية أخرجها البخاري برقم (١٧١)، ثمَّ ساق الحميدي هذا اللفظ الذي أورده المؤلف، وهو من أفراد مسلم.

(٢) برقم (١٣٠٥/٣٢٦) من حديث سفيان بن عيينة.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٤٣٠.

(٤) المرجع السابق ١٤٥.

(٥) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٢٥٦.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٠٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ق ق).

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث أنس ﷺ ويبدأ بأسلوب خبري يناسب مقام الإرشاد والتعليم، لأن المسترشد، والمتعلم يكون في يقظة لما استرشد عنه فلا يحتاج إلى أدوات تنبيه تصرفه إلى المتكلم، ومن ثمْ ناسب البدء بهذا الأسلوب، وقد أكّد الخبر تعظيماً له، فهو إخبار بمناسك الحج، ولها ما لها في القلوب، وقوله (أتى منى فأتى الجمرة) فاء الربط توحي بسرعة الانتقال بين المشعرين، وقوله: (فرماها) يشير إلى ترتب الرمي على الإتيان دون فاصل زمني بينهما، وفي رمي الجمرات ملمح بديع يشير إلى منتهى الإنقياد لحكم الله دون تحكيم العقول القاصرة عن فهم مراده، فقد كان العربي في فترة ليست بالبعيدة يعبد تلك الحجارة، ويخضع لها، فجاء الإسلام، وحرره من عبوديتها، وأخضعه لله، وجعله في منتهى الانقياد له، فجعل له حجراً يُقبَّل إرضاءً لله هو الحجر الأسود، وحجراً يرجم إرضاءً لله إشارة إلى الطاعة المطلقة وأنها لله وحده فلا يجب أن يخضع مخلوق لمخلوق إلا بأمر الخالق ووفق مراده فيهما.

وقول الرسول ﷺ للحلاق (خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ) أمر إرشاد وتوجيه وإشارة الرسول ﷺ تقوم مقام قوله في التوجيه إلى التيمن في الحلق وهو ما قررته الأحاديث السابقة بالقول الصريح، وأكده هذا الحديث بالإشارة، والتلميح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ يوم النحر:

ويظهر ذلك في قول أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أتى مِنى، فأتي الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس.

قال النووي: (هذا الحديث فيه فوائد كثيرة منها: بيان السنة في أعمال الحج يوم النحر بعد الدفع من مزدلفة، وهي أربعة: رمي جمرة العقبة، ثم نحر الهدي أو ذبحه، ثم الحلق أو التقصير، ثم دخوله إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ويسعى بعده إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، فإن كان سعى بعده كرهت إعادته)[١].

وقد ذكر الحديث أفعال النبي ﷺ يوم النحر، وفي ذلك تعليم المسلمين مناسك الحج، فعن جابر أنه قال: ((رَأَيْتُ النَّبِيَّ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»))[٢].

ومعناه: خذوا مناسككم وهكذا وقع في رواية غير مسلم، وتقديره، هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم، فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج، وهو نحو قوله ﷺ ((صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي))[٣][٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي طلحة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: "ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه، فأعطاه إياه...". قال ابن علان: قول أنس رضي الله عنه: "... وحلق، وناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري" واسمه زيد بن سهل زوج أم أنس بن مالك "وأعطاه إياه" لأنه كان له ﷺ مزيد خصوصية ومحبة به وبأهله ليست لغيرهم من الأنصار ولا لكثير من المهاجرين، ولذا خصه ﷺ بدفنه لبنته أم كلثوم وزوجها عثمان حاضر، ولذا خصه الصحابة بأنه الذي حفر القبر الشريف، وألحد فيه النبي ﷺ وبنى فيه اللبن "ثم" أي: بعد أن ناول أبا طلحة "ناوله" أي: الحلاق شعر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٤.

الجانب الأيسر فقال: "احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس" لكن في رواية لمسلم أن الشعر الذي قسمه بين الناس شعر رأسه الأيمن، وأن الذي أعطاه أبا طلحة شعر شق الرأس الأيسر)[١].

وكون أبي طلحة خصه الرسول بالجانب الأيمن كله، يدل على أن من الناس من يختص بخصيصة يخصه الله بها، وإن كان من الصحابة من هو أفضل منه، فأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وكثير من الصحابة أفضل من أبي طلحة، لكن فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي ﷺ وبثيابه وبعرقه، لكن غيره لا يتبرك بشعره، ولا بثيابه ولا بعرقه[٢]؛ فإعطاء النبي ﷺ أبا طلحة شعره يدل على فضل أبي طلحة رضي الله عنه.

قال أبو العباس القرطبي: (إن النبي ﷺ لم يخص أبا طلحة بأن يأخذ شعر جانبه الأيمن كاملاً له بل خصه بالتوزيع بمفرده) [٣].

وفضائل أبي طلحة رضي الله عنه كثيرة. فلقد شهد العقبة مع السبعين، وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان من الرماة المذكورين. وله من الولد: عبدالله، وأبو عمير: أمهما أم سليم بنت ملحان.

وعن أنس بن مالك قال: ((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيَ بِالْمَدِينَةِ مَالاً. وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَا. وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٤] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاء. وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ. أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ. فَضَعْهَا يَا

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٠٥-١٠٠٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٠/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٣، ٤٠٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

رَسُولَ اللّهِ حَيْثُ أراك الله. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: بَخٍ وذَلكَ مَالٌ رَابِحٌ. أو رايح. وقَدْ سَمِعْتُ ما قلت وإني أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ قال أبو طلحة أفعل يا رسول الله. قال: فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ))[1].

وعنه قال: ((كان أبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه ينظر إلى مواقع نبله، فيتطاول أبو طلحة بصدره يقي به رسول الله ﷺ، قال: ويقول: يا رسول الله، نحري دون نحرك))[2].

وروي أيضًا عنه عن النبي ﷺ قال: ((لَصَوْتُ أبي طَلْحَةَ فِي الجَيْش خيْرٌ مِنْ فِئَةٍ))[3].

وعنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: "من قتل قتيلاً فله سَلَبه" فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم.

وعنه أن أبا طلحة ما أفطر بعد رسول الله ﷺ إلا في مرض أو سفر، حتى لقي الله.

وعنه أن أبا طلحة سرد الصوم بعد رسول الله ﷺ أربعين عامًا.

وقيل: أن أبا طلحة غزا بحر الروم فتوفي في السفينة، والأشهر أنه مات بالمدينة سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة وصلى عليه عثمان.

قلت: وما روينا عن أنس أنه صام بعد رسول الله ﷺ أربعين سنة يخالف هذا. والله أعلم)[4].

ثالثًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في رمي الجمرة والنحر والحلق:

فقد بيّن أنس بن مالك رضي الله عنه سنة النبي في يوم النحر وهي: رمي جمرة العقبة، ونحر

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٦١، ٢٣١٨، ٢٧٥٢، ٢٧٥٨، ٢٧٦٩، ٤٥٥٤، ٥٦١١، ومسلم ٩٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٦/٣ رقم ١٣١٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١١١/٣ برقم ١٢٠٩٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٤) انظر: صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢١٥/١-٢١٦، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٧/٢ - ٣٤.

الهدي، والحلق أو التقصير والحلق أفضل، وكان من هديه في (الحج) الحلاقة، لكنه ﷺ لم يطلق هذا الهدي، بل أشار إلى عادة من عاداته وهي الأخذ بالجانب الأيمن أو الابتداء باليمين في أفعاله والتي منها الحلاقة؛ فإنه كان يحبُّ ﷺ التيمن في شأنه كله، وبعد ذلك أمر بتوزيع شعره على الناس، حرصًا منه على تشريكهم في التبرك به وفي ثوابه[1]، ثم دخول مكة فيطوف طواف الإفاضة.

والسنة في هذه الأعمال الأربعة أن تكون مرتبة كما ذكرنا لهذا الحديث الصحيح، فإن خالف ترتيبها فقدم مؤخرًا أو أخر مقدمًا، جاز للأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا: ((افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ))[2][3]؛ فينبغي أن يحرص المدعو على اتباع هدي النبي ﷺ يوم النحر.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٤٠٦، ٤٠٧.

(٢) أخرجه الباري ٨٣، ١٧٣٦، ومسلم ١٣٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

حرص الإسلام على تقديم اليمين على اليسار في كل فعل محمود يفعل، ويقدم اليسار على اليمين فيما سواه من أمور الخلاء، والحكمة في هذا مراعاة طبيعة النفس وطباع الآخرين، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على التيامن في كل ما هو من باب التكريم:

إن من الأهداف السلوكية التي ترمي التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على استحباب التيامن في كل ما هو من باب التكريم، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي والأحاديث التي جاءت تحته تومئ إلى هذا، ومن ذلك ما جاء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلِّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وقولها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه ...»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى ...»، وحديث حفصة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ...».

وهذه الأحاديث تبين حب النبي ﷺ للتيامن وتقديمها واستعمالها في كل ما هو فيه تكريم، قال الإمام النووي: "وهذه قاعدة مستمرة في الشرع وهي من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال وتقليم الأظفار وقص الشارب وترجيل الشعر وهو مشطه، ونتف الإبط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود، وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه، وأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه، وذلك كله بكرامة اليمين وشرفها والله أعلم"[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

وقال ابن مفلح: " ويكره لكل أحد أن ينتثر وينقي أنفه ووسخه ودرنه ويخلع نعله، ونحو ذلك بيمينه مع القدرة على ذلك بيساره مطلقًا، ويتناول الشيء من يد غيره باليمنى، وإذا أراد أن يناول إنسانًا توقيعًا أو كتابًا فليقصد يمينه"(١).

واليمين لها فضل وكرامة فأصحاب الجنة هم أصحاب اليمين، والمؤمن يقرأ كتابه بيمينه فالتيامن له كرامة وشرف، قال ابن الجوزي: "لما جعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليمنى لتناول الغذاء، لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى لأنه حط لرتبة ذي الرتبة ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضته الحكمة وافق الشيطان"(٢).

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجه إليه، ومما جاء في أحاديث الباب يوضح هذا الحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلِّهِ: في طهوره وترجله وتنعُّله»، وحديثها أيضًا: «كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى»، وحديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه ويجعل يساره لما سوى ذلك». ومن الممارسة العملية أيضًا حديث أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَىٰ مِنًى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا. ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: «خُذْ» وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ».

ففي جملة هذه الأحاديث تتضح الممارسة العملية من النبي ﷺ في استعماله اليمين وحبه للتيامن في كل ما هو من باب التكريم.

"وأسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب الممارسة العملية وتؤمن بأنه هو

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٤٣/٣.

(٢) كشف المشكل، الإمام ابن الجوزي، نقلًا عن كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص١٥٧.

الترجمة الحقيقية لآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد، وأن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا مارسوا ما تعلموا من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[١].

إن الممارسة العملية أمام النشء تعطيه قوة دافعة إلى التنفيذ الفعلي للتوجيهات التربوية، وتحفيزه إلى الالتزام والتطبيق.

"إن أسلوب الممارسة العملية يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا.

وأسلوب الممارسة العملية له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل"[٢].

ثالثًا: التوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر وهو يتمثل في توجيه المتربي إلى الفعل وطلب تنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في غسل ابنته زينب رضي الله عنها: «ابْدَأْنَ بمَيامِنِها ومَواضِعِ الوُضوءِ مِنها»، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا لبستم وإذا توضأ تم فابدؤوا بأيمانكم».

"وأسلوب التربية بالتوجيه المباشر يعتمد على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه، أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بأن يلقي الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1]. أو بصيغة النهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ...﴾[2]. وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي"[3].

خامساً- التربية على التنظيم:

إن حضّ النبي ﷺ على البدء باليمين في كل ما هو من باب التكريم، إن حضه على ذلك بالفعل والقول يمكن أن يستنبط منه أنه تربية على التنظيم والترتيب، فاليد اليمنى تستخدم في أشياء معينة واليد اليسرى تستخدم في أشياء أخرى، فكان في ذلك دلالة على حب التنظيم ولو في الأشياء الحياتية المعتادة، وأما في الأمور ذات الخطورة فكان التنظيم فيها أولى.

لذا ينبغي على المربين والمعلمين أن يغرسوا في نفوس المتعلمين والمخاطبين حب التنظيم في كل شؤون حياتهم لما في ذلك من أثر كبير في تحقيقهم النجاح المأمول في الدنيا والآخرة، وبدون تنظيم تهدر الأوقات الثمينة وبدون التنظيم تذهب الجهود القيمة هباءً، وبدون التنظيم تبعثر الجهود المجتمعة ولا تأتي بالنتائج المرجوة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٤.

٢- كتاب آداب الطعام

١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره

الحديث رقم (٧٢٨)

٧٢٨- وعن عُمَرَ بنِ أبي سَلمة رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينكَ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩٩).

الشرح الأدبي

لم يدع الإسلام كبيرة، ولا صغيرة في حياة الإنسان إلا وضع لها منهجاً معتدلاً يحكمها وما ترك رسول الله عملاً يقرب من الله إلا علّمنا إياه، والمؤمن إذا تتبع أوامر الله وسنن نبيه وجد نفسه يحيا في معية الله كل حركة بذكر، وكل ذكر بنية لله تعالى فيصير - دون عناء - في عبادة لله في كل أحواله.

وتوجيهات الرسول ﷺ في هذا الحديث من تلك النوعية التي تحوِّل العادة إلى عبادة، وقد بدأ بالأمر (سم الله) أي اذكر اسم الله، وهو أمر توجيه وإرشاد يحقق البركة في الزاد، ويردُّ الفضل إلى صاحبه، ويصير المؤمن به شاكراً لربه متبعاً لرسوله ﷺ، وقوله (وكل بيمينك) هو كسابقه توجيه، وإرشاد إلى ما يرضى ربه، ويعجب رسوله، ويؤجر باتباعه، والباء للاستعانة أي مستعيناً بيمينك، وقوله (وكل مما يليك) وهو أدب اجتماعي يراعي حال جميع الآكلين، وهو سلوك قد يبدو بسيطاً، ولكنه في الحقيقة ترسيخ لمبدء الإلتزام في جميع الحقوق، والواجبات، ويربي المؤمن على عدم التجاوز، وتخطي الحدود لاسيما إن كان المأمور صغير السن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث[١] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- التسمية في أوله: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب التسمية قبل الأكل، فيقول (بسم الله) وهو أقلها، فإن قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الطعام لعارض ما (عامداً أو ناسياً أو جاهلاً أو مكرهاً أو عاجزاً) ثم زال ذلك العارض، وتمكن أثناء أكله، يستحب أن يسمى ويقول: "بسم الله أوله وآخره".

بينما ذهب ابن حزم إلى أنها فرض على كل آكل عند ابتداء أكله[٢].

٢- الأكل باليمين: يسن الأكل باليمين، وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يكره الأكل أو الشرب بالشمال، إلا من ضرورة، أو عذر، كمرض، أو جراحة، فإن كان فلا كراهة[٣].

٣- الأكل مما يليه: اتفق الفقهاء على أنه من السنة أن يأكل الإنسان مما يليه في الطعام مباشرة، ولا تمتد يده إلى ما يلي الآخرين، ولا إلى وسط الطعام، لأن أكل المرء من موضع صاحبه سوء عشرة وترك مروءة، فقد يتقذره صاحبه، لا سيما في الأمراق وما شابهها، ويستثنى من ذلك، ما إذا اختلفت الأنواع، أو كان نحو

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، ورد المحتار ٣٠١/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٥/١٣، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

(٣) الاختيار ٣٤/٤، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥، والمحلى، ابن حزم ١٠٣/٦.

الفاكهة، والتمر، مما يتنقل به، فيأخذ من أي جانب شاء[١].

٤- الحمد في آخره: اتفق الفقهاء على أنه يسن للآكل أن يحمد الله عقب الفراغ من الطعام، فإن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها.

وقد وردت صيغ كثيرة للحمد والدعاء، بعد الفراغ من الطعام، ولا يتعين شيء منها، فبأيها ختم طعامه أصاب السنة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، ومغني المحتاج ٢٥٠/٣، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧. وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١٣/٧.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٨/٦.

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٢٩)

٧٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فإنْ نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى في أوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بسم اللهِ أوَّلَهُ وَآخِرَهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبيِّن، ويؤكد أهمية التسمية قبل تناول الطعام حتى أنه ﷺ أمر من نسيها قبل الطعام أن يتداركها في أثناء الطعام، وهو ما روته عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقد بدأته بأسلوب خبري مؤكد تعظيماً له، وقد صاغ الرسول ﷺ المعنى في ثوب الشرط الذي يجعل البسملة مقرونة بالأكل لا يجب أن تنفك عنه، ومعنى قوله (إذا أكل) أي إذا أراد أن يأكل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فليذكر) الفاء واقعة في جواب الشرط، وتنادي بالسرعة، وعدم تأخير ذكر الله، ثم إن الجملة الدعائية المعترضة (تعالى) بعد لفظ الجلالة فيها تنزيه، وتقديس يورث الهيبة ويرغِّبُ في الذكر، وقد استخدم (إذا) للدلالة على تحقق وقوع التسمية، واستخدم (إن) الشرطية للدلالة على الشك في تحقق الوقوع أي: وقوع النسيان، وهذا من حسن الظن بالمسلمين، وأنهم قلَّما ينسون التسمية، وفيه إشارة أنه لا ينبغي للمسلم أن ينسى ذلك، وبين قوله: (يذكر، ونسي، وبين أوله، وآخره) طباق يوضح مضمون الحديث بين ذكر الله أولاً، أو نسيانه، وتداركه آخراً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧) واللفظ له، والترمذي (١٨٥٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل.

ثالثاً: من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "فليذكر اسم الله تعالى" وقوله "فليقل بسم الله أوله وآخره" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من توجيه المدعو إلى الخير وحمله عليه، وقد جاء في القرآن الأمر بأمر الإنسان لمن له ولاية عليه فقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: آداب التسمية عند الأكل:

ذكر النبي ﷺ في الحديث أدب التسمية عند الأكل فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره" والمقصود عود البركة عليه، ومنع الشيطان من الطعام، فليتقيأ ما أكله قبلها لما أتى به بعدها[2] فإن التسمية من الآداب البارزة للطعام، وهي أول ما يبدأ به كما قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عباس "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" وقد أجمع العلماء على استحباب التسمية على الطعام في أوله[3] وذلك حفاظاً على بركة الطعام فإن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه[4].

وصيغة التسمية أن يقول: "بسم الله، ولو زاد الرحمن الرحيم كان حسناً؛ فإنه أكمل

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٣٢/٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

لأنها بركة الطعام، فيكفي القليل بها وبدونها لا يكفي"[١].

ثالثاً - من واجبات الداعية: تعليم المدعوين الآداب الإسلامية في الأكل:

إن الداعية تحمل مهمة التبليغ للدين، وتعليمه الناس بكل أسسه ودعائمه وإرشاداته، وذلك انطلاقاً للداعية من شعوره بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، من تبليغ الناس آداب الدين وتعاليمه[٢] حتى ولو كان في نظر الناس شيئاً هيناً كآداب الطعام والشراب، ولذا لم نجد النبي ﷺ يهمل شيئاً، وإنما أطلع الأمة على الآداب كبيرها وصغيرها، ومنها ما ورد في الحديث من أدب التسمية على الطعام "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى". وذلك من الآداب النبوية الكريمة التي ينبغي مراعاتها عند تناول الطعام لما فيها من تذكر نعمة الله تعالى، وطلب بركة الطعام وحفظه عن الشياطين، فيسمى الآكل في أول طعامه، ويأكل بيمينه وطلب الاستفادة من الطعام بالتقوّي على فعل الخير به، وعدم الانهماك في تناوله إلى درجة فقد الشعور، ومن فوائد هذا الحديث: أنه يستحب أن يجهر بالبسملة لينبه غيره، وليسمع الشيطان ذكر الله فيهرب، لكن أقل ذلك أن يُسمع نفسه حيث لا مانع، لأن العلماء قالوا: يستحب في الأذكار الواردة التلفظ بها بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع[٣]، وفي الحديث بيان أن عمل المؤمن كله حتى العادي كالطعام والشراب، بالله ولله[٤].

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل التسمية على الأكل:

إن من آثار وفضل التسمية على الطعام حصول البركة فيه، ولذا جاء في الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى التسمية على الطعام فقال "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى"، كما أنه كان من هديه ﷺ وسيرته في الطعام ذكر الله، فكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره[٥]. وذلك سبب لحلول البركة في الطعام، يقول

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، السفاريني، ١٠٢/٢.

(٢) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٥٤.

(٣) إذا الألباب في شرح منظومة الآداب ١٠٢/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٣٨.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٤٨/١.

الإمام ابن مفلح المقدسي: (والتسمية بركة الطعام يكفي القليل بها، وبدونها لا يكفي كما دلت عليه الأحاديث، ومنها ما روي عن أبي أيوب الأنصاري ((كنا عند النبي ﷺ يوماً، فقرب طعاماً، فلم أر طعاماً كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا، ولا أقل بركة في آخره، قلنا: كيف هذا يا رسول الله؟ قال: لأنا ذكرنا اسم الله عزَّ وجلَّ حين أكلنا، ثم قعد بعد ذلك من أكل ولم يسمِّ فأكل معه الشيطان))[1][2].

ويشهد لذلك أيضًا ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لاَ يُذْكَرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ))[3].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣٠٩، ٣١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٥/٤١٦، رقم ٢٣٥٢٢، وقال محققو المسند: حديث حسن أخرجه أحمد بسند ضعيف، ويشهد له حديث حذيفة عند مسلم "وإن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه" ٣٨/٥٠٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠١٧.

الحديث رقم (٧٣٠)

٧٣٠- وعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ (لأَصْحَابِهِ)[1]: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ؛ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الحديث السابق نفسه ويقرر أهمية التسمية عند كل عمل حتى عند الدخول، والخروج، وهي أمور إذا حافظ عليها المؤمن أصبح يتقلب في ذكر دائم لله، وفي معيته، ومن كان في معية الله لم يصحبه شيطان، وهذا ما يؤكده نص هذا الحديث الذي بني على الشرط المكون من أداة الشرط (إذا) الدالة على تحقق ما بعدها، والفعل الماضي (دخل) يفيد تحقق والوقوع، وقوله (فذكر الله) معطوف على (دخل) والفاء تلغي الزمن بين الدخول، والذكر، وقوله (عند دخوله) يؤكد هذا، ويحدد للذكر وقتاً مخصوصاً تتحقق به الغاية، ويفوت بتركه الغرض، وكذلك قوله (وعند طعامه) أي عند إرادة الطعام، وحكاية قول الشيطان في قوله: (قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ) تصوير للأثر المترتب على التسمية من خيبة أمل الشيطان، وحزنه على فوت الفرصة للتغلل في حياة المؤمن لإفسادها أو انتقاصها.

ولذلك جاءت الصورة المقابلة (وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ...) لتحكي الأثر المترتب على عدم التسمية، وهو استيلاء الشيطان، وأعوانه على طعام المؤمن، واحتلال بيته، وليس هناك أقبح من بيت سكانه من الشياطين.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٢) برقم (٢٠١٨/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعاً: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام:

بين النبي ﷺ في الحديث أنه من فضل ذكر الله عند دخول البيت وعند الطعام حلول البركة، وعدم مشاركة الشيطان للإنسان في المبيت والطعام، فقال ﷺ: "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء"، والهدف من ذلك قصر البركة في الطعام والمبيت، ومنع الشيطان منهما[1].

وذلك من أسباب الهناء بالطعام والشراب والمبيت وما شابه ذلك، قال ابن القيم: وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته، قال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِدَ الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حل[2].

ثانياً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام:

إنه مما ينبغي مراعاته على المدعو اتباعه هديه ﷺ عند دخول البيت وعند الطعام، استجابة لأقواله ﷺ ومنها ((إذَا أكَلَ أحَدُكُم فَلْيَذْكُرِ اسْمَ الله تعالى))[3] مبيناً العلة من ذلك في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء" وإن اتباع هديه ﷺ والتأسي به من الأمور الواجبة، فقد ألزم الله سبحانه وتعالى الناس على اختلاف مستوياتهم وأجناسهم

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٠٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٧٦٧، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٠٢).

أن يتخذوا من رسوله ﷺ القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] وأهمية القدوة الحسنة التي امتاز بها رسول الله ﷺ عامة ليست خاصة بالاقتداء به في العبادات، بل تشمل الاقتداء به في سائر الأمور إلا ما كان من خصائصه ﷺ[2].

واتباع هديه ﷺ في المطعم والمشرب ونحوهما لون من ألوان الدعوة فكما أن الدعوة بالكلمة، فإنها تكون أيضاً بالفعل الجميل، والتفاعل مع ما جاء في الإسلام من إرشادات[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله عند الدخول للمنزل وعند الطعام بحلول البركة فيهما وحرمان الشيطان منهما، والترهيب بعكس ذلك فقال "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء" وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، والثبات عليه، والتحذير من نقيض ذلك.

رابعاً - من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم:

إن من أبرز صفات الداعية إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم وما فيه صلاحهم وتحذيرهم مما يضرهم، وغايته في ذلك صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين، وإن اضطلاع الداعية بالإرشاد شرف ورفعة في المنزلة، إذ أنّه وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنِهم من العلماء العاملين، والهداة الراشدين، والعظماء المجاهدين، فإنهم

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي مدخلي ص ١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

إنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين، بتعليمهم عند الجهالة، وإيقاظهم من الغفلة، ووقفهم عند حدود الأدب، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في إرشاد الناس حتى في آداب طعامهم ودخولهم منازلهم كما في الحديث "إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء..."[1].

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢، ٧٣.

الحديث رقم (٧٣١)

٧٣١- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً ، لَمْ نَضَعْ أيدينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَاماً ، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كأنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : **((إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهذِهِ الجارية لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهذا الأعرَابيّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأخذْتُ بِيَدِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهِمَا[1]))** [2].

[3] ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

تُدْفَعُ: أي لشدة سرعتها[5].

---

(١) لفظ مسلم: (يدها) قال النووي في المنهاج (١): هكذا في معظم الأصول: (يدها) وفي بعضها: (يدهما) فهذا ظاهر، والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابيّ، ومعناه: أن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابيّ، وأما على رواية: (يدها) بالإفراد، فيعود الضمير على الجارية، وقد حكى القاضي أن الوجه التثنية، والظاهرُ أن رواية الإفراد أيضًا مستقيمة، فإنَّ إثبات: (يدها) لا ينفي يدَ الأعرابيّ، وإذا صحّت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه.

(٢) برقم (٢٠١٧/١٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٥).

(٣) قال الحميدي في جمعه (٢٩٣/١، رقم ٤٢٣): زاد عيسى بن يونس، ثمَّ ذكره، ورواية عيسى بن يونس أخرجها مسلم بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢)، والنووي أدرج اللفظين مع بعض مما يوهم القارئ أن جميعه حديث واحد، ولم ينتبه أحدٌ ممن اشتغل في هذا الكتاب على ذلك. ولم يذكر المنذري في ترغيبه اللفظ الأخير.

(٤) بعد حديث (٢٠١٧/١٠٢).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

يَسْتَحِلُّ: يتمكن من أكله، والمعنى أن الشيطان يتمكن من أكل الطعام إذا شرع فيه إنسان بغير ذكر الله[1].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر ما مرَّ في الحديث السابق من أن ترك التسمية عند دخول البيت يفتح بابه للشيطان، وكذا تركها عند الطعام يدعو إليه الشيطان، وهذه الواقعة التي يرويها الراوي تكشف عن حيلة من حيل الشيطان يستحل بها ما للإنسان، وهي إغراء الصغار، والغافلين بأخذه دون تسمية، وقد صوّرَ ذلك الصحابي بعدة أساليب منها: رصد الحركة في الصورة مع تتابعها السريع، وذلك عن طريق استخدام الفاء العاطفة دون غيرها من أدوات العطف لأنها تفيد سرعة الأحداث مع تتابعها في ترتيب السبب على المسبب (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا).

ومنها: التشبيه: الذي يجسِّد الحركة الخاصة في الأخذ (فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ) ووجه الشبه قوة الاندفاع وشدة الهجمة، واستخدام (كأن) أداةً للتشبيه يؤكد قوة الشبه، وقد أصاب الحقيقة لأنها كانت مدفوعة من قِبَل شيطان، وهذا التشبيه يؤكد على ضرورة التسمية، وقوله (فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهَا) كناية عن منعها حتى لا يستغلها الشيطان وقد كشف الرسول ﷺ سر هذا الاندفاع كما كشف عن سر منعه للجارية والأعرابي عن الطعام بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وقد أكَّد كلامه بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر لأنه ﷺ يرى ما لا يرون وقوله (يستحل) معناه يطلب حلَّه، ويشير هذا المعنى إلى أن الشيطان ممنوع بقوة الله عن ما يخص الإنسان، وأن التسمية هي المانع له، وأنه يبحث عن سبب يأخذ به.

وقول الرسول ﷺ (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) طبيعة هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

بالتكذيب يوحي بأهمية ما بعده وهو قوله: (إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا) لأن القبض على يد شيطان والإمساك به خبر غير معهود يحتاج إلى كثافة المؤكدات وهذه خصيصة للنبي ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ.

ثانياً: من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التعليم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ:

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في التأدب وحسن التعامل مع رسول الله ﷺ، وقد ورد في الحديث صورة من صور أدب الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ في قول حذيفة رضي الله عنه: "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" وذلك التوقير إنما هو امتثال لما افترضه الله تعالى من توقير للنبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[1] فقوله: وتعزروه وتوقروه، أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتجلّوه، وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم[2].

ويتفرع على توقيره ﷺ تعظيم أمره ووجوبه طاعته، وقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في ذلك، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1] ثم توضح آيات القرآن أن الإيمان ليس مجرد عقيدة باهتة، بل من مقتضى الإيمان الالتزام والاتباع، إنه الاتباع الكامل لمنهج الله تعالى، هذه هي الصورة الحقيقة لهذا الدين[2]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾[3].

ثانياً - من آداب المدعو: احترام وتقدير أهل الفضل والصلاح والعلم:

إنَّ من الآداب التي ينبغي التحلي بها احترام وتقدير أهل الصلاح والفضل، وفي تعامل الصحابة لرسول الله ﷺ مَثَلٌ أعلى في ذلك كما جاء في الحديث "كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده" قال النووي: (فيه بيان هذا الأدب، وهو أن يبدأ الكبير والفاضل في غسل اليد للطعام وفي الأكل)[4]. وفي ذلك تربية وتدريب على احترام أهل العلم والفضل، وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس[5].

ثالثاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

اشتمل الحديث على وسيلة التعليم من خلال تعليم النبي ﷺ آداب الأكل من تسمية وذكر الله تعالى وذلك بالطريقة القولية "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله تعالى عليه" وبالطريقة العملية بمنع الجارية والأعرابي من الأكل بغير ذكر الله تعالى "فأخذ رسول الله ﷺ بيدها" ثم تطبيقه ﷺ عملياً للذكر قبل الأكل "ثم ذكر اسم الله تعالى، وأكل" والتعليم من وسائل الدعوة المفيدة لما فيه من

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي ص ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧٩.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٣، ٢٨٤.

إيجاد نهضة فكرية وتعليمية، وهو سر نجاح الأمم ونقلها من الظلمات إلى النور[١]. ولقد كانت أول آيات القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢] فهذه الآيات تبرز حقيقة التعليم، وتبين أهمية التفقه، وتعطي الأولية للتعلم[٣].

رابعاً - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ "والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديها" وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المؤثرة، لما فيه من التأكيد والتعظيم وجمع الانتباه[٤]، وإيقاع الدعوة في قلب المدعو موقع القبول والتسليم. ولقد استخدم القرآن أسلوب القسم في تقرير كثير من القضايا والأحكام، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٥] وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٦].

خامساً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

إن لذكر الله تعالى عند الطعام فضلاً لا ينكر ومنه ما بينه النبي ﷺ في الحديث من منع الشيطان وحرمانه منه، وإحلال البركة فيه، فنهى ﷺ في الحديث عن الأكل بغير ذكر الله عملاً وقولاً "فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ "إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يُذكر اسم الله تعالى عليه" يقول ابن القيم: (والحكمة في التسمية حرمان الشيطان من مشاركة الآكل المسمى في طعامه)[٧].

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٣٦٣.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٦) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٧) الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وليس هناك من يرضى أن يشاركه الشيطان في طعامه ويمنعه من بركته، قال ابن عثيمين: (والتسمية على الأكل واجبة، إذا تركها الإنسان فإنه يأثم، ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فإذا لم تقل: بسم الله، فإن الشيطان يشاركك فيه)[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٥١.

الحديث رقم (٧٣٢)

٧٣٢- وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابيِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ جَالِساً، وَرَجُلٌ يَأكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ[1] حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: ((**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[2].

ترجمة الراوي:

أمية بن مخشي: هو أمية بن مخشي الخزاعي.

صحب النبي ﷺ، ثم سكن البصرة.

روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً في التسميةِ عند الأكل، رواه عنه: ابن أخيه، وقيل ابن ابنه المُثَنَّى بن عبدالرحمن[3].

غريب الألفاظ:

استقاء: أخرج ما في جوفه قيئاً[4].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل خبراً طريفاً وموقفاً يراه النبي ﷺ بما كشف له من الغيب يرى شيطاناً يأكل مع إنسان لم يسم الله تعالى وهو ما يبين سر الجمع بينهما، وهو عدم

---

(١) لفظهما: (فلم يسمِّ).

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٦٨ واللفظ له، والنسائي في الكبرى ٦٧٢٥، و١٠٤٤. وقال الحاكم ١٠٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٤).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٢/٧)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٩)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٨٤/١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٨٦/١)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٨٨/١-١٨٩.

(٤) انظر: ل في (ق ي أ).

ذكر الله تعالى مما يكشف عن أهميتها، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري يناسب أسلوب القص، والحكاية، والفعل المضارع في قوله (وَرَجُل يَأْكُل فَلَمْ يُسَمِّ الله) يصوِّر الحدث وقوله: (فلم يسم الله) تحدد موضع الخطأ وقوله: (حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة) أسلوب قصر بطريق النفي والاستثناء يؤكد انتهاء طعامه إلا لقمة سيكون عندها نقطة التحول، ويدرك بها ما فاته وقوله قال: (قال بسم الله أوله وآخره) الباء للاستعانة أي أستعين بالله، أو للابتداء أي: أبدأ بسم الله، وقوله (أوله وآخره) طباق يقرر المعني، ويحيط بذكر الله طعامه فيحفظه من الشياطين، ولا يترك للشيطان مدخلاً إلا أن يقيء ما أكل، وهو ما أضحك الرسول ﷺ على خيبة الشيطان من جهة، وعلى تذكر الرجل، وإدراكه ما فاته بذكر الله من جهة، وقوله (ما زال) يقرر استمرار الشيطان في الأكل مع هذا الغافل حتى ذكر الله، والفعل المضارع (يأكل) يستحضر الصورة، والظرف (معه) يؤكد المشاركة، وقوله (استقاء) فيها معنى طلب القيء، وكأن الشيطان لما سمع ذكر الرجل لله اشتعل ما أكل في بطنه ناراً فأراد الخلاص منه، وهذه القصة تؤكد قيمة البسملة وأثرها في حفظ الإنسان، وأثرها في طرد الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين، وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أهمية ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان أهمية ذكر الله عند الطعام جلباً للبركة فيه وحرماناً للشيطان من مشاركة الآكل فيه[1]. وكما جاء في الحديث تأثير التسمية في بركة الطعام أو حرمان الشيطان "كان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة واحدة فلما رفعها إلى فيه قال بسم الله أوله

---

(١) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

وآخره، فضحك النبي ﷺ ثم قال: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته، وقال الإمام أحمد: إذا جمع الطعام أربعاً، فقد كمل: إذا ذكر اسم الله في أوله، وحُمِد الله في آخره، وكثرت عليه الأيدي، وكان من حِلٍّ)[١].

ولما بدا لذكر الله على الطعام من أهمية بالغة، كان من الأهمية بمكان أنه ينبغي على الداعية أن يولي تعليم الناس الأدعية والأذكار اهتمامًا خاصاً لما فيها من إظهار العبودية لله تعالى، واستحضار ذكر الله تعالى واستصحابه، وصَبغ حياة الإنسان به، فحياة الإنسان كلها لله وبالله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

ثانياً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم:

إن من أبرز واجبات الداعية الواجب التحلي بها: بيان الحقائق للمدعوين حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] وإرشادهم إلى ما فيه صلاح المعاش والمعاد والفوز بسعادة الدارين[٤]. وقد جاء في الحديث ما يشير إلى ما ينبغي أن يكون عليه الداعي من بيان الحقائق وذلك في قوله ﷺ "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه".

وفي ذلك تبيين من الرسول ﷺ لحلول البركة في الطعام وحفظه من الشيطان إذا ذكر اسم الله عليه، وفقدان ذلك كله إذا لم يذكر اسم الله عليه، وفي ذلك إرشاد

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

وتحذير وتلك مهمة الدعاة والعلماء قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في التسمية وذكر الله على الطعام، حتى يُبارك في الطعام، ويُحرم الشيطان من المشاركة في الأكل، فقال ﷺ عن ذلك الرجل الذي تذكر وذكر اسم الله عند آخر لقمة، مما يرغّب في ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "ما زال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه" وأسلوب الترغيب من آكد أساليب الدعوة استخداماً وتأثيراً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2]، وبما فيه الصلاح في الأولى والآخرة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

وأسلوب الترغيب يولد عند المدعو الرغبة في نيل ما وُعد به، فلا يبقى من الجهد مبذولاً، ولا يدع للهمة ذبولاً، ولا يترك غير القصد مأمولاً، فرغبته لا تدع من مجهوده مقدوراً له إلا بذله، ولا تدع لهمته وعزيمته فتوراً ولا خموداً، وعزيمته في مزيد لا تترك في قلبه نصيباً لغير مقصوده[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٠٧.

الحديث رقم (٧٣٣)

٧٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأكُلُ طَعَاماً في سِتَّةٍ مِنْ أصْحَابِهِ، فَجَاءَ أعْرَابِيٌّ، فَأكَلَهُ بلُقْمَتَيْنِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أما إنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لكفاكم: لأغناكم واستغنيتم به عن غيره[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق أشار إلى أثر التسمية على الشيطان، وصوَّر ذلك بأسلوب القصة، وهذا الحديث يبيِّن أثر التسمية على بركة الطعام، والحديث يبدأ بأسلوب خبري يسرد الأحداث في تسلسل حيث استحضرت الصورة بالفعل المضارع (يأكل) والذي يوحي بالاستمرارية، وتنكير (طعاماً) للتقليل، وقولها (في ستة) تشير إلى أن البركة كانت

---

(١) بعد حديث (١٨٥٨، بدون رقم). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢١٤)، وقال الحاكم (١٠٨/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

تنبيه: هذا الحديث تقدم برقم (٧٣٤) أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١) بهذا اللفظ برقم (٧٣٨) وعزاه إلى أبي داود والترمذي، وقال: حديث حسنٌ صحيحٌ، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وزاد: (فإذا أكل أحدكم طعامه، فليذكر اسم الله عليه، فإن نسي في أوله، فليقل: بسم الله أوله وآخره) وقال المنذريُّ: وهذه الزيادة عند أبي داود، وابن ماجه مفردة.

فرّق النووي بين اللفظين عن عائشة، فأورده برقم (٧٣٤) وعزاه إلى أبي داود، والترمذي وهو كما قال. ثمَّ أورده عن عائشة رضي الله عنها برقم (٧٣٨) وعزاه إلى الترمذي وهو كما قال. والحديث جمعه بين اللفظين في حديث واحد ابن ماجه (٣٢٦٤)، وابن حبان في صحيحه (الإحسان ٥٢١٤)، ولم يورد أبي داود، والحاكم إلا بلفظ الأول، وفرقهما الترمذي في جامعه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ف ا).

حاصلة في الطعام بذكر الآكلين لله مع كثرتهم، وقولها (فجاء أعرابي فأكله بلقمتين) تتابع الفاءات في العبارة يوحي بالسرعة التي تؤكد النَّهم في الأكل ،ويؤكده قولها (فأكله بلقمتين)، وقول الرسول ﷺ (أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ) تركيب العبارة، وكثافة المؤكدات فيها تؤكد قوة أثر التسمية في بركة الطعام؛ لأنه صدَّرها بأما الاستفتاحية تلاها حرف التوكيد (إن) المتصلة بضمير الشأن المشعر بالتعظيم، وحرف الامتناع لامتناع (لو) الذي يمثل نقطة التقصير، وسبب محق البركة، وهو امتناع التسمية، ثم لام التوكيد المتصلة بالفعل الماضي الدال على تحقق الكفاية، والمتصل بميم الجمع الذي يؤكد أثر التسمية على الطعام مع كثرة العدد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

ثالثاً: من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديث، حيث أخبر النبي ﷺ أن التسمية على الطعام سبب للبركة فيه وبتركها تنزع البركة منه[1] فقال ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق وإرشادهم إليها.

ثانياً - من صفات النبي ﷺ: التواضع:

يبدو ذلك واضحاً جلياً في الحديث في قوله "كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين" وذلك من جم تواضعه ﷺ أنه كان لا يستنكف عن مجالس الأصحاب والأعراب، وتواضعه ﷺ يدل على علو منصبه

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٠٩.

ورفعة مرتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وأعدمهم كبراً، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، قال: ((بَلْ عَبْداً رَسُولاً))[١] فكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيث ما انتهى به المجلس جلس، إلى غير ذلك من الآثار التي تدل على انتهاء رسول الله ﷺ في كمال الأخلاق، واعتدال غايتها[٢].

وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من حسن الخلق وجميل التعامل، لذا فينبغي على الدعاة إلى الله تعالى وعلى كل محب لرسول الله ﷺ التحلي بأخلاقه ﷺ والتي من أبرزها خلق التواضع، والذي جعله الله من أكبر وأظهر سمات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٣].

ثالثاً - من مهام الداعية: توجيه المدعوين إلى ما يحقق لهم الراحة والكفاية:

إن من أبرز المهام التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية توجيه المدعوين إلى ما ينفعهم ويحقق لهم الكفاية والراحة، كما هو واضح في أحاديث آداب الطعام والشراب، حيث وجّه النبي ﷺ المؤمنين إلى ما يحافظ على بركة الطعام ويُمَكِّن من استمرائه ففي الحديث جاء قول رسول الله ﷺ "أما إنه لو سمى لكفاكم" أي بورك لكم في الطعام[٤] وذلك من أسباب الراحة والكفاية. قال ابن القيم: (وللتسمية في أول الطعام والشراب، وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع مضرته)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٣١، رقم ٧١٦٠، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٢/٧٧.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري ص ١٧٣، ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥٩٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٢.

رابعاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند الطعام:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية على بيان فضل ذكر الله عند الطعام وبيان أوجهه والتي منها حلول البركة في الطعام، وحرمان الشيطان من المشاركة فيه[١] وجاء في الحديث ما يدل على ذلك، وذلك في قوله ﷺ عن الأعرابي الذي أكل من غير أن يسم "أما إنه لو سمى لكفاكم" وذلك يدل على أن التسمية مطلوبة عند وضع اليد في الطعام أول الأكل[٢] رجاء حصول البركة فيه وحرمان الشيطان من الإصابة منه[٣]؛ إذ أن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه، لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، لأن البركة تنزع منه[٤].

---

(١) انظر: الأذكار، النووي ص ٤٢٧.

(٢) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢١.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٥٥/٢.

الحديث رقم (٧٣٤)

٧٣٤- وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: ((الْحَمْدُ للهِ حَمداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلاَ مُوَدَّعٍ، وَلاَ مُسْتَغْنَىً عَنْهُ رَبَّنَا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

غير مكفيٍّ: غير مردود عليه إنعامه[2].

مُودَّع: متروك[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تربط العادة بالعبادة، وهي نوع من الآداب التي تربط المؤمن بربه، وتجعله - دائماً - نزيل رحمته، ورفيق معيته.

وقول الراوي (إذا رفع مائدته) كناية عن انتهائه من طعامه، ولم يكن له ﷺ مائدة بالمعنى المعروف إلا إذا أريد بالمائدة الطعام نفسه أو بقاياه، وقول الرسول ﷺ (الحمد لله) اللام في الحمد للجنس أي جنس المحامد كلها لله والجملة فيها قصر بتعريف الطرفين يقصر الحمد - على الحقيقة - عليه وحده دون من سواه، ووصفه بأنه (كثيراً طيباً) لأن حمد الله نعمة تستحق الحمد وهكذا تتوالى سلسلة المحامد والتكثير من باب التسديد والمقاربة، ولن يؤدي عبد حقَّ الله في الحمد وقوله (غير مكفي) (يَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ كَفَأْت الإِنَاء، فَالْمَعْنَى: غَيْر مَرْدُود عَلَيْهِ إِنْعَامه.

---

(١) برقم (٥٤٥٨).

(٢) فتح الباري ٤٩٣/٩. وهناك أقوال أخرى في تفسيره انظرها في الفتح.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٤/٩.

وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُون مِنْ الْكِفَايَة أَيْ إِنَّ اللَّه غَيْر مَكْفِيّ رِزْق عِبَاده، لأَنَّهُ لا يَكْفِيهِمْ أَحَدٌ غَيْره. وَقَالَ اِبْن التِّين: أَيْ غَيْر مُحْتَاج إِلَى أَحَد، لَكِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْعِم عِبَاده وَيَكْفِيهِمْ، وَهَذَا قَوْل الْخَطَّابِيُّ. وَقَالَ الْقَزَّاز: مَعْنَاهُ أَنَا غَيْر مُكْتَفٍّ بِنَفْسِي عَنْ كِفَايَته[1].

وقوله (ربنا) أي يا ربنا وتخصيص الرب بالنداء لأنها تستلزم الرعاية والتربية والحفظ فناسب أن يختم بما فيه مدد النعمة من الطعام ومن الحمد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته:

جاء في الحديث هدي النبي ﷺ إذا رفع مائدته، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع مائدته، قال: "الحمد لله حمدًا كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولا مستغنى عنه ربنا" أي أحمد الله كثيراً طيباً منزهاً عن سائر ما ينقصه من رياء أو سمعة أو إخلال بإجلال[2] غير مكفيٍ، قال القزاز معناه: أنا غير مكتفٍ بنفسي عن كفايته.

وقال الداودي: معناه: لم أكتف من فضل الله ونعمه[3] ولا مستغنى عنه أي عن الطعام وفضل الله، لذا كان من السنة بدء الطعام بالتسمية وختامه بالحمد، قال ابن البناء: (وتحقيق الفقه أن التسمية على الأكل والحمد كلاهما مسنون)[4]. ومن آداب الأكل أيضاً أن يدعو الآكل لمن أكل عنده بدعاء رسول الله ﷺ ((اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث (٥٠٣٧).

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٤٩٣/٩، ٤٩٤.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣١٢/٣.

أَطْعَمَنِي. وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي))[١].

قال النووي: (وفي ذلك الدعاء للمحسن والخادم ولمن سيفعل خيراً، وفيه ما كان عليه الصلاة والسلام من الأخلاق المرضية والمحاسن المرضية)[٢].

وهناك آداب ليس عليها بخصوصها أدلة من الكتاب والسنة، ولكنها توافق روح الشريعة، والعرف العام الذي يعتبر به في مثل هذه المواطن، فمن ذلك: أن يأكل بلا تكلف، وأن لا ينظر إلى رفاقه بعين المراقبة، فإن ذلك يخجلهم، وأن لا يفعل ما يستقذره الناس في الغالب، كنفض اليد في الإناء والأكل والفم مملوء بالطعام، وكذا الكلام وفي فمه طعام، أو مجرد فتح فمه والتجشؤ، وغير ذلك من الآداب التي تناسب الذوق السليم[٣].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى عند الفراغ من الطعام والشراب:

لقد تفضل الله على عباده بعظيم الفضل على حمده بعد الفراغ من الطعام والشراب ومن ذلك الفضل رضا الله تعالى، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[٤].[٥].

وقد بين القرآن أن حمد الله وشكره على نعمه مُؤْذِن بالمزيد[٦]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٧] كما أن حمد الله على الطعام والشراب سبب لغفران الذنوب والآثام، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَكَلَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٥٥.

(٥) كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب ص ١٥٤، ١٥٥.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥٧٢/٢.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٧.

طَعاماً فقالَ الْحَمدُ لله الّذي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي ولاَ قُوَّةٍ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[١]. لهذه الأسباب وغيرها كان حرص النبي ﷺ تعليم أمته حمد الله بعد الطعام، كما هو ظاهر في الحديث "كان إذا رفع ما ئدته قال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنىً عنه ربنا".

ثالثاً - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن ما ينبغي على المسلم سواء كان داعية أو مدعواً التأسي برسول الله ﷺ في شؤونه وأحواله كلها إلا ما كان خاصاً به ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] والأسوة اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به ويعمل مثل عمله، وفي الآية جعل الله متعلق الائتساء ذات رسول الله ﷺ دون وصفٍ خاصٍ، ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله اجتناب نواهيه وامتثال أوامره[٣] والتأسي برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في آداب الطعام والشراب وغيرها مظهر من مظاهر المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ[٤] وفي الحديث جانب من الجوانب التي يتأسى فيها برسول الله ﷺ وهو حمد الله بعد الطعام والشراب "وكان إذا رفع مائدته قال: "الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفيٍّ ولامودَّع ولا مستغنى عنه ربنا".

وذلك يفيد أن الحمد الخالص من الرياء والتظاهر، وغير ذلك من الشرور، ليس إلا لله تعالى الذي يكفي غيره احتياجاته ولا يحتاج لأحد، المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، وما ذاك إلا ليستحضر الإنسان نعم الله عليه في كل ما يتصل به ليرعى حقوق الله تعالى، ويبتعد عما نهي عنه[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٥١).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/٢١/٣٠٢، ٣٠٣.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٤٠.

الحديث رقم (٧٣٥)

٧٣٥- وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أكَلَ طَعَامًا، فَقال: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الحمد وبيان فضله جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الخطاب فيه لخالي الذهن، وقد بني على أسلوب الشرط غير الجازم الذي يربط الفعل بالجزاء ترغيباً فيه، وهوأسلوب شائع في البيان النبوي، وفعل الشرط هو (أكل طعاماً) وما عطف عليه وجوابه جملة (غفر له ما تقدم من ذنبه).

والدعاء الذي ذكره الرسول ﷺ له خصوصية توفر له عناصر القبول، وتحقيق الغاية بمغفرة الذنوب مع آداء شكر النعمة، وطلب المزيد، وهذه العناصر أولها: الثناء على الله (الحمد لله) أي هو المخصوص بالحمد، وثانيها: النَّص على النعمة؛ لأنه أكمل في الثناء على المنعم من حيث أن القلب يكون أكثر إحساساً بها حال حضورها (الذي أطعمني هذا) وثالثها: الاعتراف للمنعم بنعمته (ورزقنيه) ورابعها: الاعتراف بالعجز، والمسكنة (مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ) ولذلك كان الجزاء مغفرة الذنوب لأنه استجمع أسباب القبول.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي ٣٤٥٨) واللفظ في هذا الحديث للترمذي، أما أبو داود فقد زاد: "غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر" زيادة في أبي داود. وقال الحاكم (١٩٣/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان آداب الطعام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام.

رابعاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً واضحاً، حيث رغب النبي ﷺ في حمد الله على الطعام بمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فجاء في الحديث الترغيب بمغفرة الذنوب بقول تلك الكلمات بعد الفراغ من الطعام التي لا تكلف الإنسان نفقة ولا تعييه نصباً.

وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية وأعظمها تأثيراً، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه، وقد تكرر أسلوب الترغيب كثيراً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبَلِ الداعي المسلم[1].

ثانياً - من مهام الداعية: بيان آداب الطعام:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما ينبغي على الإنسان فعله بعد الفراغ من الطعام ما يؤكد مهمة الداعية في توضيح آداب الطعام، حيث قال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد الله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" وفي توضيح الداعي للناس الأحكام والآداب، قيام بأمانة التبليغ، وهي أن يبين للناس ما وجب عليه تبليغه، وأن ذلك مما يجعل المحبة للداعية قوية، والثقة به عظيمة، وتأثيره في الناس بالغاً مداه[2].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) انظر: أخلاقية الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٢٤-٢٦.

وذلك مما يسهل على الداعية الارتفاع بهمم من يقوم بدعوتهم، وتنبيههم إلى المراتب العالية، وحثهم على التنافس على فعل الخير وخير العمل.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: فضل حمد الله تعالى بعد الطعام:

ذكر لنا النبي ﷺ جانباً من جوانب فضل حمد الله تعالى بعد الطعام، بأنه سبب للغفران فقال: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي رزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" فحمد الله بعد الطعام أداء شكر المنعم، وطلب زيادة النعمة لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] إذ الشكر من دواعي الزيادة واستمرار النعم، فمن شكر أعطى ومن كفر حُرم[2] وفي الحديث حث على ختم الطعام بالحمد لأن المدار على حسن الخاتمة، مع ما فيه من الإشارة إلى كمال الانقياد في الأكل والشرب وغيرهما، قدراً ووصفاً ووقتاً، احتياجاً واستغناءً بحسب ما قدره وقضاه[3].

رابعاً - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام:

إن مما يحسن ويجمل بالمسلم اتباع هدي النبي ﷺ بعد الطعام من حمد لله وشكره على ما أسبغ من نعم، كما جاء في الحديث ترغيب وبيان لأثر حمد الله بعد الطعام، فقال ﷺ: "من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من به" وإن اتباع رسول الله ﷺ أكبر دليل وأقوى شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ إذ أن موافقة المحب لمحبوبه دليل على صدق المحبة، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، وأكبر دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[4] وفي نفس الوقت دليل على محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٢/١٣/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٦٢/٢.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(فهذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة، فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة، وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما. فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الأصل في النعم أن تذكر بالله وتجلب الشكر للمنعم، ومن هذه النعم نعمة الطعام والشراب، وقد حرص الرسول ﷺ على تربية أصحابه على هذا الخلق في الأكل وإن كان من كسب اليد أو يد الآخر إلا أن تناوله يتطلب ذكر الله عن طريق البسملة، فإذا كان الفراغ من الأكل كان شكر الله على نعمة التناول مع نعمة الإسلام. ومثل ذلك الشرب، البدء بالبسملة والفراغ منه بالحمد شكراً للمنعم على نعمة الماء العذب الفرات الذي ساقه وسقانا منه برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا.

وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التسمية في أول الطعام والحمد في آخره:

إن من الآداب التي ينبغي غرسها في نفوس المتربين آداب الطعام، ومن أهم آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره، ومن أحاديث الباب التي تدلل على هذا المعنى حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك»، وحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ...»، وحديث جابر رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ ...».

وحديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا».

وجملة هذه الأحاديث تشير إلى أنه من آداب الطعام التسمية في أوله والحمد في آخره.

"لقد اهتم الإسلام بمراعاة الآداب الاجتماعية العامة، وتتضمن الآداب الاجتماعية أمور الحياة العادية التي تقوم عليها حياة الإنسان في المجتمع، ومن هذه الآداب أدب الطعام والشراب، ومن آدابه التي حرص الإسلام عليها، وعلى تعليمها للمنتسبين إليه تسمية الله والأكل باليمين والأكل من أمام الشخص كما يستحب التحدث على

الطعام، ومن آداب الشرب: استحباب التسمية في أول الشرب والحمد في آخر الشرب"[١].

"ومن الآداب الاجتماعية التي يجب أن يحرص المربي على غرسها وتعميقها أدب الطعام والشراب، وذلك لأن للطعام والشراب آدابًا على المربي أن يعلمها الولد ويرشده إليها، ويلاحظه في تطبيقها، ومن ذلك التسمية في أول الطعام والحمد في آخره"[٢].

ثانيًا- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية التي ينبغي على المربين أن يسلكوها في العملية التربوية التربية بالمواقف والأحداث حيث يستغل المربي الحدث أو الموقف في التعليم والتوجيه والتربية، ومن أحاديث الباب التي تبرز هذا الأسلوب حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا إذا حضرنا مع رسول الله طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعامًا، فجاءت جارية كأنها تُدفع،...، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشَّيْطانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسمُ اللَّهِ تعالى عَلَيْهِ، وإنَّهُ جاءَ بِهَذِهِ الجَارِيَةِ ...»، وكذلك حديث أمية بن مخشى الصحابي رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ فلَمْ يُسَمِّ الله حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إلاَّ لُقْمَةٌ، فلَمَّا رَفَعَهَا إلَى فِيهِ قال بِسْمِ الله أوَّلَهُ وآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ الله اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعامًا في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لَكَفاكُمْ».

فمن خلال هذه الأحاديث يتضح أن النبي ﷺ بين ووضح من خلال الموقف والحدث أهمية التسمية على الطعام.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية، فقد استخدم

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٦١.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٤٣٢/١.

الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها للمسلمين. وهكذا كان رسول الله ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة[1]".

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الحدث والموقف في حينه ليعطي توجيهاته وإرشاداته فيكون ذلك أكثر استقرارًا في العقل والقلب "إن من طرق التربية الفعّالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه، وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر، والمربي البارع لا يترك الأحداث -تلقائية كانت أم مخططة- تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب"[2].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يلمس المتربي التطبيق العملي للفعل المأمور به، ومما ورد في أحاديث الباب يدلل على ذلك حديث حذيفة رضي الله عنه، وجاء فيه «.... والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل»، وكذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه «أن النبيَّ ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: الحمدُ لله كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، غير مَكفِيّ ولا مُودَّع ولا مُستَغنىً عنه ربّنا».

والتربية بالممارسة العملية تقنع المتربي، وتحفزه إلى التطبيق والتنفيذ.

"إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والعمل والنظرية والتطبيق والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية، وتؤمن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٤٦.

أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك؛ لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه"[١].

رابعًا- التربية بالترغيب:

إن التربية بالترغيب من الأساليب التربوية المهمة حيث يطمع المتربي في الأجر والمثوبة فيدفعه ذلك إلى العمل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِه: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ.....». ففي هذا ترغيب في ذكر الله عند دخول البيت، وعند الطعام، لأن ذلك يطرد الشيطان، فلا يجتمع مع أهل البيت في مبيت ولا طعام، ومن الترغيب أيضًا حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فقَالَ: الحَمْدُ لله الّذي أَطْعَمَنِي هذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي وَلا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

"والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة مؤكدة خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل شيء ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويمكن أن نقول: إن الترغيب وعد بالثواب، والمكافأة على عمل حسن قولاً كان أو فعلاً، ويمتاز الترغيب في التربية الإسلامية أنه يعتمد على النصوص القرآنية والنبوية وعمل الصحابة رضي الله عنهم في إقناع المربي والأولاد في الأخذ به وبيان أن الترغيب مرتبط بالإيمان الصحيح والعقيدة السليمة"[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٦، ٨٧.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢١٨.

١٠١- باب لا يَعيبُ الطّعام واستحباب مَدحه

الحديث رقم (٧٣٦)

٧٣٦- عن أَبي هُريرة ﷺ ، قَالَ: مَا عَابَ رسولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إن اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قلب الرسول ﷺ أطهر القلوب وأرضاها بنعمة الله ولم يكن غذاء البطن غاية يسعى إليها يوماً وإنما كان الطعام وسيلة للتقوي على القيام بأوامر الله يقتصر منه على ما يؤدي الغرض دون النظر إلى مسماه، أو ماهيته، بل إنه كانت تمرُّ عليه الشهور ولا يُوقد في بيته نار، وأتت عليه أيام قضاها دون طعام، أفضل خلق الله يربط على بطنه حجراً من شدة الجوع.

وهذا الحديث يؤكد ذلك، وقد رواه أبو هريرة ﷺ ، وهو من أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله ﷺ ومعرفة بما يحب ويكره، وقد بدأه بأسلوب خبري تصدَّرته (ما) النافية الداخلة على الفعل الماضي الذي يفيد تحقق نفي الفعل، وتنكيره لـ (طعاماً) يفيد العموم أي: ما عاب قليلاً ولا كثيراً ولفظ (قط) يؤكد ذلك وينفي وَهْم المبالغة، وقوله: (إنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ) فيه طباق بين اشتهاه، وكرهه، وبين أكله، وتركه، وهذا الطباق يوضح كيفية تعامله مع ما يقدم إليه من غير إزدراء لنعمة الله، ولا تجريح لمن أعده.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٨٧/٢٠٦٤).

فقه الحديث

عدم ذم الطعام: ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب للآكل مدح الطعام، ويكره له ذمه، أو تعييبه، فالنبي ﷺ ما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه، وهكذا ينبغي أن يكون حال المسلم.

يقول النووي: من آداب الطعام المتأكدة ألا يعاب كقوله: مالح، حامض، قليل الملح، غليظ، رقيق، غير ناضج، ونحو ذلك[1].

قال ابن بطال: هذا من حسن الأداب، لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره، وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ:

لقد بلغ النبي ﷺ منزلة عالية في كمال الخلق وحسن الأدب، يتضح ذلك من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، قال النووي: "هذا من آداب الطعام المتأكدة وعيب الطعام كقوله: مالح قليل الملح، حامض رقيق غليظ، غير ناضج ونحو ذلك وأما حديث ترك أكل الضب فليس هو من عيب الطعام إنما هو إخبار بأن هذا الطعام الخاص لا أشتهيه"[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦/١٤/٧ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/٩ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٨/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٧/١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٦.

وقال ابن حجر: "ما عاب النبي ﷺ طعامًا، أي: مباحًا أما الحرام فكان يعيبه ويذمه وينهى عنه، وذهب بعضهم إلى أن العيب إن كان من جهة الخلقة كره، وإن كان من جهة الصنعة لم يكره، قال: لأن صنعة الله لا تعاب، وصنعة الآدميين تعاب، قلت: والذي يظهر التعميم فإن فيه كسر قلب الصانع، قال ابن بطال: هذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب"[١].

وكل ذلك إنما يدل على كمال خلق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان أحد أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه رضي الله عنهم ولا من أهل بيته إلا قال لَبَّيْك، وعن عطية العوفي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾). أي: على أدب القرآن[٣].

وقد جعل النبي ﷺ صاحب الخلق الحسن من خيار الناس، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا))[٤]، قال النووي: "وفيه الحث على حسن الخلق وبيان فضيلة صاحبه، وهو صفة أنبياء الله تعالى وأوليائه، قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل المعروف وكف الأذى وطلاقة الوجه. قال القاضي عياض: هو مخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم والإشفاق عليهم واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظ والغضب والمؤاخذة. قال: وحكى الطبري خلافًا للسلف في حسن الخلق هل هو غريزة أم مكتسب؟ قال القاضي: والصحيح أن منه ما هو غريزة ومنه ما يكتسب بالتخلق والاقتداء بغيره"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٨/٩ - ٤٥٩.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٢٢/١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣٥٥٩، ومسلم ٢٣٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٣٠.

وقال أبو الشيخ الأصبهاني: "وأما حسن خلقه ﷺ فلقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وقيل لزيد بن ثابت رضي الله عنه: أخبرنا عن أخلاق رسول الله ﷺ؟ فقال: عن أي أخلاقه أخبركم؟ كنت جاره فإذا أنزل عليه الوحي بعث إلي فأكتبه، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإن أخذنا بحديث في ذكر الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشراب أخذ معنان فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ. وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل بعض بيوته، فامتلأ البيت، ودخل جرير فقعد خارج البيت، فأبصره النبي ﷺ فأخذ ثوبه فلفه ورمى به إليه، وقال: اجلس على هذا، فأخذه جرير، ووضعه على وجهه وقبَّله"[1].

لقد بلغ النبي ﷺ مبلغًا كبيرًا في حسن الخلق، "وأحسن البشرية أخلاقًا على الإطلاق سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ ولحسن خلقه وكمال أدبه، فهو محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين، ومحمود عند أهل الأرض كلهم، وما فيه من صفات الكمال محمود عند كل عاقل، وهو أحمد الخلق لربه وهو محمود بما يملأ به الأرض من الهدى والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح، فتح الله به القلوب وكشف به الظلمة، أغاث الله به البلاد والعباد، وأحيا به الخليقة بعد الموت فمحمد ﷺ أعلم الخلق، وأعظمهم أمانة وأصدقهم حديثًا وأجودهم وأسخاهم وأصبرهم، وأعظمهم عفوًا ومغفرة ورحمة، وأعظم الخلق نفعًا للعباد في دينهم ودنياهم وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأقوم الخلق بما يأمر به، وأتركهم لما ينهى عنه، ولما كانت هذه صفاته وهذه أخلاقه، أمرنا الله عز وجل أن نقتدي به"[2].

ثانيًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ بلغ الغاية والكمال في حسن الأدب والخلق، ولذا كان من آداب المدعو التأسي بالنبي ﷺ، ويتضح هذا من سياق الحديث ومورده، وإذا كان هدي النبي ﷺ أنه لا يعيب طعامًا قط، فالواجب التأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك، لأنه

---

(١) أخلاق النبي ﷺ وآدابه ١٩ - ٢٢.

(٢) موسوعة فقه القلوب، د. محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٦٤١ - ٢٦٤٢.

الأسوة والقدوة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١].

قال ابن علان: "وفي الحديث استحباب عدم إعابة الطعام لأن إعابة الطعام تكون من الترفه والرعونة، وليس منها قوله ﷺ في الضب: (إني أعافه)، لأنه إخبار عن طبعه لا إعابة للطعام، وكان من هديه أنه ما عاب طعامًا قط في زمن من الأزمنة، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه من جهة الطبع تركه من غير ذم"[٢]، وقال ابن عثيمين: "والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله بتيسيره، وأن يشكره على ذلك، وألا يعيبه ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب"[٣].

وقد جعل الله تعالى اتباع النبي ﷺ والتأسي به دليل محبة الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على هدى النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الإسلامي، ويسير على منهج النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله فباتباعه يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبَّ إنما الشأن أن تُحبَّ، ثم قال تعالى: (ويغفر لكم ذنوبكم) أي باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته"[٥].

إن المسلم الذي يتأسى بالنبي ﷺ ويتبعه إنما يحقق السعادة لنفسه في الدنيا

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ١٠١١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٥٦/٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

والآخرة، "فالمسلم الذي رضي بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ولم يلتفت إلى غير هديه، ولم يعول في سلوكه على غير سنته، وحكّمه وحاكم إليه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فيسكن قلبه لذلك، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويرى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي ﷺ وبدينه أيما نعمة فيفرح بفضل ربه عليه ورحمته له بذلك، حيث جعله من أتباع خير المرسلين وحزبه المفلحين"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من الحديث: (ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط)، وهذا يدل على تواضع النبي ﷺ، وقد جاء في الحديث: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[٢]، ومن تواضعه ما جاء عن أنس ﷺ قال: (كانتِ الأمَةُ من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت)[٣]، والدعاة إلى الله من أحوج الناس إلى صفة التواضع "إن التواضع من خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، والتواضع يمكن الدعاة إلى الله من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس، مع الكبير والصغير، والغني والفقير، وكل أصناف المجتمع"[٤].

قال الشيخ علي محفوظ: "إن التواضع ومجانبة العجب بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، مقال بمجلة البيان، العدد: ٩١ ربيع الأول ١٤١٦هـ/ أغسطس ١٩٩٥م ص ١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل، قال بعض السلف: من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به، وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تُعلمَه أنه ليس لك عليه بدنياك فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تُعلمَه أن ليس له بدنياه عليك فضل"[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ١٠٤ - ١٠٥.

الحديث رقم (٧٣٧)

٧٣٧- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ أهْلَهُ الأُدْمَ، فقالوا: مَا عِنْدَنَا إلاَّ خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ، ويقول: ((نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأُدْم: ما يؤكل به الخبز بما يطيبه سواء كان مرقًا أم لا[2].

الخَلُّ: ما حمض من عصير العنب وغيره[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمعنى سابقه، وهو أن الرسول ﷺ لا يعيب طعاماً قط، إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه، وهو من كمال أخلاقه ﷺ، وقد بدأ الراوي بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه خطاب لخالي الذهن، وقوله (سأل أهله الأدم) طلب من زوجاته ما يؤتدم به، وقد جاءت إجابتهن له بأسلوب القصر الذي ينفي وجود أي أدم غير الخل، وقوله (فدعا به فجعل يأكل به) الفاء تدل على سرعة استجابته بطلبه، والفاء الثانية تدل على سرعة إقباله عليه فعلاً بالأكل، وفي هذا دلالة عملية على منتهى الرضى بما وجد من فضل الله، يدل على ذلك أسلوب المدح في قوله (نِعْمَ الأُدُم الْخَلّ) بالإضافة إلى التكرار الذي يدل على منتهى الرضي مع الشكر على النعمة؛ لأن الرضى بالنعمة، وقبولها من مظاهر شكر المنعم.

---

(١) برقم (٢٠٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٢).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٧/٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٠.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (خ ل ل).

فقه الحديث

استحباب الحديث على الأكل تأنيسًا للآكلين[١]، وقد بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب الكلام على الطعام[٢]، ثم قال: (قال الإمام أبو حامد الغزالي في "الإحياء": من آداب الطعام أن يتحدثوا في حال أكله بالمعروف، ويتحدثوا بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة تزكية النبي ﷺ لطعام الخل.

ثالثًا: من صفات النبي ﷺ: التواضع.

رابعًا: من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان بساطة العيش في بيوت النبي ﷺ:

لقد امتلك النبي ﷺ الدنيا فزهد فيها وقنع ورضي بالقليل، ورغب في بساطة العيش هو وأهل بيته، يتضح هذا مما جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل)، وهذا يدل على بساطة عيش النبي ﷺ وأهل بيته.

قال محمد الخضري: "ونبينا ﷺ أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد، وأحلت له

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٧/١٤، وانظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي ٢٤٤/٥، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية ١٠٧/٤، وأسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن ٢٢٧/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٧٦/٥-١٨٠ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٠/٣٥).

(٢) كما بوّب عليه: مدح الآكل الطعام الذي يأكل منه، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٢، الحديث ٥٨٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦٤.

الغنائم وفتحت عليه في حياته البلاد، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهمًا، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فأنت ترى رسول الله ﷺ حاز فضيلة المال بالزهد فيه، وإنفاقه على مستحقيه[١].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((لم يمتلىء جوفُ رسول الله ﷺ شِبَعًا قطّ، ولم يَبُثّ شكوىٰ إلىٰ أحدٍ، وكانت الفاقَةُ أحبَّ إليهِ من الغِنىٰ. وإنْ كان ليظلُّ جائعًا يلتوي طولَ ليلته من الجُوع؛ فلا يمنعه صيامُ يومه، ولو شاءَ سأل ربّه كنوزَ الأرض وثمارها ورغد عيشها. ولقد كنتُ أبكي له رحمةً مّا أرىٰ به، وأمسحُ بيدي علىٰ بطنهِ ممّا أرىٰ به من الجُوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلّغْتَ من الدُّنيا بما يقوتُكَ فيقول: يا عائشة ما لي وللدنيا؟ إخواني من أولي العَزم من الرُّسل صَبروا علىٰ ما هو أشدّ من هذا فمضَوا علىٰ حالهم، فَقَدِمُوا عَلىٰ ربّهم، فأكرم مآبهم وأجْزل ثوابهم؛ فأجدني أستحيي إن ترفّهتُ في معيشتي أن يُقصّر بي غَدًا دونهم، وما مِن شيءٍ هو أحبّ إليّ مِن اللّحوق بإخواني وأخلاّئي قالت: فما أقام بعدُ إلا شهرًا حتى توفي صلواتُ الله عليه وسلامه))[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعًا، مِنْ خُبْزِ بُرٍّ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ)[٣]، وعنها رضي الله عنها قالت: (إِنْ كُنَّا، آلَ مُحَمَّدٍ، لَنَمْكُثُ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ. إِنْ هُوَ إِلاَّ التَّمْرُ وَالْمَاءُ)[٤]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (مَا تَرَكَ رَسُولُ اللّهِ دِينَارًا، وَلاَ دِرْهَمًا، وَلاَ شَاةً، وَلاَ بَعِيرًا)[٥]، وقالت: (تُوفِّيَ النبيُّ ﷺ وما في بيتي شيء

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٢٧.

(٢) أخرجه السيوطي في مناهل الصفا ص ٨٣، وقال: الحديث بطوله لم أقف عليه، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره... فذكر بعضه بنحوٍ منه، انظر: تعليق محمد أنس مصطفى الخن على نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٤١٦، ومسلم ٢٩٧٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٥٨، ومسلم ٢٩٧٢.

(٥) أخرجه البخاري ٢٧٣٩، ومسلم ١٦٣٥.

يأكله ذو كبد، إلاّ شَطرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي)[١].

وما من شك أن كل هذه الأمثلة تبين مدى بساطة عيش النبي ﷺ، "لقد اختار ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، لا عجزًا عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت غنائمها، وعمَّ فيؤها، وأغنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع هذا كان يمضي الشهر، ولا توقد في بيوته نارٌ مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله. ولقد ضرب النبي ﷺ بذلك المثل الأعلى، وكان فيه القدوة الحسنة لكل من زهد في الدنيا من أتباعه من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم"[٢].

ومن هذا يتضح أن بساطة عيش النبي ﷺ إنما كانت عن زهد في الدنيا، رغم امتلاكه لها، "لقد كان رسول الله ﷺ تنصب بين يديه أموال الجزيرة العربية، وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المسلمين، فما وقف قلبه على شيء من هذا، بل كان يصرفه لفوره إلى وجوه البر، والمصالح العامة وربما ربط الحجر على بطنه، يثبت به قلق معدته الجائعة، فما كان جوعه عليه السلام من إقلال، بل عن غنى زهدت فيه نفسه"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تزكية النبي ﷺ لطعام الخل:

إن النبي ﷺ زكّى الخل، وجعله نعم الأدم، فقد جاء في الحديث: (نعم الأدم الخل) وما من طعام زكاه رسول الله ﷺ إلا وفيه خير وبركة ونفع للمسلمين.

قال د. الحسيني هاشم: "ومعنى الحديث: ائتدموا وكلوا بالخبز الخلّ وما في معناه مما تخف مؤونته، ولا تتنافسوا في الشهوات، وفيه مدحٌ للخل نفسه"[٤].

ولقد أثبت التقدم العلمي أن للخل فوائد عديدة، ومزايا كثيرة للإنسان، قال د.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥١، ومسلم ٢٩٧٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ١٩٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤١.

زغلول النجار: "إن الدراسات العلمية أثبتت أن الخل مضاد حيوي جيد يمنع تسوس الأسنان، ويطهر الجهاز الهضمي، ويقضي على ما به من جراثيم وطفيليات، وينشط عمليات الهضم في الجسم، ويعين على محاربة السمنة المفرطة، وفي علاج كل من أمراض الربو والحساسية، وحالات الإسهال الحاد لاحتوائه على عدد من المواد القابضة كما يعين في علاج آلام المفاصل، وتلطيف آثار لدغات النحل، ولدغات غيره من الحشرات والحيوانات البحرية.

ولقد وصف النبي ﷺ الخل بأنه (إدام) والإدام هو ما يؤتدم به، أي ما يتغذى به وما يطيب به الطعام ، والخل حامض من الأحماض الدهنية البسيطة المكونة للزيوت والدهون، التي هي من المكونات الأساسية للطعام لقيمتها الحرارية العالية، وإن كان الإفراط في تناول الدهون قد يكون ضارًا بالصحة، ومن هنا فإن تركيز حمض الخليك في الخل بنسب تتراوح بين ٤ و٥٪ يوحي بأنه غذاء مناسب لصحة الإنسان، ووصف رسول الله ﷺ الخل بأنه (إدام) وبأنه (نعم الإدام) يعتبر سبقًا علميًا مبهرًا؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، إدراك لقيمة الخل الغذائية"[(١)].

وقال د. صالح بن أحمد رضا: "يقول د. سيريل سكوت، وموريس هانس عن فوائد خل التفاح: "إنه يمنع الإسهال لاحتوائه على مادة قابضة، ويمنع تنخر الأسنان، وينشط عملية الهضم والاستقلاب في الجسم، ويقول: إن الخل ليس دواء لكل داء إلا إنه ينشط العمليات الحيوية في الجسم، ويمكن أن يفيد في الوقاية من السمنة، والتهابات الأنف والحنجرة والحساسية، ويقوم الخل بفعل مطهر للأمعاء، وبعض الناس ينصح باستعماله لغرغرة الفم والحلق، فيطهر جوف الفم من الجراثيم، والخل يفيد في علاج الإسهال إلى أن قال: إن الخل يفتح فصلاً رائعًا في الحياة"[(٢)].

ومن خلال هذا يتضح أن ما من شيء يحبه أو يمدحه رسول الله ﷺ إلا ويكون فيه خير كثير لمن تبعه بذلك.

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/٦٦ - ٦٧.

(٢) المرجع السابق ١/٣٠٥ - ٣٠٦.

ثالثًا - من صفات النبي ﷺ: التواضع:

إن النبي ﷺ بلغ الكمال في أخلاقه فهو فيها لا يباري ولا يجاري، ومن جملة أخلاقه الطيبة خلق التواضع، ويتضح هذا من سياق الحديث، ولقد كان ﷺ على أعلى درجات التواضع، فعن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ((ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما بَعثَ اللهُ نبيًّا إلاّ رَعَى الغَنَمَ. فقال أصحابهُ: وأنتَ؟ فقال: نعم، كنتُ أرعاها على قَراريطَ لأهلِ مكةَ))[2]، ولا شك "أن التواضع من أحب الخصال إلى الله، ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في التواضع، وبلغ من تواضعه أنه كان في بيته في مهنة أهله، يخدم نفسه ويخدمهم، وكان يجيب دعوة الحر والعبد، وكان يصافح أصحابه رضي الله عنهم وهم جلوس، وكان إذا مرّ على صبيان سلّم عليهم، وكان يكره أن يتمايز على أصحابه رضي الله عنهم بشيء، ولما كان كذلك رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة"[3].

قال ابن القيم: "ولقد كان ﷺ من تواضعه يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء، وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بسامًا، متواضعًا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب رحيمًا بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم"[4]، ولقد مدح الله نبيه ﷺ في القرآن، أنه كان متواضعًا لين الجانب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٦٢.

(٣) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٧.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١١٢/٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

رابعًا - من آداب المدعو: مدح الطعام ولو كان بسيطًا والاقتصاد في العيش:

يتضح هذا من الحديث: (نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل)، قال ابن عثيمين: "ولما جيء إليه ﷺ بالخل جعل يأتدم به، يعني: يغط فيه الخبز ويأكله ويقول: نعم الأدم الخل، وهذا ثناء على الطعام، لأن الخل وإن كان شرابًا يشرب، لكن الشراب يسمى طعامًا، قال تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1]، وإنما سمي طعامًا، لأن له طعمًا يطعم، وهذا من هدي النبي ﷺ أنه إذا أعجبه الطعام أثنى عليه"[2]، وأما الاقتصاد فلا يتحقق إلا بالقناعة والرضا، ومما يعين عليه: "أن يتحقق المرء بأن الرزق الذي قدر له لا بد وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، وأن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الحرص والطمع من الذل والمداهنة، وأن يتأمل في أحوال الأنبياء عليهم السلام ويطالع أحوالهم، ليتطلع لأن يكون على مشابهة الأبرار، فيهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير"[3].

قال الشيخ على محفوظ: "إن الاقتصاد في عرف الناس ادخار جزء من المال ينفع صاحبه عند الحاجة إليه، وهو وسط بين طرفين، كلاهما ذميم وقبيح عند الله والملائكة والناس أجمعين: إسراف وتبذير، وشح وتقتير، فالإسراف كالسرف مجاوزة الحد، وهو نتيجة الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير تفريق المال كما يفرق البذر كيفما كان من غير تعمد لمواقعه، فهو نتيجة الجهل بمواقع الحقوق، والإسراف والتبذير في نظر الدين معناهما واحد، لأن مآلهما واحد، وهو إنفاق المال في غير مواضعه.

ولذا قال الشافعي: "التبذير إنفاق المال في غير حقه، ولا تبذير في عمل الخير، أما الشح والتقتير فهو إمساك المال والضن به عن الواجبات التي لا بد منها، والبخل به على

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٠٥٧/٢.

(٣) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٦٣.

نفسه وعياله، وهو أيضًا ذميم قبيح، وتفريط مهين مشين، فتحصل من هذا البيان أن الاقتصاد الحسن الجميل، وقع وسطًا بين جارين، كلاهما قبيح وذميم عند الله والملائكة والناس أجمعين، وهما الإسراف والتقتير"[1].

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الطعام نعمة وهبة إليهة، والتأمل فيه يبعث على الشكر لا على الكفر، ومن عافت نفسه شيئاً منه ما كان له أن يزدريه، بل يعرض عنه، في غير إنكار ولا جحود، ندرك ذلك من هدي الرسول ﷺ، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الناجعة التربية بالقدوة حيث يكون المربي قدوة صالحة أمام المتربي فيما يأمر به، مما يزيد في إقناعه، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وكذلك أيضًا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأُدمُ، الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدمُ الْخَلُّ».

ففي هذين الحديثين يتضح كيف كان النبي ﷺ قدوة في عدم عيب الطعام ومدحه ليكون أسوة في ذلك لغيره من المسلمين.

"إن القدوة هي أفضل وسائل التربية على الإطلاق وأقربها إلى النجاح، فمن السهل تصميم منهج أو تأليف كتاب في التربية لكن هذا المنهج يظل حبرًا على ورق ما لم يتحول إلى حقيقة تتحرك في واقع الأرض، وإلى بَشَرٍ يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ هذا المنهج ومعانيه، ولذلك فعندما أراد الله تعالى لمنهجه أن يسود الأرض، ملأ به قلب إنسان وعقله كي يحوله إلى حقيقة في واقع الأرض، فكان أن بعث الله محمداً ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق هذا المنهج ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. هكذا أرسل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس في تطبيق منهج الله تعالى في واقع الأرض فكان ﷺ هاديًا مربيًا بسلوكه الشخصي وليس فقط بالكلام به قرآنًا أو حديثًا، وهكذا يرى الإسلام أن القدوة هي أعظم طرق التربية ويقيم منهجه التربوي على هذا الأساس"[١].

ثانيًا- التربية على شكر النعمة:

من الأهداف الخلقية للتربية الإسلامية الحث على شكر النعمة، وعدم البطر، ونعم الله عز وجل كثيرة لا تحصى، ومنها نعمة الطعام والشراب، فلا يليق بالمسلم أن يعيب طعامًا أو يذمه، وحديثا الباب يشيران إلى شكر النعمة على الطعام، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ». وفي حديث جابر رضي الله عنه: لما سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَهْلُهُ الأُدُمَ. فما وجد إلا خلاً فمدحه وقال: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

والنعمة تزيد بالشكر، وتُمْحَق بالبطر والكفر.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ».

وعن ابن أعبُد قال: «قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبُد هل تدري ما حق الطعام؟، قلت: وما حقه يا بن أبي طالب قال: تقول بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت؟ قال: قلت وما شكره؟ قال: تقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا ...»[٢].

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إِلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ». وقال الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء فاذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا ولهذا كانوا يسمون الشكر "الحافظ" لأنه يحفظ النعم الموجودة، "والجالب" لأنه يجلب النعم المفقودة"[٣].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/١ رقم ١٣١٣، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٤٣٥/٢.

(٣) انظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، الإمام ابن القيم الجوزية، ص١٢٢، ١٢٣، نقلًا عن موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٢٤١٥/٦.

ثالثًا- الحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية الحوار والمناقشة، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدُمَ. فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلاَّ خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ بِهِ وَيَقُولُ: «نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ. نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ».

ففي هذا الحديث كان الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وأهله حول الأدم، ولاشك أن أسلوب الحوار والمناقشة له أثره التربوي الفريد.

"وأسلوب الحوار والمناقشة من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار. ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٥، ٨٦.

١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

الحديث رقم (٧٣٨)

٧٣٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ)) رواه مسلم[1].

قال العلماء: معنى: "فَلْيُصَلِّ" فيدع، ومعنى "فَلْيَطْعَم": فليأكل.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث دعوة اجتماعية للتواصل بين المسلمين ومشاركة في الخير المباح تنزع الأحقاد وتقوي الروابط، لذلك وجَّه الرسول ﷺ إلى ضرورة إجابة الدعوة، وقد جاء المعنى في أسلوب خبري تصدَّره أسلوب الشرط الذي يعلق الإجابة على الدعوة وقد رتبها عليها بالفاء، وقوله (فإن كان صائما فليصل) شرط ثانٍ وضعه الرسول ﷺ لأمر محتمل وهذا من فطنته ﷺ أنه كان يفترض أموراً محتملة قد تقع مستقبلاً، ويضع لها حلولاً حتى إذا صادفت فرداً من أمته وجد حلها معها ثم إن الصائم الذي وجهت له الدعوة مأمور بأن يُصلِّ أي يدعو، أو ينشغل بالصلاة حتى يقوِّيه أما المفطر فليطعم تطييباً لنفس صاحبها ومشاركة ترضي الله تعالى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى:

حكم من دعي إلى طعام، وكان صائمًا تطوعًا: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن من دعي إلى طعام، فإن كان مفطرًا فإنه يستحب له الأكل، وفي قول عند بعض المالكية، يجب.

---

(١) برقم (١٤٣١/١٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٥).

وإن كان صائمًا تطوعًا، فذهب الشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب له الأكل، لأن في الأكل إجابة أخيه المسلم وإدخال السرور على قلبه، وجبر خاطر الداعي أفضل من إمساكه ولو آخر النهار، وذهب الحنفية والمالكية إلى أن الصائم يكتفي بالدعاء لصاحب الطعام[1]، ولا يفطر بل يمتنع ويقول: إني صائم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثالثًا: من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

١- **الشرط:** حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم) ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من اساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشدهم إلى معرفة الجواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3].

٢- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فليجب)، (فليصل)، (فليطعم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به، وضرورة الاستجابة والتنفيذ،

---

(١) المبسوط ٢٣١/١١، مجمع الأنهر، داماد أفندي ٢٠٢/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣١/١١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٠٤/١٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٠/٧، والفروع، ابن مفلح ٣٢٦/٩.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧.

ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله جلّ شأنه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

إن المسلم يشارك إخوانه، ويؤدي ما عليه من واجبات تجاههم، ومن ذلك إجابة الدعوة، حيث جاء في الحديث: (إذا دعي أحدكم فليجب)، ومما لا شك فيه أن إجابة الدعوة، من موضوعات الدعوة المهمة، قال النووي: "وفي الحديث الأمر بحضور الدعوة ولا خلاف في أنه مأمور به، والاختلاف في كونه، هل هو أمر إيجاب أو ندب؟ وأما الأعذار التي يسقط بها وجوب إجابة الدعوة أو ندبها، فمنها أن يكون في الطعام شبهة، أو يخص بها الأغنياء، أو يكون هناك من يتأذى بحضوره معه، أو لا تليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره، أو لطمع في جاهه، أو ليعاونه على باطل، وأن يكون هناك منكر من خمر أو لهو، فكل هذه أعذار في ترك الإجابة"[4].

"ومن معاني الدعوة: الدعوة إلى الطعام، وهي ما دعوت إليه من طعام وشراب، ومن آداب الداعي أن يعين من يدعوه، وأن لا يلح بالفطر على من كان صائمًا، وأن يخص بدعوته أهل الصلاح والتقوى، ومن آداب المدعو أن ينوي بإجابة الدعوة تكريم الداعي وأن لا يمتنع من الطعام إلا إذا كان صائمًا، وأن يدعو لصاحب الطعام بعد الفراغ، وأن لا يدخل بيت الداعي إلا بإذنه، وإجابة الدعوة في الأصل واجبة إن كانت إلى وليمة عرس، وأما ما عداها فقد اختلف في الإجابة إليها"[5].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٩٤.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٣٣٥.

إن إجابة الدعوة من حق المسلم على أخيه المسلم، وهي تدعم الترابط بين أفراد المجتمع، "وإجابة الدعوة تزيد الألفة والمحبة بين المسلمين، وتزيد في الوصال والتقارب، وتطهر القلوب من الغل والظنون السيئة، وتصفي النفوس من أكدارها، ولذا حثّ الشارع عليها، ورغّب فيها، وجعلها حقًا للمسلم على أخيه المسلم بأن يلبي دعوته، ويفرح معه في مناسبته، قريبًا كان أو جارًا أو صديقًا، فمشاركة المسلم لأخيه المسلم أفراحه تدخل السرور على قلبه، وتزيد في التآلف والتآخي، ويضاعف الله سبحانه الأجر والمثوبة، ومما ينبغي أن يُعلم في إجابة الدعوة، أن لا يمنعه من الإجابة كون الداعي بعيدًا عن منزله، أو أن يكون صائمًا فعليه الإجابة، ولو لم يأكل، ومن ناحية أخرى فإن إجابة الدعوة تقتضي من الداعي - الذي أجيبت دعوته - أن يقدر هذه الإجابة قدرها، ويرحب بالمدعوين، ويستقبلهم بالبشر والترحاب، ويشعرهم بفرحه وسروره، وغبطته بحضورهم، فعلى المسلم الصادق أن يبادر إلى القيام بهذا الحق، متى ما دعاه أخوه، إحياءً لسنة النبي ﷺ"[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: التواضع وتطييب نفوس إخوانه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن هذا من آداب المدعو المهمة إذ يجب أن يلين الإنسان جانبه للناس ولا يترفع عليهم، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ومما قال لقمان لابنه يوصيه، ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[3].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ إجابة دعوة الداعي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لو دُعيتُ إلى كُراعٍ[4] لأجَبتُ، ولو أُهْديَ إلي كراع

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) الكُراع: هو مستدق الساق من الرجل ومن حد الرسغ من اليد، وقيل هو ما دون الكعب من الدواب، وقال ابن فارس: كراع كل شيء طرفه. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٥٤.

لَقبلْتُ))[١]، قال ابن حجر: "وفي الحديث المبالغة في الإجابة مع حقارة الشيء، وفيه دليل على حسن خلقه ﷺ وتواضعه، وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإجابة من يدعو الرجل إلى منزله ولو علم أن الذي يدعوه إليه شيء قليل"[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يطيب نفوس أصحابه، حتى إنه كان يدع فضل طعامه مواساة لهم وتطييبًا لقلوبهم، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ، أَكَلَ مِنْهُ وَبَعَثَ بِفَضْلِهِ إِلَيَّ. وَإِنَّهُ بَعَثَ إِلَيَّ يَوْمًا بِفَضْلَةٍ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهَا. لأَنَّ فِيهَا ثُومًا. فَسَأَلْتُهُ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ قَالَ: ((لاَ. وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ))[٣].

قال النووي: "قال العلماء في هذا: إنه يستحب للآكل والشارب أن يفضل مما يأكل ويشرب فضلة، ليواسي بها من بعده، لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، وكذا إذا كان في الطعام قلة ولهم إليه حاجة، ويتأكد هذا في حق الضيف، لا سيما إن كانت عادة أهل الطعام أن يخرجوا كل ما عندهم، وتنتظر عيالهم الفضلة، كما يفعله كثير من الناس، ونقلوا أن السلف كانوا يستحبون إفضال هذه الفضلة المذكورة، وهذا الحديث أصل ذلك كله"[٤].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على التواصل والتلاحم بين المسلمين:

يتضح هذا من سياق الحديث، ففي إجابة الدعوة تحقيق لمعاني الأخوة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: "لا ينبغي أن يكون فقر الداعي، أو خفة شأنه، أو قلة الطعام مانعًا من إجابة الدعوة، فإن ذلك من الكبر، والدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد من التآلف"[٥]، وعن نافع قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/١٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٥٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٩.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٣٣٨.

الله ﷺ: ((أجيبوا هذه الدعوةَ إذا دُعيتم لها» قال: كان عبدُ الله يأتي الدعوة في العُرْس وغير العُرس وهو صائمٌ))[١]، قال ابن حجر: "قال المهلب: لا يبعث على الدعوة إلى الطعام إلا صدق المحبة، وسرور الداعي بأكل المدعو من طعامه، والتحبب إليه بالمؤاكلة، وتوكيد الذمام معه بها، فلذلك حض ﷺ على الإجابة ولو نزر[٢] المدعو إليه، وفيه الحض على المواصلة والتحاب والتآلف"[٣].

قال محمد عبدالعزيز الخولي: "الولائم تقام للنعم الحادثة من زواج أو رزق ولد، أو ختانة، أو نجاحة أو شفاء أو إدراك غاية، وتقام إكرامًا للإخوان والأصدقاء، وبرًا بهم، وقضية الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك والحب معنى نفسي، وشعور داخلي، تظهره الأعمال فإن أجبت أخاك إلى دعوته، وشاركته في مسرته، برهنت بعملك على حبك له، وأن ما حلّ به من النعم كأنما حلّ بك، وفي ذلك تأكيد العلاقات، وتوثيق الصلات. وإن رفضت الإجابة بلا عذر أحزنت نفسه، وأوغرت صدره، وعرضت الصلة للقطع أو الضعف، بل ربما سبب ذلك عداءً وخصامًا، فلتقوية الصلات، ومنع الحزازات أمرنا الرسول ﷺ بإجابة الدعوة"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٧٩، ومسلم ١٤٢٩.

(٢) نَزَرَ الشَّيءُ: أي: قَلَّ. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة نزر.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٤/٩.

(٤) الأدب النبوي ١٦٢ - ١٦٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

إجابة الدعوة جبر لخاطر الداعي، ومن دُعي فليجب، ومن كان صائماً فليُبق على صيامه ويدعو لمن دعاه ومن كان مفطراً أكل، وقد اشتمل هذا الباب على عدد من المضامين التربوية، من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الروابط الاجتماعية:

إن من الأمور التي تهدف التربية الإسلامية إلى تحقيقها وغرسها تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ومما يدعم هذه الروابط إجابة دعوة المسلم إلى الطعام، وحديث الباب الذي أورده النووي يدلل على هذا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». ففي هذا الحديث توجيه لإجابة الدعوة جبرًا لخاطر قلب الداعي وتحقيقًا لروح الأخوة، وغرسًا للترابط الاجتماعي.

"إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته"[1].

إن إجابة الدعوة تزيد المجتمع الإسلامي ترابطًا وتكاتفًا وتآزرًا، ولذا "فإن التعارف - لا التنافر- أساس العلائق بين البشر، وكل رابطة توطد هذا التعارف، وتزيح عن طريقه العوائق فهي رابطة يجب تدعيمها، والانتفاع بخصائصها، وليس الإسلام رابطة

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٤٠.

تجمع بين عدد قل أو كثر من الناس فحسب، ولكنه جملة الحقائق التي تقرر الأوضاع الصحيحة بين الناس وربهم ثم بين الناس أجمعين. ومن ثَمَّ فأصحاب الإسلام وحملة رسالته يجب أن يستشعروا جلال العقيدة التي شرح الله بها صدورهم، وجمع عليها أمرهم وأن يُولُوا التعارف عليها ما هو جدير به، من عناية وإعزاز.... إنه تعارف يجدد ما دَرَس من قرابة مشتركة بين الخلق.

وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم فكأنهم أغصان انبعثت من دوحة واحدة أو روح واحد حل في أجسام متعددة"[1].

ثانيًا- الثناء والشكر:

إن من الأهداف الأخلاقية للتربية الإسلامية غرس خلق الثناء والشكر لمن يصنع معروفًا، أو يسدى خيرًا لأخيه المسلم، وفي حديث الباب الذي أورده الإمام النووي يوجِّه الرسول ﷺ من حضر الطعام الذي دُعى إليه ولم يفطر أن يُصلِّ أي يدعوا لصاحب الدعوة مكافأة له على دعوته، وإشعاره بجميل صنيعه وحسن فعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ».

وما من شك أن هذا التوجيه النبوي يغرس في المسلم خلق الثناء والشكر "إن الشكر أحد أركان الخلق الفطري السامي، وإن من الواجب على الإنسان أن يشكر كل من أسدى إليه معروفًا، وقد رغب الإسلام في الشكر وأمر به كما رغب في حسن الثناء واصطناع المعروف. وشكر الإنسان للإنسان يكون بمكافأة المعروف بمثله، أو بشكر المعروف باللسان والثناء عليه، وفي هذا قال بعض الحكماء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر وهو واجب لسببين:

أولهما: أن في شكر الناس للناس شكرًا لله تعالى؛ فهو الذي أجرى المعروف على يد العبد.

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٦٥، ١٦٦.

وثانيهما: أن الناس ينتظرون المكافأة على ما قدموا من معروف فإن لم يجدوها حبسوا معروفهم على أنفسهم، ومن هنا تشيع الكراهية بين الناس والأثرة ويشيع الجحود، ومن ثَمَّ أمر الإسلام بأن يشكر الإنسان كلَّ من أسدى إليه معروفًا.

وفي هذا مسلك قويم وتهذيب رائع وتربية إنسانية صحيحة، فالإنسان الشاكر هو من أظهر حمده لمن قدم له خيرًا أو عملاً نافعًا، وأحسن إليه مهما كان نوع الإحسان"[1].

❁ ❁ ❁

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ص ٣٥، ٣٦.

١٠٣- باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

الحديث رقم (٧٣٩)

٧٣٩- عن أَبي مسعود البَدْريِّ رضي الله عنه، قَالَ: دعا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((إنَّ هَذَا اتَّبعَنَا، فَإنْ شِئْتَ أنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ)) قَالَ:[1] بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بآداب الدعوة ووجوب التلبية، وَتَوَقُّفِ حضور الطعام عليها ويحكي موقفاً حدث مع الرسول ﷺ وإذا كان الموقف مع الرسول ﷺ فأحداثه تشريعات تشرَّع، وسنن تتبع، وقد ورد المعنى في صورة خبرية باستثناء النداء في آخر الحديث، وقد بدأ بدعوة وجِّهت للرسول ﷺ وبتواضعه وحسن خلقه يلبي الدعوة وقوله: (خامس خمسة) يشير إلى أن العدد مقصود، وأن الداعي أعد ما يكفي لهذا العدد، وقوله (فتبعهم رجل) في الكلام إيجاز بالحذف ينشط العقل، ويعلي من طبقته في درج البلاغة، وتقدير المحذوف (فأجابه، وذهب معه) وجملة: (إن هذا قد تبعنا) هي لب الحديث وقلب المعنى الذي تدور القصة حوله، وتوكيد العبارة تنبيه إلى عدم تعديه ﷺ على حق الداعي في الزيادة على المدعوين، وقوله (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ) أسلوب شرط بغرض التخيير، وفيه إيجاز بحذف الجواب تقديره (فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ أذنت) والجملة المعطوفة عليها فيها إيجاز بحذف المفعول تقديره (وَإِنْ شِئْتَ الرجزع رَجَعَ) وهو من جميل بلاغته ﷺ لأن في الكلام دليلاً على المحذوف، وجملة

---

(١) عندهما زيادة: (لا)، وهي ليست عند الحميدي في جمعه (١/٤٩٣، رقم ٧٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (١٣٨/٢٠٣٦) واللفظ له.

الشرط وما عطف عليها نص على حق الداعي في القبول، أو الرد دون أن يفرض عليه شيء.

وقوله: (بل آذن له يا رسول الله) أسلوب نداء غرضه التكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه تضمَّن إجابة لطلبه، وناداه بالرسول، وأضافه لله، واستخدم (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منه إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وكلها علامات محبة امتلأت منها صدور القوم لرسول الله ﷺ ففاض منها ما فاض على ألسنتهم - رضي الله عنهم جميعاً -.

فقه الحديث

الإذن للتابع غير المدعو:

قال النووي: (في هذا الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء، ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة، بأن يؤذي الحاضرين أو يشيع عنهم ما يكرهونه، أو يكون جلوسه معهم مزريًا بهم لشهرته بالفسق ونحو ذلك، فإن خيف من حضوره شيء من هذا، لم يأذن له، وينبغي أن يتلطف في رده، ولو أعطاه شيئًا من الطعام إن كان يليق به، ليكون ردًّا جميلاً، كان حسنًا)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام.

ثانيًا: من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ ودعوته إلى الطعام:

حيث جاء في الحديث: (دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة)،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧٦/١٣/٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٠/٩، ففيه استنباطات فقهية من هذا الحديث.

وهـذا يـدل علـى مـدى حـرص الـصحابة رضي الله عنهم علـى الاسـتئناس برسـول الله ﷺ، ومحبتهم له، ودعوته إلى طعام يعدونه له خاصة، قال ابن حجر: "وفي الحديث مشروعية الضيافة، وتأكد استحبابها لمن غلبت حاجته لذلك، وفيه أن من صنع طعامًا لغيره فهو بالخيار بين أن يرسله إليه أو يدعوه إلى منزله، وأن من دعا أحدًا استحب له أن يدعو معه من يرى من أخصائه وأهل مجالسته، وفيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يديمون النظر إلى وجهه ﷺ تبركًا به، وكان منهم من لا يطيل النظر في وجهه حياء منه"[1]، وقد تكرر هذا الموقف من أبي طلحة رضي الله عنه في دعوة النبي ﷺ إلى الطعام، ففي الصحيح قال أبو طلحة رضي الله عنه لأم سليم: (لقد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفًا أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندَكِ من شيء؟ قالت: نعم. فأخرجتْ أقراصًا مِن شعيرٍ، ثمَّ أخرجت خِمارًا لها فلفَّتِ الخُبزَ ببعضه، ثم دسَّتْهُ تحت ثوبي وردتني ببعضهِ ثم أرسلَتْني إلى رسول الله ﷺ)[2].

قال النووي: "وفي الحديث بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ"[3]، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستئناس برسول الله ﷺ نابع من كونه الأسوة والقدوة في جميع الأمور، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

ثانيًا - من آداب الداعية: احترام الناس والاستئذان من صاحب الدعوة:

حيث جاء في الحديث: (إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع)، قال النووي: "وفي الحديث أن المدعو إذا تبعه رجل بغير استدعاء ينبغي له أن لا يأذن له وينهاه، وإذا بلغ باب دار صاحب الطعام أعلمه به ليأذن له أو يمنعه، وأن صاحب الطعام يستحب له أن يأذن له إن لم يترتب على حضوره مفسدة"[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧١/٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٢، ومسلم ٢٠٤٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٤٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٧.

وقال ابن عثيمين: "وفي الحديث دليل على أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يدع، فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحب أن يطلع عليه أحد، فحينئذ لا بد أن يستأذن، ولا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعو؛ لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ فلما استأذنه دلّ على أنه بالخيار"[١]، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان على درجة عالية من الأخلاق العظيمة والآداب الجليلة، فهو يحترم الناس ويقدرهم، كيف وقد قال الله تعالى في خلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الكرم والسماحة:

إن المسلم كريم النفس، جوادًا غير ممسك، ومما يدل على هذا ما جاء في الحديث: (بل آذن يا رسول الله)، قال ابن حجر: "وينبغي لمن استؤذن في مثل ذلك أن يأذن للطارئ، أو لعله أذن رجاء أن يعم الزائد بركة النبي ﷺ، وفي الحديث أنه لا ينبغي للداعي أن يظهر الإجابة وفي نفسه الكراهة لئلا يطعم ما تكرهه نفسه، ولئلا يجمع الرياء والبخل وصفة ذي الوجهين"[٣].

والواجب على المدعو أن يكون كريم النفس، سمح الخلق، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[٤]، قال الكفوي: "الكرم يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه، والجود: صفة ذاتية للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال"[٥].

قال الغزالي: "وتقديم الطعام إلى الإخوان فيه فضل كثير"، وقال الحسن: "كل

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٠٥٩/٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٧٣/٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها ألبتة، إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك"، وقال علي رضي الله عنه: "لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتق رقبة"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: "من كرم المرء طيب زاده في سفره، وبذله لأصحابه، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، وقيل: اجتماع الأخوان على الكفاية، مع الأنس والألفة، ليس هو من الدنيا"[1].

وقال ابن مفلح: "ويستحب لصاحب الطعام أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب والحكايات التي تليق بالحال إذا كانوا منقبضين، ويأكل ويشرب مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع، قال جعفر بن محمد: قال لي أبو عبدالله: يعني أحمد بن حنبل يوم عيد: خذ عليك رداءك وادخل، قال: فدخلت فإذا مائدة وقصعة على خوان عليها عراق، وقد زال جانبه، فقال لي: كل، فلما رأى ما نزل بي، قال: إن الحسن كان يقول: والله لتأكلن، وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل. وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذلك، وقال الإمام أحمد لمحمد بن جعفر: يا بني كُل فإن الطعام أهون مما يحلف عليه"[2].

---

(١) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٢/٦٦٤ - ٦٦٥.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/١٩٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

رعاية مشاعر الآخرين مطلوبة ومنها رعاية ظروف من أعد طعاماً، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية، ومن أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

إن آثار الموقف أو الأحداث تظل عالقة بالأذهان خاصة، ومن ثَمَّ فإن العملية التربوية تكون أكثر ثباتًا في نفس المتربي، ولذا فإن التربية بالمواقف والأحداث من أنجح الأساليب التربوية، ومما جاء في حديث الباب يدلل على هذا ما جاء عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

فمن خلال هذا الموقف بيّن النبي ﷺ آداب الضيافة، وأن من دُعِيَ إلى طعام فتبعه غيره ينبغي أن يستأذن من صاحب الدعوة.

"إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية. فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة"[1].

إنه من خلال المواقف والأحداث يمكن غرس الكثير من القيم والآداب، وهذا ما يجب أن يستغله المربون.

"إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي الحاذق لا يترك الأحداث

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٧.

تذهب سُدَىً بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومَزِيَّةُ الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء، وقد قام القرآن الكريم وهو يربي الأمة الإسلامية في منشئها باستغلال الأحداث في تربية النفوس استغلالاً عجيبًا عميق الأثر، وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطرق والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى"[1].

ثانيًا- التربية على آداب الضيافة:

من الأهداف الخلقية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين آداب الضيافة، وحديث الباب يبرز لنا أن من أهم آداب الضيافة أن يُدعى الشخص إليها، لا أن يأتي من تلقاء نفسه بدون دعوة ففي الحديث: «دعا رجل النبي ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «إنَّ هَذَا اتَّبَعَنَا فإن شِئْتَ أنْ تأذَنَ لهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ، قال: بل آذنُ له يا رسول الله».

وواجب المربي أن يغرس في نفوس الناشئة والمتربين أدب الضيافة حتى لا يكون هناك تطفل على موائد الطعام.

"ومن الأمور التي يستهجنها العرب فيما يتعلق بالدعوة إلى الطعام وآداب الموائد التطفل، وهو أمر بعيد عن الضيافة، إذ يمكن أن يحل ضيف أو أكثر على رجل دون دعوة مسبقة فيرحَّب بهم ويكرمون، أما التطفل فهو أن يسعى المرء إلى الموائد ويتجسس ليعرف مَنْ عنده وليمة، فيهرول إليها ليشارك فيها دون دعوة، رغم أن حضوره مزعج للآخرين، وكانت العرب تجيز التطفل على طعام السلطان، ولكنها تكرهه على طعام رجل من عامة الناس لدرجة أن شهادة المتطفل كانت تُرَدُّ ولا تقبل. أما الصديق فلا يدخل في عداد المتطفلين، أو الطفيليين إن حضر مائدة صديقه دون دعوة"[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٣/٣٣، ٣٤.

قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام أنه لا ينبغي لأحد إذا علم أن قومًا يأكلون أن يدخل عليهم فإن صادفهم من غير قصد فسألوه الأكل نَظَرَ، فإن علم أنهم إنما سألوه حياء منه فلا يأكل، وإن علم أنهم يحبون أكله معهم جاز له أن يأكل. ومن دخل دار صديقه فلم يجده، وكان واثقًا به عالمًا أنه إذا أكل من طعامه سُرَّ بذلك جاز له أن يأكل، ومن آداب الضيافة أن يقصد بدعوته الأتقياء دون الفساق، وقال بعض السلف: لا تأكل إلا طعام تَقيٍّ، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ"[1].

❁ ❁ ❁

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص٧٩.

١٠٤- باب الأكل مِمَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

الحديث رقم (٧٤٠)

٧٤٠- عن عمر بن أَبي سَلمَة رضي الله عنهما، قَالَ: كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قوله: "تَطِيشُ": بكسر الطاء وبعدها ياء مثناة، معناه: تتحرك وتمتد إلى نواحي الصَّحْفَة.

ترجمة الراوي:

عمر بن أبي سلمة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٩).

الشرح الأدبي

الراوي يحكي قصة وقعت معه عندما كان صغيراً يتربى في حجر النبي ﷺ وقوله (كانت يدي تطيش في الصفحة) إسناد الطيش إلى اليد فيه مبالغة وهو من إسناد الفعل إلى مفعوله فهو مجاز عقلي وأصل الكلام - أطيش بيدي في الصفحة - وفيه دليل على كثرة تحرك يده في مختلف الاتجاهات مما يؤذي الآكلين، لأنَّ أَكْله مِنْ مَوْضِع يَد صَاحِبه سُوء عِشْرَة، وَتَرْك مُرُوءَة فَقَدْ يَتَقَذَّرهُ صَاحِبه فجاء توجيه النبي ﷺ تأديباً له، وتعليماً (يا غلام) النداء نداء رحمة، وحنو بالإضافة إلى ما فيه من التنبيه اللازم للتمهيد لما بعده من أوامر، وقوله (سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) توجيه وإرشاد إلى ما يحقق البركة في الطعام بذكر الله عليه، والتيمن في التناول، وما يراعي حال الآكلين، وفي الحديث ثلاث سنن: التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢/١٠٨)، وتقدم برقم (٢٩٩).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- استحباب الأكل باليمين، وكراهته بالشمال، وقد سبق بيانه في الحديث رقم (٧٣٣).

٢- الأكل مما يليه، وقد سبق بيانه كذلك في الحديث نفسه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٩٩).

الحديث رقم (٧٤١)

٧٤١- وعن سلمةَ بن الأَكْوَع رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: ((كُلْ بِيَمِينِكَ)) قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: ((لاَ اسْتَطَعْتَ))! مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه بيان لأهمية اتباع السنة، وخطر مخالفتها، بدأه الراوي بأسلوب التوكيد بإن مع اسمية الجملة لغرابة القصة التي يتضمنها وقوله (أن رجلا أكل) بيان للحدث الذي تدور حوله القصة، و الظرف (عند رسول ﷺ) فيه إشارة إلى شرف الموضع الذي يلزم منه توقيره، وقوله (بشماله) فيه بيان لموضع الخطأ، والباء فيه للاستعانة، وقول الرسول ﷺ (كل بيمينك) أمر توجيه وإرشاد وفيه تصويب للخطأ وقول الرجل: (لا أستطيع) فيه تكبر وتعالٍ ورفض لأمر رسول الله ﷺ وقول الراوي (مامنعه إلا الكبر) ينص على هذا المعنى وهوأسلوب قصر يقصر سبب رفضه لأمر رسول الله ﷺ على الكبر، وينفيه عن غيره من الأسباب كالعجز، والمرض، ونحوه وقول الرسول ﷺ (لا استطعت) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية وقول الراوي (فما رفعها إلى فيه) إشارة إلى استجابة دعوة النبي ﷺ ودليل على أن الرجل كان كاذباً متكبراً وفيه تهديد لكل من يخالف سنن رسول ﷺ كبراً وبطراً في كل زمان ومكان فقد قال ﷺ (... فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٢١/١٠٧)، وتقدم برقم (١٥٩، و ٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٧٥.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

ملاحظة الأبناء مفروضة ونصحهم فرض عين، وتربيتهم على المثل العليا مسؤولية دينية واجتماعية، وقد رأينا رسول الله ﷺ يربي الناشئة بالطرق التالية:

أولاً- التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الفعّالة التربية بالمواقف والأحداث، حيث يقوم المربي بالتقويم والتهذيب في حالة التصرف الخاطئ من المتربي، وهذا يتضح من خلال حديثي الباب، فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنتُ غلامًا في حِجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: ياغلامُ، سَمِّ الله تعالى، ...».

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ».

فمن خلال الموقف والحدث وجّه النبي ﷺ إلى ضرورة مراعاة آداب الأكل. والتوجيه والإرشاد عندما يأتي مصاحبًا للحدث والموقف يكون أقرب إلى التنفيذ.

"والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه، ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها. والتربية بالأحداث تُعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كانت هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة"[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣٨.

ثانيًا- التربية بالملاحظة:

من أنجح الأساليب التربوية التربية بالملاحظة حيث يتعاهد المربي ابنه أو الناشئة ويراقبه في تصرفاته وأعماله وأفعاله ويقومه ويوجهه ويرشده إلى الصواب فيما يقع فيه من تصرفات.

ولقد سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب في تقويم مَنْ أخطأ أمامه، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما: «لما رآه الرسول ﷺ يأكل ويده تطيش في الصحفة، قال له: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لاحظ النبي ﷺ رجلاً يأكل بشماله فقال: «كُلْ بِيَمِينِكَ ...». ففي هذين الحديثين قام النبي ﷺ بالتوجيه التربوي من خلال الملاحظة والمراقبة.

"والمقصود بالتربية بالملاحظة، ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي، ولاشك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ويضطلع بواجباته على أكمل وجه، وأنبل معنى. فمن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته، وأقواله وأفعاله واتجاهاته، فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه وإن رأى منه شرًا نهاه عنه، وحذره منه وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة"[1].

وهكذا نرى رسول الله ﷺ يعلم الكبار والصغار سلوكيات الحياة عن طريق مراقبته وملاحظته لهم وتعديل سلوكهم بما يتفق مع ما شرعه الله تعالى من تحليل وتحريم.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧-٧٢٩.

ثالثًا- التربية على آداب الأكل:

إن من أهداف التربية الاجتماعية التربية على آداب الأكل، ومما جاء في حديثي الباب يبرز حرص الرسول ﷺ على غرس آداب الطعام والشراب، وما ينبغي فيهما، ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: «كنت غلامًا في حِجْر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ ممَّا يَلِيكَ». فأرشده النبي ﷺ إلى جملة من آداب الأكل منها التسمية والأكل باليمين، والأكل مما يليه.

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ.

فهذا الآكل بشماله أرشده النبي ﷺ إلى أن من آداب الأكل تناوله باليمين.

"ومن آداب الطعام والشراب استحضار نية التَّقَوِّي على طاعة الله عز وجل وأن يختار الحلال الطيب من المطاعم والمشارب، ومن آدابه غسل اليدين قبله، والتسمية في أوله والأكل باليمين، والأكل مما يليه"[1].

وإذا كان الأمر كذلك فإن من الواجبات على المربين الاهتمام بتدريب الأطفال على آداب الطعام وتعويدهم على الالتزام بها.

"وإذا لم يجلس الوالدان مع الطفل باستمرار أثناء الطعام، ويصححا له أخطاءه، فإن الطفل سيبقى في براثن العادات السيئة المنفرة، كذلك فإن عدم الجلوس معهم في أثناء طعامهم سيفقد الوالدين وقتًا مناسبًا لتلقي الطفل وتعليمه، وقد أكل النبي ﷺ مع الأطفال وشاهد ولاحظ جملة من الأخطاء فقدَّمها بأسلوب حيوي أثار به عقل ونفس الطفل إلى التصحيح وهكذا كان. ففي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما «لما كانت يده تطيش في الصحفة، قال له رسول الله ﷺ: يا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ تعالى، وكُلْ

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص٢٠٢.

بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»، فأنت تجد في هذا دعوة النبي ﷺ الطفل إلى الطعام معه ثم وجهه بكل رفق إلى طريقة الطعام وآدابه، وغدا الصحابة رضي الله عنهم يصطحبون معهم أطفالهم إلى الولائم، وخاصة التي يحضرها رسول الله ﷺ فيتعلمون في هذه الولائم علمًا نافعًا وآدابًا جامعة"[1].

رابعًا- التربية على الأخذ بالسنة وعدم الإعراض عنها:

وهذا واضحٌ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: "كل بيمينك، قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت. ما منعه إلا الكبر. فما رفعها إلى فيه".

فقد منع الكبر هذا الرجل من الاستجابة لما أمره به رسول الله ﷺ وأعرض عن الأكل باليمين، فدعا ﷺ فأصاب يده اليسرى ما جعله لا يستطيع أن يرفعها إلى فمه، وإذا كان هذا في مجال الطعام فما بالنا بمن استكبر وتكبر وأعرض عن سنة النبي ﷺ ولم يأخذ بها في المجالات الأخرى ذات الأهمية الكبيرة؟ إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن يقولوا سمعًا وطاعة لما جاء به الرسول ﷺ، وأن ينفروا أشد النفور من الإعراض عن سنة النبي الهادي ﷺ. وليس في ذلك كما يدّعي من في قلوبهم مرض مصادرة لعقولهم ومصادرة لحرياتهم وإلغاء لشخصياتهم، ليس في ذلك شيء من هذا مطلقًا، بل فيه كل الخير لهم والسعادة لهم في الدنيا والآخرة، لأن كل ما أمر به الرسول ﷺ هو الخير والمصلحة وكل ما نهى عنه ﷺ هو الشر والمفسدة.

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٧٦، ٧٧.

١٠٥- باب النّهي عن القِرَانِ بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلاّ بإذن رفقته

الحديث رقم (٧٤٢)

٧٤٢- عن جَبَلَة بن سُحَيْم، قَالَ: أصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابن الزُّبَيْرِ؛ فَرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عبدُ الله بن عمر رضي الله عنهما يَمُرُّ بنا ونحن نَأكُلُ، فَيقُولُ: لاَ تُقَارِنُوا، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عنِ القِرَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: إلاَّ أنْ يَسْتَأذِنَ الرَّجُلُ أخَاهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

عام سنةٍ: عام قحط[2].

القران: ضم تمرة إلى تمرة لمن أكل مع جماعة[3].

أخاه: المراد بالأخ رفيقه الذي اشترك معه في ذلك التمر[4].

الشرح الأدبي

تضمَّن هذا الحديث مع قصره أبعاداً نفسية، واجتماعية، واقتصادية، إن روعيت في التعاملات، وطُبِّقت على نطاق واسع كان لها عظيم الأثر على الأفراد والمجتمعات، وملابسات الحديث التي أشار إليها الراوي تشير إلى أن الحالة الاقتصادية يومئذ كانت متردية، والناس في ضيق، وشدة من المعيشة، وهذه الملابسات تستلزم أن يكون الإنسان أكثر رعاية لمن حوله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (٢٠٤٥/١٥٠) وزاد: (قال شعبة: لا أرى هذه الكلمة إلا من كلمة ابن عُمر: إلا أن يستأذن الرجل أخاه).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٢/٩.

(٣) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

(٤) المرجع السابق ٤٨٢/٩.

والحديث يبدأ بأسلوب خبري يناسب القصة، وقوله (أصابنا عام سنة) الجملة كناية عن الشدة، وضيق العيش، ونسبة الإصابة للعام مجاز عقلي من نسبة الفعل لزمانه حدوثه، وهو يفيد المبالغة فيما حل بهم من ضيق الرزق، وشدة الحال.

وقوله (فرزقنا تمراً) اتصال الفعل بـ (نا) الفاعلين إشارة إلى إشتراكهم جميعاً فيه، وتنكير كلمة (تمراً) يفيد التقليل وقوله: (ونحن نأكل) يؤكد أنهم عدد كبير معهم تمر قليل وقوله) لا تقارنوا) أسلوب نهي عن أن يخص أحدهم نفسه بمزيد من التمر دون أصحابه، -خاصة - زمن المجاعة والشدة، والقران الجمع بين التمرتين، والمقصود به الإكثار؛ وقوله (فإن النبي ﷺ نهى عن القران) الفاء للتعليل والجملة تعليل لسبب نهي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقوله: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه) استثناء من الحكم السابق يقرر جواز الزيادة بشرط الاستئذان من الشركاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم القران بين التمرتين ونحوهما: من الأدب للمرء حين يطعم، ترك ما يقتضي الشره، والطمع المزري به، أو يكون فيه غبن برفيقه.

لذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره القران في أكل التمر، وما شابهه، مما جرت العادة بأكله أفرادًا، كالرطب، والزبيب، والعنب، مثلاً، إلا أن يأذن له من يؤاكله، فإذا أذن فلا بأس.

وذهب ابن حزم إلى أنه لا يحل القران في الأكل، إلا أن يأذن المؤاكل، فإن أذن المؤاكل فهو حقه[1].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٨/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٥٧/٣، والمحلى، ابن حزم ١٠٠/٦.

والصواب والتفصيل كما قال النووي: (إن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقران حرام إلا برضاهم، ويحصل الرضا بتصريحهم به، أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حال، أو إدلال عليهم كلهم، بحيث يعلم يقينًا، أو ظنًا قويًا، أنهم يرضون به، ومتى شك في رضاهم فهو حرام، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم، اشترط رضاه وحده، فإن قرن بغير رضاه فحرام، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القران، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن ألا يقرن لتساويهم، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه، لكن الأدب مطلقًا: التأدب في الأكل وترك الشره، إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثالثًا: من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم.

أولاً - من آداب الداعية: تذكير الناس بما ينبغي فعله:

حيث جاء في الحديث: (وكنا نأكل فيمر علينا ابن عمر ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا)، وهذا يدل على أن من أهم آداب الداعية، تذكير الناس بما ينبغي فعله وبالتذكير أمر الله نبيه ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٩/١٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦٠/٩.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٣) سورة الأعلى، آية: ٩.

(٤) سورة الغاشية، آية: ٢١.

والداعية الناجح هو الذي يحرص على تذكير المدعوين، وإذا رأى مخالفة شرعية ذكرهم بنصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وبهدي النبي ﷺ حتى لا يقعوا في محظور شرعي، قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق وقد عرفوه أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، وكم من مبتعد عن الجادة تكفيه في العودة إليها همسة ناصح أو صيحة زاجر، فإذا هو راجع إلى رشاده مستقيم على الصراط، وعمل الواعظين - في أغلب الأحيان - هو ذلك التذكير النافع وهو تذكير لا يستغني عنه الناس يومًا، إذ طالما يعصف النسيان بأفكارهم، ويبعثهم على السير في الحياة دون وعي أو هدف"[(١)].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد:

١- **النهي:** حيث جاء في الحديث: (لا تقارنوا)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو من حيث التأكيد عليه في خطورة فعل المنهي عنه، وقد حث القرآن على فعل المأمورات وترك المنهيات، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[(٢)].

٢- **التوكيد:** حيث جاء في الحديث: (فإن النبي ﷺ نهى)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تعمل على إقناع المدعو بما يقول الداعية، ومن صور استعمال أسلوب التوكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[(٣)]، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[(٤)].

"إن التوكيد في القرآن كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٢.

روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه. فجاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهورًا دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الاتيان بمثله"[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: اتباع هدي رسول الله ﷺ:

يؤخذ هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو اتباع هدي النبي ﷺ في جميع الأمور وبهذا أمر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٢]، وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٣].

قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة والكفاية والنصرة كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذّلة والصَّغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: استحباب رضا الرفقة عن تصرفات الإنسان معهم:

حيث جاء في الحديث: (إلا أن يستأذن الرجل أخاه)، قال النووي: "هذا النهي متفق عليه حتى يستأذنهم، فإذا أذنوا فلا بأس، والاختلاف جاء في النهي هل هو على التحريم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي ص ١٢٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧/١.

أم على الكراهة والأدب"[١].

وقال ابن حجر: "ويستحب للإنسان أن يستأذن الآكلين معه، وحسن للمضيف أن لا يقرن ليساوي ضيفه، إلا إن كان الشيء كثيرًا يفضل عنهم، مع أن الأدب في الأكل مطلقًا ترك ما يقتضي الشره"[٢].

قال ابن مفلح: "ويكره القران في التمر، وقيل: مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله، ولا مع من أطعمهم ذلك، وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن. وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم، وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب. ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه، وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس، لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره، إلا إن يكون مستعجلاً، ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال، فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر. والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال الشيخ تقي الدين: وعلى قياسه قِران كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا"[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: "الأدب في تناول الطعام والبعد عن النهم مطلوب، ومن ذلك عدم تناول ما يعتاد أكله واحدة واحدة كالتمر وغيره بأعداد كبيرة في المرة الواحدة، كما هو شأن الكثيرين، لئلا ينبو في نظر إخوانه، ويظهر نهمه وحرصه على الحصول على أكبر نصيب من الطعام، إلا إذا علم رضا رفقائه وعدم تضررهم من ذلك، وهو أدب محمود يرتفع بالمسلم إلى أعلى الدرجات في عالم الذوق والسلوك"[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٨٤/٩.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٧/٣ - ١٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الشره منهي في الإسلام، ولذا أوجب رسول الله ﷺ على من يأكل مع غيره ألا يجعل همه تناول أكبر قدر من الطعام، فإن كان ولا بد، فليكن بالتتابع لا بالتسارع، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من خلال المواقف والأحداث يستطيع المربي أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات التربوية، ولذا فالتربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية الناجحة، وفي حديث الباب ما يبرز هذا الأسلوب فعن جبلة بن سُحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن الإقران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

ففي هذا الحديث استغل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الموقف والحدث وأسدى فيه توجيهه التربوي بالنهي عن القِرَان في التمر.

(ولا شك أن من طرق التربية الفاعلة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر.

والأحداث إما أن تكون تلقائية تحدث بسبب التصرفات الخاصة للناس أو لأسباب خارجة عن إرادتهم وتقديرهم وإما أن تكون منظمة ومخططة مسبقًا كي يمر بها الصغير أو الكبير بقصد إثارة مشاعره وانفعاله حتى يسهل تشكيله وتغيير سلوكه في الاتجاه المرغوب. والمربي الحاذق لا يترك الأحداث - تلقائية كانت أم مخططة - تذهب سُدَىً بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[1].

---

(١) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٧.

ثانيًا-التربية على آداب الأكل مع الجماعة:

من الآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين التربية على آداب الأكل مع الجماعة، ومن هذه الآداب النهي عن القران بين تمرتين في حالة الأكل مع جماعة إلا بإذنهم وذلك من حسن الأدب في الأكل، وحديث الباب الذي أورده الإمام النووي يبرز لنا هذا الجانب من الأدب، ففيه عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير فرزقنا تمرًا وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول: لا تقارنوا فإن النبي ﷺ نهى عن القران ثم يقول: إلا أن يستأذن الرجل أخاه".

قال ابن مفلح المقدسي: (ويكره القران في التمر وقيل مع الشركاء فيه، لا وحده ولا مع أهله ولا مع مَنْ أطعمهم ذلك وتركه مع كل أحد أولى وأفضل وأحسن، وذكر القاضي عياض عن أهل الظاهر أن النهي للتحريم وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب، وذكر النووي أن الصواب التفصيل فإن كان الطعام مشتركًا بينهم فالقران حرام إلا برضاهم بقولٍ أو قرينة يحصل بها علم أو ظن، وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده فإن قرن بغير رضاه فحرام ويستحب أن يستأذن الآكلين معه، وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فحسن ألا يقرن ليساويهم إن كان الطعام فيه قلة، وإن كان كثيرًا بحيث يفضل عنهم فلا بأس لكن الإذن مطلقًا للتأدب وترك الشره إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر.

وقال الخطابي: إنما كان هذا في زمنهم حين كان الطعام ضيقًا، فأما اليوم مع اتساع الحال فلا حاجة إلى الإذن، وفيما ذكره نظر والقران بين غير التمر مثله إلا أن ذلك لا يقصد، وتظهر فائدته إلا في الفواكه وما في معناها. قال تقي الدين: وعلى قياسه قِرَان كل ما العادة جارية بتناوله أفرادًا)[1].

❁ ❁ ❁

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/١٥٧، ١٥٨.

١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

الحديث رقم (٧٤٣)

٧٤٣- عن وَحْشِيٍّ بن حرب رضي الله عنه: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، قالوا: يَا رسولَ اللهِ، إنَّا نَأكُلُ وَلاَ نَشْبَعُ؟ قَالَ: ((فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ)) قالوا: نَعَمْ. قَالَ: ((فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

وحشي بن حرب الحبشي مولى بني نوفل: كان عبدًا أسود من سُودان مكة، كان مشهورًا برمي الحراب، وقد قَتَلَ بحربته حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ فكوفئ على ذلك بأن أصبح حرًّا، حتى فتح النبي ﷺ مكة، فهرب إلى الطائف، فلما أراد أهل الطائف أن يُسلموه أراد الهرب مرة أخرى، لكن من معه طمأنه بأن النبي ﷺ لا يقتل من دخل الإسلام، فأتى النبي ﷺ فأعلن إسلامه، وسأله النبي ﷺ أن يغيب عنه وجهه[2]، لقتله حمزة فكان يتجنب أن يراه النبي ﷺ.

وكان قتله حمزة يقضّ عليه مضجعه، ويجعل فكره غير صافٍ، حتى جاءت الفرصة التي يريح بها باله، فخرج مع خالد بن الوليد إلى اليمامة لقتال مسيلمة الكذاب فكان هو قاتله وقيل: إنه قتله بالحربة التي قتل بها حمزة.

قال عبدالله بن عمر: سمعت صارخًا يصرخ يوم اليمامة: قتله العبد الأسود.

فأعلن ذلك بصيحة قوية وفرحة غامرة، فقال: إنكم يا معشر المسلمين تقولون: إني قتلت حمزة، فإن أك قد قتلت خير الناس. فقد قتلت شر الناس، فهذه بهذه.

وظلّ على جهاده في سبيل الله فشهد اليرموك وفتح دمشق.

---

(١) برقم (٣٧٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٢٢٤)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٣١٠): إسناده حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٠).

(٢) صحيح البخاري (٤٠٧٢).

وظلّ بالشام فسكن حمص ومات بها في خلافة عثمان[١].

الشرح الأدبي

الخبر مؤكد بإن مع اسمية الجملة إشارة إلى أهميته، والنداء في قوله (قالوا يا رسول الله) نداء تكريم لرسول الله ﷺ؛ لأنه اشتمل على صفته (الرسول) دون اسمه مع إضافته لله، واستخدام (يا) التي للبعيد مع قرب الرسول ﷺ منهم إشارة إلى علو منزلته، وارتفاع مكانته، وقولهم (إنا نأكل ولا نشبع) عرض للمشكلة وبيان لأبعادها، وقوله: (لعلكم تفترقون؟) استفهام تقرير غرضه لفتهم، وتنبيههم إلى سبب قلة البركة، وقوله (فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ) أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه مصلحتهم في الدنيا بالبركة في الطعام، ومحبة الإخوان، وفي الآخرة برضى الله بذكره عند الطعام، وحمده عند الختام.

فقه الحديث

١- استحباب الاجتماع على الطعام، لأنه من أسباب البركة فيه، وأن لا يأكل المرء وحده. قال بعضهم: وفي الأكل مع الجماعة فوائد منها ائتلاف القلوب وكثرة الرزق والمدد وامتثال أمر الشارع، لأنه تعالى أمرنا بإقامة الدين وعدم التفرق فيه، ولا يستقيم ذلك إلا بائتلاف القلوب، ولا تألف إلا بالاجتماع على الطعام، وشر الناس من أكل وحده ومنع رفده، فمن فعل ذلك وأراد من الناس نصرته على إقامة الدين فقد أتى البيوت من غير أبوابها، وربما خذلوه عنادًا لبغضهم له، إذ البخيل مبغوض ولو كثر تعبده، والسخي محبوب ولو فاسقًا كما هو مشاهد[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤١٨/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠٩/٥) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٥٣/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٠٥/٤) والأعلام، خير الدين الزركلي (١١١/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٩٦٨/٣).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٩/٩، شرح ابن بطال ١٢١/١٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم:

إن النبي ﷺ يتنزل عليه الوحي، ومن ثم كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على سؤال النبي ﷺ في كل ما يعرض لهم من أمور، وما يخفى عليهم من أشياء ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (قالوا يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع)، والصحابة رضي الله عنهم كان عندهم حرص شديد على سؤال النبي ﷺ عما خفي عليهم، وهم بهذا يستجيبون لتوجيه القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال السعدي: "وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حالة الرسل عليهم السلام المتقدمين من أهل الذكر وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه"[2].

ولا أدلّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ مما جاء في القرآن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الكريم من لفظ يسألونك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾[٣]، وقد أنكر النبي ﷺ على من لم يسأل، ففي قصة المجروح الذي توضأ واغتسل فمات، فلما أخبر بذلك قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام وذكر اسم الله عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه)، "وقوله لعلكم تفترقون أي: حال الأكل بأن كل واحد من أهل البيت يأكل وحده، وقوله: اذكروا اسم الله عليه، أي: في ابتداء أكلكم يبارك لكم في طعامكم، وقد دلت الأحاديث على البركة في تكاثر الأيدي على الطعام، وأما قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾[٥]، محمول على الرخصة، أو دفعًا للحرج على الشخص إذا كان وحده"[٦].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فاجتمعوا على طعامكم)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي توجه المدعو إلى ضرورة فعل المأمور به، ومن استعمال القرآن له قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧]. وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالاجتماع على الطعام

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٢ - ٤٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٦١٥.

(٧) سورة الإخلاص، آية: ١.

حتى تحصل لهم البركة فيما يأكلون.

٢- الترغيب: يتضح هذا من الحديث: (يبارك لكم فيه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي ترغب المدعو في فعل المأمور به، "والترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه ويكون الترغيب في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[١].

وفي الحديث رغّب النبي ﷺ في الاجتماع على الطعام ببيان أن البركة تحصل مع الاجتماع.

رابعًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، وواجب المسلم الاستجابة لأمر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٢]، وقال جلّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٣].

قال ابن عاشور: "وأمر الله بالاستجابة للرسول ﷺ إذا دعاهم إلى شيء، فإن في دعوته إياهم إحياء لنفوسهم، وأعلمهم أن الله يكسب قلوبهم بتلك الاستجابة قوى قدسية، وقوله: (لما يحييكم) أي: دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كماله، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال، فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم"[1].

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣١٢/٩/٤ - ٣١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

العلم خزائن مفاتحه السؤال، ومن جهل شيئاً فسأل عنه فإنه لا يعدم الإجابة وهذا ما حدث للصحابي الذي سأل الرسول ﷺ أنه يأكل ولا يشبع، فكانت الإجابة عن طريق الهدي النبوي المتمثل في:

أولاً-التربية بالحوار والمناقشة:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحوار والمناقشة حيث يستطيع المربي من خلالها أن يغرس الكثير من القيم والتوجيهات والإرشادات التربوية، ومما يشير إلى ذلك في حديث الباب ما جاء عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: "يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه".

ففي هذا الحديث دار الحوار والمناقشة بين النبي ﷺ وصحابته الكرام، وأرشدهم الرسول ﷺ إلى ما يقولونه ويفعلونه عند الطعام من الاجتماع عليه وذكر اسم الله تعالى.

(ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار والمناقشة في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق -وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك العقلي، وقد تُوجَّه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم. ويمكن القول: إن الرسول ﷺ كان كثير الاستعمال للطريقة الحوارية مع أصحابه، ومع خصوم الإسلام من المشركين وأهل الكتاب)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٣، ٣٣٤.

إن واجب المربين الاعتناء بأسلوب الحوار والمناقشة لما له من أهمية في إقناع المتربين.

(إن أسلوب المحاورة والمناقشة يعد من أهم الأساليب التربوية فالحوار أحد أركان الفهم والاقتناع، والاقتناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن الكريم ملئ بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج مَنْ نحاوره أو نناقشه، ولذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته)[1].

ثانيًا-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة، وذلك لما في الاجتماع من البركة والخير الحاصل للجميع، ومما جاء في حديث الباب يؤكد أهمية الجماعة والاجتماع ما جاء عن وحشي بن حرب رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال: فلعلكم تفترقون قالوا: نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه.

ففي هذا الحديث بيّن النبي ﷺ أنه بسبب الافتراق نزعت البركة على الطعام، وأن الاجتماع على الطعام مع ذكر الله تعالى مَظِنَّةُ حصول البركة. وفي هذا التوجيه النبوي غرسٌ لروح الجماعة، وتنفير من الافتراق.

(إن ائتلاف القلوب والمشاعر، واتحاد الغايات والمناهج، من أوضح تعاليم الإسلام، وألزم خلال المسلمين المخلصين... ولا ريب أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها، ولئن كانت كلمة التوحيد باب الإسلام فإن توحيد الكلمة سر البقاء فيه والإبقاء عليه، والضمان الأول للقاء الله بوجه مشرق وصفحة نقية.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

إن العمل الواحد في حقيقته وصورته يختلف أجره اختلافًا كبيرًا حين يؤديه الإنسان وحيدًا، وحين يؤديه مع آخرين)[١].

إن تعاليم الإسلام وتوجيهاته تدعم روح الجماعة، وتحث عليها ففي تحقيق الجماعة يكون الخير للفرد وللمجتمع.

(إن المنهج الإسلامي يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة، تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الإسلام حقوق الفرد، وحقوق الأسرة، وحقوق الجوار، وحقوق عامة المسلمين، كما أرسى دعائم هذا الترابط من خلال فرضية الزكاة، والصدقات، وأداء الصلوات جماعة، والحج في زمان ومكان مخصوص بهيئة مخصوصة.

وجميع هذه الأسس الإسلامية إذا طُبقت عمليًا فإن لها آثارًا تربوية بين أفراد المجتمع، فيتحقق للمجتمع الترابط والتآلف الاجتماعي الذي تحقق في عهد المصطفى ﷺ، حيث وصل ذلك التوادُّ والتعاطف إلى ذروته)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١٧٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٠.

١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

الحديث رقم (٧٤٤)

فِيهِ: قَوْله ﷺ: ((وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)) متفق عَلَيْهِ[١] كما سبق.

٧٤٤-وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

حافتيه: جانبيه[٣].

الشرح الأدبي

شيوع أساليب التوكيد في مقدمات الأحاديث التي يذكرها الرواة يرجع غرضها غالباً إلى إحساسهم العميق بعظمة الإخبار عن النبي ﷺ؛ لأنه يخرج من أفواههم إلى أسماع الأمة، ولذلك نجدهم يصدِّرون ما يروون عنه بلون، أو أكثر من ألوان التوكيد إشعاراً بما يخالج أنفسهم، من جهة ومن أخرى تنبيهاً على أهمية ما يليه وهذا الحديث من هذه النوعية التي يتصدرها حرف التوكيد تنبيهاً على أهمية ما يليه، وقد بدأ الرسول ﷺ الحديث بما يرغِّب فيه قبل أن يوجه الأمر بالتزامه وهو من فطنته ﷺ

---

(١) تقدم برقم (٢٩٩، ٧٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٢٤٥)، وقال الحاكم (٤/١١٦): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ف).

قال: (البركة تنزل وسط الطعام) البركة الثبات، والاستقرار، وعدم الزوال، ومعناها ألا ينقص الشيء بل يزيد عن المعتاد لمثله، ولا يتعلق بأسباب ظاهرة غالباً، وتنزلها في الوسط لأنه أعدل الجهات؛ ولذلك جاء أمره ﷺ مرتباً عليها بالفاء (فكلوا من حافتيه) وأكّده بالنهي عن ضده، وهو الأكل من الوسط (ولا تأكلوا من وسطه) وطريقة الرسول ﷺ في التوجيه، والإرشاد في هذا الحديث تشير إلى أهمية الأمر فقد بدأ بالتمهيد له بالترغيب فيه، ثم بالأمر الصريح، ثم بالنهي عن ضده.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى:

موضع الأكل: يستحب عند الجمهور الأكل من جوانب الطعام، ويكره الأكل من أعلاه ووسطه، ولا بأس بذلك في الفواكه بأنواعها.

وقال ابن حزم: (يحرم ذلك)، وهو نص الشافعي في الأم، حيث قال: فإن أكل مما لا يليه أو من رأس الطعام أثم بالفعل الذي فعله، إذا كان عالمًا بنهي النبي ﷺ ولم يحرم ذلك الطعام عليه، وذلك أن الطعام غير الفعل ا. هـ)[1].

لكن نص الشافعي على أن تحريمه محمول على أنه مشتمل على الإيذاء[2].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٩/٢٢، والقوانين الفقهية ٤٧٧، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٧/٩، ٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥، ١٩٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١٠/٤، والأم ٣٠٦/٧، والمحلى، ابن حزم. وانظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٦٣٦.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنهي.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تعرّف المدعوين بما هو مطلوب منهم، وأسلوب الإخبار تقوم به الحجة على المدعوين في تبليغهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]، قال القاسمي: وقال في الانتصاف: ولما كان عدم تبليغ الرسالة أمرًا معلومًا عند الناس، مستقرًا في الأفهام أنه عظيم شنيع، ينقم على مرتكبه، بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع، فضلاً عن كتمان الرسالة من الرسول ﷺ استغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء، للصوقها بالجزاء في الأفهام، وإن كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد. ولا خفاء في أن النبي ﷺ قد بلّغ البلاغ التام، وقام به أتمّ القيام، وثبت في الشدائد وهو مطلوب، وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، حتى أصبح سراج الدين وهاجًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا"[2].

وبالإخبار تتبين الحقائق للمدعوين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وبالإخبار تتحقق الاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦/٢٨٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

من قبل المدعوين، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مواطن البركة في الطعام:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: (البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه)، قال المباركفوري: "والوسط أعدل المواضع، فكان أحق بنزول البركة فيه، والمراد بحافتيه جانبيه، وفيه مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، قال الغزالي: "وكذا لا يأكل من وسط الرغيف بل من استدارته إلا إذا قل الخبز فليكسر الخبر، والعلة في ذلك ما في الحديث من كون البركة تنزل في وسط الطعام"[2].

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وإذا كان الحديث يدل على مشروعية الأكل من جوانب الطعام قبل وسطه، فقد قال الخطابي: فيه وجه آخر وهو أن يكون النهي إنما وقع إذا أكل مع غيره، وذلك أن وجه الطعام هو أفضله وأطيبه، فإذا قصده بالأكل كان مستأثرًا به على أصحابه، وفيه من ترك الأدب وسوء العشرة ما لا خفاء به، وأما إذا أكل وحده فلا بأس به"[3].

وقال ابن عثيمين: ويدل الحديث على أن الإنسان إذا قدم إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه بل يأكل من الجانب، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه ولا يأكل مما يلي غيره، ويدل الحديث على أن الإنسان إذا أكل من أعلاه - أي من الوسط - نزعت البركة من الطعام"[4].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٦٥/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٠٦٥/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والنهي:

١- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فكلوا من حافيته)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به وضرورة الالتزام به، ومن صور استعمال القرآن الكريم لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ وَأَعْرِضْ بِٱلْعُرْفِ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]. وفي الحديث أمر النبي ﷺ بالأكل من حافة الطعام.

٢- **النهي:** حيث جاء في الحديث: (ولا تأكلوا من وسطه)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[4]، وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[5]. وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن الأكل من وسط الطعام لأن البركة تنزل في وسطه.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

حيث جاء في الحديث: (البركة تنزل وسط الطعام)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية أن يبين الأمور النافعة للمدعوين، لأن الداعية دائمًا مصدر نفع وخير على كل من حوله، وهو دائمًا يرشد إلى الصالح والطيب والنافع، قال الله تعالى واصفًا الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[6].

---

(١) سورة المزمل، آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

وهذا شأن الداعي إلى الله دائمًا أن يحرص على نفع المدعوين وإرشادهم إلى الخير، "إن دعوة الإسلام تدعو الناس جميعًا إلى الفطرة، لتشركهم في خير الإسلام ونعمه وعطاياه، فهي دعوة النصح للناس وحب الخير لهم وتمني هداتيهم، بعد توضيح الطريق لهم على أساس من العلم والحكمة، وهذه سمات تختص بها دعوة الإسلام القائمة على النصيحة التي أساسها الإيمان الصحيح بالله تعالى دون غيرها من الدعوات الأخرى، ويبرز دور النصيحة في الدعوة إلى الله من خلال إشفاق الداعية على المدعو، لأن النصيحة ثمرة الإيمان، والإيمان يقتضي حب الخير للناس والسعي فيه بالقول والعمل قدر الاستطاعة، وبالتالي تتم الدعوة إذا اتسمت بالنصح بأنسب الأساليب، ويراعى فيها حال المنصوح أو من توجه إليه دعوة الخير، وهذا أدعى إلى قبول الدعوة وأعون على نجاحها فحرص الداعي على خير المدعو من شأنه أن يؤلف القلوب ويجمع شتاتها، ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية"[1].

---

(١) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٢٢١ - ٢٢٢.

الحديث رقم (٧٤٥)

٧٤٥- وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رجالٍ؛ فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ؛ يعني وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا ، فَالتَفُّوا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ. فَقَالَ أعرابيٌّ: مَا هذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : ((إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا)) ، ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهَا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيد.

"ذِرْوَتَهَا": أعلاها: بكسر الذال وضمها.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

القصعة: وعاء يؤكل فيه[2].

الغراء: تأنيث الأغرّ بمعنى: الأبيض الأنور[3].

أضحوا: دخلوا في الضحى[4].

وسجدوا الضحى: صلوا الضحى[5].

ثُرِدَ فيها: فُتَّ الخبز فيها[6].

جثا: جلس على ركبتيه من جهة ضيق المكان توسعة على الإخوان[7].

ذروتها: أعلاها[8].

---

(١) برقم (٣٧٦٧). وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٤١/٩): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٤٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ص ع).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٤) المرجع السابق ١٦١٩.

(٥) المرجع السابق ١٦١٩.

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ث ر د).

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦١٩.

(٨) رياض الصالحين ٣١٩.

الشرح الأدبي

قوله: (يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ) كناية عن اتساعها مما يدل على كرمه ﷺ وإن كان كرمه لا يحتاج إلى دليل، وقوله (جثا رسول الله ﷺ) أي جلس على ركبتيه تواضعاً منه ﷺ وعلى جهة التوسعة لأصحابه يدل على ذلك قول الراوي (فلما كثروا) وقول الأعرابي: (ما هذا الجلسة؟) استفهام ظاهره تحقير الجلسة كأنه يجلُّ الرسول ﷺ عنها - يرى أن مقامه أعظم من أن يجلس هذه الجلسة - وهو ما يدلُّ عليه ردُّ النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) فقد أكَّد العبارة بعدة مؤكدات منها: حرف التوكيد، واسمية الجملة، ثم بنفي ضد ما أثبت في قوله (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا) أي: جعلني متواضعاً حَسن الأخلاق كريم الطباع، ولذلك نكَّر كلمة (عبد) وتعبيره بعبد يشير إلى منتهى تواضعه، ودماسة خلقه ﷺ، وقوله (كلوا من حواليها) أمر توجيه، وإرشاد لما يحقق البركه، ومن براعته ﷺ أنه قابل الجمع (كلوا) بالجمع (حواليها) ولم يقل حولها بالإفراد إشارة إلى ضرورة إلتزام كل واحد منهم بالأكل مما يليه، ثم أكَّد جملة الأمر بالأمر بترك ضدها، ورغَّبهم في إتيان ما أمَر بالفعل المجزوم في جواب الطلب (يبارك فيها).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كرم النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث: (كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء يحملها أربعة رجال)، وهذا يدل على كرم النبي ﷺ وجوده، قال القاضي عياض: "وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة والإنفاق وطيب النفس فكان ﷺ لا يُوازَىَ في هذه

الأخلاق الكريمة ولا يبارى، بهذا وصفه كل من عرفه"[١].

وقد جاء في الحديث عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ، فَقَالَ: لاَ))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[٣].

وقد جاء في الحديث أيضًا ما يبين كرم النبي ﷺ، فعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينما هوَ يسيرُ معَ رسولِ الله ﷺ ومعه الناسُ، مَقفَلَهُ من حُنَينٍ، فَعَلِقَتِ الناسُ يسألونَه حتّى اضطَرّوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفَتْ رِداءه فوقفَ النبيّ ﷺ فقال: ((أَعْطُونِي رِدائي، لو كان لي عدد هذهِ العِضاهِ نَعمًا لقَسمتهُ بينكم، ثمَّ لا تجدوني بَخيلاً ولا كذوبًا ولا جَبانًا))[٤]، وجاء عن ابن أبي الدنيا: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما رأيت أحدًا أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوفى من رسول الله، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ألين الناس وأكرم الناس وكان رجلا من رجالكم، إلا أنه كان ضحاكًا بسامًا))[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاجتماع على الطعام:

حيث جاء في الحديث: (فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ)، ولا شك أنه بالاجتماع على الطعام تكون البركة فيه، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ. وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ. وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ))[٦]، قال ابن قدامة: "ومن آداب الطعام يجتهد المرء في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده"[٧]، ومما هو معلوم أن استحباب الاجتماع على الطعام؛

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٨٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٠٦).

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

(٥) مكارم الأخلاق ٢٥٦.

(٦) أخرجه مسلم ٢٠٥٩.

(٧) مختصر منهاج القاصدين ٧٧.

لأنه سبب لحلول البركة فيه، وكلما زاد عدد الآكلين زادت البركة، قال ابن حجر: "وعند الطبراني من حديث ابن عمر ما يرشد إلى العلة في ذلك وأوله: (كلوا جميعًا ولا تفترقوا فإن طعام الواحد يكفي الاثنين)، فيؤخذ منه أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع، وأن الجمع كلما كثر ازدادت البركة"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم الترفع:

حيث جاء في الحديث: (إن الله جعلني عبدًا كريمًا ولم يجعلني جبارًا عنيدًا)، قال الطيبي: "وفي سؤال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ كأنه استحقرها، ورفع منزلته عن مثلها فأجاب صلوات الله وسلامه عليه أن هذه جلسة تواضع لا حقارة ولذلك وصف نفسه بقوله: عبدًا كريمًا"[٢]، ولا شك أن صفة التواضع من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[٤].

وجاء في الحديث عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٥]، وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((ألا أُخبِرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُستكبرٍ))[٦]. ولا غرو "فالتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته، ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا حاجزًا بين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٦/٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٨/٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٥٦.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧١ واللفظ له، ومسلم ٢٨٥٣.

الداعية والمدعوين، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه، غير مألوف ممن حوله"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

إن من أهم أساليب الدعوة السؤال والجواب، لما له من قيمة تاثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم مّمن وجهوها لهم، والشاهد على ذلك: فقال الأعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال رسول الله ﷺ إن الله جعلني ..."[٢].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة ٥٨/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النظام والنظافة والجمال من القيم الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم في عاداته وتقاليده وسلوكه، فإذا خالف الإنسان في ذلك وجب أن يوجه ويرشد، وهذا ما فعله الرسول ﷺ في منهجه التربوي الوارد في أحاديث الباب على النحو التالي:

أولاً-الإرشاد إلى آداب الأكل:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية الإرشاد والتوجيه إلى آداب الأكل لما في ذلك من الآداب الاجتماعية، ومما جاء في حديثي الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه" وكذلك حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه وفيه "... ثم قال رسول الله ﷺ: كلوا من حواليها، ودعوا ذرْوتها يبارك فيه".

ففي هذين الحديثين أرشد النبي ﷺ إلى أحد آداب الأكل وهو الأكل من حافة الإناء لا من وسطه لما في ذلك من المنفعة الحاصلة للآكلين وهي حصول البركة في الطعام.

(وخص الوسط بنزول البركة لأنه أعدل المواضع، وعلة النهي حتى لا يحرم الآكل البركة التي تحل في وسطه، وقد يُلحق به ما إذا كان الآكلون جماعة، فإن المتقدم منهم إلى وسط الطعام قبل حافته قد أساء الأدب معهم، واستأثر لنفسه بالطيب دونهم)[1].

ثانيًا-التربية بالمواقف والأحداث:

إن المواقف والأحداث من الأهمية بمكان في العملية التربوية ذلك أنه بتعدد المواقف والأحداث تتعدد الدروس والتوجيهات التربوية إضافة إلى أن الموقف والحدث يكون راسخًا في الذهن مما يساعد على نجاح العملية التربوية، ومما جاء في حديثي الباب

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٥٩.

يدلل على التربية بالحدث والموقف حديث عبدالله بن بُسر رضي الله عنه قال: كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها الغراء يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة - يعني وقد ثُرد فيها - فالتفوا عليها، فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا...".

فمن خلال هذا الموقف والحدث أعطى النبي ﷺ درسًا تربويًا في التواضع والبساطة.

(إن الناس يتعرضون في حياتهم دومًا للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها، ومزية الأحداث كأسلوب تربوي أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة هنا استخدام الدواء عند حدوث الداء، والحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطَرْقُ والحديد ساخن حتى لا تفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع في النفس ويبقى)[1].

إن واجب المربين استغلال المواقف والأحداث في غرس القيم والمبادئ التربوية التي تسهم في صلاح حال الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء (فلا شك أن من طرق التربية الفعالة التربية بالأحداث أي استغلال حدث معين لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه وهذا التغير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثر قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات والتغيرات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدث، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وتوجيه في الاتجاه المرغوب)[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦، ٤٤٧.

ثالثًا-إيجابية المتربي:

إن من الأهداف العامة للتربية الإسلامية إيجاد الإيجابية عند المتربي، وذلك بأن يكون شريكًا في العملية التربوية، وهذا يتحقق من خلال مشاركته بالسؤال والاستفسار عما يجهل، وعما لا يفهم، ومما يشير إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث عبدالله بن بسر رضي الله عنه وفيه "... فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله جعلني عبدًا كريمًا، ولم يجعلني جبارًا عنيدًا، ثم قال رسول الله ﷺ كلوا من حواليها ودعوا ذروتها يبارك فيه".

ففي هذا الحديث كانت المشاركة من الأعرابي بالسؤال عن جلسة النبي ﷺ، ومن خلال هذه المشاركة بيّن النبي ﷺ أنه عبد كريم وليس بجبار عنيد، وأضاف النبي ﷺ قيمة تربوية بالإرشاد إلى الأكل من جوانب القصعة وترك ذروتها لتحل البركة في الطعام.

(إن السؤال مفتاح العلم، قال ابن شهاب: العلم خزائن ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فإنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل والمستمع والآخذ، وجاء عن ابن عمر رضي الله عنهما: حسن السؤال نصف العلم.

وقال الأندلسي: من السنة أن من سمع شيئًا لا يعرفه فليراجع فيه حتى يعرفه ليتبين حقه من باطله، لأنه قد يكون فيه مصلحة لا يعرفها فيكون رده وجهله سببًا لحرمانه من تلك المنفعة، ولذلك قال السادة العلماء: من جهل شيئًا عاداه، وكان الرسول ﷺ يحض أصحابه على فهم أمور دينهم فيأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم، وقيل لابن عباس رضي الله عنهما: بم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول)[1].

إن المتربي ينبغي أن يكون إيجابيًا، ولا يكتفي بالتلقي والتلقين، ولكن يحرص على السؤال والاستفادة من المربي الذي أمامه.

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٣٣٥، ٣٣٦.

(إن كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة، وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير الجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمَد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل، وسكوت الإنسان على جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب)[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١٠٨- باب كراهية الأكل متكئًا

الحديث رقم (٧٤٦)

٧٤٦- عن أَبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بن عبد الله رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ آكُلُ مُتَّكِئًا)) رواه البخاري[1].

قال الخطابي: المُتكِيءُ هنا: هو الجالس معتمداً على وِطاءٍ تحته. قال: وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام، بل يقعد مُستَوفزًا لا مستوطِئًا، ويأكل بُلغَةً. هذا كلام الخطابي، وأشار غيره إلى أن المتكئ هو المائل على جنبه، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

لا آكل متكئًا: المتكئ ههنا: هو الجالس على وطاء تحته، أي: أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الإكثار من الطعام[2].

الشرح الأدبي

من تواضعه ﷺ أنه كان لا يأكل متكأً والاتكاء: مُختَلفٌ فِي صِفَته، قِيلَ أَنْ يَتَمَكَّن فِي الْجُلُوس لِلأَكْلِ عَلَى أَيّ صِفَة كَانَ، وَقِيلَ أَنْ يَمِيلَ عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ، وَقِيلَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى يَده الْيُسْرَى مِنْ الأَرْض قَالَ الْخَطَّابِيُّ: تَحْسَب الْعَامَّة أَنَّ الْمُتَّكِئَ هُوَ الآكِل عَلَى أَحَد شِقَّيْهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ الْمُعْتَمِد عَلَى الْوِطَاء الَّذِي تَحْته. قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنِّي لا أَقْعُد مُتَّكِئًا عَلَى الْوِطَاءِ عِنْدَ الأَكْلِ فِعْلَ مَنْ يَسْتَكْثِر مِنْ الطَّعَام فَإِنِّي

---

(١) برقم (٥٣٩٨).

(٢) رياض الصالحين ٣١٩.

لا آكُل إلاَّ الْبُلْغَة مِنْ الزَّاد، فَلِذَلِكَ أَقْعُد مُسْتَوْفِزًا)[1] فالسر في كراهيته للأكل متكأً يرجع إلى أنها جلسة فيها تكبر أو أنها جلسة المستكثر من الطعام الذي يتهيأ له والرسول ﷺ لم يكن هذا ولا ذاك بل كان طعامه للضرورة وما ملأ بطنه من طعام قط وأحاديث الباب فيها دلالة على ذلك وقوله (لا آكل متكئاً) أسلوب خبري فيه أدب في عرض النصيحة ما لم تكن فرضاً فمن اقتدى به في هذه الفضائل فله الأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا إخبار بهيئة النبي ﷺ حال الأكل وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تقيم الحجة على المدعوين، وبه يعرفون هدي النبي ﷺ في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه وجميع أموره. فيطالبون بالالتزام بما أخبروا به من هدي النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3] والدعاة إلى الله مطالبون باتباع أسلوب الإخبار لتعريف المدعوين بحقائق هذا الدين، وبيان هدي سيد المرسلين، وجميع أخبار القرآن والسنة الصحيحة كلها صادقة، فيجب أن يعتمد عليها الدعاة، لأن مصداقية الخبر من أولى الخطوات المهمة لتبليغ الدعوة وإقناع المدعوين بها.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٢٧٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ في الأكل:

حيث جاء في الحديث "لا آكل متكئًا" وهذا بيان لهيئة النبي ﷺ في الأكل قال ابن حجر: (واختلف في صفة الاتكاء، فقيل أن يتمكن في الجلوس للأكل على أي صفة كان، وقيل أن يميل على أحد شقيه، وقيل أن يعتمد على اليسرى من الأرض وقال الخطابي: تحسب العامة أن المتكئ هو الآكل على أحد شقيه وليس كذلك، بل هو المعتمد على الوطاء الذي تحته، وإذا ثبت كونه مكروهًا أو خلاف الأولى فالمستحب في صفة الجلوس للآكل أن يكون جاثيًا على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى)[1]. وأما السبب في علة الكراهة في الأكل متكئًا فقد قال المباركفوري: (جاء من طريق إبراهيم النخعي قال: كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاءً مخافة أن تعظم بطونهم)[2].

وقال ابن عثيمين: (وليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل الإنسان متكئًا، إما على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، وذلك؛ لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا، فلا يكون على طبيعته، فربما حصل في مجاري الطعام أضرار من ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ "لا آكل متكئًا" يعني ليس من هديي أن آكل متكئًا)[3]. قال الدكتور الحسيني هاشم: (احترام الأكل مطلوب، وعدم الاعتدال عند تناوله من شأن المستهترين، وقد كان هذا حال رسول الله ﷺ، وما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين من الاعتدال عند تناوله واحترامه والاعتناء به)[4].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان من هديه ﷺ أن لا يأكل متكئًا،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٢/٩.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٥٧٩/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٦٧/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ٤٤٥.

فمن آداب المدعو أن يلتزم بالاقتداء بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

قال ابن كثير: (أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر، واتقوا الله في امتثال أوامره وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره ونهاه)[3].

وقال السعدي: (والأسوة الحسنة في الرسول ﷺ فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ)[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨، ٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٨.

الحديث رقم (٧٤٧)

٧٤٧- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: رَأَيْتُ رسول الله ﷺ (جَالِسًا) [١] مُقْعِيًا يَأكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم[٢].

"المُقْعِى": هو الذي يُلصق أَلْيَتَيه بالأرض، ويَنْصبُ سَاقيه.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

المقعي هو الذي يلصق إليته بالأرض، ويرفع ساقيه وهي جلسة من جلسات التواضع والوقار بالإضافة إلى أنها جلسة من لا يريد أن يملأ معدته.

وقول أنس رضي الله عنه (رأيت النبي ﷺ) الرؤية من أقوى طرق العلم، ورأى هنا بصرية بمعنى أبصرته وهذا تأكيد لصحة ما سيقول، ونقل هذه المواقف عنه ﷺ تعليم للأمة، وبيان لشرائع الله خلال السنن القولية، والفعلية لأنه ﷺ لا يصدر في أقواله وأفعله إلا عن وحي، وجملة (يأكل تمراً) تنبيء عن تواضعه وعن رقة حاله وقلة ذات يده والفعل المضارع يستحضر الصورة، صورة فقير متواضع يتناول تمرات ينفض عنها رمل الصحراء هو في جوهره، وحقيقته خير الأولين، والآخرين، وأحب خلق الله إليه، أترُاك هل أدركت جانباً من سر هذه الأفضلية.

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تتبع أحوال النبي ﷺ ونقلها:

يتضح هذا من الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا" قال القاضي عياض:

---

(١) (جالسًا) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢٠٤٤/١٤٨).

(والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه وهذا هو تفسير قوله: "أما أنا فلا آكل متكئًا" ومعناه: أي لا آكل أكل من يريد الاستكثار من الأطعمة، ويتمكن للقعود لها بل يقعد مستوفزًا وعند بعضهم الإقعاء: الاتكاء على الجانب، وهو تأويل أكثر الناس وعلته عندهم وجهان:

أحدهما: أنه من شيم أهل الكبر والترفه.

الثاني: يخشى ضرره لأجل ضغط مجاري الطعام بضغط الجانب والأضلاع بالاتكاء)[1]. قال النووي: (وقوله "مقعيًا" أي جالسًا على إليتيه ناصبًا ساقيه، وهي جلسة من لا يريد الاستكثار من الطعام ويقعد متمكنًا له، بل يقعد مستوفزًا ويأكل قليلاً)[2]. وقال ابن عثيمين: (والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه، وإنما أكل النبي ﷺ كذلك، لئلا يستقر في الجلسة فيأكل كثيرًا، ولاشك أن إكثار الطعام لا ينبغي فمن أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًا الطمأنينة الكاملة)[3].

وما من شك في أن وصف أنس رضي الله عنه لهيئة جلوس النبي ﷺ دليل على حرصه على تتبع أحواله ونقلها لنا، ذلك لأن رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة في جميع أموره وأحواله، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4] وحذر الله تعالى من مخالفة هديه فقال جلّ شأنه: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٢٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٩٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٦٧/٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة النور، آية: ٦٣.

ثانيًا- من صفات النبي ﷺ: التواضع:

حيث جاء في الحديث "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا" ولاشك أن هذا يدل على كمال تواضعه ﷺ قال القرطبي: (والإقعاء: جلسة المستوفز على أطراف إليتيه مأخوذ من إقعاء السبع، وإنما كان يأكل كذلك لعدم نَهَمِهِ، وقلة مبالاته بأكله، إذ لم تكن همته فيما يجعل في بطنه، وإنما كان يأكل القليل من الطعام عند الحاجة وعلى جهة التواضع)[١].

وقال محمد تقي العثماني: (والإقعاء هيئة متواضعة للجلوس، وعلل الأكثرون الإقعاء بأنه كان تواضعًا منه ﷺ واستعجالاً للفراغ من الأكل، ليتوجه بعد ذلك إلى شغله، ودل الحديث على أن المرء ينبغي له أن يجلس على الطعام جلوسًا متواضعًا ويجتنب هيئة المتكبرين)[٢].

قال القاضي عياض: (وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه ورفعة شأنه فكان أشد الناس تواضعًا، وأعدمهم كبرًا، وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا)[٣]. وقد أمره الله بالتواضع، فقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤] وقال جلّ شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[٥] ومن تواضعه ﷺ أنه نهى عن مدحه وإطرائه فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: ((لا تُطْروني كما أطرَتِ النصارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد اللهِ ورسوله))[٦].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٥/٥.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٤٢/١٠-٤٣.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١٩١/١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٤٥.

والدعاة إلى الله أحوج الناس إلى خلق التواضع، لأنهم يخالطون الناس ويدعونهم إلى الحق، والناس لا يتقلبون دعوة أو قول من يتطاول عليهم بعلم أو معرفة، لأن قلوب الناس جبلت على حب من أحسن إليها بالتواضع وسماحة النفس، والنفور ممن يتكبر عليها فلا يتقبلون له دعوة ولا يأخذون عنه إرشادًا، ولقد كان من أهداف دعوته ﷺ: القضاء على نزعة التكبر والاستعلاء التي فشت في العالم، وعلى الداعي الناجح أن يجعل من رسول الله ﷺ أسوة حسنة في الاقتداء في جميع خصاله الكريمة[1].

(١) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢٤٣ - ١٤٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النعم تقابل بالشكر والاحترام والتقدير، والقدرة على تناول الطعام نعمة حرص الرسول ﷺ على التعامل معها بما يناسبها، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي.

أولاً-تعليم آداب الجلوس على الطعام:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين وتعليمها لهم تعليمهم آداب الجلوس على الطعام، لما في ذلك من حسن الأدب والتواضع، ومما جاء في حديثي الباب يشير إلى ذلك قوله ﷺ "لا آكل متكئًا" وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذين الحديثين بيان لبعض آداب الجلوس على الطعام التي ينبغي أن يلتزم بها المتربي.

قال ابن مفلح المقدسي: (ومن آداب الطعام أن لا يأكل إلا مطمئنًا وقوله ﷺ "أما أنا فلا آكل متكئًا" أي لا آكل أكل راغب في الدنيا متمكن، بل آكل بحسب الحاجة، وقد فسر ذلك بالتربيع لما فيه من التجبر، وفسر الاتكاء بالميل على الجنب والإسناد إلى شيء وهذا هو المتبادر إلى الفهم عرفًا، وهو يضر من جهة الطب لتغير الأعضاء والمعدة عن الوضع الطبيعي ولا يصل الغذاء بسهولة، وقال ابن هبيرة: (أكل الرجل متكئًا يدل على استخفافه بنعمة الله تعالى فيما قدمه بين يديه من رزقه، وفيما يراه الله من ذلك على ما تناوله، ويخالف عوائد الناس عند أكلهم الطعام من الجلوس إلى أن يتكئ فإن هذا يجمع بين سوء الأدب والجهل واحتقار النعمة، ولأنه إذا كان متكئًا لا يصل الغذاء إلى قعر المعدة الذي هو محل الهضم فلذلك لم يفعله النبي ﷺ ونبه على كراهته.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأبي عبدالله: تكره الأكل متكئًا؟ قال: أليس قال النبي ﷺ: لا آكل متكئًا. قال في المستوعب إن من آداب الأكل أن لا يأكل

متكئًا ولا منبطحًا، ولا يأكل إلا مطمئنًا)[١].

وقال ابن القيم: (ومن هديه ﷺ في هيئة الجلوس للأكل أنه ﷺ كان يأكل وهو مقع، ويُذكر عنه أنه كان يجلس للأكل متوركًا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر قدمه اليمنى تواضعًا لربه عز وجل)[٢].

والحاصل أنه يجب على المتربي أن يعرف آداب الجلوس على الطعام وأن يجلس مطمئنًا (ومن آداب الطعام عدم الجلوس متكئًا فليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، قال ابن عثيمين: وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء وهذا معنى نفسي، ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته فالإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه هذا هو الإقعاء، وإنما كان يأكل النبي ﷺ كذلك لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلاً كثيرًا لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، قال: و الحاصل: أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء وهذه ليست من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا، وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة)[٣].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

إن الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي لما يدعو ويوجه إليه مما يزيد في قناعة المتربي بما هو مأمور به ومنهي عنه، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا الأسلوب حديث أنس رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا يأكل تمرًا".

ففي هذا الحديث التطبيق العملي والممارسة الفعلية لعدم الجلوس على الطعام متكئًا.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٦٩/٣، ١٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٤.

(٣) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٤٥٣/١.

(إن أسلوب الممارسة العملية يعد من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل. ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلام دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران ويطالب الدين الإسلام كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

هذا وواجب المربي الناجح الاهتمام بالتطبيق والممارسة العملية أكثر من قوله حيث إن للممارسة العملية أثرًا بالغًا في نجاح العملية التربوية وفي توجيه المتربي وإرشاده.

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع

واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها

واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة الّتي تسقط منه وأكلها وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

الحديث رقم (٧٤٨)

٧٤٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلاَ يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ[1] حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

التواضع خلق عالٍ رفيع يربي الإسلام أفراده عليه، لأن مقابله، وهو الكبر يحرم صاحبه دخول الجنة بأقل القليل منه كما أن صاحبه يكون مكروهاً ممن حوله في الدنيا فهو بهذا الخلق في نار قبل النار، وهذا الحديث فيه صورة من صور البساطة والتواضع التي يتربى عليها المسلم، وهي لعق الأصابع، والمعنى فيه مبني على أسلوب الشرط المنبيء بقوة اتصال الجمل، فالجملة الثانية تتحقق بتحقق الأولى وتنتفي بانتفاءها، وهو ما يجعل جملتي الشرط كالجملة الواحدة، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن الأكل أمر معتاد، وفعل الشرط في الماضي (أكل) ودخول إذا عليه يُمَحِّضَه للاستقبال، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وجملة الجواب (فلا

---

(١) عندهما بلفظ: (يده). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٥٦، ومسلم ٢٠٣١/١٢٩ واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٩٣.

يمسح أصابعه) الفاء في جواب الشرط، ولا ناهية، والمنهي عنه المسح المؤقت بـ (حتى) الدالة على بلوغ الغاية، وهي لعق الأصابع؛ لأن ما فيها جزء من الطعام، ولا يدري في أي طعامه البركة، بالاضافة إلى أن فيه رياضة النفس على خلق التواضع، وقوله (أو يُلْعقها) أي غيره، و (أو) هنا للتخيير، وهذه أكثر ترويضاً للنفس على التواضع من لعقها بنفسه، بالإضافة إلى أن فيها نوعاً من التآلف بين المؤمنين، وما أعمقها من معانٍ لو فطن إليها المسلمون.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- الأكل بثلاثة أصابع: السنة الأكل بثلاثة أصابع، ويكره الأكل بأكثر منها، لأنه من الشره، وسوء الأدب، ولأنه غير مضطر لذلك لجمعه اللقمة، وإمساكها من جهاتها الثلاث، إلا أن يضطر إلى الأكل بأكثر من ثلاثة أصابع، لخفة الطعام مثلاً، وعدم تلفيقه بالثلاث، فيدعمه بالرابعة أو الخامسة[2]. هذا إن أكل بيده ولا بأس باستعمال الملعقة ونحوها[3].

٢- أكل اللقمة الساقطة: يستحب عند جمهور الفقهاء إذا وقعت اللقمة أن يميط الآكل عنها الأذى، ويأكلها، ما لم تتنجس، ولا يدعها للشيطان، لأنه لا يدري موضع البركة في طعامه، وقد يفوّت تركها على المرء بركة الطعام. فإن تنجست غسلها، فإن تعذر أطعمها حيوانًا ولا يتركها للشيطان.

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٢/٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٧/٥.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢١/٦.

بينما ذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك[١].

٣- لعق الإناء والأصابع: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه من السنة للآكل لعق أصابعه قبل غسلها، أو مسحها، تحصيلاً لبركة الطعام، وكذلك يسن له لعق الإناء وتتبع ما بقي فيه من طعام[٢].

وهل للعق الأصابع صفة واردة؟

ورد عند الطبراني في الأوسط من حديث كعب بن عجرة قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، الإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها، ويلعق الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام[٣].

وذهب ابن حزم إلى وجوب ذلك كله[٤].

وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (٦٠٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل.

ثالثًا: من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

النهي من الأساليب الدعوية التي يكون بها حمل المدعو على اجتناب الأمر المنهي

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي ٦٨/٩، والمحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٩٢/٢٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٣/٥، وشرح منتهى الإرادات ٦٨/٩.

(٣) المعجم الأوسط ١٦٩/٦، ١٧٠٩. وقال الهيثمي: فيه الحسين بن إبراهيم الأذني ومحمد بن كعب بن عجرة، ولم أعرفهما رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٢٩/٥.

(٤) المحلى، ابن حزم ١١٧/٦.

عنه، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها"، وما النهي في ذلك إلا لعظيم الفائدة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل لعق الأصابع بعد الفراغ من الأكل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "...، فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" قال النووي في قوله ﷺ "يلعقها أو يلعقها: (معناه: والله أعلم: لا يمسح يده حتى يلعقها، فإن لم يفعل فحتى يلعقها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجه وجارية وولد وخادم يحبونه ويلتذون بذلك ولا يتقذرون... وكذا لو ألعقها شاة ونحوه والله أعلم)[1].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث رد على من كره لعق الأصابع استقذارًا، نعم يحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل لأنه يعيد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه، قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقلهم الترفه فزعموا أن لعق الأصابع مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع أو الصحفة جزء من أجزاء ما أكلوه، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذرًا لم يكن الجزء اليسير منه مستقذرًا، وليس في ذلك أكبر من مصه أصابعه بباطن شفتيه. ولا يشك عاقل في أن لا بأس بذلك، فقد يمضمض الإنسان فيدخل إصبعه في فيه فيدلك أسنانه وباطن فمه، ثم لم يقل أحد إن ذلك قذارة أو سوء أدب)[2].

وقد بين النبي ﷺ فضل لعق الأصابع بعد الأكل فقال: ((فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ. فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ))[3].

قال النووي: (معناه والله أعلم: إن الطعام الذي يحضره الإنسان فيه بركة ولا يدري أي تلك البركة فيما أكله أو فيما بقي على أصابعه... فينبغي أن يحافظ على هذا كله لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة وثبوت الخير والامتاع به، "والمراد" هنا والله أعلم ما يحصل به التغذية وتسلم عاقبته من أذى، ويقوي على طاعة الله تعالى وغير

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩١/٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٣٣.

ذلك)[١]. وقال ابن حجر: (قد أبدى عياض علة أخرى فقال: إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام)[٢].

ثالثًا - من آداب الداعي: بيان الأمور النافعة للمدعوين:

هذا ما يستفاد في الحديث من إرشاده ﷺ إلى ما فيه نفع وخير للأمة وذلك من قوله "فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها أو يُلعقها" لما في ذلك من فضل عظيم كما سبق وبينا، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في ذلك ممتثلاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[٣] (وفي هذه الآية دليل على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل أن أمته تتخذه أسوة في الأحكام...، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله واليوم الآخر)[٤]، وهذا فضلاً عن عظم أجر الداعية إلى ذلك، فقد قال ﷺ ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٥]، وقال ((ومَنْ دَعَا إلى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٦]، فعلى الداعية أن يحرص على بيان الأمور النافعة للمدعوين لما في ذلك من عظيم الأجر والفائدة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩١/٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الحديث رقم (٧٤٩)

٧٤٩- وعن كعب بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ[1] رسولَ الله ﷺ يَأكُلُ بثَلاثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

وهذا الحديث كسابقه في بيان فضل لعق الأصابع ما بين تحقيق البركة، وبين توطين النفس على التواضع المشعر بشكر النعمة وحمد المنعم، وهذا الحديث يقرر بالسنة الفعلية هذا المعنى بالإضافة إلى أنه يشير إلى أدب آخر من آداب الطعام، وهو الأكل بثلاث أصابع، لأن الزيادة على ذلك تُشعر بالجشع، وتُستقذر من بقية الآكلين، وقد ساق الصحابي المعنى في الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات؛ لأنه يؤسس معنى جديداً، ولا يواجه بإنكار، والصورة التي تصورها الأفعال الثلاثة (يأكل - فرغ - لعقها) للنبي ﷺ في أثناء طعامه تعكس أدبه العالي، وتواضعه الجم.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية أكل النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية أكل النبي ﷺ:

قد كان هدي النبي ﷺ أنه كان يأكل بثلاث أصابع، وكان يلعق يده بعد الفراغ من طعامه، وهذا ما بينه كعب بن مالك رضي الله عنه في نص الحديث من قوله: "رأيت

---

(١) لفظ مسلم: (أن رسول الله ﷺ كان يأكل).

(٢) برقم ٢٠٣٢/١٣٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٤٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٠).

رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها".

وقد بيّن القاضي عياض: (أن قوله ﷺ "كان يأكل بثلاثة أصابع": هو أدب الأكل وسننه ومن المروءة؛ لأن الأكل بأكثر منها إنما هو من الجشع وسوء الأدب فيه وتكثير اللقم، وذلك من غير آدابه ومستحسناته، ولأنه غير مضطر لأكثر من ثلاث لجمع لقمته وإمساكها من جهاتها، إلا أن يضطر إلى غير ذلك لخفة الطعام، وعدم تلفيفه بالثلاث فيدعمه بالرابعة)[1].

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقها إذا فرغ، وهو أشرف ما يكون من الأكلة، فإن المتكبر يأكل بأصبع واحدة، والجَشِعُ الحريص يأكل بالخمس، ويدفع بالراحة)[2].

وقد بين ابن علان ذلك فقال: (قال العلماء: فيستحب الأكل بثلاث أصابع ولا يضم إليها الرابعة والخامسة إلا لضرورة... ثم بين أن من عادته ﷺ في أكثر الأوقات هو الأكل بثلاث أصابع. قيل: وإنما اقتصر عليها لأنه الأنفع؛ إذ الأكل بأصبع واحدة مع أنه فعل المتكبرين لا يستلذّ به الآكل ولا يستمرئ به؛ لضعف ما يناله منه كل مرة، فهو كمن أخذ حقه حبة حبة، وبالأصبعين مع أنه فعل الشيطان ليس فيه استلذاذ كامل مع أنه مفوّت الفردية، والله وتر يحبّ الوتر، والخمس مع أنه فعل الحريص الفجع يوجب ازدحام الطعام على مجراه من المعدة، فربما أفسد مجراه فأوجب الموت فورًا وفجأة "فإذا فرغ" أي: من أكله "لعقها" بكسر المهملة: أي لحسها)[3].

وقال القاضي عياض: (وفي الحديث جواز مسح اليد بعد الطعام بالمنديل، وهذا - والله أعلم - فيما لم يحتاج فيه لغسل مما ليس فيه غمر ولزوجة مما لابد منه إلا الغسل، فقد جاء في الحديث في الترغيب في غسله أو الحذر من تركه، فذكر أبو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم /١٤٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٠٢٠.

داود في مصنفه، ... وغيره من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[١])[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من متابعة كعب بن مالك رضي الله عنه لحال النبي ﷺ أثناء أكله، ونقل ذلك عنه في قوله رضي الله عنه: "رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع".

(والصحابة رضي الله عنهم خير القرون، وصفوة هذه الأمة، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ويجب علينا أن نتولاهم ونحبهم ونترضى عنهم وننزلهم منازلهم، فإن محبتهم واجبة على كل مسلم، وحبهم دين وإيمان وقربى إلى الرحمن، وبغضهم كفر وطغيان، فهم حملة هذا الدين، ... وقد وصلنا عن طريقهم بعد أن تلقوه غضًا طريًا عن رسول الله ﷺ مشافهة، ونقلوه لنا بكل أمانة وإخلاص، ونشروا الدين في كافة ربوع الأرض في أقل من ربع قرن)[٣].

وفي بيان حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: ((بتُّ عندَ خالتي مَيمونة، فقلتُ لأنظرنَّ إلى صلاةِ رسولِ الله ﷺ...))[٤] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلكَ... إلخ))[٥] وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة ونقل أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، (وقد كان اتباع النبي ﷺ والتأسي به أحد

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٢/٦.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ٢٧١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٧٠، ومسلم ٧٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ٨٩، ومسلم ١٤٧٩.

ركائز الإسلام وأساسياته، ومن أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت النصوص الشرعية الصحيحة في بيان ذلك والتأكيد عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1] وقوله عز وجل ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2])[3].

(والتأسي بالنبي ﷺ معناه تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين)[4]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾[5]، والله جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلغ والسراج المنير قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[6].

(ومبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره)[7].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني ص ٩٣، ضمن بحوث حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٧) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٩-٦٠.

الحديث رقم (٧٥٠)

٧٥٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: ((إنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ فِي أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الصحفة: الإناء الذي يؤكل فيه[2].

الشرح الأدبي

يكشف هذا الحديث جانباً من حكمة الرسول ﷺ في الأمر بلعق الأصابع، والصفحة، وقول الرسول ﷺ (إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة) الجملة مؤكدة بأكثر من مؤكد تنزيلاً للمخاطبين منزلة المنكرين أو تعظيماً للخبر، ورغبة في تعظيمه في أنفس المخاطبين، واتصاله بكاف الخطاب، وميم الجمع يجعل الجميع مَعْنيين بموضوع الحوار وقوله (لا تدرون) يشير إلى الجهل بمحل البركة والذي يؤكده الإبهام الذي توحي به (أي) وينادي بتتبع البركة في كل بقايا الطعام، وجملة أحاديث هذا الباب فيها جانب اقتصادي لو طُبق حق التطبيق لوفَّر للمسلمين ما يحتاجون إليه، وصاروا في غنى عن الحاجة لأعدائهم في طعامهم، وأساس المسألة هو توقير نعمة الله واحترامها واتباع سنة رسوله.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ح ف).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥١)

٧٥١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بِالمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فلْيُمِطْ: فليُنحَّ وليُزل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يعالج جانباً مهماً من جوانب السلوك في تناول الطعام، يعتمد حسن استعمال النعمة، والمحافظة عليها، ويُبنى على أسلوب الشرط بعد التوكيد الذي يمهِّد النفوس للخبر، ويدخله على القلوب دخول المأنوس، وقد ربط أسلوب الشرط جزاءً بفعله، فكلما وقعت لقمة أخذها فأماط الأذى عنها فأكلها، والحديث تكاثفت فيه الأساليب الإنشائية التي تمثل جانب الحركة في اللغة؛ وتبدو من خلالها انفعالات المتكلم، ومشاعره، ومدي تأثره بموضوعه، وقد ورد أسلوب الأمر ثلاث مرات، وأسلوب النهي مرتين، وأساليب الأمر هي (فليأخذها - فليمط - وليأكلها) ومن الملاحظ أنها أفعال مضارعة دخلت عليها لام الأمر، وهذا الصيغة من صيغ الأمر أدل على اللزوم، وأبعد عن المجاز ثم إن هذه الأفعال ترتبت على بعضها، فقوله (إذا وقعت لقمة) نسب فعل الوقوع إلى اللقمة وهي في الحقيقة مفعولاً والفاعل هو الآكل الذي أوقعها إشارة إلى أن المسلم لا يلقي بطعامه وإن لم يكن له به حاجة، فلابد أن أحد إخوانه في حاجة إليه، ولذلك رتب الرسول ﷺ على وقوع اللقمة بالفاء المؤذنة بالسرعة

---

(١) برقم (٢٠٣٣/١٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٠).

(٢) ل في (م ي ط).

أخذها، ثم إصلاحها، ثم استخدامها مرة أخرى، انظر كيف يعلمنا الرسول ﷺ المحافظة على أموالنا، وألا نترك منها قليلاً، ولا كثيراً يضيع هباءً، ثم إن في المسألة بُعداً آخر، وهو عدم تركها للشيطان ليتقوى بها علينا، ألا يعلمنا ذلك أن إهدار مال المسلمين إضعاف لهم، وقوة لأعدائهم؟ لذلك جاء نهي الرسول ﷺ (ولا يدعها للشيطان) إشارة إلى ذلك.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية في الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٢)

٧٥٢-وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، (فإذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ)[1] (فَلْيَأخُذْهَا)[2] فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلاَ يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ، فإنَّهُ لا يَدْرِي فِي أيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: فليُنحَّ وليُزل[4].

الشرح الأدبي

قول جَابِرٍ رضي الله عنه (سمعت) يفيد توكيد الخبر؛ لأنه سماع مباشر من فِيِّ النبي ﷺ وتوكيد الخبر في قول النبي ﷺ: (إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه) تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، أو لأنه من الأخبار غير المعهودة، وقوله: (الشيطان يحضر) يصور الفعل المضارع الشيطان كاللص يتربص بالإنسان حتى تواتيه الفرصة فينقضَّ عليه، وقوله: (أحدكم) اتصال الضمير، وكاف الخطاب بلفظ أحد يشير إلى أن الشيطان يتربص بكل واحد منا لا يتثني أحداً - مهما بلغ صلاحه - مما يستلزم أن يتيقظ كل واحد منا لنفسه، وقوله (عند كل شيء) يقرر أن هذا التربص من الشيطان

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (فإذا سقطت من أحدكم اللقمة)، والمثبت عند مسلم في الرواية التي بعدها، بدون رقم.

(٢) (فليأخذها) لا توجد مسلم. وقال محقق الترغيب (٨٣/٣، هامش ١): ليست في: (ب)، ولا صحيح مسلم، بل مستدركة في هامش: (ب).

(٣) برقم (٢٠٣٣/١٠٣)، وتقدم برقم (١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٨٩).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

عند قليل العمل، وكثيره، وقوله: (من شأنه) أي في أمور حياته اليومية، العادة، أو العبادة، كالطعام، والشراب، والنوم، والعمل، ، والصلاة، وأعمال البر، وغيرها، وعبارة الرسول ﷺ من بدايتها تمهيد لما بعدها، وقوله (فَإِذَا سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ) أسلوب شرط يربط الإماطة، وما عطف عليها بالسقوط، ويؤكده بجملة النهي المعطوفة على جواب الشرط (ولا يدعها للشيطان) لأنها قوة لعدوك، ونقص من قوتك، وقوله (فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ) أسلوب شرطٍ ثانٍ يقرر تتبع بقية الطعام، ولا يستهزء بنعمة الله، مع ترويض النفس على خلق التواضع، وقوله (فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ) الفاء للتعليل، والجملة تعليل للأمر السابق، وترغيب في إتيانه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح رواية من الحديث رقم (١٦٤).

الحديث رقم (٧٥٣)

٧٥٣-وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أصَابِعَهُ الثَّلاثَ، وقال: ((إِذَا سقَطَتْ لُقْمَةُ أحَدِكُمْ (فَلْيَأخُذْهَا)[1]، ولْيُمِطْ عنها الأذى، وَلْيَأكُلْهَا، وَلاَ يَدَعْها لِلشَّيْطَان)) وأمَرَنا أن نَسْلُتَ القَصْعَةَ، وقال: ((إنَّكُمْ لا تَدْرُونَ في أيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليُمِطْ: ليُنحَّ وليُزل[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمَّن سنناً فعلية، وسنناً قولية توجِّه المؤمنين إلى ما فيه صلاح حياتهم، ورضى ربهم؛ لأن من ميزات التوجيهات النبوية أنها شاملة لإصلاح الدنيا، وإصلاح الآخرة، في توزان دقيق يشهد بإعجازها، وأنها من وحي الله على لسان نبيه، وجملة السنن التي يتناولها هذا الحديث، وإن كانت تبدو سهلة بسيطة في تنفيذها إلا أن أثرها عظيم، إذا طُبقت، وصارت سلوكاً في مختلف التعاملات في الحفاظ على نعمة الله التي سنسئل عنها.

فالتواضع، وتتبع أسباب الزيادة، والبركة يشير إليها فعله: (كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ) والحرص على النعمة، وتتبع ما يسقط، وردُّ ما يضيع طاعة لله، وإرغاماً لعدوه في سياق الشرط، وجزائه في قوله (إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ) والأمر المحكي بصيغ خبرية بتتبع ما بقي في الإناء

---

(١) (فليأخذها) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢٠٣٤/١٣٦)، وتقدم برقم (٦١٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (م ي ط).

في قوله: (وَأَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ الْقَصْعَةَ) ثم التعليل الموصل للقناعة العقلية بذكر السبب، بعد القناعة القلبية بالتسليم لأمر الله، ورسوله في قوله (فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةُ) وتلك السلوكيات الخاصة في الطعام لو عممت وصارت خلقا في المسلم بين التواضع، وحسن استغلال نعمة الله لحقق له ذلك النجاح الاقتصادي في الدنيا، وفاز بالأجر من الله في الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٨).

الحديث رقم (٧٥٤)

٧٥٤- وعن سعيد بنِ الحارث: أنّه سأل جابرًا ﷺ عنِ الوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ[1] الطَّعامِ إلاَّ قليلاً، فإذا نَحْنُ وجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لنا مَنَادِيلُ إلاَّ أكُفُّنا وسَواعِدَنَا وأقْدامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلاَ نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مناديل: جمع منديل: ما يُتَمَسَّحُ به وهو من نسيج من قطن أو حرير أو نحوهما[3].

الشرح الأدبي

الحديث بُني على أسلوب الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتكلم، والمخاطب، وهو مناسب للمسائل العلمية، وحلقات الدرس في التعليم، والإرشاد حتى يتحقق غرض الإيضاح، والحديث يبدأ بأسلوب خبري بحكاية السؤال الذي يمثّل أصل المسألة، وهي حكم الوضوء مما مسَّت النار، فجاءت إجابة الصحابي مبنية على الإيجاز في قوله (قال: لا) أي: لا يوجد سبب للوضوء مما مسَّت النار، ثم ذكر حالهم مع النبي ﷺ كشاهد يؤكد صدق كلامه بجملة خبرية مفادها النفي (قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الطَّعَامِ إلاَّ قَلِيلاً) وقد أكَّد الفعل الماضي بـ (قد) التي أفادت تحقيق الفعل، وقد اشتملت على أسلوب القصر بالنفي والاستثناء الذي يقصر وجدان الطعام على القليل، وفيه إشارة إلى شدة الحال، وضيق العيش مع صبرهم، وشكرهم لله، وقوله: (فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إلاَّ أَكُفُّنَا وَسَوَاعِدَنَا وَأَقْدَامَنَا) أسلوب

---

(١) عند البخاري زيادة: (من).

(٢) برقم (٥٤٥٧).

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن د ي ل).

شرط فعله محذوف دل عليه المذكور تقديره فإذا وجدناه...) وجملة الجواب هي جملة القصر (لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا...) التي تعكس قلة ذات اليد، والتواضع، وقوله (ثم نصلي، ولا نتوضأ) عود على بدء يؤكد الحكم الذي سبق، ويقرره، وهو مدار الحوار.

فقه الحديث

١- مسح اليد بالمنديل:

ترجم البخاري لهذا الحديث: باب المنديل[١]، وترجم له ابن ماجه "مسح اليد بالمنديل"[٢] قال النووي: (يجوز مسح اليد بالمنديل لكن السنة أن يكون بعد لعقها)[٣].

٢- الوضوء مما مست النار:

قال ابن حجر: (قال النووي كان الخلاف فيه معروفًا بين الصحابة والتابعين، ثم استقرّ الإجماع على أنه لا وضوء مما مست النار إلا ما استثني من لحوم الإبل)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة ﷺ على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

قد يعرض للمدعو ما يشكل ويلتبس عليه من أمورٍ دينية أو مسائل دنيوية، مما قد يجعله في حيرةٍ من أمره، فيتحتم عليه آنذاك أن يزيل هذه الأمور التي قد تعيقه وتمنعه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٩/٩ .

(٢) كذا قال ابن حجر في فتح الباري ٥٧٩/٩ وما في سنن ابن ماجه: باب مسح اليد بعد الطعام، الحديث ٣٢٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٣/١٣/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/١.

عن الامتثال للدعوة والاستجابة لها، وذلك يكون بسؤال أهل العلم كما وقع في هذا الحديث من سؤال سعيد بن الحارث لجابر رضي الله عنه، عن الوضوء مما مست النار، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بسؤال أهل العلم عما أُشكل فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وفي ذلك قال السعدي: (... وهذه الآية وإن كان سببها خاصًا بالسؤال عن حال الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها. ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[2].

وقد أكد النبي ﷺ على أهمية السؤال عما خفي فقال: ((... ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال))[3] أي: (أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعليم)[4].

وفي ذلك يكون المرء على بصيرة من دينه وعلى علم بسنة نبيه ﷺ فيعبد الله على بينة ويدعو إليه على بصيرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان شدة العيش التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ:

هذا الحديث ينقل لنا فيه جابر بن عبدالله رضي الله عنه صورة من صور شظف العيش التي عاناها الصحابة رضي الله عنهم، فأخبر عما كان يعانيه الصحابة من قلة في الطعام "قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، والملابس "لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا"، لقد اشتغل الأولون من صحابة رسول الله ﷺ بنشر

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨٥.

الإسلام ولم يشغلهم عن ذلك رغد عيش أو طيب دنيا، فضلاً (عما أعقب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، من ظهور مشكلة تتعلق بطبيعة معيشة المهاجرين، الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين، ولاشك أن بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على إقتصاد المدينة وليست للمهاجرين خبرة زراعية، فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة، وليست لديهم رؤوس أموال، فقد تركوا أموالهم بمكة، وقد وضع الأنصار إمكاناتهم في خدمة المهاجرين، لكن بعض المهاجرين، بقي محتاجًا، وهذا ما جعل في العيش شدة وخشونة)[1].

وذلك ما أشار إليه نص الحديث من قول جابر رضي الله عنه: "...، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً"، وفي بيان ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ. فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالاَ: الْجُوعُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَأَنَا. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ. فَأَتَى رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ. فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلاً فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ أَيْنَ فُلاَنٌ؟ قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي. قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ. فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ. وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ. فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ. وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ. ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ))[2].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ((إني لأوَّل العَرَب رمى بسَهم في سبيل الله، ولقد كنا نَغزُو مع رسول الله ﷺ مالنا طعامٌ إلا ورقُ الحُبْلَةِ وهذا السَّمُر، وإن أحدَنا

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، ١/٢٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٨.

لَيَضعُ كما تَضعُ الشاة ماله خِلط))[١] أي: لا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته[٢]، وأيضًا يظهر ذلك من قول عتبة بن غزوان ((وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ . مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ. حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا. فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ. فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا...إلخ))[٣].

قال النووي في بيان قوله "حتى قرحت أشداقنا" أي: (صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته)[٤]، وفي ذلك بيان لشدة العيش التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول الله ﷺ.

ثالثًا - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من مهام الداعية التي تعينه على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه، وهذا ما ظهر في الحديث من بيان جابر رضي الله عنه ما خفي عن السائل في قوله: "لا، قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك الطعام إلا قليلاً، فإذا نحن وجدناه، لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥]. قال السعدي: (... على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أوقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٢٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ١٠٦/٧.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٩٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧١١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

وقد توعد الحق تبارك وتعالى من يكتم العلم ولا يبينه للناس فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1]. وفي ذلك قال أبو هريرة ﷺ: ((لَوْلاَ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُكُمْ))[2] (ثم قال: عروة الآية: "إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات..." الآية، معناه: لولا أن الله تعالى أوجب على من علم علمًا إبلاغه، لما كنت حريصًا على تحديثكم، ولست متكثرًا بتحديثكم)[3].

(وبهذه الآية استدل العلماء على وجوب تبليغ العلم الحق، وتبيان العلم على الجملة...)[4] وفي تأكيد ذلك قال الحسن بن عمارة: (أتيتُ الزهري بعد ما ترك الحديث، فألفيته على بابه، فقلتُ: إن رأيت أن تُحدثني. فقال: أما علمت أني تركت الحديث؟ فقلت: إما أن تحدثني، وإما أن أحدثك، قال: حدثني. قلت: حدثني الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار قال: سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا، حتى أخذ على العلماء أن يعلموا. قال فحدثني أربعين حديثًا)[5]. فعلى الداعية أن يوضح ويبين الحقائق للمدعوين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مسح اليد بعد الطعام:

(قد أشار الحديث إلى استحباب مسح اليد بعد الطعام إذا لم تكن هناك حاجة لغسلها، وذلك من قول جابر ﷺ "... لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا، ثم نصلي ولا نتوضأ"، وقد يتعين الندب إلى الغسل بعد اللعق لإزالة رائحة الطعام، وعلى ذلك يحمل حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ نَامَ وَفِي

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٥٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/ ٤٨٠.

(٥) المرجع السابق، ٥/ ٤٥٨.

يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ))[١])[٢] (وقد اختلف في غسل اليد للطعام، فكرهه مالك قبل الأكل وقال فيه: قيل إنه من فعل الأعاجم، وكرهه الليث قبل الأكل وأجازه بعده، ولعل قول مالك بكراهته قبل الأكل لمن كانت يده طاهرة أما كراهته بعد الأكل فيما لو خلا الطعام من الدسم، أما لو كانت هناك حاجة لغسل اليد سواء قبل الأكل أو بعده، فإن الكراهة تنتفي، وفي الحديث أيضًا نسخ لما جاء من الأمر بالوضوء عند أكل ما مسته النار)[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٨٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٢).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٩/٩.

(٣) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٦/٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للأكل أسس وآداب تختلف من زمن إلى زمن، وما يلزم أهل زمن لا يلزم غيرهم، ما لم يكن هناك خروج عن آداب الإسلام، ووسائل النظافة تختلف من زمن إلى زمن، ولكن المتفق عليه أن إضاعة شيء من الطعام يسأل عنه الإنسان ولهذا كان هدي الرسول ﷺ في الجوانب التربوية من خلال المضامين التالية:

أولاً-تعليم آداب الأكل:

إن من الآداب التي تعتني بها التربية الإسلامية تعليم آداب الأكل، ولعل عنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يدلل على هذا فهو في بيان استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعقها ولعق القصعة، وكراهة مسحها قبل لعقها، وفي هذا إرشاد إلى آداب الأكل، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا قوله ﷺ "إذا أكل أحدكم طعامًا فلا يمسح أصابعه حتى يَلْعقها أو يُلْعقها" وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" وحديث كعب بن مالك رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها". ففي جملة هذه الأحاديث إرشاد إلى آداب الأكل وكيفية تناوله.

قال ابن القيم: (فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الآكل، ولا يمريه ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة، والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتُغْصب الآلات على دفعه والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمراء، فأنفع الأكل أكله ﷺ وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث)[1].

ثانيًا-التربية بالقدوة:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالقدوة حيث تترك أثرًا صالحًا في

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢٢/٤.

نفس المتربي، وتقنعه بما يؤمر بفعله وتنفيذه، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها" ففي هذا الحديث يروي الصحابي أنه رأى رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع، وأما القدوة في لعق الأصابع بعد الأكل ففيه حديث أنس رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث...".

وما من شك في أن القدوة لها دور رئيس في العملية التربوية (إن إيجاد المنهج التربوي المتكامل ووضع الخطط المحكمة لا يغني في بناء الشخصية الإسلامية عن وجود القدوة الصالحة التي تتمثل في الإنسان المتحلي بالأخلاق الإسلامية والكمال السلوكي، وبما أن القدوة الصالحة هي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها والكمال السلوكي: اتخذها الإسلام وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سُلّم الكمال السلوكي. فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية خصوصًا في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدي بها، أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها)[1].

ثالثًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية التوجيه المباشر حيث يقوم المربي بالتوجيه المباشر، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا الأسلوب حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة" ومنها حديث أنس رضي الله عنه وفيه "... إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان" وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: "إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

(ويعتمد أسلوب التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر وذلك من خلال البيان والإرشاد حيث يقوم المربي

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ١٧٧.

بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه تلقينًا مباشرًا من خلال التلقين بالكلام حيث يلقى الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1] أو بصيغة النهي كما في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾[2] وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[3].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العملية التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم، يرافقها تصحيح لأخطائه)[4].

رابعًا-السؤال والاستفسار:

إن من الآداب التي ينبغي أن يتعود عليها المتربي السؤال والاستفسار لما في ذلك من كشف المبهم وإيضاح الخفي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث سعيد بن الحارث أنه سأل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن الوضوء مما مسّت النار فقال: لا قد كنا زمن النبي ﷺ لا نجد مثل ذلك من الطعام إلا قليلاً فإذا نحن وجدناه لم يكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا ثم نصلى ولا نتوضأ).

(ولا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ١٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب. ولأهمية السؤال حرص الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم، وورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك مثل قوله: يسألونك ويستفتونك وليس هذا خاصًا بالرجال بل حتى النساء)[1].

خامسًا-التربية الوقائية:

من الأمور التي تعنى بها التربية الإسلامية: التربية الوقائية، لما فيها من الحفظ والصيانة للإنسان من الأمور التي تضره. ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا قوله ﷺ "إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة" وكذلك قوله ﷺ "إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة" وكذلك حديث أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعامًا لعق أصابعه الثلاث وقال: "إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان وأمرنا أن نسلت القصعة وقال: إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة".

ففي جملة هذه الأحاديث تربية وقائية من الشيطان، والاحتراز من حضوره طعام الإنسان، وما ينبغي فعله عندما تسقط لقمة على الأرض حتى لا تكون من نصيب الشيطان.

(إن الشيطان يتربص بالإنسان ويلازمه ويحاول النيل منه، ويرغب في مشاركته حتى في أكله وشربه، ومن ثَمَّ ينبغي إماطة الأذى من تراب وغيره عن اللقمة الساقطة ثم أكلها وحرمان الشيطان منها لأنه عدو، والعدو ينبغي حرمانه والتحرز منه،

---

(١) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٤.

والبركة في الطعام قد تكون في اللقمة الساقطة فلا يفرط فيها، ويجب أن يعلم الإنسان أن الشيطان يحضر ويلازم الإنسان ولا مدخل للعقل في إنكار حضوره)[١].

إن واجب المربين الاهتمام بالتربية الوقائية لتحذير المتربين مما يضرهم في الدنيا والآخرة.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير، وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية أو الامتناع من فعل ما من شأنه أن يُفْضي إلى مفسدة أكبر منه. والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال)[٢].

❁ ❁ ❁

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦١، ١٦٢.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام

الحديث رقم (٧٥٥)

٧٥٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((طَعَامُ الاثنينِ كافِي الثلاثةِ، وطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافِي الأربعة)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة من صور التكافل التي يُربِّي عليها الإسلام أفراده، كما يغرس خلق الإيثار، وينميه بالحث على مثل هذه الخصال، وقد ساق النبي ﷺ المعنى في صورة خبرية خالية من المؤكدات حقيقة مجردة، وكأن الخبر من الوضوح بحيث لا يتوقع وجود من يعارضه، وفي هذا إعلاء من شأن المعنى، وقوله: (طعام الإثنين كافي الثلاثة) قاعدة عامة تؤسس مبدأً عاماً في التكافل والإيثار، والتعبير باسم الفاعل (كافي) دون الفعل إشارة إلى ثبات الكفاية في كل حالة يتشارك فيها الثلاثة طعام الإثنين، والجملة الثانية (وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ) توكيد لمضمون معنى الجملة الأولى، وهي دعوة إلى المشاركة، والإيثار، ونهي ضمني بألا يضيق المسلم بأخيه في طعامه، وماله، وحسن خلقه ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨/١٧٨)، وتقدم برقم (٥٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٤) مع زيادة في الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (٧٥٦)

٧٥٦- وعن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، وهو الحثُّ على التكافل، والإيثار مع زيادة في جمله واختلاف دقيق في تركيبه، وقد جاء في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة خالٍ من المؤكدات، وهو ما يتفق فيه مع الحديث السابق، ولكنه اختلف من ناحية المعنى في الحديث السابق حيث إنه قرر أن طعام الإثنين كافٍ الثلاثة، وطعام الثلاثة كافٍ الأربعة) والنسبة في الجملة الأولى الثلث، وفي الجملة الثانية الربع، أي أن طعام الثلاثة مقسم على أربعة، أما في هذا الحديث، فإنه يقسم الطعام على ضعف الآكلين في كل جملة، فالنسبة تمثّل النصف، ومعنى هذا زيادة البركة، وكثرة الخير كلما زاد الإيثار، وازدادت النفس سماحة، فالزيادة مرتبطة بالإيمان ومدى سماحة النفس، ولذلك نجد الطعام الذي يضع الرسول ﷺ فيه يده، ويشارك في تناوله يكفي أضعاف أضعاف الآكلين، والروايات في مثل هذا المعنى كثيرة متواترة.

وذَكرَ المسند إليه (طعام)، ونصَّ عليه في كل جملة من الجمل الثلاثة إيذاناً باستقلاله في كل جملة، ولأنه مدار الحديث، وتكراره يجعله ملأ الأسماع والأبصار، والتعبير هنا بالفعل المضارع يفيد التجدد، والحدوث كلما حصل إيثار حصلت كفاية بالإضافة إلى أن الفعل المضارع يستحضر الصورة المرجوة صورة كفاية الطعام لحاجة الآكلين.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٠٥٩/١٧٩)، وتقدم برقم (٥٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٥٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٥) وهو مدمج في الشرح مع الحديث رقم (٥٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سبق الإسلام النظم المعاصرة، حين دعا إلى المشاركة في الطعام، ونفي الخوف من قلته لأن هذه المشاركة تجلب المحبة وتورث المودة وتؤلف القلوب، ومن فوائدها:

أولاً-غرس روح الجماعة:

إن من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة لما في ذلك من تحقيق التعارف والتآلف بين أفراد المجتمع ويتضح هذا من خلال حديثي الباب في دعوة النبي ﷺ إلى تكثير الأيدي على الطعام و الاجتماع عليه ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه "طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة، وفي حديث جابر رضي الله عنه "طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين دعوة إلى الاجتماع وتكثير الأيدي على الطعام مما يحقق الوحدة، ويعمق روح الجماعة، ويكون سببًا في حصول البركة في الطعام.

(إن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء، وقد اعتمد الإسلام على تربية أتباعه وفق هذه المبادئ وذلك بتوحيد عقيدتهم أولاً فيتم تجانسهم الفكري، وتتحد مقاييسهم الخلقية، وتتوحد مصادر التلقي عندهم إذ كلهم يأخذون من الكتاب والسنة ويصدرون عنهما في أقوالهم وأفعالهم، وقد بيّن الله تعالى أن الاعتصام بالقرآن والصدور عنه هو سبيل الوحدة بين المسلمين، وأن الاختلاف عنه هو سبيل الشقاق والتفرق. وقد ورد في القرآن والسنة الحث على كل ما يقوي الوحدة والتآلف بين المؤمنين كما ورد النهي عن كل أسباب الشقاق والفرقة)[1].

وما من شك في أنَّ الاجتماع على الطعام أحد أسباب تحقيق الأخوة وتعميق الصلات بين أفراد الجماعة المؤمنة، وواجب المربين الاعتناء بتنمية الجانب الاجتماعي والتشجيع عليه.

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٢٥٠.

(إن النجاح في بناء العلاقات الاجتماعية أمر لا غنى للداعية عنه، وهو مفتاح تأثيره على الأقربين الذين هم أَوْلى بدعوته من سائر الناس، كما أنه لا غنى له عنه ليعيش حياته الاجتماعية، ومن ثَمَّ تبدو أهمية الاعتناء بتنمية هذه القدرة لدى الشباب ومن وسائل تحقيق ذلك إبراز أهمية الجانب الاجتماعي والحاجة له، وتنمية الجانب الخلقي الذي يجعل الشاب مقبولاً من الآخرين، وتحقيق قدر من الاندماج الاجتماعي والتخفيف من العزلة التي يعيشها كثير من الشباب الصالحين تجاه المجتمع، وتنمية مهارات التعامل مع الآخرين والتعويد على احترامهم)[1].

ثانيًا-الترغيب في خلق الكرم:

إن من الأهداف الخلقية التي تسعى الديانة الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين الترغيب في خلق الكرم والجود، فمن أهم صفات المؤمن الكرم والبذل والإيثار، ومما جاء في حديثي الباب يدلل على هذا قول النبي ﷺ "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة" وقوله ﷺ "طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية".

ففي هذين الحديثين ترغيب في خلق الكرم، وأن القليل من الطعام مع الاجتماع عليه يكفي للعدد الكثير مما يدعم روح الكرم في نفس المؤمن (والكرم قيمة من قيم الإسلام، وشيمة من أبرز الشيم العربية والكريم من أسماء الخالق، وصفة من أبهى صفات الرسول الكريم ﷺ، والكرم من المكارم التي جاء الإسلام فأقرها، وامتدحها ودعا إليها وبشر أصحابها، وما أكثر الآيات الكريمة التي تدعو إلى الكرم وتجعل لأهله عظيم الأجر في الدنيا والآخرة، كما حفل الحديث الشريف بالدعوة والحض على الجود والعطاء وإكرام الضيف، ونكاد نجزم بأن الموروث الأدبي والأخلاقي قد احتفى بتلك القيمة احتفاءً لم تحظ بها قيمة أخرى من مكارم الأخلاق، وربما يعود ذلك الاحتفاء لعراقة تلك القيمة فالكرم العربي أصل لا فرع، وجَوْهر لا عَرَض، وحلية أساسية لا زينة كمالية، وخلق يقرب صاحبه من ربه ومن الناس،

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٨٧.

والبخيل مذموم حتى من أهله ومن نفسه التي يحرمها ويقصر في حقها.

ومن المعروف أن للكرم آثارًا هائلة في بناء المجتمع، وترابط أفراده، وهي آثار لا تعود على فرد بل تخص الجماعة، وتسهم في ربط المجتمع الإنساني ربطًا وثيقًا لا انفصام فيه، فالكرم قيمة تجمع ولا تفرق، وتقرّب بين البشر ولا تبعد، وتحبب ولا تنفر، وتصل من غير فصل، وتتودد في غير نفور وتعمل على لمّ الشعث ورأب الصدع في دعوة إلى التسامح والمحبة، وإلى التراحم والتواصل)[1].

إن واجب المربين الاعتناء بغرس القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة والتي منها الكرم، وبيان دعوة الإسلام لذلك، وأن الكرم مع صدق صاحبه فيه، أمره سهل، فطعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية كما جاء في الحديث الشريف.

(إنه لم يوجد في الدنيا - ولن يوجد- نظام يستغني فيه البشر عن التعاون والمواساة، بل لابد لاستتباب السكينة وضمان السعادة من أن يعطف القوي على الضعيف، وأن يرفق المكثر بالمُقلّ ما دامت طبيعة المجتمع البشري أن تتجاور فيه القوة والضعف والإكثار والإقلال.

ولو كان المال في وفرته وندرته يتبع ما أوتي الناس من مواهب معنوية لاكتنز البعض الكثير، وعاش البعض على الكفاف، فتلك سنن الخليقة التي لا افتعال فيها، وإنما يتسرب الشقاء إلى الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون إلا أنفسهم ومطالبها فحسب؛ مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض، وجعل اختلاطهم على اختلاف أحوالهم اختبارًا عويصًا يمحص به الإيمان ويوزع به الفضل والإسلام ينشئ نفوس أتباعه على فعل الخير وإسداء العون وصنائع المعروف)[2].

---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٦٢٥/٤٧.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص ١١٥، ١١٦.

١١١- باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

الحديث رقم (٧٥٧)

٧٥٧- عن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ في الشَّرابِ ثلاثًا. متفق عَلَيْهِ[(١)].

يعني: يتنفس خارج الإناء.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتنفس: يعني خارج الإناء[(٢)]، [(٣)].

الشرح الأدبي

لم يترك الرسول ﷺ خيراً إلا وأرشدنا إليه علم حكمته من علم، وجهل حكمته من جهل كما حذرنا من كل شر، وما ترك عادة، ولا عبادة إلا وبين لنا وجه رضى الله فيها حتى لا يتحرك المؤمن حركة إلا أُجِرَ بها، وهو ما يحقق البركة في العمر والسعة في الرزق، وهذا الحديث يتناول هديه ﷺ في الشراب، وقد ساق الراوي المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد إحساسًا منه بعظمة من يُحدِّث عنه، وما يحدِّث به، وقوله (يتنفس في الشراب) أي يشرب على ثلاث مرات، وليس معناه التنفس

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨/١٢٣) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٤٠.

داخل الإناء، والفعل المضارع (يتنفس) تصور التؤدة، والأناة في الشرب بما يضمن راحة البدن ورضى الله باتباع هدي نبيه ﷺ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث [١] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن الشرب وآدابه:

١- التسمية في أوله: يستحب للشارب أن يسمي الله في أول شربه، فيقول "بسم الله" وهو أقلها، فإن قال "بسم الله الرحمن الرحيم" فهو أكمل وأحسن. كما يستحب أن يجهر بالتسمية ليسمع غيره وينبهه عليها، ولو ترك التسمية في أول الشرب لعارض ما (عامدًا أو ناسيًا أو جاهلاً أو مكرهًا أو عاجزًا) ثم زال العارض، وتمكن أثناء شربه، يستحب أن يسمي ويقول: "بسم الله أوله وآخره"[٢].

٢- الشرب في ثلاثة أنفاس يسن أن يشرب الماء في ثلاثة أنفاس، ثم اختلفوا في الشرب بنفس واحد فروي عن ابن المسيب وعطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك، أنهم أجازوه بنفس واحد. وروي عن ابن عباس وطاووس وعكرمة كراهة الشرب بنفس واحد، وقال ابن عباس هو شرب الشيطان[٣].

٣- حكم التنفس في الإناء: يندب إبعاد القدح حين التنفس حالة الشرب، ويكره التنفس في الإناء، لئلا يخرج من الفم بزاق يستقذره من شرب بعده منه، أو تحصل فيه رائحة كريهة تتعلق بالماء أو الإناء. فيتنفس ثلاثًا، يحمد الله في آخر كل نفس، ويسمى الله في أوله -كما سبق-.

---

(١) يعني أحاديث الباب.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٤/٥.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٢٨/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

٤- وكما لا يتنفس في الإناء، كذلك لا يتجشأ فيه، بل ينحيه عن فيه أيضًا، مع الحمد لله، ويرده مع التسمية[١].

٥- الحمد في آخره: يسن للشارب أيضًا أن يحمد الله عقب الشرب[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: آداب الشرب.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: آداب الشرب:

إن من آداب الشرب التي يجب مراعاتها، ما ورد في نص الحديث من استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، وذلك لقول أنس رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا)، وقوله ﷺ: (لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...)، وهذا ما أكده أنس رضي الله عنه في قوله: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاَثًا، وَيَقُولُ: ((إِنَّهُ أَرْوَى وَأَبْرَأُ وَأَمْرَأُ))[٤].

وفي بيان ذلك قال الأبي: "ومعنى (يتنفس في الإناء) أي يقطع شربه بأن يزيل القدح عن فيه، لا أنه يتنفس داخل الإناء، لأن الأحاديث قد صحت بالنهي عن ذلك، وعن

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) الاختيار ٣٤/٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٥/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٥٨).

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢٨.

النفخ في الطعام والشراب"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن السنة إذا تنفس الإنسان في الإناء ثلاثًا فإنه كما قال ﷺ: (فإنه أرى،وأبرأ، وأمرأ) وصدق ﷺ.

فأما كونه (أروى) فإن الشديد العطش إذا التهبت معدته، فإنه لا يصرف عطشه مثل أن يجرع من الماء جرعة بعد جرعة قليلاً، حتى إنه ربما كفاه لديه نصف المقدار الذي يعبه عبًا.

فأما قوله: (وأبرأ) فإنه يعني ﷺ أن الشديد العطش إذا جرع الماء قليلاً قليلاً في مرات متفرقة أقلهن ثلاث كما ذكرنا فإنه يأمن من نكايته...

وأما قوله: (وأمرأ) فإنه يعني به ﷺ أن الماء إذا شرب عبًا على طعام قد أكله الآكل، طفا الطعام على رأس المعدة فلم يستمر به أكله، ولو كان قد شرب في المرات المتفرقة لكان قد حصل في بدن الغذاء فأثقله، فحطه إلى قعرها الذي يهضم به فكان يكون أمرأ"[٢].

وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: "والمعنى أن يصير هنيئًا مريًا بريًا أي: سالمًا أو مبريًا من مرض أو عطش أو أذى، ويؤخذ من ذلك أنه أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثرًا في ضعف الأعضاء وبرد المعدة"[٣].

وفي ذلك بيان على أهمية واستحباب التنفس في الشراب ثلاثًا، ولكنه يباح الشرب دفعة واحدة ولا كراهة في ذلك، لقول أبي المتني الجهني: "كنت عند مروان بن الحكم فدخل عليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال له مروان بن الحكم: أسمعت من رسول الله ﷺ أنه نهى عن النفخ في الشراب؟ فقال له أبو سعيد: نعم، فقال له رجل: يا رسول الله إني لا أروى من نفس واحد، فقال له رسول الله ﷺ: ((فَأَبِنِ القَدَحَ عَنْ فِيكَ، ثُمَّ تَنَفَّسْ))، قالَ: فإنِّي أرى القَذَاةَ فيهِ قال: ((فَأَهْرِقْهَا))[٤].

---

(١) إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، الوشتاني الأبي ١٤٢/٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٩/٥ - ٦٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٦/١٠.

(٤) أخرجه الترمذي ١٨٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٣٨).

قال المباركفوري: "في قوله: (فإني لا أروى) بفتح الواو (من نفس واحد) بفتح الفاء، أي: بتنفس واحد، أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد، فلا بد لي أن أتنفس في الشراب (قال فأبن القدح) أي: أبعده، أمر من الإبانة (عن فيك) أي عن فمك، وقول (فإني أرى القذاة فيه) أي أبصرها... فلا بد لي أن أنفخ في الشراب لتذهب تلك القذاة، (فقال: أهرقها)، بسكون الهاء من الإراقة بزيادة الهاء، أي: فارق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه"[1].

قال مالك في الحديث: "فكأني أرى في ذلك الرُّخصة أن يشرب من نفس واحد ما شاء، ولا أرى بأسًا بالشرب من نفس واحد، وأرى فيه رخصة؛ لموضع الحديث: إني لا أروى من نفس واحد".

قال أبو عمر: "يريد مالك أن النبي ﷺ لم ينه الرجل حين قال له: (إني لا أروى من نفس واحدٍ أن يشرب من نفس واحد، بل قال له كلامًا معناه: فإن كنت لا تروى من نفس واحد فأبن القدح عن فيك. وهذا إباحة منه للشراب من نفس واحد، إن شاء الله، وقد رويت آثار عن بعض السلف فيها كراهية الشرب في نفس واحد، وليس منها شيء تجبُ به حجة"[2].

ومن آداب الشرب وسننه التي أشار إليها الحديث، أن يبتدأ المرء شرابه بذكر الله وذلك بأن يسمي الله عز وجل، فإن انتهى من شرابه حمد الله تعالى، وذلك لقوله ﷺ: (وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم)، وقد رغّب النبي ﷺ في ذلك بقوله: ((إِنَّ اللَّه لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[3]، قال النووي: "وفي الحديث استحباب حمد الله تعالى عقب الأكل والشرب، وقد جاء في البخاري صفة التحميد: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنًى عنه ربنا، وجاء غير ذلك، ولو اقتصر على الحمد لله حصل أصل السنة"[4].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٠.

(٢) التمهيد، ابن عبدالبر ضمن موسوعة شروح الموطأ ٢٢/٣٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٠٣.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد جعل الله تعالى الدعوة إليه من أكرم الأعمال، وأشرف الغايات، وأنبل المقاصد، وقد رغّب تعالى في تبليغها والإخبار عنها فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فالإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، حيث أفاد نص الحديث مراعاة آداب الشرب من تسمية الله تعالى وحمده، فضلاً عن استحباب التنفس في الشراب ثلاثًا.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهي والأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (لا تشربوا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث...، وسموا...، واحمدوا... إلخ)، والنهي والأمر من الأساليب الدعوية التي يكون بها إرشاد المدعو، وحمله على اجتناب أو فعل أمرٍ معينٍ لما في ذلك من الخير له والفائدة.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والاستجابة لهديه:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة، دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة.

ولم تزل تلك السيرة تصنع في الأمة أجيالاً من البطولات. تحقق القدوة بالنبي ﷺ بدرجة عالية، حتى كأنهم نسخ أخرى لتلك الشخصية الفذة، في صبرها وبلائها ويقينها بالله، وفي تواضعها وزهدها وصدقها مع الله، وفي معاملة الناس، مع الصدق في العمل بدين الله وإيصال منافعه إلى البشر.

وقد كانت لتلك الشخصيات العظيمة الأثر البعيد في جذب الناس إلى الإسلام،

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

واقتناعهم به، ورغبتهم في الدخول فيه والعمل به، ما لم تؤثره الخطب والمواعظ والأقوال البليغة. لأنهم يرون بأعينهم، ويلمسون بأيديهم، مدى الإخلاص والتفاني في حب الله، ومقدار النفع الحاصل بتلك الشموس المضيئة[١].

وقد ضرب ابن عمر رضي الله عنهما أروع الأمثلة في الاقتداء بهدي النبي ﷺ، والاستجابة لسنته، وقد قالت فيه عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٢]، وقال ابن وهب: "عن مالك، عمن حدثه، أن ابن عمر كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك، وعن نافع: أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بهدي النبي ﷺ في عموم حياته، ومن ذلك ما ورد في نص الحديث من مراعاة سنن الشراب وآدابه.

---

(١) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١١.

(٣) المرجع السابق ٢١٢.

الحديث رقم (٧٥٨)

٧٥٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلاَثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

كشرب البعير: أي كما يشرب البعير دفعة واحدة لأنه يتنفس في الإناء[2].

رفعتم: أي: رفعتم الإناء عن الفم في كل مرة أو في الآخر[3].

الشرح الأدبي

بدأ الرسول ﷺ حديثه بأسلوب النهي، (لا تشربوا واحداً) وهو للإرشاد والتوجيه، بترك هذه العادة، وهي الشرب مرة واحدة، وقد صعَّد درجة التنفير منها عن طريق التشبيه (كشرب البعير) والتشبيه بالبعير يوحي بغياب العقل حيث لا تسمية، ولا حمد، ولا أناة، والبعير يتنفس في إنائه، ولا يعنيه إلا أن يروي ظمأه أما المؤمن فإن له في كل عادة عبادة، وفي كل عمل ذكراً، وحمداً لله - تعالى-، ولذلك استدرك لكي يعرض الصورة الصحيحة البديلة لشرب البعير في قوله: (ولكن اشربوا مثنى، وثلاث) أمر إرشاد وتوجيه بالشرب على مرتين أو ثلاث، وقوله: (وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ) أسلوب شرط محذوف فعل الشرط لدلالة السابق عليه وصياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعل التسمية، والحمد عادة مرتبطة بالشرب، فكلما جدَّ شُرب جدَّت تسمية في أوله، وحمد في آخره.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (١٨٨٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وضعَّف إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٣/١٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٠٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٠٩/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٥٩)

٧٥٩- وعن أَبي قَتَادَة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى أنْ يُتَنَفَّسَ في الإناء. متفق عَلَيْهِ[١].

يعني: يتنفس في نفس الإناء.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: يعني: يتنفس في نَفْس الإناء[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يؤكد معنى سابقه في النهي عن التنفس في الإناء غير أن هذا الحديث ورد في صورة خبرية يحكيها الراوي عن النبي ﷺ وقد أكد ما يروي عن النبي ﷺ بأكثر من مؤكد إشارة إلى أهمية الخبر؛ لأن كل ما يخبرون به عن النبي ﷺ من الأمور المهمة التي تتقاد لها الأمة، ومن ثمْ كانوا شديدي الحرص على كل ما يرونه عنه ﷺ، وقد نقل هذا الصحابي نهي النبي ﷺ عن التنفس داخل الإناء لما يترتب عليه من أضرار منها ما نعلمها كنقل الجراثيم، واستقذار الشاربين بعده، وما لانعلمها، بالإضافة إلى أن التنفس في الإناء يفوِّتُ الأجر المترتب على اتباع السنة، والفعل المضارع (يتنفس) يصور الحدث موضع الخطأ، والجار والمجرور (في الإناء) يحدد موقعه عن طريق الظرفية التي تفيدها (في) أي: داخل الإناء؛ لأن التنفس في أثناء الشرب خارج الإناء مباح - كما سيتضح في الأحاديث التالية -.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٠)، ومسلم (٢٦٧/٦٥) واللفظ له.

(٢) رياض الصالحين ٣٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والتوضيح

قد أمر الله تعالى بالدعوة إلى سبيله وتعريف الناس به، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾[2]، وهذا لا يكون إلا ببيان الحق وتوضيحه للناس، وهذا ما يستفاد من الحديث في بيان أبي قتادة رضي الله عنه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التنفس في الإناء.

ولقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا ويبينوا الحق للناس فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

والميثاق هو العهد المؤكد الذي أُخذ على أهل الكتاب بوساطة الأنبياء عليهم السلام (لتبيننه) لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار، حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح...، وقد أشارت الآية إلى أن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله أن يبينه ويوضحه، ويظهر ما فيه من عظة وأسرار في الأحكام العامة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحكام الدينية، علاقتها بصالح الأمة - وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء، فيثابروا ويتعاونوا، ويستهينوا بالصعاب، حتى يخرجوا للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر. فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ/ تبيين الدين وحقيقته لغير المؤمنين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

ب/ تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته، ويعرفوا مخلصين أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد، وداء كامن، ومستعمر جائر، فوالله! أيها الناس لا خلاص لنا إلا بالدين، ولا خير إلا في القرآن فتعلموه وافهموه وادرسوه تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة، وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا"[1].

"فعلى الداعية أن يوضح الحق ويبينه للناس، ويكون كالغيث أينما وقع نفع، فإن قصر في قيامه بذلك استحق من الله -على علمه الذي كتمه ولم يبينه- عظيم العقوبة"[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[3].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمثَّلٌ بمن ألجم نفسه كما يقال: التقيُّ ملجم. وكقول الناس: كلِّم فلانًا فاحتجَّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار، وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[4]، قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي، وكمن جاء مستفتيًا

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١/٤/٥٨ - ٦٠.

(٢) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، طلعت محمد عفيفي ص ١٣٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني، فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن التنفس في الإناء:

يؤكد الحديث على ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، لئلا يحصل تغير في الطعام من آثار النفس، إما بسبب تغير فم المتنفس من مأكول أو عدم تنظيفه، أو لأن النفس يخرج معه شيء من المعدة، لهذا كله جاء النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه سواء كان مملوءًا طعامًا أو ماءً.

قال النووي: "والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب، مخافة من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك"[٢].

وقال ابن حجر: "جاء في النهي عن النفخ في الإناء عدة أحاديث، وكذا النهي عن التنفس في الإناء، لأنه ربما حصل له تغير من النفس، إما لكون المتنفس كان متغير الفم بمأكول مثلاً، أو لبعد عهده بالسواك والمضمضة، أو لأن النفس يصعد ببخار المعدة، والنفخ في هذه الأحوال كلها أشد من التنفس"[٣].

وقال أيضًا: "قال المهلب: النهي عن التنفس في الشراب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره، إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئا مما يتناوله فلا بأس، قلت: والأولى تعميم المنع، لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك، وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن يحرم

---

(١) معالم السنن ٥/٢٥١ - ٢٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٩٥.

على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه، فإن لم يعلمه فهو غش، والغش حرام.. إلخ"[1]، وفي ذلك دليل على عظمة هذا الدين ومراعاته لأحوال ومشاعر المدعوين.

(١) المرجع السابق ٩٦/١٠.

الحديث رقم (٧٦٠)

٧٦٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بماءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَشَرِبَ، ثُمَّ أعْطَى الأعْرابِيَّ، وقال: ((الأيْمَنَ فالأيْمَنَ)) متفق عَلَيْهِ[1]. قوله: "شِيبَ" أي: خُلِط.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التيامن، يؤسس مبدأً من المبادىء الاجتماعية التي تحافظ على روابط المجتمع المسلم؛ لأن البدء باليمين - خاصة في المجلس الذي يضم مختلف الطبقات - ينفي فكرة التمييز بين الناس نظراً للشرف، أو الوضاعة التي تحدث التفكك الذي يحاربه الإسلام.

والحديث يبدأ بأسلوب التوكيد الذي يمهِّد للخبر حتى يدخل على النفس دخول المأنوس فتتلاقاه بالقبول، والإذعان، وقوله: (أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ) بناء الفعل للمجهول إما لجهل الراوي بالفاعل، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وقوله (شيب بماء) خلط بماء لقلة اللبن، أو لكثرة الشاربين، أو لتبريده لأنهم في بلاد حارة، واللبن حال حلبه يكون ساخناً، وقوله: (من البئر) بالتعريف اللام فيه للعهد أي البئر المعهود لهم، وقوله: (وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) يشير إلى المفارقة في اختيار من يبدأ به بصاحب المنزلة، والشرف أبي بكر الصديق، أم بمن على اليمين وهو الأعرابي، وقوله (فَشَرِبَ ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ) قرار فعلي بالبدأ باليمين، وقوله: (وَقَالَ الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ) قرار قولي يؤكده، ورواية النصب على تقدير فعل محذوف أي: أعطوا، أو قدموا الأيمن، وحرف العطف (الفاء) يفيد الترتيب، والتعقيب فهو ﷺ يحب التيمن في كل شيء.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦١٩)، ومسلم (٢٠٢٩/١٢٤) واللفظ له.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم التيامن في مناولة الشراب: ذهب الجمهور إلى أنه يستحب أن يقدم من على يمين الشارب في الشرب، لبنًا كان الشراب، أو غيره، فيناول الأيمن فالأيمن وهلم جرا، ولو صغيرًا أو مفضولاً، لأن النبي ﷺ قدم الأعرابي على أبي بكر، والغلام على الأشياخ. ليس ترجيحًا لمن هو على اليمين، بل هو ترجيح لجهته، وهو فضلها على جهة اليسار، أما تقديم الأفاضل أو الأكابر، فإنما هو في الحالة التي يجلسون فيها متساوين، إما بين يدي الكبير، أو عن يساره كلهم، أو خلفه، أو حيث لا يكون فيهم، فتخص هذه الصورة من عموم تقديم الأيمن، أو يخص من عموم الأمر بالبداءة بالكبير ما إذا جلس بعض عن يمين الرئيس وبعض عن يساره، ففي هذه الصورة يقدم الصغير على الكبير، والمفضول على الفاضل[1].

بينما ذهب ابن حزم الظاهري إلى أن من شرب يجب عليه أن يناول الأيمن منه، فالأيمن، ولا بد، كائنًا من كان[2].

وذهبوا إلى أنه يتوجهب على الشارب أن يستأذنه في مناولته الأكبر، فإن لم يأذن ناوله له، لأن حكم التيامن في المناولة آكد من حكم السن[3].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢١٢/١، والقوانين الفقهية ٣٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) المحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٣٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥، والمحلى، ابن حزم ٢٣٢/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الشراب:

إن التيمن من أدلة كمال الإيمان، وحسن الإذعان، وهو من شعائر الإسلام، وقد بينه ابن الأثير في قوله: "الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[(١)]، وقال ابن حجر نقلاً عن النووي: "إن قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين وما كان بضدهما استحب فيه التياسر"[(٢)].

وقد كانت العادة جارية بتقديم الأيمن في الشرب وغيره، فبين النبي ﷺ بفعله وقوله أن تلك العادة لم يغيرها الشرع، وأن السنة تقديم الأيمن وإن كان الأيسر أفضل منه"[(٣)].

وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (الأيمن فالأيمن).

قال ابن هبيرة: "وفي الحديث الحجة على أن صاحب اليمين أحق بالسؤر، ولما كان الأعرابي صاحب ذلك الحق، قدمه على أبي بكر في تلك المرة، وذلك من أجل أن أبا بكر في الغالب هو صاحب اليمين عند رسول الله ﷺ، فهو يتناول سؤره دائمًا، فأراد ﷺ أن يعطي الأعرابي لكونه جلس في مكان أبي بكر مرة، فإن أبا بكر يسبق الناس إلى اليمين مرات كثيرة؛ فلا أرى أن الأعرابي جلس عن يمين رسول الله ﷺ في تلك إلا لكونه سبق إلى الجلوس عند رسول الله ﷺ؛ أو لأنه قد وفد من

---

(١) ل في (ي م ن).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٥/١.

(٣) تطريز رياض الصالحين، فيصل عبدالعزيز ص ٤٧٩.

مكان بعيد أو نحو ذلك، وإلا فيمين رسول الله ﷺ أفضل المجالس عنده، ومن عدله ﷺ أنه يخص بالأفضل من مجلسه الأفضل من أصحابه رضي الله عنهم، وهذا مقام أبي بكر رضي الله عنه"[١].

ولكنه ﷺ لم يقدم أبا بكر رضي الله عنه ولم يستأذن الأعرابي في ذلك على عكس ما ورد في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ. فَشَرِبَ مِنْهُ. وَعَنْ يَمِينِهِ غُلاَمٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ. فَقَالَ لِلْغُلاَمِ: ((أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاَءِ؟)) فَقَالَ الْغُلاَمُ: لاَ. وَاللَّهِ لاَ أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي يَدِهِ[٢].

وقد بين القاضي عياض: "أن النبي ﷺ استأذن الغلام ولم يستأذن الأعرابي استئلافًا للأعرابي، وحذر الحماسة من استئذانه في صرفه عنه لأصحابه، وقرب عهده بأنفة الجاهلية، واستأذن الغلام - وهو ابن عباس - ثقة منه بطيب نفسه باستئذانه بدفعه للأشياخ والكبراء من آله وقومه...، وقد يكون لم يستأذن الأعرابي للعادة عندهم في جري الشراب عندهم عن اليمين، كما قال:

صددت الكأس عنا أم عمرو ... وكأن الكأس مجراها اليمينا

فلو استأذنه لظن به غضاضة منه، وتقصيرًا في حقه مع أنفة الجاهلية، وجفاء الأعرابي"[٣].

وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "والغلام الذي كان يمين النبي ﷺ هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإنما استأذن النبي ﷺ الغلام، ولم يستأذن الأعرابي في الحديث الآخر، وبدأ به قبل أبي بكر رضي الله عنه لما علم النبي ﷺ من حال الغلام: أن ذلك الاستئذان لا يخجله ولا ينفره لرياضته، وحسن خلقه، ولينه بخلاف الأعرابي؛ فإن الجفاء والنُّفرة غالبةٌ على الأعراب، فخاف عليه أن يصدر منه سوءُ أدب والله أعلم"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨/٥ - ١٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٣٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٧/٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩١/٥.

"فالتيامن في الأكل والشرب وجميع الأشياء من السنن"[١]، وهذا ما أكدته السيدة عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجبهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وطُهورِهِ في شأنهِ كلِّه))[٢].

قال ابن حجر في قول عائشة رضي الله عنها: "(يعجبه التيمن) إذ هو لفظ مشترك بين الابتداء باليمين وتعاطي الشيء باليمين، والتبرك وقصد اليمين، وقيل إنه ﷺ كان يحب اليمين، لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة"[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

(إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ، اصطفاه الله لهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤])[٥]، فهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٦].

(والأمر لا يتوقف عند حد الأفراد، بل إنه لا فلاح لأمة بعث فيها النبي ﷺ إلا في اتباعه وإيثاره والاجتماع تحت رايته، والتمسك بأهدابه والسير في ركابه بعز عزيز وذل ذليل، فلا تفلح أمة مهما أوتيت من الحول والطول والذكاء والوسائل، ومهما تقدم

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٣٢٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٣٠.

الزمان وتقدمت الحضارة، وتنوعت الفلسفات وتغيرت الأحوال، إلا باتباع هذا النبي والحب له والانتصار لدعوته، رضيت بذلك أم أبيت، وكل أمة تحاول أن تنال العزة والسؤدد والكرامة والقوة الحقيقية عن غير هذا الطريق، معتمدة على سياستها الحكيمة، أو الانضمام إلى معسكر من المعسكرات القوية، فلن يكون ذلك، وليس عاقبتها إلا الذل والهوان والإخفاق الذريع، والانشقاق الداخلي، والخيبة عاجلاً أو آجلاً، فعلى الأمة جمعاء أن تقتدي بالنبي ﷺ في أمره كله دقيقه وجليله"[1]، ومن ذلك اتباع تيمنه في الشراب كما ورد في نص الحديث.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه، وبيان سنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في ذلك قائلاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وعنه ﷺ أنه قال: ((نَضَّرَ اللَّه أمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ....))[3]، وقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث، بيان هدي النبي ﷺ في اتباع التيمن في الشراب.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء، أبو الحسن الندوي ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

الحديث رقم (٧٦١)

٧٦١- وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ للغُلامِ: ((أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟)) فَقَالَ الغُلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنَصيبي مِنْكَ أَحَدًا. فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يَدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

قَوْله: (تَلَّهُ) أيْ وَضَعَهُ. وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عباس رضي الله عنهما.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الغلام: هو عبدالله بن عباس رضي الله عنهما[2].

تَلَّه: وَضَعَه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريق عملية سنة فعلية، وهي التيمن، وقد بدأ الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة تصدَّره حرف التوكيد (أن) مع اسمية الجملة لاستعظام الصحابة النقل عن الرسول ﷺ ثم رغبة منهم في نقل هذا التعظيم إلى المخاطبين بنفس الدرجة؛ ولذلك نجد أن أساليب التوكيد تتقدم تحديث الصحابة عن الرسول ﷺ كثيراً مع أنهم لا يواجهون بتكذيب، ولا إنكار.

وقوله (وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ) في العبارة طباق بين اليمين، والشمال، وبين لفظ غلام، وأشياخ يوضح المفارقة التي سببت هذا الموقف، لأن سنته ﷺ البدء باليمين، وعلى يمينه غلام، وعلى شماله أشياخ، فأراد النبي ﷺ أن يخرج من هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (١٢٧/٢٠٣٠)، وتقدم برقم (٥٦٩).

(٢) رياض الصالحين.

(٣) رياض الصالحين.

الموقف دون أن يتعدى على حق الغلام، أو يجرح الأشياخ فقال للغلام (" أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ) وهو أسلوب استفهام قصد به طلب الإذن، تأمل هذا المشهد النبي ﷺ مع جلال قدره يطلب الإذن من صبي ! أرأيت كيف يربي طفل الإسلام؟ وكيف يبني شخصيته ويربي فيه ملكة التفكير وحرية اتخاذ القرار؟ بما يجعله فرداً صالحاً ينفع أمته، ويخدم دينه، وتأمل ردَّه لِتَعلَم أثر التربية النبوية قال (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْك أَحَدًا) فقد بدأ بأسلوب القسم بلفظ الجلالة (الله) مما يدل على الجزم بما بعده، ثم إن اعتزازه بنفسه، وتمسكه بحقه لم ينسه مقام رسول ﷺ فجاء نداؤه (يا رسول الله) نداء تكريم، ومحبة حيث استخدم (يا) التي لنداء البعيد مع قرب النبي ﷺ منه إقراراً بعلو مكانته، ثم نداء الرسول ﷺ بلقبه دون اسمه، ثم إضافته لله تشريفاً وتكريماً، وتقديم الجار والمجرور (بنصيبي) يفيد إعتزازه، وتمسكه بحقه، وتقديم الجار والمجرور (منك) على المفعول (أحداً) يشير إلى أن سرَّ تمسكه به هو كونه من رسول الله ﷺ يريد أن ينال شرف الشرب من المكان الذي شرب منه رسول الله ﷺ، ولذلك احترم الرسول رغبته وأعطاه إياه (هذا الغلام أصبح حبر الأمة، ابن عباس رضي الله عنهما.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٥٦٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً-تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تهدف التربية الإسلامية إلى تعليمها معرفة آداب الشرب، وذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، وعنوان الباب الذي أورده الإمام النووي يشير إلى هذا فهو في بيان آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التنفس فيه واستحباب إدارة الإناء على الأيمن، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثًا" وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "لا تشربوا واحدًا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا رفعتم". وحديث أبي قتادة رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان وتعليم لآداب الشرب ومنها استحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا، والنهي عن الشرب من نَفَسٍ واحد للتنزيه والأمر بالتسمية عند الشراب، والحمد عند الفراغ، والنهي عن التنفس في نفس الإناء.

قال ابن القيم: (والشراب في لسان الشارع وحملة الشرع: هو الماء ومعنى تنفسه في الشراب: إبانته القدح عن فيه وتنفسه خارجه ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرحًا به، وفي هذا الشرب حِكَم جمة وفوائد مهمة، وقد نبه ﷺ على مجامعها بقوله "إنه أروى وأمرأ وأبرأ" فأروى أشد ريًا، وأبلغه وأنفعه وأبرأ: أفعل من البرء وهو الشفاء، أي يبرئ من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه، والثالثة ما عجزت الثانية عنه، وأيضًا فإنه أسلم لحرارة المعدة، وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة. وأيضًا فإنه لا يروى لمصادفته لحرارة العطش لحظة ثم يقلع عنها، ولما تكسر سَوْرَتُها وحِدَّتها، وإن انكسرت لم تبطل بالكلية بخلاف كسرها على التمهل والتدريج.

وأيضًا فإنه أسلم عاقبة، وآمن غائلة من تناول جميع ما يُروي دفعة واحدة، ومن آفات الشرب نهلة واحدة أنه يُخافُ منه الشَّرَق بأن يَنْسدَّ مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه فيغصَّ به، فإذا تنفس رويدًا ثم شرب، أمن من ذلك، وللتسمية في أول الطعام

والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه، ودفع مضرته)[١].

إن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، ولذا ينبغي تعلم آداب الشرب التي أرشد إليها رسول الله ﷺ.

(ومن آداب الشرب أن لا يتنفس الشارب في الإناء، ولا ينفخ فيه، وجاء في ذلك أحاديث صحيحة، والنهي عن التنفس في الإناء هو من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[٢].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية النافعة التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق والتنفيذ العملي لما يأمر به مما يكون له أبلغ الأثر في نجاح العملية التربوية، ومما جاء في أحاديث الباب يدلل على هذا حديث أنس رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الشراب ثلاثا" ففي هذا تطبيق وممارسة عملية من الرسول ﷺ لاستحباب التنفس خارج الإناء ثلاثًا.

(إن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران. كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الدنيا)[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٠-٢٣١.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

ثالثًا-التربية بالمواقف والأحداث:

تعتبر التربية بالمواقف والأحداث من الأساليب التربوية المؤثرة في العملية التربوية حيث إنه من خلال الموقف والحدث يغرس المربي الآداب والإرشادات التربوية التي تثبت في ذهن المتلقي، ومما جاء في أحاديث الباب يرشد إلى هذا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ أتى بلبن شيب بماء وعن يمينه أعرابي وعن يساره أبوبكر رضي الله عنه فشرب ثم أعطى الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن".

وكذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره أشياخ فقال للغلام أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله ﷺ في يده".

ففي جملة هذين الحديثين بيّن النبي ﷺ أدبًا من آداب الشرب وهو مناولة الأيمن فالأيمن وذلك من خلال الحديث والموقف.

(إن الحياة أحداث ومواقف متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية فقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها المسلمين، فكان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة وبهذا يرتبط العلم بالحياة، ويتصل الدين بالواقع)[1].

إن المربي البارع الحريص على نجاح العملية التربوية لا يترك الأحداث والمواقف تمر دون أن يستغلها في التعليم والتوجيه والإرشاد وغرس القيم والسلوكيات الصحيحة.

رابعًا-الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل:

إن من الأسس التربوية في تربية الطفل الاستجابة للحقوق المشروعة للطفل مما يعطيه دافعًا نفسيًا، وسلوكًا إيجابيًا، ومما يدل على ذلك في أحاديث الباب حديث سهل بن سعد رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

يساره أشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا فتلّه رسول الله ﷺ في يده".

ففي هذا الحديث استجاب النبي ﷺ للحق المشروع للغلام بأن أعطاه قبل الأشياخ لأنه كان على اليمين، وفي هذا تعليم للمربين بضرورة الاستجابة لحقوق الطفل المشروعة.

(إن إعطاء الطفل حقه وقبول الحق منه يغرس في نفسه شعورًا إيجابيًا نحو الحياة، ويتعلّم أن الحياة أخذ وعطاء، كذلك فإنه تدريب للطفل على الخضوع للحق، فيرى أمامه قدوة صالحة، وإن تعوده العدل في قبول الحق، ورضوخه له تتفتح طاقته لترسم طريقها في التعبير عن نفسه، ومطالبته بحقوقه، وعكس هذا يؤدي إلى كبتها وضمورها، فهذا رسول الله ﷺ يستأذن غلامًا على يمينه لكي يتنازل عن حقه ليعطيه للكبير الذي على يساره، فإذا بالطفل لا يؤثر سُؤْرَ رسول الله ﷺ على نفسه لأحد أبدًا فيعطيه رسول الله ﷺ الإناء ليشرب ويهنأ في الاستمتاع بحقه)[1].

❁ ❁ ❁

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٢.

١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها

وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

الحديث رقم (٧٦٢)

٧٦٢- عن أَبي سعيدٍ الْخُدْريِّ رضي الله عنه، قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أفْواهُها، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الصحابي الحديث في صورة خبرية خالية من المؤكدات مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكره أحد أو يشك فيه، وقد حكى النهي بطريق الخبر في قوله (نهى رسول الله) وقوله (اختناث) أي كسر أفواهها ليشرب منها ومعنى هذا النهى - والله أعلم - على وجه الأدب لجواز أن تكون في أفواهها حية، أو بعض الهوام لا يراها الشارب، فيدخل في حلقه، وقد قيل: إن ذلك على سبيل التقذر؛ لأنه يدخلها في فيه وهو من الآداب التي فيها وقاية للمسلمين مما يمكن أن يؤذيهم.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[2] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب من فم القربة ونحوها: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يكره "تنزيهًا" الشرب من فم السقاء، ونحوه، لأنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء، فيدخل فم الشارب وهو لا يدري. فعلى هذا لو ملأ السقاء وهو يشاهد الماء

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٢٣/١١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٦).

(٢) أي أحاديث الباب.

الذي يدخل فيه ثم يربطه ربطًا محكمًا، ثم لما أراد أن يشرب حله فشرب منه لا يتناوله النهي، وقيل: إن الذي يشرب من في السقاء قد يغلبه الماء، فينصب منه أكثر من حاجته، فلا يأمن أن يشرق به أو تبتل ثيابه[١].

ونقل ابن التين وغيره عن مالك أنه أجاز الشرب من أفواه القرب وقال: لم يبلغني فيه نهي[٢].

وجزم ابن حزم بأنه يحرم، لثبوت النهي[٣].

والأولى التفريق بين ما يكون لعذر، كأن تكون القربة معلقة، ولم يجد المحتاج إلى الشرب إناء، ولم يتمكن من التناول بكفه، فلا كراهة حينئذ -وعلى هذا يحمل حديث أم ثابت- وبين ما يكون لغير عذر فتحمل عليه أحاديث النهي.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي صريحًا في الحديثين[٥] في قوله: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من توجيه المدعو إلى الاحتراز عما يضره ويجلب إليه الكدر في معاشه ومعاده.

---

(١) شرح معاني الآثار ٤٠٤/٥، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٢/٨.

(٣) المحلى، ابن حزم ٢٢٨/٦.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٣).

(٥) حديث رقم (٧٦٢)، (٧٦٣).

ثانيًا - من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم:

إن الدعوة إلى الله تفرض على أصحابها ضرورة إبلاغها للآخرين ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وتحذيرهم مما يضرهم أو يلحق الأذى بهم في دينهم أو دنياهم[١]، وقد بيّن الحديث خوف الداعي على المدعوين وتحذيرهم مما يضرهم، ودليل ذلك: (نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية - يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها)، وقوله: (نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة)، وذلك انطلاقًا من الحفاظ على صحة المسلم، وعدم انتقال الأوبئة[٢].

فهذه الوصايا وغيرها في كيفية الشرب، والحرص على أن يتناوله بطريقة صحيحة لا تكون سببًا في وصول الأذى إلى الإنسان، تشير إشارة واضحة إلى ما كان عليه رسول الله ﷺ من معرفة عميقة في صحة الأبدان، لا تقل عن معرفته بصحة الأرواح، فسبحان من جمع له العلوم وملكه بنواصي جوامع الكلم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: كراهة الشرب من فم الأسقية والأواني واختناثها:

ورد في الحديث النهي عن الشرب من فم القربة ونحوها، فإنه لا يؤمن من دخول شيء من الهوام مع الماء في جوف السقاء فيدخل فم الشارب وهو لا يشعر[٤]، ولأنه يقذره على غيره ولأنه ينتنه بتردد أنفاسه، ولأنه ربما غلبه الماء فتضرر به، إضافة إلى أنه لا يتمكن من حسن الشراب[٥]، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية"، قال المازري: (وتفسير ذلك بأن يُقلب رأسها ثم يشرب منها، وأصل

---

(١) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ١/٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) سورة النجم الآيات: ٣ - ٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٩٤.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣/٣١٤ - ٣١٥.

كلمة: "اختناث" من التكسر والتثني واللين، ومنه سمي الرجل المتشبه بالنساء في طبعه وكلامه مخنثًا، لتكسُّر ولين معاطفه، ويحتمل أن يكون منهي عنها لئلا ينال الشارب أذى مما يكون في الماء ولا يشعر به، لأنه يشرب ما لا يبصر، أو يكون ذلك لأنه يغير رائحة السقاء بما يكتسبه من نكهة الشارب)[١].

وقال القاضي عياض: (قال ابن دريد: اختناث الأسقية كسر أفواهها إلى خارج ليشرب منها، فأما كسرها إلى داخلها فهو القبع، والنهي عن هذا كله، والأمر به عند العلماء من باب الأدب والترغيب، لا من باب الواجب والفرض، وقد قيل في النهي عن اختناث الأسقية والشرب من فم السقاء أنه للتقذر أيضًا لإدخالها في فيه، أو إدخال شفتيه فيها، أو لما يخشى من وقوع بصاقه فيها أو غيره، وفي النهي عن اختناث الأسقية قيل: قد يكون للتقذر أيضًا مخالفة ما يكون برأسها، وما تطويه من خارجه من قذر، فينعكس عند جلبه في الماء فيقذره)[٢].

قال النووي: "واتفقوا على أن النهي هنا نهي تنزيه لا تحريم"[٣].

وإنما الذي ينبغي هو صب الشراب في إناء أو كوب ثم الشرب منه[٤]، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي نذكر منها:

١/ أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها.

٢/ أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل جوفه فيتضرر بها.

٣/ أنه ربما يخالط الماء شيء من ريق الشارب فيقذره على غيره[٥].

٤/ أن ريق الشارب ونَفَسَه قد يكون ممرضًا غيره، لما ثبت عند الأطباء أن العدوى

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٤ - ٢١٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٨٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨١.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد عبدالباقي الشلهوب ص ١٦٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٩٤، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٣.

قد تنتقل عن طريق الريق والنفس، لذا كان الحديث سابقًا لغيره في مراعاة الحفاظ على الصحة، والوقاية من الأمراض وحجرها، مما يسهل القضاء عليها.

الحديث رقم (٧٦٣)

٧٦٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ[(١)] السِّقَاءِ، أَوْ: القِرْبَةِ. متفق عَلَيْهِ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فيِّ السقاء أو القربة: أي فم السقاء أو القربة[(٣)].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى الحديث السابق من حيث تصدِّيه لعلاج بعض الأخطاء الاجتماعية في الطعام، والشراب، وهومن باب وقاية المسلمين من تبعة تتابع الأفواه على مكان واحد، وما يمكن أن ينقله من جراثيم، وإذا نظرت إلى قيمة هذه التوجيهات - خاصة في زماننا - الذي كثرت فيه الأوبئة وسهل تنقلها بسبب الغفلة عن مثل هذه التوجيهات أدركت قيمتها، وعلمت بعد نظر الرسول ﷺ في الزمان والمكان لأنه نبي الناس إلى يوم القيامة، وتوجيهاته صالحة لكل زمان إلى قيام الساعة، بالإضافة إلى أن تعدد الأفواه على في السقاء الواحد مما يستقذره كثير من الناس

---

(١) لفظ البخاري: (فم). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه، وهو لفظ الحاكم (١٤٠/٤) فقد عزاه المنذري في ترغيبه إلى البخاري، والحاكم.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٢٧)، وهو من أفراده كما في الجمع للحميدي (١١٠/٢، رقم ١١٦٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٧).

تنبيه: عزا المؤلف هذا الحديث إلى الشيخين بهذا اللفظ، وليس كذلك وإنما في آخر الحديث عند البخاري زيادة: (وأن يمنع جاره أن يغرز خشبة في جداره)، فهذا اللفظ هو المتفق عليه، أخرجه مسلم برقم (١٦٠٩/١٣٦). وعزاه المنذري في ترغيبه (٣١٣٧) إلى البخاري والحاكم، وأشار إلى الزيادة التي في آخر الحديث عند الحاكم.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٣/١٠.

وقد ساق الصحابي الحديث بأسلوب خبري يتناسب مع الجو النفسي للمتكلم والمخاطبين حيث لم يواجه بإنكار، ولم يقابل بشك، والتعبير بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يشرب) دون المصدر الصريح (الشرب) لأن المصدر المنسبك من أن والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة، المنهي عنها صورة تتابع الشاربين على في سقاء واحد، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٤)

٧٦٤- وعن أمِّ ثابتٍ كَبْشَةَ بنتِ ثابتٍ أُختِ حَسَّانَ بن ثابتٍ رضي الله عنهما، قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

وإنّما قَطَعَتْهَا: لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسول الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَن الابْتِذَال. وهذا الحديث محمولٌ عَلَى بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

كبشة بنت ثابت: هي كبشة - ويقال كُبيشة - بنت ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارية، وهي أخت شاعر الرسول حسان بن ثابت لأبيه.

كان يقال لها: البَرْصاء، كأنه لقبٌ لها.

وكانت من نساء الأنصار اللاتي أسلمن وبايعن رسول الله ﷺ على الإيمان بالله وعلى فضائل الأعمال والأخلاق، وعلى السمع والطاعة.

وقد روى عنها حفيدها عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وليس لها إلا هذا الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

فِيها: فمها[3] وإنما قطعتها؛ لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به، وتصونه

---

(١) برقم (١٨٩٢). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٨).

(٢) الطبقات (٤٤٩/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٤٠/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٧٢/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٦/٤).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

عن الإبتذال. وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل والأكمل، والله أعلم[١].

الشرح الأدبي

تروي الحديث إحدى الصحابيات الجليلات بأسلوب خبري مجرد من عوامل التوكيد عارٍ عن أدوات التنبيه، مما يوحي بيقظة المخاطبين، وإقبالهم عليها كما يوحي بثقتها في عدم إنكار المخاطبين للخبر، أو الشك فيه.

وقولها: (دخل... فشرب) الفاء تدل على الترتيب، والتعقيب، وفيه إشارة إلى شدة عطشه ﷺ وقولها: (من قربة معلقة) فيه تواضع من الرسول ﷺ ودماسة خلق ومودة، وهذا الحديث محمول على بيان الجواز، والحديثان السابقان لبيان الأفضل، والأكمل، وقولها: (فَقُمْت إِلَى فِيهَا فَقَطَعْته) قَالَ التِّرْمِذِيّ: وَقَطْعهَا لِفَمِ الْقِرْبَة فَعَلَتْهُ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدهمَا أَنْ تَصُونَ مَوْضِعًا أَصَابَهُ فَم رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يُبْتَذَل وَيَمَسّهُ كُلّ أَحَد، وَالثَّانِي أَنْ تَحْفَظهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالاسْتِشْفَاء. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. فَهَذَا الْحَدِيث يَدُلّ عَلَى أَنَّ النَّهْي لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ. وَاللَّهُ أَعْلَم[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة.

ثانيًا: من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شرب النبي ﷺ من فم القربة:

ورد في الحديث شرب النبي ﷺ من فم القربة، "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" قال النووي: (هذا الحديث محمول على بيان الجواز والحديثان السابقان اللذان نهى فيهما ﷺ عن الشرب من فم السقاء، النهي فيهما محمول على بيان الأفضل

---

(١) رياض الصالحين ٣٢٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم حديث (٣٧٦٩).

والأكمل)[١]. قال ابن علان: (وإنما شرب النبي ﷺ من فم القربة؛ لبيان أن النهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، أو أنه فعل ذلك لعدم إمكان الشرب حينئذ إلا كذلك)[٢].

ثانيًا - من آداب الداعي: بيان اليسر في الإسلام:

إن من أهم الآداب التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، بيانه للناس ما في الإسلام من يسر، فدين الإسلام دين يسر وشريعة سمحاء، وإن المتأمل في الكتاب والسنة ليظهر له بجلاء، أن اليسر مقصد من مقاصد الشريعة وأصل مقطوع به[٣].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤] وفي الحديث مثال تطبيقي ليسر الإسلام، حيث نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من في السقاء، كما في حديث أبي هريرة "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ثم جاء في هذا الحديث "فشرب من في قربة معلقة قائمًا" وذلك ما يكشف التيسير في حياة الرسول ﷺ، وأنه كان ملتزمًا بهذا المبدأ في جميع تصرفاته رعاية لمصلحة المسلمين ورفع الحرج عنهم[٥]. فلقد كانت حياته ﷺ أنموذجًا لما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلمين، فعن عائشة رضي الله عنها: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنْتهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنْتقِمَ للّه بها))[٦]. وبالجملة (فإن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم)[٧] وقال القاسمي: قال الجشمي في تفسير قوله تعالى في وصف

---

(١) رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٨.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٣١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٤.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٢٦ واللفظ له، ومسلم ٣٣٢٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/٢٥٤.

نبينا ﷺ ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[١] دلت الآية على أن شريعته أسهل الشرائع وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم السابقة[٢]. لذلك كان التيسير سمة ظاهرة للدين الإسلامي ويتجلى ذلك في عقائده وعبادته ومعاملاته وأخلاقه[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ:

جاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك أم ثابت بأثر النبي ﷺ فعنها أنها قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من في قربه معلقة قائمًا، فقمت إلى فيها فقطعته" قال المباركفوري: (لعله للتبرك به لوصول فم النبي ﷺ)[٤]، وقال النووي: (وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به وتصونه عن الابتذال[٥] أي الامتهان)[٦] وقد وردت صور كثيرة لتبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ. وقد أقر النبي ﷺ ذلك مما يدل على مشروعيته[٧] ومن ذلك ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها، وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك، قال فجاءت وقد عرق، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عَتِيدَتها[٨] فجعلت تنشّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها، ففزع النبي ﷺ فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال أصبت[٩].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٠٨/٥/٣.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٤١٩/٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٢/٢.

(٥) رياض الصالحين، النووي، ٣٢٣.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٧) فقه السيرة، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٠٥.

(٨) عَتِيدَتها: هي كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٧/١٥.

(٩) أخرجه مسلم ٢٣٣١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

قاعدة الوقاية خير من العلاج من هدي الرسول ﷺ وإذا كان العلم الحديث لم يكتشف العدوى عن طريق الفم إلا في العصر الحديث، فإن الرسول ﷺ نهى عن التعامل المباشر مع الأواني التي يتعامل معها كثيرون، ومن الباب المذكور أخذ العلماء المفاهيم التربوية الآتية:

أولاً-التربية الوقائية:

إن من أساليب التربية الإسلامية التربية الوقائية حيث يقوم المربي بتحذير المتربي من الأمور الضارة التي قد تلحق به وقاية له مما يضره، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية". يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها" وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة" ففي هذين الحديثين توجيه نبوي بالنهي عن الشرب من في السقاء وقاية للإنسان من الأخطار والأضرار.

(والوقاية هي نوع من أنواع التحذير وهي تحصين الفرد وتحذيره سلوكيًا وفكريًا من الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه فالوقاية الصحية للإنسان تكمن في تحذيره من ارتياد المواطن الموبوءة أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو حقنه بجُرَع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين، والإسلام استخدم الوقاية للفرد المسلم وللأسرة وللمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات والتوجيهات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم، وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهي كذلك بمثابة حمْية وقائية يتقي بها

من الأمراض المهلكة)[١].

وفي بيان الحكمة في النهي عن الشرب من في السقاء والقربة، قال الإمام ابن القيم: (وفي هذا آداب عديدة منها: أن تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زُهومة ورائحة كريهة يُعاف لأجلها. ومنها: أنه ربما غلب الداخِلُ إلى جوفه من الماء فتضرر به ومنها: أنه ربما كان فيه شيء ضار لا يشعر به فيؤذيه، ومنها أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه، ومنها أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء فيضيق عن أخذ حظه من الماء، أو يزاحمه أو يؤذيه ولغير ذلك من الحِكَم)[٢].

(ولقد جاء النهي الصريح عن الشرب من فم القربة أو السقاء، والذي ينبغي هو صب الشراب في الإناء ثم الشرب منه وهذا النهي حمله بعض أهل العلم على التحريم، وحمله بعضهم على كراهة التنزيه وهم الأكثر، ومنهم من جعل أحاديث النهي ناسخة للإباحة، وقد ذكر أهل العلم بعض الحكم التي من أجلها جاء هذا النهي ومنها أنه ربما يخالط الماء من ريق الشارب فيتقذر غيره، ومنها: أنه ربما يكون في القربة أو السقاء حشرات أو حيوانات أو قذاة أو غيرها لا يشعر بها الشارب فتدخل في جوفه فيتضرر بها، ومنها: أن ريق الشارب ونَفَسه قد يكون ممرضًا غيره لما ثبت عند الأطباء أن العدوى قد تنتقل عن طريق الريق والنفس)[٣].

هذا وواجب المربي الحرص على وقاية المتربي مما يضره ويؤذيه وتنبيهه وإرشاده إلى ذلك.

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية، وهي من الأهمية بمكان في نجاح العملية التربوية، حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية للأمر والنهي أو التوجيه والإرشاد التربوي، ومما جاء في أحاديث الباب يشير إلى هذا حديث أم ثابت

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٣، ٢٣٤.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٦٩.

كبشة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت رضي الله عنهما فعنها أنها قالت: "دخل عليَّ رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائمًا فقمت إلى فيها فقطعته".

فالممارسة العملية من النبي ﷺ بالشرب من في السقاء لبيان الجواز، فالنهي عن الشرب من فم القربة ليس على سبيل التحريم بل على سبيل التنزيه، وفعل النبي ﷺ يثبت ذلك.

(والتربية الإسلامية تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام، وقد كان الرسول المربي ﷺ يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، وآية ذلك أنه مشخص في سلوكه، والتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية وقد مارس الجيل الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان وذلك لقربهم من ينبوع الوحي)[1].

وبناء على هذا فيجب على المشتغلين بالتربية من الآباء والمعلمين والمربين الاهتمام بأسلوب الممارسة العملية لما له من أثر طيب في توجيه المتربي وإرشاده.

(وأسلوب الممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل، ويدرك الفرد العلاقة بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن الممارسة العملية هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي على المربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد)[2].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦.

١١٣-باب كراهية النفخ في الشراب

الحديث رقم (٧٦٥)

٧٦٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَى عَن النَّفْخ في الشَّرَاب، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أراها في الإناءِ؟ فَقَالَ: ((اهرقها)). قَالَ: إنِّي لا أرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحدٍ؟ قَالَ: ((فَأَبِنِ القَدَحَ إذاً عَنْ فِيكَ)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

النفخ في الشراب: إخراج الهواء من فمه في الشراب[٢].

القذاة: ما يقع في العين والشراب والماء من تراب وغيره ذلك[٣].

أهرقها: من الإراقة أي فأرق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه[٤].

أروى: أي لا يحصل لي الري من الماء في تنفس واحد[٥].

فَأَبِن: أي أبعده، أمر من الإبانة[٦].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه ويروي رجلين[٧].

فيك: فمك[٨].

---

(١) برقم (١٨٨٧). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٧)، وقال الحاكم (١٣٩/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٢).

(٢) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٥) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٦) المرجع السابق ١٦١٠/٢.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٣٤.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قائم على الحوار الذي ينبيء عن التواصل بين المتحاورين، ويكسب الأسلوب حركة، وانفعالاً، وقد بدأه الراوي بالإخبار المؤكد عن النبي ﷺ بالنهي عن النفخ في الشراب، فثار في ذهن أحد المخاطبين سؤال (الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟) أي كيف أصنع؟ فدلَّه على طريقة الخلاص منها بإراقة القدر القليل الذي اشتمل عليها، وقول الرجل (فإني لا أروى من نفس واحد) أكَّده بأكثر من مؤكد؛ لأنه يعلم أن كلامه مخالف لكلام الرسول ﷺ فقد توقع معارضة، أو إنكاراً، فأكَّد، وكلامه يحمل استفهاماً ضمنياً، فكانت إجابة الرسول ﷺ (فَأَبِنْ الْقَدَحَ إِذَنْ عَنْ فِيكَ) أمر إرشاد وتوجيه، وفيه إيجاز بالحذف أي: أبعد القدح عن فيك وتنفس، ثم عاود الشرب، وبذلك تتحقق المصلحة من وجهيها.

فقه الحديث

هذه الأحاديث[1] تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم التنفس في الإناء: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧).

٢-حكم النفخ في الشراب: يكره النفخ في الشراب، "بارداً أو حاراً، ما قل، أو ما جل" ليذهب ما في الشراب من قذارة، ونحوها، لأن النافخ في آنية الماء يجوز أن يقع من ريقه فيها شيء مع النفخ، فيستقذره الناظر ويفسده عليه، فإن كان لابد، فليخرجها بشيء، أو يريق بعض الماء لتخرج تلك القذارة منها.

ويستوي في الحكم من شرب مع غيره، أو وحده، أو مع أهله، أو مع من يعلم أنه لا يستقذر شيئاً مما يتناوله[2].

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) رد المحتار ٣٠٢/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤١٣/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نهى النبي ﷺ عن النفخ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي والأمر

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب" وأسلوب الأمر في قوله ﷺ "أهرقها" وأسلوب النهي والأمر من الأساليب الدعوية المهمة لما فيهما من بيان الحقائق للمدعوين، ودلالتهم على النافع وحثهم عليه وعلى الضار وتحذيرهم منه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب

جاء في صريح الحديث نهي النبي ﷺ عن النفخ في الشراب، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب".

قال العلماء: وهذا من طريق الأدب مخافة من تقذيره ونتنه[1]، وقال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه)[2]. إذ أن النفخ في الشراب سبيل إلى نزول القذارة فيه، أو على الأقل تغيره بريح الفم، ولهذا نهى النبي ﷺ نهياً تنزيهياً عن ذلك، وأرشد الرجل الذي لا يستطيع الارتواء من نفس واحد إلى أن يستريح أثناء الشراب، ويتنفس خارج الإناء، فقد تنتقل الأمراض مع النفس أو الرذاذ[3] "فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؛ فقال أهرقها، قال: إني لا أروى من نفس واحد؟ قال: فأبن القدح إذاً عن فيك".

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ٢٧٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤..

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان آداب الشراب

تضمّن الحديث أدباً من آداب الشراب وهو المحافظة على الشراب، وعدم إفساده على غيره بالنفخ فيه وغيره، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، بل نهى عن استخدام النفخ في التخلص مما قد يقع في الشراب، والعدول إلى إراقة ما وقع فيه "فقال رجل القذاة أراها في الإناء؟ فقال أهرقها" أي فأرق تلك القذاة عن الشراب ولا تنفخ فيه، أي أرق بعض الماء لتخرج تلك القذاة من الإناء[1] وأمر بإبعاد الإناء عن الفم عند التنفس "قال فإني لا أروى من نفس واحد، قال فأبن القدح إذاً عن فيك" أي أبعده[2]، قال ابن عثيمين: وفي الحديث النهي عن النفخ في الإناء، لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية، كمرض وغيره، وأمر بإبانة الإناء حال التنفس، أي فصله عن الفم، ثم التنفس، ثم المعاودة للشرب، وفي ذلك ما يدل على كمال الشريعة من جميع الوجوه، فما من شيء إلا وقد بينه لنا رسول الله ﷺ[3] حتى آداب الطعام والشراب).

وفي ذلك دليل على أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله ﷺ، قال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، قال أجل وذكر ما علمه لنا النبي ﷺ في ذلك (أن لا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار وألا نستنجي برجيع أو عظم)[4]؛ فالمهم أن شريعتنا ولله الحمد كاملة من كل وجه ليس فيها نقص ولا تحتاج إلى أحد يكملها[5] وصدق الله العظيم ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[6].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦١٠.

(٢) المرجع السابق ٢/١٦١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ج٢/١٠٧٦.

(٤) أخرجه مسلم ٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ج٢/١٠٧٦.

(٦) سورة المائدة، آية: ٣.

الحديث رقم (٧٦٦)

٧٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُتَنَفَّسَ في الإناء، أَوْ: يُنْفَخَ فيهِ. رواه الترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

يتنفس في الإناء: إخراج النفس داخل الإناء لخوف بروز شيء من ريقه فيقع في الماء[(٢)].

ينفخ فيه: أي يخرج الهواء من الفم في الشراب[(٣)].

الشرح الأدبي

يسوق الراوي الخبر مؤكداً حتى يشق طريقه إلى سمع المخاطب فقلبه دون أن تعترضه عوارض الإنكار، أو الشك، أو ليسلك طريقه في النفس، وهي تستشعر عظمته فتضعه في الموضع اللائق به من القبول، ثم ساق الخبر، وهو نهي الرسول ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه، وقد عبَّر بإن المصدرية والفعل المضارع في قوله (أن يُتنفس) دون المصدر الصريح (التنفس)، لأن المصدر المنسبك من أن، والفعل بالإضافة إلى أنه يؤدي المعنى الذي يؤديه المصدر نفسه، فإنه يستحضر الصورة المنهي عنها صورة رزاز الشارب اللاهث يتقطر مع أنفاسه، الأمر الذي يحدث في النفس قناعة عقلية بالنهي بعد القناعة القلبية الحاصلة من نهي الرسول ﷺ والجار والمجرور (في الإناء)

---

(١) برقم (١٨٨٨). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٤).

تنبيه: حديث النهي عن التنفس في الإناء، رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وقد تقدم برقم (٧٦٧)، وفيه أيضًا حديث أبي قتادة، رواه البخاري برقم (٥٦٣٠)، ومسلم (٢٦٧/٦٣).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٠/٢.

(٣) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٢٦١.

يشير إلى أصل الخطأ، وهو التنفس داخل الإناء، والذي تدل عليه الظرفية المفهومة من حرف الجر (في) وقوله: (أو ينفخ فيه) أو للتنويع؛ لأن النفخ نوع آخر من الأفعال المنهي عنها فالنفخ بالفم، والتنفس من الأنف، وكلاهما منهي عنه، ثم إن بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، يجعله عاماً لكل من يصلح منه الفعل؛ لأنه لم ينه فاعلاً مخصوصاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه

جاءت تعاليم الإسلام لتحث على منع الضرر أو التسبب فيه، ولما كان التنفس في الإناء والنفخ فيه من القذارة والضرر، ولما فيه من فعل غير لائق بصاحب الخلق، نهى عنه رسول الله ﷺ[1] كما جاء في الحديث، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" وهذا من الآداب التي تتم بها مصلحة الشراب[2].

قال النووي: (قال العلماء: والنهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه هو من طريق الأدب مخافةً من تقذيره ونتنه، وسقوط شيء من الفم والأنف فيه ونحو ذلك)[3].

ومن ذلك حرص الإسلام على راحة المسلمين، وإبعاد ما يسيء إلى نفوسهم أو يؤدي إلى تقذرهم ولو ضؤول، والتوجيه إلى مراعاة شعور المسلمين وآداب الصحة والوقاية)[4].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في الشراب

إن من الواجب على المسلم داعية كان أو مدعواً الاستهداء بهدي سيد

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ١٢٩.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥١.

المرسلين ﷺ والتأدب بآدابه، وتربية النفس على ذلك، وغرس تلك المبادئ والأخلاق السامية في قلوب الناشئة ورعايتها[١]، ومن الآداب الشرعية التي حث عليها ديننا، ورغب فيها اتباعه هدي رسول الله ﷺ في الشراب، وقد جاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" خشية الاستقذار[٢]، وهذه الآداب وغيرها مما ينبغي التأدب بها، وتعويد النشء والأولاد عليها، حتى تصبح لديهم عادة وخلقاً[٣].

وفي ذلك بيان لمدى اهتمام الإسلام بالإنسان خَلْقاً وخُلقاً، فكما جاء في تعاليم الإسلام الارتقاء بأخلاق الإنسان، كذلك ورد فيها الاهتمام بخَلْق الإنسان والحفاظ على سلامته وصحته باجتناب كل ما من شأنه الإضرار بالجسم، أو نقل الضرر والعدوى إليه كالتنفس في الشراب والنفخ فيه وما شاكل ذلك، ونرى من خلال ذلك أن الإسلام دين حاز الكمال من أطرافه، ولم يغفل عن شيء يهم الناس في حياتهم وآخرتهم، بل وضحه لهم وأرشدهم إليه، وهكذا: عندما يقوم المربون بتطبيق هذه التعاليم الإسلامية على من تحت أيديهم، ويعودونهم على التقيد بها، فإنهم ولاشك ينشئون على الصحة التامة وتترعرع أجسامهم، وتقوى أبدانهم على طاعة الله عز وجل[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: مراعاة الإسلام للجوانب الصحية والنفسية في الشراب:

إن من يدقق النظر في الحديث يظهر له مدى اهتمام الإسلام ومراعاته للجوانب الصحية والنفسية في الشراب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه" أما عن الجانب الصحي ففي الحديث إرشاد إلى اتباع القواعد الصحية في الشراب، منعاً للعدوى وتقليلاً للأمراض وانتقالها، وحفاظاً على قوة الجسم

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد ص ٧.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٢٩.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ج١/٢٠٥.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص ٢٢٤.

وسلامة البدن، والصحة و الحيوية والنشاط[١] فهذه الوصايا التي أوصانا بها رسول الله ﷺ عند الشراب من عدم التنفس والنفخ فيه، والحرص على تناوله بطريقة صحيحة حتى لا تكون سبباً في وصول الأذى إلى الإنسان، في ذلك إشارة واضحة إلى المعرفة العميقة لرسول الله ﷺ في صحة البدن والقلب والمجتمع، فكم في السنة النبوية المطهرة من قواعد صحية سامية سبقنا بها الأمم كلها[٢] أما من الجانب النفسي فإن المحافظة على آداب الشراب، سبب لإقبال الآخرين عليه وعدم معافاته، قال ابن القيم: وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة، يُعاف لأجلها[٣] ويستقذر.

---

(١) المرجع السابق ٢٠٥/١.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ٢٦٧/١، ٢٦٨.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

مراعاة مشاعر الآخرين مطلوبة، والطب الوقائي مهم في حياة الناس، وهدي الرسول ﷺ واجب الاتباع ولهذا كان النهي عن النفخ فيما يشرب منه الإنسان، وبخاصة إذا كان آخرون سيشربون منه، طلباً للسلامة، ورعاية للمشاعر، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- تعليم آداب الشرب:

إن من الآداب التي تحرص التربية الإسلامية على تعليمها والتعريف بها تعليم آداب الشرب، ومما يرشد إلى ذلك في حديثي الباب حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب..." وحديث ابن عباس رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه".

ففي هذين الحديثين بيان كراهة النفخ في الشراب لئلا يقذر الشراب أو الطعام، وفي هذا تعليم للمتربي آداب الشرب، قال ابن القيم: (وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يُعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه، فإن قيل فما تصنعون بما ورد أن رسول الله ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثًا؟ قيل: نقابله بالقبول والتسليم، ولا معارضة بينه وبين الأول فإن معناه أنه كان يتنفس في شربه ثلاثًا، وذكر الإناء لأنه آلة الشرب)[1].

وقال أبو حامد الغزالي: (وأما الشرب فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصًا لا عَبًّا، ولا يشرب قائمًا ولا مضطجعًا، وما ورد أن الرسول ﷺ فعل ذلك فلعله كان لعذر، ويراعى أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه، وينظر في الكوز قبل الشرب، ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز، بل ينحيه عن فمه بالحمد، ويرده بالتسمية)[2].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٥/٤.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٦٧/٢، ٦٨.

وقال ابن مفلح المقدسي: (يكره نفخ الطعام والشراب، أطلقه الأصحاب رحمهم الله لظاهر الخبر، وحكمة ذلك تقتضي التسوية ولذلك سوى الشارع بين النفخ والتنفس فيه، وقال الآمدي: لا بأس بنفخ الطعام إذا كان حارًا ويكره أكله حارًا والتنفس في إنائهما. ومن الأدب أن يشرب مقطعًا ثلاثًا ويتنفس دون الإناء ثلاثًا ولا يتنفس فيه وقال في المستوعب: والنفخ في الطعام والشراب منهي عنه)[1].

والواجب على المربين الاهتمام بغرس وتعليم هذه الآداب حتى ينشأ عليها المسلم ويطبقها عمليًا عند طعامه وشرابه.

ثانيًا- السؤال والاستفسار:

إن من الأمور التي ينبغي أن يتدرب عليها المتربي السؤال والاستفسار وذلك حتى يكون إيجابيًا في العملية التربوية، ولا يكتفي بالتلقي فحسب ولكن يسأل ويناقش ويستفسر حتى يكون مشاركًا إيجابيًا ومما يرشد إلى ذلك من حديثي الباب ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ فقال: أهرقها قال: إني لا أروى من نَفَسٍ واحد؟ قال: فأبن إذًا عن فيك".

ففي هذا الحديث سأل رجل عن القذاة التي يراها في الإناء، وسأل عن أنه لا يروي من نفس واحد، وهذا يدلل على إيجابيته، وسؤاله واستفساره عما لم يعرف حكمه.

(إن كل إنسان في الحياة له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء علمًا، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة، ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال، وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص، قال الله تعالى

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ١٥٣/٣.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت عن الجهل حتى لا يحدث ما لا تُحمدُ عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. وسكوت الإنسان عن جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة ومن آلام ومتاعب لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب، ولأهمية السؤال حرص الصحابة رضي الله عنهم جميعًا رجالاً ونساءً على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم)[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣، ١٢٤.

١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا

وبيان أنَّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

فيهِ حديث كبشة السابق[١].

الحديث رقم (٧٦٧)

٧٦٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث بيان لحال من أحوال الرسول ﷺ، لذلك نقل الصحابة رضي الله عنهم دقائق حياته وتفصيلاتها بكل ما يحيط بها من ملابسات يمكن أن تؤدي معنى.

والحال التي يعرضها الراوي حال شربه ﷺ وهو قائم، وهو خبر أريد به لازم فائدته، وهو نقل حكم الجواز للشرب حال القيام، وقد ساق الحديث دون مؤكدات مساق الخبر المأنوس الذي لا يُتوقع له معارضة ولا شك، وقوله: (سقيت رسول الله) يوحي بمحبته للرسول ﷺ واعتزازه بما صنع معه، وصياغة الفعل في ثوب الماضي (سقيت) يفيد تحقق الوقوع، وذكر الرسول بصفته تكريم، وإضافته لله تشريف، وقوله (من زمزم) فيه إيجاز بالحذف أي: من ماء زمزم، ومن للتبعيض أي: بعض ماء زمزم، وفيه إشارة إلى شرف الموضع، وبيان لصلاحية المشروب، وتمهيد للحكم المراد تقريره، وقوله: (وهو قائم) جملة حالية تقرر الحكم المراد وهو جواز الشرب في أثناء القيام، وذكر المسند إليه (هو) مع تقدم ذكره، وإمكان الاستغناء عنه للتوكيد، والتقرير.

---

(١) تقدم برقم (٧٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٦٣٧)، ومسلم (٢٠٢٧/١١٧) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

حكم الشرب قائمًا: اتفق الفقهاء على إباحة الشرب في غير حال القيام[١]، بينما اختلفوا في الشرب قائمًا، فذهب الجمهور إلى جوازه، وإن كان الأولى والأكمل أن يشرب قاعدًا.

بينما ذهب ابن حزم إلى تحريم الشرب قائمًا، وحمل أحاديث الرخصة على أصل الإباحة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل أخبار النبي ﷺ وأحواله وهيئاته:

جاء في الحديثين[٤] ما يدل على حرص الصحابة على نقل أحواله وهيئاته ﷺ كما في نقل ابن عباس رضي الله عنهما لهيئة رسول الله ﷺ في شربه من ماء زمزم فقال "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وكذلك في حديث النزال بن سبرة رضي الله عنه قال "أتى عليٌّ رضي الله عنه باب الرحبة فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني

---

(١) مراتب الإجماع ١٨١.

(٢) رد المحتار ١٣٩/١ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٣٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٩٩/٥، والمحلى، ابن حزم ٢٢٩/٦.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٦٨).

(٤) أي حديث رقم (٧٦٧)، (٧٦٨).

فعلت" وغير ذلك من الأمثلة التي تبين نقل الصحابة ﷺ لجميع الوقائع والحوادث وتصرفات النبي ﷺ فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم، وكان ذلك أحد العوامل التي كان لها أكبر الأثر في حفظ السنة دقيقها وجليلها[١].

لقد كان الصحابة ﷺ أحرص ما يكونون على تلقف كل ما يصدر عن النبي ﷺ وحفظه في صدورهم ونقله إلى غيرهم ليعم به النفع، ومن لم يكن بإمكانه منهم متابعة التلقي عن النبي ﷺ كان يتناوب ذلك مع إخوانه، ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ))[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ماء زمزم:

من دلائل قدرة الله المطلقة تفجير المياه من الأرض عيونًا وآبارًا، ومنها ماء بئر زمزم الذي (تفجر بطريق معجز فكان ماءً خالدًا مباركًا لا ينضب ولا يغيض، قد وسع الخلق ووسع الأجيال، وكان ماءً لكل عصر ولكل أمة، فيه غذاء وشفاء، وفيه بركة وأجر)[٣]؛ فزمزم هي عين الماء المبارك، كما جاء في الحديث شرب النبي ﷺ منه، وبين أثر الشرب منه، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ((مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ))[٤] فالحاصل أنه ماء مبارك، إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث، أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شفي، وإن كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض ينفعه[٥]، ونص بعض الفقهاء على أن شرب ماء زمزم لنيل

---

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٥-٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٥٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٠٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٤).

(٥) شرح رياض الصالحين، النووي، ٢/١٠٨٠.

المطلوب في الدنيا والآخرة شامل لمن شربه بغير محله، وذهب كثير من الفقهاء إلى أنه يستحب التزود من ماء زمزم وحمله إلى البلاد، فإنه شفاء لمن استشفى[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ:

لقد بات معلومًا أنه من الواجب الحرص على نقل ما ورد عن النبي ﷺ، وما جاء في الحديثين دليل على ما كان من الصحابة من حرص على نقل ما رأوه من النبي ﷺ حتى في هيئته وفي شربه وطعامه، كما قال ابن عباس: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" فلم يأل الصحابة جهدًا في طلب العلم عن رسول الله ﷺ وحفظه وتبليغه[٢]، دفعهم إلى ذلك حبهم لرسول الله ﷺ واستجابتهم لأوامره من مثل قوله ﷺ ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٣] والمعنى ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليحصل بذلك نقل جميع ما جاء به رسول الله ﷺ[٤].

ولقد حض النبي ﷺ في كثير من الأحاديث على نقل سنته، ودعا لمن اهتم بذلك وحافظ عليها في نقلها، ومن ذلك ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، ثَلاَثٌ لاَ يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالْمُنَاصَحَةُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دُعَاءَهُمْ يُحِيطُ مَنْ وَرَاءَهُمْ))[٥].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وجه التناسب بين قوله "نضر الله امرأً" وبين قوله "ثلاث لا يُغل عليهن..." هو أن يقال: إن النبي ﷺ لما حث من سمع مقالته على أدائها علمهم أن قلب المسلم لا يغل على هذه الأشياء، خشية أن يضنوا بها على ذوي الإحن والحقد، لما يقع بينهم من التحاسد والتباغض، وبيَّن أن أداء مقالته على من يسمعها من

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥/٢٤.

(٢) السنة النبوية قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب ص ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٥٧٥/٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٤٠).

باب إخلاص العمل لله تعالى والنصيحة للمسلمين، ومن الحقوق الواجبة المتعلقة بأحكامه، لزوم جماعة المسلمين، فلا يحل له أن يتهاون به، لأنه يخل بالخلال الثلاث)[1].

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/٣٨٤.

الحديث رقم (٧٦٨)

٧٦٨- وعن النَّزَّالِ بن سَبْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى عَلِيٌّ رضي الله عنه بَابَ الرَّحْبَةِ، فَشَرِبَ قائِمًا، وقال: إنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: هو عليّ بن أبي طالب القرشي الهاشمي "أبو الحسن" أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول الناس إسلامًا بعد خديجة، وأحد الستة الذين جعل "عمر" الأمر شورى بينهم، وابن عم النبي ﷺ وصهره، ولد بمكة قبل البعثة بعشر سنين، ورُبي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وهاجر بعد رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاثة أيام، وكان ﷺ قد خلّفَهُ ليؤدّي عنه الودائع والأمانات التي عنده، ثم يلحق به، فلحقه بقُباء، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا تبوك، وكان قد استعمله النبي ﷺ فيها على المدينة، فلما خرج رسول الله ﷺ وسار قليلاً تبعه عليّ رضي الله عنه، وقال يا رسول الله، تجعلني في النساء والصبيان؟! فقال له ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي))[2] وقد كان له الأثر العظيم في كل مشهد حتى لا يُعلم لأحد من الصحابة في الشجاعة والبسالة في الحروب ما له.

وقد قال فيه النبي ﷺ يوم خيبر ((لأعطين الرايةَ غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار، يفتح الله علي يديه))، ثم دعا بعليّ وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه الراية، ففتح الله عليه[3].

وقد جعل النبي ﷺ حبه رضي الله عنه من الإيمان وبُغضهُ من النفاق، وفي ذلك كان يقول عليّ رضي الله عنه والله إنه لَعَهدُ النَّبيّ الأميِّ إليَّ أنه لا يحبُني إلا مؤمن ولا يبغضُني إلا منافق[4].

---

(١) برقم (٥٦١٥)، والسياق للحميدي في جمعه (١/١٦٦، رقم ١٣٧)..

(٢) أخرجه البخاري، رقم (٤٤١٦) ومسلم، رقم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري، رقم (٩٦٤٢) و(٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٤) و (٢٤٠٦).

(٤) أخرجه مسلم، (٧٨).

وكان من أكابر الخطباء الفصحاء والعلماء القضاة، وكان قد بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، وهو شاب ليقضي بينهم، فقال يا رسول الله إني لا أدري ما القضاء، فضرب رسول الله ﷺ بيده على صدره وقال ((اللهمَّ اهْدِ قلبَه، وسدِّد لسانه)) فقال عليّ رضي الله عنه، والله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين[1].

وكان يقول سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله فوالله من من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وقد أثنى عليه جميع الصحابة، منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، واعترفوا له بالسبق والتقدم في العلم والفهمّ!! ورجعوا إلى قوله في الفتاوى الحادثة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن رضي الله عنهما.

وقد بويع بالخلافة يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة (٣٥هـ).

وكانت الفتنة قد بلغت ذروتها، فقام جماعة من الصحابة يطلبون دم عثمان رضي الله عنه وكان من بينهم طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، فكانت واقعة الجمل وما اشتهر بها سنة ٣٦هـ، ثم قام معاوية رضي الله عنه في أهل الشام، ودعا إلى الطلب بدم عثمان رضي الله عنه، فكان من واقعة صفين ما كان وذلك سنة (٣٧هـ) والتي انتهت بالتحكيم المشهور.

وكان رأي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنهم يدخلون في الطاعة، ثم يقوم ولي دم عثمان رضي الله عنه، فيدعي به عنده، ثم يعمل ما يوجبه حكم الشريعة المطهرة، وكان من خالفه يقول: تتبعهم واقتلهم، ولم يرى عليّ ذلك؛ لأن القصاص بغير دعوى ولا إقامة بينه لا يجوز وكان كل من الفريقين مجتهد.

وكان هناك فريق من الصحابة لم يدخل في شيء من القتال، ولما قتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ظهر بأن الصواب كان مع عليّ رضي الله عنه وذلك لحديث النبي ﷺ ((إن عمار تقتله الفئة الباغية))[2] وقد اتفق أهل السنة على ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٣١٠)، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٦٩).

(٢) قاله ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص (٩٣٩) وقد تواتر هذا الحديث في ذلك.

ثم أقام عليّ رضي الله عنه، في دار خلافته في الكوفة، إلى أن قتله عبدالرحمن بن ملجم غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان، وقد خلّف ٢٨ ولدًا منهم (١٧) أنثى (١١) ذكرًا من زوجات متعددات، وبلغت رواياته عن النبي ﷺ (٥٨٦) حديثًا، وكانت وفاته سنة (٤٠هـ) وقد اختلف في مكان قبره[١].

غريب الألفاظ:

باب الرَّحبة: رحبة الكوفة[٢].

الشرح الأدبي

ساق الراوي الخبر دون مؤكدات في القصة التي يرويها عن علي - كرم الله وجهه- وقوله (على باب الرحبة) تحديد موقع الحدث يدل على وضوح الحدث بتفاصيله في ذهن الراوي، الأمر الذي يؤكد صدقه؛ لأنه يحكي حقيقة في ذاكرته بعكس الكاذب الذي ليس له مرجع في الواقع، فيختلق وقائع مختلفة في كل مرة يذكر فيها القصة، وقوله (فشرب قائماً) رتب الشرب على الإتيان، وبيَّن هيئة الشرب عن طريق الحال المفردة، وهذه الجملة عليها مدار الحديث، وهو حكم الشرب في أثناء القيام، وإلى هنا انتهى خبر الراوي الذي صاغه بأسلوبه، ثم بدأ حكاية قول علي رضي الله عنه.

وقد ساق عليٌّ رضي الله عنه المعنى في صورة خبرية مؤكدة بأكثر من مؤكد؛ لأنه يخاطب منكراً، أو شاكاً كما ورد في رواية أخرى لهذا الحديث قوله: (إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/١٩-٤٠)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٢٢-٥٤٤)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤/٨٧-١١٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٣٩، ٩٤٠)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/٤٠٥) وبيت الأفكار الدولية، والأعلام، خير الدين الزركلي (٤/٢٩٥-٢٩٦)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥/٢٥٧-٢٦٣)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣/١٦٩-١٧١)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١/٣٢١).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٨٤.

أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ) [١] وقد أكد الخبر بإن المتصلة بضمير المتكلم، ثم بفعل الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، وقد صاغه في ثوب الماضي دلالة على التحقق وقوله: (فعل كما رأيتموني فعلت) تقرير لجواز الشرب في أثناء القيام عن طريق التشبيه حيث شبَّه فعل الرسول ﷺ في الماضي، وهو أمر غابوا عنه بفعل عليٍ رضي الله عنه في الحاضر، وهو أمر رأوه بأعينهم، والغرض من التشبيه بيان حال المشبه، وهو شرب الرسول ﷺ حال القيام، وهذا التشبيه تأكيد معنوي لما قرَّره عليٌّ رضي الله عنه بالفعل من جواز الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية[٢]

(١) صحيح البخاري: (٥١٨٤).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٦٩)

٧٦٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا عَلَى عهد رسول الله ﷺ نأكُلُ وَنَحْنُ نمشِي، وَنَشْرَبُ ونَحْنُ قِيامٌ. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يحكي الراوي الحديث بأسلوب خبري يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يرجع بالمخاطبين إلي الوراء في صفحات الزمن، ومن شأن فعل الكون في صيغة الماضي أن يحقق التشويق، ويضمن إنصات المخاطبين لما يأتي بعده من الخبر، واتصال فعل الكينونة بناء الفاعلين، يدل على أن هذا فعل جماعة من الصحابة، وليس تصرُّف فرد واحد قد يكون مخطئاً، وهو ما يزيد الخبر توكيداً، وقوله (على عهد رسول الله) يزيد الأمر تشويقاً من ناحية، ويقرر أن ما يُذكر تشريع يجب الانتباه له، كما يوحي بأن الرسول أقرَّه، لأنه لم يتركهم على خطأ، ولا معصية، وبين نمشي، وقيام طباق يؤكد معنى الإباحة في مختلف الأحوال، وقد عبَّر بالفعل المضارع في الدلالة على الحركة في فعل المشي، وعبَّر عن الثبات في القيام باستخدام المصدر (القيام) وكثرة الضمائر الدالة على الجماعة في قوله: (نَأْكُل، وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَب وَنَحْنُ قِيَام) يؤكد معنى الجواز، ويقرر إباحته على وجه لا يدركه شك.

المضامين الدعوية[2]

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام.

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين.

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ.

---

(١) برقم (١٨٨٠) وقال: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٣٢٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٦٩- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٠).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في الحديثين[1] في إخبار ابن عمر رضي الله عنه عن أحوالهم وهيئاتهم في الشرب فقال "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام". وكذلك عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في الحديث الثاني عن رؤيته للنبي ﷺ فقال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

إن أسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على الحقائق، ودعوته إلى الامتثال بها والانقياد لها، انقيادًا مبنيًا على بصيرة من الأمر وبينة من الدين، كما جاء في الحديث من إخبار ابن عمر رضي الله عنه جواز الأكل للإنسان وهو يمشي والشرب وهو قائم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على بيان أحوال النبي ﷺ دقيقها وجليلها، ونقلها إلى من بعدهم، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" فالصحابة رضي الله عنهم تلقوا السنة عن رسول الله ﷺ وشاركوا في تطبيقها وتجاوبوا مع رسول الله ﷺ بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال، كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام:

إن من أهم المبادئ التي بنيت عليها تعاليم الإسلام اليسر ورفع الحرج، وهذا الحديث دليل عملي على ذلك، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" فهذا الحديث فيه دلالة على جواز الأكل

---

(١) الحديث رقم (٧٦٩)، (٧٧٠).

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٧.

ماشيًا والشرب قائمًا. كما نرى في الحديث الآخر تطبيقًا عمليًا لرسول الله ﷺ لما ينبغي أن يكون الداعية ملتزمًا به من التيسير وإظهاره للمدعوين، "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" وفي ذلك دعوة وإعلام عملي لما تضمنه الإسلام من مقاصد التيسير ورفع الحرج، قال الإمام الشاطبي: (إن الشارع لو كان قاصدًا المشقة في التكليف، لما كان ثَمَّ ترخيص ولا تخفيف)[١] فإن الله سبحانه لم يكلف المسلمين بالمشقة، وليست المشقة مقصدًا من مقاصد التشريع[٢]. بل إن التيسير والتخفيف ورفع الحرج هو أبرز مقاصد التشريع الإسلامي، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾[٤] فتلك هي إرادة الله، وتلك هي السمة البارزة في التشريع الإسلامي.

قال قتادة: (قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥] فأريدوا لأنفسهم الذي أراد الله لكم)[٦]. فلا جرم أن كانت الشريعة الإسلامية هي الموصوفة بالحنيفية السمحاء، قال ابن القيم: (جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل)[٧].

وأما الأحاديث التي نهت عن الأكل والشرب عن قيام، كحديث أنس "أن النبي ﷺ نهى أن يشرب الرجل قائمًا، فقيل الأكل؟ قال: ذاك أشر" فهي محمولة على كراهة التنزيه[٨] فالأكل والشرب عن قيام محمول على الجواز، وإن كان منهيًا عنه

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي، ج٢/١٢٢.

(٢) التيسير ورفع الحرج في الدعوة إلى الله تعالى، د. جمال عبدالستار محمد ص ٢٩.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣/٧٦.

(٧) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٥٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٦٠٧.

فالنهي فيه تنزيهي لا تحريمي[١]. ومثل هذا الحديث دليل على ما في الإسلام من يسر ورفع للحرج، وتلك هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته سلوك الطريق الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة، والبعد عن التكلف[٢].

فالواجب التوسط فلا إفراط ولا تفريط، إذ أن اليسر والسماحة والسهولة ورفع الحرج في الإسلام، راجع إلى الاعتدال والوسط، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتشدد حرج من جانب عسر التكليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطيل المصالح، وعدم تحقيقه مصالح الشرع، وإنما الواجب التوسط الذي هو سمة الأمة الإسلامية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٣] فالتيسير على الناس والتوسط، هو منبع الكمالات، والتخفيف والسماحة ورفع الحرج على الحقيقة، هو في سلوك طريق الوسط والعدل[٤]. ولقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتخفيف والتيسير، ونهاهم عن التعميق والتشديد، وأنكر على من ظهرت في سلوكه بوادر التشديد والتعسير[٥].

رابعًا- من آداب الداعي: نقل الأمور المباحة والإبانة عنها للمدعوين:

إن مما يجب على الداعي نقل الأمور المباحة، والإبانة عن الأحكام الجائزة، وعدم الاقتصار على الأمور الممنوعة، دونما بيان لما جاء لها من نسخ وجواز، وفي الحديث بيان لجواز الأكل للماشي والشرب للقائم "كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام"، وحمل الأحاديث التي نهت على ذلك على بيان الأفضل والأكمل[٦]. وفي توجيه للذين يحاولون سلوك منهج التعمق والتشدد ظانين أن ذلك طريق

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٠٣٠.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٤) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ١٣.

(٥) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ١٢٥.

(٦) رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣.

النجاة، وأن الأخذ بالأشد هو الأتقى والأقرب إلى الله سبحانه، ففي هذه الأحاديث العملية بيان أن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[١].

خامسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

إن في حرص الصحابة رضوان الله عليهم على نقل ما رأوه من النبي ﷺ في شؤونه كلها دعوة إلى الاقتداء به ﷺ ففي الحديث "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا" بيانٌ للجواز والرخصة، وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء به ﷺ في أموره كلها فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢] وجُعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء به في أقواله وأفعاله جميعها[٣] والاقتداء برسول الله ﷺ وموافقته أقوى شاهد على صدق الحب له ﷺ[٤] كما أن فيه دليلاً على محبة العبد لله، وجلب لمحبة الله للعبد، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله[٦].

---

(١) انظر: اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٠٣/٢١/٨.

(٤) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢.

الحديث رقم (٧٧٠)

٧٧٠- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وقَاعِدًا. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه يقرر بطريقة عملية عن طريق نقل السنة الفعلية إباحة الشرب حال القيام وحال القعود، وذلك بنقل فعل الرسول ﷺ في ذلك، وقد استخدم الصحابي رضي الله عنه الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات، ولعله لم يكن مقابلاً بإنكار، أو شك، وقوله (رأيت) يؤكد المعنى لأن الرؤية أقوى طرق العلم - كما ذكرنا سابقاً - وقد اعتمد أسلوب الطباق لتقرير المعنى الذي يريده بين (قائماً، وقاعداً)، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة، ويجعل النفس تأنس للحكم بالإباحة، ويطمئن إليه القلب لكون الفاعل هو المشرِّعُ ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٨٨٣). تنبيه: تقدم حديث ابن عباس برقم (٧٧١)، والنزال بن سبرة برقم (٧٧٢)، في الشرب قائما، الأول في الصحيحين، والثاني في البخاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٧١)

٧٧١- وعن أنس رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: أنه نهى أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قتادة: فَقُلْنَا لأَنَسٍ: فالأَكْلُ؟ قَالَ: ذَلِكَ أَشَرُّ - أَوْ أَخْبَثُ- رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: أنَّ النبيَّ ﷺ زَجَرَ عَن الشُّرْب قائِمًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

زَجَر: نهى[3].

الشرح الأدبي

جاء المعنى في هذا الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ومنها حرف التوكيد (أن) وضمير الشأن المتصل به على جهة التفخيم، والتعظيم، لأن المعنى قد يقابل بشك، أو إنكار لوجود ما يشبه تعارض النقول في هذا الأمر، وقد تقدّم في الحديث السابق الإباحة، وتوجيه هذا على ما ذكر في الجانب الفقهي، وقوله: نهى أن يشرب الرجل قائماً) صياغة النهي في صورة الماضي تفيد التحقيق، والفعل المضارع (يشرب) يفيد التجدد، والحدوث، ويستحضر الصورة، وأل في (الرجل) للاستغراق، و (قائما) حال من الفعل تبيِّن موضع الخطأ، وقول قتادة رضي الله عنه: (فقلنا: فالأكل) فيه إيجاز بالحذف، وتقديره: فما حكم الأكل حال القيام؟، وإجابة أنس رضي الله عنه (ذاك أشر أو أخبث) الإشارة فيها لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، وهي إشارة للقريب؛ لأنه آخر مذكور، وصياغة المسند (أشر) على أفعل التفضيل للمبالغة، وقول (أو أخبث) شك من

---

(١) برقم (٢٠٢٤/١١٣).

(٢) برقم (٢٠٢٤/١١٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ج ر).

الراوي، وهو من شدة تحريهم للصدق لا يجزم الواحد منهم بأمر إلا بعد تمام اليقين، فإن شك نقل شكه للمخاطب ليكون على علم بالأمر.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام السنة، وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديثين في قول أنس عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا" وقوله ﷺ "لا يشرب أحد منكم قائمًا" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على المنهيات، وتحذيرهم منها، وحملهم على التجافي عنها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قوله ﷺ "فمن نسي فليستقيء" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي لها بالغ الأثر في إيقاف المدعو على المأمورات وحمله على الإتيان بها، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن في مثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾[2] وقوله ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الشرب والأكل قائمًا:

ورد في الحديثين النهي عن الأكل والشرب عن قيام "نهى أن يشرب الرجل قائمًا"

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٧٢).

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

وقوله "لا يشرب أحد منكم قائمًا فمن نسي فليستقيء" أي فليتقيأ والسين للمبالغة، وخص النسيان بالذكر، لكون شأن المؤمن ألا يفعل ذلك بعد النهي غالبًا إلا نسيانًا[1].

قال المازري: (اختلف الناس في الشرب قائمًا فأجازه عمر وعثمان وعلي وجمهور الفقهاء رضي الله عنهم ومالك بن أنس، وكرهه قوم لهذا الحديث.

وقد قال بعض شيوخنا: لعل النهي منصرف لمن أتى أصحابه بماء بارد فشربه قائمًا قبلهم، استبدادًا به، وخروجًا عن الأحسن، من كون ساقي القوم آخرهم شربًا.

وأيضًا فإن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "فمن نسي فليستقيء" ولا خلاف بين أهل العلم أن من شرب قائمًا ناسيًا فليس عليه أن يستقيء.

وقال بعض الشيوخ: والأظهر أن هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، ولا خلاف في جواز الأكل قائمًا، وإن قال قتادة، قال: قلنا: فالأكل قال: ذلك شرٌ وأخبث، ولكن هكذا حكى بعض شيوخنا: أن الخلاف في جواز الأكل قائمًا، فالذي يظهر لي أن الأحاديث الواردة بشربه صلى الله عليه وسلم قائمًا تدل على الإباحة والجواز.

ويحمل حديث النهي على جهة الاستحسان، والحث على ما هو أولى وأجمل، أو يكون لأن في الشرب قائمًا ضررًا، وقد قال النخعي في النهي عن ذلك: إنما ذلك لداء في البطن، وهذا نحو ما قلناه، هذا الأظهر عندي إن كان لا بد من بناء الحديثين)[2].

وقال القاضي عياض: (وشرب النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم، لا يقال فيه: ترك ما هو الأولى لعلة، إنما كان في الحج - والله أعلم - على ما جاء في كتاب الحج، وحاله حينئذ من ألا يخفى في أعمال الحج، وقلة التمكن للجلوس لكثرة الناس، بحيث لا يخفى أو لا يراه الناس فيعلموا أنه غير صائم، وإنما كان في غير هذا اليوم، فليس إباحة ذلك إن كان النهي أولاً على ما تقدم، ولئلا يظن نهيه على العموم وللوجوب، أو ليبين نسخ ذلك إن كان النهي أولاً على الوجوب)[3].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٢.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢١٧ - ٢١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤٩١ - ٤٩٢.

وقال النووي: والصواب أن النهي فيها محمول على كراهة التنزيه[١] فقد شرب النبي ﷺ قائمًا لبيان الجواز[٢]. والأحاديث التي ورد فيها النهي، حملها العلماء على الاستحباب، والحث على ما هو أولى وأكمل، ولاشك أن في ذلك فوائد صحية وتعبدية سنها رسول الله ﷺ للمسلمين ليتبعوها ويعملوا بما فيها[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: احترام السنة وعدم تعمد الشرب والأكل قائمًا:

لقد جاءت النصوص النبوية بالأكل والشرب عن قيام وقعود، وحمل العلماء أحاديث الأكل والشرب عن جلوس على بيان الجواز[٤]. وأن الأولى الشرب من جلوس وعدم اللجوء إلى الشرب والأكل من قيام إلا لعذر أو مانع، وفي الحديث دعوة وحث على اتباع السنة المطهرة في دقيق الأمور وجليلها، وسريان التعبد في كثير من الأمور العادية[٥].

أما تعمد الأكل والشرب قيامًا، فهذا لا يجوز، فإن احترام سنة رسول الله ﷺ من مستلزمات احترام رسول الله ﷺ وتوقيره، وقد أمرنا الله بذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾[٦] فقوله "تعزروه وتوقروه" أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه بأن تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه[٧] ومن حقوقه اتباع سنته ﷺ فذلك من صفات الإيمان

---

(١) شرح مسلم، النووي ص ١٢٨٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ١/ ٢٦٠، ٢٦٥.

(٤) انظر: رياض الصالحين، النووي ص ٣٢٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٣.

(٦) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٣٦.

وأسباب الفلاح، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1] وسبب للهداية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2].

فإن احترام النبي ﷺ وتوقيره هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير، وهو من أعظم مظاهر حبه، ومن آكد حقوقه ﷺ على أمته، كما أنه من أهم واجبات الدين.

وهذا التعظيم مثل المحبة، من حيث كونه تابعًا للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون التعظيم وتكون المحبة، وذلك يتجسد في العمل بطاعته ﷺ وتجريد متابعته وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغضه، والسعي في إظهار دينه، ونصرة شريعته، والذب عنه وصون حرمته[3].

وإن ما يناقض محبته ﷺ ويلحق بالجفاء: الاستهانة بهديه ﷺ وسنته، وقلة المبالاة بها[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي، الحافظ شمس الدين بن عبدالهادي ص ٣٤١.

(٤) محبة الرسول، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٩.

الحديث رقم (٧٧٢)

٧٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَشْرَبَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِيء)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستقيء: هو من الاستقاء وهو استخراج واستفراغ ما في الجوف[2].

الشرح الأدبي

الحديث في نفس موضوع سابقه في النهي عن الشرب حال الوقوف، وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه في أسلوب خبري خال من المؤكدات، ولعله لم يواجه بإنكار من المخاطبين، أو يتوقع ذلك أما المعنى الذي ساقه الرسول ﷺ فقد جاء في صورة النهي (لا يشربن أحدكم قائماً) وتوكيد الفعل المنهي عنه بالنون يشير إلى أهمية الانتهاء عن هذا الفعل، وإضافة لفظ أحد إلى كاف الخطاب، وميم الجمع في قوله (أحدكم) يجعل الجميع تحت مظلة الحكم، وقوله (فمن نسي فليستقيء) الفاء للترتيب، والتعقيب المؤذن بسرعة رد الفعل تصحيحاً لتجاوز الحكم، و (من) اسم موصول متضمن معنى الشرط، وفعل الشرط (نسي) أي تحقق نسيانه، وقوله: (فليستقئ) الفاء في جواب الشرط تنادي بالسرعة، واللام للأمر بالقيء، وحاصل العبارة التشديد في النهي، والتحذير من الشرب في أثناء القيام.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٠٢٦/١١٦).

تنبيه: الحديث أخرجه مسلم ٦٨١/٣١١) مطولا، والترمذي مختصرًا.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ي أ)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢٨٢.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تناول الطعام والشراب مرده إلى الأعراف، مع مراعاة السنة عند التناول، كالتسمية في البدء والشكر في النهاية، وأما الحال التي يكون عليها الأكل والشرب فمردها إلى ظروفه، وخير ذلك ما كان من جلوس، ولا حرمة مع القيام، مع مراعاة ما يلي:

أولاً- بيان آداب الشرب:

من الآداب التي ينبغي على المتربي أن يعرفها ويطبقها آداب الشرب، ومن ذلك جواز الشرب قائمًا وأن الأفضل والأكمل الشرب قاعدًا، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم" وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا، وحديث أنس رضي الله عنه "نهى النبي ﷺ أن يشرب الرجل قائمًا...".

ففي جملة هذه الأحاديث بيان جواز الأمرين وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، وأن الشرب قائمًا النهي فيه للتنزيه.

قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ الشرب قاعدًا، هذا كان هديه المعتاد وصحّ عنه أنه نهى عن الشرب قائمًا، وصح عنه أنه أمر الذي شرب قائمًا أن يستقيء، وصح عنه أنه شرب قائمًا.

قالت طائفة: هذا ناسخ للنهي، وقالت طائفة: بل مبين أن النهي ليس للتحريم بل للإرشاد وترك الأولى، وقالت طائفة: لا تعارض بينهما أصلاً فإنه إنما شرب قائمًا للحاجة، فإنه جاء إلى زمزم وهم يستقون منها، فاستقى فناولوه الدلو فشرب وهو قائم

وهذا كان موضع حاجة)[١].

إن واجب المربي أن يبين للمتربي آداب الشرب، وذلك حتى يكون المسلم على أكمل الأحوال وأحسن الآداب.

(ومن آداب الشرب أن يشرب قاعدًا وهو أفضل، قال ابن عثيمين رحمه الله: الأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا لأن هذا هو هدي النبي ﷺ ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم، وما ورد من النهي عن ذلك فليس للتحريم ولكنه لترك الأولى بمعنى: أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولا بأس أن يشرب وهو قائم وأن يأكل هو قائم)[٢].

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالممارسة العملية حيث يقوم المربي بتطبيق ما يدعو إليه عمليًا، ويطبقه واقعيًا، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "سقيت النبي ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم".

وكذلك حديث النزَّال بن سبرة رضي الله عنه قال: "أتى عليٌّ رضي الله عنه على باب الرحبة بماء فشرب قائمًا وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت".

وكذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل علي عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام".

وكذلك حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

ففي جملة هذه الأحاديث قام النبي ﷺ بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية بالشرب قائمًا واقتدى به الصحابة رضي الله عنهم لبيان الجواز، وأن النهي للتنزيه وليس للتحريم، وإلا لما فعله رسول الله ﷺ.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢٩/٤.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٤٦١/١.

(إن أسلوب التدريب والممارسة العملية من أقوى الأساليب وأكثرها أهمية، فمن خلال التدريب والممارسة يتحول القول إلى فعل ويدرك الفردُ العلاقةَ بين القول والفعل، والنظرية والتطبيق، والتربية الإسلامية تهتم بأسلوب التدريب والممارسة العملية وتؤمن أن تلك الممارسة هي الترجمة الحقة لآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ إلى واقع وسلوك ملموس، لذا تحرص التربية الإسلامية على أن يتطابق سلوك المسلم الحق مع ما في ضميره وقلبه، وينبغي للمربي المسلم أن يهتم بتنمية السلوك العملي الرشيد. وهذا يعني أن المعلم المسلم لا يقتصر على المعرفة اللفظية وإنما يجب أن يتعدى ذلك ليربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق ويترك استخدام هذا الأسلوب في التربية الإسلامية بعض الآثار التربوية المهمة في تنشئة الفرد إذ يعوده الدقة في العمل وتوخي صحة النتائج وشعوره بالمسؤولية وتواضعه وحبه للعمل)[1].

إنه من خلال الممارسة العملية تحدث القناعة لدى المتربي بما يطلب منه من أوامر أو نواهٍ مما ينعكس إيجابيًا على نجاح العملية التربوية.

ثالثًا-بيان يسر الشريعة:

من أهداف التربية الإسلامية بيان يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها، ويتضح هذا في أحاديث الباب من خلال جواز الشرب قائمًا وقاعدًا وأن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا، ومن شرب قائمًا فلا حرج عليه، ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام" وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: "رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا".

(إن المتتبع لأبواب الشريعة بل لجزئيات هذه الأبواب يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب العبادات يتجلى فيه اليسر أكثر من غيره وذلك أمر طبعي، لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٦، ٨٧.

الحرج والمشقة ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة)[١].

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي التعصب لرأي، ولا التمسك بقولٍ طالما أن في الأمر سعة فإن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج والمشقة.

روي عن ابن وهب عن القاسم بن محمد أنه قال: لقد أعجبني قول عمر بن العزيز: ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحدًا لكان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة (وهذا كله لا يعني أن ثَمَّةَ إعراضًا عن معرفة دليل المخالف أو الاستماع إليه أو اعتباره في النظر بأي وجه من الاعتبار لأن طريق المتمسك بالحق هو المناقشة الحرة والاستماع إلى دليل المخالف برحابة صدر واتساع أفق، والرد المشفق الذي يرجى فيه إرشاد المخالف وتبصرته لكي يكون التآلف والاجتماع لا التنافر والاختلاف وما روح الإنصاف والبعد عن التعصب الذي شاع في كثير من فتاوى وكتابات الأئمة الأربعة عنّا ببعيد، فاللبيب عليه أن يتأمل بماذا يعود عليه الانتصار للقول والتعصب للرأي)[٢].

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية يمكن الاستفادة منها، من ذلك:

أ-الإلقاء: كما في قوله ﷺ "لا يشربن أحد منكم قائمًا، فمن نسي فليستقئ" والإلقاء يقوم على عرض شفهي للمعلومات من جانب المعلم، لذا فهو يناسب المتعلمين الذين تتوافر عندهم القدرات على الاستيعاب السريع كالمتعلمين في المرحلة الثانوية والجامعية، فهو يمكن المتعلم من عرض قدر كبير من المعلومات في أقصر وقت ممكن.

ب-المناقشة والحوار: كما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا. قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل؟ قال: ذلك أشر أو أخبث.

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن بن علي الربيعة ص ٤٧.

(٢) الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري ص ٢٦.

والمناقشة والحوار من الأساليب التي تتيح للمتعلمين الفرصة ليعبروا عما بداخلهم وعن آرائهم وأفكارهم في جو مشجع ومحفز. لذا ينتقل المتعلم إلى المشاركة الإيجابية في العملية التعليمية، فيحس بقيمة ما تعلمه واستفاده.

خامسًا: التربية على الاقتداء بالنبي ﷺ:

لقد شرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قائمًا ثم بيّن أنه فعل ذلك اقتداء بصاحب الشرع ﷺ: "إني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت" إنه رضي الله عنه فعل كما فعل النبي ﷺ وعمل كما عمل وشرب كما شرب، إنه يريد أن يلفت الذين خاطبهم إلى أنه مقتدٍ به ﷺ متأسٍ به، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يدعوهم إلى أن يفعلوا مثلما فعل ويقتدوا مثلما اقتدى ويهتدوا بهديه ﷺ مثلما اهتدى.

وهذا ما يوضح أيضًا قول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا على عهد رسول الله ﷺ نأكل ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام، إنه رضي الله عنه يبين أن النبي ﷺ كان مطلعًا على ذلك وأَقَرّنا فكان ذلك من سنته ﷺ التي ينبغي على المسلمين أن يلتزموا بها.

والمقصود أن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على الاقتداء به ﷺ في حياتهم ومعاشهم، لأن هديه ﷺ خيرُ الهدى وسنته هي الطريق القويم ومنهاجه أقوم المناهج وأرشدها.

❁ ❁ ❁

١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً

الحديث رقم (٧٧٣)

٧٧٣- عن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((ساقي القوم آخِرُهُمْ شُرْباً)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسنُّ أدبا عالياً علّمه النبي ﷺ أصحابه، ومنهم للأمة في كل زمان، ومكان، وقد ساقه بأسلوب خبري يتسم بسوق الحقيقة مجردة مساق الأمر المأنوس الذي لا يعترضه معترض، ولا يشك فيه شاك، وقوله (ساقي القوم آخرهم شرباً) ساق القوم هو: الذي يقوم على أمر شرابهم، والقوم عشيرة الرجل من الرجال خاصة، وقوله: (آخرهم) حتى لا يخص نفسه دونهم إذا انتهى الشراب، وفيه تربية لخلق الإيثار، وحب الناس، وقوله (شراباً) تمييز للمحكوم به على المسند.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

أدب الساقي: يستحب لمن يتولى سقاية القوم "الماء واللبن ونحوهما" أن يتأخر في الشرب حتى يشربوا جميعاً، ويفرغوا عن آخرهم، وفي معناه ما يفرق على الجماعة، من المأكول كلحم، وفاكهة، ومشموم، وغير ذلك، فيكون المفرق آخرهم تناولاً لنفسه، فهو أبلغ في الأدب، وأدخل في مكارم الأخلاق، وحسن العشرة، وجميل المصاحبة[٢].

---

(١) برقم (١٨٩٤).

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٢٩/٤، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٤/٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٣١/٨، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٢٤/٨ وما بعدها، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٧٣/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

ثالثاً: من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: من آداب سقاية القوم:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بكريم الأخلاق، ورفيع الآداب، وحثت عليها؛ بغية التسامي، والارتقاء، وتهذيب الأخلاق، وإصلاح العادات، ومن تلك الآداب ما جاء في الحديث من آداب سقاية القوم وإكرامهم فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وهذا أدب من آداب ساقي الماء واللبن ونحوهما، وفي معناه مَنْ يفرق على الجماعة مأكولاً كلحمٍ وفاكهة وغيرهما، فليكن المفرق آخرهم تناولاً من لنفسه، قال ابن رسلان: (وفي الحديث إشارة إلى أن من ولي شيئاً من أمر الأمة، فعليه السعي فيما ينفعهم ودفع ما يؤذيهم، وتقديم مصلحتهم على مصلحته[1] وأن يكون غرضه إصلاح حالهم، وجر المنفعة إليهم، ودفع المضار عنهم، والنظر لهم في دق أمورهم وجلها[2] وقدأعطانا النبي ﷺ لذلك مثالاً تطبيقياً كما جاء في حديث قتادة الطويل قال: ((فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ صَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِي: اشْرَبْ، فَقُلْتُ: لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ))[3]. ففي هذا الحديث أدب من آداب شاربي الماء واللبن ونحوهما[4].

ثانياً - من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة المطلقة لتوجيهات رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان المكي ص ١٠٣٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦١٣/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٦٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٨٠.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[1] وقال ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[2].

وقد ورد في الحديث توجيهاً من توجيهاته ﷺ التي ينبغي الاستجابة لها وعدم إغفالها فقال ﷺ "ساقي القوم آخرهم" وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة في أن من تولى سقاية قوم، فإنه يقدمهم على نفسه، ويكون هو آخرهم شرباً، اقتداءً برسول الله ﷺ[3]. وتأسياً به في شؤونه كلها، فإن في ذلك السعادة وتمامها، قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم)[4].

والسبيل العملي للتأسي برسول الله ﷺ هو تطبيق السنة تطبيقاً يشمل جميع جوانب الدين والحياة.

ثالثاً - من مهام الداعي: غرس الآداب الاجتماعية في نفوس المدعوين:

من أهم الآداب والصفات التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها غرس الآداب في نفوس المدعوين، وكما جاء في الحديث جانبٌ من جوانب الآداب العامة "ساقي القوم آخرهم" وكانت تلك عادة النبي ﷺ، ودأبه في ملاحظاته، وتفقداته لأصحابه رضي الله عنهم[5] ومن ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا. نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ «غَضُّ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٧٠، ١٧١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١، ٧٠.

(٥) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧٣٠/٢.

الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ))[١]، وكذلك من ملاحظاته ﷺ وغرسه الآداب في نفوس الصغار ما روي عن عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: ((كنتُ غلاماً في حَجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ يَا غُلاَمُ سَمِّ اللّهَ. وَكُلْ بِيَمِينِكَ. وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ))[٢] وتلك بعض النماذج الحية الواقعية، التي تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٣].

فما أحرى بالمسلم أن يتخلق بمكارم الأخلاق، ويتحلى بأحاسن الآداب، فإن ذلك من مقامات الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سنته، المأمور به في مثل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] إن هذا هو مقام من أراد التخلق بأخلاق الشرع الحنيف، وتأدب بآداب الله التي أدب بها عباده في كتابه الكريم، وما ورد عن رسول الله ﷺ وما اتصف به؛ حيث قال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥] والرسول ﷺ هو القائل: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ))[٦] وفي رواية: "مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ".

إن تأسي المسلم بالنبي ﷺ من دلائل إيمانه والتزامه بما جاء به ﷺ، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على التأسي برسول الله ﷺ فكانوا يراعون ما يفعل وينظرون إليه كيف يفعل، ويتحينون الفرص لأجل أن يقتدوا به ﷺ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٣) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ٢٩٥-٢٩٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٥٣.

(٧) أفعال الرسول ﷺ، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإيثار خير من الأثرة ومن يخدُم خيراً ممن يخدم، وروح الأنانية منهي عنها في الإسلام، وأحاديث الباب جاءت بمضامين تربوية منها:

أولاً-غرس روح الإيثار:

إن من القيم والآداب الاجتماعية التي تهدف التربية الإسلامية إلى غرسها في نفوس المتربين غرس روح الإيثار لما في ذلك من تحقيق التواصل الاجتماعي، وتوطيد روح الجماعة، وتنمية بذور المحبة والمودة بين الجماعة المؤمنة، ولعل الحث على روح الإيثار تتضح من خلال حديث الباب الذي أورده النووي وفيه عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ساقي القوم آخرهم شربًا".

ففي هذا أدب من آداب الجماعة أن يكون ساقي القوم آخرهم شربًا فهو يؤثرهم على نفسه، ويقدمهم عليها، وهذا له مردوده الإيجابي في نفس الجماعة.

(إن هدف التربية هو إعداد الإنسان وتربيته تربية صالحة تحقق فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة كما أنها تنمي الحاجة إلى الأنس بالمجتمع عند الناشئ والحاجة إلى الانتماء، والميل إلى التقليد الحسن والاعتزاز بالأمة، وتغرس فيه ذلك كله بعيدًا عن الانحراف أو الاستهتار أو الانقياد الأعمى، ودون فقدان للمواهب الخاصة أو إذابة لمقومات الشخصية للمواهب، إنها تجمع باتّزان بين تربية الذات الفردية وتربية النزعة الاجتماعية من غير أن تطغى إحداهما على الأخرى أو تنحرف أي منهما عن الخير وعن طاعة الله تعالى وتحقيق شريعته وعن جادة الصواب والاستقامة في الحياة)[1].

وما من شك أن (الإيثار قيمة خلقية سامية رفيعة تسود كل الخصال السامية التي تشكل بمجملها الإطار الكامل للأريحية المعطاءة الباذلة التي تسعد بالبذل مثلما يسعد

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٣.

الآخرون بالأخذ وهي أريحية تتم البناء النفسي الصحيح، والإيثار هو المعنى الرديف للمروءة تلك السمة الخلقية العظيمة التي تحمل النفس الإنسانية على فعل الخير ودرء الشر وبذلك تكون مفتاح عمارة الشخصية بالكمال الأخلاقي الذي يجنبها السفه والانحطاط وينأى بها عن الجشع وهي كذلك عنوان علوّ الهمة وشرف النفس ودليل الكرم، وهي من دواعي الألفة ودوام المحبة)[1].

إن واجب المشتغلين بالتربية، تعميق روح الإيثار في نفوس المتربين لنجاح العملية التربوية على مستوى الأفراد، وعلى مستوى المجتمعات (فالإيثار قيمة سامية تدفع إلى الاتحاد والتعاون فقد خلق الله تبارك وتعالى الإنسان اجتماعيًا بطبيعته لا يمكنه القيام بأعباء هذه الحياة منفردًا، ولا الحصول على لوازمه كلها بمفرده بل لابد له من مشاركة غيره وهذه المشاركة هي التي عناها الخالق سبحانه بقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2] ثم إن تقديم الآخرين على الذات وتفضيلهم على النفس هو غاية نبيلة تؤدي إلى زوال الأنانية وتوثيق الروابط بين الأفراد بل بين المجتمعات، وبذلك ترتقي قيمة الفرد المتطلع إلى إقامة العلائق الاجتماعية على أسس سليمة)[3].

ثانيًا-التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالتوجيه المباشر حيث يقوم المربي بتوجيه النصح والإرشاد أو الموعظة والتوجيه التربوي مباشرة إلى المتربي، وفي حديث الباب تتضح التربية بالتوجيه المباشر من خلال قوله ﷺ "ساقي القوم آخرهم شربًا" (وتعتمد التربية بالتوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المرادُ تغييرُ سلوكه أو تقويمه

---

(١) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق العربية والإسلامية، الدجوي، تحقيق علاء الدين زعتري ص ١٠٨ نقلا عن موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، ١٠/١٠، ١١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون ١٢/١٠، ١٣.

تلقينًا مباشرًا بإلقاء الكلام إلى السامع -الشخص المستهدف بالتربية- مباشرة بصيغة الأمر أو النهي، وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المتربي)[1].

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه أو العكس قيام المربي بممارسة العمل أمام المتعلم ثم يتابعه المتعلم، يتخلل ذلك أحيانًا مناظرة من المعلم يرافقها تصحيح لأخطائه)[2].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ١٥٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٤.

١١٦- باب جواز الشرب

من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة

وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد- وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

الحديث رقم (٧٧٤)

٧٧٤- عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فقامَ مَن كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أهْلِهِ، وبَقِيَ قَوْمٌ، فأُتِيَ رسول الله ﷺ بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ[1]، فَصَغُرَ المخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ. قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزيادة. متفق عَلَيْهِ، هذه رواية البخاريِّ[2].

وفي رواية لَهُ ولمسلم[3]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَعَا بإناءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ماءٍ، فَوَضَعَ أصابعَهُ فِيهِ. قَالَ أنسٌ: فَجَعلْتُ أنْظُرُ إِلَى الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوضَّأَ منه مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بمخضب: الإناء الذي يغسل فيه الثياب من أي جنس كان، وقد يطلق على الإناء صغيرًا أو كبيرًا[4].

---

(١) عند البخاري زيادة: (فيه ماء).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٠) واللفظ له، ومسلم (٢٢٧٩/٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/١.

فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه: أي لم يسع المخضب بسط كفه ﷺ[١].

القدح: الإناء الذي يشرب فيه[٢].

الرحراح: الواسع القصير الجدار[٣].

حزرت من توضأ: قدَّرتهم بالتخمين[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث معجزة من معجزات النبي ﷺ رآها أصحابه - رضوان الله عليهم - وهي نبع الماء من بين أصابعه كما نص على ذلك أنس رضي الله عنه في الرواية الثانية التي رواها مسلم لهذا الحديث، والتي أثبتها صاحب رياض الصالحين عند ذكر هذا الحديث: (فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه)[٥]. وقد ساق أنس رضي الله عنه الحديث في أسلوب قصصي دون مؤكدات، وقوله (حضرت الصلاة) فيه إيجاز بالحذف أي: حان وقتها، وقوله: (فقام من كان قريب الدار إلى أهله) وفي الكلام إيجاز بليغ أي ليتوضأ، والربط بالفاء إيذان بالسرعة التي تعكس حرصهم على أداء الصلاة على وقتها، وقوله) فصغر المخضب) وهو إناء من حجارة لم يتسع لبسط كف رسول الله ﷺ لصغره، وهو ما تبدو خلاله المفارقة بين ضيقه لدرجة لا يتسع فيها لبسط كف، وبين وضوء العدد الكبير من مائه بمعجزة رسول الله ﷺ والذي يؤكده قوله) فتوضأ القوم كلهم) حيث جعل فاعل الوضوء (القوم) وأكده بلفظ (كل) المضاف إلى ضمير الجماعة، وقد صعَّد هذا التوكيد إجابته على سؤال السائلين (كم كنتم؟) وهو استفهام على حقيقته مع ما يلوح منه من تعجب فقال (ثمانين، وزيادة) وفيها إيجاز

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/١.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ق د ح).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ذ ر).

(٥) البخاري رقم (٢٠٠).

ينشط العقل، ويحفظ على الأسلوب طبقته في الكلام العالي أي: كنا ثمانين، وهو ما يجعل الحدث يخرج عن حد العادة إلى حد الإعجاز للرسول ﷺ، وقوله: (وزيادة) تتميم بلاغي ينفي وهم المبالغة عن العدد المذكور، ويضيف احتمال ارتفاع العدد على الثمانين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على نقل أخبار النبي ﷺ معهم.

ثالثًا: من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين يديه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على أداء الصلاة:

من موضوعات الدعوة التي في هذا الحديث الحث على أداء الصلاة. ويظهر ذلك في قول أنس ﷺ: "حضرت الصلاة فقام من كان قريب...".

فالصلاة من أهم العبادات التي يجب على كل مسلم أن يفقه أحكامها درسًا وتطبيقًا، لعظم قدرها، وسمو مكانتها في الإسلام، فإذا كان الإيمان قولاً باللسان واعتقادًا بالجنان، فالصلاة عمل بالأركان وطاعة للرحمن.

ولما كانت الصلاة عبادة يتحقق فيها التجرد لله وحده، وتربية النفس على المعاني الإيمانية، التي تعد المؤمن لحياة كريمة في الدنيا، وسعادة سرمدية في الآخرة، كانت سنة متتابعة عبر الرسالات، وصلة بخالق الأرض والسماوات، وزادًا يعين النفس على التزام الطاعات والبعد عن المحرمات. والصلاة عبادة يجب أن تؤدى على وجهها المشروع، لقول الرسول ﷺ: ((... وصلوا كما رأيتموني أصلي...))[1]. فلابد للمسلم أن يتعلم كل ما يتعلق بأحكام الصلاة، حتى يؤدي العبادة على الوجه الصحيح.

ومن هنا تبدو أهمية الدعوة في التعريف بالصلاة ومكانتها وآثارها في حياة المسلم،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

وكيف يؤدي الإنسان الصلاة صحيحة تامة، كما علمنا إياها رسول الله ﷺ[١].

والصلاة لها مكانة عظيمة في الإسلام، فهي ثاني أركان الإسلام، وثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٤] وقال رسول الله ﷺ ((بُنِيَ الإِسلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، وَإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رَمَضان))[٥] وقد نسب رسول الله ﷺ تاركها إلى الكفر فقال: ((إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ))[٦]. فالصلاة عمود الدين الذي لا يقوم إلا به[٧].

فهي أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، ومما يدل على ذلك أنها كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أُمته قبل وفاته، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلاَةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ، وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ))[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على نقل أخبار النبي ﷺ معهم:

يظهر هذا من عموم الحديث، حيث ذكر أنس رضي الله عنه فعل النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عند حضور الصلاة، ولم يجدوا الماء الكافي لوضوئهم؛ فالصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا رسول الله ﷺ وأخذوا عنه سنته، وعايشوه في أحواله المختلفة،

---

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٩، ١٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٦) أخرجه مسلم ٨٢.

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥١/٢٧.

(٨) أخرجه أحمد ١١٧/٣ رقم ١٢١٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٠٩/١٩.

فكانوا حريصين على نقل أخباره التي وقعت معهم، وأفعاله المختلفة، حتى تعلم الأمة سنة رسولها وشريعة ربها ومعجزاته التي أيد بها رسوله. وقد دعا رسول الله ﷺ لمن نقل عنه قوله إلى غيره، وحث على هذا التبليغ بقوله ﷺ ((نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ))[1].

ثالثًا- من معجزات النبي ﷺ: نبع الماء من بين أصابعه:

من معجزات النبي ﷺ التي أيده الله بها نبع الماء من بين أصابعه، ويظهر ذلك في قول أنس: "... فوضع أصابعه فيه، قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه" وهذا من معجزات النبي ﷺ. وفي كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي عياض وغيره، أحدهما ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء: أن معناه: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه ﷺ وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيد هذا أنه جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه، والثاني: يحتمل أن الله كثر الماء في ذاته، فصار يفور من بين أصابعه لا من نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة)[2].

وقال القرطبي: (قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي... قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ)[3].

ونقل ابن عبدالبر عن المزني قوله: (نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر، حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم)[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩).

(٢) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٣٩١/٧، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٢/٦ - ٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧٧/٦.

الحديث رقم (٧٧٥)

٧٧٥-وعن عبد الله بن زيد ﷺ ، قَالَ: أتَانَا النبيُّ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاريُّ[1].

"الصُّفْر" بضم اصاد، ويجوز كسرها، وهو النحاس، و"التَّوْر": كالقدح، وهو بالتاء المثناة من فوق.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: وهو عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مندول، المازنيُّ، النجاريُّ، المدنيُّ، الأنصاري، يكنى بأبي محمد، يعرف بابن أم عمارة، وهو من فضلاء الصحابة، روى عن النبي ﷺ حديث الوضوء، وعدة أحاديث، روى له الجماعة، له في كتب الحديث (٤٨) حديثًا، له ولأبويه وأخيه حبيب صحبة.

اختُلِفَ في شهوده بدرًا، والأصح أن أُحُدًا هي أول مشاهده، شهدها هو وأمهُ أم عمارة، مع النبي ﷺ، ثم شهد بعدها المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان ممن بايع رسول الله ﷺ وقال يوم الحَرَّة لا أبايع على هذا - أي الموت- أحدًا بعد رسول الله ﷺ[2].

وكان مسيلمة الكذاب قد قتل حبيب بن زيد أخَ عبدالله وقطعه عضوًا عضوًا، وكان حبيب قد بعثه النبي ﷺ إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، وإذا قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: أنا أصمُّ لا أسمع، فعل ذلك مرارًا فقطعه مسيلمة عضوًا عضوًا، ومات شهيدًا، فشاء الله تبارك وتعالى أن يغزو المسلمون اليمامة، وكان منهم عبدالله بن زيد، فانتقم لأخيه وشارك وحشيَّ بن حرب في قتل مسيلمة الكذاب.

---

(١) برقم (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٩).

أما عن وفاته فيقال إنه قُتِل يوم الحَرَّة سنة (٦٣) وهو ابن (٧٠) سنة، وقتل معه ابناه خلّاد وعلي، وكان ذلك في أيام يزيد بن معاوية[1].

الشرح الأدبي

قول الصحابي رضي الله عنه أتانا النبي ﷺ بصيغة الجمع يشعر باعتزازه بزيارة النبي ﷺ وسعادته بنزوله عليه كما يخبر من حظي بتشريف الملك بقوله: (زارنا الملك) على سبيل الافتخار، والاعتزاز، وأي ملك يساوي تاجه نعل رسول الله ﷺ؟ وحُقَّ للصحابي هذا الاعتزاز، وما يؤكد ذلك تكراره ضمير الجماعة (أتانا، فأخرجنا) وكأنه يستكثر على نفسه أن يكون تشريف الرسول ﷺ مخصوصاً بفرد، ثم إن فاء العطف المتصلة تؤذن بهذا المعنى؛ فإن من أتاه ضيف عزيز أسرع في إكرامه، وتلبية حاجته وقوله (فأخرجنا) توحي بعموم هذه الحالة من الاعتزاز، والسعادة برسول ﷺ للجميع، وإسراعهم جميعاً لإكرامه، وقوله: (في تور من صفر) هو إناء من النحاس، وهو أغلى ما لديهم يومئذ، وهو ما يؤكد حفاوتهم بالرسول ﷺ، وقوله: (فتوضأ (إشارة إلى أنه لم يعترض على استعمال هذا اللون من الآنية لمشابهته للون الذهب.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على خدمة النبي ﷺ.

أولاً - من آداب الداعية: التواصل مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد رضي الله عنه: (أتانا رسول الله ﷺ)، فدل هذا على

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٠٥)، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥٠/٣، ٢٥١)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٧٥)، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٧٧/٢، ٣٧٨)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٣٨/٤، ١٣٩)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٣٩/٢)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٨٨/٤).

تواصل النبي ﷺ مع أصحابه وزيارته لهم.

فإن المدعو يؤتى ويدعى حيث كان، ولا ينبغي للداعية انتظار مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل إمام الدعاة محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام، في جميع الأزمنة والأمكنة؛ فكان رسول الله ﷺ يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلهم ويدعوهم إلى الله تعالى، ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة في المواسم فيدعوهم[1].

وكان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المسلمين ويقوم بزيارتهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير))[2].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: ((إِنَّا وَاللهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))[3].

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص على التواصل مع المدعوين، فهو يتوفر لطلابه في معظم أحيانه، فهم يجدونه في المسجد، فإن لم يكن ذهبوا إلى بيته، وكان ﷺ يستقبلهم، ويجيب على أسئلتهم، ولم يكن من عادته حجب الناس عنه أوردهم، بل كان يستقبلهم، ويبتسم لهم دائمًا.

عن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: ((ما حَجَبني النبيُّ ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّمَ في وجهي))[4]. وعن عبدالله بن الحارث قال: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ))[5].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٩.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/ ٥٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٨٢٢، ومسلم ٢٤٧٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٦٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٨٠).

وكان ﷺ يستقبل أنواع الناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم، يستقبل الأعرابي والمتعلم، والمرأة والرجل، والطفل والشاب، والكهل والشيخ والعجوز والسيد والمولى والجارية، وكلٌ يحسُّ بحظوة عنده ومكانة كأنها ليست لغيره، وهي للجميع، وربما أطال من جلس عنده، فاستحيا منه الرسول ﷺ ولم يشعر بذلك، وربما أطال من استوقفه في الطريق أو في المسجد، فلم يعنفه أو ينصرف عنه، وقصصه في هذا كثيرة جدًا، لا يسع المقام لذكرها[1].

فعلى الداعية أن يحرص على التواصل مع المدعوين ومخالطتهم، ويحرص على تبادل المودة والمحبة بينه وبينهم، حتى يقبلوا على دعوته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على خدمة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن زيد ﷺ فأخرجنا له ماء.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين على خدمة رسول الله ﷺ فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: ((كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: سَلْ فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))[2].

لقد عرف أصحاب رسول الله ﷺ قدره، فعزروه ونصروه، وحرصوا على خدمته وأحبوه أكثر من أنفسهم وأموالهم وأهلهم، فهو رسول الله وصفوته من خلقه.

فكيف لا يحرصون على خدمته ﷺ؟ وهو حقه أن يفدى بالأنفس والأموال، وأن يؤثر بكل عزيز وغال. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[3].

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه، وأوجب على

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٠.

المؤمنين نصرته، وذلك في آيات عدة من القرآن منها: قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وامتدح الله المهاجرين بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[2].

كما أثنى على الأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

ونصر الرسول ﷺ يشمل نصره باللسان والسنان والبنان، بالقول والفعل، نصرًا له في ذات نفسه حماية لعرضه، وصونًا لحرمته، وإرغامًا لأعدائه ومبغضيه، وانتصارًا له من كل من يؤذيه، وإجلالاً لمقام النبوة من أي قدح أو عيب[4].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٧٤.

(٤) محبة الرسول ﷺ، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨١، ٨٢.

الحديث رقم (٧٧٦)

٧٧٦- وعن جابر رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِن الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ : ((إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ باتَ هذِهِ اللَّيْلَةَ في شَنَّةٍ وَإلاَّ كَرَعْنَا)) رواه البخاريُّ[1].

(الشنّ): القِربة.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَنَّةٍ: الشن: القِربة[2].

كرعنا: تناولنا الماء بالفم من غير إناء ولا كف.

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وقلوبهم، وقوله: (دخل) يفيد تحقق الوقوع، وتنكير كلمة رجل في قوله: (على رجل) يشير إلى تواضع الرسول ﷺ ولين جانبه، وحسن معاملته لكل أمته دون تمييز بينهم من ناحية الغنى، الفقر، أو الشرف، والوضاعة، بل لم يكن من مقياس للتفاضل بينهم إلا بالتقوى، وصياغة الرسول ﷺ لطلبه في صورة الشرط (إن كان عندك ماء) من أدبه العالي حتى لا يكلف الرجل ما لا ليس عنده، ولذلك قدم الظرف (عندك) وقوله: (في شنة) أي قربة، وهي وعاء يحفظ فيه الماء، وقوله: (وإلا كرعنا) فِيهِ حَذْفَ تَقْدِيره: فَاسْقِنَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدك كَرَعْنَا، وَالْكَرْع بِالرَّاء تَنَاوُل الْمَاء بِالْفَمِ مِنْ غَيْر إِنَاء وَلا

---

(١) برقم (٥٦١٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٢٦.

كَفّ، وهو من تواضعه ﷺ فإنه لا يتكبر عن الشرب من مجرى الماء بفمه دون إناء مادام طاهراً.

فقه الحديث

حكم الكرع: الكرع جائز[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور.

أولاً - من صفات الداعية: البساطة والتواضع وعدم التكلف مع المدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا".

ويدل هذا على بساطة وتواضع النبي ﷺ وعدم تكلفه مع المدعوين، والتواضع ولين الجانب، وبسط الوجه للناس، وسماحة النفس والبشاشة، أخلاق كريمة، تنشأ من طيب معدن النفس، وكذلك من معرفة الإنسان بنفسه وقدرها وحقيقتها، وأنه إن لم يأخذ بنفسه إلى خلق جميل، جمحت به وأوردته في مهابط الرذيلة والأخلاق السافلة، ومنها الكِبْر، والتعاظم في النفس، والترفع على الخلق، ومعرفة العبد بأن الناس جميعًا من نفس واحدة ومردهم إلى أصل واحد، وما جعل الله الناس شعوبًا وقبائل إلا للتعارف والتآلف، وأنه لا تمايز بينهم بعِرْق أو لون، وإنما التمايز بالإيمان والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح، الذي يورث النفس الخشية والإنابة، فمتى كان ذلك متمكنًا في النفس أكسبها التواضع، وخفض الجناح، والبساطة، وعدم التكلف مع الناس[2].

والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عاريًا من التواضع، وهو من ركائز أخلاق

---

(١) في المسألة تفصيل، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٧٧ .

(٢) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد العليوي ص ٤٢، ٤٣.

الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقًا وصدقًا، هكذا جبلت طبائع الناس، فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده. فلا يصل إليهم من قوله شيء، بل قد يكون ذلك سببًا إلى كرههم الحق منه ومن غيره. فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيدًا، وليتق الله ربه، ولا يكون سببًا لنفرة الناس من الدعوة إلى الله[١].

وعلى الداعية النظر في خلق رسول الله ﷺ وسيرته، فهو القدوة المثلى للمسلمين جميعًا، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]. وعن أنس ﷺ قال: ((كانتِ الأمَة من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت))[٣].

فحري بالداعية أن يلتزم خلق البساطة والتواضع، وعدم التكلف مع المدعوين، حتى يكون قريبًا منهم ومحبوبًا، ولابد أن يكون على صلة مستمرة بالناس ولا يتحقق ذلك إلا بالتواضع والبساطة، وعدم التكلف، كي يكسب محبتهم، وتقديرهم، واحترامهم وقبول السمع والطاعة لما يقول[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: بيان السعة واليسر في الأمور:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ "إن كان عندك ماء... وإلا كرعنا" حيث بين رسول الله ﷺ لمن دخل عليه أن الأمر فيه سعة ويسر، فإذا لم يكن عنده ماء في القربة شربوا من غير إناء.

وقد كان رسول الله ﷺ يختار الأمر الميسور في عمله ويحث أصحابه على اليسر

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٤) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح بن محمد ا لعليوي ص ٤٥.

والسعة في الأمور؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا))[١].

وما يدل على أن رسول الله ﷺ كان يبين لأصحابه سعة الأمور ويسرها قوله: ((عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ))[٢].

فالدين الإسلامي دين السعة واليسر وليس دين الغلو والتشدد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٤].

إن الدين الإسلامي قائم على السماحة والتيسير وعدم التعسير، ورفض الغلو، وإنكار التمادي ومجاوزة الاعتدال، قال تعالى: "لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها"، وهذا ما أكده ﷺ في قوله: ((يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا))[٥]، وكان ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه في بعض أمره، أمره بالتبشير والتيسير: ((بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرِوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا))[٦].

قال النووي: (إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأنه قد يفعلهما في وقتين فاقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في يسرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا، لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت، وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء. وفي هذا الحديث

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٠، ومسلم ٧٨٢.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٢٥، ومسلم ١٧٣٤.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٣٢.

الأمر بالتبشير بفضل الله، وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي، كلهم يتلطف بهم، ويدرجون في أنواع الطاعة قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها، سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها)[1].

وكان رسول الله يقول لأصحابه: ((فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمر فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[2].

فيجب على الداعية أن يبين للمدعوين السعة واليسر في أمور الدين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١١٦ - ١١١٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

الحديث رقم (٧٧٧)

٧٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه ، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَن الحَرِير، وَالدِّيباجِ، والشُّربِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وقال: ((هِيَ[1] لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الديباج: الثوب الذي سداه ولحمته من الحرير[3].

الشرح الأدبي

استهل الصحابي رضي الله عنه الحديث بأسلوب خبري مؤكد بـ (إن) مع اسمية الجملة؛ لأنه قوبل بما يُشبه الإنكار كما دلّت على ذلك رواية البخاري: (كَانَ حُذَيْفَةُ بِالْمَدَايِنِ فَاسْتَسْقَى فَأَتَاهُ دِهْقَانٌ بِقَدَحِ فِضَّةٍ فَرَمَاهُ بِهِ فَقَالَ إِنِّي لَمْ أَرْمِهِ إِلاَّ أَنِّي نَهَيْتُهُ فَلَمْ يَنْتَهِ وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا عَنْ الْحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَقَالَ هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ)[4] وقوله (نهانا) إخبار بالتحريم، والأنواع المذكورة فيها إفراط في الترف، وإسراف في الاستخدام، مما يثير الحسد، والحقد بين الناس، وخاصة الفقراء الذين لا يجدون طعامهم الضروري، وقول الرسول ﷺ (هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة) يقرر أن النعيم المطلق للمؤمن في الآخرة، وليس في الدنيا، وإعادة المسند إليه في الجملتين إيذاناً باستقلال الحكم في الجملتين، ولأنها

---

(١) لفظ البخاري: (هنَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٣٢) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٧/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٧). وسيكرره المؤلف برقم (١٧٩٨).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٨٨.

(٤) البخاري حديث (٥٢٠١).

مدار النهي، وعلته، وفي العبارة طباق يوضح أبعاد المسألة، وأسلوب القسمة بين (لهم، ولكم، وبين الدنيا والآخرة).

وهذه العبارة تحقق القناعة بعدل الله، وترضي المؤمن بقسمه؛ لأنه يعلم أن الدنيا مهما حلت فهي إلى زوال، وليس فيها متعة إلا وهي منغصة بتذكر زوالها عن صاحبها بهلاكها، أو زوال صاحبها عنها بموته.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يحرم على الرجال والنساء جميعًا استعمال أواني الذهب والفضة، في الأكل والشرب والوضوء والاغتسال ونحو ذلك[١].

بينما نقل عن التابعي معاوية بن قرة، أنه لا بأس بالشرب في قدح من فضة[٢].

وعن داود جواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال فيهما[٣].

وعن الشافعي في القديم أن النهي عن استعمال الذهب والفضة في غير التحلي مكروه تنزيهًا، وقد رجع عنه[٤].

يقول النووي: (أجمع المسلمون على تحريم الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة، على الرجل والمرأة، ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء، إلا ما حكاه أصحابنا

---

(١) مراتب الإجماع ٢٨، والاختيار ١٣/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٥/٤، ٣٦، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٤/١.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٤/١.

(٤) المرجعان السابقان.

العراقيون أن للشافعي قولاً قديمًا أنه يكره ولا يحرم، وحكوا عن داود الظاهري تحريم الشرب وجواز الأكل، وسائر وجوه الاستعمال،وهذان النقلان باطلان)[1].

حكم استعمال الأواني من غير الذهب والفضة: أما سائر الآنية فمباح اتخاذها واستعمالها، سواء أكانت ثمينة، كالياقوت والبلور والعقيق والصفر والمخروط من الزجاج، أم غير ثمينة، كالخشب والخزف والجلود.

ولا يكره استعمال شي ء منها في قول جمهور الفقهاء، وقال بعض المالكية: إنه لا يجوز استعمال الأواني النفيسة، لكن ذلك ضعيف جدًا. وهو قول عند الشافعية.

كما روي عن ابن عمر أنه كره الوضوء في الصفر والنحاس والرصاص وما أشبه ذلك. واختاره الشيخ أبو الفرج المقدسي؛ لأن الماء يتغير فيها، لأن تحريم الأثمان تنبيه على تحريم ما هو أعلى منه؛ ولأن فيه سرفًا، وخيلاء وكسر قلوب الفقراء، فكان محرمًا كالأثمان[2].

٢-حكم لبس الحرير والديباج: اتفق على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[3].

---

(١) المرجعان السابقان.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ١٥٨/٦، وحاشية الصاوي ١٠٠/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٧/١.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥١٩/٦ وما بعدها، والقوانين الفقهية ٣٧٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١١/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة:حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة التي تستنبط من هذا الحديث حرمة لبس الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة. يظهر ذلك في قول حذيفة رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة"، قال النووي: (وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج والقسي وهو نوع من الحرير، فكله حرام على الرجال، سواء لبسه للخيلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر، وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه)[1]. قال ﷺ: ((إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ))[2].

قال القرطبي: (وقوله: "إنما يلبس هذه" وفي رواية: "الحرير، من لا خلاق له في الآخرة" الخلاق: قيل فيه: الحظ، والنصيب، والقدر. ويعني بذلك: أنه لباس الكفار والمشركين في الدنيا، وهم الذين لا حظ لهم في الآخرة. واختلف الناس في لباس الحرير فمن مانع، ومن مجوِّز على الإطلاق، وجمهور العلماء منعه للرجال، وإباحته للنساء. وهو الصحيح لهذا الحديث، وما في بابه وهي كثيرة)[3]. ونهى عن استعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، قال النووي: (فيه تحريم الشرب فيه)[4].

فإن استعمال الذهب والفضة حرام في مذهب الأئمة الأربعة، لأن النبي ﷺ قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٠٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٨٦/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

((لا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِي الآخِرَةِ))[1]. ونهى ﷺ عن الشرب في آنية الفضة، فقال: ((مَنْ شَرِبَ فِيهَا فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَشْرَبْ فِي الآخِرَةِ))[2]. والنهي يقتضي التحريم. والعلة في تحريم الشرب فيما يتضمنه ذلك من الفخر وكسر قلوب الفقراء.

والنهي وإن كان عن الأكل والشرب، فإن العلة موجودة في الطهارة منها واستعمالها كيفما كان.

وإذا حرم الاستعمال في غير العبادة ففيها أولى، وفي المذهب القديم للشافعي أنه مكروه تنزيهًا.

فإن توضأ منها، أو اغتسل، صحت طهارته عند الحنيفة والمالكية والشافعية وأكثر الحنابلة، لأن فعل الطهارة وماءها لا يتعلق بشيء من ذلك، كالصلاة في الأرض المغصوبة.

وذهب بعض الحنابلة إلى عدم صحة الطهارة، لأنه استعمل المحرم في العبادة، فلم يصح كالصلاة في الدار المغصوبة. والتحريم عام للرجال والنساء[3].

وهذا من موضوعات الدعوة التي ينبغي على الداعية أن يذكرها للمدعوين، ويبين لهم أن الرجال محرم عليهم استعمال آنية الذهب والفضة ولبس الحرير، وقد ورد عن علي بن أبي طالب: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وَأَخَذَ ذَهَبا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي))[4].

كما أن النساء محرم عليهن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، ولكن أبيح لهن التزين بهما ولبسهما، وكذا الحرير حلال لهن.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١/١١٧-١١٨.

(٤) أخرجه النسائي برقم ٥١٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥١، ٤٧٥٢).

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من إتيان عادات الكفار:

فقد نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير والديباج، واستعمال آنية الذهب والفضة في الشرب، لأنهما من عادات الكفار. وبيّن ذلك قوله ﷺ هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة. أي أن الكفار إنما يحصل لهم ذلك في الدنيا، وأما الآخرة فما لهم فيها من نصيب[1]. فحذر المسلمين من ذلك حتى لا يحرموه في الآخرة، وقد قال ﷺ ((لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ))[2]؛ فحذر المسلمين من لبس الحرير واستعمال أواني الذهب والفضة، حتى لا يقعوا في أفعال الكفار، فيعاقبوا بعقابهم في الآخرة، بالحرمان من لبسهم واستعمالهم.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال رأى رسول الله ﷺ على ثوبين معصفرين فقال: ((إنَّ هذهِ ثيابُ الكفارِ، فلا تَلْبَسْهَا))[3] قال ابن تيمية: (علل النهي عن لبسها بأنها: من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا، أو مما يعتاده الكفار لذلك.

كما أنه في الحديث الذي معنا قال: إنهم يستمتعون بآنية الذهب والفضة في الدنيا، وهي للمؤمنين في الآخرة، ولهذا كان العلماء يجعلون اتخاذ الحرير وأواني الذهب والفضة تشبهًا بالكفار[4].

ففي الصحيحين عن أبي عثمان النهدي، قال: (كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ رضي الله عنه وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ مع عتبة بن فرقد: يَا عُتْبَةُ بْنَ فَرْقَدٍ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أَبِيكَ وَلاَ مِنْ كَدِّ أُمِّكَ. فَأَشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ، مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزِيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرَ فَإِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْ لَبُوسِ الْحَرِيرِ. قَالَ إِلاَّ هكَذَا.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٨٣٤، ومسلم ٢٠٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٧٧.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/٣٦٠-٣٦١.

وَرَفَعَ لَنَا رَسُولُ اللّهِ بِإِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَىٰ وَالسَّبَّابَةَ وَضَمَّهُمَا) [١].

وروى أبو بكر الخلال بإسناد عن محمد بن سيرين: (أن حذيفة بن اليمان أتى بيتًا، فرأى فيه حارستان: فيه أباريق الصفر والرصاص، فلم يدخله. وقال: من تشبه بقوم فهو منهم) [٢]، وفي لفظ آخر: (فرأى شيئًا من زي العجم فخرج وقال: من تشبه بقوم فهو منهم).

وقال علي بن أبي صالح [٣] السواق: (كنا في وليمة، فجاء أحمد بن حنبل فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب الدار، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس! زي المجوس) [٤].

وقال في رواية صالح [٥]: (إذا كان في الدعوة مسكر، أو شيء من آنية المجوس: الذهب والفضة، أو ستر الجدران بالثياب خرج ولم يطعم).

وفي النهاية قال ابن تيمية: (ولو تتبعنا ما في هذا الباب عن النبي ﷺ مع ما دل عليه كتاب الله لطال) [٦].

وقال ابن تيمية مبينًا أهمية عدم التشبه بالكفار: (إن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابس لثياب أهل العلم - مثلاً - يجد في نفسه نوع انضمام إليهم،

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٢٩، ومسلم ٢٠٦٩.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٠١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبيداود ٣٤٠١)

(٣) كذا في النسخ: ابن أبي صالح، والصحيح: ابن أبي صبح. انظر: طبقات الحنابلة ٢٣٤/١.

(٤) ذكره ابن أبي يعلي في طبقات الحنابلة ٢٣٤/١، وذكر بدل كلمة (عليه فضة: عليه صورة) نقلاً عن محقق اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٢/١.

(٥) هو: صالح بن أحمد بن حنبل، أبو الفضل، وأكبر أولاد أحمد، ولي قضاء أصبهان وطرسوس، من الفضلاء الصالحين الثقات، اشتهر بالكرم والسخاء، مات بأصبهان سنة ٢٦٦ هـ، وكانت ولادته سنة ٢٠٣ هـ، انظر: طبقات الحنابلة ١٧٣/١ - ١٧٦، نقلاً عن اقتضاء الصرط المستقيم ٣٦٢/١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦١/١ - ٣٦٢.

واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك)[١].

لذا ينبغي على المسلم أن يحذر إتيان عادات الكفار والتشبه بهم.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التبشير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" قال النووي: (وأما المسلمون فلهم في الجنة الحرير والذهب وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[٢]، فبشر رسول الله ﷺ المسلمين بلبس الحرير في الجنة واستعمال آنية الذهب والفضة ولبسهما، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾[٣]. وقد استخدم أسلوب التبشير بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة، من التكريم والتنعيم للمؤمنين في الجنة، بلبس الذهب والحرير واستعمال آنية الذهب والفضة. وهذا من الأساليب التي تجذب الناس إلى قبول الدعوة، والحرص على الالتزام بها للفوز بجنات النعيم، وما أعده الله فيها للمؤمنين من النعيم المقيم.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٤/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

الحديث رقم (٧٧٨)

٧٧٨- وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((إنَّ الَّذِي يَأكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ)).

وفي رواية لَهُ[3]: ((مَنْ شَرِبَ فِي إناءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

يجرجر: يُحدر، فجعل الشرب والجرع جَرجَرة، وهي صوت وقوع الماء في الجوف[4].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تصعِّد الشعور بخطر الخبر، وأهميته التي تستلزم أن تتلقاه القلوب بيقظة، وانتباه، وتلك إحدى فوائد توكيد الخبر، وقول الرسول ﷺ (الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ) استعمال الموصول في تعريف المسند إليه، لتنبيه المخاطب على خطأ، والفعل المضارع (يشرب) يستحضر الصورة موضع الخطأ بين سمع المخاطب، وبصره، والظرف، والمظروف في قوله: (في آنية) يبين طبيعة الخطأ، وأنه يرجع إلى الشرب فيها خاصة، وقوله: (إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ) أسلوب قصر لهذا النوع من الشرب على نار جهنم أي: لا يشرب غيرها، والفعل (يجرجر) فاعله عَلَى رِوَايَة النَّصْب هُوَ الشَّارِب مُضْمَر فِي يُجَرْجِر، أَيْ يُلْقِيهَا فِي بَطْنه بِجَرْعٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥/١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٢) مسلم بعد حديث (٢٠٦٥/١، بدون رقم). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٣) مسلم (٢٠٦٥/٢). أوردها المنذري في ترغيبه (٣١٢٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ج ر).

مُتَتَابِع يُسْمَع لَهُ جَرْجَرَة، وَهُوَ الصَّوْت لِتَرَدُّدِهِ فِي حَلْقه، وَعَلَى رِوَايَة الرَّفْع تَكُون النَّار فَاعِله، وَمَعْنَاهُ تَصْوِيت النَّار فِي بَطْنه، وَالْجَرْجَرَة هِيَ التَّصْوِيت، وَسُمِّيَ الْمَشْرُوب نَارًا لأَنَّهُ يَئُول إِلَيْهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَال الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونهمْ نَارًا﴾ واختيار هذه الصيغة بوزنها، ومعناها له خصوصية، لأنها من جرجر على وزن (فعلل) مضعف الرباعي، وهو من الأوزان التي تصف الحركة، وتدلل على الاضطراب وهي تصف صوت الماء المندفع بقوة في بطن العاصي من إناء الفضة، والذي يحكي جرأته على إتيان ما نهي عنه رسول الله ﷺ، والتي تؤول به إلى أن يتجرع الحميم - والعياذ بالله -، وإضافة النار إلى جهنم تصعيد للترهيب الوعيد.

والأسلوب النبوي بذلك يجعل تعاطي الشراب في هذه الآنية هو نفسه العقاب بعد أن طوى الزمن، وانتقل به إلى العقاب في الآخرة، ويصوره، وقد حل به فهو يتجرع النار في كل مرة يرفع فيها إناء الفضة إلى فيه مما يشعره برعب ينسيه متعة الشراب في هذه الآنية.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة.

ثالثًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"؛ حيث أخبر عن عذاب من يشرب في آنية الفضة.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يخبر بها الداعية المدعوين، بما تتضمنه الدعوة من حقائق تفيدهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خطر الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث خطر الشرب في آنية الفضة. يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم"، وفي رواية

لمسلم: "إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الفضة والذهب"، وفي رواية له: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

أي: (تصوت النار في بطنه، والجرجرة هي التصويت، وسمى المشروب نارًا لأنه يؤول إليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًا﴾[1])[2].

قال ابن عثيمين: (وفي حديث أم سلمة: دليل على أن الأكل في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ توعد على ذلك بأن من فعله؛ فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، الجرجرة: صوت الطعام والشراب وهو ينحدر في البلعوم، فإذا أكل أو شرب في إناء الذهب والفضة، فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وهذا يدل على أنه من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد، وكل ذنب فيه وعيد، فإنه من كبائر الذنوب)[3].

وقد استحق العذاب من أكل أو شرب في آنية الذهب والفضة لوقوع النهي عنها[4].

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسَبعٍ، ونهانا عن سَبع: أمرنا بعيادةِ المريض، وأتباع الجنازةِ، وتشميتِ العاطس، وإجابةِ الداعي وإفشاءِ السلام، ونصر المظلومِ، وإبرارِ المُقسمِ. ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشربِ في الفضة))[5]؛ فالأكل والشرب في آنية الفضة حرام، فإذا أكل أو شرب فيها المسلم، فيكون ارتكب أمرًا يستحق عليه العذاب، فكان في ذلك خطورة عليه يجب عليه أن يتجنبها.

ثالثًا - من مهام الداعية: تحذير المدعوين مما يوردهم المهالك:

يظهر ذلك في تحذير النبي ﷺ من الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، وأن

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٨٤/٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٨٨/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٣٥.

من يشرب فيها تجرع النار في بطنه، وذلك لأنه يخشى على أمته الوقوع فيما يعذبون عليه، وذلك يدل على حرصه ﷺ على مصلحة المسلمين، وحرصه على تحذيرهم مما يوردهم في المهالك، وقد قال ﷺ ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[1].

فينبغي على الداعية الاقتداء بالنبي ﷺ ويحذر المدعوين عن الأشياء التي توردهم عذاب الله، وأن يحرص على مصلحتهم، فإن ذلك يرقق القلوب له، ويجعل الناس يستجيبون لدعوته.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في ترهيب النبي ﷺ الذي يأكل أو يشرب في أواني الذهب والفضة بالتجرع في بطنه نار جهنم.

وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية، التي يستخدم فيه الداعية كل ما يخيف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه[2].

والآيات الكريمة التي بينت لنا وصورت ما أُعد من ألوان العذاب يوم القيامة كثيرة جدًا، حيث ورد ذكر "جهنم" في القرآن الكريم أكثر من سبعين مرة، وورد ذكر العذاب أكثر من ثلاثمائة مرة، وهذا لاشك تذكير عظيم ومؤثر في النفس البشرية إضافة لما ورد في السنة المطهرة من بيان لألوان العذاب يوم القيامة، ووصف جهنم وخزنتها وما فيها من خزي وتنكيل بالذين استحقوا أن يكونوا من أهلها، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ٦٤٨٣، ومسلم ٢٢٨٤.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

(٣) سورة الجن، آية: ٢٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤.

وهذه صورة للعذاب النفسي في جهنم يوم القيامة توضحها لنا آيات من سورة المؤمنون: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1].

وهكذا الآيات المباركات الأخرى التي تبين حال أهل النار يوم القيامة، إنها صورة مؤثرة ومحزنة ومخيفة، إذا ركز عليها الداعية، فإنه يصل إلى ما يريد من تأثير على المدعو؛ لأن النفس البشرية لا تطيق ذلك ولا بعضه، فالترهيب بالآخرة وعذاب النار له أثره الكبير[2].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٠٦-١٠٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٥١، ٤٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تقوم التكاليف الشرعية على اليسر ورفع الحرج، وإذا كان نهي التنزيه قد ورد في بعض الأحاديث فإن دلائل الإباحة قد وردت في أحاديث أخرى إلا ما حرم ومن المضامين التربوية في هذا الباب ندرك:

أولاً-التربية بالمواقف والأحداث:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة التربية بالمواقف والأحداث، ومما يدل على ذلك من أحاديث الباب حديث أنس رضي الله عنه قال: "حضرت الصلاة فقام مَنْ كان قريب الدار إلى أهله وبقي قوم فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة فصغر المخضب أن يبسط فيه كَفَّه.." وفي رواية "أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رَحْرَاح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه...".

ففي هذا الحديث تتضح التربية بالمواقف والأحداث ببيان جواز الشرب والاستعمال لجميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة.

إن المربي الناجح هو الذي يستغل الموقف والحدث في توصيل القيم والمبادئ التربوية إلى المتربي حيث يكون المتربي شريكًا في الموقف والحدث مما يؤدي إلى ثباته في الذهن.

(والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث وسيلة فعالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية، والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير عبرة وبغير توجيه، والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما عن طريق الحس إن كان هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل إن كانت داخلية، والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي ﷺ في شتى مجالات الحياة)[1].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٨.

ثانيًا-التربية بالممارسة العملية:

من أساليب التربية الإسلامية التربية من خلال الممارسة العملية حيث يقوم المربي بالتطبيق العملي والممارسة الفعلية لما يوجِّهه ويرشد إليه مما يساعد على اقتناع المتربي، ونجاح العملية التربوية، ومما يدلل على ذلك من أحاديث الباب حديث عبدالله زيد رضي الله عنه قال: "أتانا النبي ﷺ فأخرجنا له ماء من توْر من صُفْر فتوضأ" وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحبٌ له فقال رسول الله ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنَّة وإلا كرعنا".

ففي هذين الحديثين تتضح الممارسة العملية لجواز استعمال إناء الصفر وهو النحاس ونحوه في الوضوء وغيره كما في الحديث من هذين الحديثين، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم بغير إناء كما في الحديث الثاني، والممارسة العملية لها دور رئيس في نجاح العملية التربوية لأن المربي يمثل دور القدوة أمام المتربي.

(لقد كان من أسلوب رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة رضي الله عنهم بالممارسة العملية، ومن ذلك تعلم الصحابة وضوء الرسول ﷺ وتصحيح الرسول لهم، أو تصحيح بعضهم لبعض، وقد نقلت إلينا كتب الحديث جانبًا من هذه الأساليب التربوية مثل أحاديث تعليم الوضوء والصلاة وغيرها فلم يكتف الصحابة رضي الله عنهم بحكاية أقوال الرسول ﷺ بل قلدوا لنا أعماله وحركاته، وفي ذلك عبرة للمربي، وأن عليه أن يتوضأ مثلاً أمام طلابه وضوءًا سابغًا وهم ينظرون إليه -وقد طالبهم مسبقًا بالانتباه ليرى أيهم سيكون أشد تقليدًا لوضوئه أو وصفًا له- ثم يطلب منهم أن يتوضؤوا مثل وضوئه، أو يصفوا جميع حركاته، وفي هذا اقتداء بأسلوب من أساليب التربية الإسلامية نقل إلينا عن أصحاب رسول الله ﷺ بتوجيه منه)[1].

ولا شك أن أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٤، ٢١٥.

الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل، ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران، في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شرًا فشر وخسران. ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا)[1].

ثالثًا-التربية بالترهيب:

تعتبر التربية بالترهيب من أساليب التربية الإسلامية التي لها أثر كبير في توجيه المتربي وإرشاده وما يشير إلى ذلك من أحاديث الباب حديث حذيفة ﷺ قال: "إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة...".

وحديث أم سلمة ﷺ "أن رسول الله ﷺ قال: "الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم". وفي رواية "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم".

ففي جملة هذه الأحاديث ترهيب ووعيد من استعمال آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب ويقاس على ذلك سائر الاستعمالات (والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي؛ فالترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا حتى ولو غامر في الأمر واستهان بالمخاوف إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وإن هناك طائفة من الناس لا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب وإنما أنجع علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب)[1].

رابعًا- التربية على تقديم الآخرة على الدنيا:

وهذا واضحٌ من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ نهانا عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة، وقال: "هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة.

فمما لا شك فيه أن النفس تهوى لبس الفاخر من الثياب كالحرير والديباج واستعمال الأواني المصنوعة من الذهب والفضة وغير ذلك من الشهوات التي قال عنها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[2] ولكن لما نهى الشرع عن بعضها كما في الحديث فإن على المسلم أن يطيع ويمتثل ويمتنع فلا يلبس الحرير ولا الديباج ولا يشرب في أواني الذهب أو الفضة حتى لا يحرم منها في الآخرة "هي لهم في الدنيا وهي لكم في الآخرة" وليس هذا فحسب بل تكون أيضًا سببًا لعذابه، كما قال النبي ﷺ: "من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم".

لذا كان على المسلم أن يقدم الآخرة على الدنيا، ولا يفعل كما يفعل أغلب الناس فيقدمون الدنيا على الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[3]، لذا كان الفَطِن من عمل للآخرة وسعى لذلك أشد السعي، فحبس

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٠، ٢٥١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١٦-١٧.

نفسه عن الشهوات الزائلة التي تجعله يخسر الآخرة من أجل دنيا زائلة، يقول ابن القيم: (طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره وحبس لسانه عما لا يفيد، وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته. وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات، وحبسها على الواجبات والمندوبات.

فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين، وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا، إما متخلص من الحبس وإما ذاهب إلى الحبس)[1].

إذا كان من المهم جدًّا أن يُربى الناشئة وغيرهم على تقديم الدنيا على الآخرة، ولا نعني بذلك أن نهمل الدنيا ونتركها، لا نعنى ذلك، وإنما نعني أن تصلح الدنيا بالدين فيكون تعمير الدنيا طريقاً لتعمير الآخرة.

❁ ❁ ❁

(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٨٣.

١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلاَّ الحرير

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[الأعراف: ٢٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾[النحل: ٨١].

الحديث رقم (٧٧٩)

٧٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ الْبَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب خبري خالٍ من المؤكدات؛ لأن الراوي في نقله للحديث لا يواجه بشك أو إنكار، والقول المحكي عن الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (البسوا) وهو أمر إرشاد، وتوجيه لما فيه سعادة المؤمن في الدنيا، ورضا الله الذي يضمن سعادة الآخرة، وقوله (من ثيابكم) من للتبعيض أي بعض ثيابكم، وقوله: (فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ) هذه الجملة تعليل بالنسبة لما قبلها، وترغيب بالنسبة لما بعدها، وكثافة المؤكدات في هذه الجملة تنادي بأهمية الخبر وقد صعَّد هذا المعنى بشبه جملة (من خير) التي تجعل الأفضلية لها، وفي إضافة الثياب لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى عدم تكلف ما لا يجد، وقوله (وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ) أمر إرشاد وتوجيه

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذي (٩٩٤) ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ٥٤٢٣)، وقال الحاكم (١/٣٥٤): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٢).

كسابقه، وتقديم الجار والمجرور (فيها) على المفعول به قد يكون للاختصاص، وقد يكون لمجرد العناية والاهتمام، وفي إضافة الموتى لكاف الخطاب، وميم الجمع إشارة إلى موتى المسلمين، وتوجيه الكلام لضمير الجمع من بداية الحديث إلى نهايته تعميم للحكم.

فقه الحديث[1]

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الألبسة من حيث مادتها، وألوانها، وهيئتها:

أ- أما من حيث مادةالصنع: فالأصل في اللباس الحل مهما كانت المادة التي صنع منها، إلا ما ورد نص بتحريمه كالحرير للذكور، وكذلك ما كان من جلود الميتة وما لا يذكى، فإذا دبغت طهرت، وحلّ لبسها ولو في الصلاة. وأما الملابس المصنوعة من الصوف أو الشعر أو الوبر، فإن كانت من مأكول اللحم، فهي طاهرة حلال، سواء أخذت منه في حياته أو بعد تذكيته أو بعد موته، وفيما أخذ من غير ما مأكول اللحم، أو من نجس العين تفصيل وخلاف[2].

ب-من حيث ألوانها: أما "اللون الأبيض" فقد اتفق الفقهاء على استحباب لبس ما كان أبيض اللون من الثياب[3] وتكفين الموتى به[4].

---

(١) رقم ٧٧٩، ٧٨٣.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٨/٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٩/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية.

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/٢.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

أما "اللون الأسود" فلا خلاف بين الفقهاء على جواز الألبسة سوداء اللون، بلا كراهة للرجال والنساء على حد سواء[١].

أما "اللون الأحمر" فقد ذهب بعض الحنفية والحنابلة إلى القول بكراهة ما كان أحمر اللون من الثياب، للرجال دون النساء، ما لم يكن مشوبًا بلون آخر، بينما ذهب بعض الحنفية، والمالكية، والشافعية، إلى جواز لبس الثوب الأحمر الخالص غير المزعفر والمعصفر[٢].

أما "اللون الأخضر" فقد ذهب الفقهاء إلى استحباب اللباس الأخضر، بل قال الحنفية: إنه سنة، لأنه لباس أهل الجنة[٣]، قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾[٤].

وأما "المخطط من الألوان" فقد ذهب الفقهاء إلى جواز ما كان مخطط اللون من الثياب، بلا كراهة، وهو ما يسمى من الثياب الحبرة[٥].

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٣/٦.

(٢) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٥٠/٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٠٩/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٢/٦.

(٣) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٩/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢١.

(٥) رد المحتار ٣٥٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٢/٤، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٠/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٣/١.

ج-من حيث هيئتها: فقد ذهب العلماء إلى جواز اللباس على أي هيئة كان، حلة، أو بردة، أو جبة، أو قباء، أو قميص، أو رداء، أو إزار، وكل ما تيسر منه، ما لم يكن حرامًا، أو فيه إسراف أو مخيلة[1].

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: يستحب لبس العمامة، لأنها أفضل زي يلبس في الرأس، وهي تيجان العرب، يقول الإمام مالك: لم أدرك أحدًا من أهل الفضل إلا وهم يتعممون.

كما يستحب إرخاء الذؤابة بما يليق بلابسها، ويكره إطالتها طولاً فاحشًا، لأنه من الإسبال المنهي عنه، وقد ورد في إرخائها أحاديث كثيرة، منها ما يدل على إرخائها بين كتفيه، ومنه ما يدل على إرخائها بين يدي المتعمم ومن خلفه، ومنها ما يدل على إرخائها من الجانب الأيمن، وأصحها جميعًا ما جاء في الإرخاء بين الكتفين[2].

حكم الألبسة التي عليها نقش أو صور: يكره عند الحنفية "تحريمًا" والمالكية "في ظاهر المدونة" لبس الثياب التي فيها الصور، صلى فيها أو لا. لكن تزول الكراهة عند الحنفية بما لو لبس الإنسان فوق الصورة ثوبًا آخر يغطيها، فإن فعل فلا تكره الصلاة فيه.

وعند الشافعية وأصبغ من المالكية: يجوز لبس الثياب التي فيها صور حيث نصوا على أن الصورة في الثوب الملبوس منكر، لكن اللبس امتهان له فيجوز حينئذ. كما لو كان ملقى بالأرض ويداس.

أما الحنابلة: فقد اختلف قولهم في لبس الثوب الذي فيه الصورة على وجهين:

---

(١) مجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٧/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٨/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٢/١.

(٢) الاختيار ٤٩/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/١.

أحدها: التحريم، وهو قول أبي الخطاب قدّمه في الفروع والمحرر.

والآخر: أنه مكروه فقط وليس محرمًا، قدّمه ابن تيمية.

ووجه القول بالتحريم أن النبي ﷺ قال: "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة"[(١)].

ووجه القول بعدم التحريم أن النبي ﷺ قال: ((إلا رقمًا في ثوب)) [(٢)] [(٣)]. والظاهر كما قال النووي: أن تصوير صور الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره، فصنعته حرام بكل حال، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، أما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل، وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان، فليس بحرام. أما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان، فإن كان معلقًا على حائط أو ثوبًا ملبوسًا أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنًا فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام ا.هـ[(٤)].

٣- حكم التفات المؤذن عند الحيعلتين: أجمع الفقهاء على أنه من السنة أن تستقبل القبلة بالأذان[(٥)]، واختلفوا في التفات المؤذن عند الحيعلتين، فذهب الحنفية، والشافعية والحنابلة إلى أنه يستحب للمؤذن الالتفات يمينًا وشمالاً، عند قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ومسلم ٨٣ - ٢١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٢٦، ومسلم ٨٥ - ٢١٠٦.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٤٥/٤، ومنح الجليل ٢٩٢/٧، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٥/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٣/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٣/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١٤.

(٥) الإجماع لابن المنذر ٧.

واختلفوا هل يستدير ببدنه كله، أم بوجهه فقط وقدماه ثابتتان مكانهما؟

فذهب الحنفية، وأحمد في رواية "هي الأصوب والمعمول به" إلى أنه يلتفت بوجهه فقط، وقدماه مكانهما، ليبقى مستقبل القبلة بالقدر الممكن، ولا يدور إلا إذا كان على منارة لقصد إسماع أهل الجهتين.

وذهب الشافعية وأحمد في رواية "هي المذهب" إلى أنه يلتفت في الحيعلتين بعنقه لا بصدره، ولا يدور ولا يستدير سواء كان على الأرض أو على المنارة، محافظة على الاستقبال.

بينما ذهب المالكية: إلى أنه يؤذن مستقبل القبلة، ولا يدور ولا يلتفت إلا أن يريد إسماع الناس، فيدور ويؤذن كما تيسير له، ولوأدى إلى استدبار القبلة بجميع بدنه[1].

٤- حكم اتخاذ السترة للمصلي: يسن للمصلي إذا كان فذًا "منفردًا" أو إمامًا أن يتخذ أمامه سترة تمنع المرور بين يديه، وتمكنه من الخشوع في أفعال الصلاة، أما المأموم فلا يستحب له اتخاذ السترة اتفاقًا، لأن سترة الإمام سترة لمن خلفه. أو لأن الإمام سترة له، على اختلاف عند الفقهاء. وقد اتفق الفقهاء على أنه يصحّ أن يستتر المصلي بكل ما انتصب من الأشياء كالجدار والشجر والأسطوانة والعمود، أو بما غرز كالعصا والرمح والسهم وما شاكلها، وينبغي أن يكون ثابتًا غير شاغل للمصلي عن الخشوع[2].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٤٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٤٦/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٣٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٧٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٦٣/٢.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٦٥/٢، والقوانين الفقهية ٥٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، ، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٠٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩٥/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٧/٢٤-١٧٨.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ "البسوا من ثيابكم البياض" وقوله "وكفنوا فيها موتاكم" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وحملهم على الاتيان بها، وقد انتهج القرآن أسلوب الأمر في كثير من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الثياب البيض:

إن التجمل والتزين مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ وبين رسول الله ﷺ في مجال اللباس أولوية وأفضلية لبس البيض من الثياب كما في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم"، وقد جاء بيان فضل الثياب البيض صريحًا في قوله ﷺ "فإنها من خير ثيابكم"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض" وجاء التعليل في قوله ﷺ "فإنه أطهر وأطيب" أطهر لنقائها بما يظهر ما يخالطها من الدنس وإن قل، وأطيب لسلامتها غالبًا عن الخيلاء الذي يكون في لبس الملونات[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٨٠).

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٧، ١٠٣٨.

ومن أوجه بيان فضل الثياب البيض نزول جبريل عليه السلام في صورة رجل يلبس الثياب البيض، كما جاء في الحديث المشهور ((بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ))[١]. فدلت الأحاديث على أن لبس الثياب البيض خير من لبس غيرها من الثياب، لما فيها من إيناس وانشراح، وحسن مظهر، وإن كان لبس غيرها جائزًا وخيرًا أيضًا، وجاء في الحديث بيان سبب تفضيل الثياب البيضاء على غيرها، وهو نقاؤها من الدنس لظهوره وتكشفه، وسلامتها من الخيلاء، لما تشتمل عليه من البساطة وتفاؤلاً بنظافة القلب ونقاء الضمير، وملاءمتها لحال المؤمن[٢].

وقال القاري: (الثياب البيض من أفضل الثياب، وهي لباس الملائكة الذين نصروا رسول الله ﷺ يوم أحد وغيره، وكان ﷺ يلبس البياض ويحض على لباسه، ويأمر بتكفين الأموات فيه) [٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أمر الرسول ﷺ بتكفين الموتى في الأبيض من الثياب:

جاء في صريح الحديثين أمر رسول الله ﷺ بتكفين الموتى في الثياب البيض فقال ﷺ "وكفنوا فيها موتاكم" وذلك اعتبارًا للكفن باللباس في الحياة[٤]. وقال النووي: (واستحباب التكفين في الثياب البيض مجمع عليه)[٥] وقد كُفِّن رسول الله ﷺ في ثياب بيض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ فِي ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، مِنْ كُرْسُفٍ))[٦] وقوله "سحولية" قال ابن الأعرابي وغيره هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، والكرسف هو القطن[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧/٢٢.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ج١/١٠٧٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٠٥.

(٦) أخرجه مسلم ٩٤١.

(٧) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥، ٦٠٦.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[1] وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[2] وأمرنا بالاقتداء به فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[3] وذكر القرآن من لوازم محبةالله وصدق المحبة اتباع رسول الله ﷺ فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[4].

ومن ذلك اتباع رسول الله ﷺ في سنته في اللبس كما جاء في الحديثين "البسوا من ثيابكم البياض"، وقوله ﷺ: "البسوا البياض"، فإن التأسي بالنبي ﷺ لا يقتصر على مجرد أداء الفرائض، وإنما يمتد ليشمل التأسي والاقتداء في كافة أمور الدين واجبها ومندوبها، كما يشمل التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ[5]. فإن في سرعة الاستجابة لما ورد عن رسول الله ﷺ دليلاً على حسن الإسلام وقوة الإيمان، فينبغي على المسلم الاستجابة لله وللرسول ﷺ والتأسي به، والحرص على شرع الله والاستجابة له، والعمل بالأفضل والأكمل والأحوط للدين.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداء، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٣، ١٢٤.

الحديث رقم (٧٨٠)

٧٨٠- وعن سَمُرَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الْبَسُوا[1] البَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا أطْهَرُ وَأطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)) رواه النسائيُّ والحاكم[2]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من حيث الموضوع؛ فهو من باب الترغيب في لبس البياض مع بعض الاختلاف في أسلوبه ففيه إيجاز في قوله (البياض) أي من ثيابكم، وقد تركّب من أسلوبين إنشائيين، تخللتهما جملة جاءت بمثابة تعليل للأولى، وترغيب للثانية، فقد بدأ بالأمر (البسوا) توجيها، وإرشاداً تلته جملة تعليلية تحقق الإقناع القلبي، والعقلي تصدرتها الفاء التعليلية، وتبعها حرف التوكيد (إن) المتصل بالضمير العائد على البياض، تأكيداً للخبر بغرض الترغيب فيه، وقوله (أطهر، وأطيب) أفعل تفضيل للمبالغة في الصفة، والجملة الأخيرة كسابقتها في الحديث المتقدم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عندهما زيادة: (الثياب). ولا توجد الزيادة عند المنذري في ترغيبه.

(٢) النسائي في الكبرى (٩٥٦٤)، والحاكم (٣٥٤/١) ولفظهما بتقديم: (وكفنوا فيها موتاكم) على قوله: (فإنها أطهر وأطيب). وفي موضع آخر عند الحاكم (١٨٥/٤) كما هنا، قال الحاكم (١٨٥/٤): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال في (٣٥٤/١): حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٣).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨١)

٧٨١- وعن البراء ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ مَرْبُوعًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

مربوعًا: ليس بالطويل البائن ولا بالقصير[2].

الحلّة: ثوبان لا يكون واحدًا وهما إزار ورداء ونحوهما. أو هي ثوب له ظهارة وبطانة من جنس واحد[3].

الشرح الأدبي

الحديث خبري الأسلوب خلى من المؤكدات في بدايته يتصدره فعل الكينونة الماضي الذي يوحي بخبر طريف واقع يتلوه، وهو ما يجعل المخاطب في ترقب، وانتظار لما يسفر عنه هذا الفعل، زاد الأمر تشويقاً بكون اسمها رسول الله ﷺ مما يعني ذكر خبر المحبوب، بالإضافة إلى أنه المشرع، وكل ما يقوله تشريع مأمور بالعمل به على الفرض، أو الاستحباب، وقوله: (ولقد رأيته) الفعل الماضي يفيد تحقق الوقوع؛ لأنه إخبار بحدث تم في الماضي، وقد أكد الفعل بـ (قد) التي تفيد تأكيد تحقق الوقوع بدخولها عليه، أضف إلى ذلك أن رأى هنا بصرية، والرؤية من أقوى طرق العلم، وقوله (في حلة حمراء) حرف الجار (في) يفيد الظرفية التي تؤكد إحاطة الظرف بالمظروف، وتؤكد ارتداءه للحلة الحمراء، وقوله: (مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قط أَحْسَنَ مِنْهُ) أسلوب نفي لرؤية

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٨٤٨، ومسلم ٢٣٣٧/٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥٧/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٣٨، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ما هو أحسن منه ﷺ في هذه الحلة، والجملة مفعمة بالمؤكدات إحساساً من الراوي بعظمة الرسول ﷺ واستشعاراً لجماله مختلطاً بجلاله متصعداً من قلبه على لسانه في هذه العبارة الدقيقة، ومن هذه المؤكدات التعبير بالرؤية، وصياغته في ثوب الماضي الذي يفيد تحقق الوقوع، ثم تنكير كلمة (شيئاً) وهي في سياق النفي تفيد العموم، ثم توكيد الجزم بلفظ (قط) وأفعل التفضيل التي تفيد المبالغة في الصفة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هيئة النبي ﷺ:

حيث ذكر البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ كان مربوعًا، أي ليس بالطويل البائن، ولا القصير[1]، وفسر ذلك في حديث آخر عن البراء: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا. وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البائن وَلاَ بِالْقَصِيرِ)[2].

ولقد منح الله سبحانه وتعالى نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره من قبله أو بعده[3].

ومن ذلك خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلة الخلقة - الهيئة - قال القاضي عياض: (إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة وجدته ﷺ حائزًا لجميعها، محيطًا بشتات محاسنها، دون خلاف بين نقله الأخبار لذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع. أما الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه وحسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك)[4].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٥٤٩، ومسلم ٢٣٣٧.

(٣) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٤) الشفا ١٥٠.

وقد بوب البخاري بابًا بعنوان: صفة النبي ﷺ[١]، ذكر فيه الأحاديث الواردة في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية.

كما خرّج مسلم مجموعة من الأحاديث في أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بوّب عليها النووي مجموعة أبواب، منها: باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه[٢]، وباب: في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهًا[٣].

وباب: صفة شعر النبي ﷺ[٤]، وباب: صفة فم النبي ﷺ وعينيه وعقبيه[٥]، وباب: كان النبي ﷺ أبيض مليح الوجه[٦]، وباب: صفة النبي ﷺ ومبعثه وسنه[٧].

كما اعتنى بذكر أوصاف النبي ﷺ العلماء الذين اهتموا بذكر الشمائل النبوية، ومن هؤلاء: البيهقي، حيث أفرد مجموعة من الأبواب في كتاب دلائل النبوة في ذكر أوصاف النبي ﷺ الجسدية والجمالية بما يبين ويوضح هيئته ﷺ[٨].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النبي ﷺ:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين كل الحرص على بيان أحوال النبي ﷺ، وأوصافه وملابسه، وفي هذين الحديثين[٩] أخبر البراء بن عازب أنه رأى النبي ﷺ يلبس حلة حمراء، كما أخبر رفاعة التيمي أنه رأى النبي ﷺ وعليه ثوبان أخضران، وفي ذلك بيان لبعض ألوان الأثواب التي كان يرتديها النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٤.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٥.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٦.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٢٨.

(٧) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ٣١.

(٨) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ١/١٩٤ - ٣٠٨.

(٩) حديث رقم (٧٨١)، (٧٨٣).

وقد قال ابن القيم في بيان الحديث الأول: (ولبس حُلة حمراء، والحلة: إزار ورداء، ولا تكون الحُلة إلا اسمًا للثوبين معًا، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتًا لا يُخالطها غيره، وإنما الحلةُ الحمراء: بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود، كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر، وإلا فالأحمر البحتُ منهي عنه)[1].

أما اللباس الأخضر فقد لبسه النبي ﷺ كما أخبر به رفاعةالتيمي، وهو لباس محبوب إلى النفس، وخاصة أنه لون لباس أهل الجنة كما قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾[2]، قال السعدي: (أي قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضرين)[3].

ثالثًا - من آداب الداعية: حسن الهيئة والملبس:

إن الداعية مبلغ للدعوة، وهو رجل إعلامي من الدرجة الأولى يعلم الناس بما جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، والناس يرونه قبل أن يستمعون إليه، لذا كان من الواجب عليه العناية بحسن الهيئة واللباس، وليكن له في رسول الله ﷺ - الذي كان أحسن الناس هيئة وملبسًا - القدوة والأسوة، وكما في الحديثين قول البراء بن عازب رضي الله عنه "وقد رأيته في حلة حمراء ما رأيت قط شيئًا أحسن منه"، وقول أبي رمثة رفاعة التيمي رضي الله عنه: "رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران"، فقوله ما رأيت قط شيئًا أحسن منه إيماء إلى انفراده ﷺ بالمحاسن[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٣٧/١، ولكن ينبغي التنبيه على أن لبس الأحمر البحث مسألة خلافية بين الفقهاء بين الجواز والكراهة، وسبق ذكره في الشرح الفقهي.

(٢) سورة الإنسان، آية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٠٢.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٨.

وقدندب الإسلام لمن آتاه الله مالاً، أن يظهر أثر نعمة الله عليه بلبس الجميل من الثياب من غير إسراف ولا مخيلة، ولا يشدد على نفسه، أو يبخل بمال، بل يلبس الجديد والجميل والنظيف من الثياب، إظهارًا لنعمة الله عليه[1]، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي ثَوْبٍ دُونٍ فقالَ: أَلَكَ مَالٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: مِنْ أيِّ الْمَالِ؟ قال: قَدْ آتَاني الله مِنْ الإبِلِ وَالْغَنَمِ وَالْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قال: فإذَا أتَاكَ الله مَالاً فَلْيُرَ أثَرُ نِعْمَةِ الله عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ))[2]. فينبغي للداعية إلى الله أن يكون حريصًا دائمًا على حسن الهيئة واللباس عند لقاء الناس، وخاصة عند ملاقاة كبار الناس وسادتهم، فمما هو متفق عليه (استحباب التجمل بالثياب ونحوها، خاصة عند لقاء الأئمة والكبار احترامًا لهم)[3].

---

(١) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٢٨).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٢.

الحديث رقم (٧٨٢)

٧٨٢-وعن أبي جُحَيفَةَ وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه، قَالَ: رَأيتُ النبيَّ ﷺ بمكّةَ وَهُوَ بالأبْطَحِ في قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أدمٍ، فَخَرَجَ بِلالٌ بوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأنِّي أنْظُرُ إلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضّأ وَأذَّنَ بِلالٌ، فَجَعَلْتُ أتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنَا وَهَاهُنَا، (يقولُ يَمِينًا وَشِمَالاً): حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ[1] لاَ يُمْنَعُ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

(العنَزة) بفتح النون: نحو العُكازَة.

ترجمة الراوي:

أبو جُحَيفة السُّوائي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٩).

غريب الألفاظ:

الأبطح: مسيل الوادي بمكة[3]. وهو المُحصَّب، بينه وبين منى قدر ميل.

قُبَّة: خيمة صغيرة[4].

أَدَم: جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ[5].

ناضح: من ينضح عليه غيره شيئًا مما ناله ويرش عليه بللاً مما حصل له[6].

نائل: ينال منه شيئًا[7].

الحلَّة: الثوب الجيد الجديد[8].

---

(١) لفظ مسلم: (الحمار والكلب) بتقديم وتأخير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٦)، ومسلم واللفظ له (٥٠٣/٢٤٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ح).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ب).

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٣٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٩٤.

(٧) المرجع السابق ص ٣٩٤.

(٨) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل).

ركزت: غرزت له في الأرض[١].

عنزة: نحو العكّازة[٢].

الشرح الأدبي

الراوي يسوق أحداثاً للنبي ﷺ وأصحابه بأسلوب وصفي استخدم فيه عدة ألوان بلاغية لتقرير المعاني التي أرادها منها: الأسلوب الخبري في بداية الحديث والذي استهله بالإخبار برؤيته للنبي ﷺ في الحالة التي يصفها بالجمل الوصفية، وشبه الجمل، كقوله (وهو بالأبطح) وذكر المسند إليه هنا مع تقدم ذكره لتأكيده، وتقريره، والفصل بين الصفة، والموصوف بالجار والمجرور في قوله (في قبة له حمراء) لإفادة الاختصاص أي له لا لغيره، وقوله (من أدم) من بيانية، والأدم الجلد المدبوغ، وقوله (فخرج بلال بوضوئه فمن نائل، وناضح) الفاء عاطفة، وقوله بوضوئه فيه إيجاز بالحذف أي: بماء ليتوضأ، وأيضاً في قوله) فمن نائل، وناضح) أي انقسم الناس فبعضهم نال بعض الماء من وضوئه، ومنهم من نضح من غيره ممن نال، وهذه العبارة كناية عن محبة الصحابة لرسول الله ﷺ واستشعار لمنزلته، وبيان لعلو مكانته في قلوب الأمة التي جعلت الناس أحد قسمين متسابقين إلى فضلة النبي ﷺ.

وقوله (عليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فتوضأ) فِيهِ تَقْدِيم وَتَأْخِير تَقْدِيره فَتَوَضَّأَ فَمِنْ نَائِل بَعْد ذَلِكَ وَنَاضِح تَبَرُّكًا بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقوله (كأني أنظر إلى بياض ساقيه) استحضار للصورة الذهنية بين يدي الحديث يجعل المخاطبين كأنهم يشاركونه الرؤية، ويؤكد تمام وضوح الصورة في ذهنه، وقوله (وأذن بلال قال فجعلت أتبع فاه ههنا، وههنا) قوله: (ههنا وههنا) كناية عن الجهات أي يتوجَّه إليها، وقوله (حي على الصلاة حي على الفلاح) أسلوب إنشائي قصد به الأمر؛ لأن معنى حي اسم فعل أمر بمعنى أقبل، واستعمال اسم فعل الأمر بدلا من الأمر الصريح؛ لأن اسم فعل الأمر مع تضمُّنه لمعنى الأمر فيه إيجاز من ناحية وفيه

---

(١) رياض الصالحين ٣٢٨.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ع ن ز).

ترغيب بالإشعار بأن في الصلاة حياة، وخصب، ونماء، وحركة لازمة، وهو ما يقرره التكرار من ناحية، ويقرره لفظ الفلاح - من ناحية - بما له من إيحاء، ودلالة تقرع سمع المؤمن بين الفينة، والفينة لتقطع غفلته عن ربه، وانشغاله بدنياه لتنبهه إلى الفلاح الحق بدعوته إلى الإقبال على الله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل بلال ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة ﷺ بآثار النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على وصف أحوال النبي ﷺ:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم كل الحرص على نقل كل ما رأوه من رسول الله ﷺ حتى هيئته وملبسه وألوان ثيابه كما في الحديث "رأيت النبي ﷺ بمكة وهو بالأبطح في قبة له حمراء من أدم"، قال ابن عثيمين: (رأى وهب بن عبدالله السوائي أبو جحيفة ﷺ، النبي ﷺ وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها يوم الأحد، الرابع من ذي الحجة، ونزل إلى المسجد الحرام، فطاف وسعى ثم خرج إلى الأبطح، فنزل فيه إلى اليوم الثامن، وكان في هذه القبة التي ضربت له ﷺ).

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني انظر إلى بياض ساقيه.

وذكر وهب ﷺ خروج بلال بما بقي من وضوء النبي ﷺ وتبرك الصحابة ﷺ به، وخروج النبي ﷺ من القبة، وأذان بلال، ثم ركز العنزة - رمح في طرفه زج - يعني رمح في طرفه حديدة محددة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، ركزت العنزة من أجل أن يصلي فتقدم فصلى) [1]، وكان يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع.

فإذا نظرنا إلى هذا الحديث وجدنا أن وهب بن عبدالله ﷺ كان حريصًا على

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٨٨ - ١٠٨٩.

وصف حال النبي ﷺ وكل ما يحيط به حرصًا شديدًا، حتى وصل الوصف إلى بياض ساقيه، وأذان بلال رضي الله عنه، وتتبعه فاه، وهذا كان دأب الصحابة رضي الله عنهم إذ أنهم كانوا حريصين على وصف أحوال النبي ﷺ.

وقد أعانهم على ذلك حبهم لشخصية رسول الله ﷺ، وطول صحبتهم له ﷺ فحفظوا عنه أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، وأكله وشربه، وهيئته وملبسه[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل بلال رضي الله عنه:

إن لبلال رضي الله عنه فضائل جمة، ومنها ما أشير إليها في الحديث من اتخاذ الرسول ﷺ له مؤذنًا "وأذن بلال" فأذن رضي الله عنه طيلة حياة النبي ﷺ ثم أذن لأبي بكر رضي الله عنه حياته[2] وقدم للإسلام الكثير، وكان من السابقين إليه الذين أوذوا في سبيله. وذلك فضلاً عما اشتهر به واعترف له بالمناقب الحسان، فهو مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله أحد السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن أوذي وعذب في دينه من قريش، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ في مشهد من المشاهد[3]. وقد بشر بالجنة في حياته رضي الله عنه فعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أنّ النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عند صلاةِ الفجرِ: يا بلالُ حدِّثني بأَرجى عملٍ عملتَهُ في الإسلامِ، فإني سمعتُ دَفَّ نَعليكَ بينَ يدَيَّ في الجنَّة. قال: ما عملتُ عَملاً أرجى عندي أني لم أتطهَّرْ طُهُورًا في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ بذلكَ الطُّهورِ ما كُتِبَ لي أن أصلِّي))[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبرك الصحابة رضي الله عنهم بآثار النبي ﷺ:

لقد اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخبارًا كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من

---

(١) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٢) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٢.

(٣) عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ص ٥٢٦/١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٩.

آثاره ﷺ فجاء في صريح الحديث ما يدل على تبرك الصحابة رضوان الله عليهم بآثار النبي ﷺ وإقراره لهم على ذلك، ومن ذلك التبرك بآثار وضوئه ﷺ "فخرج بلال بوضوئه، فمن ناضح ونائل، قوله فمن ناضح أي من رجل مبتل أصاب بعض البلل من ذلك ومن نائل من النيل أي أصاب منه ماله وقع"[1].

قال ابن عثيمين: (خرج بلال رضي الله عنه بوضوء النبي ﷺ يعني ما بقي من مائه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضح ونائل، يعني بعضهم أخذ كثيرًا وبعضهم أخذ قليلاً، يتبركون بفضل وضوئه ﷺ)[2].

وقد جاء التصريح بذلك في روايةالبخاري "ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه" والأحاديث الدالة على تبرك أصحاب النبي ﷺ بآثاره وتصويبه لهم ذلك وإقرارهم عليها كثيرة منها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ يَدْخُلُ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ فَيَنَامُ عَلَىٰ فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ . قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَىٰ فِرَاشِهَا. فَأُتِيتْ فَقِيلَ لَهَا: هذَا النَّبِيُّ نَامَ فِي بَيْتِكِ، عَلَىٰ فِرَاشِكِ. قَالَ: فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ، وَاسْتَنْقَعَ عَرَقُهُ عَلَىٰ قِطْعَةِ أَدِيمٍ، عَلَىٰ الْفِرَاشِ. فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذٰلِكَ الْعَرَقَ فَتَعْصِرُهُ فِي قَوَارِيرِهَا. فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ؟ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ نَرْجُو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا. قَالَ: أَصَبْتِ))[3].

وكان النبي ﷺ يوزع شعره بين الصحابة عندما يحلق رأسه الشريف، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون كل الحرص على أن يحصلوا شيئًا من شعره ﷺ ويحافظون على ما يصل إلى أيديهم منه للتبرك به، فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أن رسول الله ﷺ أتى منى. فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا . ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ. ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: خُذْ

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٣٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٠٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٨١، ومسلم ٢٣٣١.

وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ. ثُمَّ الأَيْسَرِ. ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ))[١]. قال النووي: (وفيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك)[٢]، وقال القاضي عياض (وقسمته شعره ﷺ على الناس تبركًا به واستشفاعًا إلى الله)[٣]. كما ثبت كذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على اقتناء ملابسه وأوانيه ﷺ للتبرك بها والاستشفاء، ومن ذلك ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: ((أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت: إن رسول الله ﷺ كان يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٠٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٨٦/٤.

(٤) أخرجه مسلم ١٩١٥.

الحديث رقم (٧٨٣)

٧٨٣-وعن أَبي رمْثَة رفَاعَةَ التَّيْمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثوبانِ أخْضَرَان. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[(١)] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

رفاعة التيمي: هو أبو رمْثَة التيمي، ويقال التميمي من تيم الرِّباب.

اختلف في اسمه، فقيل هو رفاعة بن يثربي، وقيل يثربي بن عوف وقيل حيان بن وهب، وقيل حبيب بن حيان، وقيل خَشْخاش

له صحبة ورواية عن رسول الله ﷺ. وقد قدم على النبي ﷺ مع أبيه، فقال له رسول الله ﷺ ((آبنك هذا؟)) قال: إي ورب الكعبة! قال: ((حقًا))، قال: أشهدُ به، فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا من ثَبْتِ شبهي في أبي ومن حَلْفِه عَليَّ، ثم قال له ((أما إنَّه لا يجني عليك ولا تجني عليه)) وقرأ رسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[(٢)].[(٣)]

وكان عدادُه في الكوفيين، وقد روى عنه إياد بن لقيط وثابت بن منقذ[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٦٥، والترمذي ٢٨١٢ واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٩٥. وقال الحاكم ٦٠٧/٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) أخرجه أبو داود، رقم ٤٤٩٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٧٧٣).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥١/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٤٧٢، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٠٥-٨٠٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٠٨/٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٠٩/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٢٢/٤.

الشرح الأدبي

الحديث قائم على الأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات التي تقرر أنه لا يتوقع معارضة، أو إنكار، لأنه يخبر عن رؤيته هو للرسول ﷺ على تلك الحالة، وهو ما يؤكد الخبر لاعتماده أقوى طرق العلم، وهو الرؤية، وقوله) وعليه ثوبان أخضران) الواو للحال أي حالة كونه علي هذه الهيئة، وظاهره إباحة لبس الأخضر مع إباحة لبس الثوبين إذا دعت حاجة إلى ذلك، والتعبير بـ (على) الذي يفيد الاستعلاء، فيه دلالة على التمكن كأنه مشتمل بهما، وتقديم الجار والمجرور (عليه) يفيد الاختصاص، أو العناية، والاهتمام به.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٧٨٣) مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨١).

الحديث رقم (٧٨٤)

٧٨٤-وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاء. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣).

الشرح الأدبي

اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بنقل دقائق حياة الرسول ﷺ وتسجيل تفاصيلها لأنها تشريعات للأمة، وقد صاغ الصحابي المعنى في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وتربيةً للمهابة في قلوب السامعين، وقوله (يوم فتح مكة) يشير إلى أن الحدث مشهود، وأنه في جمع عظيم؛ لأن عدد المسلمين الذين كانوا مع الرسول ﷺ يوم فتح مكة بلغ عشرة آلالاف، ولذلك نص عليه تنبيهاً إلى اشتهار الخبر، وأنه معلوم لا يقبل شكاً، وقوله:) وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ (الواو للحال، وتقديم الجار، والمجرور لإفادة التخصيص، أو للعناية والاهتمام وفيه إباحة لبس العمامة السوداء.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

لقد أشير في الحديث إلى فتح مكة في قول جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة" وكان فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وكان النبي ﷺ قد سار إليها

---

(١) برقم ١٣٥٨/٤٥١ وزاد في آخره: (بغير إحرام).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٨٥).

ومعه عشرة آلاف رجل، فكان الفتح الأعظم، وكسرت الأصنام، وعلت كلمة التوحيد في سماء مكة المكرمة[١] وقال عنه ابن القيم: (هو الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين، من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجًا)[٢]. ونزل فيه قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[٣].

قال ابن كثير: والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولاً واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تتلوّم بإسلامها فتح مكة، يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة[٤]، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال: ((وكانتِ العربُ تَلوَّمُ[٥] بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق. فلما كانت وقعة أهلِ الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم))[٦].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان وصف عمامة النبي ﷺ:

جاء في الحديثين ذكر عمامة رسول الله ﷺ فقال جابر بن عبدالله "... وعليه عمامة سوداء" وكذلك في رواية أبي سعيد عمرو بن حريث "كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء" قال ابن علان: (ولبسه العمامة السوداء يومئذ إشارة إلى

---

(١) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبوخليل ص ١٩٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٦٠/٢.

(٣) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٣/٨.

(٥) تَلَوَّم: بفتح أوله واللم وتشديد الواو أي: تنتظر. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٧/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

أن هذا الدين لا يتغير كالسواد بخلاف سائر الألوان[١] وفي ذلك جواز لباس الثياب السود ولبسه في الخطبة، وإن كان الأبيض أفضل منه، فإنما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بيانًا للجواز[٢].

قال ابن عثيمين: وفيه دليل على جواز لبس العمامة، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان ذؤابة، وأن يرخي طرفها من خلف، كما فعل النبي ﷺ[٣] ولم يَأْلُ العلماء والمحدثون الأُوَل في تسجيل ما كان يستعمله النبي ﷺ من ملابس وغيرها، وعقدوا لذلك أبوابًا ككتاب الشمائل للترمذي، والشفا للقاضي عياض، وأخلاق النبي ﷺ وآدابه للأصبهاني وغيرها.

ثالثًا - من آداب الداعي: حسن الهيئة واللباس والاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك:

إن من الصور الجمالية التي حث الإسلام أتباعه عليها، أن يحسنوا لباسهم ويجمِّلوها وأن يصلحوا رحالهم وينظموها، حتى وهم على سفر حتى يبدو المسلمون في المجتمع الإنساني عنوانًا على الذوق والنظافة، ومدعاة للارتياح النفسي والجمال الظاهر، ويحث الإسلام أتباعه على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء حتى إنه ليدعوهم إلى اتخاذ النعال في أرجلهم، في بيئة كان معظم من فيها حفاة، فقرًا وجهلاً وطبيعة حياة[٤].

وجاء في الحديث بيان لحال النبي ﷺ في دخوله مكة واهتمامه بحسن مظهره وتعممه "دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء" لذا كان من الواجب على الداعية الاهتداء بسنته ﷺ في حسن الهيئة والاهتمام بالملبس، وذلك مما حث عليه الإسلام، حتى قبل الإسلام كان أهل الجاهلية يستحسنون من الخطيب أن يكون

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص٨٥٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٩٠/٢.

(٤) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١، ١٢.

رابط الجأش قليل اللحظ، جهير الصوت متخير اللفظ قوي الحجة، نظيف الثياب كريم الأصل[١].

رابعًا - من وسائل الدعوة: الخطبة:

ورد في الحديث الإشارة إلى الخطبة كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى: "أن رسول الله ﷺ خطب الناس" ولقد استعمل النبي ﷺ الخطبة في نشر دعوته لكثرة فائدتها وعظيم جدواها، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي، ولها أكبر الأثر في تبليغ الدعوة[٢]. إذ أن الخطبة منذ أقدم العصور تعتبر أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم وإيقاظ ضمائرهم، ولأهمية الخطابة عدها الإسلام من شعائره، كخطب الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها[٣]. والخطبة في الإسلام من أبرز وسائل الإعلام الديني، وليس من قبيل المبالغة إذا اعتبرناها من أهم عوامل نجاح هذا النوع من العمل الدعوي والإعلامي الذي مارس دوره على مر العصور منذ انبثاق نور الدعوة الإسلامية، فلم تستطع ولن تستطيع عوامل الزمن وتعاقب الدول والحكومات، أن تنال من قدرتها الدعوية والإعلامية[٤].

---

(١) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٢٣.

(٢) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش ص ٤١٩ ص ٤٢٢.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبدالحليم ص ١٥٨.

الحديث رقم (٧٨٥)

٧٨٥- وعن أبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ رضي الله عنه، قَالَ: كأنّي أنظُرُ إلى رسول الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

ترجمة الراوي:

عمرو بن حريث المخزومي: هو عمر بن حريث بن عمرو بن عثمان القرشي المخزومي كنيته: أبو سعيد.

له ولأبيه وأخيه سعيد صحبة. ولد قبل الهجرة بسنتين، وأسلم في فتح مكة أو بعدها فانتقل إلى المدينة حيث أكرمه النبي ﷺ: قال: انطلق بي أبي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام شاب فدعا لي بالبركة، ومسح رأسي، وخطّ لي دارًا بالمدينة بقوس، ثم قال: ألا أزيدك[3].

فانتفع بدعائه ﷺ فبارك الله في بيعه وشرائه وكسب مالاً عظيمًا، وكان من أغنى أهل الكوفة، حيث سكنها، وابتنى دارًا بها، فكان أول قرشي يتخذ بها دارًا، وكان له فيها قدر وشرف، وولي إمارتها في أيام زياد وابنه.

كان عمره لما توفي النبي ﷺ ١٢ سنة، وشارك في الفتوحات، فشهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وأمره عمر بن الخطاب أن يؤم النساء في رمضان. وقد روى عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعليّ وابن مسعود، وبلغ مسنده ١٨ حديثًا، وتوفي بمكة عام ٨٥هـ[4].

---

(١) برقم ١٣٥٩/٤٥٣.

(٢) برقم ١٣٥٩/٤٥٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٠٦٠ مختصرًا والبيهقي في السنن الكبرى ١٤٥/٦ وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص ٦٣/٣-٦٤.

(٤) الطبقات ٢٣/٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠٠/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٦٦، والسير ٤١٧/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٠٢/٥ وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٦٣/٣ والأعلام، خير الدين الزركلي ٧٦/٥ وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٤٠٩/٢.

الشرح الأدبي

يصف الصحابي رضي الله عنه حال لباس رسول الله ﷺ بأسلوب خبري استهله بأداة التشبيه (كأن) التي تُلحق حالة بحالة، حالة حكايته لنظره للرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة بحالة رؤيته يوم رآه، والغرض بيان حال المشبه، وهذا الأسلوب يجعل المخاطبين يشاركونه الحدث، ويعيشونه في وجدانهم، وكأنهم يرون الرسول ﷺ على الهيئة الموصوفة في الحديث برؤية هذا الصحابي، ولذلك قال (كأني أنظر) واستخدم المضارع الذي يستحضر الصورة، وحرف الجر إلى في قوله (إلى رسول الله) يصوب النظر إلى أعظم منظور إليه من البشر، وقوله: (على المنبر) يفهم منه اشتهار الخبر، وأنه من الوضوح بحيث لا يجهل، ولا ينكر، وقوله: (قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا) المعنى محقق من جهتين من ناحية (قد) ومن ناحية كون الفعل في صيغة الماضي، وقوله: (بَيْنَ كَتِفَيْهِ) تكميل بلاغي؛ لأنه استكمل وصف الهيئة، ثم زاد معنى جديداً عن طريق هذه الجملة بتحديد الموضع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٨٦)

٧٨٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثةِ أثوَاب بيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"السَّحُولِيَّة" بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثياب تنسب إلى سَحول: قرية باليمن. "والكُرْسُف": القطن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قميص: ما يلبسه الإنسان مما يلي الجِلْد[2].

الشرح الأدبي

تحكي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هيئة كفن الرسول ﷺ لونه، ومقداره، وكل ما يتعلق به، لأنه منهاج لأمته من بعده، وقد صاغت المعنى في أسلوب خبري يتسم بسكون يناسب الموقف النفسي لحالة الزوجة الصالحة التي انبعثت تحكي بعض تفاصيل ذكرى موت أحب الناس إليها، وقد بدأت بجملة فعلية (كُفن رسول الله) بني الفعل فيها لما لم يسم فاعله، وهو المناسب لأنه لا يتعلق بذكره غرض في الكلام، ولضيق المقام بالضجر وقولها (في ثَلاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ) فيه تطبيق لسنته، وتنفيذ لوصيته وترغيب في تكفين الموتى في البياض، والسحولية نسبة لقرية في اليمن، والكرسف القطن، وقولها (لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلا عِمَامَةٌ) أسلوب نفي مَعْنَاهُ لَمْ يُكَفَّن فِي قَمِيص وَلا عِمَامَة وَإِنَّمَا كُفِّنَ فِي ثَلاثَة أَثْوَاب غَيْرهمَا وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الثَّلاثَة شَيْء آخَر.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٦٤، ومسلم ٩٤١/٤٥ واللفظ له.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٣٨.

فقه الحديث

هذه الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

صفة الكفن: اتفق الفقهاء على أنه يستحب في الكفن أن يكون من قطن أبيض[(١)].

واختلفوا فيما عدا ذلك: فذهب الحنفية إلى أن الكفن إزار وقميص ولفافة للرجل، وليس فيه عمامة في ظاهر الرواية، وللمرأة إزار وقميص وخمار وخرقة تربط بها ثدياها ولفافة.

وذهب المالكية إلى أنه قميص وعمامة وإزار ولفافتان، للرجل والمرأة معًا.

وذهب الشافعية إلى أنه ثلاث لفائف للرجل، فإن زيد كانت الزيادة قميصًا وعمامة، أما المرأة فإزار وخمار وقميص ولفافتان.

وقال الحنابلة هو للرجل ثلاث لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة، أما المرأة فتكفن في إزار ودرع وخمار ولفافتان[(٢)].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وصف كفن النبي ﷺ:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لكفن رسول الله ﷺ فقالت:

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٦/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١٤٢/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٤/٢.

(٢) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي اليمني ٤٠٧/١-٤١٠، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤١٢/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٨/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٧/٢، ٣٩١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٤/٢، ١٢٧.

"كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة" وذلك أفضل الكفن للرجل، وتقرير الاستدلال به أن الله تعالى لم يكن ليختار لنبيه إلا الأفضل[١] وفي الحديث إشارة إلى عدة أمور هي:

أ- عدد الأثواب التي كفن فيها رسول الله ﷺ "كفن في ثلاثة أثواب".

ب- لونها "بيض".

ج- نوعها: "سحولية من كرسف" قال النووي: (وهي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن)[٢].

د-خلو الثياب من الملحقات "ليس فيها قميص ولا عمامة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: اتباع السنة في تكفين الميت:

إن مما ينبغي فعله في تكفين الميت اتباع السنة، وفعل الأفضل، وفي الحديث إشارة إلى أفضل الكفن وهو ما كفن في جنسه رسول الله ﷺ "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيهما قميص ولا عمامة" قال ابن عثيمين: (وفيه دليل على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، ولا يجعل على الميت قميص ولا عمامة[٣] فينبغي اتباع السنة في تكفين الأموات، فإن كفن السنة هو أكمل الأكفان[٤] وذلك لأن لبس الأبيض مأمور به بالنص من قوله ﷺ ((البَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَيَاضَ فإنَّها مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ وكفِّنُوا فيها مَوْتَاكُمْ))[٥] وبالقياس على تكفينه ﷺ[٦]. فاستدل مما سبق على أن الأولى في الكفن البياض[٧].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٦٢/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٠٩٠/٢، ١٠٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣٩/١٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٨٧٨، والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي دواد ٣٢٨٤).

(٦) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٨.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار في بيان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ووصفها لكفن رسول الله ﷺ وفي ذلك إخبار عن كفن النبي ﷺ لعمل المسلمين في تكفين الموتى بمثل ما كفن فيه رسول الله ﷺ، فقالت: "كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة".

وأسلوب الإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية في إبلاغ وبيان أحكام الدين، ونقل سنة النبي ﷺ وأحواله في الحياة، وأثناء الموت - من الغسل والتكفين وغيره - للمدعوين حتى يقتدوا به، ويأخذوا بسنته، فيكون في ذلك الخير العظيم.

الحديث رقم (٧٨٧)

٧٨٧- وعنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ ذات غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مرَحَّلٌ مِنْ شَعرٍ أسْوَد. رواه مسلم[(١)].

"المِرْط" بكسر الميم: وهو كساء، "والمُرَحَّل" بالحاء المهملة: هو الذي فيه صورة رِحال الإبل، وهي الأكوار.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس[(٢)].

الشرح الأدبي

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أكثر المؤمنين رواية للحديث عن رسول الله ﷺ وقد روت عنه تفاصيل حياته الدقيقة التي لم يعلمها كثير من الصحابة، والتي صارت تشريعات للأمة إلى يوم القيامة، وكان الصحابة يرجعون إليها فيما أشكل عليهم كما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا)[(٣)].

وقد روت هذا الخبر للدلالة على إباحة هذا النوع من الثياب، وقد ساقت المعنى في صورة الخبر المجرد عن أساليب التوكيد لعدم اقتضاء المقام، (وعليه مرط مرحل من شعر أسود)، الواو للحال والجملة بيان لإباحة النوع، وهو نوع من الثياب يؤتزر به، ومرحل مخطط، أو موشى، وإباحة اللون، وهو الأسود، ولكن تبقى الأفضلية للبياض من الألوان.

---

(١) برقم ٢٠٨١/٣٦، و٢٤٢٤/٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٧٨.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و).

(٣) سنن الترمذي حديث (٣٨١٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصف عائشة رضي الله عنها للباس رسول الله ﷺ:

ورد في الحديث وصف عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لأحد الأكسية التي ارتداها رسول الله ﷺ فقالت "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مِرط مرحل من شعر أسود" والمِرط: كساء ويكون من صوف وربما كان من خَزٍّ أو غيره[1] مرحل أي فيه صورة رحال الإبل وفي ذلك دليل على حل تصوير ما لا روح فيه، ولا بأس في ذلك، إنما البأس في الحيوان[2] وإن ما جاء في وصف عائشة رضي الله عنها لملبس رسول الله ﷺ أحد الشواهد على حرص الصحابة رضي الله عنهم على حفظ ونقل أقواله وأفعاله ﷺ، ونومه ويقظته وحركته وسكونه، وأكله وشربه ولبسه وغير ذلك[3].

وذلك دليل على حفظ المسلمين الأُوَل لسنة رسول الله ﷺ ونقلها إلى مَنْ بعدهم. حتى في الملابس والمشارب، والتي هي في مجملها حث للمسلمين على أن يكونوا قمة في الكمال الإنساني في كل شيء، فلقد حثّ الإسلام الناس على الزينة والظهور بالمظهر الحسن المقبول، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[4] وإذا ما عرفنا أن الإنسان يسجد لله فريضة خمسة أوقات في اليوم والليلة، أدركنا مدى حرص الإسلام على أن يظل المسلم دومًا في أحسن حال من الذوق والأناقة والنظافة[5].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نلمس هذا الخلق في الحديث من حيث بساطة ملابسه ﷺ وعدم مغالاته فيها،

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ر ط).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٩، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٢.

(٣) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٦٨.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١١.

تواضعًا منه ﷺ وغرسًا لهذا الخلق في نفوس أتباعه "خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود" وأولى المؤمنين بالتخلق بهذا الخلق هو الداعية، يتواضع للمدعوين ولا يتعالى عليهم، وأن يكون ممن يألفون ويُألَفون، فلا يكون جافيًا خشنًا قاسيًا، ولا يظهر التعالي عليهم بعلمه، أو بتقواه، أو بقدرته وكفاءته الخطابية، ونحو ذلك مما يشعرهم أن له فضلاً عليهم، ولكي يُعِنِ الخطيب نفسه على الحرص والالتزام بالتواضع، أن يستحضر دائمًا فضله، وما ورد في الكتاب والسنة من الحث عليه قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

ويستحضر أيضًا فعله ﷺ وتخلقه بالتواضع للمدعوين[2]، فعن أبي رفاعة قال: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[3].

قال النووي: (وفيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم[4] فالتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين)[5].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[6] وقال النبي ﷺ: ((ألا أُخبرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مُستكبرٍ))[7].

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٢) خطبة الجمعة، دراسة دعوية، د. سليمان بن عبدالله الحبس ص ٨٨، ٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٢٦٨/٤.

(٦) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٧) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٧١، ومسلم ٢٨٥٣.

الحديث رقم (٧٨٨)

٧٨٨- وعن المغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رسول الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ في مسير، فَقَالَ لي: ((أمَعَكَ مَاءٌ؟)) قلتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى في سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: ((دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ)) وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ.

وفي رواية[٣]: أنَّ هذهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ في غَزْوَةِ تَبُوكَ.

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

توارى: استتر[٤].

الإداوة: إناء صغير يحمل فيه الماء وهو من الجلد[٥].

الجبة: ثوب سابغ يُلبس فوق الثياب[٦].

أهويت: مددت يدي لآخذه[٧].

غزوة تبوك: تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، وقد توجه إليها النبي ﷺ سنة ٩هـ، وهي آخر غزواته[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٩٩، واللفظ له ومسلم ٢٧٤/٧٩.

(٢) أخرجها مسلم ٢٧٤/٧٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٢١ من حديث يحيى بن بكير، عن الليث، ولفظه: (لا أعلمه إلا قال: في غزوة تبوك).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ر ي).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ د و).

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ١٣٨.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ي).

(٨) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٨٩.

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بأسلوب خبري في نقل أحداث القصة التي كان طرفيها الرسول ﷺ - والراوي، وقوله (كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر) الفعل الماضي مع إفادته التحقيق يحقق التشويق لما بعد لاسيما إن كان القصة رسول الله ﷺ، وقوله: ذات ليلة، تحديد، وتوقيت للحدث، وقوله (في سفر) بيان لملابسات الحدث، وذكر الحدث، وظرفه الزماني، والمكاني، وما يحيط به من الأمور الشائعة في رواية الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ لشدة حرصهم على رصد كل شيء عنه ﷺ لأنها أمور تساعد في معرفة خلفيات النص، وما يحيط به من دلالات.

وقوله (فَمَشَى حَتَّى) إشارة إلى أدبه ﷺ حيث ابتعد مسافة تستره عن الناس وقوله: (تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ) كناية عن ابتعاده أي: استتر في ظلامه حتى يقضي حاجته، (ثم جاء فأفرغت عليه الإداوة) تنبيء (ثم) بوقت قد يطول، أو يقصر هو وقت قضاء الحاجة، والفاء تفيد مبادرة الصحابي الرسول ﷺ فور قدومه وقوله: (وعليه جبة من صوف) يشير إلى رقة حاله، وزهده في الدنيا، وهو خير من مشى على ظهرها، يدل على ذلك قوله (فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلَ) إشارة إلى أن الجبة كانت ضيقة، وقوله: (ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ دَعْهُمَا (التعبير بـ (أهوى) يشير إلى النزول بخفة، وسرعة، وهو يفيد حفاوة الصحابي بالرسول ﷺ وتفانيه في خدمته.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم الاستعانة بالغير على الوضوء: يسن للمتطهر أن يتولى وضوءه بنفسه، من غير أن يعاونه على وضوئه أحد، فإن عاونه بالصب عليه من غير عذر فهو مباح، والترك أفضل، أما إذا كان ذلك لعذر كمرض، فلا تكون مكروهة، دفعًا للحرج والمشقة، بل قد تجب إذا لم يمكنه التطهر إلا بها، ولو بذل على ذلك أجرة مثلاً[1].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١٩٠/٢ وما بعدها، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦١/١، والمغني، ابن قدامة ١٣٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي ١٢٤/١ وما بعدها.

٢- المسح على الخفين: أجمع فقهاء الأمصار على أنه جائز[١]. وإن كانوا قد اختلفوا في أيهما أفضل؟ المسح على الخفين، أم نزعهما وغسل القدمين.

فذهب الجمهور إلى أن الغسل أفضل، لأنه المفروض في كتاب الله عز وجل، والمسح رخصة، بينما ذهب أحمد في الصحيح من المذهب، وابن المنذر إلى أن المسح أفضل[٢].

قال ابن المنذر: لأجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض، وإحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن أفضل من تركه.

كما أجمعوا على أن جواز المسح مختص بالحدث الأصغر، ولا يجزئ المسح في جنابة، ولا غسل واجب، ولا مستحب[٣].

كما أجمعوا على اشتراط تقدم الطهارة لجواز المسح، فمن أكمل طهارته ولبس خفيه، ثم أحدث فله أن يمسح عليهما[٤].

---

(١) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٢٨/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٤/١.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ١٢٦/١، والشرح الصغير ٢٢٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٦٩/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥١/١، والاختيار ٣٢/١، وحاشية الصاوي ٢٥٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٤/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٦/١.

(٤) الإجماع لابن المنذر ٥، والاختيار ٣٢/١، وبداية المجتهد ٣٢/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٦٥/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٥/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي.

رابعًا: من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة الرسول ﷺ في السفر:

جاء في الحديث ما يدل على حرص الصحابة ﷺ على مصاحبة رسول الله ﷺ وملازمته في أحواله كلها في السفر والحضر، فقال المغيرة بن شعبة "كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في مسير" ولقد عُرِفُ كثير منهم وحدثوا عن أنفسهم بمصاحبتهم لرسول الله ﷺ، فروي عن ابن عمر ﷺ قال: ((إِنِّي صَحِبْتُ رَسُولَ اللّهِ فِي السَّفَرِ. فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ...))[1] وقد كان لصحبة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ وملازمتهم له أكبر الفضل في حفظ السنة (وهي المصدر الثاني الذي يلي القرآن في تبيان عقائد الإسلام وعباداته وآدابه وشرائعه ومناهجه)[2].

لذا كان الصحابة ﷺ أولى الأمة استحقاقًا لفضل الله ورضوانه، لسبقهم في الخيرات، وحفظهم للدين والذود عن حياضه، والعمل على نشره وسطوع نوره، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

ففي هذه الآية إخبار من الله عن رضاه عن الصحابة ورضاهم عنه، بما أعد لهم من

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٩.

(٢) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ٨٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

جنات النعيم، والنعيم المقيم، وعلى رأسهم السابقون من المهاجرين والأنصار[١]. فقد رضي الله عن الجميع، ورضى الله عنهم، عنايته بهم وإكرامه إياهم، ودفاعه أعداءهم، وأما رضاهم عنه فهو كناية عن كثرة إحسانه إليهم، حتى رضيت نفوسهم لما أعطاهم ربهم[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في سؤال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟ قلت: نعم" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إثارة عقل المدعو وإعمال فكره، ومشاركة الداعي في الحوار، مما يكون له بالغ الأثر في قبول الدعوة والاقتناع بها. وتظهر أهمية طرح الداعية واستخدامه لأسلوب السؤال والجواب في شد انتباه المدعوين لما سوف يقوله من حديث، فالسؤال يجعل المدعوين يشاركون المتحدث في التفكير ويتعاونون معه، ويتهيئون للإجابة ومعرفة الغرض من السؤال، لذا ينبغي للداعية ألا يغفل أسلوب السؤال والجواب في مجالسه وأحاديثه.

ثالثًا - من صفات الداعية: التواضع وعدم التعالي:

نلمس تلك الصفة في تواضعه ﷺ في ملبسه، وإلى ذلك أشار قوله "وعليه جبة من صوف" تواضعًا منه ﷺ[٣] مع أنه ﷺ كان بإمكانه أن يلبس الغالي النفيس، لذا كان من أهم الصفات البارزة في حياة الدعاة التواضع، فهو سبيل للقرب من الله، ومن ثَمَّ القرب من الناس[٤] وإقبالهم عليه والالتفاف حول دعوته، فالتواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار، ويحببهم إلى الناس، فيستمعون إليهم، ويتأثرون بهم، ويتأسون

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٠٣/٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩/١١/٥.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٨٠/١٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٢٦٨/٤.

بأفعالهم، وهو موجب للرفعة، مبعث للتآلف، محقق للحب والود[١].

ولكن ينبغي التأكيد على أن لبس الصوف فقط ليس من السنة أو من التواضع المحمود، فقد كان ﷺ يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن، وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان، ذكر أبو إسحاق الأصبهاني بإسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال: دخل الصَّلْتُ بن راشد على محمد بن سيرين وعليه جُبة صوف، وإزارُ صوف، وعِمامة صوف، فاشمأزَّ منه محمد، وقال: أظن أن أقوامًا يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى ابن مريم عليه السلام، وقد حدثني من لا أتهم أن النبي ﷺ قد لبس الكتان والصوف والقطن، وسُنَّةُ نبينا أحقُّ أن تُتَّبَعَ. ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقوامًا يرون أن لبس الصوف دائمًا أفضلُ من غيره، فيتحرَّونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرَّون زِيًا واحدًا من الملابس، ويتحرَّون رسومًا وأوضاعًا وهيئاتٍ يرون الخروج عنها منكرًا، وليس المنكرُ إلا التقيد بها، والمحافظة عليها، وترك الخروج عنها.

والصواب أن أفضل الطرق طريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سنها، وأمر بها، ورغَّب فيها، وداوم عليها، وهي أن هديَه في اللباس: أن يلبس ما تيسر مِنَ اللباس، من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة.

ولبس البرود اليمانية، والبردَ الأخضر، ولَبسَ الجبة، والقَباء، والقميص، والسراويل، والإزار، والرداء، والخف، والنعل، وأرخى الذؤابة من خَلْفِه تارة، وتركها تارة. وكان يتحلى بالعمامة تحت الحنك[٢].

وليعلم المسلم أن التواضع ليس في لبس الدني من الثياب؛ لأن لبس الدني من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع، فيُذم إذا كان شهرة وخُيلاء، ويمدح إذا كان تواضعًا واستكانة، كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم إذا كان تكبرًا وفخرًا وخيلاءً، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهارًا لنعمة الله[٣].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار ص ٥٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٤٢ - ١٤٣.

(٣) المرجع السابق ١/١٤٦.

لذا كان التواضع ليس باللباس فقط، ولكنه بالحرص على التحلي به مع الناس؛ إذ أنه من طبائع الناس أنهم لا يقبلون من يستطيل عليهم، ويبدو منه احتقارهم أو استصغارهم، ولو كان ما يقوله حقًا وصدقًا، بل إن الاستعلاء سبب ظاهر في كره الحق ورفضه.

ومن أجل ذلك فإن التواضع ثمرة المعرفة بالله وبالنفس، وقد خاطب الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[1].

ومما يلحق بهذا الباب، العلم بأن من طبائع النفوس النفرة ممن يكثر الحديث عن نفسه، أو يستجلب الثناء عليها، أو يستدر لها المديح. فالفضل من الله، ومن تحدث إلى الناس فليتحدث إليهم بفضل الله لا بفضل نفسه[2].

رابعًا - من آداب المدعو: احترام وخدمة أهل الإيمان والفضل:

جاء في الحديث الدلالة على استحباب خدمة أهل الإيمان والفضل، وذلك في حكاية المغيرة بن شعبة لخدمته لرسول الله ﷺ "ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوة... ثم أهويت لأنزع خفية فقال دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" وذلك لون من ألوان الاعتراف بالجميل، فإنه لا يقتصر على مجرد النطق باللسان، بل يشمل العمل بالجوارح والأركان[3] وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في الأدب مع النبي ﷺ واحترامه. قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[4].

قال ابن كثير: (هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسول

---

(١) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٣٠، ٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٠٩/٢.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٣.

الله ﷺ من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام، لذا ينبغي على المدعو التأسي بهديهم والاحتذاء بحذوهم، في احترام أهل الإيمان والفضل، والقيام بخدمتهم)[١].

وأفضل منازل الخلق وأولاهم بالاحترام والتوقير الأنبياء والمرسلون فهم الوسائط بين الله وخلقه، في إبلاغ رسالاته، والتعريف به وبأسمائه وصفاته ودينه وشرعه فهم أكمل الخلق علومًا وأعمالاً وأشرفهم أخلاقًا، وأشرف الناس بعدهم مرتبة العلماء، الذين يقومون بتعليم الأمة وإرشاد الضال، وتعليم الجاهل، ونصر المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهؤلاء أفضل أتباع الأنبياء، وهم ورثتهم حقًا دون الناس، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[٢] وقال النبي ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣] فقد جعل الله العلماء حراسًا لدينه، وحفظة لشريعته، ورجومًا لأعدائه وأعداء رسله[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٤/٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ١٦٠٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

سماحة الإسلام في الملبس تتجلى في أنه لم يأمر بلون معين أو يحرم لوناً معيناً، وبهذا ترك الألوان للأعراف والتقاليد والمستجدات، توسيعاً ورحمة، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية الجمالية والعناية بالمظهر:

نرى ذلك في أحاديث الباب والتي تدعو وترغب في البيض من الثياب لما فيها من زيادة على مثيلاتها من زيادة الطهارة والنقاء وحسن المظهر وانشراح الصدر، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في قوله: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ».

إن تفضيل الألوان الهادئة والبيضاء ونحوها فيه إشارة إلى ما عليه حياة المؤمن من البساطة واليسر وتفاؤلٌ بنظافة الصدر ونقاء السريرة.

لقد ربى الإسلام أتباعه على التجمل والتزين وتذوق الجمال "وذلك في كل شيء يسر العين ويسري في النفس إحساساً بالراحة والمتعة سواء أكان ذلك في الشكل أم اللون أم السلوك أم ما شاكل ذلك، إذ أن تنمية الجانب الجمالي والنظافي من الناحية التربوية لا يقل أهمية في تكوين شخصية الإنسان عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي، أو الروحي[1].

إنه ينبغي على المسلم سواء أكان مربياً أو متربياً أن يُعني بظاهره وباطنه معاً، ولتتوافق عنايته بالمظهر مع الجوهر، وذلك من باب إظهار نعمة الله -سبحانه- وشكرها، ومن الجوانب المتعلقة بالنظافة الحرص على نظافة الملبس وبياضه ونقائه، وبمثل هذه الأمور وغيرها تكون طهارة الظاهر، ومنها حسن المظهر وطيب الرائحة ليكون المسلم محبوباً من إخوانه يأنسون به ويألفونه ويسعدون بجلوسهم معه ويقبلون على سماع كلامه[2].

---

(١) انظر: أصول التربية، د. إبراهيم عصمت مطاوع ص١٨٤.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص١٤٥-١٤٩.

ثانياً: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في النفوس:

إن مما ينبغي على المربين أن يحرصوا عليه: غرس القيم الحميدة والخلال الكريمة في نفوس من يربونهم، فيربونهم على التقوى والحلم والصدق والأمانة والعفة والصبر والبر والصلة، والجهاد والعلم، فيكون ذلك سبباً في محبتهم لمعالي الأمور ومكارم الأخلاق[1].

ومن أبرز تلك المكارم وأفضل تلك الأخلاق لزوم التواضع، ويمكن أن نلحظ ذلك المضمون في تواضعه ﷺ في شؤونه كلها ومنها ملبسه ﷺ، ومن ذلك لبسه الصوف الخشن، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا، حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ...».

إن التواضع "دليل على كِبَر النفس وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم ويبعثه على الاستفادة من كل أحد وينأى به عن الكِبْر والتعالي"[2].

ثالثًا- إشباع حاجات الفرد المشروعة:

من الأمور التي تساعد على التربية واستجابة الفرد لها إشباع حاجات الفرد المشروعة، ومن ذلك تطلعه إلى تنوع الملابس وتعدد ألوانها، وذلك ليس بمحظور، فقد رأينا في أحاديث الباب تعدد ملابس الرسول ﷺ فلبس الحلة، ولبس الجبة، ولبس الثوب، والمرط، كما تعددت الألوان التي لبسها ﷺ ما بين أبيض وأحمر وأخضر، وغير ذلك، ومن تلك النصوص:

"ولقد رأيته في حلة حمراء"، "وعليه حلة حمراء".

"وعليه ثوبان أخضران".

"وعليه عمامة سوداء".

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص١٣٦.

(٢) المرجع السابق ٥٣١.

"وعليه مرط مرحل من شعر أسود".

"وعليه جبة من صوف".

"إن الإسلام لم يستهدف كبت الشهوات أو حرمان الإنسان من التمتع بها، فهو دين الوسطية، لا يحرم الإنسان من إشباع حاجاته المشروعة، وإنما يدعوه إلى التوسط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط [(١)].

وهذا مما يجعل المسلم حريصاً على التأسي بالنبي ﷺ، في جمال الهيئة والمظهر والحرص على نظافة الثياب وطهارتها، واختيار الألوان المناسبة التي تبعث على انشراح النفس، وجلب السرور، وتشعر المسلم بالراحة النفسية التي من أسبابها البساطة والانتقاء الجيد لنوعية وألوان الملابس التي يلبسها، لأن الإسلام يحب كل جميل من الأخلاق والسلوك والعادات والمستجدات المنسجمة مع مبادئه.

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في التربية والتعليم، منها:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم" وقوله ﷺ: "البسوا البياض فإنها أطهر وأطيب".

وقوله ﷺ للمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما أهوى يريد أن ينزع خفيه ﷺ: "دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين" ومسح عليهما.

ومما لا شك فيه أن تعليل الأحكام وبيان أسبابها -إن اقتضى الأمر ذلك- يدفع إلى مزيد من الامتثال والاستجابة.

ب-الملاحظة: كقول أبي جحيفة رضي الله عنه: "فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء، كأني أنظر إلى بياض ساقيه، فتوضأ وأذّن بلال، فجعلت أتتبع فاه ههنا وههنا يقول يميناً وشمالاً: حي على الصلاة حي على الفلاح".

والملاحظة تفيد المتعلم في الاقتداء ويستخدمها المعلم لتقويم تصرفات المتعلمين ومتابعتهم.

---

(١) النظرية التربوية، د. محمد سيف الدين فهمي ص٦٧.

ج-توجيه الأسئلة: كما في قوله ﷺ للمغيرة بن شعبة "أمعك ماء؟".

والمعلم يمكن أن يستخدم الأسئلة في معرفة ما لدى المتعلمين من معارف ومعلومات، وفي تقويمهم وتقويم أفكارهم أيضًا، كما يمكن للمعلم أن يدفع طلابه أن يوجهوا له أسئلة تتعلق بعناصر الدرس وهو يجيب عليها. وهذا يؤدي إلى ثبات المعلومات سواء القديمة أو الجديدة.

والمعلم البارع هو من يمزج بين الأساليب التعليمية حتى ينجح في أداء رسالته النبيلة.

١١٨- باب استحباب القميص

الحديث رقم (٧٨٩)

٧٨٩-عن أُمِّ سَلَمَة رضي الله عنها، قالت: كَانَ أحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رسول الله ﷺ الْقَمِيص.

رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[2].

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم سلمة رضي الله عنها وقد ساقت المعنى في ثوب خبري دون مؤكدات سوق الخبر المعلوم المأنوس إلى النفوس، وقد بدأت بفعل الكينونة لتدخل عن طريقه بوابة الزمن رجوعاً في الماضي، وهو ما يحدث نوعاً من التشويق يبعث على الترقب، زادت الأمر تشويقاً بأفعل التفضيل المضافة للثياب، ثم بتعلقها بالرسول ﷺ، وقولها (القميص) وهو: ثَوْبٌ مَخِيطٌ بِكُمَّيْنِ غَيْرُ مُفْرَجٍ يُلْبَسُ تَحْتَ الثِّيَابِ، وَلا يَكُونُ إِلاَّ مِنْ الْقُطْنِ، وفي الحديث إِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ تَعْيِينَ الأَحَبِّ فَالْقَمِيصُ خَبَرُهُ وَإِنْ كَانَ الْمَقْصُودُ بَيَانَ حَالِ الْقَمِيصِ عِنْدَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَهُوَ اِسْمُهُ.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١- حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٥)، والترمذي (١٧٦٢) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (١٩٢/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٠٥).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[1].

٢- حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣- طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جراح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[2].

٤- حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام، كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره، فلا يكره[3].

---

(١) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٢) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٣) الكبائر ١٦٤، والزاوجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة رضي الله عنها لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أم سلمة رضي الله عنها لأحب اللباس إلى رسول الله ﷺ:

جاء في صريح الحديث بيان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ حيث قالت أم سلمة رضي الله عنها: "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص" والقميص اسم لما يلبس من المخيط الذي له كمان وجيب، ومعنى كان أحب اللباس إلى رسول الله ﷺ القميص أي كانت نفسه تميل إلى لبسه أكثر من غيره، من نحو رداء أو إزار لأنه أستر منهما، ولأنهما يحتاجان إلى الربط والإمساك بخلاف القميص، لأنه يستر عورته ويباشر جسمه بخلاف ما يلبس فوقه من الدثار[٢]، ولأن القميص أقل مؤنة وأخف على البدن، ولابسه أكثر تواضعًا[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في تواضعه:

إن خلق التواضع من أفضل الأخلاق وأسماها، وقد بلغ فيه رسول الله ﷺ شأوًا لا يلحقه فيه أحد من الأولين ولا من الآخرين[٤] وقد جاء في الحديث مظهر من مظاهر تواضعه ﷺ، فقالت أم سلمة رضي الله عنها "كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص"

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤/٥٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢/٤٧١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٢٨.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٠٤٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر الجزائري ص ٤٢٥.

وذلك لكون رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعًا وأبعدهم عن الكبر والخيلاء[١] فما أحرى بمحبي رسول الله ﷺ الاقتداء به في تواضعه، فإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي رسول الله ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه[٢] والسبيل العملي للتأسي به ﷺ هو تطبيق السنة في حياةالفرد والجماعة، وهذا التطبيق يشمل كافة جوانب الدين من اعتقادات وعبادات وأخلاق[٣] ومن ذلك خلق التواضع، الذي هو خير الخلال، وأحب الخصال إلى الله تعالى وإلى الناس[٤].

وجاءت النصوص الكثيرة في الحث على التواضع والحض عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦] وليس معنى التواضع أن يذل الإنسان نفسه أو يقلل من شأنه، والفرق بين التواضع والمهانة "أو الذل" أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ونعوت جلاله وتعظيمه، ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها، وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من ذلك كله خلق التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلاً، ولا يرى له عند أحد حقًا، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة فهي الدناءة والخسة، وبذل النفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، ٦٥٦/٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٦٩/١، ٧٠.

(٣) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٥.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

كتواضع السَّفل في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضعة لا تواضع، والله سبحانه يحب التواضع، ويبغض الضعة والمهانة[1].

(١) الروح، ابن القيم ص ٢١٠، ٢١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

تختلف الأسماء للملابس الداخلية من زمن إلى زمن، وما يُلبس تحت الثياب ساتر نصف الجسد الأعلى يسمى بالقصص، وله بدائل شتى في زمننا هذا، وارتداءه يقي من الشمس أكثر ويشرب العرق ويحفظ الملابس الخارجية من التغيير الناتج عدم إفرازات الجسد ولهذا يستحب:

أولاً- مراعاة الراحة الجسمية:

من أهم ميادين التربية مراعاة الجانب الجسمي، وذلك بانتقاء المناسب من أطايب الطعام والشراب والملابس.

ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من اختيار رسول الله ﷺ من الملابس ما يلائم جسمه ويلائم حرارة المكان الذي يعيش فيه، كما يدل عليه حديث الباب من حبه ﷺ للقميص لكونه "أستر للأعضاء وأقل مؤونة وأخف على البدن ولتشربه العرق وعدم تغير رائحته بسرعة لكونه من القطن"[(١)]. فلا معنى لارتداء الملابس التي تؤلم الجسد وتؤذيه وتعيقه عن القيام بما نيط به من واجبات.

إن التربية الجسمية أمر مطلوب لأهداف عديدة في ضوء التربية الإسلامية، كما أن سلامة الجسم وصحته والعناية به تزيد من سعادة الإنسان، فالعناية بالجسم وصحته وملبسه ونحو ذلك، أمر مطلوب لأنها تحقق للإنسان الصحة والسلامة من الأمراض، وليقوم بما أوجبه الله تعالى عليه في أمور دينه ودنياه"[(٢)].

ثانياً- التربية الخلقية:

ويظهر ذلك الجانب التربوي في تواضعه ﷺ في ملبسه فكان أحب الثياب إليه القميص، ومن أسرار إقبال نفسه ﷺ على لبس القميص لكون "لابسه أكثر تواضعاً"[(٣)].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٥٩.

إن خلق التواضع وتربية النفوس عليه من أهم الجوانب التربوية التي عمل الإسلام على ترسيخها في نفوس المؤمنين، "إذ أن التربية الأخلاقية تعد الغاية الأسمى للتربية الإسلامية، فرسول الله ﷺ، وهو قدوتنا في التربية الإسلامية أدبه ربه، وأحسن تأديبه وأثنى عليه ربه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾"[1].

لقد عظُم اهتمام الإسلام بالأخلاق لما لها من قيمة في كيان الفرد والمجتمع إذ بالأخلاق يبقى للفرد كيانه واحترامه، وبالأخلاق يبقى للمجتمع كيانه واحترامه، وقد كان محقاً أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

إنَّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بقيت ... فإنْ هم ذهبتْ أخلاقهم ذَهبوا

أي أن بقاؤها وتقدمها رهن بتمسكها بالأخلاق الفاضلة، ويكون ضياع الأمم وزوالها بما فيها من أفراد وجماعات وتقدم وحضارات نتيجة لتخليها عن الأخلاق[2].

"إن التربية الخلقية هي روح التربية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية، فالغرض الأول والأخير من التربية الإسلامية تهذيب الخلق وتربية الروح، وكل درس يجب أن يشتمل على بعض الفضائل الخلقية، وكل معلم يجب أن يتصف بالأخلاق المحمودة التي يكون بها المعلم مثالياً في تدينه وسمته، فالخلق النبيل عماد التربية في الإسلام"[3].

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: الطفل في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن أحمد الصالح ص٢٦٥، ٢٦٦.

١١٩- باب صفة طول القميص والكُم والإزار
وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

الحديث رقم (٧٩٠)

٧٩٠- عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّةِ رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيص رسول الله ﷺ إِلَى الرُّسْغِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥١٨).

غريب الألفاظ:

الرُّسغ: مفصِل ما بين الساعد والكفِّ[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في وصف لباس رسول ﷺ وترويه صحابية جليلة أسهمت مع كثير من النساء غيرها في نقل سنة رسول ﷺ وكنَّ جنباً إلى جنب مع الرجال في الحفاظ عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة.

وقد صاغت الحديث بأسلوب خبري؛ لأن الحديث لا يُنكر عليها، ولا تتوقع له معارضاً لأنه معنى تؤسسه ابتداءً لوصف كُم رسول الله ﷺ وأنه كان إلى الرسغ، وهو المفصل بين الكف والساعد، وهذا الحد هو حد الاعتدال؛ لأن ما زاد على ذلك أعاق حركة الكف، وتلوث بما تتعرض له في العمل، والطعام، وغيره.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٢٧)، والترمذي (١٧٦٥) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وتقدم برقم (٥١٨). فيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام، وقد تفرد به، ورواه النسائي في الكبرى (٩٦٦٧) عن بديل بن ميسرة فذكره مرسلاً.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر س غ).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥١٨).

الحديث رقم (٧٩١)

٧٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَ أَبُو بكر: يَا رسول الله، إنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إلاَّ أنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ[1] خُيَلاءَ)) رواه البخاريُّ وروى مسلم بعضه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: البطر والكبر والزهو والتبختر[3].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[4].

يسترخي: يتسع وينبسط وكان سبب استرخائه نحافة جسم أبي بكر[5].

أتعاهده: أحافظ عليه وألتزم به وذلك بالشد والرفع[6].

الشرح الأدبي

نص كلام الرسول ﷺ يبدأ بالاسم الموصول الذي يحمل معنى الشرط (من جر ثوبه خيلاء) وتعريف المسند إليه بالموصول للتنبيه على خطأ الفعل، ومعنى الشرط يربط فعلاً بجزائه، وتقييد النظر بيوم القيامة تتميم جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) لفظ البخاري: (تصنع ذلك) بدل: (ممن يفعله)، وهذا لفظ أبي داود (٤٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦٥) بنحوه، ومسلم (٢٠٨٥/٤٤) الشطر الأول منه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر خ و)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٦/١٠، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٤٤.

والتخويف لمن يأتي هذا الفعل، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه لم يفز، وهذا التصعيد للوعيد أثار في نفس أبي بكر ﷺ سؤالاً عن حاله، - وقد كان شديد الخوف من الله، وكلهم ﷺ كذلك، وقوله (يا رسول الله إِنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَه (

فيه نداء تكريم، وتشريف، ثم توكيد الخبر بأكثر من مؤكد لاستشعاره لخطر الأمر، وإضافة الإزار إلى نفسه إشارة إلى خصوصية المسألة، وقوله (يسترخي) فيه إشارة إلى أن هذا الفعل رغماً عنه، وقوله (إلا أن أتعاهده) يشير إلى تحريه، وحذره.

وقول الرسول ﷺ (إِنَّكَ لَسْتَ ممن يفعله خُيَلاءَ) أكَّد له العبارة بـ (إن)، ووصلها بضمير المخاطب لتتساوق مع أسلوب عبارة الصديق المؤكدة، ومع حالته النفسية فتنزع القلق من نفسه، وتقييد الوعيد بمن يفعله خيلاء إشارة إلى أنها سببه.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النفي.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل.

أولاً - من آداب الداعية: الترهيب:

قد رهب النبي ﷺ في الحديثين من الكبر والخيلاء بقوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة..." وقوله ﷺ "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

(والترهيب كأسلوب دعوي له من الأهمية ما يجعله الأسلوب المناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرئ للمعصية، والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلي

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٢).

فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيدًا عن النار، ولذا بدأ ﷺ بالإنذار تنفيذًا لأمر ربه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[1] وقال ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[2].

وأيضًا الترهيب له موقع مفيد في نفوس الناس من وجهين:

الوجه الأول: إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهي كراهية البؤس والعقاب.

والوجه الثاني: إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ)[3] (فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف... ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه كي يستقيم)[4].

(ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وجب التأكيد عليه، والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب، وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعًا للنفوس عن غيها وفسادها وخيبتها، وباعثًا لها على المسارعة وسلامتها وفلاحها)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الكبر والخيلاء وآثارهما الوخيمة على الإنسان:

إن الكبر والخيلاء من أعظم أدلة سفول النفس وانحطاطها، فبهما يكون غضب

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ١-٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١١-١٣.

(٤) انظر: مدخل علاجي لانحراف الأحداث، العلاج الإسلامي، د. محمد سلامة غباري ص ٣٢٣.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١٣.

الرب وهلاك النفس، وقد عظّم النبي ﷺ جرمهما في نص الحديثين وذلك في قوله "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" وقوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرًا".

وفي بيان ذلك قال القاضي: (المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر، قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[2]...، وقال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر. وقوله: "لا ينظر الله إليه يوم القيامة" أي: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[3])[4].

وقد ذم الله تعالى الكبر في مواضع من كتابه، وذم كل جبار متكبر، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[5] وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[7] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[8].

(فالكبر والخيلاء آفة عظيمة هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عن العباد والزهاد والعلماء، فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته وقد

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٥٩٨-٥٩٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ١٥.

(٨) سورة غافر، آية: ٦٠.

قال ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[١]. وإنما صار حجابًا دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزه النفس يغلق تلك الأبواب كلها. فلا يقدر صاحبه على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم، فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه ليحفظ عزه وكبره، ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم، وقبول الحق، والانقياد له)[٢].

ومن أجل ذلك بيّن النبي ﷺ سوء عواقب الكبر والخيلاء فقال: (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ. فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)[٣] وقال ﷺ: ((يقول الله عزَّ وجلَّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما، ألقيته في جهنم))[٤].

قال ابن القيم: (معنى هذا الحديث، أن الكبرياء والعظمة صفتان لله عز وجل اختص بهما لا يشركه فيهما أحد، ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل، وإنما ضرب الرداء والإزار مثلاً، يقول: -والله أعلم- كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحدًا فلا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق)[٥].

وقال النووي: (ومعنى ينازعني: يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه)[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٩١.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ١٩٥٣/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٤٩، ومسلم ٢٨٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٠.

(٥) تهذيب سنن أبي داود ٥٣/٦-٥٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٥٩.

وقال ﷺ: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي، قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ[١] وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ))[٢] قال ابن حجر: (والتجلجل بجيمين التحرك، وقيل: الجلجلة الحركة مع صوت، وقال ابن دريد: كل شيء خلطت بعضه ببعض فقد جلجلته، وقال ابن فارس: التجلجل أن يسوغ في الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق، فالمعنى يتجلجل في الأرض أي ينزل فيها مضطربًا متدافعًا...)[٣].

وقد بين ابن قدامة: أن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات: فقال: ("الأولى": أن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أنه قد قطع أغصانها.

الثانية: أن يظهر لك بأفعاله من الترفع في المجالس، والتقدم على الأقران، والإنكار على من يقصر في حقه، فترى العالم يصعر خدَّه للناس، كأنه معرض عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم، وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه ﷺ، حين قال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

الدرجة الثالثة: أن يظهر الكبر بلسانه، كالدعاوي والمفاخر، تزكية النفس، وحكايات الأحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبر بالنسب، فالذي له نسب شريف، يستحقر من ليس له ذلك النسب، وإن كان أرفع منه عملاً.

قال ابن عباس: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك، وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٥]. وكذلك التكبر بالمال،

---

(١) جُمَّته: بضم الجيم وتشديد الميم هي مجتمع الشعر إذا تدى من الرأس إلى المنكبين وإلى أكثر من ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٨٩، ومسلم ٢٠٨٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٢/١٠.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢١٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٣.

والجمال، والقوة، وكثرة الأتباع، ونحو ذلك، فالكبر بالمال أكثر ما يجري بين الملوك والتجار ونحوهم.

والتكبر بالجمال أكثر ما يجري بين النساء، ويدعوهن إلى التنقص والغيبة وذكر العيوب.

وأما التكبر بالأتباع والأنصار، فيجري بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود، وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين[1].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاستفسار عما خفي عليه:

هذا ما يؤكده نص الحديث من سؤال أبي بكر ﷺ للنبي ﷺ قائلاً: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده" (فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه أو يُشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه، حتى يعبد الله وقد خلص قلبه وعقله من كل الشبهات. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2])[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: النفي:

هذا ما استعمله النبي ﷺ في الحديث من قوله "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطرًا" والنفي هنا من الأساليب الدعوية التي يكون بها إخافة المدعو، وتوجيهه إلى عدم الكبر والبطر، بما يحقق نجاته في الدنيا والآخرة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في العمل:

قد بين الحديث أن قوام الأعمال بالنيات، وأن أحكامها تختلف بحسب اختلاف النية، وذلك من مبادئ الإسلام الأساسية، ومن قواعده الشرعية المعروفة، وهذا ما ظهر

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ١٨.

جليًا في الحديث من قول أبي بكر ﷺ: "يا رسول الله إن إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده، فقال له رسول الله ﷺ إنك لست ممن يفعله خيلاء".

قال القاضي عياض: (وقوله "خيلاء": دل أن النهي إنما تعلق لمن جرّه لهذه العلة، فأما لغيرها فلا، من استعجال الرجل لحاجته وجر ثوبه خلفه، أو من قلة ثياب ردائه على كتفيه، فلا حجر، وقد جاءت في ذلك كله أحاديث صحيحة في الرخصة فيه، وكذلك إن كان جره خيلاء على الكفار أو في الحرب، لأن فيه إعزازًا للإسلام وظهوره في استحقار عدوه وغيظه، بخلاف الأول، إنما فيه استحقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم، وفي ذلك أيضًا أثر صحيح)[1]. ويقصد القاضي في ذلك قوله ﷺ ((مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ ومِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ، فَأَمَّا الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا الَّتِي يَبْغَضُهَا اللهُ فالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ. وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاَءِ مَا يُبْغِضُ اللهُ وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللهُ، فأَما الْخُيَلاَءُ الَّتي يُحِبُّ اللهُ فاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ القِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَأَمَّا التي يَبْغَضُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَاخْتِيَالُهُ فِي البَغْيِ)) قَالَ مُوسَى[2] ((وَالفَخْرِ))[3].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال": لما في ذلك من الترهيب لأعداء الله والتنشيط لأوليائه "واختياله عند الصدقة": فإنه ربما كان من أسباب الاستكثار منها والرغوب فيها، فاختيال الرجل عند القتال هو الدخول في المعركة بنشاط وقوة، وإظهار الجلادة والتبختر فيه، والاستهانة والاستخفاف بالعدو لإدخال الروع في قلبه)[4]. (وإن كان قد روي عن ابن عمر كراهة ذلك على كل حال[5])[6].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٥٩٨-٥٩٩.

(٢) موسى: موسى بن إسماعيل أحد رواة الحديث.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٥٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣١٦).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٣٤.

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣/٥٩٧-٥٩٨.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٥٩٨-٥٩٩.

وقد بين ابن حجر: (أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقًا)[١] وقال النووي: (...، فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فمنع تنزيه... إلخ)[٢] وفي ذلك بيان على أن (النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها، يصح بصحتها، ويفسد بفسادها. والنبي ﷺ قد قال كلمتين كفتا وشفتا، وتحتهما كنوز العلم، وهما قوله: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوَى))[٣]، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه. وهذا يعم العبادات والمعاملات، والإيمان، والنذور، وسائر العقود والأفعال)[٤]. (وفي ذلك بيان على أن حظ العامل من عمله نيته، فإن كانت صالحة، فعمله صالح، فله أجره، وإن كانت فاسدة، فعمله فاسد، فعليه وزره)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ١، ٥٤، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١١١/٣.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦٤/١.

الحديث رقم (٧٩٢)

٧٩٢-وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إزاره بَطَرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يسوقه أبو هريرة رضي الله عنه بأسلوب خبر مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، وتفخيماً لأمره بما يجعله يسلك طريقه في دروب النفس، وحنايا القلوب دون أن يعترضه معترض، ونص كلام الرسول ﷺ يبدأ بأسلوب النفي الذي يحرم صاحب هذا الفعل القبيح من نظر الله يوم القيامة، والتقييد (بيوم القيامة) تصعيد للوعيد؛ لأنه يوم لا حول فيه، ولا قوة لغير الله، ثم إن هذا الخزي على رءوس الأشهاد فضيحة على الملأ، عقاباً نفسياً يتلوه عقاب جسدي - أعاذنا الله - والاسم الموصول (الذي) ينادي بخطأ هؤلاء، وخيبتهم العظيمة، والفعل (جر) يشير إلى تجاوز الثوب للحد المشروع، وقوله: (بطراً) تمييز للفعل يبين نوعه الذي سبب هذا الحرمان، وحقق الوعيد، وقد صاغه في صورة المصدر الذي يدل على الثبوت والدوام ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله - والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٨٨، ومسلم ٢٠٨٧/٤٨، وتقدم برقم ٦١٦. أورده المنذري برقم ٣٠١٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٣)

٧٩٣-وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزَارِ فَفِي النار)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[(٢)].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه في الترهيب من إطالة الثوب، وتجاوز الحد الذي يتسبب في العقاب، وهو أسلوب خبري خال من المؤكدات، لأن التوكيد مرجعه إلى إحساس المتكلم المتعلق بعمق المعنى في نفسه، أو إحساسه بمعارضة المخاطب، أو شكه، أو رغبته في تعظيم الخبر في نفس المتكلم، وأكثرها أغراض نفسية تتحكم في وجود المؤكدات، أو عدمها، وكثافتها، ونوعها، فإذا لم يواجه بشك، أو إنكار مع إحساسه بإقبال المخاطب، وعنايته بالخبر ساق الخبر مجرداً عن عوامل التوكيد، نظراً لمقتضى الحال، ولعله ما كان.

وقول الرسول ﷺ: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، وفيها إيجاز بحذف بعض صلة الموصول على تقدير (ما كان) و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية: للبيان وقوله (من الإزار) مجاز مرسل بعلاقة المجاورة؛ لأنه أطلق الإزار، وأراد بدن لابسه، كقول عنترة العبسي

فشَكَكْتُ بالرّمْحِ الأصَمّ ثِيابَهُ ... لَيْسَ الكَرِيمُ على القَنَا بِمُحَرَّمِ

---

(١) برقم ٥٧٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٦.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

وقوله (ففي النار) زِيَادَةِ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضْمِينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار.

رابعًا: من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الكبر والخيلاء:

(لما كان الكبر والتعالي على الناس، مما يتنافى مع الخلق الكريم، ويغرس الفرقة والعداوة بين المسلمين، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل، شنَّ الإسلام عليه حربًا شعواء، ليطهر منه النفوس ويبعد عنه القلوب)[2]. وكان من ذلك ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ "ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار" وقوله "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم" ثم ذكر ﷺ منهم "المسبل"، وفي رواية: "المسبل إزاره"، وأخيرًا من قوله ﷺ "...، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

(وقد كان الكبر والخيلاء من أخطر أمراض الباطن، وهما دليل على ضعف التدين لدى الفرد، مما يورث لديه اختلالاً في صحته النفسية، وبهما تكون آفة استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، والكبر والخيلاء يتخصص بالإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره)[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٤، ٧٩٥).

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٣) انظر: مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٢٤٧، والتدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، ٢١٦.

وقد بغض الله تعالى المختال المتبختر، المعرض عن الناس كبرًا وأنفة، فقال تعالى حاكيًا عن لقمان الحكيم فيما أوصى به ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١].

قال ابن كثير في قوله تعالى "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: (خيلاء متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال: "إن الله لا يحب كل مختال فخور" أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره)[٢].

(ومهما أعجب المرء بنفسه، واختال في مشيته، فأخذ يطأ الأرض بشدة، ويرفع رأسه تطاولاً على الناس، فهو لن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً)[٣].

وهذا ما بينه الحق في قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[٤].

قال ابن كثير: (يقول تعالى ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية: "ولا تمشي في الأرض مرحًا" أي: متبخترًا متمايلاً مشي الجبارين "إنك لن تخرق الأرض" أي: لن تقطع الأرض بمشيك...، وقوله تعالى "ولن تبلغ الجبال طولا" أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك، بل يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده)[٥].

كما ثبت في الصحيح من قوله ﷺ ((بَيْنَا رَجُلٌ يَجر إزاره، إذ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرض إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٦] وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته، وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض، فقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٣٣٩.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٧٥-٧٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥٧٨٩.

فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[1]. وفي ذلك بيان لسوء عاقبة الكبر والتعالي والخيلاء، وهذا ما وضحه ابن القيم في قوله: (وأما الكبر فأثر من آثار العجب والبغي، من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم، ترحلت منه العبودية، ونزل عليه المقت، فنظره إلى الناس "شزر"[2] ومشيه بينهم تبختر، ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الإيثار ولا الإنصاف، ذاهب بنفسه تيهًا، لا يبدأ من لقيه بالسلام، وإن ردّ عليه رأى أنه قد بالغ في الإنعام عليه، لا ينطلق لهم وجهه، ولا يسعهم خلقه، ولا يرى لأحد عليه حقًا، ويرى حقوقه على الناس، ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم، فلا يزداد من الله إلا بعدًا، ومن الناس إلا صغارًا أو بغضًا)[3]. فضلاً عن كونه من أهل النار لقوله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: كُلُّ عُتُلَ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ))[4] قال النووي: (وأما الجواظ فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: الفاخر: بالخاء)[5].

وفي ذلك بيان على وجوب الحذر من الكبر والخيلاء، لما لهما من سوء عاقبة وحال.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الإخبار من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين وتحذيرهم من كل ما فيه هلاك لهم، وهذا ما ورد في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ وتحذيره للمدعوين من الكبر والخيلاء، وكل ما يكون سببًا في هلاكهم وبعدهم عن رحمة الله فقال "ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار" وقال

---

(١) سورة القصص، آية: ٧٩-٨١.

(٢) الشزر: نظرة الإعراض أو الغضب أو الاستهانة يقال نظر إليه شزرًا. المعجم الوسيط في (ش ز ر).

(٣) الروح، ابن القيم، ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩١٨، ومسلم ٢٨٥٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٦١.

"ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم...إلخ" وقال "... من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل والتكرار:

إن الإجمال والتفصيل والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة (التي بها لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم إلى أهمية الأمر المدعو إليه)[1] فضلاً عن تحذيرهم من مخالفته، وقد ورد الإجمال في الحديث من قوله "ثلاث لا يكلمهم الله... إلخ" ثم تبعه التفصيل من قوله ﷺ المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب" أما التكرار في الحديث من قول أبي ذر رضي الله عنه: "فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار"؛ لأن اللفظ إذا جاء مجملاً - ولا سيما مع التكرار - ينتبه له الإنسان، حتى إذا جاءه التفصيل والبيان ورد على نفس متشوقة قد تطلب البيان[2].

رابعًا - من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الكبر والعجب:

(إن التواضع والبعد عن الكبر والعجب، بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم، لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيرًا ما يداخلهم الإعجاب لتميزهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أحرى، لأن العجب نقص ينافي الفضل)[3].

وقد بيَّن النبي ﷺ في نص الأحاديث الواردة سوء عاقبة الكبر والعجب والخيلاء، وأن ذلك من وجوب غضب الله ومقته لمن كان ذلك آفته ونهجه.

وقد بيَّن النبي ﷺ أن لكل داء دواء، فقال: ((مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ داءٍ إلاَّ وأَنْزَلَ لهُ شفاءً))[4]، (وهذا يعم أدواء القلب والروح والبدن وأدويتها، وقد جعل النبي ﷺ الجهل

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٥/٢.

(٢) المرجع السابق ١٠٩٥/٢.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤.

داءً، وجعل دواءه سؤال العلماء)[١]، وقد بين العلماء بما أعطاهم الله من العلم أهمية التواضع وكيفية علاج الكبر والعجب فقال ابن قدامة: (وفي معالجة ذلك مقامان:

الأول: في استئصال أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة، ثم من مضغة، فقد صار شيئًا مذكورًا، بعد أن كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه.

وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾[٢] ثم امتَّن عليه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[٣]، وبقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٤]، فأحياه بعد الموت، وأحسن تصويره، وأخرجه إلى الدنيا، فأشبعه وأرواه، وكساه! وهداه وقوَّاه.

فمن هذا بدايته، فأي وجه لكبره وفخره؟

على أنه لو دام له الوجود على اختياره، لكان لطغيانه طريق، بل قد سلط عليه الأخلاط المتضادة، والأمراض الهائلة، بينما بنيانه قد تم، إذ هو قد وهي وتهدم، لا يملك الشيء لنفسه ضرًا ولا نفعًا، بينما هو يذكر الشيء فينساه، ويستلذ الشيء فيرديه، ويروم الشيء فلا يناله، ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة.

هذا أوسط حاله، وذاك أول أمره، وأما آخر أمره، فالموت الذي يعيده جمادًا كما كان، ثم يلقى في التراب فيصير جيفة منتنة، وتبلى أعضاؤه، وتنخر عظامه، ويأكل الدود أجزاءه، ويعود ترابًا يعمل منه الكيزان، ويعمر منه البنيان، ثم بعد طول البلى

---

(١) الداء والدواء، ابن القيم، ٦.

(٢) سورة عبس، الآيتان: ١٨، ١٩.

(٣) سورة عبس، آية: ٢٠.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٢.

تجمع أجزاؤه المتفرقة، ويحضر عرصة القيامة، فيرى أرضًا مبدلة، وجبالاً مسيرة، وسماء منشقة، ونجومًا منكدرة، وشمسًا مكوَّرة، وأحوالاً مظلمة، وجحيمًا تزفر، وصحائف تنشر، ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1].

فيقول: وما كتابي؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها، ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل، من قليل وكثير، وقيام وقعود، وأكل وشرب، وقد نسيت ذلك، وأحصاه الله تعالى، فهلم إلى الحساب عليه، وأعد جوابًا له، وإلا فأنت تساق إلى النار. فإن صار إلى النار، فالبهائم أحسن حالاً منه، لأنها تعود إلى التراب، ومن هذا حاله وهو على شك من العفو عن أخطائه، كيف يتكبر؟ ومن الذي يسلم من ذنب يستحق به العقوبة، وما مثله إلا كمثل رجل جنى على ملك جناية استحق أن يضرب لأجلها ألف سوط، فحبس في السجن ليخرج فيعاقب، وهو منتظر أن يدعى به لذلك. أفتراه يتكبر على أهل السجن؟ وهل الدنيا إلا سجن، وهل المعاصي إلا موجبة للعقاب؟

وأما معرفة ربه، فيكفيه أن ينظر آثار قدرته وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر.

ومن العلاج العملي التواضع لله تعالى ولعباده، وذلك بالمواظبة على استعمال خلق المتواضعين، والاقتداء بسنة وسيرة سيد المرسلين محمد ﷺ فيما كان عليه من التواضع والأخلاق الجميلة.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأنساب، فمن اعتراه الكبر من جهة النسب فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره، ثم يعلم أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وأباه البعيد تراب، ومن اعتراه الكبر بالجمال، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة، فليعلم أنه لو آلمه عرق، عاد أعجز من كل عاجز، وإن حُمي يوم تُحَلَّلُ من قوته ما لا يعود في مدة، وإن شوكة لو دخلت في

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٤.

رجله لأعجزته، وبقة لو دخلت في أذنه لأقلقته.

ومن تكبر بسبب الغنى، فإذا تأمل خلقًا من اليهود، وجدهم أغنى منه، فأفٍ لشرف تسبق به اليهود، ويستلبه السارق في لحظة، فيعود صاحبه ذليلاً.

ومن تكبر بسبب العلم، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من الجاهل، وليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره.

وليعلم أيضًا أن الكبر لا يليق إلا بالله سبحانه، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عند الله تعالى بغيضًا عنده. وقد أحب الله منه أن يتواضع، وكذلك على كل سبب يعالجه بنقيضه ويستعمل التواضع.

واعلم أن هذا الخُلق كسائر الأخلاق له طرفان ووسط.

فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبرًا.

وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسسًا، ومذلة.

والوسط يسمى تواضعًا، وهو المحمود، وهو أن يتواضع من غير مذلة، فخير الأمور أوساطها، فمن تقدم على أقرانه فهو متكبر، ومن تأخر عنهم، فهو متواضع، لأنه قد وضع شيئًا من قدره، فأما إذا دخل على العالم إسكاف أو نحوه، فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، ثم قدم له نعله ومشى معه إلى الباب، فقد تخاسس وتذلل، فذلك غير محمود، بل المحمود العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، لكن يتواضع للسوقة بالرفق في السؤال واللين في الكلام، وإجابة الدعوة، والسعي في الحاجة، ولا يحقره، ولا يستصغره، والله أعلم)[1].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب:

قد ورد في الحديث تكرار النبي ﷺ لقول: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"، حتى يلفت النبي ﷺ أنظار الأمة إلى عظم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٥١-٢٥٤.

هذه الكبائر وخطورتها على المجتمع، إذ تعتبر بحق معاول هدم فيه، فالخصلة الأولى: وهي الإسبال في الإزار (وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال: لما فيه من النخوة والكبر)[١].

وإطلاق النهي على الإسبال محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، وهذا ما أكده النووي في قوله: (المسبل إزاره فمعناه المرخي الجار طرفه خيلاء...، والخيلاء الكبر)[٢]، وليس أدل على ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلاَّ أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاَءَ))[٣] (وكان السبب في ذلك ما علمه النبي ﷺ من نقاء سره، وأنه لا يقصد به الخيلاء والكبر، وكان رجلاً نحيفًا قليل اللحم. وكان لا يستمسك إزاره إذا شَدَّه على حَقوه، فإذا سقط إزاره جَرَّه فرخص له رسول الله ﷺ في ذلك وعذره)[٤].

أما الخصلة الثانية التي نهى عنها النبي ﷺ وتوعد صاحبها هي المنّ: (والمنان هو الذي يكثر في ذكر إحسانه ممتنًا به على المحسن إليه)[٥]، وقد بين الخطابي: أن المنان يتأوَّل على وجهين: أحدهما: من المنة، وهي - إن وقعت في الصدقة -أبطلت الأجر، وإن كانت في المعروف كدَّرت الصنيعة وأفسدتها- وقد حذر الحق تبارك وتعالى من ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[٦] أي: (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة... إلخ)[٧].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥١/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

(٤) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥٢/٦.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٠٩٦/٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٤/١.

والوجه الآخر: أن يراد بالمنِّ: النقص يريد النقص من الحق، والخيانة في الوزن والكيل ونحوهما، ومن هذا قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[1] أي غير منقوص. قالوا: ومن ذلك سُمي الموتُ مَنوناً، لأنه ينقص الأعداد ويقطع الأعمار)[2].

أما الخصلة الثالثة: والتي توعد النبي ﷺ صاحبها بشدة العذاب هي "الحلف بالله كاذبًا" وقد سماه النبي ﷺ باليمين الغموس (وهي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفار فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع حقوق. وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله.

ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الكبائِر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[4][5]. فكانت اليمين الغموس دليلاً على ضعف إيمان الحالف بالله كذبًا وعدم الخوف منه جل وعلا، وبهذا تنعدم الثقة بين أفراد المجتمع الواحد، ويصبح على شفا حفرة من النار، ومن أجل ذلك استحق صاحبها العذاب الشديد، والوعيد الأكيد من الله تعالى يوم القيامة.

وهذا ما بينه النووي في قوله: (ومعنى لا يكلمهم أي لا يكلمهم تكليم أهل

---

(١) سورة القلم، الآية:٣.

(٢) تهذيب سنن أبي داود، ابن القيم، ٥١/٦.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٩٨.

(٥) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٣٨٨.

الخيرات وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب وقيل: المراد الإعراض عنهم، وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى لا ينظر إليهم أي يعرض عنهم...، ومعنى لا يزكيهم لا يطهرهم من دنس ذنوبهم...، ومعنى عذاب أليم مؤلم، قال الواحدي: هو العذاب الذي يخلص إليهم، والعذاب كل ما يُعيى الإنسان ويشق عليه...إلخ)[1] وفي ذلك ترهيب وتحذير عظيم من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

الحديث رقم (٧٩٤)

٧٩٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) قَالَ: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاثَ مِرار، قَالَ أَبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((المُسْبِلُ، وَالمنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكاذِبِ)) رواه مسلم[1].

وفي رواية لَهُ[2]: ((المُسْبِلُ إِزَارَهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم. وقيل: لا يثني عليهم[3].

المسبل إزاره: المرخي ثوبه الجارّ طرفه كِبرًا وخيلاء[4].

المنان: الفخور على من أعطى حتى يفسد عطاءه[5].

المنفق سلعته: المروِّج سلعته[6].

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[7].

---

(١) برقم ١٠٦/١٧١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١١.

(٢) بعد حديث ١٠٦/١٧١، بدون رقم. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١.

(٤) المرجع السابق ص ١٦١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن ن).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ق).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير.

والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل.

ثم تُقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف المسند إليه وصفاً على المبالغة قَطْعَ كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل.

والجمل الثلاث يلزم بعضها بعضاً من جهة المعنى، فكل مفهوم يؤكد ما سبقه، فالمحروم من رحمة كلام الله ومتعة إقباله عليه محروم - لا أشك - من نظره إليه، ومن لا يكلمه الله ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محل تزكيته، ثم من كان كذلك كله ليس له إلا العذاب الأليم، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهي حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما - حكى الصحابي - فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام

فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فِعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس.

نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم.

وقوله (المسبل) المرسل لإزاره وثوبه' وهو كناية عن موصوف وهو المتكبر المختال المتعالي على الناس، وهذه الكناية تبيّن موضع الخطأ، وتدلل عليه وتوضح سبب الطرد من النعم، وأنه يرجع إلى تعالي هذا المتكبر، واختياله وتدلل الكناية على ذلك بأنه يجر ثوبه خيلاءً وزهواً على غيره، وقوله: (المنان) المن القطع، واستخدام لفظ المنان بمعنى القاطع للذي يفسد ما أعطى، ويبطله بالحديث عنه تيهاً وعجباً وإيذاءً لمشاعر المحتاجين، والفقراء على سبيل الاستعارة فقد استعار (المن) الذي هو القطع الذي يتعلق بالأمور الحسية لمن يضيع ثوابه بالحديث عنه عجباً وفخراً بجامع فعل ما يمنع الخير في كلٍ على سبيل الاستعارة التصريحية.

والمتأمل لأسلوب الرسول ﷺ البلاغي في تقويم هذه الأخطار، ومقاومة هذه النماذج السيئة في المجتمع المسلم يرى أنه لم يواجه هؤلاء بالعقاب دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدرج تصعيداً للهول، وارتقاءً به في مسارب النفوس حتى يتغلغل فيها فيطرد شبح الكبر والخيلاء والتعالي على الناس بالمن والإيذاء، أو التجرؤ على الكذب والحلف عليه خداعاً للغافلين[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع – دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري إبراهيم – ١٦٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٧٩٥)

٧٩٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا[1] خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الإسبال في الإزار: إرخاء الثوب إلى أسفل من الكعبين[3].

القميص: ثوب مخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب[4].

الشرح الأدبي

ساق الرسول ﷺ حديثه في أسلوب خبري دون مؤكدات بذكر المسند إليه تشويقاً إلى الخبر؛ لأنه لا يؤتي بالمسند إليه عارياً عن العوامل إلا بنية الإسناد أي الإخبار عنه، وقد أخبر عنه بعدد من الأمور التي تشترك في الحكم وهي (الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ) وهي أنواع من اللباس يمكن أن يتطرق إلى نفس صاحبها حب التكبر بإطالتها عن الحد إدلالاً بغناه، واحتقاراً للفقراء من خلق الله، ولذلك جاء أسلوب الشرط عن طريق الموصول الذي ينبه إلى خطأ الفعل (مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلاءَ)، وتنكير (شيئاً) للتقليل أي لا يجر على صفة الكبر قليلاً، ولا كثيراً، وقوله: بقوله: (خيلاء) أي تكبراً وهو بيان سبب العقاب، والجزاء قوله: (لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وتقييد الكلام والنظر بيوم القيامة تتميم بلاغي جيء به لنكتة، وهي زيادة الترهيب،

---

(١) عندهما زيادة: (منها).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، والنسائي في الكبرى ٩٦٣٧، وفي الصغرى ٥٣٣٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٣٩/٢.

والتخويف لهؤلاء الثلاثة، لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال: (يوم القيامة) الذي من افتضح في جمعه عظمت فضيحته، لأنها على رءوس الأشهاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٧٩٣، ٧٩٤).

الحديث رقم (٧٩٦)

٧٩٦- وعن أبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيم ﷺ ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لا يَقُولُ شَيْئًا إلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قالوا: رسولُ الله ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله -مرّتين- قَالَ: ((لاَ تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى[1]، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: أنْتَ رسول اللهِ؟ قَالَ: ((أنَا رسول الله الَّذِي إذَا أصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَه عَنْكَ، وَإذَا أصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أنْبَتَهَا لَكَ، وَإذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أوْ فَلاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ)) قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إلَيَّ. قَالَ: ((لاَ تَسُبَّنَّ أحَدًا)) قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلاَ عَبْدًا، وَلاَ بَعِيرًا، وَلاَ شَاةً، ((وَلاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وأنْ تُكَلِّمَ أخَاكَ وَأنْتَ مُنْبَسِطٌ إلَيْهِ وَجْهُكَ، إنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إزَارَكَ إلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإنْ أبَيْتَ فَإلَى الكَعْبَيْنِ، وَإيَّاكَ وَإسْبَالَ الإزَارِ فَإنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ. وَإنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المَخِيلَةَ؛ وَإن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ)) رواه أبو داود والترمذيُّ[2] بإسناد صحيح، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: هو سليم بن جابر أو جري الهجيمي.

مشهور بكنيته.

سكن البصرة، وله صُحبة ورواية عن النبي ﷺ وقد روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي، والنسائي[3].

---

(١) لفظ أبي داود: (الميت).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٨٤ واللفظ له، والترمذي ٢٧٢٢ ولم يذكر القصة. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧. وسيكرره المؤلف مختصرًا برقم ٨٥٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٦٤، ٥٣٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١١٧، الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٣/٧، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٧٤/٨، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٠٢/٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٨٧/١-٤٨٨.

غريب الألفاظ:

يصدر الناس عن رأيه: يقبلون قوله[١].

سَنَة: قحط وجدب[٢].

قفر: أرض خالية عن الماء والشجر[٣].

فلاة: الأرض الواسعة المقفرة[٤].

راحلتك: الراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال[٥].

اعهد إليَّ: أوصني بما أنتفع به[٦].

إزارك: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[٧].

إسبال الإزار: إرخاؤه وإرساله أسفل الكعبين[٨].

المخيلة: بمعنى الخيلاء والتكبر[٩].

وبال: العذاب في الآخرة[١٠].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قصصي قائم على الحوار، وفيه دلالة على فطنة الرسول ﷺ في التعامل مع الناس، وخطابهم على قدر عقولهم، وتبعاً لطبيعة كل واحد منهم تبدو من تأمل عبارات الحديث، فقول الرجل بدايةً (رَأَيْتُ رَجُلاً يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) تنكير

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ن و).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ق ف ر).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ل و).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ح ل).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٧) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٨) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤، ومعجم الفقهاء ٣٦.

(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ي ل).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ب ل).

كلمة رجل للتعظيم يدل على ذلك ما بعده، وقوله (يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ) استعارة حيث شبه الْمُنْصَرِفِينَ عَنْهُ ﷺ بَعْد تَوَجُّههمْ إِلَيْهِ لِسُؤَالِ مَعَادهمْ وَمَعَاشهمْ بِوَارِدَةٍ صَدَرُوا عَنْ الْمَنْهَل بَعْد الرِّيّ أَيْ يَنْصَرِفُونَ عَمَّا يَرَاهُ وَيَسْتَصْوِبُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، وفيها دلالة أن الرسول يحقق لكل سائل مطلبه كما يتحقق لكل من ورد المنهل ما يريد.

وقوله (لا يَقُولُ شَيْئًا إِلاَّ صَدَرُوا عَنْهُ) توكيد للجملة السابقة عن طريق أسلوب القصر الذي يقرر الطاعة المطلقة من الصحابة له ﷺ، وتنكيره لكلمة (شيئاً) يفيد التعميم، وقوله (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ) التكرار يدل على أن الرسول ﷺ لم يجبه في المرة الأولى؛ لأنه سلمَّ على عادتهم في الجاهلية يقولون عليك السلام، والتقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، متبوعة بالتعبير الصواب في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ قُلْ السَّلامُ عَلَيْكَ)، وقول الرسول ﷺ (قل السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدَّم اِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب وَالسَّمْع ذِكْر اِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلافِ الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك، وتلك طريقة القرآن في الدعاء بالخير يعمم كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ رَحْمَة اللَّه وَبَرَكَاته عَلَيْكُمْ أَهْل الْبَيْت﴾: وَقَوْله (وَسَلام عَلَيْهِ يَوْم وُلِدَ وَيَوْم يَمُوت): وَقَوْله: (سَلام عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ): وفي الدعاء بالشر يخص الظالمين :فَيُقَدَّم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ عَلَى الدُّعَاء غَالِبًا، كَقَوْلِهِ لإِبْلِيس ﴿ وَإِنَّ عَلَيْك لَعْنَتِي﴾: وَقَوْله ﴿ وَإِنَّ عَلَيْك اللَّعْنَة﴾: وَقَوْله ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَة السَّوْء﴾: وَقَوْله ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَب وَلَهُمْ عَذَاب شَدِيد﴾.

وإجابة الرسول ﷺ عن الاستفهام التقريري للرجل بقوله (أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ أَوْ فَلاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ) وكان من الممكن أن يكتفي بقوله أنا رسول الله، ولكنه ذكر بعدها ما يجول بنفس الرجل من مخاوف فبددها، وعمد إلى رغباته فحققها، تألفاً له على الإسلام، فما كان منه إلا أن قال (اعهد إلى: قال قَالَ لا تَسُبَّنَّ أَحَدًا) أكد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد، ونكّر المفعول للتعميم، وقول الرجل (فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلا عَبْدًا وَلا بَعِيرًا وَلا شَاةً) كناية عن شدة التزامه لأمر الرسول ﷺ، وفيها تدرج من الأعلى إلى الأدنى حيث ذكر الحر فالعبد فالبعير فالشاة.

وقوله: (وَلا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ) نهى عن الاستهانة بالمعروف مهما قل، وتنكير (شيئاً) للتعميم، ولذلك أكده بقوله (وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ) والضمير أنت للاختصاص، والتعبير باسم الفاعل منبسط دون الفعل تنبسط للدلالة على لزوم ذلك، وثباته، وقوله (إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ) توكيد للجملة السابقة، والإشارة فيه للتعظيم وقوله: (وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ) أمر توجيه، وإرشاد، وفيه تدرج رعاية لقدرة المخاطب.

وقوله (وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ) نهي مؤكد للأمر السابق عن طريق أسلوب التحذير، وقد علل هذا النهي بقوله) فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ) وقوله (وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ) استخدام (إن) كأداة شرط إشارة إلى ندرة حدوثه وهو من حسن الظن بالمسلمين، وقد علل النهي الذي ورد في سياق الشرط بجملة القصر (فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ) لتخصيص الهلاك به.

فقه الحديث

الأكمل في السلام: الأكمل أن يقول: السلام عليكم، بتأخير الجار والمجرور، فلو قال عليكم السلام أو عليك السلام، كان مخالفًا للأكمل. لما روى جابر بن سليم رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله قال: "لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى. ولكن قل: السلام عليك".

قال القرطبي: (لما جرت عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه في الشر كقولهم "عليه لعنة الله وغضب الله" نهاه عن ذلك. لا أن ذالك هو اللفظ المشروع في حق الموتى. لأنه عليه السلام ثبت عنه أنه سلّم على الموتى، كما سلّم على الأحياء، فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لا حقون))[١])[٢]. كما قال الغزالي: وعلى كل حال فيجب رد السلام[٣].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (وقد يحتمل أن حديث عائشة وغيره في السلام على أهل القبور جميعهم إذا دخلها وأشرف عليها، وحديث جابر بن سليم خاصٌ بالسلام على المزور المقصود بالزيارة والله أعلم)[٤].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يردبعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسه.وقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه)[٥].

قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل)[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعويين.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٧٤.

(٢) تفسير القرطبي ٦/٤٩٤-٤٩٥. وقد نقله عن أبي العباس القرطبي صاحب المفهم ٥/٤٨٥-٤٨٦.

(٣) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٨١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦/٤٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٦) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ص ١٦١.

خامسًا: من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون.

سادسًا: من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث بيان حال الصحابة ﷺ في اتباعهم وامتثالهم لأمر النبي ﷺ، وذلك من قول الراوي "رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه، لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه؛ (أي يأخذون منه كل ما حكم به ويقبلون حكمه)[1]، وأفاد الإخبار عن باقي توجيهات النبي ﷺ للراوي من عدم قول عليك السلام، وبيان قدرة الله عز وجل على كشف الضر وإجابة الدعوة، وكذلك التوجيه بعدم سب أحد من الناس، وعدم استقلال أو احتقار شيء من المعروف وإن كان قليلاً، ولقاء لناس بوجه منبسط بشوس، والتوجيه بعدم إسبال الثوب، وعدم رد الشتم والتعيير وإن تعرض له، وأن ذلك سوف يكون له عذابه في الآخرة فدعه لمن يفعله،

إن الإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على تبليغ دعوة ربه وسنة نبيه ﷺ، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الدعوة وإخبار المدعوين بها، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

(إن السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي يتحقق بها البيان العام لدى السائل عما خفي عنه، فضلاً عن وضع المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من قول الراوي: "قلت: من هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ".

---

(١) عون المعبود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم الأمير آبادي ص ١٧٥٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة، ٢/٥٨-٥٩.

وقول رسول الله ﷺ: "قلت: أنت رسول الله؟ قال: ... نعم"، فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تحقق المشاركة الفعالة في الحوار بين الداعية والمدعوين، فينبغي على الداعية تفعيله بسؤال المدعوين، وتشجيعهم على سؤاله، وإجابته على أسئلتهم.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تصحيح أخطاء المدعو:

إن من المهام الجليلة التي تناط بالداعية إلى الله تعالى، تصحيح أخطاء المدعو، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول النبي ﷺ: "لا تقل عليك السلام -عليك السلام تحية الموتى- قل: السلام عليكم" وقد بين الخطابي: (أن هذا يوهم أن السنة في تحية الميت أن يقال له عليك السلام كما يفعله كثير من العامة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه دخل المقبرة، فقال: "السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين... إلخ"[1]، فقدم الدعاء على اسم المدعو له، كما هو في تحية الأحياء، وإنما قال ذلك القول إشارة إلى ما جرت به العادة منهم في تحية الأموات، إذ كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء، وهو مذكور في أشعارهم، كقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء أن يترحما

وكقول الشَّماخ:

عليك سلام من أديم، وباركت ... يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّق

فالسنة لا تختلف في تحية الأحياء والأموات، بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ذكرناه، والله أعلم)[2].

(فعلى الداعية أن يصحح ما كان من أخطاء للمدعو، مع أهمية مراعاة لين الجانب والترفّع عن الغلظة، وأن ينظر إلى المدعو في ذلك بروح الناصح الشفيق، وبعطف الأب المخلص الرحيم، وبناء على ذلك يستطيع الداعية أن يملك على الناس قلوبهم، ويستحوذ

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧٣).

(٢) معالم السنن ٦/٤٨-٥٠.

على نفوسهم ومشاعرهم، بل يكون له في المجتمع أثر، وفي مجال الإصلاح تغيير، وفي سيرة الدعاة قدوة)[١].

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن بيان الحقائق وإظهارها يعد وبحق من أقرب السبل لتحقيق الغاية في الدعوة إلى الله، فهو السبيل الأمثل إلى قناعة العقول، ورضا النفوس، بما ينعكس على استجابة المدعو وقبوله للدعوة.

وهذا ما ورد في الحديث من بيان النبي ﷺ لقدرة الله وعظمته ورحمته وذلك في قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإذا أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك، فدعوته ردها عليك".

قال صاحب عون المعبود: (في قوله ﷺ "الذي إذا أصابك ... إلخ": صفة لله عز وجل "فدعوته": بصيغة الخطاب "كشفه عنك": أي دفعه عنك "عام سنة": أي قحط وجدب "أنبتها لك": أي صيرها ذات نبات أي بدلها خصبًا "بأرض قفر": بفتح القاف وسكون الفاء أي خالية عن الماء والشجر "أو فلاة" أي مفازة "فضلت راحلتك" أي ضاعت وغابت عنك "اعهد إلي" أي أوصني بما أنتفع به)[٢].

وفي أهمية بيان الحقائق للمدعوين قال د. البوطي: (يجب النظر في حال من ندعوه إلى الله تعالى ونبصره بحقائق الإسلام، وما استيقنه عقله من مبادئه الاعتقادية. فنبدأ معه من حيث وصل إليه وصولاً صحيحًا سليمًا. فإن لم يكن قد تجمع في يقينه العقلي أي شيء من حقائق الإسلام بعد، فلابد من الرجوع معه إلى النقطة الأساسية الأولى، ألا وهي وجود الله عز وجل، وعرض البراهين والأدلة العلمية على ذلك. ومن الخطأ الفادح أن تنزل بمثل هذا الإنسان إلى أي حقيقة أخرى تقف دون مسألة الإيمان بوجود الله،

---

(١) انظر: مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علوان، ١٩، ٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤.

فتحدثه عنها أو تناقشه فيها، أو أن تنقاد له إذا أراد أن يصرفك عن هذه المسألة الأساسية، إلى الخوض في أي المسائل الاعتقادية الأخرى المتفرعة عنها. بل إن عليك أن تعلم بأنك في انحرافك إلى هذه الخطيئة تبذل جهدًا ضائعًا لن تعود منه بأي جدوى، بل إن عليك أن تعلم بأن الرجل منطقي مع نفسه في ألا يصغي إلى شيء من براهينك التي تعرضها لتلك المسائل، التي تأتي في الترتيب المنهجي بعد مسألة اليقين بوجود الله عز وجل، وبألا يصدق بواحدة منها. وهو إن شغلك بهذه المسائل، مع جحوده بالله عز وجل، لا يفعل ذلك إلا صرفًا لك عن الأساس الأول، الذي يكمن فيه حل المعضلات كلها.

فإذا انتهيت معه إلى اليقين بوجود الله عز وجل. فقد آن لك عندئذ أن تنتقل معه إلى الحديث عن صفات الله عز وجل وما يليق به وما لا يليق.. فإذا انتهى معك إلى يقين بذلك، فقد آن أن تشرح له دلائل النبوات وبراهين نبوة الأنبياء جميعًا، ونبوة محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وأن تحدثه بعد ذلك عن القرآن ودلائل كونه كلام رب العالمين، وعن مظاهر الإعجاز فيه، ثم عن معنى الدين الذي أنزله الله على الأنبياء جميعًا وكيف أنه دين واحد، بل لا يمكن إلا أن يكون دينًا واحدًا، اتّحدت فيه العقيدة التي هي الأساس، وتطورت التشريعات التي هي الفروع.

واعلم أنه ما يكابر إنسان في جحود شيء من هذه الحقائق التي مغرسها اليقين العقلي، ويكون صادقًا مع نفسه في جحوده بها، إلا لأنه لم يفرغ بعد من فهم ما هو أصل لها. فعليك أن تجعل من الرجوع به إلى تلك الأصول، دليلاً يهديه إلى اليقين بهذا الذي يمعن في جحوده وإنكاره[1].

خامسًا - من فقه الداعية: مخاطبة المدعوين بما يفهمون:

إن من فقه الداعية أن يحدث جليسه بما يتناسب مع عقليته وثقافته، وبما يتفق مع عمره وفهمه، ومن أجل ذلك أمر نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام كل من يتصدى للتعليم والدعوة والإرشاد أن يحدِّث الناس بما يعرفون ويفهمون، حتى لا يُكذب الله

---

(١) هكذا فلندع إلى الإسلام، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٨-٦٠.

ورسوله، فقد روى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: ((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))[1] وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (ما أنت بمحدث قومًا حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)[2].

وقال الشافعي: (لو أن محمد بن الحسن كان يكلمنا على قدر عقله ما فهمنا عنه، ولكنه كان يكلمنا على قدر عقولنا فنفهمه)[3].

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في ذلك، وهذا ما ورد في نص الحديث من حديثه ﷺ بما يتفق وفهم الراوي وذلك من قوله ﷺ "أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك... إلخ" فقد أخذ رسول الله ﷺ في ذكر الأمثلة والنماذج من واقع البيئة التي يعيشها الرجل، وذكّره بالأمور ذات الاهتمام الكبير في حياته ومعايشته اليومية. وفي بيان أهمية المخاطبة على قدر الفهم قال: عبدالله ناصح علوان: (وكم يعيب الداعية أن يحدث قومًا عن الذرّة وأسرارها، والكواكب وأبراجها، والأرض ودورانها، والعلوم ومعارفها، والقوم الذين يجالسهم لا يقرؤون ولا يكتبون، وفي غمرات الجهالة سادرون!

وكم يكون الداعية فاشلاً حين يكون في بيئة لا تؤمن بدروان الأرض ولا بحركتها، بل تعتبر من يقول هذا كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام! كم يكون فاشلاً حين يسفّه رأي أهلها، ويرميهم بالجهل المطبق، والضلال المبين!

من أجل هذا أمر نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه الدعاة والعلماء والمرشدين في كل زمان ومكان، أن يحدثوا الناس بما تحمله عقولهم، حتى لا يقعوا في الفتنة.

وكم يكون الداعية غير موفق حين يجلس مع قوم من الملاحدة الماديين، ويحدثهم عن الروح، وسؤال الملكين، والبعث، والحساب، والجنة والنار. وهم لا يؤمنون أصلاً إلا بما تراه حواسّهم، ولا يعتقدون إلا ما كان خاضعًا للتجربة والحس، وداخلاً في

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ٥، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/١٦٥.

نطاق المشاهدة والواقع، فمن الطبيعي أن يهزؤوا منه، ويستهتروا به، ويتولوا عنه.

وكم يكون الداعية غير مسدَّد حين يجلس مع طبقة من المثقفين الذين لم يخالط الإيمان بشاشة قلوبهم! وذهب يحدثهم عن كرامات الأولياء، وعن وظائف الملائكة، وعن أخبار الجن. وهم ليسوا من الوعي الناضج، والإيمان المكين، والثقافة الإسلامية الشاملة. حتى يُسلّموا بها، ويصدّقوا أخبار الوحي فيها)[1].

ومن أجل هذا أمر النبي ﷺ بمخاطبة الناس على قدر فهمهم ومعرفتهم، فعلى الداعية الموفق أن يأخذ بالمبدأ الذي رسمه رسول الله ﷺ في ذلك.

سادسًا - من آداب المدعو: سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي عليه فعله:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "قلت: اعهد إليَّ قال... إلخ" وهذا ما أمر الله تعالى به عباده فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[2] قال السعدي في هذه الآية الكريمة: (...إنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم، إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه)[3]. وفي ذلك بيان على سؤال أهل الإيمان والفضل عما ينبغي على المرء فعله.

سابعًا - من موضوعات الدعوة: البعد عن السباب، وعدم احتقار المعروف والبشاشة مع الناس:

(لقد جاء الإسلام لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته...، وقد أحصى الإسلام الفضائل، وحث أتباعه على التمسك بها، ولو جمعنا أقوال صاحب

---

(١) كيف يدعو الداعية ٤٠-٤١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

الرسالة في التحلي بالأخلاق الزاكية، لخرجنا بسِفر لا يعرف مثله، لعظيم من أئمة الإصلاح)[١].

وكان من ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "لا تسب أحدًا" وقوله "ولا تحقرن من المعروف شيئًا وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف".

(وفي ذلك بيان على أن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها، كانت تنشد كمال الأخلاق، وإنارة آفاق الكمال)[٢].

وخير دليل على ذلك ما ورد في الحديث من الترفع عن السباب، وذلك بقوله ﷺ "لا تسب أحدًا"، (وما ذلك إلا لشرف النفس وعلو الهمة)[٣]، وقد رهب النبي ﷺ من السباب قائلاً: ((سِبابُ المُسْلِمِ فُسوقٌ وَقِتالُه كُفْر))[٤] (والسب في اللغة الشتم والتكلم في عرض الإنسان بما يعيبه، والفسق في اللغة الخروج، والمراد به في الشرع الخروج عن الطاعة)[٥].

وقد كان من مكارم الأخلاق وعظيم الآداب التي وردت في نص الحديث، هي عدم احتقار المعروف، وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتِها ولو فِرْسَنَ شاةٍ))[٦] أي: (لا تحقر أن تهدي إلى جارتها شيئًا ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب)[٧].

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧.

(٣) سوء الخلق، محمد إبراهيم الحمد، ١٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨، ومسلم ٦٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٨.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠١٧.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٥٩/١٠.

وقد كان من الآداب ومحاسن الأخلاق الواردة في الحديث، البشاشة مع الناس (والبشاشة إدام العلماء وسجية الحكماء، لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بشَّ للناس وجهًا لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك)[1]، ولله درّ القائل:

(أخو البشر محبوب على حسن بشره ... ولن يَعدم البغضاء من كان عابسًا

ويسرع بُخلُ المرء في هتك عرضه ... ولم أر مثل الجود للمرء حارسًا

وأيضًا قول:

إلقَ بالبشر من لقيت من الناس ... جميعًا ولا قِهِمْ بالطلاقَهْ

تجنِ منهُم جَنَي ثمار، فخذها ... طيبًا طَعمُه لذيذَ المذاقَهْ)[2]

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الإسبال:

يؤكد الحديث ما أفادته أحاديث الباب من النهي عن إسبال الإزار وما في ذلك من المخيلة، وهذا ما ظهر جليًا من قوله ﷺ "وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة" والمسبل كما بينه النووي هو: (المرخي له الجار طرفه خيلاء)[3]. وقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال: ((لا يَنظر الله يومَ القيامةِ إلى من جَرَّ إزارَه بطرًا))[4] وقال: ((مَن جرَّ ثوبَه خُيلاء لم ينظرِ الله إليه يومَ القيامة. فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن إزاري يسترخي، إلاَّ أن أتعاهدَه. فقال له رسول الله: إنَّكَ لستَ مِمَّنْ يفعلُه خُيلاء))[5]، قال القاري: (المعنى أن استرخاءه من غير قصد لا يضر، لاسيما ممن لا يكون من شيمته الخيلاء، ولكن الأفضل هو المتابعة، وبه يظهر أن سبب الحرمة في جر الإزار هو الخيلاء كما هو مفيد

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، أبي حاتم البستي، ٧٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٨٣.

(٥) أخرجه البخاري ٣٦٦٥، ومسلم ٢٠٨٥.

في الشرطية من الحديث...، وقال ابن عبد البر: مفهومه أن الجار لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد إلا أنه مذموم...)[١].

وفي ذلك بيان على خطورة الإسبال المرادبه المخيلة والكبر، لما فيه من شدة الوعيد والعذاب من الله تعالى.

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤.

الحديث رقم (٧٩٧)

٧٩٧-وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مسبلٌ إزَارَهُ، قَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: ((اذْهَبْ فَتَوَضَّأ)) فَقَالَ لَهُ رجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، مَا لَكَ أمَرْتَهُ أنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ قَالَ: ((إنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إزَارَهُ، وَإنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ صَلاَةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مسبل إزاره: إسبال الإزار إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[2].

الشرح الأدبي

بداية الحديث خبرية فيها شيء من المفاجأة التي تشي بها (بينما.... إذ) وتنكير كلمة (رجل) للإفراد ، وجملة (يصلي) صفة للرجل، (ومسبلاً إزاره) حال مبينة لهيئة صاحبها ، وكاشفة عن موضع الخطأ ، وقول الرسول ﷺ (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) أمر قصد به اللفت، والتنبيه على الخطأ ؛وذلك لأن الصلاة حال تواضع، وإسبال الإزار فعل متكبر فتعارضا ، والفاء الداخلة على الفعل الماضي (فذهب) توحي بسرعة استجابته لرسول الله ﷺ ، وأنه لم يفهم مقصده من الأمر فكرر له الأمر (اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ) وتتابع الفاءات بين جمل الحديث دليل على عدم انتظار الرسول ﷺ وعدم تأخر الرجل في الإجابة ، وقول السائل الثاني (فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا رَسُولَ

---

(١) برقم ٤٠٨٦ بهذا اللفظ، وكذا برقم ٦٣٨ بدون قوله: (ثمَّ سكت عنه).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٥٤ ، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

اللَّهِ مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ) استفهام تعجب لعدم علمه بسبب تكرار الأمر، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتكشف السر (إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ) وقد أكد الجملة بأكثر من مؤكد منها (أن)، واسمية الجملة وصياغة جملة خبر (أن) في الماضي الدال على التحقق، والضمير المنفصل (هو)، وقد صعَّد توكيدها بجملة (وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ إِزَارَهُ) ترهيباً من هذا الفعل، وبياناً لخطره.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

لقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة الحسنة في تفقد أحوال المدعوين والتعرف على أحوالهم، كي يرشدهم إلى فعل ما يجب عليهم بما يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من تفقد النبي ﷺ لمن أسبل إزاره، وتوجيهه إلى ما يجب عليه، وذلك في قوله ﷺ "اذْهَبْ فتوضأْ" وقد بين ابن القيم: وجه الحديث في قوله: "والله أعلم - إن إسبال الإزار معصية. وكل من واقع معصية فإنه يؤمر بالوضوء والصلاة. فإن الوضوء يطفئ حريق المعصية"[1].

وفي ذلك بيان على تفقد النبي ﷺ لأحوال المدعوين، مع بيانه ﷺ لما يجب عليهم من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع النبي ﷺ والاقتداء به، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2]،

---

(١) تهذيب سنن أبي داود ٦/٥٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١ .

فعلى الدعاة أن يمتثلوا أمره، ويقتدوا نهجه، في تفقد أحوال المدعوين، وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وليس أدل على ذلك من قول عبدالله بن عمر: «إنَّ عُمَرَ بنَ الخطابِ ﷺ بَيْنَمَا هو يَخْطُبُ الناسَ يومَ الجُمُعَةِ دَخَلَ رَجُلٌ من أصحابِ رسولَ الله ﷺ، فَنَادَاهُ عُمَرُ: أَيَّةُ ساعةٍ هَذِهِ، فقالَ: إنِّي شُغِلْتُ اليومَ فَلَمْ أَنْقَلِبْ إلى أَهْلِي حَتَّى سمعتُ النداءَ، فَلَمْ أَزِدْ عَلَى أَنْ توضأتُ، فقالَ عُمَرُ ﷺ: والوُضُوْءَ أيضًا، وقد عَلِمْتَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَأْمُرُ بالغُسْلِ»[1]. قال النووي: "وفي الحديث تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة، وإن كان كبير القدر"[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد الأمر كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ «اذْهَبْ فتوضأْ»، والأمر من الأساليب الدعوية، التي تعين الداعية على حمل المدعو، وتوجيهه إلى فعل الأمر المدعو إليه لما فيه من خير له في الدنيا والآخرة.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

"إن الاستجابة لأوامر النبي ﷺ، من أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، وقد استفاضت نصوص الشريعة الإسلامية في بيان ذلك والتأكيد عليه"[3]، فقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[5]، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[6] قال ابن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٧٨، ومسلم ٢٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥٦.

(٣) انظر: اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل على البعداني، ضمن كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٩٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

كثير: "أى: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه يأمر بخير وإنما ينهي عن شر"[١].

وما كان مخالفًا لذلك فهو مردود باطل غير معتد به، لقوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢]. "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات"[٣].

وقد عظّمت الشريعة الإسلامية فضل الاستجابة لأمر النبي ﷺ في جعله سببًا لمحبة الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤]، قال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس على نهج النبي ﷺ فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحنيف وهدي النبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وأحواله"[٥]، وقال ابن تيمية: "فجعل تعالى محبة العبد لربه موجبة لاتباع الرسول، وجعل متابعة الرسول سببًا لمحبة الله عبده"[٦].

وقد بين ابن القيم ذلك في قوله: "إن أصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وان يكون الحب كله لله. فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبّه. وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها؛ فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه. فعند اتباع الأمر واجتناب النهي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١ .

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢/٢

(٦) الفتاوى ٨/١.

تتبين حقيقة العبودية والمحبة.

ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علمًا عليها، وشاهدًا لمن ادعاها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1]، فجعل اتباع رسوله مشروطًا بمحبتهم لله، وشرطًا لمحبة الله لهم. ووجود المشروط ممتنع بدون وجود شرطه وتحققه بتحققه، فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة. فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله، وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم. فيستحيل إذًا ثبوت محبتهم لله، وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله"[2].

فعلى المدعو أن يمتثل لأمر النبي ﷺ في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من امتثال الرجل لأمر النبي ﷺ في قوله «اذْهَبْ فتوضأْ» قال أبو هريرة رضي الله عنه «فذَهَب فتوضأ».

رابعًا - من آداب المدعو: الاستفسار عما التبس عليه:

إن مما يجعل المرء على بصيرة من دينه وبينة من أمر ربه، هو سؤاله لأهل العلم عما خفى عنه، والتبس عليه من أمور، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، قال السعدي: أي: "إن الله أمر من لا يعلم، بالرجوع إلى أهل العلم، في جميع الحوادث"[4].

وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول الراوي: فقال له رجل: يارسول الله، مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟.

وقد كان صحابة رسول الله ﷺ أكثر الناس حرصًا على سؤال النبي ﷺ،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٠٣/١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

رغبة منهم في الحصول على الخير وتحصيل العلم، فضلاً عن كشف ما خفي والتبس عليهم من أمور، وأمثلة ذلك في السنة النبوية كثيرة، منها ما رواه المقداد بن عمرو رضي الله عنه أنه قال: ((يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطَعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: لا تقتله فإن قتلْتَه، فإنه بمنزلتكَ قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[1]. وفي مقابل ذلك نجد النبي ﷺ قد رهب من كتم العلم وعدم إيضاحه فقال: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ الله بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2].

قال الخطابي: "الممسك عن الكلام مُمَثَّل بمن ألجم نفسه. كما يقال: التقىُّ ملجم. وكقول الناس: كلِّم فلانًا فاحتج عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته.

والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار. وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة بالذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه. كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا الوعيد والعقوبة، وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٦٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٣١٠٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٤) معالم السنن ٢٥١/٥٥، ٢٥٢.

وما يؤكد ذلك ويبينه، قول أبي هريرة ﷺ: ((حَفِظْتُ عن رسولِ اللّهِ ﷺ وِعاءَينِ: فأمّا أحدُهما فبَثَثْتُه، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثْتُه قُطِعَ هذا البُلْعوم))[1]. قال الذهبي: "هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البينات والهدى"[2].

وقال شعيب الأرنؤوط: "وقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبثه على الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم. وقد كان أبو هريرة ﷺ يكنى عن بعضه، ولا يصرح به خوفًا على نفسه منهم...، وقال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم، حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا، وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة ﷺ بقوله: قطع، أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها"[3].

وفي ذلك بيان على أهمية السؤال والاستفسار عما خفى، فضلاً عن أهمية إجابة السائل عن سؤاله من قبل العلماء.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة:

يؤكد الحديث على ما مضى من النهي عن إسبال الإزار، وأنه يعتبر خطيئة يؤاخذ عليها المسلم، وفي أمر المسبل بالوضوء إشعارًا له بارتكابه معصية، وقد استقر في نفوس المؤمنين أن الوضوء يكفر الخطايا ويزيل أسبابها كالغضب ونحوه، وقال الطيبي: "لعل السر في أمره بالتوضي - وهو طاهر- أن يتفكر الرجل في سبب ذلك الأمر، فيقف على ما ارتكبه من شنعاء، وأن الله تعالى ببركة أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بطهارة الظاهر يطهر باطنه من التكبر والخيلاء؛ لأن طهارة الظاهر

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٩٧/٢.

(٣) تعليق شعيب الأرنؤوط على سير أعلام النبلاء، ٥٩٧/٢.

مؤثرة في طهارة الباطن؛ فعلى هذا ينبغي أن يعبر كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أن الله لا يقبل صلاة المتكبر المختال، فتأمل في طريق هذا التشبيه، ولطف هذا الإرشاد"[١].

وقال ابن الأعرابي: "إن المسبل الذي يطول ثوبه، ويرسله إلى الأرض، يفعل ذلك تبخترًا واختيالاً، وقال المظهر: في قوله ﷺ: "وإن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل" أى إن الله تعالى لا يقبل كمال صلاة رجل يطول ذيله"[٢].

وفي ذلك بيان على الترهيب من إسبال الإزار في الصلاة، وما يؤكد ذلك قوله ﷺ: ((مَنْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ فِي صَلاَتِهِ خُيَلاءَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ جَلّ ذِكْرُهُ فِي حِلٍّ، وَلاَ حَرَامٍ))[٣]، وفي ذلك قال صاحب عون المعبود: "إن الإسبال تطويل الثوب وإرساله إلى الأرض إذا مشى كبرًا...، وفي قوله ﷺ: "فليس من الله في حل ولا حرم"، أى في أن يجعله في حل من الذنوب، وهو أن يغفر له، ولا في أن يمنعه ويحفظه من سوء الأعمال، أو في أن يحل له الجنة وفي أن يحرم عليه النار، أو ليس هو في فعل حلال ولا له احترام عند الله تعالى، وفي قوله ﷺ "خيلاء": أي "تكبرًا وعجبًا"[٤].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢/٢٦٧-٢٦٨.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٦٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٦٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٩٥).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٣١٣.

الحديث رقم (٧٩٨)

٧٩٨- وعن قيس بن بشر التَّغْلِبيِّ، قَالَ: أخْبَرَني أبي - وكان جَلِيسًا لأَبي الدرداء- قَالَ: كَانَ بِدمَشْق رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ يقال لَهُ (سهل) بن الْحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلاً مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إنَّمَا هُوَ صَلاَةٌ، فإذا فَرَغَ فَإنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأتي أهْلَهُ، فَمَرَّ بنا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبي الدَّرداء، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدرداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ. قَالَ: بَعَثَ رسول الله ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ في المَجْلِسِ الَّذي يَجْلِسُ فيهِ رسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إلَى جَنْبِهِ: لَوْ رَأيْتَنَا حِيْنَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي، وَأنَا الغُلاَمُ الغِفَاريُّ، كَيْفَ تَرَى في قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أرَاهُ إلاَّ قَدْ بَطَلَ أجْرُهُ. فَسَمِعَ بِذلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أرَى بِذلِكَ بَأسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ الله؟ لاَ بَاسَ أنْ يُؤجَرَ وَيُحْمَدَ)) فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاء سُرَّ بِذلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأسَهُ إلَيْهِ، وَيَقُولُ: أأنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُول الله ﷺ؟ فيقول: نَعَمْ، فما زال يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إنِّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ لنا رسول الله ﷺ: ((**المُنْفِقُ عَلَى الخَيْلِ، كَالبَاسِطِ يَدَهُ**[1] **بالصَّدَقَةِ لاَ يَقْبِضُهَا**)).

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَومًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيمٌ الأسَديُّ! لولا طُولُ جُمَّتِهِ وَإسْبَالُ إزَارِهِ!**)) فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إزارَهُ إلَى أنْصَافِ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداء: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلاَ تَضُرُّكَ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((**إنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إخْوانِكُمْ، فَأصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأنَّكُمْ شَامَةٌ في النَّاسِ؛ فإنَّ الله لاَ يُحِبُّ الفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّش**)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ حسنٍ، إلاَّ قيس بن بشر فاختلفوا في توثيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ[3]، وَقَدْ

---

(١) لفظ أبي داود: (يديه).

(٢) برقم ٤٠٨٩. وأخرج الحاكم ١٨٣/٤ مختصرًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) قال أبو حاتم، الجرح والتعديل ١٢٥/٧: ما أرى بحديثه بأسًا، وذكره ابن حبان في ثقاته ٣٠٣/٧، ولم أرَ من ضعَّفه.

روى لَهُ مسلم[١].

ترجمة الراوي:

ابن الحنظلية: وهو سهل بن عمر وقيل سهل بن الربيع، والحنظلية أمه فنسب إليها. وقيل جدته، وقيل أم جده.

وله صحبة ورواية، وقد بايع تحت الشجرة، وشهد أحدًا والخندق، والمشاهد كلها إلا بدرًا.

نزل الشام وسكن دمشق، وكان عقيمًا لا يولد له، وكان يقول: لأن يولد لي في الإسلام ولدٌ سَقْطٌ فأحتسبه، أحبُ إليَّ من أن تكونَ لي الدنيا جميعًا وما فيها، وكان رضي الله عنه فاضلاً، متوحدًا قلَّ ما يجالس الناس، كثير الصلاة والذكر، وكان لا يزال يصلي ما دام في المسجد، فإذا انصرف لا يزال ذاكرًا من تسبيح وتهليل حتى يأتي أهله.

وقد روى له البخاري في الأدب، وأحمد وأبوداود والنسائي.

وتوفي ابن الحنظلية في صدر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٢].

غريب الألفاظ:

متوحدًا: منفردًا عن الناس لا يخالطهم ولا يُجالسهم[٣].

السرية: طائفة من الجيش أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري أي النفيس[٤].

---

(١) لم يرو له غير أبي داود كما في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥/٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠١/٧، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٠٨، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٢/٢، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٢٣/٣، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٢٣/٢، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٤٧، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٩٦٥/٢-٩٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ح د).

(٤) المرجع السابق في (سرى).

ما أُرَاه: ما أظنه[١].

جمته: الجُمَّة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين[٢].

إسبال إزاره: إرخاؤه وإرساله إلى أسفل من الكعبين[٣].

شفرة: أي سكينًا[٤].

الشامة: علامة في البدن يخالف لونها لون سائره، والمراد: ظاهرون في الناس كالشامة في الجسد[٥].

التفحش: تعمد وتكلف الفحش[٦].

الشرح الأدبي

يتميز هذا الحديث بطوله كما أنه بني على الحوار متعدد الأطراف كما تعددت فيه القصص التي تخللتها توجيهات نبوية، عالجت قضايا مختلفة، وقد دار الحوار حول رجل من أصحاب النبي وهو ابن الحنظلية وأدار الحوار أبو الدرداء، وقد وصف ابن الحنظلية بأنه (متوحد) أي معتزلاً الناس منشغل بالعبادة، والذكر، ولذلك وصفه بأسلوب القصر في قوله: (إِنَّمَا هُوَ صَلاةٌ فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ) أي مقصور على الصلاة لا يتعداها لغيرها حتى يفرغ، ثم ينقطع إلى الذكر، وقد بالغ في وصفه بالانقطاع لهذه الأمور فوصفه بالمصدر (هو صلاة... هو تسبيح، وتكبير) هذا الملخص لوصفه يشير إلى أنه كان لا يتكلم مع أحد إلا نادراً، وقول أبي الدرداء له (كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلا تَضُرُّكَ) فيه إيجاز بحذف فعل الأمر أي: قل لنا، وسر الحذف رعاية طبيعة الرجل الذي لا يحب أن ينشغل عن ذكر الله، ولذلك لم يحدثه بهذا الحديث في

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (رأى).

(٢) المرجع السابق في (ج م م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ش ي م).

(٦) المرجع السابق في (ف ح ش).

يوم واحد بل حدَّثه به يوماً بعد يوم؛ فحدثه بعدة توجيهات نبوية أولها: عن أثر ثناء الناس على العمل الصالح، فجاءت إجابة الرسول ﷺ (سُبْحَانَ اللَّهِ لا بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ) البداية بأسلوب التعجب السماعي بهذه الجملة التنزيهية إشارة إلى تعجبه، وإنكاره لاختلافهم في هذا الأمر مع ظهوره، وقوله: (لا بأس) أي لا ضرر في الجمع بين الأجر، والحمد، وقول الراوي عن أبي الدرداء (حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ) كناية عن شدة فرحه بما سمع، وثانيها: عن الإنفاق على الخيل فكان التوجيه النبوي (الْمُنْفِقُ عَلَى الْخَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لا يَقْبِضُهَا) وهو تشبيه للمنفق على الخيل بالذي لا تنقطع صدقته، ووجه الشبه دوام الأجر، والتشبيه يثمِّن غالياً قيمة الإنفاق على ما فيه قوة للمسلمين، ونصر لهم.

وثالثها: تقويم بعض الأخطاء عن طريق المدح، والاستثناء في قوله ﷺ (نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ) وهو أسلوب نقد بناء يلوِّح بالكمال بمدح إنسان، ويعلقه على ترك خصلة مكروهة حتي يتركها، وقد فعل الصحابي فور سماعه ما يوجب كماله، وترك ما يمنعه عن هذا الفضل.

ورابعها: قوله ﷺ (إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ) وهذا التوجيه يجعل للمؤمنين خصوصية يعرفون بها تقوم على إصلاح الظاهر، وإصلاح الباطن، وإصلاح كل ما حولهم حتى يصلح بصلاحهم الكون كله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله.

ثانيًا: من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل، وبيان فضله.

خامسًا: من آداب المدعو: البعد عن الإسبال.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

سابعًا: من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: المحافظة على الصلاة وكثرة ذكر الله:

لقد شرع الله تعالى لعباده ما يحفظ عليهم إيمانهم، ويقي فطرتهم من طغيان المادة واستحواذ الغفلة على القلب والروح، فأوجب عليهم الصلاة، وأمرهم بكثرة ذكر تعالى، تحقيقًا لحياة القلوب وسكينة النفوس.

وهذا ما أشار إليه الحديث من فعل ابن الحنظلية ﷺ في كونه رجلاً متوحدًا قلما يجالس الناس، إنما هو صلاة، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير حتى يأتي أهله.

"وقد كانت الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة، والاطّراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع، المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل، فالمؤمن في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: «وجُعل قرة عيني في الصلاة»[1]. وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: «يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»[2]»[3].

"وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة، والفحشاء والمنكر، والتمتع بالمتعة الرخيصة، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[4]. وذلك لأنها تصرف صاحبها من جهة إلى جهة، ومن ذوق إلى ذوق، ومن طلب إلى طلب، ومن تفكير إلى تفكير، ومن سفساف الأمور إلى معاليها، وتحبب إليه الإيمان، وتزينه

---

(١) أخرجه النسائي، ٣٩٣٩، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

(٢) أخرجه أبو داود، ٤٩٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

(٣) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن الندوي، ٢٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

في قلبه، وتكرُه إليه الكفر والفسوق والعصيان، هذا، إذا كانت الصلاة حقيقية تتدفق بالحياة، وتفيض بالحرارة والقوة، ولذلك لما فوجئ قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد، والفضيلة والتقوى، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيف، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف، فقد ولد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع، فلم يجدوا في حياته شيئًا أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها، ويتعجبون لحُسنها وطولها، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[1].

وقد هيأ الله بتشريعه الحكيم لها جوًا من الإجلال والتعظيم، ومن الخشوع والرقة، ومن الجد والرزانة، ومن الوقار والسكينة، ومن التعاون والاجتماع، مالا يوجد له نظير لعبادة أو نسك في دين آخر، وفي ملة أخرى"[2].

أما ذكر الله فهو: "قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[3]"[4].

---

(١) سورة هود، آية: ٨٧.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٤٩.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ٣٣٢.

ومن أجل ذلك "أمر تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لمالهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب"[1]، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[2].

قال القرطبي: "أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه، قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله....، وفي قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3]"[4].

"ولقد كان النبي ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا، وينفث شذى، تعمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس، ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته"[5].

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٢١/٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣ .

(٣) سورة غافر، آية: ٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٧/١٧-١٦٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر الزهراني، ٣٣٤.

مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[1].

قال الطيبي: "قال ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل عل أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجره على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. وقال "الأشرف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم، إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسني، والمطلوب الأعلى"[2].

وقال ابن حجر: "بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار، فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار ذلك، وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية"[3].

ثانيًا - من صفات الداعية: الرغبة والسعي في تحصيل العلم:

"إن زاد العلم والثقافة والسعي في تحصيل العلم من آكد الواجبات التي تقع على عاتق الداعية، حتى يجد الناس عنده إجابة عن التساؤلات، وحلول المشكلات، إضافة إلى أن ذلك هو العدة التي بها يعلّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه"[4].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٣٣٤/٤، ٣٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢١٣/١١.

(٤) انظر: مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ٥٧.

وهذا ما ورد في نص الحديث من طلب أبي الدرداء ﷺ المتكرر من ابن الحنظلية ﷺ، أن يبذل له العلم وذلك في قوله: "كلمة تنفعنا ولا تضرك".

فلابد للداعية أن يوقن "أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]؟، فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل، لما قد خُصّ به العالم من فضيلة العلم"[2].

"فالداعية الآخذ بالعلم آخذ بالبداية الصحيحة، إذ العلم مقدم على القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[3]، وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4].

والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[5]، فقد جعل الله الأمة فرقتين "أوجب على إحداهما الجهاد في سبيله، وعلى الأخرى التفقه في دينه، لئلا ينقطع جميعهم عن الجهاد فتندرس الشريعة، ولا يتوفروا على طلب العلم فتغلب الكفار على الملة، فحرس بيضة الإسلام بالمجاهدين، وحفظ شريعة الإيمان بالمتعلمين، وأمر بالرجوع إليهم في النوازل وسؤالهم عن الحوادث فقال عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤١.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٦) سورة النحل، آية: ٤٣.

ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾[1].

وإذا سلك الداعية طريق العلم حظى بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا من طرق الجنة»[2].

وإذا نال الداعية حظًا وافيًا من العلم واندرج في سلك طلبة العلم فإنه يكون في مجتمعه نبراسًا يُهتدى به.

كما قال ابن القيم عن الفقهاء: "إنهم يكونوا في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يُهتدى في الظلماء، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء"[3]، وعندما يتحرك الداعية ناشرًا علمه ساعيًا بين الناس بالإصلاح، ناعيًا عليهم الغفلة والفساد، فإنه يحظى بشرف الوصف، الذي ذكره الإمام أحمد حين قال: "الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"[4]"[5].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: النية وأثرها في قبول العمل:

"إن النية هي أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[6]، "وهي روح العمل ولبّه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٣.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٦٤١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٤) المرجع السابق ١٨.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ٦٣-٦٥.

(٦) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٥٢/٤.

كفتا وشفتا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[١].

فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[٢].

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: "سبحان الله؟ لابأس أن يؤجر ويحمد" وذلك بعد أن ذكر الرجل موقفه وشجاعته في الحرب، دون أن يقصد من ذلك الرياء والمحمده.

"فإذا عمل المرء العمل لله خالصا، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضره ذلك"[٣]. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أنه سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير ويحمده الناس عليه فقال: "تلك عاجل بشرى المؤمن»[٤]. وفي ذلك بيان على أهمية النية في الأعمال.

وهذا ما أكده "الحافظ أبو الحسن الأندلسي في قوله:

عمدة الدين عندنا كلمات ... أربع من كلام خير البريَّة

اتق الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملنَّ بنيَّة[٥]"

فعلى المرء أن يجعل نيته لله في جميع أفعاله وأحواله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: رباط الخيل في سبيل الله وبيان فضله:

إن الجهاد في سبيل الله من كمال الإيمان وحسن الإسلام، به تمحص القلوب

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم، ١٩٠٧.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٨٣/١.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٦٤٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ٦٣/١.

وتختبر النفوس، وحاصله أن يبذل الإنسان نفسه وماله ابتغاء مرضاة الله تعالى، وكان من ذلك إعداد كل ما يلزم للجهاد من قوة وعتاد.

وهذا ما رغب إليه الحديث من قوله ﷺ: "المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها".

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ "المنفق على الخيل" "أى إذا كان ربطه بقصد الجهاد في سبيل الله"[(١)].

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[(٢)].

قال ابن عاشور: ("والرباط" صيغة مفاعلة أُتِيَ بها هنا للمبالغة لتدلّ على قصد الكثرة من ربط الخيل للغزو، أي احتباسها وربطها انتظارًا للغزو عليها) [(٣)].

وقال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاء بأس العدو وهجومه. ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا، عظيمًا، أبيّ الضيم، قوى القنا، جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلطته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد، وعاش بنوه أحقابًا متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة الشعوب، وزمام الحول والطول، وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف، فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر الحرب، بل كلها مما

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٥٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥/١٠/٥٧.

يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به، قبل أن يداهم ما بقى منها بخيله ورجله، فيقضي -والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار"[١].

"وإذا قد كان إعداد القوة يستدعي إنفاقًا، وكانت النفوس شحيحة بالمال، تكفل الله للمنفقين في سبيله بإخلاف ما أنفقوه والإثابة عليه، فقال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾[٢]. فسبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمته، والتوفية: أداء الحق كاملاً، جعل الله ذلك الإنفاق كالقرض لله، وجعل على الإنفاق جزاء، فسمى جزاءه توفية على طريقة الاستعارة المكنية، وتدل التوفية على أنه يشمل الأجر في الدنيا مع أجر الآخرة"[٣].

وقد رغب النبي ﷺ في إعداد القوة والتماس أسبابها فقال: «مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ فَإِنْ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْنِي حَسَنَاتٍ»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله فالخيل؟ قال: ((الخيل ثلاثة: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٥/٨/٨٥-٨٦.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠ .

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/١٠/٥٧-٥٨.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٨٥٣.

الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إِلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))[١].

خامسًا - من آداب المدعو: البعد عن الإسبال:

هذا ما أفاده الحديث من قوله ﷺ: " نعم الرجل خُرَيْم الأسدي لولا طول جمته وإسبال إزاره"، وقد رهب النبي ﷺ من إسبال الإزار كبرًا وعجبًا فقال: «لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»[٢].

قال النووي: "قال العلماء: الخيلاء بالمد والمخيلة والبطر والكبر والزهو والتبخر كلها بمعنى واحد وهو حرام، ويقال: خال الرجل واختال اختيالاً إذا تكبر، وهو رجل خال أى متكبر، وصاحب خال أي صاحب كبر، ومعنى لا ينظر الله إليه آى لا يرحمه أو لا ينظر إليه نظر رحمه)[٣]، وقال ﷺ: ((الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٤]. "وفي هذا الحديث، دلالة على عدم اختصاص الإسبال بالإزار بل يكون في القميص والعمامة"[٥]، فعلى المدعو أن يجتنب ما رهب ونهى عنه النبي ﷺ.

سادسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ: "نعم الرجل خريم الأسدي"، "فالمدعو يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب" [٦]، فالترغيب

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣٧١، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٠).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادى، ١٧٥٨.

(٦) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٥١٣.

من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية لحمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "نعم الرجل".

وفي ذلك مدح لمن أؤتمن عليه من الفتنة، وترغيب له في إتيان الأعمال التي تكمل له ثوابه، وهي كما في الحديث كقص شعر رأسه وتقصير ثوبه، وهو ما سارع إليه خريم حيث قصّ شعر رأسه وثوبه بشفرة، فحصل بذلك عظيم الفائدة من الترغيب والمدح المحمود، وهذا من الحكمة التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية في دعوته.

سابعًا - من آداب المدعو: التجمل وحسن المظهر وتحسين الهيئة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ " إنّكمْ قادِمُونَ على إخْوانِكمْ فأصْلِحُوا رِحالَكمْ وأصْلِحُوا لِباسَكمْ حَتَّى تكونُوا كأنّكمْ شامَةٌ في النَّاسِ فإنّ اللهَ لا يُحِبُّ الفحْشَ ولا التَّفَحُّشَ"، "وقد كان هدية ﷺ وسنته لبس الثياب البيض والحرص على نظافتها والحرص على التطيب، والحث عليه وترجيل الشعر ودهنه وتغيير الشيب - بغير السواد - وما شابه ذلك مما هو معروف ومشهور؛ وكل ذلك في الحقيقة مؤشرٌ إلى الاهتمام بالناس والإحساس بالذائقة الجمالية لديهم... وهذا الاهتمام بالناس هو الذي يساعد على جلب اهتمامهم"[1] .....، يقول مالك بن نبي: "لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة؛ لمنظرها القبيح في النفس، والمجتمع الذي ينطوي على صورة قبيحة، لابد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه....، فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعًا إلى الإحسان في العمل، وتوخيًا للكريم من العادات"[2].

لذا كان حسن المظهر وتحسين الهيئة من أهم ما يجب أن يحرص عليه الداعية في دعوته إلى الله.

ثامنًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث فيما دار بين أبي الدرداء وابن الحنظلية رضي الله عنهما.

"وقد ورد أسلوب الحوار في القرآن الكريم في كثير من المواضع نذكر منها على

---

(١) مقدمات النهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، ١٦٨.

(٢) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي ص ٨١، ٨٢.

سبيل المثال، الحوار مع الملائكة، وهو أول حوار قبل خلق الإنسان، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

والحوار المثمر يتم وفق أصول حتى يعطي الفائدة المنشودة منه، غير أن هذه الأصول وهى جزء من الآداب لا بد أن يلتزم بها المتحاورون، فالمسلم في حاجة إلى الأدب، ولذلك كان السلف يحثون على تعلم الأدب قبل العلم"[2]، وقد أوصى الإمام مالك أحد تلاميذه بقوله: "يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم"[3]، وقال ابن المبارك: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"[4]، ودون الأخذ بهذه الآداب فإن المتحاورين لن يصلوا إلى مايرجون من نتائج، والمقصود بآداب الحوار:"القواعد السلوكية التي ينبغي الالتزام بها عند المحاورة"[5]، ومما لاشك فيه أن الحوار كأسلوب دعوي له أهمية عظيمة. "فقد كان من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة، لإثارة السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ - إذا لم يستطيعوا الإجابة- أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس"[6].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣٠ -٣٣ .

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٥ -٧.

(٣) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم أحمد عبدالله الأصبهاني ٣٣٠/٦.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٥٦/٢.

(٥) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد الصويان ص٧٧، نقلاً عن الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ٨.

(٦) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبو غدة ص٩٢.

الحديث رقم (٧٩٩)

٧٩٩- وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِزْرَةُ المُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ[1] السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ -أَوْ لاَ جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[3].

إزرة: الهيئة في الاتزار كالجلسة لهيئة الجلوس[4].

بطرًا: تكبرًا وطغيانًا عند النعمة وطول الغنى[5].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري تصدره المسند إليه (إزرة المسلم) وهي هَيْئَة الاتِّزَار، وإضافتها للمسلم إضافة بيان، والمسند (إلى نصف ساقه) يحدد الغاية التي ينتهي إليها، ولا يجوز أن يتجاوزها، وقوله (لا حرج، أو لا جناح) لا نافية، والحرج المشقة أي لا مشقة، ولا تضييق، وقَوْله (فَهُوَ فِي النَّار) يُتَأَوَّل عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدهمَا أَنَّ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِبه فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وَالْوَجْه الآخَر أَنْ يَكُون مَعْنَاهُ أَنَّ صَنِيعه ذَلِكَ وَفِعْله الَّذِي فَعَلَهُ فِي النَّار عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ مَعْدُود وَمَحْسُوب مِنْ أَفْعَال أَهْل النَّار.

---

(١) لفظ أبي داود: (أنصاف).

(٢) برقم ٤٠٩٣. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٤٦. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٠٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (أ ز ر).

(٤) ل في (أ ز ر).

(٥) المرجع السابق في (ب ط ر).

وقوله: (مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ) التعريف بالاسم الموصول للتنبيه على خطأ، و (أسفل) أفعل تفضيل خبر كان على رواية نصب (أسفل)، ويجوز رفعه على تقدير: (ما هو أسفل)، و (من) الأولى لابتداء الغاية، وقوله: (فهو في النار) زِيَادَةِ لفَاء، كَأَنَّهَا دَخَلَتْ لِتَضْمِينِ مَا مَعْنَى الشَّرْط أَيْ مَا دُون الْكَعْبَيْنِ مِنْ قَدَم صَاحِب الإِزَار الْمُسْبَل فَهُوَ فِي النَّار عُقُوبَة لَهُ عَلَى فِعْله، وذكر الضمير (هو) للتوكيد والتقرير.

(مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ) من اسم موصول فيه معنى الشرط، و (جر) فعل ماضي يدل على التحقيق، وهو فعل الشرط، وتخصيص (الإزار) لأنه مختص بنصف الجسم الأسفل المتصل بالأرض، وقوله: (بطراً) أي كبراً، وقد صاغه في صورة المصدر الدال على المبالغة كما يدل على الثبوت، والدوام، ولم يصغه في صورة الفعل الذي يفيد التجدد إشارة إلى أن صفة الكبر صفة راسخة ثابتة في نفسه تدعوه إلى الزهو، والافتخار على خلق الله وجملة الجواب (لَمْ يَنْظُرْ اللَّهُ إِلَيْهِ)) تصعيد للوعيد يتسرب في مسارب النفس لينزع الرغبة في التكبر، والفخر منها نزعا لا يبقي منه بقية.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب.

رابعًا: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية.

خامسًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

سادسًا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

سابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثامنًا: من آداب المدعو: السؤال عما خفى عليه.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٧٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٠، ٨٠١).

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن جر الثوب خيلاء:

"لقد أكدت نصوص الأحاديث الواردة على النهي من جر الثوب خيلاء، فلقد كان من عادة الجبابرة والمتكبرين إطالة أُزُرِهم حتى تمس الأرض، فنهى ورهب النبي ﷺ الرجال دون النساء عن ذلك"[١]، وهذا ما ورد في نص الأحاديث من قوله ﷺ: «ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر إليه». قوله ﷺ: «ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

قال القاضي عياض: "المخيلة والخيلاء والبطر: بمعنى، وهو الكبر والزهو والتبختر)[٢]، وقال ابن حجر: وقوله ﷺ "من جر إزاره بطرًا" أي: "جره تكبرًا وطغيانًا، وأصل البطر الطغيان عند النعمة، واستعمل بمعنى التكبر، وقال الراغب: أصل البطر دهش يعترى المرء عند هجوم النعمة عن القيام بحقها"[٣].

وقال ابن هبيرة: "والثوب يعم الإزار، الرداء، والقميص، فلا يجوز جرُّ شيء منها"[٤]، وهذا ما أكده القاضي عياض في قوله: "إن ذلك يشمل العموم في كل ثوب، إزار وغيره، لقوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جر شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"[٥]، وإنما خص الإزار في بعض الحديث؛ لأنه أكثر ما كان يستعمل في عهده ﷺ ويجر ويرخى، وقوله ﷺ لا ينظر الله إليه يوم القيامة: أي: لا يرحمه"[٦].

وبين ابن حجر أن للرجال حالين في قدر موضع الإزار، فقال: "والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر بالإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٤٤/١٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧٠/١٠.

(٤) الإفصاح في معاني الصحاح، ٤٠٥/٥، ٤٠٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٥٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٨٧٨).

(٦) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

الكعبين"[١]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: "إزارة المسلم إلى نصف الساق ولا حرج - أو ولا جناح - فيما بينه وبين الكعبين"، وقول ابن عمر رضي الله عنهما "فقال بعض القوم: إلى أين؟ فقال: إلى أنصاف الساقين.

كما بين النبي ﷺ أن "ما كان أسفل الكعبين فهو في النار" قال الخطابي: "في قوله ﷺ "فهو في النار" يتأول على وجهين أحدهما: أن ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار، عقوبة له على فعله.

والوجه الآخر: أن يكون معناه: أن صنيعه ذلك وفعله الذي فعله في النار، على معنى أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار"[٢].

وبين ابن حجر: "أن هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخيلاء، فهو الذي ورد فيه الوعيد بالاتفاق...، ويستثنى من إسبال الإزار مطلقًا ما أسبله لضرورة كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره حيث لا يجد غيره، ونبه على ذلك شيخنا في شرح الترمذي" - أي العراقي - واستدل على ذلك "بإذنه ﷺ لعبد الرحمن بن عوف في لبس القميص الحرير من أجل الحكة"[٣]. والجامع بينهما جواز تعاطي ما نهى عنه من أجل الضرورة، كما يجوز كشف العورة للتداوي"[٤].

وفي بيان الحكمة من النهي عن إسبال الإزار ولو لم يقصد صاحبه المخيلة، قال ابن حجر: "وإن كان الثوب زائدًا على قدر لابسه فهذا قد يتجه المنع فيه من جهة الإسراف فينتهي إلى التحريم، وقد يتجه المنع فيه من جهة التشبه بالنساء وهو أمكن من الأول، وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لعن الرجل يلبس لبسة المرأة»[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧١.

(٢) معالم السنن ٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٨٣٩، ومسلم ٢٠٧٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٦٩.

(٥) أخرجه الحاكم ٧٤٩٢، وأبو داود ٤٠٩٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥٤).

وقد يتجه المنع فيه من جهة أن لابسه لا يأمن مَن تعلق النجاسة به وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في الشمائل، من طريق أشعث بن أبي الشعثاء -واسم أبيه سليم- المحاربي عن عمته، واسمها رُهم بضم الراء وسكون الهاء، وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها، واسمه عبيد بن خالد، قال: «كنت أمشي وعلي برد أجره، فقال لي رجل: ارفع ثوبك فإنه أنقى وأبقى، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ، فقلت: إنما هي بردة ملحاء، فقال: أما لك فيَّ أسوة؟ قال: فنظرت فإذا إزاره إلى أنصاف ساقيه»[1].

وسنده قبلها جيد، وقوله "ملحاء" بفتح الميم وبمهملة قبلها سكون ممدودة أي فيها خطوط سود وبيض، وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه "ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك"[2]، ويتجه المنع أيضًا في الإسبال من جهة أخرى، وهي كونه مظنة الخيلاء، قال ابن العربي لا يجوز للرجل أن يجاوز بثوبه كعبه، ويقول لا أجره خيلاء فإنها دعوى غير مسلمة، بل إطالته ذيلة دالة على تكبره، أ.هـ وحاصله. أن الإسبال يستلزم جر الثوب، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ولو لم يقصد اللابس الخيلاء"[3].

وفي بيان مجمل ما سبق قال الشيخ البسام: (أجمع العلماء على تحريم إسبال الثياب تيهًا وخيلاءً، واختلفوا فيما إذا فعل ذلك من غير خيلاء.

فذهب طائفة منهم إلى أن الإسبال ونزول الثوب على الكعبين حرام، سواء فعل ذلك من أجل الكبر والخيلاء أو فعله وليس في قلبه من ذلك شيء. وقالوا: إن النصوص كلها تدل على تحريم ذلك، لكن من جره جرًا وأرخاه حتى لمس الأرض فهذا هو صاحب الوعيد الذي لا ينظر الله إليه ولا يكلمه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

وأما الذي نزل إزاره أو قميصه عن الكعبين فقط، فما نزل عن ذلك فهذا الجزء الذي نزل إليه القميص في النار، وهو وعيد أخف من الأول، لأن العمل أخف من العمل الأول.

---

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل ١١٣.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/ ٢٧٥.

وقالوا: لا يصلح حمل مطلق النصوص على مقيدها، لأن من شرط حمل المطلق على المقيد هو اتحاد السبب واتحاد الحكم، وهنا لم يتحدا فالسبب مختلف في الثوب، فإن إسباله وجره غير نزوله عن الكعبين، والحكم مختلف فكون الله تعالى لم ينظر إلى المسبل ولا يكلمه وله عذاب أليم، مغايرًا ومخالفًا لمن لا يمس العذاب منه إلا أسفل كعبيه.

أما الطائفة الأخرى فذهبوا في هذه النصوص إلى حمل مطلقها على مقيدها، وأن الوعيد على ذلك كله واحد وهو الإسبال مع الخيلاء والكبر، وأن الإسبال ابتداؤه ما نزل من الكعبين وقد يطول ويقصر، وهو كله محرم بالنصوص بلا تفريق بين هذا وهذا.

وإن القاعدة الأصولية هي حمل المطلق على المقيد، وهي قاعدة مطردة في عموم نصوص الشريعة.

والشارع الحكيم لم يقيد تحريم الإسبال - بالخيلاء - إلا لحكمة أرادها ولولا هذا لم يقيده.

والأصل في اللباس الإباحة، فلا يحرم منها إلا ما حرم الله ورسوله، والشارع قصد من تحريم هذا، اللبسة الخاصة بقصد الخيلاء من الإسبال، وإلا لبقيت اللبسة المذكورة على أصل الإباحة.

وإذا نظرنا إلى عموم اللباس وهيئاته وأشكاله لم نجد منه شيئًا إلا وتحريمه له سبب، وإلا فما معنى التحريم وما الغرض منه، لذا فإن مفهوم الأحاديث أن من أسبل ولم يقصد بذلك الكبر والخيلاء، فإنه غير داخل في الوعيد)[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

"الترهيب: وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتران إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده،

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٢٣٦ - ٢٣٧.

وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام"[١]، وهذا ما ورد جليًا من ترهيبه ﷺ لمن جر إزاره بطرًا وتكبرًا، وذلك في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وقوله: "ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، قال القاضي عياض في قوله ﷺ: "لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، "أى: لا يرحمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾[٢]"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكبر والعجب:

إن الكبر والعجب من أعظم آفات النفس التي توجب لصاحبها غضب الله ومقته، "لأنهما يسلبان الفضائل، ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأن الكبر يكون بالمنزلة، والعُجب يكون بالفضيلة، فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين، فلذلك وجب تقديم القول فيهما، بإبانة ما يكسبانه من ذم، ويوجبانه من لوم، فنقول: أما الكبر فيكسب المقت، ويلهي عن التآلف، ويوغر صدور الإخوان... وأما الإعجاب فيخفى المحاسن، ويظهر المساوي، ويكسب المذام، ويصد عن الفضائل، ... قال بعض الحكماء: عُجب المرء بنفسه أحد حُسّاد عقله. وليس إلى ما يكسبه الكبر من المقت حدّ، ولا إلى ما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من المحاسن ما انتشر، ويُسلب من الفضائل ما اشتهر، وناهيك بسيئةٍ تحبط كل حسنة، وبمذَمَّة تهدم كل فضيلة، مع ما يثيره من حَنَق، ويكسبه من حقد"[٤].

ومن أجل ذلك استحق الكبر والعجب كامل الترهيب، وهذا ما أشار إليه نص

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٧ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٤) أدب الدين والدنيا، الماوردي، ٢٣١، ٢٣٢.

الحديث في قوله ﷺ: "ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه"، وأيضًا في قوله: "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

قال القاضي عياض: "قال الإمام: المخيلة: يعني الكبرياء، يقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً: إذا تكبر، وهو رجل خال: أي متكبر، وذو خال: أي ذو تكبر"[١].

والبطر: أي: الأشر، وينجرُّ معه الكبر."[٢]، وفي بيان عاقبة من كان الكبر آفته قال النبي ﷺ: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ » قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[٣]. قال النووي: "ومعنى غمط الناس" أي احتقارهم، أما "بطر الحق" فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا"[٤].

وقال ﷺ: ((يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَس تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ))[٥]. والمعنى: "أن المتكبرين يكونون في غاية من المذلة والنقيصة، يطأهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله، ويسحبون ويجرون إلى مكان حبس مظلم منقطع فيه عن غيره يسمى بولس، وتعلوهم: أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق "نار الأنيار" أي: نار النيران، ويسقون "من عصارة أهل النار" وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم"[٦].

وعن النبي ﷺ أنه قال: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا؛ إِنَّمَا هُمْ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٨/٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٦/٥.

(٣) أخرجه مسلم ٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٦.

فَحْمُ جَهَنَّمَ. أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الْخِرَاءَ بِأَنْفِهِ. إِنَّ اللَّهَ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ. إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ. النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ. وآدَمُ خُلِقَ مِنَ تُرَابٍ))[1].

قال صاحب عون المعبود في ذلك: قال الخطابي: "العبية: الكبر والنخوة، وقيل في معنى: "مؤمن تقي وفاجر شقي، أن المفتخر المتكبر إما مؤمن تقي، فإذن لا ينبغي له أن يتكبر على أحد، أو فاجر شقي، فهو ذليل عند الله، والذليل لا يستحق التكبر، فالتكبر منفي بكل حال، وقيل في قوله: "أنتم بنو آدم وآدم من تراب، أي فلا يليق لمن أصله التراب النخوة والكبر.... إلخ"[2].

رابعًا - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على المخالفات الشرعية:

إن تفقد أحوال المدعوين من أهم ما يساعد الداعية على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما يجب عليهم، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول ابن عمر رضي الله عنه: ((مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ. فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ... إلخ» فعلى الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في تفقده لأحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من مخالفات شرعية، وفي بيان ذلك، قال أنس رضي الله عنه: «دخل النبي ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي ﷺ: ((حلوه، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد))[3]، وعن أبي سلمة ابن الأكوع أن أباه حدثه: ((أَنَّ رَجُلاً أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِشِمَالِهِ. فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لاَ اسْتَطَعْتَ» مَا مَنَعَهُ إِلاَّ الْكِبْرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ))[4]. وفي ذلك بيان على ضرورة تفقد أحوال المدعوين، والتنبيه على ما كان من

---

(١) أخرجه أبي داود، ٥١١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٦٩).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٢١.

مخالفات شرعية.

"وليكن الحافز الحقيقي للداعية في ذلك، هو تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله فيها لعباده المؤمنين الطائعين من جزاء، وما أعده للكفار العصاة من عقاب"[١].

خامسًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

لقد ورد أسلوب النداء في الحديث من قوله ﷺ: "يا عبدالله" وبه يكون لَفْتُ الانتباه واستحضار الذهن. بما يساعد الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، أما الأمر فقد ورد في الحديث من قوله "ارفع إزارك" وأيضًا في قوله ﷺ: "زدْ"، وبه يكون حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بما في ذلك من عظيم الفائدة.

سادسًا - من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد أمر الله عباده بطاعة نبيه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[٣]، قال السعدي رحمه الله: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي، الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهى عنه"[٤]، والاستجابة: "قيل هى الإجابة، وحقيقتها هى التحري للجواب والتهيؤ له[٥]، وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ٦٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف الهجاري، ٤٢٢.

استجابة عبدالله بن عمر ﷺ، وطاعته لأمر النبي ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: "فقال ﷺ: ياعبدالله، ارفع إزارك" فرفعته ثم قال: "زد" فزدت، فما زلت أتحراها بعد"، قال القرطبي: و"قوله: "فما زلت أتحراها" أي: أقصد الهيئة التي أمر بها النبي ﷺ وأحافظ عليها. ويعني بها: إزرته إلى نصف ساقيه، كما قال في بقية الحديث"[1]، وقد ضرب ابن عمر ﷺ أروع الأمثلة في طاعته واستجابته لأوامر النبي ﷺ: "فعن أبي جعفر الباقر قال: كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[2].

سابعاً - من أصناف المدعوين: النساء:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول: "فكيف تصنع النساء"، ((وقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ... ﴾[3]، فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهى أم الرجال، وأخت الرجال، وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الأجيال. ومادام الأمر كذلك، فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هى عناية بالدعوة نفسها))[4].

ثامنًا - من آداب المدعو: السؤال عما خفى عليه:

يظهر ذلك جليًا في الحديث من قول الراوي: "فقالت أم سلمة، فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟، فعلى المدعو أن يسأل عن كل ما خفى عليه، حتى يكون على بينة من أمر

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٠٧/٥.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

ربه وسنة نبيه، فيعبد الله على علم وبصيرة، كما قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: "ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[٢]. أي: "لِمَ لم يسألوا حين لم يعلموا لأن شفاء الجهل السؤال"[٣].

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: بيان لباس النساء:

مما لاشك فيه "أن أحكام المرأة في الشريعة الإسلامية تبنى على الاستتار، فيجب على المرأة أن تستتر عن أعين الرجال غير المحارم والزوج، وعن أعين المحارم الأباعد عند الفتنة"[٤].

وكان من أحكام الاستتار ما ورد في نص الحديث من قول الراوي، فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن، قال"يرخين شبرًا"، قالت: إذا تنكشف أقدامهن. قال: "فيرخينه ذراعًا لا يزدن"، قال المباركفوري: "قوله: "يرخين" بضم أوله من الإرخاء وهو الإرسال أي يرسلن من ثيابهن "شبرًا" أي من نصف الساقين "إذًا بالتنوين "فيرخينه" أي الذيل "لا يزدن عليه" أي على قدر الذراع"[٥].

قال الطيبي: "المراد به الذراع الشرعي، إذ هو أقصر من العرفي"[٦].

وفي بيان قدر الذراع: قال ابن عمر رضي الله عنهما: «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِى الذَّيْلِ شِبْرًا، ثُمَّ اسْتَزَدْنَهُ فَزَادَهُنَّ شِبْرًا، فَكُنَّ يُرْسِلْنَ إِلَيْنَا فَنَذْرَعُ لَهُنَّ ذِرَاعًا»[٧].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وقال الألباني حديث حسن (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي، ١٥٢/١.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥١٩/٢.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٦/٨.

(٧) أخرجه أبو داود ٤١١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦٨).

قال ابن حجر: (وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة)[١].

قال المباركفوري: (وفي الحديث رخصة للنساء في جر الإزار لأنه يكون أستر لهن)[٢]. (وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث لأم سلمة رضي الله عنها أن حكمهن في إسبال الإزار خارج عن حكم الرجال في هذا المعنى، وقد نقل عياض الإجماع عن أن المنع في إسبال الإزار يكون في حق الرجال دون النساء، وكما أن للرجال حالين في مقدار الإزار، كذلك للنساء حالان في ذلك)[٣].

وقال ابن حجر: (والحاصل أن للرجال حالين: حال استحباب، وهو أن يقتصر الإزار على نصف الساق، وحال جواز وهو إلى الكعبين، وكذلك للنساء حالان حال استحباب وهو ما يزيد على ما هو جائز للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع)[٤].

ويؤيد هذا التفصيل في حق النساء، قول أم سلمة رضي الله عنها: ((إنَّ النبيَّ ﷺ شَبَّرَ لِفَاطِمَةَ شِبْرًا مِنْ نِطَاقِهَا»[٥].

(والشبر من التشبير)[٦]، قال في "القاموس": (شبر بالكسر، وهو ما أعلى الإبهام وأعلى الخنصر)[٧]، (والنطاق شقة تلبسها المرأة تشد وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض، والأسفل ينجر على الأرض ليس لها حُجْزَةٌ ولا نَيْفَقٌ ولا ساقان)[٨].

قال المباركفوري: (والمعنى أن النبي ﷺ قدر لفاطمة أن ترخي قدر شبر من نطاقها)' قال النووي: (أجمعوا على جواز الجر للنساء)[٩].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧٠

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥١٩.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٢٧١

(٥) أخرجه الترمذي ١٧٣٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٤١٦).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥٢٠.

(٧) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤١٢.

(٨) المرجع السابق ٩٢٦.

(٩) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٥٢٠.

الحديث رقم (٨٠٠)

٨٠٠-وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: مررتُ عَلَى رسولِ الله ﷺ وفي إزَارِي استرخاءٌ، فَقَالَ: ((يَا عَبدَ اللهِ، ارْفَعْ إزَارَكَ)) فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ: ((زِدْ)) فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إلَى أينَ؟ فَقَالَ: إلَى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

إزاري: الإزار: ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن[2].

استرخاء: انبساط واتساع[3].

أتحرّاها: التحري: القصد والاجتهاد في الطلب[4].

الشرح الأدبي

بداية الحديث بداية خبرية يحكيها ابن عمر حدثت معه تتعلق بلبس الإزار، وبيان الحد المشروع، وقد ساقها دون توكيد، وليس في القصة ما يمكن أن يعارض ؛لأنها واقعة بينه، وبين الرسول ﷺ، وقول الرسول ﷺ (يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ) النداء للتنبيه تمهيداً لما بعده، والأمر (ارفع إزارك) أمر قصد به اللزوم، والوجوب، وإضافة الإزار له للتخصيص، وقوله (فرفعته) الفاء تقرر سرعة استجابته للرسول ﷺ وقوله (زد) فعل أمر على جهة الإلزام، والوجوب إشارة إلى عدم كفاية القدر الذي رفعه ابن عمر، وقوله (فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ) فيه إشارة إلى شدة حرصه على تنفيذ أمر رسول

---

(١) برقم ٢٠٨٦/٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠١٠ بنحوه وعزاه إلى أحمد، فاستدرك عليه النووي بإيراده من رواية مسلم.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٣٥.

(٣) ل في (ر خ و).

(٤) المرجع السابق في (ح ر ي).

الله ﷻ، وقول الصحابة (إلى أين؟) استفهام على حقيقته غرضه معرفة المقدار، وقوله (أنصاف الساقين) فيه إيجاز بالحذف، تقديره مقداره إلى أنصاف الساقين، وهو أفضل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠١)

٨٠١- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: ((يُرْخِينَ شِبْرًا)) قالت: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: ((فَيُرخِينَهُ ذِرَاعًا لاَ يَزِدْنَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[(١)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

خيلاء: الكبر والعجب[(٢)].

بذيولهن: جمع ذيلٍ: أسفل الثوب[(٣)].

يرخين: يُرسلن[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٨٥ الشطر الأول، والترمذي ١٧٣١ بتمامه. تنبيه: الشطر الأول من الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر، وقد تقدم برقم ٧٩٢، وأما الزيادة التي في آخر الحديث فأخرجها الترمذي، قال الحافظ في الفتح ٢٥٩/١٠: وقد عزا بعضهم هذه الزيادة لمسلم فوهم، فإنها ليست عنده، وكان مسلم أعرض عن هذه الزيادة للاختلاف فيها على نافع، فقد أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما من طريق عبيد الله بن عمر، عن سليمان بن يسار، عن أم سلمة، وأخرجه أبو داود من طريق أبي بكر بن نافع، والنسائي من طريق أيوب بن موسى، ومحمد بن إسحاق، ثلاثتهم: عن نافع، عن صفية بنت أبي عُبيد، عن أم سلمة، وأخرجه النسائي من رواية يحيى بن أبي كثير، عن نافع، عن أمّ سلمة نفسها وفيه اختلافات أخرى، ومع ذلك فله شاهدٌ من حديث ابن عمر، أخرجه أبو داود من رواية أبي الصديق، عن ابن عمر، قال: رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين شبرًا، ثمّ استزدنه فزادهنّ شبرا، فكن يرسلن إلينا فنذرع لهنّ ذراعًا، وأفادت هذه الرواية قدر الذراع المأذون فيه، وأنه شبران بشبر اليد المعتدلة.

(٢) ل في (خ ي ل).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ ي ل).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٦٦.

الشرح الأدبي

الأسلوب خبري في بدايته يتسم بالهدوء، والثقة، ويقوم على حوار بين أم سلمة رضي الله عنها وبين رسول الله ﷺ ويبدأ بأسلوب الشرط عن طريق الموصول (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه) بغرض الترهيب من الفعل، لأنه ربط الفعل بالجزاء مع تقييده بيوم القيامة الذي يصعِّد الإحساس بخطر هذا الذنب، وينزع شبح الكبر الذي يودي بصاحبه إلى الحرمان من فضل الله، وقول أم سلمة رضي الله عنها (فكيف يصنعن النساء بذيولهن؟) استفهام يحمل مع طلب الفهم تعجباً ويعكس حيرة بين وجوب ستر جميع البدن للمرأة وبين الترهيب من جر الثوب، وقوله: (يرخين شبراً) الفعل المضارع يصوِّر الفعل، والمفعول (شبراً) يحدد المقدار وقولها (إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ) فيه إيجاز يقتضيه مقام خطاب البليغ تقديره: إذا أرخين شبراً تنكشف أقدامهن، وقوله: (فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لا يَزِدْنَ عَلَيْه) اقتصار على القدر المطلوب الذي يؤدي الغرض، ونهي عن الزيادة يشير إلى خطر الأمر لأنه يؤدي إلى الكبر، أو يتشبه به، والكبر من الذنوب التي تستوجب الحرمان من محبة الله، ومحبة الناس.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم لبس القميص وكم طول كمه: يستحب لبس القميص، لأنه يستر عورته، ويباشر جسمه، فهو أمكن في الستر من الرداء والإزار اللذين يحتاجان كثيرًا إلى الربط والإمساك وغير ذلك.

والسنة أن يكون طول الكم إلى الرسغ لا يتجاوزه، وأن يكون واسعًا باعتدال من غير تفريط، أما الأكمام الواسعة الطوال التي هي كالأخراج، فهي مخالفة للسنة، لم يلبسها النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه البتة، لأنها من الخيلاء.

فالمكروه كل ما زاد على العادة، وعلى المعتاد في اللباس من الطول والسعة، وما كان على طريق العادة فلا[1].

---

(١) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي ١١٤/٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، ٤٥٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

٢-حكم لبس العمامة، وإرخاء طرفها، ومقداره: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٧، ٧٨٥).

٣-طول الإزار: اتفق الفقهاء على أنه يستحب للرجل أن يكون إزاره إلى أنصاف ساقيه، وإن أراد تطويله فإلى الكعبين، فذلك أنقى لثوبه، وأتقى لربه، ويكره له ما زاد على ذلك إلا لعذر، كمن برجله جرح يؤذيه الذباب، وأسبل إزاره ليسلم من أذاها، فلا يكره، أما المرأة فقد اتفقوا على أنه يستحب لها ذيلها أسفل الكعبين بقدر شبر، فإن زدن على ذلك فمبقدار ذراع لا أكثر[١].

٤-حكم الإسبال: أجمع العلماء على أن إسبال الإزار، ونحوه إذا كان على سبيل الخيلاء يعد كبيرة، ومن أعظم الذنوب، فيحرم على الرجل جر ثوبه، أو إزاره على وجه الكبر والتعجب والزهو.

فإن جره لغير ذلك فهو مكروه، إلا إذا كان لحاجة "كقبح ساقه مثلاً" أو لضرورة، كمن يكون بكعبيه جرح مثلاً يؤذيه الهوام كالذباب مثلاً إن لم يستره بإزاره فلا يكره[٢].

والإسبال لا يختص بالثوب والإزار فقط، بل يكون في كل شيء بحسبه، ففي القميص بتطويل أكمامه تطويلاً زائدًا على المعتاد، وفي العمامة بإرسال العذبة زائدًا على ما جرت به العادة، وهكذا.

كما أجمعوا على جواز الإسبال للنساء[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) رد المحتار ٣٣٧/٢٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، ٤٠٧، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١.

(٢) الكبائر ١٦٤، والزاوجر ٤١٠/١، ومجمع الأنهر، داماد أفندي ١٤٨/٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٦/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٤/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٠٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٩/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٥/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٧١/٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠١- مع المضامين الدعوية للحديث (٧٩٩، ٨٠٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الكبر، وكانت له مظاهر شتى منها: المشية، الكلمة، الجلسة، الملبس، ومن مظاهر الكبر في الملبس إطالة الثياب حتى الأرض وكذا الإزار، ولبس ثوبين وهو ما عالجه الرسول ﷺ في حثه على ترك ذلك من خلال ما يلي:

أولاً- التربية الإيمانية:

تتجلى التربية الإيمانية في بيان رسول الله ﷺ أن النية أعظم الأسس التي يدور عليها العمل وحكمه، وذلك في إيضاحه لأبي بكر إعفاءه من إثم استرخاء أحد شقي إزاره، حيث قال له: " إنك لست ممن يفعله خيلاء" إذ أن قوام الأعمال بالنيات وأنها تختلف في أحكامها بحسب اختلافها في النية المنبعثة عنها"[(١)].

لذا كان من الواجب تربية النفوس لاسيما الناشئة منها على إخلاص العمل لله وتجرد النفس من العبودية والعمل لغير الله، وأن يتربى المؤمن على تقوى الله وتصحيح نيته وإخلاصها، ولا يعني ذلك الدعوة إلى إهمال العمل وإهمال الظاهر، بل لا بد من تكامل الظاهر مع الباطن، وبناء الظاهر على أساس قوي من الباطن، فالمسلم يجب عليه أن يكون نظيف الباطن مخلص النية مبتغياً الحرص على العمل الصالح، والبعد عن العمل الطالح، كما ينبغي كذلك أن يكون سوي السلوك طيب القول، نظيف الظاهر، حسن الهندام، وبذلك تتكامل شخصيته بشقيها: الجوهر والمظهر"[(٢)].

ثانياً- التربية الخلقية:

ونرى ذلك واضحاً في الحض على التواضع والبعد عن الاستكبار والترفع على الناس، حتى ولو كان ذلك في الملبس عن طريق الإسبال وغيره، كما في قوله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٠.

(٢) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص٩-١٦.

"إن تهذيب الأخلاق وتربية الروح على الفضائل كالتواضع وغيره من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية من أجل بناء إنسان على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية"[١].

لقد بات معلوماً في الأذهان والضمائر مدى تأثير التربية الأخلاقية في بناء الأفراد والشعوب، فما من شك "أن للأخلاق أثراً قوياً في بناء الأمم والأفراد لأن كل السلوكيات والتصرفات ناشئة عن تلك الأخلاق، وبها يبلغ المرء أعلى المراتب والدرجات وأزكاها أو ينحدر إلى أسوأ الدركات وأردها"[٢].

لذا كانت التربية الأخلاقية والتنشئة الروحية مطلباً رئيساً في التربية الإسلامية والغاية منها: "إعداد إنسان خيِّر في الحياة لينال خيرية المصير، والخيرية الحياتية تتطلب الخيرية الذاتية من خلال كون نية الإنسان وغايته خيرة في حياته كلها والكف عن جميع الشرور، وفعل الخيرات بالنيات الخيرة، وكون الأعمال الخيرة متفقة مع معتقد فاعلها، والخيرية الحياتية تعني كون الإنسان سليم النفس والجسم والعقل والوجدان والروح والعاطفة، وكل هذه الأمور تؤدي في النهاية إلى إحساس بخيرية المصير"[٣].

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

لقد حرم الإسلام الإسراف وحذر منه، كالزيادة في الإنفاق التي لا داعي لها خاصة إذا كانت هذه الزيادة منهياً عنها كإسبال الثياب التي نهت عنه أحاديث الباب.

لقد أوصى الإسلام بترشيد الاستهلاك والإنفاق، ورهب من الإسراف حتى في المباحات وعَظَّم إثمه في المحرمات، وجعل الله من صفات عباد الرحمن ترشيد الاستهلاك والإنفاق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[٤].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

(٢) انظر: التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ص١١٠.

(٣) محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص١٦٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

"لقد وضع الإسلام الموازين الصحيحة في اكتساب المال وفي إنفاقه، أنزلها الله نوراً وهداية للإنسانية لتسير في المال على منهج واضح مستقيم وتبني أسسها الاقتصادية على هذا الطراز المقدس من كلام الله تعالى العليم بأحوال الناس وما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

إن المال قوام الحياة وميدان النشاط البشري فوق البسيطة[1]. لذا ينبغي تحري السبل والوسائل المباحة في تحصيله والطرق المشروعة في إنفاقه وترشيد استهلاكه.

رابعاً- التربية الجمالية:

إن الدعوة إلى التربية الجمالية ليست من باب الترف، وإنما هي أمر أصيل دعا إليه الإسلام، إذ أن المسلم ينبغي أن يكون بسلوكه وملبسه وهندامه علامة بين الناس يشار إليه بالبنان، ويسترعى الأنظار.

وكما جاء في الحديث: «فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ». وفي ذلك حفاظ لكرامة الإسلام واحترام المسلمين.

لقد حرص الإسلام حرصاً شديداً على مظهر الجمال، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾[2].

ودعا إلى النظافة وجعلها شرط صحة للعبادات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[3].

"إن العاقل من الناس يلتمس الجمال في كل مجال لينتفع به، وان استطاع أمتع غيره

---

(١) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص٣٩٨، ٣٩٩.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١، ٣٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦.

بـه، كمـا أن السعيد يتطلـع إلى ناحيـة الجمـال في الحيـاة، إذا أظلمـت الحيـاة انتظـر إشراقة الصباح، وإذا غربت الشمس انتظر شروقها، وإذا غـاب القمـر فـالنجوم تتلألأ، وحينئذ تخف وطأة الحياة، ويملأ التفاؤل حياة الإنسان" [1].

خامساً: أسلوب المتابعة والتقويم:

إن من أهم أساليب التربية متابعة المربي لمن يربيهم من الناشئة والتلاميذ وغيرهم لما يصدر من سلوكياتهم وتصويب الصحيح منها وتقويم الخطأ منها، وهذا أسلوب نبوي أصيل، كما رأينا في أحاديث الباب من متابعته ﷺ للصحابة في سلوكياتهم في ملابسهم وتقويم ورفض الخاطئ منها، وذلك كإسبال الثياب، ومن شواهد ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك".

لذا ينبغي على المربي تنفير مَن يربيه من كل ما يضر في أمور الدين والدنيا.

إن التنفير من الأمور السيئة لا يقل أهمية عن التحبيب في الأمور الطيبة، بل إن التنفير والتحذير من العوامل الأساسية التي تطهر الإنسان من الأفكار والمفاهيم الباطلة المضللة، والسلوكيات الخاطئة.

إن أسلوب التقويم من الأمور السيئة، وغير المحببة والتحذير منها قاعدة أساسية في الدنيا، وهي قاعدة ناجحة بكل المقاييس [2].

سادساً: مراعاة الفروق الفردية والنوعية:

وذلك ما نلاحظه في المغايرة بين طول الثياب للرجل والمرأة، فبالنسبة للمرأة ينبغي عليها إطالة الثياب، والرجل تقصير الثياب، وعدم إسدالها، وكما جاء في أحد أحاديث الباب: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الْخُيَلاَءِ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ » قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ : «تُرْخِينَهُ شِبْرا» قَالَتْ: إذا تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ: «تُرْخِينَهُ ذِرَاعا لاَ تَزِدْنَ عَلَيْهِ».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ١/١٠٤، ١٠٥.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٥٨-٢٦٠.

لذا ينبغي على المربي والمعلم أن يستحضر ما بين الناس من فروق وتباين في الجنس والفكر، ونحو ذلك.

"فالناس معادن، وقدرات وطاقات متفاوتة حرصاً وذكاءً، واستعداداً وتحصيلاً، والمعلم يتعامل مع الجميع ويخاطب الكل، وهنا تكمن مهارته في إقناع الجميع وتحقيق التوازن بينهم.

إن الاعتناء بالفروق الفردية أمر لم تبتكره التربية المعاصرة، بل أشار إليه أسلافنا الأوائل وأوصوا المعلم به[1].

قال النووي: "وينبغي أن يكون -المعلم- باذلاً وسعه في تفهيم تلاميذه، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم، حريصاً على هدايتهم، ويفهم كل واحد بحسب فهمه، وحفظه فلا يعطيه مالا يحتمله ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ويخاطب كل واحد على قدر درجته، وبحسب فهمه وهمته، فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً، ويوضح العبارة لغيره، يكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار..."[2].

سابعاً- من وسائل التربية: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن من أهم أسباب نجاح العملية التربوية والتعليمية تفعيل عملية المتابعة والملاحظة من قِبَل المربين والمعلمين، وذلك منهج إسلامي أصيل، ونلاحظ ذلك في أحاديث الباب، حيث إن النبي ﷺ لم يقتصر على مجرد النهي عن إسبال الثياب، وإنما شفع ذلك عملياً بالإنكار على مسبل الثياب، وأمره بتقصيره، ومن أمثلة ذلك قوله لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقد استرخى إزاره "يا عبدالله ارفع إزارك" فكان في ذلك إرشاد عملي توجه به الرسول ﷺ إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

إن أسلوب المتابعة والملاحظة لا يقتصر على العملية التعليمية والتربوية والدعوية فحسب، وإنما ينبغي أن يمتد ويتسع ليشمل جميع ميادين العمل والحياة كالمجال الإداري ونحوه، إذ أن من مهام المدير الإداري متابعة تنفيذ الخطة والإشراف على العمل،

---

(١) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص٣٤، ٣٥.

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي ٧٥/١.

وتعني المتابعة الرقابية الضبط والتأكد من أن ما يتم إنجازه مطابق لما تقرر في الخطة الموضوعة وهي عملية هامة إذ بها يتفادى المدير وقوع العاملين في الأخطاء، وبه يتم كسب الوقت والجهد لأنه يترتب على وقوع الخطأ الإصلاح، وهذا يتطلب تكلفة مالية وبشرية وزمنية، ولكن بالمتابعة يتم تلافي ذلك [1].

ثامناً- من أهداف التربية: قبول الحق والتسليم له والنزول:

ويتجلى ذلك في أحاديث الباب في مدى امتثال الصحابة للمربي الأعظم محمد ﷺ، ومن دلائل ذلك ما قاله ﷺ عن خريم رضي الله عنه "نعم الرجل خريم الأسدي، لولا طول جمته وإسبال إزاره"، فبلغ ذلك خريماً فعجَّل فأخذ شفرة فقطع بها جُمَّته إلى أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه" وذلك دليلٌ عمليٌّ على المسارعة إلى الصواب، والنزول على الحق بمجرد العلم والإحاطة به، وكذلك ما كان من ابن عمر رضي الله عنهما لما أمره النبي ﷺ بقوله: "يا عبدالله ارفع إزارك، فرفعته، ثم قال زد، فزدت، فما زلت أتحراها بعد، فقال بعض القوم إلى أين؟ فقال إلى أنصاف الساقين".

"إن من علامات صدق الإيمان لدى المسلم إذعانه للحق وقبوله من أي مصدر كان، فالصادق لا تراه إلا باحثاً عن الحق الذي يتعبد به لربه عز وجل، ويقربه إلى مولاه، وإذا بان له الدليل ولاح له الحق فرح به، ووجد فيه بغيته، ولا يرده أبداً مهما كان قائله صغيراً كان أو كبيراً عدواً كان أو صديقاً.

وإذا وجدت هذه الصفة الكريمة عند المسلم وصارت من عادته وأخلاقه فإنها تنفي كثيراً من الصفات الذميمة مثل الكبر والاستعلاء والتعصب للآراء والتحزب للأشخاص، والهيئات، كما أنها تورث المحبة والألفة بين أهل العلم والدين، وتورث الاجتماع والائتلاف، وتنفي الفرقة والاختلاف.

كما أن قبول الحق والتمسك به يقتضي القول به والدعوة إليه دون لَبْس أو تردد، فالصادق لا تراه إلا صادعاً بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يجامل ويداهن في ذلك، ولا تصده رغبة ولا رهبة عن قول الحق" [2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٦٣.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ١/٣٢٥.

تاسعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة: فكيف تصنع الناس بذيولهن قال: يرخين شبرًا. قالت: إذًا تنكشف أقدامهن قال: فيرخينه ذراعًا لا يزدن".

والحوار والمناقشة من الأساليب التي تُفَعّل دور المتعلم في العملية التعليمية، لأنها تتيح له الفرصة للمشاركة والإيجابية.

ب-الترهيب: كقوله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". والترهيب من الأساليب التربوية التي تدفع المتعلمين إلى اجتناب الأفعال والأقوال المرهب منها، نظرًا لما يترتب عليها من عقاب وعذاب.

ج-الإلقاء: كما في قوله ﷺ: "الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرّ شيئًا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة".

والإلقاء يكون بالعرض الشفهي للمعلومات على المتعلمين ويمكن الإلقاء المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت ممكن على أكبر عدد من الطلاب، لذا كان من الأنسب استخدامه في المراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.

د-الوصية: كما في حديث أبي جريٍّ جابر بن سليم رضي الله عنه فقد قال لرسول الله ﷺ: "اعهد إلي" قال: لا تسبّن أحدًا" قال: فما سببت بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة... الحديث".

والوصية من الأساليب التربوية الشائعة الاستخدام الكثيرة الوقوع في الحياة اليومية، كما وتتميز بطول بقاء أثر التعليم.

❁ ❁ ❁

١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعاً

قَدْ سَبَقَ في بَابِ فَضْلِ الجُوعِ وَخشُونَةِ العَيْشِ جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بهذا الباب [١].

الحديث رقم (٨٠٢)

٨٠٢- وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ تَرَكَ اللِّبَاس تَوَاضُعاً للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الإيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا)) رواه الترمذيُّ [٢]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

غريب الألفاظ:

حلل: جمع حلة: الثوب الجيد الجديد غليظاً أو رقيقاً. والمراد: الزينة في الجنة [٣].

الشرح الأدبي

سرد الصحابي الحديث في ثوب الخبر المؤكد بأكثر من مؤكد، منها (أن) واسمية الجملة، وصياغة فعل القول في صيغة الماضي الذي يدل على تحقق الوقوع، ولعل ذلك يرجع إلى إحساسه بعظمة من يحدِّث عنه، ورغبته في تعظيم الخبر في أسماع المخاطبين، وتنبهاً إلى أهمية ما بعده.

وقد جاء المعنى النبوي في أسلوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل، وقوله (من ترك اللباس) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وترك اللباس أي ترك الزينة

---

(١) الباب رقم ٥٦، الأحاديث ٤٩٠-٥٢٠.

(٢) برقم ٢٤٨١. وقال الحاكم ١٨٤/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ل ل)، ودليل الفالحين، ابن علان ١٠٥٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٢/٢.

والعناية الزائدة عن الحد، وتقييده بقوله: (تواضعاً لله) فيه إشارة إلى ضرورة توفر النية، والإخلاص لله، وليس رياءً أو عجزاً، ولذلك قال: (وهو يقدر عليه) وقد أكد الخصوصية، والمقدرة بتعريف المسند إليه بالضمير، واستحضر الصورة بالمضارع الدال على الحال، والاستقبال.

ونسبة الفعل في جملة الجزاء لله تشريف للعبد، وتكريم له، وترغيب في الفعل، وقد صعَّد هذه المعاني بتقييده أولاً: بالظرف (يوم القيامة)؛ لأن هذا اليوم لا قوة فيه لغير الله، ومن نجا فيه فاز فوزاً لا خسارة بعده، ونال الراحة الأبدية بعز رب البرية، ثم قيده ثانياً بالجار، والمجرور (على رءوس الأشهاد) وهو جزاء معنوي بتكريمه على الملأ يتبعه نعيم حسِّي، ولذلك جاء قوله (حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا) والإبهام الذي في (أي) يجعل الاختيار مفتوحاً، وجمع الحلل يشير إلى كثرتها، وإضافتها إلى الإيمان؛ لأنه الداعي المحرك للتواضع لله، وترك الترفع، والفعل المضارع (يلبسها) يصور هذا المتواضع البسيط بالأمس يتقلب في نعمة الله الآن في أجمل الحلل يخلع هذه، ويلبس تلك جزاءً من جنس العمل فقد قابل تواضعه لله بأن شهره بنفسه، ودعاه، وقابل خموله في الناس بترك التباهي بتكريمه على روءس الأشهاد، وقابل تركه لثياب الدنيا بحلل الأيمان.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

استعمال اللباس: استعمال اللباس تعتريه الأحكام الخمسة: فالفرض منه ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد. والمندوب إليه أو المستحب: هو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، ومن المندوب اللبس للتزين ولا سيما في الجمع والأعياد ومجامع الناس، والمكروه: هو اللباس الذي يكون مظنة للتكبر والخيلاء، والحرام هو اللبس بقصد الكبر والخيلاء[1].

---

(١) انظر: مجمع الأنهر، داماد افندي ١٤٧/٨، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٢/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٥٣/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤١/١، والموسوعة الفقهية ١٢٨/٦-١٢٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب التواضع يوم القيامة:

إن المسلم هين لين يتواضع للناس ويخفض جناحه لهم، ولا يتكبر عليهم، سواء في قوله أو فعله أو لباسه، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا»، ولا شك أن هذا بيان لثواب التواضع في اللباس يوم القيامة، قال المباركفوري: "من ترك لبس الثياب الحسنة المرتفعة القيمة تواضعاً لله، أى لا ليقال إنه متواضع أو زاهد، والناقد بصير، يشهره الله ويناديه من أى حلل أهل الإيمان شاء يلبسها"[1].

وقال القاسمي: (واللباس مما يظهر به التواضع والتكبر، وعلامة المتكبر فيه حرصه على التزين للناس للشهرة والمخيلة - وأما طلب التجمل لذاته في غير سرف ولا مخيلة فليس من الكبر، والمحبوب الوسط من اللباس، الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة، وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي ﷺ فينبغي أن يُقتدى به، ومنه ينبغي أن يتعلم"[2].

وقال الماوردي: "وأما الجمال والزينة في اللباس فهو مستحسن بالعرف والعادة، من غير أن يوجبه عقل أو شرع، وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير، ولذلك، قال عمر رضي الله عنه إياكم لبستين: لبسة مشهورة، ولبسة محقورة"[3]. (من ترك المظاهر وهو قادر

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٣٢/٢.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢٩٧/٢.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤٠.

عليها إيثاراً للزهد على التظاهر، ولما عند الله على زهرة الدنيا لا عن بخل وشح، وتصدق بماله أو استغله في خير المسلمين، أثابه الله يوم القيامة بتعويضه ما حرم نفسه منه أضعافاً مضاعفة، ورفع ذكره بين الخلائق، ويسر عليه في هذا اليوم العسير)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الأساليب الدعوية تتنوع وتتعدد إلى أساليب مختلفة، والداعية الناجح هو الذي يستطيع أن يختار من الأساليب أنسبها للمدعوين، ومن هذه الأساليب أسلوب الترغيب، حيث جاء في الحديث: "حتى يخيره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في فعل الطاعات وترك المنكرات، فإن النفس البشرية جبلت على حب الخير، والوعد بالأجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٢].

قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقروناً ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة، والعلل الباعثة. هذا وقد اطرد في القرآن والسنة نعت الجنة بما يجعلها أمنية المتقين ومستقر الركب المرتحل بعد سفر طويل، والترغيب في الصالحات بهذا الأسلوب مستقيم مع الحق لامرية فيه"[٣].

ثالثاً- من آداب الداعية: حث المدعوين على التواضع:

إن الداعية يوجه المدعوين إلى ما ينفعهم، ويحرص على التزامهم بتوجيهات الإسلام، ولا يفتأ، يذكر المدعوين كلما علم خيراً، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: "من ترك اللباس تواضعاً لله" والتواضع خلق نبيل، وبه أُمر سيد المرسلين، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين ٤٦٥.

(٢) سورة العاديات، آية: ٨.

(٣) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ٣١٢.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[1]، والتواضع وعدم الترفع مما أمر به لقمان ابنه في وصيته: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

ووعد رسول الله ﷺ من يتواضع بأن يرفعه الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[3]. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ))[4].

ومن تواضع النبي ﷺ ما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها عندما سئلت: ((ما كان النبيُّ ﷺ يصنعُ في أهلِهِ؟ قالت: كان في مِهنةِ أهله، فإذا حضَرَ إلى الصلاةُ قام إلى الصلاة))[5]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ياأبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير»[6].

قال الغزالي: (سئل الحسن البصري عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك، ولا تلقي مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً. وقيل لعبدالملك بن مروان أي الرجال أفضل؟ قال من تواضع من قدرة، وزهد عن رغبة. وقال عبدالله بن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا، حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل)[7].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥٠.

(٧) إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي ٣/٣٤٢.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله وكرمه لعباده المؤمنين الطائعين:

إن فضل الله واسع ورحمته واسعة، وكرمه عظيم لعباده المؤمنين الطائعين، ويستنبط هذا من قوله ﷺ في الحديث: ((دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا))، ولا شك أن هذا يدل على فضل الله وكرمه، وعظيم ثوابه لعباده الطائعين المتقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[2].

قال ابن القيم: (وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبقت رحمته غضبه، وحلمه عقوبته، وعفوه مؤاخذته، وأنه قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وانه يحب الإحسان والجود، والعطاء والبر وأن الفضل كله بيده، والخير كله منه، والجود كله له، وأحب ما إليه: أن يجود على عباده، ويوسعهم فضلاً، ويغمرهم إحساناً وجوداً، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة، فسبحانه هو الجواد لذاته، العفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع)[3].

---

(١) سورة القمر، الآيتان: ٥٤-٥٥.

(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٣٨٩، ٣٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

التواضع من قيم الإسلام، ولهذا حبب الإسلام في كل ما يكسب هذه القيمة وينميها مثل: السلام على الصغار، ومسح رؤوس الأيتام والتوسط في الطعام والشراب، وترك فاخر الثياب، ومن هنا كان الحرص على:

أولاً- غرس خلق التواضع:

لقد جاء في الحديث صورة من الصور العملية للتحلي بخلق التواضع في قوله ﷺ "من ترك اللباس تواضعاً لله".

وإذا كان التواضع والتخلق به مطلوباً من المسلمين عامة، فإنه مطلوب من المربين والموجهين والمرشدين خاصة، إذ أن التكبر والتعالي على الآخرين والنظر إليهم بعين الاستصغار والازدراء يُعدُّ عقبة كَأْدَاء بين المربي وتلميذه، إذ كيف يسمع الأخير لمن مَيَّز نفسه عنه وتعالى عليه[1]، وتطاول حتى بدا وكأنه من جنس آخر أعلى من جنس الإنسان.

وبهذا يتبين أن التخلق بالتواضع من أركان التربية الخلقية ولوازم العملية التعليمية، وبدونه لا تؤثر التربية، ولا تجني ثمار التعليم، إذ أن من طبيعة الناس التي جبلهم الله تعالى عليها أنهم لا يقبلون قول من يستعلي عليهم، ويحتقرهم ويستصغرهم، وإن كان ما يقوله حقاً وصدقاً" [2].

لذا ينبغي على المربي أن يكون قدوة حسنة في سلوكه وتصرفاته مصبوغاً متخلقاً بخلق التواضع لتكون تعاليمه أقرب ما تكون للقبول، وإرشاداته أسرع ما تكون إلى التنفيذ والتطبيق، وإذا ما توفر في المعلم والمربي التواضع والمتعلم والتلميذ الاحترام والإجلال نجحت عملية التربية نجاحاً لا مثيل لها، وانتهى الجميع إلى أسمى الغايات من الرفعة والسمو والارتقاء.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣٥٠.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص٣٤٧.

ثانياً- التركيز على معاني العقيدة:

إن من خصائص التربية الإسلامية التركيز على معاني العقيدة الإسلامية سواء كان ذلك وارداً في صريح الكلام أو في طياته، كما وردت الإشارة في حديث الباب إلى ذلك في قوله ﷺ: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة..."، وفي ذلك توجيه للمتعلم باستثارة ما هو كامن في عقيدته من الإيمان باليوم الآخر، وغيره من أركان الاعتقاد، لذا ينبغي على المربي تعميق العقيدة ومعانيها في النفوس، "حيث إن الإنسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه، فالإنسان كما هو معروف يقاد من داخله، وإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة، داخلت نفسه بشاشة الإيمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته، وانطلقت مُفعَّلَةً بوقود إلهي رباني يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار"[(١)].

ثالثاً- التربية بالترغيب:

إن الترغيب في العمل الصالح بالتحبيب فيه والوعد عليه بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة أو عاجلة، من أنجح الأساليب التربوية، "بل هو من الأساليب الضرورية لأي معلم ومربٍ، إذ أن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيوياً كان الكسب أو أخروياً"[(٢)].

وقد جاء استخدام الترغيب في حديث الباب، حيث بين ﷺ أن من ترك التظاهر وهو قادر عليه إيثاراً للزهد على التظاهر أثابه الله بتخييره بين حلل الجنة يلبس ما شاء منها، فقال ﷺ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعاً لله وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا».

إن استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في مجال التربية من الأهمية بمكان "فالإنسان بطبيعته النفسية يتأثر بما يثير الخوف في نفسه، وما يدفع بالأمل في قلبه.

إن الأعمال التي يريد المربي إتيانها من قِبَلِ المتربين لأنها مفيدة لهم أو يقلعوا عنها

---

(١) الدعوة إلى الله، "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي، ص١١٧.

(٢) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ص١٤٠.

لأنها ضارة بهم تحتاج في تنفيذها إلى حوافز وتشجيعات أو إلى نواهٍ وزواجر، ومن هنا تأتي الحاجة إلى الترغيب والترهيب"[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص٢١٧، ٢١٨.

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس

ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

الحديث رقم (٨٠٣)

٨٠٣- عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ يُحِبُّ أنْ يُرَى أثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

المعنى الذي يتناوله الحديث يُحدث توازناً بين الافتخار، والزينة، وبين الرثاثة والتبذل بحيث يتخذ المؤمن موقفاً وسطاً يتعامل به مع نعم الله في المطعم، والملبس وكل شؤون الحياة.

وقد جاء المعنى في صورة خبرية مؤكداً بأكثر من مؤكد تعظيماً له ينبع من قلب المتكلم يبعثه بنفس درجة إحساسه به في قلوب المخاطبين، ثم إن مجيء لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه فيه تشويق بالإضافة إلى أن لفظ الجلالة من الألفاظ الموحية بطبيعتها؛ لأنه يوحي بالهيبة، والجلال، والجمال في كل نفس بقدر صفائها، واستعدادها لتقبل وحيها.

أضف إلى ذلك ما تثيره كلمة (يحب)، (وأن يرى) الرؤية يمكن أن تكون بصرية أي تبصر نعمة الله ظاهرة على حاله، ويمكن أن تكون قلبية بأن يستشعرها في قلبه، ويستعظمها على نفسه، وأن يعلم أنه لا حول له، ولا قوة له فيها، بل هي محض فضل الله، وأثر النعمة ما يظهر منها بأن تظهر على مأكله، وملبسه، وصدقته، وزكاته، وتعليمه الناس إن كان عالماً، وخدمته للناس إن كان صاحب منصب، أو حرفة،

---

(١) برقم (٢٨١٩). وقال الحاكم (١٣٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والتعبير بحرف الجر (على) في قوله: (على عبده) يشير إلى كمال الظهور حتى تستعلي عليه، لأن الشيء كلما ارتفع كان أتم في الظهور، وذلك لون من ألوان شكر النعمة.

والتعبير بالعبد تذكير بلوازم العبودية من الذل، والخضوع، وإضافة العبد للضمير العائد على الله تشريف للعبد يقتضي مزيد شكر، وطاعة للمنعم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار أثر نعم الله على الإنسان.

ثالثاً: من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعوين، وتبين مدى ثقة الداعية فيما يقول، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[2].

(إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما، مراعياً موطناً آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به، لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهاً به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. ولقد جاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة، فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب - ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً، مقراً بعجز الخلق

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩.

أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على إظهار أثر نعم الله على الإنسان:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده". قال المباركفوري: "والمراد بأثر نعمته أي: إحسانه وكرمه تعالى، فَمِنْ شُكْرها إظهارها ومن كُفْرانها كتمانها. قال المظهر: يعني إذا أتى الله عبداً من عباده نعمة من نعم الدنيا فليظهرها من نفسه، بأن يلبس لباساً يليق بحاله لإظهار نعمة الله عليه، وليقصده المحتاجون لطلب الزكاة والصدقات، وكذلك العلماء يظهروا علمهم ليستفيد الناس منهم"[٢]. هذا وقد امتن الله على عباده بكثير من نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣]، وأمر الله بإظهار نعمته والتحديث بها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٤].

قال السيوطي: عن أبي نضرة قال: "كان المسلمون يرون أن من شكر النعمة أن يُحَّدث بها". وعن عمر بن عبدالعزيز قال: "إن ذكر النعم شكر". وعن الحسن قال: "أكثروا ذكر هذه النعمة فإن ذكرها شكر". وعن قتادة قال: "مِنْ شُكْرِ النعمة إفشاؤها". وعن الحسن بن علي قال: "إذا أصبت خيراً فحدث إخوانك"[٥].

وقال ابن عاشور: "وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٦]، مقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[٧]، فإن الإغناء نعمة، فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ١٢٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١١١/٢

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٤) سورة الضحى، آية: ١١.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩١/١٥.

(٦) سورة الضحى، آية: ١١.

(٧) سورة الضحى، آية: ٨.

بالحديث عنها وإعلان شكرها، وليس المراد بنعمة ربك نعمة خاصة، وإنما أريد الجنس، فيفيد عموماً في المقام الخطابي، أي حدث بما أنعم الله به عليك من النعم، فحصل في ذلك الأمر شكر نعمة الإغناء، وحصل الأمر بشكر جميع النعم لتكون الجملة تذييلاً جامعاً[1]. والمسلم مطالب أن يظهر نعمة الله عليه.

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده، فإنه من الجمال الذي يحبه، وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال الباطن، فيحب أن يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليها، ولمحبته سبحانه للجمال، أنزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظواهرهم، وتقوي تجمل بواطنهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[2]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾[3]، فجمل وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالسرور، وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والزينة والهيئة، يبغض القبيح من الأفعال والأقوال والثياب والهيئة، فيبغض القبيح وأهله، ويحب الجمال وأهله"[4].

وقد أرشد النبي ﷺ أصحابه إلى أن يظهروا نعمة الله عليهم، فعن أبي الأحوص عن أبيه قال: كُنْتُ جَالِسا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي رَثَّ الثِّيَابَ فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَالَ: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُهُ عَلَيْكَ»، وفي رواية: «فلتر نعمته وكرامته عليك»[5].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٢ -٣٠/٤٠٣

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ١١، ١٢.

(٤) الفوائد المشوفة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٦٢، ٢٦٣.

(٥) أخرجه النسائي ٥٢٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٨٢٠)، وأخرجه الترمذي ٢٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: التحدث بنعمة الله والشكر العملي لها ببذل المعروف والصلة:

يتضح هذا من سياق الحديث: فإن الشكر الحقيقي لنعمة الله يكون بالتحدث بها وبذلها للناس إن استطاع، قال ابن القيم: "الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه: شهودا ومحبة، وعلى جوارحه: انقيادا وطاعة"[(١)]. وقد ربط الله سبحانه بين شكر النعمة والزيادة منها، فقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[(٢)]، وبين القرآن أن ثمرة شكر النعمة تعود على الشاكر نفسه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[(٣)].

والشكر هو الاعتراف بالإحسان، والمسلم يتحدث بنعمة الله ويشكر ربه عليها "إن الشكر هو ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيماناً، وفي لسانه حمداً وثناءً، وفي جوارحه عبادة وطاعة، ويكون القليل من النعمة مستوجباً للشكر الكثير، فكيف بالكثير منها، والشكر شعبة من شعب الإيمان، فالشكر على النعمة يقابله الصبر على الضراء، والشكر صفة من صفات الله عز وجل، فقبل أن يُشَرف الحق سبحانه وتعالى عباده بدعوتهم إلى التخلق بالشكر، أخبرهم أنه في حقه صفة من صفات كماله، فمن أسمائه الحسنى "الشكور" لا يبخس العباد أعمالهم، ولا يظلمهم حقهم، بل يجزي بالحسنة أضعافها، ويجزي بالسيئة مثلها، وقد يعفو ويغفر. والشكر خلق من أخلاق الأنبياء عليهم السلام فهم أول من اقتبس من نور هذه الصفة الإلهية، فشكروا الله تعالى فشكر الله لهم"[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٢٤٤.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٢.

(٤) فضيلة الشكر، د. محمد عزالدين توفيق، مقال بمجلة البيان، العدد ١١٤، صفر ١٤١٨هـ/ يوليو١٩٩٧، ص٦٨، ٦٩.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده"، وإذا علم العبد أن الله يحب أمراً فإنه يسارع في فعله، وتنفيذه، فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع المدعو إلى تنفيذ الفعل. "ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه، كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى الطاعة"[1].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[3].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

(٢) سورة محمد، آية: ١٢.

(٣) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

لا يعني النهي عن اتخاذ فاخر الثياب كبراً أو شهرة أن يلبس الإنسان ردّي الثياب ورثه، بل الإسلام أذن بلبس ما يحسن لبسه وحرم التبذل في الملبس لمن كان ميسور الحال وبهذا تقوم التربية الإسلامية على:

أولاً- التربية على الوسطية والاعتدال والتوازن في جميع ميادين الحياة:

إن من ينظر في حديث الباب والأبواب التي قبله من كتاب اللباس ليلمس بحسه دعوة الإسلام وتربية أتباعه على الوسطية والاعتدال.

ففي الوقت الذي دعا إلى عدم التظاهر والمبالغة في استخدام الطيبات كما في قوله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء" وقوله: "من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها"، يدعو إلى تلبية حاجات الإنسان وإظهار نعم الله عليه، فقال ﷺ "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

لقد ربى الإسلام أتباعه على اتخاذ التوازن والاعتدال منهجاً وسلوكاً، وذلك من دلائل كمال المنهج الإسلامي وعجز الأنظمة الأخرى، "فلقد عجز الإنسان على مر العصور عن وضع نظام متوازن يطبقه في واقعه، كما نجد أنه ليس هناك منهج أو نظام بشري يخلو من الإفراط أو التفريط، وهذا ما أثبته لنا التاريخ ويريه لنا الواقع"[(١)].

أما الإسلام بتوازنه فإنه يتناول عناصر الشخصية جميعها واحتياجاتها ومتطلباتها لا يغفل عن شيء منها، وما يتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فيها نشاطه دون أن يكون هناك تعارض مع العناصر الأخرى، والذي جعل الإسلام هكذا لأنه دين الله الخالق، وهو أعلم بخلقه[(٢)].

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٢٧.

(٢) انظر: معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص١٢١.

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١].

وهكذا نرى أن الإسلام ربى الإنسان بطريقة متوازنة[٢]، وكان نتاج ذلك إيجاد مجتمع متوازن وإنسان متوازن وشخصية إسلامية متوازنة في كل شيء في المادة والروح في الدنيا الآخرة، في الروح والعقل والجسم بعيدًا عن الغلو، دونما إفراط أو تفريط.

ثانياً- الابتعاد عن إيلام النفس وتعذيبها:

لقد جاء الحديث حاملاً دعوة الإسلام لأن تظهر نعم الله على من أنعم عليه، ومن مظاهر ذلك الاستمتاع بما خلق الله وأنعم في المباحات في حدود الضوابط المشروعة، فقال ﷺ: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده".

وبذلك يظهر فضل الإسلام على غيره من الأديان والمذاهب التي وضعها البشر لأنفسهم، والتي "منها ما نظر أتباعها إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها وعطلوا قواهم من عمارتها والإسهام في تنميتها وترقيتها واكتشاف ما أودع الله فيها، كما عُرِف ذلك في برهمية الهند ومانوية فارس، وبدا ذلك بوضوح وجلاء في نظام الرهبانية الذي ابتدعه النصارى فعزلوا به جماهير غفيرة عن الحياة والتمتع بها والإنتاج فيها.

وأصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق، هو الانقطاع عن العالم، والتفرغ للعبادة، وأن المتدين الحق هو الذي يتبطل فلا يعمل ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، يده في الدنيا صفر، وحظه من الحياة خبز الشعير ولبس المرقع واتخاذ الفُلُوَّات داراً[٣].

لقد جاء الإسلام بمنهج يوجه الإنسان إلى الجمع بين الحياة الدنيا وما فيها من المنافع والملاذ والطيبات التي أحلها الله، وبين الحياة الآخرة ومصيرها في وقت واحد[٤]،

---

(١) سورة الملك، آية: ١٤.

(٢) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٠١.

(٣) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤١، ١٤٢.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٣٧.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾[1].

ثالثاً- العناية بالمظهر والملبس:

من المضامين التربوية التي يحملها الحديث ويزجيها للمربين ولمن يتوجون إليهم بالتربية على حد سواء الاهتمام بالمظهر والملبس الطيب الذي يوحي إلى من يراه بعلامات وآثار نعمة الله عز وجل.

"إنه مما ينبغي الحرص عليه الاهتمام بجمال المنظر من حيث النظافة واللبس الحسن، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة"[2].

وذلك في حدود القصد والاعتدال والبعد عما حرم الله تعالى.

فأحرى بالمربين والمعلمين ألا يهملوا الاهتمام بالجانب الجمالي، فإن الاعتناء بالجانب الجمالي أمر ضروري لتكوين إنسان متكامل وشخصية مثالية في كل شيء حتى في جانب الملبس والمظهر.

رابعًا-حفظ الهيبة وبقاء الكرامة:

من المحاسن التربوية التي يحملها الحديث التربية على حسن الهيئة والهندام، فإن ذلك من أسباب حفظ الهيبة، وبقاء الكرامة، فالناس درجوا على احترام صاحب الهيئة الجميلة المسترعية للانتباه والاهتمام، وأحوج الناس إلى تطبيق ذلك هم العلماء والدعاة والمعلمون والمربون، فالناس يرون هيئاتهم قبل أن يسمعوا كلامهم فليكونوا شامة بين الناس.

فما أجمل وأجمل بالمؤمن: "أن يلبس من الثياب ما يحفظ هيبته، ويبقى كرامته، ويتناسب مع مكانته تحدثاً بنعمة الله تعالى، وشكراً له، لا فخراً ولا ترفعاً ولا كبراً على غيره في حدود المعقول والإمكانيات المتاحة له"[3].

---

(١) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، الطبعة الأولى، مطابع أضواء المنتدى، الرياض، ١٤٢٧هـ، ص٧٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٥.

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

الحديث رقم (٨٠٤)

٨٠٤- عن عمر بن الخَطَّابِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

ورد المعنى في صورة إنشائية تصدَّرها أسلوب النهي بـ (لا) الناهية الداخلة على الفعل المضارع (تلبسوا) المتصل بواو الجماعة دلالة على عموم النهي لكل رجال المسلمين، والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله.

ثم جاءت جملة التعليل مرتبطة بما قبلها بفائه لتحقق الإقناع العقلي بالبرهان بعد الإقناع القلبي بالإيمان بضرورة الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ، ولكي تحقق هذه الجملة الإقناع أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، ثم الاسم الموصول الذي ينبه على الخطأ، والفعل الماضي الدال على تحقق الوقوع، والجار، والمجرور الدال على العجلة (في الدنيا)، ثم استخدام أداة النفي، والجزم (لم) التي تقرر الحرمان، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩/١١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٣٠).

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم لبس الحرير: أجمع أهل العلم على أن لباس الحرير الخالص، مباح للنساء، محرم على الرجال في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما[١].

٢-حكم افتراشه وتوسده والنوم عليه: ذهب الجمهور إلى أنه يحرم على الرجال أيضاً استعمال الحرير، بوجه من هذه الوجوه، كما يحرم عليه لبسه.

بينما ذهب أبو حنيفة، وابن الماجشون المالكي إلى أنه لا بأس للرجل بافتراش الحرير وتوسده والنوم عليه، لأنه استخفاف به، فلا يكره[٢].

٣-حكم استعماله في الضرورة: ذهب الجمهور إلى أنه يجوز لبس الحرير للتداوي به من الجرب، أو الحكة، أو غيرها من الأدواء التي يفيد فيها لبس الحرير.

وفي رواية عن مالك، وقول للشافعي، ورواية عن أحمد: لا يجوز ذلك، لأن الحرمة الواردة في الأحاديث عامة في الرجال، أما أحاديث الرخصة فيحتمل اختصاصها بعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام[٣].

٤-حكم استعمال أواني الذهب والفضة: وقد سبق بيانه في الأحاديث رقم (٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦).

---

(١) الاختيار ٤/١١، والمقدمات ٣/٤٣١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٣٠٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥١١.

(٢) الاختيار ٤/١١، ١٧، والمقدمات ٣/٤٣١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٣٠٦، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥١١.

(٣) الاختيار ٤/١١، والمقدمات ٣/٤٣٠، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٣٠٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥١١، ٥١٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٣٣٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي والتوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير.

ثالثاً: من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة.

رابعاً: من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والتوكيد:

١- النهي: حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه، وضرورة اجتنابه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ﴾[3].

٢- التوكيد: حيث جاء في الحديث "فإن من لبسه في الدنيا" وقوله "إنما يلبس الحرير" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين مدى ثقة الداعية وصدقه، فيما يقول ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[4] وقوله جل شأنه ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحريم لبس الحرير:

حيث جاء في الحديث "لا تلبسوا الحرير" وقوله "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له" ولاشك أن هذا يدل على حرمة لبس الحرير للرجال، قال النووي: وقوله: "لا خلاق له في

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٥، ٨٠٦).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

(٥) سورة البروج، آية: ١٢.

الآخرة" فقيل معناه: من لا نصيب له في الآخرة، وقيل: من لا حرمة له، وقيل: من لا دين له فعلى الأول يكون محمولاً على الكفار، وعلى القولين الأخيرين يتناول المسلم والكافر[١]. وقد جاء في الحديث الشريف عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ((أُحِلَّ الذهبُ والحريرُ لإناثِ أُمَّتِي، وحُرِّمَ على ذُكُورِهَا))[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على حل الحرير المصمت - أي الخالص - للنساء لبساً واستعمالاً واتفقوا على حرمة لبس الحرير المصمت أي الخالص على الرجال ثياباً وغطاءً للرأس واستعمالاً، ولو بحائل، وذلك للأحاديث التي تصرح بحرمته على الرجال، وهذا في غير حالة الحرب أو المرض أو ما في معناهما)[٣]. وقال ابن مفلح: (وفي اللباس يحرم على كل رجل حر وعبد استعمال ثوب وعمامة وتكة وسراويل وشرابة من الحرير بلا ضرورة، نص عليه الإمام أحمد، وقال الشيخ وجيه الدين بن المنجي: يحرم استعمال الحرير لباساً وافتراشاً)[٤].

قال محمد تقي العثماني: (إن اللباس والزي وإن كان أمراً يتعلق بمظهر الإنسان دون مخبره، غير أن له أثراً عميقاً على سيرته وخلقه وأحواله النفسية، فإن من اللباس ما يغرس في النفوس بذور الكبر والخيلاء، ومنه ما يربي فيها التواضع لله، ومنه ما ينشئ فيها الأخلاق الحسنة، ومنه ما يمهد لها السبيل إلى الإسراف والأشر والبطر وغمط حقوق الناس، فمن زعم أن اللباس ليس إلا مظهراً من المظاهر، ولا صلة له بالسير والأخلاق الكامنة في الصدور، فقد جهل طبيعة الإنسان. ولذلك لم يترك الإسلام أمر اللباس سدى، ولكن وضع له مجموعة من المبادئ، من أهمها أن يكون اللباس ساتراً للعورة، وأن يقصد به الستر والتجمل، وليس الخيلاء والكبر، أو الأشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١١.

(٢) أخرجه النسائي ٥١٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٧٥٤).

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/١٧.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٤٧١/٣.

والبطر أو الرياء وأن لا يقصد التشبه بلباس الكفار، وأن لبس الحرير حرام للرجال دون النساء وكذلك إسبال الإزار إلى الكعبين، لا يجوز للرجال، ويجوز للنساء)[١].

ثالثاً- من آداب الداعية: تحذير المدعو مما يضره في الآخرة:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وجاء في الحديث أيضاً: "إنما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة" ولاشك أن من أهم واجبات وآداب الداعية، هو تحذير المدعو مما يضره في الآخرة، حتى يتنبه ويأخذ حذره، ولا يقع في المحظور، وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ أن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة.

قال ابن حجر: (فيكون ذلك عقابه في الجنة، وذلك بأن يصرف الله نفسه عن طلبها لا أنه يحب ذلك، ويمنع منه لأن ذلك يخالف مقتضى تلك الدار من زيادة الإكرام، ومثله ما جاء في شارب الخمر، إذا مات ولم يتب، من أنه لا يشرب الخمر في الجنة. وقد قال ابن العربي: وظاهر حديث شارب الخمر، وحديث لابس الحرير، أنه لا يشرب الخمر في الجنة، ولا يلبس الحرير فيها، وذلك لأنه استعجل ما أمر بتأخيره ووعد به، فحرمه عند ميقاته)[٢].

وقال المباركفوري: (قال القاضي الشوكاني، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة، وقد قال الله تعالى في أهل الجنة ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣] فمن لبسه في الدنيا لم يدخل الجنة. وقال السيوطي: تأويل الأكثرين هو أن لا يدخل الجنة مع السابقين الفائزين)[٤]. هذا وقد جاء في القرآن ما يفيد أن لباس أهل الجنة من الحرير، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾[٦] وقال

---

(١) انظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٠/٧٦-٧٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٥.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١١٠.

(٥) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٢١.

تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[١].

وبناء على هذا، كان من واجب الداعية وآدابه تحذير المدعوين مما يعود عليهم بالضرر في الآخرة، خاصة وأن النبي ﷺ أخبر في الحديث أن من يلبس الحرير لا خلاق له في الآخرة، أي لا نصيب له في الآخرة.

رابعاً- من واجبات المدعو: السمع والطاعة والانتهاء عما نهى الله ورسوله عنه:

يتضح هذا من سياق الأحاديث، وقد أمر الله بهذا فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢] قال السعدي: (وفي هذه الآية أصل عام شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، ولا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)[٣]. ووصف الله تعالى المؤمنين بقوله عز وجل: ﴿إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أخبر سبحانه وتعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله، بأنهم يقولون سمعنا وأطعنا، ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح، وهو نيل المطلوب، والسلامة من المرهوب، قال قتادة: وذُكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله، ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليقة وللمؤمنين عامة. والذين يطيعون الله ورسوله هم الذين فازوا بكل خير، وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة)[٥].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٣١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

(٤) سورة النور، آية: ٥١.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٦.

خامساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة" وفي الحديث "إنما يلبسه من لا خلاق له في الآخرة" قال ابن عثيمين: (وهذا وعيد يدل على أن لباس الحرير للرجال من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عند أهل العلم)[١]. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو، وتحمل النفس على الطاعة والالتزام بالأوامر، والانتهاء عن النواهي (والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[٣] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١١١/٢.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة البروج، آية: ١٠.

الحديث رقم (٨٠٥)

٨٠٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((إنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: ((مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ)). قوله: "مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ"، أي: لا نصيب له.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى الحديث السابق، وهو النهى عن لبس الحرير للرجال، وهو للراوي نفسه، وهو عمر رضي الله عنه وهذا مما يؤكد معنى ما قاله سابقاً لإحاطته بأطراف الموضوع، وقد جاء في أسلوب مختلف عن سابقه حيث جاء في أسلوب خبري، وهو أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهذا الطريق من طرق القصر يأتي في المعاني التي يجهلها المخاطب، أو ينكرها مما يشير إلى أنه رأى من يلبسها جهلاً بحكمها، أو إنكاراً لمعناها، أو رأى ما يشبه ذلك فصاغه هذه الصياغة، ومعنى هذا القصر قصر صفة لبس الحرير على موصوف هو من لا خلاق له أي: لا نصيب له، وفي الكلام إيجاز بالحذف تقديره: في الآخرة.

والتعبير بجملة (من لا خلاق له) توحي بأن من يلبس الحرير في الدنيا في أخلاقه نقص من ناحية عدم إتباعه لأمر الله، ونهي الرسول ﷺ، أو من ناحية جهله بما لا يجب أن يجهله من أمور دينه.

واستخدام الاسم الموصول (من) يشير إلى عموم الحكم للرجال، والنساء، وبعض أحاديث الباب تخص النهي عن لبس الحرير بالرجال.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠٨١، ومسلم ٢٠٦٩/١٠. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣١.

(٢) برقم ٥٨٣٥. أوردها المنذري في ترغيبه ٣٠٣١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٦)

٨٠٦- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب خبري خلى من المؤكدات غرضه إثبات مضمونه، هذا في بداية كلام الراوي أما في بدية حديث الرسول فقد بدأ بأسلوب خبري أيضاً بداية بالموصول (مَنْ) الذي تضمَّن معنى الشرط، الذي يربط اللبس للحرير في الدنيا بالحرمان منه في الآخرة، ويفهم منها ضمناً شرط آخر، وهو أن من حرم نفسه منه في الدنيا إرضاءً لربه ألبسه الله إياه في الآخرة فالعلاقة بين الشرط، وجزائه علاقة عكسية إذا انتفى الشرط ثبت الجزاء، وإذا انتفى الجزاء ثبت فعل الشرط.

وفعل الشرط (لبس) الماضي الدال على التحقق والتعريف بـ (ال) في كلمة الحرير للعهد أي المعهود المعروف لديكم، أو للجنس أي جنس الحرير كله، وقوله في (الدنيا) إشارة إلى حرمتها، وأن هذه الحرمة مؤقتة، وأنها ستصير حلالاً في الآخرة إذا صبر المؤمن طاعة لربه، وقوله (فلن يلبسه) الفاء في جواب الشرط، ولن أداة نفي، والفعل المضارع المنفي يقرر حرمان المتعجل لهذه الزينة المخالف لسنة نبيه، ولا ننسى أثر المقابلة بين الدنيا، والآخرة التي تقرر عظم الخسارة لمن آثر المتاع الأدنى الفاني على المتاع الأعلى الباقي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٣٢، ومسلم واللفظ له ٢٠٧٣/٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٤، ٨٠٥).

الحديث رقم (٨٠٧)

٨٠٧- وعن علي رضي الله عنه ، قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخَذَ حَريراً ، فَجَعَلَهُ في يَمينِهِ، وَ[1] ذَهَباً فَجَعَلَهُ في شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمّتي)) رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يروي الحديث عليٌّ رضي الله عنه بأسلوب خبري يبدأ بفعل الرؤية الذي يدل على تمام العلم، وصيغة الماضي التي تدل على تمام التحقق، ، وقوله (أخذ حريراً) تنكير المفعول للتقليل وكذلك (ذهباً) والجمع بينهما من مراعاة النظير لأنهما من زينة الناس، ومما حرم على الرجال، والطباق بين اليمين والشمال يصور الصنفين مجتمعين مفترقين، مجتمعين في حكم الحرمة مفترقين في يدي الرسول ﷺ.

وقول الرسول ﷺ (إن هذين حرام على ذكور أمتي) توكيد الخبر تعظيم له، وتنبيه إلى خطره، وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز، وجعله ملأ الأسماع، والأبصار؛ لأن المعنى ثمْ يثبت بحاستي السمع، والبصر، وهما أقوى من حاسة واحدة، وأثبت؛ لأن الإشارة القريبة تلفت النظر إلى المشار إليه فيتقرر به مع السمع، وهذا أقوى في إثبات المعنى.

---

(١) عند ابي داود زيادة: (أخذ).

(٢) برقم ٤٠٥٧. قال عبد الحق في الأحكام ٤/١٨٤: قال ابن المدينيّ: حديثٌ حسنٌ، ورجاله معروفون. اورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٤.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين.

ثانياً: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان.

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ.

رابعاً: من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: شد الانتباه والإشارة باليدين:

ورد ذلك الأسلوب في قول علي بن أبي طالب: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيراً فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ وذَهَباً فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي». وإن شد الانتباه ولفت الأنظار واستعمال الإشارة من أسباب جودة الأداء والعرض لدى الداعي، فإن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الخطيب للحال ما يريد بيانه من المعاني وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقاً بها، ولا غنى له عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحاً، وبذلك يصل إلى المقصود من قلوب الحاضرين[٢]. فإن من الناس من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[٣].

ثانياً- من واجبات الداعية: البيان والتوضيح لإقرار المعاني في الأذهان:

إن من أهم الواجبات البارزة التي يجب على الداعية الاضطلاع بها، والتي هي أهم الأسباب في نجاح الدعوة: "البيان والتوضيح"، ولقد أمر الله تعالى الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٤]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٥]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٨، ٨٠٩).

(٢) فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ ص ٦٤.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ١٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٣.

الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[١]، ومن يقرأ الحديث يجد مدى بيان الرسول ﷺ لحكم الذهب والحرير، بالبيان القولي والإشارة وتفصيل الحكم واختلافه بالنسبة للذكور والإناث. "أخذ حريراً فجعله في يمينه وذهباً فجعله في شماله، ثم قال: إن هذين حرام على ذكور أمتي"، وفي رواية أبي موسى الأشعري: "حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

وفي ذلك تصوير عملي وتشخيص واقعي أعلن رسول الله ﷺ حرمة الذهب والحرير على الرجال لغير ضرورة، فعلى لابسيه أن يخلعوه[٢]، لذا ينبغي على الداعية أن يبلغ الدعوة تبليغاً مبيناً، لا يستعصى على فهم، ولا يقف على عقل، وأن يتخذ من الوسائل والأساليب ما يعينه على ذلك. وذلك من واجبات الداعية. يقول عبدالرحمن حسن حبنكة: (فتبليغ نصوص الدين وبياناته وتعليماته تبليغاً يوصل المعاني إلى فهم المبلغين فهماً صحيحاً وافياً، أول واجبات حملة رسالة الدعوة إلى الله، وإلى صراطه المستقيم مع دعوتهم إلى الدخول في الإسلام، وإشعارهم بأنهم بعد البلاغ يحملونهم مسؤولياتهم تجاه ربهم، وعليهم أن يتحملوا نتائج ما يختاروا لأنفسهم، من استجابة وطاعة، أو رفض ومعصية)[٣].

ثالثاً: من واجبات المدعو: اجتناب الأمور التي حذر منها رسول الله ﷺ

إن من صحة الإسلام وكمال الإيمان طاعة رسول الله ﷺ، بامتثال أمره واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٥]، أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦-٢٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٦.

(٣) فقه الدعوة ١/١٦، ١٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

بخير وإنما ينهي عن شر[١].

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"[٢]. ومن الأمور الواجب اجتنابها، ما جاء في الحديث من تحريم لبس الحرير والذهب على الذكور، فقال ﷺ "إن هذين حرام على ذكور أمتي".

ولقد أعطانا الصحابة رضي الله عنهم مثالاً يحتذى في الاستجابة المطلقة لرسول الله ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومن دلائل ذلك ما روى عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال يعمِد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده، فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»[٣]. وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب فكان يجعل فصه في باطن كفه إذا لبسه فصنع الناس، ثم إنه جلس على المنبر فنزعه فقال: إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فصه من داخل فرمى به ثم قال: والله لا ألبسه أبداً، فنبذ الناس خواتيمهم»[٤].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "فنبذ الناس خواتيمهم" فيه امتثال ما يلزمهم من الاقتداء بأوامر النبي ﷺ وأفعاله، وقوله في حديث الرجل "لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ" مبالغة في امتثال طاعته واجتناب نهيه)[٥].

رابعاً- من أصناف المدعوين: الذكور والإناث من المسلمين:

إن مراعاة تصنيف الداعي للمدعوين من الأمور التي تعين على نجاح الدعوة، فما

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠٩١.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٠٤/٦، ٦٠٥.

يقال للمشركين لا يقال لأهل الكتاب، وكذلك ما يقال لأهل الكتاب غير ما يقال ويوجه به المسلمون، وكذلك تصنيف المسلمين إلى رجال ونساء، وكذلك تصنيفه لهم إلى مؤمنين صادقين، ومحسنين، ومسلمين لا يتصفون بهذه الصفات، وغير ذلك من تصنيفات تساعد الداعي على معرفة الداء والدواء المناسب لها، وعوامل الانتصار والهزيمة[1]، وقد جاء الحديث موجهاً للذكور والإناث من المسلمين في مجال الملبس والزينة، فقال ﷺ: مبيناً حكم الحرير والذهب: «إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»، وقال: " حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحل لإناثهم".

---

(١) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب ص ٣٣.

الحديث رقم (٨٠٨)

٨٠٨- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

أسلوب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أسلوب خبري مؤكد تعظيماً للخبر، وقول الرسول ﷺ خبر مجرد عن التوكيد قائم على أسلوب الطباق الذي يعتمد تقرير المعنى عن طريق الجمع بين المتضادين وقوله: ﷺ (حرم لباس الحرير وَالذَّهَب عَلَى ذُكُور أُمَّتِي وَأُحِلّ لإِنَاثِهِمْ) فيه مطابقة بين الفعلين حُرم، وأحُل، وبين الذكور، والإناث، وهذا الطباق يوحي بعدة دلالات منها:

أن مسألة التحريم، والتحليل تشريع فوق اختيار الفرد بل، وفوق اختيار الرسول ﷺ لأنها تشريع من الله - عز وجل - وهذا ما يؤكده بناء الفعلين لما لم يسم فاعله، وفيها إيجاز بحذف الفاعل للعلم به أي: حرم الله، وأحل الله.

ومنها أن هذا الطباق يقرر المفارقة بين الجنسين تبعاً لطبيعة كل منهما فما يصلح للرجال قد لا يصلح للإناث، والعكس، وهذا ليس تمييزاً لجنس على جنس، وإنما رعاية لطبيعة كل منهما.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ١٧٢٠. سعيد بن أبي هند لم يلق أبا موسى الأشعري، كما قال أبو حاتم في المراسيل لابنه ص ٧٠، وقال الدارقطني في العلل ٢٤٢/٧: سعيد بن أبي هند لم يسمع من أبي موسى شيئا، وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص ٥٣/١: ومشى ابن حزم على ظاهر الإسناد فصحّحه، وهو معلول بالانقطاع.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٠٩)

٨٠٩- وعن حُذَيْفَةَ ﷺ، قَالَ: نَهَانَا النَّبِيُّ ﷺ أنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الدِّيباج: نوعٌ من الحرير، هو الإبرسيم، وقيل: هو أحسن الحرير[(٢)].

الشرح الأدبي

يروي الحديث حذيفة ﷺ بأسلوب خبري مجرد عن التوكيد، وقد نقل النهي عن النبي ﷺ بأسلوب خبري دون صيغة النهي الإنشائية، وقوله (نهانا النبي ﷺ) فيه توكيد للنهي من ناحية صيغة الماضي التي تقرر تمام الفعل، ثم إيقاع الفعل على ضمير الجماعة دون المفرد، مما يشير إلى عمومه، وقوله (أن نشرب)، وأن، وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: الشرب، ولم يعبر بالمصدر الصريح (الشرب) لأن التعبير ب (أن) والفعل المضارع مع إفادته لما يفيده المصدر، فإنه يستحضر صورة الفعل، وما فيه من تعالٍ وغرور، وما يثيره في مشاعر الفقراء الذين لا يجدون قوتهم الضروري، وهو أقوى في التنفير من الفعل المنهي عنه، والتي تقرره الظرفية المفهومة من حرف الجر، وإضافة الآنية للذهب، والفضة في قوله: (في آنية الذهب والفضة)، وقوله: (عن لبس الحرير والديباج) فيه إيجاز بحذف الفعل بتقدير، ونهانا، وفي الحديث مراعاة النظير، وهو الجمع بين الشيء وما يناسبه فقد جمعت حرمة الاستعمال بين (الذهب - الفضة - الحرير - الديباج)، بالإضافة إلى كونها مظاهر فخر، وكبر، كما جمع بين الأفعال

---

(١) برقم ٥٨٣٧. أورده المنذري في ترغيبه ٣٠٣٨.

(٢) ل في (د ب ج)، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (إ ب ر س ي م).

المتعلقة بها، والتي اكتسبت الحرمة من هذا التعلق، وهي: (نشرب - نأكل - - نجلس)، وقد استخدمها في صيغة الفعل الدال على التجدد، والحدوث بينما عبَّر في جانب اللباس بالمصدر (لُبْس) الدال على الثبوت، والدوام؛ لأن ملازمة اللباس للبدن دائمة بعكس البقية فإنها منقطعة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٠٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٠٧، ٨٠٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

للسرف مظاهر شتى منها: الإنفاق فوق الطاقة، التبذير في المال من طرق شتى، منها لبس الذهب للرجال وكذا الحرير، كما أن الرجولة تتطلب الخشونة ولا تأذن بالتميع، ولهذا أوجب الإسلام:

أولاً- تربية الذكور على الرجولة والابتعاد عن مظاهر الميوعة:

جاءت أحاديث الباب موجهة الذكور بالارتفاع والتعالي بسلوكهم على مظاهر التخنث والميوعة.

ومن مظاهر ذلك لبس الذكور للذهب والحرير. فجاءت أحاديث الباب محرمة لهما على الذكور، كما في قوله ﷺ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ والذَّهَب على ذُكُورِ أُمَّتِي وأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ».

والعلة في تحريمها على الذكور هو البعد عن مظاهر التخنث التي لا تليق بشهامة الرجال ومحاربة الترف الذي يؤدي إلى الانحلال.

لقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ حاملة التوجيهات القيمة الداعية إلى حياة الجد والرجولة المحذرة من الميوعة والانحلال.

إن من المعلوم بداهة أن الولد إذا نشأ على الميوعة والانحلال وتربى على الفجور والمنكر ودرج على الهزل وعدم الاكتراث فإن شخصيته تتحطم، ونفسيته تتعقد وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض.

لهذا كله كان لزاماً على المربين -ولاسيما الأمهات- أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلق العظيم.

كما أن عليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل ما يحطم الرجولة والشخصية ويقتل

الفضيلة والأخلاق[١] كالتشبه بالنساء في لبس الحرير والتزين بالذهب وغير ذلك من الأمور الخاصة بهن.

"إن تربية الولد على الميوعة وتعويده على الترف والنعيم والبذخ يجعله ينشأ مترفاً مُنَعَّماً همّه خاصة نفسه فحسب فلا يهتم بالآخرين ولا يسأل عن إخوانه المسلمين، لا يشاركهم أفراحهم ولا يشاطرهم أتراحهم، فتربية الأولاد على هذا النحو مما يفسد الفطرة، ويقتل الاستقامة ويقضي على المروءة والشجاعة"[٢].

ثانياً- مراعاة الفروق الجنسية:

من المضامين التربوية المستنبطة من هذا الباب مراعاة الفروق الجنسية من خلال التفرقة في التربية والمعاملة بين الجنسين "الذكر والأنثى"، ومراعاة ما بينهما من فوارق في النوع والفطرة والوظيفة التي خُلق من أجلها، ومن مظاهر ذلك تحريم الذهب والحرير على الذكور وتحليلهما للإناث، وذلك "مراعاة لأنوثة المرأة وتنمية لغريزة حب التملك فيها وتلبية لفطرتها في حب الزينة وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر وأجمل هيئة"[٣]، بخلاف الرجل الذي فطر على القوة والخشونة.

إن المربي إذا ما استحضر الفوارق النوعية بين مَنْ يربيهم وما بينهم من فوارق واختلافات، في الخلق والفطرة والطباع والشخصيات، "فإذا ما وُفِّق المربي لتلك الأمور وعامل المتربين بذلك المقتضى كان حرياً بأن يحسن تربيتهم وأن يسير بهم على الطريقة المثلى"[٤].

ثالثاً- التربية الاقتصادية:

من المضامين التربوية التي تشتمل عليها أحاديث الباب وتزجيها لنا من بين طياتها التربية الاقتصادية والمحافظة على المال، لأن المال وظيفته إنما تكمن في استثماره

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢١٣/١، ٩٦٥/٢.

(٢) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٠٠.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٦٧/٢.

(٤) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٤٢.

ودورانه لا في كنزه ووضعه على الأيدي والصدور، فإن ذلك تعطيل للمال عن وظيفته وحرمان للمجتمع من استثماره وفوات الانتفاع به، وإذا كان الإسلام قد أحَل لبس الحرير والتزين بالذهب للنساء فإنما كان ذلك رعاية لما جبلن عليه، وذلك في حدود الاعتدال والمعقول، أما الرجال فحرم عليهم ذلك تحريماً قاطعاً، كما جاء ذلك في صريح أحاديث الباب.

إن من أهم أعمدة الاقتصاد الإسلامي الحفاظ على الثروات من التبديد والإهدار، وكذلك من الاكتناز والتعطيل عن المهمة التي من أجلها خلقت واستخلف الإنسان فيها، وذلك له أكبر الأثر في استتباب الأمن الاقتصادي والاجتماعي والحفاظ (والحرص على الشخصية المسلمة أن يستذلها الفقر أو يهينها السؤال)[1]، فإذا بقى المال مصوناً من العبث والتعطيل بقيت شخصية المسلم كريمة الجاه عزيزة السلطان.

رابعاً- من أساليب التربية: الحرمان:

وذلك ما يمكن لنا أن نراه في معاقبته للابس الحرير والمتزين بالذهب من الرجال من الحرمان بالتحلي والاستمتاع بهما في الآخرة، كما قال ﷺ: «لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ».

"والحرمان أن تجعل العقوبة من جنس العمل أي أن يكون قاسم مشترك بين العقوبة وبين الفعل الخطأ، وفي ذلك فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"[2].

واستخدام المربي لأسلوب الحرمان إنما يكون في مرحلة لا يستخدمها إلا إذا أعيته ما قبلها من الأساليب العقابية، كعدم الرضا والتقريع وغير ذلك.

لكن ينبغي على المربي أن يستحضر أن أسلوب الحرمان، برغم قوة تأثيره، إلا أن التمادي فيه بمجاوزة الحد، له انعكاسات خطيرة على سلوك المتربي، فقد تؤدي به إلى الانحراف السلوكي من أجل إشباع ما حُرم منه، كما أنه لا يُعمد لهذا الأسلوب إلا إذا

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ٢٥١/١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

أعيته الوسائل التربوية الأخرى ولوقت يسير" [١].

خامساً- من أساليب التربية: إظهار المُحَرَّم والمنهي الذي يُزْجر عنه:

من أساليب التربية الناجعة اطلاع المتربين على الأشياء المحرمة ورؤيتهم لها لتأكد معرفتهم بها "ليقرر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة، ليكون ذلك أزجر للنفوس وأقطع في الدلالة على التحريم"[٢]، كما رأينا ذلك في أحاديث الباب من إتيان رسول الله ﷺ بالذهب والحرير وإمساكهما بيديه "إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال:...".

"إن استخدام مثل هذه الأساليب الحسية في التربية لها أكبر الأثر في نجاح العملية التعليمية والتربوية، كما أن استخدام الوسائل والأساليب التربوية الحسية "يثير اهتمام الطلاب والمتربين، ويثير لديهم الرغبة في التعلم، وبذلك يكون دافعاً وحافزاً على التعلم، كما يكون مبعداً للملل والسأم اللذين ينتابان المتعلمين بسبب الرتابة اللفظية والتجريدية المعقدة، كما أنها تساعد على ترسيخ آثار التعلم وتجعل الخبرات باقية ومساعدة على عدم النسيان"[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠٤.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٠.

(٣) منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور، ص٤٨١، ٤٨٢.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٩٢- باب الوقار والسكينة	٥
الحديث رقم (٧٠٣)	٥
٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار	١٦
الحديث رقم (٧٠٤)	١٦
الحديث رقم (٧٠٥)	٢٤
٩٤- باب إكرام الضيف	٣٥
الحديث رقم (٧٠٦)	٣٥
الحديث رقم (٧٠٧)	٣٧
٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير	٤٧
الحديث رقم (٧٠٨)	٤٧
الحديث رقم (٧٠٩)	٥٣
الحديث رقم (٧١٠)	٦٥
الحديث رقم (٧١١)	٧٤
٩٦- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه	٨٩
الحديث رقم (٧١٢)	٨٩
الحديث رقم (٧١٣)	٩٢
الحديث رقم (٧١٤)	١١٢
الحديث رقم (٧١٥)	١١٤
الحديث رقم (٧١٦)	١٢٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٧١٧)	١٢٢
٩٧- باب الاستخارة والمشاورة	١٣٣
الحديث رقم (٧١٨)	١٣٣
٩٨- باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق، والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة	١٤٦
الحديث رقم (٧١٩)	١٤٦
الحديث رقم (٧٢٠)	١٥٢
٩٩- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم	١٥٧
الحديث رقم (٧٢١)	١٥٧
الحديث رقم (٧٢٢)	١٦٤
الحديث رقم (٧٢٣)	١٦٩
الحديث رقم (٧٢٤)	١٧٣
الحديث رقم (٧٢٥)	١٧٨
الحديث رقم (٧٢٦)	١٨٠
الحديث رقم (٧٢٧)	١٨١
٢- كتاب آداب الطعام	١٩١
١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره	١٩١
الحديث رقم (٧٢٨)	١٩١
الحديث رقم (٧٢٩)	١٩٤
الحديث رقم (٧٣٠)	١٩٨
الحديث رقم (٧٣١)	٢٠٢
الحديث رقم (٧٣٢)	٢٠٨
الحديث رقم (٧٣٣)	٢١٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٧٣٤)	٢١٦
الحديث رقم (٧٣٥)	٢٢٠
١٠١- باب لا يَعيبُ الطَّعام واستحباب مَدحه	٢٢٨
الحديث رقم (٧٣٦)	٢٢٨
الحديث رقم (٧٣٧)	٢٣٥
١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر	٢٤٦
الحديث رقم (٧٣٨)	٢٤٦
١٠٣- باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره	٢٥٥
الحديث رقم (٧٣٩)	٢٥٥
١٠٤- باب الأكل مِمَّا يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله	٢٦٣
الحديث رقم (٧٤٠)	٢٦٣
الحديث رقم (٧٤١)	٢٦٥
١٠٥- باب النَّهي عن القِرَان بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلاَّ بإذن رفقته	٢٧٠
الحديث رقم (٧٤٢)	٢٧٠
١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع	٢٧٨
الحديث رقم (٧٤٣)	٢٧٨
١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها	٢٨٧
الحديث رقم (٧٤٤)	٢٨٧
الحديث رقم (٧٤٥)	٢٩٣
١٠٨- باب كراهية الأكل متكئًا	٣٠٢
الحديث رقم (٧٤٦)	٣٠٢
الحديث رقم (٧٤٧)	٣٠٦
١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة الَّتي تسقط منه وأكلها وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها	٣١٣
الحديث رقم (٧٤٨)	٣١٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٧٤٩)	٣١٨
الحديث رقم (٧٥٠)	٣٢٢
الحديث رقم (٧٥١)	٣٢٣
الحديث رقم (٧٥٢)	٣٢٥
الحديث رقم (٧٥٣)	٣٢٧
الحديث رقم (٧٥٤)	٣٢٩
١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام	٣٤١
الحديث رقم (٧٥٥)	٣٤١
الحديث رقم (٧٥٦)	٣٤٢
١١١- باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التَّنَفُّس في الإناء واستحباب إدارة الإناء عَلَى الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ	٣٤٦
الحديث رقم (٧٥٧)	٣٤٦
الحديث رقم (٧٥٨)	٣٥٣
الحديث رقم (٧٥٩)	٣٥٤
الحديث رقم (٧٦٠)	٣٥٩
الحديث رقم (٧٦١)	٣٦٥
١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم	٣٧١
الحديث رقم (٧٦٢)	٣٧١
الحديث رقم (٧٦٣)	٣٧٦
الحديث رقم (٧٦٤)	٣٧٨
١١٣-باب كراهية النفخ في الشراب	٣٨٥
الحديث رقم (٧٦٥)	٣٨٥
الحديث رقم (٧٦٦)	٣٨٩
١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أنّ الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا	٣٩٦
الحديث رقم (٧٦٧)	٣٩٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٧٦٨)	٤٠١
الحديث رقم (٧٦٩)	٤٠٥
الحديث رقم (٧٧٠)	٤١٠
الحديث رقم (٧٧١)	٤١١
الحديث رقم (٧٧٢)	٤١٦
١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرباً	٤٢٢
الحديث رقم (٧٧٣)	٤٢٢
١١٦- باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع - وَهُوَ الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد - وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال	٤٢٩
الحديث رقم (٧٧٤)	٤٢٩
الحديث رقم (٧٧٥)	٤٣٤
الحديث رقم (٧٧٦)	٤٣٩
الحديث رقم (٧٧٧)	٤٤٤
الحديث رقم (٧٧٨)	٤٥٢
١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض، وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود، وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلاّ الحرير	٤٦٢
الحديث رقم (٧٧٩)	٤٦٢
الحديث رقم (٧٨٠)	٤٧١
الحديث رقم (٧٨١)	٤٧٢
الحديث رقم (٧٨٢)	٤٧٧
الحديث رقم (٧٨٣)	٤٨٣
الحديث رقم (٧٨٤)	٤٨٥
الحديث رقم (٧٨٥)	٤٨٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٧٨٦)	٤٩١
الحديث رقم (٧٨٧)	٤٩٥
الحديث رقم (٧٨٨)	٤٩٨
١١٨- باب استحباب القميص	٥١٠
الحديث رقم (٧٨٩)	٥١٠
١١٩- باب صفة طول القميص والكُم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء	٥١٧
الحديث رقم (٧٩٠)	٥١٧
الحديث رقم (٧٩١)	٥١٨
الحديث رقم (٧٩٢)	٥٢٧
الحديث رقم (٧٩٣)	٥٢٨
الحديث رقم (٧٩٤)	٥٣٩
الحديث رقم (٧٩٥)	٥٤٢
الحديث رقم (٧٩٦)	٥٤٤
الحديث رقم (٧٩٧)	٥٥٨
الحديث رقم (٧٩٨)	٥٦٦
الحديث رقم (٧٩٩)	٥٨٢
الحديث رقم (٨٠٠)	٥٩٥
الحديث رقم (٨٠١)	٥٩٧
١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعاً	٦٠٧
الحديث رقم (٨٠٢)	٦٠٧
١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي	٦١٦
الحديث رقم (٨٠٣)	٦١٦

الموضـــــــــوع	الصفحة

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير عَلَى الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء ٦٢٥
الحديث رقم (٨٠٤) ٦٢٥
الحديث رقم (٨٠٥) ٦٣٢
الحديث رقم (٨٠٦) ٦٣٣
الحديث رقم (٨٠٧) ٦٣٤
الحديث رقم (٨٠٨) ٦٣٩
الحديث رقم (٨٠٩) ٦٤٠
فهرس المحتويات ٦٤٧

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الحادي عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١١

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٣٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٢-٠٥-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٢-٠٥-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

الحديث رقم (٨١٠)

٨١٠- عن أنسٍ ﷺ، قَالَ: رَخَّصَ رسولُ الله ﷺ لِلزُّبَيْرِ وعَبْدِ الرَّحْمن بن عَوْفٍ رضي الله عنهما في لُبْس الحَرِيرِ لِحَكَّةٍ كَانَتْ بِهِما. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لحكة كانت بهما: الحكة: الجرب ونحوه[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري ساقه الراوي مساق الخبر المأنوس المعلوم حقيقة أو تنزيلاً، وقد حمل مظهراً من مظاهر رحمة الإسلام بالمسلمين، وعطف الرسول ﷺ، ورحمته بأمته، والذي يعكسه قول الصحابي: (رخص) والتي توحي بأنه كان محرماً، وتسميته لأصحاب الرخصة، وسببها حتى لا يتذرع متذرع بفعلهما، فيدعي حِلّه على الإطلاق، وقوله (لحكة بهما) فيه إيجاز بالحذف أي: لوجود حكة، وهي مرض الجرب، فالداعي للرخصة هو المرض، وهو عذر شرعي أُحل لهما بسببه استعمال الحرير، وقد رحم الإسلام أصحاب الأعذار، وأباح لهم ما لم يبح لغيرهم كإباحة الإفطار في رمضان للمريض والمسافر، ثم يقضيان، وترك الصلاة للمرأة في حيضها، وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦/٢٥). واللفظ له

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣١٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار.

ثانياً: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثالثاً: من خصائص الدعوة: المرونة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر ورفع الحرج عن أصحاب الأعذار:

جاء الحديث بترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به داء جلدي، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، وفي ذلك أتم دليل على تيسير الإسلام، ورفعه الحرج والمشقة عن أصحاب الأعذار، وذلك بناء على التيسير والتسهيل على الناس الذي هو مراد الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1].

وما شرعت الرخص إلا لرفع المشقة والحرج عن العباد، وهو أمر مقطوع به ومعلوم من الدين بالضرورة، وذلك كرخص الفطر في رمضان، والقصر والجمع في الصلاة في حالات السفر والمرض، وتناول المحرمات عند الضرورة[2]، كما جاء في الحديث الرخصة بلباس الحرير لمن به علة من الرجال. واستدل بذلك أن الإنسان إذا كان به علة تضطره إلى لبس الحرير، ويرجى بلبسه خفتها، أنه يجوز معها لباسه[3]، وذلك من دلائل التيسير والسماحة في الإسلام، ومظاهر التيسير في الإسلام كثيرة ومتنوعة والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى، لقد كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو، والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، والأحاديث على ذلك كثيرة، منها ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: إنا لسنا كهيئتك

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ١٢.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦/ ٥٨٥.

يارسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا))[١]. فكأن القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة، والأخذ برخص الله، هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[٢].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الطريق الوسط واتباع التيسير، فالسهولة والرفق، والأخذ بالأيسر، ومراعاة الأحوال، ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل، وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[٣].

ثانياً- من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

إن من أبرز الدلائل على فقه الداعية: مراعاته أحوال المخاطبين، ومراعاته لمشاكلهم، وما ينزل بهم[٤]، وذلك يؤخذ من الحديث من ترخيصه ﷺ لمن به علة جلدية وله حاجة إلى لبس الحرير بالاستثناء من التحريم. "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما". وفي ذلك دعوة إلى الداعي أن يحرص على مراعاة أحوال المخاطبين في الدعوة والإفتاء، وإذا سئل عن شيء فلا يكون همه المبادرة إلى الإجابة عنه، من غير النظر إلى الأمور التي تجب مراعاتها قبل الإفتاء وعند الإفتاء[٥].

يقول الإمام السنوسي: (إن المصالح تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٠.

(٢) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الكتاب الثلاثون ص٨٢.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص١٢٨.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٦.

(٥) من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١٦٢.

والأعراف، وحتى في الفتاوى، كما ذكره المتأخرون من أنها إذا كانت مبنية على العرف، ينبغي أن تتنوع بتنوعه، ولا يوقف فيها مع نصوص المتقدمين التي بنوها على عرفهم المنقضي، وهو تحقيق من النظر، وكذا ينبغي للواعظين أن ينوعوا الوعظ بحسب ما تدعو الحاجة إليه بتعليم الناس ما جهلوه، وتذكيرهم ما نسوه وتحريضهم على ما أهملوه، قالوا: ولهذا جرت عوائد خطباء المشرق وقدماء الأندلس بتنويع الخطب بحسب الحاجة الوقتية للتنبيه على ما يفعل الناس لذلك، فيحصل للسامعين أعظم منفعة أو أكبر فائدة وأهمل هذا البعض، بل طالما أنكره وانتقده من ينتمي منهم للعلم، ولو علم هذا ما اشتملت عليه خطبة ﷺ وخطب خلفائه رضي الله عنهم وأئمة الصدر الأول من ذلك لما أنكره)[1].

لذا كان مما ينبغي على الداعية الحرص على مراعاة أحوال المدعوين وظروفهم وأزمنتهم وأمكنتهم ومجتمعاتهم، ما لم يؤد ذلك إلى المساس بالثوابت الدينية.

ثالثاً- من خصائص الدعوة: المرونة:

إن ما جاء في الحديث من ترخيص رسول الله ﷺ في لبس الحرير لمن به علة دليل على ما اتصف به الإسلام من مرونة في تشريعاته، ورفعه الحرج عن أصحاب العلل والأعذار "رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبدالرحمن بن عوف في لبس الحرير لحكة بهما"، فإن من ينظر في تشريعات الإسلام يجد مرونة سمحة تتمثل في تشريع الرخص في الصلاة والصيام وغيرها، مثل رخص المرض والسفر والخطأ والنسيان والإكراه وغير ذلك. ومن ذلك تشريع التيمم عند فقد الماء، أو التضرر باستعماله، وكذلك ما جاء في الحديث من ترخيص لبس الحرير لمن اضطر إلى ذلك[2]، وذلك من مظاهر قوة الإسلام، فهو دين مرن يتسع لكل ما فيه مصلحة وعدل[3]، مع المحافظة على ما فيه من الثوابت التي لا يجوز لأحد المساس بها.

---

(١) مكمل إكمال الإكمال ٢٢٦/١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٢٣١.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

اليسر ورفع الحرج من خصائص شريعة الإسلام، وإذا كانت المحرمات محدودة في الإسلام، فإن تناول بعضها مباح بحسب الضرورة والتي تقدر بقدرها، ولهذا وجب بيان منهج الإسلام في هذا الجانب على النحو التالي:

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: التيسير ورفع الحرج والواقعية:

لقد جاءت نصوص الإسلام تعلي من قيمة التيسير على الناس وترفع من شأنها، خاصة لذوي الأعذار، ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب من ترخيص النبي ﷺ لمن به حكة أو مرض جلدي بلبس الحرير المحرم على الرجال، كما حدث للزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية آمرة بالتيسير ورعاية واقع الناس، ومن الواقعية الملموسة في ذلك "أنها قدرت الضرورات التي تعرض للإنسان وتضغط عليه، حق قدرها فرخصت في استخدام المحرمات، وتناولها على قدر ما توجب الضرورة"[1].

وكما هو مقرر عند علماء المسلمين أن الضرورات تبيح المحظورات.

لذا ينبغي للمربين مراعاة أحوال أصحاب الحاجات وذوي الأعذار، إذ أن التربية لم تقم على "المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع وإنما جاءت بما يكفل البناء الحقيقي للمجتمع"[2]. متوافقة مع ما فطر عليه الإنسان وخُلق، ومراعاة منهج الإسلام في التربية كفيل ببناء مجتمعٍ سليم وواقعي.

ثانياً- العناية بصحة المتربين:

من المضامين التربوية المهمة التي يحملها الحديث الحفاظ والعناية بصحة المتربين، وذلك ما يمكن أن نلاحظه في ترخيص النبي ﷺ للزبير بن العوام، وعبدالرحمن ابن

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٧١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢١٥.

عوف رضي الله عنهما في لبس الحرير، رعاية لحالتهما الخاصة، وما ألمَّ بهما من علة مرضية.

إن العناية بصحة الأولاد والمتربين من الأهمية بمكان، وإهمالها إيراد للمتربين موارد الهلكة، "فكم من الناس من قد فرط بهذا الأمر، ولم يرعه حق رعايته، فالأولاد أمانة، ومن الأمانة أن يعتني الوالد والمربي بصحتهم خصوصاً وهم صغار، لأن كثيراً من العاهات، والأمراض تبدأ مع الأولاد وهم صغار، فإذا أُهمل علاجها لازمت الأولاد طيلة أعمارهم وربما قضت عليهم.

ومما يحسن بالوالدين في هذا الصدد أن يقوموا على شؤون الأولاد إذا أصيبوا بعاهات مزمنة أو إذا ولدوا وهم معاقون، أو مصابون ببعض التشوهات الخَلْقية، أو ما شاكل ذلك، فحري بالوالدين أن يقوموا على رعاية الأولاد، وأن يحسنوا تربيتهم وأن يشعروهم بمكانتهم، كما يحسن بالوالدين أن يحتسبوا الأجر عند الله، وأن يحذروا كل الحذر من التسخط والاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره، بل عليهم أن يحمدوا الله على ما أتاهم، وأن يتحروا الخِيرَة فيما قضاه الله، فربما كانت الخِيَرةُ خفية، وربما أن الله يرحم الأسرة جميعها ويدر عليهم الأرزاق، ويرفع عنهم صنوف البلايا" [1].

ثالثاً- تنمية الثقافة الدينية عند المربين:

إن مما ينبغي على المعلمين والمربين الإحاطة بأكبر جانب ممكن من الثقافة الدينية خاصة في المجال العقدي والفقهي، حتى إذا ما عَنَّت قضية أو وجدت حالة أو عرض سؤال، أو طلب تأصيل أو تحليل أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي بالاضطلاع في ذلك، فلو أصيب متربي بعلة ما كما جاء في الحديث من إصابة عبدالرحمن بن عوف أو الزبير رضي الله عنهما، أو ما شاكل ذلك أمكن للمربي أن يجيب أو على الأقل يحيل على أهل التخصص.

فلا شك أن لدراسة العلم الشرعي أكبر الأثر في حياة المربين والمتربين على حد سواء، فلدراسة التوحيد مثلاً "أهمية كبرى في تعليم الجيل المسلم الإيمان الله على بصيرة فيسلموا من الشرك والابتداع.

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٥١، ١٥٢.

وللفقه أيضاً أهمية في تعليم الطهارة والصلاة، وأحكامها والصيام، مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبَل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدي بهم أولادهم وبناتهم، وهذا سيكون له أثرهُ -بإذن الله- في حمل الناشئة-على الخصال النبيلة والعادات الحميدة"[١].

إن العناية بالثقافة الدينية عند المعلمين والمربين وإعدادهم الإعداد الكامل أمر بالغ الأهمية، وإلا عاد الأمر بالسلب على التربية والمتربين.

"إن المشتغلين بالتربية والتعليم يقولون بعد دراسة وخبرة ومعاناة: إن المعلم هو العمود الفقري في عملية التربية، وهو الذي ينفخ فيها الروح ويجري في عروقها دم الحياة، مع أن في مجال التعليم والتربية عوامل شتى ومؤثرات أخرى كثيرة، من المنهج إلى الكتاب إلى الإدارة إلى الجو المدرسي إلى التوجيه أو التفتيش، وكلها تشارك في التوجيه والتأثير بنسب متفاوتة، ولكن يظل المعلم هو العصب الحي للتعليم"[٢].

---

(١) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣، ٣٤.

(٢) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ص٦.

١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا

الحديث رقم (٨١١)

٨١١- عن معاوية ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ)) حديث حسن، رواه أَبُو داود[١] وغيره بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان: صخر بن حرب القرشي الأموي المكي أمير المؤمنين.

ولد قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات، أظهر إسلامه يوم فتح مكة وقيل: إنه أسلم قبل ذلك.

كان طوالاً جسيمًا أبيض مُجيدًا للكتابة والحساب فصيحًا حليمًا وقورًا.

كان من كتّاب النبي ﷺ الذين يكتبون الوحي، دعا له النبي ﷺ فقال: ((اللهم علّمه الكتاب والحساب وقه العذاب))[٢]. وكذلك قال ﷺ ((اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهدِ به))[٣].

وقال ابن عباس: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ وقال اذهب وادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية. فجئت فقلت: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه[٤].

---

(١) برقم ٤١٢٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٧/٤ رقم ١٧١٥٢ وابن خزيمة ١٩٣٨ عن العرباض بن سارية. وقوّى الذهبي إسناده في السير ٣٨٢/٢٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٨٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم ٩٦-٢٦٠٤، وقال بعض العلماء: هذا الحديث فضيلة لمعاوية، لأنه يكون قربة له يوم القيامة، لقول النبي ﷺ (اللهم إنما محمد بشر فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٢/١١، والسير ١٢٤/٣. والحديث أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١.

شارك في الفتوحات، وقد رأى منه عمر حزمًا وعلمًا فولاه دمشق، ثم أصبح واليًا على الشام كله، فقام بالفتوحات، وفتح جزيرة قبرص، فكان أول مسلم ركب البحر المتوسط للغزو.

قال الذهبي في السير: "وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم -وهو ثغر- فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بشجاعته وحلمه. وإن كان بعضهم تألم مرة منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيره من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح. فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه، وله هنات وأمور والله الموعد"[١].

وظل على الشام واليًا، حتى وقع الخلاف بينه وبين علي بن أبي طالب، فدار بينهما القتال حتى قُتِل عليٌّ على يد أحد الخوارج. فلما تولى ابنه الحسن صالح معاوية وبايعه بالخلافة سنة ٤١هـ فسمى عام الجماعة لاجتماع المسلمين على إمام واحد.

قال ابن كثير عن خلافته: "فلم يزل مستقلاً بالأمر في هذه المدة، والجهاد في بلاد العدو قائم، وكلمة الله عالية، والغنائم ترد إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحة وعدل وصفح وعفو"[٢].

وقد أطلق عليه عمر بن الخطاب كسرى العرب، ووصفه ابن عباس بأنه فقيه[٣]، وفي رواية وصفه بأنه صحب رسول الله ﷺ[٤].

وتوفي سنة ٦١هـ وقد مكث في ولاية الشام ٢٠ سنة وفي الخلافة ٢٠ سنة كذلك.

رضي الله عنه وأرضاه، فقد كان من كبار الفاتحين في الإسلام ومن صحابة رسول الله ﷺ الواجب علينا تعظيمهم، والكف عما وقع بينهم. قال الإمام أحمد بن

---

(١) السير ٣/١٣٢-١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١١/٤٠٠.

(٣) قول ابن عباس أخرجه البخاري ٣٧٦٥.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٦٤.

حنبل: إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام[١].

ونحن بدورنا نقول كما علمنا ربنا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[٢].

غريب الألفاظ:

الخزُّ: ثياب تنسج من صوف وإبريسم[٣].

النمار: جمع نمر وهي السباع المعروفة. والمراد: النهي عن استعمال جلودها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث يمتاز بالقصر، والإيجاز، ويعتمد أسلوب النهي في قوله: (لا تركبوا الخز، ولا النمار) وأسلوب النهي على حقيقته، والخز: ثِيَاب سَدَاهَا مِنْ حَرِير، وَلُحْمَتهَا مِنْ غَيْره، وَقِيلَ تُنْسَج مَخْلُوطَة مِنْ حَرِير، وَصُوف أَوْ نَحْوه، وَقِيلَ أَصْله إِسْم دَابَّة يُقَال لَهَا الْخَزّ سُمِّيَ الثَّوْب الْمُتَّخَذ مِنْ وَبَره خَزًّا لِنُعُومَتِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَا يُخْلَط بِالْحَرِيرِ لِنُعُومَةِ الْحَرِير، وقوله: (ولا النِّمَار) نهي آخر على حقيقته أَيْ جُلُود النُّمُور وَهِيَ السِّبَاع الْمَعْرُوفَة وَاحِدهَا نَمِر إِنَّمَا نَهَى عَنْ اِسْتِعْمَالهَا لِمَا فِيهَا مِنْ الزِّينَة وَالْخُيَلاء وَلأَنَّهُ زِيّ الأَعَاجِم أَوْ لأَنَّ شَعْره لا يَقْبَل الدِّبَاغ[٥].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٢/٣، ٤٠٦/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٠١/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٩، والسير ١١٩/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٣/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٠٧/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٦١/٧، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧٩٨/٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ز ز).

(٤) المرجع السابق في (ن م ر).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي حديث (٣٥٢١).

ومن الملاحظ في أكثر النواهي أنها نهت عن نوعية من الثياب تضر الباطن بينما تزين الظاهر؛ لأنها تورث الزهو، والكبر، والخيلاء.

فقه الحديث

هذه الأحاديث تشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

١-حكم الانتفاع بالخز[١]: اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والشافعية والحنابلة وابن حبيب من المالكية إلى إباحته، لأنه لا سرف فيه ولا خيلاء، وقد لبسه الصحابة رضوان الله عليهم.

بينما ذهب الإمام مالك إلى كراهته[٢].

٢-حكم الانتفاع بجلود السباع: ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز الانتفاع بجلود السباع إذا دبغت، وذهب الحنابلة إلى أنه لا يجوز الانتفاع بها قبل الدبغ ولا بعده لعموم النهي في ذلك[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله ﷺ: «لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ». وفي

---

(١) وهو ما كان منسوجًا من الحرير وغيره أو كان سداه من إبرسيم ولحمته من الصوف أو القطن. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩/١١٤-١١٥.

(٢) الاختيار ١٢/٤، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٣٠٦/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٤٩/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٣/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٦٧/٢، ٢٦٨.

(٣) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، داماد أفندي ٥٨/٨، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٢/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٠/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٩/١.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨١١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨١٢).

الرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ: "نهى عن جلود السباع"، وأسلوب النهي من أكثر أساليب الدعوة ورودًا واستعمالاً، لما فيه من بيان المنهي عنه، وحمل المدعوين على اجتنابه والابتعاد عنه، وقد أشار القرآن إلى أسلوب النهى واستعمله في كثير من آياته، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، ومثل نهيه في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التواضع والبعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر:

لقد أمر الإسلام بالتواضع ورغب فيه، ونهى عن التكبر وكره فيه، وإن من الأدلة العملية على ذلك، ما جاء في الحديث: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع"، وقد ذكر الإمام العظيم آبادي العلة في هذا النهى فقال: "إنما نهى عن استعمالها لما فيها من الزينة والخيلاء، ولأنه زى الأعاجم"[4]. ولما فيه من زى المترفهين والمتكبرين بالتفاخر على غيرهم[5]، فإن البعد عن الخيلاء ومظاهر التكبر من لوازم التواضع وخفض الجناح، قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[6]، وقال: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[7]، إذ أن التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، كل ذلك له مكانته في المجتمع الإسلامي، فهذا المجتمع لا يتكبر فيه فرد ولا يختال، ولا يزهو بنفسه، فإن

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.

(٦) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

الكبر والخيلاء والعجب تغرس الفرقة والعداوة، فضلاً عن أنها تحول بين المتكبر وبين إصلاح نفسه لتعاميه عن عيوبه ونقائصه، واعتقاده الكمال في نفسه ورضاه عنها[١].

إن التخلق بالتواضع والابتعاد عن الكبر من الأهمية بمكان في حياة الأفراد والمجتمعات، إذ أن الكبر إذا شاع في مجتمع، دب الخوار في جسمانه، وسرى التفرق في بنيانه، فلا يمكن أن نتصور حياة مستقيمة لمجتمع ليس فيه احترام، ولا هيبة ولا حرمة ولا أدب.

فضلاً عما يُحْرَمُ منه يوم القيامة من الفوز بالجنان، التي يُحْرَمُ من دخولها المتكبرون فهم ليسوا لها بأهل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، (فالتواضع والبعد عن الكبر، والتبرؤ منه طريق موصل إلى مرضاة الله وجنانه، وهو سبيل من سبل القرب إلى الله، ومن ثم القرب إلى الناس، وبالجملة فإن التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين)[٣].

ثالثًا- من آداب المدعو: عدم التشبه بالكفار وغير المسلمين:

إن مما ينبغي على المسلم أن يحتفظ بشخصيته الإسلامية المستقلة، فلا يكون تبعًا لغيره، ولا ينتهج نهجه، خاصة في الأمور التي حرمها الدين الإسلامي، والحديث مظهر من مظاهر الحفاظ على شخصية المسلم. فقال ﷺ: ((لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النِّمَارَ))، "نهى عن جلود النمار"، وذكر العلماء الحكمة في ذلك أنه زى المترفهين والمتكبرين وأهل العجم[٤]. وذلك أن التشبه بغير المسلمين، والتقليد الأعمى لهم، دليل الهزيمة الروحية والنفسية، وعدم الإيمان بالذات، بل فيه معنى ذوبان الشخصية، وفقدان

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق ص ١٨٥.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣ .

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٢٦٨/٤.

(٤) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٧، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦١.

الذاتية في بوتقة من يحب، وفي كيان من يقلد[١]، وجاءت النصوص تنهي عن التشبه بالغير، فروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))[٢]. وتنهي عن التبعية والانقياد الأعمى للغير، وتأمر بمحافظة المسلم على شخصيته، فقال ﷺ: ((لا تَكُونُوا إِمَّعَةً تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا))[٣].

إن الإمعة والتبعية للغير دليل على ضعف صاحبها عقلاً ورأيًا ودينًا، إضافة إلى ما يورثه ذلك من ذلٍّ ومهانة، وطريق إلى التردي في مهاوى الضلالة. ويبين لنا علي بن أبي طالب حقيقة الإمعة التابع لغيره، ويكشف لنا عن شخصيته مبينًا أنواع الناس في ذلك، فيقول: (إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعية للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، إلى أن قال: أف لحامل حق لا بصيرة له، ينقدح الشك في قلبه بأول عارضٍ من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته فهو فتنة لمن فتن به)[٤].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠٣١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٧، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٣٤٥).

(٤) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت: بدون تاريخ، ٢/٣٥٨.

الحديث رقم (٨١٢)

٨١٢- وعن أَبي المَلِيحِ، عن أبيه ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ والنسائيُّ[(١)] بأسانيد صِحَاحٍ.

وفي رواية للترمذي[(٢)]: نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أنْ تُفْتَرَشَ.

ترجمة الراوي:

أبو أبي المليح: هو أسامة بن عُمير بن عامر بن الأَقَيشِر الهذلي البصري.

وهو والد أبو المَليح الراوي عنه، ولم يرو عنه إلا هو، واسمه مختلف فيه فقيل: عامر. وقيل: زيد.

أسلم وشارك في المغازي والغزوات، فشهد الحديبية وحنينًا، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ زمن الحديبية ومُطرنا، فلم تبل السماء أسافل نعالنا، فنادى منادي النبي ﷺ أن صلُّوا في رحالكم[(٣)].

وقال كذلك: إنه شهد رسول الله بحنين في يوم مطير أمر مناديه فنادى: إن الصلاة في الرحال[(٤)].

وذات يوم ركب خلف النبي ﷺ على بعيره. فعثر فقال: تعس الشيطان، فعلمه النبي ﷺ القول الصحيح فقال له: ((لا تقل تعس الشيطان، فإنه يستعظم حتى يكون مثل البيت ويقول: بقوتي. ولكن قُلْ: بسم الله. فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب))[(٥)].

ولما فتح العراق وبنيت البصرة نزلها وسكن فيها[(٦)].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤١٣٢، والترمذي ٣/١٧٧٠، والنسائي في المجتبى ٤٢٥٣، وفي الكبرى ٤٥٦٥ ولفظهم سواء. وقال الحاكم ١/١٤٤: هذا الإسناد صحيحٌ.

(٢) برقم (٢/١٧٧٠).

(٣) أخرجه أبو داود ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود ١٠٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٣٠).

(٥) أخرجه أبي داود ٤٩٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٦٨).

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٧/٤٤، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١/١٩٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١/١٧٠، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١/١٠٩، ٤/٥٩٣.

الشرح الأدبي

حرص الرسول ﷺ على كل ما يحفظ على المؤمن دينه، ويحفظ قلبه مطمئنًا مقبلاً على ربه، والإنسان يتأثر بالبيئة المحيطة به فما بالك بثيابه الملاصقة لجسمه؟، فثوب مريح يسكن النفس، وثوب يدعو إلى الزهو، والخيلاء ينظر الناس إليه فيعجبه ذلك من نفسه، ثم يصير عادة تطغى على نفسه، لذلك نهى الرسول ﷺ عن تلك النوعية في غير حديث منها هذا الحديث الذي نحن بصدده، وقد ورد الحديث في صورة خبرية، مؤكدة بأكثر من مؤكد لغرابة الخبر، أو لتعظيمه عند المخاطب، وفيه إيجاز بالحذف تقديره: لبس، أو افترش، والنهي: يَحْتَمِل أَنَّه وَقَعَ لِمَا يَبْقَى عَلَيْهَا مِنْ الشَّعْر لأَنَّ الدِّبَاغ لا يُؤَثِّر فِيهِ. وَقِيلَ: يَحْتَمِل أَنَّ النَّهْي عَمَّا لَمْ يُدْبَغ مِنْهَا لأَجْلِ النَّجَاسَة، أَوْ أَنَّ النَّهْي لأَجْلِ أَنَّهَا مَرَاكِب أَهْل السَّرَف وَالْخُيَلاء.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

عرف العرب الفخر من طرق شتى، منها ملبسهم وأثاثهم ومركبهم، ولم يكن شيء من ذلك ابتغاء مرضات الله، بل ليقال عنهم كذا وكذا، وقلد الأبناء الآباء، والفقراء الأغنياء، لهذا كانت دعوة الإسلام إلى:

أولاً- التربية على الاستقلال في الذات وعدم التقليد للكفار والمتجبرين:

جاء في حديثي الباب ضمنيًا الدعوة إلى استقلالية الشخصية الإسلامية، وعدم تقليد الغير خاصة في المظاهر التي نهى الإسلام عنها، ورهب منها كالترف المبالغ فيه والتجبر والذي من مظاهره استعمال الحرير وجلود السباع.

"إن تقليد الغير دليل على ضعف الشخصية واهتزازها، وعدم الاعتزاز بالقيم الإسلامية".

ولعل السبب في نمو ظاهرة التقليد كثرة وسائل الاتصالات وتنوعها ما بين قراءة واستماع ومشاهدة واحتكاك بالمجتمع الخارجي فيوقعهم ذلك في مجال تأثيرها الجاذب مما يدفع بهم في النهاية إلى تقليد الكفار والفساق والمجّان في لبسهم، وفي طريقة أكلهم وشربهم، وفي قصات شعورهم، وفي هيئاتهم ومشياتهم.

فينبغي على المربي أن يتنبه لذلك، وأن يحذره كل الحذر، فإن الأمة لا تموت إلا إذا ضعفت شخصية أبنائها، وفقدوا اعتزازهم بتراثهم فذابوا في غيرهم، ولذلك فإن أعداءنا يحرصون كثيرًا على أن يجعلوا من أولادنا نسخة مكررة من أولادهم، فعلى المربي أن يوقظ في نفس المتربي شعوره بذاته، وأنه إنسان مسلم، وأن الإسلام يعلو ولا يُعْلَى عليه وأن المسلم قدوة للبشرية كلها [1]، فهو ليس ضعيف الشخصية ولا العقل والتفكير حتى يقع مأسورًا في تقليد غيره والتشبه به.

ثانيًا- التربية على عدم الاستغراق في النعيم:

لقد نهى الإسلام عن السلوكيات الخاطئة والتي منها المبالغة في الترف والاستغراق

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص١٢١، ١٢٢.

في التنعيم خاصة إذا كان ذلك بشيء حرمه ونهى عنه الإسلام كلبس الحرير، واستخدام جلود النمور والأسود، والسباع للفرش أو غيره.

"إن الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات والتقلب الدائم في النعيم والترف من أسباب الإخلاد للراحة والتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد، والانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الأسقام والأمراض"[(١)].

والإسلام بمنعه الاستغراق في التَنَعُّم إنما يريد أن يحرر الإنسان من الاستعباد لنفسه، ومن الاستذلال لمطامعها وأهوائها، لأنه لن يبلغ التحرر الوجداني التام، الذي يطمح إليه الإسلام إلا بمجاهدة النفس ولأهميتها، فقد اعتنى الإسلام بها عناية فائقة لدرجة أنه اعتبر جهاد النفس يحتاج إلى عزيمة وإرادة وشجاعة أكثر مما يحتاجه جهاد العدو في ساحة القتال، بل إن طريق النصر الحقيقي على العدو هو الانتصار على النفس.

إن المسلم الحقيقي الحر هو الذي لا ينصاع لرغباته ولا يستذل لشهواته ما دام أنه يشهد أن لا إله إلا الله، فاهمٌ معناها ومقصدها ومقتنع بما تشمله من حقائق[(٢)].

ثالثًا- تنمية خلق التواضع وإبراز الدلائل العملية عليه:

لقد أرشد الإسلام أتباعه إلى التخلق بخلق التواضع، لكن مجرد التخلق به لا يكفي بل لا بد من إظهاره عمليًا في سلوك الإنسان وتصرفاته، ومن ذلك البعد والتبرؤ من مظاهر التكبر والتجبر والتي منها استعمال الأدوات والملابس التي تَنُمُّ عن كبر صاحبها وتجبره وترفعه على الناس، وذلك كلبس الحرير وافتراش جلود السباع، والذي ورد النهي عنه في حديثي الباب.

إن غرس خلق التواضع من أعظم الأهداف الخلقية للعملية التربوية، إذ أن "الهدف الأخلاقي، وتهذيب الخلق وتربية الروح يعد من الأهداف الرئيسة من أجل بناء إنسان

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٨٣، ١٨٤.

(٢) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٩٦، ٣٩٧.

على خلق عظيم في إطار القيم الخلقية التي صاغتها العقيدة الإسلامية، ومن هنا فإن أنماط السلوك الخلقي التي تستهدف التربية الإسلامية إكسابها للأفراد تظل ثابتة لا يعتريها التغيير على مدى الأيام لأن مصدرها ثابتٌ، وهو الإسلام.

إن حسن الخلق زينة الإنسان، ومن أسباب سعادته، وسوء الأخلاق من أسباب تفكك المجتمع وسقوط الحضارات، والهدف الأخلاقي للتربية الإسلامية يسعى إلى تطهير النفس وتزكيتها بالفضائل ومكارم الأخلاق، وكراهية الرذائل والشرور والنفور منها والابتعاد عن ممارستها وتكوين بصيرة علمية، وقناعة عقلية بالقيم الأخلاقية الإسلامية.

وقد حدد الإسلام مجموعة القيم الثابتة التي تحكم سلوك الفرد المسلم، ومعاملاته مع الآخرين، ومن هذه القيم الصدق والأمانة وإتقان العمل والتواضع والمحبة والوفاء والوعد والصبر والحلم والتسامح والرحمة، ومراعاة حقوق الغير وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦، ٦٧.

١٢٥- باب مَا يقول إِذَا لبس ثوبًا جديدًا

الحديث رقم (٨١٣)

٨١٣- عن أَبي سعيد الخدْريِّ ﷺ، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثوبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ - عِمَامَةً، أَوْ قَميصًا، أَوْ رِدَاءً- يقولُ: ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أسْأَلكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

استجد ثوبًا: لبس ثوبًا جديدًا[2].

الشرح الأدبي

عادة النبي ﷺ دوام الاتصال بربه وهو ما جعله يحوِّل كل عادة إلى عبادة، لذلك نجد له عند كل فعل ذكرًا، وعند كل نعمة شكرًا، وهذا الحديث من هذه النوعية التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه، وقد بدأ بأسلوب خبري تصدّره أسلوب الشرط الذي يشير إلى أن هذا الدعاء كان عادة الرسول ﷺ عند كل ثوب جديد، وتصدير الدعاء بلفظ (اللهم) يعطيه خصوصية؛ لأنها مجمع الأسماء الحسنى كما ذكر الحسن البصري، وقوله: (لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ) أسلوب قصر لصفة الحمد على الله لا تتعداه لغيره، وقوله (أنت كسوتنيه) تقديم المسند إليه يحتمل الاختصاص، أو تقوية الحكم، وقوله: (أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ) لفظه إنشاء، ومعناه خبر؛ لأنه مقصود به الدعاء،

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٠٢٠، والترمذي واللفظ له ١٧٦٧، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٤٢٠، وقال الحاكم ١٩٣/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج د د).

وتصويره في صورة الفعل المضارع يستحضر صورة الافتقار، والمسكنة إليه، وكذلك: (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ) أي أطلب منك العوذ، فهو طلب في المعنى، وخبر في اللفظ، وصيغة هذا الدعاء فيها حمد لنعمة الله، واستعانة به على حسن استعمالها، وتلك نعمة أخرى، مع تفويض الله في دفع ما يخشاه من ضر، وما يرجوه من خير، وهو ما يدل عليه الطباق بين الخير، والشر، وبين الطلب، والاستعاذة التي كالضد له؛ لأنها دفع للأذى.

فقه الحديث

هذا الحديث يشير إلى الأحكام الفقهية التالية:

سنن اللباس وآدابه:

أ-تسمية الثوب الجديد، باسمه المتعارف عليه، الموضوع له، سواء أكان قميصًا أم إزارًا، أم رداء، أم عمامة، وهكذا.

ب-يستحب تسمية الله تعالى عند لبسه.

ج-يستحب الدعاء -بعد لبسه- بالمأثور من أذكار اللباس.

د-كما يستحب أن يبدأ وهو يلبس ثوبه بميامنه، وعند خلعه بالشمال ثم اليمين[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٤٢/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٦٠/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٤٤/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: شكر النبي ﷺ لله تعالى عند لبس الثوب الجديد:

لقد كان شأن رسول الله ﷺ حمد الله على أحواله كلها، والحديث بيَّن شكر النبي ﷺ لله تعالى على الثياب الجديدة؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" وذلك مَثَلٌ تطبيقي وسنة عملية دالة على ما كان عليه ﷺ من شكر لربه على نعمه وآلائه[1]، وكان ﷺ لا يقتصر شكره لله على نعمه على مجرد التلفظ بل كان يدفعه ذلك إلى الإكثار من العبادة لدرجةٍ أثارت شفقة الصحابة رضي الله عنهم عليه، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ((إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيَقومُ - أو لَيُصلِّي- حتى تَرِم قدماه - أو ساقاه- فيقالُ له، فيقول: أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل شكر الله على نعمه:

جاء في الحديث الترغيب في شكر الله على نعمه وآلائه، خاصة إذا أنعم الله على الإنسان بشيء جديد من ثوب ونحوه، والشكر من أعلى المنازل، وقد أمر الله تعالى به ونهى عن ضده، قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3] وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[4] وجعل الله الشكر سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤٠٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠، ١٢١.

لَشَدِيدٌ﴾[١] وجعله الله سببًا لرضاه عن عبيده ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٢][٣] وقال ﷺ ((إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا. أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا))[٤].

فحمد الله على الملبس والطعام والشراب وما شاكل ذلك من ألوان شكر الله على نعمائه والاعتراف بها، فالشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به، والشكر بالفعل أظهر منه بالمقال[٥] قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٦] أي قلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين، قال أبو عبدالرحمن الحُبُلي: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير تعمله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد.

وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله قولاً وعملاً[٧] فظاهر القرآن والسنة أن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار على عمل اللسان، فالشكر بالأفعال عمل الأركان، والشكر بالأقوال عمل اللسان[٨].

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء برسول الله ﷺ في الشكر عند اللباس الجديد:

لقد أمرنا الله بالاقتداء بالنبي ﷺ والائتساء بسنته المطهرة[٩] فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١٠] ومن

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٧.

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٧٢/٢، ٥٧٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٤.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٣٥٥/٨.

(٦) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٥٠٠/٦، ٥٠١.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٧/١٤/٧.

(٩) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٠٣/٢١/٨.

(١٠) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

ذلك ما ورد في الحديث من سنته ﷺ عند لبس الشيء الجديد "كان رسول الله ﷺ إذا استَجَدَّ ثوبًا سماه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءً ثم يقول: "اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له" فإن الاقتداء برسول الله ﷺ في شؤونه كلها، حتى في ملبسه وتنعله ونحوهما، لمن أقوى الأدلة العملية على محبة المسلم لرسول الله ﷺ، فإن أقوى شاهد على صدق الحب هو موافقة المحب لمحبوبه، وأقوى دليل على صدق الحب لرسول الله ﷺ هو طاعته واتباعه[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إنَّ في نقل الصحابة رضي الله عنهم لما كان عليه ﷺ من أخلاق وآداب، ترغيب في الاقتداء به ﷺ واتباع سنته، ومن ذلك ما جاء في الحديث في بيان سنته ﷺ عند لبسه لشيء جديد "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا سماه باسمه..." وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين، لما جبل عليه الإنسان من حبٍ لنفسه، وما من شك أن تلك الغريزة تدفعه إلى أن يحقق لنفسه كل الخير[2].

لذا ينبغي على الداعية الأخذ بهذا الأسلوب، وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، لأن هذه الدنيا قد تغر الإنسان بزخارفها، وتلهيه بملذاتها الزائلة فيركن إليها، فإذا ذُكِّر المسلم بمصير أهل الإيمان، وأن الفوز ليس بجمع الأموال وكثرة الأولاد، وإنما الفوز بدخول جنة النعيم، وبما أعده الله للمؤمنين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد من البشر، أفاق من رقاده وشمّر العمل لذلك اليوم العظيم.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٥.

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

يوظف الإسلام كل شيء للتذكير بالله، ويحرر النفس من نسبة الفعل إليها، لأن ذلك سبب الهلكة كما حدث لإبليس وفرعون وقارون، والكسب الظاهري دون إرادة الهبة لا يجلب لصاحبه شيئاً، ولهذا وجب علينا:

أولاً- التربية على الحمد والشكر والاعتراف بالجميل ورد الفضل إلى أهله:

وذلك ما يلحظه القارئ للحديث في هديه ﷺ إذا استجد ثيابًا يحمد الله عليه، ويرد الفضل ويعترف بالجميل للمنعم الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى قائلاً " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ".

وما جاء في الحديث بيان لأحد طرق الحمد والشكر على النعمة وهو "إظهار الحمد لله تعالى، والتلفظ به اعترافًا بنعمه، كذلك من سبل شكر النعمة التحدث بها، إظهارًا لفضل الله واعترافًا بكرمه دون مباهاة وتكاثر، بل يعزو ما هو فيه من نعمة إلى الله تعالى[1].

لذا ينبغي على المربين غرس مثل هذه القيم الخلقية في نفوس المتربين فإن المربي والمعلم المخلص عليه أن يكون واعيًا بتلك القيم والأخلاق تمامًا فاهمًا لأبعادها وما تمثله، مُنَمِّيًا في الطالب الحساسية الاجتماعية، وحسن التعامل مع الآخرين وكيفية التعامل معهم وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة[2] ورقيَّ التعامل، ورد الفضل لأهله والثناء عليهم وشكرهم والاعتراف لأهل الفضل بالإحسان والجميل، وهذا له أكبر الأثر في علو النفس وسمو التربية.

ثانيًا- التربية على ذكر الله:

لقد جاءت شريعة الإسلام حاثة على ذكر الله تعالى في جميع الأحوال والأحايين،

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٩١.

(٢) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١، ص٣١٤.

ومن ذلك ما ورد في حديث الباب من ذكر الإنسان لله عندما يلبس ثوبًا جديدًا لأول مرة وحمده وشكره، مقتديًا برسول الله ﷺ قائلاً: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ».

لذا ينبغي على المعلمين والمربين أن يربطوا المتربين بذكر الله تعالى وينشئونهم عليه استحضارًا وقولاً وفعلاً، فذكر الله علاج للقلوب وإحلال للطمأنينة.

"والأذكار القولية التي ينبغي للمربي أن يحرص -أشد الحرص- على تلقينها للناشئة كثيرة منها أذكار الصباح والمساء وأدعية البدء قبل تناول الطعام، والفراغ منه، وأدعية النوم، واليقظة، وأدعية، دخول المنزل والخروج منه، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، وأدعية الركوب، وما يقال عند الوضوء والأذكار التي تسن بعد الصلاة[1]، ودعاء لبس الجديد الذي جاء في حديث الباب.

إن الأذكار وترديدها هي "أشبه بصندوق من أغلى الجواهر والمطاعم والمشارب، حيث يتربى المسلم على ذكر الله تعالى وأسمائه وصفاته، فإن كانت من صفات القهر خضع لها وخشع، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وإن كانت هكذا من صفات الرحمة تاب وأناب، وإن كانت من صفات الجلال تعزز وتهيب، وهكذا يتربى الإنسان بالأذكار وما تحمله من آداب.

إن الذكر يدفع عن الإنسان خواطر وهواجس النفس والشيطان، فتتهذب أخلاق الإنسان، وتترقى، ويرتفع العبد فوق الشهوات، وتصفو نفسه ويطهر قلبه، ويتخلق بالأخلاق الحسنة من خلال بقائه ذاكرًا لله تعالى باللسان والقلب والجوارح[2].

ثالثًا- التربية الجسدية والعناية بالملبس والزينة والمظهر:

من المضامين التي يمكن استنباطها من حديث الباب العناية بالملبس والزينة والمظهر، وذلك ما نلحظه في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا..." فرسول الله ﷺ لم يأت برهبانية، ولم يأمر بتعذيب الجسد وحرمانه،

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٧٤، ٧٥.

(٢) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٦٦، ٦٧.

أو جلد النفس والقسوة عليها، وإنما جاء بوسطية سمحة تعطي كل شيء حقه، فليس من الإسلام لبس المرقعات أو الإهمال في الجسد وتجميله.

إن "الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم، ومن أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به الإنسان من زينة ولباس ورياش، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا﴾[1]، وقال: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[2]، على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة في حدود الوسطية، والاعتدال تحقيقًا لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[3][4]، فما أحرى المسلم أن يكون ذا زينة حسنة ومظهر جميل لائق ورائحة زكية طيبة "فذكر الله تعالى الدائم يجعل الإنسان يشعر بقرب الله منه وحمايته له وهذا له أثره النفسي الحسن عليه، إذ يجعله يشعر بالثقة في نفسه، وبالقوة التي يستمدها من الله تبارك وتعالى[5].

رابعًا- من المضامين التربوية: توجيه الهمم إلى طلب الخير والبعد عن الشر:

إن من المضامين التربوية التي يمكن الإفادة منها وغرسها في نفوس المتربين والناشئة توجيه الهمم والحث على التطلع إلى الخير والأفضل والبعد عن الشر وطلب العون على العوذ منه والابتعاد عنه، وذلك ما نلحظه في قوله: "أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له"، "فإن في كل شيء جانبين: جانب خير وجانب شر، وعلى الإنسان أن يتوجه بهمة إلى جانب الخير ويسأل الله العون والتوفيق"[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٦٣، ٩٦٤.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٥٦٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٦٨.

لذا ينبغي على المربين الاستفادة من هذا الجانب ويعملون على إثارة الهمم عند المتربين وتوجيههم إلى الخير والتطلع إلى الأسمى والأرقى دائمًا، وذلك من "القيم التربوية الطيبة التي يحسن الحرص عليها"[1] والاستفادة منها.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٣١١.

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هَذَا الباب قَدْ تقدم مقصوده وذكرنا الأحاديث الصحيحة فِيهِ[١].

٤- كتَاب آداب النَوم والاضْطِجَاع

وَالقعُود والمَجلِس وَالجليس وَالرّؤيَا

١٢٧- باب ما يقوله عند النوم

الحديث رقم (٨١٤)

٨١٤- عن البَراء بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أمْرِي إِلَيْكَ، وَألْجَأتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأ وَلاَ مَنْجا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أرْسَلْتَ)) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه[٢].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأت ظهري إليك: أسندتُه، والمراد: توكلت عليك واستعنتُ بك[٣].

---

(١) انظر الأحاديث ٧٢١ - ٧٢٧.

(٢) بل في الدعوات، برقم ٦٣١٥ من حديث المسيب بن رافع، عن البراء، وزاد في آخره: (وقال رسول الله ﷺ: من قالها ثمّ مات تحت ليلته مات على الفطرة). الجمع للحميدي ٥٢١/١ رقم ٨٥١. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣ بلفظ المتفق عليه الذي يورده المؤلف بعد هذا الحديث، ثم قال: وفي رواية للبخاري، والترمذي ثمّ ذكر الزيادة التي في آخر الحديث.

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج أ).

الشرح الأدبي

هذا الدعاء من الأدعية الجامعة، وله تركيب مختلف في مكوناته، وأساليبه، ولعل ذلك يرجع إلى الغرض منه؛ لأنه دعاء النوم، وهو موت أصغر (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[1] حيث يفقد الإنسان سيطرته على جوارحه، ويكون في عالم مختلف فتضمَّن كل ما يحتاج المودع إليه من عناصر منها:

أولاً: الطهارة الظاهرية، والباطنية حتى إذا ما قدر له الموت كان طاهراً، وهو ما أشار إليه أسلوب الشرط الذي يجعل ذلك عادة للمؤمن (إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ).

ثانياً: الاستسلام، والتفويض، والاعتماد عليه، والتي عبَّرت عنها الأفعال الماضية، مع الجار المتصل بالضمير العائد على الله (أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي) والتي تفيد تحقق معانيها.

ثالثاً: التبرأ من كل حول، وقوة إلا من حول الله، وقوته، وقد جاءت في أسلوب القصر (لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ) الذي يقصر الملجأ، والمنجى إليه دون غيره.

رابعاً: تجديد الإيمان بالله، وبكتبه، ورسله (آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ) ثم إن الدعاء تخللته تراكيب تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً كلفظ (اللهم - رغبة - رهبة - ملجأ - منجا) وهي ألفاظ تسبر غور النفس التي تتنازعها مشاعر القلق والأرق، والفرق، فتفرغ في هذا الدعاء تلك المشاعر في توكل على الله يضمن حفظها، ولذلك كان جزاء قائلها إن مات أن يموت على الفطرة، وقوله: (مت على الفطرة) كناية عن كمال الإخلاص، وكمال الطهر، لأنهما أصل الفطرة- والله أعلم -.

---

(١) الزمر الآية ٤٢.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث ثلاث سنن مهمة مستحبّة ليست بواجبة:

إحداها: الوضوء عند إرادة النوم، فإن كان متوضئًا كفاه ذلك الوضوء، لأن المقصود النوم على طهارة، مخافة أن يموت في ليلته، وليكون أصدق لرؤياه، وأبعد من تلعب الشياطين به في منامه وترويعه إياه.

الثانية: النوم على الشق الأيمن؛ لأن النبي ﷺ كان يحبّ التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه.

الثالثة: ذكر الله تعالى، ليكون خاتمة عمله)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢/١٧/٩، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١١٣-١٢١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤.

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٠) مع زيادة في آخره.

الحديث رقم (٨١٥)

٨١٥- وعنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((إِذَا اتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ...)) وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: ((وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

مَضجَعك: موضع اضطجاعك[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان توجيهاً عملياً من الرسول ﷺ والصحابي هو الذي نقل الحديث عن فعله ﷺ وفي هذا الحديث توجيه للصحابي من الرسول ﷺ، وقد بدأه بأسلوب الشرط الذي يربط إتيان المضجع بالوضوء حتى يصير عادة يعتادها، ثم إنه استخدم التشبيه البليغ للتوضيح، والبيان مع الترغيب في قوله (فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ) وهو طهارة ظاهرية، وباطنية، وفي الجملة جناس يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقد جاء قوله: (ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ) تَوجُّهاً إلى الله تعالى بالقلب، وتوكلاً، واتباعاً لسنة نبيه ﷺ بالجسد، ثم أمره بالدعاء المذكور في الحديث السابق...).

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٣١١، ومسلم ٢٧١٠/٥٦. أورده المنذري في ترغيبه ٨٧٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ض ج ع).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الرواية الأخيرة من الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (٨١٦)

٨١٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، فَإذا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن، حَتَّى يَجيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

فيُؤذنه: فيُعلمه بالصلاة[2].

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأسلوب خبري يرجع إلى عمق الماضي عن طريق فعل الكينونة، وقولها (يصلي) بصيغة المضارع تصوير للحدث، وقولها (من الليل) من للتبعيض أي: بعض الليل، (فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) أسلوب شرط يحكي عادة تتكرر كل ليلة، ويربط صلاة الركعتين بطلوع الفجر، وقولها: (ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ) استخدام حرف العطف (ثم) يشير إلى فترة زمنية بين الآذان، والإقامة، وتخصيص شقه الأيمن؛ لأنه كان يحب التيمن في كل شيء، وقيل: حِكْمَته أَنْ لا يَسْتَغْرِق فِي النَّوْم لأَنَّ الْقَلْب فِي الْيَسَار فَفِي النَّوْم عَلَيْهِ رَاحَة لَهُ فَيَسْتَغْرِق فِيهِ، وَفِيهِ كَلام لأَنَّهُ صَحَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاة وَالسَّلام كَانَ تَنَام عَيْنه وَلا يَنَام قَلْبه. نَعَمْ يَجُوز أَنْ يَكُون فِعْله لإِرْشَاد أُمَّته وَتَعْلِيمهمْ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الفقهية الآتية:

الحكم الأول: حكم صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في حكم صلاة الوتر. فذهب المالكية والحنابلة إلى أن الوتر سنة مؤكدة[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٠ واللفظ له، ومسلم ٧٣٦/١٢١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٣) أشرف المسالك ٥٦/١ لشهاب الدين البغدادي المالكي، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١.

وذهب الشافعية إلى أن الوتر سنة[١]. واختلفت الرواية عن الإمام أبي حنيفة: فروى حماد بن زيد عن الإمام أبي حنيفة إلى أن الوتر فرض.

وروى يوسف بن خالد أن الوتر واجب، وروى نوح بن أبي مريم المروزي أن الوتر سنة وبه أخذ أبو يوسف ومحمد[٢].

الحكم الثاني: مقدار صلاة الوتر: اختلف الفقهاء في مقدار صلاة الوتر.

فذهب الحنفية إلى أن مقدار صلاة الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة وهي أقل صلاة الوتر، ويزيد إلى إحدى عشرة ركعة. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص. وقالوا لا ينبغي أن يؤقت شيء من القرآن في الوتر[٣].

وذهب المالكية إلى أن الوتر ثلاث ركعات يفصل بينهما بسلام، ويقرأ في الشفع في الركعة الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الوتر الإخلاص والمعوذتين[٤].

وذهب الشافعية إلى أن أقل الوتر ركعة واحدة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، وأدنى الكمال ثلاث، وأكمل منه خمس ثم سبع ثم إحدى عشرة. ويقرأ من أوتر بثلاث بعد الفاتحة في الأولى الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص ثم الفلق ثم الناس[٥].

وذهب الحنابلة إلى أن الوتر أقله ركعة، وأكثره إحدى عشرة ركعة، يسلم من كل ركعتين، ويوتر بواحدة، ويسن فعل الركعة عقب الشفع بلا تأخير. ويقرأ في الأولى سورة الأعلى، وفي الثانية الكافرون، وفي الثالثة الإخلاص[٦].

---

(١) المهذب للشيرازي ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٦٠٥/١، والهداية ٦٦/١.

(٣) البدائع ٦٠٩/١، ٦١٠.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٤٢/١.

(٥) المهذب ١٥٦/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/١.

(٦) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ٢٦٤/١، الإقناع ١٤٣/١.

ووقت صلاة الوتر ما بين صلاة العشاء إلى صلاة الصبح.

الحكم الثالث: حكم ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في حكم ركعتي الفجر: فذهب المالكية إلى أن ركعتي الفجر سنة ويقرأ فيهما بفاتحة الكتاب[١].

وذهب الشافعية إلى أن ركعتي الفجر سنة بل إن ركعتي الفجر وصلاة الوتر من أوكد السنن، ويقرأ فيها من سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ ومن آل عمران: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أو الشرح والفيل، أو الكافرون والإخلاص[٢].

وذهب الحنابلة إلى أن ركعتي الفجر سنة، وسن تحفيف ركعتي الفجر، ويقرأ فيها بعد الفاتحة في الأولى الكافرون والإخلاص، أو ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ وفي الثانية ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ ..﴾[٣].

الحكم الرابع: حكم الاضطجاع بعد ركعتي الفجر: اختلف الفقهاء في ذلك فذهب المالكية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر إن أريد به الفصل بين الفجر والصبح فيكره، وإن كان لغير ذلك فلا بأس به[٤].

وذهب الشافعية إلى أن الاضطجاع بعد الفجر مندوب[٥]، وذهب الحنابلة إلى أنه يسن الاضطجاع بعد الفجر[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثاً: من صفات الداعية: قوة الصلة بالله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٣٠٥/١، وأشرف المسالك ٥٦/١.

(٢) المهذب ١٥٦/١، وفقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٣) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والكافي ٢٦٤/١، والإقناع ١٤٦/١.

(٤) المدونة الكبرى لمالك ٢١٠/١، وفقه العبادات على المذهب المالكي ٢٠٠/١.

(٥) فقه العبادات على المذهب الشافعي ٣٥٩/١.

(٦) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٥/١، والإقناع ١٤٦/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في قيام الليل:

جاء في الحديث وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لصلاة النبي ﷺ في الليل فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والحديث يبين سنة من سنن النبي ﷺ التي ينبغي الاقتداء بها، وهي صلاة الليل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾[1] فإن التقرب إلى الله بالعبادات أقوى الأسباب لتزكية النفس[2] وفي الصلاة وقيام الليل خضوع وذل لله، وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه[3].

وقيام الليل من جملة الأعمال الصالحات، التي تجعل صاحبها يستحق الرعاية الحسنة من الله تعالى، كما جاء في الحديث القدسي ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ))[4] إضافة إلى ما يلقيه الله لصاحب العمل الصالح من محبة في قلوب المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا﴾[5] وغير ذلك من النتائج الطيبة التي يزداد بها نشاط الإنسان في القيام بالأعمال الصالحة التي لها الدور الفعال والأثر البين في بناء شخصية المسلم بناءً دينياً على أسس قوية[6].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٨.

(٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي ص ١١.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٠.

(٥) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٦) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ١٧٤، ١٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان صفة صلاة النبي ﷺ لركعتي الفجر:

ورد في الحديث التصريح بصلاة النبي ﷺ لركعتي سنة الفجر ركعتين خفيفتين "فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجيء المؤذن فيؤذنه" والمقصود بقوله "فيصلي ركعتين خفيفتين" هما سنة الصبح، وفيه دليل على تخفيفهما[1].

ثالثاً- من صفات الداعية: قوة الصلة بالله:

وردت في الحديث علامة من علامات قوة الصلة بالله وهي صلاة الليل، فقالت عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ يصلي من الليل..." وأولى الناس بتقوية صلته بالله هو الداعية، إذ أن الداعية مرشد إلى الخير وموجه نحو الهدى، وعليه أن يُمتِّن صلته بالله لتكون دعوته نابعة في قوله وفعله، فالاجتهاد في الطاعات والتقرب بها إلى الله عز وجل من أقوى أسلحة الدعاة، ذلك لأن للطاعات نوراً ينعكس على وجوههم ووقاراً وهيبة يدعوان الناس إلى احترامهم وتقديرهم، ولقد كان إمام الدعاة ﷺ يجد راحته وقرة عينه في الصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُبِّبَ إليَّ من الدنيا: النساءُ، والطِّيبُ، وجُعِلت قُرَّةُ عَيني في الصلاة))[2][3].

قال السيوطي: (وقوله "جعلت قرة عيني في الصلاة" إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى، بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى إنه بمناجاته تقر عيناه، وليس له قريرة العين فيما سواه، فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى)[4].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

في اجتهاد رسول الله ﷺ في العبادة ومنها صلاة الليل، وأمر الله المؤمنين

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٣٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٦٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، وصحيح الجامع الصغير ٣١٢٤).

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٧/٧٤.

بالاقتداء بسنته ﷺ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1] ترغيب في الصلاة بالليل وإحيائه بالعبادة، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخداماً لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[2].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشجيع على فعل الخير مع أصحابه رضي الله عنهم لأن المعرفة لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بل لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية، تحفز الإرادة، وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والعبد عن الشر، ومن أمثلة الترغيب والتشجيع على عمل الخير وخير العمل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ تعالى: أعددتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[3] فهذا الحديث وغيره من أحاديث رسول الله ﷺ كانت خطاباً لقوم رغبوا في الآخرة، ورضوا بها، وزهدوا في الدنيا، ويظهر التشويق فيها جلياً، مما يزيد الراغب حرصاً على العمل والجد والمثابرة، لينال رغبته ويحظى بأمنيته[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩١.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٤، ٢٢٥.

الحديث رقم (٨١٧)

٨١٧- وعن حُذَيْفَةَ ﷺ ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا)) وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

المضجع: موضع الاضطجاع والنوم[2].

النشور: البعث يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول دعاء النوم والاستيقاظ كما أنه يصف هيئة نوم النبي ﷺ وقد ورد في أسلوب خبري في بدايته حيث بدأ بأسلوب الشرط الذي يصور هيئة نومه، وطبيعة دعائه، وقوله (إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن إرادة النوم، وقوله (وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ) يشير إلى كمال تواضعه ﷺ، وقوله (اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا) الدعاء باللهم توجُّه لله بالكلية، وإقرار بالعبودية، والطباق بين قوله: أموت، وأحيا يقرر أن حياة المؤمن من مبدئها إلى منتهاه بيد الله يتقلب فيها وفق مراده، وفيه إشارة إلى أن النوم موت أصغر، وقوله عند الاستيقاظ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) اعتراف بنعمة الله، والطباق بين أحيانا، وأماتنا يوضح الفارق بين الحالتين وقدرة الله، وملكه للإنسان في الموقفين، ونعمته عليه في تحصيل الفائدتين في النوم بالراحة، وفي الحياة بما فيها، وهو مستحق للحمد في كل حال.

---

(١) برقم ٦٣١٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١١٨.

فقه الحديث

وضع اليد تحت الخد[١]: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من النوم وضع يده تحت خده ثم يقول: اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. ورد هذا الحديث "إذا أخذ مضجعه عن النوم وضع يده تحت خده" وفي حديث حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: ((اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك))[٢].

٢-ما يقال عند النوم والاستيقاظ: يستحب أن يقال عند النوم والاستيقاظ ما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه: (اللهم باسمك أموت وأحيا وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)[٣].

٣-كراهية الاضطجاع على البطن: يكره الاضطجاع على البطن، لأن هذا الاضطجاع يبغضه الله تعالى، ويستحب أن يكون الاضطجاع على شقه الأيمن، وأن يكون على وضوء[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى.

أولاً- من واجبات الداعية: البيان والتطبيق العملي لما يقال عند النوم والاستيقاظ:

إن من أوجب المهام على الداعية تبليغ المدعوين بسنة نبيهم ﷺ وتبيينها لهم، ومن

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٤٥/٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٠٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٥٠٤٥).

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٤٥/٤.

(٤) المرجع السابق ٣٤٥/٤.

ذلك ما جاء في بيان حذيفة رضي الله عنه لحال النبي ﷺ عند النوم فقال "كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده" أي وضع كفه الأيمن، لأنه يحب التيمن في شأنه كله، وليعلم أمته[1]، ثم يقول "اللهم باسمك أموت وأحيا" وإذا استيقظ قال "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا" أي أيقظنا بعد أن أنامنا[2]؛ إذ أن البيان من أهم الواجبات على الداعية، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه لهم، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3] وقال ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[4] ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

إن من الأذكار العظيمة، التي كان يواظب عليها النبي ﷺ عند النوم، وعند الانتباه منه، ما جاء في الحديث: (كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور).

قال القاضي عياض: "(باسمك أحيا وباسمك أموت)، ومعناه: يحتمل أنه يريد بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، ويحتمل أنه يريد: بك أحيا وبك أموت أي أنت تحييني وأنت تميتني.

وقوله: (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) يريد بالموت هنا النوم، وأصل الموت في كلام العرب السكون، فنبه ﷺ بإعادة اليقظة بعد النوم على إثبات البعث بعد الموت"[6].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٢١١ - ٢١٢.

وقال النووي: "قيل معناه: بذكر اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، وقيل: بك أحيا أي: أنت تحييني وأنت تميتني، وإنما ذكرت الحياة والموت بهذه المناسبة، لأن النوم شعبة من الموت، كما أن اليقظة عودة إلى الحياة الكاملة"(١).

أما الحكمة من ذكر الله تعالى عند النوم والاستيقاظ، فقد أشار إليها كثير من العلماء: قال القاضي عياض: "وحكمة الدعاء إذا ما أراد أن ينام، ليكون ذكر الله آخر كلامه، وفائدته إذا أصبح ليكون أول عمله تجديد الإيمان بالله وذكره، والاعتراف بأن الأمور كلها له وبيده، ويفتح يومه بالكلام الطيب"(٢).

وبنحو ذلك قال النووي: "قال العلماء: وحكمة الدعاء عند إرادة النوم أن تكون خاتمة أعماله ذكر الله تعالى، وحكمته إذا أصبح أن يكون أول عمله بذكر التوحيد والكلم الطيب"(٣).

وقد ورد في غير هذا كثير من الأذكار عند النوم واليقظة، ومنها ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ))(٤).

ومنها أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِهِ، فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ. فَإِنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ. وَلْيَقُلْ:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٢/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٦٨٢٠.

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي. وَبِكَ أَرْفَعُهُ. إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لَهَا. وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ))[١].

وفي هذا إشارة إلى أن المسلم لا غنى له عن ذكر ربه طرفة عين عند نومه ويقظته، وفي جميع شؤونه، فها هو عند النوم يختم أعماله بذكر الله، وعند الانتباه يكون أول أعماله ذكر الله، ثم هو في جميع أحايينه محافظاً على ذكر الله، فعلى ذكره سبحانه يحيا وعليه يموت وعليه يبعث يوم القيامة[٢]، إضافة إلى ما في ذكر الله تعالى من استجلاب نعم الله عز وجل واستدفاع نقمه، ومن أكبر العون على طاعة الله عز وجل، ويسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فالذكر يعطي الذاكر قوة عظيمة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه[٣].

كذلك من ألوان فضل ذكر الله تعالى عند النوم واليقظة طرد الشيطان وقمعه وإزالة ما يعقده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاَثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ. بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً. فَإِذَا اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. وَإِذَا تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ. فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ. فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ. وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ))[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على ذكر الله عند النوم وبعد اليقظة:

وذلك امتثالاً واقتداء برسول الله ﷺ في سنته وهديه عند النوم والاستيقاظ كما جاء في الحديث: (كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أحيا وأموت وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، إذ أنه على المدعو عند نومه أن يكون متذكراً لأمرين، ما مضى من أيامه فيحمد الله على ما

---

(١) أخرجه مسلم ٦٨٣٠.

(٢) ذكر الإمام ابن القيم ما يربو على سبعين فائدة وثمرة للذكر، انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ٨٢ - ١٥٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١١٥/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦ واللفظ له.

أمده فيها من الصحة والعافية، والمطعم والمشرب، والمسكن وغير ذلك، وأن يتذكر ما يستقبل من أوقاته، وهو فيها بين أمرين إما أن تقبض روحه فهو يسأل الله إن كان ذلك المغفرة والرحمة، أو أن يُفسح له في أجله فهو يسأل الله في هذه الحال أن يحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين[١].

وفي أدعية المسلم عند نومه إقبال على مولاه يقظة ونوماً، فلا يقضي به نومه لتكاسل أو تباطؤ عما طلب منه، ولا تيقظه لغفلة عما طلب منه من دوام مراقبة وحضور[٢]، وفي ذلك دخول للعبد في قائمة الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وفيمن يذكرون الله قياماً وقعودًا وعلى جنوبهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٣]، الذين زيّن الله ألسنتهم بالذكر، وعقولهم بالفكر وقلوبهم بالخشية والاطمئنان، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، الأذن الصماء واليد الشلاء[٤].

قال ابن عثيمين في شرح الحديث مبيناً أهمية ذكر الله والاقتداء في ذلك برسول الله ﷺ، وأن ذلك من نعم الله وعطاياه: "شاء الله أن يمن علينا، فشرع لنا أذكاراً عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب، ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، كل هذا من أجل أن تكون أوقاتنا معمورة بذكر الله عز وجل، ولولا أن الله شرع لنا ذلك لكان بدعة، ولكن الله شرع لنا هذا من أجل أن تزداد نعمته علينا بفعل هذه الطاعات.

فمنها هذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن حذيفة، وأبي ذر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: (باسمك اللهم أحيا وأموت)، إذا أوى يعني: إذا ذهب إلى

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧٢ - ٧٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٥٠٧.

(٣) سور آل عمران، آية: ١٩١.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٤٢٣.

فراشه وأراد أن ينام قال: باسمك اللهم أحيا وأموت؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو المحيي المميت، فهو المحيي يحيي من يشاء، وهو المميت يميت من يشاء، فتقول: باسمك اللهم أحيا وأموت. أي: أموت على اسمك، وأحيا على اسمك، ومناسبة هذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[2].

ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: (الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)، فتحمد الله الذي أحياك بعد الموت، وتذكر أن النشور - يعني الإخراج من القبور- يكون إلى الله عز وجل، فتتذكر ببعثك من موتتك الصغرى بعثك من موتتك الكبرى، وتقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور)، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم، الذي جعله الله راحة للبدن عما سبق، وتنشيطاً للبدن فيما يُستقبل، وأنه يذكّر أيضاً بالحياة الأخرى، إذا قمت من قبرك بعد موتك حيّاً إلى الله عز وجل.

وهذا يزيدك إيماناً بالبعث، والإيمان بالبعث أمر مهم، فلولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يُبعث ويجازى على عمله ما عمل، ولهذا نجد كثيراً أن الله يقرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان به عز وجل، كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[3]، وآيات كثيرة في هذا. فالمهم أنه ينبغي لك إذا أويت إلى فراشك أن تقول: (باسمك اللهم أحيا وأموت) وإذا استيقظت تقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور) والله الموفق"[4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٢٧ - ١٥٢٨.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى:

فكما جاءت النصوص التي تدل على فضل ذكر الله تعالى عند النوم، ورد عن رسول الله ﷺ ما يدل على كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ))[١] أي حسرة ونقصاناً[٢].

لأن الإعراض عن ذكر الله خسارة لا تدانيها خسارة، وبذلك صرح القرآن ،وأخبر عن خسران من لها عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٣] وجاء في الحديث الترغيب في ختم المسلم يومه بذكر الله تعالى وذلك قياساً على بقية الأعمال فإن الأعمال كلها، أرشد القرآن إلى ختمها بذكر الله في قوله تعالى: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٤] وختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾[٥] وختم به الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾[٦] وختم به الجمعة قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٧] فمن كان سبيله ختم أعماله

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٦٥)

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٩.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) سورة الجمعة، آية: ١٠.

وأيامه بذكر الله تعالى فإنه يرجى أن يكرمه الله، بأن يختم حياته بذكر الله تعالى، وإذا كان آخر كلام العبد ذكر الله أدخله الله الجنة[1].

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٢٦٣، ٢٦٤.

الحديث رقم (٨١٨)

٨١٨- وعن يَعيشَ بن طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ أَبي: بينما أَنَا مُضْطَجِعٌ في الْمَسْجِدِ[١] عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي برجلِهِ، فَقَالَ: ((إِنَّ هذِهِ ضجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ))، قَالَ: فَنظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ. رواه أَبُو داود[٢] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

طخفة الغفاري: هو صحابي اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً: فقيل: طِهفة بن قيس [بالهاء] وقيل: طِخفة بن قيس [بالخاء]. وقيل طغفة [بالغين] وقيل: طِقفة [بالقاف والفاء]. وقيل: قيس بن طخفة. وقيل غير ذلك.

وليس له إلا هذا الحديث الواحد في النهي عن النوم على البطن، وكان فقيراً فعاش مع أصحاب الصفة في المسجد، وأول هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل[٣]: كان أبي من أصحاب الصفة فأمر رسول الله ﷺ بهم، فجعل الرجل ينقلب بالرجل، والرجل بالرجلين، حتى بقيتُ خامس خمسة، فقال رسول الله ﷺ: انطلقوا. فانطلقنا معه إلى بيت عائشة فقال: يا عائشة أطعمينا. فجاء بحَشيشة[٤] فأكلنا ثم جاءت بحَيْسة[٥] مثل القطاة، فأكلنا ثم قال: يا عائشة أسقينا فجاءت بعُسٍّ[٦] فشربنا، ثم

---

(١) عند أبي داود زيادة: (من السحر).

(٢) برقم ٥٠٤٠. وذكر الدارقطني في العلل ٢٩٩/٩ الاختلاف في إسناده ثم قال: يرويه أبو سلمة، عن ابن طهفة الغفاري، عن أبيه، وهو الصواب. وكذا قال الحاكم في المستدرك ٢٧١/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥١٥ مختصرا كما هنا، ومطولاً برقم ٤٥١٤ وعزاه إلى أحمد وابن حبان.

(٣) ٣٠٧/٢٤ وهو عند أبي داود وابن ماجه ٧٥٢.

(٤) الحشيشة هي ما يحش من الحب فيطبخ. والحش: طحن خفيف فوق الدقيق قاله السندي في حاشيته على مسند أحمد بن حنبل.

(٥) الحيسة: هي أخلاط من تمر وسويق وأقط وسمن مجمع فيؤكل. والقطاة: نوع من الحمام. وكأنه شبه في القلة.

(٦) العُسُّ: قدح ضخم.

جاءت بقدح صغير فيه لبن فشربنا، فقال رسول الله ﷺ: ((إن شئتم بتُّم وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد. فقلت: لا، بل ننطلق إلى المسجد. فبينا أنا من السحر مضطجع على بطني...)) الحديث.

وقد ذكره البخاري في التاريخ الأوسط في فصل من مات ما بين الستين إلى السبعين[1].

غريب الألفاظ:

الضَجْعة: هيئة الضجوع[2].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري تغلب على أحداثه المفاجأة التي توحي بها عبارات الحديث كقوله: (بينما أنا - إذ جاء رجل - فإذا رسول الله ﷺ) والبداية بالظرف (بينما) فيها تشويق، وإثارة تحقق اليقظة، والانتباه لما بعده، والضمير (أنا) توكيد وتقوية للحكم، والتعبير بصيغة اسم الفاعل (مضطجع) بدلاً من الفعل (أضطجع) يوحي بالاسترخاء، والاستغراق فيه لدلالة الاسمية على اللزوم، والثبات، والجار والمجرور (في المسجد) يشير إلى شرف المكان، وأنه يراعى فيه ما لا يراعى في غيره من الأماكن، وتقييد الحدث بقوله (على بطني) يشير إلى الخطأ، وقوله (إذ جاء رجل) يمثِّل بداية تحول الأحداث، وتصحيح الخطأ وقوله: (يحركني برجله) تنبيه، وتمهيد قبل تقرير الحكم لاحتمال النوم، والغفلة، ثم جاءت عبارته مؤكدة بأكثر من مؤكد)إِنَّ هذه ضِجْعَةٌ يَبْغَضُهَا اللَّهُ) وتعريف المسند إليه بالإشارة لتمييزه أكمل تمييز بالإضافة إلى أن صياغة المسند

---

(١) التاريخ الكبير ٣٦٥/٤ والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٦٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩٧/٣ والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٦٤٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٩٩/٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٣٦/٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ج ع).

(ضجعة) على اسم الهيئة والجملة التي وصفت بها تقرر أنها سبب الذم لبغض الله لها، وتعلُّق فعل البغض بالله يصعِّد الإحساس بالخطأ، ويبين خطره، لأنه يسبب غضب الجبار.

فقه الحديث

يكره الاضطجاع على البطن، لحديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء.

ثانياً: من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء:

إن الداعية يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بمدعويه، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، وفي الحديث ضرب النبي ﷺ أنموذجاً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تفقدٍ لأحوال المدعوين والتنبيه على الأخطاء، فعن يعيش بن طفخة رضي الله عنهما قال: قال أبي بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال: فنظرت فإذا رسول الله ﷺ، والسنة النبوية مليئة بالنماذج لملاحظاته ﷺ وتفقداته لأصحابه"[2]، ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللّهِ رَأَى خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ. فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: ((يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)) فَقِيلَ لِلرَّجُلِ، بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللّهِ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لاَ. وَاللّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَداً. وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللّهِ[3]، وتلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء مجتمعه الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤١ .

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٩٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٠٩٠.

حية واقعية، تؤكد حرص النبي ﷺ على تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم والرفع من مستواهم[١].

لقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، والأمثلة الدالة على اهتمام رسول الله ﷺ بالناس ومواساته لهم وتشجيعهم إن اصابوا، وتقويمهم إن أخطأوا كثيرة، منها ما روي عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يوماً وليلةً، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيماً رَفيقاً، فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهينا أهلَنا ـ أو قد اشتَقْنا ـ سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم))[٢].

كما كان ﷺ يتفقد المرضى ويزورهم في بيوتهم ويدعو لهم ويصلي عليهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ماتَ إنسانٌ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُهُ، فماتَ بالليلِ، فدَفنوهُ ليلا. فلمَّا أصبحَ أخبروهُ فقال: ((ما مَنَعَكم أن تُعلِموني؟)) قالوا: كان الليلُ فكرِهْنا ـ وكانت ظُلمةٌ ـ أن نشُقَّ عليك. فأتى قبرَه فصلَّى عليه[٣].

لذا لا بد للمربي والداعية أن يقرن اهتمامه بمدعويه بالمحبة والشفقة والتوجيه للصواب، فإن المدعو والمتلقي الذي يشعر أن مربيه يحبه ويعطف عليه، لا شك أنه سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة مربيه وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه"[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: اتباع السنة في النوم:

إن من الآداب التي ينبغي الحرص عليها عند النوم اتباع السنة في ذلك، ومن ذلك ما ورد في الحديث من النهي عن النوم منكباً على الوجه والبطن مبيناً ﷺ العلة في

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ص ٧٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٢

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٣.

كراهة ذلك فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله، قال العظيم آبادي: "وفي الحديث أن النوم على البطن لا يجوز وأنه ضجعة الشيطان"[١]، كما ذكر النبي ﷺ علة أخرى لكراهة النوم على البطن هي مشابهة أهل النار في نومهم[٢]، فروى عن أبي ذر رضي الله عنه قال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ وَأَنَا مُضْطَجِعٌ عَلَى بَطْنِي. فَرَكَضَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: ((يَا جُنَيْدِبُ إِنَّمَا هذِهِ ضِجْعَةُ أَهْلِ النَّارِ))[٣].

ففي الحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه، لا سيما في الأماكن التي يغشاها الناس، لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به لأن هذا لحاجة[٤]، وإنما السنة: النوم على الجانب الأيمن كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: ((إِذا أتيتَ مَضجَعَكَ فتَوَضَّأْ وُضوءَكَ للصلاةِ، ثمَّ اضْطَجِع على شِقِّكَ الأيْمَنِ))[٥]، فإن ذلك أنفع ما يكون بالقلب، وأسرع لانتباه النائم لتعلق القلب وعدم انغماره بالنوم[٦]، إضافة إلى ما في ذلك من كونه أصلح للبدن، كما نص على ذلك الأطباء[٧].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وجوامع كلمه:

إن من خصائصه ﷺ إيتاؤه وتمكنه من جوامع الكلم، والحديث فيه ما يدل على ذلك ففي قوله ﷺ: (إن هذه ضجعة يبغضها الله)، فقد جمع ﷺ فيه عدة معانٍ، منها النهي مع توكيده، إضافة إلى ذكر العلة التي من أجلها نهى عن

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢١٥٨.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٣٧٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٦٥٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣١١، اخرجه مسلم ٨٠٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٦٣.

(٧) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢١٨.

الاضطجاع على البطن لأنها ضجعة الشيطان والكفار، وفي ذلك دلالة على ما أكرم الله به رسوله ﷺ من جوامع للكلم، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ))[١]، والمقصود بجوامع الكلم هي الكلمات الجامعة الوجيزة التي تحمل معاني كثيرة[٢]، فجوامع الكلم، تقع فيها المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة[٣].

"لذا ينبغي على الداعية التأسي برسول الله ﷺ في عرض دعوته بالابتعاد عن الكلام المرسل وتجنب التطويل، وذلك حفظاً للذاكرة من الكل، وحفاظاً على قدرة الفكر على الاستيعاب"[٤]، فإن التطويل وملء الحديث بالحشو من الكلام ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض، فيعسر حصول الملكة بتفريغها[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٧٧، ومسلم ٥٢٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٦/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤٩/٦.

(٤) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، دار اللواء لنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ ورقم طبعة، ص ٧٠.

(٥) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار المدينة المنورة: ١٩٨٤م ص ١٠٣٢.

الحديث رقم (٨١٩)

٨١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجَعاً لاَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أبو داود[1] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التِّرة: النَّقص، وقيل: التبعة[2].

الشرح الأدبي

الحديث أساليبه خبرية بدأ مؤكداً بـ (إن) مع اسمية الجملة بياناً لأهمية الخبر المسوق، وقد جاء المعنى النبوي في ثوب الشرط الذي يحقق التشويق، ويربط الفعل بالجزاء وجوداً، وانتفاءً، وفعل الشرط (قعد) في الماضي الدال على التحقق بقيد (لم يذكر الله فيه) وجملة الجواب (كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ) في صيغة الماضي المتحقق، وتقديم خبر كان على اسمها يفيد اختصاصه وحده بالترة، وهي المنقصة، والحسرة، والندم، وتقييد ها بالجار، والمجرور (من الله) يصعِّد الرهبة ويعظِّم الإحساس بخطر الغفلة عن ذكر الله، ثم إن الجناس في قوله: (قعد مقعداً) يأخذ السمع، ويلفت الانتباه للمعنى، ويؤكده.

وقوله (وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تِرَةٌ) أسلوب شرطٍ ثانٍ يتفق مع ما قبله في الصياغة، وفي القيد (لا يذكر الله فيه)، وفي جواب

---

(١) برقم ٤٨٥٦. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٣)، وقال الترمذي ٥/٤٦١: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ١/٥٥٠: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠. وسيكرره المؤلف برقم ٨٣٧.

(٢) رياض الصالحين ٣٣٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ر هـ).

الشرط المترتب على الفعل بقيده، ويختلف مع سابقه في فعل الشرط (من اضطجع مضجعاً) الذي يقرر تغير الحالة من القعود إلى الاضطجاع، ليشمل أكثر الحالات التي يستخدمها الناس في مجالسهم مع خلوها عن ذكر الله الذي سبب ذم هذا المضجع، وجعله حسرة، وندامة على صاحبه.

والحديث يثمّن غالياً قيمة الذكر، ويجعله سبب الفلاح، والسعادة في الآخرة؛ لأن ضده، وهو الغفلة يحقق الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [مريم: ٣٩]﴾.

فقه الحديث

يكره لمن قعد في مكان أن يفارقه قبل أن يذكر الله تعالى، لحديث الباب[١].

وبوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: كراهة النوم من غير ذكر الله تعالى[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع.

ثانياً: من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع:

لقد رغّب الإسلام في ذكر الله عامة في جميع الأحوال ومختلف الشؤون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٣]، وقال:

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤٢/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٤٧/٣.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢١ .

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[١]، وجاء في الحديث بيان ما ينبغي من ذكر في المجالس وعن الاضطجاع فقال ﷺ مرهباً من خلوهما من الذكر: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، والترة بمعنى النقص والتبعة[٢]، وذلك ما يدل على أهمية الذكر، وتجميل المجالس والمضاجع به، ففي الإعراض عنه حسرة وندامة، لأن خلو المجالس ونحوها من الذكر تضييع لرأس المال من زمان ومكان وفواتٍ للربح، وأية حسرة أعظم من ذلك؟[٣].

وأي فضل أعظم من أن يباهي الله ملائكته بالذاكرين ومجالسهم، وقد تظاهرت النصوص على ذلك، فروي عن معاوية رضي الله عنه خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَىٰ حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثاً مِنِّي. وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[٤].

والذاكرون هم أهل السبق[٥]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتُ))[٦]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٨/٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٦٦/٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ))[1].

ثانياً- من آداب المدعو: مداومة ذكر الله تعالى في كل حال والحذر من الغفلة عن ذلك:

إن من الآداب التي ينبغي التجمل بها ذكر الله تعالى والمداومة عليه، ففي الذكر حياة القلوب، ونماء الإيمان، وزكاة النفس، وسبيل السعادة، والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحديث بيان سوء حال من يعرض عن ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة)، أي: حسرة وندامة، فمداومة الذكر مجانبة للشيطان، والإعراض عن الذكر تمكين للشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[2].

أما كمال ذكر الله والمداومة عليه، فإنه سبب عظيم من أسباب حفظ اللسان وصونه عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والسخرية والباطل، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم، فما خلق اللسان إلا للكلام، فإن لم يتكلم بذكر الله، وذكر أوامره وبالخير والفائدة، تكلم في المحرمات أو ببعضها، فمن عوّد لسانه على ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله، نطق بكل باطل ولغو وفحش[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء في الحديث الترهيب من التجافي عن ذكر الله تعالى فقال ﷺ: (من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة)، وأسلوب الترهيب من أعظم الأساليب الدعوية تأثيراً في النفوس، وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب للنفس، وذلك ما يدعوه إلى أن

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣٦.

(٣) الفوائد المنثورة، خطب ونصائح، كلمات ومقالات، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ٧١ - ٧٢.

يحميها من كل شر، سواء ما كان فيه من عاجل أو آجل[١]، وقد ذكر الحق تبارك وتعالى حال عباده وهم يدعونه ويتضرعون إليه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢]، وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

رابعاً- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله تعالى:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية توجيه أنظار المدعوين إلى أبواب الخير، وتحذيرهم من أسباب التردي والخسران؛ فالواجب على الداعي الاهتمام بالمدعوين بأن يعطيهم ما عنده من الخير[٤]، ويحذرهم من الشر حرصاً عليهم، وعلى إيصال الخير لهم، ودرء الشر عنهم، وليكن رسول الله ﷺ أسوته في ذلك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، ومن ذلك حرص الداعية على تنبيه المدعوين على أهمية ذكر الله في المجلس وعند الاضطجاع وتحذيره من ترك الذكر، ففي الذكر الحياة، وهو قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته[٦].

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))، ولفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذي يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذي لاَ يُذْكَرُ اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٧]. فجعل بيت

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥٠٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٣٥.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٦) انظر: الوابل الصيب ٨٥.

(٧) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

الذاكر بمنزلة بيت الحي، وبيت الغافل بمنزلة بيت الميت وهو القبر.

وفي اللفظ الأول جعل الذاكر بمنزلة الحي، والغافل بمنزلة الميت، فتضمن اللفظان أن القلب الذاكر كالحي في بيوت الأحياء، والغافل كالميت في بيوت الأموات، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم، وقلوبهم فيها كالأموات في القبور كما قيل:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور[1]

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٦٩/٣ - ٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

النوم من أجلّ النعم على الإنسان، وهو دليل الأمن، وقد امتنّ الله تعالى على عباده تلك النعمة، ولهذا وجب شكر المنعم على هذه النعمة العظيمة، لأن النوم الدائم وفاة، والحياة الدائمة بلا نوم تفضي إلى الجنون، والجمع بين اليقظة والنوم من تمام النعمة وعلى هذا تكون تربية المسلم من الطرق التالية:

أولاً- التربية العقدية:

وذلك ما نلحظه من احتواء كلمات الدعاء التي كان يقولها ﷺ وما لقنها للبراء بن عازب على معاني إخلاص العقيدة والتسليم وتفويض الأمر لله تبارك وتعالى: «اللَّهُمَّ أَسْلمتُ نفسي إليكَ، ووجَّهتُ وجهي إليكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، ... آمنتُ بكتابكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ» والإيمان بالبعث والنشور: «الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

إن التربية العقدية وإحسانها وحسن عرضها وغرسها في نفوس المتربين أساس كل خير والدافع للتحلي بكل خلق طيب جميل، "فالإنسان حين ينشأ على الإيمان منذ طفولته تصبح عنده الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتَقَبُّل كل فضيلة ومكرمة والاعتياد على كل خلق فاضل حيث يبيت إيمانه بالله حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، وحتمية استناد الأخلاق إلى معتقدات تجعلها تتغلغل إلى أعماق النفس وتخلص الإنسان من أوزاره.

إن تصحيح العقيدة وتربية النشء على العقيدة الصحيحة والإيمان بالله يعني الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بالكلية، وهذا علاج للنفس من خلال استكشافها الضر ممن يملكها، ويعني اللجوء إلى الله، وهذا علاج للنفس من الفتور في الطاعة وعلاج لها من الطمع والاشتغال بالإصلاح الظاهر لزينة الناس وإغفال إصلاح الباطن"[1].

---

(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص٥٩، ٦٠.

ثانياً- ربط الولد بالنوافل:

إن من واجبات الآباء والمربين ربط الأولاد بالنوافل كما جاء في أحاديث الباب من توجيهه ﷺ إلى نوافل الذكر كالذكر عند الإيواء إلى الفراش ونوافل الصلاة كالتهجد من الليل وصلاة ركعتين خفيفتين إذا طلع الفجر كما نرى ذلك مبثوثاً في أحاديث الباب.

لقد رغب الإسلام في النوافل والإكثار منها، وذلك "اجتهاداً في طلب رضا الله تعالى والتشمير لتنفيذ أمره ومبتغاه، ولا شك أن الامتحان في هجر الفرش ومقاومة النوم ومألوفات النفس تربيةٌ على المجاهدة وتحرير من الخضوع لأهواء النفس"[(١)].

"إن النوافل التي ثبتت مشروعيتها من أعظم الأعمال الصالحة التي تقرِّب العبد من الله عز وجل وترسخ في نفسه حساسية التقوى وطمأنينة القلب وحلاوة الإيمان.

فاحرص أيها الأخ المربي أن تعطي لأهلك وأولادك... القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك... ليكتسبوا منك ويأخذوا عنك ويقتدوا بك... ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة... ففي الدعوة إلى الأخذ بفضيلة النافلة والعمل بعبادة التطوع.

سوف ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلة الصوم وحرصوا على العمل والتطبيق في الأوقات المخصصة والأيام المتعينة.

وهذا الربط التنفلي من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً وإعداده خلقياً ونفسياً، بل هو الذي ينشئ الولد على الإخلاص والتقوى ومراقبة الله عز وجل، واستحضار العظمة الربانية في كل الأحوال.

فإذا فعلت هذا أيها المربي الكريم فتكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في الربط الروحي والتكوين الرباني، بل يكون ولدك من الذين يُشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم"[(٢)].

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٣٩.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٤/٢، ٨٣٥.

ثالثاً- الجمع بين الرجاء والخوف:

وهذا ما نلحظه فيما ورد في الدعاء عند الاضطجاع للنوم "....رغبة ورهبة إليك" فهذا الدعاء يَنُمُّ عن رجاء وخوف ورغبة ورهبة وأمل في رحمة الله وخوف من عقابه.

إن الخوف والرجاء أو الرغبة والرهبة هما جناحا الإيمان، فإن توفرا في قلب عبد صدق إيمانه واكتمل بالعمل، فهو بين رجاء ورغبة يؤمله في رحمة الله ويدفعه إلى الطاعة وبين خوف ورهبة يحذره من عقاب الله تعالى ويدفعه عن المعاصي.

لذا ينبغي على المربين غرس تلك الدوافع والموانع من الترغيب والترهيب في نفوس المتربين، فإن الرغبة والرجاء "يولدان الأمل ويبعثان على النشاط والعمل للآخرة ويحببان إلى المسلم الطاعات وينأيان به عن المعاصي ويدفعان به إلى مقاومة الشيطان، كما أنَّ الرهبة والخوف يورثان العبد الخوف من عذاب الله عز وجل، ويولدان الرهبة حتى تصير طبعاً في الإنسان توصله إلى تقوى الله عز وجل، والتي يجني العبد ثمرتها في سعادته في الدنيا والآخرة" [(١)].

من أجل ذلك يجدر بالمعلمين والمربين أن يغرسوا مثل هذه الدوافع والموانع في نفوس المتربين، فإن النفس إذا ما استحضرت الثواب والعقاب والنعيم والشقاء تخلل فيها الرغبة والرهبة والخوف والرجاء وذلك "ما يوجد لديها وازعاً نفسياً، يسموا بها إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق، بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون ذلك سبباً في اعتلاله ومرضه"[(٢)].

رابعاً- التربية الصحية:

وذلك ما نجده في التوجيه النبوي في أحاديث الباب من الوضوء قبل النوم والنوم على الجانب الأيمن، كما في قول البراء بن عازب: "كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٥٦/٥، ٢١٩٥/٥.

(٢) انظر: نحو إنسانية سعيدة، محمد المبارك، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ، ص١٤.

فراشه"، وقوله ﷺ: "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك..".

لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بتربية الجسم فهو من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين، لينشأ الأطفال على خير ما ينشئون عليه من قوة الجسم وسلامة البدن ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط.

إن الاعتناء بالنواحي الجسمية لدى الأطفال بتنميتها وحمايتها أمر ضروري لتكوين إنسان كامل يؤدي مهمته على أكمل وجه، إذ لا يمكن الفصل بين هذا الجانب، وبين غيره من جوانب التربية كالجانب العقلي والجانب الاجتماعي... فهي مترابطة.

ومن واجبات الآباء والمربين في تربية الجسم تعليمهم آداب النوم، إذ أن الجسم في نموه يعتمد على الأكل والشرب والنوم، ولكي ينمو الجسم نمواً صحياً متكاملاً ينبغي أن يتبع في تناول الأكل والشرب ومواعيد النوم طرقاً منظمة لتصبح عادة وخلقاً، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على دعوة الإنسان إلى اتباع عادات معينة تساعد على تنظيم صحة الإنسان[1]، ومنها الوضوء قبل النوم والاضطجاع على الجانب الأيمن، كما هو واضح في أحاديث الباب.

إن "اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف النبي ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان، فإذا نام على بطنه فيؤدي ذلك إلى كثرة حكّ أعضائه التناسلية التي تثير شهوته في هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل في هذه الحالة نائماً غيَّرا من حالته وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن والابتعاد عن النوم على الصدر، فضلاً عن أن النوم على الصدر يورث كثيراً من الأمراض الجسمية، والأطباء جميعاً ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن"[2].

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١١٤، ص١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٥٤، ٣٥٥.

خامساً- العناية بالتوجيه والتقويم:

إن العناية بالتوجيه والتقويم من الأمور التربوية المهمة التي يجدر الاهتمام بها، وذلك ما يظهر في توجيه النبي ﷺ وإرشاده لطفخة الغفاري رضي الله عنه ونهيه له عن النوم على البطن وكذلك في نهيه ﷺ في الحديث الآخر، عن خلو أحوال الإنسان من قعود واضطجاع وغيرها من ذكر الله تعالى فقال ﷺ: من قعد مقعداً لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى تره، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله ترة"، وبهذه العبارات الموجزة وجه النبي ﷺ الأنظار إلى الخطأ والحض على تغييره وإصلاحه، وبهذا نجد أن الرسول ﷺ قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة الأخطاء التي قد تقع من الولد وتأديبه، وتقويم اعوجاجه، وتكوينه الخلقي والنفسي، حتى يأخذ المربون بأحسنها ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة، ولا بد أن يصلوا في نهاية المطاف إلى إصلاح الولد وتهذيبه وجعله إنساناً مؤمناً تقياً"[1].

إن الاهتمام بتربية الطفل والعناية به وتقويم سلوكياته وتوجيهه وإرشاده إلى الخطأ وتجنبه هو "حجر الأساس الذي يرتكز عليه بناء شخصيته في المستقبل وتوجيه شئون حياته، وهذا له أكبر الأثر في تعديل سلوك الطفل بل في كافة مراحل عمره كافة، لأن الطفل يولد وهو يحمل استعدادات الخير واستعدادات الشر[2]، لذا كانت أهمية دور الأسرة تقويم تصرفات الأولاد وتعديل سلوكياتهم "خاصة ما داموا في سن الطفولة لأن فيه تتطبع العادات الحسنة أو العادات السيئة، وفيه يتقبل الصغير كل ما يعرض له من خير أو شر فهو لا يفرق بين الخير والشر إلا من تصرفات أسرته معه، فما يُسمح له بفعله فهو خير في نظره، وما ينهي عنه فهو شر عنده، وهو يحاول أن يقلد كل ما يرى ويسمع في أسرته فيجب على الوالدين التنبه لذلك والاستفادة منه للقيام بدورهما

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٦٣.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٧.

التربوي على أكمل وجه"[١].

سادساً- من أساليب التربية: التربية بالتلقين:

من أهم الأساليب التربوية التربية عن طريق التلقين، وقد استخدمه النبي ﷺ في أحد أحاديث الباب في قوله ﷺ للبراء بن عازب: «إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك ...».

إن من أنجح الأساليب التربوية للولد أسلوب التلقين خاصة في مراحله العمرية الأولى، حيث "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تُستغل هذه المراحل العمرية في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور مع الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"[٢].

إن التربية بالتلقين لا يمكن أن يستغنى عنها لأنها من الأهمية بمكان، إذ أن القدوة وحدها لا تكفي لإتمام عملية التربية بل لابد من معاضدتها بالتعليم والموعظة والتلقين، "إذ لو كانت القدوة وحدها تكفي لإتمام عملية التربية والوفاء بكل المطلوب فيها لكانت القدوة العظمى للبشرية كلها المتمثلة في شخص رسول الله ﷺ كافية وحدها لإقامة منهج التربية الإسلامي، ولكن هذه القدوة على ضخامتها التي لامثيل لها في تاريخ البشرية كله حتى على مستوى الأنبياء والرسل كانت تلجأ إلى الموعظة والتلقين والتوجيه فضلاً عن الكتاب المنزل وهو في معظمه وعظ وتلقين وتوجيه"[٣].

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

---

(١) الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص٤٠.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٣) طرق التعليم التربوية في السنة النبوية، أحمد فؤاد عليان، الطبعة الأولى، دار المسلم، الرياض ١٤١٣هـ، ص٤١.

١-التربية بالقول والفعل: كما في حديثي البراء بن عازب رضي الله عنهما: الأول كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقّه الأيمن ثم قال: "اللهم أسلمت نفسي إليك ..." الثاني: قال لي رسول الله ﷺ "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل، وذَكَرَ نحوه.

فإذا كان النبي ﷺ أرشد البراء رضي الله عنه بما يفعله عند نومه بما فيه الخير والنفع له، فإنه ﷺ كان يفعل ذلك أيضًا. وفي ذلك إرشاد لأهل التربية والتعليم أنهم إذا أرشدوا إلى شيء فعلوه ولم يخالفوه ولم يناقضوه بل ينبغي عليهم أن يكونوا أول الفاعلين وأول العاملين، نظرًا لما في ذلك من أثر كبير في نجاحهم في رسالتهم التربوية والتعليمية، فإن صدق الفعل للقول أهم الأسباب وأخطرها، فالمتعلمون -على سبيل المثال- معلقة أبصارهم بمعلمهم، فإن رأوا أن أفعاله تصدق أقواله ولا تخالفها عرفوا صدقه فأطاعوه وأقبلوا عليه وامتثلوا لتعاليمه وإن كانت الأخرى كان ما يسمعونه من المعلم لا يجاوز الأذان وكان بينه وبين قلوبهم سد منيع. بل كان ضرر هذا المعلم أشد من نفعه.

ب-الممارسة العملية: كحديث حذيفة رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول: "اللهم باسمك أموت وأحيا..." المهمة لكونها تبقي أثر التعليم في نفوس المتعلمين مدة طويلة، فضلاً عن شدة تأثيرها في نفوسهم.

ج-التربية بالمواقف: كما في حديث طِخْفة الغفاري رضي الله عنه: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحرِّكني برجله، فقال: إن هذه ضجعة يبغضها الله" فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

والمربي البارع لا يترك المواقف والأحداث تمردون توجيه منه أو بيان لما هو صواب وصحيح، فإنه في اليوم الواحد يقع فيه الكثير من الأحداث والمواقف، وبراعة المربي تظهر في استثمارها في غرس القيم الصحيحة ونزع القيم السلبية.

د-الإلقاء كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى فيه كانت عليه من الله تعالى ترة ..." الحديث.

والإلقاء يعتمد على الحرص الشفهي للمعلومات على المتعلمين، ويتيح للمعلم أن يلقي عليهم أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت، لذا كان مناسبًا للمراحل العليا من التعليم كالمرحلة الثانوية والجامعية.

❁ ❁ ❁

١٢٨- باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا

ووضع إحدى الرِّجلين عَلَى الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبياً

الحديث رقم (٨٢٠)

٨٢٠- عن عبدِ اللهِ بن زيد رضي الله عنهما: أنَّه رأى رسولَ الله ﷺ مُسْتَلْقِياً فِي الْمَسْجِدِ، وَاضِعاً إحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن زيد بن عاصم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٧٥).

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث خبري غرضه إفادة الخبرة إن كان الراوي يريد الإعلام بالخبر بداية، أما إن كان المخاطبون يعلمون هذا من حال رسول الله ﷺ فالغرض من الخبر هو لازم الفائدة، وهي جواز النوم على الهيئة الموصوفة للنبي ﷺ لفعله المقرر في هذا الخبر، وقد أكد الصحابي ما نقل عن الرسول ﷺ بأكثر من مؤكد تعظيماً لأمر الخبر، أو لغرابة الخبر فأراد أن يمهِّد له نفوس المخاطبين، وقوله (مستلقياً) حال مبينة لهيئة نومه ﷺ وقوله: (في المسجد) إشارة إلى إباحة الاستلقاء في المسجد، و (ال) في لفظ المسجد للعهد أي المسجد المعهود، وهو المسجد النبوي، وقوله (وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى) حال ثانية لهيئة الاستلقاء بوضع القدم على القدم، وفي الحديث إشارة إلى جوازه لفعل الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧٥، ومسلم ٢١٠٠/٧٥ ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال النووي: (يجوز القعود متربعًا ومفترشًا ومتوكأً ومحتبيًا والقرفصاء والاستلقاء على القفا ومدّ الرجل، وغير ذلك من هيئات القعود ونحوها، ولا كراهة في شيء من ذلك إذا لم يكشف عورته، ولم يمدّ رجله بحضرة الناس. وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على ذلك، وذكر أحاديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد ووضع إحدى الرجلين على الأخرى.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة الاستلقاء في المسجد، ووضع إحدى الرجلين على الأخرى:

إن أمر المسلم قائم على الستر والوقار، لذا حث الإسلام على كل ما يحقق هاتين الصفتين، فأباح ما لا يخدشهما وما لا يتناقض معهما، لذا أباح الاستلقاء ووضع إحدى الرجلين على الأخرى، مادام لا يؤدي ذلك إلى كشف العورة، وهذا واضح من الحديث كله، وقد أخرج مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مرفوعاً: ((لاَ يَسْتَلْقِيَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى))[2].

قال الخطابي: (يشبه أن يكون إنما نهى عن ذلك من أجل انكشاف العورة؛ إذ كان لباسهم الأزر دون السراويلات، والغالب أن أزرهم غير سابغة، والمستلقي إذا رفع إحدى رجليه على الأخرى مع ضيق الإزار لم يسلم أن ينكشف شيء من فخذه، والفخذ عورة. فأما إذا كان الإزار سابغاً، أو كان لابسه عن التكشف متوقياً، فلا بأس له، وهو وجه الجمع بين الخبرين)[3].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٩٩/٧٤.

(٣) معالم السنن ٢٠٧/٧، ٢٠٨.

قال النووي: (قال العلماء: أحاديث النهي عن الاستلقاء رافعاً إحدى رجليه على الأخرى، محمولة على حالة تظهر فيها العورة أو شيء منها، وأما فعله ﷺ فكان على وجه لا يظهر منها شيء)[١]، وهذا لا بأس به ولا كراهة فيه على هذه الصفة. وفي هذا الحديث جواز الاتكاء في المسجد والاستلقاء فيه. قال القاضي عياض: لعله ﷺ فعل هذا لضرورة أو حاجة من تعب أو طلب راحة أو نحو ذلك، وإلا فقد علم أن جلوسه ﷺ في المجامع على خلاف هذا، بل كان يجلس متربعاً أو محتبياً، وهو كان أكثر جلوسه، أو القرفصاء أو مقعياً وشبهها من جلسات الوقار والتواضع[٢].

قال النووي: ويحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهي الذي نهيتكم عن الاستلقاء ليس هو على الإطلاق، بل المراد به من ينكشف شيء من عورته أو يقارب انكشافها"[٣].

وقال ابن حجر: (والظاهر أن فعله ﷺ كان لبيان الجواز، وكان ذلك في وقت الاستراحة، لا عند مجتمع الناس؛ لما عرف من عادته الجلوس بينهم بالوقار التام ﷺ)[٤].

وعن سعيد بن المسيب، قال: ((كَانَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ يَفْعَلانِ ذَلِكَ))[٥].

قال ابن حجر: (وقال الداودي: فيه أن الأجر الوارد للابث في المسجد لا يختص بالجالس، بل يحصل للمستلقي أيضاً)[٦].

---

(١) انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ٢/٢٣٤، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤١٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٦٢٠، ٦٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٢٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١، (١٠/٤١٠).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١.

(٥) هو في نفس الحديث ٤٧٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٧١.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الصحابي: "أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، ولاشك أن الإخبار هذا وصف لهيئة النبي ﷺ في استلقائه في المسجد، ومن ثم لبيان جواز هذه الهيئة وإباحتها، كما نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: (وفيه جواز الاتكاء في المسجد والاضطجاع وأنواع الاستراحة)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/١، وانظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني١٢٥/١٠، ١٢٦.

الحديث رقم (٨٢١)

٨٢١- وعن جابر بن سَمُرَة ﷺ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاء. حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] وغيره بأسانيد صحيحة.

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

تربع: هو أن يقعد على إليته ويجعل قدمه اليمنى إلى جانب يساره وقدمه اليسرى إلى جانب يمينه، وربعها بمعنى أدخل بعضها تحت بعض[2].

حسناء: نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة[3].

الشرح الأدبي

صاغ الصحابي المعنى في ثوب الخبر الذي لا ينكر دون مؤكدات دلالة على ثقته في عدم معارضته أو إنكاره؛ لأنه من الأوضاع المشهورة في جلوس الرسول ﷺ للذكر، وغيره، ثم إنه ساقه في جملة الشرط التي تدل على ملازمة الفعل للجزاء أي ملازمة صلاته لتربعه بعدها حتى تطلع الشمس، وقوله: (في مجلسه) هو مكان الجلوس، وإضافة المجلس إليه إضافة تشريف، وحتى لبيان الغاية، وقوله: (حسناء) تتميم بلاغي أفاد نكتة جديدة، وهي استكمالها لطلوعها، وليس بعضها بل مكتملة نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة التي تتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الأفق من السحب، والأدخنة، وفيه ندب القعود في المصلى بعد الصبح إلى طلوع الشمس مع ذكر الله عز وجل.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٧٥٠، وأخرجه أيضًا مسلم ٦٧٠/٢٨٧. أورده المنذري في ترغيبه ٦٦١ وعزاه أيضًا إلى مسلم، وأبي داود وغيرهما.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٠٦-١٠٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام التالية:

أولاً: حكم الجلوس بعد صلاة الفجر: ومعنى جلوسه متربعاً: أن يقعد على وركيه ويمد ركبتيه اليمنى إلى جانب يمينه وقدمه اليمنى إلى جانب يساره، واليسرى بالعكس[١].

ويشير أيضاً إلى أنه يستحب ذكر الله تعالى عقيب الصلاة والاستغفار. فقد روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت ، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ))[٢].

ثانياً: وكان رسول الله ﷺ يقعد بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس حسناء فيستحب للإنسان أن يفعل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ[٣].

حكم التربع في الفريضة بغير عُذر: اتفق الفقهاء على أن التربع مخالف للهيئة المشروعة في الفريضة في التشهدين جميعًا، والحنفية قالوا بكراهة التربع من غير عذر، لأنه يقلل من الخشوع، وهذا في الفريضة، أما في النفل فالأمر فيه سعة، وهذا قول المالكية، والشافعية، والحنابلة[٤].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٣٦ .

(٢) أخرجه البخاري ٨٤٤، ومسلم ٥٩٣.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٥٦١، والشرح الكبير ١/٦٢٩.

(٤) المبسوط، السرخسي ١/٢٧، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/١٦٥، ١٦٦، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٤٤، والفروع، ابن مفلح ١/٥٦٥.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: هيئة جلوس النبي ﷺ بعد الصلاة:

النبي ﷺ هو القدوة والأسوة، وكانت أعين الصحابة رضي الله عنهم معلقة به، فنقلوا جميع أحواله وشؤونه، وكان مما نقلوا هيئات جلوسه، كما في هذه الأحاديث، فقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه"، وابن عمر رضي الله عنهما أخبر أنه: "رأى النبي ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء". وكذلك أخبرت قيلة بنت مخرمة رضي الله عنها.

والاحتباء: (قعود الشخص على مقعدته، وضم فخذيه إلى بطنه، واشتمالهما مع ظهره بثوب أو نحوه أو باليدين)[٢].

قال ابن حجر: (والقرفصاء جلسة المحتبى، ويدير ذراعيه ويديه على ساقيه، وقيل هي الاحتباء، وقيل جلسة الرجل المستوفز[٣]، وقيل جلسة الرجل على إليتيه قال: وحديث قيلة يدل عليه لأن فيه "وبيده عسيب نخلة" فدل على أنه لم يحتبِ بيديه، قلت: ولا دلالة فيه على نفي الاحتباء، فإنه تارة يكون باليدين وتارة بثوب، فلعله في الوقت الذي رأته قيلة كان محتبياً بثوبه. وقد قال ابن فارس وغيره: الاحتباء أن يجمع ثوبه ظهره وركبتيه ...، وقيل: القرفصاء الاعتماد على عقبيه ومس إليتيه بالأرض، والذي يتحرر من هذا كله أن الاحتباء قد يكون بصورة القرفصاء، لا أن كل احتباء قرفصاء... وقال ابن بطال: لا يجوز للمحتبي أن يصنع بيديه شيئاً ويتحرك لصلاة

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٢، ٨٢٣).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ، ٦٦/٢، ٢٦٣/١٥.

(٣) استوفز: جلس على هيئة كأنه يريد القيام. واستوفز في قعدته: انتصب فيها غير مطمئن. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٤٦.

أوغيرها؛ لأن عورته تبدو، إلا إذا كان عليه ثوب يستر عورته فيجوز. وهذا بناء على أن الاحتباء قد يكون باليدين فقط، وهو المعتمد)[١].

قال ابن عثيمين: "أما القعود فإن جميع القعود لا بأس بها، فلا بأس أن يقعد الإنسان متربعاً، ولا بأس أن يجلس وهو محتبي القرفصاء، يعني يضم فخذيه وساقيه، ويجعل يديه مضمومتين على الساقين، هذا أيضاً لا بأس به، لأن النبي ﷺ قعد هذه القعدة"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ:

كان النبي ﷺ رأس المتواضعين، وهذا واضح من حديث قيلة: فلما رأيتُ رسول الله المُتَخَشّعَ في الجِلْسة أُرعدتُ من الفَرَقِ، قال المزى: (والمُتَخَشّعُ: المُتَواضع، كأنها حينَ ظَنّت أنّ رسول الله ﷺ إنما يُعرف بلباسه أو مجلسه، ثم رأته غير مُتَميّز من أصحابه زادت هيبته عندها، فأُرْعِدت)[٣].

قال الطيبي: (قال التوربشتي: المتخشع يجوز أن يكون نعتاً لرسول الله ﷺ وأن يكون مفعولاً ثانياً، ويكون التقدير الرجل المتخشع. وقال البيضاوي: المتخشع صفة رسول الله ﷺ ولا يجوز أن يجعل ثاني مفعولي "رأيت"، لأنه ههنا بمعنى أبصرت. ولقد سلك التوربشتي مسلك التجريد، جرد من ذاته الزكية الرجل المتخشع، وجعله شخصاً آخر، وهو مبالغة لكمال التخشع فيه، وإلقاء رداء الهيبة عليه، ومن ثم قالت "أرعدت من الفرق")[٤].

وقال ابن مفلح: (قال ابن الجوزى: وهذه الجلسة تحكيها قيلة في حديثها: إني رأيت رسول الله ﷺ جالساً جلسة المتخشع والقرفصاء، وكان أحمد يحتبي في جلوسه هذه الجلسة، وهي أولى الجلسات بالخشوع. والقرفصاء، أن يجلس الرجل على إليته رافعاً ركبتيه إلى صدره بأخمص قدميه إلى الأرض، وربما احتبى بيده، ولا جلسة أخشع منها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١١٢٢

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٧/٥٧٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩/٥٠.

انتهى كلامه ... وقال في النهاية[١]، عن قولها: فإذا رسول الله جالس القرفصاء، قال: هي جلسة المحتبي بيديه)[٢].

وقال ابن القيم عن هديه ﷺ في جلوسه واتكائه ما يدل على تواضعه ﷺ قال: (كان يجلس على الأرض، وعلى الحصير، والبساط، وقالت قَيْلة بنت مخرمة: أتيت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيتُ رسول الله ﷺ كالمتخشِّع في الجلسة، أُرعدت من الفرق. ولما قدم عليه عديُّ بن حاتم، دعاه إلى منزله، فألقت إليه الجارية وسادة يجلس عليها، فجعلها بينه وبين عدي، وجلس على الأرض. قال عدي: فعرفت أنه ليس بملك. وكان يستلقي أحياناً، وربما وضع إحدى رجليه على الأخرى، وكان يتكئ على الوسادة، وربما اتكأ على يساره، وربما اتكأ على يمينه. وكان إذا احتاج في خروجه، توكأ على بعض أصحابه من الضعف)[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر الثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم عن جلسات النبي ﷺ، وهي التربع والاحتباء[٤]، والقرفصاء، وكان هذا وصفاً لبعض أحوال النبي ﷺ، ونقلها إلى المدعوين، لكي تكون أمام أعينهم ويدركوها بأفهامهم، ويمتثلوها في حياتهم، وكان هذا الإخبار لبيان جواز هذه الهيئات من الجلوس، لكي يكون المدعوون في سعة من أمرهم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٤٥

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، ٣/٣٩١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٧٠.

(٤) قال ابن هبيرة عن حديث ابن عمر رضي الله عنهما: رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيديه هكذا، ووصف بيديه الاحتباء، وهو القرفصاء. قال ابن هبيرة: هذا يدل على قلة لحم رسول الله ﷺ، فإن الرجل السمين لا يمكنه الاحتباء باليدين، ويدل على جواز الجلوس بحيال الكعبة، فإن قوماً كانوا يعظمونها فوق الحدّ المشروع ويقولون: لا نجلس عندها بل نقف. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٣٥.

الحديث رقم (٨٢٢)

٨٢٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: رأيتُ رسول الله ﷺ بفناءِ الكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بِيَدَيْهِ هكَذا (وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ[1]). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مُحْتَبِياً: قعد ونصب ساقيه وجمعهما إلى صدره بيديه أو بعمامته[3].

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[4].

الشرح الأدبي

من المعلوم أن الرؤية هي أقوى طرق العلم، والراوي يخبر دون أن يؤكد بأي مؤكد ثقةً في عدم المعارضة أنه رأى الرسول ﷺ بفناء الكعبة، وإضافة الفناء للكعبة في قوله: (بفناء الكعبة) إضافة بيان، وتشريف، وقوله (محتبياً) الاحْتِبَاء: هو أن يَضُمَّ الإنسان رجْلَيْه إلى بَطْنه بثَوْب يَجْمَعُهُما به مع ظَهْره، ويَشُدُّه عليها. وقد يكون الاحتباء باليَدَيْن، وقوله (بيده) وضع إحداهما على رسغ الأخرى، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وهذه الجلسة من جلسات التواضع، والوقار تدلل على زهد، وتواضع النبي ﷺ: لأن المتكبرين من الملوك،

---

(١) هذه الزيادة ليست من الحديث، لعل النووي يشير إلى تبويب البخاري لهذا الحديث، حيث قال: (باب الاحتباء باليد، وهو القرفصاء).

(٢) برقم ٦٢٧٢.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٧-٦٨.

والأمراء، وذوي الهيئات لا يجلسون إلا جلسات الفخر، والتباهي على العروش، وفي القصور ولكنه اختار- ومن تبعه - ما عند الله.

فقه الحديث

الاحتباء خارج الصلاة مباحٌ إن لم يرافقه محظور شرعي آخر، ككشف العورة مثلاً، والأولى تركه وقت الخطبة وعند انتظار الصلاة، لأنه يكون مهيئًا للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١٥/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٥/٢، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٤١/٤ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٣)

٨٢٣- وعن قَيْلَةَ بنتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها، قالت: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رسولَ الله المُتَخَشِّعَ[1] في الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2].

ترجمة الراوي:

قَيْلة بنت مخرمة: هي قيلة بنت مخرمة العنبرية التميمية. كانت من بني عنبر من قبيلة تميم. خرجت مهاجرة إلى رسول الله ﷺ فلاقت عناءً وتعباً وشدةً، لكنها واصلت هجرتها، حتى وجدت حُريث بن حسّان البكري وافد بني بكر بن وائل إلى رسول الله ﷺ فرافقته حتى قدمت المدينة، وأثنت عليه وعلى أخلاقه وعِفّته، وكانت من الأوائل.

دخلت المدينة وقت صلاة الصبح، فصلّت مع النبي ﷺ. ولم تكن تعرفه، وظنت أنه يكون متميزاً عن أصحابه في مجلسه ولباسه، فلما وجدته يجلس القُرفصاء تواضعاً غير متميز عن أصحابه -زادت هيبته عندها فأُرْعدت- كما في الحديث المشروح. لكن النبي ﷺ هدأ من روعها وطمأنها. وهو جزء من حديث لها طويل فيه من غريب اللغة وفصيحها الكثير[3]. قال ابن عبدالبر: هو حديث طويل فصيح حسن وقد شرحه أهل العلم بالغريب. وفي هذا الحديث ذكرتْ أن لها ابناً يدعى حِزاماً قاتل مع النبي ﷺ ثم ذهب إلى خيبر من أجل الطعام فمات هناك.

ويتضح من هذا الحديث فصاحتها وقوة حجتها وحسن دفاعها عن حقها، وقد أثنى النبي ﷺ على ذلك منها.

---

(١) هذا لفظ موسى، ولفظ حفص بن عمرو: (المُخْتَشع).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨٤٧، والترمذي في الشمائل ١٢٧ ولفظهما سواء. إسناده ضعيف، لجهالة جدَّتي عبد الله بن حسان، وهما: دُحَيبة، وصفيّة ابنتا عُليبة.

(٣) أخرج الحديث بطوله الطبراني ٢٥ رقم ١) وابن مندة كما في الإصابة والمزي في تهذيب الكمال. وقد شرح المزي غريبه فاستوفى. والحديث أخرج بعضه الترمذي ٢٨١٤، وأبو داود وحسنه الألباني.

وفي آخره أن النبي ﷺ كتب لها كتاباً فيه: ((لقيلة والنسوة من بنات قيلة ألا يُظلمن حقاً ولا يُكرهن على مَنْكحٍ، وكل مؤمن ومسلم لهن نصير، أحسنَّ ولا يُسئن))[١].

غريب الألفاظ:

القرفصاء: أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه، أو يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه[٢].

المتخشع: أي الخاشع الخاضع المتواضع[٣].

أُرعدتُ: ارتعشتُ واضطربتُ من هيبيته[٤].

الفرق: الخوف والفزع، والمعنى: هبته مع خضوعه وخشوعه[٥].

الشرح الأدبي

ورد المعنى في ثوب القصة التي تحكي واقعة شخصية حدثت مع إحدى الصحابيات الجليلات، وهي رؤيتها للنبي ﷺ على الهيئة الواردة في الحديث، وقد ساقت المعنى في صورة خبرية لا تتوقع لها معارضاً؛ لأنها حدث خاص بها، وتجربة مرَّت عليها وصفت فيها خلجات نفسها عند رؤية الرسول ﷺ، وقولها: (وهو قاعد) جملة حالية،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣١٢/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٣٨/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٥٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٦٧/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٨٦/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٦٤٠/٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٧٢٩.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ع د).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ق)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٦.

والضمير (هو) للتوكيد، وإضافة القعود للقرفصاء إضافة بيانية، والقرفصاء: أَنْ يَجْلِس عَلَى أَلْيَتَيْهِ وَيُلْصِق فَخِذَيْهِ بِبَطْنِهِ وَيَحْتَبِي بِيَدَيْهِ يَضَعهُمَا عَلَى سَاقَيْهِ أَوْ يَجْلِس عَلَى رُكْبَتَيْهِ مَنْكِبًا وَيُلْصِق بَطْنه بِفَخِذَيْهِ وَيَتَأَبَّط كَفَّيْهِ، وقولها: (فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) يوحي بالمفاجأة، وكأنها لم تتبين من الرؤية الأولى شخصه ﷺ فلما تبينته أخذتها رعدة من هيبته، وإجلاله، وقولها: (المتخشع) أَيْ الْخَاشِع الْخَاضِع الْمُتَوَاضِع وقولها (أُرْعِدْتُ مِنْ الْفَرَقِ) كناية عن الهيبة، والإجلال من رؤية النبي ﷺ وهي تدل على شدة توقير الصحابة - ﷺ - للرسول ﷺ رجالاً ونساءً، والحديث يكشف جانباً من جوانب حياته التي تشير إلى أنه لم يتميز عن غيره في قعوده، وقيامه بشيء يدل على افتخار، ولا كِبْر - مع أنه خير من جلس على ظهرها -.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢١، ٨٢٢).

الحديث رقم (٨٢٤)

٨٢٤- وعن الشَّريدِ بن سُوَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدي، فَقَالَ: ((أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

الشَرِيد بن سُوَيْد الثقفي: هو الشريد بن سُوَيد الثقفي، وقيل الشريد اسمه مالك بن قُسْحُم بن جُذَام بن الصَّدَف، قتل قتيلاً من قومه فلحق بمكة، فحالف بني حطيط بن جُشم بن ثقيف، ثم وفد إلى النبي ﷺ فأسلم، فسماه النبي ﷺ وقيل سُمي الشريد لأنه شرد من المغيرة بن شعبة لما قتل رفقته الثقفيين، قيل إنهم تعاقدوا معه ألا يغدر بهم حتى يعلمهم، فنزلوا منزلاً، فجعل يحفر بنصل سيفه، قالوا: ما هذا؟ قال: احفروا قبوركم، فلم يفهموها، وأكلوا وشربوا وناموا، فقتلهم، فلم ينج أحدٌ إلا الشريد، فلذلك سُمِّي الشريد.

يقال: إنه من حضرموت، لكن عداده في ثقيف؛ لأنهم أخواله، وتزوج منهم، سكن الطائف، والمدينة، وحديثه في أهل الحجاز، وهو من أصحاب الرواية، روى له البخاري في الأدب، والترمذي في الشمائل، والباقون.

وكان ممن بايعوا رسول الله ﷺ في بيعة الرضوان، وكان النبي ﷺ يكرمه ويقربه إليه، فكان النبي ﷺ يردفه وراءه، وكان ﷺ يسمع لروايته من الشعر، فعن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية بن الصلت، فأنشدته، فكلما أنشدته بيتاً قال هِيْ -وفي رواية (إيه)، وفي رواية أخرى (هيه)- حتى أنشدته مائة قافية، فقال: إن كان ليسلم))[2][3].

---

(١) برقم ٤٨٤٨. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٥٦٧٤، وقال الحاكم ٢٦٩/٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٦/٣٢ رقم ١٩٤٥٧، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٦٢٩/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٥٨٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٨٢/٣، ٣٨٣، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٦٣/٢، والسندي ٤٦٤/٢٩.

غريب الألفاظ:

أَلْيَة يدي: اللحمة التي في أصل الإبهام[١].

الشرح الأدبي

قول الصحابي ﷺ: (مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا جَالِس) تقديم الجار المجرور (بي) على الفاعل فيه تخصيص، أكده قوله: (وأنا جالس) وهي جملة حالية، وقوله (هكذا) الهاء للتنبيه، والكاف أداة تشبيه، وذا اسم إشارة، والتركيب يتضمن بياناً عملياً للمعنى يزيده، وضوحاً، ويثبّته عن طريق حاستي السمع، والبصر، وقد فسره بقوله (وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي) والتعبير بالفعل الماضي يحقق الفعل ويقرره، وقول الرسول ﷺ (أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟) استفهام إنكاري يحمل معنى اللوم، والتوبيخ، يدل على ذلك توكيد الفعل بالمصدر (أتقعد قعدة)، وإضافة القعدة للمغضوب عليهم، والمقصود من التعريف بالإضافة هنا الذم، ويُرَاد بِالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ الْكُفَّار، وَالْفُجَّار الْمُتَكَبِّرِينَ الْمُتَجَبِّرِينَ مِمَّنْ تَظْهَر آثَار الْعُجْب، وَالْكِبْر عَلَيْهِمْ مِنْ قُعُودهمْ، وَمَشْيهمْ وَنَحْوهمَا.

فقه الحديث

قال ابن عثيمين بما معناه: (يكره من هيئات الجلوس هيئة مَنْ جعل يده اليسرى مِنْ خلف ظهره، وجعل بطن الكفّ على الأرض ويتكئ عليها، وذلك لأن هذه الهيئة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم. أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[٢].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٢٢/٢ النقل بالمعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهى.

أولاً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء:

إن الداعية يعيش مع المدعوين، يتفقدهم ويطلع على ما تيسير من أحوالهم، وهو ناصح أمين لهم، يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر، وقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه رضي الله عنهم كما قال الشريد بن سويد رضي الله عنه: "مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس قد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت ... الحديث.

فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، فالله سبحانه وتعالى يقول عنه ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو ذر رضي الله عنه قال: مر بي النبي ﷺ وأنا مضطجع على بطني فركضني برجله، وقال: ياجنيدب، إنما هذه ضجعة أهل النار[2].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده! فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ[3].

ولا شك أن تفقد الداعية لأحوال المدعوين، يدل على تواضعه وحبه لهم وشفقته عليهم، وكل هذا يساهم في قربه منهم ومن ثم طاعتهم له، وبالتالي يسهل عليه أن يوجههم إلى ما فيه نفعهم ويحذرهم مما فيه ضرهم، كما يمكّنه من تصحيح الأخطاء

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣٧٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٠٠١).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

أولاً بأول، وعلاجها عند أول حدوثها، وكل هذا يعجل بالقضاء واختفائها بين المدعوين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: البعد عن التشبه بالمتكبرين والمتجبرين:

إن من أبغض الناس إلى الخالق والخلق المتكبرين والمتجبرين، لذا كان المسلم أبعد ما يكون عنهم وعن التشبه بهم، فلا يفعل أفعالهم، بل يبتعد عنها وينهى غيره عن إتيانها، وهذا يؤخذ من قول النبي ﷺ للشريد بن سويد لما رآه بهذه الهيئة من الجلوس - قال له: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟". قال ابن عثيمين: (ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، فإن هذه القعدة وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم)[١].

قال الطيبي: (والمراد بالمغضوب عليهم: اليهود)[٢].

وقد صح عن النبي ﷺ قوله: (إن المغضوب عليهم اليهود. وإن الضالين النصارى)[٣].

لكن القاريّ استدرك على الطيبي قوله، فقال: (في كونهم هم المراد من المغضوب عليهم، ههنا محل بحث. وتتوقف صحته على أن يكون هذا شعارهم، والأظهر أن يراد بالمغضوب عليهم أعم من الكفار والفجار المتكبرين المتجبرين، ممن تظهر آثار العجب والكبر عليهم من قعودهم ومشيهم ونحوهما، نعم ورد في حديث صحيح أن المغضوب عليهم في سورة الفاتحة هم اليهود"[٤].

وما يؤيد ما ذهب إليه القاري، أن ابن حبان أخرج هذا الحديث في باب التواضع والكبر والعجب من كتاب الحظر والإباحة[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٢/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٥/٩.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، وابن حبان ٦٢٤٦، ٧٢٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٥٣، ٢٣٥٤).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٧.

(٥) صحيح ابن حبان ٥٦٧٤.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الاستفهام بغرض النهى:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ: "أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟"، فصلوات الله وتسليماته عليه لم يكن يسأل الشريد ولا يستفهمه، وإنما أراد ﷺ نهيه والإنكار عليه فاستخدم الاستفهام، ولذلك امتثل الصحابي، فعند ابن حبان ما يشعر بالامتثال: قال ابن جريج: "أحد رواة الحديث": "وضع راحتيه على الأرض وراء ظهره"[1]. قال ابن عثيمين: (أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس)[2].

وقال الطيبي: (وفي التخصيص بالذكر "أى المغضوب عليهم" فائدتان: إحداهما: أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى، وأن المسلم ممن أنعم الله عليه، فينبغي أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه ولعنه)[3].

---

(١) صحيح ابن حبان، ٥٦٧٤، هذا ما فهمته من قول ابن جريج، ويحتمل أن ابن جريج يصف قعدة الصحابي التي نهاه النبي ﷺ عنها، وإن كان في هذا بعد، فالله أعلم.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٢٢/٢.

(٣) شرح الطيبي، ٥٥/٩، وهكذا ذكر المؤلف إحدى الفائدتين، ولم يذكر الأخرى في المطبوع بين أيدينا. ويحتمل أن تكون الفائدة الأخرى متضمنة في الفائدة الأولى، فالله أعلم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

صور النوم المنهي عنها واضحة في السنة، وهي كل نومة تثير شبهة أو تحرك شهوة، وما عدا ذلك فهو من المباح وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية أبرزها ما يلي:

أولاً- إعطاء الجسد حظه من الراحة والاسترخاء:

في أحاديث الباب ما يدل على التربية الجسدية، ومنها إعطاء الجسد حظه من الراحة والاستجمام والاسترخاء وهيئات النوم والقعود التي تريحه ما دام الإنسان يجتنب الهيئات المنهي عنها كالنوم على البطن، والجانب الأيسر، والجلسة التي تشبه اليهود في جلوسهم، مع أخذ الحذر والاحتياط في الحفاظ على العورة من الظهور والتكشف.

لقد وردت في أحاديث الباب عدة هيئات لجلوس النبي ﷺ والتي منها "تربع في مجلسه"، "محتبياً بيده"، "مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى"، "وهو قاعد القرفصاء".

إن الاهتمام بالجسد وإعطائه حظه في حدود القصد والاعتدال أمر مطلوب لتجديد نشاطه وحيويته وقوته، "فكلما كان الجسم قوياً نشيطاً كان الإنسان أكثر قابلية وقدرة على العمل وأداء الواجبات خاصة إذا وافق ذلك همة عالية تدفعه إلى الكسب المعيشي وليقوم بما هو مكلف به من النفقة على نفسه وعلى مَنْ تجب عليه نفقتهم كالأهل والأبناء ولا يكون عالة على الناس، وليعف نفسه عن المسألة.

إن نشاط الجسم وحيويته ينعكس انعكاساً إيجابياً على نفسية الإنسان فيشعر بالراحة النفسية ويذهب عنه الملل والكآبة، فيكون أكثر قابلية واستعدادًا لأداء واجباته"[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٠٠-٢٠٣.

ثانياً- الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض:

إن مما ينبغي الاهتمام به في التربية الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض التي هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل [١] والقُرَب.

ولقد كان رسول الله ﷺ القدوة المثلى في ذلك، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من بيان تنفله ﷺ بعد الفرائض "كان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء" أي يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس بيضاء نقية"[٢].

إن على المربين أن يربوا المتربين على التنافس في القُرَب والخيرات، يكونون "في زيادة دائمة، يرفضون حتى البقاء على مستوى واحد من العبادة، يكونون دائماً في زيادة وارتقاء، زيادة في قراءة القرآن، وفي نوافل الصلاة، وفي الصدقات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعمال البر، وكل ما يقرب من الجنة ويباعد عن النار"[٣].

ثالثًا- أسلوب الممارسة العملية:

من أهم أساليب التربية أسلوب الممارسة العملية، وهذا له أكبر الأثر في إيصال المعلومة وحفظها وتطبيقها تطبيقاً عملياً، وذلك ما نلاحظه في جلوس ابن عمر رضي الله عنهما على هيئة إحدى جلسات النبي ﷺ، فعنه أنه قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ بفِناءِ الكعبة مُحتبياً بيدَيه هكذا» ووصف بيديه الاحتباء وهو القرفصاء.

وهكذا تعلمنا النصوص أن نتعلم ونمارس ما نتعلم "وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، فينبغي على المعلم والمربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم، إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة"[٤].

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧١.

(٣) نظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي، ص٦٣، ٦٤.

(٤) انظر: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، ط/١، دار عالم الكتب، القاهرة: ١٩٧٧م، ص٦٠.

إن استخدام الأسلوب العملي في التربية والتعليم من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، كما أن الدين الإسلامي يطالب كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[١].

إضافة إلى أن استخدام الإنسان لحواسه وتدريبها عملياً يكسبه معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل المتربي بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة[٢].

رابعاً- التوجيه المباشر:

ورد ذلك في توجيه النبي ﷺ للشريد بن سويد ونهيه له عن التشبه باليهود في قعدتهم فعنه أنه قال: « مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكذَا وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِيَ، فقَالَ: أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ». وفي ذلك النهي عن التشبه باليهود حتى في طريقة جلوسهم واتكائهم.

وقد استخدم النبي ﷺ في ذلك التربية عن طريقة التوجيه المباشر، "والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين وكذلك عندما يرى خطأ ما فيأمر بتصحيحه.

إن التوجيه المباشر من أهم أساليب التربية وأنفعها، فمن خلاله يحاول المربي تصحيح الأخطاء والحث على صالح الأعمال، وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال واستثمار قدراته بجوانب الخير وجعل ذلك عادة مستديمة له[٣].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٣-٢٨٨.

خامساً- دور المرأة في التعليم والتربية والتنشئة:

لقد أفصح لنا أحد أحاديث الباب عن دور المرأة في نقل سنة رسول الله ﷺ، حيث نقلت لنا قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها هيئة لرسول الله ﷺ فعنها: «أَنَّهَا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءِ». وذلك يدخل تحت السنة الفعلية لرسول الله ﷺ.

وذلك مما يلفت الأنظار إلى أهمية اضطلاع المرأة، وقيامها بمسئوليتها في العملية التعليمية والتربوية، فليس من الإسلام، وليس من المقبول أن تُلقِى المرأة حظها من تلك المسؤولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليها أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب، فللرجل دائرته وللمرأة دائرتها، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمنهما، فإن تخاذلا أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، د. محمد عبدالمحسن التويجري، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٢٥.

١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس

الحديث رقم (٨٢٥)

٨٢٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا يُقِيمَنَّ أحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ[1]، وَلكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا[2])) وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

كلام الراوي خبري؛لأنه كلام يُقَابل به خالي الذهن، وحديث الرسول ﷺ بدأ بأسلوب إنشائي بأسلوب النهي (لا يقيمن أحدكم رجلاً) رعاية لحال المؤمنين، وحرصاً على سلامة صدورهم، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي حكم النهي صفة العموم، وتنكير كلمة رجل يفيد العموم أي رجل، كما أن في التعميم ستراً على المذنب، وهو من كمال أدبه ﷺ، وقوله (من مَجْلِسِهِ) إضافة المجلس للضمير العائد على النكرة يفيد اختصاصه به، وقوله: (ثم يجلس فيه) الفعل المضارع يستحضر صورة فيها إهانة، واحتقار لإنسان، وتَكبُّرٌ من آخر، وهو يجلس بعد قيام أخيه، وحرف العطف ثم يشير إلى طول الألم النفسي الذي لحق من أُقيمَ من مجلسه، وإن قصرت فترة التبديل في الزمن لكنها لثقلها على نفسه صارت أمداً، وكم من لحظة ألم في حياة الإنسان تساوي سنين بعمق أثرها.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٧/٢٧ بلفظ: (الرجل) بدل: (رجلاً).

(٢) لفظ البخاري برقم ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٠، ومسلم ٢١٧٧/٢٩. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٣.

تنبيه: هذا الحديث كما بينا من عدة ألفاظ عند البخاري ومسلم، ولم يرويا بهذا اللفظ في موضع واحد.

وقد وضع الرسول ﷺ الحل عن طريق الاستدراك ثم الأمر (توسعوا، وتفسحوا) واتصال الفعلين بواو الجماعة مع تاء الافتعال، وتشديد السين يؤكد تكليف الجالسين كلهم بالتضام، والتداخل حتى يسع بعضهم بعضاً عوضاً عمَّا نهاهم عنه (وَالْحِكْمَة فِي هَذَا النَّهْي مَنْع إِسْتِنْقَاص حَقّ الْمُسْلِم الْمُقْتَضِي لِلضَّغَائِنِ، وَالْحَثّ عَلَى التَّوَاضُع الْمُقْتَضِي لِلْمُوَدَّةِ، وَأَيْضًا فَالنَّاس فِي الْمُبَاح كُلّهمْ سَوَاء، فَمَنْ سَبَقَ إِلَى شَيْء إِسْتَحَقَّهُ، وَمَنْ إِسْتَحَقَّ شَيْئًا فَأَخَذَ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقّ فَهُوَ غَصْب وَالْغَصْب حَرَام، فَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُون بَعْض ذَلِكَ عَلَى سَبِيل الْكَرَاهَة، وَبَعْضه عَلَى سَبِيل التَّحْرِيم، قَالَ: فَأَمَّا قَوْله " تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا " فَمَعْنَى الأَوَّل أَنْ يَتَوَسَّعُوا فِيمَا بَيْنهمْ وَمَعْنَى الثَّانِي أَنْ يَنْضَمّ بَعْضهمْ إِلَى بَعْض حَتَّى يَفْضُل مِنْ الْجَمْع مَجْلِس لِلدَّاخِلِ)[1].

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث[2] الشريفة إلى مدى أحقية الإنسان بالمكان الذي كان جالساً فيه وتركه ثم رجع إليه مرة أخرى. ويشهد لذلك في الفقه الإسلامي باب أحكام الطريق.

وتفصيل ذلك: يجوز للإنسان الجلوس في الطريق العام ولو في وسطه من أجل الاستراحة أو المعاملة [بالبيع والشراء] ما لم يؤد ذلك إلى التضييق على المارة؛ فإن أدى إلى التضييق عليهم فلا يجوز، ولا يشترط للجلوس في الطريق إذن الإمام لإطباق الناس على ذلك[3].

وإذا ترك الجالس مكانه - أي موضع جلوسه- وانتقل إلى مكان غيره، بطل

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني حديث: (٥٧٩٩).

(٢) أي: أحاديث الباب.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي ١٤٢/٦، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٣٦٨/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٦٩/٢ للشربيني الخطيب، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٧٧/٥.

حقه في المكان الذي تركه، ويحق لغيره أن يجلس مكانه لأن يده قد زالت. أما إذا قام منه وهو يريد الرجوع إليه، بأن ترك متاعه فيه لم يبطل حقه، ولا يجوز لغيره أن يجلس مكانه، لأن الأول ما زالت يده عليه[١].

وإن استبقا اثنان إلى نفس المكان، أقرع الحاكم بينهما لعدم الأفضلية، وقيل يقدم الإمام أحدهما برأيه[٢].

وإذا فارق الجالس مكانه بالليل، فليس لغيره مزاحمته في اليوم الثاني، وكذا في الأسواق التي تقام مرة كل أسبوع أو شهر، إذا اتخذ مقعداً كان أحق به في النوبة الثانية. وإذا أراد غير الجالس أن يجلس في نفس المكان مدة غيبته إلى أن يعود، جاز إذا كان لغير المعاملة، وكذلك المعاملة في الأصح، والجالس في المكان للاستراحة يبطل حقه فيه إذا فارقه.

أما فيما يتعلق بالجلوس في المسجد، فإن من ألف مكاناً في المسجد يفتي فيه أو يقرأ القرآن فيه، فهو كالجالس في الطريق من أجل المعاملة. والظاهر أن مجلس الفقيه يفيد الاختصاص، وإذا جلس المصلي في المسجد لصلاة لم يصر أحق بالمكان في صلاة غيرها؛ لأن لزوم بقعة معينة للصلاة غير مطلوب، وبقاع المسجد تختلف.

ولو فارق الجالس للصلاة مكانه قبل الصلاة لحاجة، كإجابة داع ورعاف وغير ذلك، وأراد الرجوع بعد الفراغ من حاجته، لم يبطل حقه في المكان الذي كان جالساً فيه وإن لم يترك مكانه شيئًا كالإزار أو السجادة، وقيل يبطل حقه في ذلك المكان. هذا إذا لم تقم الصلاة في غيبته، أما لو أقيمت الصلاة واتصلت الصفوف، بطل حقه في ذلك المكان وسد الصف مكانه[٣].

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/٥٧٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ٤/١٩٦، .

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥/٥٧٧.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٧٠، ٣٧١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهى والأمر:

أما النهى فقول النبي ﷺ: "لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِس مَكَانَه". وجاء النهى أسلوباً مباشراً لطلب الترك وعدم الفعل، وقد أكد بنون التوكيد في آخره، ليدل على شدة هذا النهى لما في فعل ضده (وهو إقامة الغير للجلوس مكانه) من تكبر وعدم تواضع. ولما كان النهى منعاً للفعل، جاء الأمر ليبين الفعل المشروع، وهو "توسعوا وتفسحوا".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: احترام الآخرين وإثبات حقهم في المجلس:

جاء الإسلام لنشر الود والتآلف بين الناس، وحرص على ترسيخ كل ما يؤدي إلى هذه الغاية، فحضّ على نشر السلام، وعلى البشر عند اللقاء، ونحو ذلك، كما نهى عن كل ما يعيق تحقيق هذه الغاية، فمنع الغيبة والنميمة والأذى، ولذا نهى النبي ﷺ عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه، لما يؤدي ذلك إلى تباغض وقطيعة وعداوة، لأن هذا حقه، قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: هذا اللفظ عام في المجالس ولكنه مخصص بالمجالس المباحة، إما على العموم كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وإما على الخصوص كمن يدعو قوماً بأعيانهم إلى منزله لوليمة ونحوها. وأما المجالس التي ليس للشخص فيها ملك ولا إذن له فيها، فإنه يقام ويخرج منها.

ثم هو في المجالس العامة، وليس عاماً في الناس، بل هو خاص بغير المجانين ومن يحصل منه الأذى كآكل الثوم النيء إذا دخل المسجد، والسفيه إذا دخل مجلس العلم أو الحكم، قال: والحكمة في هذا النهى منع استنقاص حق المسلم المقتضي للضغائن والحث على التواضع المقتضي للموادة، وأيضا فالناس في المباح كلهم سواء، فمن سبق

إلى شيء استحقه، ومن استحق شيئا فأُخِذ منه بغير حق فهو غصب، والغصب حرام)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (نهيه ﷺ عن أن يقام الرجل من مجلسه، إنما كان ذلك لأجل أن السابق لمجلس قد اختص به، إلى أن يقوم باختياره عند فراغ غرضه، فكأنه قد ملك منفعة ما اختص به من ذلك، فلا يجوز أن يحال بينه وبين ما يملكه، وعلى هذا فيكون النهي على ظاهره على التحريم، وقيل: هو على الكراهة. والأوّل أولى، ويستوي في هذا المعنى أن يجلس فيه بعد إقامته أو لا يجلس، غير أن هذا الحديث خرج على أغلب ما يفعل من ذلك، فإن الإنسان في الغالب إنما يقيم الآخر من مجلسه ليجلس فيه)[٢].

ولعل من قبيل احترام الناس وتقديرهم قوله ﷺ: ((إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه))[٣].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا)[٤].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله: "فإن ذلك يحزنه" أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، وذلك: بأن يقدِّر في نفسه: أن الحديث عنه بما يكره، أو أنَّهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان، وأحاديث النفس. وحصل ذلك كلُّه من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا: يستوي في ذلك كلُّ الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحدٍ، ولا عشرة، ولا ألفٌ مثلاً؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن، وأوقع، فيكون بالمنع أولى. وإنما خصَّ الثلاثة بالذكر لأنه أوَّل عدد يتأتى فيه ذلك المعنى. وظاهرُ هذا الحديث يعمُّ جميع الأزمان والأحوال.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٥/١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٩/٥-٥١٠، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١١٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٦/١١.

وإليه ذهب ابنُ عمر، ومالكٌ، والجمهور. وقد ذهب بعضُ الناس: إلى أن ذلك كان في أول الإسلام؛ لأن ذلك كان حال المنافقين، فيتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام؛ سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاصٌّ بالسفر، وفي المواضع التي لا يأمن الرجلُ فيها صاحبه؛ فأما في الحضر، وبين العمارة: فلا.

قلتُ: وكلُّ ذلك تحكُّمٌ، وتخصيصٌ لا دليلَ عليه. والصحيح: ما صار إليه الجمهور. والله تعالى أعلم)[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

إذا كان الإسلام نهى عن إقامة الرجل من مجلسه لما في ذلك من أذى يلحق به، فإنه أمر بالتفسح في المجلس والتوسع فيه، لما في ذلك من إكرام من أتى المجلس ولم يجد مكاناً، وذلك لأن عدم التفسح يؤذيه، لذا قال النبي ﷺ: "ولكن توسعوا وتفسحوا".

وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن افسحوا يفسح الله لكم))[3]، وقال ابن حجر: (أي وسعوا يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة"[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٢٥.

(٢) سورة المجادلة، آية : ١١.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٥٢٣ رقم ١٠٧٧٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٦/٤٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٦٥.

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "ولكن تفسَّحوا، وتوسَّعوا" هذا أمرٌ للجلوس بما يفعلون مع الداخل، وذلك: أنه لما نُهي عن أن يقيم أحداً من موضعه تعيَّنَ على الجلوس أن يوسعوا له، ولا يتركوه قائماً، فإن ذلك يؤذيه، وربما يُخجله. وعلى هذا: فمن وجد من الجلوس سعة تعين عليه أن يوسع له. وظاهرُ ذلك أنه على الوجوب تمسُّكاً بظاهر الأمر، وكأن القائم يتأذى بذلك، وهو مسلم، وأذى المسلم حرامٌ. ويُحتمل أن يقال: إن هذه آدابٌ حسنةٌ، ومن مكارم الأخلاق، فتُحمل على الندب. وقد اختلف العلماء في قوله: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]. فقيل: هو مجلس النبي ﷺ كانوا يزدحمون فيه تنافساً في القرب من النبي ﷺ. وقيل: هو مجلس الصف في القتال. وقيل: هو عامٌ في كل مجلسٍ اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، وهذا هو الأولى؛ إذ المجلس للجنس على ما أصَّلناه في الأصول)[2].

قال القاسمي عن الآية: (تعليم منه تعالى للمؤمنين بالإحسان في أدب المجالس، وذلك بأن يفسح المرء لأخيه ويتنحى توسعة له. قال الشهاب: وارتباطه بما قبله ظاهر، لأنه لما نهى عن التناجي والسرار، علم منه الجلوس مع الملأ فذكر آدابه ورتب على امتثالهم فسحة لهم فيما يريدون التفسح من المكان والرزق والصدر)[3].

وقال ابن كثير: (وذلك أن الجزاء من جنس العمل" كما جاء في الحديث الصحيح: من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة)[4]... ولهذا أشباه كثيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾. قال قتادة: نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض)[5]. وقال العز بن عبدالسلام: (التفسح في المجالس إكرام لأهل الإسلام)[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١٠-٥١١.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٦/٧٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٥

(٦) شجرة المعارف والأحوال ٢٠٠.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بالآداب الاجتماعية:

جاء الإسلام دعوة عامة للإصلاح، فجاء لإصلاح النفوس والأبدان والمجتمعات، لذا حضّ على التمسك بالآداب الاجتماعية الصحيحة، من ذلك آداب المجلس، كما هو واضح في الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1].

قال القاسمي: ("وإذا قيل انشزوا": أى انهضوا للتوسعة أو ارتفعوا في المساجد أو انهضوا عن مجلس الرسول إذا أمرتم بالنهوض عنه، ولا تملوه بالارتكاز فيه "فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، أى يرفع المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله، والعالمين بها الجارين على موجبها بمقتضى علمهم، درجات دنيوية وأخروية. قال الناصر: لما علم أن أهل العلم، بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس، ارتفاع مجالسهم، خصهم بالذكر عند الجزاء، ليسهل عليهم ترك ما لهم من الرفعة في المجلس تواضعاً لله تعالى، انتهى. وهذا - كما قال الشهاب- من مغيبات القرآن، لما ظهر من هؤلاء في سائر الأعصار من التنافس في رفعة المجالس ومحبة التصدير"[2].

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل عن مجلسه لم يجلس فيه، قال النووي: (فهذا ورع منه، وليس قعوده فيه حراماً إذا قام برضاه، لكنه تورع عنه لوجهين: أحدهما أنه ربما استحى منه إنسان فقام له من مجلسه من غير طيب قلبه، فسد ابن عمر الباب ليسلم من هذا. والثاني أن الإيثار بالقرب مكروه أو خلاف الأولى. فكان ابن عمر يمتنع من ذلك لئلا يرتكب أحد بسببه مكروهاً أو خلاف الأولى، بأن يتأخر عن موضعه من الصف الأول ويؤثره به، وشبه ذلك، قال أصحابنا: وإنما يحمد الإيثار

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٩/١٦.

بحظوظ النفوس وأمور الدنيا دون القرب)[١].

وقال ابن عثيمين: (ولهذا تجد الشريعة بينت مسائل الدين المهمة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وما كان دون ذلك من آداب النوم والأكل والشرب والمجالس)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٣.

الحديث رقم (٨٢٦)

٨٢٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ[1]، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث متصل بمعنى سابقه، ومؤكد له وقد صدر المعنى في صورة خبرية غرضها إفادة الحكم نفسه، وقد أكدها بـ (إن) مع اسمية الجملة، صرفاً للمخاطبين إلى العناية بالخبر، وقد جاء المعنى النبوي في صورة الشرط التي تقرر أحقية صاحب المكان بمكانه إذا عاد إليه بعد أن قام عنه، وقوله: (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ) استخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (مجلس) للتعميم، وحرف العطف ثم يشير إلى فترة زمنية قبل الرجوع، وقوله (فهو أحق به) الفاء في جواب الشرط ؛لأنه جملة اسمية، وهي تدل على ثبوت حقه في مكانه، ودوامه حتى يعود إليه، والضمير (هو) يفيد التخصيص.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين.

---

(١) لفظ مسلم: (مجلسه).

(٢) برقم ٢١٧٩/٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٦.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الشرط لبيان حق من قام من مكانه ثم رجع إليه بأن يجلس في مكانه السابق، ومن ثم لا يزاحمه أحد ولا ينازعه فيه. فجاء أسلوب الشرط دعوة للمدعوين بأن يسلموا له بحقه في مكانه، وأن يقبلوا ذلك بنفسٍ راضية، ومن الملاحظ أن الحديث له روايتان فيهما أداتا شرط، فالحديث في صحيح مسلم ((إِذَا قَامَ -وفي رواية: مَنْ قَامَ- أَحَدُكُمْ عَنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ))[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إثبات حق المجلس لمن قام منه:

جاء الإسلام لينظم علاقة المدعو بأهله وبمجتمعه وبعالمه، لذا وضع الإسلام من الآداب ما يكفل ان تكون علاقة المدعو بمجتمعه علاقة قائمة على الود والمحبة والتقدير والعدل، والإنصاف وعدم الاعتداء. ومن تلك الآداب أن من قام من مجلس ثم عاد إليه، فمن حقه أن يجلس فيه، كما بيّن الحديث الشريف.

قال أبوالعباس القرطبي: (هذا الحديث يدل على صحةالقول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه إلى أن يقوم منه، لأنه إذا كان أولى به بعد قيامه؛ فقبله أحرى وأولى. وذهب آخرون: إلى أن ذلك على الندب؛ لأنه موضعٌ غيرُ متملك لأحدٍ، لا قبل الجلوس، ولا بعده، وهذا فيه نظر؛ وهو أن يقال: سلمنا أنه غير متملك له لكنه يختص به إلى أن يفرغ غرضه منه، فصار كأنه يملك منفعته إذ قد مُنع غيره من أن يزاحمه عليه. وحمله مالك على الندب إذا كانت رجعته قريبة. قال: وإن بَعُدَ ذلك حتى يذهب ويبعد فلا أرى ذلك، وأنه من محاسن الأخلاق.

وعلى هذا فيكون هذا عاماً في كل المجالس، وقال محمد بن مسلمة: الحديث محمول على مجلس العلم هو أولى به إذا قام لحاجة، فإذا قام تاركاً له؛ فليس هو بأولى. وقد اختلف العلماء فيمن ترتب من العلماء، والقراء بموضع من المسجد للفتيا، وللتدريس. فحُكي عن مالكٍ: أنه أحقُّ به إذا عُرف به. والذي عليه الجمهور: أن هذا

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٩.

استحسانٌ، وليس بواجبٍ، ولعلّه مراد مالك، وكذلك قالوا فيمن قعدَ من الباعة في موضع من أفنية الطرق، وأفضية البلاد غير المتملكة فهو أحق به ما دام جالساً فيه، فإن قام منه، ونيته الرجوع إليه من غده؛ فقيل: هو أحقُّ به حتى يتم غرضه، حكاه الماوردي عن مالكٍ؛ قطعاً للتنازع، وقيل: هو وغيره سواءٌ، والسابق إليه بعد ذلك أحق به)[١].

وقال النووي: (قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس في موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلاً ثم فارقه ليعوده، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضي شغلاً يسيراً ثم يعود؛ لم يبطل اختصاصه، بل إذا رجع فهو أحق به في تلك الصلاة، فإن كان قد قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه؛ لهذا الحديث. هذا هو الصحيح عند أصحابنا، وأنه يجب على من قعد فيه مفارقته إذا رجع الأول. قال بعض العلماء: هذا مستحب ولا يجب، وهو مذهب مالكٍ، والصواب الأول.

قال أصحابنا: ولا فرق بين أن يقوم منه ويترك فيه سجادة ونحوها أم لا، فهذا أحق به في الحالين، قال أصحابنا: وإنما يكون أحقّ به في تلك الصلاة وحدها دون غيرها، والله أعلم)[٢].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إشاعة التقدير والاحترام بين المدعوين:

إن إثبات حق من قام من مجلسه، في أن يعود إليه ويجلس فيه، لمن الدلائل على احترام المدعوين بعضهم بعضاً، وعلى شيوع روح التقدير فيما بينهم، قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على احترام المؤمن، وإن كان مكانه قد تلبس لحُرمة جلوسه فيه، فكان أحق به، فإذا قام ثم عاد كان أحق بمكانه الذي سبق اختياره له، وتوطيده إياه، وهذا يُفهم منه أنه محمولٌ على من قام من مجلسه ففهم الباقون أنه عائد إليه، فيكون في جلوس غيره في مجلسه إشارة إلى أنه قد كان متطلعاً إلى مكانه، وقد

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥١١-٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٦٣.

استراح إلى قيامه فأخذ مكانه.

والذي أرى في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ ذكره موقظاً به فطن الإخوان، للتنبيه إلى مراعاة حسن الأدب في الصحبة، ومجانبة كل ما يتلف وجوه الصفا بينهم حتى في هذا)[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ))[٢].

قال النووي: (قوله ﷺ: وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" هذا من جوامع كلمة ﷺ وبديع حكمه، وهذه قاعدة مهمة فينبغي الاعتناء بها، وأن الإنسان يلزم ألا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن يفعلوه معه)[٣].

وقال ابن القيم: قال البخاري في صحيحه: قال عمار: ثلاثُ مَنْ جَمَعَهُنَّ فقدْ جَمعَ الإيمانَ: الإنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، وبَذْلُ السَّلامِ للعالَمِ، والإنفاقُ مِنَ الإقتارِ[٤].

قد تضمنت هذه الكلماتُ أصول الخير وفروعه، فإن الإنصاف يوجب عليه أداء حقوق الله كاملة موفرة، وأداء حقوق الناس كذلك، وأن لا يطالبهم بما ليس له، ولا يحملهم فوق وسعهم، ويعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، ويُعفيهم مما يحب أن يعفوه منه، ويحكم لهم وعليهم بما يحكم به لنفسه وعليها، ويدخل في هذا إنصافه نفسه من نفسه، فلا يدَّعي لها ما ليس لها، ولا يخبثها بتدنيسه لها، وتصغيره إياها، وتحقيرها بمعاصي الله، وينميها ويكبرها ويرفعها بطاعة الله وتوحيده، وحبه وخوفه، ورجائه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وإيثار مرضاته ومحابِّه على مراضي الخلق ومحابهم، ... والمقصود أن قول عمار رضي الله عنه: ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٧/٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٩٤.

(٤) علقه البخاري فوق الحديث ٢٨، وانظر: كلام ابن حجر في روايته موصولاً، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٤/١.

نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار، كلام جامع لأصول الخير وفروعه.

وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع، ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضدُّ هذا، فإنه لا يُردُّ السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد.

وأما الإنفاق من الإقتار، فلا يصدُر إلا عن قوة ثقة بالله، وأن الله يُخلفه ما أنفقه، وعن قوة يقين، وتوكل، ورحمة، وزهد في الدنيا، وسخاء نفس بها، ووثوق بوعد وعده مغفرة منه وفضلاً، وتكذيباً بوعد من يعده الفقر، ويأمر بالفحشاء، والله المستعان)[1].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤٠٧-٤١٠.

الحديث رقم (٨٢٧)

٨٢٧- وعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، جلَسَ أحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

الشرح الأدبي

الحديث في أدب المجلس يبيِّن أدب الصحابة في دخولهم على النبي ﷺ وفي مجلسه، وهو ما يؤكده البناء التركيبي لحديث الصحابي -رضي الله عنه- حيث عبَّر بالفعل الماضي الدال على تحقق الفعل، وثبوته قطعاً، ثم استخدامه لـ (نا) الفاعلين، في الفعلين (كنا، أتينا) وإضافة لفظ أحد لضمير الجماعة دلالة على عمومه، وقوله (حيث ينتهي) فيه إيجاز بالحذف أي: حيث ينتهي به المجلس بمعنى أنه لا يَتَقَدَّمُ عَلَى أَحَدِ الحاضرين تَأَدُّبًا، وَتَرْكًا لِلتَّكَلُّفِ، وَمُخَالَفَةً لِحَظِّ النَّفْسِ مِنْ طَلَبِ الْعُلُوِّ كَمَا هُوَ شَأْنُ أَرْبَابِ الْجَاهِ، وهو من الآداب التي تراعي الجوانب النفسية بين المسلمين بما يضمن سلامة الصدور، ونقاء القلوب.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٢٥، والترمذي ٢٧٢٥ ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (٨٢٨، ٨٢٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار والقصر:

أما الإخبار فقول الصحابي جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي"، وفائدة هذا الإخبار أنه إخبار عن فعل في مجلس النبي ﷺ فكان مطلعاً عليه ومقراً له، فكان من سنته ﷺ. فكان ذلك دعوة للمدعوين للامتثال والفعل. ومثال الإخبار قول ابن عمر رضي الله عنهما: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم"[1].

وأما القصر فقول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه سلمان رضي الله عنه: ((لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر... إلا غفر ما بينه وبين الجمعة الأخرى))[2].

وكذلك القصر في قول النبي ﷺ في الحديث الذي يرويه عنه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما". وفي رواية لأبي داود: "لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما"[3].

وفائدة القصر في حديث سلمان رضي الله عنه بيان فضل من فعل ذلك، أما القصر في الحديث الآخر فبيان الجائز من الأفعال.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

نبينا محمد ﷺ هو الرسول والمعلم، عنه يؤخذ الحلال ويعرف الحرام، وبمتابعته والاقتداء به يصل المدعو إلى الفلاح والفوز، لذا كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس حرصاً على مجالسة النبي ﷺ، يوضح هذا قول الصحابي جابر بن سمرة رضي الله عنه: "كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي". فدل هذا على كثرة إتيانهم إلى النبي ﷺ ومجالسته، والإنصات لقوله، والنظر إلى فعله ليفعلوا مثلما يفعل، وسؤاله ﷺ عما يشغلهم ويهمهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٣.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومن هذا القبيل قول سماك بن حرب لجابر بن سمرة رضي الله عنه: ((أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. كَثِيراً. كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوِ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ. فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ. وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ. فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُ))[1].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه حنظلة بن الربيع الأسيدي رضي الله عنه قال: ((نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين))[2].

وقد كان سبب حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ هو الاقتداء به والعمل على طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، لذا فإننا قد نتمثل هذه المجالسة في حياتنا المعاصرة، بأن نحرص على معرفة سنته، والجلوس لتدارسها، والحض على امتثالها وتفعيلها في أرض الواقع، فإن كان فاتنا مجالسة النبي ﷺ والأخذ عنه، فلا يفوتنا مجالسة أقواله وأفعاله وسيرته، حتى يجمعنا الله به في جنته اللهم آمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: من آداب المجلس: الجلوس حيث انتهى المجلس، وعدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما:

لا يكاد يخلو يوم في حياة الناس من أن يضمهم مجلس واحد، لذا حضّ الإسلام على وضع بعض الآداب، التي إذا التزم الناس بها في مجالسهم تحابوا وتآلفوا، وشاع بينهم الاحترام المتبادل، ومن هذه الآداب:

أ- الجلوس حيث ينتهي المجلس، وهذا واضح من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال المباركفوري: (والحاصل أنه لا يتقدم على أحد من حضاره "أى الحاضرين المجلس" تأدباً وتركاً للتكلف، ومخالفة لحظ النفس من طلب العلو، كما هو شأن أرباب الجاه)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٦٣.

(ففي هذا الحديث أدب وتأديب للنفوس وتربية لها، إذ على القادم إلى مجلس أن يجلس حيث ينتهي به المجلس إن شاء وإلا انصرف، ولا ينبغي أن يزاحم غيره فيؤذيه، ولا يجلس وسط الحلقة لما جاء من النهي، ولا يقيم أحداً ليجلس مكانه، ولا يستنكف أن يجلس في أخريات الناس، بل يقصد كسر النفس وتهذيبها، وتعويدها على التواضع ومخالفة الشيطان، فإن ذلك من صفات أولياء الرحمن، فإن الرضا بالدون من شرف المجالس. ويندب إكرام أهل العلم والفضل، والسابقة في الجهاد والإيمان، حباً واحتراماً لا تعظيماً وتفخيماً)[١].

ب- عدم التفريق بين اثنين إلا بإذنهما[٢]، كما هو واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ (لأنه قد يكون بينهما محبة ومودة، وجريان سر وأمانة، فيشق عليهما التفرق بجلوسه بينهما)[٣].

قال ابن عثيمين: (وكذلك أيضاً من آداب المجلس ألا يفرق بين اثنين، يعني لا يجلس بينهما فيضيق عليهما... أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق، لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرقا، لكن أن تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما، هذا من الإيذاء)[٤].

كما أن هذا التصرف يوقع في النفوس الضغائن، ويورث الكراهية والحقد، لشعورهما بأن هذا الجالس بينهما بغير إذن إنما هو للاحتقار والإزراء بهما، وعدم احترام خصوصياتهما، وإنَّ أخذ المسلم بهذا التوجيه فيه احترام للمشاعر، وتنظيم للعلاقات، وتقدير للخصوصيات، وهو دليل على الخلق النبيل والسلوك الجميل في التعامل مع الآخرين.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: من آداب صلاة الجمعة:

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٠٥/١.

(٢) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٣١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٨٠/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٥/٢-١١٢٦.

يوم الجمعة من أفضل الأيام، وصلاة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى؛ لذا أحاطها الشرع بآداب كثيرة، تبين فضلها ومكانتها، كما يتضح ذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصُه بعبادات يختص بها عن غيره. وقد اختلف العلماء: هل هو أفضلُ، أم يومُ عرفة؟ على قولين: هما وجهان لأصحاب الشافعي)[1].

وخصائص يوم الجمعة كثيرة، ذكرها ابن القيم في كتابه "زاد المعاد" فأوصلها إلى ثلاث وثلاثين ومائة[2]، من ذلك قول ابن القيم:

(**الخاصة الثالثة:** صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومِن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظمُ مِن كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضُه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاوناً بها، طبع اللهُ على قلبه، وقُربُ أهل الجنة يومَ القيامة، وسبقُهم إلى الزيارة يومَ المزيد، بحسب قُربهم من الإمام يومَ الجمعة وتبكيرهم.

الخاصة الرابعة: الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمرٌ مؤكد جداً.

وللناس في وجوبه ثلاثةُ أقوال: النفيُ والإثبات، والتفصيلُ بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها، فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه، فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد.

الخاصة الخامسة: التطيب فيه، وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع.

الخاصة السادسة: السِّواك فيه، وله مزية على السواك في غيره.

الخاصة السابعة: التبكير للصلاة)[3].

قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغتسَلَ يومَ الجمعةِ غُسلَ الْجنابةِ ثم راحَ فكأنَّما قرَّب بَدَنَةً، وَمَن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرَّبَ بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قرَّب كَبشاً أَقْرَنَ، ومن راح في الساعةِ الرابعةِ فكأنما قرَّب دَجاجةً، ومن راح في الساعةِ الخامسةِ فكأنما قرَّبَ بيضةً. فإذا خرجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يَستَمِعُونَ الذِّكر))[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٧٥.

(٢) المرجع السابق ١/٣٧٥-٤٢٥، وانظر: الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ١/١٧٠-١٨٣.

(٣) المرجع السابق ١/٣٧٦-٣٧٧

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

قال ابن القيم: (إنه لما كان في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملاً على صلاة وقربان. وكان يوم الجمعة يوم صلاة، جعل الله سبحانه التعجيل فيه إلى المسجد بدلاً من القربان وقائماً مقامه، فيجتمع للرائح فيه إلى المسجد الصلاة والقربان)[١].

الخاصة الثامنة: أن يشتغل بالصلاة، والذكر، والقراءة حتى يخرج الإمام.

الخاصة التاسعة: الإنصات للخطبة إذا سمعها وجوباً في أصح القولين، فإن تركه، كان لاغياً، ومن لغا، فلا جمعة له، وفي "المسند مرفوعاً "والذي يقول لصاحبه: أنصِتْ، فَلا جُمُعَةَ لَهُ"[٢]، [٣].

وقال ابن عثيمين: (كذلك من آداب الجمعة: ألا يفرق بين اثنين)[٤].

وقد أخرج البخاري هذا الحديث أيضاً في كتاب الجمعة تحت باب: "لا يفرق بين اثنين يوم الجمعة"[٥]. وعن أبي الزاهرية، قال: ((كُنَّا مع عَبْدِ الله بنِ بُسْرٍ صَاحِبِ النَّبيِّ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ، فقال عَبْدُ الله بنُ بُسْرٍ: جَاءَ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالنَّبيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فقال لَهُ النَّبيُّ ﷺ: اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ))[٦].

قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: التفرقة بين اثنين يتناول القعود بينهما أو إخراج أحدهما والقعود مكانه، وقد يطلق على مجرد التخطي، وفي التخطي زيادة رفع رجليه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٩٨-٣٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٥١، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مطولاً وفيه: "وَمَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِصَاحِبِهِ: صَهْ. فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَيْسَ لَهُ فِي جُمُعَتِهِ تِلْكَ شَيْءٌ" واللفظ لأبي داود، وقد ضعفه الألباني، (ضعيف سنن أبي داود ٢٣٠)، وقد أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١ بلفظ «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت»، وذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٧٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١١٢٦.

(٥) الحديث رقم ٩١٠.

(٦) أخرجه أبو داود ١١١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٩٨٩).

على رءوسهما أو أكتافهما، وربما تعلق بثيابهما شيء مما برجليه، وقد استثنى من كراهة التخطي ما إذا كان في الصفوف الأول فرجة، فأراد الداخل سدها، فيغتفر له لتقصيرهم)[١].

وليوم الجمعة كثير من الخصائص غير هذا (ومع هذا يتساهل كثير من الناس في حق هذا اليوم، فلا يكون له مزية عندهم على غيره من الأيام، والبعض الآخر يجعل هذا اليوم وقتاً للكسل والنوم، والبعض يضيعه باللهو واللعب والغفلة عن ذكر الله، حتى إنه لينقص عدد المصلين في المساجد في فجر ذلك اليوم نقصاً ملحوظاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله)[٢].

خامساً- من موضوعات الدعوة: خطبة الجمعة:

(إن خطبة الجمعة لها أهمية عظيمة في الإسلام، لما تشتمل عليه من تلاوة القرآن وذكر أحاديث الرسول ﷺ وتضمنها التوجيهات النافعة والموعظة الحسنة، والتذكير بأيام الله، فيجب الاهتمام بها من قبل الخطيب ومن قبل المستمعين، فليست خطبة الجمعة مجرد حديث عادي كالأحاديث التي تلقى في النوادي والاحتفالات والاجتماعات العادية)[٣] لذا حرص النبي ﷺ على حض المستمعين على الإنصات للخطبة، فقال: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام". قال ابن القيم عن خصائص يوم الجمعة:

(**الثانية والعشرون:** أن فيه الخطبةَ التي يُقصد بها الثناءُ على الله وتمجيدُه، والشهادةُ له بالوحدانية، ولرسولِه ﷺ بالرسالةِ، وتذكيرُ العباد بأيامه، وتحذيرُهم من بأسه ونِقمته، ووصيتُهم بما يُقَرِّبُهم إليه، وإلى جِنَانه، ونهيُهم عما يُقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها)[٤].

وقال: (ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٤٥٦.

(٢) الملخص الفقهي ١/١٧٢.

(٣) الملخص الفقهي ١/١٧٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٩٨.

والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تُحبِّبه إلى خلقه، وأيامِه التي تُخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يُحبِّبهم إليه، فيذكرون مِن عظمة الله وصفاته وأسمائه، ما يُحبِّبه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يُحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبُّوه وأحبهم، ثم طال العهدُ، وخفي نورُ النبوة، وصارت الشرائعُ والأوامرُ رسوماً تُقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطَوْها صورها، وزيّنوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلالُ بها، وأخلُّوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصَّعوا الخُطب بالتسجيع والفِقر وعلم البديع، فَنقَص بل عَدِمَ حظُّ القلوب منها، وفات المقصودُ بها)[1].

وقال ابن القيم كذلك: (وكان ﷺ يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي)[2].

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن حديث سلمان الفارسي قائم على الترغيب. فقد أخبر النبي ﷺ أن من فعل هذه الآداب يوم الجمعة فقد "غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى"، ومن هذا القبيل حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعة، ثُمَّ لَبِسَ ثِيابَه، وَمَسَّ طيباً إن كان عِنْدَه، ثُمَّ مَشى إلى الجُمُعة وعَلَيْه السَّكِينَةُ، ولم يَتَخَطَّ أَحَداً، ولم يُؤْذِه، وركَعَ ما قُضِي له، ثُمَّ انتظرَ حتَّى يَنْصَرِفَ الإمامُ، غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ))[3].

والترغيب أسلوب دعوي له ثماره الطيبة "فإن النفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى، والتوجه

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٢٣-٤٢٤.

(٢) السابق ١/٤٢٧.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١٩٨ رقم ٢١٧٢٩، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، حرب بن قيس لم يسمع من أبي الدرداء ٣٦/٥٩.

الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وإنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة"[١]، ولذا فإن المسلم عندما يقرأ هذا الحديث أو يسمعه، فإنه يكون شديد الرغبة في فعل هذه الخصال يوم الجمعة، حتى تغفر ذنوبه وتكفر سيئاته، لكن ينبغي التنبيه أن السيئات التي تكفر في هذا العمل هي صغائر الذنوب، أما كبائر الذنوب فلايكفرها إلا التوبة النصوح، وهذا عام بجميع الأعمال الصالحة التي ورد أنها تكفر الذنوب، كصوم يوم عرفة ويوم عاشوراء، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان والحج المبرور وغير ذلك مما أتت به النصوص. وهذا قول جمهور العلماء[٢].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٢) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٤٩/٢.

الحديث رقم (٨٢٨)

٨٢٨- وعن أَبي عبد الله سَلْمَان الفارسي ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَينِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٥).

غريب الألفاظ:

يَدَّهنُ: يَطلي نفسه[2].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطَيَّبُ بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدُّهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه[3].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول سنن الجمعة، ويرغب فيها، وقد جاء في أسلوب خبري في جملة قصر طويلة بالنفي، والاستثناء، وهو طريق يساق به المعنى الذي ينكره المخاطب، أو يجهله، ونلاحظ في الحديث أنه مفعم بالحركة التي تجسِّدها الأفعال، وقد انقسمت هذه الأفعال قسمين: الأول: أفعال مضارعة تصور الاجتهاد، والدأب للترقي من حسن إلى أحسن (يغتسل، يتطهر، يدهن، يمس، يخرج، يفرق، يصلي، ينصت) فالبداية

---

(١) برقم ٨٨٣. وأورده المنذري في ترغيبه ١٠٢٣. وسيكرره المؤلف برقم ١١٥٦.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د هـ ن).

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمصابح في (د هـ ن).

(٤) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س س).

بالاغتسال الدال على النظافة الظاهرية، ثم التطهر الذي يوحي بالطهارة المعنوية، والظاهرية، ثم الدهن الذي يعطي هيئة حسنة، ثم الطيب لإنعاش الروح، ثم الخروج الذي يعني القصد، والنية، ثم رعاية حال الناس، وعدم التفريق بينهم، ثم الصلاة التي تعني الاتصال بالله ثم الإنصات الذي يعني تمام التهيؤ لتلقي الموعظة.

الثاني: أفعال ماضية تدل على التحقق (استطاع - كُتب - تكلم - غُفر) والفعل الأول يدل على أن المدار في إتيانها على القدر المستطاع دون تكلف، والفعل الثاني يدل على يقينه بأن ما وُفِق إليه من الصالحات من فضل الله الأمر الذي يعود به إلى اليقين بعظمة فضل الله عليه، وهو ما يشي به الفعل الماضي في صيغة ما لم يسم فاعله (كُتب) والفعل الثالث يدل على بلوغ الموعظة حال الصمت الذي هيأه الإنصات، والفعل الرابع غُفر، وهو بمثابة الجائزة التي توجِّه الحركة من بداية الحديث بدافع الرغبة في الحصول عليها، وهو جزاء من جنس العمل لأن من طهر ظاهره بالغسل، والطهارة، والتطيب، وطهر باطنه بالقصد، والتوكل، والصلاة، نقّاه الله من خطاياه.

فقه الحديث

١-ما يستحب لصلاة الجمعة:

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب مع الاغتسال للجمعة أن يتنظف بإزالة أظفار وشعر وما يحتاج إلى إزالته كوسخ ونحوه، وأن يتطيب ويدهن ويتسوك ويلبس أحسن ثيابه، وأفضلها البيض، ويستحب للإمام أكثر مما يستحب لغيره من الزينة وغيرها ... واعلم أن هذا المذكور من استحباب الغسل والطيب، والتنظف بإزالة الشعور المكروهة والظفر والروائح الكريهة ولبس أحسن ثيابه، ليس مختصًا بالجمعة، بل هو مستحب لكل من أراد حضور مجمع من مجامع الناس. نصّ عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب وغيره. قال الشافعي: أحب ذلك كله للجمعة والعيدين وكل مجمع يجتمع فيه الناس. قال: وأنا لذلك في الجمع ونحوها أشد استحبابًا. قال الشافعي والأصحاب: وتستحب هذه الأمور لكل من أراد حضور الجمعة ونحوها، سواء الرجال والصبيان والعبيد، إلا النساء فيكره لمن أرادت منهن الحضور، الطيب والزينة وفاخر

الثياب، ويستحبّ لها قطع الرائحة الكريهة. وإزالة الظفر والشعور المكروهة)[١].

٢-كراهة تخطي الرقاب:

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد كراهة التخطي يوم الجمعة. قال الشافعي: أكره التخطي، إلا لمن لا يجد السبيل إلى المصلّى إلا بذلك أ هـ. وهذا يدخل فيه الإمام، ومن يريد وصل الصف المنقطع إن أبي السابق من ذلك، ومن يريد الرجوع إلى موضعه الذي قام منه لضرورة، واستثنى المتولي من الشافعية من يكون معظمًا لدينه أو علمه، أو ألِفَ مكانًا يجلس فيه، أنه لا كراهة في حقه. وفيه نظر، وكان مالك يقول: لا يكره التخطي إلا إذا كان الإمام على المنبر)[٢].

٣-مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة: قال ابن حجر: (وفيه مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة، لقوله: "صلى ما كتب له" ثم قال: "ثم ينصت إذا تكلّم الإمام" فدلّ على تقدم ذلك على الخطبة)[٣].

٤-جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة، قال ابن حجر: (فيه جواز النافلة نصف النهار يوم الجمعة)[٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٦/٤-٢٨٧، وانظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٢/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٠٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٦٣/١، وشرح الروض المربع ٤٧٠/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/٢٧، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧١/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/٢، وفي المسألة خلاف بين الفقهاء انظره في: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٩٣/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٦/١١-٤٧ ومراجعها التي منها رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٥٣/١، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٤٧/١-١٤٨، وجواهر الإكليل ٩٧/١، والشرح الكبير ٣٨٥/١، ومنهاج الطالبين ٢٨٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٠/٣-٢٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٢/٢.

(٤) المرجع السابق ٣٧٢/٢.

٥-قال ابن حجر: (واستدل به على أن التكبير ليس من ابتداء الزوال، لأن خروج الإمام يعقب الزوال، فلا يسع وقتًا يتنفل فيه)[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) المرجع السابق ٢/٣٧٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٢٩)

٨٢٩- وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية لأبي داود[2]: ((لاَ يُجْلسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الآداب التي تنظم العلاقات الاجتماعية، وتحترم الخصوصية، وتدعم الحرية الشخصية، وقد ساق الراوي حديثه بأسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، ولمن يخبر عنه، وقد جاء كلام الرسول ﷺ في أسلوب إنشائي تصدَّره نهي عام في قوله (لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بإذْنِهِمَا) وتنكير كلمة (رجل) يفيد العموم، وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي: التفريق، والفعل المضارع يصوِّر فعل التفريق، وانتهاك خصوصية المتحابين، وقطع السر، وغيره مما يوغر الصدور، ويسبب الضيق، ويفسد بين الناس، ولذلك استثنى المأذون له منهما؛ لأنه لا اعتداء ثَمْ على حريتهما.

فقه الحديث

١-الجلوس بين الاثنين بدون إذنهما:

إذا أراد الشخص أن يجلس بين رجلين فعليه استئذانهما، وذلك لقوله ﷺ: ((لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما)).

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٤٥، والترمذي واللفظ له ٢٧٥٢، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

(٢) برقم ٤٨٤٤. أوردها المنذري في ترغيبه ٤٥٠٥.

وعدّ ابن حجر الهيتمي من الشافعية أن التفريق بين الاثنين بدون إذنهما كبيرة، وذلك أخذًا من اللعن المذكور في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهو أخذ ظاهره إذا تأذى منه غيره إيذاءً لا يحتمل عرفًا، وعليه يحمل حديث اللعن. وأما القول بالكراهة فإنه يحمل على ما إذا خفّ الإيذاء.

والحكمة من النهي ظاهرة، إذ قد يكون بينهما مودة أو محبة، أو حديث سر وجلوسه بينهما يسوءهما[1].

٢-الجلوس وسط الحلقة: قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه يتأخر، أي أنه كان يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن من جلس وسط الحلقة.

ولأن الجالس وسط الحلقة يستدبر البعض بظهره فيؤذيهم بذلك فيسبونه ويلعنونه، ويستحب له أن يجلس حيث ينتهي به المجلس[2].

والظاهر من اللعن الإطلاق لتأذيهم. وقيل مختص بمن يجلس استهزاءً كالمضحك وبمن يجلس لأخذ العلم نفاقًا.

وأما تفسير السبب في لعنه بأنه يتخطى رقاب الناس، ويجلس وسط الحلقة ويحجب البعض عن بعض فقد قال المناوي: فغير قويم، إلا إن قيل بقصد الضرر، أو أُوِّل اللعن بالأذى. ووجه اللعن أنهم يلعنونه ويذمونه[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٢٥١/١.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٠٥/١.

(٣) بريقة محمودية لمصطفى الخادمة الحنفي ١٦٦/٤، ١٦٧.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٢٩) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٢٧، ٨٢٨).

الحديث رقم (٨٣٠)

٨٣٠- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. رواه أَبُو داود[١] بإسنادٍ حسن.

وروى الترمذيُّ[٢] عن أبي مِجْلَزٍ: أنَّ رَجُلاً قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ -أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ- مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. قَالَ الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الحديث مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً لمن يخبر عنه، وما يخبر به، وقد تصدَّر الحديث خبر غريب بدأ بلفظ يثير الانتباه، ويحقق الترقب؛ لأنه من الألفاظ التي تشغل العقل بالبحث عن سببها لاسيما إذا صدرت من صادق لا يكذب ومن داعٍ لا ترد دعوته، وهو (لعن) وقوله: (من جلس وسط الحلقة) من اسم موصول، وتعريف المسند إليه بالموصولية للتنبيه على خطأ، والفعل يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأنه في صورة الماضي، و (وسط الحلقة) لأنه يَتَخَطَّى رِقَاب، وَيَقْعُد وَسْطهَا وَلا يَقْعُد حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِس فَلُعِنَ لِلأَذَى، وَقَدْ يَكُون فِي ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَعَدَ وَسْط الْحَلْقَة حَال بَيْن الْوُجُوه فَحَجَبَ بَعْضهمْ عَنْ بَعْض فَيَتَضَرَّرُونَ بِمَكَانِهِ وَبِمَقْعَدِهِ هُنَاكَ.

---

(١) برقم ٤٨٢٦. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٨.

(٢) برقم ٢٧٥٣. إسناده منقطعٌ، رواه أحمد في المسند ٢٣٣٧٧ وقال عقبه: قال حجّاج: قال شعبةُ: لم يدرك أبو مجلز شعبة. أورده المنذري في ترغيبه ٤٤٩٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من أسلوب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين.

ثالثاً: من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين.

أولاً- من أسلوب الدعوة: الترهيب:

إن الترهيب في هذا الحديث نابع من استخدام لفظ اللعن، وفي ذلك ترهيب شديد وتخويف كبير. جاء في الموسوعة الفقهية: (اللعن في اللغة: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء. وكانت العرب في الجاهلية تحيي ملوكها: أبيت اللعن، ومعناه: أبيت أيها الملك أن تأتي ما تعلن عليه. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي ... ويكون اللعن لبيان أن تلك الأوصاف للتنفير عنه والتحذير منه)[1].

قال العز بن عبدالسلام: (اللعن أبلغ في القبح من السب المطلق)[2].

كما أن من آداب الداعية الترهيب من السلوك الاجتماعي المنفر للآخرين؛ لأن الداعية في مقام الناصح الأمين، يحض على الأخلاق الفاضلة، وينفر من الأخلاق السيئة التي تنفر الآخرين من صاحبها، ولذلك رهب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، كما في الحديث. وقد قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[3].

قال القاسمي: (أى لا ينهي بعضهم بعضاً عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/٣٥-٢٧٤.

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام ٢٠/١ نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/٣٥-٢٧٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٨-٧٩.

ذلك ليحذر من ارتكاب مثل الذي ارتكبوه، فقال "لبئس ما كانوا يفعلون"، مؤكداً بلام القسم تعجباً من سوء فعلهم، كيف وقد أداهم إلى ما شرح من اللعن الكبير)[١].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ))[٢].

قال النووي: (أما اللعانان: فكذا وقع في مسلم، ووقع في رواية أبي داود: "اتقوا اللاعنين"، والروايتان صحيحتان.

قال أبو سليمان الخطابي[٣]: (المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شُتم ولُعن، يعني عادة الناس لعنه، فلما صارا سبباً لذلك، أضيفَ اللعن إليهما.

قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن: مواضع اللعن.

قلت: فعلى هذا؛ يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما، وهذا على رواية أبي داود.

وأما رواية مسلم؛ فمعناها -والله أعلم-: اتقوا فعل اللعانين، أي: صاحبي اللعن، وهما اللذان يلعنهما الناس في العادة، والله أعلم.

قال الخطابي وغيره من العلماء: المراد بالظل هنا مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلاً ومناخاً ينزلونه ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود تحته، فقد قعد النبي ﷺ تحت حايش النخل[٤] لحاجته، وله ظل بلا شك، والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: "الذي يتخلى في طريق الناس" فمعناه: يتغوط في موضع يمر به الناس، وما نهى عنه في الظل والطريق؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره، والله أعلم)[٥].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٧/٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩، وأبو داود ٢٥.

(٣) معالم السنن ٣٠/١.

(٤) النخل الملتف المجتمع، كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضًا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٤٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢٧٥.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مراعاة شعور الآخرين:

وذلك واضح من الحديث. قال الخطابي: "وهذا يتأول فيمن يأتي حلقة قوم، فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها، ولا يقعد حيث ينتهي به المجلس، فَلُعِن للأذى، وقد يكون في ذلك أنه إذا قعد وسط الحلقة حال بين الوجوه وحجب بعضهم من بعض، فيتضررون بمكانه وبمقعده هناك)[١].

قال ابن الأثير: (لأنه إذا جلس في وسَطها، استَدْبر بعضَهم بظَهره، فيُؤذيهم بذلك فيَسبُّونه ويلْعنُونه. ومنه الحديث أنه ﷺ قال: "لا حِمَى إلاّ في ثلاث" وذكر منها "حَلْقة القوم"[٢] أي لهم أن يَحْمُوها حتى لا يَتَخطّاهم أحد ولا يَجْلس وسطها)[٣].

وقال الطيبي: (قال التوربشتي: المراد منه -والله أعلم- الماجن الذي يقيم نفسه مع السخرية ليكون ضحكة بين الناس، ومن يجري مجراه من المتأكّلين بالسمعة والشعوذة)[٤].

ومن قبيل مراعاة شعور الآخرين قول النبي ﷺ: ((لاَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ عَلَىٰ خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلاَ يَسُومُ عَلَىٰ سَوْمِ أَخِيهِ، وَلاَ تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَىٰ عَمَّتِهَا وَلاَ عَلَىٰ خَالَتِهَا، وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِيءَ صَحْفَتَهَا، وَلْتَنْكِحْ، فَإِنَّمَا لَهَا مَا كَتَبَ اللّهُ لَهَا))[٥].

قال ابن الأثير: (المُساوَمَة: المُجاذَبَة بين البائِع والمشتري على السِّلْعةِ وفَصلُ ثَمَنِها... والمنْهيُّ عنه أن يتَساوَم المُتَبايِعان في السِّلْعة ويَتقَارَبَ الانعقاد، فيجيء رجلٌ آخر يريد أن يشتري تلك السِّلعة، ويُخرِجها من يد المُشتري الأوّل، بزيادةٍ على ما استقرَّ الأمرُ عليه بين المُتساوِمَين ورَضِيا به قبل الانعقاد، فذلك ممنوعٌ عند المُقاربة، لما فيه من الإفساد،

---

(١) معالم السنن ١٨٣/٧.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٧٥/٦ والبيهقي في السنن ١٥١/١، ١٥٦، وقال محققا الآداب الشرعية ٤٣٠/١: وهو مرسل.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٢٦.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥٣/٩.

(٥) أخرجه مسلم ٣٨-١٤٠٨.

ومُباحٌ في أوَّلِ العَرْض والمساومة)[١].

وقال النووي: (قوله ﷺ: "وَلاَ تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْتَفِىءَ صَحْفَتَهَا..."، معنى هذا الحديث: نَهَى الْمَرْأَةَ الأَجْنَبِيَّةَ أَنْ تَسْأَلَ الزَّوْجَ طَلاقَ زَوْجَتِهِ، وَأَنْ يَنْكِحَهَا وَيُصَيِّرَ لَهَا مِنْ نَفَقَتِهِ وَمَعْرُوفِهِ وَمُعَاشَرَتِهِ وَنَحْوِهَا مَا كَانَ لِلْمُطَلَّقَةِ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ بِاكْتِفَاءِ مَا فِي الصَّفْحَةِ مَجَازًا، والمراد بأختها: غيرها سواء كانت أختها من النسب أو أختها في الإسلام، أو كافرة)[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: الجلوس حيث انتهى المجلس وعدم تخطي الجالسين:

إن المدعو الحق حريص أشد الحرص على أن يجتنب ما يلحق الأذى بالآخرين، أو يسبب لهم ضرراً، لذا رهّب النبي ﷺ من الجلوس وسط الحلقة، لما في ذلك من الضرر. قال ابن مفلح: (قال الخلال: يكره الجلوس في وسط الحلقة". أنبأنا أبو داود قال: رأيت أحمد بن حنبل إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه، يتأخر يعني يكره أن يكون وسط الحلقة، لما جاء عن النبي ﷺ، انتهى كلامه)[٣].

قال ابن عثيمين: (ومن الآداب أيضاً: أنه يجلس حيث انتهى به المجلس، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين، سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط الحلقة. وذلك أنك تحول بينهم وبين من معهم، ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحد في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في ذلك عدوان عليهم وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك)[٤].

فعلى المسلم أن يراعي الآداب الحسنة، فلا يكون سبباً للأذى والفوضى، وإلحاق الضرر بالآخرين، فلا يجلس في وسط الحلقة، لأن الجلوس وسط الحلقة فيه شذوذ وتشويش، ومن يفعل ذلك فإنه يكون ممقوتاً من الجالسين، ومذموماً من الشارع الحكيم.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٧٧.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٣٠/١

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٧/٢.

الحديث رقم (٨٣١)

٨٣١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح عَلَى شرط البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث مبني على الإيجاز بالقِصَر؛ لأنه مكون من جملة واحدة من ثلاث كلمات لكنها ذات دلالة واسعة، ومعنى عميق، ومن مزايا الأحاديث القصار، سهولة الحفظ، وسرعة الانتشار، وقد جاءت بأسلوب خبري، وقد سيق مساق الخبر المعلوم الذي لا ينكر، ولفظ (خير) من الألفاظ التي تبشر بمحبوب ينتظر، وإضافته للمجالس للبيان، والمسند أفعل تفضيل يرغب في التوسعة في المجالس التي تضمن مكاناً فيها لكل من يريدها، وفي هذا فرصة لنشر الخير، والعلم على نطاق واسع، وهو ينسحب على كل مجلس خير في الطعام، والعلم، والموعظة وغيرها، ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص، والأحوال، والأزمان، والبلدان؛ لأنه أروح للجالس، وأمكن في تصرفه من قيامه، وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة، و الإكرام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السعة والتوسع في المجالس.

ثانياً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) برقم ٤٨٢٠. وقال الحاكم ٤/٢٦٩: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٠٨.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التوسع في المجالس:

لقد وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير وأثبت لها الخيرية، قال ابن عثيمين: "ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة، فإن سعة المجالس من خير المجالس. كما قال ﷺ: "خير المجالس أوسعها"؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً كثيرة، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حُجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنك السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناساً كثيرين؛ ولأنه أشرح للصدر"[(١)].

وقد أمر النبي ﷺ بالتفسح في المجلس والتوسعة فيه، فقد قال ﷺ: ((لا يُقيم الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ فَيَجْلِسَ فِيهِ، ولَكِنْ تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا))[(٢)].

ففي حديث الباب من الفوائد، الترغيب في إفساح المجالس ودفع ما يفضي إلى ضيقها، لأن ضيقها يكدر الخواطر، ويولد الكراهية بين المتجالسين، وقد يفقد المجلس ثمرته إن كان مجلس علم أو قضاء أو غيره. فخير المجالس أوسعها بالنسبة لأهلها، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان والبلدان، لأنه أروح للجالس وأمكن في تصرفه من قيامه وقعوده، والسير في أداء ما يستحق من التوسعة والإكرام)[(٣)].

والحديث عام في كل المجالس التي يجتمع فيها الناس، وجدير بمن يكون مسؤولاً عن شيء من ذلك أن يختار السعة على الضيق، فالمساجد الواسعة، وقاعات الدراسة وصالات المحاضرات، ينبغي أن يحرص فيها على الوسع، بل وحتى في مجالس البيوت، فإن الدار الواسعة من حسنات الدنيا العاجلة.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان الحقائق:

لقد أخبر ﷺ عن أن خير المجالس أوسعها، وهذا بيان للمدعوين ووضع الحقائق أمامهم، ليفعلوا الأخيْر والأحسن والأفضل.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٩١١، ٦٢٧٠، ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٧٧.

(٣) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٤٧٦/٣.

ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمُ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمعَةِ))[١].

قال النووي: (قال القاضي عياض: الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته، لأن إخراج آدم لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته)[٢].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: نشر روح الود والتآلف بين المدعوين:

لقد بين النبي ﷺ فضل وسع المجالس، وجعل الواسع منها هو خيرها وأفضلها، وذلك لما فيه من الفوائد الجمة والمنافع الكثيرة، لعل من أهمها الأريحية التي يكون عليها الجالسون، مما قد تكون سبباً في تآلفهم وتوادهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[٣].

قال الطاهر بن عاشور: (الآية لا تدل إلا على الأمر بالتفسح إذا أمر به النبي ﷺ، ولكن يستفاد منها أن تفسح المؤمنين بعضهم لبعض في المجالس محمود مأمور به وجوباً أو ندباً، لأنه من المكارمة والإرفاق، فهو من مكملات واجب التحاب بين المسلمين، وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيها غيره، فهي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده، وذلك ما لم يفض إلى شدة مضايقة أو مضرة، أو إلى تفويت مصلحة من سماع أو نحوه، مثل مجالس العلم و الحديث وصفوف الصلاة، وذلك قياس على مجلس النبي ﷺ في أنه مجلس خير.... قال مالك: ما أرى الحكم إلا يطرد في مجالس العلم ونحوها غابر الدهر. يريد أن هذا الحكم وإن نزل في مجلس النبي ﷺ فهو شامل لمجالس المسلمين من مجالس الخير، لأن هذا أدب ومؤاساة،

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٦٠، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٤٧/٣.

(٣) سورة المجادلة، آية : ١١.

فليس فيه قرينة الخصوصية بالمجالس النبوية، وأراد مالك بـ"نحوها" كل مجلس فيه أمر مهمّ في شؤون الدين، فمن حق المسلمين أن يحرصوا على إعانة بعضهم بعضاً على حضوره. وهذا قياس على مجلس النبي ﷺ وعلته هي التعاون على المصالح. وأفهم لفظ التفسح أنه تجنب للمضايقة والمراصة، بحيث يفوت المقصود من حضور ذلك المجلس أو يحصل ألم للجالسين)[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وهذا واضح من وصف النبي ﷺ المجالس الواسعة بأنها خير، ولا شك أن هذا ترغيب للمدعوين لكي يمتثلوا لهذا الأدب ويطبقوه في مجالسهم المختلفة، بحيث تتسع للجالسين جميعاً، ولا يكون فيها مضايقة وألم لبعضهم أو كلهم.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٨/٣٨.

الحديث رقم (٨٣٢)

٨٣٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ، أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغطه: أي تكلم بما فيه إثم[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتعلق بأدب المجلس، ويتتبع ما يقع فيه من لغط ترجع تبعته على الجالسين، ويربطهم بالله ذكراً، وفكراً، وهو منهج يربي عليه النبي ﷺ أصحابهم يجعلهم في كل شأن من شؤون حياتهم متصلين بالله.

وأسلوب الحديث شرطي غرضه الترغيب بربط مغفرة ذنوب المجلس بقول هذا الدعاء، والربط بالفاء في قوله: (فكثر - فقال) يشير إلى ضرورة المسارعة إلى التوبة، وتتبع الذنب بالاستغفار، يؤكد ذلك الظرف (قبل) وإضافة المجلس له إضافة تخصيص، واسم الإشارة (ذلك) يؤكد هذا، ويقرره.

---

(١) برقم ٣٤٣٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/٥٣٧: هذا الإسناد صحيحٌ على شرط مسلم، إلا أن البخاري قد علّله بحديث وهيب، عن موسى بن عقبة، عن سهيل، عن أبيه، عن كعب الأخبار من قوله. وقال في معرفة علوم الحديث ص ١١٣: هذا حديثٌ من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح، وله علة فاحشةٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥١، وفي دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٧٣: كثر فيه كلامه بما لا ينفعه في آخرته.

والدعاء يبدأ بجملة التنزيه لله عن كل نقص (سبحانك)، ثم التَّوجه لله بكل الجوارح مع استحضار أسمائه الحسنى، وصفاته العلى عن طريق صيغة (اللهم) التي جاءت معترضة بين التنزيه والحمد لهذه الخصيصة فيها التي تحيط الدعاء بحالة من الخشوع، والخضوع، ثم حمده، ثم توحيده عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لا إله إلا أنت) والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه.

ثم طلب المغفرة، والتوبة الذي قدَّم له بتنزيه الله، وحمده، والاعتراف بوحدانيته مما يحقق له ما أراد بالخلاص من لغط مجلسه، فربما - وقعت فيه كلمة يسجن بها سبعين سنة، وليتها في سجن بل في النار، وهو لا يبالى -كما أخبر ﷺ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ لا يَرَى بِهَا بَأْسًا فَيَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا)[1].

فقه الحديث

التحميد للقائم من المجلس مستحب[2]، لهذين الحديثين[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو.

ثالثاً: من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله.

رابعاً: من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار.

خامساً: من وسائل الدعوة: السؤال والجواب.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) سنن بن ماجة حديث (٣٩٦٠).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧٢/١٠، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٣-٣٣٤.

(٣) الحديث رقم (٨٣٢)، (٨٣٣).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٣).

أولاً- من موضوعات الدعوة: القصد في الكلام:

إن الإنسان جبل على حب الكلام والإكثار منه، لذا يكثر في كلام جماهير الناس اللغو واللغط ونحوه مما لا فائدة ولا نفع فيه، لذلك رغب الإسلام في الاقتصاد في الكلام، فلا يقول إلا خيراً أو ليصمت، وهذا يستنبط من حديث أبي هريرة "من كثر لغطه"، فإنه يدل على أنه الأولى بالمرء أن يتجنب اللغو واللغط.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: اللغط بالتحريك الصوت وأراد به الهراء من القول[١]، وما لا طائل تحته من الكلام، فأحل ذلك محل الصوت العرى عن المعنى[٢])[٣].

وقد قال ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ))[٤].

قال النووي: (وروينا عن الأستاذ أبي القاسم القشيري قال: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال. قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس. قال: فأما إيثار أصحاب المجاهدة السكوت، فلما علموا ما في الكلام من الآفات، ثم ما فيه من حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق، وغير هذا من الآفات، ذلك نعت أرباب الرياضة، وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق. وروينا عن الفضيل بن عياض قال: من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه. وعن ذي النون: أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه)[٥].

---

(١) في المطبوع: الهزاء، وهو تحريف. والهراء: الكلام الكثير الفاسد لا نظام له. ويقال: رجل هراء: إذا كان كثير الكلام هذّاء. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٨٠.

(٢) اللغط: صوتٌ وضجة لا يفهم معناها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨٣٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٧٢/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢.

قال ابن مفلح: (وروى الخلال عن عطاء قال: كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله أن تقرأه أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك بما لابد لك منه ...

وقال ابن عبدالبر: قال أبو هريرة: لا خير في فضول الكلام، وقال عمر بن الخطاب: من كثر كلامه كثر سقطه ... أوصى ابن عباس بخمس كلمات فقال: إياك والكلام فيما لا يعنيك في غير موضعه، فرب متكلم فيما لا يعنيه في غير موضعه قد عنت. ولا تمار سفيهاً ولا فقيهاً. فإن الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك. واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن تذكر به، ودع ما تحب أن يدعك منه، واعمل عمل رجل يعلم أنه يجازى بالإحسان ويكافأ)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: كفارة المجلس من اللغو[٢]:

يسود المجالس في غالب الأحيان كثير من اللغط وما لا طائل تحته ولا فائدة فيه، فمن جلس مجلساً وكثر لغطه، عليه أن يأتي بهذاالدعاء قبل أن يقوم من مجلسه: "سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلا غُفِرَ لهُ ما كانَ في مجلسِهِ ذلك". وفي الحديث الآخر: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

قال المباركفوري: (فقال: قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك". ولعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٣]، واللهم معترض، لأن قوله "وبحمدك" متصل بقوله سبحانك، إما بالعطف أى أسبح وأحمد، أو بالحال: أى أسبح حامداً لك "إلا غفر له" أي ما حبس شخصاً مجلس فكثر لغطه فيه فقال ذلك إلا غفر له "ما كان" أي من اللغط)[٤].

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/٦٢-٦٦.

(٢) اللغو: ما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه فائدة ولا نفع. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٨٣١، والمراد باللغط واللغو هنا ما لا ينفعه في الآخرة، فيكون من الكلام المباح أو المكروه، لا المحرم، فلا يدخل فيهما الغيبة والنميمة، لأنهما محرمتان، والله أعلم.

(٣) سورة الطور، آية : ٤٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥١.

وقال ابن حبان في صحيحه: "ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند القيام من مجلسه ختم له به، إذا كان مجلس خير، وكفارة له إذا كان مجلس لغو"[١]. وأخرج تحته قول عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس لغو أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات، إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن عليه كما يختم بالخاتم على الصحيفة: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[٢].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٣]، قال: من كل مجلس[٤]. وقال ابن مفلح: (روى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن في قوله عز وجل: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[٥]، منهم مجاهد وأبو الأحوص ويحيى بن جعدة، وعطاء قالوا: "حين تقوم من مجلس تقول: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، وقالوا: من قالها غفر الله له ما كان في المجلس. وقال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحسانا، وإن كنت غير ذلك كان كفارة)[٦].

ثالثاً- من آداب المدعو: المسارعة إلى طلب المغفرة من الله:

إن المجالس لا تخلو عادة من الكلام الذي لا طائل منه ولا فائدة فيه، ولا ينفع قائله في آخرته، ولا شك أن ذلك يشعر -وخاصة إن ازداد وقوعه من المدعو- بنوعٍ من الغفلة عن مقصوده الذي خلق من أجله، وهو عبادة رب العالمين: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ

---

(١) صحيح ابن حبان ٣٥٣/٢.

(٢) أخرجه ابن حبان ٥٩٣، وقال محقق صحيح ابن حبان، إسناده صحيح على شرط مسلم..

(٣) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٤) أخرجه الفريابي وابن المنذر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧١١/١٣.

(٥) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٦) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٥٧٥/٣، وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/١٣ .

وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، كما يشعر بإقباله على الدنيا واستغراقه في أمورها وشؤونها. مما قد يشعر معه بإعراضه عن الله عز وجل وعن ذكره، فكان من فضله وكرمه سبحانه أن قضى على لسان رسوله ﷺ بكفارة المجلس التي تغفر ما وقع في المجلس من اشتغال وانهماك في أمر الدنيا وإعراض عن الآخرة. فكان هذا الذكر في آخر المجلس: (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

ومن الملاحظ أن هذا الذكر كله تمجيد لله وثناء عليه، فبدأ بقوله: (سبحانك اللهم وبحمدك) كأنه يعلن وقد انتهى المجلس: يا رب إني أنزهك عن كلّ نقص وأقرّ لك بكل كمال وجلال، وأحمدك حمداً كبيراً واثني عليك الثناء كله، وأقر وأشهد أنك المعبود بحق، لا إله غيرك ولا معبود سواك، فيا رب أطلب منك الغفران والعفو عن تقصيري وتضييعي وجهلي، وأتوب إليك من ذلك كله.

فكان هذا الذكر من المدعو إعلاناً عن رجوعه إلى ربه وإلى ذكره بعد أن كان غفل، وطلباً إلى الله أن يتقبله ويعفو عما بدر منه، وإقراراً بتقصيره وغفلته، فلما وقع ذلك من العبد أجابه الله سبحانه وتعالى، وتفضل عليه فغفر له وعفا عنه.

وبناء على ذلك فإن المدعو إذا وقع منه تقصير، فإن عليه أن يسارع باللجوء إلى الله عز وجلّ، ويظهر أمامه تضرعه وتخشعه وتذلله عسى الله أن يتقبل منه، وهذا ما علّمه لنا النبي ﷺ كما في هذين الحديثين.

رابعاً- من حقوق المدعو: السؤال والاستفسار:

لقد سأل الرجل النبي ﷺ في حديث أبي برزة رضي الله عنه عن قوله في آخر المجلس، بعد أن لم يكن يقوله، فسأل قائلاً: "يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي ﷺ فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

ومن ذلك قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[٢]، شق ذلك على الناس فقالوا: يارسول الله وأينا لا يظلم

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

نفسه؟ قال: إنه ليس الذين تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١] إنما هو الشرك))[٢].

وقالت عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدِّين ويتفقهن فيه"[٣].

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضح في حديث أبي برزة رضي الله عنه: قال الرجل: يارسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ فأجابه النبي ﷺ فقال: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس". فكانت هذه الإجابة إعلاماً للمدعوين بأن يفعلوا هذا، حتى يغفر لهم ما قد يقع في مجلسهم من أقوال فيها لغط ولهو ولغو.

ولعل أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المباشرة الفعالة التي تتكرر كثيراً جداً، فلا يكاد يخلو يوم من سؤال وجواب عنه، وذلك لكثرة ما يعرض للإنسان في حياته اليومية مما يحتاج معه إلى إزالة إشكال أو إيضاح أو نحو ذلك.

سادساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وذلك واضح في قول النبي ﷺ: "إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك" وقوله ﷺ: "ذلك كفارة لما يكون في المجلس" فقد رغب النبي في أن يقول المدعو هذا الذكر عند قيامه من المجلس، بأن أخبره أن ذلك غفران لما قد يقع من لغط منه ولغو. قال ابن عثيمين: "قلما يجلس الإنسان مجلساً إلا ويحصل له فيه شيء من اللغط أو من اللغو أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك، كلما قام من مجلسه: ((سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ حتى يكون كفارة للمجلس))[٤].

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢، ومسلم ١٢٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦١٠٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٢٨/٢.

الحديث رقم (٨٣٣)

٨٣٣- وعن أَبي بَرْزَة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقولُ بأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ انْ لا إلهَ إلاَّ انتَ أسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليكَ)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: ((ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي المَجْلِسِ)) رواه أَبُو داود[1].

ورواه الحاكم أَبُو عبد الله في (المستدرك)[2] من رواية عائشة رضي الله عنها وقال: (صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

ابو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٠٧).

غريب الألفاظ:

بأَخَرَةٍ: أي في آخر جلوسه، أو في آخر عمره[3].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يعلّم أصحابه بطريقة عملية تنقية أنفسهم، وأعمالهم أولاً بأول، وهو أحرص الناس على الكلمة الصالحة الطيبة، ولا ينطق عن الهوى، ومع ذلك، يستغفر الله، ويتوب إليه، وقوله هذا الذكر في نهاية المجلس شكراً لربه، وبياناً عملياً لأمته، وقوله (بآخرة) فيها إيجاز أي في نهاية مجلسه حتى يستوعب كل ما فيه، وقوله (إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنْ الْمَجْلِسِ) استخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحققه، والتعبير بالإرادة تبكير بالفعل، وقول الرجل للرسول ﷺ (إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلاً) أكّد الكلام بـ

---

(١) برقم ٤٨٥٩. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٢/٧٣٣: رجال إسناده ثقات، إلا أنه اختلف فيه على أبي العالية. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٥.

(٢) ١/٤٩٦ – ٤٩٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في النكت ٢/٧٣٠: إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٦.

(٣) النهاية ٢٩، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٩٩.

(إن) المتصلة بكاف الخطاب، ثم اللام الداخلة على الفعل المضارع، ثم بالمصدر المؤكد للفعل تعظيماً للخبر، وعناية بمضمونه، وقوله ((مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى) أسلوب نفي يقرر أنه لم يسمعه قبل من الرسول ﷺ، أو أنه كان حديث النزول على الرسول ﷺ وقوله (ذلك كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ) تعريف المسند إليه بالإشارة التي للبعيد فيه تعظيم لهذا الدعاء، وتفخيم لشأنه يبعث على العناية به، وصياغة المسند في الصورة الاسمية الدالة على الثبوت، والدوام، وعلى صيغة المبالغة يصعِّد هذا الشعور، ويؤذن بضرورة العمل به، والمحافظة عليه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٤)

٨٣٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسول الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهؤلاء الدَّعَواتِ[1]: ((اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

واجعله الوارث منا: أي اجعل المذكور من الأسماع والأبصار والقوة الباقي منا، بأن يبقى إلى الموت[3].

الشرح الأدبي

قول ابن عمر رضي الله عنهما (قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) تُسْتَعْمَلُ قَلَّمَا لِمَعْنَيَيْنِ أَحَدُهُمَا النَّفْيُ الصِّرْفُ وَالثَّانِي إِثْبَاتُ الشَّيْءِ الْقَلِيلِ، فعلى الأول يكون معناها أنه لا يتركه، وعلى الثاني يشير إلى كثرة دعاء الرسول ﷺ بهذا الدعاء، كما يقرر أنه لم يواظب

---

(١) عند الترمذي زيادة: (لأصحابه).

(٢) برقم ٣٥٠٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٥٢٨/١: هذا حديثٌ صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٣) النهاية في (و ر ث)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨١/٢.

عليه بل كان يدعو بغيره مما ثبت عنه ﷺ، (حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ) حتى لبيان الغاية، والتعبير باسم الإشارة المخصص للجمع بغرض التفخيم، وقوله (لأصحابه) أنه كان يدعو، وأصحابه يؤمنون وقوله: (اللهم اقسم لنا) نداء جامع لأسباب استجابة الدعاء، يليه أمر بغرض الدعاء أي: اجعل لنا قسمة، ونصيباً (من خشيتك) أي: خوفك، والخشية الخوف، أو خوف مقترن بتعظيم (ما يحول) أي يحجب، ويمنع (بيننا وبين معاصيك)؛ لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قل الخوف جداً، واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، وقوله (ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك) أي مع شمولنا برحمتك (ومن اليقين) أي وارزقنا من اليقين بك، وبأنه لا راد لقضائك، وقدرك (ما يهون) أي يسهل (علينا مصائب الدنيا) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة، ومصلحة، واستجلاب مثوبة، وأنك لا تفعل بالعبد شيئا إلا، وفيه صلاحه (ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا) الضمير للتمتع، والمعنى اجعل ثأرنا مقصوراً على من ظلمنا، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره، وتُحْمَل من (لا يرحمنا) علي ملائكة العذاب في القبر، وفي النار لئلا يلزم التكرار فتقول إنما خص البصر والسمع بالتمتع من الحواس؛ لأن الدلائل الموصلة إلى معرفته تعالى، وتوحيده إنما تحصل من طريقهما؛ لأن البراهين إنما تكون مأخوذة من الآيات المنزلة، وذلك بطريق السمع أو من الآيات المقصوصة في الآفاق، والأنفس، وذلك بطريق البصر فسأل التمتع بهما حذراً من الانخراط في سلك الذين ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، ولما حصلت المعرفة ترتب عليها العبادة فسأل القوة ليتمكن بها من عبادة ربه، ثم إنه أراد أن لا ينقطع هذا الفيض الإلهي عنه لكونه رحمة العالمين فسأل بقاء ذلك ليستن بسنته بعده فقال واجعل ذلك التمتع وارثا باقيا[1].

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي حديث: (١٥٠٥).

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب دعاء الجالس في جمع لنفسه ومن معه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا.

أولاً- من وسائل الدعوة: الدعاء:

يتضح هذا من قول الصحابي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات".

ولعل من هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك، قال: ((ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على سرية ما وجد على السبعين الذين أصيبوا يوم بئر معونة[٢]، كانوا يدعون القراء. فمكث شهراً يدعو على قتلتهم))[٣].

وفي رواية: ((قَنَتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْعُو علَى أُنَاسٍ قَتَلُوا أُنَاساً مِنْ الَصحَابةِ. يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ))[٤].

(والقنوت في اللغة له معان عدة، أشهرها: "الدعاء" وهو أشهرها. قال الزجاج:

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٤.

(٢) بئر معونة: هي من جهات بدر على أربع مراحل من المدينة المنورة في ديار بني سليم. وقد كانت السرية في صفر ٣ هـ. انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٧، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ٣٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٣٠٢ -٦٧٧.

(٤) أخرجه مسلم ٣٠٢ - ٦٧٧.

المشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وأن القانت الداعي، وحكى النووي أن القنوت يطلق على الدعاء بخير وشر، يقال: قنت له أو قنت عليه. وفي الاصطلاح: قال ابن علان: القنوت عند أهل الشرع اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام)[١].

ولعل كون الدعاء وسيلة من وسائل الدعوة يكون أوضح ما يكون في وقت الشدائد والنوازل، وأقوى ما يدل على ذلك ما رواه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٢]. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[٣].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ؛ ليراه أصحابه بتلك الحال، فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه، مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير، وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[٤].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٧/٣٤، ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٣٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الدعاء:

الدعاء هو العبادة والنبي ﷺ أعبد العابدين وأصدق الخاشعين، لذا كان ﷺ حريصاً على مناجاة ربه ودعائه. وذلك واضح من قول الراوي ابن عمر رضي الله عنهما: "قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات...".

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: ((مَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فقالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))[1].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾، قال: عن دعائي: ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2]، [3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء، ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم، جمله من الأدعية استجابها الله تعالى بمنه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ.

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي ولرفع الدرجات، ولجلب الخير ودفع الشر. ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبواباً كثيرة من الخير. وقال الغزالي: فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له، فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٤، والترمذي ٣٤٢٧، والنسائي ٥٤٨٦، وابن ماجه ٣٨٨٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٣٤).

(٢) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢، وابن ماجه ٣٨٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ما جه ٣٠٨٦).

لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التوجه إلى الله بالدعاء وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا:

إن من علامات صدق الإيمان التوجه إلى الله بالإنابة والخضوع والتضرع، والمدعو والداعية في أشد الحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله عز وجل وطلب المعافاة في أمر الدين والدنيا، لأن بصلاح أمر الدين يسلم المرء في الآخرة، كما أن صلاح أمر الدنيا معين على صلاح الدين، ولذا كان النبي ﷺ يتوجه بهذا الدعاء في ختام المجلس.

فهذا دعاء عظيم من أدعية النبي ﷺ التي كان يدعو بها في ختام مجالسه، وفيه تعليم لأمته وترغيب لها في أن تفعل في مجالسها ما كان يفعله ﷺ.

"اللهم اقسم لنا من خشيتك": أي اجعل لنا قسمة ونصيباً من خوفك ومعرفة عظمتك وجلالك ما يحول بيننا وبين معصيتك، لأن القلب إذا امتلأ من خوف الله تعالى أحجمت الأعضاء عن ارتكاب المعاصي، وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قلَّ الخوف واستولت الغفلة على الإنسان، كان ذلك من علامات الشقاء، فإن المعاصي بريد الكفر، والغناء بريد الزنا، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله.

(ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك): لأن دخول الجنة متوقف بعد رحمة الله تعالى على الأعمال الصالحة، ولذا فقد جاءت الآيات مؤكدة على هذا المعنى: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢]. فالعمل الصالح سبب مهم من أسباب دخول الجنة.

"ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا": أي ارزقنا من اليقين بك وبوعدك ووعيدك ما يجعلنا نتقبل أقدراك، ونطمئن بأن ما قضيته وقدّرته لنا هو الخير، وفيه

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠/٢٥٩، ومصادرها.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٢.

الحكمة والمصلحة، فنسلم لك الأمر كله، ونستسلم ونخضع راضين مطمئنين.

"ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا": أي اجعلنا متمتعين ومنتفعين بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا، بأن نستعملها في طاعتك، والتمتع بالسمع والبصر: إبقاؤهما صحيحين إلى الموت مدة حياتنا، وإنما خص السمع والبصر بالتمتع من الحواس، لأن الدلائل الموصلة إلى معرفة الله وتوحيده إنما تحصل من طريقهما، ولأن البراهين إما أن تكون عن طريق آيات الله المتلوة التي أنزلها في كتابه وتلك طريقها السماع، أو تكون آيات مبثوثة في الآفاق والأنفس وذلك عن طريق البصر، فنسأل الله التمتع بها حتى لا يكون العبد ممن ختم اللهُ على قلوبهم وسمعهم، ثم نسأل اللهُ أن يديم نعمة الصحة والعافية علينا موروثاً لمن بعدنا، أو محفوظاً لنا ليوم الحاجة، ومعنى وراثتها على هذا المعنى، لزومها عند موته لزوم الوارث له.

"واجعل ثأرنا على من ظلمنا" أي مقصوراً عليه، ولا تجعلنا ممن تعدى في طلب ثأره فأخذ به غير الجاني كما تفعل الجاهلية، أو اجعل إدراك ثأرنا على من ظلمنا، فندرك به ثأرنا.

"وانصرنا على من عادانا": أي مكّنا منه وانتقم لنا منه، وأظفرنا به حتى نقتص منه ونقهره.

"ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا..." والمعنى: لا تصيبنا بما ينقص ديننا من أكل حرام، واعتقاد سوء، وفترة في عبادة، واجعل الآخرة همنا ورغبتنا فإن حب الدنيا والانغماس بها سبب للهلاك.

"ولا تسلط علينا من لا يرحمنا" أي لا تجعلنا مغلوبين للظلمة والكفرة، بحيث يكونون متحكمين في رقابنا، مسلطين علينا، فنفتن في ديننا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1])[2].

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٨٥-٨٦.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٣٢/٢، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٨٠/٢-٢٤٨١، وشرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١١٢٩/٢-١١٣٠.

الحديث رقم (٨٣٥)

٨٣٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ الله تَعَالَى فِيهِ: إلاَّ قَامُوا عَنْ مِثْل جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب من الأساليب الخبرية التي تحصر معنى في معنى لا ينفك عنه، وهو أسلوب القصر، يقصر القائمين من مجلسهم دون ذكر الله على صفة كونهم كالقائمين عن جيفة الحمار وقوله (مَا مِنْ قَوْمٍ) ما نافية، ومن للاستغراق و (قوم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وتنكير المجلس يفيد عموم المجالس وجملة: (لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ) تمثل موضع الخطأ، والتشبيه بجيفة الحمار تنفير من هذه المجالس التي تخلو من ذكر الله، وله عدة دلالات منها نتن الرائحة، لأنهم تركوا ذكر الله الذي هو طيب المجالس، ومنها البلادة لتفريطهم فيما فيه سعادتهم، ومنها الإشارة إلى إتيانهم ما لا ينبغي، لأن الحمار ليس مما يؤكل لحمه، وقوله) وكان لهم حسرة) فيه إيجاز بالحذف أي يوم القيامة، وتقديم الجار والمجرور (لهم) يفيد اختصاصهم بالحسرة.

---

(١) برقم ٤٨٥٥. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٩٣، وقال الحاكم ٤٩٢/١: هذا حديث على شرط مسلم ولم يخرجاه، وكذا قال ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٣١. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٢ وقال: إسناده صحيح.

فقه الحديث

بوّب النووي على الحديثين[١] الأولين: باب كراهة القيام من المجلس قبل أن يذكر الله تعالى[٢].

لكن الأمير الصنعاني استدلّ بالحديث الثاني على وجوب الذكر والصلاة على النبي ﷺ في المجلس، سيما مع تفسير الترة بالنار أو العذاب، فقد فسرّت بهما، فإن التعذيب لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محظور، وظاهره أن الواجب هو الذكر والصلاة عليه ﷺ معًا[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس.

رابعاً: من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

أسلوب القصر أداتاه حرف النفى "ما" وبعدها أداة الاستثناء "إلا" في قوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا مثل جيفة حمار..." وفي الحديث الآخر: "ما جلس قوم مجلسًا يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة ..." وفائدة القصر هنا الحصر، فيفيد إثبات الخسارة والندامة لكل من لم يذكر الله في مجلسه.

ثانياً- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن ذكر الله وتنفيرهم من ذلك:

---

(١) الحديث رقم (٨٣٥)، (٨٣٦).

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٣٤ .

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٩٤ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٣٦).

لقد أخبر النبي ﷺ أن من لم يذكروا الله في مجلسهم، قاموا عن مثل جيفة حمار (أي مثلها في النتن والقذارة. وذلك لما يخوضون من الكلام في أعراض الناس وغير ذلك "وكان": أي ذلك المجلس "لهم": وفي بعض النسخ "عليهم" "حسرة": يوم القيامة أي ندامة لازمة لهم لأجل ما فرطوا في مجلسهم ذلك من ذكر الله تعالى)[١]. وقال ابن القيم: (وكره رسول الله ﷺ لأهل المجلس أن يخلوا مجلسهم من ذكر الله عز وجل)[٢].

ومن ذلك القبيل قول النبي ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحى والميت))[٣]. قال ابن القيم: (صدأ القلب بأمرين: "بالغفلة والذنب" وجلاؤه بشيئين: "بالاستغفار والذكر". فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته، كان الصدأ متراكماً في قلبه وصدأه بحسب غفلته، وإذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هى عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق، في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه، فإذا تراكم الصدأ واسود، وركبه الران، فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً)[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على مداومة ذكر الله في كل مجلس:

إن العبد محتاج أشد الاحتياج إلى ذكر الله عز وجل في كل أحواله، فإن في ذلك غناه وفلاحه، وفي تركه فقره وخسرانه، ولهذا حذر النبي ﷺ من أن يخلو مجلس من ذكر الله تعالى، فإذا كان من لم يذكر الله في مجلسه أصابته الحسرة والندامة، فإن هذا حث ودفع للمدعوين أن يداوموا على ذكر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٥]. وقال الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود: العظيم آبادي ص ٢٠٩٨-٢٠٩٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٦٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب: ابن القيم، مطبوع ضمن مجموعة الحديث المعروفة بـ"مجموعة الحديث النجدية". ٢٩٩/٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرًا﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيراً، وَالذَّاكِرَاتُ))[٣].

قال ابن القيم: (قضية الأمر بالذكر بالكثرة والشدة؛ لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله. وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله)[٤].

وذكر الله تعالى له صور وأشكال، قد يكون بتلاوة كتابه، أو بشرح آية أو حديث، أو وعظ وتذكير أو تفكر وتدبر في آياته ومخلوقاته، أو ذكر نعمه وآلائه، أو بدعائه سبحانه، وذكر رسله وأنبيائه، وما يقرب من الله تعالى من اعتقاد أو قول أو عمل، وإذا لم يحصل شيء من ذلك، فلا أقل من أن يأتي الإنسان في آخر المجلس بالدعاء السابق في كفارة المجلس، وهو أن يقول: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك". وعلى هذا فكل وقت لا يشتغل فيه الإنسان بطاعة الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فإن عاقبته الحسرة والندامة يوم القيامة، نسأل الله تعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته[٥].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٩٨.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١١٣٢.

رابعًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الغفلة عن الصلاة على رسول الله ﷺ:

لقد جاء في الحديث التحذير من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ؛ حيث قال ﷺ: "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم" قال المباركفوري: (قوله: "ولم يصلوا على نبيهم" تخصيص بعد تعميم "إلا كان" أي ذلك المجلس "عليه ترة" أي تبعة ومعاتبة أو نقصانٌ وحسرة، من وتره حقه نقصه وهو سبب الحسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1])[2] إن التقصير في الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تفريط في واجب أوجبه الله على المسلم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3] قال ابن كثير: (والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا)[4] ومن مواطن الصلاة والسلام عليه ﷺ عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم، كما جاء في الحديث من الترهيب من خلو المجالس من الصلاة على رسول الله ﷺ "ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة...".

إن ترك الصلاة على رسول الله ﷺ من أشد ألوان الجفاء، ومظهر من مظاهر نقصان الإيمان، فلقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة عليه من شروط اكتمال الإيمان؛ فعن أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين))[5].

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٢) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٢٦/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٧/٦.

(٥) أخرجه البخاري ١٤، ومسلم ٤٤.

فذكر ﷺ في هذا الحديث أنواع المحبة الثلاثة؛ فإن المحبة إما محبة إجلال وتعظيم كمحبة الوالد، وإما محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد، وإما محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال كمحبة الناس بعضهم بعضا، ولا يؤمن العبد حتى يكون حب الرسول ﷺ عنده أشد من هذه المحابِّ كلها.

لقد أمر الله تعالى بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ في مقابل إحسانه إلى الأمة وتعليمهم وإرشادهم وهدايتهم، وما حصل لهم ببركته ﷺ من سعادة الدنيا والآخرة، ومعلوم أن مقابلة هذا النفع العظيم لا يحصل بالصلاة عليه مرة واحدة في العمر، بل لو صلى العبد عليه بعدد أنفاسه لم يكن موفيًا لحقه ﷺ، فجعل ضابط شكر هذه النعمة بالصلاة عليه عند ذكر اسمه ﷺ.

قالوا: ولهذا أشار النبي ﷺ إلى ذلك بتسميته من لم يصل عليه عند ذكره بخيلاً، فقال ﷺ: ((البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ))[1]. لأن من أحسن إلى العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يذكر عنده، ولا يثني عليه، ولا يبالغ في مدحه وتمجيده، ويبدئ ذلك ويعيده، ويعتذر من التقصير في القيام بشكره وحقه، عده الناس بخيلاً لئيمًا كفورًا، فكيف بمن أدنى إحسانه إلى العبد يزيد على أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض، الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا من شر الدنيا والآخرة، الذي لا تتصور القلوب حقيقة نعمته وإحسانه، فضلاً عن أن تقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأن يعظم ويثني عليه، ويستفرغ الوسع في حمده ومدحه إذا ذكر بين الملأ، فلا أقل من أن يصلي عليه مرة إذا ذكر اسمه ﷺ[2].

خامسًا- من أهداف الدعوة: تنبيه الناس من غفلتهم وحثهم على ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله يعود على الذاكر ومجتمعه بأجل الفوائد وأعظمها، لذا كان من أهداف الدعوة حث المدعوين على ملازمة ذكر الله، وعدم الغفلة عن ذكره سبحانه وتعالى، كما هو واضح من الحديث، قال ابن القيم عن فوائد الذكر: وفي الذكر

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم ص ٥٤٩، ٥٥٠.

أكثر من مائة فائدة:

(إحداها): أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

(الثانية): أنه يرضي الرحمن عز وجل.

(الثالثة): أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(الرابعة): أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(الخامسة): أنه يقوي القلب والبدن.

(السادسة): أنه ينور الوجه والقلب.

(السابعة): أنه يجلب الرزق.

(الثامنة): أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(الخامسة عشرة): أنه يورثه ذكر الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[1]، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى فضلاً وشرفاً.

(الخامسة والعشرون): أنه سبب في اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة، والكذب والفحش والباطل، فإن العبد لابد له أن يتكلم، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة، إلا بذكر الله تعالى. والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك، فمن عود لسانه ذكر الله، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى، ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...". إلى آخر الفوائد)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٠٠ -٣٠٣.

الحديث رقم (٨٣٦)

٨٣٦- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ (فِيه)[1]، إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الحديث السابق، وهو الترغيب في الذكر، وبيان فضله، وقد جاء في أسلوبه نفسه، وهو أسلوب قصر لمجلس هؤلاء على كونه حسرة، وندامة ويزيد عن سابقه قوله (وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ) وهي من ذكر الخاص بعد العام تنبيهاً على فضله، لأن الصلاة على النبي ﷺ لون من ألوان ذكر الله ولما كان فيها مع ذكر الله صلاة على رسوله كان لها مزيد فضل عن غيرها، ولذلك أضاف لفظ نبي للضمير العائد عليهم، وفيها تشريف من ناحية، ومن أخرى تنبيه لهم على تقصيرهم في الصلاة عليه وهو نبيهم، وقوله: (إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً) فيه إيجاز بحذف الظرف أي يوم القيامة، وتقديم الجار، والمجرور (عليهم) يفيد الاختصاص، وقوله (فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ) أسلوب شرط يعلّق تعذيبهم، أو المغفرة لهم على مشيئة الله، وقد بني على الإيجاز حيث حذف مفعول المشيئة، وفاعله، وتقديره إن شاء الله تعذيبهم عذبهم، وإن شاء الله المغفرة لهم غفر لهم، والحديث تنبيه للغافلين، وترغيب للذاكرين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) (فيه) لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم ٣٣٨٠ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/٥٥٠: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤١.

(٣) رياض الصالحين ٣٣٨.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٣٧)

٨٣٧- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعاً لاَ يَذْكُرُ الله تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ)) رواه أَبُو داود[1].

وَقَدْ سبق قريباً، وشَرَحْنَا (التِّرَة) فِيهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الترة: النقص، وقيل: التبعة، وقيل: الحسرة[2].

المضامين الأدبية[3]

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم ٤٨٥٦، وتقدم برقم ٨١٩. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥٣، وقال الترمذي ٤٦١/٥: هذا حديث حسن صحيح، وقال الحاكم ٥٥٠/١: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٢٤٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٨٠٥/١.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

(٤) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨١٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

المسلم لا ينسى ربه، على أي حال كان، والمجالس قد يقع فيها من اللغو ما لا يقع في غيرها ولهذا سن الرسول ﷺ سننًا تتعلق بآداب المجلس قبل الاجتماع وأثناءه وبعده، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تربية الأولاد على التأدب بآداب المجالس:

لقد وردت في أحاديث الباب عدة آداب للمجالس يجب أن يعلمها الآباء أبناءهم ويتابعونهم عند تنفيذها منها:

أ- **الجلوس حيث ينتهي بالإنسان المجلس:** «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النبيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي»، فلا يتأتى أن يقيم أحداً من مكانه ولا يتخطى الرقاب فيؤذي الجالسين.

ب- **عدم الجلوس بين اثنين إلا بإذنهما:** كما في قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إلاَّ بِإِذْنِهِمَا». فإن الإقدام على ذلك وإقحام الإنسان نفسه بين الآخرين من سيء الآداب وأرذل الأخلاق.

ج- **لا يجلس في وسط القوم بل يجلس محاذياً للناس:** فإن فِعْل ذلك موجب للعن، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن ذلك جالب للمقت والبعد عن الرحمة[1].

د- **إذا خرج من المجلس ثم رجع إليه فهو أحق به،** كما في قوله ﷺ: «إذا قام أحدكم من مجلسه فرجع إليه، فهو أحق به»، وذلك إذ لم يطل بُعْدُ الإنسان من مجلسه بحيث يظن عدم عودته إليه، ومثل هذا من التوجيهات لو راعيناه لزالت إشكالات كثيرة ومصادمات متعددة.

هـ- **أن يردد دعاء كفارة المجلس:** والذي ورد في حديث: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...» فإن هذا الدعاء يتكفل بإذن الله

---

(١) انظر: كيف نربي أولادنا إسلامياً، محيي الدين عبدالحميد، مؤسسة بدران، ص١٩٩، ٢٠٠، والتربية عل منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢١٥-٢١٧، وشرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٢-٤٧٦.

تعالى بإزالة آثار الخطأ وتحقيق التنظيف التام الكامل، فقد سماه النبي ﷺ وجعله للمجلس كفارة.

"إن مراعاة حقوق الآخرين في المجتمع والتزام الآداب الرفيعة في التعامل معهم أمر واجب متلازم كل التلازم مع الأصول التربوية والنفسية النبيلة، بل يمكننا القول إن مراعاة الحقوق والآداب والذوقيات مظهر من مظاهر الأصول التربوية والنفسية النبيلة"[١].

ثانياً- العناية بالنظافة وحسن الهيئة والمظهر:

لقد اعتنى الإسلام بالنظافة وأرشد إليها وأمر بالتطهر والتطيب وحسن الهيئة والهندام حتى يكون المسلم شامةً بين الناس، يُشار إليه بالبنان، "ومن عناية الإسلام بالمظهر أن أمر بالنظافة لأنها الأساس لكل زينة حسنة ومظهر جميل لائق خاصةً في مواطن الاجتماع وفي أوقات الجمعة والعيدين"[٢].

ومن دلائل ذلك ما جاء في أحد أحاديث الباب من حثٍّ على الاغتسال والتطهر والتطيب ليوم الجمعة فقال ﷺ: «لا يَغتَسِلُ رجلٌ يومَ الجُمعةِ ويتطهَّرُ ما استطاعَ مِن طُهرٍ ويَدَّهِنُ من دُهنهِ ...»، وهذا الاغتسال يوم الجمعة وإن لم يكن واجباً وجوب الفرائض التي لا رخصة في تركها فإن السنة تحث عليه حثاً شديداً وما ذلك إلا حرصاً من الإسلام على النظافة وسلامة الأبدان من الأمراض وحفظ الشعور والذوق العام حتى لا يؤذي الناس بعضهم بعضا[٣].

لذا كان من المهام المنوطة بالمربي والمعلم تعويد المتربين على الطهارة والنظافة والتجمل، ولا يقتصر الأمر عند مجرد التنظيف والتطهر بل يمتد إلى تحصيل أسباب الألفة وزيادتها بنشر الروائح الطيبة، ومظاهر الجمال في المجتمع الإسلامي.

إن من شدة اهتمام الإسلام بالنظافة أن جعلها شرط صحة لكثير من العبادات

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ص١٥٧.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٦٤.

(٣) انظر: الأساس في أسس الرعاية، محمد الأمين الشنقيطي ص٣٢.

كالصلاة والطواف ونحوها، فالنظافة ركن أساس من الأركان التي دعا إليها الإسلام[١].

ثالثاً- الإكثار من ذكر الله تعالى أثناء التعليم وبعده:

من المهام التربوية الحسنة تعوُّد المربين المتربين على ذكر الله تعالى في مجالسهم واستذكارهم وتحصيلهم للعلوم والمعارف، وقد جاءت الوصية في أحاديث الباب بألا تخلو المجالس من ذكر الله تعالى ودعائه، جاء ذلك في قوله ﷺ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعداً لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تعالى فيهِ كانَتْ عليْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ ...»، كما كان ﷺ مواظباً على كثير من الأذكار والأدعية في مجالسه، حفظ منها الصحابة الكثير ونقلوه إلينا، ومنها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاءِ الدعواتِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعصِيتِكَ...».

"فلنحرص على أن نكثر من ذكر الله تعالى أثناء تدريسنا وجلوسنا في الفصول وقاعات المحاضرات لنحظى بالثواب والفضل العميم من الله تبارك وتعالى، ولنبدأ كل درس بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ مع الإكثار من الاستغفار والأذكار، كما أن على المعلم كلما توقف عن شرح مسألة للاستراحة، أن يكثر من الأذكار ليكون لسانه رطباً من ذكر الله تعالى، وليغرس في نفوس الطلاب حب الأذكار وتكرارها على ألسنتهم كل وقت وعلى كل حال.

وإذا أراد المعلم القيام من مجلسه عند نهاية الدرس فليحرص على ذكر كفارة المجلس[٢]، والذي جاء في أحاديث الباب من حديث أبي برزة رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ...».

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٣٣٧.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢، ٧٣.

رابعاً- غرس خلق التواضع والابتعاد عن مظاهر التكبر:

إن من القيم التربوية التي ينبغي على المربين غرسها في نفوس المتربين خلق التواضع، والابتعاد عن مظاهر التعالي والتكبر وحب الظهور ونحوها والتي جاء النهي عن بعضها في أحاديث الباب كالنهي عن "إرهاق الناس بإزالتهم عن مجالسهم والتمتع بالراحة دونهم، كما في قوله ﷺ: «لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ»، وكذلك النهي عن حب الظهور والتميز والانفراد بالمجالس كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن من جلس وسط الحلقة"، فإن التظاهر في الإسلام ممنوع خاصة في المجالس العامة كمجالس العلم وغيرها لما فيه من إيذاء الجالسين والاعتداء على حقوقهم، وتَعُّود الإساءة إلى الناس وعدم التحكم في السلوك"[1].

فمن الأخلاق النبيلة التي ينبغي أن ينشأ عليها الناشئة التواضع وكراهة الظهور إذ أن من "علامة صدق العبد فيما يعمله لله عز وجل حرصه على إخفاء عمله وكراهة اطلاع الناس عليه، كما أن كراهة الشهرة والظهور علامة من علامات الصدق الذي يبعد صاحبه عن الرياء والسمعة والتصنع للخلق"[2].

خامساً- الاهتمام بالمدارس ودور التربية:

إن من شروط كمال العملية التعليمية والتربوية اختيار الأماكن وتهيئتها التهيئة المناسبة ومراعاة الجوانب الصحية والنفسية، وما شاكل ذلك، ومن ذلك ما جاء في طيات أحاديث الباب من ملائمة المدارس وحلقات التعليم من حيث مساحتها واتساعها لعدد الدارسين بها.

فكلما اتسعت المساحة وقضي على ظاهرة التكدس عاد ذلك بالأثر الإيجابي على العملية التعليمية والتربوية وعلى المعلمين والمتعلمين على حد سواء فإن خير المجالس كما قال ﷺ أوسعها.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٧٤.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٣١٩/١.

لذا ينبغي علينا الاهتمام "بالمدارس والمؤسسات التربوية، حيث إن نجاح وظيفة المدرسة يتوقف إلى حد كبير على عدة عوامل أساسية منها توفير بيئة مدرسية تشجع على التعليم والابتكار والإبداع"(١).

سادساً- التطبيق التربوي:

إن عملية التعليم والتربية لا تقف عند مجرد التعليم، ولا تقتصر على مجرد التلقين فحسب، بل تتعدى ذلك وتصل إلى مرحلة التطبيق التربوي والممارسة العملية من المربي والمتربي.

وذلك ما نلحظه في أحاديث الباب فرسول الله ﷺ لم يقتصر على مجرد الإرشاد إلى ذكر الله تعالى في المجالس، وإنما كان يتمثل بتلك التعاليم ويكثر من ذكر الله تعالى، ومن ذلك حرصه ﷺ على إنهاء المجالس بدعاء كفارة المجالس " سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" كما كان يكثر من ختم المجالس بالأدعية، والتي منها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعوَ بهؤلاء الدعوات: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ ما تَحُولُ به بَيْنَنا وبَيْنَ مَعصِيتكَ ...».

"إن تعلم العلم لا يكفي ليستقيم الإنسان، فلابد للمربي من العمل به حتى يكون قدوة صالحة، جاعلاً ظاهره موافقاً لباطنه، متحلياً بالأخلاق الحميدة والأعمال الصالحة، وأن يجعل سلوكه وفق ما تعلمه ويعلمه لتلاميذه حتى يكون قدوة حسنة للمتربين، وأن يحسن النية في طلب العلم، وفي العمل به وأن يبتغي بذلك وجه الله سبحانه وتعالى"(٢).

سابعًا- الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستفيد منها، من ذلك:

---

(١) انظر: علم نفس النمو، الطفولة والمراهقة، د. هشام محمد مخيمر، ط/١، دار اشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٣٢.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٢٦٣.

أ-الإلقاء: كحديث سلمان الفارسي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى".

وأسلوب الإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات من قبل المعلم، ويناسب هذا الأسلوب المتعلمين الكبار، وذلك لتميزهم بالنضج العقلي.

ب-الترغيب والترهيب: أما الترغيب فكقوله ﷺ: "من جلس في مجلسٍ فكثر لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أنت، أستغفرك اللهم وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك".

وأما الترهيب فقوله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة".

وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي تتميز بقوة بقاء أثرها التربوي؛ وذلك لما فيه من تحذير للمتعلمين من التقصير، ولما فيه من ترغيب المتعلمين في فعل الخيرات.

ج-أسلوب المناقشة والحوار: كما في حديث أبي برزة ﷺ: "كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وأستغفرك وأتوب إليك" فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى؟ قال: ذلك كفارة لما يكون في المجلس".

وأسلوب المناقشة والحوار يتميز فيفعل دور المتعلم في العملية التربوية ويدفع الملل عنه ويستثير دافعيته للتعلم.

❁ ❁ ❁

١٣٠- باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[الروم: ٢٣].

الحديث رقم (٨٣٨)

٨٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إلاَّ المُبَشِّرَاتِ)) قالوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث من باب الرؤيا، وما يتعلق بها يبدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات بلفظ سمعت، والتعبير بالسماع فيه تقرير للخبر، وتأكيد على عدم تطرق الشك إليه، ثم إن إضافة الرسول لله فيها تشريف، وتعظيم يضمن تعظيم الإخبار عنه، وقول الرسول ﷺ (« لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلا الْمُبَشِّرَاتُ) أسلوب قصر ينفي بقاء شيء من النبوة عن كل شيء، ويثبته للمبشرات، وقولهم، وما المبشرات؟ استفهام على حقيقته، فجاءت إجابة الرسول ﷺ مبنية على حذف المسند إليه (الرؤيا الصالحة) أي هي الرؤيا الصالحة، ووصف الرؤيا بالصالحة تقييد بالوصف يخرج ما كان من تحزين الشيطان، وما كان من حديث النفس بما تراه في اليقظة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب.

---

(١) برقم ٦٩٩٠.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح للحقائق:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، فهذا إخبار منه ﷺ أن الرؤيا الصالحة - وهي تفسير المبشرات- هي التي بقيت من النبوة.

وقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن بدء الوحى للنبي ﷺ: ((أَوَّلُ مابُدِىءَ به رسولُ اللهِ ﷺ منَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصالحةُ في النَّومِ، فكانَ لايَرى رُؤيا إلا جاءتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ))[1].

قال ابن حجر: (وبدئ بذلك ليكون تمهيداً وتوطئة لليقظة، ثم مهد له في اليقظة أيضاً رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر)[2].

قال ابن أبي جمرة عن الجمع بين الرؤيا الصالحة والنبوة: (اعلم أن النسبة بينهما وطريق الجمع من وجهين: الواحد: من طريق أن النبوة حق لاشك فيها، فهذه كذلك حق لا شك فيها. وقد نبّه ﷺ على ذلك في الحديث بعد هذا بقوله: ((وما كان من النبوة لا يَكْذِب))[3] والوجه الآخر هو، أنه لما كانت بداية نبوته عليه السلام قبل أن يأتيه الوحي "بالرؤيا الصالحة" كما هو مذكور أول الكتاب "فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" فما كان بدؤها أولاً هو الذي تبقى منها آخراً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[4])[5].

وقال ابن أبي جمرة كذلك عن الحكمة في استخدام النبي ﷺ لفظ النبوة ولم يستخدم لفظ الرسالة، قال: (اعلم أن هذا من أكبر الدلائل على ما خصه الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري، ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١/١.

(٣) هو حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة". أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤.

(٥) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٣٥/٤.

به من حسن البلاغة، وسرعة الإدراك لغوامض الفوائد على البديهة، وذلك أن الأنبياء عليهم السلام منهم من هو مرسل للغير، ومنهم من تنبأ وليس بمرسل، فلما كانت المرائي، منها ما يكون فيما يخص المرء في نفسه، ومنها ما يراها لغيره كما ذكرنا عنه عليه السلام آنفاً بقوله عليه السلام: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ))[١] فلهذه النسبة ذكر عليه السلام النبوة ولم يذكر الرسالة، وإنما هي حق مثل ما هي النبوة، وبقي فيها احتمال، هل تخص أو تعم، كما أن النبوة قد يكون معها الإرسال، فتكون عامة، أو لا يكون معها إرسال فتكون خاصة)[٢].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستبشار بالرؤيا الصالحة:

هذا واضح من تفسير المبشرات بالرؤيا الصالحة، قال الطيبي: (معنى الصالحة الحسنة ويحتمل أن تجري على ظاهرها أو أن تجري على الصادقة، والمراد بها صحتها، وتفسير رسول الله ﷺ المبشرات على الأول ظاهر، لأن البشارة كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، واستعماله في الخير أكثر، وعلى الثاني مؤول، إما على التغليب، أو يحمل على أصل اللغة)[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: (إن الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة، إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي ﷺ، فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب)[٤]. وقد سأل أبو الدرداء رضي الله عنه النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[٥]، فقال النبي ﷺ: ((مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ غَيْرَكَ مُنْذُ أُنْزِلَتْ، هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) بهجة النفوس ٢/٢٣٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨/٣٣٩-٣٤٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٣.

(٥) سورة يونس، آية: ٦٤.

الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ. فهى بُشْرَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبُشْرَاهُ فِي الآخِرَةِ))[١]. وفي صحيح مسلم: ((وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً ...، وَالرُّؤْيَا ثَلاثَة: فَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ. وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ))[٢].

وقد قال النبي ﷺ أيضاً: ((إذا رأى أحدُكم رُؤيا يُحبُّها فإنما هيَ من الله، فليحمدِ الله عليها وليحدِّثْ بها، وإذا رأى غيرَ ذلك مما يَكرَهُ فإنما هيَ منَ الشيطان فليستَعذْ من شرِّها ولا يَذكرْها لأحد فإنها لا تَضرُّه))[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: القصر والسؤال والجواب:

أما القصر فقوله ﷺ: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات". وأما السؤال: فقول الصحابة رضي الله عنهم، سائلين الرسول ﷺ: وما المبشرات؟، وأما الجواب: فقوله ﷺ "الرؤيا الصالحة"، فأفاد كل هذا أن الرؤيا الصالحة من النبوة، فكان من حق من وقعت له الفرح والاستبشار. قال ابن أبي جمرة عن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معنى المبشرات، قال: (فيه دليل على جواز مراجعة العالم إذا لم يفهم كلامه، يؤخذ ذلك من قولهم: "وما المبشرات؟"، ويترتب على هذا من الفقه التثبت في العلوم الشرعية، حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حدٍ سواء بالأدب؛ لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه دَعيٌّ زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٧٥٢٠/٤٥، والترمذي، ٢٢٧٣، والطبري في التفسير ٢١٦/١٢، واللفظ له، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ٦٨١/٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٤).

(٢) أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم واللفظ له ٢٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١.

(٤) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي ٢٣٦/٤.

الحديث رقم (٨٣٩)

٨٣٩- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ[١]، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي رواية[٣]: ((أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ورد معنى الحديث في أسلوب خبري مؤكد بأكثر من مؤكد غرضه إفادة معناه، وهو الإخبار بأن رؤيا المؤمن في آخر الزمان يغلب عليها الصدق، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط المؤذن بربط صدق الرؤيا باقتراب الزمان، واقتراب الزمان أي اقتراب قيام الساعة، أو المقصود تقدم الإنسان في السن، واقتراب أجله؛ لأن أعمال الإنسان في هذه المرحلة يغلب عليها الصلاح.

ونسبة الرؤيا للمؤمن بيان، وتخصيص، وقوله (من النبوة) إشارة إلى أن في قلب المؤمن شعاع من النبوة هو شعاع الإيمان الذي جعل باطنه، وظاهره متفقين، فإذا رأى رؤية جاءت جزءاً من هذا الصدق الذي يحياه ظاهراً، وباطناً، ولذلك جاء قوله ﷺ (وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لا يَكْذِبُ) تأكيداً على صدق هذه الرؤيا تبعاً لصدق صاحبها، وإيمانه، وقد أكد ذلك بأسلوب القصر، والجملة التعليلية، المؤكدة ب (إن) التي تقرر نفي الكذب عن كل ما كان من النبوة، والذي قصد به هنا رؤيا المؤمن.

وإذا نظرنا في ألفاظ الحديث نلاحظ أن ألفاظ (النبوة، والمؤمن، والرؤيا) تكرر كل منها مرتين، وهي كلمات موحية بطبيعتها، والصلة بينها، وثيقة فالنبوة وحي الله

---

(١) لفظ البخاري: (لم تكد تكذب رؤيا المؤمن)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٢٦/٣ رقم ٢٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣/٦.

(٣) أخرجها مسلم في الرواية التي تقدمت برقم ٢٢٦٣/٦.

الذي انقطع بموت النبي ﷺ والرؤيا الصالحة هي شعاع النور المنبعث من مشكاة النبوة إلى قلوب المؤمنين في كل زمان، ومكان تربطهم بربهم إيماناً، وعملاً بفرائضه، وتربطهم بنبيهم محبة، ومتابعة لسنته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيانه ﷺ صدق رؤيا المؤمن قرب قيام الساعة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب"، قال ابن حجر: (قال الخطابي في المعالم[1]: "في قوله: "إذا اقترب الزمان ..." قولان: أحدهما: أن يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار، وهو وقت استوائهما أيام الربيع، وذلك وقت اعتدال الطبائع الأربع غالباً، وكذلك هو في الحديث. والمعبرون يقولون: أصدق الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل والنهار، وإدراك الثمار.

والقول الآخر: إن اقتراب الزمان، انتهاء مدته إذا دنا قيام الساعة، قلت [القائل ابن حجر]: يبعد الأول التقييدُ بالمؤمن، فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وقد جزم ابن بطال بأن الأول هو الصواب[2]، واستند إلى ما أخرجه الترمذي من طريق معمر عن أيوب في هذا الحديث بلفظ "في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا"[3] قال: فعلى هذا فالمعنى إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى

---

(١) معالم السنن ٢٩٧/٧.

(٢) هكذا في المطبوع من فتح الباري الذي بين أيدينا ونظنه سبق قلم، وأن صحة العبارة: وقد جزم ابن بطال بأن القول الآخر هو الصواب، ويدل على هذا ما بعده من كلام.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٢٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٦٧).

مذكر ومجدد لما درس من الدين، كما كانت الأمم تُذَكَّرُ بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء، وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة، عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة، التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار)[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة:

لقد أخبر النبي ﷺ بأن "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"[٢].

قال البغوي: (قوله: "جزء من النبوة" أراد تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده، وإنما كانت جزءاً من النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم. قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحيٌ، وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾[٣].

وقيل: معناه أنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باقٍ، والنبوة غير باقية، أو أراد به أنه كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال عليه الصلاة والسلام: ((الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ))[٤] أي: هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا فيها بهم، لا أنها حقيقة نبوة، لأن النبوة لا تتجزأ، ولا نبوة بعد الرسول ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: ((ذهبتِ النبوةُ وبقيت المبشراتُ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٣/١٢. وقد ذكر ابن حجر أقوالاً أخرى ترجح أن المراد بتقارب الزمان قرب قيام الساعة. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٠/٦-١١.

(٢) وقد وردت روايات أخرى بأعداد مختلفة. قال النووي: (فحصل ثلاث روايات، المشهور: "ستة وأربعين" والثانية "خمسة وأربعين"، والثالثة "سبعين جزءاً". وفي غير مسلم من رواية ابن عباس: "من أربعين جزءاً" وفي رواية "من تسعة وأربعين" وفي رواية العباس "من خمسين" وفي رواية ابن عمر "ستة وعشرين" ومن رواية عبادة "من أربعة وأربعين". شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/١٥/٨.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٤) قال محققا شرح السنة: أخرجه أبو داود ٤٧٧٦، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان فيه لين، وباقي رجاله ثقات وله شاهد بنحوه عند الترمذي ٢٠١٠ بسند قوي من حديث عبدالله سرجس المزني، وحسنه الترمذي.

(٥) قال محققا شرح السنة: أخرجه البخاري ٦٩٩٠، ومسلم ٤٧٩، والطبراني ٣٠٥١، وأحمد ٢٧١٤١/٤٥ وابن ماجه ٣٨٩٦ وابن خزيمة وابن حبان ٦٠٤٧.

وقال بعض أهل العلم في قوله: "جزء من ستة وأربعين" إن مدة وحي الرسول ﷺ من حين بُدئ إلى أن فارق الدنيا، كان ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت ستة أشهر منها في أول الأمر، يوحى إليه في النوم، وهو نصف سنة، فكانت مدة وحيه في النوم جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من جملة أيام الوحي")[1].

لكن التوربشتي تعقب هذا القول الأخير فقال: (أما حصر سني الوحي في ثلاث وعشرين، فإنه مما ورد به الروايات المعتد بها مع اختلاف في ذلك. وأما كون زمان الرؤيا فيها ستة أشهر، فشيء قدره هذا القائل في نفسه، لم يساعده فيه النقل. وأرى الذاهبين إلى التأويلات التي ذكرناها قد هالهم القول بأن الرؤيا جزء من النبوة. وقد قال ﷺ: "ذهبت النبوة" ولا حرج على أحد في الأخذ بظاهر هذا القول؛ فإن جزءاً من النبوة لا يكون نبوة كما أن جزءاً من الصلاة على الانفراد لا يكون صلاة. وكذلك عمل من أعمال الحجيج وشعبة من شعب الإيمان.

وأما وجه تحديد الأجزاء بستة وأربعين: فأرى ذلك مما يجتنب القول فيه ويتلقى بالتسليم؛ فإن ذلك من علوم النبوة التي لا تقابل بالاستنباط ولا يتعرض له بالقياس، وذلك مثل ما قال في حديث عبدالله بن سرجس في السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد: أنها جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة[2]. وقلما يصيب مؤول في حصر هذه الأجزاء ولئن قيض له الإصابة في بعضها، لما يشهد له الأحاديث المستخرج منها لم يسلم له ذلك في البقية. انتهى كلامه)[3].

لكن أبا العباس القرطبي ذكر أنه ظهر له وجه في تفسير أن الرؤيا جزء من النبوة، فقال بعد أن ذكر أربعة أوجهٍ فقال: (وقد ظهر لي وجه خامس، وأنا أستخير الله في ذكره، وهو: أن النبوة معناها: أن يطلع الله من يشاء من خلقه على ما يشاء من

---

(١) شرح السنة ١٢/٢٠٣-٢٠٤ وقد نقله عن الخطابي في معالم السنن ٧/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) كذا قال ولفظ الحديث "أربعة وعشرين جزءاً من النبوة" وهو عند الترمذي ٢٠١٠ وقد تقدم تخريجه قريباً.

(٣) نقله الطيبي في شرحه على المشكاة ٧/٣٤٠.

أحكامه ووحيه، إما بالمشافهة، وإما بواسطة ملك، أو بإلقاء في القلب، لكن هذا المعنى المسمى بالنبوة، لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف، والعلوم، والفضائل، والآداب، ونزَّهه عن نقائص ذلك. ولذلك قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، وقال: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2]، وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[3]، وقال: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾[4] وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

فقد حصل من هذا: أن النبوة لم يخص الله بها إلا أكمل خلقه، وأبعدهم عن النقائص. ثم: إنه لما شرفهم بالنبوة، حصلت لهم بذلك على جميع نوعهم الخصوصية، فلما كانت النبوة لايخص الله بها إلا من حصلت له خصال الكمال، أطلق على تلك الخصال: نبوة، كما قال ﷺ: "التؤدة والاقتصاد، والسمت الحسن جزء من النبوة". أي: من خصال الأنبياء، لكن الأنبياء في هذه الخصال متفاضلون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[6]، وقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[7]، فتفاضلهم بحسب بما وُهب لكل واحدٍ منهم من تلك الصفات، وشرف به من تلك الحالات، وكلٌّ منهم الصدق أعظم صفته في نومه ويقظته، وكانوا تنامُ أعينهم، ولا تنامُ قلوبهم فنائمهم يقظان، ووحيُهم في النوم واليقظة سيَّان؛ فمن ناسبهم في الصدق حصل من رؤياه على الحق؛ غير أنه لما كان الأنبياء في مقاماتهم

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٨٤.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٥٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

وأحوالهم متفاضلين، وكان كذلك أتباعهم من الصادقين؛ وكان أقلّ خصال كمال الأنبياء ما إذا اعتبر كان ستاً وعشرين جزءاً، وأكثر ما يكون من ذلك سبعين، وبين العددين مراتب مختلفةٌ بحسب ما اختلفت ألفاظ تلك الأحاديث.

وعلى هذا: فمن كان مثل الأنبياء في صلاحه وصدقه على رتبة تناسب كمال أحد من الأنبياء؛ كانت رؤياه جزءاً من نبوة ذلك النبي، وكمالاتهم متفاضلة كما قررناه، فنسبة أجزاء منامات الصادقين متفاوتة على ما فصلناه. وبهذا الذي أظهر الله لنا يرتفعُ الاضطراب. والله الموفق للصواب)[١].

وقال ابن حجر: (إن الرؤيا الصالحة إنما كانت جزءاً من أجزاء النبوة، لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان، فإنها ليست من أجزاء النبوة)[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصادقة برهان على صدق صاحبها:

لقد أخبر النبي ﷺ أن "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً" قال النووي: (ظاهره أنه على إطلاقه. وحكى القاضي عياض[٣] عن بعض العلماء: أن هذا يكون في آخر الزمان عند انقطاع العلم، وموت العلماء والصالحين، ومن يستضاء بقوله وعلمه، فجعله الله تعالى جابراً وعوضاً ومنبهاً لهم، والأول أظهر، لأن غير الصادق في حديثه، يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايته إياها)[٤].

وقال أبو العباس القرطبي: (إنما كان ذلك، لأن من كثر صدقه تنور قلبه، وقوي إدراكه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة والاستقامة، وأيضاً فإن من كان غالب حاله الصدق في يقظته، استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقاً. وعكس ذلك الكاذب والمخلط، يفسد قلبه ويُظلم، فلايرى إلا تخليطاً وأضغاثاً[٥]. هذا غالب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٧-١٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٣٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/٢١١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/٥/٢١.

(٥) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٥٤٠.

حال كل واحد من الفريقين، وقد يندر فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، لكن ذلك قليل، والأصل ما ذكرناه)[١]. وقال ابن حجر: (وهذا يؤيد ما تقدم أن الرؤيا لا تكون إلا من أجزاء النبوة إن صدرت من مسلم صادق صالح)[٢].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٢/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٣/١٢.

الحديث رقم (٨٤٠)

٨٤٠- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ - أَوْ كَأَنَّما[1] رَآنِي فِي اليَقَظَةِ- لاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يتمثل: لا يتشبه[3].

الشرح الأدبي

الحديث يداعب خيال المؤمنين، ويهدهد خواطرهم بأحب بشارة إلى قلوبهم وهي رؤيته ﷺ في المنام على حقيقة صورته الجليلة لا يتمثل في صورته شيطان، وهو أمل يسعى إليه كل مؤمن، وقد جاء الخبر الحبيب إلى النفوس في صورة خبرية وثَّقَ فيها أسلوب الشرط الصلة بين رؤية الرسول ﷺ في المنام، وبين رؤية الرسول ﷺ في اليقظة، وقوله (رآني) ماض دال على التحقق، وقوله (فسيراني) الفاء في جواب الشرط، والسين بوابة إلى المستقبل، والفعل المضارع يصوِّر الحدث ويلوِّح للسامع بمشهد يتمناه، وهو شخص الرسول ﷺ، وقول الراوي: (أو كأنما رآني في اليقظة) شك منه في أي العبارتين قال، وهذا دليل على شدة حذرهم في النقل عن الرسول ﷺ إلا اليقين، فإن شك أحدهم في لفظ نقل شكه حتى يتبرأ من شبهة الكذب على رسول الله، ومعنى العبارة أن رؤيته في المنام تساوي رؤيته في الحقيقة، ولذلك أتبعها بجملة (لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي) توكيداً لمضمون الجملة السابقة، يضمن سلامة الرؤيا من عبث

---

(١) لفظ مسلم: (لكأنما).

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٩٣، ومسلم واللفظ له ٢٦٦٦/١١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ث ل).

الشيطان، ثم إنها خصيصة لرسول الله ﷺ كرامة له، وهدية لمن تابعه ممن جاء بعده من المؤمنين إلى يوم القيامة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: دلالة رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ في المنام:

رؤيا النبي ﷺ في المنام من المبشرات والمفرحات، لذا كان على الداعية أن يهتم بها ويوضح ذلك للمدعوين. جاء في الموسوعة الفقهية: "ذكر البخاري في كتاب التعبير من صحيحه باباً بعنوان: (من رأى النبي ﷺ في المنام)، وذكر خمسة أحاديث منها ما رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ. ولاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي))[1]، وهذه الأحاديث على جواز رؤيته ﷺ في المنام.

وقد ذكر ابن حجر في الفتح[2]، والنووي في شرح مسلم[3] أقوالاً مختلفة في معنى قوله ﷺ: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة)، والصحيح منها أن مقصوده أن رؤيته في كل حال ليست باطلة ولا أضغاثاً[4]، بل هي حق في نفسها، ولو رؤي على غير صورته التي كان عليها في حياته ﷺ فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو

---

(١) كتاب: التعبير في صحيح البخاري ٩١، والباب: ١٠، والأحاديث من ٦٩٩٣ - ٦٩٩٧، وهذا الحديث برقم ٦٩٩٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٠٠ - ٤٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٤) أضغاث الأحلام: ما كان منها ملتبساً مضطرباً يصعب تأويله. وفي التنزيل العزيز: ﴿ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ لسورة يوسف، آية: ٤٤.

من قبل الله[١].

وقال[٢]: وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، يؤيده قوله: ((فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ))[٣]، أي: رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي به، فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها، ولا يهمل أمرها، لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه"[٤].

قال القرافي: "قال العلماء: إنما تصح رؤية النبي ﷺ لأحد رجلين:

أحدهما: صحابي رآه فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله، فإذا رآه جزم بأنه رأى مثاله المعصوم من الشيطان، فينتفي عنه اللبس والشك في رؤيته عليه السلام.

وثانيهما: رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب، حتى انطبعت في نفسه صفته عليه السلام، ومثاله المعصوم، كما حصل ذلك لمن رآه، فإذا رآه جزم برؤية مثاله عليه السلام، كما يجزم به من رآه، فينتفي عنه اللبس والشك. وأما غير هذين فلا يحصل الجزم، بل يجوز أن يكون رأى النبي عليه السلام بمثاله، ويحتمل أن يكون من تخييل الشيطان، ولا يفيد قولُ الذي يراه: هذا رسول الله. ولا قول من يحضر معه: هذا رسول الله، لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره، فلا يحصل الجزم.

---

(١) وقال الطيبي: المعنى: من رآني في المنام بأي صفة كانت فليستبشر، وليعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله، وهي من المبشرات لا الباطل الذي هو الحلم المنسوب إلى الباطل الذي هو الشيطان، فإن الشيطان لم يتمثل بي، وكيف لا يكون مبشرات؟ وهو البشير النذير السراج المنير وهو الرحمة المهداة إلى كافة الخلق، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٤٢/٨ - ٣٤٣.

(٢) هذا قول القرطبي كما نقل ذلك عنه الحافظ في الفتح ٤٠١/١٢، وهو في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٣/٧ - ٢٤، وذكره قبله المازري في المعلم ٢٩٥/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩/٢٢ - ١٠.

إذا تقرر هذا وأنه لا بدّ من رؤية مثاله المخصوص، فيشكل بما تقرر في كتب التعبير، أن الرائي يراه شيخاً وشاباً وأسود وذاهب العينين وذاهب اليدين. وعلى أنواع شتى من المثل التي ليست مثاله عليه السلام.

فالجواب عن هذا: أن هذه الصفات - صفات الرائين وأحوالهم - تظهر فيه عليه السلام وهو كالمرآة لهم"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: دلالة رؤية النبي ﷺ في المنام:

يشتاق كل مسلم أن يرى النبي ﷺ في منامه، لما في ذلك من أثر كبير على نفسه، لذا بيّن النبي ﷺ هذا الأمر فقال: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة أو كأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي)، قال ابن حجر: "قال ابن التين: المراد من آمن به في حياته ولم يره -لكونه حينئذٍ غائباً عنه- فيكون بهذا مبشراً لكل من آمن به ولم يره أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته، قاله القزاز. وقال المازري[٢]: إن كان المحفوظ [أي من الرواية] (كأنما رآني في اليقظة) فمعناه ظاهر، وإن كان المحفوظ (فسيراني في اليقظة) احتمل أن يكون أراد أهل عصره ممن يهاجر إليه، فإنه إذا رآه في المنام، جعل ذلك علامة على أنه يراه بعد ذلك في اليقظة وأوحى الله بذلك إليه ﷺ.

وقال القاضي[٣]: وقيل معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها. وقيل: معنى الرؤيا في اليقظة أنه سيراه في الآخرة. وتعقب بأنه في الآخرة يراه جميع أمته، من رآه في المنام ومن لم يره، يعني: فلا يبقى لخصوص رؤيته في المنام مزية. وأجاب القاضي عياض باحتمال أن تكون الرؤيا في النوم على الصفة التي عرف بها ووصف عليها موجبة لتكرمته في الآخرة، وأن يراه رؤية خاصة من القرب منه، والشفاعة له بعلو الدرجة ونحو ذلك من الخصوصيات. قال: ولا يبعدُ أن يعاقب الله بعض المذنبين في

---

(١) الفروق: القرافي: أحمد بن إدريس المالكي ٦٨٤هـ تحقيق: عمر حسن القيام ٣٦٩/٤.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٦/٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٢٠/٦.

القيامة بمنع رؤية نبيه ﷺ مدة"[١].

وقال ابن تيمية: (إن هذا في رؤية المنام، لأن الرؤية في المنام تكون حقاً وتكون من الشيطان، فمنعه الله أن يتمثل به في المنام، وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا. فمن ظن أن المرئى هو الميت فإنما أتى من جهله، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان)[٢].

وقال القرطبي: (ويجوز أن يكون مقصود تلك الرؤيا معنى صورته، وهو دينه وشريعته، فيعبر بحسب ما يراه الرائي من زيادة ونقصان أو إساءة وإحسان، وكذلك الحكم إذا رأى على خلاف الصورة التي كان عليها مما يجوز عليه)[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ في هذا الحديث، فقد أخبر أنه من رآه في المنام فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل به، قال ابن عثيمين: (وإذا ضرب للإنسان مثل بأبيه أو أمه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك، فقد يكون هذا هو الواقع، وقد يكون من الشيطان، يتمثل الشيطان للنفس بصورة هذا الإنسان ويراه النائم. إلا النبي ﷺ، فإن الإنسان إذا رأى النبي ﷺ على هذا الوصف المعروف، فإنه قد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ أبداً ولا يجرؤ.

فإذا رأى الإنسان شخصاً ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ فليبحث عن أوصاف هذا الذي رأى، هل تطابق أوصاف النبي ﷺ؟ فإن طابقت فهو هو، وإن لم تطابق فليس النبي ﷺ، وإنما هذه أوهام من الشيطان أوقع في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ، وليس هو الرسول، ولذلك دائماً يأتي أحد يقول: رأيت الرسول ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٠١/١٢ - ٤٠٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٨.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٢٩/١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥/٦ - ٢٦.

وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا وصفه، إذا أوصافه، لا تطابق أوصاف النبي ﷺ مع أنه في منامه وقع عليه أنه النبي ﷺ، لكن إذا تحدث عن أوصافه، فإذا هو ليس النبي ﷺ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ)[1].

قال ابن حجر: (إن الله تعالى وإن أمكنه [أي أمكن الشيطان] من التصور في أي صورة أراد، فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ، وقد ذهب إلى هذا جماعة فقالوا في الحديث: إن محل ذلك إذا رآه الرائي على صورته التي كان عليها، ومنهم من ضيق الغرض في ذلك حتى قال: لا بد أن يراه على صورته التي قبض عليها، حتى يعتبر عدد الشعرات البيض التي لم تبلغ عشرين شعرة، والصواب التعميم في جميع حالاته بشرط أن تكون صورته الحقيقية في وقت ما، سواء كان في شبابه أو رجوليته أو كهوليته أو آخر عمره، وقد يكون لما خالف ذلك تعبير يتعلق بالرائي)[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٣٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٠٣.

الحديث رقم (٨٤١)

٨٤١- وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ، يقول: ((إِذَا رَأى أحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا.

(وفي رواية: فَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ)[1].

وَإِذَا رَأى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ؛ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

ساق الراوي المعنى في صورة خبرية أكدها بـ (أن) مع اتصالها بالضمير العائد عليه ليلفت عناية المخاطبين لما يروي، وأنه يستحق الإنصات، والتعبير بالسمع رغبة في توثيق الخبر، وبداية كلام الرسول ﷺ بأسلوب الشرط الذي يرتب الحمد لله على حصول الرؤية المحبوبة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، ويجعلهم جميعاً في دائرة الحوار، وتنكير لفظ (رؤيا) للتعظيم يدل على ذلك جملة الصفة بعدها (يحبها)، وأسلوب القصر بطريق إنما الذي يقصر الرؤية على كونها من عند الله، لا غيره، والفاء تلغي الزمن بين حصول الرؤية المحبوبة، وحمد الله، وهكذا عند حصول كل نعمة يجب أن

---

(١) هذه الزيادة هي المتفق عليه، أخرجها البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٢٢٦١/٤ عن أبي قتادة، وليس عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٨٥، ولم يروه مسلم عن أبي سعيد الخدري، وهو من أفراد البخاري كما في الجمع للحميدي ٤٥٨/٢، رقم ١٧٨٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٢ وعزاه إلى الترمذي، واستدرك عليه الناجي في عجالة الإملاء لوجوده في الصحيحين.

يرتب الإنسان عليها شكراً دون مهلة قد يستغلها الشيطان لينسيه إياه، ثم إنه من تمام شكرها التحديث بها لشرح صدور الأحباب بالخير المرجو.

أما الصورة المقابلة فهي رؤية الإنسان ما يكره، والعمل فيها عكس العمل في سابقتها عند الرؤية الصالحة، وقد استخدم أسلوب المقابلة لتقرير هذا المعنى حيث قابل بين الفعلين (يحب، ويكره) اللذين يظهران أبعاد الموقف النفسي عند كل رؤية، وبين (من الله، ومن الشيطان) اللذين يحددان مصدرهما، وبين (فاليحمد، وليستعذ) اللذين يقرران رد الفعل الصحيح، وبين فليحدث بها، ولا يذكرها) اللذين يدلان على إشاعة الخير، وقصر الشر، وجملة الختام (فإنها لا تضره) علاج نفسي يربِّت على قلب المؤمن، ويذهب عنه كيد الشيطان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام.

ثالثاً: من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه.

رابعاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على التفاؤل.

خامساً: من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا الصالحة يراها المسلم في المنام:

لقد أخبر النبي ﷺ أن الرؤيا الصالحة والحسنة من الله، وعلى الإنسان أن يقوم بواجب الشكر تجاه هذه النعمة، بأن يحمد الله عليها ويحدث بها، وفي رواية: (لا يحدث بها إلا من يحب).

قال ابن عثيمين: (الرؤيا الصالحة الحسنة إذا رأى الإنسان ما يحب فهذه من الله عز وجل، وهي نعمة الله على الإنسان أن يُريه ما يحب، لأنه إذا رأى ما يحب نشط وفرح وصار هذا من البشرى، فمن عاجل بشرى المؤمن الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له. ولهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤٢، ٨٤٣).

قال النبي ﷺ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ))[١]، هذه بشرى وخير، هي من الله عزّ وجل)[٢].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسرّ رائيها، وإنما يريها الله تعالى المؤمن رفقاً به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه، فإن أدرك تأولها بنفسه، وإلا سأل عنها من له أهلية ذلك، وقد رأى الشافعي وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محنته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك"[٣].

وقال ابن حجر: "ولمسلم[٤] في رواية من هذا الوجه: ((فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيُبَشِّرْ وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ))، وقوله: (فليبشر) -بفتح التحتانية وسكون الموحدة، وضم المعجمة- من البشرى. وقيل: بنون بدل الموحدة (لينشر) أي: ليحدث بها، وزعم عياض[٥] أنها تصحيف، ووقع في بعض النسخ من مسلم (فليستر) بمهملة من الستر".

وفي حديث أبي رزين عند الترمذي: ((ولا يقصها إلا على وادّ))[٦]، وفي أخرى: ((وَلاَ تُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ لَبِيباً أَوْ حَبِيباً))[٧]، وفي أخرى: ((لا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ))[٨]، قال القاضي أبو بكر بن العربي: "أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه، وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه. وأما اللبيب وهو العارف

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٤٧٩، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (أيها الناس لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له).

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٣٣/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٧/٩/٥.

(٤) أخرجه مسلم ٣ - ٢٢٦١.

(٥) نقله عنه النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠/١٥/٨ .

(٦) بل هو عند أبي داود ٥٠٢٠، وابن ماجه ٣٩١٤، وصححه الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ٣١٦٢، وقد أخرجه أحمد ١٦١٨٢/٢٦ فينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٢٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٨).

(٨) أخرجه الترمذي ٢٢٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٥٩).

بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت، وأما الحبيب فإن عرف خيراً قاله، وإن جهل أو شك سكت.

قلت: [القائل ابن حجر]: "والأولى الجمع بين الروايتين، فإن اللبيب عبّر به عن العالم والحبيب عبر به عن الناصح"[١].

وقال أبو عبدالله القرطبي عن قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام: " ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[٢]، قال: "هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شفيق ولا ناصح، ولا على من لا يحسن التأويل فيها"[٣].

قال ابن حجر: (حاصل ما ذكر من أبواب الرؤيا الصالحة ثلاث اشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره)[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الرؤيا المكروهة يراها المسلم في المنام:

وهذا واضحٌ من الأحاديث الثلاثة، قال ابن حجر: (وحاصل ما ذكر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء، أن يتعوذ بالله من شرها، ومن شرّ الشيطان، وأن يتفل حين يهب من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحد أصلاً.

ووقع عند المصنف - أي البخاري- في باب القيد في المنام: عن أبي هريرة رضي الله عنه خامسة: وهي الصلاة، ولفظه: ((فمن رأى شيئاً يَكرَهه فلا يَقُصَّه على أَحد، ولْيَقمْ فلْيُصَلِّ))[٥]، لكن لم يصرح البخاري بوصله، وصرح به مسلم[٦].. وزاد مسلم سادسة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٦/١٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٦/٩/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١٢.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠١٧.

(٦) أخرجه مسلم ٢٢٦٣.

وهي التحول عن جنبه الذي كان عليه فقال: حدثنا قتيبة فساق إسناده عن جابر رفعه: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثاً. وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاَثاً. وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ))[١].

وفي الجملة فتكمل الآداب ستة، الأربعة الماضية والصلاة والتحول.... وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور: فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح، وهي مشروعة عند كل أمر يكره، وأما الاستعاذة من الشيطان، فلما وقع في بعض طرق الحديث أنه منه وأنه يخيل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه، وأما التفل فقال عياض[٢]: أمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيراً له واستقذاراً، وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. قلت: [أي ابن حجر]: والتثليث للتأكيد..

قال النووي[٣]: "وأما قوله: (فإنها لا تضره)، فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا، كما جعل الصدقة وقاية للمال، وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله واللجوء إليه، ولأن في التحرم بها عصمة من الأسواء، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة، لقرب المصلي من ربه عند سجوده، وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها"[٤].

ثالثاً- من مهام الداعية: إرشاد ودلالة المدعو على فعل ما ينفعه:

لقد أرشد النبي ﷺ في هذه الأحاديث المدعوين إلى الآداب التي يتبعونها عند الرؤيا الصالحة وعند الرؤيا المكروهة، قال ابن حجر: "قوله: (فلا يحدث بها إلا من يحب)، إن الحكمة فيه أنه إذا حدث بالرؤيا الحسنة من لا يحب، قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضاً وإما حسداً، فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٦٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٠٧/٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥//٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٧/١٢ - ٣٨٨.

ونكداً، فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك"[١].

ونقل ابن حجر قول أبي العباس القرطبي في المفهم[٢] في تفسير قوله ﷺ: (وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان، قال القرطبي: "ظاهر الخبر أن هذا النوع من الرؤيا، يعني ما كان فيه تهويل أو تخويف أو تحزين، هو المأمور بالاستعاذة منه، لأنه من تخيلات الشيطان وتشويشاته، فإذا استعاذ الرائي منه صادقاً في التجائه إلى الله، وفعل ما أمر به من التفل والتحول والصلاة، أذهب الله عنه ما به وما يخافه من مكروه ذلك، ولم يصبه منه شيء، وقيل: بل الخبر على عمومه فيما يكرهه الرائي بتناول ما يتسبب به الشيطان وما لا تسبب له فيه، وفعل الأمور المذكورة مانع من وقوع المكروه، كما جاء أن الدعاء يدفع البلاء، والصدقة تدفع ميتة السوء، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. ولكن الأسباب عادات لا موجودات. وأما ما يرى أحياناً مما يعجب الرائي ولكنه لا يجده في اليقظة، ولا ما يدل عليه، فإنه يدخل في قسم آخر، وهو ما كان الخاطر به مشغولاً قبل النوم، ثم يحصل النوم فيراه، فهذا قسم لا يضر ولا ينفع"[٣].

رابعاً: من آداب الداعية: حث المدعوين على التفاؤل:

قال النووي: "قال الإمام المازري: مذهب أهل السنة في حقيقة الرؤيا، أن الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، لا يمنعه نوم ولا يقظة، فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنه جعلها علماً على أمور أخر يخلقها في ثاني الحال، أو كان قد خلقها، فإذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر، فأكثر ما فيه أنه اعتقد أمراً على خلاف ما هو، فيكون ذلك الاعتقاد علماً على غيره، كما يكون خلق الله سبحانه وتعالى الغيم علماً على المطر، والجميع

---

(١) المرجع السابق ١٢/٤٥٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٩ - ١٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٣٨٩.

خلق الله تعالى، ولكن يخلق الرؤيا والاعتقادات التي جعلها علماً على ما يسر بغير حضرة الشيطان، ويخلق ما هو علم على ما يضر بحضرة الشيطان، فينسب إلى الشيطان مجازاً لحضوره عندها، وإن كان لا فعل له حقيقة، وهذا معنى قوله ﷺ: (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان) لا على أن الشيطان يفعل شيئاً، فالرؤيا اسم للمحبوب، والحلم اسم للمكروه، هذا كلام المازري[١]. وقال غيره[٢]: أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف، بخلاف المكروهة، وإن كانتا جميعاً من خلق الله تعالى وتدبيره وبإرادته، ولا فعل للشيطان فيهما، لكنه يحضر المكروهة ويرتضيها ويسر بها"[٣].

كما أمر النبي ﷺ مَنْ رأى رؤيا حسنة أن يحدث بها، كما أرشد من رأى رؤيا يكرهها ألا يحدث بها أحداً، فضلاً عن إرشاده إلى ما يفعله حتى لا تضره، وفي هذا كله نشر للتفاؤل بين أوساط المدعوين ودفعهم إلى عدم التأثر بالرؤيا التي يكرهونها.

ولعل هذا ما يوضحه حال أبي قتادة الصحابي رضي الله عنه الذي روى حديث النبي ﷺ: ((الرؤيا الصالحة من الله، والحُلُمُ منَ الشيطان فإذا حلَمَ أحدُكم حُلماً يخَافهُ فلْيَبصُق عن يَسارهِ ولْيتعوَّذْ باللهِ من شرِّها، فإنها لا تضرُّه))[٤].

فقد روي عن أبي قتادة رضي الله عنه هذا الحديث أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، وهو من التابعين، قال: "إن كنتُ لأَرى الرؤيا تمرضني، فلقيت أبا قتادة فقال: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤيَا فَتُمْرِضُنِي. حَتَّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))... الحديث[٥].

وفي رواية لأبي سلمة قوله: (فإن كنتُ لأرى الرُّؤيا أثقلَ عليَّ من الجبلَ، فما هوَ إلا

---

(١) المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٢٩١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٧/٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٥/١٨ - ١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٩٢، ومسلم ٢٢٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٤٤، ومسلم ٤ - ٢٢٦١.

أن سمعتُ هذا الحديثَ فما أُباليها)[١].

وفي رواية قال أبو سلمة: (كُنْتُ أَرَىٰ الرُّؤْيَا أُعْرَىٰ مِنْهَا. غَيْرَ أَنِّي لاَ أُزَمَّلُ. حَتَّىٰ لَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ)[٢].

قال النووي: (أما قوله: أُزَمَّل، فمعناه: أغطى وألف كالمحموم، وأما أُعْرَى -فبضم الهمزة وإسكان العين وفتح الراء - أي أُحمُّ لخوفي من ظاهرها في معرفتي، قال أهل اللغة: يقال: عُري الرجل - بضم العين وتخفيف الراء- يعرى: إذا اصابه عُراء - بضم العين وبالمد- وهو نفض الحمّى وقيل: رعدة)[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه جابر بن عبدالله ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فَاشْتَدَدْتُ عَلَىٰ أَثَرِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ لِلأَعْرَابِيِّ: ((لاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ))، وقال: سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال: ((لاَ يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي مَنَامِهِ))[٤].

قال النووي: (قال المازري[٥]: يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منامه هذا من الأضغاث بوحي أو بدلالة من المنام دلته على ذلك، أو على أنه من المكروه الذي هو من تحزين الشياطين)[٦].

خامساً- من أساليب الدعوة: الشرط والإخبار والتوكيد:

أما الشرط فواضح من أداتي الشرط: (إذا)، (فمن) والشرط يجعل المدعو منتبهاً لمعرفة ما يكون بعد أداة الشرط وفعل الشرط، لأنه هو المطلوب غالباً، فجاء جواب الشرط ليبين ما على المدعو أن يفعل إذا رأى رؤيا صالحة أو رأى رؤيا مكروهة. وجاء

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٤٧، ومسلم ٢ - ٢٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/١٥/٨، ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥ - ٢٢٦٨.

(٥) المعلم بفوائد مسلم ٢٩٧/٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٨/١٥/٨.

الإخبار في قوله ﷺ: (الرؤيا الصالحة من الله)، ليبشر من رآها، وأكد ذلك بأن صاغها ﷺ في أسلوب القصر: (فإنما هي من الله تعالى)، وكذلك في قوله: (الحلم من الشيطان)، لينبه على أنها لا تضر الإنسان، لذلك جاء ﷺ بالقصر والتوكيد: فإنما هي من الشيطان، فإنها لا تضره.

الحديث رقم (٨٤٢)

٨٤٢- وعن أَبي قَتَادَة ﷺ ، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ : ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ -(وفي رواية: الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ) [١]- مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأى شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَن شِمَالِهِ ثَلاثاً، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فإنَّهَا لا تَضُرُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(النَّفْثُ): نَفْخٌ لَطِيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الحُلم: الرؤيا والحُلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغَلَب الحُلم على ما يراه من الشر والقبيح، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[٣].

فلينفث: النَّفْثُ: نفخ لطيف لا ريق معه[٤].

الشرح الأدبي

تحديد مصدر الرؤية راحة نفسية، وسكينة في القلب في حالة الرؤية الصالح، وفي حالة الرؤية المكروهة، أما في حالة الرؤيا الصالحة، فإنه إذا علم مصدرها وأنها من عند الله اطمأن إلى تحققها، وزاد رجاؤه لخيرها، أما في حالة الرؤيا المكروهة فمعرفة مصدرها يذهب حزنه مما رأى؛ لأنه إذا علم أنها من الشيطان، علم أنها لا تضره، لذلك قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة، وحدد مصدر كل

---

(١) عند البخاري برقم ٧٠٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٩٢ واللفظ له، ومسلم ٢/٢٢٦١. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨٣.

(٣) النهاية في (ح ل م).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٣.

رؤية، ثم قرر بأسلوب الشرط ما يجب على الإنسان في الحالتين بأسلوب الأمر (فلينفث، وليتعوذ) وتقييد الفعل الأول بالجار، والمجرور (عن شماله) لأنها جهة يحبها الشيطان، ويكون عليها، والفعل الثاني بالجار، والمجرور (من الشيطان)؛ لأنه مصدرها؛ ونحن لا نراه فعلّمنا أن نستعين بمن يراه، ويرد كيده، وقد علل لذلك بأنها لا تضره، وقد أكدها بأكثر من مؤكد لكي ينزع وساوس الشيطان من النفس، ويردَّها نفساً مطمئنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٤٣)

٨٤٣- وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث التي تهدف إلى ربط المؤمن بربه في كل مناسبة، وعند كل حاجة لاسيما في الأمور التي تتخلف فيها القدرة البشرية، ولا يكون للإنسان فيه تصرُّف، كعالم الرؤى، والأحلام، لذلك وضع الرسول ﷺ حلولا يجد فيها المؤمن ما يذهب عنه ما قد يعتريه مما يكرهه في هذا العالم، وبداية كلام الرسول ﷺ بأسلوب الشرط الذي يرتِّب البصق على حصول الرؤيا المكروهة، واستخدام إذا في الشرط إشارة إلى أن ذلك ممكن الوقوع، لأنها من الشيطان، وهو يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، والفعل الماضي (رأى) يدل على تحقق الوقوع، وإضافة لفظ أحد لكاف الخطاب، وميم الجمع في قوله: (أحدكم) يعطي الحكم صفة العموم، وأن كل فردٍ معرَّض لذلك، وجملة (يكرهها) جملة حالية تكشف عن الوجهة النفسية للرائي، وقد وضع له النبي ﷺ العلاج الناجع في ثلاث خطوات، الأولى: قوله (فليبصق)، والفاء في جواب الشرط، واللام للأمر، وتحديد جهة اليسار؛ لأنها جهة الشيطان، وعطف فعل الاستعاذة عليه استكمالاً للعلاج النفسي الذي وضعه النبي ﷺ لهذه الحالة، لأن الإنسان في نومه لا يملك نفسه وليس له قدرة يتصرف بها في عالم الرؤى، فإذا رأى ما يكره استعاذ بمن له القدرة على ذلك فتسكن نفسه،

---

(١) برقم ٢٢٦٢/٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٨١.

وتذهب مخاوفه، ثم استكمل أركان العلاج بأمره (وليتحول) ينتقل عن جنبه الذي رأى عليه هذه الرؤية، مفارقة حسية للجهة التي عبث به الشيطان فيها، بعد المفارقة المعنوية بالاستعاذة بالرحمن.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٤٣) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٤١، ٨٤٢).

الحديث رقم (٨٤٤)

٨٤٤- وعن أَبي الأسقع واثِلةَ بن الأسقعِ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **((إنَّ مِنْ أعْظَمِ الفِرَى أنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إلَى غَيرِ أبيهِ، أوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أوْ يَقُولَ عَلَى رسول الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ))** رواه البخاري[(١)].

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: هو واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر، أسلم سنة تسع قبل غزوة تبوك والنبي ﷺ يتجهز لها، وشهدها مع النبي ﷺ، وكان من فقراء المسلمين، لذا كان من أهل الصفة، وقد وصفهم فقال: كنا أصحاب الصفة ما منّا رجل له ثوب تام ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقاً من الغبار، إذ أقبل علينا النبي ﷺ فقال: ليبشر فقراء المهاجرين[(٢)].

وقد نال شرف أن يكون من أهل بيت النبي ﷺ، فقد قال: إني عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساءً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قلت: يا رسول الله: وأنا؟ قال: وأنت. فوالله إنها لأوثق عمل عندي[(٣)].

وفي رواية: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي قال: إنها لمن أرجى ما أرتجي[(٤)].

ولما قبض النبي ﷺ انتقل إلى الشام وسكن بها وكان يشارك في الفتوحات، فقد شارك في فتح دمشق وحمص وغيرهما.

---

(١) برقم ٣٥٠٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥٧/١٧ آ. مخطوط وقال محققو السير: ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الطبري في التفسير ١٠٣/١٩-١٠٤، والطبراني في الكبير ٢٦٦٩، ١٥٩/٢٢ وقال الذهبي في السير ٣٨٥/٣: حديث حسن غريب.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٩٧٦ والطبري في التفسير ١٠٤/١٩.

وله موقف بطولي في فتح دمشق يدل على شجاعته وجرأته، فقد مكث بجانب بابها بحيث لا يراه أحد من الروم، فلما خرجوا، حمل عليهم وكبّر، فظنوا أنهم أحيط بهم، فانهزموا ورجعوا إلى مدينتهم ولما عرفوا أنه وحده تبعوه ليقتلوه، لكنه قتل منهم، ثم جاء إلى خالد بن الوليد، فوجد عنده أحد كبار الروم يلتمس منه الأمان لأهل دمشق.

وقد طال عمره ومات في دمشق في خلافة عبدالملك بن مروان سنة ٨٣هـ. وقيل: ٨٥هـ وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة. وقيل مات ببيت المقدس[١].

غريب الألفاظ:

الفرى: جمع فرية: الكذبة العظيمة[٢].

يدعى الرجل إلى غير أبيه: هو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه، فنهي عنه وجعل الولد للفراش[٣].

الشرح الأدبي

كثافة المؤكدات في بداية حديث رسول الله ﷺ ينبيء بخطر ما بعده، وأنه يجب أن تتوفر عليه الأسماع، وأن تفطن له العقول، وقد صدَّر الخبر بأفعل التفضيل (أعظم) المضافة إلى لفظ منفر ارتقت به درج عظائم الذنوب، واستقرت فوقها (الفرى) وهو: جمع فرية، وهي الكذبة العظيمة التي يتعجب منها لما يترتب عليها من أذى يتعدى

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٠٧/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٥٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٩/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٧٣، والسير ٣٨٣/٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٦/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٠٠/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٠٧/٨، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٩٦١/٣.

(٢) النهاية في (ف ر ى)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٣) النهاية في (د ع ى).

ضرره الفرد إلى الجماعة، وقوله (أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ) أي ينتسب إلى غير أبيه، وهو خلط في الأنساب، وضياع للحقوق، ثم عطف عليه نوعاً ثانياً من أنواع الكذب وهو (أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ) وذكر العين مع دلالة الرؤية عليها فيه توكيد للفعل وهي آلته، وقوله (يُري) أي يدعي الرؤية، وكان هذا من أعظم الكذب؛ لأن الرؤيا جزء من النبوة، والنبوة لا تكون إلا وحيا، والكاذب في الرؤيا يدعي أن الله أراه ما لم يره وأعطاه جزءاً من النبوة، ولم يعطه، والكاذب على الله أعظم فرية ممن كذب على غيره، ولذلك قُدِّم على الكذب على رسول الله ﷺ في قوله: (أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ) والتعبير بـ (على) يفيد الاستعلاء، وتجاوز الحد، وذكر الرسول ﷺ بصفة الرسالة، ثم إضافته لله تعظيم لجرم هذا الكاذب على من هذه صفته، ولأن الكاذب على الرسول ﷺ مضلل للأمة لذا أُدرج ضمن أعظم الفرى ترهيباً من الإقدام عليه.

فقه الحديث

في الحديث ما يلي من أحكام:

الحكم الأول: من انتسب إلى غير أبيه: إن من الكبائر التي حذر منها الشارع لما يترتب عليها من المفاسد وتغيير ما شرع الله تعالى، أن ينتسب المرء إلى غير أبيه، أو يدعى ابناً ليس ابنه، وهو يعلم أنه كاذب فيما ادعاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر))[1]، والكفر المذكور في الحديث له تأويلان ذكرهما النووي: أحدهما: أنه في حق المستحلّ.

والثاني: أنه كفر النعمة والإحسان وحق الله تعالى وحق أبيه، وليس المراد الكفر الذي يخرج عن ملة الإسلام[2]، وكذلك الحكم لمن ينفي نسب ابنه وهو يعلم كذبه[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٨، ومسلم ٦٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/٢/٥٠ .

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤/٢١٠.

الحكم الثاني: الكذب في الرؤيا: حذّر الشارع من الكذب في الرؤيا ونهى عنه، لأنه لما كان المنام جزءاً من الوحي، كان المخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يُلْقه إليه، أو لأن الله يرسل ملك الرؤيا فيرى النائم ما شاء، فإذا أخبر عن ذلك بالكذب، يكون كاذباً على الله وعلى الملك[١].

الحكم الثالث: الكذب على رسول الله ﷺ: الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[٤]. قال ابن حجر الهيتمي: (عدّ هاتين كبيرتين هو ما صرحوا به وهو ظاهر، بل قال أبو محمد الجويني: إن الكذب على النبي ﷺ كفر، وقال بعض المتأخرين: وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله ورسوله كفر يخرج عن الملة، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك)[٥].

قال النووي: (وكما يحرم تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فإنه يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً، أو غلب على ظنه وضعه، ولم يتبيّن حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكذابين على رسول الله ﷺ)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٢/٦ .

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي ٩٧/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١/١، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٧/٣٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ.

خامساً: من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إن من أعظم الفرى...." وجاء التوكيد هنا ليبين شناعة هذه الأمور الثلاثة وخطورتها، وهذا ما يشعر بوصفها بأنها من الفرى "وهو جمع فرية، والفرية الكذب والبهت، تقول: فرى -بفتح الراء- فلان كذا، إذا اختلق"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شناعة الادعاء إلى غير الأب:

هذا واضح من وصف الادعاء إلى غير الأب بأنه من أعظم الكذب. قال ابن حجر: (وفي الحديث تشديد الكذب في هذه الأمور الثلاثة، وهي الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآه، والادعاء إلى غير الأب، والكذب على النبي ﷺ)[٢].

وقد قال ﷺ: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار))[٣].

وقال ﷺ أيضاً: (من ادعى أباً في الإسلام غير أبيه يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)[٤]، قال ابن حجر: (وفي الحديث تحريم الانتفاء من النسب المعروف والادعاء إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٢٥.

(٢) المرجع السابق ٦/٦٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٠٨، ومسلم ٦١.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

غيره. وقيد في الحديث بالعلم، ولا بد منه في الحالتين إثباتاً ونفياً، لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له، وفيه جواز إطلاق الكفر على المعاصي لقصد الزجر، ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى لشيء ليس هو للمدعى، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها، مالاً وعلماً، وتعلماً ونسباً، وحالاً وصلاحاً، ونعمة وولاءً، وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة عليه)[1]. وإنما كان ادعاء المرء إلى غير أبيه من أعظم الكذب، لأن المدعى إلى غير أبيه كأنه يقول خلقني الله من ماء فلان، وإنما خلق من ماء غيره، وفي هذا الادعاء ما يشوش على الأنساب والأعراض والولوغ فيها.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحذر من الافتراء وادعاء رؤية لم يرها الإنسان في المنام:

وهذا واضح من نص الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((من تحلّم بحلم لم يَرَه كلّف أن يَعقدَ بين شَعِيرتَين، ولن يَفعَل))[2]. وقال ﷺ أيضاً: ((من أفرى الفرى أن يرى عينيه ما لم تر))[3]. قال ابن حجر: (ومعنى نسبة الرؤيا إلى عينيه مع أنهما لم يريا شيئاً، أنه أخبر عنهما بالرؤية وهو كاذب: وقد تقدم بأن كون هذا الكذب أعظم الأكاذيب في شرح الحديث الذي قبله "أي حديث ابن عباس)[4].

وقد قال ابن حجر: (وأما الكذب على المنام فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من[5] أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٥/٦، وانظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٣٧/١، ١٧٠/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٤٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٤٩/١٢.

(٥) هكذا في المطبوع والأولى: "مع".

كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾[١]، وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله لحديث "الرؤيا جزء من النبوة"[٢]، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى، انتهى ملخصا،... والحق أن التكليف المذكور في قوله "كلف أن يعقد" ليس هو التكليف المصطلح، وإنما هو كناية عن التعذيب)[٣].

وقال ابن هبيرة: (أما كون التمحلم في نومه يكلف العقد بين شعيرتين فكأنه الذي أرى عينيه ما لم تريا، كلف عمل ما لا ينعمل؛ عذاباً له من جنس ذنبه)[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الكذب على النبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث. وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[٥].

قال ابن حجر: (والحكمة في التشديد في الكذب على النبي ﷺ واضح، فإنه إنما يخبر عن الله، فمن كذب عليه كذب على الله عز وجل، وقد اشتد النكير على من كذب على الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾[٦]، فسوى بين من كذب عليه وبين الكافر، وقال: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ﴾[٧] ... فالذي يكذب على النبي ﷺ ينسب إليه شرعاً لم يقله. والشرع غالباً إنما تلقاه النبي ﷺ على لسان الملك، فيكون

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) الحديث بلفظ: "رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة" أخرجه البخاري ٧٠١٧، ومسلم ٢٢٦٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٤٤٧.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣/١٩٦ - ١٩٧، وانظر كذلك: الإفصاح ٤/٢٤٣.

(٥) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٩٣.

(٧) سورة الزمر، آية: ٦٠.

الكاذب في ذلك كاذباً على الله وعلى الملك)[١].

وقال النووي عن حديث "من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" قال: (وأما متن الحديث فهو حديث عظيم في نهاية من الصحة، وقيل: إنه متواتر، ذكر أبو بكر البزار في مسنده أنه رواه عن النبي ﷺ نحو من أربعين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، ... واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد: ...

الثاني: تعظيم تحريم الكذب عليه ﷺ وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله. هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف.

الثالثة: أنه لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام وما لا حكم فيه، كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك، فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع.

الرابعة: يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ)[٢].

خامساً- من أهداف الدعوة: التأكيد على الصدق في كل حال والتحذير من الافتراء والكذب:

هذا واضح من تنفير الحديث من الكذب والادعاء والافتراء. قال ابن القيم: (وقد أمر الله سبحانه أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٦/٦

(٢) شرح مسلم مج١/١/٧٤-٧٦، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤ /٢٠٧ - ٢٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[١]، فهم الرفيق الأعلى (وحسن أولئك رفيقا) ولا يزال الله يمدهم بأنعمه وألطافه ومزيده، إحسانا منه وتوفيقا)[٢].

وقال عبدالرحمن حسن حبنكة: (تبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً من العلاقات الاجتماعية، والمعاملات الإنسانية تعتمد على صدق الكلمة، فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حقيقة أخبارهم. ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس ويكفي أن نتصور مجتمعاً قائماً على الكذب، لندرك مدى تفككه، وانعدام صور التعاون بين أفراده)[٣].

وقال د. مصطفى السباعي: (قال عبدالله بن المقفع: "إن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً، لأن الكذب الذي يجري على لسانه، إنما هو من فضول كذب قلبه، وإنما سُمِّي الصديق من الصدق".

وهذا حق، فإن الكذاب لن تكون أخوته صادقة، ولا معاملته صادقة، ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيماً صادقاً، ولا حاكماً صادقاً، ولا موظفاً صادقاً، ولا عاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً.

ومن هنا لم يُجمع علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع، على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه برذيلة كرذيلة الكذب وخطره على الأفراد والجماعات.

ولو استعرضت مشاكل العالم كله، لوجدتها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب: كذب السياسي على شعبه، وكذب الرئيس على أمته، وكذب الحزب على أتباعه،

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣/٥-٦

(٣) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢٢٥.

وكذب النائب على ناخبيه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة، واستفاضت الثقة، واطمأن الناس بعضهم إلى بعض، فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات، لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث، والمواثيق والعقود والمعاملات.

عيّن أبو بكر في خلافته عمر للقضاء بين الناس، قالوا فمكث عمر سنة لا يختصم إليه اثنان! أترى هذا لأن الناس في عهد عمر لم تكن طبائعهم من طبائع البشر التي تختلف وتتنازع، أم ترى ذلك لأن الناس في عهد عمر لم يكن لهم شيء يختصمون عليه ويتنازعون؟ كلا! لا هذا ولا ذاك، وإنما هو الصدق الذي يحجز كل واحد من المتنازعين عن أن يصور الخلاف لنفسه كما يشتهي، بل يصوره كما هو في الواقع والحق، فإذا هو ينتصف من نفسه إذا كان ظالماً، ويرد الحق إذا كان معتدياً، ويتسامح إذا كان مجنياً عليه، وبهذا لم يحتج الناس إلى عمر ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

وما بالنا نذهب بعيداً في أعماق التاريخ، ونحن كنا نشاهد حتى الأمس القريب كيف كان الناس يتعاملون بالثقة، ويتبايعون بالصدق، فلا أيمان ولا مواثيق ولا صكوك ولا سندات، كان التاجر يسافر من حلب إلى دمشق، في عصر لم يكن فيه غير الجمل والبغل والحمار وسيلة للسفر، وكانت الطرقات غير آمنة من اللصوص يحمّلونه أكياس الذهب ليسلمها إلى عملائهم في دمشق، من غير أن يأخذوا منه إيصالاً أو سنداً أو وثيقة، فيسلمها إلى أصحابها دون أن يأخذ منهم إيصالاً أو توقيعاً. وإننا نرى اليوم بأعيننا حقوقاً تنكر، وأموالاً تهدر، وتجاراً يعلنون الإفلاس رغم كل ما قدموه لأصحاب الأموال من رهن وتوثيق في البنوك والمصارف. فهل ترى سبباً لهاتين الحالتين المتباينتين، بين الأمانة في عصر آبائنا، والخيانة في عصرنا، إلا كثرة الصدق في عهدهم، وفشو الكذب في عهدنا؟

إن الصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الاجتماع، بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد والجماهير، فالزعيم الصادق أنجح

الزعماء مسعى وأكثرهم أتباعاً، والسياسي الصادق أكثر السياسيين تأييداً من الشعب وأجلهم في عيونه مقاماً، والتاجر الصادق أكثر التجار زبائن وأكثرهم ربحاً، وحسبك أن ترى نفسك مسوقاً -حين تريد ابتياع سلعة من السلع - إلى أن تفتش عن متجر عرف صاحبه بالصدق لتدفع له ثمن سلعته كما يريد، وإذا أردت أن تُوكل محامياً في دعوى، سألت عن أصدق المحامين وأوثقهم، لتكل إليه أمر قضيتك وأنت مرتاح البال مطمئن النفس.

ولقد رأينا في حياتنا السياسية، أن الأزمات حين تشتد، لا يحلها إلا رجال عرفوا بالصدق في حكمهم، فتسعى إليهم الأحزاب المختلفة، ملقية بين أيديهم زمام الحكم ثقة منها بصدقهم وأمانتهم وتجردهم، والأمانة والتجرد نوعان من الصدق العملي.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم، صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، ولقد كانت أمتنا في عصور الخير والمجد، من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية، التي توقع في عصرنا الحاضر بين الدول، ثم لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عليه، والحبر الذي سجلت به.

ومن هنا كانت الأزمة التي يعانيها العالم اليوم، أزمة الثقة بالوعود والأقوال. إن منبر هيئة الأمم ليشهد كل يوم زعماء الدول الكبرى يتبارون في الدعوة إلى السلام، والتنفير من الحرب، والتشهير بالعدوان، ما لو صدقوا فيه جميعاً لما كان على وجه الأرض نزاع ولا شقاء ولا حروب. ولكنهم جميعاً لا يثق بعضهم ببعض، وكل واحد منهم ينطوي في قرارة نفسه على الشك بصدق ما يقول الآخرون. وبذلك أخفقت المؤتمرات وفشلت المفاوضات، بل فشلت هيئة الأمم نفسها في تنفيذ مبادئها التي أعلنتها، لأن أقوى الدول فيها يكذب على أضعف الدول فيها، بما تسرف من وعود، وبما تقول من أحاديث.

وقل مثل ذلك في حياتنا السياسية، فلو كان زعماؤنا ورجال أحزابنا يثق بعضهم بأقوال بعض، لما وصلنا إلى هذه الحال المؤسفة من الفوضى وعدم الاستقرار. وإلا ففيم تختلف الأحزاب في مبادئها وغاياتها؟ وهب أنها اختلفت، ففيم تتقاتل ويسب بعضها بعضاً؟ إنه فقدان الثقة بالأقوال والأحاديث والخطب. يجعل كل فريق يقف من الآخر موقف الذي يشك ولا يثق، ويتهم ولا يبرئ، ويسيء الظن ولا يحسنه.

نستطيع إذاً أن نؤكد مرة أخرى أن مشكلة العالم كله اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب. الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال، والكذب في النيات، والكذب في المظاهر، فليس غريباً إذاً أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين، وأكثرهم تنويهاً بالصدق والصادقين.

فما أجدر الساسة والزعماء ورجال الأحزاب، بأن يتحلوا بالصدق، لتستقيم حياتهم فتستقيم حياة الأمة، وما أجدر الناس من تجار وعمال وموظفين ومتعلمين أن يتحلوا بالصدق، لتعود إلى النفوس ثقة فقدناها، ففقدنا الأمن والحب والسعادة والاستقرار. وما أجدر المربين أن يربوا أبناءنا وبناتنا على الصدق، حتى ينشأوا كراماً مطبوعين على الجرأة والعفة والأمانة، وليحذر الآباء، والأمهات، من أن يكثروا الكذب على أطفالهم أو يعودوهم عليه)[1].

---

(١) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ٨١-٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل:

الإخبار من طريق الرؤيا لا يتأتى إنكاره، وليس من حق أحد أن ينكر على من رأى شيئًا في منامه فأخبر به، لأن دائرة الروح تكون أوسع، ولهذا حرم الكذب في ادعاء المسلم رؤية لم يرها في المنام، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من أساليب التربية: التبشير:

ورد أسلوب التبشير في أحاديث الباب في عدة مواطن منها قوله ﷺ عن الرؤيا: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، ومع أن الرؤيا غالباً ما تكون للتبشير وتكون أيضاً للإنذار إلا أن النبي ﷺ في الحديث غلب أسلوب التبشير فقال ﷺ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ»، كما تكرر أسلوب التبشير أيضاً في تبشيره ﷺ لمن رآه في المنام أن يراه يوم القيامة، وكذلك تكون الرؤيا له ﷺ بمثابة الرؤية له في الدنيا إضافة إلى ما في رؤيته ﷺ في المنام من الاستبشار بترقٍ في الدين وزيادة في الخير.

لقد كان التبشير من أساليب التربية عند رسول الله ﷺ مع ما يقارن ذلك من التيسير والتخفيف، وذلك كله من وسائل التحفيز والدفع إلى عمل الخير.

"فلا بد للمربين من سلوك منهج التيسير والتبشير مع المتربين، فتيسير الأمور وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف يرافقها التبشير، حتى تغمر قلوب المتربين الفرحة وتعم نفوسهم البهجة ولا يشعرون بثقل التكاليف والواجبات عليها.

إن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفِّرة، وتؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة وإيجاد مساحات كبيرة بين المربين والمتربين يصعب الالتقاء عليها"[1].

---

(١) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، الطبعة الأولى، مكتبة الرشيد، بغداد، ١٩٩٤م، ص١١.

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل والأخلاق الحسنة في التلاميذ:

لقد كان من الأهداف الكبرى للرسالة المحمدية الدعوة إلى مكارم الأخلاق وتزكية الأنفس والأرواح، ومن هذه الأخلاق خلق الصدق والذي حث عليه النبي ﷺ، وربى عليه أتباعه، ومن شواهد ذلك ما جاء في أحاديث الباب من النهي عن انتساب الرجل إلى غير أبيه فذلك من أكبر ألوان الكذب والتدليس على الناس والمجتمع بأسره، وكذلك الكذب في الرؤيا والادعاء برؤيا لم تحصل، وكذلك الكذب والتقوُّل على رسول الله ﷺ بما لم يقل، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَىٰ أَنْ يُدْعىٰ الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهِ مَا لَمْ تَرَى، أو يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَمْ يُقَلْ».

لذا كان من الواجب على المعلمين والمربين أن يغرسوا في نفوس التلاميذ الأخلاق الكريمة حتى يعتادوا عليها وتكون سجية لهم ومنهاجاً في حياتهم.

"إن المربي الحق والمعلم الناجح هو الذي يُطبِّع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك"[(١)].

ودور التربية في ترسيخ الأخلاق وتربية النشء عليها يمر بمرحلتين أولاهما مرحلة التنقية وأخراهما التحلية، "فبناء الخلق الحسن في النفس لابد أن يصاحبه تنقيتها مما ترسب لديها من الأخلاق السيئة أو ما يسمى بـ: "التخلية ثم التحلية"، ذلك أن المتربي قد ينشأ في بيئة يغلب عليها الخلق السيئ أو يصحب صحبة غير صالحة فيألف الخلق السيئ ويصبح جزءاً من طبيعته، ومن ثَمَّ لابد من جهد يبذل في اقتلاع هذه الصفات وتنقية النفس منها"[(٢)].

ثالثاً- من مسئوليات المربي تجاه المتربين: النصح والإرشاد:

إن من مسئوليات المربي تجاه المتربين النصح والإرشاد ودلالتهم على الحلول والعلاج لما يعرض لهم وما ينزل بهم.

---

(١) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهوائي، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م، ص١٣.

(٢) تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٤٨.

فنجد أن الرسول ﷺ بين ما ينبغي فعله إذ رأى الإنسان رؤيا مع مراعاة التفاوت بين ردود الفعل تبعاً لتفاوت الرؤيا بين مُفرح فيحمد الله عليها، ويُحدِّث بها، ومُحزن فيستعيذ بالله من شرها ويكتمها، فقال ﷺ: «إذا رأى أحَدُكُمْ رُؤْيا يُحِبُّها، فإنَّمَا هيَ مِنَ اللَّهِ تعالى، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ تعالى عَلَيها ولْيُحَدِّثْ بها». وفي رواية: ـ فلا يُحَدِّثْ بها إلاّ مَنْ يُحِبُّ ـ وإذا رأى غيرَ ذلكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإنَّما هيَ مِنَ الشَّيْطانِ فَلْيَستَعِذْ مِنْ شَرِّها ولا يَذْكُرْها لأحَدٍ فإنَّها لا تَضُرُّهُ»، كما نلاحظ أن الرسول ﷺ كان لا يقتصر على مجرد الإجابة على ما يعرض عليه من أسئلة واستفسارات، وإنما كان يزيد على ذلك بإعلام الصحابة بكيفية التعامل مع ما يعرض لهم وإن لم يسألوا عنه بعد.

كما في أحاديث الباب في بيان الرسول ﷺ لما ينبغي فعله من الإنسان إذا رأى رؤيا، وكأني برسول الله ﷺ خشي على المسلمين أن يرى أحدهم رؤيا تحزنه دونما أن يكون له سابق علم بكيفية إذهاب ذلك الحزن فعلمهم، وإن لم يسألوه.

"إن من حق المتربين والتلاميذ على من عُهد إليهم بتربيتهم ألا يدعوا من نصحهم شيئاً، فيرشدونهم ويقدمون لهم العون التثقيفي والتربوي والنفسي، ويعملون على إشباع حاجاتهم وتحقيق الاستقرار النفسي والروحي لهم.

كما ينبغي على التلاميذ والمتربين طاعة الوالدين والمعلمين والمؤدبين والواعظين والخطباء فهم أكثر خبرة منهم وأكثر إدراكاً لمصلحتهم وأكثر وعياً بقدراتهم وإمكانياتهم واستعداداتهم وميولهم وأكثر فهماً لأمانيهم وميولهم ومشكلاتهم"[(١)].

قال ابن تيمية وهو أحد أساطين التربية الإسلامية البارزين في تاريخ المسلمين "وعلى المعلم أن ينصح للمتعلم ويجتهد في تعليمه وعلى المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه ويشكر إحسانه إليه، فإنه من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولا يجحد حقه ولا ينكر معروفه"[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد ١٣٧-١٤٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٣/٢٨.

كتاب السلام

١٣١- باب فضل السَّلام والأمر بإفشائه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[النساء: ٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾[الذاريات: ٢٤-٢٥].

الحديث رقم (٨٤٥)

٨٤٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

الحديث من باب رد السلام، والترغيب فيه ورد في صورة خبرية سيقت مساق الخبر المعظم بتوكيده دون مقابلة بإنكار، أو معارضة، وقد بدأ بقول الراوي (أَنَّ رَجُلا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ)، وتنكير لفظ (رجل) للجهل به، أو لعدم تعلق فائدة بذكره، وسؤاله (أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟) فيه إيجاز بالحذف أي: أيُّ أعمال الإسلام أكثر نفعاً، وقوله: (تُطْعِمُ

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩/٦٣ ولفظهما سواء، وقد تقدم برقم ٥٤٩. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٧٦، وتقدم رقم ٥٤٩.

الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) فيه إيجاز بحذف ما دل عليه السؤال أي: أعظم الأعمال أن تطعم، والتعبير بالفعل (تطعم) دون المصدر، لأن فيه ترغيباً بالفعل المضارع الذي يستحضر الصورة، ويجسِّد الحدث المرغب فيه، وفي قوله (تطعم الطعام) جناس يأثر السمع ويؤكد المعنى، وقوله (وَتَقْرَأُ السَّلامَ) أي تلقي التحية المعروفة بصيغتها، وبين هذه الجملة، والتي سبقتها سجع طبعي أحدث جرساً يستوقف السمع فيقر المعنى في القلب، وقوله (عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) تتميم بلاغي أفاد عموم السلام، لأنه ينشر الألفة، والمحبة بين عامة المسلمين، وبين قوله (عرفت، لم تعرف) طباق سلب يؤكد عموم السلام وشموله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٩).

الحديث رقم (٨٤٦)

٨٤٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السلام، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ - نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس- فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتِكَ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل السلام يقرر أن تلك الصيغة للسلام هي اختيار الله لأنبيائه، وللمؤمنين إلى يوم القيامة، يقوم على القصة، والحوار متعدد الأطراف فقد أخبر الرسول ﷺ عن آدم عليه السلام، في حواره مع الملائكة، وهذا يدل على أن تحية الإسلام هي تحية جميع الأنبياء من بداية البشرية، ولا ينبغي أن يستبدلها إنسان بغيرها، وقوله: (اذهب فسلم) أسلوب أمر جاء تصويراً، وحكاية لما وقع بين آدم، وربه عند خلقه، وقوله (على أولئك) الإشارة للتفخيم، وعلى للاستعلاء إشارة إلى علو السلام، وأنه يأتي من عالٍ وهو السلام - عز، وجل - وقوله (فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ) أمر بإتباع تلك التحية، وجملة (فإنها تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكِ) تعليلية، وفيها إشارة إلى اعتمادها تحية للمؤمنين من أتباع جميع الأنبياء، وقوله (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَقَالُوا) ومعنى السلام عليكم أي معكم، وقيل معناه: الله مطلع عليكم، فلا تغفلوا، وقيل معناه: اسم السلام عليكم أي: اسم الله عليكم إذ كان اسم الله يذكر على الأعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيه، وانتقاء عوارض الفساد عنه، وقيل معناه: السلامة لكم كأن المسلم بسلامه على غيره معلم له بأنه مسالم له لا يخافه، وقيل: معناه الدعاء له بالسلامة، أما قول الملائكة: (فَزَادُوهُ، وَرَحْمَةُ اللهِ)، قال ابن القيم: في حكمة إضافة الرحمة إلى الله تعالى، وتجريد السلام عن الإضافة: (أن السلام يُراد به قول المسلم: سلام عليكم، وهذا في الحقيقة

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٢٧، ومسلم ٢٨٤١/٢٨.

مضاف إليه، ويراد به حقيقة السلامة المطلوبة من السلام سبحانه وتعالى، وهذا يضاف إلى الله، فيضاف هذا المصدر إلى الطالب الذاكر تارة، وإلى المطلوب منه تارة، فأُطلق، ولم يضف، وأما الرحمة فلا تُضاف إلا إلى الله وحده، ولهذا يُقال: رحمتي، وبركتي عليكم، ويقال: سلام مني عليكم، وسلام من فلان على فلان، وسر ذلك: أن لفظ السلام اسم للجملة القولية بخلاف الرحمة فإنها اسم لمعناها دون لفظها).

فقه الحديث

حكم البدء بالسلام وحكم الرد:

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن السلام سنة مستحبة، وليس بواجب. وهو سنة على الكفاية إن كان المسلمون جماعة، بحيث يكفي سلام واحد منهم، ولو سلموا كلهم كان أفضل.

وذهب الحنفية -وهو رواية عن أحمد وقول مقابل للمشهور عند المالكية- إلى أن الابتداء بالسلام واجب. لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((حق المسلم على المسلم ست)) قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: ((إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه))[1].

وأما رد السلام فإن كان المسلَّم عليه واحدًا تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم، فإن رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقين، وإن تركوه كلهم أثموا كلهم، وإن ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال والفضيلة، فلو رد غيرهم لم يسقط الرد عنهم، بل يجب عليهم أن يردوا، فإن اقتصروا على رد ذلك الأجنبي أثموا[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٦٢، ٥.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٦٩/٥، ومراقي الفلاح ١٠٥، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٠/١، وحاشية العدوي على الرسالة ٤٣٤/٢-٤٣٦، حاشية القليوبي ٢١٥/٤-٢١٦، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٧٤/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦١/٢٥-١٦٣)، وانظر كذلك: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢١/٤-٣٢٢.

وما تقدم من حكم السلام والرد خاص بالمسلم الذي لم ينشغل بالأذان أو الصلاة أو قراءة القرآن، أوبتلبية حج أو عمرة، أو بالأكل أو بالشرب، أو قضاء حاجة وغيرها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "لما خلق الله تعالى آدم قال: اذهب فسلم،وقوله "فاستمع ما يحيونك"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من بيان أوجه الخير وأمر المدعوين وحثهم على الامتثال به، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن كثيراً في مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[٣]، وجعله الله تعالى من سمات المجتمع الإيماني ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[٤] وقال: ﴿وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖ﴾[٥].

ثانياً- من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة في الحديث إلى هذه الوسيلة باعتبارها أهم وسائل الدعوة "فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٣/٢٥ وما بعدها.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٦.

الله" قال ابن حجر: قال ابن بطال: (يحتمل أن يكون الله علمه كيفية ذلك تنصيصاً، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله له "فسلم")، قال ابن حجر: (ويحتمل أن يكون ألهمه ذلك)[١]، وأسلوب التعليم من أجدى الأساليب الدعوية، فهو وسيلة لتهذيب سلوك الإنسان، ومقاصده في معاملاته وعلاقاته بربه وبنفسه، وبسائر خلق الله سبحانه وتعالى[٢].

لذا نجد أن الإسلام يفرض على المسلمين أن يكونوا أمة متعلمة، وذلك لأن العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الشخصية المسلمة، ومن هنا نجد الإسلام يهيئ كل ما يلزم لدفع المسلمين إلى طريق التعليم والتعلم، ولهذا كان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣]. فهذه أول دعوة تسمو بقدر العلم وتشير إلى قيمته[٤]، ومن أهداف وسيلة التعليم في الدعوة إلى الله، زرع الآداب والأخلاق في نفوس المدعوين المستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة[٥].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم المهام التي يضطلع به الداعية وأعظمها شأناً الإيضاح والبيان، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يبينوا الحق للناس ويوضحوه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٦]، فحينما تكون الدعوة واضحة تكون نتائجها أسلم وأحكم[٧]،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٨٦.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٤) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص١٨٤.

(٥) التربية في السنة النبوية، أبولبابة حسين، ص٥٤.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٨.

وقد ضرب النبي ﷺ في الحديث أنموذجاً حياً لذلك ببيانه أصل تحية الإسلام، وهو إلهام الله وتعليمه لآدم عليه السلام وكذلك تعليم الملائكة، لما خلق الله تعالى آدم قال: "اذهب فسلم على أولئك النفر، نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك، وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله".

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

لقد تضافرت النصوص على بيان فضل إفشاء السلام، لماله من آثار إيجابه على المجتمع والأفراد، فبين النبي ﷺ أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أى الإسلام خير؛ فقال: «أنْ تُطعمَ الطعامَ وتقرأ السلامَ على منْ عرفتَ ومنْ لم تعرفْ»[1]. وهو من أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أَيُهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ))[2].

كما بين النبي ﷺ أن إفشاء السلام من أسباب كمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»[3]»[4].

وإفشاء السلام من أسباب تحقق التآخي والتآلف بين آحاد المجتمع الإسلامي[5]، إضافة إلى ما يضيفه السلام في المجتمع من أمن واطمئنان[6]، كما أن إفشاء السلام أول

---

(١) أخرجه البخاري، ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم، ٥٤.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، ٢٩٩.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ١١٦.

(٦) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٢٢٨٦/٦.

أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[١].

لهذه الأسباب وغيرها أمر الإسلام بالسلام وإفشائه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٣].

وجعله رسول الله ﷺ من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فقال ﷺ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قالَ: «إِذَا لَقَيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، ...))[٤]. بل إن السنة لتأمر بالجهر بالسلام مبالغة في إفشائه، فلقد كان هدى النبي ﷺ في السلام، أن يرفع صوته بالسلام وكذلك في الرد، فلا يحصل بالإسرار الأجر -إلا ما استثنى من ذلك-، فأخرج البخاري في أدبه أثراً عن ابن عمر: عن ثابت بن عبيد قال: «أتيت مجلساً فيه عبدالله بن عمر فقال: إذا سلمت فأسمع فإنها تحية مباركة طيبة»[٥].

وذكر ابن القيم: (أن من هديه ﷺ أنه كان يسمع المسلِّم رده عليه)[٦]، وقال ابن حجر: (واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سراً، بل يشترط الجهر، وأقله أن يسمع في الابتداء والجواب، ولا تكفي الإشارة باليد ونحوه)[٧]، وكان من السنة تعميم السلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «أن رجلاً سأل النبي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) الأدب المفرد ١٠٠٥، وقال الألباني: صحيح الإسناد، وكذا قال الحافظ ٨/١١، (صحيح الأدب المفرد ٧٦٩).

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤١٩/٢.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١/١١.

ﷺ أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»[١]. فهذا الحديث فيه الحث على إفشاء السلام ونشره بين الناس، لما فيه من المصالح العظيمة ولعل من أعظمها التأليف بين المسلمين، وسلامة قلوبهم لبعض[٢].

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص٤٤.

الحديث رقم (٨٤٧)

٨٤٧- وعن أَبي عُمَارة البراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمرنا رسول الله ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ المُقسِمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، هَذَا لفظ إحدى روايات البخاري.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

ورد الحديث في أسلوب خبري غرضه الفائدة، وقد تجرد عن عوامل التوكيد لثقة المتكلم في قبول الخبر، ولأنه قابل به خالي الذهن، وقد تصدره قول الصحابي (أَمَرَنَا رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ) حكاية لأمر الرسول ﷺ لهم بصيغة الجمع بياناً لعدم انفراده بجملة هذه الأوامر، وتنكير كلمة: (سبع) للتشويق بذكر العدد المبهم، ثم توضيحه، وفي الحديث مراعاة النظير؛ لأنه جمع بين الشيء، وما يناسبه، كما أن فيه تناسباً بين الألفاظ، والمعاني، لأن العيادة تناسب المريض، والإتباع يناسب الجنائز، والتشميت يناسب العاطس، وَالنَصْر يناسب الضَّعِيف، وَالعَوْنُ يناسب الْمَظْلُوم، وَالإِفْشَاءُ يناسب السَّلام، وَالإِبْرَارُ يناسب الْقَسَم، وهي جملة من خصال الخير من شأنها -إن روعيت بين المسلمين- أن تنشر المحبة، وتحقق التكافل بينهم، وتضمن تماسكهم فيما بينهم كما صوَّرهم الإسلام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر، والحمى.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٥ واللفظ له، ومسلم ٢٠٦٦/٣، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (٨٤٨)

٨٤٨- وعن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلاَ أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على تقرير معنى إفشاء السلام الذي يشيع المحبة بين المسلمين عن طريق المنطق الفطرى بمقدمات تترتب عليها نتائج بطريقة مشوقة بدأت بجملة، نفت دخول الجنة إلا بعد بلوغ درجة الإيمان، وقد وصل الأفعال بواو الجماعة دلالة على عموم الحكم، ونظماً للمجتمع كله في سلك الخطاب، وهو ما يحقق ترقب الجميع للخبر، ثم إنه علّق الإيمان على التحابب، وهو تفاعل من المحبة وهذه الصيغة تدل على المشاركة، أي يحب كل واحد منهم الآخر، ثم صعَّد التشويق عن طريق الاستفهام التشويقي (أوَلا أَدُلّكُمْ عَلَى شَيْءٍ) ثم ربط بأسلوب الشرط المحبة التي يتوقف عليها الإيمان الذي يتوقف عليه دخول الجنة بهذا الشيء الذي يعرضه عليهم (إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ) حتى إذا صار المخاطبون في قمة اليقظة، والترقب قرر المعنى الذي يريد عن طريق أسلوب الأمر حثاً، وترغيباً (أفشوا السلام بينكم) وطريقة النبي ﷺ في تقرير المعنى تدل على أهمية الأمر، وأثره في المجتمع الذي ينبعث محبة بين أفراده، وسلاماً يعم الجميع.

---

(١) برقم ٥٤/٩٣. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٧٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإيمان أصل دخول الجنة.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على أسباب المحبة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة.

خامساً: من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإيمان أصل دخول الجنة:

لقد جاء في صريح الحديث أن الإيمان أصل دخول الجنة، فقال ﷺ: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا". إذ أن الجنة وما فيها من نعيم محرمة على الكفار[1]، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

قال النووي: فهذا على ظاهره وإطلاقه، فلا يدخل الجنة إلا من مات مؤمناً[3]، فالإيمان منجاة من دخول النار ومن البقاء فيها، وأصل الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة[4]. إذ أن الإيمان هو أساس الأعمال الصالحات والدافع إليها، كما هو واضح في الحديث، من الدعوة إلى ظهور آثار هذا الإيمان على جوارح الإنسان وعلاقاته، ودليل ذلك على صدق الإيمان، فيقول ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون، ٧٤٩/٣.

بينكم» وفي ذلك بيان أن انتشار السلام وظهوره بين المسلمين، سبب من أسباب كمال الإيمان، الذي هو الأصل لاستحقاق الجنة بعد فضل الله عز وجل، فقوله "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا..." هو على ظاهره وإطلاقه، وأما قوله: "ولا تؤمنوا حتى تحابوا" أي لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب، وقيل معنى الحديث لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب، ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك[1].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان الأمور التي يكمل بها الإيمان، ودلالة المدعوين على أسباب المحبة:

إن من أهم الواجبات التي يضطلع بها الداعية إلى الله دلالة المدعوين على الخير وبيانه أوجه الفضل فيه، وفي الحديث قدم النبي ﷺ أنموذجاً تطبيقياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من دلالة على الخير والحث عليه، فقال ﷺ "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"، قال القاضي عياض: (أي لا يتم إيمانكم ولا يكمل ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحاب والألفة. وفيه حض على إفشاء السلام على من عرف ومن لم يعرف، والسلام أول درجات البر وأول خصال التآلف، ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكين ألفة المسلمين بعضهم ببعض، وإظهار شعارهم المميز لهم بينهم، وإلقاء الأمن والطمأنينة بينهم، وهو معنى السلام، واستدراج محبة كافتهم كما قال ﷺ، ودليل التواضع والتواصل)[2].

إن دلالة الناس على الخير، وتبليغ الدعوة وما فيها من آداب وأخلاق، يحتاج إلى دعاة أقوياء، وهداة أشداء، ومبلغين صابرين يتناسبون مع عظمتها وشمولها، قادرين على أن يمدوا أشعة ضيائها في أنفس الناس وعقولهم وضمائرهم، بعد أن تشرق بها

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٣/٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٠٤/١، ٣٠٥.

جوانحهم وتستضيء بها حياتهم[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في إفشاء السلام، بدخول الجنة واستحقاقها، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية، فالترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهى، ولما كان الإنسان مفطوراً على الإحساس باللذة، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، كان لأسلوب الترغيب تأثيرٌ كبيرٌ في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه[٢].

كما هو واضح في ترغيب النبي ﷺ في السلام بأنه سبب لكمال الإيمان الذي هو سبب لدخول الجنات، وترغيب المسلم بما أعده الله لعباده من نعيم وجنات، منهج واضح في دعوة القرآن إلى الإيمان والأعمال الصالحات، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له داراً فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها[٤]، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٥].

---

(١) الدعوة قواعد وأصول، جمعة أمين عبدالعزيز، ص٢٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٢١٢٧/٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٣ .

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان أصل دخول الجنة:

إن بيان أصل دخول الجنة وأسباب استحقاقها من أعظم الأهداف للدعوة، وقد جاء في الحديث التصريح بأن الأصل لدخول الجنة، وبدونه يحرم الإنسان منها، هو الإيمان، فقال ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا" والإعراض عن الإيمان فيه الضلال والحرمان من الجنان، لذا أمر الله المؤمنين بالثبات على إيمانهم، وتقويته وزيادته، حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه وهو اليقين[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

وهذه الآية نزلت في جميع المؤمنين، والمعنى يا أيها الذين صدَّقوا أقيموا على تصديقكم واثبتوا عليه[3]، ودوموا عليه ولا تفارقوه، فالأمر في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾، ليس من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، وتقريره وتثبيته والاستمرار عليه، كما يقول المؤمن في كل صلاة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[4] أي بصرنا فيه وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾[5]،[6].

خامساً- من أهداف الدعوة: تحقيق المحبة بين الناس:

من أبرز أهداف الدعوة تحقيق المحبة بين الناس ببيان أسبابها.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري ص ٧١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٣٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤١٥/٥/٣.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٤/٢.

وكما أشار النبي ﷺ في الحديث إلى السلام كسبب من أسباب المحبة، فقال ﷺ: ((أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم" فالإسلام يريد من المجتمع الإسلامي ائتلاف آحاده وتلاحم سداه، حتى يكون كالجسد الواحد))، روى عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[1]. فإن المحبة والمودة وغيرها من مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لا بد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار[2].

لذا جاءت النصوص آمرة بالتمسك بالأسباب التي تقوي من كيان المجتمع، وتحافظ على بنيانه.

قال الراغب الأصفهاني: (المحبة والعدل من أسباب نظام أمور الناس، ولو تحاب الناس وتعاملوا بالمحبة لاستغنوا بها عن العدل، فقد قيل: العدل خليفة المحبة يستعمل حيث لا توجد المحبة، ولذلك عظم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[3] أي محبة في القلوب، تنبيهًا على أن ذلك أجلب للعقائد، وهي أفضل من المهابة، لأن المهابة تنفر والمحبة تؤلف، وقد قيل: طاعة المحبة أفضل من طاعة الرهبة، لأن طاعة المحبة من داخل، وطاعة الرهبة من خارج، وهي تزول بزوال سببها، وكل قوم إذا تحابوا تواصلوا وإذا تواصلوا تعاونوا، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمَّروا، وإذا عمَّروا عُمِّروا، وبورك لهم[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٣٣.

(٣) سورة مريم، آية: ٩٦.

(٤) الذريعة إلى مكارم الأخلاق ٣٦٤.

الحديث رقم (٨٤٩)

٨٤٩- وعن أَبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، افْشُوا السَّلاَمَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، (وَصِلُوا الأرْحَامَ) [(١)]، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ)) رواه الترمذيُّ[(٢)]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: وهو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، وكان من بني قينقاع، وكان حليفاً للقواقلة من بني عوف بن الخزرج من الأنصار، وكان اسمه الحصين فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله، وكان يكنى بأبي يوسف، وقيل كان يكنى بأبي الحارث، وعبدالله بن سلام من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام.

أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، فعنه أنه قال: خرجت في جماعة من أهل المدينة لننظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين دخوله المدينة، فنظرت إليه، وتأملت وجهه فعلمت أنه ليس بوجه كذّاب، وكان أول شيء سمعته منه ((أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))[(٣)].

وعن أنس أن عبدالله بن سلام بلغه مَقَدَمُ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني به جبريل آنفاً، قال ابن سلام: ذاك عدوُ اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت،

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند ابن ماجه برقم ٣٢٥١.

(٢) برقم ٢٤٨٥ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ. والسياق للمنذري في ترغيبه ٣٩٨٣. وقال الحاكم ١١٣/٣: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وسيكرره المؤلف برقم ١١٦٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤٥١/٥ رقم ٢٣٧٨٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٢٠١/٣٩.

وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماءُ المرأة ماء الرجل نزعت الولد قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ...))[١].

روى عن رسول الله ﷺ وروى له الجماعة، وشهد له رسول الله ﷺ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام، قال وفيه نزلت هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾[٢][٣] وعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبدالله بن سلام إنه عاشر عشرة في الجنة[٤].

وكان رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وعلمائها بالكتب، وذكره ابن سعد في عداد أهل العلم والفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ.

شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس والجابية، ولما كانت الفتنة بين عليٍّ ومعاوية اتخذ سيفاً من خشب واعتزلها. وأقام بالمدينة حتى مات سنة (٤٣هـ) في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٨١٢، ومسلم ٢٤٨٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠٤، وقال حسن صحيح غريب، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣٥٢/٢، ٣٥٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٧، ٤٣٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٦٥/٣، ٦٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٧٨٣، ٨٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤١٣/٢-٢٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٥٩/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/٢، والسندي ١٩٦/٣٩، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢١٣/٢-١٢٢٠.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد: منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغير ذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ.

ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (أفشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا - الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلواْ به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

فقه الحديث

١-إفشاء السلام: قال الأمير الصنعاني: (الإفشاء لغة: الإظهار والمراد: نشر السلام على من يعرفه وعلى من لا يعرفه... وقال ابن دقيق العيد: وقد يستدل بالأمر بإفشاء السلام من قال بوجوب الابتداء بالسلام. ويردّ عليه أنه لو كان الابتداء فرض عين على كل أحدٍ لكان فيه حرج ومشقة، والشريعة مبنية على التخفيف والتيسير؛ فيحمل على الاستحباب، انتهى)[١].

٢-إطعام الطعام: اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش، ومنعه مانع فله أن يقاتل ليحصل على ما يحفظ حياته. لما روى عن الهيثم: أن قومًا وردوا ماءً فسألوا أهله أن يدلوهم على بئر فأبوا، فسألوهم أن يعطوهم دلوًا فأبوا فقالوا لهم: إن أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت أن تتقطع فأبوا أن يعطوهم، فذكروا ذلك لعمر رضي الله عنه فقال لهم عمر: فهلا وضعتم فيهم السلاح؟[٢] قال الفقهاء: فيه دليل على أن لهم في الماء حق الشفة[٣] وكذلك الطعام[٤].

ويندب الإطعام لإكرام الضيف، وصلة الرحم، وبرّ الجار، وإضافة الصديق وأهل الخير والفضل والتقوى، لقوله تعالى في ضيف إبراهيم: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[٥] ولقوله ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[٦]، كما يسن في أمور تدخل في باب

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٨-٩٨٩ .

(٢) أورده أبو يوسف في كتاب الخراج بهذا المعنى ص ٩٧ .

(٣) حق الشفة: حق الشرب. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٣٥.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ١٦٦/٢٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧، عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٢٤.

(٦) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

الإكرام كالأضحيةوالوليمة)[١].

وقال الصنعاني: (إطعام الطعام يشمل من يجب عليه إنفاقه ويلزمه إطعامه، ولو عرفًا أو عادةً، وكالصدقة على السائل للطعام وغيره، فالأمر محمول على فعل ما هو أولى من تركه ليشمل الواجب والمندوب)[٢].

٣-صلة الأرحام: لا خلاف في أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة، لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[٣] وقول النبي ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[٤])[٥].

٤-قيام الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحبّ عند الشافعية[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل.

ثالثاً: من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة.

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩٨٩ .

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري وهذا لفظه ٦١٣٨، ومسلم ٤٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٨/٢٧.

(٦) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٦٠/٢-٣٦١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٨/٣٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا أيها الناس" وأسلوب النداء في قوله "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا والناس نيام"، وأسلوب النداء والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما في النداء من تقريب المدعو، والتحبب إليه بالنداء عليه، وفي الأمر من بيان طرق الخير وأوجه فضلها، وحمل المدعوين عليها، وقد تكرر أسلوب النداء والأمر كثيراً في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[2]، وفي السنة كما ورد في الحديث "يا أيها الناس أفشوا السلام ...".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل:

جاء في صريح الحديث الإشارة إلى الفضل الأعظم لإفشاء السلام وإطعام الطعام وصلة الأرحام وصلاة الليل، وهو دخول الجنة فقال ﷺ: "... تدخلوا الجنة بسلام". أي تدخلوها بسلام من الله أو من الملائكة أو من أي مكروه أو تعب ومشقة[3]، وقال ابن علان في قوله " تدخلوا الجنة بسلام" جواب لمقدر، أي إن فعلتم ما ذكر تدخلوها متلبسين بالسلام من الآفات التي تكون في غيرها، وبه سميت دار السلام على أحد الأقوال، والمراد دخولها مع الناجين، ويحتمل أن المراد مطلق دخولها مع الناجين، فيكون فيه تبشير فاعل هذه الأمور بالموت على الإسلام، ليكون من أهلها[4].

وبذلك جعل الله تبارك وتعالى (طريق الجنة مفتوحاً أمام المؤمنين، إذا تحققت فيهم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

هذه الصفات المهمة من انتشار السلام بالقول والفعل، وإطعام الطعام من القادرين للمحتاجين ولحفظ الود بين المتحابين، وصلة الأرحام تجميعاً للأمة وتدعيماً لها، وقيام الليل للعبادة)[١].

ثالثاً- من واجبات المدعو: تحصيل أسباب دخول الجنة:

إن أهم الواجبات المنوطة بالمسلم سواء أكان داعية أو مدعوا، تحصيل أسباب دخول الجنة، فإن فلاح الإنسان وسعادته في العاجل والآجل، موقوف على التمسك بالإسلام والتخلق بشمائله وأخلاقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه[٢]. وقد ذكر النبي ﷺ جانباً من الأسباب الموجبة لدخول الجنة، فقال "أفشوا السلام" أى أظهروه وأكثروه على من تعرفونه وعلى من لا تعرفونه، "وأطعموا الطعام" لنحو المساكين والأيتام، "وصلوا الأرحام" فلا تقطعوها، "وصلوا بالليل والناس نيام" لأنه وقت الغفلة، فلأرباب الحضور مزيد المثوبة، أو لبعده عن الرياء والسمعة[٣].

فالحديث دعوة إلى التماس أسباب الجنة، سواء كانت أعمالاً بين العبد وربه، أو كانت إحساناً إلى خلقه، وقد كثرت آيات القرآن المبينة لجزاء من كانت تلك صفاته وأعماله، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]، قال الحسن: أخفى القوم أعمالاً، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[٥]. "فتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل، بالجزاء الذي أخفاه لهم، مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم - حتى يقوموا إلى صلاة

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨١.

(٢) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٥٠٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

(٤) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٥/١٤/٧.

الليل - بقُرَّة الأعين في الجنة"[١].

رابعاً: من أهداف الدعوة: توثيق علاقة الناس بربهم وعلاقتهم بالآخرين:

إن من أهداف الدعوة التي لا تغيب على أحد توثيق علاقة الناس بربهم، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والخضوع وإظهار الافتقار إلى الله تعالى[٢]، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث إلى مظهر من مظاهر ذلك، وهو قيام الليل وإحياؤه، فقال "وصلوا والناس نيام" كما أن من أهداف الدعوة توثيق علاقة الناس ببعضهم البعض، وذكر في الحديث مظاهر ذلك بالتودد إليهم، عن طريق إفشاء السلام، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والمحتاجين، فقال: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام"، قال ابن علان: (فلما كانت المحبة أمراً قهرياً لا اختيار فيه على الأصح في ذلك، كانت الأسباب المؤدية إليها في الاختيار أرشد إليها)[٣]، فقال "أفشوا السلام وأطعموا الطعام ...".

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص٣٥٢.

(٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى ص ٧١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٧.

الحديث رقم (٨٥٠)

٨٥٠- وعن الطُّفَيْل بن أُبَيٍّ بن كعبٍ: أنَّه كَانَ يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فإذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عَبدُ الله[1] عَلَى سَقَّاطٍ وَلاَ صَاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلاَ مِسْكِينٍ، وَلاَ أحَدٍ إلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبد الله بنَ عُمَرَ يَوْماً، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ[2]: مَا تَصْنَعُ بالسُّوقِ، وَأنْتَ لا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ، وَلاَ تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلاَ تَسُومُ بِهَا، وَلاَ تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هاهُنَا نَتَحَدَّث، فَقَالَ: يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إنَّمَا نَغْدُو مِنْ أجْلِ السَّلاَمِ، فَنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيْنَاهُ. رواه مالك في المُوطَّأ[3] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سَقّاط: هو الذي يبيع سقط المتاع وهو رديئه وحقيره[4].

صاحب بيعة: صاحب حالة بيع، أو صفقة البيع[5].

استتبعني: أي طلب مني أن أتبعه[6].

ولا تسوم: من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها[7].

---

(١) في الموطأ زيادة: (ابن عمر).

(٢) لفظ الموطأ (وما) بزيادة الواو.

(٣) ٢/٩٦١ رقم ٦ رواية يحيى بن يحيى الليثي.

(٤) النهاية في (س ق ط).

(٥) النهاية في (ب ي ع)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٩٥.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٨.

(٧) النهاية في (س و م).

الشرح الأدبي

يحكي الطفيل حال ابن عمر رضي الله عنهما عندما كان يذهب إلى السوق معه، ويرى تطبيقه العملي لأوامر رسول الله ﷺ، ومنها إفشاء السلام، وأنه كان يسلم على كل من لقيه، دون استثناء لأحد، وهو ما قرره عن طريق أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء حيث قصر المذكورين في الحديث على صفة السلام، وفيه حسن تقسيم حيث شمل كل طبقات أهل السوق (لَمْ يَمُرّ عَبْد اللَّه عَلَى سَقَاط وَلا صَاحِب بِيعَة وَلا مِسْكِين ، وَلا أَحَد إِلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ) وهم إما سقاط أي صغار التجار، وأصحاب البيعة، وهم كبار التجار، والمساكين، ثم شمل عموم المشترين، بقوله: (ولا أحد إلا سلم عليه) وهو بذلك يطبق أمر الرسول ﷺ بتعميم السلام على كل من عرف، ومن لم يعرف، وقوله لعبد الله بن عمر (وما تصنع في السوق...؟) استفهام تعجبي يدل على ذلك قوله بعده (وَأَنْتَ لا تَقِف عَلَى الْبَيْع ، وَلا تَسْأَل عَنْ السِّلَع ، وَلا تَسُوم بِهَا ، وَلا تَجْلِس فِي مَجَالِس السُّوق) أى ليس له حاجة خاصة تقتضي ذهابه إلى السوق، ولكنه أراد أن يفشي السلام، وليس هناك مكان أنسب من السوق لتنفيذ الحديث لكثرة الناس مع حاجتهم إلى التذكرة لغفلتهم، وانشغالهم في أمور البيع، والشراء، وقول عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- (إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْل السَّلام نُسَلِّم عَلَى مَنْ لَقِينَا) وتأمل بناء العبارة التي تقرر بطريق القصر بـ (إنما) سبب خروجه الوحيد، وهو إفشاء السلام، ثم هذا الجناس بين السلام، ونسلم الذي يدور حوله المعنى كما يدور عبد الله لنشرها في السوق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إلقاء السلام على كل من يمر عليه في السوق.

ثانياً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

ثالثاً: من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل عنها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما على السلام على كل من يمر عليه في السوق:

لقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أهل الورع والعلم، كما كان كثير الاتباع لآثار رسول الله ﷺ[1]، والحديث يعكس لنا صورة من ذلك، وهي حرصه رضي الله عنه على إلقاء السلام، فعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقّاط، ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه. واستمساك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وحرصه على تطبيق السنة يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من دأب حثيث على التمسك بسنة رسول الله ﷺ وحرصهم ذلك يعطينا القدوة والأسوة التي تؤثر في النفوس أكثر مما تؤثر الكلمات والعبارات[2].

ثانياً- من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

الإنسان إذا أشكل عليه أمر أو خفى عليه، فعلاجه أن يسأل أهل العلم وذوي الخبرة، فبالسؤال والعلم يطرد الإنسان الجهل، وكما قال ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3]، ومن ثمَّ قيل: "حسن السؤال نصف العلم"[4]، ولقد ضرب لنا الطفيل بن أبي بن كعب في الحديث مثالاً يحتذى به في السؤال عما خفي على الإنسان وأشكل، قال الطفيل: "فجئت عبدالله بن عمر يوماً، فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ وفي ذلك وقاية للإنسان من الوقوع في حرج، أو التلبس بخطأ بالسؤال والعلم.

ولقد أرشد الإسلام أتباعه إلى الرجوع إلى أهل العلم ومراجعة أهل الذكر للنهل

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر ص ٤١٩.

(٢) تأملات دعوية في السنة النبوية، د. عبدالله بن وكيل الشيخ ص ٣٤.

(٣) أخرجه أبي داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٣.

مما آتاهم الله من علم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[1]، فعلى الدعاة إلى الله تربية المدعوين وتنشئة النشء على هذا الأمر، وعلى المسارعة إلى سؤال أهل العلم في أي أمر يشكل حكمه الشرعي، ولقد كان صحابة النبي ﷺ رجالاً ونساءً يحرصون على سؤال النبي ﷺ ورجعوهم إليه، ويسألونه ﷺ فيما ينزل بهم من نوازل في حياتهم، ومن أمثلة ذلك ما روي عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة، فقالت: إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج بها، فقال له عقبة: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله فقال رسول الله ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونَكَحتْ زَوجاً غيرَه[2].

ومن غلبه الحياء في السؤال، لا يمنع أن يأمر غيره أن يسأل عنه، كما فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال: كنتُ رَجُلاً مَذّاء، فأمَرْتُ المِقْدادَ أَنْ يسألَ النبيَّ ﷺ، فسَألَهُ فقال: ((فيه الوُضوءُ))[3].

وسؤال أهل العلم في عصرنا الحاضر من اليسر والسهولة بمكان، فقد أنشئت المجمعات الفقهية، والهيئات العلمية، التي تضم كبار الفقهاء للنظر في المسائل العلمية.

ثالثاً- من آداب الداعية: بيان الحكمة من فعله لبعض الأمور إذا سئل:

"إنه مما ينبغي على الداعية بيان الحكمة من الأمور التي يقوم بها اقتداء بالكتاب والسنة، وبيان ثمراتها في الأنفس والحياة، وربطها بالفلسفة العامة للإسلام، حتى تقع من النفس موقع القبول"[4]، ونرى ذلك في بيان عبدالله بن عمر لحرصه على السلام إجابة للطفيل بن أبيّ بن كعب، فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

(٤) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ط/١ مؤسسة الرسالة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٨٣.

من أجل السلام، نسلم على من لقيناه - أي نغدو من أجل إفشاء السلام ونشره - ونسلم على من لقيناه، عرفناه أم لم نعرفه[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد جاء الإسلام حاثاً على إفشاء السلام، وإضفائه على العلاقات الاجتماعية وصبغها به، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ))، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على امتثال ذلك بإفشاء السلام بينهم، كما جاء في الحديث من خروج عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من أجل السلام: (إنما نغدو من أجل السلام)، قال ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام، ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[٣]، فعن عبدالله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير قال: ((تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٥].

إن إفشاء السلام والتبسم وإطلاقة الوجه، وإظهار الأخوة والمودة من هدي الإسلام، لا ما ينتهجه بعض الناس اليوم من الهجر وترك السلام، والاكفهرار وعبوس الوجه، حتى يبدو الواحد وكأنه حاقد على الدنيا كلها، أو كأنه بين فئة من الكافرين المحاربين له، ويجهل أو يتجاهل مِثْلُ هذا، أن السنة هي السلام وردُّ السلام، والتبسم والبشر، على ما تشهد به سنة رسول الله ﷺ وسيرته[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٦١.

(٣) التمهيد والاستذكار، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٢٩.

(٤) أخرجه مسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤، ٩٣.

(٦) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ٦٥.

لقد حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لا بد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَىٰ أَخِيهِ: رَدُّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ))[2].

والسلام والتحية في الإسلام أسلوب رفيع من أساليب الذوق، الذي يرقى بالإنسانية درجات من السلامة والصفاء والعيش الهانئ، ومن هنا نرى حرص الرسول ﷺ على أن ينشر المسلم التحية والسلام في أركان بيته الصغير، لينطلق بعد ذلك في أرجاء المجتمع الكبير، يسهم في بنائه، ويغمره بعطائه[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب ضمنيًّا في الحديث، وذلك في حرص عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وذهابه إلى السوق ولو لم تكن له به حاجة، بغية السلام وتحصيل أجره: (إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيراً في تهذيب النفوس وإرشادها إلى الخير، وحثها عليه، بغية صلاح المعاش والمعاد، والفوز بسعادة الدارين[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٥٠.

(٣) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٣ - ١٥.

(٤) هداية المرشدين، على محفوظ ص ٧٢.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب بما عند الله، حثاً لأمته على الإقبال على فعل الطاعات، ومن ذلك ما جاء في باب الحث على إفشاء السلام، فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((يَا أيُّهَا الناسُ، أَفشوا السلامَ وأَطعِموا الطعامَ وصِلُوا الأرحامَ وصلُّوا والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[1].

لذا ينبغي على الداعية، ألا يهمل أسلوب الترغيب وتذكير المدعوين بما أعده الله لعباده المتقين المؤمنين الصادقين من نعيم مقيم، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٦).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الأمن من أهداف الإسلام، على اختلاف صوره، وإلقاء السلام مظهر من مظاهر الأمان، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية الاجتماعية:

إن من المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث الباب: التربية الاجتماعية، وذلك من خلال غرس الفضائل والأخلاق الكريمة في نفوس الناشئة، كبذل الخير وإفشاء السلام وإشاعة المحبة، والمودة بين أفراد المجتمع وإقرار السلام بين الأفراد والمجتمعات وصلة الأرحام وتحقيق التكافل الاجتماعي والتعاون، وذلك كله من أسباب ومقومات قوة الأمة، فَضْلاً عن التقرب إلى الله تعالى، ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

إن من الغرائز التي فطر الإنسان عليها "رغبته في تحقيق مكانة اجتماعية طيبة والتزامه بالقيم الخلقية والاجتماعية السائدة في ثقافته"[(١)]. لذا جاء الإسلام مقوياً ومنضجاً لهذه الفطرة مع تهذيبها لتتوافق مع مبادئ الإسلام السامية، "وبناء شخصية المسلم المستقلة ذات المعالم الواضحة والسمات المتفردة، ومن هذه المعالم ما جاء في أحاديث الباب من مراعاة طبيعة الإنسان الاجتماعية، وتنمية هذه الطبيعة كالتعاون وامتثال الآداب الإسلامية الاجتماعية العامة كآداب الطريق وآداب الصحبة واحترام الكبير وتوقيره"[(٢)].

"إن الإسلام دين شامل ينظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من التعامل الرفيع والتعامل البديع، قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ

---

(١) انظر: علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة" د. هشام محمد مخيمر، ص١٤٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٢٩٥-٢٩٨.

مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وقد مضت أجيال المسلمين المتتالية منذ جيل الصحابة حتى وقت قريب وفق هذه التعاليم السامية والمثل العليا، فكانت تكثر في مجتمعهم أعمال المروءة والفتوة والسعي في الخير والرفق بالآخرين وسائر صنائع المعروف، ولكن هذه المظاهر خفتت في الأجيال المعاصرة بسبب تأثر المسلمين بفلسفة الحياة الغربية المادية وطبيعتها النفعية، فصار إنفاق المال تضييعاً وبذل المعروف سذاجة، لأن الحضارات غير الإسلامية لا يتطلع أفرادها إلى ما وراء الحياة الدنيا، فلا يبذل من الوقت والمال والجهد إلا ما يعود عليه بالنفع العاجل في دنياه، وبذلك ارتفع الصراخ في عالمنا لزيادة الإنتاج المادي على الصعيدين الفردي والقومي للارتفاع بمستوى الدخل.... وازدادت صراعات المجتمعات مع بعضها والطبقات فيما بينها ولم تعد ابتسامة الإنسان للإنسان إلا إحدى وسائل ابتزازه، وهكذا انطمست معاني الإنسانية أو كادت في عالم الحضارة المادية.

إن بوسع المسلمين أن يعتزوا بدينهم ويفخروا بحضارتهم ويشمخوا بإنسانيتهم التي ستبقى علامات مميزة وسمات خاصة بالأمة الإسلامية التي تهتدي بوحي الله وقيمه الأخلاقية الثابتة دون أن تحتكم لأهواء الفلاسفة والمفكرين الذين ولدوا الحيرة للإنسان وقضوا بآرائهم النفعية المادية على أسمى خصائص الإنسانية، وصدق الله العظيم، إذ قال: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[2][3].

ثانياً- غرس خلق التعاون المادي والمعنوي:

من أبرز المضامين التربوية التي يمكن الاستفادة منها من أحاديث الباب حث المربين على ترسيخ التعاون في نفوس المتربين سواء كان هذا التعاون في صورة مادية

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٧.

(٣) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العُمري، ص٢٤٧-٢٥٠.

كعون المظلوم وإبرار القسم وإطعام الطعام والإحسان، أو كان في صورة معنوية كإفشاء السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونحو ذلك، كما هو واضح في أحاديث الباب التي تضمنت الصورتين المادية والمعنوية من التعاون والتكافل كقوله ﷺ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ».

إن التعاون والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي.

وهناك صور لهذا التكافل، بين الفرد وذاته، وتكافل بين الفرد والأسرة، وتكافل بين الفرد والجماعة.

فالتكافل بين الفرد وذاته أو بما يسمى بالتوافق النفسي أن ينهاها عن شهواتها ويزكيها ويطهرها ويسلك بها طريق النجاة والسلامة.

والتكافل بين الفرد وأسرته يعتبر قوام هذه الأسرة ورباطها الذي يقوي عناصر المحبة والود والإخاء ويسهم في بناء كيان قوي مؤسس على الحق والخير في المجتمع، وجاء الأمر بتقوية هذا الجانب في أحاديث الباب كالحث على صلة الأرحام وغيره.

والتكافل بين الفرد والجماعة بعد التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته يجعله يحصل الثمرة ويحسن عمله[1]، ويقوي من روابط الأخوة في المجتمع وكثرة روافدها وتقويتها، وذلك كعيادة المريض وعون المظلوم وإفشاء السلام والتحابّ، وغير ذلك من دعائم الأخوة الإسلامية التي وردت في أحاديث الباب.

"إن توجيهات القرآن والسنة في الحث على التعاون والتكافل الاجتماعي والحث على الصدقة وصلة الأرحام وبر الأقارب ورعاية حقوق الجيران والأخوة وتفقد أحوالهم من أعظم عوامل التمسك والوئام في المجتمع الإسلامي، وهذا مالا يوجد له نظير ولا مثيل في مجتمعات الدنيا[2].

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٥١-١٥٣.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٧.

ثالثاً- التعامل مع البيئة والانخراط في المجتمع:

إن من المهام الملقاة على المربين والمعلمين ومَنْ يقومون بدور التوجيه كعلماء الدين والمفكرين والكُتَّاب والمثقفين أن يبثوا في الناس روح الانتماء للجماعة والانخراط فيها والتعايش معها بما فيها من إيجابيات وسلبيات.

إن الإنسان مدني واجتماعي بطبعه، وعزلته عن الإنسان مخالف لفطرته، ولذلك جاءت آداب الإسلام وأخلاقه تنحو منحى الاجتماع وتنمي من ثقافته وتكثر من روافده، كما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى القيام بالواجبات الاجتماعية كإفشاء السلام والتعاون، ونصر الضعيف وعيادة المريض وتقوية الروابط الأسرية بصلة الأرحام وغير ذلك كما في حديث أبي عمارة البراء بن عازب ﷺ قال: «أمرَنا رسولُ اللّه ﷺ بسبع: بعيادةِ المريض، واتّباع الجنائز، وتشميتِ العاطِس، ونصرِ الضعيف، وعونِ المظلوم، وإفشاءِ السلام، وإبرارِ المقسِم». ومثل هذه الأعمال لا تتأتى من إنسان منعزل عن الناس منغلق على نفسه، وإنما تتأتى من إنسان منخرط في صفوف الجماعة وعالم الناس.

"لذا ينبغي على المربي أن يُعوِّد المتربي على التعامل مع البيئة التي يحيا فيها بطريقة صحيحة حتى لا ينشأ معزولاً أو خاملاً، أو يصير قعيد البيت لا يبرحه إلا في صحبة والده أو أخيه الأكبر، لذا كان من اللازم تربية النشء على المشاركة الاجتماعية الإيجابية.

فيُعوَّد الناشئ على الخروج في أوقات الأمان والقيام بشراء بعض الاحتياجات، ويتحمل بعض المسؤوليات والواجبات الاجتماعية التي تناسب المرحلة العمرية...، وينبه على آداب الطريق والسير فيه. كما ينبغي إشعار الصبي بمكانته، وأن مِثْله يُعتمد عليه وأنه أهل للقيام بالمهام وتحمل المسؤولية، كما ينبغي أن يعوده على القيام بالحقوق الاجتماعية فيعوده مثلاً على الذهاب لعيادة جاره، أو زميل الدراسة المريض ... لكن ينبغي في هذه الحالة أن يكون معه مربيه أو أخوه الكبير تحقيقاً للفائدة المرجوة منها..."[1].

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف، ص١١٢، ١١٣.

رابعاً- التطبيق التربوي والتدريب العملي:

من أفضل الأساليب التربوية لإنجاح العملية التعليمية والتربوية توجيه المتربين إلى التطبيق والتدريب العملي والمشاركة والممارسة الفعلية، فإنه لا ينبغي أن تقف العملية التربوية عند حد الوظيفة المعرفية، وإنما ينبغي أن تتجاوز إلى الوظيفة العملية والتطبيق الفعلي، إذ "أن الجانب المعرفي ليس مقصوداً لذاته وإنما وسيلة للتطبيق الصحيح، فإن العلم بدون ممارسته عملياً لا قيمة له ولا ثمرة، فمثلاً الدارس للعبادات مع عدم العمل بها فإنه لا قيمة لهذه الدراسة بل هي جهد وحجة قائمة على المتعلم، وكذلك الطبيب والمهندس وغيرهما إذا لم يقم الإنسان بعمله وفق ما تعلمه فإنه جهد بلا إنتاج، وعلم بلا ثمرة"[(١)]. ومن هنا تبرز أهمية التطبيق التربوي والممارسة العملية، ويمكن للقارئ أن يرى الإشارة إلى ذلك في أحاديث الباب، ومن دلائل ذلك ما أمر الله تعالى به آدم من الذهاب إلى نفر من الملائكة والتسليم عليهم، فلم يكتف سبحانه بمجرد تعليم آدم، وإنما أمره أن يمارس ذلك ممارسة عملية، ففي الحديث «لما خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عليه السلام قال: اذْهَبْ فسَلِّمْ على أُولئِكَ: نَفَرٍ مِنَ المَلائِكَةِ جُلُوس فاستَمِعْ ما يُحَيُّونَكَ، فإنَّها تَحِيَّتُكَ وتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فقال: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فقالوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ: وَرَحمَةُ اللَّهِ».

وعلى المستوى البشري نرى ذلك أيضاً واضحاً في اصطحاب ابن عمر للطفيل بن أبي ابن كعب رضي الله عنهما إلى السوق من أجل السلام، فعبدالله بن عمر رضي الله عنهما لم يكتف بمجرد نقل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الآمرة بإفشاء السلام وتلقينها الطفيل رضي الله عنه، وغيره من المسلمين، بل عمد إلى التطبيق العملي لذلك، كما في الحديث عن الطفيل بن أبي ابن كعب أنه كان يأتي عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبدالله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه...".

"إن التوجيه النظري وحده لا يكفي إلا إذا أضيف إليه التدريب العملي"[(٢)]. بل ولا يكتفي بالتوجيه العملي مرة أو مرتين، وإنما ينبغي أن يصبغ بالدوام والاستمرارية

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٤٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٣١٣.

والتكرار، ونلاحظ ذلك من حديث الطفيل مع ابن عمر رضي الله عنهما، وذلك من خلال الألفاظ الدالة على التكرار والكثرة، فمثلاً قوله: "أنه كان يأتي عبدالله بن عمر فيغدوا معه إلى السوق، قال فإذا غدونا..."، وقوله: "إنما نغدوا من أجل السلام.."، فإنه: "بالتكرار ومرور الزمن تصبح هذه التدريبات جزءً من عادات الفرد المتمكنة، ذات الجذور العميقة في قرارة نفسه"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجالين التربوي والتعليمي، منها:

أ-الإلقاء: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس ونصر الضعيف، وعون المظلوم وإفشاء السلام وإبرار القسم" وكما في حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام".

والتربية بالتلقين تتميز بأثرها البالغ في نفوس المسلمين، لذا فلم يكن المربي الأول صاحب الرسالة، محمد ﷺ يغيب عنه هذا الأمر أو يهمله، فقد كان يستعملها في أغلب المواقف، وخاصة المواقف التي تتعلق بمصالح العباد وترتبط بحقوقهم. كما كان يستعلمها في الأمور المتعلقة بالآخرة.

ب-الإقناع العقلي: كما في إقناع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما الطفيل بن أبي بن كعب أن إتيانه للسوق كان بغرض إلقاء السلام على من يلقاه.

والإقناع العقلي يتميز بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين ويناسب مواقف التعلم المختلفة.

❁ ❁ ❁

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١، دار عمار، عمّان: ١٩٩٩م، ص٧٥.

١٣٢- باب كيفية السلام

يُستَحَبُّ أنْ يَقُولَ المُبْتَدِئُ بالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتِي بِضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيَقُولُ المُجِيبُ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِوَاوِ العَطْفِ في قَوْلِه: وَعَلَيْكُمْ.

الحديث رقم (٨٥١)

٨٥١-عن عِمْرَان بن الحصين رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((عَشْرٌ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((عِشْرُونَ)) ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((ثَلَاثُونَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر قيمة إفشاء السلام في زيادة الحسنات، وقد قرر المعنى بطريقة حوارية تحقق التشويق للحديث بداية، وتحقق للمعنى الثبات نهاية، وقد توصل إلى ذلك من خلال التدرج في إثبات الأجر من الأدنى إلى الأعلى خلال استثمار الحدث بدخول الرجل الذي ألقى السلام بصيغة مقتضبة: (السلام عليكم) بما يعدل ثلث العبارة فرد عليه ثم جلس فجاء قول النبي ﷺ (عشر) مبنية على الإيجاز أي: أجره عشر، أو له عشر، وكذلك في رده على الثاني بقوله (عشرون) أي أجره عشرون، أو له عشرون، وعلى الثالث بقوله (ثلاثون)، ومن الملاحظ أنه حذف المميز للعدد أي: أجره ثلاثون

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٩٥ واللفظ له، والترمذي ٢٦٨٩ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٦.

حسنة، أو درجة، ومن الملاحظ فيما حذف أنه مفهوم من بقية الكلام فالإيجاز حقق المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال...) [(١)] ومن الملاحظ في عطف الجمل في رد السلام، أنها عطفت بالفاء التي تشير إلى الفورية، والسرعة دون مهلة قد يظن فيها من ألقى التحية الظنون في سبب عدم الرد، أو تأخره مما قد يسبب له الحرج، أو الضيق الأمر الذي يتعارض مع الغرض الحقيقي للسلام.

فقه الحديث

إن السلام المأمور به له أقل وأكمل، فأقله أن يقول المسلم: السلام عليكم، أو سلام عليكم، والأول أفضل.

وأكمله: أن يقول المسلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته[(٢)].

وصيغة الردّ أن يقول المسلَّم عليه: وعليكم السلام، ويصحّ أن يقول: سلام عليكم. والأول أفضل، والأصل في صيغة الرد أن تنتهي إلى البركة فتقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وإذا قال المسلِّم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإن الزيادة تكون واجبة، فلو اقتصر المسلَّم على لفظ: السلام عليكم كانت الزيادة مستحبة؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[(٣)][(٤)].

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق: د. مفيد قميحة صد٨٠.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٣٦٨/٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: روح المعاني ٩٩/٥، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٢/٦، والعدوي على الرسالة ٤٣٥/٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٩/٢٥-١٦٠، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤٢-٣٢٣ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام.

ثانيًا: من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على إفشاء السلام:

لقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ ما جاء به رسول الله ﷺ من هدي بالقبول والتطبيق، ومن ذلك الدعوة إلى السلام وإفشائه، وفي الحديث دلالة على مدى حرص الصحابة جميعهم على تجميل علاقاتهم بالسلام، ففي الحديث نرى أنه ما من داخل على الرسول ﷺ وأصحابه إلا وألقى السلام، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم.. ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..)، فما أجدر الناس بالاقتداء بأحوال الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على التطبيق العملي لسنة رسول الله ﷺ والاقتداء به في ضبط الأقوال والأفعال"[1].

ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث من بيان حرصهم رضي الله عنهم على إفشاء السلام الذي هو تحية المسلمين، قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾[2]، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في لقيا الملائكة له: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[3].

وهذا السلام له فضائل وميزات، فقد ورد أنه من خير الإسلام، روي عن عبدالله

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦٣/٢، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٨٠/٢، ٢٥٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٤.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: ((تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[١].

كما أن السلام من أسباب المودة والألفة والمحبة بين المسلمين وفيه الأجر العظيم والخير الكثير، فهو من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: ((لا تدخلوا الجنةَ حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا، أو لا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[٢]. أي لا يكمل إيمانكم، أو لا يكون حالكم حال من كمل إيمانه حتى تفشوا السلام الجالب للمحبة الدينية والألفة الشرعية، وإفشاء السلام إظهاره وإشاعته وإقراؤه على المعروف وغير المعروف[٣].

والسلام هو اسم من أسماء الله تعالى، فكأن المسلّم عندما يسلم يقول: أنت في حفظ الله تعالى، قيل: إن السلام دعاء بالسلامة[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: البيان والتعليم للثواب المترتب على إفشاء السلام:

إن من أبرز الأمور الواجبة على الداعية الاضطلاع بها، البيان وتعليم المدعوين، وذلك أمر الله، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥]، لما للبيان الواضح من تأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصحيحة[٦]، ومن ذلك بيان الثواب المترتب على السلام كما ورد في الحديث: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس، فقال النبي ﷺ: (عشر)، ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال: عشرون ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٤٢/١.

(٤) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، فإن بيان الأجر ومقدار الثواب لمن أكبر الدوافع إلى الإتيان بالعمل، وقد استخدم القرآن ذلك مرارًا فبيّن الثواب ومضاعفته، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾[1]، وقوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

فإن بيان الثواب المعد على الطاعة، وبيان كيفية الإتيان والقيام بالطاعة وتعليمها، من وسائل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يستخدم أسلوب التعليم في تلقين الصحابة رضي الله عنهم ماهية العبادة وكيفية الإتيان بها، كما جاء في الحديث من بيان ثواب السلام، وكما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه يتبين لنا كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم حيث قال عليه الصلاة والسلام: ((إذا عطَسَ أحدُكم فليقل الحمد لله، وليقلْ له أخوه أو صاحبه - يَرحمكَ الله، فإذا قال له يَرحمكَ الله، فليقل: يَهديكُم الله ويُصلحُ بالكم))[4]، فما أحرى بالدعاة إلى أن أن يهتموا بتعليم الناس الخير، لينالوا الأجر العظيم ويفوزوا بالنعيم المقيم.

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على تحصيل الثواب:

إن صيغة السلام كلما ازدادت ألفاظها ازدادت حسناتها، لذا كان من آداب المدعو حرصه على نيل الأجر والمثوبة بذكر الصيغة التامة في التسليم، والتي جاءت في الحديث: (ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال: ثلاثون)، أي: ثلاثون حسنة، لأن الحسنة يجزى صاحبها بعشر أمثالها، وذلك بناء على أن كلا من السلام ورحمة الله وبركاته حسنة مستقلة، فإذا أتى بواحدة منها

---

(١) سورة النمل، آية: ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤٢.

حصل له عشر حسنات، وإن أتى بها كلها حصل له ثلاثون حسنة[١]، فإن الأجر يتفاوت بقدر التفاوت في بذل السلام كله أو بعضه، فالدعاء بالسلام ثوابه عشر حسنات، فإن ضم إليه الدعاء بالرحمة صارت عشرين، وإن ضمت إليهما البركة صارت ثلاثين، وهذا لكل من المبتدئ بالسلام والراد عليه[٢]، وهكذا الفضائل تزيد المثوبات بزيادة العمل.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في إتمام صيغة السلام بزيادة الثواب، (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه ثم جلس فقال النبي ﷺ: عشر... ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله.. فقال: عشرون... ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... فقال: ثلاثون)، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية أثرًا في قيادة النفوس، لحبها ما ينفعها وحرصها على الحصول عليه، وقد ورد أسلوب الترغيب في القرآن كثيرًا وأمر الله به نبيه ﷺ مع قيامه بأساليب أخرى[٣]، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٤]، فأحد هذه الأسباب: الموعظة الحسنة وهي كما وضحها ابن القيم: (الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة)[٥].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٢.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ص ١٩٤.

الحديث رقم (٨٥٢)

٨٥٢- وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((هَذَا جِبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ)) قالت: قُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: ((وَبَرَكَاتُهُ)) وفي بعضها بحذفِها[2]، وزِيادةُ الثقةِ مقبولة.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حديث النبي ﷺ مع آل بيته له خصوصية عن غيره من وجوه، منها أن ما يسفر عنه هذا الحديث يصير تشريعات للأمة، تقتدي به، ثانياً أنه حديث يتسم بالأدب العالي، وحسن الأخذ، والرد، ثالثاً: يتميز بأنه من طبقة البيان العالي، بل أعلاها على الإطلاق على المستوى البشري، رابعاً تتجسد فيه أعلى معاني الرحمة، والمحبة، والحنان، والتوقير، وكل المعاني السامية التي يحاول أصحاب النفوس العالية تمثّلها، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (قال لي رسول الله ﷺ) يوحي بالاعتزاز، والسرور لأنها قدمت الجار، والمجرور: (لي) لتفيد اختصاص نفسها بهذا الحديث دون غيرها اعتزازاً بمقول القول، ثم إنها استخدمت صيغة الماضي دلالة على التحقق، وقول الرسول ﷺ (هَذَا جِبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمَ) استخدام اسم الإشارة يوحي بالمدح، وتقديم الخبر (عليك) على المبتدأ يشير إلى الخصوصية، والخبر بيان، وتشريف لام المؤمنين - رضي الله عنها، وأرضاها -.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢١٧، ومسلم ٢٤٤٧/٩٠.

(٢) عند البخاري برقم ٦٢٠١، ٦٢٤٩، ٦٢٥٣، وكذا عند مسلم.

فقه الحديث

١- يسن بعث السلام إلى من غاب عنه، ويلزم الرسول تبليغه، لأنه أمانة، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[1]) [2].

٢- بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة، إذا لم يخف ترتب مفسدة، وأن الذي يَبْلُغُه السلام يرد عليه، وهذا الرد واجب على الفور، وكذا إذا بلغه سلام في ورقة من غائب لزمه أن يرد السلام عليه باللفظ على الفور إذا قرأه.

٣- يستحب في الرد أن يقول وعليك أو عليكم السلام بالواو، فلو قال عليك السلام أو عليكم أجزأه على الصحيح وكان تاركًا للأفضل[3].

٤- ويستحب أن يرد على المبلغ أيضًا، فيقول: وعليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاته[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها.

ثالثًا: من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام عليها:

جاء في الحديث التصريح بإخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بتسليم جبريل عليه السلام

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١/١٥/٨ دار الكتب العلمية، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٠/٢٥.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٨، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤.

عليها، فعنها أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام)، فقوله: (هذا جبريل) يقتضي أنه كان حاضرًا حينئذٍ، كما هو أصل وضع اسم الإشارة[١]، قال النووي: (وفيه استحباب بعث السلام ويجب على الرسول تبليغه، وأن الذي يبلغه السلام يرد عليه، وكذا لو بلغه سلام في ورقة من غائب ونحوه)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عائشة رضي الله عنها:

إن لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من الفضل ما لا يخفى على أحد، فهي العتيقة بنت العتيق، حبيبة الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين المبرأة من العيوب، المعراة من ارتياب القلوب[٣]، ومن فضل عائشة رضي الله عنها ما جاء في الحديث من تسليم جبريل عليه السلام عليها وإبلاغ رسول الله ﷺ لها: (هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: قلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، وفي الحديث فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها[٤]، إلى غير ذلك من الفضائل، فقد حفظت عن رسول الله ﷺ الكثير، وأَكثَرَ الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا، حتى قيل: إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها[٥]، وقد ورد في فضلها الأحاديث الكثيرة، منها ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَمُلَ منَ الرِّجال كثيرٌ، ولم يكمُلْ منَ النساء إلاّ مريمُ بنت عِمرانَ وآسِيةُ امرأةُ فِرعونَ. وفضلُ عائشةَ على النساء كفضل الثَّرِيدِ على سائر الطعام))[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٤.

(٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد بن عبدالرحمن العك ١/١٢٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٣٤.

(٦) أخرجه البخاري ٣٧٦٩.

ثالثًا- من آداب الداعية: الحث على ذكر الصيغة التامة للسلام:

إن في سلام جبريل عليه السلام وإبلاغ رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها وردها عليه بالصيغة التامة: (وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)، امتثالاً واستجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1][2]، وهذه الآية من آداب السلام، علم الله بها المؤمنين أن يردوا على المسلِّم بالأحسن من سلامه أو بما يماثله، ليبطل ما كان في الجاهلية من تفاوت السادة والدهماء، وتكون التحية أحسن بزيادة المعنى، فلذلك قالوا في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾[3].

إن تحية إبراهيم عليه السلام كانت أحسن، إذ عبر عنها بما هو أقوى في كلام العرب وهو رفع المصدر للدلالة على الثبات وتناسي الحدوث المؤذن به نصب المصدر، وليس في لغة إبراهيم عليه السلام مثل ذلك، ولكنه من بديع الترجمة، ولذلك جاء في تحية الإسلام: السلام عليكم، وفي ردها: وعليكم السلام، لأن تقديم الظرف فيه للاهتمام بضمير المخاطب، وقال بعض الناس: إن الواو في رد السلام تفيد معنى الزيادة، فلو كان المسلِّم بلغ غاية التحية أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فإذا قال الراد: وعليكم السلام...، كان قد ردها بأحسن منها بزيادة الواو[4]، ولذا جاءت الآية والأحاديث حاضّة على زيادة ألفاظ السلام والإتيان بالصيغ الكاملة له، فإن الثواب يزداد بقدر السلام، فمن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كانت له ثلاث حسنات مضاعفة إلى ثلاثين حسنة[5]، وكما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[6]، وذلك من بالغ فضله تبارك وتعالى بأن يعطي على الحسنة عشرة أمثالها،

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٠.

(٣) سورة هود، آية: ٦٩.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٤٧/٥/٢.

(٥) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د. مصطفى سعيد الخن وآخرون ٥٧٩/١.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وهي مماثلة موكولة إلى علم الله تعالى وفضله"[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ضمنيًّا في رد عائشة رضي الله عنها على جبريل عليه السلام بالصيغة التامة فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا، وأشدها تأثيرًا في نفوس المدعوين، فإن ترغيب الإنسان وإغرائه ووعده بأنواع العطاء والنعيم، لمن أكبر الأسباب إلى التأثير في النفوس وتوجيهها الوجهة الصواب، وذلك لما جُبِلَ عليه الإنسان من التطلع إلى ما هو أعظم وأجدى[٢].

وقد رغّب القرآن في تحية السلام وردها، وإتيان الأكمل والإحسان فيها؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]، أي: كان على كل شيء تعملونه حسيبًا ومكافئًا[٤]، فاستحضار عطاء الله ومكافئته على الأعمال الصالحة، لمن أكبر الدوافع إلى عمل الخير وخير العمل.

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٩٦/٥/٤.

(٢) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٤٣/٥/١.

الحديث رقم (٨٥٣)

٨٥٣- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تكلم بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سلم عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاريُّ[1].

وهذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إعادة كلامه ﷺ ثلاثاً من علمه بأحوال الناس، ورعاية لحال من تأخر فهمه، أو اختلفت لهجته، والتكرار هنا من رعاية الكلام لمقتضى الحال الذي هو من البلاغة عينها، وقد صاغ الراوي المعنى في أسلوب خبري يتسم بالهدوء، والثقة ومع ذلك فقد أكّده بإن، ثم ضمير الشأن المتصل به، لغرض تفخيم الشأن بذكره مبهماً، ثم مفسراً، وهو إحساس منه بعظمة الرسول ﷺ وهيبته، وإجلاله في نفوسه، وكذا حال الصحابة جميعاً توقيراً للرسول ﷺ والفعل (كان) يدخل بالمخاطبين بوابة الماضي، لينقل منه ضوعة من عبق الحبيب، وأسلوب الشرط المؤذن بقوة الاتصال بين الشرط، والجزاء يربط الكلام بالإعادة ثلاثاً، كلما استُجِد كلام استُجِدت إعادة علامة على أنها صارت عادة في كلامه ﷺ واستخدام (إذا) في الشرط يوحي بتحقق الوقوع، وصياغة فعل الشرط، وجزائه في صورة الماضي يؤكد هذا التحقق، وقوله (حتى تفهم عنه) تقرير للغاية التي يسعى إليها، فقد كان همُّه التبليغ، وحرصه على كل فرد من أفراد أمته.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٩٥، وتقدم برقم ٦٩٦.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٩٦).

الحديث رقم (٨٥٤)

٨٥٤- وعن المِقْدَادِ رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل، قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لاَ يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ،... فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

الشرح الأدبي

قول المقداد رضي الله عنه كنا يشير إلى أن الحدث طواه الزمان كما يشير إلى تمام تحققه، وإذا كان كذلك فقد صار سُنة عنه يتلقفها الصالحون الصادقون في كل مكان، وزمان، وقوله (نرفع) يشير إلى أنه فعل جمع مما يمنح الخبر لوناً من التوكيد، وقوله (فيجيء) التعبير بالمجيء؛ لأنه لا يحتاج إلى صلة بعكس أتي، ونحوها، ولذلك يقال جاء فلان نفسه، ولا يقال أتى فلان نفسه، وقوله (فَيُسَلِّمُ تَسْلِيماً لاَ يُوقِظُ نَائِماً) استخدام الفاء يؤذن بالسرعة، والتسليم فور الدخول، وبين (يسلم، و تسليماً) جناس رقيق يشبه حفيف تسليم المسلم الذي يفيض عليهم من معاني الكلمة ما يبعث الأمان، والمحبة، وكذلك بين (يوقظ ويقظان)، وقوله (فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ) بيان عملي لطريقة تسليمه التي سبق بيانها قولاً، والتسليم بهذا المعنى ينم عن ذوق عالٍ يراعي أحوال الجميع، وينشر المحبة.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يشترط في ابتداء السلام وجوابه رفع الصوت؛ بحيث يصل الأسماع، وينبغي أن يرفع صوته رفعًا يسمعه المسلَّم عليهم والمردود عليهم سماعًا محققًا. ولا يزيد في رفعه على ذلك، فإن شك في سماعهم زاد واستظهر، وإن سلّم على

---

(١) برقم ٢٠٥٥/١٧٤.

أيقاظ عندهم نيام، خفض صوته بحيث يسمعه الأيقاظ ولا يستيقظ النيام، وذلك لحديث الباب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: إفشاء السلام.

أولاً- من آداب الداعية: إفشاء السلام ومراعاة أحوال المخاطبين:

إن من الآداب التي يتحلى بها الداعية: إفشاء السلام، وقد أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[٢]، وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾[٣]، كما أن إفشاء الداعية السلام سبب جالب لمحبة المدعوين وإقبالهم عليه[٤]، وذلك من عموم قوله ﷺ: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم"[٥]، ولذلك كان النبي ﷺ بالغ الحرص على إفشاء السلام، والحديث يعكس ما كان عليه ﷺ من حرص على إفشاء السلام "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان ...".

فإفشاء السلام من الآداب الإسلامية الجميلة، التي تعود على الفرد والمجتمع بأطيب الآثار والثمار، وتنشر المودة ويتحاب الناس فيما بينهم، فالامتثال بمثل هذه

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٢/٤ .

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٨.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

الآداب من شأنه أن يقوي أواصر الأخوة، ويصفي النفوس من أدرانها، ويزيد الألفة والمحبة بين قلوب المؤمنين، ويَسُلُّ السخيمة من الصدور[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أدب إفشاء السلام لمن دخل على قوم وفيهم نيام:

جاء في الحديث بيان أدب السلام لمن دخل على قوم فيهم نيام من قوله: "فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، وذلك يبين لنا ما كان عليه ﷺ من أدب عالٍ وخلق رفيع، قال النووي: " هذا فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأنه يكون سلامًا متوسطًا بين الرفع والمخافتة، بحيث يسمع الأيقاظ ولا يهوش على غيرهم[٢]. قال ابن عثيمين: وهكذا ينبغي للإنسان إذا دخل بيتًا أو حجرة أو ما أشبه ذلك وفيها نيام وأيقاظ، أن يسلم سلامًا يسمعه الأيقاظ ولا يوقظ النيام، لأن النائم لا يحب أن يوقظه أحد، لاسيما أن بعض الناس إذا أوقظ، ما يأتيه النوم بعد ذلك، ويبقى أرِقًا إلى الفجر، وهذا فيه أذى وفيه ضرر على الآخرين[٣].

فما أحرى بالإنسان أن يتمسك بآداب الإسلام ويتخلق بأخلاقه "إن الإسلام كله أدب وذوق رفيعان، لم يصل إليهما، بل لم يعرفهما بنو آدم من قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين، وما كان لهم أن يكون لهم ذلك بغير تعليم العليم الخبير لهم، وتربيته وتزكيته لهم، فالإسلام كله ناطق بهذه السمة في تعاليمه وأحكامه كلها، وتمثلت تلك الآداب وهذه الأخلاق كلها في شخصية النبي ﷺ، فلقد كانت حياته كلها ذوقًا رفيعًا وأدبًا عاليًا، والوثيقة الناطقة بهذا هي كتاب الله، القرآن الكريم، وحديث النبي ﷺ وسيرته[٤]، ولقد شهد له ربه عز وجل بهذا فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٥].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص١٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٤٧/٢.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الرحيلي، ص١٧٠.

(٥) سورة القلم، آية: ٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأدب العالي والخلق الرفيع للنبي ﷺ:

لقد مثل رسول الله ﷺ بأخلاقه وآدابه أمام البشرية مثولاً يسمو بخواطرها إلى صورة الكمال، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[١]، فكان ﷺ ولا زال خير مثال تقتدي به الإنسانية في الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الآداب[٢]. وفي الحديث أنموذج حي على حسن أخلاقه وكريم شمائله" فيجيء من الليل فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا ويسمع اليقظان"، أي يسلم تسليما متوسطًا بين أقل الجهد وما فوقه[٣]، وذلك مما يدل على محاسن صفاته وأحاسن آدابه[٤].

وفي الحديث دلالة على أنه ينبغي على الإنسان في إلقائه السلام، أن يراعى أحوال الناس فلا ينغص هدوءهم، ولا يكدر راحتهم، كما كان شأن رسول الله ﷺ والذي ورد في الحديث بيان حال سلامه ﷺ إذا قدم على بعض أصحابه النائمين، فيسلم في صوت خافت يسمعه اليقظان ولا يتأثر به النائم، وهذا حسن تصرف وكمال يجب مراعاته في السلام وغيره من الأمور[٥].

رابعًا- من أساليب الدعوة: إفشاء السلام:

يبدو ذلك في الحديث في قوله: "فيسلم تسليمًا" قال النووي: والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة[٦]، وذلك مما يجعل الداعية محبوبًا من قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، أما الإعراض عن الناس، والتكبر عليهم، والاستنكاف من التقرب إليهم والسلام عليهم، فإنه يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله[٧].

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر ص ١٠٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٢.

(٤) نور اليقين، محمد الخضري ص ١٦٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٠.

(٧) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

لذلك حرص الإسلام كل الحرص على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، من أجل ذلك كان حرص الإسلام كبيرًا، على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة[1].

(١) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم، ص١٣.

الحديث رقم (٨٥٥)

٨٥٥- وعن أسماء بنتِ يزيد رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ. رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

وهذا محمول عَلَى أنَّه ﷺ، جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإِشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أنَّ في رِوَايَةِ أَبي داود[٢]: ((فَسَلَّمَ عَلَيْنَا)).

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

غريب الألفاظ:

العصبة: الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين[٣].

ألوى بيده: أشار بيده[٤].

الشرح الأدبي

ذكر الظرف المكاني الذي حوى الحدث (في المسجد) ؛ لأن له تعلقاً بالحدث بوجه من الوجوه يتبين خلال التأمل، وقد طوى تحديد الزمان، وأبهمه بتنكيره (يوماً) لأنه لا ترتبط بتحديده فائدة للمعنى الذي يريد تقريره، والتعبير بالعصبة يقرِّب حجم المجموعة الجالسة من العشرة إلى الأربعين، كما يوحي بأنه لا يوجد بينهم من هو مختلف عنهم في الجنس كالرجال، أو في العقيدة كغير المسلمين، أو في الغاية، وهي طلب العلم، أو الصلاة فهم كالمعتصبون بهذه الصفات فالعصب من معانيه الحزم، والشد، وقوله (فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتسْلِيمِ) استخدم الإشارة في إلقاء السلام مع اللفظ، وهذا يعطي الكلام تمكناً؛ لأن المعنى يشترك في استقباله البصر مع السمع، مما يجعله أوضح في الذهن، وأثبت مع الزمن.

---

(١) برقم ٢٦٩٧. ونقل الترمذي عن أحمد بن حنبل أنه قال: لا بأس بحديث عبد الحميد بن بهرام، عن شَهْر بن حَوْشَب، وقال محمد بن إسماعيل البخاري: شهر حسن الحديث وقوى أمره.

(٢) برقم ٥٢٠٤.

(٣) النهاية في (ع ص ب).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل و ي).

فقه الحديث

كراهة الإشارة بالسلام باليد ونحوها بلا لفظ [١]:

يكره السلام أو ردّه بالإشارة: بالرد باليد أو بالرأس بغير نطقٍ بالسلام مع القدرة وقرب المسلَّم عليه، لأن ذلك من عمل أهل الكتاب: اليهود والنصارى، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهُ بِغَيْرِنَا لاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلاَ بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الإِشَارَةُ بِالأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِّ))[٢].

فإن كانت الإشارة مقرونة بالنطق، بحيث وقع التسليم أو الرد باللسان مع الإشارة، أو كان المسلَّم عليه بعيدًا عن المسلِّم بحيث لا يسمع صوته، فيشير إليه بالسلام بيده أو رأسه ليعلمه أنه يسلم، فلا كراهة.

وتكفي الإشارة في السلام على أصم أو أخرس أو الرد على سلامه[٣].

أمّا رد السلام بالإشارة في الصلاة، فقد ذكر الصنعاني أن العلماء اختلفوا في ذلك، فذهب جماعة إلى أنّه يرد بعد السلام من الصلاة. وقال قوم: يردّ في نفسه وقال قوم: يرد بالإشارة. كما أفاده حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قلت لبلال: كيف رأيت النبي يرد عليهم حين يسلمون عليه، وهو يصلّي؟ قال: يقول هكذا، وبسطه كفه)[٤].

قال الصنعاني: (هذا هو أقرب الأقوال للدليل وما عداه لم يأت به دليل)[٥].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧ .

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٩٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٦٨).

(٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٢-٤٢٣ ط/ حلب، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٢، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٧٧-٢٧٩، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٥٩-١٦٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٢٧، والترمذي ٣٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٨٢٠).

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٦١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإشارة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المسجد:

قد أشير إلى ذلك في الحديث في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا))، فإن المسجد يعد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض، وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض فيه، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع شأنه في آيات كثيرة[1]، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[2]، لذلك حرص النبي ﷺ أول ما نزل المدينة على بناء المسجد فأقام مسجد قباء، ولما نزل في بيت أبي أيوب اتجه تفكيره إلى إنشاء مسجده بالمدينة[3].

وذلك لما للمسجد من أهمية، إن المساجد هي مجامع الأمة وملتقى الأئمة، ومما لا شك فيه أن رسالة المسجد في الإسلام تشمل جميع جوانب الحياة، لذا ينبغي إعطاء المسجد رسالته في الحياة[4]؛ فالمسجد عندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي بني من أجله وأراده الله له، يكون من أعظم المؤثرات في الإنسان، حيث إن له دورًا عظيمًا في تعميق المفاهيم الإسلامية، وغرس الفضائل الروحية والخلقية والعقلية، إذ في المسجد يسمع

---

(١) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ص١١، ١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني، العهد المدني، محمد أبو زهرة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة وسنة النبي ﷺ، الدوحة: المحرم ١٤٠٠هـ ص ٦٤٢..

(٤) انظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير، ٨/١.

الإنسان الخطب والدروس العلمية، مما يساعده على وعي العقيدة الإسلامية، ومعرفة الغاية التي من أجلها خُلق، ويتعلم القرآن[١]، وبهذا ينغرس في نفس الإنسان إخلاص العبادة لله عز وجل، وينمو لديه الجانب الروحي والخلقي والعقلي، وتتوثق صلته بإخوانه المسلمين الذين يجتمع بهم في المسجد[٢].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

قد جاء في الحديث ذكر النساء، في قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، ((أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود)). لقد اهتم الإسلام بالنساء وجعلهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ﴾[٣]، ولا بد من تكثيف النشاط لهداية النساء، فإن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها، ومنع لآية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هى أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه[٤].

لذا كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يذكر ويبين لهن أحكام الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قالت النساء للنبي ﷺ: ((غَلَبَنَا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: «واثنين»))[٥]. والمرأة المسلمة لها مكانتها في الأسرة، ومن ثم في المجتمع الإسلامي بأسره، وبصلاحها يحصل الخير الكثير، لذا كان على القائمين على الدعوة مؤسسات وأفرادًا، أن يعتنوا بالمرأة تربيةً على أحكام الإسلام، وتوجيهًا إلى ما فيه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بناءها ورعايتها، د. ناصر التركي، ص٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣، ٧٤.

(٥) أخرجه البخاري واللفظ له ١٠١، ومسلم ٢٦٣٤.

صلاحها وفلاح المجتمع المسلم.

لقد جاء في الحديث التصريح بتسليم النبي ﷺ "أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا، وعصبة من النساء قعود، فألوى بيده بالتسليم" أي أشار بيده بالتسليم، وهذا محمول على أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة، وفيه دلالة على جواز التسليم على النساء، والمراد بجوازه أن يكون غير آمن الفتنة، وقال الحليمي: كان النبي ﷺ للعصمة مأمونًا من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم، وإلا فالصمت أسلم[1].

قال ابن عثيمين: (السلام على المحارم من النساء والزوجات سنة، وأما الأجانب فلا تسلم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات إذا كنت آمنًا على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم، أن الإنسان لا يسلم على المرأة إذا لاقاها في السوق وهذا هو الصواب، ولكن لو أتيت بيتك ووجدت فيه نساء من معارفك وسلمت فلا بأس ولا حرج بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الإشارة:

ورد استخدام النبي ﷺ في الحديث للإشارة "فألوى بيده بالتسليم" فإن الإشارة من الأساليب البيانية لما في نفس المتكلم، قال الشيخ على محفوظة، وطبقه الصوت واللفظ، وهيئة الوجه، وحركات الجسم، كلها تتضافر على بيان ما في النفس، وتصوير ما بالخاطر، ولا بد في الأداء من أشياء، الذاكرة وحسن اللفظ والصوت والإشارة، لأن جودة الأداء تستدعي أن يتذكر الداعي للحال ما يريد بيانه من المعاني، وأن يوصلها إلى السامعين بالصوت الخاص ناطقًا بها، ولا غنى له معهما عن إشارات تؤيد الكلام وتزيد المعاني وضوحًا [3].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/ ٢٠٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١١٥٢/٢.

(٣) فن الخطابة ص ٦٤، ٦٥

وقال الإمام ابن الجوزى: "فإن من العوام من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة[١] لكن مما ينبغي لفت الداعية والخطيب إليه هو عدم إساءة استخدام الإشارة، فإن من العيوب التي تتعلق بالبيان عدم انتظام الإشارات[٢] وتوافقها مع الكلام المُلْقَى على المدعوين.

إن الدعوة لا تقتصر على القول فقط، بل قد يأتي القول مقرونًا بالإشارة، ولا شك أن الجمع بين القول والإشارة في الدعوة يجعل الدعوة أعمق تأثيرًا وأكثر رسوخًا من القول المجرد، ولقد كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقوم بالدعوة بهذه الصورة، ومن شواهد ذلك ما رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه))[٣] وفي رواية الترمذي: ((من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه))[٤].

قال المناوي: (وضم إصبعيه مشيرًا إلى قرب فاعل ذلك منه، أي دخل مصاحبًا لي قريبًا مني، يعني أن ذلك الفعل مما يقرب فاعله إلى درجات المصطفى ﷺ)[٥].

كما يتمكن المرء من القيام بالدعوة بالإشارة فقط، ومن دلائل ذلك ما جاء عن كعب بن مالك رضي الله عنه ((أنه تقاضى ابن أبي حدرد رضي الله عنه دينًا كان له عليه على عهد رسول الله ﷺ في المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج رسول الله ﷺ إليهما حتى كشف سجف حجرته، فنادى كعب بن مالك، فقال ياكعب، فقال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر، فقال كعب رضي الله عنه قد فعلت يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ قم فاقضه))[٦]. وفي ذلك

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٣٩.

(٢) انظر: الخطابة، محمد أبو زهرة ص ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٣١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٣).

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٧٧/٦.

(٦) أخرجه البخاري واللفظ له ٢٧١٠، ومسلم ٢٠ ١٥٥٨.

جواز الاعتماد على الإشارة وإقامتها مقام القول لقوله "فأشار بيده أن ضع الشطر" لـ "أن" في الحديث مفسرة لأن في الإشارة معنى القول[١].

فخلاصة القول إن الدعوة قد تكون بالإشارة وحدها كما يمكن الاستئناس باقترانها بالقول[٢].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة، الطيبي، ١٧٥/٧.

(٢) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٠٩-٢١٦.

الحديث رقم (٨٥٦)

٨٥٦- وعن أَبي أُمَامَة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إنَّ أولى النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلاَمِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ، ورواه الترمذيُّ[2] بنحوه وقال: (حديثٌ حسن). وَقَدْ ذُكر بعده.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أولى الناس بالله: أي أحقهم بالقرب منه بالطاعة[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالولاية يوحي بمعاني المحبة، والرعاية، والحفظ، وولاية الله هي التقريب، والمحبة، والرضى، والرحمة، وكلها معانٍ حميمة إلى النفس المؤمنة، والتعبير بأفعل التفضيل يرتقي بها درج المراتب، وإضافة (أولى) للناس يعطيها عموماً؛ لأن اللام للجنس، والفعل (بدأ) يدل على تقدمه على غيره، والماضي دل على التحقق، والضمير (هم) المتصل به يشير إلى أنه عمهم بالسلام، وهو معنى قرَّره الرسول ﷺ في غير حديث لأهميته، وقوة تأثيره في نشر الأمن، والمحبة، وذكر الله، الذي يعطي المجتمع المسلم خصوصية، وتميزاً بهذا التحية.

---

(١) برقم ٥١٩٧. قال ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٣٢٧/٥: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٨٩.

(٢) برقم ٢٦٩٤، وسيذكر المؤلف لفظه برقم ٨٥٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٤.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن أولى الناس بالله" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إيقان الداعي بدعوته وحمل المدعو على الاستجابة لها ووقوعها في قلبه موقع القبول والتسليم.

فالتوكيد من أهم الأساليب الدعوية في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به[٢]، وقد شاع استخدام التوكيد في كثير من آيات القرآن والسنة النبوية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]. وقد استخدم النبي ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المؤكد وكذا المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتوكيد والتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالوصية لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بأن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام:

جاءت النصوص النبوية مبينة فضل البدء بالسلام وفي الحديث بيان لوجه من أوجه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (٨٥٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٥٩).

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ١٢٨.

فضل البدء بالسلام، فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" قال الإمام الطيبي: (أى أقرب الناس من المتلاقين إلى رحمة الله من بدأ بالسلام، وهو من أسباب اكتساب ود الناس ومحبتهم. قال عمر رضي الله عنه مما يصفى لك ود أخيك: أن توسع له في المجلس)[١]، أضف إلى ما في البدء بالسلام من استجلاب المودة ودفع النفرة وتآلف القلوب[٢].

(فإن أحسن الناس بالثواب وأقربهم من الله تعالى والتعرض لرحماته ونعمائه مَنْ يبادر ببذل السلام سواء كان ذلك واجبًا عليه أو حقًا له، لما فيه من المبادرة إلى الطاعة وحمل المجيب على الرد بالتسبب فيه)[٣]، ولقد أيقن السلف الصالح بذلك الفضل، وكانوا يحرصون كل الحرص على حوزه بل كان الواحد منهم يخرج من بيته لا لغرض إلا لإلقاء السلام على الناس ومبادئتهم به، ومن النماذج البارزة في ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فروى عن الطفيل بن أبي كعب أخبر: «أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله بن عمر على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه، قال الطفيل فجئت عبد الله بن عمر يومًا فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق قال: وأقول: اجلس بنا ها هنا نتحدث. قال: فقال لي عبد الله بن عمر: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقينا»[٤]. قال الإمام ابن عبدالبر: (في هذا الخبر فضل الابتداء بالسلام ولفعل ابن عمر هذا أصل كبير في السنة[٥]. فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: ((أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٦/٩.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٠٦، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٧٠).

(٥) التمهيد والاستذكار، موسوعة شروح الموطأ ٢٩/٢٣.

وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))[١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم))[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ بالبدء بالسلام وبيانه ﷺ ذلك سبب من أسباب القرب من الله واستحقاق رحمته فقال ﷺ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استخدامًا لماله من أثر بالغ في نفوس المدعوين لما فيه من الحث على الخير والتذكير بالحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل[٣].

وقد استخدم الرسول ﷺ الترغيب كأسلوب من أساليب التربية والإعداد بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات الوجدانية والعواطف الربانية، لأنه ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[٤]، ومن أمثلة الترغيب ما روى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ. طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً. لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ. فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[٥]. فالترغيب أسلوب ضاغط ودافع باتجاه الخير والسلوك الحسن وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء حرصًا منه على نيل المرغَّب فيه وخشية من فواته لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ص ٧٢.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ٢٥٨.

(٥) أخره البخاري ١٨٢، ومسلم ٢١٨٢ واللفظ له.

(٦) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٣.

الحديث رقم (٨٥٧)

٨٥٧- وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ رضي الله عنه ، قَالَ: أتيت رسول الله ﷺ ، فقلتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رسول الله. قَالَ: ((**لاَ تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عَلَيْكَ السَّلاَمُ تَحِيَّةُ المَوتَى**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح)، وَقَدْ سبق بِطُولِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو جري الهجيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٩٦).

الشرح الأدبي

قول الرجل: (عَلَيْكَ السَّلامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ) التقديم يقتضي الاختصاص أي: عليك وحدك السلام لا يتجاوزك إلى غيرك، والإسلام يسعى إلى تعميم الخير، ودعاء الإنسان له، ولغيره أحرى أن يستجاب؛ ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ إرشادا وتوجيهاً، مرتبطاً بفاء التعليل المؤذنة بالإقناع العقلي باجتناب ما نهى عنه، في قوله: (لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ الْمَوتَى)، وإضافة التحية للموتى فيها تنفير من هذه الصيغة في السلام، أما التعبير الذي اعتمده الرسول ﷺ ، وهو تحية الإسلام (السلام عليك) بتقديم السلام لا يفيد قصره عليه وحده، كما أنه فِي الدُّعَاء بِالْخَيْرِ يُقَدَّم اِسْم الدُّعَاء الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب الَّذِي تَشْتَهِيه النُّفُوس فَيَبْدَأ الْقَلْب، وَالسَّمْع ذِكْر اِسْم الْمَحْبُوب الْمَطْلُوب ثُمَّ يَتْبَعهُ بِذِكْرِ الْمَدْعُوّ لَهُ. وَأَمَّا فِي الدُّعَاء عَلَيْهِ فَفِي تَقْدِيم الْمَدْعُوّ عَلَيْهِ إِيذَان بِاخْتِصَاصِهِ بِذَلِكَ الدُّعَاء كَأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: هَذَا لَك وَحْدك، لا يُشْرِكك فِيهِ الدَّاعِي وَلا غَيْره، بِخِلافِ الدُّعَاء بِالْخَيْرِ. فَإِنَّ الْمَطْلُوب عُمُومه. وَكُلَّمَا عَمَّمَ بِهِ الدَّاعِي كَانَ أَفْضَل. فَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيم مُؤْذِنًا بِالاخْتِصَاصِ تُرِك.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩ مختصرًا، وبرقم ٤٠٨٤ مطولاً، والترمذي ٢٧٢٢، وتقدم برقم ٧٩٦. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٥٢٢، وقال الحاكم ١٨٦/٤: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٩٧.

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٧٩٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

عرف الناس قبل الإسلام وبعده وسائل شتى لإلقاء السلام، قد لا تنبئ عن مضمون السلام والأمن، فحث الرسول ﷺ على استخدام عبارات تحقق مدلول الأمن "السلام عليكم" كحد أدنى لإلقاء السلام ويزاد على ذلك "ورحمة الله وبركاته، ومما ورد في أحاديث الباب من المضامين التربوية ما يلي:

أولاً- من مهام المربي بيان تفاوت الجزاء بتفاوت العمل:

إن من ألزم المهام الرئيسة للمربي أن يبين الارتباط بين الجزاء والعمل، وأنه كلما زاد العمل وكان مستوفياً لشروطه، كلما تضاعف الأجر، ولاشك أن ذلك يُقوِّي عنصر المنافسة في نفوس المتربين، ويُعدُّ بمثابة الدافع الإيجابي للاستزادة من الأعمال الصالحة، وقد بين النبي ﷺ ذلك عملياً من خلال ما حدث من الصحابة رضي الله عنهم في كيفية السلام وتفاوتهم فيه، كما يتضح ذلك من الحديث الذي رواه عمران ابن الحصين رضي الله عنهما قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ ثُمَّ جَلَسَ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَشْرٌ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: عِشْرُونَ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقَالَ: ثَلاَثُونَ».

وأما بالنسبة لتفاوت الأجر بالنسبة للبدء بالسلام والرد عليه، فجاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلاَمِ» مما يؤكد على أهمية بيان المربي لتفاوت الجزاء بناء على تفاوت العمل مما يؤثر إيجابياً في تنافس المتربين في السلوك الحسن"[1]، وتنافسهم في عمل الخير.

لذا ينبغي على المربين استخدام أسلوب التقويم ومراعاة التفاوت في المواهب والقدرات وتشجيع المتربين على المنافسة والتسابق في الخيرات، "إذ أن التنافس يحرك في الإنسان عامة الطاقات المكنونة، فتنشط نفسه ويرتفع مستوى همته ونشاطه وتنمو

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٩.

مواهبه فيشعر المتربي باللذة ونشوة السعادة ويسارع كل فرد أن يقدم كل طاقته"[١]. ويبذل كل ما في وسعه لتحصيل عظيم الأجر.

ثانياً- من أساليب التربية: التكرار والتوكيد:

وقد ورد ذلك في حديث من أحاديث الباب في قول أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا»، وفي ذلك "إشعار للمربين بتفاوت المتربين في مراتب الفهم ومراعاة حال الجميع، ودعوةٌ أيضاً للمعلمين والمربين إلى الصبر على الإفهام وسَوْق المعرفة"[٢].

لذا ينبغي على المربين مراعاة الفروق الفردية والقدرات والمواهب كالحفظ والفهم عند المتربين، خاصة مع صغار المتربين والأطفال، إذ أن "الطفل كأي كائن بشري ينسى ويغفل، وقد خصه الله تعالى من بين جميع الكائنات الحية بهذه الطفولة الطويلة، وهي مرحلة غير تكليفية، وإنما هي تهيئ للتكليف وتمهد له.

فإذا أدركنا ذلك فإنه من السهل علينا أن نؤمن بمبدأ التكرار أي تكرار الأمر أكثر من مرة حتى يؤثر في نفس الطفل فينصاع للأمر ويستجيب للنداء.

وحتى يعتاد الطفل فلابد من تكرار المعلومة والملاحظة أكثر من مرة لأنه سيخطئ، فعندما يرى الطفل ويسمع وتكرر عليه المعلومة والامتثال بالخلق أكثر من مرة يتعلمه ويحفظه فما يلبث إلا أن يكون عادته"[٣].

وكذلك في التعليم والتلقين والتحفيظ كتحفيظ القرآن وغيره على الإعادة والتكرار، "فإذا أخطأ طالب في قراءة نص فإنه ينبغي على المعلم الانتظار عليه، وطلب الإعادة منه لقراءة النص مرة أخرى"[٤]، حتى يجيد قراءته ويفهمه.

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١٢، ١١٣.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٣.

(٣) انظر: المنهج التربوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٢٢، ١٢٣.

(٤) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ط/٢، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٥٣.

ثالثاً- من أساليب التربية: التقدير والاهتمام:

إن التقدير والاهتمام من الأساليب التي تؤثر في النفوس، وتعد من أهم مفاتيح الشخصيات، لأن الإنسان بطبعه يميل إلى حب من يقدره ويحترمه، لذا كان أسلوب التقدير والاهتمام من الأساليب التربوية المهمة في التعامل مع الناس، ولعل ذلك يستنبط من أحد أحاديث الباب التي روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: "هذا جبريل يقرأ عليكِ السلام"، ولاشك أن ذلك يبين تلك المنزلة الكريمة التي أنزلها الله تعالى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فهي التي برأها الله تعالى، وهي أحب أزواج النبي ﷺ إليه، ولها منزلة كريمة في نفس رسول الله ﷺ، لذا كان إخبار النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها بسلام جبريل عليه السلام عليها يدل على تكريم الله تعالى لها، وتقدير جبريل عليه السلام لها؛ لأنها أم المؤمنين وزوج رسول الله ﷺ وغير ذلك من الفضائل والمكارم.

ويستنبط من ذلك أهمية الإفادة من أسلوب التقدير والاهتمام في التعامل مع الناس -خاصة مَنْ يستحقون ذلك من أهل الفضل والصلاح وأصحاب المنزلة الرفيعة من ولاة الأمر والفقراء والمساكين وغيرهم ممن حسنت صلتهم بالله تعالى- إن هذا الأسلوب على درجة عالية من الأهمية في مجال التربية لأن الفرد يريد أن يحظى بحب الجماعة ويمنح محبته للجماعات التي ينتمي إليها، ولكن الفرد لا يكتفي بهذا القدر فهناك حاجة أساسية نفسية تلح عليه وهي أن يحوز على تقدير مَنْ حوله من أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، ففي إطار الأسرة نجده يسعى ليحظى بمحبة وتقدير الأبوين، وينافس إخوته ليحظى بهذا التقدير، وفي المدرسة تلاحظ أن التلميذ يبذل مزيداً من النشاط والجهد في دراسته حتى يحظى بتقدير واحترام أساتذته وزملائه.

إن الحاجة إلى التقدير غريزة أصيلة في خَلْق الإنسان، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى -وهو أعلم بمن خلق- قد عزز هذه الحاجة التي تعتمل في صدورنا بالدعوة للعمل الصالح وقرن ذلك بالإيمان، ووعد المؤمنين بالثواب والأجر والحسنى، إضافة لما يحققه الفرد لذاته من احترام وتقدير من أفراد الجماعة في الحياة الدنيا.

ولا بد أن نشير إلى أن على المربين أن يهتموا باستثمار هذه الحاجة في العملية التربوية، بحيث يثيبون التلميذ على كل فعل أو عمل طيب يأتيه حتى يُشْبعوا لديه هذه الحاجة، كما يحسن بهم أن يتفهموا اهتمامات التلاميذ في كل مرحلة عمرية.

إن تحقيق إشباع حاجة التقدير يحقق للمتربي أو الفرد بوجه عام الشعور بالطمأنينة والرضا عن النفس في حين أن عدم إشباعها يولد القلق والعدوان والانحراف في بعض الأحيان"[1].

رابعاً- تربية الذوق ورعاية شعور وأحوال الناس:

إن من الأخلاق التي ينبغي للمربي غرسها في نفوس المتربين والناشئة مراعاة شعور الآخرين وأحوالهم.

إن التربية الإسلامية تعمل على الارتقاء بالذوق العام للمسلم، وتنمي في نفسه عملية احترام الآخرين، والتي من جملتها احترام شعورهم، وعدم إزعاجهم أو التنغيص عليهم، لأن الإسلام يربي المسلم على الفضيلة.

لقد نهى الله عن إزعاج الناس في وقت راحتهم بارتفاع الصوت، وفي أحاديث الباب تأصيل عملي لهذه الأخلاق من خلال بيان كيفية إلقاء السلام على قوم فيهم نيام، فليس معنى أن يأتي الإنسان بسنة أن يزعج بها النيام والمرضى ومَنْ شاكلهم، ولنتأمل هذا الأدب الرفيع والسلوك الكريم النبيل في حديث المقداد رضي الله عنه قال: «كنا نرفع للنبيّ نَصيبه من اللبن، فيجيء من الليل فيسلِّم تسليماً لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان، ...»، وذلك من حسن تصرفه ﷺ وكمال أدبه وحسن خلقه فهو قد أتى بالسنة بإلقاء السلام على اليقظان، وفي نفس الوقت لم يزعج النائمين.

وهذا ما يؤكد الحاجة الشديدة لتربية النفوس على هذا الأدب النبوي في التعامل مع الآخرين.

---

(١) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ط/٤، دار القلم، دبي: ١٤١٧هـ/١٩٦م، ص١٠٠، ١٠١.

إن هذا الأدب يلقي بالمسؤولية على المربين والقائمين على التربية في شتى الميادين أن يربوا الذوق، ويهذبوا السلوك ويقوِّموا الأخلاق عند المتربين فيعمدوا إلى أن "ينموا الحساسية الاجتماعية في حسن التعامل مع الآخرين وحسن التحدث وسلامة الأسلوب ورقة العبارة وكيفية التعامل مع أفراد المجتمع، كباره وصغاره.

ولا شك أن كل ذلك يُنمِّي الذوق السليم عند الطلاب ويجعل منهم أفراداً حساسين للآخرين ولعلاقاتهم معهم"[(١)].

خامساً: استخدام الوسائل التعليمية:

"إن استخدام الوسائل التعليمية والحركات المعبرة من المواضيع الهامة في الميدان التربوي لأنها تسهل عملية التعلم والتعليم، وتوضح المعاني وتشرح الأفكار لعلاقتها بإثارة الحواس"[(٢)].

ويمكن أن نستنبط ذلك من إلواء الرسول ﷺ بالتسليم على النساء، فمن حسن تصرفه ﷺ أنه لما رأى صوته لا يصل إليهم لبُعْدٍ أو ما شاكل ذلك ألقي عليهم السلام وشفعه بالإشارة، كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يوماً، وعُصبَة من النساء قُعود، فألوى بيده بالتسليم».

إن منهج التربية الإسلامية مليء بالوسائل الخاصة له، ويسهل الوسائل المفيدة لعملية التعلم، ويساعد على تنفيذ المنهج ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٣)].

إن التربية الإسلامية تدعو للاستفادة من الجديد في المجال التربوي ما دام يسهم في تحقيق أهدافها.

---

(١) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٣١٤.

(٢) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري، ص١٢٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

١٣٣- باب آداب السلام

الحديث رقم (٨٥٨)

٨٥٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: (والصغيرُ عَلَى الكَبيرِ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذه الصورة التركيبية للبناء التعبيري النبوي جاءت مفعمة بالحركة التي اكتسبتها من دلالة الألفاظ من ناحية، ومن دلالة التراكيب من ناحية، فدلالة الألفاظ تتسم بالحركة من ناحية الفعل الواحد المتعدد الفاعلين (يسلم) وفاعله الراكب، والماشي، والقليل، والصغير كما في رواية البخاري، وإذا علمنا أن هؤلاء تتقلب بهم الأحوال بين الركوب، والمشي، والقعود في حركة دائمة دائبة أدركنا أن الأمة كلها في اتصال دائم بسلام شامل يغمرها، ثم إننا إذا نظرنا لدلالة الأسماء في الحديث، ألفينا أكثرها يدل على الحركة بمعناه لا بصيغته، فالراكب متحرك بحركة مركوبه، ولفظ الماشي دال على حركة، وانتقال، وهكذا، وهذه الحركة التي يجسِّدها الحديث تصور حالة البشر المصاحبة للتحية، والتي لا تبقي أثراً للحقد، ولا للشحناء، وتميز المسلمين بخصوصيتهم، كما يفهم من التركيب استعلاء السلام على الجميع من خلال حرف الجر (على) بين كل جملتين ليوجد سلاماً بين كل مسلِّمَيْن بالإضافة إلى أن وحدة الفعل، وتعدد الفاعلين ينادي بشيوع السلام، وعمومه الجميع.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٠ من رواية جابر، أخرجها البزار، وابن حبان.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٣٢، ومسلم ٢١٦٠/١.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يسلّم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والصغير على الكبير والقليل على الكثير، فلو ابتدأ الماشي بالسلام على الراكب أو القاعد على الماشي أو الكبير على الصغير، أو الكثير على القليل لم يكره، لكنه خلاف الأولى. صرّح بعدم كراهته المتولّي وآخرون، لأنه ترك حقه.

وهذا الاستحباب فيما إذا تلاقيا أو تلاقوا في طريق. فأمّا إذا ورد على قاعد أو قوم فإن الوارد يبدأ بالسلام سواء كان صغيرًا أو كبيرًا قليلاً أو كثيرًا. ودليل هذه المسألة حديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: "يسلّم الراكب على الماشي" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة المؤثرة لما فيه من إظهار الخير وبيان أوجهه، وحمل المدعوين على الإتيان به. وكان استخدام القرآن لأسلوب الأمر بارزاً في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٥/٤، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٨-٢٨٩ . وانظر: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤١٦/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٢٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٥/٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٠.

ثانياً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في تسليم المسلمين على بعضهم:

إن من الواجبات التي ينبغي العمل بها اتباع الآداب التي وردت عن رسول الله ﷺ في التسليم، وجاء في الحديث جانبٌ من هذه الآداب، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد والقليل على الصغير" قال ابن بطال عن المهلب: (تسليم الراكب على الماشي لئلا يتكبر بركوبه، فيرجع إلى التواضع، وتسليم القليل على الكثير، لأجل حق الكثير، لأن حقهم أعظم[1]، وقال المازري: أما أمر الراكب فلأن له مزية على الماشي، فعوض الماشي بأن يبدأه الراكب بالسلام، احتياطاً على الراكب من الزهو أن لو حاز الفضيلتين، وأما الماشي فلما يتوقع القاعد منه من الشر، ولا سيما إذا كان راكباً، فإذا ابتدأه بالسلام أمن منه ذلك وأنس إليه، أو لأن القاعد يشق عليه مراعاة المارين مع كثرتهم، فسقطت البداءة عنه للمشقة، وأما القليل فلفضيلة الجماعة، أو لأن الجماعة لو ابتدأوا لخيف على الواحد الزهو فاحتيط له[2] فما أجمل التأدب بتلك الآداب النبوية، لما فيها من حوز للفضل والثواب، ولما فيها من جلب للمحبة والمودة[3].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لكيفية السلام:

إنَّ البيان والوضوح أدب من الآداب التي ينبغي للداعية الحرص عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[4] لذا ينبغي على الداعية أن يلزم منهج الإيضاح والبيان في الجانب القولي والعملي[5] وفي الحديث يعطينا رسول الله ﷺ أنموذجاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تبيين وإيضاح، فذكر كيفية السلام فقال "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد أمر

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩/١١.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٩.

(٤) سورة القمر، آية: ٣٢.

(٥) انظر: منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ٢٢١/١.

الله تعالى الأنبياء وأتباعهم توضيح الشرائع للناس ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١] وقد كان ﷺ يوضح للناس ولأتباعه فكانت أحكام واضحة[٢]، وذلك أدعى ما يكون إلى فهمها والامتثال بها.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

وردت في الحديث الدلالة على الحث على إفشاء السلام مع بعض التوجيهات التنظيمية لإلقائه، فقال ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير" ولقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على إفشاء السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[٣] وقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[٤]، وذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾[٥].

وبين ﷺ أن إفشاء السلام من دلائل كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة واستحقاقها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلاَ تُؤْمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٦]، إضافة إلى ما في إفشاء السلام من فوائد منها: التحاب، وسبب لدخول الجنة وتأدية لحقوق الناس، وحسن معاملتهم، والتواضع، وهو تحية أهل الجنة، وسبب لغفران الذنوب[٧]، كما أنه من خير الأعمال في الإسلام، فعن عبدالله بن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٥) سورة الذاريات، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٦) أخرجه مسلم ٥٤.

(٧) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ١/٨٥.

عمرو رضي الله عنه ((أنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[١].

وذلك يدل دلالة واضحة على حرص الإسلام على إفشاء السلام بين الناس، وعلى أن يتبادل أفراد المجتمع التحية، لما في ذلك من توثيق عرى التفاهم والتعارف والتآلف، ولذا كان حرص الإسلام كبيراً على أن يكون السلام من أسباب بناء المجتمع، وإقامته على أسس من المودة والوئام قوية راسخة، وإذا كان الإسلام يعتبر إفشاء السلام وإلقاء التحية واجباً على المسلم لأخيه، فإنه يعتبر رد السلام فرضاً لابد من أدائه، لما يتركه في نفس المقابل من أثر حميد، يغسل النفس الإنسانية من كل متعلقات الحياة الصاخبة اللاغبة[٢] قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٣]. قال السعدي في تفسير الآية: (التحية هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقين، على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع من السلام ابتداء وردا، فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها، لفظًا وبشاشة أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أوردوها بدونها.

ويؤخذ من الآية الكريمة، الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين:

أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعًا.

والثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن كما هو الأصل في ذلك.

ويدخل في رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعًا، فإنه مأمور بردها بالأحسن منها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٢) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظم ص ١٣، ١٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٥.

الحديث رقم (٨٥٩)

٨٥٩- وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ الباهِلي ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ أَوْلى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيد.

ورواه الترمذيُّ[2] عن أَبي أُمَامَةَ ﷺ، قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلامِ؟، قَالَ: ((أَوْلاَهُمَا بِاللهِ تَعَالَى)) قَالَ الترمذيُّ: (هَذَا حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تقدم شرحه قريباً، وزاد في هذا الموضع رواية الترمذي (قِيلَ: يَا رسول الله، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلامِ؟) وهو استفهام على حقيقته، ولذلك جاءت إجابة الرسول ﷺ مفصلة للحكم، ومرغبة في البدء بالسلام حيث أطلق بينهما سباق جائزته هي ولاية الله له التي تعني محبته، وقربه، وحفظه، ومعاني أخرى يدركها الأولياء، ثم إن التعبير بأفعل التفضيل (أولى) يعني أن أحدهما ولي لله، والثاني أولى منه، وفي هذا إشارة إلى أن تكوين المجتمع المسلم ينبغي أن يكون من ولي لله، أو أولى منه، فكلهم أولياء أتقياء، وليس فيهم ولي لغيره.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٥٦).

(٢) برقم ٢٦٩٤. تقدم برقم ٨٥٦.

(٣) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص٣٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: إذا كان إفشاء السلام مدخلاً للأمان، فإن بعض القيم واجبة الاتباع حال إلقائه، وهذا ما نبه إليه رسول الله ﷺ من خلال أحاديث هذا الباب، حيث اشتملت على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- التربية على التأدب بآداب السلام:

إن من مهام المربي أن يدرب ويربي المتربين على "حسن الأدب ورقة السلوك"[1]، وأن توشح حياتهم بالآداب الرفيعة، والأخلاق الكريمة والسلوكيات الحميدة، ومن ذلك التأدب بآداب تحية السلام، والتي وردت الإشارة إليها في أحاديث الباب كسلام الراكب على الماشي، ... كما في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»، وكالمبادأة بالسلام، كما في قوله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». فكما هو واضح من الحديثين بعض آداب السلام كسلام الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والصغير على الكبير، والقليل على الكثير، وذلك رعاية لفضل الجماعة واحترام الكبير والبعد عن الكِبْر والزهو والتوشح والتخلق بالتواضع والاحترام، كما أن في المبادرة بالسلام مبادرة إلى الطاعة والثواب، وسبب في تحصيل الثواب للغير.

وتبدو أهمية التربية على إلقاء السلام وتداول التحية به والتأدب بآدابه من خلال "الأثر الفعال في توثيق العلاقات وإشاعة المودة والعطف والرحمة بين أفراد الأمة وفي صفاء القلوب وسلامتها، إذ أن تحية الإسلام -السلام- دعاء بالسلامة"[2].

إن تعويد الطلاب والمتربين على السلام والتأدب بآدابه سبب للتأليف بين قلوبهم وإيجاد الروابط فيما بينهم ومتانة ما بينهم من روابط وعلاقات، "ولذا فإن خير ما ينبغي

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٧٩.

(٢) انظر: التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الثامن والثلاثون، ربيع الآخر، ١٤٢٣هـ، ص٩٠.

أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" فيقولونها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم، ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه، ومن حياهم بها فليجيبوه بمثلها أو بخير منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[1][2].

ثانياً- دور المربي والمعلم في ترسيخ الآداب والقيم الاجتماعية الإسلامية:

إن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وآدابه الخاصة به والمميزة له، ومن الآداب الخاصة بالمجتمع الإسلامي ما جاء في أحاديث الباب من الإرشاد إلى تداول تحية الإسلام ألا وهي السلام مع مراعاة الآداب الخاصة بهذه التحية، كما جاء بعض منها في قوله ﷺ "يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد...".

ومن هنا يأتي دور المعلم في ترسيخ قيم المجتمع المستوحاة من الإسلام والعمل على تأصيلها في نفوس المتربين خاصة الناشئة منهم.

"إن المعلم المخلص عليه أن يكون واعياً بهذه القيم تماماً فاهماً لأبعادها وما تمثله، ثم إن عليه أن يعمل على ترسيخ هذه القيم في سلوك طلابه وتصرفاتهم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم وألا يسمح لأي طالب بالانحراف عن تلك القيم أو الاستهزاء بها، ولن يكون ذلك مجدياً إلا إذا كان المعلم نفسه مضرب المثل لهم في التمسك بتلك القيم والحفاظ عليها.

إن المعلم... أي معلم... بغض النظر عن تخصصه، مطالب بأن يرعى هذه القيم لأن المجتمع قد جعله مؤتمناً عليها، وهي -من وجهة نظر المجتمع-أهم من أي تخصص مهما تكن خطورته، وغرس قيم المجتمع في مرحلة الدراسة جزء أساسي من بناء الشخصية عند المتربين، وإذا كانت بعض وسائط التربية الأخرى في المجتمع لا تراعي جانب القيم الإسلامية فإن المدرسة بمعلمها الجيد تستطيع أن تصلح هذا الخطأ، أو على الأقل تقف في وجه التيار المنحرف"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، د. محمد عبدالعليم مرسي، ص٤١.

ثالثاً- التربية بالتوجيه:

إن التربية الإسلامية تقوم على عدة مقومات من أهمها تقديم التوجيه والنصح والإرشاد، وذلك ما نستوحيه من مجموع أحاديث الباب حيث وجه النبي ﷺ فيها المسلم إلى إفشاء السلام والحرص والمبادأة به كما ذكر جانباً من آداب السلام وذوقياته، ومنها ما جاء في قوله ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي وَالْمَاشِي عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ».

إن هذا المنهج الذي اتبعه النبي ﷺ في أحاديث الباب يفصح لنا عما يجب أن يقوم به المعلم من توجيه وإرشاد للمتربين والمتعلمين بغية إصلاحهم، وتعديل سلوكهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة، إذ أن التوجيه، وتعديل السلوك هو المقياس الرئيس لنجاح العملية التربوية، لذا ينبغي "على المعلم أن يسعى بخطى حثيثة إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس مَنْ يتولى أمر تربيتهم وتعليمهم وتذكيرهم بالمبادئ الإسلامية، وتوجيههم نحو المكرمات، والفضائل وتقديم النصح لهم، وغرس المبادئ الجيدة والأفكار البناءة والعادات الحسنة، والاتجاهات المحببة التي تتمشى مع المجتمع ومعتقداته وعاداته وتقاليده وأعرافه وآماله وطموحاته ومثله العليا"[(١)].

لهذا ينبغي على المربين الاهتمام الدائم بتوجيه المتربين بصورة مستمرة لأنهم يحتاجون إلى تزويدهم بالخبرات والتوجيهات والإرشادات[(٢)].

إن المعلم القدير هو الذي يغرس الفضائل في نفوس المتربين ويقوم بدور التوجيه والإرشاد المنوط به دونما مبالغة أو مغالاة أو تعصب أو تزمت وأن يتم ذلك بروح سمحة وبأسلوب جذاب معبر مؤثر"، وأن يقرن ذلك بتأثر واضح يظهر في انفعالاته وتعبيرات وجهه ونبرات صوته وطبقاته خصوصاً في مواضع التقديس والإجلال والإكبار والاحترام[(٣)].

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) انظر: أساسيات التوجيه والإرشاد في التربية الإسلامية، د. مقداد يالجن، ص٨١.

(٣) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان ص ١٦٧.

رابعاً- التنوع في طرق التدريس والعرض:

إن من يتدبر أحاديث الباب من الناحية التربوية يجد أنه ﷺ نوّع في أسلوب العرض، فمرة يرشد إلى آداب السلام عن طريق الإلقاء والعرض كما في حديثي أبي هريرة... "يسلم الراكب على الماشي..." وحديث أبي أمامة: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ». ومرة يترك الفرصة والسعة للصحابة أن يسألوه فيجيبهم على ما سألوا، ويبين لهم ما أشكل عليهم، وذلك كما جاء في حديث أبي أمامة: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟ قَالَ: «أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تَعَالَى».

إن المعلم الجيد هو من لا يلزم طريقة واحدة ولا ينهج منهجاً بعينه للإلقاء والتدريس وإنما يجمع وينوِّع بين الطرق التعليمية، "فإن الطريقة الحية للتعليم هي التي تعتمد على انتقال المعلم بين الطرق والأساليب والوسائل المتنوعة للتعليم حسب الظروف والملابسات في الموقف التعليمي، فعندما لا يجد المعلم مجالاً للاستجواب ينتقل إلى العرض والتلقين لقدح زناد أفكار الطلبة أو لَمِّ شتات الدرس، وكلما شعر المعلم بضجر الطلبة وسأمهم من الانضباط لجأ إلى الحوار للتشويق ولفت الانتباه، وكلما وجد أن الأمر يصعب التوصل إليه عن طريق الحوار لجأ إلى الالتقاء للتوصل للمعلومات بأقصر طريق وأقل وقت وأدنى جهد.

وعندما يشعر المعلم بصعوبة المعلومات والحقائق التي يعلمها وأن الطلبة لا يمكنهم اكتشافها لجأ إلى الإلقاء ثم عاد إلى الاستجواب، وبذلك يُكيف المعلم طريقته حسب قدرات الطلبة وما يعرفونه من معلومات ومدى استعدادهم للإصغاء والمتابعة"[1].

---

(١) المرجع السابق ١٦٥.

١٣٤- باب استحباب إعادة السلام

عَلَى من تكرر لقاؤه عَلَى قرب بأن دخل ثم خرج ثُمَّ دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوهما

الحديث رقم (٨٦٠)

٨٦٠- عن أَبي هريرة ﷺ في حديثِ المسيءِ صلاته: أنّه جَاءَ فَصلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبيِّ ﷺ، فَسلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، فَقَالَ: ((ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ)) فَرَجَعَ فَصلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسلَّمَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

استخدام الرسول ﷺ أسلوب الأمر المباشر، والصريح في قوله: (ارجع فصل) مع فعل الأمر (صل) مرتبطاً به بالفاء في إشارة إلى أنها السبب في الأمر بالرجوع كما، استخدام أسلوب التوكيد (فإنك لم تصل) مرتبطاً بما قبله بفاء السببية في إشارة إلى أن من لم يؤد الصلاة حقها من الطمأنينة كمن لم يؤدها، ولغرابة الخبر حيث إن المصلى يرى أنه قد أدى الصلاة، فأكد النفى بـ (إن) مع اسمية الجملة حتى يقرر في نفس الرجل خطأه بترك ركن الطمأنينة كما أنه استخدم أسلوب التكرار لتقرير المعنى المراد في مجال التعليم، وتقرير الحقائق، وتقويم الخطأ، ولفته إليه بطريقة عملية، فقد كرر نفس الجملة (وعليك السلام، فارجع فصل ؛فإنك لم تصل) وكان من الممكن أن يوجهه إلى خطأه مباشرة لكنه بهذا الأسلوب حقق عدة فوائد: أنه ترك للرجل فرصة ليفتش في نفسه، ويراجع عمله، ويبحث عن سبب أمر الرسول ﷺ له بالإعادة، وذلك أدعى إلى ثبات الواقعة في نفسه على مر الأيام، ثم إن إعطاء المعلومة

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧، ومسلم ٣٩٧/٤٥.

للشخص إذا اهتم بمعرفتها، وسأل عنها، وتعلقت بها نفسه أوقع أثراً في حسه، وأحفظ في ذهنه من إعطائها ابتداء دون سؤال ولا تشوف كما أن في هذا التكرار إشارة إلى نفى كمال هذه الصلاة التي على هذه الكيفية مهما تكررت مما يؤكد أهمية ركن الطمأنينة الذي يوفر الخشوع الذي يعد وسيلة دخول العبد لحضرة الرب، وبلوغه منزلة الزلفى عند ربه حيث استجابة الدعاء ومغفرة الذنوب، وصفاء النفوس، وعطايا أخرى لا يحيط بها الوصف[1].

فقه الحديث

قال النووي: (إذا سلّم على إنسان ثم فارقه ثم لقيه على قرب أو حال بينهما شيء ثم اجتمعا فالسنة أن يسلّم عليه، وهكذا لو تكرر ذلك ثالثًا ورابعًا وأكثر، سلّم عند كل لقاء وإن قرب الزمان.اتفق عليه أصحابنا، وذلك لحديثي الباب، وعن أنس رضي الله عنه قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يتماشون فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة فتفرقوا يمينًا وشمالاً ثم التقوا من ورائها سلّم بعضهم على بعض) رواه ابن السني[2])[3].

المضامين الدعوية

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول.

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على تكرار التسليم في حالة الخروج والدخول:

لقد حرص الإسلام على بناء المجتمع على التعارف والتآلف، وإقامته على أسس من المودة والوئام. ومن تلك الأسس إفشاء السلام وتكراره، حتى ولو كان لفاصل بسيط،

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٢.

(٢) أخرجه ابن السني ٤٤٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٢٤-٣٢٥، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٠ .

في المجلس الواحد، فإنه (يسن تكرار السلام ورده وإن لم يخرج الإنسان من الموضع إذا وقعت صورة انفصال)[١] فجاء في الحديث الحث على إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال[٢]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته "أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فسلم فرد عليه السلام حتى فعل ذلك ثلاث مرار" قال النووي: (وفيه استحباب السلام عند اللقاء ووجوب رده، وأنه يستحب تكراره إذا تكرر اللقاء، وإن قرب العهد وأنه يجب رده في كل مرة)[٣].

ثانياً- من آداب المدعو: التأسي بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام:

إن مما يستفاد من هذا الحديث الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في تكرار السلام "فسلم فرد عليه السلام فقال ارجع... ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" فإن السلام وتكراره والاعتياد عليه، يزيد الألفة بين المسلمين، كما أنه سبب لإفشاء المحبة بين المسلمين، والتي لا يكتمل الإيمان بدونها، وكما جاء في الحديث ((لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤمِنُوا وَلاَ تُؤمِنُوا، حَتَّى تَحَابُّوا. أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٤][٥].

فإفشاء السلام من أفضل الأعمال وخيرها في الإسلام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ((أنَّ رَجُلاً سَأل رسولَ اللّهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لم تَعْرِفْ))[٦] فجمع النبي ﷺ في الحديث بين إطعام الطعام وإفشاء السلام؛ لأنه به يجتمع الإحسان بالقول والفعل، وهو أكمل الإحسان.

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٢٨٥/٣.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٣٤٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٤٨.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) منبر الإيمان، عادل بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، ط/١: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص ٣٥.

(٦) أخرجه البخاري ٢٨، ومسلم ٣٩.

وإنما كان هذا خير الإسلام بعد الإتيان بفرائض الإسلام وواجباته، فمن أتى بفرائض الإسلام، ثم ارتقى إلى درجة الإحسان إلى الناس، كان خيرًا ممن لم يرتق إلى هذه الدرجة وأفضل أيضًا.

وليس المراد: أن من اقتصر على هذه الدرجة فهو خير من غيره مطلقًا، ولا أن إطعام الطعام ولين الكلام خير من أركان الإسلام ومبانيه الخمس، فإن إطعام الطعام وإفشاء السلام لا يكون من الإسلام إلا بالنسبة إلى من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وقوله ﷺ: "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" هذا أفضل أنواع إفشاء السلام[1]. فمن حافظ على السلام وإفشائه حاز فضل الاتباع وجزاء الطاعة، وفي المداومة على السلام تمييز للمسلمين وكيد لأعداء الدين، وهو أمان الله في الأرض وتحية المؤمنين في الجنة، كما أن للسلام آثاره الإيجابية التي لا تنكر، ففي إشاعته إفشاء للمودة والمحبة، وإشعار كل مسلم بالاطمئنان تجاه الآخرين، وإزالة العداوات وإنهاء الخصومات وسَلُّ سخيمة الصدور[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل إفشاء السلام:

إن ما جاء في الحديث من تكرار الرجل للسلام ورد النبي ﷺ بيان لما لإفشاء السلام من فضيلة، فلو لم يكن للسلام وتكراره وإفشائه فضيلة، لاستغنى عنه، أو اكتفى بمرة، أو علمه النبي ﷺ الصلاة مباشرة، "ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرار" وإن للسلام وإفشائه فضائل جمة، فهو تحية أهل الجنة يحيي بها بعضهم بعضاً ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾[3] وتحييهم بها الملائكة ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[4]، ﴿وَقَالَ

---

(١) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٣٩/١، ٤٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٤٦٦/٢.

(٣) سورة يونس، آية: ١٠.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٣، ٢٤.

لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾[١] وإفشاء السلام واجب على المسلم، سواء كان يعرف من يسلم عليه أم لا يعرف، حتى على المخالفين والجاهلين، ولعل في ذلك تأليفاً لقلوبهم، وحملاً على الارعواء عن غيِّهم، والرجوع إلى الحق[٢]، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٣] وقال ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤].

وذلك من فضائل تحية السلام في الإسلام وكمالها على سائر تحيات الأمم، ولقد اختار الله لعباده المؤمنين السلام تحية بينهم في الدنيا وفي دار السلام، وأن ذلك من محاسن الإسلام وكماله، وتحية السلام قد جمعت أنواع الخير، قال ابن القيم: (لما كان الإنسان لا سبيل له إلى انتفاعه بالحياة إلا بثلاثة أشياء:

أ- سلامته من الشر ومن كل ما يضاد حياته وعيشه.

ب- حصول الخير له.

ج- دوامه وثباته له.

فإن بهذه الثلاثة يكمل انتفاعه بالحياة، فشرعت التحية متضمنة للثلاثة:

فقوله "السلام عليكم" يتضمن السلامة من كل شر.

وقوله "ورحمة الله" يتضمن حصول الخير.

وقوله "وبركاته" يتضمن دوامه وثباته، كما هو موضوع لفظ البركة وهو كثرة الخير واستمراره[٥].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣.

(٢) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، يحيى بن عبدالله المعلمي ص ١٧٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٥.

(٥) بدائع الفوائد ١٧٨.

الحديث رقم (٨٦١)

٨٦١- وعنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

معنى هذا الحديث يؤكد قيمة السلام في الحفاظ على قلوب المؤمنين نقية لا تنطوي على مشاعر تؤثر على سلامة الصدور، وأسلوب الحديث خبري بدأ بأسلوب الشرط بفعله الماضي (لقي) وقد أعطى الحكم صفة العموم عن طريق الفاعل (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع ليوجه الجميع إلى الفعل، ثم تتجلى براعة التأليف بين القلوب في التأليف بين الكلمات، وفي التعبير بلفظ (أخاه) الذي يذكّر بتلك الرابط التي يجب أن تجمع المؤمنين، وقد جاء جواب الشرط في صورة المضارع الذي يصور اللحظة الطاهرة عند السلام، وقد استخدم أداة الشرط (إذا) التي تنادي بوقوع الشرط، وهو لقاء المسلم أخيه، وسلامه عليه بينما استخدم (إن) في الجملة التي تليها، وهي جملة التفريق إشارة إلى أن المؤمنين لا ينقطعون، وإن فرق بينهم مفرق، فقلوبهم متصلة على الدوام ثم يعودون سريعاً إلى اللقاء يجمعهم السلام، والتعبير بالشجر، والجدار، والحجر كمفرق مبالغة في نشر السلام، وإشارة إلى أن المؤمن طموح ذكي يتتبع أسباب الحسنات من كل سبيل.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب إذا دخل بيته أن يسلّم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ... وكذا إذا دخل مسجدًا أو بيتًا لغيره ليس فيه أحد، يستحبّ أن يسلّم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم

---

(١) برقم ٥٢٠٠. قال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ٣١٨/٥: حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

أهل البيت ورحمة الله وبركاته)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ.

رابعاً: من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث الرسول ﷺ وتأكيده على تسليم المسلم على المسلم:

من أهم الآداب الاجتماعية التي حث عليها رسول الله ﷺ وأكد عليها، إشاعة السلام وإعادة السلام على من تكرر لقاؤه وإن قرُبَ، بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة تمنع من رؤية أحدهما الآخر لغلظ أصلها ونحوها كجدار وجبل وما شاكل ذلك[٢] فقال ﷺ: "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه" قال الإمام الطيبي: (وفيه حث على إفشاء السلام، وأنه يكرر عند كل تغير حال، ولكل جاءٍ وغادٍ)[٣]. فإن تكرار السلام مطلوب من المؤمن على المؤمن، ولو قرب العهد بين السلامين، تدعيماً للأخوة بينهما، وحث أفراد المجتمع على تبادل تحية الإسلام لما في ذلك من توثيق عُرى التفاهم والتعارف والتآلف، وإقامة المجتمع على أسس من المودة والوئام[٤].

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٨/٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٤/١٥-٣٥٦.

(٢) رياض الصالحين، النووي ص ٣٤٨، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٠٩٥.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٨/٩، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٢١١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٨٦.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث ترغيب النبي ﷺ وتأكيده على إشاعة السلام وتكراره بين المسلمين، فقال "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه..." والترغيب من أساليب الدعوة البالغة التأثير، إذ أن النفوس قد فطرت على الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة، أو ربحاً أو شيئاً مما تحبه وتهواه، والترغيب هو أحد ركني الموعظة الحسنة[١]، وهو أحد الدافعين الأساسيين إلى الاستقامة والرشاد، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٢]. أي خائفين طامعين، أي خوفاً من غضبه وطمعاً في رضاه وثوابه[٣].

إن أسلوب الترغيب في الإسلام يُوجِد لدى المسلم وازعاً نفسياً، يسمو به إلى القيم الأخلاقية السامية، على عكس ما نراه في المناهج الوضعية البشرية، التي لا تدفع الإنسان إلى مكارم الأخلاق بل تساير شهواته ونزواته، وتنمي بذور الأنانية الموجودة داخل نفسه مما يكون سبباً في اعتلاله ومرضه[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر الرسول ﷺ:

إن من الآداب التي يجب على المدعو الحرص عليها، الاستجابة المطلقة لأوامر رسول الله ﷺ، وقد جاء في الحديث أمر من تلك الأوامر في قوله ﷺ "إذا لقي أحدكم أخاه، فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه" وذلك من نعم الله على المسلم، إن الإسلام سن السلام وتكراره كلما غاب الإنسان عن أخيه، فالسلام عبادة وأجر، وكلما ازددنا منه ازددنا عبادة لله، وازداد أجرنا وثوابًا عند الله[٥] إضافة إلى ما في ذلك من تأدب المسلم، وتنفيذ أمر ربه بالاستجابة لأوامر

---

(١) انظر: فقه الدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٦٣٥/١.

(٢) سورة السجدة، آية:١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ط/٣، دار الفكر، بيروت: بدون تاريخ ص ١٥٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١١٥٠/٢.

رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[1] ففي الاستجابة لأوامره ﷺ صلاح للإنسان، وفيها النجاة والنقاة والحياة[2]. فقد دعانا رسول الله ﷺ للدين الحق، وحثنا على مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾[3] فلنأخذ ما آتانا الرسول ﷺ بقوة وعزم ونشاط وجد، فالخير فيه وسعادة الدارين معه[4].

رابعاً- من أهداف الدعوة الإسلامية: الحث على إشاعة المحبة والمودة بين المسلمين:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية إشاعة المودة والمحبة في المجتمع الإسلامي، وقد أثنى القرآن على المجتمع الإسلامي الذي تظهر فيه علامات المحبة والوئام فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾[5].

إن النبي ﷺ ليعلق كمال الإيمان على محبة المسلم لأخيه المسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[6] فلما نفى النبي ﷺ الإيمان عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، دلَّ على أن ذلك من خصال الإيمان، بل من واجباته، فإن الإيمان لا ينفى إلا بانتفاء بعض واجباته، وإنما يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه إذا سلم من الحسد والغل والغش والحقد، وذلك واجب كما قال النبي ﷺ ((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا))[7] فإذا أحب المؤمن لنفسه فضيلة من دين أو غيره، أحب أن يكون لأخيه

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤/٤، ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٢٢.

(٤) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٠/٩/١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٩.

(٦) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٧) أخرجه مسلم ١ (٥٣).

نظيرها من غير أن تزول عنه [١].

إن محبة الناس مع التودد إليهم، تحقق الكمال الإنساني لمن يسعى إليه، كما أنها دلالة على كمال الإيمان وحسن الإسلام[٢] لذا حرص النبي ﷺ على الحث والتمسك بأسباب المحبة كالسلام كما جاء في الحديث "إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه".

إن إفشاء السلام يحمل في طياته تدعيم أواصر بنيان الأمة، وازدهار الحضارة المعنوية والمادية في تلك الأمة. إن المنهاج الذي اتخذه الرسول ﷺ ليحقق السلام الاجتماعي في الأمة الإسلامية يعتبر منهاجاً فريداً ومتميزاً، لأنه يعتمد على تشكيل وجدان الإنسان المسلم، بحيث يشيع في هذا الوجدان الأمن والسلام، ويتحول المسلم إلى طاقة فعالة إيجابية في الحياة، يدفعها الحب الأكبر لله ولرسوله وللكائنات كلها، وتعرف أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى، فالله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام، وتحية المؤمنين في الدنيا والآخرة هي السلام[٣].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، ٤١/١، ٤٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٣٣٥٦/٨.

(٣) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين، خديجة النبراوي ٥٠٤/١، ٥٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

سلام الأفراد بداية لسلام الأسرة وسلام الأسرة بداية لسلام المجتمع وسلام المجتمع بداية للسلام العالمي، ولهذا كان الإكثار من السلام محمدة ولو على فتراة قصيرة ليكون الود والرباط القوي المحكم، ومن المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- من طرق التربية: الملاحظة والمراقبة والمراجعة والتصحيح:

إن من طرق التربية الأصيلة اعتماد المعلم على طرق ووسائل متعددة ومتنوعة للتربية، ومنها ما جاء في أحد حديثي الباب، حيث لاحظ النبي ﷺ ذلك الرجل المسيء لصلاته غير المحسن لها وأمره له بإعادتها حتى إذا ما تبين له عن قدرته على الإتيان بها صحيحة، علّمه الكيفية الصحيحة لها، "كما أن النبي ﷺ تركه وأمره أن يصلي ثانياً وثالثاً مع إخلاله بها أولا ليتبين مدى معرفته بها، وهل إخلاله لجهل أو لتكاسل منه؟ وهذا أسلوب تعليمي يعتمد على التجربة والخطأ حتى لا ينسى ما يقال له" [(١)].

وذلك ما نراه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أنه جاء رجل فصلى ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد السلام فقال: (ارجع فصل فإنك لم تصل) فرجع فصلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ حتى فعل ذلك ثلاث مرات».

ومن هنا يترائى لنا أهمية المراقبة والملاحظة من قِبَلِ المربين والمعلمين للمتربين والمتعلمين، حتى إذا ما رأوا ولاحظوا اعوجاجاً في السلوك أو خطأ في الأفعال تسنى لهم إقامة المعوج وتصحيح الخطأ.

إن دور المعلم لا ينحصر في زاوية ضيقة وهي "سرد معلومات محددة على الطلاب، بعد حفظه لها واستظهارها"[(٢)]. وإنما ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى مراعاة وملاحظة سلوك المتربين وأفعالهم وتعديلها وتقويمها، وبذلك يترك المعلم بصمته في حياة المتعلمين وسلوكهم، "وبهذا يضيف المعلم إلى وظيفته -كناقل للمعرفة- دور الناصح الأمين والموجه المستنير" [(٣)].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٥.

(٢) المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش، ص٧٥.

(٣) انظر: المعلم، المناهج وطرق التدريس، محمد عبدالعليم مرسي، ص٣٨.

ثانياً- الإكثار من روافد المحبة والترابط الاجتماعي:

لقد جاء الإسلام آمراً بالتعاون والتآلف والترابط بين كافة شرائح المجتمع الإسلامي وأفراده، وجعل لذلك روافد عدة كالتحاب والتوادد وصلة الأرحام، والزيادة والتعارف وغير ذلك، ومما يعمل على تقوية الروابط في المجتمع: إشاعة السلام وتكراره، لدرجة أن المسلم يكرر إلقاء السلام على أخيه إن التقيا بعد فراق قد لا يتجاوز لحيظات معدودة كأن حال بينهما جدار أو شجرة أو ما شابه ذلك، كما في قوله ﷺ: « إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُم أخاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». أو ذهب لحاجة ثم رجع كما في الحديث الأول من سلام الرجل على النبي ﷺ ثم ذهابه إلى الصلاة وبعد الفراغ منها وعودته أعاد السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه "... أنه جاء رجل فصلى، ثم جاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل ...".

من أجل ذلك ينبغي على المربي أن يغرس في نفوس الناشئة حب الآخرين وتقوية هذا الحب والتآخي بمظاهره ودلائله كإشاعة السلام وغيرها، والإكثار منها، وهذا لا يقتصر على مجرد السلام، وإنما ينبغي التعويد والمداومة على فعل الخير والمعروف والسلوكيات الطيبة والإكثار منها حتى تكون عادة للمتربي وممتزجة بشخصيته لا تنفك عنها.

هذا ما ينبغي غرسه في نفوس الناشئة وسلوكهم، أن يسلم المسلم على أخيه المسلم ويبادره بالسلام، ويداوم على السلام لفظاً ومعنى، معنىً بإشعاره بالسلام والأمان والاطمئنان، ولفظاً بأن يكثر منه ويعيده إذا فُرِّق بينهما ولو بجدار أو حجر.

إن هذا ما ينبغي، فماذا أصاب الناس في عالم اليوم!!.

"إن كثيراً من الناس اليوم يقابل بعضهم بعضاً في الأماكن العامة كالأسواق والطرقات فلا يسلم بعضهم على بعض بحجة أنه لا يعرف بعضهم بعضاً، وإذا سلم عليهم مسلِّم وهم لا يعرفونه لحظوه بأعينهم وأكثروا الالتفات والنظر إليه، ولسان حالهم وربما لسان مقالهم يردد: هل هذا يعرفنا؟ من هذا الذي سلم علينا؟ وإذا لقي أحد

الأشخاص من يعرفه فلم يسلم عليه وعاتبه في ذلك قال: لأني لم أعرفك، فيا سبحان الله"[1]. تُرى ماذا دهى الناس اليوم؟!.

رابعًا- التعلم عن طريق المحاولة والخطأ:

ورد في حديث المسيء صلاته ما يعرف الآن في التربية الحديثة بالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ، فقد قام النبي ﷺ بتعليم الصحابي الصلاة الصحيحة من خلال إعادة الصحابي نفسه للصلاة، فقد بيّن له النبي ﷺ أنه قد أساء الصلاة وأمره بالرجوع إلى الصلاة ثلاث مرات كانت كفيلة بتعلم الصحابي ومعرفته خطأه ومن ثم قيامه بإصلاحه وتأدية الصلاة على الوجه الصحيح.

❁ ❁ ❁

(١) التحية في الإسلام، د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، ص١٠١، مرجع سابق.

١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١].

الحديث رقم (٨٦٢)

٨٦٢- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ[1] بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أهْلِ بَيْتِكَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

نداء المحبة (يا بني) في بداية الحديث أسلوب تأليف لقلب المخاطب يأخذه بكل جوارحه نحو المتكلم حتى يتم ما يريد ثم تلاه أسلوب شرط يربط الدخول بالسلام، ، وإضافة الأهل لكاف المخاطب يشعره بمسؤوليته تجاههم ثم أتبعه بجملة ترغب في الفعل (يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وعلى أهْلِ بَيْتِكَ) ومن الملاحظ في الحديث أنه لم يستخدم من حروف الجر سوى (على) وقد تكرر ثلاث مرات وفي هذا دليل على استعلاء السلام، ونزوله من أعلى إلى أدنى ليكون عليهم كالظلة التي تظل الجميع، والسلام اسم الله تعالى ومن الله ينبعث كل سلام.

---

(١) لفظ الترمذي: (يكون).

(٢) برقم ٢٦٩٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

تنبيه: قال الحافظ ابن حجر في النتائج ١/٦٨): كذا في كثير من النسخ المعتمدة منها بخط الحافظ أبي عليّ الصدفي، ووقع بخط الكروخيّ: حسنٌ صحيحٌ، وعليه اعتمد النووي في الأذكار. وفيه نظرٌ، فإن علي بن زيد وإن كان صدوقًا، لكنه سيّئ الحفظ، وأطلق عليه جماعة الضعف بسببها، وقال العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/١٠٦: وهذا المتن لا يعرفُ له طريقٌ عن أنس يثبتُ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٣٩٥.

فقه الحديث

في الحديث: السلام إذا دخل بيته: يستحب إذا دخل بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد، وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذا إذا دخل مسجداً أو بيتاً لغيره، ليس فيه أحد[1] يستحب أن يسلم وأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت.

ثالثاً: من مهام الداعية: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من الأساليب التي يلفت بها انتباه المدعو من أجل إرشاده وتوجيهه إلى ما فيه فلاحه في الدنيا والآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه "يابني".

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على السلام عند دخول البيت:

تعتبر الأسرة هي أول نواة المجتمع، عليها يقوم بنيانه وتماسكه، لذلك كان الاهتمام بعلاقة الإنسان داخل أسرته من أهم ما يميز المجتمع الإسلامي، لذلك سعى التشريع الإسلامي إلى تقوية هذه الروابط الأسرية بشتى الطرق، وكان من ذلك إلقاء السلام على الأهل والأقارب عند دخول البيت، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ لأنس رضي الله عنه: "إذا دخلت على أهلك، فسلم" وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[3].

---

(١) كذا في المطبوع من الموسوعة الفقهية، والغالب على الظن أن العبارة صوابها: أو بيتاً لغيره ليس فيه أحد. انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/٣٥٤-٣٥٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/١٧١.

(٣) سورة النور، آية: ٦١.

قال ابن كثير: (قال ابن جريج: حدثنا أبو الزبير، سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: "إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تحية من عند الله مباركة طيبة...، قال ابن جريج: قلت لعطاء: أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم؟ قال: لا، ولا أوثر وجوبه على أحد، ولكن هو أحب إلي، وما أدعه إلا ناسياً)"[١].

قال السعدي: (أي: "فليسلم بعضكم على بعض، لأن المسلمين، كأنهم شخص واحد، من توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. فالسلام مشروع لدخول سائر البيوت، من غير فرق، بين بيت وبيت)[٢].

وقد بين النبي ﷺ عظم فضل من دخل بيته بسلام فقال: ((ثلاثة كلهم ضامن على الله إن عاش كُفي وإن مات دخل الجنة: من دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله عز وجل ومن خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله ومن خرج في سبيل الله فهو ضامن على الله))[٣].

ثالثاً- من آداب المدعو: بيان الحكمة من قيام المدعوين بالتسليم على أهلهم:

إن قيام الداعية ببيان الحكمة من تسليم المدعو على أهله عند دخول بيته، يكون دافعاً وحافزاً للحفاظ والمداومة على السلام، وهذا ما بينه النبي ﷺ في الحديث من قوله: "...، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك"، (أي: " أن هذا السلام يكون زيادة بركة وكثرة خير ورحمة)[٤]. وفي ذلك قال تعالى: ﴿ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[٥].

قال القرطبي: (ووصفها بالبركة، لأن فيها الدعاء واستجلاب مودَّة المسلم عليه، ووصفها أيضاً بالطيب، لأن سامعها يستطيبها)[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٧/٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٣٢).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٥٠/٢.

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٦/١٥، ٣٥٧.

قال السعدي: (أى: سلامكم بقولكم "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"....، إذ تدخلون البيوت "تحية من عند الله" أى: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم مباركة، لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة، والبركة، والنماء، والزيادة "طيبة" لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيب نفس للمحيا، وصحبة، وجلب مودة)[١].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب لغة: "هو طلب الشيء، والحرص عليه، والطمع فيه"[٢]. وفي الاصطلاح: "كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"[٣]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ، في السلام على الأهل عند الدخول عليهم، وذلك في قوله ﷺ: ((إذا دخلت على أهلك فسلم، يكن بركة عليك، وعلى أهل بيتك)).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ١١٨٩/١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يظن بعض الناس أن إفشاء السلام يكون مع الغرباء لا الأقرباء، فإذا بالرسول ﷺ يأمر بإلقاء السلام على الأقرباء وأفراد الأسرة بخاصة لتقوية المودة والروابط وتوطيد العلاقة ومما يلحظ في الباب من آداب تربوية ما يلي:

أولاً- دور المربي وواجباته تجاه التربية الاجتماعية:

إن في وصية رسول الله ﷺ في حديث الباب لخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه ما يبرز لنا دور المربي وما يجب عليه تجاه التربية الاجتماعية وتوجيه المتربين والمتعلمين خاصة الناشئة منهم، فنجد الرسول ﷺ يوصي أنساً بأحد الآداب الاجتماعية وهو سلامه على أهل بيته إذا دخل عليهم، فقال له: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك».

"إنه من المعلوم أن المجتمع الإنساني يتكون من مجموع الأفراد وتكوين المجتمع الصحيح ينطلق من إعداد الفرد إعداداً سليماً، ومن هنا كان وجوب قيام المعلم بدوره بواجب التربية الاجتماعية تجاه الناشئ والتي تتمثل بتلقينه الآداب الاجتماعية العامة والخاصة وتنشئته على مبدأ احترام غيره ومراعاة حقوقهم وتهيئته للاندماج في مجتمعه ومعايشته على أساس سليم والأخذ بكل الأسباب المؤدية إلى تحقيق ذلك، ومن ذلك حثه على التزام الآداب الاجتماعية، ومن أهمها أدب الطعام والشراب وأدب المجلس، وأدب الحديث وأدب المزاح وأدب التهنئة وأدب عيادة المريض وأدب التعزية وأدب العطاس والتثاؤب"[1]، وكذلك أدب السلام والاستئذان الذي وردت الإشارة إليه في حديث الباب.

إن التربية الإسلامية لما وضعت هذه الآداب الاجتماعية، وأوجبت الالتزام بها لم يكن المراد من ذلك التضييق على الناس أو إلحاق العنت بهم، وإنما كان "المنهج الإسلامي في التربية في ذلك يهدف من خلال توجيهاته إلى ترابط المجتمع والتئامه من خلال مسارات متعددة تتضافر جميعها لتحقق ذلك، فأثبت الحقوق والآداب الواجبة

---

(١) انظر: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل بن محمد المقبل، ص١٢١، ١٢٨.

للأفراد والأسر"[١]، هذه الحقوق والواجبات والآداب إذا ما طبقت عملياً فإن لها الآثار التربوية الحميدة والتي تحقق للمجتمع الترابط والاحترام والتآلف الاجتماعي.

ثانياً- تعليم الولد آداب الاستئذان والسلام:

إن للبيوت آداباً يجب على الآباء والمربين أن يعلموها لأبنائهم وطلابهم ويتابعوهم عند تنفيذها، ومن تلك الآداب أدب الاستئذان والسلام على أهل البيت، وكما جاء في حديث الباب من تأديب النبي ﷺ لأنس رضي الله عنه بأدب السلام في قوله ﷺ: «يا بنيّ إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك». فإن في ذلك الخير والبركة وإدخال الأنس والاطمئنان على البيت وأهله.

لذا ينبغي على المربين أن يعلموا الأولاد والناشئة آداب الاستئذان والسلام ويدربوهم عليها، وقد كان ذلك منهج النبي ﷺ في تأديب أصحابه وتدريبهم -خاصة الناشئة منهم- على التخلق بالأخلاق الكريمة والتجَمُّل بالآداب النبيلة، ومن ذلك ما أخرجه أحمد بسنده أن كلدة بن الحنبل أخبر أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس والنبيّ ﷺ بأعلى الوادي قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبيّ ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، أأدْخل»[٢].

"لذا فإن خير ما ينبغي أن يداوم عليه الطلاب والطالبات إتيانهم بتحية الإسلام "السَّلاَمُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ" فيقولوها مع والديهم وأقاربهم وأساتذتهم وأصدقائهم ومع كل مسلم عرفوه أو لم يعرفوه"[٣]، وعند دخولهم منازلهم وغشيانهم مجالس العلماء وما شاكل ذلك.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٤٠.

(٢) أخرجه أحمد، ٤١٤/٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، انظر: الموسوعة الحديثية، ١٥٤٢٥، ١٥٢/٢٤.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٤.

١٣٦- باب السلام على الصبيان

الحديث رقم (٨٦٣)

٨٦٣- عن أنس ﷺ: أنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ رسول الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يحكي صورة من صور التواصل مع النبي ﷺ بتتبع سننه وتنفيذ توجيهاته، فيما قل، وكثر، وهذا هو عنوان المحبة الحقيقة للرسول ﷺ وليس مجرد الدعوات، وأنس ﷺ خدم الرسول طويلا، وكان من أكثر الصحابة ملازمة له، ورواية عنه، وهذا الموقف يدل على دقة متابعته للرسول ﷺ، وسلام الرسول ﷺ علي الصبيان تواضع منه، ثم إن له بُعد نفسي؛ لأنه يعطيهم ثقة بأنفسهم، ويغرس فيهم الإحساس بالرجولة المبكرة؛ لأنه كان يرى فيهم جيل الفتوحات، وحملة دعوته إلى ربوع الأرض، وأسلوب الحديث خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيماً للخبر، والفاء تدل على تعقيب السلام للمرور دون مهلة تضيِّع الغرض، وقوله (يفعله) أي المرور، وإلقاء السلام على الصبيان.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٧، ومسلم ٢١٦٨/١٤، وتقدم برقم ٦٠٤.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يغرس الإسلام مبدأ الثقة في النفس بطرق شتى، منها: إلقاء السلام على الصبْية، لأن إلقاء السلام يشعر الصبي أنه صار رجلاً، ويربيه في نفس الوقت على هذا الخلق وينفي من صدره الخوف ويدرأ الرهبة ويبشره بالرجولة ولهذا وجب:

أولاً- بناء شخصية الطفل الاجتماعية:

إن التسليم على الأطفال له أثر تربوي عظيم في بناء شخصية الطفل وإنضاجها لدفعه للانخراط في المجتمع الذي يعيش فيه، إذ أن "الحياة الاجتماعية طبع وفطرة جعلها الله تعالى في خلقة الإنسان حتى تقوم الحياة، والطفل أحد أركان المجتمع فهو طفل اليوم ورجل المستقبل، فإذا لم يألف الناس ويعود على الآداب العامة، وإذا لم يحسن الحياة بين الناس فمستقبله ضياع"[(١)].

لذلك كان البناء الاجتماعي أحد الأركان التربوية المهمة في بناء شخصية الطفل واستواء عودها.

وإذا روعيت أساليب التربية الإسلامية "تمكن المجتمع من تكوين الرجال القادرين على تحمل المسؤولية وحفظ النظام وتوفير السلامة والأمن للجميع.

إن التربية الإسلامية رفعت من شأن المسلم وربَّته على الحفاظ على كرامته وشرفه والاعتزاز بالنفس ومشاركته الإيجابية في المجتمع -حتى ولو كان طفلاً صغيراً- فإن المجتمع لا ينبغي له الاستهانة به.

وعلى العموم فكل ما فيه تحقيقه لآدمية الإنسان وعلو شأنه ونضج شخصيته واكتمالها حرصت التربية الإسلامية على تنميته وصقله، بغية إخراج جيل يعمل بما يعلم، وهذا ما يصبو إليه - أي منهج تربوي في الدنيا.

وإذا أردنا لتربيتنا أن تعود لفحولتها، فتنتج جيلاً مسلماً قادراً على مواجهة التحديات بأشكالها المختلفة، فيه فُتُوَّة وعزة وطهر واستقامة، علينا أن نعيد للقرآن

---

(١) انظر: بناء شخصية الطفل المسلم، محمد عثمان جمال، ص٦٥.

والسنة مكانتهما في حياتنا"[١]، وأن نعين ناشئتنا وشبابنا على أن يطبق تعاليم الإسلام في حياته وأخلاقه ومعاملاته وجميع سلوكياته.

ثانياً- من أساليب التربية: القدوة:

ونرى ذلك واضحاً في اقتداء أنس بن مالك رضي الله عنه برسول الله ﷺ في التسليم على الصبيان، فعنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله ﷺ يفعله".

إن في استخدام المعلم أسلوب القدوة في تعليمه الأثر البالغ في نفوس الناشئة إذ أن "الطفل لابد له من قدوة حسنة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع.

والتلميذ في المدرسة لابد له من قدوة حسنة يراها في كل معلم من معلميه ليقتنع حقاً بما يتعلمه وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي أمر واقعي ممكن التطبيق وأن السعادة الحقيقية الواقعية لا تكون إلا في تطبيقه"[٢].

إن القدوة تعتبر من أهم أساليب التربية الإسلامية حيث تساهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل المسلم من جميع جوانب التربية الإسلامية مثل الجانب الإيماني والصحي والخلقي والاجتماعي والعقلي والنفسي، ولا تقتصر أهمية القدوة في التربية على جميع مراحل الطفولة فقط، بل تستمر في جميع مراحل النمو التي يمر بها الفرد المسلم"[٣].

إن المعلم لكي يكون قدوة لابد أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به حيث يربى على هديه وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، ولقد كان الرسول ﷺ في مجتمعه مربياً ومعلماً في كل سلوك وتصرف شخصي، فكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب الصبيان ويسلم عليهم، وصور الاقتداء بالرسول ﷺ عديدة مبثوثة في طيات السنة النبوية المشرفة وذلك ما يؤكد لنا قيمة القدوة في تكوين قيم الإنسان وتحقيق الأهداف المرجوة من التربية الإسلامية"[٤].

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٨٦، ٨٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٥٧.

(٣) انظر: أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب، ص١٣٥.

(٤) انظر: في التربية الإسلامية، د. عبدالغني عبود ص١٦٢.

ثالثاً- الممارسة العملية:

من أساليب التربية التدريب العملي والممارسة العملية وذلك له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية، يتضح ذلك من حديث الباب، حيث استخدمه النبي ﷺ مع تلميذه وخادمه أنس بن مالك، وسَارَ أنسٌ رضي الله عنه على منهج رسول الله ﷺ في نقل هذه السنة بالطريقة العملية، فلم يكتف بمجرد النقل أو الحكاية وإنما حرص على الممارسة العملية فعنه "أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال كان رسول الله ﷺ يفعله".

"إن التربية الإسلامية" تهدف إلى بناء مهارات وقدرات عدة، ومن ثَمَّ فليس التناول النظري وحده كافياً، بل لابد أن يكون هناك تدريب وممارسة عملية لا تقل الفرصة المتاحة لها عن الفرص المتاحة للتناول المعرفي، إضافة إلى ذلك أن الممارسة العملية تزيد الإنسان شوقاً إلى الأعمال والقيم التي يراد غرسها في النفوس كما أن الممارسة العملية أيضاً تزيل الرهبة، والتردد الذي يوجد عند معظم الناس، كما أنها تنمي لديهم المهارات والقدرات"[1]، إضافة إلى أن الممارسة والتجارب العملية تكسب المتربين خاصة الأطفال منهم معرفة وعلماً، فعندما يبدأ الطفل بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة، فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه، ويعيد هو بنفسه ذلك العمل، وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة، وتتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله[2].

---

(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١١٣، ١١٤.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤.

١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

الحديث رقم (٨٦٤)

٨٦٤- عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ)[١] - وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ- تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخاريُّ[٢].

قوله: "تُكَرْكِرُ" أي: تَطْحَن.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

السلق: بقلة لها ورق طوال وأصل ذاهب في الأرض، ورقها غض طريٌّ يؤكل مطبوخاً[٣].

تكركر: تطحن[٤].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا) رجوع إلى الماضي يقضي المنطق العقلي بأن ما سيليه من أخبار محققة الوقوع سابقة لوقت الحديث، وليست مصاحبة، والتعبير في الرواية الأولى (كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ) يشير إلى أنها لم تربطها بأحدهم قرابة، وأنها كانت تطعمهم على سبيل الإكرام، والهدية، والرواية الثانية (كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ) توحي بخصوصية أكثر يدل على ذلك تقديم الخبر (لنا) على الاسم (عجوز) والتعبير بالعجوز هنا يشير إلى

---

(١) هذه الرواية عند البخاري برقم ٩٣٨.

(٢) برقم ٦٢٤٨.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ق).

(٤) رياض الصالحين ٣٤٩.

خصوصية في تحديد الزمن بعكس الرواية السابقة التي لم يحدد فيها لفظ (امرأة) سوى النوع، وقوله: (تَأخُذُ مِنْ أصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ) السلق نوع معروف من البقل، والعبارة كناية عن الطبخ، وقولها: (وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ) كناية عن الطحن، ويصور الفعل (تكركر) بوزنه، وصوته جزءاً من دلالته، وهي صوت الرحى في أثناء الطحن، وقوله (فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا) طوت الواو العاطفة أحداثاً معتادة بعد انتهاء الصلاة كالتسبيح دبر الصلوات، والسلام على الإخوان، وتفقد أحوالهم، والسؤال على من تخلف لمرض، أو لغيره حتى يعان إن كان في حاجة إلى ذلك، وهذه الأمور من فوائد الجماعة في الصلاة، وقد طوتها الواو، وقامت دليلاً عليها.

فقه الحديث

السلام على النساء: سلام المرأة على المرأة يسن كسلام الرجل على الرجل، وردّ السلام من المرأة على مثلها كالرد من الرجل على سلام الرجل.

وأما سلام الرجل على المرأة، فإن كانت تلك المرأة زوجه أو أمه أو من المحارم فسلامه عليها سنة، ورد السلام منها واجب، بل يسن أن يسلم الرجل على أهل بيته ومحارمه، وإن كانت تلك المرأة أجنبية فإن كانت عجوزاً أو امرأة لا تُشتهى فالسلام عليها سنة، وردّ السلام منها على من سلّم عليها لفظاً واجب.

وأما إن كانت تلك المرأة شابة يخشى الافتتان بها أو يخشى افتتانها هي أيضاً بمن سلّم عليها، فالسلام وجواب السلام منها، حكمه الكراهة عند المالكية والشافعية والحنابلة، وذكر الحنفية أن الرجل يرد على سلام المرأة في نفسه إن سلمت هي عليه، وترد هي أيضاً في نفسها إن سلم هو عليها. وصرح الشافعية بحرمة ردها عليه.

وأما سلام الرجل على جماعة النساء فجائز، وكذا سلام الرجال على المرأة الواحدة عند أمن الفتنة[1].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٦/٥، وروح المعاني ٩٩/٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٩٦/٦-٤٩، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١١٠/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٢٩/١٠-٢٣٠، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنووط، وعمر القيام ٣٧٤/١-٣٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٦/٢٥-١٦٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة.

ثانياً: من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التسليم على النساء عند الأمان من الفتنة:

لقد سعى الإسلام إلى حماية المجتمع من كل فتنة تضر به، وعمل على منع وسد كل سبب يؤدي إلى ذلك، وفيما يتعلق بالسلام على النساء من غير المحارم، فقد وضع الإسلام الضوابط والحدود التي يجب مراعاتها، (فمن بعض أهل العلم من منع ذلك مطلقاً ومنهم من أجازه بقيد أمن الفتنة، وبعضهم فصَّل ذلك فقال: إن كانت شابة جميلة لم يجز، وإن كانت عجوزاً جاز...، قال صالح: سألت أبي: يسلم على المرأة؟ فقال: أما الكبيرة، فلا بأس، وأما الشابة فلا تستنطق)[1]، وهذا ما صوبه ابن القيم في قوله: (إنه يسلم على العجوز وذوات المحارم دون غيرهن)[2].

وقد بين ابن حجر: (في باب تسليم الرجال على النساء، والنساء على الرجال، أن ذلك يجوز عند آمن الفتنة)[3].

وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول سهل بن سعد رضي الله عنه: كانت فينا امرأة - وفي رواية: كانت لنا عجوز- ...، نسلم عليها، وخير دليل على ذلك قول أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: ((مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا))[4].

قال ابن حجر: (قال الحليمي: كان النبي صلى الله عليه وسلم للعصمة مأموناً من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة فليسلم وإلا فالصمت أسلم)[5].

---

(١) انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٥١/١، ٣٥٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٢/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٢٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٣٦).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/١١.

لما ورد عن النبي ﷺ في تحذيره من فتنة النساء وذلك بقوله: (ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)[١].

ثانياً- من آداب الداعية: الحرص على إفشاء السلام:

إن إفشاء السلام من آكد الواجبات التي بها تتوطد أوامر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، لذلك حرص الإسلام على ترسيخه بين أفراد الأمة بأسرها، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من قول: "...، نسلم عليها" وفي بيان الحرص على إفشاء السلام، قال ﷺ: ((يَا أَيُهَا النَّاسُ أَفْشُو السَّلاَمَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةِ بِسَلاَمٍ))[٢]. وقال ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ «أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ»))[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الجمعة والانصراف بعدها:

مما لا شك فيه (أن لصلاة الجمعة ومحافظة المسلمين عليها في الأمصار والأقطار فضلاً كبيرًا، في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول الله ﷺ، وأصحابه، وبعدها عن تحريف المنحرفين وعبث العابثين، فضلاً عن أن ذلك أدعى للائتلاف والاتحاد وجمع شمل المسلمين، والتعاون على البر والتقوى)[٤]. وقد أفاد الحديث على الحث على أدائها وذلك من قول الراوي: فإذا صلينا الجمعة، وانصرفنا" وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك، قال ابن رجب الحنبلي: (المقصود من هذا الحديث ههنا: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يجلسون بعد صلاة الجمعة في المسجد إلى العصر، وإنما كانوا يخرجون من المسجد ينتشرون في الأرض فمنهم من كان ينصرف لتجارة، ومنهم من كان يزور أصحابه وإخوانه، وكانوا يجتمعون على ضيافة هذه المرأة، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأمر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٣) أخرجه مسلم ٥٤.

(٤) انظر: الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) أبو الحسن الندوي، ص٦١.

بالانتشار بعد الصلاة للاستحباب، وأخذ البعض بظاهر الآية، وذهب الأكثرون إلى أنه ليس بأمر حقيقة، وإنما هو إذن وإباحة، حيث كان بعد النهي عن البيع، فهو إطلاق من محظور، فيفيد الإباحة خاصة)[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (أي: اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها)[٣] وقال في قوله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة" أي فرغ منها، "فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله" لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله. وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين"[٤].

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي ٥/٥٤٥، ٥٤٦.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/١٢٠.

(٤) المرجع السابق ٨/١٢٢.

الحديث رقم (٨٦٥)

٨٦٥- وعن أُم هَانِىءٍ فاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ[(١)] وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ... وَذَكَرَتِ الحديث. رواه مسلم[(٢)].

ترجمة الراوي:

أم هانئ: هي أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم الهاشمية، ابنة عم النبي ﷺ وشقيقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اختلف في اسمها فقيل: فاختة. وقيل: فاطمة. وقيل: هند. والأول أشهر.

تزوجت هبيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي.

تأخر إسلامها إلى فتح مكة، وقد هرب زوجها إلى نجران ففرق الإسلام بينهما، فخطبها النبي ﷺ ولكنها اعتذرت، فقبل النبي ﷺ اعتذارها وأثنى عليها وأبان فضلها، وكان سبب اعتذارها شفقتها على النبي ﷺ وخوفاً من أن تضيف إليه عبئاً إلى أعبائه الجسام.

قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ خطب أم هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني قد كبرت ولي عيال. فقال رسول الله ﷺ: خير نساء ركبن الإبل نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده[(٣)] [ماله المضاف إليه].

وفي رواية ابن سعد عن الشعبي أنها قالت: يا رسول الله، لأنت أحب إلى من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم وأنا أخشى أن أضيع حق الزوج[(٤)].

---

(١) لفظ مسلم: (ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح).

(٢) برقم ٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠١ – ٢٥٢٧.

(٤) قال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي: مرسل سنده صحيح.

وفي يوم فتح مكة دخل النبي ﷺ منزلها فصلى عندها ثماني ركعات ضحى[١].

وكان النبي ﷺ يهش لمقدمها ويرحب بمجيئها، فقد ذهبت إلى رسول الله ﷺ فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمتْ. فقال: من هذه؟ قالت: أنا أم هانئ. الحديث. وفيه ((زعم ابن أمي -تعني علياً- أنه قاتل رجلاً قد أجرتُه. فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ))[٢].

بلغ مسندها من الأحاديث ٤٦، متفق على واحدٍ منها وقد عاشت بعد أخيها عليٍّ مدة، عاشت إلى بعد سنة خمسين[٣].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رضي الله عنها (أتيت النبيَّ ﷺ يَوْمَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (يوم) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً، وهو فتح مكة، وقولها (وهو يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ) صورة من بر البنت بأبيها، وروح المحبة، والتعاون، كما يعكس ضيق المكان؛ لأنه لو كان فيه متسع ما اغتسل في هذا المكان، ولاستتر بغيره، وقولها: (فسلمت) خبر أريد بها لازم فائدته، وهو جواز التسليم على ما هو معلوم عند الفقهاء.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٨٠، ٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٧، ومسلم ٨٢-٣٣٦.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤٧/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٦٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٩٢/٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٤١، والسير ٣١١/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦٠٣/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٧٠٢/٤، والأعلام، خير الدين الزركلي ١٢٦/٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٨٤/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على التستر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أم هانئ رضي الله عنها: ((أتيت النبي ﷺ يوم فتح))، وقد كان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن في غير موضع، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[2].

قال ابن كثير: (والمراد بالفتح ها هنا فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي. فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا، فلم تمضي سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر الإسلام ولله الحمد والمنة)[3]، أخرج البخاري من حديث طويل عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه ((وكانت العرب تلوَّمُ بإسلامهم الفتح، فيقولون: اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم...))[4] وكان سبب الفتح بعد هدنة الحديبية

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٠.

(٢) سورة النصر.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٣/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٠٢.

ما ذكره ابن إسحاق من قوله: (فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي، أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة)[١]، (يخبره الخبر، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله أنشده إياها)[٢].

(فقال رسول الله ﷺ: ((نصرت يا عمرو بن سالم))، ثم عرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[٣]، (وخرج رسول الله ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف من المسلمين، بعد أن استخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن عتبه بن خلف الغفاري)[٤]، فكان الفتح الأعظم، ودخل رسول الله ﷺ مكة، (حتى أقبل إلى الحجر، فاستلمه، ثم طاف بالبيت، فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه، وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ (بسية القوس)[٥]، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ويقول: ((جاء الحق وزهق الباطل))، فلما فرغ من طوافه أتى الصفا فعلى عليه، حتى نظر إلى البيت، ورفع يديه، فجعل يحمد الله ويدعو بما شاء أن يدعو)[٦].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ:

ويستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قول أم هاني رضي الله عنها " أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وفي بيان عظم مكانتها رضي الله عنها، عند

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٤/٤.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٩/٦.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٣٥/٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ٤٠/٤.

(٥) السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة المنعطف من طرفي القوس، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٥١.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٨٠، جزء من حديث مطول.

النبي ﷺ "قال المسور ابن مخرمة: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَلاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. ثُمَّ لاَ آذَنُ لَهُمْ. إِلاَّ أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ. فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي. يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا))[1].

قال النووي: (أما "البضعة" فبفتح الباء لا يجوز غيره وهي: قطعة اللحم وكذلك المضغة بضم الميم، وأما "يريبني" بفتح الياء، قال إبراهيم الحربي: الريب ما رابك من شيء خفت عقباه ...، قال العلماء: في هذا الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو حي، وهذا بخلاف غيره قالوا: وقد أعلم ﷺ بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله ﷺ: لست أحرم حلالاً، ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين: أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك من أذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة، والثانية: خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة ... إلخ)[2].

ومن الشواهد على منزلة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ ما ورد عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: "إن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت، فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟: قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت"[3]، وفي ذلك بيان على عظم مكانة فاطمة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ.

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على التستر:

إن الحرص على التستر من دلائل كمال الحياء، وحسن المروءة، وقد ظهر ذلك جلياً في الحديث من قول أم هاني رضي الله عنها: "...، أتيت النبي ﷺ يوم الفتح وهو يغتسل، وفاطمة تستره بثوب"، وقد أمر النبي ﷺ بالحرص على التستر، ((فعن يعلي رضي الله عنه أن

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧١٤، ومسلم ٢٤٤٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

رسول الله ﷺ رَأَى رَجُلاً يَغْتَسِلُ بِالبَرَازِ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ والسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ»[1].

وعن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا. مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: ((احْفَظْ عَوْرَتَكَ. إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ تُرِيَنَّهَا أَحَداً، فَلاَ يُرِيَنَّهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِياً؟ قَالَ: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ))[2]. وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه، قال: ((حَمَلْتُ حَجَراً ثَقِيلاً فَبَيْنَا أَمْشِي فَسَقَطَ عَنِّي ثَوْبِي، فقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «خُذْ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ وَلا تَمْشُوا عُرَاةً))[3].

فعلى الداعية أن يحرص على التستر.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام:

لقد أكد الحديث على أهمية إفشاء السلام، وذلك من قول أم هانيء رضي الله عنها: "فسلمت"، وقد أمر النبي ﷺ بذلك وحث عليه، فقال ﷺ: ((لرجل سأله أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ فقَالَ لَه: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[4]. قال أبو العباس القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية، كما قال ﷺ: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[5]. وفيه دليل على أن السلام لا يُقْصَر على مَنْ يُعْرَف، بل على المسلمين كافة، لأنه كما قال عليه الصلاة والسلام: «السلام شعار لملتنا وأمان لأهل ذمتنا»[6])[7]. ثم بين ﷺ أنه -أي إفشاء السلام- سبب لدخول الجنة،

---

(١) أخرجه النسائي ٤٠٦، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٩٣).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٠١٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٩١).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٠١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٥) أخرجه مسلم ٥٤.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣/٨ رواه الطبراني من شيخه بكر بن سهل الدمياطي، ضعفه النسائي وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢١/١.

فقال: ((يَا أيُّهَا الناسُ، أفشوا السلامَ وأطعِموا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلوا الجنةَ بسلامٍ))[1]. (وأفشوا السلام) أي: "أظهروه وأكثروه على من تعرفونه، وعلى من لا تعرفونه"[2].

(١) أخرجه الترمذي، ٢٤٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠١٩).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٣/٢.

الحديث رقم (٨٦٦)

٨٦٦- وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها، قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبيُّ ﷺ في نِسوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أَبُو داود والترمذيُّ، وقال: (حديث حسن)، وهذا لفظ أَبي داود[1].

ولفظ الترمذيِّ[2]: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ في المَسْجِدِ يَوْماً، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بالتَّسْلِيمِ.

ترجمة الراوي:

أسماءُ بنتُ يزيد بن السكن: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٥٨٨).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات، وغرض الخبر المسوق هو لازم فائدته، وهو جواز السلام على النسوة دون مصافحة على ما هو مفصل في الجانب الفقهي، والتعبير بـ (على) فيه إشارة إلى علو المكان المفهوم من استعلاء (على)، ومقام الرسول ﷺ، واتصال (نا) به يشير إلى أنهم جماعة، ويؤكد ذلك صراحة قولها: (في نسوة)، فالهاء التي في آخر نسوة ليست علامة تأنيث بل هي هاء فِعلة جمع تكسير، مثل صبية، وغلمة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٥٢٠٤.

(٢) برقم ٢٦٩٧.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٥٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حثّ الإسلام على تقوية أواصر المودة والمحبة بين الناس من خلال عدد من الأمور والتي من جملتها إفشاء السلام، وقد اشتملت أحاديث الباب على عدد من المضامين التربوية من أبرزها ما يلي:

أولاً- تقوية الجوانب الاجتماعية:

إن من أهداف التربية الإسلامية والرئيسة تقوية الجوانب الاجتماعية وتوطيد العلاقات بين أفراد المجتمع والترابط الاجتماعي بين أفراده وسائر شرائحه، ومن مظاهره وأسبابه ما جاء في أحاديث الباب ومنها:

أ-إطعام الطعام وإكرام الناس: وذلك ما نستوحيه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وحكايته عن تلك العجوز التي كانت تقدم الطعام للناس بعد فراغهم من صلاة الجمعة، فعنه أنه قال كانت فينا امرأة، وفي رواية: «كانت لنا عجوز تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه لنا».

ب-إشاعة السلام: وذلك ما نستشفه من إلقاء السلام من قِبل أم هانئ على رسول الله ﷺ ورده عليها، وكذلك سلامه ﷺ على تلك الجماعة من النساء، كما قالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: "مر علينا النبي ﷺ في نسوة فسلم علينا".

إن التربية على تنمية الجوانب الاجتماعية والإكثار من وسائل تقوية الروابط الاجتماعية للمجتمع، على مستوى الجماعات وكذلك الأفراد.

إن من أهداف التربية الإسلامية "تربية المجتمع -الناشئة والأطفال منهم-" تربية اجتماعية على هدي السنة النبوية يقصد بها أن يكون الفرد والصغير متكيفاً مع وسطه الاجتماعي، سواء مع الكبار أو مع الأصدقاء، ومَنْ هم في سنه، وليكون فعالاً إيجابياً بعيداً كل البعد عن الانطواء والخجل المقيت يأخذ ويعطي بأدب واحترام، ويبيع ويشتري ويخالط ويعاشر، وتعويده الالتزام والآداب الاجتماعية والإتيان بها كالسلام الذي هو التحية الإسلامية بين المسلمين، فإن المتربي خاصة الطفل يتعرض للقاء الناس

على اختلاف مستوياتهم فهو يحتاج ليتعرف على مفتاح الكلام معهم، فالسلام مفتاح الكلام"[١].

إن انخراط الإنسان في مجتمعه وقيامه بالدور الاجتماعي والإيجابي من سمات الإنسان الصالح وأهداف التربية الإسلامية، فالإنسان الصالح هو الذي يتسم بما يلي:

أ-أن يكون عبداً ربانياً تقياً دائم الصلة بالله في كل فكر أو عمل أو شعور.

ب-أن يكون نشاطه كله حركة موحدة الاتجاه إلى الله تعالى.

ج-أن يكون شمولياً متكاملاً حراً مسئولاً متوازناً.

د-أن يكون اجتماعياً، إيجابياً يتصف بالتوازن والواقعية[٢].

إن رعاية الجوانب الاجتماعية والتمسك بآدابها وإبراز مظاهرها من "ضرورات الأمن والاستقرار والتعاون بين أفراد المجتمع بمختلف فئاته سواء على مستوى الأسرة أو الجماعة أو القرية أو المدينة أو المجتمع ككل[٣].

ثانياً- دقة التعبير وتكامل الصورة:

إن مما ينبغي على المربين مراعاته تعويد المتربين وتنشئتهم على الدقة في التعبير ونقل الصورة كاملة حتى إذا ما نقلوا معلومة أو ساقوا خبراً أو كتبوا شيئاً ما، كانت الصورة كاملة غير منقوصة عند المتلقي، وذلك له أكبر الأثر في الارتفاع بالمستوى الثقافي والتعليمي والتربوي وسائر المجالات.

ويمكن لنا استخلاص مثل هذه الفوائد من نقل أم هانئ رضي الله عنها لحال النبي ﷺ حين ألقت عليه السلام، فلم تكتف ببيان إلقائها السلام ورده عليها، وإنما ذكرت كثيراً من الأحوال والملابسات التي تجعل الصورة متكاملة لدى المتلقي، كأنها ماثلة مجسدة نصب عينيه، فذكرت التاريخ "عام الفتح"، وذكرت الحال "فوجدته يغتسل"

---

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ص١٤٩-١٥٢.

(٢) انظر: فلسفة التربية الإسلامية، عمر الشيباني ص٩٢، ٩٣.

(٣) انظر: عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية ص١٦.

وذكرت من كان موجوداً عنده، "فاطمة ابنته" وما كانت تقوم به "تستره بثوب" وإلقاء أم هانئ السلام"فسلمت..." كل ذلك بألفاظ معدودة بسيطة لا تستعصي على الفهم ولا تورث الملل والسآمة.

لذا ينبغي على المعلم والمتربي اتباع عدة أمور في تعليمه وتوجيهه للمتعلمين ولمن يقوم على تربيتهم، ومن أبرزها ما يلي:

أ-أن يكون الكلام مفيداً ولا يكون مجرد ألفاظ وكلمات لا غرض لها ولا معنى، كما يجب أن يكون خالياً من الألفاظ غير المفهومة.

ب-أن تكون الفكرة المراد تبليغها واضحة ومفهومة عند المتربين حتى يصل إلى المطلوب، "فإن من الشطحات أن تكون الفكرة لها ظواهر رائعة، وفيها عبارات هائلة وليس ورائها طائل، إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقلية أو تشويش في خيال، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على مقصده لقلة دربته أو لعدم معرفته بأحوال المتربين، فإن المربي إذا كان موصلاً جيداً كان ذلك فتحاً لتربيته وكسباً لفكرته وسراجاً منيراً لرسالته مؤيداً عمله بفاعلية ونجاح كما يجب"[1].

ثالثاً- خصائص التربية الإسلامية: التوازن والاعتدال:

إن من خصائص التربية الإسلامية أنها تقوم على التوازن والاعتدال بعيدة عن الغلو فلا إفراط فيها ولا تفريط، ومن دلائل ذلك في أحاديث الباب جواز التسليم على المرأة الأجنبية إن أمن الفتنة، وذكرت لنا الأحاديث دلائل عملية على ذلك منها ما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: "كانت فينا امرأة تأخذ من أصول السلق فإذا صلينا وانصرفنا نسلم عليها" وكذلك حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: «مر علينا النبي صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا»، فالإسلام يمنع التبرج والاختلاط ونحوهما، مما يؤدي إلى مساوئ الأخلاق وأراذل الأفعال، ولكن في نفس الوقت لا يمنع من مظاهر

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، الرسالة، الوسيلة، الأهداف، د. توفيق الواعي، ص٢٦٢-٢٦٤.

التعامل كالبيع والشراء والسلام ونحوها شريطة أمن الفتنة والانزلاق في مهاوي الرذيلة.

إن التربية الإسلامية تربية تنشد الاعتدال والتوازن، وذلك في كل شيء فهي: "تربية متوازنة في بنائها لجوانب شخصية الفرد والمجتمع، فأعطت التربية الإسلامية للفرد قيمة إنسانية وأعطته الحرية في ممارسة حقوقه الطبيعية، ولكن في إطار الأخلاق الفاضلة دون الإخلال بواجباته تجاه الآخرين في الأسرة، وفي المجتمع الذي يعيش فيه بل وتجاه الآخرين في الأمة الإسلامية، وفي المجتمع الإنساني بكامله"[1].

رابعاً- مراعاة المشاعر وجبر الخواطر:

إن مما ينبغي أن يحرص عليه القائمون على التربية مراعاة مشاعر الآخرين وتوقيرهم وجبر خواطرهم، وذلك من أسباب زيادة الألفة والمحبة، ونلاحظ ذلك في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي نقل لنا ما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم من أكل ما تقدمه إليهم تلك المرأة الكريمة من طعام جبراً لخاطرها دون النظر إلى حاجاتهم إلى هذا الطعام أولاً، فعنه أنه قال: "كانت فينا امرأة...تأخذ من أصول السلق فتطرحه في القدر وتكركر حبات من شعير، فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا".

لذا فمما ينبغي على المتربي جبر خاطر من يُسْدي إليه معروفاً أو يقدم له هدية أن يقبلها، لكن إذا كان هناك ما يمنع قبولها فإن من حسن الخلق أن يبين له سبب الرد تطييباً لقلب مهديها وجبراً لخاطره.

إن التربية على رعاية المشاعر من الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية والتي تتجه في أصلها، ومن خلال طرقها ووسائلها إلى "زرع بذور التعاضد والتماسك والتضامن وتقوية الصلات والروابط بين أفراد المجتمع وتنمية التحابب والمودة في النفوس، وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة وعدم التهاون فيها، وتعزيز اتجاه حب التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢٢٠.

أفراحهم وأتراحهم والوقوف معهم ما أمكن"[١].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-القصة: كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة -وفي رواية: كانت لنا عجوز-تأخذ من أصُول السِّلْق فتطرحه في القدر، وتكركر من شعير فإذا صلينا الجمعة وانصرفنا نسلم عليها فتقدمه إلينا.

والقصة تستخدم لغرس القيم الفاضلة في نفوس المتعلمين ونزع القيم السلبية، فضلاً عن أنها تجذب المتعلمين وتشد انتباههم. ويمكن للمعلم أن يستخدمها تمهيدًا لدرسه ونحو ذلك.

ب-الممارسة العملية: كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: مرّ علينا النبي صلى الله عليه وسلم فسلم علينا.

والممارسة العملية من الأساليب التي تتميز بطول بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٦١، ٦٢.

١٣٨- باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم

واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار

الحديث رقم (٨٦٧)

٨٦٧- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ تَبْدَأُوا اليَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينظم جانباً من علاقة المسلم بغير المسلمين، والخبر مؤكد في كلام الراوي استشعاراً لمقام من يحدث عنه، واستشعاراً لأهمية الخبر، وتنبيهاً على ذلك، وقول الرسول ﷺ بدأ بأسلوب النهي العام، والذي اتخذ حكم العموم من اتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة، وعلى ذلك، فهو خطاب للصحابة، ومن بعدهم من الأمة، وتكرار حرف (لا) للتأكيد على استقلال كل طائفة بحكم النهي تأكيداً له، ، وأسلوب الشرط (فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيق فَاضطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ) يربط لقاءهم باضطرارهم إلى أضيقه يطرد في كل زمان، ومكان، وتلك إحدى ثمرات استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان، ولفظ (أحد) المضاف لضمير الجمع (هم) يعطي معنى العموم ليشمل كل واحد منهم، وتنكير (طريق) يفيد التعميم ليشمل كل طريق.

---

(١) برقم ٢١٦٧/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠١٩.

فقه الحديث

السلام على أهل الذمة وغيرهم من الكفار: ذهب الحنفية إلى أن السلام على أهل الذمة مكروه؛ لما فيه من تعظيمهم، ولا بأس أن يسلم على الذمي إن كانت له عنده حاجة، لأن السلام حينئذٍ لأجل الحاجة لا لتعظيمه. ويجوز أن يقول: السلام على من اتبع الهدى. وذهب المالكية أيضاً إلى أن ابتداء اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال بالسلام مكروه، لأن السلام تحية، والكافر ليس من أهلها.

ويحرم عند الشافعية بداءة الذمي بالسلام، وله أن يحييه بغير السلام، بأن يقول: هداك الله، وأنعم الله صباحك إن كانت له عنده حاجة. وإلا فلا يبتدئه بشيء من الإكرام أصلاً، لأن ذلك بسط له وإيناس وإظهار ودّ.

وقال النووي في الأذكار: (اختلف أصحابنا في أهل الذمة، فقطع الأكثرون بأنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام، وقال آخرون ليس هو بحرام بل هو مكروه. وبداءة أهل الذمة بالسلام لا تجوز أيضاً عند الحنابلة، كما لا يجوز أن نحييهم بتحية أخرى غير السلام)[1].

وإذا مرّ واحد على جماعة فيهم - مسلمون ولو واحدًا - وكفار، فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم، لحديث أسامة بن زيد، حديث الباب[2].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٥-١٦٩ ومراجعها ومصادرها.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٦٤/٥-٢٦٥، والاختيار ١٦٥/٤، وروح المعاني ١٠٠/٥ ، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٢٥/٢-٤٢٦ ط/٣، وحاشية العدوي على الخرشي ١١٠/٣ ط/ بولاق، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٤٩/٨ ، وتحفة المحتاج ٢٢٦/٩ ، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٠/١٠-٢٣١ ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٨٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٣٦/٨ ، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٩/٣ ، والكافي ٣٥٩/٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٥-١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام.

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي:

والنهى من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على إرشاد وتوجيه المدعوين إلى اجتناب ما هو محظور عليهم، وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من نهيه ﷺ عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام، وذلك في قوله ﷺ "لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام" لما في ذلك من إظهار عزة الإسلام والمسلمين.

ثانياً- من أصناف المدعوين: اليهود والنصارى:

(إن دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وترغيبهم في الدخول فيه، من أوجب الواجبات ومن أسباب خيرية هذه الأمة، ومن أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، و قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2]، وقد شرع الإسلام لغير المسلمين الإقامة في بلاد الإسلام بعقد الذمة أو الأمان)[3]، وشمل ذلك اليهود والنصارى، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قوله ﷺ: "لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام".

ومما لا شك فيه (أن استوطان اليهود والنصارى، ومجيئهم إلى البلاد الإسلامية، يتيح فرصة كبرى لدعوتهم إلى الإسلام، فيجب أن تتضافر الجهود في استثمارهم

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله اللحيدان، ص٥.

بعرض الإسلام عليهم، ودعوتهم إليه، على هدي من قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾[2])[3].

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله تعالى تخاطب أهل الكتاب، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4].

قال ابن كثير: أي: "قل" يا "محمد": ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي: من الدين "حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ"، أي حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر بإتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته"[5].

ورغم أن أهل الكتاب أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، ونسبوا إليه ما لا ينبغي لجلالته وعظمته، فنسبوا إليه الولد، وزعموا أن الله فقير، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ورغم نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، ومخالفتهم تعاليم الرسل، وابتداعهم في الدين، وتحريفهم وتبديلهم فيه، رغم ذلك كله، فإن القرآن الكريم جاء يدعو أهل الكتاب أحياناً بأسلوب سهل رقيق، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَـٰهُمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[6].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله اللحيدان، ٦.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٢٩٤.

(٦) سورة المائدة، آية: ٦٥ .

فبالرغم مما اقترفه أهل الكتاب من أفعال، وما افترته ألسنتهم من أقوال، مما ذكره القرآن الكريم، فإن الله تعالى فتح لهم أبواب التوبة، ويسر لهم التكفير عن سيئاتهم وخطاياهم، إن آمنوا بالله تعالى وأخلصوا له العبادة والتوحيد، بأن يدخلهم جنات النعيم.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قام على الترغيب والترهيب، فمن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة، وإن رحمته وسعت كل شيء، وعفوه يشمل كل من تاب وأناب وآمن به سبحانه[1]، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

وقد توعد الله الكافرين بجهنم وبئس المصير، وإن الله تعالى لم يغلق في وجوههم أبواب رحمته إن تابوا وأنابوا إليه سبحانه، لأن الإسلام يجب ما قبله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3].

إننا لو نظرنا إلى خطاب القرآن الكريم لأهل الكتاب، فإننا نجد معالمه في تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم، وتحذيرهم من يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا

---

(١) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٢- ١٢٣.

(٢) سورة طه، آية: ٨٢ .

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٣٦-٣٨ .

تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[١].

قال الشوكاني: "كرر ذلك سبحانه توكيداً للحجة عليهم - أي كرر قوله سبحانه: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" وتحذيراً لهم من ترك اتباع محمد ﷺ، ثم قرنه بالوعيد[٢]، وهو قوله: "واتقوا يوماً".

ثم إن في خطاب القرآن الكريم لهم بـ "يا بني إسرائيل" تهييجاً لهم وتذكيراً بنبيهم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام، قال الإمام ابن كثير: "وتقدير الكلام يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل نبيكم في متابعة الحق، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك"[٣].

وفي مقابل هذا الترغيب لأهل الكتاب، جاءت آيات عديدة تخاطبهم في سياق الترهيب... تؤنبهم على عدم إسلامهم، وتوبخهم كقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٥].

كما جاءت آيات عديدة تهددهم، وتنذرهم عقوبة الله إن هم أعرضوا عن الإيمان بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ[٦]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٤٧ - ٤٨.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٨١/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٤/١.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ٧٠ - ٧١.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ٩٨ - ٩٩.

(٦) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ١٠٠ - ١٠١.

نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

إن المتأمل في خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، يدرك أنه اتسم -أي الخطاب- بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

حيث خاطب العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة.

لقد اشتمل خطاب القرآن الكريم على ألطف الأساليب في جداله مع المخالفين، واختار العبارات الرقيقة، لأن ذلك أدعى إلى الأنس بالخطاب، وعدم إثارة العصبية[2].

إن من معالم المنهج القرآني الذي رسمه القرآن للدعوة إلى الله، الجدال بالتي هي أحسن، والأصل في الجدال أن يكون من المخالفين، ومن الملاحظ على التعبير القرآني المعجز في الآية أنه اكتفى في الموعظة بأن تكون (حسنة) ولكنه لم يكتف في الجدال إلا أن يكون بالتي هي (أحسن) لأن الموعظة -غالباً- تكون مع الموافقين، أما الجدال فيكون -عادة- مع المخالفين، لهذا وجب أن يكون بالتي هي أحسن، على معنى أنه لو كانت هناك للجدال والحوار طريقتان: طريقة حسنة وحيدة، وطريقة أحسن منها وأجود، كان الداعية مأموراً أن يحاور مخالفيه بالطريقة التي هي أحسن وأجود[3].

ومن ذلك قوله تعالى في جدال المشركين: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4].

قال ابن كثير: "هذا من باب اللّف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم، ونحن على الهدى، أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدلّ على بطلان ما أنتم عليه من الشرك

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٧.

(٢) انظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٤-١٢٥.

(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٠ - ٤١.

(٤) سورة سبأ، آية: ٢٤.

بالله، ولهذا قال: "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين"، قال قتادة: قد قال ذلك أصحاب محمد ﷺ للمشركين، والله ما نحن وإياكم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد[١]".

وقال السعدي: "أي إحدى الطائفتين منا ومنكم على الهدى مستعلية عليه، أو في ضلال مبين منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحق، واتضح له الصواب، وجزم بالحق الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه. وقال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢] أي: كل منا ومنكم له عمله، أنتم لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا لو أذنبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، فليكن المقصود منا ومنكم طلب الحقائق، وسلوك طريق الإنصاف ودعوا ما كنا نعمل، ولا يكن مانعاً لكم من اتباع الحق.."[٣].

وكان من مقتضى المقابلة أن يقول: "ولا نسأل عما تجرمون" ولكن لم يشأ أن يجابههم بنسبة الإجرام إليهم، إيناساً وتقريباً لهم، وتأليفاً لقلوبهم.

ومن الجدال بالتي هي أحسن: التركيز على نقاط الوفاق، لا نقاط الاختلاف لأن ذلك يؤدي إلى التلاقي النسبي في الأصول المشتركة، وإيجاد أرضية للحوار، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٤]، فهو هنا يركز على العقائد التي تقرب المسلمين منهم وهي: أن المسلمين يؤمنون بكل ما أنزل الله من كتاب، كما يؤمنون بكل من بعث الله من رسول، وكذلك يؤمن الجميع بإله واحد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨٦/١١.

(٢) سورة سبأ، آية: ٢٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

ومن هذه النقطة ينطلق اللقاء لمواجهة الملاحدة والجاحدين الذين لا يؤمنون إلا بالمادة وحدها، ولا يعتقدون أن للكون إلهاً، ولا أن في الإنسان روحاً، ولا أن وراء الدنيا آخرة.

إن القرآن الكريم علمنا ألا نخاطب الناس - وإن كانوا كفاراً - باسم الكفر، فخطاب الناس - غير المؤمنين - في القرآن، إما أن يكون بهذا النداء: "يا أيها الناس"، أو "يا بني آدم"، أو "يا عبادي" أو "يا أهل الكتاب" أو "يا بني إسرائيل".

ولم يأت في القرآن خطاب بعنوان الكفر، إلا في آيتين إحداهما: خطاب لهم يوم القيامة[1]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[2].

والأخرى في قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾[3].

فكان هذا خطاباً للمشركين الوثنيين الذين كانوا يساومون الرسول الكريم ﷺ على أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة.

فأرادت السورة قطع هذه المحاولات بأسلوب صارم، وبخطاب حاسم، فأمر الرسول ﷺ أن يخاطبهم بهذه الصورة القوية، بما فيها من تكرار وتوكيد، ومع هذا ختمت السورة بهذه الآية التي تفتح باب السماحة مع الآخر، حين قالت: "لكم دينكم ولي دين".

إن الله تعالى أمر عباده بالقول الحسن مع من يخاطبونه، ومن القول الحسن ألا يجابه الكافر، بأن يقال: "أيها الكافر"، فقد أمر الله رسوله بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[4][5].

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، ٤٤ - ٤٥.

(٢) سورة التحريم، آية: ٧.

(٣) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٥٣.

(٥) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي ٤٤ - ٤٥.

وقيل المعني: "قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم، وهم يعبدون الأصنام، يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد، والإقرار بالنبوة، وقيل المعنى: وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد، أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن، كما قال: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[1]، وقال الحسن: هو أن يقول للكافر إذا تشطط: هداك الله! يرحمك الله! وهذا قبل أن يؤمروا بالجهاد"[2].

إنه بالرغم من صلف وعناد المشركين، فإن القرآن الكريم قد خاطبهم باللين والحكمة والإرشاد إلى مناهج الصواب، وذكرهم بأخبار الأمم الماضية، وحذرهم من نتائج كفرهم، وعواقب استمرارهم على الشرك بالله، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن ابتداء اليهود والنصارى بالسلام:

مما أكد عليه نص الحديث هو عدم ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وذلك في قوله ﷺ: ((لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ))، ولكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فهل يبذل لهم السلام؟، نجد أن العلماء قد اختلفوا في ذلك.

قال القاضي عياض: (وقوله: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ»: هذه سنة، بها أخذ عامة السلف والفقهاء ...، وذهب آخرون إلى جواز ذلك ابتداءً...، واحتج من قال هذا بقوله ﷺ: «أَفْشُوا السَّلَامَ»[4]، وذهب آخرون إلى جوازه ابتداءً للضرورة أو لحاجة تعن له إليه، أو لذمام - وهو الحق والحرمة والعهد- ، وقال الأوزاعي: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون)[5].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٢٧٧.

(٣) راجع بتوسع، خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ١٢٦-١٣١.

(٤) أخرجه مسلم ٥٤.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٢/٧.

قال النووي: (فمذهبنا تحريم ابتدائهم به، ووجوب رده عليهم بأن يقول: وعليكم أو عليكم فقط. ودليلنا في الابتداء قوله ﷺ: «لا تَبْدَؤوا اليَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلامِ» وفي الرد قوله ﷺ: «فقولوا وعليكم»[1])[2].

وقال ابن حجر: قالت: طائفة يجوز ابتداؤهم بالسلام، فأخرج الطبري من طريق ابن عيينه قال: يجوز ابتداء الكافر بالسلام لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[3]. وقول إبراهيم لأبيه ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[4].

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عون ابن عبدالله بن محمد بن كعب أنه سأل عمر بن عبدالعزيز عن ابتداء أهل الذمة بالسلام، فقال: نرد عليهم ولا نبدؤهم. قال عون فقلت له: فكيف تقول أنت ؟ قال: ما أرى بأساً أن نبدأهم. قلت لم؟ قال لقوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾[5].

وقال البيهقي بعد أن ساق حديث أبي أمامة، أنه كان يسلم على كل من لقيه، فسئل عن ذلك فقال: (إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا)[6].. هذا رأى أبي أمامة، وحديث أبي هريرة في النهى عن ابتدائهم أولى، وأجاب عياض عن الآية وكذا عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه بأن القصد بذلك المتاركة والمباعدة وليس القصد فيهما التحية. وقد صرح بعض السلف بأن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٤) سورة مريم، آية: ٤٧.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، ٧٥١٨، وقال الهيثمي في المجمع ٣٣/٨، رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدمياطي ضعفه النسائي، وقال غيره مقارب الحديث.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٨٩.

نسخت بآية القتال وقال الطبري: لا مخالفة بين حديث أسامة في سلام النبي ﷺ على الكفار حيث كانوا مع المسلمين - ويقصد بذلك قول أسامة رضي الله عنه "إن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج -وذلك قبل وقعة بدر- حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبدالله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبدالله بن رواحة. فلما غَشَيت المجلسَ عَجَاجَةُ الدابة، خَمَّرَ عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا. فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن ... إلخ"[1].

وبين حديث أبي هريرة في النهى عن السلام على الكفار، لأن حديث أبي هريرة عام، وحديث أسامة خاص، فيختص من حديث أبي هريرة ما إذا كان الابتداء لغير سبب ولا حاجة من حق صحبة أو مجاورة أو مكافأة أو نحو ذلك، والمراد منع ابتدائهم بالسلام المشروع، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه، كأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فهو جائز كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره "سلام على من اتبع الهدى"[2].

وعلى ذلك فيسلم على غير المسلم عند الحاجة، كما لو كان فيه تأليف له على الإسلام، قال ابن القيم: "فإن كان في كنيته، وتمكينه من اللباس وترك (الغيار)[3] والسلام عليه أيضاً، ونحو ذلك، تأليف له ورجاء إسلامه وإسلام غيره، كان فعله أولى كما يعطيه من مال الله لتألفه على الإسلام، فتألفه بذلك أولى ...، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وأصحابه في تأليفهم الناس على الإسلام بكل طريق تبين له حقيقة الأمر، وعلم أن كثيراً من هذه الأحكام التي ذكرناها من الغيار وغيره، تختلف باختلاف

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٤، ومسلم ١٧٩٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

(٣) وهو علامة أهل الذمة، وهو كالزنار للمجوس، والزنار بضم الزاي وتشديد النون، ج زنابر؛ حزام خاص يشده النصراني على وسطه. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ص ٢٠٩ - ٣٠٤.

الزمان والمكان، والعجز والقدرة، والمصلحة والمفسدة، ولهذا لم يغيرهم النبي ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه، وغيرهم عمر رضي الله عنه والنبي ﷺ قال: لأسقف نجران: أسلم يا أبا الحارث، تأليفاً له واستدعاء لإسلامه، لا تعظيماً له وتوقيراً"[١].

فالأمر يدور مع المصلحة الراجحة، فتحيتهم لا تحرم عند الحاجة والمصلحة...، ولابد مع هذا أن يكون الترغيب في الإسلام، والدعوة إلى الدخول فيه، هو الباعث على تحيتهم[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: إظهار عزة الإسلام:

هذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ: "فإذا ألقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"، قال القاضي: (والمراد بذلك -والله أعلم- ألا يُظْهر برهم بالتنحي لهم عن منهج الطريق وسبيله ويؤثرهم به، وينضم هو إلى ضيقه وجوانبه، بل يسلكه المسلم حتى يضطر هو إلى حواشي الطريق وضيقه، ولم يرد عليه السلام - والله أعلم- إذا كان الطريق واسعاً لحملهم، أن يضيق عليهم ذلك فضلاً ويمنعهم منه حتى يضطروا إلى غيره)[٣].

قال النووي: "أى: لا يترك للذمي صدر الطريق، بل يضطر إلى أضيقه إذا كان المسلمون يطرقون، فإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج، قالوا: وليكن التضييق بحيث لا يقع في وهده ولا يصدمه جدار" [٤]. وقال ابن حجر: معناه لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق إكراماً لهم واحتراماً، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الأولى في المعنى، وليس المعنى إذا لقيتموهم في طريق واسع فألجئوهم إلى حافته حتى يضيق عليهم، لأن ذلك أذى لهم، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب"[٥]. وقد قال تعالى:

---

(١) أحكام أهل الذمة، ابن القيم الجوزية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ١٨٨/٢.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلامي، عبدالله اللحيدان، ١٦٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٣/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٨.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1].

قال ابن كثير: "هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه، متعززاً عل خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[2]، وفي صفة النبي ﷺ أنه "الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتال لأعدائه"[3]. فلا ينبغي للمسلم أن يعز الكافر، بل عليه أن يكون عزيزًا هو عليه، مظهرًا لعزة الإسلام، ومن يدين به، مشعرًا للكافر بذله وهوانه لديه، وأن عزته بالله ودين الله، وأن إسلامه سبب قوته وعزته.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٦/٣.

الحديث رقم (٨٦٨)

٨٦٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث قائم على جملة واحدة صدرت في ثوب الشرط الذي يربط مقدمة بنتيجة، وهي تسليم أهل الكتاب، وقول المسلم، وعليكم من باب الحذر من كيدهم قولاً ينبهنا إلى الحذر من فعلهم من باب أولى، وتقديم الجار، والمجرور (عليكم) يفيد الاختصاص أي إذا اختصوكم بالسلام، و إضافة الأهل للكتاب إضافة اختصاص تشمل اليهود، والنصارى، وقوله: (وعليكم) مبني على الحذف تقديره، وعليكم مثل الذي قلتم، اتقاءً لشرهم، وفيه تنبيه بليغ ضمناً بضرورة التنبه من خداعهم، وكيدهم، فإذا كان الرسول ﷺ حذرنا من مكرهم في القول فيجب علينا أن نحتاط منهم قولاً، وفعلاً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم أهل الكتاب.

رابعاً: من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٥٨، ومسلم ٢١٦٣/٦ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٠.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

الشرط من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم لمعرفة جواب الشرط، وهذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لكيفية رد السلام على أهل الكتاب، وذلك في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم"، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط، وذلك في قوله ﷺ "إذا" وعلى فعل الشرط في قوله "سلم" وعلى جواب الشرط في قوله "فقولوا وعليكم".

ثانياً- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب:

(لقد شاء الله تعالى أن تكون رسالة نبينا محمد ﷺ للناس كافة، وتأكد ذلك بالكتاب والسنة والإجماع وغير ذلك من الأدلة، والتي من جملتها ما ورد في القرآن الكريم من خطابه لغير المسلمين الذين تعددت أصنافهم)[1].

وكان من أصنافهم، أهل الكتاب، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب"، وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب في آيات كثيرة باعتبارهم من أصناف المدعوين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[4].

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ص٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(وقد بين لنا القرآن الكريم مبادئ التعامل وأساليب القول والدعوة إلى الله تعالى، وقد جاء المنهج القرآني في الدعوة إلى الله تعالى مُلخصاً ومُركزاً في قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[2].

وجاء الخطاب القرآني لغير المسلمين جامعاً بين المنقول والمعقول والمحسوس، المنقول من خلال ما أخبر به القرآن الكريم عن أهل الكتاب، وموقفهم من الإسلام ونبي الإسلام، ومواقفهم السابقة مع أنبيائهم، وبيّن لهم كثيراً مما أخفوا وسجل عليهم المواقف، فأقام عليهم الحجة والبرهان، مما قطع بأحقية الإسلام بالإيمان به، ورسوله ﷺ بالاتباع، إلا أن الحسد والكبر كان من بواعث إنكارهم ونكوصهم.

لقد جاء خطاب القرآن جامعاً أيضاً بين المعقول والمحسوس، من خلال تلك الأدلة والبراهين العقلية، التي تستقيم في منطق العقلاء ذوي الفطرة النقية السليمة، وما يستشعرونه بحواسهم من آيات كونية وإنسانية، يستشعرون عظمتها في حياتهم، فلم يكن خطاب القرآن لغير المسلمين خطاباً تجريدياً فلسفياً عقيماً، بل كان مبنياً على حقائق في هذا الكون، وهذه الأنفس، لقد كان خطاب القرآن هادئاً هادفاً، موضوعياً جامعاً لا مفرقاً، مؤنساً لا موحشاً، جامعاً بين الترغيب والترهيب، فيه مقومات العالمية، يحترم الآخر أياً كانت عقيدته لا ينفره، يقربه ولا يبعده ومن سمات ذلك "يا أيها الناس" "يا بني آدم" "ياعبادي" "يا أهل الكتاب" إنه خطاب يريد أن يستل العداوات، ويختصر المسافات، ويصل إلى كلمة سواء، يبشر بالمغفرة إذا انتهى عما يخالف أصول الإسلام وفروعه.

إن خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، هو المعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الديني المعاصر، وليس على ما يملي البعض؟!!

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .

فما أحوج خطابنا المعاصر إلى استلهام المعالم والأسس من الخطاب القرآني، وذلك استشعره من خلال معايشتي لما يدور على الساحة اليوم من تضارب وتنافر وإفراط وتفريط، وتشديد وتشدد وغير ذلك من الأطياف المتعددة التي لا تنم عن منهجية علمية صحيحة مستمدة من القرآن الكريم، وإنما تعطى فيها مساحة للهوى.

وإن لغة الحماسة والعاطفة التي هي من لوازم خطابنا الموجه للمسلمين، لا تتناسب مطلقاً مع غير المسلمين، لأنه مازال كثير من الدعاة لديه إصرار أنه طالما يدعو إلى الله ويؤيد كلامه بالأدلة من الكتاب والسنة والآثار، فلابد للآخر - غير المسلم - أن يقتنع ويسلم، لأنه ليس له حجة في الإنكار أو عدم الانصياع لما يسمع أو يقرأ.

ونسي هؤلاء الدعاة أن هناك حلقات مفتقدة بينهم وبين هؤلاء من غير المسلمين، من حيث البيئة والثقافة واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والعقائد، وغير ذلك مما ينبغي الوقوف عليه قبل أن يوجه إليهم الخطاب، وإذا كان هؤلاء يعطون للعقل مساحة كبيرة في التفكير، فإن الإسلام قد سبقهم إلى ذلك، وأشاد بالعقل وجعله مناطاً للتكليف، وقد استخدم الخطاب القرآني عدداً من المناهج العقلية والحسية والعاطفية، وراعى في استعمالاته لتلك المناهج مناسبتها للمخاطبين)[1].

مما يستوجب على الداعية أن يراعي ذلك في دعوته لأهل الكتاب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يقال في الرد على تسليم أهل الكتاب:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ " ... فقولوا: وعليكم".

(ورد السلام على غير المسلمين واجب، لعموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[2]، [3].

---

(١)خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ٤-٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٦.

وقد فصل ابن القيم القول في هذه المسألة فقال: (إذا تحقق أنه قال السام عليكم أو شك فيما قال، يرد بـ "عليكم"، أما إذا تحقق أن الذي قال سلام عليكم لاشك فيه فهل له أن يقول وعليك السلام أو يقتصر على قوله وعليك؟ فالذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة، أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان، فقد قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[1]. فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ أمر بالاقتصار على قول الراد وعليكم، بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم، وإذا زال هذا السبب، وقال الكتابي: سلام عليكم ورحمة الله، فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه)[2].

رابعاً- من آداب الدعاة والمدعوين: تأليف قلوب غير المسلمين برد السلام عليهم على النحو المبين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في رد السلام على غير المسلمين، (ولقد كان من الحكمة في بقاء غير المسلمين في ديار المسلمين، ترغيبهم في الإسلام بما يرونه من تعامل أهله وسلوكهم، والعامة لهم نصيب كبير في هذا المجال، كما يكون عليهم تبعات الالتزام بمبادئ الإسلام"[3].

"وقد كان الرفق واللين سمة بارزة في دعوة النبي ﷺ والرفق في موضعه قوة للداعية ولدعوته، وبه انجذب كثير من الناس إلى دين الله، وبالغلظة والعنف -في غير موضعها- انجفل كثير من الناس عن دين الله، وإذا كان المشركون يقفون من الدعوة مواقف متعددة، ينوعون فيها هجومهم على الدعوة، فإن النبي ﷺ لم يترك موقفاً من تلك المواقف إلا ويغرس في نفوس أصحابه ما يناسب ذلك الموقف، والرفق له نصيبه من

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٦.

(٢) أحكام أهل الذمة ١٥٧.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله إبراهيم اللحيدان، ط/١، الوطنية، الرياض: ١٤٢٠هـ، ص٦٩.

ذلك، "روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنَّ اليهودَ أتوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السامُ عليك. قال: وعليكم. فقالت عائشة: السامُ عليكم ولعنَكمُ اللّهُ وغَضِبَ عليكم. فقال رسولَ اللّه ﷺ: مَهلاً يا عائشة، عليكِ بالرفق، وإياكِ والعُنف والفُحش))[1]، لقد أثمرت سماحة النبي ﷺ في التعامل مع غير المسلمين مما حمل المنصفين منهم على قبول الإسلام.

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠، ومسلم ٣١٦٥.

الحديث رقم (٨٦٩)

٨٦٩- وعن أُسَامَة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أخْلاَطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ -عَبَدَة الأَوْثَانِ- واليَهُود... فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٠).

غريب الألفاظ:

أخلاط: مجتمعون مختلطون[2].

الأوثان: الأصنام، ومفردها: وَثَن[3].

الشرح الأدبي

أورد أسامة رضي الله عنه المعنى في ثوب الخبر المؤكد ب (إن) مع تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، لدفع ما يمكن أن يطرأ على الخبر من شك في خبر تسليم الرسول ﷺ على المختلطين بالمشركين، واليهود لوجود النهي عن بدء غير المسلمين بالسلام، وغرض خبر أسامة رضي الله عنه إفادة لازم الخبر، وهو نقل فعل النبي ﷺ الذي يشير إلى جواز ذلك، وقوله مجلس، هو مكان جلوس القوم، والتعبير بأخلاط يشير إلى عدم التميز في المجلس حتى يخص المسلمين، ويترك غيرهم، وقوله (فسلم عليهم النبي ﷺ) تقديم الجار، والمجرور يفيد الاختصاص أي: سلم على من في المجلس كلهم دون مجلس غيرهم، وإعادة لفظ النبي مع إمكان التعبير بضميره فيه مزيد تقرير، وتوكيد على صدور الفعل منه ﷺ كما أكده استخدام الفعل في صورة الماضي المتحقق الوقوع.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٦٣، ومسلم واللفظ له ١٧٩٨/١١٦.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ط).

(٣) المرجع السابق في (و ث ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من أصناف المدعوين: المسلمين وغير المسلمين:

من الملاحظ في نص الحديث، أن النبي ﷺ ألقى السلام على أهل المجلس جميعاً بمن فيهم المسلمون وغيرهم من المشركين عبدة الأوثان واليهود، ولم يخص ﷺ المسلمين بالسلام دون غيرهم، فكان في هذا دعوة لأهل المجلس جميعاً، فيزداد المسلم إسلاماً والمؤمن إيماناً، ويكون ذلك دافعاً لغير المسلم أن يفكر في الإسلام ومحاسنه، في أنه دين شعاره السلام والعمل على إفشائه، مما يسلم به المرء ويأمن فيه على نفسه وأهله وماله، وفي ذلك دعوة لغير المسلمين ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1].

وقد كان من أهم دعائم نجاح دعوة المسلمين وغيرهم إلى الإسلام هي: (أن يمعن الداعية بدعوته إلى صميم حياة الناس، إذ ليس كل من تكلم داعية، وليس كل من غدا وراح، وذهب وجاء، ناجحاً في دعوته؛ إن النجاح كل النجاح أن تدخل دعوتك في صميم حياة الناس، وان تسكبها في قلوبهم وأعصابهم، أما أن تبقى على هامش الحياة فلا؛ إن النجاح في الدعوة أن تجعلها مسألة حيوية حارة، يتحدث بها الناس في مجالسهم ومنازلهم، مع أصدقائهم وأهليهم... تأمل هذا جيداً، فليس النجاح حفلة تقام أو خطبة تقال، أو رحلة تشق فيها كثيراً من القرى والأمصار... النجاح أن تكون الدعوة هي مسألة الساعة في حياة الناس: يلقي الرجل أخاه فلا يحدثه إلا عنها، ويزور الصديق

---

(١) سورة ق، آية: ٣٧.

صديقه، فتكون أقرب المسائل إلى حديثهما، ويسمر السامرون فيدور جدلهم حولها كما هو شأن الناس فيما يشغلهم من المسائل العامة كل وقت.

هذا معنى اشتغال العقول والقلوب بالدعوة، وليس ضرورياً أن يتناولها الجميع في استحسان وإعجاب وتأييد، وإنما المهم أن يتحدثوا عنها في اهتمام وكفى؛ فإذا رأيت منهم الخصوم والموالين، هؤلاء يعارضون ويحتدون في معارضتهم، والآخرون يؤيدون ويتحمسون في تأييدهم، فذلك من صميم النجاح.

وقد آمنت القلة من أهل مكة برسول الله ﷺ، وكفرت الكثرة العظمى، ولكن الدعوة كانت هي المسألة الحاضرة في المجتمع المكي كله، تشغل أذهان المؤمنين وغير المؤمنين على السواء؛ وكان الداعية الأكبر صلوات الله عليه لا يكف عن الدعوة ساعة من نهار، وكان المتحدثون لا يكفون عن الخوض في حديثها ساخطين أو راضين؛ وكان الأذى لا يفتأ ينصب على المؤمنين، أذى اللسان، واليد، والسوط، والنار، والحراب؛ وكان الإغراء يبذل بسخاء لمن يرتد منهم عن دينه: إغراء بالمال، أو السلطان أو زواج الجميلات الشريفات أو غير ذلك، وكان الآباء والأمهات يستعطفون أبناءهم، ويتوسلون إليهم بكل وسيلة ليرجعوا عن شأنهم الجديد، وكان الجدال والشقاق والخصام يدخل البيوت، فيفرق بين القلوب ويباعد بين الأحبة.

كان ذلك كله وكان هو النجاح بعينه؛ لقد جد الداعية صلوات الله عليه، وعمل ونصب، حتى أدخل دعوته في صميم الحياة، ولم يبقها خافتة على الهامش الخامل، وَحَسْبُ دعوة الحق نجاحاً أن تنفذ إلى "لب حياة الناس" حياتهم العاطفية والعقلية، نفوذ عداء أو نفوذ ولاء... ولا نقول هذا، لتقف من الآن للناس موقف العداء، لتحملهم على معارضتك فيكون هذا آية نجاحك، فلابد من الحكمة والموعظة الحسنة... لا تجعل أحداً يخاصمك لعيب في أسلوبك الخاص، وطريقة معاملتك، بل دع الذين يخاصمونك، يخاصمونك في جوهر الدعوة نفسها، فإنهم حينئذ لا يخاصمون إلا الحق، والحق لا يبغي أكثر من الدخول في قلوب أوليائه وأعدائه، فإن هؤلاء الأعداء لا يعادونه إلا بعد أن يعرفوه، ولا يرفضونه إلا لأنه يحرمهم جاهاً أو متعة استباحوها، أو لنحو ذلك من

الأهواء والاعتبارات الطارئة على الناس ... لا يرفضونه إلا لداع وقتي، فإذا تغيرت الظروف وزالت هذه الدواعي الوقتية، لم يبق في القلب إلا شيء واحد، هو الحق الساكن في منزلة العداء، فيتحول حينئذ في غير كلفة إلى منزلة الولاء)[١].

فعلى الداعية في دعوته للمسلمين وغيرهم، أن يلتمس أسباب نجاح دعوته على النحو السالف ذكره، لما في ذلك من عظيم الفائدة وكمال الأجر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسليم النبي ﷺ على المجلس الذي ضم المسلمين والمشركين:

إن الإسلام لا يعرف العنصرية بجميع أشكالها، ولا يعرف التحزب والتشيع، فهو دين الرحمة، وتشريع الحكيم الخبير، الذي يوائم واقع الأمم والشعوب حتى قيام الساعة توافقاً مع عالمية الإسلام، لذلك فالشرع يحتم على المسلمين التعامل بسلام مع جميع الأديان، طالما أن هؤلاء الناس لم يقاتلونا في ديننا، ولم يخرجونا من أرضنا ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[٢].

ولذلك فقد حرص الرسول ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام للناس كافة، وهذا ما حققه الرسول ﷺ وظهر جلياً في نص الحديث من قول أسامة رضي الله عنه، إن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين -عبدة الأوثان واليهود- فسلم عليهم النبي ﷺ.

(وتسليم النبي ﷺ عليهم ووقوفه ثم نزوله كما جاء في أصل الحديث. ودعاؤهم إلى الله -سبحانه- وتلاوته عليهم القرآن كل ذلك استئلافاً لهم، وطمعاً في إسلامهم، وتبليغاً لما أمره الله تعالى به من ذلك)[٣].

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٢٥٤-٢٥٦.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض، ١٧٢/٦.

وفي ذلك عظيم الفائدة في (تحقيق السلام الاجتماعي، الذي هو وبحق القاعدة الأساسية لبناء الفكر الإسلامي، في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وهو المناخ العام الذي يمكن أن تمارس في ظله السلطات السياسية وجودها أساساً، فبدون السلام الاجتماعي سيكون هناك جماعات إرهابية، وقلاقل سياسية، وتفرقة عنصرية، وتيارات معادية ... مما لا يسمح بالاستقرار السياسي والاقتصادي، ولا بقيام كيان الدولة ككيان له أهميته، أو له وزنه بين الدول الأخرى)[١].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

إن الدعوة إلى الله تعالى، هي أكرم الأعمال، وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، وقد بين الحق تعالى ذلك في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]، وقد أوجب الله تعالى تبليغها، وأرسل هذه الأمة المحمدية لبيانها والإخبار عنها، فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣]، وأسلوب الإخبار من أهم الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته، وقد أفاد الإخبار في الحديث، استحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وغيرهم، لما في ذلك من استئلافهم وطمعاً في إسلامهم، (فضلاً عن تحقيق السلام الاجتماعي، الذي يساعد على قدرة الأمة الإسلامية على الانفتاح على العالمية بخطى رشيدة، وعقول مستنيرة بضوابط إيمانية)[٤].

---

(١) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ١/٤-٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٣ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤ .

(٤) انظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، ١/٥٠٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: كان اليهود ولا يزالون ينظرون إلى العرب نظرة ازدراء، واستحلوامنهم محارمهم، وذكر القرآن قولهم: "ليس علينافي الأميين سبيل" فلما جاء الإسلام وهاجر الرسول ﷺ، وأمر بإظهار العزة، نهى أصحابه عن بدء اليهود والنصارى بالسلام، وإذا سُلّم عليهم كان الرد عليهم لأن أهل الكتاب كانوا يلحنون في الكلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على العزة وقوة الشخصية:

إن مما ينبغي للمعلم غرسه في نفوس المتربين العزة وعدم الخضوع إلا لله تعالى، لأن النبي ﷺ أراد أن يربي المسلمين على الكرامة والعزة، واستشعار القوة التي لا تتأتى من فراغ، ولكن من خلال الإيمان القوي الراسخ الذي يجمع بين الدنيا والآخرة، ويجعل المسلم يشعر بالشموخ والعزة لإيمانه بالله، ولأخذه بأسباب التقدم من السعي في الحياة والتماس أسباب التفوق والرفعة، وليس الانزواء في دروب الحياة، والخنوع والتواكل والرضى بالعيش الدون قانعاً بالقليل، يعيش على هامش الحياة كحال كثير من المسلمين اليوم، مما جعلهم مغيبين مهمشين في هذه الحياة.

إن من مظاهر دعم التربية الإسلامية لعزة المسلم ما جاء في أحاديث الباب من عدم مبادأة اليهود والنصارى بالسلام، كما في قوله ﷺ: «لاَ تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ. فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»، إذ أن للإسلام عزته وعلو شأنه وعلى الغير احترامها فإن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه ومنه استمد المسلمون واستحقوا العزة وعلو المقام.

فينبغي للمربي أن يحرص على تأكيد هذه المعاني عند المتربين، فما ذَلَّ من دخل الإسلام وخضع لرب العباد وما عَزَّ من تكبر وتجبر وأعرض عن العلى الكبير، فإن العزة للمؤمنين وهي عزة ثابتة راسخة لأنها مستمدة من عزة الله وعزة الرسول والإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٨.

إن بث مثل هذه المبادئ وغرسها في نفوس المتربين تورثهم الشجاعة والثقة بالنفس وعلو الهمة والتطلع إلى كل ما هو أرقى وأسمى.

ثانياً- تعلم الأحكام الفقهية:

تعلم بعض الأحكام الفقهية يعد من الأمور التي تعني بها التربية الإسلامية نظراً للآثار المحمودة والإيجابية لهذا النوع من التربية، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما جاء في مجال النهي عن مُبادأة اليهود والنصارى بالسلام في قوله ﷺ: « لاَ تَبْدَؤُا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَىٰ بِالسَّلاَمِ ...» وجواز التسليم على أهل مجلس فيه أخلاط من المسلمين وغيرهم كما في حديث أسامة أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ.

"ولتعلم الفقه وتدريسه أهداف عدة لعل من أهمها ما يلي:

أ-تزويد الطلاب بالمعلومات الصحيحة عن العبادات والمعاملات والأخلاق التي هي موضوعات الفقه، أي إكسابهم المعرفة الصحيحة عن هذه الموضوعات.

ب-تصحيح ما لا يكون صحيحاً من معرفة الطلاب حول عباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم.

ج-العمل بناءً على تلك المعرفة الصحيحة، وتطبيقها في مواقف الحياة المناسبة، فليست المعرفة في حد ذاتها هدفاً يتوقف عنده الطالب وإنما الهدف تحول هذه المعرفة إلى عمل وسلوك.

د-أن يحقق الطالب الأهداف الثلاثة السابقة في غيره، أي أن يعمل هذا الطالب على تزويد غيره ممن يتصل بهم أو يتصلون به بالمعرفة الدينية الصحيحة، وعلى تصحيح ما قد يكون خاطئاً لديهم من ذلك، وعلى أن يساعدهم على أن يعملوا بمقتضى هذه المعرفة.

هـ-دراسة الطلاب للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوعات الدراسة الفقهية وفهمها، وهنا يتحقق الربط المنشود بين فرع الفقه والفروع الأخرى من فروع التربية الإسلامية كالعقيدة والتفسير والحديث.

و-أن يعاون المعلم طلابه في أن يدركوا أهداف التشريع الإسلامي والمصالح الفردية والاجتماعية الدنيوية والدينية التي يسعى هذا التشريع إلى تحقيقها وأن ينتقلوا من ذلك إلى إدراك أفضلية التشريع الإسلامي على غيره من التشريعات الوضعية[١].

ثالثاً- التربية على أخذ الحيطة والحذر:

إن من المضامين التربوية والتي جاءت في طيات أحاديث الباب تعويد المتربين على الحيطة وأخذ الحذر، وذلك في الأمور عامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٢]، ومع المخالفين خاصة كما في حديث أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ». " ففي ذلك إرشاد إلى رد السلام على أهل الكتاب، وذلك بالقول «وعليكم» لما في تحيتهم من أذى للمسلمين فيرد عليهم، فإن أهل الكتاب منهم ماكرون يعبثون بالسلام كما فعل اليهود مع الرسول ﷺ ولذلك اكتفى الرسول ﷺ في الرد عليهم بقوله «وعليكم» ووجه المسلمين إلى ذلك"[٣].

إن من أهم ما ينبغي غرسه في النفوس وتُربى عليه أخذ الحيطة فإن "من سعادة العبد أخذ الحيطة واستعمال الأسباب"[٤].

رابعاً- الإيجابية، وعدم الانغلاق:

من أهداف التربية الإسلامية تكوين الشخصية المستقيمة الإيجابية المتوازنة التي تؤثر وتتأثر بما ينفعها ويزيد من نضجها وقربها من الكمال.

---

(١) انظر: التربية الإسلامية وطرق تدريسها، د. إبراهيم محمد الشافعي، ص٢٥٧-٢٦١، وآداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٨. بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١٤٢/٢.

(٤) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ص٢٦٩.

ومما يعضد ذلك ما جاء في حديث أسامة بن زيد أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فسلم عليهم النبي ﷺ: فتراءى لنا في الحديث، اجتماع المسلمين بغيرهم وسلام النبي ﷺ ولم يتراءى لنا أن النبي عزل المسلمين عن غيرهم ونهاهم عن مخالطة غيرهم أو لعن أو دعا إلى الانغلاق والانعزال والتقوقع.

إنه من المعلوم أن الإسلام نظم علاقة المسلمين بغيرهم وأن غير المسلمين ما داموا مسالمين للمسلمين لا يناصبوهم العداء ولا يعينون أحداً عليهم فلا مانع من معاملتهم والاستفادة منهم والتعايش السلمي معهم، لأن الرسول ﷺ أراد أن يتعايش مع اليهود في المدينة عند قدومه إليها وكتب ميثاقاً بذلك إلا أن اليهود كعادتهم نقضوا العهود والمواثيق، فكان ما كان من إجلائهم عن المدينة، وإن المسلمين تعايشوا مع النصارى على مر التاريخ، وكان منهم الوزراء والموظفون في الدواوين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1].

"إن من خصائص التربية الإسلامية الإيجابية، فلا ينطوي المتربي على نفسه ويعتزل المجتمع بل يتفاعل مع أفراده ويؤثر فيه ويصلح ويدعو للخير، وتأتي هذه الإيجابية للتربية الإسلامية من إيجابية الإسلام نفسه، فهو دين إيجابي مؤثر ليس من طبيعته الانكماش والسلبية، وهو يكره العزلة وحجر النفس عن دنيا البشر وعن واقع الحياة في حركتها وفعاليتها ومشكلاتها، بل يدعو للتفاعل مع المجتمع والإصلاح فيه"[2].

---

(١) سورة الممتحنة، آية: ٨.

(٢) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص١٦١، ١٦٢.

١٣٩- باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه

الحديث رقم (٨٧٠)

٨٧٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور نشر السلام الذي يوحي بعموم الأمن، وشيوع المحبة، والحديث قائم على أسلوب الشرط الذي يعطي الخبر عموماً مشروطاً بتحقق فعل الشرط كما دل على تعميم الخبر باتصال لفظ (أحد) بكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله: (انتهى..) أي: بلغ المجلس، وهو الفعل المستلزم للجواب، وهو التسليم، والجملة الثانية تضمنت شرطاً آخر يربط إرادة القيام بالتسليم، والتعبير بالإرادة يشير إلى أن يبادر بالتسليم قبل القيام، وجملة (فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ) تعليلية تتضمن ترغيباً في الفعل، ونفي الأحقية بتسليط النفي على أفعل التفضيل يشير إلى لزوم التسليم في نهاية المجلس كلزومه في أوله، والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد هذا المعنى، وما أجمل أن يبدأ اللقاء بالسلام، ويختمه بالسلام، فيجعله الله سلاماً عليهم جميعاً في الدنيا، والآخرة.

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ٥٢٠٨، والترمذي ٢٧٠٦. وقال المؤلف في الأذكار ص ٢٩٠: سنده جيد. وقال الحافظ ابن حجر في هداية الرواة ١٣٤/٢: سنده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٣٩٩٣.

فقه الحديث

السلام عند مفارقة المجلس: إذا كان جالساً مع قوم ثم قام ليفارقهم فالسنة أن يسلم عليهم[(١)].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المجلس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه.

أولاً- من ميادين الدعوة: المجلس:

قد ورد ذكر المجلس في الحديث من قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس"، "والمجلس من الميادين الدعوية التي يكمن فيها الحوار والإقناع وتبادل الأفكار ودحض الحجج والبراهين، فضلاً عن الاتصال المباشر مع المدعوين، فهو من الميادين الدعوية المهمة في الدعوة إلى الله"[(٢)]. فحري بالدعاة أن يوجهوا الناس إلى استثمار مجالسهم في الدعوة إلى الله تعالى، وأن يحرصوا على الأسلوب الحسن، والرفق مع مراعاة ظروف الناس وأحوالهم.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية إفشاء السلام:

إن تعزيز علاقة المسلم بأخيه تعني تدعيم وتعزيز أواصر المجتمع الإسلامي، ومن أجل ذلك حرص النبي ﷺ على دعوة المؤمنين إلى بذل السلام وإفشائه في مجالسهم، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم... إلخ".

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٠، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٢٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ٩.

(والسلام مبدأ إسلامي، بل هو من المبادئ التي عمق الإسلام جذورها في نفوسنا فأصبحت جزءً من كياننا، وعقيدة من عقائدنا، وقد جعل الله تحية المسلمين بهذا اللفظ، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السلم، ومحبو السلام)[١].

لقد عظم النبي ﷺ شأن السلام وإفشائه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[٢].

وقال عمار رضي الله عنه: "ثلاثة من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار"[٣].

قال ابن القيم: (وبذل السلام للعالم يتضمن تواضعه وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، والشريف والوضيع ومن يعرفه ومن لا يعرفه، والمتكبر ضد هذا، فإنه لا يرد السلام على كل من سلم عليه كبراً منه وتيهاً، فكيف يبذل السلام لكل أحد)[٤].

(وقد ثبت في هدى النبي ﷺ في السلام وهو القدوة والأسوة، أنه كان يبدأ بالسلام من لقيه. وإذا سلم عليه أحد، رد عليه مثل تحيته أو أفضل منها على الفور من غير تأخر إلا لعذر مثل حالة الصلاة وحالة قضاء الحاجة، وكان يسمع المسلم رده عليه)[٥].

وكان من هديه ﷺ أن يسلم ثلاثاً كما في "صحيح البخاري" عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثاً)[٦].

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٤.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، ٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٠.

(٥) المرجع السابق ٢/٤١٩.

(٦) أخرجه البخاري ٩٤، ٩٥.

قال ابن القيم: (ولعل هذا كان هديه في السلام على الجمع الكثير الذين لا يبلغهم سلام واحد، أو هديه في إسماع السلام الثاني والثالث، إن ظن أن الأول لم يحصل به الإسماع)[١].

وكان هديه ﷺ في ابتداء السلام أن يقول: "السلام عليكم ورحمة الله"، وكان يكره أن يقول المبتدئ: عليك السلام، (قال أبو جُري الهجيمي: أتيت النبي ﷺ فقلت: عليك السلام يارسول الله، فقال: "لا تقل عليك السلام"، فإن عليك السلام تحية الموتى)[٢].

وكان ﷺ إذا أتى باب قوم، لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيسر، فيقول: "السلام عليكم، السلام عليكم"[٣].

وكان ﷺ يسلم بنفسه على من يواجهه، ويُحَمِّلُ السلام لمن يريد السلام عليه من الغائبين عنه، (فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم قال: يارسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: "أئتِ فلاناً، فإنه قد كان تجهز، فمرض، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، يقول أعطني الذي تجهزت به، قال: يافلانة أعطيه الذي تجهزت به، ولا تحبس عنه شيئً، فوالله لا تحبسي منه شيئاً فَيُبَارَك لكِ فيه)[٤].

(وكان ﷺ يتحملّ السلام لمن يُبَلِّغُه إليه، كما تحمل السلام من الله عز وجل على صِدِّيقة النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لما قال له جبريل: "هذه خديجة قد أتتك بطعام، فاقرأ عليها السلام من ربها، ومني، وبشرها ببيت في الجنة"[٥])[٦].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤١).

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٩٧.

(٦) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٤١٦-٤٢٠.

وفي ذلك بيان عظيم على الهدي النبي ﷺ في إفشاء السلام في كل أحواله، مما يدل على أهمية بذل وإفشاء السلام، وضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إفشاء السلام عند الجلوس في المجلس وعند القيام منه:

شرع الإسلام التحية عند اللقاء، وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المدنية الصحيحة؛ إذ أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب، وتقوي الصلات، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان[1].

وهذا ما نص عليه الحديث وحث على القيام به، حيث قال رسول الله ﷺ: "إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة" وفي بيان ذلك قال الطيبي: "كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور، فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى"[2]، وقال ابن عثيمين: "وهذا من كمال الشريعة أنها جعلت المبتدي والمنتهي على حد سواء...،

ولهذا إذا دخل الإنسان المسجد -النبوي- سلم على النبي ﷺ وإذا خرج سلم عليه أيضاً، وإذا دخل مكة لعمرة أو حج، بدأ بالطواف، وإذا فارق مكة وخرج ختم بالطواف، لأن الطواف تحية مكة لمن دخل بحج أو عمرة، وكذلك وداع مكة لمن أتى بحج أو عمرة ثم سافر، فالشريعة - كما نعلم جميعاً - من لدن حكيم خبير، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]، فتجدها كلها متناسقة متصاحبة، ليس فيها تناقض ولا تفريط، حتى إن الرسول ﷺ نهى أن يمشي الرجل بنعل واحد - ولو لإصلاح الأخرى- لماذا لأنك إذا خصصت إحدى قدميك بالنعل؛

---

(١) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٥٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢/٩.

(٣) سورة هود، آية: ١.

صار ذلك جوراً وعدم عدل، فهكذا نرى أن الشريعة الإسلامية جاءت بالعدل في كل شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، [2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٥٦/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

حرص الإسلام على توثيق عرى المودة والمحبة بين المسلمين من خلال التزامهم بعدد من الآداب الإسلامية، والتي من جملتها إفشاء السلام، ومن أبرز المضامين التربوية في أحاديث الباب ما يلي:

أولاً- التربية على رعاية آداب المجالس:

جاء في حديث الباب التوجيه إلى أدب من آداب المجالس، وهو إلقاء السلام عند حضورها، وكذلك القيام منها، كما جاء في صريح الحديث: «إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ فلَيْسَتِ الأولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». فللمجالس آداب لابد من رعايتها والاعتناء بها، وورود هذه الآداب في القرآن والسنة دليل على أهميتها، كما أنه لا ينبغي الاقتصار في تعليم آداب المجلس ونحوها على مجرد التلقين بل لابد أن يتعدى ذلك إلى الممارسة العملية، فمهما قام المربي بتوجيه مَنْ يربيه وتعليمه آداب المجالس، فإنه بحاجة إلى المشاركة الإيجابية، وتعلم آداب الاستماع والاستيعاب والكلام، إن وُجِدَ له مُبررٌ وكان موضوعياً، ومن ثَمَّ فإن الفرد بحاجة إلى أن يُوضع أمام التجربة العملية، فلن يكفي البناء المعرفي المجرد.

لذا كان الصغار والشباب يحضرون مجالس النبي ﷺ بل ويقتربون منه، ولم يُعد ذلك سوء أدب أو مدعاة له.

ومما يُعينُ على التربية على آداب المجالس تدارسها والتعرف عليها والاعتناء بالمجالس التي يجلسها الطالب ولو مع زملائه وأقرانه، فتراعي فيها آداب المجالس ليكون ذلك سلوكاً وسمتاً لهم لا يحتاجون إلى تَكَلُّفِهِ.

وربما أدت الخلطة وزوال الكلفة بينهم إلى الإخلال ببعض هذه الآداب، فلابد حينئذ من تصحيح ذلك، والتأكيد على أن الأدب لا ينبغي أن يتجاوز بحجة ذلك[1].

---

(١) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٦١، ١٦٢.

ثانياً- التربية بالإقناع العقلي:

من الأساليب التربوية والتعليمية الرئيسة التربية بالإقناع العقلي، وقد استخدمه النبي ﷺ في حديث الباب في بيان أهمية السلام عند القيام من المجلس وأنه لا يقل عن السلام عند الدخول، فقال ﷺ: "فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة"، إذ أن التسليمة الأولى عند ابتداء اللقاء إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند الحضور، وكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره، وكل الشرور عند غيبته عنهم، ولعل سلامتهم منه، وهو معهم أهون من سلامتهم منه وهو بعيد عنهم، فالثانية أَوْلَى من الأولى"[1]، ولعل الإنسان إذا رأى ذلك وعرضه على عقله يتبين له أهمية السلام عند المفارقة كأهميته عند اللقاء.

إن الإقناع هو أسلوب من أساليب التربية الإسلامية بل والتربية بصفة عامة، ويقصد به استخدام المنطق العقلي، وتقديم الأدلة والبراهين على الدعوة وعدم اللجوء إلى المغالطة، وعدم الاعتماد على الهوى أو ما شابه ذلك.

فما أحرى بالآباء والمعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات، وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها، وأن يوجهونهم للتفكير السليم، ومن الملاحظ أن البعض لا يقيمون وزناً لتفكير أبنائهم أو مَنْ يعلمونهم وكأنهم لا عقول لهم أو كأن تفكيرهم دائماً عاجزٌ قاصرٌ ضعيفٌ، فيجب الاهتمام بتنمية عقول الأبناء وتعويدهم على التفكير السليم"[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩، وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم الهلالي ٢/١٤٣.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٦، ١٢٧.

١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾[النور: ٢٧]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُم الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾[النور: ٥٩].

الحديث رقم (٨٧١)

٨٧١- عن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول تقرير بعض الآداب الاجتماعية التي تشير إلى رعاية الإسلام لجميع جوانب الحياة الإنسانية، وهو أدب الاستئذان الذي يحترم خصوصيات الناس، وعدم هتك سترهم، لأنه يوغر الصدور، ويشعل العداوة، والبغضاء بين الناس، والحديث يقرر ضرورة الاستئذان، ويبيِّن كيفيته في إيجاز شديد، ووضوح تام، وقوله (الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ)، فيه إيجاز أي ثلاث مرات وقوله: (فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ) أسلوب شرط يعطي الحق لصاحب الدار في الإذن، أو عدمه، وهذه الجملة تضمنت أسلوبي شرط، الأول حذف منه الجواب: فَإِنْ أُذِنَ لك فادخل، والثاني: حذف منه فعل الشرط لدلالة السابق عليه تقديره وَإِن لم يؤذن لك فَارْجِعْ) حيث رتب في الأولى الدخول على الإذن، وفي الثانية رتب الرجوع على عدم الإذن، والمتذوق لعبارة الرسول ﷺ في إيجازها، وكثافة معانيها يجد أن بناءها يقوم على تضمين هذه الكلمات القليلة معاني كثيرة تصل إلى كل العقول، وتؤدي المعنى في سلاسة، ويسر.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٥٣/٣٤.

فقه الحديث

١-الاستئذان لدخول البيوت:

أ-المكان المراد دخوله: إن من يريد دخول بيت من البيوت، فإن ذلك البيت لا يخلو من أن يكون بيته أو بيت غيره، فإن كان بيته فإنه لا يخلو من أن يكون خالياً لا ساكن فيه غيره. أو تكون فيه زوجته وليس معها غيرها، أو معها بعض محارمه كأخته وبنته وأمه ونحو ذلك.

فإن كان البيت بيته ولا ساكن فيه غيره، فإنه يدخل بغير استئذان أحد، لأن الإذن له، واستئذان الشخص نفسه ضرب من العبث الذي تتنزه عنه الشريعة.

أما إذا كان في بيته زوجته، وليس معها غيرها، فإنه لا يجب عليه الاستئذان للدخول، لأنه يحلّ له أن ينظر إلى سائر جسدها، ولكنه يندب له الإذن بدخوله بنحو التنحنح وطرق النعل ونحو ذلك، لأنها ربما كانت على حالة لا تريد أن يراها زوجها عليها.

وإن كان في بيته أحد محارمه كأمه أو أخته أو نحو ذلك ممن لا يصلح له أن يراه عرياناً من رجل أو امرأة، فلا يحلّ له أن يدخل عليه بغير استئذان عند الحنفية والمالكية، ويكون الاستئذان عندهم في هذه الحالة واجباً لا يجوز تركه.

وأجاز الشافعية للرجل أن يدخل على محارمه الذين يسكنون معه بغير استئذان، ولكن عليه أن يشعرهم بدخوله بنحو تنحنح وطرق نعل ونحو ذلك ليستتر العريان. وإن كان البيت غير بيته وأراد الدخول إليه، فعليه الاستئذان، ولا يحل له الدخول قبل الإذن بالاتفاق، سواء أكان باب البيت مفتوحًا أو مغلقًا، وسواء أكان فيه ساكن أم لم يكن.

ب-الشخص المستأذن: إن من يريد الدخول إما أن يكون صغيراً غير مميز أو صغيراً أو كبيراً، والمراد بالتمييز هنا: القدرة على وصف العورات.

أما الكبير فإنه لا يحلّ له الدخول بغير استئذان وإذن. وأما الصغير المميز فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى وجوب أمره بالاستئذان قبل الدخول في الأوقات الثلاثة التي

هي مظنة كشف العورات، لأن العادة جرت بتخفف الناس فيها من الثياب، ولا حرج عليه في ترك الاستئذان في غير هذه الأوقات الثلاثة.

ج-صيغة الاستئذان: يكون الاستئذان -في الأصل-باللفظ، وقد ينوب عنه غيره، والصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن: "السلام عليكم أأدخل؟" مقدماً السلام. وقال بعض المالكية ومنهم ابن رشد يبدأ بالاستئذان لا بالسلام ثم يسلم. ويقوم قرع الباب مقام الاستئذان باللفظ، سواء أكان الباب مغلقاً أم مفتوحاً. كما يقوم مقامه التنحنح. ويقوم مقام اللفظ المأثور كل ما تعارفه الناس من ألفاظ الاستئذان، غير أن المالكية نصُّوا على كراهة الاستئذان بالذكر لما فيه من جعل اسم الله آلة[1].

٢-الاستئذان ثلاثاً: إذا استأذن على إنسان متحقق أنه لم يسمع الاستئذان، فله أن يكرر الاستئذان حتى يسمعه. أما إذا استأذن عليه فظن أنه لم يسمع، فقد ذهب الجمهور إلى أن السنة ألا يكرر الاستئذان أكثر من ثلاث مرات. وقال مالك: له أن يزيد على الثلاث حتى يتحقق سماعه. وحكى النووي قولاً ثالثاً وهو أنه إن كان بلفظ السلام المشروع لم يعده، وإن كان بغيره أعاده[2].

---

(١) لمزيد من التفصيل: انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٥/٣-١٥٠ ومصادرها، مثل: حاشة ابن عابدين ٥٣١/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٥/٥، وأحكام القرآن، الجصاص ٣٨٦/٣، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٦/١٥ وما بعدها، والشرح الصغير ٧٦٢/٤ ، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٢٧/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٩/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٩/٧.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٨/١٤/٧، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٩٣، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٤١/٢٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٩/٢، وغذاء الألباب ٣٠٩/١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٠/٣ ومصادرها ومراجعها.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان.

ثانياً: من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أدب الاستئذان:

(إن الاستئذان من آداب الإسلام التي يكون بها حفظ الحرمات، وستر العورات، ورفع الحرج عن المستأذن والمستأذَنِ عليه، فضلاً عن شيوع جو الأمان في المجتمع، فيأمن كلٌّ عدم اقتحام بيته إلا بإذنه)[٢]، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ وأمر به في نص الحديثين في قوله "الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع" وفي قوله "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

والاستئذان: (يعني طلب الإذن، والإذن: من أذن بالشيء إذناً بمعنى أباحه، وعلى هذا فإن الاستئذان هو طلب الإباحة، والفقهاء يستعملون الاستئذان بهذا المعنى، فيقولون: "الاستئذان لدخول البيوت" ويعنون به طلب إباحة دخولها للمستأذن)[٣].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستئذان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[٤]. قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدّب الله بها عباده

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٢).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٩٥/٢.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ١١٧٥، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٤/٣.

(٤) سورة النور، آية: ٢٧-٢٨.

المؤمنين، وذلك في الاستئذان، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده)[١].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾[٢] أي تستعلموا وتستكشفوا الحال. هل يراد دخولكم أم لا؟ من "الاستئناس" وهو الاستعلام. من "آنس الشيء" إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً. أو المعنى: حتى يؤذن لكم فتستأنسوا. من "الاستئناس" الذي هو خلاف الاستيحاش. لما أن المستأذن مستوحش من خفاء الحال عليه. فيكون عبر بالشيء عما هو لازم له، مجازاً أو استعارة. وجوّز أن يكون من "الإنس" والمعنى: حتى تعلموا هل فيها إنسان؟. "وتسلموا على أهلها" أي ليؤمنهم عما يوحشهم "ذلكم" أي الاستئذان والتسليم"خير لكم" أي من الدخول بغتة "لعلكم تذكرون" أي فتتعظوا وتعملوا بموجبه "فإن لم تجدوا فيها أحداً" أي من الآذنين "فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم" أي واصبروا حتى تجدوا من يأذن لكم. ويحتمل: فإن لم تجدوا فيها أحداً من أهلها، ولكم فيها حاجة، فلا تدخلوها إلا بإذن أهلها.

قال الزمخشري: وذلك لأن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة، ولا تسبق عينه إلى ما لا يحل النظر إليه فقط، وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم، ويتحفظون من اطلاع أحد عليها. ولأنه تصرف في ملك غيرك. فلابد من أن يكون برضاه، وإلا أشبه الغصب والتغلب)[٣].

ومن أجل ذلك أكد النبي ﷺ على أهمية مراعاة آداب الاستئذان، فعن عطاء بن يسار ((أَنَّ رَسُولَ اللهِ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: نَعَمْ قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي البَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٥/١٢/٧.

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا. أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ: لاَ. قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا))[١]. وقد ورد في آثار الصحابة رضوان الله عليهم ما يؤكد على أهمية الاستئذان.

فعن علقمة قال: ((جاء رجل إلى عبد الله قال أأستأذن على أمي فقال ما على كل أحيانها تحب أن تراها))[٢] وعن مسلم بن نذير قال: ((سأل رجل حذيفة فقال أستأذن على أمي فقال إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره))، وفي رواية: ما يسؤك[٣].

وعن عطاء قال: ((سألت ابن عباس فقلت أستأذن على أختي فقال: نعم فأعدت فقلت أختان في حجري وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما قال نعم أتحب أن تراهما عريانتين، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾[٤] قال فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[٥] قال ابن عباس: فالإذن واجب على الناس كلهم))[٦].

ثانياً- من آداب المدعو: الالتزام بآداب الاستئذان:

من الملاحظ في نص الحديث الأول أن للاستئذان آداباً يجب مراعاتها وهي على النحو التالي:

أن يستأذن المرء ثلاثاً، وذلك لقوله ﷺ "الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع".

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٤٠٦٢. قال ابن عبدالبر: وهذا الحديث لا أعلم يستند من وجهٍ صحيح بهذا اللفظ، وهو مرسل صحيح مجتمع على صحة معناه، التمهيد ٢٣/٣٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٥٩، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١٠).

(٤) سورة النور، آية: ٥٨.

(٥) سورة النور، آية: ٥٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٦٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨١١).

وفي هذا الحديث قصة ذكرها أبو سعيد الخدري رضي الله عنه حيث قال: ((كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثاً فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثاً فلم يُؤْذَنْ لي فرَجَعت، وقال رسولُ الله ﷺ: إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع. فقال: والله لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيُّ بن كعب: واللهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغَرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك))[1].

قال ابن حجر: (واختلف في حكمة الثلاث، فروى ابن أبي شيبة من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الأولى إعلام، والثانية مؤامرة، والثالثة عزمة، إما أن يؤذن له وإما أن يرد. قلت: ويؤخذ من صنيع أبي موسى حيث ذكر اسمه أولاً وكنيته ثانياً ونسبته ثالثاً، أن الأولى هي الأصل، والثانية إذا جوز أن يكون التبس على من استأذن عليه والثالثة إذا غلب على ظنه أنه عرفه)[2].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ الثلاث بالذكر، لأن الغالب أن الكلام إذا كُرِّر ثلاثاً سُمع وفُهم (ولذلك كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثاً)[3]. وإذا كان الغالبُ هذا، فإذا لم يؤذن له بعد ثلاث ظهر أن رب المنزل لا يريد الإذن، أو لعله يمنعه من الجواب عذر لا يمكنه قطعه. فينبغي للمستأذن أن ينصرف، لأن الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل، وربما يضرُّه الإلحاح حتى ينقطع عما كان مشتغلاً به، كما قال النبي ﷺ لأبي أيوب رضي الله عنه حين استأذن عليه، فخرج مستعجلاً فقال: ((لعلَّنا أعجلناك))[4])[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٠، ومسلم ٣٤٥، ٨٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٧٤/٥-٤٧٥.

ومن آداب الاستئذان الواردة في نص الحديث، الرجوع عند عدم الإذن، ولذلك لقوله ﷺ "فإن أذن لك وإلا فارجع" وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[1] قال ابن كثير: (أي إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده، "فارجعوا هو أزكى لكم" أي: رجوعكم أزكى لكم وأطهر، "والله بما تعملون عليم" وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذنَ على بعض إخواني، فيقول لي: "ارجع"، فأرجع وأنا مغتبط لقوله ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾[2])[3].

وقال القاسمي: (وقوله تعالى: "وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا"[4] أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع، سواء كان الأمر ممن يملك الإذن أو لا، كالنساء والولدان، فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان. لأن هذا مما يجلب الكراهة في قلوب الناس. ولذا قال تعالى: "هو" أي الرجوع "أزكى لكم" أي أطهر مما لا يخلو عنه الإلحاح والوقوف على الأبواب، من دنس الدناءة، وأنمى لمحبتكم.

قال الزمخشري: وإذا نهى عن ذلك لأدائه إلى الكراهة، وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب بعنف، والتصييح بصاحب الدار، وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر الناس)[5].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: حفظ الحرمات وستر العورات:

(لقد خصص الله تعالى الناس بالمنازل، وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) سورة النور، آية: ٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١/٦.

(٤) سورة النور، آية: ٢٨.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٦/١٢/٧.

يلجوها بغير إذن أربابها، لئلا يهتكوا أستارهم، ويبلوا في أخبارهم)[١]، وما ذلك إلا لحفظ الحرمات وستر العورات، وهذا ما يستفاد من الحديث الأول في الالتزام بالاستئذان، ومن قوله ﷺ في الحديث الثاني "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

وقد روى سهل بن سعد الساعدي هذا الحديث، حيث اطّلع رجل في جحر في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مِدْرى[٢] يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ((لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْتَظِرُنِي لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِنَّمَا جُعِلَ الإِذْنُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ))[٣]، وهذا ما أكده أنس بن مالك رضي الله عنه في ((أَنَّ رَجُلاً اطَّلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ إِلَيْهِ بِمِشْقَصٍ[٤]، أَوْ مَشَاقِصَ وَجَعَلَ يَخْتِلُهُ لِيَطْعَنَهُ))[٥].

قال محمد تقي العثماني: (يعني أن الاستئذان إنما شرع لوقاية صاحب البيت عن نظر الأجانب فلو استأذن الرجل صاحب البيت، وهو يشاهد ما في بيوتهن فإن الاستئذان لا معنى له حينئذٍ)[٦].

(فالاستئذان لابدّ منه، لأن دخول منزل الغير تصرُّف في ملكه، ولا يجوز بغير إذنه؛ لأنه يطلع منه على ما لا يجوز الاطلاع عليه من عورات البيوت، فكانت هذه المصلحة في أعلى رتبة المصالح الحاجيَّة)[٧].

وقد أخرج أبو داود عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِن مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوْ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلاَمُ

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٣٥٨/٣.

(٢) مِدْرى: سنان من حديد. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٤/١٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦ واللفظ لمسلم.

(٤) المشقص: نصل السهم إذا كان طويلاً. و"يختل" اي يطعنه وهو غافل. انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٢٤٢، ومسلم ٢١٥٧.

(٦) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٢٠٦/١٠.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٧٤/٥.

عَلَيْكُم، السَّلَامُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يكُنْ عَلَيْهَا يَوْمِئِذٍ سُتُورٌ))[١].

وعن هذيل قال: ((جاء رجل فوقف على باب النبي ﷺ يستأذن، فقام على الباب، فقال النبي ﷺ: هَكَذَا عَنْكَ هنا -أَوْ هَكَذَا-، فَإِنَّمَا الاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ))[٢].

وفي ذلك بيان على أهمية الاستئذان من أجل ستر العورات وحفظ الحرمات، وهذا ما أكده السلف الصالح. فعن عكرمة، أن نفراً من أهل العراق قالوا: ((يَا ابْنَ عَبَّاسٍ كَيْفَ تَرَى فِي هذِهِ الآيَةِ الَّتي أُمِرْنَا فِيهَا بِمَا أُمِرْنَا وَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾. قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ إلى ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣]. قال: إِنَّ اللهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ، وكَانَ النَّاسُ لَيْسَ لِبُيُوتِهِمْ سُتُورٌ وَلا حِجَالٌ فَرُبَّمَا دَخَلَ الْخَادِمُ أَوْ الْوَلَدُ أَوْ يَتِيمَةُ الرَّجُلِ وَالرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ، فَأَمَرَهُم اللهُ بالاسْتِئْذَانِ فِي تِلْكَ الْعَوْرَاتِ، فَجَاءَهُم اللهُ بالسُّتُورِ وَالْخَيْرِ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً يَعْمَلُ بِذَلِكَ بَعْدُ))[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٢) أخرجه ابو داود ٥١٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٠).

(٣) سورة النور، آية: ٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٥١٩٢، وقال الألباني حديث حسن الإسناد موقوف (صحيح سنن أبي داود ٤٣٢٤).

الحديث رقم (٨٧٢)

٨٧٢- وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أجْلِ البَصَرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

حرص الإسلام على صيانة الإنسان في دينه، وعرضه ومال، ودمه، كما حرص على صيانته من الكلمة، والنظرة، وغيرها، وهذا الحديث يبين العلة التي من أجلها شرع الاستئذان حتى يعلم المسلم غرضه، ولا يتعداه، حتى لا يطلق بصره، في بيوت الناس فهو اعتداء على الخصوصيات، وكشف للعورات، وهو ما لا يرضاه الله لعباده فشرع الاستئذان في الدخول، لأجل أن لا يقع النظر على عورة أهل البيت، ولئلا يطلع على أحوالهم، وقد صاغ المعنى في جملة القصر الخاطفة، لقصر شرع الاستئذان على غرض منع النظر، وقد جاء القصر ب (إنما) التي تأتي في المعنى الذي لا ينكره المخاطب، ولا يجهله كأنه يقول إنه من الوضوح بحيث لا يجهله أحد كأنه تعريض بالمخاطب لتجاوزه ما لا ينبغي تجاوزه عند طلب الاستئذان بالنظر إلى من في البيت.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٤١، ومسلم ٢١٥٦/٤٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٢٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٧٣)

٨٧٣- وعن رِبْعِيٍّ بن حِرَاشٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بيتٍ، فَقَالَ: أألِج؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ لِخَادِمِهِ: ((أُخْرُجْ إِلَى هَذَا فَعَلِّمهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أأدْخُل؟)) فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟ فَأذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فدخلَ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

الصحابي الذي روى هذا الحديث لم نعثر له على ترجمة في مظانها، فلم نجده في المبهمين من الصحابة في أسد الغابة والإصابة. ولم نعثر عليه كذلك في المبهمين من الصحابة الذين روى عنهم رِبْعي بن حراش، ولم يذكره المزي فيمن روى عنه ربعي بن حراش عندما ترجم له في تهذيب الكمال (٤٥٥/٢)، وكذلك الحافظ في تهذيب التهذيب (٥٨٨/١).

وربعي بن حراش تابعي ثقة، وهو: ربعي بن حِراش بن جحش بن عمرو بن عبدالله بن بجاد العبسيُّ، أبو مريم، الكوفيُّ، قدم الشام، وسمع خطبة عمر بالجابية.

روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

وهو تابعي ثقة، من خيار الناس ومن عباد الكوفة، لم يكذب كذبة قط، كان له ابنان عاصيان على الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. قال: قدعفونا عنهما بصدقك.

واختلف في سنة وفاته فقيل: مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وقيل: مات سنة ١٠٠ وقيل سنة ١٠١، وقيل: سنة ١٠٤[2].

---

(١) برقم ٥١٧٧. قال البوصيري في مختصر إتحاف السادة ٢٦٣/٧: رواه مسدد، وأبوبكر بن أبي شيبة، والنسائي في عمل اليوم والليلة بسند رواته ثقات، وأبو داود في سننه عن مسدد، فذكره دون قوله: أدخل فدخلتُ، إلى آخره.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٥٥/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٨٨/١-٥٨٩.

وقد أخرج الإمام أحمد هذا الحديث الذي بصدده مطولاً[١]، وفيه بعد قصة الاستئذان: ((فقلت: بم أتيتنا به؟ قال ﷺ: لم آتكم إلا بخير، أتيتكم أن تعبدوا الله وحده لا شريك له، وأن تدعوا اللات والعزى وأن تُصلُّوا بالليل والنهار خمس صلوات. وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من أموال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم ...)) الحديث.

ملحوظة: قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٦١/٢) الحديث (٨١٩) إنه [أي الصحابي راوي هذا الحديث] يحتمل أن يكون كلدة بن الحنبل راوي الحديث المتقدم [٨١٨][٢].

قلنا: وهذا بعيد جدًّا، فإن راوي هذا الحديث من بني عامر، وكلدة جُمحي، كما أن كتب التراجم لم تذكر أن ربعي بن حراش من الرواة عن كلدة.

غريب الألفاظ:

أألج: أأدخل[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول موقفاً عملياً تعليمياً في أدب الاستئذان يقوم على الحوار يحكيه أحد طرفي الحوار مما يجعله أكثر دقة في بيان تفاصيله، وقوله: (أنَّهُ اسْتَأذَنَ) أي طلب الإذن، وهذا إجمال للحدث قصَّ تفاصيله بعده، بقوله: (أألج؟) والتعبير بالولوج فيه تعمق في المدخول فيه كما أن في مصدره دلالة على إدخال شيء فيما ليس منه، ففي التعبير به شيء من جفاء، وقول الرسول ﷺ (أخرج إلى هذا) يشير إلى أنه لم يأذن له بالدخول، وقوله: (فعلمه) يشير إلى عدم رضاه عن طريقته في الاستئذان، وقوله: (فقل

---

(١) المسند ٢٣١٢٧/٢٨.

(٢) في الأصل المطبوع: صفوان بن أمية، وهذا خطأ، فإن راوي الحديث هو كلدة بن الحنبل، لا صفوان، وهو الحديث المذكور في الرياض بعد هذا الحديث رقم ٨٧٤.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢٠٣.

له) أمر إرشاد، وتوجيه إلى ما ينبغي عند طلب الإذن من البدء بالسلام ثم طلب الدخول، ومن الملاحظ أنه استخدم (أأدخل؟) ومادة الدخول فيها ترفق، وهوادة في التقدم نحو الشيء، وقوله فسمعه الرجل فقال، يشير إلى سرعة استجابته لرسول الله ﷺ، وتتابع الفاءات في الجملة بعده دليل على أنه سار إلى الصواب الذي وجّه إليه مع دلتها على سرعة استجابة الرسول ﷺ بإدخاله، والحديث تطبيق عملي لمبدأ الاستئذان الصحيح مع ما يشير إليه من دروس تربوية، وأخلاقية.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة لمن أراد الاستئذان أن يسلّم ثم يستأذن، فيقوم عند باب البيت بحيث لا ينظر إلى من في داخله، ثم يقول السلام عليكم أأدخل؟ أو نحو هذا فإن لم يجبه أحد قال ذلك ثانيًا وثالثًا، فإن لم يجبه أحد انصرف، وذلك لحديثي الباب. وهذا الذي ذكرناه من تقديم السلام على الاستئذان هو الصحيح الذي جاءت به الأحاديث)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان.

ثالثاً: من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

إن التعليم من أعظم الوسائل التي يكون بها ارتقاء الأمة الإسلامية وعلو شأنها، وقد أعلن الإسلام منذ فجر دعوته عن أهمية التعليم وعظم شأنه، فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٢٩/٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٧٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٧٤).

بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لرفع الجهل عنهم وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم، وهذا ما ورد في الحديثين من تعليم النبي ﷺ كيفية الاستئذان، وذلك في قوله ﷺ لخادمه: ((اخْرُجْ إِلَى هذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلِ السَّلاَمُ عَلَيْكُم أَأَدْخُلُ؟)). وهذا يدل على حرصه ﷺ على تعليم الجاهل وانتهاز الفرص لذلك[3]، وهذا ما حدث مع كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حينما قال: أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

قال أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه: ((انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيداً. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[4].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((جاءت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله ذهبَ الرجالُ بحديثكَ، فاجعلْ لنا من نفسكَ يوماً نأتيكَ فيه تُعلمنا مما علمكَ الله. فقال: اجتمعنَ في يومِ كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن؛ فأتاهنَّ رسولُ الله ﷺ فعلمهنَّ مما علمه الله... إلخ))[5].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ،

---

(١) سورة العلق، آية: ١-٥.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٠.

(٤) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٢٦٣٣.

التَّشَهُّدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ". وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا، فَلَمَّا قُبِضَ، قُلْنَا: السَّلَامُ، يَعْنِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ))[1].

(فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في تعليم الناس أحكام دينهم، وأن يعرفهم بحدود ربهم ولا يكتفي منهم بالعاطفة الطيبة. كما لا يكتفي بإلقاء البذرة في الأرض دون تعهدها بالتقشيب والسقي وغير ذلك، ويختلف أسلوب التربية باختلاف حال المدعو. فقد يكون كافراً يدعى إلى الإسلام أول مرة، وهذا يبدأ به من العقيدة، مع بيان فساد عقيدته السابقة، ومن ثم التدرج به في الدعوة...، وإن كان مسلماً غير مستقيم السيرة، يذكر ويوعظ وتعالج نقطة الضعف فيه)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إفشاء السلام والاستئذان:

لقد أكد الحديثان على أهمية إفشاء السلام والاستئذان كآداب إسلامية عالية عظيمة، (فالإنسان بطبيعته يألف غيره من الناس، ويحرص على مخالطتهم، وعن طريق هذه الألفة، وهذه المخالطة، يتم التعاون بين الناس على قضاء المصالح في أقرب وقت وبأقل جهد. وقد شرع الإسلام لتنظيم هذه العلاقات مناهج من شأنها أن تقوي هذه الروابط، وتشد من أزرها، وتبعد عنها، ما من شأنه أن يضعف منها، ومن هذه المناهج التي رسمها الإسلام)[3] أدب إفشاء السلام والاستئذان ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له، قل السلام عليكم أأدخل، وأيضاً من قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل".

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥، ٧٦.

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ٢٥٣.

وقد عظم الإسلام شأن إفشاء السلام لما فيه من تأليف القلوب، وتقوية الصلات، فقال النبي ﷺ ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا. وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ))[1].

(فقد أقسم النبي ﷺ في هذا الحديث بمن نفسه بيده وهو: الله سبحانه على أن إفشاء السلام سبيل التحاب، وإيثار هذه الصيغة في القسم، زيادة تأكيد لصدقه ﷺ فيما أقسم عليه، وبيان لعظمة المقسَم به وسلطانه على المقسِم)[2].

أما الاستئذان فهو من أخلاق الإسلام الفاضلة، التي اهتم بها النبي ﷺ في بيانها اهتماماً عظيماً، لما فيه من ستر العورات وحماية الحرمات، وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الأمر وتربوا عليه، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديث من قول الراوي: "فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((استأذن عمر على النبي ﷺ فقال: السلام على رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر))[3].

وفي ذلك بيان على الصيغة المثلى للاستئذان أن يقول المستأذن "السلام عليكم، أأدخل؟" وهذا ما ورد في نص الحديث.

ثالثاً- من مهام الداعية: تصحيح تصرفات المدعو وعدم السكوت على أخطائه وتعليمه ما يجهله:

إن مما أكّد عليه نص الحديث، أهمية قيام الداعية بتصحيح تصرفات المدعو، وعلاج ما بها من أخطاء، مقتدياً في ذلك بالنبي ﷺ، وهذا ما ظهر جلياً في الحديثين من تصحيحه ﷺ لفعل الرجل الذي استأذن عليه - وهو من بني عامر- وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: قل

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٥، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٧).

السلام عليكم، أأدخل؟" وتصحيحه ﷺ لفعل كلدة بن الحنبل رضي الله عنه حين دخل عليه دون أن يسلم ويستأذن، وذلك في قوله ﷺ "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، فعلى الداعية أن يتعهد المدعوين بذلك متمثلاً بالنبي ﷺ في تصحيحه لأخطاء المدعوين وتعليمهم ما جهلوا، وفي بيان ذلك، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ المسجدَ، فدخلَ رجُلٌ فصلّى، فسلّم عَلَى النبيِّ ﷺ فردَّ وقال: ارجِعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ، فرَجَعَ يُصلِّي كما صلّى، ثم جاءَ فسلّم عَلَى النبيِّ ﷺ، فقال: ارجِعْ فصلِّ فإنكَ لم تُصلِّ (ثلاثاً). فقال: والذي بَعثكَ بالحقِّ ما أُحسِنُ غيرَه، فعلِّمني: فقال: إذا قُمتَ إلى الصلاةِ فكبِّرْ، ثمَّ اقرأْ ما تَيسَّرَ معَك منَ القرآنِ، ثمَّ اركعْ حتى تطمئنَّ راكعاً، ثمَّ ارفعْ حتى تَعدِلَ قائماً، ثمَّ اسجُدْ حتى تطمئنَّ ساجداً، ثمَّ ارفعْ حتى تطمئنَّ جالساً، وافعلْ ذلكَ في صَلاتِكَ كلِّها))[1]، قال ابن حجر: (وفي الحديث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن التعليم بغير تعنيف، وإيضاح المسألة)[2]. وفي ذلك بيان على ضرورة أن يقتدي الداعية بالنبي ﷺ في تصحيحه لتصرفات المدعوين وتعليمهم ما خفي عليهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على توجيه المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، وهذا ما استعمله النبي ﷺ في قوله لخادمه: "اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم ..." في توجيه وحمل من دخل عليه ﷺ دون أن يسلم ويستئذن في قوله "ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟".

وأسلوب الأمر أسلوب دعوي كثير الاستخدام في القرآن والسنة، فعلى الداعية أن يستخدمه مما يفيد دعوته، ويجعل المدعوين يقبلون أمره، ولا يعرضون عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٣٢٧-٣٢٨.

الحديث رقم (٨٧٤)

٨٧٤- عن كِلْدَةَ بن الحَنْبل ﷺ، قَالَ: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

كِلْدَةَ بن الحنبل: هو كِلْدةُ بن الحنبل الجمحي ويقال: كلَدة بن عبدالله بن الحنبل، وهو وأخوه عبدالرحمن بن حنبل صحابيان. جاء أبوهما من اليمن إلى مكة وعاش بها.

له اتصال شديد بصفوان بن أمية فقيل: إنه أخوه لأمه. وقيل إنه ابن أخيه لأمه. وقيل غير ذلك.

كان يلازم صفوان في حلّه وترحاله، لا يفارقه في سفر ولا حضر. شهد وهو مشرك مع صفوان غزوة حنين، وحين وقعت الهزيمة بالمسلمين أول المعركة قال: بطل السحر. فزجره صفوان.

وهو الذي بعثه صفوان إلى النبي ﷺ بهدايا يوم فتح مكة، فبعثه بِلِبأ وجَدابة وضغابيس[2]، فدخل على النبي ﷺ ولم يستأذن ولم يسلم، فأمره النبي ﷺ بالرجوع والاستئذان كما في الحديث المشروح.

وقد أسلم بإسلام صفوان بن أمية وظلّ بمكة إلى أن توفي بها. وليس له إلا هذا الحديث الواحد[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٧٦، والترمذي ٢٧١٠ ولفظهما سواء، إلا أنَّ عند الترمذي زيادة: (ولم أستأذن) وليست عند أبي داود، كما أن قوله: (أأدخل) لا يوجد كذلك عند أبي داود.

(٢) اللِّبأ - بوزن عنب - اللبن أول ما يحلب عند الولادة. وجدابة -بفتح الجيم وكسرها- ما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر من أولاد الظباء ذكراً كان أو أنثى. والضغابيس: صغار القثاء. انظر: حاشية السندي على مسند أحمد ١٥٣/٢٤.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٦٨/٤-٤٦٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٣٢-١١٣٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٧٣/٦، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٣/٣-٤٧٤.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث كونه تطبيقاً عملياً، وترسيخاً لمبدأ الاستئذان، ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا في الجاهلية على خلافه يقتحمون المجالس، ويتعدون علي الحريات، فقوَّم الإسلام هذا الخطأ، ووجههم قولاً، وعملاً إلى هذا الأدب العالي، وقول الرجل (أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ) يشير إلى موطن الخطأ من ناحية عدم الاستئذان التي تشير إليها الفاء التي عطف بها الدخول على الإتيان، ومن ناحية عدم التسليم التي دلت عليها أداة النفي الداخلة على الفعل المضارع في قوله (ولم أسلم)، وقول النبي ﷺ: له (ارجع) أمر تنبيه وتعليم للوقوف على موضع الخطأ تمهيداً لتصحيحه، وقوله (فقل السلام عليكم) بيان لصواب المسألة وقوله (أأدخل) تقرير لسبق السلام لطلب الإذن، وحرص الرسول ﷺ على الاستئذان، وعدم السماح بتخطيه يشير إلى أهميته في الحفاظ على أسرار بيوت المسلمين، وحفظ صدورهم مما يمكن أن يغيِّرها على إخوانهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: سبق الإسلام الحضارات الحديثة في مراعاته لحرمة البيوت وساكنيها، فلا دخول إلا بإذن مع التأكد من الأنس، والانصراف حال الاعتذار، مع النص على خيرية الرجوع في هذه الحالة، ومن الآداب التربية ما يلي:

أولاً- التربية على تعلم آداب الاستئذان:

إن أول أدب ينبغي أن يتربي عليه ويفعله الإنسان أدب دخول البيوت وأماكن الدراسة، وغير ذلك من الأماكن الخاصة بالآخرين مما يستوجب حسن الاستئذان واللطف فيه وعدم الإلحاح في الدخول.

وقد حفلت أحاديث الباب بباقة من آداب الاستئذان منها:

أ-الاستئذان ثلاثاً فإن أذن له وإلا انصرف "وهذا تنظيم يحفظ للبيوت حرمتها، وللإنسان كرامته" [1]. كما في حديث أبي موسى الأشعري: "الاستئذان ثلاث: فإن أذن لك وإلا فارجع".

ب-السلام مع الاستئذان كما في قوله ﷺ لكلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل"، ففي ذلك بيان للاستئذان المسنون والمحافظة على الآداب وتذكير الناس بها والحفاظ على حرمات الناس من أن تُكشف، وعلى شعورهم من أن يجرح.

إن التربية الإسلامية لم تغفل الآداب التي يجب أن يسير عليها المسلمون، وجميعها آداب تَنُمُّ عن كمالٍ في الذوق وسمو في الشعور والتي منها الاستئذان والسلام، وهما اليوم من الخلال التي تعد من مميزات أهل المدينة فتراهم يحرصون عليها ولا يتسامحون فيهما، والإسلام قد سنهما لأهله منذ أجيال كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٨٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

وفي ذلك تربية على حفظ حرمات البيوت وعدم دخولها إلا بعلم من أهلها وإذن، لذا ينبغي تربية المتعلمين والناشئة على ألا يدخلوا بيوتاً ليست لهم إلا بعد أن يطلبوا الإذن من ساكنيها ويُسمح لهم بالدخول، وبعد أن يلقوا تحية السلام على ساكنيها، فإن لم يجدوا في هذه البيوت أحداً فلا يدخلوها حتى يجيء مَنْ يُسْمح لهم به، وإن لم يسمح لهم وطُلِب منهم الرجوع فليرجعوا فإن ذلك أطهر لنفوسهم والله مُطلع على أحوالهم.

هذا أحد آداب التربية الإسلامية وأهم معالمها، وهذه من الأدلة على أن التربية الإسلامية لم تغفل أية ناحية ترقي الأمة وتهذب من أخلاقها إلا وحَضَّت عليها"[(١)].

ثانياً- دور المعلم في زرع الفضائل في تلاميذه:

إن المعلم الناجح والمربي الحاذق هو الذي "يطبع الطفل على العبادات، وهو الذي يزرع في نفسه العادات وأدب السلوك، وهي جميعها مستمدة من الدين نفسه علماً وعملاً وعقيدة وعبادة"[(٢)].

ومن تلك الفضائل ما تضمنته أحاديث الباب واحتوته من الإرشاد والتربية على مظاهر احترام الآخرين والحفاظ على حرماتهم وتقدير مشاعرها، ومن هذه المظاهر الاستئذان والتحية كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".

إن من أهداف التربية الإسلامية، ومن مهام المربي الفاضل، والبيت المسلم أن يغرس في نفوس المتربين والناشئة منذ طفولتهم الباكرة الإيمان الصحيح والسلوك الإسلامي الرشيد ويربيهم على حب الفضائل وبغض الرذائل، ويرشدهم إلى الخير ويباعد بينهم وبين الشر وهو الذي يمدهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها ويعملون على هداها"[(٣)].

ولن يكتب للمربي النجاح في مهمته العظيمة هذه إلا من كان سليم التصور الإسلامي صحيح العقيدة رفيع التربية أُشْرِب أصولها وفروعها من القرآن العزيز

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٢٢٤، ٢٢٥، آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٧٢-٧٦.

(٢) انظر: التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، ط/٢، دار المعارف، مصر: ١٩٧٥م، ص١٣.

(٣) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، دار المعارف، القاهرة: ١٩٧٦م، ص١٨.

والسنة المطهرة"[١].

ثالثاً- الاستجابة للنقد البنّاء والتوجيه:

"من الأمور التي يجب أن يتحلى بها المتعلم أن يتقبل من معلمه النقد والتوجيه برضا ورحابة صدر، وألا يكون من النوع الذي يصر على أخطائه أو أن تأخذه العزة بالإثم"[٢].

وتلك أهم سمات طالب العلم، وقد جاء في الحديث أنموذج مضيء لأحد الصحابة رضي الله عنهم الذين أمرهم النبي ﷺ بإحسان الاستئذان والسلام فاستجاب استجابة مطلقة لتوجيه سيد المربين ﷺ، ونرى ذلك واضحًا جلياً في حديث ربعي بن حراش قال حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل"، وكذلك في استجابة كلدة بن الحنبل عندما دخل بغير تسليم فقال له النبي ﷺ: "ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".

إن الاستجابة العملية والمطلقة لتوجيه المعلم دليل على رغبة جادة في التعلم وتغيير السلوكيات الخاطئة والتطلع إلى السمو والارتقاء الأخلاقي، ودليل على اصطباغ المتربي بالتواضع للمعلمين والمربين، وقد ساق لنا الإمام الغزالي هذه المعاني في بيان وظائف المتعلم فقال: "أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق، فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، فلا يُنَال العلم إلا بالتواضع وإلقاء السمع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣]. ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعمل فاهماً ثم لا تعينه القدرة على

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٤.

(٢) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد بن صالح بن علي جان، ص٥٥.

(٣) سورة ق، آية: ٣٧.

الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة، وليكن المتعلم لمعلمه كأرض دَمِثَة نالت مطراً غزيراً فشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله"[1].

رابعاً- التربية عن طريق تصحيح الأخطاء بالتدريب العملي:

إن التدريب العملي والتجارب العملية في تدريب المتربين وتهذيب أخلاقهم وتصحيح أخطائهم له أكبر الأثر في العملية التربوية والتعليمية، فبه يمكن للمتربي أن تتفتح آفاق معرفته وتتوسع مدارك ذهنه وعقله.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب الذي شمل التربية عن طريق التلقين والتلقي المعرفي كما اشتمل أيضاً على التربية بتصحيح الأخطاء والتدريب على ذلك عملياً كما في حديث ربعي بن حراش رضي الله عنه وكذلك حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبي ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أأدخل". فإن التدريب العملي أدعى للعلم الصحيح والعمل البناء الموجه والطريقة السليمة في العملية التربوية.

إنه كثيراً ما يطلب من المتربين، خاصة الصغير منهم، القيام بأعمال لم يسبق له عملها أو شاهد مَنْ عملها، لذلك يبقى في جهل، فإذا طلب منه العمل، وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح، فإذا عوقب على خطئه هذا كان ظلماً وحيفاً.

وإن رسول الله ﷺ عندما يتعرض لمثل هذه المشاهد -كما نرى في أحاديث الباب- لا يلبث أن يفهم المتربي بالطريقة العملية، ويُريه كيف يحسن العمل، وفي هذا تعليم للوالدين والمربين، وأي تعليم، وسار الصحابة رضي الله عنهم بعد ذلك يعلمون الكبار والصغار والرجال والنساء بالتدريب العملي الواقعي والمشاهدة الحسية.

فليكن هذا شعار المربين والوالدين في تعاملهم مع أطفالهم[2].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٨٤/١-٨٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١٠٤، وص١٦٧، ١٦٨.

"إن المعلم الناجح هو الذي لا يهتم بإنهاء المقرر فحسب، وإنما يتأكد من مدى استفادة الطلبة من المعلومات عملياً، ويغرس في نفوس طلبته في كل درس خُلُقاً جديداً ومهارة وخبرة وعلماً، فلا ينتقل من درس إلى آخر حتى يرى أثر درسه الأول واضحاً في نفوس طلبته، وذلك يكشف مدى نجاح المعلم في عمله كما أنه يهدف إلى تثبيت المعلومات في نفوس الطلبة بشكل جيد ويعمق مدى فهمهم لها، وذلك ما يثبتها في عقولهم ويزيد من أهميتها في نظرهم"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في المجال التربويّ والتعليمي، ما يلي:

أ-التعليل، كما في قوله ﷺ: "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"، ولا شك أن تعليل الأفعال -إن اقتضى الأمر ذلك- يدفع المتعلم إلى مزيد من الامتثال ومزيد من الاستجابة، فهو قد عرف المصلحة من وراء الفعل المأمور به والمرغب فيه، وكذلك المفسدة من وراء الفعل المنهي عنه والمرهب منه. فيجعله هذا يزداد اقتناعًا ويزداد فهمًا ووعيًا لما يفعل ويعمل.

ب-التلقين: كما في حديث الصحابي من بني عامر أنّه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيتٍ فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلّمه الاستئذان. فقل: قل: السلام عليكم أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أأدخل؟ فَأَذِن له النبي ﷺ فَدخَل.

وكما في حديث كلدة بن الحنبل رضي الله عنه: "أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلم فقال النبي ﷺ: ارجع فقل السلام عليكم أأدخل؟

ولا شكّ أن التلقين قد يستخدمه المعلم في بيان الصحيح من الأقوال والأفعال كما يستخدمه في تلقين المعارف التي تعتمد على الحفظ.

❁ ❁ ❁

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي خان، ص٢٣٧، ٢٣٨.

١٤١- باب بيان أنَّ السنة إذَا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: (أنا) ونحوها

الحديث رقم (٨٧٥)

٨٧٥- وعن أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ثُمَّ صَعَدَ بي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيل، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهِنَّ وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث مقتضب من حديث الإسراء فيه بيان عملي لكيفية رد المستأذن بذكر اسمه الصريح دون الضمير (أنا) الذي لا يكشف عن ماهية المستأذن، وإضافة السماء للدنيا إضافة بيان، وتخصيص، وهي الأقرب إلينا، وقوله (فاستفتح) الهمزة، والسين، والتاء لمطلق الطلب، فكل فعل اتصلت به هذه الحروف دلت على طلبه فمعناه: طلب الفتح، وقوله: (فقِيلَ: مَنْ هذَا؟) عدم ذكر الفاعل للعلم به، وهم ملائكة هذه السماء، و (من) يستفهم بها عن العاقل، واسم الإشارة يعود على المستفتح (فقال جبريل) عبر باسمه الظاهر دون الضمير (أنا) أو (نحن) وقولهم (، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ،) الاستفهام هنا عن المصاحب؛ لأنهم لا يفتحون إلا لمن أمرهم الله أن يفتحوا له (قال محمد) باسمه الظاهر أيضاً، وقوله (ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ) التعبير ب (ثم) يشير إلى فترة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٠٧، ومسلم ١٦٢/٢٥٩.

زمنية قضاها الرسول ﷺ، وصاحبه في هذه السماء طواها في الحديث، ودل عليها باستخدام هذا الحرف، ثم حكى الموقف بالتفاصيل نفسها عند كل سماء يجيب باسمه الصريح، حتى يستطيع المستأذن أن يتعرف عليه وهو بيان عملي لكيفية رد المستأذن.

فقه الحديث

ذكر المستأذن اسمه إذا قيل له: من أنت؟ أو من بالباب؟: إذا استأذن فقال له صاحب البيت: من بالباب؟ أو نحو ذلك فعليه أن يذكر اسمه فيقول: فلان أو يقول أيدخل فلان؟ أو نحو ذلك، ويكره له أن يقول: أنا، لأنه لم يحصل بقوله "أنا" فائدة ولا زيادة إيضاح بل الإبهام باق[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تكريم النبي ﷺ بالإسراء والمعراج:

إن الإسراء هي الرحلة التي أكرم الله بها نبيه من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى، وقد كان (في تفضيله ﷺ بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة، والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى، وما رأى من آيات ربه الكبرى: ومن خصائصه ﷺ قصة الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة، مما نبه عليه الكتاب العزيز، وشرحته صحاح الأخبار، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧، ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض، والشرح الصغير ٧٦٢/٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٩٤/١٥، وغذاء الألباب ٣١٥/١، ٣١٦، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٢/٣.

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٢] فلا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواصٌ نبينا محمد ﷺ فيه أحاديث كثيرة منتشرة)[٣]، منها ما ورد في نص الحديث قول أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء: قال رسول الله ﷺ "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا... إلخ".

وفي بيان ما كان من الإسراء، قال ابن كثير في قوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤] (إنه تعالى يمجد نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره "الذي أسرى بعبده" يعني محمداً، صلوات الله وسلامه عليه "ليلاً" أي في جنح الليل "من المسجد الحرام" وهو مسجد مكة "إلى المسجد الأقصى" وهو بيت المقدس الذي هو إيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل؛ ولهذا جمعوا له هناك كلهم، فأمّهم في محلهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم، والرئيس المقدم، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)[٥].

(وقد أراد الله عز وجل في معجزة الإسراء والمعراج، أن يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستناداً عليه، إذ يواجهون قوى الكفار المتألبة، ويهاجمون سلطانه القديم)[٦].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة النجم، آية: ١٨.

(٣) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢٢٣/١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٥.

(٦) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٣٣.

(فلقد عانى رسول الله ﷺ ألواناً كثيرة من المحن التي لاقاها من قريش، وكان آخرها ما عاناه لدى هجرته إلى الطائف. ولقد ظهر في دعائه الذي ناجى به ربّه بعد أن جلس يستريح في بستان ابني ربيعة، ما يتعرض له كل بشر من الشعور بالضعف والحاجة إلى النصير، وذلك هو مظهر عبودية الإنسان لله تعالى. وظهر في التجائه ذلك شيء من معنى الشكاة إليه سبحانه وتعالى، والطمع منه في عافيته ومعونته، ولعله خشي أن يكون الذي يلاقيه إنما هو بسبب غضب من الله عليه لأمر ما. ولذلك كان من جملة دعائه قوله: (إن لم يكن بك غضب علي فلا أُبالي)[1].

فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريماً من الله تعالى له، وتجديداً لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقيه عليه الصلاة والسلام من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلّى عنه، أو أنه قد غضب عليه، وإنما هي سنّة الله مع محبيه ومحبوبيه. وهي سنّة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن.

وقد كان في الاقتران الزمني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السماوات السبع، لدلالة باهرة على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسية عند الله تعالى. وفيه دلالة واضحة أيضاً على العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد بن عبدالله عليهما الصلاة والسلام، وعلى ما بين الأنبياء من رابطة الدين الواحد الذي ابتعثهم الله عز وجل به.

وفيه دلالة على مدى ما ينبغي أن يوجد لدى المسلمين في كل عصر ووقت، من الحفاظ على هذه الأرض المقدسة، وحمايتها من مطامع الدخلاء وأعداء الدين، وكأن الحكمة الإلهية تهيب بمسلمي هذا العصر أن لا يهنوا ولا يجبنوا ولا يتخاذلوا أمام عدوان اليهود على هذه الأرض المقدسة، وأن يطهروها من رجسهم، ويعيدوها إلى أصحابها المؤمنين[2].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٢/٦٨.

(٢) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ١٦٦-١٦٧.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل جبريل ومكانته عند الله تعالى:

لقد فضل الله بعض النبيين على بعض، وفضل جبريل على الملائكة، فهو أمين الوحي تنزّل به على رسل الله عليهم السلام ولقد ورد ذكر جبريل عليه السلام ومكانته في هذا الحديث من قوله ﷺ "ثم صعد بي جبريل إلى السماء" وفي بيان فضل جبريل ومكانته عند الله، قال ابن حجر: (فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس وبأنه الروح الأمين وبأنه الرسول الكريم ذي قوة مكين مطاع أمين)[1]، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[2].

قال ابن كثير: (يعني: إن هذا القرآن لتلبيغُ رسول كريم، أي:ملك شريف حسن الخلق، بهي المنظر، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام...، وفي قوله "عند ذي العرش مكين" أي: له مكانة عند الله عز وجل ومنزلة رفيعة، ...، وفي قوله "مطاع ثم" أي: له وجاهة، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى، وقوله "أمين": صفة لجبريل بالأمانة، وهذا عظيم جداً أن الرب عز وجل يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل، كما زكى عبده ورسوله البشري محمد ﷺ بقوله ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾[3])[4]، وفي ذلك بيان لفضل جبريل عليه السلام ومكانته عند الله تعالى.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ظهر أسلوب السؤال والجواب في الحديث من سؤال أهل السماء لجبريل عندما استفتح عليهم فقالوا له: من هذا؟ فقال:جبريل، قيل: ومن معك، قال: محمد... إلخ" حيث أفاد السؤال والجواب أن يسمي المستأذن نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية حتى يتسنى للمستأذن عليه معرفة شخصه. والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٣٥٤.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٩-٢١.

(٣) سورة التكوير، آية: ٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٣٣٨-٣٣٩.

المهمة، مما يحسن تطبيقه في التعليم، أو التأليف، أو الخطابة، أو المحاضرات والندوات، لأنه أدعى إلى شد انتباه الحاضرين، وترسيخ المعلومات وعدم نسيانها. فضلاً عن (وضع المدعوين في حالة استعداد فكريّ ونفسيٍّ لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1].

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٢/٥٩.

الحديث رقم (٨٧٦)

٨٧٦- وعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رسول الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظلِّ القمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرآنِي، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فقلتُ: أَبُو ذَرٍّ. الحديث متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ظلّ القمر: في المكان الذي ليس للقمر فيه ضوء ليخفي شخصه[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر طريقة رد المستأذن يرويه أبو ذر رضي الله عنه صاحب الموقف، وقوله (خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي) فيه جناس بين ليلة، وليالي يؤكد ظرف الحدث، وقوله (من اليالي) إبهام لليلة، وقوله (فَإِذَا رسول الله ﷺ) يشير إلى أنه لم يتوقع رؤيته، وأنها كانت مفاجأة له، وقوله: (يَمْشِي وَحْدَه) يشير إلى أنه ظن أن الرسول ﷺ يريد أن يبقى منفرداً، وقوله (فَجَعَلْتُ أَمْشِي) يوحي بالتخفي، ويؤكده قوله: (فِي ظلِّ القمَرِ) أي المكان الذي ليس فيه ضوء القمر ليخفي شخصه، واستمر يمشى لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه قوله (فالتفت فرآني) الفاء تشير إلى سرعة تتابع الحدثين الالتفات، والرؤية، والفعل التفت يوحي بالمفاجأة (فَقَالَ: (مَنْ هَذَا؟) استفهام قد يكون على حقيقته كأنه رأى شخصه، ولم يتميز له، وقد يكون للإيناس والتلطف، وذكر أبي ذر رضي الله عنه لاسمه الظاهر يرجح الأول، ويبين كيفية الرد على المستفهم عن الاسم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٤٣، ومسلم ٩٤/٣٣ بعد الحديث رقم ٩٩١ ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله.

ثالثاً: من صفات الداعية: اليقظة والحذر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه:

لقد نال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين شرف لقاء النبي ﷺ فكان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه، وكان من ذلك حرصهم رضي الله عنهم على متابعته ﷺ والخوف من أن يصيبه مكروه، وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من فعل أبي ذر رضي الله عنه عندما رأى النبي ﷺ يمشي وحده فقال: فجعلت أمشي في ظل القمر، قال ابن حجر: (وإنما استمر يمشي لاحتمال أن يطرأ للنبي ﷺ حاجة فيكون قريباً منه)[1]، وقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في متابعة النبي ﷺ والخوف عليه من أن يصيبه مكروه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللَّهِ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا، فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي... إلخ))[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦٧/١١.

(٢) أخرجه مسلم ٣١.

قال النووي: (وقوله "وخشينا أن يقتطع دوننا" أي يصاب بمكروه من عدو إما بأسر، وإما بغيره)[١].

وعندما (سأل أبو سفيان بن حرب - وهو على الشرك حينذاك- زيد بن الدَّثنة رضي الله عنه حينما أخرجه أهل مكة من الحرم ليقتلوه، وقد كان أسيراً عندهم: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي!

فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)[٢].

(وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه للنبي ﷺ يوم بدر: يا نبي الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعد ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولوظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير)[٣].

وقال ابن هشام: (قاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري، أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة، أخبريني خبرك. فقالت: خرجت أول النهار وأن أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خلصت الجراح إلي. قالت: فرأيت على

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١١٢.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥/٥٠٥-٥٠٦.

(٣) المرجع السابق ٥/٨٣.

عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقماه الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دُلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا. فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناسٌ ممن ثبت مع رسول الله ﷺ فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان)[1].

(وقد تترس أبو دجانة رضي الله عنه يوم أحد دون رسول الله ﷺ بنفسه، يقع النبل على ظهره، وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل)[2].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على متابعة النبي ﷺ والذب عنه والخوف من أن يصيبه مكروه، فعلى الأمة الإسلامية أن تقتدي بصحابة رسول الله ﷺ في نصرته (وذلك بنصرة سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم وإظهار ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق، ويدخل في نصر الله ورسوله نصر الشريعة وأهلها والداعين إليها وتكثير سوادهم وإعانتهم على أمورهم، وقمع أعدائهم. ولا يتأتى هذا النصر ولا يتحقق إلا برفع علم الدعوة إلى الله على بصيرة وعلم، فضلاً عن الجهاد في سبيل الله، وتطبيق شرعه المحكم في دق الأمور وجلها)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التفكر في آيات الله:

إن مما يشحذ الإيمان في القلوب، ويدعم الوجدان الديني لدى المؤمن، هو التدبر في آيات الله والتفكر في سننه وآلائه الكونية، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي ذر رضي الله عنه: "فجعلت أمشي في ظل القمر".

(والقمر هو آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته، وقد حث القرآن

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٣/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤٠٩/٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا ٨٢/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤١٠/٥.

(٣) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ٨٢-٨٣.

الكريم على أن يعمل الإنسان عقله وفكره، وكل ما وهب الله له عز وجل من حواس بغية الوصول إلى كمال الإيمان به جل وعلا)[١].

فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[٥].

﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[٦].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٧].

وقد شبه الحق تبارك وتعالى كل من لا يستخدم عقله وحواسه في التدبر والتفكر في آياته وآلائه، بالأنعام بل وأضل منهم فقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) انظر: من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين ص ٦٦.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠١.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ١٧-٢٠.

(٤) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) سورة ق، آية: ٦.

(٦) سورة سبأ، آية: ٩.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[١].

ولقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في التفكر في آيات الله والتدبر في سننه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢] ثم قام فتوضأ واستنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[٣].

فعلى المرء أن يمعن التدبر والتأمل في آيات الله وسننه، فيزداد إيمانه ويتأكد يقينه بربه، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من صفات الداعية: اليقظة والحذر:

ويستفاد ذلك جلياً من قوله ﷺ "من هذا؟" فقلت: أبو ذر. وقد أمر الحق تبارك وتعالى باليقظة واتخاذ الحذر فقال: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٤] (فينبغي للداعية أن يكون حذراً فطناً، لا سيما إذا كان في مجتمع لا يأمن كيده أو بعض أفراده، فربما يكون الحذر في مثل هذه الحال واجباً، ولا يليق به التغافل والتساهل في مجتمع لا يأمن كيده لأن ذلك إلقاء بالنفس إلى التهلكة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥]...، فعلى الداعية أن يكون حذراً متوقياً لما قد يحاك ضده من المكائد، وذلك دليل الكياسة والنباهة والفطنة)[٦].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٦٩، ومسلم ٧٦٣.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٦) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، دار القاسم، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ص ٦٠.

الحديث رقم (٨٧٧)

٨٧٧- وعن أُمِّ هانىءٍ رضي الله عنها ، قالت: أتيتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: ((مَنْ هذِهِ؟)) فقلتُ: أنا أُمُّ هَانِىءٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات القصد منه هو لازم هذا الخبر، وهو تقرير طريقة رد المستأذن على من سأله عن شخصه وقوله (من هذه؟) يشير السؤال إلى أنه تبين كونها امرأة، والسؤال ب (من) سؤال عن العاقل، والاستفهام عن ماهيتها، وقولها (أم هانيء) ذكرت الاسم الظاهر الذي يميزها أكمل تمييز، وهذا أحرى أن لا يوقع المخاطب في حيرة فالأمر يستلزم الوضوح حتى لا يفاجأ بمن لا يرغب فيه، وهو احترام للحرية الشخصية.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠، ومسلم ٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ٣.

(٢) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٨٦٥).

الحديث رقم (٨٧٨)

٨٧٨- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: ((مَنْ هَذَا؟)) فَقُلْتُ: أنَا، فَقَالَ: ((أنَا، أنَا!)) كَأنَّهُ كَرِهَهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقوّم خطأ الرد على المستفهم، ويرشد إلى الرد السديد وراوي الحديث هوي بطل الحدث، وهو صاحب الخطأ، وقد نقل الموقف بداية بالتعبير ب (أتيت) الدال على التحقق ثم الفعل المتصل بفاء التعقيب (دققت) المضعف الذي يحكي بتضعيفه قوة القبضة، وصوت الدق، وتعريف الباب بلام العهد للإشارة إلى الباب المعهود للرسول ﷺ لأحد بيوته، وقول الرسول ﷺ (من هذا) سؤال محدد المقصود بيِّن المراد قول الراوي (فقلت أنا) عرَّف نفسه بالضمير غير معروف المرجع، لأنه مجهول بالنسبة لمن في الدار، فلا يفي بغرض التعريف، ولا يجيب عن السؤال لذلك جاء قوله (أنا أنا !) كررها للإنكار عليه - كما قال الطيبي - أي قولك أنا مكروه فلا تعد، والثاني تأكيد كأنه كرهها أي كلمة أنا؛ فإنه لم يستأذن بالسلام، بل بالدق، أو لأن قوله (من هذا؟) استكشاف للإبهام، وقوله (أنا) لم يزل به الإشكال، والإبهام؛ لأنه بيان عند المشاهدة لا عند الغيبة، وكان حق الجواب أن يقول: جابر، أو أنا جابر.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٢٥٠، ومسلم ٢١٥٥/٣٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير.

ثانياً: من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان إلى النبي ﷺ للاستزادة من الخير:

لقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الإتيان إلى النبي ﷺ كي يعينهم على نوائب الدهر، ويزيدهم من فضله، وهذا ما ورد في نص الحديث من قول جابر رضي الله عنه "أتيت النبي ﷺ"، (وقد بين أبو داود في روايته أنه رضي الله عنه ذهب إلى النبي ﷺ في دين أبيه)[1]، وهذا ما بينه البخاري من حديث عامر قال: ((حدثني جابر رضي الله عنه أنَّ أباهُ تُوفِّي وعليهِ دَينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنَّ أبي تَرَكَ عليه ديناً، وليس عندي إلاّ ما يُخرِجُ نَخلهُ ولا يَبلُغُ ما يُخرجُ سنينَ ما عليه، فانطلقْ معي لكَيْ لا يُفحِشَ عليَّ الغُرماء. فمشى حولَ بيدرٍ من بَيادِرِ التمرِ فدَعا، ثمَّ آخَرَ، ثمَّ جلسَ عليهِ فقال: انزِعوهُ، فأوفاهم الذي لهم، وبَقيَ مثلُ ما أعطاهم))[2].

قال ابن حجر: (وقوله "وليس عندي إلا ما يخرج نخله" يعني أنه لم يترك مالاً إلا البستان المذكور، والبيدر بفتح الموحدة وسكون التحتانية وفتح الدال المهملة للتمر كالجرن للحب...، وفي الحديث علم ظاهر من أعلام النبوة لتكثير القليل، إلى أن حصل به وفاء الكثير وفضل منه)[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٨٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٨٦-٦٨٨.

وفي تأكيد حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإتيان للنبي ﷺ والاستزادة من فضله وخيره، قال عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ أبا عُبيدةَ بن الجرّاح إلى البحرَين يأتي بجزْيتها، فقَدِمَ أبو عبيدةَ بمالٍ منَ البحرَين، فسمِعَتِ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة فوافقَت صلاةَ الفَجرَ معَ النبيِّ ﷺ، فلما صلى بهم الفَجرَ انصرفَ، فتعرَّضوا لهُ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ رآهم وقال: أظُنُّكم قد سمعتم أنَّ أبا عبيدةَ قد جاء بشيء من البحرين، قالوا: أجل يا رسولَ اللهِ، قال: فأبشِروا وأمِّلوا ما يسرُّكم))[1].

ثانياً- من آداب المدعو: الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت إخوانه وسائر الناس:

إن مما يؤكد عليه نص الحديث هو تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس، تحقيقاً للألفة ودفعاً لما يكون سبباً للفرقة والتنافر والتعدي على حقوق الآخرين، وهذا ما أكده نص الحديث في أهمية الاستئذان عند طلب الدخول إلى بيوت الغير، وظهر ذلك من استئذان جابر رضي الله عنه على النبي ﷺ في الدخول، وذلك من قوله "فدققت الباب" فعلى المدعو أن يمتثل في ذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2] قال ابن العربي: (مد الله سبحانه وتعالى التحريم في دخول بيت ليس هو بيتك إلى غاية هي الاستئناس، وهو الاستئذان، قال ابن وهب: قال مالك: الاستئناس فيما نرى والله أعلم: الاستئذان، وكذا في قراءة أبي وابن عباس وسعيد بن جبير: "حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها")[3] وقال السعدي: في قوله تعالى "ذلكم خير لكم" (أي الاستئذان المذكور "خير لكم لعلكم تذكرون" لاشتماله على عدة مصالح وهو من مكارم الأخلاق

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٣/١٣٥٨-١٣٥٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥/١٨٨.

الواجبة، فإن أذن دخل المستأذن)[١].

وفي بيان آداب الاستئذان قال عبدالله بن بسر: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ وَلَكِن مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوْ الأَيْسَرِ وَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكُم، السَّلاَمُ عَلَيْكُم، وَذَلِكَ أَنَّ الدُّورَ لَمْ يكُنْ عَلَيْهَا يَوْمِئِذٍ سُتُورٌ))[٢]، وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثاً فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع))[٣] ومن آداب الاستئذان ألا يدق المستأذن الباب بعنف، لما في ذلك من سوء الأدب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((إن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر))[٤] قال ابن حجر: (وهذا محمول منهم على المبالغة في الأدب، وهو حسن لمن قرب محله من بابه، أما من بعد عن الباب بحيث لا يبلغه صوت القرع بالظفر، فيستحب أن يقرع بما فوق ذلك بحسبه)[٥]. فعلى المدعو أن يتأدب بآداب الاستئذان استجابة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

قد ورد هذ الأسلوب في الحديث من سؤال النبي ﷺ لمن يستأذن عليه في قوله ﷺ "من هذا؟"، ومن إجابة المستأذن بقوله "أنا" حيث أفاد الأسلوب أهمية أن يعرف المستأذن نفسه بما يزيل الإبهام، حتى يعلم به المستأذن عليه.

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند طلب الاستعلام عنه في الاستئذان:

إن من آداب الاستئذان التي أشار إليها الحديث، أن يعرف المستأذن نفسه للمستأذن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥١٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١٠٨٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٨٢٤).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/١١.

عليه بما يزيل الإبهام عن شخصه، وهذا ما أكد عليه الحديث من كراهة النبي ﷺ لقول جابر "أنا" عند قول النبي ﷺ "من هذا"، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال الخطابي: قوله "أنا" لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعمله، وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم الذي وقعت المسألة عنه)[1]، وقال النووي: (قال العلماء: إذا استأذن فقيل له: من أنت أو من هذا كره أن يقول أنا، لهذا الحديث، ولانه لم يحصل بقوله أنا فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول فلان باسمه...، ولا بأس بقوله: أنا أبو فلان أو الشيخ فلان إذا لم يحصل التعريف بالاسم لخفائه)[2]، فينبغي أن يذكر المستأذن اسمه أو كنيته عند استئذانه على الغير.

---

(١) المرجع السابق ٣٨/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

مدخل: يهدف الاستئذان في الإسلام إلى غايات شتى منها: العلم بالقادم، استعداد أو عدم استعداد من استأذن عليهم، الشعور بالإذن وعدم الإذن، فإذا سئل المستأذن عن اسمه أو أجاب بما هو غير محدد له فقد خالف المراد من مشروعية الاستئذان، ولهذا وردت أمور تربوية في أحاديث هذا الباب نذكر منها:

أولاً- القدوة:

من أظهر أساليب التربية: التربية بالقدوة، وهي إحدى الطرق لاكتساب الفضائل بأنواعها "ولها أكبر الأثر في بناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي، فالقدوة الصالحة هي من أنجح أساليب التربية ووسائلها في بناء الشخصية الإسلامية خصوصاً في مرحلة الاكتساب، وهي فترة الطفولة، وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدى بها أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسِّيَر الصالحة التي يسمعها"[1].

وقد ورد أسلوب القدوة مبثوثاً في أحاديث الباب وطياته، كما في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء، وذكر استئذان جبريل، كما في قوله ﷺ: "ثم صعد بي جبريل إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك..." وكذلك في حديث أم هانئ رضي الله عنها قالت: "أتيت النبي ﷺ وهو يغتسل وفاطمة تستره، فقال من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ".

"وإذا كان للقدوة الدور الأكبر في التربية والتوجيه لمختلف فئات المجتمع، فإن هذا الدور يزداد أهمية في تربيته الناشئة وتوجيههم وتكمن الأهمية في أسباب أهمها:

أ-أن مستوى الفهم عند الأطفال قليل، ولذلك تكون رؤيتهم لما يُفْعَل أوقع في نفوسهم.

ب-أن القدوة الحسنة تقرب البعيد، وتوحي بأن المستحيل والصعب -في نظر

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٧٧.

الأطفال- قد يكون ممكناً بدليل أن غيرهم قد فعله وشاهد الأطفال ذلك بأعينهم.

ج-أن الطفل بحكم ضعفه يلجأ إلى الكبار مثل والديه وإخوته ومعلميه لحمايته، فيقلدهم من منطلق العادة، فالضعيف غالباً ما يقلد القوي في أفعاله.

د-أن الطفل يحب تقليد الأشياء التي يستحسنها.

هـ-أن الطفل يحب تقليد من يعجب بهم من الناس، سواء أكانوا أقارب أم جيران أم غير ذلك[1].

"ومن هنا كانت التوصية دائماً بأن يكون المعلم مثالاً طيباً أمام تلاميذه في هندامه، وفي حديثه، وفي حركته وفي سكناته، وفي وقوفه، وجلوسه، فهم يتشربون منه كل تصرفاته ولو بدون شعور، وكذلك الحال بالنسبة للآباء والأمهات إذ أنهم أول قدوة أمام الإنسان منذ طفولته، يتعلم منهم العادات والسلوكيات، ويقوم بتقليدهم في كثير من الأمور، فبصفة عامة يجب على المربي أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربي به حيث يربي على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وفعله وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسوا به في كل سلوكياته وأخلاقه"[2].

ثانياً- الوضوح والابتعاد عن الإبهام والغموض:

إن من خصائص التربية الإسلامية وسماتها التي لا تنفك عنها، الوضوح والبعد عن أساليب الغموض واللبس والإبهام، وذلك في كل شيء كان في التلقين والبناء المعرفي أم كان ذلك في السلوك والتطبيق العملي، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من سلوك جبريل عليه السلام بذكر اسمه والإفصاح عن شخصيته لما استأذن وطُلِب منه التعريف بنفسه "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد"، وكذلك في تعريف أبي ذر رضي الله عنه بنفسه وكذلك أم هانئ رضي الله عنها، كما نرى إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما عندما تلفظ بكلمة عامة لا تفصح عن شخصية صاحبها، فعنه رضي الله عنه قال

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٤٨/٢.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ص١٢٥.

أتيت النبي ﷺ، فدَقَقْت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت أنا، فقال أنا أنا. كأنه كرهها"، إذ أنه "لم يحصل بجوابه "أنا" سوى زيادة الإبهام"[١].

لذا ينبغي أن يكون الوضوح منحاه وسمته الملازمة له في التربية والتعليم، إذ أن التربية إذا لم تتضح معالمها ولم تبرز مضامينها شق على المتربي التواصل مع معلمه ومربيه وباءت العملية التربوية بالفشل.

إن التربية الإسلامية تميزت عن غيرها بالوضوح والظهور، وإنما استمدت التربية هذا الوضوح من رسالة الإسلام المتميزة "بوضوحها في أصولها وقواعدها ومصادرها وأهدافها ومناهجها ووسائلها، كما يتمثل هذا الوضوح في كل أوامرها وأحكامها"[٢].

ثالثاً- الحيطة والحذر:

إن مما ينبغي مراعاته في التربية بل في جميع مناحي الحياة أخذ الحيطة والحذر خاصة إذا ما خشي الإنسان من التهلكة أو الانجرار إلى مفسدة.

ويمكن لنا أن يترائى ذلك المضمون في أثناء أحاديث الباب حيث أرشدت إلى الاستئذان والتعريف الصريح والإفصاح عن شخصية المستأذن والإجابة إذا سُئِل عن ذلك كما هو واضح في حديث الإسراء "فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل..."، وكذلك حديث أم هانئ رضي الله عنها "فقال من هذه؟ فقالت: أنا أم هانئ" وتظهر صورة أخذ الحذر بصورة أشد في حديث أبي ذر رضي الله عنه، فقال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده ليس معه إنسان، قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد، قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتَفَتَ فرآني فقال من هذا؟ فقلت: أبو ذر..." حيث كان أبو ذر رضي الله عنه يمشي في ظل القمر، وذلك مما "يجعل للإنسان تبين شخصية هذا السائر في ظل القمر فالتفت النبي ﷺ فرآه فسأله عن نفسه، وفي ذلك الإرشاد إلى التعرف على السائر والمتواجد في الأماكن المظلمة أو النائية خوفاً من أن يكون من

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمد بن ناصر العمار، ص١٩٤.

الأعداء والاحتراز من الأعداء ما أمكن"[١].

واتخاذ الحيطة والحذر إنما هو ناشئ عن حاجة الإنسان وتطلعه للأمن، فهو حاجة كل كائن إنساني، إذ أن كل إنسان يسعى إلى الطمأنينة والأمن والشعور بعدم التهديد.

إن الإحساس والشعور بالأمن له أكبر الأثر في إنجاح العملية التربوية والتعليمية، إذ أن افتقاد المتربي لإشباع حاجته من الأمن يثير عنده بعض الاضطرابات والقلق"[٢].

❁ ❁ ❁

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٤٩١.

(٢) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان، ص٩٥-٩٧.

١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

الحديث رقم (٨٧٩)

٨٧٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإنَّ أحَدَكُمْ إذَا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التشويق المفضي إلى ترسيخ المعاني، حيث تقدمته لافتة قصيرة تخبر بمحبة الله لشيء، وكرهه لشيء، وهما من الأفعال التي يأتيها الإنسان، وتعلق الفعل بالله يجعل المؤمن في قمة اليقظة، وقد تصدره التوكيد بأكثر من مؤكد تنبيهاً إلى أهمية الخبر، أو لكون الخبر فيه غرابة من بعض الوجوه التي لم يعرفها المخاطبون، وبين قوله يحب، ويكره طباق يقرر المرضي عند الله، ويوضح المكروه ترغيباً للمؤمن في محبة ما يحب، ورد ما يكره، وبين العطاس، والتثاؤب ما يشبه التضاد من حيث أن أحدهما محبوب، والآخر مكروه، وأسلوب الشرط بعدها يقرر ما يجب على المؤمن تجاه هذا التصرف الفطري، عن طريق فعل الشرط، وما عطف عليه: (فَإذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى) وجواب الشرط الذي يمثل تجاوب المؤمن مع أخيه في كل ما يعرض له، في صورة من صور الإنسانية الرقيقة (كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ

---

(١) برقم ٦٢٢٦.

مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ) بل إنه جعله حقاً لازما أن يدعو له بهذا الدعاء الحنون بل العجب أنه جعله حقاً عاماً شاملاً على كل من سمعه، وجملة: (يرحمك الله) جملة خبرية لفظاً إنشائية معنى لأنها دعائية، وقوله (وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ) أما تفصيلية، والمعنى في العبارة مبني على أسلوب القصر الذي يقصر التثاؤب على كونه من الشيطان، مما يقتضي الحذر عنده، ولذلك وضع له الحل عن طريق الشرط (فَإِذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ) وقوله (فَإِنَّ أحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ) جملة تعليلية تحذر من تلاعب الشيطان بالإنسان، وقوله: (ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ) كناية عن رضاه بما حدث لأنه نال منه ما يريد، ويحتمل أن يكون الضحك على الحقيقة، وهي صورة تجعل الإنسان يفكر ملياً عند إتيان فعل يجعل عدوه ضاحكاً بملأ فيه.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكمين هما حكم العطاس وحكم التثاؤب، فالعطاس من الله عز وجل، وأما التثاؤب فهو من الشيطان، والله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب.

أولاً: حكم تشميت العاطس: اختلف الفقهاء في حكم تشميت العاطس، فذهب الأحناف إلى أن تشميت العاطس واجب إن حمد الله تعالى، ويجب التشميت لمرة واحدة وما زاد على ذلك فمندوب، وقيل يشمت العاطس ثلاث مرات وبعد ذلك هو بالخيار[1].

وذهب المالكية، وهو المذهب عند الحنابلة، إلى أن تشميت العاطس واجب على الكفاية، بحيث إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذلك بعد سماع حمده، أما عند الشافعية فإن التشميت سنة[2]. وإذا لم يسمع حمد العاطس فلا يشمته إلا أن يرى

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٦٩/٢، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣٢٦/٥.

(٢) الشرح الصغير ٧٦٤/٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٨/٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٢٦/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦/١٢-٢٧.

تشميت الناس له فيشمته، ويسقط طلب تشميت العاطس بعد ثلاث مرات، ويقول له بعد ذلك عافاك الله إنك لمضنوك. ولا يسقط طلب الحمد عن العاطس ولو بعد ثلاث[١].

أما عن تشميت العاطس وقت الخطبة فقد اختلف الفقهاء في حكمه: فقد ذهب الأحناف إلى كراهة تشميت العاطس، لأن التشميت ليس بفرض فلا يترك الفرض لأجله[٢]. وذهب الشافعية في الوجه الصحيح إلى تحريم تشميت العاطس وقت الخطبة، والوجه الثاني استحباب التشميت، والوجه الثالث يجوز ولايستحب. وحكى الرافعي وجهاً أنه يرد السلام ولا يشمت، لأنه سنة فلا يترك الإنصات الواجب[٣]. وذهب الحنابلة في الرواية الأولى إلى وجوب التشميت فقد فعله غير واحد، ورخص في ذلك: الحسن والشعبي والنخعي والحكم وقتادة والثوري وإسحاق، لأنه واجب فوجب الإتيان به حال الخطبة. والرواية الثانية: إذا سمع الخطبة فلا يشمت وإذا لم يسمع شمت[٤]. وذهب الظاهرية إلى أن تشميت العاطس بعد الحمد وأثناء الخطبة فرض، لأنه الله افترض على المسلم تشميت العاطس[٥].

ومن آداب العاطس: أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك[٦].

---

(١) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٩٩/٢. وذكر ابن دقيق العيد عن بعض الشافعية أنه قال: يكرر التشميت إذا تكرر العطاس، إلا أن يعرف أنه مزكوم فيدعو له بالشفاء، عند هذا يسقط الأمر بالتشميت عند العلم بالزكام. الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٢/١٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥٩٢/١.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٤/٤.

(٤) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٨٦/٢.

(٥) المحلى بالآثار، ابن حزم ٢٦٨/٣.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٧/١٢-٢٨.

ثانياً: حكم التثاؤب: صرّح العلماء بكراهة التثاؤب، فمن اعتراه ذلك فليكظمه، وليرده قدر الطاقة لقوله ﷺ: "فليردّه ما استطاع"، كأن يطبق شفتيه أو نحو ذلك. فإذا لم يستطع وضع يده على فمه لقوله ﷺ "إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فمه فإن الشيطان يدخل" ويقوم مقام اليد كل ما يستر الفم كخرقة أو ثوب مما يحصل به المقصود، ثم يخفض صوته ولا يعوي، ويمسك عن التمطي والتلوي الذي يصاحب بعض الناس[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعدالعطاس وتشميت الناس للعاطس.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في تأكيده ﷺ على حب الله للعطاس، وكرهه تعالى للتثاؤب لكونه من الشيطان، وذلك في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب"، وأيضاً في قوله "فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية للتأكيد على أهمية وتقوية الأمر المدعو إليه لترسيخه في أذهان المدعوين، وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بحب الله تعالى للعطاس وكراهية التثاؤب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "إن الله يحب العطاس" لأنه سبب خفة الدماغ وصفاء القوى الإدراكية، فيحمل صاحبه على الطاعة

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٣٣/١، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٥٦/٢، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣٤٥/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤١/١٠.

"ويكره التثاؤب" لأنه يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان، وهو المعنى في ضحكه...، وقال القاضي: التثاؤب بالهمز، التنفس الذي يفتح عنه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس، ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم، ولذا كرهه الله، وأحبه الشيطان وضحك منه)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: إضافة التثاؤب إلى الشيطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة، أي أن الشيطان يحب أن يرى الإنسان متثائباً، لأنها حالة تتغير فيها صورته فيضحك منه. لا أن المراد أن الشيطان فعل التثاؤب، وقال ابن العربي: قد بينا أن كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته، وأن كل فعل حسن نسبه الشرع إلى الملك لأنه واسطته، قال: والتثاؤب من الامتلاء، وينشأ عنه التكاسل، وذلك بواسطة الشيطان، والعطاس من تقليل الغذاء وينشأ عنه النشاط وذلك بواسطة الملك. وقال النووي: أضيف التثاؤب إلى الشيطان لأنه يدعو إلى الشهوات، إذ يكون عن ثقل البدن واسترخائه وامتلائه، والمراد التحذير من السبب الذي يتولد منه ذلك، وهو التوسع في المأكل)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: حمد الله تعالى بعد العطاس وتشميت الناس للعاطس:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وفي بيان ذلك قال ابن هبيرة: (إن العطاس يستدعي حمد الله سبحانه وتعالى، والحمد على أثره مشروع، ولأنه دليل على ظهور القوى ونهوضها، وعلى دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)[3].

قال ابن حجر: (نقل ابن بطال عن الطبراني أن العاطس يتخير أن يقول الحمد لله، أو يزيد رب العالمين، أو على كل حال، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزي،

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٨/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٧/١٠.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٣/٧.

لكنه ما كان أكثر ثناء، أفضل بشرط أن يكون مأثوراً)[١].

وقال النووي: (في كتابه "الأذكار" اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه الحمد لله، ولو قال الحمد رب العالمين لكان أحسن، فلو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل)[٢].

وقال ابن عثيمين: (والعطس يدل على الخفة والنشاط، لهذا كان محبوباً إلى الله، وكان مشروعاً للإنسان إذا عطس أن يقول الحمد لله؛ لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، فيقول: الحمد لله إذا عطس، سواء أكان في الصلاة أو خارج الصلاة في أي مكان كان، إلا أن العلماء يقولون: إذا عطس -وهو في الخلاء- فلا يقول بلسانه "الحمد لله"، ولكن يحمد بقلبه؛ لأنهم يقولون -يرحمك الله- إن الإنسان لا يذكر الله في الخلاء، فإذا عطس الإنسان وحمد الله كان حقاً على كل من سمعه أن يقول له: "يرحمك الله" فيدعو له بالرحمة جزاء له على حمده لله عز وجل، فإنه لما حمد الله كان من جزائه أن إخوانه يدعون له بالرحمة)[٣].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك:

يظهر ذلك جلياً في الحديث من قوله ﷺ "فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان"، قال ابن هبيرة: (لأن التثاؤب يوسع على الشيطان طريق ولوجه، فإنه على ما ذكر الشيخ محمد بن يحيى: أنه يدخل الشيطان إلى باطن الآدمي من مجاري النفس؛ لأنه قال: هو جسم لطيف يناسب الجو، فإذا فتح التثاؤب فكي العبد، أوسع طريق دخوله، ويصدق ذلك ما ذكر في الحديث، فليرده ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٧/١٠.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٤/٧.

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ "فليرده" ما استطاع" أي يأخذ في أسباب رده)[١] وقال المباركفوري في بيان الحكمة من ذلك: (لأن التثاؤب يمنع صاحبه عن النشاط في الطاعة، ويوجب الغفلة، ولذا يفرح به الشيطان وهو معنى ضحكه)[٢]. وقال ابن عثيمين ذلك: (...، والشيطان يحب من بني آدم أن يكون كسولاً فتوراً، أعاذنا الله وإياكم منه - ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائماً في حزم وقوة ونشاط، فإذا جاءك التثاؤب، فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل وإن لم تقدر فضع يدك على فمك)[٣]، وفي ذلك بيان على ضرورة الحث على دفع التثاؤب والحكمة من ذلك.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٧/١٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٨/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

الحديث رقم (٨٨٠)

٨٨٠- وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ الله. فإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه قام على أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى؛ لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وأسلوب الحديث يعوِّل على خصيصة نفسية تقوم على التجاوب الحي الفعال بين المسلمين في تبادل للذكر، والكلام الطيب كتبادل أطايب الثمر، فقوله (إذا عطس أحدكم) ولفظ أحد المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يشمل الجميع بالحكم، وجواب الشرط (فليقل الحمد لله)، وهذا الجزء متعلق بالعاطس، والأمر الثاني يتعلق بالسامع (وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ) وتقديم الجار والمجرور للاختصاص، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير بهذه الصلة التي يجب أن تجمع المؤمنين، وما أجمل المفردات التي انطوى عليها الحديث! (الرحمة - الهداية - الصلاح) أمور تحقق السعادة في الدنيا، والآخرة والتعبير بصلاح البال؛ لأنه يعم صلاح حال الإنسان، وصلاح قلبه، فهو يتضمن صلاح الظاهر، والباطن.

---

(١) برقم ٦٢٢٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانياً: من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامساً: من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه.

سادساً: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس.

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

قد ورد أسلوب الشرط في الحديثين من قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه"، وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تستحضر أذهان المدعوين لمعرفة فعل الشرط وجوابه الوارد في قوله ﷺ "فليقل: الحمد لله" وأيضاً قوله فحمد الله "فشمتوه"، أما الأمر فقد ورد في الحديثين من قوله ﷺ "فليقل" وأيضاً في قوله "فشمتوه" وهو من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على حمل وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه.

ثانياً- من آداب المدعو: حمد الله تعالى بعد العطاس:

(إن حمد الله إثر العطاس مشروع، لما فيه من ظهور القوة ونهوضها، فضلاً عن دفع فضلات البدن، وأبخرة الرأس)[2]، وهذا ما أكد نص الأحاديث الثلاثة في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله" وأيضاً في قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه". وفي حديث أنس: تشميته ﷺ لمَنْ حمد الله، وقال عنه: هذا حمد لله.

قال ابن حجر: (ظاهر الحديث - إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله - يقتضي وجوبه لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه، وأما لفظه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨١، ٨٨٢).

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٣/٧.

فنقل ابن بطال وغيره عن طائفة أنه لا يزيد على الحمد لله كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد شرحه، وعن طائفة يقول الحمد الله على كل حال)[١] وذلك استناداً لقوله ﷺ ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ الْحَمدُ لله عَلَى كلِّ حَالٍ))[٢]، وقال القاضي عياض رضي الله عنه: (اختلف العلماء في كيفية الحمد والرد، واختلفت في ذلك الآثار، فقيل: يقول الحمد لله، وقيل: الحمد لله رب العالمين، وقيل الحمد الله على كل حامل. وخيّره الطبري فيما شاء من ذلك، ولا خلاف أنه مأمور بالحمد)[٣].

وقد بيّن الحليمي: (أن الحكمة في مشروعية الحمد للعاطس، أن العطاس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لمافيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع)[٤].

وهذا ما أكدته الحقائق الطبية في بيان (أن العطاس هو زفير قوي مفاجيء، يخرج مع الهواء بقوة من الرئتين عن طريق الأنف والفم، فيجرف معه في طريقه الغبار والهوام والجراثيم، التي تسربت سابقاً إلى جهاز التنفس... فحق على المرء أن يحمد الله على العطاس)[٥].

وقال ابن جمرة: (وفي الحديث دليل على عظيم نعمة الله على العاطس، يؤخذ ذلك مما رتب عليه من الخير،وفيه إشارة إلى عظيم فضل الله على عبده، فإنه أذهب عنه الضرر بنعمة العطاس، ثم شرع له الحمد الذي يثاب عليه، ثم الدعاء بالخير بعد الدعاء بالخير، وشرع هذه النعم المتواليات في زمن يسير فضلاً منه وإحساناً، وفي هذا لمن رآه بقلب له بصيرة زيادة قوة في إيمانه، حتى يحصل له من ذلك ما لا يحصل بعبادة أيام

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٥/١٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٧٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٠٢).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦١٨/١٠.

(٥) الحقائق الطبية في الإسلام، د. عبدالرزاق الكيلاني ص ١٥٥.

عديدة، ويداخله من حب الله الذي أنعم عليه بذلك ما لم يكن في باله...)[١] فيأتي حمد العاطس إقراراً منه على عظيم فضل الله وكرمه له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى:

إن مما أكد عليه نص الأحاديث، "واجتمع عليه العلماء، هو تشميت العاطس إذا حمد الله"[٢]، وذلك في الأحاديث من قوله ﷺ: "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله" وأيضاً في قوله ﷺ "إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه" وتشميته ﷺ في الحديث الثالث لمن حمد الله وتركه لمن لم يحمد الله وعندما سأله من لم يشمته: عطس فلان فشمته، وعطست فلم تشمتني فقال: "هذا حمد الله فشمته، وإنك لم تحمد الله" و(التشميتُ -بالشين والسين-: الدعاء بالخير والبركة - والمعجمة أعلاهما- يقال شمت فلاناً، وشمت عليه تشميتاً، فهو مُشَمِّت، واشتقاقُه من الشوامِت وهي القوائم؛ كأنه دعا للعاطس بالثبات على طاعة الله تعالى، وقيل: معناه: "أبعدك الله عن الشماتة، وجنبك ما يشمت به عليك")[٣].

وقال ابن علان: (شمته: أي دعا له أن يجمع شمله، وقيل من الشماتة وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه، فكأنه إذا حمدالله أدخل على الشيطان ما يسوءه، فشمت هو بالشيطان، وقال أبوبكر بن العربي: تكلم أهل اللغة في اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه وهو بديع؛ وذلك أن العاطس ينحل كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه، فكأنه إذا قيل له: يرحمك الله، كان معناه أعطاك رحمة يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس، ويقيم على حاله من غير تغيير، فإن كان التشميت بالمهملة فمعناه: أرجع كل عضو إلى سمته، الذي كان عليه، وإن كان بالمعجمة فمعناه: صان الله شوامته؛ أي: قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال)[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤١/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٥/١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٩١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٠٥-١١٠٦.

وقد بين القاضي عياض: (أن لفظ التشميت يكون بقول: يرحمك الله، وقيل: يقول الحمد لله، يرحمك الله. وقيل: يقول يرحمنا الله وإياكم)[١] وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال ((كان حَقاً على كل مسلمٍ سمعه أنْ يقولَ له يَرحمك الله))[٢] وقال ﷺ ((حقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ثم ذكر ﷺ من ذلك: وتشميتُ العاطِسِ))[٣]، وقد بين ابن دقيق العيد حكمة مشروعية التشميت في قوله: (من فوائد التشميت تحصيل المودة، والتأليف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النفس عند الكبر، والحمل على التواضع، لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب، الذي لا يعرى عنه أكثر المكلفين)[٤].

وقد أشار الحديث إلى عدم تشميت العاطس إن لم يحمد الله في قوله ﷺ فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه وأيضاً من قول أنس رضي الله عنه "عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، ... إلخ".

قال ابن حجر: (قال النووي: مقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشمت. قلت: هو منطوقه، لكن هل النهي فيه للتحريم أو للتنزيه؟ الجمهور على الثاني، قال: وأقلُّ الحمد والتشميت أن يُسمع صاحبه، ويؤخذ منه أنه إذا أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشمت)[٥].

وقال النووي: (...، وكذا لو حمد الله تعالى ولم يسمعه الإنسان لا يشمِّته، فإن كانوا جماعة فسمعه بعضهم دون بعض، فالمختار أن يُشمته من سمعه دون غيره، وحكى ابن العربي خلافاً في تشميت الذين لم يسمعوا الحمد إذا سمعوا تشميت صاحبهم، فقيل يشمته لأنه عرف عطاسه وحمده بتشميت غيره، وقيل لا يشمته لأنه لم

---

(١) انظر إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٢/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٢٦، ومسلم ٢٩٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٦١٨/١٠.

(٥) المرجع السابق ٦٢٦/١٠.

يسمعه)[١]، وقال ابن عثيمين: (وفي هذه الأحاديث دليل على أن من عطس ولم يقل: الحمد لله فإنه لا يقال له: يرحمك الله، لأن النبي ﷺ عطس عنده رجلان: أحدهما قال له النبي ﷺ "يرحمك الله" والثاني لم يقل له ذلك، فقال الثاني: يا رسول الله عطس فلان: فقلت له "يرحمك الله، وعطست فلم تقل لي ذلك؟ قال -أي الرسول الكريم ﷺ: "هذا حمد الله، وإنك لم تحمد الله". وعلى هذا إذا عطس إنسان ولم يحمد الله فلا تقل له: يرحمك الله)[٢]، وقال النووي: (واعلم أنه إذا لم يحمد الله أصلاً يُستحب لمن عنده أن يذكره الحمد، هذا هو المختار، وقد روينا في معالم السنن للخطابي نحوه عن الإمام الجليل إبراهيم النخعي، وهو من باب النصيحة والأمر بالمعروف، والتعاون على البر والتقوى، وقال ابن العربي: لا يفعل هذا وزعم أنه جهل من فاعله. وأخطأ في زعمه، بل الصواب استحبابه لما ذكرناه)[٣].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

(يعد التعليم وبحق من أقوى الوسائل الدعوية إيجابية، لما فيه من تمكن الداعية من المدعو وسيطرته عليه، بما يتيح للداعية الفرصة ببث روح الإسلام وأفكاره وتعاليمه وحدوده في المتعلم)[٤]، وهذا ما ظهر جلياً في الأحاديث الثلاثة من تعليمه ﷺ للصحابة حول ما يقوله المرء إذا عطس، وما يقال له عند تشميته، (ولقد اهتم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بتعليم أصحابه اهتماماً كبيراً، لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء)[٥].

والدعاة إلى الله لهم في رسول الله القدوة والأسوة الحسنة، فينبغي عليهم أن يحرصوا على تعليم المدعوين، وخاصة أنهم علموا حقيقته وانشرح صدرهم له.

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٦٣/٢.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٠٧.

(٤) وسائل الدعوة مفهومها، مشروعيتها، أنواعها، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤٤.

(٥) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان، ٧٥.

والاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء.

ذلك ما يفرضه الحق على أصحابه، ألا يجعلوه حكرًا، وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدًا عن هداه.

ليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار، وإيضاح الخفي، وشرح المبهم، فالعلم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها، لتمتلئ صدروهم بأنفاس الحقيقة الرحبة[1].

خامساً- من آداب المدعو: الاستفسار والاستيضاح عما أشكل عليه:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي "فقال الذي لم يُشمِّته: عطس فلان فشمَّتَّهُ، وعطست فلم تشمتني؟ ... إلخ" قال ابن حجر: (فيه جواز السؤال عن علة الحكم وبيانها للسائل، ولا سيما إذا كان له في ذلك منفعة)[2].

وقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على سؤال النبي ﷺ عن كل ما أشكل عليهم، وقد جاءت السنة مستفيضة بذلك، وكان منها، قول عائشة رضي الله عنها: ((سُئل رسولُ الله ﷺ عن البتع فقال: كلُّ شرابٍ أسكرَ فهو حرام))[3]، (والبتع هو نبيذ العسل وهو شراب أهل اليمن)[4].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالسؤال والاستفسار عما أشكل على المرء، فقال ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5] قال السعدي: (فهذه الآية وإن كان سببها

---

(١) مع الله، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٢/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٢، ومسلم ٢٠٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٧١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧.

خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنه عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعليم، والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم، والإجابة عما علموا، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[1]، وقد حض النبي ﷺ على ذلك فقال ((ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[2] فعلى المدعو أن يسأل ويستوضح ما أشكل عليه، حتى يكون على بينة من أمر دينه.

سادساً- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيه النبي ﷺ في تشميت العاطس:

هذا ما يجب على المدعو القيام به، لأن الحق تبارك وتعالى أمر بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3] وقال السعدي في ذلك: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهي عنه)[4]، فعلى المدعو أن يستجيب لتوجيهات النبي ﷺ في تشميت العاطس.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٨١)

٨٨١- وعن أَبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

فشمتوه: من التشميت: وهو الدعاء للعاطس بالخير كأن يقول له: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

المعنى في هذا الحديث متصل بسابقه مؤكد لجزء كبير من معناه، ويضيف مع الأمر بتشميت العاطس شرط حمد الله، وفعل الشرط هنا في الماضي الدال على التحقق مع قيده (عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ) وجواب الشرط فعل الأمر (فشمتوه) الذي يقتضي الفور، واللزوم، كما أن فعل الشرط للمفرد، وجوابه للجماعة، وفي هذا إشارة إلى تجاوب الجماعة مع الفرد تجاوباً في الصغيرة يشير إلى تمام الاستعداد للتجاوب في الكبيرة مما يحقق التماسك، والتكافل للأمة، ثم عرض الصورة المقابلة لصورة الاحتشاد، والالتفاف حول هذا المؤمن الذي أدى ما عليه من حق لله بذكره، وإتباع لسنة نبيه ﷺ وهي صورة المقصر الذي ترك ذكر الله، وأهمل سنة رسوله عند العطس فأهملته الأمة بنهي الرسول ﷺ (فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ الله فَلاَ تُشَمِّتُوهُ) نهياً عاماً يجعله في الحدث وحده.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٩٩٢/٥٤.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٢)

٨٨٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: ((هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شَمَّتَ: دعا له بالخير والبركة بقوله: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث بيان عملي لمعنى الحمد عند العطس، وتشميت العاطس إذا حمد الله يقوم على الحوار الذي يقرر المعنى بطريقة عملية تعطيه وضوحاً في الذهن، وثباتاً مع الزمن، وقد بدأ الحوار إثر حدث اشترك فيه رجلان، وافترق تصرف الرسول ﷺ في التجاوب معهما، وهو موقف يثير علامة استفهام في نفس الرجل فخرجت استفهامة تبحث عما يذهب قلقها، وحيرتها (عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟) وهو استفهام يحمل تعجباً، وحيرة عن سبب إهماله، فجاءت إجابة الرسول ﷺ لتشفي نفسه من الحيرة التي تشتعل فيها، وتبين تقصيره، والسبب الذي حرمه تشميت الرسول ﷺ له، ودعاء الرسول ﷺ له بالرحمة، وهو لا محالة مستجاب، (هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله) واستخدام الإشارة للمدح بتمييزه بفعل الحمد، وذكر لفظ الجلالة في الجملتين لتربية المهابة في وجدان المخاطب.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٥، ومسلم ٢٩٩١/٥٣.

(٢) النهاية والوسيط في (ش م ت).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٠، ٨٨١).

الحديث رقم (٨٨٣)

٨٨٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ -أَوْ غَضَّ- بِهَا صَوْتَهُ. شك الراويُّ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

التعبير بفعل الكينونة الماضي رجوع إلى الزمن الجميل عند الجيل الراشد مع معلم الزمان ﷺ ليصور مشهداً من حياته، وصورة من تصرفاته تقتدي بها الأمة في القليل، والكثير في كل زمان، ومكان، وفعله عند العطس صورة من الأدب العالي الذي يراعي مشاعر من حوله، وقد صدر المعنى في صورة الشرط المرتبط بالجواب الذي يدل على أنها صارت عادة عنده، ومن ثم أصبحت سنة لأمته، وتردد الراوي بين اليد أو الثوب، وبين الخفض، أو الغض يشير إلى تحريهم، ودقتهم في إثبات ما تيقن لديهم، ونقل الشك فيما ترددوا فيه خوفاً من أن يقعوا في الكذب على رسول الله بنسبة ما لم يقل إليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس والاقتداء به في ذلك.

ثانياً: من اساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هديه ﷺ في العطاس:

لقد بيّن نص الحديث هدي النبي ﷺ في العطاس وذلك من قول الراوي: (كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض - أو غض - بها صوته)،

---

(١) أخرجه أبو داود واللفظ له ٥٠٢٩، والترمذي ٢٧٤٥ والراوي الذي شكَّ، هو يحيى. قال ابن حجر في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٢/١٠: إسناده جيدٌ.

وفي بيان ذلك قال المباركفوري: (كان ﷺ إذا عطس "غض" أي خفض "بها" أي: العطسة "صوته" والمعنى لم يرفعه بصيحة)[١]، وقال ابن حجر: "ومن آداب العاطس أن يخفض بالعطس صوته ويرفعه بالحمد، وأن يغطي وجهه لئلا يبدو من فيه أو أنفه ما يؤذي جليسه، ولا يلوي عنقه - يميناً ولا شمالاً لئلا يتضرر بذلك - قال ابن العربي: الحكمة من خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجاً للأعضاء، وفي تغطية الوجه أن لو بدر منه شيء آذى جليسه، ولو لوى عنقه صيانة لجليسه لم يأمن من الالتواء، وقد شاهدنا من وقع له ذلك"[٢].

وقال ابن عثيمين مؤكداً وموضحاً لذلك: "إنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه على وجهه، قال أهل العلم: وفي ذلك حكمتان: الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع العطاس أمراض تنتشر على من حوله، والحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقذر منه النفوس، فإذا غطى وجهه صار ذلك خيراً، ولكن لا تفعل ما يفعله بعض الناس بأن تضع يدك على أنفك، فهذا خطأ؛ لأن هذا يحد من خروج الريح التي تخرج من الفم عند العطاس، وربما يكون في ذلك ضرر عليك"[٣].

ثانياً- من اساليب الدعوة: الإخبار:

هذا ما يظهر جلياً في الحديث من إخبار الراوي بهديه ﷺ في العطاس، حيث أفاد الإخبار كأسلوب دعوي في الحديث أهمية التأسي بالنبي ﷺ في مراعاة آداب العطاس، من وضع اليد أو الثوب على الفم، فضلاً عن خفض الصوت في ذلك، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، بما يحقق عظيم الأثر في تربية النفوس وتهذيبها.

وقد رغّب الحق تعالى في الدعوة إليه والتبليغ عنه فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٧٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٨/١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢ - ١١٦٣.

إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: "أي: دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير، وهو في نفسه مهتد"[2].

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧.

الحديث رقم (٨٨٤)

٨٨٤- وعن أَبي موسى ﷺ ، قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رسول اللهِ ﷺ ، يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله، فَيَقُولُ: ((يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يتعاطسون: يظهرون العطاس بالإتيان بصوت يشبهه أو يتسببون له بنحو كشف الرأس[2].

الشرح الأدبي

اليهود أهل مكر ن وخداع يتوارثونه جيلاً بعد جيل يخادعون الله، ورسوله، وهو خادعهم، لا يتخلون عن المكر، والخداع حتى مع أنبياء الله الذي لا يشكُّون في نبوتهم، وينزل عليهم الوحي، فهم جهلاء قساة القلوب إذا استطاعوا، وأهل جبن، وخور، واستكانة إذا مُلكوا، وهم أهل بخل، وحرص إذا َملكوا، وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويدل عليه تعبير الراوي بقوله (يَتَعَاطَسُونَ) أي يدعون العطس، وليس بهم، ووزن الفعل على (التفاعل) الذي يدل على التكلف، والتعمل لإتيان فعل العطس خداعاً للرسول ليدعوا لهم إيماناً منهم في قرارة أنفسهم انه رسول مستجاب الدعوة يدل على ذلك قول الراوي (يَرْجُونَ أنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُم الله)، ومع ذلك لا يؤمنون بهم كبراً، وعناداً بل ويحاولون خداعه، وهم يعلمون أن الوحي ينزل عليهم فتأمل ذلك التناقض تدرك جانباً من شخصية اليهودي المضطربة المتقلبة في ألوان الشر،

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٣٨، والترمذي واللفظ له ٢٧٣٩. وقال الحاكم ٢٦٨/٤: هذا حديثٌ متصل الإسناد.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

والرسول ﷺ يعلم ما تنطوي عليهم نفوسم المريضة فيعاملهم بأدبه العالي، وبما يعكس مرادهم فيقول (يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ) دعوة بصلاح عقائدهم من الضلال، والغي، وقلوبهم من النفاق، والحقد.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

لقد اتسمت الدعوة الإسلامية بالعالمية، وشملت الرسالة المحمدية الناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[3]، فهذه الآيات وغيرها تفيد صراحة أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، وقد كان ممن شملتهم هذه الدعوة العالمية، اليهود، وهذا ما أكد عليه الحديث من أن اليهود كانوا يتعاطسون عند رسول الله ﷺ يرجون أن يقول لهم: (يرحمكم الله)، فكان ﷺ يقول لهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، "واليهود ممن أطلق عليهم القرآن الكريم عبارة: أهل الكتاب)، وهي لغة لا تعنى أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة"[4].

"والتوراة هو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، وكان في الأصل دين التوحيد الذي يدعو إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الكواكب وأرواح الموتى والملوك

---

(١) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٤٩.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٩.

والحيوان، وكان يأمر بالإحسان إلى الناس ومحاربة التفرقة العنصرية، فضلاً عن دعوته إلى تهذيب الأخلاق ولزوم الطهارة، إلا أن اليهود غيروا شرع الله، وحرّفوا الكلم عن مواضعه، وأخفوا كثيراً من أحكام الله، فصوروا الله في جسم، ووصفوه بصفات النقص والضعف والكذب، وكفروا بأنبيائهم، يكذبون فريقاً منهم ويقتلون فريقاً، يهتمون بالفتوحات، لما فيها من الغنائم واستغلال خيرات الأرض، واستعباد الشعوب وتسخيرهم، وقد اعتبروا أنفسهم شعب الله في الأرض، واعتبروا أموال غير اليهودي حلالاً لليهود، واستحلوا بذلك الربا، واحتكروا التجارة وخدمات الأرض لأنفسهم، واعتقدوا أنه يستحيل على الله أن ينزل وحياً على غيرهم، وأن دينهم هذا هو الجدير بالخلود، وأن الأديان الأخرى جميعاً اتخذها أهلها وسيلة لنيل الرئاسة، فعاثوا في الأرض فساداً"[١].

لذا شملهم الخطاب القرآني في الدعوة إلى الله إيقافاً لهم عن غيهم، وراحة للعباد من طغيانهم، ونجاة لهم من ظلمهم فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[٤].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية من الأمس إلى اليوم، آدم عبدالله الألوري، دون رقم طبعة، مكتبة الحياة، بيروت ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٥.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾[1].

"وقد كان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية من أحكم المناهج وأقوى الحجج في حوار أهل الكتاب، ولم يكتفي هذا المنهج بنقد معتقدات أهل الكتاب من اليهود، بل أعطى الحجج والبرهان على دعواه، بدلائل عقلية منطقية، لا يجد العقل مناصاً دون التسليم بها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾[4]"[5].

وليس أدل على ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أنَّ عبدَ اللّهِ بن سَلامٍ بَلغهُ مَقْدَمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ، فأتاهُ يَسألهُ عن أشياءَ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعلمهنَّ إلاَّ نبيّ: ما أولُ أشراطِ الساعة، وما أولُ طعام يأكلهُ أهلُ الجنةِ، وما بالُ الولدِ يَنزِعُ إلى أبيهِ أو إلى أُمه؟ قال: ((أخبرَني به جبريلُ آنِفاً)). قال ابنُ سَلام: ذاك عدوُّ اليهود منَ الملائكة. قال: ((أما أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرهم من المشرِقِ إلى المغربِ. وأما أولُ طعامٍ يأكلهُ أهل الجنةِ فزيادةُ كبدِ الحوت. وأما الوَلدُ فإذا سبقَ ماءُ الرجُل ماءَ المرأة نزعَ الولدَ، وإذا سَبقَ ماءُ المرأةِ ماءَ الرجلِ نَزَعتِ الولد)). قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه وأنكَ رسولُ اللّه. قال: يا رسولَ اللّه، إنَّ اليهودَ قوم بُهت، فاسألهم عنّي قبلَ أن يَعلموا

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٩.

(٢) سورة الصف، آية: ٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٥) انظر: الحوار مع أهل الكتاب، د. خالد عبدالله القاسم ص ١٨٣، وانظر: اليهود في القرآن، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٦٤، وانظر: خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي ص ١٨ - ٢٠.

بإسلامي. فجاءتِ اليهودُ؛ فقال النبيُّ ﷺ: ((أيُّ رجُلٍ عبدُ اللّهِ بن سلامٍ فيكم؟)) قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وأفضلُنا وابن أفضلِنا. فقال النبيُّ ﷺ: ((أرأيتم إن أسلم عبدُ اللّهِ بن سلام؟)) قالوا: أعاذَهُ اللّهِ من ذلك، فأعادَ عليهم فقالوا مثل ذلك. فخرجَ إليهم عبدُ اللّهِ فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّه وأن محمداً رسولُ اللّه. قالوا: شرُّنا وابن شرِّنا، وتنقّصوه. قال: هذا كنتُ أخافُ يا رسولَ اللّه[1].

فعلى الداعية إلى الله أن يدعو على بصيرة بمنهج الدعوة الإسلامية في دعوة أهل الكتاب من اليهود إلى دين الحق.

ثانياً- من وسائل الدعوة: الدعاء لغير المسلمين بالهداية وإصلاح الحال:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول النبي ﷺ لليهود عند عطاسهم: (يهديكم الله ويصلح بالكم)، أي: ولا يقول لهم يرحمكم الله؛ لأن الرحمة مختصة بالمؤمنين، بل يدعو لهم بما يصلح بالهم من الهداية والتوفيق للإيمان"[2]، "والدعاء لغير المسلمين من صور البر لهم لا سيما إذا فعلوا بالمسلم معروفاً.. ومكافأتهم على المعروف بالدعاء أو بغيره. إذا خلت من المحاذير الشرعية، وقد ذكر البخاري في كتابه الجهاد باباً: في الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، وساق فيه حديث الطفيل بن عمر عندما سأل النبي ﷺ أن يدعو على قبيلة دوس فقال ﷺ: ((اللهمَّ اهدِ دَوساً وأْتِ بهم))[3][4].

وقال ابن حجر: "قوله يتألفهم من فقه المصنف إشارة منه إلى الفرق بين المقامين، وأنه ﷺ كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم، فالحالة الأولى حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم.. والحالة الثانية حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم[5]، وفي ذلك بيان

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٣٨.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ص ٢١٥٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٣٧.

(٤) دعوة غير المسلمين للإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٦/٦.

لأهمية الدعاء لغير المسلمين كوسيلة من وسائل الدعوة وذلك على النحو الذي فصلناه.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: هداية الناس إلى الإسلام:

"إن الحرص على هداية الناس إلى الإسلام من أجلّ العبادات، وأعظم القربات إلى إرضاء رب العباد، وكيف لا!! وهو هدف الدعوة السامي، الذي من أجله بعث الله هذه الأمة، وذلك لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1][2]، وقد أشار الحديث إلى حرص النبي ﷺ على هداية غير المسلمين إلى الإسلام، وذلك في قوله ﷺ لليهود الذين كانوا يتعاطسون عنده: (يهديكم الله ويصلح بالكم). "وهداية غير المسلمين إلى الإسلام لن تكون إلا بتأليفهم على الإسلام وذلك بالإحسان إليهم، وإن من أعظم جوانب الإحسان إليهم دعوتهم إلى هذا الدين، وتعريفهم به، ومن حقهم على المسلمين، أن يروا الإسلام في واقع المسلمن أفراداً وجماعات في المعاملة والسلوك وفي الأقوال والأفعال..."[3].

"هذا وقد بيّن القرآن الكريم منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله، الموجهة لعموم المدعوين في ثلاث آيات تحدد الخطوط الرئيسة للمنهج النبوي وهي كما يلي[4]:

١/ الدعوة بمكارم الأخلاق: قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5].

٢/ الدعوة على بصيرة: قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) انظر: إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ١١.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ١٧٨.

(٤) تاريخ الدعوة الإسلامية من بين الأمس إلى اليوم، آدم الآلوري ص ١٤٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

٣/ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة: قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1].

"وكل مسلم مأمور بالدعوة إلى دينه بصورة ما، وبطريقة ما...، كل ما في الأمر أن صورة الدعوة تختلف من شخص إلى آخر، حسب الاستطاعة والإمكان، فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب أو كتب، أو إلقاء محاضرة في جامعة أو مركز ثقافي أو غير ذلك، أو القاء خطبة جمعة، أو درس ديني، أو يدعو إلى الله بكلمة طيبة، أو صحبة جميلة أو أسوة حسنة، أو شفاعة حسنة، أو قضاء دين أو حاجة أو غير ذلك، مما يبعث على تأليف القلب وترغيب الناس في الإسلام"[2].

---

(١) سورة النحل آية: ١٢٥.

(٢) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي ص ١١٣ - ١١٤.

الحديث رقم (٨٨٥)

٨٨٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا تَثَاءبَ أحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صياغة المعنى في أسلوب الشرط يجعله كالعادة للمؤمن يلتزمه أبداً والحديث يربط التثؤب بمسك اليد على الفم، والتعبير بالمسك يوحي بالقوة في رد التثؤب، ومنع الصوت المصاحب له، تؤكد ذلك باء الاستعانة في قوله (بيده) واستخدام حرف الجر الدال على الاستعلاء الدال على القوة في قوله: (على فيه) وقوله (فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ) جملة تعليلية تحمل ترهيباً من ترك هذه السنة التي تغلق منفذ الشيطان إلى الإنسان، والفعل المضارع (يدخل) يصور الشيطان حال فتح الإنسان فمه يحاول أن يندس فيه، وهذه صورة منفرة من ترك هذه الخصلة التي تحميه من الشيطان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب.

ثانياً: من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي.

ثالثا: من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به.

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لما يفعله المتثائب:

هذا ما أشار إليه الحديث من وضع المتثائب يده على فيه عند التثاؤب، وفي ذلك قال القاضي عياض: "أمر النبي ﷺ بكظم التثاؤب ورده، ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان العدو أمله في المسلم بكل ما يسوءه ويكره منه، من تشويه صورته،

---

(١) برقم (٢٩٩٥/٥٧).

ودخوله في فمه، وضحكه منه، وتفله فيه. ولهذا - والله أعلم - أمر المتثائب بالتفل لطرح ما عسى أن يكون ألقاه الشيطان في فيه، أو لما لمسه من ريقه إن كان دخل"[١]،

وقال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (فإن الشيطان يدخل)، فيحتمل أن يراد به الدخول حقيقة، وهو وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكراً لله تعالى، والمتثائب في تلك الحالة غير ذاكر، فيتمكن الشيطان من الدخول فيه حقيقة. ويحتمل أن يكون أطلق الدخول وأراد التمكن منه؛ لأن من شأن من دخل في شيء أن يكون متمكناً منه. وأما الأمر بوضع اليد على الفم فيتناول ما إذا انفتح بالتثاؤب فيغطى بالكف ونحوه، وما إذا كان منطبقاً حفظاً له عن الانفتاح بسبب ذلك. وفي معنى وضع اليد على الفم، وضع الثوب ونحوه مما يحصل ذلك المقصود، وإنما تتعين اليد إذا لم يرتد التثاؤب بدونها، ولا فرق في هذا الأمر بين المصلي وغيره، بل يتأكد في حال الصلاة.. ويستثنى ذلك من النهي عن وضع المصلي يده على فمه. ومما يؤمر به المتثائب إذا كان في الصلاة أن يمسك عن القراءة حتى يذهب عنه لئلا يتغير نظم قراءته"[٢].

وقد أكد ابن عثيمين ذلك فقال: "فإذا جاءك التثاؤب فإن استطعت أن تكظمه وتمنعه فهذا هو السنة، وهذا هو الأفضل، وذلك لقوله ﷺ: ((فإذا تثاءبَ أحدُكم فليرُدَّهُ ما استطاع))[٣]، وإن لم تقدر فضع يدك على فمك"[٤].

ثانياً- من أهداف الدعوة: تعليم العلم الشرعي:

إن من أهداف الدعوة المستنبطة من الحديث هي: تعليم العلم الشرعي، ومما لا شك فيه أن تعليم العلم الشرعي ومعرفته "من أفضل العلوم وأهمها، لأن الناس بمعرفته يُرشَدون، وبجهله يضلُّون، إذ لا يصح أداء عبادةٍ جهل فاعلها صفات أدائها، ولم يعلم

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٥٤٤/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٨/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٢٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٦٢/٢.

شروط أجزائها[١]، فالمسلم - بغض النظر عن موقعه في سلم الثقافة - يحتاج إلى قدر ضروري من العلوم الشرعية، يعرف بها ما يستقيم به دينه، ويسلم فيه اعتقاده، وتصح به عبادته[٢].

فشرائع الإسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداءؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، وذلك لا يكون إلا بتعليم العلم الشرعي والتفقه في دين الله[٣]، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الاجتهاد في ذلك، بل وأثنى على أهله، فعن حميد بن عبدالرحمن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه خطيباً يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائِمةً على أَمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خالَفَهُم حتى يأتيَ أَمرُ اللّه))[٤].

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمثَلِ الغَيثِ الكثِيرِ أصابَ أرضاً، فكانَ منها نَقيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[٥].

فتعليم العلم الشرعي الصحيح هو سبيل العمل والاستقامة، والجهل عدو الإسلام الأكبر... وإن أي انحراف في السلوك عن صراط الله المستقيم وراءه الجهل بدين الله تعالى، أو الأمية الفكرية أو التربوية، وهي أشد وأخطر من أمية القراءة والكتابة، لأنها خفية لا يكتشفها أكثر الناس ولا يحسون بها، بل قد تقترن مع دعوى العلم

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٤.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨٠.

(٣) انظر: فضل العلم والعلماء، ابن القيم ص ٢٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

والمعرفة، والتبجح وادعاء السبق والنبوغ[١].

(ولما كانت الدول المعاصرة اليوم تضع حداً أدنى للتعليم الإلزامي لا بد أن يصل إليه كافة مواطنيها، وهو السبيل لتوحيد الأطر المرجعية، وتكوين قدر مشترك من الثقافة لأبناء هذه الدول، فنحن أولى وأحرى أن نقدم لأبنائنا الحد الأدنى من العلم الشرعي والثقافة الشرعية، ليكون قدراً مشتركاً بين جيل الصحوة، وهذا القدر الضروري لن يُحوِّل جيل الصحوة إلى طلبة علم متخصصين، بل هو يسعى إلى محو الأمية الشرعية بينهم)[٢].

ولذا يجدر بالداعية أن يعمل على نشر تعليم العلم الشرعي بين الناس، ومن صور ذلك بيان الآداب الشرعية التي من جملتها ما يفعله المتثائب عند التثاؤب.

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ عند التثاؤب والاقتداء به:

هذا ما يستفاد من نص الحديث لأن اتباعه ﷺ ينبغي أن يكون شاملاً، لا يقتصر على جانب دون جانب[٣]، وفي ذلك قال ابن القيم: "ندينُ الله بكل ما صحّ عن رسول الله ﷺ، ولا نجعل بعضه علينا، فنقرّ ما لنا على ظاهره، ونتأول ما علينا على خلاف ظاهره، بل الكلُّ لنا لا نفرق بين شيء من سننه، بل نتلقاها كلها بالقبول، ونتقابلها بالسمع والطاعة، ونتبعها أين توجهت ركائبها وننزل معها أين نزلت مضاربها، فليس الشأن في الأخذ ببعض سنن رسول الله ﷺ وترك بعضها، بل الشأن في الأخذ بجملتها وتنزيل كل شيء منها منزلته، ووضعه بموضعه، والله المستعان وعليه التكلان"[٤]. فعلى المدعو الاستجابة لأوامر النبي ﷺ جلها ودقها لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٥٢.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ٨١.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٩١.

(٤) نقلاً عن: دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي ص ١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بتعليم الآداب الإسلامية والسلوكيات الحسنة:

إن غرس الآداب في نفوس المتربين وتعويدهم عليها له أهمية عظمى في البناء الأخلاقي، ولقد اهتمت التربية الإسلامية بغرس الآداب وتعليمها الناشئة حتى تصبح طبيعة وسجية من سجاياهم.

إن البعض قد يغفل عن أهمية الآداب ويعدها من الأمور البسيطة يمكن التساهل فيها أو يجوز تناسيها، وما يدري هذا أنه يهيئ ولده للعقوق، وما علم هذا المسكين أن غرس الأدب حق الولد على والده، كواجب حق الطعام والشراب"[1]. والمجالس والعوارض التي تعرض للإنسان من عطاس وتثاؤب التي تحدثت عنها أحاديث الباب مبينة الآداب والألفاظ التي ينبغي أن تُراعى وتُقال ممن عَرَض له هذا الأمر من عطاس وتثاؤب، وكذلك مَنْ حضره وسمعه والتي منها:

أ-إذا تثاءب الإنسان فليرده ما استطاع وليمسك بيده على فيه، كما دل على ذلك قوله ﷺ: "فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان.

ب-إذا عطس المسلم ينبغي عليه أن يحمد الله "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله...".

ج-إذا عطس المسلم فحمد الله فينبغي على مَنْ سمعه أن يُشَمِّته كما في قوله: "وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله"، فيرد عليه العاطس داعياً له بالهداية تقديراً لمشاعره الطيبة الكريمة، وبذلك تكون تحيات متداولة وجزاءً من جنس العمل، دعوة بالرحمة يقابلها ويكافأ عليه بالدعوة بالهداية وإصلاح البال "فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم".

د-مراعاة مشاعر الآخرين والعمل على عدم إيذائهم بآثار العطاس من إزعاج صوت

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٢٥٣، ٢٥٤.

أو خروج بصاق أو ما شاكل ذلك اقتداءً برسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض -أو غض- بها صوته".

إن تشميت العاطس وتبادل الدعوات بين العاطس والمشمت له "أدب تربوي نبوي اجتماعي يَنُمُّ عن خلق كريم وذوق رفيع لمجالس المسلمين، فالمسلم لا يتوانى عن تصيد أدنى مناسبة ليدعو لأخيه المسلم دعوة خيرة كريمة" (١).

ثانياً- التنوع في أساليب التربية:

إن من العوامل التي تساعد في إنجاح العملية التربوية والتعليمية وتجنبها الملل والسآمة التنوع في استخدام الأساليب التربوية، مما يجري في عروقها التجدد والنشاط، إذ الرتابة والثبات يورث السآمة والنفور، وإذا ما نظرنا إلى مجموع أحاديث الباب وهي جميعها وردت في بيان آداب العطاس والتثاؤب نجد أن النبي ﷺ نوّع في أساليب التربية وجدد فيها ومن أبرزها:

أ-التلقين والتوجيه المباشر: وذلك ما نلحظه في أحاديث أبي هريرة وأبي موسى الأشعري وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم -على اختلاف رواياتها- فقال ﷺ: إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان".

وهذا الأسلوب التلقائي الذي يعتمد على المباشرة وعلى التلقين، وهذا الخطاب المباشر والتلقين للمعرفة، له أكبر الأثر عند المتربين خاصة الناشئة منهم والأطفال، فهو يعتمد على مخاطبة العقل وتبيين الحقائق وترتيب المعلومات، وذلك ما يجعل المتربي أشد قبولاً وأكثر استعداداً للتلقي"(٢).

---

(١) انظر: الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي، مكتبة أبها، بدون ذكر للطبعة وتاريخها، ص٥٨.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٩٧.

ب-التدريب والممارسة العملية: ونلحظ ذلك في حديثي أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ففي حديث أنس تشميت النبي ﷺ العملي لمن عطس في حضرته فحمد، وإحجامه وامتناعه عن تشميت العاطس الآخر الذي لم يحمد الله تعالى، فعنه قال عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلاَنٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ: «إِنَّ هَـٰذَا حَمِدَ اللَّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ». وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي ينقل لنا فيه حالَ النبي ﷺ: "إذا عطس، فقال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده -أو ثوبه- على فيه وخفض - أو غض- بها صوته".

ففي هذين الحديثين نجد مطابقَةَ فعل النبي ﷺ لقوله، وهو في ذاته أسلوب تربوي رفيع يعتمد على التدريب والممارسة العملية، " وهذا الأسلوب العملي يعد من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، لذا ينبغي الالتفات لهذا الأسلوب بأن نتعلم ونمارس ما نتعلم، وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي [1] التطبيقي.

ومما سبق يتبين لنا تنويع النبي ﷺ وانتقاله بين الأساليب التربوية من أسلوب توجيهي مباشر وأسلوب عملي تدريبي، وفي ذلك سبب لإنجاح العملية التربوية وعموم نفعها فمن لم يُجْدِ معه أسلوب انتفع بالآخر.

ثالثاً- من صفات المربي والمعلم: الذكاء وسرعة البديهة والفراسة والكياسة:

إن العملية التربوية والتعليمية عملية عقلية أولاً وأخيراً لذا يجب أن تتوفر في المعلم السمات العقلية والكفاءات الذهنية ليتمكن من القيام بعمله خير قيام[2]، ومن أرفع تلك الصفات: التميز بالذكاء، وقوة الإدراك، وسرعة البديهة، والفراسة، والكياسة،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

(٢) انظر: المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٤٠.

ونرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب خاصة فيما كان يجيب به النبي ﷺ اليهود حينما كانوا يتعاطسون عنده رجاء الانتفاع بالدعاء لهم بالرحمة، لكن لذكائه ﷺ ولعلمه ولتفطنه لما يريدون كان لا يشبع رغبتهم ولا يحقق رجاءهم، وإنما كان يدعو لهم بالهداية، وذلك من دلائل فطنته ﷺ مع ما كان يتمتع به من ذوق عالٍ وأدب رفيع، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقال لهم يرحمكم الله فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم".

"إن المعلم القدير هو الذي يتمتع بحضور البديهة، وصحة القريحة، وسرعة الخاطر والتفكير اللماح، وأن يحسن التصرف في كل الأمور مما يمكنه من اتخاذ القرار المناسب في المآزق والمشكلات الطارئة والمواقف المفاجئة والأمور الآنية.

إن تمتع المعلم بالفراسة وقوة الملاحظة يجعله يتوسم قدرات الطلبة وطاقاتهم العقلية، ويعرف أحوالهم ويقرأ أفكارهم ويسبر أغوارهم ويعرف مكنون أسرارهم فيعرف الصادقين من الكاذبين ويعرف الذين فهموا الدرس من أولئك الذين لم يفهموه ويفرق بين المؤدبين والمشاغبين، ويفرق بين الحق والباطل ويميز بين الغث والسمين.

كما يجب على المعلم أن يكون ذا حدس جيد يمكنه من تَوسُّم ما فيه مصلحة الطلبة وتعليمهم ما يناسب حالهم وما يفيدهم في دنياهم وآخرتهم"[1].

رابعاً- التربية بالحرمان:

إن التربية بالحرمان لها فائدة كبيرة في تربية الأتباع على ضبط النفس، وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك درساً لهم ولغيرهم"[2]، ويمكن للقارئ أن يلاحظ أن النبي ﷺ استخدمه في حرمان ذلك الرجل الذي عطس فلم يحمد الله من الدعاء له، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه: عطس رجلان عند النبي ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ. فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلاَنٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ أَنَا فَلَمْ تُشَمِّتْنِي. قَالَ:

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥١-٥٥.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٤٧٠.

«إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ. وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ». فنجد عقاب رسول الله ﷺ لذلك الذي ترك حمد الله بحرمانه من الدعاء له بالرحمة، "ولما سأله ذلك المحروم من دعائه فبين له ﷺ أن السبب تركه الحمد على نعمة العطاس"[1].

لذا ينبغي على المربي ألا يغفل أسلوب العقاب بالحرمان إذ استلزم واقتضه الظروف، فاتباع هذا الأسلوب في العملية التربوية والتعليمية له أثره الذي لا ينكر، إذ الهدف منه "حذف السلوك غير المرغوب فيه وتعزيز السلوك المرغوب فيه.

وبما أن العقاب كالحرمان وغيره، أداة واقعية في حياتنا، ويلجأ إلى استخدامه الكثير من الآباء والمعلمين في أوضاع تعليمية وسياقات سلوكية مختلفة، لذا يجب مراعاة شروط استخدام الإجراء العقابي في الأوضاع التي يكون فيها استخدامه أمراً لا مفر منه والتي منها:

أ-أنه يجب إيقاع العقاب بعد حدوث الاستجابة غير المرغوب فيها مباشرة، فقد تبين أن العقاب الفوري أكثر نجاعة من العقاب المؤجل، فكلما قصرت الفترة الزمنية الفاصلة بين الاستجابة والعقاب كان العقاب أكثر فعالية ونجاعة"[2].

ب-بيان السبب الذي من أجله استحق المتربي هذا الجزاء، وذلك له أكبر الأثر في تعديل سلوكه، لعلمه بخطئه وعدم تعرضه لظلم مادي أو أدبي.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٤٩٢.

(٢) انظر: علم النفس التربوي، د. عبدالمجيد نشواتي، ص٢٩٣-٣٠٠.

١٤٣- باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

الحديث رقم (٨٨٦)

٨٨٦- عن أَبي الخطاب قتادة، قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أكَانَتِ المُصَافَحَةُ في أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات في بدايته يقوم على جملتين سؤال، وجواب، بين أبي الخطاب قتادة، وبين أنس ﷺ حول المصافحة في أصحاب الرسول ﷺ، ولذلك قدم المصافحة، وأدخل حرف النفي على فعل الكينونة الماضي بمعنى أوجدت المصافحة..؟، والمصافحة مفاعلة من الصفح فعل مشترك بين اثنين وقوله (في أصْحَابِ رسول الله ﷺ) لأنه الجيل القدوة ليوم القيامة، وقد جاءت الإجابة بإثبات المصافحة بقوله (نعم) أي نعم كانت حاصلة فيهم، موجودة بينهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى أحكام السلام بين المسلمين، ومن ذلك المصافحة والمعانقة.

أولاً: حكم المصافحة: يسن مصافحة المسلم لأخيه المسلم مع البشاشة بالوجه والدعاء بالمغفرة وغيرها[2].

---

(١) برقم ٦٢٦٣.

(٢) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٨٧/٤، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية لمصطفى الخادمي ٧/٤ ، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٢، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٩٤٢/١.

والمصافحة هي: وضع أحد المتلاقين يده على باطن كف الآخر إلى الفراغ من السلام[١].

وتكون المصافحة من الرجل للرجل، وكذلك مصافحة المرأة للمرأة، أمّا المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة فيختلف حكمها بحسب كونهما من المحارم أو من غيرهم.

فأما مصافحة المحارم فذهب الجمهور إلى جوازها، ويشملها حكم الاستحباب المستفاد من هذه الأحاديث.

وأما المصافحة التي تقع بين الرجل والمرأة من غير المحارم فقد اختلف قول الفقهاء في حكمها، وفرّقوا بين مصافحة العجائز ومصافحة غيرهم:

فمصافحة الرجل للمرأة العجوز التي لا تَشْتَهي ولا تُشْتهى، وكذلك مصافحة المرأة للرجل العجوز الذي لا يشتهي ولا يشتهى، ومصافحة الرجل العجوز للمرأة العجوز جائز عند الحنفية والحنابلة، ما دامت الشهوة مأمونة من كلا الطرفين.

ونص المالكية على تحريم مصافحة المرأة الأجنبية وإن كانت متجالّة، وهي العجوز الفانية التي لا أرب للرجال فيها، أخذاً بعموم الأدلة المثبتة للتحريم.

وعمم الشافعية القول بتحريم لمس المرأة الأجنبية ولم يستثنوا العجوز، فدلّ ذلك على اعتبارهم التحريم في حقّ مصافحتها، وعدم التفرقة بينها وبين الشابة في ذلك.

وأما مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية الشابة، فقد ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة في الرواية المختارة وابن تيمية إلى تحريمها، وقيد الحنفية التحريم بأن تكون الشابة مشتهاة، وقال الحنابلة: وسوءا أكانت من وراء حائل كثوب ونحوه أم لا[٢].

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٣٢٥.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧/٣٥٨-٣٥٩ ومصادرها ومراجعها ومنها: (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٥/١٢٠، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٦/١٨، والفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٥/٣٢٩، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٧/٣٠٨، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ١/٢١٥، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٦٩، وغذاء الألباب ١/٣٢٩).

ثانياً: حكم التقبيل: للتقبيل أقسام منه:

١-التقبيل الممنوع: ومنه:

أ-تقبيل الأجنبية: اتفق الفقهاء على عدم جواز لمس وتقبيل المرأة الأجنبية ولو للخطبة.

ب-تقبيل الرجل للرجل والمرأة للمرأة: لا يجوز للرجل تقبيل فم الرجل أو يده أو شيء منه، وكذا تقبيل المرأة للمرأة والمعانقة ومماسة الأبدان ونحوها، وذلك كله إذا كان على وجه الشهوة، وهذا بلا خلاف بين الفقهاء. أما إذا كان ذلك على غير الفم، وعلى وجه البر والكرامة. أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع عند اللقاء فلا بأس به.

٢-التقبيل المباح، ومنه:

تقبيل المبرة والإكرام وتقبيل المودة والشفقة: يجوز تقبيل يد العالم الورع، والسلطان العادل، وتقبيل يد الوالدين والأستاذ، وكل من يستحق التعظيم والإكرام، كما يجوز تقبيل الرأس والجبهة وبين العينين، ولكن كل ذلك إذا كان على وجه المبرة والإكرام، أو الشفقة عند اللقاء والوداع، وتديناً واحتراماً مع أمن الشهوة.

قال ابن بطال: أنكر مالك تقبيل اليد وأنكر ما روي فيه، قال الأبهري: وإنما كرهه مالك إذا كان على وجه التعظيم والتكبر، وأما إذا كان على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز.

كذلك يجوز بل يسن تقبيل الولد للمودة على الرأس والجبهة والخد[1].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٣٠-١٣٢ ومصادرها ومراجعها، ومنها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٣٣/٥، والزرقاني ١٦٧/١، وجواهر الإكليل ٢٠/١، ٢٧٥، و، سلمان بن عمر بن منصور العجيلي ١٢٦/٤، وحاشية القليوبي ٢١٣/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢/٥-١٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٣-٢١٣.

ثالثاً: حكم المعانقة:

أ-معانقة الرجل للرجل: ذهب الحنفية في الصحيح إلى أنه يجوز معانقة الرجل للرجل، إذا كان على كل واحد منهما قميص أو جبّة ثم اختلفوا في المعانقة في إزار واحد، والمذهب كراهة المعانقة في إزار واحد، وقال أبو يوسف: لا بأس بالمعانقة في إزار واحد.

قال الخادمي: وقد وردت أحاديث في النهي عن المعانقة وأحاديث في تجويزها، ووفق أبو منصور الماتريدي بينهما فقال: المكروه منها ما كان على وجه الشهوة، وأما على وجه البرّ والكرامة فجائز.

وكره مالك المعانقة كراهة تنزيهية لأنها من فعل الأعاجم. قال العدوي: لا يخفى أن مفاد النقل عن مالك كراهة المعانقة ولو مع الأهل ونحوهم.

وذهب الشافعية إلى أن المعانقة مكروهة إلا لقادم من سفر أو تباعد لقاء فسنة للاتباع.

وقال الحنابلة: تباح المعانقة وتقبيل اليد والرأس تديناً وإكراماً واحتراماً مع أمن الشهوة. قال ابن مفلح: ظاهر هذا عدم إباحته لأمر الدنيا.

ب-معانقة الصائم: ذهب الحنفية في المشهور إلى كراهة معانقة الزوجة في حالة الصوم إن لم يأمن المفسد، وهو الإنزال أو الجماع، لما فيه من تعريض الصوم للفساد بعاقبة الفعل. وأما إذا أمن على نفسه المفسد فلا بأس بالمعانقة.

وذهب الشافعية إلى أنه تكره المعانقة بين الرجل والمرأة لمن تحرك شهوته والكراهة هي كراهة تحريم في الأصح، وحكى الرافعي عن التتمة وجهين: التحريم والتنزيه[1].

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/١٨٤-١٨٦ ومراجعها ومصادرها، ومنها: الدر المختار ورد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض٥/٢٤٤، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢/٤٢٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/١٣٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١/٩٤٣، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/٢٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة لما له من أثر في استحضار وإيقاظ ذهن المدعو، وترسيخ الفهم عن الداعية فيما يقول، وقد جاء هذا الأسلوب في الحديث من سؤال أبي الخطاب قتادة لأنس بن مالك رضي الله عنه عن المصافحة أكانت في أصحاب رسول الله ﷺ؟ فأجابه بنعم، وقد أفاد السؤال والجواب أهمية المصافحة عند اللقاء للاقتداء بهم رضي الله عنهم.

ثانياً- من آداب المدعو: الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ:

إن الحرص على التعرف على أحوال أصحاب رسول الله ﷺ الكرام رضي الله عنهم للاقتداء بهم، لمن أصول التربية الإسلامية الناجحة في بناء الفرد والمجتمع، وقد ظهر هذا الحرص جلياً في الحديث من حرص أبي الخطاب على معرفة ما كان من أصحاب رسول الله ﷺ في المصافحة.

والصحابة رضي الله عنهم هم الرعيل الأول الذي لم تشهد البشرية جيلاً كمثلهم، فقد تربوا على يد أعظم معلم شهدته الإنسانية (محمد ﷺ) فكان كل فرد منهم نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرةً وشرفاً للنوع الإنساني، لا توجد صورة في المصور الإنساني العالمي الواسع، بل في الكون كله، أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إنّ إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الساذجة، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم، وتذوقهم للعبادة وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في

زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك مما لا يوجد له نظير في الدنيا، ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال فيه للشك[١].

وفي ذلك قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: (إنَّ اللهَ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ، فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، فابْتَعَثَهُ بِرِسَالتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قلب محمد، فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ على دِينِهِ، فما رَأى المسلمونَ حَسَناً، فهو عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وما رأوا المسْلِمَونَ سَيِّئاً، فهوَ عِنْدَ اللهِ سيِّءٌ)[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يتحدث عن أصحاب محمد ﷺ: (لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شُعثاً غُبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكَبَ المِعْزَى[٣] من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء للثواب)[٤].

وقال أيضاً رضي الله عنه: (أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاح[٥] إلى أولادها، وسلبوا السيوف

---

(١) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) أخرجه أحمد ١/٣٧٩ رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٦/٨٤.

(٣) ركب المعزى: ركب جمع ركبه: موصل الساق من الرجل بالفخذ. انظر: نهج البلاغة ٣/١٩٠ الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر.

(٤) نهج البلاغة، الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى، تحقيق: د. صبحي الصالح، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت: ص ١٤٣.

(٥) اللقاح: جمع لقوح وهي الناقة. وولهها إلى أولادهما فزعها إليها. انظر: نهج البلاغة ١/٢٣٤.

أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً وصفا صفاً، بَعْض هلك وبعضٌ نجا، لا يُبَشَّرون بالأحياء ولا يُعَزَّون بالموتى، مُرْهُ العيون من البكاء، خُمْصُ البطون من الصيام، ذُبْلُ الشفاه من الدعاء، صُفْرُ الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون! فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم)[1].

(فهم رضوان الله عليهم ممثلين صادقين لتراث رسول الله ﷺ الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم محمد ﷺ التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله ﷺ وحبهم الخالص له إلى عالم من الفكر والعواطف، لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً، والواقع أن هؤلاء الصحابة قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد ﷺ إنما بُذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جداً، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقوه من رسول الله ﷺ من كلام وأوامر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام، الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين)[2].

فعلى المدعو أن يحرص على اقتفاء آثارهم والاقتداء بنهجهم، لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المصافحة عند اللقاء وإظهار الود بين المسلمين:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد بيّن ابن علان ذلك فقال في باب استحباب المصافحة: "قال السيوطي: هي مفاعلة من الصفحة والمراد بها الإفضاء بصفحة اليد إلى

---

(١) المرجع السابق ١٧٧ - ١٧٨.

(٢) سنن الإسلام، للكاتب الألماني كاتاني ص ٤٢٩.

- Caetani (Annali dell Islam) Vol. ١١. p ٤٢٩. T.W Arnold, preaching of Islam, London.

- نقلاً عن صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ بين السنة والشيعة الإمامية أبو الحسن الندوي ص ٣٢.

صفحة اليد، قال الكرماني: وهو ما يؤكد المحبة"[١]، "ومصافحة الرجل للرجل مستحبة عند العلماء"[٢]، قال النووي: "اعلم أنها سنة مجمع عليها عند التلاقي"[٣]، وقد بيّن النبي ﷺ ما في ذلك من خير عميم من إظهار ود المسلمين وإذهاب الغلّ فيما بينهم فقال ﷺ: ((تَصَافَحُوا؛ يَذْهَبُ الغِلُّ، وَتَهَادَوْا؛ تَحَابُّوا، وَتَذْهَبُ الشَّحْنَاءُ))[٤].

وفي ذلك بيان على أهمية المصافحة في إذهاب الغِلّ وحدوث الود بين المسلمين، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في ذلك فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لاَ يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ الذي يَنْزِعُ، وَلاَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ عن وَجْهِهِ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَصْرِفُهُ وَلَمْ يُرَ مُقَدِّماً رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيْسٍ لَهُ))[٥].

قال المباركفوري: "قال الطيبي: وفي قوله: كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه، تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٦/٣٧.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٢٦١.

(٤) الموطأ، مالك ٣٨٨٠، قال ابن عبدالبر في التمهيد: وهذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبدالبر، ضمن موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي مع مركز هجر للبحوث والدراسات، ط/١ مركز هجر: ١٤١٥هـ/٢٠٠٥م، ١١٤/٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٤٩٠، وقال الألباني: ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة (ضعيف سنن الترمذي ٤٤٤).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٩٣٥/٢.

الحديث رقم (٨٨٧)

٨٨٧- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((قَدْ جَاءكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ)) (وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحَةِ)[1]. رواه أَبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصار ذات الدلالة الشرعية، والدلالة النفسية بدأه أنس رضي الله عنه بربط الحديث بسببه، وهو قدوم أهل اليمن ثم ساق قول الرسول ﷺ (قَدْ جَاءكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ) وهو خبر أريد به لازم فائدته وهي الإشادة بهم، والبشارة، وهو عامل نفسي يدفع نحو الكمال، وقد حقق الفعل بقد بالإضافة إلى ثباته المفهوم من زمنه الماضي، وقوله (وهم أول من جاء بالمصافحة) تقديم الضمير يفيد الاختصاص بأولوية السلام، وفي الحديث إثبات المصافحة في وجود النبي مما يشير إلى إقراره.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامساً: من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه.

---

(١) هذه الزيادة في آخر الحديث من قول أنس، وقد جاء مصرحًا به في رواية عفّان، عن حماد عند أحمد في المسند ١٣٦٢٣ وقد نبهنا عليه حتى لا يتوهم القارئ أنه من ضمن الحديث.

(٢) برقم ٥٢١٣. وقال الحافظ في الفتح ٥٤/١١: إسناده صحيح.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٨٨٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٨٨٨).

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل أهل اليمن:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: (قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة)، فامتدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، وفي ذلك بيان لفضلهم، وقد بيّن النبي ﷺ فضل أهل اليمن فقال: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً. الإِيمَانُ يَمَانٍ. وَالْفِقْهُ يَمَانٍ. وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ)) وفي رواية: قال ﷺ: ((أتاكم أهلُ اليمنِ أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً. الفقهُ يمان، والحكمةَ يَمانية))، وفي رواية: قال ﷺ: ((جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ. هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَضْعَفُ قُلُوبا))[1].

قال القاضي عياض: "ومعنى: (أرق أفئدة وقلوباً وألين وأضعف)، متقارب، وكلها راجع إلى ضد القسوة والغلظ، وذلك أنّ من رق قلبه ولان قبل المواعظ، وخضع للزواجر، وسارع إلى الخير، وصفى للإيمان والفقه والحكمة، بخلاف من قسا قلبه وغلظ وكثفت حجب الكبر والفخر والعجب عليه.

وقد يكون ذكر القلوب والأفئدة ها هنا بمعنى واحد، تكررت باختلاف لفظ كما اختلف اللفظ الذي قبلها، وقد يكون بينهما فرق إذ قيل: إن الفؤاد داخل القلب، فوصف القلب باللين والضعف والفؤاد بالرقة، أي أن قلوبهم أسرع انعطافاً وتقلباً للإيمان من غيرها؛ إذ أفئدتها أرق وأصفى لقبول الإيمان والحكمة، وأقل حجباً وأغشية من غيرها، وقد يكون الإشارة بلين القلب إلى خفض الجناح، ولين الجانب، والانقياد والاستسلام وترك الغلو، وهذه صفة الظاهر، والإشارة برقة الأفئدة إلى الشفقة على الخلق والعطف عليهم والنصح لهم، وهذه صفة الباطن، وكأنه أشار إلى أنهم أحسن أخلاقاً ظاهراً وباطناً، وقد يكون الإشارة بلين القلوب ورقة الأفئدة، إلى كثرة الخوف والانزعاج للمواعظ والأذكار"[2].

وقال النووي: (وأما ما ذكر من الفقه والحكمة، فالفقه هنا عبارة عن الفهم في الدين، واصطلح بعد ذلك الفقهاء وأصحاب الأصول على تخصيص الفقه بإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها، أما الحكمة ففيها أقوال كثيرة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٨٩، ومسلم ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١/٣٠١ - ٣٠٢.

مضطربة، قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تبارك وتعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك..."[١]، وقد اختلفت أقوال العلماء في بيان المقصود من قوله ﷺ: (الإيمان يمان).

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "وقد ذكر ابن الصلاح قول أبي عبيدة وغيره: إن معنى قوله: (الإيمان يمان) أن مبدأ الإيمان من مكة، لأن مكة من تهامة وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة، لأن هذا الكلام صدر وهو ﷺ بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية، والثالث واختاره أبو عبيد أن المراد بذلك الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل، فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، وقال ابن الصلاح: ولو تأملوا ألفاظ الحديث لما احتاجوا إلى هذا التأويل، لأن قوله: (أتاكم أهل اليمن) خطاب للناس ومنهم الأنصار، فيتعين أن الذين جاءوا غيرهم، قال: ومعنى الحديث وصف الذين جاءوا بقوة الإيمان وكماله ولا مفهوم له، قال: ثم المراد الموجودون حينئذ منهم، لا كل أهل اليمن في كل زمان انتهى، ولا مانع أن يكون المراد بقوله: (الإيمان يمان) ما هو أعم مما ذكره أبو عبيد وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله (يمان) يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر، بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان"[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على المصافحة عند لقاء المسلمين:

إن من آداب الإسلام التي أكد وحثّ عليها في نص الحديث، هي المصافحة بين المسلمين عند التلاقي، وهذا ما ظهر جلياً في نص الحديثين[٣] من قوله ﷺ: (وهم أول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٢/٧.

(٣) حديث رقم (٨٨٦)، (٨٨٧).

من جاء بالمصافحة)، وأيضاً في قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا).

"والمصافحة عند الملاقاة هي للتأنيس وتوكيد التسليم القولي، فإن التسليم إيذان بالأمن قولاً والتصافح نحو بيعة وتلقين عن ذلك، وتوكيد لما تلفظاه بالتسليم، ليكون كل من المتلاقيين على أمن من صاحبه"[١].

وقد رغّب النبي ﷺ في المصافحة، وعمل بها صحابته رضي الله عنهم، فعن قتادة قال: (قلتُ لأنس: أكانتِ المصافحة في أصحاب النبيِّ ﷺ؟ قال: نعم)[٢]، وعن سلمة بن وردان قال: (رأيت أنس بن مالك يصافح الناس فسألني من أنت فقلت مولى لبني ليث فمسح على رأسي ثلاثا وقال بارك الله فيك)[٣].

وفي قصة توبة الله تعالى على كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (دخلت المسجد، فإذا رسول اللّهِ ﷺ جالسٌ حولَهُ الناس، فقامَ إليَّ طلحةُ بن عُبيدِ اللّه يُهَرْوِلُ حتى صافحني وهنَّاني)[٤].

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (من تمام التحية أن تصافح أخاك)[٥].

وقد روي عن مالك رضي الله عنه أنه كره المصافحة، لكن المشهور عنه استحباب المصافحة، ويؤيد ذلك ما روي عنه أنه دخل عليه سفيان بن عيينة فصافحه، وقال: لولا أنها بدعة لعانقتك، فقال سفيان: عانق من هو خير مني ومنك النبي ﷺ لجعفر حين قدم من أرض الحبشة، قال مالك: ذلك خاص، قال سفيان: بل هو عام، ما يخص جعفراً يخصنا، وما يعمه يعمنا إذا كنا صالحين[٦].

---

(١) انظر: فيض الباري على صحيح البخاري ٤١٢/٤، نقلاً عن: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٦، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٣).

(٤) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٦٨، وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً، (صحيح الأدب المفرد ٧٤٥).

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٧/٣٧.

فينبغي على الداعية الحرص والحث على المصافحة عند لقاء المسلمين.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: فضل مصافحة الإخوان عند لقائهم:

لقد حثّ الإسلام على كل ما يكون سبباً في زيادة المودة والمحبة بين المسلمين، فرغّب في استحباب المصافحة عند اللقاء، وذلك ما ظهر جلياً في الحديثين من مدحه ﷺ لأهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة قال: "قد جاءكم أهل اليمن وهم أول من جاء بالمصافحة" ومن قوله ﷺ: (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا)، وقد بيّن النبي ﷺ فضل مصافحة الإخوان عند اللقاء فقال: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْضُرَ دُعَاءَهُمَا وَلاَ يُفَرِقَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا حَتَّى يَغْفِرَ لَهُمَا))[(١)].

وفي ذلك قال ابن عثيمين: "وإذا حصل ذلك - أي المصافحة- فإنه يُغفر لهما قبل أن يفترقا، وهذا يدل على فضيلة المصافحة إذا لاقاه"[(٢)]، وبيّن صاحب عون المعبود معنى قوله ﷺ: "قبل أن يفترقا، أي: بالأبدان وبالفراغ عن المصافحة"[(٣)]، ومن فضائل المصافحة ما ذكره ابن مفلح المقدسي: "عن ابن عبدالبر قال: قال أبو مجلز: المصافحة تجلب المودة"[(٤)]، وفي ذلك بيان عظيم لفضل مصافحة الإخوان عند لقائهم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[(٥)]، "وإن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(٦)(٧)]، وقد استخدم النبي ﷺ في حديث البراء رضي الله عنه الترغيب المتمثل في

---

(١) أخرجه أحمد ١٤٢/٣ رقم ١٢٤٥١، قال محققو المسند: حديث صحيح لغيره وإسناده حسن ٤٣٦/١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٦٤/٢.

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٢٢١٥.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٥٤/٢.

(٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ص ١٦٠.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

زوال الذنب وغفرانه، وذلك لحمل وحث المدعوين على الالتزام بالمصافحة عند اللقاء، لما في ذلك من تأكيد لأواصر المحبة والأخوة في الله.

خامساً- من آداب المدعو: إظهار المودة والمحبة لإخوانه:

هذا ما يستفاد من الحديثين، حيث مدح رسول الله ﷺ أهل اليمن بأنهم أول من جاء بالمصافحة، لما في المصافحة من إظهار المودة والمحبة بين الإخوان وكذلك في الحديث الثاني رغب رسول الله ﷺ في المصافحة بغفران الذنوب لمن يتصافحان من المسلمين، ومن المعلوم أن المصافحة دليل على عدم وجود شحناء أو كراهية بين المتصافحين، وفيها إظهار للمودة والحب، وقد حثّ النبي ﷺ على إظهار المودة والمحبة فقال: ((إِذَا أَحَبَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ))[1]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي لأحِبُّ هذَا، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَعْلَمْتَهُ؟ قالَ: لاَ. قالَ: أَعْلِمْهُ)). قالَ: فَلَحِقَهُ فقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ في الله، فقَالَ: أَحَبَّكَ الذي أَحْبَبْتَنِي لَهُ[2].

قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (فليخبره أنه يحبه): "لأن في الإخبار بذلك استمالة قلبه واستجلاب زيادة المحبة"[3]، وقال الخطابي: "معناه الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال بذلك قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له وواد له، قبل نصيحته، ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به عن نفسه أو سقطة إن كانت منه، وإذا لم يعلم ذلك منه لم يؤمن أن يسوء ظنه فيه فلا يقبل منه قوله، ويحمل ذلك منه على العداوة والشنآن.. والله أعلم"[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٥١٢٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود ٥١٢٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٧٤).

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي ٢١٨٧.

(٤) معالم السنن ٢١/٨ - ٢٢.

الحديث رقم (٨٨٨)

٨٨٨- وعن البراء رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ انْ يَفْتَرِقَا)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

الظاهرة البارزة للجمال التعبيري في هذا الحديث هي التصوير بالفعل المضارع حيث صور الفعل الأول (يلتقيان) صورة إقبال المسلم على أخيه بالبشر، تعلوه طلاقة وجه، وابتسامة ثغر، وتصور الفاء في الفعل الثاني (فيتصافحان) السرعة التي توحي بالحفاوة المنبعثة من القلوب العامرة بمحبة في الله، والفعل يتصافحان يصور تلامس الأيدي، ويلوح في العقل مشهد تساقط الذنوب كغبار كان في أيديهما نفضاه من إثر المصافحة، ثم يصور الفعل الثالث (يفترقان) مشهد الفراق، وقد قصد كل واحد منهما جهته، ولكن بعد ثبات مغفرة دل عليها الفعل الماضي الوحيد في الحديث (غفر) ليعطي الحكم بصيغته صفة التحقق، ويؤكده أسلوب القصر الذي انتظم هذا المعنى حيث قصر اللقاء على الصفة المذكورة على المغفرة لا يتعداها إلى العقاب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٥٢١٢. قال الترمذي ٧٥/٥: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من حديث إبي إسحاق عن البراء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٠٠٥ وأعله بالاضطراب في إسناده.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٨٨٩)

٨٨٩- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟ قَالَ: ((لاَ)). قَالَ: أفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: ((لاَ)) قَالَ: فَيَأخُذُ[1] بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلتزمه: يعتنقه ويضمه إلى نفسه[3].

الشرح الأدبي

الحديث حوار تعليمي يتكون من سؤال، وجواب يصحح بعض الخطاء الاجتماعية، وقد بدأه الرجل بسؤال للرسول ﷺ (الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أينحَنِي لَهُ؟) وهو استفهام على حقيقته، وانحناء المسلم لا يكون إلا لله وحده مصدر عزته فكان رد الرسول ﷺ نفياً قاطعاً قائماً على الإيجاز، (لا) أي لا ينحني له ثم كرر السؤال مع تغيير المسؤل عنه (: أفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟) أي يضمه إليه، والإجابة كالسابقة أسلوباً، ومعنى، والسؤال الثالث: (فَيَأخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟) فكانت الإجابة بإقرار المصافحة.

---

(١) لفظ الترمذي: (أفيأخذ) بلفظ الاستفهام.

(٢) برقم ٢٧٢٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٦٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من الأمور.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من الأمور:

يظهر ذلك في الحديث من سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ في الانحناء عند الملاقاة والمعانقة والالتزام، والسؤال عما أشكل له أهمية كبيرة في رفع الجهل، وتحصيل العلم، وقد كان ذلك ديدن الصحابة رضي الله عنهم فكانوا حريصين على سؤاله ﷺ عما أشكل عليهم، ومن أمثلة حرصهم رضي الله عنهم على ذلك ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن أنه كان يحمل مع النبي ﷺ إدواةً لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها قال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة. فقال: ((ابغني أحجاراً استنفِض بها، ولا تأتني بعظمٍ ولا برَوثةٍ)). فأَتيته بأحجار أحملها في طرَفِ ثوبي حتى وَضعتُ إلى جَنبهِ، ثم انصرَفت، حتى إذا فَرغ مَشيتُ معهُ فقلت: ما بال العظم والرَّوثةِ؟ قال: ((هُما مِن طَعامِ الجنّ، وإنه أتاني وَفدُ جنٍّ نَصيبينَ - ونِعمَ الجنُّ - فسألوني الزادَ، فدعَوتُ اللّهَ لهم أن لا يمرُّوا بعظمٍ ولا برَوثةٍ إلا وَجَدوا عليها طُعماً))[1].

فأبو هريرة رضي الله عنه في الحديث لما جهل سبب طلب رسول الله ﷺ الأحجار فقط، وتجنيبه العظم والروثة ليستنجي بها، سأله فقال: ما بال العظم والروثة؟ فترتب على هذا السؤال بيان الحكمة ورفع ما أشكل عليه، وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤاله ﷺ فيما أشكل عليهم من الأمور.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٨٦٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان:

هذا ما بيّنه النبي ﷺ في الحديث عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان بعد سؤال الصحابة رضي الله عنهم لذلك، وقد بيّن ابن عثيمين ذلك فقال: "وأما الانحناء عند الملاقاة أو المعانقة والالتزام: فإن النبي ﷺ سئل عن ذلك: أننحني، قال: لا، قال السائل: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا. فإذا لاقاه؛ إنه لا يلتزمه - أي: لا يضمه إليه - ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم؛ لأن فيه نوعاً من الخضوع لغير الله عز وجل بمثل ما يفعل لله في الركوع، فهو منهي عنه، ولكنه يصافحه وهذا كاف، إلا إذا كان هناك سبب، فإن المعانقة أو التقبيل لا باس به، كأن كان قادماً من سفر أو نحو ذلك"[(١)]، وقال ابن علان: "ومن البدع المحرمة الانحناء عند اللقاء بهيئة الركوع، قال ابن الصلاح: يحرم السجود بين يدي المخلوق على وجه التعظيم، وإن قصد بسجوده الله تعالى، وما ذكره الله تعالى من قوله في أخوة يوسف: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[(٢)]، فذلك شرع من قبلنا وهو ليس بشرع لنا"[(٣)]، وفي ذلك بيان لهديه ﷺ عند لقاء الأصدقاء والإخوان.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاقتداء بهدي النبي ﷺ عند ملاقاة الأصدقاء والإخوان:

الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ معناه: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين[(٤)]، وإن الله تعالى قد أرشدنا وأمرنا أن نقتدي برسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[(٥)]، قال ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله"[(٦)]، ويقول ابن حزم: "فمن أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٤/٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٢.

(٤) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين ص ٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتدي بمحمد ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيرته ما أمكنه[1]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ ويتأسى به في كل شأنه. ومن ذلك هديه ﷺ عند ملاقاة أصحابه رضي الله عنهم.

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص ٣٤.

الحديث رقم (٨٩٠)

٨٩٠- وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسْعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيث إِلَى قَوْلِهِ: فقَبَّلا[1] يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذيُّ[2] وغيره بأسانيد صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

صفوان بن عسال: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٩).

غريب الألفاظ:

آيات: جمع آية: العلامة والأمارة[3].

بيِّنات: جمع بيِّنة: واضحة[4].

الشرح الأدبي

قوله (اذهب بنا) كناية عن اتفاقها على ما نوياه، وقوله (إلى هذا النبي) يوحي بميلهما إلى الإسلام، وببوادر الإيمان يفهم ذلك من إشارة القريب، ومن ذكرهم صفة النبوة، والتي تشير إلى اعتراف ضمني بنبوته، ولو كانا شاكين لقالا: اذهب بنا إلى من يدعي النبوة مثلاً، ثم سرعة ذهابهما إليه التي تدل عليها الفاء التي ربطت فعل الإتيان بما قبله، ثم إن سؤالهما عن آيات معينة يشير إلى أنهما سمعا خبر ما جاء به فوافق علمها دون ما يدفع لإنكاره من كبر، أو خوف فأرادا الإسلام، ثم إن فعلهما مع الرسول ﷺ بتقبيل يده، ورجله، والشهادة بنبوته يشير إلى ذلك.

---

(١) لفظ الترمذي: (فقبلوا) بلفظ الجمع.

(٢) برقم ٢٧٣٣ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم ١/): هذا حديث صحيحٌ لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ي).

(٤) الصحاح في (ب ي ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ.

رابعًا: من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

(إن طبيعة الدعوة الإسلامية أنها دعوة عامة تشمل الناس كافة، على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم وثقافتهم وأديانهم)[1]، فشملت في ذلك اليهود، وهذا ما أشار إليه نص الحديث من أن رجلاً يهودياً قال لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بيِّنات وذكر لهم النبي ﷺ تسع آيات فقبلا يده ورجله وقالا: "نشهد أنك نبي".

(واليهود هم أهل علم وكتاب سماوي، ورثوه منذ قرون. ولكنهم ورثوا نصوصه، ولم يرثوا روحه؛ فاستقرت نصوصه في أدمغتهم، وأفقرت نفوسهم من روحه ومثله العليا. وطال بهم الأمد فقست قلوبهم وفسق أكثرهم عن أمر ربه. ودخلهم حب الدنيا وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه، فهم يأخذون عرض هذا الأدنى باطلاً وسحتاً ويقولون: سيغفر لنا، وأن يأتيهم عرض مثله يأخذوه في غير تورع ولا استحياء، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، فلن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ... وهكذا أخضعوا دينهم لدنياهم. واشتروا بكتابهم ثمناً قليلاً ... ذلك موجز أمرهم وأمر آبائهم من قبل.

فلما جاء رسول الله ﷺ المدينة، حدد علاقته بهم بمحالفة مرضية، تكفل لهم الأمن والنظام والحرية، والعيش الحسن، لو أرادوا. لكنهم لما رأوا قوته تزداد، وسلطانه يعظم، ودينه يهيمن، وزمام الأمور الاقتصادية والسياسية ينتقل إليه، أكلت

---

(١) انظر: كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ص٢١.

قلوبهم الغيرة، وزاد بهم الحقد والغيظ. ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]. وقد سجل القرآن غيرتهم وحقدهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[3]. ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[4].

وإلى جانب غيرتهم وحقدهم، كانوا تشككون ويستهزئون بآيات الله وشعائره، وهذا ما أثبته القرآن في عديد من آياته، وعلى الرغم من ذلك كان موقف النبي ﷺ في الدعوة إليهم على النحو التالي:

١- الجدال بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[5].

والنفس القوية المؤمنة لا يعقل أبداً أن تنازل الأدنياء بسلاحهم... ولقد ظل رسول الله ﷺ صابراً على ما ذكرنا من أمرهم أخذاً بالتي هي أحسن، ولو شاء لانتقم منهم لدين الله، وفي يده من السلطان والقوة المسلحة ما يعينه على هذا، لكنه ترك أمرهم لله، وظل على جدالهم بالحسنى والمنطق القوي.

حقاً لقد أجلى رسول الله ﷺ بعضهم عن المدينة وقتل الآخرين، ولكن لم يكن هذا انتقاماً لما حرفوا في الكتاب أو نحوه، إنما كان لأنهم نقضوا محالفتهم معه،

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٩.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

وحاول بنو النضير أن يقتلوه غدراً في إحدى زياراته لهم، وهموا -فعلاً- بما حفظ الله منه نبيه، وذكر قصتهم في سورة الحشر.... وغدر بنو قريظة في غزوة الخندق، ودبروا من الخيانة ما لو تم أمره لما بقي مسلم واحد على ظهر الأرض، ولتغير مجرى التاريخ، وكانت الدنيا على غير ما نراها الآن. وقصتهم مفصلة في كتب السيرة، وقد أورد القرآن طرفاً منها في سورة الأحزاب.

فرسول الله ﷺ، ما كان يأخذهم في جدالهم إلا بالتي هي أحسن، والصفح عما يأتون من جرائم الذلة والدس والحسد ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

٢- دعوتهم إلى الإيمان بالرسل جميعاً، وبالكتب المنزلة كلها، لأن القرآن جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب والرسل، ومادام الجميع يدعون إلى الله، وغايتهم واحدة، وكتبهم متفقة في القواعد والأصول، فالإيمان بهم جميعاً واجب، ونصرة من يجيء من هؤلاء الأنبياء واجبة، لأنها نصرة لله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2].

وهذه دعوة خالصة، إذا وجهت إلى من يدعو إلى الله فرح بها، ولا يضيق بأهلها، فالدعاة إلى الله مجاهدون لغاية واحدة، يفرح بعضهم ببعض وينتصر بعضهم بنصر بعض، وكلما نزلت إلى الميدان طائفة جديدة، تعمل بعملنا وتدعو بدعوتنا، ولها شاهد في كتبنا، وجب أن نفرح بها، لأنها تعزيز لقوتنا ... أما مناوأتها والتفرغ لخذلانها، فهو شان من يعمل لنفسه لا لله.. ولهذا رأينا اليهود يضيقون ذرعاً برسول الله ﷺ، لقد

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨١.

دعاهم إلى الإيمان بالكتب كلها لا بكتابه فقط، فأي حرج في هذا؟ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾[1].

٣- تذكيرهم نعم الله عليهم، وما خصهم به من فضل: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ... وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ... وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾[2]... إلخ، وهو أسلوب إذا تقربت به لأعدى أعدائك، لان وأسلس، ولكن الأناني الحاقد الذليل، لا يرضيه إلا أن يخلو له وحده وجه الأرض.

وكان لابد من الحملة عليهم، وتعقب مخازيهم، وهتك أستارهم وأسرارهم ولكنها حملة هي غاية في العدل، فلم تتجاوز تقرير الحقائق، وقد استمر الرسول ﷺ على هذه الدعوة العامة يقررها، ويثبتها في إنسانية سمحة فسيحة، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ... وهو موقف لا تعلق به ذرة من غبار، موقف القوي بإيمانه، الواثق من وعد ربه)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: معجزات النبي ﷺ وإخباره لليهود تسع آيات بينات وزيادته العاشرة الخاصة بهم:

يظهر ذلك في الحديث من قول الراوي: "فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهم... الخ" وفي بيان قال ذلك الطيبي: (والمراد بالآيات ههنا. إما المعجزات التسع وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنون ونقص من الثمرات، وعلى

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٤٧-٥٧.

(٣) انظر: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١١-٣٢١.

هذا فقوله: لا تشركوا كلام مستأنف ذكره عقيب الجواب، ولم يذكر الراوي الجواب استغناء بما في القرآن أو بغيره)[١]، (ويقصد الطيبي: بما في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾[٢].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات، وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون، وهى: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم. آيات مفصلات. قاله ابن عباس)[٣].

وقال الطيبي: "والأظهر أن اليهود سألوا عما عندهم من الآيات المنصوصة بالعشر، وكانت تسع منها متفقاً عليها بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصة بهم، فسألوا عن المتفق عليها وأضمروا ما كانت مختصاً بهم، فأجابهم ﷺ عما سألوه، وعما أضمروا، ليكون أدل على معجزته، ولذلك قبل يده"[٤].

وقد ورد عن الترمذي في سننه تفصيل ذكر الآيات البينات التي سئل عنها النبي ﷺ فقال ﷺ: " لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلاَ تَسْحَرُوا، وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلاَ تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلاَ تُوَلُّوا الفِرَارَ يَوْمَ الزَّحْفِ"[٥]، ثم قال ﷺ "وعليكم خاصة" أي: "مخصوصين بهذه العاشرة، وهى "ألا تعتدوا في السبت"، أى لا تتجاوزوا أمر الله في تعظيم السبت بأن لا يصيدوا السمك فيه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١/١٩٣-١٩٤. وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٢٤.

(٤) شرح الطيبي ١/١٩٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٧٣٣، ضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥١٧).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٧٠.

وقد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات، ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1]، [2]، وكان من ذلك إخباره ﷺ عن القرون السالفة والأمم البائدة، والشرائع الداثرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلم ذلك، وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه تعنتاً وتعجيزاً عن أخبار تلك القرون السالفة. فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً.

بالإضافة إلى ما جاءت به السنة المطهرة من تفصيل ودقائق عن أخبار تلك الأمم السابقة والأنبياء السابقين مع أقوامهم. وأشباه ذلك مما صدّقه فيه علماؤهم ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، بل أذعنوا لذلك فمن مُوَفّق آمن بما سبق له من خير ومن شقيٍّ معاند حاسد[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل يد ورجل رسول الله ﷺ:

لقد أتى اليهودي وصاحبه إلى رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، وأجابهم المصطفى ﷺ، فلما علما أنه رسول الله حقًا أقبلا عليه يقبلان يده ورجله وهذا واضح في قول صفوان بن عسال رضي الله عنه "فقبلا يده ورجله".

قال المباركفوري: (والحديث يدل على جواز تقبيل اليد والرجل)[4]، وقال ابن عثيمين: (إن هذين الرجلين قبلا يد النبي ﷺ ورجله، فأقرهما النبي ﷺ على ذلك، وفي هذا جواز تقبيل اليد والرجل للإنسان الكبير الشرف والعلم، كذلك تقبيل اليد والرجل من الأب والأم وما أشبه ذلك، لأن لهما حقًا، وهذا من التواضع)[5].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ٥٢٠.

(٣) المرجع السابق ٥٤٤.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٩/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

ومما يدل على جواز تقبيل اليد والرجل حديث زارع، وكان في وفد عبد القيس عند قدومهم على النبي ﷺ حيث قال: ((لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله "ورجليه"))[١].

رابعاً- من آداب المدعو: قبول دعوة الإسلام وعدم الاستهانة بها:

هذا ما يظهر في الحديث من قول الراوي "فقبلا يده ورجله"، وقالا: نشهد أنك نبي، "فمن الواجبات التي أنيطت بالمدعو أن يقبل هذه الدعوة المباركة التي تنقذه من النار وغضب الله تعالى، لأنها دعوة له فيها خير، محتاج إليها، فيها حياته، فيها عزه ومنعته، فيها خير الدنيا والآخرة. وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز شأن عباده الذين سمعوا نداء الحق والإيمان فآمنوا، وعلى أي مدعو في هذا الزمان أن يكون مثلهم، فيقبل دعوة الإسلام، وينقاد للحق، وينقذ نفسه من الهلاك، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[٢]، [٣].

(وبناء على ذلك فعلى غير المسلمين أن يستمعوا إلى دعوة الإسلام، وأن ينبذوا التقاليد ولا يعطلوا عقولهم، وأن يفهموا طبيعة هذا الدين وما يدعو إليه)[٤]، ثم (ينهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين، وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك)[٥]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٢٥، وحسنه الألباني دون ذكر الرجلين (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥٣).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٣.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٤٢٤.

(٤) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د.عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ١٨٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1]، (فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوا فكرهم، وتدبروا أحوال الرسول ﷺ وماجاء به، وتجردوا من العصبية والهوى، لتبين صدقه ولآمنوا بما جاء به)[2].

---

(١) سورة سبأ، آية: ٤٦ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٢٩.

الحديث رقم (٨٩١)

٨٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قِصَّةً[١]، قَالَ فِيهَا: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَهُ. رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري جاء في صورة مركزة علي شاهد تشريعي مقتضب من قصة شملت سبب الحديث، وبداية خبر الراوي خالية من المؤكدات، ولعله قابل بها خالي الذهن من الخبر، وقوله (فدنونا) التعبير بالدنو في هذا المقام فيه تواضع هذا موضعه وتقدير، وإجلال للرسول ﷺ هو أهله، وعرفانا بالجميل من صحابته هم أوفى الناس به، مع ما ينبيء به من محبة، ومودة، ثم إن إسناد الدنو، والتقبيل لناء الفاعلين يشير إلى أنه شعور جماعي، كما يشير من طرف آخر إلى توكيد الفعل؛ لأنه أشبه المجمع عليه بخلاف فعل الواحد، وإن ثبت به الفعل لكن فعل الجماعة أوكد، وقوله (فقبلنا يده) الفاء توحي بسرعة تدلل على الحفاوة، والإجلال، والتقبيل في هذا المقام فيه من ما فيه من معاني الإقبال، والقبول، والرضي، والإجلال بتقبيل يد حُقَّ على كل مسلم تقبيلها في كل زمان، ومكان، إن لم يكن بمس البنان فبمتابعة السنة، وتمام الإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ.

---

(١) وهذه القصة أخرجها أيضًا أبو داود برقم ٢٦٤٧ بنفس الإسناد.

(٢) برقم ٥٢٢٣. عدّه الحافظ ابن حجر في الفتح ٥٧/١١: من جيد ما ورد في الباب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن قصة لم يذكرها النووي، وذكرها أبو داود في سننه قال فيها فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

فأفاد الإخبار تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ دون أن ينكر عليهم، فأخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن ذلك وهذا ما ينبغي على جميع الدعاة، إذ أن من علم الحق وعرفه واهتدى إليه، فينبغي عليه أن يخبر به غيره من المدعوين، حتى يستجيبوا له، ويهتدوا إليه، فأسلوب الإخبار أسلوب دعوي مفيد في تبليغ الدعوة للمدعوين ونشرها بين فئات المسلمين وغيرهم، ممن طلب الحق وأراد الهداية والتسليم ومن لم يرد، لإقامة الحجة عليه بتبليغه وإخباره بما ورد من أصول الدين وفروعه، الشامل لكل صغير وكبير في حقيقة الدنيا والدين.

ثانياً- من وسائل الدعوة: القصة:

يظهر ذلك من الحديث في قوله الراوي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة وقد ذكرها أبو داود في سننه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حدثه: "أنه كان في سرية من سرايا رسول الله ﷺ قال: فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فلما برزنا "فزعنا" قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبُؤْنا بالغضب، فقلنا: ندخل المدينة فنثبت فيها "لنذهب" ولا "فلا" يرانا أحد. قال: فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا. قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون "الفارون" فأقبل إلينا فقال: "لا بل أنتم العَكّارون"[1]، قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: "أنا فئة المسلمين"[2] والقصة من وسائل الدعوة المهمة؛ إذ (تمتاز بأنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم وأخلاقهم، وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم،

---

(١) العَكّارون: العَكّارُ الذي يولي في الحرب ثم يكر راجعاً مشتاقاً للجهاد. انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ع ك ر).

(٢) سنن أبي داود ٢٦٤٧.

وبيئتهم الطبيعية والزمنية. تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم، فإذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ومضيت مع الحوار والنقاش - عرفت ما يستكن في النفوس من طباع، وما يهجس فيها من خواطر، وانشرح صدرك لأهل الخير منهم، وضقت ذراعاً بذوي النفوس المظلمة والوسائل الملتوية، حتى لكأنك تراهم رأي العين، وتسمع منهم سمع الأذن، وتعاشرهم وتحيي بينهم.

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصصي البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب، فهي بالميزة الأولى تعرض هذه التعاليم في صورة عملية حية تحرك الوجدان. وترفع نبض المشاعر.. وهي بالميزة الثانية: ميزة التنبه والتقبل، تجعل النفوس أوعية مفتوحة، يصب فيها الداعية ما يشاء فيبلغ القرار.

فعلى الداعية أن يستمسك بالقصة كوسيلة دعوية، وليعلم أنها من سنة الله تعالى، والله عز شانه قد سنها في القرآن الكريم، فقص على رسوله أحسن القصص، وضمنه خير التعاليم والمواعظ تثبيتاً له ولأمته على الحق: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وخير القصص كله، قصص القرآن الكريم... فلقد أحكمت به عروة العقيدة، واكتمل نظام الأخلاق، واشتدت به أركان الحضارة الإسلامية، فكانت أوفى وأكمل الحضارات ...)[2].

فينبغي أن يستعين الداعية بقصص القرآن الكريم في تبليغ الدعوة، فإنه يسعف الداعية بما لا يسعفه به قصص أخرى.

ومن القصص التي يجب أن يستعين بها الداعية قصص رسول الله ﷺ وهذا

---

(١) سورة هود، آية: ١٢٠.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٤٤-٤٥.

القصص يأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم [١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تقبيل الصحابة رضي الله عنهم ليد النبي ﷺ:

يظهر ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده.

قال ابن عثيمين: (وأقرهم النبي ﷺ على ذلك، وتقبيل اليد كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن عجبًا أن الناس الآن يستنكرون تقبيل اليد أكثر من استنكارهم تقبيل الرأس، وهو لا فرق بينهما، لكن الذي يُنْتَقَد من بعض الناس أنه إذا سلَّم عليه أحد مَدَّ يده إليه وكأنه يقول: قبّل يدي، فهذا هو الذي يستنكر، ويقال للإنسان عندئذ لا تفعل، أما من يقبل اليد تكريمًا وتعظيمًا أو الرأس أو الجبهة فلا بأس به[٢].

وقد فصل القول في ذلك العظيم آباد فقال: وتقبيل اليد وردت فيه أحاديث ... وآثار صحيحة عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وذكر بعضهم أن مالكًا أنكر ماروى فيه وأجازه آخرون.

قال الأبهري: إنما كرهها مالك على وجه التكبر والتعظيم لمن فُعل ذلك به، فأما إذا قبل إنسان يد إنسان أو وجهه أو شيئًا من بدنه ما لم يكن عورة على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن ذلك جائز، وتقبيل يد النبي ﷺ يقرب إلى الله وما كان من ذلك تعظيمًا لدنيا أو لسلطان أو لشبهة من وجوه التكبر فلا يجوز[٣].

وقال المباركفوري: قال النووي: تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه أو عمله أو شرفه أو صيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لا يكره بل يستحب، فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة، وقال أبو سعيد المتولي: لا يجوز[٤].

---

(١) انظر: المرجع السابق ٥٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٢/٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٩/٢.

الحديث رقم (٨٩٢)

٨٩٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتِي، فَأتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ [1] يَجُرُّ ثَوْبَهُ [2]، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذيُّ [3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تروي الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن موقف بين الرسول ﷺ وبين زيد بن حارثة رضي الله عنه وكيفية استقبال الرسول ﷺ له، وقولها (في بيتي) يشير إلى خصوصية البيت، وقولها: (فأتاه فقرع) تتابع الفاء في العطف يوحي بشدة شوق زيد بن حارثة رضي الله عنه و (ال) في الباب للعهد، وهو باب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقولها (فقام النبي ﷺ إليه) يوحي بالحفاوة، والسرور، يؤكد ذلك قولها (يجر ثوبه)، وهو كناية عن السرعة شأن الحبيب إذا رأى حبيبه مقبلاً عليه، وقولها (فاعتنقه، وقبله) الفاء تدل على مزيد حفاوة ضرورة أنها تدل على الإسراع، والتعبير بالاعتناق يدل على تمكن المحبة، وتقبيله دليل عليها، مع ما يوحي به الفعلان من تقدير واحترام وزيادة خصوصية لحبه زيد بن حارثة، فهنيئاً له محبة رسول الله ﷺ، وأعظم بها من محبة ! حري بكل مسلم أن يسعى إليها بإحياء سنته النبي ﷺ.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (عريانًا).

(٢) عند الترمذي زيادة: (والله ما رأيته عريانًا قبله ولا بعده).

(٣) برقم ٢٧٣٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستئذان.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستئذان:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في استئذان زيد بن حارثة رضي الله عنه، عندما قدم المدينة على رسول الله ﷺ، وذلك من قول عائشة رضي الله عنها فأتاه فقرع الباب، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، (والاستئذان من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين وأمرهم بألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أى: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاثاً، فإن لم يؤذن له، وإلا انصرف)[2]، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بذلك فقال: "ربعى بن حراش، حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ، وهو في بيت، فقال: أألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه. أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له النبي ﷺ، فدخل"[3].

قال ابن عثيمين: (والاستئذان: يعني طلب الإذن أن تطلب من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول، فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل، حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦/٦..

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣١٢).

لَكُمْ﴾[١])[٢] . قال ابن كثير: أي (رجعوكم أزكى لكم وأطهر)[٣].

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع:

هذا ما يستفاد في الحديث من تواضعه ﷺ في قيامه لاعتناق وتقبيل مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، (والتواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وبين أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]،[٦] والتواضع في الحقيقة هو الانة الجانب مع عزّة في نفس وإباء للضيم)[٧]، فعلى الداعية أن يقتدي في ذلك بالنبي ﷺ فالتواضع بالدعاة والمرشدين أليق، ولهم ألزم؛ لأن التواضع عطوف، والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح وبالمرشدين أقبح، لأن الناس بهم يقتدون، وكثيراً ما يداخلهم الإعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا حق النظر، وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع بهم أولى، ومجانبة العجب بهم أجدى"[٨].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: المعانقة والتقبيل:

قد ورد ذلك في الحديث من معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، عند قدومه إلى المدينة.

---

(١) سورة النور، آية: ٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٥٧-١١٥٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٤١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٦) دعوة الإسلام، السيد سابق ص ١٩٦.

(٧) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٥٧.

(٨) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على بن صالح المرشد، ٢١٦.

وقد بين ابن عثيمين ذلك فقال: ("سئل النبي ﷺ عن ذلك إذا لاقى الرجل أخاه أينحني له؟ قال: لا، قال: أيقبله ويعانقه؟ قال: لا، قال: أيصافحه، قال: نعم"[١]. فالحديث صريح في النهي عن الانحناء والتقبيل والمعانقة عند اللقاء المعتاد، لكن إذا كان هناك سبب كالغائب فلا بأس)[٢]. وقال المباركفوري: (وفي حديث معانقة النبي ﷺ وتقبيله لمولاه زيد بن حارثة لدليل على مشروعية المعانقة للقادم من السفر وهو الحق والصواب)[٣]، وخير دليل على ذلك فعل جابر بن عبدالله، (فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما انه بلغه حديث «عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال فابتعت بعيرا فشددت إليه رحلي شهرا، حتى قدمت الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابرا بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله فقلت: نعم، فخرج فاعتنقني، قلت: حديث بلغني لم أسمعه خشيت أن أموت أو تموت، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو الناس عراة غرلا بهما، قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد أحسبه قال كما يسمعه من قرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة، قلت: وكيف وإنما نأتي الله عراة بهما قال بالحسنات والسيئات»[٤].

"والتقبيل عند اللقاء لم يكن من عادة السلف"[٥]، (ولكن إن كان على وجه البر والكرامة، أو لأجل الشفقة عند اللقاء والوداع، فلا بأس)[٦]، وهذا ما أكده نص الحديث في تقبيل النبي ﷺ لزيد بن حارثة عند قدومه المدينة، وفي تأكيد جواز

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨١٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٦٤).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١١٦٦/٢.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٦٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٩٧٠، وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٧٤٦).

(٥) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٨٠.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٠/١٣.

التقبيل من أجل الشفقة والكرامة، قال البراء رضي الله عنه: ((دخلت مع أبي بكر أول ما قدم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمَّى، فأتاها أبو بكر فقال لها، كيف أنت يا بنيه؟ وقبل خدها))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهَا، كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا فَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا))[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ:

زيد بن حارثة رضي الله عنه هو حِبّ رسول الله ﷺ وأبو حبّه، وكانت له مكانة عظيمة عند النبي ﷺ.

وهذا ما ظهر جلياً في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها: "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه، فاعتنقه وقبله".

وزيد بن حارثة رضي الله عنه هو الصحابي الجليل، الذي قال فيه ابن عمر، رضي الله عنهما: ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل في القرآن ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[3])[4]. وما ذلك إلا لعظيم منزلته عند النبي ﷺ وما يؤكد ذلك، قول عائشة رضي الله عنها: (ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم ولو بقي بعده استخلفه)[5]، (وعن أبي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: "لاتلومونا على حب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٢٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٥١).

(٢) أخرجه أبو داود ٥٢١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٧).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٤) أخرجه البخاري ٤٧٨٢، ومسلم ٢٤٢٥ واللفظ له.

(٥) أخرجه أحمد ٢٢٧/٦ رقم ٢٥٨٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٧٤/٤٣.

زيد"، يعني ابن حارثة، قال إسماعيل: وسمعت الشعبي يقول: ما بعث رسول الله ﷺ سرية قط وفيهم زيد بن حارثة إلا أمره عليهم)[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ بعثاً، وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمرته، فقال النبي ﷺ، إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلى بعده"[٢].

(وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: اجتمع جعفر وعلي وزيد بن حارثة فقال جعفر: أنا أَحَبُّكُم إلى رسول الله ﷺ، وقال علي: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، وقال زيد: أنا أحبّكم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، قال: فخرجت ثم رجعت فقلت: هذا جعفر وعلي وزيد بن حارثة يستأذنون، فقال رسول الله ﷺ: «ائْذَنْ لَهُمْ» فدخلوا فقالوا: يا رسول الله جئناك نسألك من أحبّ الناس إليك قال: «فاطِمَة» قالوا: نسألك عن الرجال قال: أَمّا أَنْتَ يا جَعْفَرُ فَيُشْبِهُ خَلْقُكَ خَلْقي وَيُشْبِهُ خُلُقُكَ خُلُقي وَأَنْتَ إِلَيَّ وَمِنْ شَجَرَتي وَأَمّا أَنْتَ يا عَلِيُّ فَأَخي وَأَبو وَلَدي وَمِنّي وَإِلَيَّ وَأَمّا أَنْتَ يا زَيْدُ فَمَوْلايَ وَمِنّي وَإِلَيَّ وَأَحَبُّ الْقَوْمِ إِلَيَّ)[٣].

وفي ذلك بيان على عظم مكانة زيد بن حارثة رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٠٧، وقال محقق المستدرك: حديث مرسل صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٣٠.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٤/٥ رقم ٢١٧٧٧، وقال محققو المسند: إسناد ضعيف ١١٠/٣٦-١١١.

الحديث رقم (٨٩٣)

٨٩٣- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ : ((لا تَحقِرَنَّ مِنَ الْمَعرُوف شَيْئاً، وَلَوْ انْ تَلْقَى اخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

لا تحقرنَّ: لا تستصغرنَّ[٢].

طلق: منبسط مستبشر[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ أسلوب النهي (لا تحقرن) وهو نهي توجيه، وإرشاد، أي لا تستقل عمل الخير مهما صغر في عينيك، وتوكيد الفعل بالنون يصعِّد الإحساس بأهميته، والتعبير بالمعروف يوحي بمعاني العطاء، والصلة، والبر، وغيرها من أعمال الخير مهما تفاوتت قلة، وكثرة ؛لأنه علم عليها، وتنكير كلمة (شيئاً) يشير إلى التعميم ليشمل ما قل، وما كثر، ثم قدم صورة مبسطة لعمل من أعمال البر في ثوب الشرط محذوف الفعل (وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) وتقديره - والله أعلم - ولو كان المعروف أن تلقى...) والتعبير بلفظ الأخوة للتذكير بحقوق تلك الرابط من رعاية، وعناية، وإعانة، وما أجمل التعبير بكلمة طلق للدلالة على انبساط أسارير الوجه، والتبسم، والإقبال، ولا ننسى دلالة الباء المتصلة بالوجه، والتي تنادي بملازمة الطلاقة للوجه في كل مرة يلق الأخ أخاه فيستجد معروفاً يتقرب به إلى الله، ويملأ قلبهما محبة، والعبارة كلها (أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ) كناية عن البشر، والحفاوة، وحسن الاستقبال.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم ٢٦٢٦/١٤٤، وتقدم برقم ١٢١، و٦٩٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ق ر).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ل ق).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (١٢١).

الحديث رقم (٨٩٤)

٨٩٤- وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قبَّلَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما[١]، فَقَالَ الأقْرَعُ بن حَابِسٍ: إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا[٢]... فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يعرض صورة إنسانية تنم عن رقة، وحنان، ورحمة مع الصغار من أكثر القلوب رحمة قلب الرسول ﷺ، والموقف الذي رواه أبو هريرة ﷺ كان بين الأقْرَعُ بن حَابِسٍ، وبين الرسول ﷺ حين رآه يقبِّل الحسن فقال الأقرع ﷺ: (إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا) وبناء عبارة الأقرع يدل على قسوته، لأنه بناها مؤكدة بأكثر من مؤكد مع تقديم الجار والمجرور (لى) الذي يفيد الاختصاص يعني أنهم أبنائي، وليسوا أبناء غيري، ثم أسلوب النفي الداخل على الماضي المحقق مع الاستغراق بـ (من) المتصلة بضمير الجمع، والنكرة الواقعة في سياق النفي الدال على العموم (أحد)، ولذلك جاءت عبارة الرسول ﷺ مدوية في سمعه تقرر أن الجزاء من جنس العمل (مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ !) في جناس يقرر هذا المعنى، ويرسخ العبارة في الأسماع، والعقول رحمة للراحمين، وحرماناً للقساة الجافين.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) عند البخاري زيادة: (وعنده الأقرع بن حابس التميميّ جالسًا).

(٢) عند البخاري زيادة: (فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثمّ).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٩٩٧، ومسلم ٢٣١٨/٦٥، وتقدم برقم ٢٢٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٤٢.

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٢٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعليم الآداب والأحكام الشرعية في الحياة الاجتماعية:

إن من مقتضيات التربية الإسلامية، أن يقوم المعلم بتعليم من يقوم بتربيتهم خاصة الناشئة منهم الأحكام الشرعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية كآداب الكلام والطعام والشراب وآداب المشي والجلوس والنوم وآداب التعامل مع الكبار والصغار والمعلم والصديق وغيرهم، وآداب الاستئذان وآداب المساجد وآداب الطريق والسيارة وغير ذلك من أنماط السلوك الاجتماعي التي ينبغي على المسلم الوقوف عليها"[(١)].

وقد تضمنت أحاديث الباب عدة آداب اجتماعية كإشاعة المودة وتقوية ما بين الناس من صلات وأواصر، كالمصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه، وتقبيل أيدي أصحاب الفضل لا تكلف الناس شيئاً، ومع كون هذه الأمور بسيطة لأنها لا تكلف الناس شيئاً، إلا أن الله يعطي عليها الكثير ويغفر بسببها الخطايا والذنوب، كما جاء في صريح قوله ﷺ: "ما من مُسْلِمَين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا".

لذا ينبغي على المربي أن يغرس في المتربين التأدب بالآداب الحميدة والخلال الكريمة، والتي منها الآداب الاجتماعية لاحترام ذوي الفضل وتلمس أسباب المودة والوئام بين أفراد المجتمع من طلاقة وجه ومصافحة ونحوهما، وبذلك يشب المتربون على القيم الحميدة والخلال الكريمة والتدريب عليها، "فإذا تدرب الولد على الآداب والأخلاق المستحسنة منذ الصغر ألفها، وأصبحت سَجيَّة له، فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه ويشب على ما عُوِّد عليه كما قيل:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ، منّا ... على ما كانَ عَوّدَهُ أبُوه

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٦٣، تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص١٧٢، ١٧٣.

وكما قيل أيضاً:

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولا يلين إذا قوّمته الخشب[1]

ثانياً- التربية على الأدب مع الأكابر:

إن من أهداف التربية الإسلامية التنشئة على الأدب مع الأكابر وأصحاب الفضل، ونرى ذلك جلياً واضحاً في حديث صفوان الذي ينقل لنا صورة من صور احترام الصحابة للرسول ﷺ، فذانك رجلان يهوديان هداهما الله على يد رسوله ﷺ وشهدوا له بالنبوة وقبلوا يده ورجله، فعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله ﷺ... فقبلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبي" كذلك ينقل لنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما صورة مشابهة من تبجيل الصحابة للنبي ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها "فدنونا من النبي ﷺ فقبلنا يده" وفي ذلك الدعوة إلى التنشئة إلى احترام أهل الفضل وتبجيلهم، وحفظ أقدارهم، فإن "من محاسن الأخلاق رعاية الأكابر وإنزال الناس منازلهم.

إن ارتباط الطالب مع معلمه وطول لقائه معه يقود إلى التبسط ورفع الكلفة مما يدفع بعضهم إلى إساءة التعامل مع الأكابر والجفاء بحقهم.

ونحن بحاجة إلى أن يحضر المتربون خاصة الشباب، مجالس الكبار ويشاركونهم أحاديثهم، وفي الوقت نفسه يراعى الأدب معهم وينزل الناس منازلهم.

ومما يسهم في تحقيق هذا الجانب -بالإضافة إلى التأكيد عليه والتناول المعرفي- عدة أمور منها:

أ-تنبيه المتربي بصورة مناسبة حين يتجاوز حدود الأدب مع غيره، مع مراعاة ألا يُوَلّد ذلك لديه النفرة من مجالسة الكبار ومشاركتهم أحاديثهم.

ب-احتفاظ المربي بقدر من الاتزان في التعامل مع من يربيه بحيث تبقى الصلة صلة بين معلم وطالب وبين أب وابنه، ولا تتحول إلى صلة زمالة وصداقة، فلا يُفْرط في المزاح

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٣٦.

ولا يتعامل معه بما ينافي وقار الكبار.

ج-عند وقوع بعض التجاوزات من الطالب ينبغي على معلمه أن يتعامل معها بطريقة مناسبة، فتقبلها يعزز هذا التصرف لديه ويشعره بأنه تصرف مقبول والإغلاظ معه يولد آثاراً غير حميدة، ومن ثَمَّ فتجاهل التصرف بطريقة لبقة تشعره بأن هذه الكلمة، وهذا الموقف غير مناسب وتغني عن التصريح، هذه الطريقة في التعامل مع هذه المواقف -التي كثيراً ما تقع- تسهم في وضوح الصورة بين ما ينبغي فعله مع الأكابر وما لا ينبغي.

د-أن يلمس ممن يربيه رعايته لهذا الجانب، بتوقير معلميه واحترامهم والاعتراف لهم بالفضل والسابقة، ولو صار الآن زميلاً لهم، بل لو فاقهم في بعض المجالات، وهذا دَأْبُ أهل العلم الذين تربوا عليه، نراهم يقدرون شيوخهم ويلهجون بالثناء عليهم والدعاء لهم، مع أن بعضهم قد يكون ممن فاق شيخه علماً وشهرة، وأن يلمس التلميذ من معلمه الأدب مع الكبار وأهل العلم والرأي ولو خالفهم في بعض آرائهم، فحين يرى الطالب ذلك كله من معلمه، يترك فيه أثره بإذن الله عز وجل"[1].

ثالثاً- الرحمة في معاملة الأولاد والتلاميذ:

إنه "بقدر حرص المربين على غرس الروح الإسلامي في الناشئة والحفاظ على صفائه فإنهم مدعوون إلى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملاً بهدي الرسول ﷺ، وأسوة بسلوكه الرحيم إزاء صحابته ومجتمعه". الكبار منهم والصغار، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من إظهار محبته وفرحه بأصحابه، وذلك كهشه وفرحه بمقدم زيد بن حارثة، وإسراعه في مقابلته واعتناقه وتقبيله، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة رضي الله عنه المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله"، وكذلك في رحمته بالصغار كما في تقبيله للحسن رضي الله عنه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قبَّل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس التميمي...."، إذ أن الرحمة مطلوبة خاصة

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص٥٧.

بالأهل والأبناء والتلاميذ.

إن الرحمة إذا كانت محببة ومطلوبة في معاملة الناس بعضهم البعض، فإنها في التربية واجبة أكيدة لا تجوز الغفلة عنها.

إن الهدي النبوي يجعل من الرحمة والرفق زينة وجمالاً يحلي سلوك الناس، كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحاً يشين أعمالهم، ويزيل ما فيها من رواء وبهاء، وفي ذلك نصح للأمة كلها سيما أولئك الذين يقعدون مقاعد التربية والإرشاد[1].

رابعاً- إدخال السرور والفرح في نفس الطفل والمتربي:

إن السرور والفرح يلعب في نفس المتربي -خاصة الطفل-شيئاً عجباً، ويؤثر في نفسه تأثيراً قوياً، فالأطفال وهم براعم البراءة والصفاء يحبون الفرح، بل هم أداة الفرح للكبار، ويحبون الابتسامة أن يشاهدوها على وجوه الكبار.

وبالتالي فإن تنمية هذا الشعور المؤثر في نفس الطفل سيورث الانطلاق والحيوية في نفسه، كما أنه يجعله على أهبة الاستعداد لتلقي أي أمر أو ملاحظة أو إرشاد.

وقد جاء الإرشاد في أحاديث الباب إلى إدخال السرور والفرح على الجميع -ومنهم الأبناء والمتربون- جاء ذلك على سبيل التوجيه والتلقي المعرفي كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق" أم بصورة عملية كما في تقبيله لحفيده الحسن بن علي رضي الله عنهما، كما جاء في صريح حديث أبي هريرة "قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس...".

فلقد كان ﷺ يدخل دائماً السرور والفرح إلى نفوس الأطفال ويتبع في ذلك شتى الأساليب، فمن ذلك:

-الاستقبال الجيد لهم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها الذي ذكر لنا حسن استقبال رسول الله ﷺ وحفاوته بمقدم زيد بن حارثة رضي الله عنه.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٥٨.

-تقبيلهم وممازحتهم، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتقبيله ﷺ لابن ابنته الحسن بن علي رضي الله عنهما.

-مسح رءوسهم.

-حملهم ووضعهم في حجْره الشريف.

-تقديم الأطعمة الطيبة لهم، والأكل معهم.

كل ذلك يفعله النبي ﷺ لتأسيس البناء العاطفي وتقويته، وذلك لما للفرح من قوة في التأثير ولما للسرور من براعة في إسعاد الطفل"[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، منها:

أ-الحوار والمناقشة: كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال رجل: يا رسول الله الرجل منا يَلْقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا. قال: أفيلتزمه ويقبِّله قال: لا. قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم.

والحوار والمناقشة يفيدان في تفعيل دور المتعلم في العملية التعليمية.

ب-الممارسة العملية كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل النبي ﷺ الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما.

والممارسة العملية تتميز بقوة بقاء أثر التعلم وتيسر وصول المعلومة للمتعلم.

ج-استثمار المواقف والفرص: كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق، لما رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ يقبل الحسن رضي الله عنه قال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا. فقال رسول الله ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم". فقد استثمر النبي ﷺ ما وقع، وبيّن للأقرع بن حابس عدم صواب ما كان يفعله من عدم تقبيل أولاده، وذلك من خلال الترهيب فقال ﷺ: "من لا يَرْحم لا يُرْحم".

ومما لا يخفى أن المواقف تستثير مشاعر جياشة في النفس، فحين يُستثمر المعلم

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص١١١، ١١٢.

هذا الموقف يقع التعليم موقعه المناسب، ويبقى الحدث وما صاحبه من توجيه وتعليم صورة منقوشة في الذاكرة قد تستعصي على النسيان، فعلى المعلم اللبيب والمربي الحكيم أن يفيد من المواقف والأحداث في توجيه التعليم وتأكيد التربية، وخاصة أن الأحداث والمواقف لا تنقطع، فكل يوم تطلع فيه الشمس تتجدد أحداث وتمر مواقف وتحين فرص.

۞ ۞ ۞

٦- كتاب عيَادة المريض وَتشييع المَيّت والصّلاة عليه وَحضور دَفنهِ وَالمكث عِنْدَ قبرهِ بَعدَ دَفنه

١٤٤- باب عيادة المريض

الحديث رقم (٨٩٥)

٨٩٥- عن البَرَاءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإبْرَارِ الْمُقْسِمِ[١]، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإجَابَةِ الدَّاعِي، وَإفْشَاءِ السَّلاَمِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[٣].

إبرار المقسم: تصديق قسمه وإنفاذه[٤].

الشرح الأدبي[٥]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث الشريفة إلى الأحكام الفقهية الآتية:

١-عيادة المريض. ٢-اتباع الجنائز.

---

(١) (أو: القسم) كما عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٥، ومسلم واللفظ له ٢٠٦٦، وتقدم برقم ٢٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ر).

(٥) انظر: الشرح الأدبي للحديث رقم (٢٣٩، ٨٦١، ٨٨٠).

٣-تشميت العاطس٤-إبرار القسم.

٥-نصر المظلوم ٦-إجابة الداعي. ٧-إفشاء السلام.

وقد سبق ذلك عند الأحاديث ٦، ٢٣٨، ٢٣٩.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٩).

الحديث رقم (٨٩٦)

٨٩٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تشميت العاطس: الدعاء له بالبركة؛ بقولنا: يرحمك الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الإجمال، والتفصيل الذي يحقق التشويق، والذي يحقق بدوره الانتباه، واليقظة لبقية الخبر، وهو من الأمور التي يحرص عليها كل متكلم عامة، والرسول ﷺ خاصة، كما يؤكد هذا الأسلوب المعنى؛ لأنه يذكر مرتين مرة إجمالاً، ومرة تفصيلاً، وقد أجمله في قوله (حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ) والحق هو الحتم اللازم، وذكر العدد يؤكد المعدود؛ لأنه يرتبط بالرقم، وتعريف المسلم للجنس فيشمل الجميع، وينفيه عن غيرهم ثم بدأ بتفصيله بقوله (رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ) وبين هذه العبارات مراعاة النظير، وهي ذكر الشيء، وما يناسبه، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومن الملاحظ في الحقوق المذكورة أنها مفردة إلا لفظ الجنائز؛ لأن المستحب فيها كثرة الناس؛ فإنه خير لهم، وللميت، والتعبير بالاتباع فيما يتعلق بالجنائز يشير إلى اتباعها في مختلف المواقف

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢/٤، وتقدم برقم ٢٣٨. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٨٦، و٣٩٨٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش م ت).

من الخروج بها من المنزل؛ إلى الصلاة عليها ودفنها، والتعبير بالعيادة في زيارة المريض توحي بتفقده من حين إلى حين تطيباً لنفسه، وشداً من أزره، كما أن لفظ العيادة ينافي التطويل، لأنه يعني التكرار، والتطويل لا يستقيم مع التكرار لأنه يؤذي المريض الذي يحتاج إلى الراحة فيفهم منه تقصير وقت الزيارة مع تكرارها، بما يطيب نفسه، ولا يشق عليه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٨).

الحديث رقم (٨٩٧)

٨٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (إنَّ اللهَ - عز وجل- يَقُولُ يَومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي !) ارتقاء من مستوى الكلام البشر إلى مستوى الكلام الإلهي وهي نقلة عظمى في الأساليب، والمعاني و هي جملة اسمية مؤكدة بـ (إن) مع اسمية الجملة لتمهيد نفس المخاطب مع ما يوحي به التوكيد من أهمية الخبر، وعناية الرسول ﷺ به، وهو نوع من إعداد النفوس لاستقبال نوعية الأخبار التي تتسم بالطرافة، وتحمل نوعاً من الغرابة، وتتميز بأهمية خاصة في نفس المتكلم، ويريد أن يبثها في نفس السامع، ولما كانت أكثر أخبار الرسول ﷺ تتسم بهذه الصفات أو بعضها. تجد أكثر أحاديثه يسبقها، أو يحدوها نوع من تمهيد النفوس بنوع، أو أكثر من المؤكدات، بيد أنها تختلف كماً، وكيفياً بحسبة طبيعة المعاني، وأحوال المخاطبين وقوله ـ تعالى ـ (يَا ابْنَ آدَمَ) نداء عام لكل من بلغه وقوله: (مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدنِي !) أراد به مرض عبده وإنما

---

(١) برقم ٢٥٦٩/٤٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٣٩٣.

أضاف إلى نفسه تشريفا لذلك العبد فنزله منزلة ذاته والحاصل أن من عاد مريضا لله فكأنه زار الله وتشير فيه هذه الفقرة إلى عظم المنة من الله على المريض، وعلى زائره قال النووى في شرح مسلم: قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى فالمراد العبد تشريفاً للعبد، وتقريباً له قالوا ومعنى وجدني عنده أي وجد ثوابي وكرامتى ويدل عليه قوله في تمام الحديث (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي.....) أي ثوابه والله أعلم) [1] وهذه الكرامة للعبد والتشريف له محبة من الله ورفقاً به ودعوة من الله للعباد بالتواصل، والمودة حتى أنه أضاف مرض عبده إليه - سبحانه وتعالى - مما جعل العبد الموقوف بين يدي الله - تعالى - يسأل، ويتعجب (....كيف أعودك، وأنت رب العالمين؟) واستفهامه يحمل مع التعجب من الخبر استبعاد واستعظام لعبد ضعيف أن يعود ربه، وهل يمرض الرب؟ ولكن هذه الإضافة وهذا التكريم إشعار بمنزلة العبد، وعظم ثواب زيارة المريض، وهو تصوير وحكاية لموقف من مواقف الآخرة كدعوة من الله لعباده بالتواصل بينهم، ورعاية كل منهم لحال إخوانه لا سيما أهل الحاجة منهم، والمرضي؛ ولذلك نجد الأسلوب يتكرر عتاباً من الله لعبده في تقصيره في إطعام أخيه الذي استطعمه؛ والذي استسقاه، وفي كل مرة يرد العبد متعجباً مستبعداً (كيف أطعمك، وأنت رب العالمين؟....) (كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟...) وجملة الحديث تشير إلى ضرورة الترابط الروحي، والتكافل الاجتماعي بين المؤمنين، ووجوب إعانة المؤمن لكل ما يحتاج إلى إعانة.

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك.

---

(١) الأحاديث القدسية ١/٢٦٣.

أولاً- من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة". "والحديث القدسي لغة: هو الحديث المنسوب إلى الذات القدسية وهو الله سبحانه وتعالى، واصطلاحاً، هو ما نقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل والفرق بينه وبين القرآن، هو أن القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى، أما الحديث القدسي فمعناه من الله ولفظه من عند النبي ﷺ، والقرآن يتعبد بتلاوته والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، ولا يشترط في ثبوته التواتر على عكس القرآن الكريم"[1]. والحديث القدسي من المصادر الدعوية التي يستعين بها الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين.

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

لقد ورد السؤال والجواب كأسلوب دعوي في الحديث في ثلاثة مواضع، الأول هو سؤال الله تعالى للعبد عن عدم عيادته للمريض، والثاني هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم إطعام الجائع، والثالث هو سؤاله تعالى للعبد عن عدم سقيا من استسقاه، وقد بين الحق تبارك وتعالى في الإجابة على سؤاله: "أن العبد لو قام بذلك لوجد ثواب الله وكرامته، وأن الإحسان إلى الخلق هو إحسان إلى الخالق"[2]، وقد أفاد السؤال والجواب الوارد في نص الحديث عظم هذه المطلوبات وشدة امتثالها في حياة المدعوين، كما أفاد عظم جرم من فرط في إهمالها وعدم الاعتناء بها، ويتضح هذا جلياً في مدى ما يحسه العبد من حسرة وندامة وخسران بعد كلام الله له.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وإطعام الطعام وفضل ذلك:

لقد أشار الحديث القدسي إلى ذلك من قوله ﷺ عن رب العزة "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ...، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني ...".

---

(١) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ١٢٦.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥١/٦، وإكمال المعلم، القاضي عياض، ٣٩/٨.

قال القرطبي: وقوله تعالى: «يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدْني واستطعمتُك فلم تُطعمني»: (تَنزُّلٌ في الخطاب، وتلطُّف في العتاب، ومقتضاه التعريف بعظيم فضل ذي الجلال، وبمقادير ثواب هذه الأعمال. ويستفاد منه أن الإحسان للعبيد إحسان للسادة، فينبغي لهم أن يعرفوا ذلك، وأن يقوموا بحقه)[١].

وقال القاضي عياض: (قال الإمام: قد فسر في هذا الحديث معنى المرض، وأن المراد به مرض العبد المخلوق، وإضافة الباري -سبحانه- ذلك إلى نفسه تشريفاً للعبد، وتقريباً له. والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلته محلها، وعبرت عنه كما تعبر عن نفسها، وأما قوله: "لو عدته لوجدتني عنده" فإنه يريد ثوابي وكرامتي، وعبر عن ذلك بوجوده على جهة التجويز والاستعارة، وكلاهما سائغ شائع في لسان العرب...، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾[٢]، يعني مجازاة الله تعالى، ومثل هذا كثير. قال القاضي: وقد جاء في آخر الحديث في الإطعام: "لو أطعمته لوجدت ذلك عندي" أي ثواب ذلك وجزاؤه، وهذا تفسير: "لوجدتني عنده")[٣].

وقد كان النبي ﷺ القدوة والأسوة في عيادة المريض وإطعام الطعام، وهذا ما بينه عثمان بن عفان رضي الله عنه في خطبة له قال: إن والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضاناً، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير"[٤]. وقد أمر ﷺ بذلك فقال: "اطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني"[٥].

وقال ابن عثيمين: (إن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥١/٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٩/٨.

(٤) أخرجه أحمد ٦٩/١ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند إسناده حسن ٥٣٢/١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم؛ لأن هذه قطيعة وأى قطيعة!)[1]، أما إطعام الطعام: (فيجب علينا كفائياً إطعام الجائع إنقاذاً له من ألم الجوع، ومحافظة على صحته بل على حياته، إن كان يودي بها فقد الطعام، وليكن إطعامه من خير ما نطعم به، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾[2]، [3].

وقد حث النبي ﷺ على عيادة المريض وإطعام الطعام، فقال ﷺ: "من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من شهد منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر: أنا. قال: من أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر: أنا. قال رسول الله ﷺ: ما اجتمعت في رجل إلا دخل الجنة"[4].

قال النووي: في قوله ﷺ: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة". قال القاضي: معناه: دخل الجنة بلا محاسبة ولا مجازاة على قبيح الأعمال، وإلا فمجرد الإيمان يقتضي دخول الجنة بفضل الله تعالى"[5].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على سقاية الماء وفضل ذلك:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ عن رب العزة: "يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني!... "قال ابن عثيمين "وفي ذلك دليل على فضيلة إسقاء من طلب منك السقيا، وأنك تجد ذلك عند الله مدخراً"[6]، وبين ﷺ عظم فضل سقيا الماء. فقال: ((بَيْنَمَا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧ .

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٦٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١١٧٢/٢.

رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ. فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ. ثُمَّ خَرَجَ. فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً. ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيْهِ حَتَّى رَقِيَ. فَسَقَى الْكَلْبَ. فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ. فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي هذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1].

قال النووي: (في قوله: "فشكر الله له فغفر له" معناه: قبل عمله وأثابه وغفر له)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣، ومسلم ٢٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٩٨.

الحديث رقم (٨٩٨)

٨٩٨- وعن أَبي موسى ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((عُودُوا المَريضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي)) رواه البخاريُّ[1].

"العَانِي": الأسير.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث من جملة الأحاديث القصار التي تتناول تقوية الروابط الاجتماعية بين المسلمين وقد قام على الأسلوب الإنشائي الذي يمثل جانب الحركة في تجاذب الحوار، وتمثل في أسلوب الأمر في ثلاث جمل اختلف فيها المأمور به، وقد اتصلت أفعال الأمر الثلاثة بواو الجماعة تعميماً للخطاب، وهو خطاب للصحابة ومن بعدهم يطرد باطراد الزمان لهذه الأمة قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد) [2] وقد صدرت أوامر الرسول ﷺ (عُودُوا المَريضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي) بغرض التوجيه، والإرشاد ترغيباً في خصال الخير التي تنشر المحبة بين المسلمين، والتعاون حتى لا يجد المسلم نفسه يوماً في محنة وحده لا يجد من يعينه.

فقه الحديث

١-إطعام الجائع: قال ابن حجر: (قال الكرماني: الأمر هنا "أطعموا الجائع" للندب، وقد يكون واجبًا في بعض الأحوال أ هـ. ويؤخذ من الأمر بإطعام الجائع جواز

---

(١) برقم ٥٦٤٩، ولفظه: (أطعموا الجائع وعودوا المريض، وفكوا العاني)، وأخرجه أيضًا في: ٣٠٤٦، و٥٣٧٣ وليس في واحد منها تقديم: (عودوا المريض)، وقدمه المؤلف لمناسبة الباب، وبهذا الترتيب الذي أورده المؤلف، أخرجه أبو يعلى المسند ٢١٠/١٣ رقم ٧٣٢٥/١٠٥.

(٢) التباين في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي صـ ٢٩٢.

الشبع، لأنه ما دام قبل الشبع فصفة الجوع قائمة به، والأمر بإطعامه مستمر)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أن إطعام المضطر واجب، فإذا أشرف على الهلاك من الجوع أو العطش ومنعه مانع، فله أن يقاتل؛ ليحصل على ما يحفظ حياته)[٢].

٢-فك الأسير: قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فكاك الأسير واجب على الكفاية. وبه قال الجمهور. وقال إسحاق بن راهويه: من بيت المال. وروى عن مالك أيضًا. وقال أحمد: يفادى بالرؤوس، وأما بالمال فلا أعرفه. ولو كان عند المسلمين أسارى وعند المشركين أسارى واتفقوا على المفاداة تعينت. ولم تجز مفاداة أسارى المشركين بالمال)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "عودوا المريض وأطعموا الجائع، وفكوا العاني"حيث أمر ﷺ بعيادة المريض وإطعام الجائع وفك الأسير، والأمر من الأساليب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١٩/٩ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/٥ ومراجعها: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٨٣/٥ ط/ بولاق، والمبسوط، السرخسي ٢٦، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٢٤٢/٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٠/٩، وقليوبي وعميرة ٩٦/٣، ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦٧/٦ . وانظر للمزيد من التفصيل: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٠٣/٤، ٢١٤-٢١٥ ومراجعها ومصادرها.

الدعوية التي تعين الداعية على توجيه وإرشاد المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك الأمر من الخير والفائدة التي تعود على المدعو والمجتمع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

على المؤمن أن يرعى حق أخيه بزيارته في مرضه، وإطعامه إذا جاع، والعمل على فكه من الأسر، وهذا ما يقتضيه الحث على البر والتعاون على التقوى، وتدعيم أخوة المسلمين[١]. وهذا يستفاد مما ورد في الحديث من حثه ﷺ على عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني، تأكيداً لقوله ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))[٢]. وقوله: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[٣]. أي: (دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في ذلك)[٤].

فعيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني من حقوق المسلم على المسلم، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال في عيادة المريض: ((إن من عاد مريضاً خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقر فيها))[٥]. وقال: ((من أتى أخاه المسلم عائداً، مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن كان مساءً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح))[٦].

أما إطعام الطعام، (فقد بين النبي ﷺ أنه من أفضل خصال المسلمين المتعدية النفع إلى الغير)[٧]، (فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٠٧).

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٤٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٨٣).

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

الإسلام خير؟ قال: "تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)[١].

قال القرطبي: (وجمع له بين الإطعام والإفشاء لاجتماعهما في استلزام المحبة الدينية، والألفة الإسلامية)[٢].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل إطعام الطعام وفك العاني، فقال في سورة البلد: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: و"العقبة قيل هى جبل في جهنم"[٤].

وقد أخبر تعالى عن كيفية اقتحامها فقال "فك رقبة"، قال السعدي: (أى: فكها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار، أو إطعام في يوم ذي مسغبة" أى مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة، أشد الناس حاجة، "يتيماً ذا مقربة" أى جامعاً بين كونه يتيماً، وفقيراً ذا قرابة، أو مسكيناً ذا متربة، " أى: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة)[٥].

فينبغي على المسلم أن يحرص على عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك الأسير، لما لهذه الأشياء من أجر عظيم، وأثر جليل، في تحقيق المودة والألفة بين المسلمين.

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لأوامر النبي ﷺ في عيادة المريض وإطعام الجائع وفك العاني:

قد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم ٣٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٢/١.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٦ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/ ٤٠٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٥٥.

إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أي: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه، والنهى عنه، ثم حذر من عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فإياكم أن تردوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه)[2]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله وأمر رسوله ﷺ في عيادة المريض، وإطعام الجائع، وفك العاني، لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

الحديث رقم (٨٩٩)

٨٩٩- وعن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قَالَ: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ اخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)).

قِيلَ: يَا رَسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: ((جَنَاهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

غريب الألفاظ:

جناها: كل ما يجتنى من الثمر[2].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الترغيب في زيارة المريض يتقدمه من التوكيد ما يكفل له قسطا مناسباً من العناية، والاهتمام ثم جاء أسلوب الشرط الذي يربط عيادة المسلم أخيه بالكون في خرفة الجنة أي ثمارها، وهو أسلوب ترغيب يأخذ الإنسان الحريص على الخير من جانب ما يحب، والتعبير بلم يزل يفيد الاستمرارية، والتعبير بخرفة الجنة يستحضر في عقل المخاطب لحظة جمع الثمار ينتقي أطيبها، وإضافتها للجنة تعطيها بعداً إيحائياً لمدد لا ينقطع، وثمر لا يعطب، ولا تشوبه شائبة، وقوله حتى يرجع بيان للغاية، يدفعه إلى البقاء أطول فترة ممكنة، لأنه يعلم أنه بها في الجنة.

---

(١) برقم ٢٥٦٨/٤١ بدون الشطر الأخير، وأما الشطر الأخير فبرقم ٢٥٦٨/٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٠.
تنبيه: جمع المنذري بين لفظي الحديث في حديث واحد، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعاً: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على بيان أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على عظم فضل وأجر من عاد مريضاً بأنه لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على زيارة المريض وثواب ذلك:

قد أشار الحديث إلى ذلك في قوله ﷺ: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة".

قال القاضي عياض: (وعيادة المريض من الطاعات المرغب فيها، العظيمة الأجر. وقد جاء فيها هذا الحديث وغيره. وقد يكون من فروض الكفاية، لاسيما المرضى من الغرباء ومن لا قائم عليهم ولا كافل لهم، فلو تركت عيادتهم لهلكوا، وماتوا ضراً وعطشاً وجوعاً، فعيادتهم تطلع على أحوالهم ويتذرع بها إلى معونتهم، وإعانتهم، وهي كإغاثة الملهوف، وإنجاء الهالك، وتخليص الغريق. من حضرها لزمته، فمتى لم يعادوا لم يعلم حالهم في ذلك.

ولفظة "العيادة" تقتضي التكرار والعود والرجوع إليه مرة بعد أخرى لافتقاد حاله. والعودة: الرجوع، ومنه: العود أحمد. وجاء: عوداً بعد بدء، أي رجع. ويقال: عدت المريض عوداً وعيادة، والياء عندهم منقلبة عن واو)[1].

وقوله ﷺ "لم يزل في خرفة الجنة"، قال القاضي: قال الإمام: قال أبو عبيد: قال

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٧/٨.

الأصمعي: واحد المخارف مخرف. وهو جناء النخل، سمي بذلك لأنه يخترف، أي يجني. قال شمر: المخرفة: سكة بين صفين من نخل يخترف من أيهما شاء. وقال غيره: المخرفة: الطريق، فمعنى الحديث: أنه على طريق تؤديه إلى الجنة، أ.هـ.

وقال القاضي: وقد قيل: المخرف: البستان الذي فيه الفاكهة تخترف. وقيل: القطعة من النخل. وقال الخطابي: المخرف بالفتح: الفاكهة نفسها. والمخرف بالكسر: وعاء يجمع فيه ذلك. ومنهم من يفتح الميم فيجله كالمسجد، والمسجد لموضع السجود ومنهم من يكسرها فيجعله كالمربد)[١].

وقال النووي: (أي: يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها)[٢]، وقال ابن عثيمين: (أي أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض...)[٣]، وقال ابن علان: (قال التوربشتي: المعنى أنه بسعيه إلى عيادة المريض يستوجب الجنة ومخارفها، والعيادة لما كانت مفضية إلى مخارف الجنة سميت بها)[٤]، وبين ابن الأثير أن: ("المخارف" جمع مخرف بالفتح وهو الحائط من النخل؛ أى: أن العائد فيها يحوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترف ثمارها، وقيل: المخارف جمع: مخرفة، وهى سكة بين صفين من نخل تخترف من أيهما يشاء؛ أى: يجتني، وقيل: المخرفة الطريق؛ أى أنه على طريق تؤديه إلى طريق الجنة)[٥].

(ومعنى هذا الحديث، أن عائد المريض بما يناله من أجر العيادة وثوابها الموصل إلى الجنة كأنه يجتني ثمرات الجنة، أوكأنه في مخرف الجنة، أي: في طريقها الموصل إلى الاخترافِ. وسُمي الخريفُ بذلك؛ لأنه فصل تخترف فيه الثمار)[٦].

---

(١) المرجع السابق ٣٧/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٢٩

(٣) شرح رياض الصالحين ٢ /١١٧٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١١٩.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٠.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥٠/٦.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

وورد الترغيب في الحديث من قوله ﷺ: "لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"، "ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جداً، والعبد يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في الترغيب في هذه الأنواع"[(١)]، "فالترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[(٢)].

"ومما لا شك فيه أن لكل أجير أجره، ولكل عامل أجره على عمله، ورب العزة والجلال أعطي عباده العمال الأجر العظيم على إيمانهم واستقامتهم على طاعته والتزامهم بمنهجه ﷺ[(٣)]، فقال عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٤)]، وبناء على ذلك فقد كان الترغيب هو الأسلوب النبوي في الحث على عيادة المريض، والترغيب في ذلك، بذكر أن العائد للمريض يكون في خرفة الجنة يجني من ثمارها حتى يرجع.

رابعاً- من آداب الداعي: البيان والإيضاح لأهمية مواساة المسلم وعيادته:

"لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً"[(٥)]، فقال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[(٦)]، قال السعدي: "وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتاب، وعلمه العلم

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

(٢) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧ .

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل[1]. فعلى الداعية أن يمتثل لقول الله تعالى في ذلك ويبين أهمية مواساة المسلم وعيادته.

وقد بين ابن القيم أن لمواساة المؤمنين أنواعًا: (منها: "مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكن هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له.

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[2].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٧.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

الحديث رقم (٩٠٠)

٩٠٠- وعن عليّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يَقُولُ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوة إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

"الحَرِيفُ": التَّمر المَخْرُوفُ، أي: المُجْتَنى.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

غدوة: الغدوة هي ما بين الفجر وطلوع الشمس. والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال[2].

عشية: من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة[3].

الخريف: الثمر المخروف، أي: المجتنى[4].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر لمن عاد مسلماً غدوة على صلاة سبعين ألف ملك عليه، وكذلك يقصر من عاد مسلماً عشية على صلاة سبعين ألف ملك له حتى يصبح، وهذا القصر مع إثباته هذا المعنى، فإنه ينفي عنه ضده، وهو الحرمان من استغفار هذا

---

(١) برقم ٣٠٩٨ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٢٩٥٨، وقال الحاكم ٣٤١/١: هذا حديث إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٩٢.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ش ي)، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

(٤) رياض الصالحين ٣٥٧.

العدد من الملائكة له، ومعنى صلاة الملائكة استغفارهم للعبد، والتعبير عن الاستغفار بالصلاة، لأن التعبير بالصلاة مع دلالته على الاستغفار يستصحب معنى الصلة، والدعاء، والطهر، وفي الحديث طباق بين غدوة، وعشية، وبين يصبح، ويمسي يؤكد الفترة الزمنية التي يظل فيها هذا العدد من الملائكة يستغفرون له، وإن كان الله تعالى قد جعل كل هذا العدد يستغفر على هذا العبد ألا يستجيب لهم، وهل جعلهم يستغفرون لكي لا يغفر، المعنى دليل على عظمة فضل الله، ورحمته على عباده، لأنه رحم المريض بجمع إخوانه من حوله، يخففون عنه، ورحم إخوانه بما أعد لهم من مغفرة، ورحمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض.

ثالثاً: من مهام الداعية: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على عيادة المريض والمداومة عليها:

(العيادة: لغة: الزيارة، وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد، وقد اشتهرت العيادة في زيارة المريض حتى صارت كأنها مختصة به)[1]، وقد حث النبي ﷺ عليها، وهذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ...إلخ".

قال المباركفوري: في قوله ﷺ: "إن ما من مسلم يعود مريضاً غدوة" أى: ما بين صلاة الغدوة وطلوع الشمس ...، والظاهر أن المراد به أول النهار وما قبل الزوال. "إلا صلى عليه" أى دعا له بالمغفرة سبعون ألف ملك، "حتى يمسى" من الإمساء (وإن عاد عشية) أى: ما بعد الزوال أو أول الليل ...، (وكان له) "أى للعائد (خريف) أى بستان وهو في الأصل الثمر المجتني أو مخروف من ثمر الجنة"[2]، وفي ذلك حث من النبي ﷺ للمسلمين على عيادة المريض والمداومة عليها وقد كان رسول الله ﷺ يحث على

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٠٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٦١/١.

عيادة المريض، وكان ﷺ يعود من مرض من أصحابه، وعاد غلامًا كان يخدمه من أهل الكتاب[١]، وعاد عمه وهو مشرك[٢]. وعرض عليهما الإسلام، فأسلم اليهودي، ولم يسلم عمه.

وكان يدنو من المريض، ويجلس عند رأسه، ويسأله عن حاله، فيقول كيف تجدُك؟[٣].

وكان يمسح بيده اليمنى على المريض، ويقول: ((اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشفه أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا))[٤] وكان يدعو للمريض ثلاثًا كما قاله لسعد: ((اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا))[٥].

وكان إذا دخل على المريض يقول له: ((لا بأس طهور إن شاء الله))[٦].

وكان يرقي من به قرحة، أو جرح أو شكوى، ولم يكن يخص ﷺ يومًا من الأيام بعيادة المريض، ولا وقتًا من الأوقات، بل شرع لأمته عيادة المريض ليلاً ونهارًا، وفي سائر الأوقات كما في الحديث الذي معنا: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة... وإن عاده عشية... إلخ[٧].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الثواب العظيم المترتب على عيادة المريض:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إلا صلى عليه سبعون ألف ملك" وأيضاً في قوله ﷺ: "وكان له خريف في الجنة"، فهذا ثواب عظيم إذا يصلي عليه سبعون ألف ملك، ويظل يجني من ثمار الجنة. وقد بين النبي ﷺ عظم فضل عيادة المريض،

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري ١٣٥٦.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري مطولاً ١٣٦٠، ومسلم ٢٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٣٦).

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٧٥، ومسلم ٢١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم واللفظ له ١٦٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٣٦١٦.

(٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٩٤-٤٩٧.

فقال: "من عاد مريضاً نادى منادٍ من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً"[١]، قال الطيبي: "في قوله ﷺ: "طبت"، "وأصل الطيب ما يستلذه الحواس، وما تستلذه النفس. والطيب من الإنسان من تزكى عن نجاسة الجهل والفسق وقبائح الأعمال، وتحلى بالعلم والإيمان ومحاسن الأفعال. أقول: قوله: "طبت" دعاء له بأن تطيب عيشه في الدنيا. "وطاب ممشاك" كناية عن سيره وسلوكه طريق الآخرة بالتعري من رذائل الأخلاق، والتحلي بمحاسن الأفعال ومكارمها "وتبوأت" دعاء بطيب العيش في الآخرة"[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأجر عيادة المريض.

ثالثاً- من آداب الداعي: ترغيب المدعوين في عيادة المريض وبيان فضل ذلك:

فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في فعل كل ما يحصل لهم به الخير في الدنيا والآخرة، ومن ذلك الخير العظيم، عيادة المريض لما فيه من أجر عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة، فقد قال رسول الله ﷺ: "أيما رجل يعود مريضاً فإنما يخوض في الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة"[٣]، قال الطيبي:"يخوض في الرحمة" شبه الرحمة بالماء إما في الطهارة، أو في الشيوع والشمول"[٤]، "هذا فضلاً عن أن عيادة المريض تذكرة ومحبة ومنفعة، فهي تذكر الإنسان بنعم الله تعالى، وتعرفه قيمة الصحة التي يتمتع بها، فينطق بشكر مسديها، وهي تزرع المحبة بين المريض وعواده، بل بينهم وبين قرابته، وهى نافعة للمريض تروح عنه وتسليه، وربما وصف العائد دواء ذهب بالداء؛ أو أرشد إلى طبيب ماهر"[٥]، فعلى الداعية أن يرغب المدعوين في عيادة المريض، وأن يبين لهم فضل وثواب ذلك عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣١٥ - ٣١٦.

(٣) أخرجه أحمد ٣/١٧٤ رقم ١٢٧٨٢، قال محققو المسند حديث صحيح لغيره ٢٠/١٧٩-١٨٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣١٧.

(٥) الأدب النبوي، محمد الخولي، ١٠٧.

الحديث رقم (٩٠١)

٩٠١- وعن أنسٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((أَسْلِمْ)) فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: ((**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الرسول المعلم ﷺ يعلمنا معالي الأخلاق بالفعل قبل القول كما تبين قصة هذا الحديث حيث قصد بالزيارة غلاماً وأي غلام؟!، غلام يخدمه، وأي خادم؟! خادم يهودي، وهو خير خلق الله، وهل صار خير خلق الله إلا بهذا القلب الكبير الذي وهبه الله- تعالى- إياه فوسع الناس جميعاً؟!، وتأمل البناء التركيبي للحديث الذي ينبيء بعظيم أخلاق النبي ﷺ حيث أنبأت فاء العطف بسرعة التحرك لزيارته في قوله: (فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ)، ثم قوله: (فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ) الذي يدل على التقريب والرحمة به ثم دعوته إلى الإسلام التي تدل على منتهى الرحمة، ومن يستشعر عظمة رحمة الرسول ﷺ يشعر أنه كان يدعوه إلى الإسلام بلسانه، وقلبه يدعو الله تبارك وتعالى أن يهديه إلى الإسلام، ونظرة الولد إلى أبيه كناية عن استئذانه، فألان الله قلب والده، فقال له أطع أبا القاسم فلما أسلم خرج رسول ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) وهو يؤكد ما سبقت الإشارة إليه من رحمة الرسول به ورغبته في إسلامه.

---

(١) برقم ١٣٥٦.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (وفي الحديث:

١- جواز استخدام المشرك.

٢- عيادة المشرك إذا مرض[١].

٣- وعرض الإسلام على الصبي ولولا صحته ما عرضه عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: اليهود.

ثانياً: من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم.

ثالثاً: من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس.

أولاً- من أصناف المدعوين: اليهود:

ووردت الإشارة إلى ذلك في دعوته ﷺ لغلام يهودي كان يخدمه ﷺ، "واليهود من أهل الكتاب: هم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ وسموا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة"[٣]، "وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية دعوة أهل الكتاب لتكون المجادلة بالحسنى وبالقول اللين الجميل، لأنه أقرب طريق إلى قبولهم للحق كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٤]، [٥].

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨٦/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢١/٣ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد أبو الفتوح البيانوني، ١٧٩.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٦ .

(٥) الدعوة، د. حمد العمار، ١٧٨.

وقال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[١].

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله محمد ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله "بالحكمة")[٢]، والدعوة بالحكمة (هي إصابة الحق بالعلم والعقل)[٣]، وهي منحة الله لأنبيائه، ولمن يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾[٥].

(وكما أن الحكمة تعني وضع الشيء في موضعه، فهي أيضاً تعني العقل والوعي وتقدير الموقف، ثم التفاعل مع الحدث تفاعلاً مثمراً لا يخرج عن نهج الحق الصواب، الذي اتضحت معالمه بنور القرآن وسير الأنبياء، والحكمة ليست هي اللين والضعف كما يظن البعض، بل هي أكبر من ذلك، والحكمة إذا أفردت بالذكر، دخلت فيها الموعظة الحسنة، والمجادلة بالحسنى، والمجادلة بغير الحسنى لمن يستحق ذلك)[٦].

(ولما كان الناس مختلفين في طبائعهم ومدركاتهم، في العلم والذكاء، وفي الأمزجة والمشاعر، وفي الميول والاتجاهات)[٧]، (فقد سلك النبي ﷺ: "الطرق الكفيلة معهم لنجاح دعوته، فأورد لكل مقام مقالاً يليق به، وخاطب كل طبقة بما يناسبها)[٨]. فعلى الداعية أن ينتهج نهجه ﷺ في دعوته لغير المسلمين، بما في ذلك من الدعوة بمكارم الأخلاق.

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٦١١٣/٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ١٢٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٤ .

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٦٩ .

(٦) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، د. زيد بن عبدالكريم الزيدص ٣٨.

(٧) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان، ٢٣٢.

(٨) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ٣١.

ثانياً- من صفات الداعية: التواضع والتواصل مع المدعوين وعيادتهم:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول أنس رضي الله عنه: "فأتاه النبي ﷺ يعوده"، فمن أهم صفات الداعية التي يستطيع من خلالها أن يصل بدعوته إلى المدعوين هي صفة التواضع، وقد أمر الحق تبارك وتعالى نبيه ﷺ بذلك فقال: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال ﷺ: "إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[2]، "وكان أبو بكر رضي الله عنه "إذا مُدح قال: "اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[3]، فعلى الداعية أن يجعل التواضع صفة لازمة له.

(أما حسن اتصال الداعية بالمدعوين فبه يكون نجاح الداعية في تحقيق أهدافه، ونشر رسالته، فالدعوة إلى الله تعالى تفاعل تبادلي بين الداعية والمدعوين)[4]، ومن حسن الاتصال بين الداعية والمدعو، حرص الداعية على عيادة المرضى من المدعوين لما في ذلك من تقوية لأواصر المحبة، وحدوث الألفة، مما يساعد الداعية على تبليغ ونشر دعوته للمدعوين، فإن عيادة المريض أمر له فائدة عظيمة، وإن كان غير مسلم، وهي دعوته للإسلام وتذكيره بالله تعالى، وإيناسه بما يخفف ألمه ويذهب أوجاعه ... وعلى الداعية الطمع في هداية العاصين وعدم اليأس منهم[5].

قال ابن عثيمين: (وعلى ذلك فإذا مرض إنسان كافر فلك أن تعوده إذا رجوت في عيادته خيرًا، بأن تعرض عليه الإسلام لعله يُسلم، فهؤلاء العمال الذين عندنا الآن من الكفار - وهم كثيرون- لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأن نجعلهم في منزلة البهائم

---

(١) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٣٥.

(٤) المنتدى في البناء الدعوي، أحمد عبدالرحمن الصويان.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم ص ٤٩٩.

يعملون لنا دون أن ندلهم على الحق، فهم لهم حق علينا واجب أن ندعهم للإسلام، ونبين لهم الحق، ونرغبهم فيه، حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من النصارى والبوذيين وغيرهم، ثم لا نجد من يُسلم منهم إلا واحدًا بعد واحدٍ بعد عدة أيام؛ فهو دليل على ضعف الدعوة عندنا، وأننا لم نحاول أن ندعوهم للإسلام، وهذا -لا شك- تقصير منَّا، وإلا فإن العامل جاء يتكفف الناس في الواقع يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللين ورغبناه لحصَّلنا خيرًا كثيرًا، واهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكننا في غفلة عن هذه الدعوة إلى الحق، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في هذه الأمور[1].

ثالثاً- من واجبات الداعية: الحرص على هداية الناس:

إن مما يستفاد من الحديث حرصه ﷺ على دعوة الغلام اليهودي إلى الإسلام قبل موته، ويظهر ذلك من قول الراوي "فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" ...، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول "الحمد لله الذي أنقذه من النار"، وليس أدل على حرصه ﷺ على هداية الناس من قوله ﷺ: "مثلي كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال فذلكم مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني تقحمون فيها"[2].

وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "قوله ﷺ: "مثلي" أى في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار، ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل (كمثل رجل... إلخ)[3].

وقال النووي: "مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش، وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا، مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٧٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٢٦، ومسلم ٢٢٨٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٣٤ - ٥٣٥.

إياهم"[١]، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على هداية الناس واجتهاده ﷺ في ذلك، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على هداية الناس من الضلال، وأن يكون طالباً للأجر في ذلك من الله، وقد بين ﷺ عظم الأجر في ذلك فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً"[٢].

وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[٣].

قال النووي: في قوله ﷺ: (حمر النعم هي: الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٣) أخرجه مسلم٢٤٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤١٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم العلاقات الإنسانية الطيبة:

جاءت أحاديث الباب داعية إلى إيجاد العلاقات الطيبة بين فئات المجتمع، ودعمها بما يضمن بقاءها واستمرارها، كالقيام بالواجبات الاجتماعية، كعيادة المريض واتباع الجنائز ونصر المظلوم ونحوها، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "أَمَرَنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

وإذا كانت مثل هذه الأعمال الطيبة مرغب بها في جميع أوساط وشرائح المجتمع فمن أولى الشرائح بالالتزام بها العاملون في المجال التربوي والتعليمي، وذلك ارتكازاً على: "أن المعلم والتعليم من الأعمال الاجتماعية الخاصة بالبشر، ولذا تستهدف التربية الإسلامية دعم العلاقات الإنسانية الطيبة بين القوى البشرية المؤثرة في العمل التربوي لما لها من عائد تربوي مثمر"[(١)].

"إن من حق أي مسلم في المجتمع الإسلامي -خاصة القائمين على التربية- أن يشعر بأن أخاه المسلم ظَهْر له في السراء والضراء، وأن قوته لا تتحرك في الحياة وحدها، بل إن قوى إخوانه تساندها وتشد أزرها، ومن ثَمَّ كانت الأخوة الخالصة نعمة مضاعفة لا نعمة التجانس الروحي فحسب، بل نعمة التعاون المادي والحسي كذلك[(٢)]، فإن المجتمع الإسلامي كلُحْمَة واحدة وجسد واحد، كما يصور لنا ذلك حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَه سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[(٣)].

ثانياً- التفاعل والمشاركة الاجتماعية:

إن من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية إيجاد التفاعل والمشاركة الاجتماعية، وقيام كل فرد من أفراد الجماعة بمسؤولياته الاجتماعية.

---

(١) انظر: في الفكر التربوي الإسلامي، د. لطفي بركات أحمد، ص١٧٢، ١٧٣.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

وقد جاء في أحاديث الباب التوجيه إلى عدة أمور تدعم المحبة والإخاء وترفع لواء التكافل الاجتماعي منها عيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم بتحقيق المحلوف عليه شريطة ألا يكون فيه معصية ولا يؤدي إلى شر ولا معصية، وإعانة المظلوم وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، وإطعام الجائع، وفكاك الأسير، وغير ذلك من أعمال البر.

"إن الإسلام دين شامل ينتظم علاقات المجتمع كلها ويهتم بارتقائها إلى أعلى مستوى من العمل الرفيع والتعاون البديع"[1]، وما جاء في أحاديث الباب من الدعوة إلى الإتيان بأفعال الخير سواء كانت مادية، كإطعام الجائع وفك الأسير أو معنوية، كعيادة المريض وإفشاء السلام ونحوهما يدل على "مسئولية المسلم الاجتماعية تجاه المجتمع وأفراده، وهذا كفيل ببناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على التكافل والتعاون والحب والمودة والتآلف والرحمة"[2].

إن أحد أهم أهداف التربية الإسلامية هو إقرار التكافل الاجتماعي وتفعيله بين أفراد المجتمع، إذ أن التكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، وهو "نتاج المساواة والإخاء المستمدين من الإسلام وتصوراته للعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الإسلامي، ومعنى التكافل الاجتماعي أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته وللجماعة هيبتها وسيطرتها فتعيش الأفراد في كفالة الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم"[3].

ثالثاً- من القيم التربوية لأعمال البر والخير:

لقد جاءت أحاديث الباب آمرة بكثير من ضروب فعل الخير والبر كإطعام الطعام وفك العاني ونصر المظلوم وإبرار المقسم وعيادة المريض، وغير ذلك من أعمال الخير التي تشيع روح الإخاء والمحبة، وتربط بين المسلمين بروابط هي أشد وأوثق من روابط الدم

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٤٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٢٥٠.

(٣) انظر: المجتمع المتكافل في الإسلام، عبدالعزيز خياط، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٧٢م، ص٧٢.

والنسب، وهذه الأعمال تحمل قيماً تربوية تتمثل فيما يلي:

أ-نمو شخصية القادر الغني وكيانه المعنوي، فمثلاً قال الله عن الزكاة وإعانة الفقراء والمساكين: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]. فَعَطْفُ التزكية على التطهير قد يفيد هذا المعنى، فالطهارة نمو وسمو وارتقاء بكيان الغني وارتقاء لشخصيته إلى الفضيلة، وبعداً عن الرذيلة، ويدرك الغني أنه شخص له قيمة وهو مسئول عن إخوانه من المسلمين فتنشأ رابطة الحب فيحتاج الفقير إلى الغني، ويحتاج الغني إلى الفقير لأن الفقير يكون سبباً في فلاح وصلاح وارتقاء وسمو شخصية الغني وكيانه في الدنيا والآخرة[2].

ب-إن أعمال الخير والتي ورد منها في أحاديث الباب من إطعام الجائع وفك العاني ونصرة المظلوم وإبرار المقسم ونحوها وسيلة من وسائل الضمان والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام.

"إن الإسلام يأبى أن يوجد في مجتمعه من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يزينه ويواريه والسكن الذي يؤويه، فهذه ضروريات يجب أن تتوافر لكل من يعيش في ظل الإسلام، والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضروريات، وما فوقها من جهده وكسبه فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه ولا يدعه فريسة الجوع والعرى والمسكنة، فهكذا علّم الإسلام المسلمين أن يكونوا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى"[3].

إن البر -والقيام بمفرداته من نشر الخير وإسعاف المحتاج وغير ذلك- يُعد قيمة خلقية عظيمة من أكثر القيم الإسلامية جمعاً للخير ووجوه الإحسان، وهو منتهى طريق الخصال الحميدة وجامع لخيري الدنيا والآخرة، وهو كذلك وصف الله به تعالى أهل الخير فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[4]، ولهذا حث عليه ديننا الحنيف وشجع

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: جوانب تربوية في الفقه الإسلامي، د. مصطفى رجب، ص٢١٥.

(٣) انظر: العبادات في الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص٢٧٦.

(٤) سورة الانفطار، آية: ١٣.

الناس على تطبيقه في واقع حياتهم، وقد كان من ثمرات ذلك انتشار جمعياته ومؤسساته ورجاله، سواء في العمل الخيري الإغاثي أو في تقديم يد العون والمساعدة بأوسع معانيها، ولذلك عاش المسلمون في ظل الإسلام يكفل بعضهم بعضاً، وانتشر الخير والبر والإحسان في كافة المجتمعات الإسلامية، بل تعدى هذا الخير والبر إلى غير المسلمين، فهي بحق من أَجَلِّ وأعظم القيم، والتي يحق للمسلم أن يفخر بها لأنها أثمرت ثماراً عظيمة وصارت من محاسن هذا الدين العظيم"[1].

رابعًا: من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب أساليب تربوية، يستفاد منها تربويًا وتعليميًا من ذلك:

أ-التلقين والنصيحة: كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وإبرار المقسم ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام".

ويمكن للمعلم أن يستخدم التلقين مع المتعلمين الكبار من أجل توضيح بعض الحقائق والمفاهيم المختلفة.

ب-الترغيب: كما في حديث علي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلّى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة" والترغيب يستخدمه المعلم لجذب المتعلمين لفعل الخير والمسارعة إليه.

ج-الحوار والمناقشة: كما في حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خُرفة الجنة حتى يرجع، قيل: يا رسول الله وما خُرفة الجنة؟ قال: جناها".

ومما لا شك فيه أن الحوار والمناقشة من الأساليب التي تفعل دور المتعلم وتجعله إيجابيًا ومشاركًا في العملية التعليمية.

د-الممارسة العملية: كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص٤٥.

النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: "أسلم" الحديث.

والممارسة العملية تتميز بشدة بقاء أثر التعليم في نفوس المتعلمين.

❁ ❁ ❁

١٤٥- باب مَا يُدعى به للمريض

الحديث رقم (٩٠٢)

٩٠٢- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، كَانَ إِذَا اشْتَكى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكَذا - وَوَضَعَ سُفْيَانُ (بْنُ عُيَيْنَة الرَّاوِيُّ[1]) سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَها - وقال: ((بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

القرحة: البَثْرةُ (الرُّمَّلُ) إذا دبَّ بها الفساد[3].

قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا: فيه إطلاق القول على الفعل[4].

بريقة: أقلّ من الريق وهو اللعاب[5].

سقيمنا: مريضنا[6].

الشرح الأدبي

قوله: (كَانَ إِذَا اشْتَكى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ) كناية عن العضو المصاب بالمرض، والتعبير ب (اشتكى) يدل على اشتداد المرض، وإشارة النبي بأُصْبُعِهِ التي حكاها الراوي بقوله (وضع سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَها) تدل على اجتماع الفعل مع القول في هذه

---

(١) هذه الزيادة من النووي.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٥، ومسلم واللفظ له ٢١٩٤/٥٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ح).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٠.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ق)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

الرقية، والتضاد بين وضع، ورفع يصور أصبع الرسول ﷺ منخفضاً إلى الأرض ثم مرتفعاً والإشارة تعين على فهم المعنى، وثباته لارتباطه بحدث فعلي، ، وقول الرسول ﷺ (بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإذْنِ رَبِّنَا) واتصال الأسماء في العبارة ب (نا) الجمع يشير روح الجماعة المسلمة التي تحيط بالمريض حتى تخفف عنه كما أن الجمع في الدعاء مستحب، وفي العبارة سجع بين الجمل الأربع الأخيرة أعطى العبارة عذوبة، وجمالاً، مع تسهيل الحفظ، وسرعة الانتشار.

فقه الحديث

١-استحباب الدعاء للمريض:

قال النووي في المجموع: (يستحب للعائد إذا طمع في حياة المريض أن يدعو له، سواء رجا حياته أو كانت محتملة، وجاء في الدعاء للمريض أحاديث كثيرة جمعتها في كتاب الأذكار)[1].

قلت: وهذه الأحاديث هي أحاديث الباب.

٢-جواز الرقى:

قال النووي: (معنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الموضع الجريح أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح، والله أعلم)[2].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[3].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٥/٥ . وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٩-١٦٢، وانظر: كذلك: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦١/٣-٣٦٢ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧٩/٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٣/١٤/٧ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/١٠، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٩/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في رقية القرحة والجرح ونحوه والاقتداء به في ذلك:

لقد أشار الحديث إلى ذلك في قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا... إلخ". قال ابن القيم: (ومعنى الحديث: أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء، فيمسح به على الجرح ويقول هذا الكلام؛ لما فيه: من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه، فينضم أحدُ العلاجين إلى الآخر، فيقوى التأثير)[1]، وقال النووي: (قال جمهور العلماء المراد بأرضنا هنا جملة الأرض. وقيل: أرض المدينة خاصة لبركتها، والريقة أقل من الريق، ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب، فيعلق بها منه شيء فيمسح به على الموضع الجريح، أو العليل، ويقول هذا الكلام في حال المسح والله أعلم)[2].

قال ابن حجر: (قال القرطبي: فيه دلالة على جواز الرقى من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم، قال: ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض ووضعها عليه يدل على استحباب ذلك عند الرقية)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه إذا كان في الإنسان المريض جُرح أو قرحة أو نحو ذلك؛ كان النبي ﷺ يبل إصبعه ثم يمسح بها الأرض فيأخذ من التراب بهذا البلل، ثم يمسح

---

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١٠.

به الجرح ويقول: "تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى به مريضنا بإذن ربنا" وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يداوى الجرح بمثل ذلك"[١].

وقال القرطبي: (ووضع النبي ﷺ سبابته بالأرض، ورُقاهُ بها يدل: على استحباب ذلك عند الرُّقي. "وزعم بَعْضُ علمائنا"[٢] أن ذلك معللٌ: بأن تراب الأرض لبرودته، ويبسه يقوي الموضع الذي به الألم ويمنع انصباب المواد إليه بيبسه وتجفيفه، مع منفعته في تجفيف الجراح وإدمالها. وقال في الرِّيق: إنه يختص بالتحليل، والإنضاج، والإدمال، وإبراء الجراحات، والأورام، والثآليل، لاسيما من الصائم والجائع. قلت: وهذا إنما يكون عند المعالجة، والشروع فيها على قوانينها، من مراعاة مقدار التراب والريق، وملازمة ذلك في أوقاته)[٣].

وقال ابن القيم: (هذا من العلاج السهل الميسر النافع المركب، وهي معالجة لطيفة يعالج بها القروح والجراحات الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية. إذا كانت موجودة بكل أرض. وقد عُلِم: أن طبيعة التراب الخالص باردة يابسة، مجففةٌ لرطوبات القروح والجراحات، التي تمنع الطبيعةُ من جودة فعلها، وسرعة اندمالها؛ لاسيما في البلاد الحارة، وأصحاب الأمزجة الحارة. فإن القروح والجراحات يتبعها - في أكثر الأمر - سوء مزاج حار، فيجتمع حرارة البلد والمزاج والجراح، وطبيعة التراب الخالص باردة يابسة أشد من برودة جميع الأدوية المفردة الباردة؛ فَتُقَابلُ برودة التراب حرارة المرض، لا سيما إن كان التراب قد غُسل وجُفف. ويتبعها أيضًا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان؛ والتراب مجفف لها، مزيل: - لشدة يبسه وتجفيفه - للرطوبة الرديئة المانعة من بُرئها. ويحصل به - مع ذلك- تعديل مزاج العضو العليل. ومتى اعتدل مزاج العضو: قويت قواه المدبرة، ودفعت عنه الألم بإذن الله)[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٧٥ - ١١٧٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/٩٥ - ٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٧٩ - ٥٨٠.

(٤) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

وقال ابن حجر نقلاً عن البيضاوي: (قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلاً في النضج وتعديل المزاج، وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر، فقد ذكروا أنه ينبغي للمسافر أن يستصحب تراب أرضه إن عجز عن استصحاب مائها، حتى إذا ورد المياه المختلفة جعل شيئًا منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك. ثم إن الرقى والعزائم لها آثار عجيبة، تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها)[1].

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله: (ولا ريب أن من التربة ما تكون فيه خاصية، ينفع بخاصيته من أدواء كثيرة. ويشفى بها أسقامًا رديئة. قال جالينوس: "رأيت بالإسكندرية مطحولين ومستسقين، كثيرًا يستعملون طين مصر، ويطلون به على سوقهم وأفخاذهم وسواعدهم وظهورهم وأضلاعهم، فينتفعون به منفعة بينة. قال: وعلى هذا النحو، قد ينفع هذا الطلاء للأورام العفنة والمترهِّلة الرخوة. قال: وإني لأعرف قومًا - ترهلت أبدانهم كلها من كثرة استفراغ الدم من أسفل - انتفعوا بهذا الطين نفعًا بينًا؛ وقومًا آخرين شفوا به أوجاعًا مزمنة، كانت متمكنة في بعض الأعضاء تمكنًا شديدًا، فبرأت وذهبت أصلاً". وقال صاحب الكتاب المسيحي: "قوة الطين المجلوب من كنوس - وهي جزيرة المصطكي- قوة تجلو أو تغسل، وتنبت اللحم في القروح، وتختم القروح". انتهى.

وإذا كان هذا في هذه التربات، فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها: وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ، وقارنت رقيته باسم ربه وتفويض الأمر إليه؟ وأن قوى الرقية وتأثيرها: بحسب الراقي وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم؛ فإن انتفى أحد الأوصاف، فليقل ما شاء)[2].

قال ابن علان نقلاً عن التوربشتي في ذلك معنىً بديعًا، قال فيه: (والذي يسبق إلى الفهم من صنعة ذلك، ومن قوله "تربة أرضنا" إشارة إلى فطرة آدم "وريقة بعضنا" إشارة إلى النطفة التي خلق الله منها الإنسان، وكأنه يتضرع بلسان الحال ويتعرض لفحوى المقال أنك اخترعت الأصل الأول من طين، ثم ابتدعت نسله من سلالة من ماء مهين،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٩/١٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٧.

فَهَيِّنٌ عليك أن تشفي من كانت هذه نشأته، وتمن بالعافية على من استوى في ملكك موته وحياته)[١]، وقال ابن عثيمين: (ووجه ذلك: أن التراب طهور كما قال النبي ﷺ ((جُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا))[٢] وريق المؤمن طاهر أيضًا، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله عز وجل والثقة به، فيشفى بها المريض)[٣].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان أن الشفاء بإذن الله تعالى:

قدأشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ "...، بإذن ربنا"، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٤] قال ابن كثير: (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[٥].

وقال القاسمي: (وإنمانسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى، مع أنهما منه، لمراعاة حسن الأدب معه تعالى، بتخصيصه بنسبه الشفاء الذي هو نعمة ظاهرة إليه تعالى كما قال الخضر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[٦] وقال ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[٧] وكقول الجن في آية ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[٨] ولأن كثيرًا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه وغيره ذلك)[٩]؛ فعلى الداعية أن يبين ويوضح أن الشفاء لا يكون إلا بإذن الله وقدرته، ولكن ينبغي الأخذ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٧٦/٢.

(٤) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٧/٦.

(٦) سورة الكهف، آية: ٧٩.

(٧) سورة الكهف، آية: ٨٢.

(٨) سورة الجن، آية: ١٠.

(٩) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٢/١٣/٨.

بالأسباب المؤدية إلى الشفاء بإذن الله من الرقي الشرعية، والذهاب للطبيب، وأخذ الدواء، ثم بعد ذلك وقبل، نعلم أن الأمر بيد الله.

الحديث رقم (٩٠٣)

٩٠٣- وعنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أهْلِهِ يَمْسَحُ بِيدِهِ اليُمْنَى، ويقولُ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أذْهِبِ البَأسَ، اشْفِ[1] أنْتَ الشَّافِي لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

البأس: الشدة[3].

سقمًا: مرضًا[4].

الشرح الأدبي

البداية في الدعاء بلفظ (اللهم) يدخل بالقلب قلب الخشوع بطبيعة تكوينه، ودلالته، ولفظ (رب) يدل على الرعاية، والتربية، والعناية، والحفظ، وإضافته للناس فيه تمهيد لما يقصد إليه من طلب الشفاء، وقوله (أذْهِبِ البَأسَ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي) الأمر فيه للدعاء، وقوله (أنت الشافي) تخصيص له بالشفاء، وقد أكده بأسلوب القصر، (لاَ شِفَاءَ إلاَّ شِفاؤكَ،) لقصر صفة الشفاء على شفاء الله، ونفيها عن كل من سواه، وهذا الشعور إذا تيقنه العبد لا يخطئه الشفاء، وهو سر نجاح الرقية في تحقيق الغرض من راق إلى راق، وقوله (شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقماً) تكميل بلاغي أضاف معنى جديداً وهو أن هذا الشفاء يختص بكونه لا يبقي سقماً، وبين قوله (الناس، الباس)

---

(١) لفظ البخاري: (اشفه) وهذا لفظ مسلم.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٤٣، ومسلم ٢١٩١/٤٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ق م).

جناس يعطي جرساً عذباً يجذب السمع، ويحقق اليقظة لما يقال، وبين، (اشف، الشافي) جناس أكد المعنى الحبيب الذي ينشده الداعي.

فقه الحديث

١- استحباب مسح المريض باليمين: قال النووي: (فيه استحباب مسح المريض باليمين والدعاء له)[١].

٢- جواز السجع في الدعاء والرقى: قال القرطبي: (قوله: "اللهم رب الناس أذهب الباس" فيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى، إذا لم يكن مقصودًا ولا متكلفًا)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض.

خامسًا: من أساليب الدعوة الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة النبي ﷺ لأهله:

أشار الحديث الأول إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها "إن النبي ﷺ كان يُعَوِّذُ بعض أهله، وفي بيان عيادته ﷺ لأهله، قال أسامة بن زيد رضي الله عنه: ((أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ: إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٧/٥.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٤).

وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَحْمَةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[1].

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد جواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم، ... وعيادة المريض، ولو كان مفضولاً أو صبيًا صغيرًا)[2].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - وهو الذي قال فيه النبي ﷺ ((هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ))[3]- ((تَشكيتُ بمكة شكوَى شديدة، فجائني النبيُّ ﷺ يَعودُني، فقلتُ: يانبيَّ الله، إني أترُكُ مالاً، وإني لم أترُك إلا ابنة واحدة، فأُوصي بثُلثَي مالي وأترُكُ الثلثَ؟ فقال: لا. قلتُ: فأُوصي بالنصفِ وأتركُ النصفَ؟ قال: لا. قلتُ: فأُوصي بالثلثِ وأترُكَ لها الثلثين؟ قال: الثلثُ، والثلثُ كثير. ثم وضعَ يدَهُ على جبهتِهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني ،ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، وأَتممْ له هِجرَته. فما زِلتُ أجدُ بَردَهُ على كَبِدي فيما يُخالُ إليَّ حتى الساعة))[4]، وفي ذلك بيان على عيادته ﷺ لأهله رضي الله عنهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الرقية الشرعية:

إن مما نص عليه الحديثان، هو الرقية الشرعية، والرقية (هي كلام يستشفى به من كل عارض)[5]، وهي كما بينها ابن الأثير (العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات)[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝١٧﴾[7]

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١٩/١.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٠/٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٧٢.

(٧) سورة القيامة، الآية: ٢٧.

قال السعدي: (أي: من يرقيه، من الرقية فيحميه)[١]، (وقد ذهب الجمهور إلى جواز الرُّقي من كل داء يصيب الإنسان بشروط ثلاثة: أولها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ثانيها: أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بإذن الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[٢])[٣].

وقد حث النبي ﷺ على رقية المريض، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: ((لَدَغَتْ رَجُلاً مِنَّا عَقْرَبٌ. وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْقِي؟ قَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ))[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: ((انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ، وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لاَ يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ (الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لاَ تَفْعَلُوا، حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ، فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٨٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٥٤٦/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٩٩.

اللهِ ﷻ، فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا))[١].

قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز الرقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرقية الشرعية:

هذا ما يستفاد من الحديثين، ومما لاشك فيه أن العلاج بالرُّقَي الشرعية سواء بالقرآن الكريم، وبما ثبت عن النبي ﷺ من الرُّقى، هو علاج نافع وشفاء تام (ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة؛ فما الظن بكلام رب العالمين: الذي فضله على كل كلام كفضل الله على خلقه؛ الذي هو الشفاء التام، والعصمة النافعة، والنور الهادي، والرحمة العامة؛ الذي لو أنزل على جبل لتصدع من عظمته وجلالته)[٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[٤] وقال ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] قال القرطبي: (اختلف العلماء في كونه شفاءً على قولين: أحدهما - أنه شفاءٌ للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل، لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى. الثاني - شفاءٌ من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه)[٦].

وقال السعدي: (أي: يهديهم لطريق الرشد، والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة، وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام

---

(١) أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ومسلم ٢٢٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٤.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥١.

(٤) سورة فصلت، آية: ٤٤.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٦/١٣.

القلبية)[١]، وفي بيان ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[٢]، قال النووي: (وفيه استحباب الرقية بالقرآن والأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً)[٣].

وكذلك العلاج بالرقى النبوية الثابتة من أنفع الأدوية. ويؤكد ذلك ما ورد عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: ((إِنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ عُثْمَانُ وَبِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: امْسَحْهُ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ))[٤].

وكذلك ما ورد في الحديثين اللذين نحن بصددهما من قول عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس... إلخ الحديث"، وقول أنس رضي الله عنه لثابت رضي الله عنه: "ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ.. إلخ الحديث"، وكذلك باقي أحاديث الباب التي تؤكد رقية النبي ﷺ لكثير من المرضى وحثه عليها.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: رقية النبي ﷺ للمريض:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قول عائشة رضي الله عنها "كان يُعَوِّذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول "اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا" ومن قول أنس رضي الله عنه لثابت: "ألا أرقيك برقية رسول

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٩٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤٨، ومسلم ٢١٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩٣).

الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: "اللهم رب الناس، مذهب البأس... إلخ".

قال القرطبي: (قوله: "أذهب البأس ربَّ الناس!" البأس: الضرر. وفيه دليل على جواز السجع في الدعاء والرقى؛ إذا لم يكن مقصودًا، ولا متكلفًا، وقوله: "شفاءً لا يغادر سقمًا" شفاءً على المصدر، والشافي: اسم فاعل من ذلك، والألف واللام فيه بمعنى: الذي، وليس باسم علم لله تعالى، إذ لم يكثر ذلك، ولم يتكرر... و"لا يغادر"؛ أي: لا يترك. و"السقم": المرض. و"مسحه ﷺ بيمينه عند الرَّقي" دليل على جواز ذلك. وحكمته: التبرك باليمين، وأن ذلك غاية تمكُّن الرَّاقي، فكأنَّه مدَّ يده لأخذ المرض وإزالته. ومن حكمته: إظهار عجز الرَّاقي عن الشفاء، وصحة تفويضه ذلك إلى الله تعالى، ولذلك قال عند ذلك: "لا شفاء إلا شفاؤك")[1].

قال ابن هبيرة: (فأما قوله: رب الناس، فإن المعنى يا رب الناس، فحذف منه حرف النداء لاستشعار قرب المنادى؛ وكذلك قوله: مُذهب البأس، فحذف منه حرف النداء لذلك. وقوله: مذهب نكرة عرفها الإضافة، والمعنى أن الله تعالى معروف بإذهاب البأس، فدعاه باسم يناسب المسألة التي يريد السائل أن يسألها، وهي قوله: اشف أنت الشافي، يعني إن أشفيت بسبب فأنت الشافي بغير سبب.

وقوله: لا شفاء إلا شفاؤك، يعني أن الشفاء من كل طريق، وعلى كل وجه، فإنه منك.

وقوله: شفاء لا يغادر سقمًا، شفا مصدر لقوله اشف، يعني اشف شفاء لا يغادر سقمًا أي لا يخلف سقمًا، وسقمًا هاهنا مصدر نكرة، فهو في هذاالموضع أبلغ من المعرف، أي لا يغادر سقمًا من الأسقام)[2].

وقد بين ابن القيم: (أن في هذه الرقية، توسل إلى الله: بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء؛ وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه، فتضمنت التوسل إليه:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٧٧ - ٥٧٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٢١.

بتوحيده وإحسانه وربوبيته)[١].

وقال ابن عثيمين - مبينًا هديه ﷺ في رقية المريض - (فإنه كان إذا عاد بعض أهله "يمسح بيده اليمنى" أي: يمسح المريض، ويقرأ عليه هذا الدعاء: "اللهم رب الناس" فيتوسل إلى الله عز وجل بربوبيته العامة، فهو الرب سبحانه وتعالى الخالق المالك المدبر لجميع الأمور...، "أذهب البأس" يعني: المرض الذي حلَّ بهذا المريض، "اشف أنت الشافي" والشفاء: إزالةالمرض وبُرء المريض، فيقال: اشفِ، ولا يقال: أَشفِ لأن الثانية - أشف - بمعنى أهلك، وأما الأولى - اشف- فمعناها البرء من السقم...، و"الشافي" هو الله عز وجل لأنه الذي يشفي المرض، وما يصنع من الأدوية أو يقرأ من الرُّقى، فما هو إلا سبب قد ينفع وقد لا ينفع، فالله هو المسبب عز وجل وقوله: "لا شفاء إلا شفاؤك" صدق رسول الله ﷺ فلا شفاء إلا شفاء الله...، فالشافي هو الله، فليس الطبيب وليس الدواء هما اللذان يشفيان، بل الطبيب سبب والدواء سبب، وإنما الشافي هو الله، وقوله "شفاء لا يغادر سقمًا" أي شفاءً كاملاً لا يبقي مرضًا)[٢].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يقصد بها حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه بعد تشويقه إليه وقبوله، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته... وهو من الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب)[٣]، والترغيب في هذين الحديثين يكون بحصول الشفاء من الله، وذلك باتباع هدي النبي ﷺ في الأخذ بالرقية الشرعية، على النحو الوارد عنه ﷺ في الحديث.

---

(١) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٧٦/٢ - ١١٧٧.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٠٤)

٩٠٤- وعن أنسٍ رضي الله عنه أنه قَالَ لِثابتٍ: ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَأسِ، اشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إلاَّ أنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الرقية: العوذة التي يُرقي بها صاحب الآفة[2].

البأس: الشدة[3].

الشرح الأدبي

صحابة الرسول ﷺ، ورضوان الله عليهم كانوا أحرص الناس على تنفيذ توجيهاته، وأسرعهم إليها، وهذا الحديث يعرض صورة عملية لتنفيذ أوامر النبي ﷺ بين أنس رضي الله عنه الله عنه وثابت بدأه أنس باستفهام قصد به العرض، والتشويق: (ألاَ أرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟) ثم ذكر دعاء الرقية السابقة لا يختلف إلا في جزئيات بسيطة منها قوله (مُذْهِبَ) في هذه الرواية، ويدل على ثبات الصفة، ودوامها، وفي الرواية السابقة عبر بالفعل (أذهب) وهو أمر بمعنى الدعاء، ومنها: قوله: (لاَ شَافِيَ إلاَّ أنْتَ) حيث قصر صفة الشفاء عليه على الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، وفي الحديث السابق قصر الشفاء على الشفاء المضاف لله، ونفى أن يكون هناك شفاء حقيقي إلا شفاء الله، ونفى أن يكون هناك شافٍ إلا الله، أبلغ في الدلالة على

---

(١) برقم ٥٧٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ي).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ب أ س).

اختصاصه بالشفاء لأن الأولى (لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفاؤكَ) تنفي الصفة المماثلة، والثانية (لاَ شَافِيَ إِلاَّ أنْتَ) تنفي الموصوف المماثل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٥)

٩٠٥- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: (عَادَنِي رسول الله ﷺ)[١]، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث لمسة حنونة تعكس محبة الرسول ﷺ لسعد بن أبي، وقاص رضي الله عنه خاصة، ودليل على محبته لأصحابه عامة يحكيها سعد بنفسه، وقوله: (عَادَنِي رسول الله ﷺ) أي زارني في أثناء مرضي لاختصاص العيادة بزيارة المريض، وفيها دلالة على التكرار كما يفهم منها، وقوله (اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْداً) هذا الدعاء بهذا التركيب يشير إلى محبته لسعد، ويؤكده هذا التكرار لجملة الدعاء ثلاث مرات مما يعكس حرصه على شفائه، وتكرار الاسم الظاهر (سعد) دون ضميره فيه حفاوة، وتكريم له رضي الله عنه يشرح صدره، ويطيب نفسه، ويعجل بشفائه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

لقد أشار الحديث إلى ذلك من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه "عادني رسول الله ﷺ"، والعيادة في الاصطلاح: (هي الزيارة والافتقاد "أي التفقد"، أما المريض:

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ١٦٢٨/٥.

(٢) برقم ١٦٢٨/٨.

فهو من اتصف بالمرض)[١]، أما المرض اصطلاحًا فقد وردت فيه أقوال عديدة منها ما قاله الجرجاني: (بأنه ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص)[٢].

وقد عظّم النبي ﷺ الحث على عيادة المريض والأمر بها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((أمَرَنَا النبيُّ ﷺ بسَبعٍ، ونَهانا عن سَبع: أمرَنا باتِّباع الجَنائزِ، وعَيادةِ المريضِ، وإجابةِ الداعي، ونَصْرِ المظلومِ، وإبرارِ القَسَمِ، ورَدِّ السلامِ، وتَشميتِ العاطِسِ. ونهانا عن آنيةِ الفِضةِ، وخاتَمِ الذهب، والحَريرِ، والدِّيباجِ، والقَسِّيِّ، والإستَبْرَق))[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ)) وفي رواية أخرى ستًا، فيها: ((وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ))[٤].

وقد استجاب الصحابة رضوان الله عليهم لأمر النبي ﷺ بعيادة المريض، فعن نافع: ((أنَّ ابنَ عمرَ رضي الله عنه ذُكرَ له: أن سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نفَيل - وكان بَدريًّا - مَرِض في يوم جمعة، فرَكِبَ إليهِ بعدَ أن تعالى النهارُ واقترَبَتِ الجمعة، وتركَ الجمعةَ))[٥].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على أن من له نسيب مريض فإنه يجوز له ترك الجمعة اشتغالاً بالقيام على مريضه)[٦]. وما ذلك إلا لعظيم أمر عيادة المريض وأهمية القيام بها.

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع للمدعوين والدعاء لهم:

يظهر ذلك في الحديث من عيادته ﷺ لسعد ودعائه ﷺ له بقوله "اللهم اشف

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الإسفراييني الحنبلي ٣/٢.

(٢) التعريفات ٢٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٩، ومسلم ٢٠٦٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩٩٠.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٥/٤.

سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا"، فعلى الداعية أن يحرص - لكي تنجح دعوته - على تأليف القلوب، وجمع الشمل حول دعوته، وللتواضع دور بارز في هذا المجال، فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس، ويحبونه ويقبلون عليه، وبذا يكثر أتباع الدعوة، وينال الداعية من الله تعالى عظيم الأجر، ولكن إذا تعالى الداعية وتكبر على من حوله، نفر الناس منه وابتعدوا عنه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

أما الدعاء للمدعوين ففيه خير عظيم، فبه تكمن هدايتهم، وتحصل محبتهم للداعية، مما يساعده ذلك على إبلاغ ونشر دعوته للمدعوين، هذا فضلاً عن اقتدائه في ذلك بالنبي ﷺ في دعائه للمدعوين، فعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللّهُ لَهَا))[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ الطُّفَيلُ بنُ عمرو الدَّوسِيُّ وأصحابهُ على النبيِّ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنَّ دَوسًا عَصَتْ وأبَتْ، فادْعُ اللهَ عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: اللهمَّ اهدِ دَوسًا وائْتِ بهم))[3]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل ما يساعده على نجاح دعوته وتبليغها للمدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل زيارة المريض:

يستنبط هذا من عيادة النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، ولقد بيّن النبي ﷺ عظم فضل زيارة المريض فقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَاهَا))[4]، وقال ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عليهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمسِيَ، وإنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٥١٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٧، ومسلم ٢٥٢٤.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٥٦٨.

يُصْبِحَ وكانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ))[١]، وقال: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً))[٢]، (وبعد ذكر هذه الأحاديث الصحيحة في بيان فضل عيادة المريض، والثواب الذي يناله العائد من عيادته، فلا ينبغي التفريط فيها، بل تلزم المبادرة إليها، والمداومة عليها، حتى تنال رحمة الرحمن الرحيم وفي عيادة المريض غير ما ذكر. تطييب قلبه [أي المريض]، واستعراض حوائجه، والاتعاظ بمصرعه)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي ٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٧٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣).

(٣) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ٢٤٨.

الحديث رقم (٩٠٦)

٩٠٦- وعن أَبي عبدِ الله عثمان بنِ أَبي العاصِ رضي الله عنه: أنّه شَكَا إِلَى رسول الله ﷺ وَجَعًا، يَجِدُهُ في جَسَدِهِ[١]، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: ((ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَألَم مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بسم اللهِ ثَلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أعُوذُ بِعِزَّةِ الله[٢] وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أجِدُ وَأُحَاذِرُ)) رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

عثمان بن أبي العاص: هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي الطائفي، كنيته: أبو عبدالله، له ولأخيه الحكم صحبة.

قدم في وفد ثقيف على النبي ﷺ في سنة تسع وكان أصغرهم، فأسلموا وأمره النبي ﷺ عليهم لما رأى من رجاحة عقله، وحرصه على الخير وتعلم أمور الدين. وقال له ﷺ ((أنت أمامهم))[٤].

وظل على الطائف حتى توفي النبي ﷺ فلما ارتد كثير من العرب قام في ثقيف خطيبًا، فمنعهم عن الردة وثبّتهم على الإسلام، فقال: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلامًا، فلا تكونوا أولهم ارتدادًا.

وأقره أبوبكر على الطائف، ثم عمر حتى ولاه البحرين وعمان، فلما عُزِل نزل البصرة واختط دارًا بها.

وظلّ قابضًا على راية الجهاد، فقد غزا عدة غزوات بفارس والهند، ففتح "توج" - بلدة بفارس- ومصّرها سنة ٢١هـ.

---

(١) عند مسلم زيادة: (منذ أسلم).

(٢) لفظ مسلم: (أعوذ بالله)، والمثبت لفظ أبي داود ٣٨٩١، والترمذي ٢٠٨٠.

(٣) برقم ٢٢٠٢/٦٧. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٦١.

(٤) أخرجه أحمد ٢١/٤، رقم١٦٢٧١، ١٦٧٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم أهـ. وأصله في صحيح مسلم ٤٦٨ (أمّ قومك).

وكان رجلاً يهاب محارم الله ويقف عند حدوده، بعث غلمانًا له تجارًا فلما جاءوا قال: ما جئتم به؟ قالوا: جئنا بتجارة تربح الدرهم عشرة. قال: وما هي؟ قالوا: خمر. قال: خمر! وقد نهينا عن شربها وبيعها، فجعل يفتح أفواه الزِّقاق ويصبها[1].

وكان صاحب حكمة فهو القائل: الناكح مُغترس فلينظر أين يضع غرسه، فإن عرق السوء لابد أن ينزع ولو بعد حين.

قال عنه الحسن البصري: ما رأيت أحدًا أفضل منه.

مات سنة ٥١هـ بالبصرة، حيث هناك موضع يقال له: شط عثمان منسوب إليه[2].

الشرح الأدبي

قوله (يَجِدُهُ في جَسَدِهِ) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها توكيداً معنوياً؛ لأنه من المعلوم أن من شكا من وجع، فهو في جزء من جسده، والفعل الماضي (يجده) يعطي الألم صورة حاضرة متجددة مستمرة في جسده، وإضافة الفعل (يَألَم) إلى العضو المصاب من نسبة الشيء لموضعه على سبيل المجاز مبالغة في شدة الألم حتى كأن العضو هو الذي يتألم، ، والأمر (قل) في الحديث على سبيل النصح، والإرشاد إلى ما يحقق الرضي القلبي، ويشعره بالقرب الإلهي الذي يحقق الطمأنينة التي لا تلبث أن تكون سبباً من أسباب شفائه يتلوها فيض من الرحمة لعبد ذكر الله في شدته، ورخائه، والعوذ بالعزة تعال على الأمراض، والعوذ بالقدرة تعال على الأسباب، وإنما ينطلق بقدرة الله الذي لا يعجزه داء، ولا يبعد عنه دواء، وكل شيء بقدرته، والمرض جند من جنده يسلطه على

---

(١) قال محققو السير: إسناده حسن.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٠٨/٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٥٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٧٣/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٨٩، والسير ٣٧٤/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١١٨/٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٣، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٠٧/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٣١٥/٢.

من يشاء، ويصرفه عن من يشاء بسبب، أو من دون سبب، وقوله (ما أجد) هو عوذ من الهم بالمرض الحاضر (وأحاذر) مبالغة من أحذر أي: ما أخافه من الآتي.

فقه الحديث

استحباب وضع اليد على موضع الألم مع الدعاء:

قال النووي: (فيه حديث عثمان بن العاص، ومقصوده: أنه يستحبّ وضع يده على موضع الألم ويأتي بالدعاء المذكور، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: علاج الوجع بالرقية:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله - ثلاثًا- وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" قال ابن القيم: (ففي هذا العلاج - من ذكر اسم الله، والتفويض إليه والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم - ما يذهب به. وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة. وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها)[2].

قال القاضي عياض: (وفي قوله ﷺ: "قل: بسم الله ثلاثًا" وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ماأجد وأحاذر"، فيه اختصاص هذه الأمور بالوتر، وتخصيص الثلاث منها والسبع، وذلك كثير في موارد الشرع، لا سيما تخصيص السبع بما هو في باب الشفاء والمعافاة والنشر، ودفع السحر وأمر الشيطان والسم، كقوله: ((صُبُّوا عَلَيَّ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨/١٤/٧ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٨٩/٥-٥٩٠.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي ١٥٨.

مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ))[١]، و((مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ لم يَضُرَّهُ سُمٌّ))[٢])[٣].

وقال ابن عثيمين: (أن النبي ﷺ سأله عثمان أنه يشكو من مرض في جسد فأمره أن يقول: "بسم الله ثلاثًا" ويضع يده على موضع الألم، ثم يقول: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر"، يقولها سبع مرات، فهذا من أسباب الشفاء، فينبغي للإنسان إذ أحس بألم أن يضع يده على هذا الألم ويقول: "بسم الله ثلاثًا، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" يقولها سبع مرات، إذا قاله موقنًا بذلك مؤمنًا به، وأنه سوف يستفيد من هذا؛ فإنه يذهب الألم بإذن الله عز وجل، وهذا أبلغ من الدواء الحسي كالأقراص، والشراب والحقن؛ لأنك تستعين بمن بيده ملكوت السماوات والأرض، الذي أنزل هذا المرض، وهو الذي يجيرك منه)[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ كيفية رقية الإنسان لنفسه:

هذا ما أشار إليه الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص، وقد بين ابن علان ذلك فقال: (إنه شكا إلى رسول الله ﷺ مرضًا يجده "أي: يحسه في جسده، فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك أي اجعلها موضوعة "على الذي يألم" أي يوجع "من جسدك" "وقل" أي: مع وضعها، أو عقبه مصاحبًا له، كما يومئ إليه السياق، أي بحضور القلب مع الرب ونسيان ما سواه "باسم الله" أي: أستشفى باسمه "ثلاثًا"... "وقل سبع مرات" أي: تارات "أعوذ" أي: أعتصم وأتحصن "بعزة الله" أي بغلبته "وقدرته" أي: صفته الأزلية القادر بها على كل ممكن "من شر ما أجد" أي: من الألم "وأحاذر" أي: أحذر، والمغالبة للمبالغة، والإتيان بالذكر المذكور ليسري أثره في الأعضاء السبعة)[٥]، قال الطيبي: (تعوذ من وجع ومكروه هو فيه، ومما يتوقع حصوله في

---

(١) أخرجه أحمد ١٥١/٦ رقم ٢٥١٧٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٧/٤٢.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١١٠/٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٧٨/٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٣ - ١١٢٤.

المستقبل من حزن وخوف؛ فإن الحذر هو الاحتراز عن الخوف)[١]، فينبغي على من يعلم الرقية الشرعية أن يعلمها لغيره؛ حتى يرقي بها نفسه عند الحاجة إليها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من تعليمه ﷺ لأبي عبدالله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه كيفية الرقى، وقد أمر النبي ﷺ بذلك، فعن الشفاء بنت عبدالله رضي الله عنها قالت: ((دخل علينا النبيّ ﷺ وأنا عند حفصة، فقال لي: ألا تُعَلِّمينَ هذهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كما عَلَّمْتِيها الكِتابَةَ؟))[٢].

قال القاضي: (قال الإمام: "... والنملة قروح تخرج في الجنب)[٣]، وقال ابن القيم: (النملة : قُروح تخرج في الجنبين ، وهو داء معروف، وسمي نملةً، لأن صاحبَه يُحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضُّه)[٤]، فيتضح من ذلك أهمية تعليم الرقية الشرعية بصفة خاصة، وتعليم العلم، بصفة عامة، وقد حث الإسلام على العلم، وحفل بالتعليم فكانت أول آية نزلت على الرسول ﷺ تدعوه إلى القراءة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٥] وتوالى نزول الآيات في كتاب الله المنزل، تدعو إلى العلم و السعي في طلبه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾[٦])[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٥/٣.

(٢) اخرجه ابو داود ٣٨٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٩١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ١٠٢/٧.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨٤/٤.

(٥) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٧) تعليم المتعلم طرق التعلم، برهان الإسلام الزرنوجي ص ٣٤.

(ولقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، وحث عباده على العلم والتزود منه وكذلك السنة المطهرة، فالعلم من أفضل الأعمال الصالحة، وهو من أفضل وأجلّ العبادات)[١] وفي جملة كثيرة من أحاديث النبي ﷺ دعوة صريحة إلى التعليم وبيان لفضل العلم وأصحابه، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حَسَدَ إلاّ في اثْنتينِ: رَجلٌ آتاهُ اللّهُ مالاً فسُلِّطَ على هَلَكَتِهِ في الحقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللّهُ الحكمةَ فهُوَ يَقْضي بها ويُعَلِّمُها))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمسُ فِيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٣] قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "سهل الله له طريقا" أي في الآخرة، أو في الدنيا، بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة، وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[٤]، وفي ذلك بيان على أهمية تعلم العلم ونشره كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله.

---

(١) كتاب العلم، محمد بن صالح بن عثيمين ١٥.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣، ومسلم ٨١٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٩٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

الحديث رقم (٩٠٧)

٩٠٧- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أجَلُهُ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ[1]: أسْأَلُ اللهَ العَظيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ، أنْ يَشْفِيَكَ، إلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن)، وقال الحاكم[3]: (حديث صحيح عَلَى شرط البخاري).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لم يحضره أجَلُهُ: أي لم تتم مدة عمره[4].

الشرح الأدبي

ذكر الله عند المريض يفتح قلبه على الأمل في الخلاص مما هو فيه من البلاء، ولذلك نجد الرسول ﷺ لا يعود مريضاً حتى يفيض عليه قبساً من هذا الذكر يكون في كالمقوى له على مرضه وما أجمل أن يدخل الزائر للمريض، ومعه الشفاء، وهو ما يهفو إليه قلب المريض، وهذا الحديث يعلمنا كيف ندخل على المريض بالشفاء، وقد صاغه في جملة شرط طويلة ضمنها الدعاء المرغب فيه حتى يكون حافزاً للحرص عليه، وقوله: (لم يحضره أجله) احتراس عن ما انتهى عمره فإن اجل الله لا يؤخر أما من كان في عمره بقية فإن هذا الدعاء يعجل بشفائه، وقوله: (أسأل الله العظيم) توسل إلى الله ببعض أسمائه الحسنى وذكر العرش العظيم يوحي بالإحاطة، والعظمة التي

---

(١) لفظ أبي داود: (مرار)، والمثبت لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له ٣١٠٦، والترمذي ٢٠٨٣ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٢٩٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٣) المستدرك ٣٤٢/١. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

تقتض الاستعانة به وحده، والالتفات بالخطاب إلى المريض بعد التوجه إلى الله بالدعاء في قوله: (أنْ يَشْفِيَكَ) فيه إيناس له، وملاقاة له بما يحب، وقوله (إلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ) حصر لمن دعا هذا الدعاء في المعافاة لمريضه لا تتخلف عنه، وهو توكيد للمعنى المراد، وبين قوله: (مريضاً) في أول الحديث، وبين (عافاه) في نهاية الحديث طباق يلوح بالعافية لمن أصابه المرض إذا اغتنم ما ذكر بينهما من دعاء.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم.

ثالثًا: من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة تكفير المرض للذنوب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عيادة المريض والدعاء له:

مما لاشك فيه أن عيادة المريض من أهم الحقوق الواجبة على المسلم، لما في ذلك من تقوية أواصر المحبة، وتوثيق عرى الأخوة الإسلامية، فضلاً عن تطييب قلب المريض، وهذا ما حث عليه النبي ﷺ في الحديثين من قوله ﷺ "من عاد مريضًا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك: إلا عافاه الله من ذلك المرض؛ وكذلك الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده، قال: "لا بأس؛ طهور إن شاء الله" وقد حث الإسلام على عيادة المريض فقال النبي ﷺ: ((خَمْسٌ تَجِبُ لِلْمسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ)) وفي رواية ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ - ثم ذكر ﷺ من ذلك - عيادة المريض))[2] وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: ((أَمَرَنَا النبيُّ ﷺ بسبع ونهانا عن سَبع: أمرنا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٠٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٠٨).

(٢) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

بعيادة المريض... إلخ))[١].

وبين ابن عثيمين: (أن عيادة المريض فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد؛ فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده؛ لأن النبي ﷺ جعل ذلك من حقوق المسلم على أخيه، ولا يليق بالمسلمين أن يعلموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم، لأن هذا قطيعة وأي قطيعة!)[٢]، (وينبغي على من عاد مريضًا أن لا يقول إلا خيرًا، لأن الملائكة تؤمن على قوله، ولقد جاء ذلك مصرحًا به في حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: ((قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا. فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ. وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً قَالَتْ: فَقُلْتُ. فَأَعْقَبَنِي اللّه مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ. مُحَمَّدًا ﷺ))[٣].

ويستحب للعائد أن يدعو للمريض بالرحمة، والمغفرة، والتطهير من الذنوب، والسلامة والعافية. وللنبي ﷺ دعوات، ينبغي على العائد أن يدعو بها، لأنها صدرت من المعصوم الذي أوتي جوامع الكلم، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[٤]. فمن دعائه ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يحضره أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاهُ اللّهُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَرَضِ))، وقوله ﷺ: ((لا بأسَ، طَهُورٌ إنْ شاءَ اللّهُ)).

قال ابن حجر في بيان ذلك: (وقوله "طهور" هو خبر مبتدأ محذوف أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة، ويستفاد منه أن لفظ الطهور ليس بمعنى الطاهر فقط، وقوله "إن شاء الله" يدل على أن قوله طهور دعاء لا خبر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٦٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٦٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩١٩.

(٤) كتاب الأدب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ٢٥٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تبشير المرضى وبعث الأمل في نفوسهم بشفاء الله لهم:

يستنبط هذا من الحديثين إذ أنه ﷺ بشّر المريض الذي إذا عاده أحد المسلمين وقال عنده: "أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" سبع مرات، فإن الله سوف يعافيه ما لم يحضر أجله، وفي ذلك تبشير له وبعث للأمل في شفائه، كما يظهر ذلك في الحديث الثاني من تبشير النبي ﷺ للأعرابي عند عيادته له وذلك بقوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله"، فكان ﷺ يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل [(١)].

وخير دليل على ذلك ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: ((جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ. وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ لِي. أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ: «لاَ» فَقُلْتُ: فَالشَّطْرُ؟ قَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ: الثُّلُثُ. وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ. إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلاَّ أُجِرْتَ. حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ قَالَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَأُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحًا، إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً. وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلاَ تَرُدُّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ. لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ. يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ)) [(٢)].

قال النووي: (فيه استحباب عيادة المريض، وإنها مستحبة للإمام كاستحبابها لآحاد الناس...، وأما قوله ﷺ "إنك لن تخلف فتعمل عملاً" فالمراد بالتخلف طول العمر والبقاء في الحياة بعد جماعات من أصحابه) [(٣)]، وقوله ﷺ "ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) وتلك

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٥٤، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٣٥.

بشرى منه ﷺ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وبعث الأمل في نفسه، قال النووي: (فإن سعدًا عاش حتى فتح العراق وغيره، وانتفع به أقوام في دينهم ودنياهم، وتضرر به الكفار في دينهم، ودنياهم فإنهم قتلوا وصاروا إلى جهنم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، وغنمت أموالهم وديارهم، وولي العراق فاهتدى على يديه خلائق، وتضرر به خلائق بإقامته الحق فيهم)[١].

وتبشير المريض وبعث الأمل في نفسه يكون من باب الفأل (والفأل هو الكلمة الصالحة أو الكلمة الحسنة) مصداقُ ذلك ما جاء في الحديث الشريف من أنه ﷺ سُئل ما الفأل؟ فقال: ((الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ))[٢] وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أن الفأل: ((الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ))[٣] ومن ثم يكون المراد بالتفاؤل: (انشراح قلب الإنسان وإحسانه الظن بالله، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح أو الحسن أو الطيب)[٤].

ثالثًا - من واجبات المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ فيما ورد عنه من الدعاء عند المريض:

لقد أمر الحق تبارك وتعالى باتباع هدي النبي ﷺ في كل ما ورد عنه من أقوال وأفعال فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥] وقال ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٦].

قال ابن كثير: (أي: ما يقول قولاً عن هوى وغرض: "إن هو إلا وحي يوحى" أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[٧]، فعلى

---

(١) المرجع السابق ١٠٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٥، ومسلم ٢٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرون ١٠٤٦/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة النجم، آية: ٣، ٤.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

المدعوين الالتزام بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عند زيارة المريض (بأن يقول "أي العائد" سبع مرات "أسأل الله العظيم" أي في ذاته وصفاته "أن يشفيك"[١].

وأن يقول "لا بأس طهور إن شاء الله" وذلك فضلاً عما ورد من أحاديث صحيحة في ذلك كقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ((ثم وضعَ يدَهُ على جبهتهِ، ثم مَسحَ يدَه على وَجهي وبَطني، ثم قال: اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا))[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في ترغيب المدعو وحمله على الاستجابة للامر المدعو إليه)[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ - مرغبًا في الدعاء عند المريض على النحو المبين - "إلا عافاه الله من ذلك، المرض" أي: (أعطاه عافية تامة من ذلك المرض)[٤].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: تكفير المرض للذنوب:

قد ورد هذا في بيانه ﷺ للأعرابي في أن مرضه سيكون سببًا في تكفير خطاياه إن شاء الله، وذلك في قوله ﷺ "لا بأس طهور إن شاء الله" قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "لا بأس" أي: أن المرض يكفر الخطايا، فإن حصلت العافية فقد حصلت الفائدتان، وإلا حصل ربح التكفير، وقوله "طهور" أي هو طهور لك من ذنوبك أي مطهرة)[٥].

فالمرض مطهر للذنب، مكفر للخطايا، وإن ظنه الإنسان كربًا وشدة، هكذا كان الرسول ﷺ يخبر المرضى ويعلمهم[٦].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٧٠٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٥٩، ومسلم ١٦٢٨.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٠١.

وقد استفاضت الأحاديث النبوية في بيان ذلك، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ، وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّىٰ الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ))[1]، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ مُصِيبَةٍ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةِ، إِلاَّ قُصَّ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ، أَوْ كُفِّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ))[2].

وقال ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيرًا يُصِبْ مِنْهُ))[3].

قال ابن حجر: (وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن، لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام - بدنية كانت أو قلبية - تكفر ذنوب من تقع له)[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، إِلاَّ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضًا، فَإِنْ عَافَاهُ، أُرَاهُ قَالَ: غَسَلَهُ))، وفي رواية: ((وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ، وإن شفاه غسله))[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((ما من مرض يصيبني أحب إلي من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله يعطي كل عضو قسطه من الأجر))[6].

فليعلم الإنسان أن الله تعالى رحمته واسعة، وأن فضله عظيم، فإذا ابتلى عبده فإنما هو لتكفير ذنوبه ورفع درجاته، فليصبر ويحتسب لينال الأجر والثواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ومسلم ٢٥٧٣ واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٢.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥١١/٣.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠١، قال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح الأدب المفرد ٣٨٦).

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٠٣، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٣٨٨).

الحديث رقم (٩٠٨)

٩٠٨- وعنه: أنَّ النبي ﷺ دَخَلَ عَلَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ[1] يَعُودُهُ، قَالَ: ((لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ)) رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

طهور: أي مطهر لك من ذنوبك[3].

الشرح الأدبي

لو راجعنا ما مضى من أحاديث في باب عيادة المريض لوجدناها تحصي زيارات للرسول ﷺ إلى مختلف طبقات الناس الغني، والفقير المسلم، وغير المسلم الكبار، والصغار، والصاحب، والأعرابي، وهو تطبيق عملي لتوجيهه بعيادة المريض، وفي هذا الحديث يزور أعرابياً، ويدخل عليه بالبشر، والسرور يسبقه ذكر لله، ويحدوه على مدار الأنفاس، وقوله (لاَ بَأسَ؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ) فيها إيجاز بالقِصَر، وهو كثرة المعاني، وقلة الألفاظ، وفائدته المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض، والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته، وإبعاد السأم، والملل عنه لاسيما المرضى، والأعراب، وقوله (لا بأس؛ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ) لا بأس عليك مما تجده بل يكفر الله به ذنوبك ثم يفرج عنك فيجمع لك الأجر، ومغفرة الذنوب، وفيه فتح لباب الأمل في الشفاء من دائه، والطهارة من ذنوبه مما يساعد في تنشيطه، والتعبير بالطهور مبالغة في الطهر حتى تشمل الطهر

---

(١) لفظ البخاري في الموضعين ٥٦٥٦، و٣٦١٦: (مريض) بدل: (من).

(٢) برقم ٥٦٥٦، و٣٦١٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

القلبي باليقين بالله، والثقة في أنه الشافي، والطهر المعنوي بالنقاء من الذنوب، والطهر البدني من المرض.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب تطييب نفس المريض[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٤-١٦٥ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٠٩)

٩٠٩- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ: أن جبريلَ أتَى النَّبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قَالَ: بِسْمِ اللهِ أرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسمِ اللهِ أُرقِيكَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

أرقيك: الرقية: العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة[2].

الشرح الأدبي

المعنى في الحديث يدور حول الرقية، وهي مظهر من مظاهر ارتباط المؤمن بربه، وارتباط المؤمن بأخيه الراقي له، وقد قام المعنى على الحوار بين رسول السماء إلى الأرض جبريل عليه السلام، و رسول الأرض للأرض محمد ﷺ، وسؤال جبريل عليه السلام، (اشتكيت) استفهام تقرير بغرض التحقيق، والتثبيت، وهو كناية عن المرض، والرقي التي ذكرها جبريل عليه السلام تتميز بعدة ميزات في بنائها التركيبي أولها أنها تحيط المريض بعناية الله عن طريق الإرصاد البديع حيث بدأت باسم الله، وانتهت بسم الله، والباء في البسملة للاستعانة بمعنى أبتدأ مستعيناً بسم الله. ثانيها أنها اعتمدت توكيد الوقاية، والمبالغة في الحفظ عن طريق الإطناب بذكر الخاص بعد العام عن طريق لفظ (كل) المضاف للنكرة (شيء) الذي شمل الحفظ من كل شر، ثم خصص من هذا العموم ما له مزيد تعلق بالضرر، وهو (كل نفس) وهو خصوص بالنسبة لما قبله؛ لأنه بعض من الشيء المستعاذ منه أولاً، وهو عموم بالنسبة لما بعده؛ لأنه

---

(١) برقم ٢١٨٦/٤٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ى).

جزء منه خصه بالذكر لمزيد الاهتمام، وهو نوع من ذكر الخاص بعد العام عناية به، وحاصل هذا الدعاء على هذا النسق أنه جعل له حماية مزدوجة حيث رقاه أولاً من شر كل شيء ثم خص من هذا العموم شر كل نفس لمزيد خطرها ثم خص من هذا العموم شر العين لمزيد خطرها على ما تقدم ثم عاد بالدعاء له بالشفاء مما حل به منها، ومن الملاحظ أن لفظ الجلالة (الله) تكرر فيه ثلاث مرات والمستعاذ منه الشر العام، وشر النفس، وشر العين.

فقه الحديث

استحباب الرقية بأسماء الله تعالى:

قال القرطبي عن حديث عائشة رضي الله عنها[1] وهو بمعنى حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: (فيه دليل على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى، وبالعوذة الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض التوكل على الله تعالى ولا ينقصه)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: العلاج بالرقى لمن أصابه مكروه وبيان فضل ذلك:

ورد هذا في الحديث من قول أبي سعيد رضي الله عنه، "إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اشتكيت؟ قال: "نعم" قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك" قال القرطبي: (وفي الحديث دليلٌ على استحباب الرقية بأسماء الله تعالى وبالعُوذ الصحيحة المعنى، وأن ذلك لا يناقض

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٨٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٣/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٤/٧-١٤٢ .

التوكل على الله تعالى ولا ينقصه؛ إذ لو كان شيءٌ من ذلك لكان النبي ﷺ أحق الناس بأن يجتنب ذلك؛ فإن الله تعالى لم يزل يُرَقِّي نبيه ﷺ في المقامات الشريفة، والدرجات الرفيعة إلى أن قبضه الله على أرفع مقام، وأعلى حال، وقد رُقي في أمراضه، حتى في مرض موته ﷺ، فقد رقته عائشة رضي الله عنها في مرض موته، ومسحته بيدها وبيده[1]، وهو مُقرٌّ لذلك، غير منكرٍ لشيءٍ مما هنالك)[2].

(والرقية قد تكون بكتابة شيء وتعليقه، وقد تكون بقراءة شيء من القرآن والمعوذات والأدعية المأثورة)[3]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ، نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ. فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ. لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي))[4].

قال النووي: (وفي هذا الحديث استحباب الرقية بالقرآن وبالأذكار، وإنما رقى بالمعوذات لأنهن جامعات للاستعاذة من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس)[5].

وقال صاحب عون المعبود: (قال القسطلاني: وفيه جواز الرقية لكن بشروط أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية غير مؤثرة بنفسها، بل بتقدير الله عز وجل، وقال الشافعي: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله)[6]. (وقد سئل مالك

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٦٣ - ٥٦٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٣/٩٦ نقلاً عن قواعد الفقه للمجددي.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٩٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٣٧٢.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٦٦٧.

عن الرقى بالأسماء العجمية، فقال: وما يدريك أنها كفر؟ ومقتضى ذلك أن ما جهل معناه لا يجوز الرقية به، مخافة أن يكون فيه كفر أو سحر وغير ذلك)[١].

وينبغي أن يكون العلاج بالرقى الشرعية بالقرآن الكريم وبما ورد عن النبي ﷺ في ذلك لكمال الشفاء وتمامه، قال ابن القيم: (فقد مرّ بي وقت في مكة سقمت فيه، وفقدت الطبيب والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربة من ماء زمزم، وأقرؤها عليها مرارًا، ثم أشربه، فوجدت بذلك البراء التام، ثم صرت أعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع)[٢]، (وقد تضمنت الفاتحة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب ومجامعها وهي: الله والرب والرحمن والرحيم، وإثبات المعاد، وذكر التوحيدين: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية؛ وذكر الافتقار إلى الرب سبحانه في طلب الإعانة، وطلب الهداية.

وبالجملة: فما تضمنته الفاتحة: من إخلاص العبودية، والثناء على الله، وتفويض الأمر كله إليه، والاستعانة به والتوكيل عليه؛ وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي: الهداية التي تجلب النعم، وتدفع النقم - من أعظم الأدوية الشافية الكافية وقد قيل: إن موضع الرقية منها: "إياك نعبد وإياك نستعين" ولا ريب أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء؛ فإن فيهما -: من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقار والطلب، والجمع بين أعلى الغايات، وهي: عبادة الرب وحده، وأشرف الوسائل، وهي: الاستعانة به على عبادته - ما ليس في غيرها)[٣]. وفي ذلك بيان الفضل وأهمية العلاج بالرقية الشرعية.

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ:

إنه ينبغي على الداعية بيان رقية الأمين جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عندما اشتكى ﷺ من وجع أو مرض ليستفيد بها الناس، وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين:

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣/٩٧.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/١٧٨.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي، ١٥١ - ١٥٢.

(وفيه دليل على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية "بسم الله أرقيك" يعني: اقرأ عليك "من كل شيء يؤذيك" من مرض، أو حزن، أو هم، أو غم... إلخ "من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك" "من شر كل نفس" من النفوس البشرية أو نفوس الجن أو غير ذلك، أو "عين حاسد" أي: ما يسمونه الناس بالعين)[١].

قال النووي: (... فإن النفس تطلق على العين ويقال: رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه)[٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٣]، وقال القرطبي وفي الحديث (دليل على أن الحسد يؤثر في المحسود ضررًا يقع به؛ إما في جسمه بمرض، أو في ماله وما يختص به بضرر، وذلك بإذن الله تعالى، ومشيئته، كما قد أجرى عادته، وحقق إرادته، فربط الأسباب بالمسببات، وأجرى بذلك العادات، ثم أمرنا في دفع ذلك بالالتجاء إليه، والدعاء، وأحالنا على الاستعانة بالعوذ والرقى)[٤] (وقول: الله يشفيك، أي يبرئه ويزيل سقمه "بسم الله أرقيك" فبدأ بالبسملة في أول الدعاء وفي آخره)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليقين في أن الشفاء من الله:

هذا ما بينه جبريل عليه السلام في قوله: "بسم الله أرقيك... الله يشفيك..."، والأصل في ذلك قول الحق تبارك وتعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٦] قال ابن كثير (أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه)[٧]، وقد أجمع العلماء على أن من شروط جواز

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٧٩/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٣٦٧.

(٣) سورة الفلق، آية: ٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٤/٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١١٧٩/٢.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٨٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤٧/٦.

الرقية (أن يعتقدأن الرقية لاتؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى وقدرته، لما روى عوف بن مالك ﷺ قال: ((كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ ﷺ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ))[1][2].

(١) أخرجه مسلم ١٧٢٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٤٦/٣

الحديث رقم (٩١٠)

٩١٠- وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رسول الله ﷺ، أنّه قَالَ: ((مَنْ قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَاللهُ أكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وأنَا أكْبَرُ[1]. وَإذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإذَا قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإذَا قَالَ: لاَ إله إلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ، قَالَ: لاَ إلهَ إلاَّ أنَا وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِي)) وَكَانَ يقُولُ: ((مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

صورت عبارة الرسول ﷺ في قوله: (تطعمه النار) النار في خيال المخاطبين بوحش يتناول طعامه بشراً أحياء عن طريق الاستعارة في الفعل المضارع (تطعمه) الذي ساعد على تحريك الصورة التي تهز الوجدان، بمشهد الدخول في النار، مما يجعل المخاطب يعود سريعاً إلى حرف النفي (لم) وما سبقه من الذكر الذي يحجب، وإذا راجعنا تركيب هذا الحجاب العظيم من النار وجدنا جمله تشترك في عدة خصائص بلاغية: منها قيامها على أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي والذي يكون النفي فيه عاماً شاملاً لكل ما سوى المقصور فيفرد الله بالصفة، وينفيها عن كل ما سواه، وتحقيقي؛ لأنه مطابق للواقع لأن الله هو المتصف بهذه الصفات في الحقيقة، والواقع، ومنها: أن كل جملة شملت إقراراً من العبد بمضمونها، وتوكيداً من الله لهذا المضمون، وفي هذا

---

(١) عند الترمذي زيادة: (وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: يقولُ: لا إله إلا أنا وحدي).

(٢) برقم ٣٤٣٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٨٥١، وقال الحاكم ٥/١: هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٠١.

تجاوب بين العبد، وربه في توحيد خالص من العبد يشمله رضا من الرب، وبالنظر في الألفاظ نجد أنه تشع بمعاني الإخلاص لله تعالى كالألوهية، والوحدانية، والقدرة، والحول، والقوة، والملك، والحمد، وهذه العناصر جعلتها حجاباً من هول نار تطعم البشر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذكر الله.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان فضل الذكر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ذكر الله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من قال: لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه.. إلخ الحديث"، قال ابن القيم: (وذكر الله هي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا...، فبه يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون...، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها)[1].

(وهو قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن وسلاح المسلم، وقوّة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

...، به تعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتُجلى

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣ - ٢٥٩.

الظلمات، ملجأ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية القلب واللسان، لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1].

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته ...، والذكر برهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن، يزين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين)[2].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالإكثار من ذكره فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]، قال ابن كثير: (يقول تعالى آمرًا المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب)[4].

وقال ابن كثير: (قال ابن عباس في قوله تعالى: "اذكروا الله ذكرًا كثيرًا" إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلا مغلوبًا على تركه فقال ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾[5] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال)[6].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر مسفر الزهراني ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١ - ٤٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣١/٦.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٣/٦.

وقال السعدي: (يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله. وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب. وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح، "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي: أول النهار وآخره، لفضلهما، وشرفهما، وسهولة العمل فيهما)[1].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان فضل الذكر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "...، من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" قال الطيبي: (أي لم تأكله، استعار الطعم للإحراق مبالغة)[2] وقد بين تعالى عظم فضل ذكره، بأن علق الفلاح على الإكثار منه، فقال: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] وأثنى على أهله، وحسن جزائهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4] ومن عظم فضل ذكر الله، نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة، فقد ختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٨٣/٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[١].

قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبي أمي، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[٢].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة، لشدة حاجة العبد إليه، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصل)[٣].

وختم تعالى به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٤] وختم تعالى به الجمعة فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥] قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[٦].

وقد قرنه تعالى بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٢٦١.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع: يسري السيد أحمد، ١/٣٨٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢/٦٤٤.

تُفْلِحُونَ﴾[١] قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثةُ أقوال: الأول: اذكروا الله عند جَزَعِ قلوبكم، فإنَّ ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: أُثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يَسْكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢].

وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتِّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: أُذكروا ما عندكم من وَعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم. قلت: والأظهرُ أنه ذِكرُ اللسان الموافقُ للجنان. قال محمد بن كعب القُرَظي: لو رُخِّص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[٣] ولرخص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤])[٥].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل ذكر الله فقال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[٦].

وقال ﷺ: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٣٩.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[١].

قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "وأزكاها" أي أنماها وأنقاها، والزكاء النماء والبركة" وخير لكم من إنفاق الذهب والورق "بكسر الراء ويسكن أي خير لكم من إنفاق الذهب والفضة...إلخ)[٢].

(وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده)[٣]، فعلى الداعية بيان عظم فضل ذكر الله، لما في ذلك من كامل الأجر، والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: أسلوب التبشير:

قد ورد التبشير كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار" والتبشير من الأساليب الدعوية المهمة التي يكون بها تأليف القلوب وحملها على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه، لما في ذلك من عظم الأجر وجزيل الثواب. وهذا ما ورد في الحديث، تبشير المدعو على كثرة ذكر الله تعالى وعدم طعم النار له، وفي ذلك بشارة عظيمة يتمناها كل مسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٢٤.

(٣) الفوائد، ابن القيم، ٢٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تعهد المتربين والسؤال عن أحوالهم:

لقد كان من هدي رسول الله ﷺ في التربية أنه كان يتعهد أصحابه ويسألهم عن أحوالهم، سواء أكانت تتعلق بالعبادة أم ما يتعلق بحياتهم وما يعرض لهم من أزمات وعوارض كالمرض والحاجة ونحو ذلك، والعمل على حلها والمساعدة في تخطيها والتغلب عليها، كما هو واضح في أحاديث الباب من خلال تعهده ﷺ لمن يمرض من صحابته، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

لذا كان من تمام التربية وكمال الفضل أن يتفقد المربي تلاميذه وطلابه ويتعهدهم بالسؤال والزيارة ويعود مرضاهم ويتعهدهم بالسؤال والزيارة، ويعود مرضاهم مع مراعاة آداب عيادة المريض من "خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع" [1]، وغير ذلك من الآداب.

وهذا التعهد لا يقتصر على ما تنزل بهم من نوازل وأزمات، وإنما ينبغي أن يتعهدهم في كل ما فيه مصلحتهم فيسألهم عن أحوالهم وعباداتهم تنشيطاً لهم ورفعاً لهمتهم في الطاعة والعبادة .

ومن شواهد ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِماً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِيناً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ النَبِي ﷺ : «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

---

(١) انظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حَوىٌّ، ص٤٥٨.

فهذا أدب حسن للمربين في تعهد مَنْ يقومون بتربيتهم فينظرون للمقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[1].

ثانياً: التربية بالتلقين:

من أساليب التربية والبناء العملي والفكري، اتباع أسلوب التلقين والحفظ، خاصة في مثل الكلمات التي تُرَدّد بنصها كالأدعية المأثورة ونحوها، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التلقين في أحاديث الباب في تعليم الصحابة الأدعية التي تقال عند المرض، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ». وكذلك حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. صَدَّقَهُ رَبُّهُ وَقَالَ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ...».

وقد ورد أسلوب التلقين في رقية جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ. مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ. مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ اللّهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ».

لذا ينبغي على المعلمين ألا يغفلوا أسلوب التلقين في نقل المعلومات وإلى من يقومون بتعليمهم خاصة إذا كانوا في المراحل العمرية الأولى.

إذ أنه في المرحلة العمرية الأولى "يسهل تلقين الطفل المعلومات الأساسية بحيث يحفظها كما لُقنها، وإذا لقن الطفل المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر، ولذلك ينبغي أن تستغل هذه الفترة في تلقين الطفل للقرآن الكريم ويبدأ بالحفظ من قصار السور، مع

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٢٧٦، ٢٧٧.

الاستعانة في ذلك بما ظهر من الأجهزة كالمسجلات وأجهزة الحاسب، ونحو ذلك، ويلقن الطفل في هذه المرحلة بعض الأحاديث القصيرة التي فيها كليات العقيدة والأدعية والآداب"[1].

ثالثاً- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، كإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل وغير ذلك، لذا كان أسلوب الممارسة العملية أهم أساليب التربية الإسلامية"[2].

وجاء هذا الأسلوب جلياً واضحاً في أحاديث الباب فلم يكتف الرسول ﷺ بالإرشاد إلى عيادة المريض وتلقين الناس الرقى التي يقولها المريض أو مَنْ يعوده، كما في قوله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ».

بل جمع إلى ذلك الممارسة العملية، ليكون ذلك قدوة حية ومثلاً كريماً يحتذى به، ونرى ذلك في عيادته للمريض ورقيته، سواء كانت لنفسه أو لمن يمرض من أهله أو من أحد من المسلمين، ومن دلائل ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ: بأصبعه هكذا، ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبَّابته بالأرض، ثم رفعها وقال: «بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنا بِرِيقَةِ بَعْضِنا يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنا بِإِذْنِ رَبِّنا».

وكذا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عاداني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً"، وكانت عيادته ﷺ للمرضى غير قاصرة على أهله أو كبار صحابته وإنما كانت تعم الجميع دون النظر إلى المستوى والفوارق الاجتماعية،

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٣٤.

(٢) انظر: التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٤٢.

ومن دلائل ذلك في الباب حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال له: "لا بأس طهور إن شاء الله".

وهكذا يعلمنا رائد التربية الإسلامية ومعلم البشرية ﷺ أن نتعلم ونمارس ما نتعلم وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي، كما ينبغي على المربي المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة.

وخلاصة ما سبق أن "أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة، فإن كان خيراً فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شراً فشر وخسران، ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقاً عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة، وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا"[1].

رابعاً- التربية على التوجه إلى الله والدعاء إليه:

إن من أهداف التربية الإسلامية تربية المسلم على أن تكون علاقته مباشرة بالله، يلجأ إليه في كافة الظروف وفي جميع الأحوال يسأله مباشرة دون حاجة إلى واسطة ولا استئذان في الليل أو النهار، في البر أو البحر، أو الجو، يظهر الضعف والفقر إلى الله يرجو رحمته ويخاف عذابه.

وفي أحاديث الباب وتعليم النبي ﷺ الصحابة للرقية التي تنطق ألفاظها بالتوجه إلى الله تعالى ما يدل على ذلك، فهو ﷺ يأمر بالتوجه إلى الله تعالى مباشرة سواء كان في ممارساته العملية أو تعليمه للناس، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضاً، لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ؛ أَنْ يَشْفِيكَ، إلا عَافَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذَلِكَ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٧-١٨٠.

المَرَضِ». وفي ذلك تعليم للمسلم أن يتذكر قدرة الله تعالى ويلتجئ إليه ويدعوه دونما شفيع أو وسيط فإن الإسلام يرفض الشفعاء والوسطاء.

"إن التوجه إلى الله تعالى ودعاءه توثيقٌ لصلة العبد بالله تعالى في كل حين إلى جانب الصلاة والصوم والحج، إذ أن علاقة الإنسان بالله تعالى تحتل مساحة واسعة في التوجيه الإسلامي خلافاً للفلسفات المادية الحديثة التي ركزت على علاقات الإنسان المادية بالطبيعة، والمجتمع وأهملت علاقته بالله تعالى، ولاشك أن علاقة الإنسان بالله تنعكس على علاقاته الاجتماعية والكونية"[1].

خامساً- التكرار المنظم:

من الأساليب التربوية التي وردت في أحاديث الباب "أسلوب التكرار" وذلك ما نلحظه في إرشاده ﷺ إلى الرقية بألفاظ تكرر ألفاظها سواء كان هذا التكرار مطلقاً دونما تقييد بعدد، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال عادني رسول الله ﷺ فقال: "اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعدًا" فنجد أن الرسول ﷺ "كرر الدعاء لمزيد الاعتناء بسعد رضي الله عنه وللمبالغة في الدعاء رجاء تحققه"[2]. أو كان التكرار مقيداً بعدد، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض".

لذا ينبغي على المعلم الاستفادة من هذا المنهج النبوي القويم، فينبغي عليه "تكرار الأشياء المهمة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيداً لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهماً جيداً دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ.

---

(١) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٩٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٠.

إن التكرار من الأساليب التعليمة المستخدمة لتثبيت التعلم، والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكيناً للسامعين لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع، وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم"[1].

سادسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في الأحاديث عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستخدمها، من ذلك:

أ-التربية بالممارسة العملية والتجربة: كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سَقَما.

والممارسة العملية تكون من خلال قيام المعلم ببعض الأفعال التدريسية عن طريق استخدام الموارد المتاحة لديه حتى يمكنه إكساب المتعلمين بعض المهارات اللازمة لهم في أمور حياتهم.

ب-استخدام موارد المجتمع المحلي: كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جُرْح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا -ووضع سفيان بن عيينة الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها- وقال: "بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضها يشفى به سقيمنا بإذن ربنا".

ويمكن للمعلم أن يستعين ببعض الموارد الموجودة في المجتمع المحيط للمدرسة في تحقيق أهدافه التربوية من التدريس ويدخل ذلك في نطاق المشاركة المجتمعية.

ج-التربية بالمواقف والأحداث: كما في حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده فقال له رسول الله ﷺ ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" والمعلم البارع هو الذي يستثمر المواقف المختلفة لغرس الأهداف

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص٢١٦، ٢١٧.

التربوية فيهم، وتعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

د-الحوار والمناقشة: كما في قول أنس رضي الله عنه لثابت، ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم رب الناس مذهب البأس اشفِ أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقمًا.

وأسلوب المناقشة والحوار من شأنه تفعيل موقف المتعلم في العملية التعليمية وينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعال في موقف التعليم والتعلم.

١٤٦- باب استحباب سؤال المريض عن حاله

الحديث رقم (٩١١)

٩١١- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ عليَّ بْنَ أَبي طالب رضي الله عنه، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ، في وَجَعِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فِيهِ، فقالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

بارئًا: أي معافىً[2]، فاعل بمعنى مفعول.

الشرح الأدبي

الظرف عند المضاف للرسول ﷺ يوحي بشرف المكان، وبيان المخرج، وقوله (في وجعه) يشير إلى خصيصة في المرض وهي الوجع، الألم، ويوحي باشتداد المرض، وقوله الذي توفي فيه تؤكد ذلك، وقوله (فقال الناس) يشير إلى الحال العامة بانشغال الناس بمرض الرسول ﷺ واستفهامهم (كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟) يفصح عن هذا المصاب الجلل فالواحد منهم يفديه بأهله، ونفسه، وماله، وقول الإمام علي - كرم الله وجهه - (أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً) أي معافى مما يعتري المريض من الهم، والقلق، أو هو من باب التفاؤل.

---

(١) برقم ٤٤٤٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر أ)، وانظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

فقه الحديث

بوّب النووي في الأذكار على هذا الحديث: باب استحباب سؤال أهل المريض وأقاربه عنه وجواب المسؤول[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم.

أولاً- من آداب المدعو: استحباب سؤال أهل المريض عن حاله:

هذا واضح من سؤال الصحابة عليًا عن حال النبي ﷺ في مرضه. قال ابن عثيمين: (ففيه دليل على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض، فإنه يسأل عنه من يراه من أقاربه أو غيرهم ليطمئن الإنسان. وفي وقتنا الحالي حصل - ولله الحمد - الاتصال بالهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه، فهذا الهاتف يدخل على البيوت بدون استئذان، لهذا نقول إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك، فإنك تتصل بالهاتف وتسأل عن حاله، ويكتب لك الأجر بذلك إن شاء الله تعالى، والله الموفق)[٢].

وقال ابن علان: (يؤخذ منه استحباب السؤال عن حال المريض إذا عسر الوصول إليه لعارض، كغلبة مرض أو شرب دواء، فيسن سؤال أهله حينئذٍ عن حاله، قال ابن حجر الهيتمي: وهذا الندب وإن لم يصرح به أصحابنا لكنه ظاهر المعنى، لأن المريض إذا بلغه ذلك سرّ به)[٣].

قال ابن القيم عن فائدة زيارة المريض -وينسحب هذا على ما قد يقوم مقامها

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٥٨ .

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨١/٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

كالسؤال عنه إذا تعذرت الزيارة-: (وقد شاهد الناس كثيرًا من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة)[1].

والسؤال عن المريض من الآداب التي تناسب عصرنا الحاضر، خاصة في بعض الأحيان يكون المريض حالته حرجة، ويمنع الأطباء من زيارته، خوفًا من أن يزداد مرضه.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضحٌ من سؤال الصحابة ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ: (يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ: فأجابهم عن سؤالهم هذا بأن أخبر أنه ﷺ أصبح بحمد الله بارئًا "أي قريبًا من البرء بحسب ظنه أو للتفاؤل، أو بارئًا مما يعتري المريض من قلق وغفلة"، وفيه أنه ينبغي لمن يسأل عن حال المريض أن يجيب بمثل ما ذكر فيه، مما يشعر برضا المريض بما هو فيه عن الله تعالى، وأنه مستمر على حمده وشكره، لم تغيره عنه شدة ولا مشقة، وبما يؤذن بخفة مرضه وقرب عافيته[2].

قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه جواز الإخبار عن حال المريض بأحسن ما يخبر به رجاءً للبرء، فإنه قال: "أصبح رسول الله ﷺ بارئًا" وبارئًا اسم فاعل، واسم الفاعل فعله لما يستقبل من الزمان، فهو يعني إن شاء الله بارئًا)[3].

فأسلوب السؤال والجواب من اساليب الدعوة التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين...، وخاصة أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم على من

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١١٦/٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٤/١.

يحترمونه ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته.. فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه [١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: مواساة المدعوين فيما أصابهم:

لقد سأل الصحابة رضي الله عنهم عن حال النبي ﷺ في مرضه، وهذا السؤال من محاسن الأخلاق ومكارم الشمائل، لأن في ذلك مواساة للمريض وأهله، وإشعارًا لهم بأن المجتمع معهم يواسيهم ويشاركهم ما هم فيه من محنة وتعب. ولاشك أن هذا يساعد على نشر روح الود والمحبة والتآلف بين المجتمع، فضلاً عن أنه يظهر المجتمع وحدة مترابطة يخاف بعضها على بعض، ويشارك بعضها بعضًا الآلام والمسرات والأحزان والأفراح، يقول ابن القيم عن أنواع المواساة: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا النضر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٢].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص ٥٨.

(٢) الفوائد ٢٤٦ - ٢٤٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التفاؤل:

إن من أهداف التربية الإسلامية السامية بعث روح التفاؤل في النفوس، إذ أن التفاؤل "يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن ويقتل فيها اليأس والقنوط ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل"[(١)].

إن الناس بحاجة إلى غرس التفاؤل في نفوسهم، ونرى ذلك في الباب في إجابة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عمن سأله عن رسول الله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً».

ففي هذا الحديث إرشاد إلى "تحسين الإجابة تفاؤلاً وإشعاراً بالرضى بقضاء الله تعالى وشكره على السراء والضراء، وكذلك يجيب المريض عن حاله، بمثل هذه الجملة الطيبة"[(٢)].

إن غرس التفاؤل في نفوس الناس -خاصة المتربين- له أكبر الأثر وأنفعه في الحياة، إذ أن "النفوس المتعبة المريضة القلقة الخائفة المتشائمة المتطيرة المرتبكة المترددة الخائرة الحائرة يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها هي أن تؤدي دوراً فاعلاً وإيجابياً تنفع به نفسها أو تنفع به غيرها..

لذلك كان من أهداف التربية الإسلامية، أن تكون النفوس دائمة البشر إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها واثقة من نفسها، حتى تُبنى وتتكون وتزداد فيها معالي الأمور وصفات الكمال ويبنى بها أمة كريمة ودولة عظيمة"[(٣)].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في الإسلام، د. زياد محمود العاني، ص٢٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٢٩-٢٣٢.

ثانياً- التربية على توثيق العلاقات بين الناس:

من المضامين التربوية التي يحملها حديث الباب في طيَّاته التربية على توثيق العلاقات الاجتماعية بين الناس والتي من أسبابها عيادة المريض، والسؤال عن حاله تضامناً معه ومع أهله، وتأتي أهمية السؤال عن المريض في أن المريض قد يُحال بين الناس وزيارته، لما قد يقتضيه طبيعة المرض أو المكان والكيفية التي يعالج بها فإذا كان الأمر كذلك فلا أقل من سؤال أهله عنه والاطمئنان عليه.

وقد عبَّر الصحابة بصورة حية عن اهتمامهم برسول الله ﷺ وسؤال ابن عمه وزوج ابنته علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونرى ذلك في صريح قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ...".

لقد بات معلوماً في التربية الإسلامية خاصة الاجتماعية منها أن عيادة المريض والسؤال عنه "من الآداب التي توثق العلاقات بين الناس وتقوي المعنويات العامة وترفع روح المجتمع وتنهض به"[(١)].

وتلك الآداب والتوجيهات لا تقتصر على النواحي المادية فحسب، وإنما تمتد لتشمل التكافل المعنوي والأدبي وغيرهما، "فربما يكون الإنسان قد حيره أمر من الأمور ينقصه الرأي السديد، وفي هذه الحالة يكون تفريج كربه بإدلاء المشورة والنصيحة له فيما يعود عليه بالنفع والخير، كما أن زيارة الإنسان المسلم لأخيه المريض وسؤاله عنه يعتبر تنفيساً لهمه وضيقه، لما يترتب على ذلك من تسلية للمريض، وتذكير له على أن ما يصيبه في هذه الدنيا يكون له فيه الأجر العظيم إذا كان صابراً محتسباً" [(٢)].

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ قيمة رفع الروح المعنوية وتسلية المريض والتخفيف عنه وعن أهله سواء بزيارته أو بالسؤال عنه والاهتمام به بقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٦١.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٦٨.

الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟». فهل هناك فضل أعظم وأجر أكبر من ذلك؟!.

۞ ۞ ۞

١٤٧- باب مَا يقوله مَن أيس من حياته

الحديث رقم (٩١٢)

٩١٢- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ، يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الموقف الذي تحكيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يعكس المودة، والرحمة، والحنان التي جعلها الله بين الزوجين والذي يدل عليه قولها (وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ) وقوله ﷺ (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) اللهم نداء خاشع، ودعاء خاضع، وقوله (اغفر لي) أمر أريد به الدعاء، والمغفرة من الغفر، وهو الستر، والتغطية، وطلبه المغفرة يعلمنا أن نتهم أنفسنا، فهو الذي لم يذنب قط، يدعوا بالمغفرة فكيف بالخطأ، وقوله (وارحمني) استشعار لموجبات أسماء العزة، والجبروت، وبصيرة بمظاهر القدرة في الملكوت، وما ينتظر الناس من أهوال في المواقف وقوله: (وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَى) كناية عن محبته لربه، وشوقه للقائه، والتعبير بالإلحاق رغبة في إدراك سابق، وذكر الرفيق يثير في النفس معاني الشفقة، والرفق، والرأفة، ووصفه بالعلو يعطيه أبعاداً إيحائية تتخطى حدود أهل الأرض حيث يجب أن يكون خير خلق الله في منزلته عند ربه.

فقه الحديث

تقدم بالأرقام ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٤، ومسلم ٢٤٤٤/٨٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة رضي الله عنها بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة رضي الله عنها بدعاء النبي ﷺ في مرضه الأخير:

فقد قال ﷺ: (اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى) وقد أخرج البخاري في كتاب المغازي في باب مرض النبي ﷺ ووفاته[1] أحاديث، منها الأحاديث التالية:

قالت عائشة رضي الله عنها: ((كنتُ أسمعُ أنَّهُ لا يموتُ نبيٌّ حتى يُخيَّرَ بين الدنيا والآخرة؛ فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول في مرضِهِ الذي مات فيه - وأَخَذتهُ بُحَّةٌ - يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾[2]، فظننتُ أنه خُيِّرَ))[3].

وقالت رضي الله عنها: ((لما مرِضَ النبيُّ ﷺ المرضَ الذي مات فيه جعل يقول: في الرَّفيق الأعلى))[4].

وقالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ، حَتَّى يُرَى مَقْعَدَهُ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللّهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ أَفَاقَ. فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى. قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَعَرَفْتُ الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ وَهُوَ صَحِيحٌ))[5].

---

(١) كتاب المغازي برقم ٦٤، والباب برقم ٨٣.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٥، ومسلم ٨٦ - ٢٤٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٣٦، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٣٧، ومسلم ٨٧ - ٢٤٤٤.

قال النووي: (الصحيح الذي عليه الجمهور أن المراد بالرفيق الأعلى: الأنبياء الساكنون أعلى عليين، ولفظة "رفيق" تطلق على الواحد والجمع. قال الله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1])[2].

وقال ابن حجر: (ومعنى كونهم رفيقًا تعاونهم على طاعة الله وارتفاق بعضهم ببعض... قال السهيلي: الحكمة في اختتام كلام المصطفى بهذه الكلمة، كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب، حتى يستفاد منه الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر، باللسان، لأن بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع، فلا يضره إذا كان قلبه عامرًا بالذكر انتهى ملخصًا)[3].

ثانيًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

ولذلك عنون النووي هذا الباب بقوله: باب ما يقوله من أيس من حياته. قال ابن علان قوله: "اللهم اغفر لي" وهذا منه خضوع لمقام الربوبية، وإلا فهو معصوم من جميع الذنوب، أو تشريع للأمة، وتنبيه على أن حق مثل هذا المطلب، ألا يغفل عنه المستيقظ حالتئذ، لأنها حالة الانتقال وساعة الارتحال "وارحمني" ورحمة كل شيء بحسب ما يليق به، فأعظم الرحمات ما منحه نبيه ﷺ مما لا يحيط به بيان... "وألحقني بالرفيق الأعلى" قيل: المراد به الملائكة المقربون والعباد الصالحون بالمعنى الأعم، وهو الوجه الأتم المناسب لما جاء في قول يوسف ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4])[5].

قال ابن عثيمين: (ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت فماذا يقول؟ تقول عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٠/١٥/٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٤٤/٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٢٧ - ١١٢٨.

الأعلى"، هكذا يقول الرسول ﷺ عند موته، وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا، هكذا الرسول ﷺ يقول عند موته)[1].

قال النووي عما يستحب لمن أيس من حياته أن يفعله قال: (ويستحب أن يكثر من القرآن والأذكار، ويكره له الجزع، وسوء الخلق، والشتم، والمخاصمة، والمنازعة في غير الأمور الدينية، ويستحب أن يكون شاكرًا لله تعالى بقلبه ولسانه، ويستحضر في ذهنه أن هذا آخر أوقاته من الدنيا، فيجتهد على ختمها بخير، ويبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها، من ردِّ المظالم والودائع والعواري، واستحلال أهله: من زوجته، ووالديه، وأولاده، وغلمانه، وجيرانه، وأصدقائه، وكل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، أو تعلق في شيء. وينبغي أن يوصي بأمور أولاده إن لم يكن لهم جدٌّ يصلح للولاية، ويوصي بما لا يتمكن من فعله في الحال: من قضاء بعض الديون ونحو ذلك. وأن يكون حسن الظن بالله سبحانه وتعالى أنه يرحمه، ويستحضر في ذهنه أنه حقير في مخلوقات الله تعالى، وأن الله تعالى غنيٌّ عن عذابه وعن طاعته، وأنه عبده، ولا يطلب العفو والإحسان والصفح والامتنان إلا منه.

ويستحب أن يكون متعاهدًا نفسه بقراءة آيات من القرآن العزيز في الرجاء، ويقرؤها بصوت رقيق، أو يقرؤها له غيره وهو يستمع. وكذلك يستقرئ أحاديث الرجال وحكايات الصالحين وآثارهم عند الموت. وأن يكون خيره متزايدًا، ويحافظ على الصلوات، واجتناب النجاسات، وغير ذلك من وظائف الدين، ويصبر على مشقة ذلك، وليحذر من التساهل في ذلك، فإن من أقبح القبائح، أن يكون آخر عهده من الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، التفريط فيما وجب عليه أو ندب إليه. وينبغي له أن لا يقبل قول من يخذله عن شيء مما ذكرناه، فإن هذا مما يُبتلى به، وفاعل ذلك هو الصديق الجاهل والعدو الخفي فلا يقبل تخذيله، وليجتهد في ختم عمره بأكمل

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١١٨١ - ١١٨٢.

الأحوال، ويُستحبُّ أن يُوصي أهله وأصحابه بالصبر عليه في مرضه، واحتمال ما يصدر منه، ويوصيهم أيضًا بالصبر على مصيبتهم به، ويجتهد في وصيتهم بترك البكاء عليه، ويقول لهم: صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الميِّتَ يُعذَّبُ ببكاءِ أهلهِ عليه))[١].

فإياكم يا أحبائي والسعي في أسباب عذابي، ويوصيهم بالرفق بمن يخلفه من طفل وغلام وجارية ونحوهم، ويوصيهم بالإحسان إلى أصدقائه، ويُعلِّمهم أنه صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إنَّ مِنْ أبرِّ البرِّ أنْ يصِلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُدِّ أبيه))[٢] وصحَّ أن رسول الله ﷺ كان يكرم صواحبات خديجة رضي الله عنها بعد وفاتها[٣] ويستحب استحبابًا مؤكدًا أن يوصيهم باجتناب ما جرت العادة به من البدع في الجنائز، ويؤكد العهد بذلك. ويوصيهم بتعاهده بالدعاء وأن لا ينسوه بطول الأمد. ويستحب له أن يقول لهم في وقت بعد وقت: متى رأيتم مني تقصيرًا في شيء فنبهوني عليه برفق، وأدُّوا إلي النصيحة في ذاك، فإني معرَّض للغفلة والكسل والإهمال، فإذا قصرت فنشِّطوني وعاونوني على أُهبة سفري هذا البعيد.

ودلائل ما ذكرته في هذا الباب معروفة مشهورة، حذفتها اختصارًا فإنها تحتمل كراريس. وإذا حضره النزع فيكثر من قول: لا إله إلا الله؛ لتكون آخر كلامه)[٤].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد كان هذا الدعاء منه ﷺ وفعله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثله، ويعملوا بعمله ويقتدوا به ويهتدوا بهديه، فهو قدوتهم وأسوتهم ومثلهم المحتذى. فبين لهم بهذا الدعاء ما يفعلونه وقت اليأس من الحياة، وهو التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وطلب غفرانه ورحمته وعلو المنزلة والمكانة عنده.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٦، ومسلم ٩٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٣) انظر ما أخرجه البخاري ٣٨١٦ - ٣٨١٨، ومسلم ٢٤٣٥.

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٧ - ١٦٩.

فينبغي على المسلم أن يحرص على دعاء الله في كل الأوقات وجميع الأحوال، فالدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن [1].

(١) الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

الحديث رقم (٩١٣)

٩١٣- وعنها، قالت: رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ أَوْ سَكَرَاتِ المَوْتِ)) رواه الترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

قدح: إناء يشرب فيه الماء ونحوه[2].

غمرات الموت أو سكرات الموت: غمرات الموت: شدائده ومكارهه. وسكرات الموت: جمع سكْرة: الغشي الناشيء عن الألم[3].

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (رَأيتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ) يجعل الحديث ذا شجون، لأن مرأى الرسول ﷺ في هذه الحال مما يفطر القلب، ويفزعه، وقولها، (وهو بالموت) يوحي بحرج اللحظة، وشدتها التي تؤكد صعوبة الموقف الذي سيمر بالناس جميعاً لكي يعد كل إنسان لهذا الموقف عدته، وقوله (وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماء) كناية عن شدة ألمه، وارتفاع حرارة الجسم من المرض، وتشير (ثم) بين إدخال اليد في القدح، وبين المسح على الوجه إلى فترة زمنية تحكي ضعف الجسم، وبطء الحركة، وقول الرسول (أعني) أمر بمعنى الدعاء بطلب الإعانة التي تشير إلى

---

(١) برقم ٩٧٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٢/٣٦٥: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ في الفتح ١١/٣٦٢: إسناده حسن.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٢٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٢٣٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٦٩-٣٧٠.

شدة الأمر، وأنها عقبة يحتاج الإنسان فيها إلى من يعينه، والتعبير بالغمر يوحي بإحاطة المرض، وجمع الكلمة يعطيها بعداً إيحائياً كأنه إذا خرج من سكرة دخل في أخرى دلالة على امتناع الخروج لمن دخل في سكرات الموت، وإضافة الغمرات، أو السكرات للموت يزيدها ترهيباً من حيث شدته، وهوله، وما يسفر عنه الموت من آلام فوق الوصف، ثم إنه موقف سيمر بكل، واحد منا، وإذا كان الرسول ﷺ أحب خلق الله، وأتقاهم يقول ذلك فما حال بقية الناس؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ ربه أن يعينه على شدائد الموت:

لقد دعا النبي ﷺ ربه الإعانة على سكرات الموت وشدته كما يتضح من الحديث، وقد قالت عائشة رضي الله عنها أيضًا: ((إن من نعمة الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في يومي وفي بيتي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت. قالت: دخل عليّ أخي بسواك معه، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري، فرأيته ينظر إليه. وقد عرفت أنه يحب السواك ويألفه. فقلت: آخذه لك فأشار برأسه أي نعم فلينته له فأمرّه على فيه. قالت: وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ثم يقول: «لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات» ثم نصب أصبعه اليسرى وجعل يقول: «في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»، حتى قُبض ومالت يده في الماء))[1].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٤٩. وقد ساق ابن كثير أحاديث وفاته ﷺ في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/٢٤ - ٧٨، من ذلك: فصل في كيفية احتضاره ووفاته عليه الصلاة والسلام.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها كذلك: ((مات النبيُّ ﷺ وإنه لبين حاقَنَتي وذاقِنَتي[١]، فلا أكرَهُ شدةَ الموت لأحدٍ أبدًا بعدَ النبي ﷺ))[٢].

قال الطيبي: (قال البيضاوي: عنت أني لما رأيت شدة وفاته علمت أن ذلك ليس من المنذرات الدالة على سوء عاقبة المتوفى. وأن هون الموت وسهولته ليس من المكرمات، وإلا لكان رسول الله ﷺ أولى الناس به، فلا أكره شدة الموت لأحد ولا أغبط أحدًا يموت من غير شدة)[٣].

قال ابن عثيمين: (هكذا كان الرسول يقول عند موته، وكان عنده إناء فيه ماء، وقد أتى من شدة الموت وسكراته ما لم يُؤْتِ أحد، لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شدّد عليه المرض، شدد عليه النزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر، لأن الصبر يحتاج إلى شيء يصبر عليه، فكأن الله قد اختار لنبيه ﷺ أن يكون مرضه شديدًا، ونزعه شديدًا حتى ينال أعلى درجات الصابرين، فكان ﷺ يضع يده في الإناء الذي فيه الماء، ويمسح بذلك وجهه ويقول: اللهم أعني على سكرات الموت، أو قال: على غمرات الموت" أي أعني عليها حتى أتحمل وأصبر وأتروى، ولا يزيغ عقلي، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشدة إذا لم يعنك الله عز وجل ويصبرك فأنت على خطر، ولهذا كان يقول: اللهم أعنى على غمرات الموت. وفي رواية أخرى يقول: "لا إله إلا الله، إن للموت سكرات"[٤] وصدق النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا

---

(١) قال الطيبي: (قولها "بين حاقنتي وذاقنتي" أي توفي مستندًا إليّ. قال ابن الأثير [النهاية في غريب الحديث ٢٢٢، ٣٢٨] الحاقنة: الوهدة المنخفضة بين الترقوتين من الحلق. الذاقنة: الذقن. وقيل: طرف الحلقوم. وقيل: ما يناله الذقن من الصدر. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٩٨/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٤٩.

كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[١])[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حال النبي ﷺ وقت احتضاره، وقد استخدم أسلوب الإخبار هذا كثيرًا في نقل أحوال النبي ﷺ من قبل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أمرهم النبي ﷺ بالتلبيغ عنه فقد قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))[٣].

قال ابن حجر: (قال المعافى النهرواني في كتاب "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معانٍ: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[٤] ومن الثاني: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً ﴾[٥] ومن الثالث: جعل الأمير فلانًا اليوم آية: ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة أنه قيل لها آية: لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل، ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ اهـ كلامه)[٦].

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء

هذا واضح في قول عائشة رضي الله عنها إن النبي ﷺ قال: "اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت" فكان هذا الدعاء لبيان تضرع النبي ﷺ -وهو في حال احتضاره- إلى الله تعالى ولجوئه إليه عز وجل وطلب العون منه والتوفيق والسداد، وهذا كله دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ فهو قدوتهم وأسوتهم.

---

(١) سورة ق، آية: ١٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١١٨٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٤٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٨/٦، .

نقل ابن علان في الفتوحات الربانية شرح الأذكار النواوية القول بأنه (في تشديد الموت على الأنبياء فائدتان: إحداهما تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا، بل هو كما جاء: ((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَوْلِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ))[1]. والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت، فقد يطلع الإنسان على بعض الموتى ولا يرى عليه حركة ولا قلقًا ويرى سهولة خروج روحه، فيظن الأمر سهلاً ولا يعرفُ ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون شدة الموت مع كرامتهم على الله سبحانه، قطع الخلقُ بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقًا، لإخبار الصادق عنه، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث[2])[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٤٠٢٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٩).

(٢) الحديث نصه: "ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة" أخرجه الترمذي ١٦٦٨. وصححه الألباني (صحيح الترمذي ١٣٦٢).

(٣) الفتوحات الربانية ٩٦/٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مداومة الدعاء واللجوء إلى الله تعالى:

إن من أهداف التربية الإسلامية، توثيق صلة المسلم بربه، يدعوه ويلجأ إليه ويستجير به ويعتصم به، ويزداد هذا التعلق عند نزول المصائب وفي الأوقات العصيبة التي تمر بالإنسان، وأشدها الاحتضار ونزول الموت وسكراته، فما أحوج الإنسان ساعتها إلى رحمة الله وواسع فضله، وتنقل لنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث الباب دعائين من الأدعية التي دعا بها رسول الله ﷺ عند نزول الموت، في الحديث الأول دعا ربه وسأله المغفرة والرحمة وأن يلحقه بالرفيق الأعلى، فقال ﷺ: «اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى»، وفي الحديث الثاني دعا ربه أن يعينه على تحمل سكرات الموت وغمراته قائلاً: «اللَّهُمَّ أَعِنِي عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا ينبغي للمربي أن يركز في توجيهاته على أهمية حسن الصلة بالله والابتهال إليه والدعاء واللجوء إليه، فإن الدعاء هو "السلاح الأمضى والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس يثبتها ويقومها"[(١)].

إن تربية النشء على حسن الصلة بالله وتوثيقها بتصحيح العقيدة والإيمان به تعالى وأن كل ما ينزل بالمسلم في حياته لا يستطيع دفعه لأنه قضاء الله وقدره، ويستعين بالدعاء على تحمل الشدائد والصعاب التي تحيط به وتلم به، "ومتى انطبعت العقيدة وصحت في نفس المسلم فإنه سيتجنب كل ما من شأنه أن ينزلق به في هوة الحرام، وسيعمل على الاستباق إلى الفضيلة التي تسكب في ضميره السكينة، وهدوء البال وسينعكس هذا السلوك الراشد على أفراد المجتمع مما يشيع فيه الأمن والسلام، وكلٌ من راحة الضمير وطيب النفس والإحساس بالأمن والسلام يعتبر أسمى ما يمكن أن تحققه التربية للإنسان كفرد وكمجموعة"[(٢)].

---

(١) الثبات ووسائله في ضوء القرآن الكريم، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ص٥٨.

(٢) التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين، ص١٢، ١٣.

ثانياً- حفظ العلم وتبليغه للناس:

إن مما ينبغي أن يغرسه المربي في نفوس المتعلمين أن ما يتعلمونه من علم وما يرونه من أحوال العلماء، لا يتعلمونه لكي يُنْسى أو يُتَبَاهى بحفظه، بل يجب العمل بما علمه الإنسان وليس ذلك فحسب بل يحرص أيضًا على نشر هذا العلم النافع.

وقد أعطت لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثلاً حياً يحتذى به، حيث نقلت للأمة كل ما رأت من أحواله ﷺ خاصة التي لا يطلع عليها غالبًا إلا أهله وذووه والمقربون منه- كأحواله في البيت والتي منها ما كان يعانيه ﷺ من سكرات الموت، وما كان يدعو به من أدعية، كما في حديثي الباب: ﷺ: «اللهمَّ اغفِرْ لي وارحمني وألْحِقْني بالرفيق الأَعْلَى»، «اللَّهُمَّ أَعِني عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ».

لذا يحسن بالمتربي إذ أراد لنفسه الخير ولغيره أيضاً أن يحفظ ما استطاع من سنة رسول الله ﷺ ويعمل بما حفظ ويبلغه لغيره.

❁ ❁ ❁

١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض

ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أوْ قصاص ونحوهما

الحديث رقم (٩١٤)

٩١٤- عن عِمْران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أتَت النَّبيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رسول الله، أصَبْتُ حَدًّا فَأقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رسولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: ((أحْسِنْ إلَيْهَا، فَإذَا وَضَعَتْ فَأتِنِي بِهَا)) فَفَعَلَ، فَأمَرَ بِهَا النَّبيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

حَدًّا: الحدُّ: الذنب الموجب للعقوبة في الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

التعبير بالإتيان يشير إلى مجيء فيه تكلف، ومشقة، وهو ما يشي بما تجد المرأة في هذه الحالة في نفسها من شدة الحرج، والحياء لاسيما في مواجهة الرسول ﷺ، وتعرضها للفضيحة بين الناس، وفي مجتمع طاهر يندر أن يحدث فيه مثل هذا الذنب، وإذا علمنا شدة الموقف أدركنا مدى صبرها، وقوة احتمالها إرضاء لربها، ورغبة في تطهير نفسها يدل على ذلك قولها (، أصَبْتُ حَدّاً فَأقِمْهُ عَلَيَّ) والتعبير بالإصابة دلالة على تحقق الإلمام بالذنب كما أن صياغته في الماضي تؤكد ذلك وتنكير الحد لاستهجان التصريح بذكره معرفاً، وفيه ستر لهذا الذنب عن من لا يلزم إخباره بعد

---

(١) برقم ١٦٩٦/٢٤، وتقدم برقم ٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د د).

الرسول ﷺ، وقد يدل التنكير مع هذا على تعظيم هذا الحد، واتصال الفاء بالفعل في قوله (فأقمه) تشير إلى رغبتها في سرعة تطهير نفسها، والخلاص من ذنبها، والتعبير بالإقامة يوحي بتعديل الميل، وتقويم الخطأ، وإتمام الحد، وقول الرسول ﷺ لوليها (أَحْسِنْ إِلَيْهَا) يشير إلى سمو الإسلام، وكمال تعاليمه، حتى في أشد المواقف التي يتصدى فيها للفاحشة يتخذ الإحسان سبيله يأخذ الحق دون تثريب، ولا زيادة، وقوله: (فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا) يشير إلى عدل الإسلام في عدم أخذ الصغير بذنب أمه، ومن يتأمل الموقف النفسي لامرأة أتت هذا الموقف، وراحت تعترف به أمام الناس، وعند رسول الله ﷺ، ثم إنها بقيت شهوراً طويلة في مجتمع ينظر إلى هذا الذنب على أنه أقبح الذنوب، وظلت تعالج نظرات الشماتة، والاحتقار، والغضب، وغيرها ثم إنها فوق ذلك تنتظر الموت أدرك عظم ما عانت في سبيل استرداد ثوب الطهر الذي خلعته عنها المعصية، ثم خلعته عليها التوبة بعد ذلك، ولذلك قال الرسول ﷺ عنها في نهاية الحديث بعد أن صلى عليها (لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِّمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدَتْ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ؟!).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

الحكم الأول: إقامة حد الرجم على المرأة الزانية إذا كانت حبلى من الزنا: إذا كانت المرأة الزانية حبلى من زنا، فلا يجوز إقامة الحد عليها وهذا محل اتفاق بين الفقهاء. ويؤخر إلى أن تلد ويرضع الطفل حتى يأكل. ولأن إقامة الحد على الحامل فيه قتل للجنين الذي في بطنها، وهو قتل لنفس بريئة من غير وجه حق[1].

الحكم الثاني: مشروعية الوصية: فقد اتفق الفقهاء على مشروعية الوصية في مجملها[2].

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة لعبدالرحمن الجزيري ٥/٣٠.

(٢) الإجماع لابن المنذر ٧٣، رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦/٦٤٨، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ٤/٤٢٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣/٣٩، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢/٥٣٨، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦/١.

الحكم الثالث: هل يجلد من وجب عليه الرجم أم لا؟ اختلف الفقهاء في اجتماع الحدين الرجم والجلد على من وجب عليه الرجم. فذهب جمهور الفقهاء إلى أن الزاني المحصن لايجب عليه إلا الرجم فقط[١].

وذهب الحسن البصري وإسحاق إلى أن الزاني المحصن يجلد ثم يرجم[٢].

الحكم الرابع: رجم الرجل والمرأة: وقد اتفق الفقهاء على أن المرأة ترجم قاعدةً، يجمع عليها ثيابها ويشد بحيث لا تنكشف عورتها أثناء تقلبها وتكرار اضطرابها.

أما الرجل فإنه يرجم قائمًا[٣].

الحكم الخامس: الصلاة على المرجوم: قد اختلف العلماء في الصلاة على المرجوم، فكرهها مالك وأحمد للإمام وأهل الفضل دون باقي الناس، ويصلي عليه غير الإمام وأهل الفضل. قال الشافعي وآخرون يصلّي عليه الإمام وأهل الفضل وغيرهم، والخلاف بين الشافعي ومالك إنما هو في الإمام وأهل الفضل. وأما غيرهم فاتفقوا على أنه يصلي علي، وبه قال جماهير العلماء. قالوا: فيصلي على الفساق والمقتولين في الحدود والمحاربة وغيرهم)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) بداية المجتهد للمرغيناني ٣٤/١، شرح معاني الآثار للطحاوي ١٣٨/٣، المجتهد لابن رشد ١٢٣٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨٩/٦.

(٢) شرح معاني الآثار ١٣٨/٣، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ١٢٣٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٥/١١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٨٩/٦، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩/٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٢١٢/١١/٦ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تقدم ذكرها في المضامين التربوية للباب رقم (٢).

❁ ❁ ❁

١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا وجع، أوْ شديد الوجع أو مَوْعُوكٌ أو وارأساه ونحو ذلك. وبيان أنّه لا كراهة في ذلك إذا لَمْ يكن عَلَى سبيل التسخط وإظهار الجزع

الحديث رقم (٩١٥)

٩١٥- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسسْتُهُ[١]، فَقلتُ: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَديدًا، فَقَالَ: ((اجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

يُوعَك: يتألم من الحُمَّى أو غيرها[٣].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يقرر أن الأنبياء أشد بلاءً من غيرهم وقوله: (يوعك) يشخص بدلالته المرض، ويحدد مكانه في البطن، وصياغته في المضارع تقرر استمراره، وتجدده، وقوله: (فمسسته) يشير إلى الرفق، والشفقة، والمحبة، وقوله: (إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكاً شَديداً؟) وهو استفهام تقرير يفيض بالشفقة، والرحمة، وتوكيد الفعل بالمصدر (توعك وعكاً) ووصفه بالشدة يشير إلى شدة ما يعانيه في المرض، والتي أكدها في جوابه بتقريرها، بل ومضاعفتها عن طريق التشبيه (إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ) فهو كغيره يتقلب في أمر الله بين الصحة، والمرض لأنه سنة الله في عباده المؤمنين قال

---

(١) عندهما زيادة: (بيدي).

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٧، ومسلم ٢٥٧١/٤٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ع ك)

تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة١٥٥) حتى لا يتضجر مسلم بما أصابه في أي زمان، ومكان، فهو لن يكون أفضل من رسول الله!

فقه الحديث

بوّب البخاري في صحيحه على أحاديث الباب في كتاب المرضى: باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع أو وارأساه أو اشتدّ بي الوجع وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1])[2].

وقال النووي: (قوله في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع اشتد بي" ... فيه جواز ذكر المريض ما يجده لغرض صحيح من مداواة أو دعاء صالح أو وصية أو استفتاء عن حاله أو نحو ذلك، وإنما يكره من ذلك ما كان على سبيل التسخط ونحوه، فإنه قادح في أجر مرضه)[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٢) الباب رقم ١٦ من كتاب المرضى برقم ٧٥، الأحاديث ٥٦٦٥-٥٦٦٨. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٣-١٢٥، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٣-١٦٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١/٦٥ .

(٤) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم (٩١٧).

الحديث رقم (٩١٦)

٩١٦- وعن سعد بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءني رسولُ الله ﷺ يَعُودُني مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فقلتُ: بَلَغَ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَتِي. وذكر الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه جاءني رسول الله ﷺ بوصل الفعل بياء المخاطب يوحي باعتزازه بزيارة الرسول ﷺ، والفعل (يعودني) يؤكد الفعل السابق، ويشير إلى سبب الزيارة، وقوله (من وجع) ينص عليه، وقوله (بَلَغَ بِي مَا تَرَى) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الاستعطاف، والاسترحام، وهو ليس من باب الشكوى، والضجر، وإنما من باب وصف الحال، واستدرار رحمة الرحيم لاسيما إذا كان رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٦٨، ومسلم ١٦٢٨/٥، وتقدم ٦. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٢٩.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦).

الحديث رقم (٩١٧)

٩١٧- وعن القاسم بن محمد، قَالَ: قالت عائشةُ رضي الله عنها: وَارَأسَاهُ! فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((بَلْ أنَا، وَارَأسَاهُ!)) وذكر الحديث. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

وارأساه: تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع[2].

الشرح الأدبي

حورا النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة ﷺ يقرر أن حديث الإنسان بمرضه ليس فيه غضاضة إذا لم يكن على وجه الاعتراض على أمر الله، وقولها: (وا..! رأساه) وا نداء استغاثة مما تلاقيه من الألم، وهو ما يصيب الرأس من الصداع، وقول الرسول ﷺ (بَلْ أنَا، وَارَأسَاهُ !) تقديم الضمير أنا للاختصاص، أنا الذي أعني الألم في رأسي أكثر مما تعانيه أنت، ولذلك أتى ببل في بداية الجملة، ومن المعلوم من الحديث السابق أنه كان يعاني ضعف غيره.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر.

ثالثًا: من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم.

---

(١) برقم ٥٦٦٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٣٠.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ٩١٧ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩١٥).

أولاً - من موضوعات الدعوة: جواز شكوى المريض من مرضه بشرط ألا يكون هذا على سبيل التسخط وإظهار الجزع:

يتضح هذا من قول ابن مسعود رضي الله عنه: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك تُوعك وعكاً شديداً، فقال: أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم" وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ("وارأساه" هو تفجع على الرأس لشدة ما وقع به من ألم الصداع)[1].

كما أنها قالت في هذا الحديث نفسه ((وَاثُكْلِيَاهْ))[2] قال ابن حجر: (بضم المثلثة [أي الثاء] وسكون الكاف وفتح اللام وبكسرها مع التحتانية الخفيفة وبعد الألف هاء للندبة. وأصل الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد، وليست حقيقته هنا مرادة، بل هو كلام كان يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها)[3].

أما قوله ﷺ "بل أنا وارأساه" فقال ابن حجر: (هي كلمة إضراب [أي بل]، والمعنى: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي. وزاد في رواية عبيد الله ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[4]... وفي الحديث أن ذكر الوجع ليس بشكاية، فكم من ساكت وهو ساخط، وكم من شاكٍ وهو راض، فالمعول في ذلك على عمل القلب لا على نطق اللسان)[5].

وقال ابن عثيمين: (فهذا [أي الحديث] اجتمع فيه سنتان: إقرارية وقولية، أما الإقرارية فإن النبي ﷺ أقرّ عائشة عندما قالت: "وارأساه" وأما القولية فهو نفسه ﷺ قال: "وارأساه"، وعليه فإن الإنسان إذا قال: وارأساه وابطناه أو ما أشبه ذلك، فلا حرج بشرط ألا يقصد بذلك أن يشكو الخالق إلى المخلوق، بل يقصد التوجع مما قضاه الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥، .

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٦٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥ .

(٤) أخرجه أحمد ٦/٢٨٨، رقم ٢٥٩٠٨، وابن ماجه ١٤٦٥ وقال محققو المسند: حديث حسن ٤٣/٨٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥ - ١٢٦، .

عليه، فإذا كان مجرد خبر فلا بأس به، ولا سيما إذا كان يذكر هذا عند من يريد أن يعالجه، لأنه خبر مجرد، ليس المراد به الاعتراض والتسخط على قضاء الله وقدره)[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرضا بما يصيبه دون تسخط أو تضجر:

لقد ساق البخاري هذا الحديث في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع وقول أيوب عليه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٢])[٣].

قال ابن حجر: (لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا، بل فيه زيادة عبادة، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك، وأثبت له اسم الصبر مع ذلك[٤]...

فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر، والله أعلم، قال القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على دفعه، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك، فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه، كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد، كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذموما، حتى يحصل

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٨٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٣) كتاب المرضى برقم ٧٥، والباب برقم ١٦، وتحته الأحاديث ٥٦٦٥ - ٥٦٦٨.

(٤) يقصد ابن حجر قوله تعالى عن استجابته سبحانه لدعاء أيوب: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وقوله عز وجل عن أيوب ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ٤٤].

التسخط للمقدور، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر، والله أعلم، وروى أحمد في "الزهد" عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه، وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك، ثم احتج بحديث عائشة في الباب، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى ا هـ، ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا)[1].

ثالثًا - من مهام الداعية: لفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه: "دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعك فمسسته فقلت: إنك لتوعك وعكا شديداً، فقال: أجل، كما يوعك رجلان منكم، قال: لك أجران، قال: نعم ما من مسلم يصيبه أذى - مرض فما سواه إلا حطّ الله سيئاته كما تحط الشجرة ورقها"، وقول النبي ﷺ: "بل أنا وارأساه" قال ابن حجر: (هي [أي بل] كلمة إضراب، والمعنى دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي، وزاد في رواية عبيدالله [بن عبدالله بن عتبة] عن عائشة: ((ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ))[2][3].

ومن قبيل لفت الداعية انتباه المدعو إلى ما هو أهم، ما رواه عطاء بن أبي رباح: قال لي ابن عباس: ((أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ. أَتَتِ النَّبِيَّ قَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ. وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ. وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». قَالَتْ: أَصْبِرُ. قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ. فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٢٨٨، رقم ٢٥٩٠٨، وابن ماجه ١٤٦٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٤٣/٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٢٥ .

أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا))[١].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة، لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة)[٢].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((أنَّ فاطمةَ عليها السلام شكت ماتَلقى في يدِها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تسألهُ خادمًا، فلم تجِدْه، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَته، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بينَنا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ماهو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أوَيتما إلى فِراشِكما - أو أخَذتما مَضاجعَكما - فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدَا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[٣].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام، وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب، حيث لم يزعجهما عن مكانهما فتركهما على حالة اضطجاعهما. وبالغ حتى أدخل رجله بينهما ومكث بينهما، حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر، عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقى المخاطب بغير ما يطلب، إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والصبر على مشاق الدنيا، والتجافي عن دار الغرور)[٤].

وربما كان قيام الداعية بلفت انتباه المدعو إلى ما هو أهم، هو العلاج الصحيح لما يقع فيه كثير من أهل التدين، وخاصة الشباب الذين يعلنون حزنهم الشديد على ما أصاب الأمة الإسلامية من تأخر وتخلف وتسلط أعدائها عليها وعلى مقدراتها، فيعلنون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٥٢، ومسلم ٢٥٧٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٥/١٠، .

(٣) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨/١١.

سخطهم الكبير وألمهم المفجع من هذه الحال التي وصلت إليها الأمة الإسلامية مما قد يؤدي ببعضهم إلى اليأس من الإصلاح والوقوف عند حالة الشكوى، بل واعتزال الناس وترك دنياهم، وهنا يأتي دور الداعية الفقيه. فيلفت الانتباه إلى ما هو أهم وأولى، فيبين أن الحزن والتألم لذلك، يدل على حسن التوجه وصدق التدين، لكن الأهم هو عدم الوقوف عند ذلك والاكتفاء، وإنما الأهم هو قيام كل مسلم بواجبه تجاه أمته قدر المستطاع، لأن على كل فرد من المسلمين من الواجبات التي لا يستطيع أن يتنازل عنها بمحض اختياره، وإنما الواجب عليه القيام بها قدر استطاعته.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية: دعم التواصل الإيجابي مع الناس:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية: دعم تواصل الإنسان مع إخوانه، بزيارتهم والسؤال عنهم وتفقدهم إذا غابوا ومواساتهم والتعاون معهم وغير ذلك من مظاهر التواصل الإيجابي، ولقد أصّل لنا النبي ﷺ في أحاديث الباب بسلوكه العملي مَنْ خلال تواصله مع من يربيهم وتفقده لأحوالهم والاطمئنان عليهم، كما ورد في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جاءني رسول الله ﷺ يعودني من وجع اشتدَّ بي، فقلت: ...»، وهذا مما يدل على أهمية العمل والتحرك بما يحمله الإنسان من قيم وآداب "إذ أن تَكَوّن أخلاقِ الإنسان وبناء علاقاته الاجتماعية لا تقوم بالوعظ وحده ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان لتتكون أخلاقه عملياً ليبني علاقات معَ بني الإنسان بالواقع"[1].

إن مما ينبغي على المعلم والمربي فعله: هو دعم العلاقات الاجتماعية في نفوس المتربين ودعم ميولهم لإقامة العلاقات الاجتماعية الحسنة فيما بينهم خاصة في أوساط الناشئة منهم "فنتيجة لخروج الصبي المتكرر من البيت والذهاب إلى المسجد والمدرسة والاحتكاك بأقرانه في تلك الأماكن يبدأ الصبي في تكوين علاقات اجتماعية أوسع من علاقاته السابقة التي كانت قاصرة على إخوته وأقاربه، ويظهر من الصبي الرغبة في تكوين الصداقات والعلاقات وما يتبع ذلك من التأثر بهم والحرص على مودتهم وتبادل المقتنيات الشخصية معهم أو الزيارات، ومثل هذا الاتجاه لا ينبغي منعه بل ينبغي دعمه وتأييده حتى يتعود الصبي التعامل مع الناس، وهو عما قريب سيصير رجلاً فلابد أن تكون له الخبرة الكافية في ذلك، لكن ينبغي عل المربي أن يتنبه لنوعية تربية هؤلاء الأصدقاء، وذلك لأثرها على الصبي في هذه المرحلة، حيث حاسته النقدية أو قدرته على النقد لا تتجاوز المواقف الآنية، فقد يعود إلى قول أو فعل ما انتقده منذ وقت

---

(١) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، محمد فاضل الجمالي ص١٠٤.

قليل وخاصة إذا صدر عن صديقه أو زميله، ولهذا قالوا: "الصاحب ساحب"، وأبلغ منه قول الرسول ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[(١)(٢)].

ثانياً: من خصائص التربية: الواقعية ومراعاة طبيعة النفس البشرية:

إن واقعية التربية الإسلامية والتوجيه الإسلامي واضحة ظاهرة من خلال الحقائق الموضوعية المتوافقة مع الفطرة البشرية ومع القدرات الإنسانية لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مكان لها في حياة الإنسان[(٣)].

وهذا ما يمكن لنا أن نستخلصه من أحاديث الباب حيث أقر النبي ﷺ أموراً ينكرها بعض من لا يفهمون واقعية التعاليم الإسلامية، ويعتبرونها منافية للرضا بقضاء الله وقدره، ولذا حينما توجعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وقالت: وَارَأْسَاهُ. فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ»، وكذلك في شكاية سعد بن أبي وقاص له من مرضه، فعنه رضي الله عنه قال: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ: قَدْ بَلَغَ بِي مَا تَرَى...».

فنجد أن النبي ﷺ لم ينكر على أحد تأوهاً أو شكاية من مرض، بل إننا لنجد أن النبي ﷺ "أقر عائشة على شكواها من وجع رأسها، وبين لها أن عنده أشد مما عندها، والمدار في كل ذلك على عدم السخط في القضاء أو إهمال الصبر عند البلاء"[(٤)].

ومما سبق يتبين لنا أن "التربية الإسلامية تربية واقعية، تتعامل مع الإنسان كما هو لحماً ودماً وفكراً وشعوراً وانفعالاً ونزوعاً وروحاً وتحليقاً، ومناط ذلك مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، والدين

---

(١) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ٢/٣٣٥، وقال شعيب الأرنؤوط، إسناده جيد، انظر: الموسوعة الحديثية، حديث رقم: ٨٤١٧، ج/١٤/١٤٢.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص٨٤، ٨٥.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ص٥٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٥٠٤.

الإسلامي وشارع هذا الدين رءوف رحيم لا يريد بعباده عنتاً ولا رهقاً إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمال في المعاش والمعاد"[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٦٨، ١٧٧.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة	٥
الحديث رقم (٨١٠)	٥
١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عَلَيْهَا	١٢
الحديث رقم (٨١١)	١٢
الحديث رقم (٨١٢)	١٩
١٢٥- باب مَا يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا	٢٤
الحديث رقم (٨١٣)	٢٤
١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس	٣٣
٤- كتَاب آداب النَوم والاضْطِجَاع وَالقعُود والمَجلِس وَالجليس وَالرّؤيَا	٣٣
١٢٧- باب ما يقوله عند النوم	٣٣
الحديث رقم (٨١٤)	٣٣
الحديث رقم (٨١٥)	٣٦
الحديث رقم (٨١٦)	٣٧
الحديث رقم (٨١٧)	٤٣
الحديث رقم (٨١٨)	٥٢
الحديث رقم (٨١٩)	٥٨
١٢٨- باب جواز الاستلقاء عَلَى القفا ووضع إحدى الرّجلين عَلَى الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعاً ومحتبياً	٧٢
الحديث رقم (٨٢٠)	٧٢
الحديث رقم (٨٢١)	٧٦
الحديث رقم (٨٢٢)	٨١
الحديث رقم (٨٢٣)	٨٣
الحديث رقم (٨٢٤)	٨٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس	٩٥
الحديث رقم (٨٢٥)	٩٥
الحديث رقم (٨٢٦)	١٠٤
الحديث رقم (٨٢٧)	١٠٩
الحديث رقم (٨٢٨)	١١٨
الحديث رقم (٨٢٩)	١٢٢
الحديث رقم (٨٣٠)	١٢٤
الحديث رقم (٨٣١)	١٢٩
الحديث رقم (٨٣٢)	١٣٣
الحديث رقم (٨٣٣)	١٤٠
الحديث رقم (٨٣٤)	١٤٢
الحديث رقم (٨٣٥)	١٤٩
الحديث رقم (٨٣٦)	١٥٦
الحديث رقم (٨٣٧)	١٥٧
١٣٠- باب الرؤيا وَمَا يتعلق بها	١٦٤
الحديث رقم (٨٣٨)	١٦٤
الحديث رقم (٨٣٩)	١٦٨
الحديث رقم (٨٤٠)	١٧٥
الحديث رقم (٨٤١)	١٨١
الحديث رقم (٨٤٢)	١٩٠
الحديث رقم (٨٤٣)	١٩٢
الحديث رقم (٨٤٤)	١٩٤
٥- كتاب السلام	٢٠٩
١٣١- باب فضل السّلام والأمر بإفشائه	٢٠٩
الحديث رقم (٨٤٥)	٢٠٩
الحديث رقم (٨٤٦)	٢١١

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٨٤٧)	٢١٨
الحديث رقم (٨٤٨)	٢١٩
الحديث رقم (٨٤٩)	٢٢٥
الحديث رقم (٨٥٠)	٢٣٣
١٣٢- باب كيفية السلام	٢٤٦
الحديث رقم (٨٥١)	٢٤٦
الحديث رقم (٨٥٢)	٢٥٢
الحديث رقم (٨٥٣)	٢٥٧
الحديث رقم (٨٥٤)	٢٥٨
الحديث رقم (٨٥٥)	٢٦٣
الحديث رقم (٨٥٦)	٢٧٠
الحديث رقم (٨٥٧)	٢٧٤
١٣٣- باب آداب السلام	٢٨٠
الحديث رقم (٨٥٨)	٢٨٠
الحديث رقم (٨٥٩)	٢٨٥
١٣٤- باب استحباب إعادة السلام عَلَى من تكرر لقاؤه عَلَى قرب بأن دخل ثم خرج ثُمَّ دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوهما	٢٩٠
الحديث رقم (٨٦٠)	٢٩٠
الحديث رقم (٨٦١)	٢٩٥
١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته	٣٠٣
الحديث رقم (٨٦٢)	٣٠٣
١٣٦- باب السلام على الصبيان	٣٠٩
الحديث رقم (٨٦٣)	٣٠٩
١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط	٣١٣
الحديث رقم (٨٦٤)	٣١٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٨٦٥)	٣١٨
الحديث رقم (٨٦٦)	٣٢٥
١٣٨- باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام عَلَى أهل مجلسٍ فيهم مسلمون وكفار	٣٣١
الحديث رقم (٨٦٧)	٣٣١
الحديث رقم (٨٦٨)	٣٤٥
الحديث رقم (٨٦٩)	٣٥١
١٣٩- باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه	٣٦٠
الحديث رقم (٨٧٠)	٣٦٠
١٤٠- باب الاستئذان وآدابه	٣٦٨
الحديث رقم (٨٧١)	٣٦٨
الحديث رقم (٨٧٢)	٣٧٨
الحديث رقم (٨٧٣)	٣٧٩
الحديث رقم (٨٧٤)	٣٨٦
١٤١- باب بيان أنّ السنة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: (أنا) ونحوها	٣٩٣
الحديث رقم (٨٧٥)	٣٩٣
الحديث رقم (٨٧٦)	٣٩٩
الحديث رقم (٨٧٧)	٤٠٥
الحديث رقم (٨٧٨)	٤٠٦
١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تَعَالَى وكراهة تشميته إذا لَمْ يحمد الله تَعَالَى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب	٤١٥
الحديث رقم (٨٧٩)	٤١٥
الحديث رقم (٨٨٠)	٤٢٢
الحديث رقم (٨٨١)	٤٣٠
الحديث رقم (٨٨٢)	٤٣١

الموضوع	الصفحة
الحديث رقم (٨٨٣)	٤٣٢
الحديث رقم (٨٨٤)	٤٣٥
الحديث رقم (٨٨٥)	٤٤٢
١٤٣- باب استحباب المصافحة عِنْدَ اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء	٤٥١
الحديث رقم (٨٨٦)	٤٥١
الحديث رقم (٨٨٧)	٤٥٩
الحديث رقم (٨٨٨)	٤٦٥
الحديث رقم (٨٨٩)	٤٦٦
الحديث رقم (٨٩٠)	٤٧٠
الحديث رقم (٨٩١)	٤٧٩
الحديث رقم (٨٩٢)	٤٨٣
الحديث رقم (٨٩٣)	٤٨٩
الحديث رقم (٨٩٤)	٤٩٠
٦- كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه	٤٩٧
١٤٤- باب عيادة المريض	٤٩٧
الحديث رقم (٨٩٥)	٤٩٧
الحديث رقم (٨٩٦)	٤٩٩
الحديث رقم (٨٩٧)	٥٠١
الحديث رقم (٨٩٨)	٥٠٧
الحديث رقم (٨٩٩)	٥١٢
الحديث رقم (٩٠٠)	٥١٧
الحديث رقم (٩٠١)	٥٢١
١٤٥- باب مَا يُدعى به للمريض	٥٣٢
الحديث رقم (٩٠٢)	٥٣٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٩٠٣)	٥٣٩
الحديث رقم (٩٠٤)	٥٤٧
الحديث رقم (٩٠٥)	٥٤٩
الحديث رقم (٩٠٦)	٥٥٣
الحديث رقم (٩٠٧)	٥٥٩
الحديث رقم (٩٠٨)	٥٦٦
الحديث رقم (٩٠٩)	٥٦٨
الحديث رقم (٩١٠)	٥٧٤
١٤٦- باب استحباب سؤال المريض عن حاله	٥٨٨
الحديث رقم (٩١١)	٥٨٨
١٤٧- باب مَا يقوله مَن أيس من حياته	٥٩٥
الحديث رقم (٩١٢)	٥٩٥
الحديث رقم (٩١٣)	٦٠١
١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر عَلَى مَا يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما	٦٠٨
الحديث رقم (٩١٤)	٦٠٨
١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع أو مَوْعُوكٌ أو وارأساه ونحو ذلك. وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لَمْ يكن عَلَى سبيل التسخط وإظهار الجزع	٦١٢
الحديث رقم (٩١٥)	٦١٢
الحديث رقم (٩١٦)	٦١٤
الحديث رقم (٩١٧)	٦١٥
فهرس المحتويات	٦٢٥

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثاني عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٠٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٠٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثاني عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٠٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٠٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٥٠- باب تلقين المحتضر: لا إله إلاَّ اللهُ

الحديث رقم (٩١٨)

٩١٨- عن معاذ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ)) رواه أَبُو داود والحاكم[1]، وقال: (صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصار التي تحمل معاني عظيمة تزف بشارة للمسلمين في كل مكان، وزمان لاسيما الذاكرين الله تعالى، والذاكرات، وقوله (من كان) ما اسم موصول بمعنى الذي، والتعبير بالموصول تمهيد لذكر ما يختص به من الصلة، وقوله (آخر كلامه) يشير إلى حسن الختام، وهو كناية عن موته، وكلمة التوحيد فيها قصر لصفة الألوهية على الله تعالى ونفيها عن كل ما عداه نفياً عاماً مطابقاً للواقع، والاعتقاد، وبهذا تصير أعظم ما يقوله الإنسان، وبه يتحقق نفعها في المواقف كلها، وقوله (دخل الجنة) تحقيق للفوز بالجنة، ولفظها يثير في النفس البهجة، والخضرة، والنعيم، الذي يشرح الصدر، ويرغب في العمل الذي يؤدي إليها، وهو قول كلمة التوحيد، والإكثار منها، حتى يختم بها، وتلقينها لمن أوشك على الموت.

فقه الحديث

١- تلقين الميت:

قال النووي: (الأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين،

---

(١) أخرجه أبو داود ٣١١٦، والحاكم ٣٥١/١، وقال الحافظ ابن حجر في أماليه بعد تخريجه: هذا حديثٌ حسنٌ غريب، أخرجه أحمد ٢٢٠٣٤، و٢٢١٢٧ ورواته من رجال الصحيح، إلا صالح بن أبي عَرِيب، فإنه روى عنه جماعة، ولم أر للمتقدمين فيه جرحًا ولا تعديلاً، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات على قاعدته فيمن لم يجرح ولم يرو ما ينكر، وقد ورد للحديث متابع وشاهد، ثمّ ذكره. الفتوحات الربانية ١٠٨/٤ - ١١٠. وقال ابن الملقن في البدر المنير ١٨٩/٥: هذا الحديث صحيحٌ.

وكرهوا الإكثار عليه والموالاة، لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه، فيكره ذلك بقلبه ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذ قاله مرة لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به؛ ليكون آخر كلامه. ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر، لتذكيره وتأنيسه، وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه)[1].

وأما عن تكرير التلقين فقال النووي: (قال الجمهور: لا يزاد على مرة. وقال جماعة من أصحابنا: يكررها عليه ثلاثًا ولا يزاد على ثلاث).

ولا يسنّ زيادة محمد رسول الله عند الجمهور، لظاهر الأخبار[2] قال النووي: (ودليل الجمهور أن هذا موحّد ويلزم من قوله: "لا إله إلا الله" الاعتراف بالشهادة الأخرى، فينبغي الاقتصار على لا إله إلا الله؛ لظاهر الحديث)[3].

وذهب جماعة من الفقهاء إلى أنه يلقن الشهادتين بأن يقول الملقن: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله؛ ودليلهم: أن المقصود تذكر التوحيد، وذلك لا يحصل إلا بالشهادتين[4].

ويسنّ أن يكون الملقن غير متهم بعداوة أو حسد أو نحو ذلك، وأن يكون من غير الورثة، فإن لم يحضر غيرهم، لقّنه أشفق الورثة، ثم غيره[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٤/٦/٣ ، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٩/٢-٥٧٠.

(٢) الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٣٠٥ ط/ الأميرية، ببولاق، والبدائع ٢٩٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، والحطاب ٢١٩/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٥٠/٢، عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٦/٥ .

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٧٠/١-٥٧١، والشرح الصغير ٥٦١/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٥٠/٢ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣.

(٥) انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٦/٥ ، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١.

٢-التلقين بعد الموت:

اختلفوا في تلقين الميت بعد الموت: فذهب بعض الفقهاء إلى أن التلقين لا بأس به، فرخصوا فيه ولم يأمروا به، لظاهر قوله ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"، وقد نقل عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به كأبي أمامة الباهلي وغيره، وصفته أن يقول: "يا فلان بن فلان، اذكر دينك الذي كنت عليه وقد رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبيًا)[1].

وقالت طائفة من الفقهاء: لا يلقن، إذ المراد بموتاكم في الحديث: من قرب من الموت، وفي المغني: (وأما التلقين بعد الدفن فلم أجد فيه عن أحمد شيئًا ولا أعلم فيه للأئمة قولاً، سوى ما رواه الأثرم، قال: قلت لأبي عبدالله [أحمد بن حنبل]: فهذا الذي يصنعون إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانة ... اذكر ما فارقت عليه شهادة أن لا إله إلا الله؟ فقال: ما رأيت أحدًا فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء إنسان، فقال ذاك)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تلقين المحتضر لا إله إلا الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل لا إله إلا الله.

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٤/١، والحطاب ٢١٩/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٦/٢٣ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦، بل نقل النووي في المجموع عن بعض الشافعية أنه يستحب. انظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٢) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/٣-٤٣٨، وانظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٥٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٣٠/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٤/١ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦-٤٣.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩١٩).

ثالثًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تلقين المحتضر لا إله إلا الله:

هذا واضح من الحديثين، فحديث أبي سعيد الخدري ﷺ أمر بتلقينه كلمة التوحيد، وحديث معاذ ﷺ بيان لجزاء من كان "لا إله إلا الله" آخر كلامه قبل موته.

قال ابن عثيمين: (المحتضر: هو الذي حضرت الملائكة لقبض روحه، والله سبحانه وتعالى قد وكل بالإنسان ملائكة يحفظونه في حال حياته وبعد مماته، قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[1] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2] والإنسان إذا حضر أجله نزل إليه ملائكة يقبضون روحه من يد ملك الموت، فإن ملك الموت يتولى قبضها من البدن، والملائكة معهم كفن وحنوط[3] من الجنة إذا كان من المؤمنين -جعلنا الله وإياكم منهم- وأما إذا كان من الكافرين، فملائكة العذاب معهم كفن من النار[4] وحنوط من النار -نعوذ بالله من ذلك- فإذا احتضر الإنسان وعلمنا أنه في النزع وأنه ميت فإننا نلقنه "لا إله إلا الله" كما قال النبي ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله")[5].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنّة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلاّ الله، فيختم له بالسعادة، وليدخل

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٣) الحنوط: كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة، من مسك وذريرة وصندلٍ وعنبر وكافور وغير ذلك. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ن ط).

(٤) قد ورد حديث بهذا مطولاً أخرجه أبو داود ٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤، وغيره من حديث البراء بن عازب ﷺ. وانظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٢١/٨ - ٥٢٢. والحديث صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٧٩).

(٥) شرح رياض الصالحين، ١١٨٦/٢ - ١١٨٧.

في عموم قوله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلاّ الله دخل الجنة». ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته...، والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلاّ الله عز وجل لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به)[1].

وقال النووي: (فإن لم يقل هو "لا إله إلا الله" لقنه من حضره ويلقنه برفق مخافة أن يضجره فيردها، وإذا قالها مرة لا يعيدها عليه إلا أن يتكلم بكلام آخر)[2].

وقال ابن القيم: (لشهادة "أن لا إله إلا الله" عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسُه المتمردة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلّت بعد عزّها، وخرج منها حرصُها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذلَّ ما كانت له، وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرَّد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانه؛ فزالت منها تلك المنازعات التي كانت مشغولة بها، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه فوجَّه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه؛ فاستسلم وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سرُّه وعلانيته فقال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه. وقد تخلّص قلبُه من التعلق بغيره والالتفات إلى ما سواه. قد خرجت الدنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربه، وخمدت نيرانُ شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه، وصارت الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمةعمله؛ فطهّرته من ذنوبه، وأدخلته على ربه؛ لأنه لقي ربه بشهادة صادقة خالصة، وافق ظاهرها باطنها، وسرُّها علانيتها.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٠ - ٣١، وهو كلام شيخه أبي العباس القرطبي المحدث في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٦٩/٢ - ٥٧٠.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٩.

فلو حصلت له الشهادة على هذا الوجه في أيام الصحة، لاستوحش من الدنيا وأهلها، وفرَّ إلى الله من الناس، وأنِسَ به دون ما سواه، لكنه شهد بها بقلبٍ مشحونٍ بالشهوات وحُبِّ الحياة وأسبابها، ونفسٍ مملوءةٍ بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير الله. فلو تجرّدت كتجرُّدها عند الموت، لكان لها نبأ آخر، وعيش آخر سوى عيشها البهيمي... والله المستعان)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل لا إله إلا الله:

أفضل ما قاله الأنبياء - وهم أشرف الخلق - لا إله إلا الله، وذلك لفضل هذه الكلمة وعظيم قدرها، ويتضح هذا من الحديثين، فقد جعلت الجنة جزاء من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله" قال ابن حجر: (المراد بقوله "لا إله إلا الله" في هذا الحديث وغيره كلمتا الشهادة، فلا يرد إشكال ترك ذكر الرسالة، قال الزين بن المنير: قول لا إله إلا الله لقب جرى على النطق بالشهادتين شرعا)[٢].

لكن قال النووي: (اعلم أن جماعة من أصحابنا [أي علماء المذهب الشافعي] قالوا: نلقن ونقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، واقتصر الجمهور على قول لا إله إلا الله)[٣].

وقال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: هذا الخبر يتناول بلفظه من قالها فبغته الموت، أو طالت حياته لكن لم يتكلم بشيء غيرها، ويخرج بمفهومه من تكلم، لكن استصحب حكمها من غير تجديد نطق بها، فإن عمل أعمالا سيئة كان في المشيئة، وإن عمل أعمالا صالحة فقضية سعة رحمة الله أن لا فرق بين الإسلام النطقي والحكمي المستصحب والله أعلم. انتهى. وحكى الترمذي عن عبد الله بن المبارك أنه لقن عند الموت فأكثر عليه فقال: إذا قلت مرة فأنا على ذلك ما لم أتكلم بكلام، وهذا يدل على أنه كان يرى التفرقة في هذا المقام)[٤].

---

(١) الفوائد ٨٦ - ٨٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/١١٠.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٦٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٠٩.

وعلق البخاري في صحيحه أنه قيل لوهب بن منبه: (أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟. قال: بلى. ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك)[١].

قال ابن حجر: (وأما قول وهب فمراده بالأسنان التزام الطاعة... ومعنى قوله: إن جئت بمفتاح له أسنان جياد، فهو من باب حذف النعت إن دل عليه السياق، لأن مسمى المفتاح لا يعقل إلا بالأسنان، وإلا فهو عود أو حديدة)[٢].

وقد قال ﷺ: ((أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ اللّهِ. لاَ يَلْقَى الله بِهِمَا عَبْدٌ، غَيْرَ شَاكٍ فِيهِمَا، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[٣].

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: (أن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه أنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وما سواه من المعبودات فألوهيتها باطلة وعبادتها باطلة، وهي مشتملة على نفي وإثبات "لا إله" أي نفي جميع ما يعبد من دون الله "إلا الله" إثبات العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعة النبي ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع)[٤].

قال عبدالله البسام: (عظم هذه الكلمة الجليلة [أي لا إله إلا الله] بكبر فائدتها، وأن قولها بإخلاص والعمل بها، سبب للنجاة من النار ودخول الجنة، فاللهم أحينا عليها وأمتنا عليها. قال ابن القيم: يستحب التأذين في أذن المولود اليمنى، والإقامة في اليسرى، ليكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلمات الأذان، كما يلقن عند خروجه من الدنيا، فتكون دعوته إلى الله تعالى وإلى دينه الإسلام سابقة على دعوة الشيطان)[٥].

---

(١) وذلك في أول كتاب الجنائز فوق الحديثين ١٢٣٧، ١٢٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/١١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دون تاريخ، ص ٣١.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٧٢.

وقال ابن القيم: (التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه، فينجيهم من كربات الدنيا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

وأما أولياؤه، فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها. ولذلك فزع إليه يونس، فنجاه الله من تلك الظلمات. وفزع إليه أتباع الرسل، فنجوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا وما أُعِدَّ لهم في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون، عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، هذه سنة الله في عباده.

فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد. ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد. فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينُجي منها إلا التوحيد؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق)[2].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

قال النووي عن حديث النبي ﷺ: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" قال: (ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر لتذكيره وتأنيسه وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه)[3].

قال د. صالح الفوزان: (ويسن لمن يحضره تطميعه في رحمة الله، ويغلّب في هذه الحالة جانب الرجاء على الخوف، وأما في حالة الصحة، فيكون خوفه ورجاؤه متساويين، لأن من غلب عليه الخوف أوقعه في نوع من اليأس، ومن غلب عليه الرجاء أوقعه في نوع من الأمن من مكر الله. فإذا احتضر المريض فإنه يسن لمن حضره أن

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.

(٢) الفوائد ٨٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٨/٦/٣، .

يلقنه: لا إله إلا الله، وذلك لأجل أن يموت على كلمة الإخلاص فتكون ختام كلامه... ويكون تلقينه إياها برفق، ولا يكثر عليه، لئلا يضجره وهو في هذه الحال)[١].

وقال الشوكاني: (وقد وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين[٢] وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن مجرد قوله: لا إله إلا الله من موجبات دخول الجنة من غير تقييد بحال الموت، فبالأولى أن توجب ذلك إذا قالها في وقت لا تتعقبه معصية)[٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٤].

قال ابن القيم: (قال الشافعي رضي الله عنه: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم. وبيان ذلك أن المراتب أربع، باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله.

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابع: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذي عملوا بما علموه من الحق، فهذه مرتبة أخرى، وتواصوا بالحق، ووصى بعضهم بعضًا بالصبر عليه والثبات، فهذه مرتبة رابعة، وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه به العلمية والعملية؛ فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره بتعليمه

---

(١) الملخص الفقهي، د. صالح بن فوزان الفوزان ١/٢٠٤.

(٢) انظر على سبيل المثال صحيح البخاري الحديثين ١٢٨، ١٢٩، ومسلم الأحاديث ٢٩ - ٣٣.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، ص ٦٩٠.

(٤) سورة العصر، الآيات: ١ - ٣.

إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل. فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه، شافيًا من كل داء، هاديًا إلى كل خير)[1].

وقال القاسمي: (قال الرازي: هذه السورة [أي سورة العصر] فيها وعيد شديد، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس، إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة. وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور. وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه، فكذلك يلزمه في غيره أمور. منها الدعاء إلى الدين، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأن يحب له ما يحب لنفسه. ثم كرر التواصي ليتضمن الأول الدعاء إلى الله، والثاني الثبات عليه. والأول الأمر بالمعروف، والثاني النهي عن المنكر)[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والأمر:

أما الترغيب فإخباره ﷺ أن الجنة جزاء من كان آخر كلامه "لا إله إلا الله"، وهذا ترغيب للمدعو أن يقع منه ذلك إن قدر، أو أن يجعل المحتضر ينطق بهذا، ولهذا أمر النبي ﷺ بتلقين الميت، حتى يُصيبه هذا الخير العميم، ألا وهو دخول الجنة.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٦ - ٥٧.

(٢) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٧/٢٤٧.

الحديث رقم (٩١٩)

٩١٩- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

بيَّن الحديث السابق فضل لا إله إلا الله في ختام حياة العبد، وأنها تكون سبباً في دخوله الجنة، ، وهذا الحديث يوجه، ويرشد إلى تلقينها للموتى، وهذا معنى أمر الرسول ﷺ (لقنوا موتاكم) والتعبير بالموتى من المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وهذا المجاز يشير إلى من غلب الظن بموته، وإسناد الفعل لواو الجماعة يعطيه عموماً ليشمل كل مسلم، وتضعيف الفعل يشير إلى مضاعفة الجهد في تحقيق التلقين لأن الإنسان عند سكرة الموت يكون في حالة يصعب عليه فيها الكلام، والسمع، والفهم عن الملقن فاحتاج إلى صبر، وكل تلقين في هذا الحال تكتنفه مشقة بوجه من الوجوه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم ٩١٦/١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الإيمان بالله تعالى:

إن الغاية العظمى للتربية الإسلامية ترسيخ الإيمان بالله تعالى وتوحيده "والحرص على العقيدة خالصة من الزيغ بعيدة عن الشرك سليمة من الافتتان، نقية من التقليد عصية على الإفراط والتفريط"(١).

ولذا حرص النبي ﷺ على تأصيل الإيمان في القلوب وعلى استصحاب ذلك في كل لحظة، مع الجمع بين القول والعمل، وتعويد اللسان على ذكر الله. وقول لا إله إلا الله لفضلها العظيم لأنها من موجبات الجنة، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». وما جاء في الحديث الثاني من وصية رسول الله ﷺ لمن تواجد بحضرة إنسان نزل به الموت أن يلقنه كلمة التوحيد ورايته فقال ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله».

إن للإيمان بالله وتوحيده أثاراً عظيمة من أبرزها ما يلي:

أ- تحرير الإنسان من الذل والمهانة لمغريات الحياة فلا يستعبده جاه ولا مال ولا يذل للطواغيت.

ب- تحرير الإنسان من العبودية إلا الله فلا يخضع أو يستسلم بالعبادة لأي من بني البشر أو كائن آخر أياً كان.

ج- تربية عقل الإنسان على سعة الأفق والتأمل والرغبة في الاطلاع على أسرار الكون وذلك للاستدلال على قدرة الله في خلقه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾(٢).

د- الإيمان بالله يسلح الإنسان بالطمأنينة والرجاء بقرب الله التواب المجيب، قال

---

(١) التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح ص ٢٢٦.

(٢) سورة الغاشية، آية: ١٧.

تعـــالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

هـ- الإيمان بالله يوفر للمؤمن الاستقرار النفسي والراحة النفسية له فيما يتعلق بتساؤل الإنسان دائماً عن القوة التي هي أكبر منه تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله فهو يفزع إليها عند الحاجة ويطمئن بوجودها.

و- الإيمان بالله يربي الإنسان على التواضع، وعدم التطرف أو الغرور، فلا يغتر بقوته مهما كانت ولا يظلم ولا يبطش لأنه يتذكر قدرة الله عليه، وإذا اغتر بماله أو أسرف وتكبر تذكر أن الله هو الغني وهو الذي وهبه المال... فيعود إلى الاعتدال ...إلخ.

ز- الإيمان بالله يوحد بين أفكار الأفراد ومشاعرهم ومناهجهم ويضبط تصرفاتهم وأوضاعهم وسلوكهم فيصبح المجتمع صالحاً يتميز بالثبات والاستقرار.

ح- الإيمان يربي المؤمن على النفس الموحدة بالله، وقد شبه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، فكل تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده، وبهذا تهدأ نفسه وتستقيم حياته وتكون تصرفاته بنسق واحد خالياً من الصراعات والاعتراضات، أما العبد الذي يملكه أكثر من فرد فإن تصرفاته تكون حائرة بينهم بسبب اختلافاتهم وتناقضاتهم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2][3].

ثانياً- التلقين:

وردت الإشارة إلى استخدام التلقين في الحديث الثاني من الباب في قوله ﷺ:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٩.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٧٦، ٧٧. الله والعلم الحديث، عبدالرزاق نوفل ص ٣٤٧، نقلاً عن كتاب التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ٦٤-٦٧.

«لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله». وذلك تذكير للمحتضر بكلمة التوحيد، وكذلك مساعدة وتمكيناً له من النطق بها لتكون آخر كلامه من الدنيا فيفوز بإذن الله بالجنة، كما أفصح عن ذلك الحديث الأول من الباب، حيث قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إلهَ إلاَّ الله دَخَلَ الْجَنَّةَ».

إن أسلوب التلقين وإن ورد في مقام الاحتضار والموت، لكنه بصفة عامة من أبرز الأساليب التربوية، "ويمكن القول إن التلقين وكذا الموعظة هي الطريقة التربوية التي يتحمل فيها الآباء والمربون وحدهم عبء الكلام والأولاد مستمعون فقط، لكنهم واعون لما يستمعون يتلقون النصائح ويعملون بها من خلال تجربة أو تجارب سابقة للآباء والمربين.

وهذه الطريقة في التربية طريقة قديمة، فقد ارتبطت بالتعليم منذ أقدم العصور، على أساس أن المربي هو الشخص الذي يمتلك المعرفة، والمتعلمين ينتظرون أن يتلقوا بعضاً مما عنده، بهدف إفادتهم ونموهم السوي في كل جوانب حياتهم[1].

ثالثاً- الحث على المعاونة والمؤازرة:

من أسمى أهداف التربية الإسلامية غرس روح التعاون بين الأفراد، وحرص كل مسلم على جلب الخير لإخوانه من خلال إعانتهم بشكل مباشر أو غير مباشر.

ومن مظاهر ذلك إعانة المسلم لأخيه وهو في لحظة الاحتضار بتلقينه "لا إله إلا الله". وفي تلك الحالة يكون المسلم أحوج ما يكون لأخيه، أن يساعده ويؤازره حال الاحتضار ونزول الموت فلا أفضل من أن يلقنه كلمة التوحيد وشهادة الإسلام، ويساعده على النطق والتلفظ بها، ومن هنا جاء إرشاد النبي ﷺ في حديثي الباب مبيناً أهمية ختام الإنسان حياته بلا إله إلا الله، فتلك بطاقة دخوله الجنان، ومن ثَمَّ أمر الرسول ﷺ بتلقين الموتى ساعة الاحتضار لا إله إلا الله، فقال ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم: لا إله إلا الله».

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ١٩٥.

ولا يقتصر غرس روح التعاون والمؤازرة في هذا الموقف الحرج فحسب بل يمتد ليشمل جميع ميادين الحياة.

إن التربية على غرس تلك الروح ليست من قبيل النافلة أو المجاملات، وإنما هي واجبات وحقوق أوجبها المسلم على نفسه بعقد الإيمان، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام وأحد أعلام التربية الإسلامية ابن تيمية حيث قال: إن حقوق المسلم واجبة على أخيه المسلم بنفس الإيمان، والتزام هذه الحقوق بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة[1]. فليس على المسلم إلا أن يمد لأخيه يد العون والمؤازرة، سواء أكان ذلك في الأمور الدنيوية المباحة أو كان في الأمور الدينية ومنها ما جاء في الحديث من الإرشاد بتلقين الميت بكلمة التوحيد.

رابعًا- من الأساليب التربوية:

ورد في الحديث أسلوبان من أساليب التربية، وهما:

أ- الإلقاء: كما في حديث: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". والإلقاء يعتمد على العرض الشفهي للمعلومات أمام المتعلمين، ويمكن المعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت لأكبر عدد ممكن من المتعلمين.

ب- التلقين: كما في حديث: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله" فقد أمر النبي ﷺ من حضر الميت وقت احتضاره بأن يلقنه لا إله إلا الله، ومما لا شك فيه أن التلقين هو الأنسب في هذه الحالة.

ومما هو جدير بالذكر أن التلقين يُستَخدم كثيرًا من قبل المعلمين والمربين والوعاظ وغيرهم، فهو من الأساليب التربوية والتعليمية الشائعة والمتكررة.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٠١/١١.

١٥١- باب مَا يقوله بعد تغميض الميت

الحديث رقم (٩٢٠)

٩٢٠- عن أُم سلمة رضي الله عنها، قالت: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ عَلَى أَبي سَلَمة وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: ((إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ)) فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: ((لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

شق بصره: رفع بصره، وشَخص وصار ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه[٢].

فضج ناس من أهله: رفعوا أصواتهم بالبكاء والصياح[٣].

يؤمنون: من التأمين أي يقولون: آمين، أي: اللهم استجب[٤].

المهديين: الذين هداهم الله بالإسلام سابقًا وبالهجرة إلى خير الأنام لاحقًا[٥].

عقبه: العقب من يخلف من كان قبله في الخير[٦].

الغابرين: الذاهبين[٧].

---

(١) برقم ٧/٢٠).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م ن)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٤.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٤.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (غ ب ر).

(٧) المرجع السابق في (غ ب ر).

الشرح الأدبي

قول أم سلمة رضي الله عنها (وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ) كناية عن مفارقة روحه لبدنه أي موته، وفائدة التعبير الكنائي أنه يصور المعنى بدليله فكأنها تقرر موته، وتستدل بذهاب بصره، ويؤكده فعل الرسول ﷺ المعقب على قولها: (فأغمضه) ثم قوله (إنَّ الرُّوحَ إذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ) المرتب على فعله بالتراخي الذي دلت عليه (ثم) ولعله قضى فترة من الشجن، والحزن يودع فيها أبا سلمة رضي الله عنه، وقولها (فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أهْلِهِ) كناية عن البكاء، والعويل على موته، ونهي الرسول ﷺ (لاَ تَدْعُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ) تحذير يلمح إلى أنه من المواضع التي يستجاب عندها الدعاء لشهود الملائكة، وقد تبعها بجملة تعليلية تقرر ذلك، وترغب في الدعاء بالخير: (فَإنَّ المَلاَئِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) ودعاء الرسول ﷺ رحمة، وتكريماً لأبي سلمة لأنه دعا له بالمغفرة، وسمَّاه باسمه، ودعا له بالرفعة في الطائفة الخاصة (المهديين) والتعبير بالهداية يوحي بالاستقامة، والتقى، والصلاح، ويشير إلى طائفة من عباده منَّ عليهم بلزوم صراطه في الدنيا حتى لقوا بربهم، ثم دعا للميت بما يعود على أهل (، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ) أي: من يعقبه ويتأخر عنه من ولد، وغيره، ولذا أبدل عن عقبه بقوله (في الغابرين) بإعادة الجار، وقد كرر الدعاء له بالمغفرة، وجمع بين الدعاء لنفسه وللمؤمنين، والدعاء للميت ثم دعا له بالفسحة في القبر، والنور لأن الإنسان يكره الضيق، وينفر من الظلمة لأن القلب ينقبض منهما، وحال الميت أشد لأنه مقبل على بيت الظلمة، والضيق.

فقه الحديث

١- استحباب إغماض عيني الميت: قال القرطبي: (إغماض الميت: سدُّ أجفانه بعد موته، وهو سنة عمل بها المسلمون كافة، ومقصوده تحسين وجه الميت وستر تغيّر بصره)[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٣/٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٧/٦/٣، ، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٧٩/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٥/٣ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥/١٦.

٢-استحباب أن يقول الناس عند الميت خيرًا، وأن يدعوا له: قال النووي: (يستحب للناس أن يقولوا عند الميت خيرًا وأن يدعوا له، لحديث أم سلمة رضي الله عنها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تغميض عين الميت والدعاء له.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والتعليل والدعاء.

أولاً - من مهام الداعية: بيان الحقائق:

يتضح ذلك من قول النبي ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، فلما ضجّ ناس من أهله بالبكاء، قال ﷺ: (لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون).

قال ابن عثيمين: "إن الإنسان إذا حضر الميت، فإن الميت في الغالب يشخص بصره - ينفتح باتساع- يشاهد الروح إذا خرج من البدن، لأن الروح إذ خرجت من البدن[٢] لها جسم، لكن جسم لا يراه الناس، لا يراه إلا الميت والملائكة فقط، وتأخذها"[٣]، "وإن الملائكة يؤمنون على الدعاء في هذه الحالة، فينبغي لأهل الميت أن يدعوا بالخير"[٤].

قال عبدالله البسام: "قال الطبيب محمد بن علي البار: الروح أمر مجهول لا نقول فيه إلا أنه من أمر ربنا، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥]، والرسول ﷺ يوضح لنا متى

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٨٠.

(٢) الروح كلمة تذكر وتؤنث كما في المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ح)، وقد عاملها ابن عثيمين مذكرة ومؤنثة كما هو واضح في هذا النص.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٨٨.

(٤) المرجع السابق ٢/١١٩٠.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

تنفخ الروح في الجنين، وأن ذلك بعد مروره في مراحل وأطوار مختلفة، حتى إذا تكونت أعضاؤه بدأت في الجنين حركات إرادية، وترتسم على وجهه علامات الرضا والضيق، كل ذلك يدل على نفخ الروح.

قال الرازي: الروح موجود وهو مغاير لهذه الأجسام والأعراض، ذلك أن الأجسام أشياء تحدث من العناصر، أما الروح فإنه ليس كذلك، بل هو جوهر بسيط مجرد يحدث بقوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته نفيه، فإن أكثر حقائق الأشياء وماهيتها مجهولة.

وقال ابن القيم: "الصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، فالروح جسم نوراني علوي خفيف متحرك، ينفذ في الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في العود، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح.

وهذا هو الصواب وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دلّ الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة.

فالروح هي مناط التكليف ومدار الأمر والنهي والصلاح والفساد، وما الجسم إلا لباس لها وشكل ظاهر، فهي اللب والجوهر" اهـ كلامه.

قال عبدالله البسام: وهذا الارتباط بين الروح والجسد الذي ذكره ابن القيم يشير إليه الحديث الشريف الذي معنا.

قال ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، شخص بصر الميت، وسبحان المحيط علمه بكل شيء.

فقوله: (إذا قبض) وقوله: (تبعه البصر) دليل قاطع على أن الروح جسم، فالقبض لا يكون إلا لجسم، والبصر لا يتبع إلا شيئًا مرئيًا هو الجسم.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤٧.

وقال د. حسن الشرقاوي: "ويخلط علماء الروح الحديث خلطًا شديدًا، فيندفعون في دعاويهم الزائفة فيستجلبون أجسامًا عن طريق الوسطاء، زاعمين أنهم أحضروا الروح ويستخدمون لذلك وسائل مادية.

ويمكن القول بأن هذا النوع من الاتصال يتم بين الإنس والجن، وليس للروح أي علاقة بهذه التجارب المادية، لأن الروح من اختصاص الله وليست في مقدور الإنسان، ومهما تقدم العلم فإنه سيظل عاجزًا عن إدراك كنه الروح، وأصحاب هذه التجارب خلطوا بين عالم الجن وعالم الروح، فتجاربهم نوع من العبث والله أعلم"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تغميض عين الميت والدعاء له:

هذا ما فعله النبي ﷺ، فقد أغمض عين أبي سلمة رضي الله عنه ودعا له قائلا: (اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوّر له فيه).

قال النووي: "قولها: فأغمضه، دليل على استحباب إغماض الميت وأجمع المسلمون على ذلك، قالوا: والحكمة فيه ألا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه.. قولها: (ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة.. إلى آخره)، فيه استحباب الدعاء للميت عند موته ولأهله وذريته بأمور الآخرة والدنيا"[٢].

قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ تسجية الميت إذا مات وتغميض عينيه، وتغطية وجهه وبدنه، وكان ربما يقبل الميت كما قبل عثمان بن مظعون وبكى[٣]، وكذلك الصديق أكبّ عليه بعد موته ﷺ"[٤][٥].

وقال عبدالله البسام: "قوله: (المهديين) الذين هداهم الله تعالى، ودلّهم على طريق

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٨٢/٢ - ٤٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٣/٦/٣، .

(٣) قالت عائشة رضي الله عنها: (رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل)، أخرجه أبو داود ٣١٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري ١٢٤١، ١٢٤٢.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٢/١.

الرشد والسداد في حياتهم ومماتهم.

(افسح له في قبره): وسّع له ومدّ له في قبره بحيث يكون عليه روضة من رياض جنتك.

(نوّر له فيه): فدعاء الصالحين من أسباب نور القبر، ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ هـذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا. وَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ))[1].

(واخلفه في عقبه): واجعل لمن ترك بعده من الأهل والذرية خليفة صالحًا في أحوال دينهم ودنياهم[2].

ويؤخذ من الحديث:

(١) جواز النظر إلى وجه الميت.

(٢) استحباب تغميض عيني الميت بعد وفاته.

(٣) أن الوفاة هي بمفارقة الروح البدن.

(٤) النهي عن الضجيج والصراخ، ورفع الصوت عند مصيبة الموت أو غيره، ولعل بعض آل أبي سلمة أتوا عند وفاته وفعلوا ما اعتادوا أن يفعلوه في الجاهلية من قولهم: واويلاه واثبوراه ونحوه فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير.

(٥) استحباب الدعاء بالخير عند الوفاة بالاسترجاع وسؤال الرحمة للميت ونحو ذلك.

(٦) من رحمة الله تعالى بخلقه أن جعل ملائكته يواسون المسلمين عند مصائبهم، فيؤمنون على دعائهم ويحضرون عندهم.

(٧) استحباب الدعاء للميت بالرحمة والمغفرة ورفع الدرجات في الجنة وحشره مع أولياء الله تعالى المهديين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(٨) ثبوت نعيم القبر من اتساعه له وتنويره، فيكون عليه روضة من رياض الجنة،

---

(١) أخرجه مسلم ٩٥٦، وهو عند البخاري ٤٥٨، ٤٦٠، ١٣٣٧، لكنه ليس فيه هذه الزيادة، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٥٩/١ حيث ذهب ابن حجر إلى أنها مدرجة في الإسناد.

(٢) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٩/٣.

فهو أول منازل الآخرة.

(٩) استحباب الدعاء لأهل الميت وعقبه بأن يخلفهم عنه خيرًا، وأن يعوضهم عن فقده أجرًا[١].

وقال ابن عثيمين: "ينبغي لمن حضر الميت وأغمضه أن يدعو له، وإذا دعا بهذه الدعوات العظيمة التي دعا بها الرسول ﷺ لأبي سلمة كان خيرًا، وإن لم يعرفها دعا بما شاء"[٢]. فكان إغماض عين الميت من باب إكرامه وصونه أن يرى على هيئة مكروهة أو تنفر منها العين، فكان في هذا قيام بما على المدعوين تجاه الميت من مراعاة حشمته والمحافظة على حرمته وهو ميت، كما أن الدعاء منهم له توجه إلى الله أن يرحمه ويغفر له ويتجاوز عنه، ويقبله في الصالحين وقد أفضى لما قدم من عمل.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي رضي الله عنه:

لقد دعا النبي ﷺ لأبي سلمة بعد موته، فكان في ذلك منقبة له وفضيلة، وقد كان هذا الصحابي من المهاجرين المجاهدين، قال الذهبي: "هو ابن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب.

السيد الكبير أَخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، وابن عمته برَّة بنت عبد المطلب، وأَحد السابقين الأولين، هاجر إِلى الحبشة، ثم هاجر إِلى المدينة، وشهد بدرًا، وماتَ بعدَها بأشهر، وله أولاد صحابة: كعمر وزينب وغيرهما، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمَةَ تزوَّج بها النبيُّ ﷺ، وروتْ عن زوجها أَبي سَلَمة القول عند المصيبة، وكانت تقول: مَنْ خيرٌ من أَبي سَلَمَة، وما ظنَّتْ أَن الله يخلفها في مُصابها به بنظيره، فلما فُتح عليها بسيد البشر، اغتبطتْ أَيما اغتباط.

مات كهلاً في سنة ثلاث من الهجرة رضي الله عنه.

قال ابنُ إِسحاق: هو أَول مَنْ هاجر إِلى الحبشة، ثم قدم مع عثمان بن مظعون حين قدم من الحبشة، فأجاره أَبو طالب.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٠.

قلتُ: رجعوا حين سمعوا بإسلام أهل مكة عند نزول سورة (والنجم).

قال مصعب بن عبد الله: وَلَدت له أم سلمةَ بالحبشة سَلمة، وعُمر، ودُرَّة، وزينب.

قلتُ: هؤلاء ما ولدوا بالحبشة إلا قبل عام الهجرة.

عَنْ عُمَرَ بْنِ أبي سَلَمَةَ، عَنْ أم سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا اصَابَتْ احَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ: (إِنَّا للَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَاجُرْنِي فِيهَا وَابْدِلْ لِي بِهَا خَيْرًا مِنْهَا)).

فلما احتضر أبو سلمة قلت ذلك، وأردت أن أقول وأبدلني خيرًا منها، فقلت: ومن خير من أبي سلمة، فما أزال حتى قلتها، فلما انقضت عدتها خطبها أبو بكر فردته، وخطبها عمر فردته، فبعث إليها رسول الله ﷺ فقالت: مرحبًا برسول الله ﷺ وبرسوله، وذكر الحديث[1].

قال الواقدي: "حدثنا عمر بن عثمان اليربوعي، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة وغيره قالوا: شهد أبو سَلَمَة أُحُدًا، وكان نازلاً بالعالية في بني أمية بن زيد، فجُرح بأحُد، وأقام شهرًا يداوي جُرحَه، فلما هَلَّ المحرَّمُ دعاه النبيُّ ﷺ، وقال: اخْرُجْ فِي هَذِهِ السَرِيَّةِ، وعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وقال: سِرْ حَتَىَ تَأْتِي أَرْضَ بَنَي أَسَدٍ، فأَغِرْ عَلَيْهِم. وَكان معه خمسون ومائة، فساروا حتى انتهوا إلى أدنى قطن من مياههم، فأخذوا سرْحًا لهم، ثم رجع إلى المدينة بعد بضع عشرة ليلة.

قال عُمر بن عثمان: فحدثني عبد الملك بن عُبيد قال: لما دخل أبو سلمة المدينة انتقض جرحه، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة. يعني سنة أربع، وقيل: مات أبو سَلمة سنة ثلاث"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والتعليل والدعاء:

أما التوكيد فقوله ﷺ: (إن الروح إذا قبض تبعه البصر)، وأما القصر: فقوله ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم ٩١٨ بنحوه مختصرًا، وهو بطوله عند الإمام أحمد في المسند ٣١٣/٦ رقم ٢٤٦٦٩، وقال محققو المسند: بعضه صحيح، انظر: تخريجه ٢٧٠/٤٤ - ٢٧١.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٥٠/١ - ١٥٣.

(لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير)، فكان هذا القصر لبيان الدعاء المشروع في هذا الموقف، ومحاربة لعادة أهل الجاهلية، (فقد كانوا إذا حصل مثل هذا يدعون على أنفسهم بالويل والثبور - والعياذ بالله - يقولون: يا ويلاه يا ثبوراه وما أشبه ذلك)[1].

أما التعليل فقوله ﷺ: (فإن الملائكة يؤمنون على ما يقولون)، ليوضح أن الدعاء هنا في هذا الموقف، الواجب فيه الدعاء بالخير والرحمة والمغفرة والصبر.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه:

وقد جاء استخدام هذا الأسلوب التربوي واضحاً في نهي النبي ﷺ أهل أبي سلمة وغيرهم عن عادتهم، أنهم إذا مات لهم ميت رفعوا أصواتهم بالضجيج والدعاء على النفس فقال ﷺ موجهاً لهم: «لا تَدْعُوَ على أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ»، وبين العلة في هذا النهي أن الملائكة تُؤَمِّنُ على دعاء الإنسان، فلربما دعا الإنسان على نفسه فوافق ذلك تأمين الملائكة فتحقق الدعاء، كما نجد في الحديث أيضاً توجيه رسول الله ﷺ بلسان حاله ومقاله إلى ما ينبغي فعله في هذا المقام من الدعاء بالخير والرحمة والمغفرة للميت والحيّ ، فقال ﷺ: «اللهمَّ اغْفِرْ لأبِي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ، واغْفِرْ لَنَا ولهُ يا ربَّ العالمينَ، اللهمَّ افْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ ونَوِّرْ لَهُ فيهِ».

إن من أهم غايات التربية الإسلامية التوجيه الصحيح وتغيير العادات والتقاليد التي تتنافى مع هدي الإسلام في كافة الأمور والتي من جملتها ما نهى عنه النبي ﷺ من الدعاء على النفس، إذ أن "من أهم لوازم العبودية لله عز وجل البراءة من أفعال الجاهلية وأخلاق الجاهلين، بل إن عقيدة الولاء والبراء في الإسلام تفرض على العبد المسلم أن يتخلص من كل رواسب الجاهلية وعاداتها، وألا يتشبه بأهل الجاهلية في شيء من الأقوال والأفعال مهما كان ضغط الواقع وإغراءات الحياة، بل يتميز المسلم بشخصيته الإسلامية الموحِّدة والتي تحصر كل تلقيها فيما جاء عن الله سبحانه أو عن رسوله ﷺ"(١).

لذا ينبغي على المربين التوجيه إلى نبذ السلوكيات والأعمال التي تتنافى مع قيم ومبادئ الإسلام والإرشاد إلى انتهاج السلوك القويم.

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٢/٤٠٦، ٤٠٧.

"إن التنفير من الأمور السيئة لا يقل أهمية عن التحبب في الأمور الطيبة، بل إن التنفير والتحذير من العوامل المؤثرة في عملية التربية ومحاربة الأفكار والعادات السيئة والمفاهيم الباطلة.

ولكي يكون أثر التحذير نافعاً ومفيداً علينا أن نراعي أمرين:

أولاهما: الحذر من كثرة التحذير وتكراره الممل الخالي من ذكر الأسباب.

ثانيهما: ألا نحذر الطفل من شيء ونحن نفعله، فإن هذا يجعل الطفل محتاراً ويوقعه في التناقض بين القول والفعل[1].

ثانياً- التربية العقدية:

بيّن رسول الله ﷺ في حديث الباب بعض المفاهيم العقدية التي ينبغي أن تكون واضحة في ذهن المسلم، فورد في الحديث عدة أمور من آحاد العقيدة منها:

- في قوله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ».
- وفي قوله ﷺ: «فإنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ ...».
- القبر وما يجرى فيه من نعيم أو عذاب، وذلك ما حمل رسول الله ﷺ -وفي ذلك القدوة- أن يدعو لأبي سلمة بالنعيم فقال: «وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ».

وهكذا نرى كيف أن النبي ﷺ يربي الأمة على التوحيد وإخلاص العقيدة لله وعلى كريم الشمائل وجليل الصفات، فعلى الآباء والمربين أن يستفيدوا من تربية النبي ﷺ للصحابة وتعليمه لهم أصول العقيدة وفضائل الآداب[2].

إن على المربين والمعلمين وكذا الآباء أن يستحضروا دائماً نصب أعينهم أن العقيدة الصحيحة وترسيخها في المتربين أساس التربية الإسلامية.

"إن أثر العقيدة الإسلامية يبرز بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك تكون مقياساً حتمياً

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) انظر: الشباب مشكلات وحلول، د. أحمد خليل جمعة وآخر ص ٧٠، ٧١.

لكل سلوك يسلكه سواء كان سلوكاً دنيوياً أم كان سلوكاً أخروياً، بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة، ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية.

كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيساً من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقاً مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيراً يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على وجهة نظر الإسلام تجاه الأشياء والظواهر والعلاقات بصورة صحيحة[1].

ثالثًا- من الأساليب التربوية:

جاء في حديث الباب بعض الأساليب التربوية، التي منها:

أ- الممارسة العملية: كما في قول أم سلمة رضي الله عنها: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه" فقد أغمض النبي ﷺ عيني أبي سلمة رضي الله عنه.

ومما لا شك فيه أن الممارسة العملية تتميز بشدة بقاء أثر التعليم في نفوس المتعلمين.

ب- التعليل: يتضح هذا جليًا في قول النبي ﷺ لما أغمض عيني أبي سلمة "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" وقوله ﷺ لما ضجَّ ناس من أهل أبي سلمة حزنًا على موته قال لهم: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" فقد بيّن ﷺ سبب إغماض عيني أبي سلمة، كما بين سبب نهي أهل أبي سلمة عن الدعاء على أنفسهم، ومما لا شك فيه أن تعليل الأفعال والأقوال -إن اقتضى المقام ذلك- يزيد في استجابة المتعلمين وامتثالهم بالفعل في حالة الأمر، والترك في حالة النهي.

رابعًا- من مهام المربي: تقديم البديل المشروع:

إن النبي ﷺ لما نهى بعض أهل أبي سلمة عن الدعاء على أنفسهم إلا بخير قدم لهم هذا الدعاء بالخير، فقال: "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوّر له فيه". إن

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٨٦.

النبي ﷺ بدعائه قدم -ولو بطريق غير مباشر- لأهل أبي سلمة البديل الذي ينبغي أن يشتغلوا به بعد أن نهاهم عن الدعاء على أنفسهم، إنه ﷺ بدعائه هذا جذب أنظار من اشتغل من أهل أبي سلمة بالدعاء على نفسه بالهلاك أو الموت ونحو ذلك إلى أولى ما يشتغلون به، وهو الدعاء للميت ولأهله، وطلب المغفرة له ولهم من الله رب العالمين.

وعلى ذلك فإن المعلم البارع من إذا منع المتعلمين من شيء قدّم بديلاً مقبولاً لذلك الممنوع، حتى يشغلهم به عن الانشغال بما هو مرفوض وغير مرغوب.

۞ ۞ ۞

١٥٢- باب ما يقال عند الميت وَمَا يقوله من مات له ميت

الحديث رقم (٩٢١)

٩٢١- عن أم سَلَمة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ أَو: المَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ))، قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سلَمة، أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فقلت: يَا رسولَ الله، إنَّ أَبَا سَلَمَة قَدْ مَاتَ، قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَاعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبى حَسَنَةً)) فقلتُ، فَأعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ.

رواه مسلم هكذا: ((إِذَا حَضَرتُمُ المَرِيضَ، أَو: المَيِّتَ))، عَلَى الشَّكِّ، ورواه أَبُو داود[1] وغيره: ((الميت)) بلا شَكّ.

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

يؤمِّنون: من التأمين أي يقولون: آمين، أي: اللهم استجب[2].

أعقبني: أبدلني وعوضني[3].

الشرح الأدبي

جاء الحديث في ثوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل حيث ربط حضور الميت أو المريض بقول الخير، ثم علل الأمر بالقول بما يضمن التزامه، ويرغب فيه (فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ) وصياغة الفعل في صورة المضارع تصور تجدد تأمين الملائكة مع تجدد القول، ونسبة الفعلين لواو الجماعة توحي بالاحتشاد للتأمين مما يجعله أقرب

---

(١) أخرجه مسلم ٩١٩/٦، وأبو داود ٣١١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٢٥.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م ن)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٣٦.

للإجابة، والتعبير بالإتيان، لأنه ذهاب فيه مشقة من ناحية الحالة النفسية بسبب موت زوجها، وقولها (إنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ) خبر أريد به لازمه من الترحم عليه، والصلاة، وتشييعه، وقوله في الدعاء (أعقبني - عقبى) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أصله الذي يدور عليه الحديث، وهو أن الله أخلفها بصبرها عن زوجها من هو خير منه، وهو النبي ﷺ والتتميم البلاغي بقوله (حسنة) يضيف نكتة بلاغية تعطى العاقبة خصوصية تفوق المعقوب.

فقه الحديث

١ - ما يقال عند المريض والميت:

قال النووي: (قوله ﷺ: "إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" فيه الندب إلى قول الخير حينئذٍ من الدعاء والاستغفار له وطلب اللطف به والتخفيف عنه ونحوه، وفيه حضور الملائكة حينئذٍ وتأمينهم)[1].

٢- ينبغي للمصاب أن يستعين بالله تعالى:

قال ابن قدامة: (ينبغي للمصاب أن يستعين بالله تعالى ويتعزَّى بعزائه، ويمتثل أمره في الاستعانة بالصبر والصلاة ويتنجَّز ما وعد الله به الصابرين، حيث يقول سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[2]. روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون..." الحديث وليحذر أن يتكلم بشيء يحبط أجره ويسخط ربه، بما يشبه التظلم والاستغاثة، فإن الله عدل لا يجور وله ما أخذ وله ما أعطى، وهو الفعال لما يريد، ولا يدعو على نفسه، فإن النبي ﷺ قال لما مات أبو سلمة: "لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" ويحتسب ثواب الله تعالى

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٩٧/٦/٣ .

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

ويحمده، لما روى أبو موسى أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ولد العبد... الحديث"[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يقال عند الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله ليدله على ما يفعله وينفعه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء من مات له ميت أو أصيب بمصيبة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جزاء من استجاب لهدي رسول الله ﷺ عند وقوع المصيبة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر والترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ما يقال عند الميت:

يتضح ذلك في قوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون).

وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ، وَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّهُ يُؤَمِّنُ عَلَى مَا قَالَ أَهْلُ الْمَيِّتِ))[٣].

قال الشوكاني: "والحديث فيه الندب إلى قول الخير حينئذٍ من الدعاء والاستغفار له، وطلب اللطف به، والتخفيف عنه ونحوه، وحضور الملائكة حينئذٍ وتأمينهم"[٤].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "قال علماؤنا[٥]: قوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا)، أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت، وإخبار بتأمين الملائكة على دعاء من دعا، ولهذا استحبّ العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته، ليذكروه ويدعوا له ولمن يخلفه، وينتفع بذلك الميت، ومن يصاب به،

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٤٩٥-٤٩٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٢٢).

(٣) أخرجه أحمد ٤/١٢٥ رقم ١٧١٣٦، وابن ماجة ١٤٥٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ٢٨/٣٦٠.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٦٩٢، وقد نقله عن النووي في شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٢٣١ - ٢٣٢، .

(٥) يقصد شيخه أبا العباس القرطبي المحدث صاحب المفهم وهو في المفهم ٢/٥٧١.

ومن يخلفه"[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله ليدله على ما يفعله وينفعه:

يتضح هذا من فعل أم سلمة عندما جاءت إلى النبي ﷺ تخبره بموت زوجها أبي سلمة، فأرشدها النبي ﷺ إلى ما تقوله، فدلها ﷺ على الخير والنفع لها ولميتها.

ومن هذا القبيل ما رواه أبو أمامة قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَحْنُ قُعُودٌ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللّهِ. ثُمَّ أَعَادَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا. فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَسَكَتَ عَنْهُ. وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَاتَّبَعَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللّهِ حِينَ انْصَرَفَ. وَاتَّبَعْتُ رَسُولَ اللّهِ أَنْظُرُ مَا يَرُدُّ عَلَى الرَّجُلِ. فَلَحِقَ الرَّجُلُ رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((أَرَأَيْتَ حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ، أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ؟)) قَالَ: بَلَى. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلاَةَ مَعَنَا؟)) فَقَالَ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((فَإِنَّ اللّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ. أَوْ قَالَ - ذَنْبَكَ))[٢].

قال النووي: "هذا الحد معناه معصية من المعاصي الموجبة للتعزير، وهي هنا من الصغائر، لأنها كفَّرتها الصلاة، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له، لم تسقط بالصلاة، فقد أجمع العلماء على أن المعاصي الموجبة للحدود، لا تسقط حدودها بالصلاة، هذا هو الصحيح في تفسير هذا الحديث. وحكى القاضي[٣] عن بعضهم أن المراد بالحد المعروف، قال: وإنما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحدّ، ولم يستفسره النبي ﷺ عنه إيثارًا للستر، بل استحب تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحًا"[٤].

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٦٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٧/٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤/١٧/٩ - ٨٥.

ومن ذلك ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللّهِ، إِذَا رَأَىٰ رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ. قَالَ: وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَىٰ النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)). قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللّهِ، بَعْدَ ذٰلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً[1].

قال أبو العباس القرطبي: "إنما فهم النبي ﷺ من رؤية عبد الله للنار أنه ممدوح، لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك وهذا إنما هو لصلاحه، وما هو عليه من الخير، غير أنه لم يكن يقوم من الليل؛ إذ لو كان ذلك ما عرض على النار ولا رآها، ثم إنه حصل لعبد الله رضي الله عنه من تلك الرؤية يقين مشاهدة النار والاحتراز منها، والتنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار، ولذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك رضي الله عنه"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: دعاء من مات له ميت أو أصيب بمصيبة:

يتضح هذا من قول النبي ﷺ لأم سلمة: (قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة).

وفي الحديث الآخر: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، إلا آجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها).

قال الطيبي: "قوله: (إنا لله) تسليم وإقرار أنه وما يملكه وما ينسب إليه عارية

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ومسلم ٢٤٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٤٠٩ - ٤١٠.

مستردة، ومنه بدأ وإليه الرجوع والمنتهى، فإذا وطّن نفسه به، وتصبّر على ما أصابه سهل عليه الأمر، وعرف فضيلة مطلوبه، ولم يُرد بقوله: (قالوا: إنا لله)، اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع قبيح وسخط للقضاء.

قوله: (آجرني في مصيبتي)، قال ابن الأثير في النهاية[1]: "آجره يؤجره إذا أثابه وأعطاه الأجر والجزاء، وكذلك أجره يأجره، والأمر منهما آجرني وأجرني، قوله: (خيرًا منها)، أي بما فات عني في هذه المصيبة، وهي الأمر المكروه ينزل بالإنسان"[2].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3].

قال القاسمي: "قالوا: (إنا لله) أي: ملكًا وخلقًا، فلا ينبغي أن نخاف غيره، لأنه غالب على الكل، أو نبالي بالجوع، لأن رزق العبد على سيده، فإن منع وقتًا فلا بد أن يعود إليه، وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له، فله أن يتصرف فيها بما يشاء، (وإنا إليه راجعون): في الدار الآخرة، فيحصل لنا عنده ما فوّته علينا، لأنه لا يضيع أجر المحسنين، فالمصاب يهون عليه خطبه إذا تسلّى بقوله هذا، وتصور ما خلق له، وأنه راجع إلى ربه، وتذكر نعم الله عليه، ورأى أن ما أبقى عليه أضعاف ما استرده منه. قال الراغب: وليس يريد بالقول اللفظ فقط، فإن التلفظ بذلك مع الجزع القبيح وتسخط القضاء ليس يغني شيئًا، وإنما يريد تصور ما خلق الإنسان لأجله والقصد له، والاستهانة بما يعرض في طريق الوصول إليه، فأمر تعالى ببشارة من اكتسب العلوم الحقيقية وتصورها، وقصد هذا المقصد ووطن نفسه عليه"[4].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٨/٣.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٦/٢/١، وانظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٧/٢/١.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جزاء من استجاب لهدي رسول الله ﷺ عند وقوع المصيبة:

وهذا واضح من قول أم سلمة: فقلت: (أي ما أمرها النبي ﷺ بقوله)، فأعقبني الله من هو خير لي منه محمدًا ﷺ. وفي الرواية الثانية: (فلما توفي أبو سلمة قُلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله ﷺ).

وفي رواية أخرى لمسلم قالت: ((فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: مَنْ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ عَزَمَ اللَّهُ لِي فَقُلْتُهَا. قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ))[1].

وفي رواية عند أحمد: قالت: ((فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت، وقلت: اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منه، ثم رجعت إلى نفسي قلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟ ... فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيرًا منه، رسول الله ﷺ))[2].

قال عبدالله البسام تعليقًا على دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة عندما مات: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ. وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ))(٣)، قال البسام: (فيه الفضيلة العظيمة والمنقبة الكبيرة لأبي سلمة رضي الله عنه بهذا الدعاء النبوي المبارك، الذي نعلم أنه قُبل منه ما كان في الدنيا، حيث صار عقبة في أهله، هو أن رسول الله ﷺ تزوج امرأته فصارت من أمهات المؤمنين، وتشرف أولاده، فصاروا ربائب للنبي ﷺ رُبّوا في بيته، وعاشوا في كنفه وصاروا في كفالته، ونظن الظن القوي أن الله تعالى قد استجاب دعاء النبي ﷺ فغفر له ذنوبه، ورفع درجته في المهديين)[4].

ومن هذا القبيل ما روته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

---

(١) صحيح مسلم ٥ - ٩١٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٢٧، ٢٨، رقم ١٦٣٤٤، وقال محققو المسند: رجاله ثقات إلا أن المطلب - وهو ابن عبدالله بن حنطب - روايته عن الصحابة مرسلة، إلا أنس بن مالك وسهل بن سعد وسلمة بن الأكوع ومن كان قريبًا من طبقتهم ٢٦/٢٦٢ - ٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٩٢٠.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٨٠.

((إِذَا حَلَلْتِ فَآذِنِينِي)) فَآذَنْتُهُ، فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ وَأَبُو جَهْمٍ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَرَجُلٌ تَرِبٌ لاَ مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَلَٰكِنْ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ))، فَقَالَتْ بِيَدِهَا هَٰكَذَا: أُسَامَةُ! أُسَامَةُ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((طَاعَةُ اللَّهِ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ خَيْرٌ لَكِ)) قَالَتْ: فَتَزَوَّجْتُهُ فَاغْتَبَطْتُ[1]، وفي رواية: ((فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْت))[2].

وفي رواية: (فَتَزَوَّجْتُهُ فَشَرَّفَنِي اللَّهُ بِأَبِي زَيْدٍ. وَكَرَّمَنِي اللَّهُ بِأَبِي زَيْدٍ)[3].

قال النووي: "وأما إشارته ﷺ بنكاح أسامة، فلما علمه من دينه وفضله وحسن طرائقه وكرم شمائله، فنصحها بذلك، فكرهته لكونه مولىً، ولكونه كان أسود جدًا، وكرر عليها النبي ﷺ الحث على زواجه لما علم من مصلحتها في ذلك، وكان كذلك، ولهذا قالت: فجعل الله لي فيه خيرًا واغتبطت، ولهذا قال النبي ﷺ في الرواية التي بعد هذا: (طاعة الله وطاعة رسوله خير لك)"[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر والقصر والترغيب:

أما الشرط فقوله ﷺ: (إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون)، وهو من الأساليب الدعوية التي تجذب انتبه المدعو وتركيزه حتى يسمع فعل جواب الشرط.

وهو من الأساليب الدعوية المفيدة في حث المدعو على الالتزام بما أمر به، لما فيه فائدته في الدنيا والآخرة

وأما الأمر فقوله ﷺ: (قولي: اللهم اغفر لي وله..).

وأما القصر فقوله ﷺ: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أجره الله تعالى في

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧ - ١٤٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٣٦ - ١٤٨٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤٩ - ١٤٨٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/١٠/١٠١ - ١٠٢.

مصيبته وأخلف له خيرًا منها، فدلّ هذا القصر على فضل هذا الدعاء، وأن الجزاء عليه محقق وواقع.

وأما الترغيب؛ فإخباره أن من قال هذا القول، آجره الله وأعطاه الأجر والجزاء وأخلفه الله خيرًا منها. وهذا حثّ للمدعوين على التزام هذا الدعاء في كل مصيبة تصيبهم.

الحديث رقم (٩٢٢)

٩٢٢- وعنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ تُصيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إنّا للهِ وَإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ آجِرْنِي في مُصِيبَتي وَاخْلفْ لِي خَيرًا مِنْهَا، إلاَّ أَجَرَهُ اللهُ تَعَالَى في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا)).

قالت: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قلتُ كَمَا أمَرَني رسولُ الله ﷺ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رسولَ الله ﷺ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

أجرني: أعطي أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان التوجيه فيه بالدعاء بالخلف موجه إلى أم سلمة ﷺ لأنها صاحبة المصيبة، وفي هذا الحديث جاء التوجيه عاماً شاملاً في قوله: (ما من عبد) وهو تركيب يفيد الشمول، والاستغراق من حيث دخول النفي على النكرة التي تسبقها من، وقوله (تُصيبُهُ مُصِيبَةٌ) جناس يؤكد المعنى وينبه إليه قبل تقرير الحكم عليه، وقوله (إنا لله) أسلوب قصر لملكهم على الله، ونفي له عن غيره، وكذلك في صفة الرجوع، وقوله (أجرني) أمر أريد به الدعاء، والفظ يوحي بالرعاية، والدفع، والحماية، وام المؤمنين أم سلمة تعطي خيرمثال على تحقق الموعود بما أخلف الله عليها بعد زوجها برسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٩١٨/٤. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٢٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٩٥، ونقل النووي عن القاضي عياض: أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال. وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة: هو مقصور لا يمد.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٢٣)

٩٢٣- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فيقول اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

ثمرة فؤاده: ولده لأنه نتيجة الأب، كالثمرة للشجرة[2].

استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون[3].

الشرح الأدبي

الاستفهام الإلهي (قبضتم ولد عبدى؟) قبضتم ثمرة فؤاده؟... تقرير للملائكة بغرض الإخبار لهم والإشادة ببني آدم في موقف أبلى فيه الإنسان الثكول بلاء حسناً وقد قالت الملائكة من قبل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة٣٠]، وحذف الأداة في هذا الاستفهام أوحت بفيض غامر من الرحمة على الأب الثكول، ورحمة لا تصدر إلا من رحمن تبعث الأسى، وتصور حجم الفجيعة التي مُنى بها الأب يدلك على ذلك بقية عبارة الاستفهام، وتدرجه من الخصوص (ولد عبدي) إلى الأخص (ثمرة فؤاده) تصعيداً لشعور الأسى،

---

(١) برقم ١٠٢١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٩٤٨). وقال الحافظ كما في الفتوحات الربانية ٢٩٦/٣: الحديثُ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٨٦، و٥١٢٩. وسيكرره المؤلف برقم ١٣٩٧.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٦/١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ج ع).

والشفقة لدى المخاطبين، وتعبيره بـ (عبدى) وإضافته لنفسه تشريف للأب الثكول يوحي بحنو الله جل، وعلا، وهو يريد بذلك أن يصور حجم المصيبة التي لحقت به، ثم يأتي استفهامه الآخر مذكور الأداة (ماذا قال عبدي) بعد شدة ما أصيب به، واستعمل حرف الاستفهام (ماذا) (ما) التي يطلب بها تعيين غير العقلاء فيطلب بها تعيين الاسم، أو صفته مضافة إليها (ذا) الإشارية لفتاً للنظر إليه، وإظهاراً لمقالته بإثارة السؤال واضحاً على أسماع الملائكة، وكل من بلغه الحديث إشارة إلى فضل بني آدم عامة، وصبر هذا الأب الثكول خاصة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحمد والاسترجاع عند مصيبة فقد الولد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً من موضوعات الدعوة: إثبات صفة الكلام لله:

هذا واضح في قول رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى لملائكته". قال صاحب معارج القبول: (ومما أثبته ربنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه، بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد. قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[2]، وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3]... والقرآن ممتلئ بذلك، وفي الصحيحين من حديث

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري /٥٠٠/ مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٤.

احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، وفيه قول آدم لموسى: ((أنتَ موسى الذي اصطفاكَ اللهُ برسالاتهِ وبكلامهِ ثمَّ تلومُني على أمر قُدِّرَ عليَّ قبل أن أُخلَقَ؟ فقال رسول الله ﷺ: فحجَّ آدمُ موسى مرَّتَين))[1] وأنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد... قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((قال اللهُ: أعددتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[3].

ولو ذهبنا ننقل الأحاديث، في قال الله، ويقول، ويتكلم وينادي، ونحو ذلك، لطال الفصل. وهذه الآيات والأحاديث - مما ذكرنا ومما لم نذكر - كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه، وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾[4] والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك)[5].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحمد والاسترجاع عند مصيبة فقد الولد:

هذا واضحٌ من قول الملائكة عن الذي مات له ابن: حَمدَك واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسمّوه بيت الحمد.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٠٩، ومسلم ٢٦٥٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤.

(٥) معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، حافظ بن أحمد الحكمي ١٣٧٧هـ، حققه محمد صبحي بن حسن حلاق ٣١٤/١ - ٣٢١، وانظر: كتاب أصول الإيمان، إعداد نخبة من العلماء ص ٨٧.

قال ابن القيم: (كان من هديه ﷺ السكون والرضا بقضاء الله، والحمد لله والاسترجاع، ويبرأ ممن خرق لأجل المصيبة ثيابه، أو رفع صوته بالندب والنياحة، أو حلق لها شعره)[1].

(وسن ﷺ لأمته الحمد والاسترجاع والرضا عن الله، ولم يكن ذلك منافيًا لدمع العين وحزن القلب، ولذلك كان أرضى الخلق عن الله في قضائه، وأعظمهم له حمدًا، وبكى مع ذلك يوم موت ابنه إبراهيم رأفة منه[2]، ورحمة للولد، ورقة عليه، والقلبُ ممتلئ بالرضا عن الله عز وجل وشكره، واللسانُ مشتغل بذكره وحمده.

ولما ضاق هذا المشهدُ والجمعُ بين الأمرين على بعض العارفين[3] يوم مات ولده، جعل يضحك، فقيل له: أتضحك في هذه الحالة؟ قال: إن الله تعالى قضى بقضاءٍ، فأحببت أن أرضى بقضائه، فأشكل هذا على جماعة من أهل العلم، فقالوا: كيف يبكي رسول الله ﷺ يوم مات ابنه إبراهيم وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف إلى أن يضحك؟ فسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هدي نبينا ﷺ كان أكمل من هدي هذا العارف، فإنه أعطى العبودية حقها، فاتسع قلبه للرضى عن الله، ولرحمة الولد، والرقة عليه، فحمد الله، ورضي عنه في قضائه، وبكى رحمةً ورأفة، فحملته الرأفة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضى والحمد، وهذا العارفُ ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة)[4].

وقد قال الله تعالى عن الصابرين: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٧/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥.

(٣) هو الفضيل بن عياض، نصّ على ذلك ابن القيم نفسه في مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٥١٥/٢.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٩/١.

ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[١]. قال العز بن عبدالسلام: (قولهم ذلك اعتراف بذل العبودية وبقهر الربوبية، لقوله "إنا لله" أي ملكه "وإنا إليه" أي إلى حكمه وتصرفه "راجعون")[٢].

قال الطاهر بن عاشور: (ووصفُ الصابرين بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ إلخ لإفادة أن صبرهم أكمل الصبر، إذ هو صبر مقترن ببصيرة في أمر الله تعالى، إذ يعلمون عند المصيبة أنهم مِلْك لله تعالى يتصرف فيهم كيف يشاء، فلا يجزعون مما يأتيهم، ويعلمون أنهم صائرون، إليه فيثيبهم على ذلك، فالمراد من القول هنا القولُ المطابق للاعتقاد، إذ الكلام إنما وُضع للصدق، وإنما يكون ذلك القول معتبرًا، إذا كان تعبيرًا عما في الضمير، فليس لمن قال هاته الكلمات بدون اعتقاد لها، فضل، وإنما هو كالذي ينعق بما لا يَسْمَع[٣]، وقد علّمهم الله هذه الكلمة الجامعة، لتكون شعارهم عند المصيبة، لأن الاعتقاد يقوى بالتصريح لأن استحضار النفس للمدرَكات المعنوية ضعيف يحتاج إلى التقوية بشيء من الحِسّ، ولأن في تصريحهم بذلك إعلانًا لهذا الاعتقاد وتعليمًا له للناس... والتوكيد بإنّ في قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ لأن المقام مقام اهتمام، ولأنه ينزل المصاب فيه منزلة المنكر كونه مِلْكًا لله تعالى وعبدًا له إذ تنسيه المصيبة ذلك ويحول هولها بينه وبين رشده)[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (يشرع الاسترجاع عند كل ما يبتلى به الإنسان من مصائب عظمت أو صغرت... والحكمة في الاسترجاع عند المصائب: الإقرار بعبودية الله ووحدانيته، والتصديق بالمعاد والرجوع إليه والتسليم بقضائه والرجاء في ثوابه... ويذكر الفقهاء أن الاسترجاع ينطوي على أمرين: قول باللسان وهو أن يقول عند المصيبة: إنا لله

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٥ - ١٥٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٢٣٩.

(٣) نعق الراعي بغنمه: صاح بها قال تعالى: ﴿يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة: ١٧١]. يمثل رسول الله ﷺ مع الكفار، كمثل الراعي مع غنمه، فإن الغنم تسمع صوته، ولا تفهم ما يقول، فكذلك الكفار. الترجمان والدليل لآيات التنزيل، المختار أحمد محمود الشنقيطي ٨١٣/٢ - ٨١٤.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٧/٢/١.

وإنا إليه راجعون. وهذا مستحب [والأمر الآخر] عمل بالقلب وهو الاستسلام والصبر والتوكل وما يتبع ذلك، وهذا واجب)[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الجزاء من جنس العمل:

وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ أن الله أمر ملائكته بأن يبنوا لعبده الذي حمده واسترجع - أمرهم أن يبنوا له بيتًا في الجنة اسمه الحمد.

قال الطيبي: (قوله: "قبضتم ولد عبدي" مرجع السؤال إلى تنبيه الملائكة على ما أراد الله سبحانه وتعالى من التفضل على عبده الحامد، لأجل تصبره على المصائب أو عدم تشكيه، بل إعداده إياها من جملة النعماء التي تستوجب الشكر عليها ثم استرجاعه، وأن نفسه ملك الله وإليه المصير في العاقبة، قال: أولاً: "ولد عبدي" أي فرع شجرته ثم ترقي إلى "ثمرة فؤاده"، أي نقاوة خلاصته، فإن خلاصة الإنسان الفؤاد، والفؤاد إنما يعتد به، لما هو مكان اللطيفة التي خلق لها، وبها شرفه وكرامته، فحقيق لمن فقد مثل النعمة الخطيرة، ويلقاها بمثل ذلك الحمد، أن يكون محمودًا، حتى المكان الذي يسكن فيه، فلذلك سمي بيت الحمد)[٢].

ومن هذا القبيل - قبيل الجزاء من جنس العمل - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾[٣].

قال ابن كثير: (يقول تعالى مؤدبًا عباده المؤمنين، وآمرًا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل، كما جاء في الحديث الصحيح: ((مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ))[٤] وفي الحديث الآخر: ((وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٨١/٣ - ٢٨٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤٠١/٣، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٦/١.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

اللّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[1] ولهذا أشباه كثيرة)[2].

قال ابن القيم: (على العبد أن يعامل بني جنسه، في إساءتهم إليه وزلاتهم معه بما يحب أن يعامله الله به في إساءته وزلاته وذنوبه، فإن الجزاء من جنس العمل، فمن عفا عفى الله عنه، ومن سامح أخاه في إساءته إليه سامحه الله في سيئاته، ومن أغضى وتجاوز تجاوز الله عنه، ومن استقصى استقصى عليه، ولا تنس حال الذي قبضت الملائكة روحه فقيل له هل عملت خيرًا؟ هل عملت حسنة؟ قال: ما أعلمه. قيل: تذكر. قال: كنت أبايع الناس فكنت أنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر، أو قال كنت آمر فتياني أن يتجاوزوا في السكة، فقال الله نحن أحق بذلك منك وتجاوز الله عنه[3]، فالله عز وجل يعامل العبد في ذنوبه بمثل ما يعامل به العبد الناس في ذنوبهم، فإذا عرف العبد ذلك، كان في ابتلائه بالذنوب من الحكم والفوائد، ما هو أنفع الأشياء له.

فإذا عرف هذا، فأحسن إلى من أساء إليه، ولم يقابله بإساءته إساءة مثلها، تعرض بذلك لمثلها من ربه تعالى، وأنه سبحانه يقابل إساءته وذنوبه بإحسانه، كما كان هو يقابل بذلك إساءة الخلق إليه، والله أوسع فضلاً وأكرم وأجزل عطاء، فمن أحب أن يقابل الله إساءته بالإحسان، فيقابل هو إساءة الناس إليه بالإحسان، ومن علم أن الذنوب والإساءة لازمة للإنسان، لم تعظم عنده إساءة الناس إليه، فليتأمل هو حاله مع الله كيف هي مع فرط إحسانه إليه، وحاجته هو إلى ربه وهو هكذا له، فإذا كان العبد هكذا لربه، فكيف ينكر أن يكون الناس له بتلك المنزلة؟ ومنها أنه يقيم معاذير الخلائق وتتسع رحمته لهم ويتفرج بطانه[4] ويزول عنه ذلك الحصر والضيق

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥/٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٧٧، ٢٣٩١، ٣٤٥١، ومسلم ١٥٦٠.

(٤) هكذا في المطبوع، والبطان: حزام يشد على البطن. ويقال: فلان عريض البطان، رخي البال. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ط ن).

والانحراف وأكل بعضه بعضًا، ويستريح العصاة من دعائه عليهم، وقنوطه منهم، وسؤال الله أن يخسف بهم الأرض ويسلّط عليهم البلاء، فإنه حينئذ يرى نفسه واحدًا منهم، فهو يسأل الله لهم ما يسأله لنفسه، وإذا دعا لنفسه بالتوبة والمغفرة أدخلهم معه، فيرجو لهم فوق ما يرجو لنفسه، ويخاف على نفسه أكثر مما يخاف عليهم)[1].

كما قال ابن القيم عن الجزاء من جنس العمل: (فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه، كله قائم بهذا الأصل. وهو إلحاق النظير بالنظير واعتبار المثل بالمثل)[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث عن كرم الله وفضله على عبده إذا حمد الله واسترجع وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك عند فقد ولده - أخبر ﷺ بما أعده الله له في الجنة من الثواب العظيم، وهذا الإخبار دعوة للمدعوين أن يلتزموا هذا الأدب عند فقد الأولاد حتى ينالوا ما أعدهم الله لهم، بسبب صبرهم ورضاهم بقضاء الله وقدره.

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٢٩١ - ٢٩٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١/١٩٦.

الحديث رقم (٩٢٤)

٩٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يقولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلاَّ الجَنَّةَ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفيّه: الذي يُصافيه الوُدَّ ويُخلصه له، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول[2].

احتسبه: بادر إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصَّبر[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي: (أنَّ رسول الله ﷺ) قال انتقال من مستوي كلام البشر العادي إلى مستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في جانب المعنى، والأسلوب، وقول الرسول ﷺ قال الله- تعالى - انتقال من مستوى الإخبار البشرى، إلى مستوى الإخبار الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعنى دون الأسلوب؛ لأنه حديث قدسي معناه لله، ولفظه للنبي ﷺ، ونقل الكلام عن الله له قدسية تستلزم مزيد التشويق، والإنصات، والجلال، والمعنى في هذا الحديث قائم على أسلوب القصر حيث حصر جزاء المؤمن الذي صبر على موت حبيبه على دخول الجنة، والحصر يقتضي توكيد المعنى، وأنه حاصل لا محالة، وقول الله (مَا لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي) إضافة العبد للضمير العائد على الله تشريف لهذا العبد، ووصف الله له بالمؤمن مدح يشير إلى توافر الصفة الداعية إلى الصبر، وقوله عندي

---

(١) برقم ٦٤٢٤، وتقدم برقم ٣٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ف و)

(٣) المرجع السابق في (ح س ب).

يوحي بخصوصية الجزاء، والتعبير بالقبض يشير إلى قوة الأخذ، وعبارة (قبضت صفية) كناية عن موت الأحباء، والتعبير بالصفي يشير إلى خصوصية في المحبة وهي المحبة التي لا تشوبها شائبة، كما يشمل كل محبوب على هذه الصفة من ولد، أو والد، أو زوج، أو أخ أو صاحب أو غيره، وقوله: (ثم احتسبه) تكميل بلاغي أفاد نكتة، وهي الإخلاص لله في الصبر على المصيبة.

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٢).

الحديث رقم (٩٢٥)

٩٢٥- وعن أسَامَة بن زَيدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أرْسَلَتْ إحْدى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ إلَيْهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أنَّ صَبِيًّا لَهَا - أوْ ابْنًا - في المَوْتِ فَقَالَ للرسول: ((ارْجِعْ إلَيْهَا، فَأخْبِرْهَا أنَّ للهِ تَعَالَى مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأجَلٍ مُسَمّى، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ))... وذكر تمام الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

الأجل: غاية الوقت المحدد للموت [2].

مُسمًّى: معلوم ومُعيَّن [3].

ولتحتسب: ولتبادر إلى طلب الأجر بالتسليم والصبر[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يحكي قصة وفاة صبي لإحدى بنات النبي صلى الله على أبيهم، ورضي عنهم جميعاً آل البيت، وقوله (أرْسَلَتْ إحْدى بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ) يشير إلى أدبهن في عدم الخروج، ولزوم بيوتهن حتى في الشدة وقوله (في الموت) يوحي بعظم الشدة التي دعتها إلى إخباره، وقوله (ارجع إليها فأخبرها) يشير إلى أنه أراد أن تصبر على أمر الله، وقوله (أخذ، وأعطى) طباق يقرر معنى ملك الله تعالى لما في يد الإنسان، وما ليس في يده فكله لله، وقوله (وكل شيء عنده بأجل مسمى) تكميل بلاغي أضاف أن

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم واللفظ له ٩٢٣/١١، وتقدم برقم ٢٩.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ج ل).

(٣) المرجع السابق في (س م و)

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

تمليك الله للإنسان النعمة مقدر بقدر، وزمن، فإذا شاء استرد، وقوله (فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ) أر نصح، وإرشاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الصبر:

حرص النبي ﷺ أن يربي أصحابه رضي الله عنهم على الصبر خاصة عند الأزمات، وعندما يصاب ويبتلى المؤمن بما يجعله يجزع بحاجة إلى الصبر وإلى التسلية التي تهون عليه ما ألَمَّ به وتكسر حدته، ولذا فإن النبي ﷺ بيّن في عدد من أحاديث الباب فضل الصبر واحتساب الأجر عند الله، وأن من وَطّن نفسه عوّضه الله خيراً ففي حديث أبي موسى الأشعري بيان لما أعده الله من جزاء لمن صبر على مصيبة ابتلى بها خاصة إذا اشتد وقعها وزاد ألمها كأن يفقد الإنسان ولده، فعنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ...، فَيَقُولُ اللّهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ». وذلك جزاء ما صبر على مصيبته بل وزيادة الحمد، والشكر لله تعالى، وعدم القنوط من رحمة الله عز وجل.

كما وردت التربية على الصبر في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: «أرسلت إحدى بناتِ النبي ﷺ إليه تدعوه وتخبرُه أنَّ صبياً لها -أوِ ابناً- في الموت، فقال للرَّسولِ: «ارْجِعْ إِلَيْها...، فَمُرْها فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ».

"إن الصبر -المستند إلى الإيمان والمجاهدة- أحد الأسس التربوية المهمة في مواجهة مشكلات الفرد والمجتمع المسلم وتجاوزها.

لذا فإن الصبر يُعدُّ من الأمور التي لا يستغنى عنها إنسان في هذه الحياة، لأن الحياة لا تخلو من المنغصات التي تعكر صفوها، ولا من العقبات التي تعترض مسيرة الإنسان، فضلاً عن الابتلاءات التي لا يسلم منها أحد، مما يستلزم الصبر والتحلي به، وتربية النفس على الصبر والمصابرة ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويقتضي الصبر التسليم الكامل لله تعالى، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾[1].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٢.

وللصبر جوانبه الوقائية وجوانبه العلاجية، فهو يقي النفس من عديد من المزالق التي يصعب علاجها فإن وقعت فالصبر عليها، والتأني في علاجها أفضل وسيلة لمواجهتها، كما أن الصبر سمة من سمات القوة، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ﴾[3][4].

ثانياً- التربية على الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به:

إن من أهداف التربية الإسلامية الرئيسة التربية على الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا به، والتربية على ذلك لها أكبر الأثر في علاج كثير من الأمراض النفسية.

إن الإنسان المسلم إذا ما تربى على الإيمان بالقضاء والقدر سعد في دنياه وأخراه وتمتع بعيشه في هذه الدنيا مهما أصابه في السراء والضراء[5].

وقد جاءت أحاديث الباب داعية إلى تقوية الإيمان بالقضاء والرضا بقدر الله تعالى فلا ينبغي لإنسان أن يجزع لمصيبة حلت به أو مكروه ألمّ به، وإنما يَرُدُّ ذلك كله لله تعالى ويرضى به بلسان حاله ومقاله، فإن الله مالك الملك، ولسان حال المؤمن ومقاله دائماً «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ومن أصرح أحاديث الباب في ذلك حديث أسامة بن زيد الذي نقل لنا وصية رسول الله ﷺ لابنته، وقد مات لها صبي: «ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَأَخْبِرْهَا: إِنَّ للّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمى ...».

"إن الإنسان عرضة دائماً لأن تصيبه النوائب والأحداث لأنها من سنن الله في خلقه، ومن شأن المصائب أن تهز النفوس، وما من إنسان إلا ويتأثر بما يصيبه.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٦.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٦٢٩.

لقد تأثر رسول الله ﷺ لفقد ولده إبراهيم ولكنه قال: «إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا، وإنّا بِفِرَاقِكَ يا إبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»(١).

فأما الوهن الذي يفتت العزيمة ويقعد بالإنسان عن معاودة النشاط والانطلاق في الحياة، فهو الأمر غير المرغوب، وهو الذي يتعرض له الإنسان حين لا يؤمن بالقدر ولا يسلم له، لذلك يقول الله سبحانه، وهو يربي المسلمين ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٢)، وبذلك يسترد الإنسان عزيمته، ويمضي في طريقه مطمئناً لقدر الله، يستمد منه مزيداً من العزم ويرجو من الله التخفيف(٣).

ثالثاً- التربية بالتلقين:

تعد التربية بالتلقين ذات تأثير فاعل في اللحظات الحرجة وفي المحن والشدائد، وقد استعمل النبي ﷺ هذا النمط التربوي في المواقف المناسبة، كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها في قوله ﷺ موصياً إليها عندما مات زوجها أبو سلمة «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ. وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً»، وفي الرواية الثانية: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ...».

إن التلقين من الأساليب التربوية المهمة التي لها أكبر الأثر في العملية التعليمية والتربوية مع الكبار والناشئة والأطفال إذ أن المتربين في المراحل العمرية الأولى يسهل تلقينهم المعلومات الأساسية بحيث يحفظونها لما لقنوها، وإذا لقن المتربي المعلومات بطريقة جيدة فإنها تنطبع في ذهنه ولا يكاد ينساها بمرور الزمن، وخاصة عند مراجعتها بين الحين والآخر(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، ١٣٠٣.

(٢) سورة التغابن، آية: ١١.

(٣) انظر: ركائز الإيمان، محمد قطب ص ٣٢٨.

(٤) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف ص ٣٤.

رابعاً- من أهداف التربية: التربية على المواساة:

إن من الأهداف الأصيلة للتربية الإسلامية الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي، ومن دعائم هذا الترابط رعاية الآداب الاجتماعية وغرسها في نفوس المتربين والناشئة، ومن هذه الآداب الاجتماعية التي يجب على المربين أن يُعنوا بها ويهتموا لها أدب التعزية لمن لهم ميت أو فقدوا عزيزاً غالياً،... ومعنى التعزية تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة، أو بعبارات مأثورة، تسلي المصاب وتخفف حزنه وتهون عليه المصيبة وإظهار التأسي لمن يواسيهم ويعزيهم[1]، وقد ورد في أحد أحاديث الباب الإرشاد والتوجيه العملي للتعزية، وذلك كما جاء في عزاء النبي ﷺ لإحدى بناته، وقد نزل بصبي لها الموت، فقال ﷺ لرسول قد بعثته إليه: «ارْجِعْ إِلَيْهَا. فَأَخْبِرْهَا: إِنَّ للّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمى. فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»، وبالجملة فإن الإنسان إذا واسى أناساً لنزول مرض أو موت بأحدهم فلا يقول إلا خيراً، وهكذا ربى النبي ﷺ المسلمين، كما جاء في الحديث الأول في الباب من حديث أبي سلمة «إذا حضرتم المريض، أو الميت فقولوا خيراً...».

إن التربية على رعاية الآداب الاجتماعية من عزاء ونحوه أحد الأساليب التربوية لتحقيق الأهداف الاجتماعية التي ترنو إليها التربية الإسلامية، إذ أن "التربية الإسلامية تتجه إلى تقوية التعاضد والتماسك والتضامن والوحدة في نفوس الناشئين من أجل تحقيق اتجاه العمل الجماعي والشعور بالمسؤولية عن الجماعة، وذلك عن طريق إبراز أهمية العمل المنظم والهادف إلى رص الصف وتنسيق الجهود الفردية لخدمة الأهداف العليا في المجتمع الإسلامي، وعنوان ذلك كله ربط الناشئ بالمسجد وصلوات الجماعة وتقوية الروابط الأسرية وتنمية التحابب والمودة في النفوس وتشجيع اتجاه التزاور والقيام بالواجب الاجتماعي في المناسبات المختلفة وعدم التهاون فيها وتعزيز اتجاه حب التعرف على الآخرين والوقوف على أحوالهم بهدف مشاركتهم، أفراحهم وأحزانهم والوقوف معهم ما أمكن"[2].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٤٦٧.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٦١، ٦٢.

خامسًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يجدر بالمعلم أن يستفيد منها، من ذلك:

أ- التربية بالمواقف والأحداث: كما في قول أم سلمة رضي الله عنها لما مات أبو سلمة رضي الله عنه أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات قال: قولي: اللهم اغفر لي وله وأعقبني عقبة حسنة. فقد علّم النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها ما تقوله بعد وفاة زوجها، فكان في هذا إرشاد للمربين والمعلم أن يستثمروا المواقف المختلفة لغرس الأهداف التربوية فيهم وتعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

ب- الترغيب: كما في حديث: "ما من عبد تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها، إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها".

ويستخدم المعلم الترغيب لتشجيعهم على فعل الخيرات والمسارعة إليها.

ج- القصة: كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: "أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعوه وتخبره ..." الحديث. والمعلم يمكن أن يستخدم القصة تمهيدًا للدرس وتأكيدًا للأهداف التربوية، والقصة من الأساليب التربوية التي تجذب المتعلمين وتدفعهم إلى الانتباه نظرًا لما فيها من تشويق وحَكي.

١٥٣- باب جواز البكاء عَلَى الميت بغير ندب وَلاَ نياحة

أمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ وَسَيَأتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتَابِ النَّهْيِ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى. وَأمَّا البُكَاءُ فَجَاءتْ أحَادِيثُ بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أهْلِهِ، وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ ومَحْمُولَةٌ عَلَى مَنْ أوْصَى بِهِ، وَالنَّهْيُ إنَّمَا هُوَ عَن البُكَاءِ الَّذي فِيهِ نَدْبٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، والدَّليلُ عَلَى جَوَازِ البُكَاءِ بِغَيْرِ نَدْبٍ وَلاَ نِياحَةٍ أحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا:

الحديث رقم (٩٢٦)

٩٢٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ عاد سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عَبدُ الرَّحْمانِ بْنُ عَوفٍ، وَسَعدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنهم،[1] فَبَكَى رسولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ رسولِ الله ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: ((**ألاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ الله لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَينِ، وَلاَ بِحُزنِ القَلبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا، أَوْ يَرْحَمُ**)) وَأشَارَ إِلَى لِسَانِهِ[2]. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

لابد أن بكاء النبي ﷺ أدهش الصحابة؛ لأنه نهي عن النياحة على الميت، فتعلقت به أبصارهم، وأصغت له أسماعهم حتى بكوا ببكائه، وهو ما يعد تمهيداً لاستقبال المعنى ثم إنه بنى عليها المعنى الذي يريد تقريره وهو (أن الله لا يعذب ببكاء العين إذا كان شفقة دون اعتراض، أو مخالفة، أو كان قبل موت الميت ولذلك سأل الرسول ﷺ قبل أن يبكى (هل قضى؟) فلما اخبر أنه ما زال حياً بكاه، وقد افتتح على إثرها

---

(١) عندهما زيادة: (فلما دخل عليه، وجده في غشية، فقال: (أقد قضى) قالوا: لا، يا رسول الله).

(٢) هذه الزيادة عندهما بعد قوله: (يعذب بهذا).

(٣) أخرجه البخاري ١٣٠٤، ومسلم ٩٢٤/١٢ واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم ١٦٦٥.

الكلام بقوله: (ألا تسمعون؟) بمعنى اسمعوا فهو استفهام تحضيض على السماع، وتنبيه لما سيقال وفيه إشارة إلي أنه فهم من بعضهم الإنكار، فبين لهم الفرق بين الحالتين[1] ولذلك جاءت عبارته (إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا) مؤكدة بأكثر من مؤكد منها (إن) مع اسمية الجملة ثم القصر بطريق العطف بـ (ولكن) وإن كان هناك خلاف في إفادتها للقصر إذ دخلت عليها واو العطف، وعلى رأي من قال بإفادتها القصر فإن المعنى قلب اعتقاد المخاطبين الذين يظنون أن الله يعذب بدمع العين وإثبات أن الله يعذب بقول اللسان إذا قال سوءاً، وهذا على رأي من يرى أن (لكن) تستعمل لقصر القلب خاصة، قال العلامة الدسوقي: (أما لكن فتستعمل للإثبات بعد النفي لقصر القلب فقط عند البيانيين، أو لقصر الإفراد فقط عند النحاة) ثم جاءت إشارته ﷺ (بيده إلي لسانه) ليقرر المعنى بحاسة البصر مع السمع ويؤكدها أتم تأكيد ثم بني عليها السياق البلاغي بعدها فجاء اسم الإشارة (هذا) متصلا بالباء أي بسبب هذا والإشارة تميِّز المشار إليه أكمل تمييز ويحفها الطباق بين (يعذب ويرحم) ليؤكد المعنى ويقرره، وكثرة المؤكدات دعت إليها دلالة البكاء أولا حيث تعجَب الصحابة من بكاء الرسول ﷺ وقد نهاهم عنه فأراد ﷺ أن يقرر أمرين: أن الله لا يعذب بدمع العين، ولكن بالسخط على قضاء الله، وبقول اللسان ذلك، وأن الميت يعذب ببكاء أهله لا غيرهم، وأنه يعذب بالبكاء بعد خروج الروح وليس قبله[2].

فقه الحديث

جواز البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة:

قال النووي في الأذكار: (أجمعت الأمة على تحريم النياحة، والدعاء بدعوى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٥٣/٣، كتاب: الجنائز، باب: البكاء عند المريض، حديث ١٣٠٤.

(٢) ينظر الحال الدالة في الحديث النبوي / بحث منشور في كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بأسيوط د / ناصر راضي الزهري / العدد/ ٢٦ جـ ١ ص ٦٦٩.

الجاهلية، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة، واعلم أن النياحة رفع الصوت بالندب، والندب: تعديد النادبة بصوتها محاسن الميت، وقيل: هو البكاء عليه مع تعديد محاسنه... وأما البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام)[١].

وقال النووي في المجموع: (واختلف العلماء في أحاديث تعذيب الميت بالبكاء[٢] فتأولها المزني وأصحابنا وجمهور العلماء على من وصّى أن يبكي عليه، ويناح بعد موته فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم، لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه، فلا يعذب ببكائهم ونوحهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣])[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الفرق بين الأحوال التي يظن المدعوون أنها واحدة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد والاستدراك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

قال النووي: (فيه استحباب عيادة المريض، وعيادة الفاضل المفضول، وعيادة الإمام

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٧٢-١٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري ١٢٩٢، ومسلم ٩٢٧.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧.

(٤) المجموع شرح المهذب ٢٠١/٥ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٣/٦/٣-٢٠٤، ، وفتح الباري، ابن حجر ١٥٢/٣-١٦٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٨٧/٣-٤٩٥.

والقاضي والعالم أتباعه)[١].

وقد أخرج الإمام مسلم هذا الحديث برواية ثانية، قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللّهِ. إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((يَا أَخَا الأَنْصَارِ كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟)) فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟)) فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ[٢]. قال ابن هبيرة: (فيه الحث على عيادة المرضى، وإنما قال النبي ﷺ "من يعوده منكم؟ لئلا يتبعوه بغير نية سوى اتباعه فيفوتهم أجر عيادة المريض، وإنما أعلمهم لينووا العيادة)[٣].

وقال القرطبي: (فيه حض على عيادة المرضى، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة تدل على ندبيتها وكثرة ثواب فاعلها وهي مندوبة، وقد تجب إذا خيف على المريض ضيعة، فإن التمريض واجب على الكفاية، فمن قام به سقط عن غيره)[٤].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ))[٥].

وقال ﷺ أيضًا: ((إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ))[٦]. وفي رواية: ((قِيلَ: يَا رَسُولَ اللّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ جَنَاهَا))[٧].

قال النووي: (أي يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها. واتفق العلماء على فضل عيادة المريض)[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٦/٦/٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٧٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٩٢٥.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٣/٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٢.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٢.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٦٨.

(٧) أخرجه مسلم ٤٢ - ٢٥٦٨.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٦/١٦/٨، .

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة:

هذا واضح من بكاء النبي ﷺ وقوله ﷺ لأصحابه "إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه". قال ابن هبيرة: (فيه ما يدل على جواز البكاء، وفيه أن البكاء يهيج البكاء، وفيه أن الإنسان لا يطالب بدمع العين ولا بحزن قلبه، لأنهما لا يملكان)[1].

قال ابن عثيمين: (البكاء على الميت تارةً يكون بمقتضى الطبيعة، يعني يأتي للإنسان دون أن يتقصده فهذا لا حرج فيه، ولا إثم فيه، بل هو من أخلاق النبي ﷺ كما في هذا الحديث، وهو دليل على رحمة الإنسان ورقة قلبه، وتارة يكون بتكلف ومعه ندب أو نياحة، فهذا هو الذي يأثم به الإنسان، فالندب هو أن يقوم بتعداد محاسن الميت إذا بكى، يبكي ويقول: هذا فلان الذي يأتي لنا بكذا وكذا ويدفع عنا... وما أشبه ذلك. أو يقول: واأبتاه، وأما النياحة فهي البكاء برنة كنوح الحمام[2] فهذا هو المحرم. وقد لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة[3].

أما البكاء الذي يأتي طبيعيًا دون أن يتقصده الإنسان، ولكنه حزن ورحمة، فلا بأس به. كما في هذا الحديث، وقوله ﷺ: "إن الله تعالى لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب" لا يعذب الباكي والحزين ولا يعذب الميت، "وإنما يعذب بهذا أو يرحم" وأشار إلى لسانه، يعني: أن يقول الإنسان قولاً محرمًا فهذا الذي يعذب به الإنسان، فدل ذلك على جواز البكاء على الميت بشرط ألا يكون فيه ندب أو نياحة، وإنما تأتي به الطبيعة والجبلة، فهذا لا بأس به، وهو من خلق النبي ﷺ)[4].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٣/٤.

(٢) وجاء في معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي، النياحة: البكاء بجزع وعويل. الصراخ والعويل في البكاء. اجتماع النساء للبكاء على الميت متقابلات. معجم للغة الفقهاء، د. محمد رواس قلعه جه ص ٤٦١.

(٣) أخرجه أبو داود ٣١٢٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٦٨٦).

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٩٢/٢.

ثالثًا- من مهام الداعية: بيان الفرق بين الأحوال التي يظن المدعوون أنها واحدة:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لصحابته الكرام رضوان الله عليهم لما رأوه يبكي: "ألا تسمعون؟" قال ابن حجر: (لا يحتاج إلى مفعول، لأنه جعل كالفعل اللازم. أي: ألا توجدون السماع. وفيه إشارة إلى أنه فهم من بعضهم الإنكار، فبين لهم الفرق بين الحالتين)[١].

وهذا ما وقع من النبي ﷺ أيضًا عندما بكى ﷺ على ابن لإحدى بناته، وفيه ((قَالَ أسامة بن زيد رضي الله عنهما فَقَامَ النَّبِيُّ. وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمْ [أي أسامة بن زيد راوي الحديث]. فَرُفِعَ إِلَيْهِ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنَّةٍ[٢]. فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ. فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هذَا؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «هذِهِ رَحْمَةٌ. جَعَلَهَا اللّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ. وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»))[٣].

قال النووي: (إن سعدًا ظن أن جميع أنواع البكاء حرام،وأن دمع العين حرام، وظن أن النبي ﷺ نسي فذكره، فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء ودمع العين ليس بحرام ولامكروه، بل هو رحمة وفضيلة، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما)[٤].

وقال القرافي عن الفرق بين قاعدة المداهنة المحرمة، وقاعدة المداهنة التي لا تحرم وقد تجب: (اعلم أنَّ معنى المداهنة معاملة الناس بما يحبون من القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٥] أي: هم يودون لو أثنيت على أحوالهم وعباداتهم، ويقولون لك مثل ذلك، فهذه مداهنة حرام، وكذلك كل من يشكر ظالمًا على ظلمه،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٣.

(٢) قال النووي: الشَّنَّة: القربة البالية، ومعناه: لها صوت وحشرجة كصوت الماء إذا ألقي في القربة البالية. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧ / ٢٣٥/٦ ، .

(٣) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٥/٦/٣.

(٥) سورة القلم، آية: ٩.

أو مبتدعًا على بدعته، أو مبطلاً على إبطاله وباطله، فهي مداهنة حرام، لأن ذلك وسيلةٌ لتكثير ذلك الظلم والباطل من أهله.

ورُوي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه كان يقول: إنا لنكشر في وجه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم[1]، يريد الظلمة والفسقة الذين يتقى شرهم، ويُتبسّم في وجوههم، ويُشكرون بالكلمات الحقة، فإن ما من أحد إلا وفيه صفة تشكر، ولو كان من أنحس الناس، فيقال له ذلك استكفاء لشره، فهذا قد يكون مباحًا، وقد يكون واجبًا إن كان يتوصل به القائل لدفع ظلم محرم أو محرمات لا تندفع إلا بذلك القول، ويكون الحال يقتضي ذلك، وقد يكون مندوبًا إن كان وسيلة لمندوب أو مندوبات، وقد يكون مكروهًا إن كان عن ضعف، لا ضرورة تتقاضاه بل خور في الطبع، أو يكون وسيلة للوقوع في مكروه، فانقسمت المداهنة على هذه الأحكام الخمسة الشرعية، وظهر حينئذ الفرق بين المداهنة المحرمة، وغير المحرمة، وقد شاع بين الناس أن المداهنة كلها محرمة، وليس كذلك بل الأمر كما تقدم تقريره)[2].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد والاستدراك:

أما الاستفهام فقوله ﷺ "ألا تسمعون؟" وهو استفهام بمعنى الأمر. فمعناه "ألا توجدون السماع. كما قال ابن حجر[3]، وقال ابن عثيمين: (يعني اسمعوا)[4].

وأما التوكيد فقوله ﷺ "إن الله لا يعذب بدمع العين..." وذلك ليؤكد للمدعوين أن البكاء على هذه الصفة جائز، أما الاستدراك فقوله ﷺ: "ولكن يعذب بهذا أو

---

(١) قال محقق الفروق: هذا مرويٌّ من كلام أبي الدرداء ﷺ، ذكره البخاري تعليقًا في كتاب الأدب من "الجامع الصحيح" قبل الحديث ٦١٣١ ووصله الحافظ ابن حجر من غيرِ ما طريق في "تغليق التعليق" ١٠٢/٥ - ١٠٤ ولا تخلو أسانيده من مقال.

والكشر: ظهور الأسنان للضحك. وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه. أفاده ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث في (ك ش ر)

(٢) الفروق ٣٤٨/٤ - ٣٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ١١٩٢/٢.

يرحم" وأشار إلى لسانه. وذلك ليخرج ما يقوله اللسان عند فقد الميت عن حكم الجواز ويعطيه حكمًا آخر وهو الحرمة، إذا كان ندبًا أو نياحة ونحوهما، مما يشعر بالتسخط وعدم الرضا بما قضاه الله عز وجل.

الحديث رقم (٩٢٧)

٩٢٧- وعن أُسَامَة بن زَيدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي المَوتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ سَعدٌ: مَا هَذَا يَا رسولَ الله؟! قَالَ: ((هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

فاضت: سال دمعُها[2].

الشرح الأدبي

قوله (ففاضت عينا) كناية عن بكائه الذي يدل على حزنه، والتعبير بالفيضان يوحي بعظم رحمته، ورقة قلبه، وقول سعد بن معاذ رضي الله عنه (ما هذا يا رسول الله؟) استفهام تعجب يعكس حيرته بما علمه من نهيه عن البكاء من ناحية، وما يراه من حاله، وفيض دموعه، وقول الرسول ﷺ (هذه رحمة تعالى في قلوب عباده) الإشارة إلى الدموع أو سببها وهي الشفقة، والرحمة التي سببت دموعه، وقوله (في قلوب) يشير إلى أنها منحة من الله لا تكتسب بفعل العبد، وقوله (وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) أسلوب قصر يحصر رحمة الله لعباده في الرحماء وينفيها ضمناً عن من سواهم على سبيل أي لا يرحمهم رحمة كاملة بتقريبهم في الدنيا، والمن عليهم بالجنة في الآخرة، وبين يرحم، والرحماء جناس يفيض على السياق بالمعنى الحبيب، ونسبة الرحمة لله تعطيها بعداً إيحائياً يمتد من الدنيا إلى الآخرة، وهو وجه من وجوه مخالفتها لمفهوم الرحمة البشري.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣/١١ ولفظهما سواء.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ي ض).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٩).

الحديث رقم (٩٢٨)

٩٢٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إبْرَاهيمَ رضي الله عنه، وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفَان. فَقَالَ لَهُ عبدُ الرحمانِ بن عَوف: وأنت يَا رسولَ الله؟! فَقَالَ: ((يَا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ)) ثُمَّ أتْبَعَهَا بأُخْرَى، فَقَالَ: ((إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إبرَاهِيمُ لَمَحزُونُونَ)) رواه البخاري[1]، وروى مسلم بعضه[2]. والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة، والله أعلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يجود بنفسه: أي يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسان ماله[3].

تذرفان: أي يجري دمعهما[4].

الشرح الأدبي

قوله (وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ) كناية عن سكرات الموت، وهي أقسى لحظات يمكن أن تمر بوالد فموت الطفل أمام عينيه كي القلب لولا أنه أعظم القلوب، وأكثرها رضاً بقضاء الله، وقوله (، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفَان) كناية عن البكاء مع دلالة الفعل على كثرة الدمع مما أثار عجب الصحابة من صنيعه فجاءت استفهامة عبد الرحمن بن عوف (وأنت يَا رسولَ الله؟!) تحمل تعجبا، وحيرة، فجاء رده مؤكداً ب (إن)

---

(١) برقم ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥/٦٢ الشطر الأخير منه.

(٢) برقم ٢٣١٥/٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٧/٣.

(٤) المرجع السابق ٢٠٧/٣.

واسمية الجملة لينزع من قلبه التعجب الذي بدا من استفهامه، وقوله (إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلب يَحْزنُ) صيغة الفعل المضارع تصور العين الدامعة، والقلب المحزون لوالد هو أرق الناس قلباً، وقد جاءه على كبر، وبعد طول شوق، وانتظار، ومع هذا قلبه في تمام الرضى، ولكنها شفقة، ورحمة فاض بها أكبر قلب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على من كان في النزع الأخير أو من مات من غير سخط لأمر الله.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة ورقة القلب.

رابعًا: من أساليب الدعوة: مخاطبة الغير وإرادة غيره بذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: جواز البكاء على من كان في النزع الأخير أو من مات من غير سخط لأمر الله:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ فقد جرت عيناه بالدموع لما رأى ابنه إبراهيم وقد قارب من الموت، كما أنه واضح من قوله ﷺ "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون". قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه جواز البكاء على الميت من غير نياحة)[1].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال وغيره: هذا الحديث يفسر البكاء المباح والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين ورقة القلب من غير سخط لأمر الله، وهو أبين شيء وقع في هذا المعنى... وجواز الإخبار عن الحزن وإن كان الكتمان أولى)[2].

قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ رفع إليه إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه، أي ينازعه الموت، وأشرف ما عند الإنسان نفسه، وهذا المحتضر كأنما يسلمها للملائكة يجود

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٦٨/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٣.

بها، فذرفت عيناه ﷺ فقيل له: ما هذا يا رسول الله؟ فقال ﷺ: "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون..." فدل ذلك على أن الإنسان لا حرج عليه إذا بكى رحمة بالميت وحزنًا على فراقه، فإن الرسول ﷺ هنا قال: إنه محزون على فراق ابنه ... وفيه دليل على جواز إخبار الإنسان عن نفسه بأنه محزون من هذه المصيبة... وفيه دليل على أن النبي ﷺ يموت له الولد ويتألم لذلك وأنه يلحقه ما يلحق البشر)[1]. (وأما البكاء والحزن على الميت فلا بأس به ويحصل في الغالب، وهو الذي تمليه الطبيعة دون تكلف، فقد بكى النبي ﷺ على ابنه إبراهيم حين مات، وقال: ((إن العينَ تَدمعُ، والقلبَ يحزَنُ، ولا نقولُ إلاّ ما يَرضى رَبُّنا...))[2]، لكن لا يكون ذلك على وجه التسخط والجزع والتشكي. ويحرم الندب، والنياحة، وضرب الخدود، وشق الجيوب؛ لقوله ﷺ: ((ليسَ مِناً من لَطَمَ الخُدودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعْوَى الجاهلية))[3]، كقوله: يا ويلاه، يا ثبوراه وما أشبه ذلك، ولقوله ﷺ: ((النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ))[4])[5].

ثانيًا - من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من قول عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه للنبي ﷺ لما رآه يبكي حزنًا على ما أصاب ابنه إبراهيم: "وأنت يا رسول الله؟"

قال الطيبي: (فيه معنى التعجب، والواو عاطفة على مقدر: أي الناس لا يصبرون على المصائب ويتفجعون، وأنت تفعل كفعلهم؟ أي لا ينبغي لك أن تتفجع، كأنه استغرب ذلك منه، لأنه يدل على ضعف النفس والعجز عن مقاومة المصيبة بالصبر،

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٣ - ١١٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٩٤، ومسلم ١٠٣.

(٤) أخرجه مسلم ٩٣٤. والجرب: مرض جلدي. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر ب).

(٥) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة ص ١٢٠.

ويخالف ما عهده منه من الحث على الصبر والنهي عن الجزع. وأجاب ﷺ عنه بقوله: "إنها رحمة" أي الحالة التي تشاهدها مني يا ابن عوف رقة ورحمة على المقبوض، ينبعث عن التأمل فيما هو عليه، لا ما توهمت من الجزع وقلة الصبر)[١].

وقال ابن حجر: (قوله ثم أتبعها بأخرى، قيل: أراد به أنه أتبع الدمعة الأولى بدمعة أخرى، وقيل: أتبع الكلمة المجملة وهي قوله: "إنها رحمة" بكلمة أخرى مفصلة وهي قوله "إن العين تدمع...")[٢] ثم قال ابن حجر عن هذا الحديث: (وفيه جواز الاعتراض على من خالف فعله ظاهر قوله؛ ليظهر الفرق)[٣].

وقال ابن أبي جمرة: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية، حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سواء بالأدب؛ لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بدعي زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنه)[٤].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرحمة ورقة القلب:

هذا واضح من بكاء النبي ﷺ بسبب حال ابنه إبراهيم وإخباره عن ذلك بقوله: "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" قال ابن حجر: (قال ابن بطال وغيره: في هذا الحديث مشروعية تقبيل الولد وشمه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال)[٥]. وقال ابن هبيرة: (وفيه استحباب رحمة الأطفال)[٦].

وقال النووي: (فيه جواز البكاء على المريض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٧٤. وهو ملخص كلام الطيبي في شرحه على المشكاة ٣/٣٩٢.

(٣) المرجع السابق ٣/١٧٤.

(٤) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٤/٢٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٢٦٨.

بالقدر، بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل)[١].

وعن عمرو بن سعيد عن أنس بن مالك ﷺ قال: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ. قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ[٢]. فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ. فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ. وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا[٣]. فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ. ثُمَّ يَرْجِعُ))[٤].

قال النووي: (فيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبليهم)[٥]. وقال ابن القيم: (لما مات ابن الفضيل بن عياض رؤي في الجنازة ضاحكًا، فقيل له: أتضحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل. وقالوا: رسول الله ﷺ بكى يوم مات ابنه، وأخبر أن "القلب يحزن، والعين تدمع" وهو في أعلى مقامات الرضى، فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

والتحقيق: أن قلب رسول الله ﷺ اتسع لتكميل جميع المراتب، من الرضى عن الله، والبكاء رحمة للصبي؛ فكان له مقام الرضى، ومقام الرحمة ورقة القلب. والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضى ومقام الرحمة؛ فلم يجتمع له الأمران، والناس في ذلك على أربع مراتب:

أحدها: من اجتمع له الرضى بالقضاء ورحمة الطفل؛ فدمعت عيناه رحمة والقلب راض.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧/١٥/٨، .

(٢) القرى التي عند المدينة، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧/١٥/٨، .

(٣) أي مرضعًا، وأطلق عليه ذلك لأنه كان زوج المرضعة ويشاركها في تربية الرضيع غالبًا. أما القين فهو الحداد ويطلق على كل صانع، انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٧٣/٣، .

(٤) أخرجه مسلم ٢٣١٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٨/١٥/٨.

الثاني: من غَيَّبه الرضى عن الرحمة، فلم يتسع للأمرين؛ بل غيبه أحدهما عن الآخرة.

الثالث: من غيبته الرحمة والرقة عن الرضى فلم يشهده، بل فني عن الرضى.

الرابع: من لا رضى عنده ولا رحمة؛ وإنما يكون حزنه لفوات حظه من الميت، وهذا حال أكثر الخلق، فلا إحسان، ولارضى عن الرحمن، والله المستعان.

فالأول في أعلى مراتب الرضى، والثاني دونه، والثالث دون الثاني، والرابع هو الساخط)[1].

قال أبو العباس القرطبي: (الرحمة في حقنا: هي رقة وحنوّ يجده الإنسان في نفسه عند مشاهدة مبتلىً أو ضعيف أو صغير يحمله على الإحسان إليه واللطف به والرفق، والسعي في كشف ما به، وقد جعل الله هذه الرحمة في الحيوان كله - عاقله وغير عاقله - فبها تعطف الحيوانات على نوعها وأولادها فتحنو عليها، وتلطف بها في حال ضعفها وصغرها، وحكمة هذه الرحمة تسخير القويّ للضعيف، والكبير للصغير حتى يحفظ نوعه وتتم مصلحته، وذلك تدبير اللطيف الخبير، وهذه الرحمة جعلها الله في القلوب في هذه الدار، وتحصل عنها هذه المصلحة العظيمة، هي رحمة واحدة من مائة رحمة ادخرها الله تعالى ليوم القيامة، فيرحم بها عباده المؤمنين وقت أهوالها وشدائدها حتى يخلصهم منها ويدخلهم في جنته وكرامته... وإذا تقرر هذا، فمن خلق الله تعالى في قلبه هذه الرحمة الحاملة له على الرفق وكشف ضرّ المبتلى، فقد رحمه الله تعالى بذلك في الحال، وجعل ذلك علامته على رحمته إياه في المآل، ومن سلب الله ذلك المعنى منه وابتلاه بنقيض ذلك من القسوة والغلظة، ولم يلطف بضعيف ولا أشفق على مبتلى، فقد أشقاه في الحال، وجعل ذلك علمًا على شقوته في المآل، ولذلك قال النبي ﷺ: ((لاَ يَرْحمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ إلاَّ الرُّحَمَاءَ))[2])[3].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٥١٥ - ٥١٦، وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٥٥، ومسلم ٩٢٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/١٠٨ - ١٠٩.

رابعًا- من أساليب الدعوة: مخاطبة الغير وإرادة غيره بذلك:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون" قال ابن حجر: (فيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده، مع أنه في تلك الحالة لم يكن يفهم الخطاب لوجهين: أحدهما صغره. والثاني نزاعه. وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين، إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق)[1].

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تربية المسلم على كيفية التعامل مع مواقف الابتلاء:

من أهداف التربية الإسلامية: تربية المسلم على كيفية استقبال مواقف الابتلاء والتعامل معها، فإذا ابْتُلي المسلم في بدنه أو أهله وماله فإن عليه أن يسير وفق المنهج الإسلامي الصحيح لمواجهة مثل هذه الحالة، وقد تضمنت أحاديث الباب معاني اليقين والرضا والصبر والاحتساب.

إن على المسلم أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هناك حياة أخرى هي خير من هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]. ويعني اعتقاد هذا أن تلك المحنة مهما طالت فهي إلى زوال، لأن الدنيا نفسها زائلة، وهي لا تعدو أن تكون دار امتحان وابتلاء، يقول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2].

ومن هذا المنظور للحياة يتكون لدى الشخص المُبتَلَى حوافز للرقي والسمو فوق المحنة، فيجاهد نفسه ويقول عند المصيبة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[3]، وقد جعل الله هذه الجملة ذكر الذاكر بعد نزول المصائب، لأن المصائب لا تعدو أن تكون سلباً للنعم التي سبق أن أنعم الله بها عليه، أو حرماناً من النعم التي أنعم الله بمثلها على عباده، والناس وسائر عباد الله الذين ينعم عليهم بالنعم هي أيضاً ملك لله تعالى، ومصير العباد كلهم أن يرجعوا إلى مالكهم ومصير الأشياء كلها أن تعود إلى مالكها

---

(١) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

سبحانه وتعالى، فإذا ما تذكر المؤمن هذه الحقائق يعلن عبارة الإيمان التي تدل عليها فيقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[1].

كما أن المسلم يتربى على أهمية الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى، مما يحمل على الثبات وعدم الجزع أو مخالفة منهج الله، وإنما يفوض أمره إلى الله تعالى ويصبر ويحتسب، ففي حديث أنس بن مالك بيان لكيفية استقبال النبي ﷺ مصابه في ابنه إبراهيم، حيث قال: «إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلا نَقُولُ إلاَّ ما يُرْضِي رَبَّنا، وإنّا بِفِرَاقِكَ يا إبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

لذا ينبغي على المربين غرسُ خُلُقِ الصبر والاحتساب في نفوس المتربين، وذلك تأسياً برسول الله ﷺ، وليعلم كل مسلم أن جزاء الصبر هو الفوز برضوان الله تعالى والفوز بالجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2][3].

إن التربية على الصبر والثبات عند حلول المصيبة؛ تكسب شخصية المسلم سكينة وطمأنينة وأملاً في رحمة الله تعالى، وإذا ما تحقق ذلك فلن نجد في حياتنا شيئاً من ملل أو قلق أو اضطراب أو وساوس أو ما شاكلها من تلك الأمراض النفسية التي شاعت في عصرنا، والتي تعد من أكبر العوائق التي تعود بالسلب على العملية التعليمية والتربوية وتعكر على الناس صفو حياتهم.

ثانياً- من خصائص التربية الإسلامية: الواقعية:

"إن التربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان كما خلقه الله تعالى وبنفس الطبيعة البشرية التي تتكون من الروح والجسد.

وإن من واجبات المربين أن يراعوا واقع الإنسان من حيث هو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو مخلوق مزدوج الطبيعة، فهو نفخة من روح الله في غلاف من الطين، ففيه العنصر

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٣٥-٣٩.

السماوي والعنصر الأرضي، ومن حيث هو ذكر أو أنثى لكل منهما تكوينه ونزعاته ووظيفته، ومن حيث هو عضو في مجتمع لا يستطيع أن يعيش وحده ولا أن يفني تماماً في المجتمع، ولهذا تصطرع في نفسه عوامل الأنانية والغيرية.

ومن هنا لم ينس الإسلام في توجيهاته الفكرية، وفي تعليماته الأخلاقية، وفي تشريعاته القانونية واقع الكون وواقع الحياة، وواقع هذا الإنسان بكل ظروفه وملابساته[1].

ومن مظاهر الواقعية في أحاديث الباب مراعاة التربية الإسلامية لعاطفة الإنسان وتأثرها بما ينزل به من مصائب وما تلم به من آلام وأحزان، وتأثره بما حوله، وحزنه ولوعته على فراق الأحبة.

فها هو رسول الله ﷺ لما فقد ابنه إبراهيم فاضت عيناه بالدموع فاسترعى ذلك انتباه من حوله، ومنهم عبدالرحمن بن عوف حيث قال له: «وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضَى رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

"لقد قامت التربية الإسلامية على الواقعية فهي واقعية في تنميتها للفرد، وواقعية في تنميتها للمجتمع، فلم تقل التربية الإسلامية بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على أرض الواقع، وإنما قالت بما يكفل البناء الحقيقي للشخصية، وعلى الواقع"[2].

ومن خلال ما سبق يترائى لنا ما تتميز به التربية الإسلامية من واقعية "فهي ليست ضرباً من المثاليات، ولا من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع ولا يمكن تحققه وتنفيذه في ميدان الحياة، وإنما هي تعاليم وممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل لأنها تتوافق تماماً مع هذا الواقع وتناسب طبيعة الإنسان"[3].

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٨، ١٦٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٢١٥.

(٣) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، د. أمير عبدالعزيز ص٣٤٨، ٣٤٩.

ثالثاً- من صفات المربي: الشفقة والرحمة:

إن من أهم صفات المربي وسماته، تحليه بكريم الصفات وأحاسن الأخلاق، ومن ذلك شفقته ورحمته بمن عُهِد إليه بتربيتهم، وذلك على سبيل السواء دون تفرقة بين تلميذ وآخر، ويمكن لنا أن نستوحي هذه المعاني من أحاديث الباب من شفقته ﷺ ورحمته بمن أصابه مكروه، أو نزلت به بلية، ولم تقتصر شفقته ﷺ على ابنه الذي جاد بروحه في صباه "كما في حديث أنس بن مالك"، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان ..."، بل شملت الآخرين سواء كانوا من أقربائه ﷺ لحزنه على ابن لإحدى بناته، كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عينا رسول الله ﷺ ...»، أم كانوا من المسلمين عامة كما في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وعيادة رسول الله ﷺ لسعد بن عبادة رضي الله عنه «فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: أقد أفضى؟ قالوا لا يا رسول الله فبكى رسول الله ﷺ...».

إن فيما سبق من أحاديث الباب، تمثيل حي وتصوير دقيق، لما ينبغي أن يكون عليه المربون والمعلمون من الرحمة والشفقة بتلاميذهم، "فبقدر حرص المربين على غرس الروح الإسلامية في الناشئة والحفاظ على الصفاء والرحمة في نفوسهم فإنهم مدعوون إلى معاملة تلاميذهم بالرحمة والشفقة التي تحقق نموهم السوي عملاً بهدي الرسول ﷺ وأسوة بسلوكه الرحيم إزاء صحابته ومجتمعه كله، وإذا كان الرفق والشفقة محببان ومطلوبان في معاملة الناس بعضهم البعض، فإن الرفق في التربية واجب أكيد لا تجوز الغفلة عنه.

إن الهدي النبوي يجعل من الرفق والشفقة زينة وجمالاً يحلي سلوك الناس، كما يجعل من العنف والشدة في غير مواضعها قبحاً يشين أعمالهم ويزيل ما فيها من رواء وبهاء، وها هو ﷺ يدعو عائشة للرفق وهو نصح للأمة كلها سيما أولئك الذين يتولّون مقاعد التربية والإرشاد"[1]، فعن المقدام بن شريح عن أبيه قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها عن الْبَدَاوَةِ فقالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَبْدُو إِلَى هذِهِ التِّلاَعِ وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبِدَاوَةَ مَرَّةً

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبو لبابة حسين ص ٥٧، ٥٨.

فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحَرَّمَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَقَالَ يَا عَائِشَةُ ارْفُقِي فَإِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ شَانَهُ»[1].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في أحاديث الباب عدة أساليب تربوية، يستفاد منها في طرائق التدريس والتعليم، من ذلك:

أ- الممارسة العملية: ويتضح ذلك جليًا في بكاء النبي ﷺ في الأحاديث الثلاثة: أحاديث الباب: فبكى رسول الله ﷺ"، ففاضت عينا رسول الله ﷺ "فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان" وذلك لمّا رَأَى مَنْ في الموت.

ويمكن للمعلم أن يستخدم الممارسة العملية والتجربة عن طريق قيامه ببعض الأفعال التدريسية لتقريب المعاني إلى أذهان المتعلمين أو غرس القيم الإيجابية ونزع القيم السلبية من نفوسهم.

ب- التربية بالمواقف والأحداث: ويتضح ذلك في أحاديث الباب الثلاثة أيضًا، من ذلك -كما في الحديث الأول- "فبكى رسول الله ﷺ فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بَكَوْا فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم" وأشار إلى لسانه. والمعلم البارع من يستثمر المواقف المختلفة لغرس الأهداف التربوية في نفوس المتعلمين، وكذلك تعليمهم المهارات والمعارف المطلوبة.

ج- المناقشة والحوار: كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: "فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء". وكما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: يا ابن عوف إنها رحمة". وأسلوب المناقشة والحوار من شأنه أن يفعل موقف المتعلم في العملية التعليمية وأن ينقله من المتعلم السلبي إلى المتلقي الإيجابي والمشارك الفعال في موقف التعليم والتعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٤٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٦٥).

١٥٤- باب الكف عن ما يرى من الميت من مكروه

الحديث رقم (٩٢٩)

٩٢٩- عن أَبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ غَسَّلَ مَيتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ[1] أربَعِينَ مَرَّة)) رواه الحاكم[2]، وقال: صحيح عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو رافع: هو أَسْلم، مولى رسول الله ﷺ، غلبت عليه كنيته، واختلف في اسمه فقيل: أَسْلم، وقيل: إبراهيم، وقيل: هُرمز.

وهو من قبط مصر، وكان للعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، فوهبه للنبي ﷺ، فلمَّا أسْلم العباس رضي الله عنه بشَّر أبو رافع النبي ﷺ بإسلام عمه العباس، فأعتقه النبي ﷺ.

وكان إسلامه قبل بدر، وكان مقيمًا بمكة، فلم يشهد بدرًا. وشهد أحدًا والخندق وما بعدها من المشاهد.

وقد زوجه النبي ﷺ سَلمى مولاته، فولدت له عُبيد الله بن أبي رافع فكان كاتبًا لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقد استأذن النبي ﷺ يومًا حتى يصيب من الصدقة فمنعه النبي ﷺ وقال له ((إن الصدقة لا تحلُ لنا وإنَّ مواليَ القوم من أنفسهم))[3].

وقد روى عن النبي ﷺ، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. وتُوفِّي بالمدينة، قبل مقتل

---

(١) لفظ الحاكم: (غفر له).

(٢) المستدرك ١/٣٥٤. وقال الهيثمي في المجمع ٣/٢١: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٣٠ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح. وقال الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية ٤/١٦٣: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٣) خرجه الترمذي رقم ٥٧)، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥٣٠).

عثمان بن عفان ﷺ، وقيل: في خلافة عليّ بن أبي طالب ﷺ[١].

غريب الألفاظ:

مولى: حليف وتابع[٢].

الشرح الأدبي

الإسلام حفظ حال المسلم حياً، وميتاً، وهذا الحديث من الأحاديث التي ترغب في حفظ حال الميت، وما يعتريه من تغير بسبب سكرات الموت، وما أخفاه في حياته، وقد جاء الترغيب بصورة الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقوله (مَنْ غَسَّلَ مَيتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ أربَعِينَ مَرَّةً) ربط تغسيل الميت بقيد الكتم عنه، بالمغفرة اربعين مرة، وذكر العدد يؤكد المعنى.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أنه يستحب للغاسل أثناء تغسيله للميت إذا رأى ما يعجبه من استنارة وجه وطيب ريح، أن يتحدث عنه ندبًا.

وإن رأى ما يكره من سواد وجه ونتانة رائحة ونحوها، ستره وجوبًا.

إلا لمصلحة، كأن كان الميت صاحب بدعة ظاهرة، فحينئذ إن رأى ما يكره فلا

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/٧٣-٧٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٤٦٨-١٤٦٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٠، ٨٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٣٠٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٥٢٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/١٦-١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٦/١٠٢-١٠٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

يجب عليه ستره، بل يجوز التحدث به لينزجر الناس عن بدعته. أما إذا كان صاحب بدعة مستترة، فلا يتحدث بما رأى إلا أمام المطلعين على بدعته، المائلين إليها، لعلهم ينزجرون بذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الستر على الميت عند تغسيله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الستر على الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الستر على الميت عند تغسيله:

هذا واضحٌ من الحديث، قال ابن عثيمين: (والذي يُرَى من الميت من المكروهات نوعان: النوع الأول: ما يتعلق بحاله، النوع الثاني: ما يتعلق بجسده.

الأول: لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه واسود وقبح. فهذا - والعياذ بالله - دليل على سوء خاتمته - نسأل الله العافية - فلا يحل له أن يقول للناس: إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة، لأن هذا كشف لعيوبه، والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل، إن كان عمل خيرًا، فالله يجزيه الحسنة بعشرة أمثالها، وإن كان غير ذلك ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[2].

الثاني: ما يتعلق بجسده كأن يرى بجسده عيبًا، كأن يرى برصًا أو سوادًا خلقيًا أو غير ذلك مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره، فهذا أيضًا لا يجوز له أن يكشفه للناس، ويقول رأيت فيه كذا وكذا، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يجب على الغاسل أن يستر ما رآه إن لم يكن حسنة، أما إذا رأى خيرًا بالميت واستنارة بوجهه أو رآه يبتسم فهذا خير، وليخبر به الناس، لأنه يجعل الناس يثنون عليه خيرًا ولا بأس به، ولا يعد هذا من الرياء أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يعد من عاجل بشرى المؤمن، لأن المؤمن قد يكون

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٥/٥، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣٠٥/١.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

له مبشرات، ومن هذه مثلاً أن يُرى بعد موته على حالة حسنة، وكذلك يرى الرؤيا الحسنة لنفسه، أو يراها له غيره، كل هذه من المبشرات التي تبشر بالخير.

ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يكره لغير المعين في غسله أن يحضر غسله، حتى ولو كان قريبًا له، لأنه ربما يرى ما يكره فيكون في ذلك إساءة إلى الميت)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي أن يكون غاسل الميت ثقة أمينًا وعارفًا بأحكام الغسل... ولا يجوز له إذا رأى من الميت شيئًا مما يكره أن يذكره إلا لمصلحة... وإن رأى حسنًا مثل أمارات الخير من وضاءة الوجه ونحو ذلك، استحب له إظهاره، ليكثر الترحم عليه، ويحصل الحث على طريقته، والتبشير بجميل سيرته إلا إذا كان الميت مبتدعًا، ورأى الغاسل منه ما يكره، فلا بأس أن يحدث الناس به، ليكون زجرًا لهم عن البدعة)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الستر على الميت:

هذا واضحٌ من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أنه يغفر أربعين مرّة لمن غسل ميتًا وكتم عليه. وقد قال النبي ﷺ ((مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٣].

قال الشوكاني: (فيه الترغيب في ستر عورات المسلم، وظاهره عدم الفرق بين الحي والميت، فيدخل في عمومه ستر ما يراه الغاسل ونحوه من الميت، وكراهة إفشائه والتحدث به. وأيضًا قد صح أن الغيبة هي ذكرك لأخيك بما يكره[٤]، ولا فرق بين الأخ الحي والميت، ولاشك أن الميت يكره أن يُذكر بشيء من عيوبه التي تظهر حال موته، فيكون على هذا ذكرها محرمًا)[٥].

وروي عن النبي ﷺ بإسناد ضعيف أنه قال: ((مَنْ غَسَلَ مَيْتًا فَأَدَّى فِيهِ الأَمانَةَ وَلَمْ

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١١٩٤ - ١١٩٥. وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٥٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٥٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره".

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٩٥.

يُفْشِ عَلَيْهِ ما يكونُ عِنْدَ ذلكَ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[١].

قال الشوكاني: (المراد بتأدية الأمانة، إما كتم مايرى منه مما يكرهه الناس، أو يكون المراد بتأدية الأمانة أن يغسله الغسل الذي وردت به الشريعة، لأن العلم عند حامله أمانة، واستعماله في مواضعه من تأديتها)[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من آخر الحديث "غفر الله له أربعين مرة" ولاشك أن هذا الترغيب دفعٌ للمدعوين، أن ينشطوا لالتزام هذا الأدب الجميل والخلق الرفيع، فيسود بينهم الستر وكتمان الأشياء التي تكره، لأن ذلك طريق لأن ينالوا هذاالفضل العظيم من الله سبحانه وتعالى.

---

[١] اخرجه أحمد ١١٩/٦، ١٢٠ رقم ٢٤٨٨١، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٣٧٤/٤١.

[٢] نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من احاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على احترام الإنسان والحفاظ على كرامته حياً كان أو ميتاً:

إن من أسمى أهداف التربية الإسلامية: الحفاظ على كرامة الإنسان حياً كان أو ميتاً وتحقيق منتهى الكرامة الإنسانية له[1]، وقد جاء حديث الباب مرغباً في ستر الميت والحفاظ على كرامته -وذلك لعموم الناس- خاصة من باشر تغسيله، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً».

لقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان فحرم إيذائه مادياً، فحرم أشد التحريم أن يُضرب إنسان بغير حق، أو يجلد ظهره بغير حد، وأنذر باللعنة من ضرب إنساناً ظلماً، ومن شهده يُضرب ولم يدفع عنه، وبهذا حمى بدن الإنسان من الإيذاء.

كذلك حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان، فحرم الهمز واللمز والتنابز بالألقاب والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس وغير ذلك، وبهذا حرم نفس الإنسان من الإهانة.

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان في حالة حياته فحسب، بل كفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه، والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته خلافاً للأمم التي تحرق جثث موتاها.

وكما حمى جسمه بعد الموت حمى عرضه وسمعته أيضاً لئلا تلوكها الأفواه[2] وتتداولها الألسن، ومن شواهد ذلك ما جاء في حديث الباب من الستر عليه وأولى الناس بهذا مَنْ قاموا بمباشرة تغسيله وتكفينه...، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً». إذ أن "الستر على المؤمن وهو حي مطلوب واجب، وإذا مات كان الستر عليه أوجب، لأن الحي يقدر على ستر نفسه والميت لا يقدر على ستر عيوبه.

لذا ينبغي على المربين غرس روح الاحترام للمسلم في نفوس المتعلمين، فحرمة المسلم

---

(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ٣٣.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٧، ٨٨.

مصونة حياً وميتاً، من رأى من أخيه عيباً فينبغي عليه أن يكتمه ويستر عليه"[١].

ثانياً- التربية بالترغيب:

من أساليب التربية الإسلامية: التربية بالترغيب من خلال بيان الثواب المنوط بالعمل مما يعد من أشد الدوافع المحفزة على العمل، كما جاء في حديث الباب من الوعد بالمغفرة أربعين مرة لمن غسَّل ميتاً فكتم عليه، فقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً».

ففي ذلك ترغيب بالمغفرة أربعين مرة لمن ستر ميتاً وكتم عنه إن ظهر منه شيء يسوؤه أو يسوء أهله.

إن التربية بالترغيب تُحفّز الإنسان على العمل طمعاً في الثواب، وهذا مما يتناسب مع الطبيعة البشرية ولا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان، وقد أكد علماء المسلمين على تشجيع المتربين على السلوك الحسن وإثابتهم عليه، لذا ينبغي على المعلم المسلم أن يبشر ولا ينفر، وأن يرغب المتعلمين في العلم وتحصيله، وفي سلوكهم للمسلك الحسن وأن يثيبهم على ذلك، وعليه أن يعظهم ويحذرهم من الخطأ وأن يجنبهم قدر استطاعته السير في طريقه، ويوضح لهم ما يترتب على ارتكابه من عواقب، وإذا ما وقع المتعلم في الخطأ وكان ذلك بدون وعي أو قصد فبأن يسامح ويعفى عنه، بعد أن يوضح له خطأه، فإذا تكرر الخطأ أو كان متعمداً فإن العقوبة هي الحل، لكنها العقوبة المناسبة للموقف وملابساته على أن يكون الهدف من إيقاع العقاب هو التأديب والإصلاح وليس التعذيب والانتقام"[٢].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٠٩، وبهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي، ٢/١٧٨، ١٧٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦-١٩٠.

١٥٥- باب الصلاة عَلَى الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشْيِيعِ.

الحديث رقم (٩٣٠)

٩٣٠- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيراطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ)) قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: ((مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات، لأنه من المعاني التي لا يتأتى الحديث فيها لأحد إلا نبي فالمعنى يقابل به خال الذهن من الخبر، وقد جاء في أسلوب الشرط الذي يربط الأجر المذكور بشهود الجنازة، والصلاة عليها ثم داعب النفس الطامحة إلى المزيد بمضاعفة الأجر بشرط شهود الدفن، والحديث يحمل لوناً من ألوان التكافل الاجتماعي التي يتميز بها الإسلام، وتزيد أفراده تماسكاً لاسيما في الشدائد، واستفهام المخاطبين (وما القيرطان؟) استفهام على حقيقته يعكس ميلهم إلى تحصيله، وإجابة الرسول أكدت هذا الميل لتجعل منه عزيمة على اغتنام هذا الأجر، قال: (مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ) وهو تشبيه لبيان المقدار على سبيل التقريب والتشبيه بالجبل فيه إشارة إلى عظم الأجر، وقد زاده تعظيماً بالتثنية، كما صعَّده بالوصف بالعظم، مما يجعل قلوب المؤمنين كلفة معلقة بهذا الأجر.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥/٥٢ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤١.

فقه الحديث

١- اتفق الفقهاء على أن المشيع الذي يحضر الجنازة فيصلي على الميت صلاة الجنازة يحصل له من الأجر قيراط. ومن صلى على الجنازة ثم لزمها حتى تمام الدفن فله من الأجر قيراط آخر، وعلى ذلك فإن من صلى على الجنازة ثم لزمها حتى تمام الدفن فإنه يحصل له من الأجر قيراطان.

ولا يحصل على القيراط الثاني إلا بتمام الدفن. وقد فسروا القيراط بأنه مثل جبل أحد في الثواب[١].

وإذا تعددت الجنائز واتحدت الصلاة عليها دفعة واحدة هل يتعدد القيراط بتعددها أم لا؟ الظاهر كما ذكر الأزرعي التعدد[٢].

٢- وأما حكم اتباع الجنازة وتشييعها: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن تشييع الرجال للجنازة سنة لحديث البراء بن عازب: ((أمرنا رسول الله ﷺ باتباع الجنائز...))[٣] والأمر هنا للندب لا للوجوب للإجماع، وقال الزين بن المنير من المالكية: إن اتباع الجنائز من الواجبات على الكفاية، وقال الشيخ مرعي الحنبلي: اتباع الجنائز سنة، وقال الحنفية اتباع الجنائز أفضل من النوافل[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه.

---

(١) شرح النووي ٦٦/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٤٢٧/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٤/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١/٣، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٨٩٣/١.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٤/٢، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ٣١/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٩، ٢٤٤٥، ٥١٧٥، ٥٦٣٥، ٥٦٥٠، ٥٨٣٨، ٥٨٤٩.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/١٦.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣١).

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح المعنى للمدعوين بما هو أقرب إلى أفهامهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين أحياء وأمواتًا.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه:

هذا واضح من الحديثين. فقد أخبر النبي ﷺ عن الجزاء العظيم لمن صلّى على الميت وشيعه وحضر دفنه.

قال أبو العباس القرطبي: "القيراط اسم لمقدار معلوم في العرف، وهو جزء من أربعة وعشرين جزءًا، وقد يراد به: الجزء مطلقًا، ويكون عبارة عن الحظ والنصيب، ألا ترى أنه قال: (كل قيراط مثل أحد) ومقصود هذا الحديث: أن من صلى على جنازة كان له حظ عظيم من الثواب والأجر، فإن صلى عليها واتبعها كان له حظان عظيمان من ذلك، إذ قد عمل عملين، أحدهما: صلاته، والثاني: كونه معه إلى أن يدفن"[1].

قال ابن حجر: "نقل ابن الجوزي عن ابن عقيل أنه كان يقول: القيراط نصف سدس درهم أو نصف عشر دينار، والإشارة بهذا المقدار إلى الأجر المتعلق بالميت في تجهيزه وغسله وجميع ما يتعلق به، فللمصلي عليه قيراط من ذلك، ولمن شهد الدفن قيراط، وذكر القيراط تقريبًا للفهم، لما كان الإنسان يعرف القيراط ويعمل العمل في مقابلته وعدّ من جنس ما يعرف ضرب له المثل بما يعلم" انتهى.

لوقال ابن حجر معلقًا على ذلك: "وليس الذي قال ببعيد، وقد روى البزار من طريق عجلان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من أتى جنازة في أهلها فله قيراط، فإن تبعها فله قيراط، فإن صلى عليه فله قيراط، فإن انتظرها حتى تدفن فله قيراط"، فهذا يدل على أن لكل عمل من أعمال الجنازة قيراطًا، وإن اختلفت مقادير القراريط ولا سيما بالنسبة إلى مشقة ذلك العمل وسهولته، وعلى هذا فيقال: إنما خص قيراطي الصلاة

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٠٤.

والدفن بالذكر لكونهما المقصودين بخلاف باقي أحوال الميت، فإنها وسائل، ولكن هذا يخالف ظاهر سياق الحديث الذي في الصحيح المتقدم في كتاب الإيمان فإن فيه: ((مَنْ تَبِعَ جَنَازَةً حَتَّى يُصَلَّيَ عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ))[١]، فقط؛ ويجاب عن هذا بأن القيراطين المذكورين لمن شهد، والذي ذكره ابن عقيل لمن باشر الأعمال التي يحتاج إليها الميت فافترقا، وذهب الأكثر إلى أن المراد بالقيراط في حديث الباب: جزء من أجزاء معلومة عند الله، وقد قربها النبي ﷺ للفهم بتمثيله القيراط بأحد. قال الطيبي[٢]: "قوله: (مثل أحد)، تفسير للمقصود من الكلام لا للفظ القيراط، والمراد منه أنه يرجع بنصيب كبير من الأجر، وذلك لأن لفظ القيراط مبهم من وجهين، فبيّن الموزون بقوله: (من الأجر)، وبيّن المقدار المراد منه بقوله: (مثل أحد)"[٣].

وقال ابن حجر كذلك: "وأما التقييد بالإيمان والاحتساب في قوله ﷺ: (من اتبع جنازة مسلم إيمانًا واحتسابًا..)، فلا بدّ منه؛ لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية، فيخرج من فعل ذلك على سبيل المكافأة المجردة، أو على سبيل المحاباة، والله أعلم"[٤].

وقال ابن عثيمين: "فإذا شهدت الجنازة حتى يصلى عليها فلك قيراط، وإن استمررت معها حتى تدفن فلك قيراطان، لكن في رواية البخاري[٥]: اشترط أن يكون ذلك إيمانًا واحتسابًا، يعني: إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده واحتسابًا لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت؛ لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان فهو لمن تبعها إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بالله وثقة"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٣/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩٤/٣ - ١٩٥.

(٤) المرجع السابق ١٩٧/٣.

(٥) صحيح البخاري ٤٧.

(٦) شرح رياض الصالحين ١١٩٦/٢.

(وهذا قيد لا بد منه في كل عبادة؛ لأن ترتب الثواب على العمل يستدعي سبق النية[١]، وقال الشيخ عبدالله البسام: "قال بعضهم: اتباع الجنازة على ثلاثة أضرب: أحدها أن يصلي عليها، الثاني: أن يتبعها إلى القبر ثم يقف حتى تدفن، الثالث: أن يقف بعد الدفن على القبر، ويدعو للميت بالمغفرة والرحمة)[٢].

ثانيًا- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من قول راوي الحديث: الصحابي أبي هريرة ﷺ: (قيل وما القيراطان؟)، قال ابن حجر: (لم يعين في هذه الرواية القائل ولا المقول له، وقد بيّن الثاني مسلم في رواية الأعرج هذه فقال: ((قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ يا رسول الله؟))[٣]، وعنده في حديث ثوبان: (وسئل رسول الله ﷺ عن القيراط)[٤]، وبيّن القائل أبو عوانة من طريق أبي مزاحم عن أبي هريرة ﷺ ولفظه: (وما القيراط يا رسول الله؟ ووقع عند مسلم[٥]، أن أبا حازم أيضًا سأل أبا هريرة عن ذلك)[٦].

وقد وقع ذلك من الصحابة ﷺ، أعني السؤال عما لا يفهمونه ولا يكون عندهم علم به، من ذلك حديث أنس بن مالك ﷺ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ لَهُ، وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ، فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ فَضَحْتِ النِّسَاءَ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ. فَقَالَ لِعَائِشَةَ: ((بَلْ أَنْتِ، فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلْ، يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِذَا رَأَتْ ذَاكِ))[٧].

قال النووي: "وأما قوله ﷺ لعائشة ﷺ: (بل أنت فتربت يمينك)، فمعناه: أنت أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها، فلم تستحق

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، الشيخ البسام ٢/٥٣٤.

(٢) السابق ٢/٥٣٤ - ٥٣٥.

(٣) رواية الأعرج في صحيح مسلم ٥٢ - ٩٤٥، لكن ليس فيها: يا رسول الله.

(٤) صحيح مسلم بعد الحديث ٥٧ - ٩٤٦.

(٥) صحيح مسلم ٥٤ - ٩٤٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٩٨.

(٧) أخرجه مسلم ٢٩ - ٣١٠.

الإنكار، واستحققت أنت الإنكار، لإنكارك ما لا إنكار فيه"[١].

وأخرج هذا الحديث أحمد في مسنده وعنده زيادة: ((وَإِنَّا إِنْ نَسْأَلِ النَّبِيَّ ﷺ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْنَا، خَيْرٌ مِنْ أَنْ نَكُونَ مِنْهُ عَلَى عَمْيَاءَ))[٢].

ثالثًا - من مهام الداعية: توضيح المعنى للمدعوين بما هو أقرب إلى أفهامهم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (فإنه يرجع من الأجر بقيراطين مثل أحد). قال ابن هبيرة: "وهذا المقدار الذي هو القيراط خطاب للناس بما يعرفونه"[٣]، قال ابن حجر: "قال الزين بن المنير: أراد تعظيم الثواب، فمثله للعيان بأعظم الجبال خلقًا وأكثرها إلى النفوس المؤمنة حبًا؛ لأنه الذي قال في حقه: ((إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ))[٤]. انتهى.

ولأنه أيضًا قريب من المخاطبين يشترك أكثرهم في معرفته، وخصّ القيراط بالذكر، لأنه كان أقلّ ما تقع به الإجارة في ذلك الوقت، أو جرى ذلك مجرى العادة من تقليل الأجر بتقليل العمل[٥].

وقال العيني: "إنما خصّ القيراط لأن غالب ما تقع به معاملتهم كان بالقيراط، وقد ورد لفظ القيراط في عدة أحاديث، فمنها ما يحمل على القيراط المتعارف، ومنها ما يحمل على الجزء وإن لم تعرف النسبة"[٦].

ومثال ذلك قول النبي ﷺ في وصف سدرة المنتهى في حديث الإسراء والمعراج: ((ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ. وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ))[٧]، قال النووي: (قوله ﷺ: (وإذا ثمرها كالقلال) - بكسر القاف - جمع قلة، والقلة جرة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢/٣/٢٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٣٧٧، رقم ٢٧١١٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٥/٨٥ - ٨٦.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٨١، ومسلم ١٣٩٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣/١٩٥.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨/١٢٨.

(٧) أخرجه البخاري ٣٢٠٧، ومسلم ٢٥٩ - ١٦٢.

عظيمة تسع قريتين أو أكثر)[١]. ولا شك أن تقريب المعنى للمدعوين بما هو قريب لأفهامهم، لمن الوسائل التي تجعل أمور الدعوة واضحة لهم، قريبة منهم، لا يعتريها الغموض ولا اللبس.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ترتيب نيل القيراطين - وهو الثواب العظيم - لمن صلّى على الميت وتبعه حتى دفن.

والذي يبين أثر هذا الترغيب ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما عندما سمع هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: (لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً)[٢].

وفي رواية: (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُصَلِّي عَلَيْهَا ثُمَّ يَنْصَرِفُ؛ فَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَقَدْ ضَيَّعْنَا قَرَارِيطَ كَثِيرَةً)، أي من عدم المواظبة على حضور الدفن)[٣][٤].

قال النووي: "وفيه ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الرغبة في الطاعات حين يبلغهم والتأسف على ما يفوتهم منها، وإن كانوا لا يعلمون عظم موقعه"[٥].

خامسًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين أحياء وأمواتًا

هذا واضح من الحديثين، قال ابن حجر: "وفي حديث الباب من الفوائد غير ما تقدم الترغيب في شهود الميت والقيام بأمره والحض على الاجتماع له، والتنبيه على عظيم فضل الله وتكريمه للمسلم في تكثير الثواب لمن يتولى أمره بعد موته"[٦].

وقال ابن القيم: "كان هديه ﷺ في الجنائز أكمل الهدى مخالفًا لهدي سائر الأمم، مشتملاً على الإحسان إلى الميت ومعاملته بما ينفعه في قبره ويوم معاده، وعلى الإحسان إلى أهله وأقاربه، وعلى إقامة عبودية الحي لله وحده فيما يعامل به الميت،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١٤/٢/١.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢٤، ومسلم ٥٦ - ٩٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢ - ٩٤٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/٧/٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٣ - ١٩٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/٣.

وكان من هديه في الجنائز إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال والإحسان إلى الميت وتجهيزه إلى الله على أحسن أحواله وأفضلها، ووقوفه ووقوف أصحابه صفوفًا يحمدون الله ويستغفرون له، ويسألون له المغفرة والرحمة والتجاوز عنه، ثم المشي بين يديه إلى أن يودعوه حفرته، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره سائلين له التثبيت أحوج ما كان إليه، ثم يتعاهده بالزيارة له في قبره والسلام عليه، والدعاء له كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا"[1].

وقال ابن هبيرة: "لما كان الموت محتومًا على بني آدم، وكان مما شرع الله لعباده منبهًا بذلك على فضله وجوده على المسلمين من أمة محمد ﷺ أنه شرع الصلاة على الميت، ثم شرع في أذكار هذه الصلاة أن يقول المصلون: (اللهم نزل بك، وأنت خير منزول به، كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولا نعلم إلا خيرًا، اللهم إن كان محسنًا فجازه بإحسانه، وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه، جئناك شفعاء فيه طالبين له)[2]، فمن تنبه لجود الله وفضله، علم أنه لم يشرع هذا بهذه الأذكار إلا وهو سبحانه يقبل شفاعة الشافعين، ويرحم المشفوع فيه.

ثم لما كان مواراة المسلمين وشهود جنائزهم من فروض الكفايات وقد وعد رسول الله ﷺ في ذلك بما وعد من الأجر، وهو قيراطان، كل منهما مثل جبل أحد، كان اتباع الجنائز إيمانًا بحصول ذلك، يبلغه مع الإيمان بثقل صنجته أيضًا من خصال الإيمان"[3].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٩٨/١.

(٢) قال النووي في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ١٨٦: "واختار الشافعي دعاء التقطه من مجموع هذه الأحاديث وغيرها... فذكره.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٩٠/٦ - ٣٩١.

الحديث رقم (٩٣١)

٩٣١- وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الأَجْرِ بِقيراطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقيرَاطٍ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا لوجه الله وثوابه[2].

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ٣هـ وهو جبل أحمر، بينه وبين المدينة المنورة قرابة ميل في شماليها[3].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، وقريب منه في الأسلوب مع بعض الاختلاف من بعض الأوجه ومن هذه الأوجه: أنه نص في هذه الرواية على صفة الإسلام بينما فهمت ضمناً في الرواية السابقة من قوله (يصلى عليها) كما نص على الإيمان، والاحتساب الذي يعني الإخلاص، ومن أوجه الخلاف أيضاً أن المشبه به، وهو الجبل محدد، وفي تحديده توكيد للمعنى لاسيما، وأن المخاطبين يرونه ذهاباً، وإياباً، ثم إنه نص في هذه الرواية على النقص (ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقيرَاطٍ) بينما نص في الرواية السابقة على الزيادة (وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ)، وعظم الثواب الذي ينص عليه

---

(١) برقم ٤٧. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٣) انظر أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣، وأطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١١٩.

الحديث يجعل المؤمن في قمة الحرص على اتباع الجنازة التي تحمل مظهراً من مظاهر التكافل الاجتماعي بين المسلمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٢)

٩٣٢-وعن أم عطية رضي الله عنها، قالت: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم عطية الأنصارية: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٣).

غريب الألفاظ:

ولم يعزم علينا: لم يشدد في النهي كما يشدد في المحرمات[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث خبر قصير عن أم عطية رضي الله عنها نقلت فيه النهي عن اتباع الجنائز بطريقة خبرية وقولها: (نهينا عن اتباع الجنائز) والحديث بضمير الجمع يؤكد المعنى وهو الخبر المنقول على الصفة المذكورة، وقولها: (وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا) تكميل بلاغي عكس انطباعها عن هذا النهي، وأنه لم يكن جزماً، لأنها فهمت من النبي ﷺ أن ذلك النهى إنما أراد به ترك ما كانت الجاهلية تقوله من الهجر وزور الكلام وقبيحه، ونسبة الأفعال إلى الدهر، فهى إذا تركت ذلك وبدلت منه الدعاء والترحم عليه كان خفيفًا، فهذا يدل أن الأوامر تحتاج إلى معرفة تلقى الصحابة لها، وينظر كيف تلقوها - كما ذكر ابن بطال -.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم اتباع النساء للجنائز.

وقد اختلف الفقهاء في حكم اتباع النساء للجنائز على قولين:

القول الأول: ذهب الظاهرية إلى أن اتباع النساء للجنائز جائز ولا كراهة فيه ولا

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٧٨، ومسلم ٩٣٨/٣٥ ولفظهما سواء.

(٢) رياض الصالحين ٣٦٥.

يمنعن من ذلك، وأن الآثار التي أفادت كراهة اتباع النساء للجنائز ليس منها شيء يصح لأنها إما مرسلة، وإما عن مجهول وإما عمن لا يحتج به[١].

القول الثاني: ذهب جمهور الفقهاء إلى كراهة اتباع النساء للجنائز وتحمل الكراهة على الكراهة التنزيهية، وليس المقصود من النهي التحريم، لأن النبي ﷺ وإن كان قد نهى نهيًا شديدًا إلا أنه غير محتم[٢].

وحكى الشوكاني عن القرطبي أنه قال: (إذا أمن تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك فلا مانع من الإذن لهن، ثم قال الشوكاني: هذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين الأحاديث المتعارضة)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: نهي النساء عن اتباع الجنائز.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

هذا واضح من قول أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا)، "والنهي في اللغة: هو المنع وفي اصطلاح الأصوليين: هو اللفظ الذي يدل على طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٤]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾[٥]، فقد طلب الله

---

(١) المحلى، ابن حزم ٣/٣٨٧.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٣٧، ٢٣٨، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١/٣٦٩، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/٢، وفتح الباري، ابن حجر ١٣/٣٣٧، ٣٣٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢/٣٥٤، والكافي ١/٣٦٨، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٣٦٨.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤/٩٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١١.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

تعالى الكف عن الفساد في الأرض وعن قرب الزنى، وهذا الطلب وقع على سبيل الاستعلاء، أي: أنه صدر من الله الأعلى إلى الإنسان الأدنى المأمور والمطيع والعابد"[١].

وقال عبدالله البسام: "يدل الحديث على النهي عن اتباع النساء الجنائز لما عندهن من الضعف والرقة، وعدم التحمل للمصائب، فيخرج منهن أقوال وأفعال محرمة تنافي الصبر الواجب"[٢].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: النساء:

هذا واضح من الحديث. قال عبدالله البسام: "الأصل أن الأحكام الشرعية عامة بين الرجال والنساء، ولكنه توجد أحكام كثيرة تخص أحد الجنسين دون الآخر، فالتفريق بين الرجال وبين النساء في بعض الأحكام له أصل في الشرع، وهذا يدل على الحكم السامية في التشريع الإسلامي، ويشرع لكل جنس ما يناسبه من الأحكام وينزل كل أحد بما يليق به"[٣].

"وقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٤]، وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها، ويكفي أن نقول: إن أول مخلوق آمن بمحمد ﷺ هو امرأة: خديجة رضي الله عنها. وإن أول من قدم ماله هو امرأة: خديجة رضي الله عنها. وإن أول من استشهد هو امرأة: سمية رضي الله عنها، وإن أسماء رضي الله عنها كانت صاحبة النطاقين، وإن المرأة هي أم الشهداء: الخنساء رضي الله عنها، وإن أم عُمارة رضي الله عنها قد جاهدت بالسيف في سبيل الله تعالى. وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء أكانت بنتًا أم زوجة أم أمًا. فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة

---

(١) تعليم علم الأصول، د. نور الدين مختار الخادمي، ط/١ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٧/٢.

(٣) المرجع السابق ٥٣٧/٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم. وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: نهي النساء عن اتباع الجنائز:

هذا واضح من الحديث، وقد بوّب البخاري في صحيحه على هذا الحديث، باب: اتباع النساء الجنائز"[٢].

قال ابن حجر: "قوله: باب: اتباع النساء الجنائز، قال الزين بن المنير: فصل المصنف [أي البخاري] بين هذه الترجمة، وبين فضل اتباع الجنائز بتراجم كثيرة، تشعر بالتفرقة بين النساء والرجال، وأن الفضل الثابت في ذلك يختص بالرجال دون النساء، لأن النهي يقتضي التحريم أو الكراهة، والفضل يدل على الاستحباب، ولا يجتمعان، وأطلق الحكم هنا لما يتطرق إليه من الاحتمال، ومن ثم اختلف العلماء في ذلك، ولا يخفى أن محلّ النزاع إنما هو حيث تؤمن المفسدة"[٣].

ثم قال ابن حجر: "قولها: (لم يعزم علينا)، أي ولم يؤكد علينا في المنع كما أكد علينا في غيره من المنهيات، فكأنها قالت: كره لنا اتباع الجنائز من غير تحريم. وقال القرطبي[٤]: ظاهر سياق أم عطية أن النهي نهي تنزيه، وبه قال جمهور أهل العلم. ومال مالك إلى الجواز وهو قول أهل المدينة"[٥].

وبيّن ابن عثيمين المفاسد الناشئة عن اتباع المرأة الجنازة، ويذهب إلى أن الصحيح هو أن اتباع المرأة للجنازة حرام، فيقول: "لأنها إذا تبعتها فهي لا شك ضعيفة [أي ضعيفة

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٢) الباب رقم ٢٩ من كتاب: الجنائز وهو برقم ٢٣، والحديث برقم ١٢٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٩١/٢ - ٥٩٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٣.

الثبات] فربما تصيح وتولول وتضرب الخد، وتنتف الشعر وتمزق الثوب، لا تصبر المرأة. وأيضًا ربما يحصل اختلاط بين الرجال والنساء في تشييع الجنازة، فيحصل بذلك فتنة وتزول الحكمة من اتباع الجنائز، بحيث يكون الرجال أو الأراذل من الرجال يكون ليس لهم همّ إلا ملاحقة هؤلاء النساء أو التمتع بالنظر إليهن؛ فالواجب منع النساء من اتباع الجنائز فهو حرام ولا يجوز"[١].

وقال عبدالله البسام: "النهي ظاهره التحريم، وأما قول أم عطية رضي الله عنها: ((وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا))، فهو رأي لها، ظنت أنه ليس نهي تحريم، والحجة قول الشارع، كما يدل على أن النهي للتحريم ما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور[٢]، وهو حديث صحيح بشواهده، فمتبع الجنازة سيزور القبور، واتباع الجنازة في معنى الزيارة، ولهذا فالأحوط أن النهي في الحديث هو للتحريم)[٣]، لكن الشوكاني قال: "قال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يقتضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجل والنساء. انتهى، وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين الأحاديث المتعارضة في الظاهر"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١١٩٦/٢.

(٢) أخرجه أحمد ٣٣٧/٢ رقم ٨٤٤٩، والترمذي ١٠٥٦، وابن ماجه ١٥٧٦، وابن حبان ٣١٧٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي بعضها: (لعن زوارات القبور)، وله شواهد منها: حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقد أخرجه أحمد ٢٨٧/١ رقم ٦٠٣، وانظر فيه: تمام تخريجه وشواهده ٣٦٣/٤. والحديث حسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٨١.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٨/٢.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٤٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالترغيب:

ورد استخدام أسلوب الترغيب في أحاديث الباب حيث رغب النبي ﷺ في اتباع الجنائز وتشييعها بالثواب العظيم، فقال ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ. وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ» قِيلَ: وَمَا الْقِيرَطَانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ».

لذا ينبغي على المربين ألا يهملوا جانب الترغيب في التربية لما له من أهمية بالغة في العملية التعليمية والتربوية، وتأتي أهمية هذا الأسلوب التربوي نظراً لموافقته "ما فُطِرَ عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم والرفاهية وحسن البقاء، والرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير"[1].

لكن على المربي أن يكون حكيماً في استخدامه لأسلوب الترغيب وكذا الترهيب، فالمربي "طبيب بارع وصيدلي ذكي يقطف من الأساليب والوسائل ما يشفى به النفوس ويطب به القلوب، وهو كذلك مرشد خبير ودليل ناصح أمين، يضيء بمصابيح القرآن وقناديل السنة دروب السالكين وسبل القاصدين".

كما أن الترغيب ليس هو من أحلام اليقظة ولا من الوعود المعسولة، وإنما هو تنشيط للهمم، وتشجيع للطاقات وشحذ للعزائم، فهو كالجائزة للمتسابقين في مضمار الإحسان والإنتاج والاجتهاد، وهذا هو طريق المتقين وأسلوب الدعاة العاملين الفاقهين، وصدق الله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2][3].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، "الرسالة، الوسيلة، الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢- ٢١٤.

ثانياً- التربية بالأمثال:

إن من سمات المعلم الحاذق والمربي الأريب أن يكون تعليمه واستخدامه لأساليب التربية من ترغيب وترهيب وغيرهما "مصحوباً بتصور فني رائع بأسلوب واضح، وأن يحسن استخدامه للصور والمعاني في عرضه لعقاب الله وثوابه ليقربها إلى أفهام الناشئين"[١]. ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب تقريبه ﷺ لثواب تشييع الجنائز وتشبيهه في حجمه وثقله كحجم الجبل العظيم كما جاء في صريح قوله ﷺ: «مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ» وقوله: «كلُّ قِيراطٍ مِثْلُ أُحُدٍ».

فنجد في أحاديث الباب أحد أهداف التربية بالأمثال وهو تقريب المعنى إلى الأفهام وزيادة الإيضاح بتجسيد الشيء المعنوي في صورة حسية ليكون قريباً للفهم، حيث قرب لنا ﷺ حجم ثواب تشييع الجنازة بحجم الجبل العظيم.

إن التربية بالأمثال تؤثر في النفس تأثيراً واضحاً بذكر المثل الواضح الذي يشجع على العمل أو ينفر منه[٢]، وذلك له أكبر الأثر وأقوى الدوافع إلى تعديل السلوك، وكذلك الحماسة إلى الأمر المرغوب فيه[٣].

ثالثاً- التربية على إخلاص النية:

إن أهم الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية: إخلاص النية لله تعالى، والإتيان بالعمل "بدافع الإيمان والإخلاص لله تعالى لا رغبة في التظاهر أو مناً على الناس أو رداً للجميل"[٤]. وقد جاء في أحد أحاديث الباب بيان أن استحقاق الثواب على العمل - كتشييع الجنائز -متوقف على صحة النية وصدق التوجه- فقال ﷺ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنازَةَ مُسْلم، إيماناً واحْتِساباً، وَكانَ مَعَهُ حتى يُصَلَّى عليها...».

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأصولها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٢.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٠٦- ٢٠٩.

(٣) انظر: التربية بضرب الأمثال، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ١٥٠.

رابعًا- التربية الاجتماعية:

تضمن الحديثان الأولان من أحاديث الباب جانبًا من جوانب التربية الاجتماعية، وذلك من خلال تقوية جانب حرص المسلمين على تأدية حق من حقوق الأخوة في الإسلام: الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه، وذلك عن طريق الترغيب في تأدية هذا الحق أو هذه الحقوق.

إن زرع الإخلاص وغرس المراقبة في النفوس وتصحيح العقيدة أساس لا غنى عنه في التربية الإسلامية، "فإذا كانت التربية تعني إكساب سلوك أو أخلاق أو قدرة على عمل معين لدى الإنسان، فلكي تنجح هذه المسألة وتتم بكفاءة أكثر، لابد من العقيدة الصحيحة التي نربى على أساسها النفوس للصلة الشديدة والارتباط الوثيق بين العقيدة وبين السلوك والأخلاق.

إن التربية الصحيحة وإكساب الأخلاق، لا يمكن أن يتم بمجرد التلقين الصوري، وإنما تؤتي هذه العملية ثمارها حين تستند إلى عقيدة سليمة وتوجهٍ صحيح"[1].

إن أهم ما ينبغي غرسه في نفوس المتربين الإخلاص لله تبارك وتعالى، فإن النية والإخلاص فيها يجعل العمل الصغير عظيماً، كما أنه قد يجعل ثواب العمل الكبير صغيراً أو معدوماً، لذا يجب على المسلم الحق أن يراعي صفاء النية لينال فضيلة الإخلاص، إذا أن نية الرياء تُصَيِّر الطاعات معاصي لأنها لم يبتغ بها وجه الله عز وجل[2].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ١٣٧- ١٣٩.

(٢) انظر: الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد ص ٣٢.

١٥٦- باب استحباب تكثير المصلين عَلَى الجنازة

وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

الحديث رقم (٩٣٣)

٩٣٣- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِئَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ، إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم(٢).

غريب الألفاظ:

أمة: جماعة[2].

يشفعون له: الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[3]. والمعنى: يدعون الله بأن يغفر له.

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ باستغراق الجنس بالإضافة وقوع النكرة (ميت) في سياق النفي والتي حققت العموم، وقوله (أمة) تشير إلى الاجتماع، وقوله (من المسلمين)، لأن شفاعة غيرهم لا تصلح في هذا الموضع، وذكر العدد يؤكد معنى الاجتماع المفهوم من لفظ أمة، ولفظ كل المضاف للضمير (هم) يؤكد المعنى، وينفي وهم المبالغة في الشفاعة، والحديث قائم على أسلوب القصر لمعنى صلاة العدد المذكور من المسلمين، وشفاعتهم له على تحقق الشفاعة مما يرغب في تكثير المصلين على الجنازة.

---

(١) برقم ٩٤٧/٥٨. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٤٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ م م).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٦٥٩.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام الآتية:

أولاً: حكم الجماعة في صلاة الجنازة: تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف ولكن السنة أن تصلى جماعة وذلك لإجماع المسلمين على ذلك[١].

ثانيًا: حكم تجزيئ الصفوف إلى ثلاثة فصاعدًا: يستحب أن تكون صفوف المصلين ثلاثة فصاعدًا[٢].

ثالثًا: أقل العدد الذي تصح به صلاة الجنازة: قيل بأن أقل عدد تصح به صلاة الجنازة ثلاثة لأن أقل الجمع ثلاثة. وقيل يكفي واحد لأنها صلاة ليس من شرطها الجماعة، فلم يكن من شرطها العدد كسائر الصلوات[٣].

رابعًا: حكم صلاة الجنازة في المسجد: مذهب الحنفية أنه تكره الصلاة على الجنازة في المسجد، وقال ابن عابدين إذا كانت عادة أهل البلاد ذلك لتعذر المكان فينبغي الإفتاء بالقول بكراهة التنزيه الذي هو خلاف الأولى. وقال مالك: أكره أن توضع الجنازة في المسجد. وقال الشافعية: تندب الصلاة على الميت إذا أمن تلويثه أما إذا خيف تلويث المسجد فلا يجوز إدخاله. وقال الحنابلة: تباح الصلاة على الجنازة في المسجد مع أمن تلويثه، فإن لم يؤمن لم يجز)[٤].

خامسًا: حكم صلاة النساء: وأما النساء فإن كن مع الرجال صلّين مقتديات بإمام الرجال، وإن تمحضن استحب أن يصلين منفردات كل واحدة وحدها فإن صلّت بهنّ إحداهن جاز.

وذهب جماعة من السلف منهم الحسن بن صالح وسفيان الثوري وأحمد وأصحاب

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٢/٥، وحاشية البجيرمي على شرح الخطيب ٢٧٧/٢، والبحر الزخار ١١٥/٣.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧٢/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٠/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٢/٥.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ٣٦/١٦.

أبي حنيفة إلى أنه تسن لهن الجماعة، وقال الإمام مالك يصلين فرادى[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب تكثير المصلين على الجنازة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم إليه النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب تكثير المصلين على الجنازة:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة، ولعل ما يوضح الأمر أكثر أن حديث ابن عباس فيه قصة، وهي عن كريب مولى ابن عباس عن عبدالله بن عباس: ((أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ أَوْ بِعُسْفَانَ. فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ! انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ. فَأَخْبَرْتُهُ. فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَخْرِجُوهُ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[٣]. قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يدل على أن المصلين على الميت شفعاء فيه، وأنهم كلما كثروا كان أفضل عند الله عز وجل)[٤].

قال الشوكاني: ("قوله يبلغون مائة"[٥]: فيه استحباب تكثير جماعة الجنازة ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد والذي يكون من موجبات الفوز، وقدر ذلك بأمرين: الأول: أن يكونوا شافعين فيه، أي مخلصين له الدعاء. الثاني: أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئًا كما في حديث ابن عباس)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٧١/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣٤، ٩٣٥).

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٨.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٣٠/٣.

(٥) وذلك في حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٣.

وقال ابن عثيمين: (وكلها [أي هذه الأحاديث] تدل على أنه كلما كثر الجمع على الميت كان ذلك أفضل وأرجى للشفاعة، ففي حديث عائشة أنه من صلّى عليه طائفة من الناس يبلغون مائة يشفعون له إلا شفعهم الله فيه، ومعلوم أن المصلين على الجنازة يشفعون إلى الله عز وجل لهذا الميت، فهم يسألون من الله له المغفرة والرحمة، والدعاء للميت في الجنازة من أوجب ما يكون في الصلاة، بل هو ركن من أركان الصلاة لا تصح صلاة الجنازة إلا به، إلا المسبوق، وحديث ابن عباس يدل على أنه من قام على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه - أي قَبِل شفاعتهم فيه - وهذه بشرى للمؤمن، إذا كثر المصلون على جنازته فشفعوا له عند الله أن الله تعالى يشفعهم فيه.

أما حديث مالك بن هبيرة ففيه أن الرسول ﷺ قال: من صلّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب، يعني وجبت له الجنة، وهذه الأحاديث كلها تدل على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، ولهذا نجد أن بعض الناس إذا صلى على جنازة في مسجد نبه أهل المساجد الأخرى ليحضروا إليه، حتى يكثر الجمع، فينبغي للإمام إذا رأى الناس جاءوا ليشهدوا صلاة الجنازة قد فاتهم شيء من صلاة الفريضة ألا يتعجل بالصلاة على الميت، حتى ينتهي الذين يقضون صلاتهم ليشاركوا الحاضرين في الصلاة على الميت، فيكون ذلك أكثر للجمع، وربما تكون دعوة واحد منهم هي المستجابة، وكون بعض الناس بعد ما يسلم يقوم ويصلي على الجنازة وخلفه صف أو أكثر فهذا - وإن كان جائزًا- لكن الأفضل أن ينتظر حتى يتم الناس صلاتهم ويصلون على الجنازة وهذا لا يفوت شيئًا كثيرًا، غاية ما هنالك عشر دقائق على الأكثر)[1].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

هذا واضحٌ من هذه الأحاديث التي بينت فضل الله على عبده الميت في قبوله دعاء المصلين[2]. قال الطيبي: (قال التوربشتي: لا تضاد بين حديث كريب وحديث عائشة،

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١١٩٧-١١٩٨.

(٢) أي المصلين عليه صلاة الجنازة التي من مقصودها الدعاء له.

لأن السبيل في أمثال هذا المقام أن يكون الأقل من العددين متأخرًا، لأن الله تعالى إذا وعد المغفرة في المعنى الواحد مرتين، وإحداهما أيسر من الأخرى، لم يكن من سنته أن ينقص من الفضل الموعود بعد ذلك، بل يزيد عليه فضلاً منه وتكرمًا على عباده. أقول [أي الطيبي]: هذا كلام حسن، لأن الحديث الثاني [أي حديث عائشة في تحديد العدد بمائة] فيه مبالغة وتشديد ليس في الأول، وذلك أنه ﷺ جعل قوله: "يصلى عليه أمة من المسلمين" توطئة لقوله "يبلغون مائة" ثم أكد بقوله كلهم يشفعون له"[١].

قال المباركفوري: (في قوله ﷺ "من صلّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب" فمعنى أوجب أي: أوجب الله عليه الجنة، أو أوجب مغفرته وعدًا منه وفضلاً)[٢].

قال النووي: (يحتمل أن يكون النبي ﷺ أُخبر بقبول شفاعة مائة فأُخبر به، ثم بقبول شفاعة أربعين، ثم ثلاثة صفوف، وإن قل عددهم. فأخبر به. ويحتمل أن يقال: هذامفهوم عدد ولا يحتج به جماهير الأصوليين، فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف، وحينئذٍ كل الأحاديث معمول بها، ويحصل الشفاعة بأقل الأمرين: من ثلاثة صفوف وأربعين)[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: (قيل: سبب هذا الاختلاف اختلاف السؤال، وذلك أنه سئل مرّة عمن صلّى عليه مائة واستشفعوا له فقال: "شفعوا"، وسئل مرة أخرى عمن صلّى عليه أربعون فأجاب بذلك، ولو سئل عن أقل من ذلك لقال ذلك. والله أعلم. إذ قد يستجاب دعاء الواحد ويقبل استشفاعه)[٤].

وقال ابن تيمية: (قد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب، فذكرها وذكر منها: (السبب الرابع -الدافع للعقاب-: دعاء

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٨/٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٩٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠/٩/٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٠٥/٢.

المؤمنين للمؤمن، مثل صلاتهم على جنازته، فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مَائَةً. كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ. إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ))[١] وعن ابن عباس قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ))[٢] رواهما مسلم، وهذا دعاء له بعد الموت، فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن النقي الذي اجتنب الكبائر وكفرت عنه الصغائر، وحده، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين [أي عند أهل الاختلاف من أهل العلم] فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها، فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة الصريحة واتفاق الأئمة، وكذلك العتق والحج بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: ((مَن ماتَ وعليهِ صِيامٌ صامَ عنهُ وليُّه))[٣].

وثبت مثل ذلك في الصحيح من صوم النذر من وجوه أخرى[٤]. ولا يجوز أن يعارض هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[٥] لوجهين:

أحدهما: أنه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه، كدعاء الملائكة واستغفارهم له، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٦] الآية ودعاء النبيين والمؤمنين واستغفارهم كما في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٧] وقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

---

(١) أخرجه مسلم ٩٤٧.

(٢) أخرجه مسلم ٩٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٦-١١٤٨.

(٥) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٦) سورة غافر، آية: ٧.

(٧) سورة التوبة: آية: ١٠٣.

قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾[١] وقوله عز وجل ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٢] وكدعاء المصلين للميت، ولمن زاروا قبره من المؤمنين.

الثاني: أن الآية ليست في ظاهرها: أنه ليس له إلا سعيه، وهذا حق. فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به، كما أنه دائمًا يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم، وهو سبحانه بحكمته ورحمته يرحم العباد بأسباب يفعلها العباد، ليثيب أولئك على تلك الأسباب، فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ قَالَ الملك: آمِينَ ولَكَ بِمِثْلٍ))[٣] وكما ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يَتْبَعْهَا فَلَهُ قِيْرَاطٌ. فَإِنْ تَبِعَهَا فَلَهُ قِيْرَاطَانِ قِيلَ: وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ أَصْغَرُهُمَا مِثْلُ أُحُدٍ))[٤] فهو قد يرحم المصلي على الميت بدعائه له، ويرحم الميت -أيضًا- بدعاء هذا الحي له.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد)[٥].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح في الأحاديث الثلاثة: ففي حديث عائشة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم رغب ﷺ في تكثير المصلين في الصلاة على الميت، بأن أخبر أن الله يقبل دعاءهم له بالمغفرة والرحمة. كما أخبر ﷺ (أن من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب أي أوجب الله عليه الجنة أو أوجب مغفرته وعدًا منه وفضلاً)[٦]. ولا شك أن هذا ترغيب للمدعوين وحث لهم أن يفعلوا ما أخبر به النبي ﷺ، وخاصة في وقت يكون فيه الميت أحوج ما

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٩.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم واللفظ له ٩٤٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤/٢٩٩-٣٠٨، ٧/٤٨٦-٥٠٠.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٠٩٢.

يكون إلى دعاء إخوانه المسلمين وشفاعتهم له عند ربه عز وجل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم إليه النبي ﷺ

هذا واضح من قول ابن عباس رضي الله عنهما لمولاه كريب لما مات ابن له: انظر ما اجتمع له من الناس، قال كريب: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له، فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم قال: أخرجوه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه".

كما يتضح ذلك أيضًا من فعل مالك بن هبيرة رضي الله عنه لما صلّى على جنازة فتقالّ الناس عليها، فجزأهم عليها ثلاثة أجزاء ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب".

ومن هذا القبيل ما رواه حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: ((سألتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فأعطاني، ثمَّ سألتهُ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثمَّ قال: يا حكيمُ، إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلْوةٌ، فمن أخذَهُ بَسخاوةِ نفسٍ بوركَ له فيه، ومن أخذَهُ بإشرافِ نفسٍ لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ. اليدُ العُليا خيرٌ منَ اليدِ السُّفلى. قال حكيمٌ: فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ، والذي بَعثكَ بالحقِّ لا أرزأُ أحدًا[1] بعدَكَ شيئًا حتى أُفارِقَ الدنيا. فكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يَدعو حكيمًا إلى العطاءِ فيأبى أن يَقبلَه منه. ثمَّ إن عمرَ رضي الله عنه دعاهُ ليعطِيَهُ فأبى أن يَقبلَ منهُ شيئا، فقال عمرُ: إني أُشهِدُكم يا معشرَ المسلمينَ على حكيمٍ أني أعرِضُ عليهِ حقَّهُ من هذا الفَيْءِ فيأبى أن يأخُذَه، فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا منَ الناسِ بعدَ رَسولِ اللّهِ ﷺ حتى تُوُفِّي))[2].

وإنما حرص الصحابة على فعل ما أرشدهم النبي ﷺ لأنه ﷺ رسول رب العالمين، المبلغ عنه عز وجل، فكان ﷺ لا يأمر إلا بما فيه خير وصلاح، ولا ينهى إلا عما فيه شر وفساد. وفي هذا يقول الشافعي: (لم تُمْسِ بنا نعمةٌ ظهرت ولا بطنت، نلنا بها حظًا في دين ودنيا، أو دفع بها عنا مكروه فيهما وفي واحد منهما إلا ومحمد ﷺ

---

(١) أي لا أنقص ماله بالطلب منه، فتح الباري، ابن حجر ٣/٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٧٢، ومسلم ١٠٣٥.

سببها القائد إلى خيرها، والهادي إلى رشدها، الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبه للأسباب التي تورد الهلكة، القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها)[1].

(١) الرسالة ٤٥.

الحديث رقم (٩٣٤)

٩٣٤- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيقومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

شَفَّعَهُمُ: قبل شفاعتهم واستغفارهم له، وغفر له[2].

الشرح الأدبي

أسلوب التعميم للكلام يعطي الحكم صلاحية عبر الزمان، والمكان، وله طرق متعددة منها وقوع النكرة في سياق النفي كما ورد في هذا الحديث، فالحكم يشمل كل ميت من المسلمين يصلي عليه أربعون موحداً، وتخصيص المسلم لنفي الحكم عن غيره والتعبير بالقيام يفيد العناية، والاهتمام بأمر الصلاة عليه، والدعاء له، وقوله (رَجُلاً) لن النساء لا يحضرون الجنائز، وقوله: (لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئاً) تكميل بلاغي أفاد الإشارة إلى تمام الإخلاص، وأكدته النكرة التي أفادت التعميم فنفت قليل الشرك، وكثيره، وقوله: (إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ) بقية جملة القصر التي شملت الحديث كله، وقد قصرت صفة قيام الأربعين مسلماً على ما وصفوا على الشفاعة لا يتعدونها إلى الحرمان، وفي الحديث استحباب تكثير المصلين على الجنازة، ويطلب بلوغهم إلى هذا العدد الذي يكون من موجبات الفوز، وقد قيد ذلك بأمرين الأول أن يكونوا شافعين فيه أي مخلصين له الدعاء سائلين له المغفرة الثاني أن يكونوا مسلمين ليس فيهم من يشرك بالله شيئا.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٩٤٨/٥٩، وتقدم برقم ٤٣٠. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٥)

٩٣٥ - وعن مرثد بن عبد الله اليَزَنِيِّ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بن هُبَيْرَة ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى الجِنَازَةِ[١]، فَتَقَالَّ النَّاس عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا[٢] ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٣]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

مالك بن هُبَيْرَة: وهو مالك بن هُبَيْرة بن خالد بن مسلم، السكوني الكندي، وكان يكنى بأبي سعيد، له صحبة، ولم يرو إلا حديثًا واحدًا في الصف على الجنازة، وهو موجود في سنن أبي داود، وابن ماجه، والترمذي، ومستدرك الحاكم، وهو معدود في الشاميين من أهل حمص، وقيل هو معدود فيمن نزل مصر من أصحاب رسول الله ﷺ، أما عن جهاده فيقال: كان فيمن شهد فتح مصر من الصحابة، وكان أميرًا على الجيوش لمعاوية في غزو الروم، وكان قد شهد مع مروان بن الحكم المرج - مرج راهط- سنة (٦٥)، وكان على الرّجّالة.

ولاه معاوية على حمص سنة (٥٦) ثم عزله في شهر المحرم سنة (٥٧)، وكانت له دار عند الباب الشرقي بدمشق.

ومات ﷺ زمن مروان بن الحكم بقرية تسمى بيت رأس - قرية بنواحي الأردن، وأخرى من نواحي حلب-[٤].

---

(١) لفظ الترمذي: (جنازة) بدون أل التعريف.

(٢) (عليها) لا توجد عند الترمذيّ.

(٣) أخرجه أبو داود ٣١٦٦، والترمذي واللفظ له ١٠٢٨. وقال الحاكم ٣٦٣/١: هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن حجر في الإتحاف ١١٦/١٢: وأشار الترمذي إلى انقطاعه، وأنّ بعضهم أدخل بين مرثد ومالك رجلاً.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٦٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٤٩/٥، ٥٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١١٦٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٣/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ١٦/٤، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧١٠/٣.

غريب الألفاظ:

تقالَّ: من القلة: إذا رأى الشيء قليلاً[١].

أوجب: وجبت له الجنة[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل جانباً عملياً يتمثل في تطبيق عملي من الصحابي لتوجيه النبي ﷺ مما يدل على حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- امتثال أمره، ، وقوله (جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلاَثَةَ أجْزَاءٍ) فيه جناس يؤكد المعنى، ويقويه، وقول الرسول ﷺ (مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلاَثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أوْجَبَ) التعريف بالموصول يشير إلى أنه جدير بما يوصف به من جملة الصلة، والفعل الماضي يدل على التحقق، وقوله (ثلاثة صفوف) فيه إيجاز بالحذف أي من المسلمين ثلاثة صفوف، وقوله: (فقد أوجب) معناه وجبت له الجنة أو وجبت له المغفرة.

المضامين الدعوية[٣]

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ل).

(٢) المرجع السابق في (و ج ب).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث (٩٣٣، ٩٣٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تصحيح العقيدة والابتعاد عما يناقضها:

اهتمت التربية الإسلامية بالعقيدة اهتماماً كبيراً، وركزت على أهمية تصحيحها لما لذلك من آثار عظيمة في حياة الأفراد والمجتمعات، ولذا جاءت التربية النبوية لتؤكد على أهمية تصحيح العقيدة، وتبين أن مناط القبول عند الله يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الصحيحة.

ففي حديث ابن عباس اشترط النبي ﷺ لقبول شفاعة مصلي الجنازة في الميت صحة العقيدة والابتعاد عن الإشراك بالله تعالى فقال ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً، لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئاً إلاَّ شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ».

وهذا ليس قاصراً على الجنازة فحسب بل إنه يسري على جميع الأعمال، فلا قيمة لعمل لا يعتمد على أساسٍ من العقيدة، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1].

لذا ينبغي على المربين تعميقُ العقيدة وتصحيحُها وترسيخُها في قلوب المتعلمين خاصة الناشئة منهم، والتحذير من عمل من شأنه أن يؤثر على العقيدة أو يفسدها.

إن الإنسان يولد مفطوراً على الإيمان لكن تأثير البيئة والثقافة ونحوهما قد يؤثر على الفطرة، لذا يجب أن يعمل القائمون على التربية والتوجيه على التحذير من الأمور التي من شأنها أن تؤثر على سلامة العقيدة من الأفكار الهدامة والعقائد الباطلة، ويكون ذلك من خلال عدد من الأمور من أبرزها ما يلي:

أ- التحذير من عبادة غير الله وتوضيح أن العبادة لا تكون إلا لله وحده فهو سبحانه المستحق للعبودية.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

ب- التحذير من التقليد الأعمى.

ج- التحذير من السخرية من الدين وشعائره.

د- التحذير من تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله.

هـ- التحذير من الإلحاد، وجحود الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل[1].

لذا ينبغي على المسلم أن يحذر من كل ما من شأنه أن يؤثر على عقيدته أو يشوب صفاءها، لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت الأعمال وإذا فسدت العقيدة خاب صاحبها وخسر، فلا ينتفع بعمل ولا تقبل منه شفاعة، ولا يؤخذ منه عدل، فلا ينتفع هو بعمله، ومن ثَمَّ من باب أولى لا ينتفع الآخرون منه بعمل.

ثانياً- التربية بالقدوة والممارسة العملية:

إن التربية الإسلامية تعوّل بشكل أساسي على القدوة والممارسة العملية لما لها من تأثير مباشر على النفوس، وقد ركز النبي ﷺ على التربية بالقدوة فيما قام به من تطبيقات عملية لأقواله، مما أثر تأثيراً قوياً ومباشراً في نفوس أصحابه رضي الله عنهم، وبالتالي كانوا هم قدوة لغيرهم، لأن التربية بالقدوة ممتدة الأثر لأنها تعتمد على المصداقية والتطابق بين القول والعمل، ومن الشواهد في أحاديث الباب على التربية بالقدوة ما ورد عن مَرْثَدِ بن عَبْدِ الله اليَزَنِيِّ، قالَ: كانَ مَالِكُ بنُ هُبَيْرَةَ رضي الله عنه إذَا صَلّى على جَنَازَةٍ فَتَقَالَّ النَّاسَ عَلَيْهَا جَزَّأَهُم ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ ثُمَّ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلّى عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فقد أَوْجَبَ»، فمالك بن هبيرة رضي الله عنه في الحديث لم يكتف بنقل حديث رسول الله ﷺ إلى الناس وإنما شفع ذلك بالممارسة العملية لهذا الإرشاد، مما يرسخ عملية التربية في النفوس من خلال التطبيق العملي.

إن أسلوب القدوة منهج تربوي إسلامي أصيل درج عليه المربون على مر الأجيال والعصور.

فالرسول ﷺ هو القدوة والأسوة، قال سبحانه وتعالى في حقه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

---

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد ص ٢٠٦- ٢٠٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

وقد اقتدى الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ في كافة الأمور وفي سائر الأحوال.

واقتدى التابعون بالصحابة، ساروا سيرهم وسلكوا سلوكهم واقتفوا آثارهم.

وفي كل عصر وُجِدت المثلُ التي تُقتدى، والإنسان الذي يَقْتدى، ومن هنا انطلقت الصيحات المصلحة في كل ميادين الحياة فكانت النهضات الثقافية والعلمية والاجتماعية.

لذا فإن أسلوب القدوة من أنجح الأساليب في نقل منهج التربية الإسلامية بمقوماته وبأساليبه وبأهدافه، وقد تخرج على هذا المنهج أعظم قادة الحرب وأبرع رجال السياسة وأعلم العلماء في الطب والرياضيات والعلوم والاجتماع، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وابتعدوا عن منهج القدوة فتخلفوا والتقط غيرهم هذا المنهج فتقدموا[1].

لذا ينبغي على المربين ألا يغفلوا أسلوب التربية بالقدوة بأي حالٍ من الأحوال، خاصة مع الناشئة والأطفال "فالأطفال بمراقبتهم لسلوك الكبار فإنهم يقتدون بهم فإن وجدوا أبويهما صادقين سينشئون على الصدق، وهكذا في باقي الأمور، كذا الوالدان مطالبان بتطبيق أوامر الله تعالى وسنة رسوله ﷺ سلوكاً وعملاً والاستزادة من ذلك ما وسعهم ذلك لأن أطفالهم في مراقبة مستمرة لهم صباح مساء وفي كل آن"[2].

ثالثاً- التربية على المشاركة في فعل الخيرات:

ترنو التربية الإسلامية إلى صياغة الشخصية الإسلامية الإيجابية التي تسارع في الخيرات، وتسعى في جلب الخير للآخرين سواء كانوا أحياءً أم أمواتاً، ومن هنا ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على المشاركة الإيجابية الفاعلة والتي من جملتها حضور الجنائز والمشاركة في الصلاة على الميت ومسارعة الجميع لذلك، نظراً للخير المترتب على حضور تلك الصلاة والدعاء للميت والشفاعة له، ولا شك أن هذه التربية متميزة تحرص على جلب الخير للمسلمين وتزرع في نفس المسلم حب هذا العمل وتجعله حريصاً

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح، ١/١٤٠-١٤٤.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، عبدالباسط السيد ص ٧٤، ٧٥.

على المشاركة فيه، نظراً للخير الذي سيصل إلى الميت من دعاء وشفاعة مَنْ صلوا عليه صلاة الجنازة، ولن يحرم من صلى على الميت من الثواب العظيم المتمثل في حصوله على قيراط لقول النبي ﷺ: «مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ»، والقيراط مثل الجبل العظيم من الثواب، وقد حث النبي ﷺ ورغب في الصلاة على الميت فقال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مَائَةً. كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ . إلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ»، مع مراعاة ما ورد في صلاة الجنازة وغيرها من آداب.

وفي حديث ابن عباس «أربعون رجلاً» وكذا في عدد الصفوف كما في حديث مالك بن هبيرة رضي الله عنه «من صلى عليه ثلاثة صفوف...» "فإن العدد هنا لا مفهوم له"[1].

لذا ينبغي التربيةُ والتنشئةُ على امتثال ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من عبادات وغيرها والالتزام بما جاء من آداب وحدود وكيفيات وهيئات، فذلك كله تعظيم لأمر الله سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، ولنا في الجيل الأول - الصحابة- الذي رُبي على يد رسول الله ﷺ القدوة الحسنة والأسوة الطيبة، فقد كانوا يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ عملاً بقوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[3][4].

رابعًا- من الأساليب التربوية: الإلقاء:

كما في الحديثين الأولين من أحاديث الباب؛ والإلقاء يكون عن طريق العرض الشفهي للمعلومات، وهو يمكن المتعلم من عرض أكبر قدر من المعلومات في أقصر وقت أمام أكبر عدد من المتعلمين، ولذا كان مناسبًا في المراحل التعليمية المتقدمة: كالمرحلة الثانوية والمرحلة الجامعية.

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥١١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

(٤) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٥١، ٥٢.

خامسًا- من مهام المربي: تطبيق السنة:

وهذا يتضح جليًا في تصرف مالك بن هبيرة رضي الله عنه عندما كان يصلي على جنازة وكان عدد المصلين قليلاً، فكان يجعلهم ثلاثة صفوفٍ، وذلك لكي يكون الميت ممن قال في حقه النبي ﷺ: "من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب" أي أن مالك بن هبيرة فعل ما أرشد إليه النبي ﷺ وحض ورغب، وفي ذلك إرشاد للمربين والمعلمين وكل من يضطلع بمسؤولية توجيهية ووعظية ونحو ذلك، أن يعملوا على تربية الناشئة وغيرهم على أن يطبقوا ما تكلموا به من السنة النبوية الشريفة، وليس هذا فحسب، بل إن عليهم أيضًا أن يكونوا أول المطبقين للسنة المنفذين لها الممتثلين لها المدافعين عنها؛ فهي سنة من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

❁ ❁ ❁

١٥٧- باب ما يقرأ في صلاة الجنازة

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكبيرَاتٍ، يَتَعوَّذُ بَعْدَ الأُولَى، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فيقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ. وَالأَفْضَلُ أَنْ يُتَمِّمَهُ بقوله: كَمَا صَلَّيتَ عَلَى إبرَاهِيمَ - إِلَى قَوْله - إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَلاَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ العَوامِّ مِنْ قراءتِهِمْ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾[الأحزاب: ٥٦] الآية، فَإِنَّهُ لاَ تَصِحُّ صَلاَتُهُ إِذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيَدعُو للمَيِّتِ وَللمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَذكُرُهُ مِنَ الأحاديث إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ يُكَبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو. وَمِنْ أَحْسَنِهِ: ((اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ)). وَالمُخْتَارُ أنه يُطَوِّلُ الدُّعاء في الرَّابِعَة خلافَ مَا يَعْتَادُهُ أَكْثَرُ النَّاس، لحديث ابن أَبي أَوْفى الذي سَنَذْكُرُهُ إِنْ شَاء اللهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الأَدْعِيَةُ المَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكبِيرَةِ الثالثة، فمنها:

الحديث رقم (٩٣٦)

٩٣٦- عن أَبي عبد الرحمان عوف بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رسول الله ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يقُولُ: **((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِن الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَس، وَأَبدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ))** حَتَّى تَمَنَّيتُ أن أكُون أنَا ذَلِكَ المَيِّت. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عوف بن مالك الأشجعي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٢٨).

غريب الألفاظ:

أكرم نزله: أي أحسن نصيبه من الجنّة[2].

---

(١) برقم ٩٦٣/٨٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٤٩.

مدخله: الموضع الذي يدخل فيه وهو قبره الذي يدخله الله فيه[١].

الدنس: الوسخ[٢].

أعذه: خلصه[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي (فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ) يشير إلى أنه لم يحفظ الدعاء كله، والحديث يدور حول ثلاثة محاور: الأول محور المغفرة، والثاني التطهير، الثالث، التبديل، وقد قام المحور الأول على الأسلوب الإنشائي بالأمر بمعنى الدعاء (اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ) وجملة الأوامر تحيط بكل ما يلزم الميت من مغفرة تقتضي ستر الذنب، وعافية تقتضي محوه وتتخطى به هول المواقف، وإكرام، وسعة، والمحور الثاني: ويقوم على الأمر الدعائي مع التشبيه (وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّه مِن الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَس،)، وذكر الثلج، والبرد مع الماء مبالغة في التطهير مع الإشارة إلى الصفاء، والنقاء وسلامة الفطرة التي تثيرها هذه الكلمات، والتشبيه بالثوب لظهور الصورة للجميع لأنه أمر معتاد للناس، ويتساوى في فهمها الجميع، ثم إن الثوب مما تفارقه الأوساخ بالغسل مفارقة تامة، واختيار الأبيض فيه إشارة إلى الفطرة، ولأنه يظهر عليه أقل وسخ فيتتبع بالغسل، فإذا تم غسله كان في قمة النقاء لا يخفي شيئاً، المحور الثالث، وهو محور التبديل، ويقوم على أسلوب الأمر بغرض التضرع، والدعاء مع أسلوب التفضيل (وَأَبدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ) والتبديل شمل الدار، والأهل، والزوجة مع ضمان الخير من التفضيل، ثم إنه ختم له بالدعاء بالجنة، والنجاة من النار، حتى أن الراوي تمنى أن يكون هو الميت من عظمة ما سمع لأنه يعلم أن دعاء الرسول ﷺ مستجاب.

---

(١) المرجع السابق ١١٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ن س).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٤٩.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام التالية:

أولاً: حكم الدعاء للميت: ذهب المالكية والشافعية والحنابلة إلى أن الدعاء ركن من أركان صلاة الجنازة[١].

والواجب أدنى الدعاء؛ لأن النبي ﷺ قال: ((إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء))[٢]. وهذا يحصل بأدنى الدعاء؛ لأن المقصود الشفاعة للميت والدعاء فيجب أقله، وأقله ما يقع عليه اسم الدعاء[٣].

ثانيًا: تخصيص الميت بدعاء: ذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والمالكية والشافعية في مقابل الأصح والحنابلة إلى أن الميت لا يخصص بدعاء معين وإنما يدعو المصلي بالمأثور[٤].

---

(١) فتح القدير، كمال الدين بن الهمام ١١٨/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٣/٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٥/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣١٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٤٠).

وأخرجه ابن ماجه ١٤٩٧ من حديث أبي هريرة أيضًا وحسنه السيوطي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٩٣/١ ووافقه المناوي، قال ابن حجر: فيه محمد بن إسحاق وقد عنعن لكن أخرجه ابن حبان ٣١/٥ من طريقين آخرين مصرحًا بالسماع أ. هـ. من تلخيص الحبير ١٢٢/٢ ط/ شركة الطباعة الفنية.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٩٧/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٣/٣، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٨/١ - ٩، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١.

وذهب الشافعية في الصحيح إلى وجوب تخصيص الميت بالدعاء[١].

ثالثًا: محل الدعاء: هل يكون الدعاء في كل تكبيرة أم يكون بعد التكبيرة الثالثة أو الرابعة؟

ذهب جمهور الفقهاء ومنهم الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن الدعاء يكون بعد التكبيرة الثالثة[٢].

وذهب المالكية إلى أن الدعاء يكون بعد كل تكبيرة ويدعو وجوبًا بعد التكبيرة الرابعة على المختار[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت في صلاة الجنازة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: طلب الحياة على الإيمان والموت عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التقدير العظيم من الصحابة لكلام النبي ﷺ.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت في صلاة الجنازة:

هذا واضح من هذه الأحاديث وغيرها التي في الباب[٥]، قال النووي عن حديث عوف

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣١٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٥.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٦٧/٢، ودرر الحكام شرح غرر الأحكام لملا خسرو ١٦٣/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٦/٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣١٩/١، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٣٦٠/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨١/٢.

(٣) الشرح الكبير للدردير ٤١٢/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٩٧/١.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٣٧).

(٥) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٨٥-١٨٦.

ابن مالك رضي الله عنه: (فيه إثبات الدعاء في صلاة الجنازة، وهو مقصودها ومعظمها، وفيه استحباب هذا الدعاء)[١]، وقال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة، هو الدعاء للميت، لذلك حفظ عن النبي ﷺ ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة ﷺ)[٢].

وقال ابن تيمية: (فالله قد يرحم المصلّي على الميت بدعائه له، ويرحم الميت -أيضًا- بدعاء هذا الحي له)[٣].

وقال محمد بن إبراهيم التويجري: (شهود الجنازة واتباعها فيه فوائد جمة، أهمها: أداء حق الميت بالصلاة عليه، والشفاعة فيه والدعاء له، وأداء حق أهله، وجبر خاطرهم عند مصيبتهم في ميتهم، وتحصيل الأجر العظيم للمشيع، وحصول العظة والاعتبار بمشاهدة الجنائز وغير ذلك)[٤].

قال ابن عثيمين في شرح حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: (قوله: "اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله" يعني ضيافته يعني أكرمه في ضيافته، لأن الميت في ضيافة الله عز وجل، إذا انتقل من هذه الدنيا إلى قبره، فهو إما أن يكون في قبره معذبًا أو منعمًا. ويقول "وأوسع مدخله" يعني: أوسع قبره، لأنه يدخل فيه "واغسله بالماء والثلج والبرد" يعني: طهره من الذنوب بالماء والثلج والبرد، ذكر الثلج والبرد، لأنه بارد، وذكر الماء لأن به النظافة، والذنوب - أجارنا الله وإياكم منها-عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج والبرد، فيحصل بالماء التنظيف ويحصل بالثلج والبرد التبريد.

"ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس" يعني نظفه كاملاً من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ، وذكر الثوب الأبيض، لأنه هو الذي تظهر فيه أدنى دنسة، فإذا كان الثوب الأبيض نقيًا فمعناه أنه ليس به دنس إطلاقًا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٢/٧/٤، .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٧/٤، ٤٩٩/٧.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي ٥٧٨. وهو بلفظه في توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله البسام ٥٣٤/٢.

بخلاف الثوب الأسود والأحمر والأخضر وما أشبه ذلك، فإنه ليس كالأبيض تبين به الدنسة بيانًا واضحًا. "اللهم أبدله دار خيرًا من داره" لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا -كما نعلم- دار محن وأذى وكدر، فيقول "أبدله دارًا خيرًا من داره" ليكون منعمًا في قبره[1]. "وأهلاً خيرًا من أهله" أهله: ذووه كأمه وخالته وبناته وأبيه وابنه وما أشبه ذلك. "وزوجًا خيرًا من زوجه" يعني زوجة خيرًا من زوجته، وذلك من الحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا، لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا وماتت على الإيمان، فإنها تكون زوجته في الآخرة، فإن قال قائل: كيف تكون خيرًا من زوجتي وهي واحدة في الدنيا؟ نقول: خيرًا منها في الصفات والجمال وغير ذلك[2].

"وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار" كل هذا هو دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء)[3].

وقال ابن عثيمين في شرح حديث "اللهم اغفر لحينا وميتنا ... إلخ" قال: (وهذه الجمل تغني عنها جملة واحدة لو قال: اللهم اغفر لحينا وميتنا شمل الجميع. لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل، لأن الدعاء كل جملة منه عبادة لله عز وجل، وإذا كررته ازددت بذلك ثوابًا، فقوله: "حينا وميتنا" يشمل الحي الحاضر، والميت القديم والميت في عصره، "وصغيرنا وكبيرنا" كذلكم أيضًا يشمل الصغير والكبير الحي والميت، وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية [أي جاء ذكره تبعًا لذكر الكبير]. وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى تسأل له المغفرة "وذكرنا وأنثانا" مثلها عامة "وشاهدنا وغائبنا" الحاضر والمسافر مثلاً. "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان" الحياة ذكر معها الإسلام وهو الاستسلام الظاهر.

---

(١) وقال عبدالله البسام: بأن تبدله دار كرامتك الجنة عن دار الدنيا التي رحل عنها. توضيح الأحكام ٥٢٤/٢.

(٢) وقال البسام: هذا التبديل إما بالأعيان بأن يعوضه الله عنهم في دار كرامته، وإما تبديل أوصاف بأن تعود العجوز شابة، وسيئة الخلق حسنة خلق. السابق ٥٢٤/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١١٩٩/٢، وانظر شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٤/٣. وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٤/٢-٥٢٥.

وأما الموت فقال: توفه على الإيمان، لأن الإيمان أفضل ومحله القلب. والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة "اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده" لا تحرمنا أجره يعني: بالصلاة عليه، لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت -كما سبق- أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان[1]. كذلك أيضًا أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضًا على صبره على المصيبة[2] "ولا تفتنا بعده" يعني لا تضلنا عن ديننا بعده، لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ما دام الإنسان لم تخرج روحه، فإنه عرضة لأن يفتن في دينه والعياذ بالله. ولهذا قال: "لا تفتنا بعده" فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ)[3].

وقال الصنعاني معلقًا على اختلاف الروايات عن النبي ﷺ في الدعاء للميت قال: (واختلاف الروايات دالٌّ على أن الأمر متسع في ذلك ليس مقصورًا على شيء معين... وإنما الشأن في إخلاص الدعاء للميت؛ لأنه الذي شرعت له الصلاة والذي ورد به الحديث[4])[5].

قال عبدالله البسام: (قال العلماء: إن أصح ما ورد من الدعاء على الميت هو ما جاء في هذين الحديثين، حديث عوف بن مالك وحديث أبي هريرة، وهو من أنفع الأدعية، حتى إن عوف بن مالك لما سمعه من النبي ﷺ تمنَّى أنه هو ذلك الميت، فهو من أجمع الأدعية وأحسنها.

فقد اشتمل على الدعاء للميت بالمغفرة والرحمة، وتنقيته من الذنوب، والدعاء له بحسن المنقلب، وإعاذته من شرور الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٢٥، ومسلم ٩٤٥.

(٢) قال البسام: أي لا تحرمنا الأجر الذي نكسبه من تجهيزه والصلاة عليه وتشييعه، وكذلك الأجر الذي نحصله من صبرنا على المصيبة فيه، أما أجر عمله فهو له وليس لنا منه شيء، ولو طلبنا لكنا معتدين في الدعاء. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٨/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٠٠/٢-١٢٠١، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٨/١.

(٤) وهو الحديث التالي في الرياض برقم ٩٣٨.

(٥) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني، حققه محمد صبحي حسن حلاق ٣٥٧/٣.

وأما حديث أبي هريرة فدعاء لعموم المسلمين الحاضرين والغائبين، والأحياء والميتين، الكبار والصغار، الذكور والإناث، الدعاء لهم بأحسن مطلوب من الثبات على الإسلام، والوفاة على الإيمان، والاستعاذة من الضلال والفتنة بعده)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: طلب الحياة على الإيمان والموت عليه:

هذا واضح من دعاء النبي ﷺ "اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده".

قال المباركفوري: ("فأحيه على الإسلام" أي الاستسلام والانقياد للأوامر والنواهي "فتوفه على الإيمان" أي التصديق القلبي إذ لا نافع حينئذ غيره)[٢].

قال الطيبي: (الإسلام والإيمان يعبران عن الدين كما هو مذهب السلف الصالح)[٣].

قال عبدالله البسام: (قوله "فأحيه على الإسلام-فتوفه على الإيمان" إذا أفرد الإسلام شمل الإيمان وبالعكس، أما إذا اجتمعا كما في حديث عمر[٤] رضي الله عنه حينما جاء جبريل إلى النبي ﷺ فيراد بالإسلام الشرائع العملية الظاهرة، ويراد بالإيمان الاعتقاد في الأمور الستة. وهنا كل منهما مفرد فالإسلام في حال الحياة، والإيمان في الممات، وخص الإيمان في حال الوفاة لأنه أكمل وأولى عند الختام.

وقوله: "ولا تفتنا بعده" فيه الخوف من الفتنة في حال الحياة، إما فتنة شبهة وضلال، وإما فتنة شهوة، فالإنسان في حال الحياة معرض لذلك، وكان من دعاء النبي ﷺ: ((يا مقلّب القلوب ثبت قلبي على دينك))[٥] والإنسان قد يصاب بالفتنة من حيث لا يشعر، وقد يظن أنه على حق كما قال تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٦] فيجب

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٩/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٨٨/١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٧٤/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٩).

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٣٧.

على الإنسان محاسبة نفسه، وطاعة الله تعالى، وإظهار الفقر بين يديه، فهذا من أسباب العصمة)[١].

وقد قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

قال ابن كثير: (هذا دعاء من يوسف الصديق، دعا به ربه عز وجل لما تمت النعمة عليه باجتماعه بأبويه وإخوته، وما منّ الله به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه، وأن يلحقه بالصالحين، وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا الدعاء يحتمل أن يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يرفع أصبعه عند الموت ويقول: ((اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، اللَّهُم فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى))[٣]. ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا حان أجله وانقضى عمره، لا أنه سأل ذلك منجزًا[٤]، كما يقول الداعي لغيره: أماتك الله على الإسلام ويقول الداعي: "اللهم أحينا مسلمين وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين)[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التقدير العظيم من الصحابة لكلام النبي صلى الله عليه وسلم:

هذا واضح من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الكلمات للميت في صلاته صلى الله عليه وسلم فقال: ((حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ)) وفي رواية:

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٨/٢.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٤٣٧، ومسلم ٢٤٤٤.

(٤) أي حاضرًا معجلًا. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٠٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٤/٤، وانظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٨١/٩.

((فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَىٰ ذٰلِكَ الْمَيِّتِ))[١].

ومن ذلك ماروواه عمرو بن تغلب رضي الله عنه: ((أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بمال - أو سَبيٍ - فقسَمه، فأَعطى رِجالاً وتركَ رجالاً. فبلغَهُ أَنَّ الذينَ تَركَ عَتبوا، فحمِدَ اللهَ ثمَّ أَثنى عليه ثم قال: أَمّا بعدُ فواللهِ إِني لأُعطِي الرجُلَ وأدع الرجل والذي أَدَعُ أَحبُّ إِليَّ من الذي أُعطِي، ولكنْ أُعطِي أَقوامًا لِما أَرَى في قلوبهمْ منَ الجَزَعِ وَالهَلَع، وَأَكِلُ أَقوامًا إِلى ما جعلَ اللهُ في قلوبهمْ مِنَ الغِنى والخيرِ، فيهم عمرُو بنُ تَغلِبَ، فواللهِ ما أُحبُّ أَنَّ لي بكلمةِ رسولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَم))[٢].

قال النووي: (حمر النعم هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وإن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت)[٣].

ومن أمثلة تقدير الصحابة رضي الله عنهم لكلام النبي ﷺ ما حدث في غزوة خيبر، فقد قال ﷺ: "لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" فقال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه راوي الحديث: ((فباتَ الناسُ يَدوكون[٤] ليلَتهم أُيهم يُعطاها. فلما أصبحَ الناسُ غَدَوا على رسولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها))[٥]. وقالَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((فَتَطَاوَلْنَا لَهَا))[٦].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلاَّ يَوْمَئِذٍ. قَالَ: فَتَسَاوَرْتُ لَهَا[٧] رَجَاءَ أَنْ أُدْعَىٰ لَهَا))[٨].

---

(١) صحيح مسلم ٨٦-٩٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٩٢٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٠/١٥/٨، .

(٤) أي يخوضون ويتحدثون. رياض الصالحين ١٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٠١، ومسلم ٢٤٠٦.

(٦) أخرجه مسلم ٣٢-٢٤٠٤.

(٧) أي أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني. شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧٠ الدولية.

(٨) أخرجه مسلم ٣٣-٢٤٠٥.

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام أيضًا بما رواه ابن إسحاق في المغازي، قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه كان يحدث قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، فاتَّبعتها أنظر إليها. قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبوبكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبوبكر وعمر يدليانه إليه، وإذا هو يقول: "أدنيا إليَّ أخاكما". فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: "اللهم إني قد أمسيت راضيًا عنه، فارض عنه". قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة[1].

قال ابن هشام: إنما سمي ذا البجادين؛ لأنه كان يريد الإسلام، فمنعه قومه وضيقوا عليه، حتى خرج من بينهم وليس عليه إلا بجادٌ، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنتين، فائتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ، فسمي ذا البجادين[2].

رابعًا- من وسائل الدعوة: الدعاء:

وهذا واضحٌ من الحديثين، فقد دعا النبي ﷺ وهو في صلاة الجنازة، دعا بهذه الدعوات الطيبة، ليدل المدعوين على ما يدعون به لميتهم، فينال المغفرة وينالون هم الثواب والأجر، كل ذلك بفضل الله تعالى. قال الشوكاني: (واختلاف الأحاديث في ذلك محمول على أنه كان يدعو لميت بدعاء والآخر بآخر، والذي أمر به ﷺ إخلاص الدعاء)[3].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٤/١٦٨، وقال ابن حجر في الإصابة ص ٨٠٢: رجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/١٦٨-١٦٩.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٨.

الحديث رقم (٩٣٧)

٩٣٧- وعن أبي هريرة وأبي قتادة وأبي إبراهيم الأشهلي، عن أبيه -وأبوه صَحَابيٌّ- رضي الله عنهم، عن النبيِّ ﷺ: أنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأحْيِهِ عَلَى الإسْلاَمِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوفَّهُ عَلَى الإيمَانِ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ)) رواه الترمذيُّ من رواية أَبي هريرة[1]، والأشهليُّ[2].

ورواه أَبُو داود من رواية أَبي هريرة[3]، وأبي قتادة[4]. قَالَ الحاكم[5]: (حديث أَبي هريرة صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم)، قَالَ الترمذي: (قَالَ البخاري[6]: أصَحُّ رواياتِ هَذَا الحديث رواية الأشْهَلِيِّ، قَالَ البخاري: وأصح شيء في هَذَا الباب حديث عَوْفِ بن مَالِكٍ[7]).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

---

(١) أخرجه الترمذي عقب الحديث رقم ١٠٢٤. وصحّحه ابن حبان الإحسان، ٣٠٧٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٠٢٤ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٢٠١. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٧٠.

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة ١-٨٦، وأحمد ١٧٥٤٦، و٢٢٥٥٤ من طريق همام، عن يحيى بن أبي كثير، واختلف فيه على يحيى بن أبي كثير في الوصل والإرسال ومن أي مسند هو. ورواية همام هذه مرجوحة عن يحيى.

(٥) المستدرك ٣٥٨/١.

(٦) قول البخاري أورده الترمذي ٣٢٥/٣ مختصرًا، وأورده بتمامه البيهقي في السنن الكبرى ٤١/٤ حيث قال: قال أبو عيسى الترمذي فيما بلغني عنه، سألتُ محمدًا - يعني: البخاري- عن هذا الباب، فقلتُ: أي الروايات عن يحيى بن أبي كثير أصحُّ في الصلاة على الميت، فقال: أصحُّ شيء فيه حديث أبي إبراهيم الأشهليّ، عن أبيه، ولوالده صحبة، ولم يعرف اسم أبي إبراهيم، قال أبو عيسى: قلتُ له: فالذي يقال هو عبد الله بن أبي قتادة، فأنكر أن يكون هو عبد الله بن أبي قتادة، وقال: أبو قتادة هو سلمي، وهذا أشهليٌّ، قال محمد: وحديث أبي سلمة عن أبي هريرة، وعائشة، وأبي قتادة في هذا الباب غير محفوظ، وأصحُّ شيء في هذا الباب حديث عوف بن مالك.

(٧) حديث عوف بن مالك أخرجه مسلم ٩٦٣/٨٥.

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢٢).

أبو إبراهيم الأشهلي عن أبيه: أبو أبي إبراهيم الأشهلي صحابي من الأنصار، فهو من قبيلة بني عبدالأشهل، إحدى قبائل الأنصار.

لكن لا نعرف اسمه ولا اسم ابنه، قال أبو حاتم عن أبي إبراهيم: لا يدري من هو ولا أبوه. وقال الترمذي: سألت البخاري عن اسم أبي إبراهيم فلم يعرفه.

وقال قوم: إن أبا إبراهيم هذا هو عبدالله بن أبي قتادة، ابن الصحابي أبي قتادة الأنصاري. قال المزي مُعقِّبًا على هذا: ولا يصح ذلك، وإن كان عبدالله بن أبي قتادة كنيته أبو إبراهيم. لأنه من بني سلمة، وهذا من بني عبدالأشهل[1].

الشرح الأدبي

يقوم الدعاء في هذا الحديث على عدة عناصر منها نداء التضرع، والخضوع، والخشوع (اللهم)، ومنها الأمر بمعنى الدعاء (اغفر) ومنها الطباق فقد طابق في الدعاء بين الحي، والميت، وبين الصغير، والكبير، والذكر، والأنثى، ، والشاهد، والغائب، وهذا الطباق أفاد العموم، والاستغراق لكل مسلم، وهو مستحب في الدعاء حيث يكرم بعضهم ببعض، كما أن في تكثير المدعو لهم إلحاح في الشمول، والله يحب من عبده الإلحاح في دعائه، كما أكد هذا التعميم بإضافة (نا) إلى الأسماء المذكورة، وفي الحديث جناس بين أحييته، وأحيه، وبين: توفيته فتوفه كما أن بين العبارتين تضاد يجعل الجميع تحت مظلة الإسلام، ثم جاء النهي بمعنى الدعاء (لاَ تَحْرِمْنَا أجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعدَهُ) حماية من حرمان الأجر، وحجاباً يمنع الفتنة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) الجرح والتعديل ٣٣٢/٩ وسنن الترمذي ٢٤٣ الحديث ١٠٢٤، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٣/٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٥٩٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٢٤/٨، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٣٨)

٩٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاء)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الراوي سمعت رسول ﷺ يشير إلى أن الراوي قريب من رسول الله ﷺ زماناً ومكاناً وراوي الحديث أبو هريرة رضي الله عنه قريب من الرسول ﷺ مكاناً، ومكانة، كما أن في قوله سمعت توكيد للخبر، وقول الرسول ﷺ (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاء) المعنى يدور حول إخلاص المصلين في الدعاء على الميت لأنه أحوج ما يكون إلى ذلك، وقد جاء في أسلوب الشرط الذي يربط الصلاة على الميت بالإخلاص يوجد بوجودها، وينتفي بانتفائها، وأمر الرسول ﷺ بالإخلاص الدعاء توجيه، وإرشاد إلى استشعار الموقف التبادلي فكل مصل سوف يصلى عليه، وهذا الشعور يساعد على الإخلاص، ويمنع الرياء المفسد للعمل.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإخلاص في الدعاء للميت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعو: الإخلاص في الدعاء للميت:

هذا واضح من الحديث، قال الصنعاني: (لأنهم شفعاء، والشافع يبالغ في طلبها يريد قبول شفاعته فيه)[2] وقال شرف الحق العظيم آبادي: (قال ابن الملك: أي ادعو له

---

(١) برقم ٣١٩٩، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٧٦. وقال الذهبي في المهذب ١٣٤٨/٣: إسناده صالح.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣٥٨/٣.

بالاعتقاد والإخلاص انتهى. وقال المنذري: أي ادعوا له بإخلاص، لأن القصد بهذه الصلاة إنما هو الشفاعة للميت، وإنما يرجى قبولها عند توفر الإخلاص والابتهال. انتهى)[1].

وقال الشوكاني: (فيه دليل على أنه لا يتعين دعاء مخصوص من هذه الأدعية الواردة، وأنه ينبغي للمصلي على الميت أن يخلص الدعاء له، سواء أكان محسنًا أو مسيئًا، فإن مُلابس المعاصي أحوج الناس إلى دعاء إخوانه المسلمين وأفقرهم إلى شفاعتهم، ولذلك قدموه بين أيديهم وجاءوا به إليهم، لا كما قال بعضهم: إن المصلّي يلعن الفاسق [أي الميت الفاسق] ويقتصر في الملتبس [أي بالمعاصي] على قوله: "اللهم إن كان محسنًا فزده إحسانًا، وإن كان مسيئًا فأنت أولى بالعفو عنه"[2].

فإن الأول [أي لعن الفاسق] من إخلاص السبّ لا من إخلاص الدعاء. والثاني من باب التفويض باعتبار المسيء لا من باب الشفاعة والسؤال. وهو [أي هذا الدعاء الثاني] تحصيل للحاصل، والميت غنيٌّ عن ذلك)[3]. وقال الشيخ عبدالله البسام: (الأحاديث في الدعاء للميت كثيرة ولم يرد تعيين أحدها، وإنما الشأن في إخلاص الدعاء للميت؛ لأنه

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦٦.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٩٦١ ومن طريقه عبدالرزاق في المصنف ٦٤٢٥ وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ٩٣، تحقيق الألباني، والبغوي في شرح السنة ١٤٩٦ موقوفًا على أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني: إسناده موقوف صحيح على شرط الشيخين اهـ. وأخرجه ابن حبان ٣٠٧٣ عن أبي هريرة مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٧١٨. لكن ما ذهب إليه الشوكاني غير مسلم فقد قال ابن القيم: (المصلي على الميت شرع له تعليق الدعاء بالشرط، فيقول: اللهم أنت أعلم بسرّه وعلانيته، إن كان محسنًا فتقبل حسناته، وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته. فهذا طلب للتجاوز عنه بشرط، فكيف يمنع تعليق التوبة بالشرط؟ وقال شيخنا [أي ابن تيمية]: كان يشكل عليّ أحيانًا حال من أصلّي عليه الجنائز، هل هو مؤمن أو منافق؟ فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فسألته عن مسائل عديدة منها هذه المسألة، فقال: يا أحمد الشرط الشرط. أو قال: علق الدعاء بالشرط. وكذلك أرشد أمته ﷺ إلى تعليق الدعاء بالحياة والموت بالشرط، فقال: "لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي". إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٧٦٣، والحديث أخرجه البخاري ٥٦٧١، ومسلم ٢٦٨٠.

الذي شرعت له الصلاة، والذي ورد به الحديث "إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء" لكن يبقى فضل كبير للمأثور عنه ﷺ ولما دعا به ﷺ فليتحراه المسلم في دعائه)[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من استخدام أداة الشرط "إذا"، وهو شرط جواب الشرط فيه فعل أمر "فأخلصوا له الدعاء"، ولذلك بوّب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه باب: ذكر الأمر لمن صلّى على ميت أن يخلص له الدعاء[٢] وذلك لأن الصلاة على الميت فرض على الكفاية عند جمهور العلماء[٣]، وعلى ذلك فإن الصلاة على الميت واقعة ومقصودها الدعاء ومن ثمَّ أمر النبي ﷺ بالإخلاص فيه. قال ابن القيم: (وكان ﷺ يأمر بإخلاص الدعاء للميت)[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: سوق الخير للمدعوين:

هذا واضح من الأمر بإخلاص الدعاء للميت في الصلاة عليه، قال ابن عثيمين: (المعنى أنك تدعو بحضور قلب أو إلحاح على الله لأخيك، لأنه محتاج لك)[٥] وقال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت)[٦]. وقال عبدالله البسام: (يدل الحديث على وجوب الدعاء للميت وتخصيصه به هو معنى الدعاء له، فلا يكفي الدعاء العام، ولكنه يكفي أي دعاء وأقل دعاء، فلو قيل في الصلاة: اللهم اغفر له لحصل الواجب. وإن كل أحد محتاج إلى الدعاء ولو استغنى عنه أحد لاستغنى عنه الصحابة رضي الله عنهم أصحاب الفضائل العالية والأعمال الحميدة)[٧].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٩/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٣٤٥/٧، رقم ٣٠٧٦.

(٣) انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/١٦.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٦/١.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٢٠١/٢.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٧) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٧/٢.

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: (السنة في الصلاة على الجنائز أن يكبّر ثم يقرأ بأم القرآن ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يخلص الدعاء للميت)[١].

ومن هذا القبيل [قبيل سوق الخير للمدعوين] إعلام الناس بموته. قال ابن حجر: (قال ابن المرابط: إن النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح، وإن كان فيه إدخال الكرب والمصائب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمّة لما يترتب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود جنازته وتهيئة أمره والصلاة عليه والدعاء له والاستغفار وتنفيذ وصاياه وما يترتب على ذلك من الأحكام)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب أن يعلم جيران الميت وأصدقاؤه حتى يؤدوا حقه بالصلاة عليه والدعاء له)[٣].

وقال ابن العربي: (يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات: الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح فهذا سنة. الثانية: الدعوة للمفاخرة بالكثرة. الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة ونحو ذلك، فهذا يحرم)[٤].

ومن هذا القبيل أيضًا - قبيل سوق الخير للمدعوين- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ. فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي. قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ-. فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ. فَصَلَّى عَلَيْهَا. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٦٤٢٨ ومن طريقه ابن الجارود في المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٥٤٠ وإسناده صحيح إلا أن أبا أمامة بن سهل ابن حنيف قال البخاري: أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه. كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ٤٠. وقد أخرجه الشافعي في مسند الشافعي ١٦٤٧، والحاكم ٣٦٠/١، والبيهقي ٣٩/٤. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر: حواشي زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٠٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٦/٣-١١٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٦.

(٤) أحكام القرآن، ابن العربي ٢٠٠/٤، فتح الباري، ابن حجر ١١٧/٣، ، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٦/١٦.

وَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ))[١].

قال النووي: (فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والرفق بأمته وتفقد أحوالهم، والقيام بحقوقهم والاهتمام بمصالحهم في آخرتهم ودنياهم)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٣٧، ومسلم واللفظ له ٩٥٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٨/٧/٤.

الحديث رقم (٩٣٩)

٩٣٩- وعنه، عن النبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ عَلَى الجَنَازَةِ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ رَبُّهَا، وَأنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأنتَ هَدَيْتَهَا للإسْلاَمِ، وَأنتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأنْتَ أعْلَمُ بِسرِّهَا وَعَلاَنِيَتِهَا، وَقَدْ جِئْنَاكَ[1] شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ)) رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الصلاة على الجنازة لها طبيعة خاصة تنبعث من الموقف الوجداني من حالة شعورية تنقبض لها النفوس، وترتجف عندها القلوب لعلمها بأنها ستكون مكانها يوماً، ودعاء الرسول ﷺ يتصدره نداء يتناسب مع الموقف الوجداني (اللهم) والذي يدخل بالمؤمن في حوار مع ربه، وذكر الضمير (أنت) فيه اختصاص يبعث استشعار قربه، وذكر الرب، وإضافته للضمير العائد على الجنازة يستحضر معانى الرعاية، والتربية، والحفظ، التي هي لوازم الربوبية، وقوله (أنت خلقتها) اختصاص بإفراد الله تعالى بخلقها يقتضي انفراده برحمتها، وكذلك قوله (أنت هديتها) وتخصيص الإسلام يشير إلى النعمة العظمى التي أنعم الله بها عليه ابتداءً، وقوله (وأنت قبضت روحها) تخصيص لله بقبض الروح، وذكر هذه النعم من باب التضرع لله بالاعتراف بعطاياه، وقولها: (وَأنْتَ أعْلَمُ بِسرِّهَا وَعَلاَنِيَتِهَا) فيه طباق بين السر، والعلانية يقرر استغراق علم الله للأحوال الخاصية بالميت، وغيره، وقوله (وَقَدْ جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ لَهُ) الدعاء بصيغة الجمع فيه مزيد تذلل، وإظهار للمسكنة، وتبرأ من غيره، وختمه بالطلب الذي أرصد له من بداية دعائه، وقدم بين يديه الثناء على الله، وأظهر التضرع، والمسكنة حرصاً على الإجابة، وحصول المغفرة.

---

(١) لفظ أبي داود: (جئنا) فقط، بدل: (وقد جئناك).

(٢) برقم ٣٢٠٠.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت عند الصلاة عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بَدء الدعاء بالثناء على الله سبحانه وتمجيده.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الدعاء للميت عند الصلاة عليه:

هذا واضح من الحديثين، قال العظيم آبادي في شرح حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ("أنت ربها"؛ أي سيدها ومالكها "للإسلام" المشتمل على الإيمان انتهاءً. "وأنت قبضت روحها" أي أمرت بقبض روحها "بسرها وعلانيتها" بتخفيف الياء أي باطنها وظاهرها، "جئنا شفعاء" أي: بين يديك)[٢].

قال ابن الأثير: (وقد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم، يقال: شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع. والمشفَّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته)[٣].

وقال الشوكاني عن قول النبي ﷺ في حديث واثلة رضي الله عنه: ("اللهم إن فلان بن فلان": فيه دليل على استحباب تسمية الميت باسمه واسم أبيه، وهذا إن كان معروفًا وإلا جعل مكان ذلك: اللهم إن عبدك هذا أو نحوه، والظاهر أنه يدعو بهذه الألفاظ الواردة في هذه الأحاديث، سواء كان الميت ذكرًا أو أنثى، ولا يحول الضمائر المذكرة إلى صيغة التأنيث إذا كانت الميت أُنثى، لأن مرجعها الميت، وهو يقال على الذكر والأنثى)[٤].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٣٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٤٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤٨٥.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٩.

وقال ابن الأثير: ("في ذِمّتك وحَبْل جِوَارك" كان من عادة العرب أن يُخِيفَ بَعْضُها بعضًا، فكانَ الرجُل إذا أراد سَفَرًا، أخذ عَهْدًا من سَيّد كلّ قَبيلة، فَيأمَنُ به ما دام في حُدُودها حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مِثْل ذلك، فهذا حَبْلُ الجِوَار: أي ما دام مُجَاوِرًا أرْضَه، أو هو من الإجَارة: الأمانِ والنُّصْرة)[1].

قال الطيبي: (الثاني أظهر "وحبل جوارك"، بيان لقوله: "ذمتك" نحو أعجبني زيد وكرمه. وقوله "في ذمتك" أي أن فلانًا في عهدك فنسب إلى الجوار ما كان منسوبًا إلى الله تعالى، فجعل للجوار عهدًا مبالغة في كمال حمايته)[2].

وقال العظيم آبادي: ("فقه" بالضمير أو بهاء السكت "من فتنة القبر وعذاب النار" أي امتحان السؤال فيه، أو من أنواع عذابه من الضغطة والظلمة وغيرهما[3] "وأنت أهل الوفاء" أي الوعد، فإنك لا تخلف الميعاد "أنت الغفور" أي كثير المغفرة للسيئات "الرحيم" كثير الرحمة بقبول الطاعات، والتفضل بتضاعف الحسنات)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بَدء الدعاء بالثناء على الله سبحانه وتمجيده:

هذا واضح في الحديثين، فحديث أبي هريرة ﷺ بدأ النبي ﷺ بالدعاء للميت: "اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها".

وفي حديث واثلة ﷺ بدأ النبي ﷺ بقوله "اللهم إن فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك".

ونقل النووي في الأذكار: (أن آداب الدعاء عشرة، منها: "التاسع: أن يفتتح الدعاء

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١٨٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٧٤/٣، وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٣٦٨.

(٣) قال عبدالله البسام: (فتنة القبر: الفتنة لابدّ منها والطلب هو الوقاية من شرها. وعذاب النار: يسأل الله تعالى أن يقيه العذاب الذي لا تتصور شدته ولا هوله ولا طوله). توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٢٥/٢.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٦٨.

بذكر الله تعالى، قلت [أي النووي]: وبالصلاة على رسول الله ﷺ بعد الحمد لله تعالى والثناء عليه، ويختمه بذلك كله أيضًا)[١].

وقد روى فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ((سَمِعَ النبيُّ رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النبيِّ فقالَ النبيُّ عَجِلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ، فقالَ لَهُ ولِغَيْرِهِ: إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النبيِّ ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ ما شَاءَ))[٢].

وفي رواية أن الرجل قال: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهَ وصَلَّى عَلَى النبيِّ فقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ))[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ أُصَلِّي والنبيُّ ﷺ وأبُو بكرٍ وعُمَرُ معه، فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثناءِ على اللهِ ثم الصَّلاةِ على النبيِّ ﷺ، ثم دَعَوْتُ لنَفْسِي، فقال النبيُّ ﷺ: سَلْ تُعْطَهْ. سَلْ تُعْطَهْ))[٤].

قال ابن القيم: (وإذا جمع الدعاء حضور القلب بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وصادف خشوعًا وانكسارًا بين يدي الرب وذلة له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ٤٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي ٥٩٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٨٦).

- فإن هذا لا يكاد يرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم)[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته:

وهذا واضح من دعاء النبي ﷺ للميت، قال ابن القيم: (ومقصود الصلاة على الجنازة هو الدعاء للميت، لذلك حفظ عن النبي ﷺ ونقل عنه ما لم ينقل من قراءة الفاتحة والصلاة عليه ﷺ)[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنَّه كانَ إذا صلَّى على جِنَازَةٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إن هذا عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ كانَ يَشْهَدُ أن لا إله إلا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ ورَسُولُكَ، وأنتَ أعلَمُ به مِنِّي، إن كان مُحْسِنًا فزِدْ في إحسانِه، وإن كانَ مُسيئًا، فَاغْفِرْ لَهُ، ولا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ))[٣] وقد بوب ابن حبان في صحيحه على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء إذا صلى على جنازة أن يسأل الزيادة للمصلَّى عليه في حسناته والمغفرة لسيئاته[٤].

وقد بلغ من إحسان النبي ﷺ في دعائه على الميت أن تمنى الصحابي عوف بن مالك بعد أن سمع دعاءه ﷺ، تمنى أن يكون ذلك الميت[٥].

وفي رواية: ((فَتَمَنَّيْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ أَنَا الْمَيِّتَ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَيِّتِ))[٦].

ومن ذلك أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا))[٧].

---

(١) الداء والدواء، ابن قيم الجوزية ٧٥١هـ، تحقيق علي بن حسن الحلبي الأثري ص ١٤-١٥، وانظر الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم كذلك ٢/٣٦٥-٣٦٦ مجموعة الأحاديث.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٥٠٥، ثم ذكر أدعيته ﷺ المذكورة في الباب.

(٣) أخرجه ابن حبان ٣٠٧٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) صحيح ابن حبان ٧/٣٤٢، الحديث ٣٠٧٣.

(٥) أخرجه مسلم ٩٦٣.

(٦) أخرجه مسلم ٩٦٣.

(٧) أخرجه البخاري ١٢٤٥، ومسلم ٩٥١.

قال ابن حجر: (الظاهر إنما خرج بالمسلمين إلى المصلّى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه، ولإشاعة كونه مات على الإسلام، فقد كان بعض الناس لم يَدْرِ كَوْنَه أسلم)[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

قال ابن كثير: ("حريص عليكم" أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[٣].

وقال أبو ذر: ((تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلاَّ وَيَذْكُرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ ﷺ: مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))[٤].

رابعًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد دعا النبي ﷺ في هذين الحديثين وبدأهما بقوله: "اللهم" ولاشك أن هذا الفعل منه ﷺ دعوة للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ويعملوا مثلما عمل، فإنه ﷺ قدوتهم ومثلهم، يتبعونه ويهتدون بهديه، ويستنيرون بضيائه.

قال الشوكاني: (واختلاف الأحاديث في ذلك محمول على أنه كان يدعو لميت بدعاء ولآخر بآخر، والذي أمر به ﷺ إخلاص الدعاء)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٨٨/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤، وانظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦٥/٨.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ١٥٥/٢ رقم ١٦٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٥/٧: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٨.

الحديث رقم (٩٤٠)

٩٤٠- وعن وَاثِلَة بنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ فِي ذِمَّتِكَ (وَحَبْلِ جِوَارِكَ)[1]، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعذَابَ النَّارِ، وَأنْتَ أهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إنَّكَ أنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٤).

غريب الألفاظ:

ذمتك: أمانك[3].

حبل جوارك: قال ابن الأثير: (كان من عادة العرب أن يُخِيفَ بَعْضُها بعضًا، فكانَ الرجُل إذا أراد سَفَرًا أخذ عَهْدًا من سَيِّد كلِّ قَبيلة، فَيأمَنُ به ما دام في حُدُودها حتى ينتهي إلى الأخرى فيأخذ مِثْل ذلك، فهذا حَبْلُ الجِوَار: أي ما دام مُجَاوِرًا أرْضَه، أو هو من الإجَارة: الأمانِ والنُّصْرة)[4].

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه (صَلَّى بِنَا رسول الله ﷺ) يشير إلى اجتماعهم في صلاة الجنازة كما وجَّه الرسول ﷺ وكانوا يتسابقون إلى تنفيذ توجيهاته، وقولهم (عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ) تنكير كلمة رجل يشير إلى أنه من عامة المسلمين، وهو ما يؤكد تواضع النبي، وحرصه على صالح المسلمين دون النظر إلى الشرف، أو الخمول مادام مسلماً

---

(١) هذه الزيادة من رواية عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، كما نبّه عليها أبو داود. وليست في رواية إبراهيم بن موسى الرازي.

(٢) برقم ٣٢٠٢. قال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية ١٧٧/٤: هذا حديثٌ حسنٌ.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ذ م م).

(٤) المرجع السابق في (ح ب ل).

ليس عليه دين، (إنَّ فُلانَ ابْنَ فُلانٍ) كناية عن اسم الميت واسم أبيه، والتعبير بالذمة، وحبل الجوار تأكيد لحاجته إلي ربه وانقطاع صلته بالخلق، وتمام اتصاله بالخالق، وحاجته إليه، ليرتب عليها الاستعاذة من فتنة القبر، وعذاب النار، ثم قد الثناء قبل الرجاء (وَأنْتَ أهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ) ثم ختم بتخصيصه بالمغفرة، والرحمة، وتقديم الضمير (أنت) يفيد قصره على ما بعده من الصفات، ونفيها عن من سواه، والدعاء متضمن لما يحقق للميت الستر، والصفح، والعافية من العذاب في القبر، وفي النار، وتقديم القبر لأنه أول منازل الآخرة، وبعده النار أو الجنة بحسب عمل العبد، والاستعاذة من النار تستلزم دخول الجنة، وهو الغاية المرجوة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٤١)

٩٤١- وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا وَيَدْعُو، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَصْنَعُ هكَذَا[1].

وفي رواية: كَبَّرَ أَرْبَعًا فَمَكَثَ سَاعَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكَبِّرُ خَمْسًا، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي لاَ أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَصْنَعُ[2]، أَوْ: هكَذَا صَنَعَ رسول الله ﷺ. رواه الحاكم[3]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

الشرح الأدبي

الحديث يبين عملياً كيفية صلاة الجنازة كما كان يصليها رسول الله ﷺ، والراوي ينقل الخبر بالفعل في صورة الماضي الدال على الحصول والتحقق، وقد سبق بتوكيد من بداية الجملة، ونسبة الجنازة للفظ ابن المضاف إلى الضمير العائد على المصلى يجعل للحدث خصوصية في نقل الأحداث، وتصويرها، وتطبيقها، لأن حنين الأبوة يجعله في قمة الدقة في تطبيق صلاة الجنازة بحذافيرها لحرصه على حصولها على

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٦٠/١، وعنه البيهقي في السنن الكبرى ٤٢/٤. من طريق أحمد بن حنبل، وهو في المسند ١٩١٤٠. وقال الحاكم: هذا حديث صحيحٌ ولم يخرجاه، وإبراهيم بن مسلم الهجري لم ينقم عليه بحجة.

قلتُ: تابع الهجري في روايته، أبو يعفور، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥/٤). وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبوبكر الشافعي في الغيلانيات ٣٤١ ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى ٤٣/٤ عن يزيد، عن شريك، عن إبراهيم الهجري، عنه. بهذا اللفظ.

(٣) تنبيه: الحديث باللفظ الأول، أخرجه الحاكم في المستدرك، وأما اللفظ الثاني فلم يخرجه الحاكم كما عزاه إليه المؤلف.

الوجه الأكمل المحقق للغاية مع وجدان مشتعل، وقلب يقظ، وقوله: (فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا) التشبيه لبيان مقدار الوقوف، والتعبير بالقيام يضفي على الوقوف هيبة موقف الصلاة، مع تضمنه لمعنى الإصلاح، والتقويم، والاستفهام في قولهم (فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ) إنكار عليه، وتعجب من فعله؛ لأنه أطال بعد التكبيرة الرابعة حتى ظنوا أنه سيكبر الخامسة، وفيه مبالغة في بيان حد الإطالة، وقوله (كَانَ رسول اللهِ ﷺ يَصْنَعُ هكَذَا) التعبير بكان يوحي بالعادة في الفعل في صلاة الجنازة، والتشبيه بصنعه يفيد انه لم يزد على ما كان رسول يصنع كما نص عليه في الرواية الثانية كما يقرر التشبيه بأنها صارت سنة لهم تتبع في الصلاة على الجنازة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على التأسي بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من فقه الداعية: البيان والتوضيح لأفعاله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على التأسي بالنبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث بروايتيه، وقوله في آخره: "كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا" أو "إني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع. أو هكذا صنع رسول الله ﷺ" والحديث رواه ابن ماجه[1] بلفظه قال إبراهيم بن مسلم الهجري: ((صَلَّيْتُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى الأَسْلَمِيِّ، صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ. فَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا. فَمَكَثَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ شَيْئًا. قَالَ فَسَمِعْتُ الْقَوْمَ يُسَبِّحُونَ بِهِ مِنْ نَوَاحِي الصُّفُوفِ. فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: أَكُنْتُمْ تُرَوْنَ أَنِّي مُكَبِّرٌ خَمْسًا؟ قَالُوا: تَخَوَّفْنَا ذَلِكَ. قَالَ: لَمْ أَكُنْ لأَفْعَلَ. وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ أَرْبَعًا. ثُمَّ يَمْكُثُ سَاعَةً. فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ يُسَلِّمُ)).

---

(١) سنن ابن ماجه ١٥٠٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٢٢٠).

وفي رواية أحمد بن حنبل لهذا الحديث[١] ((عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَجَرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى أَوْفَى وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ فَمَاتَتِ ابْنَةٌ لَهُ وَكَانَ يَتْبَعُ جِنَازَتَهَا عَلَى بَغْلَةٍ خَلْفَهَا فَجَعَلَ النِّسَاءُ يَبْكِينَ فَقَالَ لاَ تَرْثِينَ، "فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنِ الْمَرَاثِى"، فَتُفِيضُ إِحْدَاكُنَّ مِنْ عَبْرَتِهَا مَا شَاءَتْ. ثُمَّ كَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ثُمَّ قَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ قَدْرَ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَدْعُو ثُمَّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ فِى الْجِنَازَةِ هَكَذَا")).

قال السندي: (قوله "لا ترثين": من رثى الميت إذا عد محاسنه "فتفيض" من الإفاضة، يريد أن البكاء بلا صياح جائز "يصنع" أي: لا أنه يسلم بعد التكبيرة الرابعة بلا دعاء كما اعتاده ناس)[٢].

وقال الشوكاني: (فيه [أي الحديث] دليل على استحباب الدعاء بعد التكبيرة الآخرة قبل التسليم، وفيه خلاف، والراجح الاستحباب لهذا الحديث)[٣].

ولعل من أبلغ الأمثلة على حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ﷺ ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: ((اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتمًا من ذَهبٍ فاتخذَ الناس خَوَاتيم من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: إني اتخذتُ خاتمًا من ذهبٍ فنَبَذَه وقال: إني لن ألبَسَهُ أبدًا، فنَبذَ الناسُ خواتيمهم))[٤].

وكذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ((أنه رأى في يد رسولِ الله ﷺ خاتمًا من وَرِق يومًا واحدًا، ثم إن الناس اصطنَعوا الْخواتيمَ من وَرِقٍ ولَبِسوها، فطَرَحَ رسولُ الله ﷺ خاتمهُ، فطَرَحَ الناسُ خَواتيمَهم))[٥].

قال ابن حجر: (وفي حديثي الباب مبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الاقتداء بأفعاله ﷺ، فمهما أقرهم عليه استمروا عليه، ومهما أنكره امتنعوا منه)[٦].

---

(١) مسند أحمد ٣٥٦/٤، رقم ١٩١٤٠، وضعفه محققو المسند ٤٨٠/٣١.

(٢) حاشية السندي على مسند أحمد ٤٨١/٣١.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٦٨، ومسلم ٢٠٩٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٢١/١٠.

وقد بوب البخاري على حديث ابن عمر رضي الله عنهما باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: البيان والتوضيح لأفعاله:

هذا واضح من قول عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه لما ظن المصلون وراءه أنه سيكبر الخامسة، قال لهم: إني لا أزيدكم على ما رأيتُ رسول الله ﷺ يصنع أو هكذا صنع رسول الله ﷺ. فقد بيّن سبب تطويله الدعاء بعد التكبيرة الرابعة، وأن ذلك اقتداء بالنبي ﷺ.

ومن هذا القبيل ما رواه الصعب بن جثامة ((أنه أهدى إلى رسول ﷺ حمارًا وحشيًا فرده عليه رسول الله ﷺ فلما رأى ما في وجهي قال: إنّا لَمْ نرُدَّ عَلَيْكَ إلاّ أنّا حُرُمٌ))[٢].

قال النووي: (فيه جواز قبول الهدية للنبي ﷺ بخلاف الصدقة، وفيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها، لعذرٍ أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييبًا لقلبه)[٣].

ومن هذا القبيل ما فعله عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال طلحة بن عبدالله بن عوف قال: ((صليتُ خلفَ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما على جَنازةٍ فقرأَ بفاتحةِ الكتابِ. قال: لتعلَموا أنَّها سُنَّة))[٤]، وفي رواية: ((صَلَّيْتُ خَلْفَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى جَنَازَةٍ فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: تَقْرَأُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّهُ حَقٌّ وَسُنَّةٌ))[٥].

وسورة الفاتحة هي أم القرآن وفاتحته وقراءتها بعد أول تكبيرة من صلاة الجنازة في غاية المناسبة، ذلك أن صلاة الجنازة دعاء وشفاعة للميت، فأدب الدعاء أن يقدم بين يديه الثناء على الله تعالى، وأحسن الثناء هو مقدمة فاتحةالكتاب. وفي الحديث دليل على أنه يحسن في الإمام أن يجهر في بعض القراءة أو الذكر في الصلاة، ليعلم المأمومين حكم ذلك، فإن ابن عباس جهر بالفاتحة ليعلم الناس أن قراءتها في صلاة

---

(١) صحيح البخاري ٧٢٩٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٨/١١٠، . وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٤/٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٣٥.

(٥) أخرجه النسائي ١٩٨٨، وابن خزيمة كما في فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٨٧٩) وانظر: فتح الباري فقد ذكر ابن حجر روايات أخرى.

الجنازة سنة، أي أنها سنة النبي ﷺ وطريقته التي قد تكون مستحبة وقد تكون واجبة، وهي هنا واجبة من أدلة أخر)[١].

ولعلّ من هذا القبيل أيضًا ما رواه أسلم أبو عمران قال: ((كُنَّا بالقِسْطَنْطِينِيَّةِ، وعَلَى أهلِ مِصْرَ عقبةُ بنُ عامرٍ، وعلى أهلِ الشامِ رجلٌ، يريدُ فَضَالَةَ بنَ عُبَيْدٍ، فَخَرَجَ من المدينةِ صَفٌّ عظيمٌ من الرومِ، فَصَفَفْنَا لَهُمْ، فَحَمَلَ رجلٌ مِنَ المسلمينَ على الرومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ ثم خَرَجَ عَلَيْنَا، فَصَاحَ الناسُ إليهِ فقالُوا: سُبْحَانَ اللهِ أَلْقَى بيدِهِ إلى التَّهْلُكَةِ، فقامَ أبو أيوبَ الأنصاريُّ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يَا أَيُّهَا الناسُ إنَّكُمْ لَتُأَوِّلُونَ هذِهِ الآيةَ على هَذَا التأويلِ، إنَّمَا أُنْزِلَتْ هذِهِ الآيةُ [أي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٢] فِينَا معشرَ الأنصارِ، إنَّا لَمَّا أَعَزَّ اللهُ دينَهُ وكَثُرَ ناصِرُوهُ فقُلْنَا فِيمَا بَيْنَنَا بَعْضُنَا لبعضٍ سرًّا مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ: إنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وإن اللهَ قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فَلَوْ أَقَمْنَا فِيهَا فَأَصْلَحْنَا ما ضاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرُدُّ عَلَيْنَا ما قلنا ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ في الإقامةِ في الأموالِ وإصلاحها وتركنا الغزو. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية))[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

وهذا واضح من قول الصحابي عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: "كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا" وفي الرواية الأخرى: "إني لا أزيدكم على ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع. أو هكذا صنع رسول الله ﷺ".

والإخبار كان وسيلة فعالة -وما يزال- في نقل أفعال النبي ﷺ إلى المدعوين وكذلك أوصافه الخلقية والخُلقية، وذلك ليقتدي المدعوون به ﷺ في أخلاقهم وأفعالهم

---

(١) توضيح الحكام من بلوغ المرام ٥٢٢/٢. وانظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣٥٣/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) أخرجه أبوداود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

وحياتهم اليومية، فهو ﷺ قدوتهم وأسوتهم، وقد قال الله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالدعاء:

إن من الأساليب التربوية، التربية بالدعاء سواء كان الدعاء للنفس أم كان للغير، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقوداً وتتمكن الرحمة والرأفة من القلوب[1]، وقد تضمنت أحاديث الباب كلها الدعاء حيث جاء الباب لبيان ما يقرأ ويدعى به في صلاة الجنازة، وإن كان الدعاء في أصل صلاة الجنازة إلا أن الأدعية جاءت عامة شاملة للجميع، للأحياء والأموات، للصغار والكبار، والشهود والغائبين، للإناث والذكور، كما جاء في صريح حديث أبي هريرة وأبي قتادة رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ صلى على جنازة فقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا. اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ. اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تُضِلَّنَا بَعْدَهُ».

إن التربية بالدعاء لها أكبر الأثر في تطهير النفس وتزكية السلوك وحسن التوجه إلى الله تبارك وتعالى، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فُطِرَ على دعوتها والتضرع إليه.

إن الدعاء له أثره التربوي الذي لا ينكر فهو:

-ثمرة المعرفة، والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء، ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2].

كما أن في الدعاء تذكير للنفس بحقيقة فقرها إلى الله تعالى وصلتها به، ومن ثَمَّ كانت حياة رسول الله ﷺ دعاءً دائماً لنفسه وللمؤمنين، يدعو مع كل عمل وكل

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٥.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

حركة بالليل أو النهار وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها ويعلمها لأصحابه، كما نرى ذلك واضحاً في أحاديث الباب في أدعية الجنازة حفظها الصحابة رضي الله عنهم ونقلوها إلى الأمة جيلاً بعد جيل.

-كما أن الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فلا يَقْضى على النفس ويوردها موارد التهلكة، كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد المعينة، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة، وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعينه إذا احتاج، إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والرضا[1].

ثانياً- التربية الفقهية:

من أولويات التربية الإسلامية الفقه في الدين وتعلم أحكامه لاسيما الأحكام المتعلقة بالعقيدة والعبادات، كما أن التربية الإسلامية لا تحرص على مجرد التعليم للأحكام بل لابد من فهمها وفقهها، "ولقد عاب الله تعالى في كتابه -في غير ما موضع- الذين لا يفقهون، فقال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[2]. وأخبر ﷺ أن من إرادة الله الخير بالعبد أن يُفَقّهه في الدين، فعن حميد بن عبدالرحمن قال: سَمِعْتُ مُعاوِيَةَ رضي الله عنه خَطيباً يقول: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائِمةً على أَمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهمْ مَنْ خالَفَهُم حتىٰ يأتيَ أَمرُ اللّه»[3]. وتواصت الأمة بالعلم بأحكام

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢١٨-٢٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري، ٧١، ومسلم، ١٠٣٧.

الدين والتفقه فيها[١]، خاصة من نصبوا أنفسهم للدعوة إلى الله تعالى وتعريف الناس بأحكام دينهم.

وقد بينت أحاديث الباب بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بما يقرأ في صلاة الجنازة، كعدد تكبيراتها، وما يقال ويقرأ بعد كلٍ منها، ومن ذلك ما جاء في حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه: «كبر على جنازة ابنه له أربع تكبيرات ... ثم قال: كان رسول الله ﷺ يصنع هكذا» والتسليم، كما في رواية: «ثم سلم عن يمينه وعن شماله».

لذا كان من أهداف التربية الإسلامية الاهتمام بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وأدلتها من الكتاب والسنة[٢].

وأهم ما ينبغي التركيز عليه في تعليم الناشئة وتربيتهم، تعليم الطهارة والصلاة وأحكامهما، وأحكام الصيام، مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدى بهم أولادهم وبناتهم، ولذا يستحب أداء النوافل في البيت، وعللوا ذلك باقتداء الأولاد بأبيهم، وتدريبهم على أداء الصلاة، فيقتدوا بوالدهم في أفعاله ما داموا صغاراً لم يذهبوا للمسجد، كما أن على الأمهات تعليم بناتهن أحكام النساء الخاصة بهن في الطهارة والصلاة والحجاب والحياء وغير ذلك[٣].

ثالثاً- التربية العقدية:

إن من أعظم الأسس التي تقوم عليها التربية الإسلامية الأساس العقدي، وقد تضمنت أحاديث الباب الإشارة إلى عدد من أمور العقيدة الإسلامية ومنها:

أ-الإيمان بربوبية الله تعالى، وأنه المتصرف في خلقه وما يجب له من صفاتٍ وأفعال فهو الخالق، الهادي العالم بأسرار النفوس وعلانيتها، وغير ذلك من صفات كالرحمة والمغفرة وغيرها، ومن أحاديث الباب التي جمعت هذه المعاني حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في صلاة الجنازة: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلإِسْلاَمِ

---

(١) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٨٢، ٨٣.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٣٣، ٣٤.

وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، وَقَدْ جِئْنَاكَ شُفَعَاءَ فَاغْفِرْ لَه»، وفي حديث أبي عبدالرحمن عوف بن مالك ... «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ. وَاعْفُ عَنْهُ ...».

ب-الإيمان بالغيبيات والتي لا علم لإنسان بها إلا من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كالجنة ونعيمها، والنار وعذابها، والقبر وفتنته -نسأل الله السلامة- وقد وردت الإشارة إلى ذلك في أحاديث الباب، كما في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ... «... وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ومِنْ عَذَابِ النَّارِ».

إن للتربية العقدية أكبر الأثر في نفس وحياة المسلم بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة، وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك، تكون مقياساً حتمياً لكل سلوك يسلكه، سواء أكان سلوكاً دنيوياً أم كان سلوكاً أخروياً بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية.

كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيساً من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقاً مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيراً يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على وجهة نظر الإسلام تجاه الأشياء والظواهر والعلاقات بصورة صحيحة[1].

رابعاً- الحفظ:

من وسائل التربية الإسلامية والبناء العلمي والفكري الحفْظُ، وقد كان النبي ﷺ يقوم بتلقين أصحابه وتحفيظهم القرآن والسنة، وكذلك في كثير من الأعمال والعبادات يأتي بها مع إعطائه الفرصة للصحابة أن يسمعوا له ويحفظوا عنه، كأن يدعو بصوت يُسْمِع مَنْ معه كما في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٨١-٨٦.

الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول:...»، وذلك مما يُمَكِّنُ الصحابة من المتابعة والحفظ، كما في حديث عوف بن مالك قال: «صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول...».

إن أول ما ينبغي توجيه الناشئة والمتربين لحفظه هو كتاب الله وسنة رسوله الله ﷺ، وذلك لما لهما من أهمية في بناء وتكوين عقل الطفل، وهما مصدرا إشعاع العلوم.

ولقد كان من فعل الصحابة والسلف أن أول ما يلقنونه للطفل القرآن والسنة، لأنهما المصدران الأساسيان في بناء الطفل علمياً، ولهذا قال ابن سينا في كتاب "السياسة" فإذا تهيأ الصبي للتلقين وَوَعَى سمعُه أَخَذَ في تعلم القرآن وصُوِّرَت له حروفُ الهجاء ولُقِّن معالم الدين[1].

خامساً- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الإخلاص:

إن شرط قبول الأعمال قاطبة الإخلاص لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2].

وقد ورد الأمر بالإخلاص في أحاديث الباب في صريح قوله ﷺ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ».

وإذا كان الإسلام أمرنا بإخلاص النية في كل عمل وفي كل مجال فأولى الناس بإخلاص النية الذين نصبوا أنفسهم لتعليم الناس وتربية الناشئة، وذلك استحضاراً لقيمة العمل الذي يقومون به يبتغون من الله الفضل والثواب، "إذ أن المعلم القدير هو الذي يشعر بمدى أهمية عمله وعظم المسئولية الملقاة على عاتقه، وأن يقصد بعمله مرضاة الله تعالى وبلوغ الحق وإحقاقه، ويسعى لنشر العلم وتعليم الناشئة من أبناء المسلمين.

إن المعلم القدير الذي يخلص في عمله، وتَكُون نيته منفعة أبناء المسلمين، فإنه

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٣١٦.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

سيحظى بقبول عمله، ويلقى المثوبة والأجر من رب العزة جل وعلا، وعليه فإنه يجب على المربي أن يحرر نيته، ويقصد بها وجه الله تعالى في كل ما يقوم به من أقوال وأفعال، ويخلص في عمله سواء أكان هذا العمل تعليماً أو توجيهاً أو تربية أو نصحاً أو أمراً أو نهياً أو تشجيعاً أو عقوبة، حتى يكون عند الله من المقبولين، وقال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

فالمعلم المخلص في نيته، يحظى بقبول علمه، ويلقى الأجر والثواب من رب الأرباب -عز وجل- وإذا أقبل العبد بقلبه على الله أقبل الله عليه بقلوب عباده[2].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ١٤٢-١٤٥.

١٥٨- باب الإسراع بالجنازة

الحديث رقم (٩٤٢)

٩٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((أسْرِعُوا بالجِنَازَةِ، فَإنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلمٍ[2]: ((فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (أسرعوا بالجنازة) الْجِنَازَةُ وَالْجِنَازَةُ - بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ، بِالْفَتْحِ هُوَ الْمَيِّتُ، وَبِالْكَسْرِ: النَّعْشُ، فَعَلَى هَذَا: يَلِيقُ الْفَتْحُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (سَارِعُوا بِالْجِنَازَةِ) يَعْنِي بِالْمَيِّتِ فَإِنَّهُ الْمَقْصُودُ بِأَنْ يُسْرَعَ بِهِ. وهو أمر توجيه، وإرشاد يندب الأمة إلى سرعة دفن الميت، وقد علل لذلك بقوله (فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ) وفيه مقابلة بين قوله صالحة، والتعبير الكنائي عن مقابل الصلاح، وهو الفساد في قوله: (وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ) كما قابل بين خير، وشر الذي يشير إلى تبليغ الميت لمصيره الذي يتقرر بناءً على ما قدم، وفيه ترغيب في العمل الصالح، وتحذير من ضده، والإسراع بتجهيز الميت.

فقه الحديث

اتفق العلماء على استحباب الإسراع بالجنازة، إلا أن يخاف من الإسراع انفجار

---

(١) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٩٤٤/٥٠ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٥٦.

(٢) بالرقم الذي تقدم، وفيه في نسخة: (إليه) بدل: (عليه).

الميت أو تغيره[١]. وخالف ابن حزم الظاهري وقال بوجوب الإسراع بالجنازة[٢].

واختلف الفقهاء بعد ذلك في تفسير الإسراع: فذهب الأحناف إلى أنه يُسرع بالميت بلا خبب، وهو كالرمل، وحَدُّه أن يسرع به بحيث لا يضطرب الميت على الجنازة[٣].

وذهب المالكية إلى أن المراد بالإسراع بالجنازة، مايعم غسلها وتكفينها وحملها والمشي معها مشيًا دون الخبب، فإنه يكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها. ولا يمشى بالجنازة مشي الهوَيْنى ولكن مشية الرجل الشاب[٤]. وذهب الشافعية إلى أن المراد بالإسراع ماكان فوق المشي المعتاد ودون الخبب. فإن خيف عليه تغيير أو انفجار أو انتفاخ زيد في الإسراع[٥].

وذهب الحنابلة إلى أن الإسراع المستحب إسراع لا يخرج عن المشي المعتاد[٦]. والراجح ما ذهب إليه الحنابلة، وذلك لأن المشي غير المعتاد يؤدي إلى اضطراب الميت وانفجاره وتغيره، كما أن الذين يتبعون الجنازة منهم الضعيف وكبير السن.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٠٦/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٤/١، وفتح العلي المالك ١٥٥/١، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٤/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/٧، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٤/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٥٤/٥.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٠٦/٢، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٤/١.

(٤) فتح العلي المالك ١٥٥/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٤/٢.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٣٥/٥، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢/٧، وشرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٦٩/٢.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٨/٢، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٤/٢.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسراع بالجنازة.

ثالثًا: من فقه الداعية: التعبير عن المعاني المكروهة بما يدل عليها دون التصريح.

رابعًا: من موضوعات الدعوة مصاحبة الصالحين والبعد عن الأشرار.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

الأمر هو قوله ﷺ "أسرعوا بالجنازة"، قال ابن حزم: (الإسراع بها أمر)[٢]. أما التعليل فقوله ﷺ: "فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" والإتيان بالتعليل بعد الأمر، دعوة للمدعوين أن يزدادوا في الامتثال والانقياد، لكونهم على بيّنة من علة الأمر وسببه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإسراع بالجنازة:

هذا واضح من الأمر في الحديث "أسرعوا بالجنازة" قال النووي: (فيه الأمر بالإسراع للحكمة التي ذكرها ﷺ)[٣]. وقال ابن حجر: (وفيه استحباب المبادرة إلى دفن الميت، لكن بعد أن يتحقق أنه مات، أما مثل المطعون والمفلوج والمسبوت[٤]، فينبغي ألا يسرع بدفنهم حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم)[٥].

قال أبو العباس القرطبي: (قوله ﷺ: "أسرعوا بالجنازة" أي أسرعوا بحملها إلى قبرها في مشيكم، يدلُّ عليه قوله في آخره: "فخيرٌ تقدمونها إليه، أو شر تضعونه عن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٤٢).

(٢) المحلى، ابن حزم ٥٠٢ المسألة رقم ٥٩٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤/٧/٤.

(٤) المطعون من أصابه الطاعون، والمفلوج: من تعطل بعض أعضائه عن الحركة لموت الأعصاب فيها. والمسبوت: المغشي عليه. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٤١٢، ٥٥٨، ٦٩٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٤١٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

رقابكم". وقيل: يعني به: الإسراع بتجهيزها بعد موتها لئلا تتغيّر، قال [أي القرطبي] والأول أظهر. ثم لا يبعد أن يكون كلٌّ واحدٍ منهما مطلوبًا؛ إذ مقتضاه مطلق الإسراع. فإنه لم يقيده بقيد. والله أعلم. ثم على الأول: فذلك الإسراع يكون في رفقٍ ولطفٍ؛ فإنه إن لم يكن كذلك تعب المتبع، ولعله يضعف عن كمال الاتباع، وانخرقت حرمةُ الميت لكثرة تحريكه، وربما يكون ذلك سبب خروج شيء منه، فيتلطخ به، فيكون ذلك نقضُ المقصود الذي هو النظافة. ومقصود الحديث: ألا يُتباطأ في حمله بالمشي فيؤخَّر عن خير يقدم به عليه. أو يستكثر من حمل الشر إن كان من أهله. ولأن المبطئ في مشيه يخاف عليه الزهو والتكبر، وهذا قول الجمهور.

وقد تضمَّن هذا الحديث: الأمرَ بحمل الميت إلى قبره. وهو واجبٌ على الكفاية إن لم يكن له مالٌ يحملُ منه)[1].

وقال ابن عثيمين: (الإسراع في الجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها والإسراع في تشييعها والإسراع في دفنها، وذلك أن الميت إذا مات، فإما أن يكون صالحًا، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحًا، فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعده له الله من النعيم في قبره، لأنه ينتقل من الدنيا إلى خير منها وإلى أفضل، لأنه حين احتضاره ومنازعته من الموت يبشر، يقال لروحه: ((أبشري برحمة من الله ورضوان))[2]، فيشتاق لهذه البشرى فيجب أن يتعجل وأن يُعجَّل به، فإذا حبس كان في هذا شيء من الجناية عليه، والحيلولة بينه وبين ما أعده الله له من النعيم إليه، فإن كان غير صالح - والعياذ بالله - فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا، وينبغي أن نسارع بالتخلص منه، ولهذا قال النبي ﷺ: "أسرعوا بالجنازة" أسرعوا بها في تجهيزها وتشييعها ودفنها لاتؤخروها "فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه" خير يعني خيرًا مما انتقلت منه "تقدمونها إليه" لأنها تقدم -جعلنا الله وإياكم منهم- إلى رحمة الله ونعيم وسرور ونور فتقدمونها إلى خير

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٠٢-٦٠٣.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٢٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ٣٤٣٧).

"وإن تك سوى ذلك" يعني ليست صالحة "فشر تضعونه عن رقابكم" تسلمون منه، لأنه ما لا خير فيه لا خير في بقائه. إذًا يستفاد من هذا الحديث أنه يسن الإسراع بالجنازة وألا تؤخر)[١].

قال عبدالله البسام: (ما يؤخذ من الحديث: الأمر بالإسراع بالجنازة من مكان الصلاة إلى القبر، وصفة الإسراع مشي سريع الخطا دون الخَبَب[٢]. وقال الموفق[٣]: هذا الأمر للاستحباب بلاخلاف بين العلماء اهـ. وذكر غير واحد من العلماء أن الإسراع لا يصل إلى الإفراط الذي يمخض مخضًا، فيرج الجنازة ويؤذي تابعيها، وإنما تراعي السنة بالإسراع، ويراعى الرفق بالميت والمشيِّعين. وقال ابن القيم: أما دبيب الناس اليوم خطوة خطوة، فبدعة مكروهة مخالفة للسنة للتشبه بأهل الكتاب اهـ.

وقال شيخ الإسلام: كان الميت في عهد النبي ﷺ يخرج به الرجال يحملونه إلى المقبرة، لا يسرعون ولا يبطئون، بل عليهم السكينة، ولا يرفعون أصواتهم لا بقراءة ولا بغيرها، وهذه هي السنة باتفاق المسلمين اهـ.

والإسراع بالجنازة هنا يشمل الإسراع في تجهيزها ودفنها، فهو أعم من أن يكون الإسراع في حملها إلى القبر، لما روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: ((لا ينبغي لجيفة مسلم أن تبقى بين ظهراني أهله))[٤].

هذا ما لم يكن في تأخيرها مصلحة من حضور الأقارب ونحوهم، أو يكون مات في حادث جنائي يتطلب بقاء جثة الميت للتحقيق في أمرها، فإن حقق التأخير مصلحة ظاهرة فلا بأس ببقائها، لا سيما مع وجود الأماكن المبردة التي تحفظ الجسد من الفساد)[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٢/٢.

(٢) نوع من الجري والعدو يميل فيه العادي على يمينه مرة وعلى يساره مرة. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧٠.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٩٤/٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٣١٥٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٦٩٢).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٢/٢.

ثالثًا- من فقه الداعية: التعبير عن المعاني المكروهة بما يدل عليها دون التصريح:

هذا واضح من قوله ﷺ "وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" قال ابن عثيمين: (يستفاد منه أن ينبغي أن يعبر عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها بدون سوء، لأن قسيم الصالحة: الفاسدة، ولكن النبي ﷺ عدل عن كلمة "تك فاسدة" إلى قوله "وإن تك سوى ذلك" وهذا من باب التأدب في اللفظ وإلا فالمعنى واحد. والتأدب في اللفظ له شأن عجيب، انظر إلى قوله تعالى عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1] لما أرادوا الخير أضافوه إلى الله "أم أراد بهم ربهم رشدا" وفي الشر قالوا "أشر أريد" وما قالوا: "شر أراده الله"، مع أن الله مريد للخير والشر، لكن الشر الذي يريده الله ليس شرًا في فعله بل في مفعولاته، أما فعله عز وجل فلاشك أنه خير، لكن يقدر الشر للخير لحكمة يريدها عز وجل، المهم أنه ينبغي للإنسان أن يتأدب في صياغة الألفاظ من غير إخلال بالمعنى.

ويذكر أن ملكًا من الملوك رأى رؤيا، وهي أن أسنانه قد سقطت واهتم لذلك، فجمع الذين يعبرون الرؤيا -أي يفسرونها- فقال له واحد: إن حاشيتك تموت وأهلك معهم، ففزع الملك ولم يعجبه هذا التفسير، فأمر بالرجل فجلد، ثم دعا آخر وقال له ما رأى. قال إن الملك يكون أطول أهله عمرًا، المعنى واحد، فأكرمه وأجازه، فالألفاظ لها تأثير، ولهذا قال: الرسول ﷺ "وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم")[2].

وقد قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ﴾[3].

---

(١) سورة الجن، آية: ١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢٠٢/٢-١٢٠٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

قال القاسمي: (الرفث أصله قول الفحش، وكنّى به هنا عن الجماع وما يتبعه، كما كنّى عنه في قوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[١]، وقوله ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾[٢]، فالله كريم يكني، وإيثار الكناية عنه -هنا- بلفظ الرفث الدال على معنى القبح -عدا بقية الآيات- استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانًا لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه، من سنن العرب، وللثعالبي في آخر كتابه "فقه اللغة" فصل في ذلك بديع)[٣].

وقال النووي: (المستحب في مثل هذا، الكناية عن قبيح الأسماء، واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض، ولا يكون في صورتها ما يستحيا من التصريح بحقيقة لفظه، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز والسنن ... وقد يستعملون صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس، أو الاشتراك، أو نفي المجاز، أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[٤] وكقوله ﷺ: ((أنِكْتَها؟))[٥] وكقوله ﷺ: ((أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ))[٦] وكقول أبي هريرة رضي الله عنه: ((الحَدَث فُسَاءٌ أَوْ ضُرَاطٌ))[٧] ونظائر ذلك كثيرة)[٨].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: مصاحبة الصالحين والبعد عن الأشرار:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "فشر تضعونه عن رقابكم" قال النووي: (معناه أنها بعيدة من الرحمة، فلا مصلحة لكم في مصاحبتها، ويؤخذ منه ترك صحبة أهل

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٣.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣/١١١-١١٢.

(٤) سورة النور، آية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٢٤ بهذا اللفظ.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٨، ومسلم ٣٨٩.

(٧) أخرجه البخاري ١٣٥.

(٨) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٣.

البطالة غير الصالحين)[١]. وقال عبدالله البسام: (فيه طلب مصاحبة الأخيار والابتعاد عن الأشرار)[٢].

وقد قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ. فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ، إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً))[٣].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث بقوله: (ذكر الأمر بمجالسة الصالحين، وأهل الدين دون أضدادهم من المسلمين)[٤].

قال النووي: (فيه فضيلة مجالسة الصالحين، وأهل الخير، والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر، وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة)[٥].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما)[٦].

ولاشك أن مصاحبة الأخيار طريق لاكتساب الخير، كما أن مصاحبة الأشرار طريق للتهوين من فعل الشر وإتيانه وملابسته، لذا كانت مصاحبة الأخيار يحث عليها الشرع وأصحاب الأفهام الراشدة، يقول محمد بن إبراهيم الحمد عن أثر مصاحبة الأخيار وأهل الهمم العالية في اكتساب الهمة العالية والإرادة القوية، يقول: (فهذا الأمر من أعظم ما يبعث الهمة، ويربي الأخلاق الرفيعة في النفس؛ فالإنسان مولع بمحاكاة من حوله، شديد التأثر بمن يصاحبه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥/٧/٤، ، ونقل ابن حجر ذلك القول في فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣٢/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٠١، ومسلم ٢٦٢٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٣٢٠/٢ الحديث رقم ٥٦١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨١/١٦/٨، .

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٤/٤.

والصداقة الشريفة -لا صداقة المنفعة- تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخُها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين؛ فهي تُوجِد من الجبان شجاعة، ومن البخيل سخاء؛ فالجبان قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله؛ لإنقاذ صديقه من شدة.

فالصداقة المتينة لا تحل في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع الصداقة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فيصير بعد ذلك متواضعًا حليمًا.

بل إن كثيرًا من النابغين يَعْزُون نبوغهم إلى أنهم وفقوا لاختيار صاحب أو أصحاب أثَّروا فيهم أثرًا صالحًا، ونبَّهوا فيهم قوى كانت خاملة.

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة، فإن ذلك من علامات توفيقه، ومن مهيئات نبوغه.

فإذا كان الأمر كذلك، فما أجدر المرء أن يبحث عن إخوان الثقات؛ حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه عن كل شر.

قال ابن حزم: من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة)[1].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ٢٠٧-٢٠٨. وانظر مراجعه ومصادره.

الحديث رقم (٩٤٣)

٩٤٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبي ﷺ، يقُولُ: ((إِذَا وُضِعَت الجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أعنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنسَانُ لَصَعِقَ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يا ويلها: الويل: الحُزن والهلاك والمشقة من العذاب، ومعنى النداء فيه: يا حزنها وهلاكها وعذابها، احضُر فهذا وقتك وأوانك[2].

صَعِقَ: غُشي عليه من شدة الصوت، وربما مات منه[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول جانباً غيبياً يعرض لكل ميت فالمعنى يشمل الجميع، وقد أخذ هذا العموم من أسلوب الشرط، وبناء فعل الشرط فيه لما لم يسم فاعله، والتعبير بالاحتمال عن الحمل في قوله (واحتملها) يدل على التكلف، والمشقة الجسدية، والنفسية؛ لأن ذكر الموت مما تنقبض له القلوب لاسيما قلوب غير المؤمنين، بالإضافة إلى أن الجنازة تكون حاضرة قريبة على أعناقهم، وقوله (على أعناقهم) توكيد للحمل، والقول المحكي عن الميت الصالح: (قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي) الأمر على غير حقيقته، والمقصود به الإشادة، والتنويه بصاحب العمل الصالح ترغيباً في العمل الصالح، وتكراره يوحي بحسن المصير، وجميل ما أطلعت عليه، والقول المحكي عن الميت غير الصالح (يَا

---

(١) برقم ١٣١٦، وتقدم برقم ٤٤٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ي ل).

(٣) المرجع السابق في (ص ع ق).

وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟) صدر على سبيل التجريد كأنها لما رأت سوء مصيرها كرهت أن تنسب هذا المصير إليها فجردت من نفسها مثلها، وخاطبتها هذا الخطاب، بنداء الترهيب، وإضافة الويل لها، ثم الاستفهام بغرض التهويل، وهو يشير إلى سوء ما رأت، وما ينتظرها، ويؤكد هذا الهول بلوغ مدى الصوت من الألم كل شيء عد الإنسان قال: (يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلاَّ الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ) والتعبير بالصعق يحكي قوة الصوت الذي يبلغ حده قتل السامع، وهو هول يستلزم الجد، والاجتهاد في العمل الصالح.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الإيمان بالله واليوم الآخر:

تضمن حديثا الباب الدعوة والتربية على الإيمان باليوم الآخر، ويشمل ذلك ما يقع للميت بعد قبض روحه وما يجده في القبر من نعيم أو عذاب، وما بعده من بعث وحشر ونشر ووزن للأعمال والإيمان بالصراط والجنة والنار، وغير ذلك.

ورؤية الإنسان بعد موته لما أُعد له من نعيم أو عذاب، فإن كان من الذين أنعم الله عليهم فرح بمصيره فتُنَادي جنازتُه بالتقديم، وإن كان غير ذلك نادت بالويل، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «إذا وُضِعَتِ الجنازةُ فاحتمَلها الرِّجالُ على أعناقهم. فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت لأهلِها: يا وَيلَها، أينَ تذهَبونَ بها؟ يَسْمعُ صوتَها كلُّ شيءٍ إلاّ الإنسانُ، ولو سَمِعَ الإنسانُ لصَعِقَ».

إن الإيمان باليوم الآخر يجعل المؤمن في راحة وسرور لما ينتظره بإذن الله في جنة عرضها كعرض السماء والأرض مهما كانت عليه حاله من غنى وفقر وصحة ومرض وغير ذلك[1].

إن تربية الإنسان على الإيمان بالله واليوم الآخر ومعرفته بما يحدث له منذ موته إلى أن يستقر به المقام في جنة أو نار يورثه الرغبة فيما عند الله من نعيم وفضل فيدفعه ذلك إلى عمل الصالحات، كما يورثه الرهبة من عذاب الله وانتقامه فيدفعه إلى اجتناب الذنوب والموبقات.

إن مما نلحظه في حديثي الباب أن الرسول ﷺ في نقله لأحوال الناس بعد الموت وهم يُحملون على الأعناق إلى قبورهم، قَابَل بين الجنازة الصالحة وغير الصالحة، فقال ﷺ:

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله تعالى في ضوء حديث ابن عمر رضي الله عنهما، د. احمد بن محمد بن عبدالله أبابطين، بحث من إصدارات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ص ٨٠، ٨١.

«فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت لأهلِها: يا وَيلَها، أينَ تذهَبونَ بها؟...»، وفي ذلك "عرض للصورة كلها مكتملة الأجزاء واضحة المعالم فيسهل تصورها وتسهل المقارنة بين أجزائها وبضدها تتميز الأشياء، وفي ذلك إبراز لميزات التربية الإسلامية الجامعة المانعة التي تجمع بين الترغيب والترهيب بين الخوف والرجاء فتضرب على جميع الأوتار لا تهمل وتراً منها ليظل الكائن البشري متحفزاً للعمل مستعداً للمواءمة بين الظروف المختلفة فيكتمل صلاحه، ويحقق إنسانيته وأسبقيته وخلافته في الأرض"[1].

ثانياً: التربية الفقهية:

وقد تضمن حديثا الباب الإشارة إلى عدة أمور فقهية منها:

أ- استحباب الإسراع بالجنازة مع مراعاة الحفاظ على حرمة الجنازة، في قوله ﷺ: «أسرعوا بالجنازة ...».

ب- أن حمل الجنائز موكل بالرجال إلا لضرورة، فقال ﷺ: «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم ...».

وهذا يشير إلى أهمية التربية على تعلم الأمور الفقهية وتعليم الناشئة والتلاميذ أحكام الدين خاصة الأحكام الخاصة بالعبادات الواجب الإتيان بها، فإن تعلم الفقه له أهميته الرئيسة في حياة المسلم مع التركيز على التربية بالقدوة من قِبَل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات ليقتدي بهم أولادهم وبناتهم، ولذا يستحب أداء النوافل في البيت، وعللوا ذلك باقتداء الأولاد بأبيهم وتدريبهم على أداء الصلاة فيقتدوا بوالدهم في أفعاله ما داموا صغاراً لم يذهبوا للمسجد، كما أن على الأمهات تعليم بناتهن أحكام النساء الخاصة بهن في الطهارة والصلاة والحجاب والحياء"[2].

لذا كان لابد لمن يتصدرون للتربية والتعليم والآباء من الإلمام ببعض الأمور الفقهية والمسائل الشرعية التي تُعد من متطلبات التربية الإسلامية مما يكثر الناس السؤال عنه

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ١٥٦/١، ١٥٧.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد الباتلي ص ٣٣، ٣٤.

ويلجؤون عادة إلى الدعاة والمربين يلتمسون منهم الفتوى في ذلك، فمن لم يكن متضلعاً في الفقه سكت أو تهرب، وفي ذلك إضعاف لموقفه وتأثيره، أو أفتى بغير علم، وهذه هي الطامة.

كما أن الفقه في الدين يجعل المربي متمكناً من تصحيح ما يقابله من أخطاء وتقويم ما يواجهه من انحرافات في ضوء الأحكام الشرعية، فإذا رأى بعض الآداب الفاشية أو المنكرات السائدة أو الأخطاء الدينية الشائعة واجهها بعلم وفقه لا بمجرد غضب وعاطفة[1].

ثالثاً: التربية بالتعليل:

إن على المربي أن يُعوِّد المتعلم بأن يقتنع بكل معلومة يتعلمها أو سلوك يسلكه ويستخدم في ذلك أسلوب التعليل، كما نرى واضحاً في حديثي الباب في تعليل النبي ﷺ لإرشاده بالإسراع بالجنازة بأنها إن كانت صالحة يعجل لها بالإسراع إلى الخير وإن كانت غير صالحة يتخلص حاملوها من شرها، فقال ﷺ: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

إن سوْق الأحكام والمعلومات مع تعليلها أدعى إلى قبولها والتسليم بها، فما أحرى بالآباء المعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات، وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها، وأن يوجهوهم للتفكير السليم، ومن الملاحظ أن البعض لا يقيمون وزناً لتفكير أبنائهم أو مَنْ يعلمونهم، وكأنهم لا عقول لهم، أو كأن تفكيرهم دائماً عاجزٌ وضعيفٌ، فيجب الاهتمام بتنمية عقول الأبناء وتعويدهم على التفكير السليم[2].

أخرج أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه «أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريباً، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا

---

(١) انظر: ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٨٠، ٨١.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، "مصادرها وتطبيقاها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٥-١٢٧.

الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: ولا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

فالفتى هنا لم يكن يغيب عنه حكم الزنا وحرمته، ولذلك جاء يستأذن فيه، فالقول له هنا: اتق الله. هذا حرام، قد لا ينفع الفتى، لأن الحكم عنده معلوم، لكنه يحتاج إلى شيء آخر، لذلك سلك الرسول ﷺ معه أسلوباً آخر وهو بيان الحكمة من منع الزنا، وهو أن المزني بها إما أن تكون أما لأحد أو ابنته أو أخته أو عمته أو خالته، لا يمكن غير ذلك، ولما كان هذا الفتى لا يرضي ذلك لنفسه فكذلك الناس لا يرضون لأنفسهم، فكان في هذه الحجة النفسية قطعاً لدابر الأمر في نفس الفتى، ثم كان الدعاء من الرسول ﷺ له أن يثبته على الحق والعفة.

فهكذا نفعل في مثل هذه المواقف، ويمكن أن يُقال عن هذا التصرف: كن أنت مكانه وقل لي ماذا تفعل؟ ولو أن الإنسان عمل ذلك في أمور كثيرة لانحلت إشكالات تقوم بين الناس، ولو وضع الإنسان نفسه مكان مَنْ يعترض على مسلكه وتصرفه فربما اتخذ المسلك نفسه أو قريبًا منه، فلذلك ينبغي على المربي أن يرشد إلى هذا الطريق[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد ٥/٢٥٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، انظر: الموسوعة الحديثية، حديث رقم ٢٢٢١١، ٣٦/٥٤٥.

(٢) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف ص ١٥١، ١٥٢.

١٥٩- باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يُتَيَقَّنَ مَوْتُه

الحديث رقم (٩٤٤)

٩٤٤- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين خطر الدين، لأن التهاون فيه تضييع لحقوق الناس، وبعضهم يتهاون فيه، ويماطل في سداده، ويسوف حتى يكون عرضة لفاقة تعجزه، أو موت يفجأه فيضيع حقوق الناس، وقد جاء هذا الحديث في صورة خبرية خالية من المؤكدات في عبارة قليلة الألفاظ عظيمة الدلائل، والتعبير بالنفس يقصد به الروح، والتعبير بالنفس يشمل الروح، والجسد، وكأن الكيان كله أخذ حكم التعليق، وإضافة النفس للمؤمن إضافة تخصيص تشير إلى أن السبب فيما هو فيه من تعلق النفس بسبب الدين وليس لسبب الكفر، أو غيره، وقوله (معلقة) يوحي بعدم الاستقرار لأن المعلق يكون متأرجحاً بين شيئين لا يصل إلى أحدهما، والتعليق كناية عن عدم بلوغ النفس مقامها التي يجب أن تكون فيه مع المؤمنين، والتصوير الكنائي يوحي للمخاطب بحيرة المعلق الذي لا يستطيع فكاك نفسه بعد موته، مما يدفعه إلى فكاك نفسه في حياته قبل أن يموت بقضاء دينه، كما أن هذه الصورة تجعله يسارع في قضاء دين ميته حتى

---

(١) برقم ١٠٧٨، و١٠٧٩، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٣٠٦١، وقال الحاكم في المستدرك ٢/٢٦: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٧٠٢.

يريحه مما هو فيه، ولفظ (حتى) يشير إلى الغاية التي يبلغها التعليق، ووجودها يرغب في المسارعة في القضاء حتى لا يتعرض لطول التعليق، وبناء الفعل (يقضى) لما لم يسم فاعله يفتح الباب لكل قلب خيِّر لكي يقضي، أو يساعد في قضاء دين الميت، وإن لم يكن من أهله، وهو شكل من أشكال التعاون في الأمة الإسلامية في قضاء الديون على مستوى الأفراد، أو على مستوى الدول.

فقه الحديث

استحباب قضاء الدين عن الميت:

يستحب أن يسارع إلى قضاء دين الميت أو إبرائه منه، وبه قال أحمد لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه".

قال السيوطي: سواء ترك الميت وفاء أم لا، وشذّ الماوردي فقال: إن الحديث محمول على من يخلف وفاءً.

وقال الحنابلة: إن تعذر الوفاء استحب لوارثه أو غيره أن يتكفل، والكفالة بدين الميت قال بصحتها أكثر الأئمة، خلافًا لأبي حنيفة، فإنه لا تصحّ عنده الكفالة بدين على ميت مفلس، وإن وعد أحد بأداء دين الميت صح عنده عِدَة لا كفالة، وذهب الطحطاوي إلى قول الجمهور[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعجيل قضاء الدَّيْن عن الميت.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الترهيب من الدَّيْن.

---

(١) غاية المنتهى ٢٢٨/١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١١٢٧/١ ، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٧٠/٤ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٧/١٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٧/٣-٣٦٨ .

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعجيل قضاء الدين عن الميت:

وهذا واضح من الحديث، قال الصنعاني: (هذا الحديث من الدلائل على أنه لا يزال الميت مشغولاً بدينه بعد موته، ففيه حث على التخلص منه قبل الموت، وأنه أهم الحقوق وإذا كان هذا في الدين المأخوذ برضا صاحبه، فكيف بما أخذ غصبًا ونهبًا وسلبًا)[1].

قال المباركفوري: (قوله "نفس المؤمن معلقة" قال السيوطي: أي محبوسة عن مقامها الكريم. وقال العراقي: أي أمرها موقوف، لا حكم لها بنجاة ولا هلاك، حتى ينظر هل يقضى ما عليها من الدين أم لا. انتهى)[2].

وقال الشوكاني: (فيه الحث للورثة على قضاء دين الميت، والإخبار لهم بأن نفسه معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وهذا مقيد بمن له مال يقضي منه دينه، وأما من لا مال له ومات عازمًا على القضاء، فقد ورد في الأحاديث ما يدل على أن الله تعالى يقضي عنه، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي الله سبحانه لقضاء دينه، وإن كان له مال ولم يقض منه الورثة)[3].

وقال ابن عثيمين: (وذلك يدل على أن الإنسان إذا مات، فإنه يجب على أهله أن يبادروا بقضاء دينه، إذا كان عليه دين، ولا يجوز لهم أن يؤخروا ذلك، لأن المال الذي ورثوه من ماله ليس لهم فيه حق إلا إذا انتهى الدين، يعني: الورثة ليس لهم حق في شيء من التركة حتى يقضى الدين، ولهذا قال الله تعالى في آيات المواريث ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾[4] فليس للورثة حق أن يأخذوا شيئًا من التركة حتى يقضوا دين الميت، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين إلا إذا كان مؤجلاً، فإنه يطلب من أهل الدين أن ينتظروا، فإن أبوا فإنه يعجل لهم، وإلا إذا وثّق الورثةُ [الدين] برهن أو كفيل، وقد

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٣١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١١٢٧.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ص ٦٩٣، وقد ساق من الأحاديث ما يدلل به على كلامه فلتنظر. وانظر كذلك: الترغيب والترهيب ص ٤٠٦-٤١٠.

(٤) سورة النساء، آية: ١١.

تهاون الناس في قضاء الدين عن الأموات، فتجد الميت يموت وعليه الدين، فيلعب الورثة بالتركة ويؤخرون قضاء الدين، فيكون مثلاً عليه مئات الآلاف وترك عقارات كثيرة، فيقول الورثة: لا نبيع العقارات، بل ننتظر حتى تزيد العقارات ثم نبيع، هذا حرام الواجب أن يبادروا حتى ولو باعوا الشيء بنصف الثمن، لأن المال ليس لهم بل هو للميت...

ثم ذكر المؤلف -النووي- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه" يعني أن نفسه وهو في قبره معلقة بالدين، كأنها -والله أعلم- تتألم من تأخير الدين، ولا تفرح بنعيم ولا تنبسط؛ لأن عليه دينًا، ومن ثم قلنا: إنه يجب على الورثة أن يبادروا بقضاء الدين)[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الإخبار:

لقد أخبر النبي ﷺ بأن نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه، وفي هذا الإخبار دعوة للمدعوين أن يعجلوا بقضاء الديون عن الميت، ولا يؤخروا ذلك، لما في ذلك من ضرر يلحق بالميت ويصيبه، ومثل الإخبار قوله ﷺ ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[2] وهذا الإخبار بيان لفضل هذه العبادات المذكورة، ومن ثم دعوة للمدعوين أن يفعلوها ويلتزموها.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الترهيب من الدين:

وهذا يستفاد من الحديث، حيث دل على التشديد في أمر الدين، وأن نفس المؤمن مرهونة به حتى يقضى عنه، ومعنى رهنها حبسها عن مقامها الكريم. والمراد بالنفس في هذا الحديث، هو الروح التي فارقت البدن بعد الحياة، لما روى الإمام أحمد من حديث سمرة أن النبي ﷺ قال: ((إن صاحبكم محتبس على باب الجنة في دين عليه))[3][4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٤/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه أحمد ١١/٥، رقم ٢٠١٢٤ وقال محققو المسند: للحديث شواهد تشدّه وتقويه ٣١٠/٣٣.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٨٦/٢-٤٨٧.

والحديث أخرجه أبو داود بلفظ: ((خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فقالَ: ههُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنَ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أحَدٌ، ثُمَّ قالَ: ههُنَا أحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ؟ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: ههُنَا أحَدٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ؟ فَقَامَ رَجُلٌ فقالَ: أنَا يَارَسُول اللهِ، فقالَ: مَا مَنَعَكَ أنْ تُجِيبَنِي فِي المَرَّتَيْنِ الأُوْلَيَيْنِ أمَا إنِّي لَمْ أُنَوِّهْ بِكُمْ إلاَّ خَيْرًا إنَّ صَاحِبَكُم مَأْسُورٌ بِدَيْنِهِ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أدَّى عَنْهُ حَتَّى مَا بَقِيَ أحَدٌ يَطْلُبُهُ بِشَيْءٍ))[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: الدين))[٢].

ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ((قال رسولُ اللّه ﷺ لأبي طلحة: التمسْ لنا غُلامًا من غِلمانِكم يَخدُمني. فخرَجَ بي أبو طلحة يُردِفُني وراءه، فكنتُ أخدُمُ رسولَ اللّه ﷺ كلما نزَل، فكنتُ أسمعُهُ يُكثِرُ أن يقول: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَن، والعجز والكسل، والبُخلِ والجبْن، وضَلَع الدَّين وغلبةِ الرجال))[٣].

قال ابن حجر: (قوله "وضلع الدين" أصل الضلع وهو بفتح المعجمة واللام الاعوجاج، يقال ضلع بفتح اللام يضلع أي مال، والمراد به هنا ثقل الدين وشدته، وقال بعض السلف ما دخل هم الدين قلبا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه)[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْثَرَ مَا يَتَعَوَّذُ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَكْثَرَ مَا تَتَعَوَّذُ مِنَ الْمَغْرَمِ. قَالَ: إِنَّهُ مَنْ غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[٥].

قال ابن القيم: (جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا)[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٤١ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٨٥٨) والحديث في مسند أحمد بن حنبل ٢٠٢٣١/٣٣.

(٢) أخرجه أحمد ١٤٦/٤، ١٥٤، رقم ١٧٣٢٠، ١٧٤٠٧. وقال محققو المسند: حديث حسن ٥٧٧/٢٨، ٦٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩، والنسائي واللفظ له ٥٤٥٤.

(٦) الفوائد ٩١.

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ، عليه السلام، قَالَ لِي ذَلِكَ))[1].

قال النووي: (فيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين، وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله تعالى)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧/١٣/٣٢.

الحديث رقم (٩٤٥)

٩٤٥- وعن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ رضي الله عنه: أنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: ((إنِّي لاَ أرى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُوني بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لجِيفَةِ مُسْلِمٍ انْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ اهْلِهِ)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

حُصَين بن وَحَوَحٍ: هو حصين بن وَحْوَحٍ بن جعفر الأنصاري الأوسيُّ.

له صُحبة، وقد روى حديثًا واحدًا عن النبي ﷺ في ذكر طلحة بن البراء.

وقتل هو وأخوه مِحْصَن بالقادسية وقيل: قتل بالعُذيبِ[2].

غريب الألفاظ:

آذنوني به: أعلموني به[3].

الجيفة: جثة الميت[4].

بين ظهراني أهله: كأن ظهرًا منهم قُدَّامه وظهرًا منهم وراءه، فهو مكنوف من جانبيه[5].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ دائم التفقد لأصحابه دائم السؤال عنهم، فإذا علم أن أحدهم في شدة

---

(١) برقم ٣١٥٩، قال الذهبي في المهذب ٣/١٣٢٠: غريبٌ جدًا، وفي سنده سعيد مجهول.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢/٣٨-٣٩، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٦٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٢٨٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢/٢١٧-٢١٨.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ي ف).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

أسرع إليه، وهذا ما يجب على كل من تولى أمراً من أمور المسلمين أن يكون راعياً أميناً عليهم، والحديث يحكي زيارة الرسول ﷺ لطلحة بن البراء بن عازب ﷺ، وقول الراوي (أنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ) يشير استخدام الفاء للعطف بين المرض، والإتيان لعيادته يشير إلى سرعة تجاوبه معهم، والتعبير بالعيادة يشير إلى التكرار؛ لأنه يؤنس المريض، ويشد من أزره، واستخدام الرسول ﷺ لأسلوب القصر في قصر حال طلحة على الموت يشير إلى التوكيد، والجزم، وهو من فراسته ﷺ أو مما أعلمه الله به أنه يموت قريباً، قوله: (فآذنوني به) أي أعلموني به مما يدل على حرصه على شهود جنازته، والتعبير بالإيذان لتوكيد التبليغ، والأمر بالتعجيل أمر نصح، وإرشاد، وقدّم إعلامه على التعجيل حرصاً على عدم تفويت الفرصة للصلاة عليه، والتعبير بالجيفة فيه تنفير من تأخير دفنها، وهو ما يؤكد الأمر السابق بتعجيل دفنها، كما أن في التعبير بالجيفة إعلاء لشأن الروح التي إذا خرجت أصبح الجسد جيفة يُسارع إلى دفنها، حتى يتنبه خدام الأجسام إلى أن ما يفعلونه ليس له قيمة، فيجب أن ينشغلوا بما يبقى، ونسبة الجيفة إلى المسلم تخصيص يكتنفه تكريم يستلزم سرعة دفنها، والتعبير بالحبس فيه إشارة إلى التضييق، والتعبير به فيه تنفير من الفعل لما يستحضره اللفظ من معنى التضييق، والإكراه، وقوله (بين ظهراني أهله) أي وسط أهله، والتعبير يشير إلى أصفيائه من أهله، وأنصاره.

فقه الحديث

قال ابن قدامة: (ويستحب المسارعة إلى تجهيزه إذا تيقن موته، لأنه أصون له وأحفظ من أن يتغير؛ وتصعب معاناته، قال أحمد: كرامة الميت تعجيله. وفيما روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: "إني لأرى طلحة قد حدث فيه الموت ..." الحديث. ولا بأس أن ينتظر به مقدار ما يجتمع لها جماعة، لما يؤمل من الدعاء له إذا صلّى عليه، ما لم يخف عليه أو يشق على الناس. نصّ عليه أحمد، وإن اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت، من استرخاء رجليه، وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه وانخساف

صُدْغيه، وإن مات فجأة كالمصعوق، أو خائفًا من حرب أو سبعُ، أو تردى من جبل، انتظر به هذه العلامات حتى يتيقن موته)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أنه إن تيقنّ الموت، يبادر إلى التجهيز ولا يؤخر)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عيادة المريض.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التيقن من موت الميت.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الإسراع بدفن الميت.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والأمر والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عيادة المريض:

هذا واضح من عيادة النبي ﷺ لطلحة بن البراء رضي الله عنه.

وقد قال النبي ﷺ: ((أَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وفُكُّوا العاني))[٣]. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((أمرَنا رسولُ الله ﷺ بسَبع ونهانا عن سبع: نهانا عن خاتم الذهب، ولبس الحرير والديباج والاسْتَبرَق، وعن القَسِّيِّ، والميثرَة. وأمرَنا أن نَتبعَ الجنائزَ، ونعود المريضَ، ونُفْشي السلام))[٤].

وقد بوب البخاري على هذين الحديثين: باب وجوب عيادة المريض[٥].

قال ابن حجر: (قوله "باب وجوب عيادة المريض" كذا جزم بالوجوب على ظاهر الأمر بالعيادة. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٣٦٦-٣٦، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٧٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/٧، وانظر: الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١/١٥٧ وما بعدها، والغاية ١/١٦٧، ٢٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٦٥٠، ومسلم ٢٠٦٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٠/١١٢.

كإطعام الجائع وفك الأسير، ويحتمل أن يكون للندب على التواصل والألفة. وجزم الداودي بالأول فقال: هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض، وقال الجمهور: هي في الأصل ندب، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض، وعن الطبري: تتأكد في حق من ترجى بركته، وتسن فيمن يراعى حاله، وتباح فيما عدا ذلك، ونقل النووي[١] الإجماع على عدم الوجوب يعني على الأعيان)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التيقن من موت الميت:

هذا يستفاد من الحديث، كما يوضح ذلك تبويب النووي عليه في رياض الصالحين، جاء في الموسوعة الفقهية[٣]: (نظرًا لتعذر إدراك كنه الموت، فقد علّق الفقهاء الأحكام الشرعية المرتبة عليه بظهور أماراته في البدن، فقال ابن قدامة: (إذا اشتبه أمر الميت اعتبر بظهور أمارات الموت، من استرخاء رجليه، وانفصال كفيه، وميل أنفه، وامتداد جلدة وجهه، وانخساف صدغيه)[٤].

وجاء في روضة الطالبين: (تستحب المبادرة إلى غسله وتجهيزه إذا تحقق موته، بأن يموت بعلة، وتظهر أمارات الموت، بأن تسترخي قدماه ولا تنتصبا، أو يميل أنفه، أو ينخسف صدغاه، أو تمتدُّ جلدةُ وجهه، أو ينخلع كفّاه من ذراعيه، أوتتقلّص خصيتاه إلى فوق مع تدلي الجلدة. وإن شك بأن لا يكون به علة، واحتمل أن يكون به سكتة، أو ظهرت أمارات فزع أو غيره، أخر إلى التيقن بتغير الرائحة أو غيره)[٥].

وقال د. محمد رواس قلعه جي: (الموت هو انسحاب الروح من البدن. وأمارات الموت: أمارة الموت المحققة هي بدء تحلل دماغ المرء، لأنه إذا تحلل انعدمت وظائفه، وإذا تحلل لا يعود.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٦٦، .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠/١١٢-١١٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٨/٣٩.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٦٧/٣.

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦١٢/١.

ومن أماراته المحققة أيضًا: توقف القلب عن العمل مدة تزيد على أربع دقائق، لأن توقف القلب أكثر من أربع دقائق يتبعه تحلل الدماغ، ومن أماراته: شخوص البصر، وقد ذكر رسول الله ﷺ ذلك بقوله: ((إن الروح إذا قُبض تبعه البصر))[1]، ومنها: توقف التنفس، واسترخاء القدمين، وميل الأنف، وامتداد جلدة الوجه، وانخساف الصدغين، وتقلص الخصيتين إلى فوق وتدلّي الجلدة، وبرودة البدن)[2].

وقال عبدالله البسام عن حقيقة الوفاة: (قال الأطباء: جذع الدماغ هو المتحكم في جهازي التنفس والقلب والدورة الدموية، ولذا فإن توقف جذع الدماغ وموته، يؤديان لا محالة إلى توقف القلب والدورة الدموية والتنفس ولو بعد حين.

ولذا فإن لجنة (المجمع الفقهي في جدة) المكونة من أعضائها الشرعيين والأطباء وهم كل من:

١- مختار السلامي - مفتي تونس.

٢- مصطفى الزرقاء من كبار فقهاء حلب.

٣- الطبيب أشرف الكردي- اختصاصي الأمراض العصبية.

٤- الطبيب محمد علي البار- اختصاصي الأمراض الباطنة.

قرروا في ١١ صفر عام ١٤٠٧هـ ما يلي:

بحكم النظرين الشرعي والطبي بأن الشخص قد مات إذا تبين فيه إحدى العلامتين:

الأولى: إذا توقف قلبه وتنفسه توقفًا تامًا، وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة بعده.

الثانية: إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه، وأخذ الدماغ في التحلل، ففي هذا الحال يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على المحتضر، وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليًا بفعل الأجهزة المذكورة.

---

(١) أخرجه مسلم ٩٢٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/١٨٤٩-١٨٥٠.

أما مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، ففي دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة في يوم السبت ١٤٠٨/٢/٢٤هـ إلى يوم الأربعاء الموافق ١٤٠٨/٢/٢٨هـ فنص قراره ما يلي:

وبعد المداولة في الموضوع انتهى المجلس إلى القرار الآتي:

المريض الذي ركبت على جسمه أجهزة الإنعاش، يجوز رفعها إذا تعطلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائيًا، وقررت لجنة من ثلاثة أطباء اختصاصيين خبراء أن التعطل لا رجعة فيه، وإن كان القلب والتنفس لا يزالان يعملان آليًا بفعل الأجهزة المركبة، لكن لا يحكم بموته شرعًا إلا إذا توقف التنفس والقلب توقفًا تامًا بعد رفع هذه الأجهزة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قال محرره عفا الله عنه [أي البسام]: ما دمنا علمنا من الأطباء أن موت الدماغ هو موت حقيقي لا رجعة بعده، وأنه يتبعه موت القلب لا محالة وإن استمر نبضه وضخّه بفعل أجهزة الإنعاش، فيعتبر نزع أجهزة الإنعاش عن المحتضر ليس قضاء عليه وتعجيلاً بموته، لأنه في عداد الموتى طبيًا، فيكون نزعها جائزًا شرعًا)[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الإسراع بدفن الميت:

هذا واضح من قول النبي ﷺ "فآذنوني به وعجلوا به، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله" قال ابن عثيمين: (يسن الإسراع في الجنازة، ولهذا قال: "لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهلها"، لكن لو حبست لساعة أو ساعتين لانتظار كثرة الجمع، كما لو مات في أول النهار مثلاً يوم الجمعة وقالوا: ننتظر للصلاة لكثرة الجمع فهذا لا بأس به - إن شاء الله - وهو تأخير لا يضر)[2]. وقد قال النبي ﷺ: ((أسرعوا بالجنازة))[3].

وقال ابن حجر: (والحاصل أنه يستحب الإسراع، لكن بحيث لا ينتهي إلى شدة

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٤٨٠-٤٨١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٣١٥، ومسلم ٩٤٤.

يخاف معها حدوث مفسدة بالميت أو مشقة على الحامل أو المشيع، لئلا ينافي المقصود من النظافة وإدخال المشقة على المسلم، قال القرطبي: مقصود الحديث ألا يتباطأ بالميت عن الدفن، ولأن التباطؤ ربماأدى إلى التباهي والاختيال اهـ. ويؤيده حديث ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره" أخرجه الطبراني بإسناد حسن[١])[٢].

وقال العظيم آبادي: (والحديث يدل على مشروعية التعجيل بالميت، والإسراع في تجهيزه، وتشهد له أحاديث الإسراع بالجنازة)[٣].

قال عبدالله البسام: (الإسراع بالجنازة يشمل الإسراع في تجهيزها ودفنها والإسراع في حملها إلى القبر، هذا ما لم يكن في تأخيرها مصلحة من حضور الأقارب ونحوهم، أو يكون مات في حادث جنائي يتطلب بقاء جثة الميت للتحقيق في أمرها، فإن حقق التأخير مصلحة ظاهرة فلا بأس ببقائها، لا سيما مع وجود الأماكن المبردة التي تحفظ الجسد من الفساد)[٤].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد والقصر والأمر والتعليل:

أما التوكيد فقوله ﷺ "إني" وأما القصر فقوله ﷺ:"لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت" وأما الأمر فقوله ﷺ "فآذنوني وعجلوا به" وأما التعليل فقوله ﷺ: "فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله".

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٤٤/٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٨٤/٣.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٤٧.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٣١/٢-٥٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التحذير من الدين ومن التراخي في سداده:

إن مما تحرص التربية الإسلامية على التحذير منه والتورط فيه: الديون التي تؤدي إلى شتات الإنسان وتُلحق به الهم والغم، وتؤثر سلباً على حياته، وتؤدي إلى عدم راحته في مماته، حيث تتعلق نفس المؤمن بدينه، قال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»، وفي هذا تحذير من الدين إلا لضرورة مُلحة وحث على المسارعة في أداء الدين عن الميت وبراءة ذمته، ولكن أيضمن كل إنسان أنه إذا مات سَيُقضى دينه من قِبَلِ ورثته وذويه؟ فالحذرَ الحذرَ من رِقِّ النفس وتثقيلها بأغلال الديْن وأصفاده في الدنيا والآخرة.

إن الديْن قد بلغ من الخطورة ما جعل الرسول ﷺ يرشد أمته إلى الاستعاذة من الديْن وغلبته، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ جَالِساً فِيهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلاَةٍ؟» قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَماً إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟» فَقَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُلْ، إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ»[1]. فإن الدَّيْن إذا غلب الإنسان ذهب بعزه وأودى بنعيمه وأنسه، وأتى على طارفه وتليده وقديمه وجديده.

الدَّيْنَ إذا غلب الإنسان ملك عليه فكره وعقله وصوابه ورشده فلا يذوق طعم الهناءة ولا يحسن التفكير ولا يهتدي إلى الصواب، وإنما يغلب الدَّيْن إنساناً استدان بلا بصيرة ولم يدبر أمره وينظم شأنه، ويجدُّ في تلمس الطرق المشروعة في الكسب لسداد

---

(١) أخرجه أبو داود، ١٥٥٥، وقال المناوي فيه غسان بن عوف بصري ضعيف، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي، ١١٢/٣.

الدين، وإنما يغلب من استدان ولم يعزم على الوفاء بل كانت نيته التقصير، أما من استدان لضرورة ملجئة فإن الله تعالى سيعينه ويوفقه للسداد وردّ الحقوق إلى أصحابها.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[1][2].

ثانياً- التربية على المبادرة والمسارعة في أداء الحقوق:

من المضامين التربوية التي وردت في حديثي الباب المبادرة والإسراع في أداء الحقوق وسداد الديون خاصة إذا تعلقت بالميت لأنه أحوج ما يكون لمن يكفيه حاجته، كما جاء في الحديث الأول حيث بين النبي ﷺ أن نفس المؤمن معلقة بدَيْنه، ودعا بطريق غير مباشر إلى المسارعة إلى راحة الميت الذي تعلقت نفسه بدَيْنه من خلال سداد ديونه. فقال ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ».

ومن الحقوق التي يجب أداؤها للميت حقه في غسله وتكفينه ودفنه وسرعة ذلك، كما جاء التصريح بذلك في حديث حصين بن وَحْوَح رضي الله عنه «أن طلحة بن البراء رضي الله عنه: مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فقالَ: إِنِّي لاَ أُرَى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ الْمَوْتُ، فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا به، ...».

إن التربية على المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة فيها ليست قاصرة على ما ورد في الباب، فيما يتعلق بأداء حقوق الميت، وإنما ذلك أمر عام يتناول جميع شئون المسلم في الدنيا والآخرة، سواء أكان يتعلق به أم بغيره.

إننا إذا ما نظرنا إلى منهج التربية الإسلامية بصفة عامة "نجده يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة السليمة، وذلك بحثه على فعل الخير والمسابقة إليه، باستمراره دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، نرى ذلك من خلال الأمر الإلهي المتكرر بفعل الخير، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٢٧.

تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

إن الشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل ومدتها محدودة قليلة والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية، فإننا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زاداً تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

إن غرس روح المبادرة والمسارعة في فعل الخيرات وأداء الحقوق والواجبات من الأهمية بمكان، إذ أن غالب الناس يحمل نفساً طيبة تحب الخير وتركن إلى المعروف، ولكنها قد بليت بالإهمال وكثرة التسويف، فليس عندها خلق المبادرة والإسراع، وإنما تسمع منهم مشروعات متعددة من أفعال الخير يرسمونها وتمضي الأيام وتتوالى الشهور والأعوام، دونما تطبيق لتلك المشروعات والأفكار.

لذا كانت أهمية التربية على المبادرة والمسارعة إلى فعل الخيرات والقيام بأعبائها وذلك يتطلب ترويض النفس وتعويدها عليها حتى تألفه مع الأخذ في الاعتبار بأهميتها والاستشعار بأنه يقوم بواجبه الذي أمر به الإسلام وحث عليه حتى لا يكون عمله مجرد عادة فقط[٣].

ثالثاً- التربية بالوقاية:

إن التربية على الوقاية مبدأ إسلامي أصيل، فهو أصل من أصول الفقه الإسلامي التشريعية المعتبرة، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، وخلاصة القول في الوقاية أنها الحذر مما يؤدي إلى الضرر، في جميع المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية، ومبدأ الوقاية يدور في فلكه جميع القواعد التي تنهي عما يقرب من

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ٣٦١-٣٧٩.

الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل الفساد، فكل هذا وقاية لا تختلف في محصولها الأخير - أيضاً- عن الوقاية في الإطار الصحي المعروف[١].

وقد وردت التربية في حديثيْ الباب، وذلك من خلال أمر رسول الله ﷺ بتعجيل دفن الميت والإسراع في ذلك، كما جاء في صريح قوله ﷺ عن طلحة بن البراء رضي الله عنه، وقد نزل به الموت: «إِنِّي لاَ أُرَى طَلْحَةَ إلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فَآذِنُونِي بِهِ وَعَجِّلُوا، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ»، وذلك يتضمن وقاية للميت وللناس:

أ- أما للميت ففي تعجيل دفنه صونٌ لكرامته ووقاية لها من أن تهان كأن تتفسخ جثته، وتفوح رائحته أو ما شاكل ذلك، وفي ذلك تحقيق لاحترام الميت وصيانة كرامته، "فكما أن الإسلام ضمن حماية الإنسان في حال حياته كذلك كفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله وتكفينه ودفنه والتعجيل بذلك، وفي ذلك دليل على بقاء حرمة المسلم حتى بعد موته فَيُصَانُ جسمه وعرضه وسمعته لئلا تلوكها الأفواه وتتندر بها الألسنة"[٢].

ب- وقاية المجتمع من الأوبئة والحفاظ على سلامة الناس وصحتهم:

إذ أن تأخير دفن الموتى يسبب في انتشار الأمراض والأوبئة نتاجاً لتعفن الجثث وتحللها، وهذا أمر لا ينكر، ويلمسه العالم بصورة واضحة أيام الحروب والكوارث الكونية وما شاكلها، لذا وضع الإسلام من الأسباب والوسائل الوقائية التي تحمي من الأوبئة والعدوى وتقلل من آثارها سواء كان ذلك بتضييق الخناق على الأماكن الموبوءة أو بما يسمى بالحجر الصحي، أم كان بالقضاء على أسباب الأمراض وانتشارها، ومن هنا كان الأمر بدفن الموتى والتعجيل بذلك، كما جاء في صريح قوله ﷺ: «وَعَجِّلُوا بِهِ فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِهِ».

"إن الوقاية الصحية للإنسان، تكمن في تحذيره من ارتياد الأماكن الموبوءة، أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، د. عبدالحليم عويس، ٣١٠/١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ٨٧، ٨٨.

حقنه بجُرع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين، وقد استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة، التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال.

وهذه التحذيرات والتوجيهات قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق، وهي كذلك بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة"[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

١٦٠- باب الموعظة عند القبر

الحديث رقم (٩٤٦)

٩٤٦- عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رسولُ الله ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ)) فقالوا: يَا رسولَ الله، أفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: ((اعْمَلُوا؛ فكلٌّ مُيَسرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ...)) وذكر تَمَامَ الحديث. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

مقبرة أهل المدينة: وهي اليوم داخل المدينة المنورة بجوار المسجد النبوي الشريف شرقًا[٢].

مِخْصرة: ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف وغيرهما[٣].

فنكس: خفض رأسه وطأطأ إلى الأرض على هيئة المهموم[٤].

ينكت: يخط خطًا يسيرًا مرة بعد مرة[٥].

نتَّكل: من الاتكال وهو الاعتماد[٦].

كتابنا: مكتوبنا السابق من السعادة وضدها[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٤٥، ومسلم ٢٦٤٧/٦، والسياق للحميدي في جمعه ١٦٣/١ رقم ١٣١.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦٩.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٦٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٥٦٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٥٦.

(٧) المرجع السابق ١١٥٦.

الشرح الأدبي

حال الرسول ﷺ الدالة من هيئة النكس، وهو خفض الرأس، والطأطأة بها إلي الأرض ثم النكت في الأرض، وهو الضرب فيها بقضيب يؤثر فيها، أو إصبع هو كناية عن الهم، والانشغال بطارق خطير، والتفكير فيه، وهو ما يتعلق بأهوال القبور، وأحوال الناس بين شقي، وسعيد، ودخوله ﷺ في هذه الحالة وهو الذي ينزل عليه الوحي يُشعر بعظمة ما رأى، وما علم الأمر وهو ما انعكس على أسلوبه البلاغي فجاء معبراً أتم تعبير، وتأمل كيف بدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء ليخصص، ويقصر كل نفس على مكانها من الجنة أو من النار (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها) وقد استخدم طريق النفي والاستثناء الذي يستخدم فيما من شأنه أن يكون منكرا من المخاطب أو مشكوكا فيه، وقد سلّط النفي على الجار والمجرور العائد من كاف الخطاب على المخاطبين ليجعلهم أبطال الحدث، وفي هذا ما فيه من سيطرة على عقل المخاطب ووجدانه؛ لأنه صار المعنىّ بالحديث (ما منكم) ثم جاء بـ (من) للاستغراق في قوله (ما منكم) حتى لا يظن أحد المخاطبين أنه خارج دائرة الحوار فيغفل عما سيقال، ثم قوله: (ما منكم من نفس منفوسة) بعد قوله (ما منكم من أحد) يحتمل أن يكون بدلاً من قوله (ما منكم من أحد) فيكون الفصل بينهما لكمال الاتصال، وأيضاً (إلا) ثانياً بدلا من (إلا) أولاً، ويحتمل أن يكون من باب اللف والنشر ويحتمل أن يكون تعميماً بعد تخصيص إذ الثاني في كل منهما أعم من الأول، وقوله (ما من نفس منفوسة) (من) بيانيه، ومنفوسة أي مخلوقة وفي العبارة جناس يجذب السمع ويؤكد المعني، وقوله (اعملوا) أسلوب الحكيم منعهم عن الاتكال، وأمرهم بامتثال ما يجب على العبد من امتثال أمر ربه وعبوديته عاجلا، وتفويض الأمر إليه آجلا يعني: أنتم عبيد ولابد لكم من العبودية بما أمرتم، وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية؛ لا تجعلوا العبادة وتركها سببا مستقلا لدخول الجنة والنار بل هي أمارات وعلامات ولا بد في الإيجاب من لطف الله أو خذلانه، والأسلوب بمفهومه من الحال الدالة بجلوس الرسول ﷺ ناكس الرأس ينكت بمخضرته الأرض عند القبور في

حضور جنازة يشيع حالة من الرهبة، والوجل وبمنطوقة الذي جعلهم دون استثناء أبطال الحديث، وأطراف الحوار سيطر عليهم، وجعلهم في قمة الإدراك، والاستعداد لتلقى المعني، وقبوله، والتفاعل معه إيجاباً ومناقشة جوانبه حتى يتم استيعابه على الوجه الذي يريد كما حدث في الحديث[١].

فقه الحديث

١-الجلوس لمن اتبع الجنازة: بوّب البخاري على هذا الحديث: باب موعظة المحدِّث عند القبر وقعود أصحابه حوله[٢]. فقال ابن حجر: (كأنه يشير إلى التفصيل بين أحوال القعود، فإن كان لمصلحة تتعلق بالحيّ أو الميت لم يكره، ويحمل النهي الوارد عن ذلك على ما يخالف ذلك[٣])[٤].

٢ -الموعظة عند القبر: قال ابن عثيمين: (وقد أخذ بعض الناس ترجمة النووي وترجمة البخاري في صحيحه: باب الموعظة عند القبر، أخذوا منها أن يكون الرجل خطيبًا في الناس يرفع صوته: يا عباد الله" وما أشبه ذلك من الكلمات التي تقال في الخطب، وهذا فهم خاطئ غير صحيح، فالموعظة عند القبر تقيّد بما جاء في السنة فقط، لئلا تتخذ المقابر منابر، فالمواعظ الهادئة يكون الإنسان فيها جالسًا، ويبدو عليه أثر الحزن والتفكر وما أشبه ذلك، وليست موعظة وكأنه ينذر الجيش)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجلوس حول النبي ﷺ.

---

(١) ينظر الحال الدالة في الحديث النبوي، بحث منشور في كلية اللغة العربية- جامعة الأزهر بأسيوط د. ناصر راضي الزهري، العدد: ٢٦، ٦٦٩/١.

(٢) الحديث ١٣٦٢.

(٣) أخرج البخاري ١٣١٠، ومسلم ٩٥٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها، فمن تبعها فلا يجلس حتى توضع".

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٥/٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٢٠٦/٢-١٢٠٧.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إثبات القدر.

رابعًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

خامسًا: من فقه الداعية: الحكمة في الجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الجلوس حول النبي ﷺ:

هذا واضح من قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه "فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومه مخصرة...".

قال ابن عثيمين: (لأن كل الناس يحبون أن يكونوا جلساء للنبي ﷺ)[١].

وقال البراء بن عازب: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ فانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُؤوسِنَا الطَّيْرُ))[٢].

قال ابن الأثير: (وصفهم بالسكون والوقار وأنه لم يكن فيهم طيش ولا خفة، لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن)[٣].

وقال ابن عثيمين: (كأن على رؤوسهم الطير، احترامًا لرسول الله ﷺ وإجلالاً لهذا المجلس وهيبة)[٤].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الموعظة:

هذا واضح من الحديث كله، وقد بوب البخاري على هذا الحديث في صحيحه في كتاب الجنائز: باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله[٥] وقد ذكر البخاري في هذا الباب بعض الآيات المتعلقة بالقبر مع تفسيرها. قال ابن حجر: (وهذه التفاسير أوردها لتعلقها بذكر القبر استطرادًا، ولها تعلق بالموعظة أيضًا. قال الزين بن المنير: مناسبة إيراد هذه الآيات في هذه الترجمة [أي الباب] للإشارة إلى أن المناسب لمن

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٥-١٢٠٦.

(٢) أخرجه أبوداود ٣٢١٢، وابن ماجه واللفظ له ١٥٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥٧٣.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٠٦.

(٥) الحديث ١٣٦٢ والباب برقم ٨٢، وكتاب الجنائز برقم ٢٣.

قعد عند القبر أن يقصر كلامه على الإنذار بقرب المصير إلى القبور، ثم إلى النشر لاستيفاء العمل)[١]. وقال النووي: (ويشتغل القاعدون بتلاوة القرآن والدعاء للميت والوعظ وحكايات أهل الخير وأحوال الصالحين)[٢].

ووقال البراء بن عازب ﷺ: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. فَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ...)) الحديث بطوله[٣].

وقال ابن حجر عن نكت النبي ﷺ الأرض بالمخصرة: (هي عادة لمن يتفكر في شيء يستحضر معانيه، فيحتمل أن يكون ذلك تفكرًا منه ﷺ في أمر الآخرة بقرينة حضور الجنازة، ويحتمل أن يكون فيما أبداه بعد ذلك لأصحابه من الحكم المذكورة. ومناسبته للقصة أن فيه إشارة إلى التسلية عن الميت بأنه مات بفراغ أجله)[٤]. وقال ابن هبيرة: (فيه جواز نكت الأرض بشيء يكون في يد المتكلم، استراحة في القول وتتميمًا للكلام)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: إثبات القدر:

هذا واضح من قوله ﷺ "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة".

قال ابن عثيمين: (كل إنسان من بني آدم مكتوب مقعده من الجنة إن كان من أهل الجنة، ومقعده من النار إن كان من أهل النار، وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٦/٣.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٧٥٣ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٧٩).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٤٩٧/١١-٤٩٨، . وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١٢٠٥/٢-١٢٠٦.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٧/١.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٢٠٦/٢.

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث[١] كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالى وقدره، خيرها وشرها، نفعها وضرها، قال الله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٢] فهو ملك لله تعالى، يفعل ما يشاء ولا اعتراض على المالك في ملكه، ولأن الله تعالى لا علة لأفعاله.

قال أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة، دون محض القياس ومجرد العقول، فمن عدل عن التوقيف فيه، ضل وتاه في بحار الحيرة. ولم يبلغ شفاء النفس، ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار، واختص الله به، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم، لما علمه من الحكمة، وواجبنا أن نقف حيث حدّ لنا، ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم؛ فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها)[٣].

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان: ولا يذكر القدر إلا ويذكر معه القضاء فما الفرق بينهما؟ جاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير شيء قبل قضائه، والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر، أن القدر بمنزلة تقدير الخياط للثوب، فهو قبل أن يفصله يقدره، فيزيد وينقص، فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقًا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر؛ بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه)[٤].

---

(١) انظر هذه الأحاديث في: صحيح مسلم في كتاب القدر رقم ٤٦، الأحاديث رقم ٢٦٤٣-٢٦٥١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨/١٦/٢٠٠-٢٠٢، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١١/٤٩٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٧٥٩.

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى، فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلك بعض أهل العلم[1].

وقال ابن تيمية في نسبة أفعال العباد إليهم، وأن الله هو الذي خلق أفعالهم: (والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم. والعبد هو: المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمُصلي والصائم.

وللعباد قُدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2])[3].

وقال محمد خليل هراس في شرح كلام ابن تيمية: (لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلاً لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصَفُ بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمُصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما فعل.

قال عبدالرحمن السعدي: (إن العبد إذا صلّى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحسُّ ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نصَّ الله عليه في كتابه، ونصَّ عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها -إن كانت صالحة- ومثابون، وملومون عليها -إن كانت سيئة- ومعاقبون عليها.

فقد تبيَّن بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاؤوا فعلوا، وإذا شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحسًّا وشرعًا ومشاهدةً.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٤٣-٢٤٤.

(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٢٨-٢٩.

(٣) العقيدة الواسطية مع شرحها، محمد خليل هراس.

ومع ذلك؛ إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدرة، وكيف تشملها المشيئة؟! فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد. فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟ فالجواب الذي يعترف به كل أحد أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحلُّ الإشكال، ويتمكَّن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمدَّ المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوِّعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال ﷺ: ((أما من كان من أهل السعادة؛ فسييسر لعمل أهل السعادة))[1].

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكَّلوا عليه، فولاهم ما تولَّوا لأنفسهم) ا هـ.

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد، ما دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدَّره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقُّون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها)[2].

ولا شك أن الإيمان بالقدر له الأثر البالغ، والمنافع الجمة، والثمرات الطيبة في حياة

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٦٢، ومسلم ٢٦٤٧.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس ص ٢٥٩-٢٦١.

المؤمن وفي مجتمعه، فمن ذلك:

(١- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢- راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره، من أسباب ذلك الخير والنجاح، فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب)[١].

رابعًا - من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

وهذا واضح من قول الصحابة رضي الله عنهم: "يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟" قال ابن حجر: ("قوله: رجل من القوم"[٢] في رواية سفيان وشعبة: فقالوا: "يا رسول الله"[٣] وهذا الرجل وقع في حديث جابر عند مسلم[٤] أنه سراقة بن مالك بن جُعْشم ولفظه: "جاء سراقة فقال: يا رسول الله أنعمل اليوم فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير أو فيما يستقبل؟ قال: بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير. فقال: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له" وأخرجه الطبراني وابن مردويه نحوه وقرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٥] وأخرجه ابن ماجه[٦] من حديث سراقة نفسه لكن دون تلاوة الآية.

ووقع هذا السؤال وجوابه سوى تلاوة الآية لشريح بن عامر الكلابي أخرجه أحمد

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) هذه رواية البخاري في الحديث رقم ٦٦٠٥، وبنحوها في الحديث ١٣٦٢، وعند مسلم ٦-٢٦٤٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٩، ومسلم بعد الرواية ٦-٢٦٤٧.

(٤) صحيح مسلم ٢٦٤٨.

(٥) سورة الليل، الآية: ٥-١٠.

(٦) سنن ابن ماجه ٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤).

والطبراني[١] ولفظه: قال: ففيم العمل إذن؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، وأخرج الترمذي[٢] من حديث ابن عمر قال: قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو أمر قد فرغ منه؟ قال: فيما قد فرغ منه" فذكر نحوه. وأخرج البزار والفريابي من حديث أبي هريرة أن عمر قال: يا رسول الله" فذكره. وأخرجه أحمد والبزار والطبراني[٣] من حديث أبي بكر الصديق: قلت يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه. ووقع في حديث سعد بن أبي وقاص فقال رجل من الأنصار، والجمع بينها تعدد السائلين عن ذلك. فقد وقع في حديث عبدالله بن عمرو أن السائل عن ذلك جماعة، ولفظه فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل... الحديث أخرجه الفريابي)[٤].

قال ابن أبي جمرة عن أن السؤال طريق التفقه في الدين والتثبت فيه - قال: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية حتى تعلم على تحقيق ويقين، والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حد سواء بالأدب، لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بدعي زائغ عن العلم، وسيرة السلف الصالح من الصحابة ﷺ وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنه)[٥].

خامسًا - من فقه الداعية: الحكمة في الجواب:

هذا واضح من جواب النبي ﷺ عن سؤال الصحابة: أفلا نتكل على كتابنا؟ أي: (أفلا نعتمد على ما كتب لنا في الأزل، ونترك العمل؟ يعني إذا سبق القضاء لكل أحد منا بالجنة أو النار فأي فائدة في السعي؟ فإنه لا يرد قضاء الله وقدره)[٦] أجاب ﷺ عن سؤالهم بقوله ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له" قال الطيبي: (وهو من الأسلوب

---

(١) مسند أحمد ٢٧/١٦٦٣٠، ١٦٦٣١، والطبراني في الكبير ٤٢٣٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي ٢١٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٤).

(٣) أخرجه أحمد ١/١٩، والبزار ٢٨، والطبراني ٤٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/٤٩٦-٤٩٧، .

(٥) بهجة النفوس ٤/٢٣٦.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١/٢٢٤.

الحكيم، منعهم عليه الصلاة والسلام عن الاتكال وترك العمل، وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من امتثال أمر مولاه، وهو عبوديته عاجلاً وتفويض الأمر إليه آجلاً، يعني: أنتم عبيد ولابد لكم من العبودية، فعليكم بما أمرتم به وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فلا تجعلوا العبادة وتركها سببًا مستقلاً لدخول الجنة والنار، بل أمارات وعلامات لها، ولابد في الإيجاب من لطف الله وكرمه أو خذلانه)[2].

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها، وكل ميسر لما خلق له، لا يقدر على غيره، ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم)[3].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الأرزاق والآجال قد سبق ما قسم الله عز وجل منها، وأن أهل النار قد سبق في علم الله عز وجل ذكرهم، ومقاعدهم منها.

وفيه من الفقه أن هذا الخبر لا ينبغي أن يؤثّر في ترك العمل بل في زيادته، ويؤثّر في ترك الإدلال بالطاعة؛ ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"؟!

وقد روي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه لما روى الحديث الذي فيه: ((يَعْمَلُ أَحَدَكُمْ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ))[4]، قال: هذا أشد الحديث أو أشد الأحاديث بعثًا على العمل، أو كما قال. والغرض أن هذا الحديث ليس يقتضي تقتير العمل، بل يقتضي الحذر من

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٢٥/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٠٢/١٦/٨، .

(٤) هذا جزء من حديث عبدالله بن مسعود في خلق الآدمي في بطن أمه، وفيه "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها..." أخرجه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣.

الإعجاب، كما أنه لا يقتضي التتابع في المعاصي، بل يقتضي أن لا يقنط فاعلها من رحمة الله إن كثرت ذنوبه.

وقوله: ((أما من كان مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فسيصير لِعَمَلِ السَّعَادَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فسيصير لِعَمَلِ الشَّقَاءِ))[1]، فاعلم أن السين تخلص الفعل المضارع للاستقبال، فقوله: "سيصير لعمل أهل السعادة" يدلك على أن المعوَّل عليه هو الخاتمة، فلا يغترَّ أحد بعمل ولا يقنط من ذنب)[2].

---

(١) هذا تكملة حديث الباب، وقد مضى ذكر هذه الجملة منه قريبًا.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٥٧/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالموعظة:

جاء في حديث الباب أنموذج من استخدام رسول الله ﷺ لأسلوب الموعظة في التربية في موعظته عند القبر، فعن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول اللَّهِ ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ...». ولما كان الحديث قائما على أسلوب الموعظة بَوَّب النووي له تحت باب "الموعظة عند القبر".

إن الموعظة من الأساليب التربوية المؤثرة خاصة إذا كانت ممن يقتدى به نظراً لأهمية القدوة في العملية التربوية، إلا أن هذه الوسيلة لا تكون كافية لتجعل الولد أخلاقياً مستقيماً في كل تصرفاته، إذ لابد من حصول الموعظة مع وجود القدوة "لأن النفس الإنسانية على استعداد تام للتأثر بما يلقى إليها من كلمات لكن ذلك الاستعداد كما هو للخير فهو استعداد أيضاً للشر، فإذا أردنا أن نصلح جنوح الأحداث[1]، فإن الموعظة ذات تأثير بالغ في التغيير الإيجابي خاصة إذا ما أحسن توظيفها بالأسلوب وبالشكل المناسب.

إن النفوس الصافية والقلوب المتفتحة والعقول الواعية المتدبرة، إذا تراءى لها الحق منساباً بالكلمة المؤثرة والموعظة البليغة والنصيحة الرشيدة والتذكرة المخلصة فإنها سرعان ما تخضع للحق وتتقبل هدي الله الذي أنزله، هذا في الكبير، فكيف بالولد الصغير الذي ولد على الفطرة، وقلبه الطاهر البريء لم يتلوث بعد، ونفسه البيضاء الصافية لم تتدنس بمفاسد الجاهلية ولم تتقلب في مدارج الإثم والعدوان، فلاشك أن تأثيره بالموعظة أبلغ وقبوله للتذكرة أقوى[2].

---

(١) انظر: نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي، مؤسسة شباب الجامعة: ١٩٨٣م ص ٢١٥.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٩٢/١. وانظر: الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، محمد بن مقبل ابن محمد المقبل ص ١٤٧، ١٤٨.

ثانياً- انتهاز الفرص للتعليم والتوجيه:

"يجب على المعلم انتهاز الفرص العارضة والمناسبات الطارئة لتعليم خبرات جديدة، أو لشرح أمر مهم أو لتوضيح فكرة غامضة، أو القيام بغرس الفضائل وتكوين الاتجاهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١]، وحديث الباب مثال عملي على هذا النوع من التربية، حيث انتهز النبي ﷺ اجتماع ذلك الجمع الكريم من الصحابة، وذلك الجو الذي يجعل النفس أكثر تقبلاً للموعظة، وأعظم استعداداً لسماعها، فوعظهم مبيناً حال نهاية كل إنسان ومآله إلى مصيره من جنة أو نار، فعن علي رضي الله عنه قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رَسُول اللَّهِ ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: ما منكم من أحد ...».

"لقد كان ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم لتكون أبلغ في التأثير وأفضل للفهم والمعرفة"[٢]، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[٣].

إن انتهاز الفرص واستغلالها في الدعوة والتربية أسلوب تربوي اتبعه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، ومن أمثلة ذلك في تاريخ الدعوة "ما قام به يوسف الصديق عليه السلام عندما سجن ودخل معه السجن فتيان، وقصا ما رأياه في منامهما وطلبا منه تأويلها، قام عليه السلام بانتهاز الفرصة للدعوة إلى دين الله تعالى قبل أن يفسر لهما رؤياهما"[٤]، قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٠٢.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٧١٩/٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٥٥٤٠.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٠٢.

إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[1].

ثالثاً- التربية على العمل وقوة العزيمة:

تهدف التربية الإسلامية إلى بيان الغاية الحقيقية التي لأجلها خلق الإنسان وهي عبادة الله تعالى وإقامة منهجه في الحياة، والسعي في إعمار هذا الكون والأخذ بالأسباب مع قوة اليقين في الله تعالى وعدم القعود والكسل بدعوى التوكل، وأن كل شيء مكتوب ولن يغير، فلا شك أن كل شيء بقدر وأن ما قدره الله تعالى سوف يكون لا محالة، ولكن على الإنسان أن يسعى ويبذل وسعه ملتمسًا الأسباب، لأنه كما بين رسول الله ﷺ، وأمر بأن يعمل كل إنسان ولا يتوقف فكل ميسر لما خلق له، هكذا ربى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على هذا الفهم الصحيح والواضح، لأجل أن يكون المسلم فاعلاً ومؤثراً ومنتجاً ومتوكلاً على الله مع حسن ظنه بربه.

إن التربية الإسلامية تعمل على دفع المسلم إلى العمل والمشاركة الإيجابية البناءة، وعدم التواكل والبعد عن السلبية والانهزامية التي تسلب الإنسان مقوماته وتهدر طاقاته.

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦-٤١.

لقد بيّن النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم أن ما في الكتاب مخبوء، وعلى الإنسان أن يعمل ما استطاع، فلعله من أهل السعادة فيهمل فيعمل عمل أهل الشقاوة، وهكذا يحل الإسلام مشكلة القضاء والقدر بالحث على العمل وعدم الاتكال عليه والتسليم لله في كل الأمور[1].

لذا كان من واجب المربين والمعلمين أن يبثوا في روح الناشئة النشاط ويغرسوا فيهم حب العمل وقوة العزيمة والابتعاد عن الكسل والتواكل، فلابد من المبادرة بتخليص المُرَبين خاصة الناشئة والشباب من هذه الخصال الذميمة في وقت مبكر قبل أن تستفحل وتتحول إلى خلق يصعب اجتثاثه[2]، فالعاجز الكسول المتواكل هو الذي لا يزال في حضيض طبعه محبوساً، وقلبه عن كماله الذي خُلق له مصدوداً منكوساً، قد أسأم نفسه مع الأنعام راعياً مع الهمل، واستطاب لُقَيْمات الراحة والبطالة، واستلان فراش العجز والكسل، لا كمن رُفِع له عَلَمٌ فشمر إليه، وبُورِك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه، قد أبت غلبات شوقه إلى الهجرة إلى الله ورسوله، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سبيله[3].

رابعًا- من الأساليب التربوية:

وردت في حديث الباب بعض الأساليب التربوية، منها:

أ- الوسائل الإيضاحية: ويمكن أن يستشهد لذلك بقول علي بن أبي طالب راوي الحديث رضي الله عنه: "وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكّس وجعل ينكت بمخصرته".

ومما لا شك فيه أن الوسائل الإيضاحية تجذب انتباه المتعلمين وتزيد الأمر وضوحًا في عقولهم وأذهانهم، والمعلم البارع مَن استخدم الموارد المتاحة لديه في البيئة المحيطة به وسائل إيضاحٍ.

ب- المناقشة والحوار: كما في قول الصحابة رضي الله عنهم: "يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥١٦.

(٢) انظر: تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٦٣، ١٦٤.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٤٦/١.

ومن الجدير بالذكر أن أسلوب المناقشة والحوار يتيح للمتعلم أن يعبر عن نفسه وعن أفكاره بحرية في جوٍّ مشجع ومحفز، كما أنه يعتمد في كثيرًا من الأحيان على الإقناع العقلي، مما يتيح الفرصة لأن يشارك المتعلم بدور إيجابي في العملية التعليمية، مما يزيد دافعيته إلى التعلم.

۞ ۞ ۞

١٦١- باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء لَهُ والاستغفار والقراءة

الحديث رقم (٩٤٧)

٩٤٧- عن أَبي عمرو - وقيل: أَبُو عبد الله، وقيل: أَبُو ليلى- عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: ((**اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسألُ**)) رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

الحديث يروي حال النبي ﷺ عند دفن الموتى في يراجع المؤمن فيها نفسه، ويتفكر في آخرته، وقول الراوي: (إِذَا فُرِغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ) أسلوب شرط يربط دفن الرسول ﷺ للميت بالوقوف، والاستغفار له، وأسلوب الشرط يجعل الفل عادة متكررة، ويجعل الفعلين مرتبطين، وقوله (اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسألُ) أمر توجيه، وإرشاد يندب الحاضرين للاستغفار للميت، ويرغبهم في ذلك، والتعبير بالأخ تذكير بتلك الرابط التي تجمع المؤمنين وما تستلزمه من مودة، ورحمة، وشفقة، وقوله (وسلوا له التثبيت) يشير إلى أن الموقف موقف اضطراب، وخوف، يحتاج فيه الإنسان إلى يدعوا له، والرسول ﷺ رحمة بالمؤمنين، أحياءً، وأمواتاً قلبه مع الميت، ومع الحي، وقد علل لذلك الأمر ليحقق مزيداً من الإقناع بقوله (فإنه الآن يسئل) والظرف (الآن) يقرب الظرف الزماني حال وجودهم في ظرفه المكاني مما يشعرهم بالهيبة، والإشفاق، ثم إن بناء الفعل لما لم يسم فاعله يجعل القلوب تذهب في تصوره كل مذهب.

---

(١) برقم ٣٢٢١، وصححه الحاكم في المستدرك ١/٣٧٠، وقال المؤلف في الخلاصة ٣٦٧٤، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٣٦: إسناده حسن.

فقه الحديث

الوقوف على القبر والدعاء للميت:

قال ابن قدامة: (وسئل أحمد عن الوقوف على القبر بعد ما يدفن، يدعى للميت؟ قال: لا بأس به، قد وقف عليٌّ والأحنف بن قيس، وروى أبو داود بإسناده عن عثمان: قال: كان النبي إذا دفن الرجل وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل". وروى مسلم بإسناده: ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة، قال: اجلسوا عند قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم، فإني استأنس بكم)[1].

وقال النووي: (يستحبّ أن يمكث على القبر بعد الدفن ساعة، يدعو للميت ويستغفر له، نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سؤال الميت.

ثالثاً: من بلاغة الداعية: استخدام الألفاظ المناسبة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له:

هذا واضح من قوله ﷺ: "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبت، فإنه الآن يسأل"، (فالدعاء للميت عند قبره بعد دفنه ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين)[3] وقال ابن تيمية: (المستحب عند الدفن، يقام على قبره، ويدعى له بالتثبيت، كما روى أبو داود في سننه [وذكر الحديث] وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٢٧/٣، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/١٦-٤٤.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٥/٥.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٥٥٩/٢.

تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[١]، فإنه لما نهى نبيه ﷺ عن الصلاة على المنافقين وعن القيام على قبورهم، كان دليل الخطاب، أن المؤمن يصلى عليه قبل الدفن، ويقام على قبره بعد الدفن. فزيارة الميت المشروعة بالدعاء والاستغفار، هي من هذا القيام المشروع)[٢].

وقال الشوكاني: (فيه مشروعية الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤاله التثبيت له، لأنه يسأل في تلك الحال)[٣].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (قال أبو عبدالله الترمذي الحكيم [صاحب نوادر الأصول]: الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت دفنه - مدد للميت بعد الصلاة، لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له، قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له، والوقوف على القبر لسؤال التثبيت، مدد للعسكر، وتلك ساعة شغل للميت، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة القبر)[٤].

وقال الطيبي: (قوله ﷺ "سلوا له التثبيت" اطلبوا من الله أن يثبته على جواب الملكين بالقول الثابت، وضمّن سلوا معنى الدعاء، كما قال الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[٥] أي ادعوا له بدعاء التثبيت أي قولوا: ثبته الله تعالى بالقول الثابت)[٦]

وقال ابن عثيمين: (وذلك أن الميت إذا دفن، فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، يعني عنده وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل"، فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت أن يقف عنده ويقول: اللهم اغفر له ثلاث مرات اللهم ثبته ثلاثاً؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم ينصرف ولا يجلس بعد ذلك، لا للذكر ولا

---

(١) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤١٥/١٢.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٣٥.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ١٠٦.

(٥) سورة المعارج، آية: ١.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٨٩/١.

للقراءة ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة)[١].

وقال الخطابي: (في هذا الحديث دليل على أن الدعاء نافع للميت؛ وليس فيه دلالة على التلقين عند الدفن، كما هو العادة[٢]، ولا نجد فيه أيضاً حديثاً مشهوراً، ولا بأس به، لأنه ليس فيه إلا ذكر الله تعالى. وعرض الاعتقاد على الميت والحاضرين، والدعاء له وللمسلمين، وإرغام لمنكري الحشر، وكل ذلك حسن)[٣].

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت، قام على قبره هو وأصحابه، وسأل له التثبيت، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت، ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم)[٤].

لكن ابن تيمية قال: (تلقينه بعد موته ليس واجباً بالإجماع، ولا كان من عمل المسلمين المشهور بينهم على عهد النبي ﷺ وخلفائه، بل ذلك مأثور عن طائفة من الصحابة كأبي أمامة وواثلة بن الأسقع. فمن الأئمة من رخص فيه كالإمام أحمد، وقداستحبه طائفة من أصحابه وأصحاب الشافعي، ومن العلماء من يكرهه لاعتقاده أنه بدعة. فالأقوال فيه ثلاثة: الاستحباب والكراهة والإباحة. وهذا أعدل الأقوال. فأما المستحب الذي أمر به وحضّ عليه النبي ﷺ فهو الدعاء للميت)[٥].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: سؤال الميت:

هذا واضح من قوله ﷺ: "فإنه الآن يسأل" قال الشوكاني: (فيه دليل على ثبوت حياة القبر، وقد وردت بذلك أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر. وفيه أيضاً دليل على أن الميت يسأل في قبره، وقد وردت به أيضاً أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما)[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٠٧/٢.

(٢) انظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ص ١٩٠-١٩١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٦/١٣، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣٨٦/٣-٣٨٨.

(٣) نقله الطيبي في شرحه على مشكاة المصابيح ٢٨٩/١.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٢/١.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٩٦/١٢.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٧٣٥.

وقال الصنعاني: (فيه دلالة على أن الميت يسأل في القبر، وقد وردت به الأحاديث الصحيحة كما أخرج ذلك الشيخان "فمنها": من حديث أنس[١] أنه ﷺ قال: إن الميت إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم" زاد مسلم[٢]: "وإذا انصرفوا أتاه ملكان" زاد ابن حبان[٣] والترمذي[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أزرقان أسودان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير" زاد الطبراني في الأوسط[٥]: "أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما، مثل صياصي[٦] البقر، وأصواتهما مثل الرعد" زاد عبدالرزاق[٧]: "ويحفران بأنيابهما ويطآن في أشعارهما، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلُّوها" وزاد البخاري من حديث البراء: "فيعاد روحه في جسده"[٨] ويستفادُ من مجموع الأحاديث[٩] أنهما يسألانه فيقولان له: "ما كنت تعبد، فإن كان هداه الله فيقول: كنت أعبد الله. فيقولان: ما كنت تقولُ في هذا الرجل: لمحمدٍ؛ فأمَّا المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله - وفي رواية: "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله - فيقال له: صدقت فلا يسأل عن شيء غيرها، ثم يقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى" وفي لفظ: "فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، وألبسوه من الجنة، قال: فيأتيه من رَوحها وطيبها ويفسح له مد بصره ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٣٨، ١٣٧٤، ومسلم ٢٨٧٠.

(٢) صحيح مسلم ٢٨٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٣١١٧ وقال محققه: إسناده قوي

(٤) سنن الترمذي ١٠٧١.

(٥) كما في مجمع الزائد ٣/٥٣-٥٤، وقال الهيثمي: وفيه ابن لهيعة.

(٦) قرونها. واحدتها صيصة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ا ص).

(٧) في المصنف ٣/٥٨٤ رقم ٦٧٤٠.

(٨) ليس هذا الحديث في البخاري وإنما أخرجه أحمد ٣٠/١٨٥٣٤، وأبو داود ٤٧٥٣، والحاكم ١/٣٧-٣٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٩) انظر: التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ١١٦-١٢٣.

الله مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً فيقول: دعوني حتى أذهب أبشر أهلي، فيقال له اسكت ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ خضراً إلى يوم القيامة" وفي لفظ: "ويقال له: نم فينام نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله. وأما الكافر والمنافق فيقول له الملكان: من ربك فيقول هاه[1] هاه لا أدري ويقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فيقال: لا دريت ولا تليت، أي: لا فهمت ولا تبعت من يفهم ويضرب بمطارق من حديد ضربة لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين".

ثم قال الصنعاني: واعلم أنه قد وردت أحاديث دالة على اختصاص هذه الأمة بالسؤال في القبر دون الأمم السالفة قال العلماء: والسر فيه أن الأمم كانت تأتيهم الرسل، فإن أطاعوهم فالمراد، وإن عصوهم اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما أرسل الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين أمسك عنهم العذاب، وقبل الإسلام ممن أظهره سواءٌ أخلص أم لا، وقيض الله لهم من يسألهم في القبور، ليخرج الله سرهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب، وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة وبسط المسألة في كتاب الروح)[2].

ثالثاً - من بلاغة الداعية: استخدام الألفاظ المناسبة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "استغفروا لأخيكم" قال عبدالله البسام: (فيه إثبات الأخوة الإسلامية، وهو أقوى أواصر الأخوة وأوثقها، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3]، وفيه معنى آخر: تقريب قلوب المشيعين، وتليين قلوبهم للميت، ليخلصوا له الدعاء والاستغفار).

---

(١) هذه كلمة تقال في الإبعاد وفي حكاية الضحك، وقد تقال للتوجع، وهو الأليق بمعنى هذا الحديث. النهاية في غريب الحديث ١٠١٦.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٣٨٤-٣٨٦ ولكن جاء في كتاب أصول الإيمان: والذي يظهر من النصوص عدم اختصاص هذه الأمة بالسؤال في القبر، بل هو عام في كل الأمم، وعلى هذا أكثر المحققين من أهل العلم. أصول الإيمان ٢٢٦.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

ويمكن الاستئناس في هذا المقام بقوله سبحانه وتعالى عن تضرع أيوب عليه السلام: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1].

قال ابن القيم: (جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا، كشفت عنه بلواه، وقد جرب أنه من قالها سبع مراتٍ، ولا سيما مع هذه المعرفة، كشف الله ضره)[2].

رابعاً - من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت"، ولاشك أن أسلوب الأمر أسلوب مباشر للامتثال والفعل والعمل[3].

كما علل النبي ﷺ هذا الأمر بكون الميت يسأله الملكان في قبره، وعبّر ﷺ عن الميت بلفظ "أخيكم" ليحث المدعوين على الإخلاص في ذلك، واستجماع القلوب والهمم على ذلك.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٢) الفوائد ٢٨٤.

(٣) انظر: تعليم أصول الفقه، د. نور الدين الخادمي ص ٣٦١-٣٦٦.

الحديث رقم (٩٤٨)

٩٤٨- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قَالَ: إِذَا دَفَنْتُمُونِي[١]، ... فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا حَتَّى أَسْتَأنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ[٢] مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم[٣]. وَقَدْ سبق بطوله.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: ((وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ))[٤]، وَإِنْ خَتَمُوا القُرآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنًا[٥].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

غريب الألفاظ:

الجزور: الناقة[٦].

---

(١) عند مسلم زيادة: (فشنّوا عليَّ التراب شنًّا).

(٢) عند مسلم: (انظر).

(٣) برقم ١٢١/١٩٢، وتقدم برقم (٧١١). قال الشافعيُّ: (قد بلغني عن بعض من مضى أنه أمرَ أن يقعد عند قبره إذا دفن قدر ما يجزرُ جزورٌ، وهذا أحسنُ، ولم أرَ النَّاسَ عندنا يصنعونه). معرفة السنن والآثار ٣٣٤/٥، ف ٧٧٤٨.

(٤) نقل الإمامُ البيهقيُّ في معرفة السنن والآثار ٣٣٣/٥، ف ٧٧٤٦ عن الشافعي المطلبيّ أنه قال: (وأحبُّ لو قرئ على القبر، ودُعي للميت). وليس ما قاله بدعًا على الإمام الشافعيّ رحمه الله، فقد روى البيهقي في السنن الكبرى ٥٦/٤ عن ابن عمر أنَّه استحبَّ أن يُقرأ على القبر بعد الدفن أول البقرة وخاتمتها، قال النووي في الأذكار ص: ٢٣٧، والخلاصة ٣٦٧٧: رواه البيهقي بإسناد حسن.

(٥) القول الأول، هو للإمام الشافعيّ رحمه الله، والقول الأخير هو للأصحاب، وهذا النصُّ نقله النووي في كتابه الأذكار ص: ٢٣٦، باب ما يقوله بعد الدفن بأوضح مما هنا حيث قال: (قال الشَّافعي والأصحابُ: يُستحبُّ أن يقرأوا عنده شيئًا من القرآن، قالوا: فإنْ ختموا القرآن كلَّه كان حسنًا). وقال النووي في المجموع ٢٨٦/٥: والأفضل أن يكون السلام والدُّعاء بما ثبت في الحديث، ويُستحبُّ أن يُقرأ من القرآن ما تيسر، ويدعو له عقبها، نصَّ عليه الشَّافعيُّ، واتفق عليه الأصحاب.

(٦) لسان العرب، ابن منظور في (ج ز ر).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتعلق بعمرو بن العاص رضي الله عنه وقوله (: إِذَا دَفَنْتُمُونِي) يدل حديثه بفحواه أن حديثه في مرض موته عندما شعر بدنو أجله يشعرك بذلك استخدامه لأداة الشرط (إذا) التي توحي بتحقق الشرط، وتدخل على الماضي فتخلصه للاستقبال، ثم ذكره الدفن، والقبر، وقوله (أقيموا) أمر فيه التماس وإشفاق، ورجاء، وقوله (حَوْلَ قَبْرِي) يشير إلى الالتفاف، والإحاطة التي تشعر بالطمأنينة، وتذهب الرهبة، وقوله: (قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا) هي الفترة التي يظن أن يستغرقها سؤال الملكين، وقوله (أَسْتَأنِسَ بِكُمْ) أي أطلب الأنس بكم، وهو دليل على يقينه بالغيب، وشدة خوفه تنبع من هذا اليقين، والتعبير بالمراجعة يشير إلى تجاوب، وحوار مع رسل ربه بين سؤال، وجواب، وهما منكر، ونكير، فتأمل خوف الأتقياء الذي عاشوا مجاهدين ينشرون الإسلام، ويفتحون الفتوحات، وإنما الخوف على قدر المعرفة، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيتُمْ كَثِيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) البخاري حديث (٦١٢٠).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧١١)، وقد ورد بتمامه مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- ربط المسلم بالعقيدة:

من أهداف التربية الإسلامية ربط المسلم بالعقيدة من خلال بيان التصورات الإيمانية الصحيحة التي يجب أن تستقر في القلوب وترسخ في الأذهان، ولاشك أن مثل هذه التصورات الصحيحة لا تتأتى إلا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم على الفهم الصحيح لأمور العقيدة، ومن ذلك بيانه ﷺ لما يجب فعله بعد دفن الميت من الاستغفار له وسؤاله تعالى التثبيت للميت، إنها تربية إيمانية عالية تعمق في نفس المسلم حبه لإخوانه وشفقته عليهم ورحمته بهم حتى بعد مماتهم والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب: قوله ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التثبيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»، وعلى هذه العقيدة تربى المسلمون واعتقدوا بها اعتقاداً جازماً لا يشوبه شك أو خلل يتضح ذلك في الحديث الثاني من خلال ما ورد في وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه لأهله وذويه «إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري ... وأَعْلَمُ ماذا أراجعُ به رسلَ ربي».

إنه لا يخفى على المربي أنه إذا عمق في الولد والمتربي حقيقة الإيمان بالله ورسخ في قلبه هذه التصورات الإيمانية وسعي جهده دائماً في أن يربطه بالعقيدة الإلهية، فإن الولد ينشأ على المراقبة لله والخشية منه والتسليم له، والتزام منهجه في كل ما يأمر به وينهى عنه، بل يكون عنده من حساسية الإيمان وإرهاف الضمير، ما يكف عن المفاسد الاجتماعية والوساوس النفسية والمساوئ الخلقية، وبهذا ينصلح روحياً وخلقياً، ويكتمل عقلياً وسلوكياً، بل يكون من الذين يُشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين والحق والصراط المستقيم[1].

إن التربية الإسلامية تهدف إلى تربية المسلم على العقيدة والإيمان الصحيح والأخلاق

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/ ٨١٨، ٨١٩.

الفاضلة، وغرس القيم الإسلامية، كما تهدف إلى إعداد الإنسان للعبادة، وتنمية الفرد العابد الذي يفي بشرط الاستخلاف في الأرض، ويستغل طاقاته للإبداع في حدود تقوى الله تعالى، حتى تصبح العبادة شاملة لكل ما يقوم به الإنسان من عمل وفكر وشعور[1].

ثانياً- تخير الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد:

إن تخير الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد والوعظ والتعليم أمر مهم في عملية التربية لأن للنفوس إقبالاً وإدبارًا، لذا فإنه يَحسن بالمربي أن يتخير الأوقات المناسبة لتوجيهاته التربوية، حتى تجد طريقها إلى قلوب السامعين.

والمعلم القدير هو الذي يستغل فترة إقبال الطلبة واستعدادهم لسماع وتقبُّل ما يقول، حتى يكون توجيهه مواتياً، وإلا فإن أي نصح أو توجيه يكون ثقيلاً على القلب وتمله النفوس وربما ترفضه، ويكون المعلم قد أضاع وقته، ووقت الطلبة فيما لا طائل فيه، وذهب ما قاله أدراج الرياح.

ويبدو لنا حسن تَخَيّر الرسول ﷺ للوقت المناسب للتوجيه واضحاً في حديث عثمان رضي الله عنه «كانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»، حيث انتهز النبي ﷺ فرصة اجتماع ذلك الجمع من الصحابة في الجنازة كذلك الجو الروحي والعاطفي الذي يعيشونه ويجعلهم أقرب ما يكونون لقبول ما يلقى على أسماعهم، فعلمهم النبي ﷺ ما يجب عليهم نحو أخيهم من الاستغفار وسؤال التثبيت له، لأنه أحوج ما يكون لمثل هذه الدعوات خاصة في وقت سؤاله في قبره بعد دفنه، فقال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ».

لقد بات معلوماً في علم التربية وطرق التدريس أن المعلم القدير هو الذي يستغل المناسبات والأحوال الطارئة للتعليم والتوجيه وتقديم النصح والإرشاد وإظهار العبرة، إذ أن كثرة الكلام في غير مناسبة مدعاة للسأم والملل والانصراف، وعدم الإصغاء، وهذا ما يفقد الموعظة قيمتها ويجعلها ثقيلة على النفس أو قد لا يلتفت إليها الطلبة ألبتة.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٦٦.

لقد كان رسول الله ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة والنصح والإرشاد بين الحين والآخر وهم على ما هم عليه من اليقين وقوة الإيمان وهو بينهم لأنه يخشى عليها السآمة والملل، فكان ﷺ يتحين الفرص والمناسبات الملائمة التي تجعل الموعظة أوقع في النفس وأبلغ في الأثر، والمعلم القدير هو الذي يراعي الزمان والمكان المناسبين للتوجيه ليكون التعليم مثمراً وليكون السلوك المراد تعليمه مدركاً[1].

ثالثاً- الموازنة بين الموعظة والتعليم والوقت الكافي لها:

إن من وسائل نجاح العملية التعليمية والتربوية مراعاة التوازن والمناسبة بين الدرس والوقت المخصص له فلو كان الوقت أكبر لشعر المتعلمون بالملل والتكرار، ولو كان الوقت قليلاً بحيث لا يكفي لعرض الأفكار وتوضيحها لأدى ذلك إلى نوع من القصور، ويمكن أن نستلخص هذا المعنى من وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه لأهله وذويه «إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربي»، فنراه رضي الله عنه طلب منهم إيناسه بهذا الوقت الذي يسع لنحر جزور وتقسيم لحمها الذي رآه مناسباً لإيناسه ومساعدته على مراجعة رسل ربه، فلم يطلب منهم وقتاً أقل من ذلك فيفوته الإيناس وفي نفس الوقت لم يطلب منهم وقتاً أكثر فيحملهم فوق طاقتهم ويشعرون بالسآمة والملل والضجر، ونحو ذلك خاصة إذا فاتتهم مصلحة أو منفعة دينية أو دنيوية.

لذا كان من الواجب على المربين خاصة من يضع منهم المناهج والخطط الدراسية والحصص الدراسية أن يوازنوا بين المنهج وبين الوقت المخصص له.

"كما ينبغي أيضاً على المعلم أن يكون ماهراً في توزيع محاور الدرس على زمن الحصة، حتى لا يقف في موقف لا يحسد عليه، إما لأنه لم يستطع إنهاء الدرس المحدد بسبب استطراده وخروجه عن الدرس في مواضيع جانبية أو أشياء ثانوية، أو بسبب تكراره أشياء سهلة لا تحتاج لذلك، وإما أنه أنهى الدرس قبل نهاية الحصة بوقت طويل

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس للآباء والدعاة والمعلمين، ومن يهمه تربية أبناء المسلمين، د. محمد صالح بن علي جان ص ١٩٢-١٩٤.

بسبب استعجاله في إلقاء الدرس مما يجعله يكرر أقواله ويضطرب وينفعل وتكثر أخطاؤه ويتجرأ عليه الطلبة وينفلت زمام الأمر من يده فيكثر الشغب والقيل والقال[1].

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٥٥، ٢٥٦.

١٦٢- باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾[الحشر: ١٠].

الحديث رقم (٩٤٩)

٩٤٩- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأُرَاهَا[١] لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أجْرٌ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

افتُلتت نفسها: ماتت فجأة[٣].

أراها: أظنها[٤].

الشرح الأدبي

تنكير الرجل السائل لعدم العلم به، أو لعدم تعلق غرض بذكره وقوله: (إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا) كناية عن موت الفجأة، والتعبير بالإفتلات يدل على المباغتة، والتعبير بـ (رأى) هنا لا يقصد به الرؤية البصرية، وإنما الظنية، أي غلب على ظنه ذلك، وقوله (لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ) جملة شرطية تربط الكلام بالصدقة، واستخدام (لو) في الشرط لأنها حرف امتناع لامتناع أي: امتناع الجواب وهو التصدق لامتناع الشرط، وهو الكلام، وقوله: (فَهَلْ لَهَا أجْرٌ إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟) استفهام على حقيقته يعكس بره

---

(١) عندهما بلفظ: (وأظنها)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ١٤٢/٤ رقم ٣٢٥٣، وكذا عند البخاري ٢٧٦٠.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ١٣٨٨، ومسلم ١٠٠٤/٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٤٠.

(٤) صحيح البخاري ١٣٨٨، ومسلم ١٠٠٤.

بأمه، وجملة الشرط بعد الاستفهام فيها إيجاز بحذف الجواب، لدلالة السبق عليه أي إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا، فهل لها أجر؟، وإجابة الرسول ﷺ جاءت على وفق مراده.

فقه الحديث

انتفاع الميت بالقرب:

قال ابن قدامة: (وأي قربة فعلها وجعل ثوابها للميت، نفعه ذلك إن شاء الله، أما الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء الواجبات فلا أعلم فيه خلافًا، إن كانت الواجبات مما يدخله النيابة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1].

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: ((أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟)) قالت: نعم. قال: ((فدين الله أحق أن يقضى))[2].

وهذه أحاديث صحاح وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب، لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادات بدنية، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت، فكذلك ما سواها ... وقال الشافعي: ما عدا الواجب والصدقة والدعاء والاستغفار لا يفعل عن الميت، ولا يصل ثوابه إليه، لقول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[3] وقول النبي ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) هما حديثان جمعهما المصنف، فأخرج البخاري ١٥١٣، ومسلم ١٣٣٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه. قال: نعم. وأخرج البخاري ١٩٥٣، ومسلم ١١٤٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت: نعم. قال: فدين الله أحق بالقضاء.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٩.

ولأن نفعه لا يتعدى فاعله، فلا يتعداه ثوابه[١]. وقال النووي: (وأجمع المسلمون على أن الصدقة عن الميت تنفعه وتصله)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على استفتاء النبي ﷺ في أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الصدقة عن الميت.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على استفتاء النبي ﷺ في أمور الدين:

هذا واضح من سؤال الرجل النبي ﷺ عن أمه التي ماتت فجأة: هل لها أجر إن تصدقت عنها؟ فقال النبي ﷺ: نعم.

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر، فقال: اقضه عنها[٣].

ومن هذا القبيل أيضًا ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما كذلك قال: إن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه، قالت: نعم، قال: فدين الله أحق بالقضاء[٤].

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٥١٩-٥٢٠، و انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠/٩٩-١٠٠ ومراجعها ومصادرها.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٠٩، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٣-١٩٤ .

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٦١، ومسلم ١٦٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٥٣، ومسلم ١١٤٨.

قال ابن حجر: (وفيه ما كان الصحابة عليه من استشارة النبي ﷺ في أمور الدين)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الصدقة عن الميت:

هذا واضح من إقرار النبي ﷺ للرجل عندما سأله عن الأجر الذي يصل إلى أمه إن تصدق عنها بعد موتها.

وقد بوب البخاري على حديث عائشة وحديث ابن عباس عن سؤال سعد بن عبادة عن قضاء النذر الذي على أمه وقد ماتت - بوب على ذلك باب: ما يستحب لمن توفى فجأة أن يتصدقوا عنه وقضاء النذور عن الميت[٢].

قال ابن حجر: (وفي حديث الباب من الفوائد: جواز الصدقة عن الميت وأن ذلك ينفعه بوصول ثواب الصدقة إليه ولاسيما إن كان من الولد. وهو مخصص لعموم قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٣]، ويلتحق بالصدقة العتق عنه عند الجمهور خلافًا للمشهور عند المالكية)[٤].

وقال النووي: (وفي هذا الحديث أن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها، وهو كذلك بإجماع العلماء، وكذا أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين بالنصوص الواردة في الجميع، ويصح الحج عن الميت إذا كان حج الإسلام، وكذا إذا وصى بحج التطوع على الأصح عندنا (أى عند الشافعية). واختلف العلماء في الصوم إذا مات وعليه صوم، فالراجح جوازه عنه للأحاديث الصحيحة فيه [٥] والمشهور في مذهبنا أن قراءة القرآن لا يصله ثوابها. وقال جماعة من أصحابنا: يصله ثوابها، وبه قال أحمد بن حنبل، وأما الصلاة وسائر الطاعات فلا تصله عندنا ولا عند الجمهور، وقال أحمد: يصله ثواب الجميع كالحج)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٩٠/٥ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوصايا رقم ٥٥، الباب ٧٩، الحديثان ٢٧٦٠، ٢٧٦١.

(٣) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٩٠/٥.

(٥) وهو حديث عائشة مرفوعًا: "من مات وعليه صيام، صام عنه وليه" أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٨/٧/٤ .

وقال ابن تيمية: (ففي الأحاديث الصحيحة أنه أمر ﷺ بحجج الفرض عن الميت وبحج النذر، كما أمر بالصيام، وأن المأمور تارة يكون ولدًا وتارة يكون أخًا، وشبه النبي ﷺ ذلك بالدين يكون على الميت، والدين يصح قضاؤه من كل أحد، فدل على أنه يجوز أن يفعل ذلك من كل أحد، لا يختص ذلك بالولد، كما جاء مصرحًا به في الأخ، فهذا الذي ثبت بالكتاب والسنة والإجماع علم مفصل مبين، فعلم أن ذلك لا ينافي قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1]، وقوله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث...))[2]. بل هذا حق، وهذا حق....)[3].

وقال ابن القيم: (وقد أجمع الناس على وصول الصدقة والدعاء. قال الإمام أحمد: لا يختلفون في ذلك. وما عداهما فيه اختلاف. والأكثرون يقولون بوصول الحج. وأبو حنيفة يقول: إنما يصل إليه ثواب الإنفاق، وأحمد ومن وافقه مذهبهم في ذلك أوسع المذاهب. يقولون: يصل إليه ثواب جميع القرب. بدنيها وماليّها، والجامع للأمرين. واحتجوا بأن النبي ﷺ قال لمن سأله: "يارسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد مماتهما، قال: (نعم).... فذكر الحديث[4].

وقد قال ﷺ: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه"[5])[6].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين:

هذا واضح من سؤال الرجل عن الصدقة عن أمه ووصول الأجر إليها بعد موتها. وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: "بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ أتته امرأة

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٦١٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٢/٤٠٢ - ٤٠٣، ٢٤/٣١١ - ٣١٢.

(٤) وبقيته: "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما. والحديث أخرجه أبو داود ٥١٤٢، وابن ماجه ٣٦٦٤، والحديث ضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٠٠).

(٥) أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٢٧٥ - ٢٧٦.

فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية وإنها ماتت، قال: فقال ﷺ: وجب أجرك وردها عليك الميراث. قالت: يارسول الله إنه كان عليها صوم شهر أفأصوم عنها ؟ قال: صومي عنها. قالت: إنها لم تحج قط أفأحج عنها؟ قال: حجي عنها"[١].

قال ابن حجر: عن حديث الباب: (وفيه السؤال عن التحمل والمسارعة إلى عمل البر والمبادرة إلى بر الوالدين)[٢].

ولعل من هذا القبيل ما رواه عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبدالله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه. قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير. فقال عبدالله بن عمر: إن أبا هذا كان وادًّا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه"[٣].

وقال النووي: (في هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه، لكونه بسببه، ويلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة)[٤].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضح من سؤال الرجل وجواب النبي ﷺ وهذا الأسلوب له (قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات عن أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، ١١٤٩

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٩٠/٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٠/١٦/٨ .

(٥) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢.

الحديث رقم (٩٥٠)

٩٥٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ[1]: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يعتمد الأسلوب البلاغي لهذا الحديث أسلوب التشويق في عرض المعنى عن طريق أسلوب الشرط، والتفصيل بعد الإجمال مع حسن التقسيم، والإيجاز غير المخل فأسلوب الشرط (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ)، ويحقق التشويق من حيث أن النفس تتعلق بالجواب إذا ذكر الشرط، والإجمال في قوله: (ثلاث) وهي تحقق التشويق برغبة النفس في معرفة ما يسفر عنه العدد فإذا فصَّل بعد ذلك كان له في النفس فضل تمكن، وقد بدأ تفصيلها بقوله (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ووصف الصدقة بالجارية يعطيها بعداً إيحائياً بالامتداد، والتجدد في العطاء، الذي يترتب عليه استمرار الأجر، ووصف العلم بالانتفاع به يشير إلى العلم المؤثر الفاعل، فكم من علم يضر، ولا ينفع !، وكم من علم نفع الناس، وضر صاحبه يوم قصد به غير وجه الله !، والفعل المضارع (ينتفع) يصور التجدد، والاستمرار حتى بعد موت صاحبه مما جدد له الأجر، ووصف الولد بالصالح يشير إلى عمل والده على إصلاحه في حياته، واستمراره على الصلاح الذي تدل عليه اسمية الوصف (صالح)، وقوله (يدعو له) يصور الفعل المضارع استمرار الفعل، وتجدده، الذي يؤدي إلى تجدد الثواب،

---

(١) لفظ مسلم: (ثلاثة).

(٢) برقم (١٦٣١/١٤) وسيكرره المؤلف برقم ١٣٨٥. أورده المنذري في ترغيبه ١٢٤.

واستمراره، وهي دعوة لكل عاقل لكي يتخذ لنفسه عملاً ينتفع به بعد مماته يصله بمدد من الحسنات لا ينقطع.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ما ينتفع به الميت بعد موته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى اغتنام الحياة الدنيا في عمل الطاعات وما ينفع في دار المعاد.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط والاستثناء.

أولاً- من صفات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

هذا واضح من الحديث: قال النووي: (قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته. وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة، لكونه سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهى الوقف)[1].

وقال الطيبي: عن معناه: (ينقطع عنه ثواب أعماله من كل شيء من الصلاة والزكاة والحج، ولا ينقطع ثواب أعماله من هذه الثلاثة، والمعنى إذا مات الإنسان لا يكتب له بعده أجر أعماله، لأنه جزاء العمل، وهو ينقطع بموته، إلا فعلاً دائم الخير، مستمر النفع مثل وقف أرض، أو تصنيف كتاب، أو تعليم مسألة يعمل بها، أو ولد صالح، وكل منها يلحق أجره إليه، وإنما جعل الولد صالح من جنس العمل لأنه هو السبب في وجوده، وسبب لصلاحه بإرشاده إلى الهدى، كما جعل نفس العمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[2]، وأما فائدة القيد بالولد "يدعو له" مع أن الغير من المسلمين لو دعا له لنفعه، فزيادة للبيان وتحريض للولد على الدعاء، وأنه كالواجب عليه)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٨/١١/٦ .

(٢) سورة هود، آية: ٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦١/١.

وقال أبو العباس القرطبي: (هذه الثلاث الخصال إنما جرى عملها بعد الموت على من نسبت إليه؛ لأنه تسبب في ذلك، وحرص عليه، ونواه. ثم إن فوائدها متجددة بعده دائمة، فصار كأنه باشرها بالفعل، وكذلك حكم كل ما سنه الإنسان من الخير، فتكرر بعده؛ بدليل قوله ﷺ: ((من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة))[1]. وإنما خص هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث، لأنها أصول الخير، وأغلب ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم. والصدقة الجارية بعد الموت هي: الحبس[2]، فكان حجة على من ينكر الحبس، وفيه ما يدل: على الحض على تخليد العلوم الدينية بالتعليم والتصنيف، وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيتهم بالدعاء عند موته، وبعد الموت)[3].

ومن قبيل بيان الداعية الحقائق للمدعوين قوله ﷺ: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: ما ينتفع به الميت بعد موته:

هذا واضح من الحديث فقد أخبر ﷺ أن ينتفع بعد موته بثلاثة هي: (صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وقال ﷺ: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علمه ونشره وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته"[5].

قال النووي عن حديث الباب: (وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه، وبيان

---

(١) أخرجه مسلم، ١٠١٧.

(٢) الحبس: الوقف. معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ١٥٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٥٥٤ - ٥٥٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٩٨).

فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه بالتعليم والتصنيف والإيضاح، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع. وفيه أن الدعاء يصل ثوابه إلى الميت وكذلك الصدقة، وهما مجمع عليهما. وكذلك قضاء الدين)[١].

وقال ابن القيم: (والعبادات قسمان: مالية وبدنية، وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص الاعتبار)[٢].

وقال ابن تيمية: (أما الحديث فإنه قال: "انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) فذكر الولد ودعاءه له خاصية، لأن الولد من كسبه، كما قال: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[٣]، قالوا: إنه ولده. وكما قال النبي ﷺ: ((إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه))[٤]. فلما كان هو الساعي في وجود الولد، كان عمله من كسبه، بخلاف الأخ والعم والأب ونحوهم، فإنه ينتفع - أيضًا- بدعائهم، بل بدعاء الأجانب، لكن ليس ذلك من عمله.

والنبي ﷺ قال: انقطع عمله إلا من ثلاث ..." لم يقل: إنه لم ينتفع بعمل غيره، فإذا دعا له ولده كان هذا من عمله الذي لم ينقطع. وإذا دعا له غيره لم يكن من عمله لكنه ينتفع به. وأما الآية فللناس عنها أجوبة متعددة. كما قيل: إنها تختص بشرع من قبلنا، وقيل: إنها مخصوصة. وقيل: إنها منسوخة. وقيل: إنها تنال السعي مباشرة وسببًا. والإيمان[٥] من سعيه الذي تسبب فيه.

ولا يحتاج إلى شيء من ذلك. بل ظاهر الآية حق لا يخالف بقية النصوص، فإنه قال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦/١١ - ٨٨ .

(٢) انظر الروح لابن القيم ١١٧ - ١٤٣، وقد أفاض في الاستدلال لما ذهب إليه. وانظر كذلك: جامع الفقه من كتب ابن القيم مع يسري السيد محمد ٢/٥١٧ - ٥٤٩.

(٣) سورة المسد، آية: ٢.

(٤) أخرجه الترمذي ١٣٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٠٩٥).

(٥) كذا في المطبوع من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم .

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١]، وهذا حق. فإنه إنما يستحق سعيه، فهو الذي يملكه ويستحقه، كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو. وأما سعى غيره، فهو حق وملك لذلك الغير، لا له، لكن هذا لا يمنع أن ينتفع بسعي غيره كما ينتفع الرجل بكسب غيره)[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: المسارعة إلى اغتنام الحياة الدنيا في عمل الطاعات وما ينفع في دار المعاد:

وهذا واضح من إخبار النبي ﷺ أن الميت ينقطع انتفاعه بعمله إلا بهذه الثلاثة، قال القرطبي: (إنما خص هذه الثلاثة بالذكر في هذا الحديث لأنها أصول الخير وأغلب ما يقصد أهل الفضل بقاءه بعدهم، والصدقة الجارية بعد الموت هي الحبس، وفيه ما يدل على الحض على تخليد العلوم الدينية بالتعليم والتصنيف، وعلى الاجتهاد في حمل الأولاد على طريق الخير والصلاح، ووصيتهم بالدعاء عند موته وبعد الموت)[٣].

من علم أن الدنيا دار سباق وتحصيل الفضائل، وأنه كلما علت مرتبته في علم وعمل زادت مرتبته في دار الجزاء، أنهب الزمان[٤] ولم يضع لحظة، ولم يترك فضيلة تمكنه إلا حصلها، ومن وفق لهذا فليغتنم زمانه بالعلم، وليصابر كل محنة وفقر، إلى أن يحصل له ما يريد)[٥].

قال محمد بن إبراهيم الحمد: (إن المرء إذا تذكر قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعة للآخرة، وأنها فرصة لكسب الأعمال الصالحة، وتذكر ما في

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٠٣/١٢، ٣١١/٢٤ - ٣١٢. وانظر: المغنى لابن قدامة، ٥١٩/٣ - ٥٢٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٥/١٦ - ٤٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٥٥/٢.

(٤) يقال: إنه لينهب الأرض: يسرع في السير. وإنه لينهب الغاية: سباق. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ص ٩٥٦.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٥٣/٢.

الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم - زهد في مُتع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات.

قصر الآمال في الدنيا تَفُزْ فدليل العقل تقصير الأمل

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)). وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[1].

قال ابن رجب تعليقًا على هذا الحديث: (وهذا الحديث أصل في قصر الأمل في الدنيا، وأن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا، فيطمئن فيها. ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر يهيِّئ جهازه للرحيل.

وقد اتفقت على ذلك وصايا الأنبياء وأتباعهم.

قال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[2])[3].

قال ابن عقيل: (ما تصفو الأعمال والأحوال إلا بتقصير الآمال؛ فإن كل من عد ساعته التي هو فيها كمرض الموت حسنت أعماله، فصار عمره كله صافيًا).

وقال ابن الجوزي: (من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر)[4].

وقال ابن القيم: (صدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته؛ فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا وما فيها ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله، وعلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٣٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٧٧.

(٤) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٥٧.

محبته، وإيثار مرضاته، واستحدثت همة أخرى، وعلومًا أخر. وولده ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة، كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمه، فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة. وكما كان بطن أمه حجابًا لجسمه عن هذه الدار - فهكذا نفسه هو حجاب لقلبه عن الدار الآخرة؛ فخروج قلبه عن نفسه بارزًا إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزاً إلى هذه الدار)[1].

والمقصود أن صدق التأهب هو مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه من اليقظة، والتوبة، والإنابة، والمحبة، والرجاء، والخشية، والتفويض، والتسليم، وسائر أعمال القلوب والجوارح؛ فمفتاح ذلك كله صدق التأهب، والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم، لا إله غيره، ولا رب سواه[2])[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط والاستثناء:

فالشرط قوله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عمله"، إما الاستثناء فقوله: "إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"، ولا شك أن الشرط يرتب الجزاء على الفعل، وهنا في الحديث إخبار عن انقطاع عمل الإنسان بموته إلا من حالات ثلاثة. وهذا الاستثناء يدفع المدعو أن يلتزمها في حياته ويعمل على الإكثار منها والزيادة فيها.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٢٠.

(٢) طريق الهجرتين ٣٢١.

(٣) الهمة العلمية معوقاتها ومقوماتها، ١٩٨ - ٢٠٠، ومراجعها ومصادرها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على بر الوالدين:

إن من الأصول التي ينبغي ألا يُغفل عنها في مجال التربية رعاية حقوق الوالدين وبرهما في حياتهما براً دائماً لا ينقطع حتى بوفاتهما، فإن حق الوالدين عظيم، ومن سعة رحمة الله تعالى أن جعل بر الوالدين لا ينقطع حتى بعد مماتهما فقد يقصر أحد الناس في حق والديه وهما أحياء فإذا ماتا عضّ يده وقرع سنه ندماً على تفريطه وتضييعه لحق الوالدين، وتمنى أن يرجعا للدنيا ليعمل معهما صالحاً غير الذي عمل، ومن هنا يستطيع المسلم أن يستدرك ما قد فات فيبر والديه وهما في عالم البرزخ، وذلك بأمور منها:

أ- أن يكون الولد صالحاً في نفسه.

ب- كثرة الدعاء والاستغفار لهما.

ج- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما.

د- وإنفاذ عهدهما.

هـ- التصدق عنهما[1].

إن التربية الإسلامية تعمل على تعميق قيم البر والوفاء، وأولى الناس بالبر والوفاء من كانا سبباً في مجيء الإنسان إلى هذه الحياة وهما الوالدان، لذا حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم على البر بالوالدين حتى بعد مماتهما وانقطاعهما عن الحياة.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما ورد في قوله: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

كما ورد ذلك الأنموذج في بر الوالدين عن طريق التصدق عنهما وتأكيد النبي ﷺ على وصول الأجر إلى الوالدين وانتفاعهما به كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها في الباب: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها لو تَكَلَّمَتْ، تصَدَّقَتْ؛ فهل لها أجرٌ إن تَصَدَّقْتُ عنها قال: (نعم)».

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٩، ٤٠.

فما أحرى بالمربين أن يغرسوا في نفوس المتعلمين حب الوالدين ويحثوهم على برهما براً دائماً غير منقطع في حياتهما ولا بعد مماتهما.

إن العلاقة بين الولد وأبيه لا تقوم على أساس المصلحة المادية ومنطق الربح والخسارة، إنما تقوم على البذل والعطاء والطاعة والبر والإحسان فيقرن الإحسان بالوالدين بعبادة الله وشكرهما بشكره اعترافاً بفضلهما ورعاية للمستوى الخلقي الرفيع الذي ينبغي أن تبنى عليه العلاقة بين الأبناء والآباء[1].

ثانياً- التركيز على الأعمال المتعدية النفع الممتدة الأثر:

إن من أهداف التربية الإسلامية: التركيز على الأعمال ذات الأثر الممتد والمحمود، ولذا حرص النبي ﷺ على توجيه أصحابه والمؤمنين من بعدهم إلى الاهتمام بالأعمال التي يمتد أثرها وينتفعون بها حتى بعد مماتهم وانقطاعهم عن الحياة، وهذا نوع من التربية على علو الهمة وعدم الإخلاد إلى الدنيا وما فيها، بل وتعمل التربية الإسلامية على ترقية الاهتمامات والإعداد والاستعداد بالأعمال التي يمتد أثرها بعد موت الإنسان.

لذا ينبغي لفت أنظار المتعلمين إلى القصد إلى تلك الأعمال الفاضلة وإعطائها الأولوية، إذ أنه من الأحرى أن تعطى الأولوية لكل عمل له أثر طويل المدى، من ذلك:

- الصدقة الجارية بحيث يوظف الفرد وقته وجهده وحركته في الحياة لإفادة غيره من الناس خلال حياته وبعد مماته، وهي تشمل كل مشروع يخدم الناس في معاشهم وفي أمور دينهم.

- وكذلك العلم النافع، وهو الاستفادة من الوقت في طلب العلم وتعليمه وتوريثه، وخاصة العلم الشرعي الذي يعود على الناس بالنفع في دنياهم وأخراهم والذي تمتد ديمومة الانتفاع به إلى ما بعد موت صاحبه.

- وكذلك تربية الولد الصالح، في ذلك إشارة إلى تكوين أسرة كريمة وتنشئة الأولاد على خلق ودين، فإذا مات الوالدان خلفهما جيل يحمل منهج الله في قلبه ويقدم الخير للبشرية، كما أنه يدعو لهما طالما حيي.

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ١٥٤، وأصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٣٩.

وهذه الأعمال الثلاثة وردت الإشارة إليها في حديثي الباب لاسيما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

ومن ثَمَّ كان الواجب الاهتمام بتلك الأعمال التي لا تكون محدودة بسنين العمر المحدودة، وإنما تبقى خالدة في نفعها إلى ما شاء الله، ومن أهم تلك الأعمال: تربية النشء المسلم، وتعليمه، وتعويده السلوك القويم، حتى يكون سجية له لا ينفك عن شخصيته، وقد نص على ذلك في الحديث في قوله ﷺ: «وعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ» فإن المربي المسلم الذي يكرس وقته في تربية النشء وتعليمه وتقويم سلوكه تبقى أعماله تلك رصيداً يمتد بمدى تحقيقه للفائدة كماً وكيفاً وزماناً[1].

ثالثاً- التوجيه غير المباشر:

من فطنة المعلم الحاذق والمربي الأريب أن يُنَوِّع في أساليب تربيته وتعليمه، فلا يسلك منهجاً واحداً فتمل منه النفوس وتنفر منه القلوب والأسماع، وإنما يختار من الأساليب ما يراها ملائمة وموافقة لأحوال من يقوم على توجيههم وتربيتهم.

ونلاحظ ذلك في حديثي الباب حيث جاء في الحديث الأول توجيه مباشر في إجابته لذلك الرجل عن سؤاله فيما لو أراد أن يتصدق عن أمه المتوفاة حيث قال النبي ﷺ: «إن أمي افْتُلِتَتْ نَفْسُها، وأراها لو تَكَلَّمَتْ، تَصَدَّقَتْ؛ فهل لها أجرٌ إن تَصَدَّقْتُ عنها قال: (نعم)».

كما نجد في الحديث الآخر توجيهاً غير مباشر فلم يقل النبي ﷺ مثلاً تصدقوا بالصدقات الجارية، أو تعلموا وعلموا الناس العلم الذي ينتفع به، وإنما جاء توجيهه ﷺ في صورة خبر يحمل معنى الحث والأمر والتوجيه، فقال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». فهذا الحديث وإن جاء في صيغة الخبر لكن المراد منه التوجيه والحث والترغيب.

---

(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٩٩، ١٠٠.

إن التوجيه غير المباشر أسلوب تربوي له من الوجاهة وحسن التأثير ما لا ينكر، وقد شاع هذا الأسلوب في أحاديث النبي ﷺ، ونضرب مثالاً لهذا بحديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحِمَ اللَّهُ رجلاً سمحاً إذا باعَ وإذا اشْترى وإذا اقْتضى»[1]. ففي ذلك توجيه مباشر على المسامحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحنة والحث على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[2].

إن التوجيه غير المباشر هو دفع المربي أتباعه لعمل ما دون التصريح به، ولقد كان هذا الأسلوب من أكثر الأساليب التي اعتمدها الرسول ﷺ في تربيته لأصحابه بل لا تكاد تخلو أحاديثه وتوجيهاته وأقواله من هذا الأسلوب لماله من فوائد جمة قد لا تتوفر في غيره، ومن فوائده:

أ- أن الرسول ﷺ أراد أن يكون الدافع للعمل ذاتياً خالياً من ضغط العوامل الأخرى كالحياء والرياء والعاطفة والمجاملة.

ب- أن ينشأ عند الفرد الثقة بالنفس واستقلال الشخصية حتى إذا فُقِد المربي استطاع المسلم الاستمرار بالعمل الصالح وأن يشق طريقه بنفسه.

ج- ربما توجد بعض النفوس التي تتثاقل من قبول النصيحة المباشرة ويصيبها الخجل والإحباط إذا حصل التصريح بالتوجيه والإرشاد، فكان التوجيه غير المباشر دافعاً لما قد يحصل من ذلك.

د- أن ينمي عند الفرد المسلم القدرة على التصرف السليم واتخاذ القرار الصحيح المناسب.

هـ- في التوجيه المباشر يكون المرء ملزماً بالتطبيق الفوري وفي حالة الامتناع قد يقع في معصية، أما التوجيه غير المباشر فالتنفيذ متروك للمرء على التراخي أحياناً[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٣٨٤/٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٩، ٢٩٠.

١٦٣- باب ثناء الناس عَلَى الميت

الحديث رقم (٩٥١)

٩٥١- عن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((وَجَبَتْ)) ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرّاً، فَقَالَ النبي ﷺ: ((وَجَبَتْ))، فَقَالَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَا وَجَبَت؟ فَقَالَ: ((هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّار، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول معنى شهادة المؤمنين للميت، وأثرها عليه، وأسلوبه خبري مبني على الحوار قوله: (مروا بجنازة) أي بميت، وإسناد الفعل لواو الجماعة يؤكد الفعل لأنه فعل جماعة بخلاف فعل الواحد في التوكيد، والثناء الشكر، وقول الرسول ﷺ (وجبت) أي لزمت، وقول الراوي (ثم مروا) حرف العطف يدل على فترة زمنية وأنها لم تتبعها مباشرة، وقوله (فأثنوا عليها شراً) الثناء يكون بالخير، واستخدامه في الشر من باب المشاكلة، والإشارة في قول الرسول (هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ) لتمييز المشار إليه، واستحضاره في ذهن المخاطب والخبر عنه بوجوب الجنة مدح له، والإشارة الثانية كذلك، والإخبار عنه بوجوب النار ذم له، وحاصل الجملتين يشير إلى قيمة شهادة المؤمنين، وأنهم لا يجمعون على باطل، وقول الرسول (أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرضِ) وصفهم بالشهداء تكريم له، وإضافة الشهداء لله تشريف لهم، والقيد بقوله (في الأرض) تخصيص لهم، وتمييز عن غيرهم من الشهداء.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٣٦٧، ومسلم ٩٤٩/٦٠. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٦١.

فقه الحديث

ذكر الأموات بشرٍّ:

قال النووي: (كيف مكنوا بالثناء بالشر مع الحديث الصحيح في البخاري وغيره في النهي عن سبّ الأموات[1]؟، فالجواب أن النهي عن سب الأموات هو في غير المنافق وسائر الكفار، وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة، فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بشر للتحذير من طريقتهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم. وهذا الحديث محمول على أن الذي أثنوا عليه شرًا، كان مشهورًا بنفاق أو نحوه مما ذكرنا، هذا هو الصواب في الجواب عنه)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثناء المؤمنين على الميت.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جواز ذكر مساوئ الميت لمصلحة شرعية.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تزكية رسول الله ﷺ لأمته.

رابعاً: من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه.

خامساً: من آداب المدعو: الاستكثار من رحمة الله وفضله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ثناء المؤمنين على الميت:

هذا واضح من الحديثين، وحديث أنس عند مسلم بلفظ ((مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ. أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي االأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ))[4].

وقال النووي: (وأما معناه ففيه قولان للعلماء، أحدهما: أن هذا الثناء بالخير لمن أثنى

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨/٧/٤، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٩٥، وفتح الباري، ابن حجر ٢٥٨/٣-٢٥٩.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٥٢).

(٤) صحيح مسلم ٩٤٩.

عليه أهل الفضل، فكان ثناؤهم مطابقاً لأفعاله، فيكون من أهل الجنة، فإن لم يكن كذلك فليس هو مراداً بالحديث، والثاني: -وهو الصحيح المختار- أنه على عمومه وإطلاقه، وأن كل مسلم مات، فألهم الله تعالى الناس أو معظمهم الثناء عليه، كان ذلك دليلاً على أنه من أهل الجنة، سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا. وإن لم تكن أفعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة، بل هو في خطر المشيئة، فإذا ألهم الله عز وجل الناس الثناء عليه، استدللنا بذلك على أنه سبحانه وتعالى قد شاء المغفرة له، وبهذا تظهر فائدة الثناء. وقوله ﷺ "وجبت... وأنتم شهداء الله" ولو كان لا ينفعه ذلك إلا أن تكون أعماله تقتضيه، لم يكن للثناء فائدة، وقد أثبت النبي ﷺ له فائدة)[1].

قال ابن حجر: (قوله "أنتم شهداء الله في الأرض" أي المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان، وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة[2]، لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم. قال: والصواب أن ذلك يختص بالثقات والمتقين، انتهى وسيأتي في الشهادات[3] بلفظ "المؤمنون شهداء الله في الأرض" ولأبي داود[4] من حديث أبي هريرة في نحو هذه القصة "إن بعضكم على بعض لشهيد")[5].

وقال ابن حجر كذلك: (قال الداودي: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة، لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة؛ لأن شهادة العدو لا تقبل)[6].

وقال الطيبي: (قوله: "فأثنوا عليها شراً" الثناء إنما يستعمل في الخير، واستعماله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٧/٢٢-٢٣، .

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/١٩٢.

(٣) أي كتاب الشهادات من صحيح البخاري، الحديث ٢٦٤٢.

(٤) سنن أبي داود ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٧٠).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٢٩.

(٦) المرجع السابق ٣/٢٣٠-٢٣١.

ههنا في الشر إما مشاكلة لقوله "فأثنوا عليها خيراً"[١] أو تهكم كاستعمال البشارة في النذارة)[٢].

ثانياً - من موضوعات الدعوة: جواز ذكر مساوئ الميت لمصلحة شرعية:

هذا يستفاد من قوله ﷺ: "وهذا أثنيتم عليه شراً"، وفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما مرت عليه جنازة فأثنى على صاحبها شراً.

ولكن هذا الجواز يعارضه النهي عن سب الموتى، فقد قال النبي ﷺ "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"[٣]. وروي أن النبي ﷺ قال: ((اُذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وكُفوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ))[٤]، وقد ذكر أبو العباس القرطبي أربعة أوجه للجمع بين هذه الأحاديث منها أن الذي تحدث عنه بالشرّ كان مستظهراً له ومشهوراً به، فيكون ذلك من باب لا غيبة لفاسق، ومنها أن الذي أثنى عليه الصحابة بالشر يحتمل أن يكون من المنافقين ظهرت عليه دلائل النفاق، فشهدت الصحابة بما ظهر لهم[٥].

لكن عبدالله البسام قال عن حديث النهي عن سب الأموات: (ظاهر الحديث يدل على منع وتحريم سب الأموات مطلقاً، سواء كان الميت مسلماً أو كافراً، أو كان مسلماً فاسقاً أو صالحاً. لكن هذا العموم مخصوص - على أصح ما قيل-بأن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم للتحذير منهم، والتنفير عنهم، وعن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم، والضابط في ذلك جواز سبهم إذا كان لمصلحة شرعية للمسلمين. وعلل ﷺ النهي عن سبهم بأنهم أفضوا ووصلوا إلى جزاء ما قدّموا وعملوا من خير أو شر، والله هو المجازي، فلا فائدة في سبهم، فيحرم إلا لمصلحة شرعية أو ما خصّه الدليل من عموم هذا النهي.

---

(١) ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة﴾[الشورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾[آل عمران: ٥٤] وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣/٧/٤، .

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٦٨/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٩٣.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٠٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٤٧).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٠٧/٢-٦٠٨.

والعلة الثانية في هذا النهي لئلا يتأذى الأحياء بسببهم، من أولادهم وأقاربهم ومن يلوذ بهم، إذ العلة الأولى في النهي عن سبهم أنهم أفضوا إلى ما قدموا، وهذا يدل على العموم إلا لمصلحة شرعية، فإن كان في سبهم أذية للأحياء فيكون محرماً من جهتين، وإلا كان محرماً من جهة واحدة.

وأجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتاً، لابتناء أحكام الشرع على بيان حالهم)[1].

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: تزكية رسول الله ﷺ لأمته:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "أنتم شهداء الله في الأرض" وقوله ﷺ: "أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة".

قال ابن حجر: (وفي الحديث فضيلة هذه الأمة)[2].

وقال الطيبي: ("قوله أنتم شهداء الله" إن الإضافة فيه للتشريف، وأنهم بمكان ومنزلة عالية عند الله، وهو أيضاً كالتزكية من رسول الله ﷺ لأمته وإظهار عدالتهم بعد أداء شهادتهم وبصدق ظنونهم في حق المثنى عليه، كرامة لهم وتفضلاً عليهم كالدعاء والشفاعة، فيوجب لهم الجنة أوالنار على سبيل الوعد أو الوعيد، لأن وعده حق لابد من وقوعه، فهو كالواجب إذ لا أثر للعمل ولا للشهادة في الوجوب. وإلى معنى الحديث يرمز قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] أي جعلناكم عدولاً خياراً لتشهدوا على غيركم، ويكون الرسول رقيباً مهيمناً عليكم ومزكياً لكم ويبين عدالتكم)[4].

وقال أبو هريرة ((أتي النبي ﷺ بجنازة يصلي عليها فقال الناس: نعم الرجل. فقال

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٥٨٠-٥٨١. وانظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٣/٤١٣-٤١٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٣١، .

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٦٩.

النبي ﷺ: وجبت. وأتي بجنازة أخرى فقال الناس: بئس الرجل. فقال: وجبت. قال أبي ابن كعب: ما قولك؟ فقال: قال تعالى ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1]))[2].

قال ابن هبيرة: (هذه كرامة أكرم الله بها المؤمنين، وهي قبول شهادتهم، وهذا لأنهم كانوا: أمناء علماء، فهماء، فأما كونهم أمناء، فإن الأمين لا يشهد لأحد بخير حتى يتحقق أنه على خير، وكذلك لا يشهد على أحد بالسوء حتى يتيقن أنه قد كان ذا سوء.

وأما كونهم علماء، فأنهم كانوا يفرقون بين الخير والشر، فلا يلتبس عليهم الباطل بالحق، ويعرفون السنة وأهلها، ويعرفون الخير والعاملين به، وكانت شهادتهم معبرة.

وأما كونهم فهماء، فأنهم كانوا أولي فهم واطلاع، يذوقون طعم الإيمان من المؤمن، ويذوقون طعم النفاق من المنافق، فإن للإيمان أرجاً وعَرْفاً على نحو المسك، وللنفاق والكفر ثقلاً ودفراً[3] يفهمه كل ذي لب، فكانت شهادتهم على هؤلاء وهؤلاء عن أمانة وعلم، فلذلك قال: "وجبت، وجبت، وجبت" فوجبت من حيث الأمانة، ووجبت من حيث العلم، ووجبت من حيث الفهم، فكل واحدة واجبة فيها)[4].

وقال ابن تيمية: (والوسط: العدل الخيار، وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول... فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقد أمر به، وإذا شهدوا أن الله نهى عن شيء فقد نهى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٦٣٢/٢، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١/٢، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٠٠.

(٣) دفر اللحم أو الطعام: تولد الدود فيه. ودفر الشيء: خبثت رائحته، فهو دفر. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٨٨.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٧/٥-٢٠٨.

عنه، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء لله في الأرض، بل زكاهم الله في شهادتهم، كما زكّى الأنبياء فيما يبلغون عنه، أنهم لا يقولون عليه إلا الحق، وكذلك الأمة لا تشهد على الله إلا بحق)[١].

رابعاً - من آداب المدعو: السؤال عما خفي عليه:

هذا واضحٌ من قول عمر بن الخطاب للنبي ﷺ ما وجبت؟. وقول أبي الأسود لعمر: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟" ومن هذا القبيل ما رواه أبو زهير الثقفي قال: ((سمعت النبيّ ﷺ يقول: يا أيُّها النّاسُ إنَّكُمْ تُوشِكُونَ أنْ تَعْرِفُوا أهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النّارِ أو قال: خِيارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ قال: فقال رجل من الناس: بم يا رسول الله؟ قال: بالثَّناء السَّيِّىء، والثَّناءِ الحَسَنِ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ الله بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ))[٢].

وقد قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

قال السعدي: (إن الله قد أمر من لا يعلم بالرجوع إليهم، أي إلى أهل العلم في جميع الحوادث، وفي ضمنه تعديل لأهل العلم وتزكية لهم، حيث أمر بسؤالهم، وأن بذلك يخرج الجاهل من التبعة، فدل على أن الله ائتمنهم على وحيه وتنزيله، وأنهم مأمورون بتزكية أنفسهم، والاتصاف بصفات الكمال)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (السؤال على وجه التبين والتعلم عمّا تمس إليه الحاجة في أمور الدين أو الدنيا مأمور به، أو مباح بحسب حال المسؤول عنه، أما السؤال عما لا تترتب عليه مصلحة دينية ولا دنيوية، على طريق التكلف والتعنت، لغرض التعجيز وتغليط العلماء، فهو غير جائز ومنهي عنه)[٥].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩٧/١١، ١٧٧/١٩-١٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٢/٢٤ رقم ١٥٤٣٩، وابن ماجه ٤٢٢١، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٤) تفسير السعدي ٣٩٤.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/٢٤.

خامساً - من آداب المدعو: الاستكثار من رحمة الله وفضله:

وهذا واضح من قول الصحابة لما سمعوا قول النبي ﷺ "أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة" فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة فقلنا: واثنان؟ قال: واثنان ثم لم نسأله عن الواحد.

قال ابن حجر: (قال الزين بن المنير: إنما لم يسأل عمر عن الواحد، استبعاداً أن يكتفى في مثل هذا المقام العظيم بأقل من النصاب)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((اللَّهمَّ ارحمِ المحلِّقِينَ. قالوا: والمقصرينَ يارسولَ اللّهِ، قال: اللّهمَّ ارحمِ المحلِّقينَ. قالوا: والمقصِّرينَ يارسولَ اللّهِ، قال: والمقصِّرين))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: وَلِلْمُقَصِّرِينَ))[3].

ومن هذا القبيل كذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للنساء: ((ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجاباً مِنَ النار فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال ﷺ: واثنين))[4].

قال ابن رجب: (من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، ودخول الجنة. وقد قال النبي ﷺ ((حولها ندندن))[5] يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار، قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها)[6].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣/٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٢٧، ومسلم ٣١٧-١٣٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٧١٨، ومسلم واللفظ له ١٣٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٠١، ومسلم ١٥١-٢٦٣٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٠٤.

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بما رواه ثابت عن أنس عن ابن مسعود؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ. فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً. وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً. فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ. لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لاَ. يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا. لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنِ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟ فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ. لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا. لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَن لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى. يَا رَبِّ هذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا. فَيُدْنِيهِ مِنْهَا. فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي[1] مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ))[2].

---

(١) يا ابن آدم ما يصريني منك؟ معناه: ما يقطع مسألتك مني، قال أهل اللغة: الصرى بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع. والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. شرح صحيح مسلم، للنووي ٢/٣/٤٣ - ٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧.

الحديث رقم (٩٥٢)

٩٥٢- وعن أَبي الأسْوَدِ، قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ[١]، ... فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رضي الله عنه فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْراً، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْراً، فَقَالَ عُمرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرّاً، فَقَالَ عُمر: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الأسودِ: فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كما قَالَ النبي ﷺ: ((أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ)) فقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قَالَ: ((وَثَلاثَةٌ)) فقلنا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: ((وَاثْنَانِ)) ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَن الواحِدِ. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه عن شهادة المؤمنين للميت يقوم على الحوار بين الراوي، وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقول أَبي الأسود: (فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟) استفهام على حقيقته عن مفهوم الكلمة، والمقصود بها، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قُلْتُ كما قَالَ النبي ﷺ) يدل على متابعته للرسول ﷺ، والتشبيه بقول النبي يستلزم، ويشير إلى دقة المتابعة، قوله: (أيما مسلم) الإبهام في (أي)، و (ما) يعطي الحكم العموم حتى يشمل الجميع، وقوله (شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ) فيه إيجاز بحذف الصفة أي أربعة من المسلمين الصالحين، وكذلك في سؤال الثالث، وثلاثة؟ أي: وهل شهادة الثلاثة من المسلمين الصالحين كذلك؟، وكذلك قوله، واثنان؟ وقول الراوي: (ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَن الواحِدِ) تتميم أفاد توقفهم عن السؤال حتى لا يعتقد المخاطب تماديهم في السؤال عن الواحد، وحاصل الحديث أن شهادة المؤمنين، معتبرة في حال الميت؛ لأنهم لا يشهدون بباطل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عند البخاري زيادة: (وقد وقع بها مرض).

(٢) برقم ١٣٦٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥١٦٢.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية والموعظة بانتهاز المناسبة والفرصة:

إن من فطنة المربي وذكائه ألا يدع فرصة مناسبة للتربية والإرشاد إلا استغلها، "ولقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم لتكون أبلغ في التأثير"(١).

يتضح ذلك من حديثي الباب حيث استثمر النبي ﷺ مرور جنازتين أثنى الصحابة على إحداهما خيراً والأخرى شراً في بيان قيمة ومنزلة شهادة المؤمنين وحكمهم من خلال المعاملة التي عاشوها من بعض الناس، فهؤلاء الصحابة الذين أثنوا على جنازة خيراً، إنهم لم يثنوا من فراغ ولكن من واقع المعايشة والسلوك الذي لمسوه مما ترك آثاراً إيجابية في نفوسهم تجاه من أثنوا عليه خيراً، وكذلك ثناؤهم شراً على جنازة أخرى وذلك من واقع المعايشة والسلوك، مما يؤكد قيمة شهادة المؤمنين، وقد أُكّد من الواقع، لذا كان له مكانته ووقعه بل إننا لنجد الرسول ﷺ يؤكد على شهادتهم، حيث قال: «وَجَبتْ فقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: ماوَجَبتْ قال: هذا أثنيتُم عليهِ خيراً فوَجَبتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبتْ لهُ النارُ، أنتم شُهَداءَ اللهِ في الأرضِ».

ومما سبق يتبين أهمية التربية باغتنام وانتهاز المناسبات والأحداث "فاغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها فهو يسهل العملية التربوية ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل.

إن اغتنام المناسبة من قِبَلِ المربي له أثره الطيب فإذا رأى سلوكاً طيباً أثنى عليه وأوجد في نفس المتربي ما يحفزه للاستمرار على هذا السلوك، كذلك إذا وجد سلوكاً أو موقفاً خاطئاً من شخص وضح له ما وقع فيه من خطأ وفي نفس الوقت وجهه التوجيه الإيجابي الذي يحسن به أن يسلكه.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧١٩.

إن اغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها وأظهرها، لأنها تعالج خللاً في الحال، وصورته لا زالت عالقة في الذهن، ونتائجه ظاهرة أو سوف تظهر فيما بعد وكثيرًا ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، فهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته[1].

ثانياً: السؤال والحوار:

من أساليب التربية الرئيسة أسلوب السؤال والحوار، وقد ورد استخدام هذا الأسلوب واضحاً جلياً في سؤال الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ حيث دفعهم تطلعهم وحرصهم على العلم والمعرفة أن يسألوا رسول الله ﷺ عن تفسير ومعنى قوله «وجبت» ردّ على ثنائهم المتباين على الجنازتين اللتين مرتا بهم، حيث سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رسول الله ﷺ قائلاً: «ما وَجَبتْ قال: هذا أثنيتُم عليهِ خيراً فوَجَبتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجَبتْ لهُ النارُ»، وكذلك لما أخبر عمر في الحديث الثاني بهذا الحديث لم يكونوا أقل منه حباً وتطلعاً إلى المعرفة فسألوه عن ذلك ومنهم أبو الأسود قال: «وما وَجبَتْ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: قلتُ كما قال النَّبي ﷺ: أيُّما مسلم ...».

فدلالَةً على أهمية السؤال نجد ذلك الحرص من الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم.

لكن يجمل بالسائل أن يتأدب بآداب السؤال فلا يرفع صوتاً ولا يقاطع متكلماً ويراعى اختيار الألفاظ المناسبة في غير ما تكلف، ثم ينتظر الإجابة في تواضع واحترام وينصت لفهمها واستيعابها.

إن من عَوّد نفسه على السؤال زادت ثقته بنفسه وشعر بالطمأنينة والارتياح لمعرفة الإجابة عما يجول بخاطره ويشغل ذهنه، وإن لم يجد الإجابة لدى المسئول فحسبه أنه بذل وسعه وربما يعاود السؤال في مناسبة أخرى[2].

كما أنه ينبغي على المعلم أن يعود طلابه السؤال والحوار والمناقشة، ليشحذ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر: التربية الذاتية، هاشم علي أحمد ص ١٢٣-١٢٥.

أذهانهم ويقوي الحجة لديهم ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس، كما أن عليه أن يكون واسع الصدر فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم، حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم وحتى يفيدهم بذلك[1].

ثالثاً- التبشير والتفاؤل:

من أهم الأساليب التربوية المؤثرة أسلوب التفاؤل والتبشير، فذلك هو مذهب الإسلام، أما اليأس والقنوط فهو مذهب لا يعرفه الإسلام ولا يرتضيه لأهله، بل يحذر منه أشد التحذير، بخلاف التفاؤل فإن صاحبه واسع النظرة فسيح الصدر عالي الهمة موفور النشاط[2].

لقد جاء الإسلام موجهاً ومرشداً إلى التفاؤل والتبشير بالخير، ومن دلائل ذلك ما أقره الرسول ﷺ في أحاديث الباب من تفاؤل الصحابة من جنازة مرت بهم فأثنوا عليها خيراً، وبين أن ذلك سبب من أسباب دخولها الجنة، فإن الله لا يخيب بعبد ظن به خيراً، كما في قوله ﷺ: «أيُّما مسلم شَهدَ لهُ أربعةٌ بخيرٍ أدخلهُ اللهُ الجنة. فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة. فقلنا واثنان ؟ قال: واثنان، ثمَّ لم نسألْهُ عنِ الواحد».

إن التفاؤل يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحيي فيها روح التفاؤل والعمل، بخلاف التشاؤم الذي يقضي على الأنفس والآمال، ذلك أن النفوس المتعبة المريضة القلقة الخائفة المتشائمة المتطيرة المرتبكة المترددة الخائرة يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها هي أن تؤدي دوراً فاعلاً وإيجابياً تنفع به نفسها أو تنفع به غيرها.

لذلك حرص رسول الله ﷺ على أن تكون نفس المسلم دائمة البشر، إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها،

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٣.

(٢) انظر: الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢١١.

واثقة من نفسها حتى يستطيع أن يبني فيها معالي الأمور وصفات الكمال ويبني بها أمة كريمة ودولة عظيمة[1].

رابعاً- التربية على التماس أسباب الثناء والذكر الحسن:

لقد جاء في حديثي الباب ضمنياً التربية على التماس أسباب الثناء والذكر الحسن والتجافي والبعد عن أسباب التهلكة والثناء البغيض، وذلك من خلال البيان الضمني لأسباب الثناء الحسن الذي لا يتأتى إلا من خلال العمل الصالح الذي يترك الآثار الطيبة في نفوس الناس، مما يدفعهم إلى الثناء الجميل على صاحب السلوك الطيب، وهذا مما يرغب المؤمن في الاستزادة من أعمال الخير، وهذا مما لا ينقطع ثوابه حتى بعد الممات لذا يحسن بالمؤمن أن يوطن نفسه على ذلك، وفي حديثي الباب تربية على الحذر من أسباب الثناء بالشر نتيجة لاقتراف المعاصي وعدم الامتثال لأوامر الله والسلوك المشين في المجتمع مما يسخط الله ويسخط المؤمنين، وفي هذا تربية بالتحذير من إتيان السلوكيات التي تكون سبباً في الثناء بالشر.

إن الناس متفقون على أن الذكر الحسن الذي يتركه الإنسان بعد موته يعتبر عمراً آخر له، عمراً غير محدود بعد عمره المحدود، قال المتنبي:

ذِكْرُ الفتى عُمْرُهُ الثّاني وَحاجَتُهُ ... مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ العَيشِ أشغَالُ

ويقتبس شوقي هذا المعنى فيصوغه ويقدم له بهذه الصورة الحية حيث يقول:

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد الموت ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

ولا عجب أن كان من دعاء أبي الأنبياء خليل الرحمن عليه السلام ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾[2].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٨-٢٣٢.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٨٤.

وفرق كبير بين من يموت والقلوب عليه وَلْهى والأعين عليه باكية، والألسنة كلها تثنى عليه بالخير وتدعو له بالرحمة، ومن يموت ولا تبكي عليه عين ولا يحزن لفراقه قلب ولا يترحم عليه لسان، شأن الذين عاشوا في الحياة سلبيين أو ظالمين متجبرين[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٦٠-٦٢.

١٦٤- باب فضل من مات لَهُ أولاد صغار

الحديث رقم (٩٥٣)

٩٥٣- عن أنسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ لَمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ إلاَّ أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحنث: الإثم، أي: لم يبلغوا مبلغ الرجال ويجري عليهم القلم فيكتب عليهم الحنث[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بالاستغراق عن طريق تسليط أداة النفي (ما) عن النكرة (مسلم) وتوسيط من لاستغراق الجنس، وقوله (يموت) يدل على تجدد الفعل، واستمراره؛ لأن الموت باق متجدد في الناس ما بقي أحياء لكونه الوجه المقابل لها، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد الاختصاص أي أولاده لا أولاد غيره، وقوله (لم يبلغوا الحنث) كناية عن موتهم في الطفولة، لأن موت الصغير أقسى على والديه من موت الكبير، وقوله (إلا أدخله الله الجنة) استثناء يستكمل أركان القصر حيث حصر موت الصغار الثلاثة للمسلم في إدخاله الجنة لا يتعداها إلى النار، والمعنى توكيد لدخوله الجنة يدفع المبالغة، ولا يقبل التردد، وصياغة الفعل في صورة الماضي المحقق يزيد من هذا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨١، وهذا من أفراد البخاري كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي ٢/٦٣٠ رقم ٢٠٧٨ ولم يخرجه مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٦٦.

تنبيه: الحديث عزاه المنذري في ترغيبه إلى الصحيحين، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٣٦.

التوكيد، ونسبة الإدخال إلى الله تزيد الفعل توكيد؛ لأنه لا يتخلف، وقوله (بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ) الباء للسببية، والعبارة تتميم بلاغي أفاد بيان سبب إدخاله الجنة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل من مات له أولاد صغار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص نساء الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور الدين.

ثالثاً: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

خامساً: من أساليب الدعوة: القصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل من مات له أولاد صغار:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة[2] وقد بوب البخاري على هذه الأحاديث الثلاثة: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، وقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3][4].

قال ابن حجر: (قوله "باب فضل من مات له ولد فاحتسب" قال الزين بن المنير: عبر المصنف بالفضل ليجمع بين مختلف الأحاديث الثلاثة التي أوردها؛ لأن في الأول دخول الجنة وفي الثاني: الحجب عن النار، وفي الثالث: تقييد الولوج بتحلة القسم[5]، وفي كل منها ثبوت الفضل لمن وقع له ذلك، ويجمع بينها بأن يقال: الدخول لا يستلزم الحجب ففي ذكر الحجب فائدة زائدة، لأنها تستلزم الدخول من أول وهلة. وأما الثالث فالمراد بالولوج الورود وهو المرور على النار.

والمار عليها على أقسام: منهم من لا يسمع حسيسها، وهم الذي سبقت لهم الحسنى

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٥٤، ٩٥٥).

(٢) أي أحاديث الباب.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٤) الباب رقم ٦ من كتاب الجنائز وهو برقم ٢٣، والأحاديث أرقام ١٢٤٨-١٢٥١.

(٥) فقد أخرج البخاري حديث أبي سعيد الخدري قبل حديث أبي هريرة رضي الله عنهما.

من الله كما في القرآن[١]، فلا تنافي مع هذا بين الولوج والحجب. وعبر [أي البخاري] بقوله "ولد" ليتناول الواحد فصاعداً، وإن كان حديث الباب قد قيد بثلاثة أو اثنين، لكن وقع في بعض طرقه ذكر الواحد، ففي حديث جابر بن سمرة مرفوعاً: "من دفن ثلاثة فصبر عليهم، واحتسب وجبت له الجنة"، فقالت أم أيمن: أو اثنين؟ فقال: أو اثنين. فقالت: وواحد؟ فسكت ثم قال: وواحد"[٢] وعن أنس أن المرأة التي قالت: واثنان. قالت بعد ذلك: يا ليتني قلت: وواحد[٣].

وفي رواية لمحمود بن لبيد عن حاتم "من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة. قلنا: يا رسول الله أو اثنان؟ قال: واثنان. قال محمود: قلت لجابر: أراكم لو قلتم أو واحد لقال: وواحد. قال: وأنا أظن ذلك[٤] ويقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة" وهذا يدخل فيه الواحد فما فوقه، وهو أصح ما ورد في ذلك، وقوله: "فاحتسب" أي صبر راضياً بقضاء الله راجياً فضله، ولم يقع التقييد بذلك أيضاً في أحاديث الباب، وكأنه أشار إلى ما وقع في بعض طرقه أيضاً كما في حديث جابر بن سمرة المذكور قبلُ، وكذا في حديث جابر بن عبدالله، وفي رواية: "من احتسب من صُلْبه ثلاثة دخل الجنة" الحديث، ولمسلم[٥] من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً "لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبهم إلا دخلت الجنة" الحديث، ولأحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر رفعه ((من أعطى ثلاثة من صلبه فاحتسبهم على الله وجبت له الجنة))[٦] وفي

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢].

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٠٣٠، والأوسط ٢٠٣٠، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٦٢٣٨).

(٣) أخرجه النسائي ١٨٧٢، وابن حبان ٢٩٤٣ ولكن ليس عند ابن حبان موضع الشاهد. وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٦٦).

(٤) أخرجه أحمد ١٤٢٨٥/٢٢، وابن حبان ٢٩٤٦ وقال محققو المسند: صحيح لغيره.

(٥) أخرجه مسلم ١٥١-٢٦٣٢.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٢٩٨/٢٨، والطبراني في الكبير ١٧ رقم ٨٢٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

الموطأ عن أبي النضر السلمي رفعه: ((لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، فَيَحْتَسِبُهُمْ إلاَّ كَانُوا لَهُ جُنَّةً مِنَ النَّارِ))[1] وقد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلابد من قيد الاحتساب. والأحاديث المطلقة محمولة على المقيدة.

(وقول الله عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] وأراد بذلك الآية التي في البقرة، وقد وُصف فيها الصابرون بقوله ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[3] فكأن المصنف أراد تقييد ما أطلق في الحديث بهذه الآية الدالة على ترك القلق والجزع، ولفظ المصيبة في الآية وإن كان عاماً، لكنه يتناول المصيبة بالولد فهو من أفراده)[4].

وقال ابن عبدالبر: (وهذا إنما يكون لمن صبر واحتسب ورضي وسلّم... والوجه عندي في هذا الحديث وما أشبهه من الآثار - أنها لمن حافظ على أداء فرائضه، واجتنب الكبائر، والدليل على ذلك، أن الخطاب في ذلك العصر لم يتوجه إلا إلى قوم، الأغلب من أعمالهم ما ذكرنا وهم الصحابة رضوان الله عليهم)[5].

وقال ابن عثيمين: (حديث أنس وأبي هريرة وأبي سعيد كلها تدل على الفضل الذي يعطاه من مات له أولاد صغار، فاحتسب الأجر من الله عز وجل وصبر، ذلك أن الإنسان إذا مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث - يعني لم يبلغوا - فإنهم يكونون له ستراً من النار)[6].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه، أن موت الولد الذي لم يبلغ الحنث مظنة انزعاج الإيمان، إلا لمن ثبته الله بالقول الثابت، من حيث إنه يراه طفلاً لم يأت من

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٩٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣/١١٨-١٢٠. وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٣٨-٦٤٢.

(٥) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر ٦/٣٢١.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٢١٢ بتصرف يسير.

المعاصي ما يكون ما ناله من مرض الموت جزاءً لفعله، ولا بلغ به إلى حيث كان يؤمل من أمره، ولا تعي القلوب الضعيفة النظر ما المعنى في الإتيان به، ثم أخذه من قبل بلوغ الأرب منه، فيلعب الشيطان به بعقول الآدميين عند مشاهدتهم تعذيب الأطفال، وموت من يموت منهم، فمن قوي إيمانه، رأى أن لله جل جلاله في ذلك أسراراً وحكماً.

منها: أنه جل جلاله يخلق من خلقه أطفالاً تقدر أعمارهم إلى مدة معلومة من الصغر، ليكون الموت محذوراً أبداً، فلا يأمنه أحد في حال.

ومنها: أن عمل الوالد قد لا يبلغ إلى المقام المؤهل له في الآخرة، فيتممه الله تعالى، بأن يموت له من الولد الذي لم يبلغ الحنث، من يموت مؤمنًا عند موته بالله سبحانه وتعالى[1]، ويثبت لهذا الامتحان؛ فيكون ذلك مما يبلغه تلك المرتبة، ويقيه من عذاب النار.

ومن ذلك أن من الولد من لو بقي لأرهق أبويه طغياناً وكفراً؛ فيكون الله عز وجل قد منَّ على العبد بأن أخرج ولده ذلك إلى الدنيا، ثم أماته قبل أن يرهق أبويه، فقلب سبحانه وتعالى ذلك الإرهاق للوالدين أجراً، ممن ثبت إيمانه بهذه الأحوال كان له في ذلك الأجر؛ ولأن الناس يحتاجون في القيامة إلى فرط يسبقونهم إلى الورود، ويأتونهم بالماء يوم العطش الأكبر، فقدم الأطفال لذلك)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص نساء الصحابة على تعلم أمور الدين:

وهذا واضح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: ((ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ. فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ. تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا. فَاجْتَمَعْنَ)). وقد ترجم البخاري لهذا الحديث في كتاب العلم باباً بعنوان: باب هل يجعلُ للنساء يوم على حدة في العلم؟[3].

قال أبو العباس القرطبي: (يدل على أن الإمام ينبغي له أن يعلم النساء ما يحتجن

---

(١) هكذا في المطبوع من الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد .

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/١٠٣-١٠٤.

(٣) الحديث رقم ١٠١، ١٠٢.

إليه من أمر أديانهن، وأن يخصهن بيوم مخصوص لذلك، لكن في المسجد أو فيما كان في معناه حتى تؤمن الخلوة بهن، فإن تمكن الإمام من ذلك بنفسه فعل، وإلا استنهض الإمام شيخاً يوثق بعلمه ودينه لذلك حتى يقوم بهذه الوظيفة، وفي هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت، وما كانوا عليه من الحرص على العلم، والحديث عن رسول الله ﷺ)[١].

وقال ابن حجر: (وفي الحديث ماكان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين)[٢].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاء الأنْصَارِ، لَمْ يَكُنَّ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أنْ يَسْأَلْنَ عن الدِّينِ وَأنْ يَتَفَقَّهْنَ فِيهِ))[٣].

ومن هذا القبيل ما روته أم سلمة قالت: ((جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ لا يَستَحْيي مِنَ الحقّ، فهلْ عَلَى المرأةِ مِن غُسْلٍ إذا احتَلَمَتْ؟ قال النبيُّ ﷺ: إذا رأَتِ الماءَ. فغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَة ـ تَعْني وَجْهَها ـ وقالتْ: يا رسولَ اللّهِ، وَتَحتَلِمُ المرأةُ؟ قال: نعم، تَرِبَتْ يَمينُكِ، فبمَ يُشْبِهُها وَلَدُها؟))[٤].

قال النووي: (فيه أنه ينبغي لمن عرضت له مسألة أن يسأل عنها، ولا يمتنع من السؤال حياءً من ذكرها، فإن ذلك ليس بحياء حقيقي، لأن الحياء خير كله والحياء لا يأتي إلا بخير. والإمساك عن السؤال في هذه الحال ليس بخير، بل هو شر فكيف يكون حياء؟)[٥].

ومن النساء الصحابيات أسماء بنت يزيد بنت السكن رضي الله عنها وقد اشتهرت بأنها خطيبة النساء، ولهذا اللقب قصة تدل على حرص الصحابيات على تعلم أمور الدين[٦].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٤٠-٦٤١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١/٢٣٧ .

(٣) أخرجه مسلم ٦١-٣٣٢، وأبو داود واللفظ له ٣١٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٠، ومسلم ٣١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/١/٢٢٩، .

(٦) انظر: ترجمتها في الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٧٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٦٣٥-١٦٣٦.

ثالثاً- من أصناف المدعوين: النساء:

وهذا واضح من الحديث الثالث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، (فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1] وتاريخ الإسلام حافل بدور المرأة وجهدها وجهادها ويكفي أن نقول: إن أول مخلوق آمن بمحمد عليه السلام هو امرأة "خديجة" وإن أول من قدم ماله هو امرأة "خديجة" وإن أول من استشهد هو امرأة "سمية" وإن أسماء بنت أبي بكر كانت صاحبة النطاقين، وإن المرأة هي أم الشهداء "الخنساء" وإن أم عمارة وخولة قد جاهدتا بالسيف في سبيل الله تعالى.

وإزاء هذا كله فإن المرأة تحظى بدور كبير، واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهداً كافياً تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها)[2].

رابعاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

وهذا واضح من قول المرأة للرسول ﷺ: "اجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن النبي ﷺ فعلمهن مما علمه الله".

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: ((سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ: كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قال: فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ[3] فَتَطَهَّرُ بِهَا. قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قال: تَطَهَّرِي بِهَا، سُبْحَانَ اللهِ! وَاسْتَتَر قَالَتْ: عَائِشَةُ: وَاجتَذَبْتُهَا إِلَيَّ، وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ. فَقلت: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ))[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣.

(٣) الفرصة: القطعة. والمسك: الطيب المعروف، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ر ص).

(٤) أخرجه البخاري ٣١٤، ٣١٥، ومسلم واللفظ له ٦٠-٣٣٢.

قال ابن حجر: (وفي هذا الحديث من الفوائد، التسبيح عند التعجب، ومعناه هنا كيف يخفى هذا الظاهر الذي لا يحتاج في فهمه إلى فكر؟ وفيه استحباب الكنايات فيما يتعلق بالعورات. وفيه سؤال المرأة العالم عن أحوالها التي يحتشم منها. ولهذا كانت عائشة تقول في نساء الأنصار "لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" كما أخرجه مسلم في بعض طرق هذا الحديث[1] وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة في الأمور المستهجنة وتكرير الجواب لإفهام السائل، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً لأن الجواب يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله "توضيء"[2] أي في المحل الذي يستحيي من مواجهة المرأة بالتصريح به، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال، وفهمت عائشة رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها...، وفيه تفسير كلام العالم بحضرته لمن خفي عليه إذا عرف أن ذلك يعجبه، وفيه الأخذ عن المفضول بحضرة الفاضل...، وفيه الرفق بالمتعلم وإقامة العذر لمن لا يفهم، وفيه أن المرء مطلوب بستر عيوبه وإن كانت مما جبل عليها من جهة أمر المرأة بالتطيب لإزالة الرائحة الكريهة، وفيه حسن خلقه ﷺ وعظيم حلمه وحيائه زاده الله شرفاً)[3].

خامساً- من أساليب الدعوة: القصر:

هذا واضح في الأحاديث الثلاثة فالحديث الأول: ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. وكذلك الشأن في الحديث الثاني وأداة النفي فيه "لا". أما الحديث الثالث فأداة النفي "ما".

ولعل استخدام القصر هنا، يزيد تأكيد وقوع الثواب والفضل والجزاء لمن مات له أولاد ثم صبر واحتسب؛ وذلك لكون فقد الأولاد شديداً على النفس، يدفع إلى عدم الصبر، وقد يفتح باب السخط والجزع والهلع، فجاء بيان هذا الفضل ليحث من أصيب بذلك على الصبر حتى ينال ما أعده الله له، وهو سبحانه ذو الفضل العظيم.

---

(١) صحيح مسلم ٦١-٣٣٢.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٣١٥، وقال الحافظ: توضئى: أي تنظفي، فتح الباري، ابن حجر ٤٩٥/١ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٩٦/١ .

الحديث رقم (٩٥٤)

٩٥٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**لاَ يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لا تَمسُّهُ النَّارُ إلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"وَتَحِلَّة القَسَمِ": قول الله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)[مريم:٧١]: وهو العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم. عافانا الله منها.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وتحلَّةُ القسم: بالمقدار الذي يُبرُّ به قسمُه، والمراد بالقسم قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [2].

والورود: العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنَّم، عافانا الله منها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يؤكد معنى سابقه من ناحية أن من حرم عليه دخول النار فسيدخل الجنة لا محالة، وهو ما قرره الحديث السابق بسبب موت ثلاثة من الصغار للمؤمن، وهو يقوم على أسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء لقصر معنى عدم مس النار لمن مات له ثلاثة من الصغار من المسلمين على تحلة القسم، وهو الورود المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ﴾[مريم: ٧١]، ومعناه لا يدخل النار ليعاقب بها، ولكنه يدخلها مجتازا ولا يكون ذلك الجواز إلا قدر ما يحلل به الرجل يمينه، وهذا مثل في القليل المفرط في القلة، وهو أن يباشر من الفعل

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٦٥٦، ومسلم ٢٦٣٢/١٥٠. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٦٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل)، سورة مريم آية: ٧١.

(٣) رياض الصالحين ٣٧٢.

الذي يقسم عليه المقدار الذي يبر به قسمه مثل أن يحلف على النزول بمكان فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته فتلك تحلة قسمه، والتعبير بالمس يشير إلى الخفة، والسهولة، والسرعة، و (ال) في لفظ النار للعهد أي النار المعهودة لأهل الآخرة، وهي نار جهنم، و (ال) في لفظ القسم إن كانت للعهد أشارت للقسم المقصود في الآية السابقة، وإن كانت للجنس أفادت عموم القسم الذي يحلفه الإنسان ثم يأتي بأقل ما يمكن أن يتحلل به من قسمه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٥٥)

٩٥٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءتِ امْرأةٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ الله، ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَديثكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، قَالَ: ((اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا)) فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ[1].

ثُمَّ قَالَ: ((مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَاةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الوَلَدِ إلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ)) فقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَينِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((وَاثْنَيْنِ))[2] متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

قول المرأة للرسول ﷺ (ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَديثكَ) خبر قصد به لازم الفائدة، وهو التنبيه إلى حاجتهن إلى حديثه ليتعلمن ما يحتجن إليه مما يتعلق بدينهن، وما يخص النساء مما لا يحتاج الرجال إلى السؤال عنه، وقولها: (فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ) أمر أريد به طلب التعلم، وتقديم الجارو المجرور (لنا) للتخصيص أي يوماً نختص به دون الرجال، وقوله (اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا) كناية عن اليوم الذي حدده لهن، وقوله (مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الوَلَدِ إلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ) وهو أسلوب قصر لمن تقدم ثلاثة من الولد على كونهم حجاباً لها من النار، وقوله (ما منكن من امرأة..) أسلوب يفيد العموم، والاستغراق ليشمل كل امرأة

---

(١) إلى هنا لفظ مسلم.

(٢) هذا لفظ البخاري برقم ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٠١، ٧٣١٠، ومسلم ٢٦٣٣/١٥٢. انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي ٤٤٧/٢ رقم ١٧٦٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٧١.

تنبيه: الحديث جمعه المنذري بين اللفظين في حديث واحد، وتبعه عليه المؤلف.

على هذه الحال، وقوله (تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنَ الوَلَدِ) كناية عن موتهم، وبراعة التعبير بالكناية أنها تصور الرضا بما يوحيه الفعل (تقدم) من الإشارة للحضور والرضا كأنها تقدمهم بنفسها راضية بحكم ربها، وتقديم (لها) أي لها خاصة، وليس لغيرها، وقوله (من النار) يشير إلى عظمة الحجاب، وقيمته التي تمنع ناراً لا يعلم هولها إلا الله، وفي الحديث ترغيب في الصبر، والاحتساب على الله عند فقد الأبناء، وقول المرأة (واثنين؟) فيه إيجاز بالحذف أي وهل الاثنين يحجبن النار، أو هل الاثنين كذلك، وقد جاءت إجابة الرسول ﷺ مبنية كذلك على الإيجاز فقال (واثنين؟) أي: واثنين يحجبن النار -والله أعلم-.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٥٥- مع المضامين للحديث رقم (٩٥٣، ٩٥٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التنشئة على التحلي بالصبر والتحمل:

إن الإنسان قد تعترضه بعض المصائب التي تصيبه في نفسه أو أهله أو ماله، والمنهج الإسلامي في هذه الحالات يدعو الإنسان إلى التحلي بالصبر واعتبار الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعليه أن يواصل طريقه في الحياة والعمل في سبيلهما مهما اعترضه من المشقات، ويطمئن بأنه مأجور عند ربه على قدر ما أظهر من صبر وجلد.

أما إذا لم يصبر فإن وَقْع المصيبة يشتد عليه، وربما أدى ذلك إلى انكسار همته وذهوله عما حوله، فلا يستطيع بذلك إيجاد السبيل الأقوم الذي يجب أن يسلكه أمام ما وقع فيه مما يؤدي إلى قنوطه من مواصلة الجهاد في الحياة، وهذه ليست سمة الشخصية الإسلامية، فالذي يصبر فإنه يستطيع مواجهة الحياة بإيجاب وثبات دون أن يكون هناك استسلام مهما واجهه من الحوادث والمصائب[1].

حتى وإن كانت هذه المصائب في أعز ما عند الإنسان، فقد أرشد الإسلام إلى الصبر عليها، وذكر من دواعي الصبر وتقويته استحضار الإنسان ما أعده الله تعالى في الجنة من جزاءٍ للصابرين، كما نرى ذلك جلياً في أحاديث الباب، ومنها حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاَثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ».

إن الأولاد ثمرة القلب وبرد الأكباد، وكلما صغر الولد كان أحب إلى والديه، ولذلك كان ثواب الصبر على فقدهم عظيمًا، حتى إذا مات له ثلاثة أولاد صغار لم يبلغوا الحلم فصبر دخل الجنة ببركة الصبر عليهم ورحمة الله تعالى بعباده الصابرين، وهذا الصبر وحصول الأجر عليه مشترك بين الرجال والنساء وللنساء بوجه خاص لقوة حنانهن وسرعة الجزع إليهن وقوته عليهم[2]، وقد وجه النبي ﷺ الخطاب بقوله: «مَا

---

(١) انظر: الإيمان وأثره في حياة الإنسان، د. حسن الترابي ص ٤٨، ٤٩.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٥٩.

مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنَ الْوَلَدِ إلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ».

لذا ينبغي للمربي أن يحرص على غرس الأخلاق الحميدة التي هي قوام الشخصية السوية المستقيمة، ومن هذه الأخلاق الصبر، الذي يجعل المسلم "إذا ابتلى يصبر ويثبت في القيام بالواجب، ويبذل جهده لمقاومة الصعاب دون يأس أو هلع، فلابد للمسلم الذي أنيطت به الخلافة في هذه الأرض أن يهيئ نفسه لمشاق الطريق بالصبر في البؤس والفاقة، وفي المرض والضعف، وفي القلة والنقص، والصبر في جميع الأحوال"[1].

فمن تجمل بالصبر وعده الله بمكانة عالية في الجنة لأن الصبر من أحسن الأخلاق والخصال التي ينبغي على المؤمن أن يتحلى بها، وهذا الجزاء في الآخرة، أما في الدنيا فتتجلى آثار الصبر بأنه من أبرز المؤشرات على التكيف السوي والصحة النفسية السوية.

أما الفرد الذي لا يملك القدرة على التذرعس بالصبر تجده يعاني من القلق والتذمر والشكوى لمجرد مواجهته أية صعوبة أو مشكلة، وقد يرتكب بعض الحماقات كالعدوان على الآخرين أو ضد نفسه عندما يواجه حدثاً جللاً كفقد مال أو عزيز[2].

ثانياً- حث النساء على العلم وطلبه:

إن التعليم في الإسلام حق للرجل والمرأة، وواجب الوالد والوالدة نحو أبنائهما ذكوراً وإناثاً، فالتعليم في الإسلام سبيل المعرفة التي تساعد على فهم آيات القرآن الكريم وتعين على إدراك عظمة آيات الله في الكون المنظور وتهدي إلى دلائل قدرته ووحدانيته تعالى فيؤدي ذلك إلى خشيته والسير في طاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[3].

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص٢٦١.

(٢) انظر: مبادئ الصحة النفسية، د. محمد خالد الطحان ص ١٨٦.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

وقد ورد الأمر بالاستزادة من العلم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1].

والأمر في هذه الآية ومثيلاتها يشمل الرجال والنساء، ولقد حرصت المسلمات في عهد رسول الله ﷺ على تلقي العلم الذي يجعلهن على بينة من أمر دينهن فطلبن من رسول الله ﷺ أن يجعل لهن يوماً على حدة فأجابهن إلى ما طلبن ليحصِّلن نصيباً من العلم يعينهن على طاعة الله ويبصرهن بشؤون الحياة، ومن أظهر الدلائل على ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من أحاديث الباب، قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «اجْتَمِعْنَ ...».

إن تعليم النساء والاهتمام بهن خاصة في الجوانب التربوية من الأهمية بمكان، فإن الأم التي تعلمت أساليب التربية الصحيحة وكان لها نصيب من الدراسات الدينية وقواعد الأدب والسلوك ودراسة مداخل النفس الإنسانية واتجاهاتها، أمكنها أن تعمل على اعتدال مزاج أولادها وهدوء أعصابهم، ويسهل عليها التعرف على كثير مما يدور في نفوسهم، فترشدهم وتنصحهم وتقودهم إلى ما يرفع مستواهم الاجتماعي وتمنحهم من طباعها ما ينمي فيهم روح المشاركة الوجدانية مع أفراد المجتمع.

فهذه الأم لا تستوي مع أم أخرى ليس لها نصيب من هذه الدراسات، لهذا اهتم الإسلام بتعليم البنت اهتماماً كبيراً لتكون معدة إعداداً سليماً لأداء رسالتها في الحياة.

ثالثاً- التحذير من الاختلاط في التعليم:

لقد سلك الإسلام سياسةً إذا روعيت أَمِنَت الأمة شر الجهل وشر الفتنة، فلم يجعل الإسلام من التعليم سبيلاً لاختلاط الرجال والنساء بحجة التعلم، ولم يجعل مكان التعليم محلاً يثير الشهوات ويبعث الفتنة، بإثارة الدوافع الفطرية الكامنة في نفس كلٍّ من الرجل والمرأة، فأحاط التعليم بعدد من الضوابط الآمنة، ويأتي في مقدمة هذه الضوابط منع اختلاط الرجال بالنساء والفتى بالفتاة في دور التعليم.

---

(١) سورة طه، آية: ١١٤.

ونجد ذلك واضحاً جلياً في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حيث خصص النبي ﷺ يوماً للنساء يجتمعن فيه ويعلمهن أحكام دينهن، فعنه رضي الله عنه قال: «جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْماً نَأْتِكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ. قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ النَّبِيُّ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ...».

إن الاختلاط بين الرجال والنساء في أي مكان لا يسمح به الإسلام خاصة في أماكن التعليم، وذلك أن الاختلاط بين الفتى والفتاة له من الآثار الأخلاقية السلبية مالا يخفى، فلا يغيب عن ذهن الإنسان ما في الاختلاط من أثر مدمر للأخلاق والفضائل ومن جلب للأمراض النفسية، ذلك أن الدافع الجنسي إذا أثير احتاج إلى تلبية، فإما الإفضاء الفوضوي، وقد حرمه الشرع والمجتمع كذلك يبغضه، وإما الكبت وهو عقدة لا شعورية تعد مبعثاً للأمراض النفسية، ومنهج الإسلام فيما يتصل بهذه الناحية، أنه يضع الضوابط المانعة من إثارة الدافع الجنسي، وما دام الدافع لم تحدث له أي إثارة فإنه سيظل ساكناً حتى يُلبى في زواج مرتقب هادف، ولكي يظل ساكناً فلم يسمح الإسلام بالاختلاط ولا بخروج المرأة تَرْفُل في زينتها، فإن الأولى والثانية من أهم البواعث المحركة للدافع الجنسي في نفس الرجل والمرأة، وقد حذر رسول الله ﷺ المرأة المسلمة أن تكون أداةً لإثارة الفتنة فإن ذلك يعرضها لغضب الله تعالى وسخطه[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك ص ٢٦٣-٢٦٧.

١٦٥- باب البكاء والخوف عِنْدَ المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تَعَالَى والتحذير من الغفلة عن ذلك

الحديث رقم (٩٥٦)

٩٥٦- عن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لأصْحَابِهِ[١] - يعْني لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ - دِيَارَ ثَمُودَ-: ((**لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ إلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أصَابَهُمْ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

وفي روايةٍ (٣) قَالَ: لَمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ، قَالَ: ((**لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ، أنْ يُصِيبَكُمْ مَا أصَابَهُمْ، إلاَّ أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ**)) ثُمَّ قَنَّع رسولُ الله ﷺ، رَأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أجَازَ الوَادِي.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الحجر: ديار ثمود: هي مدائن صالح تقع شمال المدينة المنورة ٣٤٧ كم، وقد سكنها قوم ثمود، وما زال يعرف باسمه: الحجر[٤].

قَنَّع رسول الله ﷺ رأسه: ألقى عليه القناع، وهو ما يستر به الوجه[٥].

أجاز الوادي: قطعه وخلّفه وراءه[٦].

---

(١) عند البخاري برقم ٣٣٧٩ بلفظ: (أرض ثمود الحجر) فعبّر عنه المنذري في ترغيبه بهذا اللفظ، وتبعه عليه النووي.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٣٣، ومسلم ٢٩٨٠. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٩.

(٣) أخرجها البخاري ٤٤١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٢٠٩.

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٣٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٦٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ن ع).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج و ز)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٦٧.

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ المُعَذَّبِينَ) نهي بغرض التحذير من مثل حالهم حتى يدخلوا دخول اعتبار، واتعاظ وقوله: (إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ) استثناء مما سبق وقوله (فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ) أسلوب شرط يربط انتفاء البكاء بانتفاء الدخول، وقوله (فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ) نهي بغرض التهديد، والتحذير، والشرط بأن يكون الداخل باكياً فيه دلالة على أن ديار هؤلاء لا تسكن بعدهم، ولا تتخذ وطنا؛ لأن المقيم المستوطن لا يمكنه أن يكون دهره باكيا أبدا، وقد نهى أن يدخل دروهم إلا بهذه الصفة، وفيه المنع من المقام بها، والاستيطان وفيه الإسراع عن المرور بديار المعذبين، وفية الدلالة على البكاء الذي ينشأ عنه التفكر، وقال ابن الجوزي التفكر الذي ينشأ عنه البكاء في مثل ذلك المقام ينقسم ثلاثة أقسام أحدها: تفكر يتعلق بالله تعالى إذ قضى على أولئك بالكفر الثاني: يتعلق بأولئك القوم إذا بارزوا ربهم الكفر، والفساد الثالث: يتعلق بالمار عليهم؛ لأنه وفق للإيمان، وتمكن من الاستدراك، والمسامحة في الزلل، وقوله (ثُمَّ قَنَّع رسولُ الله ﷺ، رَأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أجَازَ الوَادِي) وفعله بعد قوله يؤكد التحذير عملياً، ويلقي الرهبة في قلوب المخاطبين بما يذكرهم قهره وبطشه بالظالمين، ورحمته بهم، ونعمته عليهم إذ منَّ عليهم بالهداية، ولم يأخذهم كما أخذهم.

فقه الحديث

الصلاة في مواضع الخسف والعذاب:

بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب الصلاة: باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب. ويذكر أن عليًّا رضي الله عنه كره الصلاة بخسف بابل[1].

قال ابن حجر: (قوله: "إلا أن تكونوا باكين" قال ابن بطال: هذا يدل على إباحة الصلاة هناك، لأن الصلاة موضع بكاء وتضرع، كأنه يشير إلى عدم مطابقة

---

(١) الحديث ٤٣٣.

الحديث لأثر عليٍّ. قلت [القائل ابن حجر]: والحديث مطابق له من جهة أن كلاً منهما فيه ترك النزول كما وقع عند المصنف [أي البخاري] في المغازي في آخر الحديث "ثم قنع ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي"[1] فدل على أنه لم ينزل ولم يصلِّ هناك كما صنع عليٌّ في خسف بابل)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من تاريخ الدعوة: هلاك ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين.

رابعاً: من أدب المدعو: عدم مقاربة أهل الظلم والظالمين.

خامساً: من آداب المدعو: الاتعاظ والاعتبار بمصارع العصاة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

هذا واضح في قوله ﷺ "لا تدخلوا" ولكنه ﷺ أباح الدخول مع البكاء، فكان ذلك منه ﷺ نهيًا عن الدخول على ديار الظالمين مع عدم البكاء والخوف، فلم يكن هذا منه ﷺ نهيًا عامًا عن الدخول، وإنما نهي مقيد بعدم استحضار البكاء والوجل، من أن يقع مثل ما وقع لهم من الهلاك والدمار بسبب ظلمهم وكفرهم: وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن دخول المرء أرض ثمود إلا أن يكون باكياً[3].

ثانياً- من تاريخ الدعوة: هلاك ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام:

هذا واضح من الحديث، قال ابن عثيمين: (ثمود هم قوم صالح الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فذكرهم بالله، ولكنهم كفروا به، فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة

---

(١) الحديث ٤٤١٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٣٢/١ .

(٣) صحيح ابن حبان ٧٩/١٤ رقم ٦١٩٩.

أيام، ثم أخذتهم الصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. وكان الله تعالى قد أعطاهم قدرة وقوة في نحت الجبال، وبناء القصور في السهول. وأصبحوا أمة قوية، ولكن الله تعالى أخذهم برجفة وصيحة فماتوا عن آخرهم)[1].

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾[2]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: (أصحاب الحجر هم: ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين؛ ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلهم على صدق ما جاءهم به صالح، كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء فكانت تسرح في

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢١٣/٢.

(٢) سورة هود، الآيات: ٦١-٦٨.

(٣) سورة الحجر، الآيات: ٨٠-٨٤.

بلادهم، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم. فلما عتَوا وعقروها قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[2].

وذكر تعالى: أنهم ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ أي: من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً، كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر، الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فَقَنَّع رأسه وأسرع دابته، وقال لأصحابه: "لا تدخلوا بيوت القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تبكوا فتباكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم".

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح من اليوم الرابع ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: ما كانوا يستغلونه من زروعهم وثمارهم التي ضنُّوا بمائها عن الناقة، حتى عقروها لئلا تضيق عليهم في المياه، فما دفعت عنهم تلك الأموال، ولا نفعتهم لما جاء أمر ربك)[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين:

هذا واضح من الحديث قال النووي: (فيه الحث على المراقبة عند المرور بديار الظالمين، ومواضع العذاب، ومثله الإسراع في "وادي محسر"، لأن أصحاب الفيل هلكوا هناك. فينبغي للمار في مثل هذه المواضع، المراقبة والخوف والبكاء، والاعتبار بهم وبمصارعهم، وأن يستعيذ بالله من ذلك)[4].

وقال ابن حجر: (قوله: "لا تدخلوا" كان هذا النهي لما مرُّوا مع النبي ﷺ بالحجر:

---

(١) سورة هود، آية: ٦٥.

(٢) سورة فصلت، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٤٥/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٦/١٨/٩.

ديار ثمود في حال توجههم إلى تبوك، وقد صرح المصنف في أحاديث الأنبياء[١] من وجه آخر عن ابن عمر ببعض ذلك قوله "هؤلاء المعذبين" -بفتح الذال المعجمة- وله في أحاديث الأنبياء[٢] "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم" قوله "إلا أن تكونوا" ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائماً عند كل جزء من الدخول. وأما الاستقرار فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية، وسيأتي أنه ﷺ لم ينزل فيه البتة[٣].

قوله "لا يصيبكم" بالرفع على أن "لا" نافية والمعنى لئلا يصيبكم، ويجوز الجزم على أنها ناهية وهو أوجه، وهو نهي بمعنى الخبر. وللمصنف في أحاديث الأنبياء "أن يصيبكم" أي خشية أن يصيبكم. ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء، من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه مقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. والتفكر أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر، وإهمالهم إعمال عقولهم فيما يوجب الإيمان به والطاعة له، فمن مرّ عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم فقد شابههم في الإهمال، ودل على قساوة قلبه وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم. وبهذا يندفع اعتراض من قال: كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم؟ لأنه بهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً فيعذب بظلمه. وفي الحديث الحث على المراقبة والزجر عن السكنى في ديار المعذبين، والإسراع عند المرور بها، وقد أشير إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[٤])[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٨٠، ٣٣٨١.

(٣) وهذا في الرواية الثانية أخرجها البخاري ٤٤١٩، ومسلم ٣٩-٢٩٨٠.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦٣٢/١ .

رابعاً- من أدب المدعو: عدم مقاربة أهل الظلم والظالمين:

يتضح هذا من قوله ﷺ: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم" قال ابن هبيرة: (فيه من الفقه أنه إذا مرّ بدار قوم كانوا قد عذبوا، أسرع هارباً، لئلا يتأذى بشيء من العذاب الذي هم فيه، فإن من ذلك استمرار لعنة الله عز وجل لمن عذبه، فإذا أقام فيهم رجل من غيرهم، لم يأمن أن يشتمله شر جوارهم، فيخسر دنياه وأخراه)[1].

كما يتضح ذلك أيضاً من فعل النبي ﷺ أنه قنّع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي، (فيه دليل على بغض أهل الفساد، وذم ديارهم وآثارهم)[2] وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما: (أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا منه العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يُهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردُها الناقة)[3].

قال النووي: (وفي هذا الحديث فوائد منها: النهي عن استعمال مياه بئر الحجر إلا بئر الناقة، ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يعلفه الدواب، ومنها أنه يجوز علف الدابة طعاماً مع منع الآدمي من أكله، ومنها مجانبة آبار الظالمين والتبرك بآبار الصالحين)[4].

وقال ابن تيمية: (نهى عن عبور ديارهم إلا على وجه الخوف المانع من العذاب وهكذا السنة في مقارنة الظالمين والزناة وأهل البدع والفجور وسائر المعاصي، لا ينبغي لأحد أن يقارنهم ولايخالطهم إلا على وجه يسلم به من عذاب الله عز وجل. وأقل ذلك أن يكون منكراً لظلمهم، ماقتاً لهم شائناً ما هم فيه بحسب الإمكان، كما في الحديث

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤/٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٥/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٧٨، ٣٣٧٩، ومسلم ٢٩٨١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٧/١٨/٩.

((مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[١]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[٢] وكذلك ما ذكره عن يوسف الصديق وعمله على خزائن الأرض لصاحب مصر ولقوم كفار، وذلك أن مقارنة الفجار إنما يفعلها المؤمن في موضعين: أحدهما: أن يكون مكرهاً عليها، والثاني: أن يكون ذلك في مصلحة دينية راجحة على مفسدة المقارنة، أو أن يكون في تركها مفسدة راجحة في دينه، فيدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصل المصلحة الراجحة باحتمال المفسدة المرجوحة، وفي الحقيقة فالمكره هو من يدفع الفساد الحاصل باحتمال أدناهما، وهو الأمر الذي أكره عليه)[٣].

خامساً- من آداب المدعو: الاتعاظ والاعتبار بمصارع العصاة:

هذا يستفاد من الحديث وقول ابن عمر رضي الله عنهما "ثم قنّع رسول الله ﷺ رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي" قال أبو العباس القرطبي: (يستفاد منه كراهة دخول أمثال تلك المواضع والمقابر، فإن كان ولابدّ من دخولها فعلى الصفة التي أرشد إليها النبي ﷺ من الاعتبار والخوف والإسراع)[٤].

وقال العز بن عبدالسلام تحت عنوان الاعتبار بمصاب العصاة: (قال الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٥] وقال ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٦] وقال ﷺ في ثمود: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم مثل ما أصابهم". الاعتبار بذلك وسيلة إلى الانزجار عن معاصيهم)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

(٢) سورة التحريم، آية: ١١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٨/١٨٩-١٩٠، ١٥/٣٢٤-٣٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧/٣٥٤.

(٥) سورة الحشر، آية: ٢.

(٦) سورة غافر، آية: ٨٢.

(٧) شجرة المعارف والأحوال ٩٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالعبرة التاريخية:

ورد استخدام هذا الأسلوب في حديث الباب في لفت الأنظار إلى ما نزل بثمود من عذاب، وأمر رسول الله ﷺ مَنْ معه من الصحابة بعدم دخول ديارهم وإن اضطروا لدخولها فليدخلوها باكين، كما في قوله ﷺ: «إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ». كما أمر بالإسراع حتى يتعدوا ديار الظالمين ويفارقونها كما يترائى لنا ذلك في فعله ﷺ "ثم قَنّع رسول الله ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي".

وذلك لون من ألوان التربية بالعبرة، وهي التربية بالعبرة التاريخية، نظراً لشدة تأثيرها في نجاح التربية وتحقيق الهدف منها، إذ لمّا كانت كل آية من آيات الله في الآفاق، وكل ظاهرة كونية أو حادثة تاريخية كبرى يمكن بشكل أو بآخر أن تؤخذ منها عِبْرة كان من المفيد للمربي أن يعرف خصائص كل عبرة بحسب موضوعها ولمن يصلح كل صنف من هذه العبر؟ وفي أي الظروف يفضل على غيره؟ لكي يحسن الاختيار ويرجو التأثير في النفوس.

وتظهر لنا أهمية التربية بالعبرة في أنها سبب في تقويم الشخصية وتعديل السلوك.

إن السلوك الاجتماعي أو الفردي الذي شقيت به أمة من الأمم الغابرة مثلاً أو طاغوت من طواغيتها يلزم أن تشقى به أمة معاصرة أو فرد من أفرادها إذا أحيط بشروط متشابهة، وكذلك السلوك الذي سعد به مجتمع أو فرد من البشر في الماضي لو طبق في الزمن الحاضر لأعطى النتائج ذاتها.

لذا كانت أهمية التربية بالعبرة بآثار الأمم السالفة، لقد ساق الله العبر التاريخية لنا لنتعظ، ونعتبر بمن طغى، فنحاذر الوقوع فيما وقع فيه من النتائج الوخيمة، ولنعتبر أيضاً بمن ﴿ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾[1]. من الأنبياء والصالحين حتى نفوز بمثل ما فازوا به في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة النازعات، آية: ٤٠.

إن أسلوب التربية بالعبرة يحتاج إلى معرفته وتطبيقه كلُ مرب وكلُ واعظ وخطيب في تربية العواطف وتوجيه السلوك عن طريق العبرة[١].

ثانياً- الحركات المعبرة:

من الوسائل التربوية والتعليمية المعتبرة استخدام الحركات المعبرة، ويقصد بالحركات المعبرة تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة أو الإشارة باليد أو بالإصبع أو غيرها بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس وبلْورتها بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد والمتلقي، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه[٢].

وقد ورد استخدام الحركات المعبرة في الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما "ثم قنع رسول الله ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي"، فإسراعه ﷺ وتقنعه لرأسه تعبير عن البعد عن الظالمين والهرب عن مواطنهم حتى لو كانوا رفاتاً في القبور والأجداث.

وتأتي أهمية استخدام الأساليب التعليمية ومنها الحركات المعبرة والإشارة في كون الحركات المعبرة لها من المعان التي قد لا يعبر عنها الكلام، وقد لا يوفيها حقها في التعبير، وذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم ومع الناطقين أيضاً، وهي إذْ كانت في محلها كانت معينةً على الفهم ملفتة للنظر، طاردة الشرود، مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، ويذكر كل منهما الأخرى[٣]، فالحركة المعبرة تلفت النظر، وتنبه الغافل، وتحفظ من النسيان، وتعين على التذكر والاستظهار.

---

(١) انظر: التربية بالعبرة، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ١٢، ٣٢-٣٥.

(٢) انظر: وسائل التعليم والإعلام، فتح الباب بن عبدالحليم سيد ص ١١٠.

(٣) انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، محمد الصباغ، ط/٢، المكتب الإسلام، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ٥٢٥.

وتحفل السنة النبوية بالمبادئ التربوية التي تتناول الجوانب العملية التعليمية المختلفة بشكل شامل، حيث استخدم النبي ﷺ كل وسيلة من شأنها أن تساعد على الفهم أو توضح صورة معينة والتي منها الحركات المعبرة والإشارات التعليمية الهادفة[1].

لذا ينبغي على المربين عدم إغفال الوسائل التعليمية في الميدان التربوي والتعليمي لما لها من أثر فاعل في تسهيل عملية التعلم والتعليم والتربية وتوضيح المعاني، وإثارة الحواس التي تساعد على الفهم والاستظهار كالبصر ونحوه.

ثالثاً- التربية بالترهيب:

لقد حمل حديث الباب في مضمونه ومفهومه الترهيب والتحذير من الظلم ببيان مصائر الظالمين الذين تجاوزا حدود العدل سواء أكان ذلك مع الله تبارك وتعالى أم كان مع خلقه، ولقد كان نهي النبي ﷺ عن التواجد في أماكن الظالمين بقوله وفعله كما نرى في إسراعه حتى الخروج من واديهم مع ما صاحب ذلك من تعبيرات وحركات معبرة تعبر عن مدى الرغبة والحرص على الهرب من الظالمين ومواطنهم والبعد عنها والخوف من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما في رواية قال لما مر رسول الله ﷺ بالحِجْر قال: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ»، ثُمَّ قَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ.

وهكذا نجد أن الحديث بما تحمل دلالاته من الاعتبار بمصير الأمم الغابرة التي ظلمت وتجبرت وتجاوزت، وكذلك نهى الرسول ﷺ عن مساكنة الظالمين أو الركون إليهم، كما نهى الله تعالى عن ذلك ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[2].

وما جاء في الحديث من إسراعه ﷺ وأصحابه معه حتى تجاوزوا وادي القوم

---

(١) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري ص ١٣٨، ١٣٩.

(٢) سورة هود، آية: ١١٣.

الظالمين، كل ذلك يدل على مدى عظم الظلم وسوء منقلبه، والترهيب منه والنهي عن التلبس به.

ولذا كان الظلم محرماً ومُجرَّماً في جميع ميادين الحياة، ومن ثَمَّ فإنه يجدر بالقائمين على أمور التربية أن يُحذّروا من الظلم من خلال التربية بالترهيب، وذلك ببيان بعض مظاهر الظلم وبيان آثاره الوخيمة على الفرد والمجتمع، وبيان عاقبة الظلم وأهله يوم القيامة.

لذا كان من واجبات المربي والمعلم التخلق بالعدل والتماس أسبابه والبعد من الظلم وأسبابه، وأن يحرص على عدد من الأمور والتي من أبرزها ما يلي:

أ- تحري العدل وعدم الظلم في تعامله مع أطفاله أو طلابه أو كل مَنْ يربيهم أو يشرف عليهم.

ب- ألا يكلف المربي مَنْ تحت يده فوق طاقتهم ولا يكلفهم إلا بما يبين لهم ضرورته وفائدته لمصلحتهم وما يستطيعون تحقيقه من الأعمال أو السلوك أو العبادة أو الحفظ أو نحو ذلك، فإن الله تبارك وتعالى لم يكلف أمة بشيء إلا بعد أن أرسل فيهم رسولاً منهم ليبين لهم بلسانهم، فإيضاح النموذج المطلوب تعلمه لابد منه ليتم التعليم.

ج- أن يقنع طلابه ويقيم عليهم الحجة والبرهان في كل ما يطالبهم به، وأن تكون الأهداف التربوية واضحة لكل بحسب عقله وقدرته على الفهم فلا تأتي التكاليف والأوامر استبدادية عارية عن كل حجة وبرهان.

د- أن يكون مخلصاً في عمله التربوي لوجه الله تعالى، ويقنع طلابه أو أبناءه بأنه يعمل لمصلحتهم ولسعادتهم وفائدتهم محققاً أمر الله تبارك وتعالى، ليست له غاية أو منفعة شخصية في تقويم سلوكهم وإصلاح نفوسهم ويحوز إعجابهم بذلك فيتخذونه قدوة لهم يقلدونه ويتبعونه على بصيرة[1].

رابعاً- التربية بالتعليل:

من أساليب التربية: التربية بالتعليل ليزداد المتعلم ثقة واطمئناناً إلى ما يلقى على ما

---

(١) انظر: التربية بالآيات، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣٥، ٢٣٦.

معه، فإن إظهار العلة أدعى إلى القبول والالتزام، وأكثر تسهيلاً للفهم والحفظ والاستظهار، ولأهمية هذا الأسلوب التربوي الأصيل استخدمه النبي ﷺ مع علمه بإيمانهم الكامل بكل ما يلقيه على مسامعهم ويزجيه إليهم من نصائح وإرشادات، فنراه ﷺ ساق لهم العلة التي من أجلها نهاهم عن دخول قبور الظالمين إلا لضرورة، فيمرون بها مع مراعاة الإسراع في المشي والانتقال وتغير الحال من بكاء ونحوه، فبين لهم العلة في ذلك بقوله ﷺ: «فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ».

إن استخدام التعليل والإقناع استخدام لأسلوب من أساليب التربية الإسلامية، بل والتربية بصفة عامة، ويقصد بهذا الأسلوب استخدام الدليل والعلة والمنطق العقلي وتقديم الأدلة والبراهين وعدم اللجوء إلى المغالطة وعدم الاعتماد على الهوى أو ما شابه ذلك.

إن التربية الإسلامية قائمة على استخدام العلة والدليل والإقناع والحجة العقلية، وهذا الأسلوب فعال في مجال التربية حيث تقدير قيمة العقل واستخدامه في مختلف شئون الحياة، فعلى المربي أن يعود المتعلم بأن يقتنع بكل معلومة يتعلمها أو سلوك يسلكه ويستخدم في ذلك أسلوب التعليل.

فما أحرى بالآباء والمعلمين أن يخاطبوا عقول الأبناء والطلاب، وأن يقفوا بقدرة هذه العقول على التفكير في كثير من الموضوعات وأن يصححوا أفكارهم في حالة وجود خطأ فيها وأن يوجهونهم للتفكير السليم[1].

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٥-١٢٧.

٧- كتاب آداب السفر

١٦٦- باب استحباب الخروج يوم الخميس، واستحبابه أول النهار

الحديث رقم (٩٥٧)

٩٥٧- عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيس، وَكَانَ يُحِبُّ أنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

وفي رواية في الصحيحين[٢]: لقَلَّمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إلاَّ في يَوْمِ الخَمِيسِ.

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الماضي (كان) يشير إلى أن الفعل صار عادة - غالباً -، وهو الخروج للغزو، ونحوه يوم الخميس، والتعبير بالمحبة يشير إلى أنه اختيار قلبي للرسول ﷺ، وهو سنة لأمته لمن كان له الاختيار في تحديد موعد الخروج، وقد ساق الخبر كعب بن مالك رضي الله عنه مؤكداً بأكثر من مؤكد تمهيداً للخبر، وليدخله على النفوس دخول الأنوس مع استشعار منه لعظمة من يحدث عنه، والرواية الثانية جاءت في ثوب القصر لتحصر حكم خروجه باستثناء القليل في يوم الخميس.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب أن يكون سفره يوم الخميس فإن فاته فيوم الاثنين وأن يكون باكرًا)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٥٠ من حديث هشام بن يوسف، عن معمر، كما في الجمع بين الصحيحين للحميدي ٤٤٨/١ رقم ٧١٢.

هذا الحديث أورده الحميدي في جمعه في المتفق عليه، ولأجل ذلك عزاه المؤلف إلى الصحيحين.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٤٩ من حديث يونس، عن الزهريّ. ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٨/٤ ، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤١/٢٥. وانظر كذلك: فتح الباري، ابن حجر ١١٣/٦-١١٥.

(٤) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢١).

الحديث رقم (٩٥٨)

٩٥٨- وعن صخر بن وَداعَةَ الغامِدِيِّ الصحابيِّ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)) وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشاً بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ[1] تَاجِراً، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ[2] أَوَّلَ النَّهَار، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

صخر بن وداعة الغامِدِيِّ: وهو صخر بن وداعة الغامدي، وغامِد بطن من الأزد ويقال صخر بن وديعة، وهو معدود في أهل الحجاز، فهو غامدي، أَزَديّ حجازيّ، سَكَنَ الطائف، وله صحبة، ولا يعرف لصخر بن وداعة غير حديث واحد وهو حديث دعاء الرسول ﷺ للأمة في البكور، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان إذا بعث تُجاره بعثهم أول النهار، فأثرى وكثر ماله[4].

غريب الألفاظ:

بكورها: أول نهارها[5].

---

(١) عندهما زيادة: (رجلاً).

(٢) عند أبي داود زيادة: (من).

(٣) أخرجه أبو داود واللفظ له ٢٦٠٦، والترمذي ١٢١٢، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٤٧٥٤، وقال عبد الحق في الأحكام الوسطى ٢٨/٣: حديثٌ حسنٌ، وقال الحافظ في الفتح ٢١٢/٧: وقد اعتنى بعض الحفاظ بجمع طرقه، فبلغ عدد من جاء عنه من الصحابة نحو العشرين نفسًا. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥١٧.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٤٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٤/٣، ١٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٦٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٤٣/٣، ٤٤٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٠٥/٢، والسندي ١٧١/٢٤.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ك ر).

السرية: هي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة[١].

الشرح الأدبي

دعوة الرسول ﷺ إلى البكور حسياً هي دعوة بالمضمون إلى التبكير، والمبادرة في كل أمورها بما يجعلها في صدارة الأمم، ولو تأملت هذا التوجيه لرأيت فيه دعوة للأمة إلى النشاط، وترك الكسل، ومباشرة الأسباب التي تحقق لها الريادة في كل مجال، وإلا صارت ذيلا في ركاب الأمم تنتظر طعامها من عدوها، وليس هناك أكثر من هذا ذلا لأمة، ودعاء الرسول ﷺ (اللهم) دعاء خاشع خاضع ذليل متهالك في الخضوع لربه مما يدلل على حرصه على الإجابة للأمة النشيطة التي نسبها لنفسه في قوله (لأمتي) والظرفية التي يدل عليها (في) تشير إلى أن البكور صار بدعوة الرسول ﷺ محلا للبركة، وإضافة البكور إليهم توجيه للبركة حتى تحط في رحالهم في كل بكور.

فقه الحديث

أشار هذا الحديث إلى استحباب التبكير في الأسفار والأعمال وغيرهما، ودليل ذلك ما جاء في الحديث من دعوة النبي ﷺ بالبركة في التبكير فقال: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ لأمته بالبركة في بكورها.

ثانياً: من آداب المدعو: التبكير أول النهار.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاستجابة لما أرشد إليه النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ لأمته بالبركة في بكورها:

هذا واضح من قوله ﷺ "اللهم بارك لأمتي في بكورها" فهذا الحديث يبين

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ى).

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٦٨/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٠/٢٥.

حرص الرسول ﷺ على أمته، وشفقته ورحمته بها، ودعاءه لها بالبركة والخير والسعادة، ويبين لنا أفضل أوقات الأعمال، وأنه في التبكير، ذلك لأمور عديدة: منها فضل الوقت، لأن الجو فيه غير حار، وفيه مميزات عديدة، ويبين لنا أن المسلم في هذا الوقت يكون نشطاً قوياً ومتفاعلاً، ويبين لنا استغلال الوقت صباح اليوم إلى مسائه، ويبين لنا بركة هذا الوقت. وقال ابن عثيمين: (دعاء النبي ﷺ أن يبارك الله في أول النهار فيه لأمته، لأنه مستقبل العمل، فإن النهار كما قال الله تعالى معاش ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[1] فإن استقبله الإنسان من أوله صار في ذلك بركة وهذا شيء مشاهد، أن الإنسان إذا عمل في أول النهار، وجد في عمله بركة، لكن وللأسف أكثرنا اليوم ينامون في أول النهار ولا يستيقظون إلا في الضحى، فيفوت عليهم أول النهار الذي فيه بركة، وقدقال العامة: أمير النهار أوله، يعني أن أول النهار هو الذي يتركز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أول النهار، فأثرى وكثر ماله من أجل دعاء النبي ﷺ بالبركة لهذه الأمة في بكورها)[2].

ونقل الطيبي القول بأن: (المسافرة سُنّة في أول النهار، وكان صخر هذا يراعي هذه السُنّة، وكان تاجراً يبعث ماله في أول النهار للتجارة، فكثر ماله ببركة مراعاة السنة، لأن دعاء النبي ﷺ مقبول لا محالة)[3].

ثانياً- من آداب المدعو: التبكير أول النهار:

هذا واضح من فعل صخر الغامدي رضي الله عنه فقد كان يبعث تجارته أول النهار، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء أن يكون إنشاؤه الحرب وابتداؤه الأمور في الأسباب بالغدوات تبركاً بدعاء المصطفى ﷺ فيه[4].

---

(١) سورة النبأ، آية: ١١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢١٥/٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٨/٧، وانظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢١٧/١-١٢١٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٦٣/١١ رقم ٤٧٥٥.

قال ابن العربي: (يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أن ما بعد صلاة الصبح وقت يقسم الله فيه الرزق بين العباد، وثبت أنه وقت ينادي فيه الملك: ((اللَّهمَّ أعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وأَعْطِ مُمْسِكاً تلفاً))[1]. وهو وقت ابتداء الحرص ونشاط النفس وراحة البدن وصفاء الخاطر، فيقسم لأجل ذلك كله وأمثاله)[2].

وقال ابن مفلح المقدسي الحنبلي: (وظاهر ما ذكره الأصحاب في هذا الفصل والذي قبله، أن نوم النهار لا يكره شرعاً لعدم دليل الكراهة إلا بعد العصر، وأنه تستحب القائلة، والقائلة: النوم في الظهيرة، ذكره أهل اللغة. وظاهره شتاءً وصيفاً، وإن كان الصيف أولى لها ... وجزم بعض متأخري الأصحاب بكراهة النوم بعد الفجر، وعن بعض التابعين أن الأرض تعج من نوم العالم بعد صلاة الفجر، ويروى أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام رأى معاوية حمل اللحم، فقال: يا معاوية ما هذا، لعلك تنام نومة الضحى؟ فقال: يا أمير المؤمنين علمني مما علمك الله، ورأى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ابناً له نائماً نومة الضحى فقال له: قم أتنام الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟ وذلك لأنه وقت طلب الرزق والسعي فيه شرعاً وعرفاً عند العقلاء.

وقال علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار، والضحك من غير عجب، والقائلة تزيد العقل، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: النوم على ثلاثة أوجه: نوم خُرق ونوم خَلَق ونوم حُمق، فأما النوم الخُرْق فنومة الضحى يقضي الناس حوائجهم وهو نائم، وأما الخلق فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق فنوم حين تحضر الصلاة)[3].

(لقد أطلقتُ هذه التسمية "الساعات المباركات" على ساعات الصباح الأولى مستحضراً دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته بالبركة خلال أوقات الصباح الباكر، حيث قال:

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠ من حديث أبي هريرة وأوله: "ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان...".

(٢) عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي لابن العربي، ٢١٥/٥، ٢١٦، ط/ المطبعة الأزهرية: ١٣٥٠هـ، نقلاً عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٥/١٠.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١٤٧/٣-١٤٨.

"اللهم بارك لأمتي في بكورها"، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل، فتطيب أنفسنا وننشط طوال نهارنا، خلافاً لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم، وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ نشاط يومه بصلاة الفجر ومن فاتته: ((يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاث عُقدٍ، يَضربُ على مكان كلِّ عُقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقُدْ، فإنِ استيَقَظَ فذكرَ اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ. فإن توضَّأَ انحلَّتْ عقدةٌ، فإن صلَّى انحلَّتْ عقدةٌ، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النَّفسِ، وإلاّ أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ))[1].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، يقول الشيخ القرضاوي معلقاً على هذا الحديث: (وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة، وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان)[2].

أي الساعات هي؟

قد تتساءل أي ساعات هي تلك الساعات المباركات وكم عددها، أهي من الساعة السادسة حتى التاسعة صباحاً؟ أم من السابعة حتى العاشرة؟ أم من الخامسة حتى السابعة؟ أعتقد أنها ابتداءً من وقت الفجر أو من قبيل وقته بقليل، وقد تكون لقرابة ثلاث ساعات، هذا حسب تجربتي الشخصية، فإن الذهن خلالها صاف، وتنعدم المقاطعات خلال هذه الفترة، وتسبق انغماس الإنسان في معيشته اليومية، من وظيفة أو عمل ما.

لم يتحدّث المسلمون فقط بأهمية هذه الساعات، بل هي أيضاً مبدأ عالمي مهم في علم إدارة الوقت أُطلق عليها "وقت الذروة"، فإن للإنسان ما يسمى بدورة الطاقة

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٢، ومسلم ٧٧٦.

(٢) الوقت هو حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ١٣.

النموذجية التي تتغير حسب الوقت خلال اليوم، ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الإنسان يمتلك أعلى درجات طاقته وصفاء ذهنه عند الصباح الباكر، وقد ارتأى معهد فرنكلن للتدريب الإداري قياس الطاقة البشرية منذ الساعة الثامنة صباحاً، وهذا أمر أراه خطأ ويجب أن يكون منذ الخامسة أو السادسة صباحاً، وأعتقد أنه لو قاس هذا المعهد الطاقة البشرية من قبل الساعة الثامنة بساعتين، لوجدها أكبر مما هي عليه عندها، وقد تنبّه لهذا صاحب كتاب العادات العشر حيث أطلق عبارة "الساعات السحرية" على أنها من الخامسة إلى الثامنة صباحاً بالنسبة له، واشترط أن تكون تلك الساعات خاصة بالشخص وحده، وبعيدة عن كل المقاطعات، وخارجة عن نطاق الأعمال اليومية الروتينية، ذكر "ماكنزي" حاجة كل إنسان إلى ساعة أو ساعات هدوء مطلق لا يتخلله أي مقاطعة، قد تحدد في أي وقت مناسب حسب الشخص، لكنها الأفضل في أبكر ساعات الصباح، وأطلق عليها اسم "الساعةالهادئة".

وحينما أختار أن وقت الذروة، أو الساعات المباركات أو الساعات السحرية - حسب اختلاف تسميتها- تبتدئ من الفجر، فهذا يعني أن نفرغها لأهم أولويات حياتنا، فنختار أهم الأعمال والمشاريع وأكثرها تطلباً لحضور الذهن وصفائه، قبل البدء بروتين العمل خلال اليوم، وأن ذلك يتطلب استعداداً مسبقاً لاستغلال اليوم من أوله، وذلك بأن ينام الفرد مبكراً مع استحضار آداب النوم، داعياً الله بالأذكار المأثورة قبل نومه، مستحضراً نية صادقة للاستيقاظ لصلاة الفجر، وليستعن بما ينبهه للاستيقاظ قبيل الفجر، عسى الله أن يرزقه قيام ركعتين، طالباً من الله العون والتسديد، وهذا تحضير لاستغلال الساعات المباركات واليوم كله. ومن أجل استمرارية اغتنام الساعات المباركات، أرى أنّه من الضروري المحافظة على قيلولة يومية لقرابة نصف ساعة إلى ساعة واحدة والله أعلم.

وإن هذا العمل المتواضع الذي تقرؤه مثال على ذلك، حيث كان معظم إنتاجه خلال الساعات المباركات، فلقد أخذت على عاتقي كتابة صفحات في علم إدارة الوقت لشعوري بأهميته لشباب هذه الأمة والعاملين لدينه، ولقد ضاق وقتي تماماً لهذا العمل،

فعزمت على تفريغ تلك الساعات للعمل عليه، فكنت أكتب ما تقرأ بُعيد صلاة الفجر ولقرابة ساعتين أو ثلاث، فكان ذلك في الصيف منذ الساعة الخامسة تقريباً حتى الثامنة، وخلال الشتاء منذ السابعة حتى التاسعة، وذلك لصفاء ذهني آنذاك، ولانعدام وجود أي وقت آخر أتفرغ خلاله من جميع المشاغل اليومية، ولانعدام المقاطعات خلال هذه الفترة، وصدق عبدالفتاح أبو غدة حينما ذكر أنه "من الأعمال العلمية ما لا يكتمل حصوله على وجهه الأتم إلا في الأوقات التي تصفو فيها الأذهان، وتنشط فيها القرائح والأفهام، وتكثر فيها البركات والنفحات، كساعات الأسحار والفجر والصباح، وساعات هدأة الليل والفراغ التام والسكون الكامل للمكان"[(١)][(٢)].

ثالثاً- من آداب المدعو: الاستجابة لما أرشد إليه النبي ﷺ:

هذا واضحٌ من فعل صخر بن وداعة الغامدي رضي الله عنه لما رأى النبي ﷺ إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار، فكان صخرٌ يبعث تجارته أول النهار، فأثرى وكثر ماله.

ومن هذا القبيل ما فعله النعمان بن مقرن في موقعة نهاوند في أيام عمر بن الخطاب، فقد قال جبير بن حية: ((وكانَ النعمان رَجُلا بَكَّاءً، فقالَ: قدْ كانَ اللّهُ جلَّ وعلا يُشْهِدُكَ أمثالَها فلا يُخْزيك ولا يعري موقفَكَ، وإنَّهُ واللّهِ ما مَنَعَني أن أُناجزَهم إلا لِشَيْءٍ شَهِدْتهُ مِنْ رسولِ اللّهِ، إنَّ رسول الله، كانَ إذا غَزَا، فلَمْ يُقاتِلْ أولَ النهارِ لَمْ يَعْجَلْ حتى تَحْضُرَ الصلواتُ وتَهُبَّ الأَرواحُ ويَطيبَ القِتالُ، ثُمَّ قالَ النعمانُ: اللّهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ أنْ تَقَرَّ عَيْني اليومَ بفَتْحٍ يكونُ فيهِ عِزُّ الإسلامِ وأهلِه، وذُلُّ الكفرِ وأهلِه، ثُمَّ اختِمْ لي على إثْرِ ذلكَ بالشهادةِ، ثُمَّ قالَ: أَمِّنُوا يرحمُكُمُ اللّهُ، فأَمَّنَّا، وبكى وبَكَيْنا. ثُمَّ قالَ النُّعمانُ: إني هازٌّ لِوائي، فَتَيَسَّرُوا للسِّلاحِ، ثُمَّ هازُّهُ الثانيةَ، فكونُوا مُتَيَسِّرينَ لِقتالِ عَدُوِّكُمْ بإزائهم، فإذا هَزَزْتُه الثالثةَ، فليَحْمِلْ كلُّ قومٍ على مَنْ يَليهمْ مِنْ

---

(١) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ط/٥، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ١٠٠.

(٢) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨-٤١١.

عَدُوِّكُمْ على بركةِ اللّهِ، قالَ: فَلَمَّا حَضَرَتِ الصلاةُ وهَبَّتِ الأَرْواحُ، كَبَّر وكَبَّرنا، وقالَ: رِيحُ الفَتْحِ واللّهِ إنْ شاءَ اللّهُ، وإنِّي لأَرْجُو أَنْ يَستجيبَ اللّهُ لي وأنْ يَفْتَحَ عَلَيْنَا، فَهَزَّ اللِّواءَ، فَتَيَسَّرُوا، ثُمَّ هَزَّه الثَّانيةَ، ثم هزَّه الثالثةَ، فَحَمَلْنا جَميعاً كُلُّ قومٍ على مَنْ يَليهمْ، وقالَ النعمانُ: إنْ أنا أُصِبْتُ، فَعَلَى الناسِ حذيفةُ بنُ اليمانِ، فإنْ أُصِيبَ حذيفةُ ففلانٌ، فإنْ أُصِيبَ فلانٌ ففُلانٌ، حتى عَدَّ سبعةً آخِرُهُمْ المغيرةُ بنُ شُعْبَةَ، قالَ جبير: فواللّهِ ما عَلِمْتُ مِنَ المسلمينَ أَحَداً يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إلى أهلهِ حتى يُقْتَلَ أو يَظْفَرَ، وثَبَتُوا لنا، فَلَمْ نَسمَعْ إلا وَقْعَ الحديدِ على الحديدِ، حَتَّى أُصيبَ في المُسلمين مُصابةً عظيمةً، فَلَمَّا رَأَوْا صَبْرَنا، وَرَأَوْنا لا نُريد أن نَرْجِعَ، انهزَمُوا، فَجَعَلَ يَقَعُ الرجلُ فيقعُ عليهِ سَبْعَةٌ في قِرانٍ فَيُقْتَلُونَ جميعاً وجعلَ يَعْقِرُهُمْ حَسَكُ الحَديدِ[1] خَلْفَهُمْ. فقالَ النعمانُ: قَدِّمُوا اللواءَ فَجَعَلْنَا نُقدمُ اللواءَ فنقتلُهمْ ونضربُهمْ، فَلَمَّا رَأَى النعمانُ أَنَّ اللّهَ قَدِ استجابَ لَهُ وَرَأَى الفَتْحَ جاءَتْهُ نُشَّابةٌ[2]، فأصابت خاصِرَتَهُ فَقَتَلَتْهُ، فجاءَ أخوهُ مَعْقِلُ بنُ مُقَرِّن، فَسَجَّى عليهِ ثوباً، وأَخَذَ اللِّواءَ فَتَقَدَّمَ به، ثمَّ قالَ: تَقَدَّمُوا رَحِمَكُم اللّهُ، فجعلنا نتقدَّمُ فنهزِمُهم ونقتلُهُمْ، فلما فَرَغْنا واجْتمعَ الناسُ، قالوا: أينَ الأَميرُ؟ فقالَ مَعْقِلٌ: هذا أَميرُكُمْ قد أَقَرَّ اللّهُ عَينَهُ بالفتحِ وخَتَمَ لهُ بالشهادةِ، فبايعَ الناسُ حذيفةَ بنَ اليَمانِ.

قال: وكان عُمَرَ بالمدينةِ يدعو اللّهَ وينتظرُ مِثْلَ صيحةِ الحُبْلَى، فكَتَبَ حُذيفةُ إلى عُمَرَ بالفتحِ مَعَ رَجُلٍ مِنَ المسلمين، فَلَمَّا قَدِمَ عليهِ، قالَ: أَبْشِرْ يا أميرَ المؤمنينَ بِفَتْحٍ أعزَّ اللّهُ فيهِ الإسلامَ وأهلَهُ، وأذلَّ فيهِ الشِّرْكَ وأهلَهُ، وقال: النُّعمانُ بَعَثَكَ؟ قالَ: احْتَسِبِ النعمانَ يا أميرَ المُؤمنينَ، فَبَكَى عُمَرُ واسترجَعَ، وقالَ: ومَنْ ويحك؟ فقالَ: فُلانٌ وفلانٌ وفلانٌ حتى عَدَّ ناساً، ثمَّ قالَ: وآخرينَ يا أميرَ المؤمنينَ لا تَعْرِفُهُمْ. فَقَالَ عُمَرُ وهو يَبْكي: لا يَضُرُّهُمْ أنْ لا يَعْرِفَهُمْ عُمَرُ لكنَّ اللّهَ يَعْرِفُهمْ))[3].

---

(١) الحسك: نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل، والحسك من الحديد: ما يعمل على مثال الحسك، كان يلقى حول العسكر ويبث في مذاهب الخيل فينشب في حوافرها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ك).

(٢) النُّشَّاب: النَّبل، واحدته نشابة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ش ب).

(٣) أخرجه ابن حبان ٤٧٥٦ مطولاً وقال محققه: إسناده قوي.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اغتنام الأيام والساعات المباركات:

لقد لفت النبي ﷺ في حديثي الباب الأنظار إلى اختيار واغتنام الأيام المباركة الفاضلة المناسبة للأعمال المراد الإتيان بها كالسفر يوم الخميس، كما جاء في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ»، كذلك وجه الأنظار إلى استغلال الأوقات المباركة، وذلك من خلال دعائه بالبركة في البكور حيث دعا النبي ﷺ لأمته أن يبارك الله لهم في أول النهار، لما في ذلك من نهوضهم لصلاة الفجر واغتنامهم اعتدال الجو وقربهم من الراحة واتساع الوقت أمامهم للعمل، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

إن اغتنام الأوقات الفاضلة المباركة له أثره الإيجابي على العملية التربوية والتعليمية كأول النهار والتبكير في ذلك لما تتميز هذه الأوقات بحضور الذهن وصفائه لأن "من الأعمال العلمية ما لا يكتمل حصوله على وجهه الأتم إلا في الأوقات التي تصفو فيها الأذهان وتنشط فيها القرائح والأفهام وتكثر فيها البركات والنفحات كساعات الأسحار والفجر والصباح وساعات هدأة الليل والفراغ التام والسكون الكامل للمكان"[1].

إن للإنسان ما يسمى بدورة الطاقة النموذجية التي تتغير حسب الوقت خلال اليوم، ولقد أثبتت التجارب العلمية أن الإنسان يمتلك أعلى درجات طاقته وصفاء ذهنه عند الصباح الباكر[2].

فينبغي على المسلم إذا أراد أن يبارك له في عمره أن يسير على هدي النبي ﷺ في اغتنام الأوقات المباركة ويحرص على المبادرة والمسارعة إلى الأعمال الصالحة، ويتطلب ذلك أن يستيقظ المسلم مبكراً وينام مبكراً.

---

(١) انظر: قيمة الوقت عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة ص ١٠٠.

(٢) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨- ٤١١.

ليبدأ يوم المسلم من مطلع الفجر أو على الأقل قبل مشرق الشمس وبهذا يتلقى الصباح طاهراً نقياً قبل أن تلوثه أنفاس العصاة الذين لا يفيقون من نومهم إلا إذا علت الشمس وأضحى النهار.

وهنا يستقبل المسلم يومه من البكور الذي دعا الرسول ﷺ لأمته بالبركة فيه[1]، كما جاء في حديث صخر بن وداعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا».

ثانياً- التربية بالدعاء:

ورد استخدام الدعاء كأسلوب تربوي في حث النبي ﷺ في دعائه للأمة بالبركة في البكور، فلم يرشد إلى التبكير كأن يقول بكروا أو عليكم بالبكور مثلاً، وإنما دعا لأمته أن يبارك الله تعالى في بكورها قائلاً «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». زيادة في لفت الأنظارُ وإثارة الانتباه، وتأكيداً لحلول البركة في البكور إذ أن دعاء الرسول ﷺ مستجاب.

وفي الحديث إرشاد للمعلم والمربي أن يركز في توجيهاته التربوية على بيان أهمية وفضل البكور، وأن يبرز ذلك من خلال تخصيص النبي ﷺ للبكور ودعائه لأمته أن يُبارك لها في بكورها مما يعمل على إثارة روح التنافس المحمود في المسارعة في البكور.

إن للدعاء أثره التربوي الذي لا يُنكر، ومن دلائل ذلك:

- أن الدعاء ثمرة المعرفة بمنهج القرآن وتصوره عن الكون، كما أن الدعاء يشعر الإنسان بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء، ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها.
- كما أن في الدعاء تذكيراً للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به.
- كما أن الدعاء هو سبيل القوة الحقة فلا يقضى على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع، وفقدان السند المُعِين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥، ٢٦.

على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة.

إن في إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته له وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعينه إذا احتاج إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فهيا القوة الحقة والعزم والثقة والرضاء[1].

ثالثاً- التربية بالممارسة العملية:

من البديهي في عالم التربية أن التعليم بالممارسة العملية أوقع في النفس وأدعى إلى ترسيخ المعاني وقرارها في القلب والذاكرة، وكما أن التعليم التطبيقي والأسلوب العملي يجعل تصور الطالب للأمور التي يتعلمها أوسَع تفصيلاً وأعمقَ أثراً في نفسه وأقرب إلى الفائدة في الحياة.

ولقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه بالأساليب المتنوعة ومنها التعليم بالممارسة العملية، وقد بدا ذلك واضحاً جلياً في خروجه وسفره يوم الخميس فلم يقتصر الأمر على مجرد التوجيه أو الإرشاد، وإنما تعدى ذلك إلى الممارسة الفعلية، كما أخبرنا بذلك كعب بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ».

وفي ذلك إرشاد إلى التبكير بالممارسة العملية كما في حديث صخر بن وداعة الغامدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا». وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثه من أول النهار، وتبعه ذلك الصحابة رضي الله عنهم وأولهم في ذلك راوي الحديث: «وكان صخر رجلاً تاجراً فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله»، وذلك تطبيق عملي من صخر بن وداعة رضي الله عنه وتنفيذ لوصية رسول الله ﷺ فكانت الثمرة بتوفيق الله تعالى له أن أثرى واغتنى واتسعت تجارته وكثُر مالُه.

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢٢٢-٢٢٥. ورسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٠٩، ١١٠.

لذا كان على المربي دائماً أن يربي طلابه ويحثهم على التطبيق العملي لما يعلموه من أمور الدين، لأن التربية بالممارسة العملية من أشد وأسرع أنواع التربية في التأثير والتغيير الإيجابي وهي المعوَّل عليها في الجزاء في الدنيا والآخرة، لأن الحكم على الممارسات الإيجابية وليس على مجرد الأقوال والشعارات الجوفاء، ولذا قرن الله تعالى في كثير من الآيات بين الإيمان والعمل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1].

إن للتربية والتعليم عن طريق التطبيق والممارسة العملية آثارًا تربوية متعددة منها ما يلي:

- الحرص على التطبيق العملي وإتقان العمل وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، فكل متعلم يمارس العمل أمام معلمه أو كل معلم يمارس العمل ثم يتابعه المتعلم ثم يناظره المعلم ويصحح له أخطاءه.
- شعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وهذا يجعل منهجية التربية الإسلامية منهجية حركية فكرية عاطفية مبنية على الوعي والدقة وصحة الأداء.
- فالدقة في العواطف والاتجاهات والأفكار تتجلى في إخلاص النية وتوجيه العمل نحو إرضاء الله جل جلاله فلا رياء ولا استكبار ولا استهتار.
- التواضع وحب العمل واستبعاد الغرور وترك الكسل والتواكل.

إلى غير ذلك من الآثار التربوية الحميدة لأسلوب التطبيق والممارسة العملية، فعلى المربي أن يقتدي بهذا الأسلوب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[2].

---

(١) سورة يونس، آية: ٩.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١١-٢١٨.

١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة

وتأميرهم عَلَى أنفسهم واحداً يطيعونه

الحديث رقم (٩٥٩)

٩٥٩- عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَوْ انَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوحدَةِ مَا أعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الوحدة: الانفراد في السفر[2].

الشرح الأدبي

استخدام (لو) في الشرط لأنها حرف امتناع لامتناع أي: امتناع الجواب وهو مسير الراكب ليلا لامتناع الشرط، وهو امتناع العلم، و (ال) في لفظ الناس للجنس، فيعم الجميع في الحكم، وهذا العموم مع عموم الفعل المفهوم من اتصاله بعلامة الجمع (يعلمون) يشير إلى أنهم سيتكاتفون جميعاً لمنع خروج الراكب ليلا وحده لو تحقق علمهم بما يعلم الرسول ﷺ، مما يدلل على عظمته، وخطره، ولفظ (وحده) توكيد للانفراد، وتحديداً لموطن الخطأ.

فقه الحديث

استحباب طلب الرفقة:

قال النووي: (يستحبّ له أن يطلب رفيقًا موافقًا، راغبًا في الخير كارهًا للشر، إن

---

(١) برقم ٢٩٩٨ بنحوه، والسياق للمنذري في ترغيبه ٦٥٢/٣ رقم ٤٥٤٧، وبهذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة ٢٥٦٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٦٩، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٦٠/٦.

نسي ذكره، وإن ذكره أعانه، وإن تيسر له مع هذا كونه عالمًا فليتمسك به، فإنه يمنعه بعلمه وعمله من سوء ما يطرأ على المسافر من مساوئ الأخلاق والضجر، ويعينه على مكارم الأخلاق ويحثه عليها. واستحب بعض العلماء كونه من الأجانب لا من الأصدقاء ولا الأقارب، والمختار أن القريب والصديق الموثوق به أولى، لأنه أعون له على مهماته وأرفق به في أموره، ثم ينبغي أن يحرص على إرضاء رفيقه في جميع طريقه، ويحتمل كل واحد منهما صاحبه، ويرى لصاحبه عليه فضلاً وحرمة، ويصبر على ما يقع منه في بعض الأوقات)[1] وقال النووي كذلك: (يستحب أن يرافق في سفره جماعة)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من السفر بالليل منفرداً.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من السفر بالليل منفرداً:

هذا واضح من الحديث، نقل الطيبي أن السفر منفرداً "فيه مضرة دينية، إذ ليس من يصلي معه بالجماعة، ومضرة دنيوية، إذ ليس معه من يعينه في الحوائج". ثم قال الطيبي: (وكان من حق الظاهر أن يقال: ما سار أحد وحده، فقيده بالراكب والليل، لأن الخطر بالليل أكثر، وأن انبعاث الشر فيه أكثر، والتحرز منه أصعب، ومنه قولهم: الليل أخفى للويل. وقولهم: أغدر الليل؛ لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر، لاسيما إذا كان راكباً، فإنه له خوف جفلة[3] المركوب، ونفوره من أدنى شيء والتهوي في الوهدة[4] بخلاف الراجل)[5].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٨٨/٤ .

(٢) السابق ١٩٠/٤ .

(٣) يقال جفل يجفل جفولاً: انزعج وفزع فهو جافل وجفول وجفال. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ف ل).

(٤) الوهدة: الأرض المنخفضة. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و هـ د).

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣١/٧.

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل على كراهية أن يسير الرجل بالليل وحده، وعلى هذا فأرى أن هؤلاء الذين يخرجون في السياحة منفردين، ويسمونها سياحة؛ فكل واحد منهم معرض نفسه للسباع وغير ذلك، وتارك للصلوات في الجماعة؛ ولنفع الناس بالتعليم إن كان من أهل التعليم، والانتفاع بالتعليم إن كان من أهل التعلم، وأن يحظى بعيادة المريض، وشهود الجنائز وعمارة المساجد وغير ذلك؛ فإنه يفوّت نفسه ذلك فلو عرف ما في سيرة الوحدة من فوات هذه الخيرات لم يفعله.

وقد جاء النهي عن السياحة عن أكابر أهل العلم، إلا أن ذلك إذا اضطر إليه إنسان أو كان على حال لم يقصد فاعله فعله توخياً لسير الوحدة، بل كلما اضطره إليه امرؤ أو سوء رفقة، فإنه يستغفر الله تعالى من مخالفة السنة في ذلك، ويعمل بحكم الضرورة)[1].

وقد ساق البخاري هذا الحديث وحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ((نَدَبَ النبيُّ ﷺ الناسَ يومَ الخندَقِ، فانتدَبَ الزُّبيرُ، ثمَّ نَدَبهم فانتدَبَ الزُّبير، ثمَّ ندَبَهم فانتدَبَ الزُّبيرُ. قال النبيُّ: إنَّ لكلِّ نبيٍّ حَوارِيّاً وحَواريَّ الزُّبيرُ)). قال سفيان [أحد رواة الحديث]: الحواري الناصر[2] ثم ساق حديث الباب، وجعلهما تحت باب السير وحده[3].

قال ابن حجر: (قال ابن المنير: السير لمصلحة الحرب أخص من السفر، والخبر ورد في السفر، فيؤخذ من حديث جابر جواز السفر منفرداً للضرورة والمصلحة التي لا تنتظم إلا بالانفراد، كإرسال الجاسوس والطليعة، والكراهة لما عدا ذلك. ويحتمل أن تكون حالة الجواز مقيدة بالحاجة عند الأمن، وحالة المنع مقيدة بالخوف حيث لا ضرورة، وقد وقع في كتب المغازي بعث كل من حذيفة ونعيم بن مسعود وعبدالله بن أنيس وخوات بن جبير وعمرو بن أمية وسالم بن عمير وبُسَيْسة في عدة مواطن وبعضها في الصحيح)[4][5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢١٦-٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٧، ومسلم ٢٤١٥.

(٣) كتاب الجهاد رقم ٥٦، الباب رقم ١٣٥، الحديثان ٢٩٩٧، ٢٩٩٨.

(٤) كان بعث حذيفة في غزوة الأحزاب، أخرجه مسلم ١٧٨٨ من حديث حذيفة نفسه، وكان بعث بُسيسة عيناً على عير أبي سفيان في مقدمات غزوة بدر، أخرجه مسلم١٩٠١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦/١٣٨.

وقال ابن القيم: (وكان ﷺ يكره للمسافر وحده أن يسير بالليل)[١].

وقال ابن عثيمين في شرح الحديث: (إن الإنسان لا ينبغي أبداً أن يسير وحده في السفر، لأنه ربما يصاب بمرض أو إغماء، أو يتسلط عليه أحد أو غير ذلك من المحظورات فلا يكون معه أحد يدافع عنه، أو يخبر عنه أو ما أشبه ذلك، وهذه في الأسفار التي تتحقق فيها الوحدة، وأما ما يكون في الخطوط العامرة، التي لا تكاد تمر فيها دقيقة واحدة إلا وتمر بك فيها سيارة، فهذا - وإن كان الإنسان في سيارة وحده، فليس من هذا الباب - يعني ليس من باب السفر وحده- لأن الخطوط الآن عامرة من محافظة لأخرى، ومن مدينة لثانية، وما أشبه ذلك فلا يدخل في النهي)[٢].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا واضح من قوله "لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وَحْدَه" قال ابن حجر: (أي الذي أعلمه من الآفات التي تحصل من ذلك)[٣] وقد بوّب المنذري في الترغيب والترهيب على هذا الحديث والأحاديث الأخرى المذكورة في الباب، بوّب على ذلك: الترهيب من سفر الرجل وحده أو مع آخر فقط، وما جاء في خير الأصحاب عدة[٤].

ومثال الترهيب كذلك قوله ﷺ ((لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ فِي جَنَّتِهِ أَحَدٌ))[٥].

قال العز بن عبدالسلام: (إعظام الخوف وازع عن المخالفات، وثمرته ملاحظة شدة البطش والنقمة، وأنه لو عذب أهل السماوات والأرض لكان عدلاً منه)[٦].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤٤٩/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢١٦/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣٨/٦.

(٤) الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ٦٥٦هـ، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دون بيانات أخرى ص ٦٤٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٥.

(٦) شجرة المعارف والأحوال ص ٨٤، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٤/٧.

الحديث رقم (٩٦٠)

٩٦٠- وعن عمرِو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلاَثَةُ رَكْبٌ)) رواه أَبُو داود والترمذي والنسائيُّ[1] بأسانيد صحيحةٍ، وقال الترمذي: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

غريب الألفاظ:

ركب: أي جماعة[2].

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في الرفقة في السفر، ويرهب من سفر الإنسان وحده، لما يكتنفه من أخطار لا يجد الإنسان فيها من يعينه، وقد جاء المعنى عن طريق التصوير بالتشبيه فقوله ﷺ (الراكب شيطان) تشبيه بليغ حذف منه وجه الشبه، وأداة التشبيه، وحذفهما يقوي التشبيه، ويؤكد شدة التشابه بين الراكب، والشيطان، ووجه الشبه الانفراد، والعزلة عن الناس، وعدم الأنس بهم، والحرمان من دعاء الصالحين، ونصحهم وَتَرْكِهِ الْجَمَاعَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا، فأشبه فِعْلُهُ فِعْلُ الشَّيْطَانِ، وفي هذا التشبيه تنفير من الانفراد، وتقبيح له، وتكرار الصورة مع المثنى تأكيد للأولى، وتقرير للمعنى الذي أضافته، وهو أن الاثنان كالواحد في الحكم المتعلق بالانفراد، أما إذا زادوا عن ذلك فقد صاروا ركبا، وزال عنهم الشيطان، وزالت عنهم صورته.

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الرفقة في السفر.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٧، والترمذي ١٦٧٤، والنسائي في المجتبى ٢٤٩٥، وصحّحه ابن خزيمة ٢٥٣٨، وقال الحاكم في المستدرك ١٠٢/١: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال ابن عبد البر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٦/٢٠: وقد كان مجاهد ينكر هذا الحديث مرفوعًا، ويجعله من قول عمر، ولا وجه لقول مجاهد، لأن الثقات رووه مرفوعًا.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٨٤/٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٦٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٦١).

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تأمير المسافرين أحدهم عليهم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والتزام الجماعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب الرفقة في السفر:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً: "الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب".

نقل الطيبي في معنى الحديث: (يعني مشي الواحد منفرداً منهي [عنه]، وكذلك مشي الاثنين، ومن ارتكب منهياً فقد أطاع الشيطان، ومن أطاعه فكأنه هو، فلهذا أطلق ﷺ اسمه عليه)[1].

وقال البغوي في شرح السنة: (قال أبو سليمان الخطابي[2]: معناه - والله أعلم- أن التفرد والذهاب وحده في الأرض من فعل الشيطان، أو هو شيء يحمله عليه الشيطان، فقيل على هذا: إن فاعله شيطان، قال الإمام [أي البغوي]: معنى الحديث عندي ما روي عن سعيد بن المسيب مرسلاً عن رسول الله ﷺ ((الشَّيْطَانُ يَهِمُّ بِالوَاحِدِ والاثْنَيْنِ. فَإِذَا كَانُوا ثَلاثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ))[3] وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من سرّه بَحْبَحْة الجنة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الاثنين أبعد))[4].

وروي عن عمر أنه قال في رجل سافر وحده: أرأيتم إن مات من أسأل عنه؟ قال الخطابي[5]: المنفرد وحده في السفر إن مات لم يكن بحضرته من يقوم بغسله ودفنه وتجهيزه، ولا عنده من يوصي إليه في ماله، ويحمل تركته إلى أهله ويورد خبره عليهم، ولا معه في السفر من يعينه على الحمولة، فإذا كانوا ثلاثة تعاونوا وتناوبوا المهنة والحراسة، وصلوا الجماعة وأحرزوا الحظ فيها)[6].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٨/٧.

(٢) معالم السنن ٤١٣/٣.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٤١٣٥.

(٤) أخرجه أحمد ١٨/١ رقم ١١٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٦٩/١.

(٥) معالم السنن ٤١٣/٣.

(٦) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ، حققه شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٢٢/١١.

وقال ابن العربي: (إن الرفيق قبل الطريق، ولا شيء أصعب على المرء من الانفراد بين سمع الأرض وبصرها، وهو عرضة للشيطان، ولا ينبغي لأحد أن يفعله إلا للضرورة، وأقل الصحبة ثلاثة، لأن أحدهم إن مضى يحتطب أو يستقي بقي اثنان، وجعل النبي ﷺ الواحد شيطاناً مجازاً، كأنه صاحب الشيطان، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، ويدفع خوفه الأذان كما في صحيح مسلم[1]، وآية الكرسي فإن من قرأها لا يقربه شيطان[2]، وهذا الذي ورد منه الحديث موجود في التجربة)[3].

وقال ابن عبدالبر: (في هذا الحديث كراهية الوحدة في السفر، وأتى هذا الحديث بلفظ "الراكب" ويدخل الراجل في معناه إذا كان وحده، ولم تختلف الآثار في كراهية السفر للواحد، واختلف في الاثنين ولم يختلف في الثلاثة فما زاد، أن ذلك حسن جائز. وإنما وردت الكراهية في ذلك، والله أعلم، لأن الوحيد إذا مرض لم يجد من يمرضه، ولا يقوم عليه ولا يخبر عنه، ونحو هذا)[4].

وقال أحمد بن حنبل: (لا يسافر الرجل وحده ولا يبيت في بيت وحده)[5].

وقال ابن عثيمين: (بيّن النبي ﷺ أن الراكب شيطان والراكبين شيطانان والثلاثة ركب، يعني من يسافر وحده شيطان، والذي يسافر وليس معه سوى واحد شيطانان، والثلاثة ركب، يعني ليسوا من الشياطين. بل هم ركب مستقل، وهذا أيضاً على الحذر والتنفير من سفر الوحدة، وكذلك من سفر الاثنين، والثلاثة لا بأس، هذا - كما قلت - مقيد بالأسفار التي لا يكون فيها ذاهب وآت)[6].

كما نقل ابن حجر قول الطبري: (هذا الزجر زجر أدب وإرشاد لما يخشى على

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٨.

(٢) علقه البخاري في صحيحه ٢٣١١.

(٣) القبس شرح الموطأ ٢٣/ ٢٩٠ موسوعة شروح الموطأ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٥٣، ٥٤.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/ ٢٩١، موسوعة شروح الموطأ.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/ ٤٥٧.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/ ١٢١٦.

الواحد من الوحشة والوحدة، وليس بحرام، فالسائر وحده في فلاة، وكذا البائت وحده لا يأمن من الاستيحاش، لا سيما إذا كان ذا فكرة رديئة وقلب ضعيف، والحق أن الناس يتباينون في ذلك، فيحتمل أن يكون الزجر عن ذلك وقع لحسم المادة، فلا يتناول إذا وقعت الحاجة لذلك)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (يستحب أن يرافق في سفره من هو موافق راغب في الخير، كاره للشر، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، ويستحب أن يرافق في سفره جماعة)[٢].

وقال النووي: (قد يقال: ذكرتم أنه يكره الانفراد في السفر، وقد اشتهر عن خلائق من الصالحين الوحدة في السفر. والجواب: أن الوحدة والانفراد إنما يكرهان لمن استأنس بالناس، فيخاف عليه من الانفراد الضرر بسبب الشياطين وغيرهم، أما الصالحون فإنهم أنسوا بالله تعالى، واستوحشوا من الناس في كثير من أوقاتهم، فلا ضرر عليهم في الوحدة، بل مصلحتهم وراحتهم فيها)[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تأمير المسافرين أحدهم عليهم:

يتضح ذلك في حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" ووقع عند أبي داود من طريق نافع عن أبي سلمة: عن أبي هريرة مرفوعاً: ((إِذَا كَانَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ. قالَ نَافِعٌ: فَقُلْنَا لأَبِي سَلَمَةَ فَأَنْتَ أَمِيرُنَا))[٤].

قال البغوي: (وإنما أمر بذلك، لأنهم إذا صدروا عن رأي واحد، يكون ذلك أبعد من وقوع الاختلاف بينهم)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥٣/٦، ٥٤.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤١/٢٥.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩١/٤.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٦٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٣).

(٥) شرح السنة ٢٣/١١، وانظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٩/٧.

وقال النووي: (يستحب أن يؤمر الرفقة على أنفسهم أفضلهم وأجودهم رأياً ويطيعونه لحديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا كَانَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[1].

وقال ابن عثيمين: (إن الرسول ﷺ أمر المسافرين إذا سافروا أن يؤمروا أحدهم. يعني: يؤمرون واحداً منهم يتولى تدبيرهم، يقول: نذهب ونجلس نتوضأ نتناول العشاء وما أشبه ذلك، لأنهم إذا لم يؤمروا واحداً صار أمرهم فوضى، ولهذا قيل: لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم، لابد من أمير يتولى أمرهم، وظاهر الحديث أن هذا الأمير إذا رضوه وجبت طاعته فيما يتعلق بمصالح السفر، لأنه أمير، أما ما لا يتعلق بأمور السفر فلا تجب طاعته كالمسائل الخاصة بالإنسان، إلا أنه لا يعني ذلك أن هذاالأمير يستبد، بل يكون كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[2]، فعليه أن يشاورهم في الأمور التي يخفى فيها جانب المصلحة، ولا يستبد برأيه، أما الأمور الواضحة فلا حاجة للمشورة فيها)[3].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: جمع كلمة المسلمين والتزام الجماعة:

قال ابن تيمية: (ولهذا أمر النبي ﷺ بتولية ولاة أمور عليهم، وأمر ولاة الأمور أن يردوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وأمرهم بطاعة ولاة الأمور في طاعة الله تعالى، ففي سنن أبي داود عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[4].

وفي سننه -أيضاً- عن أبي هريرة مثله[5]. وفي مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩١/٤، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٢٥-٤٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢١٦/٢.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢).

(٥) سنن أبي داود ٢٦٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٣).

عمرو أن النبي ﷺ قال: ((لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم))[١].

فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات، أن يولي أحدهم، كان هذا تنبيهاً على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك، ولهذا كانت الولاية - لمن يتخذها ديناً يتقرب به إلى الله، ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان - من أفضل الأعمال الصالحة)[٢].

وقال كذلك: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لاتتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولابد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي ﷺ ((إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))... فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض، تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة. وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم وإقامة الحدود، لاتتم إلا بالقوة والإمارة)[٣].

وقد قال رسول الله ﷺ ((عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ))[٤].

(لقد ذم الله التفرق، ونهى عن الطرق والأسباب المؤدية إليه. وقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة التي تحذر من التفرق والاختلاف، وتبين سوء عاقبته، وأنه من أعظم أسباب الخذلان في الدنيا، والعذاب والخزي وسواد الوجوه في الآخرة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٧/٢ رقم ٦٦٤٧ مطولاً وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٢٧/١١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٠٦/١٤، ٦٤/٢٨-٦٥.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٨٢/١٤، ٣٩٠/٢٨-٣٩١.

(٤) أخرجه أحمد ١٨/١ رقم ١١٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٦٩/١.

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[3].

فقد دلت الآيات على ذم التفرق وخطورته على الأمة في الدنيا والآخرة، وأنه سبب هلاك أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وسبب كل انحراف وقع في الناس.

وأما السنة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة في ذم التفرق والاختلاف، والحث على الجماعة والائتلاف، فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود عن معاوية رضي الله عنه أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: ((أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افترَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجنة وهي الْجَمَاعَةُ))[4]. فقد أخبر النبي ﷺ بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، اثنتان وسبعون في النار، لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم، ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي ﷺ، إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا، ثم يؤول إلى الدين. وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط. وعلى كل حال فإن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، والرسول ﷺ يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه مَنْ شاء الله له السلامة)[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٥-١٠٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٢١/٣ وعزاه لابن أبي حاتم، واللالكائي في السنة ٧٤، والخطيب في تاريخ بغداد ٣٧٩/٧.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٥٩٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٨٤٣).

(٥) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٢٩٩-٣٠٠.

الحديث رقم (٩٦١)

٩٦١- وعن أَبي سعيد وأبي هُريرة رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ)) حديث حسن، رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الاختلاف وارد بين البشر فهو الوجه المقابل للإتفاق، وقد ندب الرسول ﷺ المسافرين أن يؤمروا أحدهم منعاً للاختلاف المؤدي إلى الشقاق، والإسلام حريص كل الحرص على سلامة الجبهة الداخلية للأمة، والتي تمثل مصدر قوة لها، وقد اهتم في ذلك بالأمور البسيطة، أو التي تبدو كذلك كما اهتم بذات البال، والخطر، واتفاق المسافرين بداية من الثلاثة يصعد بالحكم مع العدد بلا نهاية لاسيما في الخروج للغزو، والجهاد فجاء الأمر النبوي بتأمير من يختارون في ثوب الشرط الذي يعطي الحكم الاطراد عبر الزمان، والمكان، وكلمة (أحد) المعرفة بالإضافة للضمير العائد عليهم تشير أنه فرد منهم، وباختيارهم دلت على ذلك واو الجماعة المتصلة بالفعل (أمِّروا) وقد أرسله نموذجاً يقتدى به على مستوى أوسع في رعاية مصالح المسلمين.

فقه الحديث

استحباب تأمير أفضل الرفقة وأجودهم رأيًا:

قال النووي: (يستحب أن يؤمر الرفقة على أنفسهم أفضلهم وأجودهم رأيًا، ويطيعونه لحديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" وعن ابن عباس مرفوعًا: "خير الصحابة أربعة ..." الحديث والمراد بالصحابة هنا المتصاحبون)[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٦٠٨، وقال النووي في المجموع ٥/٣٩٠: إسناده حسن.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩١، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٤٢-٤٣.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٦٢)

٩٦٢- وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((خَيْرُ الصَّحَابَةِ أرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أرْبَعُمِئَةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ ألْفاً مِنْ قِلةٍ)) رواه أبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الصحابة: جمع صاحب[2].

السرية: وهي القطعة من الجيش يبلغ أقصاها أربع مائة[3].

الشرح الأدبي

البداية بكلمة (خير) من براعة الاستهلال لأنها كلمة تداعب النفس بمحبوب يكتنفه الغموض كثرة، وقلة، وبعداً، وقرباً، كما أنها في صيغة التفضيل تزيد تشوف النفس لمعرفة ما تسفر عنه، وإضافتها للصحابة ترجع على سامع الخبر بالنظر في رفقته، وتخصيص الأربعة؛ لأنه عدد تتحقق به الحاجة، ويؤمن به من العطب، قال الغزالي: المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه، وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بلا رفيق فلا فيخلو عن ضيق القلب لفقد الأنيس، ولو تردد اثنان كان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦١١، والترمذي ١٥٥٥ ولفظهما سواء. وصحّحه ابن خزيمة ٢٥٣٨، وابن حبان، الإحسان ٤٧١٧، وقال الحاكم ٤٤٣/١: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الترمذي: حديث غريبٌ لا يسنده كبير أحد، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام ٤٨٤/٣: فعلته إذن عنده الاختلاف فيه بالإيناد والإرسال، وذلك غير قادحٌ في نظر غيره، فالحديثُ صحيح.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ح ب).

(٣) المرجع السابق في (س ر ى).

الحذر، وعن ضيق القلب فإذا ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود، والخامس زيادة بعد الحاجة، واختيار التعبير بالسرية؛ لأنها تضم خلاصة العسكر، وخيارهم من الشيء السري النفيس سموا بذلك، لأنهم ينفذون سرا وخفية، والسر في العدد أربعمائة، أنه الأنسب لتحقيق غاية السرية من ناحية سهولة الحركة، وسرعتها مع تحقيق الحماية، والأمان، وتحقيق الظفر، وكذلك في الجيش كان اختيار العدد مناسباً لتحقيق الغرض من حيث كثرة العدد، وإمكان السيطرة، واتحاد الهجمة، وتناسق العمل في المعركة، وتحقيق الغلبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان خير الصحابة وخير السرايا وخير الجيوش.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ أنه لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والنفي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان خير الصحابة وخير السرايا وخير الجيوش:

هذا واضح من الحديث، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه: ذكر الأخبار عن وصَفْ خير الجيوش والصحابة[1].

وقال النووي: (والمراد بالصحابة هنا المتصاحبون)[2] وقد بوّب أبو داود على هذا الحديث: باب فيما يستحب من الجيوش والرفقاء والسرايا[3].

قال الغزالي: (وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد، لابد أن يكون له فائدة، والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج إلى حفظه، وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحداً، فيتردد في السفر بلا رفيق، فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق، ولو تردد في الحاجة اثنان لكن الحافظ للرحل واحداً، فلا يخلو أيضاً عن الخطر وعن ضيق الصدر، فإذن ما

---

(١) صحيح ابن حبان ١٧/١١ رقم ٤٧١٧.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩١/٤.

(٣) الحديث ٢٦١١.

دون الأربعة لا يفي بالمقصود، وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة، فلا ينعقد بينهم الترافق، لأن الخامس زيادة بعد الحاجة، ومن يستغني عنه لا تنصرف الهمة إليه، فلا تتم المرافقة معه، نعم في كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف، ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة، وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق، لا يكلِّم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه)[1].

ونقل الطيبي القول: (يعني الرفقاء إذا كانوا أربعة خير من أن يكون ثلاثة ومرض أحدهم وأراد أن يجعل أحد رفيقيه وصيَّ نفسه، لم يكن هناك من يشهد بإمضائه إلا واحد فلا يكفي، ولو كانوا أربعة كفى شهادة اثنين، ولأن الجمع إذا كان أكثر تكون معاونة بعضهم بعضاً أتم، وفضل صلاة الجماعة أيضاً أكثر، فخمسة خير من أربعة، وكذا كل جماعة خير ممن أقل منهم لا من فوقهم)[2].

وقال شرف الحق العظيم آبادي: (قوله "وخير السرايا": جمع سرية وهي القطعة من الجيش تخرج منه تغير وترجع إليه قال النووي: قال ابن رسلان: قال إبراهيم الحربي: هي الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. قالوا: سميت بذلك لأنها تسري في الليل وتخفي ذهابها، فعيلة بمعنى فاعلة، سرى وأسرى إذا ذهب ليلاً، وضعف ابن الأثير ذلك وعبارته[3]: وهي الطائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو والجمع السرايا، سموا بذلك لأنهم كانوا خلاصة العسكر، وخيارهم من الشيء السري النفيس، وقيل: سموا بذلك لأنهم ينفذون سراً وخفية. وليس بالوجه، قال ابن رسلان: ولعل السرية إنما خصت بأربعمائة كما تقدم عن الحربي، لأن خير السرايا هي عدة أهل بدر ثلاثمائة وبضعة عشر- فعلى هذا خير السرايا من ثلاثمائة إلى الأربعمائة، ومن أربعمائة إلى خمسمائة قاله العلقمي)[4].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢/١٠٩٨-١٠٩٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٧/٣٣٩-٣٤٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ى).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١١٩.

وقال الطيبي: (جميع قرائن الحديث دائرة على الأربع، واثنا عشر ضعف أربع، ولعل الإشارة بذلك إلى الشدة والقوة، واشتداد ظهرانيهم تشبيهاً بأركان البناء)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (صرح الشافعية بأن أكثر السرية: أربعمائة، أو خمسمائة، وأقلها مائة.

واستدلوا بحديث: "خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربع مائة، وخير الجيوش أربعة آلاف، ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة).

وقال محمد بن الحسن: إنه لا بأس أن يبعث الإمام الرجل الواحد سرية، أو الاثنين أو الثلاثة، حسب الحاجة، وقال: لم يرد النبي ﷺ بالأربعمائة أن ما دونها لا يكون سرية، إنما كان مراده ﷺ: أنهم إذا بلغوا أربع مائة فالظاهر من حالهم أنهم لا يرجعون من بلاد العدو قبل نيل المراد، بدليل أن النبي ﷺ: ((بعث حذيفة بن اليمان في أيام الخندق سرية وحده))[٢]. "وبعث عبدالله بن أنيس سرية وحده"، و"بعث دحية الكلبي سرية وحده". و"بعث ابن مسعود وخباباً سرية")[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ انه لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة".

قال شرف الحق العظيم آبادي: (قوله "ولن يُغلب" بصيغة المجهول أي لن يصير مغلوباً "من قلة": معناه أنهم لو صاروا مغلوبين لم يكن للقلة، بل لأمر آخر كالعجب بكثرة العدد والعُدد وغيره، قال العلقمي: أي إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفاً لن يغلب من جهة قلة العدد، قال ابن رسلان: زاد أبو يعلى الموصلي: "إذا صبروا واتقوا"[٤] وكذا زاد ابن عساكر، وزاد العسكري: "وخير الطلائع أربعون" بل يكون الغلب من سبب آخر

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٤٠/٧، وانظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٢٥/١.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٤٩/٢٤ ومصادرها ومراجعها.

(٤) قُلت: رواه ابن حبان من طريق أبي يعلى لكن ليس فيه هذه الزيادة، صحيح ابن حبان ٤٧١٧.

كالعجب بكثرة العدد، وبما زين لهم الشيطان من أنفسهم، من قدرتهم على الحرب وشجاعتهم وقوتهم ونحو ذلك، ألا ترى إلى وقعة حنين، فإن المسلمين كان عدتهم فيها اثني عشر ألفاً أو قريباً منها، فأعجبهم كثرتهم واعتمدوا عليها، وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة، فغلبوا عند ذلك، واستدل بهذا الحديث على أن عدد المسلمين إذا بلغ اثني عشر ألفاً، أنه يحرم الانصراف وإن زاد الكفار على مثليهم، قال القرطبي[1]: وهو مذهب جمهور العلماء لأنهم جعلوا هذا مخصصاً للآية الكريمة[2] انتهى كلام ابن رسلان ملخصاً)[3].

وقال الطيبي: (وإنما لم يكونوا قليلين، والأعداء مما لا تعد وتحصى، لأن كل واحد من هذه الأثلاث جيش إذا قوبل بالميمنة أو الميسرة أو القلب فيكفيها، ولأن الجيش الكثير، المقاتلة منهم بعضهم، وهؤلاء مقاتلون)[4].

جاء في الموسوعةالفقهية: (وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن التولي يوم الزحف وهو الفرار من قتال الكفار حرام، فلا يجوز للمسلم الذي حضر صف القتال أن ينصرف إذا التقى الجمعان وتدانى الصفان، لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[5] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[6] نهى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨٢/٧/٤.

(٢) وهي وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١١٩-١١٢٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٤٠/٧.

(٥) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

الله تعالى في الآيتين الأوليين -في الذكر هنا- عن الفرار من الكفار، وأمر في الآية الأخيرة بالثبات عند قتالهم، فالتقى الأمر والنهي على سواء، وهذا تأكيد على الوقوف للعدو والتجلد له.

وإنما يحرم الفرار والتولي. إذا لم يزد الكفار على مثلي عدد المسلمين، لقول الله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].

فإن زاد الكفار على مثلي المسلمين لم يحرم الفرار، والصبر أحسن، فقد وقف جيش مؤتة وهم ثلاثة آلاف في مقابلة مائتي ألف.

واعتبر الشافعية وجمهور المالكية في تحريم الفرار العدد لا القوة والعدة، وذهب ابن الماجشون -من المالكية- وهو ما مال إليه القليوبي من الشافعية إلى اعتبار العدة والقوة، فيجوز عندهما انصراف مائة منا ضعفاء عن مائتين إلا واحداً أقوياء، أو مائة فارس من مائة فارس، إذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم.

وعلى قول الجمهور لا يحل فرار مائة مثلاً إلا مما زاد على المائتين.

وزاد المالكية حالة أخرى يحرم فيها الفرار، وهي ما إذا بلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، فإن بلغوا هذا العدد لم يحل لهم الفرار، وإن زاد عدد الكفار على المثلين، لقول النبي ﷺ: "... ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة" فإن أكثر أهل العلم خصصوا هذا العدد بهذا الحديث من عموم الآية.

وقال المالكية: إنما يحرم الفرار إذا بلغوا اثني عشر ألفاً ما لم تختلف كلمتهم، وما لم يكن العدو بمحل مدده ولا مدد للمسلمين، وإلا جاز، وقد قيد بعضهم محلّ الحرمة أيضاً: فيما إذا كان في الاثني عشر نكاية للعدو، فإن لم يكن فيهم ذلك وظن المسلمون أن الكفار يقتلونهم جاز الفرار.

وقال ابن عابدين: لا ينبغي للمسلمين أن يفروا إذا كانوا اثني عشر ألفاً وإن كان العدو أكثر، لقوله ﷺ: "لن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة"... والحاصل: أنه إذا غلب

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٦.

على ظنه أنه يُغلب لا بأس بأن يفر، ولا بأس للواحد إذا لم يكن معه سلاح أن يفر من اثنين لهما سلاح، ويكره للواحد القوي أن يفر من الكافِرَين، والمائة من المائتين في قول محمد، ولا بأس أن يفر الواحد من الثلاثة والمائة من الثلاثمائة[1].

واستثنى من الحكم بتحريم التولي عند الزحف - بنص الآية الكريمة- المتحرف لقتال وهو: الذي يظهر الهزيمة وينصرف ليتبعه العدو فيكمن ويهجم عليه فيقتله، أو ينصرف من مضيق ليتبعه العدو إلى متسع سهل للقتال... وذلك من مكايد الحرب وفنون القتال فلا وزر فيه ولا حرمة.

وكذلك استثنت الآية من تحريم التولي عند الزحف المتحيز إلى فئة، وهو: الذي ينصرف عن العدو بنية الذهاب إلى فئة يستنجد ويستعين بها على القتال، ولا حرمة على من ينصرف بنية التحيز.

واشترط المالكية لجواز التحرف أو التحيز: كون المتحرف أو المتحيز غير أمير الجيش والإمام، وأما هما فليس لهما التحرف ولا التحيز لحصول الخلل والمفسدة به.

وزاد الشافعية إلى المتحرف والمتحيز، مَنْ عجز بمرض ونحوه فإن له الانصراف بكل حال.

والفرار -التولي- المحرم كبيرة موبقة بظاهر القرآن الكريم وإجماع الأكثر من الأئمة لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات...))[2] وفيه "والتولي يوم الزحف" وهي كبيرة تكفرها التوبة بعفو الله تعالى ومشيئته).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والنفي:

أما الترغيب فهو وصف الأصحاب إذا كان عددهم أربعة، ووصف السرية إذا كانت أربعمائة، ووصف الجيش إذا كان عدده أربعة آلاف، ووصف ذلك كله بأنه خير، والوصف بهذا ترغيب للمدعوين أن يمتثلوا ويفعلوا لينالوا هذا الخير، ويكونوا

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٢٤/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ٨٩.

موصوفين بالخيرية، ولاشك أن كل نفس بشرية تميل إلى الاتصاف بأنها خيرية، وأنها تفعل الخير وتأتيه.

أما النفي فقوله ﷺ "ولن يغلب اثنا عشر ألف من قلة" وهذا النفي أفاد تقرير حقيقة، يعمل المدعوون في ضوئها ملتزمين بها وخاضعين لها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على غرس روح الجماعة والتآلف:

لقد جعل الله في الاجتماع القوة والعزة والمنعة والبركة وجعل في التفرق الوهن والضعف وتسلط الأعداء ونزع البركة[1].

ومن شواهد غرس روح الجماعة من أحاديث الباب ما جاء في إرشاده ﷺ إلى التماس الصحبة في السفر وبيّن ﷺ أنه كلما زاد عدد الجماعة زادت الخيرية والأفضلية، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايا أرْبَعُمَائَةٍ، وخَيْرُ الْجُيُوشِ أرْبَعَةُ آلافٍ، ولا يُغلَبُ اثنا عشَرَ ألفاً مِنْ قِلةٍ»، وحذر من الوحدة خاصة في الأسفار، فقال ﷺ: «لو يعلمُ الناسُ ما في الوَحْدَةِ ما أعلمُ؛ ما سارَ راكبٌ بليلٍ وحْدَهُ».

لقد جاءت النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف ومواقفهم مؤكدة على أهمية الجماعة وإيجابياتها العالية، مما يستوجب الحرص عليها، وإن المبادئ والعبادات الإسلامية تعمل على تأصيل روح الجماعة في نفوس الأفراد، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2].

لذا كان من الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية غرس روح الجماعة والتآلف لأهمية ذلك في الوقاية من الفتن وغوائلها والتحذير من الفرقة والاختلاف.

ولو أننا تتبعنا أحكام الإسلام ومبادئه لرأيناها مبنية على هذا الأصل فكثير من العبادات تقوم على الاجتماع والترابط والتكافل، وكثير من البيوع والمعاملات المحرمة إنما حرمت لحسم مادة الفرقة والاختلاف والشحناء والبغضاء بين المسلمين.

إن التربية على الوحدة ونبذ الفرقة من أكبر المنجيات، وهي العواصم من قواصم

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٤٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

الفتن والشرور، وما نمت بذور الفتن إلا في أرض الفرقة والاختلاف، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك، فإن أردنا السلامة من الفتن وشرورها فلنكن عوامل بناء وتأليف وجمع لكلمة المسلمين، ولنحذر من أن نكون عوامل هدم وتفريق بين المؤمنين، وما فرح الشيطان وأولياؤه من الجن والإنس بشيء أشد من فرحهم بالفرقة والتحريش بين المسلمين لأنها فرصتهم الثمينة في نشر ما يريدونه من الشرور والفساد، بل فرصتهم لا تعوض في بسط نفوذهم على بلاد المسلمين وديارهم[1].

ثانياً- التربية بالتحذير:

تعمل التربية الإسلامية على حماية المسلم من كل خطر يهدده أو ضرر يمكن أن يلحق به، ومن هنا جاءت الأساليب التربوية لتحقيق تلك الغايات، ومن بين هذه الأساليب التربوية: التربية بالتحذير، وفي أحاديث الباب تربية نبوية بالتحذير من خطر الوحدة والانفراد، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «لو يعلمُ الناسُ ما في الوَحْدَةِ ما أعلمُ؛ ما سارَ راكبٌ بليلٍ وحْدَهُ».

ذلك لما في الوحدة من مخاطر لاسيما إذا كان الإنسان في سفر، فقد يسبب الانفراد والوحدة أضراراً دينية ودنيوية، فقد يكون الإنسان في بعض الأوقات في أمسِّ الحاجة لمن يوقظه مثلاً للصلاة، ويعينه ويقضي حاجته إن أَلَمَّ به مرض أو ما شابهه.

إن أسلوب التحذير أسلوب تربوي أصيل ورد استعماله في كثير من آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ومن أمثلة ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾[2].

وقد حرص النبي ﷺ على تربية أصحابه رضي الله عنهم من خلال تحذيرهم من التفرق وعدم الاجتماع، نظراً للآثار السلبية المترتبة على ذلك.

ثالثاً- التربية على القيادة وتقوية المهارات القيادية:

إن من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية أنها تربية إيجابية هادفة بناءة تعمل على

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٣/٥٥٤-٥٥٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

تفعيل الطاقات وإبراز المواهب، وتفعيل المشاركات وتنمية روح العمل الجماعي، والتدريب على تحمل المسؤوليات والقيادة.

وذلك على جميع المستويات والأحوال، إذ أن القيادة واكتساب مهاراتها لا تقتصر على تولي المناصب العليا كالجيش والإمارة والقضاء وما شاكل ذلك، وإنما هي أسلوب حياتي ينبغي أن يُضفي على كل جماعة وحتى وإن كانت أقل الجماعات كثلاثة نفر في سفر، كما أرشدت إلى ذلك أحاديث الباب ومنها حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ». ففي ذلك تربية على النظام وتحديد المسئوليات وتوزيعها على أفراد المجموعة ومنها مسئولية القيادة التي تُوكلها المجموعة إلى واحد منها.

لذا فإن على المربي الاعتناء بتحقيق وغرس القيادة في نفوس المتربين وتنميتها ومن وسائل ذلك:

أ- الاعتناء باختيار العناصر التي تملك السمات القيادية والحرص عليها.

ب- الاعتناء بإبراز السمات القيادية أمام المتربين وبيانها.

ج- الاعتناء بإبراز النماذج القيادية في سِيَر السلف ودراستها.

د- إتاحة فرص عملية لممارسة المهمات القيادية من خلال الأنشطة التربوية وغيرها[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٣٤.

١٦٨- باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السُّرَى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها وأمر من قصّر في حقها بالقيام بحقها وجواز الإرداف عَلَى الدابة إذا كانت تطيق ذلك

الحديث رقم (٩٦٣)

٩٦٣- عن أَبي هُريرةَ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الخِصْبِ، فَأَعْطُوا الإبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الجدْبِ[1]، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ)) رواه مسلم[2].

معنى: " أعطُوا الإبل حظها من الأرض": أي: ارْفقُوا بها في السير لترعى في حال سيرها. وقوله: "نِقْيَها" هو بكسر النون، وإسكان القاف، والياء المثناة من تحت، وهو: المخ، معناه: أسرعوا بها حتى تصلوا المقصد قبل أن يذهب مخها من ضَنك السير، و"التَّعْرِيسُ": النزول في الليل.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الهوام: حشرات ودواب الأرض من ذوات السموم[3].

الشرح الأدبي

مَعنَى ((أَعْطُوا الإبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ)) أيْ: ارْفُقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ

---

(١) لفظ مسلم: (السنة) والمثبت لفظ أبي داود ٢٥٦٩.

(٢) برقم ١٩٢٦/١٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٧١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٧.

سَيرِهَا، وَقوله: ((نِقْيَهَا)) هُوَ بكسر النون وإسكان القاف وبالياء المثناة من تَحْت وَهُوَ: المُخُّ، معناه: أسْرِعُوا بهَا حَتَّى تَصِلُوا المَقصِدَ قَبْلَ أنْ يَذْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْك السَّيْرِ. وَ((التَّعْرِيسُ)): النُزولُ في اللَّيلِ.

تتجلى من ثنايا بلاغة الرسول ﷺ رأفته، ورحمته حتى بالحيوان، فهو يستشعر رغباتها، ويراعي حالتها، ويرفق بها، وأسلوب الشرط دليل على ذلك لأنه يعطي التوجيه النبوي إطراداً عبر الزمان، والمكان، ويجعله عادة لكل من سافر في الخصب أن يعطي فرصة للإبل أن ترعى مما حولها، وقول الرسول ﷺ (فَأعْطُوا الإبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ) كناية عن تركها ترعى من العشب التي تسير فيه، والتعبير بالحظ يشعر بالخصوصية، ويوحي بأحقيتها فيه، والطباق بين الخصب، والجدب يضع حلولاً لمشاكل السير، وفن المحافظة على الركائب التي هي وسيلة الانتقال، وقوله (فأسرعوا عليها السير) تقابل جملة (فَأعْطُوا الإبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ) لأن السرعة في الجدب تعيدها إلى الخصب لترعى، أو لموطنها فترتاح، وقوله (وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا) التعبير بالمبادرة يوحي بخطر الفوت، والعبارة كناية عن أخذها وقت نشاطها، ورعايتها بما لا يفسد حالها، وقوله (وَإِذَا عَرَّسْتُمْ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ) أسلوب شرط يعلمنا قواعد السير، واحترام الناس، وقوله (عرستم) يوحي بطول الإقامة التي تعيق حركة السير، وقوله (فاجتنوا) أمر أريد به النهي عن النزول في الطرقات، وقد علل له بقوله (فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ) حتى يحقق الإقناع القلبي بعد الاقتناع العقلي بلزوم إتباع توجيه النبي ﷺ، والتعبير بالهوام يوحي بالرهبة لما فيه من إبهام النوع، وخطورته، والجهل بمكانه الذي يظهر منه، وزمانه مما يبقي الإنسان في حيرة، وقلق، ثم إن التعبير بالمأوى يشير إلى التجمع، وتجمع المؤذي مع العجز عن تجنبه بسبب الجهل بمصدره، وطبيعته، ووقته يزيد خطره مما يوجه إلى تجنبه.

فقه الحديث

السنة أن يراعي مصلحة الدابة:

قال النووي: (السنة أن يراعي مصلحة الدابة في المرعى والسرعة، والتأني بحسب الأرفق بها)[1].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٣/٥ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: مراعاة مصلحة الدواب في السير والرفق بها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: عدم النوم ليلاً في الطريق.

رابعاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه مصلحتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل:

هذا واضح من الحديث، فقد استخدم النبي ﷺ أداة الشرط "إذا" وهذا الشرط يُرتب طلباً على فعل، وذلك ليلتزم المدعو بذلك إن وقع منه هذا الفعل، أما التعليل فقوله ﷺ: "فإنها مأوى الهوام بالليل" بعد قوله: "إذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق" ولاشك أن هذا التعليل يزيد المدعو امتثالاً فوق امتثال؛ لمعرفته علة الطلب وسببه.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: مراعاة مصلحة الدواب في السير والرفق بها:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذ سافرتم في الجدب فأسرعوا عليها السَّيْر، وبادروا بها نقيها".

قال ابن العربي: (فيه الحضّ على الرفق بالدواب، فلها حق الحيوانية التي تشارك فيها الآدمية، ولها على الناس حق الكفاية، لما تحمل عنهم من المؤن، وتبلّغهم من الآمال، وتجلب إليهم من الفوائد)[1].

وقال أبو العباس القرطبي: (أي ارفقوا بها في الرعي حتى تأخذ منه ما يمسك قواها ويرد شهوتها، ولا تعجلوها فتمنعوها المرعى مع وجوده، فيجتمع عليها ضعف القوى مع ألم كسر شهوتها... وإنما أمر بالإسراع بها في الجدب لتقرب مدة سفرها، فتبقى قوتها الأولى، فإنه إن رفق بها طال سفرها، فهزلت وضعفت. إذ لا تجد مرعىً تتقوى به)[2].

وقال النووي: (ومعنى الحديث: الحث على الرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، فإن

---

(١) القبس شرح الموطأ ٢٣/٣٠٦-٣٠٧، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٦٥.

سافروا في الخصب قللوا السير وتركوها ترعى في بعض النهار وفي أثناء السير، فتأخذ حظها من الأرض، بما ترعاه منها، وإن سافروا في القحط عجلوا السير ليصلوا المقصد وفيها بقية من قوتها، ولا يقللوا السير فيلحقها الضرر، لأنها لا تجد ما ترعى فتضعف ويذهب نقيها وربما كلت ووقفت، وقد جاء في أول هذا الحديث في رواية مالك في الموطأ[1] ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ))[2].

قال ابن عبد البر: (والرفق المذكور في الحديث، أشير به إلى الرفق بالدواب في الأسفار، وأمر المسافر في الخصب بأن يمشي رويداً ومهلاً، ويكثر النزول لترعى دابته، وتأكل من الكلأ وتنال من الحشيش والماء، هذا كله إذا كانت الأرض مخصبة والسفر بعيداً، فإذا كان عام السنة وأجدبت الأرض، فالسنة للمسافر أن يسرع السير ويسعى في الخروج عنها، ... والنقي في كلام العرب الشحم والودك)[3].

وقال الطيبي: (وإنما أثبت لها الحق؛ لأن الله تعالى أنزل من السماء ماءً فأخرج الكلأ والعشب لرعيها، فلا ينبغي أن يهضم حقها منها. وأن المخ أيضاً من حقها، بخلاف اللحم فإن السير سواء كان في الخصب أو في القحط ينقص من اللحم، فإذا كان المخ الذي منه القوة وعليه قيامها باقياً، لا يتطرق إليها ما ينقص من حقها، وفي إذهابه الظلم)[4].

وقال الغزالي عن آداب السفر: (التاسع: أن يرفق بالدابة إن كان راكباً، فلا يحملها ما لا تطيق، ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم، وتتأذى به الدابة، كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة)[5].

فعلى المسافر خلال سفره، أن يراعي شؤون وسائل المواصلات التي يركبها إن

---

(١) الموطأ ٤١٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٥/١٣/٧، .

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٠٨/٢٣ موسوعة شروح الموطأ.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٣/٧.

(٥) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١١٠٣/٢.

كانت ملكه أو في عهدته، ويتفقد أحوالها، وما تحتاج إليه من تغيير وتبديل باستمرار حتى يمكنه السير دون حدوث أية مشكلات أو أعطال، قد تؤخره وتؤخر من يحملهم معه فيها، وذلك لأن إهمال هذه الوسيلة يكون مسؤولية، وخاصة إذا كانت لنقل الناس من منطقة إلى أخرى وبأجر معلوم، فأي حادث يقع جراء إهمال فيها يعرض صاحبها إلى المسؤولية أمام الله تعالى وأمام الناس.

لذا عليه دائماً أن يتعهدها ويتفقد أحوالها باستمرار، هذا إذا كانت ملكاً خاصاً، أما إذا كانت ملكاً للدولة أو لشركات كبرى، كالطائرات والقطارات والسفن وغيرها من وسائل النقل، فإن مسؤولية صيانتها وتعهدها وتفقدها ترجع إلى الجهات المباشرة لها والمسؤولين عنها، وهم المسؤولون أمام الله تعالى وأمام الناس عن ذلك.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: عدم النوم ليلاً في الطريق:

هذا واضح من قوله ﷺ: "وإذا عرستم فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب، ومأوى الهوام بالليل". قال ابن العربي: (ذكر النهي عن التعريس في الطريق، فإن فيه مضرة الآدمي ومضرة الحيوانات، فإنها سبيل الكل)[1].

قال النووي: (هذا أدب من آداب السير والنزول، أرشد إليه ﷺ، لأن الحشرات ودواب الأرض من ذوات السموم والسباع تمشي في الليل على الطرق، لسهولتها ولأنها تلتقط منها ما يسقط من مأكول ونحوه، وما تجد فيها من رمة ونحوها، فإذا عرس الإنسان في الطريق ربما مر به منها ما يؤذيه، فينبغي أن يتباعد عن الطريق)[2].

وقال ابن عثيمين: (كذلك أمر ﷺ أننا إذا عرسنا - نزلنا-ليلاً لنستريح وننام فإننا لا ننام في الطريق، يعني في الجادة لأنها طرق البهائم، الناس يستطرقون هذا الطريق فربما يأتي إنسان غافل فيقع في هذا الطريق[3]، كذلك هي أيضاً مأوى الهوام في هذه الطرق. فلهذا أمر النبي ﷺ ألا ننام في الطرقات بل نرتفع عنها، حتى لا يحرج

---

(١) القبس شرح الموطأ ٣٠٧/٢٣ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٥/١٣/٧، .

(٣) أي: يقع في هذا الطريق حادث، قد يؤدي إلى إضرار تذهب في بعض الأحيان بالأرواح والأموال.

السائرين على الطريق، وحتى لا نتعرض لأذى الهوام. ومثل ذلك -بل من باب أولى- طرق سيارات اليوم، فإن الإنسان يبتعد عنها، لأنه ربما يأتي سائق ينعس ولو لحظة فيقتحم بسيارته هؤلاء الذين ينامون على الطريق، وتحدث كارثة، فابعد عن هذه الطرق السريعة لا تنم حولها حتى لا تقع في الخطر، وهذا من إرشاد النبي ﷺ)[1].

رابعاً- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه مصلحتهم:

لقد بعث الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، فلم يترك خيراً إلا ودلّ المدعوين عليه، ولم يترك شراً إلا وحذرهم منه، وفي الحديث الذي معنا أرشد النبي ﷺ إلى أمرين مهمين، الأول الرفق بالحيوان في السير ومراعاة مصلحته في ذلك، فلا يكلفه ما لا يطيق، لأن في ذلك أذية للحيوان، كما أن فيه إذهاباً لبعض الأموال، والإسلام جاء بحفظ المال وحمايته، الثاني أرشد النبي ﷺ المدعوين إلى عدم النوم ليلاً في الطريق، لما في ذلك من مضرة تلحق الآدمي والحيوان، والإسلام جاء بنفي الضرر، كل هذا دفع القرطبي في المفهم إلى أن يقول: (وهذه الأوامر من باب الإرشاد إلى المصالح والندب إليها)[2]، والخلاصة أن النبي ﷺ جاء برعاية مصالح الإنسان والحيوان، قال العز بن عبدالسلام عن الإحسان إلى الدواب المملوكة: (وذلك بعلفها أو رعيها بقدر ما تحتاج إليه، وبالرفق في تحميلها ومسيرها، فلا يكلفها من ذلك ما لا تقدر عليه، وبأن لا يحلب من ألبانها إلا ما فضل عن أولادها، وأن يهنأ جرباها[3] ويداوي مرضاها، وإن ذبحها: بأن يحد شفرته، ويسرع جرّته، مع إضجاعها برفق، وأن لا يتعرض لها بعد ذبحها حتى تبرد، وإن كان بعضها يؤذي بعضاً بنطح أو غيره، فليفرق بينها وبين ما يؤذيها)[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٢١٧-١٢١٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٧٦٥.

(٣) أي يعالج جرب إبله بالقطران. يقال: هنأت البعير أهنؤه: إذا طليته بالهناء، وهو القطران. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ن أ).

(٤) شجرة المعارف والأحوال ١٦١.

والمقصود أن يقتدي الداعية برسول الله ﷺ الذي دلّ أمته على كل خير، وحذر أمته من كل شر، فيبذل جهده وطاقته في أن يبين للمدعوين ما فيه مصلحتهم، ويدلهم على ما فيه نفعهم وصلاحهم في نفوسهم وأولادهم وأهليهم ومجتمعهم وأموالهم، لأن الله سبحانه وتعالى أقامه مقام الناصح الشفيق، فهو كالقمر في ليلة التمام، يملأ الأرض والسماء ضياءً ونوراً.

الحديث رقم (٩٦٤)

٩٦٤- وعن أبي قتادة ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر، فعرَّس بليلٍ اضطجع على يمينه، وإذا عرَّس قُبيل الصُّبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفِّه. رواه مسلم[1].

قال العلماء: إنَّما نصب ذراعه لئلاَّ يستغرق في النَّوم، فتفوت صلاة الصُّبح عن وقتها أو عن أوَّل وقتها.

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

عرَّس: أقام[2].

الشرح الأدبي

أسلوب الحديث قصصي يتتبع فيه الراوي بعد عادات الرسول ﷺ في سفره، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط الذي يربط الجزاء بالفعل، مما يدل على أنه عادة، ثم إن استخدام (كان) يؤكد ذلك مع تكرارها عند استئناف الشرط الثاني الذي يؤكد أنها كانت عادته في النزول في الليل (فعرَّس بليلٍ اضطجع) كناية عن النوم، وقوله (بليل) توكيد للتعريس، لأن معناه النزول ليلاً، فذكره الليل للتوكيد، وقوله (وإذا عرَّس قُبيل الصُّبح نصب ذراعه، ووضع رأسه على كفِّه) أسلوب شرط يربط التعريس قبيل الصبح بنصب الذراع ووضع الرأس على الكتف، وهذه الحالة توحي بعدم الاستغراق في النوم لئلاَّ يستغرق في النَّوم، فتفوت صلاة الصُّبح عن وقتها أو عن أوَّل وقتها.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة في كيفية نوم المسافر ما رواه أبو قتادة ﷺ قال: "كان رسول

---

(١) برقم ٦٨٣/٣١٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ع ر س).

الله ﷺ إذا كان في سفر فعرّس بليل اضطجع على يمينه، وإذا عرّس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه". قال العلماء: نصب الذراعين؛ لئلا يستغرق في النوم فتفوت صلاة الصبح أو أول وقتها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اختلاف هيئة النوم باختلاف قرب وقت الصلاة وبعده.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة.

رابعاً: من آداب المدعو: عدم الإخلاد إلى الراحة لئلا تفوته الصلوات والطاعات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اختلاف هيئة النوم باختلاف قرب وقت الصلاة وبعده:

هذا واضح من الحديث، قال النووي في المجموع: (السنة في كيفية نوم المسافر ما رواه أبو قتادة ... فذكر الحديث. ثم قال: قال العلماء: نصب الذراعين لئلا يستغرق في النوم فتفوت صلاة الصبح أو أول وقتها)[2].

وقال ابن عثيمين: (وكان من هديه ﷺ أنه إذا عرّس في أول الليل اضطجع على يمينه، وإذا عرس قبيل الفجر اتكأ على يده اليسرى، لأنه إذا كان أول الليل ينام على اليمين ليعطي النفس حظها من النوم، ولهذا كان ﷺ في بيته إذا نام ينام على الجنب الأيمن بل أمر بذلك[3]. أما إذا كان قبيل الفجر فكان ينصب ذراعه ﷺ وينام على يده لئلا يستغرق في النوم فتفوته صلاة الفجر، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان أيضاً يعطي نفسه حظها من الراحة، ولا ينسى عبادة ربه، ففي أول الليل يمكنه أن ينام ويشبع قبل الفجر ثم يقوم، أما في آخر الليل فإنه لا ينام نومة المطمئن، بل نومة المستيقظ الذي لا يستغرق في النوم لئلا تفوته صلاة الفجر، وفي هذا دليل على أن

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٧/٤ .

(٢) المرجع السابق ١٩٧/٤.

(٣) هو حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن..." أخرجه البخاري ٢٤٧ ومسلم ٢٧١٠.

الإنسان ينبغي له أن يستعمل المنبّه في النوم ينبهه حتى لا تفوته الصلاة، فإنَّ نصب الرسول ﷺ ذراعه من أجل أن ينتبه، كذلك الإنسان ينبغي أن يجعل معه منبهاً للصلاة، فهذا من آداب السفر التي دلّ عليها خير البشر ﷺ)[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من استخدام الصحابي لفظ "كان" ليخبر عن فعل من أفعال النبي ﷺ في السفر، حتى يُعلم المدعوين بذلك، فيقتدوا به ﷺ وينهجوا نهجه فهو قدوتهم وأسوتهم.

قال د. يوسف القرضاوي: (ومن حسن قدر المسلمين أن الله جعل لهم قدوة يقتدون بها، تتجسد فيها مكارم الأخلاق التامة، التي أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه، وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أثنى الله عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]... ولا يوجد امرؤ من الناس إلا وجد في سيرته ﷺ الشاملة الجامعة ما يأخذ منه الأسوة والهدي الأكمل، يستوي في ذلك الشاب والشيخ والعزب والمتزوج والغني والفقير والحاكم والمحكوم والمسالم والمحارب، ولا يعرف من اجتمعت له هذه الأوصاف إلا محمد ﷺ فشمول سيرته مكافئ لشمول رسالته)[4].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على المحافظة على الصلاة:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ وحرصه على ألا تفوته صلاة الصبح، قال ابن القيم: (إن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[5] أي أقم الصلاة لأجل

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢١٨/٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٥) سورة طه، آية: ١٤.

ذكري... وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[١] فقيل: المعنى أنكم في الصلاة تذكرون الله وهو ذاكرٌ مَنْ ذكره، ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه، وهذا يروى عن ابن عباس وسلمان وأبي الدرداء وابن مسعود رضي الله عنهم. وذكر ابن أبي الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٢] قال: هو قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[٣] فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه، وقال ابن زيد وقتادة: معناه: ولذكر الله أكبر من كل شيء. وقيل لسلمان: أي الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤] ويشهد لهذا حديث أبي الدرداء: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق" الحديث[٥].

وكان ابن تيمية يقول: (الصحيح أن معنى الآية: إن الصلاة فيها مقصودان عظيمان: وأحدهما أعظم من الآخر، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر)[٦].

وقال عائض القرني عن أهمية صلاة الفجر: (معيار صلاح الناس وقيامهم بالدين صلاة الفجر جماعة، لأنها في وقت راحة بعد سهر، وإذا أردت أن تعرف الناس في حيِّك فراقبهم في صلاة الفجر، ومما رأيناه وعشناه تخلف الكثير عن صلاة الفجر مع عدم المبالاة والندم على ما حصل، وما ذاك إلا لموت القلوب، وقضية دعوى التدين والتقوى

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٥) وتمامه قول النبي ﷺ: "ذكر الله تعالى" أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٤٦-٣٤٧ بتصرف يسير جدًا.

سهلة، لكن العبرة بالعمل والتطبيق، فإذا رأيت الرجل مقيماً للصلوات الخمس جماعة ورعاً في منطقه، خائفاً من ربه، نادماً على خطئه، فهذا الذي يرجى له الخير ويبشر به، أما المقصر في الصلوات، المعجب بنفسه، الغافل عن تقصيره، فدعواه مردودة عليه، ومحبته داحضة وهو من المفلسين، وقد رأينا من يظهر التدين والصلاح، فإذا حانت صلاة الفجر خذله شيطانه وهواه، ونفسه الأمَّارة بالسوء عن حضورها جماعة، فغبن في صفقته وخسر ثقة إخوانه المؤمنين، ولا تمدح لنا أحداً ولا تزكي لنا عبداً بل أعماله تمدحه وأخلاقه تزكيه، لأننا مللنا من الثناء على أناس تطبيق الإسلام عندهم باللسان، ولكن إذا حصحص الحق في حضور صلاة، وصدق في قوله، ووفاء بوعد، وقيام بواجب، فإذا الخذلان والفشل والرسوب ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1])[2].

رابعاً- من آداب المدعو: عدم الإخلاد إلى الراحة لئلا تفوته الصلوات والطاعات:

وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ عندما كان في سفر فإذا أراد النوم قبيل صلاة الفجر، نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه، ولم يضطجع على يمينه، وذلك لئلا تفوته صلاة الفجر، فترك النبي ﷺ راحته من أجل المحافظة على الصلاة، وهكذا ينبغي أن يكون شأن المدعو في حياته كلها، لأنه لو التزم ذلك لتحقق له الخير الكثير في دنياه وآخرته، يقول د. محمد أمين شحادة عن أهمية مغادرة مواطن الراحة من أجل تحقيق الأهداف: (أعني بمواطن الراحة ما ترتاح له النفس البشرية من حالات وأوضاع معينة، لا تحتاج الجهد الجسدي ولا العقلي الكبير، وكل إنسان لديه مواطن معينة يحب صرف وقته فيها، قد يكون موطن راحة الفرد أن يستلقي على ظهره وبيده جهاز التحكم بالتلفاز عن بعد، ويمضي الساعات في مشاهدة البرامج التلفزيونية منتقلاً بين محطة وأخرى، أما بالنسبة لآخر فقد يجد موطن راحته في الجلوس على الشرفة،

---

(١) سورة الصف، آية: ٣.

(٢) هكذا حدثنا الزمان ٨٩.

وقراءة المجلات السطحية، التي تتكلم عن الممثلين والممثلات، وتنقل أخباراً مثيرة عنهم، وقد يجد آخر مواطن راحته في لقاءاته مع الأصدقاء في أوقات وأماكن مختلفة، وقد يكون مواطن الراحة في كثرة النوم، ومواطن الراحة هذه منها ما هو نفسي ومنها ما هو جسدي أو كلاهما معاً.

قال هيرم سميث في كتابه "القوانين الطبيعية العشرة للفعالية في إدارة الوقت والحياة": "إن تمكنك من تحقيق أي هدف يستوجب منك مغادرة مواطن الراحة". وإن الصراع دائر بين هوى النفس الإنسانية الداعية للراحة والدعة التي تجذبه للركون للأرض، وبين الروح الإنسانية المحبة للعلياء، والنهوض بالأمانة، وبلوغ الأهداف المنشودة. والإنسان الذي كوّنه الله من مادة التراب مشدودٌ دوماً للأرض، كموطن الراحة والأمان، ومتاع الدنيا وزينتها، من المال والمعيشة المريحة في البيوت الفاخرة، والأطعمة الشهية، لكن الروح المؤمنة الربانية خلاف ذلك، إنها رامية للعلياء، تشده إلى غايات أسمى.

لكن الصعود بهذه النفس من الركون للأرض إلى العمل الجاد يحتاج الجهد الكبير، وقد يشبه ذلك وجود الإنسان في منتصف هوة عميقة تمثل موطن راحته، حيث لا يحتاج لجهد في بقائه فيها، لكن صعوده منها يحتاج لبذل الجهد والطاقة الكبيرة، وكلما بَعُد عن موطن راحته تطلب ذلك منه جهداً أكبر، وذلك كالكرة التي تتدحرج بقوة الجاذبية للأسفل، وتحتاج الجهد والدفع القوي لصعودها بالجهة المعاكسة.

وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف المهمة في حياته، يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال المهمة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها. لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبي نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبداً لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها.

لا شك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة، لكن قد يأبى الداعي النشيط إلا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم، وتحمل أذاهم أينما كانوا، مستصغراً في سبيل ذلك تعب جسده، ولا شك أن الاطمئنان على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف يعيشها وغايات ينشدها.

ومواطن الراحة قد تتلاقى مع مواطن الكسل واللهو، وذلك إذا زادت أوقات الراحة عن حدها المعقول، فهذا لا يعني الاستغناء الكامل عن اللهو والراحة، بل لابد من ساعات يستريح بها الإنسان ويروّح عن نفسه، لكن أن تتمحور الحياة بأكملها حول الراحة واللهو والكسل عن العمل، فهو لعمري ضياع للعمر والحياة، وإن ملازمة مواطن الراحة صفة خسيس الهمة وسمة النفوس الفارغة، "إنها صورة النفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواطن القداسة... والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة، تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف، وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة[1].

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ص ٤٠٦-٤٠٨ ومصادره ومراجعه.

الحديث رقم (٩٦٥)

٩٦٥- وعن أنس ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد حسن.

(الدُّلْجَةُ): السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب الأغراء يشوق النفس إلى الخبر بعده، والتعبير بالدلجة يوحي بمعان متعددة منها التبكير بأخذ الليل من أوله، ثم الاجتهاد الذي يطرد النوم، ويمنع الكسل ثم اختيار أنسب الأوقات التي تناسب العمل الذي يريد أن يؤديه، وقوله (فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ) جملة تعليلية للأمر السابق، وهي كناية عن سهولة السير، وقطع المسافات، وهو ما تؤكده كلمة (تطوى) وهو استعارة لسرعة السير، تصور الليل بعملاق يطوي بساطاً هو الأرض وصياغة الفعل في صورة المضارع تعطيه تتجدداً، واستمراراً، والتعبير بصيغة ما لم يسم فاعله تعطي الفعل أبعاداً إيحائية حيث يذهب العقل في تصور الفاعل كل مذهب، والتعبير بالأرض يوحي بعموم الطي لجميع الأرض، وليس لمسافة السير فقط، وهو مبالغة في سرعة السير ترغب فيه.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب السير في آخر الليل، لحديث أنس مرفوعًا "عليكم بالدلجة فإن الأرضى تطوى بالليل")[2].

---

(١) برقم ٢٥٧١، وصحّحه ابن خزيمة ٢٥٥٥، وقال الحاكم ٤٤٥/١: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٦٨.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٣/٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على السفر ليلاً.

ثالثاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الخير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والتعليل:

أما الأمر فقوله ﷺ "عليكم بالدُّلْجة": أي التزموا السفر بالليل، (فمن صيغ الأمر اسم فعل الأمر: وهو النائب عن الفعل، ومثاله قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[1])[2].

وأما التعليل فقوله ﷺ لبيان علة الأمر "فإن الأرض تطوى ليلاً" واجتماع الأمر والتعليل يدفع المدعو إلى الانقياد فوق الانقياد، والامتثال، فوق الامتثال والإذعان فوق الإذعان.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على السفر ليلاً:

قال العظيم آبادي: (قوله "عليكم بالدُّلْجة": بضم فسكون اسم من أدلج القوم - بتخفيف الدال - إذا ساروا أول الليل، ومنهم من جعل الإدلاج سير الليل كله. وكأنّه المعنى به في الحديث، لأنه عقبه بقوله: "فإن الأرض تطوى بالليل" بصيغة المجهول، أي تقطع بالسير في الليل)[3].

وقال ابن عبدالبر: (وأما قوله "فإن الأرض تطوى بالليل" فمعناه، والله أعلم، أن الدابة بالليل أقوى على المشي إذا كانت قد نالت قوتها واستراحت نهارها، تضاعف مشيها، ولهذا ندب إلى سير الليل، وقد كان رسول الله ﷺ يدعو لمن ودعه ((اللهُمَّ اطوِ لَه البُعْدَ، وازوِ لَه الأَرْض، وهوِّنْ عليه السفَر))[4])[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٢) تعليم أصول الفقه، د. نور الدين مختار الخادمي ص ٣٦٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٤٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٤٠).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٠٨/٢٣ موسوعة شروح الموطأ.

ونقل الطيبي القول في معنى الحديث: (يعني لا تقنعوا بالسير نهاراً بل سيروا بالليل أيضاً، فإنه يسهل بحيث يظنّ الماشي أنه سار قليلاً وقد سار كثيراً)[١].

وقال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أرشد أمته أن يسيروا في الليل وأخبر أن الأرض تطوى للمسافر إذا سافر في الليل، يعني أنه يقطع في الدلجة - الليل-ما لا يقطعه في النهار، وذلك لأن الليل وقت براد فهو أنشط للرواحل وأسرع في سيرها، ولهذا عبر النبي ﷺ عن ذلك بأنه تطوى الأرض للمسافر إذامشى في الليل)[٢].

ثالثاً- من مهام الداعية: دلالة المدعوين على الخير:

وهذا واضح من الحديث، فقد دلّ النبي ﷺ المدعوين أن يسافروا بالليل، لأنه أسرع في قطع السفر، فكان في ذلك خيرًا لهم، وقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))[٣].

قال الدكتور القرضاوي: (ومن مظاهر السلوك الحضاري ما طلبه الإسلام من المسلم أن يقوم به في كل يوم من فعل الخيرات، ومن خدمات يقدمها للمجتمع طائعاً مختاراً، تقوية للضعيف وتعليماً للجاهل وإرشاداً للحائر، وإعانة للعاجز وإغاثة للملهوف كما قال تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤] الإسلام يجعل من المسلم نبعاً دفاقاً يفيض بالخير والنفع لكل من حوله وما حوله، لا يبخل بمال ولا يضن بجهد ولا وقت، مؤدياً لشكر نعمة الله تعالى عليه، قائماً بحق الأخوة التي تربطه بالمجتمع، والتي جعلها الله تعالى عنوان الإيمان حين قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾[٥])[٦].

ولذلك حضّ الإسلام على المسابقة إلى الخيرات، فقال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣٨/٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢١٩/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٦) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ٢٦٧-٢٦٨.

فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[٢].

(لقد جاء الحض على المسابقة بالخيرات في كتاب الله، لكنَّ فاعلية تلك الأعمال تتباين بحسب ديمومتها من المنطلق الزمني ومدى نفعها، فكلما حققت الأعمال والأهداف نفعاً أدوم، وبلغت المنفعة قاعدة أوسع، كانت محل خيرية وفاعلية أكبر.

نرى في كتاب الله أن التركيز جليٌّ على فاعلية العمل المتمثل في نشاط الإنسان في حياته الدنيا، على أن يكون أثره الخيّر ممتداً إلى الآخرة، ذلك أن حياة الجسد تنحصر في الدنيا وتتوقف قدرته على العمل عند الموت، بينما يمتد العصر الزمني لفاعلية الأعمال المكتسبة في الحياة الدنيا إلى ما بعد الموت. فبينما نرى أن من يكرِّس وقته لكسب المادة لمتعة نفسه تنتهي فاعلية وقته بالموت، أما من يكرِّس وقته في الخيرات لعامة الناس، فتبقى له هذه الأعمال رصيداً تمتد بمدى تحقيقه للفائدة كماً وكيفاً وزماناً يطول إلى يوم القيامة.

وإنَّ ميادين العمل الفعَّال الخيِّر كثيرة، أهمها فرائض الأعيان التي يعم نفعها الدنيا والآخرة، ثم تُعطى الأولوية لكل عمل له أثر طويل المدى. من ذلك: الصدقة الجارية، بحيث يوظِّف الفرد وقته وجهده وحركته في الحياة لإفادة غيره من الناس خلال حياته وبعد مماته، وهي تشمل كل مشروع يخدم الناس في معاشهم وفي أمور دينهم. وكذلك العلم النافع، وهو الاستفادة من الوقت في طلب العلم وتعليمه وتوريثه، وخاصة العلم الشرعي الذي يعود على الناس بالنفع في دنياهم وأخراهم، والذي تمتد ديمومة الانتفاع به إلى ما بعد موت صاحبه. وكذلك تربية الولد الصالح، وفي ذلك إشارة إلى تكوين أسرة كريمة وتنشئة الأولاد على خلق ودين، فإذا مات الوالدان خلفهما جيلٌ يحمل منهج الله في قلبه ويقدم الخير للبشرية، كما أنه يدعو لهما طالما أنه على قيد الحياة. وهذه الأعمال الثلاثة وردت في الحديث الشريف: ((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[٣].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٣١.

ومن فاعلية السبق بالخيرات الأعمال التي يستفيد منها عامة الناس، مؤمنين وغير مؤمنين، لتكون وسيلة لعونهم ولهدايتهم ولإنقاذهم من النار، تلك الأعمال لا تكون محدودة بسني العمر المعدودة، وإنما تبقى خالدة في نفعها إلى ما يشاء الله. وإلى هذا المعنى أشار رسول الله ﷺ في الحديث: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[1].

إذن، من حسن إدارة الوقت أن نلتفت بالدرجة الأولى إلى آثار أعمالنا على مستوى البعد الزمني حتى يبلغ أثره الآخرة، وعلى مستوى البعد المنفعي حتى يبلغ أثره عامة الناس. وهذا ما لا نجده عند الوضعيين ممن أبدعوا خططاً للاستفادة من أوقاتهم تنحصر في حدود الكسب المادي الكبير العاجل، دون النظر في مادة العمل.

وإن تحقيق الإصلاح هو الغاية من فعل الخيرات، كما أن الأعمال الموفقة لا تتحقق إلا بنية الإصلاح، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[2].

والإصلاح لفظة عامة شاملة لكل مجالات الخيرات المتحققة في الحاضر أو في المستقبل، وذلك في إصلاح الحال، وإصلاح الأهل، وإصلاح الأقارب، وإصلاح المسلمين عامة.

ويشمل الإصلاح الجانبين: المادي والمعنوي، كما يشمل الحياتين: الدنيا والآخرة، ويشمل حال الفرد والأسرة، وحال الجماعة والدولة، مما يحقق النهوض والارتقاء إلى وضع أفضل)[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٢) سورة هود، آية: ٨٨.

(٣) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحاذة، ٩٩-١٠١.

الحديث رقم (٩٦٦)

٩٦٦- وعن أَبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا[1] مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ)) فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رواه أَبُو داود[2] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أبو ثعلبة الخُشنِّي: صحابي مشهور، معروف بكنيته، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً وكذلك في اسم أبيه، قيل اسمه جُرْثُوم، وقيل جُرْهم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم وقيل: ابن لاشر.

قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهَّزُ إلى خيبر، فأسلم، وضرب له بسَهْمِهِ، وكان ممَّن شهد بيعة الرضوان وبايع تحت الشجرة، وأرسله النبي ﷺ إلى قومه فأسلموا.

وقد روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث.

وقد قال: أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، اكتب لي بأرض كذا وكذا -لأرضٍ بالشام لم يَظْهَرْ عليها النبي ﷺ حينئذٍ- فقال النبي ﷺ ((ألا تسمعون إلى ما يقول هذا؟)) فقال أبو ثَعْلبة: والذي نفسي بيده لتَظْهَرنَّ عليها. فكتب النبي ﷺ له بها[3].

وقد سكن الشام، وقيل حمص، وعاش بعد النبي ﷺ، ولم يقاتل بصفِّين مع أحد الفريقين.

قال فيه ناشرة بن سُمِيّ: ما رأينا أصدق حديثاً من أبي ثعلبة الخُشنِّي، وقال: كان

---

(١) لفظ أبي داود: (إذا نزل رسول الله ﷺ منزلاً).

(٢) برقم ٢٦٢٨، وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٢٦٩٠، وقال الحاكم ٢/١١٥: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٧٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤/١٩٤ رقم ١٧٧٣٧ من حديث مطول، وقال فيه محققو المسند: صحيح دون قصة الأرض، وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين ٢٩/٢٧٤.

لا يأتي عليه ليلة إلا خرج ينظرُ إلى السماء، فينظر كيف هي، ثم يرجع فيسجد.

وكان يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله كما أراكم تُخنقون عند الموت، فبينما هو يُصلي في جوفِ الليل، قبض وهو ساجد، فرأت ابنته في النوم أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته، فلم يُجبها، فأنبهته، فوجدته ميتاً.

نزل الشام ومات في أول إمرة معاوية، وقيل مات في إمرة يزيد وقيل إنه توفي في سنة خمس وسبعين في إمرة عبدالملك، والأول أكثر[1].

غريب الألفاظ:

الشعاب: جمع شعب وهو الطريق في الجبل أو ما انفرج بين الجبلين[2].

الأودية: جمع الوادي وهو المسيل مما بين الجبلين[3].

الشرح الأدبي

سبقت الإشارة إلى أن قول الراوي (كان كذا..) يشير إلى عادة في الفعل -غالباً-، ويؤكده استخدام أسلوب الشرط الذي يربط فعلاً بفعل يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه، وقوله (كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ) أسلوب شرط يربط النزول بالتفرق، وقوله (نزلوا منزلاً) فيه جناس يؤكد المعنى من حيث أن العقل يعتقد بادي الأمر أنه أعاد المعنى الأول نفسه فإذا به يؤسس معنى جديداً، فيكون له في

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤١٦/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٣٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٥٢٤/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٤٤١-١٤٤٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٢٦٨/٨-٢٧٠، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٠٠/٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥٦٧/٢-٥٧١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٢٥.

(٣) المرجع السابق، وانظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و دي).

نفسه فضل تمكن، وكلمة (تفرقوا) توحي بالتفرد، والانعزالية، والوحشة، وصيغة الجمع في (الشعاب - والأودية) تؤكد هذا التفرق، وتزيد البعد مما يسهل على العدو، أو قاطع الطريق، أو الوحش، أو غيرها النيل منهم، وهو موضع الخطأ بعكس المجتمعين، فإنهم يبقون قوة يحمي بعضهم بعضاً، ولذلك جاء تصحيح الرسول ﷺ لهذا الخطأ مؤكداً، ومنصباً على الخطأ مباشرة (إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هَذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ)، واستخدام الإشارة (هذه) للذم للتفرق، وأسلوب القصر بإنما يفيد قصر التفرق في الشعاب على كونه من الشيطان لا من غيره، والقصر بإنما خاصة يفيد أن كون التفرق من الشيطان أمر واضح لا يجب أن يُجهل، فكأنه تعريض بغفلتهم عن الأمر مع أهميته، والإشارة بـ (ذلكم) فيها تفخيم للأمر، وتهويل يوجب أخذه بعين الاعتبار، وقصر التفرق على الشيطان فيه تنفير من هذا الفعل، والتزام ضده، وهو الاتحاد، والتجمع، وهي خصلة يحرص عليها الإسلام بين أفراده.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب للرفقة أن ينزلوا مجتمعين ويكره تفرقهم لغير حاجة؛ لحديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تصحيح ما يقع من المدعوين من أفعالٍ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الاجتماع عند النزول في الأودية وعدم التفرق.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لما أرشد إليه النبي ﷺ.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

أولاً- من مهام الداعية: تصحيح ما يقع من المدعوين من أفعال:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لما تفرق أصحابه في الأودية: "إن تفرقكم في هذه الشعب والأودية إنما ذلكم من الشيطان".

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٧ .

ومن هذا القبيل ما رواه أبو جحيفة رضي الله عنه قال: ((آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعاماً فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ. قال: فَأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقاً، ولنفْسِكَ عليكَ حقاً ولأهلِكَ عليكَ حقاً فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ))[1].

فأقرّ النبي ﷺ سلمان على ذلك، فكان ذلك من سنته ﷺ (فالسنة النبوية تشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته... أما إقراره ﷺ أو تقريره فهو سكوته تجاه أمر شاهده أو سمعه، فيدل ذلك السكوت على موافقته على ذلك الأمر وعدم إنكاره ورفضه)[2].

قال ابن حجر: (وفيه [أي في حديث أبي جحيفة]: النصح للمسلم وتنبيه من أغفل، وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق المطلوبة أو المندوبة الراجح فعلها على فعل المستحب المذكور)[3].

والداعية بهذا التصحيح يعالج ما يقع من أفعال من المدعوين يكون فيها خطأ أو خلاف الأولى، ومن ثم لا يسمح لهذه الأفعال بأن ترسخ وتتخذ موقعها في حياة المدعوين، بل هو يقضي عليها أولاً بأول، فلا تأخذ من وقته الكثير، وإنما يصرف جهوده إلى جوانب أخرى تحتاجها الدعوة أشد الاحتياج، كمحاولة الداعية الدائمة الدائبة في الارتقاء بالمدعوين، إلى المستوى الذي يمكنه من إقامة الأهداف الكبرى، وتحقيق الغايات العظيمة التي تحملها دعوته للناس أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٨.

(٢) تعليم أصول الفقه، د. نور الدين الخادمي، ١٥٠-١٥١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢١٢/٤.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الاجتماع عند النزول في الأودية وعدم التفرق:

هذا واضح من الحديث: "إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان".

قال النووي في المجموع: (يستحب للرفقة في السفر أن ينزلوا مجتمعين، ويكره تفرقهم لغير حاجةٍ لحديث أبي ثعلبة الخشني)[1].

وقال العظيم آبادي: ("إنما ذلكم" أي تفرقكم "من الشيطان" أي ليخوف أولياء الله ويحرك أعداءه)[2].

وقال ابن عثيمين: (ومن الآداب [أي آداب السفر] أيضاً أنه ينبغي للجماعة ألا يتفرقوا إذا نزلوا منزلاً فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الأودية والشعاب فقال النبي ﷺ "إنما ذلكم من الشيطان" يعني تفرقهم. فما نزلوا بعد ذلك منزلاً إلا اجتمعوا جميعاً، لأن ذلك أقوى لهم وأحفظ، ولو تسلط عليهم عدو في هدأة الليل -وكانوا جميعاً- أمكنهم المدافعة، لكن إذا تفرقوا توزعوا وفشلوا)[3].

وقال السندي: (قوله: "من الشيطان" فإنه الذي يرضى بالتفرق بين المسلمين، حتى يمكن العدو من أن ينال بعضهم بمكروه)[4].

وقيد ابن مفلح الاجتماع بقيد (بحيث لا يضيّق بعضهم على بعض)[5].

إن المدعوين في نزولهم الأودية والساحات في السفر، في نزولهم متفرقين يرضي الشيطان لأنه ينال منهم نيلاً، لأن في تفرقهم هذا انشغال كل فرد بنفسه وقيامه عليها دون أن يجمع إلى ذلك الانشغال بإخوانه المرافقين له، وتلبية ما قد يحتاجون إليه من عونٍ ومددٍ ومساعدة، تكون في بعض الأحيان من الأهمية بمكان، بحيث لو لم يُعَنْ

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٧/٤.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢١٩/٢.

(٤) حاشية السندي على مسند أحمد ٢٧٣/٢٩.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٤٥٤/١.

من طلب العون لربما أدى ذلك إلى وفاته، فإذا وقع هذا، فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين الصادقين، وليس أدل على ما ذكرنا، من شيوع العثور على أشخاص قد ماتوا بمفردهم ولم يستدل على موتهم إلا بانتشار الرائحة الكريهة الناتجة عن تحلل أجسادهم، كما أن انفراد المسافر عن بقية إخوانه المسافرين، فيه تعرض لأن يلحقه الضرر من عدوٍ أو لصٍ أو حيوان مفترس أو نحو ذلك، مع صعوبة إغاثة إخوانه له في الوقت المناسب، فكان في ذلك كله تعريض لجماعة المسلمين أن يلحقها الضرر والأذى، مما يجعل الشيطان يرضى بذلك ويسرّ به، فكان العلاج في الاجتماع وعدم التفرق.

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لما أرشد إليه النبي ﷺ:

هذا واضح من فعل الصحابة بعد أن أخبرهم النبي ﷺ أن تفرقهم من الشيطان "فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض" وفي الحديث زيادة "حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمّهم"[1]. وفي مسند أحمد: (حتى إنك لتقول لو بسطت عليهم كساء لعمهم أو نحو ذلك)[2].

ومثال ذلك ما فعله عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما عندما كان يأكل مع النبي ﷺ قال: ((كنتُ غلاماً في حجرِ رسولِ الله ﷺ، وكانت يَدي تطيشُ في الصَّحفةِ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: ياغلامُ، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَلِيك. فما زالت تلكَ طِعمتي بعدُ))[3].

قال ابن حجر: (وفيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في حال الأكل، وفيه استحباب تعليم أدب الأكل والشرب، وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر ومواظبته على مقتضاه)[4].

---

(١) هذه الزيادة عند أبي داود في الحديث ٢٦٢٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٨٨).

(٢) أخرجه أحمد ١٩٣/٤ رقم ١٧٧٣٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٧٣/٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٣/٩.

ومن هذا القبيل ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه رضي الله عنهما: ((نِعمَ الرجُل عبدُاللَّهِ، لو كان يُصَلِّي منَ الليل. قال سالمٌ: فكان عبدُ اللَّهِ لا يَنامُ منَ الليلِ إلاّ قَليلاً))[1].

ومن ثم كان على المدعو أن يبادر إلى الامتثال لما أرشد إليه النبي ﷺ، لأن في ذلك فوائد عدة ومنافع جمة تلحقه، من ذلك أن الله يحبه، لأن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله، وإجلال الرسول من إجلال الله وتعظيمه، واتباع الرسول هو الطريق الموصلة إلى محبة الله، كما أن إيمان المدعو يزداد، ودخول الجنة والابتعاد عن النار لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح، وخلاصة الأمر، فإن المدعو بامتثاله أوامر النبي ﷺ ونواهيه يجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة؛ لأن النبي ﷺ ما أمر إلا بمصلحة وما نهى إلا عن مفسدة، علم ذلك من علمه وجهل ذلك مَنْ جهله.

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

هذا واضح من استخدام النبي ﷺ "إن المؤكدة"، قال الطيبي: (قوله: "إنما ذلكم" وقع خبر "إن" كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[2] فإن "إن" زيدت للتوكيد وطول الكلام و"ما" لتكفها عن العمل، وأصل التركيب: إن تفرقكم في هذه الشعاب ذلكم من الشيطان)[3]. فجاء التوكيد هنا ليدل أن هذا الفعل مما يجتنب ويترك، ويفعل عكسه وهو الاجتماع.

ومثال هذا التوكيد أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ومسلم ٢٤٧٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٥.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٤١/٧.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠.

الحديث رقم (٩٦٧)

٩٦٧- وعن سهل بن عمرو – وقيل: سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظلِيَّة، وَهُوَ من أهل بيعة الرِّضْوَانِ ﷺ، قَالَ: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: ((**اتَّقُوا الله فِي هذِهِ البَهَائِمِ المُعجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً**)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

ابن الحنظلية: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٩٨).

غريب الألفاظ:

لحق ظهره ببطنه: أي: من الجوع والجهد[2].

المعجمة: التي لا تتكلم[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (مرَّ رسول الله ﷺ) يشير إلى أنه حدث عرضي مما يصادفه في المجتمع من أحداث طارئة تستلزم الإصلاح، وهي سنة، واجبة على كل الصالحين بعده ألا يتركوا خطأ دون تصحيح، لأن ميزة الأمة المسلمة الإصلاح، وتقويم الخطأ، وقد أسس الإسلام مبدأ عظيماً لذلك، وهو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولكن العجيب في التصرف النبوي العالي أنه جاء رفقاً، ورحمة بالحيوان، وقد كان القوم قريباً في جاهليتهم لا يراعون حق الإنسان، وقول الرسول ﷺ (اتقوا) أمر أريد به التحذير، ونسبته إلى (واو) الجماعة يعطيه شمولاً يتعدى المخاطب الفرد إلى الجمع، وتعلق التحذير بالله يصعِّد الرهبة، ويوجب الخشية، والإشارة (هذه) تقرر المشار إليه أتم تقرير، ووصفها بـ (المعجمة) تتميم بلاغي أفاد نكتة بلاغية، وهي عدم قدرتها على

---

(١) برقم ٢٥٤٨، وصحّحه ابن خزيمة ٢٥٤٥، وابن حبان، الإحسان ٥٤٥. أورده المنذري في ترغيبه ٣٣٥٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٧٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج م).

الإفصاح حال وقوع الظلم عليها مما يستلزم من صاحبها استشعار حالتها، ورعاية طبيعتها، وقوله (فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً) أمر مؤكد للتحذير السابق المنبثق من الأمر بتقوى الله، وتكرار كلمة صالحة لأنها المعنى الذي يريد أن يقرره، وهو لب الحديث الذي يجعل الصلاح مبدأ التعامل، ومنتهاه حتى مع الحيوان.

فقه الحديث

١- لا يجوز تحميل الدابة فوق طاقتها:

قال النووي: (لا يجوز أن يحمّل الدابة فوق طاقتها، ولو استأجرها فحملها المؤجر ما لا تطيق لم يجز للمستأجر موافقته؛ لحديث شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء))[١] ولقوله ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار))[٢] ولحديث سهل بن عمرو رضي الله عنه قال: (مرّ رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: ((اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة واركبوها صالحة، وكلوها صالحة))[٣])[٤].

٢- استحباب الاستتار عند قضاء الحاجة: قال النووي عن حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: "وفي هذا الحديث استحباب الاستتار عند قضاء الحاجة بحائط أو هدف أو وهدة أو نحو ذلك، بحيث يغيب جميع شخص الإنسان عن أعين الناظرين، وهذه سنة متأكدة، والله أعلم)[٥].

٣- جواز الإرداف على الدابة إن كانت مطيقة:

قال النووي: (يجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة، ولا يجوز إذا لم تكن مطيقة)[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٣/١ رقم ٣٨٦٥، وابن ماجه ٢٣٤١ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وقال النووي في الأربعين النووية: الحديث ٣٢: حديث حسن وله طرق يقوى بعضها ببعض، وانظر تخريجه بتوسع في: تخريج المسند ٥٥/٥. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٧/٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٤٨ وهو حديث الباب.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩١/٤-١٩٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣١/٤/٢.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٢/٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الشفقة والرحمة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على الرفق بالحيوان.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً- من صفات الداعية: الشفقة والرحمة:

هذا واضح من الحديث كله، والحديث وقع عند أحمد وابن حبان بلفظ ((وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَمَرَّ بِبَعِيرٍ مُنَاخٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ آخِرَ النَّهَارِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَقَالَ: أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْبَعِيرِ؟ فَابْتُغِيَ، فَلَمْ يُوجَدْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ، ارْكَبُوهَا صِحَاحاً، وَكُلُوهَا سِمَاناً، كَالْمُتَسَخِّطِ آنِفاً))[1]. وبوب ابن حبان على هذا الحديث في الموضع الأول فقال: (ذكر الزجر عن ترك تعاهد المرء ذوات الأربع بالإحسان إليها)[2].

ومن هذا القبيل ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيراً فكانت فيه صعوبة فجعلت تُرَدِّدُه فقال لها رسول الله ﷺ ((عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[3].

قال أبو العباس القرطبي: (إن الله تعالى يُعطي على الرفق في الدنيا من الثناء الجميل، وفي الآخرة من الثواب الجزيل، ما لا يُعطي على العنف الجائز. وبيانُ هذا بأن يكون أمرٌ ما من الأمور سوَّغ الشرعُ أن يتوصل إليه بالرفق وبالعنف، فسلوكُ طريق الرِّفق أولى لما يحصل عليه من الثناء على فاعله بحُسن الخلق، ولما يترتَّب عليه من حسن الأعمال، وكمال منفعتها، ولهذا أشار ﷺ بقوله: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه". وضدُّه الخُرق والاستعجال، وهو مفسد للأعمال وموجبٌ لسوء الأحدوثة، وهو المعبَّر عنه بقوله: "ولا نزع من شيء إلا شانه". أي: عابه، وكان له شيناً. وأما الخُرق والعنف:

---

(١) أخرجه أحمد ١٨١/٤ رقم ١٧٦٢٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٦٦/٢٩.

(٢) صحيح ابن حبان، الحديث ٥٤٥.

(٣) أخرجه مسلم ٧٩-٢٥٩٤.

فمفوِّتان مصالح الدنيا، وقد يفضيان إلى تفويت ثوابِ الآخرة؛ ولذلك قال ﷺ: ((مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ))[١]. أي: يفضي ذلك به إلى أن يحرم خير الدنيا والآخرة)[٢].

وقال د. القرضاوي: (ومن مكارم الأخلاق التي عنيت بها السنة التعامل مع الناس بالرفق لا بالعنف، وباللين لا بالخشونة، وبالسماحة لا بالفظاظة، ومجاهدة نوازع الغضب، وعدم الانتصار للنفس، وكظم الغيظ والعفو عند المقدرة، والحلم عند السَّورة، وتلك بعض مكارم الأخلاق التي يرشد إليها قول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣])[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على الرفق بالحيوان:

هذا واضحٌ من الحديث قال ابن حبان: (في قوله ﷺ "اركبوها صحاحاً" كالدليل على أن الناقة العجفاء الضعيفة يجب أن يتنكَّب ركوبها[٥] إلى أن تصح، وفي قوله ﷺ "كلوها سماناً" دليل على أن الناقة المهزولة التي لا نِقْي[٦] لها يستحب ترك نحرها إلى أن تسمن)[٧].

وقال الطيبي (قوله: "البهائم المعجمة" قال البيضاوي: المعجمة التي لا تقدر على النطق، فإنها لا تطيق أن تفصح عن حالها وتتضرع إلى صاحبها من جوعها وعطشها، وفيه دليل على وجوب علف الدواب، وأن الحاكم يجبر المالك عليه، وقوله "فاركبوها صالحة" ترغيب إلى تعهدها بالعلف لتكون سمينة صالحة للأكل)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٧٨/٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ص ٢٥٩، وانظر فيه مزيد بيان.

(٥) أي تجنب ركوبها. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ك ب).

(٦) قال ابن عبد البر: النقي في كلام العرب الشحم والودك. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٠٨/٢٣، موسوعة شروح الموطأ.

(٧) صحيح ابن حبان ٣٠٤/٢ بعد الحديث ٥٤٥ ولفظه عنده: "اركبوها صحاحاً وكلوها سماناً".

(٨) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٨٧/٦.

وقال العظيم آبادي: (المعنى خافوا الله في هذه البهائم التي لا تتكلم، فتسأل ما بها من الجوع والعطش والتعب والمشقة "وكلوها صالحة" أي حال كونها صالحة للأكل أي سمنة، قاله العزيزي)[١].

وقال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أمر بالرفق بالبهائم وأنه يجب على الإنسان أن يعاملها معاملة حسنة، فلا يكلفها ما لا تطيق، ولا يقصر عليها في أكل أو شرب)[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: (حكم الرفق على وجه العموم الاستحباب، فهو مستحب في كل شيء... ومما ورد في الرفق بالحيوانات النهي عن صبرها وتعذيبها، وبيان فضل سَاقِيها والإنفاق عليها، سواء أكانت من الأنعام أم من غيرها. فمما ورد في النهي عن صبر البهائم ما أخرجه مسلم في صحيحه ((مَرَّ ابْنُ عُمَرَ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْراً وَهُمْ يَرْمُونَهُ. وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ. فَلَمَّا رَأَوُا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا. فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هذَا؟ لَعَنَ اللّهُ مَنْ فَعَلَ هذَا. إنَّ رَسُولَ اللّهِ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ، غَرَضاً))[٣]. وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْراً))[٤].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً))[٥].

ومعنى صبر البهائم كما قال العلماء أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً، أي لا تتخذوا الحيوان غرضاً ترمون إليه كالغرض "أي الهدف" من الجلود وغيرها، وهذا النهي للتحريم، ولهذا قال ﷺ في رواية ابن عمر رضي الله عنهما: "لعن الله من فعل هذا"، ولأنه تعذيب للحيوان، وتضييع لماليته،

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٥١٥، ومسلم ١٩٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٥٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٩٥٧.

وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى. حتى ما يذبح من الحيوان لأكله أمر النبي ﷺ بالرفق به، بإحداد الشفرة وإراحة الذبيحة. قال ﷺ: ((إنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[1].

ومما ورد في فضل من سقى حيواناً رفقاً به، ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدّ عليه العطَشُ، فوجدَ بئراً فنزَلَ فيها فشرِب، ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يَلهَثُ يأكلُ الثَّرى منَ العطَشِ، فقال الرجل: لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطش مثلُ الذي كان بلغَ بي، فنزلَ البئرَ فملأَ خُفَّه ثم أمسَكَهُ بفيهِ فسقى الكلبَ، فشكرَ اللّهُ له فغفَر له: قالوا: يارسولَ الله، وإنَّ لنا في البَهائم أجراً؟ فقال: في كلِّ ذاتِ كبدٍ رَطبةٍ أجرٌ))[2].

وأما النفقة على الحيوان رفقاً ورحمة به، فقد اتفق الفقهاء على وجوب الإنفاق على المملوك منه ديانة، واختلفوا في الإجبار عليها والقضاء بها على من عنده بهيمة لا ينفق عليها، فذكر الحنفية في ظاهر الرواية أنه لا يجبر عليها، لأن الجبر على الحق يكون عند الطلب والخصومة من صاحب الحق، ولا خصم، فلا يجبر، ولكن تجب فيما بينه وبين الله تعالى، وروي عن أبي يوسف أنه يجبر عليها، لأن في تركه جائعاً تعذيب الحيوان بلا فائدة وتضييع المال، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك كله، ولأنه سفه لخلوه عن العاقبة الحميدة، والسفه حرام عقلاً.

وذكر المالكية أن نفقة الدابة إن لم تكن ترعى، واجبة ويقضي بها، لأن تركه منكر، وإزالته يجب القضاء به، خلافاً لقول ابن رشد يؤمر من غير قضاء، ودخل في الدابة هرة عميت فتجب نفقتها على من انقطعت عنده حيث لم تقدر على الانصراف، فإن قدرت عليه لم تجب نفقتها، لأن له طردها.

ومذهب الشافعية في هذه المسألة قريب مما ذكره المالكية وأبو يوسف من

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٦٦، ومسلم ٢٢٤٤.

الحنفية، فقد ذكر النووي في الروضة أن من ملك دابة لزمه علفها وسقيها، ويقوم مقام العلف والسقي تخليتها لترعى وترد الماء، إن كانت مما يرعى ويكتفى به لخصب الأرض ونحوه ولم يكن مانع ثلج وغيره، فإن أجدبت الأرض ولم يكفها الرعي لزمه أن يضيف إليه من العلف ما يكفيها، ويطرد هذا في كل حيوان محترم "يحرم التعرض له"، وإذا امتنع المالك من ذلك أجبره السلطان في المأكولة على بيعها، أو صيانتها عن الهلاك بالعلف أو التخلية للرعي أو ذبحها. وفي غير المأكولة على البيع أو الصيانة فإن لم يفعل ناب الحاكم عنه في ذلك على ما يراه ويقتضيه الحال، وعن ابن القطان أنه لا يخليها لخوف الذئب وغيره، فإن لم يكن له مال باع الحاكم الدابة أو جزءاً منها أو أكراها، فإن لم يرغب فيها لعمى أو زمانة "مرض مزمن" أنفق عليها بيت المال.

وقول الحنابلة في هذه المسألة كقول الشافعية، فقد جاء في الكافي أن من ملك بهيمة لزمه القيام بعلفها لما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ ربَطَتْها حتى ماتَت فدخَلَتْ فيها النارَ، لا هي أطعَمَتْها ولا سقَتْها إذ حبَسَتها ولا هيَ ترَكتها تأكلُ من خَشاش الأرض))[1]. فإن امتنع من الإنفاق عليها أجبر على بيعها، فإن أبى أكريت وأنفق عليها، فإن أمكن وإلا بيعت، كما يفرق بينه وبين زوجته إذا أعسر بنفقتها.

وتذكر كتب الحنابلة أيضاً أنه يحرم على مالك الدابة أن يحملها ما لا تطيق حمله، لأن الشارع منع تكليف الإنسان والحيوان ما لا يطيق، ولأن فيه تعذيباً للحيوان الذي له حرمة في نفسه وإضراراً به. ويحرم أن يحلب من لبنها ما يضر بولدها، لأن كفايته واجبة على مالكه، ويسن للحالب أن يقص أظفاره لئلا يجرح الضرع، إلى غير ذلك مما ذكروه في هذا الباب)[2].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة..." وجاء هذا الأمر

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣٦٥، ومسلم ٢٢٤٢.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢/٢٩١-٢٩٧ ومصادرها ومراجعها.

مناسباً لحالة إهمال البعير من قبل صاحبه، فقد لحق ظهره ببطنه من الجوع[1]، فأمر رسول الله ﷺ بالعناية بالبعير والاهتمام بأكله ورعايته، مذكراً في ذلك بالله عز وجل، ليكون امتثال الأمر واقعاً وحادثاً من قِبَل المدعوين بأسرع ما يكون.

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

الحديث رقم (٩٦٨)

٩٦٨- وعن أبي جعفر عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما، قَالَ: أردفني رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، وَأَسَرَّ إليَّ حَدِيثاً لا أُحَدِّثُ بِهِ أحداً مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ لِحاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ. يَعنِي[1]: حَائِطَ نَخْلٍ. رواه مسلم[2] هكَذَا مُختصراً.

وزادَ فِيهِ البَرْقانيُّ[3] بإسناد مسلم -بعد قَوْله: حَائِشُ نَخْلٍ- فَدَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإذا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأى رَسولَ الله ﷺ جَرْجَرَ وذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ - أي[4]: سِنَامَهُ - وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: ((مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟)) فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هَذَا لِي يَا رسولَ الله. قَالَ: ((أفَلاَ تَتَّقِي اللهَ في هذِهِ البَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاهَا؟ فَإنَّهُ يَشْكُو إلَيَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ)) رواه أَبُو داود[5] كرواية البرقاني.

قوله: "ذِفْرَاه" هو بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاء، وهو لفظ مفرد مؤنث. قال أهل اللغة: الذَّفرَى: الموضع الذي يَعْرف البعير خلف الأذن، وقوله: "تُدْئِبُهُ" أي تتعبه.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: علم من أعلام الصحابة، وفضلائهم، صحابي ابن صحابي، وهو: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب القرشيُّ الهاشميُّ، كان يكنى بأبي

---

(١) قال مسلم: قال ابن أسماء في حديثه: يعني: حائط نخل.

(٢) برقم ٣٤٢/٧٩.

(٣) نقله المؤلف عن الجمع بين الصحيحين للحميدي ٣٣١/٣ رقم ٢٧٨٣ ونصه: وفي هذا الحديث زيادة حذفها مسلمٌ، وأخرجها البرقاني في كتابه مع الحديث، من رواية عبد الله بن محمد بن أسماء، ورواها أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، عن شيبان بن أبي شيبة بالإسناد الذي أخرجه مسلم متّصلة بقوله: (وكان أحب ما استتر به لحاجته هدفٌ أو حائش نخل) ثمّ ذكره.

(٤) لفظ الحميدي في جمعه: (إلى) بدل: (أي).

(٥) برقم ٢٥٤٩.

جعفر المدني، وقيل بأبي هاشم، وكان يلقب بالجواد ابن الجواد، وكان يسمى بحرُ الجود، ويقال له قطب السخاء، ويقال: إنه لم يكن في الإسلام أسخى منه.

ولد بأرض الحبشة، ولدته أمه أسماء بنت عميس، وهو أول مولود وُلِدَ في الإسلام بأرض الحبشة، وقدم مع أبيه المدينة وحفظ عن رسول الله ﷺ وروى عنه، ووجّه رسول الله ﷺ أباه إلى مؤتة فرزقه الله الشهادة ولقب بجعفر الطيار، ونشأ عبدالله بن جعفر وإخوته في حجر رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يعامله معاملة أبناء أهل بيته، ودعا له رسول الله ﷺ بالبركة، وذكر أنه يشبهه خَلْقاً وخُلقاً، فعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال ((بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة فإن قُتِل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قُتِل أو استشهد فأميركم عبدالله بن رواحة... ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى قتل أو استشهد.. قال: فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم ادعوا إليّ ابنيْ أخي قال: فجيء بنا كأننا أفرُخٌ، فقال: ادعوا لي الحلاق فجيء بالحلاق فَحَلَق رؤوسنا، ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبدالله فشبيه خَلْقِي وخُلُقي، ثم أخذ بيدي فأشالها[1]، فقال: اللهم اخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه، قالها ثلاث مرات، قال: فجاءت أمنا، فذكرت له يُتْمنا، وجعلت تُفْرِح له، فقال: العَيْلة[2] تخافين عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة؟!))[3]

وعنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقّيَ بالصبيان من أهل بيته، قال: وإنه قدم مرة من سفر، قال: فسُبِق بي إليه، قال: فحملني بين يديه، قال: ثم جيء بأحد ابنيْ فاطمة، إما حَسَن، وإما حسين، فأردفه خلفه، قال: فدخلنا المدينة ثلاثةً على دابة[4].

---

(١) أشالها: أي رفعها.

(٢) العَيْلة بمعنى الفقر والفاقة والحاجة.

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٤/١ رقم ١٧٥٠ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٢٧٩/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٢٨.

وعن عبدالله بن جعفر -أيضاً- أنه قال: ((أردفني رسول الله ﷺ ذات مرة خلفه، فأسرّ إليَّ حديثاً لا أُخبرُ به أحداً))[١].

وكان عبدالله بن جعفر جوّاداً، مُمَدَّحاً، كريماً، ظريفاً، خليقاً، عفيفاً، لا يأخذ أجراً على معروف، ما سابقه أحد إلى معروف إلا سبقه، أتى البصرة والكوفة، والشام.

مات النبي ﷺ وعمر عبدالله بن جعفر عشر سنوات، ومات عبدالله سنة (٨٠) وهو ابن (٨٠) سنة، حضر غسله وكفّنه وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان، وهو يومئذ أمير المدينة، وذلك العام يعرف بعام الجحاف لسيلٍ كان بمكة أجحف بالحاج، وذهب بالإبل وعليها الحمولة، وقال المدائني، مات سنة (٨٤) أو (٨٥) وقال أبو عبيد: توفي سن (٨٤)، وقيل مات سنة (٩٠) وهو ابن (٩٠) سنة[٢].

غريب الألفاظ:

لحاجته: البول والغائط[٣].

الهدف: هو ما ارتفع من الأرض[٤].

حائش نخل: وهو النخل الملتف المجتمع كأنه لالتفافه يحوش بعضه بعضاً[٥].

حائطاً: أي بستاناً[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٢٩

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٨٧، ٣٨٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣/١٩٩-٢٠١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٧٥٢، ٧٥٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤/١٠١، ١٠٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢/٣١٣، وسير أعلام النبوة ٣/٤٥٦-٤٦٢، والسندي ٣/٢٧١، والأعلام، خير الدين الزركلي ٤/٧٦، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢/١١٧١-١١٧٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ح و ج).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ د ف).

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ح و ش).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

جرجر: أي ردّد صوته في حنجرته عند الضجر. وعند أبي داود ٢٥٤٩: حنّ: أي رجع صوته وبكى[١].

ذرفت عيناه: أي سال من عيني الجمل الدمع حين رآه ﷺ[٢].

ذفراه: هو بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاء، وهو لفظ مفرد مؤنث. قال أهل اللغة: الذِّفرى: الموضع الذي يعرق من البعير خلف أذنه[٣].

تدئبهُ: أي: تتعبه[٤].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خلى من المؤكدات؛ لأن الراوي يحكي حدثا خصا به مع رسول الله ﷺ وقوله (أردفني رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ) يدل على تواضع الرسول ﷺ وحسن خلقه، وحبه لأبي جعفر ﷺ والرديف الراكب خلف غيره، وقوله (خلفه) توكيد للفعل، وفيه خصوصية، وشرف الركوب خلف الرسول ﷺ، وقوله (وأسر إلى حديثاً) التعبير بالإسرار يوحي بالخصوصية، وتنكير كلمة (حديثاً) للتعظيم، وقوله (لا أحدث به أحدا من الناس) خبر قصد به تأكيد الخصوصية، والجملة صفة للحديث، وبين أحد ث، وأحد جناس يقرر المعنى ويؤكده، وقوله (وكان أحب ما يستتر) التعبير بكان يشير إلى العادة، وأفعل التفضيل (أحب) يشير إلى اختياره في العادة (حائش نخل) التعبير بالحائش، وهو الحائط من النخل يشير إلى الستر لارتفاعه، وبعده عن الناس، والرواية الثانية تشير إلى صورة من صور الرحمة النبوية بالحيوان، مع تجاوب حي فعال يدلل على رأفة من نوع خص به ﷺ وقول الراوي عن الجمل (فَلَمَّا رَأَى رَسولَ الله ﷺ) يدل على تجاوب الجمل مع الرسول ﷺ، ومعرفته له، وهي من معجزات النبي،

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر ج ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٧٧، وانظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

(٣) رياض الصالحين ٣٧٧.

(٤) المرجع السابق ٣٧٧.

وخصوصياته، وقوله (جَرْجَر) الجرجرة تردد صوت البعير في حلقه، وهو كناية عن الشكوى، (وذَرَفَتْ عَيْنَاه) كناية عن البكاء، وقول الرسول ﷺ (فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ) يشير إلى القصد، والإرادة مما يعكس عظم الرحمة التي حركته تجاوباً مع حيوان أعجم، تؤكدها لمسة حنان، ومودة كما يفعل أحدنا مع طفله الصغير إذا بكى رحمة به في قوله (فَمَسَحَ سَرَاتَهُ -أيْ: سِنَامَهُ- وَذِفْرَاهُ) والفاء تشير إلى سرعة التجاوب في قوله (فَسَكَنَ)، والتعبير بالسكون الذي يوحي بالرضا، والطمأنينة، والأمان واستفهام الرسول بعد معرفة حال الجمل يدل على التجاوب الفعلي البناء الذي يغير الوضع الخطأ، وليس مجرد التعاطف القلبي الذي لا يتعدى التأثر الداخلي قال: (مَنْ رَبُّ هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟) وهذا الاستفهام يحمل مع طلب الفهم تنبيهاً إلى الخطأ، ولوماً على هذه الحال، والسؤال بلفظ (رب) المضافة للإشارة تقرر أن التقصير في لوازم الربوبية من العناية، والحفظ، وقوله (أفَلاَ تَتَّقِي اللهَ في هذِهِ البَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاهَا؟) استفهام انكار، وتوبيخ صعَّده بالإشارة في قوله: (هذه البهيمة) وعلله بقوله (فَإنَّهُ يَشْكُو إلَيَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ) والتعبير بالجوع، والدأب إشارة إلى تضعيف العناء عليه، لأنه جمع مع الدأب جوعاً، والحديث يحكي أروع أمثلة الرحمة، والتجاوب بين الإنسان، والحيوان في عصر لم يعرف الرحمة حتى بالإنسان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مكانة عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الإرداف على الدابة مع الرفق بها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: كتمان السر والمحافظة عليه وعدم إفشائه.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الاستتار عند قضاء الحاجة.

خامساً: من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة شكوى الجمل للنبي ﷺ.

سادساً: من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مكانة عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما:

تتضح مكانة عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما من قوله: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه وأسرّ إليّ حديثاً". فدل ذلك على مكانته وعلو منزلته.

قال الذهبي: (عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم السيد العالم أبو جعفر القرشي الهاشمي الحبشي المولد المدني الدار الجواد بن الجواد ذي الجناحين. له صحبة ورواية، عداده في صغار الصحابة، استشهد أبوه يوم مؤتة فكفله النبي ﷺ ونشأ في حجره. وهو آخر من رأى النبي ﷺ وصحبه من بني هاشم، وكان كبير الشأن كريماً جواداً يصلُح للإمامة. هاجر جعفر إلى الحبشة فَولَدت له أسماء عبدالله وعوناً ومحمداً.

عن عبدالله بن جعفر ((أَنَّ النبيَّ أتاهم بعدما أخبرهم بقَتْلِ جعفر بعد ثالثة، فقال: لا تَبكُوا أخي بعدَ اليوم ثم قال: ائتوني ببني أخي، فجيءَ بنا كأننا أفرخ، فقال: ادعوا لي الحلاق فأمره، فحلَقَ رؤوسنا، ثم قال: أَمّا مُحمدُ فشبْهُ عمِّنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيهُ خَلْقِي وخُلُقي ثم أخذ بيدي، فأشالها[1]. ثم قال: اللهم اخلُفْ جعفراً في أهله، وبارِكْ لعبدِ الله في صفقته قال: فجاءتْ أُمُّنا، فذكرتْ يُتمنا. فقال: العيلةَ[2] تخافينَ عليهم وأنا وَلِيُّهُم في الدُّنيا والآخرة؟))[3].

قال الشعبي: كان ابن عمر إذا سلم على عبدالله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين[4]... ولعبد الله بن جعفر أخبار في الجود والبذل، وكان وافر الحشمة كثير التنعم. قال الواقدي ومصعب الزبيري: مات في سنة ثمانين ...)[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الإرداف على الدابة مع الرفق بها:

هذا واضح من الحديث: "أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه".

قال النووي: (لا يجوز أن يحمّل الدابة فوق طاقتها، ولو استأجرها فحملها المؤجر ما

---

(١) أي رفعها، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ١٠٢١.

(٢) العيلة: الفقر، انظر النهاية في غريب الحديث ٦٥٤، والقاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع ل ي).

(٣) أخرجه أحمد ٢٠٤/١، رقم١٧٥٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح اهـ، وقد صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٥٣٢).

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٠٩.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٣٦٠/٢-٢٣٦١، الدولية، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٧٥٢-٧٥٣.

لا تطيق لم يجز للمستأجر موافقته، لحديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء"[١] ولقوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"[٢] ولحديث سهل بن عمرو رضي الله عنه قال: "مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: "اتقوا الله في البهائم المعجمة واركبوها صالحة وكلوها صالحة" رواه أبوداود[٣] بإسناد صحيح... ويجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تكن مطيقة. فأما دليل المنع إذا لم تطق فالأحاديث السابقة قريباً مع الإجماع. وأما جوازه إذا كانت مطيقة ففيه أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة. منها: حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أردفه حين دفع من عرفات إلى المزدلفة ثم أردف الفضل بن عباس من مزدلفة إلى منى" رواه البخاري ومسلم[٤]... وفي صحيح مسلم[٥] عن عبدالله بن جعفر قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّىَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ وَإِنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَسُبِقَ بِى إِلَيْهِ فَحَمَلَنِى بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ جِىءَ بِأَحَدِ ابْنَىْ فَاطِمَةَ فَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ قَالَ فَأُدْخِلْنَا الْمَدِينَةَ ثَلاَثَةً عَلَى دَابَّةٍ)). وفي المسألة أحاديث كثيرة، وإذا أردف كان صاحب الدابة أحق بصدرها، ويكون الرديف وراءه، إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك)[٦].

وأما الرفق بالدابة فيستفاد من مسح النبي ﷺ سنام الجمل وذفراه حتى سكن، وسؤاله ﷺ عن صاحبه، ثم أمره ﷺ صاحبه بالإحسان إليه، والرفق، بعد أن شكا الجمل إليه، أنه يتعبه ويجيعه.

فكان هذا طلبًا من المدعوين إلى أن يرفقوا بالحيوان ويحسنوا إليه.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٣٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٨٩٥، ١٨٩٦). وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٠٧ وما بعدها.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٣٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري ١٦٦٩، ومسلم ١٢٨٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٢٨.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩١-١٩٢، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٢٢٠.

قال العز بن عبدالسلام: (الإحسان إلى الدواب المملوكة: وذلك بالقيام بعلفها، أو رعيها بقدر ما تحتاج إليه، وبالرفق في تحميلها ومسيرها، فلا يكلفها من ذلك ما لا تقدر عليه، وبأن لا يحلب من ألبانها إلا ما فضل عن أولادها، وأن يهنأ جرباها[1]، ويداوي مرضاها. وإن ذبحها: بأن يحد شفرته، ويسرع جرته، مع إضجاعها برفق، وأن لا يتعرض لها بعد ذبحها حتى تبرد، وإن كان بعضها يؤذي بعضاً بنطح أو غيره فليُفرِّق بينها وبين ما يؤذيها فـ"في كل كبدٍ رطبة أجر". و﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[2].

و((لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ)).

وإن رأى من حمل الدابة أكثر مما تطيق فليأمره بالتخفيف عنها، فإن أبى فليطرحه بيده، فـ ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يقدر فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ فَإِنْ لَمْ يقدر فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمانِ))[3].

وقال ﷺ: ((إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ، فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ. وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي السَّنَةِ، فَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا))[4]. ((وقد غفر لبغيٍّ بسقي كلب))[5][6].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: كتمان السرّ والمحافظة عليه وعدم إفشائه:

هذا واضح من قول عبدالله بن جعفر "وأسر ﷺ إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس"[7].

وكان هذا أدب الصحابة رضي الله عنهم، قال أنس بن مالك: ((أسرَّ إليَّ النبيُّ ﷺ سراً فما أخبرتُ به أحداً بعدَه، ولقد سألتْني أمُّ سُلَيم فما أخبرتها به))[8].

---

(١) أي عالج جرب إبله بالقطران. يقال: هنأت البعير أهنؤه: إذا طليته بالهناء وهو القطران. النهاية في (هـ ن أ).

(٢) سورة الزلزلة، آية: ٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) أخرجه مسلم ١٩٢٦.

(٦) أخرجه البخاري ٣٣٢١، ومسلم ٢٢٤٥.

(٧) شجرة المعارف والأحوال ص ١٦١ - ١٦٢.

(٨) أخرجه البخاري ٦٢٨٩، ومسلم ١٤٦-٢٤٨٢.

وفي رواية عند مسلم عن ثابت البناني عن أنس قال: ((أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ. قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ. فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِحَاجَةٍ. قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ. قَالَتْ: لاَ تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَحَداً. قَالَ أَنَسٌ: وَاللّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَداً لَحَدَّثْتُكَ، يَا ثَابِتُ))[1].

قال ابن حجر: (قال بعض العلماء: كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي ﷺ وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنساً كتمانه)[2].

وقد قال أبوبكر رضي الله عنه: ((فلم أكُنْ لأفشي سرَّ رسول الله ﷺ))[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (ما استكتمك إياه الغير وائتمنك عليه فلا يجوز بثه وإفشاؤه للغير، حتى أخص أصدقاء وأصحاب صاحب السر، فلا يكشف شيئاً منه ولو بعد القطيعة بين من أسر ومن أُسر إليه، فإنه ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن)[4].

فمن الوفاء أن يحافظ المسلم على سرّ أخيه فيكتمه وإلا كان غادراً، ومن حق المسلم على المسلم أن يكتم عنه ما يكون قد وصل إليه من سرّه، خاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ هذا السرّ وعدم إذاعته، ومن هنا كان كتمان السرّ نوعاً من الوفاء بالعهد، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾[5][6].

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الاستتار عند قضاء الحاجة

وهذا واضح من الحديث، "وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هَدَفٌ أو حائش نخل يعني حائط نخل".

---

(١) أخرجه مسلم ١٤٥-٢٤٨٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨٢/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٢٢ مطولاً.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٩٣/٥ ومصادرها ومراجعها.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٢٠٦/٦.

قال النووي: (أما الهدف فهو ما ارتفع من الأرض وأما حائش النخل فقد فسره في الكتاب بحائط النخل وهو البستان وهو تفسير صحيح... وفي هذا الحديث من الفقه استحباب الاستتار عند قضاء الحاجة بحائط أو هدف أو وهدة أو نحو ذلك بحيث يغيب جميع شخص الإنسان عن أعين الناظرين، وهذه سنة متأكدة)[١].

وقال ابن القيم عن هديه ﷺ في قضاء الحاجة: (وكان إذا ذهب في سفره للحاجة انطلق حتى يتوارى عن أصحابه، وربما كان يبعد نحو الميلين. وكان يستتر للحاجة بالهدف تارةً وبحائش النخل تارة وبشجر الوادي تارة)[٢].

وقال د. محمد رواس قلعه جي عن آداب قضاء الحاجة: (إذا خرج إلى الفضاء لقضاء الحاجة فيستحب له أن يبعد عن الناس بحيث لا يسمعون منه صوتاً ولا يشمون ريحاً ولا يميزون عورة لو انكشفت، إن لم يكن هناك ساتر)[٣].

خامساً- من موضوعات الدعوة: من دلائل النبوة: شكوى الجمل للنبي ﷺ:

هذا واضح من الحديث عند أبي داود، وقد ساق هذا الحديث البيهقي في دلائل النبوة[٤] وابن كثير في كتاب دلائل النبوة من السيرة النبوية من كتاب البداية والنهاية[٥] وقد اعتنى ابن كثير بإيراد طرق حديث البعير وقال (وقد اعتنى الحافظ أبو نعيم بحديث البعير في كتاب "دلائل النبوة" وطرقه من وجوهٍ كثيرة)[٦].

وقال ابن عثيمين: (وهذا من آيات النبي ﷺ أن البهائم العجم تشكو إليه إذا رأته ﷺ لأن هذا من آيات الله التي يؤيد الله بها رسوله ﷺ فإن الله تعالى ما أرسل رسولاً إلا أعطاه آيات تدل على نبوته لئلا يكذبه الناس، لأن الناس إذا جاء إليهم رجل وقال: أنا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢/٤/٣٧، .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٧١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١/٤٥٣.

(٤) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٦/٢٦.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/٩-١٠.

(٦) المرجع السابق ٩/١٦.

رسول الله ﷺ لكم بدون آية ما صدقوه. لكن الله تعالى يؤتي رسله آيات تدل على أنهم صادقون، وأعظم آيات أعطيها الأنبياء ما أعطيه النبي ﷺ وقد ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية"[1] وغيره أيضاً أنه ما من آية لنبي من السابقين إلا كان لرسول الله ﷺ مثلها أو أعظم منها، إما له شخصياً وإما لأتباعه، وذكر على ذلك أمثلة وشواهد كثيرة، لكن لم يعط أحد من الأنبياء مثل ما أعطى النبي ﷺ من هذا الوحي - القرآن- ولهذا قال: ((إِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[2]، لأن هذا الوحي باق إلى يومنا هذا، والناس كلما قرأوه ازدادوا إيماناً، لما فيه من الآيات العظيمة الدالة على أن رسول الله ﷺ رسول الله حقاً)[3].

سادساً- من أساليب الدعوة: الاستفهام والتوكيد:

أما الاستفهام فظاهر في قوله ﷺ "من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ "وجاء الاستفهام مناسباً هنا، حتى يعرف النبي ﷺ صاحب هذا الجمل لكي يوصيه بالجمل خيراً لأنه قد شكا الجمل إليه حاله، ولهذا لما عرف النبي ﷺ صاحبه استخدم معه أسلوب الاستفهام المنفي "أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟" ليكون أبلغ في التقريع واللوم وبيان التقصير في رعاية الجمل، لأن النبي ﷺ يعلم حال الجمل بشكواه إليه، فلا ينتظر جواباً من صاحب الجمل بهذا الاستفهام، وإنما يريد معاتبته ولومه، ولهذا أتبع الاستفهام بالتوكيد بقوله: "فإنه يشكو إليّ أنك تجيعه وتدئبه". فكان هذا دعوة لصاحب الجمل ولغيره أن يرفق بالحيوان ولا يتعبه ولا يهمله.

---

(١) المرجع السابق ٥٤٨/٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٨١، ومسلم ١٥٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٢٠/٢.

الحديث رقم (٩٦٩)

٩٦٩- وعن أنس ﷺ، قَالَ: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلاً، لاَ نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَال. رواه أَبُو داود[1] بإسناد عَلَى شرط مسلم.

وقوله: "لا نُسَبِّحُ": أي لا نصلي النافلة، ومعناه: أنا -مع حرصنا على الصلاة- لا نقدمها على حط الرحال وإراحة الدواب.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لا نُسبحُ: أي لا نصلي النافلة ومعناه: أنّا مع حرصنا على الصلاة لا نقدمها على حط الرحال وإراحة الدواب[2].

الرحال: جمع رَحْل: وهو ما يُوضَعُ على ظهر البعير، وكل شيء يعدُّ للرحيل من وعاءٍ للمتاع وغيره[3].

الشرح الأدبي

قول أنس ﷺ كنا يشير إلى أنها عادة القوم في النزول ليلا يدل على ذلك استخدام أسلوب الشرط الذي يربط النزول بترك صلاة النافلة مع حرصهم عليها حتى يريحوا دوابَّهم، وهو من الأدب العالي الذي علمهم إياه النبي في الرفق بالحيوان، والتعبير بإذا في الشرط يشير إلى التحقق، وقوله نزلنا منزلا فيه جناس يؤكد المعنى، والتعبير عن صلاة النافلة بالسبح من المجاز بتسمية الكل بجزئه، إشارة إلى شرف هذا الجزء، وهو التسبيح المتضمن لتنزيه الله تعالى.

---

(١) برقم ٢٥٥١. قال الهيثمي في المجمع ١٠/١٣٣: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده جيد.

(٢) رياض الصالحين ٢٧٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ح ل).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الرفق بالحيوان.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: صلاة النافلة في السفر.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من قول أنس رضي الله عنه: "كنا إذا نزلنا منزلاً لا نسبّح حتى نَحُلَّ الرحال". فهذا إخبار عن حال صحابة رسول الله ﷺ -أيام عصر النبوة- في سفرهم، وذلك ليقتدي المدعوون بهم ويعملوا مثلما عملوا، ومن أسلوب الإخبار قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كنّا إذا صَعِدْنا كبَّرنا، وإذا نزَلنا سَبَّحنا))[1].

ولا شكّ أن أسلوب الإخبار أنسب في نقل الأفعال اليومية أو المتكررة التي يراها المدعو من الداعية.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الرفق بالحيوان:

هذا واضح من الحديث، قال النووي في الرياض: (وقوله: ولا نسبح، أي لا نصلّي النافلة، ومعناه: أنا - مع حرصنا على الصلاة- لا نقدمها على حط الرحال وإراحة الدواب)[2].

(قال الخطابي: (يريد لا نصلّي سبحة الضحى حتى نحط الرحال ونجمّ المطي[3]، وكان بعض العلماء يستحب أن لا يطعم الراكب إذا نزل حتى يعلف الدابة. وأنشدني بعضهم فيما يشبه هذا المعنى:

حق المطية أن يبدأ بحاجتها ... لا أُطْعِم الضيف حتى أعلف الفرسا)[4]

وقال النووي عن آداب السفر: (الثالثة والعشرون: يستحب أن يريح دابته بالنزول عنها

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٩٣، ٢٩٩٤.

(٢) رياض الصالحين ص ٣٧٧.

(٣) أي نريحها، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ١٣٤-١٣٥.

(٤) معالم السنن ٣/٣٨٨.

غدوة وعشية وعند عقبة ونحوها. ويتجنب النوم على ظهرها... وأما المكث على ظهر الدابة وهي واقفة فإن كان يسيراً فلا بأس، وإن كان كثيراً لحاجة فلا بأس، وإن كان لغير حاجة فهو مكروه، ودليل ما ذكرناه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ، فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَاتِكُمْ)) رواه أبو داود بإسناد جيد[1]. وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "اركبوا هذه الدواب سالمة وايتدعوها[2] سالمة ولا تتخذوها كراسي" رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي. قال الحاكم: هو صحيح[3].

وأما جوازه للحاجة ففيه الأحاديث الصحيحة المشهورة أن رسول الله ﷺ وقف بعرفات على ناقته وأنه خطب يوم النحر بمنى على ناقته[4]، وغير ذلك من الأحاديث)[5].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: صلاة النافلة في السفر:

هذا واضح من الحديث "لا نسبح حتى نحلّ الرحال"، قال النووي عن آداب السفر والمسافر: (ينبغي له المحافظة على الطهارة وعلى الصلاة في أوقاتها وقد يسر الله تعالى بما جوزه من التيمم والجمع والقصر)[6].

قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ في سفره الاقتصار على الفرض ولم يحفظ عنه ﷺ سنة الصلاة قبلها ولا بعدها، إلا ما كان من الوتر وسنة الفجر. فإنه لم

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥٦٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٣٨).

(٢) في المطبوع: ابتدعوها. وقال محققو المسند: وكله تصحيف: والصواب: ايتدعوها، قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٦٥: أي اتركوها ورفهوا عنها إذا لم تحتاجوا إلى ركوبها وهو افتعل من ودُع بالضم. مسند أحمد ابن حنبل، ٣٩٩/٢٤ الحاشية ٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٠/٣ رقم ١٥٦٣٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤٠٠/٢٤.

(٤) انظر هذه الأحاديث في منتقى الأخبار لابن تيمية الجد: عبدالسلام، وشرحه نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، كتاب المناسك: باب المسير من منى إلى عرفة والوقوف بها وأحكامه، وباب استحباب الخطبة يوم النحر ص ٩٢٠، ٩٣١ على التوالي.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٢/٤.

(٦) المرجع السابق ١٩٧/٤.

يكن ليدعهما حضراً ولا سفراً. وقال ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن ذلك: فقال: صحبت النبي ﷺ فلم أره يسبح في السفر. وقال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1])[2] ومراده بالتسبيح السنة الراتبة. وإلا فقد صحّ عنه ﷺ أنه كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ ﷺ يُصلّي في السَّفرِ على راحلتهِ حيثُ تَوجهَتْ بهِ يُومِىءُ إيماءً صلاةَ الليلِ إلا الْفرائضَ، ويوترُ على راحلتهِ))[3].

قال الشافعي: وثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتنفل ليلاً وهو يقصر، وفي الصحيحين عن عامر بن ربيعة: أنه رأى النبي ﷺ يصلّي السبحة بالليل في السفر على ظهر راحلته[4] فهذا قيام الليل. وسئل الإمام أحمد، عن التطوع في السفر؟ فقال: أرجو ألا يكون بالتطوع في السفر بأس. وروى عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة وبعدها. وروى هذا عن عمر وعلي وابن مسعود وجابر وأنس وابن عباس وأبي ذر. وأما ابن عمر فكان لا يتطوع قبل الفريضة ولا بعدها إلا من جوف الليل مع الوتر. وهذا هو الظاهر من هدي النبي ﷺ أنه كان لا يصلّي قبل الفريضة المقصورة ولا بعدها شيئاً، ولكن لم يكن يمنع من التطوع قبلها ولا بعدها. فهو كالتطوع المطلق لا أنه سنة راتبة للصلاة كسنة صلاة الإقامة، ويؤيد هذا أن الرباعية قد خففت إلى ركعتين تخفيفاً على المسافر، فكيف يجعل له سنة راتبة يحافظ عليها وقد خفف الفرض إلى ركعتين. فلولا قصد التخفيف على المسافر وإلا كان الإتمام أولى به. ولهذا قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: لو كنت مسبحاً لأتممت، وقد ثبت عنه ﷺ أنه صلى يوم الفتح ثماني ركعات ضحىً[5] وهو إذ ذاك مسافر[6].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ١١٠٢، ومسلم ٦٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٠٠، ومسلم ٧٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٠٩٣، ومسلم ٧٠١.

(٥) أخرجه مسلم ٧١-٣٣٦.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٤٧٣-٤٧٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على غرس الرحمة في النفوس:

إن للرحمة أثرًا عظيمًا في النفوس، حيث تشرح الصدور وتفتح القلوب، ولذا تحث التربية على غرس الرحمة في نفوس الأجيال من خلال التوجيهات الرشيدة والمواقف العملية عبر وسائل التربية والتعليم والتوجيه، لأن التنشئة والتربية إذا قامت على أسس قيمة، كالرحمة ونحوها، فإنها ستجعل الفرد مرتبطاً بدينه وتاريخه، وبالتالي يحافظ على ما يرثه من وجود التراب والعمران والناتج النافع ليسلمها بدوره إلى من يأتي بعده وفي تلك الحركة الشمولية رحمة لاشك فيها[1].

وقد وردت الإشارة إلى التعامل بخلق الرحمة في أحاديث الباب سواء أكان مع النفس أم كان مع الغير.

أما بالنسبة للرحمة مع النفس فيترائى لنا ذلك جلياً في إرشاده وتوجيهه ﷺ للمسافر بتجنب النوم في مأوى الدواب والهوام، وكذا الأماكن التي يغلب عليها الظن بوجود إيذاء ونحوه، فقال: ﷺ: «وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ ، فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِ وَمَأْوَى الْهَوَامِ بِاللَّيْلِ»

أما بالنسبة للرحمة بالغير فإن الرسول ﷺ أرشد إليها داعياً إلى عموم هذا الخلق الكريم حتى شمل الرفق والرحمة بالحيوان، كما نرى ذلك في وصيته ﷺ بإعطاء الدواب حظها من الغذاء والشراب، كما في قوله ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخَصْبِ فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْجَدْبِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وبادرُوا بها نِقْيَهَا»، وحظها من الراحة، كما رأينا ذلك في عتابه ﷺ لذلك الرجل الذي يجيع جمله ويدأبه في العمل، فقال ﷺ: «أَفَلاَ تَتَّقِي اللهَ فِي هذِهِ الْبَهِيمَةِ التي

---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك وآخرون، ٢٦/٧٧-٨٥.

مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاهَا فإنَّهُ يشْكو إلَيَّ أنَّكَ تُجيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».

إن تَخَلُّق الإنسان بالرحمة من صفات الكمال البشري ولها أطيب الأثر وأحسنه، فخلق الرحمة يجعل المرء يرقى لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهداية، ومن ثمَّ فإن الرحمة هي كمال في الطبيعة، لأن تبلد الحس يهوى بالإنسان إلى منزلة الحيوان، ويسلبه أفضل ما فيه، والرحمة هي العاطفة النابضة بالحب والرأفة، بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه، ومن ثمَّ كانت القسوة ارتكاساً بالفطرة إلى منزلة البهائم بل إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز[1].

ثانياً- تصحيح الأوضاع الخاطئة:

إن من مهام المربي تصحيح الأوضاع الخاطئة وتقويم السلوكيات المعوجة وإرشاد المتعلمين والمتربين إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

ونرى هذا الأسلوب بادياً في أحاديث الباب التي عالجت السفر وآدابه وتعديل ما يشوبه من أخطاء سلوكية وعادات خاطئة، ومن تلك الأخطاء ما كانوا يفعلونه من تفرق إذا نزلوا حال سفرهم في مكان للاستراحة والاستجمام فأرشدهم النبي ﷺ إلى أهمية الاجتماع وعدم التفرق، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: «كانَ النَّاسُ إذا نزَلوا منزِلاً تفرَّقوا في الشِّعابِ والأوديَةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ تفرُّقَكم في هذه الشعابِ والأوْديةِ إنَّما ذلكم منَ الشيطانِ». فلم ينزلوا بعدَ ذلكَ منزلاً إلاَّ انضَمَّ بعضُهم إلى بعضٍ». وذلك لما في "تجمعهم من حسن التنظيم وتكتيل القوة والاستعداد للطوارئ، ثم إن هذا التفرق ليس إلا وسوسة شيطانية لإيذاء المسلمين، هكذا وصى النبي ﷺ أصحابه، وسرعان ما استجابوا لإشارته وانتفعوا بتوجيهاته[2].

إن على المسلم سواء كان متعلماً أم كان معلماً أو مُربياً أن يأخذ على عاتقه تغيير السلوكيات الخاطئة بأسلوب تربوي مناسب، فلا يتعامل في سُوقه معاملة جاهلية مبتعدة عن شريعة الله، ولا يسمح في بيته أو في حلقة درسه ومواطن تدريسه وتعليمه بأي

---

(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص ٢٠٣-٢١٢.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٢٦.

لون من ألوان الجاهلية من التبرج وإظهار المفاتن، أو تضييق الثياب أو الحفلات الحديثة النابية عن أخلاق وتقاليد الإسلام فضلاً عن الاختلاط المحرم[1]، وما شاكل ذلك.

إنَّ مهمة المربي السامية فضلاً عن التلقين العلمي والتثقيفي تغيير الأوضاع السيئة وتصحيح الأفكار الخاطئة والسلوكيات المنحرفة بأسلوب تربوي مناسب.

ثالثاً- اغتنام الساعات المناسبة:

إن لكل عمل ساعاته المناسبة له التي تزداد فيه نسبة النشاط وسهولة العمل وكثرة الإنتاج، فمثلاً أنسب الأوقات للأسفار الطويلة ساعات الليل وأول النهار إذ أن السير في الليل أسرع في الغالب منه في النهار نظراً لقلة الزحام وقلة اشتغال النظر بما حوله نتيجة إسدال الليل ستوره من الظلام إضافة إلى ما في هذه الساعات من تيسير الله تعالى للسائرين فيها لأنها أوقات لنزول الرحمات خاصة وما يصاحب هذه الساعات من طيب في الجو ولطف في المناخ، ولذا جاءت وصية رسول الله ﷺ في أحاديث الباب في توخي هذه الساعات واستثمارها، ومن ذلك ما جاء في صريح حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُم بالدُّلْجَةِ، فَإنَّ الأرْضَ تُطْوَى باللَّيْلِ».

ويستفاد من ذلك في مجال التربية لا بقصد ساعات الليل في التحصيل والمذاكرة، فما من شك أن ساعات البكور أصفى ذهناً وأكثر تحصيلاً منها في الليل، ولكن المستفاد هو اغتنام الساعات المناسبة لكل عمل فالعمل الذهني غير العملي العضلي فلكل وقته ولكل احتياجاته، وملابساته.

فعن العمل الذهني وتحصيل العلوم والفنون "فقد أثبتت التجارب العلمية أن الإنسان يمتلك أعلى درجات طاقته وصفاء ذهنه عند الصباح الباكر شريطة أن تكون هذه الساعات خاصة بالشخص وحده وبعيدة عن كل المقاطعات وخارجة عن نطاق الأعمال اليومية الروتينية[2]".

إن اغتنام الأوقات الفاضلة المناسبة للأعمال على اختلاف تنوعها يعني للمتربي شيئاً

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجُلَيِّل، ٢/٤٠٦-٤٠٩.

(٢) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨-٤١١.

آخر هو إنزاله عمله دائماً من الوقت الملائم له، فأجزاء الليل والنهار متفاوتة قيمة من حيث عطاء المرء، نوعه وقدره، فالحريص من ينزل كل عمل فيما يناسبه من وقت[1].

رابعاً- التربية بتنمية الشعور الإنساني:

إن من أبرز ما تميزت به التربية الإسلامية، أنها تُنمي في الإنسان الشعور الإنساني والرفق حتى بالحيوانات، وبكل ما من شأنه أن يعين الإنسان في حياته -بعد الله تعالى- ومن ثَمَّ فقد جاءت التوجيهات النبوية التربوية التي تحث على الرفق بالإبل -التي كانت من أبرز وأهم وسائل النقل آنذاك- لأن ذلك أدعى لإنجاز المهمات ولاستمرار نشاط تلك الرواحل في الأسفار بدلاً من إجهادها وإنهاك قواها، مما يؤدي إلى تعطل المصالح.

لذا أمر رسول الله ﷺ الصحابة في أسفارهم بالمحافظة على سلامة دوابهم، وشاهد ذلك من أحاديث الباب ما ورد عن سهل بن عمرو رضي الله عنه قال: « مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فقالَ اتَّقُوا اللهَ في هذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً». وذلك بغية المحافظة عليها وعلى قوتها حتى تتمكن من المواصلة والمسير، ويقاس على الدواب والرواحل وسائل النقل المختلفة باستخدامها الاستخدام المعقول، وصيانتها وإصلاح ما تلف وعطب منها، وعدم المغامرة بالسير بها وهي غير صالحة للسير مما يعرض حياة الإنسان للخطر.

ومما نستفيده من أحاديث الباب من الناحية التربوية والتعليمية تعويد الطلبة والتلاميذ على المحافظة على الثروات والمرافق التعليمية التي يتلقون فيها التعليم من مدارس ومؤسسات تعليمية وما يلحق بها من مكتبات وما تحتويه من أدوات، فإن المحافظة على تلك المرافق والمؤسسات لا تقل أهمية عن تأسيسها وتجديدها، ولو غرس في الطلاب حب هذه المؤسسات والمحافظة عليها، حتى تستمر عملية الانتفاع بها من قِبَل الآخرين، وهذه تربية إيمانية عالية أن المسلم يشعر وهو يتعامل مع المرافق العامة

---

(١) انظر: سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٧٠.

وكأنها ملك خاص به فيحافظ عليها، ويعمل على صيانتها ويعمق هذا الشعور في الآخرين مما يخفف العبء عن الدولة في هذا البند وبالتالي يكون المسلم مسهماً في تنمية مجتمعه محافظاً على مؤسساته وممتلكاته، إنه ينبغي للقائمين على التربية والتعليم تعزيز انتماء المؤمن لوطنه ومنجزاته الحضارية ومدنه الصناعية ومشاريعه التنموية من خلال التنشئة على حب الوطن والمحافظة على مؤسساته والوقوف في وجه الإرهاب والتخريب وكل محاولة من شأنها النيل من المنجزات الوطنية.

إن التربية الإسلامية تربية شمولية تعمل على تعميق الحب والانتماء داخل الإنسان وتعمل على تعزيز العلاقة الوثيقة بين الإنسان والكون بكل ما فيه من مخلوقات وإنجازات.

خامسًا- التربية الوقائية:

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتهم في الجدب فأسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقْبها، وإذا عرَّستهم فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل، فلقد تضمن هذا الحديث بعض الأمور التي تندرج تحت نطاق التربية الوقائية، وذلك على التالي:

أ- المحافظة على وسيلة السفر من الدواب وهي في الأغلب الأعمّ من الإبل. وذلك بإعطائها حقها من الطعام وتركها ترعى وتأكل الأعشاب والنباتات في وقت الخصب، أما إذا كان الوقت وقت جفاف وندرة الطعام فإنه ينبغي الإسراع بها وعليها حتى لا تصاب بالضعف والهزال من قلة الطعام.

ب- اجتناب الطريق عند النزول بالليل لنوم أو راحة أو نحو ذلك، لأن ذلك يقي الإنسان من الخطر والأذى ويقيه الضرر والعَطَب، لكون هذه الطرق مسلوكة بالدواب والحيوانات، كما أنها مأوى الهوام التي قد تؤذي الإنسان.

❁ ❁ ❁

١٦٩- باب إعانة الرفيق

في الباب أحاديث كثيرة تقدمت كحديث:

((وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أخِيهِ)) [١].

وحديث: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة)) [٢] وأشْبَاهِهِما.

الحديث رقم (٩٧٠)

٩٧٠- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ [٣] إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ [٤] زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ زَادَ لَهُ))، فَذَكَرَ مِنْ أصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَهُ، حَتَّى رَأيْنَا، أنَّهُ لاَ حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم [٥].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

فضل: زيادة [٦].

الظهر: الإبل التي يُحمل عليها وتُركب [٧].

فيلعُدْ: فيُفضِل [٨]، وقيل: عاد بمعروفه: أحسن ثم زاد [٩].

---

(١) تقدم برقم ٢٤٥.

(٢) تقدم برقم ١٣٤.

(٣) عند مسلم زيادة: (مع النبي ﷺ).

(٤) عند مسلم زيادة: (من).

(٥) برقم ١٧٢٨/١٨، وتقدم برقم ٥٦٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ض ل).

(٧) المرجع السابق في (ظ هـ ر).

(٨) تاج العروس في (ع و د).

(٩) مقاييس اللغة في (ع و د).

الشرح الأدبي

قوله (فجعل يصرف بصره يميناً، وشمالاً) كناية عن البحث والحيرة التي تدل على الحاجة، مما استلزم الدعوة للتكافل وقد بنى الرسول ﷺ حديثه في الدعوة للتكافل على أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط يعلق الجزاء على الفعل، ويتميز بشدة الاتصال مع التشويق الذي يثيره فعل الشرط لمعرفة جوابه واستخدام (مَنْ) كأداة للشرط وهي لعموم من يعقل، وكأنها تنادي من له أدنى عقل بالاستجابة، وقوله: (فضل ظهر) المقصود به الدابة، وهو مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأنه عبر بالجزء وهو الظهر، وأراد الكل وهو الدابة، وفضل المجاز على الحقيقة أن لفظ (الظهر) يعين نوع الفائدة المرادة من الجنس ليوازي ما عطف على هذه الجملة من الزاد، وغيره، والظهر أيضاً أدل على شدة الحاجة إليه للركوب، أو الحمل، وتعبيره ﷺ بلفظ المعية (معه)، لأنه أعم من حروف الملكية والاختصاص، وأصدق وأولى في التآزر منها، وأشمل في بذل المنفعة، وأنفى للاستئثار، والشعور بالتملك في مواطن الإيثار، وتنكيره ﷺ لكلمة (ظهر) للتقليل إشارة إلى أن الشيء مهما قل ففيه المشاركة والتعاون، وتحقيق التكافل الذي أمر به الإسلام، وحتى لا يحقر إنسان فضل ما عنده، فيكون تنكيره أعود بالنفع على المؤمنين، فالتكافل شعور، وإحساس بحال الآخرين قبل أن يكون فعل، حتى يعم مبدأ التكافل بين الأغنياء، والفقراء، وبين الفقراء فيما بينهم كل بما يستطيع، وهو ذكاء شديد من النبي ﷺ وأسلوب عالٍ في تحقيق تماسك المجتمع بتعاون الجميع، وهذا ما حققه بأسلوبه حيث وضع كلمة (ظهر) و (زاد) وهما مركز الحديث، منكرتين لإفادة التقليل الذي يستوعب ما قل من فضل الظهر والزاد، حتى يشارك كل فرد في التكافل، ولا يَحْتجَّ أحد بقلة ذات اليد، والأمر في قوله ﷺ: (فليعد به) في الجملتين بالعودة يشعر بانصراف الطبع عما ينبغي من حب النفس، وإيثارها بالمال إلى ما يليق بالرجوع إلى ما هو الأفضل في تماسك الفرد بالجماعة، وقد جعل الإسلام الضعيف أمير الركب حتى يحس بالعزة والكرامة فتقوى نفسه، ويزداد إيمانه بعدالة الإسلام ورحمة

المجتمع فيرتفع عن الحقد، ويسمو عن الحسد، ولا يعرف الشماتة[١] [٢].

فقه الحديث

١- مساعدة الرفقة: قال النووي: (يسن مساعدة الرفيق وإعانته؛ لقوله ﷺ: ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))[٣] ولقوله ﷺ: ((كل معروف صدقة))[٤] وعن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر ... الحديث، وحديث جابر عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو ... الحديث)[٥].

٢- جواز الاعتقاب: قال النووي: (يجوز الاعتقاب على الدابة، وهو أن يركب واحد وقتًا ثم ينزل ويركب الآخر وقتًا)[٦].

المضامين الدعوية[٧]

---

(١) ينظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية صـ ٣٠٤.

(٢) ينظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٥٩

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٢١، ومسلم ١٠٠٥.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٣/٤ .

(٦) المرجع السابق ١٩٢/٤-١٩٣ .

(٧) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٦٦).

الحديث رقم (٩٧١)

٩٧١- وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أنَّهُ أرَادَ أنْ يَغْزُوَ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، إن مِنْ إخْوَانِكُمْ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ، وَلاَ عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أحَدُكُمْ إلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أو الثَّلاَثَةَ، فَمَا لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إلاَّ عُقْبَةٌ كَعُقْبَةٍ)) يَعْني: أحَدهِمْ، قَالَ: فَضَمَمْتُ إلَيَّ اثْنَيْنِ أوْ ثَلاَثَةً، مَا لِي إلاَّ عُقْبَةٌ كَعقبة أحَدهِمْ مِنْ جَمَلِي. رواه أبو داود[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الظَهْر: الإبل التي يُحمل عليها وتُركب[2].

العُقْبة: النَّوبة، أو المرة الواحدة من الركوب[3].

الشرح الأدبي

قوله (يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ) نداء عام للفئة المذكورة بعد، والمعشر الجماعة التي تجمعها صفات مشتركة معينة، وتخصيص المهاجرين، والأنصار لأنهم عامة المسلمين يومئذ، وتوكيد الجملة بعدها ينبه على أهمية الأمر، وعناية المتكلم به، والتعبير بلفظ الأخوة، وإضافته إليهم تعميق لهذا الإحساس، ولفت إلى العمل بموجبه، ، والأمر في قوله (فَلْيَضُمَّ أحَدُكُمْ إلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أو الثَّلاَثَةَ) أمر إرشاد، وتوجيه إلى ما يحقق التكافل، ويتغلب على المشكلة، ويقوي روح الاتحاد، وقوله: (أحدكم) شمول للجميع بالحكم، وقوله (فَمَا لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إلاَّ عُقْبَةٌ كَعُقْبَةٍ) أسلوب قصر لأن يكون لأحدهم من ظهر يحمله سوى العقبة، وهي النوبة على البعير، ومعناه أنهم

---

(١) برقم ٢٥٣٤. وقال الحاكم ٢/ ٩٠: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

(٣) المرجع السابق في (ع ق ب).

يتناوبون على البعير الواحد كل واحد يمشي مسافة، ويركب مسافة بالتبادل مع إخوانه، وقول الراوي (فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً) تطبيق عملي لتوجيه النبي ﷺ يدل سرعتهم في امتثاله دلت على ذلك الفاء، والماضي الدال على التحقق، وأسلوب القصر (مَا لِي إِلاَّ عُقْبَةٌ كَعقبة أحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي) الدال على مساوته لهم في التناوب على جمله دون زيادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء والتوكيد والأمر والتعليل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إعانة الرفيق في السفر.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: إشاعة روح التعاون والتكافل بين المدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء والتوكيد والأمر والتعليل:

أما النداء فقوله ﷺ: "يا معشر المهاجرين والأنصار"، والنداء لتنبيه المنادى لما يكون بعد النداء، وهو هنا الإخبار المؤكد "إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة" وبعد هذا الإخبار جاء الأمر "فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة". وهذا جاء تعليلاً للحاجة والشدة التي فيها الصحابة وقتئذ، "فما لأحدنا من ظهر يحمله إلا عقبة كعقبة يعني أحدهم".

فكان النداء والتوكيد والتعليل مقدماتٍ لأمره ﷺ وكل هذا يدعو إلى المسارعة إلى الامتثال، وهذا ما أخبر به جابر رضي الله عنه راوي الحديث: فضممت إليّ اثنين أو ثلاثة ما لي إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملي.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إعانة الرفيق في السفر:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ أصحابه، بأن يضم كل واحد معه ظهر من الدواب، اثنين أو ثلاثة ممن لا يملكون ظهراً، كما أنه واضح كذلك من امتثال الصحابة لما أمر به النبي ﷺ. وقال النووي في المجموع عن آداب السفر: (يسن مساعدة الرفيق وإعانته لقوله ﷺ ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)) وهو

حديث صحيح مشهور في صحيح مسلم[١] وغيره وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ))[٢])[٣].

ومن باب إعانة الرفيق الاعتقاب، قال النووي في المجموع أيضاً عن آداب السفر ومسائله: (الخامسة والعشرون: يجوز الاعتقاب على الدابة، وهو أن يركب واحد وقتاً ثم ينزل ويركب الآخر وقتاً. وجاءت فيه أحاديث كثيرة، منها حديث عائشة رضي الله عنها في قصة هجرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة قالت: ((فلمَّا خَرَجَا خَرَجَ مَعَهُ عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ يَعْتَقِبَانِ حتَّى أَتَى المدينةَ)) رواه البخاري[٤]. وعن ابن مسعود قال: ((كُنَّا يومَ بدرٍ اثنينِ على بعيرٍ، وثلاثةً على بعيرٍ، وكان زَمِيلَيْ رسولِ الله ﷺ عَلِيٌّ وأبو لُبَابَةَ الأنصاريُّ رضي الله عنهما، وكانتْ إذَا حانَتْ عُقْبَتُهُمَا، قالاَ: يا رسولَ اللّه ارْكَبْ نَمْشِي عَنْكَ، قالَ: إنَّكُمَا لَسْتُمَا بأَقْوَى عَلَى المَشْيِ مِنِّي، ولا أَرْغَبَ عن الأجرِ مِنْكُمَا)) رواه النسائي والبيهقي[٥] بإسناد جيد)[٦]. وقد بوّب ابن حبان على حديث ابن مسعود رضي الله عنه: ذكر إباحة تعاقب الجماعة البعير الواحد في الغزو عند عدم القدرة على غيره[٧].

وقال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أمر أن يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد حتى يكون الناس كلهم سواء)[٨].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٢١، ومسلم ١٠٠٥.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٣/٤.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن ٢٥٨/٥ ثم قال: رواه البخاري في الصحيح. لكن لم نعثر عليه إلى الآن في صحيح البخاري فلينظر.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى ٣٩٠١ والبيهقي في السنن ٢٥٨/٥ كما أخرجه أحمد ٤١١/١ رقم ٣٩٠١، وقال محققو المسند: إسناده حسن. وقد توسعوا في تخريجه فلينظر ١٧/٧.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٢/٤-١٩٣.

(٧) صحيح ابن حبان ٣٥/١١ الحديث ٤٧٣٣.

(٨) شرح رياض الصالحين ١٢٢١/٢.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: إشاعة روح التعاون والتكافل بين المدعوين:

هذا واضح من الحديث ومن فعل الصحابة رضي الله عنهم، قال العظيم آبادي عن قول جابر: ("فضممت إليّ اثنين أو ثلاثة ما لي إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملي". قال: والمعنى لم يكن لي فضل في الركوب على الذين ضممتهم إليّ، بل كان لي عُقْبة من جملي مثل عقبة أحدهم)[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الأشْعَريينَ إذا أرمَلوا في الغَزو أو قلّ طعامُ عيالهم بالمدينةِ جَمعوا ما كان عندَهم في ثوبٍ واحد، ثمّ اقتَسَموهُ بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسّوِيّةِ، فهم مِنّي وأنا منهم))[٣].

ومعنى أرملوا في الغزو (نفد زادهم وأصله من الرمل، كأنهم لصقوا بالرمل، كما قيل للفقير: الترب)[٤].

قال النووي: (في هذا الحديث فضيلة الأشعريين، وفضيلة الإيثار والمواساة، وفضيلة خلط الأزواد في السفر، وفضيلة جمعها في شيء عند قلتها في الحضر ثم يقسم)[٥].

وقال النووي كذلك: (قوله ﷺ "فهم مني وأنا منهم" معناه: المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى)[٦].

ومن هذا القبيل ما رواه عبدالله بن واقد الليثي رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الضحايا [الأضاحي] بعد ثلاث ثم قال: ((إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ. فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا))[٧].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٩.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٨٦، ومسلم ٢٥٠٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر م ل).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٠/١٦/٨، .

(٦) السابق ٢٦/١٦/٨، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١٣٠/٥.

(٧) أخرجه مسلم ١٩٧١.

قال النووي: (قال أهل اللغة: الدافة -بتشديد الفاء- قوم يسيرون جميعاً سيراً خفيفاً ودافة الأعراب من يرد منهم المصر. والمراد هنا: من ورد من ضعفاء الأعراب للمواساة)[١].

ونقل النووي عن بعض العلماء أنه (لو وقع مثل تلك العلة اليوم فدفت دافة واساهم الناس)[٢].

وقال ابن القيم: (المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم. وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد وقد تجرد وهو ينتفض فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم)[٣].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: (من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه: لما كانت المواساة تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنصيحة. أو غير ذلك، فإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يعكر صفوه، وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية، هو من أعظم المواساة وأجل أنواعها، وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، وقد علمنا أن من أقال مسلماً من عثرته أقال الله عثرته، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

إن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عملٍ أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤١/١٣/٧، .

(٢) السابق ١٤٠/١٣/٧.

(٣) الفوائد ٢٤٦-٢٤٧.

طيبة وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات، وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أن فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى صاحب الحاجة "المواسى" فقط، وإنما تشمل أيضاً المواسي، لأن الله عز وجل يكون في حاجته، هذا في الدنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة.

وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن من لقي أخاه بما يحب ليسره بذلك سره الله عز وجل يوم القيامة، لقد حفلت سير أعلام النبلاء بنماذج مشرقة من المواساة، ومن تأمل هذه الصفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء، يتبين أن مجالسة المساكين والتحدث معهم، فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا كان الإنسان واجداً فإنه يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم، مع المحافظة على كرامتهم، وتقديم المعونة لهم سراً)[1].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨/٣٤٦٠. وانظر فيها: نصوص الأحاديث المذكورة في النص وتخريجها.

الحديث رقم (٩٧٢)

٩٧٢- وعنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَتَخَلَّفُ في المَسير، فَيُزْجِي الضَّعِيف، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُ[١]. رواه أَبُو داود[٢] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فيزجي: يسوق[٣].

يُرْدِفُ: يركب خلفه[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث مثال ماثل على الدهر يعلم القادة في كل زمان، ومكان رعاية أمتهم، وتفقد الضعفاء، والمرضى، وبذل الطاقة في سبيل راحة الجميع، وقول الصحابي (كان رسول الله ﷺ يتخلف) يشير إلى أنه اعتاد على فعل ذلك في كل خروجه، والفعل المضارع يصور رسول الله، القائد الأعظم يترك مركز القيادة في المقدمة ليعود إلى ضعيف فيسوق بعيره حتى يتقدم، ولا يتركه فيتأخر عن الركب، ويتعرض للأخطار، وهذا بذل لجهده كما أنه يبذل ماله يدل على ذلك الفعل (ويردف) أي يحمله خلفه على بعيره، بل إنه يبذل مهجته، وتضرعه إلى ربه دعاءً لهم، وهو ما صوره الفعل المضارع (ويدعو له)، وحذف مفعول الفعل (يردف) للتعميم فيردف الضعيف، وربما يردف غيره، وهذا الصنيع يجعل القائد، وجنده على قلب رجل واحد، وهو عامل نفسي، ومادي من أكبر عوامل النفس.

---

(١) لفظ أبي داود: (لهم).

(٢) برقم ٢٦٣٩. وقال الحاكم ٢/١١٥: صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ز ج ى).

(٤) اللسان والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر د ف).

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب لكبير الركب أن يسير في آخره، وإلا فليتعهد آخره فيحمل المنقطع أو يعينه، ولئلا يطمع فيهم ويتعرض اللصوص ونحوهم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته))[١] وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف ويدعو له. وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يفعله)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تعهد الراعي رعيته.

ثالثاً: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من الحديث، فقد صُدِّر بلفظ "كان رسول الله ﷺ..." وهذا الإخبار يكون لنقل أفعاله ﷺ للمدعوين ليقتدوا به، ولهذا بوّب البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ[٣] وساق تحته حديث ابن عمر رضي الله عنهما: ((اتخذَ النبيُّ ﷺ خاتماً من ذَهبٍ فاتخذَ الناس خَوَاتيم من ذهب، فقال النبيُّ ﷺ: إني اتخذتُ خاتماً من ذهبٍ فنَبَذَه وقال: إني لن ألبَسَهُ أبداً، فنَبذَ الناسُ خواتيمهم))[٤].

قال ابن حجر: (قوله "باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ" الأصل فيه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٥])[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٤/٤ .

(٣) الباب برقم ٤ من كتاب الاعتصام رقمه ٩٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٢٧٤/١٣.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تعهد الراعي رعيته:

وهذا واضح من فعل النبي ﷺ في السفر مع أصحابه، وقال النووي في المجموع: (يستحب لكبير الركب أن يسير في آخره وإلا فليتعهد آخره، فيحمل المنقطع أو يعينه ولئلا يطمع فيهم ويتعرض اللصوص ونحوهم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما في الصحيحين: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))[1] وعن جابر قال: ((كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي المَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ)) رواه أبوداود[2] بإسناد حسن، وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يفعله)[3].

قال الخطابي: (وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في رجل سافر وحده: أرأيتم إن مات من أسأل عنه؟)[4].

وقال د. مصطفى السباعي عن يقظة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إدارة الدولة وتفقده لرعيته وعماله: (كان عمر شديد المراقبة لعماله، دقيق الاختيار لولاة الأمصار، وكانت الكفاءة عنده هي أساس تولية العمل، من غير نظر إلى شيء آخر من عبادة أو زهد، كان يقول: أريد رجلاً، إذا كان في القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم، كان كأنه رجل منهم، كان يستعمل رجالاً مثل عمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، ويدع من هو أفضل منهم مثل عثمان وعلي وطلحة والزبير، لأن أولئك كانوا أقدر على العمل، وأحسن قياماً به، وأكثر هيئة له من هؤلاء. وكان إذا استعمل رجلاً على عمل، كتب عليه كتاباً، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار. وإذا بعث عماله إلى الأمصار قال لهم: إني لم أبعثكم جبابرة، ولكن بعثتكم أئمة، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم "أي لا تطيلوا أمد إقامتهم في الحرب بعيدين عن أهلهم ونسائهم" ولا تمنعوهم فتظلموهم.

---

(١) أخرجه البخاري ٩٨٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٢) أخرجه أبوداود ٢٦٣٩ وهو حديث الباب.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٤/٤.

(٤) معالم السنن ٤١٣/٣.

ومن قوله ﷺ: إني لأتحرج أن أستعمل الرجل، وأنا أجد أقوى منه. وكان يعقد في كل سنة مؤتمراً لعماله في موسم الحج ليسألهم عن أحوال البلاد وشؤونها، وسير الإدارة فيها.

وكان علمه بمن بَعُدَ عنه من عماله ورعيته، كعلمه بمن قرب منهم، حتى إن عماله وأمراءه وقضاته، كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم أن عين عمر لا تفارقهم، وأنه يعلم من أخبارهم صغيرها وكبيرها.

وكان له مفتشون ينزلون الأمصار على غير علم من ولاتها، فيستقصون سيرة الولاة وأحوالها من أفواه الشعب ويرونه بأعينهم. وبذلك استقام الأمر في الدولة الإسلامية في عهد عمر، على خير ما يرجو عمر، من عدل ونصفةٍ وسعادة للناس أجمعين)[1].

ثالثاً- من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ مع أصحابه في السفر كما في الحديث، وقال النووي كذلك عن أدب المسافر في السفر: (ينبغي له أن يستعمل الرفق وحسن الخلق مع الغلام والحمال والرقيق والسائل وغيرهم، ويتجنب المخاصمة والمخاشنة ومزاحمة الناس في الطرق وموارد الماء إذا أمكنه ذلك، وأن يصون لسانه من الشتم والغيبة ولعنة الدواب وجميع الألفاظ القبيحة، ويرفق بالسائل والضعيف، ولا ينهر أحداً منهم ولا يوبخه على خروجه بلا زاد وراحلة، بل يواسيه بما تيسر، فإن لم يفعل رد رداً جميلاً، ودلائل هذه المسائل مشهورة في القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين)[2].

وقد ذكر جابر بن عبدالله رضي الله عنهما مثالاً تطبيقياً لرفق الرسول ﷺ بأمته، قال جابر: ((غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ، فَتَلاَحَقَ بِي، وَتَحْتِي نَاضِحٌ[3] لِي قَدْ أَعْيَا وَلاَ يَكَادُ يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي «مَا لِبَعِيرِكَ؟» قَالَ قُلْتُ: عَلِيلٌ، قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللّهِ فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟ قَالَ قُلْتُ:

---

(١) عظماؤنا في التاريخ ١٣٩-١٤٠.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٤/٤.

(٣) الناضح: البعير يستقى عليه الماء، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ح).

بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ، قَالَ: أَفَتَبِيعُنِيهِ؟ فَاسْتَحْيَيْتُ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا نَاضِحٌ غَيْرُهُ، قَالَ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَبِعْتُهُ إِيَّاهُ، عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ[1] حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي عَرُوسٌ فَاسْتَأْذَنْتُهُ، فَأَذِنَ لِي، فَتَقَدَّمْتُ النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ، حَتَّى انْتَهَيْتُ، فَلَقِيَنِي خَالِي فَسَأَلَنِي عَنِ الْبَعِيرِ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا صَنَعْتُ فِيهِ، فَلَامَنِي فِيهِ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ لِي حِينَ اسْتَأْذَنْتُهُ: مَا تَزَوَّجْتَ؟ أَبِكْراً أَمْ ثَيِّباً؟ فَقُلْتُ لَهُ: تَزَوَّجْتُ ثَيِّباً، قَالَ: أَفَلَا تَزَوَّجْتَ بِكْراً تُلَاعِبُكَ وَتُلَاعِبُهَا؟ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُوُفِّيَ وَالِدِي -أَوِ اسْتُشْهِدَ- وَلِي أَخَوَاتٌ صِغَارٌ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ إِلَيْهِنَّ مِثْلَهُنَّ، فَلَا تُؤَدِّبُهُنَّ وَلَا تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ ثَيِّباً لِتَقُومَ عَلَيْهِنَّ وَتُؤَدِّبَهُنَّ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَدِينَةَ، غَدَوْتُ إِلَيْهِ بِالْبَعِيرِ، فَأَعْطَانِي ثَمَنَهُ، وَرَدَّهُ عَلَيَّ))[2].

قال ابن حجر: (قال الإسماعيلي: الغرض الذي سيق الحديث لأجله بيان كرمه ﷺ وتواضعه وحنوه على أصحابه، وبركة دعائه وغير ذلك). ثم قال ابن حجر: (وفي الحديث تفقد الإمام والكبير لأصحابه، وسؤاله عما ينزل بهم، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء، وتواضعه ﷺ)[3].

وقال ابن عثيمين: (والحاصل أنه ينبغي للإنسان أن يكون مع رفقائه في السفر محسناً إليهم، قاضياً لحاجتهم، معيناً لهم، فإن هذا من الآداب النبوية التي جاءت بها سنة النبي ﷺ)[4].

---

(١) أي ركوبه، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٧١٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٦٧، ومسلم ١٠-٧١٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٥/٣٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٢١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- ترسيخ قيم التعاون وأخلاقها:

إن من أهداف التربية الإسلامية الأصيلة ترسيخ قيم التعاون والاندماج مع الجماعة، واستشعار هموم وحاجات الآخرين من أفراد المجتمع الإسلامي، لأن الإسلام يربي المسلم على التعاون والبذل، ويرسخ في نفسه أنه لم يخلق ليعيش لنفسه وأهله وذويه بل هو مطالب بالبذل والعطاء من خلال تلمس احتياجات إخوانه ومشاركته الإيجابية لهم ومعاونة الضعيف وحمل الكَلّ، وهذه الأخلاق ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم حسب موقعه وإمكاناته التي منحه الله تعالى إياها، وقد أكد رسول الله ﷺ هذه المعاني العظيمة في توجيهاته وأفعاله، كما جاء في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ».

لذا كان من الأهمية بمكان في المجال التربوي تعميق روح التعاون في نفس المتربي والانخراط في الجماعة والقيام بالمهام والواجبات المترتبة على ذلك من البذل والعطاء واستشعار هموم وحاجات الآخرين والسعي في إعانتهم والأخذ بأيديهم وانتشالهم مما ينزل بهم من مِحَن، فالتربية على التعاون والانخراط في الجماعة والقيام بالواجبات تلعب دوراً بالغ الأهمية في إكساب الناشئ قِيَماً وخبرات معينة قد لا يمكن اكتسابها داخل الأسرة إضافة إلى أن الجماعة أداة من أدوات توفير الأمن والاطمئنان الجسمي والنفسي.

لهذه الأهمية فقد حظيت الجماعة باهتمام خاص من توجيهات الإسلام ومفكريه ورجالات التربية الإسلامية، ففي صلاحها صلاح الفرد، وصلاح الفرد صلاح لها، ونجد توجيهات إسلامية واضحة تدعو الآباء والأمهات والمربين إلى العناية بتوجيه أبنائهم إلى اختيار رفقائهم من الأخيار الصالحين ديناً وخلقاً وسلوكاً حتى يقتدوا بهم ويكتسبوا منهم الصفات الحميدة والخلال الفاضلة وأن يجنبوهم مخالطة الأشرار حتى لا يقلدوهم

ويسلكوا طريقهم المعوج[١].

ثانياً- التربية بالقدوة:

ويعني بالقدوة أن يكون المربي أو الداعي والقائد مثالاً يُحتذى به في أفعاله وتصرفاته ونموذجاً حياً لما ينادي به ويوجه غيره إليه، وقد أشاد القرآن بهذه الوسيلة فقال عز مِنْ قائل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٣]. وقد كان المصطفى ﷺ -ولا يزال- قدوة للمسلمين جميعاً والقدوة الحسنة التي يحققها الداعي وكذا المربي والقائد المسلم بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام[٤] وتعاليمه الغراء وآدابه الفاضلة.

ولما كان للقدوة من أثر إيجابي فعال لا ينكر في عملية التربية وخاصة في مجال الاتجاهات والقيم، كان الرسول ﷺ قدوة للمسلمين، وقد استطاع من خلال القدوة أن يحمل معاصريه على فهم وتطبيق قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، وذلك من خلال السلوك العملي الواقعي الحي، وقد حرص الصحابة ﷺ على تتبع صفاته وحركاته ورصدها والعمل بها حرصاً منهم على تمثل أفعاله ﷺ[٥].

ومن ذلك ما نراه واضحاً في القدوة في الأعمال القيادية والقيام بمهامها في أحاديث الباب ومن ذلك:

أ- إرشاده ﷺ كقائد، لمن معه في سفر أو غزوة، الواجدين والقادرين، بإعانة غير القادرين، وتيسير سبل الحمل، والانتقال، ومهام السفر، كما في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ

---

(١) انظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السيد الزنتاني ص ٧٧٦.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) انظر: مبادئ ونماذج في القدوة، د. صالح بن حميد، بدون ذكر للطبعة وتاريخها ص ٨.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٤٣/١.

لاَ زَادَ لَـهُ». حتـى وإن أدى الأمـر، أن يُـشْرِك القـادرُ، العـاجزَ في دابتـه يتعاقبـان ويتناوبـان الركوب عليها كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزوا فقال: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ إنَّ مِنْ إخْوَانِكُمْ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوَ الثلاثة، فما لأحَدِنا مِنْ ظَهْرِ جَمَلِهِ إلا عَقَبَةٌ كَعَقَبَةِ أَحَدِهِمْ» قال: فضممت اثنين أو ثلاثة إلي وما لي إلا عقبة كعقبة أحدهم من جملي.

ب- مباشـرته بنفسه لأحـوال مَـنْ تحـت يـده خاصـة العجـزة والـضعفاء كمـا في الحديث الثالث من الباب « كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي المَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ». فأنعم بالرسول ﷺ مِنْ قائد كان لا ينسى الضعفاء والعاجزين ومن لا يملكون وسائل السفر أثناء سفره معهم فيتأخر ليلحقوه ويسوق الضعاف ويحمل المحتاجين[1].

ومن هنا كان غرس روح القيادة في نفس المتربي وحثه على القيام بمهامها من مهام المربي، لاسيما أن أي مجتمع في حاجة ملحة لشخصيات قيادية تسهم في قيادة الأعمال على تنوعها واختلاف مشاربها لاسيما الأعمال الدعوية والتربوية، فبات من المهم الاعتناء بالتربيـة علـى القيـادة وغـرس مهاراتهـا وتنميتهـا لـدى المتربـين خاصـة الناشـئة مـنهم والشباب[2].

ثالثاً- من صفات المربي والمعلم: الفطنة وسرعة البديهة:

إن مـن جميـل الـصفات الـتي ينبغـي تحلـي المـربين والمعلمـين بهـا، الفطنـة وسـرعة البديهة، وشاهد ذلك من أحاديث الباب ما ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ، إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشِمَالاً. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ». إن هذا الرجل الذي جاء على راحلة جعل ينظر يميناً وشمالاً ينظر من يتوسم فيه أن يعينه فلم يلجئه الرسول ﷺ إلى الكلام أو

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٢٨.

(٢) انظر: تربية الشباب، الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٣٤.

تعريضه للإحراج، وإنما أرشد الصحابة عامة بمعاونة المحتاج دون تخصيص أو حتى مجرد التعريض بهذا المحتاج، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لاَ زَادَ لَهُ».

لذا يجدر بالمربي والمعلم أن يتصف بالفطنة وسرعة البديهة مما يعمل على إثراء العملية التعليمية، بل ليس ذلك فحسب وإنما يحرص المربي والمعلم على تفعيل تلك الصفات التي لا تخفى آثارها العملية على مستوى الفرد والمجتمع مما يعمل على إكساب المتربي الفطانة وسرعة البديهة وإعمال العقل وتدريب وتنشيط قواه العقلية في الفهم والتحصيل.

وما يسمى في المصطلحات التربوية بالقراءة الذكية: فإذا كان على المربي أن ينمي في الطالب الرغبة في القراءة، فليس هذا وحده بكافٍ بل لابد من تنمية مهارة القراءة الذكية لدى الطالب حتى تكون قراءته أكثر ثمرة وأبلغ أثراً في بناء شخصية المتعلم.

ومما تشمله مهارات القراءة الذكية:

أ- القدرة على الاختيار المناسب لما يقرؤه.

ب- تعلم مهارات القراءة السريعة.

ج- تنمية القدرة على فهم المقروء وبالأخص استيعاب الفكرة العامة التي يريد المؤلف إيصالها والتفريق بين الفكرة العامة وبين الشواهد والأمثلة والتفريعات.

د- تنمية القراءة الناقدة التي تجعل الطالب يفكر ويُقوِّم ما يقرؤه دون التلقي المجرد، وينبغي أن يلحظ هذا التدرج، ومراعاة قدرات الشاب وثقافته وأنه يحتاج إلى مرحلة يعتاد فيها القراءة ومرحلة يفهم فيها وتبني ملكاته العلمية، ومرحلة ينتقل فيها إلى القراءة الناقدة، ومن المناسب أن يوجه في بداية المرحلة إلى كتابات مناسبة وكتّاب مناسبين.

هذه المهارات يمكن أن تُعلَّمَ للطالب من خلال برامج منظمة للقراءة، أما مجرد إلقاء دروس وتوجيهات حول القراءة وأساليبها فهذا محدود الجدوى قليل الفائدة[1].

---

(١) انظر: تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٨٦، ٨٧.

١٧٠- باب ما يقول إذا ركب دابَّة للسفر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[الزخرف: ١٢-١٣].

الحديث رقم (٩٧٣)

٩٧٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجاً إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلاثاً، ثُمَّ قَالَ: ((**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ. اللَّهُمَّ إنا نسألكَ في سفرنا هذا البرّ والتَّقوى، ومنَ العملِ ما ترضى، اللَّهُمَّ هَوِّن عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ، والخَلِيفَةُ في الأهْلِ. اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ**[1])) وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: ((**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**)) رواه مسلم[2].

معنى "مُقْرِنِينَ": مطيقين. "والوَعْثَاء" بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد، وهي: الشدة. "والكَآبة" بالمد، وهي تغير النفس من حزن ونحوه، "والمُنْقلَب": المرجع.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

استوى: استقر[3].

---

(١) (والولد) لا توجد عند مسلم، وهي عند ابن حبان، الإحسان ٢٦٩٦ وإسناده صحيحٌ.

(٢) برقم ١٣٤٢/٤٢٥.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ي).

مقرنين: مطيقين[١].

البر: الطاعة والعبادة[٢].

واطو: قربه لنا وسهله[٣].

الوعثاء: الشدة[٤].

الكآبة: تغير النفس من حزن ونحوه[٥].

المنقلب: المرجعُ[٦].

آيبون: راجعون[٧].

الشرح الأدبي

السفر قطعة من العذاب يفارق الإنسان أهله، وماله، وولده، ووطنه الذي درج فيه مما يحدث في الوجدان حالة من الضيق، والحزن، والهم الناشيء عما هو قادم عليه فاحتاج فيه إلى سكن نفسي، ومدد روحي، ولا يتحقق ذلك إلا خلال الدعاء النبوي الذي خصه النبي ﷺ بهذه المناسبة، وقد تكون من عناصر تعالج في النفس هذه الأحاسيس منها: تنزيه الله تعالى المتضمن للاعتراف بحوله، وقدرته في تيسير السبل، والوسائل، (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا) وقوله: (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) استشعار للأمان باليقين بأن الرجوع إليه يريح النفس من القلق من الأخطار المحدقة بالمسافر، العنصر الثاني، التوجه بالدعاء، والخضوع لله للنجاة من أخطار السفر، وتخفيف تبعاته (اللَّهُمَّ هَوِّن عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ)، العنصر الثالث:

---

(١) رياض الصالحين ٣٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

(٣) المرجع السابق، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط و ي).

(٤) رياض الصالحين ٣٧٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) لسان العرب، ابن منظور في (أ و ب).

يتضمن تأمين الغرض المقصود من السفر وتأمين الأخطار على الأهل، والولد (اللَّهُمَّ إِنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ) والتعبير بالوعثاء يوحي بالشدة، والمشقة، والعناء، وبإضافتها للسفر تتخذ أبعاداً إيحائية جديدة تنبع من طبيعة السفر، والتعبير بالكآبة يوحي بمختلف أشكال المخاوف التي تعتري النفس، وتسيطر عليها، ومن الملاحظ في هذا الدعاء تكرار صيغة النداء الخاصة (اللهم) تهالكاً في الخضوع، وبياناً لكمال الاستسلام، كما تضمن الدعاء بصيغة الجمع في كل مراحله ليجاب للشخص بدعاء غيره من الصالحين، كما ثبر الدعاء غور النفس البشرية في كل ما يعتريها بسبب السفر.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة إذا خرج من بيته وأراد ركوب دابته أن يقول: بسم الله فإذا استوى عليها قال: الحمد لله ثم يأتي بالتسبيح والذكر والدعاء الذي ثبت في الأحاديث)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: شكر الله وتمجيده عند استعمال نعمه سبحانه وتعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: التضرع إلى الله ودعاؤه وقت السفر.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه.

خامساً: من آداب المدعو: الحرص أن يكون حاله في استقامة وزيادة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر...".

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٠ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٧٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٧٤).

وكذلك قول عبدالله بن سَرْجِس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر....

والإخبار هنا ينقل فعلاً من أفعال النبي ﷺ المتكررة، وذلك ليعرفه المدعوون ومن ثم يقع منهم الاقتداء به ﷺ والامتثال لفعله ﷺ. ولا أدل على ذلك من كثرة المطبوعات التي تحمل دعاء السفر، وذلك في وسائل المواصلات المختلفة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: شكر الله وتمجيده عند استعمال نعمه سبحانه وتعالى:

هذا واضح من قول النبي ﷺ عندما يستوي على البعير خارجاً إلى سفر، فإنه ﷺ قال: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون".

وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[1].

قال الطاهر بن عاشور: (إن ذكر النعمة في حال التلبس بمنافعها، أوقع في النفس وأدعى للشكر عليها، وأجدر بعدم الذهول عنها، أي جعل لكم ذلك نعمة لتشعروا بها فتشكروه عليها، فالذكر هنا هو التذكر بالفكر لا الذكر باللسان، وهذا تعريض بالمشركين إذ تقلّبوا في نعم الله وشكروا غيره، إذ اتخذوا له شركاء في الإلهية وهم لم يشاركوه في الإنعام، وذكر النعمة كناية عن شكرها، لأن شكر المنعم لازم للإنعام عرفاً، فلا يصرف عنه إلا نسيانه، فإذا ذكره الشكر النعمة. وعطف على "تذكروا نعمة ربكم" قوله: "وتقولوا سبحان الله الذي سخر لنا هذا" أي لتشكروا الله في نفوسكم وتعلنوا الشكر بألسنتكم، فلقنهم صيغة شكر، عناية به كما لقنهم صيغة الحمد في سورة الفاتحة، وصيغة الدعاء في آخر سورة البقرة، وافتتح الشكر اللساني بالتسبيح لأنه جامع للثناء، إذ التسبيح تنزيه الله عما لا يليق، فهو يدل على التنزيه عن النقائص بالصريح، ويدل ضمناً على إثبات الكمالات لله في المقام

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ١٢-١٤.

الخطابي، واستحضار الجلالة بطريق الموصولية، لما يؤذن به الموصول من علة التسبيح، حتى يصير الحمد الذي أفاده التسبيح شكراً لتعليله بأنه في مقابلة التسخير لنا...

والتسخير: التذليل والتطويع، وتسخير الله الدواب هو خلقه إياها قابلة للترويض فاهمة لمراد الراكب، وتسخير الفلك حاصل بمجموع خلق البحر صالحاً لسبح السفن على مائه، وخلق الرياح تهب فتدفع السفن على الماء، وخلق حيلة الإنسان لصنع الفلك، ورصد مهاب الرياح، ووضع القلوع والمجاذيف[1]، ولولا ذلك لكانت قوة الإنسان دون أن تبلغ استخدام هذه الأشياء القوية. ولهذا عقب بقوله "وما كنا له مقرنين" أي مطيقين أي بمجرد القوة الجسدية، أي لولا التسخير المذكور... أي سخرها لنا في حال ضعفنا بأن كان تسخيره قائماً مقام القوة... وختم هذا الشكر والثناء بالاعتراف بأن مرجعنا إلى الله، أي بعد الموت بالبعث للحساب والجزاء. وهذا إدماج لتلقينهم الإقرار بالبعث. وفيه تعريض بسؤال إرجاع المسافر إلى أهله، فإن الذي يقدر على إرجاع الأموات إلى الحياة بعد الموت، يرجى لإرجاع المسافر سالماً إلى أهله)[2].

وقال ابن هبيرة: (إنما تكبيره ثلاثاً، فإنه عليه السلام لما كبر ثلاثاً شرع التكبير لكل مسافر عند توجهه إليه، ليصرم بقوله: "الله أكبر" ما يتهجسه في سره من هذه المشقة، وحوادث السفر، وأخطاره والبعد عن الوطن وإنهاره[3]، فاستعان على ذلك كله بتكرير التكبير، فإنه إذا قال: "الله أكبر" عندما يتهجسه من مخاوف السفر، صغر كل ذلك وكل كثير عند قول المؤمن: "الله أكبر"، ولذلك إذاذكر ما وراءه من الأهل والوطن، ورأى أن سفره لله في سبيله، فقال: "الله أكبر مما نزلت وأرى، والله أكبر مما أخاف من بين يدي" فقد تدرع بدرع حصينة في ذلك، فأما تكريره التكبير ثلاثاً: فواحدة لما بين يديه، وواحدة لما وراءه، وواحدة لحاله في نفسه.

---

(١) هكذا بالذال وهو صحيح في اللغة ويقال كذلك مجداف بالدال، انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي في (ج ذ ف).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٠/٢٥/١٧٤-١٧٥.

(٣) هكذا في المطبوع.

وقوله: "سبحان الذي سخر لنا هذا" أي ذلل لنا هذا الركوب، وذلك أن أول نعم الأسفار أن ذلل الله تعالى حيواناً ذا أبد[1] يحمل نقل الآدميين ولا يتجاوز أبده إلى الحد الذي يقهر راكبه، فجعل الله عز وجل ما سخر من الدواب بقوة تنفع راكبها، ولا تبلغ إلى الحد الذي يقهره عن إذلاله.

وقوله: "مقرنين" مطيقين، "وإنا إلى ربنا لمنقلبون" أي راجعون في الآخرة، ومعناه إنه لما توجه إلى السفر، كان من أعظم الأشياء خطورة في قلبه، ذكر انقلابه إلى أهله في الغالب، فأنزل الله عز وجل ما أنزل في هذه الآية من ذكره.

"وإنا إلى ربنا لمنقلبون" يعني أن المؤمنين إذا ذكروا منقلبهم إلى ربهم، كان ذلك متلاشياً معه ذكر ميلهم إلى أهلهم وأوطانهم في هذه الدنيا، ولذلك فلم يقل الله: فإنا إلى مواطننا في الآخرة لمنقلبون؛ لأن تلك المواطن مخلوقة أيضاً فأنزل الله سبحانه، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، أي حالتنا، إذ لامساواة بين الخالق والمخلوق عند المؤمن في حال)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: التضرع إلى الله ودعاؤه وقت السفر:

هذا واضح من الحديثين، فوقت السفر وقت شدة وكرب وهمٍّ، ولذلك تضرع النبي ﷺ إلى الله ودعاه. قال ابن القيم عن فوائد الذكر، وقد جعلها أكثر من مائة فائدة قال: (التاسعة والخمسون: أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذُكِر اللهُ عز وجل على صَعْب إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه (الستون): [أي الفائدة الستون]: أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى

---

(١) يقال: أبد أبوداً: توحش وانقطع عن الناس. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ب د).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٨٢-٢٨٣.

حسنٌ قد جرّب هذا وهذا)[١].

(وقد دعا النبي ﷺ بهذا الدعاء في سفره[٢]: فقال: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى" (البر فعل الطاعات، والتقوى ترك المعاصي والذنوب، هذا عند اجتماعهما في الذكر، كما في هذا النص، وأما إذا ذكر كل واحد منهما منفرداً فإنه يتناول معنى آخر، وقوله "اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده" أي يسره لنا وقصر لنا مسافته. وقوله "اللهم أنت الصاحب في السفر" المراد بالصحبة المعية الخاصة التي تقتضي الحفظ والعون والتأييد، ومن كان الله معه فممّن يخاف؟

وقوله "الخليفة في الأهل" الخليفة من يخلف من استخلفه فيما استخلف فيه، والمعنى: أني أعتمد عليك وحدك يا الله في حفظ أهلي[٣].

وقوله "اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر" أي من مشقته وتعبه. وقوله "وكآبة المنظر" أي سوء الحال والانكسار بسبب الحزن والألم[٤]. وقوله "وسوء المنقلب" أي الانقلاب والقفول من السفر بما يحزن ويسوء، سواء في نفسه أو في ماله وأهله)[٥].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه:

وهذا واضح من تعوذ النبي ﷺ من دعوة المظلوم كما في حديث عبدالله بن

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٤٩-٣٥٠ مجموعة الحديث.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٥٣-٤٥٥.

(٣) قال ابن العربي: (والصاحب يرجع إلى العالم والحافظ بمعنىً، وإلى اللطيف بآخر، وبالجملة فإن من كان الله معه لم يعدم فائدة ولا تطرقت إليه آفة، والصاحب اسم شريف وخطة رفيعة، سمى الله تعالى بها نفسه على لسان نبيه. وسمى بها رسوله ﷺ فقال عز من قائل: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[النجم: ٢]، والخليفة يرجع معناه إلى معنى الوكيل ويرجع إلى الآخر، وإلى الباقي من أقسام الآخر، لأن الخلافة هي عمل بعد ذهاب المستخلف، والباري سبحانه وتعالى آخر بعد كل أحد بدوام الوجود، كما هو أول قبل كل أوّل بعد ابتداء الوجود. القبس شرح الموطأ ٢٣/٢٧٥-٢٧٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٤) قال ابن الأثير في تفسير "كآبة المنظر": تغيير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن، المعنى أن يرجع من سفره بأمر يحزنه إما أصابه في سفره وإما قدم عليه، مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى أو قد فقد بعضهم. النهاية في غريب الحديث ٧٨٧.

(٥) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط/١، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، القسمان الثالث والرابع ص ٢٧٢.

سَرْجِس رضي الله عنه. قال النووي: (أي أعوذ بك من الظلم، فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه)[1].

وقد حذّر النبي ﷺ أمته من الظلم، فقال ﷺ: ((اتَّقُوا الظُّلْمَ. فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ. فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ))[2].

قال عبدالله البسام: (الحديث فيه التحذير من الظلم، والأمر باجتنابه والبعد عنه، فإنه خطر العاقبة، ذلك أنه ظلمات يوم القيامة، فالمؤمنون مستضيئون بنور إيمانهم، ويقولون ربنا أتمم لنا نورنا، وأما الظالمون لربهم بالشرك أو لأنفسهم بالمعاصي أو لغيره في الدماء والأموال أو العرض، فهؤلاء يمشون في دياجير الظلم فلا يهتدون سبيلاً. ويدل الحديث على التحذير من الشح والبخل، فإنه صار سبب هلاك الأمم السابقة، حملهم الحرص على المال على الاعتداء على أموال غيرهم، فصارت الحروب والفتن التي صارت سبب هلاكهم، واستحلال محارمهم، وهذا هلاك في الدنيا.

كما أنه سبب للهلاك الأخروي، فإن الاعتداء على مال الغير، والاعتداء على محارمه وسفك دمه من أكبر الظلم وأشد الإثم، وهذه المعاصي هي سبب الهلاك في الآخرة وعذاب النار)[3].

وقال رسول الله ﷺ: ((الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ))[4].

قال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، لأنه لو استنار

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٩/٥، .

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٠٥/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٩.

بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى، اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً)[١].

خامساً- من آداب المدعو: الحرص أن يكون حاله في استقامة وزيادة:

هذا يستفاد من تعوذ الرسول ﷺ من الحور بعد الكور، ورواية الترمذي[٢]: "ومن الحور بعد الكور" وقال الترمذي: (ويروى: الحور بعد الكون" أيضاً، ومعنى قوله "الحور بعد الكون" أو "الكور" وكلاهما له وجه، إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة إلى المعصية، إنما يعني من رجوع شيء إلى شيء من الشر)[٣].

وقال النووي: (وكذا قال غيره [أي غير الترمذي] من العلماء معناه؛ بالراء والنون جميعاً: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص، قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها، ورواية النون مأخوذة من الكون مصدر كان يكون كوناً، إذا وجد واستقر.

قال المازري[٤] في رواية الراء: قيل أيضاً: إن معناه: أعوذ بك من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا فيها، يقال: كار عمامته إذا لفها، وحارها إذا نقضها. وقيل: نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها، كفساد العمامة بعد استقامتها على الرأس.

وعلى رواية النون. قال أبو عبيد: سئل عاصم، عن معناه فقال: ألم تسمع قولهم: حار بعد ما كان؟ أي أنه كان على حالة جميلة فرجع عنها)[٥]. أي أن المقصود من هذا الدعاء، هو التعوذ من أن يعقب الشرُّ الخير، والنقصُ الزيادةَ، ولاشك أن هذا يدل على أن المدعو يحرص أشد الحرص على أن يستغل ساعاته وأوقاته وأنفاسه في إصلاح حاله والعمل على زيادة ذلك، وفي ذلك يقول ابن القيم: (لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر، وله عليه فيه نهيٌ، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة. فإن قام لله في ذلك

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠٠/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٦/١٦/٨ .

(٢) سنن الترمذي ٣٤٣٩.

(٣) سنن الترمذي ص ٧٨٦.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٣٧١/١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٨/٩/٥-١١٩ .

العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به. وإن عطل أمر الله ونهيه فيه، عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقتٍ من أوقاته عبوديةٌ، تقدمه إليه وتقربه منه؛ فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر. فالعبد لا يزال في تقدم أو تأخر، ولا وقوف في الطريق ألبتة. قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[1])[2].

---

(١) سورة المدثر، آية: ٧٣.

(٢) الفوائد ٢٧٤.

الحديث رقم (٩٧٤)

٩٧٤- وعن عبد الله بن سَرجِسَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ. رواه مسلم[1].

هكذا هُوَ في صحيح مسلم: (الحَوْر بَعْدَ الكَوْنِ) بالنون، وكذا رواه الترمذي والنسائيُّ[2]، قَالَ الترمذي: وَيُرْوَى (الكَوْرُ) بالراء، وَكِلاهما لَهُ وجه.

قال العلماء: ومعناه بالنون والراء جميعاً: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص. قالوا: ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة، وهو لفها وجمعها، ورواية النون، من الكَون، مصدر "كان يكون كَونًا" إذا وُجد واستقر.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سرجس: وهو عبدالله بن سَرْجِس المُزَنيّ، وقيل المخزومي، حليفٌ لبني مخزوم، وعداده في البصريين، ذكره الإمام ابن سعد في كتابه الطبقات في طبقة من نزل بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ.

له صحبة، وقال عاصم الأحول: عبدالله بن سرجس رأى النبيَّ ﷺ ولم يكن له صحبة، وقال أبو عمرو: لا يختلفون في ذكره في الصحابة، ويقولون له صحبة على مذهبهم في اللقاء والرؤية والسماع، وأما عاصم الأحول فأحسبه أراد الصحبة التي يذهب إليها العلماء، وأولئك قليل.

روى عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وأبي هريرة رضي الله عنهم، وروى له الجماعة سوى البخاريُّ.

صحَّ أنه رأى النبي ﷺ وأكل معه خبزاً ولحماً، واستغفر له رسول الله ﷺ، فروى مسلم بسنده عن عاصم عن عبدالله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت

---

(١) برقم ١٣٤٣/٤٢٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٣٩، والنسائي في المجتبى ٥٤٩٨.

معه خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً، قال: فقلت له: أَستَغْفَرَ لك النبي؟ قال: نعم ولك، ثم تلا هذه الآية ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1] قال: ثم دُرْتُ خلفه، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جُمْعاً عليه خِيْلان كأمثال الثآليل[2].

نزل البصرة وعاش بها إلى أن توفي فيها سنة نيّف وثمانين، في دولة عبدالملك بن مروان[3].

غريب الألفاظ:

يتعوَّذ: يستجير ويلوذ بالله[4].

وعثاء السفر: شدته ومشقته[5].

كآبة المنقلب: الكآبة: تغيُّر النفس بالانكسار من شدة الحزن والهمِّ، والمنقلب: المرجع[6].

الحَوْرُ: أصلُه نقض العمامة بعد لفها، ومعناه: النقصان، وقيل: فساد الأمور، وقيل: الرجوع عن الجماعة[7].

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٤٦. وقوله: ناغض كتفه يعني أعلى كتفه، وهي العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك، وأما قوله جُمْعاً: أي كجُمْع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها، وأما الخِيلان بكسر الخاء وإسكان الياء مع خال وهو الشامة في الجسد، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٨٠، ٨١.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٨/٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٨، ٤٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٥٧/٣، ٢٥٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٧٧٩، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٢٦/٣، ٢٧)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٤٥/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٤٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع و ذ).

(٥) المرجع السابق في (و ع ث).

(٦) المرجع السابق في (ك أ ب).

(٧) المرجع السابق في (ح و ر) ورياض الصالحين ٣٨٠.

الكور: أصله تكوير العمامة أي لفها، ومعناه هنا: الاستقامة، أو الزيادة، أو صلاح الأمور[١].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن دعاء السفر السابق مع بعض الاختلاف، وقد بدأه الراوي بما يدل على أن ذلك صار عادة في سفره حيث بدأ بكان، وتبعها بأسلوب الشرط الذي يربط السفر بهذا الدعاء، وقد زاد عن الدعاء السابق قوله (وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ) وهوكناية عن المخاوف التي يخشى أن تعتريه في منقلبه، وقوله (وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ) كناية عن الرجوع عن الاستقامة، أو تبدل الحال إلى الأسواء، وقوله (دعوة المظلوم) هو استعاذة من الظلم ابتداءً، وقد جاء على سبيل المجاز الإرسالي بإطلاق المسبب، وإرادة السبب وهو الظلم، وتتجلى بلاغة هذا المجاز بأنه يذكر بالعاقبة التي يؤدي إليها الظلم، وهي دعوة المظلوم التي ليس بينها، وبين الله حجاب، واستعاذة الرسول منها تحذير من خطرها، وتعليم لأمته كيفية الدعاء، وإلا فهو أبعد الخلق عن الظلم.

المضامين الدعوية[٢]

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك و ر)، ورياض الصالحين ٣٨٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٧٥)

٩٧٥- وعن عَلِي بن ربيعة، قَالَ: شهدت عليَّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ للهِ [1]... الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، ثُمَّ قَالَ: الحمْدُ للهِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيتُ النبيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فقُلْتُ: يَا رسول اللهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: ((إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ [2]، وقال: (حديث حسن)، وفي بعض النسخ: (حسن صحيح). وهذا لفظ أَبي داود.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

الركاب: حلقة أو نحوها تُعلّق بالسرج يجعل الراكب فيها رجله، وهما ركابان [3].

استوى: استقر [4].

مقرنين: مطيقين [5].

لمنقلبون: لراجعون [6].

---

(١) عند أبي داود والترمذي زيادة: (ثمَّ قال: سبحان).

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له ٢٦٠٢، والترمذي ٣٤٤٦ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٢٦٩٨، وقال الحاكم ٢/٩٩: هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٢، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ك ب).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (س و ى).

(٥) رياض الصالحين ٣٧٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ب).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تطبيق عملي لأدعية السفر التي علمها الرسول ﷺ لأصحابه، وقد دارت الأحداث حول الإمام علي كرم الله وجهه، وقوله (اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا) كناية عن استقراره فوقها، وقوله (بسم الله) فيه إيجاز بالحذف أي أبدأ بسم الله وتكرار (الحمد لله، والله أكبر) تقريراً لمعناها في النفس، وتلذذاً بذكر الله، وتعظيماً للثواب، وقبل كل ذلك توجيه نبوي لأن العدد في الذكر توقيفي، وقوله (سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) تنزيه لله يتلوه هضم للنفس بالاعتراف بالذنب، ثم أسلوب القصر الذي يقصر المغفرة على الله، وينفيها عن من سواها، وقوله (إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ)، وتأمل دقة المتابعة حتى في الأفعال التي تبدو عفوية مثل الضحك اقتدى فيها الإمام بالرسول ﷺ (ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟) والاستفهام للتعجب لرؤيتهم لضحكه دون معرفة سببه فعلله بقوله (قَالَ: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ) فشبه فعله بفعله، وضحكه بضحكه، وضحك الرسول كناية عن الرضا، ودليل على خير عظيم أطلعه الله عليه، وقد رأى الإمام ضحك الرسول ﷺ بعد هذا الحدث فسئل السؤال نفسه له (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟) استفهام تعجب وقوله (إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي) يشير إلى عظمة الاستغفار من حيث أن المستغفر معترف ذليل مستغرق في المذلة معترف بالله، وقدرته على أخذه بذنبه، وشاهد بنعمته عليه بستره فنشأت من هذه الحالة عبودية عظيمة كان لها هذا الأثر.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: ذكر الله وشكره عند استعمال النعمة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: عظم فضل الله على عباده.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو تعليمٌ بالفعل، فقد أتى بداية

ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله. فلما استوى على ظهرها، قال: الحمد لله. ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾[1] ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات... ثم ضحك فقال له بعض من كان معه: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟

فلا يستبعد أن يكون من أهداف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فعله هذا تعليم من كان معه، بدليل أن أحدهم سأله عن سبب ضحكه بعد أن قال ما قال فأجابه بقوله: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت ثم ضحك. ولاشك أن هذه الوسيلة الدعوية التعليمية لها تأثير كبير في نقل المضمون الدعوي إلى المدعوين.

ولقد كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم يحرصون على تعليم غيرهم بالأفعال، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فقد رأى حمران مولى عثمان ((عُثمانَ بنَ عَفّانَ دَعا بإناءٍ فأفْرَغَ على كفَّيهِ ثَلاثَ مِرارٍ فغَسلَهُما ثمَّ أدْخَلَ يَمينَهُ في الإناءِ فَمَضْمضَ واسْتَنْشَقَ، ثمَّ غَسل وَجْهَهُ ثَلاثاً، ويَدَيه إلى المِرْفَقَينِ ثلاثَ مِرارٍ، "ثمَّ" مَسحَ رأْسهِ ثمَّ غَسلَ رِجلَيهِ ثَلاثَ مِرارٍ إلى الكَعْبينِ، ثمَّ قال: قال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم منْ تَوضَّأَ نَحوَ وُضوئي هذا، ثمَّ صلَّى رَكعَتَيْن لا يُحدِّثُ فيهما نَفْسَهُ، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[2].

قال ابن حجر: (وفي الحديث التعليم بالفعل لكونه أبلغ، وأضبط للمتعلم)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: ذكر الله وشكره عند استعمال النعمة:

هذا واضح من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه إخباراً عن النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله، لما وضع رجله في الركاب، والحمد لله و"سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات والله أكبر ثلاث مرات...

فواضح أن ذلك ذكر لله عند ركوب الدابة، وهي نعمة من الله عظيمة، وهذا الذكر شكر للمنعم سبحانه، قال ابن القيم: (إن الذكر رأس الشكر، فما شكر

---

(١) سورة الزخرف، آية: ١٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ومسلم ٢٢٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣١٣/١ .

الله تعالى من لم يذكره. وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال: رب قد أنعمت علي كثيراً، فدلني على أن أشكرك كثيراً، قال: اذكرني كثيراً، فإذا ذكرتني كثيراً فقد شكرتني كثيراً، وإذا نسيتني فقد كفرتني. وقد ذكر البيهقي أيضاً في شعب الإيمان عن عبدالله بن سلام قال موسى عليه السلام: "يا رب، ما الشكر الذي ينبغي لك؟ فأوحى الله تعالى إليه أن لا يزال لسانك رطبًا من ذكري، قال: يا رب، إني أكون على حال أُجِلُّك أن أذكرك فيها. قال: وما هي؟ أكون جنباً أو على الغائط أو إذا بلت. فقال: وإن كان، قال: يا رب فما أقول؟ قال: تقول سبحانك وبحمدك وجنبني الأذى وسبحانك وبحمدك فقني الأذى".

قلت [أي ابن القيم]: قالت عائشة رضي الله عنها: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في كل أحيانه))[1] ولم تستثن حالة من حاله، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته. وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها. وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم: ((بسمِ اللّهِ، اللهمَّ جَنِّبْنا الشيطانَ وَجَنِّبِ الشيطانَ ما رَزَقْتَنا))[2].

وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب، لأنه لابد لقلبه من ذكر، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه...، ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة، وهي من أجل الذكر، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها، واللائق بهذه الحال التقنع بثوب الحياء من الله تعالى، وإجلاله وذكر نعمته عليه، وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له، الذي لو بقي فيه لقتله، فالنعمة في تيسير خروجه كالنعمة في التغذي به. وكان علي بن أبي طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال: يا لها من نعمة، لو يعلم الناس قدرها، وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في منفعته،

---

(١) أخرجه مسلم ٣٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١، ومسلم ١٤٣٤.

وأذهب عني مضرته، وكذلك ذكره حال الجماع، ذكر هذه النعمة التي منَّ بها عليه وهي من أجل نعم الدنيا، فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها، هاج من قلبه هائج الشكر. فالذكر رأس الشكر. وقال النبي ﷺ لمعاذ: ((وَاللهِ يامُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فلا تدعن في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ))[1]. فجمع بين الذكر والشكر، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[2] فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح)[3].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: عظم فضل الله على عباده

هذا واضح من سؤال علي بن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن سبب ضحكه فقال له النبي ﷺ: "إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري" فهذا من فضل الله ومنّه أنه يغفر ذنوب عباده ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[4].

قال ابن عثيمين: (وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيان سعة مغفرة الله ورحمته، وأنه عز وجل يفرح من عبده إذا استغفر وتاب إليه... فعليك - أخي المسلم- أن تتوب إلى الله وترجع وتستغفر، وتعلم أنك متى استغفرت الله تعالى بصدق وإخلاص، فإن الله تعالى يغفر لك ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمٗا﴾[5])[6].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٣٧-٣٣٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٢٥.

وما يدل كذلك على عظم فضل الله على عباده هذا الحديث القدسي: قال رسول الله ﷺ ((قالَ الله تَبَارَكَ وتعَالى: يا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كانَ منكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[1].

وقد جعل النووي هذا الحديث من الأحاديث الكلية، فجعله في كتابه الأربعين النووية[2].

قال ابن رجب الحنبلي: (وأفضل أنواع الاستغفار، أن يبدأ العبدُ بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل المغفرة كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ سَيِّدَ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ)) أخرجه البخاري[3]... قال قتادة: (إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار. قال بعضهم: إنما معول المذنبين البكاء والاستغفار، فمن أهمته ذنوبه أكثر لها من الاستغفار)[4].

وقال ابن القيم عن فضل الله في مغفرة الذنوب: (العبد لا يريد بمعصيته مخالفة سيده، ولا الجرأة على محارمه، ولكن غلبات الطبع، وتزيين النفس والشيطان، وقهر الهوى، والثقة بالعفو، ورجاء المغفرة، هذا من جانب العبد. وأما من جانب الربوبية فجريان الحكم، وإظهار عزِّ الربوبية وذلِّ العبودية، وكمال الاحتياج، وظهور آثار الأسماء الحسنى: كالعفوِّ، والغفور، والتوّاب، والحليم - لمن جاء تائباً نادماً؛ والمنتقم،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٠٥).

(٢) وهو برقم ٤٢، انظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٠٠-٤١٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤١٢-٤١٥.

والعدل، وذي البطش الشديد- لمن أصرَّ ولزم المجرَّة. فهو سبحانه، يريد أن يري عبده تفرُّده بالكمال ونقص العبد، وحاجته إليه. ويشهده كمال قدرته وعزّته، وكمال مغفرته وعفوه ورحمته، وكمال برِّه وستره وحلمه وتجاوزه وصفحه، وأن رحمته به إحسان إليه لا معارضة، وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك لا محالة. فلله كم في تقدير الذنب من حكمة، وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة ورحمة)[1].

وقال د. عائض القرني عن سماحة الشريعة الإسلامية وكثرة الأسباب المؤدية إلى مغفرة الذنوب: (مما يفرح العبد المسلم، ما في الشريعة من الثواب الجزيل والعطاء الضخم، يتجلّى ذلك في المكفرات العشر، كالتوحيد وما يكفره من الذنوب. والحسنات الماحية، كالصلاة، والجمعة إلى الجمعة، والعمرة إلى العمرة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأعمال الصالحة. وما هناك من مضاعفة الأعمال الصالحة، كالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. ومنها التوبة تجُبُّ ما قبلها من الذنوب والخطايا. ومنها المصائب المكفِّرة، فلا يصيب المؤمن من أذى إلا كفَّر الله به من خطاياه. ومنها دعوات المسلمين له بظهر الغيب. ومنها ما يصيبه من الكرب وقت الموت. ومنها شفاعة المسلمين له وقت الصلاة عليه. ومنها شفاعة سيد الخلق ﷺ ورحمة أرحم الراحمين تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2]، ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3])[4].

---

(١) الفوائد ١٠٢.

(٢) سورة النحل، آية: ١٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ٢٠.

(٤) لا تحزن ٢٨٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الدعاء:

إن الدعاء باب عظيم، فإذا فُتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، فمن رجي الخير وطمع في الفضل فليلجأ إلى ربه وليرفع إليه أكف الضراعة[1]، وإذا نظرنا إلى أحاديث الباب نجدها مفعمة بالدعوات المباركات التي سن الرسول ﷺ الدعاء بها من قِبَلِ المسافرين والضاربين في الأرض فهي تجمع كل رغبات المسافر من سؤال الخير، وبعد عن الشر والعون على صالح العمل، وعدم التعب، والاستعانة بالله في متطلبات السفر وحاجات الأهل، وسؤال الحفظ من الله في المال والأهل والولد، ومن هذه الأدعية التي كان يدعو بها رسول الله ﷺ في سفره: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ. اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا. وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ....» وهكذا ينبغي على المسلم بصفة عامة سواء أكان مربياً أم متربياً أن يستعين بالله تعالى في كافة أحواله في حله وترحاله.

إن الدعاء من الأركان الرئيسة التي يجب أن يحرص عليها كل مسلم ومسلمة خاصة الوالدين لأن دعاء الوالدين مستجاب عند الله تعالى، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقوداً، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلب الوالدين، فيتضرعان إلى الله تعالى ويبتهلان إليه في إصلاح الذرية، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام[2].

إن اللجوء إلى الله تعالى والابتهال إليه ودعائه في السراء والضراء يُشعر المسلم بالعزة ويربيه على القوة والاعتزاز بربه ودينه "فالدعاء هو سبيل القوة الحقة فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة.

---

(١) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٥٠٩، ٥١٠.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٥، ٨٦.

إن في إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعينه إذا احتاج، إنه إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة المطلقة والرضا[1].

ثانياً- من مصادر التربية: القرآن الكريم:

إن المصدر الأول والرئيس للتربية الإسلامية هو القرآن الكريم، وتأتي السنة النبوية المطهرة في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، حيث يشكلان معاً النبع الصافي للتربية الإسلامية، فالقرآن الكريم حافل بالقصص والأمثلة والدروس والعبر والوسائل والأساليب التربوية التي تعد زاداً عظيماً للقائمين على أمور التربية في شتى مجالات الحياة.

إنه المنهج السديد والطريقة المستقيمة الموصلة إلى الغاية المنشودة والهدف المأمول، إن الرسول ﷺ حرص دائماً على ربط المسلمين بالقرآن الكريم في حِلّهم وتِرْحالهم وفي جميع أحوال حياتهم، ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من ابتدائه ﷺ أدعية السفر بآيتين من كتاب الله عز وجل: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[2].

إن للقرآن أسلوبه التربوي الفريد ومنهجه التربوي المتكامل، وحسبنا هنا أن نبين أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان حافلاً بالدروس التربوية والحِكم البالغة التي تُعد زاداً تربوياً عظيماً، مما يؤكد عناية القرآن الكريم بتربية الإنسان بأسلوب علمي متميز عن طريق الاطلاع والقراءة والتعليم والملاحظة العلمية لخلق الإنسان منذ كان علقة في رحم الأم فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[3]. وأن الله تعالى

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢٢٢-٢٢٥.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٣) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

أقسم أحد عشر قسماً ليقرر أن النفس الإنسانية قابلة للتربية والتزكية والتسامي، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1][2].

وخلاصة القول أن القرآن الكريم هو "المصدر الأساسي الأول للتربية الإسلامية والذي تستمد منه أهدافها ومادتها وطرقها ووسائلها، فهو كلام الحق تبارك وتعالى ومنهجه الشامل للحياة بكاملها، فللقرآن الكريم تطبيقاته وآثاره التربوية العظيمة التي تتسع باتساع مجالات الحياة ومن هذه المجالات والآثار ما يلي:

أ- آثاره في تربية (الفرد) تربية شاملة ومتكاملة: جسمياً، وعقلياً، واعتقادياً، وروحياً، وخلقياً، واجتماعياً، ونفسياً، وإرادياً، وجنسياً، وجمالياً.

ب- آثاره في تربية (الجماعة) وتنظيم الحياة في داخلها، أياً كانت هذه الجماعة: جماعة الأسرة، أو جماعة السكن والجوار، أو جماعة الرفاق والصحبة، أو جماعة الشركاء في تجارة أو عمل، أو غير ذلك من جماعات. وله آثاره في تربية كل من هذه الجماعات وتنظيم حركة الحياة فيها، ومن جميع جوانبها: الاجتماعية، والإنسانية، والخلقية، وغير ذلك من جوانب.

ج- آثاره في تنمية وبناء (المجتمع) و(الأمة)، مع إمكانية اتساع الأمة لتشمل البشرية بكاملها، ومن جميع جوانب شخصية المجتمع والأمة: دينياً، وسياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، وعسكرياً، وحضارياً[3].

ثالثاً- كمال الامتثال والاقتداء بالنبي ﷺ:

إن المربي القدوة ينبغي أن يتمثل أخلاق الرسول الكريم ﷺ ابتداءً ويترجمها إلى

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ١-١٠.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣- ٢٥.

(٣)انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٦٥- ٦٧.

سلوك عملي أصيل بحيث يكون نابعاً من ذاته، ولا مكان للتكلف فيه لأن الناشئ أو الشخص المستهدف بالتربية يدرك مدى صدق المربي وقناعته بسلوكه[1].

وقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم أرفع المثل الحية في كمال الاقتداء والتأسي بسنة رسول الله ﷺ، ومن تلك النماذج ما ورد في أحاديث الباب من حديث علي بن ربيعة رضي الله عنه الذي نقل لنا فيه ما صنعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نقل سنة رسول الله ﷺ في السفر لدرجة أنه نقل تلك الضحكة التي ضحكها رسول الله ﷺ فعن علي ابن ربيعة رضي الله عنه قال: «شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات. ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات. ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك فقلت: ...».

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المعلم والمربي القدوة من كمال الامتثال لأمر الله عز وجل والاقتداء بالرسول ﷺ، وذلك هو أول شرط وأعظمه لكي يحقق المعلم وظيفته التي كلف الله بها الرسل وأتباعهم، فإذ امتثل وانقاد انقياداً تاماً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال الله: "ولكن كونوا ربانيين" أي تنتسبون إلى الرب عز وجل بطاعتكم إياه وعبوديتكم له واتباعكم لشريعته ومعرفتكم لصفاته، كما يجب عليه أن يكون صادقاً فيما يدعو إليه، ويعلم غيره، وعلامة الصدق أن يطبق على نفسه، فإذا طابق عَمَلُه عِلْمَه اتبعه الطلاب وقلدوه في كل من أقواله وأفعاله، أما إذا خالف عمله لما يعلم ويدعو إليه فإن طلابه يشعرون بعدم عزمه على تحقيق ما يقول أو بعدم إيمانه بما يقول أو بعدم جدية أقواله[2].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ١٨٠.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٤١، ١٤٠.

رابعاً- الرحلات العلمية:

من الموارد والوسائط التربوية المفيدة الرحلات العلمية، ومن دلائل ذلك ما جاء في الحث على الأسفار سواء أكانت لأغراض دينية كالجهاد والحج أم كان لأغراض الكسب ورفع المستوى المعيشي، وكذلك السفر لطلب العلوم واكتساب الفنون، ويمكن لنا أن نستنبط ذلك ضمنياً من أحاديث الباب، حيث وردت في الحديث عن مقام الأسفار وما ينبغي لها من آداب تُراعى.

إن للرحلات العلمية أكبر الأثر في تقويم شخصية الإنسان وسلوكياته فضلاً عن اكتسابه المهارات والعلوم واتساع أفقه وتجدد نشاطه العلمي والحياتي.

إن من آمن بالعلم وأثره في تثقيف العقول ونمائها وتهذيب النفوس وصقلها طلبه في مظانه مهما بعدت الشقة وقل الزاد وتعذرت الراحلة.

ولقد سجلت لنا كتب الرحلات وكتب الأدب أخبار أعداد ضخمة ممن قطعوا المسافات الطويلة وتحملوا قسوة الحياة في سبيل تحصيل زادٍ علمي أو تحقيق مسألةٍ طال فيها الجدل أو لقاءَ عالمٍ مشهور ذاع صيته.

إن الرحلة في طلب العلم حقيقة واقعة، وإن ما بذل لها وأنفق فيها قد حدث فعلاً، وإن الذين وضعوا المعالم على الطريق كانوا رجال الحديث، ومما شجع على رحلات العلم، حبه، والرغبة في الاغتراف من منابعه من جهة، وما أوقفه الخيرون ورصده الأوفياء لطلاب العلم حثاً عليه وتشجيعاً لضبط مسائله من جهة أخرى.

لقد انتشرت في العالم الإسلامي منذ الرعيل الأول الرحلات العلمية وإنفاق المال والجهد في سبيل علم نافع، وقد دعا إلى هذه الرحلات العلمية:

أ- حب الناس للعلم وإقبالهم عليه واحتفاؤهم به ورغبتهم في التزود منه والتفوق في أفانينه وفنونه بعد أن استشعروا اللذة في تحصيله ورغبوا في أن ييسروا سبيله للطالبين حسبة لوجه الله تعالى.

ب- الأمانة العلمية فرضت على العلماء الرحلات العلمية رغبة في توثيق الحديث والتأكد من صدقه وسلامته، والدين يدعو للوفاء بالأمانة والوازع الديني من أقوى الدوافع.

ج- في الرحلة متعة، يرى المرتحل أماكن جديدة، ويزداد رصيده من الخبرة، ومن الصحبة، ومن المعرفة، وإن تحمل في سبيل ذلك الأهوال.

د- كان التنافس بين المشرق والمغرب في سبيل السبق العلمي لما يحفز الهمة.

هـ- المجد الأدبي، في أكثر الحالات، والمكسب المادي في بعض الحالات.

و- كان الناس يُقوِّمون العالم، بمقياس ما قام به من رحلة، وما تيسر له من قراءة، وما حصله من معرفة، ومَنْ جلس إليهم من علماء.

ز- دراسة الحديث، وتوثيقه، حتى يكون قوي السند، صادق الرواية.

ح- ما كان يقدم للمرتحلين من أسباب العون العلمي، والمادي.

وقد اتجهت الرحلات:

أ- إلى البادية، ليستمعوا إلى اللغة في أنقى أساليبها، وإلى الأدب في أرقى صوره، وإلى التاريخ في أصح رواياته.

ب- حيث يقيم الصحابة في البلاد المفتوحة، ليفقهوا المسلمين في أمور دينهم.

ج- إلى الأماكن المقدسة للحج، والتزود من حلقات العلم، وقد يطول المقام بها.

د- إلى مواطن الثقافة - أنَّى كانت- في بلاد المشرق، مصر، وبغداد، ودمشق، وفي بلاد المغرب قرطبة، وطليطلة، وقد تمتد الرحلة إلى ما وراء النهر، والهند.

هـ- إلى المدارس المختلفة، بعد أن ظهرت إلى الوجود، وبعد أن اتسعت مناهجها، واختير العلماء المبرزون للتدريس فيها، وامتلأت المكتبات بكتبها، ثم تكفلت لطلاب العلم بما يغنيهم، ويحفز هممهم.

و- وهناك رحلة الباحثين عن إشباع ميولهم في الدراسات الدينية، أو الأدبية، أو اللغوية، أو العلمية، أو الفلسفية، أو الاجتماعية[1].

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ٢٩٤-٢٩٧.

١٧١- باب تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوتِ بالتكبير ونحوه

الحديث رقم (٩٧٦)

٩٧٦- عن جابر رضي الله عنه ، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا ، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

من يتفقد حياة الرسول ﷺ يجد أن له عند كل حركة ذكراً، وعند كل سكنة، وقد صارت هذه الأذكار سنة من بعده لأمته في كل مكان، وزمان تربطهم بربهم، وتحميهم من شياطينهم، وتغسل قلوبهم من الحزن على الماضي، ومن الغم بالحاضر، و من الهم بالمستقبل، وهذا الحديث يعرض شكلا من أشكال التقلب مع ذكر الله يرويه جابر رضي الله عنه بقوله (كنا) الذي يدل على اعتيادهم ذلك، وناء الفاعلين تقرر أنه فعل جماعة لا فعل فرد مما يؤكد الفعل، وقد قابل بين صعدنا، ونزلنا ليستوعب حركة المسير انخفاضاً، وارتفاعاً مع ذكر الله بين التكبير، والتسبيح.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب للمسافر أن يكبِّر إذا صعد الثنايا وشبهها، ويسبح إذا هبط الأودية ونحوها، ويكره رفع الصوت بذلك لأحاديث الباب)[٢].

---

(١) برقم ٢٩٩٣.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٤/٤ ، بتصرف.

وقال النووي: (السنة أن يقول إذا رجع من سفره ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ إذا قَفَل من الحج أو العمرة... الحديث)[١].

وقد بوّب النووي على الحديث (٩٧٩) في كتاب الأذكار: باب استحباب طلبه [أي المسافر] الوصية من أهل الخير[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التكبير والتسبيح في السفر.

ثالثاً: من آداب المدعو: الانشغال بذكر الله تعالى.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

ورد أسلوب الإخبار بما كان يفعله النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في السفر من التكبير والتسبيح، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في الحديث "كنا إذا صعدنا كبرنا...".

وكذلك قول ابن عمر رضي الله عنهما: "كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علَوا الثنايا كبروا...".

قال د. محمد ساداتي الشنقيطي: (شخصية الرسول ﷺ هي الشخصية الأولى في حياة المسلمين، وهي المثل والقدوة، والكشف عن حقائقها مما يحقق الاستجابة لدعوة الحق... ولئن كانت الاستجابة للدعوة تتأثر إلى حد كبير بعناصر شخصية الداعية، فإن شخصية الرسول ﷺ قد جمعت الفضائل الخلقية والمكارم الإنسانية الرفيعة. وهي قبل ذلك شخصية متعبدة خاشعة متصلة بالله آناء الليل وأطراف النهار، وقد كشف الإخبار عنها في أبعادها النبوية والبشرية... وهو أيضاً يحقق الإقبال على سيرته العطرة)[٤]. وكذلك الإخبار عن أفعال الصحابة رضي الله عنهم في اقتدائهم بالنبي ﷺ يزيد

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٥٦ .

(٢) المرجع السابق ٢٤٩ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٧٧).

(٤) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام ٣٧٣-٣٧٥.

من فاعلية الدعوة إلى الاقتداء بالنبي ﷺ، فإن الصحابة رضي الله عنهم ما حققوا فلاحاً أو صلاحاً أو فوزاً إلا وكان طريقهم في ذلك الاقتداء به ﷺ.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التكبير والتسبيح في السفر:

وهذا واضح من الحديثين[1]، فالتكبير عند صعود الثنايا وما يشبهها، وقول سبحان الله عند الهبوط.

قال ابن حجر: (قال المهلب: تكبيره ﷺ عند الارتفاع، استشعار لكبرياء الله عز وجل، وعند ما يقع عليه العين من عظيم خلقه أنه أكبر من كل شيء، وتسبيحه في بطون الأودية مستنبط من قصة يونس، فإن بتسبيحه في بطن الحوت نجاه الله من الظلمات، فسبّح النبي ﷺ في بطون الأودية لينجيه الله منها. وقيل مناسبة التسبيح في الأماكن المنخفضة، من جهة أن التسبيح هو التنزيه، فناسب تنزيه الله عن صفات الانخفاض كما ناسب تكبيره عند الأماكن المرتفعة)[2].

وقال ابن عثيمين: (من آداب السفر أنه إذا صعد الإنسان شيئاً مرتفعاً، كالجبل وكذلك الطائرة إذا صعدت فإنه يكبّر يقول: "الله أكبر" إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً. وإذا نزل سبح قال سبحان الله مرة أو مرتين أو ثلاثاً، ووجه ذلك أن الإنسان إذا علا فإنه يرى نفسه في مكان عال، فقد يستعظم نفسه، فيقول: الله أكبر، يعني: لو علوت أيتها النفس فإن فوقك من هو أعلى منك، وهو الله عز وجل. أما إذا نزل فالنزول سفول ودنو وذل. فيقول: سبحان الله يعني أُنزِّه الله سبحانه وتعالى عن السفول والنزول، لأنه سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وإن كان -جل وعلا- ثبت عن رسول الله ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا[3] هذا نزول يليق بجلاله وعظمته ولا يلزم منه السفول، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء)[4].

---

(١) حديث رقم (٩٧٥)، (٩٧٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٣٦/٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨ من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر..." الحديث.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٢٢٥/٢.

ثالثاً- من آداب المدعو: الاشتغال بذكر الله تعالى:

هذا واضح من الحديثين، فالرسول ﷺ وصحابته الأكرمون لم يشغلهم السفر - وفيه ما فيه من المشقة والجهد- لم يشغلهم عن ذكر الله تعالى. وهكذا ينبغي أن يكون حال المدعو مع ربه. قال ابن عثيمين: (من الآداب المستحبة التي من هدي الرسول ﷺ وأصحابه أنك إذا صعدت تقول: الله أكبر، وإذا نزلت وادياً تقول: سبحان الله كذلك الطائرة عند ارتفاعها تكبر، وعند نزولها المطار تسبح، لأنه لا فرق بين الصعود في الهواء والنزول منه أو على الأرض)[1]. قال ابن هبيرة: (إن رسول الله ﷺ لم يكن ليغفل عن ربه في حال سفره، ولا في حال قدومه، ولا مقامه ولا ظعنه؛ ولا ليله ولا نهاره، وكان في كل حال من حاله له ذكر يخصه، وهكذا ينبغي لكل مسلم؛ فإن الله تعالى هو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والسلامة في السفر منه سبحانه)[2].

قال النووي في الأذكار (قال العظيم العزيز الحكيم: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[4] فعلم بهذا أن من أفضل، أو أفضل حال العبد حال ذكره رب العالمين، واشتغاله بالأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ سيد المرسلين)[5].

وقال كذلك: (اعلم أنه ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال، أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً بل يأتي بما تيسر منه، لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: ((فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[6].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٢٥-١٢٢٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٨٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٥) مقدمة الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1])[2].

قال القاسمي ("الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم" أي فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله، المفيد صفاء الظاهر، المؤثر في تصفية الباطن، فالمراد تعميم الذكر للأوقات وعدم الغفلة عنه تعالى، وتخصيص الأحوال المذكورة بالذكر، ليس لتخصيص الذكر بها، بل لأنها الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالباً)[3].

قال ابن القيم في مدارج السالكين: (ومن منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" منزلة الذكر، وهي منزلة القوم، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل هم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال.

والذكر جلاء القلوب وصقالها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، وهو روح الأعمال، فإذا خمل العبد عن الذكر، كان كالجسد الذي لا روح فيه.

والذكر ثلاثة أنواع:

ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان وهو أعلاها، وذكر بالقلب وحده وهو بالدرجة الثانية، وذكر باللسان المجرد وهو بالدرجة الثالثة.

وأنواع الذكر ثلاثة: ثناء ودعاء ورعاية، والأذكار النبوية تجمع الأنواع الثلاثة، فإنها متضمنة للثناء على الله، والتعرض للدعاء، ومتضمنة لكمال الرعاية ومصلحة القلب، وفيها تعليم القلب مناجاة الرب تعلقاً وتضرعاً واستعطافاً، وغير ذلك من أنواع المناجاة)[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٢٢/٤.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٥٨/٣-٢٨٣ ملخصاً وقد استفدنا هذا التلخيص من عبدالله البسام في كتابه توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٩٧/٦.

(وذكر العبد لربه يكون بالإخبار المجرد عن ذاته أو صفاته أو أفعاله أو أحكامه أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه، او بإفشاء الثناء عليه بتقديسه وتمجيده، وتوحيده وحمده، وشكره وتعظيمه)[1].

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٠/٢١ وانظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٩٩٢-٩٩٤، الدولية، الرياض.

الحديث رقم (٩٧٧)

٩٧٧- وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ وجيُوشُهُ إِذَا علَوا الثَّنَايَا: كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا: سَبَّحُوا. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الثنايا: جمع ثنية: الطريق في الجبل[2].

الشرح الأدبي

يروي الحديث ابن عمر رضي الله عنهما دون مؤكدات لأنه ينقل خبراً مجمعاً عليه فهو فعل للنبي وجيوشه فلم يحتج إلى توكيد، وقوله: (كَانَ النَّبيُّ ﷺ وجيُوشُه) يشير إلى ذلك وجمع الجيوش زيادة في التوكيد، وإشارة إلى عموم الخبر، وأسلوب الشرط يعطيه صفة العموم، والتكرار علواً مع التكبير، وهبوطاً مع التسبيح، وقد جاءت الصلاة على هيئة فعلهم تكبير في ارتفاع وتسبيح في الركوع، والسجود.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم ٢٥٩٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث ن ي).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (٩٧٨)

٩٧٨- وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبي ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوْ العُمْرَةِ، كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاثاً، ثُمَّ قَالَ: ((لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: إِذَا قَفَلَ مِنَ الجيُوشِ أَو السَّرَايَا أَو الحَجِّ أَو العُمْرَةِ.

قوله: "أَوْفَى" أي: ارتفع، وقوله: "فَدْفَدٍ" هو بفتح الفاءين بينهما دال مهملة ساكنة، وآخره دال أخرى وهو: الغليظ المرتفع من الأرض.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

قفل: رجع[3].

أوفى: ارتفع[4].

الثنية: الطريق في الجبل[5].

الفَدْفَد: الغليظ المرتفع من الأرض[6].

آيبون: جمع آيب أي راجع، وزنه ومعناه[7].

الأحزاب: هم قريش ومن معها من القبائل الذين تجمعوا لقتال النبي ﷺ في شوال

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٥، ومسلم بعد حديث ١٣٤٤/٤٢٨ بدون رقم ولم يسق لفظه، كلاهما عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

(٢) برقم (١٣٤٤/٤٢٨) من حديث عبيد الله بن عمر، عن نافع.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٩٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤٢.

(٤) رياض الصالحين ٣٨١.

(٥) القاموس والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ث ن ي).

(٦) رياض الصالحين ٣٨١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٩٣، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٤٢.

٥هـ، وحاصروا المدينة قريباً من شهر، وردهم الله خائبين وتسمى غزوة الأحزاب بغزوة الخندق كذلك، لأن المسلمين حفروا خندقاً شمالي المدينة منع الأحزاب من اقتحامها[١]. وقال ابن حجر: والأصل في الأحزاب أنه جمع حزب، وهو القطعة المجتمعة من الناس، فاللام إما جنسية والمراد كل من تحزب من الكفار، وإما عهدية والمراد من تقدم وهو الأقرب[٢].

السرايا: جمع سرية أي قطعة من قطع الجيش، أقلها تسعة أشخاص، وأقصاها أربعمائة شخص، وعددها اليوم مائة وخمسة أشخاص[٣].

الشرح الأدبي

قوله: (إِذَا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوْ العُمْرَةِ) أسلوب شرط جوابه جملة شرط أخرى (كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاثًا) يربط القفول من الحج أو العمرة بالتكبير عند كل ثنية، وأسلوب الشرط يعطي الخبر صفة العادة بالنسبة إلى الرسول ﷺ، وصفة السنة لأمته، وقوله (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) بني على التوكيد، والتخصيص فهو أسلوب قصر حقيقي تحقيقي لصفة الألوهية على الله، ونفيها عن كل من سواه، ولفظ، وحده توكيد يستغرق أعماق النفس بمعنى التوحيد، وقوله (لا شريك له) أسلوب نفي يؤكد مضمون كلمة التوحيد، وقد فصلت عنها لكمال الاتصال بين الجملتين؛ لأن الثانية مؤكدة لمضمون الأولى، وقوله (، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ) أسلوبي قصر لصفة الملك، وصفة الحمد على الله، ونفيهما عن كل من سواه، وقوله: (آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ) بين الكلمتين الأوليين جناس بديع يجذب السمع، وتطرب له النفس، وكذلك بين الكلمات الثلاثة الأخيرة كما أنه يجمعها جميعاً جرساً عذباً مصدره السجع في آخرها، وقوله: (صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ) فيه سجع بديع يجعل العبارة كنشيد عودة الصالحين من رحلة الطهر يسهل على الجميع حفظه، ويتلذذون بترديده.

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٦٤، أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٩٤.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤٢٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء عند الرجوع من السفر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء عند الرجوع من السفر:

هذا واضح من الإخبار عن النبي ﷺ: "كان إذا قفل من الحج أو العمرة" وفي رواية لمسلم: "إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة". وفي رواية عند البخاري[1]: "كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة" وبوب عليه البخاري في كتاب الدعوات: باب الدعاء إذا أراد سفراً أو رجع[2].

قال ابن حجر: (قوله "من غزو أوحج أو عمرة" ظاهره اختصاص ذلك بهذه الأمور الثلاثة، وليس الحكم كذلك عند الجمهور، بل يشرع قول ذلك في كل سفر إذا كان سفر طاعة، كصلة الرحم وطلب العلم، لما يشمل الجميع من اسم الطاعة، وقيل يتعدَّى أيضاً إلى المباح، لأن المسافر فيه لا ثواب له فلا يمتنع عليه فعل ما يحصل له الثواب. وقيل يشرع في سفر المعصية أيضاً، لأن مرتكبها أحوج إلى تحصيل الثواب من غيره. وهذا التعليل متعقب، لأن الذي يخصه بسفر الطاعة، لا يمنع من سافر في مباحٍ ولا في معصية من الإكثار من ذكر الله، وإنما النزاع خصوص هذا الذكر في هذا الوقت المخصوص، فذهب قوم إلى الاختصاص، لكونها عبادات مخصوصة شرع لها ذكر مخصوص. فتختص به كالذكر المأثور عقب الأذان وعقب الصلاة، وإنما اقتصر الصحابي على الثلاث، لانحصار سفر النبي ﷺ فيها ولهذا ترجم بالسفر)[3].

فكان الدعاء عند الرجوع من السفر إعلاناً من العبد أنه عبدٌ ذليل خاضع لله عز وجل، فهو عبده في جميع الأوقات والأحوال والأزمان، فهو في حالة السلامة عبدٌ، كما كان في حالة الخوف، وهو في حالة ملاقاة الأهل والأوطان والرجوع إليها عبده، كما

---

(١) صحيح البخاري ١٧٩٧، ٢٩٩٥، ٤١١٦، ٦٣٨٥.

(٢) الحديث رقم ٦٣٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٨٩.

كان في حالة مفارقتها، وهو عبده بالليل، كما هو عبده بالنهار، وهو عبده بالنهار، كما هو في الليل، وهو عبده وهو يصعد الجبال والمرتفعات، كما هو عبده وهو ينزل السفوح والأودية. وهكذا العبد يعلن في كل لحظة أنه فقير إلى الله عز وجل، يطلب مدده وعونه وحفظه وعنايته. قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث ما يدل من الفقه أن رسول الله ﷺ كان إذا آب من سفر، لم يُلْهه فرح الأوبة، ولا دهشة الداخل، ولا سرور القادم على الأهل بعد طول الغيبة، عن شكر الله وحمده والثناء عليه، فكان يعلن بذلك على كل شُرُف، وهو المكان العالي)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه:

هذا واضح من كون الرسول ﷺ كبر الله ثلاثاً ثم يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده".

قال أبو العباس القرطبي: (وتكبيره ﷺ في هذه المواضع المرتفعة إشعار بأن أكبرية كل كبير إنما هي منه، وأنها محتقرة بالنسبة إلى أكبريته تعالى وعظمته)[2].

قال ابن حجر: (قوله "ثم يقول: لا إله إلا الله... إلخ" يحتمل أنه كان يأتي بهذا الذكر عقب التكبير وهو على المكان المرتفع، ويحتمل أن التكبير يختص بالمكان المرتفع، وما بعده إن كان متسعاً أكمل الذكر المذكور فيه، وإلا فإذا هبط سبّح كما دل عليه حديث جابر[3]، ويحتمل أن يكمل الذكر مطلقاً عقب التكبير، ثم يأتي بالتسبيح إذا هبط. قال القرطبي[4]: وفي تعقيب التكبير بالتهليل، إشارة إلى أنه المتفرد بإيجاد جميع الموجودات، وأنه المعبود في جميع الأماكن.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣٥/٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٥٦/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٩٣.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٥٦/٣.

قوله "آيبون" جمع آيب أي راجع وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير: نحن آيبون، وليس المراد الإخبار بمحض الرجوع فإنه تحصيل الحاصل، بل الرجوع في حالة مخصوصة، وهي تلبسهم بالعبادة المخصوصة، والاتصاف بالأوصاف المذكورة. وقوله "تائبون" فيه إشارة إلى التقصير في العبادة، وقاله ﷺ على سبيل التواضع أو تعليماً لأمته، أو المراد أمته. وقد تستعمل التوبة لإرادة الاستمرار على الطاعة، فيكون المراد أن لا يقع منهم ذنب. قوله "صدق الله وعده" أي فيما وعد به من إظهار دينه في قوله ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾[1]. وقوله ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2] وهذا في سفر الغزو، ومناسبته لسفر الحج والعمرة قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[3]. قوله "ونصر عبده" يريد نفسه، قوله "وهزم الأحزاب وحده" أي من غير فعل أحد من الآدميين)[4].

وقال النووي: (والمراد بالأحزاب الذين اجتمعوا يوم الخندق وتحزبوا على رسول الله ﷺ، فأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وبهذا يرتبط قوله ﷺ "صدق الله" تكذيباً لقول المنافقين، والذين في قلوبهم مرض ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[5]. هذا هو المشهور أن المراد أحزاب يوم الخندق. قال القاضي[6]: وقيل: يحتمل أن المراد أحزاب الكفر في جميع الأيام والمواطن)[7].

وقال القرطبي: (ويحتمل أن يكون هذا الخبر بمعنى الدعاء، كأنه قال: اللهم افعل ذلك وحدك)[8].

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٠.

(٢) سورة النور، آية: ٥٥.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/١٨٩-١٩٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ١٢.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/٤٥٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٩/١١٩-١٢٠، ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ١١/١٩٠، .

(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٤٥٧.

وقال ابن هبيرة: (وقوله: "تائبون" بعد قوله: "آيبون"؛ فإن التوبة تتضمن معنى الأوبة، إلا أنها فيها زيادة تخليص لمعنى الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، فكان قوله ﷻ: "تائبون" عند قفوله من عبادة كالغزو والحج بعد قوله: "آيبون" على أثر ذلك نافياً للعجب من كل عبادة، ليدحض العجب بالكلية.

وقوله: "ساجدون" الإشارة بذلك إلى الصلاة. وقوله: "لربنا حامدون" كان الوقوف على ربنا: إنا ساجدون لربنا، ثم عاد فابتدأ حامدون، ويكون هذا خبر أيضاً والمبتدأ محذوف؛ أي: ونحن حامدون.

وقوله: "صدق الله وعده" أي الذي وعد به، وهذا وإن كان في حج ولم يجر فيه حرب يقتضي ذكر النصر، فإنه يُذكر ﷻ بالنعمة المتأخرة النعمة المتقدمة، وهذا يتعين على كل منعم عليه، أن تذكره النعمة المتقدمة ولا يكون سبباً في نسيانها؛ فإنه ﷻ إنما دخل المسجد الحرام آمناً لا يخاف شيئاً من نصر الله له وإعلاء كلمته، فلم تنسه هذه المتأخرة النعمة المتقدمة، بل كانت مذكرة بها)[1].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣٥/٤ -١٣٦.

الحديث رقم (٩٧٩)

٩٧٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قالَ: يَا رسول الله، إنّي أُريدُ أنْ أُسَافِرَ فَأوْصِني، قَالَ: ((عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كلِّ شَرَفٍ)) فَلَمَّا[1] وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ[2]، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ)) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شرف: مكان عال[4].

وَّلى: أدبر وذهب[5].

اطوِ لَهُ: قربه له وسهل له[6].

الشرح الأدبي

قول الرجل (أوصني) أمر استرشاد، ونصح، يخفي وراءه رغبة في مباركة الرسول ﷺ لهذا السفر، ودعائه له، وهو ما أسفر عنه الحديث حيث حقق له ما طلب صراحة بقوله (عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كلِّ شَرَفٍ) وهو أمر بمعنى الزم، وتقوى الله اسم جامع لمعاني الخشية، والخوف، والمراقبة، والحياء، وصفات كثيرة، وكذلك حقق له الرسول ﷺ ما يتمنى مما لم يطلبه فدعا له (اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ)

---

(١) عند الترمذي زيادة: (أن).

(٢) لفظ الترمذي: (الأرض) والمثبت لفظ مشكاة المصابيح ٢٤٣٨، وعند أحمد في المسند ٨٣٨٥ بلفظ: (البعيد).

(٣) برقم ٢٧٧١. وصحّحه ابن خزيمة ٢٥٦١، وابن حبان، الإحسان ٢٦٩٢، وقال الحاكم ٢/٩٨: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ر ف).

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (و ل ى).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط و ي).

وصيغة اللهم نداء بغرض الدعاء فيه مزيد تذلل، وخضوع يؤذن بالإجابة، والأمر (اطو) مقصود به الدعاء بتيسير السير، والتعبير بالطي على سبيل الاستعارة شبه الأرض بما يطوي من الثياب، وغيرها لقطع المسافات، وهذه الاستعارة توحي بسرعة قطع الأرض مع الخفة، والسهولة، وتقديم الجار، والمجرور (له) يفيد الاختصاص به.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حِرْص الصحابة رضي الله عنهم على طلب الوصية من الرسول ﷺ.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ للمسافر بتقوى الله والتكبير على كل شرف.

ثالثاً: من آداب الداعية: الدعاء للمسافر بتيسير السفر وتسهيله عليه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حِرْص الصحابة رضي الله عنهم على طلب الوصية من الرسول ﷺ:

هذا واضح من قول الرجل: "يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني: قال: عليك بتقوى الله والتكبير على كلِّ شرف". فهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم الشديد على طلب الوصية من رسول الله ﷺ قبل سفرهم، ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة، لأنه رسول رب العالمين الذي لا ينطق عن الهوى.

ومن هذا القبيل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((جَاءَ رَجُلٌ إِلى رَسُولِ الله فقالَ يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ سَفَراً فَزَوِّدْنِي، قالَ: زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى. قالَ زِدْنِي. قالَ وَغَفَر ذَنْبَكَ. قالَ زِدْنِي بِأبي أنْتَ وأُمِّي. قالَ ويَسَّر لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ))[1].

قال المباركفوري: (قوله "فزودني" أمر من التزويد وهو إعطاء الزاد، والزاد طعام يتخذ للسفر يعني: ادع لي دعاءً يكون بركته معي في سفري كالزاد. "زودك الله بالتقوى" أي الاستغناء عن المخلوق، أي امتثال الأوامر واجتناب النواهي. "قال زدني" أي من الزاد أو من الدعاء "ويسر لك الخير" أي سهل لك خير الدارين حيثما كنت" أي في أي مكان حللت، ومن لازمه في أي زمان نزلت.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٣٩).

قال الطيبي[١]: يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه عليه الصلاة والسلام بما أجابه على طريقة أسلوب الحكيم: أي زادك أن تتقي محارمه وتجتنب معاصيه. ومن ثم لما طلب الزيادة قال: "وغفر ذنبك"، فإن الزيادة من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا يكون تقوى لا تترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله "وغفر ذنبك" أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة. ثم ترقى إلى قوله "ويسر لك الخير" فإن التعريف في "الخير" للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة)[٢].

إذن فما أجدر أن يقتدي المدعوون بالصحابة رضي الله عنهم في طلبهم الوصية من النبي ﷺ وعملهم بما وصّاهم به النبي ﷺ، فإذا كان النبي ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، فإن سنته بيننا تنادي علينا صباح مساء، أن اقتدوا بصاحبي خير الخلق محمد ﷺ كما اقتدى صحابته وهم خير القرون، فتفوزوا كما فازوا، وتفلحوا كما أفلحوا، وتنشروا الخير بينكم وفي أرجاء العالم كما نشروا، وتحملوا إليهم العدل والإصلاح كما حملوا. فكانوا خير أمة أخرجت للناس، فإن فعلتم هذا كنتم متصفين بهذه الخيرية.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ للمسافر بتقوى الله والتكبير على كل شرف:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ للمسافر: "عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف".

قال المباركفوري: (قوله "عليك بتقوى الله" أي بمخافته والحذر من عصيانه "والتكبير" أي قول الله أكبر، ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع، أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس، لما فيه استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى، وأنه أكبر من كل شيء، فيكبره ليشكر له ذلك، فيزيده من فضله. قاله الحافظ)[٣].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٧٤/٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥٥/٢-٢٤٥٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٤٥٦/٢.

وقد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

قال القاسمي: (ويقال في معنى الآية: وتزودوا من التقوى للمعاد، فإن الإنسان لابد له من سفر في الدنيا، ولابد فيه من زاد، ويحتاج فيه إلى الطعام والشراب والمركب، وسفر من الدنيا إلى الآخرة، لابد فيه من زاد أيضاً، وهو تقوى الله والعمل بطاعته واتقاء المحظورات. وهذا الزاد أفضل من الزاد الأول، فإن زادالدنيا يوصل إلى مراد النفس وشهواتها، وزاد الآخرة يوصل إلى النعيم المقيم في الآخرة. وثمة وجه آخر: وهو أن قوله تعالى "وتزودوا" أمر باتخاذ الزاد هو طعام السفر، وقوله "فإن خير الزاد التقوى" إرشاد إلى زاد الآخرة وهواستصحاب التقوى إليها، بعد الأمر بالزاد للسفر في الدنيا. كما قال تعالى: ﴿وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[2] لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة، وذكر أنه خير من هذا وأنفع)[3].

وربما قد يظهر تساؤل: ما الحكمة من جمع النبي ﷺ في وصيته بين تقوى الله والتكبير على كل شرف؟

والإجابة على هذا السؤال قد تكمن في معرفة العلاقة بين تقوى الله والتكبير، فتقوى الله تعني إتيان أوامره واجتناب نواهيه، وهذا من إجلال الله وتعظيمه، كما أن التكبير من إجلال الله وتعظيمه، فكان التكبير إظهاراً لما التزم به المسافر من تقوى الله وخشيته، فكان في تكبيره هذا أربع رسائل:

الرسالة الأولى يتوجه بها إلى الله ويتضرع إليه، ويقرّ أمامه أنه عبدٌ ذليل لرب عظيم.

والرسالة الثانية يوجهها إلى نفسه أنه مهما علا وارتفع في هذه الدنيا، فإنه لن يعدو مقداره، ولن يتخطى قدره، وهو أنه عبدٌ لله، وأنه لن يحيا ولن يموت إلا في مقام العبودية والتذلل لرب العالمين.

والرسالة الثالثة يوجهها إلى العالم المحيط حوله أنه عبدٌ لله، معظّم له، حافظ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣/١٥٤-١٥٥.

لحرماته، لا يتعداها ولا ينتهكها، ومن ثم فإنه لن يظلم ولن يجور، بل سيكون العالم منه في أمان وسلام.

والرسالة الرابعة يوجهها إلى المعتدين والمتكبرين الذين قد يلحقون به الأذى، إنه يبعث إليهم: أن الله معه بحفظه وعنايته، وأنّ من كان في حفظ الله وعنايته، فلن يضره شيء ويدافع الله عنه.

ثالثاً- من آداب الداعية: الدعاء للمسافر بتيسير السفر وتسهيله عليه:

هذا واضح من قول النبي ﷺ عند تولي الرجل "اللهم اطو له البعد، وهون عليه السفر".

قال المباركفوري: (قوله "اللهم اطو له البعد" أمر من الطي أي قربه له وسهل له، والمعنى: ارفع عنه مشقة السفر بتقريب المسافة البعيدة له حساً أو معنى "وهون عليه السفر": أي أموره ومتاعبه وهو تعميم بعد تخصيص)[1].

وقد قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي المَسِيرِ فَيُزْجِي الضَّعِيفَ وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ))[2].

وقد وقع لجابر نفسه حظ من دعاء النبي ﷺ وهو في السفر فقال: ((غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَتَلاَحَقَ بِي، وَتَحْتِي نَاضِحٌ لِي قَدْ أَعْيَا وَلاَ يَكَادُ يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي مَا لِبَعِيرِكَ؟ قَالَ قُلْتُ: عَلِيلٌ، قَالَ: فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللهِ فَزَجَرَهُ وَدَعَا لَهُ، فَمَا زَالَ بَيْنَ يَدَيِ الإِبِلِ قُدَّامَهَا يَسِيرُ، قَالَ: فَقَالَ لِي: كَيْفَ تَرَى بَعِيرَكَ؟ قَالَ قُلْتُ: بِخَيْرٍ، قَدْ أَصَابَتْهُ بَرَكَتُكَ)). الحديث[3].

فكان دعاؤه ﷺ للصحابة دليلاً على شفقته ورأفته بأمته وعنايته بها أفراداً وجماعات، كما أنه ﷺ لم يدعُ للصحابة فحسب، بل دعا أيضاً لأمته من بعده، كما أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، فهذا كله يوضح كمال عناية

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٤٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري ٢٧١٨، ومسلم ١١٠-٧١٥.

النبي ﷺ بأمته في الدنيا والآخرة.

وما أجمل أن يقتدي الداعية به ﷺ، فيحرص أن يدعو للمدعوين بكل خير ونفع لهم في الدنيا والآخرة، ففي فعل الداعية ذلك تقريب له من نفوس المدعوين، فيسهل قبولهم لدعوته والإقبال عليها. كما أنه في دعائه لهم، دعوة لأن يزدادوا إذعاناً وخضوعاً لله رب العالمين، فهو هو ذا الداعية أمامهم يرفع أكف الضراعة ويتوجه لله سبحانه، وهو أعلمهم وأقربهم له عز وجل، فكان في ذلك توجيه رسالة دعوية لهم، أنه كلما ازداد المرء علماً وقرباً، ازداد تضرعاً وتذللاً لله رب العالمين.

الحديث رقم (٩٨٠)

٩٨٠- وعن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ، قَالَ: كنّا مَعَ النبيِّ ﷺ (في سَفَرٍ)[١]، فَكُنَّا إِذَا أشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارتَفَعَتْ أصْوَاتُنَا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((يَا أيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ، فَإنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أصَمَّ وَلاَ غَائِباً، إنَّهُ مَعَكُمْ، إنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

"ارْبَعُوا" بفتح الباء الموحدة أي: ارفقوا بأنفسكم.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أشرفنا على وادٍ: اطّلَعْنا عليه من فوق، أي: أقبلنا عليه[٣].

هللنا: قلنا: لا إله إلا الله[٤].

اربعوا: ارفقوا بأنفسكم[٥].

الشرح الأدبي

((ارْبَعُوا)) بفتحِ الباءِ الموحدةِ أيْ: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ.

الفعل الماضي (كان) عودة إلى سراديب الماضي للتذكير بحدث من العصر المعلم لكل العصور، وإضافته لناء الفاعلين يشير إلى كثرة العدد، وأنه كان بمشهد فهو مؤكد، وقول الرسول ﷺ (يَا أيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أنْفُسِكُمْ) قوله (أربعوا) أمر نصح، وإرشاد سبقه نداء عام، وغالباً ما يتصدر الأمور العظام، وهو خطاب للصحابة،

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم ٦٣٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٢، ومسلم ٢٧٠٤/٤٤.

(٣) الصحاح في (ش ر ف).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ل ل).

(٥) رياض الصالحين ٣٨١.

ومن بعدهم يطرد باطراد الزمان لهذه الأمة قال الطيبي (والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه، وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد، وقوله (فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً) جملة تعليلية لتحقيق الامتثال للأمر السابق، والجملة بعده مؤكدة له، وبين قوله: (أصم، وسميع) طباق يؤكد المعنى، ويوضحه، وكذلك بين قوله (غائب، وقريب) لأن الغائب كالبعيد فقابل به القريب ليؤكد معنى قربه، وسمعه لمن جهر، ومن أسر على السواء.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى الرفق بأنفسهم في العبادة في موضع الرفق.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: خفض الصوت عند ذكر الله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: إثبات صفة القرب والسمع والبصر لله عز وجل.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتعليل.

أولاً- من مهام الداعية: تنبيه المدعوين إلى الرفق بأنفسهم في العبادة في موضع الرفق:

هذا واضح من قوله ﷺ: "يا أيها الناس اربَعوا على أنفسكم" حينما جهروا بالتكبير. قال النووي: (معناه: ارفقوا بأنفسكم وأخفضوا أصواتكم، فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه، وأنتم تدعون الله تعالى، وليس هو بأصم ولا غائب، بل هو سميع قريب، وهو معكم بالعلم والإحاطة)[1].

فلما امتثل الصحابة رضي الله عنهم لذلك دلهم على كَنْز من كنوز الجنة. قال أبو موسى راوي الحديث ((ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حولَ ولا قوة إلا بالله، فقال: ياعبدَالله بن قيْس، قل لاحولَ ولا قوةَ إلا بالله، فإنها كَنزٌ مِنْ كنوز الجنة. أو قال: ألا أدلك على كلمةٍ هي كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلاّ بالله))[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧/١٧/٩، .

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٨٤، ٧٣٨٦، ومسلم ٢٧٠٤. وانظر كلاماً ماتعاً في بيان فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله ولماذا وصفها النبي ﷺ بأنه كنز من كنوز الجنة. انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٨/١٧/٩-٢٩ وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٧٧/٥-٧٨.

ومن قبيل تنبيه المدعوين إلى الرفق بأنفسهم ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: ((قال لي رسولُ الله ﷺ: ياعبدَ الله، ألم أُخْبَرْ أنَّكَ تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ؟ فقلتُ: بلى يا رسولَ الله. قال: فلا تَفعلْ، صُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَم، فإنَّ لجسدِكَ عليكَ حقاً، وإنَّ لعَينِكَ عليكَ حقاً، وإنَّ لزَوجكِ عليكَ حقاً، وإنَّ لزَورِكَ عليكَ حقاً، وإنَّ بحَسْبِكَ أن تصُومَ كلَّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ. فإنَّ لكَ بكلِّ حسنةٍ عَشرَ أمثالِها، فإذن ذلكَ صِيامُ الدَّهرِ كلِّه)) الحديث[1].

قال النووي: (وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته، وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم، وحثه على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات، التي يخاف عليهم الملل بسببها، أو تركها أو ترك بعضها)[2].

وقال ابن عثيمين: (والحاصل أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادة، متى تسهَّلت فليحمد الله، إن بعض الناس في أيام الشتاء يكون عنده الماء الساخن والبارد، يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، يعذب نفسه، والله عز وجل يقول ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾[3] نعم إذا لم يكن عندك إلا الماء البارد واستعملته وشق عليك فلك أجر، أما أن تعدل عن السهل إلى الصعب طلباً للأجر فهذا ليس بصواب، متى تسهل الأمر فافعله، كذلك بعض الناس مثلاً يقول: أمشي على رجلي للحج لأنه أصعب من المشي بالسيارة. قلت: هذا خطأ، إذا سهل الله لك العبادة فافعل، أو أنك تقرأ على نور ضعيف، ولا تقرأ على نور قوي، لأن القراءة على النور الضعيف أصعب، هذا أيضاً خطأ، كلما تسهلت العبادة فافعل ما تيسّر ولكن لا تقصر، أما إذا لم يكن إلا مع تعب فهذا الأمر إلى الله، ومتى تعبت في العبادة فلك أجر)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٨/٤٣، .

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٢٧.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: خفض الصوت عند ذكر الله:

هذا واضح من قوله ﷺ: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنه معكم، إنه سمع قريب".

قال النووي: (فيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه، فإنه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإن دعت الحاجة إلى الرفع رفع، كما جاءت به أحاديث)[1].

وقال ابن حجر: (قال الطبري: فيه كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر، وبه قال عامة السلف من الصحابة والتابعين)[2].

وقال ابن تيمية: (إن الدعاء هو ذكر للمدعو -سبحانه وتعالى- متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه. فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً لتضمنه للطلب... والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه)[3].

وقال كذلك: (في إخفاء الدعاء فوائد عديدة:

أحدهما: أنه أعظم إيماناً لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفيَّ.

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم[4]، لأن الملوك لا تُرفع الأصوات عندهم، ومن رفع صوته لديهم مَقَتُوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان يسمع الدعاء الخفيَّ، فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

وثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع، الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧/١٧/٩ ومن الأحاديث التي وردت في رفع الصوت بالذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ، أخرجه البخاري ٨٤١، ومسلم ٥٨٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٣٥/٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤/٨.

(٤) بوّب القرطبي على هذا الحديث: باب يذكر الله بوقار وتعظيم وفضل لا حول ولا قوة إلا بالله. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٥/٧.

وخشع صوتُه، حتى إنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعته إلى أن ينكسر لسانه، فلا يطاوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً، ولسانه لشدة ذلته ساكنٌ وهذه الحالة لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص ... إلى آخر هذه الفوائد وقد أوصلها عشرة)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ينبغي أن يراعى مقدار رفع الصوت المأذون به في الذكر، فالأصل أن الذاكر يناجي ربه، والله تعالى قد وسع سمعه الأصوات، فينبغي أن لا يجهر بالذكر فوق ما يسمع نفسه، لأن ذلك أقرب للخشوع وأبعد من الرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[2] وقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3] قال بعض المفسرين: أي المعتدين برفع أصواتهم في الدعاء.

وقال النبي ﷺ: ((ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ))[4].

قال في نزل الأبرار: الطريقة المثلى في هذا الباب، أن يجهر في الموضع الذي ورد فيه الجهر، ويسر في الموضع الذي ورد فيه الإسرار، وهذه المواضع مبينة في علم الحديث، والموضع الذي لم يرد فيه الدليل على الجهر أو السر، فالذاكر فيه بالخيار، ولكن لابد للذاكر فيه من ملاحظة قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِى بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[5] لئلا يتجاوز الحدود المضروبة له، ولذلك صرح الحنفية بكراهة رفع الصوت بالذكر مع الجنازة.

وقد اضطرب كلام الحنفية في هذا الأصل، فنقل عن القاضي أن الجهر بالذكر

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٨/١٣-١٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٩٢، ومسلم ٢٧٠٤.

(٥) سورة الإسراء، آية: ١١٠.

في غير المواضع التي ورد فيها حرام، لما صح عن ابن مسعود ﷺ أنه أخرج جماعة من المسجد يهللون ويصلون على النبي ﷺ جهراً، وقال لهم: ما أراكم إلا مبتدعين. وقال في الفتاوى الخيرية: إن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فالإسرار أفضل حيث خيف الرياء أو تأذّي المصلين أو النيام، والجهر أفضل حيث خلا مما ذكر.

ويستثنى من هذا الأصل مواضع ينبغي فيها الجهر بالذكر ورفع الصوت به، لما في ذلك من المصالح التي قدرها الشرع في ذلك، فمنها:

١- ما قصد به الإسماع والتبليغ، كالأذان والإقامة، وتكبيرات الإمام وقراءته في الجهرية، وتكبيرات المبلغ، وإلقاء السلام وجوابه. ونحو ذلك، فيجهر في ذلك بالقدر الذي يحصل به المقصود.

٢- بعض أنواع أذكار الصلاة وردت السنة فيها بالجهر كالبسملة، والتأمين، والقنوت، والتكبير، والتسبيح، والتحميد بعد الصلاة، وتكبيرات العيد، والتلبية في الحج، وفي بعض ذلك خلاف يرجع إليه في مواضعه.

٣- بعض الأذكار التي يراد بها التنبيه أو التعليم، أو فائدة أخرى، كأن يرفع صوته بالتسمية على الطعام حتى ينبه غيره، أو بالقراءة في صلاة الليل ليسمع أهله. قال المالكية: ورفع صوت مرابط وحارس بحر بالتكبير في حرسهم، لأنه شعارهم ليلاً ونهاراً)[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: إثبات صفة القرب والسمع والبصر لله عز وجل:

ساق البخاري هذا الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه بلفظ ((فإنكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غائباً تدْعون سميعاً بصيراً قَريباً))[٢].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث نفي الآفة المانعة من السمع، والآفة المانعة من النظر، وإثبات كونه سميعاً بصيراً قريباً، يستلزم أن لا تصح أضداد هذه الصفات عليه)[٣].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١/٢٥٠-٢٥١ ومصادرها ومراجعها.

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٨٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣/٣٧٥.

وقال ابن حجر: (قوله "باب وكان الله سميعاً بصيراً": قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى سميع بصير: عليم قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر. فصح كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً، وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه سميعاً بصيراً وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة)[1].

قال ابن القيم عن صفة القرب المثبتة في هذا الحديث: (فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستواءه على عرشه؛ بل يجامعه ويلازمه؛ فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا؛ ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رُبّ من يدنو ويزعم أنه يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحباؤه الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم، وأحب إليهم منها: يجدون نفوسهم أقرب إليه، وهم في الأقطار النائية عنه، من جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام، يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها. هذا مع عدم تأتي القرب منها، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء، وهو مستوٍ على عرشه. وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله، خلي من محبته ومعرفته)[2].

وقال د. عمر سليمان الأشقر: (فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويعلم سره

---

(١) المرجع السابق ٣٧٣/١٣.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٦١٣/٢.

ونجواه، وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته، ويعلم ما توسوس به النفوس، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وهو يعلم السر وأخفى ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزلُ من السماء وما يعرج فيها، وهو مع خلقه بعلمه وقدرته، لا تخفى عليه منهم خافية، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو سبحانه القريب في علوِّه، العلي في دنوه، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن)[1].

(وقد وصف سبحانه نفسه بالسمع والبصر في غير ما آية من كتابه، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[2] وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] ووصف بعض الحوادث بالسمع والبصر، قال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[4] وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ﴾[5]. ونحن لا نشك أن ما في القرآن حق فلله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان لائقان بجلاله وكماله، كما أنَّ للمخلوق سمعاً وبصراً حقيقيين مناسبين لحاله من فقره وفنائه وعجزه. وبين سمع وبصر الخالق وسمع وبصر المخلوق من المخالفة، كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق)[6].

وجاء في كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة: (وينتظم المنهج الحق في باب الأسماء والصفات في ثلاثة أصول، من حققها سلم من الانحراف في هذا الباب: وهي:

الأصل الأول: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين.

---

(١) العقيدة في الله ١٧١.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١.

(٣) سورة الشورى، آية: ١١.

(٤) سورة الإنسان، آية: ٢.

(٥) سورة مريم، آية: ٣٨.

(٦) العقيدة في الله ٢٠٣.

الأصل الثاني: الإيمان بما سمى ووصف الله به نفسه وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله تعالى، لأن إدراك المخلوق لذلك مستحيل.

فمن حقق هذه الأصول الثلاثة، فقد حقق الإيمان الواجب في باب الأسماء والصفات على ما قرره الأئمة المحققون في هذا الباب)[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء والأمر والتعليل:

أما النداء فقوله ﷺ: "يا أيها الناس" وقد جاء هذا النداء ليلفت انتباه المدعوين ويوضح لهم الحكم فيما فعلوا من رفع أصواتهم بالتكبير والتهليل. ولذا جاء الأمر بخفض أصواتهم فقال ﷺ: "اربعوا على أنفسكم" ثم أتبعه ﷺ بالتعليل "فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم إنه سميع قريب" ومن الملاحظ أن التعليل جاء مسبوقاً بـ"أن" المؤكدة، ليثبت الأمر ويرسخه في أذهان المدعوين ويزيده تقريراً على تقرير. وفي رواية عند البخاري "فإنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا تدعون سميعاً بصيراً قريباً" قال الطيبي: (فما فائدة الزيادة في قوله: "بصيرا"؟ قلت: السميع والبصير أشد إدراكاً وأكمل إحساساً من الضرير والأعمى)[2].

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ٧٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥/٧٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على ذكر الله تعالى:

لقد حرص الإسلام علي ربط قلوب أتباعه بالله عز وجل فشرع لهم العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، منها ما يتكرر في اليوم مراراً ومنها ما يتكرر كل عام ومنها ما تجزئ منه مرة في العمر.

ولكن الذكْر لله يتصل في كل أحيان الإنسان وأحواله ويطيقه الكبير والصغير والصحيح والمريض، وهو يكفل دوام الصلة القلبية بالله عز وجل ويمنع قساوة القلب ويزيل ما يعتريه من الغفلة ويغسل عنه الران، ويملؤه بحب الله ورسوله وحب الإيمان، ويرغبه في التقرب إلى الله تعالى بشتى الطاعات.

لذا اهتمت التربية الإسلامية بحث المتربين على المداومة على ذكر الله تعالى في جمع الأوقات والأحايين، وعلى جميع الظروف والأحوال، خاصة وأن الذكر لا يكلف الإنسان جهداً ولا تعباً فيمكن للإنسان أن يأتي به حتى ولو كان متلبساً بعمل شاق كالسفر ونحوه، كما نرى ذلك في حث الرسول ﷺ وتعليمه الأمة أذكار السفر والحِلِّ والترحال ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا». وعنه أيضاً: قال: «وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا. وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا».

ويبدو الأثر التربوي للأدعية والأذكار مع مراعاة الأدعية والأذكار حسب المناسبات والأحوال، في أنها تولد الترابط بين المؤمن وما حوله من أشياء وأحداث فتكون سبباً في تذكيره بعظمة الخالق وقدرته وحوله وقوته، وقد وصفت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها دوام ذكر رسول الله ﷺ لله تبارك وتعالى فقالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1]، أي في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٧٣.

(٢) انظر: التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٨٨، ٨٩.

لقد كان الرسول ﷺ يربي المؤمن على دوام اليقظة حتى لا يغفل عن نفسه ولا عن مقاومة هواه فيوصي بمداومة الوضوء وكثرة الذكر لله تبارك وتعالى، وليس المقصود بالتربية على الذكر مجرد ترديد ألفاظ دونما فهم أو إدراك، إنما الذكر هو يقظة النفس الدائمة وتطلعها المستمر إلى الله والتفكير في نعمه وآلائه والاستعانة به على كل أمر من أمور الدنيا والآخرة[1].

ثانياً- تربية المسلم على عقيدة التوحيد والإيمان بالله:

تنتظم عقيدة التوحيد حياة الإنسان في كافة مجالاتها حيث تعمل على استقامة تفكيره وأهدافه وتجعل كل عواطفه وسلوكه وعاداته قوى متضافرة متعاونة ترمي كلها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده والشعور بألوهيته وحاكميته ورحمته وعلمه لما في النفوس وقدرته وسائر صفاته[2].

لذا كان من الأهداف الأولى والرئيسة للتربية الإسلامية غرس الإيمان والاعتراف بوحدانية الله وقدرته في قلوب ونفوس الناشئة وتثبيت العقيدة وبيان التكامل بين الإيمان والعمل الصالح والإخلاص وأداء الواجب والإنتاج المثمر وإنكار الذات ونحو ذلك[3].

وقد جاءت أحاديث الباب حافلة بالأذكار والأدعية التي تُقَال في الأسفار وتعمل على ترسيخ توحيد الله في قلب المسلم واستسلامه لله تعالى وتفويض أمره لله تعالى.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما ورد في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قفل من الحج أو العمرة كلما أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثاً ثم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢٤٦-٢٥٠.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٧٠.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٨٦، ١٨٧.

لذا كان من المهم غرس عقيدة التوحيد والإيمان بالله تعالى في نفوس الناشئة وعدم إغفالها بأي حال من الأحوال، لما للتربية على عقيدة التوحيد والإيمان بالله من آثار تربوية لا تنكر منها:

أ- أن عقيدة التوحيد والإيمان بالله تربى عقل الإنسان على سعة النظر وحب الاطلاع على أسرار الكون والطموح إلى معرفة ما وراء الحس فكل ما في الكون مما نرى وما لا نرى من السماوات والكرسي والعرش والملائكة، كل ذلك من ملك الله تعالى، وكل كائن صغير أو كبير يسبح بحمد الله ويشهد بعظمته. وقد أمرنا القرآن أن نتأمل ذلك كله، نتأمل خلق السماوات والأرض، والبحار والأنهار، والإبل والدواب، والنحل، ويبين لنا أنه ما من شيء إلا يعلمه الله، من أصغر ذرة إلى أكبر جرم، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1].

ب- كما أن عقيدة التوحيد والإيمان بالله تربى عند الإنسان التواضع وعدم التطرف أو الغرور بأي صفة من صفاته الإنسانية، فإذا اغتر بقوته وأراد البطش أو الظلم ذكر قدرة الله عليه، وأنه هو الذي يحيي ويميت، وإذا اغتر بماله وأسرف واستهتر وبطر وتكبر ذكر أن الله هو الغني وهو الذي وهبه المال، فعاد إلى السخاء والبذل والتضحية والتودد إلى عباد الله.

وإذا اغتر بعلمه فظن أنه بلغ الكمال، نظر إلى الكون الكبير الذي هو جزء صغير من علم الله، فانقلب بصره خاسئاً وهو حسير، وعاد إلى نفسه صاغراً متواضعاً يطلب المزيد من المعرفة، بروية وصبر وأناة، وتدبّر وتفكّر ودأب واستمرار، وقس على هذا كل ما وهب اللهُ الإنسانَ من مواهب ونِعَم.

ج- كذلك فإن التربية على التوحيد والإيمان بالله تُبعد الإنسان عن التعلل بالآمال الكاذبة، فلا تنفع عند الله شفاعة الشافعين، إلا لمن يأذن الله ويرضى، وما من أحد يفيده قربه من الله، إلا عن طريق العمل الصالح، فليس لله قرابة رحم، ولا صلة أبوة،

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

ولا صحبة سابقة لأحد من العالمين، الكل عباد الله، والكل محاسبون، مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

د- ويتسلح الإنسان، إذا آمن بالله حق الإيمان، بالطمأنينة، والرجاء مع السعي وعدم التواكل.

فهو مطمئن بعد أن عرف أن الله قريب، يجيب دعوة الداعين، ويتوب على التائبين، وينصف المظلومين، وقد وسعت رحمته كل شيء.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2].

﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3].

وفي هذا توازن بين إبعاد الغرور عن النفس، والتسلح بالأمل والرجاء، فالمؤمن يخاف عذاب الله إن قصر ويرجو رحمته إن أخطأ.

وبهذا يصبح الإنسان أبعد ما يكون عن اليأس أو الانتحار، أو الهروب من الحياة، والانحراف بتعاطي المخدرات والمسكرات.

فقد صرح القرآن أن اليأس من صفات غير المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4].

فإذا زلّ جدد عزمه بالتوبة والاستغفار واللجوء إلى رحمة الله تعالى، قال جل جلاله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٢.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٤) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.

هـ- كما أن التربية على توحيد الله والإيمان به توحيد المتربي والانتماء إلى الله والاعتزاز به، وموالاته والانضواء تحت لوائه، فالمؤمنون هم حزب الله وهو وليهم، والكافرون لا مولى لهم، وأي شيء أعظم من الانتماء والانتساب إلى خالق الكون ومذل الجبابرة، ومالك الموت والحياة، والبعث والنشور والجزاء. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

وقال في وصف حزب الشيطان: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[3].

وهذا الولاء يربي النفس دائماً على أن تكون في حرب مع الشر والشيطان وأتباع الشيطان، أولئك الذين يزينون للناس معصية الله تعالى، ونسيانه واتباع الشهوات كما يربي الانتماء إلى الأمة الإسلامية والاعتزاز بها وتفقد شؤونها والتراحم والتعاون بين شعوبها، أي تربي وحدة كلمة الإنسانية على أساس الخير والإيمان، من غير تعصب عنصري، أو تحيّز مصلحي مادي استعماري، غايته استغلال الشعوب وامتصاص خيراتها[4].

ثالثاً- التربية بالوصية:

إن الوصية بالحق والتذكير به والإرشاد إليه من أهم الأساليب التربوية التي حث عليها القرآن الكريم، والتي يتحقق بها الهدف من التربية، لأنها تذكر وتحث المؤمن على تقوى الله تعالى وتجعله حريصاً على مرضاة الله تعالى، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رَجُلاً قالَ يا رسولَ الله إنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فأَوْصِنِي، قَالَ عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله، ...».

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥٦.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١٩.

(٣) سورة محمد، آية: ١١.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٧٢، ٧٣.

إن التذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق من أهم ما يعني به القائمون على التوجيه والتربية لتنمية القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية في نفس المسلم[1]، ولأهمية الوصية بالحق والخير والتواصي بهما جعل الله تبارك وتعالى التواصي بالحق من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[2].

إن الوصية من الأساليب التربوية التي لا غناء عنها في مجال التربية الإسلامية لما لها من وقع في النفس وتأثير في القلب، إذ أن الوصية أشبه ما تكون بالعهد الذي يؤخذ على الأفراد والجماعات وهي قليلة التكرار مما يجعلها بعيدة النسيان، لاسيما إذا صدرت من مُحِب له في القلب مكانة وفي النفس قبول، كما أنها كثير ما تقع بطلب المُوصِي وأنها ترتكز على أمور جوهرية لها علاقة بطبيعة المُوصِي ومحتملة الوقوع في المستقبل، كما أن الوصية تمتاز بكونها مختصرة ومتعددة الجوانب وتميل إلى الطابع الخاص أكثر من العام[3].

رابعاً- الدعاء:

جاءت الإشارة إلى استخدام الدعاء كوسيلة تربوية تعليمية في أحاديث الباب خاصة ما جاء في دعاء رسول الله ﷺ لذلك الرجل الذي استوصاه قبل أن يسافر قائلاً: «اللهُمَّ اطوِ لَه البُعْدَ، وهوِّنْ عليه السفَر».

وفي ذلك إشارة إلى استخدام الآباء والمربين الدعاء لأولادهم وطلابهم كوسيلة من الوسائل التربوية، فالدعاء من الأركان الرئيسة التي يخاطب بها الوالدان والمربون للالتزام به، وتحين لحظات الإجابة التي بينها رسول الله ﷺ إذ أن دعاء الوالدين مستجاب عند الله تعالى، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقوداً وتتمكن الرحمة والرأفة

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٤١/١.

(٢) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٧٣-٢٧٧.

من قلبيْ الوالدين فيتضرعان إلى الله تعالى ويبتهلان إليه في إصلاح الطفل ومستقبله، وهذه سنة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على الدعاء لمن تربوا على يده سواء أكانوا من أطفاله وأهل بيته أم كانوا من عامة المؤمنين وسواء الأمة، وفي ذلك عبرة وعظة لأهمية هذا الأسلوب النبوي الذي تفتقده الأساليب غير الإسلامية[1].

إن دعاء الوالد لولده والمربي لمربيه يشعر الولد والمتربي بمدى قوة العلاقة بينه وبين والده ومعلمه ويستشعر بما يكنه والده وأستاذه له من محبة وصدق في سَوْق النفع والصلاح إلى الولد وكذلك الطالب، كما أن في دعاء المربي والمعلم لتلميذه تربية عملية للمتعلم للدعاء وحمله على المداومة عليه وغرس روح الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه، وتكمن أهمية الدعاء في التربية في حياة المسلم بأنه ثمرة المعرفة والإيمان بالله وشعور المسلم العميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله تعالى، كما أن في الدعاء واللجوء إلى الله ضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء، ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل طغيانها واعتدائها، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2].

إن في الدعاء تذكيراً للنفس بحقيقة فقرها إلى الله وصلتها به، ومن ثَمَّ كانت حياة الرسول ﷺ دعاءً دائماً يدعو مع كل عمل وكل حركة بالليل أو النهار وله في ذلك دعوات مأثورة كان يدعو بها ويعلمها لأصحابه[3]، ومنها ما جاءت في أحاديث الباب في أذكار وأدعية السفر ومنها «اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا . وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ ...».

بل وكان يدعو بهذه الأدعية لغيره إذا أراد سفراً، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في دعائه ﷺ لذلك الرجل الذي استوصاه قبل سفره بقوله: «اللهُمَّ اطوِ لَه البُعْدَ، وهوِّنْ عليه السفَر».

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٥-٨٨.

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٣) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢٢٢، ٢٢٣.

١٧٢- باب استحباب الدعاء في السفر

الحديث رقم (٩٨١)

٩٨١- عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَات لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1] ، وقال: (حديث حسن). وليس في رواية أَبي داود : ((عَلَى وَلَدِهِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال نبعت من البداية بالعدد المفسر بما بعده، وهو ما يحقق التشويق؛ لأن فيه نوعا من الإبهام يتلوه توضيح، وقوله (ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَات) جملة تشويقية تحقق ترقب المخاطب، وانتباهه لما يسفر عنه العدد، وتجد ذلك في نفسك إذا سمعت هذه الجملة أسرك شوق لا ينفك حتى تعرف ما هي، وقول الرسول ﷺ (لا شك فيهن) يصعِّد هذا الشوق لشغف النفس بكل ما يحقق لها النفع، فإذا جاءت توضيحها كان لها في النفس فضل تمكن، وقوله (دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ) فيه إيجاز بالحذف، أي هي: دعوة كذا، وتكرار المسند (دعوة) يشير إلى استقلال كل، واحدة منهن بالحكم، وفيه عناية بها، واهتمام.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب للمسافر أن يدعو في سفره في كثير من الأوقات؛ لأن دعوته مجابة)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٣٦ ، والترمذي واللفظ له ١٩٠٥ ، وفي ٣٤٤٨ وقال: حديث حسنٌ. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٢٦٩٩. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٦٢.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٩٥/٤ ، وانظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٥٢ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: من الدعوات المستجابة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من الحديث: "ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده".

وهذا الإخبار ينقل رسالة دعوية إلى المدعوين، فهو في الحقيقة إخبار بمعنى الترهيب والترغيب، الترهيب من الظلم، والترهيب من عقوق الوالدين، والترغيب في الدعاء في السفر، لأن المدعوين علموا أن هذه الدعوات مستجابة، ومن ثم يحصل عندهم الخوف من الظلم وعقوق الوالدين، كما تحصل لهم الرغبة في الدعاء في السفر.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من الدعوات المستجابة:

هذا واضح من الحديث: فقد أخبر النبي ﷺ أن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده مستجابة.

أما دعوة المظلوم، فقد قال النبي ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، ويَقُولُ الرَّبُّ وعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ))[1].

قال الطيبي: (قوله: "ودعوة المظلوم" قطع هذا القسم عن أخويه لشدة الاعتناء بشأنه قال البيضاوي: استأنف بهذه الجملة الكلام لفخامة شأن دعاء المظلوم واختصاصه بمزيد قبول، ورفعها فوق الغمام، وفتح أبواب السماء لها، مجاز عن إثارة الآثار العلوية وجمع الأسباب السماوية على انتصاره، بالانتقام من الظالم وإنزال البأس عليه، قوله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٣٠٥ رقم ٨٠٤٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده ١٣/٤١٠.

"ولو بعد حين" يدل على أنه سبحانه وتعالى يمهل الظالم ولا يهمله، قال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾[1])[2].

قال ابن الجوزي: (الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير بغير حق، ومبارزة الرب بالمخالفة، والمعصية فيه أشد من غيرها، لأنه لا يقع غالباً إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل بسبب التقوى، اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً)[3].

وأما دعوة المسافر فقال الطيبي: (قوله: "ثلاث دعوات مستجابات" وإنما قال في الحديث السابق "ثلاثة" وفي هذا "ثلاث دعوات" لأن الكلام على الأول في شأن الداعي وتحريه في طريق الاستجابة، وما هي منوط به من الصوم والعدل بخلاف الوالد والمسافر، إذ ليس عليهما الاجتهاد في العمل. وقال هناك: "لا ترد دعوتهم" وهنا "مستجابات" وقيدها بقوله: "لاشك فيهن" ليتفقا في التقرير، لأن "لا ترد" كناية عن الاستجابة، وقدتقرر عند علماء البيان، أن الكناية أبلغ من التصريح، فجبر التصريح بقوله "لاشك فيهن"[4].

ولعل سبب استجابة دعوة المسافر، هو حالة الانشغال والاضطرار التي هو عليها، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[5].

قال أبو حامد الغزالي عن حال المسافر: (إن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله،

---

(١) سورة الكهف، آية: ٥٨.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٣١٥/٤.

(٣) نقلاً عن فتح الباري، ابن حجر ١٠٠/٥.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣١٦/٤.

(٥) سورة النمل، آية: ٦٢.

فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله، وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده في إقامته، وإن لم يكن معه مال يخاف عليه، فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع، ثم الشغل بالحط، والترحال، مشوس لجميع الأحوال)[١].

وقد بوب ابن حبان في صحيحه على حديث الباب: ذكر البيان بأن دعوة المسافر لا ترد مادام في سفره[٢].

وأما دعوة الوالد على ولده، فقال الطيبي: (قوله "دعوة الوالد" مطلق يحتمل للولد وعليه، ليسعى في مراضيه حتى يدعو له، ويجتنب عما يسخطه لئلا يدعو عليه، وإنما لم يذكر الوالدة، على أن حقوقها أكثر، فيكون دعاؤها أقرب إلى الإجابة، لما علم ذلك بطريق الأولوية، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾[٣]، حيث أوقع "حملته أمه" إلى قوله "في عامين"، اعتراضاً بين المُفَسِّر أعني "أن اشكر لي" والمُفَسِّر أي "وصينا"، وفائدة الاعتراض التوكيد في التوصية في حقهما، خصوصاً في حق الوالدة، لما تكابد من مشاق الحمل والرضاع)[٤].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: التفصيل بعد الإجمال:

هذا واضح من قوله ﷺ "ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن"، فهذا إجمال فَصَّله بقوله ﷺ: "دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده".

ولا شك أن استخدام الإجمال أولاً يجعل المدعوين متشوقين إلى تفصيل هذا الإجمال ومن ثم يقع منهم الانتباه واليقظة إلى ما يقوله الداعية.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٠٩٤/٢.

(٢) صحيح ابن حبان، الحديث ٢٦٩٩، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٢٧/٢-١٢٢٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣١٦/٤.

ومن أمثلة التفصيل بعد الإجمال قوله ﷺ: ((كَلِمَتَانِ حَبِيْبَتَانِ إِلَى الرَّحْمن خَفِيْفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيْلَتَانِ فِي المِيْزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيْمِ))[1].

(١) أخرجه البخاري ٧٥٦٣، ومسلم ٢٦٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الحرص على الدعاء:

إن الدعاء من أهم الأسس التربوية التي ينبغي أن تبني عليها شخصية المتربي بل والمجتمع بصفة عامة، وذلك لما في الدعاء من تربية المسلم على الارتباط بالخالق سبحانه وتعالى، ودوام الرجوع والالتجاء إليه، كما أن "الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب شريطة أن يكون الدعاء في إطار القالب الشرعي الذي حدده لنا الله تعالى، كأن يكون دعاء مباحاً لا اعتداء فيه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]، بأن يبتعد عن موانع إجابة الدعاء كأكل الحرام والظلم والغفلة والسهو واللهو وغير ذلك"[2].

قال ﷺ: «ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَ فِيهِنَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ، ودَعْوَةُ الْوَالِدِ على وَلَدِهِ».

إن للدعاء آثاره التربوية التي لا تُنْكر:

- فهو من أبرز الطرق التي تزكي النفوس وتهذب السلوك، فالدعاء كجهاز الشحن الذي يشحن القلب دائماً بالقوة والرقة، وهو جزء من الذكر الذي يذكر الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى، واللجوء إليه وبضعفه البشري وبأعدائه الذين بين جوانحه ومن بينهم هذه النفس الأمارة بالسوء[3].

- كذلك فإن الدعاء هو ثمرة المعرفة والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٢) انظر: التوبة، ابن القيم، تحقيق صابر البطاوي، ط/١، مكتبة السنة، القاهرة: ١٤١٠هـ ص ٢٢.

(٣) انظر: منهج التابعين في تربية النفوس، عبدالحميد البلالي ص ٨١.

- الدعاء هو سبيل القوة الحقة، فإن في إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته وأنه يستمع إليه إذا شكا ويجيبه إذا دعا ويأخذ بيده إذا كبا ويمده إذا ضعف ويعينه إذا احتاج إحساس يملأ النفس سكينة وراحة ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة والرضا[١].

ثانياً- التحذير:

إن التحذير من أساليب التربية الإسلامية الرئيسة، وقد ورد أسلوب التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي في آيات كثيرة، ومنها قوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾[٢]. وقوله: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

- كذلك ورد التحذير على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع[٤] والأفراد على حد سواء.

ويستنبط التحذير من حديث الباب حيث أكد النبي ﷺ استجابة دعوات ثلاث، فقال ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَك فِيهنَّ دَعْوَةُ المَظْلُومِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ، ودَعْوَةُ الْوَالِدِ على وَلَدِهِ».

ففي هذا تحذير من الوقوع في الظلم أو الجَوْر على أحد، وفي الحديث تحذير من عقوق الوالدين، ومن دعوة الوالد على ولده إذا فرط في حقه أو أساء إليه، إنها دعوات مستجابة.

لذا ينبغي على الأولاد أن يحذروا عقوق الآباء والأمهات، كما أن على الآباء الحذر

---

(١) انظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص ٢٢٢-٢٢٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩-٢٥٠.

من الدعوة على أولادهم، فإن دعوة الوالدين على أولادهم من الخطورة بمكان، فهذا عمل خطير جداً يُشْقى الإنسان في الدنيا والآخرة.

- وقد نهى رسول الله ﷺ الآباء والأمهات عن الدعاء على أولادهم لأن هذا منافٍ للخلق الإسلامي ويخالف التربية النبوية ويبتعد عن منهج النبوة.

لهذا نجد النهي النبوي للآباء في الدعاء على الأبناء، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةَ يسأل عطاء فيتسجيب لكم»[1].

فبدلاً من أن يكون الوالد سبباً في هلاك أولاده وفشلهم بصفة عامة بالدعاء عليهم، فليكن سبباً في صلاحهم واستقامة أمورهم بالدعاء لهم، كما فعل رسول الله ﷺ فدعا للأطفال فبارك الله في مستقبلهم بالعمل والمال والولد، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضَمني رسول الله ﷺ إلى صدرهِ وقال: اللّهمَّ علِّمْهُ الحكمةَ». وفي رواية: «علِّمه الكتاب» وفي رواية: «اللّهمَّ فَقهْهُ في الدِّينِ»(٢)، وبفضل دعوة رسول الله ﷺ أصبح ابن عباس في كبره حَبْر الأمة وترجمان القرآن[3].

ثالثاً- التربية على اغتنام الأوقات والأحوال الفاضلة:

من رحمة الله تبارك وتعالى بعباده أن خصص بعض الأوقات والأماكن والأحوال فضاعف فيها الأجر والثواب على الأعمال، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان استجابة الله تعالى المؤكدة إذا دعا المسلم ربه وهو على حال سفر مباح، فإن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده يجبر ضعفهم ويستر عجزهم ويستجيب دعاءهم، فجاء في حديث الباب «ثلاث دعوات لاشك فيهن ... ودعوة المسافر»، فليغتنم المسافر هذا الحظ[4] وليكثر من الدعاء وهو موقن باستجابة دعوته إن كانت دعوة صالحة لا

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٠٩، ٧٤.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٧٥٦.

(٣) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ٨٥-٨٨.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٣٣.

اعتداء فيها ولا تجاوز.

ومن ثَمَّ فإن على المربين توجيه أنظار المتربين ولفت انتباههم إلى اغتنام الأوقات الفاضلة المباركة وعدم إهدارها وعدم تضييع فضل الله تعالى، وما ينعم به على عباده في أوقات معلومة وأحوال مخصوصة يستجاب فيها الدعاء ويضاعف فيها الأجر والثواب "كتفضيل صوم رمضان على صوم سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء وعشر ذي الحجة ويومي الاثنين والخميس، وبعض الأوقات كالثلث الأخير من الليل، فإن الله سبحانه وتعالى يعطي فيه من إجابة الدعوات والمغفرة وإعطاء السائل مالا يعطيه في الثلثين الأولين من الليل[1]، ومن الأحوال الفاضلة إذا تلبس المسلم بسفر مباح فدعوته مستجابة لاشك فيها كما نلحظ ذلك صريحاً جلياً في حديث الباب.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبدالسلام، تحقيق: طه عبدالرءوف سعد ١/٣٦، ٣٧.

١٧٣- باب مَا يدعو بِهِ إِذَا خاف ناساً أَوْ غيرهم

الحديث رقم (٩٨٢)

٩٨٢- عن أَبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْماً، قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)) رواه أَبُو داود والنسائيُّ[1] بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

نحورهم: النحر: أعلى الصدر. ويقال: جعلت فلاناً في نحر العدو أي قبالته وحذاءه ليقاتل عنك، ويحول بينك وبينه. والمعنى: نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شرورهم[2].

الشرح الأدبي

الخوف شعور بشري يعتري الإنسان عندما يتوقع أذى لا يستطيع دفعه، والرسول ﷺ يعلمنا كيف نعالج في أنفسنا هذا الشعور حتى لا يصدنا عما يجب علينا، وقول الرسول ﷺ (اللهم) صيغة نداء تحقق الطمأنينة، وتجعل العبد في حوار مع الرب يشعر بنوع من الأمان في مثل هذه المواقف، وقوله (إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ) في العبارة سجع يجذب السمع، وييسر الحفظ ويقرر المعنى، وخص النحر بالذكر؛ لأن العدو يستقبل بنحره عند القتال، وللتفاؤل بنحرهم إلى قتلهم، و (ونعوذ بك من شرورهم)، والمعنى نسألك أن تصدر صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفي

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٣٧، والنسائي في الكبرى ٨٥٧٧، و١٠٣٦٢. وصححه ابن حبان، الإحسان ٤٧٦٥، وقال الحاكم ١٤٢/٢: هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين، وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه. وسيكرره المؤلف برقم ١٣٢٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ح ر).

أمورهم، وتحول بيننا وبينهم وقيل المعنى نسألك أن تتولاني في الجهة التي يريدون أن يأتوا منها؛ فإنه لا حول، ولا قوة لنا وحاصله نستعين بك في دفعهم.

فقه الحديث

قال النووي: (إذا خاف ناسًا أو غيرهم فالسنة أن يقول ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قومًا قال: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم" ويسنّ أيضًا أن يدعو بدعاء الكرب وهو ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: ((لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم))[1] عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا كربه أمر قال: ((يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث))[2])[3].

وقال النووي في كتاب الأذكار تحت باب، ما يقول إذا رأى هزيمة في المسلمين والعياذ بالله الكريم، قال: (يستحبّ إذا رأى ذلك أن يفزع إلى ذكر الله تعالى واستغفاره ودعائه، واستنجاز ما وعد المؤمنين من نصرهم وإظهار دينه، وأن يدعو بدعاء الكرب، ويستحب أن يدعو بغيره من الدعوات المتقدمة، والتي ستأتي في مواطن الخوف والهلكة...)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به والاستنصار به.

ثالثاً: من آداب الداعية والمدعو: ذكر الله عند الخوف والكرب.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٤٥، ومسلم ٢٧٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٢٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٩٦).

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٤ .

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٤٣ .

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضحٌ من الحديث، فقد أخبر أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (أنه إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم)، وهذا الإخبار رسالة للمدعوين أن يفعلوا مثل فعله ﷺ في هذه الحالة، ويقتدوا بهديه، فهو ﷺ قدوتهم وأسوتهم، ولقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]. فإذا خافوا من أحد أو من قوم، لجأوا إلى الله كما لجأ، وتضرعوا إليه كما تضرع، وابتهلوا إليه بهذا الدعاء كما ابتهل، حتى يبدل الله أمنهم خوفاً، وفزعهم ثباتاً، واضطرابهم سكينة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به والاستنصار به:

هذا واضحٌ من دعاء النبي ﷺ: (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم)، قال العظيم آبادي: "يقال جعلت فلاناً في نحر العدو، أي قبالته وحذاءه ليقاتل ويحول بينك وبينه، وخصّ النحر بالذكر، لأن العدو به يستقبل عند المناهضة للقتال. والمعنى: نسألك أن تصدّ صدورهم، وتدفع شرورهم، وتكفينا أمورهم، وتحول بيننا وبينهم"[2].

ولقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر ما يستعين المرء به ربه جلّ وعلا على قتال أعداء الله الكفرة عند التقاء الصفين[3].

ثم ساق حديثاً تحت باب: ذكر ما يستحب للإمام أن يستنصر بالله عز وجل عند قتال أعداء الله وإن كان في المسلمين قلة[4].

والحديث هو: عن عِياضٍ الأَشْعريِّ قَالَ: ((شَهِدْتُ اليرموكَ وعليها خمسةُ أمراءَ: أبو

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٩٢.

(٣) صحيح ابن حبان ٨٢/١١، رقم ٤٧٦٥.

(٤) المرجع السابق ٨٣/١١، رقم ٤٧٦٦.

عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاح، ويزيدُ بنُ أبي سفيان، وشُرَحْبيلُ بن حَسَنَةَ، وخالدُ بنُ الوَليد، وعياضٌ ـ وليسَ عِياضٌ صاحبَ الحَديثِ الَّذي يُحَدِّثُ سِماكٌ عنهُ ـ قالَ عمرُ: إذا كانَ قِتالٌ، فَعَلَيْكُمْ أبو عبيدةَ، قالَ: فكتبنا إليه أنْ قد جَاشَ[1] إلينا المَوْتُ واستمددناهُ[2]، فكتبَ إلينا أنهُ قَدْ جاءَني كتابُكُمْ تستمدُّوني، وإني أَدُلُّكُمْ على ما هُوَ أَعزُّ نَصْراً وأَحْصَنُ جُنْداً، اللَّهُ، فاستنصِرُوهُ، فإنَّ محمداً قد نُصِرَ بأقلَّ من عددِكُمْ، فإذا أتاكُمْ كتابي، فقاتلوهم، ولا تُراجعوني، قالَ: فقاتلناهم فهَزَمْنَاهُمْ، وقتلناهُمْ أربعَ فَراسخَ، وأَصَبْنَا أموالا))[3].

وفي لجوء العبد إلى الله عند الخوف من قوم، إظهار لافتقاره إليه، وبيان لإقراره بأنه القاهر فوق عباده، وأنه القادر على كل شيء، وأنه المعين وأنه الناصر وأنه كافي عبده ومدافع عنه، كما أن بيده كل شيء، كما أن فيه طلباً ورجاءً إلى الله من العبد أن يكفيه شر هؤلاء، حتى يتفرغ لعبادته سبحانه ولا يُشغل بشيء آخر.

ثالثاً- من آداب الداعية والمدعو: ذكر الله عند الخوف والكرب:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شررهم)، قال ابن تيمية: "إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه. فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب كما قال النبي ﷺ: ((أفضل الدعاء الحمد لله))[4]، فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء، والحب أعلى أنواع الطلب، فالحامد طالب للمحبوب، فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع

---

(١) أي: تدفق وفاض وامتد، كما في تحقيق صحيح ابن حبان ٨٤/١١.

(٢) أي: طلبنا من عمر أن يمدنا بمدد من الجنود.

(٣) أخرجه أحمد ٤٨/١ رقم ٣٤٤، وابن أبي شيبة ٣٤/١٣ - ٣٥، وابن حبان ٤٧٦٦، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤٢٢/١.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٠، وحسنه الألباني. (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٥).

الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه، وقد قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[1])[2].

وقال النووي في المجموع: (إذا خاف ناساً أو غيرهم فالسنة أن يقول ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم، ويسن أيضاً أن يدعو بدعاء الكرب، وهو ما رواه ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: ((لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ. لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمُ))[3]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا كربه أمر قال: ((يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ))[4]"[5].

وقال ابن القيم: "إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا"[6].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤/٨ ١٩/١٥ ط/ ابن قاسم.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٤٥، ومسلم ٢٧٣٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٢٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٩٦).

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٥/٤.

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٣٤٩/٢ - ٣٥٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الالتجاء إلى الله تعالى:

إن من المهام التربوية الملقاة على عاتق الآباء والمربين تربية الأولاد والبنات على مراقبة الله تبارك وتعالى والالتجاء إليه والاستعاذة والاستجارة به من شرور النفس والغير، فيجدر بالمربي الحاذق أن يحرص على ترسيخ قيمة المراقبة والمحاسبة في النفوس، وكذلك الالتجاء إلى خالق الأرض والسماوات ومناجاته[1] في جميع الأحايين وعلى جميع الأوضاع، ومن الشواهد على ذلك ما جاء في حديث الباب من التجاء العبد لربه إذا خاف شيئاً أو ألمَّ به مكروه، كما رأينا ذلك سلوكاً عملياً من رسول الله ﷺ في حديث الباب، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ».

وهكذا ينبغي أن يكون المربي والمعلم بلسان حاله ومقاله موصلاً للقلوب بالله ومرغباً لهم في رحمة الله تعالى ولطفه بعباده المؤمنين فهو الخالق المعبود بحقٍ المتصفُ بصفات الكمال المنزه عن كل نقص، بيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله فهو رب العالمين القائم على شؤون خلقه المتكفل بما يصلحهم، وهو كاشف الضر عنهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[2]. وهو مجيب المضطر وكاشف السوء ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾[3].

إن غرس العقيدة في قلوب الناشئة وطبعهم على الالتجاء إلى الله تعالى والركون إليه تربي منهم رجالاً أقوياء في عقيدتهم أسوياء في سلوكياتهم مع أنفسهم ومع الآخرين وفي مواجهة الشدائد والمحن والعقبات في هذه الحياة، وتزرع في نفوسهم الإقدام وعدم الخوف إلا من الله تعالى.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٦٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٧.

(٣) سورة النمل، آية: ٦٢.

ثانياً- التربية بالمواقف والأحداث:

إن التربية بالمواقف والأحداث تؤثر تأثيراً مباشراً وسريعاً وقوياً في النفوس، لأنه توجد شرائح اجتماعية غير قليلة تتأثر تأثراً بطيئاً بل وأحياناً يضعف التأثر من خلال الأقوال، إلا أن المواقف تهزها هزاً قوياً وعنيفاً من الداخل، خاصة إذا كان هناك تقصير لدى الإنسان، وكم من أناس تابوا وأنابوا إلى الله تعالى بسبب بعض المواقف أو موقف معين دون أي تعليق أو توجيه، فما بالنا إذا تم استثمار المواقف والأحداث في التربية، إنها ستكون عظيمة الأثر بعيدة المدى.

وقد ورد استخدام هذا الأسلوب في حديث الباب حيث بين النبي ﷺ ماذا ينبغي على الإنسان إذا خاف شيئاً أو فزعه أمر؟ لاشيء إلا اللجوء إلى الله تعالى والدعاء والابتهال إليه - مع مراعاة التماس الأسباب ورعاية السنن، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ».

إن التربية الإسلامية لا تقتصر على مجرد التلقين ونقل الثقافة والخبرات فحسب وإنما هي مع ذلك تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام[1].

لقد كان ﷺ يغتنم فرصة التصرفات العملية التي تقتضي توجيهاً تربوياً أو عملياً ليأخذ منه المسلمون درساً إيجابياً فكان يدعو إلى قيمة أو يصحح سلوكاً أو ينفي هذا السلوك الخاطئ وهي طريقة فعالة لأنها ترتبط بالوقائع المشاهدة، وتتصل بما يعيشه الناس، ولذا ترسخ في الذهن وتثبت في القلوب، وبهذا ترتبط القيم بواقع الحياة، وهذا يعني أن غرس القيم لا يقتصر على مجرد التعلم والحفظ والتسميع وإنما يعتمد على واقع الحياة والخبرة المعيشية، وبالتالي يكون تأثيرها قوياً[2].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٨٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥١/١.

١٧٤- باب مَا يقول إِذَا نزل منْزلاً

الحديث رقم (٩٨٣)

٩٨٣- عن خولة بنتِ حَكِيمٍ رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

خولة بنت حكيم: وهي خولة بنت حكيم بن أمية، تكنى أمّ شريك.

وكانت امرأة عثمان بن مظعون، فمات عنها، وكانت من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فأرجأها فيمن أرجأ من نسائه، وكانت امرأة صالحة فاضلة، روى عنها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في التعوذ بكلمات الله عند النزول في السفر[2].

وهي التي قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن فتح الله عليك الطائف فأعطني حُليَّ بادية ابنة غَيْلان بن سلمة أو حُليَّ الفارعة ابنة عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف فقال لها رسول الله ﷺ: ((وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خولة؟ فذكرت ذلك لعمر، فأقبل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أما أُذن لك في ثقيف؟ قال لا))[3].

وهي التي سألت رسول الله ﷺ، عن المرأة ترى في المنام ما يرى الرجل: فقال لها رسول الله ﷺ ((ليس عليها غسلٌ حتى ينزل الماء، كما أن الرجل ليس عليه غسلٌ حتى ينزل))[4].

وقد دخلت على عائشة زوج النبي ﷺ وكانت عند عثمان بن مظعون -فرأى

---

(١) برقم ٢٧٠٨/٥٤. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٧٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٨.

(٣) ذكره ابن إسحاق في السيرة بغير إسناد.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٩/٦ رقم ٢٧٣١٢، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٩١/٤٥.

رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال ما أبدُّ هيئة خويلة؟ فقالت: يا رسول الله امرأةُ لا زوج لها، يصوم النهار ويقوم الليل فهي كمن لا زوج لها فتركت نفسها وأضاعتها، فبعث النبي ﷺ إلى عثمان بن مظعون فجاءه، فقال رسول الله ﷺ ((يا عثمان، أرغبة عن سنتي؟)) فقال لا والله، ولكن سنتك أطلب، فقال رسول الله ((إني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان فإن لأهلك عليك حقاً))[1][2].

غريب الألفاظ:

التامات: معناه: الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب، وقيل: النافعة الشافية، وقيل: المراد بالكلمات هنا القرآن[3].

الشرح الأدبي

قوله (نزل منزلا) فيه جناس يؤكد المعنى، ويحقق الفعل، ومن اسم موصول متضمن معنى الشرط، وهو يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وقوله (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) خبر أريد به الدعاء أي: أعذني، وجمع الكلمات للتوكيد المفضي إلى ترسيخ الشعور بتحقق العوذ، ووصفها بالتامات إشارة إلى صلاحها لتحقيق العوذ مع كمالها بعكس ما كانوا يستعيذون به في الجاهلية من

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦٨/٦ رقم ٢٦٣٠٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٣٥/٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٥٨/٨، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٦٧٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٩٤/٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٣٠/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٧١/٤-٦٧٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٦٤٠/٢، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٧٢١/١-٧٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٩٥.

الجن، والشياطين، وقوله (لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ) جواب الشرط يقرر تحقق الأمن من الشرور، وتنكير (شيء) يفيد العموم فيشمل القليل، والكثير ويبين مدى الحفظ الذي تشمله هذه الاستعاذة، وقوله: (حتى يرتحل) بيان للغاية التي تستوعبها الاستعاذة من الزمان، وبذلك تتحقق له هذه الاستعاذة الأمان في المكان الذي ينزل فيه مهما كان فيه من الأخطار، وفي الزمان حتى يرتحل - طال إقامته أم قصرت -.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يقول إذا نزل منزلاً ما روته خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من نزل منزلاً قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يقوله المسلم إذا نزل منزلاً.

ثانياً: من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى فعل ما ينفعه.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ما يقوله المسلم إذا نزل منزلاً:

هذا واضحٌ من الحديث، قال النووي: "قوله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله التامات)، قيل: معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب. وقيل: النافعة الشافية. وقيل: المراد بالكلمات هنا القرآن"[2].

وقال ابن تيمية: "وأما لفظ الكلمات، فقال في الكلمات الكونية، ﴿وَصَدَّقَتْ

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٧/٤ .

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣/١٧/٩، ، وهو موجود بنصه في إكمال المعلم، للقاضي عياض ٢٠٦/٨.

بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾[1]، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ نزلَ منزلاً فقال: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التَّامَّاتِ منْ شرِّ ما خلَقَ، لمْ يضرَّه شيءٌ حتى يرتحلَ منْ منزلِه ذلكَ))[2]، وكان ﷺ يقول: ((أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ وَبَرَأَ وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ يَطْرُقُ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ))[3].

و(كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر)، هي التي كوّن بها الكائنات، فلا يخرج بر ولا فاجر عن تكوينه ومشيئته وقدرته، وأما كلماته الدينية فكتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه، فأطاعها الأبرار وعصاها الفجار، وأولياء الله المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية، وإذنه الديني وإرادته الدينية. وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها بر ولا فاجر، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق حتى إبليس وجنوده، وجميع الكفار وسائر من يدخل النار، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضا والغضب. وأولياء الله المتقون، هم الذين فعلوا المأمور، وتركوا المحظور، وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبوه، ورضي عنهم ورضوا عنه. وأعداؤه أولياء الشياطين وإن كانوا تحت قدرته، فهو يبغضهم، ويغضب عليهم، ويلعنهم ويعاديهم"[4].

وقال ابن عثيمين: "قوله (نزل منزلاً)،يشمل من نزل منزلاً في السفر إذا كان مسافراً ثم نزل ليستريح لغداء أو عشاء أو نوم أو غير ذلك. فإنه إذا نزل يقول: (أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق)، وأعوذ، أي: أعتصم بكلمات الله التامات. وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية والشرعية، فأما الكونية فهي التي

---

(١) سورة التحريم، آية: ١٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٨.

(٣) أخرجه أحمد ٤١٩/٣ رقم ١٥٤٦٠، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٠٠/٢٤.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٥٠/٦، ٢٧٠/١١ - ٢٧١.

ذكرها الله في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، فيحميك الله تعالى بكلماته الكونية، يدفع عنك ما يضرك إذا قلت هذا الكلام. كذلك الكلمات الشرعية وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء وشر. وقاية من الشر قبل نزوله وبعد نزوله"[2].

ثانياً- من مهام الداعية: إرشاد المدعو إلى فعل ما ينفعه من أساليب الدعوة:

هذا واضحٌ من الحديث، فقد أرشد ﷺ المدعوين إلى ما يقولونه إذا نزلوا منزلاً حتى لا يلحق بهم سوء أو أذى، ولا شك أن احتمال وقوع الأذى في السفر أكثر منه في الحضر.

قال ابن العربي: "وعلّم أيضاً ما يقوله إذا نزل: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)، وضمن عدم الضرر بها، فوالله لقد جربتها أحد عشر عاماً فوجدتها"[3].

وقال أبو العباس القرطبي: "قوله: (إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)، قيل معناه: الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحقُ كلام البشر. وقيل معناه: الشافية الكافية. وقيل: الكلمات - هنا - هي: القرآن؛ فإن الله تعالى قد أخبر عنه بأنه هُدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يُدفع به الأذى، ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى، والتجاء إليه، كان ذلك من باب المندوب إليه، المرغّب فيه. وعلى هذا فحقُّ المتعوِّذ بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته أن يَصْدُق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويُحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه، ومغفرة ذنبه.

وقوله: (فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه)، هذا خبرٌ صحيح، وقولٌ صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ

---

(١) سورة يس، آية: ٨٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٢٢٩/٢.

(٣) القبس شرح الموطأ ٢٨٣/٢٣ موسوعة شروح الموطأ.

بتلك الكلمات، فقلت لنفسي - ذاماً وموبخاً - ما قال ﷺ للرجل الملدوغ: ((أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرُّكَ))[1]"[2].

وإرشاد المدعو إلى ما ينفعه هو شأن الأنبياء جميعاً عليهم السلام، وهم قدوة الدعاة، فقد كانوا يرشدون المدعوين إلى ما فيه نفعهم، فضلاً عن تحذيرهم مما يضرهم، مصداق ذلك قول النبي ﷺ: ((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))[3].

ومن هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من قال لا إله إلا اللَّهُ وحدهُ لا شَريك له، لهُ الملك، وله الحمدُ، وهو على كل شيء قَدير في يومٍ مائةَ مرَّة كانت له عَدْلَ عَشرِ رِقاب، وكُتبَت له مائةُ حسَنة، ومُحِيَت عنه مائة سيِّئة، وكانت له حِرزاً منَ الشيطان يومَهُ ذلك حتى يُمسيَ، ولم يَأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاء، إلا رجلٌ عملَ أكثر منه))[4].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضحٌ من ذكر ما يلحق بمن يقول هذا القول عندما ينزل منزلاً، فإنه لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك، ولا شك أن هذا ترغيب يدفع المدعو أن يعمل بهذا الحديث حتى يتحصل على هذه الحماية وتلك الوقاية، وخاصة أن المسافر يكون في حالة أشد ما يكون إلى الإعانة والمساعدة وطلب العون، نظراً للانشغال الذي يحدث بسبب السفر وكثرة أعبائه.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٦/٧ - ٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٣، ومسلم ٢٦٩١.

الحديث رقم (٩٨٤)

٩٨٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ، قَالَ: ((يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، أعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ[1] أسَدٍ وَأسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)) رواه أَبُو داود[2].

"والأسْوَد": الشخص، قال الخطابي: "وسَاكن البلد": هم الجن الذين هم سكان الأرض. قال: والبلد من الأرض: ما كان مأوى الحيوان، وإن لم يكن في بناء ومنازل. قال: ويحتمل أن المراد "بالولد": إبليس "وما ولد": الشياطين.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

يدب عليك: يمشي ويتحرك من الحيوانات والحشرات مما فيه ضرر[3].

الأَسْوَد: الحيَّة[4]، وقال النووي: الشخص[5].

ساكن البلد: قال الخطابي: هم الجن الذين هم سكان الأرض. والبلد من الأرض: ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ومنازل[6].

والد وما ولد: قال الخطابي: ويحتمل أن المراد بالوالد: إبليس. وما ولد: الشياطين[7].

---

(١) (شر) لا توجد عند أبي داود.

(٢) برقم ٢٦٠٣، وصحَّحه ابن خزيمة ٢٥٧٢، وقال الحاكم ١/١٠٠: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١١٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و د).

(٥) رياض الصالحين ٩٨٣.

(٦) رياض الصالحين ٩٨٣.

(٧) رياض الصالحين ٩٨٣.

الشرح الأدبي

يقول الراوي: (كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ) دلالة إلى أنها إحدى عادات الرسول ﷺ في سفره، وإذا كانت كذلك فقد صارت سنة لأمته من بعده، وقول الرسول ﷺ (يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ) نداء الكائنات أمر يتكرر في القرآن، والسنة فقد نادي الله تعالى الأرض، والسماء أو الجبال، وهو نداء على حقيقته لطلاقة قدرة الله، أما نداء الرسول ﷺ فهو نوع من التجاوب مع الكون المسبح الذي يتجاوب معه بحول الله، وقدرته فتسمع، وتجيب حتى في أرق المشاعر الإنسانية، حيث أخبر عن جبل أحد (أحد جبل يحبنا ونحبه)[1]، وقوله (ربي، وربك الله) تفويض للأمر لصاحبه المصرف أمره بحوله، وقوته، وتكرار كلمة الشر ست مرات؛ لأنها أصل المعنى الذي يدور عليه الحديث، وهو مدار خشية النازل ليلا، وهي كلمة جامعة لكل مخاوف الإنسان، فتكرارها يستوعب كل أنواع الشرور، وكل مصادرها، وقد تدرج في الاستعاذة من العام إلى الخاص فالأخص، فذكر الاستعاذة من الشر عامة (أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ) ثم خصص ما تشتمل عليه في داخلها (وَشَرِّ مَا فِيكِ) ثم خصص مما فيها المخلوق (وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ) وخص من المخلوق فيها ما تحرك على ظهرها؛ لأنه أقرب لبلوغه مما سكن (وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ) وخص مما يدب عليها ما ظهر خطره، وعرف أثره عندهم (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ)، وبين أسد، وأسود جناس يؤكد الاختلاف بين النوعين المؤذيين، وبين هذه الأربعة المذكورة تناسب في المعاني، والألفاظ، ومراعاة نظير، وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه، والمناسبة في الجمع بين هذه الأنواع أنها تعيش في مكان واحد، وتشترك في صفة الإيذاء، وقوله (وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) فيه سجع بديع في قمة الوفاء بالمعنى حيث استوعب كل ما يمكن أن يتولد منه شر من مما ظهر كالحيوان، والهوام، وغيرها، وما خفي كالجن، والشياطين.

---

(١) البخاري: (٤٤٢٢).

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يقول إذا جن عليه الليل ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله ... الحديث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: ما يقوله المسافر إذا أقبل الليل.

ثالثاً: من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله عز وجل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضحٌ من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ إذا سافر أقبل الليل قال: يا أرض...)، وهذا إخبار عن فعل من أفعال النبي ﷺ وهو مُشْعِرٌ بأنه ﷺ كان يفعله كثيراً، كما أنه لنقل هدي النبي ﷺ إلى المدعوين، ليقتدوا به ويتأسوا بعمله. قال الدكتور القرضاوي: "ومن حسن حظ المسلمين أن الله جعل لهم قدوة يقتدون بها تتجسد في مكارم الأخلاق التامة، التي أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه، وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أثنى الله عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]"[4].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: ما يقوله المسافر إذا أقبل الليل:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ. قال الطيبي: "قوله: (يا أرض)، قال القاضي البيضاوي: خاطب الأرض وناداها على الاتساع وإرادة الاختصاص، وشرّ الأرض الخسف والسقوط عن الطريق والتحير في المهامة والفيافي، وما فيها من أحناش الأرض

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٧/٤.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٢١.

(٤) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة ٢٥٧.

وحشراتها، وما يعيش في النقب وأجوافها. قوله: (من شرك)، أي: من شر حصل من ذاتك، (ومن شرّ ما فيك)، أي: ما استقرّ فيك من الأوصاف والأحوال الخاصة بطباعك، (وشر ما خلق فيك)، من الحيوانات وغيرها. (وشر ما يدب عليك)، من الحيوانات. وهذا الأسلوب من عطف الكلام بعضها على بعض إلى قوله: (من أسد وأسود)، من باب الترقي في البيان.

قوله: (من أسد وأسود)، قال التوربشتي: الأسود الحية العظيمة التي فيها سواد وهي أخبث الحيات. وذكر أن من شأنها أن يعارض الركب ويتبع الصوت. فلذا خصّها بالذكر، وجعلها جنساً آخر برأسها. ثم عطف عليها (الحية)... وفي الغريبين قال ابن الأعرابي في تفسيره: يعني جماعات وهي جمع سواد أي جماعة. قال القاضي البيضاوي: هم الإنس سمّاهم بذلك، لأنهم يسكنون البلاد غالباً، أو لأنهم بنوا البلدان واستوطنوها. وقيل: الجن، والمراد بـ (البلد) الأرض. يقال: هذه بلدتنا أي: أرضنا[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[2]، قوله: (ووالد وما ولد)، قال الخطابي[3]: (والد) إبليس (وما ولد): نسله وذريته[4].

قال النووي في المجموع: "السنة أن يقول إذا جن عليه الليل ما رواه ابن عمر....، فذكر الحديث"[5].

ثالثاً- من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله عز وجل:

وهذا واضحٌ من الحديث، جاء في الموسوعة الفقهية: "الاستعاذة لغة: الالتجاء، وقد عاذ به يعوذ: لاذ به ولجأ إليه واعتصم به، وعُذت بفلان واستعذت به، أي: لجأت إليه.

---

(١) قال الخطابي: "قوله: (ساكن البلد) يريد به الجن الذين هم سكان الأرض، والبلد من الأرض: ما كان مأوى للحيوان، وإن لم يكن فيه بناء ومنازل. معالم السنن ٣/٤١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٨.

(٣) عبارة الخطابي: ويحتمل أن يكون أراد بالوالد: إبليس. وما ولد: الشياطين. معالم اسنن ٣/٤١٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥/١٧٤ - ١٧٥.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٧.

ولا يختلف معناها اصطلاحاً عن المعنى اللغوي. فقد عرفها البيجوري من الشافعية بأنها: الاستجارة إلى ذي منعة على جهة الاعتصام به من المكروه. وقول القائل: أعوذ بالله.. خبر لفظاً دعاء معنى.. والدعاء أعم من الاستعاذة فهو لجلب الخير أو دفع الشر، والاستعاذة دعاء لدفع الشر. وحكمة تشريعها: طلب الله سبحانه من عباده أن يستعيذوا به من كل ما فيه من شرّ. وشرعها سبحانه عند القيام ببعض الأعمال كقراءة القرآن في الصلاة وخارجها وغير ذلك.

واستعاذ الرسول ﷺ من الشرّ كله فقال: ((اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِ كُلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ))[1]، بل إنه استعاذ مما عوفي منه وعصم، إظهاراً للعبودية وتعليماً لأمته"[2].

والحديث عند ابن ماجه وابن حبان وغيرهما بلفظ: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ علمَّها هذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ، قَضَيْتَهُ لِي، خَيْراً)).

قال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١) النبي ﷺ علّم عائشة رضي الله عنها هذا الدعاء الجامع، فكان ينبغي للمسلم أن يعلمه أهله وأولاده وأهل بيته، ومن يتصل به، يعلمهم الخير بما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم.

(٢) ففي الحديث سؤال الله تعالى الخير الذي يشمل منافع الدنيا والآخرة، مما لا يعد ولا يحصى، العاجل منها والآجل، والمتأخر المعلوم منها للداعي المجهول له، مما لا يعلمه إلا الله.

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٠٢).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥/٤.

(٣) كما يستعيذه ويلتجئ من شرور الدنيا والآخرة العاجل الحاضر منها والآجل المتأخر، مما علم به الداعي وما جهل.

(٤) ثم عمم السؤال من نوع آخر، وهو أن الداعي يسأل الله تعالى من خير ما سأله رسول الله ﷺ.

ويستعيذ مما استعاذ منه رسول الله ﷺ الذي علم مما عند الله من الخير والشر أكثر مما نعلم، فسأل أفضل سؤال، واستعاذ بربه من أسوأ معاذ، فنحن به مقتدون في الرغبة بالخير والبعد من الشر.

(٥) ثم سأل العبد من ربه الجنة وهي غاية المطلوب، وسأل الوسيلة إليها من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة.

(٦) ثم سأل الله تعالى العبد أن يجعل كل قضاء قضاه أن يكون خيراً ولو ظاهره ومظهره الشر، إلا أنه في حقيقة الأمر هو خير، فإن تدابير الله تعالى كلها وفق الحكمة والمصلحة، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

فهذه الأدعية الشريفة علمها النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها ليكون علمها لأمته التي نصحها وبرها وأحسن إليها، وهي من أنفع الأدعية وأجمعها لخيري الدنيا والآخرة)[2].

وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الأمر للمرء أن يسأل ربه جل وعلا جوامع الخير ويتعوذ به من جوامع الشر[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٦/٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/١٥٠ رقم ٨٦٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقدية:

من أبرز الأهداف للتربية الإسلامية التربية العقدية، حيث إن المهمة الرئيسة والأولى للتربية الإسلامية وصل القلوب بالله وتعريف الناس على ربهم وإحياء خشيته في قلوبهم فهو الخالق المعبود بحقٍ المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص.

لهذا ينبغي على المعلم والمربي التركيز على إحياء العقيدة في النفوس ليسمو الإنسان روحًا وفكرًا وخطوًا ويكون أداة نافعة في محيطه وفي مجتمعه[1].

وإذا ما استقرأنا أحاديث النبي ﷺ نجد أنها لا تغفل مقامًا ولا حالاً إلا ودعت إلى تثبيت العقيدة وتجديدها والتركيز عليها ومن دلائل ذلك ما جاء في أحاديث الباب من تركيز على العقيدة من خلال الأدعية والاستعاذة التي وردت في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله..."

"إن الإيمان بربوبية الله وألوهيته ووحدانيته هو أساس كل ما عداه، إن عقيدة التوحيد والإيمان بالله لها عظيم الأثر التربوي في حياة المسلم وتتضح هذه الآثار فيما يلي:

- تحرير الإنسان من الذل والمهانة لمغريات الحياة فلا يستعبده جاه ولا مال ولا يذل للطواغيت.
- تحرير الإنسان من العبودية إلا لله فلا يخضع ولا يستسلم بالعبادة لأي من بني البشر أو كائن آخر أو جماد.
- تربية عقل الإنسان على سعة الأفق والتأمل والرغبة في الاطلاع على أسرار الكون وذلك للاستدلال على قدرة الله في خلقه.
- أنها تسلح الإنسان بالطمأنينة والرجاء بقرب الله التواب والمجيب، قال تعالى:

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١١٨ - ١٢٢.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1].

- توفير الاستقرار النفسي والراحة النفسية للإنسان المسلم فيما يتعلق بتساؤل الإنسان دائمًا عن القوة التي هي أكبر منه تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله فهو يفزع إليها عند الحاجة ويطمئن بوجودها.
- تربي الإنسان على التواضع وعدم التطرف أو الغرور، فلا يغتر بقوته ولا يظلم ولا يبطش لأنه يتذكر قدرة الله عليه وإذا اغتر بماله أو أسرف وتكبر تذكر أن الله هو الغني وهو الذي وهبه المال.. فيعود إلى الاعتدال... إلخ.
- عقيدة التوحيد توحد بين أفكار الأفراد ومشاعرهم ومناهجهم وتضبط تصرفاتهم وأوضاعهم وسلوكهم فيصبح المجتمع صالحًا يتميز بالثبات والاستقرار.
- تربي عقيدة التوحيد المؤمن على النفس الموحدة لله، وقد شبه الله النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، فكل تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده وبهذا تهدأ نفسه وتستقيم حياته وتكون تصرفاته بنسق واحد خاليًا من الصراعات والاعتراضات، أما العبد الذي يملكه أكثر من فرد فإن تصرفاته تكون حائرة بينهم بسبب اختلافاتهم وتناقضاتهم، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2][3].

ثانياً- التربية على الاستعاذة بالله واللجوء إليه:

إن من دعائم وأسس التربية الإسلامية للنشء تربيتهم على اللجوء إلى الله تعالى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٩.

(٣) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد محمد عطية ص ٦٥ - ٦٧.

والاعتصام به والتضرع إليه وتفويض الأمور له سبحانه وطلب النصر والعون منه، لأنه القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة والنصرة والحماية وهو الذي أمد الإنسان بالطاقات وزوده بالاستعدادات وهو وحده يملك الموت والحياة[1].

"إن اللجوء إلى الله تعالى أسلوب من أساليب الأخذ بالأسباب التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مسيرته الدعوية الطويلة لأن بالأخذ به استشعار بمعية الله تعالى، وهو الحصن الحصين الذي يعتصم به، والقوة القاهرة التي تقف وراء المسلم فتبث بداخله الطمأنينة والثقة بنصر الله وعونه وتمده بالشجاعة والإقدام وتظهر أمامه قوى الأعداء مهما بلغت هزيلة ضعيفة ذليلة متداعية" [2].

ومن مظاهر اللجوء إلى الله تعالى الاستعاذة به من جميع الشرور ما ورد في حديث الباب من الإرشاد استعاذة المسلم بالله إذا نزل منزلاً كما جاء في قوله ﷺ: (من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)، وفي فعله وتطبيقه ﷺ كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك.

فما أحرى بالمعلمين والمربين تحصين المتربين لا سيما الناشئة منهم بالأذكار الشرعية وذلك بإلقائها إليهم إن كانوا صغارًا وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين وبيان فضلها وتعويدهم الاستمرار عليها.

فإذا تدرب الولد على اللجوء إلى الله تعالى والاستعاذة به وغير ذلك من الآداب والأخلاق والأمور المتحسنة منذ الصغر ألفها وأصبحت سجية له، فما دام أنه في الصبا فإنه يقبل التعليم والتوجيه[3].

---

(١) انظر: الرسالة الخالدة، عبدالرحمن عزام ص ٢٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) انظر: وسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٣٦-١٣٧.

ثالثاً- من وسائل التربية الاستماع:

تنقسم الوسائل تبعًا للحاسة التي تعتمد عليها في الاستخدام إلى وسائل سمعية ووسائل بصرية ووسائل حاسية مختلفة.

وقد وردت الإشارة إلى استخدام وسيلة السمع في أحاديث الباب في قول خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول...

وإن كانت خولة رضي الله عنها اعتمدت على حاسة السمع المجردة فإن المنهج الإسلامي يستوعب كل وسيلة كريمة من الوسائل المعينة على التعليم والتعلم قديمة أو حديثة طالما أنها تسهل عملية التعلم، وتساعد على تنفيذ المنهج، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1].

ومنها: الوسائل السمعية وهي تلك التي تعتمد على الاستماع من حاسة السمع أكثر من اعتمادها على الحواس الأخرى، وذلك مثل "الراديو" وبرامج الإذاعة المدرسية والتسجيلات الصوتية كالشرائط والاسطوانات ومختبرات اللغات... إلى آخره.

لكن ينبغي أن تراعى في العملية التعليمية والتربوية الوسيلة المناسبة، ومن خصائص الوسيلة المناسبة ما يلي:

(أ) الوسيلة المناسبة هي تلك التي ينظر إليها بوصفها أداة مساعدة لبلوغ الهدف وليست هدفًا في حد ذاته.

(ب) أن تكوِّن جزءًا من المنهج المراد تدريسه وأن يتم اختيارها عند التخطيط له بحيث تساعد في تحقيق أهدافه.

(ج) أن تكون مرنة بحيث يمكن استخدامها في أكثر من صف دراسي وأكثر من مرحلة.

(د) أن تكون مناسبة للمادة اللغوية ومتكاملة معها ومع طريقة التدريس المتبعة.

(هـ) أن لا تكون بديلاً للمدرس، بل تكتسب وظيفتها العملية حين يستخدمها

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

المدرس من أجل تحقيق هدف ما.

(و) أن تكون الوسيلة اقتصادية بحيث تحقق أهدافًا وتبرر الجهد والوقت والمال الذي أنفق عليها.

(ز) أن تكون مناسبة للاستخدام في الزمان والمكان الذي يجب أن تستخدم فيهما.

(ح) أن تكون الوسيلة بسيطة وغير معقدة وألا يتغلب شكلها على مضمونها.

(ط) أن تبعث في التلاميذ الرغبة في المعرفة والشوق إلى الإطلاع والملاحظة والاكتشاف والاستقصاء [1].

رابعاً - من خصائص التربية الإسلامية: الشمول:

من خصائص التربية الإسلامية ومميزاتها أنها تربية شاملة، تشمل جميع جوانب الحياة، الأولى والآخرة، "فإذا كان الإسلام هو رسالة الإنسان كله في كل أطواره، ورسالة الحياة كلها بكل جوانبها ومجالاتها، فلا عجب أن نجد التعاليم الإسلامية كلها تتميز بهذا الشمول والاستيعاب لكل شؤون الحياة والإنسان، نجد هذا الشمول يتجلى في العقيدة والتصور ويتجلى في العبادة والتقرب ويتجلى في الأخلاق والفضائل ويتجلى في التشريع والتنظيم" [2].

ومن مظاهر الشمول في أحاديث الباب ما جاء فيها من أدعية تشمل جميع الجوانب والميادين ومن أظهرها ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من شر أَسَدٍ وأَسْوَدٍ ومن الحية، والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد)).

فنجد في هذا الدعاء استعاذة شاملة لكل ما يتوقع منه أو فيه من أذى، ففيه

---

(١) انظر: المعينات البصرية في تعليم اللغة، محمود إسماعيل وعمر الصديق عبدالله، عمادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص ٤، ٥، ومنهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٧٨ - ٤٨١.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١١٣.

استعاذة من شر الأرض وما فيها من المؤذيات، وشر ما خلق فيها من زلازل وبراكين وغيرها، وشر ما يدب عليها من إنسان أو آلة، وشر أسد أو حيوان مفترس وأسود الشكل أو الأثر والهوام والسُميَّات والجن وغيرهم من المؤذيات[1]، حيث شمل الدعاء الاستعاذة بالله من كل ما في الأرض وما عليها من مؤذيات سواء أكانت من إنس أو جان أو حيوان أو جماد.

وفي ذلك دلالة على ما تمتاز به التربية الإسلامية من شمول، "فالتربية الإسلامية تعنى بالجانب الدنيوي والجانب الأخروي على حد سواء، بحيث تعطي كل جانب حقه على أتم وجه، كما أن التربية الإسلامية تعنى بتربية الفرد وتربية الجماعة في آن واحد فتُولِي كل واحد منهما العناية الكفيلة بتحقيق الكمال المنشود ضمن إطار الأهداف العليا للتربية الإسلامية، وتشمل التربية الإسلامية النواحي الثلاث الرئيسة الجسدية والعقلية والوجدانية، وتسعى إلى إعداد الفرد والجماعة إعدادًا متوزانًا في كافة مجالات الحياة الإسلامية المختلفة، بحيث لا يطغى عنصر من العناصر على الآخر ولا تهمل جانبًا من الجوانب المتقدمة على حساب جانب آخر، قال سبحانه ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3][4].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٣٤.

(٢) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٣٧.

١٧٥- باب استحباب تعجيل المسافر في الرجوع إِلَى أهله إِذَا قضى حاجته

الحديث رقم (٩٨٥)

٩٨٥- عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى أحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ (مِنْ سَفَرِهِ)[1]، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أهْلِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نهمته: مقصوده[3].

الشرح الأدبي

قول النبي ﷺ (السفر قطعة من العذاب) تشبيه بليغ لما يشتمل عليه السفر من المشاق من الحزن على فراق الأحباب، والهم بما يمكن أن يعتريه من الأخطار بالإضافة إلى عناء السير، ومشقة الطريق بقطعة العذاب، وهذا التشبيه ينفر من إطالة السفر عن الضروري، وقد عرض لصورة من صور المعاناة في السفر (يَمْنَعُ أحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرابَهُ وَنَوْمَهُ) والجمع بين الطعام، والشراب يشير إلى الحرمان من جملة ملذات الإنسان لأنه يفهم ضمناً أنه يمنعه من شهوته، وأسلوب الشرط يضع الحل للخلاص من هذه الإشكالية بالاقتصار على الضروري من السفر، وسرعة العودة (فَإِذَا قَضَى أحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أهْلِهِ) والتعبير بالنهمة يوحي بشدة الحاجة بمعنى أنه قضى الحاجة الضرورية لسفره بادر

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري، وعند مسلم زيادة: (من وجهه)، والمثبت لفظ ابن ماجه برقم ٢٨٨٢.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٠٠١، ومسلم ١٧٩/١٩٢٧.

(٣) رياض الصالحين ٩٨٣.

بالعودة، يؤكد على ذلك فعل الأمر الواقع في جواب الشرط المقتضي بدلالته العجلة، والمتصل بالفاء التي تستصحب السرعة مع ربطها الجواب بالجزاء، وذكر الأهل، وإضافتهم إليه تذكير بما لهم عليه من حقوق يجب أن يؤديها حتى إذا رضي لنفسه البقاء في هذا العذاب رده عنه حقوق الناس التي يجب أن تؤدى.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة للمسافر إذا قضى حاجته الرجوع إلى أهله)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: استحباب تعجيل المسافر والرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: المحافظة على الأهل.

أولاً- من مهام الداعية: بيان الحقائق:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه)، قال النووي: "معناه: يمنعه كمالها ولذيذها لما فيه من المشقة والتعب ومقاساة الحرّ والبرد، والسُّرَى[2]، والخوف ومفارقة الأهل والأصحاب وخشونة العيش"[3].

وقال أبو العباس القرطبي: "لما في من المشقات والأنكاد، ومكابدة الأضداد، والامتناع من الراحات واللذات"[4].

وقال ابن حجر: "قوله: (السفر قطعة من العذاب)، أي جزء منه، والمراد بالعذاب:

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٧/٤، وانظر: التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد ابن يوسف المواق ١٥٢/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٥٦/١، وشرح الزرقاني على الموطأ، الزرقاني ٥٠٧/٤.

(٢) السُّرَى: السير في الليل. انظر المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة سرى.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١٣/٧ .

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦٦/٣.

الألم الناشئ عن المشقة، لما يحصل في الركوب والمشي من ترك المألوف، قوله: (ويمنع أحدكم)، كأنه فصله عما قبله بياناً لذلك بطريق الاستئناف كالجواب لمن قال: [لم] كان كذلك؟ فقال: (يمنع أحدكم نومه.. إلخ) أي وجه التشبيه الاشتمال على المشقة. وقد ورد التعليل في رواية سعيد المقبري ولفظه: ((السفر قطعة من العذاب، لأن الرجل يشتغل فيه عن صيامه وصلاته وعبادته، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الرجوع إلى أهله))[1]. والمراد بالمنع في الأشياء المذكورة، منع كمالها لا أصلها. وقد وقع عند الطبراني بلفظ: (لا يهنأ أحدكم بنومه ولا طعامه ولا شرابه)، وفي حديث ابن عمر عند ابن عدي: (إنه ليس له داء إلى سرعة السير)"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: استحباب تعجيل المسافر والرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته:

هذا واضحٌ من قول الرسول ﷺ: (فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله)، قال أبو العباس القرطبي: "أي يسرع بالرجوع إلى أهله ليزول عذابه، ويطيب له طعامه وشرابه وتزول مشقته"[3]، قال الخطابي: "فيه الترغيب في الإقامة لئلا تفوته الجمعات والجماعات والحقوق الواجبة للأهل والقرابات. وهذا في الأسفار غير الواجبة، ألا تراه يقول ﷺ: ((فَإِذَا قَضى نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ))، أشار إلى السفر الذي له نهمة وأرب من تجارة أو تقلب، دون السفر الواجب كالحج والغزو"[4].

وقال النووي: "المقصود في هذا الحديث استحباب تعجيل الرجوع إلى الأهل بعد قضاء شغله، ولا يتأخر بما ليس له بمهم"[5].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث كراهة التغرب عن الأهل لغير حاجة، واستحباب

---

(١) أخرجه أحمد ٤٩٦/٢ وقال محققو المسند: حديث صحيح ٢٧٥/١٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٣٣/٣، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٣٠/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦٦/٣.

(٤) نقله الطيبي عنه في شرحه على المشكاة ٣٣٥/٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦/١٣/٧، .

الرجوع، ولا سيما من يخشى عليهم الضيعة بالغيبة. ولما في الإقامة في الأهل من الراحة المعينة على صلاح الدين والدنيا، ولما في الإقامة من تحصيل الجماعات والقوة على العبادة"[١].

وقال الغزالي: "إن السفر نوع من مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين"[٢].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن المسافر على قلت[٣] وبعرضة[٤]؛ ولأنه يسبب همه في نفسه، وتكثر مؤنته، ويحتاج إلى حمل زاده، ومائه، وقل أن يمكنه إقامة فرائضه كاملة من جميع أقسامها، وأن يصلي الصلوات في جماعة، وأن يشتغل بالعلم والتعليم، كما كان في الحضر، فلا ينبغي له أن يتعرض له إلا لحاجة، فإذا قضاها، فأولى أفعاله أن يسرع الكرة[٥] إلى أهله؛ ليكون مغتنماً إنفاق عمره في الأربح فالأربح، من أحوال أوقاته"[٦].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: المحافظة على الأهل:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (فليعجل إلى أهله)، قال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث دليلٌ على أن طول التغرُّب عن الأهل لغير حاجة وكيدة من دين أو دنيا، لا يصلحُ ولا يجوزُ، وأن من انقضت حاجته، لزمه الاستعجال إلى أهله الذين يمونهم ويقوتهم؛ مخافة ما يُحدثه الله بعده فيهم، قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بِالمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))"[٧][٨].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٣/٣.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٠٣/٢.

(٣) القلت: الهلاك. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ١٥٨.

(٤) هكذا في المطبوع، فإن كانت صحيحة فالمقصود التعرض للهلاك، فقد جاء في القاموس المحيط: أقلته: أهلكه أو عرضه للهلاك. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ١٥٨.

(٥) الكرة: الرجعة وزناً ومعنىً. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ٦٤١.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤٠٨/٦.

(٧) أخرجه أبو داود ١٦٩٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٤).

(٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣١٥/٢٣ موسوعة شروح الموطأ.

قال ابن عثيمين: "إن المسافر إذا سافر فإنه يترك أهله، وربما يحتاجون إليه في تعليمهم ورعايتهم وغير ذلك، وربما يحدث لهم أشياء توجب أن تكون عندهم، ولهذا أمر النبي ﷺ - كما في الحديث- أن الإنسان إذا قضى نهمته من سفره فليرجع إلى أهله، قال ﷺ في هذا الحديث: (إن السفر قطعة من العذاب)، ويعني ذلك عذاب الضمير وعذاب الجسم، ولا سيما الذي كان في الزمن السابق، حيث يسافرون على الإبل، ويكون فيها مشقات كبيرة، حر في الصيف وبرد في الشتاء. ولهذا قال ﷺ: (إنه قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه)، لأنه - أي المسافر - مشغول البال ولا يأكل ويشرب كطعامه وشربه الهادئ في أيامه العادية، وكذلك في النوم، فإذا كان كذلك فليرجع الإنسان إلى الراحة إلى أهله وبلده، ليقوم على أهله بالرعاية والتأديب وغير ذلك، وفي هذا دليل على إقامة الإنسان في أهله أفضل من سفره إلا أن يكون هناك حاجة، ووجهه أن أهله يحتاجون إليه، ولهذا لما قدم مالك بن الحويرث ومعه عشرون رجلاً من قومه إلى النبي ﷺ وأقاموا عنده عشرين ليلة، فرأى أنهم قد اشتاقوا إلى أهلهم، قال: ((ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ. فَأَقِيمُوا فِيهِمْ. وأدبوهم وَعَلِّمُوهُمْ))[1]، فدل ذلك على أن الإنسان لا ينبغي أن يغيب عن أهله إلا بقدر الحاجة، هذا هو الأفضل"[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١، ومسلم ٦٧٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٣٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتوجيه:

إن التربية الإسلامية تهدف بالدرجة الأولى إلى إحداث تغييرات إيجابية في سلوك الفرد وسلوك الجماعة، وإن ذلك لا يتأتى بمجرد الإطلاع على نظرياتها ومبادئها وأهدافها، وإنما لا بدَّ أن يتجسد ذلك في دعوة الناس وتوجيههم إلى كل خير يعود عليهم بالنفع في دنياهم وأخراهم[1].

إن التوجيه وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي من طلابه القيام بعمل معين، وهناك أمثلة عديدة لتوجيهاته ﷺ التي من خلالها يحاول تصحيح الأخطاء والحث على صالح العمل وتحويل طاقات الإنسان نحو فضائل الأعمال واستثمار قدراته بجوانب الخير وجعل ذلك عادة مستديمة له[2].

ومن ذلك ما جاء في حديث الباب من توجيه الرسول ﷺ للمسافر بأن يعجل بالرجوع إلى أهله إذا لم يكن هناك داعٍ لإطالة مدة السفر، فقال ﷺ (السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله".

لذا ينبغي على المربين ألا يغفلوا أو يقصروا في مهمة التوجيه، إذ أن التوجيه من الأساليب المؤثرة في سلوك الصغار والكبار معًا، ولقد أكد القرآن الكريم على أهمية الموعظة والتوجيه في أكثر من موطن حيث قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، ولكي يحدث التوجيه أثره في نفوس المتعلمين فإنه ينبغي أن يقترن بالشعور بالمحبة والعطف، فالنصح والتوجيه والوعظ والبر من والدٍ محب أو أمٍ حانية أو

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٤٣.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٨٢ - ٢٨٨.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

أخٍ كبير وصديق مخلص أو معلم عطوف أو شيخ وقور قد يغير مجرى حياة الإنسان.

ومن الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه: تزكية النفس وتطهيرُها، وهو هدف من أسمى الأهداف التربوية التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها، وبه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات، ويسلك الجميع منهج الله وشرعته، ويتوقف تأثير التوجيه والموعظة الحسنة على عدة عوامل ينبغي على الآباء والمعلمين مراعاتها في توجيه النشء وأهمها:

(أ) استخدام الأسلوب غير المباشر في النصح والتوجيه.

(ب) تخير وقت التوجيه حيث تكون النفس هادئة ومستجيبة.

(ج) اتباع التدرج في النصح والإرشاد والتوجيه.

(د) إشعار الأفراد محلِّ التوجيه بالعطف والاهتمام.

ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه والموعظة مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم، ومن المفيد أن يبتعد المعلمون في نصحهم وعظاتهم عن أسلوب الأوامر والنواهي، وعليهم استخدام الذكاء واللباقة في النصح والإرشاد حتى لا ينفروا المتعلمين [1].

ثانياً - من خصائص التربية الإسلامية الواقعية:

إن التربية الإسلامية تربية واقعية تتعامل مع الإنسان كما هو لحمًا ودمًا وفكرًا وشعورًا وانفعالاً ونزوعًا وروحًا وتحليقًا، فجاء الإسلام بشريعة واقعية لم تغفل الواقع في كل ما أحلت وحرمت، ولم تهمل هذا الواقع في كل ما وضعت من أنظمة وقوانين للفرد وللأسرة وللمجتمع وللدولة وللإنسانية[2].

ويترائي لنا في حديث الباب ما اتصفت به التربية الإسلامية من واقعية حيث راعى النبي ﷺ ما يعانيه المسافر ويتحمل من مشاق، وتعرض للأخطار، وتنغيص للراحة والاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، كما أشير إلى ذلك في قوله ﷺ (السفر قطعة من

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٦٨ - ١٧٠.

العذاب يمنع أحدَكُم طعامه وشرابه ونومه) فضلاً عما يكابده أهل المسافر من مشاق ومعاناة، لذا كانت وصية رسول الله ﷺ للمسافر بتعجيل رجوعه إلى أهله إذا قضى حاجته وأتم أمره، فقال ﷺ (فإذا قضى أحدكم نهمته من سفر فليعجل إلى أهله).

وذلك من الدلائل الواضحة على واقعية التربية الإسلامية ورعايتها لما يعيشه الإنسان من واقع في حياته وأحواله وعواطفه وما إلى ذلك، "فلم تقل التربية الإسلامية بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التي يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع، وإنما قالت بما يكفل البناء الحقيقي للشخصية وعلى الواقع، فانظر لاهتمامها بالجانب الجسمي لترى حرصها على ضرورة التغذي بالطيبات، وعدم تناول الخبائث والأغذية الفاسدة التي تجلب الضرر والأمراض وتُلقي بالصحة للتهلكة، وما قالته من ضرورة الوقاية والعلاج من الأمراض... وانظر لاهتمامها بالجانب العقلي لنرى حرصها على ضرورة تغذية العقل بالغذاء المادي والمعنوي الطيبين، وما قالته من ضرورة إعمال العقل وتدريبه على التفكير السليم، وبعيدًا عن الخرافة والسذاجة، وما قالته من ضرورة تجنيب العقل من كل مسكر ومحذور، ومن كل ما يشوش نظامه أو يتلفه... وانظر لاهتمامها بمختلف جوانب شخصية الفرد لترى ما قالته بشأن تنمية تلك لجوانب تنمية واقعية[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٢١٥ - ٢١٧.

١٧٦- باب استحباب القدوم عَلَى أهله نهاراً

وكراهته في الليل لغير حاجة

الحديث رقم (٩٨٦)

٩٨٦- عن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أطال أحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلاَ يَطْرُقَنَّ[1] أهْلَهُ لَيْلاً)) [2].

وفي روايةٍ: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى أنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أهْلَهُ لَيْلاً. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يَطْرُقَنَّ: الطروق: المجيء في الليل[4].

الشرح الأدبي

معنى الحديث ينم عن ذوق عال في جانب الحياة الاجتماعية، ومراعاة الحالة النفسية للأهل من حيث الاستعداد، وحسن اللقاء، والمعنى يدور حول عدم طروق الأهل ليلاً، وقد جاء في ثوب الشرط ليعطي الحكم شمولاً، واستمرارية تنظم علاقات دقيقة بين المسلمين مهما تقلب بهم الزمان، والمكان، كما يدل على ذلك لفظ (أحد) المتصل بكاف الخطاب، وميم الجمع، والنهي (فَلاَ يَطْرُقَنَّ أهْلَهُ لَيْلاً) إرشاد إلى السلوك القويم يحفظ للمسلم صورته التي يحب أن يلقى عليها أهله بعكس المفاجأة التي قد تصادف

---

(١) لفظ البخاري: (فلا يطرق) والمثبت لفظ أحمد في المسند ١٥٢٦٥.

(٢) اخرجه البخاري واللفظ له ٥٢٤٤، ومسلم ٧١٥/١٨٣، كتاب الإمارة، باب ٥٦ من حديث عاصم الأحول، عن الشعبي.

(٣) أخرجه البخاري ١٨٠١، ومسلم واللفظ له ٧١٥/١٨٤.

(٤) رياض الصالحين ٣٨٤.

حالة لا ترضيه أو لا ترضيهم، وتوكيد الفعل المنهي عنه بالنون يصعِّد الإحساس بهذا النهي، ويبعث على امتثاله.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب إذا قرب من وطنه أن يبعث إلى أهله من يخبرهم، لئلا يقوم بغتة، فإذا كان في قافلة كبيرة واشتهر عند أهل البلد وصولهم ووقت دخولهم، كفاه ذلك عن إرساله معينًا. ويكره أن يطرق أهله طروقًا لغير عذر، وهو أن يقدم عليهم في الليل، بل السنة أن يقدم أول النهار، وإلا ففي آخره، لحديثي الباب)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب قدوم المسافر على أهله نهاراً وكراهته في الليل لغير حاجة.

ثانياً: من أهداف الدعوة: نشر التواد والتحاب بين الزوجين.

ثالثاً: من آداب المدعو: عدم التعرض لما يوجب سوء الظنّ بالمسلم.

رابعاً: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله.

خامساً: من أساليب الدعوة: الشرط والنهي والإخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب قدوم المسافر على أهله نهاراً وكراهته في الليل لغير حاجة:

هذا واضح من النهي عن طروق الرجل أهله ليلاً، قال النووي: "ومعنى هذه الروايات كلها أنه يكره لمن طال سفره، أن يقدم على امرأته ليلاً بغتة، فأما من كان سفره قريباً تتوقع امرأته إتيانه ليلاً فلا بأس، كما قال في إحدى هذه الروايات: (إذا أطال الرجل الغيبة))، وإذا كان في قفل عظيم أو عسكر ونحوهم، واشتهر قدومهم ووصولهم، وعلمت امرأته وأهله أنه قادم معهم وأنهم الآن داخلون. فلا بأس بقدومه متى

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٨/٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٨٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٨٧).

شاء لزوال المعنى الذي نهى بسببه، فإن المراد أن يتأهبوا وقد حصل ذلك ولم يقدم بغتة، ويؤيد ما ذكرناه ما جاء في الحديث الآخر: ((أَمْهِلُوا حَتَّى نَدْخُلَ لَيْلاً - أَيْ عِشَاءً - كَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ))[1]، فهذا صريح فيما قلناه. وهو مفروض في أنهم أرادوا الدخول في أوائل النهار بغتة، فأمرهم بالصبر إلى آخر النهار، ليبلغ قدومهم إلى المدينة وتتأهب النساء وغيرهن"[2].

قال ابن حجر: "التقييد فيه بطول الغيبة يشير إلى أن علة النهي إنما توجد حينئذ، فالحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فلما كان الذي يخرج لحاجته مثلاً نهاراً ويرجع ليلاً، لا يتأتى له ما يحذر من الذي يطيل الغيبة، كان طول الغيبة مظنة الأمن من الهجوم، فيقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره... فعلى هذا من أعلم أهله بوصوله أنه يقدم في وقت كذا مثلاً لا يتناوله هذا النهي"[3].

ثانياً- من أهداف الدعوة: نشر التواد والتحاب بين الزوجين:

هذا واضحٌ من نهي النبي ﷺ عن طروق الرجل امرأته ليلاً، وأن النبي ﷺ كان لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية.

قال ابن حجر: "وفي الحديث الحث على التواد والتحاب خصوصاً بين الزوجين، لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره، حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عنه من عيوب الآخر شيء في الغالب، ومع ذلك فنهى عن الطروق لئلا يطلع على ما تنفر نفسه عنه، فيكون مراعاة ذلك في غير الزوجين بطريق الأولى"[4].

وقال ابن هبيرة: "إن المرأة إذا كان زوجها مسافراً، قد لا تهتم بنفسها كما يكون حاضراً، من الطيب وغسل الثوب وغير ذلك؛ فلو قد أتى الإنسان أهله وهي على ذلك

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٤٦، ومسلم ١٨٢ - ٧١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧/١٣/٧ - ٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٠/٩.

(٤) المرجع السابق ٣٤١/٩.

الشعث والتفل، لم يكن بعيداً من أن يبقى في نفسه مرارة ذلك الاجتماع دهراً، فإذا شعرن بقدوم بعولتهن افتقدن أنفسهن، وغسلن أثوابهن، وتطيبن، وكان اجتماع بعولتهن بهن أدعى للألفة وأعمر لمواطن المحبة"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٢]، قال الطاهر بن عاشور: "وهي آية تنطوي على عدة آيات منها: أن جعل للإنسان ناموس التناسل وأن جعل تناسله بالتزاوج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وأن جعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعله من صنف آخر؛ لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنساً بين الزوجين ولم يجعله تزاوجاً عنيفاً أو مهلكاً كتزاوج الضفادع، وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة، فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين، فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة، فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت هذه الآية آيات عدة في قوله: (إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)... والسكون هنا مستعار للتأنس وفرح النفس، لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد، والسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم كما قالوا: اطمأن إلى كذا وانقطع إلى كذا.. والمودة: المحبة. والرحمة: صفة تبعث على حسن المعاملة"[٣].

ثالثاً- من آداب المدعو: عدم التعرض لما يوجب سوء الظنّ بالمسلم:

هذا واضحٌ من الحديثين، وفي رواية عند مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: ((نَهَى رَسُولُ اللّهِ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً. يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ))[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٩٤ - ٩٥.

(٢) سورة الروم، آية: ٢١.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨/٢١/٧١ - ٧٢، وانظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٣/١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٤ - ٧١٥.

قال النووي: "ومعنى يتخونهم: يظن خيانتهم، ويكشف أستارهم، ويكشف هل خانوا أم لا"[١].

وقال النبي ﷺ: ((لاَ تَلِجُوا عَلَى الْمغيبَاتِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ))[٢].

قال ابن حجر: "وفي الحديث التحريض على ترك التعرض لما يوجب سوء الظن بالمسلم"[٣].

وقال ابن حجر أيضاً: "يقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره: إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما، وقد أشار إلى ذلك بقوله في حديث الباب: (كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة)، ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحالة التي تكون فيها غير متنظفة لئلا يطلع منها على ما يكون سبباً لنفرته منها. وإما أن يجدها على حالة غير مرضية والشرع محرض على الستر، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (أن يتخونهم ويتطلب عثراتهم)"[٤].

قال أبوالعباس القرطبي: "إن المرأة في حال غيبة زوجها متبذلة، لا تمتشط، ولا تدّهن، ولا تتنظف، فلو بغتها زوجها من سفره، وهي على تلك الحال استقذرها، ونفرت نفسه منها، وربما يكون ذلك سبب فراقها، فإذا قدم نهاراً سمعت بخبر قدومه؛ فأصلحت من شأنها، وتهيأت له، فحسنت الحال، وأمنت النفرة المذكورة.

وفيه من الفقه: أن المرأة ينبغي لها أن تتحسن، وتتزين، وتتطيب وتتصنع للزوج بما أمكنها، وتجتهد في ألا يرى منها زوجها ما تنفر نفسه منها بسببه؛ من الشعث والوسخ، وغير ذلك. وأما نهيه ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه عن الطروق: فلمعنى آخر، وهو: أن يظنّ بهن خيانة في أنفسهن، أو فيما في أيديهن مما أمنهن عليه. وهو ظن لا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٧/١٣/٧ .

(٢) أخرجه الترمذي ١١٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٩٣٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٤١/٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٠/٩.

يحلُّ، وتخمينٌ منهي عنه، فصار النهي عن طروق الرجل أهله معللاً بعلتين، بالأولى وبالثانية"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[٢].

قال القاسمي: "أي: كونوا على جانب منه، وذلك بأن [لا][٣] تظنوا بالناس سوءاً، فإن الظن غير محقق، وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتورع فيما يخالج الأفئدة من هواجسه، إذ لا داعية تدعو المؤمن للمشي وراءه أو صرف الذهن فيه، بل من مقتضى الإيمان ظن المؤمنين بأنفسهم الحسن. قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[٤]، نعم من أظهر فسقه وهتك ستره فقد أباح عرضه للناس، ومنه ما روى: ((مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الحياءِ، فلا غيبَةَ لهُ))[٥]، ولذا قال الزمخشري[٦]: "والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر، كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظنُّ الفساد والخيانة به محرّم، بخلاف من اشتهره الناس يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث"[٧].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٦٧/٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) غير موجودة في المطبوع وأضفناها ليستقيم المعنى، والله أعلم.

(٤) سورة النور، آية: ١٢.

(٥) أخرجه البيهقي في الشعب ٩٦٦٤، والخرائطي في مساوئ الأخلاق ٤١٧، والخطيب في تاريخ بغداد ١٧١/٤، ٤٣٨/٨، وابن عساكر كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩٠/١٣. وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٥٨٥.

(٦) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٠٤٠.

(٧) تفسير القاسمي ١٣٠/١٥، وانظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٢٥١/٢٦/١٠ - ٢٥٣.

وقال سعيد بن المسيب: (كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق، فكن ساعيًا في اكتسابهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء، ولا تتهاون بالحلف فيهينك الله، ولا تسألن عما لم يكن حتى يكون، ولا تضع حديثك إلا عند من يشتهيه، وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، وشاور في أمرك الذين يخشون ربهم بالغيب)[1].

رابعاً- من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله:

لقد نهى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم عن طروق زوجاتهم ليلاً، فكان هذا قوله ﷺ، أما فعله فقد نقله لنا خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال: (كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية)، فقد كان ﷺ يوافق فعله قوله، وكان ﷺ أبعد ما يكون أن يخالف قوله فعله.

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن الكامل في أحواله يحترز من النقائص؛ ليكون ذلك مما يقتدى به فيه، فإن رسول الله ﷺ على طهارة أهله ونفسه[2] بأمانة أزواجه، كان لا يطرقهن ليلاً، حتى يقتدي به غيره، فلا يطرق أهله ليلاً على فجأة، من أجل أنه ربما يكون من ذلك ما يكره"[3].

ولا شك أن من أكبر المعوقات عن تحقيق الدعوة الإسلامية لأهدافها العُلى وقيمها السامية، أن فئة من الدعاة لا تتوافق أفعالهم مع أقوالهم، فهم يدعون الناس إلى فضائل

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٨٣٤٥، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٦٦/١٢ - ٥٦٧.

(٢) هكذا في المطبوع وأظنه تحريفاً والصواب: ثقته، والله أعلم.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩٤/٥.

الأعمال ومكارم الأخلاق، فإذا اختبروا في موقف من المواقف التي تتطلب التمسك بهذه الفضائل وتلك المكارم، سقطوا سقوطاً ذريعاً، ونسوا ما ذكروا به الناس وقتاً طويلاً، وإذا ذُكروا اشتد بعضهم في غيه. فإذا دعوا الناس إلى التحلي بالحلم وعدم الغضب وتعرضوا لموقف يتطلب ذلك، كانوا أسرع إلى الاستجابة لدواعي الغضب والانتقام.

إن من أبرز وأهم صفات الداعية الناجح أن تتوافق أفعاله مع أقواله، لأن المدعوين يشعرون أنه مؤمن بدعوته صادق في الالتزام بها، فينتقل إليهم صدقُه وإيمانه فيتخذونه قدوة ومثلاً لهم، ومن مشهور القصص ذات الدلالة على ذلك أن رجلاً طلب إلى الحسن البصري أن يتحدث في العتق ويبين فضله، فلبث فترة لم يتحدث عن هذا الموضوع، ثم تحدث عن العتق وفضله وثوابه عند الله. فلما سئل عن سبب تأخيره عن الحديث في هذا الموضوع، قال: لأنني لم أكن أملك ما أشتري به رقبة حتى أقوم بإعتاقها، ثم أحدث الناس، فانتظرت حتى يسّر الله لي ذلك فحدثتكم، فكان لذلك أثره المحمود في اقتداء الناس به فقاموا بإعتاق عبيدهم.

فعلى الداعية أن يحذر من أن يخالف عمله قوله، لأن هذا أول أسباب فشل دعوته، فيكون أول الجانين عليها، بدل أن يكون أول المدافعين عنها الحامين عن حياضها.

خامساً- من أساليب الدعوة: الشرط والنهي والإخبار:

الشرط في قوله ﷺ: (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقنّ أهله ليلاً)، وأما النهي فقول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: (نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً). وأما الإخبار فقول أنس رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ لا يطرّق أهله ليلاً، وكان يأتيهم غدوة أو عشية).

والشرط بمعنى النهي، وجاء الإخبار ليدل على هديه ﷺ، وأن فعله ﷺ كان يوافق قوله.

وفي هذا دعوة للمسلمين دعاة ومدعوين أن يقتدوا به ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1].

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٢ - ٣.

الحديث رقم (٩٨٧)

٩٨٧- وعن أنسٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ لا يَطْرُقُ أهْلَهُ لَيْلاً، وَكَانَ يَأتِيهمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(الطُّرُوقُ): المَجيءُ فِي اللَّيْلِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

غدوة: أي: أول النهار[2].

عشية: من صلاة المغرب إلى العتمة. وقيل: هي من حين الزوال. قال ابن حجر: المراد هنا الأول[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه مع اختلاف بسيط في الصياغة، ومن حيث أن الموقف هنا موقف محكي عن الرسول ﷺ وعرض التوجيه عن طريق نقله عن الرسول ﷺ يتميز بالقبول، ويدخل على النفس دخول المأنوس فعل المحب تقليداً لحبيبه، والتعبير بكان يدل على أنه من عادته ﷺ، وأسلوب النفي يقرر عدم الطروق ليلا، وقد أكده بالفعل الصائب المسنون لهم عن نبيهم (وَكَانَ يَأتِيهمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً)، والفعل المضارع يصور قدوم النبي ﷺ في ضوء النهار مع طلوع الشمس نور على نور، أو عشية في نور أعظم يخلف نور الشمس.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٠٠، ومسلم واللفظ له ١٨٠/١٩٢٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (غ د و).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧٢٥/٣، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٧٤، والصحاح في (ع ش ي).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- مراعاة الجوانب النفسية:

إن مما تغرسه التربية الإسلامية وتدعو إلى التمثل به مراعاة الجوانب النفسية والشعورية عند الآخرين، فلا يكون الإنسان سبباً لتكدير صفو حياتهم وراحتهم وطمأنينتهم، فلا يأتي بتصرف قد يدخل عليهم الذعر ويتسرب من خلاله الخوف إلى نفوسهم حتى ولو كانوا أهله وذويه.

لذا جاءت التعاليم في حديثي الباب بعدم طرق الإنسان أهله ومفاجئتهم إذا كان قادماً من سفر طال به الغياب عنهم، فقال ﷺ "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً".

وذلك لا يقتصر على معاملة الإنسان لأهل بيته وإنما تمتد لتشمل -جميع معاملاته للناس في مختلف ميادين الحياة خاصة في مجال التربية وميدان التعليم.

(إن مراعاة المربي للجوانب الشخصية والنفسية من الأهمية بمكان، لما لهذا الأسلوب من تأثير في النفوس وتطييب لها وانشراح للصدور وتفتح للعقول وسرعة استجابة للحق)[1].

وكذا مراعاة صفات كل إنسان ومؤهلاته، إذ كل إنسان يمتاز بصفات ومؤهلات تختلف عن صفات غيره من الناس ومؤهلاته، وهذه الصفات أو المؤهلات هي قوام شخصية كل إنسان، فهناك أناس امتازوا بالتفوق في بعض الجوانب أكثر من غيرها، فمنهم من امتازت شخصيته بالشجاعة، ومنهم من امتازت بالكرم، ومنهم امتازت بالحسب والشرف والرياسة، ومنهم من امتاز ببعض العلوم، ومنهم من امتاز بالذكاء وحسن التدبر، ومنهم من امتاز برجاحة العقل وهكذا إلى آخر المقومات.

فالمربي الناجح والمعلم الأريب من يحسن التعامل مع كل واحد بما يناسب مقوماته ويلائم جوانب شخصيته[2].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٧.

(٢) انظر: الأساس في السنة وفقهها، سعيد حوي ٨٠١/٢، ٨٠٢.

ثانيًا- مطابقة السلوك للعلم:

إن من أهداف التربية الإسلامية الرئيسة إبراز المبادئ والتعاليم التربوية إلى ميدان التطبيق، وإخراجها إلى حيز التنفيذ، فإن الله سبحانه وتعالى لما شرع الإسلام للناس وأنزل لهم القرآن الكريم لم يكن مراده من ذلك أن يحفظه الناس كنظرية من النظريات، وإنما كان من مراده أن يطبق في حياتهم وأن يتخلق الناس به، وأن يتأسوا برسول الله ﷺ في ذلك، لذا اختار الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ ليكون القدوة والمثل الأعلى للناس، فكان بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس ترجمة عملية حية، لتعاليم القرآن الكريم وآدابه وتشريعاته.

لذا كان على المسلمين جميعاً -خاصة من يتصدر منهم للاضطلاع بالعملية التربوية والتعليمية والقيام بمهامها- أن يقتدوا برسول الله ﷺ في تربيته فلا يتوقف عند مجرد الإرشاد والتوجيه بل يمتد إلى التطبيق والتنفيذ، والسنة النبوية ملأى بالأمثلة على ذلك، ومن دلائل ذلك ما جاء في حديثي الباب، فلم يكتف الرسول ﷺ بالإرشاد إلى مراعاة الرجل لشعور أهله وذويه في قوله ﷺ "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلاً" وإنما يطبق ذلك في حياته كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ لا يطرق أهله ليلاً وكان يأتيهم غدوة أو عشية".

ومن هنا كان تركيز التربية الإسلامية على تنفيذ التوجيهات وتطبيق الإرشادات، فإن غاية العلم والتربية الإسلامية التطبيق.

(يجب علينا أن نفرق بين العلم والتعليم، فالعلم وسيلة والتعلم غاية، فالعلم هو إدراك نسبة واقعية مجزوم بها وعليها دليلها، والتعلم هو تغير في السلوك نتيجة للعلم، ومن هنا فليس للعلم قيمة إلا إذا خرج إلى حيز التطبيق، وبالتالي فإن عملك بالفضيلة لا يعني فعلها، وإذا لم تفعلها تكون شهادة ضدك أكثر مما لو جهلتها.

فالعلم لابد أن يسير إلى تطبيق عملي، والتطبيق العملي هذا لا بد وأن يُكَوِّن في المربِّي الأسوة، بحيث لا يفهم المتربي أن هناك علماً تُحشى به الرؤوس وهناك سلوك آخر ينفصل عن مبدأ ذلك العلم، وإذ انفصل العلم عن أنماط السلوك المتصلة به انهارت

قيمة العلم وانهدمت قيمة المعرفة وحينئذ يكون الفساد المُطبق الذي يصعب بل يستحيل علاجه.

ومن ثَمَّ فإن من غايات العلم ترسيخَ القيمِ الإنسانية والأخلاقِ الإنسانية القائمة عليها.

إن التربية الإسلامية تربية عملية وسيلتها الخبرة والقدوة والعلم، وغايتها الوصول بالإنسان إلى أن يكون فاضلاً، فغاية التربية الإسلامية ليست خلق المواطن الصالح بل خلق الإنسان الصالح أيًا كان موطنه وبناء المجتمع الإسلامي عن طريق تطبيق منهج الله في كل شؤون الإنسان والمجتمع[1].

ومن هنا كانت القدوة هي الركيزة الكبرى في العملية التربوية وأساس قوامها، وإن من يستقرئ حياة الرسول ﷺ يجد مطابقة تامة بين الرأي والعمل، بين الفكر والتطبيق، وبهذا يبين لنا الرسول ﷺ منهجاً تربوياً وهو أن يتمثل المعلم دائماً ما يقول ويعلم وإلا فلا أثر لذلك[2].

لقد اتخذ الإسلام القدوة وسيلة من وسائله لبناء الشخصية الإسلامية وترقيتها في سلم الكمال السلوكي، فالقدوة الصالحة هي من أنجح الوسائل لبناء الشخصية الإسلامية، خصوصاً في مرحلة الاكتساب وهي فترة الطفولة وهذه القدوة إما أن تكون مشاهدة ملموسة أمامه فيقتدي بها أو تكون مثالاً في ذهنه من الأخبار والسير الصالحة التي يسمعها.

إن الإنسان بصفة عامة يحتاج إلى قدوة صالحة، لأن المحاكاة غريزة كامنة في النفس الإنسانية[3]، فعندما يلتزم المربي في كل أحواله بأن تكون أعماله مصدقة لأقواله كان هذا أنفع للمتربي سواء كان هذا فيما يتعلق بأمور الدنيا أم بأمور الآخرة، فعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك –

---

(١) انظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٣١٤.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٨٢.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي ص ١٧٧، ١٧٨.

ولاشك- سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به، وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها، بل على المربي أن يدفع الطفل إلى ذلك دفعاً كأن يخرج من جيبه ما يريد دفعه للفقير، ثم يقول للطفل اذهب وأعطه هذا الفقير، فهو في هذا يحقق أكثر من هدف تربوي، فقوله: (الفقير) يبين للطفل السبب في الدفع لذلك الإنسان، وهو مساعدة المسكين والفقير، ويعوده على سخاء النفس ببذل مالها للغير المحتاج، كما يعلمه هذا السلوك الشجاعة والتعامل مع الآخرين، وقد يحدث أن الطفل نفسه بعدما رأى من صنيع والده ما رأى، أن يأتي إليه فيطلب منه ما يعطيه للفقير، ولا ينبغي للمربي في هذه الحالة أن يمنع ذلك، حتى لو كان المربي لا يرى أحقية ذلك الفقير؛ لأننا - الآن - في مرحلة بناء هذا الخلق عند الطفل، وليس الحكم على هذا السائل أنه يستحق أو لا يستحق، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي نريد له أن يتخلق بها، على أنها سلوك عملي وليست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد بن شاكر الشريف ص ٥٣، ٥٤.

١٧٧- باب مَا يقول إِذَا رجع وإذا رأى بلدته

فِيهِ حَدِيثُ ابنِ عمرَ[١] السَّابِقُ في باب تكبيرِ المسافِرِ إِذَا صَعِدَ الثَّنَايَا.

الحديث رقم (٩٨٨)

٩٨٨- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: أقْبَلْنَا مَعَ النَّبيِّ ﷺ[٢].... حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: ((آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ))، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ. رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بظهر المدينة: بمحلّ تظهر فيه[٤].

آيبون: راجعون[٥].

الشرح الأدبي

قول الراوي (إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ الْمَدِينَةِ) كناية عن بلوغها والتعبير بالظهر يوحي بظهور معالمها، وقوله (آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ) خبر قصد به الدعاء تضرعاً، وحمداً لله، وفيها سجع بديع يعطيها حلاوة في اللسان، وخفة في الآذان مع وضوح في الجنان، وبين آيبون، وتائبون جناس يزيد المعنى وضوحاً، ونسبة الفعل لضمير الجماعة لتعميم الدعاء وشمول الجميع، كما هو مستحب في الدعاء.

---

(١) تقدم برقم ٩٧٨.

(٢) عند مسلم زيادة: (أنا وأبو طلحة، وصفية رديفته على ناقته).

(٣) برقم ١٣٤٥/٤٢٩ وقد أخرجه البخاري ٣٠٨٥، ٣٠٨٦، ٥٩٦٨، ٦١٨٥.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٩٣.

(٥) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ب).

فقه الحديث

قال النووي: (السنة أن يقول في رجوعه من السفر ما ثبت في حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ: "كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"[1] وعن أنس قال: أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة"[2])[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الذكر عند الرجوع من السفر ورؤية المسافر بلده.

ثالثاً: من آداب المدعو: المداومة على ذكر الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضحٌ من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: (أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: آيبون، تائبون، عابدون لربنا حامدون. فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة).

فدلّ هذا الإخبار على هديه ﷺ إذا رجع من سفره، ومن ثم كان دعوةً للمدعوين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ، لأنه قدوتهم، وهو الذي يدلهم على ما فيه خيرهم ونفعهم، ويحذرهم مما فيه ضرّهم وإلحاق الأذى بهم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٥، ومسلم ١٣٤٤/٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٨٥، ومسلم ١٣٤٥.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٩٨/٤ .

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الذكر عند الرجوع من السفر ورؤية المسافر بلده:

لقد قال النبي ﷺ عندما قرب من المدينة ورآها: (آيبون، تائبون، عابدون لربنا حامدون، فلم يزل يقول ذلك حتى قدم المدينة).

وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر قال: ((آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ))[1].

قال ابن حجر: "قوله: (آيبون): جمع آيب أي راجع[2]، وزنه ومعناه وهو خبر مبتدأ محذوف والتقدير: نحن آيبون... وقوله: (تائبون) فيه إشارة إلى التقصير في العبادة، وقاله ﷺ على سبيل التواضع أو تعليماً لأمته، أو المراد أمته كما تقدم تقريره، وقد تستعمل التوبة لإرادة الاستمرار على الطاعة، فيكون المرادُ أن لا يقع منهم ذنب"[3].

أما قوله: (عابدون)[4]، فإن العبادة هي التي خلق من أجلها الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5]، وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[6].

وأما قوله: (لربنا حامدون)[7]، فقد قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهِ. وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ))[8].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٤٠، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي ٢٧٣٦.

(٢) قال القرطبي: وهو الراجع بالخير هنا، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٥٤/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٨٩/١١.

(٤) قال القرطبي: خاضعون متذللون، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٥٤/٤.

(٥) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٦) سورة البينة، آية: ٥.

(٧) قال القرطبي: حامدون: مثنون عليه بصفات كماله، وجلاله وشاكرون عوارف أفضاله، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٥٤/٣ - ٤٥٥.

(٨) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٥).

قال ابن القيم: "عند قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين)، نجد تحت هذه الكلمة إثبات كل كمال للرب تعالى فعلاً ووصفاً واسماً، وتنزيهه عن كل سوء وعيب فعلاً ووصفاً واسما، فهو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، منزه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه. فأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل لا تخرج عن ذلك. وأوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت جلال. وأسماؤه كلها حسنى، وحمده قد ملأ الدنيا والآخرة، والسماوات والأرض وما بينهما وما فيهما، فالكون كله ناطق بحمده والخلق والأمر صادر عن حمده وقائم بحمده ووجد بحمده، فحمده هو سبب وجود كل موجود، وهو غاية كل موجود، وكل موجود شاهد بحمده"[1].

وفي تشريع النبي ﷺ الذكر عند الرجوع من السفر ورؤية المسافر بلده، في ذلك حكمة وهي شكر الله عز وجل على نعمة السلامة، وأن أرجعه سالماً غانماً إلى أهله بعد أن كان على حالة السفر، وهي حالة فيها من المشقة والتعب ما فيها، ومن التعرض لمظان الهلاك والإضرار ما فيه، فكان المناسب أن يعلن المسافر خضوعه وتذلله لله رب العالمين والثناء عليه سبحانه، ويستمر على هذا حتى يدخل بلده، فهو وقد دعا عند بداية السفر بأن يسلمه الله وقد استجاب الله له، فلا أقل من شكره سبحانه وإقرار المسافر بعبوديته وافتقاره لله رب العالمين. فأين هذا المسلك الرشيد مما يحدث الآن عند رؤية المسافرين بلدانهم وقد رجعوا إليها بعد سفرهم، فإن بعضهم يصفق ويأتي من الأفعال ما يخل بالمروءة والوقار؟

ثالثاً- من آداب المدعو: المداومة على ذكر الله:

هذا اقتداء بالنبي ﷺ الذي أخبر عنه أنس رضي الله عنه (فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة).

قال ابن القيم: "إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم

---

(١) بدائع التفسير ١/١١٢.

القيامة، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[1].

فروى الترمذي في جامعه من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((قَرَأَ رَسُولُ الله هَذِهِ الآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَم. قَالَ فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أن تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أو أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا تَقُولُ عَمِلَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وكَذَا فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا))[2]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[3].

والذاكر لله عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده، ولعلهم أو أكثرهم أن يشهدوا له يوم القيامة، يوم قيام الأشهاد وأداء الشهادات، فيفرح ويغتبط بشهادتهم[4].

وقال ابن القيم كذلك: "إن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق. والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار، ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم، فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق. قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر مولى غفرة يقول: إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون: ما كان شيء أيسر علينا من الذكر"[5].

---

(١) سورة الزلزلة، الآيات: ١ - ٥.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٢٩، ٣٣٥٣ وضعفه الألباني، (ضعيف سنن الترمذي ٤٢٨، ٦٦٤).

(٣) قال الترمذي في الموضع الأول: هذا حديث حسن غريب على حين قال في الموضع الآخر: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الوابل الصيب، ابن القيم ٢/٣٥٦.

(٥) الوابل الصيب ٢/٣٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- ربط الولد بذكر الله تعالى:

إن مما ينبغي غرسه في المتربين لاسيما الناشئة منهم المداومة على ذكر الله تعالى في جميع الأوقات وعلى مختلف الأحوال، والذكر معناه استحضار عظمة الله تعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن، سواء أكان هذا الاستحضار ذهنياً أو قلبيًا أو نفسياً أو لسانياً أو فعليًا، أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الأرض أو تدبر آيات القرآن أو سماع الموعظة أو الاحتكام إلى شريعة الله أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله.

وقد جاء في حديث الباب بيان بعض الأذكار الخاصة بالرجوع من السفر والإكثار منها كما هو ظاهر في صريح الحديث، فعن أنس رضي الله عنه قال: أقبلنا مع النبي ﷺ أنا وأبو طلحة وصفية رديفته على ناقته، حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون" فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة.

لذا ينبغي على الآباء والمربين والمعلمين ربط الأولاد بذكر الله تعالى، وتلقينهم الأذكار والأدعية والمأثورات التي صحت عن النبي ﷺ، سواء ما يتعلق بأدعية الصباح والمساء أو أدعية الطعام والشبع أو أدعية السفر والإقامة أو أدعية الدخول والخروج أو أدعية النوم واليقظة أو أدعية التهجد والظواهر الكونية. كذلك الاستغاثات الإلهية والاستغفارات الربانية التي ذكرها القرآن وأُثِرَتْ عن نبينا ﷺ[1].

إن ربط الأولاد بالأذكار والأدعية هو السلاح الأمضى والعامل الأقوى، وله فعله في النفوس يثبتها ويقومها، فقد أمرنا الله تعالى بذكره حتى في مواطن الجهاد وقتال الأعداء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد وقتال الأعداء[3].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٢٦/٢، ٨٢٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٣) انظر: الثبات ووسائله في ضوء القرآن الكريم، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل ص ٨٥-٦٠.

إن المنهج الإسلامي يحث الإنسان على ذكر الله بالتسبيح والتكبير والدعاء والمواظبة على كل ذلك لأنها تؤدي إلى تزكية نفسه وصفائها وتجعله يشعر بالطمأنينة القلبية والأمن النفسي، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[1] وقال ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2])[3].

فعلى المربي أن يسعى جهده على ربط الولد بذكر الله تعالى، وتربيته على ما في ذكر الله تعالى من معانٍ، كاستحضار عظمة الله في نفسه ليخشاه في السر والجهر والمتقلب والمثوى، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة، وفي كل مكان، ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4].

ولاشك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله وترسخ قلبه على مراقبته ونشأ الولد مُخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا، فلا يقع في معصيته ولا يرتكب فاحشة ولا يعمل ذنبًا، وهذا - والله - غاية الصلاح والتقوى في الولد.

ألا ما أعظم منهج الإسلام في التربية حين يسير على هداه المربون ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون[5].

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

إن التربية بالممارسة العملية والتطبيق تكشف مدى نجاح المعلم والمربي في عمله، كما

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٥٦٥.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٢٨/٢، ٨٢٩.

أنها تهدف إلى تثبيت المعلومات في نفوس الطلبة بشكل جيد ويعمق مدى فهمهم لما يلقى على أذهانهم، كما أن ذلك المنهج يبين مدى فائدة المعلومات في الحياة وذلك بتطبيقها في مواقف طبيعية وهذا ما يثبتها في عقل الطلبة ويزيد من أهميتها في نظرهم[1].

وإن من ينظر إلى منهج النبي ﷺ يجده أنه لا يقتصر على التوجيه والإرشاد فحسب، وإنما كان يشفع ذلك بالقدوة والممارسة العملية، ومن دلائل ذلك ما جاء في حديث الباب الذي نقل لنا ما كان يقوله ﷺ من أذكار في الرجوع من السفر حيث كان يقول "آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون".

إن أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم، وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران في الدنيا والآخرة فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح وإن كان شرًا فشر وخسران[2].

إن أهمية الممارسة العملية تتراءى لنا في كونها من أكبر السبل لغرس الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، وتصحيح الأوضاع الخاطئة، (فكثيراً ما يطلب من الطفل القيام بأعمال لم يسبق له عملها أو شاهد مَنْ عملها لذلك يبقى في جهل فإذا طلب منه العمل وقع في أخطاء تحتاج إلى تصحيح فإذا عوقب على خطئه هذا كان ظلمًا وحيفًا.

أما إذا لقن الطفل المعلومات الصحيحة ووجه كذلك بالطريقة العملية كان ذلك أدعى للعلم الصحيح والعمل البناء الموجه.

إن تدريب حواس الطفل يكسبه معرفة وعلمًا فعندما يبدأ بالنمو ويبتدئ بتشغيل يديه في عمل من الأعمال فإن ذلك يثير في عقله اليقظة فيشاهد أمامه كيف يدرب حواسه ويعيد هو بنفسه ذلك العمل وهكذا يتقن العمل ويتطلع إلى إجادة العمل خطوة خطوة[3].

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢٣، ٢٣٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ١٠٤، ١٦٧.

١٧٨- باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

الحديث رقم (٩٨٩)

٩٨٩- عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

حكاية عادة النبي ﷺ أو عبادته غرضه لازم الفائدة من الخبر، وهو الإعلام بأنها سنة عنها، وإذا لم يكن الفعل معلوماً فالغرض هو إفادة مضمون الخبر، وليس لازم هذه الإفادة، ومثل نوعية هذا الحديث الذي يبدأه الرواي بقوله: (كان رسول الله ﷺ) تشير إلى أنها عادة معروفة لاسيما إذا تبعها أسلوب الشرط، وقوله: (كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ) أسلوب شرط يربط القدوم بصلاة الركعتين في المسجد، وهو لون من ألوان شكر النعمة، واغتنام السلامة، ورد الفضل إلى أهله، وقوله (بدأ بالمسجد) البداية بالمسجد من براعة استهلال القدوم، وأنه أولى البيوت بالبداية اعترافاً بفضل ربه، وقوله (فركع ركعتين) جناس يؤكد أداء الركعتين، والتعبير عن الصلاة بالركوع من تسمية الشيء بجزئه تنبيهاً على فضل هذا الجزء الدال على الخضوع.

فقه الحديث

قال النووي: (السنة إذا وصل منزله أن يبدأ قبل دخوله بالمسجد القريب إلى منزله،

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩/٥٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣١٠ الحديث الطويل بتمامه.

فيصلي فيه ركعتين بنية صلاة القدوم، لحديث كعب بن مالك ... فإن كان القادم مشهورًا بقصده الناس، استحب أن يقعد في المسجد أو في مكان بارز ليكون أسهل عليه وعلى قاصديه، وإن كان غير مشهور ولا يُقصد، ذهب إلى بيته بعد صلاته الركعتين في المسجد)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب ابتداء القادم من السفر بالمسجد وصلاته فيه ركعتين.

ثانياً: من آداب الداعية والمدعو: شكر الله على العودة من السفر سالماً.

أولاً- من موضوعات الدعوة: استحباب ابتداء القادم من السفر بالمسجد وصلاته فيه ركعتين:

هذا واضحٌ من قول كعب بن مالك رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين).

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ فِي غَزَاةٍ. فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَى. ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ قَبْلِي. وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ. فَجِئْتُ الْمَسْجِدَ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ. قَالَ: ((الآنَ حِينَ قَدِمْتَ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَدَعْ جَمَلَكَ. وَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ)) قَالَ: فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ. ثُمَّ رَجَعْتُ[٢].

وقال النووي: "في هذه الأحاديث استحباب ركعتين للقادم من سفره في المسجد أول قدومه، وهذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر، لا أنها تحية المسجد. والأحاديث المذكورة صريحة فيما ذكرته"[٣]، وقال ابن حجر: "لكن تحصل التحية بها"[٤].

وقال ابن عثيمين: "إذا قدم الإنسان من السفر فليبدأ قبل كل شيء بالمسجد قبل

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٩ .

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٣، ومسلم واللفظ له ٧٣ - ٧١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٥/٢٣٢، وانظر: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/١٩٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١/٦٤٠ .

أن يدخل على أهله، يبدأ بالمسجد ويصلي فيه ركعتين، لأن النبي ﷺ سنّ ذلك لأمته في قوله وفعله، وهذه السنة قد غفل عنها كثير من الناس، إما جهلاً بذلك وإما تهاوناً، ولكن ينبغي للإنسان أن يُحيي هذه السنة، وإذا وصل إلى البلد فليكن أول ما يبدأ به أن يدخل إلى المسجد ويصلي ركعتين، ثم بعد ذلك يذهب إلى أهله"[١].

ثانياً: من آداب الداعية والمدعو: شكر الله على العودة من السفر سالماً:

لقد كان النبي ﷺ يصلي ركعتين في المسجد إذا رجع المدينة، كما أمر ﷺ جابراً بأن يصلي ركعتين في المسجد عند عودته من السفر كما هو مبين في الفقرة السابقة، ويظهر لي - والله أعلم- أن النبي ﷺ إنما فعل ذلك شكرًا لله على أن أرجعه ﷺ سالماً غانماً إلى أهله وبلده. ولهذا كان من دعائه ﷺ عند عودته إلى المدينة من سفره: ((آيبون، تائبون، عابدون لربِّنا حامدون))، فلم يَزَل يقولها حتى دخلَ المدينة[٢].

قال العز بن عبدالسلام: "شكر الله على كل حال، قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣]، وقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[٤]، وقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[٥]، يكون الشكر بالقلب واللسان وبجميع الطاعات ولذلك قال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[٦]، ولما قام عليه السلام حتى تورمت قدماه قيل له: أتكلّف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك؟ فقال: ((أفلا أكونُ عبداً شكوراً؟))[٧]. جعل الاجتهاد والنصب في قيام الليل من جملة الشكر.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/٢٢٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٨٥، ومسلم ١٣٤٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٧) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٢٨١٩.

والشكر على الأكل: قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾[١].

وقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٢].

الشكر على الشرب: قال الله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾[٣].

الشكر على النصر: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤].

والشكر على تسخير الفلك: قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥].

والشكر على النعم على الآباء: قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾[٦]، وأما قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[٧]، فشكر الوالدين في فضول الإحسان إليهما.

والشكر على الإدراك: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٨]"[٩].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "الشكر: هو ظهور أثر النعمة على اللسان والقلب والجوارح بأن يكون اللسان مقراً بالمعروف مثنياً به، ويكون القلب معترفاً بالنعمة،

---

(١) سورة سبأ، آية: ١٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٧٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.

(٥) سورة الجاثية، آية: ١٢.

(٦) سورة النمل، آية: ١٩.

(٧) سورة لقمان، آية: ١٤.

(٨) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٩) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ٣٠٩ - ٣١١.

وتكون الجوارح مستعملة فيما يرضاه المشكور. على حد قول الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

والشكر لله في الاصطلاح: صرف العبد النعم التي أنعم الله بها عليه في طاعته، أو فيما خلقت له، وشكر الله تعالى على نعمه واجب شرعاً من حيث الجملة"[1].

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٣/٢٦ - ١٧٤، ومصادرها ومراجعها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تربية الناشئة على الارتباط بالمسجد والتعلق به:

إذا كان النبي ﷺ يبدأ بالمسجد عند وصوله إلى المدينة، فيصلي فيه ركعتين، فهذا يستدل به على أنه ينبغي للمربين أن يربوا الناشئة على الارتباط بالمسجد والمداومة على الذهاب إليه، واستمرار الرواح إليه والمجيء منه، حتى يتعلق القلب به على مدار اليوم في جميع الأوقات، إقامة وسفراً فراغاً وانشغالاً، صغيراً أو كبيراً طفلاً أو شيخاً. وما ذلك إلا لأن المسجد هو أحب الأماكن إلى الله تعالى في الأرض [1]، لأنه فيه يعبد الله ويتربى المسلم على التربية السليمة الصحيحة، من الناحية العقدية والعبادية والأخلاقية والاجتماعية، ولذا كان المسجد منطلق كل داعية ناجح ومربٍ فاضل، منه يخرج الصالحون والمجاهدون والمتقون والمخلصون.

ومن نافلة القول أنه "قد يتبادر إلى الذهن أن الغرض من بناء المسجد إنما هو أداء الصلاة والعبادة، وهذا في الحقيقة غرض واحد من بين عدة أغراض مختلفة. وليس التعليم أقلّها، بل إنما كان التعليم من أكثر الوظائف بروزاً في الدور الذي كان يؤديه المسجد، حيث اعتبر المسجد المكان الطبيعي لتلقي العلم، ومعرفة تعاليم الشريعة أولًا بأول، فقد كان الرسول ﷺ يعقد حلقات العلم في المسجد ليغشاها كل راغب في العلم[2]".

ولا نعدم من التاريخ ما يدل على دور المسجد الحيوي في التربية والتنشئة، فأعلام الفكر التربوي الإسلامي قد تربوا في المسجد وتعلموا فيه مثل: ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، رحمهم الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم، ٦٧١ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها".

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ط/١: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، دون بيانات أخرى ص ١٢١.

ثانياً- تربية الناشئة على خلق الشكر:

إن المتبادر إلى الذهن أن النبي ﷺ صلّى ركعتين في المسجد عند قدومه من السفر- والمتبادر إلى الذهن من ذلك هو شكر الله تعالى على الرجوع من السفر سالماً غانماً إلى أهله ووطنه، بعد أن كان على معاناة ومقاساة من فراق الأهل والأحباب والأوطان، وانشغال البال والفكر وكثرة طروق الهموم والأحزان إليه في سفره، فلما تحقّق الأمن والسلامة كان من الأنسب والأوفق شكر الله تعالى على هذه النعم، وإن تربية الناشئة على الشكر يحقق لهم ولمجتمعهم المنافع الجمة والمصالح العديدة، من ذلك شيوع روح التقدير والثناء بالحق بين أفراد المجتمع مما يكون له أبلغ الأثر على ازدياد فعل المعروف والإحسان والبذل، كما أن الفرد في المجتمع يُنَشَأ على القيام بواجباته وعدم التهاون فيها كما هو حاله في المطالبة بحقوقه والعمل على تحصيلها.

والخلاصة: أن مجتمعاً يتربى أفراده على صفة الشكر، لمجتمع فاضل، خيّر، يتمتع أفراده بالإيجابية والمبادرة والمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إلى الفضائل

ثالثاً- تربية الناشئة على تقديم طاعة الله على حظوظ النفس:

إن بدء النبي ﷺ بالمسجد عند القدوم من سفره يدل على أهمية تربية الناشئة على تقديم طاعة الله على حظ النفس ورغباتها، ولو كانت هذه الحظوظ وتلك الرغبات مباحة لا ضير فيها، فإن القادم من السفر عنده من الرغبات ما لو استجاب لها لشغلته وملأت عليه وقته وفكره: من لقاء الأهل والأولاد والجلوس إلى الأصدقاء والأحباب، فضلاً عن طلب الراحة والهدوء بعد رحلة سفر عانى فيها التعب والكدّ.

لكن الناشئة المسلمة يُربون على أن رغبتهم الأولى وحظهم الأعلى هو طاعة الله، وبعد ذلك تأتي الرغبات والحظوظ الأخرى ويلتزمون هذا في جميع أحوالهم ومختلف شؤونهم.

وإذا تربى الناشئة على هذا خرجوا نافعين لأنفسهم ولأهلهم ولأوطانهم ومجتمعهم، تزداد بهم الحياة خيراً وتقلّ شراً، وينتشر النور على حين ينكمش الظلام.

إن معظم الخلل الحادث عند الناشئة، يكون سببه تقديم حظوظ النفس على ما

عداها؛ فينشأ الانحراف، وسوء الأخلاق، وكذلك الأوبئة الاجتماعية التي تهدد أسس المجتمع ومرتكزاته.

رابعًا- من أساليب التربية: الممارسة العلمية:

وهذا واضح جلي من الحديث؛ فالنبي ﷺ علّم أصحابه أنهم إذا قدموا من سفر بدءوا بالمسجد فصلُّوا فيه ركعتين، علمهم ذلك عن طريق الفعل والعمل، لقد رأوه ﷺ يفعل ذلك فتعلّموا منه كما نتعلم نحن - الآن- منه ﷺ، ومما لا شك فيه أن التربية بالممارسة العملية تتميز بطول بقاء أثر التعلم في نفوس المتعلمين.

١٧٩- باب تحريم سفر المرأة وحدها

الحديث رقم (٩٩٠)

٩٩٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مع ذي مَحْرم: مع من يحرم نكاحه حرمة مؤبدة[2].

الشرح الأدبي

الحديث بدأ بأسلوب النفي العام الذي يجعل جميع النساء تحت مظلة النهي (لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَ) وقد أخذ هذا العموم من تسليط النفي على الفعل المضارع، والنكرة (امرأة) التي تفيد العموم، وبذلك فجميع النساء معنيات بهذا النهي، وقوله (تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ) تكميل بلاغي يضيف معنى الإيمان الذي يرهن الإيمان باجتناب الخروج هذه المسافة إلا مع ذي محرم، وذكر اليوم الآخر يشير إلى الحساب، ويلوح بالعقاب لمن يخالفن قوله: (مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ) فيه لإيجاز بالحذف أي مقدار مسيرة، وبين اليوم، والليل طباق يؤكد المعنى، ويحدد المسافة، والأسلوب الذي شمل المعنى أسلوب القصر الذي يقصر صفة حل سفر المرأة على وجود المحرم.

فقه الحديث

١- الخلوة بالأجنبية:

الأجنبية: هي من ليست زوجة ولا محرمًا، والمحرم من يحرم نكاحها على التأبيد

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٨٨، ومسلم واللفظ له ١٣٣٩/٤٢١. أورده المنذري في ترغيبه ٤٥٥٤.

(٢) رقم ٩٩٠، ٩٩١.

إما بالقرابة أو الرضاعة أو المصاهرة[١]. ويحرم على الرجل الخلوة بها، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: "لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم" وقد اتفق الفقهاء على أن الخلوة بالأجنبية محرمة[٢].

وقال النووي: (وأما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجانب فإن الصحيح جوازه، والمختار أن الخلوة بالأمرد الأجنبي الحسن كالمرأة، فتحرم الخلوة به، حيث حرمت بالمرأة، إلا إذا كان في جمع من الرجال المصونين. قال أصحابنا: ولا فرق في تحريم الخلوة - حيث حرمنا - بين الخلوة في صلاة أو غيرها. ويستثنى من هذا كله مواضع الضرورة، بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك، فيباح له استصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهذا لا اختلاف فيه)[٣].

٢- اشتراط سفر المرأة للحج مع محرم أمين:

جاء في الموسوعة الفقهية: (يشترط أن يصحب المرأة في سفر الحج زوجها أو محرم منها؛ إذا كانت المسافة بينها وبين مكة ثلاثة أيام وهي مسيرة القصر في السفر وإلى هذا ذهب الحنفية والحنابلة[٤] واستدلوا بحديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: ((لا تسافر

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٤/٢.

(٢) الأشباه والنظائر، ابن نجيم ٢٨٨، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٩/٢، ٤١٠، والمجموع ١٥٥/٤، ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ١٨/٥، وشرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٧/٣ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٧/١٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢/٩/٥ .

(٤) الهداية وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ١٢٨/٢، والكافي ٥١٩/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٦/٣- ٢٣٧.

المرأة ثلاثًا إلا ومعها ذو محرم))[١].

وتوسع الشافعية والمالكية، فسوغوا الاستبدال بالمحرم: ذهب الشافعية إلى أنها إن وجدت نسوة ثقات: اثنتين فأكثر تأمن معهن على نفسها، كفى ذلك بدلاً عن المحرم أو الزوج بالنسبة لوجوب حجة الإسلام على المرأة، وعندهم الأصح أنه لا يشترط وجود محرم لإحداهن، لأن الأطماع تنقطع بجماعتهن، فإن وجدت امرأة واحدة ثقة فلا يجب عليها الحج، لكن يجوز لها أن تحج معها حجة الفريضة أو النذر، بل يجوز لها أن تخرج وحدها لأداء الفرض أو النذر إذا أمنت.

وزاد المالكية توسعًا فقالوا: المرأة إذا لم تجد المحرم أو الزوج ولو بأجرة تسافر لحج الفرض أو النذر مع الرفقة المأمونة، بشرط أن تكون المرأة بنفسها هي مأمونة أيضًا.

والرفقة المأمونة جماعة مأمونة من النساء أو الرجال الصالحين، قال الدسوقي: "وأكثر ما نقله أصحابنا اشتراط النساء".

أما حج النفل فلا يجوز للمرأة السفر له إلا مع الزوج أو المحرم فقط اتفاقًا، ولا يجوز لها السفر بغيرهما بل تأثم به)[٢].

٣- نوع الاشتراط للمحرم:

اختلف الفقهاء في الزوج أو المحرم هل هو شرط وجوب أو شرط للزوم الأداء بالنفس: ذهب المالكية والشافعية والحنابلة في الراجح عندهم وهو رواية عن أبي حنيفة إلى أن المحرم شرط لوجوب الحج، ويحل محلّه عند فقده الرفقة المأمونة عند الشافعية والمالكية على الوجه الذي ذكرناه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٨٦، ومسلم ١٣٣٨.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢/٩-١٠، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١/٤٥٥، والمنهاج للنووي وشرحه ٢/٨٩، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/٤٦٧، وحاشية القليوبي على شرح المنهاج ٢/٨٩ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/٣٥-٣٦.

والراجح عند الحنفية أن الزوج أو المحرم شرط للزوم الأداء بالنفس[١].

وثمرة الخلاف في ذلك أن من جعله شرطًا لوجوب الحج، لا يوجب عليها في تركتها شيئًا إذا ماتت قبل تمكنها من الحج مع المحرم، ومن جعله شرطًا لوجوب الأداء أوجب عليها في تركتها مالاً يحج به عنها، حيث تعلق وجوب الحج في ذمتها[٢].

٤- سفر الزوج مع امرأته:

قال ابن حجر: (قوله: "اخرج معها" أخذ بظاهره بعض أهل العلم، فأوجب على الزوج السفر مع امرأته إذا لم يكن لها غيره، وبه قال أحمد وهو وجه للشافعية. والمشهور أنه لا يلزمه كالولي في الحج عن المريض، فلو امتنع إلا بأجرة لزمها، لأنه من سبيلها، فصار في حقها كالمؤنة)[٣].

٥- منع الزوج امرأته من حج الفريضة:

قال ابن حجر: (واستدل به على أنه ليس للزوج منع امرأته من حج الفرض. وبه قال أحمد وهو وجه للشافعية، والأصح عندهم أنه له منعها لكون الحج على التراخي)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تحريم سفر المرأة وحدها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية.

رابعاً: من فقه الداعية: ترتيب الأولويات.

خامساً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) الشرح الكبير وحاشيته ٩/٢، وشرح الرسالة، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي وسائر المراجع السابقة والهداية وشرحها ١٣٠/٢، ولباب المناسك وشرحه ٣٧، والفروع، ابن مفلح ٢٣٤/٣-٢٣٦ عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٦/١٧.

(٢) نظر: فقه السنة الميسر ٤٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧٧/٤، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧/١٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٧٧/٤، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٧/١٧-٣٨.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -٩٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (٩٩١).

سادساً: من أهداف الدعوة: صيانة المجتمع ونشر العفاف والمحافظة على الأعراض.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في قوله ﷺ: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم عليها)، وقوله ﷺ: (لا يخلوّن رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر إلا مع ذي محرم)، فقد نهى النبي ﷺ عن سفر المرأة بدون محرم أو الخلوة بها بدون محرم.

وقد ورد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: ((نَهَى أَنْ تُسَافِرَ الْمَرْأَةُ مَسِيرَةَ يَوْمَيْنِ إِلاَّ وَمَعَهَا زَوْجُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ))[1].

"والنهي طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء"[2]. ويمكن أن يقال أيضاً إن هذا أسلوب قصر، فقد قصر النبي ﷺ جواز سفر المرأة وإباحته على كون المحرم معها، وكذلك الخلوة، أما ما عدا ذلك فإنه لا يباح ولا يجوز، وأسلوب القصر يتكون من أداة النفي مع أداة الاستثناء كما في الحديث.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تحريم سفر المرأة وحدها:

هذا واضح من النهي في الحديثين، قال النووي: "قوله ﷺ: (لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم)، وفي رواية: (فوق ثلاث)، وفي رواية: (ثلاثة)، وفي رواية: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة ثلاث ليال إلا ومعها ذو محرم)، وفي رواية: (لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم أو زوجها، وفي رواية: (نهى أن تسافر المرأة مسيرة يومين)، وفي رواية: (لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلا ومعها ذو حرمة منها)، وفي رواية: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم إلا ومعها ذو محرم)، وفي رواية: (مسيرة يوم وليلة)، وفي رواية: لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم) هذه روايات مسلم[3]، وفي رواية لأبي داود[4]: (لا تسافر بريداً)، والبريد:

---

(١) أخرجه مسلم ٤١٦ - ٨٢٧.

(٢) تعليم علم الأصول، د. نور الدين مختار الخادمي ص ٣٦٧.

(٣) صحيح مسلم، الأحاديث: ١٣٣٨ - ١٣٤١.

(٤) أخرجه أبو داود ١٧٢٥، وحكم عليه الألباني بالشذوذ. (ضعيف سنن أبي داود ٣٧٩).

مسيرة نصف يوم. قال العلماء: اختلاف هذه الألفاظ لاختلاف السائلين واختلاف المواطن، وليس في النهي عن الثلاثة تصريح بإباحة اليوم والليلة أو البريد. قال البيهقي: كأنه ﷺ سئل عن المرأة تسافر ثلاثاً بغير محرم فقال: لا. وسئل عن سفرها يومين بغير محرم، فقال: لا، وسئل عن سفرها يوماً فقال: لا. وكذلك البريد. فأدى كل منهم ما سمعه، وما جاء منها مختلفاً عن رواية واحد فسمعه في مواطن، فروى تارة هذا، وتارة هذا، وكله صحيح. وليس في هذا كله تحديد لأقل ما يقع عليه اسم السفر. ولم يرد ﷺ تحديد أقل ما يسمى سفراً، فالحاصل أن كل ما يسمى سفراً تنهى عنه المرأة بغير زوج أو محرم، سواء كان ثلاثة أيام أو يومين أو يوماً أو بريداً أو غير ذلك. لرواية ابن عباس رضي الله عنهما المطلقة وهي آخر روايات مسلم السابقة: لا تسافر امرأة إلا مع ذي محرم، وهذا يتناول جميع ما يسمى سفراً"[1].

وقال ابن عبدالبر: "ويجمع معاني الآثار في هذا الباب، وإن اختلفت ظواهرها، الحظر على المرأة أن تسافر سفراً يخاف عليها الفتنة بغير محرم، قصيراً كان أو طويلاً"[2].

وقال ابن حجر: واستدل به على عدم جواز السفر للمرأة بلا محرم، وهو إجماع في غير الحج والعمرة والخروج من دار الشرك"[3].

وقال النووي: "اعلم أن حقيقة المحرم من النساء التي يجوز النظر إليها والخلوة بها والمسافرة بها، كل من حرم نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها"[4].

وفي العصر الحديث قد تغيرت وسائل المواصلات وأصبحت أسرع وأكثر أماناً وأصبحت تضم جماعات من المسافرين، فنظر بعض العلماء إلى هذه التغيرات ورأى أن العلة في اشتراط المحرم هو توفير الأمان[5]، وأنه يمكن في وسائل المواصلات الحالية

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٩/٩/٥ - ١١٠.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٠٥/٢٣، موسوعة شروح الموطأ.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٨/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٤/٩/٥.

(٥) في ذلك يقول ابن هبيرة: إنما اشترط المحرم لحراسة المرأة، لأنه ذو حمية عليها. الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١/٣.

توفير هذا الأمان، ومن ثم رأى أن الحكم يختلف الآن عما سبق، من هؤلاء د. محمد رواس قعله جي الذي قال: "يجوز للمرأة أن تسافر السفر القصير بغير محرم ولا رفقة. والسفر القصير هو الذي لا يستغرق الوصول إليه فيه بأدوات المواصلات المتاحة في الحال ست ساعات، ولا يجوز لها أن تسافر سفراً هو أبعد من ذلك إلا مع محرم، لقوله ﷺ: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثاً إلا ومعها ذو محرم) ويستثنى من ذلك:

(١) حالات الضرورة حيث يجوز لها أن تسافر وحدها، كالمسافرة المهاجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام إن لم تجد زوجاً ولا محرماً يخرج معها؛ وكمن ضلت زوجها أو محرمها في السفر، ولا بد لها من العودة إلى وطنها.

(٢) إذا انتفت الفتنة، وأمنت المرأة على نفسها وكان السفر سفر طاعة، جاز لها أن تسافر من غير زوج ولا محرم، ولكن لا بد من وجود الرفقة المأمونة، كسفر المرأة للحج، أو لطلب العلم أو لصلة الرحم، ونحو ذلك، وأرى أن السفر مع شركات الطيران، وشركات النقل ذات السمعة الطيبة، سفر مع رفقة مأمونة اليوم إن كان في المسافرين نساء"[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم)، قال النووي: "هذا استثناء منقطع، لأنه متى كان معها محرم لم تبق خلوة، فتقدير الحديث: لا يقعدن رجل مع امرأة إلا ومعها محرم، وقوله ﷺ: (ومعها ذو محرم)، يحتمل أن يريد محرماً لها ويحتمل أن يريد محرماً لها أو له. وهذا الاحتمال الثاني هو الجاري على قواعد الفقهاء. فإنه لا فرق بين أن يكون معها محرم لها كابنها وأخيها وأمها وأختها،

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٨٨/٢ - ١٠٨٩. وقال عبدالله البسام: "والمسألة موضع اجتهاد بيْن العلماء، فمن رأى عموم النصوص أجراها على ظاهرها ومنع ذلك مطلقاً، ومن رأى المعنى الذي حرم السفر من أجله أباحه في صورة تبعد الشبهة بها، وتخف الريبة حولها، والراجح ما قاله ابن تيمية من الجواز مع وجود الأمن. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٩/٣.

أو يكون محرماً له كأخته، وبنته وعمته وخالته، فيجوز القعود معها في هذه الأحوال، ثم إن الحديث مخصوص أيضاً بالزوج، فإنه لو كان معها زوجها كان كالمحرم وأولى بالجواز. وأما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما، فهو حرام باتفاق العلماء. وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه، لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام، بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجانب فإن الصحيح جوازه"[١].

وفي رواية عند البخاري: ((ولا يَدخُلُ عليها رجُلٌ إلا ومعَها مَحْرَم))[٢]، قال ابن حجر: "فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع، لكن اختلفوا هل يقوم غير المحرم مقامه في هذا كالنسوة الثقات؟ والصحيح الجواز لضعف التهمة به"[٣].

جاء في الموسوعة الفقهية: "الأجنبية: هي من ليست زوجة ولا محرماً، والمحرم من يحرم نكاحها على التأبيد، إما بالقرابة، أو الرضاعة، أو المصاهرة، ويحرم على الرجل الخلوة بها، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم).

وقد اتفق الفقهاء على أن الخلوة بالأجنبية محرمة، وقالوا: لا يخلون رجل بامرأة ليست منه بمحرم، ولا زوجة، بل أجنبية، لأن الشيطان يوسوس لهما في الخلوة بفعل ما لا يحل، قال ﷺ: ((ألا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، إلاَّ كانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ))[٤][٥].

رابعاً- من فقه الداعية: ترتيب الأولويات:

هذا واضحٌ من قول الرسول ﷺ للرجل لما قال له: يا رسول الله إن امرأتي حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال له النبي ﷺ: انطلق فحج مع امرأتك، قال النووي: "فيه تقديم الأهم من الأمور المتعارضة، لأنه لما تعارض سفره في الغزو وفي الحج

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٩/٥ .

(٢) صحيح البخاري ١٦٨٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧٧/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢١٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٥٨).

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٦٧/١٩.

معها، رجح الحج معها، لأن الغزو يقوم غيره في مقامه عنه بخلاف الحج معها"[١].

وقال ابن حجر: "ويستفاد منه أن الحج في حق مثله أفضل من الجهاد، لأنه اجتمع له مع حج التطوع في حقه تحصيل حج الفرض لامرأته، وكان اجتماع ذلك له أفضل من مجرد الجهاد الذي يحصل المقصود منه بغيره، وفيه مشروعية كتابة الجيش، ونظر الإمام لرعيته بالمصلحة"[٢].

وقال عبدالله البسام: (إن فرض العين مقدم على فرض الكفاية، فالرجل كتب في الجهاد، وهو فرض كفاية، والمحافظة على زوجته فرض عين، فقدمه النبي ﷺ، ففيه دليل على تقديم الأعذار الخاصة اللازمة على فروض الكفايات)[٣].

ومن قبيل ترتيب الداعية للأولويات ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد فقال: ((أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ ((فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ))[٤].

قال ابن حجر عن هذا الحديث: "فيه أن بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به؛ لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه فدل على ما هو أفضل منه في حقه. ولولا السؤال ما حصل له العلم بذلك"[٥].

خامساً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا واضحٌ من سؤال الرجل النبي ﷺ: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال له ﷺ: (انطلق فحجّ مع امرأتك).

وكان هذا السؤال سبب الجواب الذي دلّ المدعو على ما يفعله، وهو أن يذهب مع امرأته إلى الحج. وهذا الجواب دعوة لغيره من المدعوين أن يفعلوا مثله، إذا كان حالهم

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٩/٥، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٧٨/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٣/٦.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٧/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١٤٠/٦.

مثل حاله أو شبيهاً به.

سادساً- من أهداف الدعوة: صيانة المجتمع ونشر العفاف والمحافظة على الأعراض:

هذا واضحٌ من تحريم سفر المرأة بدون محرم وتحريم الخلوة بالأجنبية. قال النووي: "قال القاضي عياض[1]: اتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع ذي محرم، إلا الهجرة من دار الحرب، فاتفقوا على أن عليها أن تهاجر منها إلى دار الإسلام وإن لم يكن معها محرم، والفرق بينهما أن إقامتها في دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين، وتخشى على دينها ونفسها، وليس كذلك التأخر عن الحج، فإنهم اختلفوا في الحج هل هو على الفور أم على التراخي؟

قال القاضي عياض[2]: قال الباجي: هذا عندي في الشابة، وأما الكبيرة غير المشتهاة فتسافر كيف شاءت في كل الأسفار بلا زوج ولا محرم. وهذا الذي قاله الباجي لا يوافق عليه، لأن المرأة مظنة الطمع فيها ومظنة الشهوة ولو كانت كبيرة، وقد قالوا: لكل ساقطة لاقطة، ويجتمع في الأسفار من سفهاء الناس وسقطهم من لا يرتفع عن الفاحشة بالعجوز وغيرها، لغلبة شهوته وقلة دينه ومروءته وخيانته ونحو ذلك"[3].

أما عن تحريم الخلوة فقال النووي: "قال أصحابنا: ولا فرق في تحريم الخلوة حيث حرمناها بين الخلوة في صلاة أو غيرها، ويستثنى من هذا كله مواضع الضرورة، بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك فيباح له استصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهذا لا اختلاف فيه، ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك"[4])[5].

كل هذا وغيره يجعل المجتمع المسلم (مصونة فيه الأعراض، منتشر فيه العفاف

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/٤٤٥.

(٢) المرجع السابق ٤/٤٤٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٩/١١٢ - ١١٣، وانظر: فتح الباري، ابن حجر ٤/٧٦.

(٤) قصة الإفك أخرجها البخاري ٤١٤١، ومسلم ٢٧٧٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٩/١١٦.

مصونة فيه الأخلاق، ولذا فإن ما يدندن حوله كثير من الناس في هذا العصر من الدعوة إلى قدر أكبر من حرية الفرد السلوكية والاجتماعية، ينبغي أن يكون مقيداً بالبداهة بضوابط الشريعة وحدودها وآدابها، فلا يقبل أي نظام عاقل أن ينفلت الإنسان في المجتمع بلا ضوابط ولا حدود، فيعتدي على عقيدة الأمة وقيمها، ومقوماتها بدعوى ممارسة الحرية الشخصية"[1].

ومن المعلوم أن الشريعة الإسلامية لها مقاصد، وهي غايات التشريع ومراميه وأهدافه.

وأنواع المقاصد بحسب الضرورة إليها وعدمها ثلاثة:

(المقاصد الضرورية، المقاصد الحاجية، المقاصد التحسينية).

١ - المقاصد الضرورية:

وهي المقاصد التي لا بد منها لكي يقوم نظام الحياة ويصلح حال الناس. ومثالها: إقامة الدين، وحفظ الناس في نفوسهم وعقولهم وحفظ النظام، وقمع البغي والاعتداء، وإقامة الأعمال والصناعات والحرف، وبناء المستشفيات وتكوين الأطباء وتوفير الغذاء والعلاج.

فالمقاصد الضرورية هي المقاصد الأساسية اللازمة التي يجب إيجادها وإعمالها؛ لأنها في حال عدمها وغيابها، يفسد نظام الحياة، وتتعطل مصالح الناس ومعاملاتهم.

والمقاصد الضرورية في الإسلام تُعرف بالمقاصد الضرورية الخمس، أو الكليات

---

(١) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ٢١٤.

- وقال عبدالله البسام: (إذا تأملت حال المسلمين الآن بنسائهم من التبرج والعري ومزاحمة الرجال والخلوات المحرمة معهم وصحبتهم في الأسفار البعيدة وغير ذلك من العادات التي يندى لها الجبين، علمت بعد المسلمين عن دينهم وعدم مراعاتهم حرماته. وفي مثل هذه الآداب الكريمة والأخلاق العالية المحافظة على الكرامة والصيانة للشرف والعرض وحفظ الأنساب والأعراف وهو مظهر كريم وتكريم للمرأة وتطهير لها من الأدناس. أما الخلاعة والمجون والإباحية فهي الرجعية إلى عهد الوحشية والبهيمية التي لا تعرف نظاماً ولا قانوناً ولا حياءً ولا عفة. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٦/٣ - ٢٦٧.

الشرعية الخمس، منها:

حفظ النسل والنسب والعرض:

معنى حفظ النسل: المحافظة على بقاء النوع الإنساني عن طريق التناسل.

معنى حفظ النسب: تحقيق التناسل الذي تُعلم نسبته إلى أصله الشرعي.

ومعنى حفظ العرض: تحقيق العفة والكرامة، وعدم التعرض إلى شرف الغير.

ومعنى المقصد في الجملة: المحافظة على التناسل والتوالد عن طريق الزواج الشرعي، وعدم التعرض إلى شرف الغير وكرامته، سواء بالنظر أو المس أو الاختلاء أو الخضوع بالقول أو ما شابه ذلك.

ولأجل تحقيق هذا المقصد شرعت عدة أحكام، منها:

- الحث على الزواج والتناسل والتوالد عن طريق الزواج الشرعي.
- تحريم الزنا، ومعاقبة الزاني.
- تحريم السحاق واللواط، وتحريم مختلف صور الشذوذ الجنسي.
- تحريم الخلوة بالأجنبية.
- تحريم النظر إلى الأجنبية بقصد الشهوة والتلذذ.
- تحريم النظر أو الاستماع إلى الأفلام الجنسية.
- تحريم استخدام الإنترنت للتحرش الجنسي وتبادل الإشارات والعبارات الجنسية.
- تحريم النظر إلى الصور الخليعة ومظاهر العراء والسفور[1].

---

(١) تعليم علم الأصول، د. نور الدين مختار الخادمي ص ٤١٧ - ٤٢٥.

الحديث رقم (٩٩١)

٩٩١- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ، يقول: ((لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرُ المَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ[1]: يَا رسولَ الله، إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: ((انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

اكْتَتَبْتُ: كتبت نفسي في أسماء من عيّن لتلك الغزوة[3].

الشرح الأدبي

قوَّم الرسول ﷺ خطأ الخلوة بالأجنبية، وألزم الرجل بالحفاظ على زوجه وعدم تركها تسافر سفراً طويلاً بمفردها مما يعرضها للخطر، وهي المنوطة بشرف الأسرة، وتربية النشأ، وهي نصف المجتمع، وميل الرجل للمرأة ميل فطرى فإذا ما خليا كان الشيطان ثالثهما يحرك في نفس كل منهما هذا الميل الفطرى ليوقعهما في الخطيئة، وقد جاء أسلوب الرسول ﷺ قاطعاً يتساوق مع حجم الخطر فاستخدم عدة أساليب بلاغة منها: أسلوب النهي: وقد استخدمه الرسول ﷺ تقويماً لخطأ الخلوة بالأجنبية حفاظاً على طهارة الأمة، ونقائها في أول حلقاتها، وهي الأسرة الممثلة في المرأة التي تنجب، وتربى الجيل المسلم، والتهاون فيما يخص العلاقة بين الرجل والمرأة تهاون مهلك يدمر الأسرة، ويفتت كيانها؛لأن المسألة فيها بعد نفسي فطرى لميل الرجل للمرأة، وميل المرأة للرجل، ولذلك نجد الرسول ﷺ يصوغ الفعل في صورته المضارعية التي

---

(١) لفظ مسلم: (فقام رجل فقال).

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٠٦، ومسلم واللفظ له ١٣٤١/٤٢٤. أورده المنذري في ترغيبه ٢٨٥٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٩٢/٤.

تساعد على استحضار صورة المختليان تحفهما الريبة، وتحوم حولهما الشكوك، ويصيران مثاراً للظن السيء، لذلك أكد الفعل (يخلون) بنون التوكيد تأكيداً على النهي، وسيراً على نبرة الأسلوب العالى النبرة في تقويم خطأ يمسُّ العرض، والكيان الاجتماعى ممثلاً في نواته الأولى، وهي الأسرة المسلمة ممثلة في ربَّتها الطاهرة المصون، ومنها أيضاً: أسلوب القصر: وقد جاء في إطار تقويم الخطأ، والنهي عن الخلوة بالأجنبية في قوله ﷺ (لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم) حيث قصر خلوة الرجل بالمرأة على ذات المحرم دون غيرها قصر صفة على موصوف إشارة إلى أنه لا يجب التهاون في أمر الخلوة، لأن الأنفس البشرية بطبيعتها ضعيفة أمام الشهوات لما هو مركوز في الطباع من ميل كل جنس إلى الآخر لذلك نهي الرسول ﷺ عن السبب الذي يمكن أن يضع الإنسان في هذا الوضع حيث لا تؤمن العاقبة، لذلك جاء أسلوب القصر لينفى خلوة الرجل بالمرأة مطلقاً، ويقصرها على ذات المحرم حيث تؤمن الفتنة، ومنها: الأمر المستخدم في تقويم الخطأ جاء رداً على الرجل الذي ترك زوجته تحج بمفردها فجاء أمر الرسول ﷺ (ارجع فحج مع امرأتك) رداً للأمور إلى نصابها، حتى لا تتعرض المرأة، وهي الضعيفة بطبيعتها للفتن فجاء أمره (ارجع) تدعيماً للنهي السابق، وتأكيداً لمعنى النهي عن الخلوة؛ لأن ترك المرأة تسافر بمفردها فيه معنى تخليتها الأمر الذي يهددها بالخطر.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الشرح التربوي في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

خلق الله الإنسان، وجعل فيه نوازع الخير ونوازع الشر، وذلك لاختباره، هل يشكر أم يكفر، ومن رحمة الله بعباده أن وجههم إلى ما يحول بينهم وبين وقوع الشر من خلال سد الذرائع المؤدية إليه، وليس ذلك من باب تقييد حرية الإنسان وشل حركته في الحياة وإنما تهذيب له وتزكية وترقية لأن يكون الإنسان الحق الذي يكون كما أراده الله عز وجل.

ومن هذا المنطلق فإن الرسول الكريم ﷺ نهى عن أن تسافر المرأة بدون محرم أو يخلو بها رجل إلا ومعها محرم لها، وذلك سدًّا لباب الوقوع في كبيرة الزنا، وانتهاك الأعراض ولما يترتب على ذلك من شيوع المنكرات والفواحش والأمراض الفتاكة.

إن التربية القائمة على إتاحة الفرصة لأن يجرب المربي كل شيء حتى يحكم عليه بالإيجاب أو السلب، تربية أثبتت فشلها الذريع، وخير دليل على ذلك أن البلاد التي تسمح قوانينها بتعاطي المخدرات وشرب الخمر تعاني الأمرين من الإدمان وآثاره المدمرة على الفرد والمجتمع، مما دفع الحكماء منهم إلى المناداة بمنعها وتجريم تعاطيها [1].

وكذلك المجتمعات الغربية التي استشرت فيها الفوضى والإباحية الجنسية، التي تمخض عنها الشذوذ الجنسي فضلاً عن الأمراض الفتاكة من الايدز وغيره؛ مما جعلها تئن وتكتوي بنار الإباحية والاختلاط المطلق.

غير أن التربية الإسلامية تعمل على الحيلولة دون وقوع تلك الجرائم والتردي في تلك المستنقعات الأخلاقية، وذلك من خلال التربية الوقائية التي تحول دون سفر المرأة بمفردها تلك الأسفار التي لا يؤمن على المرأة فيها إلا من خلال محرم، أو غير ذلك من الأمور التي يمكن أن تكون نافذة على الشر.

---

(١) انظر: محاضرات ودراسات في أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ١٩٢-١٩٤، وأصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي.

ثانياً- تربية الناشئة على الإيمان بالله وخشيته:

إن الرسول الكريم ﷺ عندما أراد أن ينهي المرأة عن السفر وحدها، ذكرها بأنها: "تؤمن بالله واليوم الآخر"، وفي هذا -فيما نرى- حث لها على الامتثال والإذعان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تحذير لها من ارتكاب هذا النهي، لأن في ذلك إخلالاً بمقتضيات الإيمان وكمالاته، ومما لا جدال فيه أن امرأة مؤمنة بربها ومصدقة بالحساب والجزاء يوم القيامة لا تستطيع أن تجرؤ على فعل ما نهاها عنه رسول رب العالمين ﷺ.

ومن هذا المنطلق فإن على المربين أن يربوا الناشئة على الإيمان بالله والعمل بمقتضيات هذا الإيمان ولوازمه، لأن ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه التربية، فإن كان راسخًا قوياً أتت التربية بثمارها الطيبة وجناها الزكي، وإلا حصد المجتمع أسوأ النتائج وأوخم العواقب.

ولعل مكث النبي ﷺ بمكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يغرس في نفوس أتباعه الإيمان بالله، يفسر لنا أهمية هذا الأساس وعظم تأثيره. فلمّا هاجر إلى المدينة، سرعان ما أقام دولته التي برز فيها كثير ممن ربّاهم ﷺ في مكة.

إن كثيراً من الدول المعاصرة تعاني من أمرين متناقضين: الأمر الأول: كثرة القوانين التي تعاقب على كثير من المخالفات، والأمر الآخر: كثرة الاجتراء على هذه القوانين وكثرة التحايل على تكسيرها، والالتفاف عليها، بحيث تفرغ من مضمونها وأثرها، فتصبح عديمة الجدوى والقيمة.

والسبب في هذه المعاناة عدم الإيمان بفائدة هذه القوانين، والنظر إليها أنها قيد يجوز التخلص منه. على حين يختلف الوضع اختلافاً كبيراً جداً لو نُظر إليها أنها ذات فائدة قصوى للأفراد والمجتمع، وقبل هذا الاعتقاد الخالص فيها، وهذا إذا توافر فيها العدل والإنصاف، والبعد عما يغضب الله عز وجل ورسوله ﷺ[1].

---

(١) وانظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية ص ٢٤٩ وما بعدها، والمنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد ص ١٨٤ وما بعدها.

وهناك لفتة تربوية عظيمة ينبغي أن يُفاد منها في مجال التربية الإسلامية، وذلك عند التوجيه لأمر مهم: ينبغي أن تستثار النخوة والغير الإيمانية في نفوس المؤمنين والمؤمنات، ولعل ذلك يستوحي من قول النبي ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَومٍ وَلَيْلَةٍ، إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». ولا شك أن هذا الوصف بالإيمان بالله واليوم الآخر يثير في النفس غيرة، ويجعل المؤمن والمؤمنة على حياء وخجل، أن يأتي الأفعال أو السلوكيات المتنافية مع مقتضى هذا الإيمان، ولذا فإن الله تعالى ربى المؤمنين من خلال مخاطبتهم بهذا الوصف في نهيهم عن بعض المخالفات، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ثالثاً- تربية الناشئة على ملء أوقاتهم بالعمل النافع:

إن مما يلاحظ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن الرجل أخبر عن زوجته أنها خرجت حَاجَّةً، وأنه هو نفسه اكتتب في غزوة كذا وكذا: فالمرأة خرجت من بيتها تقصد بيت الله الحرام لأداء الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، زيادة على أنه أفضل الجهاد للنساء[2]، كما أن زوجها اكتتب في غزوة كذا وكذا، ليخرج يجاهد في سبيل الله.

وهذه المرأة ستزداد عن طريق الحج المبرور تزكيةً وصفاءً وخشوعاً وخضوعاً وإقبالاً على الطاعات، كما أن زوجها سيزيده الجهاد ثباتاً ورسوخاً وقوة إيمانية تجعله يبذل الغالي والنفيس من أجل دين الله إن ظل حياً، أما إن استشهد فسيكون في الدرجات العليا من الجنة مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

والمقصود مما سبق أن المسلمين رجالاً ونساءً، هم أولى الناس بشغل أوقاتهم بالعمل

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٢) أخرج البخاري ١٥٢٠، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور"، وفي رواية عند البخاري، ١٨٦١ فقالت عائشة: "فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ".

النافع لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وهم أبعد الناس عن تضييع أوقاتهم الثمينة فيما لا يفيد ولا ينفع، ودعك فيما يضر ويصيب بالخسران الأليم.

وعلى ذلك فإن الناشئة يجب أن يربوا على الاستغلال الأمثل لأوقاتهم حتى يكون يومهم خيراً من أمسهم، وغدهم خيراً من يومهم، إنهم يجب أن يربوا على أن الحياة فرصة ثمينة جداً لا يجوز أن يُضيَّع جزء منها بدون فائدة دينية أو دنيوية.

وإن إهمال تربية الناشئة على ما سبق: ينتج عنه ضياع الأعمار والأزمان وأفضل الأوقات هدرا وسدىً. وإن نظرة عابرة على ما يشغل قطاعًا عريضًا من النساء المسلمات ليؤكد هوان قيمة الوقت في حياتهن، فتجدهن مولعات بتتبع صيحات الموضة وما يستجد فيها، وما يتعلق بذلك من أدوات الزينة والتجميل، فضلاً عن إنفاق الساعات الطوال في متابعة القنوات الفضائية أو في الحديث مع القرينات والصاحبات والزميلات. وما حال الرجال بأفضل من حال النساء[1].

رابعاً- تربية الناشئة على فعل الأهم والأولى:

إن قول النبي ﷺ للرجل بعد ما أخبره أنه قد اكتتب في غزوة كذا وكذا: "انطلق فحج مع امرأتك"، دليل على أنه يجب تربية الناشئة على فعل الأهم والأولى وترك العمل بالأقل أهمية والأقل في الرتبة والدرجة، فإذا كان الجهاد له من الفضل العظيم، إلا أن غير هذا الرجل قد يقوم به، أما مرافقة الزوجة في حجها فلا يقوم بذلك إلا هو، لذا أمره النبي ﷺ بذلك.

وعلى ذلك يجب أن يتربى الناشئة، فيقدمون عند تزاحم الواجبات والفضائل أو تعارضها أهمها وأعلاها وأفضلها، فلا يضيعون واجباً بسبب انشغالهم بما ليس بواجب، أو يفرطون في واجب أهم، لأنهم قد انهمكوا في واجب مهم.

كما يجب أن يتربى الناشئة على فعل واجب الوقت الذي يكون في وقته هو الأهم

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ط/١، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، و قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ط/٤، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وإدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة.

والأولى، بحيث لو أنه فعل قبل وقته أو بعده تخلفت عنه نتائجه المرجوة وثماره المتوقعة، فكما أن هناك عملاً بالنهار لا يحسن تأخيره إلى الليل، فهناك عمل بالليل لا يليق أن يؤخر إلى النهار، وهكذا الإنسان في مراحل حياته المختلفة وأيامه المتتابعة، فهناك أعمال تؤدى في أوقات الشباب والحيوية، يقبح أن تؤخر إلى ما بعد ذلك، وهناك أعمال لا يجوز تأخيرها عن أوقاتها الملحة والضرورية كالإنفاق وقت الشدة والعسر.

ومن الجدير بالذكر أن ترتيب الأولويات يدخل في جميع نواحي حياة الإنسان، وليس أدلّ على ذلك من الشراء، فإن أصحاب الدخل المحدود لو حددوا أولويات مشترياتهم لخف عنهم كثيرٌ مما يعانون من القلق والهم والكدر بسبب التوسع في الشراء والاستهلاك[1].

خامسًا- من الأساليب التربوية:

ورد في حديث الباب أسلوبان تربويان هما:

أ- الإلقاء: كما في قوله ﷺ: "لا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي مَحْرم عليها".

وأسلوب الإلقاء من الأساليب التدريسية التي يمكن للمعلم استخدامها مع المتعلمين الكبار من خلال عرض بعض المعلومات الشفوية عليهم.

ب- المناقشة والحوار: كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأسلوب المناقشة والحوار يتيح للمتعلم بأن يعبر عما بداخله وعن أفكاره وآرائه في جوّ مشجع محفز، فيتحقق الاقتناع العقلي ويزداد المتعلم واقعية نحو التعلم، وذلك لأنه ينقله إلى المشاركة الفعالة والإيجابية في العملية التعليمية.

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ص ٣٦٩-٣٧٩.

٨- كتَاب الفَضَائِل

١٨٠- باب فضل قراءة القرآن

الحديث رقم (٩٩٢)

٩٩٢- عن أَبي أُمَامَةَ ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ، يقول: ((اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

شفيعاً: من الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وتكون الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قراءة القرآن تصدره أمر الرسول ﷺ (اقْرَؤُوا القُرْآنَ) وبين الكلمتين جناس مؤكد للمعنى، وأمر الرسول ﷺ أمر إرشاد، وتوجيه تبعته جملة تعليلية بغرض الترغيب (فَإِنَّهُ يَأتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ) وتوكيد الخبر بإن واسمية الجملة، وقوله (يأتي) يصور الحدث في الموقف الرهيب، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يصعِّد الرغبة فيه لعظم الحاجة إلى الشفيع ذلك اليوم، وليس الإنسان في حاجة إلى شفيع كل يوم، وإنما عند الحاجة، وهو ما تثيره كلمة شفيع من الحاجة إلى الإعانة، وما توحي به من الشدة التي تدعوا إليه، وتنكير كلمة شفيع للتعظيم؛ لأنه يوم لا يتصدى للشفاعة للناس فيه إلا قلة من العظماء مما يؤكد أهمية قراءة

---

(١) برقم ٨٠٤/٢٥٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

القرآن، وضرورة أن يكون لكل مسلم منه ورداً كل يوم، وإنَّ يوماً يمر على مسلم لم يقرأ فيه القرآن هو يوم ضاع من عمره، وهو يوم ليس له ثقل في ميزان حسنات العبد يوم القيامة.

فقه الحديث

استحباب الإكثار من تلاوة القرآن خارج الصلاة:

يستحب الإكثار من تلاوة القرآن خارج الصلاة، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً ﴾[1] ولأحاديث الباب[2].

وقال النووي في الأذكار: (اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر ... وينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلاً ونهارًا سفرًا وحضرًا)[3].

وقال كذلك: (اعلم أن قراءة القرآن آكد الأذكار كما قدمنا، فينبغي المداومة عليها، فلا يخلى عنها يومًا وليلة، ويحصل أصْل القراءة بقراءة الآيات القليلة)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن.

ثالثاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اقرؤوا القرآن" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من دلالة المدعوين على أوجه الخير، وحملهم على

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣/١-١٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥١/١٣، ٣٤/٣٣.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٢٧ .

(٤) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٦.

الإتيان بها، وقد استخدم القرآن أسلوب الأمر في كثير من الآيات مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[1]. وأمر النبيَّ ﷺ وأتباعه باستخدامه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن:

ذكر الحديث جانباً من جوانب فضل القرآن، وهو شفاعته لأصحابه، فقال ﷺ "اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" وقوله فإنه يأتي يوم القيامة، قال العلقمي، قال شيخنا: قيل يُصوَّر القرآن بصورة شيء قائم بنفسه يجيء يوم القيامة بحيث تراه الناس كما يجعل الله لأعمال العبادة خيرها وشرها صورة ووزناً يوضع في الميزان" يشفع لأصحابه القارئين له، المشتغلين به، المتمسكين بهديه، الممتثلين لأوامره، المجتنبين لنواهيه[3] وهذا ما يوجب علينا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله ليلاً ونهاراً[4] وقد أمر الله بتلاوته فقال: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[5] وترتيله فقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾[6].

وقد جاء في الحديث الأمر بالمداومة على قراءة القرآن، والانشغال به، والتمسك بأوامره ونواهيه، وبيان أن القرآن يصوَّر يوم القيامة بحيث يراه الناس ويأتنس به المداومون على تلاوته، والعمل بما فيه وينتفعون بشفاعته[7].

لذا كانت نعمة القرآن من أشرف النعم التي ينعم الله بها على المسلم، شرف بها

---

(١) سور النساء، آية: ٥٨.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٩٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٣٥/٢.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٦) سورة المزمل، آية: ٤.

(٧) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٤٣٨.

مَنْ أوتيها وتميز بها على غيره، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((لاحسدَ إلاّ في اثنتينِ: رجلٌ علَّمهُ الله القرآنَ فهوَ يَتلوهُ آناءَ الليل وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له فقال: ليتَني أُوتيتَ مثلما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ مَا يَعمل. ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهوَ يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ مايَعمل))[1].

فالجد الجد في تلاوة القرآن وحفظه والقيام به، فطوبى لرجل منَّ الله عليه بالقرآن فوهبه حفظه، وعلم ما تضمنه من حلال وحرام، وحِكم وأحكام، وقصص وأخبار وآداب وأخلاق، فذاق حلاوته، وعرف مكانته، فحرص عليه الحرص كله، وعض عليه بالنواجذ واتخذه سميره وجليسه، وخليله وأنيسه، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فلسانه به رطب وقلبه به حي، وعقله في نمو وعلو، ونفسه مهتدية بهديه ومقتفية لأثره[2].

ثالثاً- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وهو معجزة الرسول ﷺ وقد نزل بلسان عربي مبين، أنزله الله على رسوله ﷺ ليكون للناس رحمة وهداية وليبينه للناس[3] ولما كان القرآن هو المصدر الأول للإسلام، وبالتالي للدعوة الإسلامية جاءت النصوص الجمة التي تأمرنا بقراءته وتعاهده، ومنها ما جاء في الحديث "اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" فالقرآن هو المصدر الأول للإسلام وبالتالي للدعوة الإسلامية، لذا يجب أن ترجع كل تعاليم الإسلام في أصولها إلى القرآن، العقائد والمفاهيم والقيم والموازين والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب والقوانين والشرائع، كل هذه قد وضع القرآن أسسها وأرسى دعائمها[4].

فالقرآن العظيم هو مصدر الشريعة الإسلامية السمحة المنظمة لحياة المسلمين، وهو دستورها القائم أبد الدهر، وقد استغنى به المسلمون في الصدر الأول فأغناهم عن كل

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٦.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٩٧.

(٣) الموافقات، الشاطبي، ٢/٢٤٣.

(٤) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ١٠.

شيء، فلم يمدوا أبصارهم إلى غيره، ولم يأخذوا لدينهم ودنياهم إلا بما توحي به إليهم كلماته، وتوحي به إليهم آياته[١].

فإنه لا شيء في حياة المسلم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الفكرية أو الروحية يُرجع فيه إلى مصدر آخر غير هذا الكتاب، ولا شيء في حياته يجوز أن يخرج عن تعاليم هذا الكتاب، وما جاء في شرحه وتفصيله في سنة الرسول ﷺ، مهما استجدَّ في حياته من أمور.

لقد أنزل الله هذه الشريعة لتحكم حياة الناس إلى قيام الساعة، فقولُ مَرْضى القلوب: إنَّ هذه الشريعة قد نزلت قبل أربعة عشر قرناً، فهي لا تصلح للتطبيق اليوم، معناه - تعالى الله عن ذلك: أن الله لم يعلم وقت تنزيل هذا القرآن أنه ستجدُّ في حياة الناس أمور غير التي كانت قبل انقطاع الوحي، ولا يوجد لها في الشريعة حكم يشملها!

وقد عرف المسلمون خلال التاريخ، أن نظام حياتهم كلّه قد شملته أحكام الشريعة، وأن عليهم - حين يجدُّ في حياتهم أمر- أن يستنبطوا له حكماً من الشريعة الثابتة الأركان.

وعرفوا - فوق ذلك- أنه توجد أمور تركها رب العزة بغير نص، لا نسياناً منه جلت قدرته، ولكن رحمة منه بعباده، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، فهذه أمور يجتهدون فيها بما يحقق مصالح الناس، دون أن يخالفوا مقاصد الشرع[٢].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الترغيب في الدعوة إلى الله له أثره في حفز المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات، لذا ينبغي على الدعاة إلى الله استعمال هذا الأسلوب في حث المدعوين على الإقبال على فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث في قراءة القرآن بكونه يأتي شفيعاً لأصحابه، فقال ﷺ "اقرؤوا

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود أحمد بن صالح الدوسري، ٥٣٠.

(٢) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي ص ٢١٠.

القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه" وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً في سلوك المدعوين، إذ أن الترغيب يثير عند الإنسان عامل الرجاء والأمل، وأسلوب الترغيب في الواقع يوجه اتجاه الإنسان، ويعمل على تحديد أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره، وعلى قدر ما يرجو، ونوع ما يرجو يكون التأثير في السلوك والاتجاه[1].

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٥.

الحديث رقم (٩٩٣)

٩٩٣- وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: ((يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ[1] وَأَهْلِهِ الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ (فِي الدُّنْيَا)[2] تَقْدُمُه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ،[3]... تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا)) رواه مسلم[4].

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

تُحاجان: تجادلان[5].

الشرح الأدبي

البداية بالفعل المبني لما لم يسم فاعله (يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِالقُرْآنِ) تذهب بالنفس في تصور الفاعل كل مذهب، وذكر الظرف، وإضافته إلى يوم القيامة يصعِّد الرهبة، ويعطي الفعل أبعاداً إيحائية لأن حدث الآخرة لا يشبه حدث الدنيا إلا في اللفظ، وبينهما فوارق لا يقدر قدرها إلا الله، وقوله (بِالقُرْآنِ، وَأَهْلِهِ) المعية التي تدل عليها الواو توحي بشرف، وتكريم أهل القرآن، وقوله (الذينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا) تكميل بلاغي يشير إلى أن هذا الفضل مختص بالعاملين بالقرآن، وليس لعموم القارئين، وقوله (تقدمه سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ) كناية عن عظم فضلهما، وكثرة ثوابهما، وقوله (تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا) كناية عن دفع العذاب عنه، وتحقيق الدرجات له، والفعل المضارع يصور حركة الأخذ، والرد في الدفاع، ورد العذاب، وتحقيق الثواب.

---

(١) لفظ مسلم: (يؤتى بالقرآن يوم القيامة).

(٢) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند الترمذي ٢٨٨٣.

(٣) عند مسلم زيادة: (وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهنَّ بعدُ، قال: كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان، بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف).

(٤) برقم ٨٠٥/٢٥٣ بدون قوله: (في الدنيا)، وهو عند الترمذي.

(٥) القاموس، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ج ج).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن والعمل به وفضل سورتي البقرة وآل عمران.

ثانياً: من آداب الداعية: البيان والتوضيح لفضل العمل بالقرآن الكريم وفضل سورتي البقرة وآل عمران.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أحوال الناس يوم القيامة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة القرآن والعمل به وفضل سورتي البقرة وآل عمران:

جاء في الحديث فضل القرآن والعمل به، وفضل سورتي البقرة وآل عمران ومحاجاتهما عن صاحبهما، فقال ﷺ "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" فمن صحب القرآن في الدنيا تلاوة وتدبراً وتأثراً وعملاً، فقام به الليالي، وأنفق فيه زهرة عمره، وجعله شغله الشاغل وهمه الدائب، واتخذ منه الصاحب والمأنس والملجأ، فلن يتخلى عنه القرآن[1] بل ينهض له شفيعاً، وخص من بين سور القرآن سورتي البقرة وآل عمران وبيَّن أنهما تُحَاجَّان عن صاحبهما يوم القيامة.

فالقرآن العظيم يشفع لصاحبه الذي كان يعمل به في الدنيا، وفي مقدمة ذلك سورة البقرة وآل عمران، تتقدمان في الشفاعة والذود عن حافظهما والعامل بهما خصوصاً، لكثرة ما تحويان من أحكام وأمور عظام، وهذا من أعظم فوائدالعمل بالقرآن[2].

لذا فإن أولى الناس بالعمل بالقرآن هم أهل القرآن، عملاً بما فيه وامتثالاً لأمره واجتناباً لنهيه وتحاكماً إليه والتزاماً بمنهجه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ص ٣٨٤.

(٢) انظر: هذا القرآن في مائة حديث نبوي، د. محمد زكي محمد خضر، ط/٢: ١٤٠٨هـ ص ٤٢.

يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[١] أي يتبعونه حق اتباعه ويعملون به حق عمله، وقيل يقرؤنه كما يجب من التدبر له والعمل به[٢] وحذر القرآن من عدم العمل بمقتضى القرآن فإن من كان هذا حاله كان شأنه شأن اليهودالذين ذمهم الله تعالى في عدم العمل بالتوراة وشبههم بما يتناسب مع جريمتهم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣] قال ابن القيم: فقاس سبحانه من حمّله كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهر قلب، فقراءته بغير تدبر ولا تفهم، ولا اتباع ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري مافيها وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا، فحظه من كتاب الله عز وجل كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤد حقه ولم يرعه حق رعايته[٤].

ثانياً- من آداب الداعية: البيان والتوضيح لفضل العمل بالقرآن الكريم وفضل سورتي البقرة وآل عمران:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم بالتبيين والتوضيح للناس قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٥] ومما يندرج تحت هذا البيان الواجب، بيان فضل العمل بالقرآن وفضل سورتي البقرة وآل عمران، كما ورد في الحديث "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما" ففي أول الحديث نصٌّ ﷺ على فضل القرآن كله والعمل به وأنه

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢١.

(٢) التسهيل لتأويل التنزيل، مصطفى بن العدوي ٥٩/١.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٥.

(٤) الأمثال في القرآن الكريم ٢٦، ٢٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

يشفع لصاحبه يوم القيامة، ثم خص من بين سور القرآن كله سورتي البقرة وآل عمران فإنهما تحاجان عن صاحبهما يوم القيامة[١] وضرب لهما النبي ﷺ مثلاً لمحاجاتهما وما يترتب على العمل بهما، وما يترتب على تركهما، خاصة سورة البقرة، فجاء عند مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزَهْراوين، البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان أو كأنهما غَيَايَتَان، أو كأنهما فِرْقَانِ من طيرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة[٢] [٣].

قال الإمام المازري: (قوله في البقرة وآل عمران: "فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طيرٍ صواف..." قال بعض أهل العلم: يكون هذا الذي يؤتى به يوم القيامة جزاء عن قراءتهما فأجري اسمهما على ما كان من سببهما كعادة العرب في الاستعارة، قال أبو عبيد: الغيابة: كل شيء يظل الإنسان فوق رأسه من السحابة والغبرة، ويقال: تفايا القوم فوق رأس فلان بالسيف كأنهم أظلوه به، قال غيره: والفرقان القطيعان[٤] ومن فضائل سورة البقرة "فإن أخذها بركة" أي في المواظبة على تلاوتها والتدبر في معانيها والعمل بما فيها منفعة عظيمة "وتركها حسرة" أي ندامة يوم القيامة، وقوله "ولا يستطيعها البطلة.." أي لا يقدر على تحصيلها أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وفسرها معاوية الراوي بالسحرة، لأن ما يأتون به باطل، سماه باسم فعلهم الباطل، أي لا يؤهلون بذلك ولا يوفقون له، ويمكن أن يقال: معناه: لا تقدر على إبطالها أي على صاحبها السحرة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٢) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي، يوسف بن عبدالله الحاطي ص ٢٥.

(٣) مسلم ٨٠٤.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٢٥١/١.

إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1])[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أحوال الناس يوم القيامة:

إن أحوال الناس يوم القيامة مع القرآن تختلف باختلاف قيامهم بحقه في الدنيا، وقد جاء في صريح الحديث شفاعة القرآن لأهله العاملين به "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا" كما يحمل الحديث في مضمونه عدم استحقاق هذه الشفاعة لمن ترك العمل بالقرآن، واتخذه وراءه ظهرياً كما جاء في صريح أحاديث أخر، روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ))[3] ومعنى الحديث أن من اتبع القرآن وعمل بما فيه، فإنه شافع له مقبول الشفاعة في العفو عن زلاته وسقطاته، فمن جعله أمامه بالعمل به قاده إلى الجنة، ومن ترك العمل به وجعله خلف ظهره، أثم على إساءته، ومصدَّق عليه فيما يرفع عن مساويه، وعند ذلك يسوقه إلى النار[4].

وقد ذكر القرآن كثيراً من الفوارق بين أهل القرآن العاملين به وبين غير العاملين به -بخلاف الشفاعة المذكورة في الحديث- منها:

أ- الرحمة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[5] وذلك وعد على اتباعه، وتعريض بالوعيد بعذاب الدنيا والآخرة إن لم يتبعوه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٢) انظر: موسوعة فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ١٨٤/٥، ١٨٥.

(٣) رواه الطبراني في الكبير ١٠٤٥٠/١٠، والبيهقي في الشعب ٢٠١٠/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨١٨/٢ حديث رقم ٤٤٤٣، والصحيحة حديث رقم ٢٠١٩.

(٤) انظر فيض القدير، الشوكاني، ٤٣٩٩/٨، وعظمة القرآن الكريم، محمودبن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٠٦، ٥٠٧.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥٥.

ب- الفلاح في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فقد شبه الله تعالى القرآن بالنور الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق ويتميز عن الباطل، ويُميِّز به بين الهدى والضلال والحسن والقبيح، وشبه حال المقتدى بهدي القرآن بحال الساري في الليل، إذا رأى نوراً يلوح له اتبعه، لعلمه اليقيني أنه يجد عنده منجاة من المخاوف وأضرار السير[2] فمن استجاب لهذا النور واتبعه وعمل بما فيه، فهو المفلح الفائز بالمطلوب في الدنيا والآخرة، الظافر بخيرهما والناجي من شرهما.

ج- تكفير السيئات وإصلاح البال:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[3] أي كفر عنهم سيئاتهم صغارها وكبارها، وإذا كفِّرت عنهم سيئاتهم نجو من عذاب الدنيا والآخرة[4] وأصلح شأنهم وحالهم في الدنيا عند أوليائه، وفي الآخرة أن أورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جناته[5].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب الإسلام وحض في آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية على تعاهد القرآن قراءة وفهماً، وتدبراً وعملاً، ببيان فضائل العمل بالقرآن الكريم، وحسن الجزاء في

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٨٠/٧.

(٣) سورة محمد، آية: ٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٩٢.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٩/٢٦/٩.

الدنيا والآخرة ومن ذلك ما جاء في الحديث من ترغيب النبي ﷺ في قراءة القرآن والعمل بما فيه ببيان شفاعة القرآن لأهله العاملين به يوم القيامة فقال ﷺ "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما" وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية أثراً لما فيه من التشويق إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله[1].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٩٤)

٩٩٤- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

يشرف العمل بشرف غايته، وتعلق عمل الإنسان بكتاب الله يجعله أفضل الأعمال ولذلك بدأ الرسول حديثه بهذا اللفظ الذي يداعب النفس بما تهوى، وتحب (خيركم)، لأنه علم على كل محبوب، وإضافته إلى كاف الخطاب، وميم الجمع، يجعل لخيرية مطلقة التفضيل، ولا ننسى أنه كان يخاطب خير الناس، ومن اسم موصول يشعر بالمدح، وبين تعلم، وعلم جناس يؤكد المعنى، ويقرره، والحديث يندب كل مسلم إلى أن يحقق هذه الخيرية بتعلم القرآن، وتعليمه بالقدر المستطاع حتى، ولو بتعليم بعض سوره، أو آياته خدمة لكتاب الله، ونشراً له، وخدمة لنفسه بالمشاركة في الثواب، والأجر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه.

ثانياً: من مصادر الدعوة: القرآن.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على تعلم القرآن وتعليمه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل تعلم القرآن الكريم وتعليمه:

إن في تعلم القرآن الكريم وتعليمه خيراً كثيراً وفضلاً جزيلاً، وذلك لما يعود على العالم والمتعلم من الأجر والمثوبة[2] ومن الدلائل على ذلك ما جاء في الحديث "خيركم

---

(١) برقم ٥٠٢٧. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠٩٦.

(٢) التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين، د. عبدالرحيم محمد المغذوي ص ٤.

من تعلم القرآن وعلمه" قال ابن حجر: (يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط، بل من أشرف العمل تعليم الغير، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه، وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعد، ولاشك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عني سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] والدعوة إلى الله تقع بأمور شتى، من جملتها تعليم القرآن، وهو أشرف الجميع)[2].

إن في تصريح النبي ﷺ في الحديث بخيرية متعلم القرآن ومعلمه "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" شهادة حق لأهل القرآن بأنهم خير الناس وأفضلهم، فخير الناس وأفضلهم من تعلم القرآن حق تعلمه، وعلمه حق تعليمه، قال العلماء: تعليم القرآن أفضل الأعمال، لأن فيه إعانةً على الدين، فهو كتلقين الكافر الشهادة ليسلم[3].

وقد أدرك السلف الصالح هذه الخيرية والأفضلية، التي يتميز بها معلم القرآن ومتعلمه، فحرصوا على بلوغها، ومن دلائل ذلك ما روى عن سعد بن عبيدة قال: وأقرأ أبو عبدالرحمن السلمي في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال أبو عبدالرحمن السلمي: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا. قال ابن حجر: ومعنى قول أبي عبدالرحمن السلمي "وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا"[4] أي أن الحديث الذي حدث به عثمان في أفضلية تعلم القرآن وتعليمه "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" حمل أبا عبدالرحمن أن قعد يعلم الناس القرآن لتحصيل تلك الفضيلة[5] وذلك من صفات المؤمنين الصادقين

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٩٤/٨.

(٣) التذكار في أفضل الأذكار، محمد بن أبي بكر القرطبي، دراسة وتحقيق: فؤاد أحمد زمرلي ص ١٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٩٧/٩.

المتبعين للرسول ﷺ فهم يحرصون على تعليم الآخرين وإرشادهم لهدي القرآن، كما منَّ الله بذلك عليهم، وطلباً لرضا الله ومثوبته.

ثانياً- من مصادر الدعوة: القرآن:

إن القرآن الكريم هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، ومن ثم فهو المصدر الرئيس للدعوة، لذا كانت رعاية القرآن خير الأعمال والقائمين عليها هم خير المؤمنين، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ في الحديث فقال "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" فالقرآن كتاب هداية يهتدي به من قرأه أو حفظه وتدبر معانيه واتعظ بما فيه، به تفتح مغاليق القلوب وتستنار به الأفئدة، ويقاد به الناس إلى الوقوف عند حدوده والعمل بما فيه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1] وله من روعه التنزيل وجلال الأحكام والمواعظ، ما تتصدع منه الجبال الرواسي، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2][3].

فالقرآن هو مصدر الهدى، ومشع العلم، وأحسن الحديث، أنزله الله على رسوله ﷺ مثاني تقشعر منه جلود المؤمنين وتلين به قلوبهم، متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه إلى أعلى درجات البلاغة[4]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[5].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

(٢) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، ط/٤، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ٤٢-٤٤.

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤/٤٥٨.

(٥) سورة الزمر، آية: ٢٣.

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على تعلم القرآن وتعليمه:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الدعوة إلى تعلم القرآن وتعليمه، وبيان فضل ذلك، كما جاء في الحديث "خيركم من تعلم القرآن، وعلمه" إذ أن القرآن خير الكلام فمتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة إلى خيرية القرآن وفي ذلك حث على تعليم القرآن[١].

قال ابن كثير: (والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه، وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكمل في أنفسهم المكملين لغيرهم، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون، ولايتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع[٢] كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾[٣] فينبغي أن يحرص المسلمون على طلب الثواب الأخروي، والترقي إلى منزلة الخيرية في تعلمهم وتعليمهم لكتاب الله تعالى، وأن يجتهدوا في ذلك[٤].

ولا ريب أن تعليم الناس القرآن العظيم من النفع المتعدي، وهو مما يلحق المعلم من عمله الصالح وحسناته بعد موته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ. وَمُصْحَفاً وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ أَوْ بَيْتاً لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٥] وتعليم الناس القرآن الكريم داخل في عموم الدلالة على الخير لقوله ﷺ ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٦].

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٦٩٤/٨، ٦٩٥.

(٢) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٢٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢٦.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٩٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨).

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

والمراد بـ "مثل أجر فاعله" أن له ثواباً بذلك الفعل، كما أن لفاعله ثواباً، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء[١] وذلك لأن أعمال الخير والتعليم عامة فكيف بتعليم آيات القرآن، وذلك من الآثار الحسنة التي تكتب في ميزان مُعلِّم القرآن، لأنه كان السبب المباشر في تعليمها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾[٢] أي نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، والتي تسببوا فيها بإتيان غيرهم لها، ويشهد لهذا، قوله ﷺ ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[٣] (فكل خير عمل به أحدٌ من الناس بسبب علم العبد وتعليمه، أو نصحه، أو أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، أو علم أودعه عند المتعلمين، أو في كتب ينتفع بها في حياته وبعد موته، أو عمل خيراً من صلاة أو زكاة أو صدقة أو إحسان فاقتدى به غيره، أو عمل مسجداً أو محلاً من المحال التي يرتفق بها الناس وما أشبه ذلك، فإنها من آثاره التي تكتب له وكذلك عمل الشر)[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٦٠.

(٢) سورة يس، آية: ١٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤١٦.

الحديث رقم (٩٩٥)

٩٩٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الَّذِي[1] يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ماهر به: حاذق كامل الحفظ لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه[3].

السفرة: هم الملائكة جمع سافر، والسافر في الأصل: الكاتب، سمي به لأنه يبين الشيء ويوضحه[4].

البررة: جمع بارٍّ: المطيعون من البر وهو الطاعة[5].

يَتَتَعْتَعُ فيه: يتردد في تلاوته لضعف حفظه، ويتبلد فيها لسانه[6].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل قراءة القرآن يبين فضل قاريء القرآن في الآخرة، والحديث أسلوبه خبري يجري مجرى الخبر المعلوم الذي لا يجهل فلم يؤكد؛ لأنه قابل به خالى

---

(١) لفظ البخاري: (مثل الذي) بزيادة: (مثل).

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨/٢٤٤.

تنبيه: الشطر الأول من الحديث لفظ البخاري، والشطر الأخير، هو لفظ مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ف ر)، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ت ع ت ع).

الذهن من الخبر، وقوله (يقرأ القرآن) جناس يوضح المعنى، ويلقي الضوء على لب الحديث، وهو قراءة القرآن، وقوله: (وهو ماهر به) الضمير يفيد الاختصاص، والعناية، والتعبير بكلمة (ماهر) يوحي بالإتقان، والإجادة، كما يشير من طرف خفي إلى كثرة قراءة القرآن، وطول ملازمته التي أوصلته إلى هذه المنزلة، لأن الإنسان لا يصل إلى درجة المهارة في شيء حتي يستنفذ فيه جهده، ويبذل فيه وقته، كما أن المهارة تعني الإحاطة بكل جوانب الصنعة حتى يتسنى إتقانها فيعلم أحكام تلاوته، ومخارج حروفه، والوقف والابتداء، وغيرها مما يتعلق بقراءة القرآن، ، ولفظ السفرة يوحي بالكشف، والسافر الرسول لأنه يسفر للناس أي يظهر، ولأن الماهر صار كاشفاً لجانب من جمال القرآن في التلاوة، وناقلا لما جاء به الرسول من وحي الله بمهارته فيه، والكرام أي المكرمين عند الله لأن الله يكرم حامل القرآن لأنه بحفظه في صدره صار هذا الحافظ وعاءً لكتابه، وكتابه مكرم فكرم حامله، والتعبير بالبر يدل على جماع الخير، وكثرة قراءة القرآن التي وصلت به إلى مرحلة المهارة أثمرت حسنات لا تحصى كثرة ارتقت به إلى مثل عملهم الذي هو خير صرف وهو البر، والتعبير بلفظ (يتتعتع) يصور جزءاً من المعنى الذي يوحي به اللفظ بجرسه ووزنه، وهو المشقة، وصعوبة النطق، والمعاناة في القراءة، ولذلك كان له أجران للقراءة، والتعتعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل وثواب الماهر بالقرآن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى ملازمة القرآن.

ثالثاً: من آداب الداعية: الحث على تعلم القرآن وإجادته.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل وثواب الماهر بالقرآن:

جاء في الحديث تصريح رسول الله ﷺ بعلو درجة الماهر بالقرآن وارتفاع منزلته، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، أي: أن القارئ الماهر بالقرآن المجيد لحفظه على ما ينبغي، بحيث لا يتشابه ولا يقف في قراءته، مع السفرة الكرام البررة، قال ابن حجر: (قال ابن التين: معناه كأنه مع السفرة فيما

يستحق من الثواب)[١]، وقال النووي: (قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة، أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة، لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، وقال: ويحتمل أن يراد أنه عاملٌ بعملهم وسالك مسلكهم)[٢].

وتلك بشارة عظيمة لمن تعلم القرآن وأتقن تلاوته وأكثر منها، حتى أصبح ماهراً، فهو مع السفرة لاتصافه بصفتهم التي تشرفوا بها واضطلعوا بها وهي حمل كتاب الله وتبليغه[٣].

كما أشار إلى ذلك الحديث، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، قال القاضي: "يريد الملائكة، قال ابن الأنباري: سُمُّوا بذلك لأنهم ينزلون بوحي الله وما يقع به الصلاح بين الناس، فشبهوا بالسفير الذي يصلح بين الرجلين، وقال ابن عرفة: سموا بذلك لأنهم يسفرون بين الله وأنبيائه عليهم السلام، وقيل سفرة: كتبة، وسمي الكاتب سافراً لأنه يبين الشيء ويوضحه، والأسفار: الكتب، والماهر: الحاذق بالقراءة وأصله الحذق بالسباحة، وقال المهلب: المهارة جودة القراءة بجودة الحفظ، ولا يتردد فيه، يسره الله عليه كما يسره على الملائكة، فهو معها في مثل حالها من الحفظ وفي درجة واحدة إن شاء الله، ووصول المسلم إلى هذه الدرجة يحتاج إلى عمل وصبر متواصل حتى ينالها"[٤]، وقال القرطبي: "ولا يكون ماهراً بالقرآن حتى يكون عالماً بالفرقان، وذلك بأن يتعلم أحكامه، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، ويعرف المكي من المدني، ليفرق بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض في أول الإسلام وما زاد عليهم من الفرائض في آخره، ويعرف الإعراب والغريب، فذلك الذي يسهل عليه معرفة ما يقرأ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٢/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٦.

(٣) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٦.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٦٦/٣.

ويزيل عنه الشك فيما يتلو، ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن النبي ﷺ، فبها يصل إلى مراد الله تعالى، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الدعوة إلى ملازمة القرآن:

من فضل الله وكرمه أن كل من أقبل على القرآن تلاوة وتدبراً، فلن يحرم من الأجر سواء أكان ماهراً بالقراءة أم متتعتعاً فيه شاقاً عليه[٢]، فقال ﷺ: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)، وفي هذا الحديث إيحاء قوي بأن المسلم لا ينبغي له في أي حال من الأحوال أن ينصرف عن تلاوة القرآن، سواء كان من المهرة المتقنين المتمكنين من التلاوة أم كان ضعيف القدرة على تحصيل ذلك فيتخذ ضعفه حجة في الإعراض عن التلاوة، ولا ريب أن كثرة الممارسة والمحاولة الجادة، ستؤدي إلى حُسن التلاوة، وربما حسن الحفظ فيما بعد، وهو أمر مُجَرَّب يسير على من يسره الله عليه ووفقه لذلك"[٣].

فمن طلب حفظ القرآن وجدّ فيه يسره الله له وأعانه عليه، فإن من أعظم نعم الله على عباده أن يسر لهم حفظ القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٤]، "أي سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه، فهل من طالب لحفظه فيُعان عليه وهل من متعظ به حافظ له؟ والاستفهام هنا بمعنى الأمر أي احفظوه واتعظوا به"[٥]، والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله تبارك وتعالى أكد تيسير حفظ القرآن بكثير من المؤكدات، والواقع المشاهد يصدق هذا التيسير، فقد حفظ القرآن حفاظ لا يحصون عدداً في كل جيل ومن كل قبيل، لا يخطئ أحدهم في كلمة ولا حرف، سواء كانوا عرباً أم عجماً، وأكثر الحفاظ العجم لا يعرفون من العربية شيئاً

---

(١) التذكار في أفضل الأذكار، القرطبي ص ٨٣، نقلاً عن عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٧.

(٣) انظر: أنوار القرآن، مصطفى الحمصي، ط/١، مكتبة الغزالي، دمشق: ١٤٢٣هـ ص ٩٣ - ٩٨.

(٤) سورة القمر، آية: ١٧.

(٥) تفسير الجلالين لال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلى، ابن حزم ص ٧٠٦.

وربما قرأ الواحد منهم القراءات السبع والعشر عن ظهر قلب[١]، وقد عدّ أبو الحسن الماوردي هذا الأمر وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم وخصائصه التي تميز بها فقال: (من إعجازه تيسيره على جميع الألسنة، حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ولا يُحفظ غيره من الكتب كحفظه)[٢].

ثالثاً- من آداب الداعية: الحث على تعلم القرآن وإجادته:

من الآداب الواجبة على الداعية حث المدعوين على تعلم القرآن والاهتمام به كتابة وقراءة، ضبطاً وحفظاً، طلباً للأجر ورفع المنزلة كما جاء في الحديث: (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة)، ولقد اهتم الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن وضبطه، واشتهر عدد منهم بتميزهم وبضبطهم للقرآن،وقد أوصى الرسول ﷺ بأخذ القرآن عن بعض هؤلاء الضابطين[٣]، فقال ﷺ: ((خُذوا القرآنَ من أربعة، من عبد الله بن مسعود وسَالِمٍ ومُعاذٍ وأبيّ بن كعبٍ))[٤]، ولقد جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ النصوص الكثيرة التي تحث على حفظ القرآن الكريم وتلاوته وإجادته فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٥]، وقوله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ولامٌ حَرْفٌ وَميمٌ حَرْفٌ))[٦]، وغير ذلك من النصوص التي تحث على العناية بحفظ القرآن والتسابق في قراءته واستظهاره وإجادة ضبطه"[٧].

---

(١) انظر: كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها، د. نور الدين عتر ص ٨٣ - ٨٤.

(٢) أعلام النبوة، على بن محمد الماوردي ص ٦٩

(٣) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، يوسف بن عبدالله الحاطي ص ٣٨ - ٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٤٩٩٩.

(٥) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٩١٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٧).

(٧) نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ﷺ، د. عبدالودود مقبول ضيف ص ٥٧.

إن تعلم القرآن وتعليمه خير من كنوز الدنيا، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ. فَقَالَ: ((أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟)) فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: ((أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ. وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ. وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ. وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ؟))[1]، والحاصل من هذا الحديث أن الرسول ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم من الفانيات، فذكر هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر مِنْ أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى، أو بثوابها من الدرجات العلى[2]، وسبب التمثيل بالإبل أنها كانت أعز وأثمن أموال العرب في صدر الإسلام، لا يملكها إلا الأغنياء منهم، فرغب النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم إلى ما هو أفضل من ذلك بأن يكون لهم رصيد من الحسنات عند الله عز وجل أعظم من الإبل عند أصحابها في الدنيا، وذلك بأن يتعلموا كلام الله تعالى، فكل آية يتعلمها المسلم هي في ميزان حسناته، أفضل من ناقة عظيمة السنام، سالمة من العيوب لو تصدق بها[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٠٣.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٦٠.

(٣) انظر: الأحاديث والآثار الواردة في فضل سور القرآن، د. إبراهيم علي السيد علي عيسى ص ٣١ - ٣٢.

الحديث رقم (٩٩٦)

٩٩٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ: ريحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الأُتْرُجَّة: قال الزبيدي: الأترج هو أحلى ثمر العرب[2].

الريحانة: جنس من النبات طيب الرائحة مر الطعم[3].

الحنظلة: نبت مفترش، ثمرته في حجم البرتقالة ولونها، فيها لب شديد المرارة[4].

الشرح الأدبي

بدأ ﷺ بأسلوب خبري يتسم بالتشويق، والطرافة حيث بدأ بكلمة (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والأشرف، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه قال الإمام العيني: "أن المثل له مفهوم لغوي، وهو النظير ومفهوم عرفي، وهو القول السائر، ومعنى مجازي، وهو الحال الغريبة[5]. وهي حال نطقها تستدعي أكثر هذه المعاني، وتبشر

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤٢٧، ومسلم ٧٩٧/٢٤٣ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٠٢.

(٢) تاج العروس في (ت ر ج).

(٣) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ي ح).

(٤) المرجع السابق في (ح ن ظ ل).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين العيني، مراجعة: صدقي جميل العطار٢/٢٠.

بالخبر الطريف الذي يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً لمعرفته.وقد اشتمل الحديث على ثلاثة أمثال الأول: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ) وهوتشبيه للمؤمن بهذه الثمرة حلوة الرائحة، والطعم في إشارة إلى أنه طيب الظاهر، والباطن كما أن التشبيه بالرائحة يشير إلى سرعة الانتشار، ووصف الريح بالطيبة يشير إلى كثرة الخير من هذا المؤمن القاريء للقرآن له، ولمن حوله كما أن الرائحة تفيده، وتفيد غيره، المثل الثاني: في قوله تعالى (وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ) وهو تشبيه للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة، ووجه الشبه حلاوة الطعم، وتشير في جانب المؤمن إلى جانب الخير المنبعث في قلبه من إيمانه بالله مع جانب نقص عن مثال سابقه نتج عن عدم قراءة القرآن، وفي ذلك بيان لقيمة الإيمان الذي سكن قلبه، وبيان لقيمة القرآن الذي لم يحذ فضله وقوله (كمثل) الكاف أداة التشبيه، ولفظ مثل بمعنى الحال، والصفة، والجمع بينهما للدلالة على تشبيه الهيئات، والأحوال، إذ لو دخلت (الكاف) على كلمة (التمرة) لتُوهِّم بادئ الرأي مشبهاً به أفراداً، والمثال الثالث في قوله (وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ) وهو تشبيه للمنافق بالحنظلة في مرارة الطعم وانعدام الرائحة فباطنه فاسد، وظاهر لا خير فيه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل المؤمن القارئ للقرآن.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أحوال المنافقين مع القرآن الكريم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: حث المؤمنين على قراءة القرآن وتدبر معانيه.

أولاً- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

إن على الدعاة أن يقتفوا أثر النبي ﷺ في دعوته، فيختاروا الأسلوب المؤثر الذي يقرب المعنى إلى أذهان المدعوين من غير عناء ولا تكلف، ومن هذه الأساليب ضرب الأمثلة المؤثرة في توجيه المدعوين وتقريب المعنى إلى أذهانهم، وقد ورد ضرب المثل في

الحديث أربع مرات، في قوله ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة... ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن..)، قال الطيبي: (قال التوربشتي: ... ثم إنه ﷺ ضرب المثل عما ينبته الأرض، ويخرجه الشجر، للمشابهة التي بينها وبين الأعمال، فإنها من ثمرات النفوس، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة والتمر بالمؤمن، وما ينبته الأرض من الحنظلة والريحانة بالمنافق، تنبيهًا على علو شأن المؤمن، وارتفاع عمله، ودوام ذلك، وتوقيفًا على ضعة شأن المنافق، وإحباط عمله، وقلة جدواه.

وأقول -أي الطيبي- إن هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة، وضع لموصوف اشتمل على معنى معقول صرف، لا يبرز عن مكنونه إلا تصويره بالمحسوس المشاهد. ثم إن كلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره، وإن العباد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ. ومنهم من لا نصيب له البتة، وهو المنافق الحقيقي، ومن تأثر ظاهره دون باطنه، وهو المرائي، أو بالعكس، وهو المؤمن الذي مذكور في الحديث. ولم يجد ما يوافقهما ويلائمهما، أقرب ولا أحسن، ولا أجمع من ذلك؛ لأن المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاصر، لأن الناس إما مؤمن، أو غير مؤمن.

والثاني: إما منافق صرف، أو ملحق به، والأول: إما مواظب على القراءة، أو غير مواظب عليها. فعلى هذا قس الأثمار المشبه بها. ووجه التشبيه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين: طعم وريح[1].

فضرب المثل في هذا الحديث من عوامل جذب انتباه المدعوين؛ فالناس لما قسمهم الرسول ﷺ أربعة أنواع، والسامعون يرهفون السمع وحاسة التصوير يريدون أن يتعرفوا هذه الأقسام الأربعة ليوازنوا بينها، ويحددوا في أي صنف يكونون ... وهذه الموازنة تجعلهم يرغبون بالتعرف على سمات كل طائفة، ثم ينضمون إلى الطائفة الموجودة[2].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢١٩/٤.

(٢) التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي ص ٣١، ٣٢.

وقد استخدم ضرب المثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد ورد في القرآن ثلاثة وأربعون مثلاً، ومنها قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾[1]، وضرب الأمثال ضرب سامٍ من فصيح الكلام، جرى عليه القرآن والسنة لتأكيد معنى أو بيان غاية، فالمثل تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر، وضرب المثل من أعلى درجات البلاغة، قال إبراهيم النظّام: يجتمع في المثل أربعة، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة المعنى، فهو نهاية البلاغة"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل المؤمن القارئ للقرآن:

ذكر النبي ﷺ في الحديث المؤمن الذي يقرأ القرآن، وضرب له المثل بأنه في أعلى الدرجات وأعلى المراتب، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)، فضرب له المثل بالأترجة لطيب قلبه وثباته على الإيمان واستراحته بقراءة القرآن، واستراحة الناس بصوته، وثوابهم بالاستماع إليه والتعلم منه، قال ابن حجر: "قيل: خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للجوهر من الريح، فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، وقيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة، لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل: إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم ولها منافع كثيرة، فاشتركت الحواس الأربع في الاحتفاظ بها: الشم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب ص ٢٨ - ٣٣، ١٧٣ - ١٧٤.

والبصر والذوق والمس، وفيها من المنافع ما هو مذكور في كتب الطبيات"[١].

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ في الحديث المثل لأحوال المؤمنين مع القرآن الكريم فمنهم المؤمن الذي يقرأ القرآن، فهو طيب الظاهر والباطن كالأترجة في طيِّب طعمها ورائحتها، وكما أن المؤمن يستريح ويُسرُّ بتلاوة القرآن، فكذلك الناس من حوله يُسرُّون بصوته والاستماع له، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب)، أما المؤمن الذي لا يقرأ القرآن فإنه يفقد صفة مهمة وهي طيب الظاهر"[٢]، فمثله كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها (ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو).

وبهذا قسم النبي ﷺ المؤمنين في تعاملهم مع القرآن إلى صنفين:

فأولهما: شخص أو فريق ملأ الإيمان قلبه، وفاض على جوارحه، فهو بالله موقن وبرسوله مؤمن، وبكتابه مصدق، وبدينه عامل. جعل لنفسه حظاً من القرآن، يتلوه آناء الليل في تهجده، أو مضجعه، أو جالساً على فراشه أو مكتبه، ويتلوه في ساعات النهار قائماً وقاعداً، راكعاً وساجداً، كلما سنحت له فرصة لقراءته انتهزها حتى لا يغفل قلبه عن ذكر الله، فتخطفه الشياطين وتضله عن سواء السبيل.

وليست قراءته من طرف لسانه وشفته، وحنجرته، بل قلبه الذي يقرأ ولبه الذي يردد. ولذلك أثمرت الخشية والهداية، وأنتجت العمل والاستقامة، فهذا مثله الرسول ﷺ بالأترجة ذات الطعم اللذيذ، والرائحة الطيبة، فإن بَلَوْتَه واختبرته وعاشرته وعاملته، لم تجد إلا امرءاً وفياً براً تقياً، يقدس الحق تقديساً، ويشنأ الباطل مشناً، وإن شممته فرائحة طيبة، ذكية عبقة، تحيي القلوب وتنعش النفوس، وتذكي العقول، وكيف لا تكون كذلك وهي نفحة القرآن ومسكه، الذي انبعث من لسانه الرطب المعطر، وقلبه الحي المطهر.

وثانيهما: شخص أو فريق بالقرآن مؤمن، وبأحكامه عامل، وبإرشاده مهتدٍ،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦٨٤/٨ - ٦٨٥، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١١٩٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٢ - ٤٦٣.

وبأخلاقه متخلق، ولكن لم يؤت القرآن تلاوة وحفظاً، وإن أوتيه تطبيقاً وعملاً، فهذا كالتمرة حلو الطعم لذيذه، وطيب الخلق جميله، صادق النية حسن الطوية، أما الرائحة فمفقودة، إذا لم يطيب بمسك القرآن، وإن غسل قلبه بماء السلسبيل[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أحوال المنافقين مع القرآن الكريم:

المنافق بين حالين أحسنهما سيء، لأنه سيء الباطن، ولو حاول التظاهر بصفات أهل الإيمان وشاركهم بقراءة القرآن، فإن هذه القراءة عمل ظاهري يقصد به خداع الناس والتمويه عليهم، فمثله كمثل الريحان، قد يغتر الجاهل بطيب رائحتها، فإذا أكل منها ذاق المر والعلقم، وكذلك المنافق إن عاملته وعاشرته تذوقت مرارته وكشفت حقيقته، قال ابن بطال: "إن قراءة الفاجر والمنافق للقرآن لا ترتفع إلى الله ولا تزكو عنده، وشبهه النبي ﷺ بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره، فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب، (ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر)، وإذا كان هذا حال المنافق الذي يقرأ القرآن، فما الظن بالمنافق الذي لا يقرأ القرآن، قد جمع إلى مرارة الطعم خبث الرائحة"[2]، فقال ﷺ: (ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر).

وبذلك بيّن النبي ﷺ أحوال المنافقين مع القرآن بالبيان والتمثيل بأنهم صنفين:

أولهما: فاجر أو منافق ليس له من الإيمان إلا اسمه ولا من الدّين إلا رسمه، يقرأ القرآن، وقد يجيد حفظه، ويتقن طرقه ويعرف قراءته وتوقيع ألفاظه ونغماته، ولكن لا تجاوز التلاوة حنجرته، ولا تعدو ترقوته، فإن بلوته تكشف لك عن قلب أسود، وفؤاد مظلم، وخلاق مر، وعمل ضر، وهذا مثله الرسول ﷺ بالريحانة، وإن شممت فرائحة ذكية. وإن ذقت فمرارة لذعة، كذلك هذا يقرأ القرآن فتستريح له النفوس كما تستريح للرائح العطرة، ولكن قلبه ونفسه منطويان على السوء، تذوق مرارته؛

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٥٧/١٣، عظمة القرآن، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

وتحس قذارته؛ إن عاشرته أو عاملته.

ومثل هذا لا أثر للقرآن في نفسه، لأن فجوره ونفاقه ختم على قلبه، فلا تؤثر فيه نصيحة ولا تنجح معه موعظة.

ثانيهما: منافق أو فاجر لا صلة له بالقرآن، لا علماً ولا عملاً، ولا تلاوة ولا حفظاً، وهذا شبهه الرسول ﷺ بالحنظلة، لا ريح لها وطعمها مر، بشع كذلك، هذا يحمل نفساً خلقت من الفجور، ونبتت في النفاق، إن تذوقها الناس آذت ألسنتهم ودنست نفوسهم؛ ولا يشم منه خير؛ إذ حرم من طيب الطيوب، وعطر العطور" كتاب الله؛ جلاء العيون. وشرح الصدور. وحياة النفوس، وطب القلوب. وشنف الآذان وسراج الألباب[1].

رابعاً- من أهداف الدعوة: حث المؤمنين على قراءة القرآن وتدبر معانيه:

إنّ من أهداف الدعوة الرئيسة حث المؤمنين على ملازمة القرآن والعناية به قراءة وتدبراً وعملاً، فلا يجوز أن ينفصل المؤمن عن القرآن، فيصبح المؤمن في وادٍ والقرآن في واد، فتلك هجرة مذمومة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[2]، وفي الحديث ضرب النبي ﷺ الأمثال لأحوال الناس مؤمنين ومنافقين مع القرآن، وفي ذلك دعوة إلى كل مؤمن أن يتكامل باطنه مع ظاهره، ومخبره مع مظهره واعتقاده مع سلوكه، ولا يتحقق ذلك إلا بملازمة المؤمن لتلاوة القرآن وتدبره، والعمل به"[3]، فقال ﷺ: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة...)، قال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة لحاملي القرآن، وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دل عليه"[4].

فإن العبرة ليست بقراءة القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يُقرأ.

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٠٢.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٣) أنوار القرآن، مصطفى الحمصي ص ٨٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦٨٥/٨.

وقد ندد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[1].

وإن الذي يقرأ القرآن بلا فهم كالمذياع يرتل قرآناً دون أن يفهم مما رتّل شيئاً، وهو مخالف لهدف القرآن العظيم، فآيات كثيرة تشير إلى أن القرآن يُتلى لعلنا نتفكر، لعلنا نتدبر، لعلنا نعقل، لعلنا نُبصر، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

أما الذي تسمع أذنه ولا يسمع عقله، أو تنظر عينه ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره، فهو أصم أبكم أعمى. قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[5]، وفي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون، لا يحرك فيهم ساكناً، تماماً كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكناً إذ يبقى المُطفف مطففاً، ويبقى الكاذب كاذباً، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذمّ الله هؤلاء المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٤٢.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٤.

(٤) سورة يوسف، آية: ٢.

(٥) سورة يونس، آية: ٤٣.

يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم[١].

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٢]، قال سفيان بن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن"[٣].

فعلى المسلم أن يحرص على تلاوة القرآن، وفهمه وتدبره والعمل بمقتضاه، حتى ينال رضا الله، وخيري الدنيا والآخرة.

---

(١) يعلمهم الكتاب - التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعّال ص ٢٠ - ٢١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ٢/٤٨٠.

الحديث رقم (٩٩٧)

٩٩٧- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوب خبري يمتاز بإيجاز القصر حيث المعاني الكثيرة، في الألفاظ القليلة، ومعناه يدور حول فعل القرآن في الناس، لأنه المنهج الحاكم لتصرفاتهم، والميزان الذي تعرض عليه أعمالهم، ومن تعلق به ارتقى، ومن تركه هوى، حامله مقدم في أجل المواقف في الحياة في أهم العبادات، في الصلاة، وفي بقية العبادات، وفي القضاء بين الناس، وغيره، وفي الممات مقدم عند الدفن، وفي المنزلة العالية عند الله بل، ومعه سبعين من أهله كرامة له، والحديث أسلوبه خبري مؤكد بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وقوله (يرفع بهذا) دلالة الفعل على الرفعة، والعلو تشير إلى مدى ما يصل إليه فضل القرآن ارتقاءً بالمؤمن في درج الشرف، والباء المتصلة باسم الإشارة للسببية، والإشارة للمدح، والتعظيم، و (ال) في الكتاب للعهد أي المعهود وهو القرآن الكريم، وتنكير الأقوام لعدم إرادة التعيين فيشمل الحكم أي فرد يكون ماهراً بكتاب الله عالما بحدوده عاملا بأحكامه، ومقابلة الرفع بالوضع توضح المقصود، وتجلي أبعاد المعنى ببيان تأثير القرآن بين رفع مكانة الناس، أو خفضها.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أهل القرآن وخاصته والعاملين به.

---

(١) برقم (٨١٧/٢٦٩).

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب...)، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقان الداعي بدعوته، وحمل المدعوين عليها وعلى الاقتناع بها، فإن التوكيد له أثر بالغ في استقرار الأحكام وثبات العقائد، وقد ورد أسلوب التوكيد كثيراً في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1].

ويتأتى ورود التأكيد إذا كان المخاطب متردداً في الحكم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذا الحال يحسن توكيده له، ليتمكن من نفسه، أو أن يكون له منكراً وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً" [2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة أهل القرآن وخاصته والعاملين به:

إنّ العمل بالقرآن الكريم هو ذروة حقوق القرآن وسنامها، وهو الغاية من تنزيله[3]، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[4]، فإذا ما أقبل الإنسان على القرآن قراءة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتعليماً رفعه الله إلى أعلى عليين، إلى أرفع الدرجات وأعلى المراتب،وكما أشار النبي ﷺ إلى ذلك في الحديث فقال: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)، وذلك في الدنيا والآخرة، ومثال ذلك في الآخرة ما روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُقَالُ

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) البلاغة الواضحة، علي الجارم، ومصطفى أمين ص ١٨٨.

(٣) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد صالح الدوسري ص ٥٩٩.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥٥.

لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا))[1]، ومثال ذلك في الدنيا تقديمه على غيره في إمامة الصلاة ونحوها، فعن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآناً))[2]، وذلك مقام من مقامات الأفضلية لأهل القرآن.

إن قارئ القرآن العالم بأحكامه، رفيع القدر عظيم المنزلة، يفوق غيره وإن كان أشرف منه نسباً أو أعظم جاهاً، وذلك في كل شيء حتى في القبور قارئ القرآن وحافظه مقدم على غيره، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كانَ النبيُّ ﷺ يَجْمَعُ بينَ الرجُلينِ من قَتلى أُحُدٍ في ثَوبٍ واحدٍ ثم يقول: ((أيُّهم أكثرُ أخذاً للقرآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدهما قَدَّمَهُ في اللّحد وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاء يومَ القيامةِ))[3].

قال ابن حجر: "وفيه فضيلة ظاهرة لقارئ القرآن، ويلحق به أهل الفقه والزهد وسائر وجوه الفضل"[4].

ومع أن مقام الشهادة فوق كل مقام، ومع أن النبي ﷺ شهد لقتلى أُحد عند الله تعالى بالصدق فيما عاهدوا عليه، وشهد لهم بالجنة، إلا أنه في غمرة هذه الفضائل للشهداء، لم ينس ﷺ الشهيد الأكثر حفظاً للقرآن في تقديمه في اللحد.

فصاحب القرآن، والأكثر أخذاً للقرآن له الأفضلية حتى بين الشهداء، لعظمة القرآن الذي في صدره، وما تقديم الرسول ﷺ له في اللحد إلا رمزٌ لتقدمه على من سواه من الشهداء في الأجر والثواب، وفي المكانة والجنة.

وإذا كان التفاضل بالقرآن بين الشهداء، فالتفاضل به بين الأحياء لا شك أكبر وأعظم: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[5]، فليتأمل المسلم هذا الأمر جيداً، ويقف عنده طويلاً، ومن ثم يقوده للعناية بالحفظ والإكثار منه والصبر عليه.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٦٤، وقال عنه الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ١٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري ٤٣٢٠

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢١٣/٣.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن:

في الحديث إيحاء قوي بأن المسلم لا ينبغي له في أي حال كان أن ينصرف عن القرآن، فإن ذلك سبب للضعة والشقاء، فقال ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ))، فمن لم يعمل بأحكام القرآن ولم يأتمر بأمره، ولم ينته بنهيه، فمثل هذا يضعه الله في الدنيا والآخرة، ولا بد أن يكون أمره خُسراً، حتى لو فرض أن الدنيا دانت له وتزخرفت، فإن مآله إلى الخسران - والعياذ بالله - [1]، ولقد حذرنا الله من التشبه باليهود في إعراضهم عن العمل بالتوراة، فكان ذلك سبباً في شقائهم، وهو أنهم اكتفوا بقراءة التوراة وسماعها دون أن يتبع ذلك عمل، فشبههم الله تعالى بالحمير، فقال: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2]، فهؤلاء حملوا التوراة، أي: "علموها وكلفوا العمل بها، ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها، كمثل الحمار يحمل كتباً يتعب في حملها ولا ينتفع بها"[3]، ولا حظ لهم منها إلا الحمل دون علم ولا فهم[4].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغّب النبي ﷺ في ملازمة القرآن والعمل به بعلو المنزلة، ورهّب من هجره والإعراض عنه بالضعة والهوان، فقال ﷺ: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)، وأسلوب الترغيب والترهيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيراً، ففي الترغيب تشويق للمدعوين إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفي الترهيب تحذير من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤١/٢.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٥.

(٣) روح المعاني، الألوسي ٢٩/٢٨.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ١٢٤١/٢٧/١١.

قبوله، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبَلِ الداعية المسلم[1].

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (٩٩٨)

٩٩٨- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

"والآناء": الساعات.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الآناء: جمع آنٍ: الوقت والحين[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة،

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٢٩، ومسلم ٨١٥/٢٦٧، وتقدم برقم ٥٧٢. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ي ن).

والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٧٢).

الحديث رقم (٩٩٩)

٩٩٩- وعن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو[1]، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: ((تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلقُرآنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

"الشَّطَنُ" بفتح الشين المعجمة والطاء المهملة: الحَبْلُ.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

شطنين: الشطن: الحبل[3].

فتغشته: غطته وعلته[4].

ينفر منها: يفرُّ ويذهب[5].

السَّكينةُ: الرحمة[6].

الشرح الأدبي

الحديث يروي في أسلوب خبري قصة تحكي أثر القرآن في تنزل السكينة، وقوله (كان رجل) يشير إلى قصة سابقة، وأحداث متحققة، وتنكير كلمة رجل لعدم تحقق غرض بتعريفه، والتعبير بالفعل المضارع يستحضر القصة على هيئتها حال الحدث

---

(١) عند البخاري زيادة: (وندنو) مرتين، ولفظ مسلم: (تدور وتدنو).

(٢) أخرجه البخاري ٥٠١١، ومسلم واللفظ له ٧٩٥/٢٤٠.

(٣) رياض الصالحين ٣٨٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ش ي).

(٥) المرجع السابق في (ن ف ر).

(٦) المرجع السابق في (س ك ن).

والظرف عند يهيأ مكان الحدث كما حدد زمانه بالفعل الماضي (كان) لأنه لابد لكل حدث من زمان، ومكان يذكر إن تعلقت بذكره فائدة، ويترك إن لم يتعلق بذكره غرض، والتعبير بلفظ (تغشته) يوحي بالإحاطة، وعظم الخطب، وقوله (فجعلت تدنو) وهو الحدث الغريب في القصة لأن المعهود أنها ظواهر تحكمها ظروف طبيعية معينة لا تخرج منها إلا على وجه الكرامة لولي كما في الحديث أو الإعجاز لنبي كما حدث مع الرسول ﷺ قبل بعثته إرهصاً لنبوته، والتعبير بالفعل (جعل) قبل الفعل (يدنو) يشير إلى التدرج في النزول، وقبل الفعل (ينفر) وقابلها بالتدرج في حركة الفرس نفوراً مما يرى ليصور رد فعل الفرس تجاوبا مع المشهد، وقول الرسول ﷺ (تلك السكينة) الإشارة للتعظيم، ولفظ السكينة يوحي بالطمأنينة، والسكون، والراحة التي يبعثها القرآن في القلب، وفي المكان.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحكاية.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الكهف.

ثالثاً: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما خفي عليه.

رابعاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتقديم الإجابات الشافية لأسئلتهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحكاية:

ورد أسلوب الحكاية في الحديث في حكاية البراء بن عازب رضي الله عنه لحال الرجل الذي كان يقرأ سورة الكهف وما حدث لفرسه، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: (كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"، وأسلوب الحكاية من أساليب الدعوة المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعو على ما جرى وحدث وأخذ العبرة والاتعاظ[1].

---

(١) انظر: القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣١.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الكهف:

جاء في الحديث بيان فضل قراءة القرآن عامة، ومنه سورة الكهف خاصة، وذلك من تنزل الرحمة والسكينة فقال ﷺ: (تلك السكينة تنزلت للقرآن)، قال النووي: (وفي الحديث فضيلة القراءة، وأنها سبب في نزول الرحمة وحضور الملائكة)[1] وقد جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة التي تبين فضل قراءة سورة الكهف، أو آيات منها، منها ما رواه مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[2]، وفي رواية: ((مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ))[3]. "وذلك من فضل قراءة سورة الكهف ولما فيها من القصص والعبر التي قصّها الله تعالى على رسوله ﷺ"[4]، "فقد افتتحها الله بالحمد ونوه عن إنزال القرآن، كما حوت السورة إنذار المعاندين، وبشارة المؤمنين، وتسلية الرسول ﷺ وذكرت قصص أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وذي القرنين، وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي ﷺ وتثبيته وغير ذلك الكثير مما حوته السورة الكريمة"[5].

لذا ولغيره جعلت السورة سبباً لتنزل السكينة والرحمة "تلك السكينة تنزلت للقرآن" وهذه السورة ليست ببدع من سور القرآن، فالقرآن كله سبب لتنزل الرحمات، ولا سيما إذا قرئ القرآن واستمع له حق الاستماع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[6]، وفي ذلك أمر من الله سبحانه لعباده بالاستماع للقرآن والإنصات له، لينتفعوا به ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح، وليتوصلوا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٨٠٩، والنسائي ١٠٧٨٦، وابن حبان ٧٨٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤٣/٢.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤٥/١٥/٦ - ٢٤٦.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٢٠٤.

بذلك إلى رحمة الله تعالى، قال الليث: "يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ولعل من الله واجبة"(١).

وقد أخبر النبي ﷺ أن الاجتماع للقرآن وتدارسه واستماعه، له فوائد عظيمة وجليلة، منها حصولهم على رحمة الله تعالى فقال ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(٢).

ثالثاً- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما خفي عليه:

إنّ من الآداب التي ينبغي على الإنسان التأدب بها، سؤال أهل العلم والفضل والرجوع إليهم، وقد أمرنا الله بسؤال أهل العلم والاستنهال من علمهم، فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، وبيّن النبي ﷺ أن السؤال شفاء للجهل، فقال ﷺ: ((فإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))(٤)، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على طلب العلم والسؤال عما لم يحيطوا به علماً كما هو واضح في الحديث: (فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن)، "فإن سؤال أهل العلم وإجابتهم عليها، لها أبلغ الأثر في نشر المعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس"(٥).

ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع المثل في طلب العلم والسؤال عن المعرفة، ومن تلك الأمثلة البارزة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، الذي وصل إلى درجات العلم العُلَى بكثرة سؤاله وما آتاه الله من فقه وعقل، قال ابن عساكر: قيل لابن عباس: كيف أصبت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٦٢/٦/٣، المقدمة ٩/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، والحديث حسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٢/٢.

العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول"[١].

فلقد بلغ ابن عباس رضي الله عنهما أعلى درجات الحرص على طلب العلم، فقد كان يكثر من السؤال لكي يتثبت ويصبح من الراسخين فيه، وكان يفخر بأنه يكثر من سؤال الصحابة رضي الله عنهم فيقول: (كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ)[٢].

رابعاً- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتقديم الإجابات الشافية لأسئلتهم:

إنّ في إجابة النبي ﷺ في الحديث لسؤال الرجل عما حدث له عند قراءته سورة الكهف: (تلك السكينة تنزلت للقرآن)، بيانًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من تبيين للحقائق، وتلك هي مهمة الأنبياء وأتباعهم ممن حملوا الدعوة عنهم من الدعاة[٣]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[٤]، "ولذا ينبغي على الداعية أن يكون عنده من العلم والقدرات البيانية ما يحمل المدعو على الاقتناع بإجابته، من ذلك أن يكون الداعية حكيماً كثير العلم، حاضر الذهن يقظاً، حسن التصرف، واسع الصدر حليماً محترماً لأسئلة السائلين ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادراً على البيان المفهم بأسلوب حسن"[٥].

إن من أعظم ما يقوم به الداعية إلى الله في مجتمعه هو بيان الحقائق للمدعوين وتعليمهم أمور دينهم اقتداءً بسيد المرسلين، ونشر العلم الشرعي بينهم، حتى يكون الناس على بينة وبصيرة من أمور دينهم، ويحذرون من كل ما يخدش كمال الإيمان، فإن العلم الشرعي من أهم الأسباب المؤدية إلى تبصير المدعوين وتوجيههم.

فعلى الدعاة إلى الله أن يحرصوا على نشر العلم الشرعي بين الناس وبيان حقائقه لهم، فإن في ذلك صمام الأمان بمشيئة الله تعالى والحيلولة من الزلل.

---

(١) مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ابن منظور ١٢/٣٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣/٣٤٤.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٦٠.

الحديث رقم (١٠٠٠)

١٠٠٠- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ[1] حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أقول: (الم) حَرفٌ، وَلكِنْ: الِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

البداية بالشرط ربط للكلام بأصله، وتشويق بأوله لآخره وتعميماً للحكم، واطراداً له في الزمان، والمكان واستخدام من كأداة للشرط، وهي لعموم من يعقل ينادي بأهل العقل لاغتنام الفرصة (مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ)، ومن بيانية، والكتاب القرآن، وإضافة الكتاب لله تشريف وبيان، وتنكير كلمة (حسنة) للتعظيم أي: حسنة عظيمة، زاد من تعظيمها بقوله: (الحسنة بعشر أمثالها) وهو خبر أريد به الترغيب، وجمع الأمثال للتوكيد، وتكرار كلمة (حرف) فيه توكيد للمعنى، وتعظيم للأجر ينادي بكل عاقل أن يغتنمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لثواب قراءة القرآن.

ثالثاً: من آداب المدعو: الحرص على مداومة القرآن الكريم وتدبر معانيه.

رابعاً: من آداب الداعي: حث المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (به).

(٢) برقم ٢٩١٠ وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم ٥٥٥/١: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٠٩٧.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في قراءة القرآن بمضاعفة الحسنات، فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، "وفي ذلك ترغيب في قراءة القرآن وإغراء بتلاوته وحث عليها وبيان ثوابها العظيم الكثير"[1]، "والترغيب من أكثر الأساليب الدعوية تأثيراً ووقعاً في القلوب، فالنفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله بعد الإقرار بالوحدانية وتصديق الرسول ﷺ لا يعدو أن يكون ترغيباً في الخيرات، وترهيباً من المعاصي والموبقات وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله والرهبة من عقابه"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لثواب قراءة القرآن:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لثواب قراءة القرآن، ومضاعفة أجره فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها)، أي: مضاعفة بالعشر، وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3]، ولما كان الحرف في اللغة يطلق على حرف الهجاء والمعاني والجملة المفيدة والكلمة المختلف في قراءتها وعلى مطلق الكلمة، لذا قال رسول الله ﷺ: (لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[4]، فهذا الحديث يصرح بأن في تلاوة كل حرف من كتاب الله عز وجل عشر حسنات، وهذا هو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[5]، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٧/٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

عَلِيمٌ﴾[١]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، أَوْ أَغْفِرُ))[٢]، ألا فما أربح تلك التجارة مع الله، حرف بعشر حسنات!، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣].

فإننا لا نكاد نجد ذكراً ينال صاحبه مثل هذا الأجر به، كما ينال من يتلو القرآن، فمن قرأ سطراً أو وجهاً أو جزءاً، كم سيحصل عليه من الحسنات؟

وإذا علمنا أن الناس يتنازعون يوم القيامة على حسنة واحدة يثقلون بها موازينهم أدركنا عظمة هذا الأجر الذي ينتظر من يتلون كتاب الله حق تلاوته.

وإذا تأملنا حال الطالب الذي يستغرق في دراسة كتاب مقرر عليه عشرات الساعات، وربما العديد من الأيام والأسابيع، ثم يعيده ويلخصه ويراجعه، وقد يحفظ معظمه غيباً أو شبه غيب؛ ليحصل على الدرجة الكاملة يحقق بها جزءاً من النجاح في أمر دنيوي، وقد لا ينجح في مسعاه، أليس من الجهل وعمى البصيرة أن ينصرف المسلم عن تلاوة القرآن العظيم، وفيه من الخيرات والبركات الدنيوية والأخروية ما فيه؟ وهي مضمونة ومكتوبة له عند رب العالمين[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الحرص على مداومة القرآن الكريم وتدبر معانيه:

إنّ في مضاعفة الحسنات على قراءة القرآن حثًا للمدعو على الإكثار من قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه، فقال ﷺ: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها)، ويشير هذا الحديث العظيم إلى أن تلاوة كل حرف من كتاب

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٧.

(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٤٤٣.

الله عز وجل بعشر حسنات، وهذا هو أقل التضاعف الموعود، ولا شك أن زيادة الأجر ومضاعفته تتناسب وحال القارئ من الإخلاص والخشوع والتدبر والتأدب مع كتاب الله تعالى[١]، وهذا بمشيئة الله تعالى، كما قال النووي: (معناه أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد منه بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يُخلف، والزيادة بعدُ بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف كثيرة، يحصل لبعض الناس دون بعض، على حسب مشيئته سبحانه وتعالى)[٢]، (وإن مضاعفة الحسنات على قراءة القرآن والتي أشير إليها في الحديث، لمن أعظم الحوافز والدوافع إلى المسارعة إلى القرآن تلاوة وتدارساً وتدبراً وعملاً، فهنيئاً لأهل القرآن بهذا الفضل العظيم والمنزلة الرفيعة، وعجباً ممن يزهد يتكاسل أو يعرض عن القرآن الكريم)[٣].

رابعاً- من آداب الداعي: حث المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن:

من الآداب التي ينبغي أن يضطلع بها الداعية حثه المدعوين وترغيبهم في قراءة القرآن، فبالقرآن تسري الحياة في المجتمع ويعظم شأنه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٤]، فهو روح وحياة للقلوب والملكات، وبه تنمو وتقوى وتسمع وتبصر، لذا ينبغي على الداعية أن يلتمس هذا الروح[٥]، وأن يحث المدعوين إلى الارتباط والتعلق به، لذا نجد النصوص النبوية التي حثّ فيها قدوة الدعاة رسول الله ﷺ على قراءة القرآن كثيرة كما جاء في الحديث: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها)، وقوله: ((الذي يقرأُ القرآنَ وَهُوَ ماهِرٌ بِهِ مَعَ السفرةِ الكرامِ البررةِ، وَالَّذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))[٦]، إلى غير ذلك من

---

(١) المرجع السابق ٤٤٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٥٨.

(٣) أنوار القرآن، مصطفى الحمصي ص ١١١.

(٤) سورة الشورى، آية: ٥٢.

(٥) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٣٠٢.

(٦) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، مسلم ٧٩٨.

الأحاديث التي تجعل المدعوين يتسابقون في قراءة القرآن، ولا يتوانون لحظة واحدة عن قراءة القرآن واستظهاره، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومن ذا الذي يسمع كل هذا الترغيب والتشويق ولا يسارع في قراءة القرآن وحفظه[1].

لقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على قراءة القرآن في جميع الأوقات وعلى جميع الأحوال - إلا ما استثناه الشرع - ولقد سنَّ الرسول ﷺ أن يجعل المسلم له ورداً يومياً يقرؤه من القرآن الكريم، ومن فاته ورده في يوم قضاه في آخر، فيقول ﷺ ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[2].

وفي هذا دعوة منه ﷺ إلى ملازمة الورد اليومي في قراءة القرآن الكريم.

وكل هذا يريد به ﷺ حث أمته على الإكثار من قراءة القرآن الكريم، ليعيش معهم في كل شؤون حياتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[3].

---

(١) انظر: نزول القرآن الكريم والعناية به في عهد النبي ﷺ، د. عبدالودود مقبول ضيف ص ٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٧.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعّال ص ٤٢، ٤٣.

الحديث رقم (١٠٠١)

١٠٠١- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ الَّذي لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

البداية بأسلوب التوكيد تمهيد للخبر، وتنبيه إلى عظمته، وصرف العناية إليه، وتعريف المسند إليه بالموصولية للتنبيه على أن ما اختص به من الصلة حقيق به، وقوله (لَيْسَ في جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ) أسلوب نفي يؤكد خلاء قلبه من نور القرآن، وتنكير شيء للتعميم فيشمل القليل، والكثير، والتعبير بالجوف يشير إلى أعماق النفس، وصميم القلب، والتشبيه بالبيت الخرب يشير إلى عدم وجود من يعمره، وعدم وجود ما يؤنس فيه، كما يوحي بأنه صار مقراً للشياطين، وأنه بذلك يصبح مصدراً للشر، وهذا التشبيه تنفير من ترك حفظ القرآن، لأنه تجرد من الخير العظيم الذي يعمر القلب، ويطرد الشيطان، ويرضي الرحمن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه.

رابعاً: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإقبال على القرآن والتحذير من هجرانه.

---

(١) برقم ٢٩١٣. وقال الحاكم ١/٥٥٤: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢١٣٥.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد في الحديث أسلوب الترهيب، حيث رهّب النبي ﷺ من هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه بالبيت الخرب، فقال ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب). وفي ذلك الترهيب كل الترهيب من التجافي عن القرآن الكريم والإعراض عنه، وبيان أن منْ هذه حاله أنه خرب القلب ليس فيه شيء من النور والحكمة والزينة والعمران، "فالقرآن إذا كان في الجوف كله أو بعضه عَمَره وزانه، وإذا خلا عنه الجوف لم يكن فيه شيء من الخير والنفع، وصار مهجوراً خرباً، ذلك لأن عمار القلب يكون بما فيه من حكم وعظات وأنوار مطهرات، وليس ذلك إلا في القرآن"[1].

وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية المؤثرة في نفوس المدعوين، فإن أسلوب الترهيب إذا ما خالج شعور المدعو يدفعه إلى حسن الخلق وطهارة النفس، والعزوف والترفع عن الدنايا[2]، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترهيب في كثير من آياته كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[3]، ووصف زكريا وأهله بقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[4].

ثانياً- من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

ورد ذلك الأسلوب في الحديث، حيث ضرب النبي ﷺ المثل للجافي عن القرآن بالبيت الخرب، فقال ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٠ - ٥٤١.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٦/٢١٧٠، ٢١٩٥.

(٣) سورة النحل، آية: ٥١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

الخرب)، "إن تشبيه الرسول ﷺ - في الحديث - الذي ليس في جوفه شيء من القرآن بالبيت الخرب، يجعل كل امرئ مسلم أمام خيار صعب، فهو إما أن يحفظ شيئاً من كتاب الله، أو هو بيت خرب خاوٍ خالٍ من كل أحد، مأوى للهوام والدواب والشياطين، إن القرآن يعمِّر جوف الإنسان وقلبه ويصلح نفسه، وهو بمثابة نور يشع في داخله فيضيء جنبات روحه، حتى يمتلىء جوفه حكمة ونوراً وعلماً وإيماناً، أما إذا خلا جوف الإنسان من القرآن الكريم، فسد قلبه وخبثت نفسه فتمردت عليه، وعمّ الظلام داخله وضاقت الروح ذرعاً بالجسد فهزلت روحه وفرغ جوفه، وعمّ الجهل والهم والغم داخله، فخرب وأصبح مأوى للوساوس والهواجس والنزعات الشيطانية"[1].

"وقد استخدم القرآن والسنة ضرب الأمثال أسلوباً لعرض الدعوة على الناس، قال ابن القيم عن ضرب الأمثال: (إنها تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر تقريباً لمعنى أو بياناً لغاية)[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: خطورة هجر القرآن وعدم أخذ شيء منه:

جاء التحذير من خطورة هجر القرآن في كثير من النصوص، من ذلك ما ورد في الحديث في قوله ﷺ: (إن الذي ليس في جوفه شيء كالبيت الخرب)، "إذ أن عمارة القلوب إنما هي بالإيمان وقراءة القرآن وزينة الباطن بالاعتقادات الحقة، والتفكر في نعماء الله تعالى"[3]، قال الطيبي: "وفائدة التشبيه بالبيت مثل جوف الإنسان الخالي عما لا بد منه من القرآن وغيره، بالبيت الخالي عما لا بد منه من الأثاث ونحوه"[4]، ومن خطورة هجر القرآن ما يكون من عتاب النبي ﷺ لمن هذا شأنه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[5]، ومن هجران القرآن ترك علمه

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٩/٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢٤٢/٤.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

وحفظه وترك تدبره وتفهمه وترك العمل به، وامتثال أوامره واجتناب زواجره، والعدول عنه إلى غيره من غناء أو لهو أو طريقة مأخوذة من غيره، فضلاً عن الإيمان به والتصديق بما فيه"[١].

وبيّن ابن القيم أنواع هجر القرآن فقال: "هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[٢]، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض"[٣].

وقال القاسمي في تفسيره لقوله تعالى" وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا".

"وقال الرسول" أي إثر ما شاهد من عتوهم وعنادهم "يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" أي: متروكًا، معرضًا عنه.

ثم نبه أن الآية وإن كانت في المشركين، وإعراضهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به، والأخذ بآدابه الذي هو حقيقة الهجر لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك؛ إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها، ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٨/٦.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٣) الفوائد ١٢٣-١٢٤.

وفي الإكليل: إن في الآية إشارة إلى التحذير من هجر المصحف وعدم تعاهده بالقراءة فيه، وكذا قال أبو السعود: فيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن، كي لا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم. ثم قال: وفيه من التحذير ما لا يخفى؛ فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم، عجل لهم العذاب ولم ينظروا[1].

فينبغي على المسلم أن يحذر من هجر القرآن وتركه، لما له من خطورة عليه.

رابعاً- من أهداف الدعوة: حث المدعوين على الإقبال على القرآن والتحذير من هجرانه:

"إنّ من أهداف الدعوة الرئيسة حثّ المدعوين على الإقبال على القرآن الكريم والارتشاف من معينه، والتحذير من الإعراض عنه وهجرانه، فإن حفظ القرآن الكريم والإقبال عليه، تأسٍ بالسلف الصالح، فهو أصل الأصول، والمعول عليه في جميع الأمور"[2]، ولذا صور لنا النبي ﷺ قلب الإنسان الذي ليس فيه شيء من القرآن بالبيت الخراب، كما جاء في الحديث: (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)، "وقد صرح القرآن بشكوى النبي ﷺ المعرضين عن القرآن لربهم فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾[3]، "وهذه شكوى عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم، فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقد ما فيه من العقائد، ويعتبر بما فيه من الزواجر والقصص والأمثال"[4]، "فما أحوجنا إلى الإقبال على القرآن والإياب إليه، ففيه السعادة في الدنيا والآخرة، وفيه منهج الحياة المتكامل الذي يغنينا عن غيره"[5].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧/١٢/٢٥٨-٢٥٩.

(٢) الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن، محمد بن مصطفى بن شعيب، ط/ مكتبة آل ياسر، الجيزة: ١٤١٥هـ ص ٤٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ٦/٣١٧.

(٥) انظر: عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٦١٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]، فهداية الناس تتم من خلال كشفه وإنارته لكل الجوانب التي تتعلق بحركة الإنسان الخارجية، وكذلك كل ما يوجد بداخله من جوانب غامضة وأسئلة محيرة، وتصورات خاطئة يكشفها القرآن العظيم ويوجهها الوجهة الصحيحة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]، ففي هذه الآية الكريمة أوضح دليل على أن القرآن العظيم يُخرج كل أمة - آمنت به، وعملت بمقتضاه، واتخذته إمام وحكماً - من ظلمات الشقاء المادي والروحي إلى نور السعادة الكبرى، حتى تكون أسعد الأمم في حياتها من جميع الوجوه، ولا تكاد تساويها في ذلك أمة أخرى من الأمم المخالفة، وذلك بعينه هو ما حدث للعرب الذين استضاؤوا بنور القرآن، ولكل أمة استضاءت به بعدهم[3].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) مباحث في القرآن الكريم، د. محمد تقي الدين الهلالي لة البحوث الإسلامية بالرياض، العدد: ٩ مادى الأولى ١٤٠٤هـ ص ٨٦ - ٨٧.

الحديث رقم (١٠٠٢)

١٠٠٢- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

وارتقِ: اصعد إلى درجات الجنة[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (يقال لصاحب القرآن) يذهب بعقل السامع كل مذهب في معرفة القائل، وإضافة صاحب للقرآن بيان، وتشريف، والتعبير بالصاحب يشير إلى مقتضيات الصحبة من الرعاية، والمحبة، والمتابعة، وهي في جانب صاحب القرآن تشير إلى ذلك فهو الحافظ المتابع له في الأوامر، والنواهي، والمحب له، لذلك جاء الأمر تصويراً، وحكاية لحاله يوم القيامة (اقرأ، وارتق) وهذا أمر إشادة، وتكريم، للقاريء في الآخرة، ويخيل للسامع في الدنيا أن هذه الآيات التي يتلوها محلقة به في درج الجنة كلما ازداد قراءة كلما ازداد رقياً في درج الجنات، وهو نوع من مداعبة النفس الطموحة بما تحب، وتتمنى، وهو نوع فريد من الترغيب يملك على النفس أقطارها فلا تملك معه إلا مزيدا من الرقي بمزيد من التلاوة لا تحب أن تتوقف لأن منزلتها ترتبط بها ارتقاءً في الجنة، والجزاء من جنس العمل يدل على ذلك قوله (ورتل كما كنت ترتل في الدنيا) والتشبيه في العبارة لبيان حال المشبه يوم القيامة في الجنة، والجميل أنه لم يحدد

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٦٤، والترمذي ٢٩١٤ ولفظهما سواء. وصحّحه أيضًا ابن حبان، الإحسان ٧٦٦. أورده المنذري في ترغيبه ٢١١١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١٥٩.

درجة التالي بل تركها لطموحه بقدر ما يقرأ لفتح باب المنافسة في الخير، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للمنزلة الرفيعة لقارئ القرآن يوم القيامة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان كرامة وفضل أهل القرآن العاملين به.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للمنزلة الرفيعة لقارئ القرآن يوم القيامة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لمنزلة القارئ للقرآن الكريم الحافظ له أو بعضه الملازم لتلاوته وتدبره والعمل به والتأدب بآدابه[1] يوم القيامة، فقال ﷺ: (يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، "أي: يقال عند دخول الجنة لصاحب القرآن الذي يلازمه بالتلاوة والعمل، لا من يقرؤه ولا يعمل به، اقرأ وارتق إلى درجات الجنة أو مراتب القرب، ورتل ولا تستعجل في قراءتك في الجنة التي هي لمجرد التلذذ والشهود الأكبر كعبادة الملائكة، كما كنت ترتل في الدنيا، وفي ذلك إشارة إلى أن الجزاء على وفق الأعمال كمية وكيفية، فقوله: (كما كنت ترتل في الدنيا)، أي من تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[2].

فقد أفاد الحديث الترغيب في حفظ القرآن، وتخصيص الصاحب في الحديث بالحافظ عن ظهر قلب، تكريماً له وتشريفاً، فالخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف؛ لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا

---

(١) دليل الفالحين ابن علان ١٢٠٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٧٢.

تفاوتت منازلهم في الجنة بحسب تفاوت حفظهم، ومما يؤيد ذلك أيضاً أن حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة، ومجرد القراءة في المصحف من غير حفظ لا يسقط بها الطلب، فليس لها كبير فضل كفضل الحفظ، فتعين أنه -أعني الحفظ عن ظهر قلب- هو المراد في الخبر، وهذا ظاهر من لفظ الخبر بأدنى تأمل، وقول الملائكة له: اقرأ وارتق صريح في حفظه عن ظهر قلب كما لا يخفى"[1]. وقيل: (المراد بالصاحب العامل بالقرآن المتدبر له، وهو أفضل من الحافظ المرتل بغيرهما، والمراد بالدرجات ما نالها عن عمله، وحينئذ فلا يقدر في الجنة أن يتلو من الآيات إلا ما هو على مقدار عمله، فلا يستطيع أحد أن يتلو إلا وقد أقام ما يجب عليه فيها، وقيل المراد به الحافظ المرتل العالم العامل فيكون له درجات لقراءته ودرجات بعمله، ويرتقي الحافظ له كله العامل به المتدبر له إلى ما لا نهاية له؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2])[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه:

ذكر الحديث فضل قراءة وترتيل القرآن وتدبر معانيه، إذ أن ذلك هو المعتبر في رفع الدرجات وعلو المنازل، وذلك في قوله: (ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، أي: كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف. فإن مجرد القراءة لا تكفي بل لا بد من إتقان قراءة القرآن وتدبر لمعانيها، فإن ذلك هو المعتبر الذي تترتب عليه المراتب العُلى في الجنة العالية[4]، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[5]، وقد ندد الله تعالى بصورة

---

(١) هذاقول ابن حجر الهيتمي منقولاً عن عظمة القرآن الكريم، د. محمد بن أحمد بن صالح الدوسري، ص ٤٧٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٠.

(٤) المرجع السابق ص ٦٧٢.

(٥) سورة ص، آية: ٢٩.

الاستفهام، بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهّم القرآن، من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات[١]، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٢].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي: بل على قلوب أقفالها فهي مُطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه" [٣].

وقال السعدي: "فهلا يتدبرون هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق الموصلة إلى الله وإلى جنته، ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب وبأي شيء يحذر، ولعرّفهم بربهم وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل ورهبهم من العقاب الوبيل"[٤].

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان كرامة وفضل أهل القرآن العاملين به

حين يدخل المؤمنون الجنة، فإن حافظ القرآن، له من الشأن والمكانة ورفعة المنزلة ما ليس لغيره، تعلو درجته وترتفع منزلته، لذا كان من واجبات الداعية التي ينبغي أن يراعيها في حث المدعوين على الاهتمام بالقرآن والتوجه إليه ببيان فضل أهل القرآن، وقد قال ﷺ في الحديث: (يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، فإن في بيان كرامة أهل القرآن وفضل العاملين به، من أعظم الحوافز في تحفيز همم المدعوين، ودافعاً لهم إلى الإقبال على

---

(١) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال ص ٤١.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/ ٣٢٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧٣٣.

القرآن وتعاهده، فإن التحفيز بالجنة ونعيمها وبيان كرامة المؤمنين العاملين بالقرآن التالين له، باب واسع كبير، يجد فيه الداعية مجالاً ثرياً وميدانا غزيراً، ليحث المدعوين على العمل والتأسي بأفضل الفضل، ويعزز سلوكهم فيما اتجهوا إليه من خير وبر ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر[1].

وقد وردت في السنة النبوية كثير من أوجه الكرامة وعلو الدرجة في الجنة لحافظ القرآن، منها أنه يُلبس تاج الكرامة وحُلة الكرامة ويفوز بالرضى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسَ تَاجُ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسَ حُلَةُ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَرْضَ عَنْهُ، فيرضى عنه فَيُقَالُ له اقْرَأْ وارق وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةٌ))[2].

وفي هذا الحديث عدة كرامات لحافظ القرآن وهي: الإنعام عليه بتاج الكرامة وحلة الكرامة، فهو يعرف بها يوم القيامة بين الخلائق، وهي علامة على كرامة لابسها ومكانته عند الله عز وجل،وهذا التاج وهذه الحلة وسام شرف ورفعة يتميز بها أصحاب القرآن عن غيرهم من المؤمنين،وجدير بمن لبس هذا التاج وهذه الحلة أن يكون رفيع الدرجة عالي المقام.

وإذا كان العبد في الدنيا يزهو ويفتخر ويمتلئ إعجاباً وخيلاء بما خلع عليه سلطان أو ملك خُلعة ما، فما بالك بصاحب القرآن يوم القيامة إذا أنعم عليه مولاه، خالق الخلق جميعاً، وملك الناس وإلهم بهذه النعمة العظيمة والمنزلة الرفيعة، وألبسه تاج الكرامة، وحلة الكرامة على أعين الخلائق.

ما بالك بالسعادة والغبطة والفرح الذي يملأ قلبه.

وأعظم من ذلك كله: رضا الله عنه، ثم يُزاد على كل ذلك بكل آية حسنة، فضلاً عن رفعه درجات في الجنة بعدد الآيات التي يحفظها من القرآن.

فهل يعي المسلمون فضائل حفظ القرآن، ويقبلوا عليه بشوق، ورغبة ونهم، ويربوا

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٦١ - ١٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٠٩٣، وحسنة الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٨).

على ذلك أبناءهم؟

ويا للأسف إن أكثرهم يتسابقون على دنياهم أضعاف تسابقهم إلى آخرتهم. وقد حذرنا الله تعالى الدنيا ومتاعها فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[1].

فمن أظلم ممن زهد في كتاب ربه، فأعرض عنه حفظاً وفقهاً وتلاوة ودراسة وعملاً[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ضمنياً حيث ذكر النبي ﷺ حال القارئ للقرآن يوم القيامة، بما يحمل ذلك في طياته من ترغيب في ملازمة القرآن والمحافظة عليه، فقال ﷺ: (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها)، وفي ذلك ترغيب من النبي ﷺ في حفظ القرآن وتعهده بما أعده الله لقارئ القرآن من علو وارتقاء في جنات عرضها الأرض والسماوات.

قال الطيبي: (إن الترقي يكون دائماً، فكما أن قراءته في حال الاختتام استدعت الافتتاح الذي لا انقطاع له، كذلك هذه القراءة والترقي في المنازل التي لا تتناهي، وهذه القراءة لهم كالتسبيح للملائكة، لا تشغلهم من مستلذاتهم بل هي أعظم مستلذاتهم)[3]. وقال ابن علان: (قوله "فإن" تعليل يفيد الترغيب في حفظ جميع القرآن)[4].

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، وهو أحد ركني الدعوة بالموعظة الحسنة، والتي لها التأثير الإيجابي النافع في توجيه الإرادة لاختيار السلوك الحسن[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) انظر: فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة، محمد موسى نصر ص ٤٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٤٣/٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٠٠.

(٥) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٣٣/١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: الترغيب والترهيب:

رغّب النبي ﷺ في قراءة القرآن بذكر فضل ذلك، فإن القرآن "يأتي يوم القيامة شفيعاً"، كما أن الماهر في قراءة القرآن، "مع السفرة الكرام البررة" أما الذي تكون تلاوة القرآن عليه شاقة فـ"له أجران" وغير ذلك مما ذكر في أحاديث الباب التي ترغب في قراءة القرآن والعمل به.

ومن ناحية أخرى فإن نعت النبي ﷺ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب، إن نعته بذلك -كما روي عنه- يلزم عنه الترهيب في عدم حفظ شيء من القرآن.

والترغيب والترهيب أسلوب تربوي هام، فإنه "بني على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم وحسن البقاء والرفاهية، والرهبة من الألم والشقاء وسوء العقاب.

وعلى ذلك، فالترغيب: هو تحبيب المرء في الحصول على شيء يتمنى الحصول عليه. والترهيب: هو تخويف المرء من حصول شيء له لا يحب أن يحصل عليه أو يحدث له.

ونعبر عن هذا الأسلوب في مجال الفلسفة بمبدأ اللذة والألم، حيث اللذة أو السعادة هما الخير الذي يسعى إليه الإنسان، وبالتالي يعتبر الألم هو الشيء الذي يفرّ منه كل إنسان.

وفي علم النفس يعبر عنه بمبدأ الثواب والعقاب، وفيه أثبتت التجارب العملية أن الإنسان يتعلم جيداً إذا أُثيب على تعلمه، أو عوقب على فشله، وإن كان الثواب أفضل من العقاب. وقد أثبتت التجارب على الحيوان صحة هذا القانون..... وأحياناً يعبر عنه بأسلوب التغذية الراجعة، أي أن المتعلم يتلقى نتيجة تعلمه، ويستفيد من هذه النتيجة في تعلمه، أو يعبر عنه بالتعزيز، أي أن المتعلم إذا تلقى نتيجة طيبة لتعلمه، فإن الاستجابة التي أدت إلى هذا التعزيز تقوي وتدعم وتثبت.

كما يقوم التعليم المبرمج على فكرة هذا الأسلوب أيضاً، إذ يستجيب المتعلم لمثير معين ثم يتلّقى على الفور نتيجة استجابته صحيحة أم خاطئة، فإذا كانت صحيحة كوفئ بالسماح له بالانتقال لجزء آخر جديد ليتعلمه، أي للنقطة التالية، وإن كانت الاستجابة خاطئة عوقب بعدم السماح له بالانتقال، وأن عليه أن يرجع إلى إجابته ويصححها بنفسه"[1].

ثانياً- تربية الناشئة على الارتباط بالقرآن الكريم، والعمل بما فيه:

إن ترغيب النبي ﷺ في قراءة القرآن، يوجب على المربين أن يربوا الناشئة على الارتباط بالقرآن الكريم في حياتهم وشؤونهم وأحوالهم، فيحفظونه أو يقرءونه ويتلونه، ويعملون بما فيه حسب طاقة كل منهم وقدرته، وذلك لأن القرآن الكريم ما نزل إلا لتعبيد العباد لرب العباد، وفي ذلك إصلاح لدنيا الناس، فإن القرآن الكريم جاء "بمنهاج حياتي تربوي ليس للإنسان غنى عنه"[2].

ومن كرم الله أن يسر أمر الارتباط بالقرآن الكريم في حياة المسلم، فقد يسّر الله تعالى حفظه، فإن لم يحفظ المسلم القرآن، حفظ بعضه وقرأ البعض الآخر، فإن لم يحفظ، فإن قراءته سهلة ميسرة، وإلا كان بإمكانه الاستماع إليه، وقد تعددت الوسائل التي تسهل أمر الاستماع من مذياع وتلفاز وحاسب، وأقراص مدمجة، وغير ذلك.

أما تربية الناشئة على العمل بالقرآن فإنه من الأهداف السامية للتربية الإسلامية، ففي الحديث: " يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما" فإن القرآن ما نزل إلا ليعمل به، ويطبق في دنيا الناس ليصلح الدنيا بالدين، ولعل أروع مثال على ذلك، هو جيل الصحابة رضوان الله عليهم الذين عملوا بالقرآن فأصلحوا دنياهم وسادوا العالم بعد أن كانوا في الجاهلية متفرقين متناحرين متقاتلين بأسهم بينهم، تترفع عن مقاتلتهم الأمم المجاورة

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٢٧، ١٢٨.

(٢) المرجع السابق ٢٦.

نظراً لهوان شأنهم.

فعلى المربين أن يبذلوا الجهد ويفعلوا ما في الطاقة حتى يربوا الناشئة على العمل بالقرآن وتصبح أخلاقهم أخلاق القرآن، كما كان خلق خير البشرية محمد ﷺ.

ثالثاً- تربية الناشئة على أنه ما لا يدرك كله لا يترك كله:

ففي الحديث الشريف: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، ففي هذا الحديث يمكن الاستدلال به على أنه يجب تربية الناشئة على أنه ما لا يدرك كله لا يترك كله، فإذا كان في المسلمين من يجيد تلاوة القرآن فإن فيهم أيضاً من لا يجيد تلاوته، ولا يحسنها، فتكون عليه شاقة غير سهلة، وإذا كان الأول يفرح ويسعد نظراً لإجادته التلاوة، فإن الآخر لا ينبغي له أن يحزن لعدم إجادته التلاوة، بل إن عليه أن يتلو القرآن ويثابر على ذلك ويستمر، فإنه بذلك يكون له أجران، فضلاً على أنه قد يتحسن في التلاوة بمرور الأيام، وقد يلحق بالماهرين في القراءة والتلاوة فيكون مع الملائكة السفرة الكرام.

وعلى ذلك يجب تربية الناشئة، فيربون على بذل الوسع والطاقة في تحصيل الفضائل والمكارم والأعمال الجليلة، فما أدركوا عملوه، وما لم يدركوا لم يتركوه كلّه، بل حصلوا بعضه أو شيئاً منه.

وإن جيلاً يربى على هذا الفهم ينتظر منه أن يفعل الكثير والكثير ويحقق العديد والعديد من المنجزات والنجاحات الباهرات.

رابعاً- من أساليب التربية: ضرب الأمثال والأشباه:

في الحديث الشريف: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ. وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ. لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ. رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ...». وفي الحديث كذلك: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ».

فقد وضح النبي ﷺ المعاني السابقة باستخدام أسلوب التشبيه الذي يعتمد على

تقريب المعنى غير الحسي باستخدام الحسيات الواضحات، ولهذا الأسلوب أهمية واضحة فهو يصلح لمختلف الفئات المثقفة أو غير المثقفة أو ممن يجهلون القراءة والكتابة، ويعد من أفضل الأساليب لمثل هذه الفئات حيث يتدرج بهم؛ ليصل بهم إلى مرحلة الإدراك الحسي لأشياء غير منظورة في أصلها، فيبرز معناها وتتضح الفكرة في الأذهان بهذا التشبيه، الذي يؤكد استخدام الخبرة البديلة عن الخبرة الأصلية المباشرة، فتكسب المعنى روعة وجمالاً وتجعله أكثر إمتاعاً للعقل والأذن ويجري مجرى الحكمة أو النصح أو الوعظ [1].

خامساً- تربية الناشئة على التنافس على ما يبقى أثره في الآخرة:

في الحديث: «لاَ حَسَدَ إلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ الْقُرآنَ. فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ. وَآنَاءَ النَّهَارِ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللّهُ مَالاً. فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». والحسد هنا هو الغبطة.

فإذا كانت النفوس تهوى المال والمنصب والجاه والحسب والسلطان، فإن هذا يزول ولا يدوم، فضلاً عن أن هذه الأشياء يشترك فيها المسلم وغير المسلم، أمّا المسلم فإنه يربى على تحصيل ما يرضي الربّ عز وجل، من ذلك تلاوة القرآن الكريم، والقيام به، والإنفاق في وجوه الخير والاستمرار على ذلك.

فإن حصّل ذلك فهذا خير، وإلا تمنى أن يكون ممن يفعل ذلك.

وإنّ وَضْعَ الأهداف التي تستحق التنافس أمام أعين الناشئة يوفر عليهم كثيراً من الوقت والجهد، يبذلونه في معرفة ما يستحق ومالا يستحق من الأهداف والغايات، كما أن سجلهم الحياتي يمتلئ بالأعمال الطيبة والمنجزات المرضية.

---

[1] التربية الإسلامية، مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية ص ١٣٣، ١٣٤.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٥٠ -باب تلقين المحتضر: لا إله إلا الله	٥
الحديث رقم (٩١٨)	٥
الحديث رقم (٩١٩)	١٥
١٥١ -باب ما يقوله بعد تغميض الميت	٢٠
الحديث رقم (٩٢٠)	٢٠
١٥٢ -باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت	٣٣
الحديث رقم (٩٢١)	٣٣
الحديث رقم (٩٢٢)	٤٢
الحديث رقم (٩٢٣)	٤٣
الحديث رقم (٩٢٤)	٥١
الحديث رقم (٩٢٥)	٥٣
١٥٣ -باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة	٦٠
الحديث رقم (٩٢٦)	٦٠
الحديث رقم (٩٢٧)	٦٨
الحديث رقم (٩٢٨)	٦٩
١٥٤ -باب الكف عن ما يرى من الميت من مكروه	٨١
الحديث رقم (٩٢٩)	٨١
١٥٥ -باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز	٨٨
الحديث رقم (٩٣٠)	٨٨
الحديث رقم (٩٣١)	٩٦
الحديث رقم (٩٣٢)	٩٨

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٥٦ - باب استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر	١٠٦
الحديث رقم (٩٣٣)	١٠٦
الحديث رقم (٩٣٤)	١١٥
الحديث رقم (٩٣٥)	١١٦
١٥٧ - باب ما يقرأ في صلاة الجنازة	١٢٣
الحديث رقم (٩٣٦)	١٢٣
الحديث رقم (٩٣٧)	١٣٤
الحديث رقم (٩٣٨)	١٣٦
الحديث رقم (٩٣٩)	١٤١
الحديث رقم (٩٤٠)	١٤٧
الحديث رقم (٩٤١)	١٤٩
١٥٨ - باب الإسراع بالجنازة	١٦١
الحديث رقم (٩٤٢)	١٦١
الحديث رقم (٩٤٣)	١٧٠
١٥٩ - باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يُتيَقَّنَ مَوْته	١٧٦
الحديث رقم (٩٤٤)	١٧٦
الحديث رقم (٩٤٥)	١٨٢
١٦٠ - باب الموعظة عند القبر	١٩٤
الحديث رقم (٩٤٦)	١٩٤
١٦١ - باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة	٢١١
الحديث رقم (٩٤٧)	٢١١
الحديث رقم (٩٤٨)	٢١٨

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٦٢ - باب الصدقة عن الميت والدعاء لَهُ	٢٢٤
الحديث رقم (٩٤٩)	٢٢٤
الحديث رقم (٩٥٠)	٢٣٠
١٦٣ - باب ثناء الناس على الميت	٢٤١
الحديث رقم (٩٥١)	٢٤١
الحديث رقم (٩٥٢)	٢٥٠
١٦٤ - باب فضل من مات لَهُ أولاد صغار	٢٥٦
الحديث رقم (٩٥٣)	٢٥٦
الحديث رقم (٩٥٤)	٢٦٤
الحديث رقم (٩٥٥)	٢٦٦
١٦٥ - باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك	٢٧٢
الحديث رقم (٩٥٦)	٢٧٢
٧ - كتاب آداب السفر	٢٨٥
١٦٦ - باب استحباب الخروج يوم الخميس، واستحبابه أول النهار	٢٨٥
الحديث رقم (٩٥٧)	٢٨٥
الحديث رقم (٩٥٨)	٢٨٦
١٦٧ - باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحدًا يطيعونه	٢٩٨
الحديث رقم (٩٥٩)	٢٩٨
الحديث رقم (٩٦٠)	٣٠٢
الحديث رقم (٩٦١)	٣٠٩
الحديث رقم (٩٦٢)	٣١٠
١٦٨ - باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر واستحباب السُّرَى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها وأمر من قصّر في حقها بالقيام بحقها وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك	٣٢١
الحديث رقم (٩٦٣)	٣٢١

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٩٦٤)	٣٢٨
الحديث رقم (٩٦٥)	٣٣٥
الحديث رقم (٩٦٦)	٣٤٠
الحديث رقم (٩٦٧)	٣٤٧
الحديث رقم (٩٦٨)	٣٥٥
الحديث رقم (٩٦٩)	٣٦٦
١٦٩ - باب إعانة الرفيق	٣٧٥
الحديث رقم (٩٧٠)	٣٧٥
الحديث رقم (٩٧١)	٣٧٨
الحديث رقم (٩٧٢)	٣٨٤
١٧٠ - باب ما يقول إذا ركب دَابَّة للسفر	٣٩٣
الحديث رقم (٩٧٣)	٣٩٣
الحديث رقم (٩٧٤)	٤٠٣
الحديث رقم (٩٧٥)	٤٠٦
١٧١ - باب تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه ...	٤١٩
الحديث رقم (٩٧٦)	٤١٩
الحديث رقم (٩٧٧)	٤٢٥
الحديث رقم (٩٧٨)	٤٢٦
الحديث رقم (٩٧٩)	٤٣٢
الحديث رقم (٩٨٠)	٤٣٨
١٧٢ - باب استحباب الدعاء في السفر	٤٥٤
الحديث رقم (٩٨١)	٤٥٤
١٧٣ - باب ما يدعو به إذَا خاف ناسًا أوْ غيرهم	٤٦٣
الحديث رقم (٩٨٢)	٤٦٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٧٤ - باب ما يقول إذا نزل منزلاً	٤٧٠
الحديث رقم (٩٨٣)	٤٧٠
الحديث رقم (٩٨٤)	٤٧٦
١٧٥ - باب استحباب تعجيل المسافر في الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته	٤٨٨
الحديث رقم (٩٨٥)	٤٨٨
١٧٦ - باب استحباب القدوم على أهله نهارًا وكراهت في الليل لغير حاجة..	٤٩٦
الحديث رقم (٩٨٦)	٤٩٦
الحديث رقم (٩٨٧)	٥٠٤
١٧٧ - باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته	٥٠٩
الحديث رقم (٩٨٨)	٥٠٩
١٧٨ - باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين	٥١٧
الحديث رقم (٩٨٩)	٥١٧
١٧٩ - باب تحريم سفر المرأة وحدها	٥٢٥
الحديث رقم (٩٩٠)	٥٢٥
الحديث رقم (٩٩١)	٥٣٧
٨ - كتاب الفضائل	٥٤٤
١٨٠ - باب فضل قراءة القرآن	٥٤٤
الحديث رقم (٩٩٢)	٥٤٤
الحديث رقم (٩٩٣)	٥٥٠
الحديث رقم (٩٩٤)	٥٥٧
الحديث رقم (٩٩٥)	٥٦٢
الحديث رقم (٩٩٦)	٥٦٨
الحديث رقم (٩٩٧)	٥٧٧
الحديث رقم (٩٩٨)	٥٨٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (٩٩٩)	٥٨٤
الحديث رقم (١٠٠٠)	٥٨٩
الحديث رقم (١٠٠١)	٥٩٤
الحديث رقم (١٠٠٢)	٦٠٠
فهرس المحتويات	٦١١

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثالث عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثالث عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-٠٧-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان

الحديث رقم (١٠٠٣)

١٠٠٣- عن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تعاهدوا هَذَا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

تعاهدوا: أي حافظوا على قراءته وواظبوا على تلاوته[(٢)].

تفلتًا: التفلت: التخلص من الشيء فجأة من غير تَمكّث[(٣)].

عُقُلها: جمع عقال: الحبل[(٤)].

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب إنشائي، وهو الأمر (تعاهدوا هَذَا القُرْآنَ) وهو أمر توجيه، وإرشاد، والتعبير بالتعاهد فيه تذكير بأن هناك عهداً، وميثاقاً لا يجب أن يترك بين طرفين هما المسلم الحافظ للقرآن، وبين القرآن يقضي بعدم ترك أحدهما للآخر بحيث لا يترك الطرف الأول، وهو القارىء الطرف الثاني القرآن في الدنيا، وألا يترك الطرف الثاني، وهو القرآن الطرف الأول في الآخرة، وقد دل كثير من الأحاديث على أن القرآن ينفع صاحبه في كل مواقف الآخرة، وقسم الرسول ﷺ (فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١/٢٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٢). تنبيه: الحديث عزاه المنذري إلى مسلم فقط، واستدرك عليه النووي.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ل ت).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٧٠١/٨.

بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبلِ فِي عُقُلِهَا) يشير إلى أن الأجر العظيم يستحق مزيد عناء، ومتابعة، وعناية؛ لأنه أشد تفلتا من الإبل في عقلها، وقوله: (لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبلِ فِي عُقُلِهَا) كناية عن سرعة نسيانه، وكثرة المؤكدات في العبارة النبوية بداية بالقسم بهذه الصيغة الخاصة التي لها مزيد ترهيب في النفس، واللام المتصلة بالضمير (لهو) مع اسمية الجملة، واستخدامه لأفعل التفضيل التي تدل على ارتقائه على غيره في سرعة التفلت الأمر الذي يوجب مزيد العناية به، وتخصيص وقت يومي للمراجعة يكون بؤرة النور في عمل العبد يوم القيامة لكل يوم سيحاسب عنه.

فقه الحديث

الحض على المحافظة على القرآن:

قال ابن حجر: (في الحديثين الحض على المحافظة على القرآن[1] بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[2].

وأفرد النووي فصلاً في كتاب تلاوة القرآن من كتاب الأذكار: أفرد فصلاً بعنوان: في الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نيسانه، ساق تحته حديثي الباب وغيرهما[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره

---

(١) في المطبوع: الحض على محافظة القرآن، وما كتبناه أوضح. والله أعلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣٨/٩ .

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣١ - ١٣٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٠٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٠٤).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (تعاهدوا القرآن)، حيث أمر النبي ﷺ بملازمة قراءة القرآن، وتجديد العهد بتلاوته والمداومة على ذلك، تأكيدًا على حفظه وخشية من نسيان القرآن وتفلته، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان أوجه الخير للمدعوين وتوجيههم إليها وحملهم على الإتيان بها، وأسلوب الأمر من الأساليب الأكثر ورودًا في القرآن والسنة وذلك من قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها)، حيث أكد النبي ﷺ شدة تفلت القرآن ممن لم يداوم على قراءته وتعهده بالقسم، إذ أن المراد من القسم توكيد المقسم عليه وتحقيقه[2]، وقد استخدم القرآن الكريم القسم في كثير من تأكيد الأحكام وتقرير القضايا ودليلاً من دلائل الإثبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]، فأقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجلّ مقسم عليه، وأكد الإخبار بهذا القسم ثم أكد تشبيهه بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة، فقال: (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)، فشبه سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة، ولا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده، ولا يخالجه شك في أنه ناطق، فكذلك ما

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

أخبر الله عنه من أمر التوحيد، والنبوة، والمعاد، وأسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الأمر، يشبه بثبوت نطقكم ووجوده، وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم، يقول أحدهم: هذا حق مثل الشمس، وأفصح الشاعر عن هذا بقوله:

ولـيْسَ يَـصِحُّ في الأذْهـانِ شَـيْءٌ إذا احْتـاجَ النَّهـارُ إلَـى دَلِيـلِ[1]

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية إفادة وملائمة للنفس البشرية، لما فيه من تأكيد لخبر أو تعظيم لشيء أو جمع للانتباه حول غاية وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه منذ القدم في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فـإن الحـق مقطعـه ثـلاث يمـين أو نفـار أو جـلاء[2]

ثالثًا - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

استخدم النبي ﷺ في الحديثين ضرب المثل حيث شبّه سرعة نسيان القرآن ممن لا يتعاهده بالإبل في شدة تفلتها من عقالها، فقال ﷺ: (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عُقُلها)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المُعقّلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت)، قال ابن حجر: (شبه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجودا فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدودا بالعقال فهو محفوظ، وخص الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة)[3].

وأسلوب ضرب الأمثال من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا لأنها تثير الانفعال وتخاطب الوجدان وتنقل المعقول والمحسوس وتغري على الخير وتبعد عن الشر[4]. "كما أن

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ٣٥٩.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، أصولها وسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٢٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٨/٨.

(٤) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش ص ٣٧٠.

الأمثال تقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية بما قد ألفوه وعرفوه حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثمّ كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجليّ والغائب بالشاهد"[١]، وضرب المثل من أعلى درجات البلاغة، قال إبراهيم النظّام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة"[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حثُّ النبي ﷺ لأمته بتعاهد القرآن وعدم هجره:

حثّ النبي ﷺ أمته على تعاهد القرآن فقال: (تعاهدوا هذا القرآن)، وقال: (إنما مثل صاحب القرآن)، أي: مع القرآن والمراد بالصاحب الذي ألفه، فإن الذي يداوم على قراءة القرآن يذل له لسانه ويسهل عليه قراءته فإذا هجره ثقلت عليه القراءة وشقت عليه كمثل صاحب (الإبل المعقلة)، أي: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير[٣].

وقال الطيبي: (قوله تعالى: "تعاهدوا القرآن"، تعاهد الشيء وتعهده محافظته وتجديد العهد به، أي: واظبوا على تلاوته، وداوموا على تكراره ودرسه كيلا يُنسى... وقد شبه القرآن وكونه محفوظًا على ظهر القلب بالإبل الآبدة النافرة، وقد عقل عليها، وشد بذراعيها الحبلُ المتين، وذلك أن القرآن ليس من كلام البشر بل هو كلام خالق القوى والقدر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة، لأنه حادث وهو قديم، والله سبحانه بلطفه العميم، وكرمه القديم منّ عليهم ومنحهم هذه النعمة العظيمة فينبغي له أن يُتعاهد بالحفظ والمواظبة عليه ما أمكنه)[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١٣١/٢.

(٢) الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم ص ٣٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٧١/٤.

قال ابن كثير : "ومضمون ذلك الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه للنسيان، فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه"[١].

وإنّ من الأمور الواجبة على الداعية أن يحذر مدعويه من هجر القرآن وترك تعاهده اقتداء برسول الله ﷺ، وكما جاء في الحديثين من الحث بتعاهد القرآن فقال ﷺ: (تعاهدوا القرآن)، وقوله ﷺ: "إنما صاحب القرآن كصاحب الإبل... إلخ الحديث" وروى البخاري عن أبي وائل عن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: ((بِئسَ ما لأحَدِهم أن يقول: نسيت آية كَيْتَ وكيْتَ بل نُسيَ، واستَذكِرُوا القرآنَ فإنهُ أشدُّ تَفصِّيًا من صُدور الرِّجال منَ النَّعَم))[٢].

قال ابن حجر: (وإن سبب الذم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال الإنسان: نسيت الآية الفلانية فكأنما شهد على نفسه بالتفريط، فيكون متعلق الذم تركَ الاستذكار والتعاهد؛ لأنه الذي يورث النسيان.

وقوله: "واستذكروا القرآن" أي: واظبوا على تلاوته واطلبوا من أنفسكم المذاكرة به... وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته)[٣].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من نسيان القرآن وعدم تعاهده:

إن الإنسان إن لم يداوم على تلاوة القرآن واستذكاره والتأكد من حفظه نسيه وتفلت منه، فالقرآن وديعة استودعها الله العبد إن لم يحافظ عليها طولب بها ومن أين يأتي بها؟[٤] لذا ورد في الحديثين الأمر بتعاهد القرآن والتحذير من نسيانه، فإن صاحب القرآن إذا لم يقم بتذكره وتلاوته نسيه وهذا أمر خطير.

---

(١) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩٩/٨ -٧٠١.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤١.

قال ابن كثير: "فإن نسيان القرآن من أعظم المصائب، وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]. "وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد - نعوذ بالله منه -"[2].

ومن الآيات المنفرة من هجر القرآن وعدم تعاهده قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[3]، قال القاسمي : والآية وإن كانت في المشركين وإعراضهم هو عدم إيمانهم، إلا أن نظمها الكريم مما يرهب عموم المعرضين عن العمل به والأخذ بآدابه، الذي هو حقيقة الهجر لأن الناس إنما تعبدوا منه بذلك إذ لا تؤثر تلاوته إلا لمن تدبرها ولا يتدبرها إلا من يقوم بها ويتمسك بأحكامها"[4]، وقال ابن عاشور: "واسم الإشارة في (هذا القرآن) لتعظيمه وأن مثله لا يتخذ مهجورًا بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به، والمهجور: المتروك والمفارق، والمراد هنا ترك الاعتناء به وسماعه"[5].

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) فضائل القرآن، ابن كثير ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٥٩/١٢/٧.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٧/١٩/٨.

الحديث رقم (١٠٠٤)

١٠٠٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ: إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أمْسَكَهَا، وَإنْ أطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المُعَقَّلة: المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير[2].

عاهد عليها: استمر إمساكه لها[3].

الشرح الأدبي

البداية بإنما حصر لمعنى في معنى أي: حصر حال صاحب القرآن في حال صاحب الإبل دون غيره، كما أن استخدام طريق إنما دون غيره من طرق القصر يشير إلى أن المعنى الوارد في ركاب إنما مما هو معلوم، ولا ينبغي أن يجهل فضلا عن أن ينكر ففيه تعريض بالمخاطبين لعدم علمهم، أو لعدم عملهم بموجب هذا العلم، وتعهدهم للقرآن كما يتعهد أحدهم إبله فلا يترك منها شاردة، وتشبيه صاحب القرآن بصاحب الإبل في حالتي إمساكها، وإفلاتها يشير إلى ضرورة الحرص عليها، ومداومة إحصائها، وحصرها حتى يتسنى رد شاردها قبل أن يبتعد، كما يشير من طرف خفي إلى علو قيمتها، وإمكان سرقتها؛ لأن الأبل أفضل أموال العرب، وأبقاها عندهم، وأنسبها لبيئتهم، وفي جانب المشبه (صاحب القرآن) يشير إلى عظمة الأجر التي أشارت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٧/٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٩٨/٨.

الأحاديث السابقة في الباب، وهو ما يجعل لص الحسنات (الشيطان) في قمة الحرص على حرمانه منها ليفوِّت عليه الأجر العظيم.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تنبيه الناشئة إلى تعاهد العلم النافع والاستمرار على ذلك:

إن على المربي أن ينبه الناشئة إلى أن يتعاهدوا العلم النافع والمداومة على هذا التعاهد، والمحافظة على ذلك، وهو في هذا يقتدي بالنبي ﷺ في قوله لأصحابه: «تَعَاهَدُوا هذَا الْقُرْآنَ. فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

"فمن القضايا الهامة التي يجب بحثها في هذا المجال، قضية حفظ القرآن، فمن المعروف في العلم التربوي أن الحفظ والاستظهار آفة ينبغي أن تحارب، وعادة ينبغي أن تستأصل، لكن هل هذا صحيح بصفة مطلقة؟ كلاّ، فهو صحيح في أحوال ولكنه غير صحيح في أحوال أخرى، ومن الأحوال التي يصحّ فيها: القوانين والنظريات والقواعد العلمية، فهذه لابد من حفظها، وحتى يكون الحفظ مجديًا يشترط أن يصحبه الفهم، كذلك بالنسبة للشِعْر، يستحسن فيه أيضًا الحفظ. أما بالنسبة للقرآن، فالأمر هنا أهم وأخطر، والسّر في ذلك أن الله كلّف الأمة الإسلامية بحفظ القرآن، ولم يكلف الأمم السابقة بحفظ كتبها وصحفها، إن هذه الكتب لم تكن معجزة بألفاظها، ولم يشأ الله ذلك لحكمة يعلمها، بخلاف القرآن الكريم، فقد شاء الله أن يكون معجزًا بلفظه فضلاً عن معانيه، فكان من الضروري المحافظة على النص بالطريق المفيد للقطع واليقين، وليس ذلك إلا بأن يحفظه العدد الكثير، في كل جيل وعصر، الذين لا يجوز عليهم الكذب، ولا الغلط ولا السهو، وهو ما أسميناه بالتواتر"[1].

ولذا جاء الحديثان الشريفان يحثّان على تعاهد القرآن الكريم، وذلك لأنه أجلّ العلوم وأشرفها، وأثمن المعارف وأقيمها، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة كما ينبغي أن يربوا على تعاهد كل علم نافع.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي ص ٥٣، ٥٤، ومرجعه.

فالعلم الإسلامي: "غذاء العقول، وهو ليس علم الدين وحده فحسب، إنما هو علم الدين والدنيا على السواء، وهو واسطة لمعرفة الخالق، كما أنه واسطة لمعرفة الأشياء والقوى الطبيعية واستخدامها في مصلحة الإنسان، كما أن العلم والحكمة في الإسلام لا يقصد بهما علم الدين وحده رغم شرفه، ووجوبه على كل مسلم ومسلمة، وإنما هو يتعداه إلى علم الدنيا أيضًا، لأن المسلم بهذا العلم يستطيع أن يقوم برسالته الحضارية، والإسلام لا يقيد العلم إلا بأن يكون في اتجاه رباني.

وقد اتسم العلم منذ اللحظات الأولى في الإسلام بالخير واستهدف الخير، ولم يستهدف في يوم من الأيام التنكيل بالإنسانية أو الاستعلاء أو التسابق من أجل إيجاد وسائل التدمير والتخريب.

لذا كان العلم الإسلامي ضرورة وليس ترفًا، فالعلم الإسلامي ضرورة لنفع الإنسان والمجتمع الإنساني، ودور المربي المسلم هنا هو مساعدة الإنسان إلى الاهتداء إلى العلم الصحيح تحقيقًا للخير وسعادة الإنسان"[1].

ثانيًا: من أساليب التربية: التربية بالأمثال والأشباه:

في الحديثين ضرب النبي ﷺ المثل على سرعة نسيان القرآن إذا لم يتعاهده حافظه، ضرب المثل بالإبل المشهورة بشدة تفلتها وتخلصها من عقالها وما رُبطت به، فإن تعاهد صاحب الإبل إبله وأحكم عقالها أمسكها وحافظ عليها، وإن أهمل ربطها وغفل عن تعاهدها ذهبت وانطلقت وضاعت منه. والملاحظ على ضرب المثل والتشبيه بالإبل ما يلي:

أ- الإبل أجسامها قوية وخلقتها عظيمة فتحتاج إلى مزيد عناية وتعاهد عن غيرها من الحيوانات الأخرى، كالغنم والماعز ونحو ذلك، وهذا يدفع المتربي أن يزيد عنايته وتعاهده بما أمر به النبي ﷺ وهو القرآن الكريم.

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٠١-٢٠٤، ومراجعه ومصادره.

ب- الإبل يعايشها العربي في بيئته صباح مساء ليل نهار فهو أعرف بها وبخصالها وصفاتها، فضرب المثل بها يجعل الأمر واضحًا جدًا ليس فيه أدنى لبس ولا غموض، وهذا يسهل على المتربي فهم الرسالة التربوية فهمًا ممتازًا، ومن ثم يقع العمل كما يريد المربي.

لذا فإن على المربين إن ضربوا الأمثال واستخدموا التشبيه، عليهم أن يجعلوها أوضح ما يكون لمن يخاطبونهم؛ حتى تؤتى بثمارها المرجوة.

وذلك لأن للأمثال أهدافًا تربوية، منها:

أ-الأمثال تبرز الصورة المعقولة المجردة في صورة محسوسة واضحة يتقبلها العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة للفهم، فالمخاطب يكون جاهلاً بحقيقة الشيء أو يكون الشيء غامضًا بالنسبة لعقل الفرد فيأتي المثل ليزيل هذه الجهالة، وهذا الغموض.

ب- إنها وسيلة للإقناع الذي قد لا يحتاج إلى إقامة الدليل والبرهان، حيث إن المثل يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صور مشابهة ولو لم يشتمل على أية حجة.

ج- ترغيب الإنسان في شيء يجب اتباعه والتمسك به وترهيبه من شيء يجب على الإنسان تجنبه.

وبهذا تتضح أهمية الأمثال، أسلوبًا من أساليب التربية الإسلامية، فهي تعرض في أسلوب دقيق جذّاب يؤثر في النفوس فينفذ إلى أعماق الإنسان لتحرك عواطفه، ليتجه نحو عمل الخير، وتحقق في النهاية أهداف هذه التربية[1].

ثالثًا: من أدب المربي: إظهار الخضوع والخشوع لله رب العالمين.

لما أراد النبي ﷺ أن يُقْسِم قال: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا».

---

(١) انظر: التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد عطية ص ١٣٥، ١٣٦، ومراجعه ومصادره. وانظر: كذلك فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٢، ٣٤٤.

فأكد أمر شدة تفلت القرآن، وفي الوقت نفسه أظهر خضوعه لله رب العالمين، بأن أخبر أنه نفسه بيده سبحانه، يفعل بها ما يشاء، فالله عز وجل فعّال لما يريد، وجملة: "فوالذي نفسي محمد بيده..." تفيد عدة معانٍ من الناحية التربوية منها:

١-إظهار المربي خضوعه لله رب العالمين: وفي هذا تربية لمن يقوم بتربيته، أن ينشأ على هذا الخضوع الذي يحقق العبودية لله رب العالمين.

٢-تنشئته على التسليم بقضاء الله وقدره، وعلى الرضا بذلك، فالعبد نفسه بيد الله تعالى، يفعل بها ما يشاء سبحانه، وعلى ذلك فإن وقع الخير شكر العبد، وقام بواجب الشكر، وإن وقع الشر صبر ورضي ولم يسخط ولم يحزن.

٣-تنشئته على استمداد العون من الله دائمًا، فهو سبحانه كل شيء بيده، يقول للشيء "كن فيكون"، وهو الرءوف الرحيم، يرحم عباده ويعفو عنهم ويسترهم. فعندما يقسم المربِّي بالله الذي نفس المربِّي بيده، فكأنه يستمد منه سبحانه عونه وعفوه ورحمته، وفي ذلك تربية لمن يقوم بتربيته، أن يفعل ذلك ويستمر عليه.

۞ ۞ ۞

١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن

وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

الحديث رقم (١٠٠٥)

١٠٠٥ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أذن الله: أي استمع، وهو إشارة إلى الرضا والقبول[2].

يتغنى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[3].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ) كناية عن رضاه، وقبوله، وتقريبه، وأمور أخرى يعلمها الله، وتنكير كلمة (شيء) يفيد العموم لأن الله تعالى يسمع كل الكائنات بكيفية يعلمها تعالى، ويخلقها فيها، وقوله (يتغنى) يوحي بتجميل الصوت، وعذوبة الكلمات، وقوله (يجهر به) تفسير للتغنى، فهو جهر بصوت جميل بأجمل كلمات هي كلمات القرآن، وهو ترغيب في تحسين الصوت بالقرآن، وسماعه من حسن الصوت لأنه يساعد على الخشوع، ويعين على طول الاستماع.

فقه الحديث

استحباب تحسين الصوت بالقرآن:

قال النووي: (قال القاضي عياض: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٤)، ومسلم (٧٩٢/٢٣٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٨٩.

(٣) رياض الصالحين ٣٨٩.

بالقراءة وترتيلها. قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على التحزين والتشويق، قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عمّا جاء القرآن له من الخشوع والتفهم، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[1]. قلت [القائل النووي]: قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان. وقال في موضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف. وإنما هو اختلاف حالين: فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقصٍ مدّ غير ممدود وإدغام ما لا يجوز إدغامه ونحو ذلك، وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضوع الكلام، والله أعلم)[2].

وقال النووي في الأذكار: (يستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفًا أو أخفى حرفًا فهو حرام، وإلا فلا. والأحاديث بما ذكرناه من في تحسين لصوت كثيرة مشهورة في الصحيح وغيره)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن.

أولاً- أساليب الدعوة: الإخبار:

يعد الإخبار من أهم أساليب الدعوة، لأنه هو الأسلوب الذي يتم به نقل الدعوة وتبليغها إلى المدعوين، حتى يعلموا دين ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وقد ورد الإخبار في هذا الحديث في قوله ﷺ: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" حيث أخبر رسول الله ﷺ عن حب الله واستماعه لصوت النبي الحسن الذي يتغنى

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٧١ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٩/٦٨ - ٧٢ ، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٢٥٦.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ١٣٤.

بالقرآن الكريم، وأفاد هذا الإخبار أهمية تحسين الصوت بالقرآن الكريم لحب الله له.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل تحسين الصوت والتغني بالقرآن والجهر به:

إن تحسين الصوت بالقرآن وتجويده في حدود قواعد القراءة الصحيحة يزيده حلاوة وطلاوة ووصولاً إلى القلوب وتأثيرًا فيها، لذا جاءت النصوص حاضَّة على تحسين القراءة بالقرآن وتجويدها، ومنها ما جاء من الحديث "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به".

قال ابن عثيمين: ("أذن" قال العلماء: استمع، يعني ما استمع الله لشيء من الأشياء التي يسمعها - جل وعلا - مثل استماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به، يعني: نبي والأنبياء هم أفضل طبقات الخلق "يتغنى بالقرآن" يعني: يقرأه بصوت حسن "يجهر به" يعني: يرفع صوته به، فهذا الذي يأذن الله له؛ أي: يستمع له - جل وعلا - لأنه يحب الصوت الحسن بالقرآن والأداء الحسن)[1].

وتتجلى أهمية وفضل تحسين الصوت بالقرآن في إقبال القلوب وميل النفس إلى القرآن والاستماع إليه، قال ابن حجر: (ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك [2]، وإنما استحب تحسين الصوت بقراءة القرآن لأن ذلك أوقع في القلوب، وأنفع للسامع وأنجع)[3].

فطوبى لمن صاحب القرآن، ورافقه وأحبه وتلاه وتدبره وأنس به، واسترشد بوعظه، واهتدى بهداه، وعكف عليه، وتغنى به، وأحيا به ليله، وأجرى به دمعه، وأذهب به همه، وأزال به غمه، وطرد به حزنه وكفر به ذنبه، وأبرد به لهيب روحه، وسكن به خوفه، فهذا هو السعيد الناجي، والفائز الظافر، والولي الصادق، فهذا القرآن هو

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٢٤٧/٢.

(٢) فتح الباري، ٦٩٠/٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٢.

مأدبة الله وضيافته ومائدته، فمن قبل الضيافة نال التكريم وحظى بالزلفى وحصل على الفوز وأدرك الفلاح[١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على تحسين الصوت بالقرآن:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الحفاظ على تحسين الصوت القرآن الكريم، كما جاء في الحديث: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به". قال الإمام أحمد في شرحه: "يحسن القارئ صوته بالقرآن ويقرؤه بحزن وتدبر"، وقال القاضي عياض: " هو على هذه الرواية بمعنى الحث على ذلك والأمر به[٢]. وإن ذلك يعتبر ضربًا من ضروب إجلال القرآن وتوقيره.

وقال القرطبي: (وفائدة هذا الخبر حث القارئ على إعطاء القراءة حقها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن)[٣].

ولقد كان ﷺ دأبه في قراءة القرآن التحسين والتجويد ومما يدل على ذلك ما ورد عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: ((سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأُ: "والتينِ والزيتونِ" في العِشاءِ، ومَا سمعتُ أحدًا أحسنَ صوتًا منه أو قراءةً))[٤]. فالقرآن الكريم إذا قرئ وتلي حق التلاوة فإن ذلك يكون له أكبر الأثر في أن تتفتح له القلوب وتهتز له وترجف من مواعظه وآياته الأفئدة[٥]، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٦]، وقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[٧].

---

(١) مقامات القرني، د. عائض القرني ص ٩٨.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٩٧/٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٢٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٦٩.

(٥) موسوعة فقه القلوب ١٥٥٠/٢.

(٦) سورة الحشر، الآية: ٢١.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

الحديث رقم (١٠٠٦)

١٠٠٦ - وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ لَهُ: ((لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)) متفقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلمٍ: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ لَهُ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِراءتِكَ الْبَارِحَةَ)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مزامير آل داود: المراد بالمزمار: الصوت الحسن، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة. وآل داود: المراد داود نفسه.

البارحة: أقرب ليلة مضت.

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ لأبي موسى رضي الله عنه (لَقدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ) كناية عن جمال صوته، وحسن أدائه، وسلامة مخارجه، وإتقانه للتلاوة، لأنها كلها أمور تتضمنها تلاوة آل نبي حسن الصوت، والتعبير بالمبني لما لم يسم فاعله (أوتيت) لتمام العلم بالفاعل، وهو الله، كما أن فيه تركيز على الغرض المنصب عليه الكلام، وهو الإشادة بجمال الصوت، وروعة الأداء، وتنكير مزمار للتعظيم أي أوتيت مزمارا

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا أبا موسى) وعند مسلم ذكر أبي موسى ونسبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٧٩٣/٢٣٥).

(٣) برقم (٧٩٣/٢٣٦).

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٨١١/٨ - ٨١٢.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر ح).

عظيماً، و (من) للتبعيض، وإضافة المزامير لآل داود بيان، وتشريف، والحديث من خلال القصة يندب كل قاريء إلى تحسين صوته بالقرآن قدر المستطاع لأن فيه نوعا من الترغيب في الاستماع للقرآن الذي هو أعظم الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مكانة أبي موسى الأشعري، وحسن صوته ومدح النبي ﷺ له:

كان من فضل الله على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن حباه بحسن الصوت وحلاوة التلاوة للقرآن الكريم، فالصوت الجميل نعمة من نعم الله تعالى على الإنسان، وقد استخدمه أبو موسى في خدمة القرآن الكريم، وقد وردت في الحديث الإشارة إلى مكانة أبي موسى الأشعري وما حباه الله من صوت حسن واستماع النبي ﷺ له وثناؤه عليه فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له: "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة" أى لو أبصرتني لسرك ذلك[1]. وإن ذلك ليعد من فضائل أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ استمع إلى قراءته وأعجبته[2] وشبهه بداود عليه السلام بحسن صوته وعذوبة قراءته، كما حبا الله أبا موسى الأشعري مع حسن صوته بما اشتهر

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/ ١٢٤٦.

به من كونه علاّمة نسّابة، كما كان خطيبًا لرسول الله ﷺ[١].

لقد كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه من أشهر علماء الصحابة الحُفّاظ للقرآن الكريم في العهد النبوي، فقد استظهره، ونهل من ينبوع العلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان من نجباء الصحابة، ومن الصحابة النبهاء، وكان من أندى الناس صوتًا، فقد حباه الله عز وجل حنجرة تتفتق عنها أجمل الأصوات وأحلى النبرات التي تدخل القلوب، وتؤثر في النفوس، وتجتذبها إلى ساحة الصفاء الإلهي.

وفي رحاب القرآن الكريم كانت حياة أبي موسى رغيدة هنيّة هيِّنة، فهو يتلوه آناء الليل، وأطراف النهار، ويقرأ ويفسر، ويفهم، ويسمع، ويعلم، ويعمل لكل ما يعمر القلوب بذكر الله عز وجل، ولقد أجاد الذهبي في حديثه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عندما صنفه في "تذكرة الحفاظ" وجعله في الطبقة الأولى من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[٢]، فقال: "كان عالمًا، عاملاً، صالحًا، تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أقرأ أهلِ البصرة وأفقههم"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

وردت في الحديث الإشارة إلى ذكر فضل نبي الله داود عليه السلام وما أكرمه الله به من جمال في الصوت ورخامة في الأداء، لدرجة أن يضرب به المثل في هذا المجال، فقال ﷺ لأبي موسى الأشعري: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير داود"، فداود عليه السلام كان لديه صوت حسن جميل رفيع[٤]، ولتأثير صوته فيمن حوله حتى في غير الإنسان يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٥]، قال ابن كثير في

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٥١.

(٢) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٠٣، ٦٠٤.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ ٢٣/١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٢٤٧/٢.

(٥) سورة سبأ، الآية: ١٠.

تفسيره لهذه الآية يخبر الله تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود صلوات الله وسلامه عليه، مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، فمعنى قوله أوبي معه أى سبحي، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب ضمنيًا في الحديث، وذلك في ثناء النبي ﷺ على قراءة أبي موسى الأشعري واستماعه لها، وإعجابه بها، وذلك في قوله: "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود"، وفي ذلك ترغيب في تحسين الصوت والاهتمام به، إذ أن تحسين الصوت بالقرآن الكريم يزيد القرآن جمالاً وحلاوة وطلاوة، ويجعله أسرع ما يكون إلى القلب نفوذًا وتأثيرًا. وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المؤثرة، إذ أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير سواء ما كان من عاجل أو آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعى هدْيِ القرآن وهَدْيِ الرسول ﷺ[2].

رابعًا- من آداب الداعية: مدح وتشجيع المواهب الحسنة:

إن الداعية محب لمدعويه متابع لأحوالهم ملاحظ لما يطرأ عليهم من تغييرات وما يظهر فيهم من نوابغ وأصحاب مواهب وملكات، فمثل هؤلاء ينبغي على الداعية مدحهم وتشجيعهم واستثمارهم لمصلحة الدعوة إلى الله تعالى، وفي هذا الحديث ثناء من الرسول ﷺ على أبي موسى الأشعري، "لقد أوتيت اليوم مزمارًا من مزامير آل داود" فإن ثناء أهل الفضل وأولي النهى في المجتمع كالدعاة والعلماء والفضلاء وأهل الخبرة على أصحاب المواهب تشجيع للمدعوين للسعي باتجاه الخبرات الجديدة وتطوير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٧/٦.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ٣٠٨ - ٣٠٩.

المهارات[١].

لأن تشجيع أصحاب المواهب - سواء كان تشجيعًا حسيًا أو معنويًا - له دور كبير في تقدم حركتهم الإيجابية البناءة وفي كشف طاقاتهم الحيوية، وأنواع هواياتهم، كما أنه يزيد في استمرارية العمل ودفعه قُدُمًا نحو الأمام بمردود جميل[٢].

---

(١) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٢٣.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص ١١٣.

الحديث رقم (١٠٠٧)

١٠٠٧ - وعن البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أحَدًا أحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يرويه البراء رضي الله عنه بالسماع عن الرسول ﷺ، والسماع من وسائل توكيد الخبر؛ لأنه يرجع إلى المتكلم نفسه لا من غيره، وقوله (قرأ) في صيغة الماضي يدل على زيادة تحقيق للفعل، وقوله (في العشاء) فيه إيجاز بالحذف أي في صلاة العشاء، وقوله (فَمَا سَمِعْتُ أحَداً أحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ) أسلوب نفي لسماع من هو أحسن صوتا من الرسول ﷺ، وكلمة (أحد ا) نكرة في سياق النفي، وتفيد التعميم، وأفعل التفضيل (أحسن) تقرر تقدمه الجميع في هذه الصفة، وهو تفضيل لصوته ﷺ على جميع الأصوات في قراءة القرآن، وهو من جملة محاسنه ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته.

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حسن صوت النبي ﷺ وتلاوته:

لقد منح الله سبحانه نبينا محمدًا ﷺ من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده، ومن صفات الكمال التي أوتيها ﷺ كَمَالُ الخَلْقَةِ وجمال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٤٦)، ومسلم (٤٦٤/١٧٧) ولفظهما سواء.

الصورة وعذوبة الصوت[١]. وقد صرح بذلك البراء بن عازب في الحديث فقال: "سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما رأيت أو سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه".

قال ابن عثيمين: (قوله: "فما سمعت قراءة أحسن من قراءته" - أو قال: "صوتًا أحسن بالقرآن من صوته" - وكلاهما صحيح؛ فالنبي ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن وهو أول - وأولى - من يدخل في قوله فيما سبق من حديث: ((مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)) [٢]، فرسول الله ﷺ أحسن الناس صوتًا بالقرآن، وأحسن الناس أداءً في القراءة؛ لأن القرآن عليه أنزل، والقرآن خُلُقُه ﷺ) [٣].

ومما لاشك فيه أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صوره، فهم في غاية الكمال في خَلْقهم وخُلُقهم، فلم يكن بدعًا من الأنبياء أن يكون كل ما عليه نبينا محمد ﷺ من الخلق والتكوين مسترعيًا للأنظار، فكما هو قمة الكمال والجمال في خُلُقه كذلك هو قمة الجمال والكمال في خَلْقِه، ولا شك أن ذلك التناسق والجمال، وحسن الصوت وعذوبته له أثره الكبير في الدعوة والاستجابة لها[٤].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في حسن الصوت بالقرآن:

إن من المُسَلَّم به أن الداعية مطالب بالاقتداء برسول الله ﷺ وذلك امتثالاً لمثل قول الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [٥]، إذ أن الداعية إذا تأسى بالرسول ﷺ انطلقت دعوته بإخلاص فانفتحت لها القلوب ووعتها الآذان الصاغية

---

(١) انظر: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٧٥٤٤، ومسلم ٧٩٢ واللفظ له.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٤٨/٢.

(٤) خاتم النبيين، الشيخ محمد أبو زهرة، القسم الأول (العهد المكي)، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

وقبلتها النفوس الطيبة[١]، ولا يقتصر التأسي على الصفات الخلقية فحسب، بل يمتد ليشمل كل شيء في الداعية حتى في عذوبة الصوت وتحسينه، إذ أن حسن الصوت وتزيينه سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه[٢]، فإن حسن الصوت وتزيينه من الصفات الضرورية في الداعية حتى يتمكن من الاستيلاء على نفوس المدعوين وجلب إصغائهم إليه[٣].

فإنه مما لاشك فيه أن النفوس تميل إلى سماع القرآن بالترنم أكثر من مليها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، تحسين الصوت وتقديم أحسن الصوت على غيره، لا نزاع في ذلك ولا خلاف مطلقًا[٤].

(وأجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت في القرآن ما لم يخرج عن القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حرم.

والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن يكن حسنًا فليحسنه ما استطاع، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حسنًا بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء)[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث ضمنيًا في نقل البراء بن عازب لمدى حسن صوت النبي ﷺ بقراءة القرآن، فقال: سمعت النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت

---

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٤.

(٣) انظر: خصائص الخطبة والخطيب، نذير محمد مكتبي ص ١١٢.

(٤) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة، ٥٩١.

(٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٨٩/٨.

أحدًا أحسن صوتًا منه"، فتحسين النبي ﷺ صوته وأمر الله بالتأسي به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] ، يرغبان في تحسين الصوت تأسيًا برسول الله ﷺ وإعظامًا للقرآن الكريم، لأن تحسين الصوت بالقرآن يأسر الألباب ويسحر العقول ويؤثر في النفوس.

(وأسلوب الترغيب من آكد الأساليب الدعوية استعمالاً وأشدها تأثيرًا في نفوس السامعين لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٠٨)

١٠٠٨ - وعن أَبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيد.

معنى (يَتَغَنَّى): يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

ترجمة الراوي:

أبو لبابة الأنصاري: هو أبو لبابة بن عبدالمنذر الأنصاري اسمه بشير. وقيل غير ذلك.

كان من أوائل الأنصار إسلامًا، فقد كان أحد النقباء ليلة العقبة، وكان من الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ حق الجهاد، فقد شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد والمغازي وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم فتح مكة. وأما بدر فقيل إنه شهدها وقيل: إن النبي ﷺ أمّره على المدينة وضرب له بسهمه وأجره. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة حين خرج إلى غزوة السَّويق.

ولما وقع منه بعض العمل غير المرضي سَارع إلى الله وأناب إليه وتاب توبة نصوحًا وأعلن توبته أمام المسلمين، وكفر ما استطاع التكفير. فسارع إلى ربط نفسه في سارية من المسجد وقال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوب الله عليّ أو أموت. فمكث أيامًا حتى أصابه الإعياء الشديد، وكانت ابنته تحلّ وثاقه للصلاة ولحاجة الإنسان. فقيل له: قد تاب الله عليك. فقال: والله لا أحلّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني. فجاء رسول الله ﷺ فحلّه بيده ثم قال: يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من جميع مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال: يجزئك يا أبا لبابة الثلث. فلم يُر منه في الإسلام بعد ذلك إلا خيرٌ حتى فارق الدنيا[2].

---

(١) برقم (١٤٧١) ولفظه: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، والمثبت لفظ أبي يعلى في المسند (٤٧٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٨) بلفظ أبي داود، وزاد: وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة، يشير إلى الحديث الذي تقدم برقم (١٠٠٥).

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥/٢٧٠ - ٢٧١) عن سعيد بن المسيب مرسلًا. وينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٧/٥٠٧).

وقد اختلف في الذنب الذي أذنبه، فقيل هو إخباره بني قريظة -بالإشارة إلى حلقه - أن جزاءهم الذبح[١]. وقيل: تخلفه عن غزوة تبوك[٢].

وقد اختلف في وقت موته فقيل: مات في خلافة عليٍّ وقيل غير ذلك[٣].

غريب الألفاظ:

يتغنَّى بالقرآن: يحسن صوته بالقرآن[٤].

الشرح الأدبي

الحديث لافتة قصيرة تعجل بالحكم، وهي تبدأ بالاسم الموصول (من) الذي يؤذن بخطاب العقلاء تحذيراً من عدم التغني بالقرآن، والذي يعنى الغلظة، والجفوة التي تمنع الخشوع، وتحدث النفرة، ولذلك جاء قوله (فليس منا) ترهيباً، وتنفيراً من ترك التغني به، وصياغة الفعل (يتغنى) في المضارع الدال على التجدد ينادي بكثرة ترديد القرآن في مختلف الأحوال بين القيام، والمشي، والجلوس، ومختلف الأوضاع التي يجوز فيها القراءة بحيث يكون القرآن نشيد المؤمن في كل وقت، وشعار الأمة المسلمة في كل حين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن والتغني به.

---

(١) ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (٩٠/٧).

(٢) ينظر السابق (٥٠٦/٧).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٥٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٤٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٥٤٣، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤١٢/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٧٨/٤). وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٢٠٨٥/٣).

(٤) رياض الصالحين ٣٨٩.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

ورد أسلوب النفي في الحديث حيث بين النبي ﷺ أن من لم يتغن بالقرآن يتلذذ بقراءته ويتمتع بما فيه من روائع الحكم والمواعظ ويعطيه حقه من إشباع الحروف والحركات ونحوهما فليس من أهل الهدي المحمدي والطريق الإسلامي[١]، وليس من أهل الإيمان الكامل فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وأسلوب النفي من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على الحقائق ونتائج الأعمال السلبية والابتعاد عن الأعمال الإيجابية من فوات الثواب والوقوع في المحذور.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد الترهيب في الحديث من عدم الاهتمام بالقرآن الكريم حال قراءته، وقراءته على النحو الذي يليق بعظمة القرآن ومكانته، فقال ﷺ "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" وفي ذلك ترهيب أيما ترهيب من الإهمال في تحسين قراءة القرآن وتجويده، والترهيب من الأساليب الدعوية المؤثرة في النفس البشرية وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، فالترغيب والترهيب والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم سلوكهم[٢]، وتظهر أهمية ومكانة الترهيب من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ۝٤٠﴾[٣]، وقوله ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾[٤].

وقد بين الحق تبارك وتعالى أن الترهيب سبب مشيئته تعالى للوصول إلى أرقى درجات الإحسان، فمثلاً صاحب القلب الخائف هو الذي يقيم الصلاة على أكمل وجه

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هشام ص ٥٤٣.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٤٤.

وهو الذي يؤدي الزكاة بنفس طيبة وهو الذي يخشى الله في السر والعلانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1]، ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2][3]، وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[4].

قال ابن القيم: الخوف ركن ركين من أركان الإحسان، وهي الخوف والرجاء والمحبة[5].

إن أسلوب الترهيب من أبرز الأساليب الدعوية فهو يغوص في النفس الإنسانية ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات حتى تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمًا، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة[6]؛ فالترهيب خاتمة الأساليب لكثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية حيث يصح أن نطلق عليه "أسلوب آخر الدواء الكي" بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين[7] ارتدع بالترهيب والتخويف.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تحسين الصوت بالقرآن الكريم والتغني به:

لقد جعل الله بفضل القرآن هدى للناس عمومًا وللمتقين خصوصًا وأنزله شفاءً

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٢.

(٣) انظر: معالم غائبة عن حياة المسلمين، ربيع بن محمد السعودي ص ١٠٣.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

(٥) انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم ص ٢٦٢.

(٦) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦/٤.

(٧) انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠ - ٧٤.

للصدور من أمراض الشبهات والشهوات ويحصل به اليقين والعلم في المطالب العاليات وشفاء للأبدان من أمراضها وعللها وأسقامها[١]، ولكي يستفيد المسلم بثمار القرآن الدانية أمر الله بتعاهده بالتلاوة والترتيل، قال تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ تلاوة وترتيلاً يليق بجلال وجمال القرآن وعظمته[٢]، ومن ذلك تحسين القراءة والترتيل والتغني به وكما جاء في الحديث "من لم يتغن بالقرآن فليس منا".

قال ابن عثيمين: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا" قال العلماء: هذه الكلمة لها معنيان:

الأول: "من لم يتغن" أي: من لم يستغن به عن غيره بحيث يطلب الهدي من سواه ليس منا - فهذا ولا شك - أن من طلب الهدى من غير القرآن أضله والعياذ بالله.

والمعني الثاني: "من لم يتغن" أي: لم يحسن صوته بالقرآن فليس منا؛ فيدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحسن صوته بالقرآن وأن يستغني به عن غيره)[٣].

ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وأوقع في النفوس وأدعى للاستماع والإصغاء، وهي كالحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفيذه إلى أمكنة الداء وكالأفاوية التي يطيب بها الطعام ليكون الطبع أدعى قبولاً له لكن شرطه أن أن لا يغير اللفظ ولا يخل بالنظم ولا يخفى حرفًا ولا يزيد حرفًا وإلا حرم إجماعًا.

فالواجب على القارئ تحسين صوته بالقرآن، فإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع[٤].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي ص ٥١٦.

(٢) انظر: العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، د. سعيد بن فالح المغامس، بحث منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر، محرم ١٤١٥هـ، يونيو ١٩٩٤م ص ١٠٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٢٤٨/٢ - ١٢٤٩، وقد نقل ابن حجر مجموعة من أقوال العلماء في معنى الحديث وشرحه، انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦٨٦/٨ - ٦٩٠.

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٤.

وقد اعترض التوربشتي على المعنى الثاني للكلمة بعدما رجح الاستغناء، فقال: (قوله: "من لم يتغن بالقرآن فليس منا"، المعنى: ليس من أهل سنتنا، أو ممن تبعنا في أمرنا وهو وعيد لا خلاف بين الأمة أن قارئ القرآن مثاب في غير تحسين صوته فكيف يجعل مستحقًا للوعيد وهو مأجور؟ قال الطيبي: ويمكن حمله على معنى التغني أي ليس من معشر الأنبياء من لم يحسن صوته بالقرآن، ويستمع الله منه بل يكون من جملة من هو نازل عن مرتبتهم، فيثاب على قراءته كسائر المسلمين لا على تحسين صوته كالأنبياء ومن تبعهم فيه) [١].

وقد وردت النصوص الكثيرة الحاضة على تحسين الصوت بالقرآن منها قوله ﷺ: ((لَم يأذَنِ الله لشيء ما أَذنَ للنبيِّ أنَّ يتغنى بالقرآن)) [٢]، قال ابن كثير: ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم [٣] والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به [٤] ولما استمع النبي ﷺ إلى قراءة أبي موسى الأشعري قال له ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)) [٥]، ولا يعني تحسين القراءة إخراج القراءة عن حدها المشروع من تمطيط الكلام وعدم إقامته والمبالغة فيه حتى ينقلب لحنًا، فهذا ليس بمشروع البتة [٦] وإنما المراد بالتغني وتحسين الصوت بالقرآن: تحسين الصوت بالقراءة مع الجهر بها سجية دون صناعة وذلك واجب ديني، فلقد كان رسول الله ﷺ يحسن قراءة القرآن

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٣٨٧/٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٢٣، ومسلم ٧٩٢.

(٣) فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، ط١ ص ٢١٢.

(٤) المرجع السابق ص ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

(٦) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ٢٥، ٢٦.

مع حسن الصوت والخشوع والتدبر وقد نقل إلينا القرآن على الصفة المتلقاة بالمشافهة عن رسول الله ﷺ ووصلت إلينا بالتواتر فدل ذلك على وجوب التجويد وحسن الأداء[١].

قال ابن الأعرابي: (كانت العرب إذا ركبت الإبل أو جلست في أفنيتها تغني فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون القرآن مكان التغني)[٢].

---

(١) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد عبدالله الطويل، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ٢١٤/١، ٢١٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٥٨/٩.

الحديث رقم (١٠٠٩)

١٠٠٩ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ))، فقلتُ: يَا رسولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: ((إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)) فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هذِهِ الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ قَالَ: ((حَسْبُكَ الآنَ)) فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حسْبك: اكتف بهذا[2].

تذرفان: يسيل دمعُهما[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي قال (لي النبي ﷺ) له خصوصية من وجهين: الأول أنه اختصاص لنفسه ونفي عن غيره؛ لأنه قدم الجار والمجرور على الفاعل فأفاد الاختصاص، وتركيب عبارته يوحي باعتزازه بقول النبي ﷺ له هذا القول، ثانياً: أنه سمع بنفسه، وهو الذي نقل الحديث، وأحد طرفي الحوار مما يزيد الخبر الذي يرويه تأكيداً، ومقول القول هو أمر النبي له في قوله (اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ) وتقديم حرف الجر المتصل بياء المتكلم على المفعول به للاختصاص أي عليَّ أنا لا غيري، وهذا الاختصاص لاعتقاد

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠/٢٤٧)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٢٤/١، رقم ٢٦٢)، وتقدم برقم (٤٤٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ب).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ذ ر ف).

المخاطب أنه يريد أن يقرأ على غيره، ولذلك جاء نداؤه بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه إشارة إلى بعد مكانته، ثم ناداه بلقبه، وأضافه لربه، وكأنه يذكره بمنزلته (رسول الله) ثم تلاه استفهام التعجب (يَا رسول اللهِ، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟!) وقدم الجار والمجرور على الفعل أي نزل عليك لا على غيرك، وقد جاء رد النبي ﷺ معللاً للأمر، وقد أكد الخبر لينزع من نفسه تلك الحالة من التعجب (إِنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيرِي) فقرأ ابن مسعود، واستمع الرسول ﷺ حتى قال له (حَسْبُكَ الآنَ)، وقوله (فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَان) والفعل التفت فيه مفاجأة قررتها (إذا) قال ابن القيم: وأما بكاؤه ﷺ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كانت تدمع عيناه حتى تهملا، ويسمع لصدره أزيز، وكان بكاؤه تارة رحمة للميت، وتارة خوفاً على أمته، وشفقة عليها، وتارة من خشية الله، وتارة عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياق، ومحبة، وإجلال مصاحب للخوف، والخشية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٤٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: الترغيب والترهيب:

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، فقال ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ».

قال المنذري: "أذن بكسر الذال، أي ما استمع لشيء من كلام الناس، كما استمع الله إلى من يتغنى بالقرآن، أي يحسن به صوته"[1].

وقال النووي: "وهو إشارة إلى الرضى والقبول"[2]، كما رهّب النبي ﷺ من عدم تحسين الصوت بالقرآن، فقال: "من لم يتغن بالقرآن فليس منّا"[3].

وأسلوب الترغيب والترهيب له أهمية تربوية فعّالة، فإن "الإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب. والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكدان على أهمية هذا الجانب بما تضمنا من ترغيب وترهيب يستجيش قلب الإنسان نحو الخير ويوجهه لذلك، ويخوفه من الانحراف ويحذره من ذلك.

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في العملية التربوية من عدة اعتبارات، من أهمها:

أ - الإنسان مفطور على حب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء، وهذا يدفع الإنسان للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي، وذلك لأن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء، وهما مركوزان في النفس البشرية.

---

(١) الترغيب والترهيب ص ٣٣١، بعد الحديث ٢٢٥١ الدولية.

(٢) رياض الصالحين، ٣٨٩.

(٣) ساق المنذري هذين الحديثين وغيرهما في الترغيب والترهيب، تحت باب الترغيب في تعاهد القرآن، وتحسين الصوت به ص ٣٣١، ٣٣٢، الأحاديث: ٢٢٤٩ - ٢٢٥٧.

ب - أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية"[١].

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الجمالية:

لقد رغّب الرسول ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن، وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها، ولا شك أن هذا يندرج تحت ما يعرف في التربية بالتربية الجمالية التي تلبّي حاجة من حاجات الناشئة وتشبع بعض نوازعهم، فقد "خلق الله الإنسان، وجعل بينه وبين الكون وكل ما فيه ترابطًا بالإحساس والإدراك، فالإنسان من هذا الجانب ميّال إلى الجمال: الرائحة العطرة في الكون تجذب إدراكه الحسي، والرائحة الكريهة تنفر الإنسان منها، والأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تجذب أحاسيس ومشاعر كل إنسان يرى هذه الأفعال، والمناظرة البديعة في الكون، والتناسق في مكوناته يثير إحساس الإنسان بالجمال، والإسلام يحوي منهجًا تربويًا متكاملاً يتضمن جوانب الجمال، ويربى الإنسان على هذا المنهج الجمالي، والقرآن الكريم والحديث الشريف يوجهان الإنسان، ويربيانه على حبّ الخير وعلى الإحساس والتذوق الجمالي، ثم الإبداع - إن كانت هناك قدرات طبيعية لدى الإنسان المبدع - وهكذا تشبع حاجات الإنسان كلها، فتتوازن القوى التي تبني الشخصية الإسلامية، وهكذا يتوجه الإنسان إلى قوى الإبداع في الكون وإلى الجمال الخلقي والجمال الاجتماعي وكمال الإسلام، وتناسق مبادئه، فتسمو حياته، وتهذب مشاعره، وتتحقق فيه مبادئ فلسفة التربية الإسلامية التي يريدها الإسلام.

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين ويُسرى في النفس إحساسًا بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات، ولذا كان الهدف الأول للتربية هو تكوين الشخصية المتكاملة بجوانبها المختلفة، فإن الجانب الجمالي يعتبر في نظر المربين لا يقلّ أهمية في تكوين الشخصية عن أي جانب آخر كالعقلي أو الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٢٩٣ - ٢٩٥ بتصرف.

والتربية الجمالية ترمي إلى إنماء عاطفة الجمال الكامنة في النفس ويحدث ذلك عن طريقين:

أ - تقديرنا للجمال.

ب - إنتاجنا لهذا الجمال : أي الابتكار.

والتربية الجمالية في الإسلام لها أهداف منها:

أ - تربية الإنسان على التعلق بالخير والنفور من الشر.

ب - تربية أحاسيس الإنسان بالوحدة الفردية، وكمالها بكمال الوحدة الكلية الإنسانية في المجتمع.

ج - تربية الإنسان على الإحساس بجمال صوتيات ومرئيات كل مخلوقات الكون التي تستمد جمالها وكمالها من خالق هذا الكون.

د - تربية الإنسان على الاستمتاع بحياته، والترويح في ضوء مبادئ الإسلام.

هـ - تربية المسلم على جمال مظهره [(١)].

ثالثا: من مهام المربي: تشجيع الموهوبين:

مَنّ الله عز وجل على الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بحسن تلاوة القرآن الكريم، وقد سمعه النبي ﷺ وهو يتلو القرآن فقال له: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ».

وفي رواية: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ».

فكان هذا من النبي ﷺ ثناءً على أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولاشك أن هذا يؤتي بالأثر المحمود والنتيجة الطيبة على المثنى عليه والممدوح. ومن هذا المنطلق، فإن على المربين أن يشجعوا الناشئة وخاصة الموهوبين منهم، فإن "التشجيع الحسي أو المعنوي خير كله، وعنصر ضروري من عناصر التربية، لا غنى عنه، ولكن بدون إفراط. وللتشجيع دور كبير في نفس الطفل، وفي تقدم حركته الإيجابية البناءة. وفي

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٢٤٢ - ٢٦٢، وانظر: كذلك مراجعه ومصادره.

كشف طاقاته الحيوية ،وأنواع هواياته، كما أنه يزيد في استمرارية العمل، ودفعه قدمًا نحو الأمام بمردود جيد، فليكن شعار الوالدين والمربين في تشجيع الأطفال: قل يا بني ولا تحقر نفسك. ومن التشجيع الحسن تشجيع الأطفال على الأمور الحسنة، ومن بينها شراء الكتب النافعة ليصبح للطفل مكتبة علمية تنمو مع نموه" (١).

وقال النووي عن آداب المعلم: " وينبغي أن يحرضهم - أي: تلاميذه - على الاشتغال (بالعلم) في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات، فمن وجده حافظًا مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك، ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه، ومن وجده مقصرًا عنّفه إلا أن يخاف تنفيره، ويعيده له حتى يحفظه حفظًا راسخًا، وينصفهم في البحث، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم، وإن كان صغيرًا، ولا يحسد أحدًا لكثرة تحصيله، فالحسد حرام للأجانب وهنا أشد، فإنه بمنزلة الوالد، وفضيلته يعود إلى معلمه منها نصيب وافر، فإنه مربيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجميل" (٢).

رابعًا: من آداب المربي: التزام ما يربى عليه الناشئة: "التربية بواسطة العمل":

لقد رغب النبي ﷺ في تحسين الصوت بالقرآن فقال: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ، مَا أَذِنَ لِنَبِي حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». هذا ترغيب بالقول، وقد رغّب ﷺ في ذلك أيضًا بالفعل فقد قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بـ"التِّينِ وَالزَّيْتُونِ". فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ». وهذا يوضح خصيصة التربية الإسلامية، وهي أنها "تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء أو إلى خلق فاضل أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما يصوره الإسلام، والرسول المربي يبين لنا منهاجًا تربويًا أساسيًا وهو أن يتمثل المعلم دائمًا ما يقول ويعلّم وإلا فلا أثر لذلك، إن الذي يقف في حجرة الدراسة عشرات الساعات يشرح أهمية الشورى وضرورة الحوار دون أن يمارس ذلك بالفعل مع طلابه ومع زملائه، قليلاً ما ينتج

---

(١) المنهج النبوي في تربية الطفل ص ١١٣، ١١٤ ومرجعه.

(٢) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ٧٨/١.

ونادرًا ما يفيد، وقد كان الرسول المربي يثبت بالبراهين العملية والتجارب الفعلية أن ما يدعو إليه هو أمر ممكن التنفيذ، آية ذلك أنه مشخص في سلوكه ... فالتعلم بالعمل والممارسة مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية"[١].

"لقد حكي عن بعض السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بقرون عديدة.

فمن البديهي أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع في النفس وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة.

إن التعليم بقصد التطبيق شرط من شروط صحة العلم وقبوله عند الله، وهذا القصد يجعل تصور الطالب للأمور التي يتعلمها أوسع تفصيلاً وأعمق أثرًا في نفسه، وأقرب إلى الفائدة في الحياة"[٢].

خامسًا: مشاركة المتعلم في العملية التعليمية:

لقد طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، فقال ابن مسعود مستفهمًا: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فأجابه النبي ﷺ قائلاً: إني أحب أن أسمعه من غيري...."، ففي هذا الحديث يمكن أن يستدل به على إشراك المتعلم فيما يتعلم، ولا يكون دوره هو التلقي والاستماع فقط، فإن التربية الحديثة "تنادي بضرورة اشتراك الطلبة في الدرس وعدم احتكار المعلم الدرس، واستئثاره لنفسه دون الطلبة، فالتربية الحديثة تنادي بفعالية الطالب ومشاركته في الدرس ليكون عضوًا فعالاً يشارك ويشرح ويستفهم ويستنبط. وبذلك تكون المعلومات جزءًا من خبرته، فيسهل فهمه من جهة، وتطول مدة بقائها في ذهنه من جهة أخرى... إن القاعدة التربوية تقول: إن كل ما يمكن استنتاجه من التلاميذ يحرم إلقاؤه عليهم، لذا فإنه يجب على المعلم إشغال

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ٣٣٧، ٣٣٦ ومراجعه.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢ بتصرف.

الطلبة في أمر حيوي طوال الدرس وعدم إهمال أي أحد منهم، فطبيعة الطفل ميله للحركة والفعالية، والطفل إن لم تَشْغَله شَغَلَك، وفيما يلي بعض المقترحات التي تعين المعلم على مراعاة اشتراك الطلبة في الدرس بالشكل الذي يتلاءم مع متطلبات الموقف التعليمي:

١ - يجب على المعلم ألا يتكفل بسرد الدرس وإلقائه لوحده، وإنما يقوم بإشراك الطلبة في استنتاج معلومات الدرس والتوصل إليها بأنفسهم حتى لا يكونوا مستمعين فقط.

٢ - يجب على المعلم إشراك الطلبة في الإجابة على الأسئلة التي يطرحها أثناء الشرح ويجعلهم يتوصلون إلى القاعدة بأنفسهم.

٣ - يجب على المعلم إثارة روح التنافس الجمعي الشريف بين الطلبة بأن يقسّم الصف إلى مجموعات، ويدفع هذه المجموعات للتنافس فيما بينها..."[1].

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان المكي الهاشمي ص ٢٥١ - ٢٥٥، ومصادره ومراجعه.

١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

الحديث رقم (١٠١٠)

١٠١٠- عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بن الْمُعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: ((أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآن قَبْلَ أنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟)) فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ في القُرْآنِ؟ قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

رافع بن المُعلَّى: هو أبو سعيد بن المعلَّى الأنصاري، من عداد أهل الحجاز. يقال له: الحارث بن أوس بن المعلى، ويقال: رافع بن أوس بن المعلى. له صُحبة ورواية عن النبي ﷺ. ولا يعرف في الصحابة إلا بحديثين، أحدهما: عن أفضل سورة في القرآن، والثاني عن تغيير القبلة.

وقد روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين.

وتوفي سنة ٧٣هـ وهو ابن ٦٤ سنة، وقيل تُوفي سنة ٧٤هـ[2].

غريب الألفاظ:

المثاني اختلف في تسمية الفاتحة المثاني فقيل: لأنها تثني في كل ركعة أي تعاد، وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[3].

---

(١) برقم (٥٠٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٤٩).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٤٨٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١٥)، الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦٠٠/٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣٩/٦-١٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣١٨/٨-٣١٩)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٢٧/٤).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٨.

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الفاتحة بدأ بأسلوب إنشائي وهو الاستفهام في قوله (أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟) وهو استفهام عرض، وتشويق دلت على العرض الأداة (ألا) بينما أخذ التشويق من أفعل التفضيل (أعظم) المضافة للسورة، والجار والمجرور في قوله (في القرآن) وقد زاده تشويقا، وترقباً بالظرف (قبل) المتعلق بالخروج من المسجد، فأدرك أنه ينظر خيراً عظيماً قريباً، وقوله (فأخذ بيدي)، وإن كان هذا الفعل يبدو عفوياً، ولكنه يعد كناية عن المودة، والتقريب مع ما فيه من التنبيه إلى المعنى، وتثبيته في عقله لارتباطه باللمسة الحنونة من رسول الله ﷺ، وقوله للرسول ﷺ (إِنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟) استفهام تقرير، وتذكير يعكس ترقبه، وشوقه إلى معرفة هذه السورة وقول الرسول ﷺ (الحمد لله رب العالمين) فيه إيجاز بالحذف أي هي التي تبدأ بالحمد لله رب العالمين، يعني فاتحة الكتاب، والتعريف بالضمير (هي) للمدح، والتعظيم، والحديث يبين فضل سورة الفاتحة، ويرغب في كثرة تلاوتها، وتدبر معانيها.

فقه الحديث

قال القاضي عياض[1]: فيه حجة للقول بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض، وتفضيله على سائر كتب الله تعالى، قال: وفيه خلاف للعلماء، فمنع منه أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني وجماعة من الفقهاء والعلماء، لأن تفضيل بعضه يقتضي نقص المفضول، وليس في كلام الله نقص به، وتأول هؤلاء ما ورد من إطلاق أعظم وأفضل في بعض الآيات والسور، بمعنى عظيم وفاضل. وأجاز ذلك إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء والمتكلمين قالوا: وهو راجع إلى عظم أجر قارئ ذلك وجزيل ثوابه. والمختار جواز قول هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل، بمعنى أن الثواب المتعلق بها أكثر وهو معنى الحديث، والله أعلم)[2].

---

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٧٧-١٧٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٨١ .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة.

رابعًا: من مهام الداعية: البيان والإرشاد.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن"، وهذا استفهام من النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلى شحذًا لذهنه وجلبًا لتطلعه إلى الجواب، ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا تربويًا صحيحًا، وهذا الأسلوب يدفع بالمدعوين إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركونه من حقائق[1]، واستخدام أسلوب الاستفهام يحمل المدعوين إلى توجيه كل اهتماماتهم لما يلقى إليهم، ليتمكنوا من فهمه ثم الإجابة عليه[2]، والأمثلة على استخدام النبي ﷺ أسلوب الاستفهام تبلغ حدًا من الكثرة، منها ما استخدمه النبي ﷺ كوسيلة من وسائل الإيضاح للعقيدة الإسلامية بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف، فروى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنْت رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ

---

(١) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٣.

(٢) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ١٧٢.

ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[١].

لذا يعد أسلوب الاستفهام من أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا لما فيه من تأثير في شد انتباه المدعوين ولفت أنظارهم.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت الإشارة إلى هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ لأبي سعيد رافع بن المعلي، أعظم سور في القرآن، قائلاً له "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد" والتعليم من أهم الوسائل الدعوية، ولأهمية التعليم وطلب العلم والاستزادة منه نجد أن الرسول ﷺ أوجد في مجتمع العرب الأميين نهضة فكرية وتعليمية شاملة، ونفخ في الأمة روحًا في الإقبال على العلم والتعليم[٢]، الذي يسعى إلى إنارة العقل بالحق، وتوضيح الخطوط الشرعية والاعتقادية لصحة سير الشخصية الإسلامية إذ لا عمل بدون علم، فبدون العلم تبقى الشخصية معرضة للانحراف أو الخطأ والزلل الفكري والنظري والعملي[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل وعظم سورة الفاتحة:

جاء في صريح الحديث أن الفاتحة هى أعظم سورة في القرآن، حيث قال رسول الله ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعَلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن" وفي نهاية الحديث قال ﷺ : "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" واختلف في تسمية الفاتحة بالمثاني، فقيل لأنها تثنى في كل ركعة أى تعاد، وقيل لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل لأنها استثنيت لهذه الأمة لم تنزل على من قبلها[٤]، وإنما كانت سورة الفاتحة أعظم سورة؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذا سميت بأم القرآن[٥]، قال

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٣٧٣.

(٢) ركائز دعوية من هدى النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٤٧.

(٣) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٠٥-١٠٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ٨/٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٦.

أبو عبدالله القرطبي: وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل. إن جميع القرآن فيها، وهى خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن، ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده، ولا تصح القربة إلا بها، ولا يلحق عمل بثوابها، وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم[١].

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي ما سَأَلَ»[٢]. قال أبو عبدالله القرطبي: (قال البُستيُّ: ومعنى هذه اللفظة: "ما في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن" أن الله تعالى لا يعطي لقارئ التوراة والإنجيل مثل ما يعطي لقارئ أم القرآن، إذ الله بفضله فضّل هذه الأمة على غيرها من الأمم وأعطاها من الفضل على قراءة القرآن كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه وهو فضل منه لهذه الأمة)[٣].

والفاتحة إنما سميت أم القرآن لأنها جمعت واحتوت مجمل ما جاء في القرآن، قال الطاهر بن عاشور: (فالفاتحة تضمنت مناجاة للخالق جامعة التنزه عن التعطيل والإلحاد والدهرية بما تضمنه قوله "مالك يوم الدين" وعن الإشراك بما تضمنه "إياك نعبد وإياك نستعين" وعن المكابرة والعناد بما تضمنه "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" فإن طلب الهداية اعترف بالاحتياج إلى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بأن من العلم ما هو حق، ومنه ما هو مشوب بشُبَه وغلط، ومن اعترف بهذين الأمرين فقد أعد نفسه لاتباع أحسنهما والبعد عن الضلالات التي تعترى العلوم الصحيحة والشرائع الحقة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها إلى دركة أقل مما وقف عنده الجاهل البسيط، وذلك بما تضمنه قوله: "غير المغضوب عليهم ولا الضالين"، ولأجل هذا سميت هذه السورة أم القرآن)[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/ ١١٠.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٣٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٤٩٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١/١/١٠٩.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١/١/ ١٥٣، ١٥٤.

وقال ابن عثيمين: (سورة الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، ولهذا تسمى أم القرآن، والأم: هو الذي يرجع إليه الشيء، فسورة الفاتحة ترجع إليها معاني القرآن كلها، ولذلك أوجب الله قراءتها في كل ركعة من الصلوات، فقال النبي ﷺ: "لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن"، وفي رواية: "بفاتحة الكتاب" [(١)]، وهذه السورة لها خصائص منها: أن الإنسان إذا قرأها على مريض فإنه يشفى بإذن الله، لكن بشرط أن يقرأها بإيمان - يعني وهو مؤمن أنها رقية نافعة.

والشرط الثاني: أن يقرأها على مريض مؤمن أيضًا مصدق بأنها رقية ونافعة، ويدل على هذا أن النبي ﷺ بعث سرية، فنزلوا على قوم فاستضافوهم ولكن القوم لم يضيفوهم، فسلط الله على سيدهم - أي: سيد القوم - أن لدغته عقرب، وتأذى منها أذى شديدًا، فقال بعضهم: اذهبوا إلى هذا الرهط لعل فيهم قارئًا يقرأ، فجاءوا إلى السرية، وقالوا: إن سيدهم لدغته عقرب فهل منكم أحد يقرأ؟ قالوا: نعم، ولكن ما نقرأ عليكم إلا إذا أعطيتمونا مكافأة غنمًا، فقالوا: نعطيكم، فتقدم أحد القوم من الصحابة، فجعل يقرأ عليه سورة الفاتحة -وهو أشد ما يكون من الألم - فقرأ عليه، فقام الرجل المريض كأنما نشط من عُقال، يعني: كأنه بعير فُكَّ عقاله، ليس فيه داء، فأعطوهم الغنم، ثم قال بعضهم لبعض: نخشى أن تكون الغنم حرامًا، لا نأكل منها حتى نصل إلى النبي ﷺ، فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ قال لهم: "خذوها واضربوا لي معكم بسهم" [(٢)]، يعني اجعلوا لي سهمًا منها، وإنما قال ذلك تطييبًا لقلوبهم، وإلا فهو ﷺ في غنًى عن هذا، لكن تطييبًا وبيانًا لحلّ هذا الشيء، ثم قال للذي قرأها: وما يدريك أنها رقية؟ فإذا قرأ الإنسان على مريض وهو مؤمن أنها رقية والمريض مؤمن كذلك بأنها نافعة بإذن الله؛ فإن الله تعالى ينفع بها نفعًا عجيبًا، هذا من فضائل سورة الفاتحة، وهي أعظم سورة في كتاب الله كما في الحديث) [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ واللفظ له.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري ٢٢٧٦، ٥٠٠٧، ومسلم ٢٢٠١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٥٠ - ١٢٥١.

رابعًا - من مهام الداعية: البيان والإرشاد:

إن المهمة الرئيسة للأنبياء وأتباعهم من الدعاة أن يوضحوا الحق للناس ويبينوه[١]، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[٢]، أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار حتى يعرفه الناس على وجهه الصحيح، وهذه الآية وإن حكت ما فعله أهل الكتاب فقد تضمنت في نفس الوقت أن يحذوا حذوهم ويسلكوا سننهم.

فيا أيها المسلمون إياكم وهذا العمل الشنيع الذي يقوم به أهل الكتاب، ولا تحزنوا ولا تضعفوا واصبروا واتقوا الله وبينوا الكتاب ولا تشتروا به ثمنًا قليلاً وعرضًا زائلاً ولا تفرحوا بما تفعلون[٣].

وهذه الآية بينت ما يجب على الدعاة من الدعوة إلى الله وما ينوط بهم من التبيين والتوضيح والإرشاد، إذ أن مدار وظيفة الدعاة على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم[٤]، وفي الحديث يعطينا النبي ﷺ المثل الحى والأنموذج التطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الدعاة، وذلك في تبيينه ﷺ لأعظم سورة في القرآن، وذلك دلالة للمدعوين على مواطن الخير وفضائل الأعمال، فقال ﷺ لأبي سعيد رافع بن المُعَلَّى: "ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد"، وإنما قال له ذلك ولم يعلمه بها ابتداء ليكون أدعى إلى تفريغ ذهنه لتلقيها وإقباله عليها بكليته[٥]، وأجابه بقوله "الحمد لله رب العالمين هى السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨٧.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٥٩/٤/١.

(٤) انظر هداية المرشدين، الشيخ على محفوظ ص ٢٠٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٥.

الحديث رقم (١٠١١)

١٠١١- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ))[1].

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ)) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ الله؟ فَقَالَ: ((﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: ثُلُثُ الْقُرْآنِ)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر[3].

شقَّ عليهم: ثقُل عليهم[4].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الإخلاص وهي سورة يبدو فضلها من اسمها، ومسماها حيث اشتملت على أعظم المعاني، وهو توحيد الله تعالى، ولذلك جاء حديث الرسول ﷺ في بيان فضلها يتصدره القسم وهو من وسائل التشويق والتنبيه على عظم ما يتلوه، وطبيعة القسم بقوله، (والذي نفسي بيده) توحي بالرهبة التي تقرر أن الكذب على هذه الحال من أبعد المستحيلات ثم إنه أكد الخبر بإن بعد القسم والضمير العائد عليها، ثم للام الداخلة على جملة الخبر لينفي عن الخبر وهم المبالغة في عدل هذه السورة القصيرة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣).

(٢) برقم (٥٠١٥).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ق ق).

لثلث القرآن؛ لأن أجر ثلث القرآن عظيم، والقول بأن سورة قصيرة تعدله يحتاج إلى تمهيد النفس لاستقباله حتى يدخل عليها دخول الخبر المأنوس، وهو نوع من تمهيد النفوس لاستقبال الأخبار العظيمة، فأي عاقل يسمع هذا الحديث ثم لا يحرص على تحصيل أجر قراءة القرآن بقراءتها ثلاث مرات، وأي وقت سيضيع فيها؟؛ ولذلك جاء في الرواية الثانية أسلوب الاستفهام التشويقي حول هذا المعنى حيث إن النبي ﷺ (قَالَ لأَصْحَابِهِ: ((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟)) وهذا أمر خارج على الطوق فجاء استفهامهم (أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رسولَ اللهِ؟) استبعادا لأن يستطيع إنسان قراءة ثلث القرآن في ليلة فجاءهم رده يحمل العبأ عنهم، ويحقق الأجر لهم بفضل هذه السورة العظيمة (فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: ثُلُثُ الْقُرْآنِ).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص.

ثالثًا: من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال.

أولاً - من أساليب الدعوة: القسم:

من أساليب توكيد الأمر وتحقيقه "القسم"[1]، وقد ورد أسلوب القسم في الحديثين الأول والثاني في قوله ﷺ في (قل هو الله أحد)، "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تأكيد الأخبار وجمع لانتباه ما، ويعتبر أسلوب القسم وسيلة هامة من وسائل وأساليب إبلاغ الدعوة بسبب خصائصه ومميزاته[2].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم ص ١٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد أحمد غلوش ص ٣٢٧ ص ٣٣٥.

إذ أنه من أقوى أساليب التوكيد المتعارف عليها في جميع العصور، ويأتي القسم إما لحمل المخاطب على الثقة بكلام الحالف، وأنه لا يكذب فيه إن كان خبرًا ولا يخلفه إن كان وعدًا أو وعيدًا أو نحوهما، وإما لتقوية عزم الحالف نفسه على فعل شيء يخشى إحجامها عنه أو ترك شيء يخشى إقدامها عليه وإما لتقوية الطلب من المخاطب أو غيره وحثه على فعل شيء أو منعه.

فالغاية العامة لليمين قصد توكيد الخبر ثبوتًا أو نفيًا[1]، وقد ورد أسلوب القسم كثيرًا في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقد جمع كثير من العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتأويل، ومن أبرز الكتب في ذلك كتاب "التبيان في أقسام القرآن"، للإمام ابن القيم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل سورة الإخلاص:

جاء في الأحاديث الثلاثة بيان رسول الله ﷺ لفضل سورة الإخلاص مبينًا أنها تعدل ثلث القرآن قائلاً في حديثي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قوله ﷺ: "إنها تعدل ثلث القرآن" وإنما عدلت ثلث القرآن باعتبار معاني القرآن، لأنه أحكام وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هى على القسم الثالث فكانت ثلثًا بهذا الاعتبار، وقال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى يتضمنان جميع أصناف الكمال، لم يوجدا في غيرها من السور وهما الأحد والصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز خصال الكمال، وذلك لا يصح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٤٥/٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات العقل ثلثًا[١]، وسميت بسورة الإخلاص لأن فيها تعليم الناس إخلاص العبادة لله تعالى أى سلامة الاعتقاد من الإشراك بالله غيره في الإلهية، وسميت بسورة التوحيد لأنها تشتمل على إثبات أنه تعالى واحد، وفي الإتقان أنها تسمى سور الأساس لاشتمالها على توحيد الله، وهو أساس الإسلام[٢].

فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه. والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقه نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوزام الصمدية، وغناه وأَحَديَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تَعْدِل ثلثَ القرآن، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورة الإخلاص الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن. وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلمي. كما خلصت سورة "قل يا أيها الكافرون" من الشرك العملي الإرادي "القصدي". ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله، كانت سورة "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن[٣].

وقد نصّ كثير من العلماء على أن ثواب قراءة سورة الإخلاص يعدل ثواب قراءة ثلث القرآن، قال النووي: (وقيل: معناه - أي قوله أنها تعدل ثلث القرآن - إن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثلث القرآن بغير تضعيف)[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٦٧٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٠/١٢ /٦١١-٦١٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٣٥/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

وقال د. محمد محمود حجازي: (ولا حرج على فضل الله الذي يهب لمن يقرؤها بتدبر وتفهم مثل ما يهبه لقارئ ثلث القرآن) [١]، وكل ذلك يدل على فضل سورة الإخلاص، فينبغي على المسلم أن يحرص على قراءتها، لنيل الثواب، ورضى رب العباد.

ثالثًا - من أصول الدعوة: توحيد الله وتنزيهه سبحانه وتعالى:

إن الأصل في الإسلام هو توحيد الله تبارك وتعالى وتنزيهه سبحانه وتعالى وتلك هى ركائز الإيمان، فالإيمان بالله يتضمن توحيده في ثلاثة (في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي أسمائه وصفاته[٢]، ومعنى توحيده في هذه الأمور اعتقاد تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنًا بالله حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره وأنه الكامل في صفاته وأسمائه، ولا كامل غيره فهو سبحانه[٣] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]، وهذه المعاني جمعتها سورة الإخلاص التي طوت في كلماتها التوحيد الخالص لله تعالى، فعدلت ثلث القرآن كما جاء في الأحاديث الثلاثة: "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"، وأنها تعدل ثلث القرآن.

قال المناوي: (و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن لأن معاني القرآن آيلة إلى ثلاثة علوم: علم التوحيد، وعلم الشرائع، وعلم تهذيب الأخلاق وتزكية النفس، والإخلاص تشمل على القسم الأشرف منها الذي هو كالأصل للأخيرين، وهو علم التوحيد وإثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفي ما سواه وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس ولوحت إلى نفس عبادة غيره)[٥].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٣٠/٩٠.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٩.

(٣) الإيمان وأركانه، حقيقته، نواقضه، د. محمد نعيم ياسين ص ٦.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١/٣٦٧.

فالمقصد الأعظم من سورة الإخلاص تصحيح العقيدة والدعوة إلى التوحيد وتلك هي القضية الكبرى التي من أجلها نزل القرآن لتصحيحها ووضعها في نصابها الصحيح فالقرآن العظيم من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد وإنكار للشرك وبيان لحسن عاقبة الموحدين في الدنيا والآخرة وسوء عاقبة المشركين في الدارين.

والدعوة إلى التوحيد هى المبدأ الأول المشترك بين رسالات النبيين جميعًا فكل نبي نادى قومه أن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، واعتبر القرآن الشرك بالله أعظم جريمة يقترفها مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4].

وإن حقيقة الشرك انحطاط بالإنسان من مرتبة السيادة على الكون -كما أراد الله له- إلى مرتبة العبودية والخضوع للمخلوقات سواء كانت جمادًا أو نباتًا أو حيوانًا أو إنسانًا إلى غير ذلك[5]، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[6].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٥) انظر: عظمة القرآن الكريم، محمد بن أحمد الدوسري ص ٢٣٥.

(٦) سورة الحج، الآيتان: ٣٠، ٣١.

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديثين، الأول في قوله ﷺ لأصحابه: "أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشق ذلك عليهم، وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟، فقال: "قل هو الله أحد ، الله الصمد ثلث القرآن"، والثاني في سؤال الرجل سمع رجلاً يقرأ: "قل هو الله أحد" ويردد النبي ﷺ عن ذلك، فأجابه ﷺ بقوله: "والذي نفسي بيده أنها لتعدل ثلث القرآن، وأسلوب السؤال والجواب له قيمة تأثيرية عظيمة لدى المدعوين، يجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، لذا ينبغي على الداعية وعلى من يتصدى للنصح والإرشاد أن يستثمر هذا الأسلوب المؤثر النافع للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن[(١)].

خامسًا - من مهام الداعية: شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال:

إن في بيان النبي ﷺ في الأحاديث الثلاثة لفضل "قل هو الله أحد" وأنها تعدل ثلث القرآن بيان لما ينبغي أن يكون على الداعي من آداب وصفات يجعلها نصب عينيه، والتي منها شحذ همم المدعوين وحثهم على فضائل الأعمال، فينبغي على الداعية أن يهتم بتحبيب فضائل الأعمال إلى المدعوين بترغيبهم في قيام الليل وتلاوة القرآن وطلب العلم النافع وغير ذلك، فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله تعالى تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك في أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه، وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن[(٢)].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦١.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٦، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠١٢)

١٠١٢- وعنه: أنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ((قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)) يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ)) رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يتَقَالُّها: أي يعتقد أنها قليلة والمراد: استقلال العمل لا التنقيص[٢].

لتعدل: تماثل وتُناظر[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه غير أنه يتخذ القصة أسلوباً لعرض المعنى الذي يقرر في نهايته عظمة السورة الكريمة التي تساوي ثلث القرآن، وقول الراوي (أن رجلا سمع رجلا يقرأ: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)) يشير إلى بداية القصة مع رجلين أحدهما مدرك، أو مستشعر لعظمة السورة فرددها كثيرا، ورجل لم يدر ما فضلها، ونظر إلى قصرها بالنسبة لغيرها من سور القرآن، والذي صوَّره الراوي بقوله (وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا) فجاء رد الرسول ﷺ مؤكدا، ومقررا لفعل القاريء الذي كررها مبينا فضل هذه السورة في جملة من المؤكدات تزلزل الشك حتى تهدمه في قلب هذا المتقال المتقاصر لهذه السورة العظيمة (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ).

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) برقم (٥٠١٣، و٦٦٤٣، و٧٣٧٤) وانظر: الحديث السابق. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٧٧/٨.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٣، ١٠١٤)

الحديث رقم (١٠١٣)

١٠١٣- وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ((إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تعدل: تماثل وتُناظر[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو الثالث في فضل (قل هو الله أحد) وكثرة الأحاديث تشير إلى أهمية السورة، وعظمة فضلها الذي دعا الرسول ﷺ إلى التأكيد عليه مرارا، وتكرارا، ثم إن كثرة الروايات للحديث الواحد تدل على تلقف الصحابة له لعظمة ما يحويه رغبة في الأجر، ونشر الخير الذي لا يحمل كلفة مما يجعل الجميع في القدرة على إتيانه سواء بعكس غيره من الأعمال التي يستطيعها البعض دون البعض كالإنفاق، والجهاد، وغيرهما، وتعبير الراوي بقوله (قال فيها) دون قوله (قال عنها) أن (في) الظرفية تدل على التمكن أكثر في خصوصية الوصف بها من (عن)، وقد انفردت هذه السورة بجمع أصول العقيدة الإسلامية التي لم يجمعه غيرها، وقوله (قل هو الله أحد) افتتاحها بـ﴿قلْ﴾ للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص منصوص فيه على أنه مرسل بقول يبلغه وإلا فإن القرآن كله مأمور بإبلاغه، ولهذه الآية نظائر في القرآن مفتتحة بالأمر بالقول في غير جواب عن سؤال منها: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء للّه﴾ في سورة الجمعة (٦).

---

(١) برقم (٨١٢/٢٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٨٦).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ع د ل).

والسور المفتتحة بالأمر بالقول خمس سور: ﴿قل أوحي﴾[الجن: ١]، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، والمعوّذتان، فالثلاث الأول لقول يبلّغه، والمعوّذتان لقول يقوله لتعويذ نفسه، ولذلك الأمر في هذه السورة فائدة أخرى، وهي أنها نزلت على سبب قول المشركين: انْسُبْ لنا ربك، فكانت جواباً عن سؤالهم فلذلك قيل له: ﴿قل﴾ كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[الإسراء: ٨٥] فكان للأمر بفعل ﴿قل﴾ فائدتان، وضمير ﴿هو﴾ ضمير الشأن لإفادة الاهتمام بالجملة التي بعده، إذا سمعه الذين سألوا تطلعوا إلى ما بعده، ويجوز أن يكون ﴿هو﴾ أيضاً عائداً إلى الرب في سؤال المشركين حين قالوا: انسب لنا ربك[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور لهذه السورة.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٤)

١٠١٤- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إني أُحِبُّ هذهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ قَالَ: ((إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن). ورواه البخاريُّ[2] في صَحِيحِهِ تعليقًا.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

سبقت الأحاديث التي تبين فضل سورة الإخلاص، ومبلغ الأجر الذي تصل إليه، وهذا الحديث يشير من جانب آخر إلى زاوية أخرى من زوايا فضل هذه السورة، وقد جاء المعنى في صورة حوار بين الرجل، وبين الرسول ﷺ حين قال له (إني أُحِبُّ هذهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾) وقد أكده بأكثر من مؤكد لأن المحبة أمر قلبي لا تبدو شواهده بمجرد الإخبار عنه، والتعريف بالإشارة في قوله (هذه السورة) للتعظيم، وقول الرسول ﷺ (إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ) خبر أريد به فائدة مضمون الخبر مع الإشادة، والتعظيم لهذه السورة، والخبر مؤكد بعدة مؤكدات تمهيداً لنفسه لتقبل خبر يستبعده عنها لعظمته، أو لشدة تعلق نفسه به منها حرف التوكيد، واسمية الجملة، بالإضافة إلى أن صياغة الفعل في صورة الماضي دل على تحققه - رغم أن الرجل ما زال في الدنيا - على اعتبار ما سيكون أو على اعتبار أنه حكم له بأن يكون من أهل الجنة بمحبة تلك السورة.

---

(١) برقم (٢٩٠١) عن البخاري، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقال الحافظ ابن حجر في التغليق (٣١٦/٢): والذي اتفق في حديث عبيد الله بن عمر من تخريجنا له من طريق البخاري المعلّق له، حسنٌ جدا. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٥٣٧)، وابن حبان (الإحسان ٧٩٤)، وقال الحاكم (٢٤١/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٣).

(٢) برقم (٧٧٤م).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص.

ثانيًا: من آداب الداعية: تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل حب سورة الإخلاص:

لقد تضافرت الأحاديث النبوية في بيان فضل سورة الإخلاص، وفي الحديث بيان لجانب من جوانب هذا الفضل، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال يارسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) ، قال ابن علان أى لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتقديسه، وذلك يحمل كل ذي إيمان كامل على أن يستمد بقراءتها ما يكمل به إيمانه ويزيد إيقانه[٢]، "قال: إن حبها أدخلك الجنة"، وذلك تبشير من النبي ﷺ له بالجنة[٣]، وقد وردت أحاديث بقصص مشابهة كما ورد في هذا الحديث، ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ (قل هو الله أحد) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ أخبروه أن الله يحبه"[٤]، قال ابن دقيق العيد، يحتمل أن يكون سبب محبة الله له محبته لهذه السورة، ويحتمل أن يكون لما دل عليه كلامه لأن محبته لذكر صفات الرب دالة على صحة اعتقاده[٥].

---

(١) هذه المضامين الدعوية خاصة بهذا الحديث -١٠١٤- وبالحديثين السابقين (١٠١٢، ١٠١٣).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٨.

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٥٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٣٧٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٣٧٠/١٣.

ثانيًا - من آداب الداعية: تبشير أهل الفضل بالثواب العظيم من الله تعالى:

إن التبشير بالخير من الأمور المروحة للنفوس، المزيلة للهموم، فتشحذ منهم العزائم وتعلو منهم الهمم فيقبلون على الأعمال الطيبة وكان من أهم المرتكزات التي ترتكز عليها دعوة النبي ﷺ التبشير[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٢]، وأمر به النبي ﷺ، كما جاء في قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري ومعاذ ابن جبل لما بعثهما على اليمن "يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا"[٣] ولذا وجدنا في الحديث البشارة التي ساقها النبي ﷺ في الحديث للرجل الذي يحب سورة الإخلاص، قائلاً: "إن حبها أدخلك الجنة"، وفي ذلك تبشير من النبي ﷺ لهذا الصحابي الذي تمثل سورة الإخلاص فأحبها، فبين له النبي ﷺ أن هذا الحب وما أثر به من تدعيم إيمانه وتحسين عمله قد تسبب له في دخوله الجنة[٤] واستحقاقه لها.

لذا ينبغي على الداعية أن يفيد من التبشير في الدعوة إلى الله تعالى. فالتبشير منهج أصيل في الدعوة إلى الله تعالى، وقد انتهجه الله في كتابه في كثير من آياته، فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه بشيرٌ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[٥]، فهذا وصف للقرآن العظيم أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[٦]، يبشر الطيعين بالثواب وينذر المجرمين بالعقاب[٧].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن الكريم وبين الأنبياء، قال تعالى في

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري، ٦١٢٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٤/٥.

(٧) التفسير الكبير، الإمام الرازي، محمد بن عمر الرازي ٨٢/٢٧.

صفة الرسل: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١]، وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٢]، فالموفق من الدعاة من ينتهج نهج القرآن في دعوته من تبشير وإنذار وغيرها كما أن المُوَّفق من المدعوين والدعاة أيضًا من يستحضر كلا الأمرين -التبشير والإنذار- ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرَّ ويستبشر بالبشارة فيزداد في فعل الخير[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب، وذلك في بيان النبي ﷺ إن حب الإنسان وتعلقه بالقرآن الكريم سبب لدخول الجنة فأجاب الرجل الذي قال: "إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قائلاً : إن حبها أدخلك الجنة" وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية شأنًا وأشدها تأثيرًا فهو من أقوى المحفزات للإنسان على العمل الصالح، كما جاء في الحديث الترغيب بالجنة، "إن حبها أدخلك الجنة" والترغيب والتحفيز بالجنة باب واسع كبير يجد فيه الداعية مجالاً ثريًا، وميدانًا غزيرًا ليحث المدعوين على العمل والتحصيل والاستقامة، وليعزز سلوكهم فيما اتجهوا إليه من خير وبر، ويردعهم عن سلوكيات الإثم والشر[٤].

إن أسلوب الترغيب والترهيب أوفق الأساليب الدعوية الموافقة لطبيعة الإنسان وفطرته فإن "طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار وإذا اصطرع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، وصراع الحياة واختلاف الطباع يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) انظر: علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٦٣، ١٦٤.

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[١]، وهذا عدل الله ولا يظلم ربك أحدًا والقرآن الكريم يوضح الطريق ويحكم العقل ويبرز النتيجة حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته وقد أعذر من أنذر وسبحان مَنْ يقول وقوله الحق ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٢]، [٣].

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٣) التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، محمد أحمد جاد صبح ١٥٣/١، ١٥٤.

الحديث رقم (١٠١٥)

١٠١٥- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((الَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: هو عقبة بن عامر بن عَبْس بن عمرو الجُهَني الصحابي المشهور، هاجر إلى المدينة، وبايع رسول الله ﷺ، وأقام بالمدينة.

كان ممن جمع بين جمع القرآن وحسن تلاوته، فقد كان من أحسن الناس صوتًا، قال له عمر بن الخطاب أعرض عليّ. فقرأ، فبكى عمر.

وبالإضافة إلى ذلك جمع بين آداب اللغة والعلم في الشريعة والتفقه فيها، فقد كان عالمًا بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرًا كاتبًا.

كما أضاف إلى ذلك القوة الحربية، فقد كان من الرماة المشهورين.

وقد حصّل كل هذا وهو فقير، فقد كان يعيش مع أهل الصُّفَّة الفقراء لذا قال عنه قيس بن أبي حازم - أحد كبار التابعين-: كان من رفعاء أصحاب محمد ﷺ[2].

فلما كان عهد الراشدين شارك في الفتوحات، فشارك في فتوح الشام ومصر، وهو الذي أرسله المسلمون بالشام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة ليبشره بفتح دمشق.

ولما وقعت الفتنة قاتل مع معاوية بن أبي سفيان، وشهد معه صفين، وولاه معاوية على مصر سنة ٤٤هـ وجمع له الإمارة والصلاة وعزله عنها ٤٧هـ وولاه أمر الغزو في البحر.

---

(١) برقم (٨١٤/٢٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٤).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٥-٨١٢).

وقد كان من الصحابة المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ وتوفي سنة ٥٨هـ في أواخر خلافة معاوية، ودفن بالمقطم[1].

الشرح الأدبي

أكد عقبة بن عامر رضي الله عنه الحديث عن رسول الله بأكثر من مؤكد تعظيماً للخبر، وتعظيماً لمن يحدث عنه، وبداية كلام الرسول ﷺ استفهام خرج عن حقيقة طلب الفهم إلى معنى التنبيه، والإشادة بفضل ما تلاه مع التشويق له في قوله: (أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟) وتنكير الآيات للتعظيم، وجمعها على صيغة جمع القلة؛ لأنها آيات قليلة محصورة، وعدم ذكر الفاعل للفعل (أنزلت) للعلم به، وقوله (لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ) نفي يزيد التشويق للآيات، ولفظ (قط) لتوكيد النفي وقوله ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ بيان، وإيضاح لما أبهم في لفظ آيات حقق الترقب للخبر بحيث تتلقفه الأسماع، وتعيه القلوب، وفيه إيجاز بالحذف على تقدير: السورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الفلق) والسورة التي تبدأ بـ (قل أعوذ برب الناس)، والحديث يشير إلى فضل السورتين، وتفردهما في موضوعهما وهو الاستعاذة على الوجه الوارد فيهما، والذي دل عليه نفي المثلية.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٤٣/٤)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥١/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٢٠، والسير (١٤٦٧/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٩٦/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٢٣/٣)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٢٤٠/٤)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٣٤٦/٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠١٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠١٦).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان.

رابعًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نزول القرآن مفرقًا على النبي ﷺ:

جاء في الحديث الإشارة إلى نزول القرآن منجمًا حيث ذكر في الحديث الأول نزول المعوذتين "في قوله ﷺ: ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يرمثلهن قط قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس"، وفي الحديث الآخر "حتى نزلت المعوذتان" فالقرآن لم ينزل جملة واحدة كالكتب السابقة وإنما نزل على النبي ﷺ مفرقًا على مدار ثلاثة وعشرين عامًا على المشهور من أقوال العلماء، ثلاثة عشر عامًا بمكة المكرمة وعشر سنوات بالمدينة المنورة[1]، أما كونه نزل مفرقًا فقد جاء التصريح بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾[3]، وأصبح من المعلوم بالضرورة من سيرة الرسول ﷺ من نزول القرآن عليه ﷺ مفرقًا من بعثته إلى وفاته ﷺ[4].

فقد ابتدأ نزول القرآن على النبي ﷺ في الليلة المباركة -ليلة القدر- من شهر رمضان واستمر ينزل منجمًا مفرقًا حسب الواقع والحوادث والأحوال على مدى ثلاثة وعشرين عامًا هي مدة الرسالة المحمدية تثبيتًا لفؤاد النبي ﷺ وتجددًا لنزول الوحي وتدرجًا في التربية والتكليف وتيسيرًا للحفظ والفهم والاستيعاب[5].

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م ص ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد بن عبدالرحمن الرومي ص٢٠٤.

(٥) فن الترتيل وعلومه، الشيخ أحمد بن محمد عبدالله الطويل ١/ ٢٤.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل المعوذتين:

جاء في الحديثين بيان فضل المعوذتين وأثرهما في التعوذ، فقال ﷺ "ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط" أى لم يبصر مثلهن فيما جاء من التعوذ[١]. "قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس" قال النووي: وفيه بيان عظم فضل هاتين السورتين[٢]، كما يتبين فضلهما في الحديث الآخر في عدوله ﷺ عن غيرهما إليهما في التعوذ. "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما"، وذلك لما تضمنتاه من الاستعاذة من كل مكروه[٣].

وقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما.

إذ أن مقصود السورتين الاستعاذة من الشرور ومن مخافة الليل الديجور[٤] ومن آفات الماكرين والحاسدين والاعتصام بحفظ الحق تعالى وحياطته والحذر والاحتراز من وسواس الشيطان ومن تعدى الجن والإنسان[٥]، في ذلك بيان لفضل المعوذتين وحسن فائدتهما الدينية والدنيوية، وقد استعاذ بهما النبي ﷺ لما سحره لبيد بن الأعصم سحرًا أثر في جسده ولم يؤثر في مشاعره فذهب عنه ذلك بالكلية[٦].

قال ابن القيم: (وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعم كل شر يستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذ من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان، ١٢٠٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٩٢/٢.

(٤) الديجور: الظلام: أي الليل المظلم، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ديجر).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ٥٥٦/١، ٥٥٧.

(٦) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بجسدها ونظرها.

والسورة الثانية: تتضمت الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولها شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، ولهذا أوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة[1]، وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة، وقال: ما تعوذ المتعوذون بمثلهما [2]، وقد ذكر أنه ﷺ سحر في إحدى عشرة عُقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وكأنما أنشط من عقال)[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أخذ النبي ﷺ بالمعوذتين للتعوذ من الجان وعين الإنسان:

جاء التصريح بذلك في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" أى ترك ما سواهما من التعويذات وذلك لاشتمالهما على الجوامع في المستعاذ به والمستعاذ منه، أما الأول "المستعاذ به" فلأن الافتتاح برب الفلق مؤذن بطلب فيض رباني يزيل كل ظلمة في الاعتقاد أو العمل أو الحال، لأن الفلق الصبح وهو وقت فيضان الأنوار ونزول البركات وقسم الأرزاق وذلك مناسب للمستعاذ منه، فقال (قل أعوذ برب الفلق) وقوله (قل أعوذ برب الناس) كأنه قيل أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بمن رباهم بنعمه وملَكَهم

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٣٢٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٤٤/٤، رقم ٧٢٩٩ بلفظ: ((أنزلت علي سورتان، فتعوذوا بهن، فإنه لم يتعوذ بمثلهن))، يعني: المعوذتين،. وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٥٣١/٢٨ - ٥٣٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٨١/٤ - ١٨٢.

بقهره وقوته، وجمعتا ما يستعاذ منه من شر كل مخلوق حى أو جماد فيه سر في البدن أو المال أو الدنيا أو الدين[١].

رابعًا - من آداب المدعو: التأس بالنبي ﷺ في الأخذ بالمعوذتين:

من آداب المدعو التأسي برسول الله ﷺ في أحواله وشئونه كلها ومنها تعوذه ﷺ بالمعوذتين وكما في الحديث "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما" ووردت الأحاديث الكثيرة التي تبين تعوذه ﷺ بهما ومن ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ((النبيَّ ﷺ كان يَنْفِثُ على نفسه في المرَضِ الذي مات فيه بالمعوذات "سورة الفلق، والناس، والإخلاص"، فلما ثقلَ كنتُ أنفثُ عليه بهنَّ، وأمسحُ بيده نفسهِ لبَرَكتها))[٢]، وهذا لا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين، بل يدل على الأولوية ولاسيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما، وإنما اجتزأ بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً[٣]، وفي تأس المدعو بتعويذات رسول الله ﷺ الفضل الكبير، فضلاً عما فيها من الإعراض عن الرقى المنهي عنها والاستعانة بالجان وغير ذلك.

لقد بين لنا الإسلام مكامن الخطر وحذرنا منها، وبين لنا الأدواء للوقاية منها كما جاء في سن قراءة المعوذتين وقاية من كل شر سواء كان من الجن والإنس، فقد يسأل الإنسان نفسه مثلاً فيقول كيف أحارب الشيطان وبأي وسيلة أقهره وأدفع أذاه؟ فبين رسول الله ﷺ أن الاستعاذة بالله هى الطريق السليم للوقاية من الشرور والملمات، وقراءة المعوذتين أحد الوسائل المشروعة للوقاية من شرور الجنَّة والناس والحيلولة دون تأثير الحسد والعين وما شاكلهما[٤].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٠٩، ١٢١٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٧٣٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٠٦/١٠.

(٤) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٥٨١.

لذا ينبغي على الإنسان أن يتعوذ من تلك الشرور وأن يكثر من التعوذات والرقي كقراءة المعوذتين وفاتحة الكتاب، وآية الكرسي[١]، وقد ورد عن الرسول ﷺ تعوذات منها ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة))[٢].

إلى غير ذلك من التعوذات.

---

(١) انظر: الطب النبوي، ابن القيم ص ١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٩.

الحديث رقم (١٠١٦)

١٠١٦- وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

عين الإنسان: نظرة الإنسان إلى الغير بالحسد فيمرض بسببها فيقال: أصابه بالعين[2].

المعوذتان: أي: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و﴿قل أعوذ برب الناس﴾[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ) يشير إلى أنها كانت عادته في التعوذ من الجن، والعين، قبل نزول المعوذتين، وقوله (يتعوذ) أي يطلب العوذ من الله، والفعل المضارع الدال على التجدد يصور تكرار الفعل وتجدده، وقوله (حتى نزلت المعوذتان) حتى لبيان الغاية التي انتهى عندها هذا الشكل من التعوذ، ونسبة النزول للمعوذتين من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في النزول في إشارة إلى أهميتهما، وتأثيرهما كأنهما يتحركان بذواتيهما، وقوله (فلما نزلتا) توكيد لنزولهما وهي جملة شرطية جوابها قوله (أخذ بهما) في الرقية وقوله (وترك ما سواهما) طابق بي الأخذ ن والترك لتأكيد الأخذ بالمعوذتين مما يدل على أفضليتهما وهو يشير إلى ما كان يتعوذ به قبل نزولهما.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٠٥٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ي ت).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٦٩٢/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠١٧)

١٠١٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مِنَ القُرآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ[1] لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

وفي رواية أَبي داود: ((تَشْفَعُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون الشفاعة فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة[3].

الشرح الأدبي

تقديم الجار والمجرور للاختصاص ومن للتبعيض، وتنكير سورة للتعظيم أي سورة عظيمة، وقوله (ثلاثون آية) فيه إيجاز بالحذف أي تتكون، أو عدد آيتها ثلاثون آية، والتعبير بالماضي (شفعت) يفيد التحقق، ونسبة الشفاعة إلى السورة من نسبة الشيء إلى سببه على سبيل المجاز الذي يصورها في صورة المتحرك المدافع عن شفيعه، وهو ما يجعل الصورة أعظم أثراً على السامع، وتحقق الشفاعة يحتمل أن يكون بمعنى المضي في الخبر يعني كان رجل يقرؤها، ويعظم قدرها فلما مات شفعت له حتى دفعت عنه عذابه، ويحتمل أن يكون على المجاز باعتبار ما سيكون بمعنى المستقبل أي تشفع لمن

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢٨٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨٧)، وقال الحاكم (١/٥٦٥): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

يقرؤها في القبر، أو يوم القيامة، وإعادة الضمير لتمييز المشار إليه أكمل تمييز مع ما فيها من المدح، والإشادة بفضل هذه السورة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك.

ثالثًا: من واجبات الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة تبارك:

وردت الإشارة في الحديث إلى ما حازته سورة تبارك "الملك" من فضائل وميزات، فقال ﷺ "من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي: "تبارك الذي بيده الملك" وذلك من دلائل شرفها وفخامتها، قال ابن علان (وإنما خصت سورة تبارك بذلك لافتتاحها بخلق الحياة، وختمها بالماء الذي هو سبب الحياة، فأنتجت الشفاعة التي هي سبب الحياة الكاملة للمشفوع له، وأيضًا افتتاحها بعظائم عظمته سبحانه ثم بباهر قدرته وإتقان صنعته، ثم بذم من نازع في ذلك أو أعرض عنه، ثم بذكر عقابهم وماله عليهم من النعيم، ثم ختمها بما اختصها به من بين سائر السور وهو الإنعام بالماء المعين الذي هو سبب الحياة المناسب لذلك كله. ثم المعافاة عن سوء القطيعة بتشفيع هذه السورة في قارئها وجعلها مانعة عنه منجية له)[1].

وقال الفيروز آبادي: (معظم مقاصد السورة: بيان استحقاق الله الملك وخلق الحياة والموت للابتلاء وبيان المحسن من المسيء والنظر إلى السماوات للعبرة واشتعال النجوم والكواكب للزينة، وما أُعد للمنكرين من العذاب والعقوبة، وما وعد به المتقون من الثواب والكرامة وتأخير العذاب عن المستحقين بالفضل والرحمة وحفظ الطيور في الهواء بكمال القدرة واتصال الرزق إلى الخليقة بالنوال والمنة وبيان حال أهل الضلالة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠.

والهداية، وتعجُّل الكفار بمجيء القيامة وتهديد المشركين بزوال النعمة بقوله: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[١]، [٢].

كما أن سورة الملك تشمل كأخواتها المكيات على إثبات وجود الله وبيان مظاهر قدرته وعلمه وقد تعرضت لما يلاقيه الناس يوم القيامة، والسورة على العموم تدور حول بيان النعم[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الحرص على قراءة وتدبر القرآن والمواظبة على قراءة سورة تبارك:

من الآداب الواجب مراعاتها في قراءة القرآن تدبر معانيه فليست العبرة في التلاوة أن يقرأ القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ[٤]، وقد ندد الله تعالى بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٥]، [٦]، وآيات القرآن التي تحث على تدبر القرآن والتفكر في معانيه جمة منها قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٧]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨]، خاصة السور التي وردت الآثار في بيان فضلها وعظيم عطاياها، كالشفاعة جزاءً لقراءة سورة تبارك كما جاء في الحديث (من

---

(١) سورة الملك، الآية: ٣٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٧٣/١، ٤٧٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٩/٢٩/٣.

(٤) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٥٩٤.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٦) انظر: دعوة إلى تدبر القرآن، مختار شاكر كمال ص ٤١.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤٢.

(٨) سورة يونس، الآية: ٢٤.

القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهى: "تبارك الذي بيده الملك") فإثبات الشفاعة للقرآن صحيح لا معدل عنه[١].

وهذا يدل على فضل سورة "الملك"، والحث على قراءتها وعظم الثواب على ذلك، وإثبات الشفاعة للقرآن يوم القيامة، ولا شك أن تاثيرها إنما يكمل لمن تأثر بها وعمل بما فيها واستفاد منها[٢].

لذا ينبغي على المسلم إذا أراد أن يجني ثمرة قراءته للقرآن الكريم أن يتدبر معانيه وأن يعمل بما فيه، "أما الذي يسمع أذنه ولا يسمع عقله أو تنظر عينه، ولا يبصر قلبه، أو يلغو لسانه ولا يعي فكره فهو أصم أبكم أعمى، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٣]، ففي الآية إشارة واضحة إلى أن سماع القرآن أو تلاوته ليس هدفًا بذاته بل هو وسيلة لهدف، فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا تمامًا كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا إذ يبقى المطفف مطففًا، ويبقى الكاذب كاذبًا، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عادة.

ولقد ذم الله المشركين مع استماعهم للقرآن لأنهم لا يعقلون، ولأنهم لا يبصرون، ولأنهم لا يغيرون أهواءهم وأخطاءهم[٤].

في قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٥]، (قال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن)[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٠

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٤) يعلمهم الكتاب-التعامل مع القرآن، محمد خير الشعال ص ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

(٦) الإتقان في علوم القرآن، الإمام السيوطي، ٢/٤٨٠.

ثالثًا - من واجبات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم الواجبات التي يجب أن يضطلع الداعية بها هو البيان والتوضيح، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ومن ذلك بيان وتوضيح للفضائل التي وردت لبعض سور وآيات القرآن الكريم شحذًا لهممهم وترغيبًا في إقبالهم على القرآن تلاوةً وتدبرًا وتأثرًا وعملاً، فإن من جعل القرآن شغله الشاغل وهمه الدائب واتخذ منه الصاحب والمأنس والملجأ فلن يتخلى عنه القرآن[2].

ومن بين فضائل سور القرآن ما ورد في الحديث من شفاعة سورة تبارك في قوله ﷺ: من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك" وذلك فضلاً عن شفاعة القرآن جملة . فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الْصيَامُ: أَيْ رَب إِني مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفعْنِي فِيهِ، يَقُولُ الْقُرآنُ: رَب مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ))[3].

لذا ينبغي على الداعية أن يولي البيان والتبيين اهتمامًا خاصًا بأن تكون دعوته بينه واضحة لا يتأتى فيها غموض ولا يتطرق إليها تعقيد، وله المثل الأكبر في القرآن في بيان آياته ووضوح أحكامه.

ففي القرآن الهدى والشفاء، وفيه البيان البين الواضح الجلي، جلي المعاني قوي المباني لا لبس فيه ولا خفاء ولا غموض في القرآن بيان لكل ما يحتاجه بنو الإنسان، في حياتهم الاجتماعية، بأروع عبارة وأجمل أسلوب.

وفي القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٨٧.

(٢) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري، ٣٨٤.

(٣) أخرجه مسلم، ٨٠٤.

وأهل النار في جحيمهم[١]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢]، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[٣].

---

(١) الهدى والبيان في أسماء القرآن، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، من مطبوعات جامعة الإمام محمد الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ ص ١٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٢.

الحديث رقم (١٠١٨)

١٠١٨- وعن أَبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخر سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

كَفَتَاه: وقتْه كل منهما، فقيل: كفتاه المكروه تلك الليلة. وقيل: كفتاه من قيام الليل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول فضل الآيتين الأخيرتين من سور البقرة، وينص على تسمية السورة بالبقرة، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري هايء يناسب أسلوب الترغيب في خطاب النفس بما يدفع عنها الضر، ويحقق الأمن الذي تتمناه، وقد تصدرها الاسم الموصول (من) الذي ينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده، والفعل الماضي يشير إلى أن الذي يستحق الجزاء هو من حقق الفعل والظرف (في ليلة) يحدد توقيت الحدث، ومدى تأثيره، وتنكير ليلة يفيد تعميماً يدخل فيه أي ليلة، وقوله (كفتاه) أَيْ أَغْنَتَاهُ مِنْ قِيَام اللَّيْل، أو أنه أَرَادَ أَنَّهَا أَقَلّ مَا يُجْزِئ مِنْ الْقِرَاءَة فِي قِيَام اللَّيْل، أَوَ تَكْفِيَاهُ الشَّرّ، وَتَقِيَاهُ مِنْ الْمَكْرُوه، والحديث إلى عظمة أثر الآيتين؛ لأنهما يحققان الكفاية، والأمان، ويجددان الإيمان بما حملا من معان، ودلالات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٩) واللفظ له، ومسلم (٨٠٨/٢٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٥٣).

(٢) رياض الصالحين ٣٩١.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل قراءة آخر آيتين من سورة البقرة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لفضل آخر آيتين من سورة البقرة، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

قال القاضي عياض: (محتمل أن يريد كفتاه من قيام الليل، أو من أن يكون ممن توسد القرآن، أو من أذى الشياطين، أو بما حصل له بقراءتهما من الأجر لأنهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله تعالى والدعاء بخير الدنيا والآخرة)[1].

وقيل: (كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه، وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم)[2].

قال النووي: (في قوله كفتاه: قيل معناه: كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان، وقيل من الآفات، ويحتمل من الجميع)[3]، وقال ابن علان: (وقيل كفتاه من الكفاية بمعنى الإجزاء أى أجزأتاه عن بقية الأذكار، ويحتمل - وهو الظاهر- أنهما كفتاه عن تجديد الإيمان لأنه من تأمل أولاهما أدنى تأمل حصل له من الرسوخ في الإيمان والإيقان مقام خطير وحظ كبير لاشتمالهما على غاية التفويض والتسليم لأقضيه الله وأوامره ونواهيه)[4].

وورد أيضًا في فضلهما ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينما جبريل قاعد

---

(١) إكمال المعلم، ١٧٦/٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ٣٢٢٤، وفتح الملهم، الشيخ شبير العثماني، ١٨٨/٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٩.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١١.

عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك "فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة"، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)[1].

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

إن الإنسان بطبيعته مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه وتطمئن به نفسه ويجلب لها الخير، لذا كان لأسلوب الترغيب أهمية لا تنكر في الدعوة إلى الله تعالى، مما يجعل الطريق ممهدة، والسبل ميسرة أمام الدعاة إلى الله في تبليغ دعوتهم إلى الناس وجذبهم إليها.

وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة بالكفاية والوقاية من الشرور والآفات، فقال ﷺ: "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه" وأسلوب الترغيب من أشد الأساليب الدعوية تأثيرًا في نفوس المدعوين وذلك لما فطرت عليه النفوس الإنسانية من الحرص الشديد على السعي لما تصيب منه لذة أو منفعة أو ربحًا أو شيئًا مما تحبه، وسياسة الترغيب هى أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بها في الدعوة إلى الله تعالى[2]، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[3].

ثالثًا - من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ لفضل الآيتين من آخر سورة البقرة والحث على قراءتهما مثلاً حيًا وأنموذجًا تطبيقيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من حرص بالغ على نفع المدعوين وإيصال الخير إليهم، وذلك من تمام أداء الداعية لرسالته وذلك واجب تكفل الله تعالى به، هكذا تكون صفات الدعاة وهكذا تُحمَل الدعوة الإسلامية

---

(١) أخرجه مسلم، ٨٠٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٦٣٣- ٦٣٥.

(٣) سورة النحل، الآية : ١٢٥.

كي تحقق نهضة فكرية صحيحة، ولكي تنهض بالمدعوين، بل بالعالم كله، ولكي تخلصه مما هو فيه[١].

إن هدف الداعية هو حب الخير للمدعوين، إذ أن حقيقة الدعوة حب الخير للغير والحرص على تحقيق المصلحة له وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ونرى هذا الحرص أيضًا في قول صاحب عيسى عليه السلام الذي حكاه لنا القرآن: ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[٣]، وهذا من حرص الداعية الرشيد على الخير لمن يدعوهم حتى بعد موته أنه يتمنى لو يعلم قومه ما هو فيه من الكرامة والنعيم لعلهم يؤمنون فيظفروا بما ظفر به[٤].

هذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ عز وجل مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[٥].

وذلك عندما هاجر إل الطائف وآذاه أهلها ورجع ﷺ في طريق مكة بعد خروجه من حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وبعث الله إليه جبريل يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين، والأخشبان هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قعيقعان[٦].

إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم يجعل القلوب تلتف حوله وتقبل على دعوته ويؤلف القلوب ويجمع شتاتها ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية[٧].

---

(١) انظر: صفات الداعية وكيفية حمل الدعوة، سميح عاطف الزين ص ٢١٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) سورة يس، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) أسس الدعوة وأدب الدعاة، د. محمد الوكيل ص ١٢٢.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٠٢، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٧/٣.

(٦) الرحيق المختوم، المباركفوري، س١٥٩.

(٧) النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري ص ٦١، ٦٢.

الحديث رقم (١٠١٩)

١٠١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينفر: يفرّ ويذهب[2].

الشرح الأدبي

والنهي في الحديث بغرض التنفير تصدر الكلام في السياق عناية به (لا تجعلوا بيوتكم مقابر) وعبر بالفعل جعل الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيراً من الله لها للإنسان ثم أتبعها بجملة تعليلية مؤكدة بإن تأكيداً على أن قراءة سورة البقرة تطرد الشيطان، وفيه إشارة لفضل قراءة القرآن وسورة البقرة بالذات، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور وهي صورة منفرة وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة وهو بذلك يوحي للنفوس ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يقرا فيها القرآن بالقبور - مشاعر الانقباض والخوف والوجل وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو

---

(١) برقم (٢١٢/٧٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر)، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١١٢١١.

الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها وأهلها الملائكة والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها انتقالاً خفياً من شعور إلى شعور - ليقرر - بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الذكر والصلاة في البيوت ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض. التي أثارها بأسلوب النهي (لا تجعلوا بيوتكم مقابر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من ميادين الدعوة: البيوت.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

من أساليب الدعوة البارزة أسلوب النهي، وقد جاء واضحًا في الحديث في قوله ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، وفي ذلك النهي عن ترك إعمار البيوت بقراءة القرآن خاصة سورة البقرة، فقال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" أي "لا تجعلوا من بيوتكم كالمقابر في عدم اشتغال مَنْ فيها من الموتى بنحو الذكر والقراءة وألوان العبادة، ولا تكونوا كالموتى في ذلك"[1].

وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المجدية لما فيه من بيان لمواطن الخطر وموارد التهلكة والتحذير منها.

وما أكثر ورود أسلوب النهي في القرآن والسنة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٠، ٢١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة البقرة في البيوت:

جاء في صريح الحديث فضل قراءة سورة البقرة في البيوت وذلك بتعميرها ونفرة الشيطان منها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم ، فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر"، قال الطيبي: (أى لا تجعلوا بيوتكم كالقبور الخالية عن ذكر الله وعبادته، لأنها غير صالحة لها)[١]، "إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". قال ابن علان: (لأنه ليس في سورة من القرآن ما في سورة البقرة من تفصيل الأحكام والحِكَمِ وضرب الأمثال وإقامة الحجج والبراهين، وبيان الشرائع والقصص والمواعظ والوقائع الغريبة والمعجزات العجيبة، وذكر خاصة أوليائه والمصطفين من عباده، وتفضح الشيطان ولعنه وكشف ما توسل به إلى التسويل لآدم وذريته، ومن ثمَّ قيل فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر)[٢]. إضافة إلى ما في قراءة سورة البقرة من بركة ووقاية من السحر وشفاعتها لقارئها يوم القيامة[٣]، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: -أى المنيرتان-[٤] الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[٥] أى السحرة[٦].

قال الطيبي: (أمر النبي ﷺ بقراءة القرآن ثم أمر بقراءة البقرة وآل عمران، وهذا تخصيص بعد تعميم، فخص الزهراوين -البقرة وآل عمران- وأناط بهما التخليص من

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢/٣٦٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٣) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني ص ٢٩-٣٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، في (ز هـ ر).

(٥) أخرجه مسلم ٨٠٤.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٣٩.

حر يوم القيامة بالمحاجة، وأفرد ثالثًا البقرة وأناط بها أمور ثلاثة)[١]. وهى:

أ-"فإن أخذها بركة": أي في المواظبة على تلاوتها والتدبر في معانيها والعمل بما فيها: منفعة عظيمة.

ب- "وتركها حسرة" أي ندامة يوم القيامة.

ج-"ولا يستطيعها البطلة" أي لا يقدر على تحصيلها أصحاب البطالة والكسالة لطولها، وفسرها معاوية الراوي بـ "السحرة" لأن ما يأتون به باطل سماهم باسم فعلهم الباطل أي لا يؤهلون بذلك ولا يوفقون له، ويمكن أن يقال معناه: لا تقدر على إبطالها أي على صاحبها السحرة لقوله تعالى فيها: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، [٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغب النبي ﷺ بإعمار البيوت بذكر الله تعالى وخاصة سورة البقرة فإن ذلك سببًا لإحلال البركة فيها وإبعاد الشيطان عنها ويأسه من إغواء أهلها وإضلالهم، فقال ﷺ: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة". فإن الترغيب من الأساليب الحكيمة التي تؤثر في قلوب المدعوين وسرعتها لقبول الحق[٤].

ولقد كان رسول الله ﷺ يولي الترغيب رعاية خاصة فكان الترغيب، يغلب على دعوته ﷺ فكانت تحركاته ﷺ ومجالسه عامتها مجالس تذكير وترغيب وترهيب إما بتلاوة قرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين. كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ، وأن يدعو إلى سبيل ربه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢٨٦/٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٨٤/٥، ١٨٥.

(٤) التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم بن عبدالله المطلق، ص ٩١.

بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[١].

والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة[٢].

رابعًا- من ميادين الدعوة: البيوت:

جاء في الحديث ذكر البيوت كميدان من ميادين الدعوة التي لا ينبغي إغفالها بأى حال من الأحوال فقال ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر" وأولى البيوت بالدعوة أن يدعو أهل بيته ويبين لهم الحقائق يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٤]. فالمسلم الواجب عليه أولاً أن يصلح نفسه ويقي نفسه شر النار وغضب الجبار، ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم، والفضائل الإسلامية العليا بهذا يكون وقى أهله من النار، فلست مطالبًا بنفسك فقط، لا، بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك، ثم إن أردت زيادة في الخير فادع إلى الله واعمل في محيط إخوانك ومعارفك وأصدقائك على نشر أدب الإسلام وتعاليمه[٥].

ثم بعد ذلك دعوة الناس في جميع الأماكن من الأحيان ومن ذلك دعوتهم في منازلهم، ولقد ثبت قيام النبي ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) لطائف المعارف، الإمام ابن رجب الحنبلي ص ٤٥، ٤٦.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٨/٦٤.

ودعوتهم، ومن الشواهد لذلك دعوته ﷺ في دار الأرقم رضي الله عنه فكان يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم ودعوة غيرهم ممن وفد عليه هناك للإسلام[1]، وكذلك دعوته للناس في منازلهم بمنى، كما جاء في مسند الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد الديلمي، قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف على الناس بمنى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول: "يا أيها الناس إن الله عز وجل يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، قال ووراءه رجل يقول هذا يأمركم أن تدعوا دين آبائكم، فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل هذا أبو لهب"[2].

---

(١) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٤٩٢/٣، رقم ١٦٠٢٤، وقال محققو المسند حديث صحيح ٤٠٦/٢٥.

الحديث رقم (١٠٢٠)

١٠٢٠- وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أعْظَمُ؟)) قُلْتُ[1]: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: ((لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

غريب الألفاظ:

ليهنك العلم: من هناني الطعام يهنيني ويهنأني وهنأت به، أي: تهنأت به. أي: جاءني من غير مشقة ولا تعب. والقصد الدعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه. وحقيقته الإخبار عن طريق الكناية بأنه راسخ في العلم لإجابته بما هو الحق عند الله تعالى[4].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ لأبي المنذر بكنيته تكريم له، وقوله (أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أعْظَمُ؟) استفهام اختبار بمعنى أخبرني، وفيه تشويق، والتعبير بالكتاب إشارة إلى الثبات واللزوم الذي هو حاصل المكتوب، و (ال) في الكتاب للعهد أي الكتاب المعهود، وهو القرآن، وإضافته لله بيان، وتشريف، والظرف مع، وإضافته لكاف الخطاب، فيه إشادة بأبي المنذر رضي الله عنه وتقرير لحفظه، وأفعل التفضيل (أعظم) تشير إلى تصدرها لغيرها مما يوجب العناية، وكثرة التلاوة، وقوله (فَضَرَبَ فِي صَدْرِي) كناية عن الرضا، والسرور عن إصابته في إجابته له، وتوفيق الله له مع ما تعكسه من مودة

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال).

(٢) عند مسلم زيادة: (والله).

(٣) برقم (٨١٠/٢٥٨)، والسياق للحميدي في جمعه (٤١١/١، رقم ٦٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧١).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٢.

بينهما، وقوله (لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ) كناية عن سعة علمه، ورسوخه، ورجاحة عقله، والعبارة معناها ليكن العلم هنيئاً لك يا أبا المنذر، والتعبير بالهناء يشير إلى خير في يسر، وكل أمر أتاك من غير تعب فهو هنيء وهذا دعاء له بتيسير العلم، ورسوخه فيه، وفيه الإخبار بكونه عالماً، وهو المقصود، وفيه إشادة بأبي المنذر، وعلمه رضي الله عنه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه.

خامسًا: من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ: "يا أبا المنذر" وهو من أساليب الدعوة المفيدة لما فيه من إشعار المدعو بالخصوصية ورفع المنزلة عند الداعية مما يكون له الأثر الإيجابي في الاستجابة للدعوة والإقبال على الداعي.

فالأصل في النداء، طلب الإقبال إلا أنه قد يحمل معان أخرى تستفاد من القرائن، فقد ينزل البعيد منزله القريب فينادى بالهمزة وأي: إشارة إلى قربة من القلب وحضوره من الذهن، وقد ينزل القريب منزله البعيد فينادي بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته أو انحناء منزلته أو غفلته وشرود ذهنه[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استخدام السؤال والجواب في الحديث وذلك في سؤال النبي ﷺ لأُبي بن كعب: أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟" وجواب أبي بقوله:"قلت (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة، إذ أنه يجعل المدعو في حالة

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم ص ٢٥٤.

استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة الأسئلة المطروحة وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيقه إرشاداتها في السلوك فيجب على حامل الرسالة من الدعاة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[١].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والاستفهام بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك[٢].

والنصوص التي اشتملت على الأسئلة التي طرحها النبي ﷺ على أصحابه بغرض التحريض على الفهم والمعرفة كثيرة، منها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللّهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يا رسولَ اللّه. قال: هيَ النَّخْلَة»[٣]. إن رسول الله ﷺ من خلال طرحه لمثل هذا السؤال يريد من خلال طرحه شحذ الأذهان وتطلعها إلى الجواب الصحيح[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل وعظمة آية الكرسي:

إن آية الكرسي لها شأن عظيم وفضل كبير[٥]، ومن أوجه فضل آية الكرسي وألوان عظمتها ما جاء في صريح الحديث من كونها أعظم آية من كتاب الله تعالى، فعن أبي كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) فهذه الآية سيدة آي القرآن

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن أحمد حسن حبنكة الميداني ص ٥٨-٦٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٣.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧٢/١.

وأعظمها، وقد جعل الله ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً، فأما في العاجل فهي حارسة لمن قرأها من الشياطين والآفات[١]، جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان... وذكر قصة وفيها- فقلت يارسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم، (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَنْ تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال لا، قال ذاك شيطان [٢]، وإنما تميزت آية الكرسي بكونها أعظم آية وذلك - كما قال العلماء- لما جمعت أصول الأسماء والصفات من الإلهية والوحدانية والحياة والعلم والملك والقدرة والإرادة وهذه السبعة أصول الأسماء والصفات[٣].

وفي فتح الملهم: (قيل وإنما كان آية الكرسي أعظم آية لاحتوائها واشتمالها على بيان توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلي، وكل ما كان من الأذكار في تلك المعاني أبلغ كان في باب التدبر والتقرب به إلى الله أجل وأعظم[٤].

إن القرآن كنز عظيم بعضه أثمن من بعض وكله كريم عظيم نافع ومن جواهره الغالية آية الكرسي ففضلها كبير ونفعها عظيم[٥].

فآية الكرسي مشتملة على عشر صفات من صفات الله عز وجل: "الله لا إله إلا هو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن الكريم، الإمام القرطبي ٢/٣/٢٦٨-٢٦٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٣١١

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٩١/٥.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٤٦.

الحي القيوم" ففي هذا إخلاص التوحيد لله عز وجل، ومعنى "لا إله إلا هو" أي: لا معبود حق إلا هو- جل وعلا فجميع المعبودات من دون الله معبودة بغير حق -حتى ولو سميت آلهة- فإنما هي أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان "الحي القيوم" يعني: الكامل في حياته وفي قيوميته، فهو الحي الكامل في حياته لم يسبق حياته عدم ولا يلحقها فناء، لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1]، قال بعض السلف: ينبغي لمن قرأ هذه الآية "كل من عليها فان" ألا يقف بل يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، لأجل أن يتبين في ذلك نقص المخلوقات وكمال الخالق- جل وعلا-فهو سبحانه تعالى: الحي الكامل في حياته، كذلك حياته لا يلحقها نقص بوجه من الوجوه، وحياة غيره كلها نقص انظر حياتك أنت : إن جئت بالسمع فسمعك ناقص، لا تسمع كل شيء، البصر كذلك، الصحة كذلك، وما أكثر الأمراض التي تصيب الناس وهكذا بقية أسباب الحياة ناقصة أما الرب عز وجل، فهو كامل الحياة "القيوم" معناها القائم بنفسه القائم على غيره، يعني معنى القائم بنفسه لا يحتاج لغيره ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3]، فهو غني، وفي الحديث القدسي أنه قال جل وعلا: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي. وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي»[4]. فهو قائم بنفسه لا يحتاج لأحد، قائم على غيره: كل ما سواه فإن القائم عليه هو الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾[5]، يعني: كمن لا يملك شيئًا والقائم على كل نفس بما كسبت هو الله عز وجل؛ إذا"القيوم" له معنيان:

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) أخرجه مسلم، ٥٥.

(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

القائم بنفسه، والقائم على غيره. "لا تأخذه سنة ولا نوم" السنة هي: النعاس والنعاس هو مقدمة النوم، والنوم معروف، فالله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم، والإنسان تأخذه السنة ويأخذه النوم اختار أم لم يختر، أحيانًا ينام الإنسان وهو يصلي، ينعس وهو يكلم الناس، لكن الله عز وجل لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وكمال قيوميته، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»[١]. يعني مستحيل غاية الاستحالة أن ينام عز وجل، لأنه كامل الحياة كامل القيومية، مَنْ يقوم على الخلق لو نام الخالق؟ لا أحد فهو جل وعلا لا تأخذه سنة ولا نوم. والله أعلم[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه:

من المشهود لهم بالفضل وحفظ القرآن وكثرة العلم، الصحابي الجليل أُبيٌّ بن كعب رضي الله عنه، وهذا الحديث فيه منقبة له ودليل على فضله، قال النووي: قوله ﷺ لأبي بن كعب: "ليهنك العلم أبا المنذر" فيه منقبة عظيمة لأبي، ودليل على كثرة علمه[٣] وقوله: "أتدري أى آية من كتاب الله معك أعظم" إشارة إلى أنه رضي الله عنه ممن حفظ جميع القرآن في زمنه ﷺ[٤]، كما أن في قوله: "فضرب في صدري وقال ليهنك العلم أبا المنذر" سرور رسول الله ﷺ كما أن فيه تنشيط الداعية والمعلم لمن يعلمه إذا رآه أصاب وتنويهه به وسروره بما أدركه من ذلك[٥]، ومن فضائل أبي بن كعب التي لم يشاركه فيها غيره ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ﷺ "إن الله ﷺ أمرني أن أقرأ عليك: (لم يكن الذين كفروا) قال وسماني لك؟ قال نعم فبكى"[٦]. وحق له رضي الله عنه أن يبكي فرحًا بهذا المقام الرفيع،

---

(١) أخرجه مسلم، ١٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٥٦/٢، ١٢٥٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٢.

(٥) إكمال المعلم، القاضي عياض، ١٧٨/٣.

(٦) أخرجه البخاري، ٣٨٠٩، ومسلم، ٧٩٩.

فالله يأمر الرسول ﷺ أن يقرأ عليه القرآن[١]، فلم لا يفرح وقد ذكر الله اسمه فوق سبع سماوات وأمر النبي ﷺ أن يستمع إلى قراءته كذلك من فضائله المشهورة أَمْرُ النبي ﷺ صحابته بأخذ القرآن عنه، فقال ﷺ: «استقرئُوا القُرآن مِن أربعةٍ: مِنْ عبد اللهِ بن مسعودٍ، وسالمٍ مَوْلى أبي حذيفة، وأُبي بنِ كعْبٍ، ومُعاذِ بنِ جبلٍ»[٢].

وكان عمر رضي الله عنه يسميه سيد المسلمين[٣].

لقد كان أبو المنذر أبيُّ بن كعب رضي الله عنه ذا فضل عظيم أحب النبي ﷺ حبًا يفوق التصور وعكف على اقتطاف ثمار الشمائل الكريمة من الرسول المعلم ﷺ ليغذي روحه من أنوارها، ويكون ممن تعلموا وعلموا، فإذا هو في واد خصيب وإذا هو تلميذ من تلامذة مدرسة النبوة نجيب، صرف رأس مال عمره وحياته في تحصيل العلم من شجرة النبوة الزكية المسقية بماء الوحي والمندَّاة الندية، فحفظ عن النبي ﷺ علمًا عمل وفق مراده، فكان من قدوة علماء الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم أجمعين.

لزم أبيُّ بن كعب رضي الله عنه المجالس النبوية السنية وأخذ يقتبس من سناها ويستفيد من كل ما يسمع منها وكان رضي الله عنه ممن تعلم الكتابة قبيل الإسلام[٤].

كانت حياة أبي بن كعب عليه سحائب الرضوان حياة علم وعبادة، وعمل وخير، وبركة وفضل، قضى شطرًا من حياته مع القرآن العظيم ينعم بأحكامه، ومع أحاديث النبي ﷺ، ومع العبادة والعلم، والتعليم.

قال أبو العالية : (كان أبي صاحب عبادة، فلما احتاج الناس إليه، ترك العبادة، وجلس للعلم)[٥].

جلس أبيٌّ رضي الله عنه للإقراء، وأخذ عنه القراءة عدد من أعيان العلماء، ومنهم:

---

(١) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، الشيخ يوسف بن عبدالله الخاطر ص ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٨٥٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص٣١.

(٤) انظر: مختصر تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ١٩٨/٤.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٠٣/٤.

عبدالله بن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو العالية[١]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجل أبيًا ويتأدب معه، ويتحاكم إليه؛ ولعمر أخبار سارة نافعة وجميلة مع أبي رضي الله عنه تكفلت كتب المصادر بذكرها وروايتها[٢].

عاش رضي الله عنه شطرًا من الخلافة الراشدة، وهو موفور الكرامة مرعي الجانب، له مكانته في مجالس العلماء من الصحابة الأعلام[٣].

خامسًا - من آداب الداعية: مدح المدعو والإشادة بفضله عند أمن فتنته وغروره:

من الآداب التي ينبغي مراعاتها من قِبَلِ الداعية تحفيز المدعو بالثناء عليه والإشادة به وذلك عند أمن فتنته وغروره، وفي الحديث أنموذج تطبيقي لذلك، ففي قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب "ليهنك العلم أبا المنذر" ، قال النووي ، : فيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه، ورسوخه في التقوى[٤] وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الثناء والمدح والإشادة مع كثير من صحابته، فكان صلى الله عليه وسلم يثني لظهور خصال أو أعمال تستحق التنويه والإشادة مما ينبغي الاستمرار عليه، وقد فعل ذلك عند ما نوَّه بخصال المنذر بن عائذ وهو أشج عبدالقيس، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لأشج عبدالقيس، "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة"[٥]، [٦].

---

(١) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الإمام الذهبي، تحقيق: بشار عواد، ٢٩/١.

(٢) انظر: طبقات أبو سعد، ٢١/٤، ٢٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٩٧/١.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٧٤-٥٨٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٤٠.

(٥) أخرجه الترمذي، ٢٠١١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٦٣٦)

(٦) علم النفس الدعوى، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٠٩.

الحديث رقم (١٠٢١)

١٠٢١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فقلتُ[1]: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[2] وَعِيَالاً، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: ((أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)) فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لقولِ رسول الله ﷺ[3] فَرَصَدْتُهُ، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسول الله ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لاَ أَعُودُ، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لي رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً[4] وَعِيَالاً، فَرحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ[5]: ((إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ)) فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَة، فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، وهذا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ[6] لاَ تَعُودُ[7]! فَقَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي[8] أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُنَّ[9]؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ[10]، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ[11] شَيْطَانٌ حَتَّى

---

(١) عند البخاري زيادة: (والله)، ولا توجد عند الحميدي في جمعه (٢٥٨/٣، رقم ٢٥٦٨).

(٢) عند البخاري زيادة: (شديدة).

(٣) عند البخاري زيادة: (إنه سيعود)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٤) عند البخاري زيادة: (شديدة)، وهي لا توجد عند الحميدي.

(٥) عند البخاري زيادة: (أما).

(٦) (أنك) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٧) عند البخاري زيادة: (فتعود).

(٨) (فإني) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٩) لفظ البخاري: (ما هو).

(١٠) عند البخاري زيادة: (الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم، حتى تختم الآية).

(١١) لفظ البخاري: (ولا يقربنك)، والمثبت لفظ الحميدي.

تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((مَا فَعَلَ أسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) قُلْتُ: يَا رسول الله، زَعَمَ أنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: ((مَا هِيَ؟)) قُلْتُ: قَالَ لي: إذَا أَوَيْتَ إلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ وقال لِي: لاَ يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((أمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لاَ. قَالَ: ((ذَاكَ شَيْطَانٌ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وكلني: وكّل فلانًا: فوّض إليه أمرًا من الأمور[2].

يحثو من الطعام: يأخذ بيده منه[3].

البارحة: أقرب ليلة مضت[4].

فرصدته: رَقَبْتُه[5].

آويت: أتَيْتُ[6].

الشرح الأدبي

الحديث من الأحاديث القصصية الطويلة التي يقوم فيها الحوار على عدة

---

(١) برقم (٢٣١١). أورده المنذري في ترغيبه (٨٨٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ك ل)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٨٠.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥٣.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ر و).

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٩/٤.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

شخصيات، مما يعطي الأسلوب حيوية، وحركة، ومما يزيده حيوية، وطرافة، وتشويقاً أن أحد أطراف الحوار شيطان، وقول الرسول ﷺ ((يَا أَبَا هُرَيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟)) النداء تودد، وتكريم، والاستفهام تنبيه، وقول الرسول ﷺ (أمَا إنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) أما استفتاحية وقوله (كذبك) خبر أريد به التنبيه، والتحذير، وقوله (وسيعود) توكيد للجملة السابقة قوله: (فَجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ) قوله يحثو يشير إلى النهم ويوحي بالجشع، وقوله (فأخذته) كناية عن العقاب، والإمساك به، وقول الشيطان له (دَعْنِي) أمر بغرض الرجاء، والالتماس، وقوله: ((فَإنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا) الفاء للتعليل حملا له على الاستجابة للطلب، والجملة بغرض الترغيب في الكلمات، وقوله: (مَا هُنَّ؟) استفهام على حقيقته تبدو خلفه لهفة، وشوق، وقول الشيطان (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ) أسلوب شرط يربط الإيواء إلى الفراش بقراءة آية الكرسي وقوله: (فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ) يشير إلى قيمة هذه الآية، وأثرها على منع الشيطان من الاقتراب من الإنسان، وتوكيد الخبر؛لأن المخاطب منكر للخبر، والتعبير بالفعل زال يشير إلى الاستمرارية، والتعبير بعلي في قوله (عليك) يفيد الاستعلاء، والإحاطة التي تدل على شمول الحفظ، وقوله (من الله) يعطي الحفظ أبعادا أخرى تتخطى حدود الحفظ البشري إلى الحفظ الإلهي الذي لا يبلغه شر مهما كانت قوته، ، والتعبير بالقرب عن وسوسة الشيطان فيه مبالغة في منعه عن الإنسان، وقوله (حتى تصبح) بيان للمدى الزمني الذي تستغرقه الآية بأثرها، وقول الرسول ﷺ (أمَا إنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ) تأكيد الكلام لغرابة الخبر من حيث إنه يخبر عن شيطان في زي إنسان مخادع، والطباق بين صدق، وكذب يؤكد المفارقة بين طبيعة الشيطان في الكذب، والخداع، وبين صدقه في هذا الموقف لتحقيق غرضه لأخذ ما يريد، وقول الرسول ﷺ (تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟) استفهام إخبار وتشويق، وتنبيه، وقوله: (ذَاكَ شَيْطَانٌ) الإشارة تفيد تقرير المشار إليه، وجعله ملأ سمعه، وبصره لأنه في الظاهر إنسان، وفي الحقيقة شيطان، وكم من مظهر خدَّاع !، وكم من شيطان يعيش بيننا في زي إنسان!

فقه الحديث

قال ابن حجر: (فيه: أي في الحديث) أن السارق لا يقطع في المجاعة ويحتمل أن يكون القدر المسروق لم يبلغ النصاب ولذلك جاز للصحابي العفو عنه قبل تبليغه إلى الشارع.

٢- فيه قبول العذر والستر على من يظن به الصدق.

٣- فيه جواز جمع زكاة الفطر قبل ليلة الفطر وتوكيل البعض لحفظها وتفرقتها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: القصة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ: الإخبار بحقائق الأمور.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تكليف النبي ﷺ لأبي هريرة بحفظ زكاة رمضان:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان" وفي ذلك دليل على أن الإسلام أمر بالمحافظة على المال فحرم الإسراف والتبذير وحظر إضاعة المال وتبديده[٢]، ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أموال زكاة المسلمين وحفظها حتى إيصالها إلى مستحقيها، فأمر أبا هريرة بحراستها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٤/٤٨٩-٤٩٠.

(٢) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٥٧.

وحفظها. وذلك يعد من الأحوال المتألقة في حياة أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «كان يعده من الأمناء ويوكله بحفظ زكاة رمضان»[١].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: القصة:

وردت القصة في الحديث حيث قص علينا أبو هريرة رضي الله عنه قصته في أمر رسول الله ﷺ له بحفظ زكاة الفطر وما جرى من مجيء الشيطان ثلاث ليال يحثو من الطعام وما دار بينه وبينه وما جرى من رجوع أبي هريرة إلى رسول الله ﷺ، والقصة من الوسائل الدعوية المؤثرة وقد استخدمها القرآن والسنة في عرض الدعوة وذلك لما فيها من التأثير والاعتبار والعظة[٢]، ولها التأثير الكبير في تبليغ الدعوة فهي ترتقي بالإنسان إلى الفضيلة وتتسامى به إلى الأفضل والأحسن دائمًا وتبتعد به عن مواطن الزلل والضعف.

فما جاء في القرآن والسنة من قصص واقع عاشه أصحابه، كما وصف تماما في القرآن والسنة، فهو محل تدبر وتفكر واعتبار[٣]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

ومن عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة الإسلامية أن روى لها هذه الخلاصات في كتابه العظيم فحفظت بذلك من الضياع أو التحريف، فلم تمتد إليه يد غادر فتزور أو تغير، ولا يد خائن فتسرق أو تخفى - كما هو الشأن في التوراة والإنجيل المحرفين- فهذا القصص الحق محفوظ ما دامت على الأرض حياة تنبض أو شمس تشرق وتغيب، تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥].

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٩٢.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي ص ٣٢-٥٧.

(٣) عظمة القرآن، محمد بن صالح الدوسري ص ٢٨٨.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٩.

وبقيت هذه الخلاصات بذلك بين أجيال هذه الأمة غضة حية تمدهم بأسباب النجاح، وأصول التعامل مع أنفسهم، والأمم من حولهم، وتجنبهم طريق الخيبة أو الوقوع في مكائد ومصائد شياطين الجن والإنس.

وهذا غيض من فيض في فوائد القصص القرآني، وفعله في حياة الناس وأثره على تقدمهم أو تأخرهم، فضلاً عما فيه من أنواع المعرفة، وسبل الهداية، والمتعة الهادفة، مما كان له الأثر الفاعل في ضبط اتباع الأمة المحمدية، حتى امتازوا عن غيرهم -من الأمم السابقة- بالعطاء والرقي.

وبعد هذا كله كيف يجوز لعاقل ألا يعكف على هذا القصص الحق بالدراسة والتمحيص واستلهام العبرة والموعظة الحسنة، ويعمل بمقتضى ذلك، فينعم بحياة مستقرة، وآخرة مرتضاة[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

جاء أسلوب الحوار في الحديث جليًا واضحًا وذلك فيما دار بين أبي هريرة ورسول الله ﷺ: فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعليّ عيال وبي حاجة شديدة، فخليت سبيله..."، وأسلوب الحوار من الأساليب المجدية في الدعوة، ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس مناقشة بين طرفين أو أطراف بقصد تصحيح كلام وإظهار حجه وإثبات حق ودفع شبهه ورد الفاسد من القول والرأى، وتلك هي غاية الحوار الأصلية وهى جلية بينة[2].

إن من أهداف الحوار الرئيسة أنه يستخدم كوسيلة من وسائل إيضاح العقيدة الصحيحة ويعرضها عرضًا بسيطًا سهلاً خالية من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة ومن أمثلة ذلك ما جاء في محاوره رسول الله ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: «كنت رَديفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَة الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ

---

(١) انظر: معالم القصة في القرآن الكريم، محمد خير العدوي ص ٧، ٨.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله بن حميد ص ٢١٣.

رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم»[1].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الاخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم[2].

كذلك من أمثلة الحوار النبوي ما رواه الإمام أحمد عن أبي أمامة الباهلي-رضي الله عنه: ((أنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))[3].

لقد أوصل الرسول ﷺ بحواره الشاب إلى قناعة تامة بخطر الزنا، من خلال مناقشته وإثارة الغيرة الكامنة في نفسه على أمه وأخته وأهل بيته، فأقر بأن هذا الفعل المنكر الشنيع، الذي يفعله في أعراض الناس وهم غافلون، يمكن أن يفعله غيره مع

---

(١) أخرجه البخاري، ٤٨٧.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨، ٤٤٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢٢٢١١، والحديث قال عنه محققوا المسند، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد، ٥٤٥/٣٦).

أهل بيته وهو غافل، وبعد اكتمال علاج العقل، استخدم معه علاج الروح فدعا الله تعالى له أن يطهر قلبه ويحصن فرجه[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

تكرر هذا الأسلوب في الحديث أكثر من مرة ومن ذلك سؤال النبي ﷺ لأبي هريرة: ما فعل أسيرك البارحة يا أبا هريرة؟ والسؤال والجواب من الأساليب المؤثرة في تبليغ الدعوة ونقشها في صدور المدعوين لما تجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فينبغي على الداعية استثمار هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في عرض دعوته على الناس، ومن شواهد ذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد إزالة فعل محرم ألفه الناس واعتادوا عليه أو استهانوا فعله يحاول ربط تحريمه بأمر آخر قد بينت حرمته وثبتت في نفوسهم فيتوصل إلى ذلك بالسؤال، كما في الحديث الذي يرويه البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ خطبَ الناسَ يومَ النَّحرِ فقال: ياأيُّها الناسُ، أيُّ يومٍ هذا؟ قالوا: يومٌ حرام. قال: فأيُّ بلدٍ هذا؟ قالوا: بلدٌ حرام. قال: فأيُّ شهرٍ هذا؟ قالوا: شهرٌ حرام. قال: فإن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا. فأعادَها مِرارًا. ثم رفعَ رأسَهُ فقال: اللّهمَّ هل بَلَّغتُ؟ اللّهمَّ هل بلَّغتُ؟ قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: فوَالذي نفسي بيده، إنَّها لوَصيَّتُه إلى أُمَّتِهِ: «فلْيُبلغِ الشاهدُ الغائبَ، لاتَرجِعُوا بعدي كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ»[٣].

إن سؤال رسول الله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها، كان

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٤٥٥.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦٢.

(٣) أخرجه البخاري، ١٧٣٩.

لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه، ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم وأموالكم.... إلخ، مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء. وشبَّه حرمة هذه الأشياء بحرمة البلد الحرام، والشهر، واليوم، لأنها ظاهرة الحرمة عندهم بخلاف الأنفس، والأموال، والأعراض، التي كانوا يستبيحونها في الجاهلية. فأبان لهم الشرع أن تحريم دم المسلم وماله وعرضه كتحريم البلد والشهر واليوم بل أعظم من ذلك[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: من معجزات الرسول ﷺ الإخبار بحقائق الأمور:

لقد حبى الله نبيه ﷺ وأيده بالمعجزات البينات والتي منها ما ورد في الحديث في سؤاله ﷺ لأبي هريرة عن أسيره: "يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة ؟ وذلك استفهام تقريري وكذلك في إخباره لأبي هريرة بعودته، فقال: "إنه قد كذبك وسيعود" إذ أن الله قد أطلع نبيه ﷺ على ما وقع لأبي هريرة وأن سيقع له، فأراد رسول الله ﷺ إعلام أبي هريرة حاله وبأنه سيعود [٢]، فإن من معجزاته ﷺ ودلائل نبوته ما أُطْلِعَ عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها[٣].

والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على اطلاع النبي ﷺ على بعض الأمور الغيبية[٤].

ومن أمثلة ذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق في حياته كإخباره بمصارع الطغاة يوم بدر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنَّا مَعَ عُمَرَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. فَتَرَاءَيْنَا الْهِلاَلَ. وَكُنْتُ رَجُلاً حَدِيدَ الْبَصَرِ. فَرَأَيْتُهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَآهُ غَيْرِي. قَالَ: فَجَعَلْتُ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٧٣٥/٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٥.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٤٢/١.

(٤) انظر: الشفا، القاضي عياض، ٣٢٩/١.

أَقُولُ لِعُمَرَ: أَمَا تَرَاهُ؟ فَجَعَلَ لاَ يَرَاهُ. قَالَ يَقُولُ عُمَرُ: سَأَرَاهُ وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى فِرَاشِي. ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا عَنْ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يُرِينَا مَصَارِعَ أَهْلِ بَدْرٍ بِالأَمْسِ. يَقُولُ: «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ مَا أَخْطَأُوا الْحُدُودَ الَّتِي حَدَّ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: فَجُعِلُوا فِي بِئْرٍ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «يَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ وَيَا فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا».

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَادًا لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا؟ قَالَ: ((مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ. غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا))[1].

كذلك ما أخبر به النبي ﷺ وتحقق بعد مماته، ومن ذلك ما أخبر به النبي ﷺ من ظهور الإسلام وعلوه.

فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: (شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ - وهو مُتَوَسِّدٌ بُردَةً لَهُ في ظِلِّ الكعبةِ - قلنا له: ألا تَستنصِرُ لنا، ألا تَدعو اللهَ لنا؟ قال: كان الرَّجلُ فيمن قبلَكم يُحفَرُ له في الأرضِ فيُجعَلُ فيه، فيُجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسِهِ فيُشَقُّ باثنتَينِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دينه، ويُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دُونَ لحمِهِ من عظمٍ أو عَصَب، وما يَصدُّهُ ذلكَ عن دينه. واللهِ لَيتمَّنَّ هذا الأمرَ حتى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حَضْرَمَوتَ لا يخافُ إلاّ اللهَ، أوِ الذِّئبَ على غَنمه، ولكنَّكم تَستَعجِلون)[2].

وهكذا وقع فقد عم وظهر الدين وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة ومَنْ بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٧٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٦١٢.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

كذلك من تلك الأخبار التي تحققت بعد وفاته ﷺ ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلكَ كسرى فلا كِسْرى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قَيصَرَ بعده. والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما في سبيل الله»[١].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((هَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْمَاطٍ[٢] قلْتُ: وَأَنَّى يَكُون لَنَا الأَنْمَاطُ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ لَكُمُ الأَنْمَاطُ فَأَنَا أَقُولُ لَهَا يَعْنِي امْرَأَتَهُ أَخِّرِي عَنِّي أَنْمَاطَكِ فَتَقُولُ: أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُون لَكُمُ الأَنْمَاط فَأَدَعُهَا))[٣].

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملكًا بعد ذلك»[٤].

وقد وقع ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: قال الحافظ ابن كثير: (وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثنى عشر يومًا، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين، وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوًا من ستة أشهر، حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة)[٥].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: الرحمة بالمحتاج والعائل:

أشار الحديث إلى الرحمة بالمحتاج والعائل وذلك فيما دار بين أبي هريرة والشيطان

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٦١٨، ومسلم، ٢٩١٩.

(٢) أنماط: الأنماط جمع نمط وهو من البسط معروف، انظر: جامع الأصول، ٣١٩/١١، وقد قال له النبي ﷺ ذلك عندما تزوج.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٦٣١، ومسلم، ٢٠٨٣.

(٤) أخرجه أبو داود، ٤٦٤٦، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٢٥/١٣)، أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره، وقال الألباني حديث حسن صحيح، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤٥٩، وصحيح سنن أبي داود، ٣٨٨٢).

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، ٢٠٤/٦، ٢٠٥.

من حوار "فجاء يحثو من الطعام، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال دعني فإني محتاج وعليَّ عيال ولا أعود، فرحمته فخليت سبيله"، فإن من لوازم الإيمان التراحم والتعاطف، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد"[١]، قال النووي: والحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٢] والتراحم أن يرحم المؤمنون بعضهم بعضًا بأخوة الإيمان، بحيث يرق لأخيه ويتألم لألمه ويقف بجانبه في السراء والضراء[٣].

وفي قوله ﷺ: ((تَرى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادّهم وتَعاطفِهم كمثَل الجسَدِ إذا اشتكى عُضوًا تَداعى له سائرُ جسَدِه بالسّهَرِ والحُمّى)) يمثل رسول الله ﷺ المؤمنين في هذا لخلال الثلاث بالجسد الواحد فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تألم له الباقي، فلم يذق نومًا وسارت إليه حرارة الحُمَّى، فآلمته، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحدًا منهم نائبة شعر بألمها الباقون، فسعوا بما فيهم من العواطف لدفع الألم عنه، وجلب الخير إليه.

فالمسلمون في مجموعهم كشخص واحد وكل فرد منهم بالنسبة للمجموع كالعضو بالنسبة للشخص، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب كلهم؛ والشر ينوبه، كأنما ناب جميعهم، فليعتبر بهذا الحديث بعض الأمم الإسلامية التي لا تألم لما يصيب جارتها، بل ربما ساعدت عدوًا على القضاء عليه وليعتبر به أولئك الأفراد الذين جدوا في اصطياد مصالحهم الشخصية وإن أضرت بآخرين، وإذا ما طلب منهم مواساة إخوانهم ولوا على أدبارهم نفورًا، أولئك لم يتوطن الإيمان بعد نفوسهم.

فالرحمة فضيلة والقسوة رذيلة[٤]، وأولى الناس بالتخلق بالرحمة وإشاعة التراحم في

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، ١٥٤٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ١٨٢.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٢١، ١٢٢.

المجتمع هم الدعاة إلى الله، يرشدون الناس إلى الخير ويعلمونهم الحق، ويأخذون بهم عن اللمم إلى السبيل الأهم، ويعملون لعزهم، ودفع المذلة عنهم وهديهم إلى عمل الخير وخير العمل، فإذا ما ابتعد الإنسان وتجافى عن الرحمة بالآخرين لم يكن أهلاً لرحمة الله به وحرم نفسه منها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من لا يَرْحم لا يُرْحم))[١].

فما أحرى المسلمين جميعًا خاصة الدعاة منهم أن يتحلوا بالرحمة ويتجملوا بهم اقتداء بإمام الدعاة ﷺ والذي وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

سابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل قراءة وتدبر آية الكرسي:

جاء في صريح الحديث بيان فضل آية الكرسي بأنها سبب لحفظ الإنسان من الشياطين والآفات، فقلت يارسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال ما هى ؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية "(الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، فقراءة آية الكرسي سبب للحفظ والوقاية من الشيطان وإنما قال "ولا يقربك شيطان مع أن ذلك يدخل تحت قوله: "لن يزال عليك من الله حافظ" فخص الشيطان لعظم ضرره، فنص على ابعاده فضلاً عن حصول وساوسه وإيذائه[٣].

إن آية الكرسي لها فضل كبير لما اشتملت عليه من أصول معرفة صفات الله تعالى كما اشتملت سورة الإخلاص على ذلك ، كما اشتملت آية الكرسي على كلمة الشهادة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٩٩٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٦.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٤/٣/٢.

ومن يتأمل آية الكرسي، ويرى علاقتها بما قبلها وما بعدها من الآيات ليتراءى له مدى الإعجاز القرآني في نظمه وترتيب آياته، فقبلها جاءت الآيات مبينة أن يوم القيامة لا يكون فيه بيع ولا تجدي فيه خلة خليل ولا شفاعة شافع فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، فجاءت بعدها آية الكرسي وهي أجمع آية وأشملها وأقواها في إبطال الشفاعة وتهديم بنيانها، فإن الشفاعة التي يعتقدها الغافلون أو الكافرون الظالمون تتعارض تعارضًا مباشرًا مع صفات الله وأسمائه الحسنى.

هي تتعارض مع قدرته الكاملة وسلطاته الواسعة ومراقبته الدقيقة وعلمه المحيط الذي لا نهاية له، فإنها لا تتصور إلا إذا افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى ينقصه العلم وهو لا يحيط بكل شيء علمًا، إذًا فالمجال مفتوح أمام الشافعين حتى يقوموا بوظيفتهم ويزكّوا من يشاءون من أوليائهم، كائنًا ما كان وضعهم.

أو افترضنا - والعياذ بالله - أنه تعالى لا يملك السلطة الكاملة الواسعة المطلقة، وأن هناك من يتدخل في حكمه ويرغمه على ما يريد من عفو أو عطاء.

فجاءت هذه الآية تنفي هذه الشبهات وتنفي تلك الشفاعة التي كانت قائمة على هذه الشبهات)[2].

فسورة الكهف أعظم آية في القرآن الكريم كما ثبت عن نبينا محمد ﷺ في حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه "الحديث السابق".

وقد نقل الطيبي عن القاضي البيضاوي قوله: (إنما كان آية الكرسي أعظم آية؛ لأنها مشتملة على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أنه تعالى واحد في الإلهية؛ متصف بالحياة، قائم بنفسه، مقوم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، مبدع

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٢) البرهان في نظام القرآن في الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، د. محمد عناية الله أسد سبحانى ص٣٨٣.

الأصول والفروع، ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له، العالم وحده بالأشياء كلها جليها وخفيها، كلها وجزئيها، واسع الملك والقدرة، ولا يئوده شاق، ولا يشغله شان، متعال عما يدركه وهم، عظيم لا يحيط به فهم) [١].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها:

في الحديث دلالة على قبول الحق إن تيقن الإنسان من صحته ولو جاء من أي إنسان حتى ولو كان شيطانًا، حتى ولو كان من غير مسلم، كما جاء في الحديث من إقرار النبي ﷺ لأبي هريرة ما قال به الشيطان، قلت: يارسول الله زعم - الشيطان - أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، وقال لي لا يزال عليك من الله حافظ، ولن يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا أبا هريرة ؟ قلت: لا ، قال: ذاك شيطان".

قال د. الحسيني هاشم: (في الحديث فضل آية الكرسي وسيطرة المؤمن بإيمانه على الشيطان، والرفق بالمحتاجين، ومن كثرت عيالهم ومسئولياتهم، ومعرفة النبي ﷺ بالغيب الذي علمه الله، وإن الحكمة قد تصدر من الجاهل وأن سلامة النية سبيل النجاة)[٢].

فعلى الإنسان أن يقبل الحق من أي إنسان، وأن يرد الباطل من أي إنسان، ولهذا كان من الكلمات المأثورة عند العلماء "الرجال يعرفون بالحق والحق لا يعرف بالرجال" يعني لا تجعل مدار قبولك الحق على الرجل [٣] ولكن اجعله على الحق ذاته.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٤/٢٢٧ - ٢٢٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٤٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٢٦٣.

الحديث رقم (١٠٢٢)

١٠٢٢- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ))[1].

وفي رواية: ((مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ)) رواهما مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

عُصِمَ: مُنِع وحُمِي وحفظ[3].

الشرح الأدبي

الحديث في فضل سورة الكهف يشير إلى عظمة الأجر المتحقق بحفظ عشر آيات من سورة الكهف، وقد ورد المعنى في ثوب الخبر الخالي من المؤكدات الذي يقابل به خالي الذهن من مضمون الخبر لأنه كلام في حديث غيبي لا يتكلم فيه إلا نبي، والبداية بـ (من) تنادي بعموم من يعقل لاغتنام هذا الأجر، وقوله (عصم) أي منع، والتعبير بالعصمة يوحي بالقوة في الحماية، والنصرة، والمنع، وعدم ذكر الفاعل للعلم به، ولفظ (الدجال) يوحي بمعاني الخداع، والكذب، والغش، وإذا أطلق على هذه الشخصية المعرفة من خلال أخبار الرسول ﷺ بكل الشرور اتخذ اللفظ أبعاداً إيحائية أكثر خطورة مما يستلزم الحرص منه لا سيما، وأن زمان فتنته غير محدد، وإذا جهل الإنسان مكان الخطر، وزمانه كان أشد أثراً، ولذلك جعل لنا الرسول ﷺ عصمة منه بعشر آيات من أول سورة الكهف، أو من آخرها كما ورد في الرواية الأخرى.

---

(١) برقم (٨٠٩/٢٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٢) بعد حديث (٨٠٩/٢٥٧، بدون رقم بلفظ: (من آخر الكهف). أوردها المنذري في ترغيبه (٢١٧٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

فقه الحديث

قال النووي: (قال الشافعي في الأم والأصحاب: يستحب قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سورة الكهف وحفظ عشر آيات من أولها وعشر آيات من آخرها:

إن لسورة الكهف وحفظها وتدبر معانيها أكبر الأثر فيما يبعث في القلب من قوة الإيمان وعدم التزحزح عنه وحفظ الإنسان من فتنة الدجال، وقد جاء في الحديث الإشارة إلى فضل حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف وعشر من آخرها، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية: "عشر آيات من آخر سورة الكهف"، قال النووي: (قيل سبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال وكذا في آخرها)[٢].

وقال ابن علان: (وسر عصمة من حفظ تلك الآيات من الدجال اشتمالها على عجائب وآيات يمنع تدبرها من فتنته، وأيضًا ففي أولها ذكر أولئك الفتية الذين نجاهم الله من جبار زمنهم، فتعود بركتهم على قارئها حتى ينجيه الله كما أنجاهم، وفي آخرها. ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾[٣]، [٤].

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٩٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٤٠.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

(٤) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٤/٢٣٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٧.

وبالجملة فقد اشتملت سورة الكهف كثيرًا من المقاصد العظيمة ذكرها الإمام الفيروز آبادي فقال: مقصود السورة مجملاً: بيان نزول القرآن على سنن السداد وتسلية النبي ﷺ في تأخر الكفار عن الإيمان، وبيان عجائب حديث الكهف، وأمر النبي ﷺ بالصبر على الفقراء، وتهديد الكفار بالعذاب، والبلاء، ووعد المؤمنين بحسن الثواب، وتمثيل حال المؤمن والكافر بحال الأخوين الإسرائيليين، وتمثيل الدنيا بماء السماء ونبات الأرض، وبيان أن الباقي من الدنيا طاعة الله فقط، وذكر أحوال القيامة، وقراءة الكتب، وعرض الخلق على الحق، وإباء إبليس من السجود، وذل الكفار ساعة دخولهم النار، وجدال أهل الباطل مع المحقين الأبرار، والتخويف بإهلاك الأمم الماضية وإذلالهم، وحديث موسى ويوشع وخضر، وعجائب أحوالهم، وقصة ذي القرنين، وإتيانه إلى المشرقين والمغربين، وبنيانه لسد يأجوج ومأجوج، وما يتفق لهم آخر الزمان من الخروج، وذكر رحمة أهل القيامة، وضياع عمل الكفر، وثمرات مساعي المؤمنين الأبرار، وبيان أن كلمات القرآن بحور علم لا نهاية لها، ولا غاية لأمدها، والأمر بالإخلاص في العلم الصالح أبدًا، في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، [2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب من أساليب الدعوة التي يرغّب بها الداعية المدعو فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، وقد جاء الترغيب في الحديث في حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ومن آخرها وبين ﷺ أن في ذلك الأمن من فتنة المسيح الدجال، فقال ﷺ: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية "من آخر سورة الكهف" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة فالمرء يحب ما ينفعه ويرغب في الحصول عليه، وينبغي على الداعية أن يغتنم ذلك في الدعوة فيرغب المدعو في الخير ببيان نفعه له، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يقوم بالدعوة بالترغيب مع قيامه بأساليب أخرى[3]، قال

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز د الدين الفيروز آبادي، ٢٩٨/١.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١٨٠-١٨١.

تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[١]، قال ابن القيم: (الموعظة الحسنة هي الأمر والنهى المقرون بالرغبة والرهبة[٢]، وقد كان النبي ﷺ يكثر من الترغيب والترهيب، في الدعوة إلى الله تعالى تنفيذًا لأمر ربه تبارك وتعالى)[٣].

إن الترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، وتوجيه القدرات والطموحات إلى اتجاه طرق الخير[٤]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترغيب والتشويق في كثير من أحاديثه، إذ أن المعرفة وحدها لا تكفي في إلزام الإنسان بالفضائل، بلا لابد معها من وسائل أخرى للتهذيب والتربية تحفز الإرادة وتبعث الهمة على الالتزام في السلوك بما توجبه المعرفة من عمل الخير والبعد عن الشر، كما أن النفوس تتفاوت في الاستعداد للتأثر، فلابد من تنويع وسائل التربية مهما بلغ الإنسان من الحضارة والرقي[٥].

ومن أمثلة التشجيع والترغيب ما جاء في الحث على قراءة القرآن ومن ذلك ما جاء في الحديث في فضل سورة الكهف فيقول ﷺ: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف -وفي رواية من آخر سورة الكهف- عصم من الدجال)، وما جاء في قراءة القرآن عامة ما روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لاَ أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْف ولامٌ حَرْفٌ وَميمٌ حَرْفٌ))[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ أمته من فتنة الدجال:

جاء في الحديث إرشاد من النبي ﷺ للأمة للوقاية من فتنة الدجال: «مَنْ حَفِظَ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١٩٤.

(٣) أصول التخريج ودراسة الأسانيد، د. محمود الطحان، مكتبة الرواد للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٠٢هـ، ص١٩٤.

(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢٥٣.

(٥) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٣٤، ٣٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي، ٢٩١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٣٢٧)

عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»، وفي رواية: "من آخر سورة الكهف".

قال ابن عثيمين: (فإن النبي ﷺ أخبر أنه من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو من آخرها عُصم من الدجال، والدجال رجل كافر يبعث في آخر الزمان يدَّعي النبوة أولاً ثم يدَّعي أنه إله - والعياذ بالله - وفتنته أعظم فتنة تكون على الأرض منذ خلق آدم إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك النبي ﷺ وقال: ((إِنْ يَخْرُجْ، وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ. وَإِنْ يَخْرُجْ ، وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ. وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ))[1]، وقد حذر النبي ﷺ من فتنته، وما من نبي إلا أنذر قومه حتى يستعد بنو آدم لهذه الفتنة العظيمة، وإن كان من المعلوم أنه لا يأتي إلا في آخر الزمان، لكن لأجل التنبيه لعظم فتنته وأنها كبيرة عظيمة، لا ينجو منها إلا من أنجاه الله عز وجل)[2].

فإن فتنة الدجال من الخطورة بمكان، فهي من أعظم الفتن في آخر الزمان التي تموج بعقول أولى الألباب، قال ﷺ: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"[3]، أي: أكبر فتنة وأعظم شوكة[4].

وذكر النبي ﷺ علامات الدجال ليكون المسلم على علم ومعرفة بها ليحتاط لدينه ويكون على بصيرة من أمره[5]. فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا نائم أَطوفُ بالكعبة فإذا رجلٌ آدمُ سَبْطُ الشعر ينطفُ -أو يَهراقُ- رأسه ماءً، قلتُ: من هذا؟ قالوا: ابن مريمَ، ثم ذهبتُ ألتفِتُ فإذا رجلٌ جَسيمٌ أحمرُ جَعد الرأسِ أعورُ العينِ كأن عَينَهُ عِنَبةٌ طافيةٌ، قالوا: هذا الدجال، أقرَبُ الناس به شَبَهًا ابنُ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٣٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٦٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٤.

(٥) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، ميرفت أسرة ص ١١٢، ١١٣.

قَطَنٍ رجل من خُزاعة»[١]. قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافر، ثم تهجاها "ك ف ر" يقرؤها كل مسلم"[٢].

وكان ﷺ يستعيذ من الدجال، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: (سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال)[٣]، وأرشد الأمة إلى ذلك فقال ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَعَوَّذْ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَفِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، ثُمَّ يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِمَا بَدَا لَهُ»[٤]. فليحرص المسلم على الاستعاذة من الدجال وحفظ أول سورة الكهف وآخرها اتباعًا لسنة رسول الله ﷺ وليحرص الدعاة على تبليغ وبيان ذلك لمدعويهم.

وعلى حث الناس على العمل الصالح تحسبًا للدجال واتقاءً لشره ودجله وتمويهه على الناس[٥]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ))[٦]. أي أسرعوا في تكميل الأعمال الصالحة وسابقوا فيها قبل أن تظهر هذه العلامات الست، إذ يعسر العمل فيما بعدها أو لا يقبل عند الله تعالى، وقوله: "أو خاصة أحدكم" يعني العلامة التي تخص أحدكم والمراد منها الموت، فإن من مات قامت قيامته، وقيل هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به، ووقع في رواية، "أو خويصة أحدكم" بالتصغير لاستصغارها من جنب الحوادث الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٤١، ومسلم ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٣.

(٤) أخرجه النسائي ١٢٤٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٢٤٢).

(٥) انظر: الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أبو عبدالله مصطفى بن العدوي ص٥٠٢.

(٦) أخرجه مسلم، ٢٩٤٧.

وقوله: "أو أمر العامة" المراد به القيامة لأنها تعم الناس كلهم وقيل الفتنة التي تعم الناس أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قِبَلهم دون الخواص[(١)].

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٣٢٨، ٣٢٩.

الحديث رقم (١٠٢٣)

١٠٢٣- وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ، فنَزلَ منهُ مَلكٌ، فقالَ: هذا مَلكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ فَسلَّمَ وقال: أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

نقيضًا: صوتًا[2].

الشرح الأدبي

الحديث يروي خبرا طريفا بين رسولين رسول السماء جبريل عليه السلام، ورسول الأرض محمد ﷺ يبدأ بلفظ يوحي بالمفاجأة (بينما جبريل عليه السلام) ولفظ نقيض يوحي بصوت مصدره حركة غير معتادة قوية، والظرف (فوق) المضاف لجبريل عليه السلام يعطي الصوت المسموع نمطاً مختلفا عن أصوات الأرض، وقوله (فرفع رأسه) يشير إلى التهيؤ للتعليق على الحدث بعد التأثر به، وقول جبريل عليه السلام (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ) تعريف المسند إليه بالإشارة لأنها أقرب طريق لمعرفته، وتنكير الباب للتعظيم، والجار، والمجرور (من السماء) يعطي معنى الباب دلالة مختلفة عن الأبواب المعهودة لدينا؛ لأن مداه اتساعاً لا يعلمه إلا الله، وقوله (فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إلاَّ اليَوْمَ) أسلوب قصر لفتح هذا الباب على الظرف يوم، وهو يمهد لأمر عظيم، وكذلك

---

(١) برقم (٨٠٦/٢٥٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٥٧).

(٢) رياض الصالحين ٣٩٣.

أسلوب القصر في قوله: (هذا مَلَكٌ نَزلَ إلى الأرضِ لم ينْزلْ قطّ إلاّ اليومَ) ينبه إلى حدث غير معتاد، مجيء ملك مخصوص من باب مخصوص لابد، وأن يكون السبب عظيماً، وهو ما يهيأ له وجدان المخاطبين، وقول هذا الملك النازل (أبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبيٌّ قَبْلَكَ) يكشف سر هذا التخصيص للباب، والملك؛ لأن ما جاء به لم يتنزل على نبي غيره كرامة له، وإكراماً لأمته، وقوله (أبشر بنورين) أمر تكريم، وتشويق، ولفظ البشارة من الألفاظ الموحية بطبيعتها بقدوم خير يتلوها تكون مقدمة له، والتعبير بالنور يثير في النفس معاني الكشف، والوضوح، والبهاء، وتثنية النور يصعِّد الشوق، ويرفع درجة الترقب، وقوله (أوتيتهما) يزيد النفوس ترقباً لاقتراب الخير المنتظر وقوله: (فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ) والتعبير بالفاتحة لافتتاح القرآن بها، أو لأنها فاتحة المطالب العالية كما سماها ابن القيم، وإضافتها للكتاب بيان، وتشريف، وبين فاتحة، وخواتيم طباق يحدد الآيات المقصود من الإتيان، وجمع الخواتيم لتشمل أكثر من آية في السورة، وإفراد الفاتحة لأن المقصود السورة كلها، وليس آيات معينة، وقوله (لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إلاَّ أُعْطِيتَه) يشير إلى فضل هذه الآيات، وأثرها في تحصيل قارئها للأجر العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: البشارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي ﷺ بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي ﷺ:

جاء في صريح الحديث مجيء جبريل عليه السلام وقعوده عند النبي ﷺ قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ "وتلك صورة من صور الوحى ونزول جبريل عليه السلام،

حيث كان يتمثل جبريل عليه السلام رجلاً فيخاطبه ﷺ حتى يعي عنه ما يقول له[١]، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا كما في هذا الحديث في قول ابن عباس رضي الله عنهما: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ وكما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُول الله ﷺ ... ثُمَّ انْطَلَقَ. فَلَبِثْتُ مَلِيًا. ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))[٢].

وهناك صور أخرى لمجيء جبريل عليه السلام وإلقائه بالوحي إلى رسول الله ﷺ وهي:

أ- ما كان يلقيه الملك في روع وقلب رسول الله ﷺ من غير أن يراه، كما قال النبي ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته»[٣].

ب-أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن الحارث بن هشام، سَأَلَ رسولَ اللّهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللّهِ كيفَ يأتيكَ الوَحيُ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «أَحْيانًا يَأتِيني مِثلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهُوَ أَشَدُّه عَليَّ فَيُفْصِمُ عَنِّي وقد وَعَيْتُ عنهُ ما قالَ، وأحيانًا يَتَمثَّلُ ليَ المَلَكُ رَجُلاً فيُكَلِّمُنِي فأعِي ما يَقولُ». قالتْ عائشةُ رضي الله عنها: ولَقدْ رَأَيتُهُ يَنزِلُ عليهِ الوَحيُ في اليومِ الشَّديدِ البَردِ فيَفْصِمُ عنه وإنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفصَّدُ عَرَقًا»[٤]. وحتى

---

(١) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم، ٧٩/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٢٦/١٠، ٢٧، وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح بشواهده، زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٧٩/١، وأخرجه ابن ماجه، ٢١٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٧٤٣)،

(٤) أخرجه البخاري ٢٠، ومسلم ٢٣٣٣.

إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إن كان ليوحي إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرانها»[١]. ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها، فعن زيد بن ثابت: أن النبي ﷺ أملى عليه: ﴿لاَ يستوي القاعدونَ منَ المؤمنينَ والمجاهِدونَ في سبيلِ الله﴾. قال: فجاءَهُ ابنُ أمِّ مكتومٍ وهو يُمِلُّها عليَّ فقال: يا رسولَ الله لو أستطيعُ الجهادَ معك لجاهَدْتُ، وكان رجُلاً أعمى، فأنزَلَ الله تبارك وتعالى على رسولِه ﷺ، وفَخِذُهُ على فخِذي. فثَقُلَتْ عليَّ حتى خِفتُ أن ترضَّ فخذي. ثمَّ سُرِّيَ عنه، فأنزَلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٢]، [٣].

ج- أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لَمْ أَرَهُ (يُعْني جِبْرِيلُ) عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ. رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّماءِ. سَادًّا عِظَمُ خلقه مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ»[٤].

هذا بالنسبة لصور نزول جبريل على رسول الله ﷺ أما الوحي عامة فصوره أكثر من ذلك منها الرؤيا الصادقة ومنها ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها ومنها كلامه الله لرسوله ﷺ بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ١١٨/٦ رقم ٢٤٨٦٨، وقال محققو المسند: حديث صحيح، قال السندي قولها فتضرب بجرانها بكسر الجيم باطن العنق والبعير إذا استراح، مدَّ عنقه على الأرض، انظر (مسند الإمام أحمد، ٣٦٢/٤١، ٣٦٣).

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، ١٩٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٧٧.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٧٨/١-٨٠.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: البشارة:

وردت البشارة في صريح الحديث وذلك في قول الملك لرسول الله ﷺ: "أبشر بنورين أوتيتهما" والتبشير مع أبلغ الأساليب الدعوية تأثيرًا في النفوس، وهو مأخوذٌ من البشر وهو طلاقة الوجه وبشاشته، ثم أطلقت على الفرح والسرور[١].

وقد استخدم التبشير كثيرًا في القرآن وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣]، والتبشير في الدعوة سبب من أسباب البشر والسرور، وإيلاف القلوب وجذب النفوس إلى الدعوة وإقبالهم عليها[٤].

وقد غلب أسلوب التبشير في عرض القرآن للقضايا وبيان الأحكام حتى كان من أسماء القرآن وصفاته، قال تعالى في وصف القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٥]. فهذا وصف للقرآن العظيم، أنه يبشر من آمن بالجنة وينذر من كفر بالنار[٦].

"وشبه القرآن بالبشير فيما اشتمل عليه من الآيات المبشرة للمؤمنين الصالحين وبالنذير فيما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي فالكلام تشبيه بليغ"[٧].

وبهاتين الصفتين وقعت المشاركة بين القرآن وبين الأنبياء، قال تعالى في وصف

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٨.

(٢) سورة الشورى، الآية : ٢٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٤) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٩٧.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣، ٤.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ٤/٥.

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٩/٢٥/٨.

الرسل ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١]. وقال في صفة إمام المرسلين والدعاة محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا﴾[٢].

وتتجلى قوة التأثير للدعوة وعظمتها في الترغيب والترهيب، فالموفق هو الذي يستحضر كلا الأمرين، ليفيد من الإنذار فيبتعد عن المهالك والمعاطب وليُسرَّ ويستبشر بالبشارة فيزاد في فعل الخير[٣].

لذا ينبغي على الداعي أن يستصحب أسلوب التبشير والإنذار والترغيب والترهيب لما في ذلك من الأثر البالغ في إقبال المدعوين على الدعوة وأسر قلوبهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تبشير الملك للنبي ﷺ بالنورين الذين أوتيهما ولم يؤتهما نبي قبله:

جاء في الحديث بعض المنح والعطايا التي اختص بها رسول الله ﷺ وأمته تبع له في ذلك، لم يشاركه نبي قبله فيها وهي سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، "فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم، وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وإن تبشير الملك رسول الله ﷺ بهذين النورين، وفتح باب لم يفتح قط ونزول ملك لم ينزل قبل قط للتبشير بهذين النورين دليل على عظم هاتين المنحتين، يقول ابن علان: واختصاص هذين النورين لهذين الأمرين الذين لم يقعا في غيرهما للدلالة على تميزهما أو أفضليتهما، أو اختصاصهما بما لم يوجد في غيرهما[٤].

فهما مشتملتان على أبواب الإيمان والاستسلام والعبودية لله والدعاء بخير الدنيا والآخرة[٥]، وسماهما نورين لأن كل واحد منهما نور يسعى بين صاحبهما أو لأنهما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٨.

(٣) انظر: يعلمهم الكتاب، التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعال ص ٢٠.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨.

(٥) إكمال المعلم، ١٧٥/٣، ١٧٦.

يرشدان إلى أن الصراط المستقيم بالتأمل فيه والتفكر في معانيه أي بما في آيتين منورتين، وقوله "لن تقرأ" إلخ الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد هو وأمته، إذ الأصل مشاركتهم له في كل ما أنزل إليه إلا ما اختص به.

وقوله: "لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" أي: أعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة، كقوله: "اهدنا الصراط المستقيم"، ولقوله: "غفرانك ربنا" ونظائر ذلك وفي غير المسألة فيما هو حمد وثناء أعطيت ثوابه[1].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة:

إن من أنوار الله في قرآنه سورة الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، فهما نوران لحافظهما وقارئهما يوم القيامة، وسبيلان لانجائه في الآخرة وفي الدنيا، يهديان إلى صراط الله المستقيم اعتقادًا وعملاً وسلوكًا فضلاً عما أعد الله عليهما من الثواب العظيم والأجر الكبير.

وقد جاءت الأحاديث النبوية المتعددة في بيان فضل فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضلهما ووصفهما بالنور واستجابة الله للمسلم، إذا دعا بما فيهما، وإلى ذلك أشار قوله "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته" وذلك إشارة إلى علو شأنهما، ولما اشتملا عليه من المعاني الجامعة المتعلقة بالألوهية وتوابعها، مع وجازة لفظهما وبراعة نظمهما مما لم يشتمل على مثله غيرهما من بقية كتاب الله تعالى[2].

قال الإمام مجد الدين الفيروز آبادي: المقصود من نزول سورة الفاتحة. تعليم العباد التيمن والتبرك باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء الأمور والتلقين بشكر نعم المنعم والتوكل عليه في باب الرزق المقسوم وتقوية رجاء العبد برحمة الله تعالى، والتنبيه على ترقب العبد الحساب والجزاء يوم القيامة وإخلاص العبودية عن الشرك وطلب التوفيق

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١٨٧/٥، ١٨٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢١٨

والعصمة من الله، والاستعانة والاستمداد في أداء العبادات وطلب الثبات والاستقامة على طريق خواص عباد الله والرغبة في سلوك مسالكهم وطلب الأمان من الغضب والضلال في جميع الأحوال والأفعال وختم الجميع بكلمة آمين، فإنها استجابة للدعاء واستنزال للرحمة وهي خاتم الرحمة التي ختم بها فاتحة كتابه[١] - أي الفاتحة وخواتيم سورة البقرة -.

وقال الشيخ ابن عثيمين: فإنهما ما قرأهما واحد من هذه الأمة موقنًا إلا أتاه الله تعالى ما فيهما من الطلب، وكما جاء في الحديث عن سورة الفاتحة "هذا لعبدي ولعبدي ما سأل"[٢]. وفي خواتيم سورة البقرة سبع جمل دعائية ما يدعو بهن مؤمن موقنًا إلا استجاب الله له، وهذه ميزة جليلة وفضل عظيم[٣].

وقال الطيبي: (وتحرير معنى الدعاء في الفاتحة، هو أن المطلوب فيها الهداية المشتملة على النعمة المطلقة، فيتناول نعمة الدارين، ظاهرها وباطنها، جليلها ودقيقها، حتى لا يشد منها شيء، وعلى التوقي من غضب الله وسخطه مطلقًا، دنيا وعقبى، ومن جميع الأخلاق الذميمة، والضلالات المتنوعة، وما يعرجه عن الطريق المستقيم، وعلى هذا خاتمة البقرة فإن قوله: "آمن الرسول - إلى قوله: سمعنا" اشتمل على معنى التصديق والاعتقاد، ومنه إلى قوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا" على بيان الانقياد بالسمع والطاعة لما أمر الله تعالى به، ونهى عنه، ومنه إلى آخره على الدعاء الجامع لفلاح الدارين والفوز بالحسنيين)[٤].

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/١٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٨

(٣) شرح رياض الصالحين، ٢/١٢٦٥.

(٤) شرح الطيبي على مكشاة المصابيح ٤/٢٣٢ - ٢٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أساليب التعليم والتدريس: طرح الأسئلة:

لقد طرح النبي ﷺ على بعض الصحابة عدة أسئلة من ذلك: «ألا أعلِّمك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن تخرُج مِنَ المسجِد؟». وكذلك: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». ونحو ذلك، والمعلم يهدف من طرح الأسئلة خلال فترات الدرس، إلى بلوغ أهداف منها:

١- السؤال أداة المعرفة وأهم وسيلة للكشف عن الحقائق واكتساب المعلومات والمهارات.

٢- السؤال لإثارة التفكير فالسؤال يلفت نظر المسئول إلى مساحات جديدة من المعارف.

٣- تؤدي الأسئلة إلى ترسيخ المعلومات في الأذهان من خلال الإجابة على تلك الأسئلة، لأن السؤال يؤدي إلي عملية التطلع إلى معرفة الإجابة. وهذا له أثره في تعزيز عملية التعلم.

٤- تستخدم الأسئلة لغرض التنشيط، لأنها تدخل البهجة والسعادة في نفوس الطلبة للدور الإيجابي الذي يقومون به، والمشاركة العملية في عملية التعلم مما يشحذ هممهم وحماسهم إلى اكتشاف الإجابات الصحيحة.

٥- تعمل الأسئلة عمل الدافع، حيث يمكن اعتبارها عاملاً تشجيعيًا للطلبة بطيئي التعلم وذوي القدرات المحدودة والخجولين.

٦- تستخدم الأسئلة لغرض التشخيص والعلاج والوقاية، لأنها تساعد المعلم على تشخيص نقاط القوة والضعف في طلابه ... إلخ[1].

ثانيًا: من أنواع التربية: التربية الوقائية:

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ من الْجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتْ الْمُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا».

---

(١) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٣٤٢-٣٤٧.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

قال النووي: "قيل كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل: كفتاه من قيام الليل"(١).

كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».

وقال النبي ﷺ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

كما أقرّ النبي ﷺ قول الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه: «إذا أويتَ إلى فِراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح».

فهذه الأحاديث فيها ما يقي المسلم من شرور الجن والإنس، وهذا طريق من طرق التربية الوقائية، فالشيطان عدو مضل مبين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢).

"لذا كان على المسلم أن يتقي شر هذا العد، و وذلك بطريقتين:

أ- الاستعاذة بالله عز وجل من شره: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(٣).

ب-إذا استمر الشيطان في محاولاته بعد الاستعاذة فإن المسلم يتقيه بأن يستخف بدعوته فلا يعلق قلبه بها ولا يتبعه فيها، وأن يديم ذكر الله سبحانه وتعالى بلسانه وقلبه ... وذلك لأن الشخصية الإسلامية تستمد قوتها وسلامتها من اتصالها الدائم بالله ثم من الإرادة، فإذا كان لديها إرادة قوية فإنها تستطيع من خلالها كبح جماح أهواء نفسها، وتقدر على ضبط شهواتها وحجزها عن الجنوح وترفض وساوس شياطين الإنس والجن مهما بلغت إغراءاتها وزخارفها، لذلك نجد المنهج الإسلامي يركز على الإرادة وكيفية تقويتها لدى الإنسان"(٤).

---

(١) رياض الصالحين ص ٣٩١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧-٩٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٥٠٢-٥١١ بتصرف كبير.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحمل المسئولية:

لقد أخبر أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وكّله بحفظ زكاة رمضان، وهذا يستدل به على أن يربى المربون الناشئة على تحمل المسؤولية والمشاركة في الواجبات والمطلوبات، "فينبغي إشراك الصبي في تحمل بعض المسئولية، ولا ينظر على أنه ما زال صغيرًا، وخاصة في السنوات المتأخرة من مرحلة الصبا، وإذا لم يشارك في تحمل المسؤولية وهو قد أوشك أن يبلغ مبلغ الرجال، فمتى يقوم بذلك؟ فينبغي للمربي أن يشعر الصبي بذلك، كأن يمنحه مصروف أسبوع ينفق منه على حاجياته بدلاً من المصروف اليومي ويتابعه عن قرب، وكأن يستشيره في بعض الأمور ويستمع إليه، ويوضح له رأيه ولا يعارضه في كل ما يقول، ويسمح له بالاختيار من بين عدة بدائل، ويعهد إليه بالقيام ببعض الأمور، ويفوضه في عمل بعض الأشياء التي يحتاج إليها المنزل ونحوه ... ويبنبغي في الأمور التي يفوضه فيها أن يعوده على اتخاذ القرار بحيث لا يرجع إليه في كل شيء، كما لا ينبغي للمربي أن يحدد للصبي كل الخطوات التي ينبغي عليه اتباعها في تنفيذه ما عهد به إليه، بل يرشده إلى ما يغلب على ظنه أن الصبي لن يتمكن منه، وأما بقية الأمور فيعطيه فيها توجيهات عريضة حتى يتعود الصبي على القدرة على اتخاذ القرارات والموازنة بين الأمور"[1].

رابعًا: من أساليب التربية: الحوار:

الناظر في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في توكيل النبي ﷺ له بحفظ زكاة الفطر، وما عرض لأبي هريرة بالليل وسؤال النبي ﷺ عن ذلك في الصباح، الناظر في ذلك يجده قائمًا على أسلوب الحوار، "ولقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الحوار في التربية في الحلقات التربوية التي كان يعقدها لتربية أجيال المسلمين، وهي طريقة تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهي طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا فقط دون الفهم والإدراك

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٧، ١١٨.

العقلي، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة. وعن طريق الحوار كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين شتى أمور دينهم ودنياهم... ويمكن القول: إن طريقة الحوار والمناقشة في التربية الإسلامية لها دورها في تقوية الحجة والتمرن على سرعة التعبير والمنافسة والتفوق على الأقران والتعويد على الثقة بالنفس، وكل ذلك من أجل التكامل مع طرق التربية الأخرى التي بها تتحقق أهداف فلسفة التربية الإسلامية"[1].

❁ ❁ ❁

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبد الجواد سيد بكر ص ٣٣٣-٣٣٥ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ١٨٤-١٨٨.

١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة

الحديث رقم (١٠٢٤)

١٠٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

السكينةُ: الطُّمأنينة والوقار والسكون[2].

غشيتهم: غَطَّتْهُمْ وحوتهم[3].

حَفَّتهم: طافت بهم ودارت حولهم[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول فضل القرآن، وتعليمه، وتعلمه، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة في المسجد على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، مع ذكر الله لهم، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وبيوت جناس يوضح المعنى، ويرسخ للموقع الفاضل في بقاع الأرض حيث بيوت الله، والفعلان المضارعان (يتلون،

---

(١) برقم (٢٦٩٩/٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٨)، وتقدمَ برقم ٢٤٥، وسيأتي كذلك مختصرًا برقم ١٣٨٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ك ن)

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ش ى).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ف ف)

ويتدارسون) تصور الحركة الدائمة الدؤبة لهؤلاء في المسجد، وتصور المسجد بهم كخلية النحل بين معلم، ومتعلم، وتال للقرآن، وغيرهم، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية[1]

المضامين التربوية لأحاديث الباب[2]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٤٥).

(٢) تقدم ذكرها في المضامين التربوية لأحاديث الباب (٢٩).

١٨٥- باب فضل الوضوء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[المائدة: ٦].

الحديث رقم (١٠٢٥)

١٠٢٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ))، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غُرًّا: جمع أغرّ أي ذو غرّة، وأصل الغرة لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[2].

محجلين: من التحجيل وهو: بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس والمراد به هنا أيضًا النور[3].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول إسباغ الوضوء، ويقرر أن أثر الوضوء هو علامة الأمة المحمدية

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٦/٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

يوم الحشر العظيم، وبداية الرسول ﷺ بتوكيد الخبر تعظيم له، وبيان لأهميته، ونسبة الأمة له تشريف لها يحيط بكل مسلم مقتد به، والتعبير بالدعوة فيه خصوصية لهم من بين الأمم في النداء، والفعل المضارع يصور تتابعهم بعلامة تميزهم بين أمواج الأمم، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يصعِّد الإحساس بالرهبة لحاجة الإنسان إلى من يأخذ بيده، ويتعرف عليه، وقوله (غراً محجلين) الغرة علامة في الوجه، والتحجيل علامة في الأقدام، فالعلامة من أعلاهم، ومن أسفلهم، وبذلك تشمل مبتدأ النظر من أعلى، ومبتدأ النظر من أسفل، وقوله (فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) أسلوب شرط يربط إطالة الغرة بالاستطاعة بحيث تكون عادة المستطيع عند كل وضوء حتى تكون علامته أكثر وضوحاً وأجره عند الله أكبر.

فقه الحديث

استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء:

قال النووي: (هذه الأحاديث مصرحة باستحباب تطويل الغرة والتحجيل، أما تطويل الغرة فقال أصحابنا: هو غسل شيء من مقدّم الرأس وما يجاوز الوجه زائد على الجزء الذي يجب غسله؛ لاستيقان كمال الوجه. وأما تطويل التحجيل فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين، وهذا مستحبّ بلا خلاف بين أصحابنا واختلفوا في قدر المستحب على أوجه:

أحدها: أنه يستحب الزيادة على فوق المرفقين والكعبين من غير توقيت.

والثاني: يستحب إلى نصف العضد والساق.

والثالث: يستحب إلى المنكبين والركبتين.

وأحاديث الباب تقتضي هذا كلّه. وأما دعوى الإمام أبي الحسن بن بطال المالكي والقاضي عياض اتفاق العلماء على أنه لا يستحب الزيادة فوق المرفق والكعب فباطلة، وكيف تصحّ دعواهما وقد ثبت فعل ذلك عن رسول الله ﷺ وأبي هريرة رضي الله عنه[1]،

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٠.

وهو مذهبنا لا خلاف فيه عندنا كما ذكرناه، ولو خالف فيه مخالف كان محجوجًا بهذه السنن الصحيحية الصريحة، وأما احتجاجهما بقوله ﷺ: ((من زاد على هذا أو نقص فقد ساء وظلم))[١] فلا يصح لأن المراد من زاد في عدد المرات، والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد في الحديث من قوله ﷺ "إن أمتى يدعون يوم القيامة غرًا محجلين" والتوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تقوية الكلام وتأكيده في أذهان المدعوين، وقد أفاد التوكيد في الحديث إثبات وتأكيد وصف الأمة المحمدية بأنهم غرٌّ محجلون.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصوصية الأمة المحمدية بالغرة والتحجيل:

قد أشار الحديث الأول إلى ذلك من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء".

قال القرطبي: (وأصل الغرة لمعة بيضاء في جبهة الفرس، تزيد على قدر الدرهم. يقال منه: فرس أغرّ. ثم قد استُعمل في الجمال والشّهرة وطيب الذكر، كما قال[٤]:

ثيـاب بـني عَـوفٍ طَهَـارى نَقِيَـةٌ وأوجُهُهُـم عنـد المشاهد غُـرَّارُ

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٥، والنسائي ١٤٠، وابن ماجه ٤٢٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ١٢٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٣/٢ - ١١٧ .

(٣) هذه المضامين تشمل هذا الحديث - ١٠٢٥- والحديث التالي (١٠٢٦).

(٤) هو امرؤ القيس كما في حواشي التحقيق لكتاب المفهم.

والتحجيل بياض في اليدين والرجلين من الفرس، وأصله من الحجل؛ وهو الخلخال والقيد. ولابد أن يجاوز التحجيل الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعُرْقُوبين، وهو في هذا الحديث مستعارٌ عبارة عن النور الذي يعلو أعضاء الوضوء يوم القيامة)[١].

وفي بيان خصوصية الأمة المحمدية بذلك قال: حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ حَوْضِي لأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ. لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِكُمْ))[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله "ليست لأحد غيركم" قال غير واحد من أهل العلم: إن الغرة والتحجيل مما اختصت به هذه الأمة)[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن رسولَ الله ﷺ قال: ((إن حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَة مِنْ عَدَنٍ. لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرَكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ))[٤]، (وسيما أمتي: أي علامة تتبين بها أمة النبي ﷺ)[٥].

قال القرطبي: (وقوله: "لكم سيما ليست لأحد غيركم" السيما: العلامة، يُمدّ، ويهمز، ويقصر، وهذا نص: في أن الغرة والتحجيل من خواص هذه الأمة، ولا يعارضه قوله ﷺ: ((هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي))[٦] لأن الخصوصية بالغرة والتحجيل

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٥٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢/٩٨، برقم ٥٧٣٥، وابن ماجه ٤١٩، ٤٢٠، والدار قطني ١/٨٠، والبيهقي ١٠/٨٠ - ٨١، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٠/٢٧، ولكن الألباني صححه في السلسلة الصحيحة الحديث ٢٦١.

لا بالوضوء، وهما من الله تفضيل يختصُّ به من يشاء)[١].

وقال ابن هبيرة: (وآثار الوضوء علامة تظهر لهذه الأمة خاصة في القيامة تدل على فضيلتها)[٢].

وقال النووي: (وقد استدل جماعة من أهل العلم بهذا الحديث على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، وقال آخرون: ليس الوضوء مختصًا وإنما الذي اختصت به هذه الأمة الغرة والتحجيل)[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديثان جليًا من قوله ﷺ "إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطل غرته فليفعل"، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء".

قال ابن عثيمين: (وهذا دليل على فضل الوضوء، وأن الأعضاء تأتي يوم القيامة تلوح من النور)[٤].

(والحلية يوم القيامة يُحلى بها الرجال والنساء، ويلبس الرجال والنساء حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ، قال تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾[٥] وقال ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[٦] فيوم القيامة تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، إذن كل الذراع يكون حلية مملوءًا حلية من ذهب وفضة ولؤلؤ وهذا يدل على فضيلة الوضوء)[٧].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٦٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٣٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٧٠.

(٥) سورة الإنسان، الآية: ٤١.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٧٠ - ١٢٧١.

ومن أجل عظم ذلك قال النبي ﷺ في نص الحديث "... فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل".

قال القرطبي: (وكان أبو هريرة يبلغ بالوضوء إبطيه وساقيه. وهذا الفعلُ منه مذهب له، ومما انفرد به، ولم يحكه عن النبي ﷺ فعلاً، وإنما استنبطه من قوله ﷺ ((أنتم الغر المحجلون))[١] ومن قوله: ((تبلغ الحليةُ من المؤمن حيث يبلغ منه الوضوء))[٢]، قال أبو الفضل عياض[٣]: (والناس مجمعون على خلاف هذا، وأن لا يتعدى بالوضوء حدوده لقوله ﷺ ((فمن زاد فقد تعدى وظلم))[٤]، وتطويل الغرة والتحجيل بالمواظبة على الوضوء لكل صلاة وإدامته، فتطول غرّته بتقوية نور وجهه، وتحجيله بتضاعف نور أعضائه)[٥] وفي ذلك بيان على عظم فضل الوضوء يوم القيامة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يقصد بها تشويق المدعو وحمله على سرعة الاستجابة للأمر المدعو إليه والثبات عليه لنيل عظيم الأجر وجزيل الثواب، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في الوضوء والحث عليه[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٠. (الحديث الثاني).

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٤٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٤٢٢، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩).

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٩٩.

(٦) انظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٠٢٦)

١٠٢٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ خليلي ﷺ، يقول: ((تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الحِلْيَةُ: اسم لكل ما يتزين به من مصاغ الذهب والفضة. وأراد بالحلية ههنا: التحجيل يوم القيامة من أثر الوضوء من قوله ﷺ "غرّ محجّلون". أي تكون مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام بيضاء عليها نور[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يربط بين المرغوب النفسي، والمطلوب الشرعي ترغيبا للنفس في إسباغ الوضوء، والتعبير بالبلوغ إشارة إلى وصول الشيء حداً معيناً، ونسبة البلوغ للحلية وهي مفعول من المجاز بنسبة الفعل لمفعوله مبالغة في الصفة فكأن الحلية من كثرتها تتحرك على موضع وضوئه لتزينه بنفسها، وقوله (من المؤمن) تخصيص المؤمن؛ لأنه هو الذي يحافظ على وضوئه، وصلاته، وعنده الأساس الممهد له، وهو التوحيد الداعي إلى جماع الخير، ومنها إسباغ الوضوء الذي يتحول إلى زينة يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٤٠/٢٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٦).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل) و(ح ل ي)، وفتح الباري، ابن حجر ١/٢٨٤.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٧)

١٠٢٧ - وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَن تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

من اسم موصول يتضمن معنى الشرط، وينادي بكل عاقل ليتنبه لما بعده من الفضل، وربط الوضوء بالإحسان ترغيب في الإسباغ الذي يحقق الغرض بمغفرة الخطايا، وصياغة الفعل في الماضي يدل على التحقق، ودخول أداة الشرط عليه يمحضه للمستقبل، وقوله (خرجت خطاياه) التعبير بالخروج عن مغفرة الذنوب استعارة تجسد الخطايا، وتصور خروجها بشيء مادى تغلغل في جسد الإنسان، وأوشك أن يفتك به ثم استل منه شيئاً فشيئاً حتى يخرج من أظافره، والوجه هو المفارقة التامة بانفصال شيء عن شيء، وقوله: (حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ) تأكيد لمغفرة الخطايا بما ينفي وهم المبالغة، ويؤكد حقيقة طهارة المؤمن منها، ويخيل له سريان خطاياه مع ماء وضوئه من جسده كما تسيل أدرانه الظاهرة من فوق جلده حتى تفارقها مفارقة لا رجعة بعدها.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إحسان الوضوء.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير.

---

(١) برقم (٢٤٥/٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٢٨).

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من واجبات الداعية: فضل إحسان الوضوء:

هذا ما ظهر جليًا في الحديثين من قوله ﷺ "من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه ... إلخ" وقوله ﷺ "من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه... إلخ".

قال النووي: (وقوله ﷺ "فأحسن الوضوء" أي: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي هذا الحديث الحث على الاعتناء بتعلم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ماء طهور بالإجماع)[1].

وقال القرطبي: (قوله: "وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة" يعني: الوضوء لم يبق عليه ذنبًا، فلمّا فعل بعده الصلاة كان ثوابها زيادة له على المغفرة المتقدمة، "النفل": الزيادة، ومنه نفل الغنيمة: وهو ما يعطيه الإمام من الخمس بعد القسمة)[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[3].

قال القرطبي: (وقوله: فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر بعينه مع الماء" هذه عبارة مستعارة، المقصودُ بها الإعلام بتكفير الخطايا ومحوها، وإلا فليست

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/ ٤٩٠ - ٤٩١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٤.

الخطايا أجسامًا حتى يصح منها الخروج)[١].

وقال القرطبي: (وفيما ورد من أحاديث دليل على أن الوضوء بانفراده يستقلّ بالتكفير ولا يبقى هناك ذنبًا، وهذا بخلاف أحاديث عثمان رضي الله عنه، إذ مضمونها: أن التكفير إنما يحصلُ بالوضوء ((إذا صلى به صلاة مكتوبة يتم ركوعها وخشوعها))[٢].

والتلفيق من وجهين:

أحدهما: أن يُردَّ مطلق الأحاديث إلى مقيدها.

والثاني: أن نقول: إن ذلك يختلف بحسب اختلاف أحوال الأشخاص؛ فلا بُعْدَ في أن يكون بعضُ المتوضِّئين يحصلُ له من الحضور؛ ومراعاة الآداب المكملة؛ ما يستقلُّ بسببها وضوءه بالتكفير، ورب متوضيءٍ لا يحصلُ له مثل ذلك، فيكفر عنه بمجموع الوضوء والصلاة، ولا يعترض على هذا بقوله ﷺ: ((مَنْ أَتَمَّ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى. فَالصَّلَوَاتُ الْمَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ))[٣] لأنا نقول: من اقتصر على واجبات الوضوء فقد توضأ كما أمره الله تعالى، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّهَا لا تَتِمُّ صَلاَةُ أَحَدِكُم حَتَّى يُسْبِغَ الْوُضُوءَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَيَغْسِلُ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَيَمْسَحُ بِرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ))[٤] ونحن إنما أردنا المحافظة على الآداب المكملة التي لا يراعيها إلا من نور الله باطنه بالعلم والمراقبة. والله تعالى أعلم)[٥].

وعلى هذا (فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدق مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث وأمثالها يدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، وأنه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩٣/١، وانظر: إكمال المعلم، القاضي عياض، ٤١/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٣٣، ومسلم ٢٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١.

(٤) أخرجه أبو داود ٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٧٦٤).

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٩١/١ - ٤٩٢.

عبادة ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله عز وجل)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان صفة وكمال وضوء النبي ﷺ:

قد أشار الحديث الثاني إلى ذلك من قول عثمان بن عفان رضي الله عنه "رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئي هذا" وقد بين رضي الله عنه صفة وضوء النبي ﷺ فقال مولى عثمان: ((إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه دَعَا بِوَضُوءٍ. فَتَوَضَّأَ.فَغَسَلَ كَفَّيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ. ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. ثُمَّ غَسَلَ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هذَا، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ عُلَمَاؤُنَا يَقُولُونَ: هذَا الْوُضُوءُ أَسْبَغُ مَا يَتَوَضَّأُ بِهِ أَحَدٌ لِلصَّلاَةِ))[٢].

قال النووي: (وأما حقيقة المضمضة فقال أصحابنا: كمالها أن يجعل الماء في فمه ثم يديره فيه ثم يمجه، وأما أقلها فأن يجعل الماء في فيه ولا يشترط إدارته على المشهور الذي قال الجمهور...، والاستنثار هو إخراج الماء من الأنف بعد الاستنشاق...، وقال: (إن هذا الحديث أصل عظيم في صفة الوضوء، وقد أجمع المسلمون على أن الواجب غسل الأعضاء مرة مرة وعلى أن الثلاث سنة، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بالغسل مرة مرة وثلاثًا ثلاثًا، وبعض الأعضاء ثلاثًا وبعضها مرتين وبعضها مرة، قال العلماء: فاختلافها دليل على جواز ذلك كله، وأن الثلاثة هي الكمال والواحدة تجزئ)[٣].

ثالثًا - من واجبات الداعية: دلالة وإرشاد المدعوين إلى طريق الخير:

لقد بيّن رسول الله ﷺ ودلّ أصحابه وأمته على ما يكفر الخطايا والذنوب،

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١٥٩، ١٦٤، ومسلم ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٢ - ٢٥٣.

وذلك بإحسان الوضوء كما في الحديث الأول، وبالوضوء مثل وضوئه ﷺ كما في الحديث الثاني، وهذا من سوق الخير إلى أمته ﷺ، ولذا كان على الدعاة أن يرشدوا الناس إلى الخير وكل طريق موصلة إليه.

(وقيام الداعية بذلك، يجب أن يكون مبعثه تمثل الآخرة وما فيها من سعادة دائمة أو شقاء دائم، وتمثل ما أعده الله لعباده المؤمنين المطيعين من جزاء وللعصاة من عقاب)[١].

والداعية بقيامه بذلك له عظيم الأجر وجزيل الثواب وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله: ((وَمَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٢] وقال ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٣]؛ فعلى الداعية أن يبين ويرشد المدعوين إلى أهمية وفضل إسباغ وتحسين الوضوء في التحلل من الذنوب ورفع الدرجات.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[٤]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديثين الشريفين، ففي الأول رغّب النبي ﷺ في إحسان الوضوء والعناية به، على حين رغّب ﷺ في الحديث الآخر في أن يكون الوضوء مثل وضوئه، وذلك بالإخبار عن الثواب الجزيل والفضل العميم عن فعل هذين الفعلين.

---

(١) انظر: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن الندوي ص ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٠٢٨)

١٠٢٨ - وعنه، قَالَ: رَأَيتُ رسول الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاَتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

قول عثمان رضي الله عنه (رأيت رسول الله ﷺ) يؤكد الفعل من ناحية الصياغة في الماضي، ومن ناحية الرؤية، وهي أقوى طرق العلم، والتشبيه المقلوب في قوله (توضأ مثل وضوئي هذا) أصله توضأت مثل وضوئه، ولكن لما كان الحديث يعاد في الذاكرة وعلى لسان الصحابي وهو يتحدث عن الموقف والمكان الذي وقع فيه الوضوء أعاد الحدث كأنه يحصل حال الحديث عن طريق الصياغة في صورة الفعل الدال على الحركة التي ألبسها للحديث فشبهه بوضوئه، والحقيقة أن عثمان رضي الله عنه هو التابع في الوضوء، والرسول ﷺ الأصل، وترتيب المشبه، والمشبه به موافق للحكاية باعتبار زمن الحكاية، والإشارة (هذا) لتمييز المشار إليه أكمل تمييز، والتشبيه يؤكد أثر الأسلوب على المخاطبين في ترسيخ المعنى لديهم، وإتقانهم له عملا، وأداءً لغيرهم من الأجيال؛ لأنه يصل إليهم جميعاً على حد سواء في الإفهام لاشتراك حاسة السمع، والبصر في تلقيه، وقوله (مَنْ تَوَضَّأَ هكَذَا) التشبيه بالمشار إليه القريب يشير إلى الإسباغ، والمتابعة في الفعل بما يحقق الأجر، والتعبير بالفعل الماضي (غفر) يدل على التحقق، وعدم ذكر الفاعل لأنه معلوم، والتعبير عما سلف من الذنوب بالفعل (تقدم) في صورة الماضي يستغرق جميع الذنوب.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٢٩/٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٢).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٢٩)

١٠٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ - (أَو المُؤْمِنُ) - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، (أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ المَاءِ، (أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ)، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بَطشتها: اكتسبتها[2].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى الأحاديث السابقة يدور حول محو الوضوء لخطايا المؤمن، ولكنه يتتبع المعنى شيئا فشيئا لمزيد من الإيضاح، والتوكيد، وقد بدأ بأسلوب الشرط الذي يعرض المعنى بطريقة تشعر المخاطب بأنه حر الاختيار، مع ترغيب في الفعل عن طريق عرض النتيجة المرغوبة للنفس مما يرجح الميل إلى الفعل، وقد استخدم أداة الشرط إذا التي تؤذن بتحقق الوقوع والفعل الماضي يشير إلى هذا التحقق، وربط جواب الشرط (خرج) بالوضوء يعطيه اطرادا على الزمان، والمكان، وتكرار ذكر الوجه مع تقدمه لتقريره في الأذهان وتوكيده، وكذلك ذكر اليد، والرجل، والتعبير بالبطش في جانب اليد يشير إلى التجاوز في الباطل، والأخذ بقوة، ونسبة الأفعال إلى هذه الجوارح باعتبارها آلة لها على سبيل المجاز الذي يؤكد ارتكابه للفعل؛ لأن هذه الجوارح جزء

---

(١) برقم (٢٤٤/٣٢)، وتقدم برقم (١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ش).

منه كما يدلل استخدام المجاز على أن هذه الجوارح مسخرة للإنسان، وسيحاسب عليها كما أن فيه عدم نسبة الذنب لأصل المؤمن بل بشي يتصل به، وهذا، وإن كان يؤكد ارتكابه الذنب إلا أنه يمكنه الخلاص منه إذ أن ما يتعلق بالأصل لا يمكن الخلاص منه كالشرك، والنفاق الذي يمسك بجذر القلب فيردي صاحبه، ولا يصلح معه عمل، أما ما يتعلق بجارحة غير القلب، ودون اعتقاد قادح في التوحيد فإنه يكفر بأعمال البر كالوضوء، والصلاة، وغيرها، كما أن قوله (مع الماء) يؤكد ترافق الخروج مع نزول الماء فيتأكد بنزوله مغفرة الخطايا كلما استجد المؤمن وضوءً تجددت الصورة في عقله مما يحدث في وجدانه توازناً نفسياً يدفعه إلى المحافظة على الطهر بالبعد عن المعصية، والمحافظة على التطهير بالحرص على الوضوء، وقوله (حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) يشير إلى ذلك ويؤكد مغفرة خطاياه، والتعبير بالنقاء مبالغة في مغفرة الذنوب تدفع أي احتمال في بقاء ذنب حتى لا يستكثر عبد ذنوبه ويستعظمها على مغفرة الله، فيرتكب بهذا الظن ذنباً - ربما يفوق ذنوبه -.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٩).

الحديث رقم (١٠٣٠)

١٠٣٠ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فَقَالَ: ((السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا)) قالوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ)) قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسولَ الله؟ فَقَالَ: ((أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الحَوْضِ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غر جمع أغرّ أي ذو غرة: والغرة: البياض الذي يكون في وجه الفرس والمراد هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ[٢].

مُحَجلة: الفرس المحجل: هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد. والتحجيل: أصله من الحجل بكسر المهملة وهو الخلخال والمرد هنا أيضاً: النور[٣].

ظَهْرَيْ خيل: المراد بينها خيل[٤].

دُهْم: جمع أدهم وهو الأسود[٥].

بُهم: جمع بهيم: الذي لا يخالط لونه لونًا سواه، سواء كان أسود أو أبيض أو أحمر يكون لونه خالصًا[٦].

---

(١) برقم (٢٤٩/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ر ر)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ل)، وفتح الباري، ابن حجر ٢٨٤/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٢٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

فرطهم: أنا أتقدمهم[١]، وفرط القوم: تقدَّم ليتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية (الأحبال التي يشدون بها الدلاء)[٢].

الشرح الأدبي

لم تقتصر محبة الرسول ﷺ لأمته على صحابته الذين عاصروه بل تعدتهم بفيض الوجدان إلى من لم يأت بعد من أمته، ويكمن البعد النفسي لمثل هذا الحديث في أنه يمثل رسالة عبر الزمان، والمكان تربت على نفوس المؤمنين وتوحي بقرب الرسول منهم شدا لأزرهم وتقوية لعزيمتهم باقية بقاء الدهر تؤدي هذا الدور همسة حب، وحنان منه، ثم إنه ربط أجيال الأمة كلها في هذا الفيض من المحبة حيث وصل السابقين بالحاضرين في قوله (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ) ثم وصل السابقين بالحاضرين، بالآتين بقوله (وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا) وما أجملها من برقية تفيض بالمحبة والرقة، وجميل المشاعر من القلب الكبير الطاهر أرسلها لك ولي نبيك ﷺ يقول لي، ولك إني أحبك فهل تحبني، ثم سل نفسك ما موجبات هذه المحبة؟ وهل تشعر بهذه المحبة حتى ترد على هذه البرقية النبوية التي أتتك؟ ولا تنسى أنه يعرفك، أنت بشخصك، لأنه يعرف كل أمته، ونحن في أمس الحاجة إلى أن يتعرف علينا رسول ﷺ لأننا نحتاج إلى شفاعته لذا لابد أن نحرص على علامة الأمة المحمدية أن نتشبه به في كل شيء في عاداته، وعباداته، والاستفهام النبوي الأول في الحديث (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ) استفهام أمر بمعنى أخبرني ينبه إلى التميز بعلامة في هذه الأمة، والاستفهام الثاني: (ألا يعرف خيله....) استفهام تقرير للمخاطبين بما علموا من مضمون الخبر؛ لينتقل بهم من هذه الصورة المعروفة في بيئتهم صورة خيل لها علامة في وجوهها غرة في جبينها تميزها، وعلامة في أرجلها محجلة بين خيل شديد السواد إلى صورة الأمة المحمدية بين الأمم منذ خلق الله البشر

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب هـ م).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ط)

مميزة تمام التمييز للرسول ﷺ؛ ليقرب للمخاطبين ويقرر في الأذهان بهذا القياس الصورة المهيبة صورة الأمم محشورة في صعيد واحد، ويبين بجلاء رغم هذا الزحام الشديد أنه يعرف أمته من رآه منهم، ومن لم يره - بهذه العلامة، كما يعرف صاحب الخيل المسومة خيله من بين الخيول، وفيه بيان لفضل الوضوء، وترغيب في إطالة التحجيل بإسباغ الوضوء.

فقه الحديث

جواز التمني: قال النووي: (قوله ﷺ: "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قال العلماء في هذا الحديث جواز التمني لا سيما في الخير ولقاء الفضلاء وأهل الصلاح)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة.

أولاً - من آداب المدعو: الحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة:

يظهر ذلك في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"، قال القرطبي: (المقبرة: تقال بفتح الباء وضمّها. وتسليمُه عليهم لبيان مشروعية ذلك، وفيه معنى الدعاء لهم)[2]، وقد حث النبي ﷺ على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة فقال: ((إني

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٩/٣/٢ .

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٠/١.

نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً))[١] وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ((زَارَ النَّبِيُّ قَبْرَ أُمِّهِ. فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ. فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي. فَزُورُوا الْقُبُورَ. فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ))[٢]، قال القاضي عياض: (استئذانه عليه السلام في زيارة قبر أمه والإذن في ذلك، دليل على جواز زيارة القبور، وصلة الآباء المشركين، وإذا كان هذا بعد الموت ففي الحياة أحق، وكأنه قصد عليه السلام قوة الموعظة والذكرى؛ بمشاهدته قبرها ورؤيته مصرعها، وشكر الله على ما منَّ به عليه من الإسلام، الذي حُرمته، وخص قبرها لمكانها منه، ويدل مقصده قوله آخر الحديث: "فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت".

وقوله: "فبكى وأبكى": بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من لحاق أيامه والإيمان به.

وقوله: "فزوروها": بين في نسخ النهي وفي علة الإباحة، أن يكون زيارتها للتذكير والاعتبار لا للفخر والمباهاة، لا لإقامة النوح والمآتم عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((فَزُورُوهَا وَلا تَقُولُوا هُجْرًا قال مالك: يعني لا تقولوا سوءًا))[٣])[٤] و((كَانَ عُثْمَانُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلاَ تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلاَّ وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ))[٥]، فعلى المدعو أن يحرص على زيارة القبور لاتخاذ العبرة والعظة.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد السؤال والجواب في الحديث من قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم: "أولسنا

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨/٣ رقم ١١٣٢٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٢٩/١٧، وانظر: بلوغ المرام وشرحه سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ص ٣٦٦..

(٢) أخرجه مسلم ٩٧٦.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢٠٢٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٥٢/٣ - ٤٥٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٨).

إخوانك يا رسول الله؟ فأجاب النبي ﷺ بقوله "أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد"، (والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي تجعل المدعو في استعداد فكري ونفسي...، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك)[1]. وقد أفاد سؤال الصحابة رضوان الله عليهم، وإجابة النبي ﷺ، بيان محبة النبي ﷺ لمن ياتي بعده من المؤمنين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: محبة النبي ﷺ لمن يأتي بعده من المؤمنين وبيان فضل صحبة رسول الله ﷺ:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "وددت أنا قد رأينا إخواننا" قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: "أنتم أصحابي. وإخواننا الذين لم يأتوا بعد".

قال القرطبي: (وقوله: "وودت أنا قد رأينا إخواننا" هذا يدل على جواز تمنّي لقاء الفضلاء والعلماء، وهذه الأخوة هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ. وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث: أنه عليه الصلاة والسلام قال: إخواني الذين يؤمنون بي ولم يروني، ويصدقون برسالتي ولم يلقوني، يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله"، وقد أخذ أبو عمر ابن عبدالبر من هذا الحديث ومن قوله ﷺ: ((إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ))[2] أنه يكون فيمن يأتي بعدالصحابة من يكون أفضل ممن كان في جملة الصحابة، وذهب معظم العلماء إلى خلاف هذا، وأن من صحب النبي ﷺ، ورآه ولم مرة من عمره، أفضل من كل من يأتي بعده، وأن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل. وهو الحق الذي لا ينبغي أن يُصار لغيره، لأمور:

أولها: مزية الصحبة ومشاهدة رسول الله ﷺ.

---

(١) فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن حبنكة، ٥٩/٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٣٤١، مطولًا وقال الألباني: ضعيف لكن فقرة أيام الصبر ثابتة (ضعيف سنن أبي داود ٩٣٤).

وثانيها: فضيلة السبق للإسلام.

وثالثها: خصوصية الذب عن حضرة رسول الله ﷺ.

ورابعها: فضيلة الهجرة والنصرة.

وخامسها: ضبطهم للشريعة وحفظها عن رسول الله ﷺ.

وسادسها: تبليغها لمن بعدهم.

وسابعها: السبق في النفقة في أول الإسلام.

وثامنها: أن كل خير وفضل وعلم وجهاد ومعروف فعل في الشريعة إلى يوم القيامة، فحظهم منه أكمل حظ، وثوابهم فيه أجزل ثواب؛ لأنهم سنوا سنن الخير، وافتتحوا أبوابه، وقد قال ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[1] ولاشك في أنهم الذين سنوا جميع السنن وسابقوا إلى المكارم، ولو عُددت مكارمهم، وفسرت خواصُّهم، وحصرت لملأت أسفارًا، ولكلّت الأعين بمطالعتها حيارى.

وعن هذه الجملة قال ﷺ فيما أخرجه البزار عن جابر بن عبدالله مرفوعًا: ((إنَّ الله اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى العَالَمِينَ سِوى النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ، واخْتَارَ لي مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً - يعني: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا رحمهم الله - فَجَعَلَهُمْ أَصْحَابِي وقال: فِي أَصْحَابِي: كُلُّهُمْ خَيْرٌ))[2]. وكذلك قال ﷺ: ((لا تسبوا أَصْحَابِي فلو أنَّ أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحُدٍ ذهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه))[3] وكفى من ذلك كله ثناء الله تعالى عليهم جملة وتفصيلاً، وتعيينًا وإبهامًا، ولم يحصل شيء من ذلك لمن بعدهم. فأما استدلال المخالف بقوله عليه الصلاة والسلام: "إخواننا" فلا حُجة فيه؛ لأن الصحابة قد حصل لهم من هذه الأخوة الحظ الأوفر؛ لأنها الأخوة اليقينية العامة، وانفردت الصحابة

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٢) أخرجه البزار كما في كشف الأستار ٢٧٦٣، وقال الهيثمي: ورجاله ثقات، وفي بعضهم خلاف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ١٦/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤١.

بخصوصية الصحبة.

وأما قوله: "للعامل منهم أجر خمسين منكم" فلا حجة فيه؛ لأن ذلك - إن صح - إنما هو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه قد قال عليه الصلاة والسلام في آخره: "لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون"، ولا بُعد في أن يكون في بعض الأعمال لغيرهم من الأجور أكثر مما لهم فيه، ولا تلزم منه الفضيلة المطلقة التي هي المطلوبة بهذا البحث. والله أعلم)[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه:

(قد كان النبي ﷺ يستعين على توضيح توجيهاته الدعوية بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم، ومما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه معرفته بأمته يوم القيامة بصاحب الخيل الغر المحجلة، فإنه يعرفها تمام المعرفة وهي وسط خيل بهم غير محجلة.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الوضوء في تمييزه للمؤمنين يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء" وفي رواية ((أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ))[٣] قال النووي: (قال أهل اللغة: الغرة بياض في جبهة الفرس، والتحجيل بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهًا بغرة الفرس)[٤]، وقال ابن عثيمين رحمه الله: (ففي هذا الحديث دليل على فضيلة الوضوء، وأن هذه الأمة يأتون يوم القيامة وهم غر محجلون من أثر الوضوء، وغر يعني: بيض

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٠١ - ٥٠٣.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٤.

الوجوه، محجلون يعني: بيض الأرجل والأيدي وهذا البياض نور وإضاءة، يعرفهم الناس يوم القيامة في هذا اليوم المشهود العظيم)[١].

وقال د. الحسيني هاشم: (بيّن ﷺ أن اتباع المسلمين لتعاليمه وسيرهم على سنته حافظ لصلتهم به، خاصة إذا داوموا على الوضوء، حيث سيجتمعون عنده على الحوض سيزين بأنوارهم المتلألئة على أعضاء الوضوء، والمتفاوتة بحسب كثرته واتقانه) [٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: شفقة النبي ﷺ على أمته يوم القيامة:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ "وأنا فرطهم على الحوض" قال النووي: (قال الهروي: وغيره معناه أنا أتقدمهم على الحوض، يقال فرط القوم إذا تقدمهم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والرشا، وفي هذا الحديث بشارة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفًا، فهنيئًا لمن كان رسول الله ﷺ عليه فرطه)[٣]، وما يؤكد شفقته ﷺ على أمته يوم القيامة قوله ﷺ: ((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا. فَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِئَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٤].

قال النووي: (ومعناها أن كل نبي له دعوة متيقنة الإجابة وهو على يقين من إجابتها، وأما باقي دعواتهم فهم على طمع من إجابتها...، وفي هذا الحديث بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة، فأخر ﷺ دعوته لأمته إلى أهم أوقات حاجتهم)[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٧٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٥٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٦٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٤، ومسلم ١٩٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٣٩.

الحديث رقم (١٠٣١)

١٠٣١ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((ألاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله، قَالَ: ((إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ؛ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[1])) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إسباغ الوضوء: إيفاء كل عضوٍ حقه في الغسل[3].

المكاره: مَكْرَه وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه كشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك[4].

الرباط: الرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها، أي أن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله، ويكون الرباط مصدر رابطتُ: أي لازمتُ. وقيل: الرباط ههنا اسم لما يُربط به الشيء. أي: يشد، ويعني أن هذه الخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفه عن المحارم[5].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى)

---

(١) في هذه الرواية مرة واحدة، وأما في رواية مالك، بعد هذا الحديث بدون رقم، ففيه مرتين: (فذلكم الرباط فذلكم الرباط).

(٢) برقم (٢٥١/٤١)، وتقدم برقم (١٣١)، وسيكرره المؤلف برقم (١٠٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب غ).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر هـ).

(٥) المرجع السابق (ر ب ط).

وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (.... ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة) [(١)]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة [(٢)].

المضامين الدعوية[(٣)]

---

(١) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي المجلد الاول ١٤١/٢.

(٢) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٣٢)

١٠٣٢- وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمَانِ)) رواه مسلم[١].

وَقَدْ سبق بطوله في باب الصَّبر.

وفي البابِ حديث عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه السابق في آخر باب الرَّجَاء[٢]، وَهُوَ حديثٌ عظيمٌ؛ مشتملٌ عَلَى جملٍ من الخيرات.

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإِيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالإِيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإِيمَان.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٢٢٣/١)، وتقدم برقم (٢٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٤١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١).

(٢) برقم (٤٣٨).

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث (٢٥).

الحديث رقم (١٠٣٣)

١٠٣٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - (أَوْ فَيُسْبِغُ) - الوُضُوءَ، ثُمَّ يقول: أشهَدُ أنْ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) [1]، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ[2] وَرَسُولُهُ؛ إلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أيِّهَا شَاءَ)) رواه مسلم[3].

وزاد الترمذيُّ[4]: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ)).

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

فيبلغ أو فيسبغ: هما بمعنى واحد، أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون[5].

المتطهرين: من التطهر وهو: التنزه والكف عن الإثم[6].

الشرح الأدبي

قوله (ما منكم من أحد) عبارة تفيد العموم، والاستغراق بتركيبها عموما، واستغراقا يسري عبر الزمان، والمكان، والفعل المضارع يشير إلى تجدد الحدث، واستمراره، والفعل يبلغ يشير إلى الإتقان الذي يصل إلى الحد المطلوب، والفاء للتعقيب،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده بعد هذا الحديث، بدون رقم.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (وأنَّ محمدًا عبد الله) والمثبت لفظ مسلم بعد هذه الرواية، بدون رقم.

(٣) برقم (٢٣٤/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٤) برقم (٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٨).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (ط هـ ر).

والترتيب وقوله أشهد يوحي بالتحقيق، والتثبت، و اليقين، والمعاينة، وكلها تناسب هذا الاعتراف، والنطق بعبارة التوحيد (لا إله إلا الله) التي تتصدر الأحداث الجسام ويكثر ترديدها في العظائم؛ لكونها أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (فتحت) لم يذكر الفاعل للعلم به، وجمع الأبواب يشير إلى الحفاوة بصاحب هذا العمل، وذكر العدد ثمانية يؤكدها ويوحي بعظمة الأجر، وإتيان العبد عملا عظيماً، وقوله (يدخل من أيها شاء) فعل المشيئة يشير إلى الحرية في اختيار المدخل، والعبارة توحي بمنتهى الحفاوة، والكرم الذي ينبيء بعظم العمل الذي استلزم هذا الجزاء.

فقه الحديث

الذكر المستحب عقب الوضوء:

قال النووي: (أما أحكام الحديث ففيه أنه يستحبّ للمتوضئ إن يقول عقب وضوئه: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وهذا متفق عليه. وينبغي أن يضم إليه ما جاء في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث:

"اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين" ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه "عمل اليوم والليلة" مرفوعًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحده لا شريك لك، أستغفرك وأتوب إليك))[١] قال أصحابنا: وتستحب هذه الأذكار للمغتسل أيضًا. والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيان فضله.

ثانيًا: من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً - من واجبات الداعية: الحث على إسباغ الوضوء وبيانه فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ -أو فيسبغ - الوضوء ... إلخ" قال النووي: (في قوله ﷺ "فيبلغ أو يسبغ الوضوء" هما بمعنى واحد أي: يتمه ويكمله فيوصله مواضعه على الوجه المسنون والله أعلم)[٣].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل إسباغ الوضوء، والدعاء بعده، وأن المداومة على ذلك سبيل إلى الدخول في الجنة والبعد عن النار، وكأن الإنسان بوضوئه قد تطهر وتنظف فأصبح صالحًا لدخول الجنة بعد أن زال عنه خطر النار)[٤].

وقد حث النبي ﷺ على إسباغ الوضوء مع بيانه ﷺ لفضل ذلك فقال: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ))[٥] وعن

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٢٨٢٩ من حديث أبي سعيد الخدري > وليس فيه جملة "وحده لا شريك له" وقال النسائي: هذا خطأ، والصواب موقوف. وذكره المنذري في الترغيب ٣٥٤. وقال: رواه الطبراني في الأوسط ١٤٧٨ ورواته رواة الصحيح اهـ. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٤/٣/٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٥٥١ - ٥٥٢.

(٥) أخرجه مسلم ٢٤٥.

أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ "أَوِ الْمُؤْمِنُ" فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاَهُ مَعَ الْمَاءِ "أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ" حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))[1] قال النووي: (والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر وقال القاضي: والمراد بخروجها مع الماء المجاز والاستعارة في غفرانها)[2].

فعلى الداعية أن يوضح ويبين فضل إسباغ الوضوء لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من آداب المدعو: الدعاء بما ورد عن النبي ﷺ بعد إتمام الوضوء:

إن المدعو ملتزم بالامتثال بما ورد عن النبي ﷺ دون زيادة أو نقص، وقد بين الحق تبارك وتعالى أن ما ورد عنه ﷺ هو وحي يوحى فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3]. قال ابن كثير " (أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض، إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان)[4]، فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ من الدعاء بعد إتمام الوضوء.

وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ثم يقول: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله" (وأما الأذكار التي تقال عند غسل كل أعضاء الوضوء على حدة فكذب مختلق لم يقل رسول الله ﷺ شيئًا منه ولا علمه أمته ولا ثبت عنه (غير التسمية في أوله)[5] وغير قوله: (أشهد أن لا إله إلا وحده لا

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٢٦٣.

(٣) سورة النجم، الآيات: ١ - ٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٠).

شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين)[١] في آخره، وفي حديث آخر في "سنن النسائي" مما يقال بعد الوضوء أيضًا: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله أستغفرك وأتوب إليك))[٢]، ولم يكن يقول في أوله نويت رفع الحدث ولا استباحة الصلاة لا هو ولا أحد من أصحابه ﷺ البتة ولم يرو عنه في ذلك حرف واحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف[٣].

وقال النووي: (ويستحب للمتوضئ أن يقول عقب وضوئه: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"، وهذا متفق عليه، وينبغي أن يضم إليه ما في رواية الترمذي متصلاً بهذا الحديث: "اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين")[٤] ويستحب أن يضم إليه ما رواه النسائي في كتابه عمل اليوم والليلة مرفوعًا: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))[٥]. فعلى المدعو أن يلتزم بما ورد عن النبي ﷺ في الدعاء عقب إتمام الوضوء، وفي بيان الحكمة من جمعه ﷺ للتوبة والطهارة في الدعاء بعد الوضوء: قال المباركفوري: (جمع بينهما إلمامًا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٦] ولما كانت التوبة طهارة الباطن عن أدران الذنوب والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى ناسب الجمع بينهما)[٧].

---

(١) أخرجه الترمذي ٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤٨)، وهو حديث الباب رواية الترمذي.

(٢) قال محققا زاد المعاد: أخرجه ابن السني في "عمل اليوم والليلة" ص٢١ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفي سنده المسيب بن واضح، وهو سيء الحفظ، وكذا الراوي عنه، وهو يوسف بن أسباط. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٩٦/١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١٩٥/١ - ١٩٦.

(٤) تفرد به النسائي في السنن الكبرى ٩٨٢٩، ٩٨٣١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٣٣٧/١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

التبشير من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو على سرعة الامتثال للأمر المدعو إليه وقد ورد هذا الأسلوب في الحديث من تبشيره ﷺ لمن يقول الشهادتين بعد إسباغ الوضوء بفتح أبواب الجنة الثمانية له يدخل من أيها شاء (ومما لا شك فيه أن أنواع الطاعات كثيرة جدًا، والعبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بها على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، ودوره في التبشير والترغيب في القيام بهذه الطاعات)[1].

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ٥١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التنافس في فعل الخير:

أخبر النبي ﷺ فقال: «إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ. فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ». وفي هذا الحديث نوع من التربية على التنافس في فعل الخير، لأنه ربط بين إطالة الغرة وتحصيل ما ينتج عنها، وقوله ﷺ: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"، والمتأمل في هذا الحديث يرى أن النبي ﷺ يفتح المجال واسعًا أمام كل مؤمن لإطالة غرته، وذلك بالإخبار أن الحلية تكون على قدر ما يبلغ الوضوء، ولا شك أن هذا يفتح طريق التنافس أمام المخاطبين لأن يتنافسوا في ذلك. وفي هذا تربية على التنافس في تحصيل الفضل، ويبين مسؤولية المربين في إثارة هذه الروح الطيبة في التنافس المحمود في فعل الخير وتحصيله، وذلك لأن "الشخصية الإسلامية إيجابية متفتحة على الحياة كلها ضمن حدود بيّنها المنهج الإسلامي، ومراده من ذلك هو: أن يجعل لتلك الشخصية الإسلامية دورًا في البناء وبذل النفع والخير للمجتمع، وجعلها تفيض بالخير عليهم باستمرارٍ حسب حالها، سواء أكانت فقيرة أم غنية، فقد جاءت السنة المطهرة حاضّة المسلم على فعل الخير حسب وسعه وطاقته، وجعلت له على كل فعل للخير صدقة تحتسب عند الله، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ. فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»[1].

من هذا الحديث يتبيّن لنا كيف أن الإسلام وسع دائرة الخير، وذلك ليفسح المجال أمام جميع الخلق على اختلاف مسئولياتهم وقدراتهم وأحوالهم كي يتسنى لهم

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ١٤٤٥، ومسلم ١٠٠٨.

المشاركة في فعل الخير وحصول الأجر من الله - سبحانه وتعالى - وبذلك لا يشعر الفقير أنه محروم من المشاركة من فعل الخير، لأنه قد فتح له باب المشاركة مع بقية إخوانه المسلمين، وجعل له في كل عمل خير يقوم به صدقة يثاب عليها مثله مثل الغني الذي ينفق من سعة ماله ويبذله في أوجه الخير المتنوعة. قال رسول الله ﷺ: "كل معروف صدقة"[(١)]، فالشخصية الإسلامية تهتدي إلى فعل الخير وتنجذب إليه ونادرًا ما تحتاج إلى من يبصرها به أو يدلها عليه، إذ فعل الخير هو الكمال الذي تنشده وتحس من خلاله بالسعادة والارتياح، فهي تسارع إلى كل خير فتسبق غيرها، وتنافس في كل فضيلة فتدركها وتعمل بها، فهي من الأبرار والمقربين"[(٢)].

ثانيًا: تربية الناشئة على إحسان العمل وإتقانه:

هذا المضمون يستمد من إحسان الوضوء وبيان فضل ذلك، فقد قال النبي ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ..."، و"إسباغ الوضوء على المكاره"، و"ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول...".

ففي ذلك دعوة إلى إتقان العمل وإحسانه، وبيان أن الأجر يختلف باختلاف الإتقان والإجادة، وعلى ذلك ينبغي أن يُرَبَّى الناشئة والأولاد، فإنهم يجب أن يغرس فيهم حب إجادة العمل وتحسينه وعدم الاكتفاء بأداء العمل كيفما اتفق، فإن "المؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل بل يهمه أن يجوده، ويتقنه، ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله، وأنه تعالى: "كتب الإحسان على كل شيء"[(٣)]، وقد فسر نبي الإسلام ﷺ هذا الإحسان في جانب العبادة، فقال: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٤)]. وهذا هو شعور المؤمن في كل عمل من الأعمال، لا في

---

(١) أخرجه مسلم، ١٠٠٥، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ٣٦٥، ٣٦٦.

(٣) أخرجه مسلم، ١٩٥٥، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري، ٥٠، ومسلم، ٩.

العبادة وحدها. أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة ...، وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[١].

والإتقان له دور كبير في النجاح، "فإن مستوى نجاحنا وتحقيق أهدافنا في هذه الحياة يعتمد بشكل كبير على درجة التركيز التي يمكن الوصول إليها، ألا ترى أن القدرة على الإتقان أوصلت رجالاً ونساءً كثيرين ذوي إمكانات عادية أو متواضعة إلى قمم النجاح التي لم يستطع صعودها العباقرة ؟"[٢].

ثالثًا: التعليم بالفعل:

وهذا يتضح من قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: عندما توضأ "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئِي هذَا"، فقد توضأ عثمان بن عفان رضي الله عنه كما توضأ النبي، وذلك ليعلم المسلمين كيف كان وضوء النبي ﷺ، ولاشك أن التعليم بالفعل أوقع من التعليم بالقول، وقد كان النبي ﷺ يكثر من التعليم بالفعل، قال سهل بن سعد رضي الله عنه: وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَيْهِ (أي على المنبر) فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ وَرَاءَهُ. وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ. ثُمَّ رَجَعَ فَنَزَلَ الْقَهْقَرَى حَتَّى سَجَدَ فِي أَصْلِ الْمِنْبَرِ. ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَغَ مِنْ آخِرِ صَلاَتِهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي صَنَعْتُ هذَا لِتَأْتَمُّوا بِي. وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»[٣].

قال النووي: "قوله ﷺ: "ولتعلّموا صلاتي" هو بفتح العين واللام المشدّدة أي تتعلموا، فبين ﷺ أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله ﷺ بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه"[٤].

---

(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة، د.إبراهيم بن حمد القعيد ص ٢٥٣.

(٣) أخرجه البخاري، ٩١٧، ومسلم، ٥٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤١٥، بيت الأفكار.

وقال ابن حجر: " وفيه جواز قصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل"[١].

وفي وضوء عثمان رضي الله عنه بالكيفية التي كان النبي ﷺ يتوضأ بها لون من ألوان التربية بالتطبيق، مما يؤثر في النفوس، ويجعل المؤمن يستصحب تلك الصورة العملية لهيئة الوضوء التي كان يفعلها النبي ﷺ وطبقها عثمان رضي الله عنه.

رابعًا: تذكير الناشئة بالحقائق الثابتة:

قال النبي ﷺ عندما أتى المقبرة: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا»، فقوله ﷺ: لأصحاب القبور: "وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ"، تذكير للمخاطبين بالحقائق الثابتة التي يجمعون عليها، وهي أن الموت مصير كل حيّ، وأن مصير هذا الخَلْق إلى فناء وزوال، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، على تذكر الآخرة والاستعداد بالأعمال الصالحة، "فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء، وهي حياة أبدية، فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب، سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢].

ومثال على الشخصية الإسلامية التي بادرت إلى عمل الخير عندما علمت بطبيعة الحياة الدنيا، الحياة الآخرة، ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: «قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة . فألقى تمراتٍ في يدهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل»[٣]»[٤].

---

(١) فتح الباري، ٦٧٧/١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٤٠٤٦، ومسلم، ١٨٩٩.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر التركي ص ٣٦٢، ٣٦٣، بتصرف، وانظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ص ١٦٢، ١٦٣.

خامسًا: من أنواع التربية: التربية الصحية:

إن حثّ النبي ﷺ وترغيبه في الوضوء وإسباغه يستدل به على اهتمام الإسلام بالتربية الصحية التي تجعل الإنسان نظيفًا طيبًا فضلاً عن الوقاية من الأمراض، فقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان، وقد حرص في توجيهاته الكثيرة على المداواة والمسارعة إليها، لأنها من العلاجات الأساسية لصحة الجسم، وباعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان، لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، ويمكن إجمال الأسس التي تقوم عليها التربية الصحية في الإسلام على النحو التالي:

١ - ممارسة الرياضة كالسباحة والرماية وركوب الخيل والمصارعة والجري.

٢ - استخدام السواك.

٣ - الاهتمام بالنظافة مثل تقليم الأظفار ونحو ذلك.

٤ - اتباع السنن النبوية في الأكل والشراب.

٥ - النوم على الشق الأيمن.

٦ - النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

٧ - الابتعاد عن الأمراض المعدية.

٨ - طلب العلاج عند وقوع المرض[1].

سادسًا: التربية بالتوجيه:

لقد وجّه النبي ﷺ المخاطبين إلي فعل ما فيه نفعهم وخيرهم فيما يتعلق بالوضوء وغيره، وذلك علي النحو التالي:

(ا) إطالة الغرة: ((فَمنِ اسْتطاعَ مِنكمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَل)).

(ب) إحسان الوضوء: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ. حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ» .

(ج) دلالتهم علي ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

---

(١) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل ص ٣٣٥ - ٣٤٨.

يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

(د) توجيههم إلي إسباغ الوضوء والإتيان بالذكر بعده، حتى ينالوا الثواب العظيم: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».

والملاحظ علي التربية بالتوجيه هنا في هذا الباب ما يلي:

(ا) غلبة الترغيب علي هذا التوجيه، وعلى ذلك ينبغي أن يكون التوجيه الصادق من المربين؛ لأنه بهذا يثير الدوافع لدى من يقوم بتربيتهم إلى الامتثال والاستجابة، فالنفوس جبلت على حب الجزاء على أفعالها وأعمالها.

(ب) غلبة التبشير بمحو الذنوب والخطايا على هذا التوجيه: «خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ»، و«غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، و«خرج من وجهه كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينه مع الماء»، على حين بشر النبي ﷺ بالجنة في حديث واحد: «فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»، كما جمع ﷺ بين التبشير بمحو الذنوب ورفع الدرجات، فقال: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» .

ولعل الذي يفسر غلبة التبشير بمحو الذنوب، أن هذا الباب كثيرًا ما يدخل منه الشيطان على المسلم؛ فيلبّس عليه دينه فيظفر منه بما لم يظفر منه في حال المعصية: إنه يوسوس له أن معنى إتيانك بعض الذنوب: أن طاعتك ليست على ما ينبغي، وأنك غير صادق في هذه الطاعة وغير مخلص فيها، وأنك إن تفعل ذلك كالمستهزئ برب العالمين؛ والدليل على ذلك أنك لو كنت صادقًا مخلصًا غير مستهزئ، ما جرؤت على اقتراف هذه الذنوب وتلك الخطايا.

فإذا استجاب المسلم لتلك الوسوسة ترك ما كان عليه من طاعة وأصابه اليأس وداخله القنوط. وكم من مقيمين على الطاعة استزلّهم الشيطان بهذه الوسوسة حتى تحولوا - والعياذ بالله - إلى مقيمين على المعصية. فجاء الشرع الكريم ليسدّ هذه الباب الذي يلج الشيطان منه، ويمنعه من أن يلبّس على المسلم عبادته وطاعته؛ فأخبر النبي الكريم ﷺ عن طاعات تكفر بها الذنوب وتمحو بها الخطايا؛ حتى إذا فعلها المسلم ارتاح من همِّها ونكدها وسوء عاقبتها.

كما أن التذكير بمحو الذنوب إشعار للإنسان بفضل الله العظيم عليه، فإنه يعبد الله ويتوجه إليه بالعبادة ويقصده بالطاعة، ومن حاله كذلك كان من الأولى ألا يقع في معصية وألا يقارف ذنوبًا أو يرتكب خطايا؛ لأن من عَبَد العظيم كان الذنب الصغير معه عظيمًا، لكن الله بمنّه وكرمه عفا عن ذلك كلّه وتجاوز عنه؛ ليظلّ الإنسان مقيمًا على الطاعة ملازمًا لها طامعًا في عفو الكريم ومنّ المنّان.

(ج) التبشير كان بالجزاء الأخروي، ولعل في ذلك حكمًا ومقاصد: من ذلك أن يتعلق الإنسان بدار القرار وهي الآخرة، ويتذكر أن دنياه هي دار اختبار وعمل، فعليه أن يَجدّ في العمل ويجتهد في الطاعة حتى يفوز بجنة الله ودار رضوانه، كما أن في ذلك لفتًا له أن ما أصابه في الدنيا من جراء ملازمته الطاعة وإقامته عليها لا يكاد يذكر بجانب الفضل العميم الذي يناله يوم القيامة، وغير ذلك من الحكم الجليلة والمقاصد النبيلة.

ولكن لا يلزم مما سبق ترك الدنيا وإهمالها وعدم إعمارها، فهذا ليس مقصود الشرع، بل إن مقصود الشرع هو إعمار هذه الدنيا حتى تكون طريقًا لإعمار الآخرة، ولا يكون هذا إلا بإتيان كلّ نافع صالح مفيد في هذه الحياة الدنيا.

والمقصود أن التربية بالتوجيه تربية تقوم على الإرشاد إلى ما ينفع سواء في الدنيا أو الآخرة؛ فعلى المربين أن يستخدموا التوجيه الأمثل حتى يغرسوا في نفوسهم من يقومون بتربيتهم، القيم النبيلة والآداب الفضيلة والأخلاق الكريمة.

ملاحظة:

هناك مضامين تربوية أخرى غير ما سبق في أحاديث الباب، منها:

(ا) من أساليب التربية: الترغيب، وهذا موجود في أحاديث الباب كلها.

(ب) من أساليب التربية: الحوار، وهذا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا؟ قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: بل أنتم أصحابي...» الحديث. فهو حديث يقوم على الحوار.

(ج) من أساليب التربية: استخدام التشبيه: وهذا في قوله ﷺ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ. بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ. أَلاَ يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» .

وهذه المضامين التربوية قد تقدم قريبًا معالجتها في أبواب سابقة، فنكتفي بهذا، ولا داعي للإطالة هنا. والله ولي التوفيق.

❁ ❁ ❁

١٨٦- باب فضل الأذان

الحديث رقم (١٠٣٤)

١٠٣٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا (عَلَيْهِ)[١]، ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٣].

أن يستهموا: أن يقترعوا[٤].

التهجير: التبكير إلى الصلاة[٥].

العتمة: صلاة العشاء[٦].

حبوًا: أي: يزحفون إذا منعهم مانع من المشي زحفًا؛ كما يزحف الصغير[٧].

---

(١) (عليه) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧/١٢٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦). وسيكرره المؤلف برقم (١٠٧٤، ١٠٨٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٤) رياض الصالحين ٣٩٧.

(٥) رياض الصالحين ٣٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والتعبير بالعتمة عن العشاء فيه إشارة إلى موضع العناء فيها، والتي تجعل بعض الناس يتكاسلون عنها تحت وطأة الظلام، أو النوم أو الخوف من قاطع أو غيره، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

فقه الحديث

١ - إثبات القرعة:

قال النووي: (فيه إثبات القرعة في الحقوق التي يزدحم عليها ويتنازع فيها)[١].

٢ - التبكير بأداء العبادات:

(التبكير بأداء العبادات في أول أوقاتها مستحب لتحصيل الفضل والثواب، وهذا على الجملة عند الفقهاء)[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٣/٢ .

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١١٤/١٠ وهناك استثناءات من الحكم، انظرها هناك.

٣ - تسمية العشاء عتمة:

قال النووي: (في هذا الحديث تسمية العشاء عتمة، وقد ثبت النهي عنه[١] وجوابه من وجهين:

أحدهما: أن هذه التسمية بيان للجواز وأن ذلك النهي ليس للتحريم.

والثاني: وهو الأظهر أن استعمال العتمة هنا لمصلحة ونفي مفسدة، لأن العرب كانت تستعمل لفظة العشاء في المغرب، فلو قال "لو يعلمون ما في العشاء والصبح" لحملوها المغرب، ففسد المعنى، وفات المطلوب، فاستعمل العتمة التي يعرفونها ولا يشكون فيها، وقواعد الشرع متظاهرة على احتمال أخف المفسدتين لدفع أعظمهما)[٢].

٤ - الأذان أفضل أم الإمامة:

قال النووي في الأذكار: (واختلف أصحابنا في الأذان والإمامة أيهما أفضل على أربعة أوجه: الأصحّ أن الأذان أفضل، والثاني: الإمامة أفضل، والثالث: هما سواء: والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمامة واستجمع خصالها فهي أفضل، وإلا فالأذان أفضل)[٣].

٥ - الصف الأول الممدوح:

قال النووي: (اعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا. هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث، وصرح به المحققون. وقيل[٤]: فإن تخلل الذي يلي الإمام شيء فليس بأول بل الأول ما لا يتخلله شيء

---

(١) أخرجه مسلم ٦٤٤ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٤/٢، وكذلك ١٢١/٥/٣ - ١٢٢.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٥٣، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٨٠/٤/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥٩/٢.

(٤) في المطبوع من شرح مسلم خلل في العبارة، أصلحناه بما رأيناه يوضح المعنى، والله أعلم بالصواب.

وإن تأخر. وقيل: الصف الأول عبارة عن مجيء الإنسان إلى المسجد أولاً وإن صلّى في صف متأخر. وهذان القولان غلط صريح، وإنما أذكره لأنبه على بطلانه؛ لئلا يغتر به والله أعلم)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الترغيب في الأذان والصف الأول والتبكير إلى الصلاة:

أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، وفي بيان ذلك قال النووي: "النداء هو الأذان والاستهام الاقتراع، ومعناه: أنهم لو علموا فضيلة الأذان وقدرها وعظيم جزائه ثم لم يجدوا طريقًا يحصلونه به لضيق الوقت عن أذان، بعد أذان أو لكونه لا يؤذن للمسجد إلا واحد - لاقترعوا في تحصيله"[٢]، "وقد تشاح الناس في الأذان بالقادسية فاختصموا إلى سعد بن أبي وقاص بأقرع بينهم"[٣]، وما ذلك إلا لترغيبه ﷺ في الأذان وبيانه لعظم فضله، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: "لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"[٤]، وقال ﷺ: ((الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، ومما أشار إليه الحديث الترغيب في الصف الأول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٤/٤/٢ ، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ - ٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

(٣) ذكره ابن حجر في فتح الباري، ١١٤/٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٥) أخرجه مسلم، ٣٨٧.

وفي بيان ذلك ، قال النووي: "ولو علم الناس ما في الصف الأول من الفضيلة نحو ما سبق وجاؤوا إليه دفعة واحدة وضاق عنهم ثم لم يسمح بعضهم لبعض به لاقترعوا عليه"[١]، وفي بيان فضيلة الصف الأول في الصلاة، قال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ))[٢]، وقال: ((خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا))[٣]، قال النووي: (واعلم أن الصف الأول الممدوح الذي قد وردت الأحاديث بفضله والحث عليه هو الصف الذي يلي الإمام، سواء جاء صاحبه متقدمًا أو متأخرًا، وسواء تخلله مقصورة ونحوها أم لا، هذا هو الصحيح الذي يقتضيه ظواهر الأحاديث وصرح به المحققون)[٤].

قال القرطبي: (وقوله: "لاستهموا عليه" فيه إثبات القرعة مع تساوي الحقوق)[٥].

(والقرعة في اللغة: السهمة والنصيب، والمقارعة: المساهمة، وأقرعت بين الشركاء في شيء يقسمونه، ويقال: كانت له القرعة، إذا قرع أصحابه، وقارعه فقرعه يقرعه: أي أصابته القرعة دونه، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال البركتي: القرعة السهم والنصيب، وإلقاء القرعة: حيلة يتعين بها سهم الإنسان أي نصيبه)[٦].

والقرعة مشروعة باتفاق الفقهاء، ودليل مشروعيتها الكتاب والسنة، فأما مشروعيتها من القرآن الكريم، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[٧]، أي يحضنها فاقترعوا عليها.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٦).

(٣) أخرجه مسلم، ٤٤٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٩.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ٦٤/٢.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٣٦/٣٣.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: (فساهم) يقول: "أقرع"[2].

وأما مشروعيتها من السنة المطهرة، فحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه»[3].

والقرعة تكون لتطييب القلوب وإزاحة تهمه الميل، وليس أدل على ذلك من استعمال زكريا عليه السلام القرعة مع الأحبار في ضم مريم إلى نفسه مع علمه بكونه أحق بها منهم لكون خالتها عنده تطييبًا لقلوبهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4]، "وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفرًا تطييبًا لقلوبهن"[5])[6].

وقد رغب الحديث في التبكير إلى الصلاة، فقال ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"، "والتهجير هو التبكير إلى الصلاة"[7]، وفي التبكير إلى الصلاة فضل عظيم منه إدراك تكبيرة الإحرام التي بها تكون البراءة من النار والنفاق، كما في قوله ﷺ: "من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق"[8]، وأيضًا في التبكير إلى الصلاة يكون انتظار الصلاة التي يكون بها محو الخطايا وارتفاع الدرجات كما قال ﷺ: "ألا

---

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٣٩ - ١٤١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٣/٢٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

(٥) أخرجه البخاري، ٢٨٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ومراجعتها، ١٣٦ - ١٣٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر، ١١٥/٢.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٤١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٧٩٠).

أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ ثم ذكر ﷺ من ذلك، وانتظار الصلاة بعد الصلاة"[١]، وهذا فضلاً عن إدراك الصف الأول وما به من خير عظيم كما أسلفنا.

(وقد ذهب رأى أخر إلى أن التهجير هو المحافظة على الجمعة والظهر، فإنها التي تفعل في وقت الهاجرة، وهى شدة الحر نصف النهار، ويقال: هجر القوم، واهجروا: صاروا في الهاجرة)[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على حضور صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قوله ﷺ: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا"، قال القاضي عياض: وقوله: "لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا" (تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس، وأنه طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها، ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدَّعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاءة الفجر آخره)[٣]. وقال النووي: "فيه الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين، والفضل الكثير في ذلك، لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين"[٤]، كما قال النبي ﷺ: "إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما، ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٤.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٣٥٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، ٣٦٨.

إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار"[١]، قال ابن حجر رحمه الله في قوله ﷺ: "لو يعلمون ما فيهما" أى من مزيد الفضل "لأتوهما" أى الصلاتين، المراد لأتوا إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد، وقوله "ولو حبوًا" أى يزحفون إذا منعهم مانع من المشي، كما يزحف الصغير"[٢]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص والمحافظة على حضور صلاة العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[٣]، (والمرء يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بما يجب عليه من عبادات وطاعات وأن يكون ذلك على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها، لترغيب المدعو فيما وجب عليه)[٤]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان والحرص على الصف الأول في الصلاة، وذلك في قوله: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه، وأيضًا ورد الترغيب في التهجير إلى الصلاة، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا عليه"، وأخيرًا ورد أسلوب الترغيب في ضرورة المحافظة على صلاتي العشاء والفجر، وذلك في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا".

فعلى الداعية الترغيب في الطاعات وبيان عظيم ثوابها، وفضل المبادرة إليها والحرص عليها.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٥٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) فتح الباري، ١٦٦/٢.

(٣) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

الحديث رقم (١٠٣٥)

١٠٣٥ - وعن معاوية رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقولُ: ((المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الأذان يصور ما يصل إليه الأذان بصاحبه يوم القيامة من الفضل وقول معاوية رضي الله عنه قال (سمعت رسول الله ﷺ) فيه توثيق للخبر من وجوه منها صياغة الفعل في الماضي المحقق الوقوع، ومنها أنه نقل الخبر سماعا من الرسول ﷺ دون وسيط، ثم إن خبره خبر ثقة، وقول الرسول ﷺ: ((المُؤَذِّنُونَ أطْوَلُ النَّاسِ أعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ) كناية عن العزة، والرفعة، والفخر بما أنعم الله عليهم به من صالح العمل الذي فاقوا به غيرهم، وهو الأذان، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يرفعون أصواتهم بتوحيد الله، وذكره ويستشرف الواحد منهم قدر المستطاع ليصل صوته للناس فكان جزائه أن أعزه الله وشرفه بهذا الاختصاص، والجميل في الكناية أنها تحتمل مع المعنى الكنائي المعنى الحقيقي بمعنى أنه يجوز أن يكون طول العنق حقيقة مقصوداً كعلامة تميزهم عن طوائف المؤمنين فيكرموا بخصوصية عملهم، ولا يدركهم من الكرب ما يدرك غيرهم، والتعبير بأفعل التفضيل (أطول) يشير إلى تميز سبقوا به الجميع رفعة، وذكر الظرف يوم، وإضافته للقيامة يعطي الصورة تميزاً يتساوق مع الموقف العظيم حيث يكون التكريم على رؤوس الأشهاد.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى الأحكام التالية:

---

(١) برقم (٣٨٧/١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٨).

أولاً: فضل الأذان والتزاحم عليه: للأذان فضل كبير وأجر عظيم. والمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، وطول الأعناق قيل: على حقيقته إذا ألجم الناس العرق وقيل هو كناية عن رفعة الشأن وقيل بالكسر إعناق أي خطى السير إلى الجنة[١].

ولا يجوز أن يؤذن اثنان فصاعدًا معًا فإذا حدث ذلك فالمؤذن هو المبتدئ والداخل عليه مسيء لا أجر له[٢]. وإذا تشاحا اثنان على الأذان قدم أحدهما على الآخر، والتقديم يكون بمراعاة الخصال المعتبرة فيقدم من كان أعلى صوتًا فإن تساويا قدم من كان أبلغ في معرفة الوقت وأشد محافظة عليه فإن تساويا قدم من يرتضيه الجيران لأنهم أعلم بمن يبلغهم صوته فإن تساويا قدم من هو أعف في النظر فإن تساويا أقرع بينهما فمن خرجت قرعته أذن هذا كله إذا لم يكن للمسجد مؤذن راتب فإن كان هناك مؤذن راتب ونازعه غيره قدم الراتب[٣].

ثانيًا: متى يلزم الأذان: يلزم النداء أو الأذان في مساجد الجماعات والقبائل حيث يكون الأئمة. أما الرجل في خاصة نفسه فإن أذن فحسن، وإن ترك الأذان فلا بأس. أما المنفرد في بلد أو صحراء إذا أراد الصلاة فيشرع له الأذان، وإن بلغه أذان غيره، واستحب البعض للمسافر الأذان وإن كان منفردًا[٤].

وقد أوجب البعض الأذان على أهل المصر ولا يجب على غير المصر من المسافرين[٥].

---

(١) حاشية الصاوي ٢٥٥/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٢/١.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٧٩/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٨/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٩٩/١.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٣٣/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٥٠/١.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

ثالثًا: رفع صوت المؤذن: يستحب للمؤذن أن يرفع صوته في الأذان إن كان يؤذن للجماعة؛ لأنه أبلغ في جمع الجماعة فإن أسرّ بالأذان لم يعتد به لأنه لا يحصل به المقصود. وإن كان يؤذن لصلاته وحده لم يرفع صوته لأنه لا يدعو غيره فلا وجه لرفع الصوت[١].

رابعًا: أفضلية الأذان على الإقامة والإمامة: الأذان أفضل من الإقامة لزيادته عليه، وهو أفضل أيضًا من الإمامة[٢]. وقال الإمام النووي: اختلف أصحابنا هل الأفضل للإنسان أن يرصد نفسه للأذان أم للإمام على أوجه: أصحها أن الأذان أفضل وهو نص الشافعي في الأم وقول أكثر أصحابنا.

والثاني: أن الإمام أفضل وهو نص الشافعي أيضًا. والثالث: أنهما سواء.

والرابع: إن علم من نفسه القيام بحقوق الإمام وجميع خصالها فهي أفضل وإلا فالأذان، قاله أبو علي الطبري وأبو القاسم والمسعودي والقاضي حسين من أصحابنا. وأما جمع الرجل بين الإمامة والأذان فإن جماعة من أصحابنا قالوا يستحب ألا يفعله، وقال بعضهم يكره، وقال محققوهم وأكثرهم أنه لا بأس به بل يستحب وهذا أصح والله أعلم[٣].

خامسًا: ما يفعله سامع الأذان: يسن لسامع المؤذن أن يقول مثل ما يقول المؤذن - وهو على أي حال كان من طهارة وغيرها ولو جنبًا أو حائضًا إلا حال الجماع وحال التخلي لكراهة الذكر فيهما - إلا في الحيعلتين فيقول عقب كل منهما [لا حول ولا قوة إلا بالله] وعقب التثويب يقول صدقت وبررت وعقب كلمة الإقامة يقول أقامها الله

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٠/٣.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٨٥/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٣١/١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٨٤/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٣/٤.

وأدامها ما دامت السموات والأرض[١].

سادسًا: ما يفعله المستمع بعد الفراغ من الأذان: إذا فرغ المؤذن من الأذان فإنه يسن للسامع مع أن يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد[٢].

سابعًا: الدعاء بين الأذان والإقامة: يندب للإنسان الدعاء بين الأذان والإقامة وقد دلت السنة على قبول مطلق الدعاء ما لم يكن فيه إثم أو قطيعة رحم[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة:

(لقد شرع الأذان من أجل الإعلام بدخول وقت الصلاة وإعلاء اسم الله بالتكبير، وإظهار شرعه ورفعة رسوله ونداء الناس إلى الفلاح والنجاح، فكان من خير الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى، وهذا ما أكده نص الحديث في كون المؤذنين هم أطول الناس إعناقا يوم القيامة)[٤]، وفي بيان ذلك، قال القاضي عياض: (قال الإمام: اختلف

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٩٦/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٧٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٤٠/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٤٦/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٢٧/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٥/٢.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٦/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٤/٣.

(٣) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٣١/١، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦٧/٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٥٩/٢.

في تأويل هذا، فقيل: معناه: أكثر الناس تشوفًا إلى رحمة الله؛ لأن المتشوف يطيل عنقه لما يتشوف إليه، فكنى عن كثرة ما يرونه من ثوابهم بطول أعناقهم، وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا يغشاهم ذلك الكرب، قال يونس بن عبيد: معناه الدنو من الله، وهذا قريب من الأول الذي ذكرناه، وقيل: معناه: أنهم رؤساء العرب تصف السادة بطول الأعناق، قال الشاعر:

طوال أنضية الأعناق واللِّممَ

وقيل: معناه: أكثر الناس اتباعًا، وقال ابن الأعرابي: معناه: أكثر الناس أعمالاً، وفي الحديث: "يخرج عُنق من النار"[1]: أي: طائفة، يقال: لفلان عنق من الخير، أي قطعة. ورواه بعضهم: "إعناقا": أي إسراعًا إلى الجنة، من سير العَنَق، قال الشاعر:

ومن سيرها العَنَق المسبطِر والعجز فيه بعد الكلال

ضربٌ من السير، ومنه الحديث: "كان يسير العنقَ فإذا وجد فجوة نصَّ"[2]، ومنه الحديث (الآخر): " لايزال الرجل معنقًا ما لم يصب دمًا"[3]: يعني منبسطًا في سيره يوم القيامة.

قال الإمام: قد احتج بهذا الحديث من رأى أن فضيلة الأذان أكبر من فضيلة الإمامة، وفي ذلك اختلاف بين العلماء، أيهما أفضل المؤذن أم الإمام؟ واحتج من قال: إن الإمامة أفضل: بأنه كان ﷺ يؤم ولم يكن يؤذن، وما كان ﷺ ليقتصر على الأدنى ويترك الأعلى، واعتذر عن ذلك أنه ﷺ ترك الأذان لما يشتمل عليه من الشهادة له بالرسالة والتعظيم لشأنه فترك ذلك إلى غيره، وقيل: إنما ترك ذلك لأن فيه الحيعلة، وهي الأمر بالإتيان إلى الصلاة، فلو أمر في كل صلاة بإتيانها لما استخف أحد ممن سمعه التأخر وإن دعته الضرورة إليه، وذلك مما يشق، وقيل أيضًا: لأنه كان ﷺ في

---

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي، ٢٥٧٤، وصححه الألباني: (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٨٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٢٧٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٥٩٠).

شغل عنه بأمور المسلمين وعن مراعاة أوقاته، وقد قال عمر رضي الله عنه: "لو أطقتُ الأذان مع (الخلّيفى)[١] لأذنت"[٢]، والخليفى: الخلافة.

قال القاضي: ذهب أبو جعفر الداودي إلى معنى قول عمر في هذا، أنه في أذان الجمعة أن الأذان إنما يكون بين يدي الإمام فيها، والإمامة للخليفة فلا يتفق له الأذان لذلك، وهذا معنى كلامه)[٣].

وقال القرطبي: (وقول أنه ﷺ كان في شغل عنه بأمور المسلمين هو الصحيح وهذا ما صرح به عمر رضي الله عنه)[٤].

وقد بين ابن عثيمين: (أن الله تعالى إذا بعث الناس فإن المؤذنين يكون لهم ميزة ليست لغيرهم وهى أنهم أطول الناس إعناقًا ، فيعرفون بذلك تنويهًا لفضلهم وإظهارًا لشرفهم؛ لأنهم يؤذنون ويعلنون بتكبير الله عز وجل وتوحيده والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة وإلى الفلاح..، ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل أن تعلو رؤوسهم، وأن تعلوا وجوههم، وذلك بإطالة إعناقهم يوم القيامة)[٥]. وفي ذلك بيان على فضل ومنزلة المؤذنين يوم القيامة.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأذان:

والأذان لغة: "هو الإعلام بالشيء"[٦]، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[٧]، "أى:

---

(١) قال ابن الأثير: الخِلّيفى -بالكسر والتشديد والقصر- الخلافة، وهو وأمثاله من الأبنية، كالرِّمّيا والدِّلّيلا، ، مصدر يدل على معنى الكثرة يريد به كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة، وتصريف أعنتها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٢) التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، ٢١١/١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢٥٥/٢ - ٢٥٦.

(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ١٦/٢.

(٥) شرح رياض الصالحين، ١٢٨٠/٢.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ذ ن).

(٧) سورة الحج، الآية: ٢٧.

أعلمهم به، وادْعُهم إليه، وبلّغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته"[١]، و"الأذان شرعًا: (هو الإعلام بوقت الصلاة المفروضة، بألفاظ معلومة مأثورة على صفة مخصوصة)[٢].

بينها القاضي عياض في قوله: (واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تاليةُ الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشرع فيها للحاضر، ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظيم حق من عبده، وجزيل ثوابه على عبادته)[٣].

وبذلك يكون الأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٨٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢/٣٥٧.

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٣، ٢٥٤.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الخير والفلاح:

هذا ما يستفاد من الحديث في أذان المؤذن ودعوته إلى الخير والفلاح، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل الدعوة إلى الخير والفلاح، فقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[١]، وقال ﷺ: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٢]، قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٦٧٤.

(٢) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٦)

١٠٣٦- وعن عبدِ الله بن عبدِ الرَّحْمانِ بن أَبي صَعصعة: أنَّ أَبَا سَعيد الخدريَّ رضي الله عنه، قَالَ لَهُ: ((إنِّي أرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ فَإذَا كُنْتَ في غَنَمِك - أَوْ بَادِيتِكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإنَّهُ لا يَسْمَعُ مدى صَوْتِ المُؤذِّنِ جِنٌّ، وَلاَ إنْسٌ، وَلاَ شَيْءٌ، إلاَّ شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ)) قَالَ أَبُو سَعيدٍ: سمعتُهُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

البادية: الصحراء التي لا عمارة فيها[2].

بالنداء: بالأذان[3].

مدى صوت المؤذن: غاية صوته، أي: المكان الذي ينتهي إليه الصوت[4].

الشرح الأدبي

قول أبي سعيد رضي الله عنه لصاحب الغنم (إنِّي أرَاكَ تُحبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ) خبر أريد به لازم الفائدة وهي التنبيه إلى ما يناسبه من النصح، والإرشاد، وقوله (فَإذَا كُنْتَ في غَنَمِك - أَوْ بَادِيتِكَ - فَأذَّنْتَ للصَّلاَةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ) أسلوب شرط يربط الأذان حال كونه في الغنم برفع الصوت بالنداء، وقد علل لهذا الأمر الذي ورد في جواب الشرط (فارفع) بشهادة كل من يسمعه له يوم القيامة، وقوله: (ولا شيء) بعد ذكر الجن،

---

(١) برقم (٦٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠٥/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م د ى).

والإنس من ذكر العام بعد الخاص تعميما للحكم، وتوكيدا لما سبق وتقييد الشهادة بيوم القيامة يعلي من قيمة الشهادة حيث تشتد الحاجة إليها، وقول أبي سعيد سمعته من رسول الله ﷺ يضفي على الخبر صفة التشريع؛ لأن ما فيه أصبح سنة عنه ﷺ، ولقول الرسول ﷺ قبول في النفس ليس لكلام غيره من البشر.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (في الحديث:

١ - استحباب رفع الصوت بالأذان؛ ليكثر من يشهد له؛ ما لم يجهده أو يتأذى به.

٢ - وفيه أن حب الغنم والبادية ولا سيما عند نزول الفتنة من عمل السلف الصالح.

٣ - وفيه جواز التبدي ومساكنة الأعراب ومشاركتهم في الأسباب بشرط حظ من العلم وأمن غلبة الجفاء.

٤ - وفيه أن أذان الفذ مندوب إليه ولو كان في قفر ولو لم يرتج حضور من يصلي معه، لأنه إن فاته دعاء المصلين فلم يفته استشهاد من سمعه من غيرهم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعى في طلب الرزق.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

هو سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري. قال ابن حجر: (مشهور بكنيته استصغر بأحد، واستشهد أبوه بها وغزا هو ما بعدها، روى عن النبي ﷺ الكثير... وهو مكثر من الحديث. قال حنظلة بن أبي سفيان عن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٨٩/٢ .

أشياخه: إنه رضي الله عنهم كان من أفقه أحداث الصحابة رضي الله عنهم، وقال الخطيب: كان من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم وحفظ حديثًا كثيرًا، وروى ابن سعد من طريق حنظلة بن سفيان الجحمي عن أشياخه قال: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)[١].

وقال ابن عبدالبر: (أول مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم اثنتي عشرة غزوة، وكان ممّن حفظ عن رسول الله ﷺ سنناً كثيرة، وروى عنه علماً جماً، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم)[٢].

وقال ابن عبدالبر كذلك: (كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعى في طلب الرزق:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي سعيد رضي الله عنه لعبد الله بن عبدالرحمن ابن أبي صعصة "فإذا كنت في غنمك"، وفي حث الإسلام على الانتشار في الأرض والسعى في طلب الرزق. قال تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، أى: "لطلب المكاسب والتجارات"[٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[٦]، أى: "فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات"[٧]. وقد حث ورغب النبي ﷺ على العمل والسعي في طلب الرزق

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٤٩١ - ٤٩٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٨١٥.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٨٠٠.

(٦) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٨.

مع تنفيره من المسألة فقال: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه"[١]، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على العمل والإنتاج فقال: " ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[٢].

(ولقد كان لهذا الحديث وغيره أثر بالغ في سلوك الصحابة وتوجيه بصيرتهم، فقد انطلقوا نحو مجالات الكسب وميادين العمل، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: "كان أصحاب رسول الله ﷺ عمال أنفسهم، فكان يكون لهم أرواح، فقيل لهم: لو اغتسلتم"[٣]، ومن أجل ذلك كان واجبًا على المسلمين أن يسلكوا جميع السبل من أجل الكسب الحلال وبالطرق التي تتيح لهم الوقوف على أسرار هذا الكون وتحقيق المنفعة، وليس ذلك فحسب، بل واجب على المسلمين أن يكونوا روادًا في هذا الميدان كما كانوا روادًا في دعوة الناس إلى الإيمان بالله والعبودية له والتخلق بالأخلاق الكريمة في كل الميادين)[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل المؤذن والشهادة له يوم القيامة من كل من سمعه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"، قال ابن حجر: (قال التوربشتي : المراد من هذه الشهادة اشتهار المشهود له يوم القيامة بالفضل وعلو الدرجة، وكما أن الله يفضح بالشهادة قومًا فكذلك يكرم بالشهادة آخرين)[٥]، وقال ابن عثيمين : "وهذا أيضًا من فضائل الأذان أن صاحبه يُشهد له يوم القيامة بأنه من المؤذنين تنويهًا لفضله وبيانًا لثوابه"[٦]، وفي ذلك قال ﷺ: المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له

---

(١) أخرجه البخاري، ١٤٧٠، ومسلم، ١٠٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٠٧١.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٢٦٢.

(٥) فتح الباري، ١٠٦/٢.

(٦) شرح رياض الصالحين، ٢٨٠/٢..

كل رطب ويابس"[١]، قال صاحب عون المعبود في قوله ﷺ: (كل رطب" أى نامٍ (ويابس) أى: جماد مما يبلغه صوته)[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي تشوق المدعو إلى فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له والثبات عليه"[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في الأذان ورفع الصوت به، وذلك في قوله ﷺ: "فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة".

إن الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا [٤]، من أجل ذلك ينبغي على الداعية ألا يغفل جانب الترغيب في دعوته إذ أن "الترغيب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي ويدفع به إلى مقاومة الشيطان" [٥].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف عبدالعظيم آبادي، ٢٦٥.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د.عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٠٣٧)

١٠٣٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ[1] أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاَةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكر كَذَا - لِمَا لَمْ[2] يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ - حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى)) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

التثويب: الإقامة[4].

يخطر: يوسوس[5].

الشرح الأدبي

قوله (أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ) كناية عن شدة فزعه، وخوفه من سماعه، وكذا حال الخائف عندما يستولي الخوف على أقطار نفسه فلا يملك السيطرة على جوارحه، وهي صورة مضحكة عن حال الشيطان تبين عظيم أثر الأذان، والإقامة عليه، وتشير إلى ضعفه أمام الأذان، والإقامة خصوصا، وعند ذكر الله عموما، وقوله (حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ) كناية عن الوسوسة التي يقذفها في

---

(١) لفظ مسلم: (التأذين)، والمثبت لفظ أبي داود (٥١٦).

(٢) عند هما زيادة: (يكن).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (١٩/٣٨٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٦).

(٤) رياض الصالحين ٣٩٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٠٢.

قلب المصلي يشغله بها عن صلاته، والفعل يخطر يوحي بالخطر، وعظم الأمر، والمضارع يرصد حركة الشيطان، والظرف بين يصور تردده الذي يعكس الحركة السريعة بين شيئين ليشغله، والطباق بين أدبر في بداية الحديث وبين أقبل في نهاية الحديث يوحي بأن الشيطان مع ضعفه ملحاح بطيء اليأس مما يستلزم من الإنسان طول صبر في مدافعته بالاستعاذة، وفعل الأمر في قول الرسول ﷺ (اذكر) وتكراره يصور لنا مكر الشيطان بالإنسان، وإلحاحه على شغل الإنسان عن كل خير عاجل، وآجل بكل الطرق حتى نحذر فعله، ونتنبه إليه، ونستعيذ بالله منه، ونُتِم صلاتنا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة.

رابعًا: من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الأذان في إدبار الشيطان لئلا يسمعه:

هذا ما أكد عليه نص الحديث من قوله ﷺ: "إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ"، وقد ورد في رواية عن هذا الحديث قوله ﷺ: "إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله حصاص"، قال القاضي عياض: (وقوله: "وله حصاص" بمعنى قوله في الحديث، وله ضراط، وقد قيل: الحصاص: شدة العدو، قالهما أبو عبيد، وقال عاصم بن أبي النجود: إذا صرَّ بأذنيه ومصع بذنبه وعدا فذلك الحُصاص. وهذا يصح حمله على ظاهره، إذ هو جسم مُتغذ يصح منه خروج الريح، وقيل: يحتمل أنها عبارة واستعارة عن شدة الخوف والنفار كما يعترى الحمار.

وهروب الشيطان عن النداء لعظيم أمره عنده،- وذلك - والله اعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، "وما ينزل عليهم من الرحمة"، وقيل: إنما يبعد لئلا يسمع تشهد ابن آدم فيشهد له بذلك - كما جاء في الحديث: (لا يسمع مدى

صوته جن ولا أنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة)[١].

جاء في حواشي تحقيق إكمل المعلم: "ومعنى صرّ إذا جمع أذنيه، ومصع: ضرب بذنبه، ومعنى وقيل: هذا عموم المراد به الخصوص، وأن ذلك في المؤمنين من الجن والإنس، وأما الكافر فلا شهادة له، وهذا لا يسلم لقائله لما جاء في الآثار من خلافه، وقيل أيضًا: إن هذا ممن يصح منه الشهادة ممن يسمع، وقيل: هي عامة فيمن يسمع وفيمن لا يسمع من جماد، وأن الله تعالى يخلق لها حينئذ ولمن لا يسمع ممن لا يعقل من الحيوانات إدراكًا لأذانه وعقلاً ومعرفة لما يشهد به، فهو على كل شيء قدير. وإلى معنى هذا ذهب ابن عمر رضي الله عنهما لقوله للمؤذن: "يشهد لك كل رطب ويابس"[٢].

وقيل: بل لما في ذلك من الدعاء للصلاة التي فيها السجود الذي بسبب تركه وعصيانه عنه لُعن الشيطان، قال بعضهم: وهذا يرده ما ذكر في الحديث أنه: "إذا قضي التثويب أقبل..." وذكر وسوسته للمصلي.

وقد لا يلزم هذا الاعتراض، إذ لعل نفاره إنما كان من سماع الأمر والدعاء بذلك لا برؤيته ليغالط نفسه أنه لم يسمع دعاء ولا خالف أمرًا. وقيل: بل ليأسه من وسوسة الإنسان عند الإعلان، وانقطاع طمعه أن يصرف عنه الناس، حتى إذا سكت رجع لحاله التي أقدره الله عليها، من تشغيب خاطره ووسوسة قلبه)[٣].

وقال ابن حجر: قال ابن الجوزي: "على الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة فإن النفس تحضر فيها فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة[٤]، وقال ابن حجر: وفي الحديث تنبيهان، ثم ذكر منهما أنه وردت في فضل الأذان أحاديث كثيرة ذكر المصنف بعضها

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود، ٥١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٨٤).

(٣) إكمال المعلم، ٢/٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) فتح الباري، ٢/١٠٤.

في مواضع أخرى، واقتصر على هذا هنا، لأن هذا [أي البخاري] الخبر تضمن فضلاً لا ينال بغير الأذان، بخلاف غيره من الأخبار فإن الثواب المذكور فيها يدرك بأنواع أخرى من العبادات[١]، وفي ذلك بيان على عِظم فضل الأذان في إدبار الشيطان وهروبه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخشوع وحضور القلب في الصلاة:

هذا مما يستفاد من الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا واذكر كذا - لما لم يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى، وقد حث النبي ﷺ على الخشوع وحضور القلب في الصلاة. "فقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: «كُنَّا مَعَ رسولِ الله ﷺ خُدَّامَ أنْفُسِنَا. نَتَنَاوَبُ الرعَايَةَ - رِعَايَةَ إبِلِنَا - فَكَانَتْ عَلَيَّ رِعَايَةُ الإبْلِ، فَرَوَّحْتُهَا بالْعَشِيِّ، فَإذَا رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَسَمِعْتُهُ يقولُ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ، يُقْبِلُ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، فَقَدْ أوْجَبَ. فَقُلْتُ: بَخٍ بَخٍ ما أجْوَدَ هَذِهِ»[٢].

قال النووي: (في قوله ﷺ: "فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه"، هكذا هو في الأصول مقبل أي: وهو مقبل، وقد جمع ﷺ بهاتين اللفظتين أنواع الخضوع والخشوع لأن الخضوع في الأعضاء والخشوع بالقلب...، وقوله: (ما أجود هذا) يعني: هذه الكلمة أو الفائدة أو البشارة أو العبادة، وجودتها من جهات منها أنها سهلة متيسرة يقدر عليها كل أحد بلا مشقة. ومنها أن أجرها عظيم، والله أعلم)[٣]، وقال ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لا يَسْهُو فِيهِمَا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤]. قال صاحب عون المعبود: في قوله ﷺ: "لا يسهو فيهما" أى: لا يغفل فيهما، قال

---

(١) المرجع السابق، ٢/١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود، ٩٠٥. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٨٠٠).

الطيبي: "أى يكون حاضر القلب أو يعبد الله كأنه يراه"[١].

وقال ﷺ: "من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين، لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه"[٢]، قال النووي: "لا يحدث فيهما نفسه أى لا يحدث بشيء من أمور الدنيا وما لا يتعلق بالصلاة، ولو عرض له حديث فأعرض عنه لمجرد عروضه عفي عنه ذلك وحصلت له هذه الفضيلة إن شاء الله تعالى لأن هذا ليس من فعله وقد عفي لهذه الأمة عن الخواطر التي تعرض ولا تستقر"، وقد قال معنى ما ذكرته الإمام أبو عبدالله المازري وتابعه عليه القاضي عياض فقال: يريد بحديث النفس الحديث المجتلب والمكتسب. وأما ما يقع في الخواطر غالبًا فليس هو المراد، قال: وقوله يحدث نفسه فيه إشارة إلى أن ذلك الحديث مما يكتسب لإضافته إليه، قال القاضي عياض: وقال بعضهم: هذا الذي يكون بغير قصد يرجى أن تقبل معه الصلاة، ويكون دون صلاة من لم يحدث نفسه بشيء لأن النبي ﷺ إنما ضمن الغفران لمراعي ذلك، لأنه قل من تسلم صلاته من حديث النفس، وإنما حصلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفيها عنه، ومحافظته عليها حتى لم يشتغل عنها طرفة عين، وسلم من الشيطان باجتهاده وتفريغه قلبه، هذا كلام القاضي والصواب ما قدمته والله أعلم)[٣]. وفي ذلك بيان على ضرورة الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان عداوة الشيطان للإنسان ورغبته في الوسوسة في الصلاة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "حتى إذا قضى التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه ... إلخ"، قال ابن حجر: في قوله ﷺ: "أقبل حتى يخطر" أى يوسوس، وفي قوله: "بين المرء ونفسه" قال الباجي: المعنى أنه يحول بين المرء وبين ما يريده من إقباله على صلاته وإخلاصه فيها"[٤]، وقد بين الحق تبارك وتعالى عداوة

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن عبدالعظيم أبادي، ٤٢٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٣.

(٤) فتح الباري، ١٠٢/٢.

الشيطان للإنسان ورغبته في إضلاله فقال جلا وعلا في سورة الأعراف مبينًا ما قاله الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[1]، قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه لما أنذر إبليس" إلى يوم يبعثون"، واستوثق إبليس بذلك، أخذ في المعاندة والتمرد، فقال: "فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم". أى: كما أغويتني، و"صراطك المستقيم" أى: طريق الحق وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدونك ولا يوحدونك بسبب إضلالك إياى، ثم لآتينهم من بين أيديهم"، أشككهم في آخرتهم، "ومن خلفهم" أرغبهم في الدنيا "وعن إيمانهم"، أشبه عليهم أمر دينهم، وعن شمائلهم": أشهي لهم المعاصي ...، ولا تجد أكثرهم شاكرين"، أى: موحدين"[2]، وفي ذلك بيان عظيم على عداوة الشيطان للإنسان، ورغبته في إضلاله ومن هذا الإضلال وسوسته في الصلاة لإشغال المصلين عن خالقهم مما يفوت عليهم عظم الأجر والثواب.

رابعًا - من فقه الداعية: ذكر الألفاظ الصريحة لمصلحة شرعية:

هذا ما ذكره النبي ﷺ في الحديث من قوله: "إذا نودي بالصلاة، أدبر الشيطان، وله ضراط"، وقد استعمل النبي ﷺ صريح لفظ الضراط لمصلحة بينها الطيبي في قوله: "ثم سماه ضراطًا تقبيحًا له"[3]، وقد بين النووي ذلك في قوله: (وقد يستعمل صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك أو نفي المجاز أو نحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾[4]، وكقوله ﷺ: "أنكتها"[5]، وكقوله ﷺ: "أدبر الشيطان وله ضراط"[6]، وكقول أبي هريرة رضي الله عنه: "الحدث فساء أو ضراط"[7]،

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/٣٩٣ - ٣٩٥).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٠٢.

(٤) سورة النور، الآية: ٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٨٢٤.

(٦) أخرجه البخاري، ١٢٣١، ومسلم، ٣٨٩.

(٧) أخرجه البخاري، ١٣٥.

ونظائر ذلك كثيرة)[١].

أما إذا لم تكن هناك مصلحة شرعية على النحو السابق، فالمستحب في مثل هذا الكناية عن قبيح الأسماء واستعمال المجاز والألفاظ التي تحصل الغرض...، وبهذا الأدب جاء القرآن العزيز، كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[٢])[٣].

قال القاسمي: (و"الرفث" أصله قول الفحش وكنى به هنا عن الجماع وما يتبعه. كما كنى عنه في قوله: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾[٤]، وقوله: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾[٥]. فالله تعالى كريم يكنى، وإيثار الكناية عنه - هنا - بلفظ الرفث الدال على معنى القبح - عدا بقية الآيات - استهجانًا لما وجد منهم قبل الإباحة، كما سماه اختيانًا لأنفسهم، والكناية عما يستقبح ذكره بما يستحسن لفظه من سنن العرب. وللثعالبيّ في آخر كتابه "فقه اللغة" فصل في ذلك بديع)[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١١٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٦) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٣/١١١، ١١٢.

الحديث رقم (١٠٣٨)

١٠٣٨ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النداء فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

لا تنبغي: لا تليق[2].

الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم[3].

حلّت: وجبت. وقيل: نالته[4].

الشرح الأدبي

صياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها لعظمة الأجر المترتب عليها مع قلة المؤنة التي تحتاج إليها، ومع قدرة جميع المسلمين عليها، حيث ربط سماع الأذان بالأمر بقول مثل ما يقول، وقوله (ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ) ثم تشير إلى وقت يطول، أو يقصر يستغرقه الترديد مع المؤذن، والأمر (صلوا) أمر نصح، وإرشاد، علله بقوله (فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً) ترغيبا في كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وبين

---

(١) برقم (٣٨٤/١١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٣٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٩.

صلى، وصلاة جناس يؤكد المعنى، ويجعله ملأ الأسماع، والأفهام، ونسبة الصلاة المقابلة لصلاة العبد لله يعظم الأجر، ويرتقي به في درج الثواب مرتقى عظيماً، وبين قوله سلو، والوسيلة جناس أيضا يقرر المضمون، وتقديم الجار، والمجرور (لي) على المفعول للتخصيص وقوله (فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ) التوكيد للتنبيه لأهمية الخبر، وتنكير منزلة للتعظيم، والجار، والمجرور (في الجنة) يوحي بشرف هذه المنزلة، وقوله (لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ) أسلوب لقصر لمعنى الانبغاء على عبد واحد من عباد الله لا اثنين، وقوله (وَأَرْجُو أَنْ أَكونَ أَنَا هو) يشير إلى أنها منزلته ﷺ وتوسيط الضمير (أنا) يفيد الاختصاص، وقوله: (فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) أسلوب شرط يربط سؤال الوسيلة للنبي ﷺ بحلول الشفاعة للسائل، وصياغة الفعل في الماضي تفيد التحقق، والتعبير بالحلول يشير إلى معنى الوجوب، والاستحقاق.

فقه الحديث

يسن لمن سمع الأذان متابعته بمثله، وهو أن يقول مثل ما يقول، لقول النبي ﷺ: ((إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول))[1] ويسن أن يقول عند الحيعلة: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ. فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللّهُ أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله. ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله. ثُمَّ قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. قَالَ: الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ. ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله. قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[2] ولأن حي على الصلاة، حيّ على الفلاح، خطاب فإعادته عبث، وفي التثويب وهو قول "الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر يقول: صدقت وبررت – بكسر الراء الأولى – ثم يصلّي

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٥.

على النبي ﷺ ثم يقول: "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته"، كما ورد في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ثم يدعو بعد الأذان بما شاء لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة" ويقول عند أذان المغرب: "اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي".

ولو سمع مؤذنًا ثانيًا أو ثالثًا استحبّ له المتابعة أيضًا.

وما سبق هو باتفاق إلا أن المشهور عند المالكية أن يحكي السامع لآخر الشهادتين فقط، ولا يحكي الترجيع، ولا يحكي الصلاة خير من النوم ولا يبدلها بصدقت وبررت، ومقابل المشهور أن يحكي لآخر الأذان[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول.

سادسًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير.

---

(١) منتهى الإرادات ١/١٣٠، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٢٦ - ٤٢٧، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١/١٤٠، والمهذب ١/٦٥، ومنح الجليل ١/١٢١، والحطاب ١/٤٤٢، والبدائع ١/١٥٥، وابن عابدين ١/٢٦٥ - ٢٦٦ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٣٧٢)، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٥٦ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٣٩).

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء الحديث في صياغة أسلوب الشرط: "إذا سمعتم النداء فقولوا ... ثم صلّوا"، وكأن السر في مجيئ الحديث بهذا الأسلوب أن الشرط فيه تلازم بين فعل الشرط وجوابه، ففعل الشرط يلزم عنه جواب الشرط، وكأن هذا إرشاد إلى المدعوين أن يلتزموا هذا قدر استطاعتهم وجهدهم ولا يتركوه بحال من الأحوال.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب قول مثل ما يقول المؤذن:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول"، وأيضًا في قوله: "إذا سمعتم النداء، فقولوا كما يقول المؤذن"، قال النووي: "وفيه أنه يستحب أن يقول السامع كل كلمة بعد فراغ المؤذن منها ولا ينتظر فراغه من كل الأذان"[1]، "ويسن أن يقول عند الحيعلة: "لا حول ولا قوة إلا بالله والسبب في عدم إعادة الحيعلة عند تريد الأذان هو أن حي على الصلاة وحي على الفلاح، خطاب فإعادته عبث. وفي التثويب وهو قول: الصلاة خير من النوم" في أذان الفجر، يقول: صدقت وبررت بكسر الراء"[2]، قال القاضي عياض: (والحيعلة تنطلق على "حي على الفلاح"، وعلى "حي على الصلاة")[3]. وفي بيان حث النبي ﷺ على ذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أشهد أن محمد رسول الله، قال: أشهد أن محمد رسول الله. ثم قال: حى على الصلاة. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: حى على الفلاح. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر. ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله. من قلبه – دخل الجنة))[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٧٢/٢.

(٣) انظر: إكمال المعلم، ٢٥٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٥.

قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا قال المؤذن: الله أكبر، فقال أحدكم: الله أكبر..." الحديث إلى قوله: "فإذا قال: لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة" لأن في حكايته لما قال المؤذن من التوحيد والإعظام، والثناء على الله، والاستسلام لطاعته، وتفويض الأمور إليه بقوله عند الحيعلتين: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإذ هي دعاء وترغيب لمن سمعها، فإجابتها لا تكون بلفظها بل بما يطابقها من التسليم والانقياد، بخلاف إجابة غيرها من الثناء والتشهيدين بحكايتهما، وإذا حصل هذا للعبد فقد حاز حقيقة الإيمان وجماع الإسلام واستوجب الجنة، وكذلك مضمن الحديث الآخر في القول عند أذان المؤذن: (رضيت بالله ربا...)[1] الحديث، ومثل هذا من التصريح بحقيقة الإيمان والاعتراف بقواعده.

واعلم أن الأذان كلمات جامعة لعقيدة الإيمان ومشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فابتدأ بإثبات الذات بقوله: "الله" وما تستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها المضمَّنة تحت قولك: "الله أكبر" فإن هذه اللفظة على قلة كلمها واختصار صيغتها مشعرة بما قلناه لمتأمله، ثم صرح بإثبات الوحدانية والإلهية ونفى ضدها من الشركة المستحيلة في حقه، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد المقدمة على سائر وظائفه، ثم ابتدأ بإثبات النبوة لنبينا ﷺ ورسالته لهداية الخلق ودعائهم إلى الله، إذ هي تالية الشهادتين، وموضعها من الترتيب بعد ما تقدم لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وهنا كمل تراجم العقائد - العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه تعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فصرح بالصلاة ثم رتبها بعد إثبات النبوة، إذ معرفة وجوبها من جهته ﷺ لا من جهة العقل، ثم الحث والدعاء إلى الفلاح - وهو البقاء في النعيم. وفيه الإشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء - وهي آخر تراجم العقائد الإسلامية، ثم تكرر ذلك عند إقامة الصلاة للإعلام بالشروع فيها للحاضر ومن قرب، وفي طي ذلك تأكيد الإيمان وتكرار ذكره

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٨٦.

عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي فيها على بينة من أمره وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من عبده وجزيل ثوابه على عبادته)[١].

فعلى كل من سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول، لما في ذلك من عظم الأجر فضلاً عن الامتثال لأمر النبي ﷺ وفي ذلك كامل الأجر.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرًا"، "والمقصود بصلاة الله تعالى على من صلى على النبي ﷺ "هى رحمته وتضعيف أجره" كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٢]، [٣].

والمقصود بالصلاة على النبي ﷺ: الدعاء له بصيغة مخصوصة والتعظيم لأمره. قال القرطبي: (الصلاة على النبي من الله: رحمته، ورضوانه، وثناؤه عليه عند الملائكة، ومن الملائكة: الدعاء له والاستغفار، ومن الأمة: الدعاء له، والاستغفار، والتعظيم لأمره)[٤].

ولا خلاف بين الفقهاء في مشروعية الصلاة على النبي ﷺ للأمر بها)[٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[٦].

قال ابن كثير في تفسير الآية: (المقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى أخبر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٣٥٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧/١٤/٢٣٢.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٢٧/٢٣٤.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر جل شأنه بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: السفلي والعلوي جميعًا)[١].

وجاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه.

فقد روى البخاري عند تفسير هذه الآية: (قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)[٢].

وفي الصلاة على النبي ﷺ فضائل عظيمة ومنح من الله جليلة، فمن ذلك كفاية الهم ومغفرة الذنب. "فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله اذْكُرُوا الله جَاءَتْ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ)). قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فقَالَ «مَا شِئْتَ». قال: قُلْت الرُّبُعَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ»، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ))"[٣]. قال المباركفوري مبينًا مقصود قول أبى رضي الله عنه للنبي ﷺ: ("أجعل لك صلاتي كلها" أي أصرف بصلاتي عليك جميع الزمن الذي كنت أدعو فيه لنفسي، فقال له النبي ﷺ: "إذا تكفى همك" والهم ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة، يعني إذا صرفت جميع أزمان دعائك في الصلاة عليَّ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٧/٦.

(٢) أخرجه البخاري، ٤٩٨.

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٩٩).

أعطيت مرام الدنيا والآخرة)[١]. وقد أورد ابن القيم في (كتابه جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ثلاثًا وثلاثين فائدة وثمرة حاصلة بالصلاة على النبي ﷺ، منها امتثال أمر الله سبحانه وتعالى ،وأن يرفع لمن صلى عليه عشر درجات، وأن يكتب له عشر حسنات، وأن تمحي عنه عشر سيئات، وأن يرجى له إجابة الدعاء إذا قدمها أمامه، وأنها سبب لشفاعته ﷺ، وسببًا لقضاء الحوائج، ونفى الفقر، فضلاً عن أنها سبب لنيل رحمة الله ودوام محبته لرسول الله ﷺ... إلخ)[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء للنبي ﷺ بعد الأذان، وبيان فضل ذلك:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له شفاعتي" وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة،والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ... إلخ".

قال القاضي: ("وقوله "سلوا لي الوسيلة" فسرها في الحديث أنها منزلة في الجنة، قال أهل اللغة: الوسيلة: المنزلة عند الملك، وهي مشتقه -والله أعلم- من القرب، توسَّل الرجل للرجل بكذا إذا تقرب إليه، وتوسَّل إلى ربه بطاعته تقرب إليه بها)[٣].

وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ والفضيلة - من حديث جابر رضي الله عنه: "أى المرتبة الزائدة على سائر الخلاق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيرًا للوسيلة"[٤].

وقال القرطبي: (وقوله: "أرجو أن أكون أنا هو"، قال: هذا ﷺ قبل أن يُبان له أنه صاحبها، إذ قد أخبر أنه يقوم مقامًا لا يقومه أحد غيره؛ ويحمد الله محامد لم يُلهمها

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٩٢٠/٢.

(٢) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن قيم الجوزيه ص ٦١٢ - ٦٢٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٥٢/٢.

(٤) فتح الباري، ١١٣/٢.

أحدٌ غيره؛ ولكن مع ذلك فلابد من الدعاء فيها، فإن الله تعالى يزيده بكثرة دعاء أمته رفعة كما زاده بصلاتهم، ثم إنه يرجع ذلك عليهم بنيل الأجور، ووجوب شفاعته ﷺ)[1].

وقال الطيبي: "وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته" الموصول مع الصلة إما بدل، أو نصب على المدح أو رفع بتقدير أعنى أو هو، ولا يجوز أن يكون صفة للمنكر، وإنما نكر لأنه أفخم وأجزل، كأنه قيل: مقامًا أى مقام، مقامًا يغبطه الأولون والآخرون، محمودًا يكل عن أوصافه ألسنة الحامدين، قال "الأشرف": المراد بوعده "تعالى" نبيه ﷺ، قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[2])[3].

قال ابن كثير: (قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"[4]، وقد جعل النبي ﷺ هذه الشفاعة هى جزاء من دعا بذلك بعد الأذان فقال: "حلت له شفاعتي".

قال القاضي عياض: (وقوله: "فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة": قيل: معنى "حلت": غشيته وحلت عليه، قال المهلب: والصواب أن يكون "حلت" بمعنى: وجبت، كما قال أهل اللغة: حلَّ يحلُّ وجب، وحل يحل نزل، ويحتمل أن هذا مخصوص لمن فعل ما حضه ﷺ عليه وأتى بذلك على وجهه وفي وقته وبإخلاص وصدق نية، وكان بعض من رأينا من المحققين يقول هذا ومثله في قوله: "من صلى علىَّ صلاة صلى الله عليه عشرًا" هو والله أعلم لمن صلى محتسبًا مخلصًا قاضيًا حقه بذلك، إجلالاً لمكانه وحبه فيه، لا لمن قصد بقوله ودعائه ذلك مجرد الثواب، أو رجاء الإجابة لدعائه بصلاته عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين، ١٣/٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢٠٥/٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٠٣/٥.

والحظ لنفسه، وهذا فيه عندي نظر)[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: انتفاع الفاضل بدعاء المفضول:

هذا ما ظهر في الحديث من قوله ﷺ: "ثم سلوا الله لي الوسيلة"، والفاضل هنا هو النبي ﷺ، والمفضول هى أمة النبي ﷺ، وخير دليل على انتفاع الفاضل بدعاء المفضول، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأويس بن عامر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ. كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرِأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ. لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ. لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ لأَبَرَّهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ[٢]. قال النووي: "وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم"[٣].

سادسًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على مواطن الخير:

هذا يستفاد من سياق الأحاديث الواردة في حرصه ﷺ على إفادة الخير لأصحابه رضي الله عنهم وحصول شفاعته ﷺ لهم، وهذا ما يحمل الداعية على أن يقتدى به ﷺ ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، "فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه، ويستضيئون بهديه، ... فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ، متتبعين منهجه مقتدرين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"[٥]، فعلى الدعاة أن يحرصون على دلالة المدعوين على مواطن الخير لما في ذلك من عظيم الأجر لهم، وقد حث النبي ﷺ الدعاة على ذلك فقال: " ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٢٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٩.

(٦) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

قال النووي: (فيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[1].

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٠٣٩)

١٠٣٩- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه بدأه النبي ﷺ بأسلوب الشرط، ولأسلوب الشرط مميزات عدة منها أنه يشتمل على نوع من التشويق؛ لأن النفس إذا سمعت الشرط استشرفت للجواب فيقع المعنى منها موقعاً حسناً، ثم إنه يعلق فعلاً على فعل يقع بوقوعه، ويمتنع بامتناعه، مما يؤكد قوة الصلة بين جملتي الشرط وكأنهما جملة واحدة، أضف إلى ذلك أن أسلوب الشرط صالح لكل زمان، ومكان، وهو ما يفسر شيوع هذا الأسلوب في البيان النبوي فقد ربط سماع النداء بالأمر بالقول مثل ما يقول، والتشبيه بقول المؤذن يقتضي متابعته فيما يقول دون زيادة كما يفعل بعض الجهلاء متخطين أمر رسول الله ﷺ بالمثلية في القول التي تعني ترديد قوله، وبين فقولوا، ويقول جناس يؤكد ترديد القول الذي يقوله المؤذن.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١)، ومسلم (٣٨٣/١٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٤٠)

١٠٤٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[(١)].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[(٢)].

التامة: التي لا يدخلها تغيير ولا تبديل وهي دعوة التوحيد[(٣)].

القائمة: الدائمة من قام على الشيء إذا داوم عليه[(٤)].

الوسيلة: المنزلة عند الملك والدرجة والقربة وتطلق على المنزلة العالية، وقد فسرها النبي ﷺ بأنها منزلة في الجنة[(٥)].

الفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق[(٦)].

مقامًا محمودًا: يُحْمد القائم فيه[(٧)].

---

(١) برقم (٦١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/١١٥.

(٣) المرجع السابق ٢/١١٢ - ١١٣.

(٤) وقيل في تفسيرها غير ذلك. انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢/١١٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٣٤.

(٥) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي في (و س ل)، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٣٩، وفتح الباري، ابن حجر ٢/١١٣، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٧٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٢/١١٣.

(٧) المرجع السابق ٢/١١٣.

حلت: استحقت ووجبت أو نزلت عليه[١].

شفاعتي: السؤال في التجاوز عن الذنوب[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره الاسم الموصول (من) الذي ينادي من له عقل باغتنام الفرصة العظيمة للفوز بشفاعة الرسول ﷺ، وقوله (اللهم) توجه إلى الله بتمام الخشوع، والخضوع، ولفظ (رب) يوحي بالرعاية، والحفظ، والإشارة للتعظيم، ووصف الدعوة بالتامة تتميم بلاغي أفاد كفايتها لاحتوائها كلمة التوحيد أعظم ما يقال ووصف الصلاة بالقائمة يشير إلى الصلاة الحاضرة، وقوله (آت) أمر بغرض الدعاء، وكذلك قوله (وابعثه)، وتنكير المقام للتعظيم دل على ذلك وصفه بالمحمود وقوله (، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ) أي وجبت له، واستحقها، وإضافة الشفاعة لضمير الرسول ﷺ بيان وتشريف، وتقييدها باليوم المضاف للقيامة يصعِّد الاهتمام بها ويعلي من قيمتها لقوة الدواعي إليها يومئذ.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) المرجع السابق ١١٣/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٣) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٠٤١)

١٠٤١- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: ((مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: اشْهَدُ انْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَانَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث في فضل الترديد مع المؤذن، والترغيب فيه، وقد بدأ بمن الموصولة المتضمنة لمعنى الشرط حيث ربط قول هذه الكلمات بمغفرة الذنوب تلاه الشهادة لله بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله -سبحانه وتعالى- قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله، وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، وقوله (وَحْدَهُ) توكيد لنفي الألوهية عن الجميع، وإثباتها لله، وكذلك قوله (لاَ شَرِيكَ لَهُ) يصعِّد هذا التوكيد إلى حد لا يبلغه شك، ولا يعترضه في قوته إنكار، وكثرة أشكال التوكيد في إثبات الألوهية لله، ونفيها عن من سواه؛ لأنه معنى زلت عنده الأقدام، وضلت عنه كثير من الأمم التي أشركت مع الله غيره من خلقه ما بين بشر، أو حجر، أو كوكب، أو غيره، ولذلك لما أتبع الشهادة ببقيتها، وهي قوله: (وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) نص فيها على صفة العبودية للرسول ﷺ للفرق بين مقام النبوة، والألوهية حتى تحبه الأمة ما تحبه، وهي تعلم أنه عبد نبي، وقوله (رَضِيتُ بِاللهِ رَبّاً، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَبِالإِسْلامِ دِيناً) خبر أريد به لازم فائدته، وهو الإقرار، والاعتراف بهذه الصفات.

---

(١) برقم (٣٨٦/١٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٨).

المضامين الدعوية [١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الأذان وقول رضيت بالله رباً وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينًا وبيان الحكمة من ذلك:

يستفاد من سياق الحديث الحث على النطق بالشهادتين وقول: رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسول وبالإسلام دينًا، وذلك حين سماع المؤذن، وفي بيان الحكمة من ذلك قال النووي: قال القاضي عياض: "لأن في ذلك كمال التوحيد والثناء على الله تعالى والانقياد لطاعته والتفويض إليه...، فمن حصل هذا فقد حاز حقيقة الإيمان، وكمال الإسلام وذاق طعم الإيمان"[٢]. وفي ذلك قال ﷺ، "ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولاً"[٣]، قال النووي: (قال صاحب التحرير: معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه)[٤]، وقال القاضي عياض: "معنى الحديث صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالله ربًا، وبمحمد نبيًا وبالإسلام دينًا، دليل ثبوت معرفته،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٤١ - مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦.

ونفاذ بصيرته بما رضى به من ذلك، ومخالطة بشاشته قلبه وهذا كالحديث الآخر: «وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللّهُ ورسولُهُ أَحَبَّ إليهِ مِمّا سِواهُما»[1]. وذلك أن الإنسان إذا رضي أمرًا واستحسنه سهل عليه أمره، ولم يشق عليه شيء منه، فكذلك المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعات ربه ولذت له، ولم يشق عليه معاناتها"[2]، وفي ذلك بيان على الحكمة من الحث على النطق بالشهادتين حين سماع الآذان وقول: "رضيت بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ سبب لمغفرة الذنوب وحلول شفاعة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "من قال حين سمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله ... إلخ"، غفر له ذنبه" أي من قال حين يسمع المؤذن هذه الكلمات غفرت له ذنوبه الصغائر المتعلقة بالله تعالى، وفي هذا من الفوائد ما فيه [3]، وقوله ﷺ: "من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة"[4] وقد بين الحق تبارك وتعالى أن طاعة نبيه ﷺ والاستجابة لأوامره هي سبب غفران الذنوب، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، قال السعدي: (هذه الآية هى الميزان، التي يعرف بها من أحب الله حقيقة، ومن ادعى ذلك دعوة مجردة، فعلامة محبة الله، اتباع محمد ﷺ، الذي جعل متابعته وجميع ما يدعو إليه، طريقًا إلى محبته ورضوانه، فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/ ٢٧٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٤٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

إلا بتصديق ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك، أحبه الله، وجازاه جزاء المحبين، وغفر له ذنوبه، وستر عليه عيوبه)[1].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديثين أن من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وأبعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، ومن قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام دينا، غفر له ذنبه، وهذا التوجيه والحثّ النبوي يحمل المسلم على الاستجابة والطاعة لما أمر به النبي ﷺ من أقوال لأنها سبب لحلول شفاعة النبي ﷺ ولمغفرة الذنوب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

(إن لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، بل هو من لوازم الداعية في دعوته إلى الله، فغرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[2]، [3]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في هذا الحديث من ترغيبه ﷺ في قول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلامة والقائمة آت محمداً الوسيلك والفضيلة وأبعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة، وفي قول الشهادتين وإعلان الرضا بالله ربًا وبمحمد ﷺ رسولاً وبالإسلام دينا حين سماع الأذان لما في ذلك من غفران الذنوب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د.عبدالرحيم محمد المغذوي، ١٩٣.

(٣) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د.عبدالوهاب بن لطف الديلمي ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٠٤٢)

١٠٤٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الدُّعَاءُ لاَ يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الدعاء يشير إلى موطن من مواطن استجابة الدعاء بين الأذان، والإقامة، وأسلوبه خبري دون مؤكدات يتكون من جملة واحدة يتوسطها نفي يقرر المعنى المراد، وقوله (الدعاء) ال في الدعاء للجنس فيدخل فيه كل دعاء، وقوله (لا يرد) أسلوب نفي يشير إلى تحقق الإجابة في هذا الموطن والظرف بين يحدد الزمان، لأنه من المعلوم أن هناك أزمان فاضلة الإجابة فيها أقرب من غيرها، وكذلك هناك أماكن أفضل من غيرها للدعاء، وهذا الموطن من مواطن الإجابة لأنه بين ذكرين في بيت من بيوت الله.

فقه الحديث

قال الشيخ البسام: (يؤخذ من الحديث: استحباب الدعاء في هذا الوقت واغتنام النفحة الإلهية والكرم الرباني)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الأذان والإقامة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (٤٢٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٥).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٣٣/١.

أولاً - من وسائل الدعوة: الدعاء:

هذا ما يستفاد من الحديث من ذكر أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، والدعاء من الوسائل الدعوية الهامة، لما له من وقع في نفوس المدعوين من تقريب قلوبهم وبيان حب هدايتهم، وقد ضرب لنا النبي ﷺ في بيان ذلك أروع الأمثلة "فقال لأبي ذر رضي الله عنه: «ائْتِ قَوْمَكَ فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا»[1].

قال النووي: (قال القاضي في المشارق: هو من أحسن الكلام مأخوذة من سالمته إذا لم ترّ منه مكروهًا فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم، فيكون سالمها بمعنى: سلمها)[2]، وقال ابن حجر: (في قوله ﷺ: "وغفار غفر الله لها"، وهو لفظ خبر يراد به الدعاء)[3].

إن الدعاء طاعة لله تعالى وامتثال لأمره عز وجل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[4]، وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[5]، فالداعي مطيع لله تعالى مستجيب لأمره، وللدعاء فضله وثمراته التي يجنيها الداعي شريطة أن يأتي بشرائط الإجابة، فإذا فعل ذلك فإنه سيحصل على الخير وسينال نصيبًا وافرًا من ثمرات الدعاء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيسَ بِإِثْمٍ، وَلاَ بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، إِلا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدخِرَها لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَن يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السوءِ مِثْلَهَا. قَالَ: إِذاً يُكْثِر. قَالَ: اللهِ أَكْثَر))[6].

قال ابن حجر: (كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه)[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥١٣، ومسلم ٢٥١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٦٢٨/٦.

(٤) سورة غافر، آية: ٦

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٧١٠، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٥٤٧).

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٩٥/١١.

فحريٌّ بالدعاة أن يقتدوا بالنبي ﷺ في تقريب وتأليف المدعوين بالدعاء لهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تحري الدعاء بين الآذان والإقامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث، "والدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له"[١]، وقد تواردت الآثار عن النبي ﷺ بالترغيب في الدعاء والحث عليه كقوله ﷺ: (الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢])[٣]، وقال ﷺ ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ))[٤]. وقال: ((إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ))[٥]، قال الطيبي: (وذلك لأن الله تعالى يحب أن يسأل من فضله على ما مر فمن لم يسل الله يبغضه، والمبغوض مغضوب عليه لا محالة)[٦]، هذا وقد حث النبي ﷺ على تحري أوقات معينة للدعاء يكون فيها الإجابة إن توافرت فيه شروط الدعاء، ومن ذلك تحري الدعاء بين الأذان والإقامة فإنه لا يرد، قال المباركفوري في بيان ذلك: "أى يقبل ويستجاب ...، وقال المناوي تحت قوله "مستجاب": أى بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[٧].

وقد حث النبي ﷺ على تحري ذلك فقال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[٨].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٩٨/١١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٩٠).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٦).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣١٠/٤.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢/١.

(٨) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٣).

وقال ﷺ: «يتَنزلُ ربُّنا تَبارَكَ وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا حين يَبقى ثلثُ الليل الآخر، فيقول: مَن يَدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فأعطيَه، من يستغفِرُني فأغفِرَ له؟»[1]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: هو وقت شريف، خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤلهم، وغفران ذنوبهم، وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه)[2]. ومن هذه الأوقات الفاضلة التي يرجى فيها الدعاء، الدعاء بين الأذان والإقامة والدعاء عند اللقاء لقوله ﷺ: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ أوْ قَلَّ مَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُ بَعْضًا»[3]. "والبأس: أي: القتال"[4]. وأيضًا في ساعة من يوم الجمعة لقوله ﷺ: "إن في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيرا إلا أعطاه إياه: وَأَشَارَ بيدِهِ يُقلِّلها"[5]. وهناك من الأوقات التي يستجاب فيها الدعاء ما لا يسع المقام لذكرها. فعلى المدعوين أن يغتنموا هذه الأوقات الفاضلة في الدعاء لما في ذلك من الإجابة والقبول.

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم، ٧٥٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٣٣/١١.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٤٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢/٥).

(٤) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق العظيم آبادي، ١١٠١.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التحفيز:

قال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا. وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». لقد قام هذا الحديث الشريف على أسلوب التحفيز، وذلك بقيامه على أسلوب الشرط الذي يقوم على حصول الجزاء مترتبًا على وقوع الفعل والسبب، والملاحظ أن النبي ﷺ لم يحدد الجزاء ولم يعينه، وإنما أطلقه وعلّقه، وليس المقصود علم الناس وإنما المقصود الإخبار بالثواب العظيم والجزاء الجزيل المترتب على فعل هذه الخصال، وفي هذا تحفيز على المسارعة والمبادرة والتبكير إلى المسجد لما في ذلك من الثواب العظيم، وكثيرًا ما يستخدم المربون هذا الأسلوب التربوي لحث الناشئة على العمل والفعل، فيؤتى ثماره الطيبة خاصة لدى الفئات التي تحتاج إلى نوع من التحفيز، يولد ما لديها من طاقات في الفهم والإبداع والتميز.

تجد المعلم يقول لتلاميذه: لو يعلم الحاصل على المركز الأول في هذا الاختبار الذي تختبرونه ما يناله، لتمنى أن يكون العام كله اختبارات، وهكذا نجد هذا الأسلوب يؤتي بنتائجه التربوية المهمة، وذلك لأنه يقوم على مخاطبة ما يحبه الإنسان ويميل إليه من ذلك:

أ - يخاطب في الإنسان ما يميل إليه ويحبه في حصوله على جزاء الأعمال التي يعملها والأفعال التي يفعلها، فيزيده امتثالاً واستجابة.

ب - يخاطب في الإنسان حبه في التنافس والمسابقة والمبادرة، فالنفس تنشط وتقبل على الإعمال إذا وجدت تنافسًا لأنها مجبولة على حبّ السبق وتحقيقه وإنجازه.

ولذا فإن على المربين أن يستخدموا هذا الأسلوب بحكمة، وذلك لأثره البالغ في حياة الفرد والجماعة والأمم، فإنما الأمم تتقدم بما تملك من المتفوقين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات والأعمال، والتحفيز من أهم الأساليب التربوية المؤثرة في النفوس.

ثانيًا: التربية على كيفية التعامل مع المشكلات:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه"، والاستهام: هو الاقتراع [1]. فإذا كان الناس يبادرون إلى الأذان والوقوف في الصف الأول، فإن ذلك ينتج عنه مزاحمة واختلاف، مما يذهب بالمقصود منهما وهو طاعة الله وإقامة شعائر الدين، فبين النبي ﷺ الطريق لحلّ ما ينتج من مشكلات لو تزاحم الناس على الأذان والوقوف في الصف الأول، وذلك عن طريق القرعة التي تخرج الأضغان والأحقاد من بين الناس وتجعلهم راضين متقبلين للأمر.

يقول ابن القيم: "وهذا هو سر المسألة وفقهها، فإن التعيين إذا لم يكن لنا سبيل إليه بالشرع فوّض إلى القضاء، وصار الحكم به شرعيًا قدريًا، شرعيًا: في فعل القرعة. قدريًا فيما تخرج به، وذلك إلى الله لا إلى المكلف، فلا أحسن من هذا ولا أبلغ في موافقة شرع الله وقدره" [2].

وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربون الناشئة على حل ما يقابلهم من مشكلات حلاً يحقق المطلوب، ولا ينتج عنه أحقاد ولا ضغائن ولا ثارات، وهذا ما قد يطلق عليه في علم التربية والنفس: التفكير الإيجابي.

يقول د. إبراهيم بن حمد القعيد عن أهمية هذا التفكير: "في حياتنا اليومية نتعرض لكثير من المثيرات والأحداث، ونتعامل مع العديد من الأشخاص، والتفكير الإيجابي هو البحث عن الأمور الإيجابية والطيبة في هذه الأشياء وإغفال أو التغافل عن الأشياء السيئة، إذا تحدث معك شخص فانظر إلى الجانب الإيجابي في حديثه، إذا تعرضت لمشكلة فانظر في الجانب الإيجابي لهذه المشكلة، مع عدم إغفال الجوانب الأخرى، وما تتعرض له من جهد لحلّ هذه المشكلة، هذا لا يعني بالطبع أن الأمور دائمًا إيجابية، نحن نعرف أن هناك الكثير من المشكلات والسلبيات والمنغصات والأحداث

---

(١) رياض الصالحين، ٣٩٧.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي ص ٢٩٩.

المؤلمة في الحياة من حولنا، ولكن التفكير الإيجابي يجعلنا أقدر على مواجهة هذه الأحداث واستغلال أفضل ما فيها لإثراء حياتنا أو التغلب عليها أو التكيف معها.

والتفكير الإيجابي على درجة كبيرة من الأهمية في حياة الإنسان، حيث يجعل حياته بنّاءة ومثمرة تلفُّها السعادة والنجاح، وعن طريق التفكير الإيجابي يمكن تحقيق أضعاف النتائج التي يمكن الوصول إليها بأي طريقة أخرى، وعلى العكس من ذلك التفكير السلبي يجعلك تنظر إلى الأمور بتشاؤم من جانبها المظلم، هل سمعت عن فكرة الكأس الذي نصفه مليء ونصفه فارغ، وإذا سألت الإنسان الإيجابي عن الكأس قال: نصفه مليء، وإذا سألت الإنسان السلبي قال: نصفه فارغ. هذا مفهوم رمزي للطريقة التي ينظر فيها الناس إلى الشيء الواحد: بعضهم يرى بعين متفائلة والبعض الآخر يرى بعين متشائمة"[1].

ثالثًا- التربية بمراعاة الميول والرغبات:

هذا واضح من قول الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي عبدالله ابن عبدالرحمن بن أبي صعصعة: إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك -أوفى باديتك- فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء..." فقد لاحظ الصحابي ما يرغب فيه التابعي ويحبه، فدلّه على ما يوافق هذه الرغبة ويتلاءم معها، وهذا نمط تربوي هادف وناجح، لأنه من خلاله تتأتى عملية الدخول إلى الشخصية، وهكذا على المربين أن يلاحظوا رغبات الناشئة وميولهم ويدفعوهم إلى التفوق فيها، ولا يحاولوا أن يفرضوا عليهم رغباتهم وميولهم هم، فإن "كثيرًا من المربين يحاولون توجيه أبنائهم إلى الدراسات التي يرون أنها أعلى شأنًا من غيرها، أو المهن ذات المردود الأعلى، من غير نظر إلى رغبة الابن أو استعداده وقدرته، فيقسرونه على ذلك قسرًا، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى الإخفاق في تحقيق ما يرجونه من النتائج. وكم من والد أو مربٍ ظلّ يعض بنان الندم، على ما أضاع على ابنه من سنوات عمره، بعدما أجبر على التخصص فيما لا يحسن أو يقدر عليه.

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٤١٩، ٤٢٠.

وينبغي -هنا- أن نقول: إن كل علم نافع أو مهنة مفيدة أيًا كانت الدرجة التي تحتلها تحتاج إليها الأمة، وإذا تميز فيها الولد فقد يجني من ورائها أعظم مما يجني من تخصص في شيء أفضل من ذلك في نظر المجتمع إذا لم يكن له تميز فيه، فلا ينبغي للمربين أن يجبروا الأولاد على الالتحاق بما لا يرغبون فيه، أو ما لا يتمكنون من تحصيله لضعف قدرتهم عليه، لأن ذلك يفضي إلى عكس المطلوب، بل يوجهونهم إلى ما تظهر رغبتهم فيه وقدرتهم على إجادته والتميز فيه. لكن ينبغي -هنا- على المربي أن يكون متيقظًا للدافع الحقيقي لعدم رغبة الولد، هل هو ضعفه وعدم قدرته وصعوبة الأمر عليه، أم هو الكسل والإخلاد إلى الأرض، والرغبة في التفرغ للعب وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد؟"[1].

رابعًا- التربية بالترغيب:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إنهُ لا يَسمعُ مَدَى صَوْتِ المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيء إلا شهد لهُ يومَ القيامةِ».

قال ابن حجر: (قوله: "جنّ ولا إنس ولا شيء" ظاهره يشمل الحيوانات والجمادات، فهو من العام بعد الخاصّ، ويؤيده ما في رواية ابن خزيمة[2]: «لا يسمع صوته شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له». ولأبي داود والنسائي من طريق أبي يحيي عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «المُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كلُّ رَطْبٍ وَيَابِس»[3].

ونحوه، للنسائي وغيره من حديث البراء[4] وصححه ابن السكن، فهذه الأحاديث تبين المراد من قوله في حديث الباب ولا شيء"[5].

وهذا مما يرغب الإنسان في شعيرة الأذان وفي فضل رفع الصوت به لتسمع

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ١٥٥.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ٣٨٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٥١٥، والنسائي، ١٣/٢، ٦٤٦، وابن ماجه ٧٢٤.

(٤) أخرجه النسائي ٦٤٧/٢، ١٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥٥١/١، ٥٥٢.

المخلوقات فتشهد له يوم القيامة، ولاشك أن هذه التربية بالترغيب تدفع المؤمن سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا إلى الاستزادة من عمل الخير الذي تشهد له الخلائق يوم القيامة.

وعلى ذلك يمكن الاستئناس بهذا الحديث على أنه ينبغي أن يربي الناشئ على أنه لا يعيش في هذا الكون بمفرده، فالمخلوقات التي معه تسمعه وتشهد له يوم القيامة، وفي التربية على ذلك -فيما نرى- عدة فوائد، منها:

أ- حث الناشئة على المحافظة على الحياة الطبيعية وتنميتها وعدم الاعتداء عليها.

ب- نشوء ألفة وتواؤم وتوافق بين الإنسان وهذا الكون الذي سخره الله تعالى له، وذلك من خلال الإفادة من نعم الله تعالى التي أفاء بها عليه، وشكره سبحانه عليها والسعي الحثيث لإعمار هذا الكون من خلال ما يتيسر من أسباب، لأن هذا الكون بمن فيه سيشهد على الإنسان يوم القيامة بما سعى إليه في حياته الدنيا.

رابعًا: من مهام المربي: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتربصه به:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إذا نُودِيَ للصَّلاةِ أدبرَ الشيطانُ وله ضُراطٌ.... حتّى إذا قُضِيَ التثويبُ أَقبلَ حتى يَخْطُرَ بينَ المرءِ ونفسهِ يقول: اذكُرْ كذا، اذكر كذا -لما لم يَكنْ يَذكرُ- حتّى يَظلَّ الرجلُ لا يَدرِي كم صلّى». ففي هذا الحديث الشريف توجيه تربوي نبوي يبصر المؤمن بحقيقة فعل الشيطان إذا نودي للصلاة، وخذلانه ومحاولاته المستمرة في إفساد العبادة على المؤمن، من خلال صرفه عنها بالوسوسة والتشكيك، وسعيه في تذكيره بحاجاته وهمومه ومشكلاته، مما يذهب خشوع الإنسان في صلاته، لاستجابته لوساوس الشيطان في الصلاة.

ولم يعنّف النبي ﷺ من وقع منه هذا الفعل ولا لامه ولا أنبّه. وإنما اكتفى ﷺ بذكر ما وقع، ويقع من وساوس وخطرات، وهذا أمر لا يسلم منه أحد ولا تكاد تخلو منه صلاة، وإن كان من جهة أخرى يدفع المصلي إلى أن يجاهد الشيطان قدر الاستطاعة حتى يؤدي صلاته في خشوع وإقبال وتفكر.

ولذا ينبغي للمربي أن يُبصّر بعداوة الشيطان للإنسان وتربصه به، خاصة في الصلاة أو حين يكون حريصًا على الطاعة، ففي البذل يوسوس إليه بالفقر ومشكلاته

وحاجاته وغير ذلك، مما يعوق همة المؤمن وإقدامه أحيانًا، ولذا فإن بيان مثل هذه الأمور والوساوس، يكون بمثابة تبصير بمواقف الشيطان وتلبيسه على الإنسان، ومن ثم كان من اللازم بيان مثل هذه الأمور من خلال القائمين على التربية، مع التعريج على قابلية الإنسان للاستجابة لمثل وساوس الشيطان، ولكن يجب عدم الاستسلام له، والاستعاذة بالله منه.

سادسًا: تربية الناشئة على تحصيل الخير والمشاركة في فعله:

أما تربية الناشئة على تحصيل الخير فمستمد من أمر الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه التابعي وهو في غنمه وفي الصحراء، أمره بأن يرفع صوته بالأذان مع أنه في الغالب يكون وحده وسيصلّي وحده كذلك، ولكن أمره لأنه سمع النبي ﷺ يخبر أن من سمع المؤذن سيشهد له يوم القيامة، ولا يقتصر هذا على ما يعقل فقط، بل يشمل أيضًا. الجماد والنبات ونحو ذلك، فكان الأمر هنا لتحصيل الفضل والأجر والخير، وهذا ما أشار إليه ابن خزيمة. فقال: "المؤذن في البوادي -وإن كان وحده- إذا أذن طلبًا لهذه الفضيلة كان خيرًا وأحسن وأفضل من أن يصلي بلا أذان ولا إقامة، وكذلك النبي ﷺ قد أعلم أن المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس، والمؤذن في البوادي والأسفار -وإن لم يكن هناك من يصلي معه صلاة جماعة- كانت له هذه الفضيلة لأذانه بالصلاة، إذ النبي ﷺ لم يخص مؤذنًا في مدينة ولا في قرية دون مؤذن في سفر ولا بادية، ولا مؤذنًا يؤذن لاجتماع الناس إليه للصلاة في جماعة دون مؤذن لصلاة يصلي منفردًا"[1].

أما تربية الناشئة على المشاركة في فعل الخير، فمستمد من أمر النبي ﷺ مَنْ سمع الأذان أن يقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا كان المؤذن له من الفضل الشيء الجليل فالمؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة، فإن من قال مثل ما يقول سيشاركه في الأجر مع اختلاف الدرجات، وهذا ما يستطيعه أن يفعله من سمع المؤذن، لأن الأذان لا يقوم به

---

(١) صحيح ابن خزيمة، ١/٢٠٨، ٢٠٩.

إلا واحد، فإن قام بالأذان ذهب بالأجر دون السامعين، فأمر النبي ﷺ بأن يقولوا مثل ما يقول، حتى ينالهم من الأجر بعض ما ناله.

وعلى ذلك فإن المربين عليهم أن يربوا الناشئة على عدم تفويت فرص المشاركة في الخير والمساهمة فيه، ويغرسوا فيهم حب التعاون والاجتماع والمسابقة إلى فعل الخير، حتى تزداد الحياة خيرًا وبركة ونماءً.

سابعًا: التربية على حب النبي ﷺ:

هذا مستمد من طلب النبي ﷺ بعد الفراغ من الأذان أن يصلي عليه المسلمون ثم سؤال الله عز وجل أن يعطي منزلة الوسيلة للنبي ﷺ، كما يبعثه المقام المحمود، ولاشكّ أن الصلاة عليه ﷺ والدعاء له ﷺ يدلان على الحبّ والودّ والتبجيل والتوقير، وعلى ذلك يجب أن يتربى الناشئة وينشئون لأن في ذلك فوائد تربوية جمّة لهم: منها:

١- أليس الحب دليلاً على الإيمان وصدقه وإخلاصه؛ وإذا توافر الصدق في الإيمان كان المؤمن مؤمنًا حقًا، يفعل ما أمر الله به وينتهي عما نهى الله عنه.

٢- أليس الحب هو طريق الاقتداء به ﷺ؟، ألا يبعث الحب الابن على الاقتداء بأبيه؟، فما بالك بحب الناشئة رسول الله ﷺ؟ وإذا اقتدى الناشئة به ﷺ فقد تمسكوا بمنهج تربوي يؤدي بهم إلى الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

يقول الأستاذ محمد المبارك: (الصلاة على النبي دعاء يطلب فيه من الله سبحانه رفعة الدرجة وعلو المقام للنبي الكريم ﷺ، والحقيقة أن هذا النوع من الدعاء يقصد به تذكير قائله بالنبي العظيم، وفضله في تبليغ رسالة الله العامة إلى البشر وتذكيره بسيرته العظيمة، وشمائله الإنسانية الرفيعة وشخصيته المثالية التي هي القدوة لكل إنسان، لأن الله في غنًى عن تذكيره بمقام الرسول الذي اختاره لأعظم رسالة، ولكن القصد الارتفاع بالداعي نفسه إلى مستوى أعلى وتقريبه من الشخصية المثالية التي هي شخصية الرسول ﷺ، وجعلت صيغة الصلاة هذه بديلاً من ألقاب التعظيم التي اعتاد البشر استعمالها وهي أفضل منها، لأنه ليس فيها مايشعر بتأليه بشر بل إنها تتضمن

التذكير بعبودية الرسول ﷺ نفسه لله، لأن المخاطب فيها هو الله، والمدعو له هو الرسول ﷺ)[1].

ثامنًا: التربية على الاعتزاز بالإسلام وبعقيدة التوحيد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». فهذا قد يستمد منه أن الناشئة يجب أن يربوا على إعلان اعتزازهم بالإسلام وبعقيدته، فإذا كان المؤذن قد أسمع الدنيا شهادة التوحيد فإن الناشئ يشاركه فيقول الشهادتين مثلما قال، فضلاً عن إعلان رضاه واعتزازه بالله عز وجل وبرسوله محمد ﷺ وبدينه الإسلام، وهذا الاعتزاز يدفعه إلى أن يكون مؤمنًا بربه حقًا، متبعًا لرسوله صدقًا، ومتمثلاً الإسلام منهجًا وسلوكًا. وليس أدل على هذا الاعتزاز من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه للتابعي: «فإِذا كنتَ في غنمكَ - أو باديتكَ - فأَذَّنْتَ بالصَّلاةِ فارفعْ صَوتَكَ بالنِّداءِ».

تاسعًا: تربية الناشئة على استغلال الأوقات الفاضلة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"، وهذا توجيه تربوي للمخاطبين أن يشغلوا هذا الوقت بالدعاء والتوجه إلى الله عز وجل، وهذا إذا تكلمنا عنه من الناحية التربوية يكون تربية على استغلال الأوقات الفاضلة، والقيام بالواجب والمندوب فيها، وعلى ذلك يجب تنشئة الناشئة وتربيتهم، قال ابن القيم: "العارف لزم وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيعه لم يستدركه أبدًا... فوقت الإنسان عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمرّ أسرع من مرّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوبًا من حياته، وإن عاش فيه عاش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني

---

(١) نظام الإسلام العقيدة والعبادة ص ١٧٧.

الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته"[١].

"وعمر الإنسان المسلم في حياته عمران: العمر الحقيقي والعمر الإنتاجي، أما العمر الحقيقي فهو السنوات التي يعيشها الإنسان من ولادته حتى وفاته، إنه الكينونة المادية وما يحيط بها من ملابسات حدود الزمان والمكان، أما العمر الإنتاجي فهو مقدار ما حقق الإنسان من إنجازات وما كسب من حسنات، ويستطيع كل واحد منا أن يطيل عمريه الحقيقي والإنتاجي بفضل الله ثم بفضل عمله الصالح: ففي زيادة العمر الحقيقي ورد الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢].

وفي زيادة العمر الإنتاجي هناك مساحة كبيرة لهذه الزيادة، فهناك زيادة بالأخلاق الفاضلة مثل حسن الخلق والإحسان إلى الجار، وهناك زيادة بالأجور المضاعفة كالصلاة في الحرمين الشريفين، والمحافظة على الصلاة في المسجد وأداء النوافل، والمواظبة على صلاة الجمعة وآدابها، والعمرة في رمضان، وصيام أيام مخصوصة، وقيام ليلة القدر، والصدقة الجارية، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الناس الخير"[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) الداء والدواء ص ١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٠٦٧، ومسلم، ٢٥٥٧.

(٣) كيف تطيل عمرك الإنتاجي، محمد بن إبراهيم النعيم، نقلاً عن العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٢٢٩ - ٣٠٠ بتصرف. وانظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٥٤ - ٦٢.

١٨٧- باب فضل الصلوات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥].

الحديث رقم (١٠٤٣)

١٠٤٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)) قالوا: لا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: ((فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

درنه: وسخه[2].

الشرح الأدبي

أراد النبي ﷺ بهذا الحديث أن يوضح، ويقرر في الأذهان كيفية محو الله الخطايا بالصلوات الخمس فجاء باستفهام التقرير (هل يبقي من درنه شئ؟...) لقياس صورة معنوية هي صورة تطهير الصلوات الخمس لما يقع بينهن من الخطايا على صورة معهودة حسية، وهي صورة إنسان يغتسل في نهر خمس مرات ثم يلحق نتيجة الصلوات الخمس، وهي مغفرة الذنوب بنتيجة المغتسل خمس مرات إشارة إلى نقاء هذا المصلى من الخطايا كنقاء المغتسل. هذا ما أفاده التقرير بقياس صورة على صورة؛ لتوضيحها في الأذهان، وقد بدأ النبي ﷺ حديثه بهذا الاستفهام: (أر أيتم) الذي يتطلب جوابا، وهو

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧/٢٨٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥/٢.

بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى متعددة كالعذوبة، والصفاء والرقة، وحسبك أن المخاطبين لا يرون النهر في بيئتهم كيف يرون النهر؟ إنه جنة أخرى بالنسبة لهم، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم) أي واحد منكم، ثم يصور هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ثم يطرق أسماعهم بالاستفهام مرة أخرى (هل يبقي من درنه شيء؟....) مقررا بذلك حقيقة قد رسخت في أذهانهم، والإجابة سابقة، والاستفهام يقررها، ثم ينقل الصورة مختلطة بمشاعره ليضعها بإزاء الصلوات التي يمحو الله بهن الخطايا؛ وبذلك تبدو صورة ذلك المصلى من خلال صورة المغتسل، وتبدو الصلوات وهي الطهارة البدنية قالباً، وهي الطهارة المعنوية قلباً من خلال صورة نهر صاف عذب قريب، وينتج من بين الصورتين صورة مؤمن نقي طاهر القلب، والقالب كنهره الذي اغتسل فيه صافياً نقياً[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه

(لم يكن التمثيل والتشبيه مجرد عمل فني يقصد من ورائه الرفق البلاغي

---

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

فحسب، بل إن له غايات نفسية تربوية نتيجة لنبل المعنى، وسمو الغرض بالإضافة إلى الإعجاز البلاغي، وتأثير الأداء. ومن أهم هذه الأهداف التربوية: تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[١]، (وقد كان النبي ﷺ وهو الأسوة والقدوة يستعين بضرب المثل والتشبيه مما يشهده الناس بأم أعينهم، مما يقع تحت حسهم ومشاهدتهم، لينتقل بالناس في ضرب الأمثال من الصورة إلى الحقيقة)[٢]، وهذا ما ورد في الحديث من تشبيه ﷺ للصلوات الخمس في محو الخطايا بالنهر الجاري في إزالة الدرن عند الاغتسال منه خمس مرات في اليوم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على الصلوات الخمس في تكفير الذنوب:

هذا ما يظهر جلياً من نص الحديث في قوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا"، قال ابن حجر رحمه الله في بيان ذلك: (قال ابن العربي: "وجه التمثيل في الحديث أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته)[٣]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((الصَّلَاةُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا. مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ))[٤]. قال القاضي: (قد يكون مراده الصلاة بشروطها من الطهارة وغيرها)[٥]، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، قال فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٦]،

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٩٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢/١٥- ١٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٥.

(٦) سورة هود، الآية: ١١٤.

قال: فقال الرجل: إلى هذه؟ يا رسول الله! قال: "لمن عمل بها من أمتي"[١]، قال النووي: في قوله تعالى: "وزلفاً من الليل" هي: ساعته، ويدخل في صلاة طرفي النهار: الصبح والظهر والعصر، وفي زلفاً من الليل: المغرب والعشاء، وقال رحمه الله: (إن في الحديث تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات، واختلفوا في المراد بالحسنات هنا فنقل الثعلبي أن أكثر المفسرين على أنها الصلوات الخمس، واختاره ابن جرير وغيره من الأئمة)[٢]، وفي ذلك بيان على عظم فضل الصلوات الخمس في محو الذنوب والخطايا وضرورة المحافظة عليها.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

(الترغيب من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه والاستجابة له بعد أن اشتاقت نفس المدعو إلى ذلك)[٣]، فالمرء يحتاج دائماً إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة، وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب في القيام بذلك[٤]. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على الصلوات الخمس بقوله ﷺ: "فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا".

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٦، ومسلم ٢٧٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦١٦.

(٣) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣.

الحديث رقم (١٠٤٤)

١٠٤٤ - وعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ)) رواه مسلم[1].

(الغَمْرُ) بفتح الغين المعجمة: الكثير[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

غمر: كثيرٌ ماؤه، يغمر من دخله ويغطيه[3].

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بلفظ (مثل) وهي من المفردات الثرية فمادة الكلمة تعني، الشبه، والمساوي، والصورة والأفضل، والمثل: هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وهو بمثابة إشارة الانطلاق لخيال المخاطبين؛ ليرى كل منهم حاله لو أن نهراً ببابه، وإتيانه بكلمة (نهر) منكرة تشيع في النفس معانى متعددة كالعذوبة، والصفاء، والرقة، وكلمة (غمر) التي تشير إلى الكثرة التي تغمر المغتسل فتطهر كل أجزاء جسده، وهم الذين يكابدون المشاق من أجل القليل من ماء الآبار، وقبل أن يشرد خيال أحدهم فيستبعد وجود نهر في صحرائه يأتي النبي ﷺ بـ (باء) الإلصاق التي تفيد قرب هذا النهر، ويظل الأسلوب يرعي حالهم، ويعالج أفكارهم، وهم يقفون بخيالهم أمام نهر بالباب، لكن باب أي أمير؟ تأتي الإجابة في الأسلوب عجلى (بباب أحدكم)

---

(١) برقم (٦٦٨/٢٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧). تقدم برقم (٤٢٩).

(٢) بنصه في الترغيب (٣٠٩/١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ م ر).

أي واحد منكم، ثم يصور الفعل المضارع (يغتسل) هذه المتعة بأنه فارغ الجوارح يغتسل منه خمس مرات في اليوم ؛مع اطراد مع الزمان أفاده لفظ الشمول (كل) المضاف ليوم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٢٩).

الحديث رقم (١٠٤٥)

١٠٤٥ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أصَابَ مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأتَى النبيَّ ﷺ فَأخْبَرَهُ فَأنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هَذَا[1]؟ قَالَ: ((لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبين أثر الحسنة على السيئة، جاء في أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين تنبيهاً على عظمة الخبر، ولفتاً للعناية به، وتنكير كلمة رجل لعدم إرادة تعيينه ستراً عليه، والتعبير بالإصابة يؤكد تحقق الفعل، وإتيان الرجل النبي ﷺ دليل على عزمه التوبة، والربط بالفاء في قوله (فأتى - فأخبره) يدل على سرعة توبته، والفعل الماضي الدال على التحقق يؤكد صدق توبته، ومضاء عزيمته لذلك جاءت الآية الكريمة فرجاً من عند الله له، وللمؤمنين من بعده، بأن الحسنة تمحو السيئة، وقول الرجل (ألى هذا؟) استفهام على حقيقته، وقدم الجار، والمجرور للاختصاص أي لى وحدي دون الناس، فكانت الإجابة من الرسول ﷺ (لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ) يسبقها التوكيد على الشمول، ويحدوها فضلا من الله على عباده.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند البخاري زيادة: (يا رسول الله).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣/٣٩)، وتقدم برقم (٤٣٤).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٤٣٤).

الحديث رقم (١٠٤٦)

١٠٤٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله: (كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٤/٢٣٣). تقدم برقم (١٣٠)، وسيكرره المؤلف برقم (١١٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٠) مع اختلاف في اللفظ.

الحديث رقم (١٠٤٧)

١٠٤٧ - وعن عثمان بن عفان ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءها؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوب مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

ترجمة الراوي:

خشوعها: خشيتها وخضوعها لله تعالى[2].

كَفَّارةً: ساترةً وماحيةً[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يقرر فضل الصلوات الخمس، وأثرها على محو الخطايا وتطهير العبد وتلك رحمة عظيمة من رب العباد لعلمه بشدة العذاب المعد للعصاة فإن العبد إذا لقي الله، بذنوبه فعوقب عليها فإنه يذوق عذابا لم يذقه العالمين في الدنيا ولو بذنب واحد فإن عبدا من عباد الله غمس غمسة في النار فأقسم بالله لله أنه لم ير نعيما قط، وقد كان أنعم أهل الأرض كما ورد في الحديث[4] لذلك أراد الله رحمة بحبيبه المؤمن أن تكون توبته من قريب فكلما وقع ذنب طهرته صلاة فينام ساعة ينام طاهرا، ويقوم ساعة يقوم طاهرا فجعل له هذه الصلوات طُهرة سريعة وقد صاغ المعنى في أسلوب القصر الذي يؤكد المعنى، ويحصره حيث قصر حضور الصلاة على الصفة المذكورة

---

(١) برقم (٢٢٨/٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢/٥٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ش ع).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) ينظر صحيح مسلم حديث (٧٢٦٦).

على كونها كفارة للذنوب، وقوله (مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ) ما نافية ومن لاستغراق الجنس ولفظ (مسلم) نكرة في سياق النفي تفيد العموم، وبذلك يدخل الجميع تحت الحكم، والتعبير بالكتابة يفيد توكيد الوجوب، ويعين المقصود بالمفروضة، والتعبير بالفعل (يحسن) يشير إلى إتقان أعمال الصلاة بمتابعة الرسول ﷺ فيها الظاهر، والإخلاص لله تعالى في الباطن، والكفارة الستر، والخفاء، وقوله (ما لم تؤت كبيرة) احتراس يخرج الكبيرة من الحكم؛ لأنها تحتاج إلى التوبة حتى تغفر، والتعبير بالإتيان يشير إلى التكلف، والمشقة، وهو يناسب الكبيرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الوضوء:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها"، وقد حث النبي ﷺ على إحسان الوضوء فقال:«لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصلي صلاة، إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها»[1]، قال النووي مبينًا قوله ﷺ: "فيحسن الوضوء: " أى: يأتي به تامًا بكمال صفته وآدابه، وفي الحديث الحث على الاعتناء بتعليم آداب الوضوء وشروطه والعمل بذلك والاحتياط فيه والحرص على أن يتوضأ على وجه يصح عند جميع العلماء ولا يترخص بالاختلاف، فينبغي أن يحرص على التسمية والنية والمضمضة والاستنشاق والاستنثار واستيعاب مسح الرأس ومسح الأذنين ودلك الأعضاء والتتابع في الوضوء وترتيبه وغير ذلك من المختلف فيه وتحصيل ما ء طهور بالإجماع"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٤.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الخشوع في الصلاة وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها، وخشوعها... إلخ".

(والخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكون. قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[1]. أي سكنت، وذلت، وخضعت. ومنه وصف الأرض بالخشوع، وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري والنبات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾[2])[3].

وقال الراغب الأصفهاني: (الخشوع الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روى: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح)[4].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (الخشوع هيئة في النفس، يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع، وقال قتادة: الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة)[5].

قال ابن القيم: (والخشوع قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والجمعية عليه..، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب، وأجمع العارفون على أن الخشوع "محله القلب". وثمرته على الجوارح)[6].

(وقد علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس

---

(١) سورة طه، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٥٠/٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٨.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٠/٢.

(٦) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١٥١/٢.

من أهل الفلاح. ولو اعتد له بها ثوابًا لكان من المفلحين)[١].

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢].

وقد أكد ابن قدامة على أهمية الخشوع في كونه لب الصلاة وحياتها، فقال: (المعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة منها حضور القلب، ومعناه أن يفرغ القلب من غير ما هو ملابس له، وسبب ذلك الهمة، فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج لإحضاره إلا صرف الهمة إلى الصلاة، وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة، فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

المعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام، فإنه أمر وراء حضور القلب، لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها، فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها.

والمواد إما ظاهرة وهي: ما يشغل السمع والبصر، وإما باطنة وهي أشد، كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا، فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد، ولم يغنه غض البصر، لأن ما وقع في القلب كاف في الاشتغال به، وعلاج ذلك إن كان من المواد الظاهرة. بقطع ما يشغل السمع والبصر، وهو القرب من القبلة، والنظر إلى موضع سجوده، والاحتراز في الصلاة من المواضع المنقوشة، وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه، فإن النبي ﷺ لما صلى في "انبجانية"[٣]، لها أعلام نزعها وقال: ((إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي))[٤].

---

(١) المرجع السابق ٢/١٦٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٣) وهو كساء يُتّخذ من الصوف وله خمل ولا عَلَم له، وهى من أدْون الثياب الغليظة "وانبجانية" بكسر الباء ويروى بفتحها- يقال: كساء أنبجاني منسوب إلى منبج المدينة المعروفة (النهاية في (أ ن ب ج ا ن) وقال محقق منهاج القاصدين، وهي مدينة في شرق حلب، وفتحت في النسب. وقيل إلى موضع اسمه انبجان وراء النهر ص ٣٣.

(٤) أخرجه أحمد ٦/١٩٩، رقم ٢٥٦٣٥، وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين ٤٢/٤٢٦.

وإن كان من المواد الباطنة، فطريق علاجه أن يرد النفس قهرًا إلى ما يقرأ في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويستعد لذلك قبل الدخول في الصلاة، بأن يقضي أشغاله، ويجتهد في تفريغ قلبه، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدي الله عز وجل وهول المطلع، فإن لم تسكن الأفكار بذلك، فليعلم أنه إنما يتفكر فيما أهمه واشتهاه، فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق.

واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها إلا الدواء القوي، والعلة إذا قويت جاذبت المصلي وجاذبها إلى أن تنقضي الصلاة في المجاذبة، ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره، وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفي يده خشبة يطيرها بها، فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها، فقيل له، هذا شيء لا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع الشجرة. فكذلك شجرة الشهوة إذا علت وتفرعت أغصانها، انجذبت إليها الأفكار كانجذاب العصافير إلى الأشجار والذباب إلى الأقذار. فذهب العمر النفيس في دفع مالا يندفع، وسبب هذه الشهوة التي توجب هذه الأفكار حب الدنيا. قيل لعامر بن عبد قيس: هل تحدثك نفسك في شيء من أمور الدنيا في الصلاة؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ أحب إليَّ من أن أجد هذا.

واعلم أن قطع حب الدنيا عن القلب أمر صعب، وزواله بالكلية عزيز، فليقع الاجتهاد في الممكن منه، والله الموفق المعين.

الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد في شيئين: معرفة جلال الله تعالى وعظمته. ومعرفة حقارة النفس وأنها مستبعدة، فيتولد من المعرفتين: الاستكانة والخشوع.

ومن ذلك الرجاء: فإنه زائد على الخوف، فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره.

والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب. وينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن فليمثل النداء للقيامة ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر. وإذا ستر عورته، فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه وفضائح

سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم، والحياء، والخوف.

وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

وإذا كبَّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبك لسانك، إلا إذا كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت. فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي لجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوًا، وتفهم معنى ما تتلو، واحضر التفهم بقلبك عند قولك: الحمد لله رب العالمين، واستحضر لطفه عند قولك: الرحمن الرحيم، وعظمته عند قولك: مالك يوم الدين، وكذلك في جميع ما تتلو.

وقد روينا عن زرارة بن أبي أوفى أنه قرأ في صلاته: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾[1]، فخر ميتًا، وما ذاك إلا لأنه صور تلك الحال فأثرت عنده التلف.

واستشعر في ركوعك التواضع، وفي سجودك زيادة الذل، لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه، وتفهم معنى الأذكار بالذوق.

واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره وما يعلقها إلا العالمون.

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطلع على شيء من ذلك بل ينكر وجوده)[2].

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٨.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ٣٢- ٣٥.

ومن أجل ذلك رهب النبي ﷺ من عدم الخشوع ورغب في إتيانه، فقال في ترهيبه «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها»[١].

قال صاحب عون المعبود (وقوله ﷺ: "إن الرجل لينصرف": أي من صلاته: "وما كتب له إلا عُشر صلاته": أي عشر ثوابها لما أخلَّ في الأركان والشرائط والخشوع والخضوع وغير ذلك)[٢].

أما ترغيبه ﷺ في الحفاظ على الخشوع في الصلاة، فهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: «مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[٣].

قال النووي: (معناه: أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر...، وقال القاضي عياض: هذا المذكور في الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة، وأن الكبائر إنما تكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله، وقوله ﷺ: "وذلك الدهر كله" أي: ذلك مستمر في جميع الأزمان)[٤].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل الخشوع في الصلاة في أنه سبب في دخول الجنة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الأَبِلِ. فَجَاءَتْ نَوْبَتِي. فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ. فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ. فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ. ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ. إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٧٩٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧١٤).

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف الحق بن العظيم آبادي، ٣٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٥٥.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٣٤.

وقد ضرب لنا السلف الصالح رضي الله عنهم أروع الأمثلة في تجسيد الخشوع في الصلاة، وليس أدل على ذلك من أن: (ابن الزبير رضي الله عنه إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فتنزل العصافير على ظهره لا تحسبه إلا جذع حائط، وصلى يومًا في "الحجر"[1]، فجاء: "حجر قدامة"[2]، فذهب ببعض ثوبه فما انفتل.

وقال ميمون بن مهران رضي الله عنه: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتًا في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمها، وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت، وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما إذا توضأ اصفر لونه، فقيل له: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فقال: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)[3].

وفي ذلك قال الشاعر:

ألاَ في الصلاة الخيرُ والفضل أجمعُ ... لأن بها الآراب لله تخضعُ
وأوّل فرضٍ من شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى إذا الدِّين يُرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبدٍ بابَ مولاه يَقْرَعُ
وصار لربّ العرش حين صلاتِه ... نَجيًّا فيَا طُوباه لو كان يخشع[4]

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

هذا مما يستفاد من الحديث في إرشاده ﷺ وحرصه على تحصيل النفع لأمته في تكفير الذنوب وذلك بإحسان الوضوء والخشوع في الصلاة، ((فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، وإذا كان هذا مطلب عامة المسلمين لا يسعهم إلا ذلك. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا

---

(١) اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ر).

(٢) قال محقق مختصر منهاج القاصدين، وهي المنجنيق.

(٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، ٣١.

(٤) أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، ٨/١٥، ٩.

أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١]، فهو في حق الدعاة ألزم وأوجب، ذلك أن الدعاة إنما يدعون إلى هدى النبي ﷺ ومنهجه، وطريقته وهديه هو سبيل النجاة من كل شر، والفوز بكل خير وبر))[٢].

وقد حث النبي ﷺ على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم، فقال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٣]، فعلى الداعية أن يحرص على إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم لما في ذلك من عظيم الأجر والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) صفات الدعاة، عبدالرب نواب الدين، ٥٨- ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: المهارة في افتتاح الظروف المناسبة للتعليم:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟»، فقد جذب النبي ﷺ انتباه أصحابه رضي الله عنهم عن طريق هذا السؤال، ومن ثم يكونون واعين لما يعلمهم رسول الله ﷺ إياه، وفي هذا توجيه للقائمين على التربية لأهمية تخير الوقت وافتتاح الظروف المناسبة للتحدث عن موضوع ما، بأن يلفت انتباه الطلاب إلى أمور معينة لإثارة اهتمامهم وشوقهم إليها، فيسألون فيجاب على أسئلتهم، وإذا لم تصدر عن الطلبة أسئلة يمكن أن يستغلها المربي ليفتح نافذة يوسع بواسطتها مداركهم ومعارفهم، فللمربي أن يطرح عليهم بعض الأسئلة التي توقظ هممهم وتدعوهم للتفكير وتقليب النظر، كما له أن يطرح عليهم أسئلة لاختبار قدرتهم على الفهم والتحليل في نطاق ما هو مفيد، حتى إذا عجزوا عن الجواب تولى هو إفادتهم. وأسوتنا في هذا سيد البشر ﷺ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أَن يَعْبُدَ اللّهُ وَلاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»[1]. قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ؟» فَقَالَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ». فالرسول ﷺ قام بإثارة معاذ للتعلم بطرح سؤال فيما يريد أن يلقى إليه، والمتعلم إذا استفهم ولم يكن لهم علم بما يلقى إليه، يصغى إذ ذاك لما يقال ويأخذ بأهبته، فيكون أسرع في التعلم وأحدّ في الذهن"[2].

ثانيًا: تربية الناشئة على الاعتراف بالأخطاء والسعي إلى التوبة منها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود رضي الله عنه «أَنَّ رجُلاً أصابَ مِن امرأةٍ قُبلةً، فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبرَهُ»، ليجد مخرجًا إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى والتكفير عما بدر منه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٧٣٧٣، ومسلم ٣٠.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠١، ٢٠٢، ومراجعه ومصادره.

وعلى هذا يربي الناشئة ويعودون إذا وقع منهم الخطأ اعترفوا به وتابوا منه وأنابوا إلى ربهم ولم يستمروا عليه. يقول أبو الحسن الندوي: "الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها وكان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية، حتى إذا جمحت السورة البهيمية في حين من الأحيان وسقط الإنسان سقطة، وكان ذلك حيث لا تراقبه عين ولا تتناوله يد القانون، تحوّل هذا الإيمان نفسًا لوّامة عنيفة، ووخزًا لازعًا للضمير، وخيالاً مروعًا لا يرتاح معه صاحبه حتى يعترف بذنبه أمام القانون. ويعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئنًا مرتاحًا، تفاديًا من سخط الله وعقوبة الآخرة" [(١)].

وينبغي للمربي ألا يقنط المخطئ أو من اقترف ذنبًا من رحمة الله تعالى، بل يفتح أمامه أبواب التوبة ويرهبه ويرغبه حتى لا يجترأ على المعاصي أو يقنط من رحمة الله، فيجب على المربي أن يراوح في أساليبه التربوية.

ثالثًا: التربية على عدم الاقتراب من دائرة الكبائر:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» وقوله ﷺ: «إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا من الذنوب. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ».

فقد بيّن ﷺ أن هذه العبادات تكفّر الصغائر من الذنوب، أما الكبائر فلا تكفرها وإنما تكفرها التوبة إلى الله[(٢)]، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[(٣)]، قال الطاهر بن عاشور:

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ١٣٠، ١٣١ نقلاً عن التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٦٣، ٦٤.

(٢) انظر: الداء والدواء، لابن القيم ص ٢٢٤، وجامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٤٧/١.

(٣) سورة النساء، آية: ٣١.

"وقد دلت إضافة "كبائر" إلى "ما تنهون عنه" على أن المنهيات قسمان: كبائر ودونها، وهي التي تسمى الصغائر... ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبًا شديدًا، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترافها، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقض حكم القاض المتلبس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها، ومنها تغيير المنكر على المتلبس بها"[١]. وقد خلق الله سبحانه وتعالى النفس البشرية بطبيعة مزدوجة، فهي في تجاذب بين قطبين: قطب إلهي نوراني يوجهها ويجذبها نحو الخير والصلاح والسمو والإيمان، وقطب شيطاني مظلم يوجهها ويجذبها ويسحبها نحو الشرّ والفساد والانحطاط والكفر، والإنسان العاقل العارف بمصلحته هو الذي يدرك هذه الطبيعة ويعمل جاهدًا للاتجاه نحو القطب النوراني، والابتعاد عن القطب المظلم وما قرب إليه"[٢].

رابعًا: تربية الناشئة على تحسين العمل وتجويده:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». قال ابن رجب: "إن أحاديث التكفير المطلقة بالأعمال جاءت مفيدة بتحسين العمل، كما ورد ذلك في الوضوء، والصلاة"[٣].

"فالمؤمن لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهمه أن يجوده ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه لشعوره العميق واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في أي حال من أحواله... وشعور المؤمن في كل عمل من الأعمال لا في العبادة وحدها أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار المؤمن دائمًا في أدائه لعمله: إني أرضي ربي،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦/٥، ٢٧.

(٢) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٣٥٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٤٤٧/١.

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة... وهناك خُلُقَان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال"[1].

إن التربية الإسلامية تعمل على تنمية روح الجدّ والاجتهاد والإتقان للأعمال سواء كانت متعلقة بالعبادات أم بالأعمال الدنيوية التي يمارسها المسلم؛ لأن التربية الجادة تثمر ثمارًا طيبة في حياة الإنسان، وتؤدي إلى زرع الثقة بين الناس، وإن من أبرز أسباب فقدان الثقة بين الناس في عالمنا المعاصر، عدم الإخلاص في الأعمال وعدم إتقانها والغش والخداع إلى غير ذلك من الأنماط السلوكية التي ترفضها التربية الإسلامية.

❁ ❁ ❁

(١) الإيمان والحياة ص ٢٥٦.

١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر

الحديث رقم (١٠٤٨)

١٠٤٨- عن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[(١)].

(البَرْدَانِ): الصُّبْحُ والعَصْرُ[(٢)].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ يرغب في صلاة البردين وهما الصبح والعصر وسميا البردين، لأنهما يصليان في بردي النهار أي طرفيه حين يطيب الهواء وتذهب شدة الحر، وهما أول صلوات النهار، وهو الصبح، وآخر صلاة فيه، وهي العصر، ولهما خصيصة، وهي أنهما تحيطان حركة الإنسان الدائبة في وقت السعي بالنهار فتمحوان خطاياه ثم إنهما في وقت نوم يحتاج الإنسان لأدائهما إلى مزيد مجاهدة لنفسه، وشيطانه، وقد جعل الرسول ﷺ جزاء المحافظة عليهما الجنة والتعبير بالماضي يفيد تحقق الدخول، والتعبير بالجنة يوحي بكل محبوب للنفس حتى تخف النفس إلى هاتين الصلاتين، وإن كانت مأمورة بذلك في كل الصلوات إلا أن هاتين الصلاتين خصتا بالذكر، والتأكيد لفضلهما باجتماع ملائكة الليل، وملائكة النهار فيها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾[الإسراء: ٧٨]. كما أنهما من أكثر الصلوات التي تضيع على الناس بالنوم في وقتهما فاحتاجت إلى مزيد ترغيب في الحفاظ عليهما.

المضامين الدعوية[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥/٢١٥)، وتقدم برقم (١٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤١).

(٢) بنصه في الترغيب (٣٦٤/١).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٣٢).

الحديث رقم (١٠٤٩)

١٠٤٩- وعن أَبي زهير عُمارة بن رُؤَيْبَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((لَنْ يَلِجَ النَّارَ أحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عُمارة بن رُؤَيْبَة الثقفي: هو عمارة بن رُؤَيبة الثقفي من بني جُشَم بن ثقيف، كنيته: أبو زهير.

روى عنه ابنه أبوبكر بن عُمارة وأبو إسحاق السبيعي وعبدالملك بن عُمير، وحُصين ابن عبدالرحمن.

وكان يدافع عن السنة، فإذا رأى ما يخالفها، أعلن الناس أن سنة رسول الله ﷺ كذا، فقد رأى بشر بن مروان يخطب الجمعة فلما دعا رفع يديه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة وما يقول [أي يشير] إلا هكذا وأشار بإصبعه السبابة[2].

وليس له في صحيح مسلم إلا حديثان: الحديث السابق وهذا الحديث المذكور في الرياض.

نزل العراق فسكن الكوفة[3].

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل[4].

---

(١) برقم (٦٣٤/٢١٣). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٧٤).

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٢٠، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٤٦، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٢٥/٥)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٠٩/٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ج).

الشرح الأدبي

هذا الحديث مؤكد لمضمون سابقه، وهو فضل المحافظة علي صلاتي العصر، والصبح مع بعض الاختلاف في الأسلوب من أن الحديث السابق رغب في الصلاتين بالوعد بالجنة، ويشمل ضمنا الوعد بالنجاة من النار، وفي هذا الحديث يرغب فيهما عن طريق الوعد بالنجاة من النار، ويتضمن البشارة بالجنة لأن من نجا من النار دخل الجنة فمعنى الحديثين مؤكد لبعضهما، والتعبير عن هاتين الصلاتين في هذا الحديث بقوله (قبل طلوع الشمس) كناية عن صلاة الفجر، وقوله (وقبل غروبها) كناية عن صلاة العصر، وعبر في الحديث عنهما بقوله (البردين) كناية عن طرفي النهار، والتعبير بالولوج المنفي للنار يدخل على النفس من أحد جانبي التأثير فيها، وهو جانب الترهيب المحجوب بالمحافظة على هاتين الصلاتين، كما دخل عليها بجانب الترغيب في الجنة بأداء الصلاتين، والمحافظة عليهما في الحديث السابق، وحاصل الحديثين أن من صلى هاتين الصلاتين دخل الجنة، ونجا من النار، وهو الفوز الأعظم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاتي الفجر والعصر:

جاء في الحديث بيان فضل صلاتي الفجر والعصر وعظم منزلتهما وأنهما منجاة للإنسان من عذاب الله تعالى، فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» أي لن يدخل النار أحد صلى الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. قال السندي: (لا يحسن حملها على نفي التأبيد أي لا يدخل على الدوام، لأن نفي الدوام يكفي فيه الإيمان فلابد من حملها على نفي أصل الدخول، وحينئذ فالأقرب أن يراد بقوله: صلى قبل طلوع الشمس ... إلخ" أي داوم على الصلاة قبل طلوع الشمس فلعل المداوم عليهما

لا يدخل النار أصلاً، إذ لم يعلم أن أحدًا من المداومين يدخل النار كما لا يخفى)[١].

وفي ذلك انتفاء دخول النار وجاء في حديث آخر "من صلى البردين دخل الجنة"[٢]، وفي ذلك إثبات دخول الجنة، فيكون في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر إبعاد عن النار ودخول للجنة، فيكون هذا كقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٣]، [٤]، أي من جُنِّب النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز[٥]، وإنما خص صلاتي الفجر والعصر لأن صلاة الصبح تكون عند النوم ولذته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمات أعمال النهار وتجارته، ففي صلاة هاتين الصلاتين مع ذلك دليل على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانها ببقية الصلوات الخمس، وأنها إذا حافظت عليهما كانت أشد محافظة على غيرهما[٦].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر بالنجاة من النار فقال ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، في المدعو على الاستجابة للحق والثبات عليه وهناك شواهد كثيرة لاستخدام النبي ﷺ لأسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم

---

(١) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢٦٦/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٤، ومسلم ٢١٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٢٩٠/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٨/٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٣٩.

القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف[١]، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على الصلاة ببيان ثواب ذلك ، وحذر من التفريط فيها ببيان عقابه[٢].

إن أسلوب الترغيب من أبرز الأساليب استخدامًا وشيوعًا في عرض الدعوة، والترغيب يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة بالرضا والقرب منه سبحانه وتعالى، ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

وتتجلى أهمية الترغيب في موافقته وملائمته لطبيعة الإنسان، إذ أن الإنسان لما كان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقربه عينه وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه[٣].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[٤].

ينقل الحافظ ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال أما أبعد فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا

---

(١) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح١١/١٤٢.

(٢) ركائز الدعوة الإسلامية، د. فضل إلهي ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديملي، ٥٤٣/١.

وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] [2].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الحفاظ على الصلوات خاصة صلاتي الفجر والعصر:

من الأمور الواجبة على المسلم المحافظة على الصلوات جميعها خاصة صلاتي الفجر والعصر، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[3]، وقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[4]، وكما جاء في الحديث: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعني الفجر والعصر، فإن المدعو مطالب بأن يكف عن المعصية ويخرج من ذلها وإثمها ليستمتع بعز الطاعة وعظيم أجرها عند الله، ومطالب بأن يستمر على طاعته وأن يستزيد منها ومن فعل الخير[5]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[6].

إن للصلاة منزلة كبرى في الإسلام لا تعد لها أية عبادة أخرى فالصلاة عماد الدين الذي لا يقوم إلا له.

جاء في القرآن: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[7].

وهي أول عبادة فرضت على المسلمين، وقد فرضت في مكة قبل الهجرة بنحو سنة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٣/٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٥، ١٦.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

ونصف سنة وفرضت وحدها في السماء ليلة الإسراء والمعراج بمخاطبة الرسول ﷺ بفرضية الصلاة.

ولقد جاء الحث على أداء الصلاة على ألسنة جميع الرسل والأنبياء لمالها من الأثر العظيم في تهذيب النفوس والقربى إلى الله، والصلاة لم تخل منها شريعة من الشرائع لأنها من مستلزمات الإيمان.

قال تعالى على لسان إبراهيم داعيًا ربه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾[1]، وينوه الله بشأن إسماعيل عليه السلام فيقول: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[2].

وقال الله مخاطبًا لموسى عليه السلام ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3]. وتنادي الملائكة مريم فيما يقصه علينا القرآن: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]. وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله فيقول كما جاء في القرآن: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[5]، ويأخذ الله الميثاق على بني إسرائيل فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[6]، وقال الله مخاطبًا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٤٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٥) سورة مريم، الآية: ٣١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٨٣.

رسول الله ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]، وفي هذه الآية يحث الله الرسول ﷺ وسائر المؤمنين أن يأمروا أهليهم بالصلاة ويداوموا عليها، كما أن في الآية إشعارًا بأن الصلاة سبب لإدرار الرزق[2].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤ - ٢٧.

الحديث رقم (١٠٥٠)

١٠٥٠- وعن جُنْدُبِ بن سفيان رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لاَ يَطْلُبَنَّكَ اللهُ[1] مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جُنْدُب بن عبدالله بن سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

الشرح الأدبي

البداية بالموصول، وصلته التي تدل على العموم من وسائل إعطاء المعنى صلاحية عبر الزمان، والمكان ليوافق التوجيه كل من كانت هذه حاله، وقوله (من صلى الصبح..) الفعل الماضي يؤكد التحقق، وذكر الصبح من بين الأوقات الخمسة ؛لأنه بداية النهار، وذكر الضمير للاختصاص، وذمة الله عهده، وأمانه، والتعبير ب (في) التي تفيد الظرفية للإشارة إلى تمكن، وإحاطة هذا العهد به من كل مكان كتمكن الظرف في المظروف، وقوله (فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ) أمر بمعنى اعتبر واتعظ، وتفكر (لا يَطْلُبَنَّك اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيءٍ) نهي مؤكد بنون التوكيد بمعنى التحذير، وهو نهي عام أخذ عمومه من النداء العام الشامل للجنس البشري بعده (يا ابن آدم)، ، وقد جاء لغرض التحذير، والتهديد، وكون لفظ الجلالة (الله) مسنداً إليه يزيد من الترهيب، والباء في قوله: (بشيء) للسببية أي بسبب شيء، وتنكير شيء للتقليل، أي مهما كان قليلاً، والحديث يتضمن تحذيرا من التعرض لمن صلى هذا الوقت، وحافظ عليه كما يتضمن الترغيب في المحافظة عليه؛ لأنه صار بهذا المعنى حافظا للإنسان فحفاظه عليه حفاظ على نفسه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ مسلم: (لا يطلبنكم الله)، والمثبت لفظ أحمد في المسند (١٨٨١٤).

(٢) برقم (٦٥٧/٢٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٤٤)، وقد تقدم برقم (٢٣٢).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث (٢٣٢).

الحديث رقم (١٠٥١)

١٠٥١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ (الصُّبْحِ)[1] وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ -وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتعاقبون: أي: تأتي طائفة عقب طائفة، ثم تعود الأولى عقب الثانية[3].

يعرج: يصعدون إلى السماء[4].

الشرح الأدبي

قوله ﷺ (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ) يصور الفعل المضارع حركة الملائكة الدائمة الدائبة التي تنبه الإنسان إلى أنه لا يخلو لحظة واحدة من رقابة الله تعالى، ومن مظاهر المراقبة تلك المخلوقات النورانية التي يخجل المؤمن من رؤيتهم له على المعصية، وقبل ذلك من رؤية الله له، فيحرص على أن يكون من الطائعين، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى استغراق التعاقب للزمن حتى لا تأتي عليه فترة مهما قلت دون رقابة، وحفظ، والفعل (وَيجْتَمِعُونَ) بصياغته في المضارع، ودلالته يصور الاحتشاد حتى تسلم طائفة عملها بحفظ الإنسان لطائفة تشعر الإنسان

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: (الفجر) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ج).

بأنه ذو قيمة عند الله تعالى والفعل (يعرج) يصور حركة الملائكة صعودا في السماء وقوله (- وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ) احتراس ينزه الله تعالى عن الجهل بحال خلقه، وقوله (كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟) وهذه الاستفهامة الجليلة من الله تحمل مع الإخبار، والإشادة بفضل بني آدم، وتنبيه الملائكة لخطأ ظنهم وتذكيرهم بسابق قولهم تحمل مع ذلك: حبا عظيما أشاعته مباهاة الله ببني آدم الملائكة، ولخصته هذه الاستفهامة - دون أن تحده - تكريما أي تكريم لهذا الجمع الطاهر، وإجابتهم (تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَآتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ) ختام بصلاح، وبداية بصلاح تضمن مغفرة ما بينهما، وهو ما يقرر فضل الصلاة، والحديث ينوه بفضل المصلين، ويشيد بهم.

فقه الحديث

المراد بالملائكة المتعاقبة: هل الملائكة هم الحفظة أم غيرهم حكي عن الجمهور أنهم الحفظة، والأظهر أنهم غير الحفظة. وأفضلية صلاة الصبح والعصر باجتماع الملائكة فيهما[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان لطف الله بعباده المؤمنين بتعاقب الملائكة فيهم:

جاء في الحديث تبيين وجهٍ من أوجه لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وذلك بتعاقب الملائكة فيهم في صلاتي الصبح والعصر، فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بهم- كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون". قال القاضي عياض: (قوله: "يجتمعون في صلاة الفجر والعصر"

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٢/٣٠٥.

لطف من الله تعالى بعبادة المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماعهم عندهم وورودهم عليهم ومفارقهم لهم في أوقات عباداتهم ليكون شهادتهم لهم بأحسن الشهادة وثناؤهم عليهم أطيب ثناء، وتبين في هذا الحديث أن الاجتماع في وقتين واختصاصهم بالشهادة لهم بالصلاة التي وجدوهم عليها من دون سائر أعمال الإيمان دليل على فضل الصلاة على سائر الأعمال والقُرَب)[١].

قال ابن حجر: قيل الحكمة فيه استدعاء شهادتهم لبني آدم بالخير، واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم، وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، أى قد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم[٣]، وقال ابن علان: اجتماعهم فيهما من لطف الله تعالى بالمؤمنين وتكرمته لهم، إذ جعل اجتماع الملائكة عليهم ومفارقتهم لهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعتهم ربهم، فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير[٤].

وقد ذكر العلماء بعض الفوائد والعطايا الإلهية من وراء اجتماع الملائكة في صلاتي الصبح والعصر، منها ما ذكره الإمام ابن حجر في قوله (ويستفاد منه أن الصلاة أعلى العبادات لأنه عنها وقع السؤال والجواب، وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان من الملائكة، وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد ورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله.

ويترتب على ذلك حكمة الأمر بالمحافظة على صلاتي الصبح والعصر والاهتمام

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٩٩/٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤٤/٢، ٤٥.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٤٠.

بهما، وفيه تشريف هذه الأمة على غيرها، ويستلزم تشريف نبيها على غيره، وفيه الإخبار بالغيوب، ويترتب عليه زيادة الإيمان، وفيه الإخبار بما نحن فيه من ضبط أحوالنا حتى نتيقظ ونتحفظ في الأوامر والنواهي ونفرح في هذه الأوقات بقدوم رسل ربنا وسؤال ربنا عنا، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبا ونتقرب إلى الله بذلك، وفيه كلام الله تعالى مع ملائكته، وغير ذلك من الفوائد والله أعلم[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، لاجتماع الملائكة فيهما وشهادتهم بالخير للمصلين فقال ﷺ: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر..."، وفي ذلك ترغيب في المحافظة على أداء الصلوات ولاسيما صلاتي الفجر والعصر، وبيان مدى فضل الله عز وجل على عباده المؤمنين باجتماع الملائكة في صلاة الفجر والعصر، "وهذا من خفي لطفه تبارك وتعالى وجميل ستره إذ أطلعهم بكرمه عليهم حال عباداتهم، ولم يطلعوا عليهم ولا جمعهم لهم في حال خلواتهم بلذاتهم، وانهماكهم في معاصيهم وشهواتهم، فسبحانه من حليم كريم جليل، إذ ستر القبيح وأظهر الجميل"[2].

وأسلوب الترغيب من الأساليب المفيدة لما فيهما من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن والسنة مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة، وذلك مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[3].

ثالثًا- من فقه الداعية: تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلاة:

من فقه الداعية تحفيز المدعوين على فعل الخيرات والتي من أهمها المواظبة على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، ٢/٢٦١.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الصلاة فبها تزكو النفوس وتطهر القلوب، وذلك أساس النجاح وسبب الفوز والفلاح[١].

والصلاة هي التي تمد الجماعة الإنسانية بالقوى الروحية التي لابد منها لصلاح المجتمع[٢]، وإن تحفيز المدعوين وحثهم على الخير والمواظبة على الصلاة له تأثير كبير وفعَّال، وذلك يلاحظ فيمن تربوا على يدي الرسول ﷺ ثم على يدي صحابته والتابعين ومن تلاهم.

لذا ينبغي على الداعية تحفيز المدعوين وحثهم على المواظبة على الصلوات وبيان فضلها وفوائدها، وقد جاءت آيات القرآن وتواترت أحاديث السنة في بيان فضل الصلاة وكثرة ثوابها.

فمن فضائلها أنها أعظم عبادة يحصل فيها الخضوع والذل لله وامتلاء القلب من الإيمان به وتعظيمه، وذلك مادة سعادة القلب الأبدية ونعيمه ولا يمكن تغذيته بمثل الصلاة أعظم غذاء وسقي لشجرة الإيمان، فالصلاة تثبت الإيمان وتنميه، وتنمي ما يثمره الإيمان من فعل الخير والرغبة فيه، وكذلك تنهي عن الشر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]، فأخبر أن فيها الغذاء بذكر الله والشفاء بنهيها عن الفحشاء والمنكر، وأي شيء أعظم من هذا وأجل وأكمل؟

ومن فضائلها أنها أكبر عون للعبد على مصالح دينه ودنياه، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤]، أي على كل الأمور، أما عونها على المصالح الدينية فإن العبد إذا داوم على الصلاة وحافظ عليها قويت رغبته في فعل الخيرات وسهلت عليه الطاعات وبذل الإحسان بطمأنينة نفس واحتساب ورجاء للثواب، وتذهب أو تضعف

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٦٨.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٤٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

داعيته للمعاصي، وهذا أمر محسوس مشاهد، فإنك لا تجد محافظًا على الصلاة فروضها ونوافلها، إلا وجدت تأثير ذلك في بقية أعماله، ولهذا كانت الصلاة عنوانًا على الفلاح؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[1]، والمراد عمارتها بالصلاة والقربات.

وأما عونها على المصالح الدنيوية فإنها تهون المشاق وتسلي علن المصائب ويجازي الله صاحبها بتيسير أموره، ويبارك له في ماله وأعماله وجميع ما يتصل به ويباشره.

ومن فضائلها أن من أكملها وأتقنها فقد فاز وسعد، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك»[2].

وللصلاة خمس فوائد كل واحدة خير من الدنيا وما عليها، تكميل الإسلام التي هي أكبر أركانه، وتكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفعة الدرجات، وزيادة القرب من رب السماوات، وزيادة الإيمان في القلب ونوره، وقد شرع الشارع الاجتماع لأحكامها، فإن العالم ينبه الجاهل، والجاهل يتعلم بالقول والفعل من العالم ويقتدي الناس بعضهم ببعض، وكذلك ما في الاجتماع من التواد والتواصل بين المسلمين وعدم التقاطع وما في ذلك من معرفة حال المصلين والمحافظين على الصلاة والمتهاونين، ومضاعفة الأجر بالاجتماع، وكثرة الخطا إلى المساجد وما يتبع ذلك من قراءة وذكر وعبادات تفعل في المساجد بأسباب الصلوات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه أبو داود، ٨٦٤، والترمذي، ٤١٣، وابن ماجه، ١٤٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٧٧٠، ٧٧١).

الحديث رقم (١٠٥٢)

١٠٥٢- وعن جرير بن عبد الله البَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: ((فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ)).

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

لا تضامون: لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم[3].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ وضوح رؤية الله يوم القيامة بوضوح رؤية القمر لا يمنع منهما مانع تشخيص لهذه الرؤية يقررها، ويؤكدها في الأذهان، وينفي عنها كل شك. وهذا التشخيص يرتبط بالدلالة الإيحائية للألفاظ، والعبارات، والتي تتصدرها أساليب التوكيد التي تمهد النفس لسماع الخبر العظيم، والفعل المضارع المتصل بالسين الدالة على المستقبل القريب (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ) وذكر لفظ الرب الذي يوحي بالرعاية، والتربية، والحفظ، وإضافته لكاف الخطاب، وميم الجمع الذي يشعر المخاطبين بالقرب، والمحبة، ويجمعهم تحت مظلة الربوبية لا يتخلف منهم أحد، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث الذي يفتح له الباب للتمسك بما يوجب له هذه الرؤية العظيمة عن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣/٢١١) ولفظهما سواء. وسيكرره المؤلف برقم (١٨٩٧).

(٢) أخرجها البخاري (٤٨٥١).

(٣) النهاية في (ض ي م).

طريق المحافظة على صلاتين غلب كثير من الناس النوم، والانشغال بأمور الحياة عنهما وقد كنى عنهما بذكر وقتهما (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) والذي جاء في صورة طباق يشير إلى أنهما يمثلان مفتتح النهار، وختامه بالعمل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

رابعًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مجالسة النبي ﷺ:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على القرب من رسول الله ﷺ ومجالسته ﷺ، وفي الحديث ما يدل على ذلك، فقال جرير بن عبدالله البجلي: "كنا عند النبي ﷺ فكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على حضور مجالس رسول الله ﷺ حرصًا شديدًا إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها، وقد يعسر على بعضهم الحضور فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام [(١)]، كما كان يفعل ذلك عمر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ يومًا بعد يوم..."[(٢)].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في مصاحبة النبي ﷺ ومجالسته والقرب منه، وكان أشد ما يفزعهم غياب رسول الله ﷺ عنهم، جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا[(٣)]. وَفَزِعْنَا

---

(١) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٥٩، ٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٨٩.

(٣) أي يصاب بمكروه من عدو، إما بأسر، وإما بغيره، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٢.

فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ "وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ" فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ "وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ" قَالَ اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ...»[1].

وكانت هذه الصحبة لها أكبر الأثر في حياة الصحابة رضي الله عنهم وتبوئهم المنازل العليا والدرجات الرفيعة، ومن الأمثلة البارزة في ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، أنعم الله عليه بأن صحب النبي ﷺ في سنوات ثرية بالتشريعات والأحكام فأقبل برغبة عظيمة على العلم، وتفرغ للصحبة النبوية فصار من النبلاء وصار من أبرز من رووا الأحاديث عن النبي ﷺ[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من دلالة على "تيقن الداعي من دعوته وتمكنه منها مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في الكثير من آياته وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3].

إن التوكيد له أكبر الأثر في تأكيد ما يلقى على المخاطب ووصوله إلى درجة اليقين وزوال ما قد يرد على خاطره من شك أو يأتي في ذهنه من تردد.

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) انظر: علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٢٨٩.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

وللمخاطب ثلاث حالات:

أ- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقي إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد ويسمى هذا الضرب من الخبر ابتدائيًا.

ب- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه ويسمى هذا الضرب طلبيًا.

ج- أن يكون منكرًا له وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا ويسمى هذا الضرب إنكاريًا"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة:

جاء التصريح في الحديث برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وذلك في قوله: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" وهذا الحديث فيه إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذا الحديث من النصوص التي تدل على أمرين: أولهما: علوه تعالى على خلقه لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم. ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم.

وقوله: "كما ترون القمر ليلة البدر" المراد تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئى بالمرئى، يعني أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهو كونه بدرًا ولا يحجبه سحاب، قال ابن تيمية عن أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم[2].

وقد جاءت آيات قرآنية وأحاديث نبوية تثبت رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة،

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم، مصطفى أمين ص ١٨٨.

(٢) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد خليل هراس ص ٢١٥، ٢١٦.

منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[١]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٢].

وقد صح عن النبي ﷺ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قَالَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ. فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» وفي رواية: ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٣].

ويشهد لذلك أيضًا قوله تعالى في حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٤]، فدل حجب هؤلاء على أن أوليائه يرونه، قال الإمام ابن أبي العز الدمشقي: وأما استدلال المعتزلة بقوله: ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾[٥]، وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[٦]، فالآيتان دليل عليهم.

أما الآية الأولى، فالاستدلال منها على ثبوت رؤية من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٧) سورة هود، الآية: ٤٦.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، ولا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئى، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر، فظنه رجل طعامًا، فقال أطعمنيه، فالجواب الصحيح: إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾[1]. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم سواء.

ومع السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[2]. فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وأما دعواهم تأييد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام نفي الرؤية في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[3]، مع قوله: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[١] ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها وقد جاء ذلك، قال تعالى ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾[٢]، فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٣]، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾[٤]، فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الشعراء، الآيتان: ٦١، ٦٢.

وبدونه، فالرب تعالى يُرَى ولا يُدْرك، كما يُعلم ولا يُحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية:. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

وليس تشبه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهًا لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابرًا لعقله، أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفي العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حدق الرائي البصر في شعاعها، ضعف رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، بأنه لا يراك حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[2]، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلو أنزلنا إليه ملكًا، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشتبه عليهم: هل هو بشر أو ملك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا[3].

رابعًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على الفوز في الآخرة والمحافظة على الصلوات:

إن ما جاء في الحديث من حث على التعلق بأسباب الفوز يوم القيامة والتمتع بالنظر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ١/٢١٣ - ٢٢٠.

إلى وجه الله الكريم وتحفيز على المحافظة على الصلوات خاصة صلاتي الصبح والعصر، أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه الداعية متمثلاً بقول الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، فإن مما ينبغي على الداعية الاضطلاع به حث الناس على فعل الخير والتواصي فيما بينهم بالحق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2]، وغرس الالتزام بالإسلام من سلوك الناس، فإذا كان من المقرر أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإن الالتزام بالإسلام عقيدة وعبادة وفكرًا وسلوكًا وأدبًا وأخلاقًا هو من أهم ما يقوي الإيمان ويزيده[3].

إن المحافظة على الصلوات والإتيان بها في أوقاتها وحضور القلب واستشعار عظمة الله فيها أصل للفوز بكل خير في الدنيا والآخرة، وفيما يلي ذكر لبعض الفوائد والخيرات التي يجنيها المجتمع والأفراد من الصلاة في الأولى والآخرة: -

أ- إذا أحضر المصلي قلبه في صلاته، فإنه يخرج من صلاته وقد غفرت خطاياه.

ب- الصلاة راحة للنفس، فإذا أداها حق أدائها، وجد نشاطًا وراحة وروحًا.

ت- الدنيا سجن المؤمن يشعر فيها بالضيق، إذا دخل في الصلاة وجدها قرة عينيه ونعيم روحه وجنة قلبه ومستراحه في الدنيا.

ث- كما أنها للجسم رياضة بدنية تقويه وتفيده، فإنها رياضة للروح تقويها وتنعشها.

ج- الصلاة صلة بين العبد وربه، وتذكر العبد بدوام مراقبته لله عز وجل فيحسن باطنه كما يحسن ظاهره.

ح- من أسباب إشاعة النظافة بين المؤمنين.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٧.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٣٦.

خ- توحيد اتجاه جميع المصلين إلى بيت الله الحرام إشعار بوجوب توحيد القلوب على أمر الله وطاعته وأن يكون المسلمون كالجسد الواحد متعاونين متآزرين.

د- الصلاة الجامعة: كالجمعة والجماعات وغيرهما تجمع المصلين ليقفوا على أحوال بعضهم بعضًا وليتعلموا ويتعاونوا ويتآخوا في دين الله، ومن أجل هذا شرع بناء المساجد في الإسلام، وعد بناؤها من أكبر القربات عند الله تعالى.

ذ- تقوي خلق المراقبة والخشية لله عز وجل.

ر- الصلاة قوة خلقية هائلة وفيها إحياء للضمائر المؤمنة تأمرها بالخير وتنهاها عن الشر[١].

ز- تكرار الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات يكون تطهيرًا روحيًا للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه وزلات لسانه ومفترقات جوارحه[٢].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رغب النبي ﷺ في المحافظة على صلاتي الفجر والعصر، بالفوز بالنظر إلى وجهه الكريم، فقال ﷺ: "إنكم سترون ربكم ... فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا" ، وأسلوب الترغيب من أجلّ الأساليب الدعوية شأنًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة للحق والثبات عليه[٣]، كما يجعل الترغيب المستقبل أمام المدعو مضيئًا ، فهو يأمل في دخول جنة الله تعالى والسعادة برؤيته والحصول على رضاه، وكذا صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويطمع في الخلود في هذا النعيم الأبدي[٤].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٥٨٤/٦.

(٢) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٣٩٩هـ ص ٢٢١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٦٧.

إن الترغيب له أهمية كبيرة في جنس الطاعات وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها، ويتناول الترغيب كذلك بقية أركان الإسلام الخمسة: كالصلاة والزكاة والصوم والحج، وأركان الإيمان والإحسان. ومن ثم في بقية أنواع الطاعات الأخرى وأشكالها كبر الوالدين وصلة الرحم والصدقة والإنفاق والإحسان إلى اليتيم والجار وذي الحاجة وغير ذلك[١].

(إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه)[٢].

ذكر ابن كثير عن عبدالله بن حكيم قال: (خطبنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٣])[٤].

---

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٤.

(٢) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي، ٥٤٣/١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٩٣/٣.

الحديث رقم (١٠٥٣)

١٠٥٣- وعن بُرَيْدَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

حبط: بطل[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير بليغ جاء في تركيب يبرق، ويرعد بالتهديد، والوعيد حيث حكم على من ترك صلاة العصر بحبوط عمله، وقد بدأ باسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط الذي يقرر عدم تخلف النتيجة، وعبر بالفعل المضارع ترك الذي يدل بصيغته على التحقق، وبدلالته على الإهمال، وقد أكد الجواب بقد في قوله (فقد حبط عمله) ودخول الفاء فيه لأجل تضمن المبتدأ معنى الشرط و حبط بكسر الباء أي بطل، وهو من قولهم حبطت الدابة حبطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت، وهو ما يوحي بأن هذا التارك أسرف في أمور دنياه بما تسبب في شدة ضرره في أخراه وصياغة الفعل (حبط) في الماضي يفيد التحقيق، وذكر العمل، وإضافته إلى الضمير العائد على التارك تخصيص يشعره بعظمة الخسران الذي يدل على عظم الذنب، ويرهب منه.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قد استدل بهذا الحديث من يقول بتكفير أهل المعاصي من الخوارج

---

(١) برقم (٥٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٦٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب ط)، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٠، فقد ذكر ابن حجر تفسيرات مختلفة لبيان المراد من حبط العمل.

وغيرهم، وقالوا: هو نظير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[١] وقال ابن عبدالبر: مفهوم الآية أن من لم يكفر بالإيمان لم يحبط عمله فيتعارض مفهومها ومنطوق الحديث، فيتعين تأويل الحديث. لأن الجمع إذا أمكن كان أولى من الترجيح. وتمسك بظاهر الحديث أيضًا الحنابلة ومن قال بقولهم من أن تارك الصلاة يكفر، وجوابهم ما تقدم. وأيضًا فلو كان على ما ذهبوا إليه لما اختصت العصر بذلك، وأما الجمهور فتأولوا الحديث فافترقوا في تأويله فرقًا ... وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، والله أعلم)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر.

رابعًا: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر:

إن من فضل الصلاة أنه ببركتها والمداومة والحرص عليها تُكفر الذنوب، ولذا حذر النبي ﷺ من تركها وخاصة صلاة الصبح والعصر، فإن تركها يجر إلى الإهمال ويسوق إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى وخاصة صلاة العصر[٣] وقد جاء في صريح الحديث تحذير النبي ﷺ من ترك صلاة العصر، فقال ﷺ من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" وإحباط العمل في الحديث من العلماء مَنْ حمله على ظاهره وأما جمهور العلماء فتأولوه، فقيل إن إحباط العمل يحمل على ظاهره على من ترك الصلاة جاحدًا لوجوبها أو معترفًا لكن مستخفًا مستهزئًا بمن أقامها، وقيل المراد من تركها

---

(١) سورة المائدة، آية: ٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣٢ - ٣٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٨.

متكاسلاً لكن خرج الوعيد مخرج الزجر الشديد، وقيل المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى الله، فكأن المراد بالعمل الصلاة خاصة أي لا يحصل على أجر من صلى العصر ولا يرتفع له عملها حينئذ، وقيل المراد بالحبط الإبطال أي يبطل انتفاعه بعمله في وقت ما ثم ينتفع به، قال ابن حجر: (وأقرب هذه التأويلات قول من قال: إن ذلك خرج مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد، قال ابن القيم وتخصيص العصر بالذكر لشرفها من بين الصلوات)[1].

إن إضاعة الصلاة -خاصة صلاة العصر- سبب للارتماء في أحضان الشهوات، فقد قال سبحانه في قوم أضاعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم متمسكين بهدى الله: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾[2].

تأمل وتمعن أيها القارئ في هذه الآية وانظر كيف جعل الله ترك الصلاة سببًا للفساد واتباع الشهوات التي تؤدي إلى الضلال. لأن الشهوات تؤدي بالمواهب العقلية وتضعف الجسد وتصرف الإنسان عن التفكير في المستقبل وأخذ العدة له. وما اجتاحت الشهوات أمة إلا أصيبت بعوارض الأنانية والجبن وكافة المساوئ التي تضر بسلامة المجتمع لهذا كان من دقائق التعبير القرآني بيان أن عاقبة الشهوات هو الضلال ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾.

ومن المؤلم أن هذا ينطبق على أكثرية فتيان هذا الجيل الجديد الذي لم يتربّ تربية دينية صحيحة ولم يتبصر بحقائق الإسلام ولم يحافظ على الصلاة فانزلق في تيار هذه الحياة التي لوثها الاستعمار والصهيونية ودعاة السوء، فأصبحنا لا نرى هؤلاء الفتيان إلا في دور العرض السينمائي حيث تعرض أفضح مناظر الخلاعة والتهتك التي تطبع العقول والعادات على الميوعة والفساد وأصبحت مادة الثقافة التي يتزودون بها في

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٠، وكتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن القيم، تحقيق تيسير زعيتر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٦٤، ٦٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٩.

أوقات فراغهم هي الصحف الفنية في ظاهرها والمأجورة لنشر الفساد في حقيقتها، والتي تعرض في صفحاتها صورًا فاضحة للإغراء الجنسي، وتذكر في سطورها فضائح الراقصات و"الارتستات" والماجنين وغيرهم مما يندى له الجبين خجلاً من سماعها، كل هذا يجري في مجتمعنا على مسمع من المسؤولين من سياسيين وتربويين، دون أن يتحرك أحد في سبيل القضاء على هذه الفتنة العمياء، ووضع الأسس الصالحة لصد هذا التيار الجارف المهلك الذي يجرف في خضمه زهرة هذا الجيل الجديد المعتمد عليه لبناء مستقبل أفضل.

فالصلاة عامل هام لحفظ الإنسان من الانزلاق في تيار الشهوات، وقد صدق الخليفة عمر بن الخطاب حين كتب إلى عمّاله موصيًا لهم بقوله: (إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع)[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من ترك صلاة العصر بإحباط العمل، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" والترهيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لأنه (أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن)[٢].

إن على الدعاة في العصر الحديث وهم يواصلون تبليغ الدعوة الاستفادة من أسلوب الترهيب، إذ أن الحاجة ملحة إليه، لأنهم إنما يتعاملون مع البشر والوضع البشري دائمًا معرض للهوى والغفلة معرض لظلم نفسه، وما دام الأمر كذلك فلا غرابة من مواجهتهم بين الحين والآخر بما ينغص عليهم هذا الهوى ويوقظهم من تلك الغفلة[٣].

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، د. عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٣٤، ٣٥.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود ٢٣٢/١.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٤١٦.

لكن ينبغي على الداعية ألا يطلق العنان لأسلوب الترهيب في الدعوة، فيجب عليه أن يوازن بين الترغيب والترهيب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل المحافظة على صلاة العصر:

جاء في مضمون الحديث بيان فضل المحافظة على صلاة العصر وأن في ذلك المحافظة على الأعمال وصونها من الإحباط، فقال ﷺ "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" ولفضلها أقسم الله تعالى بها ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[1] وخصها الله بالذكر من بين الصلوات فقال: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾[2].

قال ابن كثير وقيل هي صلاة العصر، وقاله الترمذي والبغوي رحمهما الله وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم، وقال القاضي الماوردي وهو قول جمهور التابعين، وقال ابن عبدالبر هو قول أكثر أهل الأثر[3]. وجاء في الصحاح ما يؤيد ذلك فروي عن علي قال: ((لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ مَلأَ اللّهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلاَةَ الْوُسْطَى. حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ))[4]، كما جاء في فضل صلاة العصر والمحافظة عليها إشهاد الملائكة عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلاَئِكةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر، ثمَّ يَعرُجُ الذينَ باتوا فِيكمْ، فيَسْأَلُهُمْ -وهوَ أَعلمُ بهم-: كيفَ تَركتُمْ عِبادي؟ فيَقُولونَ: تَركْنَاهمْ وهم يُصلُّونَ، وأَتيناهُمْ وهم يُصلُّون))[5]. قال ابن حجر: (وفيه الإشارة إلى عظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، ويترتب عليه حكمة

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٤٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٣١، ومسلم ٦٢٧.

(٥) أخرجه البخاري ٥٥٥.

الأمر بالمحافظة عليهما والاهتمام بهما، وفيه إعلامنا بحب ملائكة الله لنا لنزداد فيهم حبًا ونتقرب إلى الله بذلك)[١].

رابعًا- من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وترهيبهم مما يحبط أعمالهم:

في تحذير النبي ﷺ للأمة من ترك صلاة العصر، وبيانه أن ذلك من أسباب إحباط العمل "من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله" أنموذج حي ومثل تطبيقي لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من خوف على المدعوين وترهيبهم وتحذيرهم من التهلكة ومواردها وقدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي بين الله أن من صفاته الخوف على الأمة وحرصه على مصلحتها ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] أي يعز عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه، حريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٣] وفي ذلك تنويهٌ بصفاته ﷺ الجامعة للكمال، ومن أخصها حرصه على هداهم ورغبتهم في إيمانهم ودخولهم في جامعة الإسلام[٤].

لذا ينبغي على الدعاة إلى الله أن يقتفوا أثر رسول الله ﷺ في ترغيب المدعوين في عمل الطاعات والأعمال الصالحات وتحذيرهم من عمل المعاصي والمنكرات[٥]. وإذا كان الداعية على هذا المستوى فإنه يكون بمثابة صمام الأمان للمجتمع بأسره، وتكون حياته حياة للأمة وغيابه موت لها، ولله در أحمد بن غزال حين قال:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ... حتى يمت عالم منها يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ... وإن أبى عاد في أكنافها التلف[٦]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٢٤١.

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥/١٠/٧٠.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٧.

(٦) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٠، ١١.

المضامين التربوية لأحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على إتيان أفضل الأعمال:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقوله ﷺ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ. ولاشك أن الصلاة من أفضل الأعمال، وعلى هذا يمكن أن يستأنس بهذين الحديثين على أن الناشئة ينبغي أن يربوا على إتيان أفضل الأعمال في أوقاتهم وأعمارهم، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم -فيه- الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور... وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، فنقل عن عامر بن عبد قيس -أحد التابعين العباد الزهاد- أن رجلاً قال له: كلمني، فقال له عامر: أمسك الشمس.

وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعًا عجيبًا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على رجلة أو في الأسواق، وكان ابن الجوزي يعيش في بغداد، فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم، وما عندهم خبر، ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود، فهم في تعبئة الزاد والتهيؤ للرحيل، فالله الله في مواسم العمر، والبدار البدار قبل فوات الفوات، ونافسوا الزمان...، ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أغناه الله عن التكسب بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر، ومنهم من يخلو بلعب الشطرنج ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث عن السلاطين والغلاء والرُّخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفّقه وألهمه اغتنام ذلك ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]، نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٥.

أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه"[١].

ثانيًا: التربية بالمراقبة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ. وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ. وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الْعَصْرِ. ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ. فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»، فدل الحديث على أن الملائكة تراقب الإنسان وتلاحظ عمله وأفعاله، وهذا يستأنس به على تربية الناشئة على المراقبة وأن الله مطلع عليهم ورقيب عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٤].

فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله عز وجل عليه ومراقبته لأقواله وأفعاله فإن هذا من أقوى الدواعي له على التقوى والمراقبة، والمعية معيتان: معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية الله عز وجل للخلق كلهم. ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٧، ٢١٥، ٢٩١، ٦٠٤، ونقلنا النص كما نقله عبدالفتاح أبو غدة في كتابه قيمة الزمن عند العلماء، ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الرعد، الآيات: ٨ - ١٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦١.

والنصرة والتسديد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[1]، وقوله لهارون وموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[2]، فالمعية الأولى العامة: تستوجب الخوف والحذر والتقوى، والمعية الثانية تستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره"[3].

ثالثًا: من مهارات المعلم: انتهاز الفرص للتعليم والتوجيه:

وهذا مستمد من حديث جرير عبدالله البجلي رضي الله عنه، قال: كُنَّا عِنْدَ النبي ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ. لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافعلوا» وفي رواية: فنظر إلى القمر ليلةَ أربعَ عشرةَ. فقد ربط النبي ﷺ بين رؤية القمر وبين رؤية الله عز وجل يوم القيامة في الوقوع والتحقق والتأكيد، وهذا يمكن أن يستأنس به على أن المعلم عليه أن ينتهز الفرصة، للتعليم والتوجيه، أو شرح أمر هام، أو توضيح فكرة غامضة أو القيام بغرس الفضائل وتكوين الاتجاهات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحسن مثال نسوقه في هذا المقام، ما قام به نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عندما سجن ودخل معه السجن فتيان وقصّ كل واحد منهما عليه الحلم الذي رآه، وطلب منه تفسيره، قام عليه السلام بانتهاز الفرصة للدعوة إلى دين الله قبل أن يفسر لهما حلميهما[4].

قال الله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٤) انظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس ص ٢٠٢.

مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[1].

رابعًا: تربية الناشئة على أن لكل وقت عمله:

وهذا مستمد من مجموع الأحاديث التي في الباب، وخاصة حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «مَن تَركَ صلاةَ العصرِ فقد حَبِطَ عملُه». فإنه يستدل بهذه الأحاديث على أن العمل له وقت يفعل فيه فلا يفعل قبله وكذلك لايفعل بعده، ولذا "ينبغي للمؤمن أن يعرف ما يتطلبه الوقت من عمل القلب واللسان والجوارح فيتحراه، ويجتهد في القيام به، حتى يقع موقعه من الموافقة للمقصود ومن القبول عند الله عز وجل، وقد جاء في وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه: اعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار.

ليس المهم إذن أن يعمل الإنسان أي شيء في أي زمن، بل المهم أن يعمل العمل المناسب في الوقت المناسب، ولذلك وقت الله الكثير من العبادات والفرائض بمواقيت محددة، لا يجوز التقدم عليها ولا التأخر عنها، ليعلمنا بذلك أن الشيء لا يقبل قبل أوانه، ولا بعد أوانه، قال تعالى في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[2]، وقال في الصوم: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[3].

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٣٦ - ٤١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

وفي الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[١].

وعمل القلب مثل اللسان يجب أن يكون في وقته وزمانه. يقول بعض العارفين: أوقات العبد أربعة لا خامس لها: النعمة والبلية والطاعة والمعصية، ولله عليك في كل وقت منها سهم العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية.

فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه، أن هداه لها، ووفقه للقيام بها.

ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته المعصية فسبيله التوبة والاستغفار، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا والصبر، والرضا: رضا النفس عن الله، والصبر: ثبات القلب بين يدي الرب. وما قاله العارف يعبر عما نطق به القرآن والسنة"[٢].

وقال ابن الجوزي: "العاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فإن بغته الموت رئى مستعدًا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا"[٣].

❁ ❁ ❁

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢١ - ٢٢، وانظر إدارة الوقت ص ٨٣.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦١.

١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

الحديث رقم (١٠٥٤)

١٠٥٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الطباق بين الغدو، والرواح يشير إلى حركة المسلم الدائمة بين بيت الله تعالى، وبيت والذي يوحي بتعلق قلبه ببيوت الله كتعلق قلبه ببيته، أو أكثر كما أن التعبير بالغدو، والرواح يشير إلى صلاة أول النهار، وهي الفجر، وصلاة أول الليل، وهي المغرب، وإن كان دلالة الغدو والرواح على تواصل الحركة أدل، وأعم، وقوله (أعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلاً كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) التعبير بالإعداد في صيغة الماضي يشير إلى سابق التجهيز مع الحفاوة بمن أعُد له، ونسبة الإعداد لله تعطيه بعدا إيحائيا بعظمة ما أعد، لأن ما أعده الملك لا يتساوى بما أعده أحد أفراد الرعية فما بالك بما أعد ملك الملوك؟!، والنزل مكان النزول، والتعبير به يوحي باشتماله على كل ما يحتاج إليه النازل من الطعام، والراحة، ومختلف الملذات، وقوله (كُلَّمَا غَدَا أوْ رَاحَ) يشير إلى تواصل العطاء مع ارتباطه بعمل العبد مما يرغبه في استمراره، وعدم قطعه حتى لا تمل نفسه يوما من كثرة الغدو، والرواح إذا ما أيقن بأن لكل غدوة أو روحة عطاءً عظيماً.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩/٢٨٥) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٣).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث (١٢٣).

الحديث رقم (١٠٥٥)

١٠٥٥- وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى[1] إلى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خُطُواتُهُ، إحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحط: تزيل عنه[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالطهر عن الوضوء، من المجاز بالتعبير عن المسبب بسببه، وهو يفيد بيان الغرض من الوضوء كما أن التعبير بالطهر يتضمن الغسل لمن كان على جنابة، وفيه تلميح إلى الطهر الباطني بأن ينقي المؤمن المتوجه إلى الله قلبه بالتوبة من الذنوب، وعقله من شواغل الدنيا، والتعبير بالبيت يشير إلى السكن والمودة، وإضافته إلى الضمير تذكر كل واحد من المخاطبين ببيته حيث أهله، وخاصته، أما إضافته لله في قوله (بيوت الله) فهي إضافة تشريف ترتقي به ذرى شرف الأماكن في الأرض وتوحي بأن نازله مكرم لأنه نزيل بيت أكرم الأكرمين، وجمع البيوت تكثير لأماكن الخير، وتيسير على المرتاد، والجناس بين (بيت، وبيوت) يلح على معنى الطمأنينة والسكون من نوع خاص ببيوت الله، والجناس بين فريضة، وفرائض يشير - مع تأكيد المعنى- إلى ضرورة الحرص علي آداء ما افترض الله عليه كما يشير ضمنا إلى أن غير الفريضة

---

(١) لفظ مسلم: (مشى)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٣/٣٠٠، رقم ٢٦٩٤).

(٢) برقم (٢٨٦/٦٦٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ط ط).

من النوافل يمكن أن تُصلىَّ في البيت، وإضافة الفرائض لله تخصيص ينادي بمزيد عناية بها، ويرهب من التهاون فيها، والجناس بين (خطواته، خطيئة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، والطباق بين تحط، وترفع يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى ونسبة الحط، والرفع للخطوات من المجاز بنسبة الفعل لسببه توكيدا لثبات الحسنة، ومحو السيئة، وترغيبا في كثرة السير للمساجد.

فقه الحديث

قال القرطبي في المفهم: (وهذه الأحاديث تدل على أن البعد عن المسجد أفضل، فلو كان بجوار مسجد فهل له أن يجاوزه للأبعد؟ اختلف فيه: فروى عن أنس أنه كان يجاوز المحدث إلى القديم، وروى عن غيره أنه قال: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرًا. وكره الحسن وغيره هذا. وقال: لا يدعْ مسجدًا قربه ويأتي غيره، وهو مذهبنا [أي مذهب المالكية] وفي المذهب عندنا في تخطي مسجده إلى مسجده الأعظم قولان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد.

ثانيًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الوضوء وإتيان الصلاة في المساجد:

إن المزور يكرم زائره، والمساجد بيوت الله تعالى فمن دخلها في أي وقت كان من ليل أو نهار أعطاه الله من فضله وأغدق له في العطاء لأنه سبحانه أكرم الأكرمين وأنه لا يضيع أجر المحسنين، ومن مظاهر ذلك ما بينته السنة النبوية من فضل الذهاب إلى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٩٢/٢. وقد نقله القرطبي المفسر بنصه في الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢١/١٧ .

المساجد لحضور الجماعات وأن للذاهب ثواب الذهاب فضلاً عن ثواب الجماعة، حيث إن الخطوات تحط الذنوب والخطايا والصغائر وترفع درجات صاحبها ومكانته عند الله تعالى[1] كما جاء في صريح الحديث الدلالة على ما في التطهر وإتيان الصلاة في المسجد من فضل، فقال ﷺ من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" قال ابن علان في قوله "كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" أي تحط خطيئة من الصغائر المتعلقة بالله تعالى، والأخرى منهما ترفع درجة أي بعد تكفير الصغائر وتنزيهه منها، فالباقي من الخطوات ترفع بها الدرجات، وهذا لمن لا كبائر له، فمن عمل من الخطوات ما يزيد على صغائره المكفرة بها عددًا وله كبائر رجي أن يكفر عنه منها بقدر ما يغفر بها من الصغائر، فإن لم يكن ذا ذنب أصلاً، أو كان ذا صغائر، وزادت خطواته على المكفر بها رفع له بما زاد الدرجات[2].

ثانيًا - من ميادين الدعوة: المسجد:

أشير في الحديث إلى المسجد في قوله ﷺ "ثم مضى إلى بيوت من بيوت الله" والمسجد هو أهم ميادين الدعوة، وقد عظم الله تعالى مكانة المسجد ورفع من شأنه ودعا إلى عمارته في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3].

وفي المساجد قيمة دعوية كبيرة، حيث يتم فيها تعميق المعرفة الدينية، ويتأثر سلوك الإنسان بالجماعة كما يؤثر فيها، وذلك أن الفرد المسلم يسلك داخل جماعته

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٥٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الإسلامية سلوكًا اجتماعيًا ينسجم مع قيم هذه الجماعة ومُثلها العليا[١] ويتأكد هذا الكلام أكثر إذا علمنا أن المسجد مدرسة كاملة للتربية والتعليم، تعقد فيها حلقات العلم لتعليم الناس أمور دينهم وتبصيرهم بخير دنياهم[٢].

لقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدومه المدينة مهاجرًا من مكة المكرمة هو تأسيس مسجد قباء، أول مسجد أسس على التقوى، وفي هذا العمل النبوي العظيم حكمة عظيمة ومغزىً هام جدًا في التأكيد على أهمية المسجد واعتناء الإسلام به[٣]، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٤].

إن المساجد في الإسلام لا يوجد لها نظير في معابد الأمم والملل، النظافة والسكينة، وفي الجوّ الخاشع الروحاني الذي يسودها، وفي شعائر التوحيد التي تتجلى فيها: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٦] ﴿وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ﴾[٧] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٨].

---

(١) انظر الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيى الدين عبدالحليم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص ١٦٩.

(٢) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف ص ١٢.

(٣) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ٢١٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٦، ٣٧.

(٦) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

وكانت هذه المساجد -ويجب أن تظل هكذا- مركز حياة المسلمين وتعلمهم ودراستهم، ومصدر الإصلاح والتوجيه، تعالج فيها قضايا المسلمين الاجتماعية والدينية، ويتلقون فيها أحكامًا في حياتهم ومهماتهم، فكان رسول الله ﷺ، إذا حدث حدثٌ أو نزل بالمسلمين أمر، وكانوا في حاجة إلى توجيه جديد، أو تعليم مزيد، أمر أن ينادي في الناس، "الصلاة جامعة" وظلت المساجد هكذا، فكانت القطب الذي كانت تدور حوله رحى الحياة، وتتفجر منها عيون العلم والهداية، وينبثق منها نور الإصلاح والإرشاد، وتنطلق منها موجة الكفار والجهاد، ولا تزال منها بقية يحسد عليها المسيحيون، والوثنيون، المسلمين في بلادهم، وينظرون إليها تارة بعين التلهف والحسرة، وطورًا بعين الإشفاق والوجل، ولابدّ لنشأة المسلمين الجديدة أن تعود هذه المساجد والجوامع إلى مركزها الأول، في حياة المسلمين وقيادتهم[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في التطهر وأداء الصلاة المفروضات في المساجد بتكفير الخطايا ورفع الدرجات، فقال ﷺ "من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة" وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوة نفعًا وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

إن الإسلام يربي الناس على الرغبة والرهبة والخوف والرجاء، فكما أن هناك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس ويهز الأفئدة ويرهب القلوب فإن هناك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء ما يطمئن النفس ويسلي القلب، ويؤنس

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٢، ٥٣.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الخاطر ويبعث على الأمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[٢].

وفي الترغيب في إقام الصلاة وتعاهد التلاوة للقرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤].

إنه لمن الواجب على العالم والمربي والواعظ أن يجمعوا بين الأمرين، ويقرنوا بين الحسنيين فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج وأداة للتقويم وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا وألذ سماعًا وأطرب استمتاعًا[٥].

رابعًا - من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما يرفع درجاتهم ويحط خطاياهم:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَننهم من العلماء العالمين والهداة الراشدين والعظماء المجاهدين، فإنهم إنما بعثوا لهداية العالم[٦] وإرشادهم إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة ومن ذلك إرشادهم إلى ما فيه رفع الدرجات وحط الخطايا والسيئات

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤، ٦٦٥.

(٦) هداية المرشدي، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

كما جاء في الحديث من دلالته ﷺ وإرشاده إلى التطهر وصلاة الفرائض في المساجد وقدكانت السمة العامة لرسول الله ﷺ الهداية إلى ما فيه الخير ورفع الدرجات ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[1]. قال القاضي عياض: (محو الخطايا كناية عن غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة)[2].

إن قيام الدعاة بتبليغ دعوتهم وبيان ما أعده الله من الثواب على طاعته لمن الأهمية بمكان، بل إن وجود الدعاة وفاعليتهم في المجتمع لمن المقاييس التي لا تنكر في معرفة مدى تقدم المجتمعات وازدهارها.

قال علي محفوظ: (والبرهان الحسي قائم على أن الأمة التي انتشر فيها الدعاة والوعاظ والخطباء تحيا بمقدار كثرتهم وتأثيرهم، وأن المعنى الذي يتناولونه في نصحهم وإرشادهم يكون أكثر انتشارًا وأشد رسوخًا في نفوس تلك الأمة، وأن الأمة إذا فرطت أو أفرطت في شيء يستعان دائمًا على اعتدالها بوعاظها وخطبائها؛ فالداعية الماهر والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة وقاطع الحجة وساطع البرهان وقوة البيان ومتانة علمه بتركيب وتأليف هذه الأدوية النافعة أن يصحح القلوب من أمراضها وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع عن غيها وتعود إلى حد الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٢) شرح مسلم، النووي ص ٢٦٧.

(٣) هداية المرشدين ص ٧٤.

الحديث رقم (١٠٥٦)

١٠٥٦- وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ لاَ أَعْلَمُ أَحَدًا[1] أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ[2] لا تُخْطِئُهُ صَلاَةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا لِتَرْكَبَهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ، إنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إذَا رَجَعْتُ إلى أهْلِي. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّه)) رواه مُسلِم[3].

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ثمرة من ثمرات الترغيب النبوي في المشي للمساجد في الأحاديث السابقة، وهو صورة تطبيقية للحرص عليه، وفيه حرص أصحاب النبي ﷺ على تنفيذ توجيهاته، وقولهم (لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَاراً لِتَرْكَبَهُ فِي الظُّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ) لو شرطية فيها معنى التحضيض، وفي العبارة سجع جميل بختام الجملتين بكلمتي الظلماء، والرمضاء وهي شدة الظلمة، وشدة الحر، وقوله: (مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إلى جَنْبِ المَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر رضاه عن حاله مع بعد المسجد لأنه ينظر إلى عظمة الأجر، ويحرص عليه، وقوله (إنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إلى المَسْجِدِ) في الكلام إيجاز بالحذف أي: أجر ممشاي، والتعبير بالكتابة تأكيد لثبات الأجر وبين قوله ممشاي، ورجوعي طباق يؤكد حركة التقي بين بيته، وبيت الله في كل وقت يراه الناس يتعب نفسه، ويراه هو

---

(١) قوله: (كان رجلٌ من الأنصار لا أعلم أحدًا) هذا لفظ المنذري في ترغيبه (٤٦٤)، ولفظ مسلم في (٦٦٣/٢٧٨) (كان رجلٌ لا أعلم رجلًا)، وبعده بحديث، بدون رقم بلفظ: (كان رجلٌ من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة).

(٢) لفظ مسلم: (كان) في الموضعين، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٦٦٣/٢٧٨)، وتقدم برقم (١٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٢).

حسنات تجمع، وسيئات تمحى، والجناس بين رجوعي، ورجعت يشير إلى ذكاء الرجل، وفطنته في احتساب الذهاب، واحتساب الرجوع، وللنية دور كبير في تحقيق الأجر فقد يكون بين المصلي ومن بجواره في الصف ما بين السماء، والأرض من الأجر مع اتفاقهما في كل شيء إلا في القلب والنية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٧).

الحديث رقم (١٠٥٧)

١٠٥٧- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا[١] قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ[٢]: ((بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟)) قالوا: نعم، يا رَسُول اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ[٣]: ((بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُم تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ))[٤].

فقالوا: مَا[٥] يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم[٦].

وروى البخاريُّ[٧] معناه من رواية أنس.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ لبني سلمة رضي الله عنهم (بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟) استفهام تقرير أراد به التحقق، والتثبت ثم بنى عليها رده عليهم، وعبارة النبي ﷺ: (يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم) جاءت موافقة لنفسية المخاطبين الذي رأوا في

---

(١) عند مسلم زيادة: (إلى)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٢/٣٨٥، رقم ١٦٢٤)، ولا عند المنذري في ترغيبه (١/٢٨٥، رقم ٤٥٩).

(٢) عند مسلم زيادة: (إنه)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٣) عند مسلم زيادة: (يا) حرف النداء، وهي لا توجد عند الحميدي، والمنذري.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٠/٦٦٥).

(٥) عند مسلم زيادة: (كان)، وهي لا توجد عند المنذري.

(٦) برقم (٢٨١/٦٦٥)، وتقدم برقم (١٣٦). أورده المنذري في ترغيبه برقم (٤٥٩).

تنبيه: فرّق الحميدي في جمعه بين الروايتين، فلما ساق اللفظ الأول، قال: زاد في رواية الجريري، عن أبي نضرة: (فقالوا: ما كان يسرنا أنا كنا تحولنا). وجمعه المنذري بين الروايتين، فتبعه عليه المؤلف.

(٧) برقم (٦٥٦) ولفظه: (أن بني سلمة أرادوا أن يتحولوا عن منازلهم، فينزلوا قريبًا من النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فكره رسول الله ﷺ أن يعروا، فقال: ألا تحتسبون آثاركم).

انتقالهم قرب المسجد قربا من الرسول ﷺ وحرصا على الصلوات فجاءت عبارة النبي ﷺ تحمل نداء التخصيص (يا بني سلمة) ثم جملة الإغراء (دياركم تكتب آثاركم) التي أوحت إلى نفوسهم بعظمة ما هم عليه، وثوابه، ثم تكرار العبارة الذي يؤكد المراد، ويرتقي بدرجة الإغراء إلى ذروتها مقابله لما يجيش في نفوسهم من رغبات الانتقال بجوار المسجد، وقد أدت العبارة وظيفتها على أكمل وجه، ووقعت على رغبة نفوسهم فطابت نفوسهم، وقرت عيونهم (فقالوا ما يسرنا إن كنا تحولنا)، وهكذا نجد أثر تركيب عبارة الرسول ﷺ انعكاسا صادقا، ودقيقا على المخاطبين مع تحقيقه لغرضه ورضاهم عنه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٦) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٥٨)

١٠٥٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ((إنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أجْرًا في الصَّلاةِ أبْعَدُهُمْ إلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإمَامِ أعظَمُ أجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث يسعى إلى تحقيق بُعدٍ اجتماعي بتقارب المسلمين، واجتماعهم، وقد حرص على هذا المظهر من خلال الترغيب في المشي للمساجد، والحرص على الجماعة؛ لذلك بدأ بأفعل التفضيل (أعظم) مضافة للناس لترتقي بالنموذج المذكور فوق الجميع ثم التميز المنكَّر (أجرا) المفيد للتعظيم، وهو لفظ محبوب للنفس التي جبلت على حب الخير، وقوله (أبْعَدُهُمْ) يكشف سر التفضيل الأول؛ لأن عظمة الجزاء مرتبطة بعظمة العمل، وقوله (الصَّلاَةَ..يُصَلِّيَهَا) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى، ويكشف سر الانتظار، وقوله (مع الإمام) يبين سر الأفضلية، وهو شهود الجماعة، وإعادة أفعل التفضيل (أعظم) بيان لاستقلالية كل نموذج مع عمله المستوجب للفضل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة.

رابعًا: من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١)، ومسلم (٦٦٢/٢٧٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٦٣).

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة..." وأسلوب التوكيد من أبلغ الأساليب الدعوية لما فيه من الإيحاء إلى تيقن الداعي من دعوته وصحتها وذلك مما يجعلها تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد في كثير من آياته، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾[2].

والمقصود من التوكيد التوثيق والإحكام والتقوية، وجعل الشيء مقررًا ثابتًا في ذهن المخاطب، ولأهمية التوكيد جاءت الشريعة بجوازه في الأحكام لتقويتها وترجيحها على غيرها، حيث يرجح المؤكد على غيره من الأحكام غير المؤكدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾[3]، [4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عظم ثواب المشي من مكان بعيد إلى الصلاة:

يتفاوت ثواب المصلين بحسب كثرة الخطى إلى المساجد والصلاة في جماعة وانتظار الصلاة بالذهاب قبيل الوقت أو قبله[5]، وقد جاء في صريح الحديث أن من أعظم الأعمال أجرًا، المشي إلى المساجد خاصة إذا كان من مكان بعيد، فقال ﷺ "إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى، فأبعدهم". فكلما كان البعد أكثر كانت الخطوات والمشقة أكثر فيكون ذلك أعظم للأجر[6]، واستنبط بعض

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩١.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٤٢/١٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٤.

العلماء من الحديث استحباب قصد المسجد البعيد ولو كان بجنبه مسجد قريب، وإنما يتم ذلك إذا لم يلزم من ذهابه إلى البعيد هجر القريب وإلا فإحياؤه بذكر الله أولى[١]، وقال الشيخ ابن عثيمين :"ومن فضل الله علينا معاشر المسلمين أننا نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات، فيكتب للإنسان نزل في الجنة يعني ضيافة في الجنة، وذلك من فضائل المشي إلى المساجد[٢].

ولقد أدرك سلفنا الصالح ثواب صلاة الجماعة في المساجد والمشي إليه، ومما يدل على إدراك سلف هذه الأمة عظيم ثواب صلاة الجماعة وحرصهم على نيله أن بعضهم كان يقارب خطاه عند ذهابه إلى المسجد كي يكثر خطاه فيكثر ثوابه، فقد روى الإمام البخاري عن ثابت أنه كان مع أنس رضي الله عنه بالزاوية فوق غرفة له فسمع الأذان فنزل ونزلت فقارب في الخطا، فقال: «كنت مع زيد بن ثابت فمشى بي هذه المشية وقال أتدري لم فعلت بك؟ فإن النبي ﷺ مشى بي هذه المشية وقال أتدري لم مشيت بك؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ليكثر عدد خطانا في طلب الصلاة»[٢].

ونجد صحابيًا آخر يسلك مسلكًا آخر لتكثير ثواب مشيه إلى المسجد فلا يرغب في أن يكون منزله بجوار المسجد بل يسكن في مكان بعيد من المسجد، ويأتي إليه من هناك. فقد روى الإمام مسلم عن أبي كعب رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت في المدينة، فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ قال: فتوجعنا له، فقلت له: "يافلان! لو أنك اشتريت حمارًا يقيك من الرمضاء[٤] ويقيك من هوام الأرض". قال: "أم، والله! ماأحب أن بيتي مُطنَّب ببيت محمد ﷺ"[٥].

---

(١) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ١٦٥/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٢٩٤/٢.

(٣) الأدب المفرد، ٤٥٨، وضعفه الألباني (ضعيف الأدب المفرد ٦٩).

(٤) الرمضاء: هي شدة حر الأرض من وقع الشمس، انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٨٦/٢.

(٥) "ما أحب أن بيتي مطنب ببيت محمد ﷺ" مطنب: بفتح النون، والمراد ما أحب أنه مشدود بالأطناب -وهي الحبال- إلى بيت النبي ﷺ بل أحب أن يكون بعيدًا منه لتكثير ثوابي وخطاي إليه، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٦.

قال فحملت به حملا[١] حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته قال فدعاه فقال له مثل ذلك وذكر أنه يرجو في أثره الأجر[٢] فقال له النبي ﷺ: "إن لك ما احتسبت".

وفي رواية أخرى أنه قال: "ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي".

فقال رسول الله ﷺ: "قد جمع لك ذلك كله"[٣].

الله أكبر! ما أطيب نيته وأزكاها!.

ولم تكن عنده نية طيبة فحسب بل كان يتحمل العناء والمشقة لحضور صلاة الجماعة واستمر في ذلك حتى يقول عنه أبي رضي الله عنه: "فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ".

فما بال كثير منا يغيب عن صلاة الجماعة في المسجد وبيته بجوار المسجد ووسائل النقل -ولله الحمد- متوفرة[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل انتظار صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث أيضًا فضل انتظار الصلاة مع الإمام جماعة، فقال ﷺ: "والذي ينتظر الصلاة جماعة، حتى يصليها أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام" وفي ذلك بيان أفضلية صلاة الجماعة مع الإمام على صلاة الفرد حتى وإن كانت في أول الوقت أو في جماعة، يستفاد منه أن الجماعات تتفاوت لحوز المنتظر لصلاة الجماعة لفضيلتين:

أولاهما: أن صلاة الجماعة ثوابها أضعاف صلاة الفرد، كما ثبت ذلك في الصحاح، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ

---

(١) "فحملت به حملًا" بكسر الحاء، معناه أنه عظم عليَّ وثقل واستعظمته لبشاعة لفظه وهمني ذلك، وليس المراد به الحمل على الظهر، انظر: المرجع السابق ص ٥١٦.

(٢) "في أثره الأجر" أي في ممشاه، المرجع السابق ص ٥١٦.

(٣) أخرجه مسلم ٦٦٣.

(٤) انظر: أهمية صلاة الجماعة في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ٧٢، ٧٣.

صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[١].

ثانيهما: أن المنتظر للصلاة يأخذ ثواب الصلاة مدة انتظاره لها، وكما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَزَالُ أَحَدكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ»[٢]، [٣]. وفي رواية: «وَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ»[٤]. قال شمس الحق آبادى في قوله: "ينتظر الصلاة" أى ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان"[٥].

إن من المعلوم أن المساجد إنما بنيت لعبادة الله تعالى، واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة، كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد بالعبادة، مرغب فيه شرعًا.

كما جاء في الأحاديث الآنفة الذكر، والشاهد فيها:

"لا يزال أحدكم في صلاة مادامت الصلاة تحبسه ...".

"الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه مالم يحدث ...".

ووجه الدلالة: أن المنتظر للصلاة، والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف.

وهذه الأحاديث: تنص على فضل الجلوس بالمسجد قبل الصلاة لانتظارها، وبعد الصلاة للذكر ونحوه، وينبغي للمسلم أن يجلس في المسجد أوقات فراغه ليتعلم الخير ويتلو القرآن، ويحرص على الجلوس في المسجد بعد الفجر، حتى ترتفع الشمس قِيدَ رمح، ثم يصلي ركعتين لثبوت ذلك بالسنة، ولما فيه من الفضل العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٦٢/٢، دليل الفالحين، ابن علان ص ١٢٤٥، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٥/٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٥٠٧.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»(١).

أما من ليس له عمل ولا صناعة وقد ترك التكسب إما لكبره، وإما ليتفرغ للعبادة، فإن يكن غنيًا له مال يدر عليه وعلى مَنْ تحت يده، أو قام بعمله مَنْ يكفيه من بنيه أو خدمه، فإن لبث هذا في المسجد فيه خير عظيم له؛ لأنه يصون وقته ويحفظه بالعبادة.

وأما إن كان فقيرًا، أو كان المسلمون بحاجة إلى علمه في المدارس والمجتمعات أو بحاجة إلى إدارته لبعض المصالح، فلا يحل له أن يتقاعس عن نفع المسلمين وخدمتهم؛ لأنه إن أخلص النية لله تعالى فهو قد عمل عملاً يثاب عليه. وإن ترك ذلك العمل بلا عذر، فقد أساء لنفسه، وللناس(٢).

وأما إن كان يحتاج إلى قوت لا يجد من يؤمنه له، فليس له أن يسكن المسجد ويلبث فيه ليكون عالة على المؤمنين، يكتسب من صدقاتهم، اللهم إلا أن يكون عاجزًا عن التكسب، فله ذلك لأن الضرورة قد أجبرته على هذا.

رابعًا - من آداب الداعية: بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ همم المدعوين لإدراكها:

إنه ما من شك أن الأعمال وأجورها في الإسلام تتفاوت فمنها ما هو عظيم ومنها ما هو أعظم أجرًا ، ولذا كان من آداب الداعية أن يبين للناس درجات الأعمال وتفاوت الثواب عليها وشحذ هممهم إلى الازدياد والتطلع دائمًا، إلى الأكمل ثوابًا والأعظم أجرًا، فإن العبد يحتاج دائمًا إلى ما يدفعه للقيام بالطاعات على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة(٣)، ولقد كان من هديه ﷺ تربية أصحابه على علو الهمة وطلب معالي

---

(١) أخرجه مسلم ٦٧٠، ٢٨٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/١٧٠، ١٧١، وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٢١، ١٢٢.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٣.

الأمور، ومن الأدلة على ذلك قوله ﷺ: « إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ »[١] . فكانت همة الصحابة في العبادة وطلب العلم والدعوة وغير ذلك أعلى همة وبهذه الهمة العالية سادوا الدنيا وحكموا العالم[٢].

إن بيان الأعمال ذات الأجر العظيم وشحذ الهمم لإدراكها وتشجيع المدعوين على عمل الخير وخير العمل كان سمة عامة في دعوة رسول الله ﷺ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، ومنها:

أ- روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[٣].

ب- روى البخاري عن أبي هريرة أيضًا قال: قال النبي ﷺ: «أيُّما رجُلٍ أعتَقَ امرأً مُسلمًا استَنْقذَ اللهُ بكلِّ عُضو منهُ عضوًا منهُ منَ النار. قال سعيدُ بنُ مَرجانةَ: فانطلَقْتُ بهِ إلى عليِّ بنِ الحسينِ، فعمدَ عليُّ بنُ الحسينِ رضي الله عنهما إلى عبدٍ له قد أعطاهُ بهِ عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ عشرةَ آلافِ درهمٍ - أو ألفَ دينارٍ - فأعتقَهُ»[٤].

ت- وروى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ أُمَّتي يُدْعَونَ يومَ القِيامَةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثارِ الوُضوءِ، فَمَنِ اسْتطاعَ مِنكمْ أنْ يُطيلَ غُرَّتَهُ فلْيَفْعَلْ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٠.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦.

ث- وروى أيضًا عن صفوان بن سليم يرفعه إلى النبي ﷺ قال: « الساعي على الأرملةِ والمِسكين كالمجاهد في سبيلِ اللّه، أو كالذي يصوم النهارَ ويقومُ الليل»[١].

ج- روى البخاري عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ في الجنةِ لشجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظلها مائةَ عامٍ لا يقطعُها»[٢].

مما لاشك فيه أن من يطلع على هذه الأحاديث التي مر ذكرها، وهناك غيرها، تتحول حياته الدنيا إلى نعيم يرسم الابتسامة على الوجه، حتى ولو انعدمت كل أسباب الحياة المادية، للمؤمنين بها، لأنها حياة تستحق أن يعيشها حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً[٣]، لأنه عرف أن الدنيا زائلة فانية، وأن الآخرة هي الباقية ومن ثم اتخذ دنياه مجرد معبر إلى هذه الآخرة فعاش فيها بروح المرتحل المتطلع إلى جنة الخلد[٤].

وهكذا يكون ترغيب الناس في الأعمال العظيمة الثواب والكبيرة الأجر وشحذ هممهم وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير، والسلوك الحسن، وابتغاء رضى الله تعالى في كل عمل يفعله المرء، حرصًا منه على نيل المرغب فيه وخشية من فواته، لاسيما وأنه لا مثيل له ولا تعدله لذة مهما بلغت[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٥٥٢.

(٣) اليوم الأخر والحياة المعاصرة، د. عبدالغني عبود ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق، ١٢٥ بتصرف.

(٥) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٢٢٣.

الحديث رقم (١٠٥٩)

١٠٥٩ - وعن بُريدَة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((بَشِّرُوا المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

المشائين: جمع المشاء وهو: كثير المشي[2].

بالنور التام: النور الذي يحيط بهم من جميع جهاتهم، أي على الصراط[3].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في صلاة العشاء، والصبح في جماعة جاء فيه أمر الرسول ﷺ (بشروا) أمر بالإخبار بما يسر وفيه تشويق لما يتلوه، وهو غير موجه لمأمور معين، وإنما يريد عموم الأمر، وذيوعه حتى كأن كل فرد من أفراد هذه الأمة مبشرا لهؤلاء المشائين إلى المساجد بالنور التام، وقوله (المشائين) مبالغة في كثرة المشي إلى الجماعات، والتعبير بالنور يوحي بحسن المصير مع الظهور، والوضوح، وفيه تكريم لهؤلاء، وتنويه برضا الله عليهم، وقبوله لهم، وإشادة، وتعريف بهذا النعيم الذي أعد لهم عند الله جزاءً من جنس العمل لما كان مشيهم إلى الصلوات يستلزم قطع المسافات في الظلمات وما يترتب عليه من تعرض لأنواع الإيذاء جعل لهم الله - عز وجل - نورا ووصفه بالتمام إشارة إلى إحاطة الضياء بهم، وهو علامة على الفلاح فمن تمامه أنه علامة

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣) ولفظهما سواء، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ، أورده المنذري في ترغيبه (٤٧٢) وقال: رجال إسناده ثقات.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٣١/١.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٣١/١.

فرح، وسرور وضوح للغاية العظمى، وهي الجنة، وفي الحديث إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التحريم ٨].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التبشير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة.

رابعًا: من ميادين الدعوة: المساجد.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التبشير:

جاء أسلوب التبشير صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ». ومسلك التبشير له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصله لنا أنبياء الله بوحى من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين كما نطق بذلك القرآن[1]، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾[2]، فبين الله في هذه الآية أن وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة لا التصدي للمجادلة، لأنها مجادلة لم يقصد منها الاسترشاد بل الغاية منها إبطال الباطل[3]، يقول د. عمر سليمان الأشقر: ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، إذ هما مفتاح النفس

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٣٥٢/١٥/٦.

البشرية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها ودفع الشر عنها فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير وتتطلع إلى نعيم الله المبشر به، نعيم يَستَعْذبُه القلب وتلذّه النفس ويهيم به الخيال[١].

إن التبشير من أبرز الأساليب الدعوية التي سنها رسول الله ﷺ، ومن دلائل ذلك قوله ﷺ "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٢].

والتبشير من أساليب التحفيز للإنسان، لاسيما إذا كان في بداية إسلامه أو هدايته، فلابد من تيسير الأمور عليه وتبسيطها وعرضها دون تشدد أو تكلف، يرافقها التبشير، حتى تغمر قلبه الفرحة وتعم نفسه البهجة، ولا تشعر بثقل التكاليف والواجبات عليها، وهي مازالت تنوء بحمل كبير من العادات السيئة التي يجب التخلص منها، لأن التشدد وعدم التيسير والتبشير يؤديان إلى ردود أفعال عكسية ومنفرة من الإسلام وأهله، تؤدي في النتيجة إلى حفر خنادق عميقة بين المجتمع المراد هدايته وبين المسلمين يصعب الالتقاء عليها، بل تصبح المفاهيم الإسلامية مثار سخرية واستهزاء، ومسوغًا واضحًا للمتصيدين في الماء العكر لمحاربة الإسلام وأهله وإبعاد الناس عنه[٣].

ومن هنا نرى أن رسول الله ﷺ كان يعرض الإسلام عرضًا سهلاً وبسيطًا دون تعقيد أو تكلف، فحين سأله رجل فقال: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «لاَ تُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ. وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»[٤].

وكان يختار أيسر الأمور وأسهلها، كما أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرَين قطُّ إلاّ أخذَ أيسَرَهما، ما لم يَكن إثمًا، فإن

---

(١) الرسل والرسالات ص ٤٨

(٢) أخرجه البخاري، ٢١٦.

(٣) انظر: منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبدالحميد، ص ١١.

(٤) أخرجه مسلم ١٦٥.

كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه»[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المشي إلى المساجد في الظلم:

إن للمشي إلى المساجد وحضور الجماعات، ولاسيما في ظلمات الليل وغيرها من الأشياء التي قد توجد صعوبة في الوصول إلى المساجد، فضلا لا يُضاهى وشرفًا لا يُدانى ومن ذلك أن الله يثيب من يتجشم المصاعب لحضور الجماعات في المساجد (بالنور التام من جميع الجهات تشريفًا وتكريمًا وإيناسًا وإعزازًا لمن داوم على ذلك في إخلاص وتصميم)[٢]، كما جاء في الحديث من بيانٍ لفضل المشي إلى المساجد في الظلم وتبشير أصحابها بالنور التام يوم القيامة، فقال ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فلا شك أن الذي يذهب إلى المسجد في الظلم فإن جزاءه من جنس العمل، يعني كما تجشم الظلم وأتى إلى المساجد فإنه يكتب له النور يوم القيامة[٣]. وقال الطيبي: وفي وصف النور بالتام، وتقييده بيوم القيامة. «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، تلميح إلى وجه المؤمنين يوم القيامة، وقولهم "ربنا أتمم لنا نورنا" في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[٤]، وفيه أن من انتهز هذه الفرصة وهى المشى إلى المساجد في الظلم في الدنيا كان مع النبي ﷺ والذين آمنوا من الصديقين والشهداء والصالحين"[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على صلاة العشاء والفجر مع الجماعة:

من الآداب التي ينبغي أن يحافظ عليها المدعو فضلاً عن الداعية، الحرص على أداء

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٥٦٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٤/٢.

(٤) سورة التحريم الآية: ٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/٢٤٠.

صلاتي العشاء والفجر مع الجماعة، لما لذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي ترغب وتحث على أدائهما في المسجد مع ما قد يلاقيه المصلي من التعريض لمخاطر الطريق ومقاساة الظلام، فيقول ﷺ: «بَشِّرِ المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وجعل ﷺ صلاتهما في جماعة تعادل ثواب قيام الليل، فقال ﷺ: ((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ))[1]، وخصت صلاتا الصبح والعشاء بالذكر لثقلهما على النفوس غالبًا لأن وقت الأولى وقت طيب النوم ولذته، ولذا أمر المؤذن أن يقول في أذانه: "الصلاة خير من النوم" والعِشاء وقت العَشَاء مع غلبة الظلمة وقتها، فاختصا بالتحريض عليهما لذلك[2]، قال ﷺ: ((وَلَوْ يَعلمونَ مَا فِي العَتْمَةِ والصُّبحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا))[3].

إن الحرص على أداء الصلوات جماعة في المسجد خاصة صلاتي العشاء والفجر - له حكم دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ومنها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للانفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٦

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير، وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم[(١)].

رابعًا - من ميادين الدعوة: المساجد:

أشير إلى المساجد كميدان من ميادين الدعوة في الحديث في قوله ﷺ بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد"، وقد اتخذت المساجد في الإسلام مكانًا لتنطلق منه دعوة الحق حاملة الخير والسعادة والعزة الإنسانية، وذلك لما للمسجد من أهمية قصوى في حياة المسلمين ودور كبير في إبلاغ هذا الدين وبيانه للمسلمين، فتاريخ المسجد مرتبط ارتباطًا جذريًا بدين الإسلام ذلك أن رب العزة والجلال يقول في محكم تنزيله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[(٢)]، [(٣)].

(وليست الغاية من المسجد عبادة الله فقط بل يهدف أيضًا إلى النهوض بمستوى المسلمين علميًا وخلقيًا بما يلقي فيه من دروس ومواعظ على لسان فقهاء المسلمين وعلمائهم الذين ساروا على هدي نبيهم.

وبعد عصر النبوة شيدت المساجد في أنحاء البلاد الإسلامية التي تم فتحها، فبنى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر مسجده الذي سمي باسمه والذي أطلق عليه: المسجد الجامع، فكان أول جامعة علمية إسلامية كبرى في مصر تخرج فيه عدد كبير من العلماء، وكان القائمون بالتعليم فيه في أول عهدهم هم الصحابة والتابعون، ومن الذين قاموا بالتدريس فيه الإمام الشافعي الذي تخرج على يده كثير من العلماء.

وبنى الجامع الأزهر الذي تتلمذ في حلقاته كثير من علماء المسلمين قديمًا وحديثًا والذين كانوا دعاة للخير ومنبرًا للفضيلة.

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ١٩٢.

ومن المساجد المشهورة التي اتخذت في شتى العصور مدارس ومعاهد للدين والدنيا: الحرم المكي بمكة المكرمة، والحرم النبوي بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس، وجامع الزيتونة بتونس، ومسجد نبي أمية في دمشق، ومسجد المنصور ببغداد، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، بل إنه لم يخل قطر من مسجد اتخذ مكانًا للعلم والتفقه في الدين، وقد شهد بذلك الدكتور غوستاف لوبون، فقال:

(وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ومرجع للمرضى هي كذلك موئل للتعليم، وفي أصغر المساجد يعلم الأولاد، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحيانًا عن جامعات أوروبا أهمية)[1].

وقد كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون يجعلون من المسجد مؤتمرًا يجمعون فيه المسلمين ليشاوروهم في أمور دينهم وشؤون دنياهم، كما ينبغي أن يكون المسجد دائمًا مقرًا لمؤتمرات صغيرة لأهل الحي أو القرية أو البلد، يجتمعون فيه للعبادة ويتشاورن ويتباحثون فيما يعود عليهم من النفع.

والمساجد وسيلة للتقريب بين طبقات الأمة غنيها وفقيرها، رئيسها ومرؤوسيها، ففيها يجتمعون للصلاة جنبًا إلى جنب يقفون موقفًا واحدًا ويخرون جميعًا ساجدين لله فليس لرأس على رأس ارتفاع، ولا لوجه على وجه تمييز، يدعون الله أن يرشدهم ويوصلهم إلى طريق الحق والسعادة، وأن يرعاهم برحمته ويشملهم برضوانه، يسمعون إمامهم وهو يقرأ القرآن الذي يحض على الإحسان فيكون في ذلك إيحاء قوي للأغنياء بأن يعطفوا على إخوانهم المؤمنين الفقراء فيحسنوا إليهم، وبذلك الإحسان تصفوا قلوب الفقراء من الغل والحسد والبغض للأغنياء فتأتلف بذلك طوائف المؤمنين تحت شعار الإيمان ويكون بذلك مدعاة إلى وحدة الأمة وقوتها[2].

---

(١) حضارة العرب، ترجمة الأستاذ محمد عادل زعيتر، ١/٢٠٤.

(٢) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٢١٨ - ٢٢٠.

الحديث رقم (١٠٦٠)

١٠٦٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ، قَالَ: ((الا ادُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟)) قَالُوا: بَلَى يا رَسُول اللهِ؟ قَالَ: ((إسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذَلِكُمُ الرِّبَاطُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ النبي ﷺ بأداة العرض (ألا) وهي للعرض بدليل قولهم في الجواب (بلى) وتكون للتنبيه إذا كان الغرض منها تنبيه المخاطب لئلا يفوت المقصود بغفلته عنه، وقوله ﷺ (....ما يمحو الله به الخطايا) قال القاضي عياض: محو الخطايا كناية عن غفرانها قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها ورفع الدرجات إعلاء المنازل في الجنة)[2]، وأصل الرباط الحبس ومنه رباط الخيل حبسها واقتناؤها ورابط الجيش: أقام في الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم، ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة ورباط)، والإشارة في قوله (فذلكم الرباط) تدل على التفخيم وزيادة الميم زيادة في التنبيه إلى أن الإشارة إليهم هم، ثم وقوع اسم الإشارة مسندا إليه والمسند (الرباط) معرف باللام، ليفيد قصره عليهم، وكأنه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال معنى الرباط فيه، وألا يتوهم المبالغة في الإخبار عنه بهذا الخبر مع ما للجهاد المسلح من الفضل، فقطع بتكرار العبارة كل وهم وأكد المعنى تأكيدا لا شك فيه، ولعل سر هذا الفضل يرجع إلى أن هذه الأمور رباط دائم للإنسان في أجزاء

---

(١) برقم (٢٥١/٤١)، وتقدم برقم (١٣١)، و (١٠٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٤).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٤١/٢.

اليوم، والليلة، ورباط الجيوش في وقت معين، ورباط الصلاة لمحاربة عدو خفى هو الشيطان، وهوى النفس، ورباط الجيش لقتال عدو ظاهر ولا شك أن قتال العدو الظاهر أيسر، ورباط الجيوش فرض كفاية، ورباط الصلاة فرض عين، ومن هنا كانت عناية النبي ﷺ بأسلوبه التشويقي الذي هيأ القلوب لاستقبال الأمر بداية بالاستفهام عرضا، وتشويقا، ومرورا بعبارات التشويق (يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات)، وانتهاء بتكرار جملة التفصيل (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط) توكيدا لفظياً، ومعنويا يفيد - كما تقدم - نفى المبالغة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ١٠٤، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣١).

الحديث رقم (١٠٦١)

١٠٦١ - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ[1] فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمَانِ، قال اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول ارتباط الإيمان باعتياد المساجد والترغيب فيه وقد جاء في أسلوب الشرط، وهو من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، واستخدام (إذا) كأداة للشرط يشير إلى تحقق وقوعه و (ال) في الرجل للجنس، والتعبير بالاعتياد يشير إلى تتابع مع دوام في الفعل، وجمع المساجد إشارة إلى حرصه على أداء الصلوات، والعبادات خاصة، وليس إلى مسجد معين يألفه، أو يألف أهله، وقوله (فاشهدوا) أمر إشادة وتكريم لهذا المرتاد المعتاد للمساجد، و (له) تخصيص، وتعلق الشهادة بالإيمان تشريف للعبد وتنويه بذكره يقرر فضل الصلاة في المسجد، والمحافظة عليها.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (دلت الآية على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان والصلاة

---

(١) لفظ الترمذي: (المسجد) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه (١/٢٩٥، رقم ٤٨٧).

(٢) برقم (٣٠٩٣)، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ، وصحَّحه ابن خزيمة (١٥٠٢)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢١)، وقال الحاكم (١/٢١٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٨٧).

صحيحة لأن الله ربطها بها وأخبر عنها بملازمتها، والنفس تطمئنّ بها وتسكن إليها، وهذا في ظاهر الصلاح ليس في مقاطع الشهادات، فلها وجوه وللعارفين بها أحوال، وإنما يؤخذ كل أحد بمقدار حاله وعلى مقتضى صفته، فمنهم الذكي الفطن المحصِّل لما يعلم اعتقادًا وإخبارًا، ومنهم المغفّل، فكل أحد ينزل على منزلته ويقدّر على صفته)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان أثر الإيمان بالله في السلوك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

إن الأساليب الدعوية لها أهميتها البالغة في الدعوة إلى الله نظرًا لأثرها البالغ في إقناع المدعوين واستجابتهم، وهى من مقومات نجاح الدعوة إلى الله، ومن هذه الأساليب: الشرط والذي جيء به صريحًا في الحديث في قوله ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، ولأهمية أسلوب الشرط وتعلق جواب الشرط أثر كبير في تحفيز الهمم للإقبال على الدعوة، وقد استخدمه القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[3].

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ٩٠٦/٢، ونقله بنصّه أبو عبدالله القرطبي المفسر في جامع أحكام القرآن ١٣٤/١٠ - ١٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الشهادة بالإيمان للحريصين على صلاة الجماعة في المساجد:

جاء في الحديث الأمر بالشهادة لعامري المساجد بالإيمان، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان" أى يخدمه ويعمره، وقيل المراد بالتردد إليه في إقامة الصلاة وجماعته، وهذا هو التعهد الحقيقي، فاشهدوا له بالإيمان أى بأنه مؤمن[1]، وذلك أن أداء المسلم للصلاة وحفاظه عليها خاصة في المسجد يجعله يحس برهبة المثول بين يدي الحضرة الإلهية خمس مرات في اليوم والليلة، لابد أن يرسخ الإيمان بالله في تفكيره وفي نظرته إلى العالم المادي، فيصبح إيمانه قوة فعالة في حياته، فترتدع نفسه عن الشهوات، وتعدل عما كانت عليه من الآثام والمنكرات، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]، [3]، لأن الإيمان بالله تعالى هو الذي يدفع المسلم إلى المحافظة على الصلاة في المساجد واعتيادها ومن ثَمَّ قال النبي ﷺ "فاشهدوا له بالإيمان".

ولما كانت لصلاة الجماعة في المساجد تلك المكانة الرفيعة والمنزلة العالية، أمر الله تعالى بها فقال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[4]، ولذلك داوم عليها الرسول ﷺ وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها ﷺ حتى في مرضه الذي مات فيه[5]، فروى عن عبيد بن عبدالله بن عتبة قال: «دخلتُ عَلَى عائشةَ فَقُلتُ: أَلا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٥/٢.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٣) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٥٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٤.

قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونكَ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: ففَعَلْنَا. فاغتسَل فذهبَ لِيَنوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ «أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتَظِرونَكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أَفاقَ فقال: أَصلَّى النَّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ. والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ. فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ. وكان رجُلاً رَقيقًا. يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ. ثمَّ إنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ من نفسهِ خِفَّةً، فخرَجَ بينَ رجُلينِ. أَحدُهما العبّاسُ. لصلاةِ الظُّهر، وَأبو بكرٍ يُصلِّي بالناسِ. فلمَّا رآه أَبو بكرٍ ذهبَ لِيَتأخَّرَ، فأَومأَ إليهِ النبيُّ ﷺ بأَنْ لا يَتأخَّرَ، قال: أَجلِساني إلى جَنبهِ، فأجلَسَاهُ إلى جَنبِ أبي بكرٍ، قال: فجعلَ أبو بكرٍ يُصلِّي وهو يأتَمُّ بصلاةِ النبيِّ ﷺ والناسُ بصلاةِ أَبي بكرٍ والنبيُّ ﷺ قاعدٌ

قال عُبيدُ اللهِ: فدخلتُ على عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ فقلتُ له: أَلا أَعرِضُ عليكَ ما حدَّثَتْني عائشةُ عن مَرَضِ النبيِّ ﷺ؟ قال: هاتِ. فعرَضْتُ عليهِ حديثَها. فما أنكرَ منهُ شيئًا، غير أنه قال: أَسمَّتْ لكَ الرجُلَ الذي كان مع العباسِ؟ قلت: لا. قال: هو عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه»[1].

وكان الصحابة رضي الله عنهم من أشد الناس التزامًا لصلاة الجماعة، روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلاَةِ إلاَّ مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ. أَوْ مَرِيضٌ. إنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلاَةَ. وَقَالَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى. وَإنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلاَةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ».

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٨٧.

وفي رواية أنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا، وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»[1].

قال النووي: (قوله: "ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف" معنى يهادى أي يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما وهو مراده بقوله في الرواية الأولى:"إن كان المريض ليمشي بين رجلين". وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل عمارة المساجد:

جاء في الحديث الإرشاد والحث على تعاهد المساجد وعمارتها وأن ذلك دليل الإيمان وموجب للشهادة لصاحبه بالإيمان فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]، ومن معاني اعتياد المساجد وتعاهدها تعهدها بالحفظ والعمارة والنظافة وتطيب رائحتها وغير ذلك، كما يدل عليه استشهاده ﷺ بالآية[4]: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، وكما

---

(١) أخرجه مسلم، ٦٥٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٦٦.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٥/٢.

أشار إلى ذلك الطيبي ببيان أن التعهد هو التحفظ بالشيء وتجديد العهد به، كما جاء في رواية: "إذا رأيتم الرجل يتعاهد المساجد" وفي رواية يعتاد من الاعتياد وهو معاودته إلى المسجد كرة بعد أخرى لإقام الصلاة، وكلاهما حسن"[١]. وجاء في الآية ما يدل على أن عمارة المساجد واعتيادها سبب الفلاح فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٢]، أى إن أولئك هم المفلحون، كقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٣]، يقول: "إن ربك سيبعثك مقامًا محمودًا وهى الشفاعة، وكل "عسى" في القرآن فهى واجبة"[٤].

إن عمارة المساجد في الإسلام من أعظم الأعمال في الإسلام، صحيح أن الإسلام اعتبر الأرض كلها مسجدًا، ولكن لابد للجمع والجماعات من مكان صالح لا سلطان لأحد عليه، ليكون جديرًا بحق بأن يسمى بيت الله وليستشعر المصلي في كل خطوة إليه وكل سجدة فيه أن سعيه موجه إلى غاية واحدة هي الله تبارك وتعالى.

ومن هنا كان اهتمام الإسلام بعمارة الأرض بالمساجد، إن الإسلام كلما دخل بلدًا كان المسجد فيها هو شعاره وعنوانه وكان ناديًا للجمع ومعهدًا للدرس ومعبرًا للذكر وإمام الصلاة فيه هو قائد المعركة، وقاضي الخصومة، وولي أمر المؤمنين ومرشدهم في هذا البلد، ولما كان للمسجد هذه المنزلة حث الشارع على عمارته وذلك يكون بشيئين:

أ - تعمير مادي: وذلك يكون بإقامته وإضاءته وتنظيفه وصيانته.

ب - تعمير روحي: وذلك يكون بإلفه وإدامة الذكر والصلاة، ومدارسة العلم فيه وغير ذلك من النوافل والقُرب[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٢/ ٢٤١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢١/٤.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ١٤٠، ١٤١.

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الإيمان بالله وأثره في السلوك:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة إلى الله بيان الصلة بين الإيمان والسلوك، والحديث مثال على ذلك حيث بين النبي ﷺ أن الإيمان دافع لصاحبه باعتياد المساجد وعمارتها، وأن ذلك العمل من أسباب تقوية الإيمان فكان ذلك سببًا في شهادة الناس وإقرارهم بإيمان صاحبه، فقال ﷺ: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان"، فالإيمان بالله هو عماد الحياة، ومصدر كل سعادة وهو يطلق النفس من قيودها المادية فتتعالى على شهواتها ولا تبالي بالمنافع والمضار، فيسعى الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعًا ضمن قوانين الحق العامة وسنة الخير الشاملة، فكل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه، والإيمان يحول بين المرء واقتراف المعاصي، كما أنه مصدر ينير لصاحبه ظلمات هذه الحياة وقد أخبر الله أهل الإيمان بأن يد المعونة والتأييد ممدودة لهم[1]، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[2]، وقال: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[3].

إن الإيمان بالله تعالى وعبادته ينتظم جميع الأعمال الإنسانية فيتحقق بذلك ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[4].

فالمسلم في وسعه أن يتعبد بكل نية ينعقد عليها عزمه، وكل كلمة أو حركة تهتز لها جوارحه، مادام يبغي بذلك وجه الله تعالى. فالرجل يمسي كالاً من عمل يده عابد، والمرأة تبيت ساهرة على رعاية طفلها عابدة، حتى الذي يعني بطعامه ويهتم بعلف دابته - إذا نوى إعداد بدنه للكفاح، ودابته للجهاد - ينال بما نوى أجرًا عظيمًا، ويكتب في عداد العابدين[5].

---

(١) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٥ - ١٧٧.

(٢) سورة التغابن، الآية : ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٧.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من ميادين التربية: المسجد:

وهذا مستمد من أحاديث الباب، التي ترغب في الذهاب إلى المسجد، قال الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي عن الوظيفة التربوية للمسجد: "كانت للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددًا منها، فقد كان منطلقًا للجيوش وحركات التحرير، تحرير الأمم والشعوب من العبودية للبشر والأوثان والطواغيت ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزًا تربويًا يربى فيه الناس على الفضيلة وحبّ العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر، فكان أن انطلق تعليم القراءة والكتابة، أي البدء بمحو الأمية من مسجد رسول الله ﷺ وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل، وبقي الأمر على هذا ما بين مدّ وجزر، تطغى الأغراض الدنيوية حينًا على بعض المنظمين لرواد المساجد، ممن كانوا يسمون علماء، فتنقلب حلقاته إلى موارد للرزق، ومعاقل للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الشخصي"[1].

ثانيًا: التربية بالتحفيز:

للتربية بالتحفيز أثر كبير في النفوس، لأن هذه التربية تبعث على الإقدام والتنافس في الخيرات وتحصيل الثواب، وقد تجلى ذلك في قول النبي ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلاً...». وفي هذا الحديث تربية بالتحفيز على الحرص على الغدو والرواح إلى المسجد، لتحصيل هذا الفضل العظيم المترتب على ذلك.

وقوله ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَىٰ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ ...».

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٩، وانظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

ففي هذا الحديث ذكْر أن من تطهر وذهب إلى المسجد، ليصلي الصلوات المفروضة يبتغي به وجه الله عز وجل، ولم يذهب لغرض من الأغراض الأخرى التي لم يبن المسجد لها، فلم يذهب لقضاء وقت من مسامرة أو حديث، وكذلك لم يذهب لنوم أو نحو ذلك، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة على أن يذهبوا إلى المسجد للأغراض التي جُعِلَ المسجد من أجلها، ولا يقتصر هذا على المسجد فحسب، بل يمتد أيضًا ليشمل كل مناحى الحياة ونواحيها، فإذا أدّى الناشئة أعمال الأماكن التي هم فيها، دلّ ذلك على حسن تربيتهم وفضل أخلاقهم ومزيد معرفتهم بالواجبات والمسؤوليات، مما ينعكس على حياة الفرد والمجتمع فيُحقق أمل النجاح والفلاح والفوز ونحو ذلك، وإلاّ وقع الخلل والانحراف عن الجادة.

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ ....». فهذا الحديث يتضمن تربية بتحفيز كل مسلم على السعي إلى المساجد والاستكثار من المشي إليه وانتظار الصلاة مع الإمام، مما يؤصل في النفس الإقبال على الطاعة والصبر عليها رغبة في الثواب العظيم، بدلاً من الانصراف واستثقال ذلك على النفس. ومن التربية بالتحفيز ما ورد في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وهذا مما يغرس في النفوس أهمية الحرص على هذا الفضل، تحصيلاً لما أعده الله تعالى للمشائين في الظلم إلى المساجد.

ثالثًا: تربية الناشئة على تحصيل أعظم الأجر وأفضله:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». وقوله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشىً، فَأَبْعَدُهُمْ». وعندما قال الصحابي: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ. وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي». عندما قال ذلك قال النبي ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ».

وعلى هذا ينبغي أن يربى الناشئة، وذلك قد يندرج فيما يطلق عليه علماء التربية

وعلماء السلوك، السعي للتميز، بقول د. إبراهيم بن حمد القعيد: "أقصد بعادة السعي للتميز: العمل الدؤوب ومواصلة الاستمرار عليه لتحقيق التميز في الحياة، وهذا يعني مداومة التطوير الذاتي ورفع مستوى الإيمان والأخلاق والعلاقات وتسخيرها لتحقيق رسالتك في الحياة، ومن ثم فعادة السعي للتميز في حياتك تعني ثلاثة أمور رئيسة.

الأول: المداومة على رفع مستوى إيمانك.

الثاني: المداومة على رفع مستوى الاحتراف والتخصص والإنتاج والكفاءة والفعالية في عملك أو مهنتك.

الثالث: المداومة على رفع مستوى علاقتك الإيجابية مع الآخرين.

أما الإيمان فهو المعين الذي لا ينضب من العلاقة القوية والدائمة مع الله سبحانه وتعالى، وبقدر ما تقوي هذه العلاقة، ويرتفع مستوى الإيمان وتتدرج في مقاماته، تحقق رسالتك في الحياة بفاعلية، والإيمان - كما هو معروف - مؤشر حساس في حياتنا يرتفع حينًا بسبب زيادة العلم وإخلاص العبادة والاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى. وينخفض حينًا آخر بسبب الانشغال والكسل والغفلة والإهمال. وجوهر عادة السعي للتميز، هو أن تُبقى هذا المؤشر في حركة دائبة نحو الارتفاع وتبحث عن الوسائل والطرق التي تحافظ على هذه الحركة الدائبة من الأسفل إلى الأعلى..." [1].

رابعًا: تربية الناشئة على أن الأجر يتفاوت بتفاوت العمل:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ. وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ»، فقد بيّن ﷺ أن الأجر في الصلاة يختلف ويتفاوت باختلاف مسافة المشي من البيت إلى المسجد، فأعظم المصلين أجرًا من كان أبعد ممشى فأبعدهم.

كما بين ﷺ أن اختلاف الأجر في الصلاة باختلاف تحمل المصلّي وصبره، فمن

---

(١) العادات العشر للشخصية الناجحة ص ٨٩ - ٩٠.

انتظر ليصلي مع الإمام أعظم أجرًا ممن لم يصبر ولم يبذل جهدًا لأن يصلي في جماعة، بل استجاب لرغبته في النوم فصلى بمفرده ثم نام.

والخلاصة أن الأجر يختلف باختلاف العمل ودرجته، وعلى ذلك ينبغي تربية الناشئة، فلا يتساوى عندهم الأعمال أهمها مع مُهمها، وأفضلها مع فاضلها، وسيئها مع أسوئها، وقبيحها مع أقبحها، ونحو ذلك، بل يترسخ في أذهانهم وأفئدتهم أنه لا يتساوى المحسن مع المقتصد فضلاً عن أن يتساوى لديهم الطيب مع الخبيث.

وإذا رسخ ذلك في أفئدتهم دفعهم ذلك لأن يأتوا بأفضل الأعمال وأحسنها، ويتركوا أسوأ الأعمال إن هم عجزوا عن ترك سيئها، وهكذا يكون سلوكهم في جميع مناحى حياتهم ومراحلها، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

خامسًا: التربية بالصبر على الطاعة وملازمتها طمعًا في فضل الله تعالى:

لا شك أن النفس الإنسانية تحتاج إلى مجاهدة ومراقبة، وأحيانًا تمل نفس الإنسان من ملازمة الطاعة، خاصة إذا فترت همته، ووسوس إليه الشيطان، ولبّس عليه بأنه يعاني التعب والإجهاد وبحاجة إلى الراحة وغير ذلك من الأعذار التي يمكن للإنسان أن ينتحلها مبررًا للتقاعس عن العبادة، إلا أن النبي ﷺ أمر بالصبر والمصابرة بصفة عامة في كافة الأمور، وبصفة خاصة في أمور العبادة والطاعة، والتي من جملتها المشي إلى المساجد في الظلمات في قوله ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فالنبي ﷺ بشر من يمشي في الليل وقت الظلام من أجل أن يذهب إلى المسجد ليصلي العشاء والفجر، وصبره على ذلك وتحمل البرد والظلمة أحيانًا في بعض الأماكن، وكذلك وحشة الطريق إذا كان المسجد بعيدًا عن مكان الإنسان، بشره بالنور التام الكامل يوم القيامة، حيث يجد الثواب الجزيل الذي أعده الله لفعله هذا. وصبره على الطاعة وملازمته لها، فإذا كان مشى في الظلام من أجل الصلاة فإن الله

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٧ - ١٨.

كافأه بالنور يوم القيامة، وعلى مثل هذا ينبغي أن يربى الناشئة، فيتركون الدعة والراحة في الدنيا من أجل الراحة والنعيم في الآخرة.

يقول د. محمد أمين شحادة: "وصرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن، والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية، بل تحتاج إلى تطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها.

لاشك أن الجلوس والتراخي في البيت من مواطن الراحة لكن قد يأبى الداعي النشيط إلا الخروج للناس ومخالطتهم ودعوتهم وتحمل أذاهم أينما كانوا مستصغرًا في سبيل ذلك تعب جسده، ولاشك أن الاطمئنان على النفس والمال من أعظم مواطن الراحة الأساسية في حياة الإنسان حسب دراسات متخصصة في هذا المجال، لكن الكيِّس الطالب رضوان الله تعالى قد يتخطى ذلك الحاجز المادي الذي يشده للأرض، فيخاطر بنفسه وماله، بل قد يضحي بهما في سبيل أهداف وغايات ينشدها" [(١)].

سادسًا: من مهام المربي: بيان معايير الحكم على الناس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمَانِ، قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[(٢)]» . فقد أخذ النبي الحكم من الآية الكريمة.

إن من أبرز المهام التربوية التي ينبغي أن يضطلع بها القائمون على التربية: بيان معايير الحكم على الناس خاصة في هذا الزمان الذي انبهمت فيه الرؤى الصحيحة على

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ص ٤٠٧، ٤٠٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٨.

كثير من الناس، حتى أصبح الثراء المادي أو الوجاهة الاجتماعية، أو المناصب هي أساس الحكم على الناس، وغابت القيم الحقيقية التي ينبغي أن يربى عليها الإنسان صغيرًا أم كبيرًا، ومن جملة هذه القيم الشهادة بالفضل وبالإيمان لمن يلازم اعتياد المساجد، والتي من جملة عمارتها إعمارها بذكر الله وإقامة الصلاة، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ وقوله ﷺ: كما في حديث الباب: «إِذَا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيْمَانِ».

حقًا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]. "لقد وُجدت التربية الإسلامية من أجل العمل بها وتفعيلها في الواقع العملي في الحياة، وما ذلك إلا لأنها أحكام شرعية مستمدة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، مع كونها قيمًا سلوكية تتفق مع قدرات الإنسان العقلية والوجدانية والجسدية" [2].

"وحياة الرسول ﷺ في سلمه وحربه، في حلّه وترحاله، في داره وبين رجاله، كلها تشهد بما شهدت به السيدة عائشة والمسلمون جميعًا من أنه كان خلقه القرآن، فأدعيته مستقاة من القرآن تارة باللفظ وتارة بالمعنى، أما أصحابه رضوان الله عليهم فقد أخذوا أنفسهم بتطبيق القرآن مع تعلمه حتى قال قائلهم: كنا على عهد رسول الله ﷺ لا نجاوز السورة من القرآن حتى نحفظها ونعمل بها فتعلمنا العلم والعمل جميعا"[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢)أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي ص ٤٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٤.

١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

الحديث رقم (١٠٦٢)

١٠٦٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تحبسه: تمنعه[2].

ينقلب إلى أهله: أي يعود ويرجع إلى بيته[3].

الشرح الأدبي

الحديث يثمن غاليا تلك اللحظات الطاهرة التي يقضيها المؤمن في رحاب ربه في بيت من بيوت الله - تعالى- ينتظر الصلاة مما يرغب المؤمن في طول المكث في المسجد مكان السكينة، والطمأنينة، وقد بدأ الحديث بفعل يدل على الاستمرارية بصيغته، ودلالته وهو قوله (لا يَزَالُ أحَدُكُمْ) كما أن لفظ (أحدكم) يدل على عموم الحكم لأنه مضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع، وقوله (في صَلاَةٍ) يقرر أن ثوابه مستمر، وأجره غير منقطع أكده بالفعل الدال على الدوام، والاستمرار (مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ) والتعبير بالحبس إشارة إلى قسر النفس على طاعة الله تعالى لأن حمل النفس

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٩)، ومسلم (٦٤٩/٢٧٥، كتاب المساجد، باب ٤٩) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب س)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ل ب).

على الطاعة يحتاج إلى مجاهدة النفس، والشيطان، وقد صوره الفعل المضارع بصيغته (تحبسه) وقوله (لا يَمنَعُهُ أنْ يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاَّ الصَّلاةُ) أسلوب قصر لصفة المكث في المسجد على الصلاة دون أي غرض دنيوي، وفيه إشارة إلى الإخلاص لله تعالى في بقائه في المسجد، وانتظاره للصلاة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المجدية في الدعوة إلى الله تعالى والتي لها أكبر الأثر في الإقبال عليها والاستجابة لها والثبات عليها وقد ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة عليه، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلهِ إلاّ الصلاةُ)). والمقصود بالترغيب في الشرع: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكرُ الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، والترغيب كان من أساليب الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[١]، فرسل الله دعاة جاءوا بوحي ورسالة وحق وهداية فمن قبل هدى الله فلا يضل ولا يشقى تبشره الرسل بالهداية وتسره بالفوز في الدنيا والآخرة[٢].

إن سبل الخير لما كانت محفوفة بالمكاره ومخالفة هدى النفس وسبل الشر محفوفة بمغريات النفس وفواتن الأهواء والأفكار، كانت إذن الدعوة إلى الله وأصولها تستدعي إيجاد قوة محرضة وجاذبة إلى طريق الهداية زائدة على الإقناع الفكري المجرد، وتستدعى كذلك إيجاد قوة صادّة عن سبيل الشر وطريق الغواية زائدة بعضها أيضًا على قوة الإقناع الفكري المجرد[٣].

وهاتان القوتان -المحرضة والصادة- يطلق عليهما الترغيب والترهيب أو التحفيز والتحذير، وهما من الأساليب الدعوية التي اعتمدها النبي ﷺ[٤]، واستخدمها كوسيلة من وسائل الدعوة والتربية والإعداد، مصحوبًا بتصوير فني رائع لنعيم الجنة مثيرًا الانفعالات والوجدانية والعواطف الربانية فهو ﷺ لا يغفل عن أية طريقة أو أي أسلوب يوجه به الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي يصلح لحياته[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

صرح الحديث بفضل انتظار الصلاة، فقال ﷺ: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلهِ إلاّ الصلاةُ)). وفي ذلك فضل كبير وأجر عظيم، فلا يزال المنتظر للصلاة يجرى عليه ثوابها ما دام ينتظرها فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان، وفي ذلك تنبيه على تصحيح النية[٦]، إضافة إلى ما في انتظار الصلاة من إمكانية الصلاة في الصف الأول وإدراك

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٣) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ص ٢٥٣، ٢٥٤.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٢٠.

(٥) فلسفة التربية الإسلامية، في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٤٥.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

تكبيرة الإحرام، ولذلك فضيلة لا تنكر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لا يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه"[١]، وهذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين، ولو استقرأت حال السلف الصالح لوجدت أن تبكيرهم وانتظارهم الصلوات سمة بارزة في حياتهم ومنذ الصغر ومعظمنا يسمع أن سعيد بن المسيب لم تفته تكبيرة الإحرام بل ما أذن المؤذن إلا وهو في المسجد[٢].

إن النصوص والآثار تبين أن انتظار الصلاة واللبث في المسجد لأي نوع من أنواع العبادة كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم ونحو ذلك من عمارة المساجد أمر مُرَغَّب فيه شرعًا وأن المنتظر للصلاة والذاكر لله تعالى بعدها في مصلاه لا يزال في ثواب الصلاة حتى ينصرف[٣].

وذلك يدخل في عموم عمارة المساجد الموصوف بها أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٤]، أي إنما يعمر مساجد الله بالرعاية والعناية والولاية والعبادة، إنما يعمره من آمن بالله إيمانًا كاملاً صادقًا وآمن باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، وكان عمله الظاهر موافقًا لعقيدته فيقيم الصلاة ويؤديها كاملة الأركان، ويؤدي الزكاة لأربابها.

والمعنى قصر تعمير المساجد على المؤمنين بالله والمقيمين الصلاة إقامة كاملة مع إيتاء الزكاة، والخشية من الله وحده دون غيره مما لا ينفع ولا يضر والمراد الخشية

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٣.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضيري من إصدارات الكتاب الإسلامي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٩هـ ٢/١٩٤، ١٩٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

الدينية لا الغريزية كالخوف من الحيوان المؤذي مثلاً، ونحن نرى الآن أنه لا يعمر بيوت الله إلا هؤلاء فقط.

فأولئك الموصوفون بهذه الصفات الجليلة هم المهتدون إلى الخير، المستحقون على أعمالهم عظيم الأجر، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ وفي تصدير جزائهم بكلمة عسى إشارة إلى قطع أطماع الكفار أي إذا كان هؤلاء العاملون المقربون جزاؤهم بين لعل وعسى فما بال الكفار؟!!(١).

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على انتظار الصلاة في المسجد والتبكير لها:

من الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المسلم الحرص على انتظار الصلاة والتبكير لها، وفي ذلك جريان لأجر الصلاة على من ينتظرها، فيقول ﷺ "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه" وهذا من رحمة الله بعباده وجزيل كرمه، أن رتب على جلوسهم في المساجد وانتظار الصلاة كأجر المصلى، لكن ينبغي على من ينتظر الصلاة ألا يضيع هذا الوقت فيما لافائدة فيه، فقد يفرط كثير من الناس بهذا الوقت، وقت انتظار الصلاة، خاصة بين الأذان والإقامة فتجدهم يقلبون أعينهم في المصلين أو التالين، وبعضهم يرسل بصره وعقله في تأمل نقوش المسجد وعمارته إلى غير ذلك، ولو أنهم اغتنموا هذا الوقت بقراءة القرآن أو ذكر الله أو الاجتهاد في الدعاء لأنه وقت إجابة لكان فيه الخير الكثير(٢).

لذا ينبغي على المسلم إذا وفق للمكث في المسجد لانتظار الصلاة أو غير ذلك أن يستغل وقته هذا ولا يدعه يمر خاليًا من الأعمال الصالحات.

إن واجب المسلم نحو وقته أن يدرك أولاً أن وقته هو حياته فيحفظه ويحصى كل ساعة منه فيصرفها بعمل ينفعه في دينه دنياه، ويحرص على عمارة أوقاته بالعمل الصالح لينجو يوم القيامة، حيث إن الفوز بالجنة سببه ما أسلف العبد في أيامه

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣٤/١٠/١.

(٢) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١٩٦، ١٩٧.

الخالية[١]، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[٢]، أي: بما قدمتم في أيام الدنيا[٣] وقال الإمام النسفي: (بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام الخالية)[٤].

ولقد ضرب الله الأمثال في تتابع الليل والنهار ليتدبر العقلاء ويعتبروا بمرور الأيام، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[٦].

قال د. يوسف القرضاوي: (إن مضي الزمن واختلاف الليل والنهار لا يجوز أن يمر بالمؤمن وهو في ذهول عن الاعتبار به والتفكير به، ففي كل يوم يمر، بل في كل ساعة تمضي، بل في كل لحظة تنقضي، تقع في الكون والحياة أحداث شتى، منها ما يرى وما لا يرى، ومنها ما يعلم وما لا يعلم، من أرض تحيا، وحبة تنبت، ونبات يزهر، وزهر يثمر، وثمر يقطف، وزرع يصبح هشيمًا تذروه الرياح، أو من جنين يتكون، وطفل يولد، ووليد يشب، وشاب يكتهل، وكهل يشيخ، وشيخ يموت!، ومن أحوال تدور على الناس كلما دار الفلك من فوق أو دارت الأرض من تحت، بين يسر وعسر، وغنى

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٨٠.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ١٨ - ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧١/١٨/٩.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٩.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٦) سورة النور، الآية: ٤٤.

وفقر، وصحة وسقم، وسرور وحزن، وشدة ورخاء، وسراء وضراء، وفي كل ذلك آية لمن كان له لب، وذكرى لمن كان له قلب، وعبرة لمن كان له بصر)[١].

فالوقت مسؤول عنه العبد يوم القيامة، واعتبر العلماء أن من العقوق إضاعة الوقت، كما جاء في فيض القدير: إن (من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثَّله، أو حمدٍ حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه وظلم نفسه)[٢].

فالمسلم لا يهدر وقته، بل يملؤه بالعمل النافع كما كان حال سلف الأمة، كانوا شديدي الحرص على عدم تضييع الوقت بدون عمل نافع[٣].

---

(١) الوقت في حياة المسلم ص ١٠، ١١.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٢٨/٦.

(٣) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ص ٢٧.

الحديث رقم (١٠٦٣)

١٠٦٣ - وعنه رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

العلاقة بين الملائكة، والمؤمنين علاقة حميمة تقوم على الرعاية والحفظ، والدعاء من جانب الملائكة بينما يستشعر المؤمنون وجودهم في إيمان عميق ومحبة لخلق أطهار، وقد صدر الحديث بلفظ الملائكة، وهو تقديم للمسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (الملائكة تصلي) ويفيد الاختصاص، أو الاهتمام، وتقوية الحكم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب ليشمل الجميع، والفعل المنفي (مادام) يفيد البقاء، والاستمرار، قوله (ما لم يحدث) أي ما لم يأت بالحدث، وكلمة ما مصدرية زمانية، والتقدير مدة دوام عدم الحدث، فحذف الظرف، وخلفته ما وصلتها، والجناس بين مصلاه، وبين صلى يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان، وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه، وحكاية صلاة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا الدعاء، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا قال تعالى (﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] (وما أصابكم) خطاب للمؤمنين (من مصيبة) بلية، وشدة (فبما كسبت أيديكم) كسبتم من الذنوب وعبر بالأيدي لأن أكثر

---

(١) برقم (٤٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٦).

الأفعال تزاول بها (ويعفو عن كثير) منها فلا يجازي عليه وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، فمغفرة الذنب تجنبه الشدائد في الدنيا، والعذاب في والآخرة، والرحمة يحتاج إليها الإنسان في كل شؤونه في الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب الحدث في المسجد[١].

قال ابن حجر: (قال المازري: أشار البخاري إلى الرد على من منع المحدث أن يدخل المسجد أو يجلس فيه، وجعله كالجنب، وهو مبني على أن الحدث هنا الريح ونحوه، وبذلك فسره أبو هريرة كما تقدم في الطهارة[٢]. وقد قيل المراد بالحدث هنا أعم من ذلك؛ أي لم يحدث سوءًا، ويؤيده رواية مسلم ((ما لم يحدث فيه، ما لم يؤذ فيه))[٣] وفي أخرى للبخاري ((ما لم يؤذ فيه بحدث فيه)) وسيأتي قريبًا بناءً على أن الثانية تفسير للأولى)[٤].

ثم قال: (فيه دليل على أن الحدث في المسجد أشدّ من النخامة لما تقدم من أن لها كفارة، ولم يذكر لهذا كفارة[٥]، بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة، ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٦])[٧].

وتعقب ابن باز في تعليقه على الأجزاء الأولى من فتح الباري، تعقب ابن حجر في هذا

---

(١) الحديث ٤٤٥.

(٢) الحديث ١٧٦ في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٢ - ٦٤٩، وهي عند البخاري ٢١١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١.

(٥) أخرجه البخاري ٤١٥، ومسلم ٥٥٢ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا: "البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها".

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

(٧) فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١ - ٦٤٢.

فقال: (هذا فيه تفصيل: فإن قصد بالحدث المعصية أو البدعة فما قاله الشارح متوجه، وإن أريد بالحدث الريح ونحوها مما ينقّص الطهارة سوى البول ونحوه فليس ما قاله الشارح واضحًا، والصواب إباحة ذلك أو كراهته من غير تحريم، وإن فاتته به صلاة الملائكة ويؤيد الثاني ما ذكره الشارح في شرح الحديث ٤٥٧ فتنبه)[١].

قلت: قال ابن حجر في شرح الحديث ٦٥٩ ما نصه: (وقد تقدم الكلام في الطهارة على معنى قوله "ما لم يحدث" وفيه زيادة على ما هنا، وأن المراد بالحدث حدث الفرج، لكن يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منها يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بيّنًا، حيث بين النبي ﷺ أجر وفضل الجلوس في المسجد بعد الصلاة فقال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣].

---

(١) تعليق ابن باز على فتح الباري، ابن حجر ٦٤١/١ حاشية ١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٣/٢ .

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا يأتي بشيرًا ونذيرًا، فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها، ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب ويوقظه الإنذار ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه[١].

فالترغيب والترهيب، والرجاء والخوف هما جناحا الإيمان وقد وصف الله عباده المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء بالتوجه إلى الله تعالى يحدوهم إليه الخوف والرجاء، قال تعالى عن نبيه ذكريا وآل بيته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢] وقال تعالى عن عباده المؤمنين: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۞ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣].

وتتجلى أهميته الترغيب والترهيب في موافقته لطبيعة الإنسان وفطرته التي فطر عليها.

فالإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب[٤].

وتأتي أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة من عدة اعتبارات منها:

أ - أنه أحد الأساليب الدعوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي فالقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أُمر به والانتهاء عما نهى عنه.

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٤) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ب- أن الإنسان مفطور على حب جلب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء وهذا يدفع للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبية بشكل قوي حيث أن الترغيب والترهيب أمران يقومان على الخوف والرجاء.

ومن آيات الترغيب في الآخرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[1].

ج- أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، كما أنه يستطيع أن يستجيب لأوامر التكليف، فيمتنع عما نهى عنه، والعمل بماأُمر به. مما يجعل للترغيب والترهيب أثر ظاهر في الدعوة إلى الله.

د- أن الترغيب والترهيب أسلوب تربوي وقائي، لأنه يقوم على جانب التحذير من المخالفة، مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية الدعوية[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الملائكة للمؤمن ما دام في مصلاه:

إن لانتظار الصلاة في المسجد والمكث في المسجد بعد أدائها ثواب لا يدانى، وفضل لا يضاهى ومن مظاهر ذلك أنه يكتب للإنسان ثواب هذا الانتظار والجلوس كأنما استغله في أداء صلوات، زد على ذلك محبة الملائكة ودعائها له واستغفارها له ما دام في مجلسه على وضوئه[3]، وذلك ما جاء في صريح قوله ﷺ: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يحدث، تقول اللهم اغفر له، اللهم ارحمه" قال ابن حجر: (ودعاء الملائكة مرجو الإجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4][5].

---

(١) سورة النبأ، الآية: ٣١ - ٣٦.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي، ٣٩٣ - ٣٩٥.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٦٤٢/١.

قال الطيبي في قوله "اللهم اغفر له اللهم ارحمه" طلب الرحمة بعد طلب المغفرة لأن صلاة الملائكة استغفار لهم[١].

قال ابن حجر: (وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾[٢] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٣]، قيل والسر فيه أنهم يطلعون على أفعال بني آدم وما فيها من المعصية والخلل في الطاعة فيقتصرون على الاستغفار لهم من ذلك، لأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة، ولو فرض أن فيهم من تحفظ من ذلك فإنه يعوض من المغفرة بما يقابلها من الثواب)[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على انتظار الصلاة في المسجد:

من مهام الداعية وصفاته حث المدعوين على انتظار الصلاة وعدم التعجل بالخروج من المسجد بعد أداء الصلاة، رغبة في الخير ودعاء الملائكة، وكما جاء في الحديث "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه" فمن جلس في مصلاه بعد أداء الصلاة فإن الملاكة تصلي عليه وتدعو له بالمغفرة، وإن المكث في المسجد بعد أداء الصلاة من شأنه أن يرقق القلب ويذرف الدمع ويقرر العبد بذنوبه، وذلك بذكر ربه وجمع قلبه عليه، وهو في هذا الموطن الطاهر والبقعة المباركة، فالمكث فيه بمفرده عبادة واعتكاف إن نوى ذلك، وحق على المزور أن يكرم زائره[٥].

فحريٌّ بالمسلم أن يخصص من وقته في انتظار الصلاة تحصيلاً للأجر والمثوبة قال

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ج٢/٢٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥.

(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٦٨/٢.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢.

تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: طهارة المساجد والمحافظة عليها من الأحداث:

ينبغي لكل مسلم أن يحافظ على طهارة المسجد ونقاء جوه وطيب رائحته، لذا بين النبي ﷺ أثر الحدث في المسجد في انقطاع استغفار الملائكة للإنسان فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث" وفيه دليل على أن الحدث يبطل ذلك ولو استمر جالسًا وفيه دليل على أن الحدث في المسجد أشد من النخامة فإنه لا كفارة له ولم يذكر لهذا كفارة بل عومل صاحبه بحرمان استغفار الملائكة[2].

وقال ابن حجر أيضًا: يؤخذ منه أن اجتناب حدث اليد واللسان من باب الأولى، لأن الأذى منهما يكون أشد، أشار إلى ذلك ابن بطال[3].

ولقد كره العلماء الحدث في المسجد قال ابن عابدين: (وأما الريح فيكره إخراجها في المسجد؛ سواء أكانت ضراطًا[4] أم فساء[1] وقيل: يجوز إخراج الريح في المسجد لجواز النوم فيه[5].

والكراهة إنما هي للتنزيه، وليست للتحريم، وفرق بين المتعمد لإخراجها فإنه لو أخرجها عمدًا قاصدًا الإضرار بمن حوله وإيذاءهم فإن إخراجه لها في هذه الحالة محرم عليه؛ لأن أذى المسلمين محرم. ودليل الكراهية: هذا الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٤١/١، ٦٤٢.

(٣) المرجع السابق ١٦٧/٢.

(٤) الفساء: خروج الريح بلا صوت، والضراط: خروجها بصوت، مختار الصحاح في (ض ر ط).

(٥) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٥٦/١.

رسول الله ﷺ قال: ((الملائكةُ تُصلّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاّهُ الذي صلّى فيه ما لم يُحدث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ)) ولمسلم: "ما لم يحدث فيه". ولهما: "ما لم يؤذ فيه"[١].

الشاهد: "ما لم يحدث... ما لم يؤذ فيه".

وجه الدلالة: أن إخراج الريح هو الحدث، كما فسره أبو هريرة رضي الله عنه وبسببه ينقطع استغفار الملائكة عمن صدر منه عقابًا له؛ لأنه آذى من حوله بالريح التي تخرج منه، فإن قيل: إن المراد بقوله "يحدث" أي يأتي ببدعة، فالجواب: أن أبا هريرة فسر الحديث، وهو راوي الحديث، ولا مانع أن تشمل الكلمة ما فسره أبو هريرة وزيادة[٢].

خامسًا - من وسائل الدعوة: الدعاء:

لقد وردت الإشارة إلى الدعاء في هذا الحديث الذي معنا من خلال إخبار النبي ﷺ بدعاء الملائكة لمن يمكث في مصلاه فقال ﷺ "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه" ولاشك أن الدعاء يعد من الأساليب الدعوية المهمة في حصول ما يأمله الداعية من انتشار الدعوة ونجاحها، وعلو شأنها، وقد أمر الله عباده بالدعاء، ووعد بالاستجابة في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣] وقوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٤]. والدعاء أمر ضروري للداعي لتقوية صلته بالله عز وجل، فالداعي إلى الله يهدف إلى تعريف الناس بربهم وتوثيق علاقتهم به، فكيف يتأتى له ذلك إذا كان واهي الصلة بالله عز وجل[٥]. ومن هنا يتبين لنا أهمية الدعاء وأثره البالغ.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٩، ومسلم ٦٤٩.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضير ٢٠٧/٣.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٥) انظر: أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩.

إن الدعاء من أعظم العبادات وليس شيء أكرم على الله من الدعاء ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فلنسأل الله في حوائجنا صغيرها وكبيرها عاجلها وآجلها ولننتظر الفرج من الله تعالى[١].

وقد أمر الله بالدعاء في مثل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾[٢].

ولا يقتصر الإنسان على الدعاء لنفسه بل رغب الإسلام في الدعاء للآخرين ولا سيما بظهر الغيب وقد وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٣].

وينبغي على الداعي أن يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغيرهما.

قال ابن مفلح: (فالعارف "يعني الذي يعلم حق الله عليه مثلاً" يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك ولا يملُّ ولا يسأم ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة، فإنه أنجح، فالواجب النظر في الأمور، فإن عدم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[٤] وليعلم أيضًا أن كل شيء عنده بأجل مسمى[٥] كما ينبغي على الداعي أن يلتزم للدعاء

---

(١) انظر: خطب مختارة، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٩هـ ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٥.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ج١/١٤٩.

بآدابه، وقد جمع العلماء آداب الدعاء في عدة أمور منها:

أ - أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

ب - أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

ج - أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

د - الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

هـ - أن يلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطئ الإجابة.

و - أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

ز - التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكُنْهِ الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة، وتحري أكل الحلال[1].

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٢٠٤ - ٢٠٧.

الحديث رقم (١٠٦٤)

١٠٦٤ - وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلاَةَ العِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: ((صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا)) رواه البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شطر الليل: نصفه[2].

الشرح الأدبي

حركة الرسول ﷺ وسكونه مرتبط بربه، ومحكوم بغرض التبليغ لذلك نجده عند كل حدث يستجد موعظة، أو توجيها ينفع الأمة في حاضرها يوم الحديث في الصحابة أو فيما وليهم من عصور، وما سيليهم إلى يوم القيامة، والحديث أسلوبه خبري إفادة مضمون الخبر والمقصود بشطر الليل نصفه (ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) الإقبال هو المواجهة، وليس هناك أجمل مشهدا من ذلك، وكأني بالصحابة ينهون صلاتهم ثم ينتظرون هذا الحدث، وعيونهم معلقة بشخصه، وقوله (صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا) خبر أريد به لازم الفائدة، وهو الإشادة بالمنتظرين للصلاة، والبشارة لهم بجريان الأجر عليهم من الله ما داموا في انتظارها.

فقه الحديث

قال النووي: (اختلف العلماء: هل الأفضل تقديم صلاة العشاء أم تأخيرها؟ وهما

---

(١) برقم (٦٦١)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٦٤٠/٢٢٢، وسيكرره المؤلف برقم ١٧٥٠. أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ط ر).

مذهبان مشهوران للسلف، وقولان لمالك والشافعي، فمن فضل التأخير احتج بهذه الأحاديث[١] ومن فضل التقديم احتج بأن العادة الغالبة لرسول الله ﷺ تقديمها، وإنما آخرها في أوقات يسيرة لبيان الجواز أو لشغل أو لعذر، وفي بعض هذه الأحاديث الإشارة إلى هذا، والله أعلم)[٢].

والواضح من جملة الأحاديث أن الاختيار في ذلك للإمام فيعجل بها إذا اجتمع الناس ويؤخرها إذا تأخروا لحديث جابر عند الشيخين، وفيه قوله: "والعشاء أحياناً يعجل، كان إذا رآهم اجتمعوا عجل وإذا رآهم أبطئوا أخر".

ويفهم من ذلك أنه ليس للفرد أن ينفرد بتأخير العشاء إذا لم يؤخرها إمامه لأن في فعله ضياع الجماعة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل.

ثانيًا: من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة وعدم التعجل:

جاء في الحديث بيان فضل انتظار الصلاة وأدائها جماعة مع الإمام، وجريان أجر الصلاة على من ينتظرها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخر ليلة صلاة العشاء إلى شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلى فقال صلّى الناس ورقدوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" وفي ذلك تبشير لهم بالفضل الذي نالهم من تأخيره الصلاة بهم[٤].

---

(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم ٦٣٨ - ٦٤٣: باب وقت صلاة العشاء: كتاب المساجد ومواضع الصلاة. وانظر هذه الأحاديث في رياض الصالحين الباب رقم ٣٣٤، باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة، الأحاديث ١٧٤٨ - ١٧٥٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١٦/٥/٣ - ١١٨. وانظر فتح الباري، ابن حجر ٥١/٢ - ٥٢.

(٣) انظر: الدين الخالص، الشيخ محمود خطاب ١٨/٢، ط/٤: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

وجاءت أحاديث أخر بنفس المعنى، وذلك مثل ما روي عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((... والذي يَنتظِرُ الصلاةَ حتى يصلِّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجرًا من الذي يُصلِّي ثمَّ يَنامُ))[١] قال ابن حجر: (أي سواء صلى وحده أو في جماعة، ويستفاد منه أن الجماعات تتفاوت)[٢]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة" قال الشيخ شمس الدين آبادي: (أي ما دام ينتظر فإن الأعمال بالنيات، بل نية المؤمن خير من عمله في بعض الأحيان)[٣].

كما بين النبي ﷺ في الحديث أن في انتظار الصلاة وأدائها مع الإمام تحصيل الثواب، وأن الثواب على قدر المشقة[٤].

ثانيًا- من مهام الداعية: تبشير المدعوين بالثواب العظيم على انتظار الصلاة:

إن من مهام الداعية تبشير المدعوين بالثواب على فضائل الأعمال ومنها ما جاء في الحديث من بيان فضل انتظار الصلاة، فقال ﷺ: "ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" إذ أن مسلك التبشير له نتائجه الباهرة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتنقيتها من قبائحها، وتصفيتها من أدرانها، والسمو بها إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال والامتثال بها[٥] ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية[٦]، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥١، ومسلم ٦٦٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٣٦.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦١.

(٥) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٧٤ - ٤٧٦.

(٦) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر ص ٤٨.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٥٦.

وقال تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1] والمبشر هو المخبر بالبشرى والبشارة، وهي الحادث لمن يخبر به والوعد بالعطية، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر، وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل.

وقدمت البشارة على النذارة في قوله بشيرًا ونذيرًا لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغب النبي ﷺ في انتظار الصلاة بجريان أجر الصلاة على وقت الانتظار، فقال ﷺ "لم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها" أي لم تزالوا في صلاة من حيث الثواب من ابتداء وقت انتظاركم إياها[3].

وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، وأعظمها أثرًا لما فيه من تشويق المدعوين إلى الاستجابة للحق والثبات عليه، ولما فيه من إلانة القلب وتأثير في النفس وازدياد النفوس المهذبة إيمانًا وهداية[4].

والقرآن الكريم والسنة النبوية يؤكد أن أهمية الترغيب والترهيب لما فيهما من استجاشة قلب الإنسان نحو الخير وتوجيهه لذلك وتخويفه من الانحراف وتحذيره من ذلك[5].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٥٣/٢٢/٩.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٤٨.

(٤) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧١.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد بن حامد الحازمي ص ٣٩٣.

والقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي ترغب الإنسان في العمل بما أمر به وثواب ذلك، ومن ذلك الحفاظ على صلاة الجماعة وانتظارها وهو موضوع الحديث، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1] وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الملائكةُ تُصلِّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاَّهُ الذي صلَّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ))[2]. وفي ذلك بيانل فضل صلاة الجماعة وأن من بيان فضلها أن من جلس في انتظارها فهو في الصلاة وأن الملائكة تستغفر له وتدعو له بالرحمة[3] كما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلِهِ إلاّ الصلاةُ))[4].

وذلك من فضل الله على المؤمنين أن جعل من وظائف ملائكته الاستغفار للمؤمنين، وذلك ما صرح به القرآن كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٩، ومسلم ٢٧٤.

(٣) أهمية صلاة الجماعة، د. فضل إلهي ص ٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٩.

(٥) سورة غافر، الآية: ٧ - ٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على الإقبال على العمل:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ أَحَدكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ. لاَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاَةُ». فقد بيّن ﷺ فضل من انتظر الصلاة، لا تحبسه إلا الصلاة، ولا يمنعه من الذهاب إلى بيته وأهله إلا أنه في انتظار الصلاة يصليها لا انتظار شيء آخر كصديق أو حديث أو اجتماع ونحو ذلك.

وعلى هذا يجب أن يربى الناشئة حتى يصلوا إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، "فمن شأن متطلب الكمال والساعي إلى حميد الفعال، أن يقبل على كل أمر ينفعه وأن يسلك السبل المفضية إلى ما رامه وأمّله، وأن يتجنب كل أمر يعوقه، ويقطع سيره، وأن ينأى بنفسه عن كل ما شأنه أن ينزل قدره ويدني همته"[(١)].

قال ابن القيم: "طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه. يحتاج أن يكون شجاعًا مقداماً، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل كثير السكون، دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفره المعارضات، شعاره الصبر، وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون. وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب"[(٢)].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٧٠.

(٢) الفوائد، ٢٧١، ٢٧٢.

ثانيًا: تربية الناشئة على التواجد في أماكن الخير:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «الملائكةُ تُصلّي عَلَى أحَدِكم ما دام في مُصَلاّهُ الذي صلّى فيه ما لم يُحدِث، تقولُ: اللّهمَّ اغفِرْ لهُ، اللّهمَّ ارحَمْهُ». فقد بين النبي ﷺ أن الملائكة تصلي على من جلس في مصلاه الذي صلى فيه وتدعو له، أي أنه فرغ من صلاته ولم يبرح مكانه الذي صلى فيه، أي أنه ظل في مكان الخير والبركة ورضا الله عز وجل، لذا دعت له الملائكة بأن يرضى الله عنه ويتقبله ويرحمه ويغفر له، وفي هذا استئناس بأن الناشئة يربون على ملازمة أماكن الخير ومجالس العلم، وتحاشي أماكن الشر وعدم الاقتراب منها ومن أهلها، وفي ذلك فوائد تربوية عظيمة لهم، فإنهم يزدادون خيرًا على خير، وفضلاً على فضل، وتزكية فوق تزكية، وهذا ما ينادي به علم التربية من أن الناشئة يجب أن ينشأ في بيئة صالحة فعالة تغرس فيهم حب الخير والإقبال عليه، وذلك لأن الإنسان نتاج بيئته، فإن كانت خيرًا كان من أهل الخير، وإلا أصابه الخلل والانحراف.

ثالثًا: من مهارات المعلم: تقديم التشجيع المناسب للطلبة:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «أَخَّرَ ليلةً صلاةَ العِشاءِ إلى شَطرِ الليلِ، ثمَّ أقبلَ علينا بوجهِهِ بعدَما صلّى فقال: صلّى الناسُ وَرَقدوا ولم تَزالوا في صلاةٍ منذُ انتظَرْتموها». فكان هذا تشجيعًا وثناءً من رسول الله ﷺ عليهم وعلى انتظارهم صلاة العشاء لمنتصف الليل.

وفي ذلك قدوة للمعلمين والمربين، "فيجب على المعلم تقديم التشجيع المناسب والثناء الحسن للطلبة لأن التشجيع مهم في العملية التعليمية والتربوية لأنه يؤدي إلى شعور الطالب بنجاحه وتفوقه، وهذا الشعور يصاحبه شعور بالارتياح ويصبح حافزًا على عملية التعلم والاستمرار فيه، ومن هنا تأتي ضرورة تشجيع الطالب المتأخر دراسيًا والطالب الخجول أو الطالب الذي هو أقل من أقرانه في الذكاء، لأن ذلك يقوي ثقته في قدرته ويرفع من مركزه بين أقرانه، ويشجعه على التعليم ويجعله يميل إلى الاستمرار فيه"[1].

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ٢١٨، ٢١٩.

١٩١- باب فضل صلاة الجماعة

الحديث رقم (١٠٦٥)

١٠٦٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَة افْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الفذ: المنفرد[2].

الشرح الأدبي

للصلاة أثر عظيم في المجتمع من حيث اتحاد أفراده، من خلال الجماعة، واتصال بعضهم ببعض في حلقات متداخلة تبدأ صغيرة بصلاة النافلة في المنزل مع الأسرة الصغيرة، ثم تكبر في صلاة الجماعة في المسجد، والتي تشمل أفراد الدائرة المحيطة بالمسجد يتابع كل منهم أحوال الآخرين، ويصلهم، ثم تتسع هذه الدائرة أكبر في صلاة الجمعة، ثم تتسع أكثر في صلاة العيد، وغيرها مما يجعل المجتمع كتلة واحدة شديدة التماسك، والتداخل، مع ما يضمنه هذا التجمع من أشكال التكافل والتعاون، والتواصل، والتحابب، وما ينتج عن هذه الصفات من الإيثار، والتضحية والإحساس بالأمن، والسعادة للمجتمع المسلم كله، وقوله (أفضل من صلاة الفذ) جاء بها بلفظ أفعل التي هي للتفضيل، والتكثير في المعنى المشترك، وهي أبلغ من تفضل على ما لا يخفى، و(الْفَذَّ) مُعَرَّفٌ بِالأَلِفِ وَاللاَّمِ يفيد الْعُمُومِ الذي يدل عَلَى فَضِيلَةِ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ عَلَى صَلاَةِ كُلِّ فَذٍّ مما يستلزم العناية بها، وعدم الانفراد في الصلاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥)، ومسلم (٢٤٩/٦٥٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ذ ذ).

فقه الحديث

١ - صلاة الجماعة:

قال النووي: (واحتج أصحابنا والجمهور بهذه الأحاديث على أن الجماعة ليست بشرط لصحة الصلاة، خلافًا لداود، ولا فرضًا على الأعيان خلافًا لجماعة من العلماء، والمختار أنها فرض كفاية، وقيل: سنة)[١].

وقال ابن حجر: (واستدل بأحاديث الباب على أن الجماعة ليست شرطًا لصحة الصلاة لأن قوله ((صلاة أحدكم وحده))[٢] يقتضي صحة صلاته منفردًا؛ لاقتضاء صيغة أفعل والاشتراك في أصل التفاضل فإن ذلك يقتضي وجود فضيلة في صلاة المنفرد، وما لا يصح لا فضيلة فيه)[٣].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحطب، ثمَّ آمرَ بالصلاةِ فيُؤذَّنَ لها، ثمَّ آمرَ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفَ إلى رجالٍ فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهم. والذي نفسي بيده، لو يَعلمُ أحدُهم أنَّه يَجدُ عَرقًا سَمينًا أو مرْماتَينِ حسنَتَينِ لشَهِدَ العِشاء))[٤].

قال النووي: (هذا مما استدل به من قال: الجماعة فرض عين، وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل سنة أم فرض كفاية كما قدمناه. وأجابوا عن هذا الحديث بأن هؤلاء المتخلفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه، فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين على حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده، ولأنه لم يحرق بل همّ ثم تركه، ولو كانت فرض عين لما تركه)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٩/٥/٣ .

(٢) رواية عند مسلم ٢٤٥- ٦٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٣٦/٢ .

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٤، ومسلم ٦٥١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٥/٣ . وانظر فتح الباري، ابن حجر ١٢٥/٢- ١٣٠ . وانظر اختلاف الفقهاء في الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٢٧- ١٦٧ ومراجعها ومصادرها.

٢ - فضيلة الصلاة: قال ابن حجر: (استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه على أفضلية الصلاة على غيرها من الأعمال لما ذكر من صلاة الملائكة عليه ودعائهم له بالرحمة والمغفرة والتوبة. وعلى تفضيل صالحي الناس على الملائكة لأنهم يكونون في تحصيل الدرجات بعبادتهم والملائكة مشغولون بالاستغفار والدعاء لهم) [١].

٣ - إعادة الجماعة:

قال ابن حجر: (واستدل بها على تساوي الجماعات في الفضل سواء كثرت الجماعة أم قلت، لأن الحديث دلّ على فضيلة الجماعة على المنفرد بغير واسطة، فيدخل فيه كل جماعة. كذا قال بعض المالكية... ويترتب على الخلاف المذكور أن من قال بالتفاوت استحبّ إعادة الجماعة مطلقًا لتحصيل الأكثرية، ولم يستحب ذلك الآخرون. ومنهم من فصل فقال: تعاد مع الأعلم أو الأورع أو في البقعة الفاضلة، ووافق مالك على الأخير لكن قصره على المساجد الثلاثة، والمشهور عنده بالمسجدين المكي والمدني)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ:

جاء في صريح الحديث بيان رسول الله ﷺ لفضل صلاة الجماعة على صلاة المنفرد، فقال ﷺ "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين دجة" وذلك من فضل الله عز وجل بأن ضاعف الأجر على الصلاة في جماعة، وقد اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات، وأَجَلّ الطاعات[٣] ولقد جاءت النصوص الجمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٣٦/١.

(٢) المرجع السابق ١٣٦/٢- ١٣٧ .

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٢٩٧/٢.

في صلاة الجماعة وفضلها وفوات الأجر الكثير بتركها، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((من سرَّهُ أن يَلقى اللَّهَ تعالى غدًا مسلمًا؛ فليُحافظْ على هذهِ الصلواتِ الخمسِ، حيثُ يُنادَى بهنَّ، فإنَّ اللَّهَ شرعَ لنبيِّكُم ﷺ سننَ الهدى، وإنهُنَّ من سُننِ الهُدى، ولو أنَّكم صلَّيتم في بيوتِكم كما يُصلي هذا المتخلِّفُ في بيتهِ لتركتُمْ سنَّةَ نبيِّكم، ولو تركتُم سنَّةَ نبيِّكم لضللتم وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ))[1]، ولمكانة صلاة الجماعة لم يؤثر أن المسلمين أهملوا فيها، بل شرعت الجماعة حتى في الحرب بما يعرف بصلاة الخوف جمعًا بين فضيلة الجماعة وأخذ الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ...﴾[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه أحرص ما يكونون على صلاة الجماعة حتى في شدة المعارك ولقاء الأعداء. عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ، قَالَ صَفَّنَا صَفَّيْنِ. وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ. قَالَ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي. ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الأَوَّلُ وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي. فَقَامُوا مَقَامَ الأَوَّلِ. فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَبَّرْنَا. وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا. ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الأَوَّلُ. وَقَامَ الثَّانِي. فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ))[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٤.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٠١، ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ٨٤٠.

ويتجلّى في هذا الحديث اهتمام الرسول الكريم ﷺ بصلاة الجماعة من عدة وجوه، منها:

أ - أدّى رسول الله ﷺ صلاة الظهر مع الجماعة أثناء قتال مع قوم من جهينة وكانوا قد قاتلوا المسلمين قتالاً شديدًا.

ب - إن الاطلاع على قرار المشركين بالإغارة على المسلمين دفعة واحدة أثناء تأديتهم صلاة العصر مع الجماعة لم يقلّل من اهتمامه ﷺ بأدائها في الجماعة.

هذا، ولا يظنن أحد أن النبي الكريم ﷺ صلى مع الجماعة أثناء المعركة في يوم واحد فقط بل إنه عليه الصلاة والسلام صلاها في أيام مختلفة ومواطن عدة. يقول الإمام أبو سليمان الخطابي: (صلاة الخوف أنواع، وقد صلاها رسول الله ﷺ في أيام مختلفة وعلى أشكال متباينة)[1].

كما ذكر ابن القصار المالكي أن النبي ﷺ صلاها في عشرة مواطن[2].

وذكر الإمام أبوبكر ابن العربي أنه ثبت عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة الخوف مرارًا عدة بهيئات مختلفة. فقيل في مجموعها: إنها أربع وعشرون صفة، ثبت فيها ست عشرة صفة[3].

كذلك لم يترك النبي ﷺ الجماعة حتى في مرض موته واشتداده عليه.

روى الإمام البخاري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة قال: ((دخلتُ عَلَى عائشةَ فَقُلتُ: أَلا تُحدِّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ؟ قالت: بلى. ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم ينتظِرونكَ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فَفَعَلْنَا. فاغتسَلَ فذهبَ لِيَنوءَ[4] فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال ﷺ أَصَلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم

---

(١) معالم السنن ٢٦٩/١.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ٤٥٣.

(٣) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي ٤٩١/١.

(٤) لينوء: ليقوم، انظر: شرح الكرماني ٦٩/٥.

ينتَظِرونَكَ يارسول الله. قال: ضعوا لي ماءً في المِخْضَبِ. قالت: فقعَد فاغتسلَ، ثمَّ ذهبَ ليَنُوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أفاقَ فقال: أصلَّى الناسُ؟ قلنا: لا، هم يَنتظرونَك يا رسول اللهِ. قال: ضَعوا لي ماءً في المِخضَبِ. فقعدَ فاغتَسلَ، ثمَّ ذهبَ لِيَنوءَ فأُغميَ عليه. ثمَّ أفاقَ فقال: أَصلَّى النّاسُ؟ فقلنا: لا، هم يَنتظرونكَ يارسولَ اللهِ -والناسُ عُكوفٌ في المسجدِ ينتظرونَ النبيَّ عليهِ السلامُ لصلاةِ العِشاءِ الآخرةِ- فأَرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأَنْ يُصلِّيَ بالناسِ فأَتاهُ الرسولُ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يأمُركَ أَنْ تُصلِّيَ بالناسِ. فقال أبو بكرٍ -وكان رجُلاً رَقيقًا- يا عمرُ صلِّ بالناسِ، فقال له عمرُ: أَنتَ أَحقُّ بذلكَ. فصلَّى أَبو بكرٍ تلكَ الأيامَ... الحديث))[1].

الله أكبر! كم كان صلوات ربي وسلامه عليه حريصًا على حضور صلاة الجماعة!

يشتد مرضه فيغتسل، ثم يُغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثانية، ثم يغمى عليه فيفيق فيغتسل للمرة الثالثة. كل ذلك لعله ﷺ يكسب نشاطًا يمكنه بفضل الله تعالى من حضور صلاة الجماعة في المسجد.

ثم يُغمى عليه فيفيق فيجد نفسه غير قادر على الذهاب إلى المسجد فيرسل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كي يصلي الناس.

وليس هذا فحسب بل نجده ﷺ يخرج إلى صلاة الجماعة في المسجد حينما وجد من نفسه خفة. وكيف كانت تلك الخفة؟ وكيف كان خروجه عليه الصلاة والسلام؟ كي نتصوّر ذلك فلنقرأ ما رواه الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادي[2] بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان[3] من الوجع.. الحديث[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧.

(٢) يُهادي: بضم أوله وفتح الدال أي عتمد على الرجلين متمايلًا في مشيه من شدة الضعف، انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٤/٢.

(٣) تخطان: لم يكن يقدر على رفعهما من الأرض، انظر: شرح الكرماني ٥١/٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤.

سبحان الله! لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلا اعتمادًا على رجلين، وحتى بعد ذلك لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض نظرًا لشدّة ضعفه لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد. فما بال كثير ممن ينتسب إليه يتخلف عن صلاة الجماعة بأتفه الأسباب وبغير سبب.

يقول العلامة العيني تعليقًا على القصة: فيه الإشارة إلى تعظيم الصلاة بالجماعة. وفيه تأكيد أمر الجماعة والأخذ بالأشد وإن كان المرض يرخص في تركها، ويحتمل أن يكون فعل ذلك لبيان جواز الأخذ بالأمثل وإن كانت الرخصة أولى[1].

ثانيًا- من آداب الداعية: حث المدعوين على صلاة الجماعة:

إن حث المدعوين على إتيان الصلاة في جماعة من أهم الأولويات التي ينبغي على الداعية أن يراعيها وأن يجعلها نصب عينيه، لما في صلاة الجماعة من اجتماع المسلمين للعبادة وذكر الله، إظهارًا لشكر نعم الله عليهم، وتعبيرًا عن كيانهم الرصين[2]، كما أن فيها إظهارًا لشعيرة من شعائر الإسلام، بل من أعظم شعائره، وهي الصلاة، فهي تبين ترابط المسلمين وترابطهم بدخولهم المساجد جميعًا ثم خروجهم جميعًا، فضلاً عن حصول الألفة بين المسلمين، واجتماع القلوب على الخير وإزالة الحقد والغل وهدم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون مما يشيع روح الإخاء والمساواة[3]. لذا ركز النبي ﷺ على حث المسلمين على صلاة الجماعة ووردت عنه الأحاديث الجمة في الترغيب في أدائها والترهيب من أدائها ومنها ما جاء في الحديث "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة".

إضافة إلى ما في صلاة الجماعة من فوائد في ترابط المجتمع الإسلامي وتقوية بنيانه، وانصهار أفراده في بوتقة المجتمع الإسلامي ووحدته.

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٩٥/٥.

(٢) فضائل الجمعة، أحكامها، خصائصها، دراسة فقهية مقارنة في المذاهب الأربعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٤٨.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

(إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين وإزالة الحقد والغل في قلوبهم، وهدم الفوارق الاجتماعية فيما بينهم، وتبادل المنافع فيما يعود عليهم من خير.

فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقرّبون إلى الله، لا بأموالهم وجاههم وإنما بطاعة ربهم، كلهم يخاطبون ربهم ويعترفون له بالعبودية، ويطلبون منه الهداية لبعضهم بعضًا قائلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

إن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تُطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره. وها نحن نرى بعض الأمم التي تدعي أنها في مقدمة الأمم مدنية وحضارة، وتدعي الديمقراطية والحرية والمساواة، نرى أبرز ما يشغلها التمييز العنصري الذي يهدد كيانها ويهددها بأخطر العواقب التي تودي بحضارتها، وليس بعيدًا ماجرى منذ أمد قريب في أميركا حيث أحرق الزنوج كثيرًا من المساكن والمخازن في مدينة "ديترويت" وغيرها من المدن، وأحدثوا فيها خسائر مادية تقدّر بمئات الملايين من الدولارات، كل ذلك بسبب التمييز العنصري الذي لم توفق المدنية والحضارة الحديثة من انتزاعه من قلوب من يدّعي التمدن والحضارة.

وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون، فوحّدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من فوائد صلاة الجماعة:

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح في شرحه للحديث "فضل صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" كثيرًا فوائد الصلاة، نذكر بعضا منها فيما يلي:

أ - إجابة المؤذن بنية الصلاة في الجماعة والتبكير إليها في أول الوقت والمشي إلى

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧.

المسجد بالسكينة وانتظار الصلاة.

ب - صلاة الملائكة عليهم واستغفارهم وشهادتهم لهم.

ج - حصول الخشوع والسلامة عما يلهي غالبًا.

د - إظهار شعائر الإسلام.

هـ - إرغام الشيطان بالاجتماع على العبادة والتعاون على الطاعة ونشاط المتكاسل.

و - السلامة من صفة النفاق، ومن إساءة الغير الظن بأنه ترك الصلاة رأسًا.

ز - الانتفاع باجتماعهم على الدعاء والذكر وعود بركة الكامل على الناقص.

ح - قيام نظام الألفة بين الجيران وحصول تعاهدهم في أوقات الصلاة[1].

إلى غير ذلك من فوائد الخير وعوائد الثواب.

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٦/٢، ١٥٧.

الحديث رقم (١٠٦٦)

١٠٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((صَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ، لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إلاَّ رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلاَّهُ، (مَا لَمْ يُحْدِث)[1]، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلاَ يَزَالُ[2] فِي صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاَةَ)) متفقٌ عَلَيهِ[3]، وهذا لفظُ البخاريِّ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يبين فضل صلاة الجماعة تلك الخصيصة التي امتاز بها الإسلام، وأصبحت من أعظم مظاهره التي يعرف بها المجتمع المسلم؛ لأنها لا توجد في هيئتها وتتابعها على مدار اليوم، والليلة مع انتشارها الشامل لكل ربوع الأمة، وهو ما يقض مضجع أعدائها، الذين يبحثون عن كل حيلة لإطفاء جذوتها، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يقرر الأفضلية في هدوء، وثقة، ونسبة الصلاة للرجل تخصيص، و (ال) في الرجل للجنس فتشمل الجميع، والجناس (تضعف، وضعفا) يؤكد المعنى، ويقرر الثواب المتزايد، والجناس بين (يخط، خطوة) يؤكد التلازم بين السعي، ومحو الخطايا، وقوله (لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصَّلاةُ) تكميل بلاغي يشير إلى توفر النية على الصلاة، والطباق بين رفعت، وحطت، يصور تتابع الأجر بين حسنة تعطى، وسيئة تمحى، وبين قوله (صلى تصلي) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى العلاقة بين المكان،

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٥٩).

(٢) عند البخاري زيادة: (احدكم).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٧) واللفظ له، ومسلم (٢٧٢/٦٤٩)، وتقدم برقم ١٠. أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٣).

وطبيعة الأجر المتعلق به في وجود النية، لأنه يجري عليه الثواب، ودعاء الملائكة، وهو فيه مستمر استمرار المجلس، وحكاية صلاة الملائكة (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ) تفسير لطبيعة هذه الصلاة، وهي الدعاء بهذا القول، وهو دعاء شامل لخير الدنيا، والآخرة، لأن مغفرة الذنوب خير في الدنيا، وخير في الآخرة؛ لأن الذنوب تفتح على العبد باب المصائب في الدنيا والعذاب في الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

الحديث رقم (١٠٦٧)

١٠٦٧- وعنه، قَالَ: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: ((هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟)) قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: ((فَأَجِبْ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يرخص: يُسَهِّل ويُيسِّر[2].

النداء: الأذان[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين من خلال الحوار ضرورة المحافظة على الصلاة في المسجد، وقول الراوي (أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أعْمَى) التعبير بالإتيان يشير إلى مشقة، وعناء لأنه رجل أعمى حركة تكتنفها المتاعب، وقول الأعمى (لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إلى الْمَسْجِدِ) أسلوب نفي يقرر أصل المشكلة، وقوله (قائد يقودني) جناس يؤكد المعنى، ويمهد لطلبه الذي أرصد له بهذه المقدمة وهو أن يرخص له فيصلي في بيته، وقوله: (فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ) كأنه لم يرد أن يفتح باب العذر يدخل منه المتكاسلون، وقول الرسول ﷺ له (هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت يرتب عليه الحكم، وقوله (فأجب) يدل ذلك على أن صلاة الجماعة في المسجد لا تسقط حتى عن الأعمى بل

---

(١) برقم (٦٥٣/٢٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر خ ص).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

يجب عليه أن يدبر من يقوده إلى المسجد حتى يحضر إلى المسجد هذا إذا كان يسمع النداء أما إذا كان بعيد ا بحيث لا يسمع النداء فله أن يصلي في بيته لكن المراد بسماع ذلك إذا كان هناك صوت عادي بدون مكبر صوت وأما مع مكبر الصوت فمعلوم أن مكبر الصوت ينقل الصوت إلى مكان بعيد لكن يقال قدر لو كان المؤذن يؤذن بصوته الخاص وليس هناك عمائر طويلة تحجب الصوت فإن كنت تسمعه على هذا التقدير وجب عليك أن تحضر إلى المسجد وإلا فلا.

فقه الحديث

قال النووي: (هذا الأعمى هو ابن أم مكتوم جاء مفسرًا في سنن أبي داود وغيره، وفي هذا الحديث دلالة لمن قال الجماعة فرض عين، وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل: هل له رخصة أن يصلي في بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عذره؟ فقيل: لا، ويؤيد هذا أن حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين، ودليله من السنة حديث عتبان بن مالك)[1].

وأما ترخيص النبي ﷺ له ثم رده وقوله "فأجب" فيحتمل أنه بوحي نزل في الحال، ويحتمل أنه تغير اجتهاده ﷺ إذا قلنا بالصحيح وقول الأكثرين: أنه يجوز له الاجتهاد. ويحتمل أنه رخص له أولاً وأراد أنه لا يجب عليك الحضور: إما لعذر، وإما لأن فرض الكفاية حاصل بحضور غيره، وإما للأمرين، ثم ندبه إلى الأفضل فقال: الأفضل لك والأعظم لأجرك أن تجيب وتحضر، فأجب. والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥، ومسلم ٣٣ بعد الحديث ٦٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٢/٥/٣ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٦٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٦٨).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد.

أولاً- من واجبات المدعو: الحرص على استفتاء أهل العلم والفضل:

ورد في الحديث الإشارة إلى هذا الأدب من خلال سؤال عبدالله بن أم مكتوم لرسول الله ﷺ لحكم الصلاة في البيت وطلبه الرخصة في ذلك، قال: "يارسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له" ، وفي ذلك أنموذج تطبيقي ومثل حى لما ينبغي أن يكون عليه المدعو من الرجوع إلى أهل العلم والفضل، وقد قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وبين ﷺ أن في السؤال علاجًا للجهل فقال ﷺ : "ألا سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العيِّ السؤال"[2]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين، بل في الكثير من شئون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه، كما في حديث أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"[3]، [4].

لذا ينبغي على الدعاة أن يبينوا للمدعوين فضل الفقه في الدين وضرورة السؤال عما يشكل عليهم وحرصهم على ذلك وبيان أن السؤال وطلب العلم سبيل من سبل الرفعة وطريق من طرق الجنة، قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[5].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥).

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨٤.

(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٥) أخرجه مسلم ٣٩.

كما يجب على الدعاة بيان أن فضل العلم خير من فضل العبادة؛ لأن العلم يبعث على فضل العبادة، والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة، فلزم علم الدين كل مكلف لأن علم ما لا يسع جهله من العبادات فرض على كل مسلم[١].

إضافة إلى أن السؤال من أوسع أبواب العلم، والذي به تُحازُ الفضائل ويتفاضل الناس، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٣]. وعن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين))[٤].

قال بعض العلماء لبنيه: يا بني تعلموا العلم فإن لم تنالوا به الدنيا حظًا فلأن يذم الزمان لكم أحب إلى من أن يذم الزمان بكم، ومن لم يفد بالعلم مالاً كسب به جمالاً، ونستعيذ بالله من خِدع الجهل المذلة ونسأل الله العلم النافع[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث : "فسأل رسول الله ﷺ : ... فلما ولى دعاه فقال له هل تسمع النداء بالصلاة؟ قال نعم، قال فأجب". وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة، فهى تجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الأجوبة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٦].

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١٠٨٢.

(٥) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٤٦.

(٦) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨- ٥٩.

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب السؤال والجواب بكثرة في التربية والدعوة وتوجيه المدعوين وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا.

واستخدام أسلوب السؤال والمحاورة يدفع بالمدعو إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وأسلوب السؤال والجواب طريقة لا يمكن أن يكون المدعو فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك[١].

واستخدام أسلوب السؤال والجواب من أسهل الأساليب في إيضاح الأحكام بعرضها عرضًا بسيطًا وسهلاً خاليًا من التعقيد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة[٢]، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصَى ومنها ما روى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رَدِيفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخرَةَ الرحل فقال: يا معاذُ، قلتُ: لبيكَ يا رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سارَ ساعةً، ثم قال: يا مُعاذ، قلتُ: لبيكَ رسول اللّهِ وسَعدَيكَ، ثم سارَ ساعة، ثم قال: يا معاذَ بن جَبل، قلتُ: لبيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تدري ما حق اللّهِ على عبادِه؟ قلتُ: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق اللّهِ على عبادِهِ أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذَ بن جبل، قلت: لبيكَ رسول اللّه وسَعدَيك. قال: هل تدري ما حق العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق العباد على اللّه أن لا يعذبَهم»[٣].

وذكر ابن حجر (من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه)[٤].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار

---

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في الحديث النبوي، د. عبدالكريم بكار ص ٣٣٣.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٧.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤١٢/١١.

الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان، ويهذب السلوك، وينبه إلى أمر عظيم. مثل هذا يقول الرسول ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ»[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على إجابة المؤذن والإسراع إلى الصلاة في المسجد:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "هل تسمع النداء ؟ قال نعم، قال فأجب" ، والأذان واجب الإجابة، فالأذان حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل وأعظم لقاء، في أطهر مكان، يدعو الأمة إلى أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[2]. وقد جاء في الحديث التصريح بالأمر بإجابة المؤذن في قوله ﷺ: "فأجب"، قال الشيخ ابن عثيمين: هذا الحديث في بيان وجوب الجماعة وأن تكون في المسجد، فقوله ﷺ للأعمى هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال فأجب" دليل على وجوب صلاة الجماعة ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد[3].

إن الأذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء في أطهر مكان. فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع، الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفى الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى، يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، ١٢٩٩/٢.

وينتهي الأذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألهته، الله اكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله[١].

كما جاء في صريح الحديث إرشاد النبي ﷺ إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد والمسارعة إليها، وإن كان فيها شيء من التعب خاصة مع أصحاب الأعذار فعندما جاءه الأعمى يسأله أن يرخص له أن يصلي في بيته، قال له رسول الله ﷺ: هل تسمع النداء؟ قال: نعم، قال: فأجب"، وفي الرواية الأخرى: أن عبدالله بن أم مكتوم قال: يارسول الله "إن المدينة كثيرة الهوام والسباع"، كثيرة الهوام أى المؤذيات من العقارب والحيات والسباع كالذئاب أو الكلاب[٢]، فقال رسول الله ﷺ تسمع حى على الصلاة، حي على الفلاح، فحي هلا، قال ابن علان: وفي الحديث تأكيد طلب الجماعة واحتمال خفيف التعب في حصولها[٣]، فبالرغم من المشقة التي يلاقيها هذا الصحابي، أمره الرسول ﷺ بإجابة النداء[٤]، فإن الجزاء على قدر المشقة[٥].

---

(١) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤، ٦٥.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥١.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٥.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٦/٢.

الحديث رقم (١٠٦٨)

١٠٦٨- وعن عبدِ الله -وقيل: عَمْرو بن قَيسٍ- المعروف بابن أُمّ مكتوم المؤذن رضي الله عنه أنَّه قَالَ: يا رَسُول اللهِ، إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ. فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: ((تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّ هلاً)) رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ومعنى (حَيَّ هَلاً): تعال.

ترجمة الراوي:

ابن أم مكتوم: مختلف في اسمه فقيل: عمرو. وقيل: عبدالله. والأكثر: عمرو. وأبوه هو: قيس بن زائدة القرشي. وأم مكتوم هي أمه واسمها عاتكة وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين.

أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الأوائل، قدم المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ.

قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا مصعب بن عمير ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم، فجعلا يقرئان الناس القرآن. كان ضريرًا ذهب بصره وهو صغير، وكان مؤذنًا لرسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة حينما يخرج لغزواته، فكان يصلي بالناس ويخطب فيهم، وبلغ استخلاف النبي ﷺ له ثلاث عشرة مرة.

كان شديد الغيرة على رسول الله ﷺ محبًا له، مدافعًا عنه رغم عذره، فقد كانت امرأة يهودية تخدمه ولكنها كانت تسب النبي ﷺ وتقع فيه فقتلها. فرفع الأمر إلى النبي ﷺ فقال هو: أما والله إن كانت لتَرْفُقُني [تخدمني] ولكن آذتني في الله ورسوله. فقال النبي ﷺ: ((أبعدها الله قد أبطلت دمها))[2].

وقد نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة: قالت عائشة: أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، في

---

(١) برقم (٥٥٣). وصحّحه ابن خزيمة (١٤٧٨)، وقال الحاكم (٣٧٥/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٩).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٠٩/٤، وقال محققو السير (٣٦٣/١): رجاله ثقات.

ابن أم مكتوم الأعمى، أتى النبي ﷺ فجعل يقول: يا نبي الله أرشدني قالت: وعند النبي ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل النبي ﷺ يُعرض عنه ويقبل على الآخر. فقال النبي ﷺ: يا فلان أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا. فنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[1].

وقال زيد بن ثابت: إن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُها عليَّ، قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت فأنزل الله على رسوله ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[2].

ورغم ذلك لم يرض بالقعود، بل شارك في الفتوحات ونشر دين الله، فقد شارك في موقعة القادسية وقال للمسلمين: ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفرّ وأقيموني بين الصفين.

وقد قيل: إنه استشهد بالقادسية. وقيل: إنه رجع إلى المدينة ومات بها. ولم يسمع له بذكر بعد عمر بن الخطاب[3].

غريب الألفاظ:

الهوام: جالمؤذيات من العقارب والحيات[4].

السباع: جميع سَبُع: كل ما له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها كالأسد

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٣١) وابن حبان (٥٣٥)، والحاكم (٥١٤/٢) وصححه الألباني. وينظر تفسير ابن كثير (٣١٩/٨-٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٢) والآية رقم ٩٥ من سورة النساء.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢٠٥/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٨٠ وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ٩٩٩، والسير (٣٦٠/١) والأعلام، خير الدين الزركلي (٨٣/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١١٦٢/٢، ١٤٤٢).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٢.

والذئب[١].

حيَّهلا: تعال[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يدور حول أهمية الصلاة في المسجد، وقد بدأ بأسلوب إنشائي يؤذن بقوة الاتصال بين المتحاورين في قول ابن أُمّ مكتوم ﷺ (يا رسول الله) وهو نداء تكريم، وتنبيه ولفت إليه لأنه لا يدرك إن كان الرسول ﷺ متوجها إليه أم إلى غيره، وقوله (إنَّ المَدينَةَ كَثيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات تمهيدا للخبر الذي جاء بدوره تمهيدا لطلبه وذكر الهوام، والدواب لتصوير الأخطار الحاملة على الطلب، وقوله (تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ حَيَّ عَلَى الفَلاحِ، فَحَيَّهلاً) قوله (حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ) كناية عن الآذان، والتعبير بالكناية عنه فيه تذكير بهذا النداء المتكرر على مدار اليوم، والليلة، والتعبير بلفظ (حي) بمعنى أقبل لأن في مدلوله معنى الحياة، وكأنه يقول للسامع أقبل على ما فيه حياة قلبك أو حياة النعيم الدائم كما أن لفظ الصلاة يذكر بالصلة بين العبد، وربه، وهو ما يجعل التعبير النبوي المختار في قمة الدقة في الوفاء بالمعنى المراد، وقوله فَحَيَّهلاً أي: عليك بكذا، أو أدعوك، أو أقبل.

المضامين الدعوية[٣]

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ب ع).

(٢) رياض الصالحين ٤٠٤.

(٣) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٦٩)

١٠٦٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤذَّنَ لهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهمْ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أخالف إلى رجال: آتيهم من خلفهم، أو المعنى: أخالف الفعل الذي أظهرت من إقامة الصلاة وأتركه وأسير إليهم، أو أخالف ظنهم في أني مشغول بالصلاة عن قصدي إليهم. أو معنى أخالف: أتخلف - أي عن الصلاة - إلى قصدي المذكورين[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم الذي يوحي بأهمية الخبر ويعكس انفعال الرسول ﷺ به مع اهتمامه وعنايته، وبتحليل صيغة القسم يتبين ذلك لأن قوله (والذي نفسي بيده) يوحي بالرهبة ويهز الوجدان هزاً عنيفاً إذا تصور روح المقسم كأنها في قبضة المقسم به، وكأنه بذلك يقول: كيف أكذب بما أخبر به وروحي في يد الله؟ والمعنى أن أمر نفوس العباد بيد الله أي بتقديره وتدبيره، وفيه تنبيه على عظم شأنه، والقسم بطبيعته من أساليب الإيقاظ والتنبيه، والتشويق لما بعده؛ لأن المخاطب إذا سمع القسم استشرفت نفسه لما بعده، وتطلعت إليه ؛لأن القسم غالباً ما يتصدر العظائم، وينبئ بمهم يتبعه، فإذا ما تلقى الخبر وقع من نفسه موقعاً حسناً.

قوله: (لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب) جواب القسم وأكده باللام وكلمة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤) واللفظ له، ومسلم (٦٥١/٢٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٨) من رواية مسلم.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٥٢/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(قد) زيادة في توكيد الخبر ونفياً لأى شك قد يجول بخاطر أحد في صدق الخبر وعزم النبي ﷺ على حرق بيوت المتخلفين عن صلاة الجماعة دون عذر، وقوله: (فيحطب) أى يكسر ليسهل اشتعال النار به، ويحتمل أن يكون أطلق عليه ذلك قبل أن يتصف به تجوزاً بمعنى أنه يتصف به أى على سبيل المجاز المرسل بعلاقة اعتبار ما سيكون، وقوله: (بحطب فيحطب) جناس ناقص حيث اختلف اللفظان في الهيئة دون الصورة، فالأول اسم، والثانى فعل، وهذا الاختلاف يحدث نوعاً من الإثارة للسمع والانتباه مما يحقق اليقظة، ويؤكد المعنى، والمتأمل لأساليب الفصل والوصل في حديث الرسول ﷺ يجد أنها جاءت في منتهى الدقة لتقرير المعنى، وضبط حركة الزمن في الحديث بينما يحقق تقويم الخطأ فقد استخدام الفاء، وثم، وأو، فاستخدام الفاء لإلغاء الزمن بين جملتين للإشارة إلى سرعة تحقق المأمور به، في قوله: (آمر بحطب فيحطب)، وجملة (آمر بالصلاة فيؤذن لها) والفاء ترتب الأحداث بعضها إثر بعض دون مهلة غير أن هذا القول يخالف ما جاء عليه قول الرسول ﷺ (ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها)، حيث تقدم المعطوف عليه في الوجود، فوقعت الفاء في عبارته عاطفة لما هو متقدم على المعطوف عليه حيناً، فالإذن أسبق من الصلاة، وقد عطفه على الصلاة، وذلك كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[1]، وقد وجَّه الكوفيون القول في ذلك بأن الترتيب لا يلزم فيها، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾[2] قالوا: فالبأس في الوجود واقع قبل الإهلاك، ، وهو في الآية مؤخر عنه.[3] أما البصريون الذين يرون الترتيب معنى لا يتخلف في الفاء فإنهم يؤلون ذلك بأحد وجهين: إما بالتأول في الفعل على سبيل التجوز بالمسبب عن السبب، وإما بالتأول في الترتيب، وجعله ترتيباً لفظياً أطلقوا عليه الترتيب في الإخبار[4].وقد استخدم الرسول ﷺ (ثم) في الحديث

---

(١) سورة النحل: ٩٨.

(٢) سورة الأعراف: ٤.

(٣) رصف المباني صـ ٤٤.

(٤) ينظر: من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم (الفاء، ثم) د. محمد أمين الخضري صـ ١٧ ط/١، مكتبة وهبة: ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

لرصد حركة الزمن، فقد ترك مهلة زمنية بين جمع الحطب، والأمر بالصلاة إشارة إلى المبالغة في جمع الحطب وأنه سيوقد ناراً عظيمة على هؤلاء المتخلفين، وذلك في قوله: (آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة)، وقد جعل حرف العطف (ثم) دليلاً على طول فترة الجمع مبالغة في الإحراق بغرض الترهيب من التخلف عن صلاة الجماعة، أيضاً ترك فترة زمنية بين الآذان، والإقامة في قوله: (فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس).

أيضاً ترك مهلة زمنية بين الصلاة، ومخالفته إلى هؤلاء المخلفين لإعطائهم المهلة اللازمة للحضور، وقطع حجتهم بالتأخير، وحتى يحضر جميع من في نيته الحضور، ولا يبقى إلا من يتعمدون ترك صلاة الجماعة دون عذر، وذلك في قوله: (ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال)، والتقيد بالرجال يخرج النساء، والأطفال.

وتنكير كلمة (رجال) للتقليل لما هو معلوم من حرص الصحابة الكرام على حضور صلاة الجماعة، وقد يكون التنكير للتحقيق لما علم أيضاً من نفاق من كان يتخلف عن الصلاة آنذاك دون عذر كما قال الصحابى في رواية مسلم[1] لقد رأيتنا، وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه)، والتعبير بصيغة المبالغة (أُحرِّق) يفيد المبالغة، والتكثير ترهيباً من عقاب هؤلاء المحدق بهم، وتعلق الفعل (أحرق) بالجار، والمجرور (عليهم) يشعر بأن العقوبة ليست قاصرة على المال بل المراد تحريق المقصودين، والبيوت تبعاً للقاطنين بها[2].

والمتأمل لأساليب الرسول ﷺ في بيان خطر ترك صلاة الجماعة يجد أنه يحذِّر من تركها، ويشدد على من تخلَّف عنها، ويثمِّن غالياً قيمتها على الفرد والجماعة الأمر الذي دعاه إلى الهم بتحريق المتخلفين عنها ؛ولذلك نجد الأساليب البلاغية للرسول ﷺ في إطار تقويم خطأ ترك صلاة الجماعة تتسم بالثورة، والانفعال حيث بدأت بالقسم، والوعيد، والإنذار بسرعة العقاب، والاتصال في الأحداث عن طريق حروف العطف، وهذا الانفعال، وعلو النبرة في الأساليب يرجع إلى عموم الخطأ وتهاون الناس، وغفلتهم عن أثر صلاة الجماعة على الفرد والأمة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: صلاة الجماعة من سنن الهدي، حديث رقم ٦٥٤.

(٢) ينظر فتح الباري، ابن حجر ٥٦٣/٣

فقه الحديث

انظر فقه الحديثين ١٠٦٥ – ١٠٦٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الأذان.

رابعًا: من وسائل الدعوة: الإمامة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً – من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: "والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم عرفه الناس قديمًا واستعملوه تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، يقول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

ويقول عبيدة بن الأبرص:

حلفت بالله إن الله ذو نعم ... لمن يشاء وذو عفو وتصافح[1]

وقد استخدم أسلوب القسم في القرآن كثيرًا وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[2]، قال ابن حجر: (وفيه جواز القسم على الأمر الذي لا شك فيه تنبيهًا على عظم شأنه)[3].

---

(١) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها، د. احمد احمد غلوش ص ٣٢٩.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

(٣) فتح الباري، ١٥٢/٢.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التهديد والتغليظ لمن تهاون في الصلاة في المساجد:

جاء في الحديث تهديد رسول الله ﷺ وتغليظه في شأن التهاون في حضور الجماعة في المسجد، وهو تهديد ما أشده، فقال ﷺ : "والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن بها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم"، وذلك لما لصلاة الجماعة من أهمية في الإسلام ، ولما لتركها والتخلف عنها من خطورة على تاركها من النفاق وشقائه، روى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها – عن صلاة الجماعة – إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتي به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف"، قال النووي: (وفي هذا كله تأكيد أمر الجماعة وتحمل المشقة في حضورها، وأنه إذا أمكن المريض ونحوه التوصل إليها استحب له حضورها)[1].

وبيان أن ترك الجماعات من شيم المنافقين وسماتهم، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ وَالعِشاءِ، وَلو يَعلمونَ ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْوًا»[2]. وروى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما : «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجَمَاعَاتِ . أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[3]. ومعنى هذا الترديد أن أحد الأمرين كائن لا محالة إما الانتهاء عن تركها أو الختم[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[5].

أي ما من ثلاثة فما فوقهم في قرية أو بادية لا تقام فيهم صلاة الجماعة[6]،

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٧

(٣) أخرجه ابن ماجه ٧٧٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٦٥).

(٤) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، الإمام المناوي، ٣٩٧/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٥٤٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبو داود ٤١٢).

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

إلا غلبهم الشيطان واستولى عليهم وحولهم إليه[١]، فعلى الإنسان أن يلتزم بالجماعة، وأن يبتعد عن الفرقة والتشرذم والانفراد حتى ولو في العبادة، فإن الشيطان يتسلط على الخارج عن أهل الجماعة وأهل السنة[٢].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الأذان:

أشير إلى الأذان في الحديث في معرض تهديده ﷺ وزجره عن التخلف عن الجماعة في المسجد، فقال ﷺ: "ثم آمره بالصلاة فيؤذن لها"، والأذان من أظهر وسائل الدعوة وأعظمها، فالآذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، فيه الجهر بالدعوة إلى الحق، وإظهار شعائر الإسلام، فهو يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، وياله من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، يدعو الأذان الأمة أن تقبل على الله لأداء الصلاة والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة[٣].

وقد شرع الأذان بالمدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة على الأصح للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك[٤]، ومنها ما روى عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه: «أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ، وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ عُمَرُ: أَوَلاَ تَبْعَثُونَ رَجُلاً يُنَادِي بِالصَّلاَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا بِلاَلُ قُمْ. فَنَادِ بِالصَّلاَةِ»[٥].

وكذلك ما روى عبدالله بن زيد قال: «لَمَّا أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ

---

(١) شرح السيوطي على سنن النسائي، ١٠٦/٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

(٢) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٦٠.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٣٥٨/٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٦٠٤، ومسلم، ٣٧٧.

لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلاَةِ، طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَاعَبْدَ اللهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قال: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلاَةِ، قال: أَفَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قال فقال: تَقُولُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ. أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ. حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ. حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ. قال: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ قال: وتَقولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلاَةَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ. أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ اللهِ. حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ. قَدْ قَامَتْ الصَّلاَةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ. اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ. فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأَخْبَرْتُهُ بِمَا رَأَيْتُ، فقال: إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلاَلٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ، فَقُمْتُ مَعَ بِلاَلٍ فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ وَيُؤَذِّنُ بِهِ. قال: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ ويقولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَارسولَ اللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا أُرِيَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: فلله الْحَمْدُ»[1].

رابعًا- من وسائل الدعوة: الإمامة:

أشير إلى الإمامة في الحديث في قوله ﷺ "ثم آمر رجلاً فيؤم الناس" والإمامة من أعظم وسائل الدعوة لما فيها من إظهار شعيرة من شعائر الإسلام، ولما فيها من اجتماع المسلمين لأداء الصلاة متجملة بالنظام والاستماع إلى آيات القرآن، كما أن صلاة المسلمين جماعة وراء إمام فيها من الفوائد ما لا تتحقق ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، فالصلاة جماعة وراء إمام يقودها تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة، والإمامة في الصلاة واجتماع المسلمين ورائها لها فضل كبير في سلامة هذا الدين، وسلامة الشريعة الإسلامية، والأوضاع الدينية، وبقائها على ما تركها عليه رسول

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٦).

الله ﷺ[١].

كما أن في الإمامة غرس النظام في نفوس المسلمين واصطباغ حياتهم به، ومن يقرأ النصوص التي ورد فيها ذكر الإمامة يجد ذلك واضحًا فيها أيما إيضاح ومن ذلك:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤْتَمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللّهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[٢]، وعن أبي مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِينِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ»[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث ظاهرًا بينًا حيث رهب النبي ﷺ من التخلف عن الجماعات في المسجد بهمه بتحريق مَنْ هذا شأنهم، فقال ﷺ: "والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر يحطب فيحطب، ثم آمُرَ بالصلاة فيؤذن بها ثم آمُرَ رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم" والترهيب من أشد أساليب الدعوة تأثيرًا في النفس لما فيه من التخويف والتوعد وجذب الناس إلى الخير خوفًا من العقاب[٤]، يقول ابن القيم: "في تعريف الترهيب: هو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيرًا من الوقوع في المخالفات"[٥].

---

(١) الأركان الأربعة الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، في ضوء الكتاب والسنة، مقارنة مع الديانات الأخرى، أبو الحسن علي الحسني الندوي ص٥٦- ٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٣٤، ٣٥.

(٥) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، الإمام ابن القيم، مكتبة المتنبي، القاهرة، دون ذكر للطبعة وتاريخها ص ٢٠٢.

وقد استخدم المنهج الإسلامي أسلوب الترهيب وكذلك الترغيب في تحريك الدوافع الخيرة وتنشيطها تارة بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن خاف مقام ربه ونهى نفسه عن غيها وطغيانها وتارة بالترهيب مما أعده الله تعالى للمفسدين والمنحرفين عن سبل السلام[١]، ومن آيات الوعيد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾[٢].

لذا ينبغي على الداعية عدم إهمال أسلوب الترهيب في دعوته دونما إفراط أو تفريط.

فإن الإفراط في استخدام الترغيب أو الترهيب قد يعودان بالأثر السلبي، إذ أن الإفراط في الترهيب دون الترغيب يجلب اليأس عند المدعو حيث لا يقرع سمعه إلا العقاب والتهديد، كذلك الإفراط في الترغيب دون الترهيب يدفع إلى التمادي والتراخي وعدم الجدية[٣].

لذا ينبغي على الداعية أن يعتدل في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم بينهما، فلا يغلب أحدهما دون الآخر، وأن يستخدم كل واحد منهما بحسب الحاجة وحسبما تقتضيه المواقف.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٤.

(٢) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

(٣) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، مكتبة الحياة، بيروت، دون ذكر للطبعة والتاريخ ص ١٣٠.

الحديث رقم (١٠٧٠)

١٠٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلْتُمْ[1]، ... وَلَقَدْ رَأيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ. رَوَاهُ مُسلِم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

سنن الهدى: طرائق الهدى والصواب[3].

المتخلف: المتأخر عن صلاة الجماعة، الذي لا يشهدها[4].

يُهَادى: يمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما[5].

الشرح الأدبي

التعبير بالسرور من براعة الاستهلال بما يسيطر على النفس الراغبة، ويضمن الانتباه، والإنصات، وقوله (فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاَءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ) أمر بأداء

---

(١) عند مسلم زيادة: (وما من رجل يتطهرُ فيحسن الطهور، ثمَّ يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله بكلّ خَطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطُّ عنه بها سيّئة).

(٢) برقم (٦٥٤/٢٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٦.

الصلاة على وقتها وقوله (فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم) جملة مؤكدة بعدة مؤكدات لأنها جاءت لتحقيق الإقناع، وتقديم لفظ الجلالة لتربية المهابة مع ما يفيده من الاختصاص، أو العناية، والاهتمام، والعبارة تقرر أن الأمور استقرت على ما شرع الله لنبيه فليس لأحد أن يخالف فيها، وإضافة النبي ﷺ لكاف الخطاب، وميم الجمع تشعرهم بالانتماء له مما يجعلهم أكثر طاعة له، وقوله (سُنَنَ الهُدَى) أي طرق الهداية في العبادات والعادات وقوله (وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ) أسلوب شرط يربط الصلاة في البيت بترك سنة النبي ﷺ والتشبيه بالمتخلف يقصد منه التنفير من فعله، ثم إن التعبير بالتخلف في إطار الحديث عن الطاعات فيه لون من الذم، والجناس بين (مُنَافِقٌ، والنِّفَاقِ) يؤكد سر التخلف عن الجماعة في السابق أى أنها لم تكن صفة أحد من المؤمنين، و قوله (يهادى بين رجلين) بِنَاء الْمَفْعُول أَيْ يُؤْخَذ مِنْ جَانِبَيْهِ يُتَمَشَّى بِهِ إِلَى الْمَسْجِد مِنْ ضَعْفه وَتَمَايُله، وهو كناية عن شدة الضعف مما يعكس شدة حرصهم على حضور الجماعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه أو مريض" هذا دليل ظاهر لصحة ما سبق تأويله في الذين همّ بتحريق بيوتهم أنهم كانوا منافقين)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٥/٣ ، وانظر فقه الحديثين ١٠٦٥- ١٠٦٦ من رياض الصالحين.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٧٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٧١).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي ﷺ وترك صلاة الجماعة.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في صلاة الجماعة بلقاء الله على الإسلام، وبيان أن صلاة الجماعة من سنن الهدى التي شرعها الله لنبيه ﷺ، فقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى))، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيرًا في النفوس في الاستجابة إلى الحق وقبوله والثبات عليه، وهو أشد ما يكون نفعًا مع النفوس التي ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى وتشتاق إلى النور[1]، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

أي يدعون ربهم ويعبدونه خائفين وطامعين، أي من غضبه وطمعًا في رضاه وثوابه، أي هاتان صفتان لهم[3]، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه[4].

ولما كان الإنسان مفطورًا على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة وعازف عن كل ما يسبب له الألم، كان أسلوب الترغيب له تأثير كبير في تربية الإنسان، وتوجيه سلوكه[5].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩- ٢٠٠.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٩/٢١/٨.

(٤) معالم في التربية، عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٨.

(٥) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبدالحميد السعيد الزناتي ص ٦٤٦.

ثانيًا- من حكمة الداعية: استثارة همم وعزائم المدعوين:

إن من حكمة الداعية: استثارة همم المدعوين وتقوية عزائمهم وغرس الفضائل في نفوسهم، ويرشدونهم إلى طرق الهدى والرشد بالجد والجهد، فالعلماء والدعاة رعاة الأمة في تصحيح عقائدها وصيانة دينها، وكل راع مسئول عن رعيتها[1]، ولقد ضرب لنا السلف الصالح أروع المثل في الدعوة وحث المدعوين وتحفيزهم على الانصياع لتعاليم السماء، ومن ذلك ما جاء في حث عبدالله بن مسعود الناس على صلاة الجماعة فقال: "من سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنة الهدى".

وفي ذلك يبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن سبيل السعادة العظمى والسرور الأكبر يوم القيامة والوسيلة إلى حسن الختام هي المحافظة على أداء الصلوات الخمس في جماعة، لأن الجماعة سنة هدى، مخالفتها ضلال وابتعاد عن الطريق القويم، ولقد حافظ الصحابة رضوان الله عليهم على حضور الجماعات رغم كل الظروف حتى إن أحدهم كان يؤتى به وهو مريض مستندًا على ذراعي أخويه من الصحابة[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأمر بالمحافظة على الصلاة في المسجد:

شرعت الصلاة المفروضة بالجماعة، وهى طبيعة الصلاة المشروعة في الإسلام، ووضعها الصحيح، قال تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[3]، ولذلك داوم عليها رسول الله ﷺ وأصحابه مداومة شديدة، حتى كأنها جزء من الصلاة، ولم يتركها رسول الله ﷺ حتى في مرضه الذي مات فيه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم من أشد الناس التزامًا بالجماعة والدعوة إليها[4]، ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "من

---

(١) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٦٦- ٧٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٤) الأركان الأربعة، أبو الحسن على الحسني الندوي ص ٥٤، ٥٥.

سره أن يلقي الله غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن"، أى في المكان الذي يعلم بهن للاجتماع لصلاتهن من نحو المساجد[١]، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى" أى طرائق الهدى والصواب[٢].

إن في المحافظة على أداء الصلاة جماعة في المسجد حِكَمًا دقيقة ومصالح عظيمة للمسلمين، منها ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعارف والتعاون، منها:

أ- أن لاجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين مسلمين وجوههم إليه خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلى الرحمات.

ب- التشجيع على العبادة والمحافظة على الصلوات والتنافس في إحسانها وإتقانها والإكثار منها وإصلاح ما قد يطرأ عليها من فساد أو من خلل للإنفراد أو الجهل، وتعلم ما فات من أحكامها وآدابها وأذكارها وقراءتها والتأسي بالعلماء الفقهاء والعباد المخلصين.

ج- أن إخلاص بعض المخلصين وإخباته وخشوعه يؤثر في الجماعة كلها ويوقظ النفوس الخامدة ويحرك الهمم الفاترة، وقد يكون سببًا في قبول عبادة الجميع، والغض عما فيها من ضعف أو خلل أو تقصير وذلك شيء لا يخالف المعقول أو المنقول، فأهل الإخلاص والخشوع قوم لا يشقى بهم جليسهم[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من التخلف عن صلاة الجماعة في المسجد:

إن الإسلام يدعو إلى الوحدة ونبذ الفرقة، وينادي بالتوحيد والاعتصام بحبل الله المتين، وتنطلق حناجر المؤذنين مدوية في وقت واحد تجهر بنداء الحق، فيجتمع المسلمون خمس مرات كل يوم وليلة في مسجد حيهم[٤]، ولم يرخص النبي ﷺ حتى للأعمى

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٥٦، ٥٥.

(٤) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢١.

في التخلف عنها، فقال له: "هل تسمع النداء، فقال: نعم، قال فأجب"[١]، وجاء في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه التحذير الشديد من ترك الجماعات، ببيان أن في ذلك إعراض عن سنة الهدى واتصاف بصفات المنافقين، فقال عن أداء الصلوات في الجماعات في المساجد "فإن الله شرع لنبيكم ﷺ، سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق"، أى منافق قد علم نفاقه[٢]، وذلك لأن المنافق لا يرجو ثوابًا ولا يؤمن بالحساب فلا يحضرها وتكون على قلبه ثقلاً لا يستطيع تحمله، خاصة صلاتي العشاء والفجر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أثقل الصلاة على المنافقين العشاء والفجر"، بخلاف المؤمنين الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٣].

أي وإنها مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين، وقال الضحاك: (وإنها لكبيرة)، قال: "إنها لثقيلة إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطواته المصدقين بوعده ووعيده، المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته"[٤].

نعم إن الصلاة ثقيلة الوقع شديدة الوطء إلا على الخاشعين الذين عمرت قلوبهم بالإيمان فخفت جوارحهم إلى الصلاة بنشاط واطمئنان[٥].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من مخالفة سنة النبي ﷺ وترك صلاة الجماعة:

جاء في قول عبدالله بن مسعود التحذير من ترك سنة رسول الله ﷺ وبيانه أن

---

(١) أخرجه مسلم ٦٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥- ٤٦.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٣/١.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣٤/١/١.

ذلك الضلال بعينه، فقال ﷺ: "ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم"، يعني لو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة ولتعطلت المساجد، ولا نقطع الناس بعضهم عن بعض، ولما تعارفوا ولا تآلفوا، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي"[١]، وكما أمر النبي ﷺ بطاعته حذر من الخروج عن سنته ورهب من تركها والإعراض عنها[٢]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يارسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى"[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «جاءت ملائكة إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن لِصاحبكم هذا مثلاً، قال: فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظان، فقالوا: مثلهُ كمثل رجلٍ بَنى دارًا وجَعَلَ فيها مأدُبةً وبَعثَ داعيًا، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ وأكلَ من المأدبة، ومن لم يجبِ الداعيَ لم يدخل الدار ولم يأكل منَ المأدبة. فقالوا: أولوها له يَفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إنَّ العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانٌ، فقالوا: فالدارُ الجنة والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاعَ محمدًا فقد أطاعَ اللّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللّه، ومحمدٌ فرَّق بينَ الناس»[٤].

قال ابن حجر: (قوله: "فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله" أي: لأنه رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة، وهو كناية عن دخول الجنة)[٥]. ومن أعرض عنه ولم يحبه حُرِم منها وباء بالخيبة والخسران وفوات النعيم.

---

(١) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠١/٢.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ١١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٧٠/١٣.

الحديث رقم (١٠٧١)

١٠٧١ - وفي رواية لَهُ[١]: قَالَ: إنّ رَسُول اللهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى؛ وإنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلاَةَ في المَسْجِدِ الَّذي يُؤَذَّنُ فِيهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[٢]

(١) برقم (٦٥٤/٢٥٧). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٧٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٧٢)

١٠٧٢- وعن أبي الدرداء ﷺ، قال: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلاَ بَدْوٍ، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِم الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ[(١)] بِالجَمَاعَةِ[(٢)]، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ)) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(٣)] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

استحوذ عليهم الشيطان: استولى عليهم وغلبهم[(٤)].

القاصية: البعيدة عن الأغنام[(٥)].

الشرح الأدبي

الحديث يبين قيمة صلاة الجماعة في الحفاظ على الفرد من الشيطان والحديث قائم على أسلوب القصر، وأسلوب الأمر، وأسلوب التشبيه، فالقصر لمعنى وجود الثلاثة في موطن لا يقيمون الصلاة على استحواذ الشيطان عليهم، وهذا الأسلوب يفيد تأكيد سيطرة الشيطان عليهم، وأسلوب القصر بإنما في قوله (فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ) لقصر أكل الذئب للغنم على القاصية لا يتعداها فيصل إلى التي في جماعة، وأسلوب الأمر المرتب على ما سبق (فعليكم بالجماعة) أي الزموا الجماعة ترغيبا في

---

(١) لفظ أبي داود: (فعليك)، والمثبت لفظ النسائي (٨٤٧)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (٣٤٩/١، رقم ٦٠٦).

(٢) نقل ابن حبان (٤٥٩/٥) عن السائب بن حُبيش الراوي أنه قال: إنما يعني بالجماعة: جماعة الصلاة.

(٣) برقم (٥٤٧)، وصحَّحه ابن خُزيمة (١٤٧٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٠١)، وقال الحاكم (٢١١/١): هذا حديثٌ صدوق روايته شاهد لما تقدمه، متفق على الاحتجاج برواته، إلا السائب بن حُبيش، وقد عرف من مذهب زائدة أنه لا يحدّث إلا عن الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (٦٠٦).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح و ز).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٠.

التماس الأمن من الشيطان، وقوله (فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ) أي: المنفردة عن القطيع؛ فإن الشيطان مسلط على مفارق الجماعة. قال الطيبي: هذا من الخطاب العام الذي لا يختص بسامع دون آخر تفخيما للأمر شبه من فارق الجماعة التي يد الله عليهم ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان بشاة منفردة عن القطيع بعيدة عن نظر الراعي ثم تسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له مما يوحي بأن الجماعة للمؤمن كالحصن الذي يحتمي به من الشيطان.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث استدل به على وجوب الأذان والإقامة، لأن الترك الذي هو نوع من استحواذ الشيطان، يجب تجنبه.

وإلى وجوبهما ذهب أكثر العترة وعطاء وأحمد بن حنبل ومالك والإصطخري كذا في البحر ومجاهد والأوزاعي وداود كذا في شرح الترمذي وقد حكى الماوردي عنهم تفصيلاً في ذلك ... وعند الشافعي وأبي حنيفة أنهما سنة ... وروى ابن عبدالبر عن مالك وأصحابه أنهما سنة مؤكدة واجبة على الكفاية. وقال الآخرون: الأذان فرض على الكفاية)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٧- ٢٤٨، وانظر شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٢٤٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ١٧٢/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٢٥/١، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥٠/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث والتأكيد على صلاة الجماعة:

جاء في صريح الحديث الحث والإرشاد الذي يصل إلى درجة الأمر بأداء الصلاة في جماعة، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"، أى الزموا الجماعة، فإن الشيطان بعيد عن الجماعة، ويستولى على من فارقها، ويتسلط على الخارج عن الجماعة وأهل السنة [(١)] فضلاً عما للجماعة من فوائد وعطايا إذ أن لها من الحِكَمِ الدقيقة والمصالح العظيمة للمسلمين، كالوحدة والاجتماع والتعاون والتعارف ولما في اجتماع المسمين راغبين في الله، راجين، راهبين، مسلمين وجوههم إليه من خاصية عجيبة في نزول البركات وتدلي الرحمات[(٢)].

إن صلاة الجماعة في المساجد شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، واتفق المسلمون على أن أداء الصلوات الخمس في المساجد من أعظم الطاعات، فقد شرع الله لهذه الأمة الاجتماع في أوقات معلومة، منها الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، وصلاة العيدين، وصلاة الكسوف. وأعظم الاجتماعات وأهمها الاجتماع بعرفة، الذي يشير إلى وحدة الأمة الإسلامية في عقائدها وعباداتها وشعائر دينها، وشرعت هذه الاجتماعات العظيمة في الإسلام لأجل مصالح المسلمين؛ ففيها التواصل بينهم، وتفقد بعضهم أحوال بعض، وغير ذلك مما يهم الأمة الإسلامية على اختلاف شعوبها وقبائلها[(٣)]، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[(٤)].

وقد حث النبي ﷺ عليها، وبين فضلها وعظيم أجرها، فقال ﷺ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الفَذِّ -يُعْنِي الفَرْدَ- بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[(٥)]، وقال ﷺ:

---

(١) عون المعبود، الإمام العظيم آبادي ص ٢٨٠.

(٢) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

(٣) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء ص ٧٥.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٥، ومسلم ٦٥٠.

«صلاةُ الرجلِ في الجماعةِ تُضعَّفُ على صلاتهِ في بيتهِ وفي سُوقهِ خمسًا وعشرينَ ضِعفًا، وذلكَ أنه إذا تَوضَّأَ فأَحسَنَ الوُضوءَ، ثمَّ خرَجَ إلى المسجدِ لا يُخرِجهُ إلاّ الصلاةُ، لم يَخْطُ خُطوة إلا رُفِعَتْ له بها درجةٌ وَحُطَّ عنه بها خَطِيئةٌ. فإذا صلَّى لم تَزَلِ الملائكةُ تُصلِّي عليهِ ما دام في مُصَلاّه...»[1]... الحديث.

ثانيًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من ترك صلاة الجماعة:

إن من الواجبات المنوطة بالداعية، تحذير مدعويه من ترك صلاة الجماعة إذ أن تركها من دلائل الافتراق والاختلاف، وسبب من أسباب الهلاك[2]، كما نرى ذلك في تحذير النبي ﷺ في الحديث من ترك الجماعة، فقال ﷺ: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان" أى غلبهم وحولهم إليه، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية". أى يأكل الشاة البعيدة عن الأغنام لبعدها عن راعيها[3]، لذا كان الأمر بالتزام الجماعة "فعليكم بالجماعة" لما فيها من سر لسلامة الإيمان وسلامة الدين، والانخراط في سلك المؤمنين وفي تركها تعريض النفس لهلاك والضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها[4].

ولقد دلت الأحاديث دلالة صريحة على الترهيب الشديد لمن يتخلف عن صلاة الجماعة، ويكفي في ذلك أن الرسول ﷺ همَّ بأن يحرق على تاركي الجماعات بيوتهم بمعنى أن يعاقبهم بالنار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ. ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٣٠٢/٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٨٠.

(٤) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٨- ٢٩.

بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ، إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[١].

ألا فيعلم الذي يتخلف عن أداء الصلاة جماعة في المسجد أنه على خطر عظيم وأنه اقترف ذنبًا كبيرًا لأنه لا يتوعد بالنار إلا لمن ارتكب كبيرة وليعلم أنه أسرف على نفسه بهذه المعصية فكيف سيقابل المولى جل وعلا غدًا يوم القيامة[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التمثيل والتشبيه لترسيخ المعنى في نفس المدعوين:

جاء في الحديث ضرب للمثل والتشبيه، حيث شبه النبي ﷺ من فارق الجماعة التي يد الله عليهم أى حفظه وكلاءته، ثم هلاكه في أودية الضلال المؤدية إلى النار بسبب تسويل الشيطان، بالشاة المنفردة عن القطيع البعيدة عن نظر الراعي ثم يسلط الذئب عليها وجعلها فريسة له[٣]، فقال ﷺ: "فعليكم بالجماعة" فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية" فضرب الأمثال من وسائل التربية والدعوة التي اعتبرها الشرع الحنيف، وأكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٤]، [٥]، وكان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل مما يشاهد الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ[٦].

إن ضرب الأمثال يقرب المعنى إلى الأذهان، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبة، بما قد ألفوه وعرفوه، حيث يتم تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، أو تصوير المعاني بصورة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧، ومسلم ٦٥١.

(٢) من فقه السنة، د. فالح الصغير، ٣٣٠.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٣/٣، ٣٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.

(٥) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٣٣٤.

(٦) التربية النبوية، عثمان قدري ص ٣١، ٣٢.

الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد[١].

كما أن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى[٢].

ومنها: إن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل التربية بنواحيها المختلفة: الروحية والخلقية والاجتماعية والجسدية والعلمية والإيمانية والنفسية[٣].

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما روى عن أبي عثمان قال: «كنتُ معَ سَلْمانَ تحتَ شجرَةٍ اخذَ غُصنًا مِنْها يابسًا فهزَّهُ حتَّى تَحاتَّ وَرَقُهُ ثمَّ قالَ: يا أَبا عُثْمان أَلا تَسألُنِي لِمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفْعَلَهُ؟ قال: هكَذا فَعَلَ رسولُ الله ﷺ وأَنا معَهُ تحتَ شجرةٍ وأَخَذَ مِنْها غُصنًا يابسًا فهزَّهُ حتَّى تَحاتَّ ورَقُهُ، فقالَ: يا سَلْمانُ أَلا تَسألُنِي لمَ أَفْعَلُ هَذا؟ قلتُ: ولِمَ تَفعَلهُ؟ قال: «إنَّ المسلمَ إذا توضأ فأحْسنَ الوضُوءَ ثمَّ صلَّى الصَّلَوَاتِ الخمسَ تَحاتَّتْ خَطاياهُ كما يَتَحاتُّ هَذَا الوَرِقُ»، وقالَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[٤]»[٥].

---

(١) المصباح المنير، الرازي ص ٦٢٣.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب صديق بن حسن القنوجي، المطبعة الأميرية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ص ٣٢.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٣، ٤٢٤.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٥) أخرجه أحمد ٤٣٧/٥، رقم ٢٣٧٠٧، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ١١١/٣٩.

والفائدة هنا من ضرب المثل أن رسول الله ﷺ استخدم غصن الشجرة كوسيلة إيضاح لذهاب السيئات عن الإنسان المواظب على الوضوء والصلاة وعدم رجوعها إليه كما تتساقط الأوراق اليابسة من غصن الشجرة ثم لا تعود إليه.

وفي هذا تحريك للعواطف والوجدان وإثارة النفس للتخلص من الذنوب والخطايا بإكثار الوضوء والصلاة مما سيتسبب في تقوية الجانب الروحي لدى الفرد[1].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٢٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تربية الناشئة على التزام الجماعة:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في صلاة الجماعة وذلك بذكر فضلها على صلاة الفذّ، وفي هذا إشارة لالتزام الجماعة، وقد جاء ذلك صريحًا في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ ، وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إلاَّ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ». فقد ضرب النبي ﷺ مثلاً لمن لا يلتزم بالجماعة، فإنه يكون عرضةً لأن يكسل أو يفتر أو يصل إلى مرحلة خطيرة كترك الواجبات، نظرًا لتغلب الشيطان عليه واستحواذه عليه، فمثله كمثل الغنم عندما تنفصل عن جماعتها فتكون فريسة سهلة لأن يأكلها الذئب، وفي هذا أبلغ الأساليب لالتزام الجماعة وعدم الانفصال عنها، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس هذا في فكرهم وأفعالهم. ومنها: في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة:

أ- المحافظة على قيم الفرد وأخلاقه وسلوكياته، وذلك لأن الجماعة التي تضم الفئات الصالحة من ذوي الأخلاق العظيمة لها توجيه وتأثير تربوي إيجابي يحمل الإنسان على المحافظة على المبادئ والقيم النبيلة. ولذا تجد الالتزام الأخلاقي والاجتماعي منتشرًا بين الجماعات المتماسكة والمترابطة، والمتخلقة بأخلاق الإسلام، والمتمسكة بمبادئه، ولاشك أن محافظة المسلم على صلاة الجماعة تكسبه تربية إيمانية وأخلاقية عالية تزكو بها نفسه، وتسمو بها روحه.

ب- خلق روح التنافس بين أفراد الجماعة، وذلك لأن الفرد لا يحب أن يقصر في الوقت الذي يجدّ فيه غيره، خاصة في مجال الطاعة، ومن ثم فإن المسلم يتربى على المنافسة الشريفة في الطاعات وتحصيل الفضل، ويحاول جاهدًا أن يسعى إلى التخلص من تقصيره.

ج- من الآثار التربوية لالتزام الجماعة، نشرُ روح الودّ والألفة بين أفرادها، وذلك لأن هؤلاء الأفراد يحاولون قدر الطاقة والجهد أن يسع بعضهم بعضًا، كما يطلّعون على أحوال بعضهم بعضًا، فيشاركون إخوانهم في مناسباتهم ويواسونهم في ظروفهم،

ويقومون بحقوق الإخوة الإسلامية. مما يعمق في النفوس روح المودة والمحبة والمواساة، وغير ذلك من المعاني الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية التي ينبغي أن تُربى عليها الأجيال، خاصة في هذا الزمان الذي لاذ الناس فيه بالعزلة، حتى أضحى الإنسان غريبًا في مجتمعه، وهذا ما يرفضه الإسلام.

ثانيًا: التربية على الحرص على صلاة الجماعة:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ. فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ. فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ». ولما قال ابن أم مكتوم رضي الله عنه: «يَا رسولَ الله إِنَّ المَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ...». يريد أن يأذن له النبي ﷺ بسبب ذلك بأن يصلي في بيته، ولا يصلي في المسجد جماعة، لكن النبي ﷺ سأله عن سماعه النداء بالصلاة، وأمره أن يأتي المسجد عندما أخبره أنه يسمعه، وقد ضرب صحابة النبي ﷺ المثل العالي في الحرص على صلاة الجماعة، فقد كان الرجل منهم، وكما يقول ابن مسعود رضي الله عنه: يؤتى به، يهادي بين الرجلين من شدة مرضه وتعبه، ليصلي الجماعة مع الناس، وهذا نوع فريد من التربية على الحفاظ على صلاة الجماعة، ومما يؤكد ذلك عدم ترخيص النبي ﷺ لهذا الرجل الأعمى الذي لا يجد قائدًا، بل أمره بالمجيء إلى المسجد ما دام أنه يسمع النداء، وفي هذا توجيه تربوي لحث المتخاذلين عن صلاة الجماعة مع قدرتهم على حضورها، والتعلل بأعذار واهية، لا تضاهي تلك الحالة التي لم يرخص فيها النبي ﷺ لمن لا يبصر، وليس معه قائد، فمن الأولى والأجدر بالمسلم أن يوطن نفسه على المحافظة على صلاة الجماعة، ويجدر بالقائمين على التربية في البيت ومؤسسات التعليم المختلفة لاسيما مراحله الأولى أن يعملوا على تنشئة الناشئة على المحافظة على صلاة الجماعة.

ثالثًا: التربية بالتهديد:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ فيُحتطب، ثمَّ آمرُ بالصلاةِ فيُؤذَّن لها، ثمَّ آمرُ رجلاً فيَؤُمَّ الناسَ، ثمَّ أُخالِفُ إلى رجالٍ

فأُحرِّقُ عليهم بيوتَهم». فالنبي ﷺ قد هدّد المتخلفين عن صلاة الجماعة بأن يحرق عليهم بيوتهم.

قال ابن حجر: "وفي الحديث أيضًا من الفوائد: تقديم الوعيد والتهديد على العقوبة وسرّه أن المفسدة إذا ارتفعت بالأهون من الزجر اكتفى به عن الأعلى من العقوبة نبه عليه ابن دقيق العيد[1] ... وفيه إشعار بأنه تقدم منه زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل، وترجم عليه البخاري في كتاب الأحكام: "باب إخراج أهل المعاصي والريب من البيوت بعد المعرفة"[2]. يريد أن من طلب منهم بحق فاختفى أو امتنع في بيته لددًا أو مطلاً أخرج منه بكل طريق يتوصل إليه بها، كما أراد النبي ﷺ إخراج المتخلفين عن الصلاة بإلقاء النار عليهم في بيوتهم... ولا يلزم من التهديد بالتحريق حصول القتل لا دائمًا ولا غالبًا، لأنه يمكن الفرار منه أو الإخماد له بل حصول المقصود منه من الزجر والإرهاب"[3].

ففي هذا الحديث دعوة للمربين أن يستخدموا التهديد في التربية، وذلك عندما يكون مناسبًا يتوقع أن يؤتى بالنتائج المرجوة؛ ونستطيع أن نذكر للتربية بالتهديد عدة فوائد منها:

أ- بيان قبح الفعل المهدّد عليه وتوضيح شناعته للناشئة، ومن ثم يجتنبونه ولا يفعلونه وإنما يفعلون ما هو مقبول وفاضل.

ب- إقلاع أصحاب الأفعال المهدد عليها عن هذه الأفعال، والتخلي عنها، ومن ثمّ يقع الإصلاح دون عقوبة فعلية، وهذا إن حدث يكون نجاحًا للمربي وتقويمًا طيبًا للمخطئين.

ج- زجر غيرهم عن الاقتداء بهم وعدم الوقوع فيما وقعوا وفعل ما فعلوا.

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٠.

(٢) رقم الحديث ٧٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٨/١.

رابعًا: التربية بالمحافظة على السنة في صلاة الجماعة وعدم تركها:

وهذا مستمد من قول ابن مسعود رضي الله عنه: «وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ... وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ»، فقد استخدم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أسلوب الإشارة هذا ليشير إلى من تخلف عن صلاة الجماعة، ليبين لهم خطأه وخطر النتائج المترتبة على ترك صلاة الجماعة[1].

كما ذكر رضي الله عنه أن التخلف عن صلاة الجماعة من أفعال المنافقين وصفاتهم، والمسلم أشد الناس نفورًا عنهم وعن صفاتهم وأفعالهم، والذي جعل ابن مسعود رضي الله عنه يعين هذا المتخلف عن الجماعة، ويشير إليه أمام الناس، خطورة أمر ترك صلاة الجماعة، والتي وضحها بقوله: "لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ"، فالأمر متعلق بالضلال عن طريق الهدى والصلاح، وهذا أمر في غاية الخطورة على المسلم، لذا نبه ابن مسعود رضي الله عنه على هذا الخطأ وعاب من فعله، وفي ذلك استئناس للمربين أن يستحثوا المؤمنين والمؤمنات على المحافظة على السنة في التزام صلاة الجماعة والتحذير من تركها بالتخلف عن الجماعة، نظرًا للفوائد التربوية العظيمة المترتبة على حضور الجماعة في المسجد وما في ذلك من فضائل مكتسبة، واستشعار الالتزام والانسجام مع المسلمين وتفقد أحوالهم والسؤال عنهم إذا غابوا ومشاركتهم، وإن ترك الجماعة يفوت على المسلم تحصيل هذه الفضائل، ويجعله في عزلة ووحشة، مما يؤدي إلى نفوره من إخوانه، ومن هنا جاءت أهمية التربية على المحافظة على السنة في الحرص على صلاة الجماعة، وعدم التخلف عنها.

---

(١) ليس في روايات الحديث التي بين أيدينا أن هناك رجلًا قد تخلف عن الجماعة، فقال ابن مسعود قوله هذا، وإنما كتبنا ما كتبناه بناءً على الاستنباط، وهذا ما يؤيده المعنى والسياق، والله أعلم.

١٩٢- باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

الحديث رقم (١٠٧٣)

١٠٧٣- عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ)) رواه مُسلِم[1].

وفي رواية الترمذيِّ[2] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفَ لَيلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ)) قَالَ الترمذيُّ: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل صلاة العشاء، والصبح، ويبين عظمة أجرهما، وقوله: (من صلى العشاء في جماعة) أي معهم (فكأنما قام نصف الليل) أي اشتغل بالعبادة إلى نصف الليل، وهو تشبيه لبيان مطلق مقدار الثواب، وتقرير تقارب الأجر (ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) نزل صلاة كل من طرفي الليل منزلة نوافل نصفه، ولا يلزم منه أن يبلغ ثوابه ثواب من قام الليل كله؛ لأن هذا تشبيه في مطلق مقدار الثواب، ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه، ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء، والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب، وعبر بصلى، ولم يعبر بقام في قوله: (فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ) على سبيل المشاكلة لقوله (من صلى الصبح) والتشبيه بكأن يفيد شدة الشبه ترغيبا في هاتين الصلاتين وحثا على استحضار نية تحصيل أجر قيام الليل عند صلاتهما.

---

(١) برقم (٢٦٠/٦٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

(٢) برقم (٢٢١). أوردها المنذري في ترغيبه (٥٨٩).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان ودلالة الناس على طرق الخير:

من أهم المهام والواجبات التي أمر الله أن يضطلع بها الأنبياء وأتباعهم التبيين للناس ودلالتهم على طرق الخير والرشاد[1]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2].

ومن ذلك بيان فضل صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث فقال: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، فينبغي على الدعاة أن يكونوا شديدي الحرص على هداية المدعوين ودلالتهم على طرق الخير، فالدعاة يقومون بأعمال الرسل عليهم السلام، وقد كان النبي ﷺ أكثر الأنبياء شفقة بمن يدعوهم، ولقد كان رسول الله ﷺ وسيظل للمسلمين عمومًا وللدعاة إلى الله خاصة المثل الأعلى والأسوة الحسنة[3]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة:

إن لأداء الصلاة في جماعة، واجتماع المسلمين راغبين في الله راجين راهبين، مسلمين وجوههم إليه، خاصية وفضلاً كبيراً في نزول البركات وتدلى الرحمات[5]، ومن ذلك ما أفاض الله على المسلمين في صلاة الفجر والصبح في جماعة من فضل

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٣) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) الأركان الأربعة، الشيخ أبو الحسن الندوي ص ٥٥.

كبير وثواب جزيل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل"، أي بصلاة التهجد، إذ القيام في عرف الشرع عبارة عن ذلك[١]، "ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله" أي منضمًا لصلاة العشاء جماعة، إذ بصلاة الصبح جماعة كأنما صلى الليل كله وذلك بانضمام ذلك النصف فكأنه أحيا نصف الليل الأخير[٢]. فالعشاء جماعة تساوي ثواب نصف الليل والفجر جماعة يساوي نصف الليل، وهذا فضل عظيم[٣]. ولذلك أشار النبي ﷺ إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من حرص عليهما فقال ﷺ ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"[٤].

كما أن في المحافظة على أداء صلاتي العشاء والصبح في جماعة اختتام اليوم وافتتاحه بأعظم الأعمال وهي الصلاة في أعظم الأماكن وأطهرها وهي المساجد.

فإن المسلم إذا صلى العشاء وصلى ما كتب الله له "جلس مطرقًا بين يدي ربه تعالى هيبة له وإجلالاً، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه. فإذا قضى من الاستغفار وطرًا، وكان عليه بعد ليل، اضطجع على شقه الأيمن مجمًا نفسه، مريحًا لها، مقويًا على أداء وظيفة الفرض، فيستقبله نشيطًا بجده وهمته كأنه لم يزل طول ليلته لم يعمل شيئًا؛ فهو يريد أن يستدرك ما فاته في صلاة الفجر، فيصلي السنة ويبتهل إلى الله بينها وبين الفريضة، فإن لذلك الوقت شأنًا يعرفه من عرفه، ويكثر فيه من قول: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، فلهذا الذكر في هذا الموطن تأثير عجيب.

ثم ينهض إلى صلاة الصبح قاصدًا الصف الأول عن يمين الإمام أو خلف قفاه، فإن فاته ذلك قصد القرب منه مهما أمكن، فإن للقرب من الإمام تأثيرًا في سر الصلاة، ولهذا القرب تأثير في صلاة الفجر خاصة يعرفه من عرف قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٥٣٠.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ٢/ ١٣٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٥٧، ومسلم ٢٥٢.

قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[١]، قيل: يشهده الله عز وجل وملائكته، وقيل: يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، فيتفق نزول هؤلاء البدل عند صعود أولئك فيجتمعون في صلاة الفجر، وذلك لأنها هي أول ديوان النهار وآخر ديوان الليل فيشهده ملائكة الليل والنهار، واحتج لهذا القول بما في الصحيح من حديث الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فَضْلُ صَلاَةِ الْجَمِيعِ عَلَى صَلاَةِ الْوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً، وَتَجْتَمِعُ مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ» يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرؤوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في جلاء ووضوح، حيث رغب النبي ﷺ في أداء صلاتي الصبح والعشاء في جماعة ببيان أن فضل الصلاة منهما ما يضاهي ثواب قيام نصف الليل، فقال ﷺ: "من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله"، ومعنى هذا الحديث محمول على الرواية الأخرى للترمذي"، من شهد العشاء في جماعة كان له قيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة فحمل الحديث الأول، رواية مسلم، على الحديث الثاني، رواية الترمذي[٣]، وفي ذلك الترغيب القوي للمسلم للحرص على أداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة وكذلك باقي الصلوات، فلا ينبغي للمسلم أن يدعها إلا لعذر قوي ولا يشغلنه عنها لعبة أو أكلة ولا يتساهل في حق الله كما لا يقصر في حق نفسه، فإن الإنسان إذا ناداه عظيم لبى نداءه، وهرول نحوه لتنفيذ إشارته، فما بالنا بنداء الله تعالى، ينادي عباده ويثنى النداء حي على الصلاة حي على الفلاح، فأحرى بالمسلم أن يعدو إلى التشرف بلقاء الله والتلذذ بمناجاته واللجوء إليه[٤].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ص ٣٩٠، ٣٩١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٥.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٥٤.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، فإن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[1].

(١) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٠٧٤)

١٠٧٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[1]. وقد سبق بطولِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العَتَمة: صلاةُ العشاء[2].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالعتمة كناية عن صلاة العشاء لاشتداد الظلمة في وقته وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ) معناه أنهم لم يعلموا ما فيهما من الفضل فلم يأتوا، وهذا مفهوم من مدلول (لو) وهي شرطية تعلق الإتيان على الصفة المذكورة على العلم، وقوله (لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا) كناية عن عظمة الأجر وشدة الحرص عليه، والتعبير بالحبو مبالغة في اتخاذ الوسائل الموصلة وتحمل المشاق، والافتراض الذي افترضه الرسول ﷺ يرغب في المحافظة على هاتين الصلاتين.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤) واللفظ له، ومسلم (٤٣٧/١٢٩)، وتقدم برقم (١٠٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

(٤) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٧٥)

١٠٧٥- وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المنافقون: جمع منافق: الذي يظهر إيمانه ويكتم كُفره[2].

حَبْوًا: زحفًا، كما يزحف الصبيُّ الصغير[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين علاقة المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء بالإيمان فكلما كان المؤمن أكثر إيمانا كان أكثر حفاظا عليهما، وكلما ابتعد عن الإيمان كلما قصر فيهما، وقد جعل الرسول ﷺ من المحافظة على صلاة الفجر، والعشاء علامة على الإيمان، والتثاقل عنهما علامة نفاق، وقد جاء هذا المعنى في ثوب النفي (لَيْسَ صَلاَةٌ أثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ) والتعبير بالثقل يوحي بكراهة في نفوسهم منبعها هذا النفاق الذي سكن قلوبهم فتثاقلت عن الصلاة أبدانهم، وقول الرسول ﷺ (وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) لو حرف امتناع لامتناع ومعناه امتناع الإتيان عل هذه الصفة لامتناع العلم بما فيهما وقوله (لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً) كناية عن عظيم الأجر الذي يجعل حتى المنافق يحرص على تحصيله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧) واللفظ له، ومسلم (٦٥١/٢٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (٥٩٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ب و).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح..

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الكناية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان طبيعة المنافقين واستثقالهم لصلاة العشاء والصبح:

إن المنافق يراءى بعمله ولا يقصد به وجه الله، لذا فليس عنده من الدافع إلى الإتيان بالأعمال الصالحة وإن جاء بها فإنما يأتي بها عن كسل وتثاقل وكما وصف الله المنافقين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]. يقومون للصلاة على كسل وهذه صفة ظواهرهم، ثم ذكر صفة بواطنهم الفاسدة فقال: "يراءون الناس"، أى لا إخلاص لهم ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الصلاة تقية من الناس ومصانعة لهم، ولهذا يتخلفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يرون غالبًا فيها كصلاة العشاء وقت العتمة وصلاة الصبح وفي وقت الغلس[2]. كما جاء في الحديث: "ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء"، قال ابن حجر: "ودل هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين، وإنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرهما لقوة الداعي إلى تركهما، لأن العشاء وقت السكون والراحة والصبح وقت لذة النوم[3].

إن المنافقين لجهلهم، وقلة علمهم، وسوء تقديرهم، يفعلون ما يفعل المخادع حيث يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والله سبحانه فاعل بهم ما يفعله المخادع حيث أجرى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٣٨/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٦٦/٢.

عليهم الأحكام العامة التي عصموا بها دماءهم وأموالهم، وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار، في الحقيقة الله لا يخادع فإنه العالم بالسر وأخفى فقيل إن المراد يخادعون رسول الله والمؤمنين، وإنما آثر القرآن هذا التعبير ليسجل عليهم عظيم جرمهم وليشير إلى أن من يخادعه يخادع الله.

وقال بعضهم إنهم يخادعون الله يوم القيامة حيث يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة وسائرين على الطريق ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[1]، والله خادعهم حيث يستدرجهم في طغيانهم ويبعدهم عن الحق والنور ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[2].

ولا غرابة في ذلك فهاهم أولاء المنافقون مع أشرف الأعمال وأفضلها وهي الصلاة إذا قاموا إليها قاموا وهم كسالى عنها لأنه لا نية لهم فيها، ولا إيمان لهم بها ولا خشية، ولا هم يعقلون معناها!.

وأما قلوبهم ففاسدة، ونواياهم سيئة يفعلون بلا إخلاص، ولا يعاملون الله ولكن يعاملون الناس، ألا تراهم يراءون في كل عمل، ويستخفون من الناس والله معهم.

وإذا قاموا إلى الصلاة خشية من الناس بالطبع لا يذكرون الله إلا قليلا، وهم لعنهم الله مضطربون دائمًا بين الإيمان والكفر ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾[3]، وتراهم مرة مع المؤمنين في الظاهر وأخرى مع الكفار في الباطن، فهم لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وحقيقة مَنِ اللهُ يضله ولا يوفقه، فلن تجد له سبيلاً إلى الخير والسداد[4].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٤/٥/١، ٧٥.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث والترغيب في حضور صلاتي العشاء والصبح:

جاء في صريح الحديث بيان فضل أداء صلاتي العشاء والفجر في جماعة، والحث على حضورهما، فقال ﷺ: ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا" قال القاضي عياض: (وفي ذلك تحضيض على شهود هاتين الصلاتين في الجماعة وعظم الأجر فيهما لشدتهما على النفس وأنهما طرفًا أوان نومها وغلبة سنات أجفانها وراحة بدنها ومخالفة لمن يثقل ذلك عليه من المنافقين وأشباههم من البطلة المتهاونين والمحبين للدعة من المبادرة للنوم والراحة من تعب كدح اليوم الأول ليلهم، واستلذاذ الدفء وإغفاؤه الفجر آخره)[1]. ، قال ابن حجر: (هذا الحديث دال على فضل صلاة العشاء والفجر، ولو يعلم الناس ما فيهما من مزيد الفضل لأتوهما -أى إلى المحل الذي يصليان فيه جماعة وهو المسجد- ولو حبوًا يزحفون إذا منعهم مانع من المشي كما يزحف الصغير)[2]. وقال النووي: (وفي ذلك الحث العظيم على حضور جماعة هاتين الصلاتين والفضل الكثير في ذلك لما فيهما من المشقة على النفس من تنغيص أول نومها وآخره، ولهذا كانت أثقل الصلاة على المنافقين)[3]، فإن هاتين ثوابهما المرتب عليهما يخفف عنه ألم معاناتهما[4] وفي ذلك حث على تحمل المشاق والتعب بغية مضاعفة الثواب ومحو الذنوب ورفع الدرجات[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الكناية:

ورد أسلوب الكناية في قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا"، وذلك كناية عن الاهتمام بأداء صلاتي العشاء والفجر في الجماعة بالمسجد فقوله: "ولو حبوا" أى لا يمنعه عن الصلاة شيء حتى وإن أعيا عن المشي فيذهب حبوًا يقال: حبا البعير إذا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٢/٣٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ج٢/١٦٥- ١٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٦٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٥٦.

(٥) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٣٢٢.

برك ثم زحف عن الإعياء وحبا الصبي إذا زحف على إليتيه ويطلق على الحيوان يمشي على يديه وركبتيه أو إسته[١]، واستعمال الكناية في الدعوة إلى الله من الدوافع التي تحرك العواطف والوجدان مما ينتج عن ذلك تحريك الإرادة ودفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات[٢].

إن الكناية من أساليب الدعوة المجدية، وهي مظهر من مظاهر البلاغة، وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته، والسر في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها.

كما أن من أسباب بلاغة الكناية: أنها تضع لك المعاني في صورة المحسوسات[٣].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٨٥/٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٢٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ١٥٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على استدراك ما قد يفوت:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة. وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». وفي رواية الترمذي: «مَنْ شَهِدَ الْعِشَاء فِي جَمَاعةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصفِ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاء والفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ». فإذا كان المسلم يرغب في قيام الليل لما في ذلك من تحصيل الفضل الجزيل الذي أعدّه الله لمن قام بالليل والناس نيام، إذا كان المسلم يرغب في ذلك، فإنه في بعض الأحيان قد لا يتمكن من قيام الليل، مما يفوّت عليه هذا الأجر، فدلّه النبي ﷺ على ما يستطيع به استدراكه وتحصيله، وهو صلاة العشاء والفجر في جماعة، لذا فإنه يحرص أشد الحرص على أدائهما في جماعة، حتى يحصل فضل الجماعة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يستدرك ما قد يفوته من قيام الليل إن لم يفعله.

والخلاصة أنه يمكن الاستئناس بهذا الحديث للتربية على استدراك ما قد يفوت، وفي هذا المقام يمكن ذكر حديث النبي ﷺ كذلك، أنه قال لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» «ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[1].

وعلى ذلك فإن التربية على استدراك ما قد يفوت فيها عدة فوائد منها:

أ- التربية على فعل الأفضل والأحسن والجمع بين الأفعال الفاضلة إذا تيسر ذلك، وإلا حاول من توجه إليه التربية أن يفعل ما يمكنه من استدراك ما فاته لأي سبب من الأسباب، وفي هذا تحصيل للخير ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[2].

ب- مراعاة الأحوال والطبائع البشرية التي يعرض لها ما يجعلها لا تحصل ما تريده من الخير، فيكون المجال واسعًا أمامها للاستدراك.

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠١٥، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

ثانيًا: التربية بذكر أفعال المخالفين:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ وَالعِشاء، وَلو يَعلمونَ ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْوًا». فقد ذكر النبي ﷺ من صفات المنافقين أن أثقل الصلوات عليهم صلاتا الفجر والعشاء، مع أنهم لو علموا بفضل هاتين الصلاتين في جماعة لأتوا إليهما بكل طريق ممكنة، ولوا اقتضى الأمر أن يكون ذلك حبوًا. ولاشك أن من استمع إلى هذا الحديث من المسلمين فَهِم منه فضل صلاتي الفجر والعشاء في جماعة، كما فَهِم كره المنافقين لحضور هاتين الصلاتين، ومن ثم يستقر في ذهنه أنه ينبغي أن يحافظ عليهما في جماعة قدر جهده وطاقته، حتى لا يفعل فعلاً من أفعال المنافقين، وهو أشد الناس كرهًا لهم، ونفورًا منهم.

والمقصود أن هذا الحديث يستدل به على التربية بذكر أفعال المخالفين، وهذا مستقر عليه بين المربين وشائع فيما بينهم، فنجد الأب والمعلم والداعية والواعظ يستخدمونه استخدامًا ليس بالقليل، فنجد المعلم مثلاً يذكر أن من صفات الطلاب الفاشلين الكسل والتهاون وتأجيل الواجبات عن مواعيدها، وتضييع الأوقات فيما لا يفيد، والانشغال بما يعطل ويعوّق عن التحصيل الدراسي ونحو ذلك، وهو إذ يفعل ذلك يربي طلبته على نقيض هذه الصفات، وهي صفات الطلبة المتفوقين المجدين الممتازين، وهكذا الحال في شتى أحوال التربية ونواحيها.

والتربية بذكر أفعال المخالفين فيه عدة فوائد تربوية منها:

١ - التنفير من هذه الأفعال وجعل سد منيع بينها وبين الناشئة فلا يقتحمونها ولا يحومون حولها.

٢ - دفع الناشئة لأن يفعلوا الصفات الطيبة والأفعال الحميدة التي تركها هؤلاء المخالفون وراء ظهورهم، واتبعوا السيئ من الأفعال والأقوال.

٣ - لفت الانتباه بطريق غير مباشر إلى الاقتداء بأهل الأفعال المحمودة والخصال الطيبة.

ثالثًا: التربية بالتوجيه:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ ليلة.

وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ». فقد وجّه النبي ﷺ أتباعه إلى المحافظة على صلاة العشاء وصلاة الصبح في جماعة، كما أن في ذلك توجيهًا غير مباشر إلى قيام الليل، والترغيب فيه، وعلى ذلك ينبغي أن يوجه المربي من يربيهم إلى ما ينفعهم ويصلح أحوالهم، يقول النووي في ذلك: "وينبغي أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالآداب والدقائق الخفية، ويعوده الصيانة في جميع أموره الكامنة والجلية، فأول ذلك أن يحرضه بأقواله وأحواله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، وأن يكون دائمًا على ذلك حتى الممات، ويعرفه أن بذلك تتفتح عليه أبواب المعارف، وينشرح صدره وتتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في حاله وعلمه، ويوفق للإصابة في قوله وفعله وحكمه. ويزهده في الدنيا ويصرفه عن التعلق بها، والركون إليها، والاغترار بها، ويذكره أنها فانية، والآخرة آتية باقية، والتأهب للباقي، والإعراض عن الفاني، هو طريق الحازمين ودأب عباد الله الصالحين.

وينبغي أن يرغبه في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء، وأنهم ورثة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ولا رتبة في الوجود أعلى من هذه"[1].

رابعًا: التربية على علو الهمة في العبادة:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا"، فالنبي ﷺ رغب في صلاة العشاء والصبح جماعة، وذلك لفضلهما العميم، ولو اقتضى ذلك أن يأتيهما المصلي حبوًا كالطفل لا يستطيع إلا ذلك، وفي ذلك تربية للأتباع على علو الهمة ومغادرة مواطن الراحة لتحصيل معالي الأمور، قال ابن الجوزي: "من علامة كمال العقل علو الهمة، والراضي بالدون دنيء"[2]، وقال كذلك: " فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت

---

(١) مقدمة المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، ١/٧٣، وانظر المدرس ومهارات التوجيه، محمد بن عبدالله الدويش ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٦٠.

أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض، غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن، والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل" [(١)].

"وإنما تعلو قيمة المرء وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة، ذلك أن علو الهمة يستلزم الجدّ والإباء، ونشدان المعالي وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا والصغائر ومحقرات الأمور.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد" [(٢)].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢/٢٢٤.

(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧ ومرجعه.

١٩٣- باب الأمر بالمحافظة عَلَى الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ

قال الله تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾[التوبة: ٥].

الحديث رقم (١٠٧٦)

١٠٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رَسُول اللهِ ﷺ أيُّ الأعْمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((بِرُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وهو ما كان يسعى إليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قام المعنى في الحديث على أسلوب الحوار الذي أداره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بقوله (أي العمل أفضل؟) وهو استفهام على حقيقته، والسؤال عن أفضل الأعمال مما اختلفت فيه أجوبة الرسول ﷺ لاخْتِلافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنْ أَعْلَمَ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَة، أَوْ بِمَا هُوَ لائِقٌ بِهِمْ، أَوْ كَانَ الاخْتِلاف بِاخْتِلافِ الأَوْقَاتِ بِأَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَفْضَلَ مِنْهُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ كَانَ الْجِهَاد فِي ابْتِدَاءِ الإِسْلامِ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ؛ لأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ إِلَى الْقِيَامِ بِهَا وَالتَّمَكُّنِ مِنْ أَدَائِهَا، وَقَدْ تَضَافَرَتْ النُّصُوص عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ أَفْضَل مِنْ الصَّدَقَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي وَقْتٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥/١٣٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٣١٢)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٤٧).

مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ تَكُونُ الصَّدَقَةُ أَفْضَلَ، أَوْ أَنَّ " أَفْضَلَ " لَيْسَتْ عَلَى بَابِهَا بَلْ الْمُرَاد بِهَا الْفَضْل الْمُطْلَق، أَوْ الْمُرَاد مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ فَحُذِفَتْ (مِنْ) وَهِيَ مُرَادَة، وقوله (الصلاة على وقتها) لأن الله ربطها بزمان محدد، وفي المسارعة إظهار لمعانٍ متعددة، كالطاعة، والشوق للقائه، ومحبته، وقوله: (ثم أي) فيه حذف يستلزمه الشوق إلى المزيد وتقديره: ثم أي الأعمال أفضل؟، فجاء في المرتبة الثانية بر الوالدين لعظيم فضلهما، فقد قدم الصلاة؛ لأنها حق الله، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد؛ لأن الحاجة إليه ليست في كل وقت، كالصلاة، وبر الوالدين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣١٢).

الحديث رقم (١٠٧٧)

١٠٧٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((بُنِيَ الإسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[2].

وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوى بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٠٨)، و (١٢٧٣).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور ص ١٩٠.

رَسُولُ اللهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و (ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

قال ابن رجب الحنبلي: (والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه وقد خرّجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، ولفظه "بني الإسلام على خمس دعائم" فذكره، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا ثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان وهو قائم لا يتنقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس، فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين، والمراد بالشهادتين الإيمان بالله ورسوله، وقد جاء في رواية ذكرها البخاري تعليقًا "بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله"[1]، وذكر بقية الحديث، وفي رواية لمسلم: "على خمس: على أن يوحِّد الله"[2] وفي رواية له "على أن يعبد الله ويكفر بما دونه"[3] وبهذا يعلم أن الإيمان بالله ورسوله داخل في ضمن الإسلام)[4].

---

(١) صحيح البخاري ٤٥١٤.

(٢) صحيح مسلم ١٦، ١٩.

(٣) صحيح مسلم ١٦، ٢٠.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٤٤ - ١٤٥.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: المجاز.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام.

رابعًا: من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق.

خامسًا: من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

أولاً- من أساليب الدعوة: المجاز:

ورد أسلوب المجاز في الحديث في قوله ﷺ: "بنى الإسلام على خمس" قال ابن علان: "واستعمال البناء الموضوع للمحسوسات في المعاني مجاز علاقته المشابهة، شبه الإسلام ببناء عظيم محكم وأركانه الآتية، إقام الصلاة ...، بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البناء، وقال الكازوروني: وفي الحديث استعارة تمثيلية شبهت حالة الإسلام مع أركانه الخمسة بحالة خباءٍ أقيم على خمسة أعمدة، فقطبها التي تدور عليه الأركان الشهادة، وبقية شعبه بمنزلة الأوتاد، فتكون مغايرته لهذه الأركان كمغايرة الخباء للأعمدة"[1].

فالحديث كسائر أحاديثه ﷺ من جوامع كلمه، وفيه أسلوب التمثيل إذ مثل الإسلام بخباء (خيمة) ذي أعمدة وأطناب، أو ببناء محكم له أركان كما أشار إلى ذلك الإمام المناوي[2]، وهذا التمثيل له أثره التصويري الدعوي والتربوي، إذ أنه يبقى ماثلاً في الذهن محفوظًا، سهل النقل سريع التنبيه والتذكير للخاصة والعامة، ويفعل في الإدراك بأكثر من وسيلة، وذلك من البلاغة، التي ينبغي على الدعاة أن يتذوقوها ويعرفوا أصولها ويتدربوا عليها ويمارسوها في مجالات الدعوة ضمن المأذون لهم شرعًا، ليكون تأثيرهم في جماهير الناس أعمق وأوسع، وذلك من الحكمة والموعظة الحسنة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٥٧.

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٨٥/٣ - ٢٠٨.

اللتين أمر الله بهما في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، [2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان أركان الإسلام الخمسة:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام فقال ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". والمراد من هذا الحديث أن الإسلام مبني على هذه الخمس، فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيانه، ودعائم البنيان هذه الخمس، فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينتقص بنقص ذلك، بخلاف نقض هذه الدعائم الخمس فإن الإسلام يزول بفقدها جميعًا بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[3].

فنجد أن الرسول ﷺ في هذا الحديث ذكر أركان الإسلام العملية وهي الخمسة المذكورة، وقد أفردها دون غيرها؛ لأنها الأعمال التي تلزم كل مسلم دون استثناء فمنها ما يدخل به الإسلام ويستمر به فيه كالشهادتين دون تحديد وقت، ومنها ما يمارسه يوميًا خمس مرات وهي الصلاة، ومنها ما هو عبادة سنوية وهو صوم رمضان، ومنه ما يجب عند وجود المال المعين كالزكاة، ومنها ما يجب في العمر مرة إذا توفرت الاستطاعة وهو الحج.

قال ابن عبدالبر: (قال الله عز وجل: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا ....الآية﴾[4]. يعني شبابًا وشيوخًا، وقال: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ...الآية﴾ إلى

---

(١) سورة النحل، الآية : ١٢٥.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٤٥/١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤١.

قوله: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١]. فثبت فرضه - أي الجهاد - إلا أنه على الكفاية لقول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾[٢]، وعلى هذا جمهور العلماء، ودليل ذلك قوله ﷺ ((بني الإسلام على خمس))ليس فيها ذكر الجهاد؛ لأنها - أي الخمس - متعينة على المرء في خاصته) أ.هـ[٣].

وقال ابن عبدالبر في موضع آخر من التمهيد: (ذكر ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة بن شريح عن بكير بن عمرو المعافري أن بكير بن الأشج حدثه عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما حملك على الحج عامًا وتقيم عامًا، وتترك الجهاد في سبيل الله، وقد علمت ما رغب الله فيه، فقال: يا ابن أخي، بني الإسلام على خمس: إيمان الله ورسله والصلوات الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت ... وعلى هذا أكثر العلماء أن أعمدة الدين التي بني عليها خمس على ما في خبر ابن عمر هذا إلا أنه جاء عن حذيفة خبر يخالف ظاهره خبر ابن عمر هذا في الإسلام، رواه شعبة وغيره عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: الإسلام ثمانية أسهم: الشهادة سهم، والصلاة سهم، الزكاة سهم، وحج البيت سهم، وصوم رمضان سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له). أ هـ[٤].

وقد عبر بالأسهم وليس بالبناء؛ لأنه دخل في المجموع أمور غير الخمس، ثم وضح الفرق ابن عبدالبر، فقال: وقد ذكرنا فرض الجهاد وما يتعين منه على كل مكلف، وما منه فرض على الكفاية، وأنه لا يجري مجرى الصلاة والصوم.

ومؤدى كلام ابن عبدالبر أن هذه الخمس ملازمة للمسلم لازمة الوجوب، أما مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فواجب في أحوال دون أحوال.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٨/٣٠٤.

(٤) المرجع السابق ١٦/١٦٠.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بأركان الإسلام:

جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ لأركان الإسلام الذي لا يكتمل إلا بها فقال ﷺ: "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ". فالإسلام بناء قوي محكم، شرعه الله عز وجل لعباده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، هذه الدعائم وهذه الأعمدة الخمسة التي أقيم عليها الإسلام والتي بينها رسول الله ﷺ ومعلوم أن الأعمدة أساس البنيان، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم[2]، لذا وجب على المسلم الالتزام والإذعان الكامل لأركان الإسلام وعدم التهاون في شيء منها خاصة الشهادتين اللتين بهما عصمة الدم والمال، كما قال ﷺ: «أُمِرتُ أن أُقاتِلَ الناسَ حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّهُ، فمن قالها فقد عَصَمَ مني مالَهُ ونَفْسَهُ إلاّ بحقّهِ، وحِسابهُ على اللّه»[3].

رابعًا - من موضوعات الداعية: أثر الالتزام بأركان الإسلام في اكتساب الأخلاق:

هذا الحديث يركز على أسس الإسلام، ومن أبرز ثمارها الأخلاقية أن الشهادتين كلما تكررتا ربطتا المسلم بالله وبرسوله، فذكر الله طرد للغفلة واستشعار لإلهيته وعظمته ورقابته، فينتج عن ذلك الخوف منه ورجاؤه والاستقامة على دينه، وذكر الرسول ﷺ استحضار لمنهجه ومثاليته وسموه، فينتج عن ذلك الاقتداء به والأخذ بهديه والالتزام بسنته والصلاة والسلام عليه، وقياس كل الزعامات بمعيار اتباعه. ومعنى ذلك أن ذكر الشهادتين فيهما إيقاظ للقلوب وتقويم للسلوك، ولذلك اعتبرت الشهادتان أفضل الذكر كما وردت بذلك النصوص. وأما الصلاة فهي الصلة بين العبد وربه، وهي أفعال وأقوال تعني الخضوع والخشوع والمناجاة، ولجوء العبد المحتاج إلى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٣٠٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري، ١٣٩٩، ومسلم، ٢٠.

الخالق الصمد الغني، ونتائج الصلاة الخاشعة ظاهرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[2]. وأما الزكاة، فهي تطهير للنفوس من رذيلتي البخل والشح، وهما من أبرز أسباب الصراع لدى البشرية على حطام الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، والزكاة تطهير وتزكية سنوية، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[4].

وأما الصوم فهو تقوية للإرادة، وبناء للصبر، ولذلك سمي رمضان شهر الصبر، وهو تحرر من العادات والشهوات المباحة فضلاً عن المرحمة، وضبط للأعصاب والجوارح وفي الحديث المتفق عليه، الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيامُ جُنَّة، فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ. وإنِ امرُؤٌ قاتَلَهُ أو شاتَمَهُ فلْيَقُلْ: إني صائمٌ - مرَّتين - والذي نفسي بيدِهِ لَخُلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْك، يَترُكُ طَعامَهُ وشَرابَهُ وشَهْوتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزي به، والحسَنةُ بعَشْرِ أمثالِها»[5].

وأما الحج، فهو رحلة إلى الله وتعويد للنفوس لتحمل المشاق والاغتراب وفراق الأهل والوطن مرضاة لله، وهو إلزام للنفس بالاستسلام للفرائض التي فرضها الله، ولو لم تظهر أسرارها للعقل كعدد مرات الطواف وكتكرار رمي الجمار....الخ.

وحَسْبُ العاقل أنه يمارس العبودية استسلامًا لأمر الله بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي يتشابه فيها الحج مع الصوم في بناء الصبر وضبط الأعصاب والتحرر من

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المعارج، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

السلبيات، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]. والجوانب التي يشبه فيها الحج والزكاة، فالحج نفقات وتطهير من الشح، ولذلك كانت أركان الإسلام مدرسة ملازمة للمسلم تبني في نفسه فيما تبني مكارم الأخلاق وتتعاهد باستمرار.

خامسًا - من فقه الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

إن في بيان رسول الله ﷺ في الحديث لأركانه الإسلام ودعائمه في قوله: "بني الإسلام على خمس شهادة ان لا إله إلا الله ..." أنموذجًا تطبيقيًا ومثلاً حيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية من قيامه ببيان الحقائق، وذلك واجب شرعي أوجبه الله على الأنبياء وأتباعهم الدعاة، أن يوضحوا للناس الحقائق ولا يكتمونها[2]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

قال القاسمي: (أي لتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من جملتها أمر نبوته ﷺ. وفي قوله تعالى: "وَلا تَكْتُمُونَهُ" من النهي عن الكتمان، بعد الأمر بالبيان، مبالغة في المأمور به.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق، وتجنب كتمانه، فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك مما يجب إظهاره. وقد تقدم هذا، وإن المراد بذلك إذا لم يؤد إلى مفسدة. ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها[4].

فكفى بذلك دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢/٤/٣١٧.

استجلاب لمسارِّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتلقيه مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن يُنْسب إليه غيرهم[1].

(١) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.

الحديث رقم (١٠٧٨)

١٠٧٨ - وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يبين منزلة أركان الإسلام، وأنها عصمة للإنسان ماله، ودمه، ويبين قيمة الصلاة باعتبارها من أهم أركان الإسلام، وقول الرسول ﷺ (أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) يؤكد أن قتال الرسول لهؤلاء أمر علوي فوق تقدير الرسول ﷺ من تقدير خالقه، و (ال) في الناس للجنس فتشمل كل من يتصدى للدعوة، ويمنع عن غيره النور بل العدل أن يصل النور إلى الجميع فيختار كل منهم ما يشاء، وقد جعل الله لرسوله في قتاله غاية ينتهي إليه أشار إليها بقوله (حَتَّى يَشْهَدُوا...) وأسلوب الشرط (فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) يقرر أن عصمتهم مرهونة بدخولهم الإسلام، وتطبيقهم أركانه، وقوله (إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ) احتراس يخرج الأخذ بحد من حدود الله من الحكم السابق، وقوله: (وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ) تكميل بلاغي يفيد أخذه إياهم بما ظهر له منهم، وترك علم الباطن على الله لأنه العالم به.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦)، وتقدم برقم (٣٩٠)، وسيأتي برقم (١٢١١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٠٧٩)

١٠٧٩- وعن معاذٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَعثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وأنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإنْ هُمْ أطاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَينَهَا وبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

كرائم أموالهم: جمع كريمة: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها[2].

الشرح الأدبي

الحديث يحمل درسا تربويا في فنون التعليم يقوم على فهم طبيعة المتعلم التي تكشف كثيرا من أبعاد شخصيته، ومداخلها، وكيفية التأثير فيها، فبدأ حديثه بالتوكيد لتعظيم الأمر في نفس معاذ رضي الله عنه، وإشعاره بجلال الأمر؛ لأنه صار رسول رسول الله ﷺ قال له: (إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ) ثم استخدم الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩/٢٩) واللفظ له، وتقدم برقم (٢٠٨)، وسيأتي برقم ١٢١٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ر م).

كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَديث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالاً وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذٍ ﷺ فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لا يَضُرّ كَمَا لا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق التكافل بين الناس، والمحبة، وقوله (فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالهمْ) إياك أسلوب تحذير يقوم على الإيجاز الخاطف الذي يقذف الخوف من المحذر منه في نفس السامع، وكرائم الأموال كناية عن أفضل أنواع الأموال لديهم، وفيه بعد نفسي برعاية طبيعة النفس المجبولة على حب المال؛ لأن أخذ الأفضل قد يوغر الصدر، ويحمل على عدم إخراج الزكاة، وقوله (واتق دعوة المظلوم) أمر بغرض التحذير وهو من المجاز بإطلاق المسبب، وإرادة السبب أرِيد بِهِ اِتَّقِ الظُّلْم خَوْفًا مِنْ دَعْوَة الْمَظْلُوم عَلَيْك، والتعبير بالمجاز يريه العاقبة التي يؤل إليها الظلم ليقلع عنه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٠٨).

الحديث رقم (١٠٨٠)

١٠٨٠ - وعن جابرٍ رضي الله عنه، قال: سمعت رَسُول اللهِ ﷺ، يقول: ((إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكفر، تَرْكَ الصَّلاَةِ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

والمتأمل لأسلوب الرسول ﷺ البلاغي في هذا الحديث يجد أنه ﷺ بدأ حديثه بأسلوب خبرى يتسم بالهدوء، والثقة اللذين يشعران المخاطب بأن الخبر مما لا ينكر لذلك ساق الرسول ﷺ خبره سوق الواثق الذي لا يقابل بإنكار، ذلك أن المعنى واضح وضوح الشمس راسخ رسوخ الجبال لا يقبل الشك تعظيماً لأهمية الصلاة، وأنها عماد الدين تاركها تاركه، ولذلك لم يؤكد خبره بأى مؤكد إشارة إلى أن الخبر من الظهور بحيث لا يتأتى لمنكر أن ينكره، وفي قول الرسول ﷺ (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) تشبيه ضمنى يجعل الصلاة بمثابة سور حاجز للمسلم عن خطر عظيم مهلك هو الشرك والكفر مما يبين ويؤكد أهمية الصلاة على دين المسلم ويغرس في النفوس أن تارك الصلاة أزال ستار الإيمان وصار وجهاً لوجه في الشرك، والكفر خارجاً عن نطاق الإيمان، والجمع بين الكفر والشرك من مراعاة النظير وهو الجمع بين الشيء ونظيره وقد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله تعالى وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبدة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله، والكفر أعم، وعطف الكفر على الشرك من عطف المفردات لوجود الجهة الجامعة بينهما، وهي التماثل مع قصد التشريك في الحكم، والجمع بينهما يوحي بعظم الذنب الذي يترك صاحبه بين خطرين عظيمين كلاهما شر مستطير، والصلاة هي الحاجز عن هذين الخطرين فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه.

---

(١) برقم (٨٢/١٣٤). أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٥).

فقه الحديث

قال النووي: (وأما تارك الصلاة فإن كان منكر لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه.

وإن كان تَرْكُه تكاسلاً مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيه:

فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزاني المحصن، لكنه يقتل بالسيف.

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، وبه قال عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي.

وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي - رحمهما الله - أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي.

احتج من قال بكفره بظاهر الحديث: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يقتل، بحديث "لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث..."[1] وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يفكر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2]، وبقوله ﷺ: ((من قال لا إله إلا الله دخل الجنة))[3] و((ومن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٨، ومسلم ١٦٧٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٤٨، ١١٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٣٧، ومسلم ٩٤.

مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة))[١] و((لا يلقى الله تعالى عبد بهما غير شاكٍ فيحجب عن الجنة))[٢] و((حرم الله على النار من قال: لا إله إلا الله))[٣] وغير ذلك.

واحتجوا على قتله بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾[٤]، وقوله ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم))[٥] وتأولوا قوله ﷺ: "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة" على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر، وهي القتل أو أنه محمول على المستحلّ أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر أو أن فعله فعل الكفار، والله أعلم)[٦].

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: "إن بين الرجل"، وأسلوب

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦/٤٣.

(٢) أخرج مسلم ٢٧/٤٥ بنحوه.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩/٤٧ بنحوه.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥.

(٥) أخرجه البخاري ٢٥، ومسلم ١٦/٢١ بنحوه.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦١/٢/١ - ٦٢، وانظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٤٥/١ - ١٤٩، الحديث الثالث، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩ - ٢١١.

(٧) هذه المضامين الدعوية تشمل هذا الحديث - ١٠٨٠- والحديثين التاليين (١٠٨١، ١٠٨٢).

التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يوحي من تيقن الداعي من دعوته، وزيادة التأكيد والتقرير لما يدعو إليه مما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم، وقد استخدم القرآن أسلوب التوكيد في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان الرسول ﷺ لما يحقن دماء المنافقين:

صرح النبي ﷺ في الحديث بما يحقن دماء المنافقين، فقال: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة"، أي: أن العهد الذي بيننا وبين المنافقين الصلاة، بمعنى أنها الموجبة لحقن دمائهم كالعهد في حق المعاهدين، فالعمدة في إجراء أحكام الإسلام على المنافقين تشبههم بالمسلمين في حضور صلاتهم ولزوم جماعتهم وانقيادهم للأحكام الظاهرة[2].

وصرح النبي ﷺ في الحديث بكفر من ترك الصلاة، فقال ﷺ: (فمن تركها فقد كفر)، قال ابن عثيمين: (فهذا الحديث فيه تحذير من إضاعة الصلاة ودليل على كفر تارك الصلاة)[3]، وقد ساق ابن القيم في كتابه "كتاب الصلاة وحكم تاركها" أدلة القائلين بتكفير تارك الصلاة والقائلين بنقيض ذلك فلينظر[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها:

التحذير من ترك الصلاة وردت فيه نصوص من الكتاب والسنة بلغت حدًا في الكثرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[5].

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٣/٢.

(٤) انظر: كتاب الصلاة وحكم تاركها، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، ص ٣٣ - ٥٤.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

قال ابن جريج: "سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: هي الصلاة المكتوبة، وقال الحسن: جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله"[(١)]، ولقد أمر المدعوين بالصلاة وعدم التهاون بها أو تركها، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[(٣)]، وبيَّن أن ذلك مورد من موارد التهلكة والعذاب، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[(٤)].

إن خطورة ترك الصلاة تؤدي إلى التفريط والإهمال في العبادات الأخرى، قال ابن كثير: (وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع، لأنها عماد الدين وخير أعمال العباد، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًا: أي خسارًا يوم القيامة)[(٥)].

ومن السنة ما جاء في الحديث من بيان خطورة ترك الصلاة، فقال ﷺ: (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، قال النووي: "ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة، أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل بل دخل فيه"[(٦)].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[(٧)]، إن القرآن الكريم يصور لنا حال أهل النار، عندما يسألون عن سبب ما هم من عذاب، قال الله تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٩/١٨/٩، وكتاب: الصلاة وحكم تاركها، ابن القيم ص ٤٢.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٣/٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٤.

(٧) سورة الماعون، الآيتان: ٤ - ٥.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[1].

فالصلاة أول عمل كفر به أولئك المكذبون، وأول ما يندمون على تضييعه يوم القيامة، روي عن يحيى بن يعمر عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه...))[2].

ولما للصلاة من الفضل العظيم بعد الشهادتين، كانت آخر وصية أوصى بها رسول الله ﷺ أمته قبل وفاته، روي عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال وهو في الموت: ((الصَّلاةُ الصَّلاةُ وما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ))[3].

والصلاة هي آخر ما يفقد من الدين فإن ضاعت ضاع الدين، كما جاء في الحديث: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)، لذا ينبغي على المسلم أن يحرص على أداء الصلاة في أوقاتها وألا يتكاسل أو يسهو عنها، فقد رهّب القرآن من حال الذين يلهون حتى يضيع الوقت وتفوت الصلاة.

وروي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: ((مَنْ حافَظَ عَلَيْها كانَتْ لَهُ نُورًا وبُرْهَانًا ونَجاةً يومَ القِيامَةِ، ومَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْها لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ ولا بُرْهَانٌ ولاَ نَجاةٌ، وكانَ يومَ القيامَةِ معَ فِرْعَوْنَ وهَامَانَ وأُبيِّ بنِ خَلَفٍ))[4]، قال ابن القيم: "وإنما خص هؤلاء الأربعة بالذكر لأنهم من رؤوس الكفرة، وفيه نكتة بديعة وهو أن تارك المحافظة على الصلاة إما أن يشغله ماله أو ملكه أو

---

(١) سورة المدثر، الآيات: ٣٨ - ٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٦٥/٤، رقم ١٦٦١٤، والحديث قال عنه محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد ١٦٠/٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢١/٦، رقم ٢٦٧٢٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح لغيره ٣١٥/٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٦٩/٢، رقم ٦٥٧٦، وقال محققو المسند: حديث إسناده حسن ١٤٢/١١.

رئاسته أو تجارته، فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون، ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ومن شغله عنها رئاسة أو وزارة فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف"[١].

جاء في صريح حديث الباب التحذير من ترك الصلاة والتهاون فيها فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)، قال ابن علان: (لا يخفى ما فيه من تعظيم شأن الصلاة والحث على فضلها والحض على ملازمتها)[٢].

وكذلك ما ورد عن الصحابة من تكفير معظمهم لتارك الصلاة فعن شقيق بن عبدالله التابعي، قال: "كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة"، قال ابن علان والمراد معظمهم وذلك لما ورد من خلاف في حكم تارك الصلاة"[٣]، وظاهر قول شقيق بن عبدالله يدل على أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعتقدون أن ترك الصلاة كفر، وقال الطيبي: (يفيد ذلك أن ترك الصلاة عندهم كان من أعظم الوزر وأقرب من الكفر)[٤].

إن في الصلاة سرًا لسلامة الإيمان، وسلامة الدين، والاتصال بالله تعالى والبقاء في حظيرة الإسلام والانخراط في سلك المؤمنين، لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد ضرب بعض العارفين لذلك مثلاً عظيمًا فقال: "كانت لأحد الأغنياء الحكماء حديقة غنّاء، ولما حضرته الوفاة، دعا ابنه وقال له: أوصيك بالمحافظة على هذه الحديقة، وعلى ما فيها من أشجار وأزهار، ونباتات وحشائش، فلا تُقص منها شيئًا استغناءًا عنه أو زهدًا فيه، فإنها كلها تقوم على حكم غامضة، وفوائد مستورة، ولما مات الرجل وآل الأمر إلى ولده، رأى أن نباتًا قد ذوي وأصبح حشيشًا لا رائحة ولا غناء فيه، ورأى أنه يشغل

---

(١) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٠٦/٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢١٥/٢.

مكانًا من غير جدوى، ويسيء إلى الحديقة وجمالها ومنظرها، فاقتلع الجرثومة، فما لبث أن دخلتها حية سوداء فلدغت سيدها فمات من ساعته، وعلم الناس أن الجرثومة كانت وقاية عن الحيّات أو الأفاعي والحشرات السامة فلا تدخل حديقة فيها هذه الجرثومة.

كذلك من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للحبط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها"[1].

ومن ثم فلا يليق بمسلم موحد يخشى ربه، ويرجو ثوابه، أن يضيع الصلاة بحال من الأحوال، بل ينبغي أن يسعى جاهدًا لإقامتها تامة محققًا ما فيها من الخشوع والخضوع لله، متجردًا من كل مغريات الحياة وفتنها، ولا يأتي عملاً ولا يقول قولاً من شأن الصلاة إلا وهو مقبل على الله بقلبه وروحه وجسده، عندئذ هنيئًا له الفلاح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2] "[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث حيث رهّب النبي ﷺ من ترك الصلاة ببيان أن ذلك إباحة لما عصم بالإسلام من دم وغيره وأن ذلك من مداخل الكفر والإشراك بالله تعالى، فقال ﷺ: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

(وفي ذلك لون من أشد ألوان الترهيب ففي الحديث بيّن النبي ﷺ: أن الصلاة

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٣) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦ - ٢٧.

هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، فمن اتصف بصفة الإسلام وصلى فقد أوجد الحاجز بينه وبين الكفر، فلا يتطرق إليه الاتصاف به ومن اتصف بها ولم يصل لم يوجد حاجز بينه وبين الاتصاف بالكفر، ولا شك أنه إن استحل تركها كان كافرًا بلا شك، وأن تركها طريق إلى الكفر وابتعاد عن الإسلام)[١].

قال ابن القيم: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يدعى بطريقة الحكمة.

والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

والمعاند الجاحد: يُجادل بالتي هي أحسن)[٢].

والترهيب أهم الأساليب الدعوية وهو أحد ركني الموعظة الحسنة، يقول ابن القيم: "والعظة: هي الأمر والنهي، المعروف بالترغيب والترهيب"[٣]، وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جل ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٤][٥]، والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والمواعظ لأن من طبع النفس النسيان والغفلة، لذلك فإن الترهيب يصبح نوعًا من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص، ووقوع في الرذائل والآثام[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٦٧.

(٢) التفسير القيم ص ٣٤٤.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٤٤٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ٧٠.

(٦) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي ص ٢٠٨.

الحديث رقم (١٠٨١)

١٠٨١- وعن بُرَيْدَة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ)) رواه التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨٦).

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه يبين أهمية الصلاة للفرد، وأنها الحاجز بين الكفر، والإسلام، وقوله (العهد) أي الميثاق، والمقصود الْعَمَل الَّذِي أَخَذَ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِ الْعَهْد، وَالْمِيثَاق مِنْ الْمُسْلِمِين، وَقَدْ بَايَعَهُمْ ﷺ عَلَى الصَّلَوَات، وَذَلِكَ مِنْ عَهْد اللَّه تَعَالَى، والطباق بين الظرفين (بيننا، وبينهم) يقرر افتراق الناس إلى أهل حق، وأهل باطل، وأسلوب الشرط يجعل بين ترك الصلاة، والكفر تلازما عكسيا بحيث إذا وجدت الصلاة انتفى الكفر، وإذا انتفت الصلاة وجد الكفر، والتعبير بالترك يشعر بالإهمال، وعدم المبالاة الذي آل به إلى هذا المصير، وهو ترهيب بليغ من ترك الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٣٢٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٤٥٤)، وقال الحاكم (٧/١): هذا حديث صحيحٌ الإسناد ولا تعرف له علةً بوجه من الوجوه، أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٦).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٨٢)

١٠٨٢- وعن شقيق بن عبد الله[١] التَّابعيِّ المتفق عَلَى جَلاَلَتِهِ رَحِمهُ اللهُ، قَالَ: كَانَ أصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[٢] في كِتابِ الإيمان بإسنادٍ صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

هو: عبدالله بن شقيق العقيلي، هكذا ذكره الترمذي ٢٦٢٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٨١٧، وابن تيمية الجدّ في المنتقى ٤٠٢، وابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ١٤٧/١ ط الرسالة، وغيرهم.

وقد ترجم له المزي في تهذيب الكمال فذكر من روى عنهم، فذكر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم عبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري وأبي هريرة وعائشة أم المؤمنين.

وقد ذكر المزي الأقوال التي قيلت في تعديله وتوثيقه، منها:

قال محمد بن سعد: كان ثقة في الحديث وروى أحاديث صالحة، وقال أحمد بن حنبل: ثقة.

وقال يحيى بن معين: ثقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه وذكر ابن حجر قول الجريري: كان عبدالله بن شقيق مجاب الدعوة كانت تمرّ به السحابة فيقول: اللهم لا تجوز كذا وكذا حتى تمطر، فلاتجوز ذلك الموضع حتى تمطر

أما وفاته فقيل إنها كانت سنة ١٠٨ وقيل مات بعد المائة[٣].

---

(١) هكذا هنا، والصواب: (عبد الله بن شقيق). وعلى الصواب في الترغيب للمنذري.

(٢) برقم (٢٦٢٢)، وقال الحاكم (٧/١): صحيحٌ على شرطهما. وقال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي (٣٨٣/١): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٧٩٨).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ١٦٢/٤، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٣٥٣/٢- ٣٥٤، وتقريب التقريب ٤٢٢/١، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف.

الشرح الأدبي

الحديث كسابقيه في المضمون، وهو الترهيب من ترك الصلاة مع اختلاف في الأسلوب، وقول التابعي: (كَانَ أصْحَابُ محَمَّدٍ ﷺ) يشير إلى أن ذلك كان حكمهم الغالب على تارك الصلاة، ونسبة الأصحاب إلى الاسم الحبيب الظاهر (محمد) فيه تخصيص، وتشريف، وذكر الاسم الظاهر دون الصفة للتلذذ بذكره الذي يعكس الشوق إليه، وقوله: (لا يَرَوْنَ شَيْئاً مِنَ الأعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) الرؤية هنا بمعنى الاعتقاد، والظن أي لا يعتقدون، وتنكير (شيئا) في سياق النفي يفيد العموم وقوله: (تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاَةِ) يؤكد كفر تارك الصلاة بما نقل التابعي من اعتقاد الصحابة في حكم تارك الصلاة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٣- مع المضامين الدعوية للحديث (١٠٨٠، ١٠٨١).

الحديث رقم (١٠٨٣)

١٠٨٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ أوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أفْلَحَ وأنْجَحَ، وَإنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تطوّعٍ، فَيُكَمَّلُ مِنْهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أعْمَالِهِ[1] عَلَى هَذَا)) رواه التِّرمِذِيُّ[2]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وأنجح: أي فاز وظفر بمطلوبه[3].

سائر عمله: باقي عمله[4].

الشرح الأدبي

البداية بالخبر المؤكد طرقة على سمع المخاطب تزلزل الغفلة، وتنبه إلى العناية بالخبر، وأفعل التفضيل تحقق التشويق، وتنبه إلى بلوغ المفضل النهاية صعودا في الصفة، أو انخفاضا، وذكر الحساب يوحي بالترقب والرهبة، وارتباطه بالظرف يوم، وإضافته للقيامة تصعّد الرهبة لما هو معروف من هول اليوم، وأسلوب الشرط في قوله

---

(١) لفظ الترمذي: (عمله).

(٢) برقم (٤١٣). وقال الحاكم (١/٣٩٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال القاضي الرباعي في فتح الغفار (١/١٨٤): رواه الخمسة وأبوداود بإسناد لا بأس به، والنسائي بإسناد رجاله رجال الصحيح، وصحّحه ابن القطان.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧٠٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٤١١.

(فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) أسلوب شرط يربط عاقبة عمل العبد بعاقبة صلاته من حيث قبولها أو عدمه، ويؤكده الطباق بين أفلح، وخاب، والطباق بين أنجح، وخسر، وتوضح الفارق بين العاقبتين حتى ينظر كل عاقل في صلاته ثم رغبه في النوافل يتخذها كرصيد احتياطي يستكمل به نقص ما افترضه الله عليه عن طريق أسلوب الأمر مع الاستفهام المحكي في قوله: (قَالَ الرَّبُّ - عز وجل -: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تطوّعٍ) والأمر انظروا بمعنى تأملوا، ودققوا، وابحثوا، وقوله: هل لعبدي من تطوع؟ استفهام إشادة وتكريم؛ لأنه يعكس اهتمام ربه بنجاته، وإضافة العبد لياء المتكلم تشريف لهذا العبد، والتعبير بلفظ تطوع يشير إلى السماحة، والمطاوعة في نفس العبد الذي أتى تلك النوافل دون فرض، ولا إلزام بل محبة لربه، وتقربا فقربه بها من الجنة جزاءً من جنس عمله.

فقه الحديث

قال النووي: (ينبغي لكل أحد المحافظة على النوافل والإكثار منها لحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته..." الحديث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل.

رابعًا: من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٧٨.

القيامة)، وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إشعار المدعو بصدق وجدية ما يلقى على مسامعه، مما يجعل الدعوة تحوز في قلب المدعو على القبول والتسليم، ولأهمية التوكيد كثر وروده في القرآن الكريم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أهمية الصلاة وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة:

إن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة؛ لأن لها منزلة كبيرة في الإسلام، لا تصل إليها أية عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وتأتي منزلتها بعد الشهادتين لتكون دليلاً على صحة الاعتقاد وسلامته، وتتقدم الصلاة على جميع الأركان بعد الشهادتين لمكانتها وعظيم شأنها[3].

ومن دلائل عظمة الصلاة وعلو شأنها، ما جاء في الحديث من بيان أنها أول الأعمال التي يسأل عنها العبد يوم القيامة، فقال ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته)، أي: الصلاة المفروضة[4]، لذا جاء التأكيد البالغ على أدائها في القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[5]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٢) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٣) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٩.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٨/١.

(٥) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٩.

"والمعنى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالمنافقين، الذين يغترون بالأموال والأولاد، ويشتغلون بتدبيرها ورعايتها عن ذكر الله وعبادته"[(١)].

إن الصلاة هي الفيصل السلوكي الأساسي بين المؤمن والكافر، كما أن الشهادتين هي الفيصل الاعتقادي بين المسلم وغير المسلم، وليس لأحد - كائنًا من كان - أن يترك عماد الدين تحت أي مقولة من المقولات، فهذا الترك في هذه الحالة المتفلسفة كفر، وكما يقول علامة الهند الشيخ أبو الحسن الندوي: "فإن من ترك الصلاة، واستغنى عنها، اعتمادًا على وصوله إلى الغايات، والنتائج التي يعتقد أن الصلاة شرعت لها، وكانت قنطرة إليها، أو اعتمادًا على مأثرة من مآثره في خدمة الإسلام والمسلمين، وكثرة عبادته في الماضي، أو طول جهاده وحسن بلائه، أو شدة اشتغاله بعمل مثمر، يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة والخير الكثير، فقد عرض نفسه للهلاك، وأعماله للإحباط، وإيمانه للضياع، وكان كالشاة المفارقة للقطيع والراعي، التي يختطفها الذئب ويفترسها.

إن الصلاة استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الافتقار والضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة والاطراح على عتبة القوي الغني، الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، الحافظ المانع المعطي الباذل، العليم الخبير، السميع المجيب، واستجابة لغريزة الشكر والوفاء، وغريزة الحب والحنان، وغريزة الخضوع والتواضع، والعبودية والتذلل. فالمسلم في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه، وذلك معنى قول رسول الله ﷺ: ((وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[(٢)]، وقوله لمؤذنه بلال رضي الله عنه: ((يا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا))[(٣)].

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢٨/٤٥.

(٢) أخرجه النسائي، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٦٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤١٧١).

وكان هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم، وكان حنينهم إلى الصلاة وإيثارهم لها على كل ما حبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا (إلى أن قال): وقالوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1].

والعجيب في أمر الصلاة أن كلا من الجسم والعقل والقلب ممثل في الصلاة، وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظامًا رتيبًا خشبيًا جامدًا، لا روح فيه، ولا حياة، ولا نظامًا عسكريًا، لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب، ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها ممثل تمثيلاً حكيمًا، عادلاً، فللجسم قيام، وركوع وسجود، وانتصاب وانحناء، وللسان تلاوة وتسبيح، وللعقل تفكر وتدبر، وتفهم وتفقه، وللقلب خشوع ورقة والتذاذ.

وقد أعطى الله تعالى في كتابه المحكم كلا نصيبه فقال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3]، وكل ذلك من أعمال الجسد. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[4]، وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[5]، والخشوع من أعمال القلب. وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[6]، والخوف والطمع من

---

(١) أخرجه مسلم ٣٠٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٦.

أعمال القلب"[١].

وهكذا - كما نفهم من كلام الشيخ الندوي - فإن الصلاة هي روح العبادة، وبدونها تنعدم الصلة بالله، بل إن الصلاة هي خلاصة الإسلام كما نفهم من الكلام السابق، ولهذا كانت الفيصل الواضح بين المؤمن والكافر[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الإكثار من النوافل:

تأتي أهمية النوافل والإكثار منها في جبرها ما نقص من الفرائض أو فسد منها كما جاء ذلك في صريح الحديث فقال ﷺ: (فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع)، أي في صحيفته سنة أو نافلة من صلاة على ما هو ظاهر من السياق قبل الفرض أو بعده أو مطلقًا، فإن فضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم[٣]، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا، أي سائر أعماله من صوم وحج ونحوهما، وفي ذلك حض على إكثار النوافل لتكون جابرة لخلل الفرائض الذي لا يخلو منه إلا الفذ النادر[٤]، وهذه النوافل منها ما هو غير تابع للصلاة المكتوبة، كصلاة الكسوف والخسوف، ومنها ما هو تابع للصلاة المكتوبة كالنوافل القبلية والبعدية كالسنة الراتبة، والتي جاءت في الحديث: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. أَوْ إِلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ))[٥][٦].

لقد كان من فضل الله تعالى أنه سبحانه شرع لكل عبادة أوجبها عبادة تطوعية من جنسها، يكمل بها المؤمن ما قد يقع له من نقص في العبادة الواجبة[٧].

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي ص ٢٩ - ٣١.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر مجموعة من العلماء ٢٥٧/١ - ٢٥٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٩/١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦١.

(٥) أخرجه مسلم ٧٢٨.

(٦) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٧) فقه السنة الميسر، د. عبدالله المطلق ص ١٧٩.

كما أن التطوع بالنوافل من أهم الطرق الموصلة إلى حب الله سبحانه وتعالى، لذا سن الرسول ﷺ صلاة النوافل لتحقيق الاتصال الأسمى بالله سبحانه وتعالى.

إن العبادات فرائض ونوافل تقوي صلة العبد بره، وبفضل الله تعالى ثم هذه الصلة الطاهرة الهادفة، يشعر العبد في نفسه بقوة روحية عظيمة، فيعيش قوى الإرادة، تقيّ الضمير، متمتعًا بقوة كافية لمواجهة الشدائد وللتغلب على الصعاب.

ومن فوائد النوافل أنها تجبر الفرائض، فمثلاً الصلاة نوافلها تجبر نقص الصلوات المفروضة، وتعين العبد على إتمام الخشوع والخضوع في الصلوات المفروضة، ومن هذه النوافل: السنن التابعة للفرائض، وصلاة الضحى وصلاة الليل والوتر وسنة الوضوء، وتحية المسجد وغير ذلك[1].

رابعًا - من أهداف الدعوة: بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة:

إن من أهداف الدعوة التي ينبغي أن توجه إليها أفئدة المدعوين، وأن يجعلها الدعاة نصب أعينهم، بيان الحقائق والمواقف التي تواجه المؤمن يوم القيامة، وفي الحديث صورة لتلك الصور، فيقول ﷺ: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئًا قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم تكون سائر أعماله على هذا)، وفي معرفة تلك الصور وهذه الحقائق مدعاة إلى الاجتهاد في فعل الطاعات، التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، ويمتنع عن كل ما يغضب ربه مهما كان، وكلما ازداد المؤمن من فعل الطاعات، ازداد شوقًا إلى الجنات ويحن إليها، وذلك ما يجعله دائمًا حريصًا على الطاعة[2].

وفي القرآن نجد توضيحًا وتحفيزًا متكررًا وعَرْضًا متعدد الوجوه لأحداث القيامة، وربط مباشر وغير مباشر بأحوال الإنسان وأعماله وتوجيهاته واستعداداته لتلك الأحداث

---

(١) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر موعة من العلماء ١/٢٧٥ - ٢٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٨٥.

والتحولات[١]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[٢].

إن وقوف الإنسان وعلمه بيوم القيامة وما فيه من مواقف وحقائق ومشاهد، يؤصل ويعمق في قلبه الإيمان بالغيب، ومنه يوم القيامة والاستعداد له.

وإيمان الإنسان بذلك واستحضاره له أكبر الأثر في حياة الأفراد والمجتمعات، ومن أوجه ذلك:

أ - صيانة الطاقة الفكرية المحدودة المجال عن التبدد والتمزق والانشغال بما تخلق له، وما لم توهب القدرة للإحاطة به.

ب - طمأنينة النفس واستقرارها وعدم تعريض النفس والعقل للبلبلة والاضطراب والضلال، عند محاولة تفسير الغيب وأسرار الكون من خلال التصورات المحدودة.

ج - إن في النفس الإنسانية جانبًا لا يملؤه إلا الإيمان مهما بلغ الإنسان تقدمًا في جانب الحضارة المادية، فالسعادة هي في طمأنينة النفس واستقرارها، وليست في حضارتها المادية المجردة.

د - إن الإيمان بالغيب يبعث على العمل والنشاط في جميع أوجه الحياة، فيسعى المؤمن لإقامة موازين العدل في الأرض، ويصبر على متاعب الحياة، طلبًا لما عند الله من الأجر والثواب في الدار الآخرة[٣].

---

(١) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ١٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

(٣) انظر: دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٢٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ترتيب الأعمال:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه وسؤاله النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، وإخبار النبي ﷺ له بأفضلها ثم أفضلها، كما أن النبي ﷺ رتب الأعمال التي يفعلها معاذ رضي الله عنه مع أهل اليمن، فطلب منه دعوتهم إلى الشهادتين، فإن فعلوا ذلك أخبرهم بالصلوات المفروضة الخمس، فإن أدوها أخبرهم بالزكاة الواجبة عليهم، كما أخبر النبي ﷺ أن أول ما يحاسب عليه العبد من الأعمال الصلاة، فإذا كانت صالحة فاز ونجح وإلا أصابه الخسران والحسرة. وفي هذا بيان لأهمية الصلاة وأولوية المحافظة عليها وتقديمها على غيرها من الأعمال.

وبناء على ما سبق كانت هذه تربية على ترتيب الأعمال حسب فضلها ودرجتها وقيمتها. وعلى ذلك فإنه ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم على ترتيب الأعمال وأدائها حسب رتبتها، فلا يُقَدِّم مهمًا على أهم، ولا مفضولاً على فاضل، ولا يفعل ما هو أشد ضررًا ويترك ما هو أقل ضررًا إذا تحتم فعل أحد الأمرين، "فإن كمية الوقت المتاح لكل فرد ثابتة لا تتغير، وإن اختلاف إنتاج البشر يكمن في الاستعمال الأحكم لأوقاتهم، لكن الأعباء ومتطلبات الحياة قد تتكاثر على الفرد، بحيث يصعب إنجاز كل شيء في ذلك الوقت المتاح، عندها يتوجب العمل حسب الأولويات، ذلك لأنّه عندما تقرر القيام بعمل معيّن خلال وقت ما، فأنت تقرر أيضًا عدم القيام بأعمال أخرى خلال هذا الوقت نفسه، لذلك من الحكمة أن يستثمر الوقت في المهام ذات الأولوية دون غيرها"[1].

ثانيًا: الاهتمام بالأسس التربوية:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ،

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٣٦٩، ٣٧٠.

وَأَنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللّه، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكاةِ. وَحَجِّ الْبَيْتِ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ». فقد بيّن ﷺ أسس الإسلام وأركانه التي لا يكون هناك إسلام بدونها، ولذا قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه»، كما اقتصر ﷺ على بيان أسس الإسلام عندما وجه معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن، ولا يعني ذلك أنه ﷺ أهمل الجوانب الأخرى كالأخلاق والمعاملات ونحو ذلك، فهذا لا يكون أبدًا منه ﷺ، بل اقتصر النبي ﷺ على تلك الأسس لأن المقام يقتضي ذلك، فإذا تمكنت هذه الأسس من نفوس الناشئة وغيرهم كانت معدة لاستقبال مكملات الإسلام والتلبس بها كالأخلاق الفاضلة والمعاملات الطيبة، وما شابه ذلك.

والخلاصة أنه على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم الأسس والمبادئ التربوية المهمة أولاً، التي بدونها لا تؤتى التربية ثمارها ولا نتائجها المرجوة، فإذا نجحوا في ذلك انتقلوا إلى مرحلة أخرى: مرحلة استكمال الفضائل والآداب الجميلة.

ونستطيع من خلال هذه الأحاديث أن نجمل أسس التربية الإسلامية، وهي:

١ - إفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه سبحانه وتعالى.

٢ - الإيمان بمحمد ﷺ رسولاً من عند رب العالمين، ووجوب متابعته فيما جاء به والاقتداء به.

٣ - القيام بالواجب من العبادات: الصلاة والزكاة والحج والصوم.

وقالت د. هدى على جواد الشمري عن أسس التربية الإسلامية: "العقيدة هي الأساس الأول لبقية الأسس في الدين الإسلامي ومفهومها يتضمن الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به الرسول ﷺ من الغيبيات والإيمان بكتب الله ورسله وأنبيائه والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

أولاً- الأساس الاعتقادي:

ومن الآثار والفوائد التربوية لهذا الأساس:

١- غرس وتنمية العقيدة الإسلامية: "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره".

٢- التنمية الروحية للمسلم ليزداد تعلقه بالله وتحرره من العبودية لغيره.

٣- تنمية الإرادة وتحرير النفس من سيطرة غير الله.

٤- تقوية النفس واستقرارها: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

٥- سلامة العقل فهي تدعو إلى إعمال العقل في كون الله سبحانه، وتجعل العقل مرتبطًا بالله في كل الموازين.

٦- تقوية الوازع الديني وتوجيهه نحو الخير والبعد عن الشر وتنمية مراقبة الله في كل شيء.

٧- ويبين تصور المسلم عن الله سبحانه وتعالى، ثم عن الإنسان والكون والهدف من الحياة.

٨- كما أن نظرة الإسلام للإنسان واضحة فهو الخليفة له في أرضه لعمارتها، ويبين الغاية التي خلق من أجلها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ثانيًا- الأساس التعبدي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- العبادة تربية اعتقاديه إيمانية.

٢- العبادة تنمية وتغذية للروح.

٣- العبادة تقوية للنفس والروح للسير على منهاج الله.

٤- العبادة تربية اجتماعية فالصلاة تربي المسلم على الارتباط بالجماعة والمشاركة لها

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

وتحطيم الفوارق الاجتماعية والطبقية، فالمسلمون يصلون صفًا واحدًا وميزان التفاضل واحد، وكذلك الزكاة مشاركة للجماعة المسلمة بالعطف على الفقراء وتربية على البذل وبعد عن البخل والشح.

٥- العبادة تغذي العقل فهو دائم التفكير في عظمة خالقه وقدرته.

٦- العبادة تحقق الراحة والاستقرار النفسي.

٧- العبادة تربية صحية.

٨- العبادة تربية أخلاقية حث الإسلام فيها على القيم الأخلاقية الراقية.

٩- العبادة تربية سياسية تقوم على التعاون والتناصح وعلى العدل والمساواة، ونبذ الفرقة والتمييز العنصري والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثًا- الأساس التشريعي:

ومن الآثار المترتبة على هذا الأساس:

١- ما حدد من عقوبات الحدود والقصاص كعقوبات القتل والزنا، والسرقة وغيرها.

٢- الحفاظ على العقل وسلامة الجسم (فردًا أو مجتمعًا) كما يظهر في تحريم الخمر والمسكرات والمخدرات وغيرها وتحقيق ما سمي بالضرورات الخمس والتي هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العرض، وحفظ العقل [(١)].

ثالثًا: استعانة المربي بأهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قول معاذ رضي الله عنه: "بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: ..." الحديث، ودلّه ﷺ على ما يفعله مع أهل الكتاب.

وفي هذا استعانة النبي ﷺ بأصحابه للقيام بالدعوة وما يلزم عن ذلك من تربية وتوجيه وإرشاد، والملاحظ أن النبي ﷺ استعان بمعاذ، وهو من أهل الفضل والعلم من الصحابة، فقد وصفه النبي ﷺ بأنه: "أعلم أمتي بالحلال والحرام" [(٢)].

---

(١) طرق تدريس التربية الإسلامية، ٣٦ - ٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٧٩٠، ٣٧٩١ من حديث أنس بن مالك <، وقال: حسن صحيح.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يستعينوا بأهل العلم والفضل لا بأهل الثقة الذين يغلب عليهم عدم الكفاءة وعدم الإتقان، ولكون همهم الأول إرضاء مرؤوسيهم فقط، دون الالتفات إلى العمل وواجباته لأن ولاءهم لمن وَلاّهم لا لشيء آخر، وهكذا يضيع الناس وتَضيع حقوقُهم إذا قام بشؤونهم أهل الثقة دون أهل العلم والفضل. والمقصود من ذلك أن يستعين المربون بأهل الفضل والعلم لكي يساعدوهم في القيام بواجبات التربية والتنشئة، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تخفيف العبء عن كاهل المربين، فإنهم لا يستطيعون أن يقوموا بكل شيء، فهذا خلاف طبيعة البشر، كما أن في ذلك تفريغًا لهم لأن يقوموا بالأهم فالأهم في التربية.

ب- إعداد صفٍّ من المربين الموثوق بهم، الذين يحملون الراية ويحافظون على المبادئ التربوية الممتازة التي تخرج أجيالاً تؤدي ما هو مأمول منها ومتوقع من تحسين مستوى الحياة وزيادة مساحة الخير فيها، وتقليل نطاق الشر.

ج- ظهور اجتهادات جديدة وطرق مبتكرة مفيدة في مجال التربية، فإن وضع المربي ثقته فيمن ينوب عنه يجعله يبذل قصارى جهده في إنجاح مهمته والتفكير في وسائل جديدة نافعة تؤدي إلى الأهداف المرجوة، وبذلك يتطور العلم ويتقدم.

رابعًا: مراعاة الطبيعة البشرية:

وهذا مستمد من تحذير النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه من أن يأخذ كرائم أموال أهل الزكاة، فقال له: "فإياك وكرائم أموالهم"، وكرائم الأموال: هي الأموال النفسية الغالية، وإنما حذّر النبي ﷺ معاذًا من ذلك، مراعاة للطبيعة البشرية التي تحب أن تحتفظ بالمال الغالي النفيس، فقد جبلت على ذلك، فإن النفس تحب ما غلا وثمن من أموالها، وتحب أن تتملكه، ففي أخذه منها إضرار بها وإيلام لها، وخاصة أنها قد تعبت في تحصيله واقتنائه، كما أن جابي الزكاة وآخذها أمامه أن يأخذ من الأموال الجيدة الأخرى التي يملكها من وجبت عليه الزكاة.

وعلى ذلك فإن على المربي أن يراعي الطبيعة البشرية لمن يربيهم من الناشئة

وغيرهم، فيراعي طبيعتهم وأنهم من روح وجسد، فلا يربيهم على أنهم ملائكة لا تخطأ ولا يداخلها نزعات ورغبات وإنما يعاملهم على أنهم بشر لهم تطلعات وتشوفات، يعبّر ابن القيم عن هذا المضمون بقوله: "العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم، فترك الدنيا فضيلة، وترك الذنوب فريضة، فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يُقم الفريضة؟.

فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته، فإذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والإصرار عليها والاستقلال منها.

وقد قال يحيى بن معاذ: "طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها"، العارف يدعو الناس إلى الله من دنياهم فتسهل عليهم الإجابة، والزاهد يدعوهم إلى الله بترك الدنيا فتشق عليهم الإجابة، فإن الفطام عن الثدي الذي ما غفل الإنسان نفسه إلا وهو يرتضع منه، شديد، ولكن تخيّر من المرضعات أزكاهن وأفضلهن، فإن للبن تأثيرًا في طبيعة المرتضع ورضاع المرأة الحمقى يعود بحمق الولد، وأنفع الرضاعة ما كان من المجاعة، فإن قويت على مرارة الفطام وإلا فارتضع بقدرٍ، فإن من البَشَم[1] ما يقتل"[2].

خامسًا: التربية بالترهيب:

عمد النبي ﷺ إلى التربية بالترهيب، وذلك للتنفير من الوقوع في المعاصي وظلم الآخرين، وفي حديث من أحاديث الباب يرهب النبي ﷺ معاذًا، وذلك في قوله ﷺ: «واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ». قال ابن حجر: "أي ليس لها صارف يصرفها ولا مانع والمراد أنها مقبولة، وإن كان عاصيًا"[3].

فالنبي ﷺ أمر معاذًا رضي الله عنه بأن يتجنب الظلم الذي يجعل صاحبه يدعو الله ويتوجه إليه، ودعوته يتقبلها الله ولا يردها، فخوّفه من الظلم بأن ذكره بالله وبنصرة

---

(١) البَشَم: محركة: التُّخَمَة، القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، ١٠٨٠.

(٢) الفوائد، ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) فتح الباري، ٩٠١/١.

الله للمظلوم على الظالم، فإذا كان الظالم انتصر على المظلوم، فإن توجه المظلوم إلى الله ودعاءه له، يجعل الظالم مهزومًا مدحورًا، أي أن النبي ﷺ حذّر معاذًا من الظلم، وذلك بذكر نصرة الله للمظلوم وانتصافه سبحانه من الظالم، ولاشك أن هذا أسلوب تربوي مفيد جدًا في المنع من اقتراف ما يغضب الله ويسخط منه، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يفعلوه في تربيتهم للناشئة وغيرهم، فإنه لا فائدة في تربية لا تقوم على الخوف من الله والخشية منه، بل هي تربية عقيمة فاشلة حين لا تغرس في نفوس أهلها مراقبة الله والخوف من عقابه، وذلك لأن الخوف من الله يمنعُ الأمين أن يخون، وقد سهل أمامه طريق الخيانة دون أن يراه أحد، وهو الذي يمنع القوى أن يظلم الضعيف ويعتدي عليه، وهو يأمن أن لا يعاقبه القانون الدنيوي، وهو الذي يمنع الصادق أن يكذب، وقد عرف أن الناس يصدقونه حال كذبه، وهو الذي يمنع الورع أن ينظر إلى العورات والحرمات، وهو يأمن أن لا يراه أحد، وعلى ذلك فَقِسْ، فما أجمل أن يتربى الناس على الخوف من الله والرهبة من عقابه وتجنب الوقوع في ظلم الآخرين لأنه إذا تربت النفس على الرهبة من الظلم ومقارفته، كان ذلك بمثابة السياج المنيع الذي يحول بينها وبين ظلم الآخرين أو مجرد التفكير في ذلك، نظرًا للعواقب الوخيمة للظلم.

سادسًا: بيان العلامات الفارقة بين أهل الإسلام وغيرهم:

وهذا مستمد من قول الرسول ﷺ: "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"، وقوله ﷺ: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، وقول شقيق بن عبدالله التابعي: كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، فقد جعل النبي ﷺ الصلاة علامة فارقة بين المسلمين وغيرهم، فمن أداها فهو من المسلمين، ومن تركها لم يكن من المسلمين[1]، بل كان من أهل الشرك والكفر، وقد كان الصحابة يفتون بهذا، كما أخبر عنهم التابعي شقيق بن عبدالله.

---

(١) على خلاف في صفة الترك فهناك خلاف في كفر من ترك الصلاة تكاسلاً، انظر: المغنى٣/٣٥١ وما بعدها.

والمقصود من الحديثين والأثر هو بيان العلامة الفارقة التي يفرق بها بين المسلم وغيره، وقد تربى الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك، كما جاء في أثر شقيق ابن عبدالله.

ومن ثم ينبغي على المربين أن يهتموا ببيان العلامات الفارقة بين التربية الصحيحة المقبولة، وبين غيرها لمن يربونهم، وفي ذلك فوائد جمة، لعل أهمها تعويد وتنشئة الأجيال على معرفة هذه العلامات، ومن ثم فعل ما تقتضيه ويلزم عنها.

سابعًا: التربية على المحافظة على الصلاة والاستكثار من النوافل:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضةٍ شيئًا قال الرب عز وجل: انظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على هذا»، فقد بين ﷺ أن العبد إذا أدى الفرائض على وجه فيه نقص فإن أداءه للنوافل والتطوع قد يكمل هذا النقص ويسد خلله. وفي هذا لَفتُ نظر المربين أن يربوا الناس على أنهم لا يقتصرون على فعل ما يجب عليهم فقط بل يفعلون كذلك المندوبات والآداب الطيبة التي تجمل فعل الواجب وتزينه، وتجعله يقع على أحسن ما يكون وأفضل، وتجعل الناس تترقى في الدرجات والمقامات، فمن مقام إلى مقام ومن رتبة إلى رتبة، فمن مقام الإسلام إلى مقام الإيمان، ومن مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، وهكذا يكون الناس في ترق وصعود، فإن لم يقع هذا فعلى الأقل سد التقصير الذي قد يقع في أداء الواجبات، ولنضرب مثالاً على ذلك، إن من يرغب في فعل الخير سواء أكان واجبًا أم مندوبًا لا ينتظر من أحد أن يبادره بفعل ذلك، بل هو يبادر إلى ذلك ويسابق، فإن من أراد تحصيل أجر السلام على الناس لم ينتظر أن يلقوا عليه السلام بل يبادر هو ليلقي السلام عليهم ويبدأهم به، وهكذا في جميع أحواله وأوقاته ومع مختلف الناس وطبائعهم.

❁ ❁ ❁

١٩٤- باب فضل الصف الأول

والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

الحديث رقم (١٠٨٤)

١٠٨٤- عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُول اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((ألاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟)) فَقُلْنَا: يَا رَسُول اللهِ، وَكَيفَ تُصَفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: ((يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

يتراصون: يتلاصقون حتى لا تكون بينهم فرج[2].

الشرح الأدبي

التشبيه في قوله: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) حيث شبه الحالة التي يجب أن يكون عليها المصلون في إقامة الصلاة وتسوية الصفوف بحال الملائكة حين يصفون عند ربهم تعالى ووجه الشبه هو تمام الاستقامة، والمراقبة.

وهذا التشبيه يوحى بعدة دلالات:

أ- الارتقاء بمستوى الموقف البشري لموقف الملائكة.

ب- تحقيق أعلى درجة من الانتظام والخشوع لكمال إيمان الملائكة الذي لا ينقص ولاستشعار جلال الموقف عند الرب فلا شك أن من خدم سيده وهو يعلم أنه ناظر إليه بذل أقصى الجهد في خدمته والرسول ﷺ بذلك يحثهم على بلوغ منزلة اليقين بين يدي الله.

---

(١) برقم (١١٩/٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ص ص).

ج- في الربط بين حال المصلين وحال الملائكة بالتشبيه إشارة إلى ما يجب أن يكون عليه المصلى من الانقطاع عن جميع الشواغل الدنيوية والتعلق بالذكر والتسبيح والدعاء كما الحال مع الملائكة فبذلك يؤدى المصلون حق الموقف بين يدي الله ظاهراً باستقامة الصف وسكون الجوارح، وباطناً بالانقطاع عن الشواغل وتفريغ القلب إلا من الله.

ز- الإيضاح بعد الإبهام وهو من وسائل التشويق وإثارة الانتباه وتنشيط الذهن مما يمكِّنُ للمعنى ويمهِّدُ النفوس لتلقى المعنى باستشراف وتطلع يؤدى إلى تأكيده وتثبيته وذلك في قوله: (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) وهو توضيح وبيان لما أبهم في قوله: (كما تصف الملائكة عند ربها) لأن المخاطبين لا يعلمون كيفية صفوف الملائكة عند ربها، والحق أن أسلوب الحديث في التشويق بلغ الذروة درجة بعد درجة بالمخاطبين بداية بأسلوب التحضيض في قوله: (ألا تصفون..) ومروراً بالتشبيه في قوله: (كما تصف الملائكة) مع ما يحمله التشبيه من طرافة وجدة وانتهاء بالإيضاح بعد الإبهام حيث جاءت جملة (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) تقويماً للخطأ الأول وتحديداً للصواب وما يجب أن يكون عليه المصلون من انتظام في الصفوف وإتمام لها واستحضار لعظمة الموقف بين يدي ذى الجلال والإكرام، وقد استقبلت أسماعهم هذه المعانى وهي في قمة الإطراق وقلوبهم في قمة الشوق وعقولهم في قمة الوعي واليقظة مما يضمن للخبر الرسوخ والثبات وهذا من براعته ﷺ في دقة التبليغ وبراعة التوصيل التي يحتاج إليها كل داع ومصلح في الوصول بالمعنى إلى قلب المخاطب حتى يقوم خطأه ويرشده إلى الحق.

د- ومما تجدر الإشارة إليه في قول الرسول ﷺ: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) هذا التحضيض في هذا السياق الذي يوفر على المعنى الإصغاء والمتابعة وتمام اليقظة من المخاطبين واستشرافهم لمعرفة المحضوض عليه، والذي صعَّده بالصورة التشبيهية ثم صعده أكثر بتقييد الصف بالظرف (عند) وإضافته للرب وإضافة الرب للضمير العائد على الملائكة (عند ربها) مما أضفى على الموقف

خصوصية تستوجب الخشوع والخضوع واستشعار الذل في الموقف الجليل بين يدي العزيز، وهذا التصعيد للمعانى مما يتصل بالمنطق الوجدانى والثروة النفسية وهو طرد الكلام حثيثاً في مقدمات يسلم بعضها إلى بعض كأقيسة المنطق، توصل في سرعة وسلامة إلى النتيجة بحيث لا يشعر المخاطب بسرعة التتابع والانقياد للمسلمات بدون جهد دون غايته وتلك خصيصة في البيان الكريم تكسبه قوة الاستيلاء، وشدة الهيمنة على قلوب السامعين، لأنها منطق النفس إلى النفس.[1]

٥- التكرار لمادة (صف) أربع مرات في نهاية الحوار تأكيد لأهمية الاستقامة التي يصورها الصف مصغرة ويريدها في نفس المؤمن حتى تكون سلوكاً يشمل كل مناحى حياة الفرد المسلم يقيه شر الفوضى والتشتت، ويعوِّده النظام حتى يصير سلوكاً ينسحب إلى جميع شئونه وصياغة الفعل (يتراصون) على صيغة التفاعل يقتضى تعاون الجميع في إقامة الصفوف وتدعيم النظام ومعاونة الإمام[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟..." الحديث، حيث علم أصحابه كيفية صف الصفوف في الصلاة، والتعليم وسيلة من وسائل الدعوة المهمة، حيث إن الله حباه قدسية عالية، حيث كلف جبريل عليه السلام بمهمة

---

(١) انظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية ص ٢٥٣.

(٢) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٦٥

التعليم والإبلاغ عنه للمصطفى صلوات الله عليه وسلامه، وحباه كذلك إطارًا من الفخر والاعتزاز قائلاً: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[١].

وإن أهمية التعليم تنبع من أنه يكون الوسيلة التي تدرك بها الحقائق، وتنير الطريق إلى الخير والثواب. وسبيل الداعية إلى تعليم المدعوين هو العلم، ولذا فإن من أهم ما يحسن بالداعية أن يتحلى به صفة العلم، فإن العلم زينة للداعية، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والأمر والنهي.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[٣]، وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول:« مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين»[٤][٥].

ومن الأمور المعلومة أن التعليم من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من آداب الداعية: حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها:

إن من آداب الداعية التي تستنبط من هذا الحديث، حث المدعوين على أهمية الصف في الصلاة والتراص فيها، يظهر ذلك من عموم الحديث، حيث حث النبي ﷺ أصحابه على أهمية الصف والتراص في الصلاة، والداعية يجب عليه أن يقتدى برسول الله ﷺ في ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ هو القدوة والمعلم للأمة بصفة عامة والدعاة بصفة خاصة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٦]. وقال: أبو نصرة: كان عمر إذا أقيمت الصلاة استقبل

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه البخاري٧١.

(٥) انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد العمار ص ٧٩.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم، استووا قيامًا، يريد الله بكم هدى الملائكة. ثم يقول: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[١]. تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر رضي الله عنه[٢].

فينبغي على الداعية أن يتأدب بآداب رسول الله ﷺ: في الصلاة وتعليم المدعوين آدابها.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تسوية الصفوف وإتمامها في الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ. وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ».

قال القاضي عياض: (وما لا يختلف فيه أن من سنن الصلاة وهديها، حسن هيأتهم، وإكمال الصف الأول فالأول والتراص فيه، ليتم استقامته واعتداله، ولئلا يتخلله الشياطين، كما جاء في الحديث، وتشبهًا بالملائكة في صفوفها، ولما في ذلك من جمال هيئة الجماعة للصلاة وحسنها، وتأتي صلاتهم في صفوفهم دون أن يضيق بعضهم على بعض، ولا يتمكن بعضهم من تمام صلاته وسجوده إذا كانوا غير صفوف، ولأن في ذلك مع مراعاة تمكنهم من صلاتهم من تكثير جمعهم أكثر ما يكون مع الاختلاط، ولئلا يشغل بعضهم بعضًا النظر إلى ما يشغله منه إذا كانوا مختلطين، وفي الصفوف غابت وجوه بعضهم عن بعض وكثير من حركاتهم، وإنما يلي بعضهم من بعض صفحات ظهورهم)[٣].

وفي قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة". قال ابن عثيمين: الملائكة لها عبادات متنوعة، وهم -عليهم الصلاة والسلام- لا يستكبرون من عبادة الله ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[٤]. وكيف صفوفهم؟ قال النبي ﷺ: يكملون الأول فالأول

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤/٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٤٤/٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

ويتراصون ، إذن فنحن إذ صففنا بين يدي الله في صلاتنا ينبغي أن نكون كالملائكة: يكملون الأول فالأول ويتراصون[١]، وتسوية الصفوف والتراص في الصلاة، من الأشياء التي فضلت بها الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في ترغيب النبي ﷺ في تسوية الصفوف، وبين أن التسوية وإتمام الصفوف هو فعل الملائكة، والملائكة يعبدون الله باستمرار، وعلى أفضل الطرق في العبادة ولا يسأمون من عبادتهم، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾[٢]. فرغب ﷺ في صف الصفوف وإتمامها اقتداء بفعل الملائكة في العبادة، وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣].

والترغيب في العبادة وحب الفضائل الإنسانية من أساليب الدعوة المهمة، حيث إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربي على الأخلاق الفاضلة وتبعد عن وساوس الشيطان[٤].

خامسًا- من خصائص الأمة الإسلامية: جعلت صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟.....إلخ الحديث".

خص الله عز وجل هذه الأمة إكرامًا لها على سائر الأمم بأن جعل صفوفها في الصلاة كصفوف الملائكة[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٣١٥.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٨.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) انظر: الدعوة على الله، د. توفيق الواعي، ٢٠٥.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٤٩٤.

ومما يؤيد هذه الخاصية من السنة المطهرة -ما جاء عن حذيفة- رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ. وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ». وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى»[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فَضَلْتُ بِأَرْبَعٍ: جُعِلْتُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي الصَّلاَةِ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ، وَجُعِلَ الصَّعِيدُ لِي وَضُوءًا، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم، ٥٢٢.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في الجامع الصغير للسيوطي، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٤٠٩٥).

الحديث رقم (١٠٨٥)

١٠٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[2].

لاستَّهمُوا: لاقترعوا[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل المسارعة إلى النداء، والصف الأول، والبداية الفرضية التي أشارت إليها لو تبين مدى عظمة الخبر بعدها، و (لو) حرف امتناع لامتناع، أي امتناع الاستهام لامتناع العلم بالفضل، مما يشير إلى غفلة الناس عن فضل هذه الأمور، والتعبير بالاستهام فيه إشارة إلى ما ينبغي أن تكون عليه المجتمعات المسلمة من المساواة، والعدل الذي ينزع الأحقاد، ويمنع الفتن، وعبارة (ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلاَّ أنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ) كناية عن عظمة الثواب وتسابق الناس إليه، ، وتكرار (لو) مع فعل العلم يؤذن بجهل أكثر الناس، وغفلتهم عن فضائل لا تكلف جهدا كبيراً، وتحدث فرقاً كبيراً في ميزان حسنات العبد، ، يدل على ذلك تكرار الاستهام الذي يدل على حرص الجميع على الفوز به، والتعبير بالاستباق يؤكد ذلك، ويكشف اللثام

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣) واللفظ له، ومسلم (٤٣٧/١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٤)، وقد تقدم برقم ١٠٣٤، ١٠٧٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢.

(٣) الصحاح ولسان العرب، ابن منظور في (س هـ م).

لكل من له عقل عن عظمة الجزاء ليتنافس فيه المتنافسون، والفرض الذي افترضه للحضور يدل على عظمة الأجر الذي غفل عنه الناس، والحديث يضرب بمطرقة الافتراض (لو) على غفلة الناس عن عظيم الأجر تحت ستار الجهل ليوقظ أهل الفطنة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣٤).

الحديث رقم (١٠٨٦)

١٠٨٦- وعنه، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((خيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أوَّلُهَا)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التسابق إلى الصلاة بالتسابق إلى الصفوف الأولى التي رغّب فيها بصبغها بصفة الخيرية المضافة للصفوف تخصيصاً، وقد استخدم الطباق لتقرير المعنى، وتوكيده بين قوله أولها، وآخرها، الذي يشير أثر المكان الذي يقف فيه العبد في المسجد على الخيرية التي تستلزم الثواب، كما طابق بين الرجال، والنساء في إشارة إلى التساوي في العمل المقرب لله - تعالى - الذي يستلزم التساوي في الأجر، كما طابق بين خير، وشر الذي يؤكد التفاوت في العاقبة التي ترتبت على التبكير إلى المسجد، والسبق إلى أول الصفوف، لأنه لا يحرص عليها إلا محب للصلاة مبكر إليها طموح في عمل الآخرة.

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على أن أفضل صفوف الرجال - سواء كانوا يصلون وحدهم أو مع غيرهم من الصبيان والنساء- هو الصف الأول ثم الذي يليه، ثم الأقرب فالأقرب، وكذا أفضل صفوف النساء إذا لم يكن معهن رجال، أما النساء مع الرجال فأفضل صفوفهن آخرها، لأن ذلك أليق وأستر لقوله ﷺ ((خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرّها أولها)) وقوله ﷺ ((لو يعلم الناس ما في

---

(١) برقم (١٣٢/٤٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦٨٥).

النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا))[1])[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين بالنسبة لصفوف الصلاة:

إن الصلاة ركن من أركان الإسلام، بل إنها أهم أركان الإسلام، فينبغي للداعية أن يبين الأمور التي تتعلق بها، ومن ذلك صفوف الصلاة. يظهر ذلك في قول النبي ﷺ: "خير صفوف الصلاة أولها، وشرها آخرها....." الحديث.

حيث بيّن ﷺ أن صفوف الرجال على عمومها، خيرها أولها أبدًا وشرها آخرها أبدًا، أما صفوف النساء، فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها. والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء، أقلها ثوابًا وفضلاً، وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣، ومسلم ٤٣٧/١٢٩.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٨/٢٧ ومراجعها ومصادرها ومنها: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٠٠/٤، و الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، والقوانين الفقهية ص ٥٤، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٣٦/١، وشرح السنة ٣٧٠/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، ٤٨، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٢٠/٢.

الرجال، لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم، وتعلق القلب بهم، عند رؤية حركاتهم، وسماع كلامهم ونحو ذلك[١].

فبين ووضح ﷺ أفضل صفوف الرجال وأفضل صفوف النساء.

وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين وتوضح الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

فقد بوّب الإمام البخاري مجموعة أبواب بالنسبة لصفوف الصلاة منها: باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها[٢]، وباب: إقبال الإمام على الناس، عند تسوية الصفوف[٣]، وباب: الصف الأول[٤]، وباب: إقامة الصف من تمام الصلاة[٥]. وباب: إثم من لم يتم الصفوف[٦].

وبوب الإمام مسلم بابًا بعنوان: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف[٧].

فينبغي على الداعية أن يبين ويوضح للمدعوين الأمور المتعلقة بصفوف الصلاة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث المدعوين على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول والتحذير من التأخر عن الصلاة:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها".

وهو بذلك يحث على المبادرة إلى المسجد لإدراك الصف الأول وثوابه وقد قال ﷺ: «لو يَعلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثمَّ لم يَجِدوا إلا أن يَستَهِموا عليهِ لاستَهَموا»[٨].

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٣.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٤.

(٦) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: ٧٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ٢٨.

(٨) أخرجه البخاري، ٦١٥، ومسلم ٤٣٧.

فالرجال كلما تقدموا فهو أفضل لهم، كما قال النبي ﷺ محذرًا عن التأخر: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله"[١]، أى: عن الصفوف الأول حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته، أو عظيم فضله ورفع المنزلة، وعن العلم ونحو ذلك[٢]، قال ابن عثيمين: وهذه خطيرة: أن الإنسان- كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث، ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل صالح، والعياذ بالله، ولهذا قال: "لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله" ، فأنت يا أخي تقدم في الصف الأول فالأول[٣].

لأن هذا دأب الصالحين وشيمة العباد المتقين لرب العالمين، ولو استقرأت حال السلف الصالح رضوان الله عليهم لوجدت أن تبكيرهم إلى الصلوات وحرصهم على الصف الأول، سمة بارزة في تراجمهم، فهذا سعيد بن المسيب يقول: (ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد)[٤].

إن الذي يكنّ في صدره الحرص على الصف الأول، تجده غالبًا قلبه معلق بالمسجد، وفي ذلك من الفضل مالا يخفى، وهو الاستظلال بظل الله تعالى، يوم لا ظل إلا ظله، رزقنا الله جميعًا ذلك الفضل[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: عدم اختلاط النساء بالرجال في الصلاة:

حيث ذكر رسول الله ﷺ أن شر صفوف الرجال آخرها لقربها من النساء، وشر صفوف النساء أولها كذلك لقربها من الرجال. وذلك لأن هدف الدعوة حفظ النفس وتهذيبها، ولا يتم ذلك حتى تتحلى بالفضائل والأخلاق، فالنفس مجبولة على أخلاق مهملة وأخلاق مرسلة، فالمحمود فيها يؤدب، وغير المحمود يهذب، والآداب زينة للشخصية الإسلامية يسمو بها مقادير كبيرة على الناس، فيتعلم آداب المعاملة، وآداب

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٧.

(٢) شرح مسلم، النووي، ٣٦٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣١٧/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٢١/٤.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٣، ٣٣٤.

المخالطة وآداب العزلة، وآداب المجالس، وآداب العبادة، وآداب عديدة كثيرة[١].

فينبغي على المصلى أن يتحصن من مداخل الشيطان، فإن للشيطان مداخل عديدة يعكر فيها صفو الباطن، ولذلك يجب مواجهة التحديات الشيطانية وإلقاءاته الإبليسية وسد تلك الأبواب حتى لا يفسد الباطن[٢] كالاختلاط في الصلاة وشغل القلب بغير عبادة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "خير صفوف الرجال أولها ، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها"، حيث رغب ﷺ الرجال في الصف الأول ورهب الرجال من الصف الأخير، ورغب النساء في الصف الأخير، ورهبهم من الأول.

وأسلوب الترغيب: يقصد به الترغيب في العبادة، وحب الفضائل الإنسانية، حيث أن العبادة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتربى على الأخلاق الفاضلة، وتبعد عن وساوس الشيطان[٤].

ويقصد بالترهيب: الترهيب من انشغال القلب في العبادة بغير عبادة الله والإقبال عليه.

---

(١) انظر: الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف أحمد عبدالعزيز القطان اسم بن محمد بن مهلهل ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٥٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٢٠١.

(٤) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٠٨٧)

١٠٨٧- وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ رأى في أصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: ((تَقَدَّمُوا فَأتَمُّوا بِي، وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله)) رواه مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

وليأتم بكم من بعدكم: يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ لا يترك ظاهرة سلبية في المجتمع عامة، أو في أصحابه خاصة إلا قوَّمها، وأرشد إلى الصواب، وهذا الحديث يحكي موقفا من المواقف التي وقعت في المسجد حيث رأى في أصحابه تأخرا أي عن الصفوف الأول، فجاء قوله (تَقَدَّمُوا فَأتَمُّوا بِي) أمر نصح، وإرشاد يصوب الخطأ وقوله فأتموا بي، الفاء للتعليل والفعل يدل على الإقتداء به في الصلاة بالإضافة إلى أن الفعل يوحي بطلب المتابعة له على كل حال، وقوله (وَلْيَأتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ) يشير إلى التتابع المؤذن بقوة الاتصال في هذا التجمع العظيم بين يدي الله تعالى وقوله (لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله) تعريض بمن يتأخرون عن الصفوف، أو عن الصلاة، والجناس بين (يَتَأَخَّرُونَ وبين يُؤَخِّرَهُمُ) يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل حيث كانوا يتأخرون في الصفوف أو عن الصلوات، فأخرهم الله في الآخرة عن هؤلاء السابقين.

---

(١) برقم (٤٣٨/١٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٢).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "وليأتم بكم من بعدكم" معنى وليأتم بكم من بعدكم: أي يقتدوا بي مستدلين على أفعالي بأفعالكم، ففيه جواز اعتماد المأموم في متابعة الإمام الذي لا يراه ولا يسمعه على مبلِّغ عنه أو صفٍّ قدامه يراه متابعًا للإمام)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ رأى في أصحابه تأخرًا، فقال لهم: "تقدموا..." فتفقد أحوال المدعوين من المهام التي ينبغي أن يحرص عليها الداعية، ومن الأشياء التي تؤيد أهمية تفقد أحوال المدعوين حرص رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من بعده على تفقد أحوال المدعوين، ومن ذلك تفقده ﷺ من غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه:

كان صحابي يحضر حلقة الرسول الكريم ﷺ مع ابن له، وكان الرجل يحبه حبًا شديدًا، فمات الولد، وامتنع الرجل أن يحضر الحلقة حزنًا على ابنه. ففقده النبي الكريم ﷺ فسأل عنه، فأخبر عن حاله، فلقيه وعزاه، فقد روى الإمام النسائي عن معاوية بن قرة عن أبيه، قال: كان نبي الله ﷺ إذا جلس يجلس إليه نفر من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير، يأتيه من خلف ظهره، فيقعده بين يديه، فهلك، فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة لذكر ابنه، فحزن عليه، ففقده النبي ﷺ فقال:

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣٣/٤/٢ ، وانظر نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٥٨٦ .

(مالي لا أرى فلانًا؟ !) قالوا: يارسول الله ! بُنيَّه الذي رأيته هلك، فلقيه النبي ﷺ، فسأله عن بُنيّه؟ فأخبره أنه هلك، فعزاه عليه، ثم قال: (يا فلان أيما كان أحب إليك؛ أن تمتع به عمرك؟ أو لا تأتي غدًا إلى باب من أبواب الجنة، إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟ قال: يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة؛ فيفتحها لي؛ لهو أحب إلي، قال فذاك لك)[١].

ومما نجده في هذا الحديث الشريف أن النبي الكريم ﷺ افتقد الرجل الذي غاب عن حلقته بسبب حزنه على وفاة ابنه، فأخبر عن سبب غيابه، وهذا يدل على حرصه على تفقد أحوال أصحابه[٢].

كذلك حرص أصحابه رضي الله عنهم على تفقد أحوال المدعوين ، ومن ذلك ما ورد عن أبي صالح الغفاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء في حواشي المدينة من الليل، فيستسقى لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو خليفة. فقال عمر: أنت لعمري[٣].

فإذا تفقد الداعية أحوال المدعو، ووجد تقصيرًا منه، نبهه إلى هذا التقصير، ومن ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي نبه فيه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وحثه على عدم التقصير، فقال ﷺ: ((يَا عَبْدَ اللّهِ لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ. كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ))[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التسابق لتحصيل الفضل

هذا يستنبط من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ المصلين بالتقدم والإئتمام به وحذر من التأخير، فيتضح من ذلك أهمية السعي والتسابق لتحصيل الفضل.

---

(١) أخرجه النسائي ٢٠٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٩٧٤).

(٢) مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي ص ١١٢.

(٣) حياة الصحابة، الكاندهلوي ص ٣٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩.

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[1].

قال القرطبي: أي سارعوا بالأعمال الصالحة التي توجب المغفرة لكم من ربكم. وقيل: سارعوا بالتوبة؛ لأنها تؤدي إلى المغفرة؛ قاله الكلبي. وقيل التكبيرة الأولى مع الإمام؛ قاله مكحول. وقيل الصف الأول[2].

وقال السعدي: أمر بالمسابقة إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومكانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل الصالح، والحرص على ما يرضى الله على الدوام، من الإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع[3].

فالإسلام يربي أتباعه على المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأعمال الصالحة قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[5].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ أي: في الطاعات، كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغُرُفات ... ﴿ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ أحسن ما قيل فيه: أنهم يسبقون إلى أوقاتها. ودل بهذا أن الصلاة في أول الوقت أفضل ... وكل من تقدم في شيء فهو سابق إليه، وكل من تأخر عنه فقد سبقه وفاته[6].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٦/١٧/٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٣/١٢/٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من التأخير عن الصلاة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "... لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله".

قال النووي: أي: عن الصفوف الأولى حتى يؤخرهم الله تعالى عن رحمته أو عظيم فضله ورفع المنزلة وعن العلم ونحو ذلك[١].

وقال ابن علان: (لا يزال قومٌ يتأخرون، أي: عن اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل "حتى يؤخرهم الله" عن رحمته وعظيم ثوابه وفضله ورفيع منزلة أهل قربه، حتى يكون عاقبة أمرهم النار. وفيه آكد حث على التسابق إلى معالي الأمور والأخلاق، وأبلغ زجر عن الميل إلى الدعة والرفاهية، وأبلغ تنبيه إلى أن ذلك يؤدي إلى تجرع غصص البعد والغضب، أعاذنا الله بمنه)[٢].

وعن عبدالله بن الصامت: عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا؟» قَالَ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ «صَلِّ الصَّلاَةَ لِوقْتِهَا. فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»[٣].

قال النووي: معنى يُمِيتُون الصلاة يؤخرونها فيجعلونها كالميت الذي خرجت روحه، والمراد بتأخيرها عن وقتها المختار لا عن جميع وقتها[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٦٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٤٨

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٦٢.

الحديث رقم (١٠٨٨)

١٠٨٨- وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ، يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ، وَيَقُولُ: ((اسْتَوُوا ولاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

الأحلام: جمع حِلْمٍ: من الحلم والأناة والتثبت في الأمور، وذلك من شعار العقلاء[2].

النُّهى: جمع نُهْيَة: العقل؛ سمي كذلك لأنه ينهى صاحبه عن القبيح[3].

الشرح الأدبي

قوله: (يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ) كناية عن تسويته للصفوف مع ما يعكسه هذا التصرف من محبة، وتواضع، وألفة، وضمير الجمع المضاف إلى المناكب دليل على أنه كان يتعهد أصحابه بالمسح على مناكبهم حتى يطمئن إلى استقامة الصفوف، وقول الرسول لأصحابه (اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) أسلوب أمر للتوجيه، والإرشاد، عضده بالنهي عن ضده ثم تبعه بجملة تعليلية حملت تهديداً ووعيداً بجزاء من جنس العمل؛ فإنه لما خالفوا بين الصفوف ظاهراً عوقبوا بالمخالفة بين قلوبهم باطناً، ، والمخافة بين القلوب كناية تولد الكراهية، والتفرق بينهم، وقوله: (لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى) أمر توجيه، وإرشاد ، وتعليم لكل أمته بترتيب الصفوف بين يدي الله على هيئة ترضيه تعالى، وأولو الأحلام والنهى، هم أصحاب الحكمة،

---

(١) برقم (٤٣٢/١٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥)، وقد تقدم برقم ٣٤٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل م).

(٣) المرجع السابق في (ن هـ ي).

والعلم، والعقل، وقوله (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) استخدام حرف العطف ثم للتأخير الرتبي بحيث يقدم العقل فالأعقل، والأعلم فالأعلم، وتكرار العبارة يشير إلى ضرورة رعاية هذا الترتيب، والحرص عليه.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو لما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم مَنْ وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمعٍ إلى الإمام وكبير المجلس كمجلس العلم والقضاء والذكر والمشاهدة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/١٣٠ .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٤٩).

الحديث رقم (١٠٨٩)

١٠٨٩- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية للبخاري[2]: ((فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تمام الصلاة: حسن الصلاة وفي لفظ عند البخاري ٧٢٢: "إن إقامة الصف من حسن الصلاة"[3].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الاستقامة الظاهرية التي تنم عن الاستقامة الباطنية لأن الله - عز وجل - يحب استقامة الصفوف، وقد أمر بإقامتها حتى في أصعب الظروف في وقت لقاء العدو، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤] لأن فيها دلالة على الاتحاد، والوداد الذي يدل عليه تلامس

---

(١) أخرجه مسلم (٤٣٣/١٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٣). أوردها المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

تنبيه: مما أوهم المؤلف أن اللفظ الأول متفق عليه، والثاني رواية للبخاري، إيراد المنذري في ترغيبه (٣٨٥/١، رقم ٦٩٠) الحديث أولًا باللفظ الأول، ثم قال: رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وغيرهم، وفي رواية للبخاري، ثمَّ ذكر اللفظ الثاني، فتبين مما ذكرنا أن اللفظ الأول هو لمسلم، والثاني للبخاري، وليس الأول متفقًا عليه، والثاني رواية أخرى للبخاري، فلم يخرج البخاري هذا الحديث بهذا اللفظ إلا في موضع واحد.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٤٥/٢.

الأكتاف، والأقدام والذي يصهر المجتمع في بوتقة، واحدة الغني، والفقير، والرئيس، والمرؤوس يجمعهم صف واحد في موقف واحد في الذل، والخضوع لله تعالى، وأمر الرسول ﷺ (سووا صفوفكم) أمر يحافظ على تلك المزية التي تتم غرض الصلاة، وقد علل لهذا الأمر بقوله (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ) لتحقيق الإقناع بالفعل، وكون التسوية من تمام الصلاة يعني أن تركها نقص من هذه الصلاة، وفي الرواية الأخرى (فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة إشارة إلى الإصلاح، والتعديل، وتركه يشير إلى الميل، والاعوجاج.

فقه الحديث

١- تسوية الصف في صلاة الجماعة:

ذهب الجمهور إلى أنه يستحب تسوية الصفوف في صلاة الجماعة، بحيث لا يتقدم بعض المصلين على البعض الآخر، ويعتدل القائمون في الصف على سمت واحد مع التراص، وهو تلاصق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم والكعب بالكعب حتى لا يكون في الصف خلل ولا فرجة.

ويستحب للإمام أن يأمر بذلك، لقوله ﷺ: "سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة" وفي رواية ((أقيموا الصف فإن إقامة الصف من حسن الصلاة))[1] ولما رواه أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري"، وفي رواية: "وكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه".

وذهب بعض العلماء -منهم ابن حجر وبعض المحدثين- إلى وجوب تسوية الصفوف لقوله ﷺ "لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم" فإن ورود هذا الوعيد دليل على وجوب التسوية، والتفريط فيها حرام، ولأمره ﷺ بذلك، وأمره للوجوب ما

---

(١) أخرجه البخاري ٧٢٢.

لم يصرفه صارف، ولا صارف هنا[١].

قال ابن حجر: (ومع القول بأن تسوية الصف واجبة، فصلاة من خالف ولم يسوّ صحيحة، ويؤيد ذلك: "أن أنس بن مالك رضي الله عنه مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة"[٢])[٣].

ومن تسوية الصفوف إكمال الصف الأول فالأول، وأن لا يشرع في إنشاء الصف الثاني إلا بعد كمال الأول، وهكذا، وهذا موضع اتفاق بين الفقهاء، لقوله صلى الله عليه وسلم "أتموا الصفَّ المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف المؤخر" وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله)) وعليه فلا يقف في صفٍ وأمامه صف آخر ناقص أو فيه فرجة، بل يشق الصفوف لسدّ الخلل أو الفرجة الموجودة في الصفوف التي أمامه؛ للأحاديث السابقة.

فإذا حضر مع الإمام رجلان أو أكثر، أو رجل وصبي اصطفا خلفه. ولو حضر معه رجلان وامرأة اصطف الرجلان خَلْفه والمرأة خلفهما، ولو اجتمع الرجال والنساء والصبيان والصبيات المراهقات وأرادوا أن يصطفوا للجماعة، وقف الرجال في صفٍ أو صفين أو صفوف مما يلي الإمام، ثم الصبيان بعدهم، وفي وجه عند الشافعية يقف بين كل رجلين صبي ليتعلم أفعال الصلاة.

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٤٨/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٩/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢٨/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، الصنعاني ٤٧/٢، ٢٧٠، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٥٦٣/٢، ١٢٦٤ - ١٢٦٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٣، ٥٨٥، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٤٦/١، وفتح الباري، ابن حجر ٢٠٩/٢ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٧٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢١٠/٢ .

ثم يقف النساء ولا فرق عند المالكية والشافعية بين الكبيرة والصبية المراهقة. أما الحنفية والحنابلة فيرون أن الصبيات المراهقات يقفن وراء النساء الكبيرات، ويتقدم هؤلاء جميعًا في الصفوف الأُول الأفضل فالأفضل، لما رواه أبو مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم))[١].

ولما رواه عبدالرحمن بن غنم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ؟ قال: فأقام الصلاة وصفّ الرجال وصفّ خلفهم الغلمان ثم صلّى بهم فذكر صلاته ثم قال: هكذا صلاة. قال عبدالأعلى -راوي الحديث- لا أحسبه إلا قال: صلاة أمتى[٢].

وإن لم يحضر مع الإمام إلا جمع النساء صفهن خلفه، وكذا الاثنتان والواحدة.

ومن أدب الصف أن تسدّ الفرج والخلل، وأن لا يشرع في صف حتى يتم الأول، وأن يفسح لمن يريد دخول الصف إذا كانت هناك سعة. ويقف الإمام وسط الصف والمصلون خلفه[٣]؛ لقوله ﷺ "وسطوا الإمام وسدُّوا الخلل" ومقابل الإمام أفضل من الجوانب، وجهة يمين الإمام أفضل من جهة يساره، لقوله ﷺ "إن الله وملائكته يصلُّون على ميامن الصفوف"[٤].

٢- جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة:

قال النووي: (قوله: "فقام حتى كاد يكبر فرأى رجلاً باديًا صدره من الصفّ فقال: لتسون عباد الله صفوفكم" فيه جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة، وهذا مذهبنا ومذهب جماهير العلماء ومنعه بعض العلماء. والصواب الجواز، وسواء كان الكلام لمصلحة الصلاة أو لغيرها أو لا لمصلحة)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٣٢/١٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٦٧٧، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٣٢).

(٣) المصادر السابقة.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٥/٢٧ - ٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٣١/٤/٢ .

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف.

رابعًا: من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة:

إن من موضوعات الدعوة في هذا الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف في الصلاة، يظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم،..." وقول أنس رضي الله عنه: إذا أقيمت الصلاة فأقبل رسول الله ﷺ، بوجهه، فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا ..."، وهذا يدل على حرص رسول الله ﷺ على تسوية صفوف الصلاة، وقد ورد من الأحاديث ما يؤكد هذا الحرص منها، عن النعمان بن بشير قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا الْقِدَاحَ، حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يَوْمًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «عِبَادَ اللَّهِ! لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ»[٢].

قال النووي: قوله: (يسوي صفوفنا حتى كأنما يسوي بها القداح"، القداح بكسر القاف هى خشب السهام حتى تنحت وتبرى، وأحدهما قدح بكسر القاف، معناه: يبالغ في تسويتها، حتى تصير كأنما يقوم بها السهام لشدة استوائها واعتدالها)[٣].

وتسوية الصفوف من الأعمال العظيمة والتي يصلي الله وملائكته على فاعليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ. وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً»[٤].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٨٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٠).

(٢) أخرجه مسلم ٤٣٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٩٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٨١٤).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "سووا صفوفكم..." وقوله ﷺ: "أقيموا صفوفكم وتراصوا...." وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين وحثهم على ما ينفعهم، وهو من الأساليب التي يكثر استخدامها في الدعوة إلى ذلك، حتى يعلم المدعو بأهمية الدعوة، وضرورة التزامه بأمر الداعية، لأنه يأمره بالخير وينهاه عن الشر.

ثالثًا - من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته وتسوية الصفوف:

يستنبط هذا من عموم الحديثين[1] حيث أمر رسول الله ﷺ بتسوية الصفوف والتراص. قال ابن تيمية: (وطاعة الرسول فيما أمرنا به، هو الأصل الذي على كل مسلم أن يعتمده، وهو سبب السعادة، كما أن ترك ذلك سبب الشقاوة، وطاعته في أمره أولى بنا من موافقته في فعل لم يأمرنا بموافقته فيه باتفاق المسلمين، ولم يتنازع العلماء أن أمره أوكد من فعله، فإن فعله قد يكون مختصًا به، وقد يكون مستحبًا"، أما أمره لنا فهو من دين الله الذي أمرنا به، ومن أفعاله ما قد علم أنه أمرنا أن نفعل مثله، كقوله ﷺ: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[2]، وقوله: لما صلى بهم على المنبر، ((إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي))[3])[4]، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نتشبه بالملائكة في صلاتنا عند الصف، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِم؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ. وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[5]، فيجب على المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاته والالتزام بهديه في تسوية الصفوف.

---

(١) حديث رقم (١٠٨٩)، (١٠٩٠)، والمضامين الدعوية واحدة.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٣) أخرجه البخاري ١٧، ومسلم ٥٤٤.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٤٨/١١، ط. العبيكان، ٣٢١، ٢٢، ط. ابن القاسم.

(٥) أخرجه مسلم ٤٣٠.

رابعًا - من خصوصيات النبي ﷺ ومعجزاته رؤية الصفوف من خلفه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "فإني أراكم من وراء ظهري ...". قال الطيبي: هذا من معجزاته عليه الصلاة والسلام[١]. وقد ورد عنه ﷺ قوله: (هل ترون قبلتي ها هنا، فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم إني لأراكم من وراء ظهري)[٢]. وقال الشافعي في رواية حرمله قوله: إني أراكم من وراء ظهري كرامة من الله تعالى، أبانه بها من خلقه[٣]. وقال ابن حجر: ... والصواب ... إن هذا الإبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة[٤]. فيتضح من ذلك أن رؤيته ﷺ للصفوف من خلفه من معجزاته التي أيده الله بها.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٤١٨، ومسلم ٤٢٤.

(٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٦/٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١/٦١٣.

الحديث رقم (١٠٩٠)

١٠٩٠- وعنه، قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: ((أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي)) رواه البُخَارِيُّ بلفظه، ومسلم بمعناه[١].

وفي رواية للبخاري[٢]: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يلزق منكبه: يلصق منكبه والمراد المبالغة في تعديل الصف وسد خلله[٣].

منكب: المكان الذي يجتمع فيه الكتف مع رأس العضد[٤].

الشرح الأدبي

قوله (أقيمت الصلاة) ومادة (قوم) في اللغة تدور حول معنى التعديل، والرد إلى الاستقامة، والحفظ، قال الزمخشري: "وقوم العود، وأقامه فقام، واستقام، وتقوم ورمح قويم، وقوم المتاع، واستقامه"[٥]. والقوَّام الحافظ اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر يقال: هذا قيِّم المرأة، وقوامها للذى يقوم بأمرها، ويهتم بحفظها ولذلك عبر به عن أداء الصلاة، وقول الرسول ﷺ (أقيموا الصفوف، وتراصوا) التعبير بإقامة الصف

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٩)، ومسلم (٤٣٤/١٢٥) ولفظه: ((أتموا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة)).

(٢) برقم (٧٢٥).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٦٠، فتح الباري، ابن حجر ٢٤٧/٢.

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

(٥) أساس البلاغة للزمخشرى، ٢٨٥/٢ مادة (ق و م)، ط/٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

يشير إلى المعاني التي سبق ذكرها من التعديل، والحفظ، وغيره، وجمع الصفوف يلمح إلى تكثيرها بالحرص من الجميع على حضور الجماعات، وإضافتها إليهم خصوصية بهم تستلزم منهم الحرص عليها، والتعبير بالتراص يشير إلى التتابع، والانتظام، وقوله (فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي) العبارة فيها تهديد للمخالف، والرؤية من وراء الظهر خصوص له ﷺ، أعطاه الله من القوة أن يرى من خلفه كما يرى من أمامه لا أنه يخبر عنهم بخبر، ولو كان من طريق الخبر لقال عليه السلام، إني لأعلم بحالكم من وراء ظهري.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩١)

١٠٩١- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)) متفقٌ عليهِ[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا[٣]، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلاً بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: ((عِبَادَ اللهِ، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ)).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

أو ليخالفنّ بين وجوهكم: يريد أن كُلاً منهم يصرف وجهه عن الآخر، ويوقع بينهم التباغض؛ فإن إقبال الوجه على أثر المودَّة والألفة[٤].

القِداح: جمع قَدْحٍ: السهم[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه، وهو بيان فضل تسوية الصفوف، والعناية بها غير أنه سلك بالأسلوب مسلك التهديد، والوعيد في قوله (لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦/١٢٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧١٥). وتقدم في الرياض برقم ١٦٠.

(٢) لفظ مسلم: (كان رسول الله ﷺ يسوي صفوفنا) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٣) ٤٣٦/١٢٨). أوردها المنذري في ترغيبه رقم (٧١٥)، وتقدمت في الرياض برقم ١٦٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٥) المرجع السابق في (ق د ح).

بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) حيث بدأ بأسلوب الأمر المؤكد باللام، ونون التوكيد التي تشير إلى ارتفاع نبرة الكلام، وجنوحه نحو الوعيد، واتصال الصفوف بكاف الخطاب، وميم الجمع يعم الجميع، وقوله (أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ) كناية عن البغضاء، والكراهية، وَاخْتُلِفَ فِي الْوَعِيد الْمَذْكُور فَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَقِيقَته، وَالْمُرَاد بِهِ تَشْوِيه الْوَجْه بِتَحْوِيلِ خَلْقه عَنْ وَضْعه بِجَعْلِهِ مَوْضِع الْقَفَا، أَوْ نَحْو ذَلِكَ، وَقِيلَ: كناية كما تقدم، وَمَعْنَاهاُ يُوقِع بَيْنكُمْ الْعَدَاوَة وَالْبَغْضَاء وَاخْتِلاف الْقُلُوب كَمَا تَقُول تَغَيَّرَ وَجْه فُلان عَلَيَّ أَيْ ظَهَرَ لِي مِنْ وَجْهه كَرَاهِيَة؛ لأَنَّ مُخَالَفَتهمْ فِي الصُّفُوف مُخَالَفَة فِي ظَوَاهِرهمْ، وَاخْتِلاف الظَّوَاهِر سَبَب لاخْتِلافِ الْبَوَاطِن، والطباق بين التسوية التي تشير إلى الاتفاق وبين المخالفة يؤكد المعنى ويوضح أثر الاختلاف المنافي لجلال الموقف، وغرض الاجتماع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦٠).

الحديث رقم (١٠٩٢)

١٠٩٢- وعن البراء بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: ((لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)) وكانَ يَقُولُ: ((إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

يتخلل الصف: يدخل بينهم[2].

مناكبنا: جمع منكب: موضع التقاء الكتف مع رأس العضد[3].

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ (كان) يشير إلى أن تخلل الرسول ﷺ للصفوف كان عادة له غالبة عند الصلاة، وقوله (مِنْ نَاحِيَةٍ إلى نَاحِيَةٍ) يشير إلى دقة تفقده للصفوف، ويصور الفعل المضارع (يتخلل) مع ذكر الناحيتين حركة الرسول ﷺ في ذهاب، ومجيء بين طرفي الصف وقوله (يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا) التعبير بالمسح يصور مع تحقيق التسوية المودة، والمحبة لأصحابه، والعبارة كناية عن حرصه على تمام الاعتدال، وعدم التفاوت بين المصطفين، وقوله (لا تَخْتَلِفُوا) نهي بغرض التحذير، والتهديد دل عليه قوله (فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ) وهو كناية عن الكراهية، والبغضاء، وقوله: (إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ) توكيد عبارة الترغيب تربية للمهابة وتعظيما للخبر، ولاة

---

(١) برقم (٦٦٤)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٥٦)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦١). أورده المنذري في ترغيبه (٧١٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٣٥.

الله مغفرة، ورحمة وعطايا أخرى، وصلاة الملائكة استغفار، ودعاء، والجمع بين الله، وملائكته في الصلاة على هؤلاء يشير إلى أهمية العمل، ويشيد بأهل الصف الأول الحريصين على الجماعات الطامحين إلى المقدمات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف واثر ذلك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف:

يتضح هذا من الحديث: "كان رسول الله ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا" وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإخبار عن هدى النبي ﷺ في أموره كلها، وخاصة هنا في هذا الحديث هديه ﷺ في تسوية الصف، والصحابة رضي الله عنهم يفعلون هذا لأنهم يعلمون أن في طاعة النبي واتباعه في هديه ودله، إنما يحقق لهم الهداية، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[1]، ويحقق لهم محبة الله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ويحقق لهم الفوز بالجنة، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[3].

ومن آثار حرص النبي ﷺ على أمته، أنه جعل في طاعته سببًا يحقق لهم الرفقة في

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٢.

الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[1].

وفي إخبار البراء رضي الله عنه بحرص النبي ﷺ على تسوية الصفوف، إنما هذا إرشاد إلى ضرورة متابعة الرسول ﷺ.

(إن التأسي بالنبي ﷺ هو أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين، فإذا قال الرسول ﷺ قولا قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثل فعله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظم شيئًا عظمناه، وإذا حقر شيئًا حقرناه، وإذا رضى لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه، وبالجملة فإن الاقتداء بالرسول ﷺ تجريد متابعته والتلقي عنه وحده)[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهى:

حيث جاء في الحديث: "لا تختلفوا" حيث نهى النبي ﷺ عن الاختلاف في الصف حتى لا تختلف قلوبهم، ومما لا شك فيه أن أسلوب النهى من أساليب الدعوة النافعة حيث يشعر المدعو بخطورة المنهي عنه، وضرورة الحذر منه، وبهذا أمر الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[3]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النهى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[4]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الاختلاف في الصفوف وأثر ذلك:

يظهر هذا من الحديث: "لا تختلفوا فتختلف قلوبكم" ومما هو معلوم أن الاختلاف في الصفوف يؤدي إلى اختلاف القلوب، ولحرص النبي ﷺ أنه كان يتخلل الصف. قال شرف الحق العظيم آبادي"يتخلل الصف: أى يدخل بينهم قوله "لا تختلفوا" أى بالتقدم والتأخر في الصفوف"[٢]، وقال د. الحسيني هاشم: (لقد كان الرسول ﷺ يذهب خلل الصفوف بتسويتها بيده الشريفة، ويحذر من أن عدم الانتظام فيها سبيل إلى اختلاف القلوب، وأفضل الصفوف الأول فالذي يليه)[٣]. ولاشك أن استواء الصف مظهر من مظاهر الوحدة والاتفاق وعدم التفرق، واختلاف القلوب يؤدي إلى التفرق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والإئتلاف فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويسخط لكم ثلاثًا ، يرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويسخط لكم: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»[٥]. وقد ضمنت لهم العصمة عند اتفاقهم من الخطأ، وخيف عليهم الافتراق والاختلاف)[٦].

وقال د. محمد محمود حجازي: (يأمرنا الله بالاتحاد وعدم الخلاف والشقاق مع

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٥٧١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٥) أخرجه مسلم، ١٧١٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٩/٢ - ٩٠.

الاعتصام بالعهد والقرآن، وأمرنا بالتمسك بدينه ونهانا عن التفرق والاختلاف، فقد أنعم علينا بالإسلام، وألف بين قلوبنا بالقرآن، والنبي ﷺ، وخاطب المسلمين أن يكونوا أمة لها كيان ونظام، أمة مؤتلفة الأعضاء موحدة الجهات لا ترهب أحدًا، ولا تخاف شيئًا، فعلى المسلمين جميعًا واجب تكوين تلك الأمة، لتكون بهذا الوضع. وحذر الله المسلمين أن يكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا اختلافًا كثيرًا لما حصل لليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الواضحات التي تهديهم إلى السبيل لو اتبعوها)[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الالتزام بالشرع "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة".[٢]

خامسًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومعلوم أن الرسول الكريم هو القدوة الأولى للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[٣] ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقتدون بالنبي ﷺ في هذا الأمر، قال الشيخ ابن عثيمين: "لقد كان ﷺ يتخلل الصف من ناحية إلى ناحية يسوي بيده الكريمة، وكان هذا عادته. ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، وفي زمن عثمان رضي الله عنه، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة يسوون الصفوف، فإذا جاءوا إلى الإمام وقالوا: إن الصفوف قد تمت وكملت، كبر للصلاة"[٤].

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١١/٤/١.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٤) شرح رياض الصالحين، ١٣١٩/٢.

ومما لاشك فيه أن الاقتداء بالنبي ومتابعته فيه الفوز والسعادة والرضى والفلاح والنجاة من النار. (إن طاعة الرسول ﷺ هى المثال الحي الصادق لمحبته عليه الصلاة والسلام، فكلما ازداد الحب زادت الطاعات، فالطاعة ثمرة المحبة، وفي هذا يقول أحد الشعراء:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... ذاك لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته ... إن المحب لمن أحب مطيع

والتحاكم إلى سنة النبي ﷺ أصل من أصول المحبة والاتباع، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته ويسلم تسليمًا، ومن علامات الزيغ والنفاق: الإعراض عن سنته وترك التحاكم إليها)[1].

---

(١) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، ضمن بحوث كتاب: حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٢.

الحديث رقم (١٠٩٣)

١٠٩٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((اقيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينوا بِأيْدِي إخْوانِكُمْ، ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بين المناكب: اجعلوا بعضها حذاء بعض فيكون كل منكب موازيًا للآخر فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد[2].

سدوا الخلل: أي الفرجة في الصفوف[3].

ولينوا بأيدي إخوانكم: كونوا لينين هينين منقادين، أي: إذا أخذوا بها ليقدموكم أو يؤخروكم حتى يستوي الصف[4].

فرجات: جمع فرجة وهي: الخلل الذي يكون بين المصلين في الصفوف[5].

الشرح الأدبي

الحديث يدور كسابقه حول تسوية الصف، وقد جاء المعنى في أسلوب الأمر، العام مع النهي، وقد وردت جمل الحديث التي تصدرها الأمر، أو النهي قصيرة سريعة تعمد إلى تقرير المعنى بصورة مباشرة تناسب مقام الشروع في الصلاة، والمتأمل لجملة الأوامر

---

(١) برقم (٦٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٢).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ج).

(أقيموا - حاذوا - سدوا - ولينوا) يرى أنها متصلة بواو الجماعة التي تعم جميع المخاطبين، كما أنها تصبُّ في اتجاه واحد، وهو تمام الصلاة باستقامة الصف، وتمام الاستعداد للموقف الجليل مع ما يدل عليه من الالتحام، والتوافق، والاتصال، والرفق المحقق للغاية، وهو نموذج للنظام، وقوة الاتصال الوجداني، والجسدي في الصلاة ينسحب على جملة أمور المسلمين التي تجمعهم على الاتفاق، وتمنع أسباب الشقاق، ثم جاء الترغيب النبوي في وصل الصفوف عن طريق الشرط الذي يربط وصل الصف بوصل الله، وقطع الصف بقطع الله، وقد تكون جملتا الشرط خبريتين لفظا إنشائيتين معنى على سبيل الدعاء من الرسول ﷺ بوصل الله لواصل الصف بمعنى اللهم صله، وقطع الله لقاطع الصف، ثم إن النهي الوحيد في الحديث (ولاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ) يشير إلى بُعد آخر من الحديث وهو تصفية هذا الجمع الطاهر من كل نماذج الشر، فهذه الصورة التي تجتمع في الصفوف من التلاحم، والترحم، والتحابب لا يجب أن يخترقها عدو فإقامة الصفوف على هذه الصورة تخرج من بينهم اخطر أعدائهم، وأخفاهم، وهو الشيطان.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن للدعوة أساليبًا متعددة، والداعية الحصيف هو الذي يستعمل الأسلوب المناسب في موطنه المناسب، ومن هذه الأساليب أسلوب الأمر، ويتضح هذا من الحديثين[2]

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٠٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٠٩٤).

(٢) حديث رقم (١٠٩١)، (١٠٩٢).

"أقيموا الصفوف" "حاذوا بين المناكب"، "رصوا صفوفكم" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه، ومن هنا وجب على الداعية أن ينوع في أساليب الدعوة، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[2]، وقوله جل شانه: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾[3].

قال د. نور الدين مختار الخادمي: (إن أوامر الشرع هي أوامر الله تعالى الذي تعالى في كونه وهيمن وحَكم، فهو المتعالي المهيمن الجبار، ولذلك فإن الأمر هو طلب الفعل على سبيل الاستعلاء، فهو طلب من الأعلى إلى الأدنى، وليس طلب الند للند أو النظير لنظيره، وإذا صدر الطلب من شخص يساوي الشخص المطلوب، كطلب الزميل من زميله أو الجار من جاره فيسمى التماسًا ورجاءً، وإذا صدر من الأدنى إلى الأعلى سمى دعاءً وتضرعًا، وهو طلب المخلوق من الخالق كل الخير والمغفرة والعفو في الدنيا والآخرة)[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إقامة الصفوف وتسويتها ووصلها:

إن الرسول ﷺ يرشد الجماعة المؤمنة إلى إقامة الصف وتسويته وووصله، حتى يتدرب المسلم ويتمرن على الاتحاد والتراص كالبنيان المرصوص، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث "أقيموا الصفوف، وحاذوا بين المناكب، وسدوا الخلل"، وقوله: "من وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"، ولا شك أن إقامة الصفوف وسد الخلل من الأمور المهمة في الصلاة، قال الطيبي: وقوله: "قاربوا بينها"، أى قاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بينهما صف آخر، حتى لا يقدر الشيطان أن يمر بين أيديكم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٤) تعليم علم الأصول ٣٦١، ٣٦٢.

فيصير تقارب أشباحكم سببًا لتعاضد أرواحكم. وقوله:" وحاذوا بالأعناق" بأن لا يقف أحدكم مكانًا أرفع عن مكان آخر، ولا عبرة بالأعناق أنفسها، إذ ليس للطويل أن ينخس عنقه ليحاذي عنق القصير، وقوله: "إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف"، هى الغنم الصغار الحجازية، وقيل: هى صغار جرد ليس لها آذان ولا أذقان، يُجاء بها من جرش اليمن. والضمير في "كأنها" راجع إلى مقدر، أى جعل نفسه شاة أو ماعز، كأنها الحذف[1].

وقال العظيم آبادي: "والمراد بقوله" وحاذوا بين المناكب" أى اجعلوا بعضها حذاء بعض، بحيث يكون منكب كل واحد من المصلين موازيًا لمنكب الآخر ومسامتًا له فتكون المناكب والأعناق والأقدام على سمت واحد. وقوله: "لينو بأيدي إخوانكم" أى كونوا لينين هنيين منقادين إذا أخذوا بأيديكم ليقدموكم"[2].

ولا شك أن تسوية الصفوف، ومحاذاة المناكب في صلاة الجماعة تولد في داخل المؤمن الوحدة والاجتماع والتآزر، ومن ثم كان حرص رسول الله ﷺ على تسوية الصف قال: الشيخ أبو الحسن الندوي: (وفي الجماعة حكم دقيقة، ومصالح عظيمة للمسلمين منها: ما هي اجتماعية وخلقية كالوحدة والاجتماع، والتعاون، وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف شديد الإنكار على الإخلال بها والتفريط فيها، إذا لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها، كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة)[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ومن وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله"،

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٣) الأركان الأربعة، ٥٥، ٥٦.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة النافعة والناجعة، "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه، والترهيب هو التخويف للعمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور، والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"[١].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف:

إن من الأمور المهمة التي يطلبها الله من عباده ان يكونوا أمة واحدة ويدًا واحدة، وتبدأ هذه الوحدة من وحدة الصف في الجماعة في المسجد، ويؤخذ هذا المعنى من الحديث في قوله ﷺ: "أقيموا الصفوف"، "رصوا صفوفكم"، وإن وحدة الصف في الصلاة هى المؤشر لوحدة القلوب والأفئدة، وبداية الوحدة الإسلامية تتحقق من وحدة الصف في الصلاة أولاً، وقد بين الله أنه يحب وحدة الصف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[٢]، وأمر بالوحدة والاعتصام فقال جل شأنه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣]، ونهى الله عن التفرق والاختلاف فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[٦].

---

(١) أصول التربية إسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٢) سورة الصف، الآية: ٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الروم، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

قال السيد سابق: (والإسلام بطبيعته يجعل من المسلمين كتلة واحدة، ويخلق بينهم تضامنًا، فهو يجمعهم على عقيدة واحدة، وعبادة واحدة، وشريعة واحدة، وقبلة واحدة، وغاية واحدة، وأي صدع في هذه الوحدة، وأي هزة في هذا الكيان، يعتبر جريمة ما بعدها جريمة، فإن الفرقة قاضية على الدين والدنيا معًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1]، وذهاب الريح هو ذهاب القوة القاضية بالضعف والإذلال ثم الفناء والزوال، وعلى المسلمين أن يسارعوا إلى إصلاح ذات البين وتقوية الروابط إذا تعرضت لوهن أو ضعف، ولا تقل أهمية هذه المسارعة عن أهمية المسارعة إلى الصلاة وغيرها من العبادات)[2].

والطريق لتحقيق وحدة الصف والتراص وعدم الاختلاف، إنما يبدأ من الحرص على عدم ترك خلل أو فرج في الصفوف، وقد قال النبي ﷺ في الحديث:((ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفًا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله))، قال العظيم آبادي: وقوله: "سدوا الخلل" أى الفرجة في الصفوف، وقوله: "لا تذروا" أى لا تتركوا فرجات للشيطان فإن من وصل صفًا بالحضور فيه وسد الخلل منه وصله الله أى برحمته ومن قطع صفًا بالغيبة أو بعدم السد أو بوضع شيء مانع قطعه الله أى برحمته الشاملة وعنايته الكاملة وقوله "رصوا صفوفكم" أى ضموا بعضها إلى بعض ومنه رص البناء وقاربوا بين الصفوف بحيث لا يسع بين الصفين صف آخر"[3]، ولا شك أن كل هذه النصوص تؤكد على الحذر من ترك خلل أو فرج في الصفوف.

وتدعو إلى وحدة الصف والتراص، لتحقيق هدف الدعوة بعدم اختلاف المسلمين وجعلهم أمة واحدة.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) عناصر القوة في الإسلام ١٧٩، ١٩٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

الحديث رقم (١٠٩٤)

١٠٩٤- وعن أنس ﷺ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ)) حديث صحيح رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

وحاذوا بالأعناق: اجعلوا بعضها في محاذاة بعضٍ: مقابلته[2].

خلل الصف: أي فرجته، أو كثرة تباعدها عن بعض[3].

الحَذَفُ: بحاء مهملة وذال معجمة مفتوحتين ثم فاء، وهي غنم سود صغار تكون باليمن[4].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه، ومقارب له في الأسلوب مع اختلاف في بعض الألوان البلاغية، وقد بدأ بأسلوب الأمر برصِّ الصفوف والمقاربة بينها والمحاذاة (رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا وحاذوا بالأعناق) فالتراص في الصف ينظم علاقة المصلي بمن على يمينه، ويساره، والمقاربة تنظم علاقة الصف بمن أمامه ومن خلفه، والمحاذاة بالأعناق تشير اعتدال قامة المصلى باعتبار من يقف حوله وقوله (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى) يمثل نقلة وجدانية في طبيعة السياق، لأنه قسم يتزلزل له الوجدان؛ لأن الذي

---

(١) برقم (٦٦٧)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٥)، وابن حبان (الإحسان ٢١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٠).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٢.

(٤) رياض الصالحين ٤١٠.

يحلف صادق لا يكذب، وهو نبي يوحى إليه مما يحقق اليقظة، والترقب، ويضمن للمعنى الثبات؛ لأنه ارتبط بتعبير له خصوصية في الترهيب وهو قوله: (فوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وطبيعة تكوين هذا القسم توحي بالرهبة، والجلال المشعرة بحساسية الموقف، وهو في إطلاقه ابتداءً دون مواجهة بالتكذيب يوحي بأهمية المعنى بعده الذي ثم أكد بإن مع اللام المؤكدة لفعل الرؤية وقوله (لأرى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ) يشير إلى سبب كثافة المؤكدات وهو تربص العدو، ودخوله بينهم مع عدم رؤيتهم له، وغفلتهم عنه وقوله (كأنها بنات حذف) تشبيه من بيئة المخاطبين يقرب المعنى عن طريق الصورة التي تشبه الشيطان بين المصلين بالحذف وهو غنم سود صغار وهذا التشبيه يشير إلى أنه يتصاغر حتى يجد فرجة تسعه، ويبحث بين الصفوف ومن يترك فرجة في الصف يعطي فرصة للشيطان يدخل إليه ليفسد بعد ذلك صلاته.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٠٩٥)

١٠٩٥- وعنه: أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ، قَالَ: ((أتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ترتيب الوقوف مع الإمام في الصلاة بداية بالصف المقدم الفاضل بصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته كما مر في الأحاديث السابقة، حتى إذا وجد نقص يكون في آخر صف، وقوله (أتموا) إشارة أن عدم تمام الصف المقدم في وجود من يتمه نقص يجب أن تخلو منه صورة صفوف المصلين، والطباق بين الصف المقدم، وبين الصف المؤخر يقرر هذا لمعنى الذي يصحح صورة الاستقامة على الوجه الذي يرضاه الله تعالى ورضا الله غرض خرج له كل مؤمن قصد المسجد لأداء الصلاة في الجمع محرزا السبق في الصف الأول، ومتجنبا أقل الصفوف أجرا، والتعبير بالنقص وجعله في آخر صف يقرر الأفضلية للصف الكامل لأن الشيطان يتخلل الصفوف ويبحث عن الفُرج ليقف فيها فلا يجدها في الصف الأول، وربما وجدها في الصف الأخير الذي يكون فيه النقص، وهو مما يؤثر على الصلاة، وينتقصها، وهو من أسباب فضل الصف الأول.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف.

---

(١) برقم (٦٧١)، وصحّحه ابن خزيمة (١٥٤٦).

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث "أتموا - فليكن" ولاشك أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤثر في المدعو وتجعله يقدم على المأمور به لشعوره بأهميته، وخطورته، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[2]، ومما يذكر في أسلوب الأمر أنه إذا كان من الأدنى للأعلى فهو طلب ودعاء مثل قوله تعالى: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، وإذا كان الأمر من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأعلى للأدنى فهو أمر صريح. والداعية الناجح يستخدم أسلوب الأمر في موطنه، ومع من يناسبه من أصناف المدعوين.

قال محمد أبو زهرة: (والطلب الذي تدل عليه صيغة الأمر هو طلب الفعل، إما على جهة اللزوم، أو على وجه الندب، ولكن بالاستقراء تبين أن العرف الإسلامي في فهم الكتاب والسنة باعتبارهما مبينين للشرع الإسلامي يجعل الأمر فيهما للوجوب، أي للطلب الحتمي اللازم؛ لأن ذلك هو الكثير الغالب، وعلى ذلك فكل أمر يدل على الطلب اللازم، إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك، وذلك هو رأي جمهور الفقهاء)[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية إتمام الصف الأول وتدريب المسلم على النظام:

إن أداء العبادات في الإسلام له أثره الرئيس في سلوك المسلم، ومن ذلك إتمام الصف الأول في الصلاة، فهو يُعَوِّد المسلم على الحرص على النظام، ويتضح هذا من الحديث من قوله ﷺ: "أتموا الصف المقدم ثم الذي يليه فما كان من نقص فليكن في الصف

---

(١) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٤) أصول الفقه، أبو زهرة ص ١٧٦.

المؤخر" قال الطيبي: " ولإتمام الصف، لا يُمنع لضيق المكان من يريد الدخول بين الصف لسد الخلل"[١]. وقال شمس الحق العظيم آبادي: وقوله: "أتموا الصف المقدم" أى: الأول ثم الذي يليه، أى ثم أتموا الصف الذي يلي الصف الأول، وقوله "فما كان" أى فما وجد، وقد دل الحديث على جعل النقصان في الصف الأخير، لكن لم يظهر منه موقف الصف الناقص والظاهر أن يقف أهل الصف الناقص خلف الإمام عن يمينه وشماله"[٢]، وفي توجيه النبي ﷺ بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه، إنما يعلم المسلمين النظام في الوقوف في الصف، والنظام في الصلاة ولا شك أن هذا يؤثر على سلوك المسلم فيكون مستصحبًا للنظام في جميع أموره.

وقد علّم رسول الله ﷺ المسلمين النظام حتى في إمامة الصلاة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ. فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً . فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ. فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً. فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً. فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا. وَلاَ يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ. وَلاَ يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما جُعِلَ الإمامُ ليُؤْتَمَّ به، فلا تَختلفوا عليه، فإذا ركعَ فاركعوا، وإذا قال سمعَ اللّهُ لمن حمِدَه فقولوا ربَّنا لكَ الحمدُ، وإذا سَجدَ فاسجُدُوا، وإذا صلَّى جالسًا فصلُّوا جُلوسًا أجمعونَ، وأقيموا الصفَّ في الصلاةِ، فإنَّ إقامةَ الصفِّ مِن حُسنِ الصلاة»[٤].

"ومن فوائد النظام أنه يحفظ أمر الجماعة ويقيها من الاختلاف والتفرق، وهو يؤدي إلى ألفة الجماعة وعدم اختلافها، ويوطد أركان الأسرة ويدعم العلاقات الاجتماعية

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار٣/٤٨.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٦٧٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٢ واللفظ له، ومسلم ٤١٤.

ويبعد الشحناء، ومن خلال النظام يمكن القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات القليلة، وهو دليل الالتزام بأحكام الشرع، والالتزام بالنظام يبعد الشيطان ويجلب البركة"[١].

ومن خلال هذا يتضح أن التزام المسلم بإتمام الصف الأول ثم الذي يليه وحرصه على ذلك، يدرب المسلم على التزام النظام في حياته، وفي علاقته مع الآخرين. فعلى الدعاة الهداة تعويد المصلين على النظام من خلال تنبيههم إلى ضرورة إتمام الصف الأول، وأن يكون النقص في الصف المؤخر.

ثالثًا- من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في إتمامه للصفوف:

يتضح هذا من سياق الحديث، ويتضح منه اهتمام النبي ﷺ بإتمام الصفوف، والتأكيد عليها، وهذا يجعل من آداب الداعية أن يقتدى بالنبي ﷺ في هذا ويحرص على إتمام الصفوف.

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ. وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ»[٢].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ تُصَفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قُلْنَا: وَكَيْفَ تُصَفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ؟ قَالَ: يَتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْمُقَدَّمَةَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[٣].

واقتداء بهدي النبي ﷺ كان عمر رضي الله عنه يهتم بتسوية الصف، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾[٤]، قال ابن كثير: (والمراد أي نقف صفوفًا في الطاعة، وعن الوليد بن عبدالله بن أبي مغيث قال: كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت هذه

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٥١٤/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ٤٣٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.

الآية فصفوا، وقال أبو نصرة: كان عمر ﷺ إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال: أقيموا صفوفكم استووا قيامًا، يريد الله بكم هدى الملائكة، ثم يقول: "وإنا لنحن الصافون" تأخر يافلان، تقدم يافلان، ثم يتقدم فيكبر ﷺ. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[1]، أي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص، فنحن عبيد له، فقراء إليه خاضعون لديه)[2].

ولقد ثبت من الحديث حرص النبي ﷺ على تسوية الصف وإتمامه، وإذا كان النبي ﷺ قد فعل ذلك وحرص عليه، فإن الرسول الكريم هو الأسوة والقدوة لنا في جميع شئون الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، والداعية الذي يحرص على الاقتداء بالنبي ﷺ إنما يؤثر في نفوس المدعوين، ويحقق لهم أيضًا القدوة الحسنة.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٤٤/٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الحديث رقم (١٠٩٦)

١٠٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ)) رواه أبُو دَاوُدَ[1] بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم، وفيه رجل مُخْتَلَفٌ في تَوثِيقِهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ميامن: جمع مَيْمَنَةٍ: اليمين[3]، أي: الصفوف التي في ميمنة الإمام[4].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يتسم بإيجاز القصر تصدَّره توكيد بـ(إن) مع اسمية الجملة، ولفظ الجلالة (الله)، وتصدير الكلام به تصدير له بذروة سنام القدسية، والطهر في الألفاظ، وأعمقها دلالة على الإطلاق، وتصدر لفظ الجلالة الكلام له وقع خاصة لاسيما في نفوس المؤمنين الذين تلين قلوبهم لذكره؛ لأنه يبث في النفوس الهيبة، والجلال بقدر صفاء هذه النفوس (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) [سورة الحج: ٢٥]. هذا بالإضافة إلى ما يوفره لفظ الجلالة على الحوار من الخضوع، والإذعان، والإنصات المهيأ للقبول، ولهذا اللفظ الأجلّ من الإشعاع ما ليس للفظ غيره في كل ألفاظ كل لغات البشر، ثم إن بداية الخبر بالتوكيد دون مواجهة بالتكذيب تعظيم

---

(١) برقم (٦٧٦)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢١٦٠)، وقال المنذري في ترغيبه (٣٨٨/١)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٢١٣/٢): إسناده حسن. أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٧).

(٢) الراوي المختلف فيه، هو: أسامة بن زيد الليثي.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي م ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

للخبر، وبث لهذا الإحساس في نفوس المخاطبين حتى إذا ما قرَّ فيها عملت بموجب هذا الخبر، وذكر الملائكة يوحي بالسكينة، والطمأنينة؛ لأن بينهم، وبين المؤمنين اتصال يتمثل في محبة، وإيمان من المؤمنين، ومحبة، واستغفار، وحفظ، ورعاية من جانب الملائكة، وقوله (يصلون) تصور صيغة المضارع تجدد الفعل، واستمراره مع حركة عُمَّار المساجد السبَّاقون للخيرات، وصلاة الله - عز وجل - مغفرة، ورحمة، وصلاة الملائكة استغفار، وقوله (ميامن) جمع ميمنة وهي جهة اليمين في المكان، وجمعها يشير إلى أن هذا الفضل متعلق بيمين كل صف، وليس الصف الأول فقط، ويعضده جمع الصفوف، وهو يجري مع سنة الرسول ﷺ في التيمن في كل شيء.

فقه الحديث

وفي الحديث استحباب أن يكون المصلي في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الله وملائكته" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو يقبل على المؤكد عليه، ويدل على ثقة الداعية فيما يقول ولذا أكده، وأسلوب التوكيد يستخدم عندما يراد إقناع المدعو بشيء ما، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2]، وقوله

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣/٢٣٣.

(٢) سورة النبأ، الآية: ٣١.

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[١]، وقوله جل شانه ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[٢].

قال الأستاذ علي الجارم: (إن للمخاطب ثلاث حالات:

١- أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خاليًا من أدوات التوكيد.

٢- أن يكون مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه.

٣- أن يكون منكرًا له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفًا)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الوقوف في ميامن الصفوف:

إن الإسلام يحب التيامن في كل شيء، ولذا كان من توجيهاته البدء باليمين في كل أعمال الخير، ومن ثم حث الرسول ﷺ على الوقوف في ميامن الصفوف. ويتضح هذا من الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، قال العظيم آبادى: والميامن جمع ميمنة، وفيه استحباب الكون في يمين الصف الأول وما بعده من الصفوف"[٤].

وقال ابن علان: (وقوله: "يصلون على ميامن الصفوف" أى الصفوف التي في ميمنة الإمام، ومنه أخذ أئمتنا أفضلية الوقوف عن يمين الإمام، ولو تعارض مع القرب من الإمام على ما استوجهه أئمتنا، والمراد أنه يسن إذا وصل المأموم المسجد ووجد الناس متوسطين الإمام ووجد فرجة على يمينه وأخرى عن يساره أن يسد فرجة اليمين، فلا يلزم من تفضيل التيامن فوات سنة توسيط الإمام المطلوب أيضًا، ومحل طلب التيامن إذا كانت جهته تسع جميع الجاءين، وإلا سن التسابق إليها، والباقون يصلون

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٣) البلاغة الواضحة، علي الجارم - مصطفى أمين - ص ١٨٨.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٤.

في اليسرى، كما أن السنة إتمام الصف الأول ثم الثاني وهكذا)[١].

وقال الراغب: (واليمين أصله الجارحة، وقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾[٢]، أي منعناه ودفعناه، فَعُبِّر عن ذلك الأخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان عن تعاطي الهجاء وقيل معناه بأشرف جوارحه وأشرف أحواله، وقوله جل شأنه ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[٣]، أي أصحاب السعادات والميامن، وذلك على حسب تعارف الناس في العبارة عن الميامن باليمين، وعن المشائم بالشمال، واستعير اليمين للتيمن والسعادة. ومن اليمين تُنُووِلَ اليمن، يقال ميمون النقيبة أي مبارك، والميمنة: ناحية اليمين)[٤].

وقال الفيروز آبادي: (واليمن البركة كالميمنة، واليمين الجارحة، وضد اليسار أيضًا البركة، واليمين المنزلة الجليلة، وتيامن ذهب به ذات اليمين، وكان ﷺ يحب التيامن في كل شيء حتى في تنعله وترجله وفي شأنه كله)[٥].

وقال ابن الأثير: (التيمن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن)[٦]، وإذا كان النبي ﷺ يرغب في ميامن الصفوف، فلقد كان هديه ﷺ البداءة باليمين في كل أحواله، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَيُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي طُهُورِهِ إِذَا تَطَهَّرَ. وَفِي تَرَجُّلِهِ إِذَا تَرَجَّلَ. وَفِي انْتِعَالِهِ إِذَا انْتَعَلَ»[٧].

قال النووي: (قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتشريف، وأما ما كان بضده فيستحب التياسر فيه، وذلك كله

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٨.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الواقعة، الآية٢٧.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ٥٥٣.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤٠٦/٥، ٤٠٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٢٧.

(٧) أخرجه البخاري ٥٣٨٠، ومسلم ٢٦٨ واللفظ له.

بكرامة اليمين وشرفها)[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ والتزام هديه:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من أهم آداب المدعو الالتزام بهدى النبي ﷺ والاقتداء به في كل الأمور، وذلك تصديقًا لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢]، قال السعدي: "والأسوة نوعان: أسوة حسنة وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة. والأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[٣].

وقال د. صالح بن حميد عن نفس الآية: (ومن دقيق المعنى في هذه الآية الكريمة، أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها، فيقتدى به ﷺ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء)[٤].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، وأسلوب

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٠٩.

(٤) معالم في منهج الدعوة ٦١.

الترغيب يحبب المدعو في الإقدام على الطاعات وفعل الخيرات انتظارًا لثواب الله عز وجل، "لقد جبل الله النفس البشرية على حب الخير، فالإنسان تواق دائمًا لكل ما يحقق لذاته الخير والفلاح والسعادة، وفي الوقت ذاته حريص على تجنيب نفسه وحفظها من كل مكروه، وأسلوب الترغيب محبب إلى هذه النفس، فأول ما يبدأ الداعية يكون بهذا الأسلوب)[1].

وإذا كان الداعية يجب عليه أن يبدأ بالترغيب، فإنه مطالب كذلك بالموازنة بين الترغيب والترهيب في الدعوة، حتى لا يركز على أسلوب دون الآخر، وقد قال الله عن وظيفة النبي الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[2].

وفي الحديث رغب النبي ﷺ في الوقوف على يمين الصف، ببيان أن الملائكة تصلي على ميامن الصفوف، وفي هذا تحفيز للمدعو إلى الحرص على الصلاة، والوقوف في ميامن الصفوف لنيل صلاة الملائكة.

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجارى، ٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٠٩٧)

١٠٩٧- وعن البراء رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((رَبِّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - (أو تَجْمَعُ) - عِبَادَكَ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

الشرح الأدبي

تعبير الراوي بـ(كان) إشارة أن هذا الحدث عادة غالبة في الفعل المذكور، واتصال الفعل بـ(نا) الدالة على الجماعة يشير إلى أن الخبر مشهود، وهو ما يُضفي عليه لونا من التأكيد، والظرف المضاف إلى الرسول ﷺ (خَلْفَ رَسُول اللهِ ﷺ) يوحي بشرف المكان وقوله (أحْبَبْنَا أنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينهِ) التعبير بالمحبة يشير إلى أن هواهم صار تبعا لما جاء به الرسول ﷺ وهو ما يجب أن يكون عليه المؤمن، وقوله: (يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ) يصور الفعل المضارع حركة وجه الرسول ﷺ في انتقال من اتجاه القبلة دائرا جهة الصحابة رضي الله عنهم وعيونهم متعلقة بالمطلع المهيب للنور البشري الأعظم، وقوله (رَبِّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أو تَجْمَعُ - عِبَادَكَ) نداء حذفت منه أداة النداء، وأصله (يا رب) ولعله استشعر قربه لدرجة لم يحتج فيها إلى مد الصوت فلم يذكر أداة النداء، وقد يكون العبد في موقف آخر مستشعرا بعده عن منزلة الزلفى فيمد صوته بـ(يا) أو حتى لمجرد الرغبة في إطالة أمد الكلام، والاستلذاذ بحالة القرب الإلهي، وقوله (قني) أمر من الوقاية قصد به الدعاء وفي الجملتين الأخيرتين سجع بديع يجذب السمع، ويثبت اللفظ، ويؤكد المعنى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ.

---

(١) برقم (٧٠٩/٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٦٩٨).

ثانيًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على ملازمة رسول الله ﷺ ويتضح هذا من حرصهم على الوقوف عن يمين رسول الله ﷺ، وذلك حيث جاء في الحديث: "كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه"، قال أبو العباس القرطبي في المفهم: "وقوله: أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه" يحتمل أن يكون هذا الإقبال منه ﷺ في حال سلامه من الصلاة، فإنه كان يبدأ السلام بيمينه، والأظهر: أنه كان حين انصرافه من الصلاة. ويكون هذا حين كان يكثر أن ينصرف عن يمينه والله أعلم"[1].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أن يكونوا عن يمين رسول الله ﷺ لأنه ﷺ كان ينصرف عن يمينه، فعن أنس رضي الله عنه قال: «أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ»[2]. وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ما يخالف هذا فعنه رضي الله عنه قال: «لاَ يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ لِلشَّيْطَانِ مِنْ نَفْسِهِ جُزْءًا، لاَ يَرَى إِلاَّ أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِ، أَنْ لاَ يَنْصَرِفَ إِلاَّ عَنْ يَمِينِهِ. أَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْصَرِفُ عَنْ شِمَالِهِ»[3].

قال النووي في الجمع بينهما: "وجه الجمع بينهما أن النبي ﷺ كان يفعل تارة هذا وتارة هذا، فأخبر كل واحد بما اعتقد أنه الأكثر فيما يعلمه فدل على جوازهما، ولا كراهة في واحد منهما، وأما الكراهة التي اقتضاها كلام ابن مسعود فليست بسبب أصل الانصراف عن اليمين أو الشمال، وإنما هي في حق من يرى أن ذلك لابد منه، فإن من اعتقد وجوب واحد من الأمرين مخطيء، ولهذا قال: يرى أن حقًا عليه، فإنما ذم من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥٢، ومسلم ٧٠٧.

رآه حقًا عليه، ومذهبنا أنه لا كراهة في واحد من الأمرين، لكن يستحب أن ينصرف في جهة حاجته سواء كانت عن يمينه أو شماله، فإن استوت الجهتان في الحاجة وعدمها فاليمين أفضل لعموم الأحاديث المصرحة بفضل اليمين في باب المكارم ونحوها. هذا صواب الكلام في هذين الحديثين، وقد يقال فيهما خلاف الصواب والله أعلم"[١].

وقال ابن حجر معقبًا على ما ذكره النووي: "... ثم ظهر لي أنه يمكن الجمع بين الحديثين بوجه آخر، وهو أن من قال: كان أكثر انصرافه عن يساره نظر إلى هيئته في حال الصلاة، ومن قال كان أكثر انصرافه عن يمينه نظر إلى هيئته في حال استقباله القوم بعد سلامه من الصلاة، فعلى هذا لا يختص الانصراف بجهة معينة، ومن ثم قال العلماء: يستحب الانصراف إلى جهة حاجته. قال ابن المنير: فيه أن المندوبات قد تنقلب مكروهات إذا رفعت عن رتبتها، لأن التيامن مستحب في كل شيء أي من أمور العبادة، لكن لما خشي ابن مسعود أن يعتقدوا وجوبه أشار إلى كراهته، والله أعلم"[٢].

وقال ابن علان: "وفي الحديث الندب إلى تأخر المأموم عن الإمام، وإن كانت المساواة له في الموقف لا تبطل الصلاة، وقوله: "أحببنا أن نكون عن يمينه" أى واقفين بجهة يمناه، وعلل حبهم ذلك على طريق الاستئناف البياني بقوله: "ويقبل علينا بوجهه" وفيه الحث على التيامن وتعمير جهة اليمين"[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ:

إن النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وسمته ودله وهديه قدوة للمسلمين جميعًا، وواجب الداعية التأسي بالنبي ﷺ حتى يضمن لدعوته النجاح والقبول، ويستنبط هذا من الحديث من قول البراء رضي الله عنه: "يقبل علينا بوجهه"، قال القاضي عياض: "وإقبال النبي ﷺ يحتمل أن يكون بعد قيامه من مصلاه، أو يكون ينفتل دون قيام، وفيه أن الإمام لا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٩٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣٩٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

يبقى على حالته في مصلاه، فإما أن يقوم، أو ينحرف عن موضعه، وينفتل بوجهه لئلا يخلط على الناس، ويظن الداخل أنه في الصلاة بعد، ولأنه بتقدمه عُلم بأن الصلاة انقضت، ومقامه هناك من باب التمييز بمكانه عن غيره، وليس فيه شيء من العجب والكبر، كما كره له الصلاة أرفع مما عليه أصحابه، وإن أمن ذلك في حق النبي ﷺ، ونُزِّه عنه، فهو يشير بما يقتدي به بعده"[1].

وقال الشافعي: "فإذا قام المصلي من صلاته إمامًا أو غير إمام فلينصرف حيث أراد إن كان، حيث يريد يمينًا أو يسارًا أو مواجهة وجهه أو من ورائه، انصرف كيف أراد لا اختيار في ذلك أعلمه، لما روى أن النبي ﷺ كان ينصرف عن يمينه وعن يساره وإن لم يكن له حاجة في ناحية، وكان يتوجه ما شاء، أحببت له أن يكون توجهه عن يمينه لما كان النبي ﷺ يحب التيامن غير مضيق عليه في شيء من ذلك"[2].

وقال شبير أحمد العثماني: "وفي قوله: يقبل علينا بوجهه" قال الحافظ: قيل الحكمة في استقبال المأمومين أن يعلمهم ما يحتاجون إليه، فعلى هذا يختص بمن كان في مثل حاله ﷺ من قصد التعليم والموعظة، وقيل: الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت، إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً. وقال الزين بن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة، فإذا انقضت الصلاة زال السبب، فاستقبالهم حينئذٍ يرفع الخيلاء والترفع على المأمومين، والله أعلم"[3].

وينبغي على الداعي أن يتأسي برسول الله ﷺ في ذلك، حتى يحبه المدعوون ويقبلوا عليه كما يقبل هو عليهم، والداعية الناجح هو الذي يدرب نفسه على التأسي برسول الله ﷺ لأنه هو الداعية الأول وإمام الدعاة، وبذا يضمن الداعي لدعوته النجاح والفلاح. "فإذا ربى الداعية نفسه على حب الرسول ﷺ واتباعه، توجه إلى أهله

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٢/٣.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ص ٩٨.

(٣) فتح الملهم ٤٤٣/٤.

وأبنائه وعشيرته الأقربين فدعاهم لما يحييهم ويضمن لهم الفوز في الدنيا والآخرة، ثم توجه بالدعوة بعد ذلك لكل من يستطيع دعوتهم. وهذا هو عين الخير وحسن الخلق وكمال الإيمان، وثمرة ذلك كله هو القرب من رسول الله ﷺ في جنة النعيم"[١]. وقد جعل الله الهداية في طاعة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، وجعل اتباعه والتأسي به سبب لمحبة الله، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

حيث جاء في الحديث فسمعته يقول: "رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك"، ولا شك أن هذا تعليم للصحابة رضي الله عنهم ويعتبر التعليم من وسائل الدعوة المهمة "إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق، وإذا كان الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خيرًا غزيرًا فإن أول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به"[٤].

إن المدعوين قد يخفى عليهم الكثير، ولا يتحقق لهم معرفة ما جهلوا إلا من خلال التعليم لهم، وهذا ما حرص عليه رسول الله ﷺ، فعن أبي رفاعة رضي الله عنه قال: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ. قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ. جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي مَا دِينُهُ. قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ. فَأُتِيَ بِكُرْسِيَ،

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/ك و - من مقدمة الناشر.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة - الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢.

حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا. قَالَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه. ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا»[1].

قال النووي: (وفي الحديث استحباب تلطف السائل في عبارته وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي ﷺ، ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة، وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان وكيفية الدخول في الإسلام وجب إجابته وتعليمه على الفور)[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٧٠.

الحديث رقم (١٠٩٨)

١٠٩٨- وعن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((وَسِّطُوا الإمَامَ، وَسُدُّوا الخَلَلَ)) رواه أبُو دَاوُد[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وسِّطوا الإمام: اجعلوه في الوسط، والصفوف وراءه[٢].

الخلل: الفُرجَة والفراغ يكون في الصف، قبل تمامه[٣].

الشرح الأدبي

اقتضت طبيعة المقام عند إقامة الصلاة أن يكون الكلام موجز شديد التركيز على المطلوب لشروعهم في الصلاة، ولذلك جاء الحديث كلافتة قصيرة تعجل بالحكم وقوله: (وسطوا الإمام) :أمر توجيه، و'رشاد أي اجعلوه وسط الصف لينال كل أحد عن يمينه وشماله حظه من نحو سماع، وقرب كما أن الكعبة وسط الأرض لينال كل منها حظه من البركة، أو المراد اجعلوه من واسطة قومه أي من خيارهم (وسدوا الخلل) أمر نصح، وإرشاد لتتبع المسافات الخالية بين المصلي، والمصلي، والخلل ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص، ونلاحظ أن الفعلين متصلان بواو الجماعة لتشمل جميع المخاطبين لأنها صلاة جماعة، والمأمور به لا يتحقق إلا من خلال تعاون الجماعة عليه.

---

(١) برقم (٦٨١)، أعلّه ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٣/٣٥٠) ببشير بن خلاد، وأمه، وهي الجهل بحاله وبحال أمه، وقال الذهبي في المهذب (١٠٣٥/٢): سنده لين.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل ل).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سدَّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث: "وسطوا الإمام" "وسدو الخلل"، وأسلوب الأمر يشعر المدعو بأهمية المأمور به مما يستلزم معه ضرورة تنفيذه وعدم إهماله وتجاهله، وقد أمر الله في القرآن بفعل ما أمر به رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر، قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]، وقوله تعالى على لسان لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3].

"إن الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة والامتنان والإهانة والتحقير والاعتبار. وهذه ليست على سبيل الحصر، وإنما هناك صيغ كثيرة تستفاد من السياق"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث وتوجيه النبي ﷺ للمأمومين بتوسيط الإمام:

ويتضح هذا من الحديث من قوله: "وسطوا الإمام" قال شرف الحق العظيم آبادي:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٤) البلاغة الواضحة، علي الجارم - مصطفى أمين، ٢١٤.

وسطو الإمام أى اجعلوا إمامكم متوسطًا بأن تقفوا في الصفوف خلفه وعن يمينه وعن شماله[١]. وقال ابن علان: "أى اجعلوا موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه وعن يساره"[٢]. وقال الشيخ ابن عثيمين: "وقد أمر النبي ﷺ أن يوسط الإمام، فقال:"وسطو الإمام" يعني اجعلوه وسطًا، وهذا هو العدل، ولهذا لما كان في أول الهجرة وكان الناس يصفون إذا كانوا ثلاثة صفًا واحدًا، كان مشروعًا أن يكون الإمام بينهم، لا يكون متطرفًا من حيث اليسار بل يكون بينهم ، فدل ذلك على أن توسيط الإمام له أهمية ومن يقف ناحية اليمين في الصف واليسار ليس فيه إلا القليل، فهذا خلاف السنة، لأنه ليس فيه توسيط الإمام والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين فإذا تساويا فهنا نقول: "الأيمن أفضل فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس"[٣].

قال د. الحسيني هاشم: "وفي الحديث الأمر بأن يكون موقف الإمام وسط المصلى ليقف المأموم عن يمينه ويساره، ولا تتركوا خللاً في صفوف الصلاة ليكمل لكم ثواب الجماعة، وليحصل لكم الأجر بالتمام والكمال"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على سدِّ الخلل في الصفوف وفضل ذلك:

يتضح هذا من الحديث "وسدوا الخلل"، قال ابن علان: وقوله: "وسدوا الخلل" أى بأن لا يبقى ثمة ما يسع مصلٍ سدًا لمداخل الشيطان"[٥]، ولاشك أنه قد تكاثرت النصوص النبوية في بيان أهمية سد الخلل وفضله . فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رُصُّوا صُفُوفَكُمْ وَقَارِبُوا بَيْنَهُمَا وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهَا الْحَذَفُ))[٦].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٢٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٢٠.

(٤) شرح رياض الصالحين، ٥٧٢.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٦٩.

(٦) أخرجه أبو داود ٦٦٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٦٢١).

إن الحرص على سد الخلل في الصف هو دليل انتظام الجماعة المسلمة، قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وقد كان رسول الله ﷺ شديد الاهتمام بتسوية الصفوف، شديد الإنكار على الإخلال بها، والتفريط فيها، إذ لا تتحقق فوائد الجماعة ولا تكتمل إلا بالمحافظة عليها، وقيام المسلمين فيها كالبنيان المرصوص، ولأن الصلاة والجماعة تربية للحياة كلها، فمن لم يحسن القيام بها لم يحسن شيئًا من عمل الدنيا والآخرة"[1]، وإن في تحقيق النظام في الصلاة من خلال سد الخلل وتوسيط الإمام مظهرًا من مظاهر المساواة في الإسلام.

"إن الصلاة وسيلة لتعارف المؤمنين، وهدم للفوارق الاجتماعية فيما بينهم، فالمسلمون يقفون جميعًا في الصلاة جنبًا إلى جنب متلاصقين، رئيس الدولة يقف إلى جانب أي فرد من أفراد الشعب، والغني يقف ملاصقًا للفقير، وأبيض البشرة إلى جانب أسودها، كل هؤلاء يتقربون إلى الله لا بأموالهم وجاههم، وإنما بطاعة ربهم، وإن الدعوة إلى المساواة والإخاء البشري لا تخرج عن كونها نظريات إذا لم تطبق عمليًا في حياة المرء وفي تفكيره، وقد كان التشريع الإسلامي موفقًا في جعله "الصلاة جماعة" التي كانت من أهم الوسائل لتحطيم الفوارق الاجتماعية، والتعصب للجنس واللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء"[2].

---

(١) الأركان الأربعة ٥٦.

(٢) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ١٧٧، ١٧٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التشويق:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ لأصحابه: «أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، فكان هذا السؤال من النبي ﷺ تشويقًا لصحابته الكرام أن يكونوا مثل الملائكة في اصطفافها عند ربها، وهذا أدعى للامتثال من الأمر مباشرة، لأن في التشويق إثارة وجذبًا لانتباه السامعين وترغيبًا لهم في الامتثال والإذعان، فإن "التشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب لكنه يأتي بعده، فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به، والتطلع إلى نيله، يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه، والإسراع في كسبه وتحصيله، وقد كان الرسول ﷺ يقصّ على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوّقهم به لحصول المرغوب فيه، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار الجنة وأحوال أهلها، مما كان له أكبر الأثر في زيادة رغبتهم فيها والسعي نحو تحصيلها، وينتج عن ذلك، استقامةٌ في السلوك وثمارٌ في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائج تربوية إيجابية ناجحة"[1].

ثانيًا: التربية الوقائية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا». وهذا الوصفّ يكون عندما تصلّي النساء مع الرجال دون أن يكن متميزات عنهم، أما إذا كان هناك تميّز أو يصلين معًا دون الرجال، فإن حكمهن يكون حكم الرجال، فيكون خير صفوفهن الصف الأول أما آخرها فيكون شرها، وإنما اختلف حكمهن مع الرجال عن حكمهن إذا تميزن، وذلك بسبب ما قد يعرض للرجال من تعلق وانشغال بهن، فيذهب مقصود الصلاة وهدفها، وهذا يكون منتفيًا إذا كان هناك تميز بين الرجال والنساء، وهذا ما

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية ص ٢٢٣، ٢٢٤.

يوضحه النووي فيقول: "المراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال، فهن كالرجال، خير صفوفهن أولها وشرها آخرها، والمراد بشر الصفوف في الرجال والنساء أقلها ثوابًا وفضلاً وأبعدها من مطلوب الشرع وخيرها بعكسه، وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك، والله أعلم"[1].

أي يمكن القول: إن الحديث الشريف يقصد إلى التربية الوقائية، وذلك بمنعه ما يؤدي إلى بعض المفسدة التي قد تعيق تحقيق المصلحة المبتغاة من الصلاة، وهكذا الشأن فيما يتشابه مع ذلك أو يكون قريبًا منه، لذا كانت الوقاية أصلاً من أصول التربية الإسلامية، سواء في الأمور الجسدية أم الأخلاقية، إن الوقاية هي المرادف لـ "درء المفاسد"، وهي المرادف لقاعدة: كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام، والوقاية في المحصلة النهائية ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذه المحصلة نفسها هي ما تنتهي إليه في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية، كل القواعد التي تنهي عما يقرب من الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل الفساد[2].

ثالثًا: التربية على المبادرة والسبق إلى الخيرات:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الصلاة في الصف الأول، وهذا يلزم عنه في الأغلب الأعم المبادرة إلى المسجد قبل إقامة الصلاة بوقت كافٍ، ومما قد يلزم عنه بدوره الإتيان بالسنة القبلية للصلاة، وما زاد عن ذلك يُشغل بقراءة القرآن والذكر والدعاء ونحو ذلك من وجوه الخير.

فكان في هذا تربية على المبادرة والمسابقة إلى الخيرات، وعلى أهل التربية أن يربوا أتباعهم على ذلك، لأن في ذلك تحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة، وتحصيلُ أفضل الأعمال وأحسنها وأرغبها، كما أن ذلك يجعل في المجتمع اتجاهًا عامًا إلى المنافسة والمبادرة في فعل

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٣٦٩ الدولية.

(٢) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، ٣١٠/١ بتصرف، وانظر: أصول التربية الإسلامية ص ٦٠ - ٧٠.

الخيرات، ومما يلزم عنه المنافسة في ترك الشرور والسيئات والأفعال القبيحة.

وإن مجتمعًا يتربى أفراده على هذه الروح لمجتمع سعيد حقًا، فيه تظهر آثار التربية الحقة وثمارها اليانعة.

"إن مما يدفع المؤمن إلى المبادرة أنه يشعر كأن كل يوم تبزُغ شمسه أو ينشق فجره، يناديه بصوت جهير: أيها الإنسان أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد فتزود مني واغتنمني بعمل الصالحات، فإني إذا مضيت لا أعود أبدًا.

وهو الذي يخشى أن تنفلت الأيام من يديه خاوية من العمل والإنتاج، فلا يؤخر عمل اليوم إلى غدٍ، لأن للغد عمله الذي يزحمه، فلا يتسع لعمل غيره من الأيام.

وهو كذلك حريص على أن يكون يومُه خيرًا من أمسه، وغدُه خيرًا من يومه، وأن يطيل حياته -بعد موته- بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إنه يحرص أن يخلف وراءه علمًا نافعًا أو عملاً طيبًا أو مشروعًا مثمرًا أو صدقة جارية أو ذرية صالحة، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع الناس به، تكون مثوبته عند الله"[1].

رابعًا: التربية على النظام:

وهذا مستمد من ترغيب النبي ﷺ في الاصطفاف كما تصطف الملائكة عند ربها عز وجل، فأخبر ﷺ أن الملائكة "يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف"، وكان النبي ﷺ يمسح مناكب أصحابه رضي الله عنهم ويقول: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وكان ﷺ ويقول: «سووا صفوفكم، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة»، وأقبل النبي ﷺ على أصحابه رضي الله عنهم وقال لهم: «أقيموا صفوفكم وتراصُّوا»، وأكد النبي ﷺ أمر تسوية الصفوف فقال: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أو ليُخالفَنَّ اللهُ بينَ وُجوهِكم». وكان ﷺ يسوِّي صفوف الصلاة حتى كأنما يسوِّي بها القداح، ونحو ذلك، وكان ﷺ حريصًا على إتمام الصف الأول فالأول، فقال ﷺ:

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠٥.

«أَتِمُّوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ». ونحو هذا. مما يلزم عنه الانتظام في الصفوف وفي ترتيب الصفوف وفي رصّها، وإذا كان هذا مطلوبًا في الصلاة، وهي أفضل العبادات وأشرفها وأجلّها، فمن باب أولى يكون مطلوبًا في كل مناحى الحياة التي تتطلب النظام والترتيب والهيكلة، فعلى المربين أن يربوا الناشئة على ذلك، حتى ينشأوا منظمين مرتبين، تسير حياتهم وفق خطوات منظمة ومراحل مرتبة، وفي ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - إظهار الناشئة وغيرهم بمظهر جمالي ترتاح له النفس وتقرّ به العين، وفي هذا تربية جمالية تجمل الحياة والمعيشة وتزينها.

ب - تعويد الناشئة وغيرهم على الانتظام في الجماعة والعمل في إطارها، ومن ثم الالتزام بها والعمل على تحقيق أهدافها العامة التي تفيد جميع أفرادها.

ج - تربية الناشئة على التزام النظام في حياتهم وأعمالهم وأفعالهم، فلا يضيع كثير من الوقت أو الجهد في التخطيط لها أو إنجازها وفعلها.

خامسًا: التربية على الإقدام وعدم التراجع والتأخر:

وهذا مستمد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَائْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ»، فالنبي ﷺ لما رأى في أصحابه تأخرا عن الصفوف الأولى[1] بادر ﷺ بأن يتقدموا إلى الصف الأول، ليقتدوا به في أفعاله في الصلاة، ويقتدي بهم من بعدهم، وحذّرهم من التأخير، لأن ذلك يؤدي إلى أن يؤخرهم الله عن رحمته أو عظيم فضله، ورفع المنزلة ونحو ذلك[2].

إن من الدروس التربوية المستفادة من أمر النبي ﷺ لأصحابه بالتقدم وعدم التأخر والإتمام: دفع المسلم إلى الإقدام على تحصيل الفضل والثواب، من خلال القيام بالأعمال

---

(١) انظر: شرح مسلم، النووي ص ٣٦٨.

(٢) المرجع السابق، ٣٦٨.

النافعة، وهذا لون من ألوان التربية الإسلامية التي تجعل الكيفية التي يكون عليها المسلم في صلاته - من التقدم للصفوف الأولى والإتمام وعدم التأخر- نقطة انطلاق في الحياة العملية مما يجعل المسلم يغتنم الفرص بسبب الإقدام المدروس، ولذا فإننا نلحظ في حياتنا أناسًا تفوتهم الفرص الثمينة بسبب ترددهم وتراجعهم وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، لأنه لا يملك الشجاعة التي تؤهله للتعامل مع المواقف الحاسمة نظرًا لأنه يعاني التردد والوسوسة ويحتاج إلى من يقوده، ولذا فإن النبي ﷺ أكد على أهمية التقدم في الصفوف وإتمامها وعدم التأخر، مما يُعد نوعًا من أنواع التربية الجادة، وقد عمل على تعزيز هذا التوجيه بالتحذير من مغبة التأخر بقوله: «لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّه».

سادسًا: التربية بالاقتداء:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «تقدموا فأْتَمُّوا بي، وليَأْتم بكم من بعدكم» فالنبي ﷺ أمرهم بأن يقتدوا به ﷺ في صلاته، كما أمر من خلفهم بالاقتداء بهم رضوان الله عليهم، وفي ذلك تربية بالاقتداء، وإذا كان هذا في الصلاة، فإنه يكون كذلك في التربية والتوجيه والإرشاد، وهذا واقع في حياة الناس بلا ريب ولاشك، فالابن يقلّد أباه، وعندما يشبّ ويكبر يقلده ابنه وهكذا تنتقل الأخلاق والآداب، وهذا معمول به في الإسلام لكن منضبط بقواعد الإسلام وآدابه.

ولا شك أن القدوة لها فائدة مهمة جدًا، يقول الأستاذ عبدالرحمن النحلاوي: "مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي متكامل ورسم خطة محكمة لنمو الإنسان وتنظيم مواهبه وحياته النفسية والانفعالية والوجدانية والسلوكية واستنفاذ طاقاته على أكمل وجه مهما يكن من ذلك كله، فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مُربٍ يحقق بسلوكه وأسلوبه التربوي، كل الأسس والأساليب والأهداف التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لذلك بعث الله محمدًا ﷺ عبده ورسوله ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ولقد سُئِلَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»[١]، وحقًا كان رسول الله ﷺ بشخصه وشمائله وسلوكه وتعامله مع الناس، ترجمة عملية بشرية حية لحقائق القرآن وتعاليمه وآدابه وتشريعاته ولما فيه من أسس تربوية إسلامية وأساليب تربوية قرآنية"[٢].

سابعًا: التربية على النُّفور من الاختلاف المذموم:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، منها: «استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، وقوله ﷺ: «لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم». وقوله ﷺ: «عباد الله: لتُسَوُّنَّ صفوفَكم، أَو ليُخالفَنَّ اللّهُ بينَ وُجوهِكم»، قال النووي: "والأظهر والله أعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب، كما يقال تغير وجه فلان عَلَيّ. أي ظهر من وجهه كراهة لي، وتغير قلبه علي؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن"[٣]. أي أن النبي ﷺ حذر من الاختلاف في الظاهر الذي يسبب الاختلاف في الباطن، أي أن النبي ﷺ ينفر من الاختلاف المذموم الذي تختلف فيه القلوب والأهواء والرغبات والنزعات بحيث يؤدي إلى الضعف والقلة وطمع الأعداء وذهاب القوى والقدرات سدى دون فائدة، وإنك "لو أُجَلْت النظر في حال المسلمين اليوم لوجدتهم متفرقين مختلفين عن اليمين وعن الشمال عزين، وكل حزب بما لديهم فرحون إلا من رحم ربك وقليل ما هم.

فالفرقة والاختلاف من أسباب الهزيمة والضعف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[٤]. وبسبب ذلك ينال العدو نيله من الأمة ويتمكن من التغلغل فيها، والإيضاع خلالها، ابتغاء فتنتها وصدها عن دينها وتوهين قواها. وبسبب الخلاف تتفرق

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢٠٥ ومرجعه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الكلمة وتبدد الجهود، وتنقبض الأيدي عن التعاون. وإن المصيبة لتعظم وإن الخطب ليجل عندما يقع الخلاف بين خاصة المسلمين وبين أهل العلم والفضل.

ولن يغرق المرء في المثالية فيحلم بألا يوجد خلاف البتة، فذلك غير ممكن فسنة الله اقتضت وجود الخلاف، فليست المشكلة أن نختلف، وإنما هي ألا نعرف كيف نختلف وليس الحل بألا نختلف أبدًا، وإنما هو بألا نصعد الخلاف، وألا نسعى في إذكائه، وبأن نعرف كيف نختلف كما نعرف كيف نتفق، كما كان الصحابة رضي الله عنهم.

فهم خير الناس حال الوفاق وحال الخلاف فمع أن الخلاف وقع بينهم في العديد من المسائل إلا أن قلوبهم كانت متوادة متراحمة متقاربة متآلفة، بل لقد كانوا رضي الله عنهم مثالاً يحتذي ونهجًا يقتفى حتى في حال الفتنة والقتال، فبرغم ما حصل بينهم من قتال وفتنة إلا أن منار العدل والتقوى كان قائمًا فيهم، فلم يكفر بعضهم بعضًا ولم يبدع بعضهم بعضًا. بل لقد كانوا يأخذون العلم من بعض، ويلتمسون المعاذير لبعض، بل كانوا يثنون على بعض، ويترحمون على بعض.

ولهذا كان حريًا بمن له جاه، أو منزلة أو قدرة أن يسعى سعيه، وأن يبذل قصارى جهده لرأب الصدع، وإصلاح ذات البين، وجمع كلمة المسلمين على الحق المبين، فهذا من أعظم الجهاد، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها[1]، وقال تعالى ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[2]، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ثامنًا: التربية على تقديم أهل الفضل والعلم:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قال النووي: "في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام لأنه أولى

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٩٠، ٩١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ... وليضبطوا صفة الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدي بأفعالهم من وراءهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن والكفاءة"[1].

إن "مما ينبغي أن يتربى عليه الشباب المسلم: محبة العلماء العاملين، والأئمة المجتهدين والاعتراف بفضلهم وحبهم في الله عز وجل، والاحتجاج بإجماعهم، واعتقاد أن اجتهادهم لنا خير من اجتهادنا لأنفسنا"[2]، ولاشك أن في تربية الناشئة على تقديم أهل الفضل والعلم عدة فوائد تربوية منها:

أ - الدعوة للناشئة وغيرهم لأن يكونوا من أهل العلم والفضل، أو على الأقل الاقتداء بهم وفعل أفعالهم.

ب - إعلاء قيم التبجيل والاحترام والتقدير في نفوس الناشئة.

ج - الاستفادة من أهل العلم وأهل الفضل وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم.

تاسعًا: التربية بالممارسة العملية:

المنهج التربوي النبوي منهج عملي مؤثر يعتمد الممارسة العملية أساسًا من أسس التغيير الإيجابي، والتوجيه للسلوك الأفضل، حيث يرى النبي ﷺ أن التطبيق العملي له تأثير عظيم في النفوس، يستنبط ذلك من قيام النبي ﷺ بتسوية الصفوف، من ذلك: أن رسول الله ﷺ كان يسوِّي صفوفنا حتى كأنما يسوي القداح حتى رأى أنا قد عقلنا عنه. ومن ذلك أيضًا قول البراء بن عازب رضي الله عنه: «كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ ناحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا»، فقد كان النبي ﷺ

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٠٥.

لا يكتفي بأمر أصحابه بتسوية الصفوف فقط، بل كان يقوم أيضًا بتسوية صفوف المصلين من أصحابه يعتني بذلك أشد الاعتناء، فكان يربيهم بالفعل والممارسة، كما يربيهم بالقول، "لقد كان من أسلوب النبي ﷺ أن يعلم أصحابه بالممارسة العملية، لذا فإن على المربي دائمًا أن يربي طلابه على أن يعتزموا أن يحققوا في حياتهم ما يدرسهم إياه، وأن يلقى إليهم بأسئلة من واقع الحياة، ليتأكد كيف سيطبقون علمهم في مواقف معينة من حياتهم الفردية والاجتماعية، ويكرر هذا في كل درس جديد يلقيه عليهم. وقد حكى عن بعض علماء السلف أن العلم ينقص أو ينسى بترك العمل به أو الدعوة إليه أو نشره، ويزداد متانة بالعمل به والدعوة إليه وتعليم الناس، وهذه حقيقة من حقائق التربية وعلم النفس التي أثبتتها تجربة هذه العلوم، وقد سبق إليها الإسلام بعدة قرون. فمن البدهى أن التعليم بالأسلوب العملي أو بقصد التطبيق أوقع للنفس وأدعى إلى ثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة"[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢١٢، ٢١٣.

١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض

وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

الحديث رقم (١٠٩٩)

١٠٩٩ - عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رملة بِنْتِ أبي سُفْيَانَ رضي الله عنهما، قالت: سمعت رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيرَ الفَرِيضَةِ، إلاَّ بَنَى الله لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ، أو إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ)) رواه مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: هي رَملةُ بنت أبي سفيان بن حرب، "أم المؤمنين".

من أزواج النبي ﷺ، وهي أخت معاوية رضي الله عنه، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عامًا، وكانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة، تزوجها أولاً عبيد الله بن جحش، فأسلما، ثم هاجرا إلى الحبشة (في الهجرة الثانية) فولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، ثم ارتدَّ متنصرًا، فأعرضت عنه حتى مات.

فأرسل إليها رسول الله ﷺ يخطبها وعهد للنجاشي "ملك الحبشة" بعقد نكاحه عليها، ووكلت هي خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمهرها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وأولم عليها عثمان بن عفان لحمًا، وقيل أولم عليها النجاشي، وبعث إليها رسول الله ﷺ شُرحْبيل ابن حَسَنَةَ، فجاء بها، وذلك سنة ٧هـ وقيل ٦هـ.

ولما بلغ الخبر إلى أبي سفيان -وكان ما زالَ على دين الجاهلية- أن رسول الله ﷺ نكح أم حبيبة ابنته عجب له وقال "ذلك الفحل، لا يُقْدَعُ[2] أنفه".

---

(١) برقم (٧٢٨/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٧).

(٢) فحل لا يُقْدَعُ أنفه: قَدَعَ الفحل: ضرب أنفه بشيء ليرتد، وفحل لا يقدع أنفه: أي كريم. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة قدع.

وهي التي منعت أباها - أبوسفيان - من أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ عندما دخل عليها بعد أن قدم المدينة من أجل أن يؤكّد عقد الهدنة، وقالت له: أنت امرؤ نجسٌ مشرك.

وعند وفاتها دعت عائشة رضي الله عنها: وقالت لها: قد يكون بيننا ما يكون بين الضرائر فتحلّليني من ذلك فحلّلتْها، واستغفرت لها، ثم قالت لها: سررتني سرك الله، وأرسلت إلى أم سلمة بمثل ذلك.

وقد روت عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ٦٥ حديثًا.

وتوفيت بالمدينة سنة ٤٤هـ، وقيل ٤٢هـ، وقيل ٥٩هـ وهو بعيد، ودفنت بالبقيع[1].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في صلاة النافلة التي تمثل يوم القيامة مخزون العبد الاحتياطي عندما يحاسب على صلاة الفريضة تكون مصدر مدد يكمل منه ما نقص في الفريضة، أو يرفع بها الدرجات، وينال بها عظيم الأجر، وقد جاء المعنى في ثوب القصر بطريق النفي، والاستثناء وقد قصر معنى صلاة العبد ثنتي عشر ركعة بالشرط المذكور على بناء الله له بيتا في الجنة، ونلاحظ أن النفي جاء عاما مستغرقا للجنس من حيث دخول النفي على النكرة التي تسبقها من، وقوله (تطوعا) تكميل بلاغي يخرج الفريضة، ويشير إلى خصوصية الطواعية التي توحي بالرضا، والمحبة، وقوله من غير الفريضة توكيد لمعنى التطوع، والتعبير بالبيت مع أن ما في الجنة قصور

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٩٦/٨ - ١٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي (١٦٨٨)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠١ - ٩٠٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١١٦/٧ - ١١٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٤/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٣/٤)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣٣/٣)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢١٨/٢ - ٢٢٣)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٨٤/١ - ١٩٢).

ليستصحب مدلول اللفظ المكنون في النفوس تجاهه من الشعور بالراحة، والسكن، والطمأنينة، والإحساس بالملك، والتعبير بالقصر لا يستصحب كثيرا من هذه المعاني لأنهم لم يعيشوا فيها، وتنكير البيت للتعظيم، وتعلق الجار والمجرور (في الجنة) بالفعل (بنى) يوحي بشرف البيت وحسنه، وبهائه ويقرر أنه قصر شامخ، والتعبير بالماضي (بنى) يفيد أنه سابق التجهيز، ونسبته لله تعالى تؤكد تحقق البناء مع عظمة المبنى لارتباط الأثر بالمؤثر.

فقه الحديث

١ - عدد ركعات السنن الرواتب:

قال النووي: (في حديث أم حبيبة: "من صلّى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بنى له بهن بيت في الجنة" وفي رواية: "ما من عبدٍ مسلمٍ يصلّي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة"[١] وفي حديث ابن عمر: "قبل الظهر سجد سجدتين وكذا بعدها وبعد المغرب والعشاء والجمعة"[٢] وزاد في صحيح البخاري قبل الصبح ركعتين[٣] وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة هنا: "أربعًا قبل الظهر وركعتين بعدها وبعد المغرب وبعد العشاء وإذا طلع الفجر صلّى ركعتين"[٤] وهذه اثنتا عشرة أيضًا، وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود وإسناده صحيح عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلّي قبل العصر ركعتين[٥]، وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: رحم الله امرأً صلّى قبل العصر أربعًا، رواه أبو داود والترمذي

---

(١) أخرجه مسلم ٧٢٨، ١٠١.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٣ من حديث ابن عمر عن أخته حفصة }.

(٤) أخرجه مسلم ٧٣٠ مطولًا.

(٥) أخرجه أبو داود ١٢٧٢.

وقال: حديث حسن[١]. وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة قالت: قال رسول الله ﷺ: "من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار" رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[٢].

وفي صحيح البخاري عن ابن مغفل أن النبي ﷺ قال: "صلُّوا قبل المغرب" قال في الثالثة لمن شاء[٣].

وفي الصحيحين عن ابن مغفل أيضًا عن النبي ﷺ "بين كل أذانين صلاة" المراد بين الأذان والإقامة. فهذه جملة من الأحاديث الصحيحة في السنن الراتبة مع الفرائض، قال أصحابنا وجمهور العلماء بهذه الأحاديث كلها واستحبوا جميع هذه النوافل المذكورة في الأحاديث السابقة، ولا خلاف في شيء منها عند أصحابنا إلا في الركعتين قبل المغرب، ففيهما وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحب. والصحيح عند المحققين استحبابهما بحديثي ابن مغفل، وبحديث ابتدارهم السوارى بها وهو في الصحيحين[٤].

قال أصحابنا وغيرهم: اختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها وأن لها أقل وأكمل، فيحصل أصل السنة بالأقل، ولكن الاختيار فعل الأكثر الأكمل)[٥].

٢ - **استحباب المواظبة على السنن الرواتب:**

قال ابن حجر عن حديث ابن عمر: (فيه حجة لمن ذهب إلى أن الفرائض رواتب تستحب المواظبة عليها وهو قول الجمهور. وذهب مالك في المشهور عنه إلى أنه لا توقيت

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٧١، والترمذي ٤٣٠.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، والترمذي ٤٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٣، ومسلم ٨٣٧، ٣٠٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٧ - ٨، وانظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥/٢٧٧ - ٢٧٨.

في ذلك؛ حماية للفرائض، لكن لا يمنع من تطوع بما شاء إذا أمن ذلك، وذهب العراقيون من أصحابه إلى موافقة الجمهور)[١].

٣ - **التطوع بين الأذان والإقامة:**

قال ابن حجر: (ولم يختلف العلماء في التطوع بين الأذان والإقامة إلا في المغرب ... ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما [أي تخفيف الركعتين قبل صلاة المغرب] كما في ركعتي الفجر)[٢].

المضامين الدعوية [٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه.

خامسًا: من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على صلاة النوافل وفضلها:

هذا ما يستفاد من نص الحديث: (والنفل لغة: الزيادة)[٤]، "والنافلة ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٥]"[٦]، وقد كان من نعم الله عز وجل أن شرع لعباده نوافل زائدة عن الفريضة لتكمل بها

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥١/٣ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٦/٢، ١٠٧ ، وانظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٠٣/٦/٣ - ١٠٤ . وانظر كذلك فتح الباري.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٠٩٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٩٤٣.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٠/٤١.

الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص"[١]، وهذا فضلاً عما دلت عليه السنة النبوية "من أن إدامة النوافل بعد الفرائض تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه"[٢]، فقد قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))[٣]، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها.. وقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه[٤]، وهذا ما أكده ابن رجب في قوله: "إن أولياء الله على درجتين: إحداهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض،وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين، وأداء الفرائض أفضلُ الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أفضل الأعمال أداءُ ما افترض الله، والورع عما حرّم الله، وصدق النية فيما عند الله عز وجل)، وقال عمر بن عبدالعزيز في خطبته: (أفضل العبادة أداء الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته ...).

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٣٢١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٠٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١١/٣٥١.

للعبد محبة الله، كما قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، فمن أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده"[١]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل وأهمية المحافظة عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المواظبة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا كل يوم:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: (ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير الفريضة إلا بنى الله له بيتًا في الجنة)، ففضلاً عن عظم الأجر في المحافظة على ثنتي عشرة ركعة في اليوم من بناء بيت في الجنة لمن قام بذلك، إلا أن من أهم الفضائل المترتبة على المحافظة على أداء النوافل هي إكمال ما نقص للعبد من صلاة الفرض، وقد بيّن النبي ﷺ ذلك فقال: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيئًا قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[٢].

قال المباركفوري: "وقوله ﷺ: (ما انتقص من الفريضة) قال العراقي في شرح الترمذي: يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله فيها وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيح عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى. وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٣٣٦ - ٣٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

من الخشوع عندي أظهر لقوله ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال، وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى (ثم يكون سائر عمله على ذلك) أي إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على صلاة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا في اليوم، وذلك ببناء بيتٍ في الجنة لمن كان ذلك فعله، "والترغيب من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو إلى فعل ما فيه خير وصلاح له، وذلك بعد أن شوّق نفسه إلى فعل المرغب فيه"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مكانة ابن عمر رضي الله عنه:

يستفاد ذلك في الحديث من قوله رضي الله عنه: (صليت مع رسول الله ﷺ)، فهو الذي قال فيه النبي ﷺ: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلِّي منَ الليلِ. فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاَّ قَليلاً))[٣]، وقال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: (إن أملك شباب قريش لنفسه في الدنيا عبدالله بن عمر)، وقال فيه سعيد بن المسيب: "لو شهدت لأحدٍ من أهل الجنة لشهدت لابن عمر"[٤]، وقال فيه ابن المبارك: "أنبأنا عمر بن محمد بن زيد أن أباه أخبره أن عبدالله بن عمر كان له مهراس فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفي إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر، ثم يثب فيتوضأ، ثم يصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا"[٥].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٧/١.

(٢) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٣٨.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٢/٣.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ٩٠٨.

وقيل لنافع: "ما كان يضع ابن عمر في منزله؟ قال: لا تطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما"[١].

"وقد كان ﷺ من أحرص الصحابة ﷺ في التحري عن أفعال النبي ﷺ، حتى في أدق التفاصيل، وقد حفظت لنا الوثائق الحديثة نماذج كثيرة من ذلك، تكشف لنا عن دوافع نفسية عميقة التأثير بحب النبي ﷺ، وقد كان هذا هو المعنى في مفتاح فقه ابن عمر ﷺ، والسمة الرئيسة لما ينقل عنه من الآراء التشريعية"[٢] "وخير دليل على ذلك قول ابن وهب عن مالك، عمن حدثه: "إن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك"[٣]، وعن عائشة ﷺ قالت: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٤]، وقال أبو جعفر الباقر: "كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثًا لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله"[٥]، وقال نافع عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ تَرَكْنَا هذَا الْبَابَ لِلنِّسَاءِ))، قال: نافع فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات"[٦]. وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على متابعة أحوال النبي ﷺ وأفعاله والاقتداء بها، وفي ذلك عظيم منزلته ﷺ وعلو فضله.

خامسًا- من واجبات الداعية: بيان السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدها:

هذا ما بيّنه ابن عمر ﷺ في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٢) انظر: أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ص ٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٤) المرجع السابق ٢١١/٣.

(٥) المرجع السابق ٢١٣/٣.

(٦) قال محققو السير: أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٦٢/٤ من طريق أبي الوليد الطيالسي عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك، ورجاله ثقات.

ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد الجمعة، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء)، وزاد في صحيح البخاري: "قبل الصبح ركعتين"[١]، وهذه اثنتا عشرة ركعة. وفي حديث عائشة رضي الله عنها عندما سألت عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه؟ فقالت: ((كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا. ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ. ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ. وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ))[٢]، وهذه اثنتا عشرة أيضًا.

قال ابن حجر: "في بيان ما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن قبل الظهر ركعتين، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أربعًا، أن الأولى أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في البيت، واطلعت عائشة على الأمرين"[٣].

وقال النووي: "وليس للعصر ذكر في الصحيحين، وجاء في سنن أبي داود أن النبي ﷺ قال: ((رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا))[٤]، وفي حديث عليّ رضي الله عنه: ((ركعتين))[٥]، وجاء في أربع بعد الظهر حديث صحيح عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))[٦]، وورد في صلاة المغرب قوله ﷺ: ((صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٣٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣/٧٠.

(٤) أبو داود ١٢٧١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣١).

(٥) أخرجه النسائي ٨٧٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٨٤٢).

(٦) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

رَكْعَتَيْنِ لِمَنْ شَاءَ))[١]، وقال ﷺ أيضًا: ((وَبَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ))[٢]، "المراد بين الأذان والإقامة"[٣]، "واختلف العلماء في الاختيار في الأخذ بهذه الأحاديث، فرأى جُلُّهم الأخذ بها والعمل بفعل النبي ﷺ وأمره بذلك، وكونها سنة مع صلوات الفرائض، قال بعضهم: ولأن تلك الأوقات أوقات تفتح فيها أبواب السماء، ويستجاب فيها الدعاء ويرغب في تكثير العمل الصالح فيها، واختلاف الأحاديث باختلاف فعله عليه السلام ليُرى سعة الأمر، وأنه ليس فيه حدٌ لازم والله أعلم"[٤]، وهذا ما أكده النووي في قوله: "واختلاف الأحاديث في أعدادها محمول على توسعة الأمر فيها، وأن لها أقل وأكمل فيحصل أصل السنة بالأقل ولكن الاختيار فعل الأكثر والأكمل"[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١١٤٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠٢.

(٤) إكمال المعلم، القاضي عياض، ٦٩/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

الحديث رقم (١١٠٠)

١١٠٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعدَ العِشَاءِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب تعليم السنن، وتقريرها، وقوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم) يشير إلى تقرير الحدث بالفعل بالصلاة مع الرسول ﷺ أو في حضرته، وإقراره، وبـ(كلا) الوجهين تثبت، وفي الكلام إيجاز بالحذف يقتضيه مقام البلاغة في قوله (قبل الظهر) أي قبل صلاة الظهر، وكذلك الجمعة، والمغرب، والعشاء، وفائدة النافلة إذا سبقت الفرض أنها تمهد النفس للفريضة بالدخول بين يدي الله مع تمام الخشوع بعد أن خرجت من أعباء الحياة بهاتين الركعتين، ثم إن لها بعدا آخر وهو أنها تشعر بالانتماء للسنة باتباع النبي ﷺ، وتربطنا وجدانا به ﷺ كلما تبعناه في سنة من السنن.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم النوافل من الصلاة في يوم الجمعة وغيرها، وقد اتفق الفقهاء[2] على أنه يسن صلاة النافلة عقب صلاة الجمعة، وإن اختلفوا في عدد ركعات

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، شرح معاني الآثار ٣٣٦/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٩٧/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٧/٢، الأم، الإمام الشافعي ١٦٤/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٤١/٣، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٥٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٩/٢.

هذه السنة لاختلاف الروايات فيها، فقيل ركعتان، وقيل أربع، وقيل ست جمعًا بين الروايات فيها، وأفضلها القول بأن المرء مخير بين ركعتين وست ركعات حسبما يطلب من الخير ويقدر على التطوع.

أما السنن الراتبة في غير يوم الجمعة فقد ذكر الفقهاء كما سبق القول في الحديث الفائت[1] أن السنن الراتبة من النوافل غير صلاة التهجد اثنتا عشرة ركعة بالليل والنهار وقيل عشر ركعات بالليل والنهار، ومنها صلاة أربع ركعات في وقت الظهر اثنتان قبله واثنتان بعده، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء اقتداء بفعله ﷺ كما يروى في هذا الحديث.

المضامين الدعوية[2]

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ٣٣٩/١، مواهب الجليل، الحطاب ٦٦/٢، نهاية المحتاج، الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج، الشربيني ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٣٧/١ وما بعدها.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠١)

١١٠١ - وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ، قَالَ: قال رَسُول اللهِ ﷺ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاَةٌ، بَيْنَ كل أذانين صلاة)) قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ)) متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

غريب الألفاظ:

أذانين: المراد بالأذانين: الأذان والإقامة؛ عند التغليب[2].

الشرح الأدبي

قوله (بين كل أذانين) أي: الأذان، والإقامة فهو من باب التغليب كقولهم الأسودان للتمر، والماء، والأسود إنما هو أحدهما، وقد تكون من باب المشاكلة وهي تسمية أحد الاسمين باسم الآخر لوقوعه في صحبته شائع وقيل: يحتمل أن يكون الاسم لكل واحد منهما حقيقة، لأن الأذان في اللغة الإعلام، والأذان إعلام بحضور الوقت، والإقامة إعلام بفعل الصلاة (قال الإمام العيني: الأذان إعلام الغائبين، والإقامة إعلام الحاضرين، وقوله (لمن شاء) تتميم بلاغي أفاد التخيير، وهذا الاستثناء يخص صلاة النافلة دون الفريضة؛ لأنها فريضة ليس فيها تخيير، قوله (صلاة) فيه إيجاز بالحذف: أي وقت صلاة، وموضعها، وتكرار العبارة يملأ النفس إحساسا بها (والتكرار وسيلة بيانية، وأداة فنية تستند إلى أساس مكين في فطرة النفس، وتعبر عن طابع نفسي، ومزاج عقلي عند أصحاب اللسان العربي كما تقتضيها مقامات، ومواقف لا بديل منها فيها، والمقام هنا مقام ترغيب، والموقف يستدعي ذلك لأنه بصدد تقرير حقيقة لا غنى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٧)، ومسلم (٨٣٨/٣٠٤).

تنبيه: قوله: (بين كل أذانين صلاة) تكررت عند البخاري مرتين، وعند مسلم مرّة، وقال: (قالها ثلاثا).

(٢) رياض الصالحين ٤١٢.

لمؤمن عنها في علاقته بربه، وأثرها على مغفرة الخطايا، ونجاة العبد، وتكرير العبارة يؤكد المعنى، ويرفع درجة التشويق والإثارة التي تهز الوجدان، وتملك على المخاطب أقطار نفسه، ويصير درجة بعد درجة في قمة الحرص على أداء الصلاة بين كل أذانين، أضف إلى ذلك أن هذا الذي يكرر العبارة في قمة الوعي لمدلولها مع قمة الصدق فيها.

فقه الحديث

وقد اتفق الفقهاء[١] على أن المقصود بالأذانين هنا الأذان والإقامة، وأنه يستحب الفصل بينهما، وأن ما يفصل به بين الأذان والإقامة صلاة ركعتين أو أكثر، وذلك في كل الفرائض ما عدا المغرب لأنها مبنية على التعجيل فيكون الفصل بين الأذان والإقامة فيها قليلاً، وقد حدده الحنفية[٢] والمالكية[٣] بقدر قراءة ثلاث آيات، وحدده الشافعية[٤] والحنابلة[٥] بقدر صلاة ركعتين خفيفتين.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٢/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢، شرح الخرشي ٣/٢، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٦٠/٢، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٧/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٢٢/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٥٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٩٢/١.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢، شرح الخرشي ٣/٢.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٠٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن ٦٠/٢.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٥٧/٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٧/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٢٢/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التكرار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تكرار النبي ﷺ لقوله: إن بين كل أذانين صلاة، ((وقد كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه))[1]، والتكرار من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، لفهم الأمر المدعو إليه والتأكيد على أهميته. وهذا ما أفاده التكرار كأسلوب دعوي في الحديث، من بيان أهمية الصلاة بين الأذان والإقامة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة وبيان فضلها:

هذا ما يستفاد في الحديث من تكرار قوله ﷺ: "بين كل أذانين صلاة، والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة"[2]، قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "بين كل أذانين صلاة"، يعني: الأذان والإقامة، وغلب عليهما اسم الأذان؛ لأن فيهما إعلامًا بالشروع في الصلاة)[3].

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على الصلاة بين الأذان والإقامة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان المؤذن إذا أذن قام ناس من أصحاب النبي ﷺ يبتدرون السواري حتى يخرج النبي ﷺ وهم كذلك يصلون ركعتين قبل المغرب، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء"[4]، قال ابن حجر: (في قوله ﷺ: (يبتدرون) أى

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) رياض الصالحين، النووي، ٤١٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٤٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٥.

يستبقون و"السواري" جمع سارية، وكأن غرضهم بالاستباق إليها الاستتار بها ممن يمر بين أيديهم لكونهم يصلون فرادى)[١].

وقد بين ابن حجر: فضل الحرص على الصلاة بين الأذان والإقامة. فقال: "والحكمة من الندب إليها رجاء إجابة الدعاء"[٢]، وفي ذلك قال ﷺ: "الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة"[٣]، وقوله ﷺ: "لا يرد" أى يقبل ويستجاب...، وذلك بعد جمع شروط الدعاء وأركانه وآدابه، فإن تخلف شيء منها فلا يلوم إلا نفسه"[٤].

- الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد صلاة العصر.
- وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلة له وتضرعًا ورقة.
- واستقبل الداعي القبلة.
- وكان على طهارة.
- ورفع يديه إلى الله.
- وبدأ بحمد الله والثناء عليه.
- ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ.
- ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار.
- ثم دخل على الله، وألحَّ عليه في المسألة، وتملَّقه ودعاه رغبةً ورهبةً. وتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده.
- وقدَّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٢٧/٢.

(٢) المرجع السابق ١٢٧/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٥).

(٤) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥٢٢.

(٥) الداء والدواء ١٤، ١٥.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما فيه الخير لهم

هذا ما يستفاد من الحديث في إرشاده ﷺ إلى الصلاة بين كل أذانين لما في ذلك من عظيم الأجر، كما أسلفنا، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾[1]، ثم بين ﷺ عظم أجر الداعية إلى الخير فقال: "ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله"[2]. وقال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"[3]، فعلى الداعية أن ينتهج ما أمر الله ورسوله به لما في ذلك من عظيم الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستزادة من الخير:

وهذا مستمد من قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إلاَّ بَنَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إلاَّ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

فقد رغب النبي ﷺ في الاستزادة من الخير، فإذا كانت الصلوات المفروضة تكفر صغائر الذنوب وهي واجبة وجوبًا عينيًا على المكلفين، فإن السنن الرواتب مع الفرائض ليست بواجبه، فقد لا يفعلها المكلف في بعض الأحيان، ولكنه يحرم نفسه من خير كثير، إلا وهو بناء بيت في الجنة كما أخبر بذلك النبي ﷺ. وفي هذا الحديث يربي النبي ﷺ كل مسلم على الاستزادة من الخير والتطلع إلى معالي الأمور، وذلك من خلال استنهاض الهمم وتنشيط العزائم، وتفعيل الطاقات الداخلية في الإنسان، وتوظيفها التوظيف السليم النافع حتى يتسنى للمسلم أن يكون مؤهلاً للدرجات الرفيعة من الجنة، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية في تحفيز المسلم لنيل رضوان الله تعالى.

ولاشك أن هذا السلوك له أثر محمود في حياة الإنسان، فإذا كان المسلم يسعى للاستزادة من الطاعات لبلوغ المنازل الرفيعة في الآخرة، فإن هذا مما يعمل على ترسيخ هذه الروح ليصبح ذلك النشاط هو السمت العام الذي يمثل عوامل دفع للنجاح في الحياة، وبذل أسباب التفوق للوصول إلى الغايات النبيلة، ولاشك أن مثل هذه التربية الهادفة تجعل المسلم إيجابيًا يتفاعل مع مشكلات الحياة ويسعى للتغلب عليها، ويستشعر المعاني العظيمة للتوجيه النبوي بالأخذ بأسباب القوة الهادفة وليست العصبية أو التهور، حيث يقول النبي ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[1]، ولاشك أن القوة لا تتأتى إلا بتحصيل أسبابها من خلال التأهيل العلمي

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

والخلقي والأخذ بأسباب التقدم مع عدم حرمان النفس من فضل الله تعالى.

يقول عائض القرني: "من عرف قصر العمر وبعد الطريق، وهول المصير اجتهد في جمع الحسنات كل يوم وليلة والعبد الصالح حريص على الأعمال الصالحة أشد من حرص التاجر على التجارة الرابحة، وهناك قائمة بأعمال تمر بالعبد كل يوم وليلة لو أنه أحضر نيته عند القيام بها لملأ ديوانه حسنات: كالتبسم في وجه المسلم، والكلمة الطيبة والمصافحة، وإماطة الأذى عن طريق المسلمين، والمشي إلى الصلاة، والصدقة ولو بالقليل، والتسبيحة والتحميدة والتكبيرة والتهليلة وأمثال تلك الأعمال اليسيرة على العبد الثقيلة في ميزانه، وله الحمد سبحانه ما أرحمه أدخل امرأة بغيا الجنة لأنها سقت كلبًا كاد يهلك من العطش، وأدخل رجلاً الجنة لأنه أزال غصنًا كان يؤذي الناس في طريقهم فيا من آمن بلقاء الله لن يشفق عليك أحد غيرك فارحم نفسك بجمع الحسنات وحفظ الأوقات ورفع الدرجات [(١)]، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [(٢)].

ثانيًا: التربية على محبة الإتيان بالنوافل:

وهذا مستمد من أحاديث الباب ففي حديث أم حبيبة رضي الله عنها ذكر النبي ﷺ: اثنتي عشرة ركعة، وذكر ابن عمر: أنه حفظ من النبي ﷺ عشر ركعات.

قال أحمد فريد: "ومما ينبغي الاهتمام به في تربية الإيمان: الإكثار من النوافل بعد استكمال الفرائض، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مما افْتَرَضتُ عَلَيهِ، وما يزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّه» [(٣)].

فأول ما يقرب إلي الله عز وجل أداء الفرائض، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وحسن النية فيما عند الله عز وجل.

فالفرائض هي رأس المال، فإذا استكمل العبد فرائضه وأراد أن يترقى في درجات الإيمان وولاية الرحمن عز وجل يفتح على نفسه أبواب النوافل، والنوافل هي ماعدا

---

(١) هكذا حدث الزمان، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣٧.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الفرائض من أجناس الطاعات.

قال العلماء: ما بال النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض؟ وأجاب بعضهم: بأن العبد يفعل الفريضة خوف العقوبة ورجاء الأجر، أما النوافل فلا عقوبة في تركها، فيفعلها العبد بإخلاص نية التقرب والتحبب إلى الله عز وجل، فلما خلصت النية في النوافل كانت هي السبب الموصل إلى محبة الله عز وجل دون الفرائض، فينبغي على المربي أن يهتم بتحبيب العبادات إلى الشباب، بترغيبهم في قيام الليل، وتلاوة القرآن والأذكار الموظفة وغير الموظفة، والصيام وقضاء حوائج الناس وطلب العلم النافع حتى يكون ذلك شغلهم الشاغل، والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، فاللسان إذا لم يتحرك بذكر الله عز وجل تحرك بالغيبة والنميمة والبذاءة واللغو وغير ذلك. وإذا لم تشغل الجوارح والأوقات بالطاعات شغلت بالمعاصي والعثرات، فلاشك أن شجرة الإيمان في قلب العبد تروي بالصيام والقيام وتلاوة القرآن، وتتفرع فروعها في أرجاء قلبه وتثمر الثمرات اليانعة الطيبة، فيجد العبد حلاوة الإيمان ومحبة الرحمن [1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[2].

ثالثًا: التربية على المداومة على فعل الخير:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ ...» فلفظة "كل يوم" ترغب في المداومة على هذه الاثنتي عشرة ركعة بحيث تفعل كل يوم، وهذا هو معنى المداومة، وإذا كان النبي ﷺ رغب في ذلك بالقول فإنه ﷺ رغّب بالفعل، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «صلّيتُ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ رَكعتَين قبل الظُّهر وركعتَين بعدَ الظُّهر ورَكعتَين بعدَ الجمعةِ ورَكعتَين بعدَ المغربِ ورَكعتَين بعدَ العِشاء». وفي رواية عند البخاري: «حَفِظتُ منَ النبيِّ ﷺ عشرَ رَكعاتٍ: رَكعتَينِ قبلَ الظُّهرِ، ورَكعتينِ بعدَها، ورَكعتَينِ بعدَ المغربِ في بيتِه، ورَكعتَينِ بعدَ

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

العِشاءِ في بيتِهِ، ورَكعتَينِ قبلَ صلاةِ الصبحِ وكانت ساعةً لا يُدخَلُ على النبيِّ ﷺ فيها»[١].

ولا شك أن الترغيب على المداومة بالقول والفعل يدفع إلى أن يلتزم المخاطبون هذا، وذلك ما يوضحه الحديث الذي أخرجه مسلم بإسناده عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس قال: «حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ. قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ».

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ.

وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ»[٢].

والخلاصة أن على المربي أن يربِّي أتباعه على أن يداوموا على فعل الخير، وإذا كانت هذه الأحاديث في السنن الرواتب، فإنه من الأجدر والأحسن أن تكون هذه العادة موجودة في جميع خصال الخير، بحيث يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك، ولقد عمّم النبي ﷺ المداومة على الأعمال، فقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ». وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه»[٣].

كما أخبرت عائشة رضي الله عنها عن عمله ﷺ: فقالت: «كان عمله ديمة»[٤]، قال النووي: "أي يدوم عليه ولا يقطعه"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ١١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٢٨، ١٠١

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، ٦٤٦٢، ومسلم، ٧٤١.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٨٧، ومسلم، ٧٨٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٣٠.

وقد انعكس ذلك على عائشة رضي الله عنها، فكانت إذا عملت عملاً لزمته[١]، ولم يقتصر ذلك عليها رضي الله عنها فحسب، بل امتد ذلك إلى أهل بيت النبي ﷺ أيضًا: فقد: "كان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه"[٢]، قال النووي: "أي لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ من أزواجه وقرابته ونحوهم"[٣].

إن مبدأ المداومة مبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية، وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة، لقد أصبحت الحياة اليوم أكثر تعقيدًا مما مضى، فنرى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر.

وإن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل، مثال ذلك: مفتي بغداد الإمام المفسر الآلوسي حيث يروي حفيده محمود شكري الآلوسي أنه كان يدرس أيام اشتغاله بالتفسير ثلاث عشرة حلقة علمية في المسجد، وهنا نتساءل: كيف استطاع الإمام الآلوسي الذي كان منشغلاً بالإفتاء والتدريس طوال يومه أن ينتج تفسيره الفريد الضخم الذي قيل فيه بأنه أعجوبة فريدة لدى العلماء من بين التفاسير؟ والجواب هو: أن الإمام الآلوسي كان يكتب بأواخر الليل ورقات قليلة من تفسيره كل ليلة، وداوم على ذلك حتى أنتج ذلك التفسير فألفه بالمداومة على العطاء، وضم القليل إلى القليل في كل يوم وبشكل مستمر، مما أكسبه الإمامة في التفسير، وقيل عنه: هو خاتمة المفسرين[٤].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٣، ٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم، ٧٨٢، ٢١٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٣٠ .

(٤) انظر: قيمة الزمن عند العلماء: عبدالفتاح أبو غدة ص ٥٧، وإدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤١٢.

رابعًا: من أساليب التربية: التكرار:

وهذا مستمد من حديث عبدالله بن مغفّل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بين كل أذانين (أي: الأذان والإقامة) صلاة، بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة"، فقد كرر ﷺ الجملة ثلاث مرات، وذلك لزيادة إفهام المخاطبين، يقول الأستاذ أبو لبابة حسين[1]: "كان الرسول ﷺ يكرر المسائل مرارًا لصحابته حتى يفهموا، فهذه امرأة تسأله عن غسلها من المحيض، فبيّن لها ذلك بالتعريض للحرج الذي يسببه الوضوح في مثل هذه الحالة، ولا تفهم المرأة فيعيد لها، إلا أنها مع ذلك لم تفهم الأمر الذي جعل عائشة رضي الله عنها تجتذبها إليها وتشرح لها قائلة: "تتبعي بها أثر الدم"[2].

وقد يكرر ﷺ الكلمة ثلاث مرات تمكينًا لسامعيه من فهمها واستيعابها، جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا سلّم سلّم ثلاثًا وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا"[3]، وقال يومًا منذرًا أولئك الذين لا يحسنون وضوءهم: "ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثًا"[4].

ونظرًا لكون التكرار صار منهجًا متبعًا لدى الرسول ﷺ في تعليمه لصحابته، فإن البخاري عقد بابًا كرّسه لتأكيد هذا المعنى ترجم له بقوله: باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم[5]، وهنا يلاحظ ابن حجر أن الثلاث ليست شرطًا بل المراد التفهيم فإذا حصل بدونها أجزأ"[6]، كما شرح ابن المنيّر مراد البخاري فقال: "نبّه البخاري بهذه الترجمة على الرد على من كره إعادة الحديث، وأنكر على الطالب الاستعادة وعدّه

---

(١) التربية في السنة النبوية ص ٧٠ - ٧٢.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة: أخرجه البخاري، ٣١٤، ومسلم، ٣٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٩٤، ٩٥.

(٤) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٦٠، ومسلم، ٢٤١، واللفظ للبخاري.

(٥) وذلك في كتاب العلم، الباب رقم ٣٠، فوق الحديثين، ٩٤، ٩٥.

(٦) فتح الباري، ٣٣٦/١.

من البلادة"، وأضاف: "الحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد الذي لا يحفظ من مرة (واحدة) إذا استعاد، ولا عذر للمفيد إذا لم يعد"[1].

(١) السابق، الموضع نفسه.

١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

الحديث رقم (١١٠٢)

١١٠٢ - عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس والمراد الصلاة التي تقع في هذا الوقت وهي صلاة الصبح[2].

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سنة من سنن الصلاة عن النبي ﷺ في أسلوب خبري بدأته بالتوكيد تعظيما للخبر، ولمن تخبر عنه وتعبيرها بالماضي يدل على أن صلاة الركعات المذكورة في أوقاتها المحددة عادة اعتادها رسول الله ﷺ، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ) أسلوب نفي يقرر عدم تركه لها، وقوله (الغداة) كناية عن صلاة الصبح، وهي صلاة يفتح المسلم بها يومه فيكون فتحا، بخير يغفر الله له ما بعده، ويحفظه في دينه، ودنياه.

فقه الحديث

قال النووي: (قولها "لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين

---

(١) برقم (١١٨٢).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

قبل صلاة الصبح"[١] فيه دليل على عظم فضلهما وأنهما سنة ليستا واجبتين، وبه قال جمهور العلماء، وحكى القاضي عياض عن الحسن البصري - رحمهما الله - وجوبهما، والصواب عدم الوجوب لقولها "على شيء من النوافل، مع قوله ﷺ للرجل الذي يسأل عن الإسلام: خمس صلوات قال: هل علي غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع)[٢].

وقد يستدل به لأحد القولين عندنا في ترجيح سنة الصبح على الوتر لكن لا دلالة فيه، لأن الوتر كان واجبًا على رسول الله ﷺ فلا يتناوله هذا الحديث[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أنه ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، "أي: لا يترك أربعًا قبل الظهر وهي سنة الظهر"[٥]، وفي بيان عظم فضلها قالت

---

(١) هذا لفظ مسلم ٧٢٤، ٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١ من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥/٦/٣ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر ٤٢/٢ - ٤٣، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٠/٢.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٠٢ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٣)، (١١٠٤).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٧.

أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ إنه قال: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرُمَ عَلَى النَّارِ))[١]، قال صاحب عون المعبود في بيان قوله ﷺ: "من حافظ: أي: داوم وواظب، وفي قوله ﷺ: (حرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[٢]، وفي رواية: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[٣]، وقد اختلف في معنى ذلك، هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه وإن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه، وإن مست بعضه، كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بَعْدَ الظُّهْرِ فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[٤]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا، والحمل على الحقيقة أولى، وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار وفضل الله تعالى أوسع ورحمته أعم. والحديث يدل على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده -ركعتان منهما مؤكدة، وركعتان مستحبة- وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك. وظاهر قوله "من صلى" أن التحريم على النار يحصل مرة واحدة ولكنه قد أخرجه الترمذي وأبو داود وغيرهما بلفظ: (من حافظ) فلا يحرم على النار إلا المحافظ"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: شدة حرص النبي ﷺ على ركعتي الفجر وبيان فضلهما:

هذا ما ظهر جليًا في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها (إن النبي ﷺ كان لا يدع.. ركعتين قبل الغداة، وإنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه

---

(١) أخرجه أبو داود ١٢٦٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٣٠).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٣).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.

على ركعتي الفجر، وأنهما خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ -أي النبي ﷺ- من الدنيا جميعًا"، وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان تعاهدُه ﷺ ومحافظته على سنة الفجر أشدَّ مِن جميع النوافل، ولذلك لم يكن يدعُها هي والوترَ سفرًا وحضرًا، وكان في السفر يُواظب على سنة الفجر والوتر أشدَّ مِن جميع النوافل دون سائر السنن، ولم يُنقل عنه في السفر أنه ﷺ صَلَّى سنة راتبة غيرَهما، ولذلك كان ابن عمر لا يزيد على ركعتين ويقول: سافرتُ مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، فكانوا لا يزيدون في السفر على ركعتين"[1]، وفي تأكيد ذلك قال ابن عثيمين: "فالنبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل -يعني رواتب الصلوات- أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، تعاهدهما ﷺ، وأخبر ﷺ أنهما خير من الدنيا وما فيها، وأحب إليه من الدنيا وما فيها ولم يكن ﷺ يدعهما حضرًا ولا سفرًا، كل هذا تتميز به سنة الفجر، فينبغي للإنسان أن يحافظ عليها وأن يحرص عليها حضرًا وسفرا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلها بعدها إما في نفس الوقت وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح"[2].

وقال صاحب عون المعبود نقلاً عن القاري: "والحديث فيه دليل على عظم فضلهما، وأنهما أقوى وأوكد السنن الرواتب والمحافظة عليهما أشد من غيرهما"[3]، وقال ابن حجر: "إنه قد استدل به بعض الشافعية للقديم في أن ركعتي الفجر أفضل التطوعات"[4]، "ومن عظم فضلهما حكى القاضي عياض عن الحسن البصري بوجوبهما"[5]، ونقل ابن حجر قول القاضي عياض، بلفظ منقول عن الحسن البصري

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٢٣/٢.

(٣) عون المعبود على سنن ابي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٥٩٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

قال فيه: "كان الحسن يرى الركعتين قبل الفجر واجبتين"[١]، وقال النووي: "بعد بيان عظيم فضلهما إنهما ليستا بواجبتين وبه قال جمهور العلماء واستدل بقول عائشة رضي الله عنها من الحديث الوارد بقولها: ((على شيءٍ منَ النوافلِ))[٢]"[٣]. وفي ذلك بيان على فضل ركعتي الفجر وحرصه ﷺ عليهما.

ثالثا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على سنتي الظهر والفجر:

لقد كان اقتداء الأمة الإسلامية بنبيها ﷺ بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم - النابع من أحكام دينها، وتأثرها بشخصيته وأخلاقه الكريمة - دافعًا كبيرًا لها إلى الاستقامة على أمر الدين على بصيرة من أمرها.

ولم تزل سيرة نبيها ﷺ تمثل لها أنبل الصفات والأعمال والأخلاق، وتجسِّم المثل والمبادئ الإسلامية أمام أنظارها، فتعمل بدينها حق العمل، اقتداء بتلك السيرة العطرة"[٤].

"... فينبغي لنا أن نحرص على ما كان النبي ﷺ يحرص عليه، وأن نقتدي بسنته ﷺ ما استطعنا، فإن الله يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥][٦]، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٧]"[٨]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على سنتي

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١٦٣، ومسلم ٧٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٠١.

(٤) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر ٧٥/١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٣٢٣/٢.

(٧) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٨) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٦٣.

الظهر والفجر، لما في ذلك من عظيم الأجر والفضل في الدنيا والآخرة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد الترغيب جليًا في المحافظة على ركعتي الفجر من الحديث في قوله ﷺ: (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها)، وفي رواية: (لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا)، "أي: من متاع الدنيا"[1]، "ومما لا ريب فيه أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر...، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[2]، فكان الترغيب بابًا في ذلك لحمل الأنفس على فعل ما فيه خير لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط/٣ البابي الحلبي، مصر، ٣٠٨/١.

الحديث رقم (١١٠٣)

١١٠٣- وعنها، قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ[١] عَلَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ. متفقٌ عَلَيهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

تعاهدًا: محافظة[٣].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث بيان لما لركعتي الفجر من الأهمية، والتأكيد، فقد ذكرت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أكدهما، وعظم شأنهما، بفعله. وقوله، حيث قالت: (لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر)، وهو أسلوب نفي عام يقرر أنه لم يحرص على نافلة كما حرص على ركعتي الفجر، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى بلوغ قمة الحرص على هذه النافلة، ومعنى النافلة أي الزيادة، وهي تشمل ما دون الواجب من السنن، والمستحبات، والمندوبات، والتعبير بالتعاهد يشير إلى قوة المتابعة مع الأيام دون ترك، وكون النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدهما أكثر من غيرهما، يعني أن إهمال من أهملهما -على سهولتهما، وعظم أجرهما، وحث الشارع عليهما- يدل على ضعف دينه، وحرمانه من الخير العظيم.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) لفظ البخاري: (أشدّ منه تعاهدًا)، ولفظ مسلم: (أشدّ معاهدة منه)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (١٦٠/٤، رقم ٣٢٨٠)، وكذا عند المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٩)، ومسلم (٧٢٤/٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٠).

(٣) الصحاح والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع هـ د).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٤)

١١٠٤- وعنها، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا)) رواه مُسلِمٌ[١].

وفي رواية[٢]: ((لَهُمَا أحَبُّ إليَّ مِنَ الدنْيَا جَمِيعًا)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث خبري خال من المؤكدات لا يقابل بإنكار ولا شك لأنه من العلم النبوي الذي لم يسبق للمخاطب العلم به فهو خال الذهن منه، ويدور معنى الحديث كسابقه على بيان فضل ركعتي الفجر، وقول الرسول ﷺ (رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا) عبارة قصيرة، وجيزة تبين قيمة هاتين الركعتين، وعظمة العمل للآخرة، وبالمفهوم ضمنا حقارة الدنيا؛ لأن الدنيا بجوار الآخرة لا تساوي ساعة في ملايين السنين، لأن البقاء في الآخرة سرمدي خلود بلا موت لذلك فضلت عليها ركعتي الفجر لما تسفر عنه الآخرة من بيان الأجر العظيم لهذه النافلة.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٧٢٥/٩٦). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٩).

(٢) برقم (٧٢٥/٩٧). أورده المنذري في ترغيبه بعد رقم (٨٢٩).

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٢)، (١١٠٣).

الحديث رقم (١١٠٥)

١١٠٥ - وعن أبي عبد الله بلالِ بن رَبَاح رضي الله عنه، مُؤَذِّن رَسُولِ اللهِ ﷺ: أنَّهُ أتى رَسُول اللهِ ﷺ، لِيُؤْذِنَه بِصَلاةِ الغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ، حَتَّى أصْبَحَ جِدًّا، فَقَامَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاَةِ، وَتَابَعَ أذَانَهُ، فَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّى بِالنَّاسِ، فَأخْبَرَهُ أنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّى أصْبَحَ جِدًّا، وَأنَّهُ أبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ، فَقَالَ (-يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ-)[1]: ((**إنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ**)) فقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّكَ أصْبَحْتَ جِدًّا؟ فقَالَ: ((**لَوْ أصْبَحْتُ أكْثَرَ مِمَّا أصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأحْسَنْتُهُمَا وَأجْمَلْتُهُمَا**)) رواه أبُو دَاوُدَ[2] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

بلال بن رباح: هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله.

مؤذن النبي ﷺ، وخازنه على بيت ماله، ومولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعُذِّبوا في الله، شهد بدرًا، والمشاهد كلها، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة، وكان شديد السُّمرة، نحيفًا طوالاً رآه أبوبكر رضي الله عنه يُعذب في رمضاء مكة وهو مدفون في الحجارة فاشتراه بخمس أواق من ذهب فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه لو أبيت إلا أوقية لبعناكه، فقال الصديق رضي الله عنه: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته.

وقال فيه مجاهد: إن أول من أظهر الإسلام بمكة سبعةٌ: رسول الله ﷺ، وأبوبكر، وخباب، وصهيب، وعمار، وبلال، وسمية أم عمار. فأمّا بلال فهانت عليه نفسُهُ في الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فكتفوه ثم جعلوا في عنقه حبلاً من ليف فدفَعُوهُ إلى صبيانهم، فجعلوا يلعبون به بين أخشبي مكة -جبلي مكة- فجعل يقول: أحد أحد.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٢٥٧).

وقد قال له النبي ﷺ يومًا ((حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني قد سمعت الليلة خَشْفَ نعليك بين يديَّ في الجنة)) فقال: ما عملت عملاً أرجى من أنِّي لم أتطهر طهورًا تامًا في ساعة من ليل ولا نهار إلا صلَّيت لربي ما كُتِبَ لي أنْ أصلي[1].

وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فلما تُوفي رسول الله ﷺ لم يؤذِّن لأحد، وأراد الجهاد، فأراد أبوبكر رضي الله عنه منعه، فقال بلال رضي الله عنه: إن كنت أعتقتني لله فخلِّ سبيلي فأذن له أبوبكر رضي الله عنه في الغزو، فذهب إلى الشام حتى قَدِمَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية، فسأل المسلمون عمر أن يسأل لهم بلالاً فيؤذِّن لهم فسأله، فأذَّن يومًا، فلم يُر يومًا كان أكثر باكيًا من يومئذ، ذكرًا منهم للنبي ﷺ.

وقيل: إنه لم يؤذِّن لأحد بعد النبي ﷺ إلا مرة واحد في قَدَمةٍ قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ، وطلب إليه الصحابة ذلك فأذَّن، ولم يتمّ الأذان.

وكان يقول عندما يذكر الناس فضله وما قسم الله له من خير: إنما أنا حبشي كنت بالأمس عبدًا، وقال عند احتضاره: غدًا نلقى الأحبَّة محمد ﷺ وحزبه، وكانت امرأته تقول: واويلاه ولكنه كان يقول وافرحاه.

وقد روى عن النبي ﷺ ٤٤ حديثًا. وتوفي في سنة ٢٠هـ وهو ابن بضع وستين سنة(٢).

غريب الألفاظ:

ليُؤْذِنَه: ليُعلمه[3].

صلاة الغداة: صلاة الصبح[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٨٥/٧ - ٣٨٦) (١٦٥/٣) و(٢٣٢/٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨١ - ٨٣)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤١٥/١ - ٤١٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ١٣٨، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٣٤٧/١ - ٣٦٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٨٩/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٢٥٣/١، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٥٢٦/١ - ٥٣٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ذ ن).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

أجْمَلْهما: جعلتهما جميلتين حسنتين[١].

الشرح الأدبي

الحديث يبين فضل ركعتي الفجر، وحرص الرسول ﷺ عليهما، وقد ورد المعنى في سياق القصة المبنية على الحوار الذي خلص إلى تقرير هذه الحقيقة ببيان قيمة هاتين الركعتين، وقول الراوي (: أنَّهُ أتَى رَسُول اللهِ ﷺ، لِيُؤْذِنَه بِصَلاةِ الغَدَاةِ) أكد الخبر لإحساسه بغرابة الخبر لأنه يقصُّ أمرا غير معتاد، وهو تأخره عن الأذان، والتعبير بالإتيان يشير إلى ما يتضمنه من مشقة السير في الظلام، وملاقاة الهوام، وترك النوم، وقوله (ليؤذنه) اللام للتعليل ومعناه ليعلمه بدخول وقت الصلاة، وصلاة الغداة هي الصبح، وقوله (فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالاً بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ) أي أخرته عن الإعلام بوقت الصلاة، وقول الرسول ﷺ (إنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ) يقرر أنه أدى ركعتي الفجر رغم أنه أدرك الصباح والجناس في قوله: رَكَعْتُ رَكْعَتَي يؤكد هذا المعنى ويشير إلى مدى عنايته بهما كما أكده قوله ﷺ ردا على بلال رضي الله عنه (لَوْ أصْبَحْتُ أكْثَرَ مِمَّا أصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأحْسَنْتُهُمَا وَأجْمَلْتُهُمَا) فالتعبير بالإحسان، والإجمال مع تأخره يؤكد حرصه الشديد على أداء هاتين الركعتين، بل وتحسينهما وتجميلهما إشارة إلى إعطائهما وقتهما اللازم وتوفيتهما حقهما من الخشوع، والسكينة، وإن تأخر الوقت.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة مؤكدة عن النبي ﷺ حتى إنه لم يكن يتركهما ولو بعد مضي وقتهما.

وقد اتفق الفقهاء[٢] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الرواتب لما لهما من

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج م ل).

(٢) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

عظيم الأجر، كما بينت الأحاديث الشريفة الواردة في هذا المقام، وأن وقت صلاتهما قبل صلاة الفريضة فإن دخل المسجد ووجد الصلاة للفريضة فليصلها، وهل تقضى ركعتا الفجر؟ خلاف بين الفقهاء بناء على خلافهم في حكم قضاء النوافل، فذهب جمهور الفقهاء محمد بن الحسن من الحنفية[١]، وجمهور المالكية[٢]، والشافعية[٣]، والحنابلة[٤] إلى أن من فاتته ركعتا الفجر قضاهما وإن اختلفوا في وقت القضاء، وذهب الإمام أبو حنيفة وأبو يوسف[٥] والإمام مالك[٦] إلى أن ركعتي الفجر لا يقضيان إن فاتتا المصلي وإنما يصلي الصبح فقط.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

رابعًا: من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

قد ظهر ذلك في الحديث من أنه رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذنه بصلاة الغداة،

---

(١) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧.

(٢) المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣.

(٤) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١.

(٥) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧.

(٦) المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١.

"فهو مؤذن النبي ﷺ، وخازنه على بيت ماله، ومولى أبو بكر رضي الله عنه، وأحد السابقين الأولين الذين أوذوا وعذبوا في الله، شهد بدرًا والمشاهد كلها، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة"[١]، فقال له: ((حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، عِنْدَكَ، فِي الإِسْلاَمِ مَنْفَعَةً. فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ)). فقَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً فِي الإِسْلاَمِ أَرْجَى عِنْدِي مَنْفَعَةً، مِنْ أَنِّي لاَ أَتَطَهَّرُ طُهُورًا تَامًّا، فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ، إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ، مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي أَنْ أُصَلِّيَ))[٢]، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أبوبكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[٣]، وفي ذلك بيان على عظم فضله رضي الله عنه ومكانته.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم:

هذا ما ظهر جليا في الحديث "من تعظيم بلال رضي الله عنه لحرمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عدم إنكاره عليها وإعلامها أنها شغلته عما جاء بسببه، وأن المصلين ينتظرون حضور رسول الله ﷺ ليصلي بهم"[٤].

وقد عَظُمت منزلة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، "فهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما، زوج النبي ﷺ الحبيب، وأليفة القريب سيد المرسلين، المبرأة من العيوب.. المعراة من ارتياب القلوب"[٥].

قال فيها حسان بن ثابت رضي الله عنه يذكر طهرها وشرفها:

رأيْتُكِ، ولْيَغْفِرْ لكِ اللَّهُ، حُرَّةً ... مِنَ المُحصَنَاتِ غيرَ ذاتِ غوَائِلِ

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٦٥/٣، ٢٣٢/٣، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٤٧/١ - ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. طه محمد الزيتي ص ١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٩، ومسلم ٢٤٥٨ واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٥٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٥) انظر: موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٢٠/١.

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وتُصْبِحُ غرثى مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ
وإنَّ الذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِقٍ ... بِكِ الدهرَ بل قيلُ امْرِىءٍ متماحل
فإن كُنْتُ أهجُوكُم كما بلَّغوكُمُ ... فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إليَّ أَنَامِلِي
وكَيْفَ وودِّي ما حَيِيتُ وَنُصْرَتِي ... لآلِ رَسُولِ اللّهِ زَيْنِ المَحَافِلِ
وإنَّ لَهُمْ عِزًّا يُرى النَّاسُ دُونَهُ ... قِصَارًا وَطَالَ العِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ
عَقيلة حَيٍّ مِن لُؤيِّ بنِ غَالِبٍ ... كرام المَسَاعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مهذَّبة قد طَيَّبَ اللّهُ خِيمَهَا ... وطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوْءٍ وبَاطِلِ[1]

وقد علم الصحابة رضي الله عنهم شرف مكانتها رضي الله عنها وعظيم منزلتها عند رسول الله ﷺ، فكانوا يتحرون بهداياهم يومها، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: كان الناسُ يَتحرَّون بهَداياهم يومَ عائشة. قالت عائشةُ: فاجتمعَ صَواحِبي إلى أمِّ سلمةَ فقُلنَ: يا أمَّ سلمةَ، واللّهِ إنَّ الناسَ يَتحرَّونَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنّا نريدُ الخيرَ كما تريدُهُ عائشة، فمري رسولَ اللّهِ ﷺ أن يأمُرَ الناسَ أن يُهدوا إليه حيثُ كان، أو حيثُ ما دار. قالت: فذكرَتْ ذلكَ أمُّ سلمةَ للنبيِّ ﷺ، قالت: فأعرَضَ عني. فلما عادَ إليَّ ذكَرْتُ له ذلك، فأعرضَ عني. فلما كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: ((يا أمَّ سلمةَ، لا تؤْذيني في عائشةَ، فإنه واللّهِ ما نزلَ عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأةٍ منكن غيرها))[2].

وقد استفاضت النصوص في بيان عظم فضلها وشرف مكانتها بما لا يتسع المقام لذكرها، وفي ذلك بيان على عظيم مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الصحابة رضي الله عنهم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأذان:

قد ورد الأذان كأحد أساليب الدعوة إلى الله في الحديث من قول الراوي: "فقام بلال فآذنه بالصلاة، وتابع أذانه".

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٥٢/٣ - ٢٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٧٥.

وقد شرع للدعوة إلى الصلاة والجمع عليها نداءٌ، لم تتجلّ فيه مقاصد الصلاة ومعانيها فحسب، بل تجلّت فيه كذلك مقاصد الإسلام وشعار التوحيد، وروح الدين، بوضوح وبلاغة وإيجاز، وجمال ونغمة، أصبح بها هذا النداءُ الذي يرفع به المؤذن صوته من مكان عال خمس مرات في كل يوم، دعوة مركّزة إلى الإسلام، تعريفًا بمقاصده وتعليماته، قد يؤثر في نفوس كثير من غير المسلمين، فيشرح الله صدورهم للإسلام، وليس لهذا النداء - الذي يجمع بين الجمال والبساطة - نظير في أساليب الدعوة والإعلام بالعبادات في الديانات الأخرى، إنه هو النداء الديني الوحيد الذي ابتعد عن كل مظهر خارجي، وعن استعانة بالآلات والإغراءات، وجاء فيه لباب الدين، وخلاصته.

إنه يضم الإعلان بعظمة الله وكبريائه، وأنه أكبر من كل كبير، ويضم الشهادتين، شهادة: (أن لا إله إلا الله)، وشهادة: (أن محمدًا رسول الله) ثم الدعوة إلى الصلاة وحضورها في جماعة في المسجد، ثم الإخبار بأنها وسيلة الفلاح في الدنيا والآخرة، وأن لا فلاح بدونها، فأصبح بذلك كلمة جامعة، ودعوة كاملة، ونداءًا بليغًا يخاطب القلب والعقل، ويلفت المسلم وغير المسلم، وينشّط الكسلان، وينبه الغافل، يقول حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي: "واقتضت الحكمة الإلهية أن لا يكون الأذان وسيلة إعلام وتنبيه فحسب، بل يضم مع ذلك أن يكون من شعائر الدين بحيث يكون النداء به على رؤوس الخامل والنبيه، تنويهًا بالدين، ويكون قبوله من القوم آية انقيادهم لدين الله، فوجب أن يكون مركبًا من ذكر الله، ومن الشهادتين والدعوة إلى الصلاة ليكون مصرحًا بما أريد به"[1].

رابعًا- من واجبات المدعو: الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: (إني كنت ركعت ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله! إنك أصبحت جدًا! قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتها وأحسنتها وأجملتها)، وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على ركعتي الفجر، وفي بيان

---

(١) الأركان الأربعة "الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج"، أبو الحسن الندوي ص ٥٠ - ٥١.

قوله ﷺ: (لو أصبحت أكثر مما أصبحت)، قال ابن علان: "أي: ولم أكن ركعتهما (لركعتهما وأحسنتهما)، بالإتيان بالسنن والهيئات (وأجملتها)، بالآداب والتطوعات"[١]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص على ركعتي الفجر ومراعاة تحسينهما وتجميلهما، فعلى المدعو أن يحرص عليهما لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم فهما: ((خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[٢]، "أي: من متاع الدنيا"[٣]، ((ولَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ))[٤]. وما ذلك إلا لعظيم فضلهما.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٩، ومسلم ٧٢٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالقدوة:

للتربية بالقدوة تأثير عظيم في نفوس الناس، خاصة الناشئة والشباب.

ولقد ربّى النبي ﷺ أصحابه على التمسك بأداء سنة الصبح، فقال: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، كما تحدث ﷺ عن نفسه، فقال: "لهما أحبُّ إليّ من الدنيا جميعًا"، ولم يكتف ﷺ بالقول فقط ﷺ بل التزم أيضًا بما ربىّ عليه أصحابه رضوان الله عليهم، فهذه زوجته عائشة رضي الله عنها وأقرب الناس إليه وأكثرهم اطلاعًا على أحواله، تذكر عنه ﷺ أنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، وركعتين قبل الغداة، وأنه ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، وهذا النبي ﷺ نفسه يخبر مؤذنه بلالاً رضي الله عنه بأنه حريص على فعلهما ولو في وقت الإسفار، فقال ﷺ: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ولم يقتصر الأمر على الصلاة فحسب بل كان ﷺ كذلك في جميع شؤونه يفعل ما يدعو أصحابه إليه ويكون أول الفاعلين وأسبق الممتثلين، فإذا أمر الناس بالشجاعة كان أول السابقين إلى ميدان القتال، وإذا دعا الناس إلى الإنفاق والبذل كان أسبقهم وأكثرهم عطاءً وبذلاً، وإذا رغّب الناس في حسن الخلق، كان أحسنهم أخلاقًا وصفاتٍ وشمائل، ولذا كان النبي ﷺ هو القدوة والمثل الذي يحتذى لكل المربين والمعلمين والدعاة والوعاظ وغيرهم.

يقول ابن الجوزي عن أهمية العمل بالعلم: "لقيت مشايخ أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته: العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبةٍ، يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب لئلا ينكسر الجاه وإن وقع خطأ.

ولقيت عبدالوهاب الأنماطي فكان على قانون السلف، لم يسمع في مجلسه غيبة، ولا كان يطلب أجرًا على سماع الحديث، وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه، فكان - وأنا صغير السن حينئذٍ يعمل بكاؤه في قلبي ويبني قواعد، وكان على سمت المشايخ الذين سمعنا أوصافهم في النقل. ولقيت الشيخ أبا منصور الجواليقي، فكان كثير الصمت شديد التحرِّي فيما يقول متقنًا محققًا.

وربما سئل المسألة الظاهرة التي يبادر بجوابها بعض غلمانه، فيتوقف فيها حتى يتيقن وكان كثير الصوم والصمت، فانتفعت برؤية هذين الرجلين أكثر من انتفاعي بغيرهما. ففهمت من هذه الحالة أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

ورأيت مشايخ كانت لهم خلوات في انبساط ومزاح، فراحوا عن القلوب، وبدّد تفريطهم ما جمعوا من العلم، فقلّ الانتفاع بهم في حياتهم، ونُسُوا بعد مماتهم، فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم. فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة، فَقَدِمَ مفلسًا، مع قوة الحجة عليه"[1].

ثانيًا- التربية على تقديم اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها"، وفي رواية: "لهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا"، فوقت صلاة الصبح يمتد من طلوع الفجر الثاني إلى شروق الشمس، والناس في هذا الوقت الأغلب عليهم أنهم مستغرقون في النوم، ويجدون لذة في هذا النوم ومتعة، فتجد القيام منه فيه صعوبة كبيرة، وثقلاً شديدًا على النفس حتى إن بعضهم قد يريد القيام لكن يغلبُ عليه طلبُ الراحة وتحصيل اللذة فيعود إلى نومه مستغرقًا فيه، والمقصود أن النوم في هذا الوقت محبب إلى النفس لذيذ إليها، لكن النبي ﷺ أخبر أن القيام لصلاة التطوع قبل صلاة الصبح الفريضة خير من الدنيا وما فيها جميعًا، فهما خير من لذات الدنيا ومتعها، فلا يساوي تحصيلها والتمتع

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ص ٢١٧، ٢١٨.

بها هاتين الركعتين من التطوع فكيف بصلاة الصبح الفريضة نفسها؟

إن النبي ﷺ يعلمنا أن نقدم دائمًا اللذة الدائمة على اللذة الوقتية الآنية، فيعلمنا أن نعمل على تحصيل لذة ثواب الصلاة الذي يكون في الآخرة الدائمة، على التمتع بلذة الدنيا الفانية الزائلة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ومن ثمّ كان على المربين ان يربوا أتباعهم على ذلك فلا ينخدعوا بالزائل الوقتي على حساب الدائم الباقي، أي تربيتهم على أن يكون همهم الأول هو العمل للآخرة، وليس للدنيا، وليس معنى ذلك ترك الدنيا والزهد فيها والرغبة عنها، وإنما يكون إعمار الدنيا طريقًا لإعمار الآخرة لا للإعراض عنها وإهمالها. قال ابن القيم: "اللذة من حيث هي مطلوبة للإنسان، بل ولكل حيٍّ، فلا تذمُّ من جهة كونها لذة، وإنما تذمّ ويكون تركها خيرًا من نيلها، وأنفع إذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل، أو أعقبت ألما حصوله أعظم من ألم فواتها.

فههنا يظهر الفرق بين العاقل الفطن والأحمق الجاهل، فمتى عرف العقل التفاوت بين اللذتين والألمين، وأنه لا نسبة لأحدهما على الآخر، هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما.

وإذا تقررت هذه القاعدة، فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا.

والمعوّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة واحتمل الألم الأسهل على الأصعب والله المستعان"[1].

ثالثًا: من آداب المربي: سعة الصدر والإجابة على الأسئلة:

وهذا مستمد من موقف النبي ﷺ وإجابته على استفسار بلال رضي الله عنه، عن إبطائه ﷺ في الخروج إلى الصلاة، وقد أعلمه بأنه آذنه بها، فأخبره النبي ﷺ أنه كان يصلي ركعتي سنة الصبح: "إني كنت ركعت ركعتي الفجر" فعجب وسأل عن تأدية هاتين

---

(١) الفوائد، ٢٨٣، ٢٨٤.

الركعتين في وقت إسفار الصبح جدًا، فأخبره النبي ﷺ أنه كان سيصليهما ولو أسفر الصبح أكثر من ذلك: "لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما"، ففي هذا الحديث إجابة النبي ﷺ بلالاً عما سأل، واحترم سؤاله الثاني وإن كان يحمل التعجب الذي هدفه العلم النافع، مع أنه قد يُعتقد أن بلالاً ليس له الحق في توجيه السؤال الثاني، لأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، وهو المشرع لهذه الأمة يفعل ما يراه صالحًا لها، لكنه ﷺ وهو المعلم الأكمل والمربي الأرشد، أجاب عن سؤال بلال، ولعل ذكر حديث آخر يوضح المراد ويبين المقصود.

قال عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر وهو صائم، فلما غابت الشمس، قال لبعض القوم يافلان قم فاجْدح لنا[1]، فقال: يا رسول الله لو أمسيت؟ قال: انزل فاجْدح لنا. قال: إن عليك نهارًا، قال: انزل فاجْدح لنا. فنزل فجدح لهم، فشرب النبي ﷺ ثم قال: إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم"[2].

قال ابن حجر: "وأما قول الراوي: (وغربت الشمس)، فإخبار منه بما في الأمر نفسه، وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف، لأنه حينئذٍ يكون معاندًا، وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال أن يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال... وفي الحديث تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث"[3].

والمقصود بيان أن في ذلك دعوة للمربين أن يتسع صدرهم ويحترموا أسئلة الناشئة وغيرهم ويجيبوا عنها بما يقنع السائل ويفيده، ولا يهملون الإجابة عن ذلك ولو كانت الأسئلة في غير موضعها وقتًا وعلمًا ومكانًا وزمانًا، لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة

---

(١) الجدح: تحريك السويق (وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير) ونحوه بالماء بعود يقال له: المجدح مجنح الرأس. فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠، وانظر المعجم الوسيط، ٤٦٥.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، ١٩٥٥، ومسلم، ١١٠١، واللفظ للبخاري.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩٠ الدولية.

جدًا تعود على المربين ومن يربونهم، فإنه تنمو عند الناشئة الرغبة في المشاركة وإبداء الآراء والاقتراحات. كما توجد عندهم الدوافع لمزيد من التساؤلات والاستفسارات، وقد يكون بعض المربين أوقاتهم مزدحمة وظروفهم لا تسمح لهم، فيكون الحل الأسهل لديه أن ينعزل عن التجاوب مع الناشئة بحجة أنه مشغول ولا وقت لديه للبحث في مثل هذه الأمور، أو ما يظهر على هذه المقترحات من سطحية وعدم اكتمال ونحو ذلك: وهذا من الأخطاء الكبيرة، فإن الناشئ ينظر إلى مربيه نظرة مملوءة بالتقدير، وأنه هو القادر على أن يحلّ له هذه المعضلات، فإذا صدّه عن ذلك لجأ إلى غيره يبحث عنده عمّا لم يجده عند مربيه، إضافة إلى ما يترتب على ذلك من قطيعة فكرية، أو ضعف التواصل الفكري بين الصبي وبين مربيه، بل ينبغي على المربي أن يتسع صدره لذلك، وأن يقصر نفسه قصرًا على توفير وقت من أوقاته يلبي فيه هذه الاحتياجات، إذ هي أولى من كثير مما يظن من الأمور، ولا يستعجل بل يسمع منه ويصغى إليه، ويناقشه فيما يقول ويوضح له، لأن ذلك هو طريق بناء الإنسان الذي يمكن أن ينفع نفسه ومجتمعه ودينه"[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ١١٩، ١٢٠.

١٩٧- باب تخفيف ركعتي الفجر

وبيان مَا يقرأ فيهما وبيان وقتهما

الحديث رقم (١١٠٦)

١١٠٦ - عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصلّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ. متفقٌ عَلَيهِ[١].

وفي روايَةٍ لَهُمَا[٢]: يُصلّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرآنِ.

وفي رواية لمسلم[٣]: كَانَ يُصلّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إذَا سَمِعَ الأذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

وفي رواية[٤]: إذَا طَلَعَ الفَجْرُ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[٥].

أم القرآن: سورة الفاتحة[٦].

الشرح الأدبي

الحديث مع تقريره لصلاة ركعتي الفجر يشير إلى خصيصة في هاتين الركعتين

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٩) واللفظ له، ومسلم (٧٢٤/٩١).

(٢) أخرجها البخاري (١١٧١)، ومسلم (٧٢٤/٩٢) واللفظ له، من حديث أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، عن أمه.

(٣) برقم (٧٢٤/٩٠) من حديث هشام بن عروة، عن أبيه.

(٤) بعد حديث (٧٢٣/٨٨، بدون رقم) من حديث أبي أسامة.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ١١٥/٢، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٦٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٥٧/٣.

وهي أنهما خفيفتان، وتأكيد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الخبر الذي ترويه عن الرسول ﷺ في قولها: (أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ) لاعتقاد كثير من الناس أنه ﷺ يطيل في النوافل، وأنه أولى هاتين الركعتين عناية كما دلت بعض أحاديث الباب، واستخدامها الماضي (كان) يشير إلى العادة الغالبة في صلاته تلك أن يخففها، والتعبير بالخفة يشير إلى قصر وقت القراءة يدل على ذلك قول عائشة رضي الله عنها في الرواية الأخرى (فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ) كناية عن تقصير القراءة فيها مع الوفاء بجميع الأركان، وهي قصيرة بالنسبة لصلاته لغيرها لنه كان يطيل في أكثر النوافل.

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله: "كان رسول الله ﷺ يصلِّي ركعتي الفجر إذا سمع الأذان ويخففهما[١] وفي رواية "إذا طلع الفجر"[٢] فيه أن سنة الصبح لا يدخل وقتها إلا بطلوع الفجر. واستحباب تقديمها في أول طلوع الفجر وتخفيفها، وهو مذهب مالك والشافعي والجمهور، وقال بعض السلف: لا بأس بإطالتهما، ولعله أراد أنها ليست محرمة، ولم يخالف في استحباب التخفيف. وقد بالغ قوم فقالوا: لا قراءة فيهما أصلاً حكاه الطحاوي والقاضي عياض)[٣] وهو غلط بيّن، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة التي ذكرها مسلم بعد هذا أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فيهما بعد الفاتحة بـ "قل يا أيها الكافرون" و"قل هو الله أحد" وفي رواية "قولوا آمنا بالله" و"قل يا أهل الكتاب تعالوا" وثبت في الأحاديث الصحيحة: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[٤] و"لا تجزيء صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب"[٥] [٦].

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٧٢٤، ٩٠.

(٢) هذه رواية عند مسلم بعد الحديث ٧٢٤، ٩٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٤/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٣٩٤ من حديث عبادة بن الصامت <.

(٥) أخرجه الدارقطني ٣٢٢/١، وقال: إسناده صحيح.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤/٦/٣ .

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ "كان إذا طلع الفجر لا يصلّي إلا ركعتين خفيفتين" قد يستدل به من يقول تكره الصلاة من طلوع الفجر إلا سنة الصبح وما له سبب، ولأصحابنا في المسألة ثلاثة أوجه:

أحدها: هذا ونقله القاضي عياض عن مالك والجمهور[١].

والثاني: لا تدخل الكراهة حتى يصلي سنة الصبح.

الثالث: لا تدخل الكراهة حتى يصلّي فريضة الصبح.

وهذا هو الصحيح عند أصحابنا، وليس في هذا دليل ظاهر على الكراهة، إنما فيه الإخبار بأنه ﷺ كان لا يصلّي غير ركعتي السنة ولم ينه عن غيرها)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

قد ورد ذلك في الأحاديث الواردة من قول عائشة رضي الله عنها: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي ركعتين خفيفتين... إلخ)، ومن قول حفصة رضي الله عنها: "إن رسول الله ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين"، وفي بيان ذلك قال النووي: "هذا الحديث دليل المبالغة في التخفيف، والمراد المبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله"[٤]، ((فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيَقُومُ أو لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣/٦/٣ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٠٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠١.

قَدَمَاهُ، أَوْ سَاقَاهُ))[١]، (أما في ركعتي الفجر فكان ﷺ يخفف أركانها بالاقتصار على المجزئ منها، حتى تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: هل قرأ فيهما بأم القرآن)[٢]، قال القرطبي: (وليس معنى هذا أنها شكّت في قراءته ﷺ فيها بأم القرآن، لأنه قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: ((لا صلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ))[٣]، وإنما معنى ذلك: أنه ﷺ كان في غيرها من النوافل يقرأ بالسورة، ويرتلها حتى تكون أطول منها[٤]، بخلاف فعله في هذه فإنه كان يخفف أفعالها وقراءتها، حتى إذا نسبت إلى قراءته في غيرها كانت كأنها لم يقرأ فيها. وقد دلّ على صحة هذا ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ كان يقرأ فيهما بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٥]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦][٧]، وهذا بعد قراءة الفاتحة في الركعتين قبل السورتين، على ما قد تبيَّن اشتراطه في الصلاة كما تقدم، وعلى هذا يحمل حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أنه كان يقرأ فيهما بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾[٨]، وبقوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾[٩][١٠]، إنه كان يقرأ ذلك بعد الفاتحة، وما ذكرناه هو الظاهر من مجموع الأحاديث، وهو اختيار جمهور أصحاب مالك، استحبوا: أن يقرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة منهما، و"قل يا أيها الكافرون" في الأولى، و"قل هو الله أحد" في الآخرة، وهو قول الشافعي،

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ٢٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٦، ومسلم ٢٩٥.

(٤) هذا مضمون الحديث رقم ٧٣٣، ١١٨ في صحيح مسلم.

(٥) سورة الكافرون، آية: ١.

(٦) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٧) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٣٦.

(٩) سورة آل عمران، آية: ٦٤.

(١٠) أخرجه مسلم ٧٢٧.

وأحمد، واستحب مالك الاقتصار على أم القرآن، على ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها، وذهب قومٌ إلى أنه لا يقرأ فيهما بالجملة الكافية. حكاه الطحاوي، وذهب النخعي إلى جواز إطالة القراءة فيهما. واختاره الطحاوي، وذهب الثوري والحسن وأبو حنيفة إلى أنه يجوز لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأه فيهما[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: بيان الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر:

قد أشار نص الحديث إلى تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن حجر: "واختلف في حكمه تخفيفهما فقيل: ليبادر إلى صلاة الصبح في أول الوقت وبه جزم القرطبي، وقيل: ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل، ليدخل في الفرض أو ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام"[٢]، فعن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه أنه قال: ((لأَرْمُقَنَّ صَلاَةَ رَسُولِ اللّهِ اللَّيْلَةَ. فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ. طَوِيلَتَيْنِ.... إلخ))[٣]، وقال ابن علان: "إن الحكمة من تخفيفه ﷺ للركعتين هو المسارعة لأداء الفرض الذي كان يطيل قراءته فيه"[٤]، فعلى الداعية أن يبين الحكمة من تخفيف النبي ﷺ لركعتي الفجر ممتثلاً في ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

إن التأسي بالنبي ﷺ يعني: "تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، والنبي ﷺ هو المبلغ عن ربه عز وجل شرعه، قولاً وعملاً

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣/٥٦، وانظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٣٦٢.

(٣) أخرجه البخاري ٧٦٥.

(٤) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ٢٧٤.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، قال السعدي: "أي: ليس نطقه صادرًا عن هوى نفسه، لا يتبع إلا ما أوحي إليه، من الهدي والتقوى في نفسه وفي غيره، ودلّ هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله ﷺ"[2]، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في كل أمره، ومن ذلك تخفيف ركعتي الفجر.

---

(١) سورة النجم الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٦٠.

الحديث رقم (١١٠٧)

١١٠٧ - وعن حفصة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ، إذَا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إلاَّ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

ترجمة الراوي:

حفصة بنت عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٥).

الشرح الأدبي

يدور معنى هذا الحديث على بيان صفة ركعتي الفجر، وهو في معنى سابق، وقريب منه في الأسلوب مع اختلاف الراوي حيث إن هذا الحديث ترويه حفصة رضي الله عنها والحديث السابق روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتعدد الروايات في المعنى الواحد يقرر المعنى، ويؤكده وقولها (كَانَ إذَا أذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبْحِ) التعبير بفعل الكينونة الماضي يشير إلى أنه متكرر معتاد غالبا كما مرَّ في الحديث السابق، وقوله أذَّنَ المُؤَذِّنُ فيه جناس يؤكد المقصود وقولها (وَبَدَا الصُّبْحُ) كناية عن دخول وقته، وقولها (صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) التعبير بالماضي يفيد التحقق، والخفة تشير إلى تقصير زمن صلاتهما بتقصير القراءة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨١)، ومسلم (٧٢٣/٨٧)، والسياق للحميدي في جمعه (٢٤١/٤، رقم ٣٤٦٩).

(٢) برقم (٧٢٣/٨٨) من حديث زيد بن محمد، عن نافع.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٠٨)

١١٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ. متفقٌ عَلَيهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنتين اثنتين، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بعض السنن، ويبين صفة بعضها، وقول الراوي (كَانَ رسول الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ) يشير إلى أن عادته في صلاة القيام أن يصلي ركعتيتن ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة، وقوله (وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) (ال) في الركعتين للعهد أي المعهودتان، وقوله (قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ) قوله قبل يشير إلى سنة الفجر، وصلاة الغداة هي صلاة الفجر، وقوله (وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ) المراد هنا بالأذان الإقامة، وهي إشارة إلى شدة تخفيفها بالنسبة إلى باقي صلاته ﷺ، والتشبيه يفيد أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما، واستخدام كأن يفيد المبالغة في شدة الشبه، والغرض منه بيان حاله في أداء هاتين الركعتين.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧) واللفظ له. وسيكرره المؤلف برقم (١١٧٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٥٦/٢.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "كان النبي ﷺ يصلّي من الليل مثنى مثنى" استدلّ به على فضل الفصل لكونه أمر بذلك وفعله، وأما الوصل فورد من فعله فقط)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قيام الليل:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل... إلخ)، وقيام الليل من أعظم دلائل حب الله، فهو دأب الصالحين، وقربة إلى رب العالمين، وقد أثنى الله تعالى على أهله، فقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢]، "وقد تلا رسول الله ﷺ هاتين الآيتين لمعاذ رضي الله عنه في مَعرِض جوابه عن سؤاله"[٣]، يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ))، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٤٨٦ .

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٢٩.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[(١)(٢)].

وقد جعله الله - أي قيام الليل - صفة للمتقين فقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "اختلف المفسرون في ذلك على قولين:

أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل لا يهجعونه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا، وقال قتادة، عن مطرف ابن عبدالله: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله عز وجل، إما من أولها وإما من أوسطها. وقال مجاهد: قلَّ ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون. وكذا قال قتادة. وقال أنس ابن مالك رضي الله عنه، وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء. وقال أبو جعفر الباقر: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

والقول الثاني: أن (ما) مصدرية، تقديره: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ونومهم. واختاره ابن جرير. وقال الحسن البصري: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله، ونشطوا فمدّوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر. وقال قتادة: قال الأحنف بن قيس: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون): كانوا لا ينامون إلا قليلاً"[(٤)].

وقد حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل فقال: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[(٥)].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((عليكم بقيامِ الليلِ؛ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلَكم، وهوَ قُربةٌ لكم

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٦/٧ - ٤١٩.

(٥) أخرجه مسلم ١١٦٣.

إلى ربِّكم، ومَكفَرَةٌ للسَّيِّئاتِ، ومَنهاةٌ عنِ الإثمِ))[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ رَجُلَيْنِ، رَجُلٍ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ، وَحَيِّهِ إِلَى صَلاَتِهِ، فَيَقُولُ رَبُّنَا: أَيَا مَلاَئِكَتِي، انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ مِنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ، وَمِنْ بَيْنِ حَيِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى صَلاَتِهِ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، وَرَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَانْهَزَمُوا، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْفِرَارِ، وَمَالَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، فَيَقُولُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَرَهْبَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ))[٢].

وقد دعا النبي ﷺ بالرحمة لمن حرص على ذلك فقال: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ. رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))[٣].

قال صاحب عون المعبود: "(قام من الليل): أي بعضه (فصلى): أي التهجد (وأيقظ امرأته): بالتنبيه أو الموعظة وفي معناها محارمه (فإن أبت): أي امتنعت لغلبة النوم وكثرة الكسل (نضح): أي رش (في وجهها الماء): والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٤] وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن إكراه أحد على الخير يجوز بل يستحب (رحم الله امرأة قامت من الليل): أي وفقت بالسبق (فصلت وأيقظت زوجها): والواو لمطلق الجمع، وفي الترتيب الذكرى إشارة لطيفة لا تخفى، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة"[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٠٧/١، رقم ١١٩٧، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وقال محقق المستدرك: هو حديث صحيح بمجموع شواهده.

(٢) أخرجه أحمد ٤١٦/١، رقم ٣٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن إلا أن الدار قطني صحح وقفه ٦٢/٧.

(٣) أخرجه أبو داود ١٣٠٨، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٠).

(٤) سورة المائدة، آية: ٢.

(٥) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شرف الحق العظيم آبادي ص ٦١٩.

وقد كان للسلف الصالح أقوال مضيئة في ذلك، منها ما قاله الحسن البصري: "لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل، فقيل له: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره"[(١)].

وقد بيّن ابن قدامة المقدسي أن لقيام الليل أسبابًا ميسرة له فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، ومنها باطن، فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة: فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا "[(٢)].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية صلاة النبي ﷺ بالليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول ابن عمر ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل فقال

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١.

رسول الله ﷺ: ((صلاةُ الليلِ مَثنىٰ مثنىٰ))[١]. قال ابن حجر: "أي: اثنتين اثنتين...، وإعادة مثنى للمبالغة في التأكيد، وقد فسره ابن عمر رضي الله عنهما راوي الحديث من طريق عقبة بن حريث، قال: قلت لابن عمر: ما معنى مثنى مثنى؟ قال: تسلم من كل ركعتين، وما فسره به هو المتبادر إلى الفهم...، قال ابن دقيق العيد: وهو ظاهر السياق، وحمله الجمهور على أنه لبيان الأفضل لما صحّ من فعله ﷺ بخلافه، ولم يتعين أيضًا كونه لذلك، بل يحتمل أن يكون للإرشاد إلى الأخف، إذ السلام بين كل ركعتين أخف على المصلي من الأربع فما فوقها، لما فيه من الراحة غالبًا، وقضاء ما يعرض من أمر مهم"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الوتر:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (ويوتر بركعة من آخر الليل)، وفي بيان حرصه ﷺ على صلاة الوتر قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر))[٣]، وقال ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِهِ إِذَا ذَكَرَهُ))[٤]، قال صاحب عون المعبود: "قال الشوكاني: الحديث يدل على مشروعية قضاء الوتر إذا فات، وقد استدل بالأمر بقضاء الوتر على وجوبه، وحمله الجمهور على الندب"[٥]، وقد رغّب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الوتر فقال: ((مَنْ خافَ أنْ لا يقومَ منْ آخرِ الليلِ فلْيُوتِرْ أوَّلَه، ومَنْ طمعَ أنْ يقومَ آخرَه فلْيوترْ آخرَ الليْلِ، فإنَّ صلاةَ آخرِ الليْلِ مشهودةٌ، وذلكَ أفضلُ))[٦]،

---

(١) أخرجه البخاري ٩٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢/٥٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٧٨.

(٤) أخرجه أبو داود ١٤٣١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٨).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٦١.

(٦) أخرجه مسلم ٧٥٥.

"أي: أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة"[١]، وقال ﷺ: ((يا أَهْلَ القرآنِ أَوْتِرُوا، فإنَّ اللهَ تَعَالَى وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ))[٢]، "أي: يثيب عليه ويقبله من عامله"[٣]. وفي ذلك بيان على حرصه ﷺ على صلاة الوتر.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تخفيف النبي ﷺ في ركعتي الفجر:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول ابن عمر رضي الله عنهما، ويصلي الركعتين قبل صلاة الغداة، وكأن الأذان بأذنيه، قال النووي: "قال القاضي: المراد بالأذان هنا: الإقامة، وهو إشارة إلى شدة تخفيفها بالسنة إلى باقي صلاته ﷺ"[٤]، وقال ابن حجر في قوله ﷺ: "بأذنيه، أي لقرب صلاته من الأذان، والمراد هنا الإقامة فالمعنى أنه كان يسرع بركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة خشية فوات أول الوقت، ومقتضى ذلك تخفيف القراءة فيهما"[٥]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ لَيُصَلِّي رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بأُمِّ القُرآنِ؟))[٦]، فهذا الحديث دليل على المبالغة في التخفيف، والمراد بالمبالغة بالنسبة إلى عادته ﷺ من إطالة صلاة الليل وغيرها من نوافله[٧]، وفي ذلك بيان على تخفيفه ﷺ لركعتي الفجر.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٥٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥١٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥٦٥/٢.

(٦) أخرجه البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠١.

الحديث رقم (١١٠٩)

١١٠٩ - وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢] [1].

وفي رواية: وفي الآخِرَةِ الَّتي في آل عِمْران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] رواهما مسلم.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

الروايات فيما كان يقرؤه صلى الله عليه وآله وسلم في الركعتين قبل الفجر متعددة متنوعة، فمنها ما هذا الحديث، وسيأتي في بعض الأحاديث أنه كان يقرأ بغيرهما على ما سيأتي شرحه، وقول ابن عباس رضي الله عنهما (أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ) خبر مؤكد ببعض المؤكدات التي تشير إلى أن في المسألة تنوع، واختلاف في الروايات، فكل منهم سمع من الرسول ﷺ شيئا نقله عنه، وأكد هذا النقل الذي يحقق إقناع المخاطب دون تعارض (كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: {قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} الآية الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: {آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) والطباق بين الأولى، والآخرة يؤكد المعنى، ويقرر ما كان يقرأ في كل ركعة على جهة الوضوح الذي ليس فيه أي لبث كما أن اختيار الآيات له خصوصية من حيث اختيار الموضوع، وهو تجديد الإيمان الفارق بين الحق، والباطل، ونفي الشركاء عن الله تعالى.

---

(١) برقم (٧٢٧/٩٩) و (٧٢٧/١٠٠).

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا: من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتي الفجر.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به.

سادسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر.

أولاً - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

وهذا ما يستفاد من سياق الأحاديث في قراءته ﷺ لآيات من القرآن في الصلاة: (والقرآن الكريم كتاب الله أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، دستورًا للأمة، ومنهجًا قويمًا للبشرية جمعاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هو كتاب هداية وإرشاد وتوجيه، من أجل صلاح البشر في الدنيا والفوز بالجنة والنعيم المقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [2]).

ويقول تعالى مقررًا لدور القرآن في الهداية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٠٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٠)، (١١١١).

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) سورة الإسراء، الآيتان: ٩ - ١٠.

(والقرآن هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، أنزل الله فيه كل علم وبيّن فيه كل شيء، وما نزلت بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، فقد كان ولا يزال هو المرجع الأول لجميع مصادر التشريع في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1][2].

وهو بين الكتب والتشريعات التي سبقته أكملها وأحكمها وأعدلها وأقومها كما وصفه الله جل وعلا بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[3])[4].

"وقد ظلت الأمة الإسلامية حقبًا طويلة من الزمن؛ عزيزة الجانب، صلبة العود، مرفوعة الرأس، قوية الشكيمة، قد كتب الله لها العز والتمكين والنصر، فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس؛ وما ذاك إلا لأنها أقبلت على هذا الكتاب العزيز، واهتدت بهديه واستضاءت بنوره، وسارت على دربه، وعُنيت به حفظًا، وفهمًا وتدبرًا، وتعليمًا، وتعلمًا، وعملت بما فيه، ونفذت أحكامه، وجعلته مصدر شريعتها، وسبيل هدايتها وعصمتها من الأهواء، وشفائها من الأدواء"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٢) حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم، د. سليمان صالح القرعاوي ص ٩، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٣) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٢ -٣، ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٥) المرجع السابق ص ٣.

فعلى الأمة جمعاء أفرادًا وشعوبًا وحكامًا أن يحتكموا إلى كتاب الله، فهو شرع الله المحكم، وكتابه المنزل، وهديه المستقيم، فضلاً عن أنه المصدر الأصيل والنبع العظيم في الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من واجبات الداعية: بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر:

قد ورد في الأحاديث بيان ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، وفي ذلك يقول النووي: "قوله: قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد)، وفي الرواية الأخرى قرأ الآيتين: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا، وقل: يا أهل الكتاب تعالوا)، هذا دليل لمذهبنا، ومذهب الجمهور، أنه يستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة، ويستحب أن تكون هاتان السورتان أو الآيتان كلاهما سنة، وقال مالك وجمهور أصحابه: لا يقرأ غير الفاتحة، وقال بعض السلف: لا يقرأ شيئًا وكلاهما خلاف هذه السنة الصحيحة التي لا معارض لها"[1]، فعلى الداعية أن يبين ما يستحب قراءته من القرآن في ركعتي الفجر، متأسيًا في ذلك بما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سورتي البقرة وآل عمران:

يستفاد ذلك مما ورد في الحديث من قراءته ﷺ لآيات منهما في ركعتي الفجر، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل سورتي البقرة وآل عمران، فقال: ((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ. اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ. فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ. تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ. فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ. وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ. وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))[2]. قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ)).

قال النووي: "في قوله ﷺ: (اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، قالوا: سميت الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما...، وفي قوله ﷺ: (فإنهما يأتيان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٢.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

يوم القيامة كأنهما غيايتان)، قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. وقوله ﷺ: (أو كأنهما فرقان من طير صواف)، أي: قطيعان، وجماعتان"[1]، وقال النواس بن سمعان رضي الله عنهما: سمعت النبي ﷺ يقول: ((يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ. تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ)) وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ثَلاثَةَ أَمْثَالٍ، مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ. قَالَ: ((كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ. بَيْنَهُمَا شَرْقٌ. أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا))[2]، قال القاضي عياض: "وقوله: (أو ظلتان بينهما شرق)): قيل: معناه: ضياء ونور، رويناه بسكون الراء وفتحها، قيل: معناه: قد يكون يخلق الله خلقًا من قراءته يوم القيامة على صفة الغمامة، أو جماعة الطير يحاج عن القارئ"[3]، وفي ذلك بيان عظيم على فضل سورتي البقرة وآل عمران.

رابعًا - من فقه الداعية: بيان الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص في ركعتى الفجر:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، وقرأ: (قل هو الله أحد)، وأيضًا من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (رمقت النبي ﷺ شهرًا فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر: (قل يا أيها الكافرون)، و(قل هو الله أحد)، وفي بيان الحكمة من ذلك قال ابن القيم: "سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل، والوتر خاتمته. ولذلك كان النبي ﷺ يُصلي سنة الفجر والوتر بسورتي الإخلاص، وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل، وتوحيد المعرفة والإرادة، وتوحيد الاعتقاد والقصد. انتهى.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٥.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٧٤.

فسورة ﴿قل هو الله أحد﴾[١]: متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة، وما يجب إثباته للرَّب تعالى من الأَحَدِيَّةِ المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمديَّة المثبتة له جميعَ صفات الكمال التي لا يلحقها نقصٌ بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، وغناه وأَحَدِيَّته ونفي الكفء المتضمِّن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير، فتضمنت هذه السورةُ إثباتَ كل كمال له، ونفي كل نقص عنه، ونفيَ إثبات شبيه أو مثيل له في كماله، ونفي مطلق الشريك عنه، وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يُباين صاحبُه جميعَ فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت ((تَعْدِل ثلثَ القرآن))[٢]، فإن القرآن مدارُه على الخبر والإنشاء، والإنشاء ثلاثة: أمر، ونهي، وإباحة. والخبر نوعان: خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه. فأخلصت سورةُ ﴿قل هو الله أحد﴾ الخبرَ عنه، وعن أسمائه، وصفاته، فعدلت ثلثَ القرآن، وخلَّصت قارئها المؤمنَ بها من الشرك العلمي، كما خلَّصت سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ من الشرك العملي الإرادي القصدي. ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامُه وقائدُه وسائقُه، والحاكُم عليه ومنزله منازِله، كانت سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾ تعدل ثلثَ القرآن. والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر، و﴿قل يا أيها الكافرون﴾[٣]، تعدل ربع القرآن، والحديث بذلك في الترمذي من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: "إذا زلزلت" تعدل نصف القرآن، و"قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، و"قل يا أيها الكافرون" تعدل ربع القرآن[٤].

ولما كان الشرك العملي الإرادي أغلبَ على النفوس لأجل متابعتها هواها، وكثيرٌ منها ترتكبه مع علمها بمضرَّته وبطلانه، لِمَا لهَا فيه من نيل الأغراض، وإزالتُه، وقلعُه

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) أخرجه مسلم ٨١١.

(٣) سورة الكافرون، آية: ١..

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٩٣، وقال الألباني: صحيح دون فضل زلزلت، (صحيح سنن الترمذي ٢٣١٨).

منها أصعبُ، وأشدُّ من قلع الشرك العلمي وإزالته، لأن هذا يزول بالعلم والحُجَّة، ولا يمكن صاحبُه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه، بخلاف شرك الإرادة والقصد، فإن صاحبه يرتكِب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه، واستيلاء سُلطان الشهوة والغضب على نفسه، فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العملي، ما لم يجيء مثلُه في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ولما كان القرآن شطرين: شطرًا في الدنيا وأحكامِها، ومتعلقاتِها، والأمورِ الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها، وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها، وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ قد أُخْلِصَتْ من أولها وآخرها لهذا الشطر، فلم يذكر فيها إلا الآخرة، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسُكَّانها، كانت تَعدلُ نصفَ القرآن، فأحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحًا ـ والله أعلم ـ ((ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الطواف))[1]، ولأنهما سورتا الإخلاص والتوحيد، ((كان يفتتِح بهما عمل النهار، ويختمه بهما))[2]، ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد"[3].

وفي ذلك بيان على الحكمة من قراءة النبي ﷺ لسورتي الإخلاص "قل هو الله أحد" و"قل يا أيها الكافرون" في ركعتي الفجر.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص ابن عمر رضي الله عنهما على متابعة النبي ﷺ والتأسي به:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله رضي الله عنه: (رمقت النبي ﷺ شهرًا)، قال المباركفوري: (أي: نظرت إليه)[4]، وقد كان حرصه رضي الله عنه على متابعة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٦.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣١٦ - ٣١٨.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧١٢.

والتأسي به سنة له، فعن نافع (أن ابن عمر كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه، حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس، وعن مالك عمن حدثه أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ، وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك)[١]، وقالت عائشة رضي الله عنها: (ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأول من ابن عمر)[٢].

سادسًا- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ فيما ورد عنه من القراءة في ركعتي الفجر:

"إن مبعث الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب، ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله، اصطفاه الله للهداية وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣]"[٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٥]، قال السعدي: "وقد استدل الأصوليون في هذه الآية على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ وأن الأصل أن أمته أسوته في الأحكام إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به"[٦]، "والتأسي بالنبي ﷺ يعني: تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ في

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٢) المرجع السابق ٢١١/٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٠٩.

كل دقيق وجليل من أمور الدين...، والله عز وجل جعل نبيه ﷺ للناس كافة الهادي والمبلّغ، والسراج المنير"[١]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[٢]، فعلى المدعو أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ فيما ورد عنه ﷺ من قراءته في ركعتي الفجر.

---

(١) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١١١٠)

١١١٠ -- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ مُسلِمٌ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث والذي بعده يقرران ما كان يقرأ الرسول ﷺ في صلاة الركعتين قبل الفجر وكلاهما جاء بأسلوب خبري أكد في الأول، في قوله: (أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ لأنه كان يطيل في أكثر النوافل، وجاءت القراءة في هذه النافلة بقصار السور التي حددها الحديث أما في الحديث الثاني فإنه لم يؤكد لكنه بدأ بلفظ (رمقت) الذي يوح مع دلالته على النظر بالتأمل وتوحي بالقصد والتتبع بالنظر، وقوله (شهرا) يؤكد ذلك لأن طول الفترة يوحي بملاحظته، وهو ما يؤكد الخبر وأنه رضي الله عنه كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر، وذكر الظرف (قبل) في الحديث الثاني يؤكد أن المقصود النافلة وليس الفرض، ومن يتأمل فضل السورتين اللتين عينهما الراوي في صلاة الرسول ﷺ يدرك سر الاختيار من ناحية موضوع السورتين في الإخلاص المطلق الخالي من شائبة الشرك، ومن ناحية الأجر المترتب عليهما فسورة (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن، و(قل يا أيها الكافرون) تعدل ربع القرآن كما ثبت في باب فضائل السور؛ لأن القرآن يشتمل على تقرير التوحيد، والنبوات، وبيان أحكام المعاش، وأحوال المعاد و(قل هو الله أحد) مشتملة على التوحيد، وبعض صفات الله تعالى، و(قل يا أيها الكافرون) محتوية على توحيد الله؛ لأن البراءة عن الشرك إثبات للتوحيد.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٧٢٦/٩٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١١)

١١١١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ، شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

رمقت النبي: أطلت النظر إليه وراقبته[2].

الشرح الأدبي[3]

المضامين الدعوية[4]

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم ركعتي الفجر وأنهما سنة عن النبي ﷺ وما يستحب فيهما من القراءة.

وقد اتفق الفقهاء[5] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب

---

(١) برقم (٤١٧)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٤٥٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر م ق).

(٣) الشرح الأدبي في هذا الحديث تم دمجه مع الحديث الذي سبقه.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١ – مع المضامين الدعوية (١١٠٩)، (١١١٠).

(٥) المبسوط، السرخسي ١٦١/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٤/١، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٢١١/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٢٨/١، الأم، الإمام الشافعي ٨٧/١، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٢٢/٣، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٣/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣١/١، المحلى، ابن حزم ١٩/٢.

عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في هذا الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

المضامين الدعوية [1]

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١١– مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٠٩)، (١١١٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالفعل والممارسة:

وهذا مستمد من أحاديث الباب:

أ - حديث عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ». وفي رواية: «فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أَقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرْآنِ».

ب - حديث حفصة رضي الله عنها: «أن رَسُول اللَّهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذن للصبح وبدا الصبح صلى ركعتين خفيفتين» وفي رواية: « كان رَسُول اللَّهِ ﷺ إذا طلع الفجر لا يصلي إلا ركعتين خفيفتين».

ج - حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «ويُصلِّي الرَّكعتَينِ قبلَ صلاةِ الغداةِ وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ».

فهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم، حكوا عن النبي ﷺ فعله في تخفيف ركعتي الفجر، وقد بيّن ابن عمر قدر هذا التخفيف، وإسراعه بذلك. فقال: «وكأَنَّ الأذانَ بأُذنَيهِ». وهكذا شأن المربين يربون أتباعهم عن طريق الفعل وليس شرطًا أن يتكلموا ويوجهوا خطابًا مباشرًا لهم، ومن ثم يفعلون ما يفعل، ويعملون ما يعمل، وهذا قد يصلح في مجالات كثيرة في الصلاة وغيرها من العبادات والطاعات، "فعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولاشك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به، وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها، بل على المربي أن يدفع الطفل إلى ذلك دفعًا كأن يخرج من جيبه ما يريد دفعه للفقير، ثم يقول للطفل اذهب وأعطه هذا الفقير، فهو في هذا يحقق أكثر من هدف تربوي: فقوله "الفقير" يبيّن للطفل السبب في الدفع لذلك الإنسان، وهو مساعدة المسكين والفقير، ويعوّده على سخاء النفس ببذل ماله للغير المحتاج، كما يعلمه هذا السلوك الشجاعة والتعامل مع الآخرين، ولعل في مسلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ما يشهد لذلك فقد جاء سائل إلى ابن عمر فقال لابنه: أعطه

دينارًا، وقد يحدث أن الطفل نفسه بعدما رأى من صنيع والده ما رأى، أن يأتي فيطلب منه ما يعطيه للفقير، ولا ينبغي للمربي في هذه الحالة أن يمنع ذلك، حتى لو كان المربي لا يرى أحقية ذلك الفقير، لأننا - الآن - في مرحلة بناء هذا الخلق عند الطفل، وليس الحكم على هذا السائل أنه يستحق أو لا يستحق، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي تريد له أن يتخلق بها، على أنها سلوك عملي وليست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه"[1].

ثانيًا: من وسائل التربية: مجالسة العلماء الربانيين:

هذا مستمد من قول ابن عمر رضي الله عنهما: «رمَقْتُ النبيَّ شهرًا فكانَ يقرأُ في الركعَتَيْنِ قبلَ الفجرِ بـ {قلْ يا أيها الكافرونَ} و{قلْ هو اللهُ أحدٌ}». فقوله رضي الله عنهما: «رمقت النبي ﷺ» يلزم عنه مجالسة النبي ﷺ ومراقبة أحواله والجلوس بين يديه للتعلم منه والاقتداء به، وعلى ذلك يجب أن يربى على مجالسة العلماء الربانيين الجامعين بين العلم والعمل، "فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم حملة هدي النبي ﷺ وشمائله، ومن ثم كان لا غنى لطالب العلم عن صحبتهم ومجالستهم والتأدب بأدبهم، وقد اعتنى السلف بذلك وأكدوا على أن مهمة العالم لا تقف عند مجرد التحديث وسماع المرويات، بل تتجاوز ذلك إلى تعلم السمت والأدب والهدي، قال ابن المبارك:

أيها الطالب علمًا ائت حماد بن زيد
فاكتسب حلمًا وعلمًا ثم قيده بقيد
ودع الفتنة من آثار عمرو بن عبيد

قال أبو العالية: "كنا إذا أتينا الرجل لنأخذ عنه نظرنا إلى صلاته، فإن أحسن الصلاة أخذنا عنه، وإن أساء لم نأخذ عنه".

وقال إبراهيم: كنا نأتي مسروقًا فنتعلم منه هديه ودلّه.

وأوصى حبيب الشهيد وهو من الفقهاء ابنه فقال: يا بني.. اصحب الفقهاء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم، فإنه أحب إليّ من كثير من الحديث.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة: محمد بن شاكر الشريف ص ٥٣، ٥٤.

وقال ابن وهب: ما استفدت من أدب مالك أكثر مما استفدت من علمه - ومن ثم فلا غنى للشباب عن مجالسة أهل العلم الربانيين والاستفادة من علمهم وسمتهم وخلقهم، وحرى بالمربي أن يسعى لتعزيز هذا الجانب، ومن وسائله:

أ - الالتزام بحضور دروسهم ومجالسهم.

ب - زيارتهم واللقاء بهم بين آونة وأخرى.

ج - استقبالهم ودعوتهم لزيارة أنشطة الطلاب وبرامجهم.

وحرى بالذين منّ الله عليهم بقدر من العلم أن يعطوا الناشئة من أوقاتهم ويحتسبوا ذلك في صالح ما يقدمون"[1].

ولذا كان من الخطأ أن يحجب الناشئة عن مجالسة العلماء، "فكثير من الناس لا ينظرون إلى الصبيان في هذه المرحلة إلا كما ينظرون إلى الأطفال غير المميزين، فيمنعونهم من مجالسة الكبار، ويحرمونهم من حضور مجالس العلم، خوفًا من عدم انضباطهم وإذا جاء الضيف أخرج الصبيان المميزون من المجلس وحرموا من المقابلة، وبعضهم ربما بالغ في ذلك فحبسهم في غرفة وأغلق عليهم لحين خروج الضيف، كل ذلك مبالغة في الحرص على الهدوء ويعدون ذلك من الأدب. والأدب الحقيقي والتصرف الصحيح أن يمكن المربي الصبيان من حضور هذه المجالس، فمنها يتعلمون أدب الحديث وأدب المجالسة وأدب الاستماع ويسمعون من الكلام ما يستفيدون منه، وكذلك يفعل بالفتيات عند زيارة النساء، كما أن حضور هذه المجالس له تأثير حسن على نفوسهم، إذ يشعرهم بأنهم قد فارقوا مرحلة الطفولة الأولى، مما يسهم في سرعة تأهيلهم للمرحلة التي تليها ولا يستثنى من ذلك إلا المجالس الخاصة التي لا يحسن حضورها إلا ممن هو مخصوص بها، كأن يكون في الأمر سر أو نحو ذلك"[2]، كما حدث في حديث الهجرة عندما ذهب الرسول ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه في ساعة لم

---

(١) تربية الشباب: الأهداف والوسائل، محمد بن عبدالله الدويش ص ١٤٥، ١٤٦.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف ص ١١٣، ١١٤.

يكن يذهب إليها قال له: «أخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فقالَ أبو بكر: يا رسولَ الله إنَّما هُما ابْنَتَايَ - يَعني عائشةَ وأسماءَ - فقالَ: «أَشَعَرْتَ أنهُ قَدْ أُذِنَ لي في الخُرُوجِ»؟...الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري، ٢١٣٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٩٨- باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تَهَجَّد بالليل أم لا

الحديث رقم (١١١٢)

١١١٢ - عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ إذَا صَلَّى ركعتي الفجر، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَن. رَوَاهُ البُخَارِي[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث من باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر عَلَى الجنب الأيمن، والحث عليه تبين فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عادة الرسول ﷺ بعد صلاة ركعتي الفجر وأنه كان يضطجع على شقه الأيمن على عادته في التيمن في كل خير، وقد روت الحديث بأسلوب خبري خال من المؤكدات لأنه يقرر أمور لا خلاف فيها، وهي من فضائل الأعمال، وقد جاء في أسلوب الشرط لما له من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم في الفعل الذي يصير كالعادة، المتكررة.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويستحب أن يضطجع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن، وكان أبو موسى ورافع بن خديج وأنس بن مالك يفعلونه، وأنكره ابن مسعود وكان القاسم وسالم ونافع لا يفعلونه، واختلف فيه عن ابن عمر، وروى عن أحمد أنه

---

(١) برقم (١١٦٠).

ليس بسنة، لأن ابن مسعود أنكره. ولنا ما روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه" وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا صلّى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن. واتباع النبي ﷺ في قوله وفعله أولى من اتباع من خالفه كائنًا من كان)[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان هدي النبي ﷺ في قيام الليل.

خامسًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن هدي النبي ﷺ في صلاته من العشاء إلى الفجر، وبيان حرصه ﷺ على ركعتي الفجر واضطجاعه على شقه الأيمن، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ دعوته للمدعوين، وبيان ما خفي عليهم من الأمور والأحكام، وإرشادهم إلى ما فيه الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاضطجاع بعد سنة الفجر:

كان ﷺ يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الأيمن، وهذا ما ورد في الأحاديث

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٤٢/٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧/٦/٣-١٨، وفتح الباري، ابن حجر ٤٣/٢-٤٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤٨٠-٤٨٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٢ - مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٣)، (١١١٤).

من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن)، وقولها: (... فإذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن)، ومن قوله ﷺ: (إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه).

قال القاضي عياض: "وفيه الترغيب على كون الاضطجاع على الشق الأيمن، وفائدته لئلا يستغرق في النوم، لتعلق القلب الذي هو في جهة اليسار حينئذ إلى الأيمن، وقلق النفس من ذلك بخلاف قراره في النوم اليسار ودعة النفس لذلك"[(١)].

وقال ابن حجر: "وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح...، وقيل: إن فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح"[(٢)]، وقال ابن علان: "ليتذكر بذلك ضجعته في القبر فيحمله ذلك على الخشوع الذي هو لب العبادة، فإن تعذر الأيمن فالأيسر، لأن الميسور لا يسقط بالمعسور"[(٣)].

وقد أكد العلم الحديث على عظم فوائد الاقتداء بهدي النبي ﷺ في الاضطجاع أو النوم على الشق الأيمن فقال: (إن الكبد أكبر من المعدة وهي تقع في الطرف الأيمن فعندما ننام على الطرف الأيمن، تستريح المعدة فوق الكبد، وأما العكس فتتأثر المعدة من ثقل الكبد وبخاصة في أول النوم، وذلك فضلاً عن أن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ويعيق التنفس"[(٤)].

وفي ذلك بيان على فضل اتباع هديه ﷺ من حصول خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨٣/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٣/٣٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٧٧.

(٤) مجلة النفس المطمئنة، السنة الثامنة، العدد: ٣٩، يوليو ص ٤١، نقلًا عن: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح أحمد رضا ص ١٠٤.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التيمن في الأمور كلها:

"إن التيمن هو الابتداء في الأفعال باليد اليُمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن"[١]. وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من اضطجاعه ﷺ على شقه الأيمن، وحثه على ذلك في قوله ﷺ: (فليضطجع على يمينه)، "والتيمن في الأمور مخالفة لأهل الشرك، إذ أن شعارهم استعمال الشمال، وكذا مخالفة للشيطان، وفيه مرضاة الرب ومحبة النبي ﷺ"[٢]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ يُعجبهُ التَّيَمُّنُ في تَنَعُّلِهِ وتَرَجُّلِهِ وطُهورِهِ وفي شأنهِ كلِّه))[٣]، وعنها رضي الله عنها أنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ. فِي نَعْلَيْهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ))[٤]، قال القاضي عياض: "وقوله: (كان يحب التيمن في شأنه كله): تبركًا باسم اليمين، وإضافة الخير إليها، قال الله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾[٥]، وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[٦]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[٧]، ولما في معناه من اليُمن"[٨].

وقال ابن حجر: "(كان يعجبه التيمن): قيل لأنه كان يحب الفأل الحسن، إذ أصحاب اليمين أهل الجنة، وتأكيده (الشأن) بقوله (كله) يدل على التعميم...، أي: لا يترك ذلك سفرًا ولا حضرًا ولا في فراغه ولا شغله ونحو ذلك"، وقال الطيبي: .. وكأنه ذكر التنعل لتعلقه بالرجل والترجل لتعلقه بالرأس، والطهور لكونه مفتاح

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي م ن).

(٢) نضرة النعيم ١٤٣٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٦٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨.

(٥) سورة مريم، آية: ٥٢.

(٦) سورة الواقعة، آية: ٢٧.

(٧) سورة الحاقة، آية: ١٩، والإنشقاق، آية: ٧.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧٥/٢.

أبواب العبادة، فكأنه نبه على جميع الأعضاء فيكون كبدل الكل من الكل"[١].

وقد استفاضت النصوص في حث النبي ﷺ على التيمن في الأمور كلها، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إذا أتيت مَضجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثمَّ اضْطَجع على شِقِّكَ الأيمن وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبةً إليك، لا مَلجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك. آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّكَ الذي أرسلت. فإن مُتَّ متَّ على الفِطرة، فاجعَلْهُنَّ آخرَ ما تقول)). فقلتُ: أستَذْكرهنَّ: وبرسولكَ الذي أرسلت. قال: ((لا، وبنبيِّكَ الذي أرسلت))[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ. وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ. فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ)).

وفي رواية: ((لا يأكلَنَّ أحدُكم بشمالِه ولا يشربنَّ بها؛ فإنَّ الشيطانَ يأكلُ بشماله ويشربُ بها))[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: للسدي لما سأله كَيْفَ أَنْصَرِفُ إِذَا صَلَّيْتُ؟ عَنْ يَمِينِي أَوْ عَنْ يَسَارِي؟ قَالَ: ((أَمَّا أَنَا فَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْصَرِفُ عَنْ يَمِينِهِ))[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا انتعلَ أحدُكم فليَبدأ باليمين، وإذا نَزَعَ فليبدأ بالشمال، لِتكنِ اليمنى أولهما تُنعل، وآخِرَهما تُنزَع))[٥].

وعن أبي قتادة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ. وَلاَ يَتَمَسَّحْ مِنَ الْخَلاَءِ بِيَمِينِهِ. وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ))[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١/٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣١١، ومسلم ٢٧١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٧٠٨.

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٥٦، ومسلم ٢٠٩٧.

(٦) أخرجه البخاري ١٥٣، ومسلم ٢٦٧.

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قَالَ لَنَا الْمُشْرِكُونَ: إِنِّي أَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ. حَتَّى يُعَلِّمَكُمُ الْخِرَاءَةَ[1]. فَقَالَ: أَجَلْ. إِنَّهُ نَهَانَا أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِيَمِينِهِ. أَوْ يَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ. وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالْعِظَامِ. وَقَالَ: ((لاَ يَسْتَنْجِي أَحَدُكُمْ بِدُونِ ثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ))[2].

قال ابن حجر: (قال النووي: قاعدة الشرع المستمرة استحباب البداءة باليمين في كل ما كان من باب التكريم والتزيين، وما كان بضدهما استحب فيه التياسر)[3].

فعلى المرء أن يستجلب هذه القاعدة في أفعاله أحواله.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان هدي النبي ﷺ في قيام الليل:

قد ورد ذلك في الحديث من قول عائشة ﷺ: ((كانَ النبيُّ يُصَلِّي فيما بينَ أنْ يَفْرَغَ من صلاةِ العشاءِ إلى الفَجْرِ إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ من كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، ويوتِرُ بواحِدَةٍ)).

وفي بيان ذلك قال ابن القيم: "وكان قيامُه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاثَ عشرة، كما قال ابن عباس وعائشة ﷺ، فإنه ثبت عنهما هذا وهذا، ففي «الصحيحين» عنها: ((ما كان رسولُ اللّهِ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة))[4]. وفي «الصحيحين» عنها أيضًا: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُصلي من الليل ثلاثَ عشرة ركعة، يُوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخِرِهن))[5]. والصحيح عن عائشة الأول، والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر، جاء ذلك مبينًا عنها في هذا الحديث بعينه: ((كان رسول الله ﷺ يُصلي ثلاث عشرة

---

(١) الخراءة: بالكسر والمد: التخلي والقعود للحاجة. قال الخطابي: وأكثر الرواة يفتحون الخاء، وقال الجوهري: إنها الخراءة بالفتح والمد. يقال: خَرِءَ خراءة مثل كره كراهة، ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ر ء).

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/٣٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٥) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٣٧.

ركعة بركعتي الفجر))، ذكره مسلم في «صحيحه»[١].

وقال البخاري: ((كان رسول الله ﷺ يُصلي بالليل ثلاثَ عشرة ركعة، ثم يُصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين))[٢]. وفي «الصحيحين» عن القاسم بن محمد قال: سمعتُ عائشة ﷺ تقول: ((كانت صلاةُ رسول الله ﷺ من الليل عشرَ ركعات، ويُوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، وذلك ثلاثَ عشرة ركعة))[٣]، فهذا مفسر مبين.

وأما ابنُ عباس رضي الله عنهما، فقد اختلف عليه، ففي «الصحيحين» عن أبي جمرة عنه: ((كانت صلاةُ رسولِ الله ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))(٤). لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا أنها بركعتي الفجر. قال الشعبي: سألتُ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن صلاةِ رسول الله ﷺ بالليل، فقالا: ((ثلاثَ عشرة ركعة، منها ثمان، ويُوتر بثلاث، وركعتين قبل صلاة الفجر)). وفي «الصحيحين» عن كُريب عنه، في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث: ((أنه ﷺ صلّى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ، فلما تبيَّن له الفجرُ، صلّى ركعتين خفيفتينِ. وفي لفظ: فصلّى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذِّنُ. فقام فصلّى ركعتين خفيفتين، ثم خرج يُصلي الصبح))[٥]. فقد حصل الاتفاقُ على إحدى عشرة ركعة واختلف في الركعتين الأخيرتين: هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرُهما؟"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤٠، ومسلم ٧٣٨.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٨، ومسلم ٧٦٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٩٨، ومسلم ٧٦٣.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٢٥ - ٣٢٧.

وقد بيّن القاضي عياض: "أن هدي النبي ﷺ في قيام الليل كان أكثره خمس عشرة ركعة - وقصد في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ يُصلّي بالليلِ ثلاثَ عشرةَ رَكعةً، ثمَّ يُصلي إذا سمعَ النِّداءَ بالصبحِ رَكعتَينِ خفيفتَينِ))[1]، وأقله سبع، وذلك لما كان يتفق من اتساع الوقت له أو ضيقه، إما بتطويل قراءته في بعضها كما جاء، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما بينته عائشة رضي الله عنها بقوله: ((فلما أسن، صلى سبع ركعات))[2]"[3].

وهذا ما بيّنه مسروق في قوله: سألتُ عائشةَ رضي الله عنها عن صلاةِ رسولِ اللّهِ ﷺ بالليلِ فقالت: ((سَبعٌ وتِسعٌ وإحدى عشرةَ، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[4].

قال القاضي عياض: "ولا خلاف أنه ليس في ذلك حدٌ لا يزاد عليه ولا ينقص منه، وأن صلاة الليل من الفضائل والرغائب التي كلما زيد فيها زيد في الأجر والفضل، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه"[5].

خامسًا - من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في تخفيف ركعتي الفجر:

أشار الحديث إلى ذلك من قول عائشة رضي الله عنها أخبرته: (... قام فركع ركعتين خفيفتين)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أخبرته: ((أن رسولَ اللّهِ ﷺ كَانَ، إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الأَذَانِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ، وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلاَةُ))[6]، قال النووي: "فيه أنه يسن تخفيف سنة الصبح وأنهما ركعتان"[7]، وهذا ما بينته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في قولها: ((كانَ النبيُّ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨١/٣.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨٢/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٥٠٠.

لَيُصَلِّي رَكْعَتَيِ الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إني لأَقُولُ هَلْ قرأ فِيهِمَا بأُمِّ القُرآنِ؟))[١]، وعن حفصة رضي الله عنها قالت: ((إن رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا أذن المؤذِّنُ للصُّبحِ وبدا الصبحُ صلّى رَكعتينِ خَفيفَتينِ))[٢]، "فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ، ولا يقف التأسي به ﷺ عند حد معين...، بل يشمل كل مشروع متعبد به"[٣]، وهذا ما أكده الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤].

سادسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (فليضطجع)، والأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما فيه خير له، وهذا ما أراده النبي ﷺ من قوله فليضطجع، لما في ذلك من خير وفائدة للمدعو كما أسلفنا في أول الحديث.

---

(١) أخرج البخاري ١١٧١، ومسلم ٧٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٨، ومسلم ٧٢٣.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الحديث رقم (١١١٣)

١١١٣ - وعنها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ[١] إِلَى الفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلاَةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، (هكَذَا)[٢] حَتَّى يَأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ. رَوَاهُ مُسلِم[٣].

قَوْلُهَا: ((يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ)) هكَذَا هو في مسلمٍ ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقل تفاصيل عبادة الرسول ﷺ أو عادته هو نقل للدين، ولذلك توفرت على هذا الغرض همم الصحابة رضي الله عنهم، ونقلوا عنه كل كبيرة، وصغيرة متلبسة بما يخالجه أو يخالجهم من مشاعر، وبما يحيط بها من ملابسات، وقيام الليل مضمار المتنافسين ورياض الصالحين الذي يتسابقون فيه إلى ربهم، وقد ساروا في ذلك على هدي نبيهم ﷺ وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي كشفت عن جانب من عبادته في الليل، وطريقته، وتتبعت أجزاء الليل من حيث العمل فيها، والسكون، وقد وضح الراوي نوع العبادة في قوله (يصلي) وبيَّن وقتها في قوله (بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ إِلَى الفَجْرِ) كما بيَّن عدد الركعات التي كان يصليها بعد صلاة الفريضة في قوله (إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) ثم بيَّن طريقة الأداء في قوله: (يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ) والذي

---

(١) عند مسلم زيادة: (وهي التي يدعو الناس العتمة).

(٢) (هكذا) لا توجد عند مسلم.

(٣) برقم (٧٣٦/١٢٢).

يتأمل الأفعال التي تحرك الصورة يجد أنه وردت في صيغة الماضي (يصلي - يفرغ - يسلم- يوتر) والفعل يصلي يطوي أفعال الصلاة من ركوع، وسجود، وقيام، وقعود مع حركة اللسان، والقلب كلها تتسق في طاعة الله تعالى وقوله (قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ) في العبارة جناس يؤكد المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، وقوله :(ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هكَذَا حَتَّى يأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ) يشير إلى عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في اتصال ذكر من عبادة إلى عبادة ﷺ.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى الأحكام الآتية:

أولاً: حكم قيام الليل، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن التطوع في صلاة الليل غير محدد بوقت ولا عدد ركعات معين، ولكن يأتي الإنسان قدر طاقته دون مغالاة، وأفضل الصلاة أن يصلي إحدى عشرة ركعة.

ثانيًا: كيفية صلاة الليل وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الليل تختم بالوتر، وإن

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٩٩/١ وما بعدا، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين الرملي ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) المبسوط، السرخسي ١٥٠/١، ١٦٤، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٢/١، المدونة الكبرى، رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١٨٩/١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٣/١، الأم، الإمام الشافعي ١٦٥/١، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥١١/٣، ٥٥٠، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣١٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤٣٣/١، الفروع، ابن مفلح ٥٦٢/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٨٦/١.

اختلفوا في عد ركعاته، فقيل ركعة واحدة وقيل ثلاث، واتفقوا على أن صلاة النفل تصح مثنى ورباعًا سواء أكانت بالليل أم بالنهار، وإن اختلفوا في الأفضل، فذهب جمهور أهل العلم[1] إلى أن الأفضل أن تصلى مثنى مثنى، وذهب أبو حنيفة[2] إلى أن الأفضل أن تصلى رباعًا.

ثالثًا: كيفية أداء ركعتي الفجر وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٠٥) أنه قد اتفق الفقهاء[3] على أن ركعتي الفجر من أفضل السنن الراتبة التي واظب عليها النبي ﷺ وأن وقت صلاتهما بعد الأذان وقبل الإقامة للفريضة، وأنه يستحب التخفيف في القراءة في هاتين الركعتين، وقراءة ما كان يقرأه رسول الله ﷺ فيهما مما ورد في الحديث اتباعًا لهديه ﷺ فيهما.

رابعًا: حكم الاضطجاع بعد صلاة الفجر وحتى صلاة الصبح، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١١١١).

المضامين الدعوية[4]

---

(١) المراجع السابقة.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٧٢.

(٣) المبسوط، السرخسي ١/١٦١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٨٤، ٢٨٧، المدونة الكبرى، رواية سحنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ١/٢١١، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١/٢٢٨، الأم، الإمام الشافعي ١/٨٧، ١٦٨، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣/٥٢٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ١/٢٤٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١/٤٣١، المحلى، ابن حزم ٢/١٩.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٤)

١١١٤-وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ((إذا صَلَّى أحَدُكُمْ رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1] بأسانيد صحيحة، قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

مرَّ الحديث في هذا المعنى نقلا عن الرسول ﷺ في عادته في الاضطجاع على شقه الأيمن في بيان للسنة الفعلية للنبي ﷺ، وهذا الحديث يشير إلى السنة القولية في ذلك، وقد جاء المعنى في ثوب الشرط الذي يربط صلاة ركعتي الفجر بالاضطجاع، وقوله (فليضطجع على يمينه) أي ليستريح من تعب قيام الليل ثم يصلي الفريضة على نشاطه، وانبساطه، وهو أمر استحباب في حق من تهجد بالليل فينبغي اخفاؤه، وفعله - كما ذكر بعض العلماء -.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦١)، والترمذي (٤٢٠) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. فيه عبد الواحد بن زياد، قال الذهبي في الميزان (٦٧٢/٢): احتجا به في الصحيحين، وتجنبا تلك المناكير التي نقمت عليه، فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع، عن أبي صالح، ثمّ ذكر فيه هذا الحديث عند أبي داود، قلتُ: تابع الأعمش فيه محمد بن إبراهيم، وهو ثقة عند الجرجاني في أماليه (٢٣٤)، فانتفى الإشكال، وصحّحه ابن خزيمة (١١٢٠)، وابن حبان (الإحسان ٢٤٦٨).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١١٤ – مع المضامين الدعوية للحديث (١١١٢)، (١١١٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الاستعداد الجيد للعبادة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: «إذا صلّى أحدكم ركعتي الفجر، فليضطجع عن يمينه» هذا من قوله ﷺ، ومن ناحية أخرى كان هذا من فعله ﷺ كما أخبرت عن ذلك زوجه عائشة رضي الله عنها: «كان إذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الأيمن». فلاشك أن الاضطجاع راحة للجسم ولكنها راحة من أجل الإقبال على صلاة الفجر بنشاط وتدبر، وقد كان النبي ﷺ يضطجع بعد قيام الليل قبيل صلاة الفجر، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً. يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ. فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ. حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ»[1].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن النبي ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يُؤْذِنُه بدخوله وقت الصلاة وإقامتها، وهذا يعين - بلا شك - على أن يستعدّ الإمام للصلاة جيدًا، فضلاً عن أن يتهاون في أدائها، قال النووي: "دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها"[2].

والخلاصة أن النبي ﷺ اضطجع قبيل صلاة الفجر، واضطجع بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، وذلك حتى يأخذ -كما يظهر لنا- قسطًا بسيطًا من الراحة يعينه على أداء صلاة الفجر بإقبال وخشوع وتدبر، كما أنه ﷺ قد اتخذ مؤذنًا يؤذنه بدخول الوقت وإقامة الصلاة، وكل ذلك يستفاد منه - في رأينا- أنه استعداد لأداء العبادة كما ينبغي، وعلى ذلك يجب على المربين أن يربوا أتباعهم على هذا، فيرشدونهم إلى الطرق والوسائل المعينة على أداء العبادة على أحسن وجه وأكمل أداء، بل لا يقتصر هذا على العبادة فقط بل يمتد أيضًا إلى جميع مناحى الحياة ومختلف الأنشطة والفعاليات.

إن المقصود من العبادة خصوصًا -ومن العمل عمومًا- أن يؤدي ثمرته المرجوة منه

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٣٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٠٧.

ونتيجته المبتغاة من ورائه، وهذا لا يتأتى إلا بأن يستعد الاستعداد الطيب للأداء الفعّال، وأخذ الوسائل المتاحة المفضية لذلك.

إن صلاة الفجر لها فضل عميم وخير عظيم، ولكن نجد كثيرًا من المسلمين مقصرين في أدائها في الجماعة بل تجدهم يؤدونها بعد خروج وقتها بعد شروق الشمس، مع أن أغلبهم يوّد لو أن الله منّ عليه أن يصليها في جماعة أو على الأقل في وقتها قبل شروق الشمس، والسبب الرئيسي -في رأينا- في ذلك أنهم لم يستعدوا استعدادًا جيدًا لأداء صلاة الفجر جماعة، فلم يناموا مبكرًا بل أشبعوا الليل سهرًا وسمرًا، ولم يلتمسوا الأسباب التي تساعدهم على القيام لأداء الصلاة بشكل مناسب، فأدى ذلك إلى تفريطهم في أداء هذه الصلاة العظيمة وتضييعهم لها.

لننظر إلى النبي ﷺ كيف كان يستعد لقيام الليل، تقول عائشة رضي الله عنها: «كنّا نعدّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله (أي: يوقظه) ما شاء الله أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي»[(١)].

فإنه بالنظر في هذا الحديث يمكن ذكر ما يلي:

١- استعانة النبي ﷺ بأهل بيته في إعداد العدة لقيام الليل، وفي هذا تخفيف للأعباء وتفريغ للاهتمام بالأهم فالأهم.

٢- لم يكن النبي ﷺ يستعين بمن يوقظه، لأنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، كما أخبر بذلك ﷺ في الحديث المتفق عليه[(٢)].

٣- حرصه ﷺ على التسوك لما في ذلك من رضا الله تعالى وتطهيرٍ للفم.

والخلاصة أن على المربين أن يربوا أتباعهم على أخذهم الاستعداد الجيد لأداء العمل، سواء كان عملاً دينيًا أو دنيويًا[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦.

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه البخاري ١١٤٧، ومسلم ٧٣٨.

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٦٦ وما بعدها.

ثانيًا-التربية على عدم الاستغراق في النوم قبيل وقت الصلاة:

هذا مستمد من اضطجاع النبي ﷺ على شقه الأيمن بعد أدائه ركعتي سنة الفجر، فقد ذكر العلماء لذلك حكمة وهو عدم الاستغراق في النوم، ومن ثمّ تفوت الصلاة في جماعة أو يفوت وقتها[(١)].

وقد كان من هَدْي النبي ﷺ الحرص على عدم الاستغراق في النوم حتى لا تفوته الصلاة، ولو كان ذلك في السفر، قال أبو قتادة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ، اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ. وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ، نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ»[(٢)].

قال النووي: "قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أوّل وقتها"[(٣)].

وعلى ذلك ينبغي أن يعود الناشئة وغيرهم، فلا يضيعون أوقاتهم فيما لا يفيد ولا يضيعون ما يفيدهم وينفعهم، إن "صرف جزء كبير من الوقت في مواطن الراحة ضياع له، بينما صرفه في العمل على الأهداف الهامة في حياته يحتاج الخروج من تلك المواطن والعمل الجاد ولو كرهته النفس، أقول هذا لأن الأعمال الهامة معظمها ليست بالضرورة ممتعة للنفس البشرية بل تحتاج لتطويع وترويض تلك النفس عليها، لاشك أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم، وهو الجنة ونعيمها"[(٤)].

لكن الواقع يشهد أن هناك أوقاتًا هائلة تُهدر كان يمكن أن تستغل في المفيد من

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٠٧.

(٢) أخرجه مسلم، ٦٨٣.

(٣) رياض الصالحين، ٣٧٦.

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ٤٠٧.

الأعمال، "ففي المنازل آلاف الآلاف من طلبة المدارس يقضون أربعة أشهر أو خمسة أشهر، إجازة صيفية فهل تساءل الآباء كيف يقضي هذا الوقت الطويل فيما يعود بالنفع على جسمهم وعقلهم وخلقهم وبلادهم، وفي البيوت نصف عدد الأمة من النساء فكيف يقضين أوقات فراغهن؟ إذا كان الزمن هو المادة (الخامة) لاستغلال المال، وتحصيل العلم وكسب الصحة، فكم أضعنا من كل ذلك؟ وكم أعمار تضيع في عبث؟ لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

ومن نتائج ضياع الزمن ضياع كثير من منابع الثروة، كان يمكن أن تستغل لولا إهمال الزمان والجهل باستعماله، فكم من الأراضي البور كان يمكن أن تُصلح ومن الشركات يمكن أن تؤسس، ومن المؤسسات المختلفة يمكن أن تنشأ وتدار بجزء من الزمان الفارغ، وإن من نتيجة ضياع الزمن في عالمنا كساد الكتب وعدم قراءتها والرضا بالجهل، فليس هناك نفوس تألم من الجهل، ولكن أجساد تخلد إلى الراحة، والشأن في عالم المال كالشأن في عالم الكتب، فهناك القناعة بالقليل والرضا بالميسور والنوم على الوظيفة والعمل الراتب الذي لا يدعو إلى جهد ولا يبعث على تفكير، ثم هناك الفكر المضني وإفساح الطريق للأجنبي النشيط الذي يعرف كيف يستغل زمنه.

ولست أريد من المحافظة على الزمن أن يُمْلأ كله بالعمل، وأن تكون الحياة كلها جدًا ودأبًا، لا راحة فيها ولا مَرَح، وأن تكون عابسة لا ضحك فيها ولا بشر، وإنما أريد ألا تكون أوقات الفراغ طاغية على أوقات العمل، وألا تكون أوقات الفراغ هي صميم الحياة، وأوقات العمل على حاشيتها وطرفها.

بل أريد أكثر من ذلك: أن تكون أوقات الفراغ خاضعة لحكم العقل كأوقات العمل، فإننا في العمل نعمل لغاية، فيجب أن تصرف أوقات الفراغ لغاية ذلك، إما لفائدة صحية كالألعاب الرياضية المشروعة، وإما للذة نفسية كالمطالعات العلمية، وإما لغذاء روحي كالقيام بقراءة القرآن والحديث الشريف ونوافل الطاعات والعبادات[1].

❁ ❁ ❁

(١) فيض الخاطر: أحمد أمين ٦٧/٣، نقلًا عن قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ٨٠- ٨٢، وقد تصرف فيه أبو غدة تصرفًا يسيرًا، وزاد فيه زيادة يسيرة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٨١ - باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير عن تعريضه للنسيان	٥
الحديث رقم (١٠٠٣)	٥
الحديث رقم (١٠٠٤)	١٢
١٨٢ - باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها	١٨
الحديث رقم (١٠٠٥)	١٨
الحديث رقم (١٠٠٦)	٢٢
الحديث رقم (١٠٠٧)	٢٧
الحديث رقم (١٠٠٨)	٣١
الحديث رقم (١٠٠٩)	٣٨
١٨٣ - باب الحث على سور وآيات مخصوصة	٤٦
الحديث رقم (١٠١٠)	٤٦
الحديث رقم (١٠١١)	٥٣
الحديث رقم (١٠١٢)	٦٠
الحديث رقم (١٠١٣)	٦١
الحديث رقم (١٠١٤)	٦٣
الحديث رقم (١٠١٥)	٦٨
الحديث رقم (١٠١٦)	٧٥
الحديث رقم (١٠١٧)	٧٦
الحديث رقم (١٠١٨)	٨٢
الحديث رقم (١٠١٩)	٨٦
الحديث رقم (١٠٢٠)	٩٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٠٢١)	١٠٠
الحديث رقم (١٠٢٢)	١١٥
الحديث رقم (١٠٢٣)	١٢٢
١٨٤ -باب استحباب الاجتماع على القراءة	١٣٤
الحديث رقم (١٠٢٤)	١٣٤
الحديث رقم (١٠٢٥)	١٣٦
الحديث رقم (١٠٢٦)	١٤٢
الحديث رقم (١٠٢٧)	١٤٣
الحديث رقم (١٠٢٨)	١٤٨
الحديث رقم (١٠٢٩)	١٤٩
الحديث رقم (١٠٣٠)	١٥١
الحديث رقم (١٠٣١)	١٥٩
الحديث رقم (١٠٣٢)	١٦١
الحديث رقم (١٠٣٣)	١٦٢
١٨٦ -باب فضل الأذان	١٧٦
الحديث رقم (١٠٣٤)	١٧٦
الحديث رقم (١٠٣٥)	١٨٤
الحديث رقم (١٠٣٦)	١٩٢
الحديث رقم (١٠٣٧)	١٩٧
الحديث رقم (١٠٣٨)	٢٠٤
الحديث رقم (١٠٣٩)	٢١٥
الحديث رقم (١٠٤٠)	٢١٦
الحديث رقم (١٠٤١)	٢١٨
الحديث رقم (١٠٤٢)	٢٢٢
١٨٧ -باب فضل الصلوات	٢٣٥
الحديث رقم (١٠٤٣)	٢٣٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٠٤٤)	٢٣٩
الحديث رقم (١٠٤٥)	٢٤١
الحديث رقم (١٠٤٦)	٢٤٢
الحديث رقم (١٠٤٧)	٢٤٣
١٨٨ -باب فضل صلاة الصبح والعصر	٢٥٦
الحديث رقم (١٠٤٨)	٢٥٦
الحديث رقم (١٠٤٩)	٢٥٧
الحديث رقم (١٠٥٠)	٢٦٤
الحديث رقم (١٠٥١)	٢٦٥
الحديث رقم (١٠٥٢)	٢٧١
الحديث رقم (١٠٥٣)	٢٨٢
١٨٩ -باب فضل المشي إلى المساجد	٢٩٣
الحديث رقم (١٠٥٤)	٢٩٣
الحديث رقم (١٠٥٥)	٢٩٤
الحديث رقم (١٠٥٦)	٣٠١
الحديث رقم (١٠٥٧)	٣٠٣
الحديث رقم (١٠٥٨)	٣٠٥
الحديث رقم (١٠٥٩)	٣١٣
الحديث رقم (١٠٦٠)	٣٢٠
الحديث رقم (١٠٦١)	٣٢٢
١٩٠ -باب فضل انتظار الصلاة	٣٣٥
الحديث رقم (١٠٦٢)	٣٣٥
الحديث رقم (١٠٦٣)	٣٤٢
الحديث رقم (١٠٦٤)	٣٥٢
١٩١ -باب فضل صلاة الجماعة	٣٥٩
الحديث رقم (١٠٦٥)	٣٥٩

الموضوع	الصفحة
الحديث رقم (١٠٦٦)	٣٦٨
الحديث رقم (١٠٦٧)	٣٧٠
الحديث رقم (١٠٦٨)	٣٧٧
الحديث رقم (١٠٦٩)	٣٨٠
الحديث رقم (١٠٧٠)	٣٨٩
الحديث رقم (١٠٧١)	٣٩٦
الحديث رقم (١٠٧٢)	٣٩٧
١٩٢ - باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء	٤٠٨
الحديث رقم (١٠٧٣)	٤٠٨
الحديث رقم (١٠٧٤)	٤١٣
الحديث رقم (١٠٧٥)	٤١٤
١٩٣ - باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهنّ	٤٢٣
الحديث رقم (١٠٧٦)	٤٢٣
الحديث رقم (١٠٧٧)	٤٢٥
الحديث رقم (١٠٧٨)	٤٣٤
الحديث رقم (١٠٧٩)	٤٣٥
الحديث رقم (١٠٨٠)	٤٣٧
الحديث رقم (١٠٨١)	٤٤٦
الحديث رقم (١٠٨٢)	٤٤٧
الحديث رقم (١٠٨٣)	٤٤٩
١٩٤ - باب فضل الصف الأول والامر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها	٤٦٥
الحديث رقم (١٠٨٤)	٤٦٥
الحديث رقم (١٠٨٥)	٤٧٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٠٨٦)	٤٧٤
الحديث رقم (١٠٨٧)	٤٧٩
الحديث رقم (١٠٨٨)	٤٨٤
الحديث رقم (١٠٨٩)	٤٨٦
الحديث رقم (١٠٩٠)	٤٩٣
الحديث رقم (١٠٩١)	٤٩٥
الحديث رقم (١٠٩٢)	٤٩٧
الحديث رقم (١٠٩٣)	٥٠٣
الحديث رقم (١٠٩٤)	٥٠٩
الحديث رقم (١٠٩٥)	٥١١
الحديث رقم (١٠٩٦)	٥١٦
الحديث رقم (١٠٩٧)	٥٢٢
الحديث رقم (١٠٩٨)	٥٢٨
١٩٥ - باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما	٥٤١
الحديث رقم (١٠٩٩)	٥٤١
الحديث رقم (١١٠٠)	٥٥٢
الحديث رقم (١١٠١)	٥٥٤
١٩٦ - باب تأكيد ركعتي سنة الصبح	٥٦٦
الحديث رقم (١١٠٢)	٥٦٦
الحديث رقم (١١٠٣)	٥٧٢
الحديث رقم (١١٠٤)	٥٧٣
الحديث رقم (١١٠٥)	٥٧٤
١٩٧ - باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان ما يقرأ فيهما وبيان وقتهما	٥٨٧
الحديث رقم (١١٠٦)	٥٨٧
الحديث رقم (١١٠٧)	٥٩٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١١٠٨)	٥٩٤
الحديث رقم (١١٠٩)	٦٠١
الحديث رقم (١١١٠)	٦١٠
الحديث رقم (١١١١)	٦١١
١٩٨ - باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تهجد بالليل أم لا	٦١٧
الحديث رقم (١١١٢)	٦١٧
الحديث رقم (١١١٣)	٦٢٦
الحديث رقم (١١١٤)	٦٢٩
فهرس المحتويات	٦٣٥

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الرابع عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٤

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٠٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٤)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-٠٨-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

١٩٩- باب سنة الظهر

الحديث رقم (١١١٥)

١١١٥ - عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا[1]. متفقٌ عَلَيهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى سنة من سنن الصلاة التي يتتبعها أتباع النبي ﷺ والصالحون في كل مكان، وزمان يقتدون بهم دون الناس، ويروي الحديث ابن عمر رضي الله عنهما في إشارة إلى سنة عملية طبقها مع الرسول ﷺ في قوله (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا) والفعل الماضي يشير إلى تحققه، والمعية المفهومة من قوله: (مع رسول الله ﷺ) تشير إلى شرف الصحبة، والطباق بين قبل، وبعد يشير إلى إحاطة النافلة بصلاة الظهر، ويؤكد موضعها من الفريضة بما يفتح للمتسابقين في الخيرات بابا للمنافسة.

فقه الحديث

١ - قال ابن حجر: (قال الداودي: وقع في حديث ابن عمر "أن قبل الظهر ركعتين" وفي حديث عائشة "أربعًا"، وهو محمول على أن كل واحد منهما وَصَف ما رأى. قال: ويحتمل أن يكون نسي ابن عمر ركعتين من الأربع. قلت: [القائل ابن حجر]: هذا الاحتمال بعيد، والأولى أن يحمل على حالين، فكان تارة يصلّي ثنتين، وتارة يصلّي أربعًا.

---

(١) لفظ البخاري: (بعد الظهر).

(٢) أخرجه البخاري (١١٦٥) واللفظ له، ومسلم (٧٢٩/١٠٤).

وقيل: هو محمول على أنه إذا كان في المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته، واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين، ويقوى الأول ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها "كان يصلي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج" قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها)[1].

٢ - قال النووي: (قولها كان النبي ﷺ يصلّي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلّي بالناس ثم يدخل فيصلّي ركعتين وذكرت مثله في المغرب والعشاء ونحوه من حديث ابن عمر[2]: فيه استحباب النوافل الراتبة في البيت كما يستحب فيه غيرها، ولا خلاف في هذا عندنا، وبه قال الجمهور، وسواء عندنا وعندهم راتبة فرائض النهار والليل، وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها في المسجد كلها. وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد وراتبة الليل في البيت، ودليلنا هذه الأحاديث الصحيحة، وفيها التصريح بأنه ﷺ يصلي سنة الصبح[3] والجمعة في بيته[4]. وهما صلاتا نهار مع قوله ﷺ: "أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"[5] وهذا عام صحيح صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه، والله أعلم)[6].

المضامين الدعوية[7]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٥٨ - ٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري ١١٧٢، ومسلم ٧٢٩، ١٠٤.

(٣) انظر الأحاديث المتقدمة من ١١٠٢ - ١١١٣.

(٤) أخرجه مسلم ٨٨٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان لا يصلّي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته.

(٥) أخرجه البخاري ٧٣١، ومسلم ٧٨١.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ،مج٣/٦/٩ ، وانظر المغني ٢/٥٤٣ - ٥٤٤، ونيل الأوطار ٤٧٩ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١١٦).

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما عن هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر، والإخبار من الأساليب الدعوية التي يكون بها بيان ما ورد في الشرع وتوضيحه، فضلاً عن إرشاد المدعوين إلى فعل ما يجب عليهم على النحو الذي يتفق مع الشرع.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة الظهر:

هذا ما أشار إليه ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث من قوله: (صليت مع رسول الله ﷺ ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها)، وأيضًا في قول عائشة رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ كان لا يدع أربعًا قبل الظهر..).

وقد أفرد البخاري لبيان هدي النبي ﷺ في سنة الظهر: (باب الركعتين قبل الظهر)[1]، وساق تحته حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال ابن حجر: "وأما حديث عائشة رضي الله عنها فقوله فيه: إنه كان لا يدع أربعًا قبل الظهر، لا يطابق الترجمة"[2]، وفي الجمع بينهما قال ابن حجر: "الأول أن يحمل على الحالين: فكان تارة يصلي ثنتين وتارة يصلي أربعًا، وقيل: هو محمول على أنه كان في المسجد يقتصر على ركعتين، وفي بيته يصلي أربعًا، ويحتمل أن يكون يصلي إذا كان في بيته ركعتين ثم يخرج إلى المسجد فيصلي ركعتين، فرأى ابن عمر ما في المسجد دون ما في بيته واطلعت عائشة رضي الله عنها على الأمرين... قال أبو جعفر الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها"[3].

وقال ابن عثيمين: "والظهر له ست ركعات أربع قبله بسلامين وركعتان بعده، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تقضى كما

---

(١) البخاري، كتاب التهجد، باب: الركعتين قبل الظهر، رقم ٣٤ ص ١٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٧٠.

تُقضى الفرائض"[١].

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على سنة الظهر.

قال ابن عثيمين: "وفي هذه الأحاديث دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يحافظ على الرواتب، لقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ لا يدع أربعًا قبل الظهر، يعني لا يتركها"[٢]، وقال ابن علان: "أي لا يترك أربعًا قبل الظهر لاهتمامه بها"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في الحرص والمحافظة على السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وقد بين النووي الحكمة في شرعية النوافل فقال: "قال العلماء: والحكمة تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص، ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة"[٤]، وبالحرص على أداء النوافل يكون حب الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[٥]، قال ابن حجر: "في قوله: (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني (أحبه) ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل"[٦]، فعلى المدعو أن يحرص ويحافظ على السنن الراتبة، بما في ذلك سنة الظهر للحصول على كامل الأجر والثواب.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٢٦/٢.

(٢) المرجع السابق ١٣٢٦/٢ - ١٣٢٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥١/١١.

الحديث رقم (١١١٦)

١١١٦ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه في بيان سنة صلاة الظهر القبلية، وقد روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأسلوب خبري مؤكد ببعض المؤكدات التي تدعم الخبر في نفس السامع، وتوفر العناية بالخبر، واستخدام (كان) يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وقولها (لا يَدَعُ أرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ) أسلوب نفي يقرر مواظبته على هذه النافلة بوقتها قبل صلاة الفريضة في الظهر، وعددها المتمثل في أربع ركعات كبيان لأمته لتقتدي به في أدائها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى سنة الظهر القبلية، وقد سبق بيان حكمها في الحديث (١١٠٠).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١١٨٢)، وزاد في آخره: (وركعتين قبل الغداة).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١١٧)

١١١٧- وعنها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءِ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسلِم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

نقلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أكثر السنن التي كان يؤديها النبي ﷺ في بيته، لأنه لا يطلع عليها فيه إلا آل بيته لاسيما أزواجه، وخاصة عائشة رحمها الله رحمة واسعة بما حفظت للأمة من سنن رسوله ﷺ، وقول أم المؤمنين رضي الله عنها (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً) يشير إلى ما غلب على فعله في السنن، وقولها (يصلي) مضارع يصور الحدث وتجدده واستمراره، وقولها (في بيتي) يشعر بالخصوصية التي تشير إلى صدق الخبر، ودقة تفاصيله التي نقلتها بالمشاهدة المباشرة، وقولها (قبل الظهر) يشير إلى وقت السنة، وقولها (أربعا) يشير إلى عددها، وقوله (ثم) يعطي فترة زمنية هي فترة بقائه في البيت بين الأذان، والإقامة، وقولها: (ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ) إشارة إلى السنة البعدية للظهر، والأفعال المضارعة (يصلي - بيتي - يخرج - يدخل) ثم تكرار فعل الصلاة المضارع عدة مرات ثم الدخول، والخروج بين بيته، والمسجد في حركة دائبة دائمة في استغراق شامل لحياته في مرضاة الله تعالى وإذا نظرنا نظرة أوسع حول بيته، ومسجده وجدنا شعاع النور الذي يفيض من قلب الرسول يجمع حوله الصحابة في صور القدوة التي تجعل المجتمع المسلم كخلية النحل بين الصلاة، والذكر، والتلاوة وغيرها.

---

(١) برقم (١٠٥/٧٣٠).

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١ - استحباب أربع ركعات قبل الظهر، وركعتين بعدها - وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١١٠٠).

٢ - استحباب ركعتين بعد المغرب[١]، وركعتين بعد العشاء[٢].

٣ - مكان صلاة الفاضلة: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يستحب أداء النوافل في البيت - يستوي في ذلك راتبة فرائض النهار والليل.

- وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها كلها في المسجد.

- وقال مالك والثوري: الأفضل فعل نوافل النهار الراتبة في المسجد، وراتبة الليل في البيت[٣].

والراجح: رأي الجمهور الذي يرى استحباب أداء النوافل في البيت، لقول رسول الله ﷺ: ((أفضلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بَيتِهِ، إلاّ المكتوبةَ)).

قال الإمام النووي: (وهذا عام صريح لا معارض له، فليس لأحد العدول عنه والله أعلم)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٧/١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٩/٢، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٢) المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ٤٧٨/١، نيل الأوطار ١٨/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٩/٦، نيل الأوطار ١٨/٢، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٢٠/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من إخبار عائشة رضي الله عنها لهدي النبي ﷺ في صلاته للنوافل بأن جعلها في بيته، والإخبار من الأساليب التي تعين الداعية على بيان هدي النبي ﷺ وسنته في الأمر كله، بما يوضح للمدعوين ما خفى عليهم من أمره ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة السنن الرواتب:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين)، وذكرت مثله في المغرب والعشاء، وفي بيان الحكمة التي من أجلها شرعت النوافل يكون الحرص عليها، وهذا ما بينه القاضي عياض في قوله: "قال بعض المتكلمين: ووجه الحكمة في تقديم هذه النوافل على الفرائض، لتوطين النفس فيها وامتحانها بالإقبال على عبادة الله، وإخلاء سرّه مما كان قبل فيه من أمور الدنيا، حتى لا يدخل في فريضته إلا ونفسه مرتضاة بذلك، وظاهره وباطنه جميعٌ لأدائها على وجهها، وليصحبها من النوافل قبلها وبعدها ما يجده لجبر نقص فرضه مما يدخله من وهم أو سهو، على ما جاء في الحديث من جبر نقص فرائض العبد بنوافله"[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكَمِّلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[2]، قال العراقي: "يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم يفعله، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧١/٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

فلم يصله فيعوض عنه من التطوع"[١]، وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الحرص على النوافل لما في ذلك كمال الأجر فيما انتقص من أداء الفرائض.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة النوافل في البيت:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في حرصه ﷺ على صلاة النوافل في بيته، وذلك من قول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج، فيصلي بالناس... إلخ)، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[٢]، وقد بين ﷺ فضل صلاة النافلة في البيت فقال: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلاَةَ فِي مَسْجِدِهِ، فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ. فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا))[٣]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[٤]، وقال ﷺ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ. وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا))[٥]، قال النووي: "معناه: صلوا فيها لا تجعلوها كالقبور مهجور من الصلاة، والمراد به صلاة النافلة أي: صلوا النوافل في بيوتكم"[٦].

وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٧٠٨ - ٧٠٩.

(٢) الإفصاح ٤/٣٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٣، ومسلم ٧٧٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٠٤، ومسلم ٧٧٩.

(٥) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٨١.

صاحب البيت"[١].

وعن زيد بن ثابت ﷺ قال: احْتَجَرَ رَسُولُ اللّهِ حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ أَوْ حَصِيرٍ. فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ يُصَلِّي فِيهَا. قَالَ فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. قَالَ ثُمَّ جَاؤُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا. وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللّهِ عَنْهُمْ. قَالَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ. فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ. فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ مُغْضَبًا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ: ((مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاَةِ فِي بُيُوتِكُمْ. فَإِنَّ خَيْرَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ. إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ))[٢]، قال القاضي عياض: "وقوله: (احتجر النبي ﷺ حجيرة بخصيفة أو حصير)، أي: اقتطع موضعًا حجرَه عن غيره، أو لهذه العبادة عن غيرها، والحجرُ: المنع، ومنه سميت الحجرة، وحجيرة بتصغيرها، والخصفة والحصير بمعنى، والخصف: ما صنع من خوص المُقل والنخل"[٣]، قال النووي: "وقوله ﷺ: (فإن خير صلاء المرء في بيته إلا المكتوبة) هذا عام في جميع النوافل المرتبة مع الفرائض والمطلقة، إلا في النوافل التي هي من شعائر الإسلام، وهي العيد والكسوف والاستسقاء وكذا التراويح على الأصح، فإنها مشروعة في جماعة في المسجد والاستسقاء في الصحراء، وكذا العيد إذا ضاق المسجد والله أعلم"[٤]، وفي ذلك بيان على فضل صلاة النوافل في البيت.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٤/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٨١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٤٥/٣ - ١٤٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٩.

الحديث رقم (١١١٨)

١١١٨ - وعن أُمّ حَبيبَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)) رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٠٩٩).

الشرح الأدبي

نار جهنم أكبر مرهوب بالنسبة للمؤمن الذي استقر اليقين بها في قلبه يتخذ كل وسيلة تنجيه منها، ويسلك كل طريق يبعده عنها، والرسول ﷺ يعرف ذلك في نفوس المؤمنين فاتخذ منه وسيلة يرغبهم بها في عمل ينجيهم من هذا الهول، والحديث يبدأ بقوله(مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ) من اسم موصول متضمن معنى الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية التي تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة التي تنجيه من أكبر المهلكات بصلاة أربع ركعات قبل الظهر، وأربعٍ بعدها وقوله: (حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) جملة جواب الشرط التي ترتبط بفعل المحافظة وجودا، وعدما، والتحريم على النار يتضمن البشرى بدخول الجنة، ونسبة التحريم لله تعالى تؤكد النجاة من النار.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (الحديث يدل على تأكد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك)[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٦٩)، والترمذي (٤٢٨) واللفظ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٥)، وقال الحاكم (٣١٢/١): صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٧٧، وانظر المغني ٥٤٤/٢ - ٥٤٥ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:

هذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر، وأربع بعدها، حرمه الله على النار)، وفي بيان حثه ﷺ على ذلك قال صاحب عون المعبود: "في المراد بقوله ﷺ: (من حافظ)، أي: داوم وواظب، وقوله ﷺ: (أربع بعدها)، أي: ركعتان منها مؤكدة، وركعتان مستحبة فالأولى بتسليمتين وقوله ﷺ (حُرم على النار)، أي: حرمه الله على النار، وفي رواية: (لم تمسه النار)[1]، وفي رواية: (حرمه الله عز وجل على النار)[2]، وفي أخرى: (حرم الله عز وجل لحمه على النار)[3]، وقد اختلف في معنى ذلك هل المراد أنه لا يدخل النار أصلاً، أو أنه إن قدر عليه دخولها لا تأكله النار، أو أنه يحرم على النار أن تستوعب أجزاءه وإن مست بعضه كما في بعض طرق الحديث عند النسائي بلفظ: ((فَتَمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))[4]، وهو موافق لقوله في الحديث الصحيح: ((وحَرَّمَ الله عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ))[5]، فيكون قد أطلق الكل وأريد البعض مجازًا والحمل على الحقيقة أولى وأن الله تعالى يحرم جميعه على النار، وفضل الله أوسع ورحمته أعم، والحديث يدل

---

(١) أخرجه النسائي ١٨١٧ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧١٣).

(٢) أخرجه النسائي ١٨١٤ صححه الألباني، (صحيح صنن النسائي ١٧١٠).

(٣) أخرجه النسائي ١٨١٢ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٨).

(٤) أخرجه النسائي ١٨١٣ صححه الألباني بما قبله، (صحيح سنن النسائي ١٧٠٩).

(٥) أخرجه النسائي ١١٤٠ صححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٠٩٢).

على تأكيد استحباب أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعده، وكفى بهذا الترغيب باعثًا على ذلك"[١]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٢]، "والرغبة: السؤال والطمع، ويرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه"[٣]، "فالترغيب كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[٤]، "وقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ، والداعية المسلم عليه أن يرغب المدعوين فيما عند الله من الجود والكرم والعطايا"[٥].

وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، وذلك بتحريم النار على من يداوم ويواظب على ذلك.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لتحريم النار على من يواظب ويداوم على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، فمن فقه الداعية بيان الجزاء المترتب على فعل الطاعات، لما في ذلك من حصول الترغيب والتشويق لفعلها، "فالنفس البشرية مطبوعة على الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها - ذكرًا كان أم أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا - يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات

---

(١) عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق بن أمير العظيم آبادي ص ٦٠٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥٠٩.

(٤) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٥١٢.

كبيان جنس الطاعات، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1][2].

ففعل الطاعات والقيام بالعبادات لله تعالى، هو روح القلوب ولذّات النفوس، وبها يكون نعيم الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: "إن نفس الإيمان بالله وعبادته ومحبته وإخلاص العمل له وإفراده بالتوكل عليه، هو غذاءُ الإنسان وقوته وصلاحه وقوامه، كما دَلَّ عليه أَهل الإيمان، وكما دل عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول: إن عبادته تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب ولذته؛ لمجرد الامتحان والابتلاء، كما يقوله مُنكرو الحكمة والتعليل، أو لأجل التعويض بالأجر؛ لما فى إيصاله إليه بدون معاوضة منه تكدره، أو لأجل تهذيب النفس ورياضتها، واستعدادها لقبول العقليات، كما يقوله من يتقرب إلى النبوات من الفلاسفة، بل الأمر أعظم من ذلك كله وأجل، بل أوامر المحبوب، قرة العيون، وسرور القلوب، ونعيم الأرواح ولذات النفوس، وبها كمال النعيم، فقرة عين المحب فى الصلاة والحج، وفرح قلبه وسروره ونعيمه فى ذَلِكَ، وفى الصيام والذكر والتلاوة، وأَما الصدقة فعجب من العجب، وأما الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والدعوة إلى الله والصبر على أعداء الله سبحانه، فاللذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف، ولا يدركه من ليس له نصيب منه، وكل من كان به أقوَمَ كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم، ومن غلظ فهمه وكَثُفَ طبعه عن إدراك هذا، فليتأَمل إِقدام القوم على قتل آبائهم وأَبنائهم وأَحبابهم، ومفارقة أَوطانهم وبذل نحورهم لأَعدائهم، ومحبتهم للقتل وإيثارهم له على البقاء، وإيثار لوم اللائمين وذم المخالفين على مدحهم وتعظيمهم، ووقوع هذا من البشر بدون أَمر يذوقه من حلاوته ولذته وسروره

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري ص ٤٤١.

ونعيمه ممتنع، والواقع شاهد بذلك، بل ما قام بقلوبهم من اللّذة والسرور والنعيم أَعظم مما يقوم بقلب العاشق الذى يتحمل ما يتحمله فى موافقة رضى معشوقه، فهو يلتذ به ويتنعم به، لما يعلم من سرور معشوقة به:

فيا منكرًا هذا تأَخَّر فإنه حرام على الخفاش أَن يبصر الشمسا

فمن كان مراده وحبه الله، وحياته فى معرفته ومحبته، ونعيمه فى التوجه إِليه وذكره، وطمأْنينته به وسكونه إِليه وحده، عرف هذا وأَقر به.

وأما في الآخرة فيكون حسن الجزاء على الطاعات بكمال النعيم؛ لأن كمال النعيم في الدار الآخرة أيضًا به سبحانه وتعالى، برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه، لا كما يزعم من يزعم أنه لا لذة في الآخرة بالمخلوق، من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح، بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق تعالى، أعظم وأعظم ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وفي دعاء النبي ﷺ الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وابن حبان والحاكم في صحيحيهما: ((أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ، فِى غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))[1]، ولهذا قال تعالى في حق الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، فعذاب الحجاب من أعظم أنواع العذاب الذي يُعذب به أعداؤه، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم أعظم أنواع اللذات التي ينعم بها أولياءه، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم من رؤيته وسماع كلامه، والدنو منه وقربه"[3]. وهذا لا يكون إلا بفعل الطاعات والتقرب إلى الله بالعبادات.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٦٤، رقم ١٨٣٢٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٠/٢٦٥، وابن حبان ١٩٧١.

(٢) سورة المطففين، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٦٦ - ٦٧ بتصرف يسير.

الحديث رقم (١١١٩)

١١١٩ - وعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أرْبَعًا بَعْدَ أنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: ((إنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ)) رواه التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن السائب بن أبي السائب: وهو عبدالله بن السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، القرشي، المخزومي، المكي، القارئ، يكنى أبا عبدالرحمن، ويقال: أبو السائب، ويعرف بالقارئ، وكان أبوه شريك النبي ﷺ فعن السائب بن أبي السائب أنه كان شريك النبي ﷺ في أول الإسلام في التجارة، فلما كان يوم الفتح قال: ((مرحبًا بأخي وشريكي، لا يُداري ولا يماري))[2] وأسلم عبدالله يوم الفتح، وهو في عداد صغار الصحابة، وله رواية، روى له البخاري في "الأدب" والباقون.

وكان يحرص على القرب من رسول الله ﷺ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فعنه أنه قال: صلى لنا النبي ﷺ الصبح بمكة، فاستفتح سورة المؤمنون، حتى جاء ذكرُ موسى وهارون عليهما السلام أو ذكر عيسى أخذت النبيَّ ﷺ سَعْلَةٌ[3] فركع[4].

وهو مقرئ مكة، فقرأ القرآن على أبيٍّ بن كعب، وأخذ عنه أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قرّاء أهل مكة، وكان ممن يُفْتَخر بهم، أخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن مجاهد قال: كنا نفخر على الناس بقارئنا عبدالله بن السائب،

---

(١) برقم (٤٧٨) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٨٣٨).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٢/٣٧٣، ٣٧٤)، حديث رقم (٢٤٠٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال محقق المسند: أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود، وفي سنده اضطراب.

(٣) قال السندي: سعلة: مرة من السعال قيل إنما أخذته من البكاء، حاشية السندي على مسند أحمد (٢٤/١١٤).

(٤) أخرجه مسلم ٤٥٥.

وبفقيهنا عبدالله بن عباس، وبمؤذننا أبي مَحْذُورة، وبقاضينا عبيد بن عمير، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء عن سنده: "هو صحيح". وترجم له ابن سعد فيمن نزل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فقد سكن عبدالله بن السائب مكة، وظل بها حتى مات في إمارة عبدالله بن الزبير، وصلّى عليه عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ولم يذكر المؤرخون عمرهُ والسنة التي مات فيها[1].

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء. وبه يدخل وقت الظهر[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في صلاة أربع ركعات قبل الظهر، وقد جاء الترغيب في هذه النافلة من وجهين، الأول: أنه فعلها، ومن ثَمْ صارت سنة للمؤمنين بفعله، والوجه الثاني الترغيب بذكر المزية الخاصة بالوقت الفاضل لتوقيت هذه الصلاة والتي قررها في قوله (إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ) والتعبير بفتح أبواب السماء كناية عن ساعة الإجابة، وجمع الأبواب للتكثير الذي يزيد في الترغيب، وقول الرسول ﷺ (فأحب) يصعِّد الترغيب في العمل، والتعبير بالصعود يوحي بالرقي الذي يبشر برقي صاحبه، والجار، والمجرور(لي) يفيد التخصيص، والجار، والمجرور (فيها) يشير إلى خصوصية الوقت الفاضل، ووصف العمل بالصالح مدح، وثناء على تلك الركعات التي تلبثت بالزمن الفاضل الذي وافق ساعة تفتح فيها أبواب السماء بالخيرات بمختلف العطايا.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٤٥/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٣٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٥٤/٣، ٢٥٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٧٦، ٧٧٧)، سير أعلام النبوة (٣٨٨/٣ - ٣٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٤١/٤، ١٤٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٤١/٢، ٣٤٢)، السندي (١١٢/٢٤)، موسوعة عظماء حول الرسول (١٢٠٩/٢، ١٢١٠).

(٢) معجم لغة الفقهاء ٢٠٨، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٨٠.

المضامين الدعوية [١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال.

ثالثًا: من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب وأهمية ذلك.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من إخبار الراوي بهدي النبي ﷺ في صلاته لأربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر والتأكيد على فضلها، والإخبار من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على تبليغ وبيان ما خفي على المدعوين من هدي النبي ﷺ في الأمور كلها، بما يحصل به الاقتداء والتأسي بهديه ﷺ على الوجه الصحيح.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة أربع ركعات بعد الزوال:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قول عبدالله بن السائب رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ كان يصلي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر... إلخ)، وفي بيان ذلك قال المباركفوري: "قال العراقي: هي غير الأربع التي هي سنة الظهر قبلها وتسمى سنة الزوال (وقال إنها) أي ما بعد الزوال، وأنثهُ باعتبار الخبر وهو (ساعة تفتح) بالتخفيف ويجوز التشديد (فيها أبواب السماء) لطلوع أعمال الصالحين"[٢]، قال صاحب عون المعبود: "وفيه كناية عن حسن القبول وسرعة الوصول"[٣]، "وقوله ﷺ: (فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح)، فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[٤]"[٥].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١١٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٠).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٣.

(٤) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٥٥/١.

"أي: "إليه يصعد الكلم الطيب من قراءة، وتسبيح، وتحميد، وتهليل، وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه، ويثني اللهُ على صاحبه بين الملأ الأعلى"، "والعمل الصالح من أعمال القلوب وأعمال الجوارح (يرفعه) الله تعالى إليه أيضًا كالكلم الطيب"[1]، وفي ذلك بيان على عظم فضل وأهمية صلاة أربع ركعات بعد زوال الشمس قبل الظهر. ومن شدة اهتمام الرسول ﷺ بتلك الركعات وحرصه عليها أنه كان إذا فاتته قبل الظهر صلاها بعده لحديث عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلي أربعًا قبل الظهر صلاهن بعدها" أي: "بعد الظهر بعد الركعتين"[2].

وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: "إن صلاة الظهر لها ست ركعات: أربع قبلها بسلامين، وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر لأن الرواتب تقضى كما تقضى الفرائض"[3]، وخير دليل على ذلك ما رواه كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالله بن عباس وعبدالرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم أَرْسَلُوهُ إِلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالُوا: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنَّا جَمِيعًا وَسَلْهَا عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. وَقُلْ: إِنَّا أُخْبِرْنَا أَنَّكِ تُصَلِّينَهُمَا. وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْهُمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَكُنْتُ أضرب[4] مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ النَّاسَ عَنها. قَالَ كُرَيْبٌ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا وَبَلَّغْتُهَا مَا أَرْسَلُونِي بِهِ. فَقَالَتْ: سَلْ أُمَّ سَلَمَةَ. فَخَرَجْتُ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقَوْلِهَا. فَرَدُّونِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ، بِمِثْلِ مَا أَرْسَلُونِي بِهِ إِلَى عَائِشَةَ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ يَنْهَى عَنْهُمَا. ثُمَّ رَأَيْتُهُ يُصَلِّيهِمَا. أَمَّا حِينَ صَلاَّهُمَا فَإِنَّهُ صَلَّى الْعَصْرَ. ثُمَّ دَخَلَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٣.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٣/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٢٦/٢.

(٤) هكذا وقع في بعض الأصول أضرب الناس عليها، وفي بعض أصرف الناس عنها، وكلاهما صحيح ولا منافاة بينهما، وكان يضربهم عليها في وقت ويصرفهم عنها في وقت من غير ضرب أو يصرفهم مع الضرب، ولعله كان يضرب من بلغه النهي ويصرف من لم يبلغه من غير ضرب وقد جاء في غير مسلم أنه كان يضرب عليها بالدرة. قاله النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١.

وَعِنْدِي نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي حَرَامٍ مِنَ الأَنْصَارِ. فَصَلاَّهُمَا. فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ الْجَارِيَةَ فَقُلْتُ: قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي أَسْمَعُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ. وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا؟ فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ. قَالَ فَفَعَلَتِ الْجَارِيَةُ. فَأَشَارَ بِيَدِهِ. فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ. فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: ((يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ. إِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ بِالإِسْلاَمِ مِنْ قَوْمِهِمْ. فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ. فَهُمَا هَاتَانِ))[1].

قال النووي: "فيه فوائد، منها إثبات سنة الظهر بعدها. ومنها أن السنن الراتبة إذا فاتت يستحب قضاؤها، وهو الصحيح عندنا. ومنها أن الصلاة التي لها سبب لا تكره في وقت النهي وإنما يكره ما لا سبب لها، وهذا الحديث هو عمدة أصحابنا في المسألة، وليس لنا أصح دلالة منه، ودلالته ظاهرة، فإن قيل: فقد داوم النبي ﷺ عليها ولا يقولون بهذا. قلنا: لأصحابنا في هذا وجهان حكاهما المتولي وغيره: أحدهما القول به فمن دأبه سنة راتبة فقضاها في وقت النهي، كان له أن يداوم على صلاة مثلها في ذلك الوقت. والثاني وهو الأصح الأشهر ليس له ذلك، وهذا من خصائص رسول الله ﷺ، وتحصل الدلالة بفعله ﷺ في اليوم الأول، فإن قيل: هذا خاص بالنبي ﷺ. قلنا: الأصل الاقتداء به ﷺ وعدم التخصيص حتى يقوم دليل به، بل هنا دلالة ظاهرة على عدم التخصيص، وهي أنه ﷺ بين أنها سنة الظهر ولم يقل هذا الفعل مختص بي، وسكوته ظاهر في جواز الاقتداء"[2]، وفي ذلك بيان على أهمية الحرص والمحافظة على السنن الرواتب ومنها سنة الظهر.

ثالثًا - من آداب المدعو: اغتنام فرص الأوقات الفاضلة:

"لقد اختص الحق تبارك وتعالى بعض الأزمنة بخواص لم يختص بها غيرها، ففضلها على سائرها، وقدّمها على ما سواها، وندب إلى اغتنامها، والتعرض لما

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٣٣، ومسلم ٨٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥١، وانظر آراء الفقهاء في ذلك، الموسوعة الفقهية ٢٨٤/٢٥.

يدركها من نفحات"[١]، فقال ﷺ: ((إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَهَا لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَكُمْ نَفْحَةٌ مِنْهَا فَلاَ تَشْقَوْنَ بَعْدَهَا أَبَدًا))[٢].

وكان من هذه الأوقات الفاضلة ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ عند صلاته لسنة الزوال: (إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمال صالح)، وقد بينت النصوص الشرعية هذه الأوقات الفاضلة، وحثت عليها، فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ مِنْ سَاعَةٍ أَقْرَبُ مِنَ الأُخْرَى؟ قَالَ: ((نَعَمْ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَبْدِ جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ فَإِنَّ الصَّلاَةَ مَحْضُورَةٌ مَشْهُودَةٌ))[٣].

قال المباركفوري: "قال القاري في قوله: (فإن استطعت)، أي: قدرت ووفقت (ممن يذكر الله)، من ضمن صلاة أو غيرها (في تلك الساعة)، إشارة إلى لطفها (فكن)، أي: اجتهد أن تكون من جملتهم"[٤].

وكان من هذه الأوقات الفاضلة التي يُندب إلى اغتنامها، ويحثُ الشرع على الحفاظ عليها، يوم الجمعة، فإن ((فيه ساعةٌ لا يُوافِقُها عبدٌ مُسلمٌ وَهوَ قائمٌ يُصلّي يَسأَلُ اللهَ تعالى شيئًا إلا أَعطاهُ إيّاهُ))[٥].

قال ابن حجر (وروى عبد الرزاق عن معمر أنه سأل الزهري عن ساعة يوم الجمعة، فقال: لم أسمع فيها بشيء، إلا أن كعبا كان يقول لو أن إنسانا قسم جمعة في جمع لأتى على تلك الساعة، قال ابن المنذر: معناه أنه يبدأ فيدعو في جمعة من الجمع من أول النهار إلى وقت معلوم، ثم في جمعة أخرى يبتدئ من ذلك الوقت إلى وقت آخر حتى يأتي على آخر النهار، قال: وكعب هذا هو كعب الأحبار، قال: وروينا عن ابن عمر أنه قال:

---

(١) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب، ط/٢ دار الوفاء، السعودية: ١٤٠٧هـ ص ٦٨.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠، وضعفه في ضعيف الجامع ١٩١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٥٢٠.

(٥) أخرجه البخاري ٩٣٥.

إن طلب حاجة في يوم ليسير، قال: معناه أنه ينبغي المداومة على الدعاء يوم الجمعة كله ليمر بالوقت الذي يستجاب فيه الدعاء انتهى، والذي قاله ابن عمر يصلح لمن يقوى على ذلك، وإلا فالذي قاله كعب سهل على كل أحد، وقضية ذلك أنهما كانا يريان أنها غير معينة، وهو قضية كلام جمع من العلماء كالرافعي وصاحب المغني وغيرهما حيث قالوا: يستحب أن يكثر من الدعاء يوم الجمعة رجاء أن يصادف ساعة الإجابة، ومن حجة هذا القول تشبيهها بليلة القدر والاسم الأعظم في الأسماء الحسنى، والحكمة في ذلك حث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة، بخلاف ما لو تحقق الأمر في شيء من ذلك، لكان مقتضيًا للاقتصار عليه وإهمال ما عداه)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن المنير في الحاشية: إذا علم أن فائدة الإبهام لهذه الساعة ولليلة القدر بعث الداعي على الإكثار من الصلاة والدعاء، ولو بين لاتكل الناس على ذلك وتركوا ما عداها، فالعجب بعد ذلك ممن يجتهد في طلب تحديدها)[2].

وقد كان من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم أيامًا العمل الصالح فيها أحب إليه من أي يوم آخر، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما منْ أيَّامٍ العملُ الصالحُ فيهِنَّ أحبُّ إلى اللَّهِ منْ هذه الأيامِ العشرةِ))، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! ولا الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ؟ قال: ((ولا الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ إلاَّ رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه فلمْ يرجعْ منْ ذلكَ بشيءٍ))[3].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ))، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ هُنَّ أفْضَلُ أمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ؟ قالَ: ((هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللَّهِ مَنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحين[4] جاؤوا مِنْ كُلِّ فجٍ عَمِيقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٤.

(٢) المرجع السابق ٢/٤٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٤) ضاحين: بالضاد المعجمة والحاء المهملة، أي: بارزين للشمس غير مستترين منها، يقال لكل من برز للشمس من غير شيء يظله ويكفه: إنه ضاح، وقد تحرف في الأصل إلى: (حاجين) قاله محقق صحيح ابن حبان، شعيب الأرنؤوط ٩/١٦٤.

عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[١].

"وقد اختص الله تعالى شهر رمضان - الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ورحمة - بخصائص ليست لسائر الشهور، فافترض صومه، واستن قيامه، وندب إلى الإكثار فيه من كل عمل صالح.

ثم اختص العشر الأخير منه، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر"[٢]، ((فكان ﷺ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتّى تَوَفّاهُ اللّهُ تعالى، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُهُ من بَعدِه))[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان النبيُّ ﷺ إذا دَخلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَه، وأحيا ليلَه، وأيْقَظَ أهلَه))[٤].

"ومما لا شك فيه أن هذا الاغتنام لتلك الأوقات الفاضلة بالقربات والطاعات، يعني للمسلم شيئًا آخر أيضًا، وهو: إنزاله عمله دائمًا من الوقت الملائم له.

فأجزاء الليل والنهار متفاوتة قيمة من حيث عطاء المرء: نوعه وقدره، فالحريص من يُنزِّل كل عمل فيما يناسبه من وقت.

والبكور الذي هو أول النهار، خير أوقات العمل التي تغتنم لكل مهم ودقيق وجليل"[٥].

فعن صخر الغامدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا)) قال: وكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَها مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وكَانَ صَخْرٌ رَجُلاً تَاجِرًا، وكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وكَثُرَ مالُهُ[٦].

---

(١) أخرجه ابن حبان ٢٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح ١٦٤/٩.

(٢) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٢٦.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٢٤.

(٥) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون الأحدب ص ٧٠.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

فعلى المدعو أن يغتنم فرص الأوقات الفاضلة، لما في ذلك من فلاحه في الدنيا والآخرة.

رابعًا - من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب وأهمية ذلك:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي بيان أهمية اتباع النبي ﷺ والتأسي به في المحافظة على السنن الرواتب قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، "واتباع النبي ﷺ هو الاقتداء به في أقواله وأفعاله على الوجه الذي جاء به من وجوب أو ندب مع توفر القصد والنية في متابعته والتأسي به"[2]، "فلقد شرع رسول الله ﷺ سنن الصلوات الرواتب ورغّب المصلين فيها، وحثهم على المواظبة عليها بقوله وفعله، والحقيقة أن العناية بها والحرص عليها لدليل على الاهتمام الكبير بشأن الفروض الخمسة، التي جعلها الله على المؤمنين كتابًا موقوتًا، والعكس بالعكس، فإن التهاون بها والتفريط فيها وسيلة إلى التقصير في الفرائض أو الإضاعة لها. لأن دعوة الشيطان دعوة مرحلية؛ ذلك بأنه يأتي إلى المصلي ويزهده في السنن الرواتب بحجة أنها لا يترتب على تركها عقاب، حتى إذا أقنعه بذلك واقتنع، انتقل به قطعًا إلى تأخير الفرائض عن أوقاتها المحددة، وصلاتها في البيوت، ولا يزال به يترك بعض الفرائض أو كلها، وذلك ما يريده الشيطان من الإنسان ليقطع الصلة بين العبد الضعيف وبين خالقه القادر على كل شيء، والغني عما سواه، فعلى المدعو أن يتأسى ويقتدي بالنبي ﷺ في المحافظة على السنن الرواتب"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ١.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٠٦.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد محمد هادي ص ١٨٨.

الحديث رقم (١١٢٠)

١١٢٠ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أربَعًا قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تنقل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها موقفا عن النبي ﷺ يعكس حرصه على تدارك الخير ما أمكن إذا فاتته السنة القبلية لصلاة الظهر تداركها بعدها فأداها حتى لا يفوته خيرها، (كَانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أربَعاً قَبلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهَا) والطباق بين الظرفين المحيطين بالصلاة تقرر عدم خلو أحدهما عن نافلة تصلى فيه، وهو منتهى الحرص عليها كما أنه يعلم أمته من بعده أمرا مهما في النوافل، وهو أن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن شغلته الدنيا بشواغلها، -وأكثرنا هذا الرجل في عصر كثرت فيه المغريات - تدارك من هذه النوافل ما يستطيع، ولا يتركها بل عليه أن يحرص على أداء ما استطاع، ثم إن لهذا الأمر بعدا آخر، وهو أن النوافل تمثل حصنا حصينا للفرائض لا يستطيع الشيطان أن ينال من فرائض عبد حريص على النوافل حتى يخرجه أولا عن هذا الحصن.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٢٦) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التأسي بالنبي ﷺ في الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت:

كان النبي ﷺ حريصًا على تربية أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم على بيان كيفية صلاة الفريضة وصلاة التطوع من حيث المكان، حيث كان يصلي الظهر فضلاً عن بقية الصلوات المكتوبة في المسجد، وكان حريصًا على تربية المسلم على أهمية إعمار البيوت بصلاة التطوع. ولاشك أن الجو الروحي الذي تضفيه الصلاة على المكان يؤدي إلى نوع من السكينة والوقار والهدوء، وإذا كان ذلك هو السمت العام للمساجد، فقد أراد النبي ﷺ أن تمتد هذه الحالة الروحية إلى البيوت من خلال صلاة التطوع فيها.

وقد عمل النبي ﷺ على ترسيخ ذلك عمليًا من خلال ما قام به، حيث أخبرت عائشة رضي الله عنها بذلك فقالت: "كان النبي ﷺ يصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يدخل فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين، ويصلّي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين"؛ فالنبي ﷺ قد صلّى في بيته ليحقق بذلك السكينة، وقد كان ذلك متحققًا في بيوت النبي ﷺ ولكن ليعلمنا أهمية هذا الأمر، ثم خرج فصلّى بالناس ثم دخل فصلّى التطوع في البيت فإذا كان ﷺ قد أمّ الناس في المسجد، فإنه جمع إلى ذلك أن صلّى تطوعًا في بيته، فجمع ﷺ بين إمامة المسلمين وصلاة التطوع في بيته، حيث يؤدي ذلك إلى إشباع الرغبات الروحية للنفس، وهذا مطلب غاية في الأهمية؛ حيث يكون للنفس حظها من التزكية والتهذيب والترقي في مقامات العبودية.

إن على المربي أن يربي أتباعه على الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد وصلاة التطوع في البيت، اهتداءً بهذا الهدي النبوي الشريف، فيحافظون على أداء الصلوات الخمس جماعة في المساجد، بيوت الله في أرضه، فهي من شعائر الإسلام ومعالمه

البارزة، وخصائصه المميزة، كما يعمر بيته بأداء النوافل فيه، كما عمّر مساجد الله بالصلاة والذكر والدعاء والتلاوة، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

إن الصلاة لها دور تربوي لا يخفى، سواء الصلوات الجماعية في المساجد أم الصلوات الفردية في البيوت، يقول الأستاذ محمد المبارك: (إن العبادة اليومية الأساسية في الإسلام هي الصلات، وهي في حقيقتها خلوة قصيرة لمناجاة الله تشتمل على تفكر وتأمل وعلى ذكر ودعاء وعلى تلاوة للقرآن، وهي وسيلة لتذكير الإنسان بربه من خلال استغراقه في الأعمال اليومية الدنيوية التي توجه ذهنه عادة إلى الكسب والربح أو إلى الصلات الاجتماعية أو إلى ملذات الحياة أو متاعبها ومشاقها، وهو في كل ذلك في حاجة إلى تذكيره برابطته الأساسية الباقية التي هي رابطته بالله لتخرجه من استرساله في الشهوات أو ميله إلى الظلم والشر والباطل أو من ضعفه بالنفس وشعوره بالعجز إذ تصله بمصدر القوة ومصدر الحق والخير والعدل، من له الحكم وإليه المصير... وقد أجمع المسلمون على أن ثمة صلوات مفروضة في كل يوم لا مجال لإهمالها أو التقصير فيها، وهذا الحد الأدنى من الصلة بالله التي نظمها الشارع في الإسلام في الصلوات المفروضة، هو الحدّ الذي يفصل بين الإنسان الغافل اللاهي الفاقد للشعور بموقعه الحقيقي في الوجود، ذلك الإنسان القريب جدًّا من الحيوان وإن زاد عنه في ملكة التفكير ولكنه فاقد للعنصر الأسمى من إنسانيته، الإنسان الواعي لإنسانيته.

إن الصلاة التي تتخلل ساعات الليل والنهار تذكر الإنسان بموقعه من الكون وخالقه وتذكره برسالته في هذه الأرض التي استخلفه الله فيها وبأوامر ربّه التي بلغها رسوله وبالمثل العليا التي رسمها لحياته، فهي تزكي أعماله وتطهر نفسه، ويجب أن

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٨.

تتخلل الصلاة جميع أعمالنا ومنظماتنا ومؤسساتنا يجب أن تهيأ لها الفرص لإقامتها في المدرسة والثكنة والباخرة والقطار والمخيم ومكاتب العمل ومصانع العمال، ويحسب لها حسابها في ساعات العمل وفي برامج الاجتماعات وتعلن شعائرها فيستعلن صوت المؤذن "الله أكبر" ويخفت كل صوت غيره في مواعيد الأذان ومواقيت الصلاة في ساحة الجند وصفوف الطلاب والعمال وفي المحاكم ودور الحكومة ومكاتب الموظفين والمجالس النيابية والحفلات العامة.

إن في انصراف هؤلاء جميعًا إلى الصلاة - صلاة الجماعة - معنى استعلاء الروح واستعلاء المثل العليا على المال والمنصب والجاه والقوة، وفيه معنى التقاء الناس على اختلاف أحوالهم المالية والاجتماعية على صعيد العبودية لله والمساواة في هذه الصفة.

والصلاة في الإسلام يمكن أن تكون فردية ويمكن أن تكون جماعية، ومنها المفروض، ومنها صلاة التطوع الزائدة على الفرض"[1].

ثانيًا - التربية بالترغيب واغتنام الأوقات الفاضلة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها، حرمه الله على النار" وقد حرص النبي ﷺ على التربية بالترغيب من خلال بيانه ﷺ الثواب أو الجزاء المنوط بالمحافظة على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها، كما أن النبي ﷺ ضرب المثل والقدوة في اغتنام الوقت الفاضل كما في حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه، كان رسول الله ﷺ يصلّي أربعًا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح.

فقد ملأ النبي ﷺ هذا الوقت الفاضل بعمل صالح وهو الصلاة، حتى يكون ذلك في صحيفة أعماله، فدل ﷺ - بهديه قولاً وعملاً - على اغتنام الوقت الفاضل وشغله بالأعمال الطيبة والأفعال الصالحة، لذا كان من الأجدر أن تقوم التربية على

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دون بيانات أخرى ص ١٧٨ - ١٨٠.

اغتنام هذه الأوقات والأزمان التي ميزها الله بالفضل، فما وقع في الوقت أخذ حكمه، فما وقع في وقت فاضل كان فاضلاً، وما وقع في وقت التفريط والإهمال اصطبغ بذلك وتطبع، ولذا كان على "المسلم الحريص على استباق الخيرات، أن يتحرى الأوقات التي ميزها بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها.

كما روي في الحديث ((إن لربكم في دهركم نفحات فتعرضوا لها))[1] وهذا التخصيص من شأن الألوهية وحدها، يختص برحمته من يشاء وبما يشاء، فكما فضل الله بعض الأشخاص على بعض، وبعض الأنواع على بعض، وبعض الأمكنة على بعض، فضل كذلك بعض الأزمنة على بعض ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾[2]، فقد فضل الله في الليل ساعات السحر وهي الثلث الأخير من الليل حيث يتجلى الله على عباده كل ليلة، حيث ينزل إليهم نزولاً يليق بجلاله فينادي ((هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ، هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ))[3].

ولهذا وصف الله المتقين المحسنين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[4]، وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[5]. وفضل الله تعالى من أيام الأسبوع يوم الجمعة وهو العيد الأسبوعي للمسلمين وفيه فريضة صلاة

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن محمد بن مسلمة كما في الجامع الصغير للسيوطي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١٩١٥، لكنه حسّنه في السلسلة الصحيحة ١٨٩٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ٧٥٨، ١٧٠، وأخرجه البخاري ١١٤٥ بنحوه.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩ ، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٣).

الجمعة، ولقاء الجمعة وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له.

وفضل الله تعالى من أيام العام: أيام عشر ذي الحجة، وأفضلها يوم عرفة بل هو أفضل أيام العام على الإطلاق، جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ هذِهِ الأَيَّامِ، يعني العشر قِيلَ: وَلاَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلاَ الْجَهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ مَنْ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فلا يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ))[1].

وفضل الله من الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين. وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر، يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم، ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

ورمضان كله شهر مهم، ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر، وأهميتها لأمرين:

أولاً - أنها ختام الشهر وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا - أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر وأنزل في فضلها سورة من كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾. وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن: إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٦٩.

(٢) من ذلك حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠٢، ومسلم ١١٦٩.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله[١] وكان يخصها بالاعتكاف[٢].

وفضل الله من الشهور بعد رمضان: الأشهر الحرم وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾[٣] وظلم النفس محرم في كل شهر، ولكنه في الأشهر الحرم أشد إثمًا[٤].

ثالثًا - التربية على فعل الخير وإن فات وقته:

وهذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلِّ أربعًا قبل الظهر، صلاهن بعدها، فدل هذا على أنه ﷺ كان يحرص على ألا يفوته ثواب التطوع مع صلاة الظهر، فإذا كان من سنته ﷺ التنفل قبلها أربعًا أو اثنتين، فإنه قد يعرض له ما يشغله عن ذلك، فيحرص النبي ﷺ على أن يصلِّي أربعًا بعد صلاة الظهر، وذلك حرصًا على عدم تفويت الأجر والثواب، وعن عائشة رضي الله عنها ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[٥]، قال النووي: (هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضي)[٦]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))[٧].

وإذا كان هذا في مجال العبادات، وهو مقيد بما جاء في الشرع، ففي مجال المعاملات يكون المجال مفتوحًا على مصراعيه لاستدراك ما فات من الخير لأي سبب

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ومسلم ١١٧٢ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ٢٢ - ٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٧٤٦، ١٤٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١١.

(٧) أخرجه مسلم ٧٤٧.

من الأسباب، وعلى ذلك يجب تربية الناشئة على هذا، وفي ذلك عدة فوائد تربوية:

أ - تعويد الناشئة على عدم تأجيل فعل الخير لضرورة أو حاجة، وذلك لأن لكل وقت عمله الذي يعمل فيه، فإذا أجل زاحمته الأعمال الأخرى وتعارضت معه.

ب - عدم الضجر والملل من العوارض التي تمنع من إتيان الخير وفعله في وقته، فما دام هناك فسحة لاستدراك ذلك في وقت آخر، فلا داعي للقلق والحزن لذلك، وذلك إذا كان هذا العارض بسبب خارج عن إرادة الإنسان[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة ٣٦٥ وما بعدها.

٢٠٠- باب سنة العصر

الحديث رقم (١١٢١)

١١٢١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث السنة القبلية لصلاة العصر يرويه الإمام علي كرم الله وجهه - وقد استخدم كان ليشير إلى أنها عادة غالبة أنه يصلي قبل العصر أربع ركعات، فالظرف (قبل) يحدد زمن النافلة، ولفظ (أربع) يحدد العدد، وقوله (يَفْصلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ) يوضح صفة صلاة هذه النافلة، والمقصود بالتسليم على الملائكة، والنبيين التسليم في التشهد، والجمع بين المَلائِكَةِ، والمُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ فيه مراعاة نظير، وهو الجمع بين الشيء، وما يناسبه، وبينهم تناسب في المعنى من حيث أنهم جميعا يوحدون الله - عز وجل -.

فقه الحديث

وفي الأحاديث[2] من الفقه: استحباب أربع قبل العصر[3]، أو ركعتين نظرًا لاختلاف الروايات، إلا أن الصلاة قبل العصر ليست من الرواتب، ويجمع بين الرواية التي تذكر

---

(١) برقم (٤٢٩). وصحّحه ابن خزيمة (١٢١١).

(٢) أي أحاديث الباب.

(٣) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٤٢/١، الفواكه الدوائي ١٩٦/١ - ١٩٧، الثمر الداني ١٣٣/١، إعانة الطالبين ٢٤٥/١، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشربيني ١١٥/١، المغني، ابن قدامة ٤٣٤/١، المبدع، ١٦/٢، الكافي، ابن قدامة ١٤٩/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢٥/٢٢ - ١٢٦.

أربعًا، والأخرى التي تذكر ثنتين بأن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا أربع ركعات، وأحيانًا ركعتين، وعلى ذلك فالمرء مخير بين أن يصلي أربعًا، أو ركعتين والأربع أفضل[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدي النبي ﷺ في صلاة سنة العصر وفضلها:

هذا ما أشارت إليه الأحاديث الواردة، وفي بيان هديه ﷺ في ذلك قال المباركفوري: "فيه استحباب أربع ركعات قبل العصر لقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان النبي ﷺ يُصلي قبل العصر أربع ركعات، أما في رواية أبي داود من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي قبل العصر ركعتين، فالمراد أنه ﷺ أحيانًا يصلي أربع ركعات وأحيانًا ركعتين جمعًا بين الروايتين، فالرجل مخير بين أن يصلي أربعًا أو ركعتين والأربع أفضل، وفي قوله: (يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين)، المراد بالتسليم تسليم التشهد دون تسليم التحلل"[٣]، "وهذا ما بيّنه البغوي في شرح السنة"[٤]، وقال الطيبي:"سمي التشهد بالتسليم لاشتماله عليه"[٥]، وقال المباركفوري: "وقيل: المراد بالتسليم التحلل من الصلاة"[٦]، وقال ابن علان: "والتسليم هو: التحلل من

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤١٥/٢.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٢١ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٢)، (١١٢٣).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٤/١.

(٤) شرح السنة ٤٦٨/٣.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٨٧/٣.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢٥/١.

الصلاة (على الملائكة المقربين ومن تبعهم)، أي: في توحيد الله سبحانه وتعالى (من المسلمين والمؤمنين)، من عطف المتساويين؛ إذ الإسلام والإيمان متَّحدا ماصدقا وإن اختلفا مفهومًا، وما فعله ﷺ من الفصل بالتسليم هو الأفضل؛ لما فيه من زيادة الأعمال والأذكار، ويجوز صلاتهن بتسليم واحد"[1]، وقد بين النبي ﷺ عظم فضل صلاة أربع ركعات قبل العصر، فقال: "رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا"، قال ابن علان: "وجملة (رحم الله)، خبرية لفظًا دعائية معنى؛ نحو غفر الله لك، وفي الحديث إيماء إلى التبشير لفاعل ذلك بالموت على الإسلام، الذي هو أعظم الرحمات، وأسنى العطيات لابتناء نعيم الآخرة عليه"[2]، وقال صاحب عون المعبود: "وفي الحديث استحباب أربع ركعات قبل العصر، والدعاء منه ﷺ بالرحمة لمن فعل ذلك، والتصريح بتحريم بدنه على النار، مما يتنافس فيه المتنافسون"[3].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان فضل صلاة النوافل والثناء الحسن على من يحافظ عليها:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ: (رحم الله امرءًا صلى قبل العصر أربعًا)، فعلى الداعية بيان "أن من سنن الهدى التي توجب للعبد من ربه الرحمة والمغفرة والهدى، وتكون سببًا متينًا من أسباب المخرج من شدة هول يوم القيامة: نوافل الصلاة، إذ أنها من القربات التي ترفع العبد درجات، وتكفر عنه السيئات والخطيئات، التي لا محيص ولا مفر للعبد من الوقوع فيها مهما كانت التقوى والورع والتحرزات، وما ذلك إلا لضعف هذا الإنسان البشري أمام الشهوات والشبهات، وأمام تلك الأمور الملهيات والمغريات، التي توجد عبر تاريخ الزمن وسائر الأوقات. وإنه ليكفي المتقرب إلى الله عز وجل بنوافل العبادات -ومنها نوافل الصلاة- أن الله تبارك وتعالى يكون معه بالحفظ والتأييد والتوفيق والعناية والرعاية"[4]، كما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) دليل الفالحين لطريق رياض الصالحين ص ١٢٨٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦٠٣.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩٠.

الله ﷺ: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[1]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بالنوافل حتى أحبه)، ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، وقد استشكل بما تقدم أولاً أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة؟ والجواب: أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها... وقال الفاكهاني: معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض وداوم على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما، أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى، وقال ابن هبيرة: يؤخذ من قوله (ما تقرب ... إلخ) أن النافلة لا تقدم على الفريضة، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى. وأيضًا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبًا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة، بخلاف ما يؤدي ما عليه من خراج، أو يقضي ما عليه من دين.

وأيضًا من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض"[2] كما صحّ في الحديث الذي أخرجه الترمذي: ((إنَّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عملِهِ صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى: أنظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ، ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك))[3]، قال المباركفوري: "قال العراقي: "في قول: (فيكمل بها ما انتقص من الفريضة) يحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن والهيئات المشروعة فيها من الخشوع والأذكار والأدعية، وأنه يحصل له ثواب ذلك في الفريضة وإن لم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١١/٣٥١.

(٣) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

يفعله فيها، وإنما فعله في التطوع، ويحتمل أن يراد به ما انتقص أيضًا من فروضها وشروطها، ويحتمل أن يراد ما ترك من الفرائض رأسًا فلم يصله، فيعوض عنه من التطوع. والله سبحانه وتعالى يقبل من التطوعات الصحيحة عوضًا من الصلوات المفروضة انتهى.

وقال ابن العربي: يحتمل أن يكون يكمل له ما نقص من فرض الصلاة وأعدادها بفضل التطوع، ويحتمل ما نقصه من الخشوع عندي أظهر، لقوله: ثم الزكاة كذلك وسائر الأعمال وليس في الزكاة إلا فرض أو فضل، فكما يكمل فرض الزكاة بفضلها، كذلك الصلاة، وفضل الله أوسع ووعده أنفذ وعزمه أعم انتهى. "ثم يكون سائر عمله على ذلك"، أي: إن انتقص فريضة من سائر الأعمال تكمل من التطوع"[1].

"ولعظم شأن نوافل الصلاة قد رغّب الله عباده فيها بأسلوب فاضل عظيم وهو الثناء الحسن على المحافظين عليها ووعدهم الجزاء الأوفى، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2] وقال عز وجل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]"[4].

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبرًا عن المتقين لله عز وجل: إنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون، وقوله (آخذين ما آتاهم ربهم)، قال ابن جرير: أي: عاملين بما آتاهم الله من الفرائض ...، ولما كان قيام الليل بالصلاة من أفضل النوافل بعد

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٠٩/١.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٣) سورة السجدة، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد مدخلي ص ١٩١.

المكتوبة لقوله ﷺ: ((وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[١]، كانت هذه الآيات الكريمات لتدل دلالة صريحة على فضل قيام الليل وإحيائه بنوافل الصلاة والذكر والدعاء والاستغفار، التي تعتبر من أجّل صفات المتقين، ومن أبرز العلامات التي ترشد إلى إيمان المؤمنين، وإحسان المحسنين، كما تدل بوضوح على حسن الجزاء لهؤلاء الأبرار الذين آثروا الآجلة على العاجلة، ولذات المناجات الربانية على لذة النوم العاجلة، ولذة المتعة الحياتية الزائلة، فعلو ذلك طمعًا ورجاء فيما أعد الله لهم من كرامة في دار الكرامة، ومن إحسان وفضل في دار الإقامة، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، حقًا إن هؤلاء الأتقياء تلذذوا بمناجاة خالقهم وبارئهم، لا سيما في جوف الليل الذي يتنزل فيه الرب إلى السماء الدنيا فيستجيب دعاء من دعاه، ويغفر ذنب من ذكره واستغفره، ويجيب سؤال من تضرع إليه وسأله، حتى يبرق الفجر كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((مَن يَدعوني فأستجيبَ له، مَن يسألني فأُعطيَه، من يَستغفِرُني فأغفِرَ له))[٢]"[٣].

فعلى الداعية أن يذكّر بفضل الله العظيم، وبكرمه العميم، الذي أعده لعباده الطائعين المحافظين على فرائضه، والمقيمين لنوافله.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الضرورية لأي داعي، لأن النفس البشرية قد فطرت على حب الكسب المترتب على فعل شيء ما دنيويًا كان الكسب أو أخرويًا[٤]، و"الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبِلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب"[٥]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في المحافظة على

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي ص ١٩١.

(٤) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، د. بكر زكي عوض ص ١٤٠.

(٥) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ص ٤٢١.

أربع ركعات قبل العصر وذلك لنيل رحمة الله تعالى.

رابعًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة النوافل:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث، "فهو ﷺ الذي جعله الحق تبارك وتعالى للناس كافة، الهادي والمبلغ، والسراج المنير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[1].

فعلى المدعوين أن يترسموا خطاه، ويستضيئوا بهديه، ويقتفوا أثره، والتأسي به ﷺ - يعني التجريد والمتابعة في كل دقيق وجليل من أمور الدين، فهو ﷺ المبلغ عن ربه عز وجل شرعه قولاً وعملاً وتقريرًا، وهو المبين والمفسر للوحي كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2]، فعلى المدعو أن يتأسى بالنبي ﷺ في تزكية النفس بصنوف العبادات المفروضة والمسنونة، فإذا سهل على المدعو قيادة نفسه، كانت دعوته لغيره أسهل وأيسر"[3]، وفي ذلك عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) انظر: صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٨ - ٦٤.

الحديث رقم (١١٢٢)

١١٢٢- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((رَحِمَ اللَّهُ امْرءًا صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعًا)) رواه أبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ[1]، وَقَالَ: (حَدِيثٌ حَسَنٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة أربع ركعات قبل العصر ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله امرأً) بمعنى اللهم ارحم ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رحم الله امرأً صلى قبل العصر) أما بعد صلاة العصر فيأتي المنع من النافلة. إذاً :جاء في فريضة العصر أنه يصلي أربعاً قبلها، وكأنه عندما يقول: (رحم الله امرأً صلى) كأنه يقول: الأمر أهون من غيره، ولكن إن شئت الرحمة، والفضل فصل أربعاً قبل العصر، ولابد أن يعلم أنها في قوة الطلب ليست كركعتي الفجر، وليست كركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها؛ لأن الطلب هنا فيه ترجيح، وترغيب من جهة التعرض لرحمة الله سبحانه، وتعالى - على ما ذكر شارح بلوغ المرام في الحديث.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٢٧١)، والترمذي (٤٣٠) ولفظهما سواء، وقال: حديثٌ غريبٌ حسنٌ. وصحّحه ابن خزيمة (١١٩٣)، وابن حبان (الإحسان ٢٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (٨٤٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٢٣)

١١٢٣ - وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أبُو دَاوُدَ[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول بيان سنة العصر من ناحية تحديد زمانها، وعددها في جملة قصيرة مركزة مؤدية للمعنى من طريق واضح، وهو الأسلوب الخبري الضارب في عمق الماضي ب(كان) التي تشير إلى التحقق، وسبق التحقق، والعادة الغالبة في الفعل، والفعل المضارع (يصلي) يستحضر الصورة المتجددة المستمرة منه ﷺ، والظرف (قبل) يحدد زمان هذه النافلة وقوله (ركعتين) يحدد العدد عن طريق المثنى، ويقرر السنة فيها عن طريق الفعل (يصلي) وهو ترغيب للمؤمنين بفعل الرسول ﷺ للإقتداء به في هذه النافلة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٢٧٢). وكذا قال المؤلف في المجموع (٨/٤).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢١)، (١١٢٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالدعاء:

هذا مستمد من قوله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ امرءًا صلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا». فقد دعا النبي ﷺ لمن تطوع بأربع ركعات قبل العصر، قال ابن عثيمين: "هذه الجملة دعائية: يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلّى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث - وإن كان فيه مقال عند أهل العلم - لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلّى هذه الأربع"[1].

وقال العراقي: "يحتمل أن يكون دعاءً وأن يكون خبرًا"[2]، وعلى توجيه أن الحديث جاء دعاءً فإنه يمكن أن نستفيد منه في مجال التربية والتهذيب، والتعليم والتوجيه، ولا سيما في مجال الترغيب في فعل الخير والمسابقة إليه، وكذلك الترهيب من فعل الشر والمبادرة إلى اجتنابه، إن المربي يمكن أن يربى أتباعه عن طريق الدعاء ويحقق نتائج طيبة جدًا، ومن أمثلة ذلك أن يقول لهم:

أ - أعان الله من أعان مسلمًا. في التربية على الإعانة والتعاون.

ب - ستر الله من ستر مسلمًا. في التربية على الستر.

ج - أحب الله من أحبّ الخير لإخوانه. في التربية على حب الخير للإخوان وإرشادهم إليه.

د - حرم الله النار على من اجتنب الكبائر.

هـ - زاد الله مال من اجتنب الربا. وجعل بينه وبينه سدًا منيعًا.

وهكذا يسير المربي في تربية أتباعه على هذا النهج.

والمتأمل في التربية بالدعاء يجد فيه فوائد تربوية مهمة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى واستعانته وطلب عونه ومدده في جميع الأحوال والمواقف.

ب - تذكير الناشئة وغيرهم بسعة رحمة الله وعفوه وجزيل ثوابه، مما يعود عليهم

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٣٢٨/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٧٢٥/١.

بالإقبال على العمل والخشوع في أدائه، لأنهم يعاملون ربًا كريمًا عفوًا، يجزي على الحسنة بعشرة أمثالها، حتى تبلغ سبعمائة ضعف، ويضاعف لمن يشاء وهو الحكيم العليم.

ج - الدعاء من الذكر، "وذكر الله تعالى يولد الصحوة في إتقان العمل والإخلاص في التعامل في البيع والشراء وسائر المعاملات، ورعاية المصلحة العامة، والنظر إلى الحقوق والواجبات وعدم التجاوز عليها، والرفق بالناس وعدم غمطهم حقوقهم ومعاونتهم ومواساتهم بالقول والعمل، والذب عن العرض والمال والوطن جهادًا في سبيل الله وابتغاء مرضاته"[1].

والمقصود أن المربي يستخدم الدعاء ليربي أتباعه على فعل الخير والمبادرة إليه، حتى يكونوا من الذين قال عنهم ابن القيم: "استغشوا الهوى فخالفوه، واستنصحوا العقل فشاوروه، وفرَّغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له، وجوارحهم للعمل بما أُمِروا به، وأوقاتهم لعمارتها بما يعمر منازلهم في الآخرة، واستظهروا على سرعة الأجل بالمبادرة إلى الأعمال، وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتموا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه، وتزوّدوا للآخرة على قدر مقامهم فيها، فعجّل لهم سبحانه من نعيم الجنة أن آنسهم بنفسه، وأقبل بقلوبهم إليه وجمعها على محبته، وشوقهم إلى لقائه، ونعمهم بقربه، وفرّغ قلوبهم مما ملأ قلوب غيرهم من محبة الدنيا والهم والحزن على فوتها والغمّ من خوف ذهابها، فاستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانهم والملأ الأعلى بأرواحهم"[2].

ثانيًا: التربية على معايشة الصالحين وأهل الصلاح:

هذا مستمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كان النَّبيُّ يصلِّي قبلَ العصرِ أربَع ركعاتٍ يفصلُ بينهنَّ بالتسليمِ على الملائكةِ المقربينَ ومن تَبعهمْ من المسلمينَ والمؤمنينَ». فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم على صفوة خلق الله من الملائكة المقربين، ومن

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ١١٥.

(٢) الفوائد ٢٧٥.

تبعهم من المسلمين والمؤمنين، والسلام من المعايشة، فمن خصّ فلانًا بالسلام كان عارفًا بفضله ومكانته، وكان مستحضرًا لذلك وقت السلام[1]، وهذا هو خلاصة المعايشة، فليس مقصودًا بها معايشة الأبدان ورؤية الأعيان فقط، وإنما يقصد بها كذلك المعايشة باستحضار الصالحين وأفعالهم وأخلاقهم ولو لم يكن هناك رؤية بالعين، كما هو الحال في السلام على الملائكة فنحن لا نراهم، ولكن نعرف مدى عبادتهم ربهم وخوفهم وخشيتهم منه سبحانه وتعالى، ونقصد من السلام عليهم من ضمن ما نقصد، تقديرهم وإنزالهم منزلتهم التي استحقوها لعبادتهم ربهم عز وجل، ومن ثم الاقتداء بهم قدر الطاقة البشرية، ثم عطفنا بالسلام على من تبع الملائكة في الانقياد والطاعة والإذعان من عباد الله المسلمين والمؤمنين، والقاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة: الملائكة والمسلمين والمؤمنين، هو عبادة الله وحده والإخلاص في ذلك، فالسلام عليهم استحضار لذلك ومحاولة لأن يلحق بهم والدخول في زمرتهم، وذلك وفق ما تسمح به الطبيعة البشرية، لذا فإنه على المربي أن يعمل على أن يعايش مَن يقوم بتربيتهم أهل الصلاح والصالحين من العباد والعلماء الربانيين، سواء معايشة مباشرة عن طريق المعايشة الحياتية أو عن طريق القصّ والذكر والقراءة والسماع، ونحو ذلك، وهذا من أهم طرق المعايشة.

"فإن مطالعة سير الأبطال والمصلحين والنابغين وقراءة تراجمهم المحررة بأقلام تشرح نواحي العظمة فيهم وتصف آثارهم وتبين ما اختصّ به عظماء الرجال من تقدير وتمجيد كل ذلك مما يبعث الهمة ويوقظ العزيمة، ذلك أن حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على منوالهم، ولم تخل أمة من أبطال لا يقرأ القارئ ترجمة حياتهم إلا ويشعر بأن روحًا جديدًا دبّ فيه، وحرّكه للإتيان بعظائم الأمور، وجلائل الأعمال.

وكثيرًا ما دفع الناس إلى العمل الجليل حكاية قرؤوها عن رجل عظيم أو حادثة

---

(١) سواء قصد بالسلام الذي في الحديث التشهد، أو قصد به التسليم للخروج من الصلاة، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٧٢٥/١.

رويت عنه، وأمتنا الإسلامية -بحمد الله- غنية بالأبطال في شتى الميادين"[١].

والخلاصة أن على المربين أن يكثروا من رواية قصص الصالحين وأصحاب الهمم العالية حتى يدفعوا أتباعهم إلى الاقتداء بهم، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ، ٢٠٣ ومرجعه.

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تقدم في هذه الأبواب حديثُ ابن عمر[١] وحديث عائشة[٢]، وهما صحيحان: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَعدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ.

الحديث رقم (١١٢٤)

١١٢٤- وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((صَلُّوا قَبْلَ[٣] المَغْرِبِ)) قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ)) رواه البُخَارِيُّ[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مُغفَّل المزني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٦).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز يقرر سنة المغرب القبلية، وقد جاء المعنى في أسلوب إنشائي صدر على جهة الاستعلاء من حيث دلالة الأمر، وقوله ﷺ (صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ) أمر توجيه، وإرشاد لما فيه الثواب من الله تعالى كما أن فيه إعدادا للنفس، وتهيئة لها قبل الدخول إلى الفرض بتفريغ القلب بعد تفريغ الجوارح فكثير من المصلين يقف بين يدي الله فارغ الجوارح لكنه مشحون القلب بكل ما ترك خارج المسجد، فقد يكون بين مصل، ومصل من الأجر ما بين السماء، والأرض مع أنهما في صف واحد في وقت واحد، ولكن شتان بين قلب، وقلب، وتكرار الرسول ﷺ الأمر الذي حكاه الراوي يشير إلى أهمية هذه الصلاة، وتصعيد للأمر، وقوله (لمن شاء) احتراس من الظن بوجوبها، وقيل: كراهية أن يتخذها الناس سنة، ومعنى سنة طريقة لازمة يواظبون عليها.

---

(١) تقدم برقم (١٠٩٨).

(٢) تقدم برقم (١١١٥).

(٣) عند البخاري زيادة: (صلاة).

(٤) برقم (١١٨٣).

فقه الحديث

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وفي المسألة وجهان لأصحابنا أشهرهما: لا يستحبّ، وأصحهما عند المحققين: يستحبّ لهذه الأحاديث. وفي المسألة مذهبان للسلف واستحبهما جماعة من الصحابة والتابعين من المتأخرين أحمد وإسحاق. ولم يستحبهما أبو حجر وعمر وعثمان وعلي وآخرون من الصحابة، ومالك وأكثر الفقهاء. وقال النخعي: هي بدعة. وحجة هؤلاء أن استحبابهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها قليلاً وزعم بعضهم في جواب هذه الأحاديث أنها منسوخة. والمختار استحبابهما لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة. وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ: ((صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب، صلُّوا قبل المغرب. قال في الثالثة: لمن شاء))[1].

وأما قولهم يؤدي إلى تأخير المغرب فهذا خيال منابذ للسنة، فلا يلتفت إليه، ومع هذا فهو زمن يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها. وأما من زعم النسخ فهو مجازف، لأن النسخ لا يصار إليه، إذا عجزنا عن التأويل، والجمع بين الأحاديث، وعلمنا التاريخ، وليس هنا شيء من ذلك، والله أعلم[2].

وقال ابن حجر: (ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر)[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار.

---

(١) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/٦/٣ - ١٠٨ ، وانظر المجموع ٣٤٧/٣ - ٣٤٨ . وانظر كذلك المغني ٥٤٦/٢ - ٥٤٧ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٤٥/١، والقوانين الفقهية ص ٣٦، والكافي لابن عبدالبر ص ٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠٩/٢ .

(٤) هذه المضامين الدعوية خاصة بأحاديث الباب حتى الحديث رقم (١١٢٧).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك.

خامسًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان.

سابعًا: من ميادين الدعوة: المسجد.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر والتكرار:

قد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (صلوا)، والأمر من الأساليب الدعوية، التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل ما يجب عليه من أمور دينية ودنيوية، بما يحقق له الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، أما التكرار فبه لفت الانتباه والحث على أهمية الأمر المدعو إليه، ((وقد كان رسول الله ﷺ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمُ عَنْهُ))[1]، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: (قال في الثالثة). حيث أفاد التكرار الحث على صلاة النافلة قبل المغرب.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من قول الراوي: إن النبي ﷺ قال ثلاثًا: (صلوا قبل المغرب)، وزاد أبو داود في روايته: ((صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ))[2].

قال النووي: (وفي هذه الروايات استحباب ركعتين بين المغرب وصلاة المغرب، وقال في قول من قال إن فعلهما يؤدي إلى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة، ومع ذلك فزمنها يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها)[3]، وقال ابن حجر:

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ١٢٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٤٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٢.

(ومجموع الأدلة يرشد إلى استحباب تخفيفهما كما في ركعتي الفجر، قيل: والحكمة في الندب إليهما رجاء إجابة الدعاء، لأن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد)[١].

وقد أكد النبي ﷺ في حثه على ذلك فقال: ((بَينَ كلِّ أَذانَينِ صلاة، بينَ كلِّ أَذانَينِ صلاة - ثم قال في الثالثة:- لِمنْ شاء))[٢]، قال ابن حجر: "في قوله ﷺ: (بين كل أذانين)، أي: أذان وإقامة..، ولا مانع من حمل قوله: (أذانين) على ظاهره لأنه يكون التقدير بين كل أذانين صلاة نافلة غير المفروضة"[٣]، وفي ذلك بيان على حثه ﷺ على صلاة ركعتين قبل المغرب بين الأذان والإقامة.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل:

هذا ما يظهر جليًا في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نصلي على عهد رسول الله ﷺ ركعتين بعد غروب الشمس قبل المغرب، فقيل: أكان رسول الله ﷺ صلاهما؟ قال: كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا"، وفي حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)) قال في الثالثة: ((لِمَنْ شَاءَ)) وفي ذلك قال عبدالله المزني: ((أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تَميم، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةُ: إنّا كنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآن؟ قال: الشغلُ))[٤]، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها في بيانها لهدي النبي ﷺ في قيام الليل أنها قالت: ((إن النبي ﷺ كان يصلي سَبعٌ وتسعٌ وإحدى عشرةَ، سوى رَكعتيِ الفجرِ))[٥]، وقالت: ((كانت صلاةُ النبيِّ ﷺ ثلاثَ عشرة ركعةً يعني بالليل))[٦]، قال القاضي عياض: "يحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرًا في بعض الأوقات..، وذلك بحسب ما كان

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٢٤ - ٦٢٧، ومسلم ٨٣٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٦ - ١٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ١١٨٤.

(٥) أخرجه البخاري ١١٣٩.

(٦) أخرجه البخاري ١١٣٨.

يحصل من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءته..، أو طول نومه أو لعذر من مرض أو كبر سن، كما قالت: ((فَلَمَّا سَنَّ نَبِيُّ اللَّهِ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ، أَوْتَرَ بِسَبْعٍ...، وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّى من النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1][2].

وعن أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي رضي الله عنه أنه قال: ((آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ. قال: فَأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصَلَّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقٍّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ))[3].

وفي ذلك بيان على يسر الشريعة الإسلامية في صلاة النوافل، "وقد خص الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا، ورسالةٌ هذا شأنها من العموم والخلود، لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة، فقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[4]"[5].

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب وإقرار النبي ﷺ لذلك

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/ ٨١.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٩.

(٥) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل السيوري ص ٨٩.

يبتدرون السواري عند المغرب)، وقوله: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب، ابتدروا السواري، فركعوا ركعتين.. إلخ)، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: "في قوله ﷺ (يبتدرون)، أي: يستبقون. و(السواري)، جمع سارية"[١]، وهي الأسطوانة"[٢].

قال ابن القيم: "وأما الركعتان قبل المغرب، فإنه لم يُنقل عنه ﷺ أنه كان يُصليهما، وصح عنه أنه أَقرَّ أصحابه عليهما، وكان يراهم يصلونهما، فلم يأمرهم ولم ينههم، وفي «الصحيحين» عن عبد الله المُزني، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ، صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ)). قال في الثَّالِثَةِ: ((لِمَنْ شَاءَ كَرَاهَةَ أن يتخذها الناسُ سنة))[٣]. وهذا هو الصوابُ في هاتين الركعتين، أنهما مُستَحبَّتَانِ مندوبٌ إليهما، وليستا بسنة راتبة كسائر السنن الرواتب"[٤].

قال المروزي: "وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يصلون قبل المغرب ركعتين وثبت عن النبي ﷺ أنه أذن في ذلك لمن أراد أن يصلي وفعل على عهده بحضرته ﷺ فلم ينه عنه، فعن المختار بن فُلفُل قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه قلت: هل من صلاة بعد العصر؟ قال: لا، حتى تغيب الشمس. قلت: فإذا غابت قال: ركعتين. قلت: قبل الصلاة؟ قال: نعم. قلت: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قلت: فهل رآكم تصلونهما؟ قال: نعم. قلت: أكان أمركم بهما؟ قال: لا. ولا نهانا عنهما، كان إذا أذن المؤذن قام أحدنا فصلى ركعتين.

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري إذا أذن المؤذن لصلاة المغرب يصلون الركعتين قبل المغرب.

وعن ثابت عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يخرج إلينا بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب فيرانا نصلي فلا ينهانا ولا يأمرنا.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٧/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٢/١.

وفي رواية: إن كان المؤذن ليؤذن فيتبادر ناس من أصحاب رسول الله ﷺ السواري فيصلون ركعتين، فما يعاب ذلك عليهم.

وفي أخرى: ثم إذا صليت العصر فلا تصل حتى تغرب الشمس. فإذا غربت الشمس فصل ركعتين. فإن أصحاب رسول الله ﷺ كذلك كانوا يفعلون.

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كنا نركعهما إذا (زاحمنا) [1] بين الأذان والإقامة في المغرب.

وعن زر: قدمت المدينة فلزمت عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبي بن كعب رضي الله عنه فكانا يصليان ركعتين قبل صلاة المغرب لا يدعان ذلك.

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى: أدركت أصحاب محمد ﷺ وهم يصلون عند كل تأذين.

وعن رغبان مولى حبيب بن سلمة، قال: لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يهبون إليهما كما يهبون إلى المكتوبة يعني الركعتين قبل المغرب.

وعن راشد بن يسار: أشهد على خمسة ممن بايع تحت الشجرة أنهم كانوا يصلون ركعتين قبل المغرب.

وعن خالد بن معدان أنه كان يركع ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب لم يدعهما حتى لقي الله. وكان يقول: إن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يركعهما ويقول: لا أدعهما وإن ضربت بالسياط.

وقال عبدالله بن عمرو الثقفي: رأيت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يصلي ركعتين قبل المغرب.

وعن يحيى بن سعيد أنه صحب أنس بن مالك رضي الله عنه إلى الشام فلم يكن يترك ركعتين عند كل أذان.

وسئل سعيد بن المسيب عن الركعتين قبل المغرب. فقال: ما رأيت فقيهًا يصليهما ليس سعد بن مالك.

---

(١) زاحمنا: أي: غالبنا بسبب الاجتماع لصلاة المغرب في المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، جاء ذلك في حاشية كتاب: مختصر قيام الليل، مؤسسة الرسالة ص ٧٣.

وفي رواية: كان المهاجرون لا يركعون الركعتين قبل المغرب وكانت الأنصار يركعونهما. وكان أنس رضي الله عنه يركعهما.

وعن مجاهد قالت الأنصار: لا نسمع أذانًا إلا قمنا فصلينا.

سئل قتادة عن الركعتين قبل المغرب فقال: كان أبو برزة رضي الله عنه يصليهما.

وسأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة. قال: من الذين يحافظون على ركعتين الضحى؟ فقال: وأنتم تحافظون على الركعتين قبل المغرب. فقال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نحدث أن أبواب السماء تفتح عند كل أذان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: صلاة الأوابين ما بين الأذان وإقامة المغرب"[1].

وقد ورد قول، إن بعض الصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يصلون ركعتين قبل صلاة المغرب، وفي بيان ذلك قال المروزي: "قال النخعي: كان بالكوفة من خيار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وعمار بن ياسر رضي الله عنه، والبراء بن عازب رضي الله عنه فأخبرني من رمقهم كلهم فما رأى أحدًا منهم يصليهما قبل المغرب.

وفي رواية: أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا لا يصلون الركعتين قبل المغرب.

وقيل لإبراهيم أن ابن الهذيل كان يصلي قبل المغرب ركعتين. فقال: إن ذاك لا يعلم.

قال محمد بن نصر: ليس في حكاية هذا الذي روى عنه إبراهيم أنه رمقهم. فلم يرهم يصلونهما دليل على كراهتهم لها. إنما تركوهما لأن تركهما كان مباحًا. ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه لم يرو عنه أنه ركعهما غير أنه رغب فيهما. وكان ترغيبه فيهما أكثر من فعله لو فعلهما من غير أن يرغب فيهما، وقد يجوز أن يكون أولئك الذين حكى عنهم من حكى أنه رمقهم فلم يرهم يصلونهما، قد صلوهما في غير الوقت الذي رمقهم هذا. ويجوز أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد ركعهما في بيته حيث لم يره الناس لأن أكثر تطوعه كان في منزله.

---

(١) انظر: مختصر قيام الليل، محمد نصر المروزي، باختصار على المقريزي ص ٧١ - ٧٥.

وكذلك الذين رمقوا بعد النبي ﷺ يجوز أن يكونوا قد صلوا في بيوتهم ولذلك لم يرهم الذي رمقهم يصلونهما. فإن كثيرًا من العلماء كانوا لا يتطوعون في المسجد.

عن زيد بن وهب قال: لما أذن المؤذن للمغرب قام رجل فصلى ركعتين وجعل يلتفت في صلاته. فعلاه عمر رضي الله عنه بالدرة فلما قضى الصلاة قال: يا أمير المؤمنين نعم ما كسوت. قال: رأيتك تلتفت في صلاتك ولم يعب الركعتين"[1].

وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على صلاة ركعتين قبل المغرب.

خامسًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم في الحرص على صلاة ركعتين قبل المغرب:

هذا ما يستفاد جليًا من الأحاديث في قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري عند المغرب)، وفي الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم متأسّيًا فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلُّفًا، وأقومها هَدْيًا، وأحسنها حالاً؛ اختارهم الله لصحبة نبيّه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم)[2].

وقال رضي الله عنه: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ عَنْ دينِهِ، فما رآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ الله حَسنٌ، وما رآهُ المسْلِمَونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ الله سيِّءٌ))[3].

فالصحابة رضي الله عنهم هم صدر الإسلام وعصابة الإيمان وعسكر القرآن، وجند الرحمن، ألين الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا وأحسنها بيانًا، وأصدقها

---

(١) المرجع السابق ص ٧٦.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٨١٠، وقال محققو الجامع: إسناده ضعيف، والأثر لا بأس به.

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١، رقم ٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن. ٨٤/٦

إيمانًا، وأعمها نصيحة، وأقربها إلى الله وسيلة[١]، فعلى المدعو أن يقتدي بهم ويستنّ بسنتهم، وهذا ما أمر به النبي ﷺ فقال: ((فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاء الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[٢]، وقد بين النووي: "أن في النوافل ارتياضًا للنفس، وتنشيطًا وتفريغًا للقلب لأداء الفرائض"[٣]، فعلى المدعو أن يقتدي بأصحاب رسول الله ﷺ في حرصهم على صلاة ركعتين قبل المغرب لما في ذلك من كامل الفضل والثواب.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الأذان

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن)، والأذان من أهم أساليب الدعوة إلى الله، وهذا ما بينه القرطبي في قوله: "واعلم أن الأذان على قلة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام بدأ بالأكبرية؛ وهي تتضمن وجود الله تعالى ووجوبه وكماله، ثم ثنّى بالتوحيد ثم ثلّث برسالة رسوله، ثم ناداهم لما أراد من طاعته، ثم ضمن ذلك بالفلاح؛ وهو البقاء الدائم، فأشعر بأن ثمّ جزاء، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا"[٤]، وبذلك تتحقق الدعوة إلى الله وتنفذ إلى كافة المدعوين (مسلمين وغير مسلمين) وفي ذلك عظيم الفائدة وكمال الأجر.

سابعًا - من ميادين الدعوة: المسجد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول أنس رضي الله عنه: (لقد رأيت كبار أصحاب رسول الله ﷺ يبتدرون السواري)، ويبتدرون: أي: يستبقون"[٥] والسواري: أساطين المسجد[٦]، وأيضًا في قوله رضي الله عنه: (حتى إن الرجل ليدخل المسجد...)، ويُعدُّ المسجد أهم مركز إعلامي بين المسلمين، وأوثق صلة بين بعضهم البعض وذلك لترددهم المستمر عليه، ولقائهم بالبعض

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٩.
(٢) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).
(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٤.
(٤) المفهم ١٤/٢.
(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٢٧/٢.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

فيه. وقد عظم الله تعالى مكانته ورفع من شأنه في آيات كثيرة"[١].

فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[٣]، وقال رسول الله ﷺ: ((أَحَبُّ الْبِلاَدِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا. وَأَبْغَضُ الْبِلاَدِ إِلَى الله أَسْوَاقُهَا))[٤]، "فالمسجد قلعة الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم؛ فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات، ومحل تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها...، فضلاً عن كونه الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خلقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين، فالمسجد في صورته الاجتماعية، وارتباط المسلمين به، مركز إشعاع وتوجيه وتربية لهم"[٥]، فهو من أهم الميادين الدعوية إلى الله.

---

(١) الدعوة الإسلامية "الوسائل والأساليب"، محمد خير رمضان ص ١٢.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٦٧١.

(٥) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، جمع وتحقيق: عبدالله بن جار الله ص ١٩ - ٢٠.

الحديث رقم (١١٢٥)

١١٢٥- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يبتدرون: يستبقون ويتسارعون[2].

السواري: جمع السارية، وهي الأسطوانة، أو العمود[3].

والمراد بقوله: ((يبتدرون السواري)): التسابق والمسارعة إلى أداء سنة المغرب باتخاذ الأسطوانة ساترًا للصلاة[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في فضل سنة المغرب يحكي فيه أنس رضي الله عنه الخبر عن كبار الصحابة وقوله رأيت يشير إلى قوة الخبر، وصدقه، وذكر لفظ كبار يشير إلى أهل الرأي الذين لا يرد فعلهم، ولا يشك فيه، وإضافة لفظ كبار للصحابة يشير إلى أنه سنة؛ لأنهم أجمعوا على الفعل، ولذلك جمع لفظ كبار، وأصحاب، وكلها أمور توثق الخبر، وتؤكده عند المخاطب، وقوله (يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِندَ المَغْرِبِ) كناية عن شروعهم في صلاة النافلة القبلية للمغرب، ولفظ يبتدرون يوحي بالتسابق، ويشير إلى روح المنافسة في أمور الآخرة التي كانت تشتعل في نفوس القوم.

المضامين الدعوية[5]

---

(١) برقم (٥٠٣)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٨٣٧/٣٠٣.

(٢) المعجم الوسيط في (ب د ر).

(٣) المعجم الوسيط في (س ر ي).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي حديث رقم ٨٣٧ – ص ٥٥٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٢٧.

(٥) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٦)

١١٢٦- وعنه، قَالَ: كُنَّا نصلِّي عَلَى عهد رسولِ اللهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ[1] المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

قول الراوي (كنا)يشير إلى أنهم كانوا جماعة، وأن الفعل سابق لزمن الحديث، وأنه ثابت محقق، وقوله (على عهد) العهد الميثاق، والتعبير به يشير إلى قوة الصلة التي جمعتهم فيه، والمقصود زمن النبي ﷺ وهو الزمن المعلم لكل الأزمان، وأحداثه التي فعلها الرسول ﷺ، أو أقرها سنن لبقية العصور في طريق الخير وقوله (رَكْعَتَيْنِ) يحدد عدد هذه النافلة، وقوله (بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ) يحدد زمانها تحديدا دقيقا، والطباق بين الظرفين (بعد - قبل) والجناس بين غروب، والمغرب يجذب السمع، ويزيد المعنى وضوحاً، وقولهم (أكَانَ رسولُ الله ﷺ صَلاَّهما؟) استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت وقول الراوي (كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) يقرر أولا: أنه لم يره يصليها، وثانيا أنه أقرَّهم على فعلها يدل على ذلك الطباق بين الفعلين المنفيين (فلم يَأمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا) وبذلك تصير سنة لأنه أقرهم عليها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (صلاة).

(٢) برقم (٨٣٦/٣٠٢).

(٣) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

الحديث رقم (١١٢٧)

١١٢٧- وعنه، قَالَ: كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ المَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاَةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ابتدروا السواري: سارعوا إلى أعمدة المسجد لأداء سنة المغرب[2].

الشرح الأدبي

قول أنس رضي الله عنه (كنا بالمدينة) تعريف المدينة بـ(ال) التي للعهد إشارة إلى مدينة الرسول ﷺ، وأسلوب الشرط (فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاَةِ المَغْرِبِ) يشير إلى اعتيادهم على الفعل المنصوص عليه في جواب الشرط المتصل بفعل الشرط من ناحية التحقق أو عدمه، وبين قوله أذن، والمؤذن جناس يحقق جرسا يجذب السمع، ويؤكد المعنى، وقوله (ابتدروا السواري) كناية عن التهيؤ والشروع في الصلاة، والتعبير بالابتدار يشير إلى المسارعة، والتسابق الذي يشي بروح المنافسة السائدة بينهم للتنافس في الصالحات، وقوله (فركعوا ركعتين) جناس يؤكد المعنى والتعبير عن صلاة النافلة بالركوع من المجاز بالتعبير بالجزء عن الكل بيانا لشرفه، وإشارة إلى الغاية من الصلاة، وهي تحقيق الخضوع، والذل الذي يتمثل في انحناء القامة، والذي يصوره الركوع، وبين قوله (صُلِّيَتْ)، وبين (يُصَلِّيهِمَا) جناس يؤكد المعنى بتوفر الصحابة على صلاتها الأمر الذي يجعل الغريب يعتقد أنهم أنهوا صلاتهم، وهو مبالغة في كثرة من يصليها.

---

(١) برقم (٨٣٧/٣٠٣).

(٢) انظر شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥٥٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٢٧/٢.

فِيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ، وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عَلَيْهِ. كما سبق (ينظر شرح الحديث: (١١٠١).

فِيهِ حَديث ابن عمر السابق ((٤)) أنَّه صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ.

المضامين الدعوية[1]

(١) سبق تناولها في شرح الحديث رقم (١١٢٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من مهام المربي: الدلالة على فعل الخير:

هذا مستمد من حديثين من أحاديث الباب: الأول: قول عبدالله بن مغفّل ﷺ عن النبي ﷺ قال: «صلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ». وقال في الثالثة: «لِمَنْ شَاء» ولفظ أبي داود: «صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ»[1]. فقد دل ﷺ أصحابه على صلاة ركعتين قبل المغرب، مع أنه ﷺ لم يصلهما، كما هو ظاهر حديث أنس بن مالك ﷺ: «كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا. فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا»، فدل ذلك على أنه ﷺ دلهم على الخير ولو لم يفعله ﷺ لأي سبب من الأسباب.

ولعل في الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن مرثد بن عبدالله اليزني قال: «أتيتُ عُقبةَ بنَ عامرٍ الجُهَنيَّ فقلتُ: ألا أُعَجِّبُك من أبي تَميم (تابعي كبير)، يَركَعُ رَكعتَينِ قبلَ صَلاةِ المغربِ. فقال عُقبةَ: إنّا كنَّا نفعلُهُ على عهدِ رسولِ اللّهِ ﷺ، قلتُ: فما يَمنعُكَ الآن؟ قال: الشغلُ»[2]. لعل في هذا الحديث ما يوضح المقصود، وهو أن النبي ﷺ دل أصحابه على السنة القبلية لصلاة المغرب مع أنه ﷺ لم يفعلها.

إذن نخلص من هذا إلى أنه يمكن الاستفادة من هذه الأحاديث في مجال التربية والتوجيه في أهمية قيام المربي بالدلالة على الخير وإن لم يفعله لأي سبب من الأسباب، فهذا لا يمنع من دلالة الآخرين على ما ينفعهم، وذلك لما في الفائدة التي تعود عليهم من وراء ذلك، وهذا يعرض كثيرًا لأصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة من المربين، فلا يجدون كثيرًا من الوقت لفعل الخير بجميع أنواعه، فلا يكون أمامهم بدّ من فعل الأهم فالأهم والأفضل بالأفضل، ودلالة غيرهم على الخير، فإن الناس تختلف قدراتهم واستعدادهم، فما يناسب بعضهم، قد لا يناسب البعض الآخر، فقد يبرع بعضهم فيما لا يبرع فيه الآخر.

---

(١) سنن أبي داود، ١٢٨١.

(٢) أخرجه البخاري، ١١٨٤.

وقد تحدث ابن القيم عن علمين من أعلام صحابة رسول الله ﷺ، وعن براعة أحدهما فيما لم يبرع فيه الآخر، مع أن كليهما أفاد الأمة إفادة عظيمة، قال ابن القيم: "هذا عبدالله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن. مقدار ما سمعه من النبي ﷺ لا يبلغ نحو العشرين حديثًا الذي يقول فيه: «سمعت ورأيت» وسمع الكثيرَ من الصحابة، وبورك له في فهمه والاستنباط منه، حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا، قال أبو محمد بن حزم: وجمعت فتواه في سبعة أسفار كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمعوا ما سمع، وحفظوا القرآن كما حفظه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

وأين تقع فتاوى ابن عباس، وتفسيره، واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟ وأبو هريرة أحفظ منه؛ بل هو حافظ الأمة على الإطلاق: يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسًا؛ فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه. وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه، والاستنباط، وتفجير النصوص، وشق الأنهار منها واستخراج كنوزها"[2].

ثانيًا: التربية بذكر أفعال أهل الفضل والأعلام، وسيرتهم:

وهذا مستمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «رَأَيْت كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ»، فلا شك أن ذكر أنس لكبار الصحابة كان لغرض، وهو بيان أن أعلام الصحابة كانوا يفعلون ذلك، ومن ثمَّ كان أدعى للاقتداء بهم في فعلهم هذا، وعلى ذلك يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي بأنه من طرق التربية، ذِكْرُ أفعالِ أهل الفضل من الناس - كالصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٢٤، ٣٢٥، مجموعة الحديث المعروف بـ "مجموعة الحديث النجدية".

سار على نهجهم وعلماء المسلمين ممن بزّوا غيرهم في مجالاتهم -لأن الأبصار معلقة بهم، تراقبهم وتلاحظهم وتحسن التربية على منهاجهم حتى يفاد منهم ومن مآثرهم، ولذلك تجد كتب التربية ملأى بقصص الأعلام وكفاحهم وجهادهم في الوصول إلى ما يريدون من مجد وسؤدد، ولذا كان على المربين أن يكثروا من هذا، فإن من الأمور المفيدة جدًا أن يستفيد المربي من كتب التراجم، فإن فيها قدرًا هائلاً من القصص الحقيقية الغنية بكل ما نحتاج إليه في تربية الطفل، وخاصة غزوات الرسول ﷺ وتراجم الصحابة رضي الله عنهم والأبطال القادة، "وقد كان سلفنا الصالح رضي الله عنهم يجعلون من غزوات الرسول ﷺ وسراياه مادة عظيمة لتربية أطفالهم، فعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدها علينا وسراياه، ويقول يابني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، وعن علي بن الحسين يقول: "كنا نعلّم مغازى النبي ﷺ وسراياه، كما نعلم السورة من القرآن"[1].

ثالثًا: التربية بالممارسة:

وهذا مستمد من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: « كنَّا بالمدينَة فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ لِصَلاةِ الْمَغْرِبِ ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ حَتَّى إنَّ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ لَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَحْسِبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا»، فقد بيّن الصحابة رضي الله عنهم مدى حرصهم على تأدية ركعتين قبل صلاة المغرب، بالفعل لا بالقول، حتى يظنّ الغريب الداخل أن صلاة المغرب قد أديت، وذلك من كثرة الصحابة الذين يصلُّون السنة القبلية. وهذا قد يستفاد منه أن ينبغي التربية بالممارسة، وأنها قد تكون أدعى إلى أن تكون أشد تأثيرًا وأسرع استجابة، ولعلنا نضرب مثالاً يوضح ذلك، فمن المعلوم تاريخيًا أن أندونيسيا لم يدخلها جيش إسلامي ينقذ أهلها من الضلال، وينقلهم إلى النور، ومع أنها أكبر بلد مسلم من حيث عدد المسلمين، والذي حوّل أهلها إلى الإسلام واعتناقه، هو مما رأوه من نماذج من المسلمين يمارسون الإسلام وما يحمله من قيم وفضائل وآداب معهم، لقد دخل أندونيسيا تجار مسلمون عاملوا أهلها وفق آداب الإسلام وفضائله، فعرفوا أنه الدين الحق، فدخلوا فيه أفواجًا.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، ٤٥، ٤٦ ومصدره.

وهكذا ينبغي أن يكون المربون حريصين على التطبيق والممارسة العملية لأن ذلك أبلغ أثرًا في النفوس، مما يكون باعثًا على الالتزام والإفادة من هذا النمط التربوي، لأن "الدليل بالفعل - كما يقول ابن الجوزي- : أرشد من الدليل بالقول"[1].

❁ ❁ ❁

(١) صيد الخواطر، ٢١٨.

٢٠٢- باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فيهِ حديث ابن عمر السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ[١].

وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: ((بَيْنَ كُلِّ أذَانَيْنِ صَلاةٌ)) متفق عَلَيْهِ[٢]. كما سبق.

فقه الباب

قال النووي: (يستحب أن يصلي قبل العشاء الآخرة ركعتين فصاعدًا لحديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة، قال في الثالثة: لمن يشاء" والمراد بالأذانين: الأذان والإقامة باتفاق العلماء)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) تقدم برقم (١١٠١).

(٣) المجموع ٣٤٨/٣ .

(٤) تقدم شرحها مدمجة في الحديث برقم (١٠٩٩).

٢٠٣- باب سنة الجمعة

فِيهِ حَديث ابن عمر السابق، أنَّه صلَّى مَعَ النَّبيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمعَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

الحديث رقم (١١٢٨)

١١٢٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُم الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبعًا**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول الترغيب في السنة البعدية لصلاة لجمعة جاء في أسلوب شرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، والتعبير بالماضي يشير إلى تمام الفعل، وتحققه واستخدام (إذا) يشير إلى وقوع الشرط، لأن الذي يصلي الجمعة يرجى أن يصلي الأربع بعدها وقوله أحدكم يشمل الجميع بمظلة الحكم، وقوله (الجمعة) فيها إيجاز بحذف المضاف أي: صلاة الجمعة، وقوله (فليصل) الفاء واقعة في جواب الشرط، والفعل (ليصل) أمر للنصح، والإرشاد، والظرف (بعد) يحدد وقت النافلة، والعدد (أربعا) حدد عددها، والحديث ترغيب في أداء سنة الجمعة بعدها بنافلة يتم بها ما انتقص من الفريضة التي تكفر من الخطايا ما بينها، وبين الجمعة السابقة لها.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث[٣] على ما يأتي:

---

(١) تقدم برقم (١١٠٠).

(٢) برقم (٨٨١/٦٧).

(٣) أي أحاديث الباب.

١- استحباب سنة الجمعة بعدها، والحث عليها[١]، وإن كان الفقهاء قد اختلفوا في عددها، تبعًا لاختلاف الروايات الواردة في ذلك، فقيل: ركعتان، وقيل: أربعًا، وقيل: ستًا[٢].

والأفضل القول بالتخيير بينا حسب ما يستطيعه الشخص، ويقدر عليه.

٢ - مكان تأدية سنة الجمعة: ذهب جمهور الفقهاء[٣] إلى أنها تصلى في المسجد بينما ذهب المالكية[٤] إلى أنها تصلى في البيت اقتداءً بفعله ﷺ.

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط والأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الحرص على صلاة سنة الجمعة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط والأمر:

الشرط من الأساليب الدعوية التي يكون بها استحضار أذهان المدعوين، ولفت انتباههم لمعرفة جواب الشرط، وقد اشتمل أسلوب الشرط في الحديث على أداة الشرط في قوله ﷺ: (إذا)، وعلى فعل الشرط في قوله: (صلى أحدكم الجمعة)، وعلى جواب الشرط في قوله: (فليصل بعدها أربعا)، أما الأمر فهو من الأساليب الدعوية المهمة التي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٦/٦.

(٢) منار السبيل ١٤٤/١، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٥٢/٢، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧٠/٢، مغني المحتاج ٢٢٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١٠.

(٣) المبسوط ١٥٧/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع ٥٠٣/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤١/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٠٥/٢، المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢.

(٤) المنتقى شرح الموطأ ٢٩٧/١، مواهب الجليل ٩٧/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٢٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٢٩).

يستعين بها الداعية في حمل المدعو على فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك من خير عظيم وأجر كبير، وقد ورد أسلوب الأمر في الحديث من قوله ﷺ: (فليصل).

وذلك الأمر على سبيل الإرشاد والاستحباب، إذ أن الأمر يأتي مشتملاً على صيغة يطلب بها على وجه التكليف والإلزام كقول الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1]، وقد تخرج صيغة الأمر عن معناها الأصلي إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والإباحة، وغير ذلك من المعاني [2]، ومنها ما جاء في الحديث: "إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعًا".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الجمعة وبيان هدي النبي ﷺ في الصلاة بعدها:

هذا ما يستفاد من سياق الحديثين الشريفين الواردين، والجمعة فرض عين على الرجال؛ لقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[3]، ولقوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَو لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ))[4]، قال النووي: "فيه أن الجمعة فرض عين"[5]، وقال ﷺ: ((الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلاَّ أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَوْ امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ أَوْ مَرِيضٌ))[6]"[7].

وقد حثّ النبي ﷺ على أداء صلاة الجمعة ورغّب في ذلك؛ لعظم شأنها وعلو

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) انظر: البلاغة الواضحة، علي الجارم ومصطفى أمين ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) أخرجه النسائي ١٣٧١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٢٩٩).

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

(٦) أخرجه مسلم ٨٥٦.

(٧) كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء ص ٩٢.

قدرها، فقال: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))[1].

قال صاحب عون المعبود: "وقوله ﷺ: (ثم بكر): بالتشديد على المشهور، قال النووي: أي راح في أول وقت (وابتكر): أي أدرك أول الخطبة، ورجحه العراقي في شرح الترمذي، وقيل: كرره للتأكيد، وبه جزم ابن العربي في عارضة الأحوذي. قال ابن الأثير[2]: بكر أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكر إليه، وأما ابتكر فمعناه أدرك أول الخطبة، وأول كل شيىء باكورته، و ابتكر الرجل: إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظين واحد، فعل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا جادّ مُجِدّ. انتهى. (ومشى ولم يركب): قال الخطابي: معناهما واحد، وإنه للتأكيد وهو قول الأثرم صاحب أحمد. انتهى (ولم يلغ): من لغا يلغو لغوًا معناه: استمع الخطبة ولم يشتغل بغيرها. قال النووي: معناه لم يتكلم، لأن الكلام حال الخطبة لغو (كان له بكل خُطوة): بضم الخاء بعد ما بين القدمين (عمل سنة أجر صيامها وقيامها): أي صيام السنة وقيامها، وهو بدل: من عمل سنة"[3].

وقال ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))[4].

وقال ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ وتطهَّرَ بما استطاعَ مِن طُهرٍ، ثم ادَّهنَ أو مسَّ من طِيبٍ، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له، ثمَّ إذا خرجَ الإمامُ أنْصتَ،

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ك ر).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

غُفِرَ له ما بَينَهُ وَبينَ الجُمعةِ الأُخرىٰ))[١].

وقال ﷺ: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ))[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ. غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ. وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ. وَمَنْ مَسَّ الْحَصَىٰ فَقَدْ لَغَا))[٣].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام، أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها. قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية، حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فيصير عشرة"[٤].

أما هديه ﷺ في الصلاة بعدها فقد ورد ذلك في الحديث من قوله ﷺ: (إذا صلى أحدكم الجمعة، فليصل بعدها أربعًا، وأيضًا في قول ابن عمر رضي الله عنهما، إن النبي ﷺ كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين في بيته، قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب سنة الجمعة بعدها والحث عليها"[٥].

"وليس لصلاة الجمعة سنة قبلها، ولكن من صلى قبلها نافلة مطلقة قبل دخول وقتها فلا بأس به؛ لترغيب النبي ﷺ في ذلك، كما في حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغتَسلَ يومَ الجُمعةِ ...، ثمَّ راحَ فلم يُفرِّقْ بينَ اثنينِ فصلَّى ما كُتِبَ له))[٦]، "ولفعل الصحابة رضي الله عنهم، ولأفضلية صلاة النافلة، ولا يُنكر عليه إذا ترك؛ لأن السنة الراتبة تكون بعد الجمعة بركعتين أو أربع ركعات"[٧]، وهذا ما أشار إليه نص الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ٨٥٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٥) المرجع السابق ٥٧٢.

(٦) أخرجه البخاري ٩١٠.

(٧) الفقه الميسر، نخبة من العلماء ص ٩٦.

"والجمع بين الحديثين: أنه إذا صلى في بيته، صلّى ركعتين، وإن صلّى في المسجد صلّى أربع ركعات، ومن شاء صلى ستَّ ركعات"[١]، لفعل ابن عمر رضي الله عنهما أنه: ((كَانَ إِذَا كَانَ بِمَكَّةَ فَصَلَّى الْجُمُعَةَ تَقَدَّمَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَصَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ صَلَّى الْجُمُعَةَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَلَمْ يُصَلِّ فِي الْمَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهُ، فقال: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُ ذَلِكَ))[٢].

فتبين من ذلك أن أقل الراتبة بعد الجمعة ركعتان، وأكثرها ست، ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية: "أن الراتبة إن صليت في المسجد صليت أربعًا، وإن صليت في البيت صليت ركعتين، فتكون صلاتها على أحوال متنوعة"[٣].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في الحرص على صلاة سنة الجمعة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة، وفي أهمية التأسي بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥]، فعلى المدعوين "أن يترسموا خطاه ﷺ، ويسيروا على هديه ويقتفوا أثره، ومبعث التأسي بالنبي ﷺ هو حبه حبًا يستحوذ على القلوب ويلامس شغافها، ويأخذ بمجامعها، وذلك لأنه رسول الله ﷺ اصطفاه الله للهداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذا الحب الصادق يستوجب اتباعه، والتأسي به، واقتفاء آثاره في صلاة سنة الجمعة البعدية"[٦].

---

(١) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان ٢٥١/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١١٣٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٠٠٠).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد صالح ابن عثيمين، ط/١ مؤسسة آسام، الرياض: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٠٢/٥ - ١٠٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين ص ٥٩ - ٦٠.

الحديث رقم (١١٢٩)

١١٢٩ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لاَ يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان سنة الجمعة، ولكنه ترغيب في صلاتها في البيت، وهو يختلف عن سابقه في أمور منها أنه يرغب فيها بتقرير فعل الرسول ﷺ لها، مع تقرير زمانها في قوله (بَعْدَ الجُمُعَةِ) ومكانها (في بيته) وعددها (ركعتين) وبذلك يكون عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قد بيَّن كل ما يلزم لأداء هذه النافلة من ناحية تقرير الفعل المرغب في إتيانها بنقل فعل الرسول ﷺ، وبيان وقتها ومكانها، وعددها ثم إنه فارق الحديث السابق في أنه جعل مكانها البيت، وعددها ركعتان، والحديث السابق رغب في صلاتها أربعا دون أن يخص المنزل.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٨٢/٧١).

(٢) تقدم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث البابين (٢٠٢، ٢٠٣)

أولاً- تنوع أساليب التربية:

من المهم جدًّا أن ينوع المربي في تربيته ولا يظلّ حبيس أسلوب تربوي معيّن أو نمط توجيهي محدد، بل يدفعه حبه إلى أن يرى غرسه التربوي يانعًا مثمرًا يُؤتي أُكله كل حين ويدفعه هذا إلى أن ينوّع في أساليبه التربوية، وتجده يختار من الأساليب ما يناسب الموقف ويلاءم الحال فإن لكل مقام مقالاً، وإن لكل حادثة حديثًا يناسبها ولا يناسب غيره ويلائمها ولا يلائم غيره، ويوافقها ولا يوافق سواه، ولما كانت التربية عملاً مستمرًا لا ينقطع في الليل أو النهار ولا في مختلف الأوقات والأحوال، فهي قائمة في مواطن اللهو والترفيه كما هي قائمة وقت الجد والاجتهاد، وهي قائمة في وقت التنشئة كما هي قائمة وقت الشباب وما بعده، لما كانت التربية عملاً مستمرًا كان من الفطنة أن ينوّع المربي في استخدام الأساليب التربوية تنويعًا ينفي السآمة والملل عمن يقوم بتربيتهم ويبعث فيهم النشاط والجدّ والقبول والامتثال لما يرشدهم إليه ويوجههم نحوه.

والخلاصة أن من المهم جدًّا أن يقوم المربي بالتنويع في أساليبه التربوية، هذا من ناحية التنظير والتقعيد، فماذا عن ناحية الفعل والاستخدام الواقعي؟ إن أحاديث الباب فيها تنوّع تربوي فهي تجمع بين التوجيه بالفعل والتوجيه بالقول، ففعلُ النبي ﷺ نقله ابن عمر رضي الله عنهما في حديثين: أنه صلى مع النبي ﷺ ركعتين بعد الجمعة، وأن النبي ﷺ كان لا يصلّي بعد الجُمُعة حتى ينصرف، فيصلي ركعتين في بيته. أما التوجيه القولي فنقله أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "إذا صلّى أحدكم الجمعة، فليصلِّ بعدها أربعًا".

أي أنه ﷺ ربى أصحابه بالقول والفعل، فكان ﷺ يستخدم القول فيما يناسبه ويستخدم الفعل فيما يناسبه.

إن هذه الأحاديث الشريفة هدي نبوي شريف للمربين أن ينوعوا في أساليبهم التربوية ولا يقيموا على أسلوب واحد لا يبرحونه ولا يغادرونه، فيؤتى بعكس المقصود

والمأمول منه، إنك تجد بعض المربين يكثر من استخدام أسلوب الترغيب والحضّ والحث ولا يكاد يعرف أسلوبًا سواه، حتى أصبح هذا الأسلوب يفقد تأثيره عند أتباعه ولا يكاد يحركهم نحو فعل شيء يدعوهم إليه، وبالمثل كذلك تجد بعض المربين يقيم على استخدام أسلوب الترهيب والتخويف، فلا تكاد تمر لحظة إلا وملأها ترهيبًا وتخويفًا، حتى ملأ نفوس أتباعه باليأس والقنوط، معاذ الله من ذلك.

وتجد بعض المربين يستسهل أسلوب القصص والحكايات ويبالغ في ذلك مبالغة كبيرة ويطربه أن أتباعه يتأثرون بذلك تأثرًا بليغًا وينفعلون انفعالاً واضحًا، ونسي أنه بإصراره على ذلك غرس في نفوسهم ثقافة الحكي والقص التي لا يصاحبها في الغالب أخذ العظة والعبرة وتفعيل ذلك في أرض الواقع.

وهذا ما نعاني منه في العصر الحديث، فتجد الناس يقبلون إقبالاً شديدًا على سماع علامات الساعة والقراءة عنها ويتعجبون من ذلك أشد التعجب ويفتحون أفواههم دهشة وتعجبًا لما يحدث في آخر الزمان، وتجدهم هم أنفسهم يقصون ذلك على من يتعاملون معهم، لكن ماذا تكون نتيجة تعلقهم هذا واهتمامهم ذلك؟ الواقع لا يحتاج إلى تعليق أو ملاحظة، فقد اهتم الناس بذلك اهتمام من يعرف الشيء لمجرد المعرفة، دون أن يصاحب ذلك العمل والفعل، لاجتناب فتن آخر الزمان وعدم الوقوع فيها، والعمل على إصلاح النفوس وإصلاح العمل واللجوء إلى الله رب العالمين، للوقاية من الفتن وشرورها والتمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما. هذا هو المبتغى من معرفة علامات الساعة سواء الصغرى أم الكبرى.

ولعلّ الذي يحقق هذه الغاية هو تنوع الأساليب التربوية التي يستخدمها المربي مع من يربيهم، فتجده يستخدم القصة مرة، والتشبيه مرة، والسؤال مرة، والإخبار مرة والشرط مرة، وهكذا، شرط أن يستخدم هذه الأساليب الاستخدام الملائم والمناسب.

وعلى ذلك ينبغي أن يسير التربويون في رسالتهم النبيلة وغاياتهم السامية.

ثانيًا- من وسائل التربية: التعلق بمتابعة أحوال المربي وأفعاله:

نقل ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف،

فيصلّي ركعتين في بيته، إن ابن عمر رضي الله عنهما كان بصره وقلبه كما يكشف هذا الحديث الشريف معلقين بالرسول ﷺ، يتابع أفعاله وأقواله وتصرفاته، حتى إنه ليستمر في هذه المتابعة إلى داخل بيت النبي ﷺ، فينقل إلينا أنه ﷺ كان يصلّي ركعتين في بيته، وانظر إلى كلمة "ينصرف" وما توحي به، إنه رضي الله عنه يتابع النبي ﷺ لحظة بلحظة وخطوة بخطوة وحركة بحركة منذ صلاة الجمعة إلى أن يدخل بيته، ولا يقف عند هذا الحد، بل يعرف - بطرقه المشروعة[1] - ماذا يفعل النبي ﷺ بعد دخوله بيته.

والغرض من هذه المتابعة الدقيقة هو الاقتداء بالنبي ﷺ سواء من عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أم من المنقول إليهم هذا الحديث إلى يوم الدين، فالنبي ﷺ هو قدوة العالمين وأسوة المسلمين، فيحرصون على فعل ما يفعل وأداء ما أدى واجتناب ما اجتنب، وعلى الاهتداء بهديه في الليل والنهار على مدى الأعمار والسنين.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ما الذي جعل الصحابة رضوان الله عليهم حريصين أشد الحرص على متابعة النبي ﷺ في جميع أفعاله بصورة لم تشهد لها البشرية مثيلاً ولن تشهد؟

إن الجواب يكمن - في رأينا - فيما يلي:

أ - إن طاعته من طاعة الله وعصيانه من عصيانه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] وقال عز شأنه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3].

ب - إن إتباعه هو الموصل إلى رضا الله سبحانه وتعالى واجتناب سخطه والفوز

---

(١) ومن ذلك السؤال، كأن يسأل أخته حفصة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أو يسأل خدمه ومواليه ﷺ، أو يخبره النبي ﷺ بذلك أو أحد ممن رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، أو رأى بنفسه بأن دخل مع النبي ﷺ أو نحو ذلك، والله أعلم.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤.

بجنته والبعد عن ناره، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

ج- إن اتباعه هو الموصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فكل طريق سواه أوله وآخره الحسرة والندامة فإنه ﷺ ما أمر إلا بما فيه مصلحة للبشرية جمعاء وما نهى إلا عما فيه مفسدة تضرّ بالناس وبالدنيا كلها، لذا كانت كل الطرق سواه مليئة بالشقاء والعذاب والهلاك.

د- حبهم الخالص له الذي تمكن من قلوبهم ورسخ في أفئدتهم، وجعلهم يضحون بالمال والأهل -وهم سعداء- من أجل طاعته وامتثال أمره واجتناب نواهيه.

هـ- استشعارهم بمسؤوليتهم الحضارية في هذا العالم المضطرب الذي يشيع فيه الظلم والتجبر والتسلط واستخدام القوة في غير محلها، لذا حرصوا على أن يفتحوا البلاد ويزيلوا كل صور الظلم والعدوان والتسلط ويتركوا الناس أحرارًا يختارون ما يشاؤون من أديان، دون وصاية من أحدٍ أو فرض رأي من آخر. ولهذا كان شعارهم وهم يفتحون البلاد "جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن ظلم الناس إلى عدالة الإسلام" فلما فتحوا البلاد نقلوا إلى أهلها أفعاله ﷺ وأحواله وخصاله وشمائله، فأسرع الناس في الدخول إلى الإسلام أفواجًا لأنهم وجدوا رسولاً يحمل إليهم الخير والعدل والصلاح، وقد كان هذا ظاهرًا جدًا في سيرته، فهي خير مثال عملي لمبادئ الإسلام النبيلة وأسسه السامية التي تتطلع البشرية إليها في كل عصر وحين.

والسؤال الثاني الذي يفرض نفسه أيضًا: كيف نجح النبي ﷺ في جعل أصحابه ينقلون أحواله وأفعاله ويحرصون على ذلك أشد الحرص؟

إن الجواب يكمن فيما يلي:

أ - إخلاصه ﷺ الشديد في دعوته ورسالته، فهو ﷺ كان أشد الناس إخلاصًا وأبعدهم عن الرياء والمفاخرة والسمعة، فكل عمل عمله كان لله، وكل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

عمل اجتنبه كان لله أيضًا، إن إخلاصه ﷺ دَفَعَه إلى أن يقول عن ابنته فاطمة رضي الله عنها أقرب بناته إلى قلبه ((وايمُ اللهِ لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدَها))[1].

ب - حبه ﷺ لأصحابه وبذله الوسع والطاقة في هدايتهم مع الرفق والشفقة والخوف عليهم، فما ترك ﷺ خيرًا إلا دلهم عليه، وما ترك شرًا إلا حذرهم منه، إنه ﷺ كما قال ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ أُعَلِّمُكُمْ))[2].

ج - صدقه ﷺ في دعوته فلم يجرب عليه كذب قط، وما دعا الناس إليه كان صادقًا فيه منفذًا له فاعلاً إياه وما نهاهم عنه كان صادقًا في نهيه مبتعدًا عنه مجتنبًا إياه، فحياته صورة عملية لدعوته ورسالته، فلا نجد فيها تناقضًا ولا تعارضًا ولا تحايلاً ولا تبريرًا لعمل غير مقبول، إن حياته وسيرته صورة صادقة لدعوته، وكفى، وهذا ما يدفع الناس إلى الامتثال فضلاً على الحرص على نقل ذلك إلى غيرهم حتى يصيبهم من الخير ما أصابهم.

د - ذكاؤه ﷺ في تربيته لأصحابه، فمن المعلوم أن كل واحد من أصحابه له قدرات ومؤهلات تختلف عن غيره من الصحابة الكرام، وقد كان النبي ﷺ يعرف ما يصلح لكل واحد منهم، فمن كان يصلح للإمارة والقيادة جعله قائدًا وأميرًا ولو كان على أفضل منه وأسبق منه إلى الإسلام، ومن لا يصلح منهم منعهم منها ودلهم على ما يصلحهم ويبرزون فيه ويتفوقون، لذا نجد أن أبا هريرة رضي الله عنه هو أكبر راوية للحديث في الإسلام مع أنه رضي الله عنه أسلم في العام السابع للهجرة، لكنه كان مهتمًا أشد الاهتمام بحفظ الحديث والعناية بذلك عناية فائقة، فلازم رسول الله ﷺ ملازمة تامة، حتى حفظ عنه الكثير الذي نقله إلينا فجزاه الله خيرًا، على حين أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قد أسلم في هذا التاريخ أو قريبًا منه لكن كانت روايته للحديث قليلة جدًا، على حين برز في مجال العسكرية بروزًا لافتًا حتى سماه رسول الله ﷺ سيف الله المسلول.

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٨، والنسائي ٤٠، وابن ماجه ٣١٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يعرف ما يصلح أصحابه ويناسبهم، لذا كانوا أعلامًا بارزين كلٌّ في مجاله.

نخلص من هذا كله أن على المربي أن يتصف بالصفات التي تجعل القلوب تألفه وتحبه وتأنس به، فتحرص على الاقتداء به وعلى نقل أخباره لمن سواهم، فالذكر للإنسان عمر ثانٍ.

۞ ۞ ۞

٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

الحديث رقم (١١٣٠)

١١٣٠- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ صَلاَةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ المَكْتُوبَةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: هو ابن الضحاك بن زيد بن النجار.

الإمام الكبير، شيخ المقرئين، والفرضيِّين، مفتي المدينة، وكاتب الوحي، وجُلة الأنصار، ولد بالمدينة ونشأ بمكة، وعندما قَدِم النبي ﷺ المدينة كان ابن إحدى عشرة سنة، استصغره النبي ﷺ يوم بدر، ولم يشهد أحدًا، وشهد الخندق، والمشاهد مع رسول الله ﷺ، وكانت معه راية بني النجار يوم تبوك وكانت أولاً مع عُمارة بن حزم، فأخذها النبي ﷺ منه، فدفعها لزيد بن ثابت، فقال عمارة يا رسول الله! أبلغك عني شيء؟ قال: لا، ولكنّ القرآن مقدّم وزيدٌ أكثر أخذًا للقرآن منك[2].

وكان يتيمًا عالي الذكاء، أمره النبي ﷺ بتعلم لغة اليهود، فعنه رضي الله عنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتابي، قال: فما مرّ نصف شهر حتى تعلمته له، قال: فلما تعلمته كان إذا

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١)، ومسلم (٧٨١/٢١٣) بنحوه ضمن حديث، واللفظ للنسائي في المجتبى (١٦٠٠).
تنبيه: هذا الحديث بهذا اللفظ أورده المنذري في ترغيبه (٦٢٣) وعزاه للنسائي، وابن خزيمة، ولما نقله المؤلف إلى هنا عزاه إلى الصحيحين، وهو فيهما بنحوه، إلا الشطر الأخير فإنه عند البخاري بلفظه، وهذا الحديث مما أخذ على المنذري، قال الناجي في عجالة الإملاء: رواه البخاري ومسلم وأحمد في حديث. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي مختصرًا، فلو أن المصنّف اطّلع على هذا لم يُبعد النجعة. قلتُ: انتبه له الإمام النووي فعزاه إلى الصحيحين، لكنه أورد لفظ النسائي في المجتبى، ولم يورد لفظهما.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٤٢١/٣، رقم ٥٨٣٣.

كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت كتابهم)[1]، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه، وهو الذي اعتمد عليه الصدِّيق رضي الله عنه في كتابة القرآن العظيم في صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرِّقاع واحتفظوا بتلك الصحف مدةً، فكانت عند الصديق رضي الله عنه؛ ثم تسلَّمها الفاروقُ رضي الله عنه، ثم كانت بعدُ عند أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها، إلى أن نَدَب عثمان زيد بن ثابت ونفرًا من قريش رضي الله عنهم إلى كتابة هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيدُ من ألفي ألف نسخة، ولم يبقى بأيدي الأمة قرآن سواه.

وكان عمر يستخلفه إذا حج على المدينة، وهو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك، وكان عمر وعثمان لا يقدمان على زيد بن ثابت أحدًا في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، وكان ابن عباس رضي الله عنهما -على سعة علمه- يأتيه إلى بيته للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتى ولا يأتي، وأمسك ابن عباس بركاب ناقته يومًا حتى يركب فقال زيد له: تنحَّ يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس: لا، هكذا نفعلُ بالعلماء والكبراء، وقد حدّث عن النبي ﷺ وله في كتب الحديث ٩٢ حديثًا، ولما توفي رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه، وقال فيه أبو هريرة رضي الله عنه: اليوم مات خيرُ هذا الأمة، وعسى اللهُ أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا.

وتوفي في خلافة معاوية سنة ٤٥هـ[2].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٧١٥ وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢١٨٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٢/٣٥٩ - ٣٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٤٥)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٣٤٦ - ٣٤٧)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٤٢٦ - ٤٤١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٦٧ - ٦٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٦٥٩ - ٦٦٠)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٥٧)، موسوعة عظماء حول الرسول ٢/٨١٥ - ٨١٩.

الشرح الأدبي

بيت المؤمن يشبه قلبه من ناحية عمرانه بذكر الله تعالى عامر بمختلف ألوان العبادة، وهو ما أراده الرسول ﷺ لبيوت المسلمين أن تكون معمورة بالطاعة والذكر التي تجعله خاليا من الشياطين، تحفُّه الملائكة، وأمر الرسول ﷺ المتصل بواو الجماعة التي تعم المخاطبين جميعا بالحكم في قوله (صلوا) يوجه إلى ذلك ويرغِّب في تخصيص البيوت ببعض النوافل، ولذلك علّق الجار، والمجرور بالصلاة إشارة إلى ذلك ثم تبعها بجملة تعليلية مرتبطة بما قبلها بفاء التعليل حملا للمخاطبين على الاقتناع بفضلها، والجناس بين الصَّلاَةِ، وصَلاَةُ يؤكد هذا المعنى؛ لأنه سبقه بأفعل التفضيل التي ارتقت به قمة الصلوات غير المكتوبة ترغيبا في اغتنام هذه الأفضلية حتى تجعل بيوت المسلمين كخلايا النحل بين الذكر، والصلاة تشع بمعاني السكينة، والطمأنينة، والمودة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم فقهي يتعلق بصلاة النافلة، وهو أن يصلي المرء بعض النوافل في بيته، حتى تكون صلاته مجلبة للبركة ومطردة للشيطان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السنن الرواتب والنفل مطلقًا يجوز أداؤه في المسجد وفي البيت، ولكن أداءه في البيت أفضل لهذه الأحاديث الصحيحة.

أما صلاة الفرض فقد اتفق الفقهاء على أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٩٨/١، شرح معاني الآثار ٣٣٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٨/١، المجموع ٥٤٢/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣٦/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٩/١، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٤/١، المغني ٤٤٢/١، المحلى ٧٩/٢.

وأنها أعلى شأنًا، كما اتفقوا[١] على أنه إذا ترك أهل بلد صلاة الجماعة قوتلوا عليها لتركهم شعيرة من شعائر الإسلام.

ثم اختلفوا بعد ذلك في حكم صلاة الجماعة على ثلاثة أقوال سبق ذكرها ولا داعي للتكرار.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر والنداء.

ثالثًا: من ميادين الدعوة: البيت.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية ومكانة الصلاة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس...)، "والصلاة عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣]، وهي شرط النجاة، وحارسة الإيمان، وقد ذكرها الله تعالى من الأشراط الأساسية للهداية والتقوى، فقال: ﴿الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿قَدْ

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/١٥٥، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/١٣٢، مواهب الجليل، الحطاب ٢/٨١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ١/٣٥١، مغني المحتاج، الشربيني ١/٤٦٥، نهاية المحتاج، الرملي ٢/١٣٥، المغني، ابن قدامة ٢/٣، الفروع، ابن مفلح ١/٥٧٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب – ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢.

(٣) سورة الروم، آية: ٣١.

(٤) سورة البقرة الآيات: ١ - ٣.

أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[1].

وقد استثنى المحافظين على الصلوات من أصحاب الأخلاق الذميمة، وقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾[2]، وقال وهو يذكر المؤمنين المفلحين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[3]، وقال وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[4]، وقال عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]، وهي فريضة دائمة مطلقة على كل عبد وحرّ، وغني وفقير، وصحيح ومريض، ومقيم ومسافر، لا تسقط عمن بلغ الحلم في حال من الأحوال، بخلاف الصيام، والزكاة، والحج، الأركان الثلاثة التي وجبت بشروط وصفات، وفي أوقات معينة محدودة، حتى أمر بها في ساحة الحرب، وميدان القتال.

وشرعت صلاة الخوف، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٤- ١٥.

(٢) سورة المعارج، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٩.

(٤) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٥) سورة النساء، آية: ١٤٢.

عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فالصلاة معقل المسلم ومفزعه، فهي أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءًا، وأسرع نجدة وإسعافًا، وأسخى وأحنى وأعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون على الطفل الشريد، اليتيم الضائع، الضعيف العاجز، كلما عُوكس أو هدد، وكلما أصابه الروع أو الفزع، أو مسه الجوع أو العطش، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها، أو تشبث بأذيالها، كذلك الصلاة معقل المسلم وملجؤه، الذي يأوى إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود - بينه وبين ربّه - الذي يتعلق به، وهو غذاء الروح وبلسم الجروح ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا حزّبه أمر فزع إلى الصلاة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى))[4]، وكان هذا شأن الصحابة رضي الله عنهم فكان حنينهم إلى الصلاة، وإيثارهم لها على كل ما حُبب إلى النفس البشرية، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين، وقد روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: ((غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ. فَقَاتَلُونَا قِتَالاً شَدِيدًا. فَلَمَّا

---

(١) سورة النساء الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٤) أخرجه أبو داود ١٣١٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٧١).

صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لاقْتَطَعْنَاهُمْ فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلاَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الأَوْلاَدِ))[1]"[2]. وفي ذلك بيان عظيم على أهمية الصلاة، ومكانة فضلها كركن من أركان الإسلام الذي لا يقوم الدين إلا به.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر والنداء:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في إرشاد المدعوين وحملهم على فعل الأمر المدعو إليه، لما فيه من خير عميم وفضل عظيم، وهو ما أشار إليه الحديث من حثه ﷺ على استحباب جعل النوافل في البيت وذلك في قوله ﷺ: (صلوا أيها الناس في بيوتكم...)، وقوله: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم..)، وقوله: (فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته)، أما النداء فقد ورد في الحديث من قوله ﷺ: (أيها الناس)، والنداء من الأساليب الدعوية التي يحصل بها لفت انتباه المدعوين، واستحضار أذهانهم في تبليغ الأمر المدعو إليه.

ثالثًا- من ميادين الدعوة: البيت:

هو ما أشارت إليه الأحاديث في حثه ﷺ على جعل صلاة النوافل في البيت، والبيت من الميادين الدعوية المهمة في نشر الدعوة وتبليغها إلى الأهل والأولاد، "ولقد ثبت قيام النبي الكريم ﷺ بدعوة الناس في منازلهم، وقد كان ذلك بالذهاب إلى منازلهم منزلاً منزلاً، كما كان يجمعهم في بيت أحدهم ثم يقوم بتوجيههم ودعوتهم، وقد اختار النبي ﷺ الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه وكان ﷺ يقوم فيه بتعليم المسلمين أمور دينهم، ودعوته غيرهم ممن وفد عليه هناك إلى الإسلام"[3]، فقد روى ابن سعد عن عثمان بن الأرقم رضي الله عنه قال: (أنا ابن سبعة في الإسلام، أسلم أبي

---

(١) أخرجه مسلم ٨٤٠.

(٢) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج)، أبو الحسن على الحسني الندوي، ص ٢٥- ٢٧، ٢٩- ٣٠.

(٣) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ٢٥٥.

سابع سبعة، وكانت داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، وأسلم فيها قوم كثير.. ودُعيت دار الأرقم دار الإسلام)[1]، فعلى الدعاة أن يقتدوا بنبيهم ﷺ في تفعيل دعوة البيوت كميدان رئيس في الدعوة إلى الله تعالى، إذ به مركز الأسرة ونواة المجتمع الإسلامي، التي إن صلحت صلح المجتمع كله، وإن فسدت تهدم المجتمع.

رابعًا - من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على تأكيد وبيان أهمية الأمر المدعو إليه، فضلاً عن تقوية الكلام في أذهان المدعوين، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على أفضلية صلاة النافلة في البيت. وذلك في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، وقوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة النافلة في البيت وبيان فضلها:

هذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك، قال ابن هبيرة: "إن النوافل أفضل ما أتي بها في بيت الإنسان، وذلك به يخلص العبد من مداناة الرياء؛ لأن الفرائض تسلم من ذلك من أجل أنه يؤدي العبد بها حقًا واجبًا، فهو كمن قضى دينًا، وأما النوافل فوضعها على التبرع والاختيار، فإذا أتى بها ظاهرًا، أظهر ما إخفاؤه أفضل له وأحزم"[2]، وقد حث النبي ﷺ على ذلك، فقال النووي: "في قوله ﷺ: (أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء، وأصون من المحبطات، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان، وهو معنى قوله ﷺ في الرواية الأخرى: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)"[3].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١/٣٤٣ - ٣٤٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٤٧٩.

(٢) الإفصاح ٤/٣٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٨.

وقال ابن حجر ﷺ: "قال التوربشتي في قوله ﷺ: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا)، أي: من لم يصل في بيته جعل نفسه كالميت، وبيته كالقبر"[١]، وقال القاضي عياض: "هذا من التمثيل البديع حين شبّه البيت الذي لا يُصلى فيه بالقبر الذي لا يتأتى فيه من ساكنه عبادة، وشبه النائم ليله كله بالميت في قبره، وكذلك تمثيله بالحي والميت؛ لأن العمل إنما يتأتى من الحي، وقد يرجع التمثيل إلى صاحب البيت"[٢]، وقال ابن حجر: "ويؤيده ما رواه مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))"[٣][٤].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ: (فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا)، يعني: إن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، أي: جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك وألفوا الصلاة وأحبوها ولا سيما الصغار منهم، ومنها: أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء فإن الإنسان في المسجد يراه الناس وربما يقع في قلبه شيء من الرياء، أما في البيت فإنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد عن الرياء. ومنها: أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه الراحة، راحة قلبية وطمأنينة، وهذا لا شك أنها تزيد في إيمان العبد، فالمهم أن الرسول ﷺ أمرنا أن نصلي في بيوتنا إلا الفرائض، وفي ذلك بيان على أهمية صلاة النوافل في البيت وبيان فضلها"[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣١.

الحديث رقم (١١٣١)

١١٣١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بدأ بالفعل (اجعلوا) ووصله بواو الجماعة ليلفت أسماع المخاطبين، ويعمهم بالحكم، وعبر بالفعل (اجعلوا) الذي يفيد معنى الصيرورة إشارة إلى استعداد البيوت لما يصنع بها تسخيرا للإنسان، وقوله (من صلاتكم) أي: بعض الصلاة في البيت، وهي صلاة النافلة، ولما كانت الصلاة تحرم في المقابر فلا يصلى فيها شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبور، وهي صورة منفرة، وفيها إشارة إلى أن أهل البيت كالأموات فقد شبه البيت الذي لا يصلى فيه بالقبر الذي لا يتمكن الميت فيه من العبادة، وهو بذلك يوحي للنفوس، ويبث في الوجدان بتشبيه البيوت التي لا يصلى فيها بالقبور - مشاعر الانقباض، والخوف، والوجل، وهذا التشبيه المؤكد المجمل يحمل معنى التقبيح، والتنفير من البيوت التي على تلك الصفة ومعنى التوبيخ، والتقصير لمن يسكنها، والغرض الذي يرمي إليه النبي ﷺ من إثارة هذه المشاعر من الانقباض والخوف والوجل للتقبيح والتنفير هو الترغيب في الصلاة وقراءة القرآن في البيوت لتفارق القبور، وتصير كالقصور مليئة بالأنس بذكر الله تحفها، وأهلها الملائكة، والرضوان من الله، وأسلوب الرسول ﷺ وسحر بيانه يجوس في حنايا النفوس لينتقل في مسالكها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢)، ومسلم (٧٧٧/٢٠٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٦١٨)

انتقالا خفيا من شعور إلى شعور - ليقرر – بعد أن يثير مجموعة من المشاعر المتقاربة التي تعمل في اتجاه واحد يقرر ضرورة الصلاة في البيوت، ويثير الرغبة فيها لدفع مشاعر الانقباض التي أثارها بأسلوب النهي (ولا تتخذوها قبورا).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٢)

١١٣٢- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ[١] فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاَتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْرًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في صلاة النوافل في البيوت جاء في أسلوب الشرط ليعطي للحكم اطرادا في الزمان، والمكان يربط قضاء الفريضة في المسجد، بجعل نصيب من النافلة في البيت، والتعبير بالقضاء يشير إلى التمام، والانتهاء، ولفظ أحدكم يعمم الحكم، وقوله (في مسجده) يعين الفريضة لأنها المختصة بالمسجد، وقوله (فليجعل) جواب شرط في صورة الأمر الموجه للغاية، وذكر البيت يوحي بالسكن، والطمأنينة، وإضافته إلى الضمير في قوله (لبيته) تشعره بالخصوصية التي تستلزم مزيد العناية بما يصلح شأن البيت، وقوله (من صلاته) أي بعض صلاته، وهي النافلة، وقوله (فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاَتِهِ خَيْراً) جملة تعليلية تحقق الإقناع، والرغبة في إتيان الفعل المحقق لهذا الغرض، والتعبير باسم الفاعل (جاعل) دون الفعل (جعل) دلالة على ثبات هذا الأجر لأن اسم الفاعل يدل على الحدث دون ارتباط بالزمن مما يوحي باستمراره، ودوامه، وإسناد الجعل لله يحقق الثواب، ويعظمه، وتقديم الجار، والمجرور (في بيته) للتخصيص أي بيته خاصة، وتنكير (خيرا) للتعظيم أي يجعل خيرا عظيماً.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) لفظ مسلم: (الصلاة).

(٢) برقم (٧٧٨/٢١٠). أورده المنذري في ترغيبه (٦١٩).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٣٠).

الحديث رقم (١١٣٣)

١١٣٣- وعن عمر بن عطاء: أنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لاَ تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ. إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاَةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ أمَرَنَا بِذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: هو السائب بن يزيد بن سعيد بن ثمامة، ويقال عائذ بن الأسود الكندي، أو الأسدي، ويقال الكناني أو الليثي أو الهذلي، يُعَرف بابن أخت النمر - خاله النمر بن جبل- وكان السائب حليفًا لقريش.

له ولأبيه نصيب من الصحبة والرواية، فقد لقي النبي ﷺ وهو غلام صغير، وحج به أبوه وهو في السابعة من عمره في حجة الوداع، فمولده في العام الثاني للهجرة، وهو بهذا تِرْبٌ لعبدالله بن الزبير.

ولسعة علمه وسداد فقهه كان من الذين يتصدرون للفتيا، فيروي ابن سعد عن ابن جريج قال: كان الذين يُفتون بالمدينة بعد الصحابة السائب بن يزيد والمسور بن مَخرمة وعبدالرحمن بن حاطب - وآخرون[2].

ولحكمته في سياسة الأمور وإدارة الأعمال كان من الذين اعتمد عليهم عمر بن الخطاب فاستعمله على سوق المدينة مع سليمان بن أبي خيثمة وعبدالله بن عنبة بن مسعود وكان ممن شهد اليرموك.

حفظ الله عليه وقته وجسمه إلى أن مات ببركة دعاء رسول الله ﷺ له، فعن الجعد بن عبدالرحمن قال: رأيت السائب بن يزيد سنة أربع وستين جلدًا معتدلاً، فقال:

---

(١) برقم (٨٨٣/٧٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٨٣/٢).

قد علمت ما مُتِّعْتُ بسمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ[١].

دعا له رسول الله ﷺ بالبركة. فعن عطاء مولى السائب بن يزيد قال: رأيت مولاي السائب بن يزيد، لحيته بيضاء، ورأسه أسود، فقلت: يا مولاي ما لرأسك لا يَبْيضُّ؟ قال: لا يَبْيضُّ رأسي أبدًا، وذلك أن رسول الله ﷺ مضى وأنا غلام ألعب مع الغلمان، فسلم وأنا معهم، فرددت عليه السلام من بين الغلمان فدعاني وقال: ما اسمك؟ قلت: السائب بن يزيد، ابن أخت النمر فوضع يده على رأسه وقال: ((بارك الله فيك)) فلا يَبْيَضُّ موضع يد رسول الله ﷺ[٢].

وعن السائب قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي وجع، فمسح رأسي، ودعا لي بالبركة، ثم توضأ، فشربت من وَضوئه، ثم قام يصلي فقمت خلفه فرأيت الخاتم بين كتفيه))[٣].

مات سنة اثنتين وثمانين، وقيل ثمان وثمانين، وقيل إحدى وتسعين، وقيل أربع وتسعين، وقيل ست وتسعين.

أمد الله له في عمره وبارك فيه فعاش أربعًا وتسعين سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من صحابة رسول الله ﷺ[٤].

غريب الألفاظ:

المقصورة: مقصورة الإمام: الحجرة في طرف المحراب يصلّي فيها الأمير عادة

---

(١) الرياض المستطابة من أسماء الصحابة، لليمني (١١١، ١١٢).

(٢) مجمع الزوائد، للإمام الهيثمي (٤٠٩/٩) وقال رجال الكبير رجال الصحيح غير عطاء مولى السائب وهو ثقة.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر (٢٠٢/٩).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٠١/٢، ٤٠٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٣، ٣١٤)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٠١/٢، ٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٦٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٥/٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٨٣/١)، السندي (٤٨٩/٢٤)، موسوعة عظماء حول الرسول (٨٦٦/٢ - ٨٦٨).

خشية اغتياله[١].

الشرح الأدبي

الحديث ورد في أسلوب قصصي متعدد الأطراف عن عمرو بن عطاء قال إن نافع بن جبير أرسله) أي عمرا إلى السائب رضي الله عنه يسأله أي يسأل عمرو السائب (عن شيء رآه) كناية عن فعل السائب رضي الله عنه في سنة الجمعة من صلاتها بعد الفرض مباشرة دون فاصل بكلام، أو غيره، والذي رآه معاوية رضي الله عنه في الصلاة فقال، وقوله: (صليت معه) أي مع معاوية رضي الله عنه ، وقوله (الجمعة في المقصورة) فيه إيجاز بالحذف أي صلاة الجمع، والمقصورة موضع معين في الجامع مقصور للسلاطين وقوله: (فلما سلم الإمام قمت في مقامي) فيه جناس بين قمت، ومقامي يؤكد المعني، ويلفت الانتباه إلى موضع الخطأ، وقوله (فصليت) أي سنة الجمعة من غير أن أفصل بينهما بشيء (فلما دخل) أي: معاوية بيته (أرسل إلي) لئلا تكون النصيحة على وجه الفضيحة، وهو من أدب معاوية رضي الله عنه (فقال لا تعد) نهي عن إتيان السنة في مكان فعل الجمعة بلا فصل، وقد تبعه بأسلوب شرط يصحح به الخطأ (إذا صليت الجمعة فَلاَ تَصِلْهَا بِصَلاةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ)، وذكر الجمعة بعد خصوص الواقعة للتأكيد الزائد في حقها، وقوله (فلا تصلها) من الوصل أي لا توصلها بصلاة أي نافلة، أو قضاء،وقوله (فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَنَا بِذلِكَ، أن لاَ نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ) وقوله (نُوصِلَ صَلاَةً بِصَلاَةٍ) فيه جناس ناقص بين الكلمة الأولى، والثانية يحدث جرسا في السمع، ويؤكد المعنى، وبين الكلمة الثانية، والثالثة جناس تام يؤكد المعنى، ويقرره.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: استحباب[٢] الفصل بين الفرض والنافلة بنحو كلام أو

---

(١) معجم لغة الفقهاء ٤٢٣.

(٢) المغني، ابن قدامة ١٠٩/٢، الكافي، ابن قدامة ٢٢٩/١، المجموع، النووي ٤٥٥/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٦٩/١، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٥٤/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٣٥/٢.

ذكر، أو انتقال للحديث.

ولعل الحكمة من ذلك ألا يتلبس النفل بالفرض[١].

وهذا قدر متفق عليه بين الفقهاء، وقد اختلفوا بعد ذلك:

فقال الحنفية: يستحب ألا يفصل بين الفرض، والنفل إلا بقدر ما في حديث عائشة: (اللهم أنت السلام.. إلخ) أو بقدر ما في حديث المغيرة بن شعبة من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: ((لا إلهَ إلاّ اللّهُ وحده لا شريكَ لهُ لهُ المُلكُ وَلهُ الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قَدير. اللّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطِيَ لما مَنعتَ، ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ مِنكَ الجَدُّ)).

وقال جمهور السلف والخلف: يستحب الفصل بين الفرض والنافلة بالأذكار الواردة عقب الصلوات كالاستغفار، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل.

كما ذكر العلماء أنه يستحب للمرء أن يتحول للنافلة من موضع الفريضة[٢].

والأفضل أن يتحول إلى بيته، فإن أداء النوافل في البيوت أفضل، وإلا فإلى موضع آخر في المسجد أو غيره، وذلك تكثيرًا لمواضع السجود[٣] ومحل استحباب الانتقال والتحول، ما لم تدعُ الحاجة إلى عدمه كضيق المكان[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة.

ثانيًا: من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهى.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٣٥، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/٥٤.

(٢) الدين الخالص، السبكي ٢/٣١٩، الناشر دار المنار، القاهرة.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/٥٤، الكافي ١/٢٢٩، المغني ٢/١٠٩، الدين الخالص ٢/٣١٩ - ٣٢٠.

(٤) الدين الخالص ٢/٣٢٠.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الجمعة:

هذا ما يستفاد من قول: السائب ابن أخت نمر "نعم صليت معه الجمعة". وقول معاوية رضي الله عنه له: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة...".

(وقد سميت الجمعة بذلك لجمعها الخلق الكثير. ويومها أفضل أيام الأسبوع؛ لقول رسول الله ﷺ: «مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُم يَوْمُ الْجُمُعَةِ»[1]، وقال ﷺ: «نحنُ الآخِرونَ الأَوَّلُونَ (وفي رواية: السابقونَ) يومَ القيامةِ، بَيْدَ أنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ»[2].

وروي مسلم عنه ﷺ أنه قال: «أَضَلَّ اللّه عَنِ الْجُمُعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا. فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ. وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ. فَجَاءَ اللّه بِنَا. فَهَدَانَا اللّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»[3].

وشرع اجتماع المسلمين فيه لتنبيههم على عظم نعمة الله عليهم، وشرعت فيه الخطبة لتذكيرهم بتلك النعمة، وحثهم على شكرها.

وشرعت فيه صلاة الجمعة في وسط النهار؛ ليتم الاجتماع في مسجد واحد. وأمر الله المؤمنين بحضور ذلك الاجتماع واستماع الخطبة وإقامة تلك الصلاة)[4]؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[5]. أي: (اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي ها هنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها، كقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾[6])[7].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٩٢٥).

(٢) أخرجه البخاري ٨٧٦، ومسلم ١٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧٩.

(٤) الملخص الفقهي، د. صالح الفوزان، ٢٤٦/١، ٢٤٧.

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٩.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٠/٨.

وقد رغب النبي ﷺ في الحرص على صلاة الجمعة فقال: «من غسَّل واغتسل يوم الجمعة ، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة، أجر صيامها وقيامها»[١]. وقال ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ، ثُمَّ رَاحَ. فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً. وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[٢]. وقد رهب وغلظ النبي ﷺ في ترك الجمعة فقال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»[٣].

قال النووي: (وقوله: "ودعهم" أي تركهم. وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم الطبع والتغطية. قالوا في قول الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٤]، أي: طبع، ومثله الرين فقيل الرين اليسير من الطبع، والطبع اليسير من الأقفال، والأقفال أشدها. قال القاضي: اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا، فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، وقيل: هو خلق الكفر في صدورهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، قال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علامة جعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف به الملائكة من يمدح ومن يذم)[٥]. وفي ذلك بيان على أهمية صلاة الجمعة وعدم التهاون في أدائها.

ثانيًا - من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين والتنبيه على ما صدر من مخالفات:

هذا ما أشار إليه الحديث من تفقد معاوية رضي الله عنه للسائب بن أخت نمر وحثه على

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري ٨٨١، ومسلم ٨٥٠.

(٣) أخرجه مسلم ٨٦٥.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧ .

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في الحديث من قوله ﷺ: "لاتعد لما فعلت. إذ صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، فعلى الداعية أن يتفقد أحوال المدعوين، وأن ينبههم على ما ورد منهم من مخالفات، وفي بيان ذلك: "قال سالم بن عبدالله عن أبيه، أن عمر بن الخطاب ﷺ، بينا هو يخطب الناس يوم الجمعة، دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فناداه عمر: أية ساعة هذه؟ فقال: إني شغلت اليوم، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت النداء، فلم أزد على أن توضأت، قال عمر: والوضوء أيضًا، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل"[1]، وفي ذلك قال النووي رحمه الله: في قوله"أية ساعة هذه" قاله توبيخًا له وإنكارًا لتأخره إلى هذا الوقت، وفيه تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة"[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: النهى:

النهى من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية في إرشاد المدعو، وحمله على تجنب وترك ما فيه مخالفة لأحكام الشرع، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من نهي معاوية ﷺ للسائب بن أخت نمر عن عدم الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك في قوله ﷺ: "لا تعد لما فعلت. إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج؛ فإن رسول الله ﷺ، أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج".

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على اتباع سنة النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه الحديث من حرص معاوية ﷺ على اتباع سنة النبي ﷺ في الفصل بين صلاة الفريضة وصلاة النافلة، وذلك من قوله: "إذا صليت الجمعة فلا تصلها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج"، "والأصل في ذلك أن كل مسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله، فإذا عرض له أمر، أو تنازع مع أخيه المسلم في أى شأن من شئون

---

(١) أخرجه مسلم، ٨٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٦.

الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة رضي الله عنهم معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه، يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شئونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى، وبعد موته عليه الصلاة والسلام، كان الصحابة رضي الله عنهم إذا اختلفوا في أمر أو خفي عليهم حكمه، تحاكموا إلى من يعلم بالسنة فيما اختلفوا فيه، فإذا ثبتت عندهم السنة لم يتجاوزها إلى غيرها"[١].

"فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يقول: الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئًا، حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ كتب إليه: أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته فرجع إليه عمر"[٢]. "وعن طاوس أن عمر قال: أُذَكِّرُ الله أمرءًا سمع من النبي في الجنين شيئًا؟ فقام حَمَلُ بن مالك بن النابغة، فقال: كنت بين جاريتين لي -يعني ضَرَّتَينِ- فضربت إحداهما الأخرى بِمِسْطَح[٣]، فألقت جنينًا ميتًا، فقضى فيه رسول الله بغُرَّة[٤]. فقال عمر: لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره"[٥]. وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع سنة النبي ﷺ.

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الرسالة، لأبي عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٧٩.

(٣) بمسطح: المسطح بالكسر: عود من أعواد الخباء، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ط ح).

(٤) الغُرَّة: دية الجنين إذا أُسقط ميتًا وقدرها: عبد أو أمة أو نصف عشر الدية الكاملة للقتل الخطأ، معجم لغة الفقهاء.

(٥) الرسالة، الشافعي ص ٢٨٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اختلاف قدر الفعل باختلاف الأماكن:

وهذا مستمد من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة"، فالمتبادر إلى الأفهام من هذا الحديث أن صلاة النفل في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، مع أنه من ناحية أخرى قد يتبادر إلى الذهن أن الصلاة مطلقًا في المسجد أفضل، لشرف المساجد، وأنها خير بقاع الأرض، وأنها بيوت الله فيها، لكن النبي ﷺ يعلّم أصحابه أن النوافل يختلف حكمها في هذا عن الفرائض، ومن ثم يمكن الاستفادة من هذا الحديث في المجال التربوي وذلك بأن يربي الناشئة وغيرهم على أن الفعل قد يكون واحدًا، لكنه يختلف مقداره وفضله حسب اختلاف الأماكن، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وكذلك يقال في أجناس العبادات كالصلاة: جنسها أفضل من جنس القراءة والذكر ثم إنها منهي عنها في أوقات النهي، فالقراءة والذكر والدعاء في ذلك الوقت أفضل من الصلاة، وكذلك الدعاء في مشاعر الحج بعرفة ومزدلفة ومنى والصفا والمروة أفضل من القراءة أيضًا بالنصّ والإجماع، فإن النبي ﷺ قال: ((إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا وساجدًا)) وهذا في الصحيح من حديث ابن عباس[1] ومن حديث عليٍّ أيضًا أنه نهاه عن ذلك[2]، ولو قرأ هل تبطل صلاته؟ فيه وجهان في مذهب أحمد، فالنهي عن الصلاة والقراءة في المشاعرِ الفضيلةِ [من باب أولى][3])[4].

والمقصود أن التربية على أن الفعل الواحد قد يختلف فضله باختلاف الأماكن يغرس في الناشئة حسن الفهم وجودة الاستنباط وتدبير الأمور على خير ما يرام وينبغي،

---

(١) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٠.

(٣) في المطبوع: بياض في الأصل سواء في الطبعة الأولى أم طبعة العبيكان ١١/٥٦٠، وما أضفناه هنا هو اجتهاد مبني على الفهم والاستنباط، فإن كان صوابًا فلله الحمد والمنة، وإلا فإن نبرأ إلى الله منه.

(٤) مجموع الفتاوى ٢٢/٣٤٥.

مما يجعلهم يحسنون التصرف في الأماكن المختلفة والأحوال المتنوعة، وهذا يجعل طريق نجاحهم سهلاً ميسورًا بإذن الله، (وهذا باب يحتاج إلى فقه نفس، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوضع كل شيء موضعه، فللعين موضع وللرجل موضع، وللماء موضع وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي)[1].

ثانيًا- التربية بالتنفير:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا"، فقد نفّر النبي ﷺ من هجر البيوت بعدم صلاة النوافل فيها، وذلك بجعلها كأنها قبور لا يكون فيها حياة بل يخيم عليها الموات والخراب، وهذا يبعث في النفس البشرية الانقباض، لأنها تنفر من سماع لفظة القبور فضلاً عن مشاهدتها ورؤيتها، ومن ثم يسارع المخاطب إلى النفور من خلوّ بيته من أداء النوافل ويحرص أشد الحرص على أن يجعل في بيته حياة روحية نابضة بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، إذن على المربي أن يفعّل طريقة التربية بالتنفير لما لها من آثار إيجابية في التربية، ولنذكر بعض الآيات والأحاديث التي تقوم على ذلك زيادة في بيان أثر التربية بالتنفير:

١- يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[2] فقد جاء التنفير عن الغيبة بذكر صورة بشعة لم يشهد مثلها العقل الإنساني، وهي أن يأكل الأخ لحم أخيه وهو ميت[3].

٢- قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[4] وفي لفظ مسلم: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٧١ مجموعة الحديث.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها، ص ٤٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

اللّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[١] فيكفي في التنفير من عدم ذكر الله بأن من يفعل ذلك ميت قلبًا وقالبًا.

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: ((العائدُ في هِبَتِه كالكلبِ يَقيءُ ثمَّ يَعودُ في قَيئِهِ))[٢].

قال البسام: (التعبير عن ذلك بهذا المثل الكريه المستقذر الذي هو الغاية في البشاعة والدناءة والخسة، للإقلاع عن هذا الخلق اللئيم)[٣].

ثالثًا- التربية على توسيع دائرة الخير:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ: "إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا"، والشاهد في هذا قوله ﷺ "فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا" قال ابن عثيمين في بيان هذا الخير (يعني أن البيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، جعل الله في صلاتك فيه خيرًا، من هذا أن أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك، وألِفُوا الصلاة وأحبوها ولاسيما الصغار منهم"[٤] وهذا توسيع لدائرة الخير لتمتد إلى البيت بدلاً من كونها مقصورة على المسجد هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تعدى الخير للأولاد والزوجة بدلاً من اقتصاره على هذا المصلي، وهذا باب عظيم من أبواب الخير. إذن يمكن الاستئناس بهذا الحديث في تربية الناشئة وغيرهم على أن فعل الخير - والصلاة من أفضل أنواع الخير - لا يأتي إلا بخير، ولا يعود على فاعله إلا بالنفع والفائدة، وهذا إن غرس في نفوسهم كان له من الفوائد التربوية الكثير، منها:

أ- المبادرة إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة على ذلك قدر الجهد والوسع.

ب- تعويدهم على أن يكونوا مصدرًا للخير ونبعًا له لا أن يكونوا مصدرًا للشر والضرر.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٢٨٩، ومسلم ١٦٢٢.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٦٨/٤.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٣١/١..

ج- الاستكثار من فعل الخير بكل سبيل ممكن، قال ابن القيم: (النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها)[1].

رابعًا- التربية على التمسك بهدي النبي ﷺ:

وهذا مستمد من قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: "إذا صليت الجمعة فلا تَصِلْها بصلاة حتى تتكلم أو تخرج، فإن رسول الله ﷺ أمرنا بذلك، أن لا نوصل صلاة بصلاة حتى نتكلم أو نخرج" فقد قوّم معاوية رضي الله عنه ما رأى من مخالفة في ضوء ما أمرهم به ﷺ، وفي هذا دعوة للمربين أن تكون تربيتهم على هدي النبي ﷺ والالتزام بسننه وآدابه وأخلاقه وأفعاله ﷺ، فإن هديه أكمل الهدي وأفضله، كما قال ابن القيم، الذي يقول عن هدفه من تأليف كتابه الماتع "زاد المعاد في هدي خير العباد": (وليس مقصودنا إلا ذكر هديه ﷺ الذي كان يفعله هو، فإنه قِبْلة القصد، وإليه التوجه في هذا الكتاب، وعليه مدار التفتيش والطلب، وهذا شيء، والجائز الذي لا ينكر فعله وتركه شيء، فنحن لم نتعرض في هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز، وإنما مقصودنا فيه هدي النبي ﷺ الذي كان يختاره لنفسه، فإنه أكمل الهدي وأفضله)[2].

وهدي النبي ﷺ هو الذي تربى عليه أفضل جيل شهدته البشرية الذي كان مثالاً فريدًا في التاريخ، فهو أفضل الأجيال أخلاقًا وأفعالاً وسلوكًا وإنتاجًا، فرضي الله عنهم، فما أجمل أن يتربى الناشئة على هدي النبي ﷺ.

---

(١) الفوائد ٢٤٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٢٧٥.

٢٠٥- باب الحث عَلَى صلاة الوتر

وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

الحديث رقم (١١٣٤)

١١٣٤- عن عليٍّ رضي الله عنه، قَالَ: الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاَةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رسولُ الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

بحتم: الحتم اللازم الواجب الذي لا بد من فعله[2].

الشرح الأدبي

قول الإمام علي - كرم الله وجهه - (ليس بحتم) أسلوب نفي لكونه مفروضا تبعه استدراك يقرر كونها سنة حتى لا تختلط على الناس مع إطباق الأمة على المواظبة عليها، وقول الرسول ﷺ (إنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ) تصدير الكلام بلفظ الجلالة له موقع خاص في نفوس المؤمنين يضمن الإنصات، والقبول، والخضوع بالإضافة إلى كثافة المؤكدات، والتعبير بلفظ المحبة الذي يقتضي الرضا، والتفضيل، والقبول، ثم إن محبة الله للعمل خصيصة فيه يسعى لتحصيلها كل مؤمن، ثم إن تكرار لفظ الوتر ثلاث مرات في العبارة يلح على هذا المعنى، ويرغب في الفعل بالإخبار بمحبة الله ثم جاء الأمر الصريح المتصل بواو الجماعة إيذانا بشمول جميع

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣) واللفظ له. وصحّحه ابن خزيمة (١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٨٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ت م).

المخاطبين (فأوتروا) وقد حثهم على الاستجابة بنداء التكريم تلاه في قوله: (يا أهل القرآن) وإضافة لفظ الأهل للقرآن تشريف ينادي طائفة من أهل تحصيل المراتب العالية بالحرص على أداء هذه النافلة.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث [١] إلى صلاة الوتر وما لها من فضل أكد عليه رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن الوتر يصلى بعد العشاء وقبل الصبح، فإن أصبح فلا وتر بعدها، وقيل: يقضى بين الفجر والصبح ما لم تشرق الشمس، واختلفوا في حكم صلاة الوتر وعدد ركعاتها، فذهب أبو حنيفة[٣] إلى أن الوتر واجب لثبوته بدليل ظني، وذهب جمهور الفقهاء من المالكية[٤] والشافعية[٥] والحنابلة[٦] وأبو يوسف ومحمد من الحنفية[٧] إلى أن الوتر سنة مؤكدة، لأنه يوتر عدد ركعات النوافل والسنن.

---

(١) أي أحاديث الباب.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١، المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢.

(٥) المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣.

(٦) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

(٧) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

وكذلك اختلفوا في عدد ركعات الوتر فهو عند الحنفية[١] ثلاث متصلة، وعند المالكية[٢] ثلاث بينهما تسليمة، وعند الشافعية [٣] والحنابلة[٤] أقله ركعة واحدة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: أهل القرآن.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إن الله وتر..."، حيث أكد ﷺ على أن الله واحد، ويحب الوتر، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة، التي يؤكد بها الداعية على الحقائق في دعوته، ويدعو إلى فعل الخير ويؤكد عليه، وينهي عن الشر ويؤكد على تركه، وهو من الأساليب التي تشعر المدعو بأهمية الدعوة. وقد ورد استخدام أسلوب التوكيد في القرآن الكريم. ومن المعلوم أنه يؤتي بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها. فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام. وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد. فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة.

إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة، منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١، العناية ٤٢٣/١.

(٢) المنتقى ٢١٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢..

(٣) المجموع ٥٠٨/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٣/٣.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٣٩/٢، الفروع، ابن مفلح٥٣٧، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/١ وما بعدها.

في ذلك جميع مواطنه، فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قرب أو بعد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد، ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين، وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد، لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له. وكذلك في اختيار المؤكدات فهو يؤكد هنا بالنون المخففة مثلاً وفي موطن آخر بالنون الثقيلة. وهنا بإن المشددة وفي موطن آخر بإن المخففة، ويستبدل حرفًا بحرف، كل ذلك بحسب منظور فني كامل متكامل في كل القرآن، فجاء التوكيد كله في القرآن كأنه لوحة فنيه واحدة، فيها من عجائب الفن - وليس فيها إلا العجيب- ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشًا مقرًا بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله[1]. فأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية التي تفيد الخطاب الدعوي وتضيف إليه رونقًا وجمالاً، وتجعل المدعو يشعر بأهمية الدعوة للتأكيد عليها.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن). قال الطيبي : قال ابن الأثير في قوله : (إن الله وتر): أي: إن الله تعالى واحدٌ في ذاته، لا يقبل الانقسام والتَّجزِئة، واحدٌ في صفاته، فلا شِبْهَ له ولا مثلَ، وَاحِدٌ في أفعالهِ، فلا شريكَ له ولا مُعينَ. و«يُحبُّ الوتر»: أي يُثيب عليه، ويَقْبَلُه من عامله[2]. وقال القاضي ناصر الدين: "وكل ما يناسب الشيء أدنى مناسبة، كان أحب إليه مما لم تكن له المناسبة. قوله: (فأوتروا)" أى صلوا الوتر، "والفاء" جزاء شرط محذوف، كأنه قال: إذا هديتم إلى أن الله يحب الوتر فأوتروا"[3]، وهذا يدل على فضل صلاة الوتر، ومما يؤكد هذا الفضل قول رسول الله ﷺ : (إن الله أمدكم بصلاة هي خير لكم

---

(١) التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، ص١٢٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر)، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥٠/٣.

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ، ١٥٠/٣-١٥١.

من حُمْر النَّعَم، الوتر، جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر)[١].

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته، مراد به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل إن الله فرض عليكم الصلوات الخمس ليؤجركم بها، ويثيبكم عليها، ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر، ليزيدكم إحسانًا على إحسان وثوابًا على ثواب، وقوله (حُمْر النَّعَم) قال المظهر: هي عند العرب أعز الأموال وأشرفها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله، كأنه قيل: هذه الصلاة خير لكم مما تحبون من عرض الدنيا وزينتها، لأنها ذخيرة الآخرة، والآخرة خير وأبقى[٢].

وقال ابن تيمية: أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وآكد ذلك الوتر وركعتا الفجر، ولا ينبغي لأحد تركه، فمن أصرَّ على تركه فإنه تُرد شهادته. وقال: الوتر أفضل من جميع الصلوات النوافل[٣].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: أهل القرآن:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"، قال الطيبي: قال القاضي ناصر الدين: والمراد بأهل القرآن المؤمنون الذين صدقوا القرآن، وخاصة من يتولى القيام بحفظه، وتلاوته، ومراعاة حدوده وأحكامه. قال الطيبي: أقول – والله أعلم – لعل المناسبة بتخصيص النداء بأهل القرآن في مقام الفردانية، إنما كانت لأجل أن القرآن ما أنزل إلا لتقرير التوحيد، قال تعالى: على سبيل الحصر وتكريره: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٤]، أى مقصور على إفراد الله بالتوحيد كأنه قيل: إن الله واحد يحب الوحدة، فوحدوه يا أهل التوحيد[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٥٢، وقال الألباني: صحيح دون قوله"هى خير لكم من حمر النعم" (صحيح سنن الترمذي، ٣٧٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ، ١٥١/٣.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ٨٨/٢٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٥١/٣.

وأهل القرآن لهم منزلة خاصة في الدين ولهم ثواب عظيم عند الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»[1].

وقال ﷺ: "اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه"[2]، فأهل القرآن من أصناف المدعوين الذين ينبغي أن يكونوا على قدر كبير من المسئولية والالتزام، لأنهم يحملون كتاب الله. ويجب على الجميع احترامهم وتقديرهم إكرامًا لما يحملون.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

إن من أساليب الدعوة التي تظهر في هذا الحديث الأمر، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فأوتروا يا أهل القرآن"؛ حيث أمر أهل القرآن بالوتر.

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد بها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين ودعوتهم إلى ما ينفعهم، ويجعلهم يشعرون بأهمية الاستجابة لدعوته؛ لأنه يأمرهم بالخير.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٠٤.

الحديث رقم (١١٣٥)

١١٣٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ[1]، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

السَّحَر: آخر الليل قبل طلوع الفجر[3].

الشرح الأدبي

الحديث السابق رغب في صلاة الوتر، وهذا الحديث يشير إلى وقته مما يشير إلى مواظبته عليه، وقد جاء المعنى عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في أسلوب خبري خال من المؤكدات اعتمد الإجمال، والتفصيل حيث أجملت أولا ثم فصلت فقولها (مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ) وتقديم الجار، والمجرور (مِنْ كُلِّ) لأنه المعنى الذي يدور حوله الحديث وتريد أن تقرره، وهو أن زمن هذه النافلة على مدار الليل مما يعطي مساحة من الزمن تسمح بأدائها متى تيسر للمسلم، وهو ما يجعل تداركها سهلا على من فاتته، وقولها (وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ) تفصيل لما أجملت يستوعب كل أوقات الليل ثم إنه توكيد للمعنى السابق.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عائشة رضي الله عنها لحال رسول الله ﷺ في وتره.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور.

---

(١) لفظ مسلم: (وأوسطه وآخره).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥/١٣٧) واللفظ له.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٦٥.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان عائشة رضي الله عنها لحال رسول الله ﷺ في وتره:

يظهر ذلك في قولها رضي الله عنها: من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ، من أوله، ومن أوسطه، ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر؛ حيث بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أوقات أداء رسول الله ﷺ لصلاة الوتر.

قال النووي: "فيه جواز الإيتار في جميع أوقات الليل بعد دخول وقته"[١].

وقال ابن حجر: ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الأحوال، فحيث أوتر في أوله لعله كان وجعًا، وحيث أوتر وسطه لعله كان مسافرًا، وأما وتره في آخره فكأنه كان غالب أحواله لما عرف من مواظبته ﷺ على الصلاة في أكثر الليل، والله أعلم[٢].

وبيان أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لحال النبي ﷺ في وتره إنما هو حرص منها على إبلاغ المسلمين بعبادة رسول الله ﷺ ليقتدوا به فيها، وقد أمر الله تعالى زوجات النبي بتبليغ ما يتلى عليهن من قرآن، وحكمة من رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٣]، قال القرطبي: (فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النبي ﷺ، ويسمعن من أقواله، حتى يبلغن ذلك إلى الناس، فيعلموا ويقتدوا)[٤].

وقال ابن عاشور: (أي: بلغنه للناس بأن يقرأن القرآن ويبلغن أقوال النبي ﷺ وسيرته، ولم يزل أصحاب النبي ﷺ والتابعون بعدهم يرجعون إلى أمهات المؤمنين في كثير من الأحكام، لا سيما أحكام النساء، وأحكام الرجل مع أهله)[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٥٦٥/٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٨٤/١٤/٧.

(٥) انظر: التحرير والتنوير ١٨/٢٢/٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص رسول الله ﷺ على البيان العملي للأمور التعبدية لأمته:

يظهر ذلك في أدائه ﷺ لصلاة الوتر في أول الليل وأوسطه وآخره.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على بيان الأمور التعبدية لأمته، وهذا ما أمره الله به في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[١].

قال السعدي: هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا ، كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين. وبلغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين[٢].

وقد حرص النبي ﷺ على بيان كافة الأمور التعبدية لأمته، وقد تواترت النصوص النبوية في بيانه ﷺ للأمور التعبدية، ومن ذلك في الصلاة قوله ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٣].

قال الطيبي: (أي: صلوا صلاة كصلاة رأيتموني أصليها)[٤].

وفي الحج يؤدي ﷺ المناسك ويقول لأصحابه: «لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ»[٥].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٣١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢١٦/٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

قال النووي: (قوله ﷺ "لتأخذوا مناسككم" أي: ... هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات، هي أمور الحج وصفته، وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها واحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس، وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج.

وقوله ﷺ: "لعلي لا أحج بعد حجتي هذه" فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه، وانتهاز الفرصة في ملازمته وتعلم أمور الدين)[1].

وفي بيان الأمور التعبدية -النوافل- قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقومُ من الليل حتى تَتفطَّرَ قَدَماه، فقالت عائشة: لِمَ تصنعُ هذا يا رسولَ الله وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذَنْبك وما تأخَّر؟ قال: أَفَلا أحبُّ أن أكونَ عبدًا شكورًا»[2].

وكذلك صلاته للوتر كما معنا في هذا الحديث، فقد صلاه في أول الليل ووسطه وآخره، ولم يترك ﷺ كبيرة ولا صغيرة إلا بينها لأمته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٨١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٣٧.

الحديث رقم (١١٣٦)

١١٣٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث قصير موجز رواه ابن عمر رضي الله عنه في جملة واحدة إنشائية تقرر الحكم، وهو قوله (اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْراً) وهو أسلوب أمر للتوجيه والإرشاد بجعل الوتر ختام للصلوات بالليل، والتعبير بالجعل يشير إلى التصيير، والتحويل الذي يقتضي ممن نوى القيام تأخير الوتر، وممن نوى النوم أن يوتر قبل نومه حتى لا يفوته هذا الفضل بتحصيل هذه النافلة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في عموم الأحاديث حيث قال رسول الله ﷺ في الحديث الأول: "اجعلوا آخر صلاتكم..."، والثاني: "أوتروا قبل..."، والثالث: "بادروا الصبح...".

حيث أمر رسول الله ﷺ بالإيتار قبل الفجر، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين، ودعوتهم إلى تحصيل الأعمال الصالحة، وهو من الأساليب التي تجعل المدعو يستجيب للدعوة ويقبلها.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٨)، ومسلم (٧٥١/١٥١) ولفظهما سواء.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٣٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٣٧).

ثانيًا - من صفات الداعية: الحرص على نفع المدعوين:

يظهر هذا في حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكون الوتر آخر صلاتهم قبل النوم، حتى يكون آخر عملهم في يومهم طاعة الله تعالى.

وهذا من حرصه ﷺ على نفع المدعوين، وذلك لأن هدف الداعية هو حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وهذا الحرص هو ما عبر عنه النبي ﷺ بقوله: ((بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا))[٢]، "إن حرص الداعية على تحقيق الخير لمن يدعوهم، يجعل القلوب تلتف حوله وتستجيب لدعوته"[٣].

إن اهتمام الأب بأمور أبنائه وقضاياهم قد لا يجد المرء فيه غرابة، إذ الدافع لذلك حنان الأبوة ومحبة الأبناء، ومع ذلك فالأب الذي يحنو على أبنائه ويهتم بأحوالهم وقضاياهم، أقرب إلى قلوب الأبناء من الذي لا يهتم بهم ولا يحنو عليهم، وأنه حريٌّ إذا قال أن يُسمع لقوله وإذا أمر أن يُمتثل لأمره. فكم يا ترى سيكون تأثير الرجل الغريب الذي لا تربطه مصلحة ولا منفعة، ولا غير ذلك، كم سيكون تأثير اهتمامه بغيره ومواساته لهم؟"[٤].

ويرى محمد قطب: "أن المربي الناجح يجب أن تكون لديه المقدرة على الاهتمام بالآخرين، بأن يعطيهم ما عنده من الخير، والشخص الطيب في ذاته الذي لا يهتم بإعطاء الآخرين -مع مقدرته على العطاء- لا يصلح للتربية، لأن الاهتمام بالآخرين

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٩٤.

(٣) انظر: النصيحة، الباز محمد الدميري ص ٦١ - ٦٢.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٢٧٢.

عنصر ضروري للتربية، من الجانبين، جانب المربي، وجانب المتلقي، أما المربي فإن فقد الاهتمام بالآخرين، فلن يتجه أصلاً إلى التربية، فضلاً عن كونه لا يصلح لها -ولو احترفها احترافًا- أما المتلقي فلا يمكن أن ينشرح صدره للتلقي من شخص يحس في أعماقه أنه لا يهتم به. فالاهتمام والرعاية عنصر ضروري من عناصر التربية، لا بد أن تتوفر في المربي لكي ينجح في مهمته الخطيرة"[١].

"ولا بد للداعية أن يقرن اهتمامه بالمحبة، والمتلقي الذي يشعر أن الداعية يحبه ويعطف عليه، لا شك سيتجاوب معه ويسمع منه، أما الذي لا يشعر بمحبة الداعية وعطفه عليه، لا نستغرب ابتعاده عنه وعدم تجاوبه معه.

ولقد كان رسول الله ﷺ للناس كالأب الحنون، والقريب الشفيق، والصديق الحميم، تشغله همومهم، وتملأ نفسه مشاعرهم،ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه ووقته الشيء الكثير"[٢].

يقول الشيخ أبو زهرة: "والصفة الثانية من أخلاقه، أنه يأتلف مع أصحابه، ويمزج إحساسه الفاضل بإحساسهم، لينساب إلى نفوسهم، يكرم كريمهم ويرفع خسيسة صغيرهم، حتى يحس بأنه منهم، ويوزع محبته بينهم، ويعطي نفسه لكل واحد منهم، حتى يظن كل واحد منهم أنه موضع الرعاية منه، وإذا رأى أمرًا حسنًا أعلن حسنه، وإن رأى قبيحًا نبه إليه في رفق الهادي الأمين، الذي يُؤلف ولا يُنفر، ويُقرب ولا يُبعد، ولا يسكت عن باطل"[٣]، ويؤيد ما قال أبو زهرة اعتقاد عمرو بن العاص أن النبي ﷺ يحبه أكثر من أصحابه، لما رأى من حفاوته به، وإقباله عليه واهتمامه به، فجاء يسأله وليس لديه أدنى شك فيما اعتقد، فقال له: أي الناس أحب إليك؟ قال: (عائشة)، قلت: فمن الرجال؟ قال: (أبوها)، قلت، ثم من: قال: (عمر بن الخطاب)، فعدد رجالاً فسكت، مخافة أن يجعلني آخرهم[٤].

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية ٤٦/٢ (بتصرف.

(٢) المصدر السابق ١٨٢/١ - ١٨٣ (بتصرف).

(٣) خاتم النبيين ٢٤٣/١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٦٢.

وهذه بعض الأمثلة على اهتمامه بالناس ومواساته لهم:

١/ روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتَيْنا إلى النبيِّ ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتقارِبونَ فأقمنا عندَهُ عِشرينَ يومًا وليلةً ، وكان رسولُ الله ﷺ رَحيمًا رَفيقًا، فلمَّا ظَنَّ أنَّا قد اشتهينا أهلَنا - أو قد اشتَقْنا- سألَنا عمَّن تركنا بعدَنا، فأخبرناهُ، قال: ((ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلِّموهم، ومُروهم... الحديث))[١].

وهذا الحديث فيه دلالة على أنه كان يعيش معهم، ويعيش أحاسيسهم وأشواقهم، ويستشعر حاجاتهم، ويداري مشاعرهم وغريزتهم.

٢/ هجرة أصحابه إلى المدينة قبله، حيث أراد أن يطمئن على نجاتهم ووصولهم[٢]، فالداعي لا بد أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس، وإرادة الخير والنصح لهم[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الوتر:

يظهر ذلك في حرص رسول الله ﷺ على أمر المسلمين بصلاة الوتر، وحرصه على أن تكون آخر الصلوات، قال ابن علان رحمه الله: "فيسن - جعله الأقل منه والأكمل - بعد صلاة الليل التي يريد فعلها فيه، من راتبة أو تراويح أو تهجد أو نفل مطلق، وكأن حكمة ذلك أن الوتر أفضل من هذه الصلوات الليلية، فندب وقوعه عقبها ليختم عمله بالأفضل، فتعود عليه بركته ويحوز نفعه، وما ورد من صلاته ﷺ أول الليل محمول على الجواز"[٤]، وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تحث على صلاة الوتر وترغب فيها منها قوله ﷺ: ((يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا فإِنَّ الله وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ))[٥].

وما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((أوصاني خليلي بثلاثٍ لا أدعهنَّ حتى أموت:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٧٤.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٢٨٩.

(٥) أخرجه ابو داود ١٤١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٥٦).

صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كل شهر، وصلاةِ الضُّحى، ونوم على وِتر))[١].

وقال أيضًا ﷺ: ((الْوِتْرُ حَقٌّ عَلَى كلِّ مُسْلِمٍ، فَمنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِخَمْسٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بثَلاَثٍ فَلْيَفْعَل، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ))[٢].

فصلاة الوتر من الصلوات التي كان النبي ﷺ يحافظ عليها، فقد كان لا يدعها هي وركعتي الفجر في سفر ولا حضر، وأمر عليه الصلاة والسلام بها فقال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[٣].

قال ابن القيم: "وكان في السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن، ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى سنة راتبة غيرهما"[٤][٥].

ومن هذه الأحاديث يتضح فضل صلاة الوتر والترغيب في القيام بأدائها.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحث على التعجيل بصلاة الوتر قبل أذان الصبح:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، وقوله ﷺ: (بادروا الصبح بالوتر).

قال الطيبي: "أي: سارعوا، قيل: يقال: بدرت إليه، وبادرته، والبدر قيل: سمي بدرًا لمبادرته الشمس بالطلوع، وأقول: كأن الصبح مسافر، يقدم إليك طالبًا منك الوتر، وأنت تستقبله مسرعًا بمطلوبه، وإيصاله إلى بغيته، ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا وتر بعد الصبح"[٦].

وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ قال: (أوتروا قبل أن تصبحوا)، لأن الوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر فلا وتر، حتى لو بين أذان الفجر والإقامة لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر فإنه يصلي في النهار شفعًا، إن كان يوتر بثلاث

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١١٧٨.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٢٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٢٦٠).

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣١٥/١.

(٥) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ٤١.

(٦) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٧/٣.

صلى أربعًا، وإن كان يوتر بخمسٍ صلى ستًا، وإن كان يوتر بسبع صلى ثماني لقول عائشة رضي الله عنها: ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً))[1]"[2].

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٣٣٥/٢.

الحديث رقم (١١٣٧)

١١٣٧- وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أوْتِرُوا قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

قبل أن تصبحوا: أي قبل صلاة الصبح[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه توكيد للأحاديث السابقة من حيث تقريرها وثباتها، ومن حيث الترغيب فيه بأمر الرسول ﷺ، ومن حيث زمانها وهو على مدار الليل، وقول الرسول ﷺ (أوْتِرُوا قَبْلَ أنْ تُصْبِحُوا) أي أدوا صلاة الوتر قبل أن يدرككم الصباح، واتصال الفعلين بواو الجماعة يشير إلى عموم جميع المخاطبين.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٥٤/١٦٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ب ح).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٣٨)

١١٣٨- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلاَتَهُ باللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ. رواه مسلم[١].

وفي روايةٍ لَهُ: فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ[٢]، قَالَ: ((قُومِي فَأوتِري يَا عائِشَةُ)) [٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

معترضة بين يديه: نائمة أمامه من جهة يمينه إلى جهة شماله[٤].

الشرح الأدبي

هذا لحديث يقرر عن طريق البيان العملي تأخير الوتر في آخر الصلوات عن طريق الحوار بين أم المؤمنين عائشة، وبين الرسول ﷺ والجملة التي سبقت الحوار تشير إلى العلاقة الحنونة بين الزوجين، والتقارب الروحي مع البساطة في الحياة، والتعامل، وقوله (يُصَلِّي صَلاَتَهُ) جناس يؤكد المعنى، وقوله (وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ) أي: تنام بالعرض أمامه، وقوله (فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أيْقَظَهَا فَأوْتَرتْ) وهو خبر في صورة أسلوب شرط يربط إيقاظ عائشة رضي الله عنها ببقاء الوتر حتى تصليه معه بعد أن أتم صلاته بالليل، وهو المعنى الذي يقرره الحديث، وقد جاء في الرواية الثانية بأسلوب إنشائي، في قوله (قُومِي فَأوتِري يَا عائِشَةُ) والأمر الأول للاستعداد ينفض عنها أثر النوم، ويحملها، والأمر الثاني يبين علة القيام، والنداء بعدهما يستلزمه مقتضى حال النائم لتحقيق مزيد التنبيه.

---

(١) برقم (٧٤٤/١٣٤).

(٢) لفظ مسلم: (فإذا أوتر).

(٣) أخرجه مسلم (٧٤٤/١٣٤).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٥٨٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل.

ثانيًا: من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على صلاة الليل:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "أن النبي ﷺ كان يصلي صلاته بالليل...".

وقد أمره الله تعالى بقيام الليل فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1]، قال ابن كثير: "يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2]، وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده. كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، وها هنا بيّن له مقدار ما يقوم فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾"[4].

قال ابن القيم: "ولم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا وكان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة"[5].

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: إنْ كان النبيُّ ﷺ لَيَقومُ أو لَيُصلّي حتى تَرِم قدماه - أو ساقاه فيقالُ له، فيقول: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا))[6].

---

(١) سورة المزمل، الآيات: ١ - ٤.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٩/٨.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٤/١.

(٦) أخرجه البخاري ١١٣٠.

وفي رواية أخرى عنه رضي الله عنه يقول: قام النَّبيُّ ﷺ حتى تَورَّمَت قدماه، فقيل له: غفرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذَنْبك وما تأخَّر، قال: ((أَفلا أكونُ عبدًا شَكورًا))[1].

وهذا يدل على حرصه ﷺ على صلاة الليل، فما أحرى بالمسلم أن يقتدي ويتأسى برسول الله ﷺ في عبادته لربه عامة، ولا سيما ذوي الفضائل العظمى كقيام الليل.

إن المسلم إذا واظب على الصلاة ومنها قيام الليل، تيقظت قواه الروحية، وأحس بأن الله يمده بالقوة والعون، وأنه سبحانه معه لا يتخلى عنه؛ فتقوى عزيمته، وتشتد إرادته، ويمضي إلى غايته دون تردد أو ضعف، مهما اعترضته الصعاب أو واجهته العقبات.

إن في الصلاة انتزاعًا للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر والدعاء والضراعة والخضوع لكبريائه وعظمته، وهذا من شأنه أن يضفي على النفس السكينة والرضا، ويجعلها تشعر بفيض من السعادة، فتتجدد قواها، ويحفزها إلى العمل الجاد والأمل في وجه الله الكريم[2].

ثانيًا - من آداب الداعية: حث أهله على الطاعات:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: (فإذا بقي الوتر أيقظها فأوتر) وفي الرواية الأخرى: (فإذا بقي الوتر قال: قومي فأوتري يا عائشة)، وهذا يدل على حثه أهل بيته على الطاعة، وهذا ما يجب أن يحرص عليه الداعية، وذلك لأن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ أن يحرص على هداية أهله وطاعتهم لله، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3].

قال د. محمود حجازي: "ثم أمره ﷺ بأن يدعو الأقرب فالأقرب من أهله

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٣٦.

(٢) انظر: إسلامنا، السيد سابق ص ١١٦ - ١١٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤ - ٢٢٠.

وعشيرته. يمكن أن نفهم من هذا كله أن المراد نفي الشك والطعن عن الدعوة المحمدية، لأن الإنسان جبل على حب الخير له ولأهله.

وهذه نصائح غالية تنفع الدعاة والمرشدين إلى الحق والخير، حيث تبدأ بدعوتك أقرب الناس إليك. فهم يعرفونك، ويثقون فيك، فإذا أضفت مع هذا لين الجانب وحسن الخلق، وطيب العشرة لمن اتبعك وسار على طريقك، كان لكلامك وقع، ولشخصك مكانة في القلوب، ولسلوكك في الناس تأثير وأي تأثير؟ ولذا يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإن لم تتبعك عشيرتك وقرابتك وعصوك فقل لهم: إني بريء مما تعملون، وتوكل على الله، وسلم أمرك إليه، وفوّض أمرك لربك إنه هو العزيز يعز أولياءه، ويقهر أعداءه، وينصرك عليهم برحمته، فإنه يراك، ويلحظك حين تقوم في أي عمل من الأعمال، وحين تتقلب مع الراكعين الساجدين العابدين القانتين، إنه هو السميع لكل قول، العليم لكل فعل"[1].

وقد أمر الله المؤمنين بطاعة الله، وأن يأمروا أهليهم بطاعة الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارا)، يقول اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار.

وقال مجاهد: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله.

وقال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله، ويأمرهم ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، زجرتهم عنها.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٩/٧٥ - ٧٦.

(٢) سورة التحريم، آية: ٦.

وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه"[١].

ومعنى هذه الآية يتحقق في الحديث الذي ورد عنه ﷺ: ((مُرُوا الصَّبِيَّ بالصَّلاَةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا))[٢].

فإذا كان المسلم مأمورًا بحث أهله على الطاعة وعبادة الله تعالى؛ فالداعية من باب أولى، لأنه هو القدوة والمثال لغيره من المدعوين، ولأنه هو من يدعو إلى الطاعة والأمر بها، وله في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٥).

الحديث رقم (١١٣٩)

١١٣٩- وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بادروا الصبح: سارعوه وسابقوه، واسبقوه[2].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه من حيث موضوعه، وهو الترغيب في الوتر جاء في جملة قصيرة بحيث أن من يسمعها لا تلتبس عليه، ولا ينساها، وقوله (بادروا) أمر بمعنى الحث على المسارعة، والتعبير بالمبادرة يوحي بوشك الفوت لاغتنام فرصة، وبمبادرة طارق، وتصدرها للكلام يجذب الانتباه، وقوله: (الصبح) فيه إيجاز بالحذف أي وقت الصبح، وكذلك قوله (بالوتر) أي بصلاة الوتر حتى لا ينقضي وقتها بانقضاء الليل.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٣٦)، والترمذي (٤٦٧). تنبيه: الحديث بهذا اللفظ أخرجه أيضًا مسلم (١٤٩/٧٥٠).

(٢) اللسان والوسيط في (ب د ر).

(٣) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١١٤٠)

١١٤٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ خَافَ أنْ لاَ يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ، فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذَلِكَ أفْضَلُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

طمع: وثق[2].

مشهودة: تحضرها ملائكة الرحمة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط الأمر بالوتر أول الليل، بخوف عدم القيام، ويربط الأمر بالوتر آخر الليل بالطمع في القيام آخره، والطباق بين أول، وآخر يؤكد المعنى، ويقرر اختلاف الظروف التي تستلزم من كل إنسان أن يراعي حاله بين النوم، أو القيام ثم إنه طابق بين الخوف، والطمع الذي هو بمعنى الرجاء الذي يقابله ليراجع حاله بين اعتقاد القيام، أو خوف النوم ليتخذ على أساسه قراره، والتعبير بالطمع يوحي بشدة الرغبة في تحصيل فضل القيام؛ لأن النية المجردة قد لا تحمل صاحبها على الصبر، ومغالبة النوم فتحتاج معها إلى ما يقويها، وهو رجاء ما عند الله، والتعلق به لذلك علل للأمر الأخير بما يحقق الرغبة فيه بقوله (فَإنَّ صَلاَةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ) من الله تعالى أو من الملائكة، وهو ما يؤكد فضل هذه الصلاة في هذا الوقت.

---

(١) برقم (٧٥٥/١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٦٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٥١٥.

(٣) المرجع السابق ٥١٥.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإرشاد لفضل صلاة الوتر وفضل صلاتها آخر الليل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله..." الحديث.

حيث بيّن وأرشد المسلمين إلى صلاة الوتر، وبيّن أن أفضل أوقاتها هو آخر الليل حيث أنه وقت مشهود.

وبيان الدين وإرشاد الأمة هو من اختصاص رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وأما أنت يا رسول الله فقد أنزل الله إليك الذكر والقرآن لتبين للناس ما أنزل إليهم، فأنت أدرى الناس به وأحرص الناس عليه وعلى اتباع الناس له، فأنزله إليك لتبينه للناس ولعلهم يتفكرون[3].

والداعية إلى الله يجب أن يبين ويرشد المدعوين إلى الخير، ويدعوهم إلى الحق وينهاهم عن الباطل، وعليه أن يبين لهم أفضل الأعمال وأفضل أوقات العبادة، كما بيّن رسول الله ﷺ في هذا الحديث أفضل أوقات الوتر.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فليوتر أوله.. فليوتر آخر الليل"، وقوله ﷺ: "بادروا

---

(١) تم دمج مضامين هذا الحديث (١١٤٠) مع مضامين الحديث السابق.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢/١٤/٤٤.

الصبح بالوتر"، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد أهمية الدعوة وبيان الحقائق للمدعوين، وتشعر المدعو بضرورة الاستجابة لدعوته. فالداعية لا يأمر إلا بما أمر به الدين.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة:

يظهر ذلك في تخيير رسول الله ﷺ في صلاة الوتر في أول الليل لمن خاف على نفسه النوم، أما من علم أنه يستيقظ في آخره فليوتر في آخره لأنه أفضل، فلم يلزم الوتر في وقت محدد، ولكنه ترك ذلك حسب مقدرة كل إنسان، ومن ذلك يظهر اليسر في أمور العبادة وعدم المشقة في الدين الإسلامي. فالتيسير والتسهيل على الناس قد ندب إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وعن عامر بن أبي موسى عن أبيه قال لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا))[3].

فإن التيسير على الناس في معاملتهم، ونهيهم وزجرهم، تيسير على النفس، فلا تكثر عليها من الطاعات حتى تسأمها وتملها، ولا تشق عليها بالعبادات إذا أمكن القيام بها في يسر[4].

"وإن المتتبع لأبواب الشريعة، بل لجزيئات هذه الأبواب، يستطيع في مقام الموازنة أن يثبت أن باب اليسر أكثر من غيره، وذلك أمر طبيعي لا يستدعي من التأمل سوى معرفة أن العبادة صلة محضة بين العبد وربه، والرب سبحانه رحيم بخلقه، لطيف بهم، ومن أجل ذلك كانت تلك الصلة مبنية على التسامح، وعدم الحرج والمشقة.

ولا أدل على ما نقوله من الأمثلة الحية التي نطبقها في حياتنا اليومية أكثر من مرة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٤.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٠٣.

من ذلك أن الله سبحانه قد سامحنا فيما يصيب الثوب من النجاسات بأن اكتفى منا بغسل محلها، وقد لا يتصور البعض أن في ذلك سماحة إلا إذا عرف الحكم الشرعي في ذلك عند بني إسرائيل، فإنهم كانوا يكلفون بقص ما أصابته النجاسة من الثوب، فجاءت شريعتنا مخففة الحكم في ذلك الإصر الثقيل الذي وضعه الله عليهم"[١].

ومن الأمثلة التي توضح اليسر في العبادات الصلاة في السفر:

السفر يفرض على صاحبه أن يسير في برنامج غير برنامجه الطبيعي، الذي استمرأ سلوكه في حال الإقامة، كما أنه يفرض عليه تجشم المصاعب: من الإدلاج والسهر والتعرض للبرد أو الحر وأعواز الماء وخوف الانقطاع، فهو حينئذ ليس بمطمئن البال ولا بمستريح الجسم، ومن أجل ذلك كان السفر مظنة للمشقة والعناء، فكان جديرًا بأن يحظى بنوع من اليسر والسهولة في التكاليف، كي يستطيع المسافر القيام بها دون إدخال له في الحرج.

ولم تضق شريعة الإسلام ذرعًا بذلك، بل قدمت من ذلك الشيء الكثير، وفي جوانب مختلفة من جوانب العبادات، ففي جانب الصلاة الرباعية - مثلاً - قصرتها إلى ركعتين فقط، بدل أربع ركعات.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((صحبتُ رسولَ الله ﷺ، فكانَ لا يزيدُ في السَّفرِ على ركعتَينِ، وأبا بكرٍ، وعمرَ، وعثمانَ كذلكَ))[٢].

وكما قدم الإسلام هذه التسهيلات في الصلاة الرباعية، رفقًا بالمسافر، وتخفيفًا عنه من العناء الذي تفرضه طبيعة السفر، قدم يسرًا آخر لا يقل عما تقدمه، ذلك هو ما رخص به من الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، إذ إن توقف المسافر عدة مرات لأداء الصلاة في وقتها قد يدخل عليه نوعًا من المشقة، فرفعها الإسلام بالترخيص في الجمع، روى مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ. فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا. وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا))[٣].

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة ص ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ١١٠٢، ومسلم ٦٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٧٠٦.

ولم يكتف الإسلام بتقديم ما ذكرناه من تسهيلات في الصلاة للمسافر، بل نظر إلى حالة المسافر من حيث المواصلة في السير أو التوقف فيه، فشرع تقديم صلاة العصر مع الظهر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو متوقف عن السير، وشرع تأخير صلاة الظهر حتى يصليها مع العصر حينما يكون قد أدركه وقت الظهر وهو يواصل السير، وهكذا شرع في صلاتي المغرب والعشاء.

روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن معاذ رضي الله عنه: ((أن النبيَّ ﷺ كان في غزوةِ تَبُوكَ إذا ارتَحَل قَبلَ زَيغ الشَمسِ أخرَ الظهرَ إلى أن يجمَعَها إلى العصْرِ فيُصلِّيهمَا جميعًا وإذا ارتحَل بعدَ زَيغِ الشَّمْسِ عجَّلَ العصْرَ إلى الظُّهرِ وصلى الظُّهرَ والعَصْرَ جميعًا ثم سارَ وكان إذا ارتحل قَبلَ المغْربِ أخرَ المغرِبَ حتى يصليَهَا مع العِشاءِ وإذا ارتحَلَ بعدَ المغرِبِ عجّلَ العِشَاء فَصَلاَّهَا مع المغرِبِ))[1].

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الإسلام لم يكد يترك مرحلة من المراحل التي تمر بها هذه العبادة، إلا وقد حباها بنوع من السهولة والتيسير"[2].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة آخر الليل:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل".

قال النووي رحمه الله: "فيه دليل على أن تأخير الوتر إلى آخر الليل أفضل لمن وثق بالاستيقاظ آخر الليل، وأن من لا يثق بذلك فالتقديم له أفضل وهذا هو الصواب. وقوله ﷺ: (فإن صلاة آخر الليل مشهودة)، وذلك أفضل أن يشهدها ملائكة الرحمة، وفيه دليلان صريحان على تفضيل صلاة الوتر وغيرها آخر الليل"[3].

قال الطيبي رحمه الله: "قوله: (مشهودة)، يعني يشهدها ملائكة الليل والنهار، ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء، فهو آخر ديوان النهار، أو يشهدها كثير من المصلين في العادة"[4].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤١/٥، رقم ٢٢٠٩٣، وقال محققو المسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ٤١٣/٣٦، وأبو داود ١٢٠٨، والترمذي ٥٥٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٤٥٥).

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٥٠ - ٥٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٤٨/٢.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: ((اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا))[١].

وقال ﷺ: ((أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[٢].

وقال ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٣].

فصلاة آخر الليل من الصلوات المباركة والتي فيها كثير من الثواب والبركات فينبغي أن يحرص عليها المسلم لتحصيل ثوابها.

"إن من يوفقه الله إلى شهود آخر الليل قائمًا ومستغفرًا قد وُفق لشهود عظيم كريم، فرسول الله ﷺ يقول: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[٤].

فمن وُفق للقيام بين يدي الله عز وجل في هذا الوقت الشريف، فذاك الشرف، ومن لا يوفق، فلا أقل من أن يكون من المستغفرين في هذا الوقت. فالله تعالى يذكر في عباده الصالحين من وصفهم بقوله: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٥]، فهم يقضون هذه اللحظات في طاعة، مستغفرين، ولكن الاستغفار إذا كان مع طاعة من الطاعات كان أدعى للقبول، والصلاة أحسن الطاعات، ولهذا قال العلماء: كلما كان هذا الاستغفار في صلاة فهو أحسن"[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٥١.

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٩٤، ومسلم ٧٥٨.

(٥) سورة آل عمرا، آية: ١٧.

(٦) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدها الإمام ابن القيم، إعداد: عبدالعزيز مصطفى ص ١٣٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على حب ما يحبه الله:

هذا مستمد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة ولكن سنّه رسول الله ﷺ قال: "إن الله وتر يحب الوتر، فأوتروا يا أهل القرآن" فلا شك أن رسول الله ﷺ قد رغب في صلاة الوتر بذكر أن الله يحب هذه الصلاة، فما أحبه الله سارع العبد بفعله حتى ينال هذه الدرجة الرفيعة التي هي مبتغى وهدف وأمل كل عابد قائم بين يدي الله تعالى، وإذا غُرس في الناشئة هذا الحب سهل عليهم فعل المأمورات التي أمر الله بها، واجتناب المنهيات التي نهى الله عنها، لأنه إن فعل الأولى كان سببه الحب ولا يقتصر هذا على أداء العمل فحسب، إنما يمتد إلى درجة أداء العمل أيضًا، فيجيء به على خير ما يكون من الإتقان والجودة، وإن انتهى عن المنهيات فإن ذلك يكون صادرًا عن بغض لها لا لمجرد امتثال النهي، لذا فإنه يقيم سدًا منيعًا من البغض والكره بينه وبينها، بحيث يكون حذرًا من الاقتراب منها دعك من اقترافها والوقوع فيها، ومن ثم ينشأ الناشئة على العبودية لله رب العالمين، يبين ابن القيم فضل العبودية وكيف تكون، فيقول: (لا طريق إلى الله تعالى أقرب من العبودية، لا حجاب أغلظ من الدعوى، والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حبّ كامل، وذل تام، ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين وهما: مشاهدة المنة التي تورث المحبة، ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام، وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة، وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته، وإنما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه، فاستقامة القلب بشيئين:

أحدهما: أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وغيره، سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه كبيرهُ وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله

تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها، وسنة الله فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه، ولا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاءً له على إيثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى، وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع، أن من أحب شيئًا سواه عذب به ولا بدّ، وأن من خاف غيره سلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد.

الأمر الثاني: الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي وهو ناشئ عن تعظيم الآمر الناهي، فإن الله تعالى ذم من لا يعظم أمره ونهيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون لله عظمة ... وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيرًا كاملاً، والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة وهي: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه)[2].

ثانيًا - الاهتمام بتربية الأهل والعمل على إصلاحهم:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصلّي صلاته بالليل وهي معترضة بين يديه، فإذا بقي الوتر أيقظها فأوترت، وفي رواية: "قومي فأوتري يا عائشة". فقد أيقظ رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها حتى توتر، وتنال ثواب هذه الصلاة الفضيلة، و تكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، إنه ﷺ كان - بهذا - يريد صلاح حال أهله ودفعهم إلى فعل الخير و الصالحات الباقيات والأعمال النافعات،

---

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٢٥٥-٢٥٨ مجموعة الحديث.

ولذا أيقظها ﷺ في هذا الوقت الذي يكون فيه النوم محببًا إلى النفس جدًا، لأن في ذلك الخيرَ لها والنفعَ، ومن هذا المنطلق يمكن الاستئناس بهذا الحديث الشريف على أنه ينبغي أن يهتم المربي اهتمامًا بالغًا بإصلاح حال أهله وتربيتهم تربية صالحة تدفعهم إلى فعل الخير والمسابقة إليه والمداومة عليه، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - أن الأهل هم المجتمع الصغير الذي يقوم المربي بتربيته، فإذا نجح في ذلك لم يكن من الصعب عليه أن ينجح في إصلاح المجتمع الأكبر الذي يعيش فيه.

ب - صلاح الأهل دعوة صامتة إلى باقي أفراد المجتمع لأن يكونوا مثلهم أدبًا وأخلاقًا وسلوكًا وطريقًا ومنهاجًا، فهم غرس هذا المربي ونبتته التي رعاها ليل نهار وآناء الليل وأطراف النهار حتى صارت صالحة، ومن ثم يدفع المربين لأن يغرسوا كما غرس ويرعوا كما رعى ويتعاهدوا كما تعاهد، حتى تأتي الغرسة طيبة مباركًا فيها.

ج - صلاح الأهل طريق لصلاح المجتمع وسبيل إليه، فالمجتمع مكون من مجموعة من الأسر، فإذا صلحت صلح وإلا انتشر فيه الفساد والخراب والخلل والانحراف، وإذا أردنا معرفة صدق ذلك، فلنا أن نتخيل لو أصلح كل مربٍّ أهله، فماذا تكون النتيجة؟، النتيجة معروفة حتمًا: هو صلاح مجتمع هذه الأسر وخيريته.

وفي ضوء هذا يمكن أن نفسر اهتمام الإسلام بإصلاح الأهل والقيام على ذلك خير القيام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1] والوقاية من النار للنفس وللأهل لا تتأتى إلا عن طريق الصلاح و التزام فعل الخير وبحيث يكون ذلك منهاجًا في الحياة، ولذا نبّه النبي ﷺ على ذلك فقال: ((كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ))[2]، والمسؤولية كلمة جامعة للتعبير عن

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

الرعاية والتربية والتوجيه والمتابعة والمداومة على ذلك كله، وإلا كان الإنسان مفرطًا في مسؤوليته، مستحقًا للعقاب وما ينزل به.

ثالثًا - التربية على مراعاة الأحوال المختلفة:

لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بأن يبادروا الصُّبح بالوتر: أي يصلُّوا الوتر قبل طلوع الصبح، فلا يبادرهم الصبح بالطلوع وهم لم يوتروا: بل يكونون المبادرين بالإيتار قبل طلوع الصبح، سواء كانت تلك المبادرة قبل نومهم أو قبل صلاة الفجر، وهذا بلا شك يختلف باختلاف الأحوال، فليس كل المسلمين سواء في ذلك، فمنهم من يثق بأنه إن نام سوف يستيقظ قبل الصبح ويوتر في الوقت الأفضل لأداء الوتر، وهناك من يغلبه النوم فلا يمكن أن يستيقظ قبل الصبح، ولذا نصح النبي ﷺ الأول بأن يوتر آخر الليل، على حين أرشد الثاني إلى أن يوتر قبل نومه. وهذا هو عين مراعاة الأحوال، وقد وقع ذلك من النبي ﷺ بالفعل، كما وقع بالقول، وذلك في قول عائشة رضي الله عنها: "من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ من أول الليل، ومن أوسطه ومن آخره، وانتهى وتره إلى السحر". وهذا كان منه ﷺ بيانًا للأوقات التي يفعل فيها الوتر، ومن ثم يختار المسلم ما يناسبه، وهذا يختلف باختلاف أحوال الشخص نفسه، فمرة قد يوتر أول الليل ومرة يوتر وسطه ومرات قد يوتر آخره.

والخلاصة أنه يمكن أن نستفيد من هذا الحديث في المجال التربوي في أنه ينبغي مراعاة الأحوال المختلفة سواء للأشخاص أنفسهم أم للشخص نفسه؛ مما يحقق عددًا من الفوائد التربوية والتي منها:

أ - فتح المجال واسعًا أمام الناشئة وغيرهم في فعل ما يناسبهم ويلائمهم ويصلح لهم، ومن ثم تكون الرغبةُ في الخير قائمة وإن اختلفت الدرجات والمراتب والثواب.

ب - دفع الناشئة إلى أن يعملوا العمل الأفضل معظم أوقاتهم وأحوالهم، بحيث يكون ذلك عادة لهم، فإن لم يستطيعوا ذلك في بعض الأحيان فلا يفوتون فرصة العمل الأقل فضلاً.

ج - تعويدهم على القيام بواجب الوقت، فلاشك أن العمل الواحد قد تختلف رتبته

نظرًا لاختلاف الأحوال والأوقات، فيكون في بعضها أفضل، على حين أنه يكون في بعضها الآخر مفضولاً، يوضح هذا خير توضيح، الأحاديث التي تنص على أفضل الأعمال، فقد اختلفت الروايات في ذلك، فبعضها جاء فيها الجهاد وبعضها جاء فيها الحج، وغير ذلك[1]. فقد نقل النووي القول بأن: (الصحيح أنه محمول على أن الجهاد في وقت الزحف الملجئ والنفير العام، فإنه حينئذ يجب الجهاد على الجميع، و إن كان هكذا فالجهاد أولى بالتحريض والتقديم من الحج، لما في الجهاد من المصلحة العامة للمسلمين، مع أنه متعين متضيق في هذا الحال، بخلاف الحج. والله أعلم)[2].

❁ ❁ ❁

(١) انظر هذه الأحاديث في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، الأحاديث ٨٣-٨٥، وبعضها قد أخرجه البخاري.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ، ص ١٤٥٣ .

٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى

وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها

الحديث رقم (١١٤١)

١١٤١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ[1] بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

وَالإِيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إِنَّمَا يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لاَ يَثِقُ بِالاسْتِيقَاظِ آخِرَ اللَّيْلِ فَإِنْ وَثِقَ، فَآخِرُ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول أبي هريرة رضي الله عنه (أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَيِ الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

---

(١) عندهما زيادة: (بثلاث)، وبدونه عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٨١)، ومسلم (٧٢١/٨٥) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٣).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر. ولم يعين وقتها من الشهر، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: ((كانَ رسولُ اللَّهِ يَصُومُ ثلاثةَ أيامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، قُلْتُ: من أيِّهِ؟ قالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ أيَّامِ الشَّهْرِ يَصُومُ))[1].

قال ابن عثيمين: "ولا فرق بين أن تكون متوالية يعني متتابعة أو متفرقة، كلها يحصل بها الأجر"[2].

ومما يدل على فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر قول رسول الله ﷺ: ((ثَلاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. فَهذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ))[3].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صامَ مِنْ كلِّ شَهْرٍ ثلاثةَ أيامٍ فَذَلِكَ صيامُ الدَّهْرِ فأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وتعَالى تَصْديقَ ذلك في كِتابه ﴿مَنْ جاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها﴾ اليَوْمُ بِعَشْرَةِ أيامٍ))[4]. يتضح من ذلك فضل صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي ﷺ بثلاث: .. وركعتي الضحى...".

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠، والترمذي ٧٦٣، وأبو داود ٢٤٥٣ واللفظ له.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٦٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٦٠٩).

فوصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه بركعتي الضحى يدل على فضلها وقد ورد ما يؤكد فضل صلاة الضحى في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((ابنَ آدمَ اركَعْ لي من أولِ النهارِ أربَع ركْعاتٍ أكفِكَ آخرَهُ))[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((أَوْصَانِي حَبِيبِي بِثَلاَثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَصَلاَةِ الضُّحَى. وَبِأَنْ لاَ أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ))[٢]. قال القرطبي: "وصية النبي ﷺ لأبي الدرداء وأبي هريرة رضي الله عنهما تدل على فضيلة الضحى، وكثرة ثوابه، وتأكده، ولذلك حافظا عليها ولم يتركاه"[٣]. وجاء في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((يُصبحُ على كلّ سلامي منْ أحدكم صدقةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدَقةٌ، وكلُّ تحميدَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرَةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمَعروفِ صدقةٌ، ونهْيٌ عنِ المنكَرِ صدقةٌ، ويجْزِيءُ منْ ذلكَ ركعتَانِ يركعُهما منَ الضُّحى))[٤]، قال النووي: "وفيد دليل على عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[٥]، وهذا يدل على فضل صلاة الضحى وعظيم أجرها.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحثُ على صلاة الوتر قبل النوم لمن غلب على ظنه عدم القيام:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "... وأن أوتر قبل أن أرقد..."، قال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف أن لا يستيقظ آخر الليل"[٦].

وقال ابن عثيمين: "وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ فلا ينام إلا متأخرًا ويُخشى ألا يقوم من آخر

---

(١) أخرجه الترمذي ٤٧٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٩٥).

(٢) أخرجه مسلم ٧٢٢.

(٣) المفهم ٢/٣٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٠.

(٦) المرجع السابق ص ٥٠٠.

الليل، فلهذا أوصاه أن يوتر قبل أن ينام"[١].

فهذا تنبيه على المسلم إذا خاف على نفسه عدم القيام أن يصلى الوتر، أما إذا غلب على ظنه القيام فليؤخر الوتر إلى آخر الليل لأن آخر الليل وقته أفضل.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧.

الحديث رقم (١١٤٢)

١١٤٢- وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول ﷺ أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه، وقوله (وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٧٢٠/٨٤)، وتقدم برقم (١١٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨).

الحديث رقم (١١٤٣)

١١٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصلِّي الضُّحَى أربَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ الله. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث القصير يقرر صلاة الضحى بفعل النبي ﷺ لها، ويشير إلى عددها والتعبير بـ(كان) يشير إلى أنها عادة غالبة في الفعل على هذه الهيئة، وقولها (يصلي) تشير إلى التجدد؛ لأنها سنة يومية، والاستمرار الذي يوحي بالمواظبة عليها، ولفظ الضحى يشير إلى وقت النافلة، ولفظ أربع يدل على عددها، وقولها (وَيَزِيدُ مَا شَاءَ الله) تتميم بلاغي ينفي وهم الاقتصار على الأربع، ويفتح الباب للمزيد، وثواب الله تعالى أعظم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها.

ثالثًا: من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: فتح مكة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى أربعًا...)، وقول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح وجدته يغتسل

---

(١) برقم (٧١٩/٧٩).

(٢) تم دمج المضامين لهذا الحديث - ١١٤٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٤).

فلما فرغ صلى ثماني ركعات وذلك ضحى)، حيث أخبرتنا عن صلاة النبي ﷺ الضحى، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في الإخبار عن الحقائق وتبليغ المدعوين بأحكام الدين وسنة خاتم المرسلين ﷺ.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صلاة الضحى وحرص النبي ﷺ على صلاتها:

يظهر هذا من عموم الحديثين وقد ورد كثير من الأحاديث التي تدل على حرصه ﷺ على صلاة الضحى منها: عن أم هانئ رضي الله عنها في رواية أخرى: ((أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ بَيْتَهَا يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ. فَصَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ. مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى صَلَاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْهَا. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ))[1]. وكذلك كان ﷺ يحث على صلاة الضحى وذلك لفضلها.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً فَغَنِمُوا وَأَسْرَعُوا الرَّجْعَةَ، فَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُرْبِ مَغْزَاهُمْ، وَكَثْرَةِ غَنِيمَتِهِمْ، وَسُرْعَةِ رَجْعَتِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَقْرَبَ مِنْهُمْ مَغْزًى، وَأَكْثَرَ غَنِيمَةً، وَأَوْشَكَ رَجْعَةً؟ مَنْ تَوَضَّأَ، ثُمَّ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لِسُبْحَةِ الضُّحَى، فَهُوَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ مَغْزًى وَأَكْثَرُ غَنِيمَةً وَأَوْشَكُ رَجْعَةً))[2]، يتضح من ذلك فضل صلاة الضحى، وقد وردت فيها أحاديث صحيحة تؤكد فضلها حتى عدّها ابن الجوزي في منزلة السنن الرواتب[3]، ولكن الأظهر أنها ليست من الرواتب لأنه لم ينقل عن النبي ﷺ المحافظة عليها وكذلك لم ينقل عن كبار صحابته المحافظة عليها، ونقل ابن القيم عن جماعة من أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان يصلي في الضحى لسبب من الأسباب، فقد صلاها يوم الفتح ثماني ركعات لأجل الفتح، وصلاها في بيت عتبان بن مالك لما طلب من رسول الله ﷺ أن يصلي في مكان في بيته ليتخذه مسجدًا بعد أن كُف بصره وحيل بينه وبين المسجد، وكان يصليها إذا قدم من مغيبه؛ فإنه ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٧٦، ١١٠٣، ٤٢٩٢، ومسلم ٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٥/٢، رقم ٦٦٣٨، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٢١٣/١١.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٣١.

بالمسجد فصلى فيه ركعتين، وكذلك كان يصلي الضحى إذا أتى مسجد قباء"[١].

"وصلاة الضحى أيضًا تصلى عوضًا وخلفا عن صلاة الليل لمن لم يحافظ عليها. وبعض الأحاديث الواردة في فضلها تُحمل على ذلك. قال ابن القيم: "ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثارَ الصحابة، وجدها لا تدُل إلا على هذا القول، وأما أحاديثُ الترغيب فيها، والوصيةُ بها، فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر، لا يدلُّ على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما وصى أبا هريرة رضي الله عنه بذلك، لأنه قد رُوي أن أبا هريرة كان يختار درسَ الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يُوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة"[٢].

"فالحاصل أن صلاة الضحى من النوافل المستحبة، لا الراتبة، وقد ورد في فضلها عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِىءُ مِنْ ذٰلِكَ، رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ))[٣]"[٤].

وقال الشيخ عبدالله البسام في توضيح الأحكام: (قال الشيخ محمد بن محمد بن بدير: أحببت أن لا أترك المقام حتى أبين أمرًا عسى الله أن ينفع به من شاء من عباده، لقد ثبتت صلاة الضحى من قوله صلى الله عليه وسلم، وحثه أصحابه، وإقرارهم عليها بما لا يدع مجالاً للشك.

منها أحاديث الباب، ومنها ما ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بها أبا الدرداء رضي الله عنه، كما وصى بها أبا هريرة رضي الله عنه.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر في حديث التسبيح والتهليل والتحميد لأداء صدقات المفاصل قال: ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما أحدكم من الضحى.

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٤ - ٣٥٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٤) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله عدها ابن القيم ص ٤١ - ٤٢.

وفي الصحيحين معًا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ لَيدَعُ العملَ وهوَ يُحبُّ أنْ يَعملَ بهِ خشيةَ أنْ يَعملَ به الناسُ فيُفرَضَ عليهم، وما سبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ سُبحةَ الضُّحى قطُّ، وإني لأُسبِّحها))[1] ومعلوم أنه مما لا يَردُ على العقل أن تحافظ أم المؤمنين على صلاة الضحى ولا يطلع عليها ﷺ، كما لا يظن بها أن تداوم على عبادة لم تُشْرَع وهي الراوية عنه ﷺ ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[2]، ولكنها اعتذرت عن عدم صلاة الضحى بما ذكرت أنه خشية أن يثقل على أمته، بل قررت أن بعض ما كان يدع للتخفيف كان يحب أن يعمل به، والسياق في مقام صلاة الضحى. والعجب ممن يستدل على عدم سنيتها بأن رسول الله ﷺ لم يفعلها ولا أبو بكر ولا عمر بعد اتفاق أهل العلم أن السنة ما ثبت من قوله ﷺ أو فعله أو تقريره، فبعد ثبوت الأمر بها لا يمتري في سنيتها عالم بالسنة وأقسامها، وإلا فعليه أن ينكر فضيلة صوم داود لأن رسول الله ﷺ لم يعمل به، مع أنه مدحه وأمر به عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لما أراد أن يصوم أفضل الصيام. هذا على أنه ﷺ قد فعلها مرات كثيرة، فالذي أدين الله به أن صلاة الضحى قربة عظيمة لا يجحدها منصف، وقد ورد فيها من الأدلة ما لا مجال معه لذي بصيرة أن يتردد في كونها من هدي رسول الله ﷺ، ولقد أنصف شيخ الإسلام إذ يقول: إن أدلتها التواتر، يعني التواتر المعنوي. وبالله التوفيق)[3].

ثالثًا - من واجبات المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في صلاة الضحى:

هذا يستنبط من عموم الحديثين، قال النووي: "الأحاديث كلها متفقة لا اختلاف بينها عند أهل التحقيق، وحاصلها أن الضحى سنة مؤكدة وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات وبينهما أربع أو ست كلاهما أكمل من ركعتين ودون ثمان"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨ واللفظ له.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢/٢٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٩٧.

وقال ابن عثيمين: "أقلها ركعتان ولا حد لأكثرها، صلّ ما شئت لكن كان النبي ﷺ يصلي أربعًا وربما ثمانية، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنه سوف يندم إذا جاءه الموت أن أمضى ساعة من دهره لا يتقرب بها إلى الله عز وجل، كل ساعة تمر عليك وأنت لا تتقرب إلى الله بها فهي خسارة؛ لأنها راحت عليك لم تنتفع بها، فانتهز الفرصة بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والتعلق بالله عز وجل، وتأسَّ بالنبي ﷺ وسنته"[1].

رابعًا - من تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في قول أم هانئ رضي الله عنها: (ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح)، فلقد شهد العام الثامن للهجرة حدثًا هامًا كان بعيد الأثر في حياة الدعوة، ذلك هو فتح مكة الذي كان إيذانًا بانتهاء الوثنية في جزيرة العرب، والقضاء عليها فما كادت مكة تدخل في حوزة الإسلام، ويكسر رسول الله ﷺ الأصنام المنصوبة في جوف الكعبة، وينطلق صوت بلال رضي الله عنه بالأذان من فوق الكعبة حتى سارعت القبائل تعلن ولاءها، وتقدم وفودها إلى المدينة تبايع رسول الله ﷺ حتى عرف العام التاسع بعام الوفود، وهكذا ساد الإسلام أرجاء الجزيرة، وبدأت القبائل تنظم حياتها على ضوء تعاليم الإسلام، بما تتلقاه من توجيهات النبي ﷺ وتعليمه لها، وانطلق ولاته ﷺ إلى مواطن القبائل يقومون بأمور الحكم والقضاء والدعوة[2].

قال د. البوطي في العبر والعظات المستفادة من فتح مكة: إذا تتبعت أحداث الفتح العظيم الذي أكرم الله به نبيه ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، تستطيع أن تبصر قيمة الدعوة السابقة وأحداثها وأن تبصر أسرارها وحِكَمها الإلهية مجسدة أمام عينيك.

وتستطيع أن تدرك قيمة الهجرة منها قبل ذلك. تستطيع أن تدرك قيمة التضحية بالأرض والوطن والمال والأهل والعشيرة في سبيل الإسلام. فلن يضيع شيء من ذلك كله إن بقي الإسلام... ولكن ذلك كله لن يغني عن صاحبه شيئًا إن لم يكن قد بقي له الإسلام.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٣٧، ١٣٣٨.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، ط/ دار العلم والثقافة، القاهرة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٨.

فإذا تأملت أحداث هذا الفتح الأكبر تستطيع أن تدرك تمامًا قيمة الجهاد والاستشهاد والمحن التي تمت من قبله، إن شيئًا من ذلك لم يذهب بددًا، ولم ترق نقطة دم لمسلم هدرًا، ولم يتحمل المسلمون كل ما لاقوه، مما قد رأيت في غزواتهم وأسفارهم، لأن رياح المصادمات فاجأتهم بها. ولكن كل ذلك كان جاريًا وفق حساب... وكل ذلك كان يؤدي أقساطًا من ثمن الفتح والنصر... وتلك هي سنة الله في عباده؛ لا نصر بدون إسلام صحيح، ولا إسلام بدون عبودية له، ولا عبودية بدون بذل وتضحية وضراعة على بابه وجهاد في سبيله.

والآن وقد رأيت خبر هذا الفتح، تستطيع أن تدرك القيمة الكبرى لصلح الحديبية، وأن تستشف من وراء ظاهرها الذي أدهش عمر وكثيرا من الصحابة، السر الإلهي الرائع، وأن تقف باطمئنان تام على المعنى الذي من أجله أطلق الله على ذلك الصلح اسم الفتح: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1]، وإذا أدركت هذا، أدركت مزيدًا من حقائق النبوة التي كانت تقود حياة النبي ﷺ.

أتذكر يوم خرج النبي ﷺ من وطنه مكة، مستخفيًا في بطون الشعاب والأودية، مهاجرًا إلى يثرب، وقد سبقه من قبله ولحقه من بعده أصحابه القلة المستضعفون يتسللون مهاجرين، وقد تركوا المال والأهل والأرض من أجل أن يبقى لهم الدين؟

ها هم أولاء وقد رجعوا إلى الوطن والأهل والمال، وقد كثروا بعد قلة، وتقووا بعد ضعف، واستقبلهم أولئك الذي أخرجوهم بالأمس خاشعين أذلاء خاضعين..

ودخل أهل مكة في دين الله أفواجًا، وأقبل بلال الحبشي وهو الذي طالما عذب في رمضاء مكة على أيدي المشركين، فصعد على الكعبة المشرفة ينادي بأعلى صوته: الله أكبر.. الله أكبر.

ذلك الصوت الذي كان يهمس يومًا تحت أسواط العذاب: أحَدٌ، أحَدٌ، أحَدٌ، ها هو اليوم يجلجل فوق كعبة الله تعالى قائلاً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والكل خاشع منصت خاضع!

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٧.

ألا إنها لحقيقة واحدة لا ثانية لها: هي الإسلام، فما أحمق الإنسان وما أجهله، حينما يكافح أو يناضل أو يجاهد في غير سبيل الإسلام، إنما يكافح حينئذ عن وهم لا حقيقة له ولا طائل

وبعد، فإن أحداث هذا الفتح العظيم تنطوي على دلالات وأحكام كثيرة مختلفة، يجب تبصرها والوقوف عليها"[1].

(١) انظر: فقه السير النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٩٧ - ٣٩٨.

الحديث رقم (١١٤٤)

١١٤٤- وعن أُمِّ هَانِىءٍ فاختة بنت أَبي طالب رضي الله عنها، قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، ... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، ... وَذَلِكَ ضُحىً. متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا مختصرُ لفظِ إحدى روايات مسلم.

ترجمة الراوي:

أم هانئ: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٦٥).

غريب الألفاظ:

عام الفتح: فتح مكة ووقع في ٢٠ رمضان ٨هـ[2].

الشرح الأدبي

قول أم هانيء رضي الله عنها (ذَهَبْتُ إِلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، عَامَ الفَتْحِ) ذكرت الظرف (عام) وأضافته للفتح؛ لأنه تضمَّن حدثاً عظيماً، وهو فتح مكة، وقد كانوا يؤرخون بالأحداث العظام، وقولها (فوجدته يغتسل) يشير إلى أنها أتته بعد تمام الفتح، واستتباب الأمر، لأن الاغتسال دليل على الاستراحة من عناء سابق، وقولها (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحىً) التعبير بالفراغ دلالة على الانتهاء من غسله وقولها (صلى) يقرر السنة بالفعل النبوي، وقوله (ثماني) يبين العدد وقولها، (وذلك ضحي) أي في وقت الضحى، وهو تحديد لزمانها.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١) واللفظ له، ومسلم (٣٣٦/٨٢، كتاب صلاة المسافرين، باب ١٣)، بل مختصر من روايتي البخاري ومسلم، وأما المختصر عند مسلم (٣٣٩/٧٠) فلفظه: ((ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره بثوب)) فقط.

(٢) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ١٩٧، ١٩٨، وأطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٤٩.

(٣) تم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث السابق.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: أن أقل الضحى ركعتان، وأكثرهما ثماني ركعات وقيل: اثنتي عشرة ركعة[1].

(١) حاشية ابن عابدين ٢/٢٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١/٢٩٤، مواهب الجليل ٢/٧، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢/٣٧١، المجموع ٤/٤١، إعانة الطالبين ١/٢٥٣، الكافي في فقه الإمام أحمد ١/١٥٣، المبدع ٢/٢٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢/١٩٠، الروض المربع ص ٢٢٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالوصية:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أرقد" فالحديث -كما هو واضح- قائم على الوصية، التي تحمل نوعًا من الخصوصية للموصى إليه، بحيث إنه قد يكون ذلك أنفع له من الوصية بالأمر نفسه لغيره، لأن المربي أعلم بحال أتباعه، فيوصيهم ويدلهم على ما ينفعهم، قال ابن القيم عن الوصية بصلاة الضحى: "وقد أوصى بها وندب إليها وحضّ عليها، وكان يستغني عنها بقيام الليل. فإن فيه غنية عنها وهي كالبدل منه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1].

قال ابن عباس والحسن وقتادة: عوضًا وخلفًا يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمل في أحدهما، قضاه في الآخر... ومن تأمل الأحاديث المرفوعة وآثار الصحابة، وجدها لا تدلّ إلا على هذا القول، وأما أحاديث الترغيب فيها، والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد، وإنما أوصى ﷺ أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبابكر وعمر وسائر الصحابة"[2].

نخلص مما سبق إلى أن التربية بالوصية لها من الفوائد ما يجعل المربين يفعّلونها في عملهم وتربيتهم، ومن هذه الفوائد:

أ - دلالة من يقومون بتربيتهم على ما ينفع كلاً منهم ويلائمه ويكون أنفع له، فمما لا شك فيه أن ما يكون مناسبًا لأحدهم قد لا يكون بالضرورة صالحًا لغيره، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أكثر الناس يعجزون عن أفضل

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٥٦-٣٥٧.

الأعمال، فلو أمروا بها لفعلوها على وجه لا ينتفعون به أو ينتفعون انتفاعًا مرجوحًا، فيكون في حق أحد هؤلاء العمل الذي يناسبه وينتفع به أفضل له مما ليس كذلك، ولهذا يكون الذكر لكثير من الناس أفضل من قراءة القرآن، لأن الذكر يورثه الإيمان، والقرآن يورثه العلم، والعلم بعد الإيمان قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[1] والقرآن يحتاج إلى فهم وتدبر وقد يكون عاجزًا عن ذلك، لكن هؤلاء يغلطون فيعتقد أحدهم أن الذكر أفضل مطلقًا، وليس كذلك بل قراءة القرآن في نفس الأمر أفضل من الذكر بإجماع المسلمين)[2].

ب - العمل على أن يتفوق كل واحد من الناشئة وغيرهم ويبرز، وذلك بتوصيته بما يناسبه ويلائم قدراته وإمكانياته، ومن ثم يكون المجال مفتوحًا لكل مجتهد لأن يتفوق ويجتهد ويحقق البروز والإنجاز، وفي هذا فوائد جمة للمجتمع والأمة، فإن الأمم تقاس حضارتها وتقدمها بعدد البارزين والمبدعين والمبتكرين في شتى المجالات النافعة من أبنائها.

وغير ذلك من الفوائد التي تجعل التربية بالوصية من طرق التربية المثمرة والمجدية إذا أحسن استخدامها.

ثانيًا- التربية على تنوع طرق الخير:

هذا واضحٌ من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ. فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ. وَيُجْزِىءُ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ».

فالملاحظ على هذا الحديث الشريف ما يلي:

أ - أنه ﷺ جعل على كل سلامي [وهو المفصل] صدقة، والسلاميات [وهي جمع

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٤/٢٣٧-٢٣٨، ، ١٢/٣٦٠.

السلامي[١] عددها في الإنسان ليس بقليل، ويلزم عن ذلك كثرة الخير المطلوب من الإنسان فعله.

ب - أنه ﷺ ذكر أنواعًا للخير كثيرة، كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المعلوم أن ما ذكر في الحديث هو ذكر لبعض أنواع الخير لا كلها، وعلى هذا فكل خير حث عليه الشرع وأرشد إليه هو صدقة مطلوبة، مثلها مثل الصدقات المذكورات.

ج - أنه ﷺ ذكر أن ما يجزئ عن هذه الصدقات الكثيرة، صلاة ركعتي الضحى، وهذه الصلاة تتضمن الصدقات المذكورات أو معظمها، فهي تتضمن التسبيح والتحميد والتكبير وغير ذلك، فأجزأت عنها، وفي هذا دلالة على فضل صلاة الضحى، قال الشوكاني: (والحديثان يدلان[٢] على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة، و ما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة، ويدلان أيضًا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودفن النخامة وتنحية ما يؤذي المار عن الطريق، وسائر أنواع الطاعات ليسقط بفعل ذلك ما على الإنسان من الصدقات اللازمة في كل يوم)[٣].

د - أن هذا دَفْعٌ للمخاطب أن يأتي بالأمرين معًا، فإذا كان فيهما الخير العميم، فإن ذلك يدفعه إلى أن يأتي بالأمرين معًا ما أمكنه ذلك حتى يستكثر من الخير والعمل الصالح حتى يستزيد من الزاد النافع ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[٤].

---

(١) المعجم الوسيط ٤٤٦ "سلم".

(٢) يقصد حديث أبي ذر ﷺ المذكور في الباب، وحديث بريدة بن الحصيب ﷺ مرفوعًا: "في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة، قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: النخامة في المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق، فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك" أخرجه أحمد ٣٥٤/٥ وأبو داود ٥٢٤٢. وقال محققو المسند صحيح لغيره ٢٢٩٩٨/٣٨.

(٣) نيل الأوطار ٥٠٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

يقول ابن القيم: (لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر، و له عليه فيه نهي، وله فيه نعمة وله به منفعة ولذة، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عطل أمر الله ونهيه فيه، عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أسباب ألمه ومضرته.

وله عليه في كل وقت من أوقات عبودية تقدمه إليه وتقربه منه، فإن شغل وقته بعبودية الوقت تقدم إلى ربه، وإن شغله بهوى أو راحة وبطالة تأخر، فالعبد لا يزال في تقدم وتأخر، ولا وقوف في الطريق البتة، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[1])[2].

ثالثًا- التربية بالإخبار عن الصالحين:

وهذا واضح من حديثي عائشة وأم هانئ رضي الله عنهما: فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يصلي الضحى أربعًا، ويزيد ما يشاء، فأفادت بإخبارها أن الأصل في صلاته ﷺ الضحى أربع ركعات ثم يزيد ما شاء الله له أن يزيد، على حين أخبرت أم هانئ رضي الله عنها أنه ﷺ صلى ثماني ركعات يوم فتح مكة وذلك بعد أن اغتسل ﷺ.

والمقصود من إخبارهما رضي الله عنهما ليس مجرد الإخبار، وإنما هو بيان ما كان يفعله النبي ﷺ، وذلك للاقتداء والتأسي به، والعمل مثل ما عمل، وفعل ما فعل، لأنه هو القدوة والأسوة، وهو الموصل إلى رضا الله ودخول جنته، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3] ويكفي أن نذكر في هذا

---

(١) سورة المدثر، آية: ٣٧.

(٢) الفوائد ٢٧٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

المقام قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ((كان خلقه القرآن))[١]، ففي هذه الجملة البسيطة إخبار عن خلق النبي ﷺ وأنه يتخلق بالقرآن فيحل حلاله ويحرم حرامه، وفي ذلك تربية للناس كلها أن تكون مثل النبي ﷺ في ذلك: (فمعنى هذا أنه عليه السلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، سجية له، وخلقًا تطبعه، وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه)[٢].

ويمكن أن يدخل في التربية بالإخبار، الإخبار عن السلف، (فإن في السلف وأخبارهم من العبر والقدوة الشيء الكثير، لذا فالاعتناء بها وإبرازها، وربط الناشئة بهذا الجيل ورجاله يترك أثرًا له أهميته في ميدان التربية)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨٩/٨.

(٣) تربية الشباب، محمد عبدالله الدويش، ص ٥٣.

٢٠٧- باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تُصلَّى عِنْدَ اشتداد الحر وارتفاع الضحى

الحديث رقم (١١٤٥)

١١٤٥- عن زيد بن أَرْقَم رضي الله عنه: أنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أمَا لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ الصَّلاَةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أفْضَلُ، إنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((صَلاَةُ الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ الفِصَالُ)) رواه مسلم[1].

(تَرْمَضُ) بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر. وَ(الفِصَالُ) جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ: الصَّغِيرُ مِنَ الإبِلِ.

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الأوابين: جمع أواب: المطيع، وقيل: الراجع إلى الطاعة[2].

تَرْمَضُ الفصال: تحمي الرمضاء - وهي الرمل - فتبرك الفصال من شدة حرِّها وإحراقها أخفافها[3].

الفصال: جمع فصيل: الصغير من الإبل[4].

الشرح الأدبي

الحديث يتضمن تحديدا دقيقا لأفضل الأوقات لصلاة الضحى وقوله (أنَّهُ رَأَى قَوْماً

---

(١) برقم (٧٤٨/١٤٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر م ض).

(٤) رياض الصالحين ٤٢١.

يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى) يتضمن سبب ذكر الحديث، وهو مخالفة بعض الناس للوقت الفاضل لصلاة الضحى، وقوله (أمَا لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ الصَّلاَةَ فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أفْضَلُ) قوله أما استفتاحية تفيد التنبيه، وقوله (أن الصلاة) أي صلاة الضحى، وقوله (فِي غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ) أي التي يصلون فيها، وقول الرسول ﷺ (صلاة الأوابين) بالتشديد أي الرجاعين إلى الله بالتوبة، والإخلاص في الطاعة وترك متابعة الهوى، وفيها مبالغة في الأوب أي كثير الأوب (حين ترمض الفصال) كناية عن اشتداد الحر أي حين تصيبها الرمضاء، فتحرق أخفافها لشدة الحر فإن الضحى إذا ارتفع في الصيف يشتد حر الرمضاء فتحرق أخفاف الفصال لماستها، وإنما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوابين، لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرفها إلى الطاعة، والاشتغال فيه بالصلاة رجوع من مراد النفس إلى مرضاة الرب، وتلك الغاية التي تربه عليها العبادات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى وقت صلاة الضحى، وأن وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، بأن تعلو الشمس، ويشتد حرها، إلى قبيل الزوال[1].

وهناك قول للشافعي بأن وقتها من طلوع الشمس، ويسن أن تؤخر إلى الارتفاع، وعلى هذا القول فلا يؤثر فيها وقت الكراهة، لأنها صاحبة وقت[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى.

---

(١) المبسوط ١٥٩/١، البدائع ٢٩٤/١، إعانة الطالبين ٢٥٣/١، المجموع ٤١/٤، المبدع ٢٤/٢، الكافي في فقه الإمام أحمد ١٥٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٩٠/٢، الروض المربع ٢٢٧/١.

(٢) إعانة الطالبين ٢٥٣/١.

أولاً - من صفات الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم:

يظهر ذلك في قول زيد رضي الله عنه: أنه رأى قوما يصلون من الضحى فقال: (أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

وتفقد الداعية لأحوال المدعوين من الأمور المهمة في الدعوة إلى الله تعالى فالداعية فرد من أفراد المجتمع مرتبط ارتباطًا شديدًا به ومن الصعوبة التعايش بدون المجتمع أو بمعزل عنه فالمجتمع مصدر أنسه وأمنه وسعادته ومحل دعوته، وعلى الداعية واجبات ومسؤوليات نحو هذا المجتمع أهمها تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أفضل الأشياء[1].

ومن الأمور التي تعين على تحقيق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية:

١/ الاعتناء بإبراز النصوص والأحكام الشرعية المتعلقة بالجوانب الاجتماعية، وهي كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كلُّ سُلامي منَ النَّاس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ: يَعْدِلُ بينَ الاثنَينِ صدقةٌ، ويُعينُ الرَّجلَ على دابَّتِه فيَحمِلُ عليَها أوْ يَرفعُ عليَها مَتاعَه صَدقةٌ، والكلمَةُ الطيِّبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوَةٍ يَخطُوها إلى الصَّلاةِ صَدقةٌ، ويُميطُ الأذى عنِ الطريقِ صدقةٌ))[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((حَقُّ المُسلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيَادَةُ المَرِيضِ، واتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وإجابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ))[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))[4].

---

(١) انظر: دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، عبدالرحمن الغامدي، ص ٣٦٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٢٠، ومسلم ١٥٥٣.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ. فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))[1].

وهذه نماذج فقط، وإلا فالنصوص كثيرة في هذا المجال، وإنما استطردت هنا لتأكيد أهمية هذه الجوانب؛ فمن المربين من يهملها، ويرى أن عزل الشباب عن بيئته واشتغاله ببعض الأنشطة التربوية أو العلمية وانهماكه فيها أولى.

٢/ الاعتناء بتأصيل المنهي الشرعي في الخلطة والعزلة، وأن مخالطة الناس ومعايشتهم والصبر على أذاهم خير من اعتزالهم، عن يحيى بن وثاب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال: أظنه ابن عمر - عن النبي ﷺ قال: ((المُؤْمِنُ الذي يُخالِطُ النّاسَ وَيَصْبِرُ عَلى أَذاهم أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الّذي لا يُخالِطُهُمْ ولا يَصْبِرْ على أَذاهم))[2].

٣/ الاعتناء ببيان الجوانب الإيجابية والمشرقة في المجتمع، والسعي للحفاظ عليها وتدعيمها، والأمر لا يعني التفاخر والوطنية الضيقة، بقدر ما يعني تعزيز المكتسبات والاعتناء بها.

٤/ تنمية الشعور بالمسؤولية الدعوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإسهام في حماية المجتمع من عوامل الفساد، وهذا الأمر مما يعين الشاب المسلم على العيش في المجتمعات المعاصرة اليوم، التي تعاني ألوانًا من الانحراف، ويبتعد عن الغلو والشطط والموقف السلبي من المجتمع.

٥/ الاعتدال في نقد الأوضاع الاجتماعية، وتوجيه ذلك فيما يحفز على السعي للإصلاح والتغيير؛ إذ الإفراط في النقد المجرد يورث السلبية، ويدعو الفرد للهروب من المجتمع.

٦/ إشراك الشاب في الأنشطة الاجتماعية، كالجمعيات الخيرية التي تعنى بالمحتاجين، والإسهام في تقديم الخدمات العامة للمجتمع"[3].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧ وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد ٤٣/٢، رقم ٥٠٢٢، وقال محققو المسند: إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٦٤/٩.

(٣) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش ص ١٨٨ - ١٩٠.

فعلى الداعية أن يحرص على تفقد أحوال المدعوين وتنبيههم إلى أخطائهم وتوجيههم التوجيه السليم والسديد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قول زيد بن أرقم رضي الله عنه: (أما لقد علموا أن الصلاة في هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: صلاة الأوابين حين ترمض الفصال).

فبيانه لوقت صلاة الضحى كما بينها رسول الله ﷺ وإنكاره على من صلوا في غير وقتها دليل على الحرص على اتباع هدي رسول الله ﷺ في صلاة الضحى، والصحابة رضي الله عنهم كانوا حريصين على اتباع هدي النبي ﷺ في كل شيء.

فلقد استجاب المسلمون الأوائل إلى قوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، فتفانوا في اتباع محمد ﷺ وساروا على هديه[2]، وقد ورد عنهم صور كثيرة تبين حرصهم على اتباع هدي النبي ﷺ منها:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((أنَّ رسولَ اللّه ﷺ اصطَنَعَ خاتمًا من ذَهبٍ وكان يَلبَسُهُ، فيَجعلَ فصَّهُ في باطن كفِّه، فصنَع الناس خواتيم. ثم إنه جَلسَ على المنبرِ فنزَعه فقال: إني كنتُ ألبَسُ هذا الخاتمَ وأجعَلُ فصَّهُ من داخل، فرمى به ثم قال: واللّهِ لا ألبَسُه أبدًا؛ فنَبذَ الناسُ خَواتيمهم))[3].

قال النووي: "فيه بيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى امتثال أمره ونهيه ﷺ والاقتداء بأفعاله"[4].

وقد ورد في الحديث: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً قالَ عَمْرٌو وَكَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلَ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ص ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٩٨، ومسلم ٢٠٩١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٢٣.

رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْزِلاً تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَلَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلاَّ انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يُقَالُ لَوْ بُسِطَ عَلَيْهِمْ ثَوْبٌ لَعَمَّهُمْ))[١].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مكان صلى فيه حتى إن النبي ﷺ نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس[٢].

ثالثًا - من آداب المدعو: التأسي برسول الله ﷺ في الوقت المفضل لصلاة الضحى:

ويظهر ذلك في إنكار زيد بن أرقم رضي الله عنه على من صلى الضحى في غير وقتها الذي أمر به رسول الله ﷺ في قوله: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال)..

قال النووي: "والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس، أي: حين يحترق إخفاف الفصال وهي الصغار من أولاد الإبل جمع فصيل من شدة حر الرمل، والأواب المطيع وقيل: الراجع إلى الطاعة، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"[٣].

وقال الطيبي: "قال الزمخشري في الفائق: (مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، وتتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين من الأنس بذكر الله، وصفاء الوقت، ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعة المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ)[٤].

فينبغي على المسلم اغتنام الأوقات التي فضّلها رسول الله ﷺ في صلاة الضحى تأسيًا به واتباعًا لهديه وطلبًا للأجر العظيم.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٢٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢١٣/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٢/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على فعل الأفضل:

هذا مستمد من قول زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما رأى قومًا يصلُّون من الضحى: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل" فقد بين أن الأفضل في فعلها وقت اشتداد الحر، وفي هذا إرشاد لهم وتوجيه أن يفعلوا ما هو أفضل ولا يكتفون بما هو مقبول أو أقل فضلاً أو ما هو جائز، وعلى هذا فإن على المربي أن يغرس في نفوس أتباعه ومن يقوم على توجيههم هذه الفضيلة، فلا يقبلون من الأعمال ما هو دون هذه الدرجة وغير هذه الرتبة، وإنما يطمحون دومًا ودائمًا إلى فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، (فالنفوس الشريفة - كما يقول ابن القيم - لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناوات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس الشريفة العلية، لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة، والخيانة، لأنها أكبر من ذلك وأجل، والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك)[1].

ولنذكر مثالاً على كيف يأتي التعوّد على فعل الأفضل بأحسن النتائج على المستوى الاجتماعي:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2] قال الطاهر بن عاشور: (التقدير: ادفع السيئة بالتي هي أحسن "والتي هي أحسن" هي الحسنة، وإنما صيغت بصيغة التفضيل ترغيبًا في دفع السيئة بها، لأن ذلك يشق على النفس، فإن الغضب من سوء المعاملة من طباع النفس وهو يبعث على حب الانتقام من المسيء، فلما أمر الرسول ﷺ بأن يجازي السيئة بالتي هي أحسن أشير إلى فضل ذلك، وقد ورد في صفة رسول الله ﷺ: ((ولا يدفع بالسيئة

---

(١) الفوائد ٢٥٤.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٤.

السيئة ولكنه يعفو ويصفح))[١].

وفرع على هذا الأمر قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ لبيان ما في ذلك الأمر من الصلاح ترويضًا على التخلق بذلك الخلق الكريم، وهو أن تكون النفس مصدرًا للإحسان، ولما كانت الآثار الصالحة تدل على صلاح مثارها، وأمر رسوله ﷺ بالدفع التي هي أحسن أردفه بذكر بعض محاسنه، وهو أن يصير العدو كالصديق وحسن ذلك ظاهر مقبول، فلا جرم أن يدل حسنه على حسن سببه، ولذكر المثل والنتائج عقب الإرشاد شأن ظاهر في تقرير الحقائق، وخاصة التي قد لا تقبلها النفوس، لأنها شاقة عليها، والعداوة مكروهة والصداقة والولاية مرغوبة، فلما كان الإحسان لمن أساء يُدْنيه من الصداقة أو يكسبه إياها كان ذلك من شواهد مصلحة الأمر بالدفع بالتي هي أحسن و(إذا) للمفاجأة. وهي كناية عن سرعة ظهور أثر الدفع بالتي هي أحسن في انقلاب العدو صديقًا... إن الإحسان ناجح في اقتلاع عداوة المحسن إليه للمحسن على تفاوت مراتب العداوة قوة وضعفًا وتمكنًا وبعدًا، ويعلم أنه ينبغي أن يكون الإحسان للعدو قويًا بقدر تمكن عداوته ليكون أنجع في اقتلاعها، ومن الأقوال المشهورة: النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها)[٢].

والخلاصة أن إتيان الأفضل من الأفعال والأقوال، يؤدي إلى نتائج طيبة جدًا على مستوى الأفراد والجماعات في الدنيا والآخرة، فما أجدر أن يتربى الناشئة وغيرهم على ذلك!

ثانيًا - التربية على التمسك بالسنة:

وهذا يستمد من قول زيد بن أرقم: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال" فالملاحظ أن الصحابي الجليل احتكم إلى السنة الشريفة ليبين الفعل الأفضل من المفضول، ولم يحتكم إلى شيء آخر من عقل وهوى وقياس فاسد ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٥، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) التحرير والتنوير ٩/٢٤/٢٩٢-٢٩٣.

إن السنة جاءت مبينة وشارحة لكتاب الله إلى غير ذلك مما اختصت به السنة وهذا ليس مجال بيانه، لذا فإن من الأسس التربوية المهمة جدًا - بل الأساس الأول - التربية على التمسك بالسنة في تربية الأجيال والشعوب والأسر والأفراد، فليس هناك تربية صحيحة بدون هذا الأساس، "فإن للسنة في المجال التربوي فائدتين عظيمتين:

١ - إيضاح المنهج التربوي الإسلامي المتكامل الوارد في القرآن الكريم وبيان التفاصيل التي لم ترد في القرآن الكريم.

٢ - استنباط أسلوب تربوي من حياة الرسول ﷺ مع أصحابه، ومعاملته الأولاد وغرسه الإيمان في النفوس"[١].

لذا فإننا نرى أن التربية على التمسك بالسنة تحقق فوائد تربوية جمة، منها:

أ - نشر العلم النافع في المجتمع ومحاربة الجهل والبدع والانحرافات العقدية والخلقية، لأن هذه الأضرار ما انتشرت إلا بسبب غياب العلم النافع المستمد من الكتاب والسنة، لذا (فإن الإسلام قد وقف من العلم موقفًا مشرفًا لم يسبقه به دين من الأديان، فالاهتمام الكبير به كان من ورائه أهداف مرسومة، إذ الرغبة في إرساء وسيادة القيم والمبادئ الإسلامية لا تتحقق إلا بنشر دين الله والوعي الإسلامي، وهذا الذي يهدف إليه التعليم الإسلامي، فحينما يسود الوعي والفهم الصحيح أوساط المجتمع المسلم تضمحلّ الفرص أمام أعداء هذا الدين من الظهور على مسرح الأحداث، وتهيأ الأجواء المناسبة لأصحاب الفكر السديد لأن يؤدوا دورهم المناط بهم بفاعلية ووضوح)[٢].

ب - حفظ ثوابت الأمة والجماعة فلا تتعرض للتبديل ولا التغيير ولا التحريف ولا التأويل الباطل، لأن الفيصل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما كان فيهما تمسكنا به وأعرضنا عما سواه ولو تغير الزمان والمكان والأهواء

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٦.

(٢) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالحميد السامرائي، دار النفائس، الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٤٢.

والميول.

إن الناظر في عالم اليوم يجد أن المبادئ والقيم والأخلاق أصبحت نسبية، فما كان صوابًا عند قوم لم يكن كذلك عند قوم آخرين، وما كان مرفوضًا من بعضهم كان مقبولاً ومجازًا من غيرهم، و ما كان ذلك إلا بسبب فقد المرجعية الحاكمة الثابتة التي تحكم وتقضي على الأفعال والأقوال[1].

ج - حصر الخلاف بين جموع الأمة في أضيق نطاق ممكن، وذلك لأن مجال الاتفاق والاجتماع يتسع ويزداد كلما كان هناك تمسك بالأصلين: الكتاب والسنة، وإن وقع الخلاف يكون في الفروع لا في الأصول والأسس.

والمقصود مما سبق أن التمسك بالسنة له من الفوائد التربوية الجمة، مما ينبغي على المربين أن ينشؤوا من يقومون بتربيتهم على ذلك دومًا وأبدًا، لأن في ذلك صلاح التربية وقوامها.

---

(١) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ١٦٢، ١٧٨.

٢٠٨- باب الحث عَلَى صلاة تحية المسجد

وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلّى ركعتين بنية التَّحِيَّة أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها

الحديث رقم (١١٤٦)

١١٤٦- عن أَبي قتادة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لم يدع الرسول ﷺ فرصة، ولا مناسبة إلا، وحرص على أن يجعل للمؤمنين منها سبيلا للتقرب إلى الله تعالى حتى تكون حركة المؤمن في ذكر متواصل بمختلف ألوان العبادة متسقة مع الكون المسبح حوله في منظومة المخلوقات كما أراد الله تعالى يوم خلق الإنسان، وسخر له الكون، واختصه بوظيفة محددة قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات٥٦) وهذا الحديث يجري في هذا الإطار الذي يُعبِّد الإنسان لخالقه عن طريق فتح باب الطاعات، وهو يقرر بأسلوب خبري تحية المسجد، وقد ورد المعنى في أسلوب خبري يربط دخول المسجد بعدم الجلوس إلا بعد صلاة الركعتين، وأسلوب الشرط يعطي هذا الفعل صفعة العادة المتكررة المرتبطة بالدخول فيصلي كلما دخل المسجد، والتعبير بـ(إذا) يفيد التحقق، ولفظ (أحد) المضاف لكاف الخطاب، وميم الجمع يفيد عموم المخاطبين، و(ال) في المسجد للجنس فيشمل أي مسجد يدخله المسلم، وقوله (فلا يجلس) نهي عن الجلوس، وهو جواب الشرط المتصل بالمدى، والغاية التي قررتها (حتى) لأنه لا ينهاه عن الجلوس مطلقا، ولكن حتى يؤدي

---

(١) أخرجه البخاري (١١٦٣) واللفظ له، ومسلم (٧٠/٧١٤).

حق المسجد، ويكمن خلف هذا الهدي النبوي بُعد نفسي في التفاعل بين المؤمن، والمسجد يشعره بتميز المكان الذي يحقق في نفسه شعوراً بقدسيته كما أن الركعتين تهيئانه وجدانيا لدخول الفرض الذي تحرك من أجله، ولفظ (ركعتين) يحدد عدد ركعات هذه السنة، وفق ضابط لا يخرج بها عن حدودها كمقدمة مهيأة للفرض قبل الدخول فيه، ومتممة لما قد ينقص منه بعد الانتهاء منه.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم تحية المسجد بالنسبة لمن دخل المسجد وأنها أمر مطلوب لأمر النبي ﷺ به.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن تحية المسجد مأمور بها وإن اختلفوا في قوة الأمر فحمله جمهور الفقهاء على أنه سنة، وحمله بعض المالكية على أنه فضيلة، وحمله أهل الظاهر وبعض الفقهاء على الوجوب.

وكذا اختلفوا فيما لو دخل المسجد في وقت من أوقات النهي عن الصلاة، كما إذا دخل بعد العصر أو الصبح أو وقت الغروب أو الشروق، هل يشرع له أن يصلي تحية المسجد أم لا؟ وذلك على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية[2] والمالكية[3]: والإمام أحمد في رواية[4] إلى أنه لا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١، رد المحتار ١٨/٢ وما بعدها، المنتقى ٢٥٨/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٠٢/١، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢٩٧/١، المجموع ٥٤٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٨٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١، المحلى ٧/٢، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٣٨/١.

(٢) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١، رد المحتار ١٨/٢ وما بعدها.

(٣) المنتقى ٢٨٥/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٠٢/١، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢٩٧/١.

(٤) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١.

يصليها لكونها في وقت النهي عن الصلاة.

القول الثاني: ذهب الشافعية[١] والإمام أحمد في رواية[٢] إلى أنه يصلي النفل في هذه الحالة أخذًا بظاهر الحديث ولأنه لم يقيدها بوقت معين.

والراجح في رأيي هو الرأي الثاني.

وكذا اختلفوا في تكرار تحية المسجد بتكرر الدخول، فقيل يكفيه مرة واحدة في اليوم وهو ما عليه البعض[٣]، وقال الحنفية والمالكية[٤] يكررها كلما دخل ما دام كان هناك فاصل كبير بينهما وإلا تكفيه مرة، وقال الشافعية في وجه[٥]. تتكرر بتكرر الدخول ولو كان في وقت قريب.

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من ميادين الدعوة المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد.

أولاً - من ميادين الدعوة المسجد:

يظهر ذلك في حديث قتادة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد...).

وقول جابر رضي الله عنه: "أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد...".

وللمسجد مكانة عظيمة في الإسلام، وإن مكانة المسجد تنبع من كونه مكان

---

(١) المجموع ٥٤٣/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٨٧/١.

(٢) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٢٦٦/٢، مطالب أولي النهى ٤١٤/١، المغني ٤٣٨/١.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٣٨/١.

(٤) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٥) المراجع السابقة الخاصة بكل مذهب.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٤٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٤٧).

عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح، لأن العبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وآخرته، ومن خلال طلبه العلم يكوّن نفسه كي يقوم بما من أجله خلق، خير قيام، ويحصل الحسنات ورضا رب العباد.

والمسجد بيت الله في الأرض تهفو إليه العباد لأداء الصلاة المكتوبة، وفيه يلتقي المسلمون في اليوم خمس مرات تحصل في هذا اللقاء المتكرر منافع كثيرة لدعوة الإسلام ابتداء من:

(١) الحصول على العلم وطلبه للقيام بالواجب خير قيام.

(٢) التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد وما ينتج عن هذا اللقاء من إخاء وروابط قوية.

(٣) البلاغ عن هذا الدين لمن يأتي إلى المسجد من خلال العلماء المحدثين.

(٤) تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف لمرتاديه.

(٥) إعداد الدعاة الذين يحملون هذه الدعوة للناس كافة، وبهذا تستمر الحلقات تواصلاً إلى رسول الله ﷺ الذي بدأ دعوته وفسر دينه في المسجد، بل أقام دولة الإسلام في جنبات المسجد[1]، فالمسجد أهم ميادين الدعوة إلى الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية تحية المسجد:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين)، وقوله أيضًا: (صلِّ ركعتين).

قال النووي: "فيه استحباب تحية المسجد وهي سنة بإجماع المسلمين، وحكى القاضي عياض عن أبي داود وأصحابه وجوبها، وفيه التصريح بكراهة الجلوس بلا صلاة وهي كراهة تنزيه، وفيه استحباب التحية في أي وقت دخل وهو مذهبنا وبه قال جماعة، وكرهها أبو حنيفة والأوزاعي والليث في وقت النهي.

وأجاب اصحابنا: أن النهي إنما هو عما لا سبب له؛ لأن النبي ﷺ صلى بعد العصر ركعتين، قضاء سنة الظهر، فخص وقت النهي وصلى به ذات السبب ولم يترك

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩٨.

التحية في حال من الأحوال، بل أمر الذي دخل المسجد في حال الخطبة يوم الجمعة أن يركع ركعتين، مع أن هذا ممنوع في حال الخطبة إلا التحية، فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن، لأنه قعد وهي مشروعة قبل القعود، ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي ﷺ قطع خطبته وكلمه وأمره أن يصلي التحية فلو لا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه الصلاة والسلام بها هذا الاهتمام"[١].

قال ابن عثيمين: "سنة المسجد سنة مؤكدة إذا دخل المسجد في أي وقت كان، وأنه يكره أن يجلس حتى يصلي ركعتي. وأنه لا فرق بين أن تكون الركعتان في تحية المسجد، أو في الرواتب، أو فريضة أو صلاة استخارة، أو غير ذلك المهم ألا يجلس حتى يصلي ركعتين وسنة دخول المسجد سنة مؤكدة جدًا بل إن بعض العلماء قال: إنها واجبة. ويدل على تأكدها جدًا: أن رجلاً دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فجلس، فقال له: أصليت معنا؟ قال: لا، قال: ((قُمْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا))[٢]. يعني: خففهما لأجل أن يستمع للخطبة.

وإذا كان الرسول ﷺ أمره أن يصلي حال الخطبة مع أن استماع الخطبة واجب، فإن هذا يعد إذنًا بأن تحية المسجد واجبة، ولولا نصوص دلت على عدم الوجوب لقلنا واجبة لكنها سنة مؤكدة في أي وقت"[٣]. وهذا يؤكد أهمية صلاة تحية المسجد.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صلِّ ركعتين) حيث أمر رسول الله ﷺ بصلاة ركعتين تحية المسجد، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في الأمر بقواعد الدين وأحكامه وفروعه، والأمر بما فيه خير المدعوين في الدنيا والآخرة.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٩٦.

(٢) أخرجه مسلم ٨٧٥، وأبو داود ١١١٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١١٣٩.

رابعًا - من واجبات الداعية: حث المدعوين على التنفل عند دخول المسجد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث حثّ رسول الله ﷺ على تحية المسجد عند دخوله وقبل الجلوس، والداعية لا بد أن يقتدي برسول الله ﷺ؛ لأنه الأسوة والقدوة الحسنة لجميع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1]، فعلى الداعية أن يحث المدعوين على تحية المسجد اقتداءً برسول الله ﷺ وإكرامًا لبيوت الله تعالى.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتأسي بعمله، والاقتداء بفعله، وأداء العبادات كما كان يؤديها، روى البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتينا النبيَّ ﷺ ونحنُ شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عندَه عشرينَ ليلة، فظنَّ أنّا اشتَقنا أهلَنا، وسألنا عمَّن ترَكنا في أهلِنا فأخبرناه، وكان رفيقًا رحيمًا، فقال: ((ارجعوا إلى أهْليكم فعلِّموهم، ومُروهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، وإذا حَضَرَتِ الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم، ثمَّ ليَؤُمّكم أكبرُكم))[2].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ. فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ))[3].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنه تَوَضَّأَ. فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ. ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ. ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ. ثُمَّ قَالَ: هكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ يَتَوَضَّأُ))[4]"[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٠٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٦.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ١٧٥ - ١٧٦.

الحديث رقم (١١٤٧)

١١٤٧- وعن جابرٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: ((صَلِّ رَكْعَتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

لا شك أن البيان العملي المعتمد على التطبيق أكثر وضوحا في مدلوله، وأكثر إقناعا للمخاطب من البيان النظري، وهذا الحديث يشير إلى بيان عملي طبَّقه الرسول ﷺ مع أحد أصحابه، حين دخل المسجد، ولم يصل، يدل على ذلك عطف الراوي لقول الرسول ﷺ على فعل الإتيان من جابر رضي الله عنه بالفاء التي تقتضي التعقيب دون مهلة، ثم أمر الرسول ﷺ له (صَلِّ رَكْعَتَيْنِ) لأنه لو صلاها لما أمره، ومعلوم من الحديث السابق أنها ركعتان لا أكثر، وفيها إشارة إلى أفضلية بيوت الله.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٧١٥/٧١).

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تعاهد الأفراد والجماعات بالتربية:

هذا مستمد من حديثي الباب: فتعاهد الجماعات واضح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلّي ركعتين" فهذا خطاب عام يتوجه إلى الجماعة بجميع أفرادها، على حين كان حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال: صلِّ ركعتين" - كان هذا الحديث تعاهدًا لفرد من أفراد هذه الجماعة بعينه بالتربية والتوجيه، وهكذا ينبغي أن تكون التربية، فلا تقتصر على أفراد بعينهم أو على بعض الأولاد دون بعض، فيكون في ذلك تمييز لهم وتخصيص، كما أنها من جانب آخر لا تكون تربيةً عامةً فقط تهتم بالمجموع دون الأفراد، فبدون صلاح الأفراد لا يكون هناك صلاح الجماعة، لأن الأخيرة تتكون من مجموع الأفراد.

إذًا الخلاصة أن التربية العادلة الناجحة هي التي تجمع بين التوجيهات العامة مع العناية بالأفراد أنفسهم، ليلاحظ مدى تطبيقهم لهذه التوجيهات والإرشادات، وتفعيلهم لها، إن التربية الإسلامية لا تعرف تربية الصفوة والنخبة وإهمال الرعاع وعامة الناس دون توجيه وإرشاد، بحجة أن الصفوة يعلّمون غيرهم ويقودونهم إلى الصواب والصحة، لا يعرف الإسلام هذا، لأنه جاء للناس جميعًا على اختلاف طبقاتهم ودرجاتهم وأجناسهم ولغاتهم، فجاء بخطاب عام لهم جميعًا يبغى صلاحهم وإصلاحهم وقيادتهم إلى الخير والحق والرشاد، فخاطب الفرد كما خاطب الجماعة، وجاء خطابه التربوي واحدًا لهما حتى يُكْمِل الفردُ الجماعة، وتُكْمل الجماعة الفرد، (لقد شمل التوجيه التربوي الإسلامي الفرد والجماعة، وهدف إلى تحقيق مقاصد الإسلام فيهما، إذ لا صلاح للجماعة دون تهيئة صالحة مستقيمة لعناصر تكوينها.

ولم تكن وصية لقمان لابنه حدثًا عابرًا يحكي قصة عابرة، بل إن ورودها في كتاب الله الكريم كان أسمى من ذلك إنها تعبر عن المسلك التربوي الفردي الصادق

داخل الأسرة المسلمة، في إطار التفاعل التربوي بين الآباء والأبناء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] ثم قال له: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2] فلابد أن تلوح هذه المعالم التربوية القرآنية في حياة كل أسرة مسلمة ترنو إلى عيش كريم وحياة صادقة، يقول أبوبكر الجصاص (وإنما حكى الله تعالى عن عبده لنقتدي به وننتهي إليه)[3].

وعلى صعيد الجماعة وصف الله الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس بتحقيقها مهمة الدعوة والإصلاح ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾[4]، لذلك فإن التوجه التربوي الإسلامي هو السبيل الأمثل لتحقيق خيرية الأمة، فمن العبث أن يكون هناك أمر ونهي، دون معرفة ماهية المعروف والمنكر، ودراية الأحكام المتعلقة بهما، فقد يُفْسِد الجاهلُ أكثر مما يصلح، وهو في الوقت ذاته يحتاج إلى ردع لارتكابه منكر الجهل بالدعوة، وتضليله للناس.

ولتحقيق مقاصد الإسلام في حياة الأمة ألزمها الله تبارك وتعالى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، صيانة لكيانها وحفاظًا لمكانتها، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5] وعدّها عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرط الله في هذه الأمة فقال: (من

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٢) سورة لقمان، الآيات: ١٧-١٩.

(٣) أحكام القرآن، الجصاص ٢/٢٤٨٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها)[١]، وأشار إلى قول الباري عز وجل: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢] إذ لا يكون التبليغ إلا بها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[٣] فَجُلُّ محتوى الرسالات الأمر والنهي)[٤].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٧٢/٥، ٦٧٣ بإسناد فيه انقطاع. وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٢٥/٣-٧٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٤) أهداف وخصائص التعليم الإسلامي، د. فاروق عبدالمجيد السامرائي، ص ٤٠-٤١ بتصرف.

٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

الحديث رقم (١١٤٨)

١١٤٨- عن أَبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لِبلاَلٍ: ((يَا بِلاَلُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلاَمِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ)) قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْدي (مِنْ) أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ (مِنْ) [1] لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بأرجى عمل، أي: بعمل هو أكثر أملاً في حصول الثواب، والمضاعفة عليه[3].

دف نعليك: صوته وحركته على الأرض[4].

طُهورًا: وضوءًا[5].

الشرح الأدبي

نداء الرسول ﷺ لبلال رضي الله عنه نداء تكريم بـ (يا) التي ينادى بها البعيد مع قربه منه إشارة إلى مكانته عند رسول الله ﷺ، وقوله (حدثني بأرجى عمل) أمر للإشادة والتنويه بما بلغ العمل الصالح ببلال من منزلة، لأن الرسول ﷺ يعلم سببه، ولكنه

---

(١) (من) في الموضعين عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٩) واللفظ له، ومسلم (٢٤٥٨/١٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ج و).

(٤) رياض الصالحين ٤٢٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر)، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩٣، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٢/٣، ودليل الفاحين ١٢٩٧.

يريد الإشادة به، وتنبيه الناس إلى هذا النموذج من العمل الصالح ليكون قدوة لهم في هذا العمل وقوله (أرجى عمل) أرجى على وزن أفعل التفضيل بمعنى المفعول لا بمعنى الفاعل، وأضيف إلى العمل؛ لأنه الداعي إليه، وهو السبب فيه، وفي قوله (عمل عملته) جناس يؤكد المعنى، ويتخذ منه نموذجا للمسلمين فيما سيذكر من عمل، وقوله (فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ) الفاء للتعليل، والجملة تكشف عن سبب طلبه، وقوله (بين يدي) يوحي بالقرب مع الوضوح؛ لأنه في الجهة التي أمامه، والدف صوت السير الناعم، وهو تعبير مناسب للمقام، وقوله (في الجنة) يوحي بشرف المكان، ويشير أنه رآه في منامه، وقوله (أتطهر طهورا) جناس يوضح المعنى، ويكشف جانبا من سر التفوق، والأفضلية التي استوجبت له هذا الجزاء، وتلك المنزلة، وأكدها الطباق بين الليل، والنهار الذي يشير إلى دوام الطهر، وفي قوله (لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُوراً فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلاَّ صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي) أسلوب قصر يقصر صفة التطهر على صلاة ما تيسر له من النوافل، والإشارة في قوله (بذلك الطهور) للتعظيم، وهو إحساس في نفسه دعاه إلى الحرص عليه، والعمل بموجبه فبلغ به ما بلغ، واستحق إشادة الرسول ﷺ، والتنويه به.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل بلال بن رباح رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام؛ فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة).

قال ابن حجر: "السياق مشعر بإثبات فضيلة بلال لكونه جعل السبب الذي بلغه إلى

ذلك ما ذكره من ملازمة التطهر والصلاة، وإنما ثبتت له الفضيلة بأن يكون رؤى داخل الجنة لا خارجًا عنها...، ولا يلزم من ذلك دخول بلال رضي الله عنه الجنة قبل النبي ﷺ لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار ﷺ إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال"[١].

وفضل بلال رضي الله عنه معروف فهو من السابقين في الإسلام ومن الذين تحملوا التعذيب والمشاق في سبيل إسلامهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وأتاهم على ما أرادوه منه إلا بلالاً؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله تعالى، وهان على قومه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحدٌ، أحد، وفي رواية: وجعلوا الحبل في عُنقه، وقال سعيد بن المسيب: كان بلال شحيحًا على دينه، وكان يُعذب على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: الله، الله. فاشتراه أبو بكر بخمس أواق، وقيل: بسبع. وقيل: بتسع، فأعتقه فكان يؤذن لرسول الله ﷺ[٢]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أبو بكرٍ سيِّدُنا، وأعتَقَ سيِّدَنا. يعني بلالاً)[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر ذلك في سؤال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه عن أرجى عمل عمله في الإسلام وإجابة بلال رضي الله عنه على سؤاله.

قال ابن حجر: "وفيه سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك، وفيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه"[٤].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢ - ٤٣.

(٢) انظر: المفهم، القرطبي ٦/٣٦٧، وصفة الصفوة، ابن الجوزي، ١/١٩٢-١٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الأداء البياني ولهذا الأسلوب قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، وذلك لحصولهم على الإجابة عما يشغلهم من المسائل، فإذا تلقوّا الجواب تلقفوه تلقفًا؛ لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه"[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: سماع النبي ﷺ دف نعلي بلال رضي الله عنه في الجنة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دفّ نعليك في الجنة).

قال القرطبي: "وقول النبي ﷺ لبلال: (حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام) هذا السؤال إنما أخرجه من النبي ﷺ ما اطّلع عليه من كرامة بلال رضي الله عنه بكونه أمامه في الجنة، فسأله عن العمل الذي لازمه حتى أوصله إلى ذلك. وقد جاء هذا الحديث في كتاب الترمذي بأوضح من هذا من حديث بريدة بن الخُصيب، قال: (أَصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَدَعَا بِلاَلاً فقالَ: ((يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلاَّ سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، دَخَلْتُ البَارِحَةَ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي....))، وذكر الحديث. فقال بلال: يا رَسُولَ اللّهِ مَا أَذّنْتُ قَطُّ إلاَّ صَلّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَما أصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إلا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهَا وَرَأَيْتُ أنَّ للّهِ عَلَيَّ رَكْعَتَيْنِ، فقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((بِهِما))[2]، فلنبحث في هذا الحديث.

وقوله: (بم سبقتني إلى الجنة؟) لا يفهم من هذا أن بلالاً يدخل الجنة قبل النبي ﷺ؛ فإن ذلك ممنوع بما قد علم من أن النبي ﷺ هو السابق إلى الجنة، وبما ثبت أنه: أول من يستفتح باب الجنة فيقول الخازن: (بِكَ أُمِرْتُ لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ)[3]، وإنما هذه رؤيا منام أفادت أن بلالاً من أهل الجنة، وأنه يكون فيها مع النبي ﷺ ومن ملازميه،

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة ٢،٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٦٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩١٢).

(٣) أخرجه مسلم ١٩٧.

وهذا كما قال في الغميصاء: ((سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أمَامِي))، وقد لا يبعد أن يُقال في أسبقية بلال أنها أسبقية الخادم بين يدي مخدومه"[١].

وتقدم الخادم تقدم للمخدوم، قال الشاعر:

إن سار عبدك أولاً أو آخرًا ... في ظل مجدك ما تعدى الواجبا

فإذا تأخر كان خلفك خادمًا ... وإذا تقدم كان دونك حاجبًا

فالفتح للمخدوم وإن تقدم خادمه دخولاً كرامة لمخدومه"[٢].

وقال ابن حجر: "قال الكرماني: ظاهر الحديث أن السماع المذكور وقع في النوم، لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بعد الموت، ويحتمل أن يكون في اليقظة لأن النبي ﷺ لها ليلة المعراج".

وقال ابن حجر: "ويؤيد كونه وقع في المنام حديث جابر رضي الله عنه مرفوعًا: ((رأيتُني دخلتُ الجنةَ، فإذا أنا بالرُّمَيصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خَشفةً فقلتُ مَن هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيتُ قصرًا بفنائهِ جاريةٌ فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمرَ))[٣].

وبعده حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((بينا أنا نائمٌ رأيُتني في الجنةِ، فإذا امرأةٌ تَتَوضَّأَ إلى جانبِ قَصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القَصرُ؟ فقالوا: لعُمرَ بنِ الخَطّاب))[٤].

فعرف أن ذلك وقع في المنام، وثبتت الفضيلة بذلك لبلال لأن رؤيا الأنبياء وحي، لذلك جزم النبي ﷺ بذلك"[٥].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة عقب الوضوء:

يظهر ذلك في قول بلال رضي الله عنه: "ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورًا

---

(١) المفهم ٣٦٨/٦ - ٣٦٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢٩٦، والأبيات لصفي الدين الحلي، قافية: الباء، البحر: كامل تام.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٣/٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤٣/٣.

في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي".

قال ابن حجر: "قال ابن التين: إنما اعتقد بلال ذلك لأنه علم من النبي ﷺ أن الصلاة أفضل الأعمال وأن عمل السر أفضل من عمل الجهر".

وقال ابن الجوزي: "فيه الحث على الصلاة عقب الوضوء لئلا يبقى الوضوء خاليًا عن مقصوده"[١].

وقال القرطبي: "وفيه ما يدل على أن استدامة بعض النوافل، وملازمتها في أوقات وأحوال، فيه فضل عظيم، وأجر كبير، وإن كان النبي ﷺ لم يدم عليها، ولا لازمها، ولا اشتهر العمل بها عند أصحابه رضي الله عنهم، وأن ذلك لا يُنكر على من لازمه ما لم يعتقد أن ذلك سُنة راتبة له ولغيره، وهذا هو الذي منعه مالك حتى كره اختصاص شيء من الأيام، أو الأوقات بشيء من العبادات، من الصوم، والصلاة، والأذكار، والدعوات، إلا أن يَعيَّنه الشارع، ويدوم عليه، فأما لو دام الإنسان على شيء من ذلك في خاصة نفسه، ولم يعتقد شيئًا من ذلك، كما فعله بلال في ملازمة الركعتين عند كل أذان، وفي ملازمة الطهارة دائمًا، لكان ذلك يُفضي بفاعله إلى نعيم مقيم، وثواب عظيم"[٢].

وفضل الصلاة بعد الوضوء عظيم، قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ))[٣].

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوضَّأَ نَحوَ وُضوئي هذا، ثمَّ صَلَّى رَكعَتَيْن لا يُحدِّثُ فيهما نَفْسَهُ، غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[٤]. وفي ذلك بيان لفضل الصلاة عقب الوضوء.

خامسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن الحديث أن الذي سبق ببلال إلى الجنة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢.

(٢) المفهم ٦/٣٦٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٦٤، ومسلم ٢٦٦.

الصلاة عقب الوضوء، وفي ذلك ترغيب بالتطوع بالصلاة عقب الوضوء.. حتى يصل الإنسان إلى الجنة.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[1].

"ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره المجتنبين لنهيه والممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين، وفي الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى وبالقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين"[2].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من أساليب التربية: السؤال عن أفضل العمل:

لقد سأل النبي ﷺ بلالاً رضي الله عنه عن أرجى عمل عمله في الإسلام، حتى يعرفه ليقوّمه فإن كان حسنًا رغبه فيه وشجعه وأثنى عليه وإن كان غير ذلك نهاه وأمره باجتنابه، قال ابن حجر عن هذا الحديث: (فيه أيضًا سؤال الشيخ عن عمل تلميذه ليحضه عليه ويرغبه فيه إن كان حسنًا وإلا فينهاه)[1].

وبناءً على ذلك فإن على المربين أن يسألوا أتباعهم عن أفضل أعمالهم وأرجاها ثوابًا عند الله تعالى؛ لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة منها:

١ - تربية الناشئة وغيرهم على فعل الأحسن والأفضل، مما ينمّي فيهم التطلع دائمًا إلى معالي الأمور وأفضلها وأكثرها قبولاً وثوابًا عند الله تعالى، ومن ثم يكون أقرب إلى المداومة على ذلك والاستكثار منه.

٢ - غرس روح التنافس الشريف بين الناشئة ونحوهم فيتنافسون في فعل أفضل الأعمال وأشرفها وأقيمها، وفي هذا دفع لهم لأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة والآداب الرفيعة والشمائل النبيلة، والمهارات الفريدة والرائعة ويعملوا على اكتساب ما ينقصهم من ذلك، والإكثار مما عندهم ويملكونه. قال ابن حجر (فيه [أي في هذا الحديث] سؤال الصالحين عما يهديهم الله له من الأعمال الصالحة ليقتدي بها غيرهم في ذلك)[2].

٣ - تقويم الأفعال التي يظنها الأتباع من الأعمال الحسنة وهي ليست كذلك، ومما لا يخفى أن التقويم من الأساليب التربوية المهمة جدًا في تعديل السلوك والأخلاق والآداب، وهي التي تمكن من محاربة الفاسد والضار من ذلك وإحلال الطيب والنافع مكانه. وإن غياب عملية التقويم بصفة دورية يؤدي إلى إنفاق كثير من

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، وقد نقله ابن حجر عن المهلب.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ ، و قد نقله ابن حجر عن المهلب.

الجهود والطاقات والأموال والأنفس في سبيل إصلاح المعوج وسد الخلل.

والخلاصة أن السؤال عن أفضل الأعمال يعوّد الناشئة ومن على شاكلتهم أن يفعلوا الأفضل ويتنافسوا في ذلك أيما تنافس، ويصلح ما قد يكون فيه اعوجاج وخلل، لذا كان على المربين أن يُفَعّلوه تفعيلاً في مهمتهم التربوية الجليلة.

ثانيًا - من أساليب التربية: ذِكْر الثواب والمكافأة:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: "يا بلال حدِّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دَفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة" فقد ذكر النبي ﷺ المكانة التي نالها بلال على هذا العمل، وهو دخول الجنة[1].

وفي ذكر المكافأة والثواب على الفعل حث على إتيانه والإكثار منه، (فالنفس البشرية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، سواء في ذلك الصغير أو الكبير، لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى، ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان، قال الغزالي: (مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس)[2] ولا ينبغي أن يتحول الثواب إلى نوع من الشرط على الفعل، بحيث إذا لم يعط الصبي لم يفعل فإن الثواب يظل قائمًا بدوره التربوي ما كان ثوابًا، فإذا تحول إلى شرط أو إملاء من الصبي، بحيث لا يمكن للمربي أن يحمل الصبي على العمل إلا بهذه الطريقة، فقد الثواب قيمته التربوية وأتى بالضدّ منها، فعلى المربي أن يلحظ ذلك في ثوابه على الأفعال والأقوال)[3].

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٧٦٨ .

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٣/٧٣.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد بن شاكر الشريف، ص ٩٢. وانظر: المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، ص ٢١٨-٢١٩.

ثالثًا - التربية على الاستنباط والاجتهاد:

هذا مستمد من عمل بلال رضي الله عنه وصلاته بعد كل وضوء له ما شاء الله له أن يصلّي، مع أنه لم يسمع من النبي ﷺ - وهو الذي يؤخذ عنه الشرع - لم يسمعه ينصّ على ذلك بدليل أنه ﷺ سأله، لكنه ﷺ أقرّه على ذلك وصوّبه، فكان إقرارًا منه ﷺ لاجتهاد بلال واستنباطه، قال ابن حجر: (يستفاد منه جواز الاجتهاد في توقيت العبادة، لأن بلالاً توصّل إلى ما ذكرنا بالاستنباط فصوّبه النبي ﷺ)[1]، ولذا كان هذا الحديث الشريف نصًا على تشجيع الاجتهاد والاستنباط، ولذا كان على المربين أن يعوّدُوا الناشئة وغيرهم على هذا لما في ذلك من أهمية كبرى في حياتهم، (فالقدرة على الاستنباط والاستنتاج مهارة مهمة، تمكن الشاب من استخدام المعارف والمعلومات في مواقف جديدة. وثمة مجالات يمكن أن تعود على تقوية هذه المهارة، ومنها:

أ - تعويد الشاب على استنباط الفوائد والعبر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، مع مراعاة العمق والبعد عن الفوائد المكررة التي اعتاد الشاب عليها.

ب - الاعتناء باستنباط الدروس والفوائد العملية عند دراسة السيرة النبوية والأحداث التاريخية.

ج - توظيف المواد الدراسية التي يتلقاها الطالب في المدرسة في تنمية القدرة على الاستنباط، كالرياضيات والتاريخ واللغة العربية.

د - الاستفادة من الألعاب التعليمية فكثير منها تنمي المهارات العقلية، ومن بينها مهارة الاستنباط، ويمكن للمربي أن ينظم بعض الألعاب والمسابقات التعليمية التي تجمع بين تحصيل فوائد علمية، وتحقيق التسلية وتنمية المهارات)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٨ .

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ص ٨٩-٩٠، وانظر: مقال لم لا نفكر؟ دعوة إلى المزيد من المنهجية بعيدًا عن الرتابة والتقليد، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، مجلة البيان، العدد ٨٢، ص ٩٦-١٠٢.

٢١٠ - باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لَهَا والطِّيب والتبكير إلَيْهَا والدعاء يوم الجمعة والصلاة عَلَى النبي ﷺ وفِيهِ بيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠].

الحديث رقم (١١٤٩)

١١٤٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((خَيْرُ يَومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جعل الله في كل مخلوقاته فاضلا، ومفضولا في الأزمنة: في الأيام، والشهور، والسنين، والقرون، وفي الأماكن، وفي الدواب، وفي البشر، ويوم الجمعة يوم فاضل من بين أيام الأسبوع، وقد قرر الرسول ﷺ هذا المعنى في هذا الحديث عن طريق تفضيله في الخيرية على كل الأيام، وقد استهل حديثه بلفظ (خير) وهو لفظ يبشر بمحبوب ثم أضافه إلى اليوم الموصوف بجملة (طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) ليعطيه طلاقة في الخيرية تنسحب على مدى الدهر ثم فصل الرسول ﷺ أسباب الخيرية ببيان تلك الأحداث التي اتصلت به فصبغته بها، (فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا)، وتقديم الجار، والمجرور في الجمل الثلاث يفيد التخصيص أي فيه ليس في يوم غيره، والطباق بين أدخل، وأخرج يوضح المعنى، ويؤكد الحدثين العظيمين في الدخول،

---

(١) برقم (٨٥٤/١٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٩).

والخروج لأنهما تعلقا بالجنة، وفيه إشارة أن الجنة كانت الموطن الأول لبني آدم، وأن المعصية أزالتهم عنها، ومن ثمْ فلن يعيدهم إليها إلا التوبة، والطاعة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل يوم الجمعة على سائر الأيام وأن صلاة الجمعة من أهم شعائر الإسلام ولا يجوز للمرء تركها إلا من عذر قوي وإلا كان من الغافلين الذين يختم على قلوبهم.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم ذكر حر بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد ولا المسافر ولا المريض المعذور، ونقل الخطابي قولاً أنها فرض على الكفاية.

وكذا اتفق الفقهاء على أن الجماعة شرط في هذه الصلاة.

واختلفوا بعد ذلك في العدد الذي تصح به الجمعة على أقوال عدة.

القول الأول: ذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به ثلاثة سوى الإمام.

القول الثاني: ذهب أبو يوسف[٢] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة إلا به اثنان سوى الإمام.

القول الثالث: ذهب المالكية[٣] إلى أن العدد الذي لا تصح الجمعة بأقل منه اثنا عشر رجلاً سوى الإمام.

القول الرابع: ذهب الشافعية[٤]، والحنابلة في ظاهر المذهب[٥] إلى أن العدد الذي لا

---

(١) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٣/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٣٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح٨٧/٢، المغني ٧٠/٢.

(٢) المبسوط ٢٤/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٨/١.

(٣) مواهب الجليل ١٦١/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٢٣/٢.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ٢١٩/١، المجموع ٣٥٤/٤، نهاية المحتاج ٢٨٧/٢.

(٥) الفروع، ابن مفلح٩٩/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٨٧/٢.

تصح الجمعة إلا به أربعون فأكثر.

ورويت عن الإمام أحمد روايات أخرى في العدد فقيل خمسون وقيل سبعة وقيل خمسة وقيل أربعة[١].

والراجح في رأيي ما ذهب إليه أبو حنيفة لأن الثلاثة أقل الجمع الصحيح والجمعة مشتقة من الجمع، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة:

إن يوم الجمعة من أيام الله المباركة وله فضل عظيم وخصائص كثيرة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة)، قال النووي: "قال أبو بكر بن العربي: وجميع هذه الأمور من الفضائل وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية، وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصديقين والأولياء وإظهار كرامتهم وشرفهم وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ومزيته على سائر الأيام"[٢]، وفي فضل يوم الجمعة جاء في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((نحنُ الآخِرونَ السابقونَ يومَ القيامةِ، بَيْدَ أَنهم أُوتوا الكتابَ من قَبلِنا، ثمَّ هذا يومُهمُ الذي فُرِضَ عليهم فاختلَفوا فيهِ، فهدانا اللّهُ له، فالناسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليهودُ غدًا، والنصارَى بعدَ غدٍ))[٣].

قال المازري: "إن اليهود عظمت السبت لما كان فيه فراغ الخليقة، وظنّت ذلك

---

(١) الفروع، ابن مفلح٢/٩٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٨٧٦.

فضيلة توجب تعظيم اليوم، وعظمت النصارى الأحد لما كان فيه ابتداء الخليقة، فاعتقدت أن ذلك تعظيم لذلك اليوم واتبع المسلمون الوحي والشرع الوارد بتعظيم يوم الجمعة فعظّموه"[١].

وقال القرطبي: "إن كون الجمعة أفضل الأيام لا يرجع ذلك إلى عين اليوم، لأن الأيام متساوية في أنفسها، وإنما يفضل بعضها بعضًا بما به من أمر زائد على نفسه، ويوم الجمعة قد خص من جنس العبادات بهذه الصلاة المعهودة التي يجتمع لها الناس وتتفق هممهم ودواعيهم، ودعواتهم فيها، ويكون حالهم فيها كحالهم في يوم عرفة فيستجاب لبعضهم في بعض، ويُغفر لبعضهم ببعض ثم إن الملائكة يشهدونهم، ويكتبون ثوابهم ولذلك سمي هذا اليوم: المشهود. ثم تخطر فيه لقلوب العارفين من الألطاف والزيادات بحسب ما يدركونه من ذلك، ولذلك سمي بيوم المزيد. ثم إن الله تعالى قد خصّه بأن أوقع فيه هذه الأمور العظيمة التي هي: خلق آدم، الذي هو أصل البشر، ومن ولده الأنبياء، والأولياء والصالحون ومنها: إخراجه من الجنة، التي حصل عنده إظهار معرفة الله وعبادته في هذا النوع الآدمي، ومنها: توبة الله عليه التي بها ظهر لطفه تعالى ورحمته لهذا النوع الآدمي مع ارتكابه الذنب ومخالفته. ومنها: موته الذي بعده وفي أجره، ووصل إلى مأمنه، ورجع إلى المستقر الذي خرج منه ومن فهم هذه المعاني فهم فضيلة هذا اليوم وخصوصيته بذلك، فحافظ عليه، وبادر إليه"[٢].

قال ابن القيم: "ولقد كان من هدي النبي ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها دون غيره، ولقد كان النبي ﷺ يقرأ في فجره بسورتي: ألم تنزيل، و: هل أتى على الإنسان، وذلك لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها فإنهما اشتملتا على خلق آدم، وعلى ذكر المعاد وحشر العباد، وذلك يوم الجمعة، وكأن في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة"[٣].

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٧/١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٩٠/٢ - ٤٩١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٥/١.

ولا شك أن يوم الجمعة من أفضل الأيام، "إن يوم الجمعة حافل بفضائل جمة وخصائص كثيرة تميزه عن غيره من أيام الأسبوع، فهو يوم خصّ الله به أمة محمد ﷺ، وأرشدهم إليه، وصرف الأمم الأخرى فضلوا عنها فهو منحة إلهية نالت به الأمة الإسلامية رحمة الله ورضاه، ويكفي أنه يوم عيد هذه الأمة، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ هذَا يَوْمُ عِيدٍ. جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ. وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[1]، وهو بلا شك يوم عيد متكرر في كل أسبوع"[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: تنبيه المدعوين إلى فضل بعض الأيام والشهور والأوقات:

إن الداعية دال على الخير في كل أحواله، ومن ثم فهو حريص على أن يبين للمدعوين فضل بعض الأيام والشهور ليغتنموها في العبادة والطاعة، يؤخذ هذا من سياق الحديث، حيث بين النبي ﷺ في الحديث فضل يوم الجمعة وما فيه من خصائص يختص بها عن غيره من أيام الأسبوع وذلك لكي يعطي المسلمون هذا اليوم حقه، وينزلوه منزلته، قال ابن رجب: "ويوم الجمعة هو يوم عيد الأسبوع وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة"[3]، وإن معرفة المسلم بفضل يوم الجمعة تجعله يستعد له أتم الاستعداد بطاعة الله سبحانه وذكره وشكره.

"إن فضل يوم الجمعة عظيم، وإن فضل أداء صلاة الجمعة فيه لواسع وكبير، فيها تكفر السيئات، وتمحى الخطيئات، وإن الله سبحانه سنّ فيه سننًا، وشرع فيه آدابًا

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ص ٩٠١).

(٢) فضائل الجمعة "أحكامها وخصائصها"، د. محمد ظاهر أسد الله، ط/٢ مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٠.

تصقل النفوس وتزكيها وتطهرها من الأدران والأوساخ الحسية، وتهيؤها للنظافة المعنوية، والتطهر الشامل الكامل وتذكرها به. وكما جاءت الشريعة مبينة فضل يوم الجمعة وفضل صلاة الجمعة فقد نهت أشد النهي عن التكاسل عنها، والتهاون بما شرع فيها من آداب فيوم الجمعة ليس منطلقًا للنفوس في الشهوات والملذات، ولكنه منطلق لها في الطاعات والروحانيات، وليس لنزهة الدنيا ولكنه لنزهة الآخرة، وشتان شتان بين ما ينصرف به فيها وافد الرحمن من مغفرة ورفع عمل وقبول دعاء، وبين ما يتبوأه من وفد فيها على الشيطان من خزي وعار ونار"[١]، والداعية الناجح هو الذي ينبه المدعوين إلى فضائل الأيام والشهور.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث ذكر فضل يوم الجمعة وأنه خير يوم طلعت عليه الشمس، وفي ذلك ترغيب ضمني في استغلال هذا اليوم في عمل الطاعات، والاستعداد له بما يضاعف الحسنات، ويكفر السيئات، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تجعل المدعوين يقبلون على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٤].

---

(١) أحاديث الجمعة، عبدالله بن حسن القعود، ط/٢ دار طيبة، الرياض: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٢٠.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة يس، الآيات: ٥٥ - ٥٧.

(٤) سورة الإنسان، الآيات: ١٩ - ٢١.

الحديث رقم (١١٥٠)

١١٥٠ - وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وأنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لغا: تكلم بالمُطْرَح من القول وما لا يعني. أو تكلم بما يتحمل وزره لمخالفته النهي عن الكلام وقت خطبة الجمعة.

وقيل: عدل عن الصواب، وقيل: خاب، وقال النووي: والمراد باللغو هنا: الباطل المذموم المردود[2].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول الترغيب في الجمعة، والاستعداد لها ظاهريا وباطنيا، فالاستعداد الظاهري يدل عليه قوله (تَوَضَّأَ - أَحْسَنَ - أتَى) والاستعداد الباطني يدل عليه قوله (استمع - أنصت) والأول يوحي بالاستعداد النفسي بالإصغاء الدال على الرغبة في الاستفادة بما يسمع من الآيات، والمواعظ، والإنصات يوحي بالتدبر واليقظة المهيأة لبلوغ الموعظة، ولإمكان الخشوع، والجمع بينهما للتوكيد، وقوله (غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ) جملة جواب الشرط والتعبير بالماضي دلالة على التحقق، والتعبير بالمبني للمفعول للعلم بالفاعل وقوله (وزيادة ثلاثة أيام) لأن الحسنة بعشر أمثالها فالجمعة سبعة أيام، وثلاثة مما يليها فهذه عشرة، قال الإمام العيني:

---

(١) برقم (٨٥٧/٢٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل غ و)، وشرح صحيح مسلم، النووي ٥٥٩، ٥٦٣.

(فتكفر عنه ذنوب الجمعة المستقبلة، فإن قلت تكفير الذنوب الماضية بالحسنات، وبالتوبة، وبتجاوز الله تعالى فكيف يعقل تكفير الذنب قبل وقوعه قلت المراد عدم المؤاخذة به إذا وقع، ومنه ما ورد في مغفرة ما تقدم من الذنب، وما تأخر، وقوله (وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا) لأنه يناقض الغرض الأساسي للإنصات مما يفسد غرض الجمعة.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلّى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ثم يصلّي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضْل ثلاثة أيام" [1] وفي الرواية الأخرى: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام".

١ - فيه فضيلة الغسل وأنه ليس بواجب للرواية الثانية.

٢ - وفيه استحباب تحسين الوضوء، ومعنى إحسانه الإتيان به ثلاثًا ثلاثًا، ودلْك الأعضاء وإطالة الغرّة والتحجيل وتقديم الميامن والإتيان بسننه المشهورة.

٣ - وفيه أن التنفّل قبل خروج الإمام يوم الجمعة مستحبّ، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور.

٤ - وفيه أن النوافل المطلقة لا حدّ لها، لقوله ﷺ: "فصلّى ما قدر له".

٥ - وفيه الإنصات للخطبة[2]. وقد قال النووي تعليقًا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((إذا قلت لصاحبك أنْصِتْ يوم الجمعة، و الإمام يخطب، فقد لغوت)) [3].

قال النووي: (ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه، لأنّه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمرٌ بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقلّ ممكن. واختلف العلماء

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥٧، ٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

في الكلام هل هو حرام أم مكروه كراهة تنزيه. وهما قولان للشافعي، قال القاضي[١]: (قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وعامة العلماء: يجب الإنصات للخطبة. وحكى عن النخعي والشعبي وبعض السلف أنه لا يجب إلا إذا تلى فيها القرآن[٢]. وقال[٣]: واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه الإنصات كما لو سمعه؟ فقال الجمهور: يلزمه. وقال النخعي وأحمد وأحد قولي الشافعي: لا يلزمه)[٤].

٦ - وقال النووي عن حديث الباب: (وفيه أن الكلام بعد الخطبة قبل الإحرام بالصلاة لا بأس به)[٥].

٧ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من مسّ الحصا فقد لغا" فيه النهى عن مسّ الحصا وغيره من أنواع العبث في حالة الخطبة)[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

رابعًا: من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب صلاة الجمعة:

إن يوم الجمعة يوم عيد المسلمين، ومن ثم كان لشهود صلاة الجمعة فيه فضل كبير وثواب جزيل، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام).

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣.

(٢) وانظر الموسوعة الفقهية ٨٩/٤-٩٠ ومراجعها ومصادرها.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣، وانظر كذلك: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٤/٣-٤١٥ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢١/٦/٣ .

(٥) المرجع السابق ٢٣/٦/٣ .

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٨/٦/٣-١٢٩ .

قال المازري: "ينقدح في نفسي في هذا الحديث أنه ﷺ إنما حدد الزيادة على الجمعة بثلاثة أيام، لأنه يقدر أن يوم الجمعة لما فُعل فيه هذا الخير وكانت الحسنة بعشر أمثالها بلغ هذا التضعيف إلى ما قال: أيام الجمعة سبعة أيام، وتكمل السبعة بثلاثة، وهذا كما يتأول كون صوم شهر رمضان وستة من شوال كصيام الدهر لما كان هذا المقدار يبلغ تضعيفه بعشرٍ جميع أيام السنة"[1].

قال النووي: "قال العلماء: معنى المغفرة له ما بين الجمعتين وثلاثة أيام: أن الحسنة بعشر أمثالها، وصار يوم الجمعة الذي فعل فيه هذه الأفعال الجميلة في معنى الحسنة التي تجعل بعشر أمثالها، قال بعض أصحابنا: والمراد بما بين الجمعتين من صلاة الجمعة وخطبتها إلى مثل الوقت من الجمعة الثانية حتى تكون سبعة أيام بلا زيادة ولا نقصان ويضم إليها ثلاثة فتصير عشرة"[2].

وقال صاحب فتح الملهم: "قال الزبيدي: "والمراد بالمغفرة هنا مغفرة الصغائر، وليس المراد أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر، إذ اجتناب الكبائر بمجرده يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[3]، أي: كل ذنب فيه وعيد شديد نكفر عنكم سيئاتكم، أي نمح عنكم صغائركم، فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجى له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر، وإلا أعطي من الثواب بمقدار ذلك. وقوله في الحديث: (وبين الجمعة الأخرى)، قال الزبيدي: ويحتمل أن يكون المراد بها الماضية والمستقبلة لأنها تأنيث الآخر - بفتح الخاء لا بكسرها - والمغفرة تكون للمستقبل كما للماضي، قال الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4]، لكن رواية أنس عن

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ١/ ٢٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢.

الخطيب: (إلى الجمعة الأخرى) تعين المستقبلة، ورواية ابن خزيمة: (ما بينه وبين الجمعة التي قبلها) تعين الماضية، وهذا أصرح، وقوله في الحديث: (وفضل ثلاثة أيام)، أي: بين يوم الجمعة الذي فعل فيه ما ذكر مع زيادة ثلاثة أيام على السبعة لتكون الحسنة بعشر أمثالها"[١].

ولا شك أن هذا يدل على فضل صلاة الجمعة وثوابها، قال ابن القيم: "وصلاة الجمعة من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا بها طبع الله على قلبه، وقُرب أهل الجنة يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الوضوء في المنزل والتبكير إلى الجمعة:

إن الرسول ﷺ يحث على التبكير إلى صلاة الجمعة لنيل الأجر كاملاً ويتضح هذا من قوله ﷺ في الحديث: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له...).

قال المازري: "ذكر عليه السلام خروج الخطايا مع الوضوء ومعنى هذا: أن الخطايا تغفر عند ذلك، لا أن الخطايا في الحقيقة شيء يحل في الماء، وإنما ذلك على وجه الاستعارة الجارية في لسان العرب"[٣].

وقد بيّن النبي ﷺ في الحديث فضل الاغتسال والتبكير يوم الجمعة ففي الحديث عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ وغَسَّلَ وَبكَّر وابتكَرَ وَدَنا واستمَعَ وأَنْصَتَ كانَ له بكلِّ خُطْوةٍ يَخْطوها أَجرُ سَنَةٍ صيامُها وقيامُها))[٤].

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٣١٠/٥.

(٢) زاد المعاد، ابن قيم الجوزية ٣٧٦/١.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ١١٤/١.

(٤) أخرجه الترمذي ٤٩٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٤١٠).

قال المباركفوري: "قوله: (من اغتسل وغسل)، روي بالتشديد والتخفيف قيل: أراد به غسل رأسه وبقوله: اغتسل: غسل سائر بدنه، وقيل: جامع زوجته فأوجب عليها الغسل فكأنه غسلها واغتسل، وقيل: كرر ذلك للتأكيد ويرجح التفسير الأول ما في رواية أبي داود في هذا الحديث بلفظ: (من غسل رأسه واغتسل)[1]، وما في البخاري عن طاووس: (قلت لابن عباس: ذكروا أن النبي ﷺ قال: اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رءوسكم)[2]، ومعنى بكر: راح في أول الوقت وابتكر: أي أدرك أول الخطبة ورجحه العراقي وقيل: كرره للتأكيد وبه جزم ابن العربي"[3].

وقال ابن الأثير: "بكّر: أتى الصلاة في أول وقتها، وكل من أسرع إلى شيء فقد بكّر إليه. وأما ابتكر، فمعناه: أدرك أول الخطبة وأول كل شيء باكورته وابتكر الرجل إذا أكل باكورة الفواكه، وقيل: معنى اللفظتين واحد، فعّل وافتعل، وإنما كرر للمبالغة والتوكيد، كما قالوا: جادّ مجدّ"[4].

ويستفاد من هذا فضل الوضوء والاغتسال والتبكير إلى المسجد لحضور الجمعة، لما في ذلك من الفضل الكبير والثواب العظيم، الذي ينال المسلم عند تبكيره إلى صلاة الجمعة ملتزمًا آدابها وسننها وفرائضها.

ثالثًا - من وسائل الدعوة: الخطبة:

إن الوسائل الدعوية متعددة ومتنوعة، ومن هذه الوسائل الخطبة بما لها من خاصية الثبات والاستمرارية، ويستنبط هذا من الحديث من قوله ﷺ: (فاستمع وأنصت)، وهذا يدل على أن الخطبة وسيلة هامة من وسائل الدعوة، "لقد كان تقدير الإسلام للخطبة تقديرًا مبنيًا على الوجوب، وربّأ الإسلام بخطبة الجمعة أن تكون وعظًا معادًا مكرورًا ونغمة رتيبة، فجعلها تدور حول ما يهم الجماعة الإسلامية ويشغل بالها من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٧٧٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٨٦.

الأمور المستحدثة والمسائل الجارية والقضايا التي تتصل بمصالحهم"[١]، ولأهمية الخطبة في الإسلام جعلها الله من شعائر الإسلام، "إن الخطابة في الإسلام مظهر الحياة المتحركة فيه، الحياة التي تجعل هذا الدين يزحف من قلب إلى قلب، ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، وذاك هو السر في أن نبي الإسلام ﷺ كان يخطب كل أسبوع وكل عيد ويخطب أو ينيب عنه أميرًا يخطب في وفود الحجيج عند جبل الرحمة"[٢].

ولقد كانت الخطبة إحدى وسائل نشر الدعوة في عهد النبي ﷺ، "وحين أشرق نور الإسلام وسطع ضوؤه نهضت الخطابة - وبخاصة الخطابة الدينية - وعظم سلطانها، وكان الداعي إلى ذلك نشر الإسلام وتأييد الدعوة الكبرى فكانت الخطابة الدينية وسيلة المصطفى ﷺ في بداية الدعوة الإسلامية إلى القبائل في مواسم الحج وفي الأسواق، ثم كان سفراء الإسلام ورسل رسول الله ﷺ الموفدون إلى الملوك وإلى سائر الجهات النائية، يعتمدون عليها في شرح مبادئ الإسلام وقواعده، وترغيب الناس فيه وحثهم على اعتناقه والاستمساك به، وكان من يدخل الإسلام يدخله عن اقتناع، ثم بعد ذلك يسير فارسًا من فرسان الدعوة إليه، ويستعين على ذلك بالخطابة"[٣].

رابعًا - من آداب المدعو: الخشوع والإنصات وعدم اللغو واستماع الخطبة:

حيث جاء في الحديث: (فاستمع وأنصت)، (ومن مس الحصا فقد لغا)، والمدعو يجب عليه أن يلتزم بهذه الآداب حتى يأخذ الأجر كاملاً، جاء في الموسوعة الفقهية: "إذا صعد الإمام المنبر للخطبة يجب على الحاضرين أن لا يشتغلوا عندئذٍ بصلاة ولا كلام إلى أن يفرغ من الخطبة، فإذا بدأ الخطيب بالخطبة تأكد وجوب ذلك أكثر"[٤].

قال القاضي عياض: "ذكر الهروي في قوله: (ومن مسّ الحص فقد لغا)، معناه:

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٥٦٢.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ/ محمد الغزالي ص ٣٠٧.

(٣) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع، د. حسين محمد محمود عبدا لمطلب، ط/١ ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دون ذكر دار النشر، ص ٧ - ٨ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧/٢٠٤.

تكلّم، وقيل: لغا عن الصواب، أي: مال عنه، وقال النضر: أي: خاب، ألغيته: خيبته، قال ابن عرفة: اللغو: الشيء السقط الملغي، وقيل: اللغو واللغا: ما لا ينبغي من الكلام ورديئه وباطله وما لا خير فيه. وفي الحديث حجة على وجوب الإنصات لسماع الخطبة، وهو قول مالك وأبي حنيفة والشافعي وعامة العلماء، وذكر عن الشعبي والنخعي وبعض السلف: أن الإنصات للخطبة غير واجب إلا عند تلاوته القرآن فيها، واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه من الإنصات ما لزم من سمعه أم لا؟ فجمهورهم على التسوية"[1].

وفي الحث على الإنصات والتحذير من الإنشغال واللغو جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوتَ))[2].

قال النووي: "وفي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه لأنه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمر بمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينهه بكلام مختصر. ولا يزيد على أقل ممكن"[3].

وقال ابن حجر: "وأقوال أهل اللغة في تفسير اللغو متقاربة المعنى، قال العلماء: معناه لا جمعة له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه، وحكى ابن التين عن بعض من جوز الكلام في الخطبة أنه تأول قوله (فقد لغوت)، أي: أمرت بالإنصات من لا يجب عليه، وهو جمود شديد، لأن الإنصات لم يختلف في مطلوبيته فكيف يكون من أمر بما طلبه الشرع لاغيًا، بل النهي عن الكلام مأخوذ من الحديث بدلالة الموافقة، لأنه إذا جعل قوله: (أنصت) مع كونه أمرًا بمعروف لغوًا ففيره من الكلام أولى أن يسمى لغوًا، واستدل به على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة، وبه قال الجمهور في حق من سمعها، وكذا الحكم في حق من لا يسمعها عند الأكثر، قالوا: وإذا أراد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٤، ومسلم ٨٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٩٩.

الأمر بالمعروف فليجعله بالإشارة"[١].

وقال القاضي عياض: "وفي قول النبي ﷺ: (ومن مس الحصا فقد لغا) لأنه بتحريكه له وشغله به صار لاغيًا مشغلاً غيره عن سماع الخطبة بصوت حركته"[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٥٣.

الحديث رقم (١١٥١)

١١٥١ - وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكفِّرات: ساترات ومطهِّرات للخطايا [2].

الكبائر: جمع كبيرة: الفعلة القبيحة من الذنوب المنهيِّ عنها شرعًا، العظيم أمرُها؛ كالقتل والزنا... وغير ذلك[3].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى فضل الصلوات في تكفير ذنوب العبد، وقوله (الصلوات الخمس) (ال) في الصلوات للعهد أي الصلوات المعهودة المفروضة، ووصفها بالخمس ينص على ذلك وقد جعلها الله تعالى محطات تنقية من الذنوب على مدار اليوم في الصلوات الخمس، وعلى مدار الأسبوع في صلاة الجمعة، وعلى مدار العام (من رمضان إلى رمضان)، وقوله (وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ) فيه إيجاز بالحذف، وصلاة الجمعة إلى صلاة الجمعة، وقوله:(كفارة لما بينهن) أي ستر للذنوب، وما بينهن إشارة لما بين الوقت، والوقت على مدار اليوم، والليلة تفصيلا يتتبع كل ذنب يقع فلا تتراكم على القلب فيقسوا بل كلما وقع في ذنب كفرته صلاة، فينام نقيا يبدأ يومه بصلاة، وينتهي بصلاة ثم إنها صفاء روحي بالوقوف بين يدي الله في موقف يصقل إيمان العبد بشحنة

---

(١) برقم (٢٣٣/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٥). تقدم برقم (١٣٠)، و (١٠٤٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ب ر).

من الخشوع يستكمل بها يومه، ثم إن بقي شيء - ولن يبقى - كفرته الجمعة إجمالاً، وانتقل العبد من نور إلى نور، ثم إن بقي شيء -ولن يبقى- كفره رمضان، ولذلك قال (من رمضان إلى رمضان) ليستوعب العام جملة بعد أن استوعبته الصلوات تفصيلا، وقوله (ما لم تغش الكبائر) لأنها تحتاج إلى توبة يعتزم عندها كف شره عن الناس، لأن كثيرا من الكبائر تتعلق بحقوق الناس، وما يتعلق بالله فمما يمس العقيدة، وهذه النوعية من الذنوب تحتاج إلى وقفة بالتوبة تطهره من دنسها.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

أولاً: حكم أداء الصلاة، وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الصلاة فرض عين على كل مسلم ومسلمة متى كان بالغًا عاقلاً ولا تسقط إلا بالموت فقط.

ثانيًا: حكم صلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[2] على أن صلاة الجمعة فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مقيم صحيح فلا تجب على المرأة ولا الصبي ولا العبد والمسافر والمريض المعذور.

ثالثًا: حكم صوم رمضان، وقد اتفق الفقهاء[3] أيضًا على أن صوم رمضان لمن

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٨٩/١، البحر الرائق، ابن نجيم ٢٥٦/١، مواهب الجليل، الحطاب ٣٧٨/١، شرح منح الجليل، الشيخ عليش ١٧٧/١، مغني المحتاج، الشربيني ٣١٢/١، نهاية المحتاج، الرملي ٣٧٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٥/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٢١/١.

(٢) المبسوط ٢١/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، المدونة ٢٣٣/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١١/٤، الأم، الإمام الشافعي ٢١٨/١، نهاية المحتاج ٢٨٣/٢، المجموع ٣٤٨/٤، الفروع، ابن مفلح ٨٧/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٦٤/٢، المغني ٧٠/٢.

(٣) البحر الرائق، ابن نجيم ٢١٧/٢، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٥/١، شرح منح الجليل ٣/٢، مواهب الجليل ٢٥٥/٢، نهاية المحتاج ٤٣/٣، مغني المحتاج ٦٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٦/٢، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٣٦٨/١.

استطاع من المسلمين البالغين العاقلين فرض عين، فمن لم يستطع لمرض أو كِبَرٍ قضى في وقت آخر أو أخرج فدية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣٠).

الحديث رقم (١١٥٢)

١١٥٢ - وعنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ، يقولُ عَلَى أعْوَادِ مِنْبَرِهِ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

وَدْعهم: تَرْكهم[2].

أو ليختمن الله على قلوبهم: ليختمن من الختم ومعناه الطبع والتغطية[3].

الشرح الأدبي

الحديث يبرق، ويرع بالتهديد، والوعيد بدا ذلك في استهلاله بصيغة الأمر (لينتهين) أمر للتهديد والوعيد ثم إنه أمر عام شامل لجميع المخاطبين قال الطيبي والخطاب العام: وهو ما يخاطب به غير معين للإيذان بأن الأمر لعظمه وفخامته، حقيق بألا يختص بأحد دون أحد[4] وتنكير (أقوام) للستر عليهم من جهة، ولكي يشمل الحكم كل من وافق حالهم في كل زمان، ومكان، وقولهم (ودعهم الجمعات) أي تركهم المتكرر لصلاة الجمعة، والتعبير بهذا الفعل الذي هجر استعمال ماضيه لما كان فعلهم بترك الجمع غريبا عبر بفعل غريب قليل الاستعمال كقلة من يتخلف عن الجمعة فهو يوافق هجرهم الجمعة التي لا ينبغي أن يهجرها إلا أصحاب الأعذار، وقوله (أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى

---

(١) برقم (٨٦٥/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٧٤).

(٢) الوسيط في (و د ع).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٦٥.

(٤) التباين في علم المعانى والبديع والبيان، للطيبي ص ٢٩٢.

قُلُوبِهِمْ) كناية عن تمكن المعصية، وقساوة القلب، والْمَعْنَى أَنَّ أَحَد الْأَمْرَيْنِ كَائِن لَا مَحَالَة إِمَّا الِانْتِهَاء عَنْ تَرْك الْجُمُعَات، أَوْ خَتْم اللَّه تَعَالَى عَلَى قُلُوبهمْ فَإِنَّ اِعْتِيَاد تَرْك الْجُمْعَة يُغَلِّب الرَّيْن عَلَى الْقَلْب وَيُزَهِّد النُّفُوس فِي الطَّاعَات (ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ) وثم للتراخي في الرتبة فإن كونهم من جملة الغافلين، والمشهود فيه بالغفلة أدعى لشقاوتهم وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختوما عليهم.

فقه الحديث

قال النووي:

(١ - فيه استحباب اتخاذ المنبر وهو سنة مجمع عليها.

٢ - وفيه أن الجمعة فرض عين)[١].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين" حجة بينة في وجوب الجمعة وكونها فرضًا، إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر)[٢].

وقال المازري: (اختلف الناس في صلاة الجمعة: هل هي فرض على الأعيان أو على الكفاية، فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية، فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٣] وهذا خطاب لسائر الناس، فيجب حمله على العموم وبظاهر الخبر الذي قدمناه - وهو حديث الباب - وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ ((صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا))[٤].

وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله عليه السلام: "صلاة الجماعة" فقد أثبت فضيلة ما

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٢/٦/٣ ، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣-٢٦٥..

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩، ٢٤٥.

على ما تقضيه المبالغة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: المنبر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية.

أولاً - من وسائل الدعوة: المنبر:

حيث جاء في الحديث عن أبي هريرة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: (يقول على أعواد منبره)، قال القاضي عياض: "وقوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره) فيه اتخاذ المنبر لخطبة الجمعة، وهو سنة مجمع عليها للخليفة، فأما غيره إن شاء خطب على المنبر، وإن شاء على الأرض. واختلف عمل الناس وأهل الآفاق في ذلك، قال مالك: ومن لا يرقى عندنا - أي على المنبر - يقف يسار المنبر ومنهم من يقف عن يمينه وكلٌ واسع"[٢]، ويعتبر المنبر من وسائل الدعوة، وعليه تؤدى الخطبة وتوجه الموعظة إلى الحاضرين، ولذا اتخذ رسول الله ﷺ منبرًا يخطب عليه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أول يوم جلس عليه، وأنه ﷺ أرسل إلى امرأة فقال: ((انظري غُلاَمَكِ النَّجَّارَ. يَعْمَلُ لِي أَعْوَادًا أُكَلِّمُ النَّاسَ عَلَيْهَا)). فَعَمِلَ هذِهِ الثَّلاَثَ دَرَجَاتٍ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ. فَوُضِعَتْ هذَا الْمَوْضِعَ. فَهِيَ مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن امرأة من الأنصار قالت لرسول الله ﷺ: ((يا رسولَ اللّهِ، ألا أجعلُ لكَ شيئًا تَقعُدُ عليهِ؟ فإنَّ لي غُلامًا نجّارًا. قال: إن شِئتِ.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١ ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وانظر المبسوط ٢١/٢، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٥٦/١، والمدونة ٢٣٣/١، وأحكام القرآن لابن العربي ٢١١/٤، والأم ٢١٨/١، ونهاية المحتاج ٢٨٣/٢، والمجموع ٢٤٤/٤-٢٤، والفروع، ابن مفلح٨٧/٢، والمغني ٢٠٣/٣، ٢٢٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٤/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٩١٧.

فعملتِ المِنبرَ))[١].

"والمنبر هو المكان المرتفع الذي ينطق منه الخطيب بصوته... وتختص المساجد الخاصة بإقامة الجمعة والأعياد بوجود منابر فيها يخطب عليها الإمام، ويجلس بين الخطبتين، ولقد كان ﷺ يقوم على المنبر خطيبًا فَفِعْلُه هذا سُنَّة، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده رضي الله عنهم ولا يزال المسلمون على هذا العمل إلى يومنا هذا، فالمنبر كان يستخدم للخطب في الجمع وغيرها وأن النبي ﷺ كان يعظ الناس بالقرآن وهو على المنبر"[٢].

جاء في الموسوعة الفقهية: "المنبر في اللغة: مرقاة يرتقيها الخطيب أو الواعظ ليخاطب الجمع، مشتق من النبر وهو الارتفاع، وسمي منبرًا لارتفاعه وعلوه ويقال انتبر الخطيب أي ارتقى المنبر، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، قال العلماء: إن النبي ﷺ اتخذ منبره سنة سبع من الهجرة، وقيل: ثمان من الهجرة. يقول البهوتي: وكان منبره ﷺ ثلاث درج وكان ﷺ يجلس على الدرجة الثالثة التي تلي مكان الاستراحة ثم وقف أبو بكر رضي الله عنه على الثانية، ثم عمر رضي الله عنه على الأولى تأدبًا ثم وقف عثمان رضي الله عنه مكان أبي بكر رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه موقف النبي ﷺ، ثم قلعه مروان بن الحكم أمير المدينة في زمن معاوية رضي الله عنه وزاد فيه ست درج فكان الخلفاء يرتقون ستًا، ويقفون مكان عمر رضي الله عنه، أي: على السابعة ولا يتجاوزون ذلك تأدبًا.

وذهب الفقهاء إلى أن اتخاذ المنبر سنة مجمع عليها كما يسن أن تكون الخطبة على المنبر، وكذلك الجلوس على المنبر قبل الشروع في الخطبة، ويستحب أن يكون المنبر على يمين المحراب بالنسبة للمصلين"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨.

(٢) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم الخضيري، سلسلة الكتاب الإسلامي، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، المملكة العربية السعودية، ، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ٧٣/٢.

(٣) الموسوعة الفقهية ٨٤/٣٩ - ٨٥.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: التحذير:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات) حيث حذر رسول الله ﷺ من ترك الجمعات، وأسلوب التحذير من أساليب الدعوة المهمة حيث يبين للمدعو خطورة المحذر منه، وكشف عاقبته، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب، قول الله تعالى في التحذير من الشرك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]، وقوله في التحذير من موالاة الكفار: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[2].

ويعتبر التحذير من أساليب الدعوة التي تجعل المدعو على حذر من الوقوع في مغبة المحذر منه، "والتحذير هو التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك. ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة، وغيرها ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذارًا من خطر قادم، يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب محفوف بتلطف وتودُّد"[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة ترك صلاة الجمعة وأثر ذلك على القلوب:

إن صلاة الجمعة فريضة على كل مسلم ومن ثم يأثم تاركها ويكتب من الغافلين ولا أدلّ على ذلك مما جاء في الحديث: (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين).

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٥.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

قال المازري: "اختلف الناس في صلاة الجمعة هل هي فرض على الأعيان، أو على الكفاية؟ فالأكثر أنها على الأعيان، وذهب بعض الشافعية إلى أنها على الكفاية فتعلق الأولون بقول الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، وهذا خطاب لسائر الناس فيجب حمله على العموم، وبظاهر الخبر الذي قدمناه، وتعلق الآخرون بقول النبي ﷺ: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ))[2]، وصلاة الجمعة تدخل في عموم قوله ﷺ: (صلاة الجماعة) فقد أثبت فضلها على ما تقتضيه المبالغة"[3].

وقال القاضي عياض: "وفي هذا الحديث حجة بينة في وجوب الجمعة وفي كونها فرضًا إذ العقاب والوعيد والطبع والختم إنما يكون على الكبائر وأصله التغطية - أي غطى عليها ومنعها من الهداية به، حتى لا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا، ولا تعي خيرًا قالوا في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[4]، أي: طبع عليها، قالوا: أصل الطبع في اللغة: الوسخ والتدنيس واستعمل فيما يشبهه من الآثام ومثله الرين، وقيل: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدها، وقد اختلف المتكلمون في هذا اختلافًا كثيرًا فقيل: هو إعدام اللطف وأسباب الخير، والتمكين من أسباب ضده، وقيل: هو خلق الكفر في قلوبهم، وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة، وقال غيرهم: هو الشهادة عليهم، وقيل: هو علم جعله الله في قلوبهم؛ ليعرف به الملائكة الفرق بين من يجب مدحه ومن يجب ذمه"[5].

وقال النووي: "وقوله: (ودعهم) أي: تركهم وفيه أن الجمعة فرض عين، ومعنى الختم: الطبع"[6].

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨، ومسلم ٦٤٩.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٨/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦٥/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٥.

وقال الشيخ شبير أحمد العثماني: "وفي الحديث وعيد شديد على ترك الجمعة، قال العراقي: المراد بالطبع على قلبه أنه يصير قلبه قلب منافق. وقوله: (ثم ليكونن من الغافلين) أي: معدودين من جملتهم، وقال الطيبي: إن كونهم من جملة الغافلين المشهود عليهم بالغفلة أدعى لشقائهم، وأنطق لخسرانهم من مطلق كونهم مختومًا عليهم، قال القاضي البيضاوي: والمعنى أن أحد الأمرين كائن لا محالة: إما الانتهاء عن ترك الجمعات، وإما ختم الله على قلوبهم، فإن اعتياد ترك الجمعة يغلب الرين على القلب، ويزهد النفوس في الطاعة، وذلك يؤدي إلى أن يكونوا من الغافلين"[1].

هذا وقد جاء في أهمية صلاة الجمعة نداء الله على المؤمنين أن يسعوا إلى ذكر الله ويتركوا ما بأيديهم من البيع والشراء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

قال القرطبي: "خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفًا لهم وتكريمًا فقال: (يا أيها الذين آمنوا) ثم خصه بالنداء،وإن كان قد دخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾[3]، ليدل على وجوبه وتأكيد فرضه، وقال بعض العلماء: كَوْن صلاة الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع لا من نفس اللفظ وأما السعي عليها ففيه ثلاثة أقوال، أولها: أنه القصد، قال الحسن: والله ما هو بسعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية، والثاني: أنه العمل والمراد: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهير والتوجه إليه، الثالث: أن المراد به السعي على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط. وفي هذا النداء خطاب للمكلفين بإجماع قال علماؤنا: ولا يتخلف أحد عن الجمعة ممن عليه إتيانها إلا بعذر لا يمكنه معه الإتيان إليها؛ مثل المرض الحابس، أو خوف الزيادة في المرض، أو خوف جور السلطان عليه في

---

(١) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٥/٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

مال أو بدن دون القضاء عليه بحق، والمطر الوابل مع الوحل عذر إن لم ينقطع. ومن تخلف عنها، مع إمكانه لذلك عاصٍ لله بفعله"[١].

هذا وقد حذر رسول الله ﷺ من ترك صلاة الجمعة والتهاون في أدائها، فعن أبي الجعد الضمري - وكانت له صحبة - قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ ثَلاثَةَ جُمَعٍ تَهاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ طَبَعَ الله تبارك وتعالى عَلَى قَلْبِهِ))[٢]، وعن أبي قتادة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ))[٣].

وأخرج أبو يعلى من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عمه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ فَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَلَمْ يَأْتِهَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ))[٤].

وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ، فَقَدْ نَبَذَ الإِسْلامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ))[٥].

قال الشيخ محمد علي الصابوني: "إن الصلاة صلة بين العبد بربه، وعبادة تشد القلب، وتقوي الإيمان فيه، وهي إلى جانب هذا تزيد المجتمع ترابطًا وتآلفًا، يلتقي فيها أفراده على الخير ويتعاونون على البر والتقوى، وإذا كانت الصلوات الخمس في كل يوم وليلة مفروضة فقد يُشغل المرء عن بعضها في شغله الدنيوي الذي يبعده عن المسجد أو يتساهل في عدم المجيء إليها، لذلك فقد فرض الله صلاة الجمعة في كل أسبوع مرة واحدة ليسرع إلى الصلاة يستمع إلى كلام الله، وحديث المصطفى ﷺ وموعظة الخطيب فيكون له زادًا إيمانيًا ويجتمع بإخوانه المؤمنين جميعًا فيتفقد الغائب ويعين

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٤٦٣ - ٤٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٢٥، رقم ١٥٤٩٨، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ص ٢٤/٢٥٥، وأخرجه أبو داود ١٠٥٢، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٨).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٣٠٠، رقم ٢٢٥٥٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٣٧/٢٥٠.

(٤) أخرجه أبو يعلى ٧١٦٧، وحسنه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٥).

(٥) أخرجه أبو يعلى ٢٧١٢، وصححه الألباني، (صحيح الترغيب والترهيب ٧٣٣).

المحتاج ويعود المريض، ويصالح المتخاصمين ويبذل نصحه للمقصرين، كما يتعلم الآداب الإسلامية في الاجتماع، من السلام والاحترام والبشاشة التي تجعل المجتمع في سلام وأمان لهذا كله فرض الله سبحانه صلاة الجمعة على كل مسلم وأمره أن يسعى إليها وحثه على أدائها"[١].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان العواقب الوخيمة للمخالفات الشرعية:

حيث جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: (ليختمن الله على قلوبهم)، ويتضح هذا أن الداعية دائمًا حريص على المدعوين يرشدهم إلى ما ينفعهم ويحذرهم من عواقب الأمور، وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وقد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ ما يبين مدى حرص الرسول ﷺ - وهو إمام الدعاة - على المدعوين، فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا. وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ...))[٤]، ومما لا شك فيه "أن حرص الداعية على دعوة الناس وهدايتهم واستشعارهم أنه يبذل لأجلهم ويحمل همهم، ويبغى خيرهم، إن ذلك كله عطاء عظيم يكون له أبلغ الأثر عندما لا يكون له تعلق بأي مقابل مادي، أو انتظار لجزاء دنيوي، أو ترقب لمدح بشري، والداعية ينبغي أن يكون للناس كالوالد شفقة بهم وحرصًا عليهم، وبذلاً لهم وتوجيههم وإرشادهم"[٥].

---

(١) تفسير آيات الأحكام ٥٨٦/٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٦).

(٥) انظر: مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١١٥٣)

١١٥٣ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من جوانب التهيؤ الظاهري المعين على التهيؤ الباطني للجمعة؛ لأن المؤمن يحسب للقاء الله تعالى حسابا يكون فيه في قمة الحرص على ما يرضيه تعالى، والحديث قصير جاء في أسلوب مباشر في ثوب الشرط الذي يربط المجيء للجمعة بالغسل حتى يأخذ حكم التلازم، والتكرار كلما تكرر المجيء، ثم إن التعبير بالمجيء أي أراد المجيء عبر عن الإرادة بالمجيء إشارة إلى العزم الجازم، ولفظ أحدكم يعمم الخطاب، وقوله (الجمعة) أي صلاة الجمعة، وقوله (فليغتسل) أمر وقع في جواب الشرط

فقه الحديث

قد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[2] والمالكية[3] والشافعية[4] والحنابلة[5] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٧) واللفظ له، ومسلم (٨٤٤/٢).

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، والعناية، البابرتي ٦٥/١.

(٣) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، وأحكام القرآن، وابن العربي ٢١٦/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، والمجموع ٢٣٢/٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٥) المغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[١] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[٢]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[٣]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[٤]، وأوجبه ابن تيمية[٥] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح ما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[٦].

المضامين الدعوية [٧]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين.

---

(١) المحلى ٢٥٥/١.

(٢) المغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، والمغني ٩٨/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، والفروع، ابن مفلح٢٠٢/١، وانظر: المجموع ٢٨٤/٤، وشرح صحيح مسلم للنووي ١١٤/٦/٣-١١٥، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٥٧/٢-٣٦٤ .

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٥٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٥٤)، (١١٥٥) (١١٥٦).

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وأهمية غسل الجمعة:

إن الإسلام يدعو إلى النظافة والطهر، ومن ثم حبب إلى أتباعه أن يتطهروا قبل مجيئهم إلى صلاة الجمعة، ومما يدل على ذلك ما جاء في الأحاديث الثلاثة: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم).

قال المازري: "من الفقهاء من أخذ بظاهر هذا ورأى أن غسل الجمعة يجب. وأكثر الفقهاء على أنه لا يجب تعلقًا بقوله ﷺ: ((مَن توضَّأَ يومَ الجُمعةِ فَبِهَا وَنِعْمتْ. ومَن اغتسَلَ فالغُسْلُ أفضلُ))، يفيد جواز الاقتصار على الوضوء، ولو كان ممنوعًا من الاقتصار عليه لم يقل: (فبها ونعمت) وأيضًا فإنه قال: (ومن اغتسل فالغسل أفضل)، فدلّ على أن في الوضوء فضلاً حتى تصح المبالغة"[1].

"قال النووي: "والغسل يستحب لكل مريد للجمعة، ومتأكد في حق الذكور أكثر من النساء لأنه في حقهن قريب من الطيب، ومتأكد في حق البالغين أكثر من الصبيان ومذهبنا المشهور أنه يستحب لكل مريد لها"[2].

وقال الطيبي: "ذهب أكثر الفقهاء إلى أن غسل الجمعة غير واجب وتأولوا الحديث على معنى الترغيب فيه حتى يكون كالواجب على معنى التمثيل والتشبيه"[3].

وقال القرطبي: "وفي قوله ﷺ: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)، وقوله: (غسل الجمعة واجب على كل محتلم)، ظاهر في وجوب غسل الجمعة وبه قال أهل الظاهر، وحكي عن بعض الصحابة وعن الحسن وحكاه الخطابي عن مالك، ومعروف مذهبه وصحيحه أنه سنة وهو مذهب عامة أئمة الفتوى وحملوا تلك الأحاديث على أنه واجب وجوب السنن المؤكدة ودلّهم على ذلك أمور:

أحدها: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَدَنَا وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ))[4]، فذكر فيه الوضوء واقتصر

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٣٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٨٥٧.

عليه دون الغسل ورتب الصحة والثواب عليه فدلّ على أن الوضوء كافٍ من غير غسل وأن الغسل ليس بواجب.

ثانيها: قوله ﷺ لهم حين وجد منهم الريح الكريهة: ((لَوِ اغْتَسَلْتُمْ لِيَوْمِكُم هذا))[1]، وهذا عرض وتحضيض وإرشاد للنظافة المستحسنة ولا يقال مثل ذلك اللفظ في الواجب.

ثالثها: إقرار عمر والصحابة لعثمان رضي الله عنهم على صلاة الجمعة بالوضوء من غير غسل ولم يأمروه بالخروج، ولم ينكروا عليه فصار ذلك كالإجماع منهم على أن الغسل ليس بشرط في صحة الجمعة ولا واجب.

رابعها: أنه عليه الصلاة والسلام قد قال: ((غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ واجب عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ. وَسِوَاكٌ. وَيَمَسُّ مِنَ الطِّيبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ))[2]، وظاهر هذا: وجوب السواك والطيب وليس كذلك بالاتفاق يدل على أن قوله: واجب ليس على ظاهره بل المراد به: ندب المؤكد إذ لا يصح تشريك ما ليس بواجب مع الواجب في لفظ الواو والله تعالى أعلم"[3].

وقد اختار ابن القيم وجوب الغسل يوم الجمعة فقال: "ومن خصائص يوم الجمعة الأمر بالاغتسال في يومها، وهو أمر مؤكد جدًا، وجوبه أقوى من وجوب الوتر، وقراءة البسملة في الصلاة، ووجوب الوضوء من مس النساء، ومس الذكر. وللناس في وجوب غسل الجمعة ثلاثة أقوال: النفي والإثبات، والتفصيل بين من به رائحة يحتاج إلى إزالتها فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه فيستحب له، والثلاثة لأصحاب أحمد"[4].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على الطهارة ونظافة البدن:

يتضح هذا من سياق الأحاديث بمجموعها حيث فيها التوجيه إلى الغسل، ولا شك أن الإسلام دين النظافة والطهارة، قال الطيبي: "ولما كان القوم عمالاً في مهنة، يلبسون الصوف، وكان المسجد ضيقًا ويتأذى بعضهم من بعض من رائحة عرقهم، ندبهم إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٩٠٣، ومسلم ٨٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٨٨٠، ومسلم ٨٤٦.

(٣) المفهم لم أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٧٩ - ٤٨٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٧٧.

الاغتسال بلفظ الوجوب؛ ليكون أدعى إلى الإجابة، وقد علم ذلك من جملة الأحاديث الواردة، وقد جاء في بعض الأحاديث تخصيص ذكر غسل الرأس والجسد كالوصف المشعر بالعلية للحكم، لأنهما مكان الوسخ والرائحة الكريهة"[١].

وقال ابن حجر: "والحكمة في الأمر بالغسل يوم الجمعة والتنظيف، رعاية الحاضرين من التأذي بالرائحة الكريهة، فمن خشي أن يصيبه في أثناء النهار ما يزيل تنظيفه استحب له أن يؤخر الغسل لوقت ذهابه ولعلّ هذا هو الذي لحظه مالك فشرط اتصال الذهاب بالغسل ليحصل الأمن مما يغاير التنظيف والله أعلم"[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يوجه أصحابه رضي الله عنهم ويرشدهم إلى الطهارة والنظافة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّاسُ يَنْتَابُونَ الْجُمُعَةَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ ومِنَ الْعَوَالِي، فَيَأْتُونَ فِي الْعَبَاءِ. وَيُصِيبُهُمُ الْغُبَارُ، فَتَخْرُجُ مِنْهُمُ الرِّيحُ. فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ إِنْسَانٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هذَا))، وفي رواية عنها قالت: ((كَانَ النَّاسُ أَهْلَ عَمَلٍ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفَاةٌ. فَكَانُوا يَكُونُ لَهُمْ تَفَلٌ. فَقِيلَ لَهُمْ: لَوِ اغْتَسَلْتُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))[٣].

قال القاضي عياض: "والعباء جمع عباءة وهي أكسية خشان فيها خطوط، والكُفاف: جمع كافٍ أي عبيد وخدم يكفونهم الخدمة والعمل، وقوله: (لهم تفل) أي: رائحة كريهة، فقوله لهم: (لو اغتسلتم يوم الجمعة)، (لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا)، هذا كله يدل على الحض والترغيب، ودليل على تنزيه المساجد عن الريح الكريهة، ولما لم تكن هذه من الكراهة مثل رائحة البصل والثوم، وإنما كانت مثل ريح الضأن كما ذكر في الحديث لم يمنع أهلها من حضور المساجد لكنهم حضّوا على إزالتها والتنظيف جملة، ولأنها كانت من الغالب والأكثر منهم وكثر إلفها لهم والأنس بها، وأمره بالطيب للجمعة من هذا لقطع تلك الروائح، وإدخال المنفعة والمسرة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٣/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤١٧/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٠٢، ومسلم ٨٤٧، والتفل: الرائحة الكريهة.

بذلك على من يجالسه من المسلمين، وتعظيم لحرمة المسجد لأجل الملائكة الكاتبين فيه"[١].

جاء في فتح الملهم: "يندب لمن أراد المسجد أو مجالسته الناس أن يجتنب الريح الكريهة في بدنه وثوبه وقوله في الطيب (يمس ما قدر عليه) إرادة التأكيد ليفعل ما أمكنه ويحتمل إرادة الكثرة والأول أظهر"[٢].

إن المسلم دائمًا ينبغي أن يكون على حال من الطهارة والنظافة، ويتأكد هذا في يوم الجمعة خاصة لما له من فضل وخصائص ليست لغيره، "ويستحب للإنسان أن يغتسل ويتنظف ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه، بل يستحب أن يتطيب بأطيب الطيب ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الرَّوح والرائحة إلى مشام الحاضرين بجواره في بيت الله، وأحب طيب الرجال ما خفي لونه وظهر ريحه، وأما الكسوة فأحبها البياض كما جاء في السنة، ولبس ما فيه شهرة مكروه ولبس السواد ليس من السنة"[٣].

ثالثًا- من خصائص الدعوة: التيسير ورفع الحرج عن المدعوين:

إن من خصائص الإسلام وخصائص دعوته التيسير على المدعوين ورفع الحرج والمشقة عن الناس ويتضح هذا من الحديث الثالث في قوله ﷺ: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل)، ولا شك أن هذا من مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة. وهي خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية حيث خيرت بين الوضوء والغسل، قال العظيم آبادي: "قال الخطابي: وفيه البيان الواضح أن الوضوء كافٍ للجمعة، وأن الغسل لها فضيلة لا فريضة، وقال الترمذي: دلّ هذا الحديث على أن غسل يوم الجمعة فيه فضل من غير وجوب يجب على المرء"[٤]، ومما لا شك فيه "أن في التخيير بين الغسل والوضوء، والتفضيل بوجوب الغسل لمن به رائحة كريهة،

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني ٥/٢٧٩.

(٣) خطب الجمعة، الشيخ عبدالله محمد الخليفي، ط٣ دار الأصفهاني، جدة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩٦-٩٧.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٣.

والاستحباب لمن ليس له رائحة، نجمع بين دعوة الإسلام إلى النظافة عمومًا وبين روح السماحة التي تحملها الشريعة المحمدية السمحة لأتباعه، لأنه بترك الغسل قطعًا يترك الأخذ بالأصل الداعي إلى النظافة، وفي إيجابه مطلقًا حرج - كما هو معلوم - والحرج مرفوع في الشريعة"[١].

وقد بيّن الله عز وجل في القرآن الكريم أنه يريد لعباده اليسر ورفع الحرج عنهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣]، قال ابن كثير: "والمراد: يا هذه الأمة، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم، وفضلكم وشرفكم وخصّكم بأكرم رسول، وأكمل شرع، ولم يكلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشقّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا، ويظهر من هذا الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من حرج: أي من ضيق)"[٤].

وللدلالة على التيسير ورفع الحرج قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما أميرين إلى اليمن: ((بشّرا ولا تنفّرا ويسّرا ولا تعسّرا))[٥].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان الأحكام الشرعية للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الأحاديث ولا شك أن مهمة الداعية الأولى البيان، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٦]، وبين الله سبحانه أن الرسول الكريم مكلف بالتبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٧].

---

(١) فضائل الجمعة، د. محمد ظاهر أسد الله ص ٣٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

(٦) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

قال السعدي: "هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا: كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشّر ويسّر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله فلم يبق خير إلا دلّ أمته عليه ولا شر إلا حذرها منه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[1].

ومن هنا وجب على الداعية إلى الله أن يقوم بمهمة البيان للأحكام الشرعية حتى لا يقع المدعوون في مخالفة شرعية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

الحديث رقم (١١٥٤)

١١٥٤ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

واجب: والمراد بالواجب: وجوب اختيار، كقول الرجل لصاحبه: حقك واجب عليّ[2].

المحتلم: البالغ[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يرغب في الغسل لصلاة الجمعة، وهو منهج نبوي راشد في الجمع بين الطهارة الظاهرية بالغسل، وغيره من سنن الجمعة، والطهارة الباطنية بمحو الله خطايا العبد، وتنقيته منها بأدائه للجمعة فيصير ظاهرا أشبه بباطن في صفاء روحي يفتح أمامه آفاق الحياة يعمر دنياه، ويعمر أخراه، والحديث يقرر بأسلوب خبري ضرورة الغسل يوم الجمعة، وقد أعطى الحكم عموما يشمل جميع أفراد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم عن طريق لفظ العموم (كل) وإضافته إلى المحتلم تحدد الفئة العمرية المستهدفة بالحكم، وهم من أدركوا الحلم أي سن البلوغ.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦/٧) ولفظهما سواء. تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٧) مع ذكر الزيادة عند مسلم في آخره: (ويمس من الطيب ما قدر عليه)، وعزاه إلى مسلم فقط. قال الناجي في عجالة الإملاء: وقد رواه هو والبخاري بذكر الغسل وحده من طريق آخر. انتهى. قلتُ: فانتبه لهذه النكتة الإمام النووي، فعدل عن لفظ المنذري، وأورده بهذا اللفظ وعزاه إلى الصحيحين.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى المطلوب فعله لمن يصلي الجمعة من المكلفين، وذلك بأن يغتسل أو يتوضأ لها ثم يأتي المسجد.

وقد ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[١] والمالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة، فمن فعله كان له ثوابه، ومن توضأ فقط أجزأته صلاته، وتأولوا الوجوب في الحديث الثاني على أنه وجوب اختيار لا وجوب فرض، وذهب أهل الظاهر[٥] إلى أنه فرض على كل من تلزمه الجمعة، وهو ما روي عن الإمام أحمد في رواية[٦]، وذكر قولاً لمالك، وقولاً للشافعي في القديم[٧]، وروي عن بعض الصحابة والتابعين، كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وعمار بن ياسر، والحسن البصري وغيرهم[٨]، وأوجبه ابن تيمية[٩] على من له رائحة كريهة أو عرق يتأذى منه المصلون.

ولكن الراجح وما عليه عامة أهل العلم أن غسل الجمعة سنة لا واجب، وقد نقل بعض العلماء كابن عبدالبر وابن المنذر الإجماع عليه[١٠].

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

(٥) المحلى ٢٥٥/١.

(٦) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

(٧) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٨) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

(٩) الفتاوى الكبرى ٣٠٧/٥.

(١٠) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣، المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح ٢٠٢/١.

الحديث رقم (١١٥٥)

١١٥٥ - وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ وَمَن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أفْضَلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

فبها ونعمت: ونعمت الفَعْلَةُ والخَصْلَةُ هي، المخصوص بالمدح، والباء في قوله: متعلقة بفعل مضمر، أي: فبهذه الخصلة، يعني الوضوء، ينال الفضل.

وقيل: أي: فالبسنة أخذ[2].

الشرح الأدبي

الحديث في بيان فضل التطهر للجمعة جاء في أسلوب خبري خال من المؤكدات لأن الحديث عن أمور من فضائل الأعمال ليس لدى المخاطب علم مسبق يترتب بناءً عليه رد فعل معين تجاه الموضوع، وقوله (مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبها وَنِعْمَتْ) التيسير أي فأهلا بتلك الرخصة، أو الفعلة المحصلة للواجب، ونعمت الخصلة هي وهو أسلوب مدح وقوله (اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ) جناس يجذب السمع ويؤكد المعنى الفاضل، والتعبير بأفعل التفضيل (أفضل) تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ؛ وقد فضل الغسل الوضوء؛ لأن الغسل تطهير لجميع البدن.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧) واللفظ له. وصحّحه أيضًا ابن خزيمة (١٧٥٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ع م).

(٣) تقدم دمجها مع مضامين الحديث رقم ١١٥٣، ١١٥٤.

الحديث رقم (١١٥٦)

١١٥٦- وعن سَلمَان ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول اللهِ ﷺ: ((لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَومَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

يدَّهنُ: يَطلي نفسه [2].

الدُّهْنُ: الزيتُ المُطيَّب بالريحان أو نحوه، يُؤتى بالدهن فيُغلى فيه الطيب، كانوا هكذا يستعملونه [3].

يمسّ: يصيب، أو يأخذ[4].

الشرح الأدبي

الحديث جاء في أسلوب قصر في جملة طويلة استوعبت أعمال المسلم يوم الجمعة حيث قصر صفة الاغتسال، وما عطف عليها من صفات على مغفرة الذنوب، وهو معنى ضروري يسعى إليه كل مؤمن في الحياة حتى يلقى الله طاهرا منها، وتنكير (رجل) يفيد العموم؛ لأنه في سياق النفي، وبين قوله يتطهر، وبين طهر جناس يؤكد المعنى الذي ينبغي أن يلقى عليه المؤمن ربه، وبين قوله يدهن، ودهنه جناس يؤكد المعنى المراد بما يكون به المؤمن حسن المظهر فيتوافق مع حسن الجوهر، ولأنه يوم اجتماع في وقت

---

(١) برقم (٨٨٣)، وتقدم برقم (٨٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٢٣).

(٢) اللسان والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والوسيط في (د هـ ن).

(٣) اللسان والمصباح في (د هـ ن).

(٤) اللسان والوسيط في (م س س).

الظهيرة مع شدة الحر، ومظنة انبعاث روائح العرق التي يمكن أن تشوش على المصلين جاء قوله (يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ) ؛ولأن معنى الجمعة اجتماع المسلمين في محبة، ومودة، وتعاون كيوم عيد لهم كره أي مفرق لهذا الاجتماع، وحذر من كل أشكال لإيذاء في قوله (ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ) لا تفريقا حسيا، ولا معنويا، ثم أشار إلى الغرض الأساسي للخروج، وهو العبادة، ونبه إلى أن ما يبلغه فيها هو من توفيق الله مكتوب مقدر في قوله (ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ) أي ما كتب الله له، ثم أشار إلى الوحدة الصغرى خلف إمام الصلاة في خضوع، وإنصات يمهد للموعظة، والتي توطن المسلم على الوحدة الكبرى في أمة واحدة قوية - نسأل الله تعالى أن يجمعها على مرضاته.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى أكثر من حكم فقهي:

الأول: حكم الاغتسال لصلاة الجمعة، وقد سبق القول في الحديث السابق أن جمهور الفقهاء من الحنفية[1] والمالكية[2] والشافعية[3] والحنابلة[4] ذهبوا إلى أن غسل الجمعة من الأغسال المسنونة لا الواجبة فمن فعله كان له ثوابه ومن توضأ فقط أجزأته صلاته.

الثاني: حكم التطيب لصلاة الجمعة، وقد اتفق الفقهاء[5] على أنه يسن لمن يذهب

---

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٦٥/١، العناية، البابرتي ٦٥/١.

(٢) المنتقى ٥٠/١، ١٨٣، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٦/٤، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٤٣/٢.

(٣)الأم، الإمام الشافعي ٥٣/١ وما بعدها، المجموع ٢٣٢/٢، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٦٠/٣.

(٤) المغني ٩٨/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢٤٧/١، الفروع، ابن مفلح٢٠٢/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٦٩/١، الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ١٤٩/١، الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر الحوازي اليمني ٩٢/١، المنتقى ٢٠٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٣٥/٢، أحكام القرآن، ابن العربي ٢١٣/٤، الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري ٢٧/٢، حاشيتا قليوبي وعميرة ٣٣٣/١، مغني المحتاج ٥٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١٠٤/٢، المغني ١٠٠/٢.

لصلاة الجمعة أن يلبس ثيابًا حسنة، وأن يكون في هيئة حسنة، وأن يضع بعضًا من الطيب على جسمه وثيابه حتى يكون له ريح طيب لا يؤذي برائحته أحدًا من المسلمين، فإن لم يجد فلا إثم عليه، وخالف في ذلك الظاهرية[1] فحملوا الأمر بالتطيب على ظاهره وقالوا بوجوب التطيب يوم الجمعة، ومن لم يفعل فقد خالف أمرًا واجبًا وعليه إثمه.

الثالث: حكم الإنصات لسماع خطبة الجمعة، وقد سبق ذكره في الحديث رقم (١١٤٨).

المضامين الدعوية[2]

(١) المحلى، ابن حزم ٢٨٥/٣ وما بعدها.

(٢) تقدم دمجها مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٣.

الحديث رقم (١١٥٧)

١١٥٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ (فِي السَّاعَةِ الأُوْلَى) [1] فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي الساعة الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غسل الجنابة: أي غسلاً كغسل الجنابة في الصِفَة[3].

البدنة: البعير ذكرًا كان أو أنثى، والمراد بها هنا الناقة بلا خلاف، والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث[4].

الساعة: جزءٌ قليل من الليل أو النهار[5].

أقرن: أي طويل القرنين، وإنما وصف الكبش بأنه أقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به [6].

الذكر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها[7].

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما هي عند مالك في الموطأ (١/١٠١، رقم ١)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث عزاه إلى مالك والبخاري ومسلم وغيرهم، وهذا لفظ مالك.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (١٠/٨٥٠) ولفظهما سواء، إلا الزيادة. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٤٩).

(٣) رياض الصالحين ٤٢٤.

(٤) اللسان في (ب د ن)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و ع).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٢٧.

(٧) المرجع السابق ٢/٤٢٧.

الشرح الأدبي

الحديث يتحدث عن مقدار ثواب المسلم المصلي للجمعة، وبيان التفاوت في هذا الأجر نظرا للتبكير، أو التأخير في الحضور إليها، وهو أمر غيبي لا يستطيع عقل تصوره لذلك استخدم الرسول ﷺ التشبيه في تقريب حجم الثواب، وبيان مقداره عن طريق التصوير في جمل الحديث في قوله: (مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ) تشبيه لبيان هيئة الغسل بأركانه، وسننه أي كغسل الجنابة بشروطه، وأركانه، كما صوَّر التفاوت بين أجر الذي يحضر الجمعة في أول ساعة عن غيره بالذي تصدق بالبدنة، والتعبير بالبدنة وهي الناقة أو الجمل لعظم بدنها، وقوله، وذكر الساعة ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع، والعشرين التي قسم اليوم، والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات، وفضل السابق على الذي يليه وقوله (وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً) تشبيه لأهل الدرجة الثانية في الحضور بمن تصدق ببقرة، والتعبير بالتقريب لأن فيه دلالة على التصدق، وفيه إشارة إلى الغرض من التصدق، وهو التقرب لله مما يدل على صدقة في إخلاص كما شبَّه الذاهب في الساعة الثالثة بمن قرب كبشا أقرن، ووصف الكبش بالأقرن مبالغة في تمامه، وهو تعظيم للأجر في جانب المشبه كما شبه صاحب الدرجة الرابعة بمن قرب دجاجة، ومن حضر في الخامسة بمن قرب بيضة، فتأمل عظمة التفاوت في الأجر بين رجل تصدق بناقة، ورجل تصدق ببيضة كم مسكين يطعم من لحم الناقة؟! وكم مسكين تطعم البيضة؟! هذا التفاوت بين رجلين صلى كل منهما الجمعة فعاد أحدهما بالبدنة، وعاد الآخر بالبيضة، فهل سألت نفسك بما ستعود من صلاة الجمعة هذا الأسبوع؟

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قوله ﷺ: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة" معناه كغسل الجنابة في الصفات. هذا هو المشهور في تفسيره وقال بعض أصحابنا في كتب الفقه: المراد غسل الجنابة حقيقة. قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر

وأسكن لنفسه. وهذا ضعيف أو باطل، والصواب ما قدمناه[١].

٢ - التبكير إلى الجمعة: ذكر العلماء أن للسعي إلى الجمعة وقتان، وقت وجوب، ووقت فضيلة:

أما وقت الوجوب: فيكون عند النداء الثاني، إلا لمن بَعُد منزله، فعليه أن يسعى في الوقت الذي يكون به مدركًا للجمعة، لأن ما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا[٢].

وأما وقت الفضيلة والاستحباب: فقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء منهم الثوري[٣]، وأبو حنيفة[٤]، وبعض الشافعية[٥]، ويرون أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة من وقت طلوع الشمس، للحديث.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الشافعي[٦]، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة وقت طلوع الفجر للحديث.

قال الشافعي في الأم: (وأُحِبّ لكل من وجبت عليه الجمعة أن يبكر إلى الجمعة جهده، فكلما قدم التبكير كان أفضل)[٧].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام مالك، ويرى أنه يستحب التبكير إلى صلاة الجمعة قبل الزوال، وهو ما يسمى بالتهجير، لأن الصحابة كانوا يأتون المسجد وقت الهاجرة.

وقد كره مالك السعي للجمعة بعد طلوع الشمس، لأن الرسول ﷺ لم يفعله، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولخوف الرياء والسمعة[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٦/٣ .

(٢) المغني، ابن قدامة ١٦٣/٣، ١٦٤ ، والكافي في فقه الإمام أحمد ٢٢٥/١.

(٣) الاستذكار، ابن عبدالبر ٦/٢ دار الكتب العلمية.

(٤) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ٣٣٥/١.

(٥) المهذب ١١٤/١.

(٦) المهذب، السابق الموضع نفسه، وإعانة الطالبين ٧٤/٢.

(٧) الأم، الإمام الشافعي ص ١٤١ .

(٨) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٦٤/١، وحاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني ٤٧٩/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٨١/١، وبلغة السالكة ٢٢٢/١.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه، هو أن من يستحب له التبكير هو غير الخطيب الذي يخطب الجمعة، أما هو فيستحب له التأخير إلى وقت الخطبة[١] والله أعلم.

٣ - الأفضل في الهَدْي والتضحية:

قال النووي: (وأما البدنة فقال جمهور أهل اللغة وجماعة من الفقهاء يقع على الواحدة من الإبل والبقر والغنم، سميت بذلك لعظم بدنها. وخصّها جماعة بالإبل. والمراد هنا الإبل بالاتفاق لتصريح الأحاديث بذلك ... وفيه [أي في الحديث] أن التضحية بالإبل أفضل من البقرة، لأن النبي ﷺ قدّم الإبل وجعل البقرة في الدرجة الثانية. وقد أجمع العلماء على أن الإبل أفضل من البقر في الهدايا واختلفوا في الأضحية، فمذهب الشافعي وأبي حنيفة والجمهور أن الإبل أفْضل ثم البقر ثم الغنم كما في الهدايا، ومذهب مالك أن أفضل الأضحية الغنم ثم البقر ثم الإبل. قالوا: لأن النبي ﷺ ضحى بكبشين[٢]. وحجة الجمهور ظاهر هذا الحديث والقياس على الهدايا. وأما تضحيته ﷺ فلا يلزم منها ترجيح الغنم، لأنه محمول على أنه ﷺ لم يتمكن ذلك الوقت إلا من الغنم أو فعله لبيان الجواز، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقرة[٣])[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التمثيل.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الغسل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، وهذا يدل على

---

(١) إعانة الطالبين ٢/٦٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٥٥٨، ومسلم ١٩٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٤، ومسلم ١٢١١، ١١٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/٦/١٢٠ .

أهمية وفضل الاغتسال يوم الجمعة كما سبق بيانه في الأحاديث السابقة، قال النووي: "معناه غسلاً كغسل الجنابة في الصفات، هذا هو المشهور في تفسيره، وقيل: المراد: غسل الجنابة حقيقة، قالوا: ويستحب له مواقعة زوجته ليكون أغض للبصر وأسكن للبصر وهذا ضعيف أو باطل والصحيح ما قدمناه"[١].

وقال القرطبي: "وقوله ﷺ: (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة)، يعني: في الصفة، والأغسال الشرعية كلها على صفة واحدة وإن اختلفت أسبابها، وهكذا رواية الجمهور ووقع عند ابن ماهان: (غسل الجمعة)، مكان (غسل الجنابة)، وفي كتاب أبي داود من حديث أوس بن أوس مرفوعًا: ((مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ واغْتَسَلَ ثُمَّ بَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا))[٢]، روى مُخفَّف السين، وروايتنا: التشديد واختلف في معناه: فقيل معناه: جامع يقال: غسل وغسّل أي: جامع قالوا: ليكون أغض لبصره في سعيه إلى الجمعة، وقيل في التشديد أوجب الغسل على غيره أو حمله عليه، وقيل: غسّل للجنابة واغتسل للجمعة، وقيل: غسّل رأسه واغتسل في بقية جسده وقيل: غسّل بالغ في النظافة والدلك. واغتسل: صبّ الماء عليه، وأنسب ما في هذه الأقوال: قول من قال: حمل غيره على الغسل بالحث والترغيب والتذكير والله تعالى أعلم"[٣].

وقال الشيخ السيد سابق: "ويستحب لكل من أراد حضور صلاة الجمعة أو مجمع من مجامع الناس سواء كان رجلاً أو امرأة، أو كان كبيرًا أو صغيرًا، مقيمًا أم مسافرًا أن يكون على أحسن حال من النظافة والزينة: فيغتسل ويلبس أحسن الثياب ويتطيب بالطيب ويتنظف بالسواك"[٤].

قال الطيبي: "وأما الاغتسال يوم الجمعة فيكون لذاته ولكرامته، وقد قام الدليل

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٢) أخرجه ابو داود ٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٤٨٤/٢.

(٤) فقه السنة ٢٩٨/١.

على أنه ﷺ كان يفعله ويأمره استحبابًا"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التبكير يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة..)، قال النووي: "وفي الحديث الحث على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأن مراتب الناس في الفضيلة فيها وفي غيرها بحسب أعمالهم وهو من باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]، وأما قوله: (حضرت الملائكة يستمعون)، قالوا: هؤلاء الملائكة غير الحفظة وظيفتهم كتابة حاضري الجمعة[٣]، وقال ابن حجر: "وقوله: (فكأنما قرب بدنة)، أي: تصدق بها متقربًا إلى الله، وقيل: المراد إن للمبادرة في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان، لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على الكيفية التي كانت على الأمم السابقة وقيل المراد بالحديث: بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة. وفي هذا الحديث من الفوائد: الحض على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما"[٤].

وقال البدر العيني: "قوله: (ثم راح) أي ذهب أول النهار وقوله: (ومن راح في الساعة الثانية) قال مالك: المراد بالساعات هنا لحظات لطيفة بعد زوال الشمس وبه قال القاضي حسين وإمام الحرمين، والرواح عندهم بعد زوال الشمس، وادعوا أن هذا معناه في اللغة، وقال جماهير العلماء باستحباب التبكير إليها أول النهار، وبه قال الشافعي وابن حبيب المالكي، والساعات عندهم من أول النهار والرواح يكون أول النهار وآخره.

وقال الأزهري: "لغة العرب أن الرواح الذهاب سواء كان أول النهار، أو آخره أو في الليل، وهذا هو الصواب الذي يقتضيه الحديث والمعنى، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة تكتب من جاء في الساعة الأولى وهو كالمُهْدِي بَدَنَةً ثم جاء في الساعة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٤/٢.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٥٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢٦/٢.

الثانية ثم راح في الثالثة ثم في الرابعة ثم في الخامسة، وفي رواية النسائي السادسة فإذا خرج الإمام طَوَوْا الصحَف ولم يكتبوا بعد ذلك، ومعلوم أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الجمعة متصلاً بالزوال وهو بعد انقضاء الساعة السادسة فدلّ على أنه لا شيء من الفضيلة لمن جاء بعد الزوال، ولأن ذكر الساعات إنما كان للحث على التبكير إليها والترغيب في فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر ونحو ذلك وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال، ولا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن النداء يكون حينئذ ويحرم التخلف بعد النداء قلت: الحاصل أن الجمهور حملوا الساعات المذكورة في الحديث على الساعات الزمانية كما في سائر الأيام وقد روى النسائي أنه ﷺ قال: ((يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً))[1].

وأما أهل علم الميقات، فيجعلون ساعات النهار وابتداءها من طلوع الشمس، ويجعلون الحصة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من حساب الليل، واستواء الليل والنهار عندهم إذا تساوى ما بين المغرب وطلوع الشمس، وما بين طلوع الشمس وغروبها فإن أريد الساعات على اصطلاحهم فيكون ابتداء الوقت المرغب فيه لذهاب الجمعة من طلوع الشمس وهو أحد الوجهين للشافعية، وقال الماوردي: إنه الأصح ليكون قبل ذلك من طلوع الفجر زمان غسل وتأهب، وقال الروياني: إن ظاهر كلام الشافعي أن التبكير يكون من طلوع الفجر، وصححه الروياني وكذلك صاحب المهذب قبله ثم الرافعي والنووي ولهم وجه ثالث أن التبكير من الزوال كقول مالك حكاه البغوي والروياني وفيه وجه رابع حكاه الصيدلاني أنه من ارتفاع النهار وهو وقت الهجير، وقال الرافعي ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع والعشرين التي قسم اليوم والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات وفضل السابق على الذي يليه قوله: (قرب بدنة) أي تصدق ببدنة متقربًا إلى الله تعالى، وقيل: المراد أن للمبادر في أول ساعة نظير ما لصاحب البدنة من الثواب ممن شرع له القربان لأن القربان لم يشرع لهذه الأمة على

---

(١) أخرجه النسائي ١٣٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٦).

الكيفية التي كانت عليها الأمم الماضية، وقيل ليس المراد بالحديث إلا بيان تفاوت المبادرين إلى الجمعة وأن نسبة الثاني من الأول نسبة البقرة إلى البدنة في القيمة مثلاً ويدل عليه أن في مرسل طاووس رواه عبدالرزاق كفضل صاحب الجزور على صاحب البقرة، والبدنة تطلق على الإبل والبقر وخصصها مالك بالإبل، ولكن المراد ههنا من البدنة الإبل بالاتفاق لأنها قوبلت بالبقرة، وتقع على الذكر والأنثى، وقال بعضهم: المراد بالبدنة هنا الناقة بلا خلاف، قلت: فيه نظر فكان لفظ الهاء فيه غره وحسب أنه للتأنيث، وليس كذلك فإنه للوحدة كقمحة وشعيرة ونحوهما من أفراد الجنس سميت بذلك لعظم بدنها وقال الجوهري البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لأنهم كانوا يَسِمُونها وحكى النووي عن الأزهري أنه قال: البدنة تكون من الإبل والبقر والغنم، قلت: هذا غلط، الظاهر أنه من النساخ لأن المنقول الصحيح عن الأزهري أنه قال: البدنة لا تكون إلا من الإبل، وأما الهدي فمن الإبل والبقر والغنم قوله (بقرة) التاء فيها للوحدة، قال الجوهري: البقر اسم جنس والبقرة تقع على الذكر والأنثى وإنما دخله الهاء على أنه واحد من جنس والبقرات جمع بقرة، والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبقور والبقر، قوله: (كبشًا أقرن) الكبش هو الفحل وإنما وصف بالأقرن لأنه أكمل وأحسن صورة، ولأن القرن ينتفع به وفيه فضيلة على الأجَمّ، قوله: (دجاجة) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان وحكى الضم أيضًا، وعن محمد بن حبيب أنها بالفتح من الحيوان وبالكسر من الناس والدجاجة تقع على الذكر والأنثى، وسميت بذلك لإقبالها وإدبارها وجمعها دجاج ودجائج ودجاجات، ذكره ابن سيده وفي المنتهى لأبي المعالي فتح الدال في الدجاج أفصح من كسره، ودخلت الهاء في الدجاجة لأنه واحد من جنس مثل حمامة وبطة ونحوهما، وكما جاءت الدال مثلثة في المفرد فكذلك يقال في الجمع: الدجاج، وقوله: (بيضة) والبيضة واحدة من البيض والجمع بيوض وجاء في الشعر بيضات وقوله: (حضرت الملائكة) بفتح الضد وكسرها والفتح أعلى، وفي الحديث استحباب الغسل يوم الجمعة، وفيه فضيلة التبكير، وقد ذكرنا حَدَّه عن قريب وفيه أن مراتب الناس في الفضيلة على حسب أعمالهم وفيه أن القربان والصدقة

تقع على القليل والكثير"[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: التمثيل:

حيث جاء في الحديث: (فكأنما قرب بدنة)، قال القاضي عياض: "هذا ضرب من التمثيل للأجور ومقاديرها لا على تمثيل الأجور وتشبيهها حتى تكون أجرها كأجر هذا، وتكون الدجاجة في التمثيل والتدريج والبيضة بقدر أجريهما من أجر البدنة لو كان هذا مما يهدى، وقوله: (فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)، وفي رواية البخاري: (طَوَوا صحفهم) قالوا: هذا يدل على أنهم غير الحفظة"[٢]، ومما لا شك فيه أن أسلوب التمثيل من أساليب الدعوة التي تقرب الصورة في الأذهان لدى المدعوين، من خلال تمثيل وتشبيه الصورة المعنوية بصورة محسوسة ملموسة مما يثبت المعنى لدى المدعو، "ومن أهم الأهداف التربوية للتشبيه وضرب المثل هو تقريب المعنى إلى الأفهام فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية"[٣].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من الحديث: (من اغتسل.. ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة)، حيث رغب في الاغتسال والتبكير في الذهاب إلى صلاة الجمعة، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعوين في الخير، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٤].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٧١/٦ - ١٧٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤١/٣.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص ٣٣١.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[2].

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٣.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٩ - ٥١.

الحديث رقم (١١٥٨)

١١٥٨ - وعنه أنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: ((فِيهَا[١] سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)) وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يوافقها: يصادفها[٣].

يقللها: يزهدها. أي: يبين أنها لحظة لطيفة خفيفة: وهي ساعة خفيفة[٤].

الشرح الأدبي

الحديث دور حول معنى فضل يوم الجمعة وقد ورد في أسلوب القصر الذي يقصر موافقة الساعة المذكورة على الإجابة لا يتعداها إلى الرد، وقوله (فيها ساعة) تقديم الجار والمجرور يفيد التخصيص أي ليس في غيرها من الأيام على الوجه الذي هي عليه يوم الجمعة، وقوله (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئاً) يصور حال العبد بين العبادة، والدعاء الذي يشير إلى الخضوع، والذل، والانكسار، وكلما كان العبد أكثر انكسارا، وذلا لله كلما كان أقرب للإجابة، فالذل لله عز بين خلقه، وقوله، (وأشار بيده يقللها) أي أن وقتها قليل مما يستلزم تحريها، والحرص عليها، والاجتهاد في العبادة، والدعاء يوم الجمعة.

---

(١) عندهما بلفظ: (فيه)، تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وزاد المنذري: النسائي وابن ماجه، وعند الجميع بلفظ: (فيه).

(٢) أخرجه البخاري ٩٣٥ واللفظ له، ومسلم ٨٥٢/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ١٠٣٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٠٤.

(٤) المرجع السابق ٤٨٢/٢.

فقه الحديث

قال النووي: (ويستحب الإكثار من الدعاء يوم الجمعة بالإجماع، ودليله حديث أبي هريرة "أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه اياه وأشار بيده يقللها".

واختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على أحد عشر قولاً:

الأول: أنها ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس.

الثاني: عند الزوال.

الثالث: من الزوال إلى خروج الإمام.

الرابع: من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع.

الخامس: من خروج الإمام إلى فراغ صلاته.

السادس: ما بين خروج الإمام وصلاته.

السابع: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ.

الثامن: ما بين جلوس الإمام على المنبر إلى فراغه من صلاة الجمعة.

التاسع: من العصر إلى غروب الشمس.

العاشر: أنها آخر ساعة من النهار.

الحادي عشر: أنها مخفية من اليوم كليلة القدر.

وقد رجح الإمام النووي الثامن، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الصَّلاَةَ))، فهذا صحيح صريح لا ينبغي العدول عنه[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه.

---

(١) المجموع، النووي ٤/٤٦٩، وانظر: في تفصيل الكلام عن هذه الساعة: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤١٦ وما بعدها، شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن يوسف الزرقاني ١/٣٢٣ وما بعدها.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٥٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٥٩.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم الجمعة والدعاء فيه:

إن النبي ﷺ لم يترك خيرًا إلا دلّ أمته عليه، ومن ذلك بيان فضل يوم الجمعة ويتضح هذا من الحديث: (ذكر يوم الجمعة فقال: فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وهذا يدل على فضل يوم الجمعة وفضل الدعاء فيه قال ابن القيم: "ومن فضائل يوم الجمعة أن فيه ساعة الإجابة، وهي الساعة التي لا يسأل اللهَ عبدُ مسلمُ فيها شيئًا إلا أعطاه"[1]، هذا وقد جاء في سنن ابن ماجه عن أبي لبابة بن عبدالمنذر، قال: قال النبي ﷺ: ((إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ. فِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ. خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ. وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ. وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ. وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا. وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ))[2].

قال الطاهر بن عاشور": "جعل الله يوم الجمعة للمسلمين عيد الأسبوع، فشرّع لهم اجتماع أهل البلد في المسجد، وسماع الخطبة ليعلموا ما يهمهم في إقامة شؤون دينهم وإصلاحهم، قال القفال: لما جعل الله الناس أشرف العالم السفلي، لم يخف عظم المنة وجلالة قدر موهبته لهم فأمرهم بالشكر على هذه الكرامة في يوم من الأيام السبعة ليكون في اجتماعهم في ذلك اليوم تنبيه على عظم ما أنعم الله به عليهم، ولكل أهل ملة معروفة يوم من الأسبوع معظّم، فلليهود يوم السبت، وللنصارى الأحد، وللمسلمين يوم الجمعة. ولما جُعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم نعمة احتيج فيه إلى الاجتماع الذي تقع به شهرته فجمعت الجماعات لذلك، واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيرًا بالنعمة وحثًا

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٨٧/١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٨٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٨٨٨).

على استدامتها، ولما كان مدار التعظيم إنما هو على الصلاة جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار، ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون أدعى للاجتماع"[١].

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: "إن يوم الجمعة هو اليوم الفاضل الذي فازت به أمة الإسلام وحَرِمَه اليهودُ لعنادهم وحُرِمَه النصارى لجهلهم وضلالهم إذ هو أفضل الأيام، فيه خلق الله آدم، وأدخله الجنة وأخرجه منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي ويسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، وطلب الله من المؤمنين أن يبادروا بالسعي لأداء صلاة الجمعة، وهذا السعي والمشي يسبقه أمور منها: الغسل، ولبس الثياب الجديدة أو النظيفة الخاصة بها، ومنها مس الطيب ومنها السواك، وحضور ذكر الله فيه العون الكبير، والوقاية العظمى من الخيبة والخسران، وفلاح المؤمن لا يقصر على الدنيا بل هو في الدنيا والآخرة، وفلاح الآخرة معناه الفوز بالجنة بعد النجاة من النار"[٢].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والإشارة:

إن الأساليب الدعوية تتنوع تبعًا لاختلاف المدعوين وأحوالهم، والداعية الناجح هو الذي يستخدم من الأساليب ما يتناسب مع حالة المدعوين وفي الحديث الأول جاءت الإشارة إلى أسلوبي الترغيب والإشارة.

١ - **الترغيب:** حيث جاء في الحديث: (يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تؤثر في المدعوين وتشجعهم على الإقبال على الطاعة، قال الشيخ علي محفوظ: "ومن الطرق التي ينبغي أن يسلكها الداعي في إرشاد الناس الترغيب وهو يعني حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة، وهو إما ترغيب في جنس الطاعات وإما ترغيب في أنواع الطاعات"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٢/٢٨/١١.

(٢) انظر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان ص ٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ ص ١٩٢.

٢ - **الإشارة:** حيث جاء في الحديث: (وأشار بيده يقللها)، والإشارة من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى لدى المدعوين، وتوضح لهم الصورة، ومن ناحية أخرى تلفت انتباه المدعوين إلى ما يقوله الداعية.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث الثاني سؤال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في ساعة الجمعة؟ - جوابه - قال: قلت: نعم)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو وتحقق الارتباط بينهما، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب لها قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فمن طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا، وإذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه، ومن عادة السائل أن يكون متلهفًا لمعرفة الحل الأمثل لسؤاله"[2].

ومن هنا وجب على الداعية استخدام هذا الأسلوب مع المدعوين باعتبار أن ذلك أسلوب هام من أساليب الدعوة إلى الله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة:

إن الله عز وجل خص بعض الأوقات بفضائل ليست لغيرها، ورحمته عز وجل واسعة، لكنه سبحانه جعل في بعض الأوقات إجابة الدعاء فيها أرجى، ومن ذلك ساعة الإجابة يوم الجمعة، ومن حكمته سبحانه أن موعدها غير معروف حتى يتحراها المسلم

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٥٨.

في كل وقت، ويشغل وقته كله بالعبادة والطاعة، ومما يدل على ذلك من قوله ﷺ في الحديث الأول عند ذكر يوم الجمعة: "فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي.. إلخ الحديث"، وقوله ﷺ في الحديث الثاني: "هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة"، ولا شك أن من خصائص يوم الجمعة وجود ساعة الإجابة فيه.

قال النووي: "قال القاضي: اختلف السلف في وقت هذه الساعة ومعنى (قائم يصلي)، فقال بعضهم: هي من بعد صلاة العصر إلى الغروب، قالوا: ومعنى يصلي يدعو ومعنى: قائم ملازم ومواظب، وقيل: هي من حين خروج الإمام إلى فراغ الصلاة، وقيل: من حين تقام الصلاة حتى يفرغ والصلاة عندهم على ظاهرها، وقيل: آخر ساعة من يوم الجمعة، قال القاضي: وليس معنى هذه الأقوال أن هذا كله وقت لها، بل معناه أنها تكون في أثناء ذلك الوقت لقوله وأشار بيده يُقَلِّلها"[1].

قال ابن القيم: "واختلف الناس في ساعة الإجابة يوم الجمعة وأرجح هذه الأقوال: قولان تضمنتهما الأحاديث الثابتة. الأول: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين وهو قول أبي هريرة وعبدالله بن سلام والإمام أحمد وهذا هو قول أكثر السلف وعليه أكثر الأحاديث ويليه القول: بأنها ساعة الصلاة وبقية الأقوال لا دليل عليها. وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها"[2].

وقال السيوطي: "وقد اختلف أهل العلم من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في هذه الساعة على أكثر من ثلاثين قولاً، وقد قيل: إنها أخفيت في جميع اليوم كما أخفيت

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٦٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٨٨/١ - ٣٩٤، بتصرف.

ليلة القدر في العشر، والحكمة في إخفائها بعث العباد على الاجتهاد في الطلب واستيعاب الوقت بالعبادة"[١].

وقال القرطبي: "وقوله: (إن في الجمعة ساعة)، اختلف في تعيينها: فذهبت طائفة من السلف إلى أنها من بعد العصر إلى الغروب، وقالوا: إن معنى قوله ﷺ: (وهو قائم يصلي) أنه بمعنى ملازم ومواظب على الدعاء. وذهب آخرون إلى أنها فيما بين خروج الإمام إلى أن تقضى الصلاة. وذهب آخرون إلى أنها وقت الصلاة نفسها وقيل: من وقت الزوال إلى نحو الذراع، وقيل: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وقيل: هي مخفية في اليوم كله كليلة القدر، قلت: وحديث أبي موسى نص في موضع الخلاف فلا يلتفت إلى غيره وفيه: (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)، والله أعلم. وقوله: (وهي ساعة خفيفة) أي قصيرة غير طويلة كما قال في الرواية الأخرى: (يُزهِّدها) أي: يقللها وهذا يدل على أنها ليست من بعد العصر إلى غروب الشمس لطول هذا الوقت"[٢].

وقال أبو حامد الغزالي: "واختلف في الساعة الشريفة من يوم الجمعة فقيل: إنها عند طلوع الشمس، وقيل: عند الزوال، وقيل: مع الأذان، وقيل: إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة، وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة، وقيل: آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار، وقيل: قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت، وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس، وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة، وتؤثره عن أبيها ﷺ. وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها، وقيل: إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه، فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضًا لها، بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع إلى وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات. وكان كعب الأحبار مائلاً إلى

---

(١) نور اللمعة في خصائص الجمعة، الإمام السيوطي، ط/١ دار ابن القيم، الدمام: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٤٩٣ - ٤٩٤.

أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم، وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة فهذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما"[1].

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٤٣/١ - ١٤٤.

الحديث رقم (١١٥٩)

١١٥٩ - وعن أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله ﷺ، في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقرر ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ويزيد عن سابقه أنه يتضمن تحديدا لهذه الساعة من بين ساعات اليوم، وقد جاء المعنى في أسلوب الحوار بين أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ، وبين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إثر سؤال عبد الله ﷺ لأبي بردة (أسَمِعْتَ أبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رسول الله ﷺ، في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟) وهو استفهام تقرير للتحقيق، والتثبيت، على اعتبار أنه سمع، ولم يتأكد فأراد أن يستوثق منه، وقد يكون على حقيقته أي أنه لا يعلم أي ساعة هي، ولم يسمعه من أبي موسى فأجابه ابنه بالإثبات نقلا عن رسول الله ﷺ بالسماع المؤكد لصدق الخبر (هِيَ مَا بَيْنَ أنْ يَجْلِسَ الإمَامُ إِلَى أنْ تُقْضَى الصَّلاةُ) أي في فترة الخطبة، والصلاة طالت، أو قصرت؛ لأنه ربطها بجلوس الإمام، وحدد بدايتها به، وحدد نهايتها بالفراغ من الصلاة.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٨٥٣/١٦). وأخرجه أبو داود (١٠٤٩) وقال: يعني: على المنبر. قال المنذري في ترغيبه (٥٥٤/١): وإلى هذا القول ذهب طوائفٌ من أهل العلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٧).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٦٠)

١١٦٠ - وعن أوس بن أوسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ؛ فَإنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أَوْس بن أَوْس الثقفي: له صُحبة برسول الله ﷺ، نزل الشام وسكن دمشق، ومات بها، وداره ومسجده بها في درب القِلي.

وقد روى عن النبي ﷺ في فضلِ يوم الجمعة والاغتسال فيه.

وقيل إن أوْس بن أوْس الثقفي وأوْس بن أبي أوْس واحد. والصواب كما ذكر صاحب الإصابة أنهما اثنان، فأوس بن أبي أوس هو والد حذيفة[2].

غريب الألفاظ:

صلاتكم: الصلاة على النبي قول: اللهم صلِّ على محمد[3].

الشرح الأدبي

من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ "أَفْعَلُ" تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن أيام المؤمنين كلها فاضلة لأنها أيام عامرة بطاعة

---

(١) برقم (١٥٣١). وصحّحه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (الإحسان ٩١٠). وقال الحاكم (٢٧٨/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٣٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٤٠٩).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٥٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣١٢/١-٣١٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٩٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٩٧/١)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١٩٣/١).

(٣) معجم لغة الفقهاء ٢٤٦.

الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية يوم الجمعة على هذه الأيام، وقد رتب الرسول ﷺ على هذه الأفضلية الأمر بالإكثار من الصلاة عليه لما هو معلوم من فضل الصلاة على رسول الله ﷺ فالعمل الفاضل في اليوم الفاضل نوع من تقدير الزمان بقدره ثم علل لهذا الأمر، ورغب فيه بقوله (فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيّ) أي على جهة القبول، والجناس بين (الصلاة)،وبين (صلاتكم) يقرر المعنى المراد من العبد، والذي يحقق له تضاعف الأجر، والتعبير بالاسم (معروضة) دون الفعل (تعرض) الدال على التجدد للإشارة إلى الدوام، والثبات المفهوم من الاسمية أي: أنها دائمة العرض عليه، وتختص في الجمعة بمزيد القبول، وصلاة المؤمن على الرسول ﷺ تتضمن ذكر الله، وذكر رسوله ﷺ، والعرفان بفضل الله بالإنعام عليهم بالنبي ﷺ، وعرفان بفضل هذا الرسول ﷺ، وكثرة الصلاة عليه تعود على المؤمن مع أجر الآخرة العظيم بذكر الله للعبد، وصلاته عليه مع ذكره عند الرسول ﷺ بعرض صلاته عليه، ثم إنها للعبد معافاة في بدنه، وسمعه، وبصره، وبصيرته، وذهاب لهمه، وغمه، وحزنه، وسعة في رزقه فعلى كل مؤمن أن يحرص على أن يكون له ورد من الصلاة عليه كل يوم يكون وسيلة تعارف بينه، وبين الرسول ﷺ.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ في يومها وليلتها، ودليل ذلك ظاهر لوهو حديث الباب وقد ساقه أبو إسحاق الشيرازي في المهذب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٤/٢٩٤-٢٩٥ .

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

جاء في الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، حيث أكد على فضل يوم الجمعة، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تساعد على إقناع المدعو من خلال التوكيد على ما يقوله الداعية وهذا يدل أيضًا من جانب آخر على مدى تمكن وثقة الداعية فيما يقوله ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾[2]، وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[3].

قال د. فاضل صالح السامرائي: "من المعلوم أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام، وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها في الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة. إن التوكيد القرآني كله وحدة متكاملة منظور إليه نظرة شاملة، وقد روعيت في ذلك جميع مواطنه فهو يؤكد في موطن ما مراعيًا موطنًا آخر قَرُب أو بَعُد، فتدرك أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى التوكيد ولم يؤكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به لانعدام موجبه، وترى أنه هنا أكد بمؤكدين وأكد في موطن آخر يبدو شبيهًا به بمؤكد واحد لسبب دعا إلى استعمال كل تعبير في موطنه المناسب له"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التأكيد على فضل يوم الجمعة:

يتضح هذا من الحديث: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة)، وهذا مزيد بيان

---

(١) سورة القمر، الآية: ٥٤.

(٢) سورة النبأ، الآية: ١٧.

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٣.

(٤) التعبير القرآني ص ١٢٥.

للتأكيد على فضل يوم الجمعة فهو من أفضل الأيام، هذا وقد دلت الأحاديث الكثيرة على فضل هذا اليوم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ قَعَدَتِ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَكَتَبُوا مَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَتِ الْمَلاَئِكَةُ الصُّحُفَ))[1].

وفي فضل الخُطَا إلى صلاة الجمعة جاء في الحديث عن أوس بن أوس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَغَسَلَ وَغَدَا وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَأَنْصَتَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ صيامها وقيامها))[2].

ويكفي في فضل يوم الجمعة أن الله عز وجل هدى الأمة الإسلامية إليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا. وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ. ثُمَّ هذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْنَا. هَدَانَا اللهُ لَهُ. فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ. الْيَهُودُ غَدًا. وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ))[3].

قال القاضي عياض: "وقوله: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة) قيل: الآخرون في الزمن السابقون بالفضل، وأول من يقضى بينهم يوم القيامة، ويدخل الجنة قبل سائر الأمم فمفهوم الحديث أنه أخبر عن تأخرهم في الزمان والوجود وإعطاء الكتاب، وسبقهم بيوم الجمعة على الأيام بعدها التي هي تبع له، وفضلنا بها لقبول أمره وطاعته.

والظاهر أنه فرض عليهم يوم الجمعة يعظمونه بغير تعيين ووكل إلى اختيارهم تعينه ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلف اجتهادهم ولم يهدهم الله ليوم الجمعة، وذكره لهذه الأمة وبينه لهم ولم يكله إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته"[4].

وجاء في فتح الملهم: "وقوله: (فهدانا الله له) أي لهذا اليوم بقبوله والقيام بحقوقه، وفيه إشارة إلى سبقنا المعنوي كما أن في قوله: (بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا)

---

(١) أخرجه النسائي ١٣٨٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١٢).

(٢) أخرجه النسائي ١٣٨١، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ١٣١١).

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٨، ومسلم ٨٥٥.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٢٤٩ - ٢٥٠.

إشعارًا إلى سبقهم الحسي وإيماء إلى قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾[1]، وهذا كله ببركة وجوده ﷺ، وقال الشيخ ولي الله الدهلوي: والحاصل أن أحق الأوقات بأداء الطاعات هو الوقت الذي يتقرب فيه الله إلى عباده، ويستجاب فيه أدعيتهم، لأنه أدنى أن تقبل طاعتهم، وتؤثر في صميم النفس وتنفع نفع عدد كثير من الطاعات، وإن لله وقتًا دائرًا بدوران الأسبوع يتقرب فيه إلى عباده، وهو الذي يتجلى فيه لعباده في جنة الكثيب، وإن قرب مظنة لهذا الوقت هي يوم الجمعة، فإنه وقع فيه أمور عظام، وقد حدث النبي ﷺ بهذه النعمة كما أمره ربه. وبالجملة فتلك فضيلة خصّ الله بها هذه الأمة"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة:

حيث جاء في الحديث: (فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ)، ولا ريب أن الصلاة على النبي ﷺ مطلوبة في كل وقت، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3].

قال ابن القيم: "إن الله سبحانه أمر بالصلاة عليه عقيب إخباره بأنه وملائكته يصلون عليه، والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسول الله ﷺ فصلوا أنتم - أيضًا - عليه، فأنتم أحق أن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويمن سفارته من خير الدنيا والآخرة، فالصلاة المأمور بها فيها: هي الطلب من الله تعالى ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته وهي ثناء عليه وإظهار لفضله، وشرفه، وإرادة تكريمه، وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب، وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه، لوجهين:

أحدهما: أنه يتضمن ثناء المصلى عليه الإشارة بذكر شرفه وفضله والإرادة والمحبة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ٥/٣٠٣ - ٣٠٤.

(٣) الأحزاب، الآية: ٥٦.

لذلك من الله تعالى فقد تضمنت الخبر والطلب.

الوجه الثاني: أن ذلك سمي منا صلاة، لسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه، وإرادته لرفع ذكره وتقريبه وصلاتنا نحن عليه: سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به"[١].

وقال القاسمي: "تدل الآية على وجوب الصلاة على النبي ﷺ مطلقًا لأن الأصل في الأمر للوجوب فذهب قوم إلى وجوبها في المجلس مرة ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس، وآخرون إلى وجوبها في العمر مرة واحدة، ثم هي مستحبة في كل حال، وآخرون إلى وجوبها كلما ذكر، وبعضهم إلى أن محل الآية على الندب وعلى كل فتستحب الصلاة على النبي ﷺ ومن آكد ذلك دعاء القنوت ومنه يوم الجمعة وليلتها فيستحب الإكثار منها فيهما، ومنه في خطبة يوم الجمعة يجب على الخطيب في الخطبتين الإتيان بها، وهو مذهب الشافعي وأحمد. ومنه عند زيارة قبره ﷺ. وقد استحب أهل الكتابة أن يكرر الكاتُب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه"[٢].

وتتأكد الصلاة عليه يوم الجمعة لمزيد فضل هذا اليوم، قال العظيم آبادي: "والصلاة على النبي ﷺ من أفضل العبادات وهي فيها أفضل من غيرها لاختصاصها بتضاعف الحسنات إلى سبعين على سائر الأوقات، ولكون إشغال الوقت الأفضل بالعمل الأفضل هو الأكمل والأجمل ولكونه سيد الأيام فيصرف في خدمة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وقوله: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، يعني على وجه القبول فيه وإلا فهي دائمًا تعرض عليه بواسطة الملائكة إلا عند روضته فيسمعها بحضرته، وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل الصلاة يوم الجمعة وليلتها وفضيلة الإكثار منها على سيد الأبرار ﷺ"[٣].

وقال ابن القيم: "ورسول الله ﷺ سيد الأنام، يوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٢) انظر: محاسن التأويل ١٣/٣٠١ - ٣٠٣.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٥٠٠.

عليه ﷺ في هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة، فإنما نالته على يده فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن تكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته"[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فإن صلاتكم معروضة عليّ)، وهذا ترغيب للمسلمين في الإكثار من الصلاة عليه ﷺ، فكل مسلم يرغب في عرض صلاته على النبي ﷺ، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تدفع بالمدعو إلى فعل الخير وترك الشر أملاً في ثواب الله ووعده، وطمعًا في جنة الله ورحمته، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة وحثهم على قبول الحق فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، وذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها"[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٧٦/١.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٣) سورة مريم، آية: ٦٣.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن التربية على اغتنام الأوقات الفاضلة من أهم ما يُعنى به القائمون على أمور التربية، لأن هذه التربية تولد في النفوس الحرص على تحصيل الأجر العظيم المترتب على حسن الإفادة من تلك الأوقات العظيمة وهذا ما يجعل المسلم في حالة يقظة واستمرار على طاعة الله، فما أكثر هذه الأوقات على مستوى الليالي والأيام والشهور مما يُعد من أبرز الدوافع لنيل رضوان الله تعالى، وهذا ما يستنبط من عدد من أحاديث باب فضل يوم الجمعة ومما يبين هذا الفضل ما يلي:

أ- وصف يوم الجمعة بأنه خير يوم طلعت عليه الشمس: "خير يوم طلعت عليه الشمس...".

ب- الإخبار عن صلاة الجمعة بأنها من مكفرات الذنوب: "... والجمعة إلى الجمعة.. مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

ج- ذكر الثواب على التبكير إلى صلاة الجمعة، وأنه كلما كان أسبق كان الثواب أعظم: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة...".

د- ذكر أن فيها ساعة يستجيب الله فيها لمن سأله سبحانه: "فيها ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه".

كما أن النبي ﷺ حضّ على أفعال تفعل في هذا اليوم الفاضل منها:

أ- الغسل أو على الأقل الوضوء: "من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل".

ب- الادهان ووضع الطيب: "ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته".

ج- عدم التفرقة بين اثنين من المصلين: "ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين".

د- الإنصات والاستماع للخطبة: "ثم ينصت إذا تكلم الإمام".

هذا فيما يتعلق بصلاة الجمعة، أما فيما يفعل في يوم الجمعة في أي وقت فيه فهو:

هـ- الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ: "فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه".

نخلص من ذلك كله إلى أن هذه الأحاديث فيها حضّ وحث على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة.

وإذا كان هذا يصدق على هذه الأوقات فإنه يصدق على غيرها من الأوقات الفاضلة، فينبغي أن يربي الناشئة وغيرهم على اغتنامها وشغلها بالعمل الصالح المفيد النافع الجالب للخير في الدنيا والآخرة، وذلك لأن الوقت هو عمر الإنسان وهو حياته، فالمرء أيام، كلما مضى يوم مضى بعضه، كما قال الحسن البصري، والمسلمون اليوم يعانون من إهمال الوقت وتضييعه ويديرون أوقاتهم بطريقة سيئة، وللصالحين وطلبة العلم نصيب من ذلك.

إننا قد لا نبالغ إذا قلنا: إن الرجل الجاد في تعامله مع وقته ينتج أضعاف ما ينتج أقرانه، ومن ثمّ فالتربية التي تعنى بغرس احترام الوقت وحسن اغتنامه ستخرج جيلاً يؤدي أضعاف ما يؤديه غيره، ومما يعين على ذلك:

أ - معرفة أحوال السلف في حرصهم على أوقاتهم واغتنامهم لها، ففيها عبر عظيمة، فهي تعلي الهمة وتزيد العزيمة، وتجعل المرء يحتقر نفسه وجهده.

ب - الاستفادة من الأساليب الحديثة في إدارة الوقت والتعامل معه.

ج - التعويد على استغلال أوقات الانتظار، وعدم بقائه في المنزل ينتظر صاحبه وهو فارغ غير مستفيد من وقته.

د - التعويد على القراءة، لتصبح سجية وطبيعة له، فمن لا يقرأ يصعب عليه أن يستفيد من وقته.

هـ - الانضباط قدر الإمكان في المواعيد والأوقات وتعويد الشباب على احترام أوقات غيره.

و - ترك أوقات فراغ للشاب، وعدم إشغاله طيلة الوقت، وتوجيهه إلى أنشطة يمكن أن يستثمر فيها وقته، فمن لم يكن لديه وقت فراغ يتعامل فيه بمفرده فلن يعتد على اغتنام وقته"[1].

---

(١) تربية الشباب الأهداف والوسائل، ص ١٦٤-١٦٥.

ثانيًا- التربية الجمالية:

هذا مستمد من مجموعة من أحاديث الباب التي تحضّ على الاغتسال يوم الجمعة، وإلا فالوضوء، والادهان والتطيب، ولاشك أن ذلك يضفي جمالاً على صاحبه، فبالاغتسال يزول ما به من رائحة كريهة، وبالتطيب يشم منه رائحة طيبة ترتاح لها الأنفس، وهذا وإن كان جمالاً حسيًا، فإنه يجمع إليه جمالاً معنويًا، بأنه لا يفرق بين اثنين، حتى تظلّ نفوس المصلين ناحيته طيبة لا تحمل إلا شعورًا جميلاً له. إذًا يمكن الاستئناس بهذه الأحاديث على التربية الجمالية، التي هي نوع من أنواع التربية، "والتربية الإسلامية تولي عنايتها بتربية الجانب الجمالي من شخصية المسلم، مهتمة في ذلك بحثه على النظافة واحترام النظام والعمل به، وبتوجيهه للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني والتمتع به، ويمكن تلخيص هذه العناية في النقاط التالية:

أ - الاهتمام بالنظافة، فيهتم ديننا الحنيف بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة.

وديننا الإسلامي حريص على صحة وسلامة المسلم فلا يقصر النظافة على نظافة البدن فحسب، بل يتعدى ذلك أيضًا إلى نظافة كل ما من شأنه أن يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا، تمشيًا مع القاعدة العامة: لا ضرر ولا ضرار، فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن. ونظافة المكان والبيئة والمجتمع ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كَبُر أو صَغُر. كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه، لما لذلك من انعكاسات إيجابية، صحية وجمالية، على المستوى الفردي والجماعي والإنساني.

ب- احترام النظام والعمل به:

فالإسلام يخدم النظام ويأمر باتباعه، كما يأبى الفوضى ويعاقب عليها، فالصلاة تتم وفق نظام معين، والصلوات الجماعية منها تقوم على انتظام الجماعة في صفوف وانضباطهم خلف الإمام، وللزكاة نظامها وحساباتها الدقيقة وللصيام نظامه وضابطه في الإمساك والإفطار، وكذلك للحج نظامه وقواعده، كل ذلك وغيره

ليربي المسلم على النظام والانضباط، والبعد عن الفوضى والعشوائية... وهكذا فالمسلم مأمور بأن يحترم النظام ويعمل به، في منزله ومع أسرته، وفي عمله ومع زملائه وفي بيئته ومجتمعه، وفي المجتمع الإنساني بأكمله.

ج - توجيه المسلم للإحساس بالجمال وبالنظام الكوني للتبصير والتمتع بهما، فالجمال سمة بارزة من سمات هذا الكون، فالخالق سبحانه وتعالى صنع الكون وأحسن صنعه، وأمرنا سبحانه أن ننظر ونتبصر ونتدبر خلقه، في السموات والأرض وفي عالم البحار وعالم النبات وعالم الحيوان وفي عالم الطيور وعالم الحشرات، وذلك لإدخال السرور والبهجة إلى النفس بجانب تقوية العقيدة في قدرة الخالق المبدع، وليعتبر الإنسان ويتعود النظام والإتقان في العمل والدقة في الصنعة، كما أن المسلم مأمور بأن يكون مهندمًا وجميلاً في مظهره وملبسه بعيدًا عن التبرج والكبر والخيلاء"[1].

ثالثًا- من وسائل التربية: الخطب والمواعظ:

هذا مستمد من بعض أحاديث الباب: "فاستمع وأنصت" "ثم ينصت إذا تكلم الإمام" "أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره" "فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذِّكر".

فهذه الأحاديث نص في الاستماع والإنصات إلى الخطبة التي يلقيها الخطيب والإمام، وما ذلك إلا لأن الخطبة مقصودة من الشرع، لأن فيها تذكيرًا بالله والحض على تقواه والأمر بالمأمورات والنهي عن المنهيات، فكان في الخطبة -بالإضافة إلى الزاد الدعوي التي تحمله- زاد تربوي مهم جدًا، يحسن الاستفادة منه قدر الاستطاعة والجهد، والخطبة من أنواع الوعظ، بل أهم أنواعه[2]، وذلك لأن (الوعظ هو النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل)[3] وللوعظ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٥٤-٥٦ بتصرف.

(٢) قال ابن حجر: والمراد به ما في الخطبة من المواعظ وغيرها. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٦٤ .

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ص ٤٠٣، ط١، ١٣٤٦هـ، نقلاً عن أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٢٢٦.

نتائج تربوية مهمة، إذ أنه يعتمد على أمور أهمها:

أ- إيقاظ عواطف ربانية كانت قد ربيت في نفس الناشئين بطريق الحوار أو العمل والعبادة والممارسة أو غير ذلك كعاطفة الخضوع لله والخوف من عذابه أو الرغبة في جنته. وكذلك يربي الوعظ هذه العواطف وينميها وقد ينشئها من جديد.

ب- الاعتماد على التفكير الرباني السليم الذي الموعوظ قد ربي عليه وهو التصور السليم للحياة الدنيا والآخرة، ودور الإنسان أو وظيفته في هذا الكون ونعم الله وأنه خلق الكون والموت والحياة.

ج- الاعتماد على الجماعة المؤمنة فالمجتمع الصالح يوجد جوًّا يكون فيه الوعظ أشد تأثيرًا وأبلغ في النفوس، لذلك جاءت معظم المواعظ القرآنية والنبوية بصيغة الجماعة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1] وكالحديث: ((وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْعِظَةً ، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا...))[2].

د- ومن أهم آثار أسلوب الموعظة تزكية النفس وتطهيرها وهو من الأهداف الكبرى للتربية الإسلامية، وبتحقيقه يسمو المجتمع ويبتعد عن المنكرات وعن الفحشاء فلا يبقى أحد على أحد ويأتمر الجميع بأمر الله، بالمعروف والعدل والصلاح والبر والإحسان، وقد جمعت هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3])[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ١٢٦/٤، وأبو داود ٤٦٠٧، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٢، ٢٣ من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢٢٩.

رابعًا- من أساليب التربية: التشبيه:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: "من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ..."، قال ابن حجر: (في هذا الحديث من الفوائد الحضّ على الاغتسال يوم الجمعة وفضله وفضل التبكير إليها، وأن الفضل المذكور إنما يحصل لمن جمعهما ... وأن التقرب بالإبل أفضل من التقرب بالبقر وهو بالاتفاق في الهدي)[1].

أي أن الحديث النبوي الشريف قائم على استخدام أسلوب التشبيه، ليبين فضل التبكير إلى الجمعة، والملاحظ على هذا التشبيه ما يلي:

أ - أنه منتزع من بيئة المخاطبين، فكلُّهم يعرفه حق المعرفة، وكلهم يفهم المراد منه لذا كان المعنى واضحًا جدًا غاية في الوضوح.

ب - التشبيه فيه ملمح لطيف فهو قائم على البذل والإعطاء وهذا شيء محبب إلى نفس المخاطبين، فكل واحد منهم يحب أن يكون من الباذلين الفضل المعطين له، وهذا ما يوضحه حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب مثل الجمعة ثم التبكير كناحرِ البدنة كناحرِ البقرة كناحرِ الشاة حتى ذكر الدجاجة[2].

ج- التشبيه قائم على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وذلك للطيفة وهي الحض والترغيب على فعل الأعلى والأفضل، فالنفس تحبّ أن تنال النصيب الأوفى.

والخلاصة أن الحديث قائم على التشبيه، والتشبيه - كما يذكر علماء التربية - يؤثر تأثيرًا عميقًا في العواطف ويلعب دورًا في سلوك الإنسان في الحياة اليومية فيما لو استعمل بحكمة وفي الظروف المناسبة[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٦٦٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٣.

(٣) انظر: فلسفة التربية في الحديث الشريف، ص ٣٤٤.

٢١١- باب استحباب سجود الشكر

عِنْدَ حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

الحديث رقم (١١٦١)

١١٦١ - عن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُريدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا - فَعَلَهُ ثَلاثًا - وقال: ((إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا[1]، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي)) رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

عَزْوَرَاء: الطريق من المدينة إلى مكة[3].

شفعت: من الشفاعة وهي السؤال عن التجاوز عن الذنوب والجرائم[4].

خَرَرْتُ: سقطتُ وهَويتُ[5]، وذلك تصوير لشدة خضوعه ﷺ لله عز وجل.

الشرح الأدبي

قوله: (نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً، فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ

---

(١) عند أبي داود: (شكرًا لربي).

(٢) برقم (٢٧٧٥). فيه يحيى بن الحسن بن عثمان، مجهول الحال. وشيخه أشعث بن إسحاق: مقبول.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز و ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٨٤.

(٤) المرجع السابق في (ش ف ع).

(٥) الوسيط في (خ ر ر).

فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِداً - فَعَلَهُ ثَلاثاً) حال الرسول ﷺ في النزول ثم التهيؤ للدعاء برفع اليدين مع طول الزمن المذكور ثم التعبير بالخرور الذي يشير إلى سرعة في قوة في النزول أمر ملفت للنظر محير للعقل الذي يرغب في معرفة سر الدعاء، وسر هذه الحالة في هذا الموقف، وقوله (فعله ثلاثا) يصعِّد الشعور بالرهبة حال رؤية الرسول ﷺ على هذه الحالة، وقول الرسول ﷺ (إنِّي سَألتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي) وعبارة الرسول ﷺ مؤكدة بعدة مؤكدات لتعظيم الخبر، وإضافة الرب لياء المتكلم تشريف، وتقريب للرسول ﷺ، وإضافة الأمة لضمير الرسول ﷺ تشريف للأمة، والتعبير بالشفاعة يوحي بالخلاص من مكروه، والتعبير بالعطية يوحي بخير ينتظر، وذكر الثلث تأكيد للعطية، وقوله (فَخَرَرْتُ سَاجِداً لِرَبِّي شُكْراً) يدل على فرط التهالك في الشكر كما دلت العبارة سابقا على فرط التهالك في الدعاء ليس لنفسه، بل لأمته ﷺ وقوله (ثُمَّ رَفَعْتُ رَأسِي) كناية عن الاستعداد للدعاء إذ السماء قبلة الدعاء ثم كرر ما فعل ﷺ حتى أعطاه الثلث الثاني، والثالث، وهو ما يدل على عظيم فضل الله تعالى من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل على شدة محبة الرسول ﷺ لأمته، وتهالكه على ما يحقق الرحمة، والفلاح له، وتكرار الدعاء، والإلحاح في استغراق الأمة بالمغفرة، والرحمة دليل بيِّن على ذلك.

فقه الحديث

١ - رفع اليدين في الدعاء خارج الصلاة:

يرى الحنفية والمالكية في قول، والشافعية والحنابلة أن من آداب الدعاء خارج الصلاة رفع اليدين بحذا صدره... ويرى المالكية في قول أن الداعي لا يرفع يديه عند الدعاء خارج الصلاة[1].

---

(١) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٣١٨/٥، ومغني المحتاج ١٦٧/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٧/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٣٠/٢، والمنتقى ٢٨٩/١، والمدونة ٦٨/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٦٦/٤٥-٢٦٧).

٢ - سجود الشكر:

قال النووي: (في مذاهب العلماء في سجود الشكر: مذهبنا أنه سنة عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة. وبه قال أكثر العلماء وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر الصديق وعلي وكعب بن مالك رضي الله عنهم وعن إسحاق وأبي ثور، وهو مذهب الليث وأحمد وداود. قال ابن المنذر: وبه أقول. قال أبو حنيفة: يكره وحكاه ابن المنذر عن النخعي وعن مالك روايتان أشهرها: الكراهة ولم يذكر ابن المنذر غيرها. والثانية أنه ليس سنة[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته.

ثانيًا: من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الخروج مع النبي ﷺ ومرافقته:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحرصون على مجالسة النبي ﷺ ومرافقته وملازمته ليتعلموا منه، ويهتدوا بهديه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة)، ولا شك أن هذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ والخروج معه ذلك لأنهم يعلمون أنه القدوة والأسوة في كل شيء، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

---

(١) المجموع ٣/٣٩٠، وانظر: المغني ٢/٣٧١-٣٧٢، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٤٦-٢٤٨ ومراجعها ومصادرها.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل - صلوات الله وسلامه عليه - إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقلوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله"[1].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: ((أَبُو هُرَيْرَةَ؟)) فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هَذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهَؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ: ((اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاء هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)) فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لاِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟)) قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لاِسْتِي. قَالَ:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَك على ما فَعَلْتَ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((فَخَلِّهِمْ))[1].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ الْمَدِينَةِ، عِشَاءً. وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى أُحُدٍ. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ. أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ. إِلاَّ دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ. إِلاَّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللّهِ. هكَذَا حَثًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهكَذَا عَنْ يَمِينِهِ وَهكَذَا عَنْ شِمَالِهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. إِلاَّ مَنْ قَالَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا)) مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الأُولَى. قَالَ: ثُمَّ مَشَيْنَا. قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍ كَمَا أَنْتَ حَتَّى آتِيَكَ)) قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى تَوَارَى عَنِّي. قَالَ: سَمِعْتُ لَغَطًا وَسَمِعْتُ صَوْتًا. قَالَ فَقُلْتُ: لَعَلَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عُرِضَ لَهُ. قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَتَّبِعَهُ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَهُ: «لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» قَالَ: فَانْتَظَرْتُهُ. فَلَمَّا جَاءَ ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي سَمِعْتُ. قَالَ فَقَالَ: ((ذَاكَ جِبْرِيلُ. أَتَانِي فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ)). قَالَ قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: ((وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ))[2].

ثانيًا - من صفات الداعية: محبة المدعوين والشفقة عليهم:

إن الداعي لا بدّ أن يكون ذا قلب ينبض بالرحمة والشفقة على الناس وإرادة الخير والنصح لهم، ومن محبته لهم وشفقته عليهم دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأعظم ما يحبه لنفسه الإيمان والهدى والنجاة من النار، إن الوالد من شفقته على أولاده يحرص

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٨، ومسلم ٩٤.

على إبعادهم عن الهلكة ويتعب نفسه في سبيل ذلك[١]، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعي إلى الله، وله في ذلك الأسوة والقدوة في إمام الدعاة محمد ﷺ الأنموذج المضيء، والقدوة المثلى في محبته لأمته وشفقته عليهم.

وتتجلى هذه المحبة والشفقة في هذا الحديث في دعائه، ﷺ وسجوده، وطلبه الشفاعة لأمته وتكرار الطلب من الله ثلاثًا، حتى أعطاه الشفاعة بجميع أمته، وهذا ما ذكره راوي الحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبًا من عَزْوراء نزل ثم رفع يديه فدعا الله ساعة، ثم خرّ ساجدًا، فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة، ثم خرّ ساجدًا - فعله ثلاثًا - وقال: إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلُث أمتي.. إلخ الحديث" ويتراءى لنا في هذا الحديث: حب النبي ﷺ لأمته ورفقه بهم وحرصه عليهم[٢]، وقد قال الله فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

قال السعدي: (يمتن الله تعالى على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم "عزيز عليه ما عنتم" أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم.

"حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "بالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم من والديهم)[٤].

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٥٦ - ٣٥٧.

ومن محبته وشفقته لأمته ﷺ دلالته لأمته على ما يبعدهم عن النار، وقد مُثل ذلك بمثل بليغ، قال ﷺ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ. فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ))[1].

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام رحماءَ بمن أرسلوا إليهم، مشفقين عليهم من العذاب، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[2].

فقوله عليه السلام: "إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم" لا يصدر إلا عن قلب رحيم وشفقة ظاهرة عليهم، وكذلك قوله عليه السلام وقد رموه بالضلالة: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

فجواب نوح عليه السلام مشحون بالرحمة والشفقة عليهم واللطف في مخاطبتهم، ولم يغضبه كلامهم لأنهم قوم يجهلون، ولأن الداعي لا يغضب لنفسه قط، وهكذا كان خلق رسولنا محمد ﷺ، فما كان يغضب لنفسه، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله، ثم في جواب نوح عليه السلام أنه ينصح لهم، أي: يخلص في القول النافع المفيد لهم، وبالرغم من قولهم الباطل فيه ويبين لهم أنه رسول من رب العالمين ليعلموا أن ما يخبرهم به هو الحق الصريح الواجب قبوله، وفي قبوله رحمة بهم ودليل على ما كان في قلبه من عظيم الرحمة بقومه[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٦، ومسلم ٢٢٨٤ واللفظ له.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيات: ٦١ - ٦٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٥٧.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته وسؤاله المتكرر لربه سبحانه:

حيث تكرر في الحديث ثلاثًا (ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا فعله ثلاثا ، وقال: (إني سألت ربي وشفعت لأمتي) وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الشفاعة لأمته.

قال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: فأعطاني الثلث الآخر، قال التوربشتي: أي فأعطانيهم فلا يجب عليهم الخلود وتنالهم شفاعتي فلا يكونون كالأمم السالفة فإن من عذب منهم وجب عليهم الخلود ، وكثير منهم لعنوا لعصيانهم أنبيائهم فلم تنلهم الشفاعة والعصاة من هذه الأمة من عوقب منهم نقي وهذب، ومن مات منهم على الشهادتين يخرج من النار وإن عذب بها وتناله الشفاعة وإن اجترح الكبائر ويتجاوز عنهم ما وسوست به صدورهم ما لم يعملوا أو يتكلموا إلى غير ذلك من الخصائص التي خصّ الله تعالى بها هذه الأمة كرامة لنبيه ﷺ"[1].

قال الإمام السفاريني: "والشفاعات المختصة به ﷺ عِدَة أولها: وهي أعظمها وأعمها شفاعته ﷺ لفصل القضاء بين الورى بعد التردد إلى الأنبياء عليهم السلام وتدافعها بين أخبار الملأ إلى أن تصل لصاحب الحوض المورود وهي المقام المحمود ، وقد عمّ العالم زيادة القلق وتصاعد العرق وقاسوا من ذلك ما يذيب الأكباد وينسي الأولاد ، وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد. ثانيها: يشفع عند ربه في إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب فإن هذه خاصة به ﷺ كما قال القاضي عياض والإمام النووي. ثالثها: شفاعته ﷺ في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فيشفع فيهم فلا يدخلونها. ورابعها: في رفع درجات أناس في الجنة. خامسها: الشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد. ذكره السبكي. وبالشفاعة في جماعة من صلحاء المسلمين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات"[2].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٤.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢١١ - ٢١٢.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: سجود الشكر لله على نعمه:

إن نعم الله لا تعد ولا تحصى، ولذا كان من واجب المسلم أن يقابل النعمة بالشكر، ومن صور التعبير عن شكر الله السجود له سبحانه، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (فخررت ساجدًا لربي شكرًا)، وهذا يدل على سجود الشكر عند حدوث النعمة، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر، أو اندفاع نقمة، وقد سجد ﷺ عندما كتب إليه علي بن أبي طالب بإسلام همدان، وسجد كعب بن مالك لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه، وسجد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين وجد ذا الثُّديَّة في قتلى الخوارج وسجد أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين جاءه قتل مسيلمة الكذاب"[١].

قال الشوكاني بعد أن سرد جملة أحاديث في سجود الشكر: "وهذه الأحاديث تدل على مشروعية سجود الشكر وإلى ذلك ذهبت العترة وأحمد والشافعي، ومما يؤيد ثبوت سجدة الشكر قوله ﷺ في حديث سجدة سورة "ص" (هي لنا شكر ولداود توبة)[٢]، وليس في أحاديث الباب ما يدل على اشتراط الوضوء والطهارة للثياب والمكان وليس في أحاديث الباب أيضًا ما يدل على التكبير في سجود الشكر"[٣].

والمسلم مطالب بشكر الله عز وجل على نعمه وآلائه، وأفضاله وخيراته، قال الفيروزآبادي: "الشكر أعلى منازل السائرين، وفوق منزلة الرضا فإنه يتضمن الرضا وزيادة، والرضا مندرج في الشكر إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ومبناه على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، والثناء عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره. فمتى فقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشكر"[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/ ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) أخرجه النسائي ٩٥٦ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ سجد في "ص" وقال: ((سجدها داود توبة، ونسجدها شكرًا))، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٩٧١).

(٣) نيل الأوطار ٢/ ٣/ ١٢٩.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٣٣٤.

وقال الراغب الأصفهاني: "والشكر على ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه، وقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾[1]، معناه: اعملوا ما تعملونه شكرًا لله وقيل: شكرًا مفعول لقوله (اعملوا) وذكر اعملوا ولم يقل اشكروا لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح وقوله سبحانه: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2]، ففيه تنبيه: أن تَوْفِية شكر الله صعب ولذلك لم يُثْن بالشكر من أوليائه إلا على اثنين قال في إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِ﴾[3]، وقال في نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾[4]، وإذا وصف الله بالشكر في نحو قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٞ﴾[5]، إنما يعنى به إنعامه على عباده"[6].

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣.

(٥) سورة التغابن، الآية: ١٧.

(٦) المفردات ص ٢٦٥ - ٢٦٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالدعاء:

وهذا واضح من الحديث: "نزل ثم رفع يديه، فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجدًا فمكث طويلاً، ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خرّ ساجدًا، فعله ثلاثًا" إن النبي ﷺ فعل أمام أصحابه رضي الله عنهم ما فعل من الدعاء ثم النزول ساجدًا وذلك ثلاث مرات، كل ذلك أمام أصحابه رضي الله عنهم وهم يشاهدونه بقلوب ملأها روعة هذا الموقف وهذا المشهد الجليل: رسول الله يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، ثم يدعو ثم يسجد، لذا فإنهم رضوان الله عليهم ملأهم السكينة والخضوع والتذلل، وانتقل إليهم ما كان عليه النبي ﷺ من الإقبال على رب العالمين، وإظهار العبودية له سبحانه والافتقار إليه، لذا لم يسألوه عما فعل مع أن الموقف كان يستدعي أن يسألوه عن ذلك، لأن جلال الموقف أخذهم وشغلهم وجعلهم يتقلبون في رحاب التوجه إلى الله والخضوع له، فكانت التربية فيه واضحة جدًا، إن النبي ﷺ بفعله هذا ربّى أصحابه رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين على أن يتوجهوا بالدعاء إلى رب العالمين ويطلبوا منه العون والمدد ويظهروا افتقارهم وذلهم بين يديه عز وجل، وفي ذلك تمام الغنى والعز لهم، لأنه سبحانه العزيز فأولياؤه أعزاء، وهو الغني فأحباؤه أغنياء وهو القوي فأحباؤه أقوياء[1].

وكثيرة هي المواقف التربوية التي كانت تقوم على الدعاء، ولكن نكتفي بذكر واحد منها حتى نعطي فكرة بسيطة عن الدعاء وأثره التربوي المهم، فهذا النبي ﷺ في يوم بدر، يوم الفرقان، والمشركون ثلاثة أمثال المسلمين مع كثرة عتادهم وقلة عتاد المسلمين إن لم يكن عدمه، فيلجأ النبي ﷺ إلى الدعاء ويناشد ربه النصر، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا

---

(١) وانظر: منهج القرآن في التربية، محمد شديد ٢٢٥.

وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

قال النووي: (قال العلماء: هذه المناشدة إنما فعلها النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة، وقد كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين، إما العير وإما الجيش، وكانت العير قد ذهبت وفاتت، فكان على ثقة من حصول الأخرى، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق المسلمين)[3].

نخلص من هذا كلّه، إلى أن الدعاء وسيلة تربوية ذات فائدة عالية في التأثير على النفوس، لذا يجدر استخدامها من قبل المربين وخاصة أن هناك مواقف كثيرة جدًا تقتضي الدعاء، مع ملاحظة أن ذلك يكون وفق ضوابط الشرع وأسسه.

ثانيًا - التربية على الشكر:

لقد استجاب الله لرسوله ﷺ فسجد ﷺ شكرًا له سبحانه، لأنه سبحانه أنعم عليه بأن قبل دعاءه ورجاءه، وكلما استجاب له سجد، حتى وقع ذلك ثلاث مرات، وقد رأى منه ذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم، الذين نقلوه بدورهم لمن جاء بعدهم، فكان هذا فيه تربية على القيام بواجب الشكر، والملاحظ أن النبي ﷺ عبّر عن شكره لله تعالى بالسجود، وهذا منتهى القيام بالشكر، لأن الإنسان أكرم ما فيه وجهه، فإذا سجد على الأرض أعلن خضوعه وتذلله لله رب العالمين بالإضافة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١١٣٤ .

إلى شكره سبحانه وتعالى عما أفضل من النعم - ونعمه كثيرة لا تحصى - وما أعطى من المنن، وما منع من البلايا والمصائب والنقم، قال البغوي: (سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة طالما كان ينتظرها أو اندفاع بلية ينتظر انكشافها، أو رؤية مبتلىً بعلة أو معصية، ويخفى سجوده عن المعلول حتى لا يحمله ذلك على الكفران، ويظهر للعاصي لعله يتوب)[1].

إذن سجود الشكر لا يقتصر على حصول النعم فقط، بل يكون أيضًا عند اندفاع النقم، وفي فعل سجود الشكر عدة فوائد تربوية منها:

أ - تعويد الناشئة دائمًا ودومًا على شكر المنعم سبحانه الذي أنعم بالنعم وتفضل بها، من غير حول منّا ولا قوّة، وفي ذلك إقرار واعتراف بأنه صاحب المنة والفضل بذلك، إن شاء أعطى وإن شاء منع، وهذا يخرج من الناشئة وغيرهم الكبر والبطر والتعالي على الناس، بخلاف ما إذا نسي الإنسان أن ما يرفل فيه من نعمٍ كان تفضلاً منه سبحانه لم يكن له فيه سبب ولا حيلة.

ب - تكثير الفضائل ومكارم الأخلاق وطيب الشمائل، لأن مقتضى الشكر القيام بواجبه من استعمال النعم في طاعة الله والإذعان له، لا مخالفته ومحاربته بها وبالمعاصي. فمن أعطاه الله مالاً وظفه في الخير والطيبات وقام بحق الفقراء والمساكين فأعطاهم ما يُعين على سد حاجتهم وخلتهم، وفي هذا تكافل اجتماعي مطلوب، ويكون نحو هذا في المجالات الأخرى.

ج - تعويد الناشئة على شكر من أسدى نعمة إليهم من الناس، ومحاولة مكافأته قَدْر الجهد والطاقة والاستطاعة، وبذلك يزداد فعل المعروف والطيّب من الأفعال والأقوال، لأنه كلما ازداد الشكر ازدادت صنائع المعروف.

وغير ذلك من الفوائد التربوية للشكر ولسجود الشكر، مما يجعل القائمين على التوجيه والتربية يركزون على بيان أهمية الشكر بالنسبة للفرد والمجتمع لأن الشكر

---

(١) شرح السنة ٣/٣١٦.

سبب في الزيادة والنماء قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1] ولما كان الشكر، والذي من مظاهره سجود الشكر، يغفل عنه الكثيرون كان لزامًا على أهل التربية أن يهتموا بهذا الأمر الاهتمام المتناسب مع أثره في حياة الأفراد والأسر والمجتمعات.

ثالثًا- التربية على الاستكثار من الخير:

إن المتأمل في هذا الحديث يجد أن النبي ﷺ لحبه لأمته ولشفقته عليهم، دعا ثم سجد ولم يكتف بذلك بل دعا ثم سجد، ولم يقف عند هذا الحد بل طمع فيما عند المولى عز وجل فدعا فلما استجيب له سجد، كل ذلك والنبي ﷺ راغب في الازدياد فيما عند الله، مولاه، مستكثر منه، فلم يكتف بمرة ولا مرتين، بل ظلّ على حاله هذه حتى أناله الله -بفضله وكرمه- ما يتمنى ويرغب، وذلك والنبي يسأل الخير لأمته لا لنفسه، فصلّى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق يمكن أن يستنأس بهذا الحديث بأنه على المربي أن يستكثر من الخير ويعلّم أتباعه ذلك ويغرسه فيهم، وليكن شعارهم في حياتهم قول موسى عليه السلام وهو يستكثر من الخير: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2] قال الطاهر ابن عاشور: (جاء بجملة جامعة للشكر والثناء والدعاء، والفقير: المحتاج، فقوله "إني لما أنزلت إلي من خير" شكرٌ على نِعَم سلفت، وثناء على الله بأنه معطي الخير، والخير ما فيه نفع وملاءمة لمن يتعلق هو به، فمنه خير الدنيا، ومنه خير الآخرة، الذي قد يرى في صورة مشقة فإن العبرة بالعواقب، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[3] وقد أراد النوعين كما يرمز إلى ذلك التعبير عن إتيانه الخير بفعل "أنزلت" المشعر برفعة المعطى: فأول

---

(١) سورة إبراهيم، جزء من الآية ٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

ذلك إيتاء الحكمة والعلم ومن الخير إنجاؤه من القتل وتربيته الكاملة في بذخة الملك وعزته، وحفظه من أن تتسرب إليه عقائد العائلة التي ربي فيها، فكان منتفعًا بمنافعها مجنبًا رذائلها وأضرارها، ومن الخير أن جعل نصر قومه على يده، وأن أنجاه من القتل الثاني ظلمًا، وأن هداه إلى منجى من الأرض، ويسر له التعريف ببيت نبوءة، وأن آواه إلى ظلّ... فقوله "فقير" أي فقير لذلك النوع من الخير، أي لأمثاله. وأحسن خير للغريب وجود مأوى له يطعم فيه ويبيت، وزوجة يأنس إليها ويسكن، فكان استجابة الله له بأن ألهم شعيبًا أن يرسل وراءه لينزله عنده ويزوجه ابنته كما أشعرت بذلك فاء التعقيب في قوله ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾[1] عرفت أن الفاء تؤذن بأن الله استجاب له فقيض شعيبًا أن يرسل وراء موسى ليضيفه ويزوجه بنته، فلذلك يضمن له أنسًا في دار غربة، ومأوى وعشيرًا صالحًا، وتؤذن الفاء أيضًا بأن شعيبًا لم يتريث في الإرسال وراءه فأرسل إحدى البنتين اللتين سقى لهما فجاءته ولم يزل عن مكانه في الظل)[2].

أي أن موسى عليه السلام ألح على الله في الاستكثار من الخير فأعطاه الله المزيد منه سبحانه، وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة حتى يمن الله عليهم بمزيد عطائه وفضله هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنهم يعوَّدون على أن يكثروا من فعل الخير ولا يقفون عن حدٍ يمكن أن يتجاوزوه ويفعلوا أفضل منه.

رابعًا- من مهام المربي: بيان أفعاله وتفسيرها:

هذا مستمد من تفسير النبي ﷺ لدعائه ثم سجوده ثلاث مرات، ففسّر ذلك بقوله: "إني سألت ربي وشفعت لأمتي، فأعطاني ثُلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدًا لربي شكرًا ثم رفعت رأسي، فسألت ربي لأمتي، فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدًا" وإنما وضح النبي ﷺ فعله هذا، ليبينه لأصحابه رضي الله عنهم هذا من ناحية، ومن ناحية

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٥.

(٢) التحرير والتنوير ٨/٢١/١٠٢-١٠٣.

أخرى يقتدي به أتباعه في ذلك، وعلى ذلك فإن المربي عليه أن يفسر ويوضح أفعاله لمن يقوم بتربيتهم إذا اقتضى الأمر ذلك، فيحقق عدة فوائد تربوية منها:

أ - جعل العلاقة بينه وبين أتباعه أكثر حميمية وقربًا وتوددًا، مما يجعلهم أكثر تقبلاً لما يربيهم عليه وأشد إقبالاً على ذلك.

ب - العمل على تثبيت المبادئ التي يربى عليها أتباعه، لأن الفعل إذا وقع وجاء مشفوعًا بالتفسير إن اقتضى المقام ذلك ازداد رسوخًا في الذهن وثباتًا في الأفئدة.

ج - حماية أتباعه من التفسيرات الخاطئة التي قد يفسرون بها بعض أفعاله، وفي ذلك حماية لهم ولأفكارهم من الدخول في مداخل غير حميدة ولا طيبة، وهذا ما يبين قول النبي ﷺ لاثنين من الصحابة عندما رأياه مع امرأة هي أم المؤمنين صفية رضي الله عنها، فقال لهما: ((عَلَىٰ رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيَ))[1]. قال النووي: (الحديث فيه فوائد منها بيان كمال شفقته على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[2] فخاف ﷺ أن يُلْقِيَ الشيطانُ في قلوبهما فيهلكا، فإن ظَنّ السَوْء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم... وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى، أن يبين حاله ليدفع ظن السوء)[3].

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٢١٧٥ من حديث صفية بنت حيي رضي الله عنها.

(٢) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٣٦١ .

٢١٢- باب فضل قيام الليل

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[الإسراء: ٧٩]، وقال تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[السجدة: ١٦] الآية، وقال تَعَالَى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[الذاريات: ١٧].

الحديث رقم (١١٦٢)

١١٦٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتفطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللّه، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ: ((أفَلاَ أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

وَعَن المُغِيرَةِ بن شُعبة نَحْوُهُ متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

تتفطر: تَتَشقَّق[3].

الشرح الأدبي

رأى الرسول ﷺ الجنة بنعيمها، ورأى النار بجحيمها، ورأى ما رأى عند سدرة المنتهى، وما كشف له من أهوال القبور، والحشر والنشر[4]، وزوى الله له الأرض؛ فرأى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٧) واللفظ له، ومسلم (٨١/٢٨٢٠). وتقدم برقم (٩٨)، وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٨٠/٢٨١٩) وتقدم برقم (٩٨). وأورده المنذري في ترغيبه (٩٠٢) لفظه بتمامه.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ط ر).

(٤) قال ﷺ: (إنه عرض على كل شيء تولجونه) أي تدخلونه من جنة ونار وقبر وحشر. قال القاضي عياض: قال العلماء: تحتمل أنه رآهما رؤية عين -كشف الله تعالى عنهما وأزال الحجب بينه وبينهما-....، وتحتمل أن تكون رؤية علم وعرض وحى بإطلاعه وتعريفه من أمرهما ما لم يعرفه قبل ذلك... والتأويل الأول أولى وأشبه بألفاظ الحديث) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم ٦/٢٠٧. ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.

مشارقها ومغاربها[١] واختصه الله بمعارف بصرية، وقلبية، وجمع له بين علم اليقين، وعين اليقين مع الخشية القلبية، واستحضار العظمة الإلهية على وجه لم يجتمع لغيره[٢] وهو أعظم الخلق قلبا، وأكثرهم لله تعالى شكرا بكل شكل من أشكال الشكر، ومنها الصلاة التي جُعلت قرة عينه فيها، فكان كما يحكي الحديث يقوم حتى تتفطر قدماه واستفهام أم المؤمنين عائشة (: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا، يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟) استفهام يحمل إشفاقا، ورحمة لحاله مع تورم قدميه، وتعجبا لكونه مغفورا له، فجاء قوله (أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً!؟) تقريراً بالاستفهام لأم المؤمنين بفضل الله عليه ووجوب القيام بشكره اعترافاً بفضله، وافتخاراً في ذل لله، وعز بين خلقه دون غرور، والفاء فيه للسببية، بيانه أن الشكر سبب للمغفرة، والتهجد، والشكر فلا يتركه، وفيه أن الشكر يكون بالعمل كما يكون باللسان.

فقه الحديث

١-أَخْذُ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة:

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لا يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحقّ النار، انتهى. ومحلّ ذلك ما إذا لم يفضِ إلى الملال لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال، فكان لا يملّ من عبادة ربه وإن أضرّ ذلك ببدنه. بل صحّ أنه قال: "وجعلت قرة عيني في الصلاة" كما أخرجه النسائي من حديث أنس[٣]. فأمّا غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يكره نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ: ((خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تملُّوا))[٤])[٥].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ...) ينظر صحيح مسلم ٣٣١٥/٤، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٢٧/١١، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ.

(٣) أخرجه النسائي ٦١/٧، ٣٣٩١، ٣٣٩٢ بلفظ :حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرّة عيني في الصلاة" وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٦٨٠، ٣٦٨١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٦١، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٥/٣ .

٢- مشروعية الصلاة للشكر: قال ابن حجر: (قيل أخرج البخاري هذا الحديث لحديث المغيرة[١]، لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه، لأنه يجمع بينها بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل، بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه[٢]، وأخبرت عنه عائشة رضي الله عنها أيضًا[٣])[٤].

المضامين الدعوية[٥]

(١) برقم ١١٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤١٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري ١١٤١، ومسلم ١١٥٨، ١٨٠، وفيه "وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته، وهذا لفظ البخاري أما عند مسلم فمختصر وليس فيه هذه اللفظة.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٦ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٣٣/٨-٣٤ .

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٨).

الحديث رقم (١١٦٣)

١١٦٣- وعن علي رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلاً، فَقَالَ: ((أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

(طَرَقَهُ): أَتَاهُ لَيْلاً.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

طرقه: أتاه ليلاً[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب من الرسول ﷺ لحبيبيه على، وفاطمة -رضي الله عنهما- لقيام الليل، وقوله (طرقه) أي أتاه ليلا قوله (ليلا) أي ليلة من الليالي، وفائدة ذكر ليلة بعد أن عبر بما يدل عليها، وهو الطروق أي: الإتيان بالليل للتأكيد، وقوله (ألا تصليان ؟) استفهام خرج عن حقيقته التي هي طلب الفهم إلى معنى الحث، والتحضيض، والخطاب لعلي، وفاطمة رضي الله عنهما لتشجيعهم على قيام الليل، وهكذا يجب أن يكون حال المؤمن لأهله، وجيرانه، وكل من حوله مفتاح خير يدعوهم إلى ما ينفعهم، وينهاهم عن كل ما يضرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم)[3] وقال ابن حجر: (قال الطبري: لولا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٧) واللفظ له، ومسلم (٧٧٥/٢٠٦).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٧/٦/٣ .

ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ﴾[1] الآية)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها.

أولاً - من مهام الداعية: حث المدعوين على قيام الليل خاصة الأقربين إليه:

إنّ مما ينبغي على الداعية حثّ المدعوين على فضائل الأعمال، والتي من أعلاها شأنًا وأعظمها أجرًا قيام الليل، فهي أفضل الصلوات بعد الصلوات المفروضة، ودليل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللّهِ الْمُحَرَّمُ. وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلاَةُ اللَّيْلِ))[3]، قال النووي: "وفيه دليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار"[4]، لذا كان على الداعية دلالة المدعوين على الخير، ومن ذلك حثّهم على قيام الليل خاصة الأهل والأقربين، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة والقدوة الحسنة، وكما جاء في الحديث من إيقاظه لابنته وزوجها، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً، فقال: "ألا تصليان؟"

قال ابن حجر: "قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا، لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَعَة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١١ .

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

بِٱلصَّلَوٰةِ﴾[١]"[٢].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث فضل الصلاة بالليل والحض عليها، قال أبو جعفر الطبري: وإيقاظ النبي ﷺ لهما من نومهما في وقت جعله الله سكونًا ودعة لما علم من ثواب الله في ذلك، وفيه أمر قيّم لمن يقوم عليهم بفعل الخيرات ووجوه البر وحضهم على الرغائب وما ليس بواجب"[٣].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث الحث على صلاة الليل وأمر الإنسان صاحبه بها، وتعهد الإمام والكبير رعيته بالنظر في مصالح دينهم ودنياهم"[٤]، فكم كان نبي الهدى ﷺ حريصًا على إيقاظ أهله وأقربائه لصلاة التهجد، فلا ينبغي لمسلم ينصب نفسه للدعوة إلى الله أن ينشغل عن أهله وأولاده والأقربين منه[٥]، استجابة لأمر الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[٦].

"أي سببها، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات، والقيام على تأديب الأهل وأخذهن بما تأخذون به أنفسكم"[٧]، وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا)، أي: يا من منَّ الله عليهم بالإيمان قوموا بلوازمه وشروطه فـ (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا) موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة ووقاية الأنفس، بإلزامها أمر الله امتثالاً، ونهيه اجتنابًا، والتوبة عما يسخط الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه وفيمن تحت ولايته وتصرفه"[٨].

---

(١) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/١٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٥) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٤٩.

(٦) سورة التحريم، آية: ٦.

(٧) محاسن التأويل، الإمام القاسمي ٩/١٦/٢٢٧.

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ص ٨٠٩.

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على صلاة الليل وتحصيل فضلها:

من الآداب والفضائل التي ينبغي للمدعو أن يحرص عليها وألا يحرم نفسه من أجرها وثوابها قيام الليل، فذلك من صفات المؤمنين، كما ذكر ذلك القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ۝ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، فقوله: (تتجافى جنوبهم)، جيئ فيه بالمضارع (تتجافى) لإفادة تكرر ذلك وتجدده منهم في أجزاء كثيرة من الأوقات المعدة للاضطجاع، وهي الأوقات التي الشأن فيها النوم، والتجافي: التباعد والمتاركة، والمعنى: أن تجافي جنوبهم عن المضاجع يتكرر في الليلة الواحدة أي: يكثرون السهر بقيام الليل والدعاء لله[2]، وامتدح الله عباد الرحمن بوصفه لهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[3]، ولقد امتدح الله تعالى من يحيون ليلهم بالصلاة والذكر والاستغفار وميّزهم على غيرهم من الغافلين عن هذا الفضل بالذكر، ومَنْ هم في غفلة، فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4].

وقد جعل الله قيام الليل من زاد المسافر إلى ربه في الطريق الشاق الطويل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[5]، وبيّن أنّ صلاة المؤمنين بالليل أكثر من نومهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٠/٢١/٨ - ٢٣١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٥) سورة المزمل الآيات: ١ - ٦.

ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1].

ومن الأحاديث ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[2].

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين كل الحرص على قيام الليل سواء كان ذلك على مستوى الأسر أم على مستوى الأفراد، روي عن سالم ابن عمر رضي الله عنهما: كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذَا رَأَىٰ رُؤْيَا، قَصَّهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَىٰ رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا عَزَبًا. وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَىٰ النَّارِ. فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ. وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ. وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ. فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي: لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَىٰ حَفْصَةَ. فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ النَّبِيُّ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ)).

قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ، بَعْدَ ذَٰلِكَ، لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً[3].

وعن أبي عثمان قال: تَضَيَّفْتُ أبا هريرةَ سَبعًا، فكان هو وامرأتُه وخادمُهُ يَعتقبونَ الليلَ أثلاثًا: يُصلِّي هذا، ثم يُوقِظُ هذا. وسمعتُهُ يقول: ((قسمَ رسولُ الله ﷺ بينَ أصحابِهِ تمرًا. فأصابَني سبعُ تَمراتٍ إحداهنَّ حَشَفة))[4].

بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يفوتهم قيام الليل حتى في الجهاد، روي عن جابر رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ - يَعْني في غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ - فأصَابَ رَجُلٌ امْرَأَةَ رَجُلٍ

---

(١) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢، ومسلم ٢٤٧٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٤٤١.

مِنَ المُشْرِكِينَ، فَحَلَفَ أنْ لاَ أنْتَهِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمًا فِي أصْحَابِ مُحمَّدٍ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أثَرَ النَّبي ﷺ فَنَزَلَ النَّبي ﷺ مَنْزِلاً، فقال: ((مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا))[1]، فَانْتُدِبَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ فقال: كُونَا بِفَمِ الشِّعْبِ. قال: فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إلَى فَمِ الشِّعْبِ اضْطَجَعَ المُهَاجِرِيُّ وَقَامَ الأنْصَارِيُّ يُصَلِّي وَأتَى الرَّجُلُ، فَلَمَّا رَأى شَخْصَهُ عَرَفَ أنَّهُ رَبِيئَةٌ لِلْقَوْمِ[2]، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ حَتَّى رَمَاهُ بِثَلاَثَةِ أسْهُمٍ ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ انْتَبَهَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا عَرَفَ أنَّهُمْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ هَرَبَ: فَلَمَّا رَأى المُهَاجِرِيُّ مَا بِالأنْصَارِيِّ مِنَ الدَّمِ قال: سُبْحَانَ اللهِ ألا أنْبَهْتَنِي أوَّلَ مَا رَمَى؟ قال: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أنْ أقْطَعَهَا[3].

لهذا كله، أي: لعظيم أجر قيام الليل كان حثّ النبي ﷺ لأحب الناس إليه فاطمة وزجها علي رضي الله عنهما على قيام الليل، كما في حديث الباب حيث قال علي رضي الله عنه: إن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال: "الا تصليان؟"، ليحصلا على ثواب وأجر قيام الليل، فينبغي على المسلم أن يحرص على قيام الليل، حتى ينال الأجر والثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين الذين يحيون الليل بالقيام والقرآن.

---

(١) من رجل يكلؤنا: أي من يحفظنا ويحرسنا، يقال كلأه الله كلاءة بالكسر أي حفظه وحرسه، انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٥.

(٢) ربيئة للقوم: الربيئى والربيئة الطليعة والجمع، الربايا، يقال: ربأن القوم رباً وارتباتهم أي رقبتهم، وذلك إذا كنت لهم طليعة فوق شرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٦.

(٣) أخرجه أبو داود ١٩٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٨٢).

الحديث رقم (١١٦٤)

١١٦٤- وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ)) قَالَ سالِم: فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاَّ قَلِيلاً. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

بداية الرسول ﷺ بأسلوب المدح (نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ) من براعة الاستهلال التي تجذب السمع، وتحقق التشويق، لأن المخاطب يتشوق إلى معرفة سبب المدح لا سيما إن كان المادح رسول الله ﷺ، وتحقيق يقظة المخاطب، وتشويقه لمتابعة الخبر أمر يحرص عليه كل متكلم في خطابه لكي يحقق الغرض منه، وقوله (لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ) أسلوب شرط جوابه محذوف لدلالة السابق عليه أي: لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ فهو نعم الرجل، وترغيب الرسول ﷺ لعبد الله رضي الله عنه بهذا الطريقة من عبقريته ﷺ لأنه مدحه، وأثنى عليه - وما أدراك ما أثر مدح النبي ﷺ؟ - ثم علّق استحقاق هذا المدح على قيامه الليل حتى يتم جانب النقص في الفضيلة بطول القيام، ويمكنك أن تدرك أثر الأسلوب النبوي على حال عبد الله رضي الله عنه مع القيام من تعبير الراوي في قوله: (فَكَانَ عَبدُ اللهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إلاَّ قَلِيلاً).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر لإرشاد النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩/١٤٠) واللفظ له.

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، وشدة امتثال ابن عمر رضي الله عنهما لإرشاد النبي ﷺ:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما على إحياء الليل وقيامه، فقال ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وسبب ذلك ما جاء في رواية البخاري عن سالم بن عبدالله عن أبيه رضي الله عنهما قال: كانَ الرجلُ في حياةِ النبيِّ ﷺ إذا رأى رُؤيا قصَّها على رسولِ الله ﷺ، فَتمنَّيتُ أن أرى رُؤيا فأقُصَّها على رسولِ الله ﷺ، وكنتُ غُلامًا شابًّا، وكنتُ أنامُ في المسجدِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فرأيتُ في النومِ كأنَّ مَلَكينِ أخذاني فذَهَبا بي إلى النار، فإذا هيَ مَطْوِيَّةٌ كطيِّ البئرِ، وإذا لَها قَرنانِ، وإذا فيها أُناسٌ قد عرفتهم، فجعلتُ أقولُ: أعوذُ باللهِ منَ النار. قال: فلقِينا مَلَكٌ آخَرُ فقالَ لي: لم تُرَعْ فقَصَصتُها على حَفْصةَ، فقصَّتْها حفصة على رسولِ الله ﷺ فقال: ((نعمَ الرجلُ عبدُاللهِ لو كانَ يُصلِّي منَ الليلِ))[1].

قال ابن حجر: "قال القرطبي: إنما فسر الشارع من رؤيا عبدالله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبدالله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها، وأشار المهلب إلى أن السر في ذلك كون عبدالله كان ينام في المسجد ومن حق المسجد أن يتعبد فيه فنبه على ذلك بالتخويف بالنار"(٢)، واستجاب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لذلك كما قال سالم: فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً.

فلقد ظلت كلمة الصادق الصدوق ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل) شعارَ عبدالله بن عمر المُحبب، فلا يكاد يترك إحياء الليالي إلا وهو قائم بالصلاة ومناجاة العليم الخبير واستغفاره[3].

فلقد كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يضرب به المثل في اقتدائه برسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢١، ١١٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/١٠.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٨٦.

واقتفاء أثره، فكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أسوته كاملة بكل أعمال رسول الله ﷺ وأقواله فقد كان يتّبع آثار الحبيب محمد ﷺ.

والآثار في ذلك كثيرة منها ما روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((ما أَتَيْتُ على الركن، منذ رأَيت رسول الله ﷺ يمسحه - في شدة ولا رخاء - إلاّ مَسَحْتُهُ))[1].

"وشهد لابن عمر رضي الله عنهما بحسن اقتفائه للآثار المحمدية، شاهد من أهل البيت النبوي، هذا الشاهد من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم، ومن علماء الأمة، بل أفقه نساء الأمة على الاطلاق، أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قالت: ((ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر رضي الله عنهما))"[2].

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه: "كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحفظ ما يسمع من رسول الله ﷺ، وإذا لم يحضر، يسأل من يحضر عما قال رسول الله ﷺ وفعل. وكان يتتبع آثار رسول الله ﷺ في كل مسجد صلى فيه، وكان يعترض براحلته في كل طريق مرّ بها رسول الله ﷺ، فيقال له في ذلك فيقول: أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ"[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل

إن لقيام الليل فضل لا يُدانى، وشرف لا يُضاهى، وقد جاء في الحديث ما يدل على فضله وذلك في قوله ﷺ: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، قال ابن حجر: "ومقتضاه أن من كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل"[4]، وإن قيام الليل أفضل النوافل، وفيه يكون العبد أقرب ما يكون من ربه، وفي أوقات التهجد تفتح أبواب السماء وتستجاب الدعوات وتستعرض حوائج السائلين[5]، وقد مدح الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٤٠، رقم ٤٩٨٦، وقال عنه محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٩/٤٠.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٤/١٤٥.

(٣) تاريخ بغداد ٢/١٧٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٩.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته، فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3].

إن قيام الليل والاجتهاد في التقرب إلى الله تعالى من أقوى أسلحة المؤمن، وذلك لأن للطاعات نورًا ينعكس على وجه أصحابها وفيه استرواح وخلوص من مشاغل الحياة وعنائها، ليقف المؤمن بين يدي الله في خشوع وخضوع وركوع وسجود، وصلاة الليل مصدر متجدد للطاقة الروحية والزاد[4].

وقد رغّب القرآن في الصلاة في جوف الليل، وأن المحافظين على الصلاة في الليل مستحقون لخيره ورحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[5].

فوصفهم الله تعالى بالإحسان في قوله: (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) ومن أفضل أنواع الإحسان عبادة الخالق، ومنها صلاة الليل الدالة على الإخلاص وتواطؤ القلب واللسان، ولهذا قال: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) ي كان هجوعهم أي نومهم بالليل قليلاً.

وأما أكثر الليل فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة وقراءة وذكر ودعاء وتضرع (وبالأسحار) التي هي قبيل الفجر (هم يستغفرون) الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٢٧، ٢٨.

(٥) سورة الذاريات، الآيات: ١٥ - ١٨.

السحر ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل يستغفرون الله تعالى استغفار المذنب لذنبه، وللاستغفار بالأسحار فضيلة وخصيصة ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1][2].

والحكمة في الترغيب بصلاة قيام الليل هي أن النفس تصفو في هذا الوقت وترنو إلى اجتلاء الطبيعة في مجتلاها الرحب، وقد لفّها السكون وتراءت النجوم في سمائها متألقة وضاءة مما يطلق النفس من قيودها التي سببها ضجة العمل وزحمة العيش، ويجعلها تهفو إلى خالقها مقدسة له مسبحة بحمده ممجدة لعظمته وما يستتبع ذلك من إصلاح النفس، وتزكيتها وإسباغ الطمأنينة عليها.

وقد روي أن الرسول ﷺ كان يقوم للصلاة في الليل تارة إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، فكان عندما يستيقظ يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات التي فيها الدلائل على وجود الله تعالى وقدرته والتي تفجر الإحساس الروحي في قلب الإنسان[3].

روي عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((بتُّ عند خالتي ميمونة، فتحدَّثَ رسولُ الله ﷺ مع أهله ساعةً ثم رَقَدَ. فلما كان ثُلثُ الليل الآخِرُ قعدَ فنَظَرَ إلى السماء فقال: ﴿إنَّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولي الألباب﴾[4]، ثم قام فتوضَّأ واستنَّ فصلى إحدَى عشرةَ ركعةً، ثم أَذَّنَ بلالٌ فصلى ركعتَين، ثم خرج فصلى الصبحَ))[5].

وفي رواية عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنهما أن ابن عباس أخبره أنه ((باتَ عند مَيمونَةَ زوج النبيِّ ﷺ - وهيَ خالتُهُ - قال: فاضطجعْتُ فِي عَرضِ الوِسادة واضطَجَعَ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٥١، ٧٥٢.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٢٣٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٦٩.

رسولُ الله ﷺ وأهلُهُ في طولِها، فنامَ رسول الله ﷺ حتى انتصفَ الليلُ أو قبله بقليل أو بعده بقليل، ثم استيقظَ رسول الله ﷺ فجعلَ يَمسحُ النومَ عنْ وَجهه بيدَيه، ثم قرأ العشرَ الآيات الخواتمَ من سورةِ آل عَمرانَ، ثم قام إلى شَنٍّ مُعلَّقةٍ فتوضأ منها فأحسنَ وُضوءَه ثم قامَ يُصلِّي. فصنَعتُ مثل ما صنَعَ، ثم ذهبتُ فقمتُ إلى جَنبِهِ، فوضع رسولُ الله ﷺ يَدَهُ اليمنى على رأسي، وأخذَ بأُذني اليمنى يَفْتِلُها، فصلى رَكعتَين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعَتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوترَ، ثم اضطجَعَ حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعَتين خَفيفَتين، ثم خرجَ فصلى الصُّبح))[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث حيث رغّب النبي ﷺ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في قيام الليل بالنجاة من النار والثناء عليه بقوله: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وأسلوب الترغيب من أرجى الأساليب الدعوية نفعًا وأشدها في نفوس المدعوين أثرًا، وذلك لما جبلت عليه النفوس البشرية وطبعت عليه من حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل أصحابها يتقبلون كل ما يحقق لهم ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان الأجر والثواب على العمل في الدنيا والآخرة، وكلما كان الداعية مجيدًا لعرض أسلوب الترغيب كلما كان التأثير كبيرًا[2]، وقد ورد استعمال الترغيب في القرآن كثيرًا وذلك مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

إن القرآن الكريم وهو أساس المنهج الإسلامي يحتوي على كثير من الآيات التي تتخذ أسلوب الترغيب والترهيب - وهو أحد ركني الوعظ - منطلقًا لعلاج أمراض الشخصية وإصلاحها، والمتتبع لآيات القرآن يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة

---

(١) أخرجه البخاري ٤٥٧٢.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

ملموسة فيها، تارة بالتذكير بالتقوى، وأخرى بالحض على النصح، وثالثة باتباع سبيل الرشاد، ورابعة بالإغراء بالترغيب، وخامسة باستعمال أسلوب التهديد. وهذا يدلنا على أن للوعظ في القرآن الكريم أهمية بالغة في تكوين الشخصية الإسلامية وفي إزالة الأمراض التي تعتريها[١].

يقول ابن تيمية عن القرآن الكريم: "... وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب، والقصص التي فيها عبرة، ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب في ما ينفعه، ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محبًا للرشاد مبغضًا للغي، بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد"[٢].

فالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الفضيلة بالترغيب والترهيب من أفضل الوسائل التي تؤثر على الشخصية الإنسانية. فالترغيب والترهيب يجعلان الإنسان يسلك راضيًا مختارًا السلوك الحسن، وينبذ السلوك السيئ. والمنهج الإسلامي قد تضمن مواعظ كثيرة ليثير نفس الإنسان ويدفعها إلى التخلق بأحسن الصفات. فالموعظة من شأنها أن تطرق قلبه وتشد رغائبه، وترتقي به إلى أعلى منزلة، وتهديه إلى الخير، وتبين له مزاياه إلى جانب أنها تنبه مشاعره وتضعه في موقف الخوف والرهبة، وتذكره بما ينتظره يوم القيامة إذا ما اقترف معصية وأصر عليها[٣].

وهكذا فالترغيب والترهيب في المنهج الإسلامي يعتمد على ضبط انفعالات الإنسان وعواطفه بحيث لا يطغى التخويف على الأمل والرجاء فيقنط من عفو الله تعالى، ولا ينبغي أن يصل به الرجاء إلى الأمن من مكر الله تعالى، بل يكون بينهما توازن. "لقد استخدم الإسلام الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية استخدامًا لا يمكن أن يصل إليه منهج من مناهج البشر، لأنه توجيه ينبني على حاجة النفس الفطرية وما ترغبه النفس وترهبه، وهذا أمر خفي على بني الإنسان"[٤].

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٢/٦٨٧ - ٦٨٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٩٥.

(٣) انظر: منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور ص ٢٤٩.

(٤) معالم في التربية، د. عجيل جاسم النشمي ص ٢٠٧.

فالمنهج الإسلامي لم يَدَعْ فضيلة إلا حثّ الشخصية الإسلامية عليها، وأضاء لها طريق الوصول إليه، ولم يَدَعْ رذيلة إلا حذرها إياها ووضع العقبات في طريقها وبين لها العاقبة الأليمة التي تكون جزاء من يقترفها.

ومع ذلك فهناك طائفة من الناس يشيعون أن طريق المنهج الإسلامي في التخويف من الله تعالى ومن الحساب يوم القيامة يتنافى تربية الشخصية الحرة. ويُرَدّ على هؤلاء بأن تجريد التربية من عنصر الخوف مطلقًا إنما هو وهم وخيال وإنكار لواقع الإنسان الذي خلق عليه من الخوف والرجاء، وإذا كان الأمر كذلك فليكن الخوف من الله الخالق العادل، وهو مع هذا خوف مشوب بالرجاء في عفوه[1].

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٤٩.

الحديث رقم (١١٦٥)

١١٦٥- وعن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((يَا عَبدَ اللهِ، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيلِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

والحديث كسابقه من باب الترهيب من نوم الإنسان إلى الصباح، وترك قيام الليل جاء فيه نهي الرسول ﷺ لعبد الله (لا تكن) بمعنى الحث على المداومة على قيام الليل، والاتصاف بصفة المتهجدين لينال منزلتهم، وحث الرسول ﷺ بهذا الأسلوب يوحي للمخاطب بأنه على الصواب الذي لا يجب تركه كحال غيره مما يعطيه شعورا بالارتياح يدفعه إلى مزيد من التمسك بصفة قيام الليل التي أوجبت له ذلك وترك الغفلة، والكسل الذي أوجب لغيره هذه الحال فلا يكون مثله، وقوله (مثل فلان) إبهام مثل هذا لقصد الستر عليه. .ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصا معينا وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمر من الصنيع المذكور)[2].

فقه الحديث

بوّب البخاري على هذا الحديث: باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه[3].

ثم قال ابن حجر: (قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب؛ إذ لو كان واجبًا لم يكتف لتاركه بهذا القدر بل كان يذمه أبلغ الذم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩/١٨٥) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١٥٤)، و (٦٩٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٣).

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٦/٣.

(٣) الحديث رقم ١١٥٢.

وقال ابن حبان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب إذا قصد بذلك التحذير من صنيعه.

وفيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط.

ويستنبط منه كراهة قطع العبادة وإن لم تكن واجبة، وما أحسن ماعقب المصنف [أي البخاري] هذه الترجمة بالتي قبلها[1]، لأن الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها، لأن التشديد فيها قد يؤدي إلى تركها وهو مذموم)[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) وهي: باب ما يكره من التشديد في العبادة، الحديثان ١١٥٠، ١١٥١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣٨ .

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٥٤.

الحديث رقم (١١٦٦)

١١٦٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: ((ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أَوْ قَالَ: فِي أُذُنِهِ-)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث من باب التحذير من نوم الليل كله وترك قيامه، أو بعضه استخدم فيه الرسول ﷺ التصوير البياني في التنفير من نوم الليل كله في قوله ﷺ (ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ) الإشارة في بداية العبارة للذم، وبول الشيطان في أذن الإنسان قِيلَ هُوَ عَلَى حَقِيقَته قَالَ الْقُرْطُبِيّ، وَغَيْره لا مَانِع مِنْ ذَلِكَ إِذْ لا إِحَالَة فِيهِ لأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الشَّيْطَان يَأْكُل، وَيَشْرَب، وَيَنْكِح فَلا مَانِع مِنْ أَنْ يَبُول وَقِيلَ: هُوَ كِنَايَة عَنْ سَدّ الشَّيْطَان أُذُن الَّذِي يَنَام عَنْ الصَّلاة حَتَّى لا يَسْمَع الذِّكْر وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان مَلأَ سَمْعه بِالأَبَاطِيلِ فَحَجَبَهُ عَنْ الذِّكْر، وَقِيلَ هُوَ كِنَايَة عَنْ إِزْدِرَاء الشَّيْطَان لَهُ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الشَّيْطَان اِسْتَوْلَى عَلَيْهِ، وَاسْتَخَفَّ بِهِ حَتَّى اِتَّخَذَهُ كَالْكَنِيفِ الْمُعَدّ لِلْبَوْلِ إِذْ مِنْ عَادَة الْمُسْتَخِفّ بِالشَّيْءِ أَنْ يَبُول عَلَيْهِ قَالَ الطِّيبِيُّ خَصَّ الأُذُن بِالذِّكْرِ، وَإِنْ كَانَتْ الْعَيْن أَنْسَب بِالنَّوْمِ إِشَارَة إِلَى ثِقَل النَّوْم فَإِنَّ الْمَسَامِع هِيَ مَوَارِد الانْتِبَاه، وَخَصَّ الْبَوْل لأَنَّهُ أَسْهَل مَدْخَلاً فِي التَّجَاوِيف وَأَسْرَع نُفُوذًا فِي الْعُرُوق فَيُورِث الْكَسَل فِي جَمِيع الأَعْضَاء[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٠)، ومسلم (٧٧٤/٢٠٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤١).

(٢) شرح سنن النسائي حديث (١٥٩٠).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أحوالهم على رسول الله ﷺ:

لقد كانت شيمة الصحابة رضي الله عنهم والصفة العامة التي كانت تغلب عليهم أنهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث: (ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، فقال: "ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه)، وقد انتهج الصحابة رضي الله عنهم هذا النهج القويم في رجوعهم إلى النبي ﷺ استجابة منهم لما أمروا به من الرد والعرض للأمور والقضايا على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[2].

إن مما يؤكد صدق الاتباع لرسول الله ﷺ تحكيم سنته والتحاكم إليها وجعلها الميزان الذي توزن به الأقوال والأفعال والأحكام.

ولقد أمر الله المؤمنين برد قضاياهم وما تنازعوا إليه إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ وأعلمهم أن ذلك خير لهم في الدنيا وأحسن عاقبة في الأخرى، وفي الأمر بالرد إلى كتاب الله وسنة رسوله دلالة صريحة على أنهما كافيان لفصل النزاع وتقديم الحل لكل مشكلة تقع بين المسلمين. وإن إيمان المؤمن ليحمله على الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله حينًا بعد حين لمعرفة حكم الشرع في كل ما يجد له من أمور الحياة.

وفائدة هذا الأمر عظيمة جدًا، إذ يظل المسلم على جادة الاتباع لا يحيد عن الصراط المستقيم طالما أحسن الرجوع إلى الكتاب والسنة، وقد أمر الله بتحكيم نبيه

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

-في حياته وسنته بعد مماته- في كافة أنواع النزاع للفصل فيها فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

فأقسم سبحانه بذاته على أنه لا يثبت للمؤمنين الإيمان، حتى يحكموا رسول الله ﷺ في موارد النزاع في كافة الأمور، وأن هذا التحكيم غير كافٍ حتى يجتمع إليه الرضى بحكمه والتسليم لأمره، مع انشراح صدورهم وطيب نفوسهم بقضائه وحكمه.

وأصل ذلك أن المسلم متبع لرسول الله ﷺ في كافة أحواله فإذا عرض له أمر أو تنازع مع أخيه المسلم في أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا فزع عند ذلك إلى سنة رسول الله ﷺ، حتى يجد فيها جوابًا شافيًا كما كان حال الصحابة معه ﷺ في حياته، يفزعون إليه يسألونه في كافة أمورهم، ويحتكمون إليه في كل شؤونهم، فإذا حكم بشيء قبلوا حكمه وسلّموا به عن طيب نفس ورضى"[2]. وذلك استجابة منهم لما أمرهم به من الرد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من ترك قيام الليل والتكاسل:

رهبّ النبي ﷺ من ترك قيام الليل وذمّ هذا التكاسل في قوله ﷺ عن الرجل الذي ذكر له بأنه نام ليلة حتى أصبح، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه، أو قال: أذنه).

قال القاضي عياض: "وقول النبي ﷺ للذي نام حتى أصبح: (بال الشيطان في أذنيه) قال المُهلب: هذا على سبيل الإخبار بتحكم الشيطان في العقد على رأسه بالنوم الطويل، وقال ابن قتيبة: يقال بال في كذا إذا أفسده، وتأتي كلمة بال بمعنى استخف به واستحقره واستعلى عليه، كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[3]، وقد يقال لمن استخف بالإنسان وخدعه: بال في أذنه.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع بتصرف، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٨.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١٩.

وقال أبو بكر: ويجوز أن يكون معناه: أخذ بسمعه عن نداء الملك ثلث الليل (هل من داع فيستجاب له) وشغله بوسوسته وتزيينه له النوم وبحديثه بذلك في أذنه كالبول فيهما، لأنه قذر نجس خبيث وأفعاله كلها قذرة خبيثة.

وقال الحربي: بال هنا معناه: ظهر عليه وسخر منه.

وقال الطحاوي: هو استعارة لا على الحقيقة، وعبارة عن الطوع وفعل أقبح الفعل بالنوّام ومن يذله ويقهره.

قال القاضي: ولا يبعد أن يكون على وجهه وقصد الشيطان بذلك إذلاله ونهاية طاعته له، وتأتّي ما أراد منه من استغراق في نومه حتى فعل به كذلك، وقد يكون (بال في أذنه) كناية عن ضرب النوم واستغراقه وخص ذلك بالأذن كما خصها في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾[1]، ولأن الأذن حاسة المنتبه بكل حال وموقظة النائم بما يطرأ عليه من الأصوات"[2].

وعلى كل حال فترك قيام الليل يمكّن الشيطان من الإنسان، فينبغي على المسلم ألا يمكّن الشيطان منه، بعد ترك الليل.

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تقوية الصلة بالله تعالى:

يستنبط ذلك من عموم الحديث؛ إذ أن من أهداف الدعوة الرئيسة تقوية صلة العبد بربه عز وجل، وتوطيد علاقته به، فإن العبد لا يتأتى أن يصحبه توفيق الله ونصرته ونجاحه، ما لم يكن على صلة وثيقة بربه وعلاقة وطيدة بمولاه ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يجني عليه اجتهاده[3]

ومن أهم سبل تقوية العلاقة بالله تعالى قيام الليل وإحياؤه بالصلاة التي هي أعظم

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٧.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٢٩. والبيت في: نفح الطيب قافية الهاء ١٧٧/٦.

النعم، فهي كفارة لذنوبنا ورفع لدرجاتنا عند ربنا، ثم هي علاج عظيم لمآسينا ودواء ناجع لأمراضنا، تسكب في ضمائرنا مقادير زاكية من اليقين وتملأ جوانحنا بالرضا، أما الذين جانبوا المسجد وتركوا الصلاة، فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]"[2].

إن الصلاة صورة من الصور التي يقوم بها الإنسان لعبادة خالقه، وهي صلة بين العبد وربه، ومنزلتها في الإسلام بمنزلة الرأس من الجسد، والصلاة مظهر للإسلام وعلامة للإيمان، وقرة العين وراحة الضمير، روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))[3].

إن قيام الليل وإعماره بالصلاة وكذلك الصلوات عامة - في أوقاتها - تحقق دوام الذكر لله تعالى ودوام الاتصال به، وتمثل تمام الطاعة والاستسلام لله والتجرد لله وحده وتربي النفس وتهذب الروح وتنير القلب بما تغرس فيه من جلال الله وعظمته، وتحلي المرء وتجمله بمكارم الأخلاق، فهي عمل من صميم التدين، ولذلك كانت سنة مطردة على تعاقب الرسل عليهم السلام بعد التوحيد، بها تتوثق أسباب الاتصال بالله ويتزود العبد من خلالها بطاقة روحية تعينه على مشقة التكليف.

لقد شرع الله للمسلمين الصلوات للثناء عليه بما يستحقه وليذكرهم بأوامره وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من أنواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، فيها يقف الإنسان بين يدي ربه في خشوع وخضوع مستشعرًا بقلبه عظمة المعبود مع الحب والخوف من جمال وجلال المعبود، طامعًا فيما عنده من الخير وراغبًا في كشف الضر، وَجِلاً من عقابه الشديد.

يقف المسلم في الصلاة في رحاب الله ليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب من الله ويشعر بمعية الله فتمتلئ جوانحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين فيخشع راكعًا

---

(١) سورة محمد، آية: ٨.

(٢) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ط/٣ دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩، ص ٤١.

(٣) أخرجه النسائي ٣٥٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٣٦٨١).

ويخشع ساجدًا ويستمد العون والتأييد[1]، ويكتب له الفوز ويُعدُّ من الفالحين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

---

(١) انظر: الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ١٨ - ٢٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

الحديث رقم (١١٦٧)

١١٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأسِ أحَدِكُمْ، إذَا هُوَ نَامَ، ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإن اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انحلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضَّأ، انْحَلَّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّى، انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلاَّ أصْبحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

قافية رأس أحدكم: قافية الرأس: آخره[2].

يضرب على كل عقدة: تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل: معنى يضرب: يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾[الكهف: ١١] أي حجبنا الحس أن يلج في آذانهم فينتبهوا[3].

الشرح الأدبي

يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَقْدُ بِمَعْنَى السِّحْرِ لِلإِنْسَانِ وَالْمَنْعِ لَهُ مِنَ الْقِيَامِ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) وَالْقَافِيَةُ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ، وَقَافِيَّةُ كُلِّ شَيْءٍ آخِرُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتْ قَافِيَةُ الْبَيْتِ مِنَ الشِّعْرِ لأَنَّهَا آخِرُهُ وَلَمَّا قَالَ ﷺ: (إِذَا هُوَ نَامَ) كَانَ ظَاهِرُهُ إِنْ عَقَدَهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ النَّوْمِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ (عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ) إِنَّ ذَلِكَ مَقْصُودُ ذَلِكَ

---

(١) اخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم (٧٧٦/٢٠٧). والسياق للمنذري في ترغيبه (٨٩٣، ٩٤٤).

(٢) رياض الصالحين ٦٦٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١.

الْعَقْدِ وَمُرَادُ الشَّيْطَانِ مِنْهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ تَسْوِيفُهُ بِالْقِيَامِ وَالإِلْبَاسِ عَلَيْهِ لأَنَّ فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلِ مِنَ الطُّولِ مَا لَهُ فِيهِ فُسْحَةٌ، والحديث صور بأسلوب الأمر في عبارة (عليك ليل طويل فارقد) الشيطان، وهو يعقد عقده فجسد صورة الشيطان كساحر كريه ماكر يدبر مؤامرته ليضيع على الإنسان بالنصب على الإغراء.... وقال القرطبي الرفع أولى من جهة المعنى، لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يخبره بالرقاد بقوله، وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد وَقَوْلُهُ ﷺ: (فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ) يُرِيدُ أَنَّ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْوُضُوءِ، وَبِالصَّلاةِ تَنْحَلُّ عُقَدُ الشَّيْطَانِ كُلُّهَا، وَيَنْجُو الْمُسْلِمُ مِنْ كَيْدِهِ وَمِنْ شَرِّ عُقَدِهِ فَيُصْبِحُ نَشِيطًا قَدْ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقَدُ الشَّيْطَانِ الَّتِي تُكَسِّلُهُ طَيِّبَ النَّفْسِ بِمَا عَمِلَ فِي لَيْلِهِ مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ(وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ) يُرِيدُ مُتَغَيِّرًا قَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَثَبَّتَ عَلَيْهِ عُقَدَهُ وَكَسَّلَهُ عَنِ النَّشَاطِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ[1].

فقه الحديث

١-حكم صلاة الليل:

قال ابن حجر: (ادعى ابن العربي أن البخاري أومأ هنا إلى وجوب صلاة الليل، لقوله ﷺ "يعقد الشيطان"، وفيه نظر، فقد صرح البخاري في خامس ترجمة من أبواب التهجد بخلافه حيث قال: "من غير إيجاب"[2] وأيضًا في تقدم تقريره من أنه حمل الصلاة هنا على المكتوبة يدفع ما قاله ابن العربي أيضًا. ولم أر النقل في القول بإيجابه إلا عن بعض التابعين. قال ابن عبدالبر: شذّ بعض التابعين فأوجب قيام الليل ولو قدر حلب شاة. والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه)[3].

٢- قال ابن حجر: (إنما خصّ الوضوء بالذكر؛ لأنه الغالب. وإلا فالجنب لا يحلّ عُقْدَته إلا الاغتسال. وهل يقوم التيمم مقام الوضوء أو الغسل لمن ساغ له ذلك محل بحث.

---

(١) المنتقى شرح موطأ الإمام مالك حديث (٣٨٣).

(٢) هو: باب تحريض النبي ﷺ على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب، الأحاديث ١١٢٦-١١٢٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٧ .

والذي يظهر إجزاؤه، ولا شك أن في معاناة الوضوء عونًا كبيرًا على طرد النوم لا يظهر مثله في التيمم)[١].

٣-وقال ابن حجر: (لا يتعين للذكر شيء مخصوص لا يجزئ غيره، بل كل ما صدق عليه ذكر الله أجزأ. ويدخل فيه تلاوة القرآن وقراءة الحديث النبوي والاشتغال بالعلم الشرعي. وأولى ما يذكر به ما سيأتي بعد ثمانية أبواب في "باب فضل من تعارّ من الليل"[٢] ويؤيده ما عند ابن خزيمة من الطريق المذكورة "فإن تعار من الليل فذكر الله")[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان للإنسان وتثبيطه عن القيام للصلاة:

جاء في كثير من آيات القرآن التصريح بعداوة الشيطان للإنسان ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٤]، وفي الحديث صورة من صور تجسيد الشيطان لهذه العداوة وذلك بتثبيط الإنسان عن القيام للصلاة، فقال ﷺ: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة)، أي: يضرب بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها، وقيل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٨/٣ .

(٢) أخرج البخاري ١١٥٤ من حديث عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعًا: "من تَعَارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي -أو دعا- أستجيب، فإن توضأ قبلت صلاته".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٨/٣ .

(٤) سورة فاطر، آية: ٦.

معنى يضرب يحجب الحس عن النائم حتى لا يستيقظ، قائلاً: عليك ليل طويل فارقد، أي يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه[١].

قال القاضي عياض: "وقوله: (يقول: عليك ليل طويل فارقد)، أن ذلك مقصود العقد، وقيل: هو من عقد القلب وتصميمه، وقد فسّر هذا العقد بقوله: (عليك ليل طويل) كأنه يقولها إذا أراد النائم القيام لحزبه فيؤثر ذلك في نفسه ويعقد صرفه حتى يصبح ويفوتُه حزبُه، وقيل: هو مجاز كُنّي به عن حبس الشيطان وتثبيطه عن قيام الليل"[٢].

وذلك مظهر من مظاهر عداوة الشيطان لبني آدم، وقد حذرنا الله منه ومن الوقوع في شباكه وبراثنه في كثير من آي القرآن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[٤]، وجاءت آية فاطر مؤكدة لهذه العداوة بكثير من المؤكدات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تعالى لعداوة إبليس لابن آدم فقال: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)، أي: هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣١.
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/١٤٢.
(٣) سورة يس، الآيات: ٦٠ - ٦٢.
(٤) سورة الكهف، آية: ٥٠.
(٥) سورة فاطر، آية: ٦.

فيما يغركم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين[١]، من قديم الأزل فهو الذي أخرج أبانا آدم من الجنة، وأوقعه في الزلة، وهو الذي أقسم على إغوائنا وإضلالنا ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٢]، وقال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[٣][٤]، ولضراوة عداوة الشيطان وضرورة أخذ الإنسان الأهبة والاستعداد التام والحذر الدائم من ذلك العدو اللدود المعلن للعداوة المبارز بها، لذا كان الحذر من الشيطان وإغوائه من مراتب الجهاد، وقد قسم الإمام ابن القيم الجهاد إلى أربع مراتب، جعل المرتبة الثانية منها جهاد الشيطان، فقال: "فالجهاد أربع مراتب: جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين.. وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٥]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تُنَال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٣٤/٦.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١١٨ - ١١٩.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٦٤/٢٢/٣.

(٥) سورة السجدة، آية: ٢٤.

الشكوك والشبهات"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على ذكر الله تعالى:

جاء في الحديث بيان أن ذكر الله والوضوء والصلاة إنقاذ للإنسان من الشيطان وحل لعقده التي يعقدها على قافية رأس الإنسان وهو نائم، وإخبار رسول الله ﷺ عن ذلك يحمل في نفس الأمر حثًا على ذكر الله تعالى، وحثًا على صلاة الليل، فقال ﷺ: "فإن هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عُقَدُه فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

يبين ابن القيم منزلة الذكر وأهميته[٢] فيقول: "وهي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون والذكر منشور الولاية الذي مَنْ أعطيه اتصل، ومن مُنعه عُزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بين العباد وربهم، به يستدفعون وتهون عليهم به المصيبات"[٣]، وقد أمرنا الله بذكره والإكثار من ذلك فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[٤]، ومدح الله عباده أولي الألباب والنهى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[٥].

وذكر ابن القيم أكثر من مائة فائدة للذكر منها: "أنه يطرد الشيطان ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويقوي البدن والقلب ويجلب الرزق"[٦]،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/١٠.

(٢) موسوعة نضرة النعيم، ٥/١٩٦٢.

(٣) مدارج السالكين ٢/٤٥١.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٦) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط/١ مكتبة ابن الجوزي، الدمام: ١٩٨٩م، ص ٨٣ - ١٥٣.

وذلك ما يستطيع القارئ أن يلمحه في قوله ﷺ: (فإذا هو استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقده).

والدعوة إلى ذكر الله لا تقتصر عند مجرد الاستيقاظ من النوم بل إن الذكر مطالب به الإنسان في جميع الأحوال والأحايين، لذا جاءت النصوص مرشدة إلى ختم الأعمال بذكر الله تعالى ومصاحبته لها.

يقول ابن القيم مبينًا مشروعية ختم الأعمال الصالحة بالذكر ومصاحبته لها وبيان فضل الذاكرين: "وأما ختم الأعمال الصالحة به، فكما ختم به عمل الصيام بقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، وختم به الحج في قوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2]، وختم به الصلاة كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[3]، وختم به الجمعة كقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ولهذا كان خاتمة الحياة الدنيا. وإذا كان آخر كلام العبد أدخله الله الجنة.

وأما اختصاص الذاكرين بالانتفاع بآياته، وهم أولو الألباب والعقول، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[5].

وأما مصاحبته لجميع الأعمال، واقترانه بها، وأنه روحها فإنه سبحانه قرنه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

بالصلاة، كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[1]، وقرنه بالصيام وبالحج ومناسكه؛ بل هو روح الحج ولبه ومقصوده، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[2].

وقرنه بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

والذاكرون هم أهل السبق كما روى مسلم في صحيحه من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[4].

(والمفردون) إما الموحدون، وإما الآحاد الفرادى.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟)) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((ذِكْرُ اللَّهِ))[5].

---

(١) سورة طه، آية: ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٩٨ - ٢٠٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٧٩٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٥٧).

وروى شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت الأغر قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(١).

ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله، كما في صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. فَقَالَ: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))(٢).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على صلاة الليل والحرص عليها:

يستنبط ذلك من بيانه ﷺ لأثر الصلاة في رفع سيطرة الشيطان على النائم، فقال ﷺ: (فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطًا طيب النفس)، وذلك لما لصلاة الليل من فضل، ولما فيها من مجاهدة للنفس، قال ابن رجب الحنبلي: "فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة، قال بعضهم: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ولأن القراءة في صلاة الليل أقرب إلى التدبر فإنه تنقطع الشواغل بالليل، ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم"(٣)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾(٤).

قال ابن كثير: "والغرض أن ناشئة الليل هي: ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٨.

(٤) سورة المزمل، الآية: ٦.

ناشئة وهي الآنات، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة، ولهذا قال: (هي أشد وطئا وأقوم قيلا) أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش"[١].

إن قيام الليل شرف المؤمن، فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِتٌ وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ))[٢].

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[٣].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على النشاط في العبادة:

يتضح ذلك من حث رسول الله ﷺ في الحديث على أسباب النشاط من ذكر الله تعالى والوضوء والصلاة، فقال ﷺ: (فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)، والنشاط كما جاء في الحديث ضد الكسل والنشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله[٤]، ولقد كان رسول الله ﷺ مضرب المثل في الحيوية والنشاط، روي عن البراء رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرابَ، وَقَد وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:

لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلِن سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٢/٨.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط ٢٩٧/٢، وأبو نعيم في الحلية ٢٥٣/٣، وحسنه الألباني، (الصحيحة ٨٣١).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ن ش ط).

إِنَّ الأُلَـــى قَـــد بَغَـــوْا عَلَيْنَـــا وإن أَرَادُوا فِتْنَـــةً أَبَيْنَـــا))[١]

والنشاط دليل اليقين والإيمان، وعلامة من علامات إزهاق الشيطان، وهو دليل رضا الله وعلامة القرب منه كما أنه يكسب المرء حب الله ورضا الناس ويرفع ذكره في العالمين إلى غير ذلك من الفوائد[٢].

ولقد أرشد النبي ﷺ الأمة إلى اغتنام الأوقات التي يتزايد فيها نشاط الإنسان ومنها أوقات الصباح، ودعا النبي ﷺ للأمة بالبركة فيها فقال: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا))[٣]، وإننا فعلاً نجد بركة اليوم كله حينما نغتنم هذه الساعات بالعمل فتطيب أنفسنا وننشط طوال نهارنا خلافًا لحالنا حينما نمضي تلك الساعات في النوم وهذا مصداق لقول الرسول ﷺ فيمن بدأ يومه بصلاة الفجر"[٤].

والفارق عظيم بين من اغتنم بركة يومه وبين من ضيعها، فإن الأول نتيجته نشاط وإنتاج، والثاني نتيجته كسل وفشل، قال د. يوسف القرضاوي معلقًا على هذا الحديث: "وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عُقَد الشيطان كلُّها من نفسه، فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة وانطلق إلى معترك الحياة، نشيط الجسم، طيب النفس، منشرح الصدر، وبين من ظلت عُقَد الشيطان فوق رأسه، فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان!"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٨/٨. [البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩٦/٤]

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٤) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

(٥) الوقت هو حياة المسلم ص ١٣.

الحديث رقم (١١٦٨)

١١٦٨- وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أيُّهَا النَّاسُ: أفْشُوا السَّلامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ[1] وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سلام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٩).

غريب الألفاظ:

أفشوا: انشروا[3].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بنداء عام (يَا أَيّهَا النَّاس) وهو خطاب للجنس يفيد المبالغة، والتوكيد؛ لأن به أوجهاً من التوكيد :منها التوكيد والتنبيه في (يا) والتنبيه في (ها) والتدرج من الإبهام إلي التوضيح في (أي) والاسم المعرف بعدها، وتكرار المذكر، واختيار لفظ البعيد، وتأكيد معناه تناسباً مع المقامات في إفادة المبالغة، والتوكيد؛ لأن كل ما نادي الرسولُ ﷺ به أمته من أمر، ونهي، وعظات وزواجر، ووعد، ووعيد، وغير ذلك أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان واجب عليهم أن يتيقظواْ لها، فاقتضي الحال أن ينادواْ بالأوكد الأبلغ، ثم تبعها بمجموعة من الأوامر (أفشوا، أطعموا، صلوا) حثاً، وترغيباً في هذه الخصال التي تحقق التواصل بين المسلمين فيما بينهم، والصلة بينهم، وبين ربهم، ثم يكون في الجنة اجتماعهم جزاءً من جنس العمل لمن أطاع نبيه، وقد بدأ بإفشاء السلام؛ لأنه ليس فيه كلفة فهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى عظيم الأثر

---

(١) قوله: (بالليل) لا يوجد عند الترمذي، وإنما عند ابن ماجه (١٣٣٤).

(٢) برقم (٢٤٨٥). إلا قوله: (بالليل). والسياق للمنذري في ترغيبه (٣٩٨٣). وقال الحاكم (١٣/٣): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وتقدم برقم (٨٤٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ش و).

المترتب عليه، ثم عقب بالأمر بإطعام الطعام لمن يستطيع ثم قيام الليل ؛لأنه دأب الخواص، وقد أراد الرسول ﷺ أن تكون هذه الخصال ملأ الأسماع، والأبصار يتناقلها الركبان، وتصل إلى كل زمان، ومكان، لذلك صاغها بعبقرية تأخذ بالألباب فقد وردت العبارات مسجوعة دون تكلف مما جعل لها جرساً عذباً في السمع، وقبولا في النفس، وتمكناً في العقل، ثم الجناس اللطيف بين (أطعموا - الطعام) ثم الإرصاد بين السلام الذي أفشوه في أول الحديث، والسلام الذي دخلواْ به الجنة في نهاية الحديث، وكأنه يريد أن يجعل منه نشيداً للصالحين في كل زمان، ومكان، محبة بينهم، وقربة لربهم، لذلك صدَّره بالنداء العام، ووصل أفعال الحديث كلها بواو الجماعة لتشملهم في مظلة الحكم يحيطهم السلام، ويفيض بينهم الطعام في صلة بينهم، ورضواناً من ربهم في صورة أقرب ما تكون إلى جنة تنتظرهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨٤٩).

الحديث رقم (١١٦٩)

١١٦٩- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((افْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَافْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبوهريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور معناه حول الترغيب في التطوع في الصيام، وفي الصلاة جاء في أسلوب خبري دون مؤكدات بدأه بلفظ أفعل التفضيل الذي يحقق التشويق رغبة في معرفة الفاضل، والمفضول، وما يتبعه من بيان سر الأفضلية، ومن المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن العبادات كلها فاضلة، لأنها تقرب من الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية صيام شهر محرم، وقوله (بعد رمضان)احتراس يخرج الفرض من جملة المفضول؛ لأن التطوع لا يفضل الفريضة حتى لا يظن أحد أنه أفضل من صيام شهر رمضان، ثم عاد بصيغة أفعل التفضيل ليقرر أفضلية الصلاة في الليل على كل صلاة في غيره، وقوله (إلا الفريضة) احتراس يخرج الفريضة من جملة المفضول؛ لأنها من الفاضل بحسب رتبتها وقد قال الله تعالى في الحديث القدسي (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ)[2].

فقه الحديث

١- الصوم في شهر المحرم:

قال النووي: (قوله ﷺ: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم" تصريح بأنه أفضل الشهور للصوم)[3].

---

(١) برقم (١١٦٣/٢٠٢). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥، و١٥٠٠). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٥٤).

(٢) رياض الصالحين جزء من الحديث (٣٩١).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٤/٨/٤ .

وقال النووي كذلك: (وقولها [أي عائشة]: كان يصوم شعبان كله، كان يصومه إلا قليلاً)[١] فكيف أَكْثَر من الصيام في شعبان دون المحرم؟ فالجواب: لعله لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه.

أو لعله كان يعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. قال العلماء: وإنما لم يستكمل غير رمضان لئلا يظن وجوبه[٢].

٢- صلاة الليل: قال النووي: (قوله ﷺ: "وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار. وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل؛ لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث، والله أعلم)[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة.

ثانيًا: من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الصيام والصلاة بعد الفريضة:

جاء في صريح الحديث بيان أفضل الصيام بعد رمضان، وأفضل الصلاة بعد الصلوات المكتوبات، فقال ﷺ: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، وهذا تصريح بأن شهر المحرم أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[٤]، ودليل لما اتفق عليه العلماء من أن تطوع الليل أفضل من تطوع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٩، ١٩٧٠، ومسلم ١١٥٦، ١٧٦ وهذا لفظه.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٠/٨/٤ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٥/٨/٤ .

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٦٥.

النهار[١]، لأنه وقت الخشوع والسكون والخضوع، مع ما فيه من البعد عن الرياء[٢].

قال القرطبي: "وقوله: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم)، هذا إنما كان - والله تعالى أعلم - من أجل أن المحرم أول السنة المستأنفة التي لم يجيء بَعْدُ رمضانُها، فكان استفتاحُها بالصوم الذي هو من أفضل الأعمال، والذي أخبر عنه ﷺ بأنه ضياء، فإذا استفتح سَنَتَه بالضياء مشى فيه بقيتها"[٣].

"وفضل صلاة الليل لما فيها من السكون والخشوع والبعد عن الرياء، وقوة المقاومة وشدتها"[٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[٥].

وفي ذلك بيان من الله تبارك وتعالى لفضل صلاة الليل على صلاة النهار وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب، وقوله: (إن ناشئة الليل) أي: أوقاته وساعاته (أشد وطئا) أي أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات، وقال ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه أي: يواطئ السمع القلب، قال الله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[٦]، أي ليوافقوا، وقيل: المعنى أشد مهادًا للتصرف في التفكر والتدبر، وقيل: أشد وطئًا أي أشد ثباتًا من النهار، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفى لما يلهي ويشغل القلب.

وقوله: (وأقوم قيلا) أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي أشد استقامة واستمرارًا على الصواب، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه، وقال قتادة ومجاهد: أي: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، وقال أبو علي

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧٢٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٣.

(٣) المفهم ٢٣٥/٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٥.

(٥) سورة المزمل، الآية: ٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(أقوم قيلا) أي أشد استقامة لفراغ البال بالليل، وقيل: أي أعجل إجابة للدعاء"[١].

وقال القاسمي: "(إن ناشئة الليل) أي نشأته وطبيعة خَلْقِه ومَظْهَره (هي أشد وطئا) أي موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال (وأقوم قيلا) أي أسدّ مقالاً وأصوبه.

ونقل السيوطي عن الجاحظ قال: ناشئة الليل هي المعاني المستنبطة من القرآن بالليل أشد وطأً أي أبين أثرًا وأقوم قيلا، أي أصح مما تخرجه الأفكار بالنهار لخلو السمع والبصر عن الاشتغال"[٢].

ثانيًا - من فقه الداعي: بيان أفضل العبادات للمدعوين وحثهم على ذلك:

ما من شك أن الأعمال تتفاوت في الأجر والفضل، وأن منها الفاضل ومنها ما هو الأفضل، لذا كان من فقه الداعية دلالة مدعويه على الأفضل لتحصيلهم على مزيد الفضل وجزيل الثواب، وليكن قدوته في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان دائمًا يتطلع لأمته دائمًا بالأحسن والأفضل، وكما هو واضح في الحديث من دلالته ﷺ على أفضل النوافل من الصيام والصلاة، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، فرسول الله ﷺ دائمًا ما يريد أن يغرس في نفوس الأمة التطلع على أعظم الأجر وأفضل الأعمال، والاهتمام بالأهم دائمًا وتقديمه على المهم، وإن ذلك لمن فقه الداعية، فإذا ما نفذه الداعية وسار على نهج رسول الله ﷺ كان من الدعاة المرموقين الذين لهم في مجال الإصلاح أثر، وفي ميدان الدعوة تغيير[٣].

إن مما ينبغي على الدعاة أن يبينوا لنا ثواب الأعمال وتفاضلها واغتنام الأوقات والأماكن التي تزيد من مزية الأعمال وترفع من درجات صاحبها.

إن الله عز وجل جعل لعباده مواسم تضاعف فيها أجور الأعمال، كرمضان وأيام العشر من ذي الحجة، وأخرى تكون إجابة الدعوة فيها من غيرها، كثلث الليل الآخر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٤٠ -٤١.

(٢) محاسن التأويل ٩/١٦/٣٢٠.

(٣) انظر: كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان ص ٤٦ - ٥٣.

من كل يوم، وعند الفطر بالنسبة للصائم وليلة القدر في رمضان وغير ذلك.

هذا على صعيد الأعمال التعبدية، أما على الصعيد الدنيوي وسعي الإنسان فيها لإصلاح معاشه، فقد جعل الله التبكير في أداء الأعمال من أسباب النجاح والفلاح، فجاء عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا))[1]، فعلى المسلم أن يحرص على التعرض لهذه المواسم والاستزادة منها بما يصلح له دينه ودنياه"[2].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهرًا بينًا، حيث رغّب النبي ﷺ في صيام المحرم وصلاة الليل ببيانه أنهما أفضل الصيام بعد رمضان، فقال: (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة وذلك لما جبل عليه الإنسان من حب الخير والسعي في الحصول عليه، لذا فإن أسلوب الترغيب فيه بيان الأفضل والتشويق إلى ما عند الله من أجر عظيم تهفو إليه النفس البشرية وتسعد به وتنصت له[3]، ولما كان للترغيب من تأثير بالغ في النفوس، أكثر القرآن من استعماله في حض الناس على العبادة والعمل الصالح، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

إن طبيعة الحياة أن يكون فيها الخير والشر، وطبيعة البشر أن يكون منهم الأخيار والأشرار، وإذا تصارع الخير والشر امتلأت الحياة بالحركة والنشاط والعمل والأمل والسعادة والشقوة والتسابق والتنافس، فتتضح المعالم وتدور عجلة الحياة إما إلى حضارة واثبة وإما إلى تخلف قاعد، وإذا عاش الأخيار بجانب الأشرار تبين الرشد من الغي،

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٠).

(٢) إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ط/٢ مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٨٢.

والمصلح من المفسد، وقد وهب الله الإنسان عقلاً يميز به الخبيث من الطيب، فلا عذر له إن اتبع غير الهدى سبيلاً ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾(١)، وصراع الحياة واختلاف الطباع، يوجب أن يكون للخير ثواب وللشر عقاب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾(٢)، وهذا عدل الله، ولا يظلم ربك أحدًا، والقرآن الكريم يوضح الطريق، ويحكم العقل ويبرز النتيجة، حتى إذا أقدم الإنسان على عمل كان أعلم بعاقبته، وقد أعذر من أنذر، وسبحان من يقول وقوله الحق: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٣).

ومن آيات الترغيب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾(٤).

فما أكرم هذا الجزاء، وما أعدل هذا الحكم، إيمان سليم وعمل صالح، لا يكلف المؤمن عناءً ولا يقتضيه نصبًا وجنة لا حدود لنعيمها ومن دخلها فهو خالد فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٥).

فالتوبة الخالصة تمحو السيئات وتدخل الجنات، يسير موكب الرسول ﷺ

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ١٠٧ - ١١٠.

(٥) سورة التحريم، آية: ٨.

والمؤمنون في هالة من نور ووجوههم تشع بالفرحة وإذا تميز وجه المؤمن في الدنيا بنور الإيمان لا تخطئه عين، فكيف به يوم الجزاء الأوفى؟"[1].

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ١٥٣ - ١٥٥.

الحديث رقم (١١٧٠)

١١٧٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[2].

الشرح الأدبي

الحديث بيان لكيفية صلاة التطوع في الليل، قوله (صلاة الليل مثنى مثنى) أي صلوا في الليل ركعتين ركعتين، وتكرار مَثْنَى للتَّأْكِيد وَالْمَقْصُود أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يُصَلِّيَهَا كَذَلِكَ فَهُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الأَمْرِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ رَكْعَتَيْنِ مِنْهَا صَلاةً وَلا تَكُونُ صَلاةً إِلاَّ بِأَنْ يَفْصِلُهَا عَمَّا بَعْدَهَا بِالسَّلامِ بأن يصلي ركعتيتن ثم يسلم ثم يصلي ركعتين حتى يصلي ما شاء على هذه الهيئة، ثم يوتر أي يصلي ركعة منفردة.

فقه الحديث

١- قال النووي: (قوله ﷺ: "صلاة الليل مثنى مثنى" هكذا هو في صحيح البخاري ومسلم، وروى أبو داود والترمذي بالإسناد الصحيح: ((صلاة الليل والنهار مثنى مثنى))[3] هذا الحديث محمول على بيان التسليم، وهو أن يسلّم من كل ركعتين وسواء نوافل الليل والنهار، يستحبّ أن يسلّم من كل ركعتين، فلو جمع ركعات بتسليمة أو تطوّع بركعة واحدة جاز عندنا)[4].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٧)، ومسلم (٧٤٩/١٤٧) واللفظ له

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٥٥٦.

(٣) أخرجه أبو دود ١٢٩٥، والترمذي ٥٩٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ دار الكتب العلمية، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٧٨-٤٨٠ .

وقال النووي في المجموع: (فرع: في مذاهب العلماء في ذلك: قد ذكرنا أنه يجوز عندنا أن يجمع ركعات كثيرة من النوافل المطلقة بتسليمة، وأن الأفضل في صلاة الليل والنهار أن يسلّم من كل ركعتين، وبهذا قال مالك وأحمد وداود وابن المنذر. وحكى عن الحسن البصري وسعيد بن جبير. وقال أبو حنيفة: التسليم من ركعتين أو أربع في صلاة النهار سواء في الفضيلة، ولا يزيد على ذلك. وصلاة الليل ركعتان وأربع وست وثمان بتسليمة ولا يزيد على ثمان. وكان ابن عمر يصلّي بالنهار أربعًا، واختاره إسحاق)[1].

٢- قال النووي: (قوله ﷺ: "فإذا خشي أحدكم الصبح صلّى ركعات توتر له ما قد صلّى" وفي الحديث الآخر ((أوتروا قبل الصبح))[2] دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل، وعلى أن وقته يخرج بطلوع الفجر وهو المشهور من مذهبنا، وبه قال جمهور العلماء. وقيل يمتد بعد الفجر حتى يصلي الفرض)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر.

أولاً - من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

إن من صفات الداعية الملازمة له والممزوجة بشخصيته الإيضاح والتبيين وهذا ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من توضيح الحق وتبيينه[4]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من تبيينه ﷺ لصلاة الليل، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، وعنه رضي الله عنه يخبر عن النبي ﷺ:

---

(١) المجموع ٣/٣٧٥ .

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٤، ١٦١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٧ ، وانظر فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٤٨٠-٤٨١ .

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦.

كان النبي ﷺ يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة)، قال النووي: "وهذا دليل على أن السنة جعل الوتر آخر صلاة الليل"[١].

لقد أخذ الله على العلماء تبيين الحق وتوضيحه، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢]، وفي هذه الآية دليل على أنه مأخوذ من العلماء أن يبينوا الحق للناس، وما علموه وأن لا يكتموا منه شيء لغرض فاسد، من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارّهم أو لجر منفعة وحطام دنيا أو لتقية، مما لا دليل عليه ولا أمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيرهم[٣]، ولقد حذر النبي ﷺ من كتم العلم فقال ﷺ: ((مَنْ كَتَمَ عِلْمًا عَنْ أَهْلِهِ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِجَامًا مِنْ نَارٍ))[٤].

وقد ذم الله فعل أهل الكتاب من قبل ناهيًا علماء المسلمين أن يحذوا حذوهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[٥]، أي: وإذا أخذ الله الميثاق على علماء اليهود والنصارى، لتظهرن جميع الأحكام والأخبار ونهاهم عن الكتمان بعد الأمر بالبيان مبالغة في إيجاب المأمور به، فطرحوا الميثاق وراء ظهورهم ولم يراعوه، ونبذ الشيء وراء الظهر مثلٌ في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية، كما أن جعله نصب العين عَلَمٌ في كمال العناية به، (واشتروا به ثمنًا قليلاً)، أي: استبدلوا به ثمنًا قليلاً أي شيئًا حقيرًا من طعام الدنيا.

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية وجوب إظهار الحق وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والأحكام والفتاوى والشهادات، وغير ذلك مما يجب إظهاره - وإن المراد بذلك

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) الكشاف، الزمخشري ص ٢١٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٦).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

إذا لم يؤد إلى مفسدة - ويدخل في الكتم منع الكتب المنطوية على علم الدين حيث تعذر الأخذ إلا منها"[١].

ثانيًا - من فقه الداعية: الموازنة ومراعاة الأولويات:

يتضح لنا ذلك في الحديث في بيان سنته ﷺ لكيفية صلاة الوتر من التسليم لكل ركعتين وجعل الوتر آخر الليل وغير ذلك لكن مع بيان فضل صلاة الليل إذا خشي الإنسان طلوع الفجر يقطع صلاة الليل ويختم بالوتر وذلك استعدادًا لأداء الفريضة - صلاة الصبح - فيقول ﷺ: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، فيحسن بالداعية أن يراعي الموازنة بين الأمور والأحكام وأن يراعي فقه الأولويات بأن يعنى بالأهم فالمهم فالأقل أهمية، فينبغي على الداعية أن يعنى بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب واستجابت له النفوس انتقل إلى ما هو دون ذلك متأسيًا برسول الله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة وبعض العبادات، لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي وهذا الأمر يتجلى في وصية النبي الكريم ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن، فقال له: ((إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللّه وأَنِّى رَسُولُ اللّه، فإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فأَعْلِمْهُم أن اللّه افترَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، فإِن هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً في أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وتُرَدُّ على فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فإيَّاكَ وكَرَائِمَ أمْوَالِهِمْ. واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ اللّه حِجَابٌ))"[٢][٣].

ولقد بيّن النبي ﷺ ووضح الأولويات في حديثه الذي ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٣١٧/٤/٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٩٥، ومسلم ١٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١١٩ - ١٢٠.

اللّه، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))[١].

إن الداعية الحكيم هو الذي يراعي الأولويات من جهة ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى، روي عن شقيق قال: ((كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللّهِ بن مسعود رضي الله عنه نَنْتَظِرُهُ. فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ النَّخَعِيُّ. فَقُلْنَا: أَعْلِمْهُ بِمَكَانِنَا. فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللّهِ. فَقَالَ: إِنِّي أُخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ. فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلاَّ كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ. إِنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[٢].

ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فإنه كان يركّز في دعوته - وخاصة مع المدعوين الجدد - على العناية بترتيب الأولويات.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللّه ﷺ عن شَيْءٍ، فكانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يأتِيَهُ الرَّجُلُ مِنْ أهْلِ البَادِيَةِ، فَيَسْأَلَهُ، ونَحْنُ نَسْمَعُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فقال: يا محمدُ، أتانا رَسُولُك، فَزَعَمَ أنَّكَ تَزْعُمُ أنَّ الله أرْسَلَكَ، قالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قال: «اللّهُ»، قال: فمنْ خَلَقَ الأرضَ؟ قال: «اللّهُ»، قال: فمَنْ نَصَبَ هذهِ الجِبَالَ؟ فقال: «اللّهُ»، قال: فمنْ جَعَلَ فيها هذهِ المَنَافعَ؟ قال: «اللّهُ»، قال: فبالّذي خلق السماءَ وَالأرضَ، وَنَصَبَ الجِبَالَ وجعل فيها هذه المَنافِع، آللّهَ أرْسَلَكَ؟ قالَ: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رَسولُكَ أنَّ عَلَيْنا خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قال: «صدَقَ». قال: فَبِالّذي أرسَلَكَ، آللّهَ أَمَرَكَ بهذَا؟ قال: «نَعَمْ». قال: زَعَمَ رسولُكَ أَنْ علينا صدقةً في أموالنا، قال: «صدق». قال: فبالذي أَرْسَلَكَ آللّهَ أَمَرَكَ بهذا؟ قال: «نعم». قال: زعَمَ رسولُكَ أنَّ علينا صومَ شهرٍ في سنتنا. قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلك، آللّهَ أَمَرَكَ بهذَا؟ قال: «نعم». قال: زَعَمَ رسُولُك أنَّ عَلَيْنا حَجَّ البَيْتِ مَن اسْتطَاعَ إلَيْهِ سبيلا، قال: «صَدَقَ»، قال: فبالذي أرسلَكَ، آللّهَ أَمَرَكَ بهذَا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وَالذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لا أزيدُ عليهنَّ، ولا أنْقُصُ مِنْهُنَّ

---

(١) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٨ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٢١.

شَيْئًا. فلما قَفَّى، قال رَسُولُ اللَّهِ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ»[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل والوتر:

شاء الله تعالى أن يجعل محمدًا ﷺ قدوة للمسلمين في كل عمل ولذا بعثه سبحانه معلمًا ومربيًا وقدوة لنا وأمرنا بالاقتداء به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢]، ومن ذلك ما ورد في الحديثين من الاقتداء به ﷺ في كيفية صلاة الليل والوتر، فقال ﷺ: (صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة)، كما أنه ﷺ كان يصلي من الليل مثنى مثنى، ويوتر بركعة، كما أخبر ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث الثاني؛ فيقتدى به ﷺ بالفصل بين كل ركعتين، وتأخير الوتر لمن طمع أن يقوم آخر الليل"[٣].

إن القدوة الحسنةَ سبيلُ للانضباط السلوكي والتجافي والبعد عن الوقوع في الزلل، ولقد وجه القرآن المسلمين إلى الاقتداء بأهل التقوى والصلاح، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ...﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾[٥].

إن على المرء أن يقتدي برسول الله ﷺ ولا يبالي بما يأتيه من نقد على ذلك، دَافِعُه حبُّ رسول الله ﷺ والرغبة في المثوبة.

روي عن أبي عون قال: سمعت جابر بن سمرة قال عمر لسعد: ((قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلَاةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا

---

(١) أخرجه مسلم ١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٦٤/٢.

(٤) سورة الأنعام، ية: ٩٠.

(٥) سورة الممتحنة، آية: ٤.

آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ))[1].

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ((دَعَا أَخَاهُ عُبَيْدَ اللَّهِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى طَعَامٍ قَالَ إِنِّي صَائِمٌ. قَالَ إِنَّكُمْ أَئِمَّةٌ يُقْتَدَى بِكُمْ قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا بِحِلاَبٍ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَشَرِبَ". وَقَالَ يَحْيَى مَرَّةً: "أَهْلُ بَيْتٍ يُقْتَدَى بِكُمْ))[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٧٠، ومسلم ١٥٩.

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٦/١، رقم ٣٢٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٢٩١/٥.

الحديث رقم (١١٧١)

١١٧١- وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

مثنى مثنى: اثنين اثنين[٢].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابق، ولفظه مع اختلاف من عدة وجوه أولها أن هذا الحديث جاء في صورة الخبر عن رسول الله ﷺ فيتلقاه المؤمنون من جهة المحبة لرسول الله ﷺ ومتابعته في سنته، وفي الحديث السابق جاء قوله (صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى) يحتمل أن يكون خبرا لفظا، وإنشاء معنى على سبيل الأمر أي: صلوا في الليل، فيتلقاه الناس من جهة الأمر النبوي على اعتباره من هديه ﷺ، وقوله (يصلي) فعل في صيغة المضارع يفيد التجدد، والاستمرار مع كل ليلة، وقوله من الليل أي في بعض الليل، والحديث مع بيانه لكيفية صلاة النبي ﷺ بالليل فيه حث، وترغيب لاتباع سنته عملا بمقتضى المتابعة، والمحبة.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩٥)، ومسلم (٧٤٩/١٥٧، كتاب صلاة المسافرين، باب ٢٠) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (١١٠٨).

(٢) الوسيط في (ث ن ي).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٠٨).

الحديث رقم (١١٧٢)

١١٧٢- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِمًا إِلاَّ رَأَيْتَهُ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول عبادة النبي، واجتهاده في طاعة الله تعالى قام على الطباق مع أسلوب القصر فقد طابق بين قوله يفطر، ويصوم دلالة على العبادة مع الرفق الذي يشير إلى الوسطية، وعدم التكلف في إتيان النوافل، كما طابق بين الفعلين المنفيين (لا يصوم، ولا يفطر) فأكد المعنى السابق، ودل على تقلّبه بين الراحة، والطاعة، وبين متعة العبادة، ومتعة الراحة حتى لا تنقطع النفس عن العمل، أو يصيبها الملل، وتنكير (شيئا) للتقليل مبالغة في بيان تماديه على هذه الحال، وأسلوب القصر، لقصر الرغبة في رؤية النبي مصليا على التحقق لهذه الرؤية، والمقصود بالصلاة النافلة؛ لأن الأمر فيها قائم على الاختيار بعكس الفريضة، ولأنه قابل الصلاة بالنوم مما يدل على أنها من قيام الليل، وقصر معنى الرغبة في رؤيته نائما على تحققها أيضا، وهو يؤكد المعنى السابق في تقلب الرسول ﷺ بين العبادة، والراحة، بين الصيام، والفطر، وبين الصلاة، والنوم مما يشير إلى أخذ النفس بالتطوع وقت إقبالها.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (إن حاله [أي حال النبي ﷺ] في التطوع بالصيام والقيام كان يختلف، فكان تارة يقوم من أول الليل وتارة في وسطه وتارة في آخره، كما كان

---

(١) برقم (١١٤١).

يصوم تارة من أول الشهر وتارة من وسطه وتارة من آخره، فكان من أراد أن يراه في وقت من أوقات الليل قائمًا أو في وقت من أوقات الشهر صائمًا فراقبه المرة بعد المرة فلا بدّ أن يصادفه قام أو صام على وفق ما أراد أن يراه. هذا معنى الخبر. وليس المراد أنه كان يسرد الصوم ولا أنه كان يستوعب الليل قيامًا. ولا يشكل على هذا قول عائشة رضي الله عنها في الباب قبله ((وكان إذا صلّى صلاة داوم عليها))[1] وقولها في الرواية الأخرى الآتية بعد أبواب ((كان عمله ديمةً))[2] لأن المراد بذلك ما اتخذه راتبًا لا مطلق النافلة، فهذا وجه الجمع بين الحديثين وإلا فظاهرهما التعارض، والله أعلم... وفي حديثي الباب[3] استحباب التنفل بالصوم في كل شهر، وأن صوم النفل المطلق لا يختص بزمان إلا ما نهى عنه. وأنه ﷺ لم يصم الدهر ولا قام الليل كله. وكأنه ترك ذلك؛ لئلا يقتدى به فيشق على الأمة، وإن كان قد أعطى من القوّة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه، لكنه سلك في العبادة الطريقة الوسطى، فصام وأفطر وقام ونام. أشار إلى ذلك المهلب[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة.

ثانيًا: من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على صيام التطوع والإكثار من صلاة النافلة:

جاء في الحديث بيان تطوعه ﷺ وتنفله في الصيام والصلاة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أنه لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أنه لا يفطر منه شيئا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته ولا نائمًا إلا رأيته)، وفعله ﷺ حثٌّ على صيام التطوع والإكثار من صلاة الليل لما لهما من فضل،

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٧٠ وهذا لفظه، ومسلم ٧٨٢، ٢١٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣، ٢١٧.

(٣) هما حديث ابن عباس عند البخاري ١٩٧١، وحديث أنس عند البخاري ١٩٧٢، ١٩٧٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢١٦-٢١٧ .

فقد عدهما الله ممن وعدهم بالمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[2].

قال مجاهد وغيره: "نزلت في الصُّوام من ترك لله طعامه وشرابه وشهواته عوّضه الله طعامًا وشرابًا لا ينفدُ وأزواجًا لا تموت"[3]، أما عن القيام فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[4]، وجعل من صفات المؤمنين قيام الليل فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[5].

يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة[6]، وذلك من صفات المؤمنين، إنهم يبتعدون عن الفراش الوثير ويهرعون إلى الصلاة يدعون ربهم خوفًا من عقابه وطمعًا في ثوابه.

إن القيام بالليل والتهجد فيه لون من العبادة عالٍ وتوفيق من الله كبير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد ورد فيه مع هذه الآيات، آيات وأحاديث كثيرة كلها تهدف إلى بيان فضله وجزيل مثوبته، ومن ذلك ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) الحاقة، الآية: ٢٤.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٨٣.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٦٣/٦.

الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ، قَالَ: ((قَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، قَالَ: ثُمَّ تَلاَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾[1] حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[2] ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الاسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ. ثمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّه قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: ((كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)). فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّك يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ))[3].

إن هؤلاء المؤمنين الذين قاموا الليل، والناس نيام قد أخفوا أعمالهم، وطهروا نفوسهم من الرياء والنفاق لهم جزاء من جنس أعمالهم فلا تعلم نفس عظمة ما أخفي لهم، وأعد في الجنات من النعيم المقيم والثواب الجزيل على سبيل التفضيل، لما أخفوا أعمالهم أخفى الله ثوابها جزاءا وفاقًا، قال الحسن البصري: "أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر"، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((يقولُ اللَّهُ تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خَطَرَ على قلبِ بشر، ذُخرًا من بَلْهِ ما أُطلِعْتُم عليه. ثم قرأ ﴿فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفِيَ لهم من قُرَّةِ أعينٍ جَزاءً بما كانوا يعلمون﴾))[4][5].

"أولئك الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وهم الذين

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٧.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٨٠.

يتقبل الله عنهم أحسن ما عملوا، ويتجاوز عن سيئاتهم وعد الصدق الذي كانوا يوعدون، ولا غرابة فالعبد يعمل سرًا أسره إلى الله لم يعلم به الناس فأسر الله له يوم القيامة قرة أعين، ولعل التقييد بقوله: (عن المضاجع) لمزيد مدحهم وبيان قوة إيمانهم، لأن المضجع إذا كان مفروشًا كان النوم فيه ألذ، والنفس إليه أميل، فإذا هجره المؤمن والحالة هذه لأجل الصلاة، ومناجاة ربه كان ذلك أمدح له وأدل على كمال يقينه"[١].

ولقد كان رسول الله ﷺ - كما جاء في الحديث - أحرص ما يكون على قيام الليل مع ما غفر له من ذنب، ورفع له من درجة. قال ابن القيم: "فإن قيام الليل في حقه ﷺ زيادة في درجاته وفي أجره، وفي حق غيره مباح ومكفر للسيئات وأما النبي ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فهو يعمل في زيادة الدرجات وعلو المراتب وغيره في التكفير، قال مجاهد: فكانت طاعته ﷺ نافلة له أي زيادة في الثواب ولغيره كفارة لذنوبه"[٢].

ثانيًا - من خصائص الإسلام: الوسطية واليسر وعدم الغلو:

يلاحظ ذلك في الحديث في جمعه ﷺ في التطوع بين الصيام والإفطار وبين الصلاة والنوم: (كان ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم منه، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته)، قال ابن حجر: "أي: أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسر له القيام"[٣]، وقال ابن علان: "وهذه الطريقة المشار إليها بحديث أنس رضي الله عنه أعلى طبقات العبادة وأسناها، وهناك طرائق أخر، فمنهم من شدد على نفسه بالمرة فمنعها حقها وحظها، ومنهم من أعطاها كليهما، وخير الأمور أوسطها إعطاؤها حقها وحظها واستعمالها في خدمة ربها"[٤]، فهذا الحديث وأمثاله يرسم لنا

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٣/٢١/٦٣ - ٦٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/٣٢٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٢٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

منهج الوسطية في العبادة[١].

وقد جاءت النصوص الكثيرة التي ترشد إلى التوسط في العبادة والتجافي عن التغالي، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢]، قال ابن كثير: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن أي: من غير تحديد بوقت، ولكن قوموا من الليل ما تيسر وعبر عن الصلاة بالقراءة"[٣]، وقال القرطبي في قوله: (فتاب عليكم)، أي: فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم، وأصل التوبة الرجوع، فالمعنى: رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر"[٤].

"فبعد أن كان قيام الليل واجبًا انتقل الأمر من الواجب إلى المباح، فلقد خفف الله عن الأمة الإسلامية حيث اتسع العدد وأصبح فيها المريض وذو الحاجة والمسافر والمقاتل، وهؤلاء بلا شك لا يطيقون القيام فجعله مندوبًا، من شاء فعله فاستحق ثوابه، ومن شاء ترك هذا الفضل الكبير والله هو العالم بكل شيء.

إن ربك يعلم أنك قمت وامتثلت أمر ربك أنت وطائفة من قومك. قمتم أدنى من ثلثي الليل، وقمتم نصفه، وقمتم ثلثه، وكان معك صحبك والمراد بالعلم أن الله سبحانه سيجازيك على ذلك أحسن الجزاء.

والله وحده هو الذي يقدر الليل والنهار، وهو الذي يعلم المصلحة، وقد علم أن المدة السابقة كافية للتربية الإسلامية، وقد جاء معكم أناس لا يستطيعون ذلك العمل، فالله علم أنكم كجماعة لن تطيقوا قيام الليل على سبيل الواجب أما كأفراد فمنكم من يقدر وأكثركم لا يقدر، والأحكام الشرعية تبنى على الأعم الأغلب.

---

(١) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦١.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨١/٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٥/٧/٤.

فالله قد رجع عليكم بالتيسير والتخفيف منذ رجعتم إليه بالشكوى والدعاء، فاقرءوا ما تيسر من القرآن في قيام الليل أو في الصلاة في ساعة من ساعات الليل. علم الله أن الحال والشأن سيكون منكم مرضى ضعاف، لا يستطيعون قيام الليل، وآخرون منكم مسافرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله بالتجارة والسعي على تحصيل الرزق من طريق الحلال وآخرون يقاتلون في سبيل الله، هؤلاء لا يستطيعون قيام الليل، فالله خفف عنكم فاقرءوا ما تيسر منه"[١].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرحمة بالمسلمين:

إن توسط النبي ﷺ في العبادة كما جاء في الحديث يعطينا دلالة قوية على ما ينبغي أن يتصف به الداعية من التزام صفة الرحمة والتيسير على المسلمين، وذلك مما يساعد الدعاة على ترغيب المدعوين وتبشيرهم ومعالجة الأمور باليسر والتيسير لا بالعسر والتعسير، وقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٣].

أي: ما جعل عليكم في الدين من حرج ومشقة في جميع أمور الدين من ضيق بتكليف ما يشق القيام به"[٤]، "إن من مميزات التشريع الإسلامي رفع الحرج وهذا ظاهر للمتبع لأحكام الشريعة الإسلامية، فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره:

أ/ اعتبار المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان أعذارًا لتخفيف الأحكام وتشريع الرخص. والقاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات) بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

---

(١) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٢٢/٢٩/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٦٨/١٢/٧ بتصرف.

ب/ قلة التكاليف في الشريعة: فالتشريع الإلهي في هذا العصر لم يأت بتكاليف كثيرة ترهق المكلفين لأن في الإرهاق حرجًا وضيقًا، والحرج مرفوع كما قدمنا. كما أن المقصود من التكاليف إيصال المكلف إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة فلا يأتي التشريع إلا بالقدر اللازم الذي تطيقه الطبيعة البشرية. ومما يدل على أن رغبة الشارع تقليل التكاليف ما أمكن التقليل ما جاء في السنة من أحاديث"[1] منها:

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطَبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: ((يا أيُّها النَّاسُ! قد فُرِضَ عليكم الحَجُّ فحُجُّوا)) فقال رجلٌ: أكُلَّ عامٍ يا رسولَ الله؟ فسكَتَ حتى قالَها ثلاثًا. فقال: ((لو قلتُ: نعم لوَجَبتْ ولما استَطَعتُم))، ثمَّ قال: ((ذَروني ما تركتُكم، فإنما هَلَكَ منْ كانَ قبلَكم بكثرةِ سؤالهم، واختلافِهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منهُ ما استَطَعتُم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدَعُوه))[2].

"إن سماحة الداعية ولينه ورحمته وسهولة معشره ودعوته إلى بيان مقاصد الإسلام من رفع للحرج والتيسير على الناس تفتح مغاليق القلوب وتنفذ به إلى أعماق النفوس يلامسها بالهداية فتقبل ويدعوها إلى الخير فتستجيب"[3].

---

(١) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان ص ٩٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٧.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥ - ٧٦.

الحديث رقم (١١٧٣)

١١٧٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً -(تَعْنِي فِي اللَّيلِ)[١]- يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأيْمَنِ حَتَّى يَأتِيَهُ المُنَادِي للصَلاَةِ. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول عمل الرسول ﷺ في ليله بدأ بأسلوب خبري دون مؤكدات لأنه يتناول فضائل العمال، وهي لا تقابل بشك أو اعتراض غالبا، وتعبير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بـ(كان) عن صلاة الرسول ﷺ في الليل، وعددها المحدد يشير إلى أنها عادة غالبة في قيامه أن يصلي هذا العدد، وقولها (يصلي) يحدد نوع هذه العبادة، وقولها (إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) يحدد عدد هذه النوافل، وهذا العدد يؤكد أن المقصود صلاة الليل؛ لأنه ليس هناك ركعة منفردة إلا في صلاة الليل، وهي الوتر، وقد نص عليه الراوي بقوله (تعني في الليل) وقولها (يسجد سجدة) جناس يؤكد المعنى المقصود، وقولها (قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ) أي كقدر تشبيه لتقريب المدى الزمني الذي تستغرقه سجدة الرسول ﷺ وهو يشير إلى طول سجوده في صلاة القيام، وقولها (ويركع ركعتين) جناس يؤكد صلاة الركعتين، والتعبير بالركوع عن الصلاة من المجاز بالتعبير عن الكل بجزئه تنبيها على معنى فيه، وهو دلالته على الخضوع، والذل الذي يثني قامة الشامخ المتكبر، والظرف قبل المضاف لصلاة الفجر

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وعند مسلم زيادة: (كانت تلك صلاته).

(٢) برقم (١١٢٣).

يقرر أن المقصود سنة الفجر(ثم يضطجع على شقه الأيمن) وهو ما يسمح لجسمه بقدر من الراحة تعينه على أداء الفريضة.

فقه الحديث

١- بوّب البخاري على هذا الحديث في صحيحه: باب طول السجود في قيام الليل[١]، قال ابن حجر: (أورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: "كان يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية" وهو دالٌّ على ما ترجم له)[٢].

٢- استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن. وقد تقدم في الباب ١٩٨، الأحاديث ١١١٢-١١١٤[٣].

٣- قولها: "حتى يأتيه المنادي للصلاة" دليل على استحباب اتخاذ مؤذن راتب للمسجد، وفيه جواز إعلام المؤذن الإمام بحضور الصلاة، وإقامتها واستدعائه لها)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

ثانيًا: من صفات الداعية: التواضع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الإطالة في السجود والدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

جاء في الحديث بيان مدى إحسان رسول الله ﷺ للصلاة وإطالة السجود والقراءة في قيام الليل، فعن عائشة رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة - يعني في الليل - يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسهُ.."، وقد أرشد النبي ﷺ إلى إطالة السجود والإكثار فيه من الدعاء[٥]،

---

(١) الحديث ١١٢٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٨/٣ .

(٣) وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٧/٦/٣-١٨ .

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٨/٦/٣ .

(٥) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي القحطاني ص ١٠٠٩.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ))[1]، فالصلاة روضة من رياض العبادات، فيها من كل زوج بهيج، قرآن وذكر ودعاء وتسبيح وتكبير، ولهذا كانت أفضل العبادات بعد التوحيد[2].

كما ينبغي ألا تقف الصلاة عند مجرد الحركات والأقوال وإطالتها، بل لا بد من تزيينها وتجميلها وإتمامها بالخشوع والخضوع لله رب العالمين، فإن الخشوع من أعظم المؤهلات وأكبر المسببات في فلاح العبد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3]، ولنصغي آذاننا لتلك النصائح الغالية من ابن الجوزي وهو يرشدنا إلى خطوات عملية لكيفية تحصيل الخشوع والخضوع لله رب العالمين فيقول: "ينبغي للمصلي أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة، فإذا سمع نداء المؤذن، فليمثل النداء للقيامة، ويشمر للإجابة، ولينظر ماذا يجيب، وبأي بدن يحضر؟ وإذا ستر عورته، فيعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق، فليذكر عورات باطنه، وفضائح سره التي لا يطلع عليها إلا الخالق، وليس لها عنه ساتر، وأنها يكفرها الندم والحياء والخوف. وإذا استقبل القبلة، فقد صرف وجهه عن الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فصرف قلبه إلى الله تعالى أولى من ذلك، فكما أنه لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، كذلك القلب لا ينصرف إلى الله تعالى إلا بالانصراف عما سواه.

إذا كَبّرت أيها المصلي، فلا يكذبن قلبُك لسانَك، لأنه لو كان في قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت، فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر، بدليل إيثارك موافقته على طاعة الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٣٦٥/٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

فإذا استعذت، فاعلم أن الاستعاذة هي ملجأ إلى الله سبحانه، فإذا لم تلجأ بقلبك كان كلامُك لغوًا. وتفهم معنى ما تتلو، وأحضر التفهم بقلبك عند قولك: (الحمد لله رب العالمين)، واستحضر لطفه عند قولك: (الرحمن الرحيم)، وعظمته عند قولك: (مالك يوم الدين)، وكذلك في جميع ما تتلو. واستشعر في ركوعك التواضع... وفي سجودك الذل. لأنك وضعت النفس موضعها، ورددت الفرع إلى أصله بالسجود على التراب الذي خلقت منه. وتفهم معنى الأذكار بالذوق. واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط، سبب لجلاء القلب من الصدأ وحصول الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتطلع على أسراره، وما يعقلها إلا العالمون. فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها فإنه لا يطلع على شيء من ذلك، بل ينكر وجوده"[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: التواضع:

نرى ذلك واضحًا في مدى تواضع رسول الله ﷺ وتذلله لربه وذلك في تطوعه لله بالليل وإطالته السجود تواضعًا وتقربًا إلى الله تعالى وانشغالاً بدعائه: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك من الأخلاق التي ينبغي أن تغرس في نفوس الدعاة، فإذا رزق الداعية الإخلاص في دعوته كان متواضعًا لله تعالى ولعباد الله المؤمنين، وللتواضع دور بارز في الدعوة فبقدر ما يلين الداعية جانبه يألفه الناس ويحبون دعوته، أما إن تعالى الداعية وتكبر على مَنْ حوله فإذا الناس تنفر منه وتنفض الجموع من حوله[٢]، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣]، والتواضع بهذا المعنى ينافي الذلة والمهانة، فإن الله سبحانه وتعالى يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ٧٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٢٤٥.

إن التواضع من خير الخلال وأحب الخصال إلى الله وإلى الناس، وهو موجب للرفعة، وباعث على التآلف، ومحقق للحب والود وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتواضع للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]، وبيّن أن ذلك من أسباب جمع القلب عليه فقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[2]"[3].

والتواضع في الحقيقة هو إلانة الجانب مع عزة في النفس وإباء للضيم، ومن التواضع عدم الافتخار بالآباء والأجداد، ومن التواضع عدم البغي والاعتداء.

والتواضع يمكّن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع من جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس والغني والفقير، والضعيف والقوي، ومع العالم والجاهل وكل أصناف المجتمع.

فمن التواضع: طيب الحديث، والتبسّم في وجه الناس، والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم، وتهدئة روعهم إذا فزعوا"[4].

"ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبه وحسبنا أن الله تعالى خيّره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا"[5].

وكان ﷺ كثيرًا ما يعظ قومه ويقول: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ))[6].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٧.

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل ص ٨١ - ٨٢.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ٣٠١/٣.

(٦) أخرجه مسلم ٩١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيام الليل:

لقد أرشدنا الحق سبحانه وتعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه[١]، يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٣]، ومن ذلك ما ورد في الحديث عن حاله ﷺ في قيام الليل: (كان يصلي إحدى عشرة ركعة يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه)، وذلك بيان لكيفية قيامه بها ولاستحباب إطالتها ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر - أي سنته القبلية[٤]، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة، قال ابن القيم: "وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر، وهو أن القلب معلق في الجانب الأيسر فإذا نام الرجل على الجنب الأيسر استثقل نومًا لأنه يكون في دعة واستراحة، فيثقل نومه، فإذا نام على شقه الأيمن فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلب القلب وطلبه مستقره وميله إليه، ولذا فإن صاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل"[٥].

"إن من تمام الإيمان وكمال الإحسان أن يقتدي المسلم ويتأسى برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا بحيث يجرد العبد متابعته لرسول الله ﷺ ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه والعمل بما جاء عملاً بقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٦]، فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي.. إلخ إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ١/ ٣٢١ - ٣٢٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

أحكام وتعاليم في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة والرائدة"[١].

قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[٢]: "وهو دليل على أن من لم يكن الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورًا منها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له على نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول ﷺ الذي هو أولى به منها"[٣].

---

(١) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل بن علي البعداني، بحث في كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٦.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٣) بدائع التفسير ٣/٤٢٢.

الحديث رقم (١١٧٤)

١١٧٤- وعنها، قالت: مَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَزيدُ - في رَمَضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ- عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ[1]، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فَقُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، أتَنَامُ قَبْلَ أنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةَ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث ينص على المعنى الذي أشار إليه سابقه، وهو أنه ﷺ كان يصلي في نافلة الليل أحد عشر ركعة، وقد نصت على ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن طريق أسلوب النفي الذي ينفي الزيادة عن هذا العدد (مَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزيدُ - في رَمَضَانَ وَلاَ في غَيْرِهِ - عَلَى إحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً) ثم وصفتها بما يسهل على المؤمنين الحريصين متابعتها (يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ) النهي للتعظيم، والتفخيم معناه أنهن في نهاية من كمال الحسن، والطول مستغنيات بظهور حسنهن، وطولهن عن السؤال عنه، ووصفهن بالحسن يشير إلى تمام الأداء، والخشوع وقولها (ثم يُصَلِّي أرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ) الربط ب(ثم) بين الجملتين يشير إلى فاصل بين الأربع الأولى، والأربع الثانية، والاستفهام كسابقه للتعظيم، والتفخيم الذي يشير إلى حسن الأداء، والاجتهاد في الطاعة، وقوله (يَا عَائِشَةَ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي) يشير إلى خصيصة للنبي ﷺ والجناس بين تنامان، وبين، ولا ينام يؤكد المعنى، وفيهما طباق سلب ينفي الغفلة المؤدية لانقطاع الذكر الذي يمثل شعاع النور الذي يربطه بخالقه.

---

(١) عندهما زيادة: (ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهنّ، ثمَّ يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهنّ وطولهنّ).

(٢) اخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨/١٢٥) ولفظهما سواء.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- في الحديث دلالة على أن صلاته كانت متساوية في جميع السنة.

٢- وفيه كراهة النوم قبل الوتر، لاستفهام عائشة رضي الله عنها عن ذلك، كأنه تقرّر عندها منع ذلك فأجابها بأنه ﷺ ليس في ذلك كغيره)[١].

٣- وقال النووي: (قولها: "كان يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن" وفي هذا الحديث مع الأحاديث المذكورة بعده في تطويل القراءة والقيام، دليل لمذهب الشافعي وغيره ممن قال: تطويل القيام أفضل من تكثير الركوع والسجود، وقال طائفة: تكثير الركوع والسجود أفضل. وقال طائفة: تطويل القيام في الليل أفضل وتكثير الركوع والسجود في النهار أفضل)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل ووتره.

ثالثًا: من خصائصه ﷺ: نوم عينيه ويقظة قلبه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان صلاة الليل:

لقد أرشد الله سبحانه عباده إلى الإحسان، وذلك في كل شيء، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ. قَالَ: ((إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ..))[٣]، وأداء العبادة أولى الأمور بالإحسان، وفي الحديث ما يدلّ صراحة على إحسان رسول الله ﷺ لعبادته ربه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣٣ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/١٨ .

(٣) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن) قال النووي: "معناه: هن في نهايةٍ من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف"[١]، وذلك لكمال اشتمالهن على الآداب المطلوبة فيها وطولهن، وإن ظهور ذلك يغني عن السؤال[٢].

إن حرص المسلم على إحسانه العبادات - فرائض ونوافل - يؤدي به إلى كون الإحسان ملازمًا له في حياته ويمتد ليشمل كافة أحواله.

إن الله سبحانه وتعالى عندما نشر أبناء آدم فوق الثرى وناط بهم رسالة الحياة كلفهم - كي يكونوا ربانيين - أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال، وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا الشأن كرروا المحاولات، ولم يستريحوا إلى نقص أو قصور، وعليهم أن يجاهدوا حتى يبلغوا بأعمالهم درجة الكمال المستطاع[٣].

إن الإحسان ليس من نوافل الأعمال وإنما هو فريضة افترضها الله على الناس وأولاهم بها المؤمنون، كما في الحديث الذي روي عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. قَالَ: ((إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[٤].

"إن الإحسان يقتضي من المسلم اتقان العمل المنوط به، اتقان من يعلم علم اليقين أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على عمله، وبهذا الاتقان تنهض الأمم وترقى المجتمعات"[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في صلاة الليل ووتره:

إخبار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفة صلاة رسول الله ﷺ ليست لمجرد النقل

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٥.

(٣) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩١.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٥) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الشيخ محمد الغزالي ص ١٩٢.

والإخبار وإنما زيادة على ذلك الاقتداء والاعتبار، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من إحسان رسول الله ﷺ وتطويله القيام في رمضان، فتقول عائشة رضي الله عنها: (ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا)، إذ أنه من لوازم الاقتداء والمحبة لرسول الله ﷺ الوقوف على هديه ﷺ وتدبر سنته والاقتداء به في كل أمر من أمور الدين حتى يكون المسلم على بصيرة ويقين من أنه على جادة الاتباع[2].

إن اتباع رسول الله ﷺ والاقتداء به دليل على محبة المسلم لرسول الله ﷺ واستحقاق المسلم لثمرة هذه المحبة من محبة الله للعبد ومغفرته له، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال ابن تيمية: "ومما ينبغي التفطن له أن الله سبحانه قال في كتابه: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ...) قال طائفة من السلف: ادَّعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ....). فبين سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ﷺ، وأن اتباع الرسول ﷺ يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوي والاشتباه"[4].

وقال ابن كثير: "هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٠/٨١.

الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين المحمدي في جميع أقواله وأفعاله"[١].

وقال ابن القيم: "(يحببكم الله) إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فليست محبتكم له حاصلة ومحبته لكم منتفية"[٢].

ويقول: " وثباتها إنما يكون بمتابعة الرسول ﷺ في أعماله وأقواله وأخلاقه فبحسب هذا الاتباع يكون منشأ هذه المحبة وثباتها وقوتها وبحسب نقصانه يكون نقصانها"[٣].

ثالثًا - من خصائصه ﷺ: نوم عينيه ويقظة قلبه :

إن للحبيب ﷺ خصائص اختصه الله تعالى بها، لكماله الذاتي والروحي ولم تكن لغيره من أفراد أمته، والتي منها نوم العينين دون القلب، فهذه خصوصية من خصوصياته ﷺ[٤]، وقد جاء التصريح بذلك في الحديث: (فقلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر؟) وذلك استفهام لبيان حكمة النوم قبله مع أن النوم ربما يغلب على النائم فيؤدي النوم قبله إلى فواته فقال ﷺ مرشدًا للفرق بينه وبين باقي الأمة: (يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي)، وهذا من خصائص الأنبياء عليهم السلام ولذا لا ينتقض وضوؤهم بالنوم[٥].

قال البغوي: "ونومه ﷺ، وقيامه إلى الصلاة من خصائصه ﷺ، لأن عينه كانت تنام ولا ينام قلبه، فيقظة قلبه تمنعه من الحدث، وإنما منع النوم قلبه ليعي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٨/١.

(٢) مدارج السالكين ٢٢/٣.

(٣) المرجع السابق ٣٧/٣.

(٤) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري ص ٣٨٧.

(٥) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٨٥/٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

الوحي إذا أوحي إليه في منامه، قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي ثم قرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾[1]"[2].

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٢.

(٢) شرح السنة ٦/٤.

الحديث رقم (١١٧٥)

١١٧٥- وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أوّلَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين رضي الله عنها عن عادة الرسول ﷺ في تقسيم ليله بين حق الجسم في الراحة التي تعينه على طاعة الله، ومواصلة الدعوة، وأعباء الحياة، وبين العبادة التي يجد فيها قرة عينه، ويتقرب فيها إلى ربه، وتقوي روحه، وقد دلت على العادة في عبادته بالليل عن طريق فعل الكينونة الماضي (كان) ثم أشارت عن طريق الطباق بين أول، وآخر إلى بداية كل عمل، ونهايته كما أشارت بالطباق بين ينام، ويقوم إلى تقلبه بين العبادة، والراحة بما يضمن الاستمرار في العبادة، وعدم هلاك الجسم الذي هو الوسيلة لأداء تلك العبادة.

فقه الحديث

فيه تفضيل تأخير الوتر، لكن ذلك في حق من طمع أن ينتبه[٢]، فإذا خاف غلبة النوم استحب له أن يصلي قبل أن ينام ليكون عاملاً بالسنة "ونوم على وتر".

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: الوسطية.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٦) واللفظ له، ومسلم (٧٣٩/١٢٩).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١ ، وانظر كذلك: شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٧٥ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٧٩).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اليسر وعدم المشقة وإرهاق النفس والبدن:

إن اليسر مطلب من مطالب الشريعة الإسلامية، ولذلك كان رسول الله ﷺ بلسان مقاله وحاله يدعو إلى الوسطية والموازنة بين العبادة وحق الجسد، والحديث ينقل لنا صورة من صور دعوته ﷺ العملية إلى اليسر ومجانبة المشقة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي) وذلك أداء لكلٍ من العين والنفس حقها، وذلك أن الجسد يصيبه الكلال من مزاولة الأعمال[1]، ثم إن ذلك أدعى إلى الإقبال على العبادة بهمة ونشاط[2]، والمداومة على الأمر والقدرة على الاستمرار وعدم الانقطاع[3].

ومن الشواهد على أهمية اليسر في العبادة وعدم إرهاق النفس قول النبي ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً[4].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه))[5]، صدق رسول الله ﷺ، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال.

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ))[6].

وبهذا يتميز الإسلام عن غيره من التشريعات بأنه دين الحنيفية السمحة، وقال

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٠٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٤١٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩.

(٦) أخرجه أحمد ٩٩/٣، رقم ١٣٠٥٣، وقال عنه محققو المسند: حسن بشواهده ٣٤٦/٢٠.

رسول الله ﷺ: ((إنّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَةٍ سَمْحَةٍ))[1]، فلو ثبت وجود الحرج في الشرع لم تكن الشريعة حنيفية سمحة بل كانت حرجية عسرة، وهذا باطل لتكذيبه خبر الرسول ﷺ، فبطل ما أدى إليه وثبت أنه لا حرج في الشرع.

وللشرع مقاصد، منها المقاصد العامة وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، ويدخل في المقاصد العامة أوصاف الشريعة (مثل الفطرة، والسماح واليسر)، وغايتها العامة (درء المفاسد وجلب المصالح).

فالشريعة حنيفية سمحة، حنيفية في التوحيد، لأن مبناها على عبادة الله وحده لا شريك له، ومن المبادئ التي راعاها الإسلام في أمر العبادة هو اليسر ورفع الحرج ووضع الآصار، الآصار التي عرفت في بعض الديانات كاليهودية وغيرها. وذلك أن التشديد قد يصلح علاجًا في ظروف خاصة لجماعة معينة ولمرحلة مؤقتة، وقد خصّ الله الشريعة الإسلامية بالسماحة والسهولة واليسر، لأنه أرادها رسالة للناس كافة والأقطار جميعًا ورسالة هذا شأنها من العموم والخلود لا بد أن يجعل الله الحكيم في أثنائها من التيسير والتخفيف والرحمة ما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور، وشتى البقاع، وهذا واضح في شريعة الإسلام عامة، وفي العبادات خاصة[2].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: الوسطية:

إن ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في العبادة من التوسط وإعطاء البدن حقه، إشارة إلى ما اختصت به الدعوة من التوسط في العبادة، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي)، وقوله ﷺ: "أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوما"، وذلك مظهر من مظاهر الوسطية والسماحة في الإسلام، يقول ابن القيم: "جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية

---

(١) أخرجه أحمد ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي وإسناده حسن ٣٤٩/٤١.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ٨٩.

وكونها سمحة، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل"[١]، وأمرنا الله بالعمل قدر استطاعتنا، فقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي: جهدكم وطاقتكم، وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣]، لأنه لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفًا للمسلمين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٤][٥]، ودلالة الوسطية على هذا القول واضحة جلية[٦]، والوسطية في الإسلام دليل الخيرية ومظهر الفضل والتمييز، فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور وسط في التعبد والتنسك، وسط في الأخلاق الآداب، وسط في التشريع والنظام[٧].

"وقد وردت نماذج عملية في السنة النبوية تبين دعوة الإسلام إلى الوسطية في الأمور كلها، وفي مقدمتها العبادات، منها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأينَ نحنُ منَ النبيِّ ﷺ؟ قد غَفر اللهُ لهُ ما تقدَّمَ من ذنبهِ وماتأخَّر. قال أحدُهم: أما أنا فأنا أصلِّي الليلَ أبدًا. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقال آخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوَّجُ أبدًا. فجاء رسولُ الله ﷺ فقال: ((أنتُم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر، وأصلِّي وأرقُد،

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٨/١.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٤) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٣٨/٨.

(٦) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي ص ٣٦٧.

(٧) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي ص ١٣٣ - ١٣٥.

وأتزوجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[١].

فما بدر من بعض الصحابة رضي الله عنهم في الحديث موقف من مواقف الغلو، يجلي لنا سبب هذه النزعة، وهو الرغبة الصادقة في التزود من الخير، التي دفعتهم للسؤال عن أسلوب النبي ﷺ في عبادته، فلما علموا رأوا أن ذلك قليل فقالوا ما قالوا.

ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الاتجاه فبادر بعلاجه، وصحح نظرتهم لتحصيل خشية الله وتقواه؛ فبيّن أنها ليست بالتضلع من أعمال والتفريط في أخرى، ولكنها تحصل بالموازنة بين جميع مطالب الله، وهذا هو عين الوسطية والحكمة والاستقامة والاعتدال والعدل"[٢].

وما سبق على مستوى النهج الجماعي أو العددي، كذلك أنكر النبي ﷺ الغلو على مستوى الأفراد، فروي أن النبي ﷺ آخى بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداءِ، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداءِ متَبذِّلةً فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كُلْ، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ. قال: فَأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلَّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: ((صَدَقَ سَلمانُ))[٣].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ. وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ فَقَالَ: «مَا هذَا؟» قَالُوا: لِزَيْنَبَ تُصَلِّي. فَإِذَا كَسِلَتْ أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ. فَقَالَ: ((حُلُّوهُ. لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ. فَإِذَا كَسَلَ أَوْ فَتَرَ قَعَدَ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٣٦.

(٢) الوسطية في القرآن، د. علي الصلابي ص ٤٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ١١٥٠، ومسلم ٧٨٤.

فهذا الحديث يدل على أن النساء لم يكنَّ أقل حرصًا من الرجال على التزود من الخير، والتنافس في أعمال البر، وقد تجلى ذلك في هذه النزعة الجامحة نحو العبادة، ولكن الرسول ﷺ لم يقر هذا الجموح الضار، فعمد إلى الزجر عنه، وأمر بالوسط النافع.

ولنستمع الآن إلى تعليق الإمام النووي حيث يقول: "فيه دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًا بالصلاة بل هو عام في جميع أعمال البر... وفي الحديث كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط والقلب منشرحًا، فتتم العبادة ..."[1].

ويلاحظ في النماذج السابقة التحذير من الغلو والإفراط، وأنه قد ينتهي بصاحبه إلى الانقطاع والتوقف، أو الزيادة على ما لم يشرعه الله عز وجل، وبالتالي يصبح مردودًا على صاحبه[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في قيامه الليل ونومه:

إن المسلم مطالب بالتأسي بالنبي ﷺ في جميع أقواله وأفعاله ومنها ما جاء في الحديث من بيان حاله ﷺ في قيامه الليل ونومه، فعن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ كان ينام أول الليل ويقوم آخره)، وقد أمر الله تعالى بالاقتداء به ﷺ في شؤونه عامة إلا ما كان خاصًا به فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3]، وقد استفاضت نصوص الكتاب والسنة في تعظيم شأن الاتباع وبيان أهميته، وأن سعادة المسلم في الدارين موقوفة على متابعة النبي ﷺ، وأن متابعته ﷺ أقوى مظهرٍ وأوضح شاهد على صدق المحبة لرسول الله ﷺ وبدونه

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٢١.

(٢) وكذلك جعلناكم أمة وسطًا، عبدالعزيز بن ناصر الجُليل ص ١٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

تصبح المحبة دعوى مجردة عن الدليل وقولاً لا يصدقه عمل[١]، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

(١) محبة الرسول ﷺ الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان ص ٦٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

الحديث رقم (١١٧٦)

١١٧٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ! قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أنْ أجلِسَ وَأَدَعَهُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أعظم الخلق شكرا لله تعالى وأكثرهم اجتهادا في العبادة، وهذا أمر بيِّن لصاحب خير القلوب، وأعظمها، وأتقاها عن ابن مسعود ﷺ قال: [إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء][2]، وهذا الحديث يشير إلى التفاوت بين النبي ﷺ وبين أفراد أمته، وإن كانوا من المجتهدين في العبادة، فالفارق كبير بين القلبين الحاملين للجسدين على الطاعة، ولذلك وجدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يخبر بهذا الإحساس بالضعف مع تطاول فترة الوقوف عليه عن الحد الذي يعتاده مثله، والذي عبَّر عنه بقوله (فَلَمْ يَزَلْ قائِماً) والفعل الدال على الاستمرار يحكي تمطي الزمان على ابن مسعود، ويؤكده اسم الفاعل الدال على الاستمرار في القيام حتى تعب، وكلٌّ، دل على ذلك بيان الغاية التي وصل إليها في قوله (حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سوءٍ !) كناية عن عزمه على ترك الصلاة خلف النبي ﷺ، والذي فسره في رده على سؤال السائل (قيلَ: مَا هَمَمْتَ ؟

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٥)، ومسلم (٧٧٣/٢٠٤) الشطر الأول بلفظ البخاري، والشطر الثاني بلفظ مسلم، وتقدم برقم (١٠٣).

(٢) مسند الإمام أحمد ٣٧٩/١، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند عبد الله بن مسعود، حديث: ٣٦٠٠ ، مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، ط/ مؤسسة قرطبة – القاهرة .

قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجلِسَ وَأَدَعَهُ) والتعبير بالهم يوحي بالفكرة التي جالت في ذهنه في أثناء الصلاة من طول القيام وهو ما يدل على عزيمة الرسول ﷺ واجتهاده في الطاعة، والعبادة.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم القراءة في صلاة الليل والتطويل فيها كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

وقد سبق القول في الحديث رقم (١١٧١) أنه قد اتفق الفقهاء[١] على أنه يستحب لمن قام صلاة الليل أن يفتتح التهجد بركعتين خفيفتين ثم يطول في القراءة بعد ذلك كيف يشاء، وأن التطويل في القراءة والقيام أفضل من كثرة الركوع والسجود في هذه الصلاة لفعله ﷺ في هذا الحديث حتى هم ابن مسعود رضي الله عنه بأن يجلس ويدعه من طول القراءة.

المضامين الدعوية[٢]

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٣).

الحديث رقم (١١٧٧)

١١٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فقلتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقلتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ)) فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، (رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ)[1])) ثُمَّ قَامَ طَوِيلاً قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى)) فَكَانَ سجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على قيام الرسول ﷺ ومع غيره في مجاراته، وهو يطيل إذا صلى لنفسه ما شاء غير أن الراوي، وصاحب القصة في هذا الحديث هو حذيفة رضي الله عنه، وقد رواه بشيء من التفصيل الذي يفصح عن إحساسه بالتعب شيئا فشيئا مع تطاول القيام عليه، وقوله (فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى) فقوله يركع عند المائة يحكي خاطره، ويوضح رغبته، وقوله ثم مضى يشير إلى طول انتظاره ليركع، وتكرار ثم في الربط بين جمل يشير إلى طول الوقت وتمطيه في إحساسه مع تجاوز الرسول ﷺ لسورة البقرة ثم النساء ثم آل عمران وقوله (يَقرأُ مُتَرَسِّلاً: إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ) مما يدل على طول الصلاة الذي فاق قدرة حذيفة رضي الله عنه على التحمل لاسيما أن ركوعه، وسجوده كان قريبا من قيامه، قال الشيخ ابن العثيمين (فجمع عليه الصلاة والسلام بين القراءة، وبين

---

(١) هذه الزيادة في رواية جرير عند مسلم.

(٢) برقم (٧٧٢/٢٠٣)، وتقدم برقم (١٠٢).

الذكر، وبين الدعاء، وبين التفكر؛ لأن الذي يسأل عند السؤال، ويتعوّذ عن التعوذ، ويسبح عن التسبيح، لا شك أنه يتأمل قراءته ويتفكر فيها، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر؛ قراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا كله لم يركع. فهذه السور الثلاث: البقرة والنساء، وآل عمران أكثر من خمسة أجزاء، وربع، إذا كان الإنسان يقرؤها بترسل، ويستعين عند فتح الوعيد، ويسأل عند آية الرحمة، ويسبح عند آية التسبيح، كم تكون المدة؟ لا شك أنها تكون طويلة، ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر)[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكمين فقهيين:

الأول: حكم التطويل في قيام الليل، وقد جاء بيانه في الحديث رقم (١١٧١).

الثاني: حكم فرائض الصلاة وكيفية إتمامها بركوعها وسجودها وما فيها من قراءة وأنه ﷺ يطيل ما كان هناك داع ويقصر ما كان هناك داع له.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن فرائض الصلاة التي لا تصح إلا بها النية وتكبيرة الإحرام والقيام والقراءة والركوع والرفع منه والسجود والرفع منه والتشهد والسلام عن اليمين وعن اليسار، وقد اختلفوا في عددها فمنهم قال هي ستة كالحنفية، ومنهم من جعلها ثلاثة عشر أو أربعة عشر وهم جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن العثيمين حديث (١٠٢).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٦/١ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٦/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٥١٤/١ وما بعدها، شرح منح الجليل ٢٤١/١ وما بعدها، مغني المحتاج ٣٤٠/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ٤٤٩/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٠/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ١٨٣/١ وما بعدها.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٠٢).

الحديث رقم (١١٧٨)

١١٧٨- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((طُولُ القُنُوتِ)) رواه مسلم[١].

المراد بـ (القنوتِ): القيام.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

القنوت: صلاة القيام[٢].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يتناول بالبيان أفضلية أجزاء الصلاة، والسؤال الذي وُجِّه للرسول ﷺ (أيُّ الصَّلاَةِ أفْضَلُ ؟) أي الصلاة استفهام عن أفضل أركانها أي: أي أركانها أو كيفياتها أفضل أي أكثر ثوابا، وفضلا قال (طول القنوت) أي: القيام، أو القراءة، أو الخشوع، وأفعل التفضيل تقتضي الاتفاق في الأصل، والتفاوت في الصفة بمعنى أنها تدل أولا على أن جميع أجزاء الصلاة فاضلة، وثانيا :أن أفضلها، وأكثرها ثوابا طول القيام.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله: إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود)[٣].

وقد اختلف الفقهاء فيما إذ كان التطويل في القراءة أفضل أم كثرة الركوع والسجود عل خمسة آراء:

---

(١) برقم (٧٥٦/١٦٥). تنبيه: هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (٣٩٢٩) بلفظ أطول عن عمير بن قتادة، أخرجه الطبراني في الأوسط (٨١٢٣)، ولكن المؤلف عدل عن ذلك بإيراده عن مسلم مختصرًا.

(٢) رياض الصالحين ٤٢٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٦/٣ .

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة[١]، والمالكية[٢] في قول عندهم، والشافعية[٣]، وأحمد في رواية[٤]، ويرون أن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، وفيه أن "أفضل الصلاة طول القنوت" والمراد بالقنوت في الحديث: القيام[٥].

ولأن فيه جمعًا بين فرضين: القيام، والقراءة، وكل واحد منهما فرض[٦].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[٧]، وأحمد في رواية[٨]، ويرون أن كثرة الركوع، والسجود أفضل من طول القيام.

لقول رسول الله ﷺ: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد))[٩].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه إسحاق بن راهوية[١٠]، ويرى أنه إذا كان في النهار فكثرة الركوع والسجود أفضل، وإذا كان في الليل فطول القيام أفضل.

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو يوسف من الحنفية[١١]، ويرى أنه إذا كان له ورد يقرؤه، فكثرة السجود أفضل، لأنه يقرأ ورده لا محالة وإن لم يكن فطول القيام أفضل.

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، البدائع ٢٩٥/١، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٣/١.

(٢) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢، ومواهب الجليل ٨١/٢، والشرح الكبير، الدردير ٢١٩/١.

(٣) المجموع ٢٣٠/٣.

(٤) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٥) المجموع ٢٣٠/٣.

(٦) المبسوط ١٥٨/١.

(٧) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(٨) المغني، ابن قدامة ٤٤٢/١.

(٩) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(١٠) المجموع ٢٣٠/٣، ٢٣١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٨١/٢.

(١١) المبسوط ١٥٨/١.

الرأي الخامس: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية[١]، ويرى أنهما سواء نظرًا لتعارض الأخبار الواردة في ذلك. وقال ابن حجر: (والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على طول القيام والقراءة في الصلاة:

جاء حث النبي ﷺ على طول القيام في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، قال القاضي عياض: "للقنوت سبعة معان: الصلاة والقيام والخشوع والعبادة والسكوت والدعاء والطاعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾[٣]، أي: اعبديه. وقيل: صَلّي، وقيل في قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾[٤]، وفي قوله: ﴿قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾[٥]، أي: قيِّمات بحقوق أزواجهن وقيل: مُصلّيات، وقيل: يقع على الإقرار والعبودية وعلى الإخلاص، والمراد بقوله في الحديث: (طول القنوت): القيام"[٦].

وقال النووي: "المراد بالقنوت هنا: القيام باتفاق العلماء"[٧]، وفيه دليل لمن فضل تطويل القيام على تطويل السجود والركوع، وهو مذهب الشافعي وجماعة لهذا

---

(١) المغني، ابن قدامة، ٤٤٢/١، ومنار السبيل ١١٢/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٩/٣ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الاحزاب، الآية: ٣١.

(٥) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٠٧/٣.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

الحديث، ولأن ذكر القيام القراءة، وذكر السجود التسبيح، والقرآن أفضل، ولأن المنقول عن النبي ﷺ أنه كان يطول القيام أكثر من تطويل السجود، وفي المسألة مذاهب أخر[1].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في صريح الحديث، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ومن وسائل الأداء البياني النافعة ولهذه الوسيلة قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقى الإجابة عنه، إضافة إلى ما يعيشون من حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[2].

ولقد استخدم رسول الله ﷺ السؤال بكثرة في تربية المخاطبين وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[3]، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريرًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٨.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٣) فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٣.

الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[١].

ومن أمثلة استخدام النبي ﷺ، ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُط وَرَقُها، وإنَّها مَثَلُ المُسْلِم، فَحدِّثُوني ما هِيَ؟ فوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البَوادي. قال عبدُ اللّهِ: وَوَقَعَ في نَفسِي أنَّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحْيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حَدِّثْنا ما هِيَ يار سولَ اللّه. قال: هيَ النَّخْلة))[٢].

"إن رسول الله ﷺ أراد من خلال شحذ الأذهان، وتطلعهم إلى الجواب الصحيح، أن يُرسخ في نفوسهم أن المسلم عطاء دائم وربيع مستمر، وأنه لا يصدر منه إلا الخير، كالنخلة التي لا يسقط ورقها، وفائدتها موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعًا، ثم بعد ذلك يُنتفع حتى من النوى كعلف للدواب والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى وكذلك بركة المسلم وفائدته عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"[٣].

ثالثًا من صفات المدعو: الحرص على السؤال عما يحتاج إليه في أمور الصلاة:

جاء في الحديث ما يدل ويدعو إلى حرص المدعو على السؤال والاستيضاح عما أشكل عليه ومن ذلك ما يتعلق بالصلاة، كما جاء في الحديث فعن جابر رضي الله عنه قال: (سئل رسول الله ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: طول القنوت)، وذلك من توفيق الله للمدعو إلى الحق والخير، حتى يكون على بينة من أمر دينه، وقد أمرنا الله بالسؤال والرجوع إلى أهل العلم والرأي، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين[٥]، وذلك لما علموه من

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٣/١.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٥) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧ - ١٨.

رسول الله ﷺ أن في السؤال شفاء للجهل وجلاءً للإلباس، قال ﷺ: ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[١].

أي: أن شفاء الجهل السؤال[٢]، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعلم والتفقه في الدين حتى تكون العبادة لله تعالى على أساس من الصحة واليقين، "ومن لوازم التثبت في العلوم الشرعية حتى يكون علم الإنسان على تحقيق ويقين فإن السؤال والتثبت والتفقه هو الطريق اللائق للعلم"[٣]، وقد أمرنا الإسلام بالعلم في الدين والتفقه في الدين، وذلك فيما لا تصح العبادة إلا به، أما ما زاد على ذلك من استخراج الأحكام واستنباطها فقد أوجب الله على الأمة أن تخصص جماعة منها لتقوم بهذا الواجب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٤].

ولقد ضرب لنا الصحابة رضي الله عنهم مثلاً عظيمًا يُحتذى به في التفقه والسؤال والرجوع إلى أهل الذكر، فروي عن ابن أبي مليكة أنَّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ كانتْ لاتَسمَعُ شيئًا لاتَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ، وأنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[٥] قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[٦].

فإن بالسؤال والعلم يكون الإنسان على بصيرة من أمره وتصحح الأفكار الخاطئة وتُقوّم المفاهيم المعوجة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٦.

(٣) بهجة النفوس، ابن أبي جمرة ٢٣٦/٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٢٨٧٦.

روي عن أسلم أبي عمران قال: (كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا سُبْحَانَ اللهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُأَوِّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللهُ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ. فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...﴾[1] فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلاَحَهَا وَتَرْكَنَا الغَزْوَ. فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

الحديث رقم (١١٧٩)

١١٧٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((أحَبُّ الصَّلاةِ إلَى اللهِ صَلاةُ دَاوُدَ، وَأحَبُّ الصِّيَامِ إلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

البداية بأفعل التفضيل من البدايات التي تحقق براعة الاستهلال، وتحقق التشويق للخبر، والرغبة في متابعته للوقوف على الفاضل، والمفضول، وسر الأفضلية لاسيما إذا كان هذا الفعل (أحب) الذي يداعب النفس بمرغوبها، ويمنيها بمطلوبها بوجه من الوجوه، كما أنه من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ، ومعناه أن الصلوات جميعا تشترك في صفة المحبة، وتفوقها صلاة داود عليه السلام، وكذلك في الصيام، ثم أشار إلى سر التفضيل بقوله (كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَوماً وَيُفْطِرُ يَوْماً) التعبير بكان يشير إلى أن تلك الطريقة هي عادته في الصلاة في الليل الذي قسمه قسمة صائبة بين النوم الذي يحقق متطلبات الجسد، وبين الصلاة التي تحقق متطلبات الروح، والقلب باتصالها بالله في الصلاة، كما يقسم في الصيام فيصوم يوما فيقوي قلبه، ويفطر يوما فيقوي جسده، ويستمر بين القوتين في موازنة تحفظ القلب، والعقل؛ ولذلك كان صيامه أفضل الصيام، وصلاته في النافلة أفضل الصلاة.

فقه الحديث

الوقت الأفضل لقيام الليل:

لا خلاف بين الفقهاء في أن قيام الليل لا يكون إلا بعد صلاة العشاء، سواء سبقه نوم أو لم يسبقه، وأن كونه بعد النوم أفضل.

واختلفوا بعد ذلك في أفضل الأوقات لقيام الليل على أقوال: فذهب الجمهور إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١ واللفظ له، ومسلم ١١٥٩/١٨٩. أورده المنذري في ترغيبه ٩٠٥.

الأفضل مطلقًا، السدس الرابع والخامس من الليل، لحديث الباب.

وأما لو أراد أن يجعل الليل نصفين: أحدهما للنوم والآخر للقيام، فالنصف الأخير أفضل، لقلة المعاصي فيه غالبًا. ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟))[1].

ولو أراد أن يجعله أثلاثًا فيقوم ثلثه، وينام ثلثيه، فالثلث الأوسط أفضل من طرفيه، لأن الغفلة فيه أتمّ، والعبادة فيه أثقل، والمصلين فيه أقلّ.

ويرى المالكية أن الأفضل قيام ثلث الليل الآخر لمن تكون عادته الانتباه آخر الليل، أما من كان غالب حاله أن لا ينتبه آخره، فالأفضل أن يجعله أول الليل احتياطًا[2].

استحباب صوم يوم وإفطار يوم:

من صيام التطوع صوم يوم وإفطار يوم، وهو أفضل صيام التطوع[3]، لحديث الباب، ولقول النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((صُمْ يومًا وأفْطر يومًا، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام. فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: لا أفضل من ذلك))[4].

قال البهوتي: (لكنه مشروع بأن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل من الصيام، كالقيام بحقوق الله تعالى وحقوق عباده اللازمة، وإلا فتركه أفضل)[5].

المضامين الدعوية[6]

---

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٦٠/١، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٣٤/١ دار المعرفة، وحاشية الجمل ٤٩٥/١، ونهاية المحتاج للرملي ١٦٢/٢، والمغني لابن قدامة ١٣٦/٢، ونيل المآرب ١٦٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١١٩/٣٤).

(٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، ٣٥١، ومغني المحتاج ٤٤٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٣٧/٢ (عن الموسوعة الفقهية ٨٩/٢٨).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩، ١٨١.

(٥) الروض المربع ١٤٥/١.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١١٧٥).

الحديث رقم (١١٨٠)

١١٨٠- وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله خَيْرًا مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في قيام الليل بجعله ظرفا لساعة الإجابة التي يرى فيها الإنسان تحقيق ما يتمنى بين الدنيا، والآخرة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) فهو ترغيب يشبه الترغيب في البحث عن الكنز المفقود في مكان محدود غير أن البحث عن ساعة الإجابة ليس في المكان، بل في الزمان والبحث في الزمان أيسر غير أن فيه خطر الفوت؛ لأنه ليس له ثبات بعكس المكان فإنه ثابت، وقوله (لاَ يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ الله تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إلاَّ أعْطَاهُ إيَّاهُ) أسلوب قصر يقصر موافقة المسلم لساعة الإجابة على إعطائه ما سأل، وهو يعطي الأسلوب توكيدا يحقق الإقناع مع كثافة المؤكدات التي بدأت بها العبارة (إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً) من التوكيد ب(إن) ثم تقديم الجار، والمجرور المفيد للاختصاص، أو الاهتمام، ثم اللام ثم أسلوب القصر لكي يحقق الإقناع الوجداني لمن يستعظم أمنياته، ويراها لشدة تعلقه بها بعيدة التحقق فيجعل له الرسول ﷺ وسيلة لتحقيقها مدعومة بجملة من المؤكدات تزيل أي تردد، أو شك مهما بلغت أمنيات الداعي، والمقابلة بين الدنيا، والآخرة في قوله (يَسْأَلُ الله تَعَالَى خَيْراً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) تستوعب أمنيات العبد في الدنيا، والآخرة، ثم أعطى الحكم اطرادا على المدى في قوله (وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ).

---

(١) برقم (٧٥٧/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٦).

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل الدعاء والتضرع لله سبحانه ليلاً حتى جعلت فيه ساعة استجابة متى وافقت دعوة مسلم استجيب له فيها.

وقد ذكر الفقهاء[1] أنه يندب لمن قام في الليل أن يذكر الله تعالى ثم يدعو بالخير لنفسه ولغيره من المسلمين، فقد يصادف ساعة الإجابة فيكتب من الفائزين، وخير ما يدعو به لنفسه أن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، فخير ما يفوز به المرء من الدنيا عفو الله سبحانه وغفرانه.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن في الليل لساعة)، في هذا الحديث استخدم النبي ﷺ أسلوب التوكيد لبيان أهمية قيام الليل وبيان ثوابه وما يفيض الله على عباده المؤمنين من إجابة لسؤلهم وتلبية لرجائهم، جزاء وفاقًا لتجافيهم عن المضاجع والفرش وتوجههم إليه تبارك وتعالى، ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) انظر في ذلك: المجموع، النووي ٥٣٨/٣، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٣٥/٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٦٩/٢.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

إن أسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المجدية، لما يوحي هذا الأسلوب من ثقة الداعي من دعوته وحمل المدعو على قبولها، إضافة إلى ما فيه من "الصدق في التعبير عن الحقيقة أو عن المشاعر والأحاسيس أو عن الآمال والرغائب"[١]، وذلك من الأسباب التي تجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا، حيث رغّب النبي ﷺ في تحري أوقات الإجابة بإجابة الله وإعطاء الداعي سؤاله فقال: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه، وذلك في كل ليلة)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لأن الإنسان مجبول على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، وأصبح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها[٢]، وقد حفل القرآن والسنة المطهرة بالعديد من المرغبات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، وذلك أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة، أمر مطلوب حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه[٤].

إن الترغيب من أبرز الأساليب الدعوية وأجداها، وذلك لموافقته لطبيعة الإنسان التي فطر عليها من محبته الخير لنفسه وسعيه الحثيث في جلبه إليها.

إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه

---

(١) انظر: مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٩٦.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن، د. عبدالوهاب الديلمي ص ٥٤٣.

الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالأسلوبين، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[١]، وقال ﷺ: ((سَبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ...))[٢]، وقال: ((...وإنَّ العبدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلْقِي لَهَا بالاً، يَهْوَى بهَا في جَهَنَّمَ..))[٣]، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب، لأنه فعل إيجابي، ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، فقدم التبشير على الإنذار.

وللترغيب أدوات كثيرة منها بيان فضل قول: لا إله إلا الله، وبيان فضل ذكر الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار المندوبة امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٥]، وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦]، كما إننا مدعوون لبيان فضل المحافظة على الصلاة في وقتها وجماعاتها، وبيان فضل المشي إلى المساجد، وبيان فضل الخشوع،وبيان فضل صلاة الضحى وبقية النوافل، وصلاة الليل وصلاة الحاجة والاستخارة واتباع الجنائز والصلاة عليها، والإحسان إلى الوالدين وصلة الرحم والجيران وغير ذلك كثير[٧].

ثالثًا- من صفات الداعية: إرشاد المدعوين إلى أوقات الإجابة وحثهم على اغتنام ذلك:

إن من أهم صفات الداعية الحرص على تبليغ هذا الدين، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٨]، وكفى بهذه الآية دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨، ومسلم ١١٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦، ٨٧.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم، واستجلاب لمسارهم أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا إمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيره[١].

إن تعليم الناس وتفقيههم لأمور دينهم ودنياهم وترغيبهم في عمل الطاعات والأعمال الصالحات[٢]، وتحري أفضل أزمانها وأماكنها من أهم أولويات الدعوة ومن ذلك ما جاء في الحديث من تحري ساعة الإجابة في الليل، فقال ﷺ: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، قال النووي: "ويتضمن الحديث الحثّ على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على تحري ساعة الإجابة والتضرع إلى الله تعالى:

إن من فقه المسلم في دعائه أن يغتنم الفرص في دعائه وذلك بتحري أوقات الإجابة والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء[٤]، وقد جاء في الحديث اشتمال الليل على ساعة إجابة لا يرد الله فيها دعوة لمسلم، فقال ﷺ: (إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك في كل ليلة)، وفي ذلك حث على الدعاء في الليل وحضٌّ عليه، وأبهم الساعة في جميعه، طلبًا لعمارته بالتوجه للمولى وعدم الغفلة فيه بالنوم وإراحة الجسم عنه، ويمكن أن تكون الساعة المطلقة في هذا الخبر محمولة على ما جاء من التقييد في رواية بأنها بعد مضي الثلث من الليل، وفي أخرى أنها النصف الأخير، وفي أخرى أنها في الثلث الأخير[٥]، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي

---

(١) الكشاف، الإمام الزمخشري ص ٢١٠.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ٢٥ - ٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٤) الدعاء، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٨٧.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣١٩.

تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ))[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[٢].

إن الدعاء في أوقات الليل خاصة في السحر منه من أرجى الأدعية في الإجابة لازدياد الإخلاص فيه وإخفاء الدعاء والبعد عن الرياء ونحوه، فإن في إخفاء الدعاء الفوائد الجمة وقد أشار ابن القيم إلى بعض الفوائد لإخفاء الدعاء فذكر منها:

أ/ أن إخفاء الدعاء أعظم إيمانًا لعلم صاحبه أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ب/ أنه أعظم في الأدب والتعظيم.

ج/ أنه أبلغ في التضرع والخشوع.

د/ أنه أبلغ في الإخلاص.

هـ/ أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء.

و/ أنه دليل على قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة البعيد للبعيد.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه في الحديث الصحيح عندما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر بخفض أصواتهم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنّا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ، فكنّا إذا علونا كبّرنا، فقال: ((أربعوا على أنفُسِكم، فإنكم لا تَدْعون أصمَّ ولا غائبًا تدْعون سميعًا بصيرًا قَريبًا. ثمَّ أتى عليَّ وأنا أقولُ في نفسي: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا باللَّه، فقال لي: يا عبدَ اللَّه ابن قيسٍ، قل: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللَّه، فإنها كنزٌ من كنوز الجنة؛ أو قال: ألا أدُلكَ به))[٣].

وذلك ما يوافقه قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٤]، وهذا القرب إنما هو قرب خاص وليس قربًا عامًا من كل أحد، فهو سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٨٦ واللفظ له، ومسلم ٢٧٠٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

قريب من داعيه، وقريبٌ من عابديه، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

ز/ أنه - أي إخفاء الدعاء - أدعى إلى دوام الطلب والسؤال.

ح/ أنه أبعد للداعي من القواطع والمشوشات.

ط/ أن فيه إخفاء للنعمة -أي نعمة الإقبال والتعبد- عن أعين الحاسدين.

ي/ أن الدعاء نوع من الذكر متضمن للطلب منه، والثناء عليه بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى فهو ذكر وزيادة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾[1]. فأمر الله نبيه في هذه الآية أن يذكره في نفسه، قال مجاهد وابن جريج: أمر أن يذكر في الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح"[2].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل قيام الليل والدعاء فيه:

إن من آداب الدعاء التي ينبغي على المسلم مراعاتها أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة[3]، والتي منها ما جاء بيانه في الحديث: (إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة)، وذلك بيان لفضل الدعاء في الليل، قال النووي: "فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها"[4]، قال ابن بطال: "وعد الله على لسان نبيه ﷺ أن من استيقظ من نومه لَهِجًا لسانُه بتوحيد ربه، والإذعان له بالملك والاعتراف بنعمه، يحمده عليها وينزهه عما لا يليق به، بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته"[5].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٢٤٦ - ٢٥٠.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ١٩٠٤/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٤٥/١١.

ولله در الشافعي حين قال:

أَتَهْـــزَأُ بالـــدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيـــهِ وَمَـــا تَـــدْرِي بِمـــا صَـــنَعَ الـــدُّعَاءُ

سِـــهَامُ اللَّيـــلِ لا تُخْطِـــي ولكـــن لَهَـــا أَمَـــدٌ وَلِلأَمَـــدِ انْقِـــضَاءُ

فيمـــسكها إذا مـــا شـــاء ربـــي ويرســـلها إذا نفـــد القـــضاء [1]

(١) ديوان الشافعي، تقديم ومراجعة: د. إحسان عباس، ط/١ دار صادر، بيروت: ١٩٩٦م، ص ١١. قافية الهمزة، بحر: وافر تام.

الحديث رقم (١١٨١)

١١٨١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلاَةَ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتنفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول ﷺ بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول ﷺ المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول ﷺ في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث والذي سبقه إلى حكم التطويل في قيام الليل، وأن المستحب في هذه الصلاة أن يبدأها بركعتين خفيفتين ثم ليطول بعد ذلك ما شاء كما كان يفعل

---

(١) برقم (٧٦٨/١٩٨).

النبي ﷺ في هذا الحديث[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط في العبادة والتماس أسبابها.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان كيفية افتتاح النبي ﷺ لصلاة الليل:

جاء في الحديث الإرشاد إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين، وذلك قولاً وفعلاً من رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وحَكَت عائشة رضي الله عنها ذلك من فعله ﷺ فقالت: (كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين)، قال النووي: "هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما"[٣]، وذلك لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم فتشتد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها، فتتوجه بكمال النشاط لصلاة الليل[٤].

وفي ذلك نصيحة غالية من رسول الله ﷺ لمن يقومون الليل أو يريدون قيامه والتمتع بذلك، وهي أن يبدؤوا عبادتهم الشاقة بركعتين خفيفتين لإذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم، فتشد الأعصاب وتقوى الأعضاء من فتورها فتتوجه للعبادة

---

(١) المبسوط ١٥٨/١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٥/١، أحكام القرآن، الجصاص ٢٦/١، ٣١١/٣، شرح معاني الآثار ٢٨٣/١، المجموع ٥٣٦/٣، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٥٦/١، ٢٠٠، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٦/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٨١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١١٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

بكمال النشاط، أو ليكمل التنبيه إذا كان مستيقظًا من النوم[١]، فإن اتباع ذلك من الأسباب الميسرة لقيام الليل والمداومة عليه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الأسباب الميسرة والمعينة على قيام الليل، منها ما ذكره ابن قدامة، فقال: "اعلم أن قيام الليل صعب إلا على مَنْ وفق للقيام بشروطه الميسرة له. فمن الأسباب ظاهر، وباطن:

فأما الظاهر: فأن لا يكثر الأكل، كان بعضهم يقول: يا معشر المريدين، لا تأكلوا كثيرًا، فتشربوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا فتخسروا كثيرًا.

ومنها: أن لا يتعب نفسه بالنهار بالأعمال الشاقة.

ومنها: أن لا يترك القيلولة بالنهار، فإنها تعين على قيام الليل.

ومنها: أن يجتنب الأوزار. قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته.

وأما الميسرات الباطنة:

فمنها: سلامة القلب للمسلمين، وخلوه من البدع، وإعراضه عن فضول الدنيا.

ومنها: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

ومنها: أن يعرف فضل قيام الليل.

ومن أشرف البواعث على ذلك الحب لله تعالى، وقوة الإيمان بأنه إذا قام ناجى ربه، وأنه حاضره ومشاهده، فتحمله المناجاة على طول القيام.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا"[٢].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: التيسير والتخفيف:

إن الدعوة قائمة على التيسير ورفع الحرج وإزالة المشقة، وتلك هي إرادة الله، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، قال قتادة: "تفسير هذه الآية:

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٥٩٩.

(٢) مختصر منهاج الصالحين ص ٧٠، ٧١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم"[١]، وفي الحديث صورة من صور هذا التيسير وذلك بإرشاده ﷺ إلى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين تيسيرًا على النفس وإدخالاً للنشاط عليها، فقال ﷺ: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين)، وذلك من مظاهر التيسير في الشريعة الإسلامية التي بعث بها رسول الله ﷺ.

قال ابن كثير: "إن النبي ﷺ جاء بالتيسير والسماحة، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضُيِّقَ عليهم فوسّع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم"[٢].

لقد كانت حياة رسول الله ﷺ وعباداته ودعوته نماذج حية للتيسير والتخفيف والتجافي عن التعسير والمشقة، وفي ذلك المثل المحتذى للأمة جميعًا والدعاة خاصة، فقد كان من هديه ﷺ ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا))[٣].

أراد النبي ﷺ تعليم أمته الالتزام باليسر في حياتهم وكان ﷺ يلاحظ الحالة النفسية لأتباعه، ومدى استعدادهم لتقبل الوعظ، ويقلل من أوقات ذلك خشية الملل وكراهية التشريع[٤]، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ النبي ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ. كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا))[٥].

وقد تضافرت الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ، الدالة على شفقته بأمته ودعوته - قوليًا وعمليًا - إلى التيسير ورفع الحرج والمشقة، منها:

ما روي عن عائشة رضي الله عنها: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ. ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ. فَكَثُرَ النَّاسُ. ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ. فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ

---

(١) تفسير ابن جرير ٧٦/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٥٤/٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١٣.

(٤) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٢١.

الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ)) وفي رواية: ((فَتَعْجِزُوا عَنْهَا))[1].

بل كان ﷺ يخفف الصلاة ويتجوز فيها وهي قرة عينه، وفيها الراحة التي ينشدها، رفقًا بحال المأمومين ومراعاة لضعفائهم وانشغال بالهم، ودفعًا لكل ما يدخل المشقة عليهم.

قال ﷺ: ((إني لأقومُ إلى الصلاةِ وَأَنا أُريدُ أَن أُطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّه))[2].

وقال ﷺ: ((لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ))[3].

والأحاديث في هذا الشأن من باب المثال لا من باب الحصر.

بل كان النبي ﷺ يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالتخفيف، وينهاهم عن سلوك سبيل التعمق والغلو والتشدد، ويوجههم إلى طريق اليسر والاعتدال، وهذه مجموعة من الأحاديث التي توضح هذا وتبينه:

كَانَ مُعَاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي فَيَؤُمُّ قَوْمَهُ، فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ، فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَانْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَانْصَرَفَ. فَقَالُوا لَهُ: أَنَافَقْتَ يَا فُلاَنُ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ! وَلآتِيَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلأُخْبِرَنَّهُ. فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحَ. نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ أَتَى فَافْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟ اقْرَأْ بِكَذَا)) وفي الرواية الأخرى: ((سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالضُّحَى))[4].

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ، مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي

---

(١) أخرجه مسلم ٧٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٥٥٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٦٥.

مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ))[1].

بل لقد بلغ الحال ببعض الصحابة رضي الله عنهم أن أرادوا الأخذ بعزائم الأمور ومخالفة الرسول ﷺ في بعض ما كان يترخص فيه ظنًا منهم أنه طريق التقوى والخشية، وأن ترخصات النبي ﷺ خاصة به لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وكأن هؤلاء القوم فهموا أن الأخذ بالأشد هو الأتقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لكن الرسول ﷺ أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو في الاتباع والاقتداء، وأن اتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله هو منهج رسول الله ﷺ فهو أعلم الناس بشرعه وأشدهم له خشية[2].

ويوضح ذلك: ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ إذا أمَرَهمْ، أَمَرَهمْ مِنَ الأعمالِ بما يُطِيقونَ. قالوا: إنّا لَسْنا كَهَيْئَتِكَ يا رسولَ اللّهِ، إنَّ اللّهَ قد غَفَرَ لكَ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حتى يُعْرَفَ الغَضَبُ في وَجْهِهِ ثمَّ يقول: ((إِنَّ أَتْقاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ باللّهِ أَنا))[3].

فها هو عليه السلام الجامع للقوتين العلمية والعملية، وعمله ومنهجه هو المنهج المستقيم، وفي هذا الحديث بيانُ أن الطريقَ الصحيح والمنهجَ السليم هو الوقوف عندما حدده الشارع من عزيمة أو رخصة، واعتقاد أن الأخذ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له، كما أعلمهم ﷺ أنه وإن كان الله قد غفر له، لكنه مع ذلك أخشى الناس لله وأتقاهم فما فعله ﷺ من عزيمة أو رخصة فهو في غاية التقوى والخشية، ومن هنا ندرك غضبه ﷺ على هؤلاء الذين حاولوا سلوك منهج التعمق والتشدد ظنًا منهم أن ذلك طريق النجاة، وإذًا فلا غرابة أن رأيناه ﷺ يتعقب الذين يلتزمون التشديد والأخذ بالأشق[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٦٦.

(٢) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٢، ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠.

(٤) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد ص ٨٣.

فقد روي عن أنس رضي الله عنه: دَخَلَ نبيُّ الله ﷺ المسجدَ فإذا حَبْلٌ ممدودٌ بينَ ساريتينِ، فقال: «ما هَذَا»، فقالوا: هَذَا الحَبْلُ لزَيْنَبَ تُصلِّي، فإذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ النبيُّ: ((حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نشاطه، فإذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ))[1].

وفي السنن عن عقبة بن عامر أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي ﷺ: ((إنَّ الله لا يَصْنَعُ بِشَقَاءِ أُخْتِكَ شيئًا فلْتَرْكَبْ))، وفي رواية: ((الله لَغَنيٌّ عن مَشْيِهَا، مُرُوهَا فَلْتَرْكَبْ))[2].

هذه هي سنة رسول الله ﷺ وطريقته: سلوك الوسط واتباع اليسر، فالسهولة والرفق والأخذ بالأيسر ومراعاة الأحوال ديدنه عليه أفضل الصلاة والسلام، مما يؤكد سير الشريعة على الطريق السهل وعلى السماحة التامة والبعد عن التكلف[3].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مراعاة حال النشاط والتماس أسبابها:

جاء في الحديث ما يدل على أهمية النشاط في أداء العبادات وتسهيله العبادة على النفس، وذلك في إرشاده ﷺ إلى افتتاح الصلاة في الليل بركعتين خفيفتين: (إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتي) قال ابن الأثير: "النشاط هو الأمر الذي تنشط له وتخف إليه وتؤثر فعله، ومن ثمَّ يكون النشاط هو أن يخف الإنسان إلى الأمر ويؤثر فعله[4]"، ومن ثم دعا النبي ﷺ إلى التماس أسباب النشاط في صلاة الليل وذلك بافتتاحها بركعتين خفيفتين لما للنشاط من أثر إيجابي ودافع إلى الاجتهاد في الطاعات، وبلوغ أعلى المقامات إضافة إلى ما في النشاط من دليل على رضا الله وعلامة القرب منه[5]، وقد قيل: إياك والكسل والضجر فإنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على الحق[6].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٩٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٣١٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١١٦٤).

(٣) انظر: اليسر في القرآن، رأفت كامل عيد السيوري ص ١٢٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٦٧٥.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٤٨٦/٨.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ط/١ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٥م، ص ٣٨٣.

إن مما يعين على قيام الليل تحيّن الإنسان أوقات نشاطه وتقوية هذا النشاط باتباع منهج رسول الله ﷺ فيه بافتتاحه بركعتين خفيفتين.

ومما يعين على قيام الليل البعد عن مواطن النوم والراحة، وعلو همة المسلم، فمما لا شك فيه أن النوم في الثلث الأخير من الليل موطن راحة أي إنسان، لكن الذي يسمو إلى العلا، قد يأبى نوم هذا الوقت، بل يفضّل إجبار نفسه وجسده على قيام ذلك الوقت تعبدًا لله وتزكية لنفسه، وفي ذلك نيله لموطن يصبو إليه كل مسلم وهو الجنة ونعيمها[1].

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحادة ص ٤٠٧.

الحديث رقم (١١٨٢)

١١٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ[1] افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يدور المعنى في هذا الحديث، وسابقه حول تهيئة النفس للقيام بأخذها بالسهل الميسور الذي يجعلها تقبل على القيام شيئا، فشيئا حتى تستغرق في العبادة فيمضي الليل ما يمضي، والعبد في روضة الرحمن لا يبالي للعناء بالا بل يصير في متعة من القرب يصطبغ بها كل أعضاء بدنه فيخف للقيام، وقد قام الأسلوب في الحديثين على الشرط، فالأول ربط قيام المسلم للصلاة بالليل بالأمر النبوي بالافتتاح بركعتين خفيفتين، والتعبير بالخفة يوافق طبيعة النفس البشرية التي تميل إلى الراحة، وتنفر من الثقل، والحديث الثاني يربط فيه أسلوب الشرط قيام الرسول ﷺ بافتتاح الصلاة بركعتين خفيفتين، فالشرط في الحديث الأول يشير إلى العادة التي يوجه الرسول ﷺ المسلم إلي التزامها في قيامه من خلال التوجيه القولي، وهو بذلك سنة قولية، وأسلوب الشرط في الحديث الثاني يشير إلى عادة الرسول ﷺ في البداية في القيام بركعتين خفيفتين، فهو بذلك سنة فعلية.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) عند مسلم زيادة: (ليصلي).

(٢) برقم (٧٦٧/١٩٧).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٣)

١١٨٣- وعنها رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِن اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق تناولت فضل قيام الليل، وبيان عدد الركعات، وكيفياتها بما يجعلها في تمام الوضوح للمقتدين برسول الله ﷺ من أمته إلى يوم القيامة، وهذا الحديث يتمم الفائدة ببيان كيفية تدارك الفائتة حتى يتدارك ثوابها، وبذلك يغلق باب ضياعها، وهذا الاهتمام ببيان كل ما يتعلق بقيام الليل يشير من قريب إلى فضله، وأثره على درجات العبد عند الله، وقربه منه، وقد جاء المعنى في الحديث في ثوب الشرط الذي يدل على الاعتياد، والتلازم بين فعل الشرط وجزائه، وقد سبقته أم المؤمنين عائشة بما يدل على ذلك، وهو التعبير بـ(كان) التي تشير إلى الاعتياد في الغالب وفعل الشرط (فاتته) يدل على خروج وقتها، وقولها من (وجع أو غيره) يشير إلى العلة التي تسببت في ضياعها؛ لأن الرسول الله ﷺ لا يتركها اختيارا أبدا، وقوله (صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً) جملة جواب الشرط التي تضع الحل لمشكلة فوات السنة بالليل بتداركها بسنة القضاء في النهار، والطباق بين الليل، والنهار يقرر عدم خلو أحدهما عن صلاة هذه النافلة الجليلة، وفاءً، أو قضاءً.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: مشروعية اتخاذ وِرْد في الليل، وعلى مشروعية قضائه إذا فات لنوم، أو مرض، أو غير ذلك من الأعذار[2].

---

(١) برقم (٧٤٦/١٤٠)، وتقدم برقم (١٥٥).

(٢) نيل الأوطار ٤٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٥٠/٣.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على قضاء ركعات صلاة الليل إذا فاتته:

جاء في الحديث ما يدل على حرص النبي ﷺ على قضاء صلاة الليل الفائتة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة) إذ أنه ﷺ لم يكن يدع قيام الليل حضرًا ولا سفرًا، وكان - كما جاء في الحديث- إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[1]، بمعنى إذا فاتته من مرض أو غيره كاشتغاله بأهم منه قضاها بالنهار[2].

قال ابن عثيمين: "وهذا يدل على أن الإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، لأن الوتر تختم به صلاة الليل، وقد انتهت، كما دل على ذلك في الحديث: (صلى ثنتي عشرة ركعة)، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، يقضي ثنتي عشرة ركعة"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في الحرص على قضاء صلاة قيام الليل:

إن من سمات المسلم التي لا تنفك عنه بحال من الأحوال، اقتداؤه برسول الله ﷺ، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4]، ومن صور هذا الاقتداء ما جاء في الحديث من قضائه ﷺ لصلاة الليل إذا فاتته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من

---

(١) جامع الفقه، ابن القيم ٢/٢٢٥.

(٢) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة)، قال النووي: "هذا دليل على استحباب المحافظة على الأوراد، وأنها إذا فاتت تقضى"(١)، واستحباب تدارك النفل المؤقت وأن ما ترك لعذر وقضي كتب بمحض الفضل كثواب المؤدى(٢)، وذلك في صلاة الليل وغيرها، كقراءة القرآن وغيرها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ))(٣).

قال القاضي عياض: "وقوله: (من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه) وهذا تفضلٌ من الله عليه به، ودليلٌ على أن صلاة الليل والذكر فيها أفضل من صلاة النهار وعمله، إذا لم يُجعل له هذه الفضيلة إلا لغلبة نومه عليه، وقد ذكر مالك في مُوَطّئه عنه عليه السلام: ((مَا مِن امْرِئٍ تَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِلَيْلٍ يَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً))(٤)، وهذا أتم في التفضل ومجازاته بنيته، وهذا لمن كانت عادته كذلك"(٥).

وقال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث ما يدل على أن المرء يجازى على ما نوى من الخير وإن لم يعمله كما لو أنه عمله، وإن النية يُعْطَى عليها كالذي يُعْطَى على العمل إذا حيل بينه وبين ذلك العمل، وكانت نيته أن يعمله ولم تنصرف نيته حتى غلب عليه بنوم أو نسيان أو غير ذلك من وجوه الموانع، فإذا كان ذلك كتب له أجر ذلك العمل وإن لم يعمله، فضلاً من الله ورحمة جازى على العمل، ثم على النية أن حال دون العمل حائل"(٦).

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٧.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٥، وأحمد فس مسنده ٦/١٨٠، رقم ٢٥٤٦، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٣٢/٢٩٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٩٨.

(٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٥/٧١، ٧٢.

الحديث رقم (١١٨٤)

١١٨٤- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاَةِ الفَجْرِ وصلاة الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

الحِزْبُ: ما يجعله الرجل على نفسه من صلاة أو قراءةٍ كالوِرد[2].

الشرح الأدبي

الحديث السابق جاء بيانا عمليا لكيفية قضاء النافلة التي خرج وقتها، عن طريق السنة الفعلية المنقولة عن تصرف النبي ﷺ وعادته في قضاء فائت السنن لأنه كان يعمل بما يقول، ويرونه يطبقه عمليا ثم يوجههم إليه، وهذا الحديث فيه توجيه نبوي إلى ذلك جاء في ثوب الشرط المرغب في تدارك الفائت والذي يربط قراءة الفائت من حزب الليل، فيما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر بكتابة أجره كمن صلاه بليل، واستخدام أداة التشبيه (كأن) يشير إلى التقارب إلى حد التماثل في الأجر، وقوله (مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ) يشير إلى أن المؤمن لا يتعمد تضييع حزبه، وإنما غلبه النوم عليه، وقوله (أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ) يشير إلى عدم التفريط في قليل من أو كثير، والتعبير بالكتابة يوحي بثبات الأجر، وتوثيقه.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٧/١٤٢)، وتقدم برقم (١٥٣).أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ز ب).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٣).

الحديث رقم (١١٨٥)

١١٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإنْ أبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإن أبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

نضح في وجهها الماء: أي رشّ وجهها بالماء[2].

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في صلاة القيام ورد في صورة دعاء حنون من الرسول ﷺ عن طريق الخبر اللفظي في قوله (رحم الله رجلاً) بمعنى اللهم ارحم، ويحتمل أن يكون خبرا لفظا، ومعنى، والغرض منه الإشادة به، وترغيب السامعين في مثل العمل بمثل عمله الذي استحق به إشادة الرسول ﷺ، وإن كان خبراً، فهو خبر صدق، وإن كان دعاءً فهو مقبول؛ ولذا يقول العلماء: ينبغي للإنسان أن يتعرض لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله (فَصَلَّى وَأيْقَظَ امْرَأَتَهُ) يشير إلى المشاركة الفاعلة في دروب الخير التي تدعم المحبة بين الأهل، وقوله (فَإنْ أبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ) الأسلوب شرطي يشير استخدام (إن) فيه إلى عدم توقع الحدوث إي :عدم رفض المرأة القيام للصلاة مع زوجها، وقوله (في وجهه) يشير إلى تمكن نضح الماء حتى يحقق الغرض ويطرد شبح النوم مما يشير إلى الجدية في الفعل، كما تشير العبارة إلى روح التعاون على التقوى التي يجب أن تسود بين أفراد الأُسر المؤمنة، ثم إنه بث هذه الروح الخيرة في القطب الثاني للأسرة

---

(١) برقم (١٣٠٨). وصحّحه ابن خُزيمة (١١٤٨)، وابن حبان (الإحسان٢٥٦٧)، وقال الحاكم (٣٠٩/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩٠٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط في (ن ض ر).

وهي المرأة كشريك معين على طاعة الله في البيت المسلم فخصَّها بما خص به زوجها، ودعا لها كما دعا له، وانتدبها لتكون داعية لزوجها إلى معالي الأمور، وفضائل الأعمال حتى يتحقق التكامل في الأسرة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى أحد الأمور المستحبة في صلاة الليل، حيث يندب لمن قام لصلاة الليل أن يوقظ من يرجى قيامه للتهجد من زوجة أو غيرها.

ونص الشافعية[1] على أنه يستحب للرجل متى قام لصلاة الليل أن يوقظ زوجته للصلاة معه وكذا المرأة أن توقظ زوجها لتلك الصلاة فإن أبى الرجل أو المرأة القيام كان للآخر أن ينضح في وجهه الماء ليوقظه، على سبيل الندب لا الوجوب ويراعي الإيذاء، وطبيعة العمل نهارًا، ووقت النوم وحال القائم، مع العلم برضاه حتى لا يكون سبيلاً للفتنة.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى.

ثالثا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على تعاون الزوجين على طاعة الله تعالى:

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع بأسره، لذا ينبغي على أفرادها العمل على تطبيق شرع الله واقتفاء هدي رسوله ﷺ والعمل على تماسك الأسرة وقوة روابطها وإغلاق منافذها عن الشيطان، وقد جاء في الحديث حث النبي ﷺ على غرس روح

---

(١) المجموع، النووي ٥٣٧/٣، نيل الأوطار ٦٣/٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٨٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٨٦.

التعاون على البر والتقوى بين الأزواج، ومن صور هذا التعاون ما جاء في الحديث من تعاونهما على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت الماء في وجهه)، وذلك تعاونًا على البر والتقوى وإيثارًا لاتباع الأمر الإلهي على الهوى النفسي[1]، والمراد من الحديث تلطف كل من الزوجين مع الآخر والسعي في قيامه لطاعة ربه مهما أمكن، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[2]، وفيه بيان حسن المعاشرة وكمال الملاطفة والموافقة[3]. وذلك سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الأزواج[4].

ولإيجاد الألفة والمحبة بين أفراد الأسرة والمحبة بين الأزواج وحصول خير الدنيا والآخرة لهما، شرع الإسلام كثيرًا من الحقوق المشتركة بينهما وأرشد إلى ربط الأسرة وحمايتها بسياج من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ومن ذلك:

التناصح بينهما في كل ما فيه خيرهما وسعادتهما في الدنيا والآخرة، فدين الإسلام دين الخير والحق والفضيلة، ودين يسعى بأهله إلى أن يسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ودين يحث على التعاون على البر والتقوى، ودين يرشد أهله إلى أن يتمتعوا بالخيرية المطلقة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة، هذا هو دين الإسلام، وهذه صفة المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من هذه المحبة والمودة التي تُورث حب النصيحة في الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح.

ومن صور التعاون على ذلك: التعاون على طاعة الله وما يقرب إلى مرضاته كما

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦١٩.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١٠٢٧/٣.

جاء في الحديث: (رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)

فهذه صورة من صور التناصح والتعاون، التي تَجُرّ هذا البيت إلى السعادة والراحة، والأجر والثواب العظيم عند الله تعالى.

ومن صور التناصح أيضًا: التعاون بينهما على تربية الأولاد وتنشئتهم النشأة الصالحة الحقة، فهما القدوة لمن في البيت، فلا يسمع الأبناء والبنات إلا قولاً طيبًا، ولا يرون إلا عملاً صالحًا، ولا ينظرون إلا إلى سلوك حسن.

ومن صور التعاون والتناصح: تشجيع كل منهما للآخر على ما فيه خير وهدى، كتشجيع الزوجة زوجها على بر والديه والقيام بحقوقهما وعدم عقوقهما، ورعاية شؤونهما، وتفقد أحوالهما، والاهتمام بهما، وعدم الغفلة عنهما، والسعي في مصالحهما، وكذا صلة أرحامه وأقاربه، وحثه على ذلك، وكذا تشجيعه على القيام بوظيفته ومهنته التي يقوم بها، وتهيئة السبل والوسائل لإنجاحه في عمله ووظيفته، فإن نجاحه في ذلك نجاح لها، وأجر وخير في الدنيا والآخرة، ومردود ذلك لها ولأولادها.

ومن صور التناصح والتعاون بينهما: إرشاد الزوج لزوجته في كل ما هو خير لها، وعدم الوقوف أمام رغباتها إذا لم تخالف شرع الله عز وجل، وتشجيعها على صلة والديها وأقاربها بالمعروف.

هذه بعض الصور التي تدل على ضرورة التناصح والتعاون، والبيت الذي يسوده هذا الجو بيت سعيد - بإذن الله تعالى- في دنياه وآخرته.

إن صلاح الأسرة طريق لأمان المجتمع كله، وهيهات أن يصلح مجتمع وَهَت فيه حبال الأسرة، وانقطعت أو ضعفت، وإن الشيطان حين يفلح في فك روابط الأسرة فهو لا يهدم بيتًا واحدًا، ولا يحدث شرًا محدودًا، وإنما يوقع المجتمع بأسره في أذى مستعر وشر مستطير[1].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير ص ١٣١ - ١٣٣.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل إعانة الرجل زوجته وإعانة المرأة زوجها على طاعة الله تعالى:

جاء في صريح الحديث ما يدل على فضل إعانة الزوجين كل منهما للآخر على عبادة الله، وأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله والاندراج في طائفة الذاكرين والذاكرات، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته... ورحم الله امرأة قامت...)، قال العظيم آبادي: "رحم الله أي: وفق للسبق والخير"[1]، وقال ابن علان: "(رحم الله) جملة خبرية لفظًا دعائية مَعْنى عدل عنها إلى الخبرية تفاؤلاً بالإجابة كأنها حصلت وأخبر عنها بما يخبر به عن الحاصل"[2]، كما بين الحديث أن تعاون الزوجين على طاعة الله دخولهما في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال ﷺ: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا، كتب في الذاكرين والذاكرات)، أي من المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[3]، وهؤلاء من الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]، قال ابن كثير: "أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا عظيمًا وهو الجنة"[5].

وقد أرشد الله عباده المؤمنين أن يُولُوا أهليهم العناية والرعاية وحثهم على التمسك بالدين والأخلاق ووقايتهم من النيران، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[6].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٦١٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٢١/٦.

(٦) سورة التحريم، الآية: ٦.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (يقول: أدبوهم وعلموهم).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار).

وقال قتادة: (يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصية الله وأن يقوم عليهم بأمر الله ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية نهيتهم وزجرتهم عنها)[1].

"وفي الآية تنبيه للمؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الود بينهم عن إسداء النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى.

وعبر الله عن الموعظة والتحذير بالوقاية من النار على سبيل المجاز، لأن الموعظة سبب في تجنب ما يفضي إلى عذاب النار، أو على سبيل الاستعارة بتشبيه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة"[2].

وقد أمر الله رسوله بقوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[4].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد في الحديث أسلوب الترغيب واضحًا جليًا، حيث رغّب النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج بالتعاون على طاعة الله تعالى بأن ذلك سبب من أسباب رحمة الله عز وجل، والكتابة في الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ أهله..)، وقال: (إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعًا كتب في الذاكرين والذاكرات) وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٧/٨.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣٦٥/٢٨/١١.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٥.

نفعًا وذلك لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وأسلوب الترغيب يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى، فهو أسلوب يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان"[١].

إن الترغيب والترهيب دافعان قويان إلى عبادة الله وطاعته والعمل والاجتهاد الدءوب على القرب من الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل والنأي عن النار وما يقرب إليها من قول وعمل، وقد وصف الله عباده المؤمنين وفي مقدمتهم الأنبياء بتوجيههم إلى الله ولجوئهم إليه طمعًا في رحمته وثوابه ورهبًا من نقمته وعقابه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تعليم وتعميق الالتزام بقيام الليل في الأسرة المسلمة:

إن من أهم الأهداف الرئيسة للدعوة، تعميق الالتزام وتعاون أفراد الأسرة على طاعة الله عز وجل، ومن صور ذلك التعاون على الاستيقاظ لصلاة الليل، فقال ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل، فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)، وذلك أن التعاون وتعميق الالتزام في الأسرة سبيل لسعادة أفرادها في الدنيا والآخرة، فإن من صفة المسلم حبه لأخيه ما يحبه لنفسه، فكيف إذا كان الآخر هو الزوج أو الزوجة؟ فيجب أن تقوم العلاقة بينهما على أساس من المحبة والمودة التي تورث حب النصيحة في

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢٠٤/٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة السجدة، الآيات: ١٥ - ١٧.

الحق والخير والإرشاد إلى ما فيه الصلاح[١]، مع حسن المعاملة والثقة المتبادلة وأن تكون هذه العلاقة من أجل المضي في طريق الإسلام والدعوة[٢]، وحتى يجد كل طرف في الأسرة ما تقر به عينه، وتلك بغية الصالحين من عباد الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٣]، "أي: هب لنا أولادًا وحفدة تقرّ بهم العيون، وتسر بمكانهم الأنفس لحيازهم الفضائل واتصافهم بأحسن الشمائل"[٤].

---

(١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد الصغير ص ١٣١.

(٢) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار: لجنة البحث في مكتبة دار الدعوة، بإشراف: أحمد بن عبدالعزيز القطان، وجاسم بن محمد بن مهلهل، ط١ دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٦٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٢٨٣/١٢/٧.

الحديث رقم (١١٨٦)

١١٨٦- وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا - أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في التعاون على الطاعة في القيام مع الأهل، وقد جاء في أسلوب خبري خلى من المؤكدات في صورة الشرط الذي يربط بين إيقاظ الرجل أهله، والصلاة بهم، بكتابهما في الذاكرين، واستخدام أداة الشرط (إذا) يشير إلى تحقق الوقوع؛ لأن المؤمن سبَّاق للخير، والتعبير بالأهل يشير إلى معنى أوسع من الزوجة، فيدخل فيه جميع الأهل ثم إن إضافتهم إلى الضمير العائد على الرجل، يوحي إليه بمسئوليته تجاههم، و(ال) في الرجل للجنس فيشمل كل من أتى الفعل، وتثنية الفعل (فصليا) يشير إلى قوة الاتصال، وإلى أنه صلى بها، والتعبير بالكتابة يشير التوكيد، والثبات، والتعبير بالذكر يشير إلى اليقظة، والحضور، والمعية التي تجعلهم في رفقة الله تعالى.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (١٣٠٩)، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٥٦٨)، وقال الحاكم (١/٣١٦): حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٩١١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٨٧)

١١٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

ينقل غريبه من حديث رقم ١٥١.

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا مع الزمان، والمكان ويدور حول التنسيق بين العبادة، والراحة، وأخذ النفس في وقت إقبالها، ونشاطها حيث ربط بين حدوث النعاس في الصلاة، وبين الأمر بالرقاد، وقد علل الأمر الذي جاء في جواب الشرط بقوله (فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ) قوله (لعله يستغفر) رجاء الاستغفار أي يريد الاستغفار فيسب يعني يدعو على نفسه، وفيه الحث على الخشوع، وحضور القلب في العبادة، وذلك؛ لأن الناعس لا يحضر قلبه، والخشوع إنما يكون بحضور القلب.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى ما ينبغي فعله في صلاة الليل، وأن الإنسان مكلف على قدر طاقته ، فإن قام إلى صلاة الليل فليقم طاقته، فإن أحس بالنوم فليرقد، ثم ليكمل

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢)، ومسلم (٧٨٦/٢٢٢) واللفظ له، وتقدم برقم (١٤٧). أورده المنذري في ترغيبه (٩٣٨).

بعد أن يسترد نشاطه، فلعله يريد أن يستغفر فيسب نفسه ويدعو عليها من فرط نعاسه[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر في ذلك: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤١/٢ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١ وما بعدها، مواهب الجليل ٦٦/٢ وما بعدها، شرح منح الجليل ٣٣٩/١ وما بعدها، نهاية المحتاج ١٠٥/٢ وما بعدها، مغني المحتاج ٤٥٨/١ وما بعدها، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس البهوتي ٢٤٧/١ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١ وما بعدها.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٧).

الحديث رقم (١١٨٨)

١١٨٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِع)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاستعجم القرآن على لسانه: استغلق ولم ينطلق به لسانه لغلبه النعاس فلم يقدر أن يقرأ كأنه صار به عجمة[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى ضرورة أن يأخذ المؤمن نفسه وقت نشاطها، وأن يتجنب غلبة النعاس، وشدة التعب حتى لا يثقل القلب فيصرفه عن غرض العبادة، وقد ساقه في أسلوب الشرط ليعطيه اطرادا مع الزمان، والمكان ثم إن الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه فقد ربط القيام للصلاة على حال استعجام القرآن أي استغلاقه، وعدم انطلاق اللسان به لغلبة النعاس بالأمر بالاضطجاع، والتعبير بالقيام عن الصلاة يوحي بالتقويم والإصلاح، وهو إصلاح العبد للصلاة بتحسين طهورها، وقيامها، وركوعها، وسجودها، من جهة، وإصلاح الصلاة للعبد بتقويم أخطائه، ومغفرة ذنوبه، وتقريبه من ربه من جهة أخرى، وقوله (من الليل) يشير إلى نافلة الليل، والتعبير بالاستعجام كناية عن عدم الفهم، ويشير إلى انطماس المعاني، وتداخل الألفاظ، واضطرابه في القراءة، ويدل على ذلك تفسيره له بقوله (فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ) والحديث يشير إلى بعد نفسي يكمن في الحفاظ على المحبة التي يجب أن يقبل بها

---

(١) برقم (٧٨٧/٢٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج م)، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

العبد على ربه في العبادة، والتعب إذا ما حل بالعبد أورثه الاستكراه، والملل، وهو ما يخرج العبادة عن غرضها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على النشاط وحضور القلب في الصلاة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية التيسير والتخفيف في العبادة:

وردت الإشارة في الحديث إلى أهمية التيسير والتخفيف والابتعاد عن المشقة والحرج، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع" وذلك من مظاهر التيسير الإسلامي في أداء العبادات، وذلك مما تميزت به الشريعة الإسلامية، وإن المتتبع لما شرعه الله علينا من العبادات ليرى أن مظاهر رفع الحرج فيها واضحة جلية لاغموض فيها ولا خفاء[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من دلالة على أن صلاة الليل تكون في نشاط ويقظة، فإذا كان النوم غالبًا كان النوم أفضل، وذلك من مظاهر الدين، فقد قال ﷺ: وإن الدين يسر ولا يشاد الدين أحد إلا غلبه"[2]، ومعنى هذا الحديث أن العبادة ميسرة، والمبالغة فيها لا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال[3].

إن التيسير والتسهيل ورفع الحرج ميزة أصيلة للشريعة الإسلامية، فالمتتبع للتشريع الإسلامي يلمس معاني التيسير ورفع الحرج في الأحكام الشرعية، فاليسر ظاهر والحرج منفي فلا مشقة تعجز المكلفين عن أداء ما طلب منهم ولا حرج يلحقهم مما كلفوه[4].

---

(١) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص١١٩.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم ٣٩.

(٣) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ص ٨٩.

(٤) المدخل في التعريف بالفقه وقواعد الملكية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص٨٥.

وهناك نصوص صريحة في القرآن والسنة النبوية تدل على أن الشارع الحكيم ما يريد بعباده إلا التيسير والتخفيف، ولا يريد بأحكامه التضييق والتشديد، يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[4].

وفي السنة النبوية -أيضًا- الشيء الكثير من النصوص التي تدل على هذا المعنى، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إلاّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا»[5]. وقال ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن «يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا»[6].

فرفع الحرج أصل مقطوع به في الشريعة، ومن مظاهره ما يأتي:

اعتبار المرض، والسفر، والإكراه، والخطأ، والنسيان، أعذارًا لتخفيف الأحكام الشرعية وتشريع الرخص، والقاعدة الشرعية "الضرورات تبيح المحظورات" بنيت على أصل رفع الحرج دفعًا للمشاق والضيق عن أصحاب الأعذار والضرورات.

ومن الأمثلة على التيسير ورفع الحرج قوله الله تعالى ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[7]، ومن الإصر الذي رفعه الله عنا بالنسبة إلى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .
(٢) سورة النساء، الآية: ٢٨ .
(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨ .
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .
(٥) أخرجه البخاري ٩٣.
(٦) أخرجه البخاري ٥٢٤.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

الشرائع السابقة، التوبة، فقد كانت توبة بني إسرائيل بقتل النفس، ومن رفع الإصر إخراج ربع العشر في الزكاة، وقد كانوا يخرجون ربع المال،ومن رفع الإصر غسل موضع النجاسة، وقد كانوا يقرضون موضع النجاسة[١].

وفي الصلاة شرع للعاجز عن القيام أن يصلي حسب حاله، وله أن يجمع بين الصلوات في الخوف والمطر، وكذلك رفع الحرج في الصيام فأسقط الفريضة عن المريض الذي لا يرجى سلامته، وعن العاجز لكبر سنه مع إخراج إطعام مسكين عن كل يوم، وغير ذلك من التيسيرات في العبادات[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: النشاط وحضور القلب في الصلاة:

جاء في الحديث الدلالة على أداء الصلاة في حال النشاط وحضور القلب وإقباله على الصلاة، فقال ﷺ: "إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه"، قال النووي: أى استغلق ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس[٣]" فلم يدر ما يقول فليضطجع"، وقد جاءت النصوص الجمة التي ترشد إلى أداء العبادات وقت النشاط، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل النبي ﷺ، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل زينب، فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: لا، حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد"[٤]، أى ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر وكسل عن القيام فليرقد، وفي ذلك حث وأمر بالإقبال على العبادة بنشاط[٥].

فإذا لم يستطع المسلم في قيامه الليل تدبر القرآن وتفهمه لما أصابه من التعب أو حل به من النوم فليضطجع قليلاً ويعاود العبادة بنفس نشيطة وشعور صاف[٦].

---

(١) تفسير الجلالين ٤٢.

(٢) تاريخ التشريع والفقه الإسلامي، د. أحمد العليان، ص ٦٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٣٢.

(٤) أخرجه البخاري، ١١٥٠

(٥) فتح الباري، الحافظ ابن حجر، ج٣/٤٤-٤٥.

(٦) شرح رياض الصالحين، د/الحسيني هاشم، ص٦٠١.

وجاءت النصوص الكثيرة الداعية إلى دخول الإنسان في العبادة وهو مستيقظ العقل والذهن، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ. فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ»[1].

قال القاضي عياض: (في ذلك دليل على أنه لا يجب أن يقرب الصلاة من لا يعقلها ويؤديها على حقها، وأن يتفرغ من كل ما يشغل عن الخشوع فيها، وأن يكون حاضر العقل، وإلا "لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه" لأنه إذا ذهب يستغفر ويدعو لنفسه وهو لا يعقل، ربما قلب الدعاء، فدعا على نفسه)[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: مراعاة أحوال المدعوين:

إن من أهداف الدعوة: حث الناس على الاجتهاد في العبادة، لكن مع مراعاة طاقات وقدرات المدعوين، وعدم المشقة عليهم، وفي الحديث صورة من صور مراعاة أحوال المدعوين، فقال ﷺ إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضجع" وذلك رفعًا للمشقة والحرج، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، قال ابن كثير: "أى ما كلفكم مالا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا"[4].

وقد بَلَغ النبيَّ ﷺ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يطول بالمأمومين في الصلاة فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا. فقد روى الإمام البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رجل: «يا رسولَ الله لا أكادُ أُدْرِكُ الصلاةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بنا فلانٌ، فما رأيتُ النبي ﷺ في مَوْعِظَةٍ كانَ أشدَّ غضبًا منهُ يومَئِذٍ، فقالَ: «أيُّهَا الناسُ إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرينَ، فمَنْ

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٨٦.

(٢) انظر: إكمال المعلم، ج٣/١٥٠، ١٥١.

(٣) سورة الحج، الآية : ٧٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٢٢٨.

صَلَّى بالناسِ فَلْيُخَفِّفْ، فإنَّ فِيهِمُ المريضَ، والضعيفَ، وذَا الْحَاجَةِ»[١].

وفي رواية: فقال النبي ﷺ: «يا مُعاذُ، أَفتَّانٌ أَنت - أو أَفاتنٌ - (ثلاثَ مِرارٍ)، فلولا صليتَ بـ﴿سبِّحِ اسمَ ربِّكَ﴾ ﴿والشمسِ وَضُحاها﴾ ﴿والليلِ إذا يغشى﴾، فإنه يُصلِّي وَراءَكَ الكبيرُ وَالضعيفُ وَذو الحاجة»[٢].

ولم يقتصر - عليه الصلاة والسلام - على أمر الأئمة بتخفيف الصلاة ونهيهم عن إطالتها بل كان ﷺ مهتمًا بفعل ما أمر به غيره، وحريصًا على اجتناب ما نهى عنه الآخرين. فقد روي الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ مِنْ أَخَفِّ النَّاسِ صَلاَةً، فِي تَمَامٍ»[٣].

ولربما صلى بالناس فسمع بكاء الصبي فتجوز في صلاته وقرأ سورة قصيرة كراهية أن يشق على أمه. فقد روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمِّهِ ، وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ، فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ»[٤].

وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام: «إني لأقومُ في الصلاةِ أُريدُ أن أطوِّلَ فيها، فأَسمعُ بكاءَ الصبيِّ فأَتجوَّزُ في صلاتي كراهيةَ أن أشُقَّ على أُمِّهِ»[٥].

الله أكبر! صلوات ربي وسلامه عليه. ما أرحمه! وما أشفقه على الأمة! وصدق الله إذا يقول: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٦].

فإذا كان اهتمام إمام الدعاة ﷺ بمراعاة أحوال المأمومين بهذه الصورة فلم لا

---

(١) أخرجه البخاري، ٩٠.

(٢) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٧٠٤.

(٣) أخرجه مسلم، ١٨٩.

(٤) أخرجه مسلم، ١٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٧٠٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٨ .

يهتم الدعاة بمراعاة أحوال المدعوين أثناء دعوتهم إلى الله تعالى. يقول الإمام النووي تعليقًا على تخفيف النبي ﷺ الصلاة عند سماع بكاء الصبي: (وفيه دليل على الرفق بالمأمومين وسائر الأتباع ومراعاة مصلحتهم، وأن لا يدخل عليهم ما يشق عليهم، وإن كان يسيرًا من غير ضرورة)[١][٢].

ونرى في حياة رسول الله ﷺ ودعوته الأنموذج الحي في مراعاة أحوال المخاطبين، ومن صور ذلك اهتمام رسول الله ﷺ بمراعاة أحوال الناس، ما ثبت من عنايته العظيمة بأحوال المأمومين من خلال عدة نصوص ووقائع منها:

أ- أمره ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة مراعاة لأصحاب الأعذار من المأمومين:

أمر النبي الكريم ﷺ كل من صلى بالناس بتخفيف الصلاة مراعاة للضعيف والسقيم والكبير من المأمومين. فقط روي الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ»[٣].

ب- أمره ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه بتخفيف الصلاة مراعاة للمأمومين:

عين النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه إمامًا لقومه، فأمره بتخفيف الصلاة مراعاة للكبير والمريض والضعيف وذي الحاجة. فقد روي الإمام مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «أُمَّ قَوْمَكَ، فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ. وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٥٦ .

(٢) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين، د. فضل إلهي، ٨١-٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٣.

(٤) أخرجه مسلم، جزء من حديث رقم ١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالقدوة:

هذ واضح من معظم أحاديث الباب، ولعل أوضحها في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا)، ومثله حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فالملاحظ على هذا الحديث ما يلي:

(أ) أنه ﷺ بدأ بنفسه بالقيام بواجب الشكر، أي أنه ﷺ كان أول القائمين بالشكر لله رب العالمين، وذلك بقيامه الليل طويلاً حتى تتشقق قدماه، فإذا كان ﷺ أمر أصحابه رضوان الله عليهم بالقيام بواجب شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فإنه كان أولهم وأسبقهم إلى ذلك.

(ب) أنه ﷺ قام بواجب الشكر بعيدًا عن الناس وفي وقتٍ هم فيه مخلدون إلى الراحة والنوم، وفي هذا استجماع للقوى الذهنية والبدنية والنفسية للقيام بهذا الواجب، فاختار ﷺ أفضل الأوقات وأهدأ الساعات وأسكن اللحظات.

(ج) لم يتحدث ﷺ عن قيامه بواجب شكر رب العالمين، بل كانت أفعاله ﷺ التي تتحدث عن ذلك، وهذا ما جعل زوجه عائشة رضي الله عنها تسأله عن قيامه الليل حتى يصيبه ما يصيبه مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فحينئذٍ أعلنها وأخبرها أنه يفعل ذلك شكرًا لله رب العالمين.

والسؤال الذي يخطر بالبال هنا: أليس في ذلك تربية بالقدوة: تربية النبي ﷺ لأصحابه بالفعل والممارسة؟ أليس هذا الموقف يدعو المخاطبين أن يقتدوا به ﷺ ويتأسوا به؟ أليس هذا الفعل منه ﷺ أفضل من ألف قول من غيره؟

إن للقدوة تأثيرًا عميقًا في النفوس يبعث على الجد والاجتهاد في الطاعة وفي قيام الليل طمعًا في رضوان الله تعالى، فما أشد تأثر المؤمن بأسوته ﷺ واجتهاده في قيام الليل حتى مع الإجهاد الشديد إلا أنه أراد أن يُعمق في النفوس المؤمنة قيمة الشكر لله تعالى باجتهاده ﷺ في قيام الليل.

ومن هذا المنطلق فإن على المربين إن أرادوا أن ينجحوا في مهمتهم الجليلة ووظيفتهم النبيلة أن تكون تربيتهم من خلال القدوة فهذه أنجع طرق التربية وأنجحها على مر التاريخ والقرون، "ففي كثير من الأحيان تكون القدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة، وكذلك تعفى من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال، إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق وأثبت حيث إن القدوة تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي، لأن المثال الحي المرتقى في درجات الكمال يثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فيحصل التأثر والاقتداء وتكون الاستجابة قوية وهي في الوقت نفسه سهلة وتلقائية، وحتى إذا أحببت الاقتداء به من غير سؤال أغناك عن السؤال في كثير من الأعمال، وبهذا تتكامل عناصر التأثير فإذا اجتمع مع محبة الفعل اقتناع العقل بثمرته وفائدته وأضيف إليهما قدوة يتمثل فيهما الفعل فإن التأثير يكون قد بلغ مبلغه" [1].

ثانيًا - من أساليب التربية: التشجيع:

لقد شجع النبي ﷺ ابن عمر رضي الله عنهما على قيام الليل، فقال: (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)، وقد أتى هذا التشجيع بثماره الطيبة فكان عبدالله بن عمر لا ينام من الليل إلا قليلاً، أليس في هذا فوائد تربوية للتشجيع؟ أليس هذا دعوة للمربين أن يستخدموا هذا الأسلوب في مهمتهم؟ أليست النفس البشرية تحب التشجيع وتستجيب له؟ ألا يستخدم هذا في حياتنا اليومية كثيرًا؟ ألم يكن هناك مواقف تاريخية كان للتشجيع فيه دور كبير في تسطيرها بحروف من نور؟

"إن التشجيع بمعناه العام لا يختص بالنوابغ فحسب ولا يقتصر على المربين والمعلمين وحدهم، بل هو عام للنوابغ وغيرهم كذلك، في العلم أو في أي مجال آخر.

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٣٣ - ٣٥ مع مراجعه ومصادره.

وهو كذلك ليس مسؤولية المربين والمعلمين وحدهم، بل هو يقع أيضًا على عاتق كل أحد يستطيع ذلك، سواء من المعلمين أو المربين أو الوالدين أو الرؤساء أو غيرهم. بل هو مسؤولية عامة الناس، فبإمكانهم أن يحرِّضوا على الخير ويعينوا على البر، فيجدر بمن يستطيع القيام بذلك أن يقوم به، من خلال الكلمة الطيبة أو المبادرة بالهدية أو من خلال رسالة الشكر والتقدير أو غير ذلك، فلذلك الصنيع أثره البالغ في رفع الهمم وتنمية المهارة، والشعور بالثقة، ذلك أن الناس مجبولون على محبة التشجيع والدعم والشكر.

ولهذا لو تتبعنا سِيَر العلماء والمصلحين والمجاهدين ثم بحثنا عن سر نبوغهم وألمعيتهم - لوجدنا أن كثيرًا منهم قد نال ذلك بسبب كلمة سمعها فغيّرت مسار حياته، أو كانت سببًا في ثباته وصبره واستشعاره للمسؤولية أو نحو ذلك.

وقد يصدر ذلك من بعض العامة فيكون له وقعه وأثره.

عن حسين الكرابيسي قال: سمعت الشافعي يقول: كنت امرءًا أكتب الشعر وآتي البوادي فأسمع منهم، وقدمت مكة وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا ما الشعر؟ الشعر إذا استحكمت فيه قعدت معلمًا، تَفَقَّهْ يُعْلِك اللهُ. قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي ورجعت إلى مكة وكتبت عن سفيان ابن عيينة ما شاء الله أن أكتب، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد الزنجي، ثم قدمت على مالك في المدينة، فكتبت موطأه.

وهذا أحمد لما ابتلي بفتنة القول بخلق القرآن كان من أسباب ثباته رجل من عامة الناس، بل لص طرار[1] قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فقلت: يا أبه من أبو الهيثم؟

فقال: لما أخرجت للسياط ومدّت يداي للعقابين إذا أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي

---

(١) الطرّار: النشال الذي يشق الجيوب والهمايين ويستل ما فيهما. معجم لغة الفقهاء ص ٢٦٠.

ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال: أنا أبو الهيثم العيّار، اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان، لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن، لأجل الدين"[1].

ثالثًا - من أساليب التربية: التعريض:

لقد أراد النبي ﷺ أن يرغب عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في قيام الليل، فعرّض له بذكر من كان كذلك ثم فرط في قيام الليل وتركه، فقال له: "يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل"، قال ابن حجر: (قوله: "مثل فلان" لم أقف على تسميته في شيء من الطرق، وكأن إيهام مثل هذا لقصد السترة عليه كالذي تقدّم قريبًا في الذي نام حتى أصبح، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصًا معينًا، وإنما أراد تنفير عبدالله بن عمرو من الصنيع المذكور)[2].

وعلى احتمال أن الحديث فيه تعريض بفلان فإنه يستفاد بذلك في المجال التربوي بأن يستخدمه المربون والموجهون والواعظون والمرشدون في تعاملهم مع من يقومون على تربيتهم وتوجيههم، أليس في هذا التعريض علاج للخلل والفعل غير المرغوب فيه دون تشهير بصاحبه والإعلان به بين الناس فيحفظ عليه ماء وجهه مع لفت نظره إلى ترك ما فعل واجتناب ما ارتكب؟

أليس في التعريض تنبيه للجماعة أن يحذروا هذه الأفعال فيقيموا بينها وبينهم سدًا منيعًا؟ أليس في التعريض حفظ لهيبة المربي بين أتباعه، وحماية لها من كونها قد تتعرض للاهتزاز إذا استخدم الأسلوب المباشر مع من قد لا يقدرونه حق قدره وينزلونه منزلته؟ أليس في التعريض تطبيقٌ لمبدأ تربوي مهم جدًا، وهو الستر قدر الإمكان على أهل الزلات الذين لم يعتادوها ولم يفعلوها على وجه القصد والإصرار؟

والخلاصة: أن التعريض إذا استخدم في محله ووقته لاستطاع عن طريقه المربي أن يحقق الغاية التي يرمي إليها والهدف الذي يريد تحقيقه[3].

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٤٣ - ١٤٥ ومراجعه ومصادره.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/ ٧٧٠ .

(٣) وانظر: نحو تربية إسلامية راشدة ص ٢٤٤.

رابعًا -التربية على النشاط وعدم الكسل:

هذا مستمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذُكِر عند النبي ﷺ رجلٌ نام ليلة حتى أصبح قال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال: في أذنه.

قال ابن حجر: (... وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه، والعرب تكنى عن الفساد بالبول... ووقع في رواية الحسن عن أبي هريرة في هذا الحديث عند أحمد. قال الحسن: إن بوله والله لثقيل. وروى محمد بن نصر من طريق قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود: حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه. وهو موقوف صحيح الإسناد. وقال الطيبي: خصّ الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب بالنوم، إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه)[1]، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكد ذلك: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذ هو نام، ثلاث عقد: يضرب على كل عقدة: عليك ليلٌ طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلّت عُقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان).

قال الشيخ القرضاوي: (وما أعظم الفارق بين المسلم الذي انحلت عقد الشيطان كلها من نفسه فاستقبل يومه من الصباح الباكر بالذكر والطهارة والصلاة، وانطلق إلى معترك الحياة نشيط الجسم طيب النفس منشرح الصدر وبين من ظلت عقد الشيطان فوق رأسه فأصبح نؤوم الضحى، بطيء الخطا، خبيث النفس، ثقيل الجسم، كسلان)[2].

"إن التكاسل في أداء العبادات مظهر من مظاهر دنو الهمة، فتجد من الناس من يؤدي الصلاة بتثاقل وتباطؤ وقلة رغبة، وهذا وصف المنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا وهم كسالى، بخلاف المؤمنين الصادقين، فإنهم يقومون إلى الصلاة بهمة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٦٦ .

(٢) الوقت في حياة المسلم ص ٢٢٦.

ونشاط ورغبة، ولذلك وصفهم الله عز وجل بأنهم يقومون إلى التهجد في الليل أو إلى صلاة الفجر تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وهذا آية على مصارعة همتهم لحاجة أجسادهم إلى الراحة والنوم، ويدخل في هذا المظهر التكاسل عن قيام الليل، وصلاة الوتر وأداء السنن والرواتب وبخاصة إذا فاتت فقلّ من يقضيها.

ومن ذلك الغفلة عن قراءة القرآن، وعن ذكر الله عز وجل وعن التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله تبارك وتعالى.

ومن ذلك الغفلة عن أعمال القلوب من حب وإخبات وتوكل ونحو ذلك... ومن ذلك - أيضًا - التواني عن الإنفاق في سبيل الله، فمن الناس من يدفع في سبيل الفساد والإفساد ولا يبالي، وإذا طلب منه الإنفاق في سبيل الله قدم رجلاً وأخر رجلاً، وأخذ يضرب أخماسًا لأسداس، وبدأ يقدم الأعذار تلو الأعذار"[1].

خامسًا - التربية على تحري الأوقات الفاضلة:

هذا واضحٌ في جميع أحايث الباب، وخاصة الأحاديث التي تحتوي على أفعل التفضيل: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل "وأحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود...".

فهذه الأحاديث تحث على تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة والعمل الصالح، وإذا ربى الناشئة على ذلك كان له الأثر الطيب عليهم وعلى أدائهم في الحياة ونجاحهم فيها. وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا[2] كما سيأتي أيضًا في الباب التالي[3]، فكان الأنسب هنا الاختصار والإيجاز.

سادسًا - التربية على استدراك ما فات من الخير:

وهذا مستمد من الحديثين: حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة. فهذا النبي ﷺ قد

---

(١) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٣٦ - ٣٧ ومراجعه.

(٢) انظر: الباب رقم ٢١٠: باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها.

(٣) وهو الباب رقم ٢١٣، باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح.

استدرك ما فاته من فضل قيام الليل بالصلاة في النهار ولم يجعل النبي ﷺ هذا قاصرًا عليه بل نصح أصحابه رضي الله عنهم بذلك فقال - كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه - (من نام عن حزبه أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب له كأنما قرأه من الليل)، فأرشدهم ﷺ إلى استدراك ما فات من الفضل، وعيّن لهم الوقت الذي يمكنهم الاستدراك فيه وهو الوقت ما بين الفجر إلى صلاة الظهر، ولعل الحكمة في ذلك أنه وقت طويل، كما أنه وقت لم تتكاثر فيه المشاغل بعد، بخلاف غيره من بعد الظهر ونحوه حيث تتزاحم الأعمال وتكثر.

والخلاصة أن الحديثين نص في الحث على استدراك ما يفوت الإنسان من الخير، وعلى ذلك ينبغي أن يربي المربي الناشئة وغيرهم على ذلك، بحيث يحرصون على عدم تفويت الخير في وقته، فإن حدث لأي سبب من الأسباب كان هناك المجال للاستدراك والحصول على الثواب والفضل.

ولا شك أن التربية على ذلك فيها فوائد تربوية منها:

(أ) تعويد الناشئة على أن يكون فعل الخير سجية لهم في جميع الأوقات والأحوال والمتغيرات.

(ب) تعويد الناشئة على أن يعطوا كل وقت عمله الذي هو مطلوب فيه بحيث يكون ذلك عادة، فإن حدث وتأخر ذلك فإن فرصة الاستدراك ما زالت قائمة، وهذا مفيد جدًا في غرس عادة عدم تأجيل العمل إلى الغد.

(ج) التقدير الشديد لقيمة الوقت والحرص على عدم تضييعه فيما لا يفيد ولا ينفع، وشغله بما يفيد وينفع[1].

سابعًا - التربية على التعاون المشروع على العبادة:

هذا مستمد من الحديثين: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء...)، و(إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا - أو صلى ركعتين جميعًا، كتبا في الذاكرين الله والذاكرات).

---

(١) انظر: قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة ص ٨٠ - ٨٤.

قال الأستاذ محمد بن عبدالله الدويش: (النفس تضعف ويصيبها الفتور والتقصير لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه الصالحون، يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه، لذا فقد كان النبي ﷺ وهو أتقى الناس وأقربهم لله تبارك وتعالى، يزداد طاعة وهمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناسِ، وكانَ أَجودَ ما يكونُ في رَمَضانَ حِينَ يلْقاهُ جِبرِيلُ، وكانَ يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ مِنْ رَمضانَ فَيُدارِسُه القُرآنَ. فلَرَسولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَة))[1].

قال النووي عند ذكره لفوائد هذا الحديث: (ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم)[2]، ومن صور التعاون المشروع على أداء العبادة:

(أ) الأمر بها والحث عليها، وقد كان ﷺ يفعل ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: «قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ»))[3].

بل يخرج من بيته ذات ليلة لابنته وصهره آمرًا إياهما بالصلاة والتهجد، فعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ((أنَّ رسولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم طرَقَهُ وفاطمةَ بنتَ النبيِّ عليهِ السلامُ ليلةً فقال: ألا تُصلِّيانِ؟ فقلتُ: يا رسولَ اللّهِ أنفُسنا بيدِ اللّهِ، فإذا شاءَ أن يَبْعَثنا بَعَثَنا. فانصرَفَ حينَ قلتُ ذلك ولم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، ثمَّ سمعتُهُ وهوَ مُوَلٍّ يضرِبُ فخذَهُ وهوَ يقول: ﴿وكان الإنسانُ أكثرَ شيء جَدَلاً﴾[4]))[5].

ويوصي بهذا التعاون بين الرجل وزوجته مثنيًا على من يفعله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِن أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ)).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٢٢٠، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٤) سورة الكهف، آية: ٥٤.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري ١١٢٧، ومسلم ٧٧٥.

(ب) الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر، وقد كان أصحاب النبي ﷺ يفعلون ذلك، فعن معاذ رضي الله عنه أنه قال: ((اجلسوا بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله))[١].

وعن الأسود بن هلال قال: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيجلسان فيذكران الله ويحمدانه[٢].

وعن علقمة أنه كان يقول لأصحابه: امشوا بنا نزداد إيمانًا[٣].

ومن ذلك الاجتماع أحيانًا على أداء النافلة وصلاة الليل، على ألا يكون راتبًا ودائمًا.

وقد صلى النبي ﷺ التطوع في جماعة فصلّى معه ابن عباس، وصلّى معه حذيفة، وصلّى معه ابن مسعود، وصلّى بأصحابه جماعة في بيت رجل من الأنصار، وبوّب البخاري على هذا الحديث، باب صلاة النوافل جماعة [٤]، قال ابن حجر في فوائد هذا الحديث: (وفيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة وروى ابن وهب عن مالك أنه لا بأس بأن يؤم النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهرًا ويجمع له الناس فلا، وهذا بناه على قاعدته، سدّ الذرائع. لما يخشى من أن يَظُن من لا علم له أن ذلك فريضة)[٥].

وقيدنا الاجتماع بأن يكون مشروعًا حذرًا من الاجتماع غير المشروع، أو اتخاذ صلاة النافلة جماعة هديًا راتبًا وجمع الناس لها"[٦].

ثامنًا: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

هذا مستمد من حديث عائشة مرفوعًا: (إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد، حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٧.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ١٠٤.

(٤) الباب رقم ٣٦ من كتاب التهجد، وتحته الحديثان ١١٨٥ - ١١٨٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٧٨٠

(٦) تربية الشباب ص ٤٦ - ٤٨.

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: (إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع)، فإذا كان المصلي يرغب في تحصيل الفضل والثواب، فإن ذلك لا يكون سبيله إجهاد النفس إجهادًا لا يَعْقِل معه ما يقول، أو لا يستطيع الأداء على الوجه المطلوب، وفي هذا -فيما نرى- توازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تطغى إحداهما على الأخرى، بل يكون التوازن قائمًا بين الاثنتين حتى يستطيع الإنسان أن يؤدي ما هو مطلوب منه على وجه الإتقان والإجادة، لا صورة الأداء فقط، "ويقصد بالتوازن: الاعتدال والتوسط في الأمور، وهذا التوازن بهذا المفهوم هو من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي لا توجد في تربية سواها، حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على أساس من الاعتدال والاستقامة، وتقيم مجالاً واسعًا متوازنًا للاختيارات والبدائل المباحة تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها بعيدة عن التطرف والإغراب.

اقرأ قول الله جل وعز في منهج الإنفاق: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]، وفي مجال التربية الأخروية والاهتمام بالجانب الروحي قال عز وجل: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾[2]، ولكن لا يكون ذلك على حساب الدنيا أو إهمالها والاستهتار بها، وقد بيّن الحق عز وجل في نفس الآية آنفة الذكر أن ابتغاء الدار الآخرة لا يجوز أن يكون بنسيان نصيبك من الدنيا، ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾[3]"[4].

❁ ❁ ❁

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، أمين أبولاوي ص ٣٨ - ٣٩.

٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

الحديث رقم (١١٨٩)

١١٨٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته[2].

احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يدوران حول معنى واحد، وهو الترغيب في قيام رمضان لما فيه من فضائل يصعب حصرها، فهو شهر تنقية للعام كله، واسترداد لما سلبه الشيطان من الإنسان طوال العام، وعودة إلى ربه بعد طول بُعد، وغربة فيتقلب بين الصيام، والقيام في ندم على الذنب، وحرقة قلب على التقصير تسلمانه إلى طهارة نفس، وصفاء قلب يتقوى بها على نفسه، وشيطانه بقية العام، وقد رغب الرسول ﷺ في القيام عن طريق ربطه بالمغفرة لما تقدم من ذنبه عن طريق أسلوب الشرط، وقوله (إيمانا، واحتسابا) تتميم بلاغي يضيف شرطا إلى القيام يخلصه لله - تعالى- أي إيمَانًا بِصِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَرْغِيبِهِ فِيهِ، وَعِلْمًا بِأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ مَنْ قَامَهُ عَلَى مَا وَعَدَهُ بِهِ، وَاحْتِسَابًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ يَقُومُهُ رَجَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ تعالى لا رِيَاءً، وَلا سُمْعَةً، وَلا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩/١٧٣)، ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) المرجع السابق ٥١٧.

يُفْسِدُ الْعَمَلَ، وعبارة الرسول ﷺ (غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) تسدل ستارا كثيفا على ماض أسود قطعه العبد في شهوات تغضب الله، ومحرمات يرتجف قلبه لفكرة افتضاحها، فيقبل على ربه في القيام إقبال المتهم على من ستر على جنايته، يسوقه الشكر، ويقيده الحياء، فيتولد بينهما ذل، وانكسار هو محض العبادة.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى حكم قيام الليل في رمضان أو صلاة التراويح وقد سبقت الإشارة إليها في الحديث رقم (١١٧٢).

وقد ذهب جمهور الفقهاء[١] إلى أن صلاة التراويح أو قيام الليل في رمضان سنة عن النبي ﷺ، فقد فعلها ﷺ ثم تركها خشية أن تفرض على الناس، وقال البعض إنها فضيلة لا سنة لعدم مواظبته ﷺ، ويجوز صلاتها في المسجد أو البيت، ويجوز صلاتها جمعًا وفرادى والجمع أفضل، واختلفوا في عددها فجمهور الفقهاء[٢] يرون أنها عشرون ركعة عدا الوتر، والمالكية[٣] يرونها ستًا وثلاثين ركعة عدا الشفع والوتر، والراجح كما يقول ابن تيمية[٤] جواز صلاتها ثلاثًا وعشرين ركعة وثلاث عشرة ركعة وإحدى عشرة ركعة كما روي عن النبي ﷺ في هذا الحديث.

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١.

(٣) المنتقى ٢٠٩/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢.

(٤) الفتاوى الكبرى ٣٤٣/٥.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام رمضان:

هذا واضح من الحديثين، قال ابن حجر: "قوله: (إيمانًا)، أي: تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه (واحتسابًا)، أي: طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه"[2]، قال النووي: "ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص. والمراد بقيام رمضان: صلاة التراويح، واتفق العلماء على استحبابها، قوله ﷺ: (غفر له ما تقدم من ذنبه)، المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة"[3]، وقال الطيبي: "قال البيضاوي: من قام رمضان، أي: أتى بقيام رمضان إيمانًا بالله وتصديقًا بأنه يقرب إليه وطلبًا لوجه الله تعالى، غفر له سوابق الذنوب"[4].

وقال أبو ذر رضي الله عنه: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ رَمَضَانَ. فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْهُ. حَتَّى بَقِيَ سَبْعُ لَيَالٍ. فَقَامَ بِنَا لَيْلَةَ السَّابِعَةِ حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ ثُلُثِ اللَّيْلِ. ثُمَّ كَانَتِ اللَّيْلَةُ السَّادِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا. فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الْخَامِسَةُ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ قَامَ بِنَا حَتَّى مَضَى نَحْوٌ مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هذِهِ. فَقَالَ: ((إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ قِيَامَ لَيْلَةٍ)) ثُمَّ كَانَتِ الرَّابِعَةُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَمْ يَقُمْهَا. حَتَّى كَانَتِ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَلِيهَا. قَالَ، فَجَمَعَ نِسَاءَهُ وَأَهْلَهُ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ. قَالَ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلاَحُ. قِيلَ: وَمَا الْفَلاَحُ؟ قَالَ: السُّحُورُ. قَالَ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنْ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١١٨٩ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥١/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤١/٦/٣، ٤٢، وانظر: نيل الأوطار ص ٤٩٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٦٣/٣.

بَقِيَّةِ الشَّهْرِ[1].

قال الشيخ عبدالله البسام: "معنى قيام رمضان هو إحياء ليله بالعبادة والصلاة، ففيه مشروعية صلاة الليل في رمضان، وثبتت صلاتها جماعة في المسجد عن النبي ﷺ، ثم أجمع عليها الصحابة رضي الله عنهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عمل بها المسلمون بعد ذلك قاطبة فقاموا بصلاة التراويح.

وجزاء القيام في شهر رمضان هو غفران الذنوب، وتكفير السيئات، لكن هذا مقيد بتكفير الذنوب الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، وإطلاق الذنب يشمل الكبائر والصغائر، لكن جزم إمام الحرمين بأنه يختص بالصغائر، ونسبه القاضي عياض لأهل السنة، قال النووي: "إن لم يوجد صغائر يرجى أن تخفف الكبائر اهـ.

وقبول صلاة الليل وترتب تكفير السيئات بها مشروط به أمران:

أحدهما: أن الذي حمل القائم على القيام هو الإيمان والتصديق بثواب الله تعالى.

الثاني: احتساب العمل عند الله تعالى، والإخلاص فيه لوجه الله تعالى.

فإن فقد العمل هذين الشرطين الهامين، ودخله الرياء والمباهاة فإنه باطل مردود على صاحبه، ونال به صاحبه الملامة والعذاب.

وحكى الكرماني الاتفاق على أن المراد بقيام الليل صلاة التراويح، ويحصل هذا الفضل بما يصدق عليه القيام.

الحديث دليل على فضيلة قيام رمضان،وتأكد استحبابه، وتأكد صلاة التراويح جماعة في المسجد.

قال شيخ الإسلام وغيره: كان الصحابة يفعلونها في المسجد أوزاعًا - أي جماعات - في جماعات متفرقة في عهد النبي ﷺ، وعلى علم منه بذلك، وإقراره لهم، فقد دلت الأخبار على أن فعل التراويح جماعة أفضل من الانفراد، وذلك بإجماع الصحابة وأهل الأمصار، وهو قول جمهور العلماء.

---

(١) أخرجه أبو داود ١٣٧٥، والترمذي ١٣٢٧، والنسائي ١٦٠٥، وابن ماجه ١٣٢٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٠٩٢).

قال شيخ الإسلام: "الصلاة التي لا تسن لها الجماعة الراتبة كقيام الليل والسنن الرواتب وصلاة الضحى وتحية المسجد ونحو ذلك، فتجوز جماعة أحيانًا، وأما اتخاذ ذلك سنة راتبة فهو بدعة مكروهة"(١).

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ترغيب النبي ﷺ في قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا بأن أخبر بأن جزاء من فعل ذلك أنه يغفر له ما تقدم من ذنبه، ولا شك أن هذا ترغيب ما بعده ترغيب للمدعوين في أن يحرصوا على هذه الدعوة التي دعاهم إليها رسول الله ﷺ، فكل ابن آدم خطاء، ومن طبيعة البشر اقتراف الذنوب وملابستها فكان المدعو بحاجة ماسة إلى أن تغفر له الذنوب، فكان قيام رمضان من أسباب ذلك، كما أخبر النبي ﷺ.

وليس أدّل على أثر هذا الترغيب والتزام المدعوين به من أن ما نشاهده من حرص جمهرة المسلمين على قيام رمضان والاجتهاد فيه والمبادرة إليه.

وهكذا حال الداعية مع المدعوين، فإنه يرغبهم إلى العمل الصالح وأن يذكر لهم ثوابه وجزاءه عند الله تعالى، فإن النفس البشرية دائمًا تطمع إلى المكافأة التي تنالها من جراء عملها والتزامها الفعل.

وهذا ما نجده واقعًا في القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وهذا ما يفسر كثرة ذكر الجنة ووصف نعيمها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ثالثًا - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة)، قال النووي: "معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم، بل أمر ندب وترغيب، ثم فسره بقوله: (من قام رمضان ...)، وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"(٢).

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام ٢١٨/٣ - ٢١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللّهِ لَيَدَعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ))[1].

قال النووي: "فيه بيان كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته، وفيه أنه إذا تعارضت مصالح قدم أهمها"[2].

وقال ابن حجر: "وفيه بيان ما كان النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والاكتفاء بما قلّ منها والشفقة على أمته والرأفة بهم، وفيه ترك بعض المصالح لخوف المفسدة وتقديم أهم المصلحتين"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٢٨، ومسلم ٧١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣٥/٥/٣ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٤/٣ بتصرف.

الحديث رقم (١١٩٠)

١١٩٠- وعنه ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فيقولُ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة: معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب[2].

احتسابًا: طلبًا للثواب المرجُوِّ من الله تعالى[3].

الشرح الأدبي[4]

المضامين الدعوية[5]

---

(١) برقم (٧٥٩/١٧٤). عن معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة، وأخرجه البخاري (٢٠٠٨) عن عقيل، عن ابن شهاب، عن الزهري، عن أبي سلمة أن أبا هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لرمضان: ((من قامه إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)) فقط. والحديث أورده الحميدي في جمعه (١٧٤/٣، رقم ٢٢٥٥) في المتفق عليه، وهذا ما جعل المنذري في ترغيبه (١٤٥٢) يعزوه إلى الصحيحين، ولأجل الزيادة التي في أول الحديث عزاه المؤلف إلى مسلم فقط، وهذا مما جعل الناجي في عجالة الإملاء، أن يقول: قوله: (كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان) رواه البخاري، هذا ليس بجيد، إذ ليس عند البخاري، إنما عنده: (من قامه) إلى آخره. وكلاهما على الصواب، ولا يجوز تخطئة أحدهما. فمن أراد أصل الحديث فهو متفق عليه، ومن أراد الزيادة، فليست هذه الزيادة عند البخاري، علمًا بأنه لم يشر أحدهما إلى هذه النكتة.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

(٤) تم دمج الشرح الأدبي لهذا الحديث من الشرح الأدبي للحديث (١١٨٩).

(٥) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- اغتنام الأوقات الفاضلة:

إن النبي ﷺ أرشد إلى قيام رمضان، لما فيه من فضل وثواب عظيم، فهو ﷺ يحثّ على اغتنام هذه الأوقات الفاضلة، وعدم تضييعها والتفريط فيها، لأنها مواسم الغفران والقبول عند رب العالمين، فإذا ضيّع الإنسان ذلك فقد ضيّع على نفسه خيرًا كثيرًا ونفعًا عميمًا، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتعليم أن يربوا المتعلمين والناشئة على ذلك، ومن الأقوال الشائعة: "من تعب صغيرًا ارتاح كبيرًا ومن ارتاح صغيرًا تعب كبيرًا"، لذا (فإنه ينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية معينة فضلها بها على غيرها، ... وقد فضل الله من الشهور شهر رمضان، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان: فرض فيه الصيام، وسن فيه القيام، واستحب فيه الإكثار من الصالحات، فهو موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين، وكان السلف يترقبونه بشوق ولهفة قائلين: مرحبًا بالمطهر؛ يرجون أن يغتسلوا به من أدران عيوبهم ويتطهروا من أرجاس ذنوبهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ... ورمضان كله شهر مهمّ ولكن أهم أجزائه: الثلث الأخير منه، أو العشر الأواخر منه. وأهميتها لأمرين:

أولاً: أنها ختام الشهر، وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: "اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك".

ثانيًا: أنها مظنة ليلة القدر، وهي الليلة التي جعلها الله خيرًا من ألف شهر، وأنزل في فضلها سورة من كتابه ... وهذه الليلة في رمضان يقينًا بنص القرآن، إنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فهي ليلة من هذا الشهر وقد جاءت الأحاديث تأمر بالتماسها في العشر الأواخر منه.

وكان النبي ﷺ إذا دخل العشر الأواخر، شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله[1]

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

وكان يخصها بالاعتكاف[١])[٢].

ثانيًا - التربية على إخلاص العمل لله تعالى:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه" فقد قيّد النبي ﷺ قيام رمضان بقيدين حتى يكون سببًا للغفران، هما "قام إيمانًا واحتسابًا" قال النووي: (معنى إيمانًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص)[٣] وقال ابن حجر: (إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه، واحتسابًا أي طلبًا للأجر من الله وحده لا لقصد آخر من رياء أو نحوه)[٤]، أي أن العمل المطلوب - وقيام رمضان نوع من العمل - لابد أن يتوافر فيه التصديق بالثواب الذي أعده الله عليه، بالإضافة إلى إخلاصه لله تعالى.

(إن العمل الذي يدعو إليه المنهج الإسلامي هو العمل القائم في ظل من الإيمان بالله، فهو لا يريد العمل العشوائي الذي يصدر عن الإنسان وهو لا يدرك غايته، ولا يفهم مقاصده، فعمل كهذا ليس له أثر في بناء الشخصية الإسلامية ولا يرجع على الإنسان بفائدة تدفع عنه غوائل الحياة، فلابد في العمل الصالح لكي يكون له أثر في بناء الشخصية الإسلامية، أن يكون موافقًا لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[٥] فالعمل يجب أن يقوم على أساس من الإيمان بالله، وتصحبه النية الصالحة الصادقة، فالنية هي ميزان العمل، فإذا كانت النية خالصة لوجه الله، كان العمل الصادر منها صالحًا مقبولاً عند الله، ذا أثر فعال في تكوين الشخصية الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٢٠١٩، ٢٠٢٠، ومسلم ١١٧٢.

(٢) الوقت في حياة المسلم، ص ٢٢-٢٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧ .

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١١٢ .

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[1].

والإسلام يهدر أي عمل مهما كانت قيمته، ما لم يكن على أساس من الإيمان بالله تعالى، وهو صريح في هذا كل الصراحة، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[2] وقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

وهذه الآيات صريحة وواضحة في عدم قبول أي عمل: صغيرًا كان أو كبيرًا ما لم يكن مستندًا على أساس من الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

فالذي يبني عمله على غير أساس سليم فإنه ينهار حينما يكون في أمس الحاجة إليه في يوم الموقف حين الجزاء والحساب.

فالكافر مهما عمل في الدنيا من أعمال الخير، فهي لا قيمة لها ولا وزن عند الله سبحانه وتعالى، وليس لها تأثير كبير على شخصيته، وسبب ذلك لأنها لم ترتكز على الإيمان بالله "فكل عمل لا يكون خالصًا على الشريعة المرضية، فهو باطل".

فالإيمان هو حلقة الوصل التي تصل الإنسان بربه، وتجعل لعمله قيمة ووزنًا عند خالقه، وتجعل للقائم به شخصية إسلامية ومكانة في هذا الوجود، "فليس المعول عليه هو العمل، ولكن باعث العمل، فالعمل حركة آلية لا يفترق فيها الإنسان عن الآلة إلا بالباعث والقصد والغاية".

والعمل الذي يريده الإسلام، هو العمل الصالح الذي تزكو به نفس الإنسان وتتقوم به أخلاقه، ويتعمق به وعي الإنسان بإنسانيته، ومتى كان العمل صادرًا عن

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣٩.

العلم الصحيح السليم، فإنه يكون العمل الصالح الذي يؤدي إلى السعادة والكمال الإنساني، ومنه تتكون الشخصية الإسلامية)[1].

رابعًا - التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة فيقول: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه". قال النووي: (قوله "من غير أن يأمرهم بعزيمة" معناه: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم بل أمر ندب وترغيب، ثم فسّره بقوله: "فيقول: من قام رمضان..." وهذه الصيغة تقتضي الترغيب والندب دون الإيجاب، واجتمعت الأمة على أن قيام رمضان ليس بواجب بل هو مندوب"[2] أي أن الصحابي رضي الله عنه - فيما يبدو- قد فهم من قول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» - فهم منه أنه ترغيب إلى مندوب وليس ترغيبًا إلى واجب، ويترتب على ذلك -فيما نرى- أن هناك درجات للترغيب تختلف باختلاف درجات الأعمال. وقد تختلف كذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، وفي هذا يمكن أن يستفيد أهل التربية من ذلك في مهمتهم السامية في تربية الأجيال الناشئة ونحوهم، يتضح ذلك فيما يلي:

أ- مراعاة الأحوال المختلفة للناشئة وغيرهم في حال النشاط وحال الراحة، فيكون أمام الناشئ ما يفعله وقت نشاطه واجتهاده، ويكون كذلك أمامه ما يفعله وقت فتوره وراحته، وفي هذا واقعية في التربية فالإنسان نفسه ليس على حالة واحدة فتارة ينشط وتارة يفتر، وفي هذا مراعاة لحاله واختلافها.

ب- تعويد الناشئة على استحضار درجات الأعمال المختلفة ومراتبها، فإذا كان عندهم الرغبة في فعل الأفعال والأعمال المطلوبة والمرغب فيها، فإنهم في كثير من الأحيان قد لا يستطيعون أداءها كلها مرة واحدة وفي وقت واحد إذ قد تتعارض أو تتزاحم، بحيث لا يتسع الوقت أو القدرة إلا لأداء بعضها أو واحد منها، فينبغي أن

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، ص ١٦٤-١٦٦ ومراجعه ومصادره.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١٧ .

يكونوا على معرفة بما يقدم وبما يترك ولا يُفعل، وهذا لا يكون إلا بمعرفة مراتب الأعمال، فلا يَفْعَلون مرغبًا فيه على سبيل الندب ويَدَعُون مرغبًا فيه على سبيل الوجوب، وهكذا.

ج- فتح المجال واسعًا للتنافس في فعل الخيرات والصالحات، فإذا اتضح أمام الناشئة الواجبات فإنهم يلتزمونها ويفعلونها ويبقى المجال مفتوحًا أمامهم لفعل ما استطاعوا من مندوبات وفضائل ومكارم، فإذا تكاسل بعضهم فإنه برؤية بعض المجتهدين يعمل على اللحاق بهم والسير في ركابهم، إن لم يعزم على التفوق عليهم.

وهكذا يأتي الترغيب باختلاف درجاته بفوائده التربوية التي تنفع الناشئة في حياتهم وسلوكهم وأعمالهم.

❁ ❁ ❁

٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر: ١] إِلَى آخرِ السورة، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[الدخان: ٣] الآياتِ.

الحديث رقم (١١٩١)

١١٩١ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للثواب والأجر من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

الله - تبارك -وتعالى- خلق الناس متفاوتين في عزائمهم كما خلقهم متفاوتين في عقولهم، وقدراتهم، وقد جعل الله -عز وجل- من قيام رمضان فرصة للعبد الذي لم يستطع قيام العام كله كما جعل قيام العشر الأواخر لمن لم يستطع قيام كل رمضان، وجعل قيام الليالي الفردية لمن لم يستطع قيام العشر الأواخر كلها، وجعل قيام ليلة القدر لمن لم يستطع قيام بقية الليالي الفردية، ولما كانت الليلة غير محددة في ليلة لزم الحريص على الثواب صيام الليالي الفردية كلها، وقد جاء المعنى في أسلوب الشرط الذي يربط قيام ليلة القدر بالشرط المذكور بمغفرة ما تقدم من الذنوب، وشرط الإيمان ليحقق الإخلاص لله تعالى، والمتابعة لنبيه، والاحتساب هو التصديق بالجزاء، والرغبة فيه، والقيام على هذا الشرط.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠١)، ومسلم (٧٦٠/١٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨١). وأورده في (١٤٥١) مع زيادة في آخره عندهما، ولم يوردها المؤلف.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب).

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحري وقتها.

وقد اختلف العلماء في تحرير ليلة القدر على أقوال كثيرة عددها البعض[1] ثلاثة عشر قولاً، وغالى البعض فجعلها في العام كله، وذهب جمهور الفقهاء[2] إلى أن ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان كما أشارت هذه الأحاديث وإن اختلفوا في هذا الوقت، فذهب جمع منهم إلى أن ليلة السابع والعشرين، ومنهم من قال ليلة الحادي والعشرين، ومنهم من قال ليلة الثالث والعشرين، ومنهم من قال ليلة الخامس والعشرين، ومنهم من قال ليلة التاسع والعشرين، كما اتفقوا[3] على أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل قيام ليلة القدر:

لقد قال النبي ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) و"ليلة القدر تتركب من لفظين: أولهما: ليلة وهي في اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع

---

(١) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣،

(٢) المبسوط ١٢٧/٣، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٧١٤/٣، المدونة ٣٠١/١، المنتقى ٨٧/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، ابن العربي ٣٧٣/٤، المجموع ٤٨٨/٦، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٨/٢، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية ٤٧٥/٢، المغني ٥٩/٣ وما بعدها، الفروع، ابن مفلح١٤٠/٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣ وما بعدها، المحلى ٤٥٧/٤.

(٣) المراجع السابقة الصفحات نفسها وما بعدها.

الفجر ويقابلها النهار. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي له عن المعنى اللغوي.

وثانيهما: القدر، ومن معاني القدر في اللغة: الشرف والوقار، ومن معانيه: الحكم والقضاء والتضييق. واختلف الفقهاء في المراد من القدر الذي أضيفت إليه ليلة، فقيل: المراد به التعظيم والتشريف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1]، والمعنى: أنها ليلة ذات قدر وشرف لنزول القرآن فيها. ولما يقع فيها من تنزل الملائكة أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها ذا قدر وشرف.

وقيل: معنى القدر هنا التضييق كمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[2]، ومعنى التضييق فيها إخفاؤها عن العلم بتعيينها أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة. وقيل: القَدْر هنا بمعنى القَدَر -بفتح الدال- وهو مؤاخى القضاء. أي: بمعنى الحكم والفصل والقضاء، قال العلماء: سميت ليلةُ القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأرزاق والآجال وغير ذلك مما سيقع في هذه السنة بأمر من الله سبحانه لهم بذلك. وذلك ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[3]، حيث ذهب جمهور العلماء إلى أن الليلة المباركة الواردة في هذه الآية هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان كما ذهب إليه بعض المفسرين"[4].

قال ابن قدامة: "وهي ليلة شريفة مباركة معظمة مفضلّة ثم قال: وقيل إنما سميت ليلة القدر، لأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من خير ومصيبة ورزق وبركة"[5].

قال النووي: "قوله ﷺ: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) سورة الدخان، الآيات ٣ - ٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٣٥/٣٦٠ - ٣٦١ ومصادرها.

(٥) المغني، ٤/٤٤٧ - ٤٤٨.

ذنبه، هذا مع الحديث المتقدم (من قام رمضان..)[١]، قد يقال: إن أحدهما يغني عن الآخر، وجوابه: أن يقال: قيام رمضان من غير موافقة ليلة القدر ومعرفتها سبب لغفران الذنوب، وقيام ليلة القدر لمن وافقها وعرفها سبب للغفران، وإن لم يقم غيرها"[٢].

وقد جمع عبدالله البسام كل ما سبق فقال: "هي ليلة عظيمة شريفة جليلة عند الله تعالى، لها مزايا عظيمة، نلخص فيما يلي بعضها:

أولاً: يُنزل الله تعالى فيها الملائكة من السماء إلى الأرض، وينزلون ومعهم الخير والبركة والرحمة والأمان، ويتقدمهم الروح الأمين جبريل عليه السلام.

ثانيًا: ابتدأ في هذا الليلة الشريفة نزول أول القرآن الذي هو أعظم منة ورحمة على المسلمين.

ثالثًا: يحل فيها السلام والأمان من أول تلك الليلة المباركة حتى الصباح، قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٣].

رابعًا: تُقدر فيها الأمور للعام القابل، فتُفْصَل تلك الأمور من الآجال والأرزاق والحوادث وغير ذلك، تُفْصل من اللوح المحفوظ وتتلقاها الملائكة الكتبة ليجري تنفيذها بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤].

خامسًا: العبادة فيها خير من ألف شهر فيما سواها من الأوقات، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٥].

سادسًا: جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٦/٣ .

(٣) سورة القدر، الآية: ٥.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤.

(٥) سورة القدر، الآية: ٣.

(٦) أخرجه البخاري ٣٥، ومسلم ٧٦٠.

سابعًا: الدعاء فيها مستجاب، فقد روى أصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالَتْ: قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةِ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا ؟ قالَ: ((قُولِي اللّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي))[1])[2].

وقال ابن عبدالبر: "وجملة القول في ليلة القدر أنها ليلة عظيم شأنها وبركتها، وجليل قدرها. هي خير من ألف شهر، تدرك فيها هذه الأمة ما فاتهم من طول أعمار من سلف قبلهم من الأمم في العمل، والمحروم من حُرِم خيرها. نسأل الله برحمته أن يوفقنا لها وأن لا يحرمنا خيرها آمين. وقال سعيد بن المسيّب: (من شهد العشاء ليلة القدر في جماعة فقد أخذ بحظه منها)[3]. فسبحان المتفضل على عباده بما شاء لا شريك له"[4].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ جزاء من يقوم ليلة القدر، وهو غفران ما تقدم من ذنبه. والترغيب له أثر كبير على النفس البشرية كما هو شأن الترهيب أيضًا، فالترغيب يدفعُ النفس البشرية إلى العمل والجدّ فيه والإخلاص، وملازمة العمل والإعداد له، وتفريغ البال له.

من الأمثلة على ذلك: ففي غزوة بدر سمع عمير بن الحُمَام الأنصاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ وهو يرغب أصحابه في قتال المشركين، وهو يقول: ((قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ» قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟)) قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ إلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب ٣٣٩١).

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٣-٢٣٤.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٧١٥، بلاغًا عن سعيد بن المسيب، الموطأ المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ٩/٤٩٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٩/٤٩٠.

أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ[١]. فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الإخلاص في العمل والتصديق بالثواب عليه:

هذا واضح من تقييد قيام ليلة القدر بالإيمان والاحتساب حتى يتحصل ثوابها العظيم.

قال النووي: "معنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص"[٣]، وقال ابن حجر: (قوله: إيمانًا: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه "احتسابًا" أي طلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء ونحوه)[٤].

وقال كذلك ابن حجر: (قد عرف من القواعد الشرعية أن الثواب لا يترتب إلا على النية، فلا بد من قيد الاحتساب)[٥].

وقال العز بن عبدالسلام: "الإخلاص أن لا تعمل إلا لله خوفًا أو رجاءً أو محبة أو حياءً أو إجلالاً ومهابة على قدر منازل العاملين"[٦].

وقال د. عمر سليمان الأشقر عن الإخلاص: "والإخلاص لا يراد به التوجه إلى الله في عمل من الأعمال، بل المقصود به أن يتوجه المكلف بأعماله كلّها إلى الله وحده، دون سواه، فلا يقصد بعبادته مَلَكًا ولا مَلِكًا، ولا يعبد شجرًا ولا حجرًا ولا شمسًا ولا قمرًا. الإخلاص يعني أن يتوجه بالأعمال القلبية لله وحده، كما يتوجه بالأعمال الظاهرة. والإخلاص هو الدّين الذي بعث الله به الرسل جميعًا، فكان محور دعوتهم

---

(١) قرنه: جعبة النشاب والنبل. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٥١/١٣/٧ .

(٢) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤١/٦/٣ - ٤٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٥١/٤ .

(٥) المرجع السابق ١١٩/٣.

(٦) شجرة الأحوال والمعارف ص ٦٤.

ولبّها، وهو الدّين الذي طالبت به الرسل الأمم التي أرسلت إليها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

وكل رسول لله كان يقول لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[2]، وقد قرر الله هذه الحقيقة: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

وتعريفات العلماء للإخلاص متقاربة، مدارها على قصد الله بالعبادة دون سواه، يقول الراغب في مفرداته: "الإخلاص: التعري عما دون الله".

وعرّفه أبو القاسم القشيري بأنه: "إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعات بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنّع لمخلوق، واكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى".

وقال في موضع آخر: "يصح أن يُقال: الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين".

وعرفه العز بن عبدالسلام قائلاً: "الإخلاص أن يفعل المكلف الطاعة خالصة لله وحده، لا يريد بها تعظيمًا من الناس ولا توقيرًا، ولا جلب نفع ديني ولا دفع ضرر دنيوي".

وقال الحارث المحاسبي: "الإخلاص إخراج الخلق عن معاملة الرب".

وقال سهل بن عبدالله: "الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة".

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٣٢.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٤) سورة النحل، آية: ٣٦.

قال الغزالي بعد ذكره لهذا التعريف: "وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض".

ومدار الإخلاص في كتب اللغة على الصفاء والتميز عن الأوشاب التي تخالط الشيء، يقال: هذا الشيء خالص لك: أي لا يشاركك فيه غيرك.

و(الخلاص) في لغة العرب: ما أخلصته النار من الذهب والفضة.

والخالص من الألوان عندهم ما صفا ونصع.

ويقولون خالصه في العشرة: صافاه.

وجاءت هذه المعاني في الكتاب الكريم: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾[1]، أي لا يخالطه دم ولا روث.

والمراد بقوله تعالى: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾[2]، في إخوة يوسف: أي انفردوا، وتميزوا عمن سواهم.

والمراد بقوله: ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[3]، فيما حكاه الله عن المشركين: أي لا يشركهم الإناث.

وقال تعالى في الزينة والطيبات: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4]، أي لا يشركهم فيها الكفار.

ومن هنا نرى أن بين المعنى اللغوي والاصطلاحي تناسبًا وتوافقًا، فالإخلاص يهدف إلى تخليص القصد المتوجه إلى الله تعالى من الأوشاب والأخلاط والفساد الذي يزاحمه ويخالطه، بحيث يتصفى القصد لله عز وجل دون سواه في جميع العبادات"[5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٢) سورة يوسف، آية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٣٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٥) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٥ دار النفائس، الأردن: ١٤١٩هـ - ١٩٩٠م، ص ١٥ - ١٨.

الحديث رقم (١١٩٢)

١١٩٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تواطأت: توافقت[2].

متحريها: قاصدها ومتعمدها، ومجتهدًا في تحصيلها[3].

والمعنى: من كان يريد ويجتهد في طلبها وموافقتها.

الشرح الأدبي

ساق ابن عمر رضي الله عنهما الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد لخصوصية الخبر، وقوله (أنَّ رِجالاً مِنْ أصْحَابِ النبيِّ ﷺ) يشير جمع (رجل) إلى أنهم كانوا جماعة، وهو ما يعطي الخبر توكيدا؛ لأنه خبر جماعة لا فرد، وقوله من أصحاب رسول الله ﷺ يزيد الخبر توثيقا، وإضافتهم للرسول ﷺ تشريف لهم، وقوله (أروا ليلة القدر) أي رؤية منامية، وأنهم أخبروا عن طريق الرؤية لا السماع، وقول الرسول ﷺ (أرى رؤياكم) جناس يؤكد معنى اتحاد الرؤى، والتواطؤ معناه: التوافق، والتطابق، ويوحي باليسر، واللين، وقوله (فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ) أسلوب شرط يربط العزم على تحريها بتحريها في الليالي السبع الأواخر، والتحري الاجتهاد في البحث،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥)، ومسلم (١١٦٥/٢٠٥) ولفظهما سواء.

(٢) اللسان والوسيط في (و ط أ).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والقاموس في (و ط أ).

والحديث يشير إلى أن رؤيا المؤمنين له اعتبار، وأنهم لا يتفقون على باطل، ويشير إلى فضيلة السبع الأواخر التي اشتملت على ليلة هي خير من ألف شهر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه رضي الله عنهم ليلة القدر في السبع الأواخر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ليلة القدر:

هذا واضح من أمر رسول الله ﷺ صحابته رضي الله عنهم بتحريها، والتحري طلب باجتهاد وعزم، قال ابن الأثير عن معنى تحروا: "أي: تعهدوا طلبها فيها، والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول"، بل إن النبي ﷺ كان يعتكف من أجل طلبها وموافقتها، عن أبي سلمة قال: انطلَقتُ إلى أبي سعيد الخُدريِّ فقلتُ أَلا تَخرُجُ بنا إلى النَّخلِ نَتحدَّث؟ فخرجَ. فقال: قلتُ حدِّثْني ما سَمعتَ مِنَ النبيِّ ﷺ في ليلةِ القَدْرِ؟ قال: اعتَكفَ رسولُ اللهِ ﷺ عَشْرَ الأُوَلِ من رَمضانَ واعتَكَفْنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أمامَكَ. فاعتَكَفَ العَشرَ الأوسَطَ فاعتَكفْنا معَهُ، فأتاهُ جبريلُ فقال: إنَّ الذي تَطلُبُ أمامَك. قام النبيُّ ﷺ خطيبًا صَبيحةَ عِشرينَ مِن رمضانَ فقال: ((مَن كان اعتكَف معَ النبيِّ ﷺ فلْيَرجِعْ فإنِّي أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ، وإني نُسِّيتُها، وإنها في العَشْرِ الأواخِرِ في وِترٍ، وإني رأَيتُ كأني أسجُدُ في طينٍ وماء. وكان سَقفُ المسجدِ جَرِيدَ النَّخلِ وما نَرَى في السماءِ شيئًا، فجاءَتْ قَزْعةٌ[1] فأُمطِرْنا، فصلَّى بنا النبيُّ ﷺ حتى رأَيتُ أَثرَ الطين والماءِ على جَبهةِ

---

(١) قطعة من الغيم، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٧٥٠.

رسولِ اللهِ ﷺ وَأَرنَبَتِهِ[١] تَصديقَ رُؤياهُ))[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب الفقهاء إلى أن ليلة القدر أفضل الليالي، وأن العمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]، وأنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤]، وورد في فضلها أيضًا بالإضافة إلى ما سبق قول الله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[٥]، قال القرطبي: "أي: تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى، فينزلون إلى الأرض، ويؤمنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. وتنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل"[٦].

وفي فضل ليلة القدر أيضًا قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[٧]، أي: أن ليلة القدر سلامةٌ وخيرٌ كلُّها، لا شرّ فيها إلي طلوع الفجر. قال الضحاك: "لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة، وقال مجاهد: هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أذى"[٨].

وقال ابن العربي بعد أن حكى ثلاثة أقوال في سبب هبة ليلة القدر لهذه الأمة والمنة

---

(١) مقدمة الأنف.

(٢) أخرجه البخاري ٨١٣، ومسلم ١١٦٧، واللفظ للبخاري.

(٣) سورة القدر، آية: ٣.

(٤) سورة الدخان، الآيتان: ٣ - ٤.

(٥) سورة القدر، آية: ٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٣ بتصرف.

(٧) سورة القدر، آية: ٥.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٣٤ بتصرف. وانظر: الموسوعة الفقهية ٣٥/٣٦١ - ٣٦٢، ومصادرها ومراجعها.

عليهم بها، قال: "والصحيح هو الأول، أن ذلك فضل من الله، وقد أعطيت أمة محمد من الفضل ما لم تعطه أمة في طول عمرها، فأولها أن كتب لها خمسون صلاة بخمس صلوات. وكتب لها صوم سنة بشهر رمضان. وطُهر مالها بربع العشر، وأعطيت خواتيم سورة البقرة من قرأها في ليلة كفتاه - يعني عن قيام الليل - وكتب لها أن من صلى الصبح في جماعة فكأنما قام ليلةً،س ومن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة، فهذه ليلة ونصف في كل ليلة. إلى غير ذلك مما يطول تعداده. ومن أفضل ما أعطوا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. وهذا فضل لا يوازيه فضل. ومنة لا يقابلها شكر"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إقرار النبي ﷺ لرؤيا أصحابه رضي الله عنهم ليلة القدر في السبع الأواخر:

هذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ رأوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر. فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، قال ابن حجر: "قوله: تواطأت، بالهمزة، أي: توافقت وزنًا ومعنى. وقال ابن التين: روي بغير همز، والصواب بالهمز. وأصله أن يطأ الرجل برجله مكان وطء صاحبه. وفي هذا الحديث دلالة على عظم قدر الرؤيا وجواز الاستناد إليها في الاستدلال على الأمور الوجودية بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية"[2].

قال عبدالله البسام: "كان الصحابة رضي الله عنهم من حرصهم على الخير ورغبتهم فيما عند الله يتحرون ليلة القدر، ويلحون بالسؤال عنها لما في هذه الليلة من المزايا العظيمة، وما يتنزل فيها من الخيرات والبركات، وما يحل فيها من الرحمة والنعمة والأمن والأمان والسلام.

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي: محمد بن عبدالله ٥٤٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، طبعة مصورة، ١٩٦٣/٤، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٦٣/٤ .

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٧٥/٤.

وكان بعض الصحابة ﷺ يرون ليلة القدر إما بعلاماتها وأماراتها، وإما برؤيتها منامًا، قال الشيخ تقي الدين: وقد يكشف الله لبعض الناس في المنام أو اليقظة فيرى أنوارها أو يرى من يقول له: هذه ليلة القدر، فقد رآها بعض الصحابة فجاءوا وأخبروا الرسول ﷺ بما رأوا، فقال ﷺ: (أرى) بفتح الهمزة بمعنى - أعلم - (رؤياكم تواطأت) أي توافقت على وقت متقارب، وهو (في السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر).

والسبع الأواخر من شهر رمضان هي أرجى ما تكون تلك الليلة.

وفضل ليلة القدر وشرفها وما جعل الله تعالى من الخير والبركة، حتى صارت العبادة فيها خيرًا من ألف شهر مما سواها من الأيام والليالي.

وإن الله تعالى من رحمته بخلقه وحكمته بأمره أخفى هذه الليلة ليجدّ المسلمون في العبادة في تلك الليالي، فيكثر ثوابهم، ولو علموا بها في ليلة معينة لقصروا اجتهادهم عليها إلا من شاء الله تعالى.

ويستحب طلبها والتعرض فيها لنفحات الله تعالى، فهي ليلة مباركة تضاعف فيها الأعمال، ويستجاب فيها الدعاء، ويسمع فيها النداء، وتقال فيها العثرات، فالمحروم من حُرم خيرها وحرم التماس خيرها والله الموفق"[1].

و"من رأى النبي ﷺ في المنام يقول قولاً أو يفعل فعلاً فهل يكون قوله أو فعله حجة يترتب عليها الحكم أو لا؟ ذكر الشوكاني في ذلك ثلاثة أقوال: الأول: أنه يكون حجة ويلزم العمل به. وقد ذهب إلى ذلك جماعة من أهل العلم منها الأستاذ أبو إسحاق؛ لأن رؤية النبي ﷺ في المنام حق والشيطان لا يتمثل به. الثاني: أنه لا يكون حجة ولا يثبت به حكم شرعي؛ لأن رؤية النبي ﷺ في المنام وإن كانت رؤيا حق وأن الشيطان لا يتمثل به لكن النائم ليس من أهل التحمل للرؤية؛ لعدم حفظه. الثالث: أنه يعمل بذلك ما لم يخالف شرعًا ثابتًا.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٣٥/٣ - ٢٣٦.

قال الشوكاني: ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا ﷺ قد كمّله الله عز وجل وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم بعد موته ﷺ إذا قال فيها بقول أو فعل فيها فعلاً يكون دليلاً وحجة، بل قبضه الله إليه بعد أن أكمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه ولم يبق بعد ذلك حاجة للأمة في أمر دينها وقد انقطعت البعثة لتبليغ الشرائع وتبيينها بالموت، وبهذا تعلم أنا لو قدرنا ضبط النائم لم يكن ما رآه من قوله ﷺ أو فعله حجة عليه ولا على غيره من الأمة" أ. هـ كلام الشوكاني بتصرف.

وذكر صاحب تهذيب الفروق أنه لا يلزم من صحة الرؤيا التعويل عليها في حكم شرعي لاحتمال الخطأ في التحمل وعدم ضبط الرائي، ثم ذكر بعد ذلك ما يدل على أن ما يثبت في اليقظة مقدم على ما ثبت بالنوم عند التعارض، قال العز بن عبدالسلام لرجل رأى النبي ﷺ في المنام يقول له: إن في المحل الفلاني ركازًا اذهب فخذه ولا خمس عليك، فذهب ووجده واستفتى ذلك الرجل العلماء فقال له العز: اخرج الخُمس فإنه ثبت بالتواتر وقصارى رؤيتك الآحاد"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تحري ليلة القدر وقيامها:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: (تحروا..)، و(من كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وقد بوّب البخاري على بعض أحاديث الباب: باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر[3]، وقال النووي: "قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، أي: احرصوا على طلبها واجتهدوا فيه... قوله ﷺ: ((تَحَيَّنُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ))[4]، أي: "اطلبوا حينها وهو زمانها"[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ١١/٢٢ ومصادرها ومراجعها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: فضل ليلة القدر، وهو برقم ٣٢، أما الباب فبرقم ٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢١١ - ١١٦٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣/٨/٤.

وقال النووي في المجموع: "ليلة القدر باقية إلى يوم القيامة، ويستحب طلبها والاجتهاد في إدراكها"[١].

وقد اختلف في تحديد ليلة القدر على أقوال كثيرة[٢]. منها:

أنها متنقلة في ليالي العشر الأواخر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها، وذلك جمعًا بين الأحاديث التي وردت في تحديدها في ليالي مختلفة من شهر رمضان عامة ومن العشر الأواخر خاصة، لأنه لا طريق إلى الجمع بين تلك الأحاديث إلا بالقول بأنها متنقلة. وأن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يُسْأَل. فعلى هذا كانت في السنة التي رأى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه النبي يسجد في الماء والطين ليلة إحدى وعشرين [٣]، وفي السنة التي أمر عبدالله بن أنيس رضي الله عنه بأن ينزل من البادية ليصلي في المسجد ليلة ثلاث وعشرين [٤]، وقد ترى علامتها في غير هذه الليالي، وهذا قول مالك وأحمد والثوري وإسحاق وأبي ثور وأبي قلابة والمزنى وصاحبه ابن خزيمة والماوردي وابن حجر العسقلاني من الشافعية. وقال النووي[٥]: "وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك.. ولا طريق إلى الجمع بين الأحاديث إلا بانتقالها"[٦].

وقد ذكر ابن حجر في فتح الباري أربعين قولاً في تحديد ليلة القدر[٧]، ويمكن تصنيف هذه الأقوال إلى أربع فئات:

الأولى: مرفوضة كالقول بإنكارها في أصلها أو رفعها.

الثانية: ضعيفة كالقول بأنها ليلة النصف من شعبان.

الثالثة: مرجوحة كالقول بأنها في رمضان في غير العشر الأخير منه.

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٥/٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٦٢/٤ - ٢٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠١٨، ومسلم ٢١٥ - ١١٦٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢١٨ - ١١٦٨.

(٥) المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٦) الموسوعة الفقهية ٣٦٦/٣٥.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢٦٢/٤ - ٢٦٧.

الرابعة: هي الراجحة وهي كونها في العشر الأخير من شهر رمضان وأرجاها أوتارها، وأرجح الأوتار ليلة سبع وعشرين.

وهذه الأدلة تؤيدها:

أولاً: ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كانَ مُتَحَرِّيها فَلْيَتَحَرَّها ليلةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ))[1].

ثانيًا: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه (المحدَّث المُلْهَم) وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه (أمين السر النبوي) وغيرهما من الصحابة لا يَشَكُّون أنها ليلة سبع وعشرين[2].

ثالثًا: ما رواه مسلم عن شيخ القراء أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يحلف أنها ليلة سبع وعشرين[3].

رابعًا: كونها ليلة سبع عشرين هو مذهب واختيار إمام أهل السنة الإمام أحمد وأصحابه من فقهاء المحدثين كإسحاق بن راهويه.

خامسًا: قال ابن رجب [4]: "ومما استدل به من رجَّح أنها ليلة سبع وعشرين الآيات والعلامات التي رؤيت فيها قديمًا وحديثًا".

سادسًا: هذا الشعور العام الجماعي عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وعبر قرونها الطويلة أنها هذه الليلة، وإقبالهم على العبادة والاجتهاد فيها، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة[5].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والشرط:

أما الأمر فواضح من قوله ﷺ: (تحروا ليلة القدر)، والشرط في قوله: (فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر)، وهو شرط بمعنى الأمر. فإن من أراد أن يتحرى

---

(١) أخرجه أحمد ٧/٢٧، رقم ٤٨٠٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ٤٢٦/٨.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥١٢/٢، ٧٤/٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٦.

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٣٧/٣ - ٢٣٨.

ليلة القدر فقد أمره رسول الله ﷺ بتحريها في السبع الأواخر.

والأمرُ أسلوب دعوي مباشر لطلب الامتثال والانقياد، وهذا على سبيل الاستحباب؛ لأن الأمر هنا ليس للوجوب لوجود الصارف.

الحديث رقم (١١٩٣)

١١٩٣- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقول: ((تَحرَّوا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأواخرِ منْ رَمَضانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يجاور: يعتكف[2].

تحرَّوا: اقصدوا واجتهدوا في تحصيلها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث، وسابقه يتناولان البحث عن الكنز المفقود في الزمان المحدود تيسيرا على الباحث، وترغيبا في البحث، والتحري، وهذا الكنز العظيم هو ليلة القدر التي تعدل ألف شهر في ميزان العمل، وقد روت الحديثين أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ثم إنها استخدمت فعل الكينونة الماضي (كان) الذي يشير إلى العادة في الحديث الأول، لتشير إلى عادة الرسول ﷺ في الاعتكاف كل عام، وقولها (يُجَاوِرُ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والتعبير بالمجاورة يشير إلى الملازمة، كما يوحي بحقوق الجيرة من حسن الأخذ، والرد، وإعانة الناس عند الحاجة من إجابة السائل، وهداية المسترشد، وإعانة الملهوف وقول الرسول ﷺ (تحروا ليلة القدر) التحري القصد، والاجتهاد في الطلب، والأمر للنصح، والإرشاد، واتصاله بواو الجماعة إيذان بأن المأمور به من الأهمية بحيث لا يخُاطب به فرد بل يخاطب به الجماعة، وقوله في الحديث الثاني: (تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩/٢١٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٣٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ى).

الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ) أي احرصوا عليها، ودققوا في البحث عنها فِي كُلِّ وِتْرٍ، أي فرد، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي: في كل ليلة وتر، والمقصود الليالي الفردية في العدد، وهذا تَحْدِيدٌ لَهَا بِمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَحُدَّهَا بِهَا فَحَضَّ عَلَى قِيَامِ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ تَحَرِّيًا لَهَا، ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي الْوِتْرِ مِنْهُ وَبَيَّنَ ذَلِكَ لِيَتَحَرَّاهَا فِي الْوِتْرِ مَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَشْرِ كَمَا بَيَّنَهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ رَمَضَانَ وَحَضَّ عَلَى قِيَامِ جَمِيعِ رَمَضَانَ لِمَنْ عَجَزَ عَنْ قِيَامِ جَمِيعِ الْعَامِ حتى يشارك إخوانه الثواب، ولا يكون من المحرومين.

فقه الحديث

يشير هذان الحديثان إلى فضل العشر الأواخر من شهر رمضان، وأنها من أفضل أيام العبادة، ولذا كان يعتكف فيها رسول الله ﷺ ويجتهد في العبادة فيقوم الليل ويوقظ أهله ليتهجدوا، ويكفي أن في هذه العشر ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والاعتكاف المقصود هنا: يعني الانقطاع للعبادة في العشر الأواخر من رمضان سواء كان فيها كلها أو في يوم أو أيام منها حسب استطاعة كل واحد.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن الاعتكاف سنة عن النبي ﷺ وأنه لا يجب إلا بإيجاب الشخص الاعتكاف على نفسه، ويكون الاعتكاف للرجل في المسجد، ومتى اعتكف الإنسان في المسجد لم يكن له الخروج إلا للضرورة وإلا عد قاطعًا لاعتكافه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٣٤٧/١ وما بعدها، المبسوط، السرخسي ١١٤/٣ وما بعدها، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢ وما بعدها، شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٨٩/٢ وما بعدها، أحكام القرآن، الجصاص ٣٣٣/١ وما بعدها، المدونة، الإمام مالك ٢٩٥/١ وما بعدها، ، المنتقى، الباجي ٧٧/٢ وما بعدها، مواهب الجليل، الحطاب ٤٥٤/٢ وما بعدها، المجموع، النووي ٥٠٠/٦ وما بعدها، أسنى المطالب، الأنصاري ٤٣٣/١ وما بعدها، الأم، الشافعي ١١٥/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٨/٣ وما بعدها، المغني، ابن قدامة ٦٣/٣ وما بعدها، ، الفروع، ابن مفلح ١٤٧/٣ وما بعدها.

(٢) سيرد ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٤)

١١٩٤ - وعنها رضي الله عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الوتر: الوتر من العدد: ما ليس يشفع نحو الواحد والثلاثة والخمسة[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) برقم (٢٠١٧) من حديث مالك بن أبي عامر. وليست عند مسلم زيادة: (في الوتر).

(٢) المعجم الوسيط في (و ت ر).

(٣) سيرد ذكرها في شرح الحديث ١١٩٥.

الحديث رقم (١١٩٥)

١١٩٥-وعنها، رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ (الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ)[١]، أحيَا اللَّيْلَ، وَأيْقَظَ أهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

من المعلوم لكل مؤمن أن الرسول ﷺ أكثر الناس وفاءً، وأكثرهم عطاءً، وأكثرهم شكراً على النعمة فإذا أضفنا إلى ذلك أنه أكثر الناس إدراكاً، وإحساساً بنعم الله عليه وهو يعلم منزلته عند الله تعالى، وما أعد له؛ فحمله الوفاء، والشكر إلى عبادة لا تنقطع، وقلب لا يغفل، وعين لا تنام إلا للضرورة التي يستلزمها استمرار الجسم في الحياة، وهذا الحديث يشير إلى جانب من جوانب اجتهاد النبي ﷺ في الطاعة في شهر فاضل، وفي ليالي فاضلة، وهو، وإن كان مجتهدا طوال الوقت، إلا أنه في هذه الليالي أشد اجتهادا لتحصيل الثواب العظيم الذي احتوته تلك الليالي فأخفته حتى لا يدركه إلا من جد، واجتهد، وقصد، وتحرى، وقول أم المؤمنين عائشة (كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ) يشير إلى أنذلك من عادته في كل رمضان من وجهين، الأول استخدام فعل الكينونة الماضي الذي يشير إلى العادة – غالبا-، والثاني استخدام أسلوب الشرط الذي يعطي الحكم اطرادا ينسحب مع الزمان، والمكان، والأفراد لكي يقتدي به كل أحبابه في كل مكان، وزمان، ويربط دخول رمضان بشد الرسول ﷺ المئزر، وإيقاظ الأهل للصلاة، وقوله (وَشَدَّ المِئْزَرَ) كناية عن الاستعداد للعبادة، وترك الجماع، وما يشغل عن الله، والتعبير بقوله (أحيا ليله) يشير إلى أن

---

(١) قوله: (الأواخر من رمضان) لا يوجد عندهما. ولم يورد المؤلف هذه الزيادة في الموضع الأول

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧) واللفظ له، بدون الزيادة، وتقدم برقم (٩٩).

العبادة بالنسبة للأوقات كالروح بالنسبة للحي، والحديث يعطي هذه الليالي وضعا خاصا يرجع إلى قيمتها لاشتمالها على ليلة هي خير من ألف شيء.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على مداومة القيام في العشر الأواخر من رمضان:

هذا واضح من الحديثين: (كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشدّ المئزر).

وقد بوّب البخاري على هذا الحديث: العمل في العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قوله: (شد مئزره)، أي اعتزل النساء.. وقال الخطابي: يحتمل أن يريد به الجدّ في العبادة كما يقال شددت لهذا الأمر مئزري أي: تشمرت له. ويحتمل أن يراد التشمير والاعتزال معًا. ويحتمل أن يراد الحقيقة والمجاز كمن يقول: طويل النجاد، لطويل القامة وهو طويل النجاد حقيقة[2]. فيكون شد مئزره حقيقة فلم يَحُلّه واعتزل النساء وشمر للعبادة.. قوله: (وأحيا ليله)، أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت وأضافه إلى الليل اتساعا، لأن القائم إذا حَيِيَ باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله: ((لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا))[3]، أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور، قوله: (وأيقظ أهله)، أي: للصلاة وروى الترمذي ومحمد بن نصر[4] من حديث زينب بنت أم سلمة: لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث رقم ١١٩٣، ١١٩٤، مع المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١١٩٥ و ١١٩٦.

(٢) النّجاد: حمائل السيف. مختار الصحاح ص ٦٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١١٨٧.

(٤) مختصر قيام الليل، محمد بن نصر المروزي ص ٢٤٧.

رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه"[١].

وقال النووي: "وقولها (أحيا الليل)، أي: استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها. وقولها: (وأيقظ أهله) أي: أيقظهم للصلاة في الليل وجدّ في العبادة زيادة على العادة، ففي هذا الحديث أنه يستحب أن يزاد من العبادات في العشر الأواخر من رمضان واستحباب إحياء لياليه بالعبادات"[٢].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث الحرصُ على مداومة القيام في العشر الأخير؛ إشارة إلى الحث على تجويد الخاتمة"[٣].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وقد قال طائفة من السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٤]، إنه طلب ليلة القدر، والمعنى: في ذلك أن الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر. لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح، فيفوتهم طلب ليلة القدر، فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل، خصوصًا في الليالي المرجو فيها ليلة القدر، فمن ههنا كان النبي ﷺ يصيب من أهله في العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الأواخر"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في العبادة في رمضان:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهده في غيره)، قال ابن القيم: "وكان من هديه ﷺ في شهر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٤/٨/٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٧٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

رمضان الإكثار من أنواع العبادات فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان[1]، يكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره من الشهور، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانًا ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة، وكان ينهى أصحابه عن الوصال، فيقولون: إنك تواصل، فيقول لست كهيئتكم إني أبيت - وفي رواية: إني أظل - عند ربي يطعمني ويسقيني"[2])[3].

وقال ابن رجب الحنبلي: "واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها: شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحَرَم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي ﷺ قال: ((صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ))[4]، ومنها: شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذي الحجة وفي حديث سلمان الفارسي في فضل شهر رمضان: (من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه...)[5].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: ((عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِي))[6].

وذكر أبو بكر بن مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون: إذا حضر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة فإن النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره، وقال النخعي: صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٢، ومسلم ٢٣٠٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ١١٠٣.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩٠، ومسلم ١٣٩٤.

(٥) أخرجه ابن خزيمة ١٨٨٧، وقال: إن صح الخبر أ هـ، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب لابن حجر.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٨٢، ١٨٦٣، ومسلم ١١٥٦.

فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني الإسلام عليها. وقد يضاعف الثواب بأسباب أخر منها: شرف العامل عند الله وقربه منه، وكثرة تقواه كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم وأعطوا كفلين من الأجر"[1].

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه:

١ - الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان هي أفضل ليالي العام كله، لما خصت به من المزايا العظيمة والفضائل الجسيمة التي أهمها ليلة القدر.

قال شيخ الإسلام: "الليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة"[2]، فهي الليالي التي كان رسول الله ﷺ يحييها كلها، وفيها ليلة القدر خير من ألف شهر.

٢ - كان النبي ﷺ من شدة اهتمامه بهذه الليالي المباركة، يعتكف في المسجد ويعتزل الناس، ويعتزل نساءه، تفرغًا للعبادة وإقبالاً على الله.

٣ - الحديث دليل على شدة الإقبال على الطاعة في تلك العشر، والانصراف عن كل ما يقطع العلاقة بالله تعالى.

٤ - قولها: (إذا دخل العشر شد مئزره) دليل على الاهتمام والإقبال على العبادة.

٥ - العشر الأخيرة هي خاتمة الشهر، والأعمال إنما تكون بالخواتيم، ولعلّ هذا من أسرار الجد والاجتهاد فيها.

ونلخص خصائص هذه العشرة المباركات بهذه الفقرات بدون أدلتها فهي معروفة وقريبة والحمد لله:

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣/١٥٤ .

أولاً: كان ﷺ يجتهد فيها بالعمل أكثر من غيرها، والاجتهاد فيها لا يختص بعبادة خاصة، بل يشمل الاجتهاد في جميع أنواع العبادة من صلاة وتلاوة وذكر وصدقة وغيرها.

ثانيًا: كان ﷺ يوقظ أهله للصلاة والذكر، حرصًا على اغتنام هذه المواسم الطيبات، فإنها غنيمة لا ينبغي للمؤمن العاقل أن يفوتها ويهملها فتذهب عليه سدى.

ثالثًا: كان يعتكف في هذه العشر، ليتمتع بهذه الخلوة بالله تعالى، ويسعد بلذيذ مناجاته، ويبتعد عن كل ما يشغله ويقطعه عن هذه الخلوة بربه تعالى.

رابعًا: أرجى ما تكون ليلة القدر في هذه العشر المباركات، لذا كان ليلها أفضل ليالي العام، فينبغي تلمسها في هذه الليالي عسى أن يوفّق لها المؤمن، فيحصل له الخير الوفير، فهي (ليلة مباركة) وهي (خير من ألف شهر).

والقصد أن هذه الليالي المباركات التي هي الختام المسكي لصوم الشهر ليال عظيمة، وفوائدها وعوائدها جسيمة، ولا يفرط فيها إلا المحروم من الخير، ممن سفه نفسه، وأكبر من ذلك أن يقضيها بالمجالس المحرمة والاجتماعات الآثمة، نسأل الله تعالى السلامة" [1].

ثالثًا - من مهام الداعية: ترغيب أهله في اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان، وقالت زينب بنت أم سلمة رضي الله عنها: ((لَمْ يَكُنْ النبي ﷺ إِذَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ يَدَعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ يُطِيقُ الْقِيَامَ إِلاَّ أَقَامَهُ)) [2]، قال أبو العباس القرطبي: "قولها: (أيقظ أهله) فيه حث الأهل على القيام للنوافل وحملهم على تحصيل الخير والثواب، ويفهم منه تأكيد القيام في هذه العشر على غيره" [3].

وقال الشيخ عبدالله البسام: "قولها: (وأيقظ أهله) أي للصلاة والعبادة لئلا تفوتهم

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٢٠ - ٢٢٢.

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص ٢٤٧، مختصر قيام الليل للمقريزي.

(٣) المفهم ٣/٢٤٩.

فضيلة هذه المواسم المباركات، وهذا من كمال نصحه لهم، فينبغي لقيّم البيت أن ينشط أهله ويرغبهم في العبادة، لا سيما في المواسم الفاضلة"[١].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: ((قُومِي، فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ))[٢]، وقالت أم سلمة رضي الله عنها: استيْقَظَ النبيُّ ﷺ ذاتَ لَيلةٍ فقال: ((سُبحانَ اللهِ ماذا أُنزِلَ الليلةَ مِنَ الفِتَنِ، وماذا فُتِحَ من الخَزَائنِ. أيقِظوا صَواحِباتِ الحُجَرِ، فرُبَّ كاسيَةٍ في الدُّنيا عارِيَةٍ في الآخرة))[٣].

قال ابن حجر: "أشار ﷺ بذلك إلى موجب إيقاظ أزواجه، أي ينبغي لهن أن لا يتغافلن عن العبادة ويعتمدن على كونهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث جواز قول: (سبحان الله) عند التعجب، وندبية ذكر الله بعد الاستيقاظ، وإيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة لا سيما عند آية تحدث، ...، وفي الحديث استحباب الإسراع إلى الصلاة عند خشية الشر كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٤]"[٥].

وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاَةِ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ، ثُمَّ يَتْلُو هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾[٦])[٧].

قال ابن عبدالبر: "فيه ما كان عليه عمر من قيام الليل، وأنه لم تشغله أمور المسلمين، وما كان إليهم منهم عن الصلاة بالليل، وذلك لفضل صلاة الليل. ويحتمل أن

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٢١/٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ١١٥، (وصواحبات الحجر: هي منازل أزواج النبي ﷺ. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٢٥٤).

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٥.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٢٥٥ .

(٦) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٧) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٩، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ ١١٣/٥.

يكون إيقاظه أهله ليدركوا شيئًا من صلاة الأسحار والاستغفار فيها، ويحتمل أن يكون إيقاظه لهم للصلاة المفروضة صلاة الصبح. وأيها كان فإنه امتثل في ذلك الآية التي ذكر مالك، وامتثل أيضًا - والله أعلم - قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[1]، قال أهل العلم بتأويل القرآن ومعانيه: أدبوهم وعلموهم"[2].

ومن ثم فإنه (واجب على كل مسلم - كما يقول ابن عبدالبر أيضًا -: أن يعلم أهله ما يهم الحاجة إليه من أمر دينهم ويأمرهم به، وواجب عليه أن ينهاهم عن كل ما لا يحل، ويوقفهم عليه، ويمنعهم منهن ويعلمهم ذلك كله لقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾)[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هذا واضح من استخدام لفظ (كان) فإنه يخبر عن فعل من أفعال النبي ﷺ أو عدة أفعال له ﷺ في رمضان، وذلك ليقتدي به المدعوون في صيام نهاره وقيام ليله والإكثار من الطاعة والاجتهاد من العبادة فيه.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) الاستذكار ١١٣/٥ - ١١٤.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٦/٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٩٢/٢١ - ٩٤.

الحديث رقم (١١٩٦)

١١٩٦ - وعنها، قالت: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في بيان حال الرسول ﷺ واجتهاده في العبادة في شهور السنة عامة، وفي شهر رمضان خاصة لاسيما العشر الأواخر، وقلنا سابقا أن التعبير بكان يشير إلى العادة الغالبة في الفعل، وتعبير أم المؤمنين بقولها (يجتهد) أي يبذل جهده، وفيه إشارة إلى الاستغراق في الطاعة، والعبادة التي تستنفذ الجهد، وجملة النفي بعده (مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) تشير إلى أنه في رمضان يجتهد أكثر من غيره لأنه موسم خير تتضاعف فيه الحسنات، وهو قدوة لأمته فأراد أن يعلمهم كيف يتعاملون مع مواسم الخير الفاضلة بما يكون فيه صلاح آخرتهم، ودنياهم ، والحديث يشير إلى ثلاث مراتب في الاجتهاد المرتبة الاجتهاد طوال العام، وهو طبيعة نفسه الزكية التي تأوي إلى مرضاة الله – تعالى – في كل عمل خير، والمرتبة الثانية في شهر رمضان حيث يجتمع الصيام مع القيام في موسم له خصوصية في الطاعة، والعبادة، والمرتبة الثالثة الاجتهاد في العشر الأواخر، وتتميز عن سابقتيها بمزيد الجهد مع ترك المباحات تركيزا على العبادة الصرفة، وترك حظوظ النفس من المباحات، والاقتصار على ما تتم به العبادة، وهو ما يدل عليه قولها (وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ) وفيه

---

(١) لا يوجد عند مسلم ولا عند غيره بهذا اللفظ، وأما لفظ مسلم (١١٧٥/٨) فهو: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر، ما لايجتهد في غيره). وكذا أورده الحميدي في جمعه (١٦٨/٤، رقم ٣٢٩٧) بهذا اللفظ.

إيجاز بالحذف إي ويجتهد في الليالي العشر، فقمة الجهد في العبادة تكون في هذا الليالي الفاضلة لما تحويه من فضل لا يحويه بقية العام، فاستحقت مزيد الجهد لما فيها من مزيد الفضل، وهو درس للأمة في اغتنام مواسم الخيرات.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل العمل والاجتهاد في رمضان خاصة لما فيه من الخير العميم بمضاعفة الثواب والمن من الله بالإعتاق من النار.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أنه يستحب للمسلم أن يقوم الليل في رمضان وأن يجتهد في العبادة، وخاصة في العشر الأواخر منه لما فيها من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والاجتهاد في رمضان لما فيه من مضاعفة الثواب وتعظيم لهذا الشهر الكريم الذي جعله الله منحة لهذه الأمة وفرصة للفوز بالتوبة والنعيم المقيم والعتق من النار.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر في ذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٨/١، المبسوط ١٤٤/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٧٨/١، المنتقى ٢٠٧/١، مواهب الجليل ٧٠/٢ وما بعدها، شرح الخرشي ٩/٢، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٨/٢، المجموع ٥٢٦/٣، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٧/٣، المغني ٤٥٥/١، الفروع، ابن مفلح٥٤٦/١، المحلى ١٩/٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١١٩٧)

١١٩٧ - وعنها، قالت: قُلْتُ: يَا رسول الله، أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: ((قُولِي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تقدم الحديث فيما سبق عن فضل ليلة القدر، وعمل الرسول ﷺ فيها وحثه على قيامها، وهذا الحديث يدخل بالمعنى لعمق المراد فيمن حرص على قيام رمضان، وأحيا عشره الأواخر حتى أدرك ليلة القدر فالحديث عن سعيد سعى، وأفلح ثم سأل كيف أفعل، وماذا أقول ؟،والسعيدة التي روت الحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وسؤالها (أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا ؟) وهو استفهام بمعنى أخبرني، وقولها (إن عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ) أسلوب شرط يفترض احتمالا، ويبحث له عن حل، وقولها (ما أقول فيها ؟) استفهام على حقيقته، وقول الرسول ﷺ (قولي) أمر توجيه، وإرشاد لأحب الناس إليه عائشة رضي الله عنها فهي أحب الناس إليه بعد أبي بكر، فأتاها بأحب النصح، يعني: أن جوابه لها هو نهاية النصح، والمحبة، ولو أن هناك خيراً من ذلك لقاله لها،وقوله (اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) النداء بصيغة اللهم له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير. قوله: (اللهم! إنك عفو) هذا وصف للمولى سبحانه أنه

---

(١) برقم (٣٥١٣). وقال الحاكم (١/ ٥٣٠): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٩).

عفو، وكم من عفو لله على الخلق! وكم من ذنب يرتكبه الإنسان في خفاء، أو علن والله يعفو عنه! إذاً: يمتدح الله بصفته أولاً؛ لقوله تعالى: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ [المائدة:٣٥] أي: عند الدعاء قدم وسيلة لاستجابة دعائك، وهذا مبدئياً، فإذا قلت:(اللهم! إنك عفو) فقد أثنيت على الله، ومدحت الله بالصفة التي تتناسب مع حاجتك وسؤالك، ولو كنت تريد الرزق: فتسأله بصفة الرزاق، وهنا تريد أن تسأله العفو، فتمتدحه سبحانه بصفة العفو. وقوله: (إنك عفو تحب العفو) قال تعالى: أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ [النور:٢٢] في قضية مسطح وغيره، وقوله: (إنك عفو تحب) أي: وأنا أسألك لأن من صفتك العفو وأنت تحبه أن تعفو عني. وإذا تأمل الإنسان في قوله: (فاعف عني) العفو -كما يقولون- : هو الإزالة، نحو: عفت الريح شرح الأثر، إذا مرت قافلة في الصحراء ورسمت أخفافها وأقدامها في الطريق، فإذا جاءت ريح شديدة وحركت الرمل عفت أثر المسير في الصحراء ولم يبق للمسير أثر، فكذلك العفو عن الزلة يمحو أثرها من الصحيفة، فلا يَبْقَىَ لها أثر مكتوب على الإنسان[1].

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى فضل ليلة القدر وما فيها من خير عميم، وثواب عند الله عظيم، وأن أفضل شيء يتقرب به إلى الله قيام هذه الليلة وتحرير وقتها والدعاء بالخير.

وقد ذكر الفقهاء أنه يندب لكل مسلم أن يطلب ليلة القدر، وأن يقومها ويكثر فيها من الدعاء والاستغفار، وخير ما يدعو به ما تعلمناه من رسول الله ﷺ بأن يقول: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر.

---

(١) ينظر شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم - (ج ٣ / ص ٢).

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم:

هذا واضحٌ من قول السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا سؤال منها يدل على حرصها على تعلم ما تقوله في ليلة القدر، وهي ليلة ذات فضل عظيم فقد قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1]، قال ابن عثيمين: "فإذا كان الإنسان له عشرون سنة [أي يقوم ليلة القدر] صار له عشرون ألف سنة في ليلة القدر[2].

وقال كذلك: "وذكر المؤلف - أي النووي - أحاديث عن عائشة رضي الله عنها مما يدل على فضل هذه المرأة وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظه امرأة أخرى من النساء، فهي رضي الله عنها أكثر النساء حديثًا عن رسول الله ﷺ حفظت من شريعة الله وسنة رسوله ما لم تحفظه امرأة سواها، فجزاها الله عن أمة محمدًا خيرًا"[3].

وهناك أمثلة كثيرة جدًا تنص صراحة على حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم أمور دينهم، من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قالتِ النساءُ للنبيِّ ﷺ: غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: ((ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النارِ)) فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: واثنين))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين"[5].

وقال أبو العباس القرطبي: "في هذا الحديث ما يدل على فضل نساء ذلك الوقت،

---

(١) سورة القدر، آية: ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٣٧١/٢.

(٣) المرجع السابق ١٣٧٢/٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٠١، ومسلم ٢٦٣٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/١ .

وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ))[١]"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء ليلة القدر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها: "قولي اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني"، قال الطيبي: "فيه دليل على أن طلب العفو رأس كل خير، وفتح باب كل فلاح ونجاة؛ لأنه يستعد به للزلفى إلى الجناب الأقدس"[٣]، وقال ابن علان: فيه إيماء إلى أن أهم المطالب انفكاك الإنسان من تبعات الذنوب، وطهارته من دنس العيوب، فإن بالطهارة من ذلك يتأهل للانتظام في سلك حزب الله، وحزب الله هم المفلحون"[٤].

وقال ابن رجب الحنبلي: "وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبِه))[٥]، وقيامها إنما هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة، وقد أمر عائشة رضي الله عنها بالدعاء فيها أيضًا.

قال سفيان الثوري: "الدعاء في تلك الليلة أحب إليّ من الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق"، ومراده أن كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء. وإن قرأ ودعا كان حسنًا وقد كان النبي ﷺ يتهجد في ليالي رمضان، ويقرأ قراءة مرتلة، لا يمر بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوذ[٦]، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر. وهذا أفضل الأعمال وأكملها في ليالي العشر وغيرها. والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، ٦١.

(٢) المفهم ٦/٦٤٠ - ٦٤١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/٢٠٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٢٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٩١٠، ومسلم ٧٦٠.

(٦) أخرجه مسلم ٧٧٢.

قال الشعبي في ليلة القدر: "ليلها كنهارها"، وقال الشافعي: "أستحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها" وهذا يقتضي استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الأواخر، ليله ونهاره"[1].

وقال ابن رجب كذلك: "العفو من أسماء الله تعالى، وهو المتجاوز عن سيئات عباده الماحي لآثارها عنهم، وهو يحب العفو، فيحب أن يعفو عن عباده، ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض، فإذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه، وعفوه أحب إليه من عقوبته، وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها، وفي ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملاً صالحًا، ولا حالاً ولا مقالاً، فيرجعون إلى سؤال العفو. كحال المذنب المقصر. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو"[2].

وقال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - أم المؤمنين رضي الله عنها من حرصها على أفضل الدعاء في تلك الليلة التي علمت أن الدعاء مستجاب فيها، وأن النداء مسموع فيها، تسترشد من النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل دعاء تقوله في ليلة القدر إن علمتها، فأخبر صلى الله عليه وسلم بأحسن وأفضل ما تقول.

٢ - هذا الدعاء سأل الرسولَ صلى الله عليه وسلم عنه أحبُ الناس إليه، وأرشدها الرسول إليه بطريق إعطاء النصح في المشورة. والذي اختاره هو أعلم الناس بمعناه، فيكون لهذا الدعاء مزايا القبول كلها.

٣ - الدعاء المذكور هو أفضل مسؤول من الله تعالى، فعفو الله عن عباده معناه الصفح عن الذنوب، ومحو السيئات، وترك المجازاة عن الهفوات الكبيرة والصغيرة، وليس بعد هذا إلا الرضا عن المعفو عنه، وإحلاله دار كرامته، وهذا هو غاية المطلوب.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٦٧ - ٣٦٨. وانظر: المجموع شرح المهذب ٣١٦/٦.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٧٠ - ٣٧١.

٤ - هذا الدعاء جَمَع آداب الدعاء فقد ابتدئ بلفظ (اللهم) وهي عوض عن (يا الله)، فالميم بدل من حرف النداء (يا).

وأصح الأقوال: إن لفظ (الله) هو الاسم الأعظم إذا دعي الله به أجاب لتضمنه معنى الإلهية والعبادة.

ثم إن جملة (إنك عفو) فيها تأكيدات لإثبات صفة العفو لله تعالى.

(تحب العفو) فيه إثبات محبته اللائقة بجلال الله تعالى للعفو عن المستعين[1].

(فاعف عني) فيه إثبات حكم العفو ومقتضاه لله تعالى.

ففي هذه الجمل التوسل إلى الله بصفته المناسبة للمطلوب، ومحبته للعفو وقربه منه[2] بأن يعفو عن الداعي. فإذا صادف هذا الاسترحام والتذلل من قلب خاشع، وفي ليلة مباركة، ومن عبد مخلص منيب فهو حري أن لا يُرد، وأن يستجاب لصاحبه، لأن قبول الدعاء له أسباب وآداب هذه من أهمها.

٥ - من فقه عائشة رضي الله عنها أنها اختارت لهذا الوقت الفاضل الدعاء بأفضل مطلوب، حتى إذا حصلت الإجابة، كانت الهبة والعطية جزلة.

٦ - وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة فإنه ما أوتي عبد بعد يقين خيرًا من معافاة))[3].

قال في الروض وحاشيته: "فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهذا من أجمع الدعاء"[4].

وينبغي الإكثار في ليلة القدر من الدعاء والاستغفار، لأن الدعاء فيها مستجاب،

---

(١) هكذا في المطبوع، ونظن أن الصواب: المستعفي.

(٢) هكذا في المطبوع.

(٣) أخرجه أحمد ٥/١، ٦، ١٧، ٣٤، ٤٤، والنسائي في الكبرى ١٠٦٥١/٩ من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه واللفظ للنسائي، قال محققو المسند: إسناده صحيح، ولمزيد من تخريجه انظر: مسند أحمد ٥/١.

(٤) الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي: منصور بن يونس بن صلاح (١٠٥١هـ)، والحاشية للشيخ: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (١٣٩٢هـ)، عناية: عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين، ط٨، ١٤١٩هـ، ٤٧١/٣.

ويذكر حاجته في دعائه الذي يدعو به تلك الليلة"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من إخفاء ليلة القدر:

وهذا واضحٌ من سؤال عائشة رضي الله عنها: أرأيتَ إن علمتُ أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ فهذا يفهم منه أن ليلة القدر غير معينة ومحددة وهذا ما يوضحه حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ ليُخْبِرَنا بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى رجُلانِ منَ المسلمينَ فقال: ((خَرجتُ لأخبِرَكم بليلةِ القَدْرِ، فتَلاحى فُلانٌ وفلان فَرُفِعَتْ، وعسى أن يكونَ خيرًا لكم، فالتَمِسوها في التاسعةِ والسابعةِ والخامسةِ))[٢].

قال ابن حجر: "قوله: (لأخبركم بليلة القدر)، أي: بتعيين ليلة القدر. قوله (فَرُفِعَت)، أي: من قلبي فنسيت تعيينها للاشتغال بالمتخاصمين"[٣].

قال ابن قدامة الحنبلي: "قال بعض أهل العلم: أبهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ليجتهدوا في طلبها ويجدوا في العبادة في الشهر كله طمعًا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، ليكثروا من الدعاء في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم في الأسماء ورضاه في الطاعات ليجتهدوا في جميعها وأخفى الأجل وقيام الساعة ليجدّ الناس في العمل حذرًا منهما"[٤].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٢٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٤/٢٦٨ .

(٤) المغني ٤/٤٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على الاشتغال بالخير والعمل على تحصيله:

هذا مستمد من مجموع أحاديث الباب، وذلك على النحو التالي:

أ - النبي ﷺ يحث أصحابه على قيام ليلة القدر "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه".

ب - وهؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم ينشغلون بذلك ويعتنون به في أحوالهم المختلفة ليس في يقظتهم فحسب، بل أيضًا في منامهم، فيخبرون النبي الكريم ﷺ أنهم قد أُرُوا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فيرشدهم إلى ما يفعلونه: "أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرّها في السبع الأواخر".

ج - وهذا النبي الكريم ﷺ يعتكف في العشر الأواخر ويشتد في الاجتهاد في العبادة، رجاء أن ينال ثواب قيام ليلة القدر، فضرب القدوة لأصحابه.

د - وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تسأل عن الدعاء في هذه الليلة الفاضلة التي هي خير من ألف شهر، فيدلّها ﷺ على أن تطلب العفو والعافية والسلامة، "قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني".

أي الملاحظ: أن المجتمع الإسلامي كله منشغل بالخير والعمل على تحصيله وجعله واقعًا حيًّا، لا فرق في ذلك بين القدوة والمثل الأعلى محمد ﷺ وبين أتباعه الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ولا فرق في ذلك أيضًا بين الرجال والنساء. وعلى ذلك ينبغي أن تكون مهمة المربين والمرشدين وأهل التوجيه والوعظ، فيحاولون أن يشغلوا أتباعهم بالخير بحيث يكون ذلك عادتهم، وديدنهم في حياتهم كلها، وفي مختلف أحوالهم وشؤونهم، وذلك لأنهم إن لم ينشغلوا بالحق شغلوا بالباطل.

إن الناظر في دنيا الناس، يجد أن جمهورهم مشغولون بأمور لا تسمن ولا تغني من جوع، من تشجيع للكرة، ومن متابعة للقنوات الفضائية غير الهادفة، ونحو ذلك، وليت الأمر يقف عند حدٍّ معين، بل يظل الأمر يزداد حتى يشغل ذلك معظم الوقت والجهد والطاقة والأعمار كلها، وليس هذا إلا دليلاً على حدوث خلل في التربية والتنشئة. فعلى

المجتمع كله بوجه عام - والمربين بوجه خاص - أن يعالجوا هذا الخلل، إن أرادوا الصلاح والخير.

ثانيًا - التربية على الإخبار عن الخير وعن الصالحين:

هذا الباب في مجمله - كغيره من الأبواب - قائم على الإخبار عن الخير وعن الصالحين، فأحببنا أن نعالجه هنا بشيء من الإيجاز والاختصار، رغبة في تحصيل الخير والنفع للمربين ومن يقومون بتربيتهم.

فهذه عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ تخبر عنه ﷺ:

أ - أنه كان يجاور في العشر الأواخر من رمضان.

ب - وأنه كان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ وشد المئزر.

ج - وأنه كان يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره.

د - وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يخبر عن خير جيل بعد الأنبياء: أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام.

والمقصود بهذا الإخبار هدفان: الأول: إنزال أهل الخير منزلتهم و تقديرهم بما يستحقون من تقدير، وذكر محاسنهم ومآثرهم، والآخر: الاقتداء والتأسي بهم، وكلا الهدفين يكمل أحدهما الآخر، فإن الاقتداء لا يكون إلا بالأعلام الصالحين النبلاء، وبالاقتداء تحتفظ الذاكرة الإنسانية بنماذج طيبة مشرفة تحفظ عليها فطرتها في حب الخير والوصول إليه وتحقيقه "إن خير وسيلة لإشعال العزائم وإثارة الروح الوثابة وقدح المواهب وإذكاء الهمم وتقويم الأخلاق، والتسامي إلى معالي الأمور والترفع عن سفاسفها والائتساء بالأسلاف الأجلاء هو قراءة سير النبلاء الصلحاء والتملي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين"[1].

---

(١) صفحات من صبر العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ص ١٨.

ومطالعة سير العلماء والصالحين متمم لكمال الانتفاع بعلومهم بالاطلاع على أحوالهم وقد قال ابن الجوزي: (رأينا الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف والصالحين، فأما مجرد العلم بالحلال فليس له كبير عمل في رقة القلب، وإنما ترق القلوب بذكر الأحاديث وأخبار السلف الصالحين)[١]. ومن المفيد جدًا للمربي أن يطالع على الأقل تاريخ الخلفاء الراشدين وكلما استزاد من مطالعة كتب التاريخ استفاد، وهذا ينعكس على من يربيهم ويقوم بتوجيههم[٢].

ثالثًا- التربية على التدرج في الاجتهاد في العبادة:

هذا مستمد من حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره وفي العشر الأواخر منه ما لا يجتهد في غيره. فأفاد هذا الحديث أن النبي ﷺ كان اجتهاده في العشر الأواخر أكثر من اجتهاده في أول رمضان، ومعنى ذلك أنه ﷺ لم يشتد في الاجتهاد في رمضان مرّة واحدة ولا كان اجتهاده على درجة واحدة فيه، بل كان ﷺ يتدرج من الأدنى إلى الأعلى، وقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك في الفعل الواحد الذي يقع في وقت واحد ممتد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّيَ، افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ))[٣]. قال النووي: (هذا دليل على استحبابه لينشط بهما لما بعدهما)[٤] فما لا يحتاج إلى برهان أن (الشيء إذا كان ابتداؤه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته الازدياد بخلاف ضده)[٥]، لذا فإن للتدرج بوجه عام فوائد تربوية لا تخفى، "فإن للجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعل تحصيلها في وقت وجهد واحد أمر عسير متعذر. لذا فإن التدرج كان معلمًا

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ١٩٧.

(٢) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ٧٢-٧٣ بتصرف. وانظر مراجعه ومصادره.

(٣) أخرجه مسلم ٧٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢٣ .

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٦٣، وانظر: مقومات الداعية الناجح ٧٤.

من معالم التربية النبوية، فخوطب الناس ابتداءً بالاعتقاد والتوحيد، ثم أمروا بالفرائض ثم سائر الأوامر. وفي الجهاد أمروا بكف اليد ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ثم بقتال الناس كافة، ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر وإباحة نكاح المتعة ثم تحريمها، وهكذا، لكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج، ألا وهو أن ما نص الشرع على تحريمه لا يجوز أن نبيحه للناس، وما نصّ على وجوبه لا يجوز أن نسقطه عن الناس"[1].

رابعًا- التربية الأدبية:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر".

والذي يستوقفنا في هذا الحديث قولها: "أحيا الليل" وقولها "شد المئزر" وذلك لما فيهما من دلالات أدبية تخاطب الوجدان والشعور، إنها رضي الله عنها عبرت عن قيام الليل بقولها "أحيا الليل" وفي رواية البخاري "وأحيا ليله" فاستخدمت لفظ "أحيا" لتدل على أثر قيام الليل، من كونه حياة للقلوب وإنقاذًا للأرواح من أسر المادة وزادًا يستعان به على مواصلة المسير إلى الله سبحانه. قال ابن حجر: (قولها "وأحيا ليله" أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه، لأن النوم أخو الموت، وأضافه إلى الليل اتساعًا، لأن القائم إذا حيي باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله ((لا تجعلوا بيوتكم قبورًا))[2] أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور)[3].

أما قولها رضي الله عنها: "وشد المئزر" فكناية اختلف في المراد بها: أهي للتشمير في العبادة

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢، محرم ١٤١٩هـ/مايو ١٩٩٨م، ص ٣٦. وانظر: مقومات الداعية الناجح، ٧٤-٧٥، ١١٧-١٤٦.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري ١١٨٧، ومسلم ٧٧٧ مرفوعًا: "صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا" وهذا لفظ مسلم، وأخرجه مسلم ٧٨٠ عن أبي هريرة مرفوعًا: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة".

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١٢٠ .

والجد فيها أم اعتزال النساء للاشتغال بالعبادات[١]. وبغض النظر عن هذا الاختلاف، فإن المقصود هو تفرغ النبي ﷺ للعبادة وجده فيها، سواء اعتزل النساء أم لم يعتزلهن، وهذا هو المراد، فضلاً عن أن هناك احتمال أنه يراد الأمران معًا كما أشار إلى ذلك ابن حجر[٢].

والخلاصة أن عائشة رضي الله عنها - وهي الأديبة البليغة الفصيحة - قد أجادت في التعبير عن المراد أيما إجادة باستخدام أسلوب أدبي رائع، وفي ذلك لفت نظر المربين أن يهتموا بهذا الجانب المهم، فيربوا الناشئة تربية أدبية تجعلهم يتذوقون فصيح الكلام وبليغه، ويقبلون على ذلك، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجعلهم قادرين على التعبير عن المعاني تعبيرًا جيدًا واضحًا مفهومًا مزودًا بالجماليات الأدبية والبلاغية قدر المستطاع.

ومن المجالات التي يمكن أن تستعمل في تنمية هذه التربية الأدبية:

أ - استثمار حصص الإنشاء والتعبير التي أصبحت لا تؤدي الدور المنتظر منها، ويتأكد على المعلم الذي يتولى تدريسها الاعتناء باكتشاف القدرات وتوجيهها وتدريب الطلاب على التعبير المؤثر.

ب - استثمار الأنشطة الصحفية المدرسية وتفعيلها في تدريب الشباب واكتشاف مواهبهم.

ج - إقامة برامج تدريبية تستهدف التدريب على أسلوب الكتابة ومهاراتها.

د - تنمية القدرات اللغوية والارتقاء بها.

هـ - توجيه أصحاب القدرات المتميزة في الجانب الأدبي إلى المشاركة في صفحات القراء في المجلات والصحف الإسلامية ومواقع الانترنت.

مع ملاحظة الاعتناء بالتعويد على الكتابة العلمية الموضوعية دون التركيز على الجوانب اللفظية وحدها[٣].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٧٢٩، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١١٢٠.

(٣) انظر: تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، ص ١٣٢-١٣٣.

خامسًا: من مهام المربي الأول: إصلاح أهله:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، أحيا الليل وأيقظ أهله، وجدّ وشد المئزر. فالشاهد في ذلك "وأيقظ أهله" فالنبي ﷺ اعتنى بإصلاح أهله فأيقظهم للصلاة وقيام الليل، وفي ذلك إرشاد للمربين وغيرهم أن تكون مهمتهم الأولى: إصلاح الأهل وتربيتهم تربية صالحة، لأن ذلك الميدان الأول لنجاح المربي، فإن نجح في ذلك كان نجاحه فيما بعده أيسر وأسهل.

وقد تقدم معالجة هذا المضمون قريبًا، فيكتفي بهذه الإشارات مع الإحالة عليه[1].

---

(١) انظر: الباب رقم ٢١٢، باب فضل قيام الليل.

٢١٥- باب فضل السواك وخصال الفطرة

الحديث رقم (١١٩٨)

١١٩٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

والحديث من باب الترغيب في السواك وما جاء في فضله يشير فيه الرسول ﷺ إلى فضل السواك عند كل صلاه، ورغبته في التزام أمته به لولا وجود المشقة عَلَى مَا عُلِمَ مِنْ إشْفَاقِهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أُمَّتِهِ وَرِفْقِهِ بِهِمْ وَحِرْصِهِ عَلَى التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْمُرَاعَاةِ لِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، والسِّرّ فِي إسْتِحْبَاب السِّوَاك عِنْد الْقِيَام إِلَى الصَّلَاة أَنَّا مَأْمُورُونَ فِي كُلّ حَالَة مِنْ أَحْوَال التَّقَرُّب إِلَى اللَّه تَعَالَى أَنْ نَكُون فِي حَالَة كَمَال وَنَظَافَة إِظْهَارًا لِشَرَفِ الْعِبَادَة، وقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ لِأَمْرٍ يَتَعَلَّق بِالْمَلَكِ، وَهُوَ أَنْ يَضَع فَاهُ عَلَى فِي الْقَارِئ فَيَتَأَذَّى بِالرَّائِحَةِ الْكَرِيهَة فَسُنَّ السِّوَاك لِأَجْلِ ذَلِكَ، وقوله (لَوْلاَ أنْ أشُقَّ عَلَى أُمَّتِي -أَوْ عَلَى النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ) ولَوْلَا كَلِمَة تَدُلّ عَلَى إِنْتِفَاء الشَّيْء لِثُبُوتِ غَيْره، وَهِي مُرَكَّبَة مِنْ لَوْ الدَّالَّة عَلَى إِنْتِفَاء الشَّيْء لِانْتِفَاءِ غَيْره، وَلَا النَّافِيَة فَدَلَّ الْحَدِيث عَلَى إِنْتِفَاء الْأَمْر لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة؛ لِأَنَّ إِنْتِفَاء النَّفْي ثُبُوت فَيَكُون الْأَمْر مَنْفِيًّا لِثُبُوتِ الْمَشَقَّة، ومدلول هذا التركيب يشير إلى أن الرسول ﷺ يرغب في أن تلتزم أمته بالسواك، وأن استعمال صحابته السواك صار أمرا محبوبا إلى نفسه ﷺ حتى تمنى أن يأمرهم به لولا خوف المشقة وهو -الرحيم-، وقد عبر عن رغبته بـ لولا

---

(١) أخرجه البخاري (٨٨٧) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢/٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩).

التي هي حرف امتناع لوجود ليبث في وجداننا الرغبة الباعثة على الحرص عليه بتمنيه لإلزامنا به لولا خوفه المشقة علينا، وهو الرحمة المهداة، وإضافة الأمة إليه (أمتي) تشريف للأمة، يشير إلى حرصه عليهم، ومحبته لهم التي تقتضي أن يرشدهم إلى ما فيه خيرهم في معاشهم، ومعادهم.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذكر النبي ﷺ له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[1] على أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء، حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالوا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل.

أولاً - من صفات الداعية: الشفقة على المدعوين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة).

---

(١) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الإحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح ١٢٥/١.

قال النووي: "وفيه دليل على جواز الاجتهاد للنبي ﷺ فيما لم يرد فيه نصٌ من الله تعالى، وهذا مذهب أكثر الفقهاء وأصحابه، وهو الصحيح المختار. وفيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من الرفق بأمته"(١).

وقال ابن حجر: "قال القاضي البيضاوي: لولا كلمة تدل على انتفاء الشيء لثبوت غيره. والحق أنها مركبة من (لو)، الدالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره و(لا) النافية، فدلّ الحديث على انتفاء الأمر لثبوت المشقة، لأن انتفاء النفي ثبوت فيكون الأمر منفيًا لثبوت المشقة، وقال الشافعي: فيه دليل على أن السواك ليس بواجب لأنه لو كان واجبًا لأمرهم به شق عليهم أو لم يشق.... وقال المهلب: فيه أن المندوبات ترتفع إذا خشي منها الحرج وفيه ما كان النبي ﷺ من الشفقة على أمته"(٢).

وقال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث أدلّ الدلائل على فضل السواك والرغبة فيه، وفيه أيضًا دليل على فضل التيسير في أمور الديانة، وأن ما يشق منها مكروه. قال الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(٣)، ألا ترى أن رسول الله ﷺ لم يخير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه"(٤).

والحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ أمرين إلا أخذَ أيسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه، وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسهِ إلاّ أن تُنْتهَكَ حُرمةُ اللهِ فيَنْتقِمَ للّه بها))(٥).

قال ابن عبدالبر: "في هذا الحديث دليل على ان المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه، إذا لم يضطر إليه، والميل إلى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٤/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٧٥/٢ - ٣٧٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٦٣٠/٣ - ٦٣١.

(٥) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

اليسر أبدًا، فإن اليسر في الأمور كلها أحب إلى الله وإلى رسوله، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، وفي معنى هذا، الأخذ برخص الله تعالى، ورخص رسوله ﷺ، والأخذ برخص العلماء، ما لم يكن القول خطأً بينًا.

روينا عن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه قال: ينبغي للعالم أن يحمل الناس على الرخصة والسعة ما لم يخف المأثم.

وأخبرنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا سعيد بن أحمد بن عبد ربه وأحمد بن مطرف قالا: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن معمر، قال: إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد"[1].

ومثال آخر لشفقته ﷺ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما عزم أن يصوم النهار ويقوم الليل فأتاه النبي ﷺ وأمره بأن يرفق بنفسه وقال له: ((لا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ... الحديث))[2].

قال النووي: "وحاصل الحديث بيان رفق رسول الله ﷺ بأمته وشفقته عليهم وإرشادهم إلى مصالحهم وحثهم على ما يطيقون الدوام عليه، ونهيهم عن التعمق والإكثار من العبادات التي يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب السواك عند كل صلاة:

قال ابن دقيق العيد: "السواك مستحب في حالات متعددة: منها ما دلّ عليه هذا الحديث وهو القيام إلى الصلاة، والسر فيه: أنا مأمورون في كل حالة من أحوال التقرب إلى الله عز وجل أن نكون في حالة كمال ونظافة، إظهارًا لشرف العبادة. وقد قيل: إن ذلك لأمر يتعلق بالملك وهو أنه يضع فاه على في القارئ. ويتأذى بالرائحة

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١/٢٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٣/٨/٤.

الكريهة، فسن السواك لأجل ذلك"[١]، قال ابن حجر: "وقد ورد من حديث عليٍّ عند البزار[٢] ما يدل على أنه أمر يتعلق بالملك الذي يستمع القرآن من المصلي فلا يزال يدنو منه حتى يضع فاه على فيه، لكنه لا ينافي ما تقدم"[٣]، وقال ابن دقيق العيد: "الحديث بعمومه يدل على استحباب السواك لكل صلاة، فيدخل فيه استحباب ذلك في الصلاتين الواقعتين بعد الزوال للصائم - أي الظهر والعصر - ويستدل به من يرى ذلك، ومن يخالف ذلك يحتاج إلى دليل خاص بهذا الوقت"[٤].

وقال ابن عبدالبر: "وفضل السواك مجتمع عليه لا خلاف فيه، والصلاة عند الجميع بعد السواك أفضل منها قبله.

وقال الأوزاعي: أدركت أهل العلم يحافظون على السواك مع وضوء الصبح والظهر، وكانوا يستحبونه مع كل وضوء وكانوا أشد محافظة عليه هاتين الصلاتين. قال الأوزاعي: السواك شطر الوضوء وقال: وركعة على أثر سواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك"[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص الإسلام على النظافة والتجمل:

هذا واضحٌ من استحباب السواك عند كل صلاة، والسواك يطهر الفم وينظفه، قال النووي: "والسواك مستحب في جميع الأوقات لكن في خمسة أوقات أشد استحبابًا: أحدها: عند الصلاة سواء كان متطهرًا بماء أو تراب أو غير متطهر، كمن لا يجد ماء أو ترابًا. الثاني: عند الوضوء. الثالث: عند قراءة القرآن. الرابع: عند الاستيقاظ من النوم.

---

(١) إحكام الأحكام في شرح عمدة الاحكام، تقي الدين بن دقيق العيد ص ٥٠.

(٢) أخرج البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه يسمع القرآن فلا يزال عجبه بالقرآن يدنيه حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من شيء من القرآن إلا صار في جوف ذلك الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن))، أخرجه البزار ٤٩٦ كشف الأستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٦.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٠.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٦٣١/٣.

الخامس: عند تغير الفم"[١].

قال الدكتور يوسف القرضاوي: "ومن الوسائل التي حرص عليها الإسلام في حفظ الصحة العناية بالنظافة، والحقيقة أن موقف الإسلام من النظافة موقف لا نظير له في أي دين من الأديان، فالنظافة فيه عبادة وقربة بل فريضة من فرائضه. إن كتب الشريعة في الإسلام تبدأ أول ما تبدأ بباب عنوانه: (الطهارة)، أي: النظافة فهذا أول ما يدرسه المسلم والمسلمة من فقه الإسلام"[٢].

---

(١) المجموع شرح المهذب ١/١٥٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٤٣ ، وانظر: نيل الأوطار ص ٧٨.

(٢) السنة مصدر للمعرفة والحضارة ص ١٥٠.

الحديث رقم (١١٩٩)

١١٩٩- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ مِن (النَّوم)[١] يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

(الشَّوْصُ): الدَّلْكُ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

يشوص: يَدْلُك[٣].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل كما أن تركيب العبارة في حديث حذيفة رضي الله عنه يشير إلى أنها عادته في الفعل حيث استخدم فعل الكينونة الماضي الذي يشير غالبا إلى العادة في الفعل، ثم استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين الشرط، والجزاء، وبما أن قيامه يتكرر فدل ذلك على أن السواك يتكرر، والشوص: التنظيف، والغسل، والتنقية والدلك، وهو الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق، وعكسه وقيل: هو دلك الأسنان بالسواك، والأصابع عرضا، وهو ما يدل على عنايته بطهارة فمه الذي هو مخرج القرآن، وسبيل خطاب الرحمن، والإسلام دين طهر باطن، وظاهر.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

---

(١) عندهما بلفظ: (الليل) بدل: (النوم)، ودرج الفقهاء بذكر هذا اللفظ بدل: (الليل) كما في الشرح الكبير للرافعي (١/١٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٥)، ومسلم (٤٧/٢٥٥).

(٣) رياض الصالحين ٤٣٣.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١١٩٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٠٠.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم.

ثالثًا: من آداب المدعو: التأهب للعبادة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

هو واضحٌ من قول حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ومن قول عائشة رضي الله عنها: كنا نُعِدُّ لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي.

ولا شك أن هذا الإخبار من الصحابة رضي الله عنهم عن فعل النبي ﷺ إنما هو دعوة للمدعوين للاقتداء بالنبي ﷺ في أفعاله وأحواله كلها. لأنه القدوة والأسوة لهم، فكان الإخبار من الأساليب الدعوية المهمة في إنجاح الدعوة. وما زال الناس - ولا يزالون - يسألون عن أحوال الرجل العظيم فيهم، فيخبرهم القريبون منه والمرافقون له عن أحواله، ومحمد ﷺ أعظم الخلق وأفضلهم، والناس في كل عصر - ماض كان أو حاضر أو مستقبلٍ - متشوقون لمعرفة أحواله وسيرته وسننه، فكان الإخبار أسلوبًا من الأساليب المبلغة لهذه الغاية الشريفة والغرض الأسنى والمقصد النبيل.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استعمال السواك عند القيام من النوم:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال ابن دقيق العيد عن حديث حذيفة رضي الله عنه: (فيه دليل على استحباب السواك في هذه الحالة الأخرى، وهي القيام من النوم، وعلّته: أن النوم مقتض لتغير الفم، والسواك هو آلة التنظيف للفم، فيسن عند مقتضى التغير. وقوله: "إذا قام من الليل" ظاهره يقتضي تعليق الحكم بمجرد القيام، ويحتمل أن يراد: إذا قام من الليل للصلاة فيعود إلى معنى الحديث الأول)[1].

وقال ابن حجر: (قلت: ويدل عليه رواية المصنف [أي البخاري] في الصلاة بلفظ: إذا

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥١. والحديث الأول هو قوله ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" أخرجه البخاري ٨٨٧، ومسلم ٢٥٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قام للتهجد[١]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما يشهد له)[٢].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما هو: أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ النَّبِيِّ ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَامَ نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ تَلاَ هذِهِ الآيَةَ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، حَتَّى بَلَغَ، ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَسَوَّكَ وَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى. ثُمَّ اضْطَجَعَ. ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَتَلاَ هذِهِ الآيَةَ. ثُمَّ رَجَعَ فَتَسَوَّكَ فَتَوَضَّأَ. ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى))[٣].

وقال النووي عن حديث عائشة رضي الله عنها: "فيه استحباب السواك عند القيام من الليل"[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين: (وللسواك مواضع يتأكد فيها وإلا فهو مسنون كل وقت، لكن يتأكد في مواضع معينة منها: إذا قام من النوم، فإنه يسن له أن يستاك لحديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك، يعني: يتسوك. وكذلك يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يعدون له سواكه ووضوءه فإذا قام تسوّك وتوضأ وصلّى ما شاء الله. ويسن عند القيام من النوم بالليل أو بالنهار، لأن الفم يتغير فيسن أن يتسوك)[٥].

قال ابن هبيرة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهج بالسواك ويأمر به، ولا سيما عند القيام إلى الصلاة، وقيامه من الليل، فإنه في هذين الوقتين آكد، وهذا لأن الآدمي في منامه ينطبق فمه فيكون ما يجتمع في الفم من الأبخرة المتراقية غير المنفذة والبلاغم المضرة للأسنان أكثر. فإذا قام من الليل كان إلى ذلك أحوج"[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٦، ومسلم ٢٥٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ - ٤٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٩٩٢، ومسلم ٢٥٦، كتاب: الطهارة، واللفظ لمسلم.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/٦/٢٩/.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٣ - ١٣٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/٢٠٨.

ثالثًا - من آداب المدعو: التأهب للعبادة:

وهذا واضحٌ من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي، قال النووي: "فيه استحباب ذلك والتأهب بأسباب العبادة قبل وقتها والاعتناء بها"[1].

ولعل من هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهلُ اليَمنِ يَحُجُّونَ ولا يَتزوَّدونَ، ويقولون: نحنُ المتوَكلون، فإذا قدِموا مكةَ سألوا الناسَ. فأنزلَ اللّهُ تعالى: ﴿وتزوَّدوا فانَّ خيرَ الزادِ التَّقوى﴾[2][3].

قال ابن حجر: "قال المهلب: في هذا الحديث من الفقه أن ترك السؤال من التقوى ويؤيده أن الله مدح من لم يسأل الناس إلحافًا، فإن قوله: (فإن خير الزاد التقوى)، أي: تزودوا واتقوا أذى الناس بسؤالكم إياهم والإثم في ذلك، وقال: وفيه أن التوكل لا يكون مع السؤال، وإنما التوكل المحمود أن لا يستعين بأحد في شيء"[4].

وقال الطاهر بن عاشور: "والتزود: إعداد الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر، فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعدادًا ليوم الجزاء، شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره، بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت... ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، فيكون أمرًا بإعداد الزاد لسفر الحج، تعريضًا بقوم من أهل اليمن كانوا يجيئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون: نحن متوكلون على الله، فيكونون كلاًّ على الناس بالإلحاف فقوله: (فإن خير الزاد... إلخ)، إشارة إلى تأكيد الأمر بالتزود تنبيهًا بالتفريع على أنه من التقوى، لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض"[5].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/٦/٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٥٢٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨٤/٣.

(٥) التحرير والتنوير ٢٣٦/٢.

وقال الشيخ عبدالله البسام: "ينبغي لمن يريد عبادة من العبادات، ومنها الوضوء والطهارة أن يستعد لها بأدواتها، لئلا يحتاج إلى ذلك أثناء أدائها"[1].

ولعلّ الناظر في العبادات في الإسلام يجد أنه قد شرع قبلها ما ينبه المدعو لأن يتأهب للعبادة ويستعد لها، فمثلاً شرع للصلاة الأذان للإعلام بدخول الوقت، كما شرع الوضوء لينبه المدعوين إلى أنهم مقبلون على مناجاة ربهم، فيأخذون أهبتهم واستعدادهم لذلك، وكذلك الأمر في الصيام فقد شرع السحور وذلك ليتقوى الصائم على الصيام فيؤديه كما طلب الشرع من إحسان في العبادة وإقبال عليها بعكس من لم يتسحر فإن الغالب عليه أن يصيبه الكسل والخمول فلا يقبل على الصيام إقبال من تسحر.

والمقصود أن المدعو ينبغي عليه أن يتأهب للعبادة حتى يؤديها بإحسان وإتمام ومن ثم يجني الثمار الطيبة المترتبة عليها.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/١٦١.

الحديث رقم (١٢٠٠)

١٢٠٠- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كُنَّا نُعِدُّ لِرسولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوضَّأُ وَيُصَلِّي. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

طهوره: أي الماء الذي يتطهر به[٢].

يبعثه: يوقظه من نومه[٣].

يتسوك: ينظف فمه وأسنانه بالسِّواك[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في معنى سابقه يقرر استخدام الرسول ﷺ للسواك بالليل، وهذا التقرير يترتب عليه التشريع بدخولها في جملة أفعاله التي هي السنن لأمته، وهي من السنن الفعلية عن الرسول ﷺ، والحديث ورد في أسلوب خبري دون مؤكدات لأنه على ما يبدو من كلام الراوي أنه خبر مشهود مشهور يدل على ذلك قوله (كنا، نعد) بضمير الجماعة، وتقديم السواك على الطهور يشير إلى العناية به، وكثرة فعله، وبين قوله (فيبعثه، ويبعثه) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أن استعماله للسواك ليس مرتبطا بوقت معين بل إنه يستاك كلما استيقظ، وأراد أن يتوضأ.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (والحديثان[٥] يدلان على مشروعية المحافظة على السنن التي قبل

---

(١) برقم (٧٤٦/١٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط هـ ر).

(٣) المرجع السابق في (ب ع ث).

(٤) الوسيط في (س و ك).

(٥) هو حديث الباب الذي رواه الترمذي ٤٢٦، والحديث الذي رواه ابن ماجه ١١٥٨ عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: "كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر".

الفرائض وعلى امتداد وقتها إلى آخر وقت الفريضة، وذلك لأنها لو كانت أوقاتها تخرج بفعل الفرائض، لكان فعلها بعدها قضاءً، وكانت مقدمة على فعل سنة الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، وقد ثبت في حديث الباب أنها تفعل بعد ركعتي الظهر، ذكر معنى ذلك العراقي قال: وهو الصحيح عند الشافعية، وقال: وقد يعكس هذا فيقال: لو كان وقت الأداء باقيًا لقدمت على ركعتي الظهر، وذكر أن الأوّل أولى)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) نيل الأوطار ٤٨٣، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٨٤/٢٥.

(٢) تم دمجها في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠١)

١٢٠١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ)) رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

الشرح الأدبي

الخبر الذي يرويه أنس رضي الله عنه عن الرسول ﷺ يشير أهمية السواك مع غفلة الناس عنه، الأمر الذي دعا الرسول ﷺ إلى الإكثار من ترغيبهم في السواك كلما وجد مناسبة لذلك، لأن كثيرا من الناس لا يدرك الحكم الكامنة، وراء استخدام السواك، ولا يدركون الضرر المترتب على تركه فيستهينون بالحرص على استخدامه، ودلالة الفعل (أكثرت) بمعناه على الكثرة، وبصيغته في الماضي على التحقق ترغيب عن طريق الخبر، وتنبيه إلى الفضل الداعي إلى مزيد العناية، والاهتمام ثم إن ضمير الجمع المتصل بحرف الاستعلاء (عليكم) يؤكد ذلك لأنه لم يخص بالترغيب، وإنما عمم دلالة على أن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد، وقوله (في السواك) استخدام حرف الجر (في) يدل على التمكن في تقرير الأفضلية، والكلام فيه إيجاز بالحذف أي: أكثرت عليكم في الكلام عن فضائل السواك، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (أكثرت عليكم في السواك)، فدل هذا على

---

(١) برقم (٨٨٨).

كثرة حث النبي ﷺ صحابته رضي الله عنهم على الاستياك، وذلك لفضله الكبير، ولعل من قبيل كثرة الإيصاء بالشيء لأهميته وفضله ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما زال جِبريلُ يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنهُ سيُوَرِّثه))[1]. قال ابن حجر: "إن الحديث يشعر بأنه بالغ في تأكيد حق الجار"[2].

وقال ابن الملقن بعد ذكره أحاديث كثيرة في السواك: "هذا آخر ما قصدته وإبراز ما أردته، فيما يتعلق بالسواك، هو مهم جدًا، وقد اجتمع بحمد الله وعونه من الأحاديث من حين شرع المصنف [أي: الرافعي في كتابه الشرح الكبير في فقه الشافعية] في ذكر السواك إلى هذا المكان زيادة على مائة حديث كلها في السواك ومتعلقاته، وهذا عظيم جسيم، فواعجبًا سُنّةٌ واحدة تأتي فيها هذه الأحاديث يهملها كثير من الناس بل كثير من الفقهاء المشتغلين، وهي - أي ترك السنة - خيبة عظيمة نسأل الله المعافاة منها"[3].

وقد بلغ من فضل الاستياك أن النبي ﷺ لم يتركه وهو في مرض وفاته، قالت عائشة رضي الله عنها: ((دخلَ عبد الرحمنِ بن أبي بكر على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدَتُهُ إلى صدري ومع عبدِ الرحمن سِواكٌ رَطبٌ يَسْتَنُّ به، فأَبَدَّهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ بصرَهُ، فأخذت السواكَ فقضِمتُهُ ونفضتهُ وطيَّبته، ثم دفعتُهُ إلى النبي ﷺ فاستنَّ به، فما رأيت رسولَ اللَّهِ ﷺ استنَّ استِنانًا قطُّ أحسنَ منه، فما عَدا أن فرغَ رسولُ الله ﷺ رفعَ يدَهُ أو إصبَعَهُ ثم قال: في الرفيق الأعلى. ثلاثًا. ثم قَضى))[4].

قال ابن حجر: "وفيه دلالة على تأكد أمر السواك لكونه ﷺ لم يُخِلّ به مع ما هو فيه من شاغل المرض"[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٥، ومسلم ٢٦٢٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٤٤٢.

(٣) البدر المنير في تخريج الأحاديث الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن: عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، تحقيق: مصطفى أبي الغيط عبدالحي وآخرين ٢/٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٠، ٤٤٣٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/٣٧٧.

وإذا كان النبي ﷺ قد بيّن فضل السواك وحثّ أصحابه رضي الله عنهم عليهم، فإنه ﷺ أشفق عليهم أن يكثروا من استعماله إلى الدرجة التي تتضرر بها الأسنان، ولهذا قال ابن هبيرة عن حديث الباب: "أكثرت عليكم في السواك": في هذا الحديث من الفقه أنه ﷺ لما أمر بالسواك وحضّ عليه، وتابع ذلك خاف أن يكون أمره بذلك يبعث بعض الناس على الإلحاح عليه إلى الحد الذي يزعزع الأسنان، فقد قال أبو زكريا الرازي[1] في كتابه المعروف (الحاوي في الطب) في باب: حفظ الأسنان: (ولا تلح على الأسنان بالسواك) ويريد بذلك أن خير الأمور أوسطها كما أن هجر السواك وإطراحه يعفن الأسنان ويفسدها، وأن الإلحاح المتجاوز حده يزعزعها ويضعف أصول منابتها"[2].

وقال ابن القيم: "وأصلح ما اتخذ السواك من خشب الأراك ونحوه، ولا ينبغي أن يُؤخذ من شجرة مجهولة، فربما كانت سمًا، وينبغي القصدُ في استعماله، فإن بالغ فيه، فربما أذهب طَلاوة الأسنان وصقالتها، وهيأها لقبول الأبخرة المتصاعدة من المعدة والأوساخ، ومتى استعمل باعتدال، جلا الأسنان وقوى العمود، وأطلق اللسان، ومنع الحَفَر، وطيب النكهة، ونقى الدماغ، وشهى الطعام. وأجودُ ما استعمل مبلولاً بماء الورد"[3].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: غرس النظافة بين المدعوين:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أكثرت عليكم في السواك"، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الأمر بالمواظبة على السواك إذ استعماله من الفطرة"[4]، والحث على السواك مظهر من مظاهر عناية الإسلام بالنظافة.

قال ابن هبيرة عن حديث حذيفة رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليلِ يشَوصُ

---

(١) هو محمد بن زكريا الرازي، من الأئمة في صناعة الطب، له كتاب (الحاوي) في صناعة الطب، وهو أجلّ كتبه، ترجم إلى اللاتينية وطبع فيها، توفي ٣١٣هـ. الأعلام، خير الدين الزركلي ١٣٠/٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢٦/٥.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٢٢/٤ - ٣٢٣.

(٤) صحيح ابن حبان ٣٤٧/٣ رقم ١٠٦٦.

فاهُ بالسِّواكِ))[١].

قال: "وفي هذا الحديث من الفقه أن السواك تطهر به الأسنان ما لا يبلغ الماء في تطهيره مبلغ السواك، لأن الأسنان على ما خلقها الله تعالى عليه من الرتل في تدوير انتظم بتعددها ما يتخلف من الأغذية إذا لحج[٢] فيما بين السِّنيْن أو فيما بين الثلاثة، والأسنان على ما يتراقى إليها من الأبخرة المتصاعدة من البطن على وهجه وحره فيجففه بسرعة فتلحج لحجًا لا يزيله الماء ولا الأصبع، حتى يشوص الرجل فاه بعود من أراك أو خرقة فتبلغ في تطهيره ذلك المبلغ المطلوب، وإنما تطهير الفم من ذلك سنة مستحبة، فإن صلى مصلٍّ من غير تسوك أجزأته صلاته إلا أنه تفوته الفضيلة. والسر فيه أن تطيب طريق القرآن؛ فإن الخلوف قد يجتمع منه ما يؤذي ريحه، والملائكة يدنون من الآدمي وقت تلاوة القرآن زيادة دنو حتى جاء في الحديث: ((إذا قرأ القرآن من كان قد بدأ بالسواك جعل الملك فمه على فم القارئ فلا يخرج من فيه كلمة إلا التقمها الملك، فإذا قرأ القرآن بغير سواك تباعد عنه))[٣]، وذك أن الريح التي يتنفس بها الإنسان هي حاملة القرآن في خروجه، فإذا ترك في الفم ما يفسد الريح تأذى الملك، وتأذى القارئ، وتأذى من يقربه من الآدميين، وإذا استاك فقد نجا من ذلك كله"[٤].

قال د. القرضاوي: "كانت عناية السنة النبوية - كالقرآن - بالنظافة نابعة من عدة اعتبارات، أولاً: إن النظافة من الخصال التي يحبها الله تعالى. فقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٥]، وأثنى على أهل مسجد قباء وحبهم للطهارة. فقال:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٥ ومسلم ٢٥٥.

(٢) جاء في القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي ٢٠٤: لحج السيف: نشب في الغمد. ومكان لحج: ضيق.

(٣) أخرجه البزاز ٤٩٦، كشف الاستار، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٨/١ عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أمر بالسواك، وقال: قال رسول الله ﷺ: ((إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن))، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢١٣).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٠٧/٢ - ٢٠٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1]، ولهذا اعتبرت الطهارة أو النظافة من خصال الإيمان، حتى شاع بين المسلمين هذا القول: (النظافة من الإيمان)، وظنه بعضهم حديثًا، وما هو بحديث، ولكن هناك حديثًا صحيحًا يقول: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[2]، أي: نصف الإيمان، والطهور - بمعنى الطهارة - يشمل الطهارة المعنوية، أي: الطهارة من الشرك والنفاق وسوء الأخلاق، والطهارة الحسية بمعنى النظافة الخاصة والعامة.

وثانيًا: إن النظافة سبيل إلى الصحة والقوة، والإسلام يحرص على صحة الأبدان وقوة الأجسام فهو عدة للفرد وذخيرة للجماعة، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والبدن أمانة لدى المسلم لا يجوز له أن يفرط فيه ويهمل أمره، فيغدو فريسة للأمراض والرسول ﷺ يقول: ((إِنَّ لِبدنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))[3].

ثالثًا: إن النظافة شرط للتجمل أو للظهور بمظهر الجمال الذي يحبه الله تعالى ورسوله، ففي الحديث الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال)، وقد قال النبي ﷺ ذلك بعد قوله: ((لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: ((إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ))[4].

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، ثم قال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[5].

وكان الحسن إذا أراد الذهاب إلى المسجد تزين وتطيب ورجل شعره، فلما سئل في

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١١٥٩ بلفظ: ((إن لجسدك عليك حقًا)).

(٤) أخرجه مسلم ١٤٧ - ٩١.

(٥) سورة الأعراف، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

ذلك قال: أتجمل لربي، وتلا الآية: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.

رابعًا: إن النظافة والمظهر الحسن من أسباب تقوية الروابط بين الناس، فالإنسان السوي بفطرته ينفر من القذارة ويتجنب أهلها، وهذا سر الحث على الاغتسال قبل الجمعة، كما أنه سر النهي عن أكل الثوم والبصل والكراث ونحوها لمن يريد الذهاب إلى المسجد حتى لا يؤذي الآخرين بسوء رائحته، فإن صمّم على أكلها، فليعلم أنه محروم من المسجد ومن فضل الجماعة"[1].

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، د. يوسف القرضاوي ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

الحديث رقم (١٢٠٢)

١٢٠٢- وعن شريح بن هانىء، قَالَ: قلت لعائشة رضي الله عنها: بأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا المعنى الذي يدور حوله الحديث الذي جاء في صورة السؤال، والجواب عن مبتدأ الرسول ﷺ عند دخول بيته، والبداية في كل شيء يوليها الإنسان عنايته، والبداية بالسواك تشير إلى أهميته لدى النبي ﷺ وتنسحب منه إلى أصحابه، ومتابعيه، واختصاص البداية بالسواك عند دخول المنزل يشير إلى طبيعة القرب، والألفة، والمحبة التي تستلزم الاستعداد؛ لأنه يقترب من أهل فيجدون منه ما يجد منه، وهو تعليم للأمة فن طيب العشرة، وإن كان لا يحتاج إلى ذلك الاستعداد كغيره؛ لأنه ﷺ أطيب الناس ريحا، ولكنه يعلمنا كيف نتجنب إيذاء الناس لاسيما الأهل، وقولها (بالسوك) فيه إيجاز بالحذف أي كان يبدأ بالسواك) وهو ما يدل على أنها من عادته.

فقه الحديث

تشير هذه الأحاديث إلى حكم السواك، ومدى ذِكْر النبي ﷺ له، واهتمامه به، لأنه مرضاة للرب، ونظافة وطهارة للفم والأسنان.

وقد اتفق الفقهاء[2] على أن السواك سنة عن النبي ﷺ، وأنه يستحب التسوك في

---

(١) برقم (٢٥٣/٤٣).

(٢) انظر في ذلك: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٤/١، بدائع الصنائع، المنتقى ١٣٠/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/١، أحكام القرآن، ابن العربي ٧٩/٢، المجموع، النووي ٣٢٤/١، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ١٠٧/١، الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، المغني ٦٩/١، الفروع، ابن مفلح١٢٥/١.

كل وقت، وأفضل الأوقات في السواك قبل الصلاة وبعد الوضوء حتى عده كثير منهم سنة من سنن الوضوء، ولا يكره السواك إلا للصائم في آخر النهار فقط، ولم يخالف في استحباب السواك إلا داود الظاهري وإسحاق حيث قالا إنه واجب لا سنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أحوال النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من اساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك في جميع الأوقات:

هذا واضحٌ من حديث عائشة رضي الله عنها: (إن النبي ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ بَدَأَ بِالسِّوَاكِ)[1]، قال النووي: "فيه بيان فضيلة السواك في جميع الأوقات وشدة الاهتمام به وتكراره"[2].

أما حديث أبي موسى فلفظه عند البخاري: ((أتيتُ النبيَّ ﷺ فوجَدْتُه يَسْتَن بسِواكٍ بيدِه يقولُ: «أُعْ، أُعْ» والسواكُ في فِيهِ كأنَّه يَتهوَّعُ))[3].

قال ابن حجر: "قوله: (أُعْ، أُعْ)، واختلاف الروايات في ذلك: وإنما اختلف الرواة لتقارب مخارج هذه الأحرف. وكلها ترجع إلى حكاية صوته إذ جعل السواك على طرف لسانه كما عند مسلم، والمراد طرفه الداخل كما عند أحمد[4]: (يستن على فوق) ولهذا قال هنا: (كأنه يتهوع)، والتهوع التقيؤ، أي له صوت كصوت المتقيئ على سبيل المبالغة. ويستفاد منه مشروعية السواك على اللسان دخولاً، أما الأسنان فالأحب أن تكون عرضًا[5]، وفيه تأكيد السواك وأنه لا يختص بالأسنان، وأنه من باب التنظيف

---

(١) هذه رواية عند مسلم ٤٤ - ٢٥٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٤/٣/٢ - ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤.

(٤) أخرجه أحمد ١٩٧٣٨/٣٢.

(٥) هذا رأي ابن القيم والأطباء يقولون: بالأعلى والأسفل حفظاً للثة من القطع وزيادة في التخليل بين الأسنان.

والتطيب لا من باب إزالة القاذورات، لكونه ﷺ لم يختف به، وبوّبوا عليه: استياك الإمام بحضرة رعيته"[١].

والحديث أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلاَنِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ. أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي. فَكِلاَهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ. وَالنَّبِيُّ يَسْتَاكُ. فَقَالَ: ((مَا تَقُولُ؟ يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ)) قَالَ فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا. وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ. قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ، وَقَدْ قَلَصَتْ. فَقَالَ: ((لَنْ، أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ. وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ، يَا أَبَا مُوسَى أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ)) فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ. ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ... الحديث))[٢].

وقد بوّب النسائي على هذا الحديث باب: هل يستاك الإمام بحضرة رعيته، وكذلك بوب ابن حبان عليه: ذكر الإباحة للإمام أن يستاك بحضرة رعيته إذا لم يكن يحتشمهم فيه..

وقال ابن دقيق العيد: "وأما حديث أبي موسى ففيه أمران: أحدهما: الاستياك على اللسان واللفظ الذي أورده صاحب الكتاب[٣]. وإن كان ليس بصريح في الاستياك على اللسان، فقد ورد ذلك مصرحًا به في بعض الروايات، والعلة التي تقتضي الاستياك على الأسنان موجودة في اللسان، بل هي أبلغ وأقوى، لما يرتقي إليه من أبخرة المعدة[٤]، وقد ذكر الفقهاء أنه يستحب الاستياك عرضًا، وذلك في الأسنان، وأما اللسان فقد ورد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/٤٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٢٣، ومسلم ١٥ - ١٨٢٤.

(٣) هو: الحافظ عبدالغني المقدسي مؤلف عمدة الأحكام وقد جمع فيه أحاديث الأحكام المتفق عليها بين البخاري ومسلم. انظر ترجمته في: مقدمة تحقيق إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ومصادره ومراجعه.

(٤) يقول د. محمد علي البار: "وقد اهتم الأطباء في الآونة الأخيرة - بعد زمن طويل من الإهمال - بأهمية تنظيف اللسان وإمرار السواك أو الفرشاة عليه، وذلك لإزالة ما يتراكم عليه من الإفرازات وبقايا الطعام مما يؤدي إلى تجميع الميكروبات، ولذا فإن أهمية تنظيف اللسان تكاد تعدل أهمية تنظيف الأسنان. السواك، د. محمد علي البار، ط/ دار المنار، جدة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٣ - ٣٤ بتصرف.

منصوصًا عليه في بعض الروايات الاستياك طولاً"[١].

الثاني: ترجم البخاري على هذا الحديث باستياك الإمام بحضرة رعيته فقال: باب: استياك الإمام بحضرة رعيته [٢]... إن الاستياك من أفعال البذلة والمهنة، ويلازمه أيضًا من إخراج البصاق وغيره، ما لعل بعض الناس يتوهم أن ذلك يقتضي إخفاءه وتركه بحضرة الرعية، وقد اعتبر الفقهاء في مواضع كثيرة هذا المعنى، وهو الذي يسمونه بحفظ المروءة، فأورد هذا الحديث لبيان أن الاستياك ليس من قبيل ما يطلب إخفاؤه، ويتركه الإمام بحضرة الرعايا، إدخالاً له في باب العبادات والقربات"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أحوال النبي ﷺ:

هذا واضحٌ من سؤال شُرَيْح بن هانئ عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ وذلك ليعلم حال النبي ﷺ في بيته ليقتدي به، ومن ذلك أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله فقدم المدينة فأراد أن يبيع عقارًا بها فيجعله في السلاح والكراع[٤]، ويجاهد الروم حتى يموت، فلما قدم المدينة لقي أناسًا من أهل المدينة فنهوه عن ذلك، وأخبروه أن رهطًا ستة أرادوا ذلك في حياة نبي الله ﷺ فنهاهم نبي الله ﷺ وقال: ((أَلَيْسَ لَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ؟)) فَلَمَّا حَدَّثُوهُ بِذَلِكَ رَاجَعَ امْرَأَتَهُ. وَقَدْ كَانَ طَلَّقَهَا. وَأَشْهَدَ عَلَى رِجْعَتِهَا. فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَسَأَلَهُ عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا ... فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنبِئِينِي

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ١٤٢/٤ - ١٤٣. لكن الطب الحديث يرى أن سواك الأسنان طولًا أفضل وأبلغ في التنظيف، لأنه يطال ما يكون بين فُرج الأسنان من بقايا الطعام والصفرة ونحوها، وليس الأمر كذلك في السواك عرضًا، ولعل الأنسب أن يستاك الإنسان بحسب ما يراه مناسبًا وداعيًا للتطهير من غير أذيً، فالمطلوب أن يستاك فكيفما استاك حصلت السنة. أحكام الطهارة (سنن الفطرة) أبو عمر دبيان الدبيان، ط/١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠٠/ بدون مطبعة، ٧٢٠/٢ بتصرف.

(٢) الحديث لم يترجم عليه البخاري هذا الباب، وإنما ترجم عليه باب: السواك، الحديث رقم ٢٤٤، وترجم عليه بنحو هذه الترجمة النسائي وابن حبان.

(٣) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٥٢ - ٥٣.

(٤) الكراع: الخيل والبغال والحمير. معجم لغة الفقهاء ص ٣٤٧.

عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّى أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هذِهِ السُّورَةِ ... الحديث))[1].

قال النووي: "فيه أنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء ويعرف أن غيره أعلم منه به أن يرشد السائل إليه، فإن الدين النصيحة ويتضمن مع ذلك الإنصاف والاعتراف بالفضل والتواضع"[2].

ومن هذا القبيل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ((جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم...))[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضحٌ من حديث عائشة رضي الله عنها فقد أخبرت عن حال من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق السؤال، فكان جوابها بيانًا لذلك.

رابعًا - من اساليب الدعوة: الإخبار:

وهذا واضحٌ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وطرف السواك على لسانه، فأخبر عن بعض أحوال النبي صلى الله عليه وسلم بهذا القول.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٧/٦/٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١ واللفظ للبخاري.

الحديث رقم (١٢٠٣)

١٢٠٣ - وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ، قَالَ: دَخلتُ عَلَى النَّبيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَى لِسَانِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلمٍ.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري ، الذي رواه " أبو موسى ﷺ" والذي يحكي مشهداً لخاتم الرسل – ﷺ فيقول: " دخلت على النبي ﷺ، وطرف السواك على لسانه " واختار لفظ " النبي " لأنه أنبأ بأهمية السواك، وفوائده، للنفس، والجسد، وللناس أجمعين، ولان الحريص على السواك حريص على التطهر وطيب الفم، حتى لا ينفر منه أحد. والجملة الحالية: "وطرف السواك على لسانه" تبين مدى حرص الرسول الكريم على جمال السمت، وراحة فمه الذكية بطبيعتها، ولكنه يحرص على ذلك ليعمل أمته المواظبة على النظافة ، والنظام ، وصيانة الجسد، والمحافظة على نعمة الصحة، والفعل الماضي "دخلت" يدل على تحقق هذه المعاني، وصدورها من النبي ﷺ التي يعطيها خصوصية التشريع، وصفته.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤)، ومسلم (٢٥٤/٤٥) واللفظ له.

(٢) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٢٠٤)

١٢٠٤ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ)) رواه النسائي وابنُ خُزَيْمَةَ[1] في صحيحهِ بأسانيدَ صحيحةٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مطهرة: المطهرة بفتح الميم وكسرها لغتان ذكرهما ابن السكيت وآخرون، وهي كل آلة يتطهر بها، شبّه السواك بها؛ لأنه ينظف الفم والطهارة: النظافة[2].

مرضاة: سبب للرضا أو مرضية للرب[3].

الشرح الأدبي

صدر هذا الحديث أيضاً في الأسلوب الخبري وفية يبين المصطفى ﷺ شيئاً من فوائد السواك فيقول: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" وقدم "الفم" على "الرب"، لأن الإنسان إذا طيب فمه بالسواك، أو ما في حكمه من وسائل التنظيف، فلا شك – قطعاً – أنه سيرضى ربه، لأنه أبعد الأذى عن نفسه، وعن المخاطبين له – فتطيب نفسه ويسعد المحيطون به، وهذا في حد ذاته يرضى "الرب" – جل في علاه، وجاء لفظ "الرب" ولم يأت بلفظ الجلالة "الله" لأن اللفظ الأول يدل على أنه مربى العالمين – المؤمنين، وحافظهم، وراعيهم العليم بما يصلح معاشهم، ومعادهم فيجب عليهم أن يلتزموا توجيه نبيه، والتعبير بقوله (مطهرة – مرضاة) فيه مبالغة في كثرة الطهر،

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى (٥)، وفي الكبرى (٤)، وابن خزيمة (١٣٥). وصحّحه أيضًا ابن حبان (الإحسان ١٠٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٣).

(٢) المجموع شرح المهذب ١٤٨/١، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٣١.

وكثرة الرضا مع بساطة العمل الذي التي تجعل كثيرا من الناس لا يدركون قيمته، وحسبه أنه مرضاة للرب، وقوله (مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ) يشير إلى النظافة الظاهرية، وقوله (مَرْضَاةٌ للرَّبِّ) يشير إلى الطهارة الباطنية التي تشير إلى الإخلاص في العمل الذي سبب الرضا، والله أعلم.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السواك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل السواك:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)، قال ابن عثيمين: "والسواك ذَكَر النبيُ ﷺ فيه فائدتين عظيمتين كما في حديث عائشة رضي الله عنها: مطهرة للفم يعني: يطهر الفم من الأوساخ، وغير ذلك مما يضر، وقوله: (للفم)، يشمل كل الفم: الأسنان واللثة واللسان كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه[2].

الفائدة الثانية: مرضاة للرب، أي: أنه من أسباب رضا الله عن العبد أن يتسوك"[3].

قال ابن القيم: "ويستحب - أي السواك - كل وقت ويتأكد عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت لعموم الأحاديث فيه، ولحاجة الصائم إليه، ولأنه مرضاة للرب، ومرضاته مطلوبة في الصوم أشد من طلبها في الفطر، ولأنه مطهرة للفم، والطهور للصائم من أفضل أعماله"[4].

وقد أثبت الطب الحديث فوائد كثيرة للسواك: "ولا تخفى هذه الفوائد فإنه ينظف

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤، ومسلم ٢٥٤، واللفظ لمسلم.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٣.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٣٢٣.

الأسنان وينقيها، ويقي من أمراض اللثة ويحمي من التهابها، ويجعل الأسنان منيعة على النخر لأنه يوجد به مادة (الفلورايد) التي تجعل الأسنان منيعة على النخر، والآن يصنع من عود الأراك (السواك)، معاجين أسنان، وفي البلاد الغربية الأوروبية يستفيدون كثيرًا من السواك حين يطحن عود الأراك وتصنع منه المنظفات السِنِّية التي يستعملها أطباء الأسنان في تنظيف أسنان مرضاهم فصلى الله على محمد"، ويقول د. عبدالغني السروجي نقيب أطباء الأسنان في سوريا: "فلو نظرنا إلى تحليل السواك لوجدناه فرشاة طبيعية قد زودت بأملاح معدنية، ومواد عطرة تساعد على تنظيف الأسنان أو بمعنى آخر كأنها فرشاة طبيعية ومعها مسحوق مطهر لتنظيف الأسنان".

ويقول د. فارس علوان: "وللمسواك فوائد عديدة وميزات كثيرة تجعله يفضل على الفرشاة والمعجون ويتفوق عليهما وذلك للأسباب التالية:

(١) يحوي السواك مواد قاتلة للعوامل.

أ - فقد أثبت الدكتور الباحث عبدالحميد القضاة: أنه يقضي على خمسة أنواع على الأقل من الجراثيم التي توجد في الفم وتكون سببًا في أمراضه.

ب - يقول العالم "رودات" (مدير معهد علم الجراثيم في ألمانيا): إن فيه مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين.

ج - أثبتت أبحاث جامعة الملك سعود أنه يحوي مادة السنجرين ذات التاثير المطهر الشديد الفعالية، والتي تقضي على الجراثيم.

(٢) فيه مادة السيليس التي تجرف الفضلات وتزيل القلح وتساعد على تلميع الأسنان وتبييضها بتأثيرها الآلي الحات.

(٣) غني بحمض العفص الذي يمنع النزف ويشفي جروح اللثة ويطهر الفم.

(٤) يحوي نسبة عالية من مادة الكلورايد الذي يساعد على حل ملح الطرطير والتصبغات الأخرى على الأسنان وإزالتها علمًا أن ترسبات ملح الطرطير هي الأساس في تولد القلح.

(٥) يتضمن راتينجات متعددة تشكل غلافًا أو طلاء فوق طبقة الميناء لتحميها من التشقق والتصدع حيث يكون هذا التشقق كثغرة يبدأ فيها التنخر والتسوس.

(٦) مواده العطرية الخاصة تطيب الفم وتجعل له رائحة زكية.

(٧) فيه كمية من فيتامين (ث) الذي له أثر كبير في مكافحة النزوف عمومًا.

(٨) يحتوي على (٢٢) مادة فعالة منها أملاح الحديد والكلس.

(٩) إن تأثيره المحصن للفم والمطهر للأسنان أطول من تأثير معجون الأسنان حيث إن تأثير المعجون لا يتعدى أكثر من عشرين دقيقة.

(١٠) سهولة استعماله ويسر تناوله لا سيما وأنه يغني عن معجون الأسنان حتى إنه قد لا يحتاج إلى استعمال الماء، لأن لعاب الفم كاف ويمكنه من أن يقوم بوظيفته على أحسن وجه.

يبدو أنه يجب تجديده بطرح القسم المستعمل منه وتشذيب قسم جديد كلما سنحت الفرصة لذلك، وبهذا يبقى عطاؤه مستمرًا وتتضح خواصه ومواده الفعالة مع كل استعمال، ويفضل أن يكون ذلك يوميًا. لقد عرف الغرب حديثًا أثر السواك على الفم والأسنان فشرعوا بمزج مسحوقه مع معاجين الأسنان"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

فقد رغّب النبي ﷺ في التسوك بأن أخبر أن ذلك يطهر الفم ويرضي الرب، وهذا لا شك يدفع المدعوين إلى الاستياك والتزامه. كما أثبت الطب الحديث فوائد السواك الطبية كما مرّ قريبًا، يقول د. أكرم بن أحمد رضا: "عندما نجد أن رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ يقرر هذه الحقيقة العلمية، فيقول: (السواك مطهرة للفم)، نعلم علم اليقين أنه رسول الله رب العالمين، وقال ذلك بتعليم الله خالق الكون، ومنشئه، فقد علّمه ما لم يعلم، وما لا يستطيع أن يعلمه في ذلك العصر أحد، فهذا الإخبار التقريري الجازم الواضح، يحمل أسرارًا من العلم لا يطلع عليها أحد من الناس إلا في عصر تقدمت فيه أدوات البحث والتنقيب، حتى وصل العلم فيه إلى أسرار لم يكن لأهل العصور السابقة معرفتها أو الوصول إليها أو القرب منها، إنه الرسول المصطفى والنبي المجتبى ﷺ"[2].

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ٥١١/١ - ٥١٤، ومصادره ومراجعه.

(٢) المرجع السابق ٥٠٨/١. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. زغلول النجار ١١٢/٢ - ١١٦.

الحديث رقم (١٢٠٥)

١٢٠٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإبطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الفطرة: قال النووي: اختلف في المراد بها هنا: فقال أبو سليمان الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنة. وكذلك ذكره جماعة غير الخطابي قالوا: ومعناه: أنها من سنن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وقيل: هي الدين[2].

الختان: قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة، وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج[3].

الاستحداد: حلق العانة، وهي الشعر الذي حول الفرج[4].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم ﷺ يعتني بالجسد كما يعتني بتربية النفس وتهذيبها، فيقول: " الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب ". وقوله: " الفطرة خمس " يوحى بأن أمور الفطرة محصورة في خمسة أشياء أما قوله: " خمس من الفطرة " فيوحى بان أمور الفطرة واسعة وهذه خمسة منها لان " من " للتبعيض. وهو أسلوب تشويق بالإجمال ثم التفصيل الذي يفيد مع

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧/٤٩) ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) المرجع السابق ٢٦٩.

(٤) رياض الصالحين ٤٣٤.

التشويق للمعنى يفيد التوكيد؛ لأنه يذكر المعنى مرتين: مرة مجملا، والأخرى مفصلا، وبدأ " بالختان " لأنه أهم ما في هذه الأشياء الخمسة، ولم يحدد الذكور، أو الإناث مما يشير إلى عمومه لما يحققه للمرأة من تهذيب للشهوة، وتهدئة لثورة النفس التي تحفظ عليها حياءها، ولما فيه من كمال الشهوة للرجال، وفي الكلام إيجاز بالحذف أي هي: الختان، أو أولها، وعبر عن حلق شعر العانة بـ(الاستحداد) وهو الإزالة بآلة حادة مبالغة في النظافة كما حث على " تقليم الأظافر " و" نتف الإبط " حتى لا يشم المحيطون به رائحة ثوبه، ولا عرقه، وفي الحديث تناسب بين المعاني، والألفاظ حيث عبر بالتَقْلِيم مع الأظْفَارِ، وبالنَتْف مع الإبطِ، وَبالقَص مع الشَّارِبِ. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على أمور تعد من سنن الفطرة وآدابها، ولعل أهمها ما يأتي:

١ - الختان: وقد اختلف الفقهاء فيه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والإمام أحمد في رواية[٣]، ويرون أن الختان سنة في حق الرجل، مكرمة في حق المرأة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه سحنون من المالكية[٤]، والشافعية في وجه[٥]، والحنابلة في المذهب[٦]، ويرون أن الختان واجب في حق الرجل مكرمة في حق المرأة.

والراجح الأول.

٢ - الاستحداد: وهو كناية عن حلق العنان، وهو متفق[٧] على أنه سنة والسنة في

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٧/٦.

(٢) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ١٥٨/٣..

(٣) الفروع، ابن مفلح١٣٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٤) المنتقى ٢٣٢/٧، مواهب الجليل ٢٥٨/٣.

(٥) المجموع ٣٤٩/١، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٥/٢.

(٦) المغني ٦٣/١، الفروع، ابن مفلح١٣٣/١، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١.

(٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢١١/٣، رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٥٨/٢، الوسيط، الغزالي ٢٢٥/٥، حاشية البجيرمي ٤٠٨/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٦/١، المغني ٦٣/١، المبدع ١٩٦/٧.

العانة الحلق، فلو نتفها، أو قصها أو أزالتها جاز، وكان تاركًا للأفضل.

ويحلق عانته بنفسه، ويحرم عليه أن يجعل غيره يحلقها له إلا زوجته التي تستبيح النظر إلى عورته ومسها فيجوز مع الكراهة.

وأما التوقيت في حلق العانة، فيختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال فمتى طالت قصرا، على ألا تزيد في جميع الأحوال على أربعين يومًا[1].

٣ - السواك: وقد سبق بيان حكمه في الحديث رقم (١١٩٦)

٤ - قص الشارب: وأما قص الشارب فمتفق على سنتيه[2]، دليله أحاديث الباب.

وروى البيهقي عن مالك أنه ذكر إحفاء بعض الناس شواربهم، فقال مالك: ينبغي أن يضرب من صنع ذلك، فليس حديث النبي ﷺ كذلك، ولكن يبدي حرف الشفة والفم.

ويستحب في قص الشارب أن يبدأ بالجانب الأيمن، لأن النبي ﷺ يحب التيامن في كل شيء.

والرجل مخير بين أن يقص شاربه بنفسه، أو يقص له غيره لأن المقصود يحصل بغير هتك المروءة[3].

٥ - حكم إعفاء اللحى: اتفق الفقهاء على أن إعفاء اللحي من الأشياء التي أمر بها النبي ﷺ إلا إنهم اختلفوا في قوة هذا الأمر على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[4]، والشافعية[5] في المذهب، ويرون أن إعفاء

---

(١) المجموع ٣٥٦/١.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٤٩/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣/١، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٦٩/٢، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٥/٢، روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، نهاية المحتاج ٣٣٢/٢، المغني، ابن قدامة ١٢٧/١، شرح العمدة ٢٤١/١، كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ٣٠٦/٢١.

(٣) المجموع شرح المهذب ٢٥٣/١.

(٤) البدائع ١٤١/٢، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٣٠٢/٢.

(٥) فتاوى الرملي ٦٩/٤، طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٨٤/٢.

اللحية، أو تركها سنة عن النبي ﷺ وليست واجبة، فحلق اللحية مكروه، لا حرام.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[١]، والحنابلة[٢]، والشافعي[٣] في قول إلى أن إطلاق اللحية واجب، وحلقها حرام، ومن حلقها يعزر ويؤدب لكونه فعل بدعة محرمة، وإن اختلفوا في حكم أخذ شيء منها، فقيل: يجوز، وقيل: يكره.

٦ - نتف الإبط: وهو سنة أيضًا[٤]، والسنة فيه النتف، ولكن لو حلقه جاز.

ولو أزاله بالتورة، ونحوها فلا بأس، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن والتوقيت فيه كالأظافر، فإنه يختلف باختلاف الأشخاص، والأحوال[٥].

٧ - تقليم الأظافر: وهو مجمع على أنه سنة، وسواء فيه الرجل والمرأة واليدان والرجلان.

ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى، ثم الرجل اليمنى، ثم اليسرى، وأما التوقيت في تقليم الأظافر، فهو يعتبر بطولها، فمتى طالت قلمها ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأقوال[٦].

غسل البراجم: البراجم: جمع بُرجمة، وهي العقد المتشنجة الجلد في ظهور الأصابع، وهي مفاصلها التي وسطها بين الرواجب والأشاجع والرواجب هي المفاصل التي تلي رؤوس الأصابع، والأشاجع هي المفاصل التي تلي ظهر الكف، وقال أبو عبيد: الرواجب والبراجم جميعًا هي مفاصل الأصابع كلها، وهذا مراد الحديث فإنها كلها تجمع الوسخ[٧].

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢١/١.

(٢) المنتقى شرح الموطأ ٢٦٦/٧، مواهب الجليل ٢١٦/١.

(٣) تحفة المحتاج ٣٧٦/٩.

(٤) كتب ورسائل شيخ الإسلام ٨٣/٢١، المبدع ٢٣١/٢، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣٢٩/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/٣.

(٥) المجموع، النووي ٣٥٥/١.

(٦) المجموع، النووي ٣٥٢/١.

(٧) المجموع، النووي ٣٥١/١.

وغسل البراجم سنة[١] مستقلة غير مختصة بالوضوء، ويلحق به ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن، وكذلك ما يجتمع داخل الأنف، وغير ذلك[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:

وردت أحاديث الفطرة بألفاظ مختلفة فجاءت بلفظ "عشرة من الفطرة" وبلفظ "خمس من الفطرة" ونحو ذلك. وهذا لا يراد به الحصر، وإنما يشار إلى ما هو الظاهر البين المحسوس منها، والذي يدركه كل إنسان بطبعه. وهذا ما أشار إليه النووي[٤]، وبين أن الخصال غير منحصرة في العشرة، والمراد أن معظمها عشرة فهو كقول الرسول ﷺ: ((الحج عرفة))[٥] وعضد قوله برواية مسلم "عشر من الفطرة".

وذكر ابن حجر أن ابن العربي قال: خصال الفطرة تبلغ ثلاثين خصلة وقد عقب على هذا القول فقال: فإن أراد خصوص ما ورد بلفظ الفطرة فليس كذلك، وإن أراد أعمّ من ذلك فلا ينحصر في الثلاثين بل يزيد كثيرًا[٦].

فخصال الفطرة إذن كثيرة، منها: أمهات الأخلاق، وكل برّ كبرّ الوالدين وصلة الرحم وأداء حقوق الجار ومعاونة المحتاج ماديًا ومعنويًا وإكرام الضيف والصدق في

---

(١) روضة الطالبين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، المغني ٦٤/١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٨/١٠، شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٠/٣.

(٢) المجموع، النووي ٢٥٥/١.

(٣) هذه المضامين الدعوية خاصة بالأحاديث رقم ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧.

(٤) المجموع شرح المهذب ١٥٧/١.

(٥) أخرجه أبوداود ١٩٤٩، والترمذي ٨٨٩، ٨٩٠، ٢٩٧٥، والنسائي ٣٠١٦، وابن ماجه ٣٠١٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه).

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٧/١٠ .

القول والعمل والوفاء بالوعد وبالعهد وغيرها من الخصال الحميدة)[١].

وأما معنى الفطرة الواردة في الحديث فقد قال ابن حجر: (قال الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة هنا السنة. وكذا قاله غيره. قالوا: والمعنى: أنها من سنن الأنبياء، وقالت طائفة: المعنى بالفطرة الدين وبه جزم أبو نعيم في المستخرج. وقال النووي في "شرح المهذب"[٢] جزم الماوردي والشيخ أبو إسحاق[٣] بأن المراد بالفطرة في هذا الحديث: الدين.

واستشكل ابن الصلاح ما ذكره الخطابي وقال: معنى الفطرة بعيد من معنى السنة، لكن لعل المراد أنه على حذف مضاف: أي سنة الفطرة. وتعقبه النووي: بأن الذي نقله الخطابي هو الصواب. فإن في صحيح البخاري عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: "من السنة قص الشارب ونتف الإبط وتقليم الأظفار" قال: وأصح ما فسر الحديث بما جاء في رواية أخرى لاسيما في البخاري اهـ. وقد تبعه شيخنا ابن الملقن على هذا، ولم أر الذي قاله في شيء من نسخ البخاري. بل الذي فيه من حديث ابن عمر بلفظ: "الفِطْرة"[٤] وكذا من حديث أبي هريرة. نعم وقع التعبير بالسنة موضع الفطرة في حديث عائشة عند أبي عوانة في رواية، وفي أخرى بلفظ "الفطرة" كما في رواية مسلم والنسائي وغيرهما. وقال الراغب[٥]: (أصل الفَطرة بفتح الفاء الشقُّ طولاً ويطلق على الوهْي[٦] وعلى الاختراع وعلى الإيجاد، والفِطرة الإيجاد على غير مثال وقال أبو شامة: أصل الفطرة الخلقة المبتدأة ومنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٧] أي المبتدئ خلقهن. وقوله ﷺ "كل

---

(١) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٨٤.

(٢) المجموع شرح المهذب ١/١٥٧.

(٣) أبو إسحاق الشيرازي صاحب المهذب في فقه الشافعية.

(٤) صحيح البخاري ٥٨٨٨، ٥٨٩٠.

(٥) المفردات ٣٨٢.

(٦) الاختلال ومنه قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ لسورة الملك، الآية: ٣].

(٧) سورة فاطر، الآية: ١.

مولود يولد على الفطرة" أي على ما ابتدأ الله خلقه عليه، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1] والمعنى: أن كل أحد لو ترك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره، لأداه إلى الدين الحق وهو التوحيد. ويؤيده قوله تعالى قبلها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾[2] وإليه يشير في بقية الحديث عقبه بقوله: ((فأبواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنَصِّرانِه))[3]. والمراد بالفطرة في حديث الباب أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها وحثهم عليها واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة اهـ. وقد ردّ القاضي البيضاوي الفطرة في حديث الباب إلى مجموع ما ورد في معناها وهو الاختراع والجبلة والدين والسنة فقال هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع، وكأنها أمر جبلي فطروا عليها انتهى)[4].

وذكر الدكتور القرضاوي مزايا العقيدة الإسلامية فذكر منها: أنها عقيدة الفطرة، فقال: (وهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدَّد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]. وصريح الحديث النبوي: ((كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ -أي الإسلام- وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ))[6] فدلَّ على أنَّ الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين. أما الأديان الأخرى من يهودية

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٣٩.

(٥) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم قريبًا.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: خصال الفطرة:

وهي كما وردت في الأحاديث:

١ - الختان: قال الشوكاني: (الختان قطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة[٢] وفي المرأة قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج)[٣].

وقال ابن عثيمين: (أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهن سنة. وليس بواجب، وذلك أن الرجل إذا لم يختن وبقيت الجلدة فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول، وتكون سببًا في النجاسة لأنه إذا احتقن بها البول ثم حصل ضغط عليها خرج البول الذي صار بين الحشفة فتلوثت الثياب وتنجست. ثم هي أيضًا عند الكبر وعندما يصل الإنسان إلى حد الزواج يكون هناك مشقة شديدة عند الجماع، فلذلك كان من الفطرة أن تقص هذه الجلدة ولهذا نجد كثيرًا من غير المسلمين - أهل الكتاب - الآن يختتنون لا أجل الطهارة والنظافة؛ إنما من أجل التلذذ عند الجماع وعدم المشقة)[٤].

وقال الدكتور زغلول النجار: (ويقصد بالختان قطع الزائد من أعضاء التزاوج مثل الجلدة التي تغطي الحشفة في الذكر، والبروز الزائد من البظر في الأنثى، حتى يتمكن كل منهما من الاستبراء من البول.

وقد أوصى رسول الله ﷺ بالختان في هذا الحديث الشريف، وفي غيره من مثل قوله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: ((الخِتَانُ سُنَّةٌ للرجالِ، مَكْرُمَةٌ لِلنِّسَاءِ))[٥].

والختان بذلك من سنن المسلمين التي يرى وجوبها جمهور العلماء ويرى الشافعية استحبابها في اليوم السابع من عمر الوليد، خاصة وقد عق رسول الله ﷺ عن الحسن

---

(١) الإيمان والحياة ٣٨، ٣٩.

(٢) الحشفة: ما يكشف عنه الختان في عضو التذكير، الوسيط ١٧٦.

(٣) نيل الأوطار، ص ٨٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٧٦/٢.

(٥) أخرجه أحمد ٧٥/٥، رقم ٢٠٧١٩ من حديث أسامة الهذلي، وقال محققوالمسند: إسناده ضعيف ٣١٩/٣٤.

والحسين وختنهما لسبعة أيام كما رواه البيهقي[1]. وقد ثبتت جدوى الختان الطبية بعد دراسات مستفيضة أوضحت أن عدم الاختتان في الذكور قد يؤدي إلى العديد من الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان وإلى "سرطان الحشفة" وهو من أشد أنواع السرطانات إيلامًا.

وينتج أغلب هذه الأمراض عن تجمع القاذورات والبكتريا والجراثيم والفطريات بين الحشفة والجلدة التي تغطيها "والتي تعرف باسم القلفة" والتي أمرنا المصطفى ﷺ بإزالتها بعملية الختان في مراحل الطفولة الأولى، وذلك لأن بقاء القلفة محيطة بالحشفة يكون مستنقعًا للقاذورات والنجاسات من العرق ومن إفرازات الغدد الدهنية وبقايا البول التي يصعب التطهر منها والتي تشكل مرتعًا خصبًا لمسببات الأمراض على اختلاف أنواعها وأشكالها، فضلاً عن الروائح الكريهة التي يمكن أن تنبعث منها.

وتنتقل مسببات الأمراض تلك من كل من القلفة والحشفةإلى الإحليل ومنه إلى المثانة ثم إلى الكليتين، أو تتابع طريقها من الموثة "المعروفة باسم البروستات" إلى كل من الخصيتين والبربخ فتدمرهما تدميرًا كاملاً مما قد يؤدي إلى العقم، فضلاً عما تسببه من أمراض وآلام مبرحة. وإذا تزوج هذا المصاب فإن من المحتمل أن تنتقل أمراضه بسهولة شديدة إلى زوجته مما يسبب لها التهابات في كل من المهبل وعنق الرحم، وغدة برتولين بمرض يعرف باسم التهاب غدة برتولين "Bartolinitis"، وقد يصل ذلك إلى الرحم مما قد يصيبه بالسرطان، وقد يؤدي بالمرأة إلى العقم الكامل فضلاً عن آلام هذه الالتهابات المزمنة والحادة وتقيحاتها في أكثر أجزاء الجسد حساسية.

أما ختان الأنثى ويسمى في الشرع "الخفض" فهو انصياع لأمر المصطفى ﷺ، لأن هذا الجزء من جسمها هو أكثر الأجزاء حساسية وإذا كان بارزًا بروزًا واضحًا فقد يؤدي إلى إثارتها جنسيًا بشكل مرهق خاصة قبل الزواج، كما قد يكون مدعاة لنفور واشمئزاز الزوج بعد الزواج لصعوبة إتمام عملية التزاوج.

---

(١) من حديث جابر كما في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٤.

أما إذا لم يكن هذا الجزء بارزًا بروزًا واضحًا فقد لا يكون هناك مبرر للختان والله تعالى أعلم، ولذلك كان الختان سنة للرجال، ومكرمة للنساء كما جاء في حديث رسول الله ﷺ وقد أوصى ﷺ بذلك إحدى السيدات المسلمات وكان اسمها "أم عطية"، وكانت ختانة للإناث بالمدينة المنورة حيث قال لها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: ((إِذَا خَفَضْتِ فَأَشِمِي وَلاَ تَنْهَكِي فَإِنَّهُ أَسْرَى لِلْوَجْهِ وَأَحْظَى عِنْدَ الزَّوْجِ))[1])[2].

٢ - حلق العانة: وهو الاستحداد قال ابن عثيمين: "والعانة هي الشعر الذي ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ. فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر؛ لأنه إذا طال فربما يحصل في ذلك وسخ وقذر، ولأنه مضرّ وإن كان بعض الناس مثل البهائم يبقي العانة ويجعلها تزداد وتطول، نسأل الله السلامة[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية "حلق شعر العانة متفق على سنيته، وفي وجوبه على الزوجة إذا أمرها الزوج بالحلق عند الشافعية قولان: أصحهما الوجوب، هذا إذا لم يفحش بحيث ينفر الزوج ويؤثر على الرغبة في المخالطة ويقلل التوقان، أما إذا نفر الزوج فيجب عليها الحلق قطعًا.

وعلى المرء أن يحلق عانته بنفسه ويحرم إسناد القيام به إلى غيره، لأنه إظهار للعورة الغليظة وهو لا يجوز، ولكن يجوز أن تتولى الحلق زوجته التي يباح لها النظر إلى عورته مع الكراهة)[4].

وقال د. زغلول النجار: (الاستحداد: هو حلق شعر العانة، وقد أمر به رسول الله ﷺ واعتبره من أمور الفطرة، وتحدد الأحاديث النبوية الشريفة حدًا أقصى لا يجوز للمؤمن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٢٥/٣، وهو حديث ضعيف. انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ٨٣/٤.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٢٨/٢ - ١٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٣٧٦/٢ بتصرف.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٨٦/٣٢ - ١٨٧ وانظر المجموع شرح المهذب ١٦٠/١.

أن يتعداه دون استحداد وهو أربعون يومًا[١]، وذلك لأن هذا الموضع من جسم الإنسان "ذكرًا كان أم أنثى" هو من أكثر أجزاء الجسم عرضة للتلوث بمختلف الأوساخ لقربها من السبيلين وكثيرًا ما يهملها الناس ويتناسونها لأنها من العورات التي تبقى مستورة مخبأة، وفوق ذلك هي منطقة كثيرة الإفرازات الدهنية، وغزيرة العرق مما يجعلها مرتعًا لعديد من مسببات الأمراض من الفطريات والفيروسات والجراثيم التي قد تؤدي إلى التهابها ونتنها وتصاعد الروائح الكريهة منها، وإلى إصابتها بالعديد من الالتهابات والأمراض الجلدية، وأمراض الجهازين البولي والتناسلي مما قد يتعدى الأفراد إلى أزواجهم وأسرهم ومجتمعاتهم عن طريق الاستخدامات المشتركة من مثل حمامات السباحة، والمناشف وغيرها.

وتراكم الأوساخ ومسببات الأمراض فوق العانة وحولها يستمر في الانتشار حتى يصل إلى الإحليل[٢] فيصيبه بالالتهاب الذي قد يواصل انتشاره حتى يصل إلى المثانة ثم الحالبين، ومنهما إلى الكليتين ويؤدي إلى تدميرهما وفشلهما في القيام بدورهما مما ينتج عنه التسمم البولي[٣].

٣ - تقليم الأظفار: وفي الرواية الأخرى: قص الأظفار وهو (سنة إجماعًا سواء فيه الرجل والمرأة وسواء فيه اليدان والرجلان، ويستحب أن يبدأ باليد اليمنى ثم اليسرى ثم الرجل اليمنى ثم اليسرى. أما التوقيت في التلقيم فالاعتبار بالطول، فمتى طالت الأظفار يتم تقليمها ويختلف باختلاف الأشخاص والأحوال كما هو الضابط في قص الشارب ونتف الإبط وحلق العانة)[٤].

وقال ابن عثيمين: (ولا ينبغي أن نقص حتى يصل إلى اللحم، لأن هذا يضر الإنسان،

---

(١) هو حديث أخرجه مسلم ٢٥٨ عن أنس بن مالك ﷺ قال: "وقت لنا في قصّ الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة"

(٢) الإحليل: مخرج البول. معجم لغة الفقهاء ٢٦.

(٣) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣١/٢ - ١٣٢.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٨٦/٣٢ وهو منقول بنحوه من المجموع شرح المهذب للنووي ١٥٨/١.

وربما يحصل فيه خراج أو ما أشبه ذلك، لكن نقصهما قصًا معتدلاً)[١].

هذا بالإضافة إلى إمكانية تقصف الأظافر عند إطالتها، أو إصابتها بالرضوض نتيجة اصطدامها مما قد يؤدي إلى خلخلتها الجزئية أو الكاملة، أو إلى تورمها مما يؤدي إلى إنتانها ونزيفها وتضخمها، أو لانتشار الفطريات فيها. ويظهر ذلك في الإناث اللائي انبهرت بتقليد الغربيات فتسابقن في إطالة أظفار اليدين والرجلين، وفي صبغهما بالعديد من المركبات الكيميائية المدمر للاظافر مثل الطلاء، واستخدام المصلدات، أو زرع الأظافر الصناعية وتثبيتها بمختلف المواد الكيميائية مما قد يؤدي في النهاية إلى هشاشة الأظافر وتقصفها أو تشققها أو التهابها ونزيفها وتخلخلها خاصة مع تكرار الطلاء وإزالته بالمذيبات العضوية، فضلاً عما تسببه تلك الطلاءات من إفساد للوضوء والغسل والطهارة، واستنشاق للعديد من المواد الكيميائية الضارة بالصحة العامة خاصة بالجهاز التنفسي والعينين.

ومن هناك كانت وصية رسول الله ﷺ أن تقليم الأظافر من الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، وأمر أنبياءه ورسله بها، ووصاهم بتوجيه الناس إليها.

وانطلاقًا من ذلك حرصت تعليمات رسول الله ﷺ على أن يكون تقليم الأظافر عملاً دوريًا مستمرًا على فترات متقاربة، مرة كل أسبوع[٢] استكمالاً للطهارة والنظافة، واسترواحًا للنفس، وقد رخص في ذلك بمدة أقصاها أربعون يومًا، ولا عذر لتركه بعد ذلك لحديث أنس[٣] رضي الله عنه الذي قال فيه: ((رَخَّصَ لَنا النبي ﷺ فِي قَصِّ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٧٥/٢.

(٢) هذا القول فيه نظر، ولا أدري من أين جاء الدكتور زغلول النجار بهذا التحديد، والذي أعلمه أنه ورد النص بأكثر المدة لا أقلها، كما سيذكره من حديث أنس ﷺ. قال النووي: معناه: لا يترك تركًا يتجاوز به أربعين، لا أنه وقت لهم الترك أربعين. والمختار أنه يضبط بالحاجة والطول فإذا طال حَلَق. شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/٣/٢. لكن الشوكاني تعقبه فقال: بل المختار أنه يضبط بالأربعين التي ضبط بها رسول الله ﷺ فلا يجوز تجاوزها، ولا يعد مخالفًا للسنة من ترك القص ونحوه بعد الطول إلى انتهاء تلك الغاية. نيل الأوطار ٨٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨ بنحوه.

الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ العَانَةِ أَنْ لاَ يُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً))[١].

٤ - نتف الإبط: أي نتف شعر الإبط، متفق على سنيته، والتوقيت فيه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، والسنة نتفه، فلو حلقه جاز، قال الغزالي: المستحب نتفه وذلك سهل على من تعوده، فإن حلقه جاز، لأن المقصود النظافة وعدم اجتماع الوساخة فيه، إذ يحصل بسببه رائحة كريهة[٢].

وقال ابن قدامة: النتف سنة، لأنه من الفطرة، ويفحش تركه ويجوز إزالته بالحلق والنورة[٣] غير أن نتفه أفضل لموافقته الخبر[٤]. وأفضلية النتف هي ما صرح به الحنفية أيضًا)[٥].

قال د. زغلول النجار: (إن منطقة الإبط -مثل منطقة العانة - يكثر فيها العرق كما تكثر الإفرازات الدهنية، فأنبت الله تعالى فيها الشعر كما أنبته فوق العانة ليضطر كل إنسان قريب للفطرة من حلقه على فترات متقاربة، وبصورة دورية حتى لا يصبح مبعثًا للروائح الكريهة، ومرتعًا للفطريات والفيروسات والجراثيم وهي من المسببات الرئيسية للأمراض، وصاحب الشأن لاهٍ لأنه من المناطق المخفية في جسمه ويجزئ في شعر الإبط النتف، والحلق، والقص)[٦].

٥ - قص الشارب: قال النووي: (وأما قص الشارب فمتفق على أنه سنةٌ، ودليله الحديثان السابقان (أي حديثا الباب) وحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ، فَلَيْسَ مِنَّا))[٧] ... والتوقيت في قص الشارب كما سبق في

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ١٣٣ - ١٣٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٥٠/١، وانظر المجموع ١٥٩/١.

(٣) حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط، معجم لغة الفقهاء ص ٤٦٠.

(٤) المغني ١١٨/١.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٨٦/٣٢.

(٦) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣٢/٢.

(٧) أخرجه الترمذي ٢٧٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٧).

تقليم الأظفار وهو مخير بين أن يقص شاربه بنفسه أو يقصه له غيره؛ لأن المقصود يحصل من غير هتك مروءة)[١].

وقال د. زغلول النجار: (إن طول الشارب وهو في أسفل الأنف، وفوق الفم يعرضه لمفروزاتهما من اللعاب والنخام مما قد يلوثه بتلك الإفرازات وببقايا الطعام والشراب، ويصعب تنظيفه وتنظيفهما مما يجعله ويجعلهما مرتعًا للأوساخ والفطريات والجراثيم ومنبعًا للروائح الكريهة التي تؤذي صاحب الشارب نفسه وتسبب له الأمراض، كما تؤذي كل من يقترب منه لتعرضه للروائح الكريهة ولسيل من مسببات الأمراض كلما تثاءب صاحب الشارب الطويل أو عطس، أو حتى فتح فمه بكلام ما. ومن هنا كان من وصايا رسول الله ﷺ قص الشارب أو إحفاؤه، استكمالاً للنظافة والطهارة، واستراحًا للنفس، فإن قذارة الجسم تولد ضيقًا وكآبة)[٢].

٦ - إعفاء اللحية: وفي حديث ابن عمر "وأعفو اللحى" قال الشوكاني: (قد حصل من مجموع الأحاديث خمس روايات: أعفوا وأوفوا وأرخوا وأرْجوا ووفروا ومعناها: كلها تركها على حالها)[٣].

وقال ابن عثيمين: (وإعفاء اللحية يعني إرخاءها وإطلاقها وتركها على ما هي عليه. هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها)[٤].

٧ - السواك: وقد قال رسول الله ﷺ: ((السَّواكُ مطهرَةٌ للفمِ مرضاةٌ للرَّبِّ))[٥] قال الشوكاني (والحديث يدل على مشروعية السواك لأنه سبب لتطهير الفم وموجب لرضا الله على فاعله وقد أطلق فيه السواك ولم يخصّه بوقت معين ولا بحالة مخصوصة فأشعر بمطلق شرعيته وهو من السنن المؤكدة وليس بواجب في حال من الأحوال)[٦].

---

(١) المجموع شرح المهذب ١٥٨/١ - ١٥٩.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ١٣٥/٢ - ١٣٦.

(٣) نيل الأوطار ص ٨٧، وقد نقله عن النووي في شرح صحيح مسلم، النووي ١٥١/٣/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٧٧/٢.

(٥) أخرجه النسائي ٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٥).

(٦) نيل الأوطار ص ٧٨.

٨ - غسل البراجم: (والبراجم هي رؤوس السلاميات في ظهر الكف، وغسل البراجم متفق على استحبابه، وهو سنة مستقلة غير مخصصة بالوضوء، وألحق الغزالي بها إزالة ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وقعر الصماخ فيزيله بالمسح[١]، وقال الغزالي[٢]: (كانت العرب لا تغسل اليد عقب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمر بغسلها)[٣]، وقال النووي: (قال العلماء ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح، لأنه ربما أضرَّت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار ونحوهما)[٤].

٩ - انتضاح الماء: قال ابن حجر: (وأما الانتضاح فقال أبو عبيد الهروي: هو أن يأخذ قليلاً من الماء فينضح به مذاكيره بعد الوضوء لينفي عنه الوسواس. وقال الخطابي: انتضاح الماء الاستنجاء به. وأصله من النضح وهو الماء القليل، فعلى هذا هو والاستنجاء خصلة واحدة، وعلى الأول فهو غيره، ويشهد له ما أخرجه أصحاب السنن من رواية الحكم بن سفيان الثقفي أو سفيان بن الحكم عن أبيه أنه رأى رسول الله ﷺ توضأ ثم أخذ حفنة من ماء فانتضح بها[٥]، وأخرج البيهقي[٦] من طريق سعيد بن جبير أن رجلاً أتى ابن عباس فقال إني أجد بللاً إذا قمت أصلي، فقال له ابن عباس: انضح بماء، فإذا وجدت من ذلك شيئًا فقل هو منه)[٧].

وقال النووي: (قال الجمهور: الانتضاح نضح الفرج بماء قليل، لينفي عنه الوسواس،

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب ١٥٩/١.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ٢٤٥/١.

(٣) الموسوعة الفقهية ١٨٥/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/٣/٢.

(٥) أخرجه أحمد ١٥٣٨٤/٢٤، وأبو داود ١٦٧، والنسائي ١٣٤، وابن ماجه ٤٦١، وغيرهم وقال محققو المسند: حديث ضعيف لاضطرابه.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ١٦٢/١.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٨/١٠.

وقيل: هو الاستنجاء بالماء)[١].

١٠ - المضمضة والاستنشاق: قال الشيخ ابن عثيمين: (الاستنشاق من الفطرة لأنه تنظيف وإزالة لما في الأنف فهو طهارة، والاستنشاق يكون في الوضوء ويكون في غير الوضوء، كلما احتجت إلى تنظيف الأنف فاستنشق الماء ونظف أنفك، وهذا يختلف باختلاف الناس، من الناس من لا يحتاج إلى هذا إلا في الوضوء، ومن الناس من يحتاج إليه كثيرًا، ومن ذلك أيضًا أن من سنن الفطرة المضمضة، فإنها من الفطرة، لأن فيها تنظيف الفم، والفم يحتاج إلى تنظيف لأنه يمر به الأكل والدهن وما أشبه ذلك، فيحتاج إلى تنظيف فكانت المضمضة من خصال الفطرة)[٢].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: نشر النظافة وحسن الهيئة في المجتمع:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة وقال ابن تيمية: (وهذه الخصال عامتها إنما هي للنظافة من الدرن، فإن الشارب إذا طال يعلق به الوسخ من الطعام والشراب، وغير ذلك، وكذلك الفم إذا تغير ينظفه السواك، والمضمضة والاستنشاق ينظفان الفم والأنف وقصّ الأظفار ينظفها مما يجتمع تحتها من الوسخ، وبهذا روي: "يدخل أحدكم علي ورَفَغُه تحت أظفاره"[٣] يعني الوسخ الذي يحكه بأظفاره من أرفاغه[٤]. وغسل البراجم وهي عقد الأصابع، فإن الوسخ يجتمع عليها ما لا يجتمع بين العقد، وكذلك الإبط فإنه يخرج من الشعر عرق الإبط وكذلك العانة إذا طالت، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك، قال: ((وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ ،وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَنَتْفِ الإِبِطِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، أَنْ لاَ نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا))[٥] فهذا غاية ما يترك الشعر والظفر المأمور بإزالته.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٣/١٥٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٣٧٧.

(٣) قال الهيثمي في المجمع ٥/١٧١: رواه الطبراني والبزار باختصار عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، ورجال البزار ثقات، وكذلك رجال الطبراني.

(٤) الرفغ – بالضم والفتح – واحد الأرفاغ: وهو أصول المغابن كالآباط والحوالب وغيرها من مطاوي الأعضاء وما يجتمع فيه من الوسخ والعرق. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ف غ).

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ((حَقٌّ لِلّهِ علَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ))[1]، وهذا في أحد قولي العلماء، هو غسل راتب مسنون للنظافة في كل أسبوع وإن لم يشهد الجمعة، بحيث يفعله من لا جمعة عليه.

وأما الأحاديث في الغسل يوم الجمعة فمتعددة وذاك يعلل باجتماع الناس بدخول المسجد وشهود الملائكة ومع العبد ملائكة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((إنَّ الْمَلائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ))[2])[3].

وقال الدكتور زغلول النجار: (إن رسول الله ﷺ قد وضع أسس الطهارة البدنية الكاملة، فلم يترك مكانًا في الجسد إلا أمر بنظافته وتطهيره؛ خاصة تلك الأماكن التي يمكن أن تكون مجمعًا للأوساخ والقاذورات، أو للجراثيم والفطريات أو لغيرهما من مسببات الأمراض أو بواعث الروائح الكريهة، فإذا أضفنا إلى تلك السلوكيات الوضوء في اليوم والليلة خمس مرات، والغسل من الجنابات اتضح معنى الطهارة التي يرتضيها ربنا تبارك وتعالى من عباده الصالحين، واتضح سبق المصطفى ﷺ لكل المعارف الطبية والوقائية الحديثة في الإشارة إلى تلك الضوابط الصحية والوقائية الخمس بمئات السنين)[4].

وقال ابن حجر: (يتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع، منها تحسين الهيئة وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة. ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩٧، ومسلم ٨٤٩.

(٢) أخرجه مسلم ٥٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١١/١٧٥ - ١٧٦، و٢١/٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٢/١٣٦.

إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل: قد حسّنت صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها أو حافظوا على ما يستمر به حسنها، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب. لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس)[2].

---

(١) سورة التغابن، الآية: ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠/٣٣٩.

الحديث رقم (١٢٠٦)

١٢٠٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: ((عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ)) قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيتُ العَاشِرَةَ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ المَضمَضَةُ. قَالَ وَكِيعٌ -وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ- انْتِقَاصُ المَاءِ: يَعْنِي الاسْتِنْجَاءِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

إعفاء اللحية: تركها لا يُقَصَّ منها شيء[2].

البراجم: جمع بُرجُمة[3].

العانة: الشعر النابت أسفل البطن حول الفرج[4].

انتقاص الماء: انتقاص البول بسبب استعمال الماء في غسل مذاكيره[5].

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم يخبر عن أشياء مركوزة في الفطرة البشرية فيقول: " عشر من الفطرة " وفى هذا التعبير إيجاز بالحذف تقديره " عشر خصال. . أو عشرة أشياء من الفطرة " " ومن " للتبعيض أى: أن هذه الأشياء العشرة من الفطرة التي فطر الناس عليها؛ لأن هناك أشياء كثيرة أخرى من الفطرة مثل حسن الظن، وحب الدين، وحب الحياة، والأمل. .. الخ -، وقوله(عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ) من أنواع الإطناب بالإجمال ثم التفصيل الذي

---

(١) برقم (٢٦١/٥٦).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٤.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢٧١.

(٤) معجم لغة الفقهاء ٢٧٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ق ص).

يحقق التشوق الذي يضمن إنصات المخاطب، ويقظته، وفيه توكيد بذكر المعنى مرتين إجمالا، وتفصيلا، وبدأ التفصيل " بقص الشارب، وإعفاء اللحية " لأنهما يتصلان بظاهر الإنسان، ويجعلان للمسلم سمة خاصة تطبعه بسمت الوقار، والهيبة التي تميز دينه، مع حسن حسن سمته، وكذلك " قص الأظافر " – " وغسيل البراجم " ثم انتقل إلى الاعتناء بالباطن كالتسوك، واستنشاق الماء، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاض الماء (الاستنجاء) والمضمضة " وهذه الأمور الفطرية أكبر دليل على أن الإسلام بعيد عن الرهبنة، والانعزال، والتقوقع، وأنه يحث اتباعية على سلوك كل سبيل يؤدى إلى الجمال، والتجمل في الظاهر، والباطن وفي الحديث تناسب بين الألفاظ، والمعاني، كما أن فيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين شيء، وما يناسبه لأن جميع هذه الخصال من الفطرة، وتتعلق بحسن المظهر. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٠٧)

١٢٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((احْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أحفوا الشوارب: قصوا ما طال على الشفتين[٢].

أعفوا اللحى: لا تقصُّوا منها شيئًا[٣].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث أمران وصيغتان للجمع. الأمران هما: "احفوا" و" اعفوا " وصيغتا الجمع هنا: " الشوارب " و " اللحى " وقد أسند الفعلين الطلبيين إلى واو الجماعة لضرورة أن يهتم الجميع بهاتين الناحيتين اللتين تميزان المسلم عن أهل الكتاب. وبين الفعلين (احفوا – واعفوا) جناس ناقص وسجع غير متكلف وهذا يدل على حسن اختيار المصطفى ﷺ للكلمات المتناسقة المعبرة، والأمر – في الفعلين السابقين – يجب تنفيذه، ولأنة من الأعلى إلى الأدنى، ويريد النبي الكريم من ورائهما توجيه الأمة لما فيه إصلاحها الظاهري، والباطني، وتميُّزها عما سواها من سائر الأمم، والتزام هذا التوجيه النبوي يفرد المسلم بمظهر الوقار، والهيبة، ويميزه عن غيره من أهل الفساد، والكفر من غير المسلمين كما ميَّزه في الباطن بمنهج رباني، ودين خاتم لكل الديانات، فكأنه جعل له هذا المظهر المميز كدعوة لدينه ينبه غير المسلمين ممن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩٣)، ومسلم (٢٥٩/٥٢) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٦٩.

(٣) رياض الصالحين ٤٣٤.

يرونهم أن هناك دينا يجب أن يتبع يعلم البشرية معالم الجلال، والجمال، والكمال في الظاهر بإتباع هذا التوجيه النبوي، وفي الباطن بإتباع المنهج الرباني، وهو ما أدى إلى انتشار الإسلام في كثير من بقاع العالم التي لم يصلها المسلمون بجيوشهم، وإنما وصلوا إليها بالمنهج المتكامل في الظاهر، والباطن. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير هذا الحديث إلى حكم قص الشارب، وإعفاء اللحى، وقد سبق الكلام عنهما في الحديث (١٢٠٤).

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث ١٢٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من صفات المربي: الشفقة على المربين:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "لولا أن أشق على أمتي -أو على الناس- لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة" وقوله ﷺ "أكثرت عليكم في السواك" فإن النبي ﷺ دفعته شفقته على أمته إلى عدم إيجاب السواك مع كل صلاة، مع أن في ذلك الخير لهم، كما دفعته شفقته ﷺ إلى أن يقول لأصحابه "أكثرت عليكم في السواك" مع أنه ﷺ ما أمرهم إلا بأمر فيه مصلحتهم وخيرهم ونفعهم، فدلهم على كل خير، وأرشدهم إلى كل نفع، لكن شفقته ﷺ تجعله يرغب في الأمر ويحث عليه لكن لا يجعله واجبًا أو فرضًا، وفي ذلك توجيه نبوي كريم إلى المربين أن يكونوا شفقاء على من يربونهم رُؤفاء عليهم، وهذه من الصفات الرئيسة للمربين إن أرادوا لأنفسهم نجاحًا ولعملهم فلاحًا ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

ولعل من فوائد الشفقة من المربي على أتباعه من الناحية التربوية ما يلي:

١ - عدم إرهاق الناشئة وغيرهم بما قد يشق عليهم ولا يستطيعون تحقيقه ولا إنجازه ولا تفعيله في أرض الواقع.

٢ - التدرج بالناشئة من مرحلة إلى مرحلة فلا يكلفهم بما لا يناسب قدراتهم ومستطاعتهم المرحلية، فمما لا شك فيه أن مرحلة الصبا يناسبها ما لا يناسب مرحلة الرجولة والشباب وهكذا.

٣ - جعل العلاقة بين المربي وأتباعه علاقة مودة ورحمة وتفاهم لا علاقة أوامر ونواهٍ جافة فاقدة لقيمتها قبل خروجها من المربي، بل إن الشفقة تبعث فيما يربي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

المربي أتباعه عليه، تبعث فيه الروح والفاعلية والتفاعل.

٤- العمل على سرعة استجابة الناشئة وغيرهم لما يرشدهم إليه المربي، "فإن المربي ينظر إليهم نظر الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال لكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم المفرطون)[1].

ثانيًا: التربية على معاونة المربي في مهامه:

هذا مستمد من قول عائشة رضي الله عنها: كنا نعد لرسول الله ﷺ سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلّي.

فقد عاونت زوج النبي ﷺ عائشةُ، زوجَها نبيَّ الله ﷺ -وهو المربي الأول- في تجهيز ما ييسر له لأن يقوم ﷺ الليل، وهو ﷺ لم يطلب منها ذلك كما هو ظاهر الحديث، بل قامت بذلك من تلقاء نفسها رضي الله عنها. وفي ذلك إرشاد للناشئة وغيرهم إلى أن يعاونوا مربيهم ومعلميهم في أداء مهمتهم، ويساعدوهم على تحقيق أهدافهم التربوية السامية، وقد تأخذ هذه المعاونة عدة صور وأشكال حسب القدرة والطاقة، من ذلك:

أ- معاونة المربي على إتمام وإنجاز شؤونه الخاصة، كالمساعدة في تجهيز الطعام والشراب ونحو ذلك، من الثياب والسكن حسب مقتضيات الأحوال والظروف، وفي ذلك تخفيف للعبء عن كاهل المربي، وتوفير عليه وقته الثمين لينفقه في مهامه التربوية الجليلة. ومن هذا القبيل قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت))[2].

ب - معاونة المربي على إنجاز بعض مهامه التربوية ومسؤلياته التوجيهية، وهذا لا يستطيع أن يقوم به كل الناشئة بل يقوم به من يصطفيهم المربي ويختارهم ويربيهم

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ١٠٤ بتصرف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩.

تربية خاصة، يقول الأستاذ محمد عبدالله الدويش: (إن التربية كما أنها موجهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم والدين خطاب للجميع صغارًا وكبارًا، رجالاً ونساءً، إلا أن الدعوة تحتاج لمن يحملها وأن يقوم بأعبائها، إنها تحتاج لفئة خاصة تُختار بعناية وتُرَبّي برعاية، لذا كان هذا الأمر بارزًا في سيرة النبي ﷺ وتربيته لأصحابه، فثمة مواقف عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر كبار أصحاب النبي ﷺ وعلى رأسهم: أبوبكر وعمر، مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعدادًا وتربية أخص من غيرهم)[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنّي لواقفٌ في قومٍ، فدعَوُا الله لعمر بن الخطاب، وقد وُضِعَ على سريره، إذا رجلٌ مِنْ خلْفِي قد وضع مِرْفقه على منكبي يقول: رحمك الله، إنْ كنتُ لأرجو أنْ يجْعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيرًا ممّا كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنتُ وأبو بكر وعمرُ، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر، فإن كنتُ لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُّ، فإذا هو عليُّ ابن أبي طالب))[2].

ج - العمل على استمرار أفكاره ومبادئه والعمل على نشرها وإذاعتها بين الناس، وهذا ما وقع من "سلف هذه الأمة وخلفها، فقد كان فيها رجال عظماء وعلماء كبراء حرصوا على أن يكون لهم تلاميذ يقتفون أثرهم من بعدهم، وينسجون على منوالهم فعلموهم ودربوهم، وهذا مأثور معروف، فقد كان لأبي حنيفة رحمه الله تعالى أصحاب يتعلمون منه ويتدربون. وكذلك كان للإمام مالك والشافعي وأحمد، وكثير غيرهم من أئمة الهدى ورؤوس الرشاد، وعلى هذا درج السلف والخلف وظهر ما يسمى بالمعيد، وهو الذي تدرب على إعادة الدرس بعد الشيخ للطلبة، وبرزت المدارس الفقهية: الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، وهي على الحقيقة حلقات علم وتدريب على أصول المذاهب وكيفية الاستنباط بموجب تلك الأصول، وكان المشايخ

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٦٧٧، ومسلم ٢٣٨٩.

يدربون طلابهم على الاستنباط والتصنيف، وكانوا يشجعونهم على مناقشة الآراء الفقهية بجرأة وقوة، حتى تتكون عند أولئك الطلاب الملكات الفقهية المهمة)[1].

ثالثًا: التربية على المسارعة إلى مرضاة الله:

وهذا مستمد من عدة أحاديث في الباب، أولها قوله ﷺ: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب" فقد وصف النبي ﷺ أن التسوك سبيل لرضا المولى عز وجل، وهذه غاية يسعى إلى أن ينالها كل مسلم، لذا ضرب النبي ﷺ القدوة في ذلك وهذا ما نقله أصحابه الكرام رضي الله عنهم:

أ - فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك.

ب - وهذه عائشة رضي الله عنها تخبر أن النبي ﷺ كان يتسوك إذا قام من النوم لقيام الليل، كما تخبر رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يبدأ بالسواك إذا دخل بيته.

ج - وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يخبر أنه دخل على النبي ﷺ وطرف السواك على لسانه.

فهؤلاء ثلاثة من الصحابة رضي الله عنهم نقلوا حرص النبي ﷺ على التسوك، الذي هو طريق من الطرق الموصلة إلى رضا الله تعالى، فيمكن أن يستأنس بهذه الأحاديث على أنه على المربي أن يسارع إلى العمل الذي يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يقتصر على هذا فحسب، بل يحاول أيضًا أن يغرس هذا في نفوس أتباعه بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع، سواء عن طريق الفعل أو القول وغير ذلك، ولاشك أن هناك فوائد تربوية جمة للتربية على المسارعة إلى مرضاة الله تعالى منها:

١ - تعويد الناشئة على صدق الإيمان، فمن علامة صدق الإيمان المسارعة إلى الخيرات وأهم هذه الخيرات فعل ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، ولا يكون هذا إلا باجتناب ما نهى الله عنه وإتيان ما أمر به، ولا يقف الأمر عند هذا، بل يتعدى إلى

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص ٩٥.

المسارعة والمبادرة في ذلك.

٢ - تحسين خلق الناشئة وإكسابهم الأخلاق الفاضلة، فمن كان مقصوده رضا الله، حسن أخلاقه مع الخلق والناس فعفا عن مسيئهم وتجاوز عن مخطئهم وكافأ محسنهم وشكر خيّرهم، لأن ذلك يحبه الله تعالى ويرضى عن صاحبه.

٣ - الثبات على المبادئ والقيم الفاضلة، ما دامت الغاية رضا الله لا رضا الناس، ولا يكون هذا إلا بالثبات على ما يوصل إلى رضا الله عز وجل، فلا يفعل ما يغضب الله ويرضي الناس، بل يكون همه الأول فعل ما يرضي الله سواء سخط الناس أم رضوا.

ثانيًا: من خصائص التربية الإسلامية: مخاطبة الفطرة:

وهذا مستمد من حديث "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة" وحديث "عشر من الفطرة..." فقد بيّن النبي ﷺ أن هذه الخصال من الفطرة، ودعا إلى إتيانها لكونها من الفطرة، فذلك أدعى إلى الامتثال والفعل، وفي ذلك توجيه للمربين أن يخاطبوا الفطرة في الناشئة الذين يربونهم، لأن التربية الإسلامية تربية الفطرة.

"فليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباق المفتاح المحدد على قفله المحكم، وهذا هو صريح القرآن ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] قال القرطبي: وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه، فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقةٍ يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة[2]، وصريح الحديث النبوي يدل على ذلك ((كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ [أي الإسلام]، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانِه))[3] فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين، أما الأديان الأخرى من يهودية

---

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٢٥/١٦ .

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١٣٥٩، ومسلم ٢٦٥٨.

ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء"[١]. "فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب"[٢].

خامسًا: التربية الجمالية:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة: "الفطرة خمس أو خمس من الفطرة..." وحديث عائشة رضي الله عنها: "عشر من الفطرة ..." وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى"، فهذه تربية جمالية، والإسلام حريص عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها في أرض الواقع "والمقصود بالجمال هنا الجمال في الصورة واللباس والهيئة، وهي على ثلاثة أنواع: فمنه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم، فالمحمود منه: وهو ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له، فقد كان النبي ﷺ يتجمل للوفود.

المذموم منه: هو ما كان للدينار والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هذا غاية العبد وأقصى مطالبه، فإن كثيرًا من النفوس ليس لها همة سوى ذلك.

وأما ما لا يحمد ولا يذم؛ هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوضعين.

والجمال له شخصيته المستقلة في التصور الإسلامي، وهذا لا ينفي لقاءه مع الحق والخير، وبناء على خاصية الشمول ... فإن الحق والخير من الميادين التي للجمال فيها كلمة ورأي، فالخير خير، ولكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال، والحق حق ولكنه إذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل.

فالأمر بالمعروف خير ولكنه إذا كان بأسلوب مهذب، بعيدًا عن الفظاظة والغلظة، أي كان بالمعروف، كان أقرب إلى تحقيق الجدوى لأنه في هذه الحالة أجمل.

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٨٤/٣٢.

والصدقة على الفقير والمحتاج خير، ولكنها إذا كانت على طريقة علي زين العابدين رحمه الله كانت خيرًا وجمالاً[١].

وفوائد الجمال:

أ- إظهار المسلم بالصورة اللائقة نظيفًا طاهرًا جميلاً.

ب- كل ما في الكون من جمال يتدبره المسلم دليلاً على جمال الخالق سبحانه وتعالى.

ج- وجوب التحلي بالصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل لأنها من القيم التي ينبغي للمسلم التحلي بها ليزداد جمالاً فوق الجمال الذي وهبه الله إياه، فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر، فلباسه ونعله حسن ورائحته طيبة يتطهر ويتوضأ خمس مرات استعدادًا وتجملاً للقاء ربه مستجيبًا لأمر ربه يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره، ليظهر بالصورة اللائقة به"[٢].

❁ ❁ ❁

(١) جاء في حاشية الكتاب، كتاب: القيَم بين الإسلام والغرب: يروى عنه أنه كان كثير التصدق والنفقة على الفقراء والمساكين، وأنه كان يكرم السائل، ولا ينهره ، ويقول له: أهلًا بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص ٤٠ - ٤٢.

٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة: ٤٣]، وقال تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البينة:٥]، وقال تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: ١٠٣].

الحديث رقم (١٢٠٨)

١٢٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[2]. وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١) واللفظ له، وتقدم برقم (١٠٧٧)، وسيكرره المؤلف برقم (١٢٧٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢).

(٢) منهج القرآن في تربية المجتمع د/ عبد الفتاح عاشور /صـ١٩٠.

بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوي بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللّهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و(ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث هي: الصلوات الخمس، وأنها كل يوم وليلة على كل مكلف[1].

٢ - حكم صلاة الليل: اتفق الفقهاء على مشروعية قيام الليل، وهو سنة عند الحنفية والحنابلة، ومندوب عند المالكية، ومستحب عند الشافعية[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٧/١، المغني ٢٢٥/١.

(٢) حاشية رد المختار ٤٦٠/١، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٦٠/٢ - ٣٦١، المجموع ٤٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٥/١.

٣ - حكم وجوب صوم عاشوراء وغيره سوى رمضان: أجمع الفقهاء على أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى شهر رمضان [١].

٤ - حكم من شرع في تطوع من صيام أو صلاة أو غيرهما هل يجب عليه إتمامه أم لا؟ ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والحنابلة في رواية إلى أن من شرع في تطوع وجب عليه إتمامه[٢]، واستدلوا على ذلك بأن المؤدى عبادة وإبطال العبادة حرام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[٣]، فيجب صيانتها عن الإبطال وذلك يكون بلزوم المضي فيها [٤].

وذهب الشافعية، والحنابلة في المذهب إلى أنه يستحب الإتمام ولا يجب[٥]، واستدلوا على ذلك بالنسبة للصيام بقوله ﷺ: ((الصَّائِمُ المتطوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ))، وأما الصلاة فقياسًا على الصوم[٦].

والراجح ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة لئلا يغير الشرع المشروع فيه [٧].

٥ - حكم صلاة الوتر: ذهب جمهور الفقهاء -المالكية، والشافعية، والحنابلة،

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩/١، ٧٧/٢، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، مواهب الجليل ٩٠/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٤/٣.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٣.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١.

(٥) مغني المحتاج ٨٦/٢، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، مطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٦) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

(٧) مغني المحتاج ١٨٦/٢.

وأبو يوسف ومحمد- إلى أن صلاة الوتر سنة مؤكدة[١]، واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم (١٢٠٩)، وقوله ﷺ: (ثلاث كتب عليّ ولم تكتب عليكم الوتر، والضحى، والأضحى).

وذهب أبو حنيفة في رواية إلى أنه واجب، وذهب في رواية ثانية إلى أنه فرض[٢]، واستدل على ذلك بقوله ﷺ: ((إن الله تَعالى زَادَكُمْ صلاةً ألا وهي الوتر فصلّوها مَا بينَ العشاءِ إلى طلوعِ الفَجْرِ))، حيث أمر النبي ﷺ بها ومطلق الأمر للوجوب[٣].

ويناقش هذا بأن الأمر هنا محمول على التأكيد لحديث الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: إلا أن تطوع [٤].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقوة دليله ورده على دليل المخالف.

٦ - حكم صلاة العيد: ذهب الحنفية إلى أن صلاة العيد واجبة[٥]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[٦]، ومطلق الأمر للوجوب

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في الراجح إلى أنها سنة[٧]. واستدلوا بحديث

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩، مواهب الجليل ٧٥/٢، مغني المحتاج ٤٣٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢٠٢/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٢٢/١، مطالب أولي النهى ٥٥١/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٠/١، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٦٨/١ - ١٦٩.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧١/١.

(٤) مغني المحتاج ٤٥١/١.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٤/١ - ٢٧٥، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٢٣/١.

(٦) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٧) مواهب الجليل ١٨٩/١، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤١١/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١.

الباب رقم (١٢٠٩).

وذهب المالكية في غير المشهور، والشافعية في قول ضعيف، والحنابلة إلى أنه فرض كفاية[١]، واستدلوا على ذلك بأنها من شعائر الإسلام، ويتوالى فيها التكبير فأشبهت صلاة الجنازة، ولأنها من أعلام الدين الظاهرة فكانت واجبة[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) مواهب الجليل ١٨٩/١، مغني المحتاج ٥٨٨/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٥٢٤/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢، المغني ١١٠/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٥/١، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٩/١.

(٢) مغني المحتاج ٥٨٨/١، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠/٢.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٧٧.

الحديث رقم (١٢٠٩)

١٢٠٩ - وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ، فَإِذا هُوَ يَسأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: ((لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ)) فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((وَصِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ)) قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: ((لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ)) قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رسول الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: ((لاَ، إِلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ)) فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: وهو طلحة بن عبدالله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، القرشي، المكي، التيميُّ، يكنى أبا محمد، ويُعرف بطلحة الخير، وطلحة الفياض، كان من دهاة العرب وعلمائهم، صحابي شجاع من الأجواد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يدي أبي بكر الصديق، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، من خطباء الصحابة، ومثريهم وأجوادهم، وأخباره في الجود والسماحة كثيرة، ومناقبه جمة، من حلماء العلم، لا يشاور بخيلاً في صلة، ولا جبانًا في حرب، ولا شابًا في جارية، روى عن رسول الله ﷺ وله في كتب الحديث (٣٨) حديثًا، اتفق البخاري ومسلم منها على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بثلاثة ولما قدم طلحة بن عبيدالله إلى المدينة مهاجرًا آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي أيوب خالد بن زيد.

لم يشهد بدرًا، حيث كان بالشام في تجارة، أو أن النبي ﷺ بعثه هو وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، فضرب له رسول الله ﷺ، وعُدَّ من الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦) واللفظ له، ومسلم (١١/٨).

البدريين، وشهد أُحُدًا وما بعدها من المشاهد، وأبلى يوم أحد بلاءً حسنًا، وقى بنفسه رسول الله واتقى النبل عنه بيده حتى شلّت، فعن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: ((رأيت يد طلحة شلاءً، وقى بها النبي ﷺ يوم أحد))[1].

وكان قد ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد، فعن الزبير بن العوام قال: كان على النبي ﷺ درعان يوم أحد، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فأقعد طلحة تحته فصعد النبي عليه حتى استوى على الصخرة، فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((أوجبَ طلحة))[2].

أما عن صفاته الخُلقية فكان في الخير لا يُجَارى، فكان كريمًا معطاءً مغدقًا على ذوي أرحامه، فيذكر أنه كانت له تجارة وافرة مع العراق ولم يكن يدع أحدًا من بني تيم - قومه - عائلاً إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، ووَفّى دينه، وعن صفاته الخَلْقية: فكان رجلاً آدمَ حسن الوجه، رحب الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم القدمين، كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط، وكان لا يغير شعره، إذا مشى أسرع، وإذا التفت التفت جميعًا.

شهد طلحة بن عبيدالله يوم الجمل محاربًا لعليّ، فزعم بعض أهل العلم أن عليًا دعاه فذكّره أشياءَ من سوابقه وفضله، فرجع طلحة عن قتاله، واعتزل في بعض الصفوف، فرماه مروان بن الحكم بسهم في ثغرة نحره أو في رجله فقطع عرق النّسا فلم يزل دمه ينزف حتى مات، يوم الجمل، وكانت وقعة الجمل يوم جمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة (٣٦)، مات وهو ابن (٦٠) أو (٦٢) أو (٦٣) أو (٦٤) سنة[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا" ص (٦٨٧) حديث رقم (٤٠٦٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الدرع، ص (٣٩٥)، حديث رقم (١٦٩٢)، وصححه للشيخ الألباني في المشكاة (٦١١٢)، وفي صحيح أبي داود (٢٣٣٢).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٢١٤-٢٢٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٥٩-٣٦١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣/٨٤-٨٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٤٢)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/٢٣-٤٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٥٠٨، ٥٠٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٤٠، ٢٤١)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٢٢٩)، موسوعة عظماء حول الرسول (١/٣٣٥-٣٤٤).

غريب الألفاظ:

نجد: منطقة واسعة من الأرض المرتفعة ليس ارتفاعها بالشديد، تمتد من الحجاز شرقًا إلى اليمامة غربًا[١].

ثائر الرأس: متفرق الشعر من ترك الرفاهية، ففيه إشارة إلى قرب عهده بالوفادة[٢].

دويٌّ صوته: صوته المرتفع[٣].

أدبر: تولى وانصرف[٤].

الشرح الأدبي

يعلمنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث حسن التعامل مع الآخرين – الذين يتطلعون إلى معرفة أمور الدين، ويبين لنا أن نتدرج في الحديث معهم، وأن نبدأ بتقديم الأهم، فالمهم، وهذا مثال تطبيقي يتمثل في حواره مع ذلك الرجل من نجد، حينما سأله على الإسلام فقال النبي الكريم: " خمس صلوات في اليوم والليلة " وقد بنى عبارته على الإيجاز؛ لأنه يخاطب بدويا مفطورا على الفصاحة، والتقدير تصلي خمس صلوات، أو عليك خمس صلوات، وبدأ بالصلوات لمنزلتها العظيمة في الدين، وإصلاح الفرد، والجماعة، وذكر " اليوم والليلة " ليشعر المتلقي بالعلاقة بين الوقت، والصلاة المرتبطة به حتى يؤديها في أوقاتها، وأن هذه الصلوات الخمس على مدار اليوم، والليلة تعد قليلة من ناحية القيام بها، ولكنها عظيمة الأجر، والاستفهام في قول الرجل: " هل على غيرها " يدل على قابليته للتعلم، والتوجيه، ورد الرسول ﷺ عليه بقوله: " لا. إلا أن تطوع " يدل على حكمته في الرد، وبلاغته في الأسلوب، وفيه إيجاز يقتضيه المقام أي: لا شيء عليك، وفى ترغيبه في الخير فلم يقل له: عليك صلاة الليل، والتهجد، والسنن

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٦.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٣١.

(٣) الوسيط في (د و ي).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ب ر).

الراتبة، وقدرها كذا.. وكذا.. كما فعل في الفرائض في بقية الحوار الخاص بالصيام، والزكاة، وقسم الرجل: "والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه.." يدل على عزيمته في العمل، والتزامه لتوجيهات النبي ﷺ، كما يدل على تحقيق الأسلوب البلاغي النبوي لغرضه حيث راعى طبيعة البدوي الذي لم يعتد في صحرائه أن يؤمر، أو ينهى فلم يوجه له الأمر الصريح الظاهر لما في الأمر من دلالة على الاستعلاء قد تأنف منها نفسه كما أنه أشعره بحرية الاختيار في غير الفريضة بقوله (لاَ، إلاَّ أنْ تَطَوَّعَ) التي تكررت بعد كل فرض لكي يشعره بأنه طرف حر الاختيار في غير الفريضة التي أوجبها الله على الجميع، وجملة الشرط التي تربط الفلاح بالصدق في نهاية الحديث "أفلح إن صدق" تدل على تحقق الفلاح للرجل إن صدق في عبادته، وتقديم الفلاح يبشر بها، والتعبير بالفلاح يداعب النفس بحصول المرجو، وحسن العاقبة، وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن صدق أفلح.

فقه الحديث

١ - وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة:

هذا الحديث من الأدلة على وجوب الصلوات الخمس وصوم رمضان والزكاة. ولذا قال النووي: (في هذا الحديث أن الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام التي أطلقت في باقي الأحاديث، هي الصلوات الخمس، وأنها في كل يوم وليلة وعلى كل مكلف بها. وقولنا "بها" احتراز من الحائض والنفساء فإنها مكلفة بأحكام الشرع إلا الصلاة وما ألحق بها مما هو مقرر في كتب الفقه. وفيه أن وجوب صلاة الليل منسوخ في حق الأمة. وهذا مجمع عليه، واختلف قول الشافعي في نَسْخه في حق رسول الله ﷺ، والأصح نَسْخُه)[1].

وفيه أن صلاة الوتر ليست بواجبة، وأن صلاة العيد أيضًا ليست بواجبة، وهذا مذهب الجماهير. وذهب أبو حنيفة وطائفة إلى وجوب الوتر. وذهب أبو سعيد

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠/١/١ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٠٣/٤ .

الإصطخري من أصحاب الشافعي إلى أن صلاة العيد فرض كفاية، وفيه أنه لا يجب صوم عاشوراء ولا غيره سوى رمضان، وهذا مجمع عليه. وفيه أنه ليس في المال حق سوى الزكاة على من ملك نصابًا وفيه غير ذلك، والله أعلم)[1].

وقال النووي عن وجوب الزكاة - وهو ما يتعلق بهذا الباب - : الزكاة فرض وركن بإجماع المسلمين، وتظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على ذلك[2].

٢ - قال النووي: (قوله: "هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع" قال أصحابنا وغيرهم من العلماء قوله ﷺ "إلا أن تطوع" استثناء منقطع ومعناه: لكن يستحبّ لك أن تطوع، وجعله بعض العلماء استثناء متصلاً، واستدلوا به أن من شرع في صلاة نفل أو صوم وجب عليه إتمامه. ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب، والله أعلم)[3].

٣ - تارك النوافل:

قال ابن حجر: (فإن قيل: كيف أقرّه على حلفه، وقد ورد النكير على من حَلَف أن لا يفعل خيرًا؟ أجيب: بأن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. وهذا جارٍ على الأصل بأنه لا إثم على غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحًا منه)[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة على أسئلة المدعو.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/ ١٥١ .

(٢) المجموع ٢١٢/٥ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩/١/١ ، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٢/١ ، وانظر خلاف الفقهاء في ذلك في: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٩٠/١، ٧٧/٢، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٥٥/١، ومواهب الجليل ٩٠/٢، ومغني المحتاج ١٨٦/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٥٣/٣، ومطالب أولي النهى ٢٢٢/٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١٣٣/١ .

رابعًا: من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السائل.

سادسًا: من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله.

سابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال عن أمور دينه ومعرفتها:

إن من أهم واجبات المدعو أن يسأل عن أمور دينه ويعرفها حتى تكون عبادته لله على بينة وعلم، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (فإذا هو يسأل عن الإسلام)، والسؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها مما يجب على المدعو لكي يقوم بتنفيذ الأحكام الشرعية وقد أمر الله بالسؤال عند الجهل فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقال جلّ شأنه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2]، واستنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل في أمر دينه، ففي قصة المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فلما أخبر النبي ﷺ قال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3].

قال العظيم آبادي: (أسند القتل إليهم، لأنهم تسببوا له بتكليفهم له باستعمال الماء مع وجود الجرح في رأسه ليكون أدل على الإنكار عليهم وقوله: "قتلهم الله" إنما قاله زجرًا وتهديدًا. والعِيّ هو التحير في الكلام وعدم الضبط، وفي النهاية العي: الجهل، والمعنى: أن الجهل داء وشفاءها السؤال والتعلم)[4].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال ورود لفظة يسألونك في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعًا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

هُوَ أَذًى﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٢]، ومن هذا يتبين أن من واجبات المدعو السؤال عن أمور الدين ومعرفتها والتفقه فيها.

ثانيًا - من واجبات الداعية: الإجابة الواضحة عن أسئلة المدعو:

يتضح هذا من الحديث من جواب النبي ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة، قال الرجل: هل عليَّ غيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع)، قال ابن حجر: "وقوله: يسأل عن الإسلام)، أي عن شرائع الإسلام ولم يذكر له الشهادة؛ لأنه علم أنه يعلمها أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، وبهذا يتبين مطابقة الجواب للسؤال، خاصة وأنه قد جاء في رواية أنه قال في سؤاله: أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس"[٣]، ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ في إجابته عن أسئلة المدعوين بأن تكون إجابته واضحة وبيانه كاملاً تامًا، (فعلى حامل رسالة الدعوة إلى الله أن يكون حريصًا على التأثير النافع في نفس وفكر من يوجه له رسالته، فلا يختار من البيان ما يعسر عليه فهمه، ولا يستطيع استيعاب معناه، ولا يختار من أساليب البيان ما ينفره ويبعده عن دين الله وصراطه المستقيم، بل يختار من أساليب البيان ما يجذبه ويملك قلبه ونفسه ويمتع فكره ويحلو لديه ويراعي معه كرامة المخاطب)[٤].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

إن وسيلة التعليم لها أثرها الفاعل في إرشاد المدعوين وتعريفهم حقائق الإسلام، وتعليمهم ما يجهلون، ويتضح هذا من سياق الحديث حيث علّمه الرسول الكريم ﷺ شرائع الإسلام واحدة تلو الأخرى، ومما لا شك فيه أن وسيلة التعليم من أهم وسائل الدعوة، ولقد جعل الله سبحانه التعليم من وظيفة إمام الدعاة الأول، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٣٢.

(٤) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ٢٤٠.

وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال الإمام بدر الدين محمد بن الغزي: "واعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يُؤمن انمحاق العلم، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وآكد فروض الكفايات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، ولذا فينبغي على المرء أن يقصد بتعليمه وجه الله والتقرب إليه، وأن لا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي، وينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية، فربما عسر في كثير من المبتدين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وقلة أنفسهم بموجبات تصحيحها، فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم، مع أنه يرجى ببركة تصحيحها إذا أنس بالعلم"[3].

قال الشيخ محمد الغزالي: "وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا فإن فتك الجهل بالناس ذريع وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج ولذا فإن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق.."[4].

رابعًا - من حكمة وفقه الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات وبيان أركان الإسلام:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في عرض دعوته، ويظهر هذا من الحديث حيث بدأ النبي ﷺ في تعليمه أركان الإسلام، من صلاة وزكاة وصوم. وهذا من حكمة الداعية وفقهه أن يراعي الأولويات في الدعوة، قال ابن علان: "قال ابن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) انظر: الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد ص ١٠٤ - ١٠٧.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

العربي: إنما قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأنه أول ما أسلم فأراد أن يطمئن فؤاده، وبعد ذلك يفعل ما سواها بما يظهر له من ترغيب الإسلام، وأثبت له الفلاح لأنه أتى بما عليه ومن أتى بما عليه كان مفلحا"[1]، وإذا كان الأمر كذلك، "فإنه ينبغي أن يعنى الداعية بتقديم ما هو أصل على ما هو فرع، فيقنع الناس به ويحملهم على قبوله، فإذا ما استقر في القلوب، واستجابت له النفوس، انتقل إلى ما هو دون ذلك من أمور متأسيًا برسوله ﷺ حينما أنفق ثلاث عشرة سنة من عمره في معالجة قضايا العقيدة، وبعض العبادات لينتقل بعد ذلك إلى معالجة ما هو فرع من السلوك العملي فحكمة الداعية وفقهه تقتضي مراعاة الأولويات من جهة، ويراعي عدم ملالة الناس من جهة أخرى"[2].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: بلاغة النبي ﷺ وقصده في إجابة السؤال:

إن النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومنحه الله من الفصاحة والبلاغة في القول ما لا يجاريه فيه أحد ومما يدل على ذلك من الحديث قوله ﷺ: (خمس صلوات في اليوم والليلة - إلى آخر إجاباته ﷺ)، وهذا يدل على بلاغته حيث اقتصر في إجابة السائل على ما يفيده، قال ابن علان: "قال ابن المنير: ولقد أجاب ﷺ بما يقتضيه الحال وبالأهم فالأهم إذ لا يمكن بيان الشريعة دفعة واحدة لا سيما لحديث عهد بالإسلام"[3]، ولا شك أن هذا يعتبر من جوامع الكلم، "ولقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بما أعطاه من مفاتيح الكلام وهي ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت، قال العز بن عبدالسلام: ومن خصائصه ﷺ أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[4].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٢) صفات الدعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٣٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٤٥٩/١.

سادسًا - من آداب الداعية: الاهتمام بالمدعو ومراعاة أحواله:

حيث جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام...)، ورغم هيئة هذا الرجل القادم ومظهره الذي يدل على حاله إلا أن النبي ﷺ اهتم به وأشعره بكرامته، حيث أقبل عليه وأجاب عن سؤاله، "والإنسان مهما كان شأنه ومهما كانت ظروف مهنته يحس بكرامته ويتوق إلى من يشعره بأنه كريم، وبأن له ذاتًا محترمة، ومن ثم فإن صيغة الخطاب الموجه إليه ينبغي أن تشعره بأنه مؤهل للصلاح مستحق للتقدير، ومن إشعارنا له بالكرامة أن يكون لدينا الاستعداد لرؤية كثير من الأشياء من وجهة نظره أو إشعاره على الأقل بأن له وجهة نظر يمكن أن تكون صائبة"[1].

ومما لا شك فيه أن هذا الاهتمام بالمدعو إنما هو حق من حقوقه على الداعية، "إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويرفعه إلى أن يستمع له ويتجاوب معه، وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعي بالمدعو وحبه له وحرصه الشديد على هدايته، وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية وبذلك يصل الداعي إلى هدفه الذي يسعى لتحقيقه"[2].

سابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو بما يقول الداعية، إذ هي صورة من صور التأكيد، وهو أسلوب مستعمل بكثرة في القرآن الكريم "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأنه يقصد به دائمًا الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به بما فيه من مزية في نظر المستمع تجعله لهذه المزية يسلم بالمقسم عليه وهو الدعوة المرجوة، وأسلوب القسم يناسب طبيعة البشر وينطلق من بين فكرهم، والقسم يأتي مكررًا ومعجزًا ومشتملاً على الترغيب

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٦٧.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤١٤.

والترهيب من أجل تحقيق أثره"[١]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[٢]، وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾[٣].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الحرص على العمل بأركان الإسلام وفضل ذلك:

ويتضح هذا من الحديث في قوله: (أفلح إن صدق)، قال المازري: "أما فلاحه بألا ينقص فَبَيِّنٌ، وأما بألا يزيد فكيف يصح هذا؟ وكيف يقره عليه؟ والتمادي على ترك سائر السنن مذموم يوجب الأدب عند بعض أهل العلم، فلعله قال هذا، ولم تسن السنن حينئذٍ أو يكون فهم عنه: أنه لا يغير الفروض التي ذكرها بزيادة ولا نقصان، وأن ذلك مراده بهذا القول"[٤].

وقال النووي: " إذا أفلح بالواجب فلأن يفلح بالواجب والمندوب أولى، فإن قيل: كيف؟ قال: لا أزيد على هذا، وليس في هذا الحديث جميع الواجبات، ولا المنهيات الشرعية، ولا السنن المندوبات، فالجواب أنه جاء في رواية البخاري في آخر هذا الحديث زيادة توضح المقصود، قال: (فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله تعالى علي شيئًا)، فعلى عموم قوله بشرائع الإسلام، وقوله "مما فرض الله عليّ" يزول الإشكال في الفرائض. وأما النوافل فقيل: يحتمل أن هذا كان قبل شرعها، وقيل: يحتمل أنه أراد لا أزيد في الفرض بتغيير صفته كأنه يقول: لا أصلي الظهر خمسًا وهذا تأويل ضعيف، ويحتمل أنه أراد لا يصلي النافلة مع أنه لا يخل بشيء من الفرائض وهذا مفلح بلا شك، وإن كانت مواظبته على ترك السنن مذمومة وترد بها الشهادة إلا أنه ليس بعاص بل هو مفلح ناج والله أعلم"[٥].

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٤) المعلم بفوائد مسلم ٤٧/١.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع؛ فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أنه لا يسن أن يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة وكم من إنسان أدّى الفريضة وفيها خلل وفيها خروق، وفيها خدوش تحتاج إلى تكميل إلى رتق الصدع"[١]، وقد تكرر في القرآن الكريم فضل العمل بأركان الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[٣]، وما من شك في أهمية العبادات في الإسلام وفلاح الإنسان مرتبط بمدى التزامه بها وإقامته لها، "ومع أن المسلم يتعبد إلى الله بكل أعماله فقد فرض الله عليه ضروبًا من العبادات المنتظمة الموقوتة: طهارة هي مجلبة للنشاط والنقاء، وصلاة هي مدرأة للمنكر والفحشاء، وزكاة هي مطهرة للمال وطعمة للمساكين، وصومًا هو مصحة للبدن وجُنّةً من الشياطين وحَجًا وعمرة هما سياحة في سبيل الله ومؤتمر للمسلمين"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٨٢/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ط٣ مكتبة الفلاح، الكويت: دون تاريخ، ص ٢٧.

الحديث رقم (١٢١٠)

١٢١٠ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث مُعاذًا رضي الله عنه إلى اليَمَنِ، فَقَالَ: ((ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَأنِّي رسول اللهِ، فإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَى، افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

افترض: أوجب[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث ﷺ بجملة النصائح الموجهة لرسول رسول الله ﷺ يتصدرها أسلوب الأمر الحقيقي في قوله (فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله) وهو تنقية للعقيدة لما حصل من خلط فيها عندهم، وبناء لها على أساس صحيح بالإيمان بالله، ورسوله، وجملة الشرط التي تكررت بعد كل مرحلة من مراحل التعليم تشير إلى ترتب كل نتيجة على سابقتها كما تشير إلى التدرج في التعليم حتى لا يمل المتعلم، ثُمَّ إن الْحَدِيث لَيْسَ مَسُوقًا لِتَفَاصِيل الشَّرَائِع بَلْ لِكَيْفِيَّةِ الدَّعْوَة إِلَى الشَّرَائِع إِجْمَالًا وَأَمَّا تَفَاصِيلهَا فَذَاكَ أَمْر مُفَوَّض إِلَى مَعْرِفَة مُعَاذ رضي الله عنه فَتَرْك ذِكْر الصَّوْم، وَالْحَجّ لَا يَضُرّ كَمَا لَا يَضُرّ تَفَاصِيل الصَّلَاة، وَالزَّكَاة، والطباق بين الأغنياء، والفقراء (افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ، وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ) يوضح العلاقة التبادلية التي أوجدها الإسلام

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٩/٣٠)، وتقدم برقم ٢٠٨ و١٠٧٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ر ض).

بتعاليمه بين طبقات المجتمع لتحقق الحبة، والتكافل بين الناس، وتنكير كلمة "صدقة" يدل على الترغيب لأنها تعم القليل، الكثير، فإن أعطوه صدقة قليلة، أو كثيرة قبلها وردها على فقراء أهل اليمن ليتحقق التضامن الاجتماعي بين الأغنياء بين الفقراء و يشعرون جميعا بروح الدين الجديد السامية في تعاليمها، الشاملة في رعايتها.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم دفع الزكاة إلى الكافر والغني: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة)، إلى أن الزكاة لا تدفع إلى كافر[١]، ولا تدفع أيضًا إلى غني من نصيب الفقراء[٢].

واستدلوا على عدم جواز دفعها للغني بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣]، حيث جعل الله الصدقات للأصناف المذكورين بحرف اللام، وأنه للاختصاص فيقتضي اختصاصهم باستحقاقها فلو جاز صرفها إلى لبطل الاختصاص[٤].

واستدلوا على عدم جواز دفعها إلى الكافر بحديث الباب حيث أمر النبي ﷺ بوضع الزكاة في فقراء من يؤخذ من أغنيائهم وهم المسلمون فلا يجوز وضعها في

---

(١) بل لقد نقل ابن المنذر إجماع الفقهاء على ذلك، يراجع الإجماع، ابن المنذر ٤٦/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٣/٢، ٤٩، حاشية الدسوقي ٤٩٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٣٩٣/١، مطالب أولي النهى ١٣٣/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٧/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٤/٢.

غيرهم [١].

وذهب الإمام زفر من الحنفية إلى جواز دفعها إلى الكافر، واستدل على ذلك بأن المقصود إغناء الفقير المحتاج على طريق التقرب وقد حصل [٢].

٢ - حكم نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر، والحنابلة) إلى كراهة نقل الزكاة من البلد الذي وجبت فيه إلى غيره[٣].

واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ: (صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، ولأن فيه رعاية حق الجوار فكان أولى، ولامتداد أطماع أصناف كل بلد إلى زكاة ما فيه من المال والنقل يوحشهم [٤].

وذهب الشافعية في مقابل الأظهر إلى جواز ذلك[٥]، مستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾[٦].

والراجح: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأن الحديث خصص عموم الآية.

٣ - حكم من وجبت عليه الزكاة فامتنع عن دفعها: إذا امتنع من وجبت عليه الزكاة من دفعها أخذها الإمام قهرًا بغير اختياره وهذا الحكم لا خلاف عليه [٧].

لكن اختلف الفقهاء في هل تبرأ ذمته ويجزيه ذلك في الباطن أم لا؟

ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأصح) إلى براءة ذمته

---

(١) المرجع السابق ٢/٤٩.

(٢) المبسوط ٢/٢٠٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١/٣٠٤، حاشية رد المختار ٢/٣٥٣، مواهب الجليل ٢/٣٥٨، حاشية الصاوي ١/٦٦٧، مغني المحتاج ٤/١٩١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/٤٠٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٢٦٣.

(٤) حاشية رد المحتار ٢/٣٥٤، مغني المحتاج ٤/٢٩١.

(٥) مغني المحتاج ٤/١٩١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١/٤٠٤.

(٦) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ١/٢٠٠، نيل الأوطار ٤/١١٥.

ويجزيه ذلك ظاهرًا وباطنًا واستدلوا على ذلك بأن للإمام ولاية أخذ الصدقات فقام مقامه في النية[١].

وذهب الشافعية في مقابل الأصح، والحنابلة إلى براءة ذمته ظاهرًا ولا يجزيه ذلك باطنًا لعدم النية[٢].

٤ - حكم دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، وبعض الشافعية، والحنابلة) إلى جواز دفع الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية [٣] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤]، بعد قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾[٥]، وقد تناول جنس الصدقات وبين أن إيتاءها إلى الفقراء لا غير خير[٦].

وذهب الشافعية في ظاهر المذهب إلى عدم جواز دفعها لصنف واحد ووجوب استيعاب الأصناف الثمانية[٧]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾[٨]، حيث أضاف تعالى جميع الصدقات إليهم، فاللام للتمليك، وأشرك بينهم بواو التشريك فدل على أن ذلك مملوكًا لهم فيشترك بينهم[٩].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٢٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، مغني المحتاج ١٣٢/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٣٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦١/٢.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١، حاشية الصاوي ٦٦٤/١ - ٦٦٥، مغني المحتاج ١٨٩/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٧/٢، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣٤٩/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٩٩/١.

(٧) ومحل وجوب الاستيعاب إذا لم يقل المال، فإن قل بأن كان قدرا لو وزعه عليهم لم يسد لم يلزمه الاستيعاب للضرورة بل يقدم الأحوج فالأحوج، يراجع مغني المحتاج ١٨٩/٤ - ١٩٠.

(٨) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٩) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١.

ويناقش هذا بأن اللام قد تكون للعاقبة، وقد تكون للاختصاص وهو أصلها واستعمالها في الملك لما فيه من الاختصاص، وجعلها للتمليك غير ممكن هنا لأنهم غير مُعيّنين ولا يعرف غيرُ معين في الشرع[١].

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء لقولة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٥ - حكم زكاة مال من عليه دين يستغرقه أو ينقصه عن النصاب: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، وبعض المالكية، وقول للشافعية، والحنابلة) إلى عدم وجوب الزكاة عليه وسقوطها عنه[٢] واستدلوا على ذلك بما رواه أبو عبيد في الأموال عن السائب بن يزيد قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: (هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم) وفي لفظ: (من كان عليه دين فليقض دينه وليُزَكّ بقية دينه)، وقد قاله بمحضر من الصحابة فدل ذلك على اتفاقهم عليه حيث لم ينكره عليه[٣].

ولأنه مشغول بحاجته الأصلية فاعتبر معدومًا كالماء المستحق بالعطش لنفسه أو دابته وثياب البذلة والمهنة[٤].

وذهب المالكية في المشهور، والشافعية في قول إلى أن الدين يمنع وجوب الزكاة في الأموال الباطنة كالذهب والفضة وعروض التجارة.

ولا يمنع الزكاة في الأموال الظاهرة كالزروع والثمار والمواشي والمعادن[٥]، واستدلوا على ذلك بأن الأموال الظاهرة نامية بنفسها، ولتعلق الزكاة بعينها.

وذهب الشافعية في قول ثالث وهو الأصح نص عليه الشافعي في الجديد إلى وجوب الزكاة عليه[٦] واستدلوا على ذلك بأن الزكاة تتعلق بالعَيْن، والدَيْن يتعلق بالذمة، فلا

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٩٩/١ - ٣٠٠.

(٢) العناية شرح الهداية ١٦٠/٢، حاشية الصاوي ٦٤٧/١، المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥، مطالب أولي النهى ١٧/٢.

(٣) مطالب أولي النهى ١٧/٢.

(٤) العناية شرح الهداية ١٦٠/٢.

(٥) حاشية الصاوي ٦٤٧/١، المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

(٦) المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

يمنع أحدهما الآخر كأرش الجناية[1].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بعدم وجوب الزكاة عليه، لأن حاجة المدين كحاجة الفقير أو أشد، وليس من الحكمة تعطيلُ حاجة النفس لدفع حاجة الغير[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثالثًا: من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحول المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين.

سادسًا: من أصناف المدعوين: غير المسلمين.

سابعًا: من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية.

أولاً - من تاريخ الدعوة: بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن:

إن النبي ﷺ في سبيل نشر الإسلام وتبليغ الدعوة كان يرسل مبعوثيه وسفرائه إلى الأماكن والبلدان المجاورة، ومن ذلك بعثه ﷺ معاذًا إلى اليمن، حيث جاء في الحديث: (إن النبي ﷺ بعث معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن) ولا شك أن هذا يمثل جزءًا هامًا من تاريخ الدعوة الإسلامية حيث كان بعث معاذ رضي الله عنه في السنة العاشرة من الهجرة النبوية وعُرف ذلك ببعث النبي ﷺ الأمراء إلى أهل اليمن قبل حجة الوداع يدعونهم إلى الله عز وجل، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده أن معاذًا رضي الله عنه لما بعثه النبي ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: ((يا معاذُ إنَّكَ عَسَى أَنْ لا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذا، فَتَمُرَّ بِقَبْرِي ومَسْجِدِي)) فبَكَى مُعاذُ جَشَعًا

---

(١) المجموع شرح المهذب ٣١٧/٥.

(٢) مطالب أولي النهي ١٨/٢ بتصرف.

لِفِرَاقِ رسولِ الله ﷺ، فقال: ((لا تَبْكِ. يا معاذُ. فإنَّ البُكاءَ مِنَ الشَّيْطانِ))[١].

قال ابن كثير: "وهذا الحديث فيه إشارة وظهور وإيماء إلى أن معاذًا رضي الله عنه لن يجتمع بالنبي ﷺ بعد ذلك، وكذلك وقع فإنه أقام باليمن حتى كان حجة الوداع ثم كانت وفاته عليه الصلاة والسلام بعد أحد وثمانين يومًا من يوم الحج الأكبر"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن)، ولا شك أن في اختيار معاذ رضي الله عنه لإرساله إلى اليمن دليل على فضله ومكانته عند رسول الله ﷺ، قال ابن حجر: "هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال أبو إدريس الخولاني: كان معاذ رضي الله عنه أبيضًا وضئ الوجه براق الثنايا أكحل العينين، وقال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه. قال عمر: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر. قال الواقدي: كان من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها. وقال أبو نعيم في الحلية: إمام الفقهاء وكنز العلماء شهد العقبة وبدرًا والمشاهد وكان من أفضل شباب الأنصار حلمًا وحياء وسخاء وكان جميلاً وسيما"[٣].

قال ابن عبدالبر: "ومعاذ رضي الله عنه هو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود رضي الله عنه شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن، ولقد كان معاذ رضي الله عنه معلمًا للخير مطيعًا لله ورسوله"[٤].

قال الذهبي: "استشهد معاذ رضي الله عنه في طاعون عمواس الذي أصاب الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان يقول: اللهم اجعل نصيب آل معاذ الأوفر، فماتت ابنتاه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٥/٥، حديث رقم ٢٢٠٥٤، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٧٨/٣٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣٨٢/٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٥٢.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٦٥٠.

فدفنهما في قبر واحد، وطعن ابنه عبدالرحمن فقال: يعني لابنه لما سأله: كيف تجدك؟ قال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، قال: وطعن معاذ في كفه فجعل يقلبها ويقول: هي أحب إليّ من حُمر النَّعَم، فإذا سرى عنه قال: رب! غُمَّ غَمَّك فإنك تعلم أني أحبك، وكان استشهاده رضي الله عنه سنة سبع أو ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وقيل غير ذلك"[2].

ثالثًا - من خصائص الدعوة: التدرج في عرض القضايا الدعوية:

يتضح هذا من الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...)، وهذا يبين التدرج في عرض قضايا الدعوة الذي يعتبر من خصائص الدعوة الإسلامية، قال النووي مبينًا أهمية التدرج والترتيب في الدعوة والمهمات: "وفي الحديث من السنة أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال، وفيه أنه لا يحكم بإسلامه إلا بالنطق بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنة، وفيه أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة، وفيه أن الزكاة لا تدفع إلى كافر، ولقد رتب ﷺ الدعاء إلى الإسلام وبدأ بالأهم فالأهم"[3].

ومما لا شك فيه أن هذا يبرز أهمية التدرج في الدعوة، "ويجب أن يعلم كل داعية أهمية التدرج في الدعوة والبدء بأهم الأمور إلى المهم، وأن يفقه الداعية هذا الأمر الهام، وذلك لأن أعظم ما يكون في البيت أساسه، وأهم ما تستند عليه الشجرة جذرها وأصلها، فإذا كان الأساس صحيحًا قويًا صلبًا كان ما فوقه صحيحًا قويًا، وإن كان الأساس هشًا ضعيفًا فلا يستبعد أن يسقط المنزل أو تعصف بالشجرة الرياح"[4].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٤٥٨/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٧.

(٤) منهج الدعوة إلى الله على ضوء وصية النبي ﷺ لمبعوثه إلى اليمن معاذ بن جبل رضي الله عنه، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٣٠.

رابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

إن الداعية الناجح هو الذي يراعي في تبليغ دعوته أحوال المدعوين وظروفهم، ومما يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث: (فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم)، وهذا بلا شك يرسخ أن من فقه الداعية مراعاة أحوال المدعوين وذلك لاختلاف الناس، واختلاف أفهامهم وبيئاتهم، "إن الناس يختلف بعضهم عن بعض في علمهم وفهمهم وطبائعهم الشخصية وعوائدهم الاجتماعية وكل ذلك يحتاج الداعية إلى مراعاته فمن الناس الراغب في الخير ولكنه غافل عنه ومنهم المعرض عن الحق المشتغل بغيره ومنهم من له شبهة قد حالت بينه وبين فهم الحق والانقياد له وكل واحد من هؤلاء له مدخل إلى نفسه وخطاب يتناسب مع عقله، وأسلوب يؤثر في سلوكه ومراعاة ذلك لها أثرها الذي لا ينكر في نجاح الداعية"[1].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التركيز على العقيدة في دعوة غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)، ففي هذا الحديث جاء التركيز على العقيدة أولاً وتقرير التوحيد ومن ثم "فلقد كان التوحيد هو المعركة الكبرى التي خاض القرآن غمارها لإزالة الشرك والوثنية من نفوس الناس، وتعليمهم كيف يعبدون إلهًا واحدًا لا شريك له، له ملك السموات والأرض وبيده مقاليد كل شيء، ومنهج القرآن في ذلك هو الرجوع إلى فطرة الإنسان واستثارتها، والتساؤل معها عن مظاهر الخلق والتدبير والملك فخاطب الفطرة وفتح أمام العقل منافذها، وطاف بالنفس البشرية في ملكوت السماوات والأرض، وسعى القرآن إلى تقرير أن الفطرة عند تذكيرها لا تملك إلا الاعتراف بالربوبية لله سبحانه، وما دامت قد اعترفت بالله ربًا، فما الذي يمنعها أن توحده في ذاته وصفاته وتفرد له العبادة وحده"[2].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بادحدح ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان ص ٨٢.

ولا شك في أن العقيدة تقف على رأس أهم الأمور في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. والتوحيد هو أساس دعوة الرسل، وما من نبي ولا رسول إلا دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ونبذ الشركاء عنه ولذا: "فشهادة التوحيد هي أول ما يدعى بها أهل الكتاب والملل الأخرى، بل والناس أجمعون إلى الإسلام، وهي أصل الإسلام وقاعدة الإيمان ولب الإخلاص، والعلامة الفارقة بين المسلم وغيره، فمن قالها وآمن بها واعتقدها فقد أسلم لله تعالى، ودخل في دينه، وعصم دمه وماله وعرضه، وحياته كلها ولذلك فهي أول ما يبدأ به الداعية دعوته، ويركز عليه في مسيرته، ويوليه جل عنايته وأهميته ورعايته ذلك أن التوحيد هو أساس الدين وأصل العقيدة"(١).

سادسًا - من أصناف المدعوين: غير المسلمين:

حيث جاء في الحديث: (بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن)، وقد فسر ذلك في رواية أخرى في الصحيحين أيضًا: (إنك ستأتي قومًا أهل كتاب)، وهذا يبين أن من أصناف المدعوين، غير المسلمين وهذا تطبيق عملي لعالمية الدعوة الإسلامية وشمولها، وأنها عامة وليس خاصة، "ومن الأساليب التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب الدعوة إلى كلمة عادلة مستقيمة، يقف أمامها الجميع على مستوى واحد لا يعلو بعضهم على بعض ولا يتعبد بعضهم بعضًا، فكلهم أمام خالقهم سواء ليس هناك فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح"(٢).

قال ابن حجر: "وقد استجمع النبي ﷺ همة معاذ رضي الله عنه بقوله: (ستأتي قومًا أهل كتاب)، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان وليس فيه أن جميع من يَقْدُمُ عليهم من أهل الكتاب بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم، وكان أول ما يدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله"(٣).

---

(١) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١١٦ - ١١٧.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤١٩.

وفي العصر الحديث ينبغي على الدعاة إلى الله الاهتمام بتوجيه الخطاب الدعوي إلى غير المسلمين، وإذا كان في هذا الحديث جاءت الدعوة إلى غير المسلمين فإن القرآن الكريم في كثير من آياته دعا غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام، ووجه الخطاب إليهم فاتحًا الآفاق أمام فطرتهم لترى نور الإسلام.

"إن من معالم الخطاب القرآني لغير المسلمين أنه ركز على الفطرة السليمة التي خلقها الله صافية، لتهتدي إلى معرفة الخالق سبحانه، والتوجه له بالعبادة وحده، كما ركز الخطاب القرآني لغير المسلمين على الأمور المحسوسة الموجودة في هذا الكون، من أرض وسماء وبحار وأنهار ونبات وحيوان وإنسان وغير ذلك من مخلوقات الله للتأمل والنظر إليها والاعتبار بخلقها، كما وجه الخطاب القرآني لغير المسلمين دعوته العقول إلى التفكير والتدبر في الآيات الكونية، والآيات الإنسانية ونبذ التقليد، وإعمال العقل للتأمل في هذا الكون.

أما من ناحية الأسلوب فقد كان خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين قائمًا على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والترغيب والترهيب، واحترام الآخرين، واللين والرفق وغير ذلك مما يبعث على الهداية والاستجابة وعدم النفور.

أما من ناحية الوسائل التي استعملها الخطاب القرآني فمن أهمها القصة القرآنية، والأمثال والقسم وغير ذلك، مما كان له أثر واضح بالنسبة لخطاب القرآن الكريم لغير المسلمين في سهولته ووضوحه ومراعاته لأولوية موضوعات الخطاب، ومراعاته لأحوال المدعوين، ومعتقداتهم، وتاريخهم، وعدم تجريحهم، وعدم استثارة حساسيتهم، والتركيز على الأمور المشتركة وغير ذلك، مما جعل خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين الأصل الذي ينبغي أن يتبع ويُتوخّى في هذا المجال، والمعيار الذي يجب أن نعاير على أساسه الخطاب الدعوي المعاصر لغير المسلمين"[1].

سابعًا - من أهداف الدعوة: ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المدعوين وبيان الأمور الشرعية:

حيث جاء في الحديث: (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محي الدين عفيفي أحمد ص ١١١ - ١١٢ بتصرف.

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة)، وهذا يبين أهمية ترسيخ العقيدة الصحيحة أولاً ثم بيان الأمور الشرعية ثانيًا، "والدعوة إلى التوحيد هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام لذا كان كل واحد منهم يستفتح دعوته بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[1]، إن ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الناس يعد من أهم الركائز التي يجب أن تقوم عليها الدعوة، ولا أدلّ على ذلك من تلك الفترة المكية من عمر الدعوة الإسلامية، التي ركّز القرآن الكريم فيها على ترسيخ العقيدة، والتي استغرقت زهاء ثلاثة عشر عامًا مما يؤكد أهمية هذا الأمر العظيم.

قال ابن حجر: "ووقعت البداءة بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما في الإسلام إلا بهما فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين، ومن كان موحدًا فالمطالبة بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول ببنوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم، ثم كانت دعوتهم إلى الأمور الشرعية من صلاة وزكاة وقد قدمت إحداهما على الأخرى في هذا الحديث ورتبت الأخرى عليها بالفاء، ولا يلزم من عدم الإتيان بالصلاة إسقاط الزكاة وقد بدأ ﷺ بالأهم فالأهم وذلك من التلطف في الخطاب لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة"[2].

وقال د. صالح الفوزان: "وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة والأمر به والجواب عن الشبه الموجهة إليه، وكل سورة في القرآن، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد، لأن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبية، وإما دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه وهذا هو توحيد الألوهية، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التوحيد، وإما أحكام وتشريع وهذا من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٤٢٠ - ٤٢١.

حقوق التوحيد فإن التشريع حق لله وحده، وهذا التوحيد بجميع أنواعه تضمنته كلمة واحدة هي: (لا إله إلا الله)، فإنها تتضمن نفيًا وإثباتًا. نفي الإلهية الحقة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله وحده كما تتضمن ولاء وبراء، ولاء لله وبراء مما سواه، ودين التوحيد قائم على هذين الأساسين"[1].

(١) محاضرات في العقيدة والدعوة ص ١٥.

الحديث رقم (١٢١١)

١٢١١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِني دِمَاءهُمْ وَأمْوَالَهُمْ، إلاَّ بِحَقِّ الإسْلاَمِ، وَحِسَابُهُم عَلَى الله)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

عصموا: منعوا وحَموا[2].

الشرح الأدبي

بناء الفعل لما لم يسم فاعله لتمام العلم به، وفيه تنبيه على أن هذه الأوامر ليست من عنده، وإنما فرضت عليه من عند الله، وقوله: (أن أقاتل الناس) أي بقتال الناس، وقد عبر بأن المصدرية، والفعل المضارع دون المصدر الصريح، لأن المصدر حدث ليس محدد الزمن، ويفيد الدوام، وهولا يريد الدوام، ولا يقاتل إلا لضرورة في ظروف محددة، والفعل المضارع أدل على هذا المعنى، لأنه يفيد التجدد، و(ال) في قوله: (الناس) للجنس، وفيها دلالة على عموم رسالته ؛لأنه لم يحدد طائفة معينة كاليهود، أو النصارى، أو غيرهم بل كل من تصدَّى للدعوة مأمور بقتاله، وقوله (حتى يشهدوا) لبيان الغاية، وأنه لا يقاتل الناس طلباً لجاه، أو سلطان، وإنما ليُعبِّدهم لربهم فيوحدوه، ويؤمنوا بأنه رسول الله حتى يرتب على هذا الإيمان عملهم بالشرع الذي أرسل به، وقد قدم الشهادة بالله، لأنها مدخل الدين، فإذا آمنوا به آمنوا برسوله، فإذا آمنوا برسوله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢/٣٦) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٣٩٠)، و (١٠٧٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م).

عملواْ بما جاء به، وقدم إقامة الصلاة للاهتمام، وتلاها الزكاة لحاجة المسلمين يومئذ للأموال التي تستكمل بها عدة القتال، وتستمر الدعوة، وأسلوب الشرط في نهاية الحديث يقرر نقاء العقيدة، ونبل المقصد؛ لأنهم إن آمنوا أمنوا على أرواحهم، وأموالهم إلا بالحق، وقوله (عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) كناية عن عدم القتل، والتعبير بالكناية يصور مشهد الدماء، وتطاير الأشلاء فيسارع إلى حفظها بالإسلام، وقولهم (وحسابهم على الله) تتميم بلاغي أفاد نكتة دقيقة، وهي أنه لا يعلم ما في القلوب، وأنه يعصمهم بظاهر الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم قتال ما نعي الزكاة، وفيه الجواز وقيل: الوجوب لأن أبا بكر رضي الله عنه قاتلهم[١].

٢ - حكم قتال أهل البغي: اتفق الفقهاء على وجوب قتال أهل البغي[٢]، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[٣]، فالآية عامة أو تقتضيه، لأنه إذا طلب القتال لبغي طائفة على طائفة فللبغي على الإمام أولى[٤].

٣ - حكم مراجعة الحاكم في أمر يهم المسلمين: في الحديث دليل جواز مراجعة الحكام والأكابر ومناظرتهم لإظهار الحق في أمر يهم المسلمين[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) أحكام القرآن، الجصاص ١٢٣/٣، حاشية الدسوقي ٥٠٣/١، المجموع شرح المهذب ٣٠٦/٥، المغني ٢٢٩/٢، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٤٠/٧، حاشية الصاوي ٤٢٨/٤، مغني المحتاج ٣٩٩/٥، مطالب أولي النهى ٢٦٢/٦، شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٤) مغني المحتاج ٣٩٩/٥.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٢/١.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٩٠).

الحديث رقم (١٢١٢)

١٢١٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ -وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه- وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقال عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولوا لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله)) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ. وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤدُّونَهُ إلَى رسولِ الله ﷺ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ الحَقُّ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقالاً: الحبل الذي يعقل به البعير[2].

رأيت الله: معنى رأيت: علمت وأيقنت[3].

قد شرح صدر أبي بكر للقتال: ومعنى شرح فتح ووسع وليَّن، ومعناه: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك[4].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى صورة ناصعة في جبين الزمان لمراجعة الحاكم في قراره للوقوف على الصواب في قول عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه (كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ.. ؟) وهو استفهام إنكار، وتعجب لظنه أن أبا بكر خالف أمر رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠/٣٢) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠١.

(٣) المرجع السابق ١٠١.

(٤) المرجع السابق ١٠١.

كما يدل الحديث على قيمة الحوار الهادف البناء المبني على الإقناع بالحجة بدا ذلك في قول أبى بكر رضي الله عنه : " والله لأ قاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة) ثم ذكره للعلة التي بنى عليها الحكم ليحقق الإقناع لأهل الشورى الذي يراجعونه في أمور الأمة دون تسلط، ولا مصادرة لرأي قال: (فإن الزكاة حق المال) وهو دليل عل حسن الفهم من أبي بكر رضي الله عنه ؛ لأن مانعي الزكاة يردون على الله تعالى بعض أركان الدين، وكأنها لا تروق لهم وهم – بذلك يؤمنون ببعض الكتاب – ويتركون بعضة، وهذه جريمة كبرى تفتح بابا مهلكا لضعاف النفوس لكي يترك كل منهم ما لا يوافق هواه، ومصالحه من الشرائع، ولا يلبثون أن يخرجوا من دينهم كليا، واللام ونون التوكيد فى الفعل المضارع: " لا قاتلن " يدلان على العزيمة الصارمة، وقوة العقيدة في شخصية " أبى بكر " التي حمى الله بها الإسلام في هذه المرحلة الخطرة في تاريخ الأمة كما توحي هذه العبارة بالاستمرارية من جهة خليفة المسلمين حتى يتحقق الأمن وتترسخ قواعد الإسلام بعد زعزعتها في نفوس البعض بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صعَّد أبو بكر رضي الله عنه هذا الإحساس في نفوس المترددين، بتأكيد التصدي لهؤلاء باليمين ثم بالفرض الدال على المبالغة في تحقيق الأمر في قوله: (وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ) ولذا أقسم (عمر) رضي الله عنه قائلاً: " فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال، وحبه لهذا الدين فعرفت أنه الحق) وهو ما يوحي بخضوعهم لنظرة الحاكم الثاقبة بعد وضوح الصورة ثم إنه يشير إلى تقدير عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه كما يشير إلى الروح السائدة في هذا الجيل الراشد التي تشع حرصا على هذا الدين. والله أعلم

فقه الحديث

قال النووي: (١ – فيه جواز مراجعة الأئمة والأكابر ومناظرتهم؛ لإظهار الحق. ودليله قول عمر لأبي بكر رضي الله عنهما : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟".

٢ - وفيه أن الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسول الله ﷺ. وقد جمع ذلك بقوله ﷺ: ((أمرت أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به))[1].

٣ - وفيه وجوب الجهاد.

٤ - وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف.

٥ - وفيه أن الأحكام تجري على الظاهر والله تعالى يتولّى السرائر.

٦ - وفيه جواز الحلف وإن كان في غير مجلس الحاكم، وأنه ليس مكروهًا إذا كان لحاجة من تفخيم أمر ونحوه، ودليله قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة".

٧ - وفيه جواز القياس والعمل به.

٨ - وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيرًا؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه "لو منعوني عِقَالاً أو عَنَاقًا".

٩ - وفيه جواز التمسك بالعموم لقوله رضي الله عنه: "فإن الزكاة حق المال".

١٠ - وفيه وجوب قتال أهل البغي.

١١ - وفيه وجوب الزكاة في السخال[2] تبعًا لأمهاتها.

١٢ - وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل وردّها إلى الأصول ومناظرة أهل العلم فيها ورجوع من ظهر له الحق إلى قول صاحبه.

١٣ - وفيه ترك تخطئة المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم بعضًا.

١٤ - وفيه أن الإجماع لا ينعقد إذا خالف من أهل الحَلّ والعقد واحد. وهذا هو الصحيح المشهور. وخالف فيه بعض أصحاب الأصول.

١٥ - وفيه قبول توبة الزنديق وهو الذي ينكر الشرع جملة. وقد ذهب مالك إلى أن

---

(١) أخرجه صحيح مسلم ٢١، ٣٤.

(٢) السَّخلة: الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد، والجمع سخل وسِخال وسُخلان. الوسيط ٤٢٢، ومعجم لغة الفقهاء ٢١٦.

توبة الزنديق لا تقبل. وقد اختلف أصحابنا [الشافعية] في قبول توبة الزنديق، فذكروا فيه خمسة أوجه، أصحها والأصوب منها قبولها مطلقًا للأحاديث الصحيحة المطلقة)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر رضي الله عنه في قتال المرتدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق.

سادسًا: من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام.

أولاً: من تاريخ الدعوة: وفاة رسول الله ﷺ

حيث جاء في الحديث: (لما توفي رسول الله ﷺ)، ومما لا شك فيه أن وفاة النبي ﷺ حدث هام في تاريخ الدعوة الإسلامية، قال ابن كثير: "استهلت سنة إحدى عشرة من الهجرة وقد استقر الركاب الشريف النبوي بالمدينة المنورة مرجعه من حجة الوداع، وقد وقعت في هذه السنة أمور عظام من أعظمها خَطْبًا وفاة رسول الله ﷺ، ولكنه عليه الصلاة والسلام نقله الله عز وجل من هذه الدار الفانية إلى النعيم الأبدي في محلة عالية رفيعة، ودرجة في الجنة لا أعلى منها ولا أسنى، وذلك بعدما أكمل أداء الرسالة التي أمره الله تعالى بإبلاغها ونصح أمته ودلّ على خير ما يعلمه لهم وحذرهم ونهاهم عما فيه مضرة عليهم في دنياهم وأخراهم"[2].

وقال الشيخ محمد الخضري: "ولم تأت ضحوة يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة حتى فارق رسول الله ﷺ دنياه ولحق بمولاه، وكان أبو

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١/١/١٨٤-١٨٩ بتصرف يسير، ، وانظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٢/٢٢٦-٢٣٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/٥.

بكر ﷺ غائبًا بالسُنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج، فسل عمر سيفه وتوعد من يقول: مات رسول الله حتى أقبل أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ فجثا يقبله ويبكي، وخرج على الناس يقول: (ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، وتلا قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[1]، قال عمر: والله لكأني لم أتل هذه الآية قط. وتوفي رسول الله ﷺ وترك للمسلمين ما إن اتبعوه لم يضرهم شيء: كتاب الله وسنته"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: قوة وعزيمة أبي بكر ﷺ في قتال المرتدين:

يتبين هذا من الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه)، قال القاضي عياض: "وكان أهل الردة ثلاثة أصناف: صنف كفر بعد إسلامه ولم يلتزم شيئًا وعاد لجاهليته أو اتبع مسيلمة الكذاب أو العنسي وصدّق بهما، وصنف أقر بالإسلام إلا بالزكاة، فجحدها وأقر بالإيمان والصلاة، وتأول بعضهم أن ذلك كان خاصًا للنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وصنف اعترف بوجوبها ولكن امتنع من دفعها إلى أبي بكر ﷺ وقال: إنما كان قبضها للنبي ﷺ خاصة لا لغيره ممن يقوم مقامه بعده، وفرقوا صدقاتهم بأيديهم فرأى أبو بكر والصحابة ﷺ قتال جميعهم، الصنفان الأولان لكفرهم والثالث لامتناعه بزكاته، شَمِل جميَعهم اسمُ الردة، إذ كانوا الأكثر حتى لم يكن يصلي لله إلا في المدينة ومكة وسمجد عبدالقيس بالبحرين"[4]، وقال النووي: "وفي هذا الحديث دليل

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٦٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٣/١ - ٢٤٤.

على شجاعة أبي بكر رضي الله عنه وتقدمه في العلم على غيره، فإنه ثبت للقتال في هذا الموطن العظيم الذي هو أكبر نعمة أنعم الله تعالى بها على المسلمين بعد رسول الله ﷺ، واستنبط رضي الله عنه من العلم بدقيق نظره ورصانة فكره ما لم يشاركه في الابتداء به غيره، فلهذا وغيره مما أكرمه الله تعالى به أجمع أهل الحق على أنه أفضل أمة رسول الله ﷺ"(١).

وقال ابن عبدالبر: " ومكث أبو بكر رضي الله عنه في خلافته سنتين وثلاثة أشهر إلاّ خمس ليالٍ، ولقد قام بقتال أهل الردة وظهر من فضل رأيه في ذلك، وشدّته مع لينه ما لم يحتسب، فأظهر الله به دينه، وقتل على يديه، ببركته كل من ارتد عن دين الله، حتى ظهر أمر الله وهم كارهون"(٢).

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الحوار:

حيث جاء في الحديث فقال عمر رضي الله عنه: (كيف تقاتل الناس...)، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث ترك تخطئة المتناظرين المجتهدين المختلفين في الفروع بعضهم لبعض، أو إنكار بعضهم لبعض ذلك، إذ كل واحد منهم مجتهد، فإن عمر لم يُخَطِّئ أولاً أبا بكر، وإنما احتج عليه، ثم إن أبا بكر لم يُخَطِّئ عمر ولا أنكر خلافه إذ خالفه، لكنه احتج عليه حتى بان له الحق ورجع إلى قوله. وفيه الحجة لمن ذهب أن فعل الإمام إذا لم يُعرف له مخالف إجماع، لشهرة فعله، وأنهم كانوا ممن لا يُقرون على باطل، ويقومون بما عندهم من حق، ولا يكتمون ما عندهم من علم، ولا يداهنون في دين الله، فإذا ظهر فعل إمام بحضرتهم، ولم يُسمع من أحد منهم له نكير، دلّ على موافقتهم له، وإجماعهم على صواب فعله"(٣).

وأسلوب الحوار من أساليب الدعوة الهامة وبه يصل الطرفان إلى نتيجة، ويقلب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٣٧٩.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٧/١.

الرأي على جميع وجوهه المحتملة، ومن هنا وجب على الداعية الناجح أن يجعل من أسلوب الحوار طريقًا موصلاً لتبليغ دعوته إلى المدعوين، وتعريفهم بحقائق الإسلام ومن أبرز محاورات القرآن الكريم ما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[1].

"والحوار في القرآن قد يتكرر، وقد يتخيل البعض أن هذا تشابه ولكن هذا التكرار المتنوع فيه فائدة عظيمة ألا وهي زيادة الإقناع، وغاية كل حوار قرآني هداية الناس، والحرص على إصلاحهم، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق ولا يتجه الحوار القرآني إلى مجرد الإفحام والإلزام"[2]، ومن هذا يتضح أهمية الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة.

رابعًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن...)، و(والله لو منعوني عقالاً)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعوين، "وأسلوب القسم موعظة حسنة لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة بواسطة المقسم به، يقول الرازي: من الناس من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم، وذلك كالعربي الذي جاء إلى الرسول ﷺ وسأله عن نبوته ورسالته واكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم"[3]، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة طه، الآيات: ٤٩ - ٥٢.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغامسي ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي صالح المرشد ص ١٦٣.

(٤) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٥) سورة سبأ، الآية: ٣.

خامسًا - من آداب الداعية: الرجوع إلى الحق:

يتضح هذا من قول عمر رضي الله عنه: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث من الفقه اجتهاد الأئمة في النوازل، وردها إلى الأصول والمناظرة فيها، ورجوع من ظهر له الحق وتركه رأيه الأول كما فعل عمر وغيره.."[1]، وقال النووي: "والمعنى: علمت بأنه جازم بالقتال لما ألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه من الطمأنينة لذلك واستصوابه ذلك، ومعنى قوله: عرفت أنه الحق، أي: بما أظهر من الدليل وأقامه من الحجة فعرفت بذلك أن ما ذهب إليه هو الحق لا أن عمر رضي الله عنه قلد أبا بكر رضي الله عنه فإن المجتهد يقلد المجتهد"[2]، وقال القرطبي: "وبَاحَثَ عمر أبا بكر حتى ظهر له الحق الذي كان ظاهرًا لأبي بكر فوافقه على ذلك، ولذلك قال: (فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر رضي الله عنه للقتال، فعرفت أنه الحق)، أي: ظهر له من الدليل، وحصل له من ثلج الصدر وانشراحه لذلك مثل الذي حصل لأبي بكر؛ لأنه قلّده واتبعه بعد ظهور الدليل، لأن التقليد لا ينشرح به الصدر، ولا يعرف به الحق؛ ولأنه لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهدًا عند تمكنه من الاجتهاد ويستفاد من فعل عمر رضي الله عنه وحكمه أن الإمام المجتهد العدل إذا أمر بأمر، أو حكم بحُكم وجبت موافقته على الجميع، وإن كان فيهم من يرى خلاف رأيه بل يجب عليه ترك العمل والفتيا بما عنده"[3]، ومن هذا يتبين أن من آداب الداعية الرجوع إلى الحق إذا ظهر له فيما بعد.

سادسًا - من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بأركان الإسلام:

حيث جاء في الحديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال)، ولا شك أن من أهم أهداف الدعوة الالتزام بأركان الإسلام ذلك أن الله تعالى خلق العباد والخلق لعبادته سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٤٦/١ - ٢٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٨٥/١ - ١٨٦.

لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، ولذا "فالعبادة والدعوة إليها من الأمور الهامة، والتي يجب أن يتنبه لها الداعية في دعوته، إذ هي المقصد من الخلق، والحكمة من إيجادهم، ولا شك أن للعبادة أنواعًا كثيرة وأعظمها وأهمها بعد الشهادتين: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومن هنا كانت وصية النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه بالدعوة إلى عبادة الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وسائر العبادات الأخرى"[٢].

ولقد جعل الرسول ﷺ هذه العبادات أركان الإسلام، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لا إِلهَ إلاّ اللّهُ، وَأَنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، وَإِقامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ))[٣].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

الحديث رقم (١٢١٣)

١٢١٣ - وعن أَبي أيُّوب رضي الله عنه: أنّ رَجُلاً قَالَ للنبيِّ ﷺ: أخْبِرْنِي بعمل يُدْخِلُنِي الجنَّة[1]، ... قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ، لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

وأمر الرسول ﷺ (تعبد، وتقيم وتؤتي وتصل) جاء في صورة الخبر وذلك ليوافق أسلوبه قول الأعرابي (أخبرني) فجاء أمره في صورة الخبر هذا من ناحية ومن ناحية أخرى رعاية لنفسية الأعرابي الذي يأنف أن يأمر، أو ينهى، وهو الذي يحيا في صحرائه بلا قيود، أو أوامر أو قوانين فأسلوب النبي بذلك راعي نفسية الأعرابي وشاكل كلامه، والعدول عن الأسلوب الإنشائي (أعبد) إلى الخبري في قوله "تعبد الله" لفائدتين: أحدهما: أن المأمور كأنه سارع إلى الامتثال، وهو يخبر عنه إظهارا للحرص بوقوعه ثانيهما: أن لا ينسب إلى عدم الامتثال لأمره إن قصر المأمور، أو لئلا يكون المأمور مسخوطاً عليه إن لم يمتثل' واتباعه النهي في قوله (لا تشرك) للأمر في قوله (تعبد) تأكيداً له لإخلاص العبودية لله من الشرك العالق في نفوس القوم من آثار الجاهلية' والحديث الشريف بجملته نموذج يقتدي به في التعليم، والتربية، ومخاطبة

---

(١) عند البخاري زيادة: (قال: ما له ما له، وقال النبي ﷺ: أربٌ ما له). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، حيث لم يورد هذه الزيادة.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٦) واللفظ له، ومسلم (١٣/١٢)، وتقدم برقم (٣٣١). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٨).

الناس بأساليبهم، ورعاية الجانب النفسي عندهم. مع الحرص على عموم المنفعة، وبلوغ الموعظة، ولذلك نرى أن النبي ﷺ في ترهيبه، وترغيبه كثيراً ما يدعم الأمر بالنهي، أو يسبقه بالنداء، وغيره من الأساليب القوية التي تعضد الأمر، وتحض على الامتثال له.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم.

خامسًا: من أصناف المدعوين: الأعراب.

سادسًا: من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات.

سابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين.

ثامنًا: من اساليب الدعوة: القسم.

تاسعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه في دنياه وأخراه:

إن المسلم مطالب أن يستفسر ويسأل عن الأمور التي تقوده إلى الجنة، وتكون سببًا في وقايته من النار، يتضح هذا من الحديث: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة)، وفي الحديث أيضًا: (دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة)، إن من أهم واجبات المدعو السؤال عما ينفعه، قال النووي: "والمهم أن يكون السائل عارفًا بكيفية السؤال وآدابه والمهم منه وحسن المراجعة فإن هذه أسباب عظم الانتفاع بالجواب"[2]، هذا وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢١٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢١٤، ١٢١٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣.

وأوصى النبي ﷺ أن يسأل الإنسان إذا جهل، فقال في الحديث مستنكرًا على من لم يسأل: ((أَلاَ سَأَلوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[1].

ثانيًا - من واجبات الداعية: الإجابة على أسئلة المدعوين وبيان الحقائق واضحة:

حيث جاء في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا..)، قال القاضي عياض: "وفي الحديث جواز التحليف والتأكيد للأمور المهمة والأخبار الهائلة وجواز الحلف في ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[2]، وفيه صبر العالم على جفاء السائل الجاهل وبيان ما يلزمه للمتعلم المسترشد، وإجابته لما يرى أنه ينفعه ويحتاج إليه في دينه، وفيه جواز قول ما تدعو إليه الضرورة من خشن الكلام، وجواز الاعتذار منه"[3]، وبإجابة النبي ﷺ على سؤال الأعرابي يتضح أن من أهم واجبات الداعية الإجابة على أسئلة المدعوين وتبيين الحقائق لهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[5].

ومما لا شك فيه أن السبيل الموصل لقدرة الداعي على الإجابة على أسئلة المدعوين هو العلم، "والعلم عنصر أساس لا بد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابة التساؤلات وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك، فإنه العدة التي بها يعلم الداعية الناس أحكام الشرع ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادرًا على الإقناع وتفنيد الشبهات ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه ومن خلاله يعرف الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ويفهم مقاصد الشريعة ومحاسنها ويحسن عرضها

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) سورة يونس، الآية: ٥٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٢٣/١ - ٢٢٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ونشرها"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل التوحيد الخالص:

إن التوحيد من أعظم مطلوبات الإسلام من أجله خلق الإنسان، وبه قامت دعوة الرسل وعلى أساسه يكون الحساب والجزاء، ومما يدل على أهميته ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا)، قال النووي: "والعبادة هي الطاعة مع خضوع فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله والإقرار بوحدانيته، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها وقوله: (لا تشرك به)، ذكره بعد العبادة لأن الكفار كانوا يعبدونه سبحانه وتعالى في الصورة ويعبدون معه أوثانًا يزعمون أنهم شركاء فنفى هذا"[٢]، وقد دلت آيات القرآن الكريم على فضل التوحيد الخالص، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٤]، "إن التوحيد في الإسلام الخالص من الشوائب الصادر من القلب تتبعه حتمًا جميع الفضائل المتعارف عليها، فكلمة التوحيد ترسخ في قائلها: بأن لا معبود ولا محيي ولا مميت ولا رازق ولا نافع إلا الله، ويستفيد المؤمن من عقيدة التوحيد الاستقلال والحرية، فليس لأحد عليه سلطان ويستفيد الأنفة والعفة من اعتقاده أن لا رازق إلا الله ويستفيد المؤمن كذلك من التوحيد، الشجاعة وعدم هيبة الموت؛ لأن الذي يملكه هو الله وحده"[٥].

قال ابن القيم: "ومن أعظم نعمه علينا وما استوجب حمد عباده له، أن يجعلنا عبيدًا

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ٦٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٥) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة ص ٩٣ - ٩٤.

له خاصة، ولم يجعلنا ربُّنا منقسمين بين شركاءَ متشاكسين، ولم يجعلنا عبيدًا لإله نحتته الأَفكار، لا يسمع أَصواتنا ولا يبصر أَفعالنا ولا يعلم أَحوالنا فلله الحمد والمنة إذ لم يجعلنا عبيدًا لمن هذا شأنه فنكون مضيعين ليس لنا رب نقصده، ولا صمد نتوجه إليه ونعبده، ولله الحمد على ما منّ به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وإقرار قلوبنا بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة رب العالمين"[1].

قال البدر العيني: "وقوله في الحديث: (تعبد الله) أي: توحده، وفسره بقوله: (ولا تشرك به شيئًا) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. أي: ليوحدوني، والتحقيق هنا أن العبادة الطاعة مع خضوع، فيحتمل أن يكون المراد بالعبادة هنا معرفة الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، فعلى هذا يكون عطف الصلاة وعطف ما بعدها عليها لإدخالها في الإسلام، وأنها لم تكن دخلت في العبادة، ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقًا، فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها. فعلى هذا يكون عطف الصلاة وغيرها من باب عطف الخاص على العام، تنبيها على شرفه ومزيته"[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل العمل بأركان الإسلام وصلة الرحم:

حيث جاء في الحديث: (وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)، وفي الحديث الثاني زيادة: (وتصوم رمضان)، جاء في فتح الملهم: "قال العارفون: التعبد إما لنيل الثواب أو التخلص من العقاب، وهي أنزل الدرجات، وتسمى عبادة، أو للتشرف بخدمته تعالى والانتساب إليه، وتسمى عبودية وهي أرفع من الأولى، أو لوجهه تعالى من غير ملاحظة شيء آخر وتسمى إحسانًا وهي أعلى المقامات وأرفع الحالات"[4]، والعمل بأركان الإسلام له أجر عظيم وفضل كبير وأجر كريم ففي الصلاة والزكاة قال الله تعالى:

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٨/٢٤٠.

(٤) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ١/٤٥٧ بتصرف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وفي شأن الصيام قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

وهذه الأركان تمثل نظام العبادة في الإسلام بالإضافة إلى الحج، "إن من الأهداف التي تحققها العبادات الإسلامية تقوية الإنسان في معارك الحياة؛ فالحياة في نظر الإسلام صراع بين الحق والباطل، في النفس والمجتمع، وعلى هذا بنيت الحياة الإسلامية منذ أن هبط آدم عليه السلام إلى الأرض والعبادة هي التي تجعل الإنسان قوي في هذه المعركة، ولهذا كانت العبادة في الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل ملازمة لها ومصلِحةً وموجهة لها في وجهتها الصحيحة، ومن هنا كان للإسلام فضل عظيم في أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته"[3].

وأركان الإسلام مما يسهل العمل بها وتنفيذها "فالعبادات قليلة سهلة ليس فيها مشقة بليغة، وليس فيها حرج من صلاة وصيام وزكاة وحج وإذا ما التزم المسلم هذه العبادات فإن ثمرة الإيمان لا تظهر منه، ولا يحس بحلاوته حتى يخلص العمل لله كما علم الله نبيه أن يقول: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4]، وبهذا ينال خيري الدنيا والآخرة[5]، وأما صلة الرحم فقد حذر الله من قطيعتها فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾[6]، وبين الرسول الكريم

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، د. محمد المبارك ص ١٦٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٥) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ط١ دار المنارة، جدة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٢٨.

(٦) سورة محمد، الآية: ٢٢.

فضل صلة الرحم وجزاء واصلها فقد قال ﷺ: ((مَن سَرَّهُ أن يُبسَطَ لهُ في رِزقِهِ أو يُنسَأَ لهُ في أثَرِهِ فلْيَصِل رحِمَه))[1].

خامسًا - من أصناف المدعوين: الأعراب:

حيث جاء في الحديث: (أن إعرابيًا أتى النبي ﷺ)، والأعراب صنف من أصناف المدعوين، وإن من صفات الأعراب: الجفاء والغلظة والقسوة مما يتطلب في دعوتهم اللين والرفق في دعوتهم، "ومن خلال استقراء مواقف الرسول ﷺ مع الأعراب ومقارنة معاملته لهم بأسلوب اللين مع ما جبلوا عليه من الغلظة والقسوة والجفاء نستنتج أن ظروفهم البيئية وما فرضته عليهم من طباع هي أبرز ما دعا الرسول ﷺ إلى المبالغة في ملاينتهم والصبر على غلظتهم فظروف البيئة وحياة المعيشة لها تأثيرها على الناس وطباعهم وسلوكهم وأخلاقهم"[2].

ومما يدل على معاملة الرسول ﷺ للأعراب باللين والرفق ما أخرجه الإمام مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ تُزْرِمُوهُ. دَعُوهُ)) فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا لِلْبَوْلِ وَالْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ[3].

وفي رواية ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ، بَعْدَ أَنْ فَقِهَ، فَقَامَ: إِلَيَّ. بِأَبِي وَأُمِّي. فَلَمْ يُؤَنِّبْ وَلَمْ يَسُبَّ. فَقَالَ: «إِنَّ هذَا الْمَسْجِدَ لاَ يُبَالُ فِيهِ. وَإِنَّمَا بُنِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَلِلصَّلاَةِ))[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٨٥.

(٢) دعوة النبي ﷺ الأعراب، حمود بن جابر الحارثي، ط١ دار المسلم: ١٤١٦هـ/١٩٩٨م، ص ٢٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٥٢٩، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجه ٤٢٨).

ومما يدل أيضًا على حسن معاملة الرسول ﷺ للأعراب ما جاء عن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يُهْدي إلى النبي ﷺ الهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا ونَحْنُ حَاضِرُوهُ)).

وكان النبيُّ ﷺ يحبه، وكان (رجلاً) دميمًا، فأتى النبيَّ ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه، وهو لا يبصره، فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبيُّ ﷺ يقول: ((مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟)) فقال يا رسول الله، إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: ((لَكِنَّكَ عَنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ))، أو قال: (لَكِنْ عِنْدَ الله أَنْتَ غَالٍ))[1].

سادسًا - من حكمة الداعية: مراعاة ترتيب الأولويات:

إن الداعية الحصيف هو الذي يراعي ترتيب الأولويات في دعوته فيبدأ بالفروض والواجبات قبل السنن والمستحبات، والضروريات والحاجيات قبل التحسينيات والكماليات، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث: (تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان)، قال ابن حجر: "كان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنه رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة لأنها من العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ما حاجتهم إليه أمَسُّ"[2]، فمراعاة وترتيب الأولويات والتدرج كان سمة بارزة من سمات الدعوة وهي تبرز فقه الداعية في معالجة قضايا الدعوة، "وعند النظر في سيرة الرسول ﷺ نجد أنه عند عرض دعوته يبدأ بالأهم فالمهم، فبعد قبول دعوة التوحيد من قبل المدعو يعرض بقية أركان الإسلام مراعيًا فيها التدرج حسب الأهمية، الصلاة، فالزكاة فالصوم فالحج لأنه يصعب على البعض أن ينخلع عن فكره وعادته في طرفة عين"[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦١/٣، رقم ١٢٦٤٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٩٠/٢٠ - ٩١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٧/٢.

(٣) دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي ص ١٠٥.

ومما يدل على مراعاة ترتيب الأولويات أن النبي ﷺ لم يذكر لهما السنن والتطوعات مراعاة لأحوالهما، قال القرطبي: "ولم يذكر لهما في هذين الحديثين شيئًا من فعل التطوعات، فدلّ على جواز ترك التطوعات على الجملة، لكن من تركها ولم يعمل شيئًا منها، فقد فوّت على نفسه ربحًا عظيمًا، وثوابًا جسيما، ومن داوم على ترك شيء من السنن كان ذلك نقصًا في دينه، وقدحًا في عدالته، فإن كان تركه تهاونًا به ورغبة عنها، كان ذلك فسقًا يستحق به ذما. وقال علماؤنا: لو أن أهل بلدة تواصلوا على ترك سنة لقوتلوا عليها حتى يرجعوا. ولقد كان صدر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يثابرون على فعل السنن والفضائل مثابرتهم على الفرائض، ولم يكونوا يفرقون بينهما في اغتنام ثوابهما، وإنما احتاج أئمة الفقهاء إلى ذكر الفرق بينهما لما يترتب عليه من وجوب الإعادة وتركها، وخوف العقاب على الترك، ونفيه إن حصل ترك ما بوجه ما، وإنما سكت النبي ﷺ لهؤلاء السائلين عن ذكر التطوعات، ولم يذكرها لهم كما ذكرها في حديث طلحة بن عبيد الله؛ لأن هؤلاء - والله أعلم - كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في تلك الحال، لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، أو لئلا يعتقدوا أن تلك السنن والتطوعات واجبة، فتركهم إلى أن تنشرح صدورهم بالفهم عنه، والحرص على تحصيل ثواب تلك المندوبات، فتسهل عليهم. ومن المعلوم أن هؤلاء ما سُوّغ لهم ترك الوتر ولا صلاة العيدين، ولا غير ذلك مما فعله النبي ﷺ في جماعة المسمين، ولا يجترئون على ترك ذلك للذي يُعلم من حرصهم على الاقتداء بالنبي ﷺ وعلى تحصيل الثواب، والله تعالى أعلم"[1].

سابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين:

وذلك حيث جاء في الحديث: (تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان)، وجاء أيضًا: (وتصل الرحم)، وفي الاقتصار على هذه الأركان مراعاة لأحوال المدعوين وأيضًا في ذكر صلة الرحم وتخصيصها من بين خصال الخير ما يدل على مراعاة حالة المدعو

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٦٦/١ - ١٦٧.

ولعله يحتاج إلى تذكير بهذه الخصلة، ولا شك أن مراعاة حال المخاطب من فقه الداعية، قال ابن حجر: "ولعل هؤلاء السائلين كانوا حديثي عهد بالإسلام فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم في ترك الحال لئلا يثقل ذلك عليهم فيملوا، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم عنه والحرص على تحصيل المندوبات سهلت عليهم. وأما تخصيص صلة الرحم من بين خلال الخير نظرًا إلى حال السائل، كأنه لا يصل رحمه فأمره بها؛ لأنه المهم بالنسبة إليه ويؤخذ منه تخصيص بعض الأعمال بالحض عليها بحسب حال المخاطب وافتقاره للتنبيه عليها أكثر مما سواها إما لمشقتها عليه، وإما لتسهيله في أمرها"[1].

والداعية الناجح يراعي نفسية المدعوين وحالتهم، "ومن الأمور التي ينبغي أن يأخذ بها الداعي ويحقق بها، مراعاة أحوال المدعوين ومراعاة طبيعة المدعو وبيئته وديانته ونوع الخلل الذي لديه واختيار الأسلوب المناسب لذلك، ومراعاة استعداد المدعو نفسيًا للتلقي ورغبته في القبول ومقدار أهليته للإساغة والفهم ومن ذلك تجنب إثارة الحمية الجاهلية في نفسية المخاطب لأن التعرض للمعتقدات الباطلة لدى المخاطب قد يؤدي إلى نتائج وخيمة"[2].

ثامنًا - من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا)، وأسلوب القسم من أساليب الدعوة النافعة في إقناع المدعو وأهم ما يبرز في أسلوب القسم هو تعظيم المقسم به مما يدل على أهمية المقسم عليه ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3].

تاسعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١١ - ٣١٢.

(٢) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، نور عالم الندوي، دار نشر الكتاب الإسلامي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، ص ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.

قال النووي: "والظاهر أن النبي ﷺ علم أنه يوفي بما التزم، وأنه يدوم على ذلك ويدخل الجنة"[١]، "وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٨.

(٢) أصول الدعوة: د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢١٤)

١٢١٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ أعْرَابيًا أتَى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجنَّةَ. قَالَ: ((تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاَةَ[1]، وتُؤتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ)) قَالَ: وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أزيدُ عَلَى هَذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أهْلِ الجنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولَّى: ذهب وانصرف[3].

الشرح الأدبي

قول الأعرابي لرسول الله ﷺ: " دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. ... " يدل على فطنة هذا الأعرابي؛ لأنه هون على نفسه فقال: (عمل) ولم يقل (أعمالاً) واستخدام " إذا " والفعل الماضي " عملته " و "دخلت الجنة " من باب الاستبشار بالتعبير بالماضي المحقق، ويدل هذان الفعلان على تواجد العزيمة في قلب ذلك الأعرابي فقال الرسول ﷺ للأعرابي: " تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " وحدد الزكاة ووصفها بأنها " المفروضة " ولم يتطرق إلى صدقة التطوع حتى لا تثقل التكاليف على الرجل، ولأن المال محبب إلى النفوس، ولا تسمح نفوس الكثيرين بالتفريط فيه بسهوله، وعندئذ أقسم الرجل قائلاً: " والذي نفسي بيده لا

---

(١) عندهما زيادة: (المكتوبة).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٩٧) واللفظ له، ومسلم (١٤/١٥). أورده المنذري في ترغيبه (١١٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

أزيد على هذا)، ومع ذلك بشرة الرسول ﷺ بأنه من أهل الجنة فقال للمحيطين به على سبيل الإشادة به، والترغيب في روح الحرص، والغيرة على الدين التي تحلى بها: " من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا "وفعل الأمر فلينظر جاء تنبيها له، وتنويها بذكره، ومدحا له، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢١٥)

١٢١٥- وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قَالَ: بايَعْتُ النبيَ ﷺ عَلَى إقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

بايَعتُ: عاقدتُ وعاهدتُ[2].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري – حيث بدأه بالفعل الماضي: " بايعت " الذي يدل على المفاعلة من البيعة، وهي تعاهد بين طرفين توحي بالتزامه بما بايع عليه النبي وهذا بمثابة العهد الذي يجب الوفاء به ثم بين بنود تلك المبايعة فبدأ بالصلاة فقال: ". .. على إقام الصلاة " ولفظ " إقام " يشير إلى أن المعتد به في الصلاة: إقامتها الإصلاح، والاستقامة في جميع أجزائها بداية بالوضوء، وانتهاءً بأركانها ومرورا بما يلزمها من حضور، وخشوع ووفاء بما يتطلبه الموقف بين يدي الله تعالى كأنها بنيان له قواعده الراسخة، ولم يقل: أداء الصلاة، لأنه قد يؤديها على سبيل العادة بحركات الجسد بخلاف الإقامة الشاملة لكل ما يتعلق بها، والتأمل الخاص بها والدعاء الذي حث علية النبي ﷺ في سجودها، فالإقامة: تعنى العناية والاهتمام والتهيؤ، والخشوع، وختم الحديث " بالنصح لكل مسلم " وأتى بلفظ " كل " ليفيد الشمول، والاستغراق. وقال " مسلم " ولم يقل " مؤمن " لأن العبرة في الإنسان بظاهره، والنصيحة هي حب الخير

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦/٩٧) ولفظهما سواء، وتقدم برقم ١٨٢. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٢).

(٢) الوسيط في (ب ي ع).

للمنصوح له كائناً من كان وهو ما يجعل المجتمع وحدة واحدة في التصدي للمخالفة بالتنبه إليها، والتحذير منها، والنهي عنها، والإرشاد لكل خير عاجل، وآجل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢١٣).

الحديث رقم (١٢١٦)

١٢١٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسولَ الله، فالإبلُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قِيلَ: يَا رَسولَ اللهِ، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قَالَ: ((وَلاَ صَاحِبِ بَقَرٍ وَلاَ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لاَ يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ، وَلاَ جَلْحَاءُ، وَلاَ عَضْبَاءُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا، كُلَّمَا مرَّ عَلَيْهِ أُولاَهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإمَّا إِلَى النَّارِ)) قيل: يَا رسول الله فالخَيْلُ؟ قَالَ: ((الخَيلُ ثَلاَثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِي لَهُ وِزْرٌ فَرَجُلٌ ربطها رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا، وَلاَ رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي مَرْجٍ، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ المَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٍ وكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٍ، وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا، وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ)) قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ فالحُمُرُ؟ قَالَ: ((مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الحُمُرِ شَيْءٌ إلاَّ هذِهِ الآيَةُ الفَاذَّةُ الجَامِعَةُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾)) متفقٌ عَلَيْهِ[١]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

صفحت له صفائح من نار: صُهرت وسُبكت على هيئة الألواح وأوقد عليها النار وعذب بها صاحبها[٢].

وردها: ورودها الماء بأن تحلب حينئذ ويسقى من ألبانها للمارة والواردين الماء[٣].

بُطح: طُرح على وجهه[٤].

القاع: المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه[٥].

أوفر: أسمن[٦].

القرقر: المستوى أيضًا من الأرض الواسع[٧].

فصيلاً: هو ما فصل عن اللبن والإرضاع، وأكثر ما يطلق في الإبل وقد يقال في البقر[٨].

بأخفافها: جمع خف، والخف للبعير كالحافر للفرس[٩].

عقصاء: ملتوية القرنين[١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٢٤/٩٨٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١١١٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ص ف ح).

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣٠.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ص ل).

(٩) المرجع السابق في (خ ف ف).

(١٠) المرجع السابق في (ع ق ص).

جلحاء: لا قرن لها[١].

عضباء: انكسر قرنها الداخل[٢].

بأظلافها: الظلف للبقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم[٣].

الوزر: الحمل والثقل، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم[٤].

ستر: أي للحالة التي هو فيها من الفقر أو الضيق[٥].

نواءً: بكسر النون وبالمد أي مناوأة ومعاداة[٦].

ربطها في سبيل الله: أعدها للجهاد، وأصله من الربط، ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الثغر، وإعداده الأهبة لذلك[٧].

مَرْجُ: أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب[٨].

روضة: الأرض ذات الخضرة[٩].

أرواثها: جمع رَوَث وهو: رجيع ذوات الحافر[١٠].

طِوَلها: الحبل الذي تربط فيه[١١].

فاستنت: جرت[١٢].

شرفًا: عاليًا من الأرض[١٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٢) المرجع السابق ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ز ر).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٣٤٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٧) المرجع السابق ٦٣١.

(٨) المعجم الوسيط في (م ر ج).

(٩) المعجم الوسيط في (ر و ض).

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

(١١) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(١٢) المرجع السابق ٦٣١.

(١٣) المرجع السابق ٦٣١.

آثارها: جمع أثر، وأصله من أثر المشي على الأرض[١].

الفاذة: القليلة النظير[٢].

الجامعة: العامة المتناولة لكل خير ومعروف[٣].

مثقال ذرة: وزن ذرة، والذرة: ما يُرى في الضوء إذ دخل نافذة الحجرة المظلمة[٤].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث يصور الرسول ﷺ بأساليبه البلاغية مشهداً من مشاهد الهول يوم القيامة لعذاب مانع الزكاة بالحركة، والصوت، واللون، والشعور المصاحب للأحداث ترهيباً من التلبس بهذا الخطأ، وتقويماً له، وحضاً على المسارعة بإخراج الزكاة قبل أن يحل العقاب الجاثم بصاحب الفعل الآثم جزاءً من جنس عمله.

وقد استخدم الرسول ﷺ في تكوين هذا المشهد، ونقله بكل أبعاده عدة أساليب بلاغية منها: أسلوب القصر، وقد استخدمه الرسول ﷺ في إطار الترهيب من منع صاحب الذهب، والفضة، والإبل، والبقر، والغنم للزكاة بغرض تقويم هذا الخطأ، وحث أصحاب هذه الأموال على المسارعة بأداء الزكاة، وذلك في قوله (مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلاَ فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على كونها على هذه الهيئة الموصوفة من العذاب لا تتعداه إلى غيره، قُصرت أمواله على كونها أداة لتعذيبه، وقوله (صفحت صفائح) جناس يؤكد تهيئتها للعذاب، ويصور

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث ر).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) المرجع السابق ٦٣١.

(٤) والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل) و (ذ ر ر).

الفعل المضارع تحولها من صورة المال المعروف من الدنانير، والجنيهات الذهبية والفضية إلى كتل من معدن مشتعل يتشكل ليصير مكواة لجسده، وذكر الجنب، والجبين، والظهر توكيد لألم يحيط بجسده، وجملة الشرط التي تقرر اتصال العذاب بمدد لا ينقطع (كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَه) وقوله في (فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) يصعِّد الرهبة من جمع مال يتمتع به في الدنيا سنوات قليلة، ويصير يوم القيامة أداة لتعذيبه أمدا طويلا بهذا المقدار وقوله (ما من صاحب إبل وَلاَ صَاحِبِ إبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَومَ وِرْدِهَا، إلاَّ إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ. .) حيث قصر أصحاب هذه الأموال بقيد منع زكاتها على الإقعاد لها يوم القيامة بهذه الهيئة المخصوصة التي تصور شدة العذاب وهول الموقف مما يجسد في نفس المخاطب هيئة إبله إن كان صاحب إبل وبقره إن كان صاحب بقر، وغنمه إن كان صاحب غنم، وقد صارت أداة لتعذيبه - إن منع زكاتها - فيبادر بإخراج زكاتها.

وهذا الأسلوب من الرسول ﷺ يعالج في النفس الشغوفة بحب المال الرغبة في الإبقاء عليه وعدم إخراج زكاته بأن يجعله في كثرته وزيادته زيادة في التعذيب حتى إذا ما حدثته نفسه بالإبقاء على ناقته أو بعيره تذكرها هي بعينها وقد ثارت عليه توجه له اللكمات والكدمات في شتى أنحاء جسده وهو يتقلب في العذاب لا يجد مخرجاً، وكذا صاحب البقر، وقد تحولت أبقاره إلى أدوات تعذيب هي بعينها التي سمَّنها، وكبرها ورباها، وبخل بها فلم يؤد زكاتها، وكذا صاحب الغنم يراها كذلك فتنفى من نفسه الرغبة في الإبقاء عليها دون إخراج الزكاة، ويسارع في إخراجها هرباً في نفسه من هول قطيعة الذي يتقاذفه بأظلافه، وأخفافه، وقرونه كلما أنهى بدأ، وأسلوب القصر يزيد الموقف هولاً لأنه يفرد صاحب المال المانع لزكاته في العذاب الجسدي في هذا الوضع المهين، وهذا الإفراد عذاب نفسي فوق ما هو فيه، ولذلك ذكر كل نموذج على انفراد معطوفاً على غيره بالواو، مما يقتضى المغايرة، وكذا تكراره لـ(لا) إشارة إلى استقلالية كل منهم بنوع خاص به من العذاب واستخدامه ﷺ (من) في قوله: (ما من صاحب إبل. ..) لإفادة الاستغراق، والمبالغة في عدم استثناء أحد لا

يؤدى زكاة ماله من هؤلاء من العذاب، والحديث يتميز بالطول في تتبع تفاصيل عذاب أصحاب الأموال الذين لا يؤدون زكاته وهذا يرجع إلى أثر المال على النفوس والتي جبلت على حبه فلزم تصويره بهذا التصوير البالغ الدقة في علاج الشح[1].

فقه الحديث

١ - قال النووي: (هذا الحديث صريح في وجوب الزكاة في الذهب والفضة ولا خلاف فيه. وكذا باقي المذكورات من الإبل والبقر والغنم)[2].

٢ - قال النووي: (قوله ﷺ في الخيل: "ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا في رقابها" استدل به أبو حنيفة على وجوب الزكاة في الخيل، ومذهبه أنه إن كانت الخيل كلها ذكورًا فلا زكاة فيها، وإن كانت إناثًا أو ذكورًا وإناثًا وجبت الزكاة، وهو بالخيارين: إن شاء أخرج عن كل فرس دينارًا، وإن شاء قوّمها وأخرج ربع عشر القيام. وقال مالك والشافعي وجماهير العلماء: لا زكاة في الخيل بحالٍ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة))[3]. وتأولوا هذا الحديث على أن المراد أنه يجهد بها. وقد يجب الجهاد بها إذا تعيّن. وقيل: يحتمل أن المراد بالحق في رقابها: الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها. والمراد بظهورها: إطراق فحلها إذا طلبت عاريته. وهذا على الندب. وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها، وهو خُمْس الغنيمة)[4].

٣ - زكاة سائر أصناف الحيوان [من غير الإبل والبقر والغنم والخيل].

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٥/٧/٤، وانظر: الإجماع لابن المنذر ص ١٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ومسلم ٩٨٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٧/٤ ، وانظر في كتب المذاهب الفقهية: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٥٠٢/١، ٥٠٣، والدسوقي على الشرح الكبير ٤٣٥/١، وشرح المنهاج ٣/٢، والمغني ٦٦/٤ ، والموسوعة الفقهية ٢٦١/٢٣-٢٦٢.

ذهب عامة الفقهاء إلى أنه لا زكاة في سائر الحيوان غير ما تقدم ما لم تكن للتجارة، فليس في البغال والحمير وغيرها زكاة[1] واحتجوا لذلك بما في الحديث أن النبي ﷺ سئل عن الخيل فقال: "هي لرجل أجر..." الحديث - وهو حديث الباب - ثم سئل عن الحمير، فقال: لم ينزل عليّ فيها إلا هذه الآية الفاذة: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره".

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر.

سادسًا: من واجبات الداعية: الأمانة في البيان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وجوب إخراج الزكاة:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاته)، قال المازري: "أصل الزكاة في اللغة: النماء فإن قيل: كيف يستقيم هذا الاشتقاق ومعلوم انتقاص المال بالإنفاق؟ قيل: وإن كان نقصًا في الحال فقد يفيد النمو في المآل يزيد في صلاح الأموال. وقد أفهم الشرع أنها شرعت للمواساة، وأن المواساة إنما تكون فيما له بَالٌ من الأموال، فلهذا حدّ النُّصب وكأنه لم ير فيما دونها محملاً لذلك، ثم وضعها في الأموال النامية العين والحرث والماشية فمن ذلك من ينمى بنفسه كالماشية والحرث، ومنها ما يَنْمى بتغير عينه وتقليبه كالعين، والإجماع على تعلق الزكاة بأعيان هذه المسميات. وأما تعلق الزكاة بما سواها من العروض فللفقهاء فيه اختلاف. وحدد الشرع نصاب كل جنس بما يحتمل المواساة"[2].

---

(١) المغني ٦٦/٤ ، والمجموع ٣٣٩/٥، والموسوعة الفقهية ٢٦٢/٢٣.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٢٦٤/١ - ٢٦٥.

والزكاة ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[2]، وقد أكد الشرع الحنيف على ضرورة إخراج الزكاة وتوعد من لا يخرجها فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: "وأما الكنز فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة، وقال أيضًا: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما كان ظاهرًا لا تؤدى زكاته فهو كنز.."[4]، وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ تركَ بعدَهُ كنزًا مُثِّلَ لَهُ شجاعًا أَقْرَعَ يَوْمَ القيامَةِ له زبيبتان يَتْبَعُهُ فَيَقُولُ: مَنْ أنتَ؟ فيقولُ: أنا كنزكَ الذي خلفتَ بعدكَ، فلا يَزَالُ يَتْبَعُهُ حتى يُلْقِمَهُ يدَهُ فَيَقْضَمُها ثم يتبعهُ سائر جسده))[5].

وعن حكمة فريضة الزكاة يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ولما بلغ المجتمع الإسلامي غايته من رسوخ العقيدة والتربية الخلقية، والطاعة والانقياد، والسخاء والإيثار، والتجرد من الأنانية الفردية والجماعية، وقوي الإسلام بأهله وإيثار أتباعه، وتوسّع هذا المجتمع، وتنوعت فيه الأنماط البشرية والمستويات الخلقية، والروحية ففيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٦٥٩.

الغني والفقير والمتوسط بينهما، وفيه السخي الأريحي، الذي هوايته في الإنفاق والإيثار، وفيه الشحيح وفيه المقتصد والمتوسط، وكان ما يشرع في هذا المجتمع من أحكام، وما يطالب به من أعمال، هي الشريعة الخالدة العامة العالمية التي يمتثلها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، وفي أوائل العصور وأواخرها، وفي بداية المدنية وبساطتها، وفي أوجها وتعقدها ومع القوة الإيمانية التي تحمل أكبر مغامرة، وتهون أعظم تضحية وتسيغ أكبر مشكلة، ومع ضعف الإيمان الذي قد يوجد في أطراف العالم الإسلامي البعيدة، وفي الأجيال المسلمة المتأخرة اقتضت حكمة الله ولطفه بعباده أن يُشرع للزكاة نظامًا مبين الحدود واضح المعالم معين النصاب، معلوم المقادير والأعداد، ويكون وسطًا بين الكثير والقليل، لا يستهين به الأغنياء الأسخياء أولو الهمم، ولا يقصر عنه المتوسطون أو دون المتوسطين ممن استوفى شروطها.

وأن لا يوكل ذلك إلى الرأي، ولا إلى همة الأفراد وطموحهم، ولا إلى الانفعالات الوجدانية العاطفية التي تكون في مد وجزر، وقوة وضعف، ولا إلى تشريع المشرعين، وحكمة العلماء والحكام، فلا ثقة بها في كل زمان ومكان، ولا يؤمن عليها من اتباع الهوى والأغراض ففرضت الزكاة، وحددت نصبها، ومقاديرها"[1].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار...)، قال القرطبي: "وقوله في الحديث: (فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره) قيل: إنما خصت هذه المواضع بالكي دون غيرها من أعضائه لتقطيبه وجهه في وجه السائل وازوراره عنه بجانبه، وانصرافه عنه بظهره. وقوله: (كلّما بردت أعيدت) كذا رواية السجزي، ولكافة الرواة: كلها ردت. والأول هو الصواب فتأمله، فإنه هو المناسب للمعنى"[2]، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تنأى بالمدعو عن مقارفة الآثام والوقوع في معصية الله، "والنفس البشرية بقدر ميلها

---

(١) الأركان الأربعة ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٥/٣.

لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي الآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعصى"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مشاهد تعذيب مانعي الزكاة:

يتضح هذا من الحديث: (صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره...)، وقوله: (تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أُولاَها رُدّ عليه أُخْراها...)، وقوله: (تنطحه قرونها تطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها...)، وفي كل ذلك يقول في الحديث: (... في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)، وفي هذا كله بيان لمشاهد تعذيب مانعي الزكاة يوم القيامة، سواء كان صاحب ذهب وفضة أو صاحب إبل أو صاحب بقر وغنم، قال النووي: "وقوله ﷺ: (أوفر ما كانت لا يفقد فصيلاً واحدًا) وفي الرواية الأخرى: (أعظم ما كانت) هذا للزيادة في عقوبته بكثرتها وقوتها وكمال خلقها فتكون أثقل في وطئها كما أن ذوات القرون تكون بقرونها ليكون أنكى وأصوب لطعنها ونطحها"[٤]، قال ابن علان: "وقوله في الحديث: فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، خصت هذه الثلاثة لأن إمساك المال عن أداء الواجب لأجل الوجاهة وملء البطن من الأطعمة وستر الظهر باللباس، أو لأنه أعرض بوجهه عن

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥١٥.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

(٣) سورة عبس، الآيات: ٤٠ - ٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٠.

الفقير وازورَّ عنه بجانبه وولاّه ظهره، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة الدماغ والقلب والكبد، أو المراد منها جهات البدن الأربع أمامه ووراءه ويمينه ويساره، كلما بردت عن الحمو ردت إلى النار لزيادة حموها وشدتها أعيدت له أحر وأشد مما كانت"[1].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث تعظيم إثم مانع الزكاة والتنصيص على عظيم عقوبته في الدار الآخرة وتبري نبيه منه، وذلك مؤذن بانقطاع رجائه، وإنما تتفاوت الواجبات بتفاوت المثوبات والعقوبات، فما شددت عقوبته كان إيجابه آكد مما جاء فيه مطلق العقوبة، وقد جاء في الحديث: (إن الله يحي البهائم ليعاقب بها مانع الزكاة)، وفي ذلك معاملة له بنقيض قصده، لأنه قصد منع حق الله منها وهو الارتفاق والانتفاع بما يمنعه منها فكان ما قصد الانتفاع به أضر الأشياء عليه، والحكمة في كونها تعاد كلها مع أن حق الله فيها إنما هو في بعضها لأن الحق في جميع المال غير متميز، ولأن المال لما لم تخرج زكاته غير مطهر، وفيه أن في المال حقًا سوى الزكاة"[2].

رابعًا - موضوعات الدعوة: أحوال الناس في اقتناء الخيل:

إن الناس يتفاوتون فيما بينهم في الأجر حسب نياتهم، وفي اقتناء الخيل بيّن النبي ﷺ أحوال الناس فيها، وفي نيتهم لاقتنائها ويتضح هذا من الحديث لـمَّا سئل رسول الله ﷺ عن الخيل قال: (الخيل ثلاثة: هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجل أجر، فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياءً وفخرًا ونواءً على أهل الإسلام، فهي له وزر، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها، ولا رقابها فهي له ستر، وأما التي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مَرْج أو رَوْضة ...).

وفي الحديث جعل النبي ﷺ أحوال الناس في اقتناء الخيل على ثلاث:

أولاً: هي لرجل وزر: حيث قال ﷺ: (فأما التي هي له وزر فرجل ربطها رياء وفخرًا ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر) قال القاضي عياض: "وقوله: (نواء على أهل

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٤٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣/٣١٥ - ٣١٦.

الإسلام) أي معاداة لهم، يقال: ناوأته نواء ومناوأة إذا عاديته"[١]، وقال النووي: "وقد جاء في رواية: (وأما التي هي عليه وزر فالذي يتخذها أَشَرًا أو بطرًا وبذخًا ورياء الناس قال أهل اللغة: الأشَرَ بفتح الهمزة والشين وهو المرح واللجاج، وأما البَطَر فالطغيان عند الحق وأما البَذَخ فبفتح الباء والذال المعجمة وهو بمعنى الأشر والبطر"[٢].

ثانيًا: هي لرجل ستر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر)، قال القرطبي: "وقوله: (فهي له ستر) أي حجاب من سؤال الغير عند حاجته لركوب فرس"[٣].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها وأصله من الربط ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه وإعداده الأهبة والعدة في الثغور وتجاه العدو وحق الله في رقابها وظهورها الصدقة مما يكسب عليها، وخص الرقاب لأنه موضع وضع اليد من الماسك والراكب"[٤].

وقال النووي: "والمراد بقوله: (ربطها في سبيل الله) أي أعدها للجهاد وأصله من الربط ومنه الرباط. والمراد بالحق في رقابها الإحسان إليها والقيام بعلفها وسائر مؤنها، والمراد بظهورها إطراق فحلها إذا طلبت عاريته وهذا على الندب، وقيل: المراد حق الله مما يكسب من مال العدو على ظهورها وهو خمس الغنيمة"[٥].

ثالثًا: هي لرجل أجر: حيث قال ﷺ: (وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات...) وفي هذا حث على اقتناء الخيل للغزو وفي سبيل الله ورباطها لذلك، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤٩٣/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٨/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٣/٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٣١.

عن النبي ﷺ قال: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: فَفَرَسٌ لِلرَّحْمَنِ، وَفَرَسٌ لِلإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ، فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمن، فَالَّذِي يُرْبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَفُهُ، وَرَوْثُهُ، وَبَوْلُهُ، وَذِكْرَ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ، فَالَّذِي يُقَامِرُ، أَوْ يُرَاهَنُ عَلَيْهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ، فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ، يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ تَسْتُرُ مِنْ فَقْرٍ))[1].

جاء في الموسوعة الفقهية: "الخيل جماعة الأفراس. والخيل مؤنثة ولا واحد لها من لفظها، أو واحدها خائل والجمع خيول وأخيال وسميت خيلاً لاختيالها أي إعجابها بنفسها مرحًا، وقد حث الشارع على اقتناء الخيل للجهاد وارتباطها في سبيل الله"[2].

قال ابن عبدالبر: "وقوله: (ربطها في سبيل الله)، فإنه يعني: ارتبطها من الرباط، قال الخليل: الرباط ملازمة الثغور ومواظبة الصلاة. أيضًا قال: والرباط الشيء الذي يُربط به. وقال أبو حاتم عن أبي زيد: الرباط من الخيل الخمس فما فوقها، وقال الشاعر:

أمر الإله بربطها لعدوه ... في الحرب إن الله خير موفق [3]

وينشد لابن عباس من قوله:

أحبوا الخيل واصطبروا عليها ... فإن العزَّ فيها والجمالا

إذا ما الخيل ضيَّعها أُناسٌ ... ربطناها فأشركت العيالا

نُقاسمها المعيشة كلَّ يوم ... ونكسوها البراقعَ والجلالا[4]

ومن آيات القرآن التي تبين أهمية وفضل رباط الخيل في سبيل الله قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٥/١، رقم ٣٧٥٦، وقال محققو المسند: صحيح ٢٩٨/٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩١/٢٠.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٣٥/٤ من قصيدة لكعب بن مالك.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١٧/١٢-١١٨. والأبيات، الكستظرف في كل فن مستطرف ٢٤٠/٢.

وَعَدُوَّكُمْ﴾[١]، قال القاسمي: "الرباط في الأصل مصدر ربط، أي شد، ويطلق بمعنى المربوط وكثر استعماله في الخيل التي تربط في سبيل الله فالإضافة إما باعتبار عموم المفهوم الأصلي، أو بملاحظة كون الرباط مشتركًا بين معان أخرى، كانتظار الصلاة، وملازمة ثغر العدو، والمواظبة على الأمر، فإضافته لأحد معانيه للبيان، كعين الشمس ومنه يعلم أنه يجوز إضافة الشيء لنفسه إذا كان مشتركًا"[٢].

ومن الاحاديث التي تبين فضل رباط الخيل في سبيل الله قوله ﷺ في الحديث عن جرير بن عبدالله قال: رأيت رسول الله ﷺ يلوي ناصية فرس بإصبعه وهو يقول: ((الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: الأَجْرُ وَالْغَنِيمَةُ))[٣].

قال النووي: "وقد جاء في رواية (الخير معقوص بنواصي الخيل) وفي رواية: (البركة في نواصي الخيل) والمعقود والمعقوص بمعنى ومعناه: ملوي مضفور فيها والمراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، قال الخطابي وغيره: قالوا: وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس، وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[٤].

ومن الأحاديث أيضًا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبِيلِ اللهِ، إيمانًا بِاللهِ، وتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ))[٥].

قال الطيبي: "قال التوربشتي: "حبسته وأحبسته واحتبس أيضًا بنفسه يتعدى ولا يتعدى، والمعنى أنه يحبسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة، وقوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده) عبارة

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) محاسن التأويل ٨/٨٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ومسلم ١٨٧٢ واللفظ له.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٥ - ١٢٠٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

عن الثواب المترتب على الاحتباس، تلخيصه أنه احتبس امتثالاً واحتسابًا وذلك أن الله تعالى وعد الثواب على الاحتباس، فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

ومن خلال ما سبق يتضح أحوال الناس في اقتناء الخيل حسب نياتهم.

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده بتضعيف الأجر:

يتضح هذا من الحديث: (فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولانقطع طولها فاستنت شرفًا أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مرّ بها صاحبها على نهر فشربت منه، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات)، قال ابن عبدالبر: "وفي هذا الحديث من الفقه أن الأعيان لا يؤجر المرء في اكتسابها، إنما يؤجر في استعمال ما ورد الشرع بعمله مع النية التي تزكو بها الأعمال، إذا نوى بها صاحبها وجه الله والدار الآخرة، وما يقربه من ربه إذا كان ذلك على سنة، ألا ترى أن الخيل أجر لمن اكتسبها، ووزر على من اكتسبها، . على ما جاء به الحديث وهي جنس واحد. قال الله عز وجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]. وقال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[3] وقال عز وجل: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[4].

وفيه أن الحسنات تكتب للمرء إذا كان له فيها سبب ، وإن لم يقصد قصدها، تفضلاً من الله تعالى على عباده المؤمنين، ورحمة منه بهم وليس هذا حكم اكتساب السيئات - إن شاء الله - يدلك على ذلك أنه لم يذكر في هذا الحديث، حركات الخيل وتقلبها في سيئات المفتخر بها، كما ذكر ذلك في حسنات

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

(٣) سورة هود، الآية: ٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٩.

المحسنين المريدين بها البر، ألا ترى أنها لو قطعت حبلها نهارًا فأفسدت زرعًا أو رمحت، فقتلت أو جنت، إن صاحبها برىء من الضمان عند جميع أهل العلم. ويبين ذلك أيضًا قوله في هذا الحديث: ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات. وفي هذا دليل على أن المسلم إذا صنع شيئًا يريد به الله عز وجل، فكل ما كان بسبب منه وإليه، كان له حكمه في الأجر، والله أعلم.

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «من كان منتظرًا الصلاة فهو في صلاة»[1]. وقال ﷺ: «انتظار الصلاة بعد الصلاة ذلكم الرباط، ذلكم الرباط»[2]، لأن انتظار الصلاة سبب شهودها. وكذلك انتظار العدو في الموضع المخوف فيه إرصاد للعدو وقوة لأهل الموضع وعدة للقاء العدو، وسبب لذلك كله. ومنه قول معاذ بن جبل رضي الله عنه: واحتسب في نومتي، مثل ما احتسب في قومتي[3]، وكان ينام بعض الليل ويقوم بعضه، وبالنوم كان يقوى على القيام وكذلك يقوى برعي الخيل وأكلها وشربها، على ملاقاة العدو إذا احتيج إليها وهذا كله في تعظيم فضل الرباط، لأنه جلوس وانتظار واستعداد للعدو، مع ما فيه من الخوف والروعات أحيانًا. وقد يكتب للرجل عمله الذي كان يعمله إذا حبسه عنه عذر من مرض أو غيره وفي ذلك المعنى شعبة من هذا المبنى"[4].

وقال الطيبي: "وفي كتابة عدد أرواثها وأبوالها حسنات مبالغة في اعتداد الثواب، لأنه إذا اعتبر ما يستقذره النفوس، وينفر عنه الطباع، فكيف بغيرها، وكذا إذا احتسب ما لا نية له فيه، وقد ورد: (وإنما لكل امرئ ما نوى)، من شربها فما بال ما إذا قصد الاحتساب فيه"[5]، وما من شك أن هذا من فضل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[6]،

---

(١) أخرجه أبو داود ١٠٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٩٢٤).

(٢) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٢٣.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٢/١١٥ - ١١٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤/١١ - ١٢.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قَالَ: ((إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إِلى سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ، إِلى أَضْعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِها فَعَمِلَها كَتَبَها اللهُ لَهُ سَيِّئَةً واحِدَةً))[1].

سادسًا - من واجبات الداعية: الأمانة في البيان:

حيث جاء في الحديث: (ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة)، وهذا يعد من الأمانة في البيان، حيث لا يتقول ﷺ على الله ولا يفتي بغير علم ولا يبين أحكام الشرع بدون دليل، قال النووي: "ومعنى الحديث: لم ينزل علي فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة، وقد يحتج به من قال لا يجوز الاجتهاد للنبي ﷺ وإنما كان يحكم بالوحي، ويجاب للجمهور القائلين بجواز الاجتهاد بأنه لم يظهر فيها شيء"[2]، وبناء على هذا كان من أهم واجبات الداعية الأمانة في البيان كما علم الله نبيه ﷺ أن يقول عندما سئل عن الساعة: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[3].

وليحذر الداعي إلى الله من الفتوى بغير علم فإنها أمانة، قال ابن مفلح: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله. وقال مالك: كان رسول الله ﷺ إمام المسلمين وسيد العالمين يسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحي من السماء. وقال الشعبي: لا أدري نصف العلم وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري. وقال أحمد في رواية المروزي: ليس كل شيء ينبغي أن يتكلم فيه، وكان النبي ﷺ يُسأل فيقول: لا أدري حتى أسأل جبريل، وقال سفيان: لقد كان الرجل يستفتى فيفتي وهو يرعد. وقال سفيان أيضًا: من فتنة الرجل إذا كان فقيهًا أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٩١، ومسلم ١٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٣١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٢/٦١ - ٦٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من مهام المربي الأولى: بيان أسس التربية الإسلامية:

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام فقال: (بني الإسلام على خمس...) ولما سأله الرجل النجدي عن أركان الإسلام العملية أخبره فقال: (خمس صلوات في اليوم والليلة)، ثم قال له: (وصيام شهر رمضان)، ثم ذكر له الزكاة، كما أنه ﷺ لما بعث معاذًا إلى قوم من أهل الكتاب أمره أن يبيّن لهم أركان الإسلام، كما أن النبي ﷺ أخبر أنه أُمر بقتال الناس حتى يأتوا بأركان الإسلام من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

لقد بيّن النبي ﷺ أركان الإسلام في هذه الأحاديث، وفي ذلك إرشاد للمربين أن يبينوا للناشئة وغيرهم أسس التربية الإسلامية، وذلك لأن التربية الإسلامية تنبع وتصدر عن معين الإسلام، فأسس الإسلام هي أسس التربية، وأركانه هي أركانها. ليس هناك فرق بينهما ولا اختلاف، وعلى ذلك كان على المربين أن يبينوا الأسس التي تقوم عليها التربية، ويوضحوها لأتباعهم خير توضيح وخير بيان حتى تستقر في أذهانهم وتغرس في أفئدتهم، وينشؤوا على أن هذه الأسس هي التي تستخدم في بيان ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وفي توضيح ما هو حق وما هو باطل، وفي التفريق بين الصواب والخطأ. وأسس التربية الإسلامية ما يلي:

(أ) الأساس العقدي: ويكون بإفراد الله بالوحدانية والعبادة وإخلاص العمل لوجهه، والإيمان بمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، ووجوب اتباعه فيما جاء به، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.

(ب) الأساس التعبدي: ويشمل الصلاة والزكاة والصوم والحج.

(ج) الأساس التشريعي: ويشمل القواعد والضوابط التي نقيم عليها سلوكنا وننظم بها علاقاتنا التي ترسم لنا خطة حياتنا وسلوكنا[1].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٨ وما بعدها، وطرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى الشمري ص ٣٦ - ٣٨.

ثانيًا- التدرج في التعليم:

مبدأ التدرج في التعليم يتضح في حديثين من أحاديث الباب هما:

(أ) حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، عندما جاء رجل من أهل البادية إلى رسول الله ﷺ يسأله عن الإسلام، أي إنه يريد أن يسأله عن كيف يكون مسلمًا، هذا هو الظاهر لنا من الحديث، فلم يعلّمه النبي ﷺ أركان الإسلام دفعة واحدة، بل علّمه - كما يتضح من الحديث - ركنًا بعد ركن حتى إذا عرف ركنًا علّمه الركن الذي بعده، وفي هذا زيادة عناية بتعليمه وتفهيمه.

(ب) عندما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن وبعثه إلى أهل كتاب، أمره بأن يسلك معهم سبيل التدريج في تعليمهم أركان الإسلام، ولا ينتقل من ركن إلى آخر إلا إذا آمنوا وصدّقوا بالأول.

وبناء على ذلك فإن المعلم عليه أن يراعي التدريج في تعليمه، إذا كان المقام يقتضي ذلك، وخاصة مع الطلبة الجدد، أو مع الدروس الطويلة المتشعبة، فلا ينتقل من نقطة إلى أخرى إلا بعد أن يتأكد أن طلابه أتقنوها وأجادوها، "إن على رجال التعليم والتربية الإسلامية، واجب تحبيب العلم لهم باتباع التدرج في تعليمهم وتربيتهم، "لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد بخلاف ضده"[1].

وقد صور ابن خلدون في مقدمته هذا المعنى أفضل تصوير حين دعا إلى التدرج في تلقين العلوم للمتعلمين فقال: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا)، وهذا التدرج يمر بثلاث مراحل: تبدأ الأولى بعرض أصول الفن المراد تعليمه وتشرح له بإجمال، مراعيًا في ذلك قوة عقل طالب العلم واستعداده لتقبل تلك المعارف، ثم ينتقل المربي في المرحلة الثانية من الإجمال في الشرح إلى البسط والتوسع، ويصل في النهاية في المرحلة الثالثة إلى عرض دقائق ذلك العلم وبيان ما اعتورته

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني١/١٧٣.

من خلافات وما تفرعت عنه من مسائل وبذلك (تجود ملكته) فيفتح له المربي مبهمات ذلك الفن ويطرق معه كل أسراره فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته)[1]، ذلك أن الطالب حينما يواجه منذ البداية بتلك المنغلقات (وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له، كلّ ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه، وإنما أتى ذلك من سوء التعليم)[2].

وإذا كان التدرُج مطلوبًا في التعليم، فإنه من ناحية أخرى قد يكون من الأنسب أن يعلّم الطالب دفعة واحدة، وذلك إذا كان عند الطلبة استعداد لذلك، وهذا يستمد من حديثين في الباب:

(أ) عن أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة.

(ب) حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة.

فالملاحظ أن النبي ﷺ ذكر لهما الأعمال التي تدخلهما الجنة جملة واحدة، ولم يسلك معهم سبيل التدرُج، وذلك لأن المقام يقتضي ذلك، فالرجل جاء يسأل عن الجنة، وهذا ينبئ عن شغفه بالعلم واستعداده الطيب لأن يعمل كل ما يوصل إلى الجنة، سواء كان قليلاً أو كثيرًا، كما أنه يسأل عن الجنة وهي أغلى مقصود للمسلم، فيناسبها بذل السائل كل ما في طاقته لأن يفهم ويتعلم ويستوعب حتى يعمل ما يوصله إليها، فلم يكن التدرج هنا مناسبًا.

نخلص من ذلك كله أن التدرج في التعليم يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فقد يكون مناسبًا في موقف على حين لا يكون مناسبًا في غيره، وهذا يحتاج إلى فقه وفهم من المعلم والمربي، وكان النبي ﷺ أفقه الناس وأفهمهم.

ثالثًا- من مهام المعلم: التقويم:

لقد كان التقويم من النبي ﷺ واضحًا في حديثين من أحاديث الباب:

---

(١) مقدمة ابن خلدون ط/ دار الكتب العلمية ط/٤، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م وهي طبعة مصورة، ص ٥٣٣.

(٢) السابق ص ٥٣٤، وانظر: التربية في السنة النبوية ص ٦٩ - ٧٠.

(أ) قوله ﷺ: أفلح إن صدق، عندما أعلن الأعرابي النجدي أنه يلتزم بالصلاة والصيام والزكاة ولا يزيد على ذلك ولا ينقص، فقوم النبي ﷺ قوله ووصفه بالفلاح إن التزم ما عزم عليه.

(ب) قوله ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا، عندما أقسم الأعرابي على أنه لا يزيد على ما أخبره النبي ﷺ أنه يدخله الجنة، فقوّم ﷺ فعله وأثنى عليه وأخبر أنه من أهل الجنة.

أي إننا أمام موقفين قوّمهما النبي ﷺ، وأثنى على صاحبيهما، كذلك فإن السنة النبوية مليئة بالمواقف التي قومها النبي ﷺ ولام أصحابها وحذر من إتيان أفعالهم، من ذلك عندما أُخبر ﷺ عن رجل نام ليلة حتى أصبح عاب على صاحبه وحطّ من فعله فقال: ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه - أو قال في أذنه[1].

وحذّر ﷺ من فعل تارك قيام الليل فقال لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: يا عبدالله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل[2].

إن النبي ﷺ كان يقوّم باستمرار بتقويم أفعال أصحابه وأتباعه، وذلك بغية إصلاحهم، فيثني على الفعل الطيب ليستمر صاحبه عليه ويقتدي به غيره، ويذم الفعل القبيح ليقلع عنه صاحبه ويجتنبه غيره.

وهكذا تأتي عملية التقويم بثمارها التربوية الحيوية، وعلى ذلك فينبغي أن يقوم المربون والمعلمون بالتقويم المستمر، "وحتى يكون للتقويم أثره الصحيح لا بد من المصارحة بالأخطاء ونقدها بقوة -لا تخلو من أدب- فإن المجاملة والمواربة لا تصلحان في هذا المقام، الخطير الشأن، والقسوة في هذا المقام تشبه قَسْوة الجرّاح على المريض حين يسرّح مشرطه في جسده، لكنه يقدر أن هذا التسريح سيكون له أجمل العواقب وأحسنها، فلا يصح إذًا أن يغضب المرء من القوة والمصارحة حال التقويم، بل يبادر بالاعتذار المتلو بالتصحيح، وعلى المقوّم أن يحزم حينًا ويلين أخرى بحسب الحال

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أخرجه البخاري ١١٤٤، ومسلم ٧٧٤.

(٢) متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ١١٥٢، ومسلم ١١٥٩.

والموقف حتى لا يسير بمن معه على وتيرة واحدة من الحزم واللين فيفسد العمل وينبغي أن يكون التقويم شاملاً لكل مناحي العمل فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ولا شاردة إلا قيدها ولا واردة إلا قومها وأعدّ لها العدة اللازمة، وبغير ذلك قد ينفذ الخلل في أثناء الصغائر ليقلبها كبائر، وقد يهدم البنيان الشامخ زوال لبنة منه أو اختلالها"[1].

رابعًا- التربية على الانصياع للحق:

لقد ناقش عمر بن الخطاب أبا بكر الصديق رضي الله عنهما في شأن الذين منعوا الزكاة والتسوية بينهم وبين من كفروا وخرجوا عن الإسلام، فبين له أبو بكر أنه يجب أن يقاتل الاثنين جميعًا، فإذا كان يقاتل من خرجوا عن الإسلام بسبب ردتهم، فإنه يقاتل أيضًا مانعي الزكاة مع بقائهم على الإسلام، لأنهم منعوا ركنًا من أركان الإسلام.

فلما بيّن أبو بكر ما عزم عليه عرف عمر بن الخطاب أنه الحق وانصاع وسلّم، ووقف معه يحارب المرتدين جميعًا حتى قيض الله النصر الباهر للمسلمين.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على الانصياع للحق والتسليم له، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) العمل على جمع كلمة المسلمين وجعلهم يدًا واحدة، لا تذهب بقوتها وهيبتها الأهواء والمنازعات والاختلافات ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[2].

(ب) توفير الوقت والجهد الثمينين اللذين يضيعان في المجادلة بدون وجه من الحق، أو التي تستمر لعدم التسليم بالحق والاعتراف به والاستنكاف من ذلك.

(ج) نشر خلق التواضع واللين والرفق بين جموع الناس، لأن من عرف الحق تواضع ولان وكان رفيقًا، بخلاف من جهله أو استكبر عليه.

(د) نشر العلم الشرعي الصحيح، لأنه طريق معرفة الحق، والوصول إليه. وغير ذلك

---

(١) التدريب وأهميته في العمل الإسلامي، د. محمد موسى الشريف ص ٨٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

من الفوائد التي تنتج عن الانصياع للحق والتسليم به، فعلى المربين أن يسعوا جاهدين لغرس هذه القيمة النبيلة في نفوس الناشئة وغيرهم.

خامسًا- التربية على الأفعال التي توصل إلى الجنة:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن الأعمال التي توصل إلى الجنة، يتضح ذلك جليًا في حديث أبي أيوب رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، فأجابهما النبي ﷺ ودلهما على الأعمال التي توصل إلى هذه الغاية النبيلة، فكان ذلك منه ﷺ إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم ممن يربونهم على عمل الأعمال التي توصل إلى الجنة وتبعد عن النار ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1]، يقول ابن القيم عن صفات طالب الجنة: (طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة بحيث يكون رأسًا في ذلك، مقتدى به فيه - يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة، ثابت الجأش لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحب بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك هجر العوائد، وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب)[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٢) الفوائد ص ٢٧١ - ٢٧٢.

إن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يكون مطلوبهم الجنة، فهي "الدار التي هيأها الله لمثوبة الصالحين من عباده، وأعد فيها من النعيم الروحي والمادي ما عبّر الله عنه في الحديث القدسي: ((أعددتُ لعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر. فاقرؤوا إن شِئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1]))[2].

إن الحياة في هذه الدار هي الحياة الحقة، وإن نعيمها هو النعيم الذي يقصر الخيال البشري عن وصفه، إنه ليس نعيمًا روحيًا خالصًا، ولا نعيمًا ماديًا صرفًا، وإنما هو مزيج من الأمرين معًا، ذلك أن الإنسان نفسه ليس روحًا مجردة ولا مادة بحتًا، إنما هو مركب منهما، والإنسان في الآخرة امتداد لإنسان الدنيا، وإن اختلف الكيف والتفصيل فلا عجب أن يكون في الجنة فاكهة ولحم طير وحور عين ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[3]"[4].

سادسًا- من أساليب التربية: البيعة:

لقد بايع الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم، والبيعة من الأساليب التربوية الخاصة التي لا تكون إلا لمن يتوافر فيه شروط خاصة ومواصفات معينة، إذ أن البيعة تعني: "المعاقدة والمعاهدة والتولية وبذل العهد على الطاعة والنصرة، ومنه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[5][6].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) الإيمان والحياة ص ٤٥ - ٤٦.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٦) معجم لغة الفقهاء ص ٩٥.

والمبايعة أصلها مشتقة من البيع فهي مفاعلة لأن كلا المتعاقدين بائع، ونقلت إلى معنى العهد على الطاعة والنصرة[1].

أي أن البيعة من أساليب التربية الخاصة التي هي أقرب إلى الاصطفاء والاختيار، لذلك ظهرت فيما يلي من مواقف:

أ/ استخدمت في بداية الدعوة إلى الإسلام كما هو واضح في بيعتي العقبة الأولى والثانية، فقد بايع الأنصار النبي ﷺ على أن يحموه مما يحمون منه أولادهم فكان عقدًا خاصًا مع الأنصار نظرًا لأنهم يسكنون موطنًا غير موطن الرسول ﷺ فكان من الاحتمال القوي أن يهاجر النبي ﷺ، وقد حدث هذا بالفعل، فكان الأنسب هنا البيعة ولا شيء غيرها.

ب/ استخدمت البيعة في غزوة الحديبية نظرًا لخطورة أمر مكة، والحاجة الشديدة لفتحها وتطهيرها من الرجس والأوثان، لأن بها بيت الله الحرام وموطن ظهور الإسلام، صحيح أن البيعة كانت على القتال، لكن يلزم عن ذلك عدم الانهزام أمام مشركي مكة مهما كانت الظروف والأحوال، مما يلزم عنه هزيمتهم ودخول مكة فاتحين ظافرين.

ج/ بايع النبي ﷺ النساء، نظرًا لدورهن الكبير في بناء المجتمع الإسلامي الذي يحتاج إلى الجهود الداخلية والخارجية معًا لجعل الكيان الإسلامي حقيقة واقعة للعيان، كما أن النساء يقع عليهن عبء كبير في تربية الأولاد وتوجيههم فاحتاج الأمر أن يبايعن النبي ﷺ على مكارم الأخلاق وفضائلها حتى يكن نموذجًا طيبًا لأولادهن وبناتهن، ومن ثم تكوين الأسرة الصالحة، وما المجتمع إلا عدد من الأسر فإذا صلحت الأسر صلح المجتمع.

د/ لم ينقل أن النبي ﷺ بايع جميع أصحابه بل كان يبايع بعضهم نظرًا لوجود ما يقتضي ذلك من ظروف ومهمات أو صفات تتوافر فيمن يبايعه النبي ﷺ.

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٠/٢٦/١٥٩.

والخلاصة أن البيعة أسلوب تربوي يلجأ إليه المربي مع الصفوة والنخبة من أتباعه إذا اقتضى الأمر ذلك حتى يخرج القادة والكبار والمبدعين والمبتكرين الحاملين لقيم المربي الناشرين لها المدافعين عنها.

سابعًا- التربية بالترهيب:

وهذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الزكاة، حيث رهّب النبي ﷺ من منع الزكاة وذكر صورًا لعقاب بعض مانعي الزكاة، مثل:

(أ) صاحب الذهب والفضة الذي منع الزكاة فيهما بخلاً بهما وتكثيرًا لهما، ومباهاة بهما وتمتعًا ببريقهما ورونقهما الجذاب، من منعهما لذلك فإن الذهب والفضة يكونان عليه وبالاً يوم القيامة، إنه يعذب بهما بعد أن كان يعتقد أنهما يحميانه من السوء والضرر، وأنه يهان بهما بعد أن كان يعتقد أنهما سبب العزة والكرامة، وأنهما يكونان سبب قض مضجعه فجبينه وجنبه وظهره تكوى بهما، بعد أن كان يعتقد أنه ينام عليهما قرير العين مطمئنًا. والخلاصة أنه منع الزكاة في ذهبه وفضته ليحمياه من العذاب والهوان، فإذا بهما يكونان سبب عذابه وهوانه وذلته.

(ب) مانع زكاة الإبل خوفًا من نقصانها، إنه يكون سعيدًا في الدنيا عندما يراها أمام عينه وهي تروح وتجيء لا ينقص منها شيء، بل يعمل على زيادتها، إنها يوم القيامة تطؤه بأخفافها لا يخطئه فصيل واحد منها، فإذا بها مصدر لهوانه وذلّه بعد أن كانت مصدر عزه وافتخاره في الدنيا.

(ج) وكذلك الحال مع صاحب البقر والغنم المانع الزكاة فيهما.

إن هذا الحديث يشتمل على الترهيب من منع الزكاة وعدم إعطائها لمستحقيها وفيه إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أنهم لا يفرحون بمنع شيء واجب عليهم، ولا يسعدون بذلك أبدًا لأن ذلك وبال عليهم بدلاً من أن يكون مصدر تمتعهم وسعادتهم كما يعتقدون ويظنون. إن من منع العلم - مثلاً - بخلاً به وضنًا به ومباهاة به فإنه يعاقب على ذلك يوم القيامة حيث لن ينفعه علمه في الجدال والمناقشة ودفع ما هو ثابت عليه، فقد غاب عنه ما حبسه عن الخلق وقت الاحتياج له، ولا شك أن التربية على

هذا المبدأ المهمّ يحقق فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) المسارعة إلى تأدية الواجبات والالتزامات وعدم تأخيرها لأي سبب من الأسباب والدوافع.

(ب) إشاعة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، ونشر روح التعاون على البرّ والتقوى، وتوفير احتياجات أصحاب الحاجات.

ثامنًا- التربية على الاستنباط:

لقد سئل النبي ﷺ عن الحمُرُ فقال ﷺ: ما أنزل عليّ في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: فيه تعليم الاستنباط والقياس، لأنه شبه ما لم يذكر الله حكمه في كتابه وهو الحمر بما ذكره من عمل مثقال ذرة من خير أو شر إذ كان معناهما واحدًا)[2].

يقول محمد عبدالله الدويش: (ثمة سؤال يفرض نفسه ويقفز إلى أذهاننا: هل نحن نعنى بتعليم الناس وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون ويبدعون ويبتكرون أم إننا نربيهم على تلقي أقوال أساتذتهم بالتسليم دون مراجعة، وربما دون فهم لمضمون القول؟

هل نرى أهدافنا في التعليم أن نربي ملكة التفكير والإبداع لدى طلابنا وأن نعودّهم على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص وعلى الجمع بين ما يبدو متعارضًا؟

وهل من أهدافنا تربيتهم على تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع التي يرونها؟

إن المتأمل في واقع التعليم الذي نقدمه لأبنائنا ليلحظ أننا كثيرًا ما نستطرد في السرد العلمي المجرد ونشعر بارتياح أكثر حين نقدم للطالب كمًا هائلاً من المعلومات، وهو الآخر، لما غرسنا لديه، يقيس مدى النجاح والإنجاز بقدر ما يسطره مما يسمعه من

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٢/١٤١٠ .

أستاذه، والتقويم والامتحان إنما هو أساس ما حفظه الطالب من معلومات واستطاع استدعاء ذلك وتذكره.

وشيء من ذلك حق ولا شك، لكن توجيه الجهد لهذا النوع وهذا النمط من التعليم لا يعدو أن يخرّج جيلاً يحفظ المسائل والمعارف ثم ينساها بعد ذلك، أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه. ولأن تعلّم الجائع صيد السمك خير من أن تعطيه ألف سمكة.

وقل مثل ذلك في الأعمال الدعوية التي نقوم بها، فهل نربي الناس على أن يكونوا عاملين مشاركين مبدعين، أم نربيهم على مجرد الاتباع والتقليد لما عليه كبراؤهم؟

أما النبي ﷺ فكانت تربيته لأصحابه رضي الله عنهم لونًا آخر، ففي تربيته العلمية لهم خرّج علماء وفقهاء ولم يكن يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة.

وكشف الواقع آثار هذه التربية النبوية، ففي ميدان العلم واجهت أصحابه قضايا طارئة مستجدة، لكنهم لم يقفوا أمامها حيارى، فاستثمروا نتاج المادة العلمية التي تلقوها، ولذا اجتهدوا في جمع القرآن وجلد الشارب والخراج واتخاذ السجون وغيرها، وفي ميدان الجهاد وإدارة الدولة والدعوة قضوا في شهور على المرتدين بعد أن حسموا الموقف الشرعي من قضية الردة، ثم اتسعت الدولة ووطئت أقدام أصحاب النبي ﷺ بلاد المشرق حتى وصلوا أذربيجان وما وراء النهر، وبلاد المغرب حتى وصلوا غرب أفريقيا، ودفن منهم من دفن تحت أسوار القسطنطينية، ولو تربى أولئك على غير هذه التربية لما صنعوا ما صنعوا، فأين المربون اليوم الذين يترك أحدهم الفراغ حين يمضي؟ أين هم من هذه التربية النبوية؟)[1].

❁ ❁ ❁

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان ١٢٥، ص ٣٦- ٣٨.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٩٩-باب سنة الظهر	٥
الحديث رقم (١١١٥)	٥
الحديث رقم (١١١٦)	٩
الحديث رقم (١١١٧)	١٠
الحديث رقم (١١١٨)	١٥
الحديث رقم (١١١٩)	٢٠
الحديث رقم (١١٢٠)	٢٩
٢٠٠-باب سنة العصر	٣٧
الحديث رقم (١١٢١)	٣٧
الحديث رقم (١١٢٢)	٤٤
الحديث رقم (١١٢٣)	٤٥
٢٠١-باب سنة المغرب بعدها وقبلها	٥٠
الحديث رقم (١١٢٤)	٥٠
الحديث رقم (١١٢٥)	٦١
الحديث رقم (١١٢٦)	٦٢
الحديث رقم (١١٢٧)	٦٣
٢٠٢-باب سنة العشاء بعدها وقبلها	٦٩
٢٠٣-باب سنة الجمعة	٧٠
الحديث رقم (١١٢٨)	٧٠
الحديث رقم (١١٢٩)	٧٦
٢٠٤-باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام	٨٣
الحديث رقم (١١٣٠)	٨٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١١٣١)	٩٢
الحديث رقم (١١٣٢)	٩٤
الحديث رقم (١١٣٣)	٩٥
٢٠٥-باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته	١٠٧
الحديث رقم (١١٣٤)	١٠٧
الحديث رقم (١١٣٥)	١١٣
الحديث رقم (١١٣٦)	١١٧
الحديث رقم (١١٣٧)	١٢٣
الحديث رقم (١١٣٨)	١٢٤
الحديث رقم (١١٣٩)	١٢٩
الحديث رقم (١١٤٠)	١٣٠
٢٠٦-باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها، والحث على المحافظة عليها	١٤١
الحديث رقم (١١٤١)	١٤١
الحديث رقم (١١٤٢)	١٤٥
الحديث رقم (١١٤٣)	١٤٧
الحديث رقم (١١٤٤)	١٥٤
٢٠٧-باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى	١٦١
الحديث رقم (١١٤٥)	١٦١
٢٠٨-باب الحث على صلاة تحية المسجد وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلّى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها	١٧١
الحديث رقم (١١٤٦)	١٧١
الحديث رقم (١١٤٧)	١٧٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٠٩-باب استحباب ركعتين بعد الوضوء	١٨١
الحديث رقم (١١٤٨)	١٨١
٢١٠-باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها والطيب والتكبير إليها والدعاء يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ وفيه بيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذلك الله تعالى بعد الجمعة	١٩١
الحديث رقم (١١٤٩)	١٩١
الحديث رقم (١١٥٠)	١٩٧
الحديث رقم (١١٥١)	٢٠٦
الحديث رقم (١١٥٢)	٢٠٩
الحديث رقم (١١٥٣)	٢١٨
الحديث رقم (١١٥٤)	٢٢٦
الحديث رقم (١١٥٥)	٢٢٨
الحديث رقم (١١٥٦)	٢٢٩
الحديث رقم (١١٥٧)	٢٣٢
الحديث رقم (١١٥٨)	٢٤٢
الحديث رقم (١١٥٩)	٢٥٠
الحديث رقم (١١٦٠)	٢٥١
٢١١-باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة	٢٦٤
الحديث رقم (١١٦١)	٢٦٤
٢١٢-باب فضل قيام الليل	٢٨٠
الحديث رقم (١١٦٢)	٢٨٠
الحديث رقم (١١٦٣)	٢٨٣
الحديث رقم (١١٦٤)	٢٨٩
الحديث رقم (١١٦٥)	٢٩٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١١٦٦)	٢٩٩
الحديث رقم (١١٦٧)	٣٠٥
الحديث رقم (١١٦٨)	٣١٦
الحديث رقم (١١٦٩)	٣١٨
الحديث رقم (١١٧٠)	٣٢٥
الحديث رقم (١١٧١)	٣٣٢
الحديث رقم (١١٧٢)	٣٣٣
الحديث رقم (١١٧٣)	٣٤١
الحديث رقم (١١٧٤)	٣٤٨
الحديث رقم (١١٧٥)	٣٥٤
الحديث رقم (١١٧٦)	٣٦١
الحديث رقم (١١٧٧)	٣٦٣
الحديث رقم (١١٧٨)	٣٦٥
الحديث رقم (١١٧٩)	٣٧٢
الحديث رقم (١١٨٠)	٣٧٤
الحديث رقم (١١٨١)	٣٨٢
الحديث رقم (١١٨٢)	٣٩٠
الحديث رقم (١١٨٣)	٣٩١
الحديث رقم (١١٨٤)	٣٩٤
الحديث رقم (١١٨٥)	٣٩٥
الحديث رقم (١١٨٦)	٤٠٣
الحديث رقم (١١٨٧)	٤٠٤
الحديث رقم (١١٨٨)	٤٠٦
٢١٣-باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح	٤٢٣
الحديث رقم (١١٨٩)	٤٢٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١١٩٠)	٤٢٩
٢١٤-باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها	٤٣٥
الحديث رقم (١١٩١)	٤٣٥
الحديث رقم (١١٩٢)	٤٤٣
الحديث رقم (١١٩٣)	٤٥٢
الحديث رقم (١١٩٤)	٤٥٤
الحديث رقم (١١٩٥)	٤٥٥
الحديث رقم (١١٩٦)	٤٦٣
الحديث رقم (١١٩٧)	٤٦٥
٢١٥-باب فضل السواك وخصال الفطرة	٤٧٨
الحديث رقم (١١٩٨)	٤٧٨
الحديث رقم (١١٩٩)	٤٨٤
الحديث رقم (١٢٠٠)	٤٨٩
الحديث رقم (١٢٠١)	٤٩١
الحديث رقم (١٢٠٢)	٤٩٧
الحديث رقم (١٢٠٣)	٥٠٢
الحديث رقم (١٢٠٤)	٥٠٣
الحديث رقم (١٢٠٥)	٥٠٧
الحديث رقم (١٢٠٦)	٥٢٥
الحديث رقم (١٢٠٧)	٥٢٧
٢١٦-باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها	٥٣٦
الحديث رقم (١٢٠٨)	٥٣٦
الحديث رقم (١٢٠٩)	٥٤١
الحديث رقم (١٢١٠)	٥٥٣
الحديث رقم (١٢١١)	٥٦٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٢١٢)	٥٦٨
الحديث رقم (١٢١٣)	٥٧٧
الحديث رقم (١٢١٤)	٥٨٨
الحديث رقم (١٢١٥)	٥٩٠
الحديث رقم (١٢١٦)	٥٩٢
فهرس المحتويات	٦٢١

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الخامس عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٥

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٣٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٠٩-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٥)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-٠٩-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٥)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٢١٧- باب وجوب صوم رمضان

وبيان فضل الصيام وَمَا يتعلق بهِ

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة: ١٨٣-١٨٥].

وَأما الأحاديث فقد تقدمت في الباب الَّذي قبله.

الحديث رقم (١٢١٧)

١٢١٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي[1] صَائِمٌ. وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ روايةِ البُخَارِي.

وفي روايةٍ لَهُ[3]: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا)).

وفي رواية لمسلم[4]: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعَفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ

---

(١) عندهما زيادة: ((امرؤ)). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه، وهي لا توجد عنده.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١٦٣/١١٥١). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٢٨). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٤٨).

(٣) أخرجها البخاري (١٨٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٤٢٨).

(٤) برقم (١٦٤/١١٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٢/١٤٢٨).

ضِعْفٍ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجُنَّة: الوقاية والستر[١].

يرفث: من الرفث: وهو الكلام الفاحش، يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها[٢].

يصخب: من الصخب: وهو الخصام والصياح[٣].

سابَّه: شاتمه[٤].

الخُلوف: تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام[٥].

المسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٦].

الشرح الأدبي

الصوم من الأركان التي فرضها الله لتهذيب النفس البشرية، وتحقيق الصفاء الروحي وخلاص الروح من سيطرة الجسد مع إشعار الغني بغيره من الفقراء والمساكين، ولتحقيق هذه الأهداف كان الرسول ﷺ حريصاً على تقويم كل خطأ من شأنه أن ينقصها ويؤثر على الصائم سلباً، وفي هذا الحديث نجد الرسول ﷺ يبين

---

(١) فتح الباري ٤/١٢٥.

(٢) فتح الباري ٤/١٢٦، والمعجم الوجيز مادة (خ ل ف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٤) المرجع السابق في (س ب ب).

(٥) فتح الباري ٤/١٢٧.

(٦) المعجم الوسيط في (م س ك).

فضل الصيام عند الله وعلى صاحبه وعلى المجتمع ويبين جزاء الصائم في الدنيا ويصف خلجات نفسه ومشاعره عند تمامه، ولتحقيق كل هذه الأغراض استخدم الرسول ﷺ كثيراً من الأساليب البلاغية اتسمت بالدقة والرقة والتناسق منها: بداية الأسلوب بالخبر الخالي من المؤكدات، وهو ما يقابل به خالي الذهن غير المنكر أو المتردد مما يوحي بأن الأمر ليس فيه شك، وأن الأمر واضح لا ينكر، وهو نقل الرسول ﷺ عن ربه، وقول الرسول ﷺ (قال الله) ارتقاء بمستوى الحوار البشري بين الرسول ﷺ والمخاطبين من أمته إلى مستوى الحوار الإلهي للبشر، وذلك أدعى للإصغاء مع توفير مشاعر الهيبة والخشوع لقدسية الحديث الأمر الذي يجعل المخاطبين أسرع فهماً وأكثر استيعاباً، وأسرع إذعاناً لمضمون الخبر.

وبداية القول المحكي عن الله توحي بسيطرة الألوهية في تحديد قيمة العمل، وقبوله من عدمه، ومقدار ثوابه مع ما توحي به من رعاية الربوبية من إكرام للصائم وتلقى عمله بالثواب الجزيل الذي جعل الله جزاءه منه مباشرة مبالغة في تكريمه للصائم، وبداية الخبر الإلهي بلفظ العموم (كل) مع إضافته إلى لفظ (عمل) النكرة أيضاً يفيد استقصاءً لكل الأعمال يقتضى خصوصية للصوم دون جميع الأعمال يكون لله، لعدم وقوع الرياء فيه كما يقع في غيره؛ لأنه لا يظهر من ابن آدم بفعله؛ وإنما هو شيء في القلب لا يطلع عليه إلا الله، وأسلوب المبالغة، في قوله (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام..) حيث جعل الصيام يفوق كل الأعمال خصوصية، وفضلاً بأن اختص الله نفسه بجزائه مباشرة دون سائر الأعمال، وهذا التركيب عند ابن السبكي يفيد القصر وعلى قول ابن السبكي يكون في قوله:(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام) قصر عدم نسبة عمل ابن آدم له على الصيام قصر صفة على موصوف وهذا القصر في إطار تقويم الخطأ وبيان فضل الصوم يؤكد خصوصية الصوم ومنزلته عند الله ورضاه به أكثر من غيره من الأعمال"، وأساليب التوكيد من الوسائل المستخدمة في تقرير أفضلية الصوم، وتقويم ما يتعلق به من أخطاء حتى يأتي في أتم صورة تحقق أهدافه وقد تعددت أشكال التوكيد وصوره خدمة للغرض ووفاءً بالمعنى منها: أولاً: في قوله ﷺ

(فإنه لى) أكد الجملة بإن مع اسمية الجملة عناية بالخبر واهتماماً بشأنه أو لغرابة الخبر لما هو معلوم أن العبادات كلها له – تعالى – وإنما خص الصوم إشارة لفضله وتنويهاً يعظم جزائه وتنبيهاً للعبد إلى أدائه في أتم صورة لعلمه بتلقي الله للصوم بهذه الحفاوة وإفراده بهذه الخصوصية مما يدفعه إلى المبالغة في كمال أدائه والحرص على حسن تمامه، ثانياً: قوله (وأنا أجزي به) تقديم الضمير (أنا) يحتمل أن يكون للتخصيص فيفيد القصر لجزاء الصوم على الله وحده ونفيه بالمفهوم عمن سواه ويحتمل أن يكون للتأكيد، أو للتقوية والغرض بيان كثرة الثواب إذ عظمة المعطى والمجازى دليل على عظمة المعطى، ثالثاً: قوله (إني امرؤ صائم) تأكيد هذه الجملة لتنزيل المخاطب منزلة المنكر، لأن الشاتم والساب يكون في حالة غضب وانفعال فاحتاج إلى تأكيد على خطورة ما يفعل من سبٍّ صائم ولتأكيد أن الواجب على الصائم أن لا يبادله السب طهارة لنفسه وصوناً لعمله ولعله يستحى ويقصر.

رابعاً: التأكيد بالقسم في قوله:(والذي نفس محمد بيده) وهذا القسم بهذه الكيفية يحقق عدة فوائد: الرهبة والهيبة التي توحي بها ألفاظ القسم التي تصور روحاً هي أطهر روح في قبضة هي أقوى قبضة، روح رسول في قبضة مرسل فلا يتصور أن يكذب الرسول –فيما أخبر به عن المرسل والحالة ثَمْ بالإضافة إلى أن الحالف لم تؤخذ– عليه قط كذبة – ثم التشويق الذي ينشأ عن سماع القسم من صادق لا يكذب ولم يُكذَّب ولا يعلم داعيه قبل مما يجعل المخاطب متطلعاً مستشرفاً إلى معرفة المقسم عليه بالإضافة إلى ما يحدثه بألفاظه من مردود نفسي يزكى جذوة الاستشراف والتطلع، والتنبيه على شرف المقسم عليه، وخطره إذ لا يصدر القسم ابتداءً إلا على أمر ذي بال، كما وفَّر القسم الإصغاء والترقب وضمن للمقسم عليه الثبات في أذهان المخاطبين من جهة وذيوعه من جهة أخرى إذ لا يخلو المقسم عليه من طرافة أو خطر ثم إن التأكيد باللام في قوله (لخلوف فم الصائم) تصعيد للتأكيد الذي أحدثه القسم، وضمان لاستمرارية الأثر الناتج عنه في وجدان المخاطبين، ثم جاء التشبيه وهو من الوسائل البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لبيان أثر الصوم، وقيمته وفضله ترغيباً

فيه وتقويماً لخطأ تركه أو الانتقاص من أركانه، وذلك في قوله (الصيام جنة) وهو تشبيه بليغ حيث شبه الصيام في حفظه للإنسان من الأخطار بالجُنة وهي الترس الذي يحتمي به الإنسان والوجه منع وصول الأذى في كل، ومعناه: أن الصيام يقي صاحبه شر الذنوب التي تؤدي به إلى عذاب النار.

والمتأمل لوجازة جملة التشبيه واتساع معانيها يجد أن كل ما يتعلق بلفظ: (جنة) من الحفظ والستر والمنع، وما يتعلق بصاحبها من تجنب للمخاطر وبُعد عن أسبابها وما يرتبط بذلك من نتاج، وغايات وآثار شعورية اجتمعت كلها في إطار واحد لدى هذا اللفظ المقترن بلفظ الصيام، والموضح لطبيعته، وفوائده، وغاياته، وآثاره.[1] كما استخدم أسلوب الشرط، وهو من وسائل التشويق، وبعث النشاط، وإثارة الترقب لارتباط المقدمة فيه بالنتيجة وتبشيرها بها، وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الشرط في هذا الحديث مرتين لتحقيق ذلك، ولوضع الحلول المناسبة للمواقف المناسبة حتى لا يقع الصائم في خطأ يترتب عليه نقص ثوابه، وقد استخدم ﷺ أداة الشرط (إذا) مرة، و(إن) مرة ولكل موقعها وأسرارها في التعبير من ذلك: قوله ﷺ (وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب) وشرط الرسول يبين ما يجب أن يكون عليه الصائم من صفاء نفس وصلاح حال، ولا يجب عليه أن ينساق وراء أي قاطع له عن اتصاله بربه ولا يرد السوء بالسوء ولا يخرج عن سكونه، فقد ربط الرسول ﷺ بأسلوب الشرط بين الكون في يوم الصيام، وهو الشرط وبين ترك الرفث والصخب الذي هو الجزاء حتى لا يخرج الصائم عن حاله فيضيع هدف الصوم، وتهذيب النفس واستخدام الرسول ﷺ لأداة الشرط (إذا) التي توحي بتوقع الحدوث إشارة إلى أن المؤمن كثير الصوم كثير التقرب إلى الله، والشرط الثاني الذي وضعه الرسول ﷺ علاجاً لموقف معين ومنعاً من التردي في الخطأ الذي ينقص أجر الصائم قوله ﷺ (فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني امروء صائم) وجملة الشرط هي (سابه أحد أو شاتمه) وجملة الجواب (فليقل إني امروء صائم) ويتبين من هذا الشرط ما يجب أن يكون عليه الصائم من مقابلة

---

(١) انظر: كتاب من الخصائص البلاغية واللغوية لأسلوب الحديث النبوى ص ٣٥٧.

الإساءة بكظم الغيظ، والرد الحسن، وتذكير نفسه بانقطاعه بالصيام إلى الله وتذكير لشاتمه بأنه في حال وصال مع الله، وفي هذا إظهار لقبح فعله بوضعه إزاء فعل الصائم إذ من المعروف أن الضد يظهر حسنه الضد، وهو درس من دروس الصوم التي يهدف إلى غرسها في المؤمنين في التحكم في الشهوة الغضبية والسيطرة على النفس وكبح جماحها فلا يحملهم جهل جاهل على الخطأ، واستخدام أداة الشرط (إن) دون غيرها توحي باستبعاد حصول فعل الشرط وهو الشتم والسباب، وفيه إشارة إلى وجوب نقاء المجتمعات المسلمة من صور السباب والشتم واستخدام إن ينادى باستبعاد وقوع فعل الشرط بين المؤمنين ولذلك ناسب استخدام (إن) للمقام التي توحي ببعد حصول الشرط.

كما استخدم أسلوب النهي في تقويم أخطاء الصائمين في إطار منع ما يمكن أن يخدش الصيام أو يفسده، وقد ورد النهي فيما يخالف أخلاق الصائم، ويؤثر على تحقيق الهدف من الصوم في قوله (فلا يرفث ولا يصخب) والرفث: الفحش والصخب: الخصام والصياح وهو ينافى السكون والخشوع الذي يجب أن يتحلى به الصائم، ولا يفهم من النهي هنا أن غير الصائم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم. ثم تبعه بأسلوب الأمر: وقد ورد أسلوب الأمر في إطار تقويم أخطاء الصائمين في تحديد الرد الصائب الذي يجنبه الخطأ في جواب الشاتم، أو الساب وذلك في جواب الشرط في قوله (فليقل إني صائم) إرشاداً وتنبيهاً وتوجيهاً للصائم إلى ما يجب على الصائم في هذا الموقف[1].

فقه الحديث

١- **قال النووي عن وجوب صوم رمضان:**

(ورد هذا الحكم وهو كون صوم رمضان ركنًا وفرضًا - مجمع عليه، ودلائل الكتاب والسنة والإجماع متظاهرة عليه، وأجمعوا على أنه لا يجب غيره)[2].

---

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ٢٩٠، ط١ دار البصائر – القاهرة.

(٢) المجموع ١٦٤/٦ .

٢- السواك للصائم بعد الزوال:

ذهب الشافعية إلى كراهة السواك للصائم بعد الزوال، احتجاجًا بهذا الحديث[١]. وفي ذلك يقول أبو إسحاق الشيرازي: (ولا يكره [أي السواك] إلا في حالة واحدة وهو للصائم بعد الزوال، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" والسواك يقطع ذلك، فوجب أن يكره، ولأنه أثر عبادة مشهود له بالطيب، فكره إزالته كدم الشهداء)[٢].

وقال النووي في شرح ذلك: (لا يكره السواك في حالٍ من الأحوال لأحدٍ إلا للصائم بعد الزوال فإنه يكره، نصّ عليه الشافعي في الأم، وفي كتاب الصيام من مختصر المزني وغيرهما، وأطبق عليه أصحابنا. وحكى أبو عيسى الترمذي في جامعه في كتاب الصيام[٣] عن الشافعي أنه لم ير بالسواك للصائم بأسًا أول النهار وآخره، وهذا النقل غريب وإن كان قويًا من حيث الدليل، وبه قال المزني وأكثر العلماء وهو المختار)[٤].

٣- قال النووي: (يستحب صون نفسه في رمضان عن الشهوات فهو سرّ الصوم، ومقصوده الأعظم، وأن يحترز عن الغيبة والكلام القبيح والمشاتمة والمسافهة وكل ما لا خير فيه من الكلام)[٥].

٤- قال النووي: (السنة إذا شتمه غيره أو تسافه عليه في حال صومه أن يقول: إني صائم إني صائم مرتين أو أكثر؛ روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصيام جنّة فإذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤء قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم مرتين))[٦].

قلت [القائل النووي]: (قيل إنه يقول بلسانه ويسمع الذي شاتمه لعله ينزجر، وقيل:

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ٢٦/٨/٤ .

(٢) المهذب، المطبوع مع شرحه المجموع ١٥١/٦ .

(٣) سنن الترمذي ص ١٨٤، بعد الحديث ٧٢٥.

(٤) المجموع ١٥١/٦-١٥٢ .

(٥) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٦) أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١، ١٦٠.

يقوله بقلبه؛ لينكف عن المسافهة ويحافظ على صيانة صومه، والأول أظهر، ومعنى شاتمه: شتمه متعرضًا لمشاتمته، والله أعلم)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مصادر الدعوة: الحديث القدسي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: آداب الصوم.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم.

أولاً - من مصادر الدعوة: الحديث القدسي:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (قال الله عز وجل...)، والأحاديث القدسية هي التي يحكيها النبي ﷺ عن الله عز وجل بأسلوب غير القرآن الكريم، وتحمل نوعًا من الموعظة التي تدور على تبيان عظمة الخالق، وسعة رحمته بعباده، ودعوتهم إلى أن يكون عملهم على توافق مع العقيدة، وهذه المواعظ وإن كانت على غير ما نعهد من أسلوب القرآن الكريم، ولكن الصحيح منها تبدو عليه سيما الجلال وتلفُه نفحات التقديس والتنزيه مما يشعر المرء بعظمة وجلال المنسوب إليه سبحانه، كما في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ: أعددتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر))[٢].

فالحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ من كلام الله تعالى، ولا يبدو في الأحاديث القدسية لون من ألوان الأحكام التكليفية، أو جواب على سؤال معين، أو معالجة لواقعة معينة، وإنما الملاحظ أنها تؤدي نوعًا من التوجيه الرباني العظيم، مما يتعلق بصحة العقيدة بالله عز وجل وكمال قدرته وعظمته وسعة رحمته، وبسلامة

---

(١) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٩، وانظر: فتح الباري ٤/١٥٠ .

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٩٨، ومسلم ٢٨٢٤.

السلوك وصحة العمل الذي ينسجم مع تلك العقيدة"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الصوم بين العبادات:

يظهر ذلك في قول الله تعالى: (كلُّ عملِ ابنِ آدمَ لهُ، إلاّ الصِّيامَ فإنهُ لي وأنا أجْزي به).

قال المازري: "تخصيصه الصوم هاهنا بقوله: (لي) وإن كانت أعمال البر المخلصة كلها له تعالى، لأجل أن الصوم لا يمكن فيه الرياء، كما يمكن في غيره من الأعمال، لأنه كف وإمساك، وحال الممسك شبعًا أو لفاقةٍ كحال الممسك تقربًا، وإنما القصد ما يبطنه القلب هو المؤثر في ذلك، والصلوات والحج والزكوات أعمال بدنية ظاهرة يمكن فيها الرياء والسمعة، فلذلك خصّ الصوم بما ذكره دونها"[٢].

وقال القاضي: "وقال أبو عبيد معناه: أنا أتولى جزاءه، إذ لا يظهر فتكتبه الحفظة، إذ ليس من أعمال الجوارح الظاهرة، وإنما هو نية وإمساك، فأنا أجازي به من التضعيف على ما أحب. وفي قوله: (الصوم لي)، وتخصيصه بيان عظيم فضله، وكثرة ثوابه، ويدل عليه قوله: (أنا أجزي به)، وقال الخطابي: قوله: (لي) أي ليس للصائم فيه حظ، قال: وقيل: إن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فكأنه يتقرب إلى الله بما يتعلق بشبه صفة من صفاته، وإن كان تعالى لا شبه له في صفاته"[٣]، وقيل: فيه تخصيص الصوم وتشريفه بإضافته إليه تعالى، فقال كما قال: بيت الله، والكل لله تعالى، وقيل: (لي): أي المنفرد (بعلم) مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، كما قال: (وأنا أجزي به)، قال: وغيره من الحسنات اطلعت على مقادير أجورها، كما قال: (كل حسنة بعشر أمثالها) الحديث، والصوم موكّل إلى سعة جوده وغيب علمه، كما قال

---

(١) انظر: لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح، ط٣ المكتب الإسلامي: ١٣٩٩هـ، ص ٤٥-٥١.

(٢) المعلم بفوائد مسلم ٣١٨/١.

(٣) انظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، باب: هل يقول: إني صائم إذا شتم، حيث قال: أي خالص لي لا يطلع عليه أحد فيكون لنفس صاحبه منه حظ فيه ٩٤٦/٢.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١][٢].

قال النووي: "وقوله تعالى: (وأنا أجزي به)، بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء"[٣].

وقال ابن عثيمين: "والمعنى: أن الصيام يختصه الله سبحانه وتعالى من بين سائر الأعمال لأنه - أي الصيام - أعظم العبادات إطلاقًا، فإنه سر بين الإنسان وربه؛ لأن الإنسان لا يُعلم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، هو مع الناس ولا يعلم به، نيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا فاختصه الله من بين سائر الأعمال.

ومما يدل على فضل ومنزلة الصوم بين العبادات: أن عمل ابن آدم يزاد من حسنة إلى عشرة أمثالها، إلا الصوم فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني: أنه يضاعف أضعافًا كثيرة، قال أهل العلم: ولأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة، ففيه: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: آداب الصوم:

ويظهر ذلك في قوله تعالى: (... فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ. فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ).

قال القرطبي وقوله: "فإذا كان يوم صوم أحد كم فلا يرفث ولا يصخب" لا يفهم من هذا الشرط أن غير يوم الصوم يباح فيه الرفث والصخب، فإنهما ممنوعان على الإطلاق، وإنما تأكد منعهما بالنسبة إلى الصوم)[٥].

قال ابن عثيمين: "يعني: لا يقول قولاً يأثم به ولا يصخب فيتكلم بكلام صخب، بل يكون وقورًا مطمئنًا متأنيًا فإن سابه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول:

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١١/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٣٩٣/٢.

(٥) المفهم ٦١٤/٣.

إني صائم، يقول ذلك لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عن أن اقابلك بما سببتني ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، وعلى هذا فيقوله جهرًا"[١].

فآداب الصوم تجعل الصائم حريصًا على التخلق بالأخلاق الحسنة حتى لا يفسد صومه، فيحبس لسانه عن اللغو. والسباب الانطلاق في أعراض الناس، والسعي بينهم بالغيبة والنميمة المفسدة. كما يردعه الصيام عن الغش والخداع والتطفيف والمكر وارتكاب الفواحش، وأخذ الربا أو الرشا، وأكل أموال الناس بالباطل بأي نوع من الاحتيال. ويجعل المسلم يسارع في فعل الخيرات من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة على وجهها الصحيح وجهاتها المشروعة، ويجتهد في بذل الصدقات وفعل المشاريع النافعة،ويحرص على تحصيل لقمة العيش من الوجه الحلال، ويحذر من اقتراف الإثم والفواحش فضلاً عن الاسترسال بها. وإذا نسي أو غلبته نفسه على فعل معصية، ذكر الله سريعًا فأناب إليه واستغفر وتاب مما أصاب، لما غرس فيه صوم هذا الشهر المبارك من مراقبة الله وخشيته، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٢].

ولذا وجب على الصائم أن يتحفظ أكثر مما ينبغي أن يتحفظ، فقد قال رسول الله ﷺ: ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه))[٣]، فالصيام تهذيب لا تعذيب، فإذا لم يؤت ثمرته النافعة فليس النقص منه، وإنما النقص من سوء تصرف الصائم، وعدم صحة قلبه وطهارة ضميره، وعدم حسن تفكيره"[٤].

رابعًا – من أهداف الدعوة: تهذيب وتربية المدعوين من خلال الصوم:

يظهر ذلك في قوله تعالى: (والصيام جُنة)، قال النووي: "ومعناه: سترة ومانع من

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٣٩٤/٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٣.

(٤) انظر: الصوم، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، ط/١ دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٥- ١٦.

الرفث والآثام ومانع أيضًا من النار ومنه المجن وهو الترس ومنه الجن لاستتارهم"[١].

والصوم من الأشياء التي تهذب نفس المسلم وتعوده على الإخلاص، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٢].

قال ابن كثير: "لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان[٣]، ولهذا ثبت في الصحيحين: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))[٤].

والصوم يعود النفس على الصبر والتقوى ويعود على الإخلاص، ويهذب الغرائز والشهوات.

فإن كثيرًا ما تتغلب مادية الإنسان على روحانيته؛ لالتصاقه بالأرض واشتغاله بمطالب بدنه، فكان لا بد من إتاحة فرصة للروح تتلذذ فيها بمشارفة العالم العلوي، وتتخلص من قيود المادة وأدرانها.

ولما كانت أبرز مظاهر البهيمية هي الأكل والشرب والشهوة، شرع الصيام عن هذه الأشياء، فكان موسمًا روحيًا يتشبه فيه الإنسان بعالم الملائكة، ويتجرد لعبادة ربه فيحظى بإقباله وغفرانه، وينعم بثوابه ورضوانه، وصدق الله العظيم: ((يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أجْلي، الصِّيامُ لي وأنا أجْزي به، والحسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها))[٥].

والصوم مدرسة للنفس ومستشفى للبدن، يتلقى الصائم فيه دروسًا عملية في تحمّل الصبر وتحمل المشاق، وقوة الإرادة بينما يدع أجهزته الهضمية تستريح من عنائها الطويل.

وإذا كانت حكمة الصوم هي التهذيب والتأديب والتربية فإنه لا صوم لمن يدع

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٧١٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٧/١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٩٤.

الطعام والشراب ولا يدع قول الزور والفحش والسباب، وصدق رسول الله ﷺ: ((رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ))[1][2].

(١) أخرجه ابن ماجة ١٦٩٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن ابن ماجة ١٣٧١).

(٢) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

الحديث رقم (١٢١٨)

١٢١٨- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ أنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سَبيلِ اللهِ نُودِيَ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بأبي أنْتَ وَأُمِّي يَا رسولَ اللهِ! مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرورةٍ، فهل يُدْعى أحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: ((نَعَمْ، وَأرْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنفق زوجين: أنفق شيئين من أي صنف من أصناف المال من نوع واحد[2].

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة يختص بدخول الصائمين منه[3].

ضرورة: أي نقص ولا خسارة[4].

الشرح الأدبي

يدل – هذا الحديث – على سعة أبواب الخير، وكثرتها، وتنوعها، ويرغب في الاجتهاد فيها، ولذا بنى على الشرط وجوابه – وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧/٨٥) ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

(٣) المرجع السابق ١٣٤/٤.

(٤) المرجع السابق ١٣٥٢.

العاقبة، وقوله (نُودِيَ مِنْ أبْوَابِ الجَنَّةِ) بناء الفعل للمفعول يجعل العقل يذهب في تخيله كيف يشاء، وجمع الأبواب للتكثير الذي يصعِّد الترغيب في العمل، وإضافتها للجنة تزيد الرغبة فيها، والنداء المحكي في قوله (يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا خَيرٌ) يدل على مدى الحفاوة به، وفيه إشادة وتنويه بأصحاب هذه الأعمال كما أنها ترغب السامعين في الاجتهاد – ثم ذكر نماذج السعداء الذين ينادون من هذه الأبواب ليفكر كل سامع، في حاله من أي باب أدعى؟ (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة – ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة " ونلمح أن الرسول صلى الله علية وسلم بدأ بأهل الصلاة: لأهميتها في حياة الفرد والجماعة بل في حياة الدول لأنها تصلح الصلة بين الإنسان، وخالقه من ناحية، وبينة، وبين المحيطين به من ناحية أخرى، وأتى بعد " أهل الصلاة " بأهل الجهاد " و" الصيام " و" الصدقة "، لأن الصلاة تغرس فيهم حب الجهاد، والتضحية، والزكاة عن أعضاء الجسد بالصيام، والزكاة عن الأموال، والنعم بالصدقة، والاستفهام في قول أبى بكر رضي الله عنه: " فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها " الاستفهام هنا على حقيقته يدفعه رجاء وثّاب إلى معالي الدرجات في نفس الصديق أكثر الناس خوفا، ورجاء بعد رسول الله، وقد وافقت إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم، خفي رجائه فبشره الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بقوله: " نعم وأرجوا أن تكون منهم " وهذه الإجابة من المصطفى تدل على حسن ظنه في الله تعالى وحسن ظنه بصاحبه، وحسن أدبة مع ربه، لأنه ترجى ربه أن يكون أبو بكر من هؤلاء، وهذا يوحى بأن دخول الناس الجنة يكون برحمة الله قبل كل شيء. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: "إني لأرجو أن تكون منهم" فيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب وغيره، والله أعلم)[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٠٤/٧/٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الإنفاق في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة).

قال القاضي عياض: "وقيل درهم ودينار، ودرهم..، وثوب، والزوج: الفرد، قال الله تعالى: ﴿كُلٌّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1]، ويقع الزوج على الاثنين أيضًا، وقيل: إنما يقال للفرد: زوج، إذا كان معه آخر، والزوج الصنف، وقيل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[2]، قيل: وقد يحتمل أن يكون هذا في جميع أعمال البر من صلى صلاتين، أو صام يومين. والمقصود من هذا كله -والله أعلم- تشفيع صدقته بأخرى مثلها، والتنبيه على فضل الصدقة والنفقة في سبيل الله، والاستكثار منها[3].

وفضل ثواب الإنفاق في سبيل الله عظيم وهذا ما بيّنه المولى عز وجل في كتابه

---

(١) سورة هود، آية: ٤٠.

(٢) سورة الواقعة، آية: ٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٥٥/٣.

الكريم فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف"[2].

وقال ﷺ: ((من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مئة ، ومن أنفق على نفسه أو على أهله أو عاد مريضًا أو ماذ أذى عن طريق فهي حسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطّة))[3].

ففضل الإنفاق في سبيل الله عظيم وثوابه جزيل والله لا يضيع أجر المحسنين.

وإن الإنفاق في سبيل الله ينبغي أن يكون من المال الطيب الذي يحبه الإنسان بالفطرة، ولولا إيمانه ورجاؤه ثواب الله تعالى، فإنه يحرص عليه ولا ينفقه إلا في مصالحه الخاصة، قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[4]، فالله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيبًا، وهذه النفقة من المال الطيب هي التي يتقبلها الله تعالى من عباده، ويثيبهم عليها الجنة بمنه وكرمه، وذلك أن المنفق آثر الله تعالى بالمال طلبًا لمرضاته على نفسه وأهله كما فعل الأنصار مع المهاجرين فخلّد القرآن ذكرهم، فقال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[5]، وقد ألمحت آيات أخرى إلى أن إنفاق الإنسان ما يحبه أفضل الطاعات.

وقد يتوهم بعض الناس أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله عندما يتخلصون من بقايا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١، وماذ الأذى أي: نحاه وأبعده.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٥/١ - ١٩٦، رقم ١٦٩٠ - ١٧٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٢٢٠١٣، ٢٢٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٥) سورة الحشر، الآية: ٩.

الطعام وبالي الثياب وعتيق الأثاث، فيلقونه بكبرياء إلى المستضعفين، فإن هذه ليست النفقة الطيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾[1]، بل ليس من الأدب مع الله تعالى أن يقرضه الإنسان أردأ ما عنده، ويبقي لنفسه المال الحسن الطيب فإن الله تعالى يقول: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾[2]، فالله هو الذي يأخذ الصدقات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

والإنفاق في سبيل الله من الأمور المندوبة والواجبة من أموال الأفراد الخاصة أساس في بنية المجتمع الإسلامي، وهو يهدف إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، والانتعاش الاقتصادي بدوران المال بين عدد كبير من الناس مما يثمر حركة نشيطة في البيع والشراء نتيجة ارتفاع القدرة الشرائية عند الأفراد، لذلك سعى الإسلام إلى توزيع الثروات وتفتيتها وتأكيد الحقوق العامة فيها، فنهى عن السرف وتبديد المال وحجر على السفهاء، وشرع نظام الميراث الذي يفضي إلى عدم حصر الثروة بابن العائلة الكبير أو بالذكور مستهدفًا أن تعم الفائدة على أكبر عدد من الناس، وكذلك تشريع الزكاة يهدف إلى الارتفاع بمستوى الفئات الفقيرة من أبناء المجتمع، وتحقيق مشاركتهم في التملك والاستثمار والاستهلاك مما يعود بالخير على تماسك المجتمع وتحقيق المودة بين المسلمين إضافة إلى تنشيط الحركة الاقتصادية[4].

والإنفاق له أثر على أخلاق الناس فهو يخلصهم من الشح وهو: عدم الإجمال في الطلب والتكالب على الجمع ومن البخل وهو: التقتير خوفًا من الفقر أو حبًا للمال ورغبة في عدم التفريط فيه، حتى أن البخيل قد يكتفي بالجمع للمال دون أن يظهر أثر

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.

(٤) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٠٧ - ٣١١.

نعمة الله عليه في ملبسه ومأكله ومسكنه. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[1][2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الصلاة والجهاد والصيام والصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة).

قال القرطبي: "وقوله: (فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، أي: من المكثرين لصلاة التطوع، وكذلك غيرها من أعمال البر المذكورة في هذا الحديث، لأن الواجبات لا بد منها لجميع المسلمين. ومن ترك شيئًا من الواجبات إنما يخاف عليه أن ينادى من أبواب جهنم فيستوي في القيام بها المسلمون كلهم، وإنما يتفاضلون بكثرة التطوعات التي بها تحصل تلك الأهلية التي بها يُنَادَوْن من تلك الأبواب"[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة)، وذكر مثله في الصدقة والجهاد والصيام، قال العلماء: معناه من كان الغالب عليه في عمله وطاعته ذلك"[4].

فمن كان غالب عمله وطاعته في الدنيا عمل من هذه الأربعة نودي من باب الجنة الخاص بها يوم القيامة، ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((لِكُلِّ أَهْلِ عَمَلٍ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُدْعَوْنَ مِنْهُ بِذَلِكَ الْعَمَلِ))[5]. فأبواب الجنة تنادي أهل الأعمال الصالحة بأعمالهم.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١٢.

(٣) المفهم ٣/٧١ - ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٥١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٤٤٨، رقم ٩٨٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ١٥/٤٩٦.

فمؤدي الفرائض كاملة محب لله ومؤديها وبعدها النوافل محبوب من الله؛ يدل على ذلك الحديث الذي يرويه رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى وفيه: ((.... وما تقرَّبَ إليَّ عَبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افترضْتُ عليه، وما يَزالُ عبْدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحبَّه، فإذا أحبَبْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يَبطشُ بها، ورِجلَه التي يمشي بها، وإنْ سألني لأُعطِيَنَّه، ولَئِنِ اسْتَعاذَني لأُعيذَنَّه))[1].

فللمتقرب بالنوافل إذن خصوصية وميزة، تجعله أعلى مرتبة من مؤدي الفرائض فقط ذلك؛ لأن الفرائض مطلوبة من العبد أصلاً وهو مكلف بها وآثم بتركها والتفريط فيها. وقد مثّل ابن حجر لذلك بمثل يقرب الفكرة ويجلي الصورة، قال: "جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرِّب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين" ثم أضاف بيان فائدة أخرى للنوافل فقال: "وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث: ((أنظروا هل لَعَبْدِيَ منْ تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من الفريضةِ ...))[2]، فتبين أن المراد بالتقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض، لا من أخل بها"[3].

فهما صنفان من الناجين الفائزين، الصنف الأول المحب لله: مؤد لفرائض الله، وقّاف عند حدوده، والصنف الثاني المحبوب من الله: متقرب بعد الفرائض بالنوافل، وهذا مقصود ابن القيم بقوله: "... فإنها موصلة إلى درجة المحبوبية بعد المحبة، فالمحبون المتقربون بالفرائض والمحبوبون المتقربون بالنوافل بعد الفرائض هم أولياء الله وأصفياؤه، وخيرته من الخلق، وفي هؤلاء وأولئك تنزلت الآيات ووردت الأحاديث"[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٣٣٧).

(٣) فتح الباري ٣٥١/١١.

(٤) الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها الإمام ابن القيم، إعداد: د. عبدالعزيز مصطفى، ص ٣٨ - ٣٩.

ثالثًا - من واجبات الداعية: تبشير أهل الطاعة والفضل:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بشّر رسول الله ﷺ أهل الأعمال الصالحة في الدنيا من إنفاق في سبيل الله وصلاة وجهاد وصوم وصدقة بمناداة أبواب الجنة لهم، كل باب ينادي صاحب العمل الذي يخصه، وفي ذلك تبشير لأهل الطاعة والفضل بمنزلتهم الرفيعة يوم القيامة ودخولهم الجنة.

فعلى الداعية أن يبشر المؤمنين بما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويبين لهم سهولة الدين وأن شرائعه لا تثقل النفس، وأن أبواب الجنة مفتوحة للصالحين المتقين[1].

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

قال الشيخ السعدي: "في قوله تعالى: (لتبشر به المتقين)، بالترغيب في المبشر به من الثواب العاجل والآجل، وذكر الأسباب الموجبة للباشرة"[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة:

يظهر ذلك من قول أبي بكر رضي الله عنه: (فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها... فقال رسول الله ﷺ: نعم وأرجو أن تكون منهم).

قال ابن حجر: "قال العلماء: الرجاء من الله ومن نبيه ﷺ واقع، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر رضي الله عنه"، ووقع في حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن حبان في نحو هذا الحديث، التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه: ((أَجَلْ، وَأَنْتَ هُو يَا أَبَا بَكْرٍ))[4]"[5].

---

(١) انظر: الأدب النبوي، د. محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٠٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٥٠.

(٤) أخرجه ابن حبان ٦٨٦٨، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: ... وأورده الهيثمي في المجمع ٤٦/٩ وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن أبي بكر السالمي، وهو ثقة.

(٥) فتح الباري ٣٥/٧.

وفي ذلك بيان مكانة وفضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ودعوته يوم القيامة من جميع أبواب الجنة.

وفضل أبي بكر رضي الله عنه معروف فهو رفيق وصاحب رسول الله ﷺ في دعوته من أولها إلى نهايتها وخليفته من بعده وأحد المبشرين بالجنة، وقد قال رسول الله ﷺ عنه: ((لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي))[1].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ بعثَهُ على جيش ذاتِ السلاسلِ، فأتَيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشة. فقلتُ منَ الرجال؟ قال: أبوها. قلتُ ثمَّ مَن؟ قال: ثمَّ عمرُ بن الخطاب، فعَدَّ رجالاً))[2].

وفضائل أبي بكر رضي الله عنه لا تحصى فهو أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجّهم في حياة رسول الله ﷺ وبعده، صحب النبي ﷺ قبل البعثة وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانًا وأعظمهم عناءً وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلاً، وهو أبو عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، وقد رافق النبي ﷺ في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها.

وكان رجلاً مألوفًا لقومه محببًا سهلاً وكان تاجرًا، ذا خُلق، وكان رجلاً بكاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن، أسلم على يديه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وغيرهم كثير، وأعتق بلالاً ولُقب بالعتيق والصديق لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء.

قال فيه النبي ﷺ: ((إِنَّ أَمَنَّ الناسِ عليَّ في صُحبَتِهِ ومالِهِ أبو بَكرٍ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خَليلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أَبا بكر، ولكنْ أُخُوَّةُ الإسلامِ ومَوَدَّتُهُ. لا يَبقينَّ في

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦٢، ومسلم ٢٣٨٤.

المسجد بابٌ إلاّ سُدَّ، إلاّ بابُ أبي بكرٍ))[١].

وصلى بالمسلمين في حياة النبي ﷺ عندما اشتد المرض برسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))[٢].

وكان ثابت العقل، وشديد البأس، وله رصانة عقل في أشد المواطن وأحكها، فشهد الحروب واحتمل الشدائد وبذل الأموال، وبويع للخلافة يوم وفاة النبي ﷺ، فحارب المرتدين والممتنعين عن الزكاة، وافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ)[٣].

فلم يعين رسول الله ﷺ فردًا، ولا نص بالوصية على أحد، في خلافته ﷺ بعد وفاته ولكن كان من فعله ﷺ مفصحًا أن الحق هو أن يبايع المسلمون رجلاً من قريش إذ قد سبق قوله ﷺ: ((الأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش))[٤]، وإشارته الخفية بتوليته أبا بكر أمر الصلاة بعد قوله ﷺ: ((يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ... الحديث))[٥]، شهادة منه أنه اختار الأقرأ والأفقه والأشرف والأقدم هجرة إلا أنه لم ينص عليه نصًا ظاهرًا من أجل أنه كان يتخذ ذلك شرعة لا تسع غيرها.

وانعقد إجماع المسلمين على خلافة أبي بكر وعرف من ذلك الحكمة في إمساك رسول الله ﷺ عن الوصية، وبعد تولي أبي بكر رضي الله عنه الخلافة قام في وقته بغرض كفى فيه وأبلغ، فأبو بكر رضي الله عنه قام في قتال أهل الردة المقام الذي شهد له أنه لم

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦٦، ٣٦٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤١٨.

(٣) انظر: طبقات ابن سعد ٥٤/٣، ١٧٠، ٣٤٣، ١٨٧/٥، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٣١٥/١-٣٢٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ٨٠٤-٨٠٥، وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ ٢٦٥/١-٢٨٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ١٨٣/٣، رقم ١٢٩٠٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده ٢٤٩/٢٠.

(٥) أخرجه مسلم ٦٧٢.

يكن على الحق فيه غيره"[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الثناء على أهل الفضل:

يظهر ذلك في ثناء رسول الله ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه، وثناء الداعية على المدعو صاحب الخلق الحسن فيه من إشارات الاستحسان وحث الهمم إلى جلائل الأعمال والإشادة بذكر المجد العامل وحفز العزائم على الدأب والسعي لتحصيل المحامد وإبتناء المكارم، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولي الهمم وتثبيط لهم، وفتٌّ في عضدهم، وإماتة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط، ويعبرها الغمص والزراية كل هذا خير ما دام القصد ما ذكر[٢]. فالداعية إذا علم عدم غرور المدعو بمدحه له فعليه مدحه ولا إثم في ذلك.

سادسًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغّب رسول الله ﷺ فيما يتطوع به من الأعمال المذكورة لا واجباتها لكثرة ما يجتمع له العمل بالواجبات كلها بخلاف التطوعات فَقلّ من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات، ثم من يجتمع له ذلك إنما يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم له، وإلا فدخوله إنما يكون من باب واحد، ولعله باب العمل الذي يكون أغلب عليه"[٣].

وفي ذلك ترغيب في التطوع بفضائل الأعمال، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي تجعل المدعو يقبل على الدعوة ويحرص عليها.

---

(١) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٢.

(٣) انظر: فتح الباري ٧/٣٥.

الحديث رقم (١٢١٩)

١٢١٩- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ في الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ احدٌ غَيْرُهُمْ، يقال: أيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

الريان: اسم علم على باب من أبواب الجنة، يختص بدخول الصائمين[2].

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على أسلوب التشويق بالخبر الطريف (إن في الجنة باباً يقال له: " الريان) واسم هذا الباب يناسب أعمال الصائمين الذين يتشوقون إلى الري وإذهاب ظمأ الصوم. وصيغة الجمع في قوله: " يدخل منه الصائمون " يدل على أن هؤلاء الصائمين كثر في هذه الأمة الخيرية فلم يقل: " صائماً واحداً، أو صائمين اثنين " وأكد هذا المضمون بميم الجمع في قوله: " غيرهم " وكرر هذا المعنى للتأكيد على كثرتهم في قوله: " أين الصائمون ؟ " والاستفهام هنا حقيقي إذا كان من الملائكة، ويكون بقصد الإشادة والتنويه بهم وتنبيه إلى منزلتهم إن كان من الله وقد اسند الفعل " يقومون " إلى واو الجماعة أيضا للإيحاء بكثرتهم واستخدام " إذا " الشرطية والفعل الماضي في قوله: " فإذا دخلوا أغلق. .. " للتدليل على أن دخولهم من باب الريان متحقق بإذن الله، ومشيئة، وأن الدخول من هذا الباب مقصور عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٦) واللفظ له، ومسلم (١١٥٢/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٣٠).

(٢) فتح الباري ١٣٤/٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان..)، حيث أكد على وجود باب الريان في الجنة، خاص بالصائمين، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدم في التأكيد على الدعوة.

إن التوكيد من أهم أساليب الدعوة في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به... ولا شك في أن التوكيد له أثر كبير في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع، وما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد لديه[1].

"والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس"[2].

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد كأسلوب دعوي يجعل الأمر المؤكد عند المرء حقيقة راسخة في أعماق قلبه ونفسه[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تكريم الله للصائمين باب الريان:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم.. إلخ الحديث).

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٢) انظر: من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١ - ٣٠٢.

قال القرطبي: "وقوله: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان) وزن الرَّيَّان: فَعْلان، وهو الكثير الرِّيِّ، الذي هو نقيض العطش. وسمي هذا الباب بهذا الاسم لأنه جزاء الصائمين على عطشهم وجوعهم، واكتفي بذكر الرِّيِّ عن الشّبع لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه"[١].

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة الصيام وكرامة الصائمين"[٢].

وفضائل رمضان على المسلمين كثيرة، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٣]، في يوم الاثنين الثاني من شعبان من السنة الثانية للهجرة، فرض الله صوم شهر رمضان على المسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وقال رسول الله ﷺ: ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ))[٥].

وقد بين النبي ﷺ فضل هذا الشهر وبركته، فقال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[٦]، وقال: ((الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُمَا، إِذَا اجْتُنِبَ الكبائرُ))[٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لما حضر شهر رمضان: ((قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، كَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ

---

(١) المفهم ٢١٦/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٧١٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٥) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦، والترمذي ٢٦٠٩، واللفظ له.

(٦) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٦٠.

(٧) أخرجه مسلم ٢٣٣.

الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ))[1].

هذه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة تدل على مكانة هذا الشهر المبارك عند الله تعالى، حيث أنزل فيه قرآنه على نبيه المصطفى في ليلة القدر العظيمة، فكان نزوله أعظم نِعَم الله تعالى على عباده، ففي القرآن هدايتهم إلى الله، ومعرفتهم به، وتفقههم بأحكامه، وإطلاعهم على مشيئته وإرادته، وبذلك عرف العباد ما يرضي الرب فعملوه، وما يسخطه فاجْتَنَبُوه، فيا لها من نعمة أن لا يضع المرء خطوة إلا عن معرفة ووثوق، وأن لا يرفعها إلا عن أجر ومثوبة، فرمضان شهر الطاعة والإحسان، والدعاء والغفران، هو شهر القرآن ومدارسته، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ الله ﷺ أجْوَدَ الناسِ بالخيرِ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جَبْرَيلُ عليه السلام، وكان جَبْرَيلُ يلقاهُ كُلَّ ليلةٍ في رَمَضَانَ حتَّى يَنْسَلِخَ، يعْرِضُ عليهِ النبيُّ ﷺ القرآنَ، فَإذَا لقيهُ جَبْرَيلُ كان رسولُ الله ﷺ أجودَ بالخيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ))[2]، أي يعم جوده ويسرع خيره مثل الريح المرسلة بالمطر.

وقد استقر نص القرآن الكريم في العرضة الأخيرة على جبريل عليه السلام وكانت في آخر رمضان عاشه النبي ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ، فكان يجتهد في العبادة خلالها ما لا يجتهد في غيره[3]، وكان فيما يبدو يجتهد في طلب ليلة القدر التي نزل فيها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[4]، فأجر العبادة فيها يتضاعف أضعافًا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٣٠، رقم ٧١٤٨، وقال محققو المسند: صحيح وهذا إسناد رجاله رجال الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦، ٣٥٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٧٤، ١١٧٥.

(٤) سورة القدر، الآيات: ١ - ٣.

كثيرة لعظم فضلها وجليل قدرها، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: ((مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا واحْتِسَابًا، غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذنبه))[1][2].

وإكرام الله للصائمين ورد فيه الكثير من النصوص ويكفي في ذلك أنه متميز من بين سائر الأركان إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ: ((كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))[3].

قال القرطبي: "معناه: أن الأعمال كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله. قال الله: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، أي: أجازي عليه جزاء كثيرًا من غير تعيين لمقداره، هذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]. "والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال"[5].

ثالثا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون..).

قال ابن حجر: "قوله: (إن في الجنة بابًا)، قال الزين بن المنير: إنما قال في الجنة ولم يقل للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة في الجنة - ما لا يعلمه - فيكون أبلغ في التشوق إليه"[6]، وفي ذلك ترغيب في الصوم وثوابه عند الله تعالى، وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[7].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠١٤، ومسلم ٧٥٩.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣١ - ٣٣.

(٣) أخرجه مسلم ١١٥١.

(٤) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٥) المفهم ٢١٣/٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٣٤/٤ بتصرف.

(٧) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٢٢٠)

١٢٢٠- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

خريفًا: عامًا[2].

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من جمله خبرية واحدة يطلع النبي الكريم ﷺ – من خلالها – أمته على خير عظيم ينتظر المتطوعين بالصوم منهم، حتى ولو صام " يوماً " واحداً بشرط أن يكون " فى سبيل الله " ولن يفعل ذلك إلا العابد لله وحده، ومن هنا قدم كلمه " عبد " على " الصوم " و " اليوم "، وهى كلمات تشير بأن الله يبارك في العمل بالإخلاص، ويجزي على العمل القليل الأجر العظيم كثرته النية الصالحة القائمة على إخلاص العمل لله وحده، ولذلك أجر هذا العبد بالفعل الماضي الدال على المباعدة بينة، وبين النار – والعياذ بالله تعالى – حيث يقول النبي: " إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار.) و لا ننسى أن فاعل " باعد " هو لفظ الجلالة الذي إذا وعد أوفى، والباء فى قوله: " بذلك اليوم " للسببية وذكر " الوجه " لشرفة على الإنسان، وفى الحديث قصر بلاغي، حيث قصر " العبد " المتطوع بالصيام " على صفة الإبعاد عن نار جهنم نسأل الله أن يحفظ الجميع من شرها اللهم آمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١٦٧/١١٥٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣). وسيكرره المؤلف برقم (١٣٤١).

(٢) فتح الباري ٥٧/٦.

فقه الحديث

الصوم في الجهاد: قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: قوله "في سبيل الله" العرف الأكثر فيه: استعماله في الجهاد، فإذا حمل عليه، كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين. - أعني عبادة الصوم والجهاد - وقال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله: طاعته كيف كانت. والأول أقرب إلى العرف[1] أ. هـ ولا يعارض ذلك أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا، ولا سيما من اعتاد به، فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل، ليجمع بين الفضيلتين)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، قال القاضي عياض: "وقوله في فضل الصوم في سبيل الله: (باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا)، مبالغة في الإخبار عن البعد عنها والمعافاة منها. والخريف يعبر به عن السَنَةِ، والمراد مسيرة سبعين خريفًا، وكثيرًا ما جاءت السبعون عبارة عن التكثير واستعارة للنهاية في العدد، قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[3]"[4].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، ص ٢٢٩.

(٢) فتح الباري ٤٨/٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ٨٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١١٥/٤.

قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد. وقال القرطبي: سبيل الله طاعة الله، فالمراد من صام قاصدًا وجه الله. قلت: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك"[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السماءِ والأرْضِ))[٢]، ففضل الصيام في سبيل الله يكون ثوابه من الله البعد عن النار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث بيّن رسول الله ﷺ فَضْل صوم يوم في سبيل الله بأنه يباعد الله به صاحبه عن النار سبعين خريفًا.

وهذا يدل على أثر العمل الصالح في مباعدة الإنسان عن النار، وإن كان قليلات وهذا من فضل الله على عباده، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٣]، قال ابن كثير رحمه الله: "يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة، وبكل حسنة عشر حسنات، فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضًا، بكل واحدة عشر، ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات، فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة"[٤].

هذا في سائر الأعمال، والصوم جزاؤه عند الله أكثر ثوابًا وحسنات، لأنه تعالى خصّ نفسه بالمجازاة عليه.

فينبغي على المسلم أن يحرص على عمل الصالحات حتى يباعد نفسه عن النار، وقال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري ٥٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٦٢٤، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٥).

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٤/٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

ثالثًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يباعد بينهم وبين النار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا)، حيث دلّ رسول الله ﷺ المسلمين على ما يباعد بينهم وبين النار. وهو الصوم في سبيل الله.

فعلى الداعية أن يدل المدعوين على فضل الصيام والتطوع به لوجه الله تعالى، فإذا عُلِمَ هذا فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل، ففضل الله عظيم وخيره على العباد كثير وأسباب مغفرته لا تعد، رحمة منه بعباده، وإحسانًا منه إليهم، وبالتالي فإن صوم التطوع من جملة النوافل التي من حافظ عليها ظفر بمحبة الله له ورعايته ومن أحبه الله أحبته ملائكته ووضع له القبول في الأرض"[1].

قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ:.... وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))[2].

فحري بالداعية أن يدعو المدعوين إلى ما يقوي صلتهم بالله، وذلك بحفظ فرائضه والحرص على النوافل التي تعتبر من أقوى أسباب محبة الله ونيل رضاه، وأن يدعو إلى ما يبعد عن النار وعذابها، وإن رسول الله ﷺ وهو الأسوة والقدوة الحسنة كان يدعو إلى ما يقرب إلى الجنة ويبعد عن النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال القاسمي: "قوله تعالى: (عزيز عليه ما عنتم) أي: شديد عليه شاق، لكونه

---

(١) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ٢١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

بعضًا منكم، عَنَتُكم ولقاؤُكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة، والوقوع في العذاب (حريص عليكم) أي: على هدايتكم، كي لا يخرج أحد عن اتباعه، والتمتع بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين رؤوف) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته"[1].

وروى الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ إِلا وَهُوَ يَذْكُرُ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا بَقِي شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ))[2].

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُحَرِّمْ حُرْمَةً، إِلاَّ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَطَّلِعُهَا مِنْكُمْ مُطَّلِعٌ، أَلاَ وَإِنِّي آخذ بِحُجَزِكُمْ، أَنْ تَهَافَتُوا فِي النَّارِ، كَتَهَافُتِ الْفَرَاشِ وَالذُّبَابِ))[3].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث رغّب رسول الله ﷺ في التطوع بالصوم في سبيل الله، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في البعد عن النار سبعين خريفًا. ومن منا لا يرغب أن يباعده الله عن النار؟ فأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الفعالة في تحقيق الهدف منها وقبولها من المدعوين والحرص على إجابتها.

وذلك؛ لأن الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[4].

ويكون الترغيب بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين، المطيعين لأمره، المجتنبين لنهيه، والممتثلين شرعه في الحياة الدنيا، من النصر والعزة والتمكين، وفي

---

(١) محاسن التأويل ٣٦٥/٨/٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٤/٨، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٠/١٥، رقم ٣٧٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) اصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الآخرة بالرضا منه سبحانه وتعالى والقرب من حضرته الإلهية ودخول جنته الأبدية التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين[1].

(١) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩١.

الحديث رقم (١٢٢١)

١٢٢١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتسابًا: طلبًا للأجر والثواب من الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على جمله شرطية تحمل في طياتها بشريات سارة لكل صائم لله تعالى عن إيمان به، واحتساب للأجر عنده، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام رمضان إيمان واحتساباً " وجاء فيه بفعل ماض: " صام ليدل به على أن المؤمن قد صام فعلاً وتحقق صيامه ثم جاء بالتمييز في قوله :" إيمانا واحتساباً " ليوضح أن الذي دفعه إلى هذا الصوم هو إيمانه بالله الذي شرع ذلك، وهو يحتسب الأجر عنده لأن ذلك الاحتساب يتطلب نية متجددة، وجوارح صابرة على مشقة الصوم ثم جاء جواب الشرط في قوله " غفر له ما تقدم من ذنبه " ليزف البشرى، والقبول لذلك المؤمن الصائم، ولذا أتى بالفعل الماضي: " غفر " وهو يدل على تحقق وقوع الغفران واللام في " له " للملكية، وجاء بالفعل الماضي: "تقدم" الذي يتعلق بالذنوب السابقة، وأنها قد محيت، و"من" في قوله: "من ذنبه" للتبعيض، وتدل على أنه سيذنب.

فقه الحديث

قال النووي: (يقال رمضان وشهر رمضان، هذا هو الصحيح الذي ذهب إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠/١٧٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح س ب)

البخاري والمحققون قالوا: ولا كراهة في قول رمضان. وقال أصحاب مالك: يكره أن يقال رمضان، بل لا يقال إلا شهر رمضان سواء إن كان هناك قرينة أم لا ... والصواب أنه لا كراهة في قول رمضان مطلقًا. وقد ثبتت أحاديث كثيرة في الصحيحين في تسميته رمضان من غير شهر في كلام رسول الله ﷺ منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ. وفي رواية لهما ((إذا دخل رمضان))[1] وفي رواية لمسلم ((إذا كان رمضان))[2] وأشباه هذا غير منحصرة، والله تعالى أعلم)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

حيث أخبر ﷺ عن ثواب من صام رمضان إيمانًا بالله، و احتسابًا بثواب الله، فإن الله تعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه. وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة، وذلك لأن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته ثم يتحول المدعو إلى داعية فبعد أن يعرف الحق ويهتدي إليه يخبر به غيره من المدعوين حتى تعم الدعوة الجميع ويعم النفع المسلمين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صيام رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه".

وقد أفرد البخاري بابًا بعنوان: (باب: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٧٧، ومسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٢) أخرجه مسلم بعد الحديث ١٠٧٩، ١.

(٣) المجموع ٦/١٦١-١٦٢ ، و انظر: شرح صحيح مسلم ٤/٨/١٦٤ ، وفتح الباري ٤/١١٣ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب رقم ٦.

قال ابن حجر: قوله (باب من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية) قال الزين بن المنير: حذف الجواب إيجازًا واعتمادًا على ما في الحديث، وعطف قوله نية على قوله احتسابًا لأن الصوم إنما يكون لأجل التقرب إلى الله، والنية شرط في وقوعه قربة. قال: والأولى منصوبًا على الحال. وقال غيره: انتصب على أنه مفعول به أو تمييز أو حال بأن يكون المصدر في معنى اسم الفاعل أي: مؤمنًا محتسبًا، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب طلب الثواب من الله تعالى وقال الخطابي: احتسابًا أي عزيمة، وهو أن يصومه على معنى الرغبة في ثوابه طيبة نفسه بذلك غير مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه [1].

وقال النووي: (معنى إيمانًا: تصديقًا بأنه حق مقتصد فضيلته، ومعنى احتسابًا: أن يريد الله تعالى وحده لا يقصد رؤية الناس ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص.

وقوله ﷺ "غفر له ما تقدم من ذنبه" المعروف عند الفقهاء أن هذا مختص بغفران الصغائر دون الكبائر، قال بعضهم: ويجوز أن يخفف من الكبائر ما لم يصادف صغيرة[2].

وقال الطيبي: (قوله: "إيمانًا واحتسابًا" قال مظهر: يعني بالإيمان الاعتقاد بحقية فرضية صوم هذا الشهر، لا الخوف والاستحياء من الناس من غير اعتقاد بتعظيم هذا الشهر، والاحتساب طلب الثواب من الله الكريم)[3].

وقال ابن هبيرة: (والمراد من صامه تصديقًا بالأمر به، عالمًا بوجوبه، خائفًا من عقاب تركه، محتسبًا جزيل الأجر في صومه، وهذه صفة المؤمن)[4].

وقال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيام رمضان خالصًا لله تعالى، وأنه سبيل لغفران الذنوب الصغائر فضلاً عن تحصيل الثواب العظيم)[5]. فالصيام ركن عظيم من

---

(١) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥١٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٣٧/٤.

(٤) الإفصاح ١٨٧/٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، ص ٦١٣.

أركان هذا الدين الحنيف فلا يستقيم بناء الإسلام إلا به، ولا يثبت إيمان امرئ حتى يقر بفرضيته. قال النبي ﷺ: ((بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ. شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَإِقَامِ الصَّلاَةِ. وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ. وَحَجِّ الْبَيْتِ. وَصَوْمِ رَمَضَانَ))(١).

فالصيام في رمضان وقيام ليله - وبخاصة ليلة القدر-إيمانًا واحتسابًا، دال ولا شك على صدق إيمان فاعله، وإخلاصه في عمله لذا فهو مبشر بمغفرة سابق ذنبه.

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ، إِيمانًا واحْتِسابًا ، غُفِرَ له ما تَقدَّم مِنْ ذَنْبِه))(٢).

فالصيام لا يعدل أجرُهُ أجرَ شيء من عمل ابن آدم، ففيه استكن سر الإخلاص، فبزَّ أجره بذلك جميع الأعمال كما سبق في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ . الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي))(٣).(٤)

فالصوم فضله عظيم منّ الله به على المسلمين، فجعله سببًا في زيادة الحسنات وغفران السيئات، فينبغي على المسلمين الحرص على إخلاص صيامه لله والتقرب به إلى رب العباد والفوز برضاه، ودخول جناته.

ثالثًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث أرشد رسول الله ﷺ المسلمين إلى ثواب احتساب الصيام وإخلاصه لله عز وجل، وبيّن أن ذلك يكون سببًا في غفران ما تقدم من الذنوب.

وهذا يدل على حرصه ﷺ على إرشاد المسلمين إلى ما ينفعهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه جميع الدعاة.

---

(١) أخرجه البخاري ٨، ومسلم ١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧، ومسلم ٧٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٩٢، ٧٥٣٨، ومسلم ١١٥١ واللفظ له.

(٤) الصوم جنة، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ص ٢٩-٣١.

إن الداعية المسلم متبع للنبي الكريم ﷺ هو وارثه في مهمته الإرشادية، وعليه أن يتصف بما اتصف به -عليه الصلاة والسلام- كي يتمكن من أداء مهمته على الوجه المطلوب.

ومن صفاته الكريمة أنه كان شديد الحرص على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم. وقد وردت آيات كريمة تصوّر لنا صفته هذه. ومن تلك الآيات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

وقوله عز من قائل: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2].

وليس هذا فحسب بل كان يتضايق من عدم استجابة الناس للحق حتى كاد يهلك نفسه غمًا وأسفًا عليهم. وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[3].

ويقوله سبحانه أيضًا: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[4].

ويقول عز من قائل أيضًا: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[5].

هذا، وقد بيّن رسول الله ﷺ أيضًا حرصه الشديد على إبعاد أمته عن كل ما يضرّهم بأمثلة رائعة جدًا. ومنها ما رواه الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا. فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا.

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٨.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٧.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦.

وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا. وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ. وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي))[١].

وحينما ننظر إلى سيرته المطهرة - عليه الصلاة والسلام - نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، ودعا جميع أصناف الناس، كما استخدم جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له.

نجده - عليه الصلاة والسلام - يدعو فوق الجبل، وفي المسجد، والطريق، والسوق، وفي منازل الناس في المواسم، وحتى في المقبرة. كما نراه يقوم بالدعوة في الحضر والسفر، وفي الأمن والقتال، وفي صحته ومرضه، وحينما كان يزور أو يُزار.

وكان يوجّه دعوته إلى من أحبوه، ومن أبغضوه، وآذوه، ومن استمعوا إلى دعوته، ومن أعرضوا.

وبعث - عليه الصلاة والسلام - الرسائل والرسل إلى الملوك والرؤساء ممن لم يتمكّن من الذهاب إليهم بنفسه.

واستمرّ - عليه الصلاة والسلام - في أداء هذه المهمة الجليلة مشمِّرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى حتى لحق بالرفيق الأعلى، صلوات ربي وسلامه عليه. وما أكثر الموافق في سيرته المطهرة التي يتجلّى فيها حرصه الشديد على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور وإبعادهم عن كل ما يعرّضهم لغضب الرب وعذابه[٢].

فينبغي على الداعية أن يحرص على هداية الناس وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٨٥.

(٢) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ص ١٧-١٩.

الحديث رقم (١٢٢٢)

١٢٢٢-وعنه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وصُفِّدت: شُدَّتْ بالأصفاد، وهي الأغلال، وهو بمعنى سُلْسِلَت[2].

الشرح الأدبي

شهر " رمضان " شهر الخير الذي ينتظره المسلمون كل عام ببالغ الشوق، والله سبحانه وتعالى الذي خلق الشهور وجعلها اثني عشر شهراً، وفضل بعضها على بعض وخص رمضان من بينها بهذه الخصائص فكان أعظمها خيرا، وبركة على المسلمين. . ونسبة المجيء إلى الشهر مجاز عقلي بنسبة الفعل إلى زمانه مبالغة فيه، كأنه من شدة شوق المسلمين إليه وسعيهم فيه كأنه هو يسعى إليهم بالإضافة إلى أن نسبة الأفعال إلى الأماكن، والأزمان تبث الحياة في الموجودات، وتحقق تجاوب الإنسان مع الكون؛ لأنها ستأتي يوم القيامة شاهدة بما جرى فيها، وقد ربط النبي الكريم ﷺ بمجيء ذلك الشهر حدثين عظيمين وهما فتح أبواب الجنة الذي يشير إلى كثرة من الأعمال الصالحة التي استحقوا بها الجنة، وغلقت أبواب النار لكثرة مغفرة الذنوب بـ " إذا " والفعل الماضي في قوله: " إذا جاء رمضان " فيتجلى الله على المؤمنين بأمره أبواب الجنة فتفتح، وأبواب النار فتغلق، والشياطين فتصفد، وصيغة الماضي وتشديد التاء في " فتحت " واللام في " غلقت " تؤكد المضمون وتدفع المؤمنين دفعاً إلى حب الصيام، والعمل بمقتضى أدابة، وأخلاقياته في الشهر الكريم الذي فتح أعظم باب على النعيم

---

(١) اخرجه البخاري (١٨٩٩)، ومسلم (١٠٧٩/١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٦٤).

(٢) فتح الباري ١٣٧/٤.

المقيم، وأغلق أعظم باب على الشر المستطير. وصيغ الجمع في "أبواب" و"الشياطين" تشير إلى أن الله – تعالى – يريد بعباده الخير كل الخير، وبقى عليهم أن يسارعوا للدخول من هذه الأبواب المفتحة، والإعراض عن الأبواب المغلقة، وبين لفظي: "الجنة" و"النار" طباق يوضح المعنى ويبرزه وبين الأفعال "فتحت – غلقت – صفدت" ما يشبه السجع الجميل غير المكلف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين في رمضان بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً – من موضوعات الدعوة: فضل رمضان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين)، قال القرطبي: "وقوله: (فتحت أبوابُ الجنة، وغلقت أبواب النار، وصُفدت الشياطين)، فُتِّحت: بتخفيف التاء، وتشديدها. ويصحُ حمله على الحقيقة، ويكون معناه: أن الجنة قد فتحت وزخرفت لمن مات في شهر رمضان؛ لفضيلة هذه العبادة الواقعة فيه، وغلقت عنهم أبواب النار؛ فلا يدخلها منهم أحدٌ مات فيه. وصُفدت الشياطين: غُلّت وقُيّدت. والصَفْد: الغَلّ، وذلك لئلا تفسد الشياطين على الصائمين. فإن قيل: فنرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيرًا؛ فلو كانت الشياطين مصفدة لما وقع شر. فالجواب من أوجه:

أحدها: إنما تُغَلّ عن الصائمين الصوم الذي حُوفظ على شروطه، ورُوعيت آدابه، أما ما لم يُحافظ عليه فلا يُغل عن فاعله الشيطان.

والثاني: أنا لو سلّمنا أنها صُفدت عن كلّ صائم، لكن لا يلزم من تصفيد جميع الشياطين ألا يقع شرٌّ، لأن لوقوع الشر أسبابًا أخرى غير الشياطين، وهي: النفوس الخبيثة، والعادات الركيكة، والشياطين الإنسية.

والثالث: أن يكون هذا الإخبارُ عن غالب الشياطين والمردة منهم، وأما من ليس من المردة فقد لا يُصفد، والمقصود: تقليلُ الشرور. وهذا موجود في شهر رمضان؛ لأن وقوع الشرور والفواحش فيه قليلٌ بالنسبة إلى غيره من الشهور.

وقيل: إن فتح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار علامة على دخول هذا الشهر العظيم للملائكة وأهل الجنة؛ حتى يستشعروا عظمة هذا الشهر وجلالته. ويحتمل أن يقال: إن هذه الأبواب المفتحة في هذا الشهر هي: ما شرع الله فيه من العبادات، والأذكار، والصلوات، والتلاوة؛ إذ هي كلها تؤدي إلى فتح أبواب الجنة للعاملين فيه، وغلق أبواب النار عنهم. وتصفيد الشياطين: عبارة عن كسر شهوات النفوس التي بسببها تتوصل الشياطين إلى الإغواء والإضلال، ويشهد لها قوله ﷺ: ((الصَّوْمُ جُنَّةٌ))[1]، وقوله ﷺ: ((إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِن ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، فَضَيِّقُوا مجاريه بالجوع والعطش))[2]"[3].

فمن فضائل شهر رمضان التي أنعم الله بها على أمة محمد ﷺ فتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب الجحيم وتصفيد الشياطين، قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ ومَرَدَةُ الجِنِّ وغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النِيران فلم يُفْتَحْ منها بابٌ وفُتِّحَتْ أبوابُ الجَنَّةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ ويُنَادِي مُنَادٍ يا بَاغِيَ الخَيْرِ أقْبِل وَيا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. ولله عُتَقَاءُ مِنَ النَّار وذلك كُلَّ لَيْلَةٍ))[4].

قال ابن رجب: "أبشروا يا معاشر المسلمين، فهذه أبواب الجنة في هذا الشهر لأجلكم فتحت، ونسماتها على قلوب المؤمنين نَفَحت، وأبواب الجحيم كلها لأجلكم

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٦٢/٢، رقم ٩٩٤٩، وقال محققو المسند: إسناد صحيح على شرط الشيخين ٣٤/١٦، والنسائي ٢٢٢٤، ٢٢٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢١٠١، ٢١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ٢٠٣٨، ٢٠٣٩، ٣١٠١، ٣٢٨١، ٦٢١٩، ٧١٧١، ومسلم ١١٧٤، ١١٧٥ دون قوله: فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش.

(٣) المفهم ١٣٦/٣ - ١٣٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٢، وابن ماجة ١٦٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٩٤).

مغلقة، وأقدام إبليس وذريته من أجلكم موثقة، ففي هذا الشهر يؤخذ من إبليس بالثأر، وتستخلص العصاة من أسره فما يبقى لهم عنده آثار. كانوا أفراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره، فهجروا اليوم تلك الأوكار. نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار. خرجوا من سجنه إلى حصن التقوى والإيمان، فأمنوا من عذاب النار، قصموا ظهره بكلمة التوحيد، فهو يشكو ألم الإنكسار في كل موسم من مواسم الفضل يحزن، ففي هذا الشهر يدعو بالويل، لما يرى من تنزل الرحمة ومغفرة الأوزار. غلب الرحمنُ، وهرب حزبُ الشيطان فما بقي له سلطان، إلا على الكفار، عُزِل سلطان الهوى، وصارت الدولُة لسلطان التقوى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[1]"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إكرام الله لعباده المؤمنين بفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين)، قال القاضي عياض: "يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة على كثرة الثواب والعفو. وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين، قال: ويؤيد ذلك رواية يونس عن ابن شهاب عند مسلم: ((فُتِّحَتْ أَبْوابُ الرَّحْمَةِ))[3]، قال: ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات وذلك أسباب لدخول الجنة، وغَلْق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء وتزيين الشهوات"[4].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧٩.

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٤.

قال ابن حجر: "قال التوربشتي: فَتْح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارة ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول. وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات"[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث أخبر رسول الله ﷺ: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين).

قال الطيبي: "يمكن أن يكون فائدة الفتح توفيق الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وإن ذلك من الله تعالى بمنزلة عظيمة، وأيضًا إذا علم المكلّف المعتقد ذلك بإخبار الصادق يزيد في نشاطه، ويتلقاه بأريحيته"[٢].

وفي ذلك ترغيب في استغلال فرصة شهر رمضان في التقرب إلى الله، فأسلوب الترغيب يقصد به تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة[٣]، وحثهم على اغتنام فرصة شهر رمضان.

---

(١) انظر: فتح الباري ٤/١٣٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤/١٣٧.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ١٩٩.

الحديث رقم (١٢٢٣)

١٢٢٣- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ)) متفقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري[١].

وفي رواية لمسلم[٢]: ((فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

غُبِي: خفي[٣].

غُمّ: حال بينكم وبينه غيم[٤].

عدة شعبان: عدد أيامه[٥].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على أسلوب الأمر، وأسلوب الشرط، وجوابه، ويتمثل الأمر في قوله: " صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته. . " والأمران هنا يناسبان المقام لأن هذا تشريع من الرسول الكريم ﷺ، ويحمل في طياته تحديدا دقيقا لفريضة من فرائض الإسلام لا تتم إلا به، والطباق بين صوموا، وأفطروا يشير إلى أن أداء العبادة مقيد بالوقت الذي لا يجوز التقدم عنه، ولا التأخر، ويجب على المتلقي الإصغاء، والتنفيذ، لأن الصيام قبل رؤية هلال رمضان لا يجوز، والإفطار قبل رؤية هلال شوال لا يجوز أيضا، واللام في قوله: " لرؤيته " للسببية، وكررت المادة اللغوية

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٨١/١٩).

(٢) برقم (١٠٨١/١٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ب ي)، فتح الباري ١٤٨/٤

(٤) المرجع السابق في (غ م م)، فتح الباري ١٤٨/٤.

(٥) انظر: فتح الباري ١٤٥/٤.

الدالة على الرؤية، لأهميتها في القيام بتلك الفريضة المهمة ثم تأتى الجملة الشرطية ليضع النبي ﷺ من خلالها ضابطاً آخر للصيام فيقول: " فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يوماً " أي فإن حال بينكم، وبين رؤية الهلال حائل كالغيم، ونحوه فأتموا عدة شعبان ثلاثين يوماً، وكذلك الأمر في هلال شوال: " فصوموا ثلاثين يوماً ".

فقه الحديث

١- طلب رؤية الهلال:

رؤية الهلال أمر يقتضيه ارتباط توقيت بعض العبادات بها، فينشرح للمسلمين أن يجدُّوا في طلبها ويتأكد ذلك في ليلة الثلاثين من شعبان؛ لمعرفة دخول رمضان، وليلة الثلاثين من رمضان لمعرفة نهايته ودخول شوال، وليلة الثلاثين من ذي القعدة؛ لمعرفة ابتداء ذي الحجة. فهذه الأشهر الثلاثة يتعلق بها ركنان من أركان الإسلام، هما الصيام والحج، ولتحديد عيد الفطر وعيد الأضحى[١].

وقد حثّ النبي ﷺ على طلب الرؤية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)) وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غمّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين))[٢].

أوجب الحديث الأول صيام شهر رمضان برؤية هلاله، أو إكمال شعبان ثلاثين، وأمر بالإفطار لرؤية هلال شوّال، أو بإتمام رمضان ثلاثين.

ونهى الحديث الثاني عن صوم رمضان قبل رؤية هلاله، أو قبل إتمام شعبان في حالة الصحْو[٣].

وقد أوجب الحنفية كفاية التماس رؤية هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان، فإن رأوه صاموا، وإلا أكملوا العدة ثم صاموا[٤]؛ لأن ما لا يحصل الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧ واللفظ له، ومسلم ١٠٨٠.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٣.

(٤) مراقي الفلاح ص ١٠٧، المطبعة العلمية ١٣١٥، ورسائل ابن عابدين ١/٢٢٢ (عن الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٤).

وقال الحنابلة: يستحبّ ترائي الهلال احتياطًا للصوم وحذارًا من الاختلاف[١].

٢-إثبات الأهلة بالحساب الفلكي:

وقع الخوض في هذه المسألة منذ أواخر القرن الهجري الأول، فقد أشار إليها أحد التابعين وبُحِثَت بعد ذلك من لدن فقهائنا السابقين بالقدر الذي تستحقه.

وكان من أسباب بحثها وجود لفظه مشكلة في حديث ثابت عن رسول الله ﷺ، اختلف الشراح في المراد منها، واستدلّ بها القائلون بالحساب على ما ذهبوا إليه، ويتضح ذلك من إيراد الحديث بلفظه، وإتباعه بتفسير الذين استدلوا به على جواز اعتماد الحساب في إثبات الهلال، ثم آراء الذين فهموا منه خلاف فهمهم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: ((لا تصوموا حتى تَرَوْا الهلال، ولا تفطروا حتى تَرَوْه، فإن غمّ عليكم فاقدروا له))[٢].

علّق الحديث بداية صيام رمضان والشروع في الإفطار على رؤية الهلال، وأمر عندتعذرها في حالة الغيم بالتقدير، فقال ﷺ: "فإن غمّ عليكم فاقدروا له"، وقد اختلف في المراد من هذه العبارة[٣].

رأي القائلين بالحساب:

نسب هذا الرأي إلى مطرف بن عبدالله بن الشخر من التابعين وأبي العباس بن سريج من الشافعية وابن قتيبة من المحدثين وغيرهم ويرون تقدير الهلال بالحساب الفلكي[٤].

آراء القائلين بعدم إثبات الأهلة بالحساب وأدلتهم:

يمنع جمهور الفقهاء إثبات الهلال بالحساب الفلكي، ويرون إثباته بالرؤية[٥]. وقد

---

(١) كشاف القناع ٢/٢٧٠، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م (عن الموسوعة الفقهية ٢٢/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٦، ومسلم ١٠٨٠، ٣.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٧/١٦٦ ، والمجموع شرح المهذب ٦/١٧٩ ، وعمدة القاري ١٠/٢٧١، وانظر الموسوعة الفقهية ٢٢/٣٢-٣٣.

(٥) انظر: المجموع ٦/١٧٩ ، وشرح صحيح مسلم ٤/٧/١٦٦، والموسوعة الفقهية ٢٢/٣٣-٣٤.

استدلوا بالحديث نفسه الذي استدلّ به المثبوت، ففسروه بغير المراد منه.

وقد فسّر الأئمة الأجلة قوله ﷺ "فاقدروا له" بتفسيرين ينقضان مفهوم التقدير الذي ذهب إليه القائلون بالحساب، وهذان التفسيران هما:

الأول: حمل التقدير على إتمام الشهر ثلاثين، وإلى هذا المعنى ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وجمهور السلف والخلف فحملوا عبارة: "فاقدروا له" على تمام العدد ثلاثين يومًا[1].

التفسير الثاني: بمعنى تضييق عدد أيام الشهر، فسّر القائلون به "اقدروا له" بمعنى ضيقوا له العدد من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[2] والتضييق له أن يجعل شعبان تسعة وعشرين يومًا[3]، وممن قال بهذا الرأي أحمد بن حنبل وغيره ممن يجوّز صوم يوم الشك إن كانت السماء مغيمة[4].

وفي العصر الحديث قد حدث تطور كبير في علم الفلك وتخلّص مما علق به في الماضي من تنجيم وحدس وتخمين، وأصبح قائمًا على الحسابات الدقيقة مما جعل بعض الفقهاء والمعاصرين يعتمده في إثبات الهلال، وقد انقسموا فريقين: فريق يرى اعتماده مطلقًا وفريق يرى اعتماده في النفي دون الإثبات، بمعنى أن الحسابات الفلكية إذا أفادت أن الهلال لا يمكن ولادته هذه الليلة، فلا يلتفت إلى من يدعي رؤياه بالعين المجردة. وإن كان جمهور العلماء المعاصرين على الأخذ بالرؤية دون الحساب الفلكي.

---

(١) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ .

(٢) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٣) المغني ٣٣٢/٤ .

(٤) المجموع ١٧٩/٦ ، وشرح صحيح مسلم ١٦٦/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٢٧/٤، والموسوعة الفقهية ٣٥/٢٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار.

ثالثًا: من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في الحديثين في قوله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، و(فأكملوا عدة شعبان ثلاثين)، أو (فأكملوا ثلاثين يومًا)، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية التي تفيد الداعية في بيان الحقائق للمدعوين مما يجعلهم يستجيبون لما يؤمرون به.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لبداية صيام رمضان ولبداية الإفطار:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)، قوله: (صوموا لرؤيته) الضمير للهلال [1].

وقال الطيبي: "قوله: (صوموا لرؤيته)، اللام فيه للوقت كما في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[2]، أي: وقت دلوكها"[3].

قال النووي: "قوله: (صوموا لرؤيته وأفطروا)، المراد: رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عَدْلَيْن، وكذا عدل على الأصح، هذا في الصوم، أما في الفطر فلا يُجّوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوّزه بعدل"[4].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩١١/١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤٤/٤ - ١٤٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٦٨١.

فأخبر ﷺ، ببداية رمضان، وتكون برؤية الهلال "وكان ﷺ إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام، ولا أمر به، بل أمر بأن تكمل عدة شعبان ثلاثين إذا غُمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره"[١].

قال ﷺ: ((الشهرُ تِسعٌ وعشرونَ ليلةً، فلا تصومُوا حتّى تَرَوهُ، فإنْ غُمَّ عليكم فأكمِلوا العِدَّةَ))[٢].

فبيّن رسول الله ﷺ أن بداية صيام رمضان برؤية الهلال وبداية الإفطار برؤية هلال شوال، فإن غمّ أكمل ثلاثين، فقال ﷺ: ((لا تَصوموا حتّى تَرَوُا الهلالَ، ولا تُفطِرُوا حتّى تَرَوْه، فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له))[٣].

قال القرطبي: "وهذا الحديث حجة على من حمل: (فاقدروا له) على معنى: تقدير المنازل القمرية، واعتبار حسابها، وإليه صار ابن قتيبة من اللغويين، ومطرف بن عبدالله بن الشخير من كبراء التابعين. ومن الحجة أيضًا قوله ﷺ: ((إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ. لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ. الشَّهْرُ هَٰكَذَا وَهَٰكَذَا وَهَٰكَذَا)) وعقد الإبهام في الثالثة ((والشهر هكذا وهكذا وهكذا)) يَعْنِي تَمَامَ ثَلاَثِينَ[٤]، فألغى الحساب، ولم يجعله طريقًا لذلك، وقوله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب)، أي: لم نكلف في تعرف مواقيت صومنا ولا عبادتنا ما نحتاج فيه إلى معرفة حساب ولا كتابة، وإنما ربطت عبادتنا بأعلام واضحة، وأمور ظاهرة، يستوي في معرفة ذلك الحساب وغيره، ثم تمم هذا المعنى وكمله حيث بينه بإشارته بيديه، ولم يتلفظ بعبارة عنه نزولاً إلى ما يفهمه الخرص[٥]. والعجم، وحصل من إشارته بيديه ثلاث مرات أن الشهر يكون ثلاثين ومن

---

(١) انظر: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيد محمد ١٢٩/٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٠٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٠٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٨٠.

(٥) قال محققو المفهم: هكذا في الأصول، ولعله: الخرس، جمع أخرس.

خَنْسِه[١] إبهامه في الثالثة: أن الشهر يكون تسعًا وعشرين"[٢].

وقال محققوا المفهم: "هذا الحديث[٣] لا يفيد إلزام المسلمين أن يبقوا أميين، بل يقرر واقعًا وجد آنذاك. والآيات والأحاديث على العلم تدل على طلب التغيير لذلك الواقع، كقوله تعالى: (اقرأ) وقوله ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ))[٤].

لذلك قال د. محمد رواس قلعه جي: "في إثباته: يثبت دخول شهر رمضان وانتهاؤه بما يلي:

أ- إخبار شخص واحد عدل، رجلاً كان أو امرأة برؤية هلاله، لأنه إخبار عن أمر ديني، فيكفي فيه خبر الواحد العدل، ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((تراءى النَّاسُ الهِلاَلَ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ))[٥].

ب- إتمام الثلاثين: إذا غُم هلال رمضان فيتم شهر شعبان ثلاثين يومًا، وإذا غم هلال شوال فيتم شهر رمضان ثلاثين يومًا، لقوله ﷺ: ((لاَ تُقَدِّمُوا الشَّهْرَ حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثُمَّ صُومُوا حتى تَرَوْا الهِلاَلَ أَوْ تُكْمِلُوا الْعِدَّةَ))[٦].

ج- الحساب من أهل الاختصاص: لقد كان علم الفلك والحسابات الفلكية متخلفًا في الزمن الغابر، ولذلك لم يجز الشارع الاعتماد عليه أما اليوم وقد بلغ تقدم الحسابات الفلكية إلى درجة الاعتداد بالجزء من الثانية في حركة الأجرام السماوية فإنه يجب الأخذ بالأسباب في تحديد مواقيت الأشهر القمرية، وإلى هذا يشير حديث رسول الله ﷺ: (إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا)، يعني: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين، فَعِلَّةُ عدم أخذ الرسول ﷺ بالعدد في عصره، هي: أنهم لا يجيدون الحساب، فإذا أتى يوم وأجاد فيه المسلمون الحساب وجب عليهم الأخذ

---

(١) خنسه: أي قبضه.

(٢) المفهم ١٣٨/٣ - ١٣٩.

(٣) يقصد به حديث: (إنا أمة أمية..).

(٤) هامش المفهم ١٣٩/٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٢).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٣٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٠).

به. وإن الخطأ اليوم بإثبات الهلال بالحساب أقل من الخطأ بإثباته برؤية العين بألف مرة"[١].

ثالثًا - من مهام الداعية: توضيح الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث وضح رسول الله ﷺ كيفية بداية الصيام برؤية الهلال أو إتمام الشهر إذا خفي الهلال،وكذلك الإفطار، والصوم ركن من أركان الإسلام يهم كل المسلمين، فتوضيح ما يختص به من أحكام من المهام الضرورية، وكان هذا عمله ﷺ الذي أمره الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

ومن الأشياء التي وردت عن رسول الله ﷺ في توضيح الحقائق التي تتعلق بالصوم ما ورد عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[٣]، عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل ليستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فقال: ((إِنَّمَا ذٰلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ))[٤].

فبين رسول الله ﷺ حقيقة قوله تعالى المراد من الآية وبيّن أن الإمساك عن الطعام أن يكون بظهور بياض الفجر أو النهار.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: النهي عن الصيام قبل رمضان:

يظهر ذلك في حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال رسول الله ﷺ: (لا تصوموا قبل رمضان...)، والصوم قبل رمضان ورد فيه الكثير من الأحاديث التي تنهى عنه منها: قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة ٩٧٩/١ - ٩٨٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٩١٦، ومسلم ١٠٩٠.

يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[١].

قال ابن حجر: "قال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاحتياط لرمضان"[٢].

وقال الترمذي: "والعمل على هذا عند أهل العلم: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان"[٣].

قال ابن رجب: "وكراهية التقدم لثلاث معانٍ، أحدها: أنه على وجه الاحتياط لرمضان، فينهى عن التقدم قبله لئلا يزاد في صيام رمضان ما ليس منه لما نهي عن صيام يوم العيد لهذا المعنى.

والمعنى الثاني: الفصل بين صيام الفرض والنفل؛ فإن جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع، ولهذا حرم صيام يوم العيد، ونهى النبي ﷺ أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام.

والمعنى الثالث: "أنه أمر بذلك؛ للتَقَوّي على صيام رمضان، فإن مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض، فإذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب إلى التقوي على صيام رمضان، وفي هذا التعليل نظر"[٤].

فالنهي عن الصوم قبل دخول رمضان من الأشياء التي ينبغي أن ينبه إليها الداعية لنهي رسول الله ﷺ عنه، وفيه قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي شُكَّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ))[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٥٣/٤.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٠٨/١.

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

(٥) أخرجه الترمذي رقم ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الإخلاص:

هذا مستمد من قول رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به..." وفي رواية له "يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" وفي رواية مسلم: "كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي" فالملاحظ في هذا الحديث - كما هو ظاهر - أن الله أخبر أن الصوم له، أما بقية الأعمال فهي لعاملها. مع أن الأعمال كلها لله. فما السر في ذلك؟ ذكر ابن حجر في ذلك عشرة أقوال ذكر أولها البعد عن الرياء، فقال: (وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى: "الصيام لي وأنا أجزي به" مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال:

أحدها: أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره ... لفظ أبي عبيد في غريبه: قد علمنا أن أعمال البر كلها لله تعالى وهو الذي يجزي بها، فنرى - والله أعلم - إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب ... وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث "يدع شهوته من أجلي" وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب بخلاف الصوم. وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم بخلاف الصوم، فإن حال الممسك شبعًا مثل حال الممسك تقربًا يعني في الصورة الظاهرة قلت. [القائل ابن حجر]: معنى النفي في قوله "لا رياء في الصوم" أنه لا يدخله الرياء بفعله، وإن كان يدخل الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها)[1].

---

(١) فتح الباري ١/١٠٥٣ .

أي أن الصوم شرفه الله بالإضافة إلى نفسه لكونه أبعد عن الرياء وأكثر إخلاصًا، بناء على هذا القول، ومن ثمّ يمكن أن نخلص من ذلك إلى أنه كلما كان العمل أكثر إخلاصًا كان أكثر قبولاً عند الله، ومن هذا المنطلق حاول بعض العلماء أن يلحق بالصوم ما يشابهه من هذه الناحية، قال ابن حجر: (وقد حاول بعض الأئمة إلحاق شيء من العبادات البدنية بالصوم، فقال: إن الذكر بـ "لا إله إلا الله" يمكن أن لا يدخله الرياء، لأنه بحركة اللسان خاصة دون غيره من أعضاء الفم، فيمكن للذاكر أن يقولها بحضرة الناس ولا يشعرون منه بذلك)[1].

وعلى ذلك فإن على المربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شدة إخلاص أعمالهم لله تعالى، فبدون ذلك لا تقبل ولا يتحصلون على ثوابها المرجو، وبدون الإخلاص ينزلون إلى الدرك الأسفل، فإنهم يبتغون من هو مثلهم ممن لا يملك نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا، وتركوا المثل الأعلى والرتبة الفضلى في أن يبتغوا بأعمالهم الله وحده الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم ويميتهم، وإننا نرى أن تربية الناشئة على إخلاص العمل فيه من الفوائد التربوية ما فيه، من ذلك:

أ - أداء العمل كما يريد الله لا كما يريد الناس، فتؤدى الأعمال على خير ما ينبغي من الإتقان والجودة والتجرد لله رب العالمين.

ب - شعور من أخلص العمل بثمرته وحلاوته التي رتبها الله تعالى على الإخلاص، إن هناك فرقًا هائلاً بين من صلّى ليراه الناس وبين من صلّى مخلصًا لله رب العالمين: لقد فاز الأول بكلام الناس، على حين فاز الآخر بأن كلّم رب العالمين، وناجاه، وأحس بلذة المناجاة والقرب منه سبحانه، لقد فاز الأول برضا الناس عنه، وظلت نفسه خاوية يملأها القلق والاضطراب، على حين فاز الثاني برضا الله تعالى وامتلأت نفسه سكينة وطمأنينة، وهكذا فما أبعد النتيجتين مع أن الفعل واحدٌ في الظاهر وفي الهيئة!

ج - ثبات الناشئة وغيرهم على مبادئهم وقيمهم السامية التي تربوا عليها لأنهم بذلك يكونون مخلصين لله رب العالمين فلا يقبلون التزحزح عنها قيد أنملة.

---

(١) المرجع السابق، الموضع ذاته.

وهكذا فإن لإخلاص العمل لله رب العالمين فوائد تربوية، لذا كان على المربين أن يغرسوا الإخلاص في نفوس من يقومون بتربيتهم[١].

ثانيًا: التربية على التزام آداب الصوم:

وهذا مستمد من قوله ﷺ: "فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحدٌ أو قاتله فليقل إني صائم" "فالصيام ليس مجرد الإمساك عن المفطرات فحسب، وإنما هو أيضًا هجر جميع المعاصي والسيئات، فلا يحلّ للصائم أن يتكلم إلا حسنًا ولا يفعل إلا جميلاً، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ في قوله: "الصيام جنة" أي وقاية من المنكرات والشرور.

وبهذا يكون الصيام درسًا عمليًا في أخذ النفس بالفضائل، وحملها على الاتصاف بكل ما هو حسن في جميع الحالات.

وبذلك تزكو وتطهر ويصبح الإنسان مأمول الخير مأمون الشر، فإذا لم يبلغ الصيام بالإنسان هذه الغاية من التهذيب، فإن صيامه لا وزن له عند الله، وأنه لا حظ له من صيامه إلا الجوع والعطش"[٢].

ولذا فإن الصائم (يجب عليه اجتنابُ كذبٍ وغيبةٍ ونميمةٍ وشتمٍ وفحشٍ ونحوه كل وقت، وفي رمضان وفي مكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فيكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شُتِم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء، ويستحب الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به)[٣].

ثالثًا: تقديم مصلحة الدين على مصلحة النفس:

وهذا مستمد من قوله ﷺ "فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم" فإن الصائم

---

(١) وانظر: مقومات الداعية الناجح، ص ٤٩-٥٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق، ص ١٢٤.

(٣) الإقناع وشرحه كشاف القناع ٢/٣/٩٨٩-٩٩٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٥٥.

إذا أُعتدي عليه بالسبّ أو الشتم، فإنه بين مصلحتين: مصلحة الاقتصاص لنفسه وردّ كرامته ورد العدوان عن نفسه، ومصلحة الحفاظ على صومه الذي هو من دينه، والحفاظ على بهائه وأن يخدش، فلا يحقق الثمرة المطلوبة من الصوم وهي التقوى، فأرشده النبي ﷺ إلى أن يقدم مصلحة الدين على مصلحة النفس، وفي هذا توجيه للمربين إلى أن يربوا الناشئة على ذلك، لأن في ذلك صلاحهم وفلاحهم، فعليهم أن يربوا الناشئة وغيرهم على أنه ما دام قد سلم دينهم فكل شيء بعد ذلك هيّن وسهل، لذا عليهم أن يقدموا مصلحة الحفاظ على دينهم على أي مصالح أخرى، إن الجهاد في سبيل الله شرع للحفاظ على الدين، لذا فالمسلم يضحي بنفسه وماله راضيًا من أجل نصرة دينه.

رابعًا: التربية ببيان آثار العبادة:

هذا مستمد من قوله ﷺ: "والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فمّ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" إن الصائم عندما يمتنع عن الطعام يخلو جوفه منه فتتغير رائحة فمه لذلك، وتصبح غير طيبة، وهذا طبيعة جبلية، لكن رسول الله ﷺ وصفه بأنه أطيب عند الله من ريح المسك. قال ابن حجر: (يؤخذ من قوله "أطيب من ريح المسك" أن الخلوف أعظم من دم الشهادة، لأن دم الشهيد شبه ريحه بريح المسك والخُلُوف وصف بأنه أطيب، ولا يلزم من ذلك أن يكون الصيام أفضل من الشهادة لما لا يخفى، ولعل سبب ذلك النظر إلى أصل كل منهما، فإن أصل الخلوف طاهر وأصل الدم بخلافه، فكان ما أصله طاهرًا أطيب ريحًا)[1]، ففي هذا الحديث أن ما يكون ناتجًا عن العبادة فإن على النفس أن تفرح به وتسعد وتسرّ ولو كان صعبًا لا تألفه النفس ولا ترتاح إليه في أحوالها العادية، ولكنه لما كان ناتجًا عن عبادة الله عز وجل، فإنه يصير إلى النفس محببًا، ولا يعني هذا تركه وعدم العمل على تطييب رائحة الفم بالسواك وبغيره، لا نعني هذا، وإنما نعني أن النفس لا يصيبها الضجر ولا

---

(١) فتح الباري ١٠٥٣/١ .

السآمة من آثار العبادة التي يتوجه بها إلى الله، إن المجاهد في سبيل الله إذا أصابه غبار أو عرق ونحو ذلك فإن عليه ألا يتضايق منه، بل يسعد بذلك ويفرح أشد الفرح، إن رسول الله ﷺ يقول: ((ما اغبرَّتا قدَما عبدٍ في سبيلِ اللهِ فتمسَّهُ النار))[1] قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المراد في سبيل الله جميع طاعاته أ.هـ وهو كما قال إلا أن المتبادر عند الإطلاق من لفظ سبيل الله الجهاد، وقد أورده المصنف [أي البخاري] في فضل المشي إلى الجمعة[2] استعمالاً للفظ في عمومه، ولفظه هناك "حرمه الله على النار" قال ابن المنير: دل الحديث على أن من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار سواء باشر قتالاً أم لا. انتهى. ومن تمام المناسبة أن الوطء يتضمن المشي المؤثر لتغبير القدم ولا سيما في ذلك الزمان... والمعنى أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟)[3].

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تربى الناشئة وغيرهم على أداء العبادة من خلال بيان الآثار المحمودة لها عند الله تعالى، مما يعد دافعًا قويًا على أدائها والصبر عليها، واللذة بها نظرًا للجزاء الطيب والجزيل الذي أعده الله تعالى لعباده الصائمين.

وبناء على هذا فإن على المربين أن يغرسوا في نفوس من يربونهم حب العبادة والفرح بها والسرور من خلال بيان الآثار المحمودة لتلك العبادة عند الله تعالى.

خامسًا: من أساليب التربية: التبشير:

لقد أخبر النبي ﷺ أن للصائم فرحتين يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه، وفي رواية: "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه".

والصائم يفرح عند إفطاره لكونه أتم يومًا في عبادة الله، أما فرحه عند لقاء ربه فلأنه يجد ثواب صيامه فيفرح فرحًا شديدًا، قال ابن حجر: (قال القرطبي: معناه فرح بزوال جوعه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١١ من حديث عبدالرحمن بن جبر رضي الله عنه.

(٢) الحديث ٩٠٧.

(٣) فتح الباري ١٣٩٥/١ .

وعطشه حيث أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم، وقيل: إن فرحه بفطره إنما هو من حيث إنه تمام صومه وخاتمة عبادته وتخفيف من ربه ومعونة على مستقبل صومه، قلت [القائل ابن حجر]: ولا مانع من الحمل على ما هو أعمّ مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحًا وهو الطبيعي ومنهم من يكون مستحبًا وهو من يكون سببه شيئًا مما ذكره. قوله: "وإذا لقي ربه فرح بصومه" أي بجزائه وثوابه، وقيل الفرح الذي عند لقاء ربه إما لسروره بربه أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت [القائل ابن حجر]: والثاني أظهر إذ لا ينحصر الأول في الصوم بل يفرح حينئذٍ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه)[1]. أي إن النبي ﷺ أخبر عن فرحتين للصائم، وهذا الإخبار يلزم عنه التبشير، وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على أن يستبشروا بإتمام العبادة ويفرحوا لذلك أشد الفرح. إن من الأخطاء التربوية التي يربى عليها الناشئة أن يغرس في أفهامهم أن هذه التكاليف عناء وتعب ومشقة، وأن عليك أن تبادر إلى فعلها حتى ترتاح منها، وهناك فرق كبير بين هذا وبين التبشير النبوي، فالأول قد جعلها عبئًا ثقيلاً على النفس فلا تنشط لأدائه إلا مكرهة، بخلاف التبشير النبوي الذي يجعل أداء التكاليف ممتعًا للنفس يسبب لها الفرح والسرور مما يدفعها إلى الحرص على أدائها على خير وجه.

يقول ابن القيم عن عواقب امتثال الأمر -وهذا من التبشير- (إنه لا أنفع له من امتثال الأمر وإن شق عليه في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات ولذات وأفراح، وإن كرهته نفسه فهو خير لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضرّ عليه من ارتكاب النهي وإن هويته نفسه ومالت إليه، فإن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصائب، وخاصيّة العقل تحمل الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبها من الألم العظيم والشر الطويل، فنظر الجاهل لا يجاوز المبادئ إلى غاياتها، والعاقل الكيس دائمًا ينظر إلى الغايات من وراء

---

(١) فتح الباري ١٠٥٨/١ .

ستور مبادئها. فيرى ما وراء تلك الستور من الغايات المحمودة والمذمومة، فيرى المناهي كطعام لذيذ قد خلط فيه سم قاتل: فكلما دعته لذته إلى تناوله نهاه ما فيه من السم، ويرى الأوامر كدواء كريه المذاق مفض إلى العافية والشفاء، وكلما نهاه كراهة مذاقه عن تناوله أمره نفعه بالتناول، ولكن هذا يحتاج إلى فضل علم تدرك به الغايات من مبادئها، وقوة صبر يوطن به نفسه على تحمل مشقة الطريق لما يؤمل عند الغاية، فإذا فقد اليقين والصبر تعذر عليه ذلك، وإذا قوي يقينه وصبره هان عليه كل مشقة يتحملها في طلب الخير الدائم واللذة الدائمة)[1].

سادسًا- التربية بالترغيب:

هذا مستمد من قول النبي ﷺ "إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم..." الحديث، وقوله ﷺ: "ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان" إن الصائم قد ترك الطعام والماء، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يستغني عن الطعام ساعات طوالاً، فإنه لا يقدر أن يصبر عن الماء ساعات قليلة، ومن ثم كان أشق ما يكون على الصائم تركه شرب الماء، وقد ترك الصائم ذلك كله ابتغاء وجه الله وامتثالاً لأمره، فكان ماذا؟ كان أن كافأه الله يوم القيامة بأنه يدخل من باب الريان باب الشبع والري، قال ابن حجر: (قال القرطبي: اكتفى بذكر الري عن الشبع، لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه، قلت: أو لكونه أشق على الصائم من الجوع)[2].

إن في هذا الحديث ما يرشد المربين إلى أهمية استصحاب الترغيب في عملية التربية من خلال إثارة الرغبة في نيل الثواب العظيم الذي أعده الله لعباده الصائمين، لأن الله تعالى تفضل عليهم بإكرامهم وتخصيص باب من أبواب الجنة لا يدخل منه إلا الصائمون، وهذا مما يبعث على التنافس المحمود والتدافع الإيجابي لتحصيل الثواب.

إن المربي عليه أن يغرس في نفوس الناشئة أن يتركوا كثيرًا من أوقات راحتهم

---

(١) الفوائد ٢٠١.

(٢) فتح الباري ١٠٥٥/١ .

حتى يحصلوا الراحة والنعيم في الآخرة، وهكذا يكون حالهم وعادتهم، ومسلكهم في هذه الحياة.

سابعًا- التربية على تمني الخير:

هذا مستمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة، يا عبدالله هذا خير ... قال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال: نعم وأرجو أن تكون منهم.

قال ابن حجر: (وقوله "هذا خيرٌ" ليس اسم التفضيل، بل المعنى هذا خير من الخيرات، والتنوين فيه للتعظيم، وبه تظهر الفائدة"[1] وقال ابن حجر كذلك: "وفي الحديث من الفوائد أن من أكثر من شيء عرف به، وأن أعمال البر قلّ أن تجتمع جميعها لشخص واحد على السواء وأن الملائكة يُحَيَّون صالحي بني آدم ويفرحون بهم، فإن الإنفاق كلما كان أكثر كان أفضل، وإن تمني الخير في الدنيا والآخرة مطلوب)[2].

إن أبا بكر رضي الله عنه يسأل عن إمكان أن يدعى أحد من الناس من جميع هذه الأبواب؟ إن هذا السؤال يدل على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كانت عنده رغبة في تمني الخير والحصول عليه في الدنيا والآخرة، وهذا من سمات عباد الله الصالحين المخلصين، إنهم يسألون عن كل طريق يوصل إلى الخير وكل سبيل يؤدي بهم إلى فعله، وعن كل وسيلة تأخذ بأيديهم إلى التلبس بالخير وبأهله، إنهم مشغولون ليل نهار آناء الليل وأطراف النهار بالسؤال عن الخير والسبل إليه وفعله والتلبس به، إنهم يتمنون أن يصيبهم الخير العميم في الدنيا والآخرة.

وفي ذلك إرشاد للمربين أن يغرسوا في نفوس الناشئة تمني الخير والعمل على تحصيله بكل طريق ممكن وبكل سبيل مستطاع.

---

(١) فتح الباري ١/١٠٥٥ .

(٢) السابق ٢/١٦٦١.

ثامنًا: التربية على استثمار مواسم الخيرات في فعل الخيرات:

لقد أخبر النبي ﷺ أن شهر رمضان يقع فيه ما يلي:

أ - تفتح أبواب الجنة.

ب - تغلق أبواب النار.

ج - تغل وتصفد الشياطين.

إن السؤال هناك: ما فائدة إخبار النبي ﷺ عما يقع في رمضان؟ أهو الإخبار لمجرد الإخبار أم هناك غرض وهدف لهذا الإخبار؟ إن النبي ﷺ بإخباره هذا يحث المكلفين على استغلال موسم رمضان الذي تكثر فيه الخيرات وتيسر السبل إلى فعلها ويجد الإنسان الكثير مما يعينه على ملازمة الطاعة، إن النبي ﷺ يرغب في انتهاز هذه الفرصة الثمينة - إن صح هذا التعبير - في تحسين الأداء التعبدي وزيادته وتجويده، فماذا ينتظر المكلف بعد ذلك وقد هيئت له الأحوال ويسرت له السبل ليستثمر هذا الشهر الفضيل في رفع الدرجات ومحو السيئات ودخول الجنات؟

والمقصود أن على المربي أن يستفيد من هذا الحديث وغيره في تربية أبنائه على استثمار مواسم الخيرات الاستثمار الأمثل، ولعل في ذلك من الفوائد التربوية ما يلي:

أ - تعويد الشباب وغيرهم على الاستفادة من الأوقات الفاضلة وملئها بما يستحق من الأعمال والأفعال.

ب - بذل الجهد والطاقة فيما يعود بأكبر نفع وأفضل فائدة، فإذا كان الإنسان قد يصيبه الفتور بعض الأحيان، فلا أقل من أن ينشط في الأوقات الفاضلة حتى لا يفوته ثوابها وفضلها.

❁ ❁ ❁

٢١٨ - باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

الحديث رقم (١٢٢٤)

١٢٢٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ، حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

فيدارسه القرآن: يستعرضه ما أَقْرَأَه إياه[2].

الريح المرسلة: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام[3].

الشرح الأدبي

قول ابن عباس (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى عادته في البذل، والانفاق في رمضان كل عام، وقد تدرج " ابن عباس " في الحديث عن كرم وجود رسول الله ﷺ فيقول: " كان رسول الله أجود الناس " فيأتي بلفظ يفيد العموم هو " الناس " وبأفعل التفضيل (أجود) التي تقرر أنه سبق الجميع، وهو كذلك، ثم ينتقل إلى الحديث عن جوده في شهر الخير، والكرم فيقول " وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل " وبناء الحديث على الأسلوب الخبري يشير إلى أن الجود متأصل في

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٨/٥٠).

(٢) فتح الباري ٨/٦٦٠، والمعجم الوسيط في (د ر س).

(٣) فتح الباري ٤/١٣٩.

الرسول الكريم وأن الراوي يخبر عن هذه الخصال المركزة في النبي ﷺ بشتى وسائل التعبير لدرجة أنه وصفة بالسرعة الفائقة إلى الكرم فقال في ختام الحديث: " فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة " ووصف الريح بالمرسلة تتميم بلاغي يفيد المبالغة في سرعتها، والتي تشير إلى عظم كرم النبي ﷺ الذي فاقها سرعة عطاء، ونلمح من الفعل المضارع " فيدارسه القرآن " إن مدارسة القرآن، وتأمله، وفهمه وتفسيره يزيد من كرم المؤمن، وجوده وإيثاره؛ لأنه يحث على الكرم والعطاء: " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى" (الليل ٧).

فقه الحديث

١ - قال النووي: (قال الشافعي والأصحاب: الجود والإفضال يستحبّ في كل وقت، وهو في رمضان آكد، ويسنّ زيادةً الاجتهاد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان، ودليل المسألتين حديثا الباب.

قال العلماء: قوله كالريح المرسلة أي في الإسراع والعموم.

قال أصحابنا: والجود والإفضال مستحب في شهر رمضان، وفي العشر الأواخر أفضل، اقتداءً برسول الله ﷺ وبالسلف، ولأنه شهر شريف فالحسنة فيه أفضل من غيره، ولأن الناس يشتغلون فيه بصيامهم وزيادة طاعاتهم عن المكاسب، فيحتاجون إلى المواساة وإعانتهم.

وقال الماوردي: ويستحب للرجل أن يوسع على عياله في شهر رمضان وأن يحسن إلى أرحامه وجيرانه ولا سيما في العشر الأواخر منه)[1].

٢ - قال النووي: (قال أصحابنا: السُنّةُ كثرة تلاوة القرآن في رمضان ومدارسته وهو أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما)[2].

---

(١) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٢) المجموع ٢٧٤/٦ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جود وكرم النبي ﷺ وزيادة جوده في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الجود.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان.

رابعًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جُوْد وكرم النبي ﷺ وزيادة جُودِه في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس؛ وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل... إلخ).

قال ابن حجر: "قوله: (أجود الناس) بنصب أجود لأنها خبر كان، وقدم ابن عباس هذه الجملة على ما بعدها - وإن كانت لا تتعلق بالقرآن على سبيل الاحتراس من مفهوم ما بعدها، ومعنى أجود الناس: أكثر الناس جودًا، والجود: الكرم وهو من الصفات المحمودة.

وقوله: (فكان أجودُ ما يكون) هو برفع أجود هكذا في أكثر الروايات وأجود اسم كان وخبره محذوف، وهو نحو أخطب ما يكون الأمير في يوم الجمعة. أو هو مرفوع على أنه مبتدأ مضاف إلى المصدر وهو (ما يكون) وما مصدرية وخبره في رمضان والتقدير أجود أكوان رسول الله ﷺ في رمضان، وإلى هذا جنح البخاري في تبويبه في كتاب: الصيام إذ قال: (باب أجود ما كان النبي ﷺ يكون في رمضان....)"[1].

قال ابن حجر: "قال الزين بن المنير: وجه التشبيه بين أجوديته ﷺ بالخير وبين أجودية الريح المرسلة أن المراد بالريح: ريح الرحمة التي يرسلها الله تعالى لإنزال الغيث العام الذي يكون سببًا لإصابة الأرض الميتة وغير الميتة، أي: فيعم خيره وبره من هو

---

(١) فتح الباري ٤١/١.

بصفة الفقر والحاجة، ومن هو بصفة الغنى والكفاية، أكثر مما يعم الغيث الناشئة عن الريح المرسلة ﷺ"[١].

قال النووي: "وفي الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان، ومنها زيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين، وعقب فراغهم للتأثر بلقائهم"[٢].

فقد كان يتضاعف جوده وأفضاله ﷺ في رمضان، لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام، وكثرة مدارسته له كتاب الله، الذي يحث على المكارم والجود، ولا شك أن المخالطة تورث أخلاقًا من المخالِط.

وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة، منها: شرف الزمان، ومضاعفة أجر العمل فيه.

ومنها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم، قال رسول اله ﷺ: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِمْ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[٣].

ومنها: أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، لا سيما في ليلة القدر، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء"[٤].

كما قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ))[٥]، وغيرها الكثير من فوائد الجود في رمضان.

ثانيًا - من صفات الداعية: الجود:

يظهر هذا من قول ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أجود الناس).

---

(١) المرجع السابق ٤/١٣٩.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٤٢٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة ١٧٤٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٤١٧).

(٤) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٩ - ٣١١.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان - عليه الصلاة والسلام - لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يُبَارى، وَصَفَهُ بهذا كلُ من عرفه[١].

عن جابر رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ: لاَ))[٢]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ عَلَىٰ الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ. فَرَجَعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا. فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً من لاَ يَخْشَىٰ الْفَاقَةَ))[٣].

وكان جوده ﷺ كله لله عز وجل وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال: إما لفقير، أو محتاج، أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألف به على الإسلام من يقوى بإسلامه"[٤].

فينبغي على الداعية أن يتحلى بصفة الجود والسخاء تأسيًا برسول الله ﷺ، قال الشافعي رحمه الله: "أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ﷺ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم"[٥].

وصاحب الكرم لا بد أن يكون شديد التوكل، عظيم الزهد، قوي اليقين. ولذلك فإن الكرم مرتبط بالإيمان، ظاهره كرم اليد، ودافعه كرم النفس، وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بقوله: ((المؤمن غِرٌّ كَرِيمٌ، والفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ))[٦].

وفي حديث آخر: ((... وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدا))[٧].

---

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٣٤، ومسلم ٢٣١١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣١٢.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٠٨.

(٥) انظر: لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٥.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٦٤، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٩).

(٧) أخرجه النسائي ٣١١٠، وصححه الألباني، (صحيح سن النسائي ٢٩١٤).

فالداعية ينبغي أن يكون جوادًا كريمًا، لأن الناس بفطرتهم لا يحبون الشحيح البخيل، وإذا لم تتحقق المحبة لم تتفتح القلوب للاستجابة والاستقبال" [١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: مدارسة القرآن في رمضان:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (... وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

"فدلّ الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له، وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان.

وفي حديث فاطمة[٢] رضي الله عنها عن أبيها صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها: ((أن جبريل عليه السلام كَانَ يَعْرِضُ عليه الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِى قُبِضَ)).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣]، أن المدارسة بينه وبين جبريل عليه السلام كانت ليلاً، فدلّ على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً؛ فإن الليل تنقطع فيه الشواغل، وتجتمع فيه الهمم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٤]، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[٥]، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر. ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[٧].

---

(١) انظر: هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار ص ٥٠٣ - ٥٠٦.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري ٣٦٢٤، ومسلم ٢٤٥٠.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦، ومسلم رقم ٢٣٠٨.

(٤) سورة المزمل، آية: ٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٦) سورة القدر، آية: ١.

(٧) سورة الدخان، آية: ٣.

والمؤمن يجتمع له في رمضان جهادان لنفسه؛ جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام. فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما، وُفي أجره بغير حساب"[١].

كما قال النبي ﷺ: ((الصِّيامُ وَالْقُرآنُ يَشْفعانِ لِلْعَبْدِ يقولُ الصِّيامُ: رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعامَ وَالشَّهواتِ بالنَّهارِ فَشَفِّعْني فيهِ وَيَقولُ الْقُرآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ باللَّيْلِ فَيَشْفَعانِ))[٢].

رابعًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (وكان يلقاه جبريل عليه السلام في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن).

إن القرآن الكريم هو كتاب الله والمصدر الأول للدعوة الإسلامية، وفيه وحدة الغناء في جهاد الأرواح والعقول، وفيه ما يأخذ على النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها، وفيه ما يزلزل القلوب القاسية ويهزها هزًا لا تبقى معه على قرار... لذلك ينبغي أن يكون هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة الذي يعتمد عليه الدعاة إلى الله قبل الاتجاه إلى مصدر آخر سواه. والذي ينبغي لهم بعد ذلك أن يتعلموا منه كيف يدعون الناس، وكيف يوقظون القلوب الغافلة، وكيف يحيون الأرواح الخامدة؟ إن الذي أوحى بهذا القرآن هو الله. خالق هذا الإنسان العليم بطبيعة تكوينه، الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها[٣].

فيجب على الدعاة أن يتبعوا منهج الله في كتابه العزيز ويجعلونه أساس دعوتهم.

وفيه خصائص ومزايا ليست في كتاب غيره على وجه الدنيا. كتاب عظيم ما زال سابقًا للزمان والعصر وسيظل متقدمًا على البيئات والمجتمعات، وسيبقى يتحدى كل العقول إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣١٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٥٣/١، رقم ٢٠٨٠، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع وإعداد: أحمد فائز، ط/٦، ١٩٧٨م، ١٢٤/١.

قال تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[2].

هو الكتاب المجيد، وكلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر. لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. فلا جرم، لزم من رام الاطلاع على كليات الشريعة الغراء، وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها النجباء، أن يتخذه سميره وأنيسه، ويجعله على المدى، نظرًا وعملاً، جليسه. فيوشك أن يفوز بالبغية، ويظفر بالطلبة، ويجد نفسه من السابقين وفي الرعيل الأول المهتدين، ويشرق في قلبه نور الإيمان، وتطلع في بصيرته شمس العرفان، ويتبوأ في الدنيا والآخرة مكانا عليًا"[3].

كتاب الله المبين الفارق بين الشك واليقين، الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا. جعل أمثاله عبرًا لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها، شرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، كرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، ضرب فيه الأمثال، وقصّ فيه غيب الأخبار، فقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ...﴾[4]، خاطب فيه أولياءه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا، فقراء القرآن حملة سر الله المكنون، وحفظة علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمناؤه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياؤه. قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مَنَ النَّاسِ)) قَالُوا: يَا

---

(١) سورة فصلت الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٣) محاسن التأويل، القاسمي ١/٤ - ٥ (المقدمة).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: ((هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ))[١]، فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواهيه، ويتذكر ما شُرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستجيبه. فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيدًا في القيامة على من خالف أهل الملل، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾[٢].

والقرآن الكريم ينبوع كل خير... ومصدر كل علم... وأصل كل نعمة اختار الله له شهر رمضان ميقاتًا... وكان نزوله فيه فيض رحمة.. وبدء رسالة، وشاهد اصطفاء رسول خاتم الأنبياء والرسل، وبداية أمة هي خير أمة أخرجت للناس، فأنار الله به للذين التزموه الطريق، وتداركهم بلطفه من فناء كاد أن يأخذهم من شتى نواحيهم، ومنحهم به أينما اتجهوا كل صواب وتوفيق، فلا تكاد كل قضية من قضايا الحياة إلا وضح القرآن غياهبها، وكشف أسرارها، وأبرز غامضها، وأجلى جوانبها، وبين أهدافها، وهو صالح لكل زمان ومكان بقدر ما يعطيه المسلمون من عناية واعتبار، بعد أن أسعد الذين ناجوا ربهم بكلامه، وجعلوا قلوبهم أوعية له، ورطبوا ألسنتهم ما استطاعوا تلاوته وأرهفوا أسماعهم لهدايته فلا ينصرفون عنه لسواه ولا يرتضون به بديلاً، ولا يبغون عن أوامره ونواهيه حولا[٣].

وقد عالج القرآن المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة، النفسية والعقلية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية علاجًا حكيمًا، لأنه تنزيل الحكيم الحميد، يضع لكل مشكلة بلمسها الشافي في أسس عامة، تترسم الإنسانية خطاها، وتبني عليها في كل عصر ما يلائمها فاكتسب بذلك صلاحيته لكل زمان ومكان، فهو دين الخلود، نظام شامل، يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن، وحكومة وأمة، وهو خُلق وقوة ورحمة وعدالة، وهو ثقافة ونظام، وعلم وقضاء، وهو مادة وثروة،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢١٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٧٨).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٣.

(٣) القرآن الكريم معجزة وتشريع، عبدالكريم عبدالله نيازي ص ٢٣.

وكسب وغنى، وهو جهاد ودعوة. كما هو عقيدة صادقة، وعبادة صحيحة[١].

والإنسانية المعذبة اليوم في كثير من أصقاع الدنيا المضطربة في أنظمتها المتداعية في أخلاقها، لا عاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[٢].

إن المسلمين هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمبادئ الأخرى، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم، حتى يأخذوا بأيديها إلى شاطئ السلام، وَكَمَا كانت لهم الدولة بالقرآن في الماضي، فإنها كذلك لن تكون لهم إلا به في الحاضر[٣].

وإنهم ليعلمون أنه حين نزل به الوحي على رسول الله ﷺ اهتدت به القلوب المريضة، واستقام حال الدنيا المعوج، واطمأنت - حين صلحت - تلك النفوس الضالة المنحرفة عن طريق الحق، ومنار الهدى، هدى في كل معضلة، وحل كل مشكلة، ووجه في كل أمر.

وليعلم الجميع أن القرآن الكريم هو أساس الوحدة، وقوام الملة، ولن يستعيد المسلمون مكانتهم إلا بتمسكهم بهذا الكتاب العظيم والسير على هدي محمد ﷺ ولن تأتي القوة ولن يتحقق التمكين الموعود إلا بالعمل على خدمة كتاب الله العزيز وحفظه ونشره وحسن تدبره وصدق العمل به وحينئذ تُظِل العالَمِين رايةُ الإسلام، ويكون الدين كُله لله[٤].

---

(١) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه رجب ١٤٢١هـ - أكتوبر ٢٠٠٠م، ص ٥ - ٨.

(٢) سورة طه، الآيتان: ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) مباحث في علوم القرآن ص ١٧ - ١٩.

(٤) اتخاذ القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح عبدالله بن حميد ص ٨ - ٩.

الحديث رقم (١٢٢٥)

١٢٢٥- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أحْيَا اللَّيْلَ، وَأيْقَظَ أهْلَهُ[١]، وَشَدَّ المِئْزَرَ. متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الشرح الأدبي

تصور أم المؤمنين عائشة " شيئاً من حياة، وتحركات الرسول الكريم ﷺ بهذه الأفعال الماضية الثلاثة " أحيا. . وأيقظ. . وشد " ونبينا الكريم في غنى عن إحياء الليل لأن الله عز وجل – غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – و لا ذنب له أصلا – ولكنه يفعل ذلك للمزيد من التقرب، والشكر، والعلو، والسمو، والأنس بالله تعالى. وترتيب العبارات في الحديث يدل على دراية بكلام العرب، وخبرة بحياة النبي ﷺ، ولا عجب في ذلك لأن زوجه " عائشة " هي التي روت الحديث، وأعنى الترتيب في هذه الجمل: " أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر " فبدأ المصطفى بنفسه أولا (أحيا الليل) والفعل " أحيا " استعارة لقيامه لله تعالى، والتعبير بالحياة يشير إلى أن القلوب لن تحيا الحياة الحقيقية الموصولة بالله إلا من خلال طاعتها في جوف الليل بصفة خاصة، وتأتى الجملة الثانية :" وأيقظ أهله " لينالوا من هذا الخير الذي ذاقه واغترف منه، أما قولها: " وشد المئزر " فيعد كناية عن تركه المعاشرة الزوجية في هذه الأيام العشر من رمضان. . وكلمة " المئزر " تطلق على ما يغطى به المرء عورته، وتعد كنايه عن التعفف عن الحلال، والانشغال بطاعة الله تعالى.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) عند مسلم زيادة: (وجدَّ).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤/٧)، وتقدم برقم (٩٩).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الجود والسخاء:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل".

قال النووي: (في هذا الحديث فوائد منها: بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود في رمضان)[1] وقال ابن حجر: (وقال النووي في الحديث فوائد: منها الحث على الجود في كل وقت، ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح)[2].

إن التربية على السخاء والجود له فوائد تربوية مهمة "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إتقانه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الأوجه المشروعة. فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قواما.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة وقلة الحرص على جمع المال كان متصلاً بفضائل أخرى، فالسخي في أغلب الأحوال يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم ويجري في معاملاته على الإنصاف فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه، وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة، ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي بحق متواضعًا لا يطيش به كبر ولا تستخفه الخيلاء، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والقوة، بشدة حرصه على متاع الدنيا، فإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم وأن يتطهر من المساوئ والمعايب، فالسخي قريب من كل خير وبر.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٢٦. .

(٢) فتح الباري ٢٦٦/١. .

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين، حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها، وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس[1].

ثانيًا: التربية على الاعتناء بالقرآن الكريم تلاوة وحفظًا وتدبرًا:

هذا مستمد من قول ابن عباس رضي الله عنهما "وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن" وفي هذا إرشاد للمربين أن يربوا الناشئة على مدارسة القرآن الكريم والاعتناء به تلاوة وحفظًا وتدبرًا (فالقرآن الكريم له أثره العظيم في إصلاح النفوس وتزكيتها، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، لذا فقد رأينا أثر الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتدارسه لدى شباب الصحوة اليوم، وهذا مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[2].

ونحمد الله تبارك وتعالى أن وفق جيل الصحوة اليوم للاعتناء بالقرآن والتربية عليه، حتى صار حفظه وإتقانه هدفًا يتطلع إليه الشاب ويصرف زهرة وقته في تحصيله، وهذا أمارة تأسي بالسلف الذين كانت لهم عناية بالغة بتعلم القرآن وحفظه.

---

(١) الهمة العالية، ص ١٦٦-١٦٧ ومراجعه.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

عن جندب بن عبدالله ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة[١]: فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا[٢].

وقال ابن عبدالبر: (طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدّى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدّى سبيلهم عامدًا ضلّ، ومن تعداه مجتهدًا زلّ، فأول العلم حفظ كتاب الله عز وجل وفقهه...)[٣].

وقال محمد بن الفضل بن محمد سمعت جدي - يعني ابن خزيمة - يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة، فقال: اقرأ القرآن أولاً حتى آذن لك، فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلّي بالختمة، ففعلت فلما عيدنا أذن لي.

وقال الإمام النووي: (كان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن)[٤].

ويحكي ذلك عن ابن خلدون فيقول: (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده، من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات)[٥].

ومما ينبغي أن يضاف للاعتناء بحفظ القرآن ما يلي:

١ - الاعتناء بتلاوته والتلذذ بسماعه، وما أجمل أن يطلب الشباب من أحدهم حين يجتمعون في مجلس من مجالسهم أن يتلو آيات من كتاب الله عز وجل، وكذا كان يصنع عمر ﷺ فعن أبي سلمة أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا رأى أبا موسى ﷺ قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده[٦].

---

(١) حزاورة: هو جمع حزور وحزوّر: وهو الذي قارب البلوغ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٢٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٦١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٦٦/٢.

(٤) المجموع ٣٨/١.

(٥) مقدمة ابن خلدون ٥٣٧-٥٣٨.

(٦) أخرجه الدارمي ٣٤٩٣.

٢ - الاعتناء بالتدبر وتعويد الشباب عليه، وتدارس معاني القرآن الكريم.

٣ - الاعتناء بدراسة كتب التفسير وعلوم القرآن وأسباب النزول وغير ذلك مما له صلة بكلام الله عز وجل[1].

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، ٤٠-٤٢ ومراجعه ومصادره.

٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلاّ لمن وصله بما قبله أو وافق عادة لَهُ بأن كَانَ عادته صوم الاثنين والخميس فوافقه

الحديث رقم (١٢٢٦)

١٢٢٦- عن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ ، قَالَ: ((لاَ يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

بدأ الحديث الشريف بنهى المؤمن أن يصوم قبل رمضان بيوم، أو يومين، وقد شدد فى هذا النهى من خلال نون التوكيد الثقيلة في قوله: " لا يتقدمن. .. " ثم يستثنى حاله واحدة وهى إذا وافق صيامه ذلك عادة له، أو نذراً، أو ما إلى ذلك، ولذا جاء بلام الأمر فقال: " فليصم ذلك اليوم " والنهى، والأمر في حديث واحد يدلان على مرونة هذا الدين، ومراعاته لأحوال الإنسان ففي حاله النهى عن الصيام قبيل " رمضان " يريد الرسول ﷺ به أن الفصل بين فرض الله، وبين التطوع حتى لا يختلط على الناس كما أنه بذلك يرفع الحرج عن المسلم حتى يقبل على رمضان بقوة وانشراح صدر، وعزيمة، وفرحة، وفى حاله الأمر بالصيام لمن كانت له عادة أو قضاء يرخص له صيامه حتى يفرح بتمام تطوعه، أو قضاء ما عليه وهو ما أكده الجناس في قوله أو(يصوم صومه) وإضافة الصيام إلى ضمير المرخص له يشير إلى أنها خصوصية لحالته توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٩١٤) واللفظ له، ومسلم (١٠٨٢/٢١).

فقه الحديث

قال البسام: (يؤخذ من الحديث النهي عن تقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين، وظاهر النهي التحريم، وحمله كثير من العلماء على الكراهة، فمن حرّمه نظر إلى النهي، ومن كرهه نظر إلى الاستثناء.

قال الترمذي: كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان وإن كان رجل يصوم صومًا فوافق صيامه فلا بأس به عندهم[1] أ هـ. كما يؤخذ من الحديث الرخصة في الصيام لمن صادف قبل رمضان له عادة صيام، كصيام يوم الخميس أو الاثنين، وهذه الرخصة بإجماع العلماء)[2].

وممن حمل النهي في حديث الباب على الحرمة الشافعية. قال النووي: (فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذاهو الصحيح في مذهبنا)[3].

المضامين الدعوية [4]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين.

ثالثًا: من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر في قول رسول الله ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين)، حيث نهى عن تقدم رمضان بالصوم قبله.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته حيث ينهى

---

(١) بعد الحديث ٦٨٤.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج٤/٧/١٦٩-١٧٠ .

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٢٦ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٢٧.

المدعوين عما يخالف أحكام الدين وآدابه، وهو يجعل المدعو يستجيب بالبعد عما نُهي عنه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن الصوم قبل رمضان بيوم أو يومين:

ويظهر ذلك من عموم الحديث حيث قال ﷺ: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم يومه فليصم ذلك اليوم).

قال النووي: "فيه التصريح بالنهي عن استقبال رمضان بصوم يوم أو يومين لمن لم يصادف عادة له، أو يصله بما قبله، فإن لم يصله ولا صادف عادة فهو حرام، هذا هو الصحيح في مذهبنا، فإن وصله بما قبله أو صادف عادة له فإن كانت عادته صوم يوم الاثنين ونحوه فصادفه فصامه تطوعًا بنية ذلك جاز"[1].

قال العيني: " قوله: (لا يتقدمن أحدكم رمضان)، قوله: (إلاَّ أن يكون رجل)، يكون، هنا تامة معناه: إلاَّ أن يوجد رجل يصوم صومًا. (صومه) أي: صومه المعتاد كصوم الورد أو النذر أو الكفارة.

وقال العلماء: معنى الحديث: لا تستقبلوا رمضان بصيام على نية الاختلاط لرمضان، تحذيرا مما صنعت النصارى في الزيادة على ما افترض عليهم برأيهم الفاسد، فكان ﷺ يأمر بمخالفة أهل الكتاب وكان أولاً يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم أمر بعد ذلك بمخالفتهم. فإن قلت: هذا النهي للتحريم أو للتنزيه؟ قلت: حكى الترمذي عن أهل العلم الكراهة، وكثيرا ما يطلق المتقدمون الكراهة على التحريم، ولا شك أن فيه تفصيلاً واختلافا للعلماء، فذهب داود إلى أنه لا يصح صومه أصلاً، ولو وافق عادة له، وذهبت طائفة إلى أنه لا يجوز أن يصام آخر يوم من شعبان تطوعا إلاَّ أن يوافق صوما كان يصومه، وأخذوا بظاهر هذا الحديث، رُوِّي ذلك عن عمر بن الخطاب وعلي وعمار وحذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم، ومن التابعين: سعيد بن

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ٦٨٣.

المسيب والشعبي والنخعي والحسن وابن سيرين، وهو قول الشافعي، وكان ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما يأمران بفصل يوم أو يومين كما استحبوا أن يفصلوا بين صلاة الفريضة والنافلة بكلام أو قيام أو تقدم أو تأخر، وقال عكرمة: من صام يوم الشك فقد عصى الله ورسوله، وأجازت طائفة صومه تطوعا، روي عن عائشة وأسماء أختها رضي الله عنهما أنهما كانتا تصومان يوم الشك، وقالت عائشة رضي الله عنها: لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوما من رمضان، وهو قول الليث والأوزاعي وأبي حنيفة وأحمد وإسحاق، وذكر ابن المنذر عن عطاء وعمر بن عبد العزيز والحسن أنه: إذا نوى صومه من الليل على أنه من رمضان ثم علم بالهلال أو النهار أو آخره أنه يجزيه، وهو قول الثوري والأوزاعي وأبي حنيفة وأصحابه.

وقيل الحكمة في هذا النهي التَقَوِّي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو بيومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم، وإنما اقتصر على يوم أو يومين لأنه الغالب ممن يقصد ذلك"[1].

وقال ابن حجر: "والحكمة فيه التقوي بالفطر لرمضان ليدخل فيه بقوة ونشاط، وهذا فيه نظر لأن مقتضى الحديث أنه لو تقدمه بصيام ثلاثة أيام أو أربعة جاز.

قيل: الحكمة فيه خشية اختلاط النفل بالفرض، وفيه نظر لأنه يجوز لمن له عادة كما في الحديث، وقيل: لأن الحكم علق بالرؤية فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم وهذا المعتمد، ومعنى الاستثناء أن من كان له ورد فقد أذن له لأنه اعتاده وألفه وتَرْك المألوفِ شديدٌ، وليس ذلك من استقبال رمضان، ويلتحق بذلك القضاء والنذر"[2].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الالتزام بما بينه النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد نهى رسول الله ﷺ عن التقدم بصيام يوم أو يومين على رمضان إلا إذا كان له صوم يصومه.

---

(١) عمدة القاري ١٠/٢٨٨.

(٢) فتح الباري ٤/١٥٣.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((صُوموا لِرُؤيتهِ وأفطِروا لرُؤيته))[١]، فينبغي على المسلم الالتزام بما أمر به الرسول ﷺ في عدم التقدم بصوم يوم أو يومين قبل صيام رمضان إلا من كان يصوم صومه الذي اعتاده. وذلك لنهي رسول الله ﷺ عنه وأمره بالصوم لرؤية هلال رمضان.

فإن الإيمان بالله تعالى يقتضي طاعة رسول الله ﷺ في جميع ما أمر به، وحضّ عليه والانتهاء عن كل ما نهانا عنه وحذرنا منه، وهذا الأثر من أعظم آثار الإيمان به ﷺ فالسعادة والشقاء تترتب على وجود هذا الأثر أو عدمه.

وهذان الأصلان العظيمان هما المحك الحقيقي للإيمان برسول الله ﷺ ولقد ذكرهما مقترنين حتى تتضح الرؤية وتكمل الفائدة متأدبًا بقول الله جل وعلا الذي اشتمل على هذين الأصلين معًا وهو قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

فطاعة رسول الله ﷺ طاعة لله جل وعلا، ومعصيته ﷺ معصية لله جل وعلا ومحبته هي الطريق الموصل لمحبة الله جل وعلا، بل لا يقبل الله تعالى من أحد صرفًا ولا عدلاً إلا باتباعه ﷺ فببعثته تبين الرشد من الغي، والشرك من التوحيد، والصدق من الكذب، والإخلاص من النفاق، واليقين من الشك، وطريق النجاة من طريق النار.

بل ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دلّ الأمة عليه، ولم يبق شر عاجل ولا آجل إلا حذر الأمة منه ونهاهم عنه، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والمؤمنون الصادقون في إيمانهم برسول الله ﷺ يطيعون أمره ويجتنبون نهيه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٠٩، ومسلم ١٠٨٥.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

الحديث رقم (١٢٢٧)

١٢٢٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَصُومُوا قَبْلَ رَمضَانَ، صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَافْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَابَةٌ فَأكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسنٌ صحيح).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

غيابة: سحابة[2].

الشرح الأدبي

يبدأ هذا الحديث بالنهى العام أيضاً – عن الصيام قبيل شهر (رمضان) فيقول: " لا تصوموا قبل رمضان " وإسناد الفعل: " لا تصوموا. .. " إلى واو الجماعة يوحى بأن الجميع ملتزم أو يجب أن يلتزم بذلك لتوحيد صفوف الأمة على ما يشعر بوحدتها وعزتها، وقوتها، وتماسكها لاسيما مع توافر الإمكانات العلمية، ووسائل الاتصال التي تجعل الأمة كلها على اتساعها كقرية واحدة، وكذلك الوضع في " صوموا – وافطروا – فأكملوا " فواو الجماعة لا يمكن إهمال دورها في هذه الأفعال، وغيرها، وقوله: " فإن حالت دونه غيابة فأكملوا ثلاثين يوماً " فيه إيجاز بالحذف تقديره: (فإن حالت دون رؤية الهلال غيابة في شعبان فأكملوه ثلاثين يوماً ثم صوموا رمضان فإن حالت سحابة دون رؤية هلال شوال فأكملوا رمضان ثلاثين يوماً ثم أفطروا في أول شوال، و لا شك أن هذه الضوابط تدل على أهمية التزام الأوامر، كما تشير إلى وضع الرسول ﷺ لحلول مبكرة لمشاكل مستقبلية ستصادف الأمة يوما حتى يجدوا في كتاب الله، وسنة رسول كل ما يحتاجون إليه في معاشهم، ومعادهم.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٦٨٨). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٥٩٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٢٨)

١٢٢٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلاَ تَصُومُوا)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في جمله شرطية واحده، وقد بدأها الرسول الكريم " بإذا " والفعل الماضي: " إذا بقى نصف من شعبان. .. " للتدليل على أن الشهور تدور دورتها ولا بد أن يأتي (شهر شعبان) ضمن سير الشهور لأن " إذا " تدل على تحقق وقوع ما يأتي بعدها، والنهى في قوله: " فلا تصوموا " يوحى بالرفق، والشفقة، والنصح للأمه كلها لأنه اسند الفعل إلى واو الجماعة حتى يقبلوا على صيام الفرض في شهر " رمضان " بقوة، وانشراح، وعزيمة، وحب، وهذا أكبر دليل على أن الفرض أهم من النافلة، فلا يجب أن يستهلك المسلم جهده قبيل رمضان في التطوع، فإذا أقبل الفرض المأمور به ضعف عنه، أو استقبله بفتور، وعلى المسلم أن يقدم الأهم على المهم، والأفضل على الفاضل، والله أعلم.

فقه الحديث

الصيام بعد النصف من شعبان:

قال الصنعاني: (الحديث دليل على النهي عن الصوم في شعبان بعد انتصافه ولكنه مقيد بحديث "إلا رجل كان يصوم صومًا فليصمه" كما في الحديث ١٢٢٨)[٢].

وذكر النووي أن النهي لا يتعلق كذلك بمن يصله بما قبله صومًا[٣]، وقد اختلف

---

(١) برقم (٧٣٨).

(٢) سبل السلام ٤٣٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٧/١٠ .

الشافعية في هذا النهي، فقد ذكر النووي أن الصحيح من المذهب الحرمة[١]. وقال الصنعاني: (وذهب كثير من الشافعية إلى التحريم)[٢] لكن نقل ابن حجر عن الروياني من الشافعية قوله: (يحرم التقدم بيوم أو يومين لحديث أبي هريرة [١٢٢٦]، ويكره التقدم من نصف شعبان لحديث الباب)[٣].

لكن جمهور العلماء ضَعّف حديث الباب وأجازوا الصوم تطوعًا بعد انتصاف شعبان، قال ابن حجر: (قال جمهور العلماء: يجوز الصوم تطوعًا بعد النصف من شعبان، وضعفوا الحديث الوارد فيه، وقال أحمد وابن معين: إنه منكر)[٤].

وقد حاول بعض العلماء الجمع بين الحديثين [١٢٢٦، ١٢٢٨] منهم الطحاوي، فحمل حديث العلاء [١٢٢٨] على من يضعفه الصوم، وحديث الباب [١٢٢٦] مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، قال ابن حجر: (وهو جمع حسن)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن صيام النصف الثاني من شعبان:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا بقى نصف من شعبان فلا تصوموا). حيث نهى عن صيام النصف الثاني من شعبان.

قال المباركفوري: "قال القاري في (المرقاة): "والنهي للتنزيه رحمة على الأمة أن يضعفوا عن حق القيام بصيام رمضان على وجه النشاط، وأما من صام شعبان كله

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) سبل السلام ٤٣٠، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٧/٣.

(٣) فتح الباري ١٢٩/٤ ، وقال الشيخ البسام: "وذهب بعض الشافعية إلى أن النهي للتنزيه [أي الكراهة]" توضح الأحكام ٢٠٧/٣.

(٤) فتح الباري ١٢٩/٤ ، وانظر: المغني ٤٢٧/٤ ، وسبل السلام ص ٤٣٠.

(٥) فتح الباري ١٢٩/٤، وانظر المغني ٤٢٧/٤، وسبل السلام ٤٣٠، ونيل الأوطار ٨٣٩-٨٤٠ .

فيتعود به صيام رمضان، ويزول عنه الكلفة، ولذا قيده بالانتصاف، أو نهى عنه لأنه نوع من التقدم.

وقال القاضي: المقصود استجمام من لا يقوى على تتابع الصيام، فاستحب الإفطار كما استحب إفطار عرفة ليتقوى على الدعاء، فأما من قدر فلا نهي له، ولذلك جمع النبي ﷺ بين الشهرين في الصوم"[١].

وقال د. محمد رواس قلعه جي: "ويكون الصيام مكروهًا... في أواخر شعبان لقوله ﷺ: ((إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلاَ تَصُومُوا))[٢].

ويتفي هذه الكراهية أن يصادف ذلك صومًا كان يصومه، أو صومًا واجبًا كصيام نذرٍ أو قضاءٍ ذَكَرَه أو اعتكافٍ في مسجد ونحو ذلك، قال ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْه))[٣]. وما ذلك إلا ليتقوى على صيام رمضان[٤].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: التيسير على المدعوين:

إن الإسلام دين اليسر والتخفيف على المدعوين، ويظهر ذلك في نهي رسول الله ﷺ المسلمين عن الصوم في النصف الأخير من شعبان.

فهو ينهى عن تعدي الحدود التي ضربها لصيام شهر رمضان، ويحذر من تجاوزها ويصف من تطاول عليها بالخروج على تعاليم الإسلام، وبالعصيان لرسول الإسلام، وما ذلك إلا من أجل الخوف من أن يندرج بعض المسلمين - عن حسن نية - في الزيادة على الواجب في شهر رمضان، طلبًا لمرضاة الله واستزادة لثوابه، فيقعوا في الحرج والمشقة كما قد يوقعون غيرهم - ممن يأتي بعدهم - في ذلك، فتعود المسألة كراهية للواجب بعد أن كان يحمل من عناصر اليسر ما يضمن له الحب، وعجزًا في القيام به بعد ما

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/ ٩٤٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٣٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٩).

(٣) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ٢/ ١٢٥٧.

كان يحمل من عناصر التخفيف ما يكفل له دوام العمل به، وضلالاً في الطريق بعد ما كان يحمل من اتساقه مع الفطرة وتناسبه مع القدرة ما يضيء له الدرب ويكشف له عن الهدف المرسوم والغاية المقصودة[١].

ومن ذلك قوله ﷺ: ((لا يَتقدَّمنَّ أحدُكم رمضانَ بصومِ يومٍ أو يومَينِ إلاّ أن يكونَ رجُلٌ كان يصومُ صومَهُ فلْيَصُمْ ذلك اليومَ))[٢].

وقول عمار بن ياسر رضي الله عنه: ((مَنْ صَامَ اليوم الذي يُشَكُّ فيهِ فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ))[٣].

وهذا يدل على التيسير على المدعوين فإن اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة، وأجمعت الأمة عليه:

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٤]. قال ابن عباس: إنما ذلك سمة الإسلام وما جعل الله فيه من التوبة والكفارات.

ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٥].

وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[٦].

ومن السنة قوله ﷺ: ((إِنِّي أُرْسِلْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ))[٧]. أي السهلة اللينة،

---

(١) انظر: صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز الربيعة ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٩١٤، ومسلم ١٠٨٢.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٣٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٠٤٦).

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) سورة البقرة آية: ١٨٥.

(٦) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٧) أخرجه أحمد في مسنده ١١٦/٦، رقم ٢٤٨٥٥، وقال محققو المسند: حديث قوي ٣٤٩/٤١.

وقوله ﷺ: ((إِنَّ هذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ))[١].

ويستأنس لذلك بما روي عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في هذا الباب، قول ابن مسعود رضي الله عنه: (إياكم والتنطع، وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق).

أي: الأمر القديم، أي الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وقول إبراهيم النخعي: (إذا تَخَالَجَك أمران فظن أن أحبهما إلى الله أيسرهما)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤ - ٢١٤.

الحديث رقم (١٢٢٩)

١٢٢٩- وعن أَبي اليقظان عمارِ بن يَاسِرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٠٠).

الشرح الأدبي

جاء الحديث في لافتة قصيرة مدوية تبرق بالتهديد، والوعيد، وقد جاءت في جمله شرطية توضح أن الأولى بالمؤمن أن يبتعد عما فيه شك إلى اليقين الذي لا مرية فيه وهناك ربط بين فعل الشرط، وجوابه، ويتمثل فعل الشرط في قوله: " من صام اليوم الذي يشك فيه " لأنه بصومه هذا يكون قد خالف الأحاديث السابقة التي قد نهت عن هذا الصوم في الأيام المشكوك فيها، ولذا جاء جواب الشرط ليحمِّل المخالف نتيجة مخالفته فقال: " فقد عصى أبا القاسم " وأكد المضمون بقد، والفعل الماضي ومن ذا الذي يجرؤ أن يعصى أبا القاسم – صلى الله علية وسلم ؟ إن المؤمن السوي يقول: سمعت وأطعت، ففي هذا الخير، والرضا، والهدى، والتوفيق. . والله اعلم

فقه الحديث

الصوم يوم الشك:

ذهب الحنابلة إلى أن يوم الشك من شهر رمضان هو يوم الثلاثين من شعبان، إذا لم يكن على مَطْلع الهلال غِيمٌ أو قَتَر أو دُخَان ونحوها مما يمنع الرؤية، فهذا هو الشك

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦) واللفظ له. وصحّحه ابن خُزيمة (١٩١٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٨٥)، وقال الحاكم (١/٤٢٤): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الذي نهى عن صيامه[١]، فيكره صيامه وأما إذا حال دون الهلال تلك الليلة غيم أو غبار أو دخان أو نحو ذلك، فيجب صيامه حكمًا ظنيًا احتياطيًا)[٢].

قال المرداوي في الإنصاف: (وهو المذهب عند الأصحاب ونصروه وصنفوا فيه التصانيف، وردوا حجج المخالف وقالوا: نصوص أحمد تدل عليه وهو من مفردات المذهب)[٣].

وذهب الأئمة وجمهور العلماء إلى أن اليوم الذي ليس في منظر هلاله ما يمنع الرؤية، لا يسمى يوم شك، وإنما يوم الشك هو ليلة الثلاثين من شعبان إذا حال دون رؤية الهلال ما يمنع الرؤية من سحابٍ أو ضباب أو قتام أو دخان أو نحوها. فهذا هو يوم الشك المنهي عن صيامه في حديث عمّار وغيره[٤].

قال الترمذي: (والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري ومالك بن أنس، وعبدالله بن المبارك والشافعي[٥] وأحمد وإسحاق: كرهوا أن يصوم الرجل اليوم الذي لا يشك فيه)[٦].

وقال الصنعاني: (والحديث وما في معناه يدل على تحريم صوم يوم الشك، وإليه ذهب الشافعي واختلف الصحابة في ذلك: منهم من قال بجواز صومه ومنهم من منع منه، وعدّه عِصْيانًا، والأدلة مع المحرمّين)[٧]. وقال الشوكاني: (والحاصل أن الصحابة مختلفون في ذلك وليس قول بعضهم بحجة على أحدٍ، والحجة ما جاءنا عن الشارع)[٨].

---

(١) انظر: المغني ٣٣٣/٤ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٨/٣.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥١٧/١ .

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣، وانظر: حاشية ابن عابدين ٣٨١/٢، والمنتقى ٧٢/٢، والمجموع ٢٩٣/٦، والمغني ٣٣٠/٤.

(٥) انظر: المجموع ٢٩٢/٦-٢٩٤.

(٦) انظر: المغني ٣٣٠/٤، والمجموع ٢٩٤/٦.

(٧) سبل السلام ٤٠٨ .

(٨) نيل الأوطار ٧٩٨، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٩/٣-١٣٠.

هذا فيما يتعلق بصوم يوم الشكّ بنية رمضان أما لو صامه تطوعًا فقال النووي: (لو صامه تطوعًا بلا عادة ولا وصَلَه [بما قبله] فمذهبنا أنه لا يجوز، وبه قال الجمهور. وحكاه العبدري عن عثمان وعليٍّ وعبدالله بن مسعود وحذيفة وعمّار وابن عباس وأبي هريرة وأنس والأوزاعي ومحمد بن سلمة المالكي وداود. وقال أبو حنيفة: لا يكره صومه تطوعًا ويحرم صومه من رمضان)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك.

ثانيًا: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التحذير من صيام يوم الشك:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما: من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

قال ابن حجر: "استدل به على تحريم صوم يوم الشك لأن الصحابي لا يقول ذلك من قبل رأيه فيكون من قبيل المرفوع. قال ابن عبدالبر: هو مسند عندهم لا يختلفون في ذلك"[2].

قال الطيبي: "إنما أتى بالموصول ولم يقل: (يوم الشك)، مبالغة وإن صوم يوم يشك فيه أدنى شك، سبب لعصيان من كنيته أبو القاسم الذي يقسم بين عباد الله حكم الله بحسب قدرهم واقتدارهم، فكيف بمن صام يومًا الشك فيه قائم ثابت؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3]، أي: إلى الذين أُونِس منهم

---

(١) المجموع ٢٩٤/٣ ، وانظر حاشية ابن عابدين ٣٨١/٢، وحاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥١٣/١، وحاشية الصاوي ٦٨٧/١، ومغني المحتاج ١٦٣/٢، والمغني ٣٣٠/٤-٣٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٤٤/٤.

(٣) سورة هود، آية: ١١٣.

أدنى الظلم، فكيف بالظالم المستمر عليه؟[١]. فيتضح من ذلك التحذير من صيام يوم الشك.

فيحرم صيام يوم الشك، وهو اليوم الثلاثون من شعبان، إذا حال دون رؤية الهلال غيم أو نحوه، وفي هذه الحالة يحتسب هذا اليوم من شعبان، وليس من رمضان، لأن اليقين لا يزول بالشك، ولقوله ﷺ: ((صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابَةٌ أو ظُلمة؛ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالاً، وَلاَ تَصِلُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ))[٢].

وإذا كان هذا اليوم من شعبان لم يجز صومه على أنه من رمضان، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صيام هذا اليوم، قال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (من صام هذا اليوم فقد عصا أبا القاسم)[٣].

ثانيًا - من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ:

يظهر ذلك من فعل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وقوله، فقد روى أبو إسحاق عن صلة قال: ((كنَّا عندَ عمارِ بنِ ياسرٍ فأتَى بشاةٍ مصليةٍ فقالَ: كلُوا، فتنحَّى بعضُ القومِ فقالَ: إني صائمٌ، فقالَ عمارُ بنُ ياسرٍ: منْ صامَ اليومَ الذي يُشَكُّ فيهِ فقد عصَى أبا القاسم ﷺ))[٤].

وهذا يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الانتهاء عن نهي رسول الله ﷺ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥].

وهذا عقبة بن الحارث رضي الله عنه ورد: أنَّه تَزوَّجَ ابنةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ فأتَتْهُ امرأةٌ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤٨/٤.

(٢) أخرجه النسائي ٢١٨٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٠٦٩).

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ١٢٥٨/٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٦٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٥٥٣).

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

فقالَتْ: إنِّي قد أرضَعتُ عُقبة والتي تَزوَّجَ. فقال لها عُقبةُ: ما أعلمُ أنكِ أرضعتِني، ولا أخبَرْتِني. فَركِبَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ بالمَدينةِ، فسألَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((كيف وقد قيلَ؟)) ففارَقَها عُقبةُ، ونَكَحتْ زَوجًا غيرَه[1]. فينبغي على المسلم أن يحرص على البعد عما نهى رسول الله ﷺ عنه، وعليه أن يحرص على اتباعه والتأسي به فيما جاء به من ربه من الأمور المستقرة، والتي لا يسع أحد الجهل بها؛ لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة؛ نظرًا لتواتر النصوص الدالة على ذلك واستفاضتها، ومن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

قال ابن كثير في تفسيره: "أي مهما أمركم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر"[3].

وقال الشوكاني بعد إيراده لبعض الأقوال التي قد يفهم منها أن الآية خاصة بالفيء: "والحق أن هذه الآية عامة في كل شيء يأتي به رسول الله ﷺ من أمر أو نهي أو فعل، وإن كان السبب خاصًا فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وكل شيء أتانا به من الشرع فقد أعطانا إياه وأوصله إلينا وما أنفع هذه الآية وأكثر فائدتها"[4].

٢- قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[5].

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّم رسول الله ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٨٨.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) فتح القدير ٢٨٢/٥.

(٥) سورة النساء، آية: ٦٥.

يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حَكَمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلموا لذلك تسليمًا كليًا، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[١].

ويقول السعدي: "ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله (فيما شجر بينهم) أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف"[٢].

٣- عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وعظ الناس فقالوا: يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ. لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا. لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ))[٣].

٤- عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((فمن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ مني))[٤]، قال ابن حجر في شرحه له: "المراد بالسنة الطريقة، لا التي تقابل الفرض، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره، والمراد: من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني"[٥][٦].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما: (... فقد عصى أبا القاسم ﷺ).

حيث رهّب من صوم يوم الشك بأن ذلك يوم سبب لمعصية الرسول ﷺ، ومعصية الرسول ﷺ معصية لله وسبب لعقابه، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٤٩/٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٤٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة ٤٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٤١).

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٥) فتح الباري ٧/٩.

(٦) اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين، فيصل علي البعداني، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ١١٢ - ١١٤.

تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: "وقوله: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي: عن أمر رسول الله ﷺ، سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا ما كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٢]، أي: فليحذر من خالف شريعة الرسول ﷺ باطنًا أو ظاهرًا، (أن تصيبهم فتنة)، أي: في قلبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، (أو يصيبهم عذاب أليم)، أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[٣].

فأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخيف المدعو من عدم الامتثال للدعوة وتجعله يمتثل لما دعي إليه.

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الاستعداد لأفضل العبادتين:

إن رغبة المسلم في الصوم قد تدفعه إلى أن يصوم من شعبان قبل أن يصوم رمضان، رغبة في تحصيل الأجر والفضل، لكن هذه الرغبة قد تؤدي إلى التكاسل في أداء صوم الفرض إذ هو ينشط في بداية صومه، ولكنه قد يصيبه الفتور بعد ذلك، وفي هذا خلل وتفريط فيما هو أهم، فإذا كان قد أدى صوم النفل في شعبان بهمة ونشاط، فإن أدى صوم رمضان - وهو صوم الفريضة - بغير هذه الهمة وذلك النشاط فقد قدم ما هو مهم على ما هو أهم، واعتنى بالنفل على حساب الفرض، وانشغل بما هو أقل رتبة عما هو أعلى رتبة. لذا نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصيام نفل إلا أن يكون عادة لصاحبه.

أ - فقد نهى عن الصيام بعد النصف من شعبان.

ب - كما نهى عن تقدم صيام رمضان بصوم يوم أو يومين.

لكي يحفظ على المسلم قوته ونشاطه حتى يؤدي فريضة الصوم كما هو مطلوب، يقول الشيخ البسام: (ولعل من الحكمة أيضًا حصول الاستجمام لصوم رمضان فلا يأتي صومه والمسلم في حال ملل وكسل عن الصيام، وإنما يقبل عليه برغبة وشوق إليه، وهذا التعليل لا ينافي حديثي عائشة وأم سلمة في صيام شعبان كله أو أكثره[1]، فالنفوس على الامتثال على العبادة ليست واحدة، والحكم يكون للغالب)[2].

أي إننا أمام موازنة بين صوم النافلة وصوم الفرض، فإذا حدث تعارض بينهما في درجة الأداء وجودته، وجب توفير النشاط والحيوية لأداء الفرض لأنه المطلوب والواجب، وعلى ذلك نستطيع أن نرصد بعض مظاهر الخلل من هذه الناحية:

أ - الحرص على قيام الليل إلى وقت متأخر من الليل مع أن ذلك قد يؤدي إلى تضييع صلاة الفجر، أو إذا قامَ قامَ كسلان لا يكاد يعي ما يقول ويسمع في صلاته،

---

(١) أما حديث عائشة رضي الله عنها فمتفق عليه: أخرجه البخاري ١٩٦٩، ومسلم١١٥٦، وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها أخرجه الترمذي ٧٣٦، وقال: حديث حسن، وانظر: فتح الباري ١٠٩٧/١ .

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٢٠٦/٣.

مع أنه يمكن أن يجمع بين الاثنين بأن يقتصد في قيام الليل ليقوم نشيطًا وافر النشاط لأداء صلاة الصبح فإن حدث تعارض قدّم الاستعداد للواجب ووفّر النشاط لأداء الفرض.

ب - انشغال الآباء بالعمل ليلَ نهارَ، لتوفير حياة كريمة لأبنائهم، وإعطاء وقت قصير يقضيه معهم يوجههم ويربيهم ويؤدبهم فيه، وهو في هذا الوقت على قصره يغالبه النوم والنعاس ويرغب أشد الرغبة في الراحة، إنه أنفق معظم جهده خارج البيت حتى إذا جاء ليؤدي مهمته الأولى وهي تربيةُ الأولاد وتأديبُهم قصر فيها أو أداها على عجل أو أجلها حتى ينساها مع مرور الأيام والليالي.

نخلص من هذا كله إلى أنه على المربين أن يربوا من يقومون على تأديبهم وتربيتهم على أن يهتموا بالأهم، ويوفروا نشاطهم وطاقتهم لأدائه، ولا يضيعوا جهدهم وحيوتهم فيما هو أقل درجة ورتبة منه، لأن ذلك طريق تحصيل الخير والفلاح لهم في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: المداومة على فعل الخير:

لقد نهى النبي ﷺ عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين واستثنى من ذلك من كان له عادة صيام، مثل من كان يصومُ الخميس أو يصوم الاثنين[1]. والنَّاظر في هذا الاستثناء قد يستنبط منه -والله أعلم- أن فيه حضًا وترغيبًا في المداومة على فعل الخير والعمل الصالح، فإذا كان هناك نهي عن فعل هذا العمل، فلا ينسحب هذا على من كان عادته، بل يشجع ويرغب في هذا، وذلك وفق ضوابط الشرع وأسسه، وبناء على ذلك فإن على المربين أن يغرسوا المداومة على عمل الخير، "فلقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: ((وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))[2] وهذا المبدأ عظيم في تأثيره وفعاليته الإنتاجية في الحياة، وذلك على مستوى الشعائر التعبدية وكذلك الأعمال المعيشية المختلفة.

لقد أصبحت الحياة أكثر تعقيدًا مما مضى، فترى تزاحم الأعباء وكثرة الواجبات

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٢٥/٣.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢.

التي لا تستطيع إنجازها جميعًا خلال الأوقات المتاحة، لذا ينبغي أن يقسم الوقت بين تلك الأعمال المختلفة حسب أولوية كل عمل وبشكل مستمر، إن المداومة على القليل الدائم له تأثير عجيب على المدى الطويل"[١].

إن المداومة والاستمرار لها فوائد تربوية مهمة، منها:

١ - المداومة هي السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار، لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره، ولا ينضج ثمره، إنه - في بعض الأحوال - كمن يحرث في الماء لا يكاد يجني شيئًا، وهذا يقتضي ضياع كثير من الجهود، واستهلاك للطاقات بما لا يكون مكافئًا من النتائج والثمار.

٢ - المداومة والاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب فهو يؤدي إلى الإتقان الذي يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج.

٣ - المداومة والاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة وشاحذ للهمة، إذ إن استمرار العمل يحصل به التفاعل والقبول فيكون لذلك أثره في نفس العامل والمداوم.

٤ - الاستمرار والمداومة هما الطريق إلى الابتكار والإبداع[٢].

ثالثًا: التربية على الوقوف عند حدود الشرع:

وهذا يتضح من أحاديث الباب كلها، وذلك على النحو التالي:

أ - النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين، أو النهي عن الصوم بعد انتصاف شعبان.

قال البسام: (الحكمة في ذلك -والله أعلم- تمييز فرائض العبادات عن نوافلها والاستعداد لصوم رمضان بنشاط ورغبة، ورجّح ابن حجر أن الحكمة هي أن حكم الصيام معلق برؤية الهلال، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، ص ٤١٢.

(٢) انظر: مقومات الداعية الناجح ١٩٣-١٩٥، وانظر كذلك مقال: أدومه وإن قل، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٤، ص ١٢٤-١٢٥.

الحكم، ولعل من الحكمة كراهة التنطع في الدين وتجاوز الحدود التي فرضها الله تعالى)[١].

ب - علّق النبي ﷺ الصوم والإفطار على رؤية الهلال، فإن كان يوم التاسع والعشرين من شعبان في السماء غيمٌ حال دون رؤية الهلال فعلى المسلمين ألا يصوموا ويكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا، ولهذا قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: "من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ".

قال ابن القيم: (كان من هديه ﷺ أن لا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة، أو بشهادة شاهد واحد كما صام بشهادة ابن عمر[٢] ... وكان إذا حال ليلة الثلاثين دون منظره غيم أو سحاب، أكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا ثم صامه، ولم يكن يصوم يوم الإغمام ولا أمر به بل أمر بأن تكمّل عدة شعبان ثلاثين إذا غمّ، وكان يفعل كذلك، فهذا فعله، وهذا أمره)[٣].

أي إن على المسلم أن يكون وقافًا عند حدود الله، يعمل بمقتضاها وبموجباتها ولا يتعداها ولا يتجاوزها، فما حدّه الشرع التزم به وعمل، ولم يتخطه ولو أراد بذلك الخير، وبناء على ذلك فإنه في التربية على هذا عدة فوائد تربوية منها:

أ - التربية على التوسط والاعتدال، دون الغلو والمغالاة والشطط وتكليف النفس من أمرها عسرًا، فإن الشرع جاء بالحنيفية السمحة وجاء برفع الحرج ودفع المشقة، فمن التزم به لم ينزلق إلى هوة التزمت والغلو والتكلف، وهو يظن أنه يحسن صنعًا.

ب - الجمع بين العمل للآخرة والعمل للدنيا، فإذا كان العمل للآخرة لأنها دار المعاد والقرار، فإن العمل للدنيا لأنها دار المعاش والاختبار، أما تجاوز حدود الشرع وعدم الوقوف عندها فإنه يزين للنفس أنها تعمل للآخرة وتجتهد في ذلك على حين أنها في الحقيقة وقعت في هاوية مخالفة أوامر رب العالمين، ولا يعني العمل للدنيا مخالفة

---

(١) توضح الأحكام ١٢٦/٣.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٤٢، وقال محققو زاد المعاد: سنده قوي.

(٣) زاد المعاد ٣٩/٢.

ضوابط الشرع وحدوده، فإن هذا لا يكون، بل يكون في حدود الشرع وضوابطه والانقياد لأوامره واجتناب نواهيه.

ج - الالتزام بما شرع الله ورسوله وترك ما شرعه الغلاة المتشددون الذين حكموا أهواءهم وجعلوها شرعًا من دون الله، وفي ذلك تحرير للناشئة وغيرهم من أن يتعبدهم غير الله، وتحرير لهم أن يقدسوا ما ليس بمقدس ويعظموا ما ليس بمعظم، وفي ذلك إطلاق لأفكارهم وعقولهم نحو الإبداع والابتكار وفيما ينفع الدين والدنيا ولا يضر بأحدهما أو كليهما.

وبناء على ذلك يجب على المربين أن يغرسوا في نفوس من يقومون على تربيتهم الوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها وعدم تخطيها.

❁ ❁ ❁

٢٢٠- باب مَا يقال عند رؤية الهلال

الحديث رقم (١٢٣٠)

١٢٣٠- عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الهِلَالَ، قَالَ: ((اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ[1] وَالإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلَالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ[2])) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

طلحة بن عبيدالله التيمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٠٩).

غريب الألفاظ:

أَهِلَّهُ: أظهره وبيِّنه[4].

هِلالُ رشد: هلال هدى[5].

الشرح الأدبي

إن كل حركات النبي ﷺ وسكناته مرصودة، ومرتبطة بذكر من نوع خاص وهذا الذكر يتمثل في الدعاء عند رؤية الهلال في أى شهر من الأشهر العربية واستهلال

---

(١) لفظ الترمذي: (باليمن) بدل: (بالأمن).

(٢) قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي.

تنبيه: قوله: (هلال رشد وخير) لا يوجد عند الترمذي، وكذا عزاه إليه في الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو (ص:٢٧٣) وإلى الدارمي (١٧٣٠) ولفظهما سواء. وأما هذه الزيادة، فقد وردت في رواية أبي سعيد الخدري، أخرجها ابن السني (٦٤٣)، وعن قتادة رفعه أخرجها أبو داود (٥٠٩٢) ولفظهما: (هلال خير ورشد ثلاث مرات، آمنت بالذي خلقك، ثلاث مرات، ثمَّ يقول: الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا).

(٣) برقم (٣٤٥١) وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨٨). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات (٣٢٩/٤): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٤) اللسان في (هـ ل ل).

(٥) انظر: المعجم الوسيط ٣٤٦، ودليل الفالحين ١٣٥٩.

الدعاء بقوله: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان..." يشير إلى خير الدنيا، والآخرة لأن طلب الأمان ضمان لسعادة الدنيا لشموله لكل ما يحتاج الإنسان إليه في الدنيا، وسؤال الإيمان ضمان لسعادة الآخرة يدل على التوحيد الخالص؛ لأنه نادى رب العزة – جل في علاه – ولما كان قريباً منه حذف أداة النداء، وعوض عنها بالميم المشددة في "اللهم" وطلب من الله تعالى "الأمن، والإيمان" لأهميتها في حياة الفرد والجماعة وهما يؤديان إلى ما بعدها حيث "السلامة، والإسلام" فالأمن يجعل الإنسان سالماً من الذعر، والشرور والمخاطر، و"الإيمان" يؤدى إلى الإسلام لأنة لا يستقر إلا في القلب، وقوله: "ربى وربك الله" يفيض بالعبودية لله وحده لا شريك له التي اصطبغت بها ربوع الكون، فهو الذي خلق الهلال والشمس والكواكب وكل الكائنات وقوله "هلال رشد وخير" يوحى بأن الهلال يرشدنا إلى أوائل الشهور الخاصة بالصوم والحج، وهذا خير كثير للناس جميعاً كما أنه يرشدنا إلى مضى من العمر، وينبه إلى اغتنام ما بقي قبل إن ينقضي، ثم يأتي شاهدا على الإنسان يوم القيامة.

فقه الحديث

قال النووي في المجموع: (يستحبّ أن يدعو عند رؤية الهلال بما رواه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال ... فذكر حديث الباب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ بالدعاء بما ورد عنه من أدعية عند رؤية الهلال.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الأمن، والسلامة، والإيمان.

---

(١) المجموع ٦/٢٧٢-٢٧٤ ، وانظر الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢١٨ ط مكتبة الصفا، وانظر كذلك: المغني ٤/٣٢٨ .

خامسًا: من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده.

أولاً من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن ... إلخ الحديث" حيث أخبر عن قول النبي ﷺ إذا رأى الهلال.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في تبليغ الدعوة، حيث إن الداعية يخبر به المدعوين عن دعوته وكذلك المدعو بعد وصول الدعوة إليه واهتداؤه إلى الحق يخبر بالدعوة غيره من المدعوين حتى يعم النفع والخير للجميع وتعلم أمور الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: رؤية الهلال:

يظهر ذلك في قول طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا... إلخ الحديث".

قال الطيبي: (قوله: "أهله" روي بالفك والإدغام، قال القاضي البيضاوي: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه رؤية الهلال، لأن الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالاً، ثم نقل منه إلى طلوعه، لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفي الحديث بهذا المعنى، أي: اطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنًا بالأمن والإيمان[1].

ورؤية الهلال من الأشياء التي شغلت الناس وأثارت تساؤلهم وقد حكى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [سورة البقرة:١٨٩] قال ابن كثير: (قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة، فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ يعلمون بها حِلَّ دينهم، وعدة نسائهم، ووقت حَجّهم.

وقال أبو جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لم خُلِقت الأهلة فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ يقول جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم، وعدّةَ نسائهم، ومحلَّ دينهم.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٨/٥-١٦٩.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله جَعَل الأَهِلَّةَ مواقيتَ، فإذا رَأَيْتُمُوْهُ فَصُوْمُوا وإذا رَأَيْتُمُوْهُ فأفْطِرُوا، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدِرُوا لَهُ، أَتِمُّوهُ ثلاثينَ))[١].

وعن قيس بن طلق عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله عزّ وجلَّ جعلَ الأهِلَّةَ مَواقِيت للنَّاسِ، صُومُوا لرُؤْيَتِهِ وأَفْطِرُوا لرُؤيَتِه، فإنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ أتِمُّوا العِدَّةَ))[٢].[٣]

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ بالدعاء بما ورد عنه من أدعية عند رؤية الهلال:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال دعا بهذا الدعاء.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: وفيه تنبيه أن الدعاء مستحب، لا سيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النيرات)[٤].

وقال سليم الهلال: (فيه استحباب قول هذا الدعاء عند رؤية الهلال من كل شهر)[٥].

وقد بوّب ابن حبان بابًا بعنوان: ذكر ما يقول المرء إذا رأى الهلال أول ما يراه، جاء فيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إذَا رَأَى الْهلالَ، قَالَ: اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالأمْنِ والإيمَان، والسَّلامَةِ والإسْلامِ، والتَّوْفيقُ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ))[٦].

وقد بوب أبو داود بابًا بعنوان: باب ما يقول الرجل إذا رأى الهلال، ورد فيه عن قتادة رضي الله عنه أنه بلغه أن نبي الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: ((هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٢٣/١ رقم ١٥٧٩ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرطهما.

(٢) أخرجه أحمد في مسند ٢٣/٤ رقم ١٦٢٩٤ وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ١٨٢/٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢٢/١.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٥) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣٦٨/٢.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم ٨٨٨ وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ذَهَبَ بِشَهْرِ كَذَا وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا))[1].

فيستحب للمدعو الاقتداء برسول الله ﷺ بالدعاء عند رؤية الهلال بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية عند رؤيته ﷺ للهلال.

وذلك لأن المسلم ينبغي عليه أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2] قال ابن كثير: أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر[3].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[4].

إن رسول الله ﷺ هو القدوة للأمة ومعلمها جميع شؤون دينها من عبادة وأذكار ودعاء وغيره، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾[5].

فينبغي الاقتداء به ﷺ في جميع أقواله وأفعاله وشمائله.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الأمن والسلامة والإيمان:

ويظهر ذلك في دعاء النبي ﷺ عند رؤيته الهلال: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام...".

قال الطيبي: لما قدم في الدعاء قوله: "الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام" طلب

---

(١) أخرجه أبو داود ٥٠٩٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ١٠٨٩).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥١، ١٥٢.

في كل من الفقرتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبر بـ"الإيمان والإسلام" عنها دلالة على أن نعمة الإيمان شاملة للنعم كلها، ومحتوية للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها؛ فدل هذا على عظم شأن الهلال حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب [١]. فإن الأمن والسلامة من نعم الله التي يجب شكرها ودعاء الله بأن تبقى وتجدد وهذه النعم تتحقق وتستقر بالإيمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ.

قال د. يوسف القرضاوي: الإيمان مصدر الأمان: فالناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها، لم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرّط في حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

دعا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوفه قومه من آلهتهم التي دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٢].

وقد عقب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [٣].

وفسر النبي ﷺ الظلم في هذه الآية بالشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [٤] فبين لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالي يكون الجحود بالله أو الشك فيه، أو الشرك بالله أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب. وصدق

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٨١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

الله إذ قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[1][2].

فبنظرة عامة إلى الأمن والسلامة نجد أنهما مرتبطان بالإيمان بالله وأداء حقوقه، وتنفيذ شرعه ونظامه، بما فيه من حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليهم.

وإذا تحقق الأمن والسلامة بوجود الإيمان كان ذلك من أكبر النعم التي ينبغي أن يشعر بها المسلم وأن يتوجه إلى الله بالدعاء إلى حفظها.

خامسًا - من أهداف الدعوة: إخلاص العبودية لله وحده:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ربي وربك الله".

قال ابن علان: (أي: كلانا مربوبان له، نافذ فينا أمره، لدفع توهم أن الهلال بذاته له إحداث نفع أو ضر، بل هو تحت الأقدار كغيره من المكونات)[3].

إن إخلاص العبودية لله وحده حق له تعالى على عباده، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال: ((بَينا أنا رَدِيفُ النبيِّ ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخِرَةَ الرَّحْل فقال: يا معاذ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسَعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذُ، قلت: لبَّيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سار ساعةً ثم قال: يا معاذ، قلت لبَّيك رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تَدري ما حقُّ اللّهِ على عبادِهِ؟ قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: حق اللّه على عباده أن يَعبُدوهُ ولا يُشركوا به شيئًا. ثم سار ساعةً ثم قال: يا مُعاذَ بن جَبَل. قلت: لبَّيك رسولَ اللّه وسَعدَيك. فقال: هل تَدري ما حقُّ العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: حقُّ العبادِ على اللّه أن لا يُعذِّبهم))[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥١.

(٢) الإيمان والحياة، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) دليل الفالحين ١٣٥٩.

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٣٠.

وقد بيّن له الرسول ﷺ أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا: كلمة جامعة لم تترك من الدِّين صغيرة ولا كبيرة. فعبادته الخضوع له والتذلل. وذلك بطاعته فيما أمر ونهى فنؤمن برسوله ونصدق بكتابه، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ونهذب نفوسنا ونصح أجسامنًا بالصيام، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، ونحسن عشرة الناس، ونصدق في معاملتهم، ونخالقهم بخلق حسن، ونقف عند ما شرع الله، لا نتعدّى حدوده. ولا نتجاوز رسومه، ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مماهو اعتداء على النفس، أو المال أو العرض أو إضرار بالخلق. وأساس ذلك علم بكتاب الله، وبما احتواه، وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه. أما توحيده وعدم الإشراك به فأن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر. وأن من دونه لا يملك ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله سواء أكان ملكًا مقربًا؛ أو نبيًا مرسلاً، أو وليًا عابدًا؛ ومن توحيده أن تكون الأعمال خالصة لوجهه؛ لا يشوبها خداع ولا رياء ولا تدليس ونفاق، وألا ندعوا معه غيره، أو نقدم إلى غيره القرابين أو نسوق النذور، أو نتخذه وسيلة إليه؛ فإن كل ذلك شرك ينافي مقام التوحيد، ثم سأل رسول الله ﷺ معاذًا عن حق العباد على الله، وما وعدهم به؛ وكتبه لهم على نفسه؛ إذا هم عبدوه حق عبادته وأخلصوا له الدين، وأسلموا الوجوه، وعمروا القلوب بتوحيده، وطهروها من دنس الإشراك. فقال له مثل مقالته الأولى: الله ورسوله أعلم، فقال له الرسول ﷺ: حق العباد على الله ألا يعذبهم. وكيف يعذب من توفر على طاعته، وكان عبده السميع، تقرع أذنه آيُ الوحي فإذا به قد مثلها في عمله، وأظهرها في خلقه، ويسمع هدي الرسول ﷺ فإذا به قد اتخذه إمامًا وقدوة: وهاديًا وأسوة؛ كيف يعذب ذا النفس العالية، الطاهرة النقية، التي لا يرى فيها إلا بياض التوحيد ونوره، ليس بها نكتة من دنس أو شرك، بل كيف لا يسبغ نعمته، ويدخل جنته عباده المقربين، وجنده المخلصين، وهو البر الرحيم؛ وأكرم الأكرمين ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1][2].

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٨٤-١٨٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالأحداث:

رأى الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه النبي ﷺ يدعو عند رؤيته هلال شهر جديد، أو أخبر طلحة من رأى النبي ﷺ يفعل ذلك، والهلال حدث يحدث في الشهر مرة واحدة، وفي السنة اثنتي عشرة مرة، فكان هذا -فيما نرى- من قبيل التربية بالحدث، وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يفيدوا من الأحداث ويستثمروها في التربية، لأن لها ثمارًا طيبة تفوق ثمار التربية بالأقوال في كثير من الأحيان (فمن السهل أن نحدث الناس كثيرًا عن معانٍ عدة، وأن ننظّر لجوانب متعددة، لكن ذلك وإن أثّر فإن أثره يبقى باهتًا محدودًا.

أما النبي ﷺ فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن إلا أن تربيته كانت تتم من خلال الأحداث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينها فمن ذلك:

أ - يشكو إليه الحال أبوبكر رضي الله عنه وهما في الغار، فيقول ﷺ: ((ما ظنُّكَ باثنينِ اللّهُ ثالثهما))[1].

ب - ويسأله رجل في الميدان والمعركة: أرأيت إن قُتِلْتُ؟ فيجيبه إجابة تصل إلى شغاف قلبه فيتقدم حتى يستشهد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: ((قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحد: «أرأيتَ إن قُتِلْتُ فأينَ أنا؟ قال: في الجنة. فألقى تمراتٍ في يدِهِ، ثمَّ قاتلَ حتى قُتِل))[2].

ج - ويوصي عليًا رضي الله عنه بالدعوة ويذكره بفضلها وذلك حين بعثه داعيًا إلى الله مجاهدًا في سبيله، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: ((لأُعطِينَّ الرايةَ غدًا رجلاً يَفتحُ اللّهُ على يديهِ يُحِبُّ اللّهَ ورسوله ويُحبُّه اللّهُ ورسولهُ. فباتَ الناسُ لَيلَتَهم أيهم يعطى، فغَدَوا كلُّهم يَرجوه، فقال: أين عليٌّ؟ فقيل: يَشتَكي عينيهِ، فبصَقَ

---

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه، أخرجه البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٠٤٦، ومسلم ١٨٩٩.

في عَينيهِ ودَعا لهُ فبَرأَ كأنْ لم يكن بهِ وجَعٌ، فأعطاهُ، فقال: أُقاتلُهم حتّى يَكونوا مِثلَنا، فقال: انفُذ على رِسْلكَ حتّى تنزِلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجبُ عليهم، فو اللهِ لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[1].

أترى أن تلك التوجيهات لو تلقاها أصحابه وهم جالسون قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟

إن مثل هذه التربية هي التي خرجت الجيل الجاد العملي الذي لم يتربَّ على مجرد التوجيه الجاف البارد، وإنما كان يعيش العلم والعمل معًا)[2].

ثانيًا: سؤال الله خير ما عند المخلوقات والاستعاذة من شرها:

لما رأى النبي ﷺ الهلال دعا الله فقال: "اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام".

لقد سأل النبي ﷺ الله أن يكون الشهر الذي أوله الهلال شهرًا يشعرون فيه بالأمن لا يعانون من الخوف والقلق والاضطراب، وأن يأتوا فيه من الأعمال الصالحة ما يُزيد الإيمان ويُغليه، وأن يسلموا من الآفات والأضرار فتسلم لهم أبدانهم وصحتهم وأموالهم وأولادهم وأهلوهم. والمقصود أن النبي ﷺ سأل معظم الخير أو كله كل شهر، وهذا يلزم عنه أنه سأله طوال العام، وهذا بدوره يدل على أنه سأله طول العمر.

إن الهلال علامة للشهر، والشهر وقت للأحداث والأفعال، فإذا سأل النبي ﷺ أن يُهل الهلال بالخير، فمعنى ذلك أنه سأل أن تكون الأعمال والأوقات والأفعال والأزمان طيبة يملؤها الخير والصلاح.

ولنذكر حديثًا وجّه النبي ﷺ إلى مثل هذا التوجه، فقال: ((إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ))[3].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٣-٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٦٠، وابن ماجه ٢٢٥٢ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣١٧ الحديث ٧٢١.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن ينشئوا الناشئة وغيرهم على هذا الدعاء وذلك السؤال لله رب العالمين، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - تعويدهم على الالتجاء إلى الله والوقوف ببابه خاضعين خاشعين سائلين الخير والنفع، فهو على كل شيء قدير بيده الخير، والشر ليس إليه.

ب - إرشادهم إلى أنهم ما داموا يسألون خير ما في المخلوقات والموجودات، إرشادهم أنفسهم إلى أن يكونوا هم مصدر خير ومنبع نفع للناس والخلق والمخلوقات؛ فإن من سأل الخير عليه أن يكون أول الفاعلين له المتلبسين به.

ج - تربيتهم تربية جمالية تجعلهم يرون الجمال الحقيقي في صنع الله الذي أحسن كل شيء صنعًا، ومن ثم يدفعهم هذا إلى أن يحافظوا على هذا الجمال ويعملوا على زيادته ما دام الأمر في حدود الشرع وضوابطه.

وهكذا فإن الإنسان لا يعيش بمفرده في هذا الكون الفسيح، وإنما يعيش معه ما لا يحصى من الكائنات والمخلوقات، وهو يتأثر ببعضها ويؤثر فيها، فعليه إن أراد سكينة وهدوءًا وأمنًا وطمأنينة أن يتوجه إلى الله ويسأله خير ما عند هذه المخلوقات وأن يجنبه شر ما فيها، وهذا يكون للمربي وأتباعه ممن يقوم على تربيتهم على حد سواء.

ثالثًا: التربية على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين:

لقد خاطب النبي ﷺ الهلال لما رآه في السماء قائلاً: "ربي وربك الله" فأعلن ﷺ في هذا المقام عبوديته لله رب العالمين، وقدّم ذلك ثم ثنى بأن أثبت عبودية الهلال لله رب العالمين، فهو خلق من خلقه، يسير بأمر الله، والسؤال هنا: لماذا وجّه النبي ﷺ الخطاب للهلال مع إثبات العبودية؟ لعل في الجواب عن ذلك يتضمن بعض الفوائد التربوية:

أ - إعلان الخضوع لله رب العالمين، وأنه النافع الضار، فلا ينفع ولا يضر الهلال إلا بأمر من الله، وفي هذا تجريد للتوحيد وتربية للناشئة على إخلاص التوحيد لله رب العالمين، فلا يتوجهون إلا إليه فلا يتوجهون إلى شجر أو حجر أو نجم أو شمس أو قمر، لأن كل ذلك مخلوقات لله خاضعة لله عابدة له.

ب - الاعتزاز بالعبودية لله رب العالمين والعمل على تحقيقها بكل طريق ممكن في كل وقت وفي كل مكان وفي كل نفس يخرج من الإنسان، فإذا كان الهلال عابدًا

لله جبلة واضطرارًا، فإن الإنسان عليه أن يحقق العبودية اختيارًا، حتى يكون متسقًا مع الكون الذي أعلن العبودية لله فلا يخرج عن هذا بل ينتظم في هذا الشرف وهذا العز عز العبودية لله رب العالمين.

وعلى ذلك يجب تربية الناشئة وغيرهم على أن كل ما في الكون خاضع لله رب العالمين، حتى يخضعوا هم أنفسهم ويحققوا العبودية الخالصة.

رابعًا: التربية على التفاؤل:

لقد ختم النبي ﷺ حديثه بقوله: "هلال رشد وخير" فقد ختم النبي ﷺ الحديث بهذه الجملة التي تحمل روح التفاؤل: أن يكون هلال هذا الشهر فيه الرشد والخير، فبعد أن دعا عز وجل وأعلن عبوديته وعبودية الهلال لله تعالى، تفاءل بأن يكون في هذا الشهر الخير والرشد، وفي هذا إرشاد للمربين أن يكونوا متفائلين وأن يغرسوا في نفوس من يربونهم روح التفاؤل، لما لذلك من آثار إيجابية جدًا في حياتهم، (فإن مما يبعث الهمة ويدعو إلى إطراح الكسل وإلى الإقبال على الجدّ والعمل التفاؤل.

فإذا عمل المرء ما في وسعه، واستنفذ جهده وطاقته، فليثق بأن ربه لن يخذله، ولن يضيع عمله، وليحذر من اليأس والقنوط والتشاؤم، فإنها من أشد المثبطات وأكبر المعوقات وهذا المذهب المهين، وهو اليأس والقنوط والتشاؤم، لا يعرفه الإسلام، ولا يرتضيه لأهله، بل يحذر منه أشد التحذير، ويبيّن أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرًا، ثم إن المتفائل واسع النظرة فسيح الصدر عالي الهمة، موفور النشاط، بخلاف المتشائم فهو فاتر الهمة، ثقيل الظل متبلد كسول لا تحدوه غاية ولا يدفعه هدف، بل يعيش في عالم الأحلام والأوهام والخيال، ويشعر دائمًا بالخيبة والخذلان، ويسيء ظنه بالآخرين، ولا ينظر إليهم إلا بعين الشك والريبة، فهو مغلق النفس ضيق الصدر يتقد حسدًا ويحترق غيرة وكمدًا، لعجزه عن الرقي في المكارم، ولقلة بحثه عن العوامل التي سببت له هذا المزاج الأسود، ولقلة سعيه في علاج ذلك المرض العضال، الذي قعد به وحط من قدره، فعاش على هامش الحياة صغير الشأن خامل الذكر)[1].

---

(١) الهمة العالية ٢١١ ومصدره.

٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره ما لَمْ يخش طلوع الفجر

الحديث رقم (١٢٣١)

١٢٣١ - عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يتكون الحديث من أربع كلمات في غاية البلاغة، وقد بدأه الرسول الكريم بالفعل الطلبى: " تسحروا " وأسنده إلى واو الجماعة لأهميته بالنسبة للجميع، وتشديد الحاء في الفعل نفسه يوحى بأهمية تكرار السحور في كل الليالي التي ينوى فيها المؤمن صيام نهارها. وقوله (فإن في السحور بركة) تعليل للأمر السابق، وترغيب فيه، وقد أكد النبي ﷺ مضمون الجملة بإن واسمية الجملة، وكلمة: " بركة " كلمة موحية، وفيها حث ضمني على التسحر، والإقبال علية؛ لأنه لا يوجد مؤمن إلا، ويجب أن يكون طعامه مباركاً، وصيامه، وعمله كذلك، والبركة شيء خفي لا يرى ولكنه الذي يرى منها آثارها، ولن يذوق المؤمن طعمها إلا إذا عمل بما دله عليه رسول الله ﷺ، وأيقن به.

فقه الحديث

قال النووي: (أجمع العلماء على استحباب السحور وأنه ليس بواجب)[2] وقال ابن

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٣)، ومسلم (١٠٩٥/٤٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٩/٧/٤ .

قدامة: (واستحباب السحور لا نعلم فيه بين العلماء خلافًا)[١].

وقال النووي: (قال ابن المنذر في "الإشراف": أجمعت الأمة على أن السحور مندوب إليه، مستحبّ لا إثم على من تركه)[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السحور.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تأخير السحور.

ثالثًا: من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السحور:

هذا واضح من الأحاديث وقد جاء في الموسوعة الفقهية: "السحور سنة للصائم وقد نقل ابن المنذر الإجماع على كونه مندوبًا، لما روى أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً))[٤]. وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ))[٥]، ولأنه يستعان به على صيام النهار وإليه أشار النبي ﷺ في الندب إلى السحور فقال: ((اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ. وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ))[٦].

وكل ما حصل من أكل أو شرب حصل به فضيلة السحور؛ لحديث عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ

---

(١) المغني ٤/٤٣٢ .

(٢) المجموع ٦/٢٦٢ .

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٢٣، ومسلم ١٠٩٥.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٦) أخرجه ابن ماجه ١٦٩٣، وضعّفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٧٣).

السَّحَرِ))[١]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((السَّحُورُ أَكْلَةُ بَرَكَةٌ فلا تَدَعُوهُ ولَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فإنّ الله - عَزَّ وجلَّ - وملائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على المُتَسَحِّرِينَ))[٢] وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((نِعْمَ سَحُورُ المُؤْمِنِ التَّمْرُ))[٣][٤] وبيّن ابن حجر أوجه البركة في السحور فقال: (إن البركة تحصل بجهات متعددة، وهي اتباع السنة، ومخالفة أهل الكتاب، والتقوي به على العبادة والزيادة في النشاط ومدافعة سوء الخلق الذي يثيره الجوع والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك أو يجتمع معه على الأكل، والتسبب للذكر والدعاء وقت مظنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام. قال ابن دقيق العيد[٥]: هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية فإن إقامة السنة يوجب الأجر وزيادته، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية كقوة البدن على الصوم وتيسيره من غير إضرار بالصائم. قال: ومما يعلل به استحباب السحور، المخالفة لأهل الكتاب لأنه ممتنع عندهم، وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية)[٦].

وقال ابن عثيمين: (السحور حث عليه النبي ﷺ بقوله وأيده بفعله... وبيّن أن في السحور بركة، فمن بركة السحور: امتثال أمر النبي ﷺ، وامتثال أمر النبي ﷺ كله خير، كله أجر وثواب. ومن بركته أنه معونة على العبادة فإنه يعين الإنسان على الصيام، فإذا تسحر كفاه هذا السحور إلى غروب الشمس، مع أنه في أيام الإفطار يأكل في أول النهار وفي وسط النهار وفي آخر النهار. ويشرب كثيرًا، فينزل الله البركة في السحور، يكفيه من قبل طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن بركته أنه

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٩٦.

(٢) أخرجه أحمد ١١٠٨٦/١٧ وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٤٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٥٥).

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٠/٢٤.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٣.

(٦) فتح الباري ١٤٠/٤، ، وانظر شرح صحيح مسلم ٢١٩/٧/٤، .

يحصل به التفريق بين صيام المسلمين وصيام غير المسلمين؛ لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -ولله الحمد - فيأكلون في السحر في آخر الليل. والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[١].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (البركة الحاصلة من السحور ما فيه من امتثال الأمر الشرعي، فطاعة الله تعالى هي امتثال أمره واجتناب نهيه. ومن بركته أن الأكل للتقوّي على الصيام، وطاعة الله تعالى وعبادته، ومن بركته أن السحور يعطي الصائم قوة لا يمل معها الصيام، بخلاف من لا يتسحر، فإنه يجد مشقة تثقل عليه الصيام والعبادة، ومن بركة السحور أنه يكون سببًا للانتباه من النوم في وقت السحر الذي هو وقت الاستغفار والدعاء، وفيه ينزل الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا، ينادي عباده ليسألوه مطالبهم ورغباتهم.

ومن بركة السحور صلاة الفجر مع الجماعة وفي وقتها الفاضل، ولذا تجد المصلين في صلاة الفجر في رمضان أكثر منهم في غيره من الشهور، لأنهم قاموا من أجل السحور)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تأخير السحور:

هذا واضح من حديث زيد بن ثابت: ((تسحَّرنا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: ثُمَّ قامَ إلى الصلاةِ، قلتُ: كَمْ كانَ بينَ الأذانِ وبينَ السحورِ؟ قالَ: قدرُ قراءةِ خمسينَ آيةً)).

قال النووي: (فيه الحث على تأخير السحور إلى قبيل الفجر)[٣]. وقال ابن دقيق العيد: (وفيه دليل استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان ههنا: الأذان الثاني، وإنما يستحب تأخيره، لأنه أقرب إلى حصول المقصود من حفظ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٧/٣، وانظر: المفهم للقرطبي ١٥٥/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٠/٧/٤ وانظر فتح الباري ١٣٨/٤، .

القُوَى، ولأرباب الباطن في هذا كلام تشوفوا فيه إلى اعتبار معنى الصوم وحكمته، وهو كسر شهوة البدن والفرج، وقالوا: إن من لم تتغير عليه عادته في مقدار أكله لا يحصل له المقصود من الصوم. وهو كسر الشهوتين، والصواب - إن شاء الله - أن ما زاد في المقدار حتى تعدم هذه الحكمة بالكلية لا يستحب، كعادة المترفين في التأنق في المآكل والمشارب وكثرة الاستعداد فيها، وما لا ينتهي إلى ذلك فهو مستحب على وجه الإطلاق)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: كان ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأمته فيفعله لأنه لو لم يتسحر لاتبعوه فيشق على بعضهم، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضًا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم، فقد يفضي إلى ترك الصبح أو يحتاج إلى المجاهدة بالسهر. وقال: فيه أيضًا تقوية على الصيام لعموم الاحتياج إلى الطعام، ولو ترك لشق على بعضهم ولا سيما من كان صفراويًا، فقد يغشى عليه فيفضي إلى الإفطار في رمضان)[2].

وقال ابن عثيمين: (وينبغي أن يؤخر السحور إلى قبيل طلوع الفجر، ولا يتقدم، لأن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخَّرُوا السَّحُورَ))[3]. وقد بين زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما ذكر أنه تسحر مع النبي ﷺ ثم قاموا إلى الصلاة، ولم يكن بينهما إلا قدر خمسين آية، خمسون آية من عشر دقائق إلى ربع ساعة، إذا قرأ الإنسان قراءة مرتلة - أو دون ذلك - وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر)[4].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ذهب جمهور الفقهاء إلى أن وقت السحور ما بين نصف الليل الأخير إلى طلوع الفجر. ويسن تأخير السحور عند جمهور الفقهاء ما لم يخش طلوع

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢١٣.

(٢) فتح الباري ١٣٨/٤، .

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥، رقم ٢١٥٠٧/٣٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤٠٢/٢.

الفجر الثاني لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[١] والمراد بالفجر في الآية: الفجر الثاني. لقول النبي ﷺ ((لا يَمْنَعَنَّكُمْ من سُحورِكم أذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ في الأفق))[٢]، ولقوله ﷺ: ((لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السَّحُورَ، وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ))[٣] ولأن المقصود بالسحور التقوي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[٤].

ثالثًا - من آداب الداعية: استغراق العبادة للأوقات:

هذا يفهم من قول زيد بن ثابت رضي الله عنه جوابًا على سؤال: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية، قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن، وكانت العرب تقدر الأوقات بالأعمال كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور، فعدل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة، إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة. ولو كانوا يقدرون بغير العمل لقال مثلاً: قدر درجة أو ثلث أو خُمْس ساعة. وقال ابن أبي جمرة: فيه إشارة إلى أن أوقاتهم كانت مستغرقة بالعبادة)[٥].

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها ((أَنَّ النَّبِيَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَىٰ، وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: مَا زِلْتِ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ: لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ))[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٩٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٧٢/٥، رقم ٢١٥٠٧، وضعفه محققو المسند ٣٩٩/٣٥.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧٠/٢٤-٢٧١.

(٥) فتح الباري ١٣٨/٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٨٦.

وقد قال الله تعالى عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

قال الطاهر بن عاشور: ("ويذكرون الله" إما من الذكر اللساني وإما من الذكر القلبي، وهو التفكير، وأراد بقوله "قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم" عموم الأحوال أي الشغل والراحة وقصد النوم، وقيل أراد أحوال المصلين: من قادر وعاجز وشديد العجز، وسياق الآية بعيد عن هذا المعنى. وقوله "يتفكرون في خلق السموات والأرض" عطف مرادف إن كان المراد بالذكر فيما سبق التفكير، وإعادته لأجل اختلاف المتفكر فيه، أو هو عطف مغاير إذا كان المراد من قوله "يذكرون" ذكر اللسان. والتفكير عبادة عظيمة. وروى ابن القاسم عن مالك في "جامع العتيبة" قيل لأم الدرداء: ما كان شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكير، قيل له: أترى التفكير عملاً من الأعمال؟ قال: نعم هو اليقين... ويجوز عندي أن يكون قوله "ربنا ما خلقت هذا باطلاً" حكاية لتفكرهم في نفوسهم، فهو كلام النفس يشترك فيه جميع المتفكرين لاستوائهم في صحة التفكر، لأنه تنقل من معنى إلى متفرع عنه. وقد استوى أولو الألباب المتحدث عنهم هنا في إدراك هذه المعاني، فأول التفكير انتهج لهم أن المخلوقات لم تخلق باطلاً، ثم تفرع عنه تنزيه الله وسؤاله أن يقيهم عذاب النار، لأنهم رأوا في المخلوقات طائعًا وعاصيًا، فعلموا أن وراء هذا العالم ثوابًا وعقابًا، فاستعاذوا أن يكونوا ممن حقت عليه كلمة العذاب وتوسلوا إلى ذلك بأنهم بذلوا غاية مقدروهم في طلب النجاة إذ استجابوا إلى منادي الإيمان، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام، وسألوا غفران الذنوب وتكفير السيئات والموت على البر إلى آخره ... فلا يكاد أحد من أولي الألباب يخلو من هذه التفكرات وربما زاد عليها، ولما نزلت هذه الآية وشاعت بينهم، اهتدى لهذا التفكير من لم يكن انتبه له من قبل، فصار شائعًا بين المسلمين بمعانيه وألفاظه)[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤/١٩٦-١٩٧.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مخالفة المسلمين لأهل الكتاب:

هذا واضحٌ في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" قال ابن عثيمين: (يعني السحور، لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل فيأكلون قبل منتصف الليل، لا يأكلون في السحر، أما المسلمون -والله الحمد- فيأكلون في السحر في آخر الليل، والتمييز بين المسلمين والكفار أمر مطلوب في الشرع)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع. قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[2].

قال النووي: (قال بعض العلماء: ولعلّ السبب في صوم التاسع مع العاشر ألا يتشبه باليهود في إفراد العاشر وفي الحديث إشارة إلى هذا)[3].

وقد رُوي عن النبي قوله ﷺ: ((صُومُوا يومَ عَاشوراءَ، وخَالِفُوا فيهِ اليهودَ، صُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أو يَوْمًا بَعْدَهُ))[4].

وقال ابن حجر: (وهذا كان في آخر الأمر، وقد كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ولا سيما إذا كان فيما يخالف فيه أهل الأوثان، فلما فتحت مكة واشتهر أمر الإسلام أحبَّ مخالفة أهل الكتاب أيضًا كما ثبت في الصحيح، فهذا من ذلك)[5].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (يريد الشارع أن لا يكون لنا مشابهة بالكفار لا في العبادات ولا في العادات، لكن إن تشبه المسلم بالكفار بعباداتهم، فهذا قد يؤدي إلى

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٠١/٢.

(٢) أخرجه مسلم ١١٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/٨/٤.

(٤) أخرجه أحمد ٢٤١/٤، رقم ٢١٥٤، وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٥) فتح الباري ٢٤٥/٤-٢٤٦، .

الشرك والكفر. وإن كان في العادات باستحسان أفعالهم وعاداتهم، فهذا قد يؤول إلى التشبه بهم في الأمور الباطنة ويكون منه الهلاك)[١].

وقال ابن تيمية: (قد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتمَّ حياة، وأعرف بالإسلام - الذي هو الإسلام، لست أعني مجرد التوسم به ظاهرًا، أو باطنًا بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شعبة من شعب الكفر؛ فموافقتهم فيه موافقة في نوع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له)[٢].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٤٨/٣.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٩٢/١-٩٣.

الحديث رقم (١٢٣٢)

١٢٣٢- وعن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلاَةِ. قِيلَ: كَمْ كَانَ بينهما؟ قَالَ: قَدْرُ[1] خَمْسِين آيةً. متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

زيد بن ثابت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٣٠).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة قررت السحور بالفعل، والقول النبوي، و بينت فضل السحور، ورغبت فيه وهذا الحديث يبين الوقت الفاضل للسحور، وقول الراوي: " تسحرنا مع رسول الله. .. ثم قمنا إلى الصلاة. .. " بدأ كلامه بالفعل الماضي الذي دل على سرعة استجابتهم للفعل الطلبي في الحديث السابق " تسحروا " ولفظ " "مع رسول الله " يدل على تواضع خاتم الرسل، وقربة من المحيطين به. وجاء العطف " ثم " للتدليل على أن المدة الزمنية الكائنة بين السحور، والصلاة كانت كبيرة، وتتسع لتناول السحور في ذلك الوقت المبارك الذي يتنزل الله فيه إلى السماء الدنيا، ويلح على خلقه في أن يستغفروه، ويدعوه، ويتوبوا إليه وحده لا شريك لله، فيقول: " هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، هل من تائب فأتوب عليه ؟ و"نا " الفاعلين في الفعلين: " تسحرنا وقمنا " تدل على العبادة الجماعية التي قام بها أصحاب الرسول الكريم ﷺ كما تدل ألفاظ الحديث على حرصهم على الصلاة، والصيام.

فقه الحديث

قال النووي: (اتفق أصحابنا وغيرهم من العلماء على أن السحور سنة وأن تأخيره أفضل)[3].

---

(١) لفظ مسلم: (كم كان قدر ما بينهما، قال: خمسين آية).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥)، ومسلم (١٠٩٧/٤٧) واللفظ له.

(٣) المجموع ٢٦١/٦ .

وقال ابن قدامة: (قال أحمد: يعجبني تأخير السحور لحديث زيد بن ثابت ... ولأن المقصود بالسحور التقوّي على الصوم، وما كان أقرب إلى الفجر كان أعون على الصوم)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) المغني ٤/٤٣٣ .

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٣)

١٢٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ لرسولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلاَلٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إنْ بِلالاً يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ)) قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إلاَّ أنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَى هَذَا. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري خال من المؤكدات يبدأ بفعل الكينونة الدال على الاعتياد في الفعل في الغالب وقوله (مؤذنان) أسلوب توشيع يحقق التوكيد، والتشويق، وهو ذكر لفظ مثنى ثم تفصيله، وقوله (بِلاَلٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ) تفصيل له، والحديث يشير إلى صورة من صور تنظيم العادة مع العبادة للمحافظة على كليهما، وذلك حيث حدد الرسول الكريم مؤذنين، وأسند لكل واحد منهما مهمة تخصه، فالمؤذن الأول هو " بلال " والثاني هو " ابن أم مكتوم " ثم قال النبي ﷺ: " إن بلالا يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم كلثوم " ويفهم من هذا الأمر أن الآذان الأول بصوت " بلال " للتنبيه وأن الأذان الثاني بصوت " ابن أم كلثوم " للإمساك عن كل المفطرات وهذا ما يسمى عند الفقهاء بالفجر الصادق، وهذا التصرف من خاتم الرسل عليه الصلاة، والسلام – يجمع بين متطلبات الجسد، والروح، وإقامة التوازن بين الدنيا والآخرة بلا رهبنة، ولا مادية فلا يطغى شيء على شيء، و لا حرج، ولا مشقة على مؤمن أو مؤمنة في ذلك.

فقه الحديث

قال النووي: (١ - فيه جواز الأذان للطلوع قبل الفجر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧)، ومسلم (١٠٩٢/٣٨) واللفظ له.

٢ - وفيه جواز الأكل والشرب والجماع وسائر الأشياء إلى طلوع الفجر.

٣ - وفيه جواز أذان الأعمى. قال أصحابنا: هو جائز فإن كان معه بصير كابن أم مكتوم مع بلال فلا كراهة فيه، وإن لم يكن معه بصير كره، للخوف من غلطه)[١].

٤ - وفيه استحباب أذانين للصبح: أحدهما قبل الفجر، والآخر بعد طلوعه أول الطلوع.

٥ - وفيه اعتماد صوت المؤذن. واستدلّ به مالك والمزني وسائر من يقبل شهادة الأعمى، وأجاب الجمهور عن هذا بأن الشهادة يشترط فيها العلم، ولا يحصل علم بالصوت لأن الأصوات تشتبه[٢] وأما الأذان ووقت الصلاة فيكفي فيها الظن.

٦ - وفيه دليل لجواز الأكل بعد النية ولا تفسد نية الصوم بالأكل بعدها، لأن النبي ﷺ أباح الأكل إلى طلوع الفجر، ومعلوم أن النية لا تجوز بعد طلوع الفجر، فدلّ على أنها سابقة وأن الأكل بعدها لا يضرّ. وهذا هو الصواب المشهور من مذهبنا ومذهب غيرنا. وقال بعض العلماء: متى أكل بعد النية أو جامع فسدت ووجب تجديدها وإلا فلا يصح صومه. وهذا غلط صريح.

٧ - وفيه استحباب السحور وتأخيره[٣].

٨ - وفيه اتخاذ مؤذنين للمسجد الكبير. قال أصحابنا: وإن دعت الحاجة جاز اتخاذ أكثر منهما كما اتخذ عثمان رضي الله عنه أربعة، وإن احتاج إلى زيادة على أربعة فالأصحّ اتخاذهم بحسب الحاجة والمصلحة)[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) وانظر: حاشية ابن عابدين ٢٦١/١، ومواهب الجليل مع التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٥١/١، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٢٩/١، وكشاف القناع ٢٣٥/١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٩٧/٣٠).

(٢) وانظر: حاشية الدسوقي ١٦٧/٤، وجواهر الإكليل ٢٣٣/٢، والمغني ١٧٨/١٤-١٨١ (عن الموسوعة الفقهية ٢٩٧/٣٠).

(٣) قال ابن دقيق العيد: (فيه دليل على استحباب تأخير السحور وتقريبه من الفجر، والظاهر أن المراد بالأذان ههنا: الأذان الثاني. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٣/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧٦/٧/٤-١٧٧، وانظر: فتح الباري ٩٩/٢-١٠١.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

الحديث رقم (١٢٣٤)

١٢٣٤ - وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أهْلِ الكِتَابِ، أكْلَةُ السَّحَرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٥).

غريب الألفاظ:

فَصْل: فارِقٌ ومُمَيِّزٌ[2].

أكلة السحر: السحور وهي بفتح الهمزة، وهي عبارة عن المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة وإن كثر المأكول فيها[3].

الشرح الأدبي

يوضح الرسول الكريم شيئاً من معالم هذه الأمة عن طريق " السحور " في رمضان بصفة خاصة فيقول عن طريق الأسلوب الخبري: " فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر " ورسول الله قد ركز على ما يفصل بين صيام المسلمين، وصيام غيرهم، ولم يذكر شيئاً عن الأشخاص، ولم يسب أحدا، ولم يعب على أحد؛ لأنه ليس لعاناً، ولا فحاشاً، ومن هنا نفهم أن النبي الكريم ﷺ كان موضوعياً في كلامه، ولم يجبر أحداً على دينه، وترك ذلك لله الذي خلق الجميع: "غير أنه حافظ على استقلالية الشخصية للأمة الإسلامية، في العادات، والمعاملات، والعبادات، ولفظ "أكلة" اسم مرة، ويوحى بأنها أكلة واحده، ولكنها مباركة، حيث حدثت في وقت مبارك هو "السحر" ثم إن التعبير باسم المرة ينبه أولئك المسرفين إلى عدم التمادي في

---

(١) برقم (١٠٩٦/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٧٥).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٦٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ٦٨٨.

الأكل بين الإفطار، والسحور عدة مرات مما يسبب التثاقل عن العبادة، ويضيع على الإنسان خيرا لا حدود له في علمه، وغرض هذا السحور القوة التي تحقق التقوِّي على الصيام، ولا تثقل عن القيام، أو عن صلاة الفجر.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٣١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أساليب التربية: تعليل الأحكام:

لقد رغب النبي ﷺ في السحور، وعلل ذلك بأنّ السُّحور بركة، ولذا يحرصُ المسلم على تحصيل البركة والتلبس بها ويسعى إلى أن تناله البركة التي أخبر النبي ﷺ عنها، إننا سنمتثل أمر النبي ﷺ وسنطيعه سواء عُلّل أم لم يُعَلّل، وسواء بين الحكمة أم لم يبينها، لأننا نعرف حق المعرفة ونتيقن حق اليقين أنه لا يأمرنا إلا بما فيه مصلحتنا، ولا ينهانا إلا عما فيه ضررُنا ومفسدتُنا، لكنه ﷺ علل الحكم وبين وجه المصلحة فيه، لكي يبين لمن يقوم بالدعوة والتربية والتوجيه، أنه كلما كان الحكم معللاً كان أنسب وأوقع عند المخاطبين، وأشد إقبالاً عليه وامتثالاً له، لأن أهل التوجيه لا يخاطبون عقولاً جامدة ولا نفوسًا خامدة، إنما يخاطبون من أكرمهم الله بالعقول المفكرة والأفهام المستنبطة، فإن أرد أهل التوجيه والتربية لإرشاداتهم وتوجيهاتهم قبولاً عندهم، فعليهم أن يبينوا المصالح والحكم من وراء هذه الإرشادات وتلك التوجيهات كلما اقتضى الموقف ذلك، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - ترغيب الناشئة في زيادة الامتثال والاستجابة، فإنه لاشك أن هناك فرقًا بين امتثال أمر بدون معرفة المصلحة من ورائه، وبين امتثال أتى بعد معرفتها والعلم بها.

ب - تعميق الإيمان بجدوى هذه التربية وفائدتها، فإن الإنسان عندما يرى المصالح التي تترتب على الامتثال والاستجابة يزداد إيمانًا ويقينًا واقتناعًا ومن ثم يزداد في درجات الامتثال والتطبيق والتفعيل لأنه يفعل ذلك عن اقتناع عقلي واقتناع واقعي.

ج - تعويد الناشئة على الاستنباط والفهم فما دام الأمر يحقق مصلحة ما، فإذا كان هناك أمر آخر يحقق المصلحة نفسها فيلحق به في الحكم، وهذا لاشك أمر يحتاج إلى استنباط وفهم وتدقيق وفقه، وتعليل الأحكام من الطرق التي تُكَوِّن هذه الملكات المهمة للناشئة وغيرهم.

ثانيًا- المشاركة الحياتية:

لقد أخبر الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قد تسحر هو وجماعة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، مع النبي ﷺ، أي أن النبي ﷺ كان يشارك أصحابه الطعام والشراب، وهذا من الصور العليا للمشاركة الحياتية، فقد تكون المشاركة بالكلام والجلوس واللقاء، لكن لا تبلغ الذروة والقمة إلا بتناول الطعام والشراب معًا، وهذا يدل على صدق المشاركة الحياتية بين النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وما يلزم عن ذلك من شيوع روح الحب والمودة والألفة بين القائد ومن يقودهم وبين الرئيس ومرؤوسيه، وبين المرشد ومن يرشدهم، ونحو ذلك.

إننا نلاحظ في عالم اليوم أن العلاقة بين كثير من المديرين - على اختلاف درجاتهم ومراتبهم وأماكنهم - العلاقة بينهم وبين مرؤوسيهم أصبحت علاقة إصدار أوامر من جهة وتنفيذ هذه الأوامر من جهة أخرى، دون أن يصاحب ذلك كثير من الألفة والحميمية التي تنزع عن هذه العلاقة كثيرًا من الرسمية والتكلف والجمود دون أن تنزع عنها الاحترام والتقدير بين الطرفين. وشيوع هذه الظاهرة سببه - فيما نرى - قلة المشاركة الحياتية بين الطرفين بل في بعض الأحيان تكون منعدمة.

أما في هذا الحديث فقد اتضح جليًا كيف كان هناك معايشة حياتية بين النبي ﷺ -وهو أكرم الخلق- وبين أصحابه الكرام، لذا فلا عجب أن سارعوا إلى تنفيذ ما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه.

إن المعايشة الحياتية بين المربي ومن يربيهم لها من الفوائد التربوية ما لها، من ذلك:

أ - إنها تربوية بالقدوة فعين الأتباع معلقة بالمربي تراقب ما يفعل لتفعل مثله، فالنفس تحب أن تحذو حذو مثل أعلى لها، وليس أمامها أفضل من المربي نفسه.

ب - الاطلاع على صدق المربي في تربيته، فإن المعايشة الحياتية تكشف عن مدى التزام المربي بما يدعو إليه ويعيش من أجله، فإن كان صادقًا لزمه الأتباع وأخذوا عنه، وإن كاذبًا انفضوا عنه وتركوه.

ج - تنفض المعايشة الحياتية ما يعلق بأذهان الأتباع من غلو في المربي في غير

مكانه، إنهم يرونه يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون ويضحك كما يضحكون، ومن ثم تنصرف هممهم إلى الاقتداء به في الأفعال والصفات بدلاً من الاتجاه نحو الغلو فيه وإنزاله منزلةً لا تتناسب مع الطبيعة البشرية، ومن ثم يرون أن الطريق معبدٌ للاقتداء به، وليس وعرًا ولا صعبًا ولا شاقًا إذا صحت النوايا وصدقت العزائم.

ثالثًا- التربية على شغل الوقت بالعمل الصالح:

لقد سئل الصحابي الجليل عن مقدار الوقت بين التسحر مع النبي ﷺ والقيام إلى صلاة الصبح، فَبِمَ أجاب؟ أجاب بقوله: "قدر خمسين آية" فقدّر الوقت بطاعة من الطاعات بل من أفضل الطاعات، وكان المعتاد أن يقدر الوقت بمقاديره المعتادة من برهة وساعة وثلث الليل أو النهار ونحو ذلك، لكنه قدر بفعل طاعة من الطاعات، ويلاحظ على هذه الإجابة ما يلي:

أ- أنها إجابة معتادة لدى القائل والسامع مما يوحي بأنها معتادة لدى المجتمع في هذا الوقت، من الثقافة الشائعة فيه، بدليل أن السائل لم يسأله عن مقدار وقت قراءة الخمسين آية، وهذا يدل -إن دل- على أن هذا المجتمع منشغل بتلاوة القرآن وقراءته وسماعه، إنه يعيش به في يومه وليله ونهاره.

ب- أن الوقت شهر رمضان الواجب فيه الصيام والنازل فيه القرآن المسنون فيه قراءة القرآن والإكثار منه، فكان الصائمون من الصحابة يقومون بالصيام على خير ما ينبغي من أداء الواجبات وعدم الغفلة عن المسنونات والمرغوبات، فخرج الجواب ليعبر عن الحالة الإيمانية التي يعيشها المجتمع في هذا الوقت الفضيل، إنه مجتمع الصوم وقراءة القرآن وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

فكان هذا الجواب إرشادًا للمربين أن يربوا الناشئة وغيرهم على شغل وقتهم بالعمل الصالح النافع، ولا يضيعوه في أمور تافهة وأشياء غير ذات بال، وهم إن أفلحوا في ذلك حققوا نتائج تربوية مهمة منها:

أ- إنجاز الناشئة ومن شاكلهم أهدافهم وآمالهم المتوقعة منهم.

ب- زيادة التنافس فيما بينهم على المسابقة إلى الخيرات والمبادرة إليها.

ج- شغلهم بالعمل الصالح النافع وتجنيبهم الاشتغال بدونه وما سواه، فإن النفس إذا لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

رابعًا- من وسائل التربية: الأذان:

لقد أخبر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان للنبي ﷺ مؤذنان: بلالٌ وابن أم مكتوم رضي الله عنهما، الأول كان يؤذن قبل دخول وقت الصبح، والآخر كان يؤذن عند دخوله؛ الأذان الأول كان تنبيهًا للصائمين للاستعداد لصوم يوم جديد: النائم يستيقظ ليتسحر، وقائم الليل يفرغ من صلاته ليأتي بسنة السحور، ويضع جنبه على الأرض إن كان الوقت يسمح بذلك ليستعد لصلاة الفجر ويؤديها في نشاط وهمة، فإذا حدث ذلك ونحوه أُعلن الأذان الثاني ليبدأ وقت الصيام والانقطاع عن الشهوات التي تبطله، وبدأ يوم جديد في حياة الصائمين، فكان هذان الأذانان -في رأينا- من وسائل التربية، وذلك على النحو التالي:

أ- التعويد على النظام والانضباط، فلكل وقت عمله الذي يؤدى بنظام وترتيب، ولا يكون الأمر هكذا بدون ضبط ولا تنظيم، ولاشك أن غرس النظام في النفوس له من الفوائد ما لا يخفى، فيكفي أنه لا يمكن لإنجاز أن يتحقق بدون نظام.

ب- الإعداد الجيد للعبادة التي تلي الأذان وتأديتها بخشوع وخضوع ونشاط، وبذل الوسع في ذلك، ومن المعروف أن عبادة بلا خشوع لا يتوقع أن تأتي بأهدافها الطيبة.

وعلى ذلك فإنه يمكن الاستدلال بهذا الحديث وغيره أن من وسائل التربية الأذان، ولكن السؤال هنا: كيف نستفيد بهذا الأذان في الجانب التربوي في حياتنا المعاصرة؟.

إن الإجابة يمكن أن تتلخص فيما يلي:

أ- جعل الأذان حدًّا فاصلاً بين ما قبله وبعده، فإذا كان ما قبله انغماسًا في أمور الدنيا والسعي على المعاش، فإنه بالأذان يترك هذا كله، ويقبل العبد على الاستعداد

لأداء الصلاة المؤذن لها أداء طيبًا، فيقضي حاجته إن كان هناك سبب لذلك، ثم يسبغ الوضوء ويذهب إلى المسجد ويأتي بالسنة القبلية فإذا أقيمت الصلاة كان من الخاشعين الخاضعين، فإذا سلم أتى بالأذكار المشروعة والسنن المطلوبة، إنه بهذا يجني الثمار الطيبة التي تحققها الصلاة، وهكذا كان الأذان بداية الاستعداد لتلك الصلاة.

٢- الأذان من الأذكار المشروعة التي ترتاح لها الأذن ويطمئن بها القلب وتسكن بها الجوارح، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على المسلم من إقبال على العمل وتجاوز للمعوقات والموانع التي تكون في طريقه.

خامسًا- من أساليب التربية: ذكر أفعال المخالفين:

لقد ذكر النبي ﷺ أن أَكْلَة السحور فصل ما بيننا وبين أهل الكتاب، فإذا كان أهل الضلال من أهل الكتاب لا يتسحرون فإن على المسلمين ألا يكونوا مثلهم ويفعلوا فعلهم، بل عليهم أن يكونوا أشد الناس في مخالفتهم، حتى لا يتشبهوا بمن غضب الله عليهم أو ضلوا الطريق المستقيم، إن النبي ﷺ رغّب في السحور هنا بذكر أفعال المخالفين من أهل الكتاب، الذين لا يجوز التشبه بهم ولا السير على طريقهم، فإذا سمع المسلم ذلك حرص أشد الحرص على أن يتسحر حتى يكون من الفاعلين لأفعال المسلمين التاركين لأفعال المخالفين.

وفي ذلك أسلوب تربوي مفيد جدًا في تربية الناشئة وتوجيههم وتأديبهم، ومن ثم كان من الواجب على المربين أن يفعّلوا هذا الأسلوب في تربيتهم، وذلك للأسباب الآتية:

أ- استخدام السنة النبوية له كما هو واضح في الحديث كما أن القرآن قد استخدمه بكثرة، ولعل من هذا من القبيل كثرة ذكر قصة بني إسرائيل في القرآن الكريم، وذلك لتحذير المسلمين منهم، ومن ثم اجتناب أفعالهم وخصالهم، نظرًا لما عرفوا به من كثرة المخالفة لأوامر الله ورسله.

ب- تحصين الناشئة وغيرهم من الأفعال التي قد ينبهرون بها ويرغبون في تقليدها

مع أنها صادرة عمن يخالف الإسلام عقيدة وسلوكًا ومنهاجًا.

ج- تمنية اعتزاز الناشئة بقيمهم ومبادئهم التي تربوا عليهم والثبات على ذلك، وعدم الميل مع كل ريح تهبّ ولا مع كل اتجاه يظهر.

٢٢٢- باب فضل تعجل الفطر

وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره

الحديث رقم (١٢٣٥)

١٢٣٥ - عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

يبشر رسول الله ﷺ الناس بالخير، واستمراريته فيهم ماداموا ملتزمين بتوجيهات نبيهم الكريم فيقول: " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر " و " ما " مصدرية تؤول مع ما بعدها بالمصدر أى: " لتعجيلهم الفطر " والفعل الماضي: " عجلوا " تدل على تحقق، وقوع التعجيل، وتكراره، وغلبته على سلوك الصائمين، ونلمح من ألفاظ الحديث أن المصطفى حريص على إعطاء الجسد حقه من الطعام، والشراب ليتقوى على العبادة التي تغذى الروح بالقيام في سرور، ونشاط، ومن هنا نرى أن الدين الحنيف يقيم التوازن الحقيقي بين احتياجات الروح، والجسم. والله اعلم.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله حديث سهل بن سعد رضي الله عنه[2] وكذلك أحاديث الباب. قال ابن حجر: (قال ابن عبدالبر: أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة، وعند عبدالرزاق وغيره بإسناد صحيح

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨/٤٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٨٧).

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢٢٣، وانظر: المجموع ٦/٢٦١-٢٦٢، والمغني ٤/٤٣٤.

عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا)[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر.

ثانيًا: من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي ﷺ لا فيما فعله غيره.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل تعجيل الفطر:

إن هذه الأحاديث تدل على فضل تعجيل الفطر، قال ابن عبدالبر: (أحاديث تعجيل الإفطار وتأخير السحور صحاح متواترة)[٣]. وأخرج عبدالرزاق عن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان أصحاب محمد ﷺ أسرع الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا[٤].

وقد ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا ما عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ))[٥].

قال ابن حجر: (وتأخير أهل الكتاب له أمدٌ وهو ظهور النجم)[٦].

وعن سهل بن سعد قال: ((لا تزالُ أُمَّتي على سُنَّتي ما لَمْ تنْتَظِرْ بِفِطْرِها النُّجُومَ. قالَ: وكانَ النبيُّ إذا كان صائمًا أَمَرَ رجلا فأَوْفَى على شَيءٍ، فإذا قَالَ: غَابَتِ الشَّمسُ، أَفْطَرَ))[٧]، قال ابن حجر: (وفيه بيان العلة في ذلك)[٨].

---

(١) فتح الباري ٤/١٩٩ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٢٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٦، ١٢٣٧.

(٣) كما في فتح الباري ٤/١٩٩.

(٤) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤/ رقم ٧٥٩١، وقال ابن حجر في الفتح ٤/١٩٩: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٣).

(٦) فتح الباري ٤/١٩٩.

(٧) أخرجه ابن خزيمة ٢٠٦١ وابن حبان ٣٥١٠، والحاكم ١/٤٣٤، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٨) فتح الباري ٤/١٩٩.

وقال النووي عن قوله ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" قال: (فيه الحث على تعجيله بعد تحقق غروب الشمس، ومعناه: لا يزال أمر الأمة منتظمًا وهم بخير ما داموا محافظين على هذه السنة، وإذا أخروه كان ذلك علامة على فساد يقعون فيه)[١].

وقال ابن دقيق العيد: (تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب مستحب باتفاق، ودليله هذا الحديث، ولعل هذا هو السبب في كون الناس لا يزالون بخير ما عجلوا الفطر، لأنهم إذا أخروه كانوا داخلين في فعل خلاف السنة، ولا يزالون بخير ما فعلوا السنة)[٢].

وقال ابن حجر: (قال المهلب: والحكمة في ذلك أن لا يزداد في النهار من الليل، ولأنه أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة، واتفق العلماء على أن محل ذلك إذا تحقق غروب الشمس بالرؤية أو بإخبار عدلين، وكذا عَدْل واحد في الأرجح)[٣].

وقال الطيبي عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: (قال الله عز وجل: "أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا" قال المظهر: يعني من هو أكثر تعجيلاً في الإفطار، فهو أحب إلى الله تعالى، ولعل سبب محبة الله تعالى إياه لمتابعة سنة رسوله ﷺ، ولأنه إذا أفطر قبل الصلاة تمكن من أداء الصلاة بحضور القلب، قال التوربشتي: أي أحب عبادي من يخالف أهل البدعة فيما يعتقدون من وجوب التأخير، ويحتمل أنه أراد به جمهور هذه الأمة الذين يتدينون بشريعة محمد ﷺ، أي هم أحب إليّ ممن كان قبلهم من الأمم، والأول أشبه.

وأقول [القائل الطيبي]: (لعل الثاني أوجه، وذلك أنه ﷺ لما أراد أن يحث الناس على تعجيل الفطر وبين مكانته عند الله وصف المخلصين من عباده بذلك، ليكون ذريعة إلى المقصود، ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[٤] وحملة العرش ليسوا ممن لا يؤمنون، لكن ذكر الإيمان لشرفه،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٠-٢٢١.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، ص ٢٢٣.

(٣) فتح الباري ٤/١٩٩، .

(٤) سورة غافر، الآية: ٧.

والترغيب فيه، ومن ثم خص المحبة بالذكر، لأن متابعة الحبيب توجب محبة الله تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1] وإلى هذا ينظر القول الأول للمظهر، هذا إذا أريد الاتصاف بالخير، وإن أريد التفضلة بين هذه الأمة وبين اليهود والنصارى، كان الوصف للتمييز، ويؤيده حديث أبي هريرة ((لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا ما عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ لأنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ))[2][3].

ثانيًا- من آداب المدعو: توقير الصحابة رضوان الله عليهم:

وهذا واضح من قول أبي عطية: دخلت أنا ومسروق على عائشة رضي الله عنها فقال لها مسروق: رجلان من أصحاب محمد ﷺ كلاهما لا يألو عن الخير. أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار؟ فقالت: من يعجل المغرب والإفطار؟

والشاهد في قول مسروق: "كلاهما لا يألو عن خير"، فمعناه كما قال النووي: (لا يقصِّر في الخير)[4]. فمسروق في حديثه عن الصحابيين وصفهما بأنهما من أصحاب رسول الله ﷺ، وبأن كلاهما لا يقصر في الخير، رغم خلاف فعلهما إذ أن أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والآخر يؤخر المغرب والإفطار، فتأدب في كلامه عنهما، مما يدل على توقيره لصحابة رسول الله ﷺ، وهذا ما ينبغي على كل مسلم وخاصة لما ثبت لهم من عظيم المنزلة عند الله وثنائه عليهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٥٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٣).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٥٣-١٥٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢١ ورياض الصالحين ص ٤٤٣.

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1].

قال ابن أبي العز: (وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم)[2].

وقد قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ نَظَرَ في قلوبِ العِبَادِ فوجَدَ قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لنَفْسِهِ، وابْتَعَثَهُ بِرِسَالاتِهِ، ثمَّ نَظَرَ في قُلوبِ العبادِ بعد قَلْبَ محمَّدٍ ﷺ فَوَجَدَ قُلوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلوبِ العِبادِ فجعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ يُقاتِلونَ عَنْ دينِهِ، فما رآه المسلمونَ حَسَنًا فهو عِنْدَ الله حَسنٌ، وما رآهُ المسْلِمَونَ سَيِّئًا فهوَ عِنْدَ الله سيِّءٌ))[3].

وقال الطحاوي: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحجة فيما فعله النبي ﷺ لا فيما فعله غيره:

وهذا واضح من سؤال مسروق عائشة رضي الله عنها عن فعل الصحابيين رضي الله عنهما، وذلك ليعرف أيهما يوافق فعل النبي ﷺ فأخبرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ذلك. وهذا يدل على أن المدعو يتبع ما فعله النبي ﷺ لا ما فعله غيره، فالنبي ﷺ هو الحجة لا غيره، وأن الحكم فيما اختلف فيه المسلمون هو سنة النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[5].

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ٨-١٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٩١.

(٣) أخرجه أحمد ٦/٣٦٠٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٤) العقيدة الطحاوية ٢/٦٨٩ مع شرحها.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٥.

وقال الشافعي: (أخبرني من لا أتهم من أهل المدينة عن ابن أبي ذئب قال: قضى سعد بن إبراهيم على رجل، بقضية، برأي ربيعة بن أبي عبدالرحمن، فأخبرته عن النبي ﷺ بخلاف ما قضى به فقال سعد لربيعة: هذا ابن أبي ذئب، وهو عندي ثقة، يخبرني عن النبي ﷺ بخلاف ما قضيت به فقال له ربيعة: قد اجتهدتُ ومضى حكمك. فقال سعد واعجبًا. أُنْفِذُ قضاءَ سعد بن أم سعد وأَرُدُّ قضاء رسول الله ﷺ؟ بل أَرُدُّ قضاء سعد بن أم سعدَ وأُنْفِذُ قضاء رسول الله ﷺ، فدعا سعد بكتاب القضية فشقه وقضى للمقضي عليه)[1].

وقال ابن القيم: (ترى كثيرًا من الناس إذا جاء الحديث يوافق قول من قلده، وقد خالفه راويه يقول: الحجة فيما روى لا في قوله، فإذا جاء قول الراوي موافقًا لقول من قلده والحديث يخالفه قال: لم يكن الراوي يخالف ما رواه إلا وقد صح عنده نسخه، وإلا كان قدحًا في عدالته فيجمعون في كلامهم بين هذا وهذا. بل قد رأينا ذلك في الباب الواحد، وهذا من أقبح التناقض، والذي ندين الله به، ولا يسعنا غيره أن الحديث إذا صحّ عن رسول الله ﷺ ولم يصح عنه حديث آخر ينسخه، أن الفرض علينا وعلى الأمة الأخذ بحديثه وترك كل ما خالفه، ولا نتركه لخلاف أحد من الناس كائنًا من كان، لا راويه ولا غيره، إذ من الممكن أن ينسى الراوي الحديث ولا يحضره وقت الفتيا أو لا يتفطن لدلالته على تلك المسألة، أو يتأول فيه تأويلاً مرجوحًا، أو يقوم في ظنه ما يعارضه ولا يكون معارضًا في نفس الأمر أو يقلد غيره في فتواه بخلافه لاعتقاده أنه أعلم منه وأنه إنما خالفه لما هو أقوى منه، ولو قدّر انتفاء ذلك كله ولا سبيل إلى العلم بانتفائه ولا ظنه لم يكن الراوي معصومًا ولم توجب مخالفته لما رواه سقوط عدالته حتى تغلب سيئاته حسناته وبخلاف هذا الحديث الواحد لا يحصل له ذلك)[2].

وقال الذهبي: (فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة،

---

(١) أخرجه الشافعي في الرسالة ١٢٣٣، تحقيق خالد السبع العلمي وزهير شفيق الكبّي.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٥٥٥ - ٥٥٦.

ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك)[1].

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر" وقوله ﷺ "قال الله عز وجل: أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرًا" ولاشك أن هذا ترغيب في التعجيل بالفطر لتحصيل الخيرية، وحبّ الله تعالى.

والترغيب من أساليب الدعوة التي تدعو إلى قبول المدعو للدعوة، والحرص على القيام بها لأن الترغيب دائمًا يرتبط بحصول خير في الدنيا أو الآخرة أو كلاهما، ولا شك أن النفس دعوة الخير تدفعها، وحسن الجزاء يشرحها إلى العمل الصالح.

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال، مختصر منهاج السنة لابن تيمية، اختصره: أبو عبدالله محمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ، حققه محب الدين الخطيب، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ، ص ٣٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٦)

١٢٣٦- وعن أَبي عطيَّة، قَالَ: دَخَلْتُ أنا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عائشة رضي الله عنها، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوق: رَجُلاَنِ مِنْ أصْحَابِ محَمَّدٍ ﷺ، كِلاَهُمَا لا يَألُو عَنِ الخَيْرِ؛ أحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ - (يعني: ابن مسعود)[1] - فَقَالَتْ: هكَذَا كَانَ رسولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

لا يألو: لا يُقَصِّرُ[3].

الشرح الأدبي

هذان رجلان يدخلان على أم المؤمنين (عائشة) أحدهما يعجل المغرب والإفطار، والثاني يؤخر ذلك، ويطلبان من أم المؤمنين تحديد الأصوب منهما، وإضافة الأصحاب للاسم الظاهر في قوله (أصحاب محمد ﷺ) تشريف لهم يقتضي مزيد إكرامهم بصحبتهم لرسول ﷺ وقول أم المؤمنين " من يعجل المغرب والإفطار ؟ فقيل لها: (عبد الله) فقالت: " هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع ". والاستفهام في قولها: " من يعجل المغرب. .. ؟ " للتقرير وقولها: " هكذا كان رسول الله. . يصنع " يشير بحسن الأدب، والبيان، والروعة في التخاطب لأنها أقرت أحدهما، ولم تسخر من الآخر، أو توبخه أو تتهكم من فعله ثم إنها شبهت فعل رسول الله ﷺ بفعل " عبد الله بن مسعود " الذي

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (١٠٩٩/٥٠).

(٣) رياض الصالحين ٤٤٣.

كان يعجل المغرب والإفطار فقالت: " هكذا. ... " والهاء للتنبيه، والكاف للتشبيه بمعنى " مثل " و" إذا " اسم إشارة، والفعل المضارع " يصنع " يوحى بأن هذه التوجيهات يجب أن تستمر إلى ما شاء الله.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم تعجيل الفطر: اتفق الفقهاء على استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا، بل متى تحقق غروب الشمس حل الفطر[١].

٢- تذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه، وترك المراجعة له بعد ثلاث[٢].

٣- إيماء إلى الزجر عن متابعة أهل الكتاب، فإنهم يؤخرون الفطر عن الغروب[٣].

٤- حكم الفطر على التمر: الفطر على التمر مستحب وليس بواجب فلو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء[٤] وأن الترتيب الوارد في الحديث إنما هو لكمال السنة لا لأصلها كما هو واضح، فمن أفطر على ماء مع وجود التمر حصل له أصل سنة الإفطار[٥].

٥- حكم صيام المسافر: اتفق الفقهاء على أن من لحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الفطر، كما أنهم اتفقوا على أن من لم تلحقه بالسفر مشقة ظاهرة جاز له الصوم

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٥/٢، حاشية رد المحتار ٤١٩/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٠/١، مغني المحتاج ١٦٥/٢، شرح منتهى الإرادات ٤٨٨/١-٤٨٩، شرح صحيح مسلم ٢٠٨/٧، فتح الباري ٢٤١/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢١١/٧، فتح الباري ٢٤١/٤.

(٣) فتح الباري ٢٤١/٤.

(٤) حاشية الصاوي ٦٩١/١، مغني المحتاج ١٦٥/١، شرح منتهى الإرادات ٤٨٩/١، شرح صحيح مسلم ٢١١/٧.

(٥) دليل الفالحين ٣٩/٤.

والفطر[١] ولكنهم اختلفوا في أيهما أفضل الصوم أم الفطر؟ فذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والمالكية، والشافعية) إلى أن الصوم في حقه أفضل من الفطر[٢] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٣] ولما في الصوم من تبرئة الذمة وعدم إخلاء الوقت عن العبادة، ولأن الصوم هو الأكثر من فعله ﷺ[٤].

وذهب الحنابلة إلى أنه يكره الصوم ويسن له الفطر وأنه أفضل من الصوم[٥] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "ليس من البر الصيام في السفر" وقوله ﷺ "عليكم برخص الله تعالى التي رخص لكم فاقبلوها".

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) بدائع الصنائع ٩٦/٢، كنز الدقائق وشرحه تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١، مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، كنز الدقائق وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ١٣٣/١، حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٤.

(٤) مغني المحتاج ٥٢٩/١.

(٥) مطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٦) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٣٧)

١٢٣٧ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ : ((قَالَ اللهُ عز وجل: أحَبُّ عِبَادِي إلَيَّ أعْجَلُهُمْ فِطْرًا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (قال) رسول الله ﷺ ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (قال الله – عز وجل –) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني؛ لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، و قول الله تعالى " أحب عبادي إلى. .. " أفعل التفضيل: " أحب " يوضح أنه عز وجل – يحب الكثيرين، ولكن الأشد حباً هو الأعجل فطراً، لأن أفعل التفضيل تشير إلى اشتراك في الأصل، وزيادة لأحدهما، وهم الذين يعجلون الفطر، وهذه العبارات تدل على الحنو الشديد من قبل الخالق – سبحانه وتعالى والإضافة في " عبادي " و " إلى " للتشريف، والتكريم، والإلزام؛ لأنهم ماداموا عباده فلا بد أن يكونوا أهلا لذلك بالتكليف، والالتزام بما يحبه المشرع عز وجل. وكلمة: " إلىَّ " تشير إلى أهمية تحديد الغاية، والهدف من العبادة لأن " إلى " تفيد انتهاء الغاية، وهكذا يجب على المسلم أن يكون " رب العزة " منتهى غايته من العبادات، والمعاملات، والتصرفات كلها: " وأن إلى ربك المنتهى " أية ٢٢ النجم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٧٠٠). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٢)، وابن حبان (الإحسان ٣٥٠٨).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٣٥.

الحديث رقم (١٢٣٨)

١٢٣٨ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنَا، وَأدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

يضع الرسول الكريم ﷺ - في هذا الحديث - علامات للصائم كي يفطر عند تحققها، ويربط ذلك بغروب الشمس، وطلوعها، وبين الفعلين الماضيين: " أقبل، وأدبر " طباق يوضح المعنى، وكذلك بين الليل، والنهار، وهو ما يجلي أبعاد المعنى، ويبرزه، وفي الوقت نفسه يرسمان صورة للشمس، والليل والنهار، وتشعر من خلال ذلك بمضمون الآية الكريمة في سورة " يس " حيث يقول الحق - سبحانه وتعالى " والشمس تجرى لمستقرها ذلك تقدير العزيز العليم " - وقوله: " فقد أفطر الصائم " يشير إلى حلول وقت فطره، ولكن ينبغي عليه أن يتيقن من إقبال الليل، وإدبار النهار حتى لا يقع في براثن العجلة تحت مظلة " تعجيل الفطر " فمن تأنى نال ما تمنى من الثواب، والأجر، والقبول، والهداية، ولفظ (هاهنا) الذي تكرر مع كل جهة يؤكد المعنى المراد من تحديد موعد الفطر بدقة لا تترك مجالا لخلاف.

فقه الحديث

قال ابن دقيق العيد: (وقوله عليه السلام "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حلّ له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر. وتكون الفائدة فيه: "أن الليل غير قابل للصوم، وأنّه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم. وتكون الفائدة

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٥٤) واللفظ له، ومسلم (١١٠٠/٥١).

على الوجه الأول، وذكْر العلامة التي بها يحصل جوازُ الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال، بمعنى الصوم الشرعي لا بمعنى الإمساك الحسي، فإن من أمسك حسًّا فقد أفطر شرعًا" وفي ضمن ذلك إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم.

ثانيًا: من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة.

ثالثًا: من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان وقت فطر الصائم:

هذا واضح من قول رسول الله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

وقوله ﷺ في الحديث الآخر: "إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم" وأشار بيده قبل المشرق. قال ابن حجر: (وفي حديثي الباب من الفوائد بيان وقت الصوم وأن الغروب متى تحقق كفى)[٣].

قال ابن عبدالبر: (من السنة تعجيل الفطر وتأخير السحور، والتعجيل إنما يكون بعد الاستيقان بمغيب الشمس، ولا يجوز لأحد أن يفطر وهو شاك هل غابت الشمس أم لا؟ لأن الفرض إذا لزم بيقين لم يخرج منه إلا بيقين، والله عز وجل يقول: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾[٤] وأول الليل مغيب الشمس كلها في الأفق عن أعين الناظرين، ومن شك لزمه التمادي حتى لا يشك في مغيبها)[٥].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢٢٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٣٨ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٣٩.

(٣) فتح الباري ١٩٨/٤، .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٧٨/٩٠.

وقال ابن هبيرة عن حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (في هذا الحديث من الفقه أن الصوم هو حكم مؤقت بأول وآخر، فإذا انتهى إلى وقته زال حكمه، فإن أخَّر أحد إفطاره فقد أعلمه هذا الحديث أن الله غير معتدٍّ له بصيام بعد غروب الشمس، لأن وقت حكم الصيام قد زال، وهذا مما يكون داعيًا إلى تعجيل الفطر)[1].

وقال النووي عن معنى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (معناه انقضى صومه وتم، ولا يوصف الآن بأنه صائم فإن بغروب الشمس خرج النهار ودخل الليل، والليل ليس محلاً للصوم)[2].

وقال ابن دقيق العيد: (قوله عليه السلام "فقد أفطر الصائم" يجوز أن يكون المراد به: فقد حل له الفطر، ويجوز أن يكون المراد به: فقد دخل في الفطر، وتكون الفائدة فيه: أن الليل غير قابل للصوم وأنه بنفس دخوله خرج الصائم من الصوم، وتكون الفائدة على الوجه الأول، ذكر العلامة التي بها يحصل جواز الإفطار، وعلى الثاني: بيان امتناع الوصال بمعنى الصوم الشرعي، لا بمعنى الإمساك الحسي فإن من أمسك حسًا فهو مفطر شرعًا. وفي ضمن ذلك: إبطال فائدة الوصال شرعًا، إذ لا يحصل به ثواب الصوم)[3].

وقال ابن حجر: (قوله "فقد أفطر الصائم" أي دخل في وقت الفطر، كما يقال: أَنْجَد إذا أقام بنجد - ويحتمل أن يكون معناه فقد صار مفطرًا في الحكم، لكون الليل ليس ظرفًا للصيام الشرعي، وقد ردّ ابن خزيمة[4] هذا الاحتمال. وأومأ إلى ترجيح الأول، فقال: قوله "فقد أفطر الصائم" لفظ خبر، ومعناه الأمر، أي فليفطر الصائم، ولو كان المراد: فقد صار مفطرًا كان فِطْرُ جميع الصوّام واحدًا ولم يكن للترغيب في تعجيل الإفطار معنى اهـ)[5].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/٧/٤، .

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٤) صحيح ابن خزيمة ٢٧٤/٣.

(٥) فتح الباري ١٩٧/٤، .

وقال ابن حجر: (من البدع المنكرة: ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام، زعما ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس، وقد جرّهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة، لتمكين الوقت زعموا. فأخروا الفطر وعجلوا السحور وخالفوا السنة، فلذلك قلّ عنهم الخير وكثر فيهم الشر)[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إيضاح الأمر بكل علاماته الممكنة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم".

فقد بيّن ﷺ وقت إفطار الصائم بثلاث علامات: إقبال الظلام (الليل) وإدبار الضياء (النهار) وغروب الشمس. قال ابن حجر عن الحديث: (فيه البيان بذكر اللازم والملزوم جميعًا لزيادة الإيضاح)[٢]. وقال النووي: (قال العلماء: كل واحد من هذه الأمور الثلاثة يتضمن الآخرين ويلازمهما وإنما جمع بينها لأنه قد يكون في وادٍ ونحوه بحيث لا يشاهد غروب الشمس، فيعتمد إقبال الظلام وإدبار الضياء)[٣]. وقال أبو العباس القرطبي: (هذه الثلاثة الأمور متلازمة، إذا حصل الواحد منها حصل سائرها. وإنما جمعها في الذكر -والله أعلم- لأن الناظر قد لا يرى عين غروب الشمس لحائل، ويرى ظلمة الليل من المشرق، فيحلّ له إذ ذاك الفطر، وإقبال الليل: إقبال ظلمته. وإدبار النهار: إدبار ضوئه، ومجموعهما إنما يحصل بغروب الشمس)[٤].

وقال ابن دقيق العيد: (الإقبال والإدبار متلازمان، أعني: إقبال الليل وإدبار النهار، وقد يكون أحدهما أظهر للعين في بعض المواضع، فيستدل بالظاهر على الخفي، كما

---

(١) فتح الباري ١٩٩/٤.

(٢) فتح الباري ١٩٨/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٢٢/٧/٤.

(٤) المفهم ١٥٨/٣.

لو كان في جهة المغرب ما يستر البصر عن إدراك الغروب، وكان المشرق بارزًا ظاهرًا فيستدل بطلوع الليل على غروب الشمس)[١].

وقال ابن حجر: (وذكر في هذا الحديث ثلاثة أمور، لأنها وإن كانت متلازمة في الأصل، لكنها قد تكون في الظاهر غير متلازمة، فقد يظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون إقباله حقيقة، بل لوجود أمر يغطي ضوء الشمس. وكذلك إدبار النهار فمن ثم قيد بقوله "وغربت الشمس" إشارة إلى اشتراط تحقق الإقبال والإدبار، وأنهما بواسطة غروب الشمس لا بسبب آخر. ولم يذكر ذلك في الحديث الثاني فيحتمل أن ينزل على حالين: أما حيث ذكرها ففي حال الغيم مثلاً، وأما حيث لم يذكرها ففي حال الصحو، ويحتمل أن يكونا في حالة واحدة، وحفظ أحد الراويين ما لم يحفظ الآخر، وإنما ذكر الإقبال والإدبار معًا لإمكان وجود أحدهما مع عدم تحقق الغروب قاله القاضي عياض[٢]. وقال شيخنا [أي الحافظ العراقي] في شرح الترمذي: الظاهر الاكتفاء بأحد الثلاثة، لأنه يعرف انقضاء النهار بأحدهما[٣] ويؤيده الاقتصار في رواية ابن أبي أوفى على إقبال الليل)[٤].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾[٥] وقد قال النبي ﷺ ((لا يَمْنَعْكُمْ من سُحورِكم أَذانُ بلالٍ ولا الفَجْرُ المُسْتَطِيلُ، ولكِن الفَجْرُ المُسْتَطِيرُ في الأفق))[٦].

قال ابن الأثير: (الفجر المستطير: هو الذي انتشر ضوؤه واعترض في الأفق، بخلاف

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٢٢٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٥/٤.

(٣) هكذا في المطبوع والظاهر أن الصواب: بأحدها. والله أعلم.

(٤) فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٧، .

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٦) أخرجه مسلم ١٠٩٤، والترمذي ٧٠٥ واللفظ له من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

المستطيل)[١].

(والفجر فجران: (١) الفجر الكاذب وهو الذي يبدو أولاً ساطعًا مستطيلاً من أعلى إلى أسفل.

(٢) الفجر الصادق: وهو الذي يبدو منتشرًا في الأفق بعد الأول بزمن يسع السحور... والمعنى: لا يمنعكم من السحور أذان بلال فإنه يؤذن بليل ولا يمنعكم البياض الذي يظهر في السماء شرقًا مستطيلاً كذنب الذئب فإنه هو الفجر الكاذب، وكلوا واشربوا حتى يظهر الفجر الصادق وهو المنتشر ضوؤه في الأفق معترضًا من جانب السماء من جهة المشرق)[٢].

ثالثًا - من آداب المدعو: تذكير العالم بما يخشى أن يكون قد نسيه:

وهذا واضح من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما وفي رواية عند البخاري: ((كنّا معَ رسولِ الله ﷺ في سَفَرٍ وهوَ صائمٌ، فلمّا غَرَبَتِ الشمسُ قال لِبعضِ القومِ: يافلانُ قم فاجدَحْ لنا، فقال: يارسولَ الله لو أمْسَيْتَ؟، قال: انزلْ فاجدَحْ لنا، قال: يارسولَ الله فلو أمْسَيْت؟ قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا، قال: إنَّ عليكَ نهارًا، قال: انزِلْ فاجدَحْ لنا. فنزَلَ فجَدَحَ لهم، فشَرِبَ النبيُّ ﷺ ثُمَّ قال: إذا رأيتمُ الليلَ قد أقْبَلَ مِن هاهنا فقد أفطَر الصائمُ)).

قال النووي: (معنى الحديث أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا صيامًا، وكان ذلك في شهر رمضان كما صرح به في رواية يحيى بن يحيى[٣] فلما غربت الشمس أمره النبي ﷺ بالجدح ليفطروا فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي بعد غروب الشمس فظن أن الفطر لا يحل إلا بعد ذهاب ذلك، واحتمل عنده أن النبي ﷺ لم يرها، فأراد تذكيره وإعلامه بذلك، ويؤيد هذا قوله "إن عليك نهارًا"، لتوهمه أن ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه، وهو معنى "لو أمسيت" أي تأخرت حتى يدخل

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ص ٥٧٤.

(٢) الدين الخالص: محمود محمد خطاب السبكي (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ٤٤٩/٨.

(٣) صحيح مسلم ٥٢-١١٠١.

المساء، وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على أن ذلك نهار يحرم فيه الأكل مع تجويزه أن النبي ﷺ لم ينظر إلى ذلك الضوء نظرًا تامًا، فقصد زيادة الإعلام ببقاء الضوء. وفي هذا الحديث: بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس واستحباب تعجيل الفطر، وتذكير العالم ما يخاف أن يكون قد نسيه)[1].

وقال ابن حجر: (وأما قول الراوي "وغربت الشمس" فإخبار منه بما في نفس الأمر وإلا فلو تحقق الصحابي أن الشمس غربت ما توقف لأنه حينئذٍ يكون معاندًا وإنما توقف احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة، قال الزين بن المنير: يؤخذ من هذا جواز الاستفسار عن الظواهر لاحتمال ألا يكون المراد إمرارها على ظاهرها، وكأنه أخذ ذلك من تقريره ﷺ الصحابي على ترك المبادرة إلى الامتثال، وفي الحديث أيضًا استحباب تعجيل الفطر، وأنه لا يجب إمساك جزء من الليل مطلقًا. بل متى تحقق غروب الشمس حلّ الفطر، وفيه تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث، وقد اختلفت الروايات عن الشيباني [أي أبي إسحاق سليمان بن أبي سليمان الكوفي راوي الحديث عن عبدالله بن أبي أوفى] في ذلك فأكثر ما وقع فيها أن المراجعة وقعت ثلاثًا وفي بعضها مرتين، وفي بعضها مرة واحدة. وهو محمول على أن بعض الرواة اختصر القصة، ورواية خالد [هو ابن عبدالله الواسطي] المذكورة في هذا الباب أتمهم سياقًا، وهو حافظ فزيادته مقبولة. وقد جاء أنه ﷺ كان لا يراجع بعد ثلاث، وهو عند أحمد[2] من حديث عبدالله بن أبي حدرد في حديث أوله "كان ليهودي عليه دين")[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٣-٢٢٤.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٤٢٣، رقم ١٥٤٨٩ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لانقطاعه ٢٤/٢٣٧ - ٢٣٨.

(٣) فتح الباري ٤/١٩٧-١٩٨، .

الحديث رقم (١٢٣٩)

١٢٣٩ - وعن أَبي إبراهيم عبدِ الله بنِ أَبي أوفى رضي الله عنهما، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: ((يَا فُلاَنُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا))، فَقَالَ: يَا رسول الله، لَوْ أَمْسَيْتَ؟ قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: ((انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا)) قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ (لَهُمْ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ)[1]، ثُمَّ قَالَ: ((إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ اقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ افْطَرَ الصَّائِمُ)) وَأَشَارَ بِيَدِهِ[2] قِبَلَ المَشْرِقِ. متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

فاجدح لنا: أي اخلط السَّويق بالماء[4].

والسَّويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير[5].

الشرح الأدبي

يعد هذا الحديث تطبيقاً عملياً لإطلاع الصحابة على كيفية غروب الشمس وما يجب فعله بعد ذلك من تعجيل للفطر فإنه لما غربت الشمس قال لبعض القوم " انزل فاجدح لنا " أي " (اخلط السويق بالماء) ولما دهش الرجل أمره ثلاثاً فامتثل، وأعد لهم ذلك الشراب فشرب الرسول ﷺ ثم أصدر هذا البيان قائلاً في ثوب الشرط الذي يربط الإفطار برؤية الليل: "إذا رأيتم الليل قد اقبل من هاهنا فقد افطر الصائم" وقوله

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم (١٩٥٥).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: ((بأصبعه))، وبهذا اللفظ عنده برقم (٥٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٩٥٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠١/٥٣).

(٤) رياض الصالحين ٤٤٤.

(٥) اللسان في (س و ق).

(هاهنا) توكيد للمعنى، وقوله (وأشار بيده قبل المشرق) وهذه الإشارة توضح المعنى بحاسة السمع، والبصر، وهو ما يعطي المعنى ثباتا، ووضوحا وحرف " إذا " يدل على تحقق ما يأتي بعده، ويؤكد المضمون بالأفعال الماضية – " رأيتم – قد أقبل – فقد أفطر " أي وجب عليه الفطر، إذا تيقن من غروب الشمس، وإقبال الليل، وهذا التحري كله يرفع الحرج عن الأمة، ويجلب اليسر، ويحافظ على جسد المسلم، وروحة معاً.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذا الحديث:

١ - جواز الصوم في السفر وتفضيله على الفطر لمن لا تلحقه بالصوم مشقة ظاهرة[١].

٢ - وفيه بيان انقضاء الصوم بمجرد غروب الشمس.

٣ - واستحباب تعجيل الفطر.

٤ - وتذكير العالم ما يخاف أن يكون نسيه.

٥ - وأن الفطر على التمر ليس بواجب وإنما هو مستحب لو تركه جاز وأن الأفضل الفطر على الماء. وقد جاء في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره[٢] الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى ماء فإنه طهور)[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) وفي المسألة خلاف بين الفقهاء، انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٦/٢، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومغني المحتاج ٥٢٩/١، ومطالب أولي النهى ١٨٠/٢.

(٢) انظر: الحديثين التاليين في رياض الصالحين وهي ١٢٤٠، ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٨٣/٧/٤ ، وانظر: فتح الباري ١٩٦/٤-١٩٨ .

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٤٠)

١٢٤٠- وعن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ الصحابي رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا أفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فإِنَّهُ طَهُورٌ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سلمان بن عامر الضبي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٢).

غريب الألفاظ:

طهور: بالغٌ في الطهارة[2].

الشرح الأدبي

لقد بنى الحديث على أسلوب الشرط الذي يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد، ويبدأ الرسول ﷺ كلامه بإذا الشرطية، والفعل الماضي: " إذا أفطر، وهى تدل على تحقق وقوع ما بعدها فلا بد لكل صائم من أن يفطر، ولذا أسند الإفطار إلى كل أحد في قوله ": أحدكم وهو ما يعطي الحكم عموما لجميع المخاطبين، ثم جاءت لام الأمر لتوضح ما يرغبهم في الإفطار عليه " فليفطر على تمر. .. " وتنكير كلمه: " تمر " يشير إلى أهمية الرضا بما هو موجود من التمر سواء كان قليلاً أم كثيراً، وفى حاله عدم وجود التمر: " فيفطر على ماء فإنه طهور " وقوله فإنه طهور جملة تعليلية لترغيب السامعين في التزام هذه الفضيلة، والتعليق على الماء من قبيل النبي الكريم، ووصفة بأنه " طهور " مبالغة في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٥)، والترمذي (٦٩٥)، واللفظ لابن ماجه (١٦٩٩)، وتقدم برقم (٣٣٢). وصحّحه ابن خزيمة (٢٠٦٧)، وابن حبان (الإحسان ٣٥١٥)، وقال الحاكم (٤٣٢/١): هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٣).

(٢) اللسان والوسيط في (ط هـ ر).

الطهر كأنه طاهر في نفسه مطهر لغيره، ويدل على أهميته من الناحية الجسدية، والنفسية فهو يخلص الجسم من الأشياء الضارة وعليه قوام كل حي.

فقه الحديث

قال ابن قدامة: (يستحب أن يفطر على رطبات فإن لم يكن فعلى تمرات، فإن لم يكن فعلى الماء لحديث أنس في الباب)[١].

المضامين الدعوية [٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ما يستحب أن يفطر عليه الصائم:

قال النووي: (في هذا الحديث أن الفطر على التمر ليس بواجب، وإنما هو مستحب لو تركه جاز، وأن الأفضل بعده الفطر على الماء، وقد جاء هذا الترتيب في الحديث الآخر في سنن أبي داود وغيره في الأمر بالفطر على تمر فإن لم يجد فعلى الماء فإنه طهور)[٣].

وقد بوّب البخاري على حديث عبدالله بن أوفى: باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره[٤]. قال ابن حجر: (قوله "باب يفطر بما تيسر من الماء أو غيره" أي سواء كان وحده أو مخلوطًا... وذكر فيه حديث ابن أبي أوفى وهو ظاهر فيما ترجم له، ولعله أشار إلى أن الأمر في قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه ومن لا يجد فليفطر على الماء" ليس على

---

(١) المغني ٤/٤٣٥، وانظر المهذب وشرحه المجموع ٦/٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٤٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٧/٢٢٤، .

(٤) الحديث ١٩٥٦.

الوجوب، وهو حديث أخرجه الحاكم[١] من طريق عبدالعزيز بن صهيب عن أنس مرفوعًا. وصححه الترمذي وابن حبان من حديث سلمان بن عامر[٢]. وقد شذّ ابن حزم[٣] فأوجب الفطر على التمر وإلا فعلى الماء)[٤].

وقد بوب ابن حبان على حديث سلمان بن عامر: ذكر الإخبار عما يستحب للصائم الإفطار عليه، وذكر الاستحباب للمرء أن يكون إفطاره على التمر أو على الماء عند عدمه[٥].

وقال المباركفوري: (قوله "من وجد تمرًا فليفطر عليه" الأمر للندب... "فإن الماء طهور" أي بالغ في الطهارة فيبتدأ به تفاؤلاً بطهارة الظاهر والباطن. قال الطيبي[٦]: لأنه مزيل المانع من أداء العبادة، [أي يرتفع به الحدث المانع من أداء العبادة] ولذا منّ الله تعالى على عباده بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[٧] كذا في المرقاة)[٨].

وقال الشوكاني: (حديثا أنس وسلمان يدلان على مشروعية الإفطار بالتمر، فإن عدم فبالماء ولكن حديث أنس فيه دليل على أن الرَطْبَ من التمر أولى من اليابس، فيقدم عليه إن وجد، وإنما شرع الإفطار بالتمر لأنه حلو، وكل حلو يقوي البصر الذي

---

(١) أخرجه الترمذي ٦٩٤، والحاكم ٤٣١/١، والبيهقي في السنن ٢٣٩/٤، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي ٦٩٥، وابن حبان ٣٥١٤، وأحمد ١٩/٤، رقم ١٦٢٤٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١١٠). وينظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧٦/٢٦، وصحيح ابن حبان.

(٣) المحلى ٦٩٧، المسألة ٨٠٦.

(٤) فتح الباري ١٩٨/٤، .

(٥) صحيح ابن حبان.. الحديثان ٣٥١٤، ٣٥١٥.

(٦) شرح الطيبي على المشكاة ١٥٤/٤.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩١٦/١. وقال الشيخ عبدالله البسام: (الطهور هنا المراد به -والله أعلم- أن الماء مطهر للمعدة والأمعاء، وهذا الآن حقيقة علمية طبية، فإن الأطباء ينصحون ويوصون بشرب الماء على الفراغ. ويقولون: إنه يغسل المعدة والأمعاء، ويعدل طبيعة الإنسان). توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٥٠/٣.

يضعف بالصوم، وهذا أحسن ما قيل في المناسبة، وبيان وجه الحكمة. وقيل: لأن الحلو يوافق الإيمان ويرق القلب، وإذا كانت العلة كونه حلوًا، والحلو له ذلك التأثير فيلحق به الحلويات كلها)[1]. وقال ابن عثيمين: (والرُطَب الآن - والحمد لله - موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرون الرُطَب الآن في الثلاجات، ويبقى مدة، فالأفضل أن تفطر على الرطب، فإن لم يكن عندك شيء فالتمر، فإن لم يكن عندك تمر فالماء، وإنما قدم الرطب والتمر لأنهما أنفع للبدن من الماء لأنه حلوى وغذاء وقوة)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحكمة من الإفطار على التمر:

قال د. صالح بن أحمد رضا: (سنة رسول الله ﷺ الفعلية والقولية ترشد المؤمن إلى أن يكون أول ما يتناوله بعد يوم كامل يقضيه في الصيام عن الطعام هو التمر والرطب فإذا لم يجد واحدًا منهما فليفطر على الماء.

والتمر والرطب من المواد المفيدة لجسم الإنسان وكون رسول الله ﷺ يختارهما للصائم فذلك لحِكَم ومنافع في هذه المادة لعلّ منها:

أن التمر يحتوي على نسبة عالية من سكر الفواكه "الفركتوز أو الليفيولوز" وسكر الفواكه هذا له تأثير منشط للحركة الدودية للأمعاء، وبذلك فإنه يكافح الإمساك، فالتمر يساعد على تليين الأمعاء.

إضافة إلى هذا فإن التمور تحتوي على مواد سكرية سهلة الامتصاص بنسبة عالية حوالي سبعين إلى ثمانين بالمائة، والكليوغرام من التمور يعطي طاقة حرارية عالية حوالي ثلاثة آلاف من السعرات، وهو القدر الذي يحتاجه الإنسان العادي من الطاقة الحرارية.

والسكريات الموجودة في الرطب والتمور تمتص بسرعة فائقة وفي أقل من ساعة وهو عبارة عن "سكر العنب وسكر الفواكه" وكلاهما أحادي، يمتصان مباشرة من جدار الأمعاء الدقيقة وبسهولة.

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٠٤/٢.

كما تحتوي التمور على سكر القصب وهو ثنائي سهل الهضم أيضًا فيتحول بواسطة خميرة "السكراز" الموجودة في العصارة المعوية إلى "سكر العنب وسكر الفواكه" فيمتص من جدار الأمعاء الدقيقة إلى الدم ثم إلى الأنسجة ليولد الطاقة الحرارية المطلوبة للجسم بعد تمثيله وتحويله إلى ماء وثاني أكسيد الكربون، فلهذا كان التمر أنسب الأغذية للصائم، أول ما يبدأ به لإمداده بالطاقة الحرارية ولسهولة هضمه على المعدة والأمعاء.

وإننا نلاحظ أن رسول الله ﷺ كان من سنته الابتداء بالتمر يوم الفطر، بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان، وقبل الذهاب إلى صلاة العيد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رسولُ اللهِ ﷺ لا يَغدُو يومَ الفطرِ حتى يأْكلَ تَمَراتٍ))[1]. ولعل ذلك لكي تتهيأ المعدة لاستقبال الطعام في يوم الفطر حيث إنها اعتادت الصيام لمدة شهر كامل فيبدأ بالتمر الملين للمعدة، لتأكل بعد ذلك ما شاءت من أنواع الطعام. وجاء في كتاب صحتك في الغذاء "لكي تتهيأ المعدة لاستقبال وجبة الطعام بعد صيام ساعات طويلة يبدأ بتناول مادة سكرية مثل: عصير الفاكهة أو كوب من الشاي واللبن، أو بعض تمرات من البلح كما كان يفعل رسول الله ﷺ".

بعد كسر الصيام ينتظر الصائم لمدة عشر دقائق قبل تناول أي طعام حتى تعود المعدة لحالتها الطبيعية بعد أن كانت في حالة استرخاء خلال فترة الصيام[2].

والخلاصة: (أن التمر غني بعدد من أنواع السكر فهو يتحلل رأسًا إلى الدم فالعضلات ليهبها القوة، فالصائم يستنفد السكر المكتنز في خلايا جسمه، وهبوط نسبة السكر في الدم عن حدها المعتاد هو الذي يسبب ما يشعر به الصائم من ضعف وكسل وزوغان البصر، لذا كان من الضروري أن نمدّ أجسامنا بمقدار وافر من السكر ساعة الإفطار لتعود إلى قواها سريعًا)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥٣.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، الدكتور صالح بن أحمد رضا، ١/٢٩١-٢٩٣. وانظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية الدكتور زغلول النجار ١/٥٢-٥٧.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٤٩-١٥٠.

ثالثًا: من آداب الداعية: موافقة فعله لقوله

هذا واضحٌ من حديث سلمان فقد أخبر عن قول النبي ﷺ أما حديث أنس فقد أخبر عن فعله ﷺ، وفعله كان موافقًا لقوله ﷺ، وهكذا يكون الداعية فعله يطابق قوله، وهذا واضحٌ من وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لخلقه ﷺ: ((فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ))[1].

قال الدكتور القرضاوي: (تعني أن سيرته كانت تجسيدًا حيًا للقرآن فكما بين القرآن للناس بقوله، بيّنه لهم بسيرته)[2].

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يخالف فِعلُه قَوْلَه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[3].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم تطابق أفعالهم أقوالهم، من ذلك ما رواه علقمة بن قيس النخعي عن عبدالله بن مسعود قال: ((لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ. قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ. يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ. وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ. فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ؟ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيِ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ. قَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[4]. فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَىٰ شَيْئًا مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ. قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي. قَالَ فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ فَلَمْ تَرَ شَيْئًا. فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا.

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦ مطولاً.

(٢) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، ص ٢٥٨.

(٣) سورة الصف، آية: ٢-٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذٰلِكِ، لَمْ تُجَامِعْهَا))[١].

ولعلّ من أروع الأمثلة على موافقة أفعال الصحابة أقوالهم ما حدث من عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام الرمادة، قال الدكتور مصطفى السباعي: (كان ذلك في سنة ١٨هـ، إذ أصاب الناس في الحجاز قحط عظيم دام تسعة أشهر، حتى كانت الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات، واستغاث عمر بولاة الأمصار أن يمدوه بالميرة والطعام، ففعلوا، وكانت سَنَة أصاب عمر من همها وبلائها وحزنها ما نحل معه جسمه، واسودّ لونه، حتى قالوا: لو لم يرفع الله المحل وعام الرمادة، لظننا أن عمر يموت همًا بأمر المسلمين. ولقد كان يؤتى إليه من الأمصار بقوافل الطحين والسمن واللحوم، فيفرقها على المسلمين، ما يأكل منها شيئًا، وإنما كان يأكل الزيت والخبز والأسود، وكان يقول: لقد آليت على نفسي ألا آكل السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعًا)[٢].

ملحوظة: بوب النووي هذا الباب فقال: باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره.

والملاحظ أنه ذكر ما يدل على فضل تعجيل الفطر، وما يفطر عليه، ولكنه لم يذكر الأحاديث التي تتضمن ما يقوله الصائم بعد إفطاره، فلعلّ سبب ذلك النسيان أو سبب آخر.

وقد ذكر النووي نفسه في كتاب الأذكار باب ما يقول عند الإفطار[٣]، ذكر تحته ما يلي:

١ - روينا في سنن أبي داود والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال: ((ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٨٦، ومسلم ٥١٢٥ واللفظ له.

(٢) عظماؤنا في التاريخ ١٢٨-١٢٩، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٨/١٠ وما بعدها.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٢٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٣٥٧ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٦٦).

٢ - روينا في سنن أبي داود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: ((اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ))[١]. هكذا رواه مرسلاً.

٣ - وروينا في كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال: ((كانَ رسول الله ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قالَ الحَمْدُ لله الَّذي أَعَانَنِي فَصُمْتُ وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ))[٢].

٤ - وروينا في كتاب ابن السني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان النبيُّ إذا أفطر قال: اللَّهُمَّ لكَ صُمْنا، وعلى رِزْقِكَ أفْطَرْنا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ))[٣].

٥ - وروينا في كتابي ابن ماجه وابن السني عن عبدالله بن أبي مليكة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((قَالَ سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ. قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ، الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَغْفِرَ لِي))[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٣٥٨ وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٥١٠).

(٢) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٨٠ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٣.

(٣) أخرجه ابن السني ٤٨١ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٤٣٥٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه ١٧٥٣، وابن السني ٤٨٢، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٣٨٧).

الحديث رقم (١٢٤١)

١٢٤١- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أنْ يُصلِّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

حسا: شرب[2].

حسوات: جمع حَسوة: المرة من الشراب[3].

الشرح الأدبي

يدل هذا الحديث على رفق الرسول ﷺ بالأمة؛ لأنه كان يفطر قبل أن يصلى، وهذا أكبر رد على الذين يتعجلون في صلاتهم حتى يذهبوا إلى بيوتهم فيدركون الطعام ولكن المصطفى ﷺ يتأنى في العبادة، ويعطى الجسد حقه، أو شيئاً من حقه لكي يصلى هادئاً مطمئناً، وجمع القلة في " رطبات " يدل على قلة ما يتناوله النبي أثناء إفطاره قبل صلاة المغرب، وكلمة " تميرات " المصغرة تؤكد هذا المعنى ولذلك كررت في قوله: " فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء " ومن" في قوله: " من ماء " للتبعيض وألفاظ الحديث كلها تشع بمدى بساطة النبي صلى الله علية وسلم، وتوازنه، وهدوئه، وجمعه بين متطلبات الجسد، والروح.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦) واللفظ له، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم (٤٣٢/١): صحيحٌ على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٤).

(٢) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٣) اللسان والوسيط في (ح س و).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من مهام المربي: بيان الحكم الصحيح فيما قد يظن الناس خلافه:

لقد أخبر النبي ﷺ عن تعجيل الفطر بما يلي:

(أ) أنه لا يزال الناس إذا فعلوه بخير.

(ب) أن من يعجل الفطر يكون من أحبّ العباد إلى الله، فكلما كان أعجل أحبّه الله أكثر.

(ج) كما أخبرت عائشة رضي الله عنها أن هدي رسول الله ﷺ كان تعجيل الفطر وتعجيل الصلاة.

فاجتمعت في هذه الأحاديث السنة القولية والعملية على استحباب تعجيل الفطر، لقد تعاهد النبي ﷺ أصحابه في ذلك بالقول وبالفعل معًا، وذلك ليبين لهم أهمية هذا الأمر وشدة الترغيب فيه، والسؤال هنا: لماذا فعل النبي ﷺ ذلك؟

لعل الجواب يكمن فيما يلي: إن الصائم يميل إلى أن يحتاط لصيامه فلا يقدم على الإفطار إلا بعد أن يتأكد من دخول المغرب، ويزداد في الاحتياط فيزيد من عنده بعض الوقت ينتظر فيه ثم يتناول طعامه، ويظن أن هذا الفعل مرغوب فيه، إنه يظن ما الضرر من انتظاره عدة دقائق بعد دخول المغرب حتى يتناول إفطاره؟ بل قد يظن أن هذا من الدين ويقع في هذا عدد غير قليل من عوام المسلمين، فإذا ترك النبي ﷺ هذا الأمر دون بيان فقد يظل هؤلاء على اعتقادهم وعلى ظنهم بل قد يزداد الأمر إلى أنه ربما يؤخرون الإفطار إلى وقت العشاء ونحو ذلك زيادة في الاحتياط في زعمهم وفي ظنهم. لذا بيّن النبي ﷺ أن تعجيل الفطر هو السنّة وأن من فعل ذلك فقد خالف هذه السنة بل وأهملها وتركها وراء ظهره.

والمقصود أن النبي ﷺ يبيّن لهم الأمر الصحيح الذي ربما قد يظن بعضهم أن الصحيح خلافه، وفي هذا إرشاد للمربين أن يفعلوا مثلما فعل ﷺ، فيحرصوا أشد الحرص على بيان الصحيح من الأمور وخاصة الأمور التي قد يظن أن الصواب

فيها خلافها.

ثانيًا- التربية على الالتزام بالسنة النبوية:

لقد سأل التابعي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن رجلين من أصحاب النبي ﷺ يختلف فعل أحدهما عن الآخر، لقد سأل يريد أن تخبره عن الصواب في ذلك، إنه يريد أن تخبره عن فعل النبي ﷺ وهديه في ذلك، وهذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها فأخبرته عن هديه أنه ﷺ كان يعجل الإفطار والمغرب.

إن سؤال التابعي وإخبار عائشة رضي الله عنها يدلان دلالة قاطعة على أن الحجة هو سنة الرسول ﷺ ولا أحد غيره، فما صدر عنه فهو الذي يلتزم ويفعل وما عدا ذلك لا يلتفت إليه ولا يعتني به، وعلى ذلك ينبغي أن يربي الناشئة ويغرس في سويداء قلوبهم إنهم يجب أن يربوا على تعظيم ما جاء عن النبي ﷺ والعمل به، فهو الحق والصواب الذي لا حق ولا صواب بعده.

إن الناشئة حين يربون على ذلك يحصلون الفوائد الجمّة ، فمن ذلك:

(أ) عدم تلبسهم بالبدع والأوهام والخرافات والتحريف في الدين والتأويل الباطل، لأن ذلك يحفظ عليهم دينهم ويحميه من دخول البدع والمخالفات الشرعية عليه.

(ب) رغبتهم الشديدة في تعلم العلم الشرعي حتى يكونوا ملتزمين بالسنة عن علم لا عن تقليد.

(ج) عصمتهم من الفتن وتجنيبهم مواطن الزلل وحمايتهم من الأفكار الهدامة والدعاوى الباطلة.

ثالثًا- من الوسائل التعليمية: الحركات المعبرة:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الإشارة في بيان وقت الإفطار وعلاماته، فقال: (إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس، فقد أفطر الصائم)، وفي الحديث الآخر: (وأشار بيده قبل المشرق)، فكانت الإشارة لزيادة توضيح المعنى وشدة بيانه، والإشارة من الحركات المعبرة التي يقصد بها: (تغير ملامح الوجه أو هيئة الجلسة أو الإشارة باليد أو بالإصبع أو غيرهما بهدف التعبير أو تجسيم الأحاسيس

وبلورتها بحيث تعرض سماتها الواضحة المعبرة على المشاهد، وهي تختلف عن أفعال الإنسان الأصلية التي يقوم بها في أكله وشربه.

وللحركات المعبرة معانٍ قد يعبر عنها بالكلام، وقد لا يوفيها الكلام حقها في التعبير، ذلك أن الإشارة لغة إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها أناس من بلاد مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم، ومع الناطقين أيضًا وهي إذا كانت في محلها معينة على الفهم ملفتة للنظر طاردة الشرود مشركة في المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة ويذكر كل منهما الأخرى، وكان لحركته ﷺ وإشاراته موضع كبير في إجادة الأداء فحركته معبرة تلفت النظر وتنبه الغافل وتعين على الحفظ والتذكر، وعلى ذلك فاستخدام الرسول ﷺ للحركات المعبرة وسيلة تعليمية لأنها أوقع في نفس السامع)[1].

(وقد أثبتت الدراسات والبحوث التربوية والنفسية إمكان استثمار الوسائل التعليمية في القيام بوظائف مختلفة في العملية التعليمية منها -على سبيل المثال لا الحصر- معالجة عيوب اللغة اللفظية في التدريس وإثارة اهتمام الدارسين، وتوسيع مجالات خبرتهم، وجعل أثر التعليم باقيًا، وإبراز تسلسل الأفكار، ومراعاة الفروق الفردية بصورة أفضل، وإيصال الأفكار بجهد أقل ووقت قصير، والتغلب على حدود الزمان والمكان)[2].

رابعًا- التربية على إبداء الرأي:

لقد راجع الصحابي النبي ﷺ ثلاث مرات عندما أمره بخلط السويق بالماء للإفطار عليه، والنبي ﷺ لم يزد على أن أمره الأمر نفسه ولم يعنفه أو يلومه، قال ابن حجر: (وفيه - أي في الحديث- تذكير العالم بما يخشى أن يكون نسيه وترك المراجعة له بعد ثلاث)[3].

---

(١) الوسائل التعليمية في القرآن والسنة والآثار عن الصحابة، د. عبدالرحمن بن محمد بلعوض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: ١٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥، ص ٤٦٣، وانظر مراجعه ومصادره.

(٢) المرجع السابق ص ٤١٨ ومراجعه ومصادره..

(٣) فتح الباري ١/ ١٠٩٠ ط/ بيت الأفكار.

إن النبي ﷺ ربّى أصحابه رضي الله عنهم على الشجاعة والأدب في إبداء رأيهم، وفي مراجعة الصحابي للنبي ﷺ دليل واضح على حرية الرأي التي مارسها الصحابة رضي الله عنهم عمليًا، فلم يصادر النبي ﷺ رأي الصحابي، بل كرر عليه الأمر، ثم بين له الصواب في هذا الأمر بأدب عالٍ قائلاً: (إذا رأيتم الليل قد أقبل من ههنا فقد أفطر الصائم) إنها تربية نبوية متألقة في أدب الحوار وكيفية الإبانة عن حقيقة الأمر بدون تعنيف أو تسفيه للرأي الآخر، أو استعلاء في نبرة الحوار أو صلف أو غرور.

إن في التربية على حرية إبداء الرأي يحقق فوائد تربوية على درجة كبيرة من الخطورة منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على التعبير عن آرائهم واجتهاداتهم بقوة وشجاعة وأدب، مما يجعلهم أصحاب شخصيات مستقلّة، لا يسيرون وراء كل سائر، أو وراء كل ناعق، أو وراء كل زاعق، لأنهم أبعد ما يكون كما يسمى - في الفكر التربوي والاجتماعي - بثقافة القطيع التي تعني - فيما تعني - أن كثيرًا من الناس تذوب شخصياتهم ويهملون عقولهم ويتركون قدراتهم التفكيرية وراء ظهورهم ويستجيبون لمن يحرّك عواطفهم ويدغدغ أحاسيسهم ويمنيهم الأماني الكاذبة ويعدهم العدات الباطلة.

ب- تعويدهم على الإيجابية والمشاركة والتفاعل مع ما يدور حولهم واتخاذ المواقف المناسبة تجاهها، وإبداء الآراء المعتدلة فيها، ومحاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه.

إن مما تعاني منه كثير من الدول والأمم سلبية شعوبها وبالأخص شبابها الذي هو أملها المدافع عن مصالحها الحامل لأمانيها وآمالها والمستلم دفة القيادة، إن سلبية هذا الشباب تجعل مستقبل هذه الدول في خطر شديد.

ج- طرح كثير من البدائل المشروعة والحلول غير التقليدية التي توصل إلى المقصود بأدنى جهد وأقل وقت، مما يوفر معه كثيرًا من الجهود والأوقات التي توجه إلى معالجة كثير من القضايا والإشكاليات، وما أكثرها وأعقدها في عالمنا المعاصر.

وغير ذلك من الفوائد التي لا تخفى، ولكي يكون إبداء الرأي فعالاً ومساهمًا

مساهمات تربوية بارزة، لابد أن يتوافر فيه صفات رئيسة، منها:

أ- الإخلاص في إبداء الرأي، فلا يكون الباعث عليه محاباة أو عداوة أو حسد أو حقد أو تشهير أو مجرد الاختلاف ونحو ذلك، مما يجعل معه إبداء الرأي معوقًا من أكبر المعوقات دون أن يكون من أنجح الحلول وأقواها.

ب- أن يكون إبداء الرأي عن علم واسع وإدراك فاهم، لا أن يكون صادرًا عن مجرد إلمام بالموضوع أو عن انطباعات عابرة أو تأثر ببعض المواقف وببعض الاتجاهات.

ج- عدم الربط بين إبداء الرأي وبين قائله، وهذا يحل كثيرًا من الاشتباكات بين أصحاب الآراء المختلفة، لأنه كثيرًا ما يربط بين الرأي وبين قائله، فإذا لم يؤخذ به فمعنى ذلك أن صاحبه قد رفض وأن شخصيته قد اهتزت، مما يجعل كثيرًا من تلك الاشتباكات شخصية في المقام الأول.

فإذا توافر في الرأي هذه الصفات الرئيسة على الأقل كان عاقبته محمودة، لذا كان على أهل التربية أن يجمعوا في تربيتهم بين إبداء الرأي، وتوافر الصفات التي تكفل لهذا الرأي أن يكون رأيًا إيجابيًا نافعًا مفيدًا.

خامسًا- التربية على إيجاد البدائل المشروعة:

لقد كان النبي ﷺ يفطر على شيء من أشياء ثلاثة:

(أ) رطبات.

(ب) فإن لم يجد انتقل إلى التمر.

(ج) فإن لم يجد انتقل إلى الماء.

أليس في هذا الحديث تعليم وإرشاد لأهل التربية أن يربوا الناشئة وغيرهم على إيجاد البدائل المشروعة، إذا فقدوا الأصل أو كان بعيدًا عنهم لأي سبب من الأسباب؟.

"إن منهج الرسول ﷺ العملي يأتي مطابقًا لما سار عليه الشرع في كتابه العزيز، فقد كانت بعثته ﷺ في أصلها خطوة عملية لإيجاد البدائل الصالحة لما كان منتشرًا قبل البعثة من مفاسد، والتي كانت سببًا في تغيير كثير من المفاهيم المنتشرة آنذاك، فأوجد ﷺ مجتمعًا بديلاً عن مجتمع الجاهلية الأولى، الذي كان منهج حياته يقوم

على عبادة الأحجار والأشجار والتفاخر بالأحساب والأنساب واعتداء القوي على الضعيف، فأوجد مجتمعًا أساسه عبادة الله وحده، قائمًا على الأخوة والعدل والمساواة، جاعلاً معيار التفاضل والتفاخر منه على أساس التقوى.

فإنه بهذا الأسلوب الحكيم الذي زرعه في قلوب أصحابه رضي الله عنهم هيأهم إلى قبول التشريعات الربانية وسماع التعاليم الإسلامية وغير منهج حياتهم تغييرًا كاملاً، وبعد أن قام بمهمته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة فأوجد البديل الصالح فيها انتقل إلى إيجاد الدولة المسلمة البديلة في المدينة المنورة التي امتازت بقيامها على العدل والمساواة حتى صارت مثالاً نموذجيًا يضاهي الدول الكبرى القائمة في ذلك العصر بل يمتاز عليها.

ومن خلال تلك الدولة وتلك التنظيمات والتشريعات ظهرت حضارة جديدة تتفوق عما سبقها من حضارات وتشع بنورها عبر الأزمان، وتتضح معالمها ويمتد خيرها يومًا بعد يوم.

واستمر الصحابة الكرام رضي الله عنهم من بعده على هذا الأسلوب القويم الذي رباهم عليه المربي الأول صلى الله عليه وسلم فقاموا بأمر الدعوة حق القيام مراعين في ذلك واقعهم وأوضاعهم والظروف المحيطة بهم، فنشروا الإسلام في أنحاء المعمورة[1].

❁ ❁ ❁

(١) البدائل المشروعة وأهميتها في نجاح الدعوة الإسلامية، د. سالم محمد أبو الفتح البيانوني، ط/١ الإبداع الفكري، الكويت: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٩ - ١٠.

٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

الحديث رقم (١٢٤٢)

١٢٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني[1] صائم)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فلا يَرْفُثْ: من الرَّفَث، وهو الكلام الفاحش، وأيضًا ذِكْر الجماع ومقدماته مع النساء[3].

ولا يَصْخَب: من الصَّخَب: وهو الخصام والصِّياح[4].

سابَّه: شاتمه[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف على أسلوب الشرط، وجوابه: " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب " وإذا " تفيد تحقق ما بعدها، أي أن الصوم قائم، وقادم لا محالة مادام الإنسان قد دخل تحت مظله الإسلام، ولفظ " أحدكم " يشع بأن كل أحد

---

(١) عندهما زيادة: (امرؤ).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم (١١٥١/١٦٣)، وتقدم برقم (١٢٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٢)

(٣) فتح الباري ١٢٦/٤.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص خ ب).

(٥) المرجع السابق في (س ب ب).

مسئول عن عمله، ويجب عليه أن يحفظ صيامه، ولذا أسند الفعلين المنهي عنهما إلى الفاعل المستتر فيهما ليؤكد ما سبق من ناحية المسئولية الفردية للمؤمن، وذلك – تحديداً – في الفعلين " فلا يرفث، و لا يصخب " ثم جاء المصطفى – علية الصلاة والسلام بجمله شرطية أخرى تلفت الصائمين إلى شيء مهم إذا هو لم يرفث، ولم يصخب ولكنه لو أعتدي عليه أحد ماذا يفعل ،وضع له خاتم الرسل حلا يخرج به دون خدش صيامه: " فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم " وتشديد الباء في " سابه " يدل على إكثار السب له، والاعتداء عليه فعليه أن يقول: " إني صائم " ليذكر نفسه أولا، ويذكر الخصم لعله يرتدع، ويقلع عن تلك المخالفات ثم إن لهذه التوجيهات لها بعد نفسي لأنها تربي المسلم على السيطرة على نفسه، وغضبه معان على ذلك بالصيام حتى إذا انقضى رمضان يكون قد وطن نفسه على ترويضها لمرضاة الله تعالى.

فقه الحديث

١ - قال ابن قدامة: (ويجب على الصائم أن ينزه صومه عن الكذب والغيبة والشتم. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يماري، ويصون صومه كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظ صومنا ولا نغتاب أحدًا ولا يعمل عملًا يجرح به صومه، وذلك لحديثي الباب)[١].

وقال النووي: (فلو اغتاب في صومه عصى ولم يبطل صومه عندنا، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد والعلماء كافة إلا الأوزاعي، فقال يبطل الصوم بالغيبة ويجب قضاؤه، واحتج بحديث "من لم يدع قول الزور ..." وأحاديث أخر[٢].

وقال النووي: (وأجاب أصحابنا عن الأحاديث بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة أن يهتم بصيانته عن اللغو والكلام الردئ، لا أن الصوم يبطل به)[٣].

---

(١) المغني ٤/٤٤٧ .

(٢) المجموع ٦/٢٥٨، وانظر: فتح الباري ١٠/٤٧٤ .

(٣) المجموع ٦/٢٢٨.

وناقش ابن حجر من استدلّ بالحديث على أن الغيبة تفطر، قال: (وفي كلامه مناقشة، لأن حديث الباب لا ذكر للغيبة فيه، وإنما فيه قول الزور والعمل والجهل، ولكن الحكم والتأويل في كل ذلك ما أشار إليه)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولًا: من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حفظ الصائم لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها:

هذا واضحٌ من الحديثين، قال النووي عن الحديث الأول: (فيه نهي الصائم عن الرفث وهو السخف وفاحش الكلام... والجهل قريب من الرفث، وهو خلاف الحكمة وخلاف الصواب من القول والفعل.

قوله ﷺ: "فإن امرؤ شاتمه أو قاتله" معناه: شتمه متعرضًا لمشاتمته ومعنى قاتله: نازعه ودافعه، وقوله ﷺ: "فليقل إني صائم" اختلفوا في معناه: فقيل: بلسانه جهرًا يسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا. وقيل: لا يقول بلسانه، بل يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته ومقابلته ويحرس صومه عن المكدِّرات، ولو جمع بين الأمرين كان حسنًا.

واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصًا به، بل كلُّ أحد مثله في أصل النهي عن ذلك، لكن الصائم آكد)[3].

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٧٤، وانظر: فتح الباري ٤/١١٦-١١٨ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٤٢ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤/٣١/٨، .

وقال ابن القيم: (قوله ﷺ: ((وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ فِي عِصَابَةٍ مَعَهُ صُرَّةٌ فِيهَا مِسْكٌ فَكُلُّهُمْ يُعْجَبُ أَوْ يُعْجِبُهُ رِيحُهَا وَإِنَّ رِيحَ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ))[1] إنما مثل ﷺ ذلك بصاحب الصرة التي فيها المسك، لأنها مستورة عن العيون، مخبوءة تحت ثيابه، كعادة حامل المسك، وهكذا الصائم، صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم، والصائم هو الذي صامت جوارحه عن الآثام ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور، وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث، فإن تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه، فيخرج كلامه كله نافعًا صالحًا وكذلك أعماله، فهي بمنزلة الرائحة التي يشمها من جالس حامل المسك، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته له، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم. هذاهو الصوم المشروع لا مجرد إمساك عن الطعام والشراب، ففي الحديث الصحيح - الحديث الثاني - : ((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ بهِ فليسَ للهِ حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهُ وشَرابَه))، وفي الحديث: ((رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ))[2]، فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم)[3].

وقال ابن عثيمين: (إنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرم وكل فعل محرم، لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[4] أي من أجل أن تتقوا الله عز وجل وتجتنبوا محارمه، ولا يريد الله من عباده أن يضيق عليهم بترك الأكل والشرب والجماع، ولكن يريد أن يمتثلوا أمره، ويجتنبوا نواهيه حتى

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٧٣، رقم ٨٨٥٦، وقال محققو المسند: إسناده جيد ١٤/٤٤٥.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٢٨١-٢٨٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

يكون الصيام مدرسة يتعودون فيها على ترك المحرمات وعلى القيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، تارك للمحرم قائم بالواجب، فإن ذلك سوف يغيّر مجرى حياته. وبهذا بين الله الحكمة من ذلك بأنها التقوى، وقال النبي ﷺ "إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق" يعني: لا يفعل فعلاً محرمًا ولا يقول قولاً محرمًا، "فإن سابه أحد" يعني صار يعيبه ويشتمه "أو قاتله" فليقل "إني صائم" حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبيّن لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلاً، لكنه ذلّ لعبودية الله تعالى وطاعة الله وكذلك قال ﷺ "من لم يدع قول الزور" يعني: قول المحرم "والعمل به" أي بالمحرم "والجهل" كما في لفظ آخر، يعني: العدوان على الناس، "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، لأن الله تعالى إنما أوجب الصيام لأهم شيء وهو ترك المحرمات والقيام بالواجبات)[1].

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء))[2].

وقال أبو المتوكل: (إن أبا هريرة وأصحابه كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف))[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قول الزور:

هذا واضح من قَوْل النبي ﷺ: "من لم يَدَعْ قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه". قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الصائم مأمور بتنزيه صومه عن أن يجرحه بشيء من فلتات لسانه، حتى إن شهادة تبلغ في إفساد

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٥-١٤٠٦.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣/٣ -٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/٤.

الصوم إلى أن يقول رسول الله ﷺ "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فمعنى قوله ﷺ "ليس لله حاجة"، فإنه كلام يشير إلى مغاضبة عليه، مع العلم بأن الله عز وجل لا حاجة له إلى صيام صائم، وإنما ذكر رسول الله ﷺ هذا إعلامًا لمن فعله أن الله سبحانه قد بلغ غضبه على شاهد الزور إلى ألا يراه معدودًا في الصائمين)[١].

وقال ابن حجر: (قوله "قول الزور والعمل به" زاد المصنف في الأدب[٢] عن أحمد بن يونس عن ابن أبي ذئب "والجهل". ولابن ماجه[٣] من طريق ابن المبارك "من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به" جعل الضمير في "به" يعود على الجهل، والأول جعله يعود على قول الزور، والمعنى متقارب، ولما روى الترمذي حديث أبي هريرة[٤] هذا قال: وفي الباب عن أنس. قلت: وحديث أنس أخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ "من لم يدع الخَنَا والكذب" ورجاله ثقات. والمراد بقول الزور الكذب، والجهل السفه والعمل به أي بمقتضاه، قوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" قال ابن بطال: ليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه. وهو مثل قوله ((مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ الْخَنَازِيرَ))[٥] أي يذبحها، ولم يأمره بذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم بائع الخمر، وأما قوله "فليس لله حاجة" فلا مفهوم له، فإن الله لا يحتاج إلى شيء، وإنما معناه فليس لله إرادة في صيامه فوضع الحاجة موضع الإرادة، قال ابن المنير في الحاشية: بل هو كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئًا طلبه منه فلم يقم به: لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم المتلبس بالزور وقبول الصوم السالم منه)[٦].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٢١/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٥٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٦٨٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٠٧.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٤٨٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٧٥٣).

(٦) فتح الباري ١١٧/٤-١١٨، .

وقال الشيخ عبدالله البسام: (قول الزور هو القول المائل عن الحق إلى الباطل، فيدخل فيه كل كلام محرم من الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزور والسب والشتم وغير ذلك. فكل قول زور فهو محرم في كل زمان ومكان، ولكن يعظم ويشتد إثمه إذا كان في زمان فاضل كرمضان، ومكان فاضل كالحرمين، وحالة فاضلة كالصيام.

أما الجهل فهو ضد الحلم من السفه بالكلام الفاحش، فهو أيضًا محرم على كل حال، وحرمته من الصائم أعظم وأشد.

إن الصيام مع قول الزور والجهل والسفه ناقص المعنى، قليل الأجر، لأنه ليس صومًا تامًا كاملاً، ولو كان كذلك لصان صاحبه عن الأقوال المحرمة وفضول الكلام.

وقوله "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" يراد به بيان عظم ارتكاب قول الزور والجهل في حال الصيام، وإلا فالله تعالى غني عن العالمين وأعمالهم. والصيام مع الكلام المحرم ظاهره الصحة، وأداء الواجب عن صاحبه، إذ أنه ليس من المفطرات الحسية.

قال في الإقناع: "ولا يفطر بغيبة ونحوها". قال الوزير: اتفقوا على أن الكذب والغيبة يكرهان للصائم، ولا يفطرانه، فصومه صحيح في الحكم، وهذا مبني على قاعدة هي: أن التحريم إذا كان عامًا لا يختص بالعبادة، فإنه لا يبطلها، بخلاف التحريم الخاص.

من آداب الصائم ما قاله في الإقناع[1]: ويجب اجتناب كذب وغيبة ونميمة وشتم وفحش ونحوه كل وقت، وفي رمضان ومكان فاضل آكد، وأن لا يعمل عملاً يجرح به صومه، فكفّ لسانه عما يحرم ويكره، وإن شتم سن له جهرًا في رمضان أن يقول: إني صائم، وفي غير رمضان يقولها سرًا يزجر نفسه بذلك خوف الرياء. ويستحب

---

(١) الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوي: موسى بن أحمد بن موسى ٩٦٨هـ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ١/٥٠٥-٥٠٦.

الإكثار من قراءة القرآن والذكر والصدقة لتضاعف الحسنات به.

وقوله: "فليس لله حاجة..." فيه إثبات الحكمة من الشرائع، وأن منها تهذيب النفوس وتقويم الأخلاق واستقامة الطباع كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1].

والمقصود من شرعية الصيام ليس نفس الامتناع عن المفطرات والجوع والعطش، بل ما يتبع ذلك من كسر الشهوات وإطفاء ثائرة الغضب، وتطويع النفس الأمارة حتى تصير مطمئنة، فإن لم يحصل له شيء من ذلك لم يبال الله بصومه ولا ينظر إليه نظر قبول)[2].

وقد جعل النبي ﷺ شهادة الزور من الكبائر، فقال لأصحابه: ((ألا أُنَبِّئُكم بأكبَر الكبائِر "ثلاثًا"؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال - : ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[3].

قال ابن حجر: (قوله "وجلس وكان متكئًا" يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه المسلم والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا... وفي الحديث تحريم شهادة الزور، وفي معناها كل ما كان زورًا من تعاطي المرء ما ليس له أهلاً)[4].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٥٤-١٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ومسلم ٨٧.

(٤) فتح الباري ٥/٢٦٣، .

وقال الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (في حياة الناس نوع خطير من الكذب شديد القبح سيء الأثر ألا وهو شهادة الزور، إن الأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف لهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سندًا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات فإنها تحمل حينئذٍ إثم جريمتين كبيرتين في آن واحد: الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى، الجريمة الثانية: قيامها بجريمة إيجابية، تهضم فيها الحقوق ويظلم فيها البرآء ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان... ولذلك قرن الله تبارك وتعالى التحذير من قول الزور بالتحذير من الشرك بالله، فقال تعالى في سورة الحج: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1][2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

هذا واضح من الحديثين، فالحديث الأول فيه "إذا، و"إن" والحديث الثاني فيه "من". وكلاهما أداتا شرط. وجاء الشرط مناسبًا ليرتب طلبًا على فعل، أو جزاء على فعل. ففي الحديث الأول، حضٌّ على الالتزام بآداب الصوم إذا كان هناك صوم، وفي الحديث الثاني، ترهيب لمن أقدم على قول الزور والعمل به وهو صائم بأن الله لن يقبل صومه.

وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو للدعوة، حيث إنه يتطلع إلى معرفة فعل وجواب وجزاء الشرط، ومدى أهميته أو خطورته، فيلتزم بالدعوة، أو ينتهي عما فيه خطورة عليه أو على غيره.

---

(١) سورة الحج، آية: ٣٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٢٤٧-٢٤٨.

الحديث رقم (١٢٤٣)

١٢٤٣- وعنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الزور: الكذب والباطل والتهمة[2].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطأ من الأخطاء التي يمكن أن يتردى فيها بعض الناس، ولا يدركون خطرها، وهو مضيع للصيام موبق للصائم مناقض لسلوكه، وقد استخدم لبيان هذا الخطأ، وخطره عدة أساليب بلاغية: منها: البداية بالأسلوب الخبري الخالي من المؤكدات في قوله ﷺ (من لم يدع قول الزور) لأن المقام لخالي الذهن مع ما يوحى به من ثقة المتكلم في قبول المخاطب وعدم إنكاره، وهو أسلوب شرط جملة الشرط قوله (من لم يدع قول الزور والعمل به. ..) ومن اسم موصول فيه معنى الشرط ويستخدم للعاقل، وجملة الشرط تؤكد على ضرورة ترك الصائم لقول الزور، أو العمل به حتى لا يضيع ثوابه أو يفرغ صيامه من مضمونه.ومنها: وقدم القول على العمل لخطورة اللسان وكثرة حركته فيما يفيد، وما لا يفيد وقدم القول أيضا لان معظم الأخطاء البشرية تحدث بسببه ومعظم العداوات والخصومات والمشاحنات تنتج عن الإفساد بالقول والنميمة والغيبة والبهتان وأضاف "القول" إلى "الزور" لأنة سببه، فمعنى "الزور" هو الميل عن الحق إلى الباطل وهذا ما يدفعه إلى القول والخوض مع الخائضين ثم يأتي العمل كمرحلة تالية للقول لان الإنسان قد يخطىء

---

(١) برقم (١٩٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز و ر).

باللسان ولكنه يتراجع ويندم وهناك من يتمادى في الآثام ويضيف إلى أخطاء اللسان أخطاء الجوارح كلها فيعمل سوءاً، أو يظلم نفسه وعندئذ فلا عبرة بتركة للطعام والشراب لأن صومه لم يؤثر فيه ومنها :الكناية في قوله:(فليس لله حاجة) كناية عن عدم الرضا، والقبول، وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وما ذكر معه".

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام من اغتاب غيره: ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يجب على الصائم أن يكف لسانه عن الغيبة، فلو اغتاب في صومه فقد عصى ولم يبطل صومه[1]. وذهب الأوزاعي، وابن التين وجماعة من السلف إلى بطلان صوم من اغتاب غيره في نهار رمضان ويجب عليه القضاء مستدلين بحديث الباب[2].

ويناقش هذا: بأن المراد أن كمال الصوم وفضيلته المطلوبة إنما يكون بصيانته عن اللغو والكلام الردئ لا أن الصوم يبطل به[3].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث لا يدل على ذلك وغاية ما يدل عليه هو عدم قبول الصوم يقول الإمام البهوتي (إن الحسنات والسيئات تتضاعف بالزمان والمكان الفاضل. قال أحمد: ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه ولا يُماري، ويصون صومه، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا نحفظ صومنا، ولا نغتاب أحدًا، ولا يعمل عملاً يخرج به صومه)[4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) حاشية الدسوقي ٥١٥/١، مغني المحتاج ١٦٦/٢، المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، شرح منتهى الإرادات ٤٨٨/١، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٢) المجموع شرح المهذب ٣٩٨/٦، فتح الباري ٥٧٢/١٠.

(٣) المجموع شرح المهذب ٣٩٩/٦.

(٤) شرح منتهى الإرادات ٣٧٥/٢.

(٥) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الالتزام بآداب الصيام:

لقد أمر النبي ﷺ الصائم أن ينزه لسانه عن قول الفحش واللغط وأمره كذلك بالكفّ عن أن يردّ السبّ بالسب والفحش بالفحش والاعتداء بالاعتداء بل يمسك عن ذلك كله ويعلن أنه صائم، فلا ينبغي أن ينزلق إلى هذا المنزلق وينزل إلى هذا المنزل الذي لا يليق بالمسلم فضلاً عن المسلم الصائم، والسؤال هنا: لماذا خص ﷺ الصائم بذلك مع أن المسلم مطالب بذلك في جميع أحواله: في صيامه وإفطاره في رمضان وغير رمضان؟

الجواب قد يكمن فيما يلي:

أ- أن الصائم قد ترك مألوفه من الطعام والشراب، لذا كان من الأولى في هذا المقام أن يترك ما هو من غير مألوفه وإنما يأتيه عرضًا أو وقتًا قليلاً، أي أن الصائم ترك المباح فلأن يترك غير المباح كان من باب أولى.

ب- أو أن شهر رمضان شهر كثير الفضل، فكان من المناسب أن من يصومه يكون متفضلاً باذلاً، فإن كان يمتنع عن اللغو واللغط والفحش، وهذا واجب عليه، فإنه لا يزال الباب مفتوحًا أمامه للبذل والتفضل، إنه يتفضل فيقابل السيئة بالحسنة والعدوان بالعفو، وذلك حتى يكون منتظمًا ومتوافقًا مع خصائص شهر رمضان شهر الفضل والجود.

ج- أو أنّ على الصائم أن يكون عاملاً مساعدًا لإخوانه الصائمين على القيام بآداب الصيام وسننه وفضائله، فلا يكون لهم معوقًا عن إدراك هذه الغاية السامية، فلا يفحش في القول أو يكثر اللغط حتى لا يسبب عداوة تجعل المعتدي عليه يرد الإساءة بالإساءة فينشغل بذلك عن صومه، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يعفو ويصفح عمن اعتدى عليه بالسب أو الشتم أو نحو ذلك ولا يقابله بمثل فعله أو اعتدائه، فإن هو فعل ذلك حافظ على صيامه كما أتاح الفرصة للمعتدي أن يراجع

نفسه أو على الأقل أن لا يتمادى في اعتدائه وعدوانه، ويقف عند درجة معينة، وبهذا حافظ على صومه ولو بصورة ناقصة، وهذا أفضل من أن يذهب بصومه عندما يزداد في الاعتداء ويلجّ في الخصومة.

والخلاصة أن على الصائم أن يلتزم الآداب التي تجعل صومه غير مخدوش باعتداء أو ظلم من القول أو الفعل. قال الأستاذ محمد شديد: (في الصوم أمر بالضبط، وتفوق الإرادة، وتهيئة النفس لمواجهة شهواتها أقوى ما تكون، فلا يصح الصوم حتى يحفظ الصائم جوارحه كلها، ويقيم من نفسه رقيبًا يقظًا عليها، فلا لغو ولا غيبة ولا نظر ولا رفث ولا غضب، حتى إذا اعتدى عليه أحد حال صومه بينه وبين ردّ الاعتداء، وأمر الشباب الذين لا يستطيعون الزواج بالصوم ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ))[1] تربية على قوة الإرادة وتدريب على مغالبة الشهوة والانتصار، وليس قضاء عليها بإضعاف الجسد بالصوم، والصوم تربية للضمير، فليس على الصائم رقيب إلا الله، فيعتاد الأمانة بعد ذلك في كل أمور الحياة، ويحس فيها برقابة الله، ومن ثم اعتبره القرآن سبيلاً للتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2])[3].

ثانيًا- التنفير من قول الزور والعمل به:

قول الزور عمل خطير وفعل شنيع لا ينتج إلا ظلمًا وعدوانًا وتشويه سمعة الناس وإشاعة للفاحشة والفحشاء، لذا حُرِّم قول الزور والعمل به في جميع الأزمان والأوقات والأحوال، وحُرمته في الصوم أشد، نظرًا لأنه إذا كان الصائم قد امتنع عن المباح من الطعام والشراب فامتناعه عن الذنوب الكبيرة من باب أولى، لذا نفّر النبي ﷺ من قول الزور أشد التنفير، فقال: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود، أخرجه البخاري ٥٠٦٦، ومسلم ١٤٠٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٣) منهج القرآن في التربية ٢٣١-٢٣٢.

قال ابن العربي: (قوله "فليس لله حاجة" إذا عصى في ترك الطعام والجماع، وليس لله حاجة في شيء، فإنه يتقدس عن الحاجات وإنما ضربه مثلاً في أن أحدهما إذا ترك فليترك الآخر، أو فعل فليفعل الآخر، إشعارًا بارتباطهما، لأن قول الزور والعمل به أقوى في التحريم من الطعام والجماع، لأن الطعام والجماع كانا محلّلين قبل الصيام، وكان قول الزور وإخوانه حرامًا، ثم تأكد تحريم ذلك كله بالصيام فكان بأن يؤثر في الإبطال أولى وأحرى)[1].

وقال ابن عبدالبر: (معناه [أي الحديث] الكراهية والتغليظ ... فكذلك من اغتاب أو شهد زورًا أو منكرًا لم يؤمر بأن يدع صيامه ولكنه يؤمر باجتناب ذلك، ليتم له أجر صومه، فاتقى عبد ربه وأمسك عن الخنا والغيبة والباطل بلسانه صائمًا كان أو غير صائم، فإنما يكب الناس في النار على وجوههم حصائد ألسنتهم)[2].

والسؤال هنا: لماذا خصّ النبي ﷺ قول الزور والعمل به في الصيام مع أن غيره [أي غير قول الزور] ربما قد يكون أشد في الإثم والمفسدة؟

لعل الجواب أن يكون ما يلي:

أ - أن قول الزور قد يقع من الإنسان في غير الصيام، ولذا حذر النبي ﷺ منه حال الصيام وإن كان الواجب اجتنابه في سائر الأحوال إلا أن النبي ﷺ أراد أن يؤكد على خطورة هذا القول المتبوع بالسلوك المشين حتى يعمل المسلم على تهذيب نفسه وتقويم سلوكه وضبط لسانه حتى يترفع عن هذه الأمور التي من شأنها إحباط الصوم، فمتى استطاع المسلم توطين نفسه على الاستقامة على هذا المسلك انسحب ذلك السمت على حياته في رمضان وسائر الأيام والشهور.

ب - إن قول الزور يكون شديدًا على نفس المقول فيه هذا الزور، فإن النفس قد تتحمل أذى البدن واليد، ولا تتحمل أذى اللسان، لأنه يشيع بين الناس كما أن قائله يلتمس ألف سبب يبرر قوله هذا، فيكون فيه من الأذى ما فيه، فنبه النبي ﷺ على

---

(١) القبس شرح الموطأ ٨/٩ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٣٤٩/٩.

ذلك عن طريق تبيين أثره في الصيام وأنه يجعله غير صالح.

ج - أن قول الزور يؤدي إلى القطيعة والاختلاف والتنازع والتفكك بين أواصر المسلمين، وفي هذا خطر عظيم وأذى كبير، فنفر منه النبي ﷺ.

وعلى ذلك فإن على المربين أن ينفرُّوا الناشئة من قول الزور والعمل به.

❁ ❁ ❁

٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

الحديث رقم (١٢٤٤)

١٢٤٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا نَسِيَ (أَحَدُكُمْ)[١] فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الرسول الكريم بمثابة طبيب لهذه الأمة حيث يتوقع بعض الآفات ويضع لها العلاج المناسب فيقول " إذا نسى أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه. .. " وجاء " بإذا " ليؤكد أن بعض الصائمين – قطعاً – سينسى وهذه طبيعة الإنسان ولكن أرحم الراحمين – سبحانه وتعالى – لن يؤاخذه بذلك، ثم رتب عليه بالفاء الفعلين الماضيين الدالين على أن الناسي " أكل " " وشرب " ثم بث فيه الأمل بلام الأمر، والفعل المضارع: " فليتم صومه " ثم جاء بجمله خبرية تفيد أن الذي أطعمه، وسقاه هو ربه الذي أراد له ذلك لحكمة لا يعلمها غيره – جل في علاه – فيقول: " فإنما أطعمه الله وسقاه " وفى هذه الجملة قصر بلاغي حيث قصر صفتي (الأكل والشرب) على موصوف بالعفو والمرحمة وهو " الله " الذي يرفع الحرج عنا – نحن المسلمين – إذا نسينا أو أخطأنا.

فقه الحديث

قال النووي: (فيه دلالة لمذهب الأكثرين أن الصائم إذا أكل أو شرب أو جامع ناسيًا لا يفطر، وممن قال بهذا الشافعي وأبو حنيفة وداود وآخرون. وقال ربيعة ومالك: يفسد صومه وعليه القضاء دون الكفارة. وقال عطاء والأوزاعي والليث: يجب القضاء

---

(١) (أحدكم) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٣٣) واللفظ له، ومسلم (١١٥٥/١٧١).

في الجماع دون الأكل. وقال أحمد: يجب في الجماع القضاء والكفارة ولا شيء في الأكل)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا.

ثانيًا: من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أكل الصائم وشربه ناسيًا:

لقد أخبر النبي ﷺ أنه "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

وأخرج ابن خزيمة وابن حبان والحاكم، حديث أبي هريرة بلفظ ((مَنْ أَفْطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ناسِيًا، فلا قَضَاءَ عَلَيْهِ ولا كَفَّارَةَ))[٢].

قال ابن هبيرة: (قوله "إن الله أطعمه" المعنى: أنه لم يأكل وهو ذاكر، إنما أطعمه الله وسقاه، ولا يعقب إطعام الله لعبده حرج ولا نقص في عبادة، ولا حرمان من خير، فكان ما أطعمه الله صدقة عليه، واحتسب له بصيامه. وهذا الحديث يحتج به أحمد، فهو حجة الفقهاء كلهم في صحة صوم الآكل والشارب ناسيًا، وأنه لا يقضي سوى [عند] مالك وحده، فإنه يوجب عليه القضاء)[٣].

وقال ابن عثيمين: (إذا أكلت أو شربت ولو شبعت ورويت وأنت ناسي في الصيام، فإن صومك كامل، ليس فيه نقص، ولهذا قال ﷺ: "فليتم صومه".

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٩/٨/٤ ، و انظر: المجموع ٢٢٨/٦، والمغني ٣٦٧/٤-٣٦٨، وانظر كذلك: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٠/٢، والفواكه الدواني ٣١٢/١، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٢١٤-٢١٥ ، وفتح الباري ١٥٥/٤-١٥٧ .

(٢) أخرجه ابن خزيمة ١٩٩٠، وابن حبان ٣٥٢١، والحاكم ٤٣٠/١.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٨٤/٧.

وفي قوله ﷺ "فإنما أطعمه الله وسقاه" دليل على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا ينسب فعله إلى نفسه، وإنما ينسب إلى الله، كما قال الله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[1]، والذي يتقلب هو النائم، ولكن لما لم يكن له قصد نسب الله الفعل إليه، كذلك الناسي لم يتعمد فساد الصوم، نسي وأكل وشرب، نقول: صومك صحيح، وكذلك لو كان جاهلاً ... ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك، حتى لو كانت اللقمة في فمه وجب عليه لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه وجب عليه أن يرده ثانية، وكذلك لو كان جاهلاً ثم أخبر فإنه يجب عليه أن يمسك.

فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل وأعرف أنه ناسٍ، فهل علي أن أذكّره؟ قلنا: نعم يجب أن تذكره، لأن أخاكم إذا عذر بالنسيان وأنت علمت به، وجب عليك أن تذكره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: "إذا نسيت فذكروني"[2]، فأمر أن يُذكر إذا نسي، كذلك أيضًا إذا رأيت صائمًا يأكل ويشرب ناسيًا فذكّره، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة، وجب عليك أن تخبره. فالمهم أنه إذا وقع أخوك في شيء لا يحل له، فعليك أن تذكره، لأن النسيان كثير والخطأ كثير)[3].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وشرط كون الصائم قاصدًا ذاكرًا لصومه، أما لو كان ناسيًا أنه صائم، فلا يفسد صومه عند الجمهور، وذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه" ويستوي في ذلك الفرض والنفل لعموم الأدلة)[4].

ثانيًا- من خصائص الشريعة الإسلامية: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين:

لقد راعت الشريعة الإسلامية طبيعة البشر، فلم تكلفهم من الأعمال إلا ما

---

(١) سورة الكهف، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠١، ومسلم ٥٧٢

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٠٧-١٤٠٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٨/٣١.

يطيقون، ورفعت عنهم الحرج والمشقة، وتميزت بالتيسير على المدعوين، فكان من خصائصها: رفع الحرج والمشقة والتيسير على المدعوين، ويتجلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه".

قال ابن حجر: (وفي الحديث لطف الله بعباده والتيسير عليهم ورفع المشقة والحرج عنهم)[1].

وأخرج أبو داود وابن حبان حديث أبي هريرة بلفظ: ((أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللَّهِ، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي كُنْتُ صائمًا، فَأَكَلْتُ وشَرِبْتُ ناسيًا، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَطْعَمَكَ اللَّهُ وَسَقَاكَ أَتِمَّ صَوْمَكَ))[2].

قال د. القرضاوي: (التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها، كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية، وهذا التيسير مبني على رعاية ضعف الإنسان، وكثرة أعبائه وتعدد مشاغله، وضغط الحياة ومتطلباتها عليه، وشارع هذا الدين رؤوف رحيم، لا يريد بعباده عنتًا ولا رهقًا، إنما يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد. كما أن هذا الدين لم يجيء لطبقة خاصة أو لإقليم محدود أو لعصر معين، بل جاء عامًا لكل الناس في كل الأرض، وفي كل الأزمان والأجيال، وإن نظامًا يتسم بهذا التعميم وهذه السعة لابد أن يتجه إلى التيسير والتخفيف ليتسع لكل الناس، وإن اختلف بهم المكان والزمان والحال. وهذا ما يحسه ويلمسه كل من عرف هذا الدين. فالقرآن مُيَسَّر للذكر والعقيدة مُيَسَّرة للفهم، كما أن الشريعة مُيَسَّرة للتنفيذ والتطبيق، ليس فيها تكليف واحد يتجاوز طاقة المكلفين، كيف وقد أعلن القرآن هذه الحقيقة في أكثر من آية فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[5] قد نفى القرآن كل حرج عن هذه

---

(١) فتح الباري ٤/١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٢٣٩٨، وابن حبان ٣٥٢٢ واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٠٩٨) وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٧.

الشريعة كما نفى عنها العنت والعسر وأثبت لها التخفيف واليسر قال تعالى وهو يحدثنا عن رخص الصيام، من الفطر للمريض والمسافر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١].

وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير نقرأ فيها ((بعثت بالحنفية السمحة))[٢]، ((إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِين))[٣]، ((يَسِّروا ولا تُعَسِّروا، وبَشِّروا ولا تُنَفِّروا)) قاله لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن[٤]. وقد كانت سمة الرسول المميزة له في كتب أهل الكتاب، هي سمة الميسر ورافع الآصار والأغلال التي أرهقت أهل الأديان السابقة، كما قال تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[٥].

ولا غرو أن شرع الإسلام الرخص عند وجود أسبابها .... ومن هنا أصبح من القواعد الفقهية الأساسية المقررة لدى المذاهب الإسلامية كافة، هذه القاعدة الجليلة، المشقة تجلب التيسير، وهي أصل له فروع كثيرة وفيرة في شتى أبواب الفقه، وهناك أشياء عديدة اعتبرتها الشريعة من أسباب التيسير والتخفيف، منها المرض والسفر والإكراه والخطأ والنسيان وعموم البلوى، ولكل منها أحكام فصلتها كتب الشريعة)[٦].

وقال د. علي أحمد الندوي عن قاعدة المشقة تجلب التيسير: (هذه إحدى القواعد الجليلة الناطقة بمرونة التشريع الإسلامي الحكيم ولها أثر عميق جدًا في كثير من الأحكام الشرعية، وهي مستوحاة من النصوص التشريعية الكريمة التي ترشد إلى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨٥٥/٤١ ، وقال محققو المسند: حديث قوي.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣٤١، ٤٣٢٢، ومسلم ١٧٣٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٦) الخصائص العامة للإسلام، ص ١٧٧-١٨٠.

رفع الحرج عن العباد، وترفيههم عن المشقة البالغة، ومن المعلوم "أن الأدلة على رفع الحرج في هذه الأمة بلغت مبلغ القطع" وهناك آيات متوافرة من كتاب الله تعالى تعتبر من الأدلة الواضحة البينة على هذا الأصل وبالاستناد إليها اكتسبت القاعدة خصائص الدليل الشرعي ...، ووجه الدلالة في تلك النصوص المسوقة وما سواها من الآيات والأحاديث المتناظرة أن الله عز وجل شاء لعباده اليسر في الأحكام، ورفع عنهم العنت والعناء، ولولا ذلك لعظمت المشقة وضاقت الأمور على الناس، ومن ثم قال العلماء يتخرج على هذه القاعدة جميع رخص الشرع وتخفيفاته)[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط والتعليل:

والشرط واضحٌ في قوله ﷺ: "إذا نسي أحدكم فأكل أو شرب فليتم صومه" والتعليل بقوله "فإنما أطعمه الله وسقاه" قال الطيبي: (إنما للحصر، أي ما أطعمه ولا سقاه أحد إلا الله، فدل على أن هذا النسيان من الله، ومن لطفه في حق عباده تيسيرًا عليهم ورفعًا للحرج)[2].

وأسلوب الشرط من الأساليب الدعوية التي تعمل على لفت انتباه المدعو، إذ أن نفسه تتطلع إلى معرفة فعل الشرط وجوابه وجزائه، فهو أسلوب جيد إذا وظف من الداعية البليغ توظيفًا يخدم الدعوة.

وأسلوب التعليل من أساليب الدعوة التي تكسب الدعوة قبولاً وارتياحًا من المدعوين، حيث إن الداعية الناجح هو: الذي يعلل دعوته وأحكامه، وله في ذلك القدوة في رسول الله ﷺ الذي لم يكن يحتاج إلى تعليل حتى يُبَلِّغ دعوته، لأنه رسول رب العالمين، ولكنه كان ﷺ يذكر علة الحكم، فالداعية من باب أولى، حتى يسهل على المدعو ويعلم أن الدعوة صادرة عن دليل شرعي، ولعلة شرعية لا عن هوى أو رأي شخصي.

---

(١) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ١/٢١١-٢١٢ ومصادره ومراجعه.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٥٩-١٦٠.

الحديث رقم (١٢٤٥)

١٢٤٥- وعن لَقِيط بن صَبِرَةَ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أخْبِرْني عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: ((**أسْبِغِ الوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ، إلاَّ أنْ تَكُونَ صَائِمًا**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

لَقِيط بن صَبِرَة: هو لقيط بن صَبِرة بن عبدالله بن المنتفق بن عامر العامري، من أهل الطائف، وكان وافد قومه إلى رسول الله ﷺ.

قال عن نفسه: كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ، فقدمنا على رسول الله ﷺ فلم نصادفه في منزله، وصادفنا عائشة فأمرت لنا بخزيرة[2] فصُنِعَت وأتتنا بقناع -والقناع: الطبق فيه التمر- فأكلنا فجاء رسول الله ﷺ فقال: هل أصبتم شيئًا؟ أو آمر لكم بشيء؟ قلنا: نعم يا رسول الله ... الحديث[3].

وقد ذهب جماعة من المحدثين -منهم البخاري- إلى أنه يقال له أيضًا: لقيط بن عامر أبو رَزين العقيلي راوي الحديث المذكور في الرياض رقم (١٢٨٢). وقال ابن معين: إنهما واحد وإنّ من قال: لقيط بن عامر - نَسَبَه لجده. وإنما هو لقيط بن صبرة.

لكن الحافظ ابن حجر رجح في الإصابة أنهما اثنان[4].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢)، والترمذي (٧٨٨) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٥٤)، وقال الحاكم (١٤٨/١): هذا حديث صحيحٌ ولم يخرجاه.

(٢) الخزيرة: لحم يقطع صغارًا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذُرّ عليه الدقيق. فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٦٢ "خزر".

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٢) وصححه ابن حبان (١٠٥٤)، وهو الجزء الأول من حديث الباب.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٩٠/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٣، ١١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٢/٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٧٩/٣).

غريب الألفاظ:

أسبغ الوضوءَ: وفِّ كلَّ عضوٍ حقَّ في الغسل[١].

خلِّل بين الأصابع: فرِّق ما بينهنَّ لإدخال الماء والنظافة في الوضوء[٢].

الاستنشاق: إبلاغ الماء الخياشيم في الوضوء[٣].

الشرح الأدبي

قول الراوي للنبي: " يا رسول الله أخبرني عن الوضوء " ينبىء عن رغبة صادقة في التعلم لأن الفعل الطلبي: " أخبرني " خرج عن معناه الحقيقي إلى غرض بلاغي هو الاسترشاد، والتوجيه لأنه من الأدنى إلى الأعلى وذكر " الوضوء " بصفة خاصة لأنه شطر الإيمان ويجعل الجسم وضاء، والنفس مشرقة ويجدد الدورة الدموية في الإنسان، ويطفىء نيران المعاصي، ونزعات الشيطان المخلوق من النار، وقد رد عليه الرسول صلى الله علية وسلم، وركز على ثلاثة أشياء فقال: " أسبغ الوضوء وخلل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق " ولفظ " أسبغ " يشير إلى الإحاطة، والتغطية، وهذا يتطلب إخلاصاً، وتؤدة منه، ومن إسباغ الوضوء " تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق " وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به لأن إسباغ الوضوء يستلزمها تخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنثار، ولما كان كثير من المتوضئين يغفلون عنهما نص عليهما لما فيهما من تتبع لمواضع القاذورات التي تخفى الجراثيم الكائنة في الأنف لأن الشعر الموجود به قد حجزها، حتى لا يصاب الإنسان بأذى فلله الحمد، والشكر.

فقه الحديث

جاء في الموسوعة الفقهية: يكره للصائم بوجه عام - مع الخلاف - ما يلي: فذكروا أشياء، منها: وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم. ففي

---

(١) الوسيط في (س ب غ).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ل).

(٣) المرجع السابق في (ن ش ق).

المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق. وفي الاستنشاق: بإيصاله إلى فوق المارن[١]؛ وذلك لحديث لقيط بن صَبِرَة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: "بالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" وذلك خشية فساد صومه[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم.

رابعًا: من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة أمور دينهم من النبي ﷺ:

هذا واضحٌ من قول الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه للنبي ﷺ: أخبرني عن الوضوء؛ فقد سأل عن الوضوء لكي يفعله على أتم وجه، فـ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ))[٣].

وذكر ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين في آخره فتاوى النبي ﷺ للصحابة في أمور دينهم وقال في أوله (ولنختم الكتاب بذكر فصول يسير قدرها، عظيم أمرها، من فتاوى إمام المفتين، ورسول رب العالمين، تكون رُوحًا لهذا الكتاب، ورَقْمًا على جلة هذا التأليف)[٤]. فلقد حرص الصحابة رضي الله عنهم رجالهم ونساؤهم على معرفة أمور دينهم من النبي ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: ((نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَسْأَلْنَ

---

(١) المارن: ما لان من طَرَف الأنف: معجم لغة الفقهاء ٣٦٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨، وانظر المجموع ٣٠/٦ ، والمغني ٣٥٦/٤ .

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٣ من حديث أبي مالك الأشعري.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٩٣٣، ط دار طيبة.

عَنِ الدِّينِ وَيَتَفَقَّهْنَ فِيهِ))[١].

وإذا استحيا الصحابي من السؤال فإنه يجعل غيره يسأل النبي ﷺ ليعلم الحكم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً وَكُنْتُ أَسْتَحْيِي أَنْ أَسْأَلَ النَّبِيَّ، لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ. فَسَأَلَهُ فَقَالَ: يَغْسِلُ ذَكَرَهُ. وَيَتَوَضَّأُ))[٢].

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم هم خير القرون وهم قدوتنا، كان علينا أن نقتدي بهم فنسأل عن أمور ديننا ونحرص على ذلك أشدّ الحرص، فنسأل العلماء الثقات الورعين الجامعين بين العلم و العمل، وذلك حتى نكون على بينة من ديننا ونعمل على بصيرة، وإن مما يندى له الجبين أن تجد بعض ثوابت هذا الدين المعلومة المشهورة قد أصبحت غير معلومة، وغير معروفة لدى بعض المسلمين، وما ذلك إلا بسبب التفريط في السؤال والتهاون في أمر الدين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إسباغ الوضوء:

فهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا".

وقد وردت في فضل الوضوء أحاديثُ كثيرة منها، حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه فقال: ((يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَالْوُضُوءُ؟ حَدِّثْنِي عَنْهُ. قَالَ: مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَقَرِّبُ وُضُوءَهُ فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخَيَاشِيمِهِ. ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ. ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ. فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ،

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٢، وأبو داود ٣١٦ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢، ومسلم ٣٠٣.

وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إلاَّ انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (الإسباغ لغة: الإكمال والتوفية، وإسباغ الوضوء إبلاغه مواضعه، واصطلاحًا: أن يعم جميع الأعضاء بالماء بحيث يجري عليها، وعرفه الشافعية بأنه كمال إتمام الوضوء وتوفيته ... والإسباغ: إن أريد به تعميم الأعضاء الواجب غسلها بالماء فهو واجب، وإن أريد به الزيادة والتوفية فهومندوب باتفاق الفقهاء، لحديث "إسباغ الوضوء على المكاره")[٢].

والحديث هو: ((أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ. فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ))[٣].

قال النووي: (قال القاضي عياض[٤]: محو الخطايا كناية عن غفرانها، قال: ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلاً على غفرانها، ورفع الدرجات: إعلاء المنازل في الجنة، وإسباغ الوضوء تمامه. والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك وكثرة الخطى تكون ببعد الدار وكثرة التكرار وقوله "فذلكم الرباط" أي الرباط المرغب فيه، وأصل الرباط الحبس على الشيء، كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، قيل: ويحتمل أنه أفضل الرباط، كما قيل: الجهاد جهاد النفس، ويحتمل أنه الرباط المتيسر الممكن، أي أنه نوع من أنواع الرباط هذا آخر كلام القاضي وكله حسن[٥]. وقال ابن عثيمين: (أسبغ الوضوء: يعني توضأ وضوءًا سابغًا كاملاً، والإسباغ الإتمام قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾[٦] أي أكملها. والثاني: "وخلل بين الأصابع" ولا سيما أصابع الرجلين. خلل بينهما بالماء، لأن أصابع الرجلين متلاصقة وربما لا يدخل

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣/١٤٢-١٤٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٢٦٧.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٥٥.

(٦) سورة لقمان، آية: ٢٠.

الماء من بينها[١]، "وبالغ في الاستنشاق" يعني: استنشاق الماء عند الوضوء)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستنشاق للصائم:

هذا واضحٌ من قول النبي ﷺ: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" قال المباركفوري: (فلا تبالغ لئلا يصل إلى باطنه فيبطل الصوم)[٣].

وقال ابن تيمية: (أما المضمضة والاستنشاق فمشروعان للصائم باتفاق العلماء، وكان النبي ﷺ والصحابة يتمضمضون ويستنشقون مع الصوم، لكن قال للقيط بن صبرة: وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا)[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (وتكره المبالغة في المضمضة والاستنشاق في الصوم، ففي المضمضة بإيصال الماء إلى رأس الحلق، وفي الاستنشاق بإيصاله إلى فوق المارن، وذلك لحديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له "بالغ في الاستنشاق؛ إلا أن تكون صائمًا"، وذلك خشية فساد صومه)[٥]. وقال ابن عثيمين: (وبالغ في الاستنشاق يعني استنشاق الماء عند الوضوء، إلا أن تكون صائمًا فلا تبالغ في الاستنشاق لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدل ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم، يفطر الصائم)[٦].

رابعًا- من آداب المدعو: ترك المبالغة في الاستنشاق أثناء الصيام:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ الصحابي بقوله: "وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا" فقد أمره ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلا عندما يكون صائمًا، فلا يبالغ في

---

(١) قال الشيخ عبدالله البسام: يستحب تخليل أصابع اليدين والرجلين عند غسلهما، وتخليلهما جعل الماء يتخلل بينهما، والصارف عن الوجوب دقة الماء ووصوله إلى ما بينها بدون تخليل وبهذا يحصل القدر الواجب، فيبقى الاستحباب على الاحتياط في ذلك. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٧٦/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، ١٤٠٨/٢.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٦٥/١.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤٢/١٣.

(٥) الموسوعة الفقهية ٧١/٢٨.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٤٠٨/٢.

ذلك خشية أن يصل الماء إلى الجوف فيفسد صومه، مع أن إيصال الماء في هذه الحالة ليس بحتم وإنما هو احتمال، لأن الصائم قد يبالغ في المضمضة مع حرصه الشديد فلا يتسرب من الماء شيء إلى الجوف، فلا يفسد صومه، لكن لما كان الاحتمال قائمًا نهاه النبي ﷺ عن المبالغة وقت صيامه. قال الشيخ عبد الله البسام: (تستحب المبالغة في الاستنشاق عند الوضوء إلا مع الصيام، فيكره خشية وصول الماء إلى الجوف، والصارف له عن الوجوب أنه لو كان واجبًا لما منعه الصيام، ولوجب التحرز عن نزول الماء في الجوف مع المبالغة، وهو أمر ممكن)[1].

وهذا وأمثاله من ترك الفعل لأجل أن يؤدي إلى الفساد يطلق عليه في الشريعة الإسلامية سد الذرائع. قال الدكتور محمد رواس قلعه جي في تعريفها وبيان أنواعها وأدلتها الشرعية:

(١ - تعريف: الذريعة هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى شيء ممنوع شرعًا.

٢ - أنواع الذرائع وحكمها: الذرائع المؤدية إلى المفاسد ثلاثة أنواع:

أ - ذرائع لا تؤدي إلى المفاسد إلا نادرًا، وهي جائزة، ولا يجوز منعها، فلا يجوز منع زراعة العنب بحجة أنه قد يصنع منه الخمر، ولا يجوز منع صناعة الأسلحة بحجة أنها قد يستعملها بعض الظلمة في قتل الشعوب الآمنة، وهكذا.

ب - ذرائع تؤدي غالبًا إلى مفسدة، وهذه الذرائع يجب منعها، كبيع العنب لصانعي الخمر، وتأجير العقار لمن يفتش عن مكان ليتخذه ملهىً أو ماخورًا، وحفر آبار في طرقات المسلمين، وإلقاء السم في الطعام، وسب الأصنام أمام من يقدِّسها، ونحو ذلك.

ج - ذرائع مشروعة، ولكن أسيء استخدامها، حيث استخدمت فيما هو محرَّم، كقضاء القاضي بعلمه، فإنه يكون وسيلة إلى أن يتسلط بعض القضاة على أعدائهم ظلمًا وعدوانًا، ونحو ذلك.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/١٧٦.

د - الذريعة إلى ما هو مشروع: كما يشرع سد باب الذرائع إلى الفساد، يشرع فتح باب الذرائع إلى الخير، وكما أن كل وسيلة إلى المحرم تكون محرمة، كذلك فإن الوسيلة إلى الواجب واجبة، والوسيلة إلى المندوب مندوبة.

٣ - شروط منع الذريعة: يشترط لمنع الذريعة ثلاثة شروط:

أ - أن تكون الذريعة مؤدية إلى مفسدة محققة، لا موهومة.

ب - أن تكون المفسدة مما يوجب الشارع منعه.

ج - أن لا يؤدي سد الذريعة إلى تعطيل مصلحة راجحة، فإن ما وجب منعًا للذريعة إلى الفساد يباح للمصلحة الراجحة، وبناء على ذلك فإنه يباح النظر إلى المخطوبة، مع أن النظر إلى الأجنبية منع سدًا للذريعة؛ ويباح السفر بالأجنبية إذا خيف ضياعُها أو هلاكها، مع أن السفر بالأجنبية مُنِعَ سدًا للذريعة؛ ويباح دفع المال إلى العدو للوصول إلى فداء أسرى المسلمين الذين هم في يده.

٤ - دليل مشروعية منع الذرائع المؤدية إلى المفاسد:

أ - قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1] فقد نهى الله تعالى أن يسب المسلمون الأصنام أمام عابديها، لأن هذا يؤدي إلى أن يسبوا الله تعالى الذي يجهلون عظمته وحرمته.

ب - وقال تعالى ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]، فقد منع الله تعالى النساء اللاتي يلبسن الخلاخل بأرجلهن من أن يضربن بأرجلهن على الأرض بحضرة الرجال، لأن هذا وسيلة ليعلم الرجال ما خفي من زينة النساء، فتميل قلوبهم إليهن.

ج - قوله ﷺ: ((قال رسول الله ﷺ: إن من أكبرِ الكبائر أن يَلعنَ الرجلُ والِدَيه. قيل يا رسول الله، وكيف يَلعَنُ الرجل والِدَيه؟ قال: يسُبُّ الرجلُ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسُبُّ أمَّه))[3][4].

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٧٣، ومسلم ٩٠.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة ١/٨٩٩-٩٠١.

الحديث رقم (١٢٤٦)

١٢٤٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسول الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جُنُب: الجنب الذي يجب عليه الغسل بالجماع وخروج المني وغيره[2].

الشرح الأدبي

إن أم المؤمنين " عائشة " رضي الله عنها هي أخبر للناس برسول الله ﷺ لأنها أحب أزواجه إليه، وقد عبرت عن تلك الخصوصيات بألفاظ مهذبه لتتعلم الأمة كلها من مثل هذه الأمور الدقيقة أدب التعبير الراقي عن أخص الخصوصيات التي يضطر الإنسان إلى الإخبار به فيرفع الحرج عن الجميع، ويحل اليسر محله، وتسير الأمور في هدوء، وتوازن، والفعل: " يدركه " يصور لنا حركة الزمن السريعة في طي الأحداث وكأنه يسوقنا أمامه إلى مراد الله تعالى، فيجب على كل مسلم أن يفطن إلى هذا السير، ويملأ وقته بما يرضى الله تعالى، وجمله: " وهو جنب من أهله " جمله حالية، وتعد كناية عن صفة الجماع، وتوحي للمتلقي بتأثير الأدب القرآني في أهل بيت المصطفى – علية الصلاة والسلام، وكلمه " جنب " توحي بأن الإنسان ينبغي عليه أن يتجنب أشياء محددة، وهو على هذه الحالة " ومن " في قولها: " من أهله " والإضافة في " أهله " تشير إلى أهمية عنايته بأهل بيته، وحرف العطف " ثم " يدل على التراخي بين ما يحدث بينه، وبين أهله، وطلوع الفجر. .، والفعلان " يغتسل ويصوم " يدلان على تعبد الرسول ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٥، ١٩٢٦) واللفظ له، ومسلم (١١٠٩/٧٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ن ب).

لله تعالى، وتقلبه بين العادة، والعبادة مصرفا كلا منهما بالنية في مرضاة الله -تعالى- فكل حركاته، وسكناته وفق رضاه.

فقه الحديث

١- قال النووي: (وقد أجمع أهل هذه الأمصار على صحة صوم الجنب، سواء كان من احتلامٍ أو جماع. وبه قال جماهير الصحابة والتابعين وحكى عن الحسن بن صالح إبطاله وكان عليه أبو هريرة، والصحيح أنه رجع عنه وقيل: لم يرجع عنه وليس بشيء. وحكى عن طاوس وعروة والنخعي: إن علم بجنابته لم يصحّ وإلا فيصحّ. وحكى مثله عن أبي هريرة، وحكى أيضًا عن الحسن البصري والنخعي أنه يجزيه في صوم التطوع دون الفرض. وحكى عن سالم بن عبدالله والحسن البصري والحسن بن صال: يصومه ويقضيه، ثم ارتفع هذا الخلاف وأجمع العلماء بعد هؤلاء على صحته)[1].

٢- قال النووي: (يستحب تقديم غسل الجنابة من جماع أو احتلام على طلوع الفجر والأحاديث الصحيحة في تأخيره محمولة على بيان الجواز، وإلا فالكثير من رسول الله ﷺ تقديمه على الفجر)[2].

٣- قال النووي: (وإذا انقطع دم الحائض والنفساء في الليل ثم طلع الفجر قبل اغتسالهما، صحّ صومهما ووجب عليهما إتمامه، سواء تركت الغسل عمدًا أو سهوًا بعذر أم بغيره كالجنب. هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ما حكى عن بعض السلف، مما لا نعلم عنه أم لا)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ ، وانظر فتح الباري ١٤٣/٤-١٤٩ ، والمغني ٣٩١/٤-٣٩٣ .

(٢) المجموع ٢٧٤/٦ .

(٣) شرح صحيح مسلم ١٩٣/٧/٤ دار الكتب العلمية، وانظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٢/٢، والفواكه الدواني ٣١١/١، ومغني المحتاج ١٦٧/٢، والمغني ٣٩٣/٤ .

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة عن أحوال النبي ﷺ في صيامه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة التيسير على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما عن أحوال النبي ﷺ في صيامه:

هذا واضح من الحديثين، وهذا الإخبار يفيد حكمًا يستدل به على جواز هذا الأمر، وفي الحديث قصة فقد قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: ((سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُصُّ، يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَجْرُ جُنُبًا فَلاَ يَصُمْ. فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِعَبْدِ الرَّحْمَٰنِ بْنِ الْحَارِثِ [الأَبِيهِ] فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ. فَانْطَلَقَ عَبْدُالرَّحْمَٰنِ وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ. حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما. فَسَأَلَهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ عَنْ ذٰلِكَ. قَالَ فَكِلْتَاهُمَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ ثُمَّ يَصُومُ. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ مَرْوَانَ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ مَرْوَانُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلاَّ مَا ذَهَبْتَ إِلَىٰ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ مَا يَقُولُ. قَالَ: فَجِئْنَا أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَبُوبَكْرٍ حَاضِرُ ذٰلِكَ كُلِّهِ. قَالَ: فَذَكَرَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَٰنِ. فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ: أَهُمَا قَالَتَاهُ لَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: هُمَا أَعْلَمُ. ثُمَّ رَدَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا كَانَ يَقُولُ فِي ذٰلِكَ إِلَىٰ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ ذٰلِكَ مِنَ الْفَضْلِ. وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنَ النَّبِيِّ. قَالَ: فَرَجَعَ أَبُوهُرَيْرَةَ عَمَّا كَانَ يَقُولُ فِي ذٰلِكَ))[2].

وقال ابن حجر: (قال بعضهم: إن حديث عائشة أرجح لموافقة أم سلمة لها على ذلك، ورواية اثنين تقدم على رواية واحد، ولا سيما وهما زوجتان وهما أعلم بذلك من الرجال)[3].

ثم قال: (وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم، دخول العلماء على الأمراء

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٤٦ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٢٩٦، ومسلم ١١٠٩ واللفظ له.

(٣) فتح الباري ١٤٨/٤، .

ومذاكرتهم إياهم بالعلم، وفيه فضيلة لمروان بن الحكم لما يدل عليه الحديث من اهتمامه بالعلم ومسائل الدين، وفيه الاستثبات في النقل والرجوع في المعاني إلى الأعلم، فإن الشيء إذا نوزع فيه رد إلى من عنده علمه، وترجيح مرويّ النساء فيما لهن عليه الاطلاع دون الرجال على مرويّ الرجال كعكسه. وأن المباشر للأمر أعلم به من المخبر عنه. والتأسي بالنبي ﷺ في أفعاله ما لم يقم دليل الخصوصية، وأن للمفضول إذا سمع من الأفضل خلاف ما عنده من العلم أن يبحث عنه حتى يقف على وجهه، وأن الحجة عند الاختلاف في المصير إلى الكتاب والسنة، وفيه الحجة بخبر الواحد وأن المرأة فيه كالرجل، وفيه فضيلة لأبي هريرة لاعترافه بالحق ورجوعه إليه...)[1].

قال الشيخ عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

(١ - كان النبي ﷺ يجامع من الليل وربّما أدركه الفجر وهو جنب لم يغتسل، فيصوم ثم يغتسل بعد طلوع الفجر، ويتم صومه ولا يقضيه.

٢ - وهذا عام في رمضان وفي غيره، قال ابن كثير[2]: وهذا مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء سلفًا وخلفًا اهـ. وحكاه الوزير إجماعًا، فإن الآثار في ذلك متواترة.

٣ - صحة صوم من أصبح جنبًا من جماع أو غيره من الليل.

٤ - إذا جاز في الجنابة من الجماع فمن غير الجماع أولى.

٥ - لا فرق بين الصوم الواجب والنفل، ولا بين رمضان وغيره.

٦ - جواز الجماع في ليالي رمضان ولو كان قبيل طلوع الصبح.

٧ - لو طلع عليه الفجر وهو يجامع فنزع فالمشهور من مذهب الإمام أحمد أن عليه القضاء والكفارة لأن النزع جماع.

وجمهور العلماء ومنهم الأئمة الثلاثة أن النزع ليس بجماع، وأنه يجب عليه النزع ولا قضاء عليه ولا كفارة.

٨ - يؤخذ من جواز طلوع الفجر على الصائم وهو جنب جواز طلوع الفجر على

---

(١) فتح الباري ١٤٨/٤. وهو موجود بنحوه في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠١/٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥١٦/١.

الحائض والنفساء بعد انقطاع الدم وقبل الاغتسال.

٩ - فضل نساء النبي ﷺ فقد نقلن للأمة من العلم الشيء الكثير، لاسيما الأحكام التي لا يطلع عليها إلا هنّ من أعمال النبي ﷺ فرضي الله عنهن)[١].

وهذا واضح من قول عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: "كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من غير حُلم ثم يصوم". فإنهما أخبرتا أن النبي ﷺ يصبح جنبًا دون أن يكون سبب ذلك الاحتلام. قال النووي: (وفيه دليل لمن يقول بجواز الاحتلام على الأنبياء وفيه خلاف، الأشهر امتناعه. قالوا: لأنه من تلاعب الشيطان، وهم منزهون عنه، ويتأولون هذا الحديث على أن المراد يصبح جنبًا من جماع، ولا يجنب من احتلام، لامتناعه عنه، ويكون قريبًا من معنى قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٢]، ومعلوم أن قتلهم لا يكون بحق)[٣].

قال ابن حجر: (قال القرطبي[٤]: في هذا فائدتان: إحداهما أنه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل إلى بعد طلوع الفجر بيانًا للجواز، والثاني أن ذلك كان من جماع لا من احتلام، لأنه كان لا يحتلم، إذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه. وقال غيره: في قولها "من غير احتلام" إشارة إلى جواز الاحتلام عليه، وإلا لما كان للاستثناء معنى، ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه)[٥].

فإخبار عائشة رضي الله عنها في الحديث الأول: "أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم"، وإخبار عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما "أن النبي ﷺ كان يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم"، فهذا من باب التأدب في الإخبار عن حال رسول الله ﷺ، وهو حفظ للسانهما عن التصريح بألفاظ الجماع والوقاع، فينبغي

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٨٥/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٣٦/٧/٤.

(٤) المفهم ١٦٧/٣.

(٥) فتح الباري ١٤٤/٤.

على المسلم أن يستعمل في ذلك الكنايات ويعبر عنها بعبارة جميلة يفهم بها الغرض، وبهذا جاء القرآن العزيز والسنة الصحيحة المكرمة، فقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[3]، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة.

قال العلماء: (فينبغي أن يستعمل في هذا وما أشبهه من العبارات التي يستحيا من ذكرها بصريح اسمها الكنايات المفهمة، فيكنى عن جماع المرأة بالإفضاء والدخول في المعاشرة والوقاع ونحوها)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من خصائص الشريعة: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من فعله ﷺ أنه كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم.

قال ابن دقيق العيد: (وقولها "من أهله" فيه إزالة لاحتمال يمكن أن يكون سببًا لصحة الصوم، فإن الاحتلام في المنام آتٍ على غير اختيار من الجنب، فيمكن أن يكون سببًا للرخصة، فبين في هذا الحديث: أن هذا كان من جماع ليزول هذا الاحتمال)[5].

وقال كذلك: (يدل كتاب الله أيضًا على صحة صوم من أصبح جنبًا فإن قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[6] يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٤) انظر: الأذكار، النووي ص ٤١٩.

(٥) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

مطلقاً ومن جملته الوقت المقارب لطلوع الفجر، بحيث لا يسع الغسل، فتقتضي الآية الإباحة في ذلك الوقت، ومن ضرورته الإصباح جنبًا، والإباحة لسبب الشيء إباحة للشيء)[١].

وقد حَمَل بعض العلماء القائلين بفساد صيام الجنب حديث عائشة وأم سلمة على أنه من الخصائص النبوية، قال ابن حجر: (وأجاب الجمهور بأن الخصائص لا تثبت إلا بدليل، وبأنه قد ورد صريحًا ما يدل على عدمها، وترجم بذلك ابن حبان في صحيحه[٢] حيث قال: ذكر البيان بأن هذا الفعل لم يكن المصطفى مخصوصًا به، ثم أورد ما أخرجه هو ومسلم والنسائي وابن خزيمة وغيره من طريق أبي يونس مولى عائشة، عن عائشة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب فقال: ((يَا رَسُولَ اللّهِ تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ. أَفَأَصُومُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : وَأَنَا تُدْرِكُنِي الصَّلاَةُ وَأَنَا جُنُبٌ فَأَصُومُ. فَقَالَ: لَسْتَ مِثْلَنَا. يَا رَسُولَ اللّهِ قَدْ غَفَرَ اللّه لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ: وَاللّهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ لِلّهِ، وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي))[٣].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه.

ويسر الشريعة على ثلاثة أنواع:

١ - تيسير معرفة الشريعة والعلم بها وسهولة إدراك أحكامها ومراميها.

٢ - تيسير التكاليف الشرعية من حيث سهولة تنفيذها والعمل بها.

٣ - أمر الشريعة للمكلفين بالتيسير على أنفسهم وعلى غيرهم)[٤].

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٢١٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٦٥/٨، ولفظه: ذكر الخبر الدال على أن إباحة هذا الفعل المزجور عنه لم يكن المصطفى ﷺ مخصوصًا به دون أمته، وإنما هي إباحة له ولهم.

(٣) أخرجه مسلم ١١١٠، والنسائي في الكبرى ٣٠١٣/٣، وابن خزيمة ٢٠١٤، وابن حبان ٣٤٩٢، ٣٤٩٢، ٣٥٠١.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤-٢١٤.

الحديث رقم (١٢٤٧)

١٢٤٧- وعن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، قالتا: كَانَ رسول الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

جنبًا من غير حُلُمٍ: يصبح جنبًا من جماع، لا من احتلام وهو: إنزال النائم المني في منامه[2].

الشرح الأدبي

تنضم (أم سلمه رضي الله عنها)- فى هذا الحديث - إلى (عائشة رضي الله عنها) في الكلام عن أمر دقيق يحدث بين الرجل، وزوجه، والعبارات كلها تشع بالأدب الذي كان مبثوثاً في بيت النبوة فقد جاء على لسانهما أن الرسول الكريم ﷺ كان: "يصبح جنباً من غير حلم" ومعروف أن الجنابة "تأتى للإنسان المسلم من طريقين اثنين. الأول: الاستحلام أثناء النوم، والثاني: الجماع، ولما ذكرت أن ذلك تحقق عند الرسول ﷺ "من غير حلم" كان ولا بد أن تتحقق الجنابة عند النبي بسبب الطريق الثاني، وهو "الجماع" ولكنهما تعبران عن ذلك بطريق التعريض لا التصريح، وتبينان أن الجنابة لا تؤثر في صحة الصوم؛ لأن سببها كان قبل أذان الفجر، ولذلك قالتا "ثم يصوم" ويتطهر من الجنابة عند الغسل.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٣١)، ومسلم (١١٠٩/٨٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ٦٩٤، ومعجم لغة الفقهاء ٢٥.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من خصائص التربية الإسلامية: الإنسانية:

إن الإنسان من طبعه النسيان، فيفعل ناسيًا في بعض الأحيان ما يخالف التكاليف الشرعية المأمور بها، وهذا أمر واقع ومشاهد ومحسوس لا يحتاج إلى أدنى تدليل أو برهان، إن الصائم في بعض الأحيان يقبل على الطعام أو الشراب وهو ناسٍ أنه صائم، فكان المتبادر إلى الأذهان أن صومه قد بطل وأصبح مُفطرًا، لكن الشرع الحنيف اعترف بواقع هذا الإنسان وطبيعته فأخبره أنه يتم صومه لأن الذي أطعمه وسقاه هو الله رب العالمين الذي خلقه فسوّاه.

أليس في هذا الحديث ما يدل على أن الشرع اعترف بواقع الإنسان وإنسانيته؟ إنه اعترف بأنه ينسى ويسهو ويخطأ، لذا لم يعاقبه على ذلك على وجه الإجمال ولم يرتب على ذلك من القيود والتراتيب ما تبعد الإنسان عن إنسانيته وتخرجه عنها، وفي الوقت نفسه لم يغفل عن الجانب الآخر من الإنسانية الذي يكون فيه الإنسان محبًا لمعالي الأمور ومتشوقًا إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة ومحصلاً لأنبل السجايا وأشرف الخصال.

إن التربية الإسلامية خاطبت الإنسان من ناحيتيه ناحية القصور والنسيان، وناحية التطلع إلى المثل العليا والأخلاق الفضلى، وقد نجحت أيما نجاح في تناول الناحيتين فعملت على معالجة أوجه القصور قدر الإمكان، وما كان من الجبلات الملازمة للإنسان اعترفت به وأقرته وعالجته في ضوء ذلك، أما الجانب المشرق في طبيعة الإنسان فعالجته معالجة تهدف إلى الترقي به والارتفاع إلى المستويات العليا منه.

لذا كان على المربين أن يراعوا الإنسانية في تربيتهم الناشئة وغيرهم، حتى لا يربوهم على أنهم ملائكة لا تخطئ، ولا على أنهم أبناء الخطيئة المتلبسين بها دومًا وأبدًا.

إنهم يربونهم على أنهم بشرٌ يخطئون ويصيبون، يتطلعون إلى المثل العليا وينحدرون، وينشطون ويتكاسلون، يحبون ويكرهون، ينامون ويستيقظون، يأكلون ويشربون وعلى الصيام يقدرون.

وهذا هو مظهر من مظاهر الوسطية التي جاء بها الإسلام.

ثانيًا - التربية على الاحتراز مما يفسد العبادة:

لقد أوصى النبي ﷺ الصحابي لقيط بن صبرة رضي الله عنه عندما سأله عن الوضوء بما يلي:

أ - إسباغ الوضوء وإتمامه.

ب - التخليل بين الأصابع.

ج - المبالغة في الاستنشاق هذا هو الأصل.

د - عدم المبالغة في الاستنشاق في الصيام.

إن المبالغة في الاستنشاق مرغب فيه ومأمور به في الوضوء هذا في الحالة المعتادة، أما في الصوم فلا يكون هناك أمر بذلك بل نهي عنه.

والسؤال هنا: لماذا نهى النبي ﷺ عن المبالغة في الاستنشاق وقت الصيام؟

إن المبالغة في الاستنشاق لاشك يحقق مصلحة تحصيل سنة من سنن الوضوء، لكن الصائم في سبيل تحقيقه لهذه المصلحة قد يفسد صيامه بأن ينفذ جزء من الماء إلى الجوف، فكانت المبالغة في الاستنشاق طريقًا من الطرق المحتملة لإفساد الصوم، فسدّ النبي ﷺ هذا الطريق بأن نهى عن هذه المبالغة.

نخلص من ذلك إلى أن الفعل في نفسه قد يكون مطلوبًا مؤديًا إلى مصلحة مقصودة، لكنه في بعض الأحيان والأحوال والأوقات يؤدي إلى فساد شيء أكبر، لذا يُنْهى عنه ولا يَأمر به.

ولنذكر مثالاً آخر على ذلك حتى يزداد الأمر وضوحًا، لقد قالت عائشة رضي الله عنها: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُقَبِّلُنِي وَهُوَ صَائِمٌ. وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ يَمْلِكُ إِرْبَهُ؟))[1]، قال النووي: (قال العلماء: معنى كلام عائشة رضي الله عنها أنه ينبغي لكم الاحتراز عن القبلة ولا تتوهموا من أنفسكم أنكم مثل النبي ﷺ في استباحتها،

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٢٧، ومسلم ١١٠٦.

لأنه يملك نفسه ويأمن الوقوع في قبلة يتولد منها إنزال أو شهوة أو هيجان نفس ونحو ذلك، وأنتم لا تأمنون ذلك فطريقكم الانكفاف عنها)[1].

ثالثًا - من أساليب التربية: بيان هدي النبي ﷺ في عبادة الصوم:

لقد أخبرت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدركه وقت بداية الصوم [وهو الفجر] وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم، ولهذا الحديث قصة يحسن ذكرها لبيان المضمون التربوي المذكور، قال عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عن أبي بكر قال: سمعت أبا هريرة يقصّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنبًا فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث [الأبيه] فأنكر ذلك، فانطلق عبدالرحمن وانطلقت معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة، فسألهما عبدالرحمن عن ذلك، قال فكلتاهما قالت: كان النبي ﷺ يصبح جنبًا من غير حلم ثم يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان [ابن الحكم] فذكر ذلك له عبدالرحمن، فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة، قال: فذكر له عبدالرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم قال: هما أعلم.

ثم ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك[2].

فالملاحظ على هذا الحديث بهذا اللفظ ما يلي:

أ - توجه التابعي إلى أميْ: المؤمنين عائشة وأم سلمة للسؤال عن ذلك، لأنهما أعرف بذلك من غيرهما فهما زوجتا النبي ﷺ، وهذا الأمر من اختصاصهما، فلا يسأل عن ذلك إلا هما.

ب - كان الغرض من السؤال معرفة هدي النبي ﷺ في هذا الأمر، ولذا أخبرتا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٢٥، ١٩٢٦، ومسلم ١١٠٩، ٧٥ وهذا لفظه.

عن حاله ﷺ فورًا، دون بيان صواب رأي أبي هريرة أو خطئه، لأنه يكفي في ذلك ذكر هديه ﷺ فما وافقه فهو الصواب وإلا كان غير صواب.

ج - ذهاب التابعي إلى والي المدينة مروان بن الحكم ليخبره عن هدي النبي ﷺ في المسألة، ولعل السر في ذلك أن للوالي والحاكم سلطة إعلامية ونفوذًا دعويًا، يمكنه من نشر الحكم الصحيح بين الناس.

د - أمر والي المدينة بالذهاب إلى أبي هريرة رضي الله عنه لإخباره بهدي النبي ﷺ المخالف لقوله، ومن الملاحظ أن أبا هريرة رضي الله عنه سلّم وأذعن وتراجع عما كان يقوله، والسر في ذلك أن الفيصل هو هدي النبي ﷺ فهو المبين للصحيح من غير الصحيح.

أي أن الحديث مثال تربوي حي يوضح كيف تكون التربية ناجحة عندما يذكر أفعال أهل القدوة والتأسي، فهذا أسهل طريق للإقناع والامتثال، وطريق محبب إلى النفس وهي ترى نفسها تقتدي بمن يستحق أن يكون قدوة، فهي لا تقتدي بأي أحد وإنما تقتدي بالمثال الأعلى والنموذج الأوفى.

وفي ذلك إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا الإخبار عن الأعلام والقادة والعناية بسرد أخبارهم وأفعالهم في تربيتهم للناشئة وغيرهم، حتى يغرسوا في نفوسهم حب الاقتداء بهم والسير على طريقهم.

۞ ۞ ۞

٢٢٥- باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

الحديث رقم (١٢٤٨)

١٢٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ الله المُحَرَّمُ، وَأفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ: صَلاَةُ اللَّيْلِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث كله علي الأسلوب الخبري، الذي يعتمد أسلوب التفضيل ليندب الطامحين من المؤمنين للتسابق إليها ثم إن لَفْظَةَ " أَفْعَلُ " تَقْتَضِي وُجُودَ الِاشْتِرَاكِ فِي الْأَصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ مما يشير إلى اشتراك جميع العبادات المذكورة في الفضل مع تفاضل فيما بينهم على ما هو مبين في الحديث، وتشعر من خلاله أن الله فوض رسوله في أن يخبر عن التفاضل بين الأعمال، لإيضاح الأولي بالعناية، والاهتمام. وقد بين هنا أن الأفضلية المطلقة لصيام الفريضة في شهر (رمضان) ، ويليها في المنزلة والمكانة، صيام شيئ من شهر الله (المحرم) وإضافة الشهر لله تشريف وتخصيص يقتضي مزيد عناية، واهتمام بإكثار العمل الصالح فيه. ثم انتقل إلي ركن آخر من أركان الإسلام، وهو الصلاة، فالأفضلية المطلقة فيه (لصلاة الفريضة المتمثلة في الصلوات الخمس)، ويليها في الفضل والمنزلة (صلاة الليل) ونسبة الصلاة إلى الليل من نسبة الفعل إلى زمنه وقد استحقت تلك الرتبة لما يكون فيها من مشقة السهر، وترك الراحة كما أن فيها وقت النزول الإلهي بالإضافة إلى السكون الذي يعين على الخشوع، لأنها تكون خفية بين العبد، وربه، وتكمل النقص الذي قد يتواجد في الصلوات المفروضة. وتكرار أفعل التفضيل (أفضل) مرتين تشعر بأنه يتحتم علي المسلم أن يعتني بما يفضله الله ورسوله. والله أعلم.

---

(١) برقم (١١٦٣/٢٠٢)، وتقدم برقم (١١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٨٩٥).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان عظم شهر الله المحرم، وأنه أفضل الشهور للصوم بعد رمضان[١].

٢- أيهما أفضل تطوع الليل أم النهار: اتفق الفقهاء على أن تطوع الليل أفضل من النهار، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٢] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل".

٣- أيهما أفضل الرواتب أم صلاة الليل: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، وجمهور الشافعية إلى أن الرواتب أفضل من صلاة الليل[٣] واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ "من ثابر على اثنتي عشرة ركعة في اليوم والليلة بنى الله له بيتًا في الجنة"، ولأن النبي ﷺ واظب عليها دون غيرها ولم يتركها إلا لعذر[٤]. وذهب الحنابلة، وبعض الشافعية إلى أن صلاة الليل أفضل من الرواتب[٥] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[٦] وقوله ﷺ: "أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" قال الإمام أحمد "ليس بعد المكتوبة عندي أفضل من صلاة الليل"[٧].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٥/٨، نيل الأوطار ٢٤٢/٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٣) بدائع ٢٨٤/١، مواهب الجليل ٧٥/٢، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٨٥/١، المجموع شرح المهذب ٤٩٩/٣.

(٥) المغني ٤٣٩/١، شرح صحيح مسلم ٥٥/٨.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٧٩.

(٧) المغني ٤٣٩/١.

(٨) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٦٩.

الحديث رقم (١٢٤٩)

١٢٤٩- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمْ يكن النبي ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ[1].

وفي رواية[2]: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إلاَّ قَلِيلاً. متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة رضي الله عنها) عن وضع النبي الكريم بالنسبة للاستعداد لشهر رمضان فتقول: ((لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان. ..، و"من" في قولها: "من شعبان" للتبعيض، أي: كان يصوم أياما كثيرة من شهر "شعبان" استعدادا لصيام الفريضة في رمضان. والرواية الثانية: "كان يصوم شعبان إلا قليلا" تؤكد هذا المضمون لأن المتواتر عليه، أنه لم يصمم شهرا كاملا إلا رمضان ولعلها تريد بقولها: ((... كان يصوم شعبان كله" أي غالبيته أو معظمه. وبين الفعلين: ((لم يكن يصوم))، ((كان يصوم...)) طباق السلب، حيث يوضح مرونة الرسول الكريم ﷺ، وذلك للتيسير علي الأمة. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (من المسنون صوم شعبان لحديث عائشة رضي الله عنها، قال العلماء: اللفظ الثاني مفسر للأول وبيان، لأن مرادها بكله غالبه، وقيل: كان يصومه كله في وقتٍ ويصوم بعضه في سَنَة أخرى، وقيل كان يصوم تارة من أوله وتارة من وسطه وتارة من

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٠) واللفظ له، ومسلم (١١٥٦/١٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥١٥).

(٢) في آخر الحديث عند مسلم بالرقم الذي تقدم.

آخره، ولا يخلي منه شيئًا إلا صام، لكن في سنين. وقيل في تخصيصه شعبان بكثرة الصيام لأنه ترفع منه أعمال العباد في سنتهم. وقيل غير ذلك.

فإنه قيل: فقد سبق في حديث أبي هريرة "أن أفضل الصيام بعد رمضان المحرم" فكيف أكثر منه في شعبان دون المحرم؟

فالجواب: لعله ﷺ لم يعلم فضل المحرم إلا في آخر الحياة قبل التمكن من صومه. أو لعله كانت تعرض فيه أعذار تمنع من إكثار الصوم فيه كسفر ومرض وغيرهما. وقال العلماء: إنما لم يستكمل شهرًا غير رمضان، لئلا يظن وجوبه)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في شهر شعبان:

هذا واضح من فعل النبي ﷺ كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها، قال ابن حجر: (في الحديث دليل على فضل الصوم في شعبان)[2].

وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((إن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا إلاَّ شَعْبَانَ، يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ))[3]، ولفظ ابن ماجه كان: ((يصوم شعبان ورمضان))[4].

قال الشوكاني: (وقد جمع بين هذه الروايات بأن المراد بالكل والتمام الأكثر، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال: جائز في كلام العرب إذا صام أكثر الشهر أن يقال صام الشهر كله. ويقال: قام فلان ليلته أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره، قال الترمذي: كأن ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك[5] وحاصله أن رواية

---

(١) المجموع ٦/٢٨٣-٢٨٤ ، وانظر: شرح صحيح مسلم ٤/٨/٣٠، ٤٤-٤٥ .

(٢) فتح الباري ٤/٢١٥، .

(٣) أخرجه أحمد ٦/٢٩٤، رقم ٢٦٥١٧، ٢٦٦٥٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٤/٢٥٨.

(٤) أخرجه أحمد ٦/٢٩٤، رقم ٢٦٥١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٤/١٣٥.

(٥) سنن الترمذي ص ١٨٣ بعد الحديث ٧٣٧.

الكل والتمام مفسرة برواية الأكثر ومخصصة بها وأن المراد بالكل الأكثر وهو مجاز قليل الاستعمال)[١].

قال ابن حجر: (واختلف في الحكمة في إكثاره ﷺ من صوم شعبان، فقيل: كان يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره، فتجتمع فيقضيها في شعبان. أشار إلى ذلك ابن بطال. وفيه حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الأوسط[٢] من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيه عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان. وابن أبي ليلى ضعيف، وحديث الباب والذي بعده دال على ضعف ما رواه.

وقيل: كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان، وورد من حديث آخر أخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس قال: ((سُئِلَ النبيُّ: أيُّ الصَّوْمِ أفْضَلُ بَعْدَ رمَضَانَ؟ قال: «شَعْبَانُ لِتَعْظِيمِ رمَضَانَ»))[٣]، قال الترمذي: حديث غريب. وصدقة عندهم ليس بذاك القوي.

قلت [أي ابن حجر]: ويعارضه ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: ((أَفْضَلُ الصَّوْمِ بَعْدَ رَمَضَانَ صومُ الْمُحَرَّمِ))[٤].

وقيل الحكمة في إكثاره من الصيام في شعبان دون غيره أن نساءه كن يقضين ما عليهن من رمضان في شعبان. وهذا عكس ما تقدم في الحكمة في كونهن كن يؤخرن قضاء رمضان إلى شعبان، لأنه ورد فيه أن ذلك لكونهن كن يشتغلن معه ﷺ عن الصوم[٥].

وقيل: الحكمة في ذلك أنه يعقبه رمضان، وصومه مفترض، وكان يكثر من

---

(١) نيل الأوطار ٨٣٠ وقد استفاده من فتح الباري ٢١٤/٤، .

(٢) وكما في مجمع الزاوئد للهيثمي ١٩٢/٣.

(٣) أخرجه الترمذي ٦٦٣، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٠٤).

(٤) أخرجه مسلم ١١٦٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٥٠، ومسلم ١١٤٦ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يكون عليّ الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضي إلا في شعبان؛ الشغل من رسول الله ﷺ أو برسول الله ﷺ.

الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره، لما يفوته من التطوع بذلك في أيام رمضان.

والأولى في ذلك ما جاء في حديث أصح مما مضى أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة، عن أسامة بن زيد قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ قَالَ: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبَ وَرَمَضَانَ وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[1] ونحوه من حديث عائشة عند أبي يعلى لكن قال فيه: ((إِنَّ اللَّهَ يَكْتُبُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مَيِّتَةٍ تِلْكَ السَّنَةِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَنِي أَجَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

ذلك واضح من قول عائشة رضي الله عنها: "لم يكن النبي ﷺ يصوم من شهر أكثر من شعبان ...".

فدل هذا الإخبار على هديه ﷺ في صوم شعبان، ليقتدي به المقتدون ويتبعه المدعوون، فهو القدوة والأسوة.

أسلوب الإخبار من أساليب الدعوة المفيدة في نقل أحكام الدين وسنة هدي خاتم المرسلين ﷺ إلى جميع المدعوين.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ النسائي ٢٠١/٤ وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٢٢١).

(٢) فتح الباري ٢١٥/٤.

الحديث رقم (١٢٥٠)

١٢٥٠- وعن مُجيبَةَ البَاهِلِيَّةِ، عن أبيها أَوْ عمها: أنه أتى رسولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ - وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ - فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: ((وَمَنْ أنْتَ؟)) قَالَ: أنَا الباهِلِيُّ الَّذِي جِئْتُك عام الأَوَّلِ. قَالَ: ((فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ!)) قَالَ: مَا أكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارقتُكَ إلاَّ بِلَيْلٍ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((عَذَّبْتَ نَفْسَكَ!)) ثُمَّ قَالَ: ((صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَومًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)) قَالَ: زِدْنِي، فَإنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ:((صُمْ يَوْمَيْنِ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ)) قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: ((صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ)) وقال بأصابعه الثَّلاثِ فَضَمَّها، ثُمَّ أرْسَلَهَا. رواه أَبُو داود[1].

مجيبة الباهلية: مجيبة الباهلية مختلف فيها، فقيل: هي امرأة، ففي سنن أبي داود: عن مجيبة الباهلية، وفي مسند أحمد زيادة: عجوز من باهلة.

وقيل: هو رجل، ففي سنن النسائي الكبرى: عن مجيبة الباهلي، ووقع في سنن ابن ماجه: عن أبي مجيبة الباهلي، فجعله كنية.

وأما ابن حجر فذكره في تقريب التهذيب في أسماء الرجال، فقال: مجيبة الباهلي وقيل: هي امرأة من الصحابة. وأعاده في أسماء النساء فقال: مجيبة الباهلية ويقال: إنها رجل.

أما الصحابي راوي الحديث، فمن جعل مجيبة امرأة قال: عن أبيها أو عمها كما في سنن أبي داود، ومن جعله رجلاً قال: عن أبيه أو عن عمه كما في سنن ابن ماجه. أو قال: عن عمه كما عند النسائي.

أما ابن حبان فذكره في الثقات بالكنية: أبا مجيبة في قسم الصحابة.

وذكر أبو القاسم البغوي أن اسم والد مجيبة: عبدالله بن الحارث.

---

(١) برقم (٢٤٢٨). قال ابن حجر في ((تبيين العجب)) (ص: ٢٣): ففي هذا الخبر وإن كان في إسناده من لا يعرف، ما يدلُّ على استحباب صيام بعض رجب؛ لأنه أحد الأشهر الحُرم.

والحديث عند أحمد فيه بعض التفصيل، ففيه قول النبي ﷺ له: ((إنك أتيتني وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك ما أرى))... الحديث[١].

غريب الألفاظ:

شهر الصبر: رمضان[٢].

الحرم: الأشهر الحرم وهي شهر رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم[٣].

قال بأصابعه الثلاث: أشار بها[٤].

فضمها ثم أرسلها: أي قبض أصابعه الثلاثة ثم بسطها[٥].

الشرح الأدبي

الإسلام دين الرحمة، والوسطية، وهذا الرجل الذي ظل عاما كاملا، يواصل في صيامه، فلا يأكل إلا ليلا قال له الرسول الكريم ﷺ: " عذبت نفسك " وتشديد الذال في الفعل الماضي: " عذبت " يدل علي تكرار ذلك التعذيب مع تكرار الليالي والأيام، ولم يطلب منه ذلك، ولعل إتيانه للنبي الكريم ﷺ كان خيرا عندما أرشده إلي صيام الفريضة قبل كل شيء، حيث قال له: " صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر ". والأمر في قوله: " صم " للإرشاد والنصح، ويجب تنفيذه ، لأنه من الأعلى إلي الأدنى. والإضافة في قوله: " شهر الصبر " تشير إلى أن الصبر من ثمار الصيام، ووسيلة -أيضا- من الوسائل التي تعين علي تحقق الصيام بمعناه الصحيح، ولذلك فإن الصبر

---

(١) الطبقات (٨٣/٧)، وثقات ابن حبان (٤٥٦/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٥٩٠، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٤٢/٧)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٨/٤) وتقريب التهذيب (٢٣٠/٢، ٦١٤).

(٢) رياض الصالحين ٤٤٦.

(٣) اللسان والوسيط في (ح ر م).

(٤) اللسان في (ق ب ض) و(ر س ل).

(٥) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٣٧٣، والمعجم الوسيط ٥٤٤.

نصف الإيمان، ونصفه الآخر يتمثل في الشكر. وقول النبي ﷺ لذلك الرجل: " صم واترك " طباق يقرر ضرورة التوازن بين متطلبات الجسم بالفطر أو متطلبات الروح بالصيام في الفريضة، ولذلك كان أفضل الصيام صيام داود عليه السلام كان يصوم يوما فيتقوى قلبه، ويفطر يوما فيتقوى جسده، وذلك في النوافل، ولذلك شدد الرسول ﷺ وكرر الأمر ومقابله (صم واترك) ثلاث مرات يقرر حق البدن، وحق الروح معا وهو منهج قويم متكامل.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: ومن الصوم المستحب صوم الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأفضلها المحرم)[1].

وقال النووي كذلك: (ولم يثبت في صوم رجب نهي ولا ندب لعينه، ولكن أصل الصوم مندوب إليه، وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ ندب إلى الصوم من الأشهر الحرم، ورجب أحدها، والله أعلم)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانيًا: من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية.

ثالثًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحوار:

هذا واضح من قول الباهلي: (يا رسول الله أما تعرفني؟ فقال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال فما غيّرك وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت

---

(١) المجموع ٦/٢٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٣٢ .

طعامًا منذ فارقتك إلا بليل. فقال رسول الله ﷺ: عذبت نفسك. ثم قال: صم شهر الصبر ويومًا من كل شهر.. إلخ الحديث).

فأفاد هذا الحوار اطلاع النبي ﷺ على حال الباهلي، من تشديده على نفسه بصوم سنة كاملة، مما أثر على هيئته. فأرشده النبي ﷺ إلى الصوم الذي يحفظ عليه هيئته ولا يشق عليه.

ولا شك أن الحوار أسلوب فعّال من أساليب الدعوة لإقناع المدعو وإرشاده إلى ما فيه نفعه وخيره.

ثانيًا - من فقه المدعو: التعريف بنفسه للداعية:

هذا واضح من قول الباهلي: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول.

وتعريف الباهلي بنفسه للنبي ﷺ جعل النبي ﷺ يتذكره ومن ثم يأخذ الحوار منحىً آخر ربما كان يختلف لو لم يعرف الباهلي بنفسه.

ومن هذا القبيل ما رواه عمرو بن عبسة في قصة إسلامه ولما أمره بالرجوع إلى قومه أول إسلامه ثم يأتيه عندما يظهر شأنه ﷺ قال: ((ارْجِعْ إِلَىٰ أَهْلِكَ. فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي قَالَ فَذَهَبتُ إِلَىٰ أَهْلِي. وَقَدِمَ رَسُولُ اللّهِ الْمَدِينَةَ. وَكُنْتُ فِي أَهْلِي. فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ. حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ. وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذٰلِكَ. فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ. فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ. أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ؟ قَالَ فَقُلْتُ: بَلَىٰ. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللّه وَأَجْهَلُهُ ...)) الحديث[1].

ولاشك أن تعريف المدعو بنفسه إلى الداعية يوفر على الداعية الوقت والجهد، لأن الداعية بهذا التعريف يضع يده على ما يناسب المدعو فيرشده إلى ما يُصلحُه وينفعه

---

(١) أخرجه مسلم ٨٣٢.

ويلائمه، فمن المقرر أن الدعوة وأساليبها تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأزمان، فما يناسب مدعوًّا قد لا يكون مناسبًا للآخر، وهكذا، ولذا كان من فقه المدعو وفطنته أن يعرّف بنفسه إلى الداعية إذا كان الحال يقتضي ذلك.

ومما يمكن أن يستأنس به في هذا المقام، ما روى أن سفانة بنت حاتم الطائي لما أسرها المسلمون، قامت فخاطبت النبي ﷺ فعرفت بنفسها فأطلق النبي ﷺ سراحها، فقد قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولا يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم طيء. فقال النبي ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقًا، لو كان أبوك مسلمًا لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق[1].

ومما يذكره أهل السير والمغازي أن النبي ﷺ لما أطلق سراحها ذهبت إلى أخيها عدي بن حاتم وقد فرّ إلى الشام ورغبته في القدوم على النبي ﷺ، فقدم عليه فأسلم[2].

ثالثًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صم شهر الصبر، ويومًا من كل شهر" قال: زدني فإن بي قوة. قال: صم يومين. قال: زدني. قال: صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك. صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها.

قال ابن عثيمين: (وفي حديث الباهلي الذي صام سنة كاملة حتى تغيرت هيئته وضعفت حاله وجاء إلى النبي ﷺ ... فقال له النبي ﷺ: عذبت نفسك. وفي هذا دليل

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣٤١/٥ وقال ابن حجر في الإصابة ص ١٧٠٦: وفي سنده من لا يعرف أهـ. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٠/٧، هذا حديث حسن المتن، غريب الإسناد جدًا، عزيز المخرج.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢٢١/٤-٢٢٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٩٠/٧-٣٠٠.

على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا تطيقه وأن يعذب نفسه، لأن الله يقول: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[1])[2].

ومن ذلك حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ... الحديث[3].

قال النووي: (قال العلماء: سبب غضبه أنه كره مسألته لأنه يحتاج إلى أن يجيبه ويخشى من جوابه مفسدة، وهي أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقلّه أو اقتصر عليه، وكان يقتضي حاله أكثر منه، وإنما اقتصر عليه النبي ﷺ؛ لشغله بمصالح المسلمين وحقوقهم وحقوق أزواجه وأضيافه والوافدين إليه، لئلا يقتدي به كل أحد فيؤدي إلى الضرر في حق بعضهم وكان حق السائل أن يقول: كم أصوم أو كيف أصوم؟ فيخصُّ السؤال بنفسه ليجبيه بما تقتضيه حاله، كما أجاب غيره بمقتضى أحوالهم)[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في الأشهر الحرم:

وهذ واضح في قوله ﷺ: "صم من الحرم"، قال الشوكاني: ("وصم أشهر الحرم"[5] هي: شهر القعدة والحجة ومحرم ورجب، وفيه دليل على مشروعية صومها، ولكنه ينبغي ألا يستكمل صوم شهر منها ولا صوم جميعها، ويدل على ذلك ما عند أبي داود من الحديث بلفظ "صم من الحرم و اترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك")[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٤٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٦-١١٦٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٣-٥٤، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٣٣، والمفهم للقرطبي ٣/١٨٥.

(٥) هذا لفظ ابن ماجه ١٧٤١.

(٦) نيل الأوطار ص ٨٣٢.

وقال الغزالي: (اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة، وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع أما في السنة بعد أيام رمضان: فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة، فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، واحد فرد وثلاثة سرد، وأفضلها ذو الحجة، لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات وذو القعدة من الأشهر الحرم وهومن أشهر الحج)[1].

فلما كانت الأشهر الحرم مُشَرَّفة عند الله كان الصوم فيها له فضل ومكانة، لما يدل على تعظيم ما عظمه الله، وذلك بالطاعة والعبادة، جاء في الموسوعة الفقهية: (الأشهر الحرم فضلها الله على سائر شهور العام، وشرفهن على سائر الشهور. فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾[2] قال ابن عباس: خص الله من شهور العام أربعة أشهر فجعلهن حرمًا، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن والعمل الصالح والأجر أعظم، وعن قتادة: الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرًا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم في كل حال عظيمًا، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فإن الله تعالى اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر. قال قتادة: فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل)[3].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/٤٣٣-٤٣٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٣) الموسوعة الفقهية ٥/٥١ ومصادرها ومراجعها.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على العناية بالفروض والنوافل:

إن التربية على العناية بالفروض والنوافل تتضح في هذا الباب فيما يلي:

(أ) ذكره ﷺ أن أفضل الصلاة بعد الفريضة: صلاة الليل، وأن أفضل صوم النفل بعد صوم الفريضة في رمضان: شهر الله المحرم، فههنا جمع بين فروض الصلاة وبعض نوافلها وتطوعها، وبين صيام الفرض وبعض صيام النفل.

(ب) صيامه ﷺ أكثر شعبان، وهذا من النوافل.

(ج) أمره ﷺ الصحابي الذي جاءه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته - أمره بأن يصوم شهر رمضان، ويومًا من كل شهر، وما زال الصحابي بالنبي يستزيده من صوم النوافل، حتى قال له: صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاث فضمَّها ثم أرسلها.

أي أنه يمكن أن يستدل بهذه الأحاديث على التربية بالفروض والنوافل، أو الواجبات والمندوبات، فإذا كان الفروض لها وظائف تربوية أساسية فإن للنوافل أيضًا وظائف تربوية مكملة ومساندة، وهذا يفسر لِمَ لم يكتفِ الشارع بالفروض فقط بل رغب أيضًا في فعل النوافل حتى إن بعضها قد أصبح مؤكدًا فعله، لكون النبي ﷺ قد واظب عليه وداوم.

"إن الفرائض هي الأساس والأصل وأعظم ما يتقرب به إلى الله تبارك وتعالى كما أخبرنا بذلك عنه أعلم الخلق ﷺ فقال فيما يرويه عن ربه: ((وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترَضْته عليه))[1]، ومن الأمور التي ينبغي أن يعنى بها المربي: الحرص على غرس تعظيم الفرائض والاعتناء بها ورعايتها لدى من يربيهم، وضرورة تقديمها على النوافل والتطوعات واهتمام المربي بالفرائض والاعتناء بها لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها، بل الاعتناء بالنوافل، إذ هي سبب لتحقيق محبة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله تعالى ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحبَبته كنت سمعه الذي يسمع به وبَصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها. ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذَنه))[1].

كما أن بها يكمل ما انتقص من فريضة العبد ((فإن انتقَصَ منْ فريضتهِ شيءٌ، قال الربُّ تباركَ وتعالى: انظُروا هلْ لعَبدي مِنْ تطوُّع؟ فيُكمَّلُ بها ما انتقَصَ منَ الفريضةِ...))[2].

واعتناء الشاب بالنوافل والعبادة لله مما يزيده إيمانًا وتقوى لله عز وجل، ومما يصلح كثيرًا من أحواله.

ومن الوسائل التي تعين المربي على تحقيق هذا الجانب:

(أ) اعتناء المربي نفسه بأداء النوافل والمحافظة عليها حتى حين يضيق به الوقت، وتطبيق المربي للسنة في أداء النوافل في المنزل مما يربي أولاده على الاعتناء بها.

(ب) توجيه الناشئة وغيرهم وبيان منزلة النوافل وفضلها، وقد كان ﷺ يوجه أصحابه إلى الاعتناء بالنوافل.

(ج) أن يراعى في أوقات البرامج العامة التي تقدم للطلاب ترك وقت لأداء النوافل، وبيان ذلك للطلاب وحثهم عليها.

(د) أن يراعي المربي ذلك حين تكليفه لمن يربيه بأمر أو مهمة، فحين يطلب الأب من ابنه أداء مهمة عاجلة فليس من المستحسن أن يأمره بترك الراتبة، وحين يكون الأمر عاجلاً يوجهه إلى أن يؤديها في المنزل، أو بعد فراغه من المهمة إن كانت لا تطول[3].

ثانيًا- من واجبات الناشئة: إطلاع المربي على أحوالهم في العبادة للاستفادة من توجيهاته:

لقد غاب الصحابي سنة كاملة عن النبي ﷺ وقد تغيرت حاله وهيئته؛ فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ لقد عرّف النبي ﷺ بأنه جاءه قبل سنة فتذكر ﷺ أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي ٤١٣، وابن ماجه ١٤٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تربية الشباب: الأهداف والوسائل ص ٦٠ - ٦٤.

هيئته تغيرت وحاله قد تبدلت من صحة وعافية إلى نحول وشحوب وجه ونحو ذلك، فسأله عن سبب ذلك فأخبر النبي ﷺ أنه قد صام عامًا كاملاً، فلما أخبره بذلك بيّن له النبي ﷺ أنه قد شق على نفسه وأتعبها وأتعب جسده مما أثر عليه تأثيرًا ظاهرًا بينًا. وأرشده إلى ما يقوم به من الصوم ويجنبه هذا التعب وهذا الإرهاق وذلك التأثير البدني.

وفي ذلك إرشادٌ للناشئة وغيرهم أن يطلعوا المربين على أحوالهم وأفعالهم حتى يكونوا على علم بها ويبينوا لهم الصواب من غيره.

وفي ذلك عدة فوائد تربوية، منها:

(أ) تقويم أفعال الناشئة وغيرهم فما كان صوابًا استمروا عليه وإلا عدلوا عنه وأتوا بالصواب والصحيح.

(ب) عدم ضياع كثير من الوقت وكثير من الجهد في الاستمرار على الفعل الخطأ، الذي قد يصبح عادةً تحتاج إلى وقت وجهد للإقلاع عنها.

(ج) التوجيه العام من المربي لمن يقوم على تربيتهم، إذ أنه إذا اطلع على خلل ما ووجده قد يشكل اتجاهًا عامًا، فإنه يسارع إلى علاج هذا الخلل بكل الطرق الممكنة ومن أسرع تلك الطرق وأعمها التوجيه لجميع الأتباع.

ثالثًا- من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

لقد نهى النبي ﷺ الصحابي الذي صام عامًا كاملاً حتى أثر ذلك في جسده وبدنه وهيئته، لقد نهاه عن الاستمرار في هذا الصيام وأرشده إلى صيام يحفظ عليه قوته وطاقته وجهده، أي أن النبي ﷺ أرشده إلى أن يوازن بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فإذا كانت المطالب الروحية تدفعه إلى أن يصوم عامًا كاملاً، فإن هذا يحيف على مطالب الجسد وحقه في الراحة وحفظ قوته ونشاطه، والأمر نفسه إذا استجاب لمطالب الجسد، فإنه يحيف ويجور على مطالب الروح.

نخلص من هذا إلى أن ذلك الحديث دليل على أن التربية الإسلامية تربية متوزانة تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد، فلا تميل لجانب على حساب جانب آخر ولا

تعلي من شأن جانب وتحط من شأن آخر، ولا تهتم بإحداهما وتهمل الأخرى.

إنها تربية وسط بين هذا وذاك، "إن من أبرز خصائص التربية الإسلامية الوسطية ويعبر عنها بالتوازن وتعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه، مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير وما شابهها، ومعنى التوازن بينها أن يفسح لكل طرف منها مجاله وبعض حقه بالقسط أو بالقسطاس المستقيم، بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير ولا طغيان ولا إخسار، كما أشار إلى ذلك كتاب الله بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾[1]"[2].

رابعًا- التربية على الاستزادة من الخير:

لقد أمر النبي ﷺ الصحابي بأن يصوم شهر رمضان ويومًا من كل شهر، فقال له الصحابي: زدني فإن بي قوة، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وزاده فقال: صُم يومين، فرغب الصحابي في الزيادة فقال: زدني، فأقره النبي ﷺ على ذلك وقال: صم ثلاثة أيام، فأحب الزيادة على ذلك فأقره النبي ﷺ وحقق رغبته.

إننا نستفيد من إقرار النبي ﷺ للصحابي في الزيادة في عدد الأيام التي يصومها، أنه ينبغي أن يربي الناشئة على الاستزادة من الخير والاستكثار منه، ما دام لم يؤد ذلك إلى ارتكاب مخالفة شرعية، لأن في ذلك فوائد تربوية مهمة جدًّا، من ذلك:

(أ) زيادة مساحة الخير في المجتمع ويلزم عن ذلك نقص مساحة الشر والضرر بين الناس، فإن كان معظم الناس يستزيدون من الخير، فإنه لن يكون للشر هذه المساحة العريضة الواقعة في حياة الناس.

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٧ - ٩.

(٢) الخصائص العامة للإسلام ص ١٢٧ بتصرف.

(ب) تسخير الجهد والطاقة إلى فعل الخير والإتقان في ذلك وعدم الوقوف عند حدّ القبول والمعتاد، ولكن محاولة الوصول إلى المراتب العليا والدرجات الفضلى، فالخير لا حدّ له، وكلما استكثر الإنسان منه زاد رغبةً في المزيد، فالخير لا يأتي إلا بالخير، والجزاء من جنس العمل.

(ج) غرس روح المبادرة إلى الخيرات والمسابقة إلى الفضائل في نفوس الناشئة ونحوهم، وإذا رسخت هذه الروح تحقق في أرض الواقع ما كان يعده الناس أحلامًا وأماني تداعب الخيال ولا مكان لها لأن تلامس الواقع لحظة واحدة.

(د) إيجاد نماذج مشرفة أمام الناشئة وغيرهم صالحة للاقتداء بها والسير على منهاجها وتحقيق ما حققت وإنجاز ما أنجزت.

لهذا ينبغي أن يربى الشباب وغيرهم على الاستزادة من الخير.

❁ ❁ ❁

٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة

الحديث رقم (١٢٥١)

١٢٥١- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أيَّامٍ، العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أحَبُّ إلَى اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّام)) يعني أيام العشر. قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أيام العشر: العشر الأول من شهر ذي الحجة[2].

الشرح الأدبي

يخبر النبي الكريم ﷺ عن فضل العمل الصالح في العشر الأول من " ذي الحجة". ولذلك بني مطلع الحديث علي الأسلوب الخبري. والنفي إذا سلط علي النكرة أفاد العموم كما جاء في قوله: " ما من أيام ". ووصف العمل بكونه صالحا " يشع بأن هذا العمل الموصوف بالصلاح، هو المعتد به عند الله تعالي، لقوله عز وجل: "إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه..."[سورة فاطر، آية: ٩]. والتعبير بأفعل التفضيل أحب يوحي بالرضا والقبول، والتقريب، وتعلقه بالله يجعله أعظم أثرا لارتباط الأثر بالمؤثر، والاستفهام في قولهم: "ولا الجهاد في سبيل الله؟" حقيقي يراد منه التعلم

---

(١) برقم (٩٦٩) بنحوه. وبهذا اللفظ أخرجه أبو داود (٢٤٣٨). تبع فيه المؤلف المنذري في ترغيبه (١٧٢٥) حيث عزاه إلى البخاري، والترمذي، وأبي داود، وابن ماجه، واقتصر المؤلف على البخاري، ولكنه لم يلتزم بإيراد لفظ البخاري.

(٢) فتح الباري ٥٣٢/٢.

والاسترشاد لما قرَّ في نفوسهم من أن الجهاد أعظم الأعمال. والاستثناء في قوله: "إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشئ" يوحي بأن ذلك الرجل ضحي بالنفس التي هي أغلي من كل شئ، والمال الذي تأتي به النفس مما يدل على عظمة العمل في هذه الأيام التي بلغت هذا المبلغ. والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (ومن الصوم المسنون صوم الأيام التسعة من أول ذي الحجة، لحديث الباب)[1].

وقال ابن قدامة: (وأيام عشر ذي الحجة كلها شريفة مفضلة يضاعف العمل فيها، ويستحب الاجتهاد في العبادة فيها، لحديث الباب)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على استحباب صوم الأيام الثمانية التي من أول ذي الحجة قبل يوم عرفة، لحديث الباب)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة.

ثانيًا: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة:

هذا واضح من الحديث كله، ووقع في صحيح ابن حبان من حديث جابر بن

---

(١) المجموع ٢٨٣/٦ ، وانظر فتح الباري ٤٦٠/٢ .

(٢) المغني ٤٤٣/٤ .

(٣) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند ٢٠١/١ ط الأميرية ١٣١٠هـ، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومغني المحتاج ٤٤٦/١، والقيلوبي وعميرة ٧٣/٢، وكشاف القناع ٣٣٨/٢ (عن الموسوعة الفقهية ٩٢/٢٨-٩٣).

عبدالله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أيام عَشْرِ ذي الحِجَّةِ، قال: فَقَالَ رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ هُنَّ أفضلُ أمْ عِدَّتُهُنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ؟ قالَ: هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جهادًا في سَبِيلِ اللَّهِ ومَا مِنْ يَوْمٍ أفضلُ عِندَ اللَّهِ مَنْ يومِ عَرَفَةَ يَنْزِلُ اللَّهُ إلى السَّمَاءِ الدنيا فَيُبَاهِي بأهلِ الأرض أهلَ السَّماءِ، فَيَقُولُ: انظروا إلى عِبادي شُعثًا غُبْرًا ضاحين جاؤوا مِنْ كُلِّ فجَ عَمِيقٍ يرجونَ رحمتي، ولم يَرَوْا عذابي، فَلَمْ يُرَ يومٌ أكثرُ عتقًا من النارِ مِنْ يومِ عرفةَ))[1].

وقد بيّن العلماء فضل الصيام وغيره من الطاعات في العشر الأول من ذي الحجة في شرحهم لحديث الباب، قال ابن حجر: (ثبتت الفضيلة لأيام العشر بهذا الحديث... واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد، وأجيب بأنه محمول على الغالب ولا يرد على ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عائشة قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ صَائِمًا الْعَشْرَ قَطُّ))[2] لاحتمال أن يكون ذلك، لكونه كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يفرض على أمته، والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره. وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج أو يعم المقيم؟ فيه احتمال)[3].

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: فضيلة العشر الأول من ذي الحجة، وأنه كذلك من حيث إنه أول شهر حرام بين شهرين حرامين فيه أيام الإحرام من الحاج وأيام رفع الأصوات بالتلبية وقصد الناس بيت الله الحرام للحج الذي جعل الله فيه لمن شهده منافع، وذكر المنافع بلفظ الجمع للمنكّر. وهذا يشتمل على منافع غير محصورة؛ فإن القرآن العظيم إذا شهد بمنفعة فهي التي لا تتعقبها مضرة[4]، وهذا لا

---

(١) أخرجه ابن حبان ٣٨٥٣، وقال محققه: حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم ١١٧٦، وأبو داود ٢٤٣٩، والترمذي ٧٥٦.

(٣) فتح الباري ٢/٤٦٠.

(٤) قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ لسورة الحج، آية: ٢٨.

يكمل إلا بدخول الجنة إن شاء الله تعالى. وأعمال الحاج لهم، وأما غير الحاج، فإن أعمالهم في سبل البر التي يمكنهم سلوكها راجين أن يلحقهم الله بثواب الحاج و المعتمرين. وهذا يتضح بأن صيام يوم عرفة يعدل عامين إلا أنه لا يستحب صيامه للحاج، فيدل على أن عمل الحاج غير عمل من ليس بحاج)[1].

وقال ابن رجب الحنبلي: (وقد دل هذا الحديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها، وإذا كان أحب إلى الله فهو أفضل عنده، وإذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب إلى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه، وإن كان مفضولاً، أفضل من العمل من غيره وإن كان فاضلاً ولهذا قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: "ولا الجهاد" ثم استثنى جهادًا واحدًا هو أفضل الجهاد، وأما بقية أنواع الجهاد فإن العمل في عشر ذي الحجة أفضل وأحب إلى الله عز وجل منها، وكذلك سائر الأعمال، وهذا يدل على أن العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره، ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره)[2].

وقال ابن عثيمين: (العمل الصالح يشمل الصلاة والصدقة والصيام والذكر والتكبير وقراءة القرآن وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار وغير ذلك – كل الأعمال الصالحة... ففي هذا دليل على فضيلة العمل الصالح في أيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة من صيام وغيره)[3].

ثانيًا – من آداب المدعو: السؤال عما أشكل عليه:

هذا واضح من سؤال الصحابة رضوان الله عليهم: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ابن حجر: (ودل سؤالهم هذا على تقرر أفضلية الجهاد عندهم، وكأنهم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٤٩/٣-١٥٠.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٨-٤٥٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤١١/٢.

استفادوه من قوله ﷺ في جواب من سأله عن عمل يعدل الجهاد، فقال: لا أجده، وسيأتي في أوائل كتاب الجهاد من حديث أبي هريرة"[١] [٢].

ومن هذا القبيل ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: ((أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد))[٣].

قال ابن حجر: (فيه أن بر الوالد قد يكون أفضل من الجهاد، وأن المستشار يشير بالنصيحة المحضة، وأن المكلف يستفصل عن الأفضل في أعمال الطاعة ليعمل به لأنه سمع فضل الجهاد فبادر إليه، ثم لم يقنع حتى استأذن فيه، فدل على ما هو أفضل منه في حقه، ولولا السؤال ما حصل له العمل بذلك)[٤].

وقال ابن أبي جمرة: (من الفقه التثبت في العلوم الشرعية حتى تعلم على تحقيق ويقين والبحث عن ذلك مع الرفيع والوضيع على حدٍّ سواء بالأدب، لأن ذلك هو الطريق اللائق بالعلم، وإلا فصاحبه بُدعي زائغ عن العلم وسيرة السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، جعلنا الله من المتبعين لهم بمنّه)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

هذا واضح من سؤال الصحابة النبي ﷺ: ولا الجهاد يا رسول الله؟ فقال رسول الله: "ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللّهِ ورسولِهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيلِ اللّهِ. ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مَبْرُورٌ))[٦].

قال ابن رجب الحنبلي: (ويمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس بوجهين:

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥ واللفظ له، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) فتح الباري ٢/٤٦٠، وانظر: فتح الباري ٦/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٠٤، ومسلم ٢٥٤٩.

(٤) فتح الباري ٦/١٤٠، .

(٥) بهجة النفوس شرح مختصر صحيح البخاري ٤/٢٣٦.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

أحدهما: أن حديث ابن عباس قد صرّح فيه بأن جهاد من لا يرجعُ من نفسه وماله بشيء يفضل على العمل في العشر فيمكن أن يقال: الحج أفضل من الجهاد إلا جهاد من لم يرجع من نفسه وماله بشيء، ويكون هو المراد من حديث أبي هريرة ويجتمع حينئذ الحديثان.

والثاني: وهو الأظهر أن العمل المفضول قد يقترن به ما يصير أفضل من الفاضل في نفسه، وحينئذٍ فقد يقترن بالحج ما يصير به أفضل من الجهاد وقد يتجرد عن ذلك، فيكون الجهاد حينئذٍ أفضل منه، فإن كان الحج مفروضًا فهو أفضل من التطوع بالجهاد، فإن فروض الأعيان أفضل من فروض الكفايات عند جمهور العلماء، وإن كان الحاج ليس من أهل الجهاد، فحجه أفضل من جهاده كالمرأة ... وكذلك إذا استغرق العشر كله عمل الحج وأتى به على أكمل وجوه البر من أداء الواجبات واجتنباب المحرمات، وانضم إلى ذلك الإحسان إلى الناس ببذل السلام وإطعام الطعام، وضم إليه كثرة ذكر الله عز وجل والعج والثج وهو رفع الصوت بالتلبية، وسوق الهدي، فإن هذا الحج على هذا الوجه قد يفضل على الجهاد، وإن وقع عمل الحج في جزء يسير من العشر ولم يؤت به على الوجه المبرور، فالجهاد أفضل منه)[1].

وقال ابن تيمية: (والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان باتفاق العلماء أفضل من الحج والعمرة والصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة ... وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى والإخلاص له والتوكل عليه وتسليم النفس والمال له والصبر والزهد وذكر الله وسائر أنواع الأعمال، على ما لا يشتمل عليه عمل آخر. والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائمًا إما النصر والظفر،

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٦٣-٤٦٤.

وإما الشهادة والجنة، فإن الخلق لابد لهم من محيا وممات، ففيه استعمال محياهم ومماتهم في غاية سعادتهم في الدنيا والآخرة. وفي تركه ذهاب السعادتين أو نقصهما، فإن من الناس من يرغب في الأعمال الشديدة في الدين أو الدنيا مع قلة منفعتهما، فالجهاد أنفع فيهما من كل عمل شديد. وقد يرغب في ترفيه نفسه حتى يصادفه الموت، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك)[2].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٤٦٠-٤٦١، .

(٢) فتح الباري ٦/٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتوجيه لاغتنام الأوقات الفاضلة في العمل النافع:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضل أيام العشر الأول من ذي الحجة، فقال: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام" فأخبر ﷺ عما يكون في هذا الوقت من عمل، وليس أي عمل بل العمل الذي تتوافر فيه صفة الصلاح، أي إننا يمكن أن نستشف من هذا الحديث أنه لفت الأنظار وجذب الانتباه إلى أنه ليس المهم معرفة الوقت الفاضل فقط، وإنما القيام أيضًا فيه بالعمل الصالح، فلا يكفي أن نذكر ونكثر من الذكر لفضائل الأوقات، وإنما المطلوب مع ذلك أن نذكر ما يكون فيه من العمل الصالح بأنواعه المختلفة، إن المهم ليس المعرفة لكن المهم هو العمل ولا يكون أي عمل، بل هو العمل الصالح النافع المفيد في الآخرة، وإذا كان مفيدًا في الآخرة، فإنه في الأغلب الأعم مفيد في الدنيا.

إن في هذا الحديث إرشادًا إلى أهل التربية إلى أن يكون همهم الأول العمل والفعل لا الاكتفاء بالتنظير والتأطير ونحو ذلك، فليس هناك فائدة ترجى من تربية تقوم على النظريات المجردة والأفكار البحتة دون أن تلامس أرض الواقع وأن تجد لها مكانًا تعيش فيه، بدلاً من أن تظل حبيسة العيش في العقل والرأس.

إننا نسمع كثيرًا أن أهل التربية ينادون بأن الإنسان له فترة ذهبية يجب فيها العناية به عناية فائقة، كما يجب وضع البرامج والخطط التي تؤدي إلى الوصول إلى الهدف المبتغى من هذا الإنسان وتفعيلها حتى تؤتي بالثمار المطلوبة، إن هذه الفترة هي فترة الطفولة إلى مطالع سن الشباب، ورغم هذا الاهتمام النظري فإنه تمر هذه السنوات من عمر كثير من الشباب دون عناية تذكر واهتمام يلفت الأنظار فتضيع هذه السنوات الثمينة الغالية هباء دون جدوى أو نفع مقبول.

والخلاصة أن هذا الحديث يمكن أن يستدل به على أنه يجب تربية الناشئة وغيرهم أن المهم ليس المعرفة فقط وإنما العمل أيضًا، أي الجمع بين العلم والعمل، فلا فائدة من علم لم يتبعه عمل ولا خير في عمل لا يقوم على علم، ولعل في هذا عدة فوائد تربوية مهمة جدًا، منها:

أ - دفع الناشئة وغيرهم إلى أن يتعودوا على تطبيق ما يعرفونه والاستفادة منه في حياتهم العملية، بحيث يظهر لهذه المعرفة أثر في أرض الواقع.

ب - تشجيعهم على أن يضربوا أمثلة عملية مضيئة لغيرهم في الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، وفي ذلك دعوة لأن يقتدي بهم الآخرون فيفعلوا مثلما يفعلون؛ وهكذا يظهر ما يسمى بالعدوى الحميدة في فعل الخير والقيام به.

ج - تعويدهم على أن يكون عملهم من الصالح، فبقدر ما يكون صلاح أعمالهم يكون صلاحهم وقيامهم بما ينبغي عليهم، وكلما كان العمل صالحًا كان أكثر دلالة على صلاح الفرد ظاهرًا وباطنًا سرًا وعلانية.

ثانيًا - التربية على فقه الأمور وتحصيل الثواب:

إن سؤال الصحابة رضي الله عنهم عن معادلة الجهاد في سبيل الله للعمل الصالح في أيام العشر الأول من ذي الحجة، سؤالهم هذا دليل على أن هناك اختلافًا في درجات العمل وما يترتب على ذلك من أجر وجزاء، ويدل على ذلك أيضًا جواب النبي ﷺ على سؤالهم، فلم يساوِ ﷺ بين العمل الصالح في هذه الأيام وبين الجهاد في سبيل الله على قدر فضله وعظيم شرفه، ونفى هذه المساواة والمعادلة وأثبتها في حالة واحدة وهي الحالة العليا من الجهاد، إنه جهاد بالمال والنفس ثم ينفد المال وتزهق النفس كل ذلك في سبيل الله عز وجل.

أي أن النبي ﷺ بين لأصحابه - على وجه الإجمال - درجات الجهاد ومراتبه، وما يتبع ذلك من اختلاف مقادير الأجر والثواب، وفي هذا إرشاد لأهل التربية والتوجيه والتقويم أن ينشئوا أتباعهم ومن يقومون على شؤونهم على هذا المبدأ وهذه القاعدة، اختلاف الأجر باختلاف درجات العمل نفسه، فلا يتساوى عندهم الأهم مع المهم والأفضل مع الفاضل، إن الصحابة رضي الله عنهم تربوا على الحرص على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ولذا كانوا يحرصون على سؤال النبي ﷺ على مراتب الأعمال، وكانوا يعتمدون الفهم والفقه أساسًا للعمل، وهذه ظاهرة صحية تدل على إعمالهم لعقولهم وموازنتهم بين الأمور، ورغبتهم في تحصيل العلم النافع من مصادره الأصيلة وذلك من خلال سؤالهم للنبي ﷺ حتى يفقهوا الأمور ويكونوا على بينة.

إن مما نعانيه في الواقع المعاصر أن بعض الشعوب وبعض البلاد يتساوى عندها الفعل الواحد على اختلاف درجاته وأنواعه وهيئاته في الأجر والجزاء، وفي هذا من الضرر ما فيه، بل يزداد الأمر سوءًا أن يتساوى الفعلان المتناقضان فيتساوى المحسن مع المسيء والطيب مع الخبيث، والمتقن مع المهمل، والمجيد مع المفرط، وهكذا حتى أصبح لا يتوقع لهذه الدول وهذه المجتمعات وتلك الشعوب الدرجة الدنيا من التقدم والتحضر، بل تظل حبيسة تخلفها وتراجعها بل انحطاطها.

إن في تعليم الناشئة فقه الأمور لتحصيل الأجر الجزيل من الله تعالى لأن الأجر يختلف باختلاف درجات العمل فوائد تربوية عظيمة من أهمها:

أ - تعويد الناشئة على إتيان الأفضل والأحسن والأجود من الأعمال والأقوال والأفعال، حتى يحصلوا أعظم الأجر وأفضل الثواب وأجزل الجزاء.

ب - إعطاء أهل الفضل حقهم وقدرهم من التقدير والاحترام، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها، بعلمهم وجهدهم وتعبهم ومثابرتهم، وفي ذلك إبرازهم قدوة أمام المجتمع وأسوة وإقراره، فيعملون أعمالهم، وينسجون نسجهم ويسيرون على سيرهم، وفي ذلك إشاعة لروح العلم والعمل والابتكار والإبداع بين أفراد المجتمع حتى تصير ثقافة شائعة بينهم، ومن المعروف أن الثقافة هي التي تشكل توجهات الأفراد وميولهم وأحكامهم وأفعالهم، وكلما كانت الثقافة تنحو نحو الأفضل كانت أفعال الأفراد تنحو هذا المنحى.

ج - تعويد الناشئة أن يعرفوا موقعهم ومكانهم في ضوء هذه الأعمال واختلاف درجاتها، فلاشك أن من يحرص على أن يكون فعله في المرتبة الأعلى يختلف ثوابه وجزاؤه عمن يكون عمله في المرتبة الأدنى، وفي هذا تقويم ذاتي مستمر ينبع من الفرد نفسه، فيعرف أين يكون موقعه وأين يكون ترتيبه، فإن كان محسنًا ازداد إحسانًا، وإن كان في رتبة أقل سعى أن يصل إلى الدرجة الأعلى منها، وهكذا يظل الفرد الصالح في ترقٍ دائم، وفي ذلك صلاح للمجتمع فما المجتمع إلا مجموعة من الأفراد، فإذا صلحوا صلح وإلا كان نصيبه الفساد والخلل والانحراف.

۞ ۞ ۞

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

الحديث رقم (١٢٥٢)

١٢٥٢- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صَومِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يومُ عرفة: اليوع التاسع من ذي الحجة، يوم وقوف الحجيج بعرفةٍ[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث الشريف علي الأسلوب الخبري، حيث أخبر فيه الرسول الكريم ﷺ عن منزلة صيام يوم " عرفة " فقال: " يكفر السنة الماضية والباقية " والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي استمرار فضل الله علي صائم ذلك اليوم، وتشديد الفاء في الفعل نفسه يوحي بتكرار المغفرة والستر من جهة رب العزة – جل في علاه - ، وقدم السنة " الماضية " علي " الباقية "، لأن الذنوب التي صدرت عن العبد في السنة " الماضية " متيقنة، أما ذنوب السنة المتبقية فمظنونة، لأنه ربما لا يعيش حتى تأتيه تلك السنة، وعلي كل فإن كلمات الحديث تشع بالأمل الكبير في فضل الله تعالي، الذي يعطي الثواب الجزيل علي العمل القليل، ولكن بشرط أن تكون النية صادقة، وخالصة لوجه الله تعالي، والطباق بين الماضية، والباقية يؤكد استيعاب الكفارة لذنوب العبد ما بين يديه من خلفه.

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٩١).

(٢) اللسان والقاموس في (ع ر ف).

فقه الحديث

اتفق الفقهاء على استحباب صوم يوم عرفة لغير الحاج، وهو يوم التاسع من ذي الحجة، لحديث الباب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن أمور الدين:

هذا واضح من قول أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ فهذا يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألونه ﷺ عن أمور دينهم حتى يعلموها ويعملوا بها، لأنه ﷺ يبلغ عن ربه عز وجل. وهذا الحديث حديث طويل يغلب على الظن أن ذكره يوضح ما سبق من حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عن أمور دينهم. قال أبو قتادة الأنصاري رضي الله عنه: ((رَجُلٌ أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: كَيْفَ تَصُومُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللّهِ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ رضي الله عنه غَضَبَهُ قَالَ: رَضِينَا بِاللّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ غَضَبِ اللّهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ. فَجَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه يُرَدِّدُ هذَا الْكَلاَمَ حَتَّى سَكَنَ غَضَبُهُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟ قَالَ: لاَ صَامَ وَلاَ أَفْطَرَ "أَوْ قَالَ": لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: وَيُطِيقُ ذلِكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا؟ قَالَ: ذَاكَ صَوْمُ دَاوُدَ عليه السلام قَالَ: كَيْفَ مَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذلِك ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ:

---

(١) حاشية ابن عابدين ٨٣/٢، وحاشية الدسوقي ٥١٥/١، ومواهب الجليل ٤٠٣/٢، والمهذب وشرح المجموع ٢٧٦/٦-٢٧٧، والمغني ٤٤٠/٤، والموسوعة الفقهية ٩٠/٢٨.

ثَلاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ. وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ. فَهذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ. صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ. وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ. وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ))[1].

بل بلغ من حرص الصحابة على تعلم أمور الدين أن طلبت الصحابيات من رسول الله ﷺ أن يخصص لهن يومًا يعظهن فيه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((قالتِ النساءُ للنبيِّ ﷺ: غَلَبَنا عَلَيكَ الرِّجالُ، فاجعلْ لنا يَومًا مِنْ نَفْسِكَ. فوَعدَهُنَّ يومًا لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَّ وأمَرَهنَّ، فكانَ فيما قال لَهنَّ: «ما منكُنَّ امْرأةٌ تُقَدِّمُ ثلاثةً مِن وَلَدِها إلاّ كانَ لَها حِجابًا مِنَ النار» فقالت امرأةٌ: واثنينِ؟ فقال: «واثنين»))[2].

قال ابن حجر: (وفي الحديث ما كان عليه نساء الصحابة من الحرص على تعلم أمور الدين)[3]. وقال أبو العباس القرطبي: (وفي هذا الحديث ما يدلّ على فضل نساء ذلك الوقت. وما كانوا عليه من الحرص على العلم والحديث عن رسول الله ﷺ)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عرفة:

هذا واضح من قوله ﷺ عن صيام يوم عرفة: يكفر السنة الماضية والباقية.

قال النووي: (معناه: يكفر ذنوب صائمه في السنتين. قالوا: والمراد بها الصغائر، فإن لم تكن صغائر يرجى التخفيف من الكبائر، فإن لم يكن رفعت درجات)[5].

وقال الشوكاني: (قوله "صوم يوم عرفة يكفر سنتين ... إلخ" في بعض ألفاظ الحديث "أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده" وقد استشكل تكفيره السنة الآتية لأن التكفير: التغطية، ولا تكون إلا شيء قد وقع. وأجيب بأن المراد يكفره بعد وقوعه، أو المراد أنه يلطف به فلا يأتي بذنب فيها بسبب صيامه ذلك

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٢.

(٢) أخرجه البخاري ١٠١، ١٠٢، ومسلم ٢٦٣٢.

(٣) فتح الباري ١/٢٣٧ ط الريان.

(٤) المفهم ٦/٦٤٠-٦٤١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٤، طر دار عالم الكتب.

اليوم[١]... والحديث يدل على استحباب صوم يوم عرفة)[٢].

ويوم عرفة له فضائل كثيرة قال ابن رجب الحنبلي: (منها أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ومنها: أنه عيد لأهل الإسلام كما قال عمر بن الخطاب وابن عباس، فإن ابن عباس قال: نزلت[٣] في يوم عيدين: يوم جمعة ويوم عرفة[٤]. وروى عمر أنه قال: وكلاهما بحمدالله لنا عيد أخرجه ابن جرير في تفسيره[٥]... لكنه عيد لأهل الموقف خاصة، ويشرع صيامه لأهل الأمصار عند جمهور العلماء)[٦].

وقال الحافظ ابن حجر: (وقد روى مسلم حديث أبي قتادة مرفوعًا: إن صوم عاشوراء يكفر سنة، وإن صيام يوم عرفة يكفر سنتين، وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء، وقد قيل في الحكمة ذلك: إن يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي ﷺ فلذلك كان أفضل)[٧].

وقال ابن رجب كذلك: (فليحافظ على الأسباب التي يرجى بها العتق والمغفرة:

فمنها: صيام ذلك اليوم، ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة ... فذكر حديث الباب، ومنها: حفظ جوارحه عن المحرمات في ذلك اليوم، ففي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: ((يوم عرفة هذا يوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له))[٨].

ومنها: الإكثار من شهادة التوحيد بإخلاص وصدق، فإنها أصل دين الإسلام الذي

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (أو يوفقه لأعمال صالحة تكفر ما يقع فيها من الذنوب) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٩٠.

(٢) نيل الأوطار ص ٨٢٦-٨٢٧.

(٣) يقصد ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقد قال عمر بن الخطاب "نزلت ورسول الله ﷺ قائم بعرفة يوم جمعة" أخرجه البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٠٤٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٣٨).

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٨/٨٧-٨٨.

(٦) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٨٧.

(٧) فتح الباري ٤/٢٤٩، .

(٨) أخرجه أحمد ١/٣٢٩، رقم ٣٠٤١، وقال محققوه: إسناده ضعيف ٥/٦٥.

أكمله الله تعالى في ذلك اليوم وأساسه، وفي المسند عن عبدالله بن عمرو قال: ((كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير))[1] وأخرجه الترمذي ولفظه: خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[2].

ومنها: كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق، فإنه يرجى إجابة الدعاء فيه)[3]. وقال الشيخ عبدالله البسام: (صوم يوم عرفة هو أفضل صيام التطوع بإجماع العلماء)[4].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من ذكر النبي ﷺ ثواب صيام يوم عرفة، ولاشك أن هذا يدفع المدعو إلى امتثال الأمر نظرًا لما يترتب على ذلك من خير يناله في الدنيا والآخرة، والنفس البشرية خلقها الله متشوقة إلى الجزاء الذي يترتب على العمل، فتنشط أشد ما يكون النشاط عندما ترغّب في الأعمال والأفعال بذكر الثواب المترتب عليها.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢١٠، رقم ٦٩٦١، وقال محققوه: حسن لغيره ١١/٥٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٨٥ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٩٢-٤٩٤.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٩٠.

الحديث رقم (١٢٥٣)

١٢٥٣ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ صَامَ يَومَ عاشوراءَ وَأمَرَ بصِيامِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: بالمد وحكي فيه بالقصر وهو اليوم العاشر من شهر المحرم[٢].

الشرح الأدبي

إن كلمات الحديث تدل علي أن المصطفي ﷺ كان أول المطبقين للشرع، وأول الطائعين العابدين يدل علي هذا: الفعل الماضي في أول الحديث: " صام يوم عاشوراء، ولما قام بهذه العبادة أمر غيره أن يقوموا بها، ليتحقق الخير، والرشد، والهدي لهم فقال: " وأمر بصيامه ". وسبب صيام عاشوراء هو شكر الله تعالي علي نجاة " موسي " عليه السلام ومن معه من المؤمنين، لأنه لما ذهب إلي المدينة المنورة، ووجدوا اليهود يصومونه، صامه، وأمر بصيامه، لأننا أولي بموسي منهم. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

حكم صوم يوم عاشوراء: اتفق الفقهاء على أن يوم عاشوراء سنة وليس بواجب[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٧)، ومسلم (١١٣٠/١٢٨)، ولفظهما: (فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه). والسياق للمنذري في ترغيبه (١٥٠٥)، وعند مسلم برقم (١١٣٤/١٣٣) بلفظ: (سمعتُ عبد الله بن عباس يقولُ: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، حاشية الصاوي ٦٩١/١، مغني المحتاج ١٨٣/٢، المغني ٥/٣، شرح صحيح مسلم ٤/٨، سبل السلام ٢٨٧/٢.

واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم ١٢٥٢، وأما أمره ﷺ في حديث الباب رقم ١٢٥٣ فمحمول على الاستحباب، لأن أمر النبي ﷺ بصيامه كان حين قدم المدينة ولا شك أن قدومه كان في ربيع الأول فحينئذ كان الأمر بذلك في أول السنة الثانية، وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الأمر بصوم عاشوراء إلا في سنة واحدة، ثم فوض الأمر في صومه إلى المتطوع[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام يوم عاشوراء:

هذا واضح من الأحاديث، وقد بوّب البخاري في صحيحه من كتاب الصوم: باب صيام يوم عاشوراء، ذكر تحته أحاديث في صيامه وفي الترغيب فيه، من ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها: ((كان يوم عاشوراءَ تصومُه قُريشٌ في الجاهلية. وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَصومُه في الجاهليةِ، فلما قَدِمَ المدينةَ صامَهُ وأمَرَ بصِيامِهِ، فلما فُرِضَ رمضانُ تَرَكَ يومَ عاشُوراءَ، فَمَنْ شاءَ صامَهُ ومَن شاءَ ترَكه))[3].

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه[4].

ومن حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدًا قال

---

(١) نيل الأوطار ٤/٢٤٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٥٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٥٤، ١٢٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٠٢، ومسلم ١١٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٤، ومسلم ١١٣٠.

النبي ﷺ: ((فصوموه أنتم))[١]. وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يَتحرَّى صيامَ يومٍ فَضَّلَهُ على غيرِهِ إلاَّ هذا اليومَ يَومَ عاشُوراءَ، وهذا الشهرَ يعني شهرَ رمضانَ))[٢].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان - وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا - لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى "يتحرى" أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

ومنه حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: ((أمرَ النبيُّ ﷺ رجلاً مِن أسْلَمَ أنْ أذِّنْ في الناسِ أنَّ مَن كان أكلَ فلْيَصُمْ بَقيَّةَ يَومِه، ومَن لم يَكُنْ أكلَ فلْيَصُمْ، فإنَّ اليومَ يومُ عاشُوراءَ))[٤].

قال ابن حجر: (ويؤخذ من مجموع الأحاديث أنه كان واجبًا لثبوت الأمر بصومه، ثم تأكد الأمر بذلك ثم زيادة التأكيد بالنداء العام ثم زيادته بأمْر من أكَل بالإمساك، ثم زيادته بأمر الأمهات ألا يرضعن فيه الأطفال[٥]، وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم[٦]: "لما فرض رمضان ترك عاشوراء" مع العلم بأنه ما تُرِك استحبابُه بل هو باقٍ، فدل على أن المتروك وجوبُه. وأما قول بعضهم: المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه، بل تأكد استحبابه باق ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته ﷺ حيث يقول: "لئن عشتُ لأصومن التاسع والعاشر" ولترغيبه في صومه وأنه يكفر سنةً، وأي تأكيد أبلغ من هذا؟)[٧].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٠٥، ومسلم ١١٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٤٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٠٧، ومسلم ١١٣٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٦٠، ومسلم ١١٣٦ من حديث الرُبَيِّع بنت معوذ رضي الله عنها بنحوه.

(٦) صحيح مسلم ١١٢٧.

(٧) فتح الباري ٤/٢٤٧، ط السلفية.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مراتب صيام يوم عاشوراء:

وهذا يوضحه حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" وفي رواية قال ابن عباس رضي الله عنه: ((حِينَ صَامَ رَسُولُ اللّهِ : يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، إِنْ شَاءَ اللّهُ، صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ. قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ))[1].

قال ابن القيم: (والصحيح أن المراد صوم التاسع مع العاشر لا نقل اليوم، لماروى أحمد في مسنده من حديث ابن عباس يرفعه إلى النبي ﷺ قال: "خالفوا اليهود، صوموا يومًا قبله، أو يومًا بعده"[2] وقال عطاء عن ابن عباس: صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود وذكره البيهقي[3]. وهو يبين أن قول ابن عباس: إذا رأيت هلال المحرم فاعدد، فإذا كان يوم التاسع فأصبح صائمًا[4]، أنه ليس المراد به: أن عاشوراء هو التاسع. بل أمره أن يصوم اليوم التاسع قبل عاشوراء.

فإن قيل: ففي آخر الحديث: قيل: كذلك كان يصومه محمد ﷺ؟ قال: نعم[5]. فدل على أن المراد به نقل الصوم لا صوم يوم قبله.

قيل: قد صرح ابن عباس بأن النبي ﷺ قال: "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" فدل على أن الذي كان يصومه هو العاشر، وابن عباس راوي الحديثين معًا، فقوله: "هكذا كان يصومه محمد"، أراد به - والله أعلم - قوله "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" عزم عليه، وأخبر أنه يصومه إن بقي، قال ابن عباس: "هكذا كان يصومه" وصدق رضي الله عنه، هكذا كان يصومه لو بقي، فتوافقت الروايات عن ابن عباس، وعلم أن المخالفة المشار إليها بترك إفراده، بل يصام يوم قبله أو يوم بعده، ويدل عليه أن

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٣٠-١١٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤١/١، رقم ٢١٥٤ وضعف إسناده محققو المسند ٥٢/٤.

(٣) السنن الكبرى ٢٨٧/٤.

(٤) أخرجه مسلم ١١٣٣.

(٥) هو آخر الحديث الذي أخرجه مسلم ١١٣٣.

في رواية الإمام أحمد: قال رسول الله ﷺ: لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع - يعني لصوم عاشوراء - وخالِفُوا اليهود فصوموا قبله يومًا وبعده يومًا"، فذِكْر هذا عقب قوله "لأصومن التاسع" يبين مراده)[1].

وقال ابن القيم أيضًا: (فمراتب صومه ثلاثة: أكملها: أن يصام قبله يوم وبعده يوم، ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الأحاديث ويلي ذلك إفراد العاشر وحده بالصوم.

وأما إفراد التاسع، فمن نقص فهم الآثار وعدم تتبع ألفاظها وطرقها، وهو بعيد من اللغة والشرع، والله الموفق للصواب.

وقد سلك بعض أهل العلم مسلكًا آخر فقال: قد ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة مع الإتيان بها، وذلك يحصل بأحد أمرين إما بنقل العاشر إلى التاسع أو بصيامهما معًا، وقوله: "إن كان العام المقبل صمنا التاسع" يحتمل الأمرين، فتوفي رسول الله ﷺ قبل أن يتبيّن لنا مراده، فكان الاحتياط صيام اليومين معًا، والطريقة التي ذكرناها أصوب إن شاء الله ومجموع أحاديث ابن عباس تدل عليها، لأن قوله في حديث أحمد ((خالفوا اليهود صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده))[2] وقوله في حديث الترمذي ((أمرنا بصيام يوم العاشر))[3] يبيّن صحة الطريقة التي سلكناها والله أعلم)[4].

وقال ابن القيم كذلك (إن قيل لم كان عاشوراء يكفر سنة ويوم عرفة يكفر سنتين؟ قيل: فيه وجهان: أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام بخلاف عاشوراء. الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا بخلاف عاشوراء فضوعف ببركات المصطفى ﷺ والله أعلم)[5].

---

(١) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٣٢٣-٣٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٤١، رقم ٢١٥٤ وضعّف إسناده محققو المسند ٤/٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٥٥ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٦٠٣).

(٤) زاد المعاد ٢/٧٦-٧٧.

(٥) بدائع الفوائد، ابن القيم ٧٥١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، وهي نسخة مصورة، ٤/٢١١.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

وهذا واضح في بيان النبي ﷺ لجزاء صيام عاشوراء بأنه يكفر السنة الماضية، وهذا ترغيب ودفع للمدعوين أن يصوموا هذا اليوم حتى ينالوا هذا الجزاء العميم، وخاصة أن المدعوين -وهم بشر- لا يخلون من الوقوع في الذنوب والآثام، فجاء هذا الصوم ليمحوها بفضل الله ومنّه.

الحديث رقم (١٢٥٤)

١٢٥٤- وعن أَبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: ((يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

يوم عاشوراء: اليوم العاشر من المحرم[2].

يُكفِّر: يستر ويمحو[3].

الشرح الأدبي

في الحديث السابق عرفنا أن النبي الكريم ﷺ قد صام يوم عاشوراء، وأمر بصيامه " وفي هذا الحديث يبين المصطفي ﷺ منزلة ومكانة ذلك اليوم، ببيان أجر صيامه، وأوضح لنا أنه " يكفر السنة الماضية " وهنا مضاف محذوف تقديره: " ذنوب السنة الماضية " لأن تكفير الذنوب لا يتأتي للأيام أو الليالي، أو السنوات إنما يتطرق لما حدث في تلك الأزمنة من ذنوب ومعاص فالزمن ما هو إلا وعاء لما يحدث فيه من خير أو شر، ويأتي يوم القيامة شاهدا بما وقع فيه، والفعل المضارع: " يكفر " يدل علي الاستمرار والتجدد، ويدل علي سعة رحمة الله وستره، ومغفرته.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ش ر).

(٣) المرجع السابق في (ك ف ر).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٥)

١٢٥٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قابل: العام المقبل[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي أسلوب الشرط، وجوابه. الذي يعلق الجواب على الفعل وجاء " بإن " في فعل الشرط، لأنها تدل علي الشك في وقوع ما بعدها، فالنبي ﷺ لا يعرف إن كان سيبقي أم لا، لأنه لا يعلم الغيب وهذا هو سبب مجيئه بإن في قوله: " لئن بقيت " وجاء بلام التوكيد في جواب الشرط في قوله " لأصومن التاسع " للتدليل علي أن أنه عزم علي ذلك، واستحضر النية، وزاد التوكيد بالنون المشددة في الفعل المضارع " لأصومن " وعلل سبب ذلك في بعض الأحاديث بأن هذا سيحدث لمخالفة اليهود في صيامهم وهذا يوحي باستقلالية أمة محمد صلي الله عليه وسلم التي حرص الرسول عليها حتى لا تكون تابعة لغيرها ولا ذيلا للأمم لاسيما في قبائح الأفعال، و كثافة المؤكدات في عبارة الرسول ﷺ تشير إلى عزمه الجازم صيام التاسع مع العاشر مما يشير إلى عظيم فضل هذا اليوم ثم إنه ترغيب لجموع المقتدين به المهتدين بهديه من أمته.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (١١٣٤/١٣٤).

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٠٦.

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٥٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السؤال عن الأعمال الصالحة وثوابها:

إن النبي ﷺ قد سُئل سؤالين كما في أحاديث الباب:

(أ) لقد سئل عن صوم يوم عرفة.

(ب) كما سئل عن صيام يوم عاشوراء.

ومما يلاحظ على هذين السؤالين ما يلي:

(أ) أن السؤال عن أعمال صالحة وأفعال طيبة.

(ب) أن السؤال كان عن نوافل ولم يكن عن فروض، مما يدل على تشوف السائلين إلى عمل هذه النوافل بعد أن أدوا الفروض ليزدادوا ثوابًا على ثوابٍ، وجزاءً فوق جزاء.

(ج) أن السؤال جاء عامًّا فلم يظهر فيه أكان السؤال عن العمل نفسه أم عن ثوابه، أم كليهما معًا. وعن أي كان السؤال، فإنه يدلّ على أن ثقافة السؤال عن الأعمال الصالحة كانت مستقرّة وشائعة فيما بينهم، فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون أشد الحرص على سؤال النبي ﷺ عن أفضل الأعمال وعن الأعمال التي يترتب على عملها الثواب العظيم، والمتأمل في حياة الصحابة رضي الله عنهم يدرك مدى الحرص الذي كانوا عليه، حتى إنهم تربوا على أهمية السؤال والبحث والفهم والمراجعة لاستيعاب الأمور، وقد شجعهم على ذلك حلم وسعة صدر النبي ﷺ، حيث قام بتنمية هذا الحسّ التربوي الذي جعلهم يتسابقون في هذا الأمر، ولا شك أن ذلك أثمر ثمارًا طيبة تمثلت في هذا العلم وهذه الكنوز من السنة النبوية التي نقلوها إلينا من النبع الصافي، وقد قام سلف الأمة - رحمهم الله - بالذّب عن تلك السنة، فقدموا خدمة عظيمة لهذا المصدر الثاني من خلال العناية بالسند والمتن ووضع الضوابط الدقيقة صيانة للسنة.

إن تلك الملكة التربوية التي كانت لدى الصحابة رضي الله عنهم في حرصهم على السؤال والمعرفة وتشجيع النبي ﷺ لهم، يعد ذخيرة عظيمة في مجال التربية للقائمين على التربية والتوجيه ليحرصوا أشد الحرص على حث الناشئة والكبار على السؤال عما

يخفى عليهم، ولا بد من أن يتسع صدر المربين والمعلمين والدعاة للإجابة على الأسئلة حتى يكون السائل على بينة من أمره ويفهم أمور دينه، ويعبد الله على علم.

إن مجتمعًا يسأل أفراده عن الخير وثوابه لمجتمع جدير بالترقي والصعود والتقدم والازدهار، إنهم يريدون ليحققوا الخيرية التي حضّ الشرع عليها وعلى تحقيقها وتفعيلها ووعد من اتصف بها بالتمكين في الأرض.

وغني عن القول أن ذلك يغرس في الناشئة وغيرهم حب المسابقة إلى الخير والمبادرة إليه، وبذل الوسع والجهد لتحصيله وتحصيل ثوابه وجزائه، وفي ذلك الخير لهم وللمجتمع.

كما أن السؤال والبحثَ عن المعرفة طريقُ الابتكار والإبداع لأن النفس إذا ألفت الخير واعتادته وأحبت فعله وأحبت السؤال عنه، فإن ذلك يدفعها إلى أن تبتكر طرقًا جديدة وأساليب مخترعة للوصول إليه وفعله والاستمرار على ذلك.

ثانيًا- التربية بالاقتداء:

لقد صام النبي ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، أي أن النبي ﷺ جمع بين فعله ﷺ وأمره أصحابه رضي الله عنهم، فإذا أمر رسول الله ﷺ بشيء كان أول الفاعلين، وإذا نهى عن شيء كان أول المنتهين والمجتنبين، فكان ﷺ قدوة لأصحابه في الامتثال والاجتناب، والسنة والسيرة النبوية مليئة بمثل ذلك، أليس في ذلك أبلغ إرشاد للمربين والواعظين والقائمين على شؤون التوجيه والإرشاد إلى أن يكونوا قدوة لمن هم مسؤولون عنهم، فلا يقيمون جدارًا فاصلاً بين القول والفعل، فيكون قولهم جميلاً حسنًا طيبًا، على حين يكون فعلهم شاهدًا على عدم امتثالهم لما نادوا به وأعلنوه ودفعوا غيرهم لفعله وإتيانه؟.

"إن المربي لا ينفصل عن تربيته والاقتران بين المربي والتربية قائم في أذهان الناس، والمربي نفسه شهادة للتربية، وهذه الشهادة قد تحمل الناس على قبول ما يدعو إليه في تربيته، وقد تحملهم على ردها ورفضها، والذين يتعاملون مع المبادئ مباشرة قلة قليلة في كل عصر ومكان، وأما أكثر الناس فيتعاملون مع حملة المبادئ والناطقين باسمها وكلما كان المبدأ عظيمًا وقويًا كان التزامه أشدّ وكان الوصول فيه إلى المطلوب

أشق، والإسلام فيه من الواجبات والتكاليف ما يجعل المجاهدة في سبيل بلوغ مقاماته دائمة لا تفتر، متصلة لا تنقطع.

وعندما يكون المربي بعيدًا عن الالتزامات بواجبات الإسلام وتكاليفه فإنه يكون فتنة للناس يصرفهم بسلوكه عن دين الله ويقطع الطريق على الناس، فمثله كمثل قاطع الطريق، بل هو أسوأ.. إن الناس عندما يرون سلوك المربي مخالفًا للإسلام يصرفهم هذا السلوك عما يربيهم عليه، قائلين لو كان هذا هو الحق لظهرت أحقيّته على أتباعه وتصرفاتهم.

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة على امتثالهم لما يدعون غيرهم إليه وعندما رأى سكان البلاد المفتوحة صدق هؤلاء الأصحاب وثباتهم على عقيدتهم وتمثلهم لمنهج دينهم أقبلوا على الإسلام، قال ابن القيم: (ولهذا لما رأى النصارى الصحابة وما هم عليه آمن أكثرهم اختيارا وطوعا. وقالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء). ثم يقول ابن القيم: (ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيرا من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبرونا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام)، وكلام ابن القيم هذا في القرن الثامن الهجري، فكيف لو كان يعيش في عصرنا هذا حيث يعطى المسلم صورة عكسية عن الإسلام وتعاليمه.

والداعية قد يكون معروفًا عند الناس وقد يكون مجهولاً، فإذا شرع في الدعوة وكان معروفًا بالاستقامة والورع فإن كلامه يصل إلى مجامع القلوب، وكانت استقامته وورعه تقدمة القبول والحافز عليه وإذا كان الداعية فقيرًا في التزامه واتباعه فإن كلامه يمر من فوق الرؤوس كالسهم الطائش الذي لا يصيب الهدف.

وحياة المربي الخاصة والعامة موضع الملاحظة وعين الناس عليه كالمجهر المكبر، وقبل أن يطالب الناس بترك الغيبة فعليه أن يدفع الغيبة والتهمة عن نفسه وأن يصون حياته الخاصة والعامة عن كل ما يشينها[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد، ط/٢ دار العدوي، الأردن: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٧٧ - ٨٣ بتصرف.

٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

الحديث رقم (١٢٥٦)

١٢٥٦- عن أَبي أيوب رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قَالَ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي جملة شرطية واحدة، تدل علي الحث، والترغيب؛ لأن أسلوب الشرط يعرض الجزاء مرتبطاً بالفعل، ويترك المؤمن ليختار مصيره، وداعي الله في قلبه يدعوه إليه، فيكون حرَّ الاختيار بعد ظهور العاقبة، وهو يناسب مقام التوجيه، والنصح، والإرشاد وهنا توجيه غير مباشر لاغتنام صيام ستة أيام من " شوال ". وحرف العطف " ثم " يدل علي الترتيب مع التراخي، فليس من المحتم أن يصوم المسلم هذه الأيام عقب يوم الفطر، وليس من الضرورة أن تكون هذه الأيام متتابعة في الصيام – كما يري الفقهاء – ولعل هذا هو سر التنكير في كلمة، " ستا " فلم يقل من اليوم الثاني إلي اليوم السابع مثلا، ولكنها " ستة أيام اختيارية " لمن كان قادرا علي صيامها، لكي تجبر ما قد عساه حدث من نقص في صيام الفريضة في شهر رمضان و " من " في قوله، " من شوال " للتبعيض أي من بعض الأيام في شوال. واجتهد العلماء في توضيح قوله "

---

(١) برقم (١١٦٤/٢٠٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨٧).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

كان كصيام الدهر " فقالوا إن رمضان يعادل ثلاثمائة يوم، وهذه الأيام الستة تعادل ستين يوما، وهما مجموع السنة القمرية.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم صيام ستٍ من شوال عقب رمضان: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) إلى استحباب صيام ست من شوال عقب رمضان[1] واستدلوا بحديث الباب، ولما في ذلك من المبادرة إلى العبادة، ولما في التأخير من الآفات[2].

وذهب المالكية إلى كراهة ذلك واستدلوا على ذلك[3] بأن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته، وأن يلحق برمضان ما ليس منه[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء لدلالة الحديث الظاهرة على ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل صيام ستة أيام من شوال:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن صيام رمضان وست من شوال كصيام الدهر.

قال النووي: (فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وموافقيهم في استحباب

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٨/٢، حاشية رد المحتار ٤٣٥/٢، مغني المحتاج ١٨٤/٢، المغني ٥٦/٣، شرح صحيح مسلم ٥٦/٨، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٢) مغني المحتاج ١٨٤/٢.

(٣) حاشية الصاوي ٦٩٣/١، سبل السلام ٢٨٨/٢.

(٤) المغني ٥٦/٣.

صوم هذه الستة ...، ودليل الشافعي وموافقيه هذا الحديث الصحيح الصريح، وإذا ثبتت السُنّة لا تترك، لترك بعض الناس أو أكثرهم أو كلهم لها. قال العلماء: وإنما كان ذلك كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، رمضان بعشرة أشهر، والستة بشهرين، وقد جاء هذا في الحديث مرفوعًا في كتاب النسائي)[1].

وقال ابن القيم: (قيل معناه: إن الحسنة لما كانت بعشر أمثالها كان مبلغ ما حصل له من الحسنات في صوم الشهر والأيام الستة: ثلاثمائة وستين حسنة عدد أيام السنة، فكأنه صام سنة كاملة، وهذا قد جاء مفسرًا في حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ))[2]. وفي لفظ "جعل الله -عز وجل- الحسنة بعشر..." فذكره أخرجه النسائي[3] وإسناده حسن وأخذ به جماعة من العلماء)[4] وقال كذلك (وقد اختلف أهل العلم في القول بموجب هذه الأحاديث، فذهب أكثرهم إلى القول باستحباب صومها منهم، الشافعي وأحمد وابن المبارك وغيرهم، وكرهها آخرون منهم: مالك. وقال مطرف: كان مالك يصوم في خاصة نفسه، قال: وإنما كره صومها لئلا يُلْحِقُ أهل الجاهلية ذلك برمضان، فأما من رغب في ذلك لما جاء فيه فلم ينهه[5]...

قال الحافظ أبو محمد المنذري: والذي خشي منه مالك وقع بالعجم، فصاروا يتركون المسحرين على عادتهم والنواقيس وشعائر رمضان إلى آخر الستة الأيام، فحينئذٍ يظهرون شعائر العيد.

وهل لشوال بخصوصه مزية على غيره في ذلك أم لا؟ فيه طريقان:

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤/٨/٥٩ - ٦٠، .

(٢) أخرجه أحمد ٥/٢٨٠، رقم ٢٢٤١٢ والنسائي في الكبرى ٣/٢٨٧٣، وابن ماجه ١٧١٥ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٩٢).

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ٣/٢٨٧٤.

(٤) نقلاً عن جامع الفقه موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم ٣/٢١٢.

(٥) قال ابن عبدالبر: وقد يمكن أن يكون مالكٌ جهل الحديث، ولو علمه لقال به. الاستذكار ٩/٣٦٩، موسوعة شرح الموطأ.

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف، لأنه حديث عهد بالصوم فيكون أسهل عليه، ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل، هذا الذي حكاه القرافي من المالكية وهو غريب عجيب.

الطريق الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل، وانتهاز الفرصة، خشية الفوات، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] وقال ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2] وهذا تعليل طائفة من الشافعية وغيرهم. قالوا: ولا يلزم أن يعطى هذا الفضل لمن صامها في غيره، لفوات مصلحة المبادرة والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول. ومن ساعده الظاهر فقوله أولى، ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال، وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لابد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط وهضم من حقه وواجبه، ندب إلى صوم ستة أيام من شوال، جابرة له، ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه، فجرت هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكملة وعلى هذا تظهر فائدة اختصاصها بشوال)[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة من الصيام في شوال:

قال ابن رجب الحنبلي: (وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة:

منها: أن صيام ستة أيام بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق.

ومنها: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل، فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) تهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي ٣/٣١٠ - ٣١٦.

ومنها: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله تعالى إذا تقبل عمل عبد وفّقه لعمل صالح بعده. كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنةً ثم أتبعها بحسنة بعدها، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

ومنها: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب، كما سبق ذكره، وأن الصائمين لرمضان يوفّون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب، كان النبي ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه، فيقال له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟[1]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنوع شكره فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه، أن يصوم له شكرًا عقيب ذلك، كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهارها صائمًا، ويجعل صيامه شكرًا للتوفيق للقيام.

ومنها: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًّا... وذلك لأن كثيرًا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام ومله وطوله عليه، ومن كان كذلك فلا يكاد يعود إلى الصيام سريعًا، فالعائد إلى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل على عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يملّه ولم يستثقله ولا تكرّه به)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ص ٣٩٣ – ٣٩٦.

قال الشيخ عبدالله البسام: (استحبّ العلماء أن يكون صيام الست بعد يوم العيد مباشرة؛ لمراعاة أمور عامة منها: المسارعة إلى فعل الخير، ومنها أن المسارعة إليها دليل على الرغبة في الصيام والطاعة وعدم السأم منها. ومنها أن لا يعرض له من الأمور ما يمنعه من صيامها إذا أخرها. ومنها أن صيام ستة أيام بعد رمضان كالراتبة بعد فريضة الصلاة فتكون بعدها، وغير ذلك من الاعتبار، والله الموفق. وأما فضلها فيحصل في أي ستة أيامٍ صيمت من شوال مجتمعة أو متفرقة)[١].

وقال أبو العباس القرطبي: (قوله "ثم أتبعه ستًا من شوال" ليس فيه دليل على أنها تكون متصلة بيوم الفطر، بل لو أوقعها في وسط شوال أو آخره، لصلح تناول هذا اللفظ، لأن "ثم" للتراخي، وكل صوم يقع في شوال فهو متبع لرمضان، وإن كان هنالك مهلة، وقد دلّ على صحة هذا قوله في حديث النسائي "وستة بعد الفطر"[٢] ولذلك نقول: إن الأجر المذكور حاصل لصائمها، مجموعة أوقعها أو مفترقة، لأن كل يوم بعشرة مطلقًا)[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في صوم رمضان وإتباعه بصوم ست من شوال بأن أخبر أن ثواب ذلك كمن صام السنة كلها.

والترغيب من أساليب الدعوة التي ترغّب المدعو في جنس الطاعات والحرص على القيام بها لما فيها من الأجر والثواب؛ إذ أن الترغيب يكون بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الأجر، وتبشيرهم بحسن المثوبة، فيسوق المدعوين الطائعين إلى الجد في الطاعة، والازدياد من صالح العمل مع الإخلاص فيه [٤].

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٣/٣.

(٢) قد تقدم قريبًا.

(٣) المفهم ٢٣٨/٣.

(٤) انظر: هداية المرشدين، على محفوظ ص ١٩٢ - ١٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الاستمرار على فعل العمل الصالح:

إن الحديث يرغب في صيام ستٍ من شوال بعد صوم الفريضة في رمضان، فإذا كان الفرض قد أُدّي وفُعِل فلا يعني ذلك الوقوف عند هذا الحد، وعند هذا النوع من العبادة، بل المرغب فيه الاستمرار في فعل العمل الصالح، مع اختلاف النوع أو الدرجة، فإذا كان شهر رمضان قد انتهى، فإن شهر شوال يليه، وهذا يفعل فيه ما يفعل في رمضان، مع التحلي بالآداب نفسها التي كانت تمتثل في شهر رمضان، وهذا يعني أن هناك استمرارًا في فعل العمل الصالح، ومداومة عليه ومواظبة، فإذا انتهى عمل بُدئ في عمل آخر، وإذا انتهى وقت فاضل انتظر وقت فاضل آخر. وهكذا ينتقل المرء من خير إلى خير، ومن فضل إلى فضل حتى يصير ذلك عادة له، ولاشك أن الاستمرار يحقق كثيرًا من الفوائد التربوية، من ذلك:

أ - الاستمرار هو السبيل إلى تحقيق المقاصد وجني الثمار لأن العمل المنقطع لا يكمل أثره ولا ينضج ثمره.

ب - الاستمرار منبع الخيرات وكنز التجارب يكتسب منه المربي البصيرة الواعية ويتقن ما يقوم به إتقانًا يتضاعف به النجاح وتعظم به النتائج، أما العمل المنقطع ففي كثير من أحواله يخرج منه صاحبه صفر اليدين، وينسى اليوم ما عمله بالأمس ويخفق غدًا فيما عرفه وخبره اليوم.

ج - الاستمرار باعث على الحيوية ومثير للحماس ومقوّ للعزيمة، وشاحذ للهمة.

د - الاستمرار هو الطريق إلى الابتكار، فإن استمرار التربية على نمط واحد يورث ملل المربي، وإذا كان ذلك النمط محدود الأثر فإن ذلك سيدفع إلى البحث عن أسلوب جديد وطريقة مبتكرة تحقق من الأثر ما لم يتحقق في السابق وتجدد في نفس المربي النشاط وتطرد الملل[1].

---

(١) مقومات الداعية الناجح، ص ٢٠٣-٢٠٤ بتصرف.

ثانيًا - ترك المجال واسعًا لفعل النوافل:

لقد رغّب النبي ﷺ في صوم ست من شوال ولكن لم يحدد هذه الأيام الست: أَمِنْ أوله أو وسطه أو آخره أو متتابعة أو متفرقة؟ بل جاء الحديث بصيغة الإطلاق فأي الأيام صامها من الشهر حققت المطلوب، أليس في هذا مراعاة لأحوال المخاطبين وترك المجال مفتوحًا أمامهم لأن يمتثلوا الأمر والمطلوب بحسب حالة كل واحد منهم وطاقته وجهده وعدم إلزام لهم بأن يكونوا جميعًا في وقت واحد وظرف واحد ممتثلين لهذا الأمر فاعلين له؟

أليس في هذا الحديث فوائد تربوية يستفيد منها المربون والمعلمون ونحوهم؟

إن عليهم في بعض الأحيان أن يتركوا المجال مفتوحًا أمام من يقومون بتربيتهم لفعل ما يرشدونهم إليه ويوجهونهم نحوه، لأن ذلك قد يحقق عادات تربوية مفيدة، منها:

أ- ترك الناشئة وغيرهم أن يحددوا هم بأنفسهم أفضل الأوقات وأحسن الهيئات لامتثال إرشادات المربي وتوجيهاته، وفي ذلك تعويد لهم على الاستقلالية والاعتماد على النفس وتكوين الشخصية المستقلة. "إن على القائمين على المحاضن التربوية أن يأخذوا بأيدي تلامذتهم وأن يسعوا إلى أن يتجاوزوا -في برامجهم التي يقدمونها- القوالب الجاهزة وأن يدركوا أن من حسن تربية الناشئة أن يمارسوا المسؤولية، وألا يبقوا أكلاء على غيرهم في كل شيء فينبغي أن يكون لهم دور ورأي في البرامج التي يتلقونها"[1].

ب - تعويد الناشئة على التفريق بين ما هو واجب الفعل وما هو غير ذلك لكنه مندوب ومرغبٌ فيه، وما يترتب على ذلك من ناحية الامتثال والإذعان، فيعرف أنه لا يفرط في واجب ولا يهمله ولا يضيعه بحال من الأحوال. أما ما عدا ذلك فإن الأمر يختلف إنه يبذل طاقته ووسعه -حسب الإمكان- لإتيانه وفعله، لكن إذا شغله شاغل عنه، فإنه قد لا يفعله، بسبب ضيق الوقت أو كثرة المشاغل ونحوه.

وفي ذلك تعويد لهم أن يفعلوا الواجبات دائمًا وأن يتنافسوا في فعل غيرها من

---

(١) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٤٠.

المندوبات والمرغوبات.

ج - ويترتب على ذلك أنه إذا حدث هناك تعارض بين أمر واجب وأمر غير واجب، ولم يكن هناك مجال للجمع بينهما، فإن الناشئة عليهم أن يقدموا فعل الواجب وأن يلتزموا ذلك، وفي ذلك تعويد لهم على فعل الأولويات.

۞ ۞ ۞

٢٢٩- باب استحباب صوم الاثنين والخميس

الحديث رقم (١٢٥٧)

١٢٥٧- عن أَبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: ((ذَلِكَ يَومٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبرنا المصطفي ﷺ بمنزلة ذلك اليوم "يوم الاثنين" وكأنه يذكر سباب تلك المنزلة فيتبين أنه "ولد فيه" وبعث فيه، أو أنزل عليه الوحي فيه "وبناء الأفعال الثلاثة للمجهول في: "ولدت – بعثت – أنزل" يشع بأن ولادته وخلقه، وبعثه، وإنزال الوحي عليه، لم يكن من عند نفسه، ولم يفتعل أو يدع ذلك، ولكن أمره كله يرجع إلي الله تعالي فهو " الذي أرسل رسوله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله. .. "، والفعل " أنزل " يوحي بأن القران الكريم نزل من أعلي وهذا المضمون أكده حرف الجر: " علي " فهو يفيد الاستعلاء وغذاء الروح لا يتحقق إلا من جهة العلو، فالذي خلقها هو " الأعلى ".

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم صيام يوم الاثنين والخميس: اتفق الفقهاء على استحباب صيام يوم الاثنين والخميس، لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال[2].

---

(١) برقم (١١٦٢/١٩٧).

(٢) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥١٧/١، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ١٨٢/٢، المغني ٥٩/٣، العدة شرح العمدة ١٥٧، سبل السلام ٢٨٧/٢، نيل الأوطار ٢٤٩/٤.

٢- أنه ينبغي تعظيم اليوم الذي أحدث الله فيه على عبده نعمة بصومه والتقرب فيه[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس.

ثالثًا: من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على سؤال النبي ﷺ عن صيام النوافل:

وهذا واضح من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: "أن رسول الله سئل عن صوم يوم الاثنين".

وقد وقع ذلك من الصحابة كثيرًا، من ذلك ما رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ الأَيَّامَ، يَسْرُدُ، حَتَّى يُقَالَ: لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ الأَيَّامَ حَتَّى لاَ يَكَادَ أَنْ يَصُومَ، إِلاَّ يَوْمَيْنِ مِنَ الْجُمُعَةِ، إِنْ كَانَ فِي صِيَامِهِ، وَإِلاَّ صَامَهُمَا، وَلَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا يَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَصُومُ لاَ تَكَادُ أَنْ تُفْطِرَ، وَتُفْطِرَ حَتَّى لاَ تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إِلاَّ يَوْمَيْنِ، إِنْ دَخَلاَ فِي صِيَامِكَ، وَإِلاَّ صُمْتَهُمَا. قَالَ: أَيُّ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَوْمُ الاِثْنَيْنِ، وَيَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ، قَالَ: قُلْتُ: وَلَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ، مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ. قَالَ: ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ، وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ"))[٣].

قال ابن رجب: (قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله ﷺ من جميع

---

(١) سبل السلام ٢/٢٨٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٥٧ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٢٥٨، ١٢٥٩).

(٣) أخرجه أحمد ٥/٢٠١، رقم ٢١٧٥٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٦/٨٥ - ٨٦.

السنة. وصيامه من أيام الأسبوع، وصيامه من شهور السنة)[١].

وعن أبي هريرة قال: ((أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ. إِلاَّ مُتَهَاجِرَيْنِ. يَقُولُ: دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا))[٢].

وهو عند أحمد بلفظ ((كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس قال: فقيل له. قال: فقال: إنَّ أَلأعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَيَغْفِرُ الله لِكُلِّ مُسْلِمٍ أوْ لِكُلِّ مؤمنٍ إلا المُتَهَاجِرَيْنِ فَيَقُولُ أَخِّرْهُما))[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل صيام الاثنين والخميس:

هذا واضح من الأحاديث الثلاثة، حيث أخبر النبي ﷺ في حديث أبي قتادة عندما سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت فيه، وأنزل عليه فيه".

وقال ابن عثيمين: (أما صوم يوم الاثنين فإن النبي ﷺ سئل عن صومه، فقال: ذاك يوم ولدت فيه، وبعثت أو أنزل عليّ فيه، وكذلك مات فيه - عليه الصلاة والسلام - فيوم الاثنين ولد فيه النبي ﷺ، لكن في أي شهر؟ لم يتبين هل في شهر ربيع الأول، أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما المؤكد أنه ولد في يوم الاثنين. كذلك أيضًا أنزل على الرسول ﷺ فيه يعني: أول ما نزل عليه القرآن في يوم الاثنين. والراوي شك هل قال: أنزل أو بعثت. وبينهما فرق، لأنه أنزل عليه القرآن قبل أن يبعث. أنزلت عليه سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[٤] وبهذا صار نبيًا وأنزل عليه، وأما البعث وهو الإرسال فإنما كان بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[٥] وهذا بعد الأول.

---

(١) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٧٤٠ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٤١٥).

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٩/٣، رقم ٨٣٦١، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٩٨/١٤.

(٤) سورة العلق، آية: ١.

(٥) سورة المدثر، آية: ١.

وعلى كلٍّ صار هذا اليوم فيه مناسبات شريفة عظيمة: ولادة الرسول ﷺ وإنزال الوحي عليه، أو إرساله إلى الناس)[١].

أما صوم الاثنين والخميس فقال: اشار ﷺ إلى فضل صيامهما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

كما أنه ﷺ لفضل صيام الاثنين والخميس، كان يتحرى صومهما، كما في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحديث الثالث، قال د. الحسيني هاشم: (فيه فضل صيامهما، فضلا عن تحسين الأعمال فيهما) [٢].

وقد ورد في فضل صيام الاثنين والخميس الكثير من الأحاديث منها ما رواه مولى قدامة بن مظعون عن مولى أسامة بن زيد: ((أَنَّهُ انْطَلَقَ مَعَ أُسَامَةَ إِلَى وَادِي الْقُرَى فِي طَلَبِ مالٍ لَهُ، فَكَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَقالَ لَهُ مَوْلاَهُ لِمَ تَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، فقال إِنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَسُئِلَ عَنْ ذٰلِكَ، فقال: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ))[٣].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا. أَنْظِرُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا))[٤] وفي رواية عنده: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ))[٥].

ورواه أحمد وابن حبان بلفظ ((تُفْتَح أبوابُ الجنة في كل اثنين وخَميس وتُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس))[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤١٤/٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٣٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٨).

(٤) أخرجه مسلم ٣٥ - ٢٥٦٥.

(٥) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٥٦٥.

(٦) أخرجه أحمد ٢٦٨/٢، رقم ٧٦٣٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٧٧/١٣، وابن حبان ٣٦٤٥، وصححه محققه.

وقال الشوكاني: (وأحاديث الباب تدل على استحباب صوم يوم الاثنين والخميس لأنهما يومان تعرض فيهما الأعمال)[١].

ثالثًا - من آداب المدعو: تحري الأوقات الفاضلة وشغلها بالعبادة:

وذلك اقتداء بالنبي ﷺ فقد قالت عنه عائشة رضي الله عنها: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَرَّى يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ" الحديث الثالث.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ إِلاَّ هذَا الْيَوْمَ، يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ وَهذَا الشَّهْرَ، يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ))[٢].

قال ابن حجر: (وإنما جمع ابن عباس بين عاشوراء ورمضان -وإن كان أحدهما واجبًا والآخر مندوبًا لاشتراكهما في حصول الثواب، لأن معنى يتحرى: أي يقصد صومه لتحصيل ثوابه والرغبة فيه)[٣].

وقد بيّن ﷺ سبب حرصه على صوم الاثنين والخميس -في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الحديث الثاني- فقال (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) قال المباركفوري: (أي طلب الزيادة ورفعة الدرجة)[٤] وقال السيوطي عن عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس: (قال الشيخ ولي الدين: إن قلت ما معنى هذا مع أنه ثبت في الصحيحين، أن الله تعالى يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، قلت: يحتمل أمرين: أحدهما أن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم ثم تعرض عليه أعمال الجمعة في كل اثنين وخميس ثم تعرض عليه أعمال السنة في شعبان، فتعرض عرضًا بعد عرض، ولكل عرض حكمة يطلع عليها من يشاء من خلقه أو يستأثر بها عنده مع أنه تعالى لا يخفى عليه من أعمالهم خافية. ثانيهما: أن المراد أنها تعرض في اليوم تفصيلاً ثم في الجمعة جملة أو بالعكس)[٥].

---

(١) نيل الأوطار، ص ٨٣٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٠٦، ومسلم ١١٣٢.

(٣) فتح الباري ٢٤٩/٤، .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٦/١.

(٥) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٥١٧/٤.

وقال الشيخ عبدالله البسام: (ويدل الحديث - أي حديث أبي قتادة الحديث الأول - على استحباب صوم الاثنين من كل أسبوع، ذلك أن هذا اليوم المبارك امتن الله فيه على المسلمين بثلاث منن عظام هي: ولادة النبي ﷺ، وبعثته ﷺ رسولاً بشيرًا ونذيرًا إلى هذه الأمة، والنعمة الثالثة إنزال القرآن الكريم في هذا اليوم، ولاشك أن هذه نعم عظام وآلاء جسام خص الله تعالى بهن يوم الاثنين، فصار كأنه يوم فرح وسرور يستحق الله تعالى الشكر عليها، وشكر الله هو القيام بعبادته.

كما جاء الفضل بصوم يوم الخميس من كل أسبوع، فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: "تعرض الأعمال كل اثنين وخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم".

ولا دليل في الحديث على مشروعية إقامة الموالد، فإن العبادات توقيفية ولا تكون إلا من الشارع، والشارع عيّن العبادة التي تؤتى في يوم الاثنين، وهي فضيلة صيامه، فنقتصر على الوارد ولا نتعداه.

ومعنى عرض الأعمال - والله أعلم - إظهارها والإخبار عنها وجزاؤها عند الله تعالى، فالأفضل أن يعرض عمله في يوم هو صائم فيه، ليظهر تجمّله في هذا اليوم، فكل مناسبة لها زينتها ومظهرها اللائق بها)[1].

وقال ابن رجب الحنبلي عن اغتنام الأوقات الفاضلة: (جعل الله سبحانه لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما قال تعالى: ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾[4] كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣/١٩١ - ١٩٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

وجعل ليلة القدر خيرًا من ألف شهر. وأقسم بالعشر وهو عشر ذي الحجة على الصحيح. وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته، يُتَقَرّب بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بها من النار وما فيها من اللفحات، وقد أخرج ابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا: اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم[1]، وفي رواية الطبراني[2] من حديث محمد بن مسلمة مرفوعًا: إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدًا)[3].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه لابن أبي الدنيا في الفرج. والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبيهقي في الشعب وأبي نعيم في الحلية. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٠٠١، ولكن حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير وعزاه للطبراني في الكبير وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم ١٩١٥، لكنه حسنه في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٩٠.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٤٠- ٤١.

الحديث رقم (١٢٥٨)

١٢٥٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن)، ورواه مسلم[2] بغير ذكر الصوم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ألفاظ الحديث تنبيء ببعض الأمور التي تنفع المؤمنين، فقد بين الرسول الكريم ﷺ ، أن الأعمال تعرض يوم (الاثنين والخميس). وهذا الإخبار -في حد ذاته- رحمة كبري، ليتذكر المسلم أن "الرقيب والعتيد" جالسان، وحاضران يرقبانه، ويعدان عليه ما يقول، ويفعل، ويمهلانه مدة من الزمن لعله يتوب، فإن لم يتب كتب تلك السيئات، ورفعت هذه التقارير إلي رب العزة -جل في علاه- كل يوم اثنين وخميس، لتكون تلك الصحف حجة علي العبد يوم القيامة حيث يقال له: " اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا " لعل هذا سبب حبه للصيام في هذين اليومين لكي يتوافق رفع عمله الصالح مع صيامه فيرفعان في خير يحدوه خير كما أنهما سيكونان سنة لأمته من بعده تساعدهم في محو خطاياهم قبل رفعها؛ لأن الحسنات كما هو معلوم تذهب السيئات.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٤٧) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٧).

(٢) برقم (٢٥٦٥/٣٦).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٥٩)

١٢٥٩- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَومَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيس. رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يَتَحَرّى: التحرِّي: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول[٢].

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة عن عادة جرى عليها فعل الرسول ﷺ وهي صيام الاثنين، والخميس، والفعل المضارع: " يتحرى " يصور بدقة حالة الترقب الشديد من قبل النبي الكريم ليومي الاثنين والخميس. وهو فعل يدل علي الاستمرار والتجدد. وتشديد الراء في: " يتحرى " يدل علي تكرار ذلك التحري منه، وذلك ليعلم أفراد الأمة ترقب الأوقات الشريفة المباركة فيستقبلونها بالأعمال الصالحة القائمة علي الإخلاص، والإتقان، وحسن النية، والخلق، وحفظ حدود الله، لأن كل نفس ستري ما قدمت من خلال تلك الصحف التي ترفع بما فيها من عمل كل اثنين، وخميس: "﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[آل عمران٣٠].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) برقم (٧٤٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٦٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤٥/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٢٥٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

لقد كان النبي ﷺ أفضل من ربّى أتباعه وأصحابه بالفعل والممارسة فكانوا يشاهدونه ويرونه وهو يفعل ما يدعوهم إليه ويأمرهم به، أما إذا نهاهم عن شيء فكان أول المنتهين وأسرع المجتنبين وأصدق المبتعدين وأخلص القائمين بذلك، وكذلك الشأن فيما يأمرهم به، إنّه ﷺ أصدق من جمع بين القول والعمل فكانت حياته ﷺ تطبيقًا لقوله، ولهذا وصفته زوجه عائشة رضي الله عنها - وهي أعلم الناس به - أن خلقه القرآن[1]، فكان ﷺ ينتهي عند حدوده فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه. فكان ذلك له تأثير ما بعده تأثير على أتباعه وأصحابه، فكانوا يقتدون به ويعملون عمله ويفعلون فعله، فإذا رأوه يصلي صلوا وإذا رأوه يصوم صاموا، وإذا رأوه يؤدي مناسك الحج أدوا مثله ﷺ، إنهم يريدون أن يكونوا تابعين له مقتدين به، فكان هذا نجاحًا من المربي الأول ﷺ أيما نجاح لم يحققه مرب آخر عرفته البشرية، إنه ﷺ في كلمة واحدة ربّى أتباعه بممارسته وفعله ﷺ حتى إنه ﷺ كان يفعل الفعل ولا يأمر أصحابه به فكانوا رضي الله عنهم يسارعون إلى الاقتداء به، لأنهم رضي الله عنهم يعرفون أنه ﷺ ما يريد بهم إلا الخير والفلاح والصلاح، وأحاديث الباب تشهد على ذلك؛ ففي الحديث الأول سئل ﷺ عن صيام يوم الاثنين، فكان مبعث السؤال أنهم رأوه ﷺ يصومه ويكثر من ذلك، ولذا سألوه حتى يجمعوا بين الفعل ومعرفة الحكمة والسبب من ورائه إن أمكن ذلك، إنهم يفعلون فعله ﷺ لكنهم يرغبون أن يجمعوا مع ذلك المعرفة والعلم، إن تيسر ذلك، وفي الحديث الثاني أخبر النبي ﷺ أن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس وبعد أن أخبر بذلك قال عن نفسه: فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم. إنه أخبر عن نفسه وعن سبب حرصه على صيام هذين اليومين، ومن الملاحظ أنه لم يأمر أصحابه بذلك في هذا الحديث، واكتفى بالإخبار عن نفسه، وهذا خير وسيلة لأن

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٦.

يمتثل الأتباع والأصحاب إذا وقر في قلبهم الحبُّ للمربي وتعظيمه وتبجيله، إنه بمجرد أن يخبر أنه يعمل هذا العمل أو يرونه يعمل هذا العمل، فإن أتباعه يسارعون إلى الاقتداء به، لأنه المثل الأعلى لهم والقدوة الحسنى لهم.

وهكذا الشأن في الحديث الثالث: أن زوجه عائشة رضي الله عنها أخبرت أنه ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس. وهذا أوضح الأدلة على أنه ﷺ كان يربي أتباعه بالفعل والممارسة، ولا يكتفي بالقول وحده.

ومما لاشك فيه أن التربية بالفعل أشد وقعًا من التربية بالقول وحده، لأنها المثال العملي للتربية والتطبيق الفعلي لها وإيجاد لها في أرض الواقع، إنها تُوجد مثالاً حيًا للتربية يعيش ويتحرك وينام ويقوم ويفعل سائر ما يفعله البشر، فيسهل الاقتداء والتأسي به، ويتيسر الامتثال. وفي ذلك دعوة للمربين والواعظين وأهل التوجيه والمرشدين أن يربوا الناشئة وغيرهم عن طريق الممارسة والفعل والعمل، لأن لها من التأثير ما لا يخفى ومن النتائج ما يبهر ومن الثمرات ما يجذب.

ثانيًا - التربية على أداء شكر النعم:

لقد أخبر ﷺ أنه يصوم يوم الاثنين لأنه يوم ولد فيه، ويوم بعث فيه أو أنزل عليه القرآن فيه، فكان هذا - كما هو في الظاهر - قيامًا منه ﷺ بواجب الشكر لربه عز وجل الذي أنعم عليه بالإيجاد من العدم، وخلقه بعد أن لم يكن، وكرّمه، وزاد في تكريمه بأن بعثه رسولاً للعالمين وجعله أفضل الرسل وأكرمهم عليه، كما أوحى إليه القرآن الكريم الذي نسخ الكتب السابقة وهيمن عليها، وهو معجزته الباهرة الدالة على صدق رسالته ﷺ والتي عجز البشر -وسيعجزون- عن الإتيان بمثلها أو بسورة منه.

فكان صيامه ﷺ من الوسائل التي قام بها ﷺ شكرًا لله على هذه النعم العظيمة والفضائل الجليلة، وقد أصاب أمته من هذا الخير الكثير ومن هذا الفضل الشيء العميم، فكل خير أصابها كان هو ﷺ السبب فيه، لذا كانت أمته تصوم يوم الاثنين كما صام اقتداءً به ﷺ في شكره وحمده لربه، وفي ذلك تربية للأمة

على القيام بواجب الشكر للنعم التي تفضل الله بها عليهم، وهذا أدعى إلى ديمومة النعم وزيادتها، لأن النعم تزيد بالشكر، إنها تربية هادفة راقية تعمل على تحقيق سعادة الفرد والمجتمع.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أخبر ﷺ أنه يصوم يومي الاثنين والخميس، لأن الأعمال في الأسبوع تعرض في هذين اليومين، فتزامنًا مع هذا يصومهما ويقدّم فيهما هذا العمل الطيب، وإذا صامهما ﷺ فإن أمته ستقتدي به في ذلك فتصومهما وتحرص على ذلك، لعلّ الله أن يتقبل أعمالهم الصالحة ويتجاوز عمّا سواها أو يقلبها إلى صالحات وحسنات وطيبات، ففضله سبحانه عميم وخيره كثير، فهو أهل الجود والإحسان والفضل والمن.

والسؤال هنا لماذا كان الصيام بالتحديد هو الذي فعله النبي ﷺ في هذين اليومين مع أن مجال الأعمال الصالحة مجال واسع من صلاة وزكاة وصدقة وإحسان وبر ونحو ذلك؟

لعل الجواب يكون بما للصوم من خصائص قد لا تتوافر في غيره من الأعمال الصالحة، وذلك على النحو التالي:

أ - إنه عمل يستغرق وقتًا طويلاً نسبيًا في اليوم الذي يشمل الليل والنهار، إن الصائم يصوم ما يقارب اثنتي عشرة ساعة أو يزيد عن ذلك في بعض الأوقات، ومن ثم كانت الطاعة في الصيام أطول من غيرها.

ب - إن الصائم يحرص أشد الحرص على أن يكون في يوم صيامه أشد طاعة لله وامتثالاً لأوامره واجتنابًا لنواهيه، بحيث يكون يوم صيامه مختلفًا عن يوم فطره، وما ذلك إلا لأن الصيام يهذب أخلاق الصائم ويدفعه إلى الاجتهاد في الطاعة والإذعان، فكان ذلك أنسب لأداء الشكر وأنسب لوقت عرض العمل، فإذا كان صاحب العمل قد أظهر إذعانه لله وخضوعه لله، فإن الله برحمته وفضله قد يتكرم عليه - وقت عرض العمل - فيمحو السيئة ويزيد الحسنة.

ج - إن الصائم قد امتنع عن المباحات طول صومه ابتغاء رضا الله تعالى. إنه امتنع

عما أباح الله رجاء -والله أعلم- في أن يمنع الله عنه عقابه وعذابه الذي يستحقه بفعله السيئات والذنوب.

والخلاصة أن النبي ﷺ بصيامه هذين اليومين ربّى أتباعه على القيام بواجب الشكر، وعلى أن يفعلوا الطيب من العمل وقت عرض الأعمال لعل الله أن يتوب عليهم ويتقبلهم ويبدل سيئاتهم حسنات، والله أعلم.

فما أجمل أن يربي المربون أتباعهم على هذا، فلا يكون عملهم إلا طيبًا ولا يكون فعلهم إلا طيبًا، ولا قولهم إلا طيبًا، ولا تكون حياتهم إلا طيبة، فإن من عاش طيب الأفعال والأقوال والخصال كان طيب الجزاء في الآخرة.

❁ ❁ ❁

٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضل صومُها في الأيام البيض وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

الحديث رقم (١٢٦٠)

١٢٦٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: أوْصاني خَلِيلي ﷺ بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَى، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أنَامَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أوتر: أصلي مثنى مثنى، ثم أُصلي في آخرها ركعةً مفردةً[2].

الشرح الأدبي

قام المعنى في الحديث على أسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً وبدأ بالأهم ثم المهم وفي الحديث حسن تقسيم، وجمال في انتقاء الكلمات. وللفعل المضارع: " أوتر " دلالات مؤثرة في الحث علي التوحيد، وأهمية ذلك قبل النوم. ، وقول أبي هريرة رضي الله عنه (أوْصَانِي خَلِيلي ﷺ) التعبير بالوصية يشير إلى خصوصية في العطاء تستلزم مزيد العناية، والمحبة؛ لأن الموصي غالبا يوصي من يحب بما يحب، وقد قال بعده (خليلي) والخلة من أشد أنواع المحبة، ثم إنه أضافه لنفسه لبيان الخصوصية، وهذه العبارة توحي بعلو قيمة الموصى به، وهو (بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ) لأن الصيام على هذه الطريقة ليس فيه مشقة كبيرة، والحسنة بعشر أمثالها، فثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨١) واللفظ له، ومسلم (٧٢١/٨٥). أورده المنذري (١٥٢٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

تساوي بفضل الله ثلاثين يوما، فهو كصيام الدهر مع قدرة غالب الناس عليه (وَرَكْعَتَي الضُّحَى) ولفظ المثنى يحدد العدد، ولفظ الضحى يحدد وقت النافلة وقوله: (وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ) أي أصلي الوتر، لكي يضمن عدم فوت الأجر، ووصية الخليل بهذه الأمور تشير إلى أهميتها مع يسرها الذي يوحي بشفقة الخليل على خليله بعدم تكليفه بما يشق عليه كما تجعلها في استطاعة الجميع.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم صيام ثلاثة أيام من كل شهر: اتفق الفقهاء على استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويستحب أن تكون الأيام البيض[١].

٢- حكم صلاة الضحى: اتفق الفقهاء على استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان[٢].

٣- استحباب تقديم صلاة الوتر على النوم وذلك في حق من لم يثق بالاستيقاظ[٣].

٤- تأكيد هذه الأمور - يعني صوم ثلاثة أيام، وركعتي الضحى، والوتر، بالقصد إلى الوصية بها، واقتصر في الوصية على الثلاثة، لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية.

٥- جواز الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحديث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة[٤].

---

(١) حاشية رد المحتار ٣٧٥/٢، فتح القدير ٣٠١/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٦٩٢/١، مغني المحتاج ٨٤/٢، المغني ٥٩/٣، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، سبل السلام ٢٩١/٢، نيل الأوطار ٢٥٣/٤، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٢) حاشية رد المحتار ٢٢/٢، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٤٠٣/١، مغني المحتاج ٤٥٥/١، كشاف القناع ٤٤٢/١، شرح صحيح مسلم ٢٣٤/٥، فتح الباري ٧١/٣، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٢/٢، فتح الباري ٧١/٣.

(٤) فتح الباري ٢٧٧/٤.

المضامين الدعوية [١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه رضي الله عنهم:

وهذا واضح من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "أوصاني خليلي ﷺ". وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: "أوصاني حبيبي".

قال ابن حجر: "الخليل: الصديق الخالص الذي تخللت محبته فصارت في خلاله أي في باطنه، واختلف: هل الخلة أرفع من المحبة أو بالعكس. وقول أبي هريرة هذا: "أوصاني خليلي" لا يعارضه ما تقدم من قوله ﷺ: "لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر"[٢]، لأن الممتنع أن يتخذ هو ﷺ غيره خليلاً لا العكس، ولا يقال: إن المخالة لا تتم حتى تكون من الجانبين لأنا نقول: إنما نظر الصحابي إلى أحد الجانبين فأطلق ذلك، أو لعله أراد مجرد الصحبة أو المحبة ... وهذه الوصية لأبي هريرة ورد مثلها لأبي الدرداء فيما رواه مسلم، ولأبي ذر فيما رواه النسائي[٣] والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح، ولينجبر ما لعله يقع فيه من نقص ... (وقد) اقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية، ولم يكن المذكورون من أصحاب الأموال، وخصت الصلاة بشيئين لأنها تقع ليلا ونهارا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لأحاديث الباب في شرح هذا الحديث - ١٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٦، ومسلم ٢٣٨٢.

(٣) أخرجه النسائي ٢٤٠٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٦).

بخلاف الصيام)[١].

ونقل ابن حجر في موضع آخر قول ابن أبي جمرة في قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي": (في إفراده بهذه الوصية إشارة إلى أن القدر الموصى به هو اللائق بحاله، وفي قوله "خليلي" إشارة إلى موافقته له في إيثار الاشتغال بالعبادة على الاشتغال بالدنيا لأن أبا هريرة صبر على الجوع في ملازمته للنبي ﷺ كما سيأتي في أوائل البيوع من حديثه حيث قال "أما إخواني فكان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ)[٢] فشابه حال النبي ﷺ في إيثاره الفقر على الغنى والعبودية على الملك، قال: ويؤخذ منه الافتخار بصحبة الأكابر إذا كان ذلك على معنى التحدث بالنعمة والشكر لله، لا على وجه المباهاة والله أعلم)[٣]، وقال ابن عثيمين: "قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا، لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه: "في أول الليل يتحفظ أحاديث رسول الله ﷺ: وينام في آخر الليل"[٤]. وقال ابن القيم: "وإنما أوصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمره بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[٥].

ومن أوضح الأمثلة على مراعاة النبي ﷺ أحوال أصحابه، ما أجاب به ﷺ عندما سئل: عن أى الأعمال أفضل؟ فاختلفت إجابته ﷺ على النحو التالي:

١- في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال ﷺ: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور[٦].

٢- وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: قال ﷺ: الإيمان بالله والجهاد في سبيله[٧].

---

(١) فتح الباري ٣/٥٧ - ٥٨ .

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٤٧، ومسلم ٢٤٩٢.

(٣) فتح الباري ٤/٢٢٧ .

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٤١٥.

(٥) زاد المعاد ١/٣٥٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٧) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

٣- وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين؟ قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد في سبيل الله[١].

٤- وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما سئل ﷺ: أى الإسلام خير؟ قال: تطعُم الطعام وتقرأُ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[٢].

٥- وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه ﷺ سئل: أى المسلمين خيرٌ؟ فقال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[٣].

٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده[٤].

قال ابن حجر: (قال النووي[٥]: ذكر في هذا الحديث [أى حديث أبي هريرة] الجهاد بعد الإيمان. وفي حديث أبي ذر لم يذكر الحج وذكر العتق. وفي حديث ابن مسعود بدأ بالصلاة ثم البر ثم الجهاد، وفي الحديث المتقدم ذكر السلامة من اليد واللسان. قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال، واحتياج المخاطبين. وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه. ويمكن أن يقال: إن لفظة "من" مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد من أعقلهم. ومنه حديث: "خيركم خيركم لأهله"[٦]، ومن المعلوم أنه لايصير بذلك خير الناس، فإن قيل: لم قدم الجهاد وليس بركن على الحج وهو ركن؟ فالجواب: أن نفع الحج قاصرٌ، غالبًا، ونفع الجهاد متعدٍّ غالبًا، أو كان ذلك حيث كان الجهاد فرض عين، ووقوعه فرض عين إذ ذاك متكرر. فكان

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٧، ومسلم ٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ١١، ومسلم ٤٢، واللفظ له وعند البخاري قالوا: يارسول الله أى الإسلام أفضل؟.

(٥) شرح صحيح مسلم ٧٨/٢/١، وقد نقل النووي كلامه هذا عن بعض العلماء، كما تصرف ابن حجر عندما نقله عن النووي.

(٦) أخرجه الترمذي، ٣٨٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٣٠٥٧).

أهم منه فقدم، والله أعلم"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

وهذا واضح من مجموع أحاديث الباب.

قال ابن رجب الحنبلي: "الصيام لا يعلم منتهى مضاعفته إلا الله. وكلما قوى الإخلاص فيه وإخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات كثرت مضاعفته، فلا يستنكر أن يصوم الرجل يومًا من الشهر، فيضاعف له بثواب ثلاثين يومًا. فيكتب له صيام الشهر كله. وكذلك إذا صام يومين من الشهر.

وأما إذا صام منه ثلاثة أيام فهو ظاهر. لأن الحسنة بعشرة أمثالها.

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من صام من كل شهر ثلاثة أيام كان كمن صام الدهر. فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٢]، اليوم بعشرة أيام[٣].

وفي الصحيحين: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: صم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر[٤].

وفي رواية فيهما أيضًا. "إن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإذن ذلك صيام الدهر كله"[٥].

وفي المسند عن قرة المزني عن النبي ﷺ: قال: صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٦]، يعني صيامه في مضاعفة الله، وإفطاره في رخصة الله، كما

---

(١) فتح الباري، ٩٩/١، ط الريان.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٦٢، والنسائي ٢٤٠٩، وابن ماجه ١٧٠٨، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٩).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١٨١ - ١١٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٩٧٥، ومسلم ١٨٢ - ١١٥٩.

(٦) أخرجه أحمد ٤٣٥/٣، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وقال السندي: قوله: "صوم الدهر" حيث إن كل صوم يوم بعشرة، قوله "وإفطاره" أى إفطار الدهر"، أى غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه. حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٠/٢٤ - ٣٥١.

كان أبو هريرة وأبو ذر رضي الله عنهما يقولان ذلك، وكانا يصومان ثلاثة أيام من كل شهر. ويقولان في سائر أيام السنة: نحن صيام[١]. ويتأولان أنهما صيام في مضاعفة الله - اليوم بعشر - وهما مفطران في رخصة الله الذي حرم صيام الدهر.

وقد وصى النبي ﷺ جماعة من أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، منهم أبو هريرة، وأبو الدرداء وأبو ذر وغيرهم[٢].

وفي المسند أن النبي ﷺ قال في صيام ثلاثة أيام من كل شهر: "هو صوم حسن"[٣]، وفيه أيضًا عن أبي ذر، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر. ويذهب مغلّة الصدر. قلت: وما مغلة الصدر؟ قال: رجس الشيطان[٤].

وفيه أيضًا: عن رجل عن النبي ﷺ قال: صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيرًا من وحر الصدر[٥]. وفي غير هذه الرواية: "وغر الصدر"، وهما بمعنى واحد. يقال: وحر صدره ووغره، إذا كان فيه غل وغش. وقيل: الوحر: الغل، والوغر: الغيظ.

وقد كان النبي يتحرى صيام ثلاثة أيام من كل شهر. وكذلك كان إبراهيم عليه السلام، كما خرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا. قال: صيام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر[٦].

---

(١) أخرجه ابن حبان، ٣٦٥٩ عن أبي هريرة، وينظر تخريجه بتوسع هناك.

(٢) أما وصية أبي هريرة وأبي الدرداء فمذكورتان في الباب وأما توصية أبي ذر فأخرجها النسائي ٢٤٠٤، وقد تقدم ذلك في المضمون الدعوي الأول.

(٣) أخرجه أحمد ٢٢/٤، رقم ١٦٢٧٩، والنسائي ٢٤١١، وابن خزيمة (٢١٢٥)، وابن حبان (٣٦٤٩) من حديث عثمان بن أبي العاص مرفوعًا: "صيام حسن ثلاثة أيام من الشهر". وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٠).

(٤) أخرجه أحمد، ١٥٤/٥، رقم ٢١٣٦٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٩٢/٣٥ - ٢٩٣.

(٥) أخرجه أحمد ٣٦٣/٥، رقم ٢٣٠٧٠، وإسناده صحيح قاله محققو المسند ١٦٨/٣٨.

(٦) لم أجده في سنن ابن ماجه ولا في غيرها، فلينظر.

وفي السنن: عن حفصة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يصوم العشر وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر[١]. وفي إسناده اختلاف.

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر. قيل لها: من أية كان يصوم، قالت: كان لا يبالي من أية صام[٢].

ففي هذا الحديث أنه ﷺ لم يكن يبالي من أى الشهر صام الأيام الثلاثة.

وقد روى في صفة صيام النبي ﷺ للأيام الثلاثة من الشهر أنواع أخر:

أحدها: ما أخرجه الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس[٣].

وقال: حديث حسن. وذكر أن بعضهم رواه موقوفًا يعني من فعل عائشة رضي الله عنها غير مرفوع.

الثاني: ما أخرجه أبو داود وغيره من حديث حفصة أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر الاثنين والخميس، والاثنين من الجمعة الأخرى[٤].

فعلى هذه الرواية كان النبي ﷺ يجعلها من أول الشهر ولا يوالي بينها، بل كان يتحرى بها يوم الاثنين مرتين والخميس مرة.

الثالث: عكس الثاني: أخرجه النسائي من حديث حفصة أيضًا: أن النبي ﷺ كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، أول اثنين من الشهر، ثم الخميس، ثم الخميس الذي يليه[٥].

وفي رواية له أيضًا: أول اثنين من الشهر وخَمِيسَيْن[٦].

---

(١) أخرجه النسائي ٢٤١٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٤٢).

(٢) أخرجه مسلم ١١٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٤٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٥) أخرجه النسائي ٢٤١٥، وعنده: أم المؤمنين، وصححه الألباني(صحيح سنن النسائي ٢٢٧٣).

(٦) أخرجه النسائي ٢٤١٧، وعنده: عن بعض أزواج النبي ﷺ وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٤).

وخرج أبو داود من حديث أم سلمة عن النبي ﷺ معنى ذلك[١].

وفي رواية في المسند "الاثنين والجمعة والخميس"[٢]، وكأنها غير محفوظة فهي نوع رابع.

والنوع الخامس: ما خرجه أبو داود والنسائي والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام. وحسنه الترمذي[٣]، وذكر أن بعضهم لم يرفعه. يعني أنه وقفه على ابن مسعود.

وظاهر هذا أنه كان يوالي بين الأيام الثلاثة من أول كل شهر.

والنوع السادس: أنه كان يصوم أيام البيض، فخرج النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان لا يدع صيام أيام البيض في حضر ولا سفر[٤].

وأخرج الترمذي والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمره بصيام أيام البيض: ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة[٥].

وفي السنن الأربعةِ خَلاَ الترمذي عن قتادة بن ملحان عن النبي ﷺ نحوه[٦].

وأخرج النسائي من حديث جرير البجلي عن النبي ﷺ نحوه أيضًا[٧].

وقد روى عن الحسن أنه كان يصوم خمسة أيام من أول الشهر، ويقول: ما يدريني لعلي لا أدرك البيض. وفي كتاب "مناقب الحسن" لأبي حيان التوحيدي أن رجلاً سأل الحسن: لأي شيء استحب صيام أيام البيض؟ فلم يدر ما يقول، فقال أعرابي عنده: لأن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٤٣٧، وعنده عن بعض أزواج النبي ﷺ. وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٢٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٩/٦، رقم ٢٦٤٨٠، وضعفه محققو المسند ٨٢/٤٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٤٥٠، والترمذي ٧٤٢، والنسائي ٢٣٦٨. وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٤٠).

(٤) أخرجه النسائي ٢٣٤٥، وضعفه الألباني (ضعيف سنن النسائي، ١٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي ٧٦١، والنسائي، ٢٤٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٧).

(٦) أخرجه أبو داود ٢٤٤٩، والنسائي ٢٤٣١، ٢٤٣٢، وابن ماجه ١٧٠٧، وابن حبان ٣٦٥١، وصححه محققه وينظر تخريجه موسعًا هناك.

(٧) أخرجه النسائي ٢٤٢٠، بلفظ "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وأيام البيض: صبيحة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة" وحسنه الألباني. (صحيح سنن النسائي، ٢٢٧٦).

القمر ينكسف في لياليهن، فيكون الناس عند حدوث الآيات على عبادة[١]. فقال الحسن: خذوها من غير فقيه[٢].

وقال ابن القيم: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر تعدل صيام الشهر، فقد ذكر في هذا الحديث سببه، وهو أن الحسنة بعشر أمثالها، فهو يعدل صيام الشهر غير مضاعف؛ لثواب الحسنة بعشر أمثالها. فإذا صام ثلاثة أيام من كل شهر، وحافظ على ذلك، فكأنه صام الدهر كله. ونظير هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر" [٣]، فإن الحسنة بعشر أمثالها. وفي كونها من شوال" سر لطيف، وهو أنها تجري مجرى الجبران لرمضان، وتقضي ما وقع فيه من التقصير في الصوم، فتجري مجرى سنة الصلاة بعدها، ومجرى سُجْدَتَي السهو ولهذا قال: وأتبعه "أى ألحقها به"[٤].

وقد بوب البخاري على حديث أبي هريرة: "أوصاني خليلي ﷺ بثلاث؛ صيام ثلاثة أيام من كل شهر ..." بوب عليه : باب صيام البيض: ثلاثة عشرة وأربع عشرة، وخمس عشرة[٥].

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن ساق بعض الأحاديث السابقة: قال: "فقد جمع بينهما وما قبلهما البيهقي بما أخرجه مسلم من حديث عائشة قالت: "كان رسول الله ﷺ

---

(١) وقال الشيخ عبدالله البسام: (تخصيص فضيلة الصيام بأيام البيض الثلاثة، كما جاء في السنة المطهرة، فيه إعجاز علمي، فقد ذكر الأطباء أن رطوبة الأجسام تزيد فيها مع زيادة نور القمر واكتماله، والصوم يساعد على التخفيف من هذه الفضلات وإفراغها من البدن، كما أن الصوم حينما يلاقي البدن ممتلئًا من هذه الرطوبة تخفّ مشقته ويسهل تحمله على الصائم ولله في شرعه حكم وأسرار. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١٩٨/٣.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٥٠ - ٤٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ١١٦٤.

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف. ابن القيم ٨٥١هـ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٣٨ - ٣٩.

(٥) صحيح البخاري مع فتح الباري، ٢٢٦/٤، الحديث ١٩٨١.

يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ما يبالي من أي الشهر صام"[١]. قال: فكل من رآه عليه السلام فعل نوعًا ذَكَره، وعائشة رأت جميع ذلك وغيره فأطلقت. والذي يظهر أن الذي أمر به وحث عليه وأوصى به أولى من غيره. وأما هو فلعله كان يعرض له ما يشغله عن مراعاة ذلك أو كان يفعل ذلك لبيان الجواز. وكل ذلك في حقه أفضل. وتترجح البيض بكونها وسط الشهر، وَوَسَطُ الشيء أعدلُه. ولأن الكسوف غالبًا يقع فيها. وقد ورد الأمر بمزيد العبادة إذا وقع فإذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائمًا، فيتهيأ له أن يجمع بين أنواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة، بخلاف من لم يصمها فإنه لا يتأتى له استدراك صيامها. ولا عند من يجوز صيام التطوع بغير نية من الليل. إلا أذا صادف الكسوف من أول النهار، ورجح بعضهم صيام الثلاثة في أول الشهر لأن المرء لا يدري ما يعرض له من الموانع. وقال بعضهم: يصوم من أول كل عشرة أيام يومًا، وله وجه في النظر. ونقل ذلك عن أبي الدرداء، وهو يوافق ما تقدم في رواية النسائي من حديث عبدالله بن عمرو : "صم من كل عشرة أيام يومًا"[٢] .

وروى الترمذي من طريق خيثمة عن عائشة رضي الله عنها: "أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس"[٣]، وروى موقوفًا وهو أشبه، وكأن الغرض به أن يستوعب غالب أيام الأسبوع بالصيام، واختار إبراهيم النخعي أن يصومها آخر الشهر ليكون كفارة لما مضى. وسيأتي ما يؤيده في الكلام على حديث عمران بن حصين في الأمر بصيام سرار الشهر[٤]، وقال الروياني: صيام ثلاثة أيام من كل شهر مستحب. فإن اتفقت أيام البيض كان أحب. وفي كلام غير واحد من العلماء أيضًا أن استحباب صيام البيض غير استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر)[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٠.

(٢) أخرجه النسائي ٢٣٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ٢٢٦٣).

(٣) أخرجه الترمذي ٧٤٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ١٢١).

(٤) أخرجه البخاري ١٩٨٣، ومسلم ١١٦١.

(٥) فتح الباري ٤/٢٢٦ - ٢٢٧، .

وقال النووي: ويستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرة الشهر. وهي وسطه، وهذا متفق علي استحبابه وهو استحباب كون الثلاثة هي أيام البيض، وهى الثالث عشر والرابع عشر، والخامس عشر، وقد جاء فيها حديث في كتاب الترمذي وغيره، وقيل: "هي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر، قال العلماء: ولعل النبي ﷺ لم يواظب على ثلاثة معينة، لئلا يظن تعينها، ونبه بسرة الشهر وبحديث الترمذي في أيام البيض على فضيلتها"[١].

وقال الشوكاني: "وقد حكى الحافظ في الفتح في تعيين الثلاثة الأيام المطلقة عشرة أقوال[٢]، وقد ذكرنا أكثرها. والحق أنها تبقى على إطلاقها فيكون الصائم مخيرًا. وفي أى وقت صامها فقد فعل المشروع لكن لا يفعلها في أيام البيض. فالحاصل من أحاديث الباب استحباب صيام تسعة أيام من كل شهر: ثلاثة مطلقة وأيام البيض، والسبت والأحد والاثنين في شهر والثلاثاء والأربعاء والخميس في شهر"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل ركعتي الضحى والوتر:

وهذا واضح من قول أبي هريرة: "أوصاني خليلي بثلاث: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام"، ونحو هذا قاله أبو الدرداء، قال ابن حجر: "ومن فوائد ركعتي الضحى أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان في كل يوم، وهى ثلاثمائة وستون مفصلاً، كما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر وفيه: "ويجزئ عن ذلك ركعتا الضحى"[٤])[٥].

قال النووي: "وفيه دليل عظم فضل الضحى وكبير موقعها وأنها تصح ركعتين"[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٢/٨/٤ - ٥٣.

(٢) فتح الباري ٢٢٦/٤ - ٢٢٧، .

(٣) نيل الأوطار ٨٣٥ - ٨٣٦.

(٤) أخرجه مسلم ٧٢٠.

(٥) فتح الباري ٥٧/٣.

(٦) شرح صحيح مسلم ٢٣٩/٥/٣.

قال عنها النبي ﷺ: "صلاة الأوابين حين ترمض الفصال"[١]، قال النووي: "أى حين يحترق أخفاف الفصال - وهى الصغار من أولاد الإبل، جمع فصيل - من شدة حر الرمل، وفيه فضيلة الصلاة هذا الوقت، قال أصحابنا: هو أفضل وقت صلاة الضحى. وإن كانت تجوز من طلوع الشمس إلى الزوال"[٢].

وقال الطيبي: "مدحهم بصلاتهم في الوقت الموصوف، لأنه وقت تركن النفوس فيه إلى الاستراحة، ويتهيأ فيه أسباب الخلوة، فيرد على قلوب الأوابين، من الإنس بذكر الله، وصفاء الوقت ولذاذة المناجاة ما يقطعهم عن كل مطلوب سواه، وهذا الوقت متشابه للساعات المختارة في جوف الليل فيغتنم العبادة حينئذ"[٣].

وقال الشيخ عبدالله البسام: (سميت تلك الصلاة صلاة الأوابين، لأنهم آبُوا ورحلوا إلى طاعة الله وعبادته حينما اشتغل الناس بتجارتهم ومتاعهم وزراعاتهم، ومال بعضهم إلى الراحة، فيأتي الأوابون بذكر الله تعالى وينقطعون عن كل مطلوب سواه)[٤].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث أى حديث أبي هريرة" ، وحديث أبي الدرداء الحث على الضحى وصحتها ركعتان، والحث على صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وعلى الوتر وتقديمه على النوم لمن خاف ألا يستيقظ آخر الليل"[٥].

وقد قال النبي ﷺ: "إن الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم، الوتر جعله الله لكم فيما بين صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر"[٦].

قال الطيبي: قوله: "إن الله أمدكم" وارد على سبيل الامتنان على أمته مرادًا به مزيد فضل على فضل، كأنه قيل: إن الله تعالى فرض عليكم الصلوات الخمس

---

(١) أخرجه مسلم ٧٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣١/٦/٣.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٧٢/٣.

(٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ، ٢٢٦/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٣٩/٣، ٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٤٥٢ ، وقال الألباني: صحيح دون قوله: هى خير لكم من حمر النعم (صحيح سنن الترمذي ٣٧٣).

ليؤجركم بها ويثيبكم عليها ولم يكتف بذلك، فشرع صلاة التهجد والوتر ليزيدكم إحسانًا على إحسان، وثوابًا على ثواب"[١].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

هذا واضح من قوله ﷺ: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله".

وكما جاء في حديث قرة المزني عن النبي ﷺ: "صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره"[٢].

قال السندي: قوله: "صوم الدهر"، حيث إن كل صوم يوم بعشرة، وقوله: "إفطاره". أى إفطار الدهر، أى غالبه حقيقة، فصاحبه من حيث الأجر صائم، ومن حيث الراحة مفطر، فهذا ترغيب فيه[٣].

ولعل الذي يوضح أثر هذا الترغيب ما رواه أبو عثمان أن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا ووضعت السفرة بعثوا إليه وهو يصلّي، فقال: إني صائم. فلما كادوا أن يفرغوا جاء فجعل يأكل، فنظر القوم إلى رسولهم فقال: ما تنظرون إليّ، قد - والله - أخبرني أنه صائم؟ فقال أبو هريرة: صدق، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الشهر كله"، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر، وإني الشهر كله صائم، ووجدت تصديق ذلك في كتاب الله جل وعلا: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[٤])[٥].

وكذلك ما رواه عبدالله بن شقيق العقيلي: قال: "أتيت المدينة فإذا رجل طويل أسود فقلت: من هذا قال: أبو ذر. فقلت: لأنظرن على أي حال هو اليوم، قال: قلت: صائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الإذن على عمر رضي الله عنه، فدخلوا فأتينا بقصاع فأكل فحركته

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة، ١٥١/٣.

(٢) أخرجه أحمد ٤٣٥/٣، رقم ١٥٥٨٤، وابن حبان، ٣٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٣٥٠/٢٤.

(٣) حاشية السندي على مسند أحمد ٣٥٠/٢٤ - ٣٥١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٥) أخرجه ابن حبان ٣٩٥٩، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

أذكّره بيدي، فقال: إني لم أنس ما قلت لك، أخبرتك أني صائم، إني أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فأنا أبدًا صائم"[١].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ:

وهذا واضح من سؤال معاذة العدوية عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟

ومعاذة العدوية هى معاذة بنت عبدالله العدوية أم الصهباء وهى ثقة من التابعيات اللاتي روين عن الصحابيات أحاديثَ رسول الله ﷺ[٢].

قال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: النوع الرابع عشر من علوم الحديث: معرفة التابعين: وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات في الترتيب ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرق أيضًا بين بعض الصحابة والتابعين، ثم لم يفرق أيضًا بين التابعين وأتباع التابعين. قال الله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[٣]، وقد ذكرهم رسول الله ﷺ. ثم ذكر الحاكم بإسناده الحديث الذي يدل على ذلك وشاهد بإسناده حديث: "خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[٤].

ثم قال الحاكم: "فخير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحى والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين"[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي ٢٩٣/٤.

(٢) انظر ترجمتها في تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٧٨/٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣.

(٥) معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ٤٠٥ هـ، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

والأمثلة على سؤال التابعين الصحابة عن أحوال النبي ﷺ كثيرة جدًا لا تكاد تحصى. من ذلك ما أخرجه مسلم بإسناده إلى سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: "أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةُ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا. فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَدًا عن شيء حَتَّى أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾[1]؟ قُلْتُ: بَلَى .... الحديث"[2].

سادسًا - من موضوعات الدعوة: المداومة على العمل:

وهذا واضح من حديث ابن عباس: "كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حَضَر ولا سَفَر".

والنبي ﷺ -وهو القدوة والأسوة- كان عمله دِيمَة كما وصفت عائشة رضي الله عنها[3]: "والديمة -كما قال أهل اللغة-: مطر يدوم أيامًا ثم أطلقت على كل شيء يستمر"[4].

وقال النووي: "أى يدوم عليه ولا يقطعه"[5]، وقد بوب البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه: باب القصد والمداومة على العمل[6].

قال الحافظ ابن حجر: ذكر فيه ثمانية أحاديث أكثرها مكرر وفي بعضها زيادة على بعض، ومحصل ما اشتملت عليه الحث على مداومة العمل الصالح وإن قل. وأن الجنة لا يدخلها أحد بعمله بل برحمة الله. وقصة رؤية الجنة والنار في صلاته. والأول هو المقصود بالترجمة والثاني ذكر استطرادًا وله تعلق بالترجمة أيضًا، والثالث يتعلق بها

---

(١) سورة المزمل، آية: ١.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٨٧، ومسلم ٧٨٣.

(٤) فتح الباري ٢٣٦/٤ ، بتصرف.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٦/ ٤٧ .

(٦) كتاب الرقاق، برقم ٨١، وهذا الباب، برقم ١٨.

أيضًا من طريق خفي"[١].

ومن هذه الأحاديث التي ساقها البخاري:

١- قالت عائشة رضي الله عنها: كان أحب العمل إلى رسول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبُه[٢].

٢- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدْخِل أحدكم عمُله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل"[٣]. وزاد مسلم: وكان آل محمد ﷺ إذا عملوا عملاً أثبتوه[٤]. قال النووي: "أى لازموه وداوموا عليه، والظاهر أن المراد بالآل هنا أهل بيته وخواصه ﷺ، من أزواجه وقرابته ونحوهم"[٥].

٣- وعنها: سئل النبي ﷺ: أى الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها، وإن قل، وقال: اكلفوا من الأعمال ما تطيقون[٦].

٤- وأخرج مسلم بإسناده عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[٧]. وقال النووي: "فيه الحث على المداومة على العمل وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع، لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى ويثمر القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة"[٨]. "والحكمة في ذلك أن المديم للعمل يلازم الخدمة، فيكثر التردد إلى باب الطاعة كل وقت، ليجازى

---

(١) فتح الباري، ٢٩٥/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٦٢، ومسلم ٧٤١ - ٧٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٦٤، ومسلم ٧٨٢، ٢٨١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٧٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٦/٣، ٧٤، .

(٦) أخرجه البخاري ٦٤٦٥، ومسلم ٧٨٢.

(٧) أخرجه مسلم، ٢١٨ - ٧٨٣.

(٨) شرح صحيح مسلم ٧٤/٦/٣، ط عالم الكتب.

بالبر لكثرة تردده، فليس هو كمن لازم مثلاً ثم انقطع، وأيضًا فالعامل إذا ترك العمل صار كالمعرض بعد الوصل، فيتعرض للذم والجفاء، ومن ثم ورد الوعيد في حق من حفظ القرآن ثم نسيه، والمراد بالعمل هنا الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات"[1].

(١) فتح الباري ٢٩٩/١١ .

الحديث رقم (١٢٦١)

١٢٦١- وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه ، قَالَ: أوصاني حَبيبي ﷺ بثلاثٍ لَنْ أدَعَهُنَّ مَا عِشتُ: بِصيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وبأنْ لاَ أنَامَ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢) حتى الترقيم المتبع.

غريب الألفاظ:

أوتر: أصلي مثنى مثنى ثم أصلي في آخرها ركعةً مفردةً [2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث كسابقه بأسلوب التشويق بالإجمال بالعدد (ثلاث) ثم التفصيل، وهو ما يحدث ترقبا لدى المخاطب، وتوكيد للمعنى الذي ذكر مرتين إجمالا ثم تفصيلاً، وقد بدأت جملة التشويق بالفعل الماضي " أوصاني " وهو يدل علي تحقق وقوع تلك الوصية من خاتم الرسل، ثم قال: " حبيبي " وهو لفظ يفيد العموم، ويدل علي الميل القلبي، والألفة، والمحبة، ولكن لفظ " خليلي " أخص منه، فكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلا. ولكن الراوي هنا تعهد أن يقوم بتنفيذ الوصية فقال: ". .. بثلاث لن أدعهن ما عشت و " ما " في قوله: " ما عشت " مصدرية أي: مدة بقائي حيا. ثم بدأ بالصيام أيضا. .. ومن بعدها " صلاة الضحى " وختمها بقوله: " وبأن لا أنام حتى أوتر ". والفعل المضارع: " أوتر " يفرض علي المسلم أن يوحد الله تعالي، ويذكره قبل نومه، حتى يختم له بشهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لعله بذلك يدخل الجنة بمشيئة الله.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٧٢٢/٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٢٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ت ر).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٦٢)

١٢٦٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((صَوْمُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ مِنْ (كُلِّ شَهْرٍ)[١] صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٢).

غريب الألفاظ:

الدهر: السنة[٣].

الشرح الأدبي

الوصية في الحديثين السابقين كانت مكونة من ثلاثة أثلاث. الثلث الأول خاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والثلث الثاني خاص بصلاة ركعتي الضحى، والثلث الأخير خاص بصلاة الوتر. وفي هذا الحديث يركز الرسول ﷺ علي الثلث الأول الخاص بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، لأنه يشتمل علي الثلثين الباقيين، فالصيام يحتاج إلي " الصبر "، ومن خلاله يصلي الفرائض، وينطق بشهادة التوحيد الذي شرع " الوتر " من أجله، ولأن الصيام فيه تهذيب، وتأديب للجوارح عن اقتراف السيئات. وقد شرعت صلاة الضحى لشكر الله علي تلك الجوارح. فالصيام أن تطيع الجوارح (الوتر) الأحد الفرد الذي لا إله إلا هو، وقوله (كصوم الدهر كله) تشبيه لبيان مقدار الثواب ؛لأن الذي يصوم ثلاثة أيام تحسب له الحسنة بعشر أمثالها، فإذا هي ثلاثون عدد أيام الشهر، فإذا ما اطرد هذا الصيام كل شهر كان بذلك كمن صام كل الدهر ولفظ التوكيد كل المضاف للضمير العائد على الشهر(كله) يؤكد على هذا الثواب العظيم، وينفي وهم المبالغة، والله أكرم، وأبر.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) قوله: (كل شهر) عند البخاري برقم (٣٤١٩)، ولفظه في هذه الرواية: (الشهر) فقط.

(٢) أخرجه البخاري (١٩٧٩) واللفظ له، ومسلم (١١٥٩/١٨٧). أورده المنذري (١٥٢٤).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم ٧٢٣.

(٤) تقدم ذكر مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٣)

١٢٦٣- وعن مُعاذة العدوية: أنها سألت عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أكَانَ رسول الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاَثة أيَّامٍ؟ قالت: نَعَمْ. فقلتُ: مِنْ أيٍّ[1] الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قالت: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يُبالي: يهتم[3].

الشرح الأدبي

وهذا الحديث أيضا – يعني بموضوع صيام ثلاث أيام من كل شهر. ولكن الموضوع يقوم على محورين الأول تقرير فعل الرسول ﷺ له، والمحور الثاني: تحديد الأيام التي كان يحص على صيامها، وقد قام المعنى في الحديث على الحوار المبني على السؤال، والجواب، والسؤال الأول (أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟) استفهام مباشر عن المقصود بغرض التحقيق، والتثبيت، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين بالإثبات لها بحرف الجواب (نعم) والاستفهام الثاني (من أي الشهر كان يصوم قالت: لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم ؟) استفهام عن تحديد الأيام التي كان يختارها في الصيام، وقد جاءت إجابة أم المؤمنين تحمل التوسعة على المؤمنين ليصوم كل منهم ما يختار بناءً على أن الرسول ﷺ لم يعنى بتحديد ثلاثة بعينها من أول شهر، أم منتصفة؟ أم أخره؟، والاستفهام هنا يراد منه التعلم والاسترشاد، للتأسي، والإقتداء به – عليه الصلاة والسلام –.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عند مسلم زيادة: (أيّام) في الموضعين.

(٢) برقم (١١٦٠/١٩٤).

(٣) الوسيط في (ب ل ي).

(٤) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٤)

١٢٦٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثًا[1]، فَصُمْ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

في الأحاديث السابقة حث النبي ﷺ علي صيام ثلاثة أيام من كل شهر هجري. وفي الحديث السابق لم يحدد أياما بعينها على سبيل التوسعة على الصائمين إذا لو حددت، وفات مؤمنا وقتها لما استطاع أن يتداركها، وفي هذا الحديث يحدد هذه الأيام الثلاثة على اعتبار الأفضلية لمن تثنَّى له أن يصوم أياما بعينها، وذلك عن طريق الجملة الشرطية: " إذا صمت من الشهر ثلاثا، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة. .. الخ " ومعناه: إذا أردت أن تتطوع، وتقوم بهذا العمل الصالح فافعل كذا. .. وكذا. .. وكذا، و(من) في قوله: " من الشهر " للتبعيض. وأسند الفعل " صمت إلي تاء المخاطب مع أسلوب الشرط ليشمل الحكم كل من أراد أن يصوم هذا التطوع، وفيه ترغيب في صيام هذه الأيام لمن تيسرت له، ومن لم يستطعها خاصة صام ما تيسر من أي ثلاثة من الشهر كما دل الحديث السابق.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) لفظ الترمذي: (ثلاثة أيّام) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢١٤٣٧). هكذا أورده المنذري في ترغيبه. وعزاه إلى الترمذي وأحمد والنسائي وابن ماجه.

(٢) برقم (٧٦١)، وصحّحه ابن خزيمة (٢١٢٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٣).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٥)

١٢٦٥- وعن قتادة بن مِلْحَان رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأمُرُنَا بصِيَامِ أيَّامِ البيضِ[١]: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أَبُو داود[٢].

ترجمة الراوي:

قتادة بن مِلْحان: هو قتادة بن مِلْحان القيسي الجُريري مسح النبي ﷺ على وجهه فكان يملؤه الصفاء والبشر والاستنارة والبهاء كأنما علاه الدُّهن.

قال أبو العلاء بن عُمير الجُريري: كنت عند قتادة بن مِلْحان حين حُضِر [جاءه الموت] فمرّ رجل في أقصى الدار فأبصرتُه في وجه قتادة وكنت إذا رأيته كأن على وجهه الدِّهان. وكان رسول الله ﷺ مسح وجهه[٣]. وفي رواية: أنه لما كبر بلى منه كل شيء غير وجهه[٤] نزل العراق وسكن البصرة وليس له إلا هذا الحديث المذكور[٥].

غريب الألفاظ:

أيام البيض: هذا على حذف المضاف، يريد أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[٦].

---

(١) لفظ أبي داود: (أن نصوم البيض) والمثبت لفظ أحمد في المسند (٢٠٣٢١)، وكذا عند المنذري.

(٢) برقم (٢٤٤٩). قال الحافظ في الإمتاع (ص: ٢٢٧): هذا حديثٌ صحيحٌ، وهذا المتن من أصحِّ ما ورد في تعيين أيام البيض. أورده المنذري في ترغيبه (١٥٣٤).

(٣) أخره أحمد ٢٨/٥، رقم ٢٠٣١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٢٨/٣٣.

(٤) أخرجه ابن شاهين كما في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي.

(٥) الطبقات (٤٣/٧) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٧٠/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٠٦٧، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٠٤/٦) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٣١/٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

الشرح الأدبي

إن المخاطب يشعر بأهمية هذه الأيام، لأن الرسول الكريم ﷺ كان يأمر بصيامها، ولذا قال الراوي: " يأمرنا " بصيغة المضارع الدال علي الاستمرار والتجدد. وجاء بالضمير " نا " ليؤكد حب النبي للجميع، وأن الأمر من الأهمية بحيث لا يختص به أحد دون أحد، وفي هذا الحديث ملمح جديد عن الأحاديث السابقة، والتي حددت أيام الصيام بالثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وهو وصفها بكلمة: " البيض " كناية عن الأيام التي يكتمل فيها القمر فيملأ ضوؤه الكون عندما يصير بدرا في هذه الأيام الثلاثة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

الحديث رقم (١٢٦٦)

١٢٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ لاَ يُفْطِرُ أيَّامَ البِيضِ في حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ. رواه النسائيُّ[1] بإسنادٍ حسن.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أيام البيض: أيام الليالي البيض، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وسميت لياليها بيضًا لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر " ابن عباس رضي الله عنه " عن طرف من عبادة رسول الله ﷺ خلال هذه الأيام " البيض ". فكان لا يفطر فيها، لا في حضر ولا في سفر. وقد طبق ما قرره في الحديث السابق – علي نفسه الطاهرة، فهو من الذين يفعلون ما يَأْمُرون به، وهو ما أن يكون عليه الدعاة المقتدون به أن يلتزموا بما يدعون إليه الناس لأن ذلك أدعى لامتثاله، ولأن تركهم الالتزام بما يقولون يصبح دعاية سيئة مضادة لما يقولون، فيدعون لله بالقول، ويصدون الناس بالفعل، وهو أمر جد خطير، وبين كلمتي: " حضر وسفر " طباق وحصر يستوعب الزمان، أي في زمن السفر، وفي زمن الحضر مما يعنى تأكيد عدم تركها، لأن اللفظين يوضحان المعني ويبرزانه، فالمسلم لابد أن يتواجد في واحد منهما. وقدم " الحضر " علي " السفر "، لأنه الأصل، والنفس البشرية تأنس الاستقرار، والصلات الاجتماعية التي تتحقق من خلال الإقامة في مكان معين. والحديث يعد ترغيبا بنقل فعل الرسول ﷺ الذي يقررها سنة فعلية يتهافت عليها بعده المحبون المقتدون في كل زمان، ومكان.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) في المجتبى (٢٣٤٥)، وفي الكبرى (٢٦٦٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ض).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في شرح الحديث رقم ١٢٦٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالوصية:

لقد وصّى النبي ﷺ - كما في أحاديث الباب - صحابيين جليلين بثلاثة أشياء: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وصلاة الوتر قبل النوم، وفي هذه الوصية لهما حكمة تناسب أحوالهما وتلاءم استعداداتهما وقدراتهما، ومما ييسر لهما العمل الصالح والمداومة على الطاعة والمواظبة على فعل الطيبات فيحصلان ما حصّل غيرهما من الثواب والفضل، قال ابن القيم: (وإنما وصى أبا هريرة بذلك، لأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة، فأمر بالضحى بدلاً من قيام الليل، ولهذا أمره ألا ينام حتى يوتر، ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة)[1].

إذ أن الوصية من الأساليب التربوية ذات الخصوصية التي تكون لبعض الأتباع والناشئة نظرًا لأسباب وأحوال معينة، والتي تعتمد على التفاوت والاختلاف فيما بين الأتباع ونحوهم، فهي لبعضهم قد تكون من أنجح الوسائل التربوية وأفيد طرق التوجيه والإرشاد، فعلى المربين أن يستخدموها في مواضعها وأحوالها الصحيحة حتى تؤتي ثمارها المرجوة منها، وقد مضى الكلام عن التربية بالوصية باستفاضة فليرجع إليها[2].

ثانيًا- من أسباب نجاح التربية: الحميمية بين المربي ومن يربيهم:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، كما قال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني حبيبي بثلاث" مما يدل على أن العلاقة بين الرسول ﷺ وبينهما علاقة مودة ومحبة وقرب بل علاقة أكثر من ذلك، إنها تخطت علاقة المعلم بطلابه والمرشد بمن يرشدهم والموجه بمن يوجههم إلى علاقة المحب بأحبائه والخليل بأخلائه، وفي ذلك نجاح من قبل المربي أن جذبهم إليه وحببهم بأخلاقه وشمائله فيه، فاستقرّ حبه في قلوبهم وتمكن منها وتخللت محبته أفئدتهم فملأتها فلم يعرفوا حبيبًا غيره ولا خليلاً سواه، ولذا كانوا

---

(١) زاد المعاد ١/٣٥٧.

(٢) وذلك في الباب رقم ٢٠٦.

يفعلون ما يأمرهم به بحب وإقبال وإذعان، بل يسارعون إلى ذلك ما استطاعوا من مسارعة ويقبلون على ذلك أيما إقبال، ويبادرون إلى الامتثال ما وسعتهم المبادرة وأمكنهم الفعل، وما ذلك إلا لأن القلوب امتلأت حبًّا ومودة وإجلالاً لهذا المربي العظيم وهذا المعلم الفريد، لذا لم يتركوا ما أوصاهم بها طيلة حياتهم ومدة عمرهم، عبر عن ذلك أبو ذر رضي الله عنه بقوله: "أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت" وهكذا يكون الحب وهكذا تكون العلاقة وهكذا تكون التربية، إن التربية لا تكون بالأوامر والنواهي الجافة التي لا يكتب لها الحياة إلا قليلاً، لأنها خرجت من قلوب لا تحمل الحب إلى المقول إليهم، وهم بدورهم لم يحسُّوا بهذا الحب من ناحية القائل، فلم ينتقلوا إلى مرحلة الاعتزاز والحب لما يقوله، بل اكتفوا بهزّ أكتافهم إشعارًا بأن فهموا أو سمعوا وظلُّوا على هذا الحال وهذه الهيئة. إن علاقة بهذا الشكل بين المربي وأتباعه علاقة لن تثمر تربية صالحة تفاعلية، بل إنها ستثمر تربية جافة شكلية ثمرها شكله طيب، لكن طعمه مرّ لا يطاق.

إن المربي إذا أراد النجاح لتربيته فعليه أن يجعل العلاقة بينه وبين أتباعه علاقة محبة ومودة تقوم على التحام القلوب قبل التحام الأجساد والأبدان، وتعتمد على تفاعل الأفئدة وتراحمها قبل تفاعل الهيئات والأشكال، إن المربي وإن فعل ذلك تمكن من أن يفعل أكثر ما يفعله السيف والمدفع والتهديد والوعيد. وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[1].

ثالثًا - التربية على تحصيل الثواب طوال العام:

لقد رغب النبي صلى الله عليه وسلم في صيام ثلاثة أيام من كل شهر بأن أخبر أن ذلك يكون كصوم السنة كلها: "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كلّه"، فالمسلم مما لاشك فيه يودّ لو أنه حصّل الثواب طوال العام ومدة السنة، لكنه قد يعجز عن فعل الصالحات والأعمال الطيبة التي تحقق له هذه الغاية العليا والهدف الأسمى، نظرًا

---

(١) آل عمران، آية: ١٥٩.

لطبيعته وتقصيره وإهماله ونسيانه وغفلته، فدله الشارع الحكيم على ما يحقق هذا بأقل العمل وما هو في قدرته واستطاعته، ومثال هذا قوله ﷺ: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّال، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ))[1].

وفي رأينا أن التربية على ذلك فيها من الفوائد التربوية الكثير والتي منها:

أ- التربية على الانشغال بالعمل الصالح والإعداد لفعله والتلبس به، وهذا له تأثيره الذي لا يخفى على تهذيب الأخلاق وإصلاح السلوك وإقامة المعاملات على الوجه الصحيح.

ب - مراعاة الطبيعة البشرية للناشئة فهم بشر يعيشون في هذه الدنيا التي تشغلهم بما فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر على دينهم، من سعي على المعاش والأولاد ونحو ذلك، مما يجعلهم غير متفرغين كثيرًا من الوقت لأداء النوافل والتطوعات، لذا كان إرشادهم إلى ما يناسب طبيعتهم ومشاغلهم تلك، والذي يمكنهم من تحصيل الثواب مع عدم إضاعة المصالح الدنيوية.

ج - تربية الناشئة وغيرهم على المداومة على العمل وإن قلّ وفي هذا تعويد لهم على الوسطية والاعتدال في جميع شؤونهم ومختلف أحوالهم، فهم لا يهملون النوافل مطلقًا، ولا هم كذلك ينهمكون فيها حتى تشغلهم عن أمور دنياهم، إنهم وسط بين ذلك.

والخلاصة أن على المربين أن يرشدوا أتباعهم إلى الأعمال التي تجعلهم يحصلون الفضل والثواب طوال العام، وأكثر الأوقات، إننا مثلاً في مجال التعليم لو ربّى المعلم طلابه على أن يستذكروا المواد المدرسية ساعات محدودة من اليوم، ويداوموا على ذلك، لأمكنهم أن يحصلوا أعلى الدرجات وأفضل المستويات طوال العام الدراسي، فضلاً عن آخره الذي يبين ترتيب الطلاب الأوائل، والأغلب أنهم سيكونون منهم.

وهكذا الحال والشأن في مختلف مجالات التربية والتعليم والإرشاد.

رابعًا - من أساليب التربية: الجمع بين التوجيه الخاص والتوجيه العام:

وجّه النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه فقال له: "إذا صمت من الشهر ثلاثًا فصم ثلاث عشرة

---

(١) أخرجه مسلم ١١٦٤ من حديث أبي أيوب رضي الله عنه.

وأربع عشرة وخمس عشرة" فكان هذا توجيهًا خاصًا من النبي ﷺ إلى أبي ذر رضي الله عنه، أما التوجيه العام للصحابة رضي الله عنهم فهو ظاهر في حديث قتادة بن ملحان رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة".

إذًا فقد (كان النبي ﷺ يجمع بين التربية والتوجيه الفردي ومن خلال الخطاب الشخصي المباشر، وبين التربية والتوجيه الجماعي، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللّهِ التَّشَهُّدَ. كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ))[1] ومن ذلك ما ورد عن غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله ﷺ.

ومن ذلك حديث معاذ رضي الله عنه: ((يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟))[2].

وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما زوّجه أبوه امرأة فكان يتعاهدها فتقول له: نعم الرجل لم يكشف لنا كنفًا ولم يطأ لنا فراشًا - تشير إلى اعتزاله - فاشتكاه إلى النبي ﷺ، فدعاه فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل[3].

وقد كان هذا الحوار والتوجيه له شخصيًا، بينما نجد أنه ﷺ في مواقف أخر يوجه توجيهًا عامًا، كما في خطبه ولقاءاته وتوجيهات لعامة أصحابه، وهي أشهر من أن تورد وتحصر.

وهنا مأخذ مهم في قصة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، إذ أن رسول الله ﷺ دعاه وناقشه منفردًا به، بينما نجده في موقف آخر شبيه بهذا الموقف يعالج الأمر أمام الناس، فحين سألت طائفةٌ عن عبادته وتقالُّوها وقالوا ما قالوا صعد المنبر وخطب في الأمر.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٦٢٦٥، ومسلم ٤٠٢.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠، ٤٩.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري ١٩٧٦، ومسلم ١١٥٩.

عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا آكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

ومثل ذلك في قصة الذي قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فعن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: ((استعملَ النبيُّ ﷺ رجلاً من بني أَسد يقال له ابنُ اللتبية على صدَقةٍ، فلما قَدِمَ قال: هذا لكم وهذا أُهدِيَ لي. فقام النبيُّ صلى الله عليه وسلم على المنبر ـ قال سفيانُ أيضًا: فصعِدَ المنبر ـ فحمدَ اللَّهَ وأَثنى عليه، ثم قال: ما بالُ العامِلِ نبعثُهُ فيأتي فيقول: هذا لكَم وهذا لي، فهلاّ جلسَ في بيت أبيهِ وأمِّه فينظُرُ أيُهدَى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاءَ به يومَ القيامةِ يحمله على رقبتِهِ، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار أو شاةً تَيْعَر ـ ثم رفعَ يديهِ حتى رأينا عفْرتي إبطَيه ـ ألا هل بَلَّغتُ؟ ثلاثًا))[2].

إذن فهناك جوانب يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة، ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها، لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها، بل قد يكون ضرر إشاعتها أكثر من نفعه.

وهناك جوانب يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة وتعالج وتناقش أمام الجميع.

والمربي الناجح هو الذي يضع كل شيء موضعه)[3].

خامسًا- التربية على المداومة على العمل وإن قلّ:

لقد أوصى النبي ﷺ بعض أصحابه على صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وهذا فيه مداومة على ذلك، كما أخبر النبي ﷺ أن "صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري ٥٠٦٣، ومسلم ١٤٠١.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٧١٧٤، ومسلم ١٨٣٢.

(٣) معالم في المنهج التربوي النبوي، محمد عبدالله الدويش، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٣٨-٣٩.

الدهر كله" وهذا حث للمداومة على صيام ثلاثة أيام كل شهر، وهذه المداومة فعلها النبي ﷺ كما أخبرت زوجه عائشة رضي الله عنها أنه لم يكن يبالي من أي الشهر يصوم الثلاثة أيام، كما أمر النبي ﷺ بصيام أيام البيض من كل شهر وفي هذا حث على المواظبة على ذلك، وأخبر ابن عباس رضي الله عنه عن مداومة الرسول على ذلك فقال: كان رسول الله ﷺ لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر" فكانت أحاديث الباب كلها تحث نصًا أو إشارة على مداومة صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وفي ذلك تربية للمداومة على العمل والمواظبة عليه، ولذا على المربين أن يحرصوا على أن يربوا أتباعهم على المداومة على العمل وإن قلّ، لأن في ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ - حصول التأسي بالنبي ﷺ، وهذا عبادة بحد ذاته يؤجر عليه المسلم، ويحصل به بركة متابعة النبي ﷺ.

ب - أن العمل قد أعد له إعدادًا جيدًا، وأخذ نصيبه من الدراسة والمراجعة، ولم يكن نتاج فكرة طائشة أو خاطرة لم تأخذ حقها من التفكير.

ج - المداومة تعني التخصص الذي ينشأ عنه سدّ الثغرات التي قد لا تجد لها مكانًا بين الأفكار الطارئة، وينشأ عنه التوزيع المعتدل للطاقات دون أن تسهم التفاعلات الفكرية والثقافية في تفتيتها أو تركزها في ميدان آخر.

د - المداومة تعني عمق القناعة بالعمل، وأنه لم يكن ناشئًا نتيجة ظرف معين أو خاطر سريع، وهو يعني أن تكون ردة الفعل تجاه الأحداث متزنة، إذ طالما أسهم الانسياق وراء حدث أو ظاهرة مفاجئة في ردة فعل تولد تطرفًا وغلوًا في الاتجاه المقابل.

هـ - المداومة على العمل تقضي على ظاهرة استعجال قطف الثمرة والإجهاض الفكري للمشروعات والبرامج التربوية، وتلك إنما تنشأ عن أولئك الذين لم يستقر لهم قرار في ميدان تربوي أو لم يحققوا مبدأ المداومة في التربية.

و - المداومة تعني انضباط أهداف العمل إذ هي نتاج تفكير هادئ وممارسة وتجارب طويلة وعمل متخصص وليست مجرد حماسة أو ردة فعل تجاه انحراف أو موقف معيّن.

ز - المداومة تعني التدرج في العمل، والسير فيه بخطوات هادئة ثابتة متزنة، تنظر إلى المستقبل بعين واسعة، وأفق أرحب[1].

❁ ❁ ❁

(١) أدومه وإن قلّ أيضًا، عبدالله المسلم، مجلة البيان، العدد ١٢٥، ص ٥٦-٥٧ بتصرف يسير.

٢٣١ - باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

الحديث رقم (١٢٦٧)

١٢٦٧ - عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لاَ يُنْقَصُ مِنْ أجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث علي أسلوب الشرط الذي يحقق عموم الحكم، ويعطيه صلاحية عبر الزمان، والمكان، ويربط الجزاء بالفعل، ويجعل المخاطب حر الاختيار في الصيام أو الفطر بينما يرغبه ببيان العاقبة من خلال الجزاء حيث يحض علي تفطير الصائمين، وتقديم الخير لهم، فما أكثر الأيتام، والمساكين، والفقراء الصائمين، وربما ينقطع السبيل بالصائم في مكان ما، وليس معه زاد أو ماء، وقد يكون تفطير الصائمين لتقوية صلة الرحم، ونزع الأحقاد بين الأقارب، والجيران، وقد كلف المجتمع المسلم أن يرعى مثل هذه الحالات، وغيرها، والتنكير في كلمة: " صائما " يفيد التعميم، فأي صائم يفطره المسلم، سواء يعرفه أم لا يستحق به الجزاء. كما أن التنكير يدل علي القلة فعلي المسلم أن يسعى لإفطار أي عدد من الصائمين، حتى وإن كان " صائما " واحدا. ولما أخبر الرسول أن الأجر محكوم عليه بالمثلية، طمأن ذلك الشخص الذي يفطر عند هذا، أو ذلك، طمأنه علي أجر صيامه فقال :"غير أنه لا ينقص من أجر

---

(١) برقم (٨٠٧). وصحّحه ابن خُزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٦).

الصائم شيء) وهو احتراس يحفظ لكل واحد منهما ثواب عمله غير منقوص، والله أكرم، وأبر.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

أنه يستحب للصائم أن يفطر الصائمين وأن له مثل أجره[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل من فطر صائمًا:

هذا واضح من الحديث، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه: ذكر تفضل الله جل وعلا بإعطاء المفطِّر مسلمًا مثل أجره[2].

وقد روى عن النبي ﷺ: وذلك من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي قال: خطبنا رسول الله ﷺ، في آخر يوم من شعبان، قال: "يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر"، الحديث وفيه: "وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائمًا كان مغفرةً لذنوبه وعتقًا لرقبته من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن"[3].

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٢٣/١، كشاف القناع ٣٣٣/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٢١٦/٨، رقم ٣٤٢٩.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١٨٨٧، ثم قال: إن صح الخبر، أ. هـ. وفي إسناده على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف كما في تقريب التقريب، ٣٧/٢، وينظر الترغيب والترهيب للمنذري، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن يحيى بن أبي كثير عن أبي هريرة: دعته امرأة ليفطر عندها ففعل، وقال: إني أخبرك أنه ليس من رجل يفطر عند أهل بيت إلا كان لهم مثل أجره، فقالت: وددت أنك تتحيّن - أو نحو ذلك - لتفطر عندي. قال: إني أريد أن أجعله لأهل بيتي[١].

وإفطار الصائم داخل في إطعام الطعام الذي هو من صفات خير المسلمين، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: "أى الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام، على من عرفت ومن لم تعرف"[٢].

ففي هذا الحديث الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين[٣].

(وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج وتقديمه للضيف، وإقامة الولائم، بل يشمل بإشارته معونة المسلم بماله، أيًا كان نوع المعونة، وأيًا كان المال طعامًا أو شرابًا، أو مسكنًا أو لباسًا أو نقدًا)[٤].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على التعاون بين المدعوين:

وهذا واضح من الحث على تفطير الصائم، لأنه ربما لا يجد بعض الصائمين ما يفطرون عليه، فكان هذا الحديث دافعًا إلى التعاون والتكافل فيما بين المدعوين، وهذا الحديث أخرجه النسائي في الكبرى، وابن حبان بلفظ: "من جهز غازيًا أو حاجًا أو خلفه في أهله أو أفطر صائمًا، كان له مثل أجره من غير أن يُنْقَص من أجورهم شيء"[٥].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر البيان بأن المجهز إنما يأخذ كحسنات الغازي من أجر غزاته تلك حتى يكون له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الغازي

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٣١١/٤، رقم ٧٩٠٨

(٢) أخرجه البخاري ١٢، ومسلم ٣٩.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/٢/١ .

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٧٢.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى، ٣٣١٦، وابن حبان، ٤٦٣٣.

شيء، وكذلك الخالف في أهله بخير[١]. وقال الطيبي: (نظم الصائم في سلك الغازي، لانخراطهما في معنى المجاهدة مع أعداء الله، وقدّم الجهاد الأكبر)[٢]، وقال ابن تيمية: "إن الغزو يحتاج إلى جهاد بالنفس وجهاد بالمال، فإذا بذل هذا بَدَنَه، وهذا مَالَه مع وجود الإرادة الجازمة في كل منهما، كان كل منهما مجاهداً بإرادته الجازمة ومبلغ قدرته، وكذلك لابد للغازي من خليفة في الأهل، فإذا خلفه في الأهل بخير فهو أيضًا غاز، وكذلك الصيام لابد فيه من إمساك، ولابد فيه من العشاء الذي به يتم الصوم، وإلا فالصائم الذي لا يستطيع العشاء لا يتمكن من الصوم"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وذلك أن من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده بأن شرع لهم التعاون على البر والتقوى، ومن ذلك: تفطير الصائم، لأن الصائم مأمور بأن يفطر، وأن يعجل الفطر، فإذا أُعين على هذا فهو نعمة الله عز وجل، ولهذا قال النبي ﷺ: (من فطر صائمًا، كان له مثل أجره، غير أنه لا يُنْقَص من أجر الصائم شيء).

واختلف العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني به عن السحور.

ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطّر صائمًا ولو بتمرة واحدة، فإنه له مثل أجره؛ لهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين بقدر المستطاع لا سيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو حاجتهم، لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم وما أشبه ذلك" [٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على عباده:

وهذا واضح من الحديث، فقد جعل الله لمن فطر صائمًا مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيئاً. وهذا فضل من الله عظيم ومنة منه كبيرة. قال ابن تيمية: "جمع الناس

---

(١) صحيح ابن حبان ٤٩١/١٠.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة، ١٥٥/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٥٧٦/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٤١٦/٢ - ١٤١٧.

للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة، وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله ﷺ للمسلمين، وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام، فقد قال النبي ﷺ: "من فطر صائمًا فله مثل أجره". وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر"[١].

وسئل ابن تيمية عن رجل توفى وأوصى أن يصلى عنه بدراهم، فأجاب بأن هذا لا يجوز ثم قال: "لكن هذه الدراهم التي أوصى بها يتصدق بها عنه، ويخص بالصدقة أهل الصلاة، فيكون للميت أجر، وكل صلاة يصلونها ويستعينون عليها بصدقته، يكون له منها نصيب من غير أن ينقص من أجر المصلى شيء، كما قال النبي ﷺ: "من فطر صائمًا فله مثل أجره"، وقال: "من جهز غازيا فقد غزا"[٢]،[٣].

وقد قال النبي ﷺ: "لن ينجى أحدًا منكم عملُه. قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة ...." الحديث[٤].

وذكر ابن حجر أقوالاً للعلماء في الجمع بين هذا الحديث، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ثم قال: "قال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة.

الثاني: أن منافع العبد لسيده، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٤٣، ومسلم ١٨٩٥.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/٤١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٦٣، ومسلم ٢٨١٦.

الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال.

الرابع: أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد بالفضل، لا بمقابلة الأعمال[1].

---

(١) فتح الباري، ٢٩٦/١١ .

الحديث رقم (١٢٦٨)

١٢٦٨- وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصاريَّةِ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: ((كُلِي)) فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرَغُوا)) وَرُبَّمَا قَالَ: ((حَتَّى يَشْبَعُوا)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم عمارة الأنصارية: هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الأنصارية النجارية، الفاضلة المجاهدة، أخواها وزوجها وابناها من الصحابة الذين أبلوا بلاء حسنًا في الإسلام.

أسلمت قديمًا فشهدت بيعة العقبة الثانية وبايعت النبي ﷺ وشاركت في الغزوات، فقد شهدت أحدًا والحديبية وفتح مكة وحُنينًا وموقعة اليمامة.

وكان لها موقفان عظيمان يوم أحد واليمامة، فأما يوم أحد فقد شهدته هي وزوجها وابناها: حبيب وعبدالله وكانت تسقي المسلمين، فلما انهزموا وانكشفوا عن رسول الله ﷺ ثبتت تقاتل وتدافع عنه حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا. قالت: فانحزت إلى رسول الله ﷺ فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ﷺ بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إليّ الجراح. وقد جرحت جرحًا غائرًا بسبب تصديها لابن قُميئة الذي أقبل يصيح: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا. فاعترضه مصعب بن عمير وناس معه وهي فضربها على عاتقها فردت عليه بضربات، كما أنها قتلت فارسًا من المشركين قبل أن تتمكن منها الجراح فتتوقف عن القتال.

وروى أن النبي ﷺ قد أثنى على فعلها وحمد لها موقفها يومئذ، فَرُوِيَ عنه أنه قال: ما التفتُ يوم أحد يمينًا ولا شمالاً. إلا وأراها تقاتل دوني[2].

---

(١) برقم (٧٨٥). وصحّحه ابن خُزيمة (٢١٣٨)، وابن حبان (الإحسان ٣٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٩٨).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي وهومتروك.

وَرُوِيَ عنه كذلك أنه قال: ((لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان))[1]، لذا بعث إليها عمر بن الخطاب -وهو خليفة- بثوب ثمين، تقديرًا منه لموقفها هذا.

أما يوم اليمامة فكان يومها ويوم ولديها، فأما ابنها حبيب بن زيد بن عاصم فقتله مسيلمة الكذاب، وأما ابنها عبدالله بن زيد فهو الذي قتل مسيلمة بسيفه.

أما هي فقد قاتلت حتى جرحت أحد عشر جرحًا وقطعت يدها، فلما عادت إلى المدينة جاءها أبو بكر الصديق -وهو خليفة- يسأل عنها ويطمئن عليها[2].

غريب الألفاظ:

تصلي عليه الملائكة: تستغفر له[3].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين (أم عمارة) ورسول الله ﷺ يدل علي الجانب الإنساني، والاجتماعي في شخصية المصطفي، ولما رآها لم تتناول الطعام، وعلم أنها صائمة قدم إليها بعض الأخبار السارة فقال: "إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفزعوا". وأكد المضمون بإن، واسمية الجملة،والفعل المضارع" تصلي"والصلاة من الملائكة: (دعاء واستغفار). وهذا الدعاء، وهذا الاستغفار من الملائكة مجابي الدعوة، مستمر إلي أن ينتهي الآكلون من طعامهم. ولعل هذا التكريم، وهذا الدعاء

---

(١) أخرجه ابن سعد (٤١٥/٨) بإسناد فيه الواقدي.

(٢) الطبقات (٤١٢/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦٩/٧، ٣٦٠) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٢٤، والسير (٢٧٨/٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٩٨/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٩٩/٤)، والأعلام، خير الدين الزركلي (١٩/٨) وموسوعة عظماء حول الرسول ﷺ (١٩١٧/٣، ٢١٥٧).

(٣) دليل الفالحين ١٣٨٠.

قد صدر في مثل هذه المواقف لتعويض الصائمين عن تحملهم مشقة شهوة الجوع أمام الآكلين بجوارهم. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ "كلي" وهذا أمر ليس على سبيل الوجوب ولا الندب، وإنما هو لبيان الإباحة، فلما قال لها النبي ﷺ ذلك، أخبرته أنها صائمة. فأخبرها ﷺ بفضل الصائم الذي يؤكل عنده. وكان هذا الإخبار مترتبًا على هذا الأمر وإخبارها رسول الله ﷺ أنها صائمة.

ثانيًا - من آداب المدعو: إخبار الداعية بحاله حتى يبين له ما يليق به:

هذا واضح من قول أم عمارة الأنصارية: إني صائمة، فأخبرها النبي ﷺ، بفضل من يكون صائمًا ويؤكل عنده. ولو أنها لم تخبره بحالها وفعلت ما طلبه منها من الأكل على سبيل الإباحة - لربما لم يخبرها ﷺ، بذلك الفضل.

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ، أن أناوله الخُمْرة[1] من المسجد، فقلت: إني حائض. فقال: تناوليها فإن الحيضة ليست في يدك[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض[3]: معناه أن النبي ﷺ. قال لها ذلك من المسجد أى وهو في المسجد، لتناوله إياها من خارج المسجد، لا أن النبي ﷺ. أمرها أن تخرجها له من المسجد، لأنه ﷺ. كان في المسجد معتكفًا. وكانت عائشة في حجرتها وهى حائض، لقوله ﷺ: "إن حيضتك ليست في يدك" فإنما خافت من إدخال

---

(١) قال الخطابي: هى السجادة يسجد عليها المصلى. شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٣/٢١٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٩٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٣١.

يدها المسجد، ولو كان أمرها بدخول المسجد، لم يكن لتخصيص اليد معنى"[١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب. فانخنَسْتُ منه[٢]، فذهب فاغتسل ثم جاء فقال: أين كنت يا أبا هريرة؟ قال: كنت جنبًا، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة. فقال: سبحان الله إن المسلم لا ينجس))[٣].

قال النووي: "هذا الحديث أصل عظيم في طهارة المسلم حيًا وميتًا"[٤]. وقال ابن حجر: في هذا الحديث استحباب استئذان التابع للمتبوع إذا أراد أن يفارقه لقوله: "أين كنت؟ فأشار إلى أنه لا يفارقه حتى يعلمه، وفيه استحباب تنبيه المتبوع لتابعه على الصواب وإن لم يسأله)[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصائم الذي يؤكل عنده:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا، وربما قال: "حتى يشبعوا". قال المباركفوري: "أى دعت له الملائكة بما صبر مع وجود المرغب"[٦].

وقال: قوله "تصلي عليه الملائكة"، أى: تستغفر له "إن الصائم إذا أكل عنده" أي ومالت نفسه إلى المأكول واشتد صومه عليه)[٧].

وبوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر استغفار الملائكة للصائم إذا أكل عنده حتى يفرغوا[٨].

وقد أخرج عبدالرزاق بإسناده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: الصائم

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٣/٢١٣.

(٢) أي مضيت عنه مستخفيًا. فتح الباري، ١/٤٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣، ومسلم ٣٧١.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢/٤/٦٨.

(٥) فتح الباري ١/٤٢٥.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/٩٦٥.

(٧) السابق ١/٩٦٥.

(٨) صحيح ابن حبان ٨/٢١٦، الحديث ٣٤٣٠.

إذا أكل عنده الطعام صلت عليه الملائكة[1].

ولعل سبب هذا الفضل أن الصائم جمع بين فضيلتين: إطعام الطعام، وفضيلة: الصبر على الصوم مع أن إطعامه الطعام يجعل نفسه تحدثه بالفطر، وخاصة أنه يرى غيره يتناول الطعام، فلما صبر على هذا مع إطعامه الطعام استحق أن تستغفر الملائكة له. فوقع له الخير من عدة جهات: صومه وصبره وإطعامه الطعام. والله أعلم.

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣١٢/٤، وانظر مصنف ابن أبي شيبة، ٨٦/٣.

الحديث رقم (١٢٦٩)

١٢٦٩- وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سعد بن عبادة رضي الله عنه فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النبي ﷺ: ((أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلاَئِكَةُ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الأبرار: جمع بَرٍّ وهو الصالح[2].

الشرح الأدبي

هذا المشهد يدل علي التواصل،والتزاور الذي كان موجودا بين خاتم الرسل، وأصحابه الأخيار، فبعد أن ذهب إلي " سعد بن عبادة "، و أكل عنده من خبزه وزيته ونوعية الطعام تشير إلى تواضع النبي ﷺ، ورضاه بفضل الله ثم دعا له بقوله: " أفطر عندكم الصائمون. الخ " وهذه العبارات خبرية لفظا إنشائية معني، لأنها تقوم علي الدعاء بأن يوجه الله له الصائمين ليفطروا عنده، وأن يرزقه الله بالأبرار الذين يأكلون طعامه، وأن تصلي عليه الملائكة. ومن الجدير بالذكر أن صيغة الجمع في قوله: " الصائمون –الأبرار– الملائكة ". تشير إلى تكثير الخير من وجهين أولهما أن كثرة الآكلين تدل على كثرة الطعام، فهو دعاء ضمنا بكثرة الخير كما أن فيه دعاء ضمنا برفقة الصالحين التي يكتنفها الخير من كل ناحية، وثانيا أن كثرة الصائمين، والأبرار معناها تضاعف الأجر بتفطيره إياهم، كما مر في الحديث أن من فطر صائما كان له مثل أجره ، وهذا الدعاء يؤكد حب النبي ﷺ" لسعد رضي الله عنه"، ومن ملامح

---

(١) برقم (٣٨٥٤). قال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٩٩/٣): إسناده صحيحٌ.

(٢) الوسيط في (ب ر ر).

حبه هذا أنه يدعو أن يتوجه إليه صائمون، وأبرار كثيرون، يفطرون عنده، ويأكلون من طعامه فيدعون له، وتصلي عليه الملائكة، ويؤجر من ربه. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل سعد بن عبادة رضي الله عنه:

ذلك واضح من مجيء النبي ﷺ إليه وأكله عنده. قال الذهبي عنه: "السيد الكبير الشريف أبو قيس الخزرجي الساعدي المدني، النقيب سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة وهي عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية..... قال أبو الأسود عن عروة: إنه شهد بدرًا، وقال جماعة: ما شهدها.

قال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج، فنهش، فأقام، فقال النبي ﷺ: ((لئن كان سعد ما شهد بدرًا، لقد كان حريصًا عليها))[1].

قال: "أي ابن سعد": وكان عَقَبِيًا نقيبًا سيدًا جوادًا ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان يبعث إليه كل يوم جفنة[2] من ثريد اللحم أو ثريد بلبن أو غيره. فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه.

وقال البخاري في تاريخه: إنه شهد بدرًا وتبعه ابن منده ... قال موسى بن عقبة والجماعة: إنه أحد النقباء ليلة العقبة.

قال أنس: لما بلغ رسول الله ﷺ إقبالُ أبي سفيان - أي في غزوة بدر - قال: أشيروا عليّ فقام أبو بكر فقال: اجلس، فقام سعد بن عبادة، فقال: لو أَمرتَنا يا رسولَ

---

(١) قال محققو السير: الخبر عند ابن سعد في الطبقات ١٤٣/٦، والمستدرك للحاكم ٢٥٢/٣، كلاهما من طريق الواقدي، وهو متروك.

(٢) الْجَفْنة: القصعة جمعها جفان وجَفَنات. القاموس المحيط في (ج ف ن).

الله ﷺ أن نُخيضَها البحرَ، لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضربَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغِمادِ لفعلنا[١] [٢].

وقال ابن سيرين: كان سعد بن عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصفة يعشيهم قلت: "القائل الذهبي": كان ملكًا شريفًا مطاعًا وقد التفت عليه الأنصار يوم وفاة رسول الله ﷺ ليبايعوه، وكان موعوكًا. حتى أقبل أبو بكر والجماعة، فردوهم عن رأيهم فما طاب لسعد.

قال أبو عبيد: مات سنة أربع عشرة بحوران)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب الزيارة:

وهذا واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه "إن النبي ﷺ. جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل". ففي هذا الحديث زيارة النبي ﷺ. لأصحابه ومن ذلك أيضًا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعامًا، فلما أراد أن يخرج، أمر بمكان من البيت فنضح له على بساط، فصلى عليه ودعا لهم[٤]. وبوب البخاري على هذا الحديث: باب الزيارة ومن زار قومًا فطعم عندهم، قال ابن حجر: "قوله (باب الزيارة) أى مشروعيتها، (ومن زار قومًا فطعم عندهم)، أى من تمام الزيارة أن يقدم للزائر ما حضر، قاله ابن بطال، وهو مما يثبت المودة، ويزيد في المحبة ... وفي الحديث استحباب الزيارة ودعاء الزائر لمن زاره وطعم عنده"[٥].

وقد كان الصحابة يتزاورون من ذلك ما رواه أبو جحيفة رضي الله عنه قال: «آخى النبيُّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداء، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمَّ الدَّرداء متَبذِّلةً

---

(١) برك الغماد: موضع وراء مكة المكرمة بخمس ليالٍ، بناحية الساحل. وقيل: بلد باليمن. وقيل: موضع بأقصى هجر. أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ص٦٥٧، ومراجعه ومصادره.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١/٢٧٠-٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٠.

(٥) فتح الباري ١٠/٥٠٠.

فقال لها: ماشأنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدَّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدُّنيا. فجاءَ أبو الدَّرداءِ فصنَعَ لهُ طَعامًا فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ماأنا بآكِلٍ حتى تَأْكُلَ. قال: فَأَكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداءِ يقومُ، قال: نَمْ، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نَمْ. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنَّ لِربِّك عليكَ حقًا، ولنفْسِكَ عليكَ حقًا ولأهلِكَ عليكَ حقًا فأعْطِ كلَّ ذي حَقّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذَكرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ»[1].

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد مشروعية المؤاخاة في الله، وزيارة الإخوان والمبيت عندهم"[2].

وقد ورد في فضل الزيارة أحاديثُ منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَن عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً»[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: (تسن زيارة الصالحين والإخوان، والأصدقاء، والجيران، والأقارب وصلتهم، وينبغي أن تكون زيارتهم على وجه يرتضونه، وفي وقت لا يكرهونه. كما يستحب أن يطلب من أخيه الصالح أن يزوره ويكثر زيارته إذا لم يشق ذلك)[4].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: دعاء المدعو والضيف لأهل الطعام إذا فرغ من أكله:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ. "لما فرغ من الطعام قال: ((أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة)). قال ابن علان: "ثم قال النبي ﷺ". أى بعد تمام الأكل: (أفطر عندكم الصائمون) أى أثابكم الله إثابة من فطر صائمًا، فهى خبرية لفظًا، دعائية معنى، كجملة (وأكل طعامكم الأبرار) جمع

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٨.

(٢) فتح الباري ٢١١/٤.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٣)، وانظر فتح الباري ٥٠٠/١٠.

(٤) الموسوعة الفقهية ٨١/٢٤ ومصدرها.

بَرّ وهو التقى. (وصلت عليكم الملائكة) أى استغفرت لكم"[١].

وروى عبدالله بن بسر رضي الله عنهما قال: نزل رسول الله ﷺ. على أبي قال: فقربنا إليه طعامًا ووَطْبَة[٢]، فأكل منها. ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقي النوى بين إصبعيه ويجمع السبابة والوسطى. ثم أتى بشراب فشربه. ثم ناوله الذي عن يمينه، قال: فقال أبي: وأخذ بلجام دابته، ادع الله لنا. فقال اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم[٣].

قال النووي: (فيه استحباب طلب الدعاء من الفاضل، ودعاء الضيف بتوسعه الرزق والمغفرة والرحمة، وقد جمع ﷺ في هذا الدعاء خيرات الدنيا والآخرة)[٤].

---

(١) دليل الفالحين، ١٣٨١، وانظر عون المعبود، ١٦٤٥.

(٢) الوطبة: بفتح الواو وإسكان الطاء: الحيس، أي قربه يجمع فيه بين التمر والأقط والسمن، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ط ب).

(٣) أخرجه مسلم، ٢٠٤٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٣٨/١٣/٧ ط دار عالم الكتب.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على السخاء:

لقد رغب النبي ﷺ في تفطير الصائم فأخبر بأن من فعل ذلك كان له مثل أجر الصائم، كما أن النبي ﷺ لما دخل بيت أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها قدمت له طعامًا، فكان ذلك من دلائل السخاء والكرم، كما صنع سعد بن عبادة طعامًا للنبي ﷺ فأكل منه، وهذا من أفعال الأسخياء الكرماء، فكانت في هذه الأحاديث دلالة على التربية على السخاء والجود والكرم، وهذا له تأثير تربوي مهم جدًّا على الناشئة وغيرهم، "فالسخاء يقوم على الشعور بأن للمال قيمة تستدعي عدم الإسراف في إنفاقه، وأن للحياة الفاضلة مطالب يبذل المال في سبيلها غير مأسوف عليه، فهو بذل ما ينبغي في الوجه الذي ينبغي الإنفاق فيه.

فمن أطلق يده في اتباع الشهوات فهو مسرف، ومن قبضها عن الإنفاق في وجوه الخير فهو بخيل، أما السخاء فكان بين ذلك قوامًا.

وبما أن السخاء يقوم على الرحمة، وقلة الحرص على جمع المال - كان متصلاً بفضائل أخرى تعد من مقومات الهمة العالية، ومن مظاهرها الجلية، فالسخي في أغلب أحواله يأخذ بالعفو ويتحلى بالحلم، ويجري في معاملاته على الإنصاف، فيؤدي حقوق الناس من تلقاء نفسه وإذا قضى كان عادلاً فلا تطمع نفسه إلى رشوة ولا تحدثه أن يأخذ حق ضعيف إلى قوي.

ولتجدن السخي متواضعًا لا يطيش به كبر، ولا تستخفّه الخيلاءُ، ولتجدنه أقرب الناس إلى الشجاعة وعزة النفس، وإنما يخسر الإنسان الشجاعة والعزة بشدة حرصه على متاع الحياة الدنيا.

وإذا اتصف المرء بالسخاء زكت نفسه ولانت عريكته وقاده سخاؤه إلى أن يترقى في المكارم، وأن يتطهر من المساوئ والمعايب فالسخي قريب من كل خيّر وبرٍّ.

ولقد جرت سنة الله بأن السخي بحق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة، فلما كان السخي رحيمًا بالفقراء والمساكين والمحتاجين،

حريصًا على إسعادهم وإدخال السرور والبهجة في نفوسهم، كان جزاؤه من جنس عمله.

وللسخاء أثر في سيادة الأمة، فالأمة تبلغ القدر الأسمى من السيادة بحفظ دينها وسعة معارفها وسمو أخلاقها وصيانة أعراضها، ونباهة ذكرها ومتانة اتحادها وحماية أوطانها.

وكل هذه المقاصد الرفيعة الشأن - إنما تتحقق بالمال الذي يبذله الأسخياء من الناس"[1].

ثانيًا- من صفات المربي الناجح : مخالطة من يقوم بتربيتهم:

لقد دخل النبي ﷺ بيت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها وقدمت له طعامًا، كما ذهب النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه وأكل من الطعام الذي قدّمه له، ثم دعا له، وفي هذا دلالة على أن المربي يدخل بيوت أتباعه ويخالطهم ويؤاكلهم ويشاربهم ويلاطفهم ويمازحهم بما هو حق وليس بباطل، ولا شك أن هذه المخالفة تؤتي بفوائد تربوية مهمة جدًّا، منها:

(أ) نشر الألفة والمودة والمحبة بين المربي ومن يقوم بتربيتهم والعناية بشؤونهم، وهذا هو السبيل لتمكين المربي من غرس القيم التربوية في نفوس أتباعه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الأتباع يكونون مقبلين على هذه القيم وتلك المبادئ والالتزام بها وتطبيقها في حياتهم ومختلف شؤونهم.

(ب) الاقتداء بالمربي والتأسي به، فهم يرونه ويشاهدونه بينهم ويشاهدون أفعاله وأعماله ويسمعون أقواله ويتابعون حركاته، وهم في كلّ ذلك معلقة أبصارهم به، ليحاولوا أن يكونوا مثله، فالمعايشة سهلت أمر الاقتداء وأعانت عليه.

(ج) علاج الخلل والانحرافات التي تقع من الناشئة وغيرهم بصورة فورية وعاجلة، بحيث لا يسمح لهذه الانحرافات وذلك الخلل أن تستقر في نفوسهم وأذهانهم بل تصل إليهم الصورة الصحيحة واضحة جلية ماثلة أمام أعينهم.

---

(١) الهمة العالية: معوقاتها ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٦٦ - ١٦٧ بتصرف.

ثالثًا- المشاركة الوجدانية:

لقد أعدت الصحابية أم عمارة الأنصارية رضي الله عنها طعامًا وهي صائمة، ليأكل منه غير الصائمين، فلم تكتف بأن انشغلت بحال صومها فقط، بل أعدّت طعامًا لغير الصائمين ففي ذلك - في رأينا - مشاركة وجدانية، فعلى المربين أن يغرسوا في نفوس أتباعهم المشاركة الوجدانية والتفاعل مع الأحداث والمجتمع الذي يعيشون فيه، وأن ينفضوا عن كاهلهم عباءة السلبية ودثار اللامبالاة وشعار الأنانية، لأن في تربيتهم على المشاركة الوجدانية عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

(أ) إحساسهم بدورهم المهم في المجتمع الذي يعيشون فيه، ومن ثم يحرصون على زيادة مساحة هذا الدور وتعميقه وتأصيله، وهذا يعود على المجتمع كما يعود عليهم بالنفع.

(ب) سد الحاجات الدائمة والطارئة التي تطرأ والعمل على كفايتها والقيام بتبعاتها ولوازمها، وفي هذا نشر لروح التكافل الاجتماعي الذي هو صمام أمن المجتمع.

(ج) نشر روح المودة بين المجتمع وتقليل مساحات الاختلاف والتنازع بين فئاته ما أمكن، والعمل على الاجتماع على المتفق عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه، وفي هذا جمع لوحدة الكلمة واتحاد الصف وقوة البنيان الاجتماعي.

رابعًا- من أساليب التربية: الدعاء للغير:

لما أكل النبي ﷺ من طعام سعد بن عبادة رضي الله عنه دعا له فقال: (أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة)، فكان دعاءً بالخير وبالزيادة منه، فقد دعا النبي ﷺ بأن يأكل عنده الصائمون وفي هذا تحصيل لمثل أجور الصائمين، وهذا أجر عظيم وثواب كثير، وزاد النبي ﷺ بأن يأكل طعامهم الأبرار الذين هم لا يأكلون إلا الحلال الخالص ولا يدخلون إلا بيوت الصالحين الأتقياء، كما أن في حضورهم إلى البيت جلبًا للخير والنفع، فهم أينما حلّوا حلّ معهم الخير والنفع والبركة، كما أنهم يدعون لأصحاب الطعام، وفي هذا توجه إلى الله بأن يجازيهم الخير في الدنيا والآخرة، ولم يكتف النبي ﷺ بذلك فحسب بل زاد أيضًا

بأن تصلي عليهم الملائكة، وفي ذلك زيادة للدرجات ورفعة في المراتب والمقامات، لأن صلاة الملائكة دعاء ورجاء إلى الله رب العالمين.

والمقصود أن في هذا الحديث كان الدعاء من أساليب التربية والتهذيب، فأدى دورًا تربويًا مهمًا جدًّا، يتضح ذلك فيما يلي:

(أ) أن هذا الدعاء من أفضل صور الشكر، ففيه توجه إلى الله الكريم العظيم الواسع الرازق بأن يكافئهم ويجازيهم على فعلهم هذا، وفي ذلك إحالة لأن يثيبهم الله خير الثواب، فالبشر مهما أَعْطَوْا لن تعدل مكافآتهم مثقال ذرة من ثواب الله وفضله.

(ب) إن في هذا الدعاء تعليمًا للناشئة وغيرهم أن يلتزموا واجب الشكر لمن قام لهم وقدم إليهم معروفًا ولو كان صغيرًا، والقيام بشكر الناس شكر لله تعالى، وخلق الشكر خلق أساس.

(ج) في هذا حث لمن صنع المعروف أن يستزيد ويداوم على ذلك ويستمر، كما أنه من ناحية أخرى تشجيع لغيره أن يفعل مثله أو أفضل منه.

(د) في الدعاء ربط للأتباع وغيرهم بالله عز وجل والخضوع والإذعان له، والتوجه إليه وطلب العون والمدد منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك تقوية لهم وتدعيم لقلوبهم وشد لأفئدتهم.

❁ ❁ ❁

٩- كتَاب الاعْتِكَاف

٢٣٢- باب فضل الاعتكاف

الحديث رقم (١٢٧٠)

١٢٧٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الخبري، حيث يخبر الأمة عن وضع الرسول الكريم في عبادته لله تعالي، واستخدام كان للرجوع في الزمان وتقرير العادة في الفعل أي أن هذا حاله في كل سنة في آخر شهر رمضان، والفعل المضارع: "يعتكف"، يدل علي استمرارية النبي ﷺ في هذا العمل حتى فارق الدنيا. و"الاعتكاف" يأتي من مادة "العكوف" أو "عكف" وهذا يوحي بأهمية ما يعكف عليه من ذكر الله تعالي، أو قراءة للقرآن، أو مجلس للعلم النافع، أو تسبيح أو تهليل للواحد الأحد -جل في علاه-. وجعل اعتكافه في "العشر الأواخر من رمضان" تحريا لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر خالية منها. و"من" في قوله: "من رمضان" للتبعيض. وإذا كان رسول الله الذي غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر فعل ذلك؛ فالأولي بالمؤمن أن يفعله. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم الاعتكاف: أجمع الفقهاء على استحباب الاعتكاف وأنه ليس بواجب،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٥) واللفظ له، ومسلم (١/١١٧١).

وأنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان[١].

٢- هل يشترط الصيام لصحة الاعتكاف:

ذهب الحنفية[٢] والمالكية في المشهور، والشافعي في قول قديم، والحنابلة في رواية، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، والزهري، والليث، والثوري، والحسن بن يحيى إلى اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف[٣].

واستدلوا على ذلك بما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((لا اعتكاف إلا بصوم)). ويناقش هذا بأن هذا الحديث موقوف على السيدة عائشة، ومن رفعه إلى النبي ﷺ فقد وهم، ولو صح فالمراد به الاستحباب فإن الصوم فيه أفضل[٤]. كما استدلوا بما روي عن ابن عمر "أن عمر جعل عليه أن يعتكف في الجاهلية، فسأل النبي ﷺ فقال: اعتكف وصم".

ويناقش هذا بأن هذا الحديث تفرد به ابن بديل وهو ضعيف، قال أبو بكر النيسابوري هذا حديث منكر[٥].

وذهب الشافعي في الجديد والحنابلة في المشهور إلى عدم اشتراط الصيام لصحة الاعتكاف روي ذلك عن علي وابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن وعطاء وطاووس[٦]. واستدلوا على ذلك بما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إني نذرت

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٢، حاشية الدسوقي ٥٤١/١، مواهب الجليل ٤٦٤/٢، مغني المحتاج ١٨٨/٢، المغني ٦٣/٣، شرح صحيح مسلم ٦٧/٨.

(٢) وذلك في الاعتكاف الواجب، أما اعتكاف التطوع ففي ظاهر الرواية ليس بشرط، وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه شرط، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٩/٢، حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

(٤) المغني ٦٥/٣.

(٥) المغني ٦٥/٣.

(٦) مغني المحتاج ١٩٣/٢، المغني ٦٤/٣.

في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال النبي ﷺ أوف بنذرك ولو كان الصوم شرطًا لما صلح اعتكاف الليل لأنه لا صيام فيه[١]. ولأنه عبادة تصح في الليل فلم يشترط له الصيام كالصلاة[٢]. ولأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا بالشرع ولم يصح فيه نص ولا إجماع[٣].

والراجح هو رأي الشافعية والحنابلة القائل بعدم اشتراط الصوم لصحة الاعتكاف وذلك لقوة دليله، ومناقشته لدليل المخالف.

٢-حكم اشتراط المسجد لصحة الاعتكاف:

ذهب جمهور الفقهاء (المالكية، والشافعية، والحنابلة) إلى أنه لا يصح اعتكاف الرجل والمرأة إلا في المسجد، وأنه لا يصح الاعتكاف في غيره[٤]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[٥] والمراد به المواضع التي بنيت للصلاة فيها وموضع صلاتها في بيتها ليس بمسجد، لأنه لم يبن للصلاة فيه وإن سمي مسجدًا مجازًا[٦].

ولأن الاعتكاف قربة يشترط لها المسجد في حق الرجل فيشترط في حق المرأة كالطواف[٧].

وذهب الحنفية إلى أن المسجد شرط في صحة الاعتكاف بالنسبة للرجل، أما المرأة فيجوز لها أن تعتكف في مسجد الجماعة أو مسجد بيتها، ومسجد بيتها أفضل[٨]

---

(١) المغني ٦٥/٣.

(٢) المغني ٦٥/٣.

(٣) المغني ٦٥/٣.

(٤) حاشية الدسوقي ٥٤٢/١، مغني المحتاج ١٨٩/٢-١٩٠، المغني ٦٦/٣-٦٧، شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٦) المغني ٦٧/٣.

(٧) المغني ٦٧/٣.

(٨) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

واستدلوا على ذلك بأن مسجد بيتها موضع فضيلة صلاتها فكان موضع اعتكافها كالمسجد في حق الرجل[١].

ويناقش هذا بأنه لا يصح قياس الاعتكاف على الصلاة، فإن صلاة الرجل في بيته أفضل، ولا يصح اعتكافه فيه[٢].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بأن المسجد شرط لصحة اعتكاف الرجل والمرأة على السواء، لأن أزواج النبي ﷺ اعتكفن في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلنه[٣].

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو أجله واستكثاره من عمل الخير.

رابعًا: من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

يتضح هذا من الحديث (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)، وقوله: (كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله)، وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: مواظبته ﷺ على الاعتكاف تدل على أنه من السنن المؤكدة وقد روى ابن

---

(١) المغني ٦٧/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٣/٢.

(٢) المغني ٦٧/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٨/٨.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٢٧٠ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٧١، ١٢٧٢.

المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجبًا للمسلمين، تركوا الاعتكاف والنبي ﷺ لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه الله"[١].

قال القاضي عياض: (وفيه استحباب كونه في العشر الأواخر من رمضان، لمواظبة النبي ﷺ على ذلك لقوله: "كان يعتكف" وأكثر ما يستعمل هذا فيما كان يداوم عليه، مع ما دلت عليه نصوص الآثار من تَكْرَاره، ولأن ليلة القدر مطلوبة في تلك العشر)[٢].

وقال القرطبي: (وإدامته ﷺ الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان إنما كان لمَّا أُبين له أن ليلة القدر فيه، وإلا فقد اعتكف في العشر الأول وفي الوسط على ما تقدم من الأحاديث)[٣].

قال ابن رجب الحنبلي: (وإنما كان النبي ﷺ يعتكف في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر، قطعًا لأشغاله، وتفريقًا لباله، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيرًا، يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم)[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في اعتكاف العشر الأواخر من رمضان:

حيث جاء في الحديث: (كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى، ثم اعتكف أزواجه من بعده)، وفي اعتكاف زوجاته ﷺ بعده دليل على ضرورة الاقتداء بالنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥].

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٥١،

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٤٨.

(٤) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٤٣٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

قال القاضي عياض: "والاعتكاف معناه: اللزوم والإقامة، ولما كان المعتكف ملازمًا للعمل بالطاعة مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم، وهو في عرف الشرع اللزوم على طاعة مخصوصة، ويسمى أيضًا جوَارًا. وأما أحاديث اعتكاف النبي ﷺ ففيها أنها عبادة مرغبٌ فيها اقتداء بفعل النبي ﷺ ليست بواجبة، وقد أجمع المسلمون على ذلك فيها، وأنه يصح أن تكون بصوم، وإن لم يكن مشترطًا لها ومختصًا بها لاعتكافه في رمضان فالصوم مختص به، ولا خلاف في هذا الاعتكاف للتطوع به، وفي هذه الأحاديث جواز الاعتكاف في رمضان وشوال ويقاس عليهما غيرهما من الشهور، وجوازه أول الشهر ووسطه وآخره لفعل النبي ﷺ ذلك.

ولا خلاف أنه لا حد لأكثره لمن نذره، ولا لأقله واستحب أن يكون أكثره عشرة أيام اقتداء بالنبي ﷺ واختلف في أقله، وعن مالك رضي الله عنه في ذلك روايتان قال: (أقله يوم وليلة، وقال: عشرة أيام، وذلك فيمن نذر اعتكافًا مبهمًا)[1].

وقال القرطبي: "الاعتكاف في اللغة: هو ملازمة الشيء والإقامة فيه وهو في الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة على شرط مخصوص، في موضع مخصوص، وأُجمع على: أنه ليس بواجب وهو قربة من القرب، ونافلة من النوافل، عمل بها رسول الله ﷺ وأصحابه وأزواجه رضي الله عنهم، ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفاء بحقوقه"[2].

جاء في فتح الملهم: " والاعتكاف أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان، ومذهب الشافعي وأصحابه وموافقيهم أن الصوم ليس بشرط لصحة الاعتكاف، بل يصح اعتكاف المفطر، ويصح اعتكاف ساعة واحدة ولحظة واحدة، وضابطه عند أصحابنا: مُكْثٌ يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، هذا هو الصحيح وفيه خلاف شاذ في المذهب، ولنا وجه: أنه يصح اعتكاف المار في المسجد من غير لبث، والمشهور الأول، فينبغي لكل جالس في المسجد

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/١٥٠ - ١٥١.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٢٤٠.

لانتظار صلاة أو لشغل آخر من آخرة أو دنيا، أن ينوي الاعتكاف فيحسب له ويثاب عليه ما لم يخرج من المسجد، فإذا خرج ثم دخل جدد نية أخرى، وليس للاعتكاف ذكر مخصوص ولا فِعْل آخر سوى اللبث في المسجد بنية الاعتكاف.

ولو تكلم بكلام دنيا أو عمل صنعة من خياطة أو غيرها لم يبطل اعتكافه، وقال مالك وأبو حنيفة والأكثرون: يشترط في الاعتكاف الصوم فلا يصح اعتكاف مفطر، واحتجوا بهذه الأحاديث، واحتج الشافعي باعتكافه ﷺ في العشر الأول من شوال[1]، وبحديث عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال: ((أوف بنذرك))[2] ورواه البخاري ومسلم. والليل ليس محلاً للصوم، فدل على أنه ليس بشرط لصحة الاعتكاف.

وفي هذه الأحاديث أن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، لأن النبي ﷺ وأزواجه وأصحابه رضي الله عنهم إنما اعتكفوا في المسجد مع المشقة في ملازمته، فلو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة لا سيما النساء لأن حاجتهن إليه في البيوت أكثر، وهذا الذي ذكرناه من اختصاصه بالمسجد وأنه لا يصح في غيره هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور سواء الرجل والمرأة، وقال أبو حنيفة: يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من بيتها لصلاتها، قال: ولا يجوز للرجل في مسجد بيته، وكمذهب أبي حنيفة قول قديم للشافعي ضعيف عند أصحابه، وجوزه بعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعي للمرأة والرجل في مسجد بيتهما، ثم اختلف الجمهور المشترطون المسجد العام، فقال الشافعي ومالك وجمهورهم: يصح الاعتكاف في كل مسجد. وقال أحمد: يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه. وقال أبو حنيفة: يختص بمسجد تصلى فيه الصلوات كلها. وقال الزهري وآخرون: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة. وأجمعوا على أنه لا حدّ لأكثر الاعتكاف"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٣٣، ومسلم ١١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٢، ومسلم ١٦٥٦.

(٣) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ٦/٢٦٨.

قال النووي: "ويسمى الاعتكاف جوَارًا، وقد دلت الأحاديث على استحباب الاعتكاف وتأكيد استحبابه في العشر الأَواخر من رمضان، وقد أجمع المسلمون على استحبابه وأنه ليس بواجب وعلى أنه متأكد في العشر الأواخر من رمضان"[١].

قال ابن رجب: "والخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد، خصوصًا في شهر رمضان، وخصوصًا في العشر الأواخر منه، كما كان النبي ﷺ يفعله فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقى له هم سوى الله، وما يرضيه عنه"[٢].

قال ابن القيم: "ومقصود الاعتكاف وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه في محل هموم القلب، وفطرته فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعدّه بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه فهذا هو مقصود الاعتكاف الأعظم"[٣].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: شعور النبي ﷺ بدنو أجله واستكثاره من عمل الخير.

حيث جاء في الحديث: (فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا)، قال ابن حجر: "والسبب في ذلك أنه ﷺ علم بانقضاء أجله فأراد أن يستكثر من أعمال الخير ليبين لأمته الاجتهاد في العمل، إذا بلغوا أقصى العمل ليلقوا الله على خير أحوالهم، وقيل السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين، فلذلك اعتكف قدر ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧٢٨.

(٢) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٣٤٨.

(٣) زاد المعاد ٢/٨٧.

يعتكف مرتين"[١].

ومما لا شك فيه، أن واجب المسلم أن يستزيد من أعمال الخير لتكون نجاته في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[٣].

قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد ونفع متعد وقاصر)[٤].

ووصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٥].

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي . وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))[٦].

رابعًا - من آداب المدعو: استحباب الخلوة والتفرغ للعبادة:

إن المسلم يحتاج ما بين الحين والآخر إلى الاختلاء بنفسه، وخلو قلبه من الشواغل

---

(١) فتح الباري ٤/٣٣٤.

(٢) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٥.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥ واللفظ له.

الدنيوية للتفرغ لعبادة ربه، ويستنبط هذا من سياق الأحاديث والإخبار فيها بأن النبي ﷺ كان يحرص على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان.

جاء في الموسوعة الفقهية: "وحكمة الاعتكاف، أن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى، لطلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعتكف أوقاته في الصلاة إما حقيقة وإما حكمًا، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون"[1].

وجاء فيها أيضًا عن الخلوة: "الخلوة بمعنى الانفراد بالنفس في مكان خال، الأصل فيها الجواز، بل قد تكون مستحبة إذا كانت للذكر والعبادة، ولقد حبب الخلاء إلى النبي ﷺ قبل البعثة، قال النووي: "الخلوة شأن الصالحين، وعباد الله العارفين"[2].

وقال ابن قدامة: (وأما العزلة فمن فوائدها الفراغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك خصوصًا في البداية، قيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بهم الزهدُ والخلوة؟ قال: إلى الأنس بالله. وقال أويس القرني رضي الله عنه: ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره. وأعلم أن من تيسر له بدوام الذكر الأنس بالله، أو بدوام الفكر تحقيق معرفة الله، فالتجرد لذلك أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة"[3].

إن الخلوة والتفرغ للعبادة تصفي قلب المؤمن من الشواغل، وتجعله يُقْبِل على العبادة والطاعة، ومن ثم كان أنسب الأوقات لذلك شهر رمضان خاصة في العشر الأواخر منه كما كان يفعل النبي ﷺ.

"إن من أبرز الآثار التي يتركها الصوم بالصائم، ازدياد تعلقه بالخير، وشغفه

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠٧/٥.

(٢) المرجع السابق ٢٦٦/١٩.

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ١١٩.

بالعبادة وتلاوة القرآن، ولهذا كان العشر الأواخر من رمضان، وهي الفترة التي تصفو فيها النفس، وتخلص الروح، خير ميدان للتنافس على نفحات الفضل الإلهي والتسابق إلى فردوس التجليات العلوي، ونظم هذا التنافس، ورسم طريقه ليلة القدر التي جعلها الله سرًا بين هذه الليالي العشر، فكان الصائم إزاءها كالعاشق الذي يوقن بقدوم حبيبه، ولكنه لا يعلم الساعة التي يصل فيها، فتراه قليل الغمض دائم السهر، لهفان الفؤاد، كلما داعبت مخيلته محاسن حبيبه وأغرق في تذكره والتفكر فيه، فهو في كل ليلة من ليالي العشر الأواخر من رمضان، وكل ساعاتها يترقب ليلة القدر ليفوز بها. هذا ولا يقتصر استحباب الاعتكاف في المسجد على شهر رمضان، ولكنه سنة مؤكدة، وعبادة محببة في جميع أيام السنة ولا بد له من النية، والخلو من كل ما يحرم معه المكث في المسجد كالحيض والنفاس والجنابة، ويبطله طروء هذه الأشياء، ويقطعه الخروج من المسجد"[1].

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

الحديث رقم (١٢٧١)

١٢٧١ - وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

تخبر أم المؤمنين (عائشة) - بهذا الحديث - عن عبادة الرسول ﷺ أثناء العشر الأواخر من رمضان، وقد أوضحت أنه كان حريصا علي سنة الاعتكاف حتى توفاه الله تعالي. وقولها: " ثم اعتكف أزواجه من بعده " والتعبير بالاعتكاف يوي بأهمية المعتكف عليه لأن الإنسان لا يعتكف إلا على النفيس لأن الاعتكاف يستنفذ الوقت، وهو ثمين لا ينفق إلا فيما هو أنفس كما أن نسبة الاعتكاف إلى زوجاته يوحي باتصال شعاع النور في عقبه من آل بيته، وأمته لأنهم كانوا يقتدون به في كل ما يقوم به من بر، وطاعة لله رب العالمين. والفعل، والفاعل: " توفاه الله " يدلان علي أن الذي يعلم الآجال والأعمار، ويتوفى الأنفس هو الله تعالي كما يدل هذا التركيب علي أن المصطفي ﷺ بشر، يجري عليه ما يجري علي البشر من حياة، وموت، وأكل وشرب، إلا أنه يوحي إليه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢/٥) ولفظهما سواء.

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٧٢)

١٢٧٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ في كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يؤكد هذا الحديث مضامين الأحاديث السابقة في بيان حرص المصطفي علي سنة الاعتكاف، بيد أن هذا الحديث قد أوضح أن النبي اجتهد في العبادة أكثر واعتكف " عشرين يوما ". وكأنه يعلم بنور الله أنه آخر معتكف له في رمضان فاجتهد ضعف ما كان يجتهد في غيره، وبين الفعلين " يعتكف، واعتكف " جناس يؤكد المعنى الذي يدور حوله الحديث، وهو اعتكاف رسول الله ﷺ عشرة أيام كل عام، واعتكافه عشرين في العام الذي قبض فيه، ولفظ الاعتكاف له دلالات مؤثرة في تصوير الانقطاع للعبادة بما يتخيله العقل من صلاة، وذكر وقراءة قرآن، وذكر العدد " عشر " و " عشرين " يعضد هذا الانطباع عن عبادة رسول الله ﷺ، وإخلاصه العمل لله تعالي.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٠٤٤).

(٢) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث رقم ١٢٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: الاعتكاف:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، والظاهر أنه كان يستمر على ذلك حتى توفاه الله، كما أنه ﷺ اعتكف عشرين يومًا في العام الذي قبض فيه، كما أن زوجاته رضي الله عنهن اعتكفن بعده، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعتكفون مع النبي ﷺ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تدليل أو إثبات، أي أن أحاديث الباب كلها عن الاعتكاف، والذي لاشك فيه أن له شقًا تعبديًا كبيرًا، لكنه من ناحية أخرى فيه شق تربوي لا يخفى، وعنصر تهذيب ظاهر:

أ - ففي الاعتكاف خروج من دائرة الحياة اليومية وتأثيرها الكبير على النفس وانشغالها ودورانها في حركة لا تتوقف من أجل تحصيل مصالح الدنيا ومنافع العيش، مما يجعلها تغفل عن المحاسبة والمراجعة والتعديل والإصلاح، لذا كان في الاعتكاف فرصة ذهبية لأن يراجع كل مسلم حياته فيرى نقاط الإجادة ونقاط التقصير والإهمال فيزيد من الأولى وينقص من الأخرى ما وسعه الجهد والطاقة.

ب - في الاعتكاف عزلة محمودة تتيح للإنسان أن يخلو بنفسه وأن يحادثها عن أمانيه وأحلامه الماضية التي لم تتحقق كما يخبرها عن آماله في المستقبل، ويدرس ذلك بتأنٍ وتؤدة، ويختار ما يستطيع أن يحققه، فيستدرك ما قد يكون فاته، ويعزم على ألا يفوته في المستقبل أن يرى آماله قد حققت في أرض الواقع.

ج - وفي الاعتكاف انشغال بما هو أهم وأجدى وأنفع للإنسان من قراءة القرآن وذكر الله وصلاة وقراءة عن أعلام الصحابة والسلف الصالح، وفي ذلك تعويد له لأن يكون ذلك عادة حياته وفي مختلف مراحلها، فيترك التوافه والصغائر والأمور غير ذي الجدوى أو ذات الجدوى القليلة، التي بتركها لا يكون هناك تأثير ملحوظ على مسيرة الإنسان في هذه الحياة.

د - والأهم مما سبق أن المعتكف يعتكف على طاعة الله ويقيم عليها مدة اعتكافه، فهو يعتكف في أحب الأماكن إليه سبحانه "المساجد"، ويقيم فيها على الطاعة والعبادة والابتهال

والخضوع والخشوع، فلا يكون همه إلا الله ولا مقصوده إلا إياه سبحانه، ولا مراده سواه عز وجل، وبحيث يخرج من الاعتكاف وقد اعتكف قلبه على طاعة الله فحسب، لا ينظر ولا يقصد ولا يبتغي أحدًا سواه، فيكون منيبًا إليه سبحانه، وفي ذلك يقول ابن القيم في كلمات مشرقة: (الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله.

ومن يعكف قلبه على الله وحده، عَكَف على التماثيل المتنوِّعة كما قال إمام الحنفاء [إبراهيم عليه السلام] لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1] فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال، وهي الصورة الممثلة، فتعلق القلب بغير الله واشتغاله به، والركون إليه، عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام، ولهذا كان شرك عبّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإراداتهم على تماثيلهم.

فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته، بحيث يكون عاكفًا عليها، فهو نظير عكوف الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي ﷺ عبدًا لها، ودعا عليه بالتَّعس والنُّكس، فقال: ((تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ، تَعِسَ وانتَكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتقَشَ))[2][3].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٨٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، وقال ابن حجر: قوله تعس بفتح أوله وكسر المهملة ويجوز فتحها وهو ضد: سعد. تقول تعس فلان: أي شقي ... وقوله (وانتكس) بالمهملة أي عاوده المرض... وقوله "إذا شيك فلا انتقش" شيك: بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها كاف، وانتقش: القاف المعجمة: والمعنى: إذا أصابته الشوكة فلا وجد من يخرجها منه بالمنقاش تقول نقشت الشوك إذا استخرجته... وفي الدعاء بذلك إشارة إلى عكس مقصوده لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزًا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا. فتح الباري ١٤١٧/٢، .

(٣) الفوائد ٢٧٧-٢٧٨.

ثانيًا - اغتنام الأوقات الفاضلة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان رجاء أن يوافق ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه كان يعتكف في رمضان الذي هو من أفضل الشهور ففيه نزل القرآن الكريم وهو شهر الصوم والصبر، ولذا كان ﷺ يجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره ويجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره، كما أخبرت بذلك عنه زوجه عائشة رضي الله عنها[1] كما أخبرت رضي الله عنها أنه ﷺ ((إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ))[2]. فكان ﷺ في هذه الأحاديث وفي غيرها حريصًا أشد الحرص على اغتنام الأوقات الفاضلة التي هي مواسم في العمر والسنين، وعلى ذلك ينبغي على المربين أن يقتدوا به ﷺ، فهو المربي الأول، الذي تمكن من إقامة دولة ظهر فيها نماذج رائعة ممن تربوا على يديه وتعلموا من علمه وتخلقوا بأخلاقه، إن على المربين أن يكونوا هم أول الناس حرصًا على اغتنام الأوقات الفاضلة، حتى يكونوا قدوة لمن يقومون بتربيتهم، ويجمعوا مع ذلك غرس هذا السلوك الطيب في نفوسهم، وفي ذلك عدة منافع تربوية مهمة لهم، منها:

أ - توفير الجهد والطاقة وادخارهما للعمل في هذه الأوقات الفاضلة وملئها بالطاعات والعمل الصالح والنافع، وذلك لتحقيق أفضل النتائج وأحسن الإنجازات ولا يقتصر ذلك على أمور العبادة فحسب وإنما يشمل كذلك أمور الدنيا.

ب - تعويدهم النظام والترتيب والمنهجية في حياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم فلا تسير حياتهم هكذا كيفما اتفق، وإنما ينظمونها ويرتبونها حسب الأوقات وفضائلها ومميزاتها، وبهذا تترسخ عادة التنظيم والترتيب في كل شؤون حياتهم بمختلف مراحلها.

ج - إيجاد مساحة معقولة للترفيه المباح واللهو المقبول الذي يساعد النفس على مواصلة مسيرتها في الحياة دون كللٍ ولا مللٍ ولا سآمة، فالنفس تحتاج إلى فترات من

---

(١) أخرجه مسلم ١١٧٥ بلفظ: كان رسول اله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ٢٠٢٤، ومسلم ١١٧٤.

اللهو تعينها على المثابرة في مواطن العمل والجد والاجتهاد والأوقات الفاضلة، وفي هذا تطويع لوقت الفراغ لمصلحة وقت العمل والجد، لا العكس كما هو واقع ومحسوس في دنيا الناس، فتجد عملهم قليلاً ولهوهم كثيرًا وإنجازهم ضئيلاً وتفريطهم هائلاً.

ثالثًا - التربية بالقدوة:

كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فلما توفاه الله تعالى، اعتكف أزواجه من بعده، أي فعلن مثلما كان يفعل واعتكفن مثلما اعتكف اقتداءً به ﷺ، وفي هذا إشارة تربوية وبيان لأهمية التربية بالقدوة من خلال فعل أزواج النبي ﷺ وفي ذلك إحياء وبيان لهدي النبي ﷺ في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان حتى يستمر تأثيره ﷺ كما كان أثناء حياته، وهذا يؤكد على أهمية اهتمام المربين بالتربية بالقدوة، وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ.

ولعل من أبرز الأمور المؤثرة في الاقتداء ما يلي:

أ - الإخلاص في التربية بأن يُبتغى بها وجه الله ونيل رضاه، لأن الإخلاص هو الإكسير الذي يحفظ لتعاليم المربي الحياة فترات طويلة من الأزمان والأعمار، لأنها إذا خرجت منه ذهبت إلى القلوب فأحيتها من موات وإلى الأفئدة فأيقظتها بعد سبات، وإلى النفوس فأشعلتها حماسًا واتقادًا بعد جمود، أما بدون الإخلاص فمصير ذلك الموت والخمول والسكون.

ب - التضحية بالغالي والنفيس من الأوقات والأعمار والجهود والأموال في سبيل نشر القيم التربوية والمبادئ التهذيبية والمثل الأخلاقية والمناهج السلوكية، فإن شجرة التربية شجرة أصيلة راسخة تحتاج إلى جهد دؤوب وعمل متواصل وتضحية من أجل غرسها والعمل على تعهدها والعناية بها حتى تخرج وارفة يانعة جميلة الهيئة حلوة المذاق.

ج - الممارسة العملية التي تؤكد على التطابق بين القول والعمل، فإنه يعمل من أجل أهداف أسمى وأغراض أنبل، يحتاج تحقيقها إلى سنين عديدة، فلا يصرفه عدم رؤيته لنتائج عمله عن المواصلة والمثابرة، بل يزيده ذلك عملاً على عمل ومثابرة على مثابرة وتمسكًا على تمسك. إنه يعمل من أجل قضية حياته ووجوده.

د - التأسي برسول الله ﷺ الذي يستحق وصف المربي الأول الذي نجح في تربية أتباعه وتحويلهم تحويلاً كليًا من المراتب الدنيا من البداوة والتخلف إلى أقصى المراتب العليا من الحضارة والتقدم والإنسانية، فكان أحدهم مثالاً حيًّا لما رباه عليه المصطفى ﷺ ومن شواهد ذلك في أحاديث الباب اقتداء نسائه به في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على ذلك، إنه ﷺ أقام دولة تربوية فريدة لم يكن لها سابقة في التاريخ ولن يكون لها مثيل أو ما يقارب هذا المثيل بعدها، لذا كان على المربي الناجح الذكي أن يتمثل تعاليم النبي ﷺ في تربيته، وينسج على منواله وينهج نهجه ويسير سيره حتى يحقق النجاح الحق له ولأتباعه.

رابعًا - العمل على تحسين الخاتمة:

لقد كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يومًا، فكان في هذا استئناس لتحسين الخاتمة قبل الوفاة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، تحسينًا للعمل نفسه في هذا الشهر وختامًا له، "وإنما الأعمال بالخواتيم، ولهذا كان من الدعاء المأثور: اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك")[1].

إذن يمكن الاستئناس بأحاديث الباب على التربية على تحسين الخاتمة سواء خاتمة الأعمال أو خاتمة الحياة نفسها، وفي ذلك عدة فوائد تربوية مهمة جدًّا، منها:

أ - تعويد الناشئة وغيرهم على الإتقان والإجادة في الأعمال سواء التعبدية أم الدنيوية، والإتقان والإجادة هي الخطوة الأولى للتقدم والازدهار، فبدونهما لا يكون هناك أمل في الحصول على ذلك.

ب - تقسيم الزمن والعمر إلى مراحل محددة كل مرحلة ينجز فيها ما يناسبها من أعمال وأفعال، فلكل وقت عمله ولكل زمن فعله، لا يجدر بنا تأخير العمل عن وقته

---

(١) الوقت في حياة المسلم، د. القرضاوي، ص ٢٤.

ولا الفعل عن زمنه، لأن في ذلك تكدسًا وتزاحمًا للأعمال والمسؤوليات والواجبات، مما يضيق الوقت والعمر جدًّا عن التخطيط لها فضلاً عن إنجازها.

ج - غرس روح الإنجاز الرائع في نفوس الناشئة وغيرهم، لأن كل يوم يعتبر خاتمة لعمر الإنسان، لأنه لا يدري وقت موته وزمن وفاته، فهو يعدّ يومه خاتمة عمره، فيدفعه ذلك إلى الإنجاز الرائع للأعمال، بحيث ينجزها على خير ما تكون وأفضل مما ينبغي، إن الإنسان لو وضع لعمل ما من الأعمال وقتًا محددًا لابد من إنجازه فيه، فإنه يسعى بكل طاقاته إلى الالتزام بذلك وعدم التأخر، فتنتفي من قاموسه اللغوي كلمات التسويف والتأجيل والمماطلة والإحالة ونحو ذلك من الآفات التي تضيّع أزهى الأوقات وأفضل الأعمار، ويشيع في قاموسه كلمات الإنجاز والفعل والمبادرة والمسارعة والتنظيم والتخطيط والتفعيل ونحو ذلك.

وهكذا الإنسان لو اعتبر أن كل يوم يعيشه هو آخر الأيام من عمره، فإن ذلك يدفعه إلى أن يكون من المنجزين الرائعين الذين تفخر بهم البشرية وتزهو.

د - وهذا يدفعه إلى أن ينشغل بالأفضل من الأعمال والأجود من الأفعال تاركًا وراء ظهره التوافه وصغائر الأمور التي لو سمح لها بالتأثير في حياته لضاعت هباءً وسدىً.

وعلى ذلك ينبغي أن تكون هناك تربية على تحسين الخاتمة.

❁ ❁ ❁

١٠- كتَاب الحَجّ

٢٣٣- باب وجوب الحج وفضله

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

الحديث رقم (١٢٧٣)

١٢٧٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِي الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((بُنِي الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، وَإقَامِ الصَّلاَةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)) متفقٌ عَلَيْهِ. سبق شرحه ينظر الحديث (١٢٨٢). أركان الإسلام من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج وسائل تربية، وتقويم للمجتمع تمثل جزءاً من المنهج الإيماني من أعمال المجتمع التي يؤديها المسلم في حياته وبها يبدو في ثوبه القشيب يرتبط بهذا الجزء الذي يؤديه في يومه في الصلاة، وفي ماله بالزكاة، وفي عامه بالصوم، وفي عمره بالحج، يرتبط بذلك بالجزء الأكبر بالكون كله، وبالحياة كلها، ويتكامل

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦/٢١)، وتقدم برقم (١٠٧٧)، و (١٢٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٩٢).

ديناً، ودنيا علماً، وعملاً، قولاً، وفعلاً، ويتحول بهذا الامتزاج بين الأجزاء في داخل نفسه، وحسه إلى طاقة تغير الحياة، والأحياء، وإلى ينابيع خير، وحب، وعدل، وإخلاص[1]. وقول الرسول ﷺ (بني الإسلام) جملة خبرية قصد بها بيان أسس الدين التي قام عليها، والتعبير بالبناء على سبيل الاستعارة المكنية التي تصور الإسلام كأنه بناء شامخ قام على خمس دعائم مما يشير إلى أنه حصن، وملاذ، وقد رمز إليه بالبناء وهو من خواص المحسوسات، والإسلام معنوى بدا في هذه الصورة المجسَّمة التي تجعل المعنى أكثر وضوحا مع توسيع الدلالة الإيحائية، وذكر العدد خمس إجمال تلاه تفصيل، وهو ما حقق التوكيد، والتشويق للخبر، وأولها: (شَهَادَةِ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ،) لأنها بوابة الدخول ولا تقبل فريضة تتجرد عنها في قلب صاحبها، وثانيها: (وَإِقَامِ الصَّلاَةِ) والتعبير بالإقامة عن الأداء يتضمن إتقان كل ما يتعلق بها من أعمال، لأن اللفظ يدل على تعديل المعوج، والإصلاح، والحفظ، وغيرها من معان، والثالث (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ) والتعبير بالإيتاء يشير إلى مشقة في الفعل تأتي من طبيعة شح النفوس، وحبها للمال مع تحري المساكين والفقراء والمستحقين لها والرابع: (وَحَجِّ البَيْتِ) و(ال) في البيت للعهد أي البيت الحرام، والخامس (وَصَوْمِ رَمَضَانَ) أي شهر رمضان، وهذه الأركان كيان متكامل يكمل بعضه بعضا في إعداد النفس لإعمار الدنيا والآخرة.

المضامين الدعوية[2]

(١) منهج القرآن في تربية المجتمع د. عبد الفتاح عاشور، ص ١٩٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٧٧، ١٢٠٨.

الحديث رقم (١٢٧٤)

١٢٧٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُم الحَجَّ فَحُجُّوا)) فَقَالَ رَجُلٌ: أكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلاثًا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ)) ثُمَّ قَالَ: ((ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلَى أنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

واختلافهم على أنبيائهم: فيتقولون عليهم ما لم يقولوه ويحرفون ما قالوا[2].

الشرح الأدبي

بني الحديث علي الأسلوب الإنشائي، حيث بدأه الرسول بنداء الناس، وبيان أمور الشرع لهم، فقال: " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " وفائدة النداء تتمثل في تنبيه الأذهان إلي القضايا التي تأتي بعده، ولذا قال علماء اللغة: إن معظم النداءات يأتي بعدها أمر أو نهي كقوله تعالي: " يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا " وقوله تعالي: " يا أيها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم ". وقول الرسول: " قد فرض الله عليكم. . " يقرر أن الله تعالي هو الذي أنزل الأوامر، والنواهي، وأن الدين دينه، والرسول ﷺ ما هو إلا مبلغ عن الله تعالي. وقول الرجل: " أكل عام يا رسول الله ؟ يدل علي شغفه بالعلم، والتعلم. رددها الرجل

---

(١) برقم (١٣٣٧/٤١٢). وأخرجه البخاري (٧٢٨٨) من قوله: ((ذروني ما تركتكم)) إلى آخره.

(٢) دليل الفالحين ١٣٤٨.

ثلاثا. ثم رد النبي ﷺ بقوله: " لو قلت نعم لو جبت، ولما استطعتم " ثم قال: " ذروني ما تركتكم " وهذا الأمر للإرشاد والتوجيه، وذلك من باب التخفيف علي الأمة، ومن ملامح هذا التخفيف أيضا أن الأشياء المنهي عنها – يجب البعد عنها تماما، والأشياء المأمور بها علي المؤمن أن يفعل منها ما يقدر عليه، وهو ما دل عليه أسلوب الشرط في قوله يقول: " فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " والطباق بين الفعلين أمرتكم، ونهيتكم يشير إلى أن حركة المؤمن مرتبطة بالأمر، والنهي النبوي.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء والأمر والسؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فريضة الحج.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال.

خامسًا: من تاريخ الدعوة: هلاك الأمم السابقة بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم.

سادسًا: من خصائص الدعوة: التيسير على الناس ورفع الحرج.

سابعًا: من آداب المدعو: الالتزام بالأوامر والنواهي.

أولاً – من وسائل الدعوة: الخطبة:

حيث جاء في الحديث: (خطبنا رسول الله ﷺ)، وتعتبر الخطبة من وسائل الدعوة الهامة، "إذ أن الخطبة وسيلة جيدة للتبليغ وتكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي، أو يعرف بعضهم فقط، ويشترط للخطبة الناجحة أن يكون لدى الداعي معنى أو معان معينة يريد بيانها، ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية"[1]، ومما لا شك فيه أن الخطبة هي وسيلة البيان التي بها يبلغ الداعي دعوته، "إن الخطابة في

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٧٤.

الدعوة إلى الله واجبة لأنها لازمة لتبليغ الدعوة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داوٍ، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه، والخطابة بالنسبة إلى الداعية سلاح يدافع به عن دعوته، فهي وسيلة لصياغة المبادئ وإظهار جلالها ورفعة شأنها"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النداء والأمر و السؤال والجواب:

١ - **النداء:** حيث جاء في الحديث: (يا أيها الناس)، وأسلوب النداء من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتجذبه وتشعره بالقرب من الداعية، ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٢]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[٣].

٢ - **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (فحجوا)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه؛ ذلك لأن الأمر يقتضي وجوب التنفيذ، جاء في البلاغة الواضحة: "الأمر طلب الفعل على وجه الاستعلاء، وقد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام كالإرشاد والدعاء والالتماس والتمني والتخيير والتسوية والتعجيز والتهديد والإباحة"[٤]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥].

٣ - **السؤال والجواب:** وذلك حيث جاء في الحديث: (فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة حيث يفتح حوارًا بين الداعية والمدعو ويزيل الشبهات واللبس لدى المدعو، قال د. عبدالكريم البكار: "إن تشجيع الناس على طرح الأسئلة، وإبداء الرأي حول مختلف القضايا أمر في غاية

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ٣٠ - ٣١.

(٢) سورة الانفطار، آية: ٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٤) البلاغة الواضحة، أ. علي الجارم، مصطفى أمين ص ٢١٤.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٣.

الأهمية، لأن ذلك يبنى نفسية المشاركة، وتحمل المسؤولية، وهو من الطرق الفعالة في إحداث القناعة بالرسالة الدعوية، بل القناعة بأية فكرة مطروحة مهما كان نوعها، فإن الناس يحتاجون إلى إقناع بضرورة تعلم المراجعة والمشاركة في عملية التعلم والتفهم للموضوعات المطروحة، وهم بحاجة إلى تدريب على ذلك، والترحيب باستجابتهم لهذه الدعوة بدل ما يحصل الآن من الحرص على صمتهم، واستماعهم لما يلقى عليهم"[1]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فريضة الحج:

يتضح هذا من الحديث: (قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فدلّ هذا على فريضة الحج وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[3]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[4]، والحج من أفضل الأعمال فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: ((إيمانٌ باللّهِ ورسولِهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: جهادٌ في سبيلِ اللّهِ. ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مَبْرُورٌ))[5]، والحج يمحق الذنوب فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من حجَّ للّهِ فلمَ يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَع كيومِ ولدَتْهُ أمُّه))[6].

وفريضة الحج لها مقاصد ومصالح "لقد شاء الله تعالى أن يتخذ لنفسه بيتًا يزار

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ومسلم ٨٣.

(٦) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠.

فيه، فإذا صورة مادية ترمز إلى أسمى الغايات الروحية، وإذا العين ترى الأعمال الإنسانية وهي تطوف حول معبود واحد، وفي الحج تختمر معاني الأخوة في نفوس المسلمين، وتتاح لهم الفرصة ليدرسوا قضاياهم، ويحددوا وسائلهم وأهدافهم، وبهذا ينفض الموسم عن قلوب بعدالة الله مطمئنة، وأرواح بأنوار اليقين مشرقة، وآمال بعلو كلمة الله متفتحة، وعزائم على الجهاد في سبيله متجددة، وأواصر حول لوائه معقودة، وفي الحج تبرز المساواة بين المسلمين"[١].

قال الشيخ: عفيف طبارة: "إن الإسلام يعتبر الحج وسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، والحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم إلى مصادر الحياة الصحيحة بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الآخر[٢].

إن الحج رحلة إلى الله، وتعويد للنفوس لتحمل المشاق والاغتراب وفراق الأهل والوطن مرضاة لله تعالى، وهو إلزام للنفس بالاستسلام للفرائض التي فرضها الله، ولو لم تظهر أسرارها للعقل، كعدد مرات الطواف، وكتكرار رمي الجمار... إلخ. وحسب العقل أنه يمارس العبودية استسلامًا لأمر الله، بالإضافة إلى الجوانب الأخرى التي يتشابه فيها الحج مع الصوم في بناء الصبر وضبط الأعصاب والتحرر من السلبيات، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[٣]، والجوانب التي يشبه فيها الحج الزكاة، فالحج نفقات وتطهير من الشح. ولذلك كانت أركان الإسلام مدرسة ملازمة للمسلم تبني في نفسه فيما تبني مكارم الأخلاق، وتتعاهدها باستمرار".

رابعًا - من آداب المدعو: عدم الإلحاح في السؤال:

حيث جاء في الحديث: (ذروني ما تركتكم)، وهذا يعلم المدعو أدب السؤال وأن لا

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) روح الدين الإسلامي ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

يلح فيه على الداعية، قال ابن علان: "وسكوته ﷺ عنه لينزجر عن سؤاله الواقع في غير محله، وإذا تم ملاحظة أن مدلول الأمر مرة،وما زاد عليها لا بد له من دليل خارجي فلا وجه لسؤاله فكان فيه نوع تعنت وسؤال عما لا يحتاج إليه، وأيضًا فإنه ﷺ أرسل لتبليغ الأحكام بغاية الإيضاح والبيان فلو وجب التكرار لأفاده صريحًا، وإن لم يسأل عنه فالسؤال حينئذ ضائع"[1]، وهذا يعلم المدعو أن لا يسأل عما يسوؤه لو أُبدي، قال تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[2]، وفي النهي عن كثرة السؤال جاء في الحديث عن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ))[3].

ويستفاد من الحديث أن الحج لا يجب على المكلفين إلا مرة واحدة بأصل الشرع، وذكر النووي في الموضع المذكور أن الأمة أجمعت على ذلك، إلا ما قد يجب بسبب آخر كالنذر.

ويستفاد من الحديث عدم التعمق والتنقيب في الأسئلة لأنه يفضي إلى التعقيد وكثرة التكاليف، قال ابن حجر في الفتح وقد أشار إلى الآية: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[4]: ولا تكثروا التنقيب عن ذلك، لأنه قد يفضي إلى مثل ما وقع لبني إسرائيل، إذا أمروا أن يذبحوا بقرة فلو ذبحوا أي بقرة كانت لامتثلوا، ولكنهم شددوا فشُدّد عليهم، وبهذا تظهر مناسبة قوله: (فإنما هلك من كان قبلكم... إلخ) بقوله: (ذروني ما تركتكم)"[5].

وهذا الجزء من الحديث: (ذروني ما تركتكم.. إلخ) موجود لدى البخاري فهو مما

---

(١) دليل الفالحين ١٣٨٣ - ١٣٨٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) فتح الباري ١٣/ ٢٦٠.

اتفق عليه الشيخان[١].

والحديث يحث على البساطة وعدم التكلف، والحرص على أداء المعلوم من التكاليف دون البحث عن إضافات، فإن الإنسان ضعيف عمومًا وما يعتريه من نشوة في حال النشاط فإنها لا تستمر، ولذلك كان من حسن خلق الإنسان مع نفسه ومع الآخرين ألا يكون سببًا في الإيقاع في المشقة.

ومن الأخلاق التي يفيدها الحديث الأناة وعدم التسرع، ومن ذلك ألا يتكلم الشخص إلا عند وجود حجة محققة، لأن الكلام أو الفعل تصرف محسوب للإنسان أو عليه، وقد يُلحق أيضًا ضررًا بالآخرين، ووجود احتمال للضرر يرجح إلى جانب الصمت حتى تكون المصلحة ظاهرة من غير شك، فعند ذلك لا بأس بالتصرف بالكلام ونحوه، والسلامة لا يعدلها شيء، وكم من كلمة جرت وبالاً. قال الشاعر:

فإن النار بالعودين تُذكى ... وإن الحرب أولها الكلام[٢]

ولذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُت))[٣].

وقال سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٤].

ومن الأخلاق التي يغرسها الحديث في النفوس الاقتداء بسيد البشرية في حسن رده على الرجل، وحكمته في التعامل معه بالسكوت أولاً، ثم بالبيان الهادئ عندما ألح مع التعليل، مع اجتناب الشدة والغلظة، والحرص على الرحمة به وبالأمة في تقليل التكاليف، قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٥]، وقال سبحانه:

---

(١) ذكره الألباني في الإرواء ١٨٣/١.

(٢) المنتظم، قافية الميم ٢٧٢/٧، والعقد الفريد ٩٢/١، وديوان الحماسة ١٠٨/١.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٠٨، ومسلم ٤٧.

(٤) سورة ق، آية: ١٨.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٦.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، وما أحوج أفراد الأمة والزعماء بالذات إلى مثل هذه الأخلاق.

ومن الأخلاق المستفادة من الحديث الحرص على الابتعاد عن أخلاق الأمم الأخرى وأخذ العبرة من انحرافاتها؛ وقد يميل الإنسان إلى التقليد، وقد يكون فيه حتفه والسعيد من وعظ بغيره. وإذا جاز أن نستورد من الغرب في الماديات فلا يجوز ذلك في المبادئ والتشريعات، بل المفروض علينا أن نصدر إليهم ما عندنا من الهدى فهم في أمس الحاجة إليه، وأما الإصرار على الاستيراد فمعناه الإصرار على الهلاك.

خامسًا - من تاريخ الدعوة: هلاك الأمم السابقة بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم:

حيث جاء في الحديث: "فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"، وهذا من تاريخ الدعوة الذي يجب أن يعرفه المدعو حتى يعتبر ويتعظ ويزدجر عما يكون سببًا في هلاكه.

قال ابن علان: (إنما كانوا يسألون من غير حاجة بل لقصد التعنت المؤدي للإيذاء أو التكذيب، وكانوا يختلفون على أنبيائهم فيتقولون عليهم ما لم يقولوه، ويحرفون ما قالوه إيثارًا لما ينالهم من ضعفائهم وأتباعهم على رضا الله تعالى واتباع أنبيائه ورسله)[2].

وقال ابن عثيمين: (انظر إلى أصحاب البقرة حين قال لهم موسى اذبحوا بقرة ليضربوا بجزء منها القتيل، ولو ذبحوا أي بقرة تلك الساعة لحصل لهم المقصود لكن جعلوا يسألون ما هي؟ وما لونها؟ ما هي - يقصدون ذكر أكبر قدر من العلامات -؟ حتى شددوا فشدد الله عليهم فذبحوها وما كادوا يفعلون، فالحاصل أن كثرة المسائل والاختلاف على الأنبياء من أسباب الهلاك)[3].

سادسًا - من خصائص الدعوة: التيسير على الناس ورفع الحرج:

حيث جاء في الحديث: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ... فإذا أمرتكم بشيء

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) دليل الفالحين ص ١٣٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٢٤٠.

فأتوا منه ما استطعتم"، وهذا من مظاهر التيسير ورفع الحرج.

قال النووي: (وهذا الحديث موافق لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[1]، وهي مفسرة ومبينة لقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[2]، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه إلا بالمستطاع، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[4]، هذا وقد أجمعت الأمة على أن الحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة بأصل الشرع وقد تجب زيادة بالنذر)[5].

وكل ذلك يدل على يسر الشريعة الإسلامية، قال د. القرضاوي: "إن الإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل، فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر مرة كالحج ليظل دائمًا موصولاً بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعيًا منتجًا، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة"[6].

إن الإسلام يربي أتباعه على الدعوة إلى الله بالحسنى وطرح التكاليف على الناس بالأسلوب الميسر غير المنفر، وعندما بعث الرسول ﷺ معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن كما في الحديث المتفق عليه قال لهما: ((يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا))[7].

والرسول ﷺ في الحديث الذي نحن بصدده يمارس التيسير ليقتدي به الآخرون حين يصرف عن التعمق والتكلف، وحين يبين بساطة فريضة عظيمة من فرائض

---

(١) سور التغابن، آية: ١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ص ٨٣٧ - ٨٣٨.

(٦) الخصائص العامة للإسلام ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٧) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

الإسلام، وركن كبير من أركانه وهو الحج، وأنه لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وهو بذلك يربي النفوس على التبسط، ويعمق فيها أن حقيقة الإسلام هي اليسر، وأن منهجيته دون سائر المنهجيات هي اليسرى، قال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[1].

كما أن الإسلام يربي الفرد على جلب المنافع لنفسه ولمجتمعه، وأنه إذا لم ينفع فلا يجوز له أن يضر، ومعنى ذلك أنه يبث الأمان الاجتماعي، فيطمئن المسلمون إلى بعضهم بعضًا، ويتعاملون بصدور تحمل معاني الإخاء والمحبة والصفاء، يحرص كل أحد منهم على أن يكون باب خير، ويتجنب أن ينفتح على المسلمين باب شر من جهته كما في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))[2].

وإذا كان الإسلام يربي المسلمين على التماسك ونفع بعضهم بعضًا فإنه بذلك يجعل منهم معسكرًا وكيانًا واحدًا كما في ذات الوقت يجعلهم يتعاملون مع الكيانات الأخرى، بحذر ويقظة فتتحقق بذلك العافية الدينية والدنيوية، وينمي الإسلام في المسلمين روح الأستاذية التي تجعلهم يؤثرون في الآخرين دون أن يتأثروا، فينفعون أنفسهم وينفعون الآخرين دون ضرر على أحد.

ومن التربية في هذا الحديث أنه يوجه إلى صرف الطاقة في العمل المتيقن لزومه وادخارها لذلك، وعدم إهدارها في الكلمات والنظريات التي لا تعود بطائل، وإذا اتجهت الهمم إلى العمل فإن الحديث يربي على عدم الغلو فيه إلى حد يتجاوز الاستطاعة، حفاظًا على النفوس من الملل والكلل والإحباط، وإيثارًا للاستمرار والدوام، وما كان من الأضرار والمنهيات فإن النفوس لا تتكلف طاقة في تركه، فأمر الحديث بالحزم في تركه، لأن صيانة الأمة لا تقبل التردد.

---

(١) سورة الليل، آية: ٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧، وحسنه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

سابعًا - من آداب المدعو: الالتزام بالأوامر والنواهي:

حيث جاء في الحديث: (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)، إن من أهم آداب المدعو الاستجابة للأوامر بتنفيذها والنواهي باجتنابها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، وجعل الله سبحانه في الاستجابة للرسول ﷺ الحياة الحقيقية، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، وجعل الله سبحانه طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3]، وجعل اتباعه في الأمر والنهي سبيل محبة الله، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[4].

وفي الحديث: بيان أن التشريع ومنه الإيجاب والفرض على المكلفين إنما هو لله جل وعلا وأن الالتزام بذلك ضرورة عقدية، وذلك ظاهر من قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث: "إن الله فرض عليكم". وأن الرسول ﷺ له أيضًا حق التشريع؛ لأنه مأذون له من الله سبحانه، وذلك ظاهر من قوله - عليه الصلاة والسلام - في الحديث: (لو قلت نعم لوجبت)، وقوله في الحديث: (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)، والآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾[5]، مبينة كذلك أن التشريع لله ولمن أذن له، ومعلوم أن الله أذن لأنبيائه عليهم السلام، وواضح أن

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٥) سورة الشورى، آية: ٢١.

التشريع من قضايا العقيدة، ولذلك سمَّت الآية الذين يشرعون ما لم يأذن به الله شركاء، وتوعدتهم بالعقاب، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (وقوله جل وعلا: "أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله"، أي: هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من تحريم ما حرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وتحليل أكل الميتة والدم، والقمار، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة، وقد ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ قال: (رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار لأنه أول من سيب السوائب)، وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة، وهو أول من فعل هذه الأشياء، وهو الذي حمل قريشًا على عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه، ولهذا قال تعالى: "ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم"، أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد "وإن الظالمين لهم عذاب أليم" أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير)[1].

وقال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[2]: "عند كلامه على الياسق الذي وضعه جنكيز خان: ... وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك منهم فهو كافر"[3]. وكلامه هذا ينطبق اليوم على من يخلط أحكام الإسلام بأحكام مستوردة ويضعها في صورة دساتير أو قوانين أو برامج أو أنظمة لدول أو أحزاب أو جماعات لا تتفق مع دين الله بحجة التقدم ومسايرة الاشتراكية أو الديمقراطية أو حق الإنسان أو حقوق المرأة... إلخ، وكل دستور أو قانون أو برنامج أو نظام من هذا القبيل فإنما هو ياسق معاصر،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٤١/٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣١/٣.

والحكم في الإسلام إنما هو لله قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1].

ويستفاد من الحديث عدد من الأحكام الأصولية والفقهية من ذلك أن الراجح أن الأصل في الأمر الشرعي أنه لا يقتضي التكرار ولا عدمه، فقوله (فحجوا) لا تقتضي التكرار ولا عدمه، قال النووي في شرح مسلم: "واختلف الأصوليون في أن الأمر هل يقتضي التكرار، والصحيح عند أصحابنا لا يقتضيه، والثاني يقتضيه والثالث يتوقف فيما زاد على مرة على البيان فلا يحكم باقتضائه ولا بمنعه، وهذا الحديث قد يستدل به من يقول بالتوقف لأنه سأل فقال: أكل عام؟ ولو كان مطلقه يقتضي التكرار أو عدمه لم يسأل"[2].

ويستفاد من الحديث أن الشرع لا يلزم المكلفين في الأوامر إلا بالمستطاع، قال النووي في شرح مسلم: "(فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) هذا من قواعد الإسلام المهمة ومن جوامع الكلم التي أعطيها ﷺ، ويدخل فيه ما لا يحصى من الأحكام كالصلاة بأنواعها، فإذا عجز عن بعض أركانها أو بعض شروطها أتى بالباقي، وإذا عجز عن بعض أعضاء الوضوء أو الغسل غسل الممكن، وإذا وجد بعض ما يكفيه من الماء لطهارته أو لغسل النجاسة فعل الممكن، وإذا وجبت إزالة منكرات أو فطرةُ جماعةٍ تلزمه نفقتهم أو نحو ذلك وأمكنه البعض فعل الممكن، وإذا وجد ما يستر بعض عورته أو حفظ بعض الفاتحة أتى بالممكن، وأشباه هذا غير منحصرة ...، وهذا الحديث موافق لقول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[3] وأما قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[4] ففيها مذهبان: أحدهما أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ والثاني وهو الصحيح أو الصواب وبه جزم المحققون أنها ليست منسوخة

---

(١) سورة يوسف، آية: ٤٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠١/٩.

(٣) سورة التغابن، آية: ١٦.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

بل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ مفسرة لها، ومبينة للمراد بها، قالوا: وحق تقاته هو امتثال أمره واجتناب نهيه، ولم يأمر سبحانه وتعالى إلا بالمستطاع، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] والله أعلم"[3].

كما يستفاد من الحديث أن المكلفين ملزمون باجتناب المنهيات بتاتًا في غير أحوال الضرورة، ولم يقيد ذلك بالاستطاعة لأن اجتناب المنهيات ترك وهو مقدور لكل أحد. قال النووي في الموضع السابق: "(وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه) فهو على إطلاقه فإن وجد عذر يبيحه كأكل الميتة عند الضرورة أو شرب الخمر عند الإكراه أو التلفظ بكلمة الكفر إذا أكره ونحو ذلك فهذا ليس منهيًا عنه. والله أعلم"[4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٢/٩.

(٤) المرجع السابق نفسه والجزء والصفحة نفسها.

الحديث رقم (١٢٧٥)

١٢٧٥- وعنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((إيمَانٌ بِاللهِ وَرسولِهِ)) قيل: ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((حَجٌّ مَبرُورٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

حج مبرور: لا يرتكب صاحبه فيه معصية[2]، وقيل: هو المقبول[3].

الشرح الأدبي

الاستفهام في قوله: " أي العمل أفضل ؟ " للاسترشاد، والتعلم، لبيان أفضلية الأعمال التي يقوم بها المؤمن فيقدم الأفضل علي الفاضل. ويدل على ذكاء وقّاد، ونفس طموحة تسعى وراء معالي الأمور، وهو ما توفّرت عليه نفوس الصحابة وقوله: " إيمان بالله ورسوله " يشير إلى حسن ترتيب النبي لكلماته، وعباراته حسب أهمية العمل، ومنزلته، ومن هنا بدأ بالإيمان بالله، ورسوله، لأن كل ما يأتي بعد ذلك في الحديث قائم علي ذلك الإيمان. .. ولفظ " إيمان " يوحي بخصوصية في حركة القلب باستقرار الإيمان، وتغلغله فيه، فظهر أثره علي الجوارح، فطوعت تلك الأعضاء للجهاد في سبيل الله، والقيام بأداء فريضة الحج. ولفظ: " مبرور " جاء من البر، وهو ضد " الإثم " والبر يدل علي أن المؤمن القائم بالحج يفعل أفعال البررة، ويحافظ علي حجه، وتصرفاته، وأقواله، وأعماله، حسبة لله تعالي، لأنه يراقبه، ويتقيه، ويعلم أنه خبير وبصير. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦)، ومسلم (٨٣/١٣٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٦٣٩). وسيكرره المؤلف برقم (١٢٨٩).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الأعمال عند الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (أي العمل أفضل؟)، إن أسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة حيث يفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، ويشجع المدعو على السؤال عما لا يعرف، ويتطلع المدعو إلى معرفة ما يجهل هذا، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والداعية الناجح هو الذي يستطيع بما معه من ثقافة عالية أن يجيب على تساؤلات المدعوين، ويحفزهم لذلك، ويكون لديه من القدرة على الاستطراد مع أي سؤال يطرحه المدعو، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان أفضل الأعمال عند الله تعالى:

حيث جاء في الحديث: "إيمان بالله ورسوله"، "جهاد في سبيله"، "حج مبرور"، ومما لا شك فيه أهمية هذه الأمور: فالإيمان بالله ورسوله يقف على رأس المطلوبات من كل إنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٥.

وَنُورُهُمْ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢].

وأما الجهاد فقد مدحه الله في مواضع كثيرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٤]، أما الحج المبرور فقد جاء في الحديث ما يدل على فضله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ))[٥].

إن هذا الحديث الذي معنا فيه ترتيب الأفضلية في الأعمال، وأن الإيمان يطلق عليه عمل، وقد بدأ به، وهو أساس كل عمل في القلب أو في الجارحة، لأن الله سبحانه لا يقبل أي عمل بدونه، قال تعالى في عمل الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٦]، وقال الشوكاني عند تفسير هذه الآية: "وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالاً لها صورة الخير: من صلة الرحم، وإغاثة الملهوف، وإطعام الطعام،

---

(١) سورة الحديد، آية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٥) أخرجه البخاري ١٥٢١، ومسلم ١٣٥٠.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

وأمثالها، ولم يمنع من الإثابة عليها إلاّ الكفر الذي هم عليه"[١].

وقال النووي: "والمراد به والله أعلم الإيمان الذي يدخل به في ملة الإسلام وهو التصديق بقلبه والنطق بالشهادتين، فالتصديق عمل القلب والنطق عمل اللسان"[٢].

وقد ورد ذكر الجهاد في الترتيب بعد الإيمان، لأنه أشق الأعمال التي يقوم بها المؤمن، وهو ذروة سنام الإسلام، ولا يقدم عليه مؤمن صادق الإيمان في الغالب، ولذلك قال الله تعالى في المنافقين: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[٣]، وسورة التوبة مليئة بمعاذيرهم وتهرباتهم. وأهل الإيمان الصادق لا يتهربون، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٤].

وذكر سبحانه بصيغة الحصر والقصر أن الصادقين هم المؤمنون دون ارتياب، المجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[٥]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (إنما المؤمنون الكمل الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة هي التصديق المحض، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه، أولئك هم الصادقون، أي في قولهم إذا قالوا

---

(١) فتح القدير ١٠١/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٨/٢.

(٣) سورة محمد، آية: ٢٠.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٤٤ - ٤٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٥.

إنهم مؤمنون)[١].

ثم ذكر الحج المبرور في الرتبة الثالثة؛ لأن المشقة فيه كبيرة شبيهة بمشقة الجهاد، وإن كانت دونها، فإن فيه تعريض النفس للجهد والمخاطرة، وفيه إنفاق المال والاغتراب، بل قد سمي الحج جهادًا في حق النساء، بل أفضل الجهاد في حقهن كما عند البخاري: ((لكُن أفضل الجهاد حجٌ مبرور))[٢].

هذا الحديث فيه ترتيب معين لأعمال معينة، وهناك ترتيبات أخرى في أحاديث أخرى صحيحة، فكيف يتم الجمع بين ذلك في ضوء النصوص الشرعية، قال النووي: "أما معاني الأحاديث وفقهها فقد يستشكل الجمع بينها مع ما جاء في معناها من حيث إنه جعل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن أفضل الأعمال الإيمان بالله ثم الجهاد ثم الحج. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: الإيمان والجهاد. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه: الصلاة ثم بر الوالدين ثم الجهاد. وتقدم في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: «أي الإسلام خير؟ قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

وفي حديث أبي موسى وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أي المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسان ويده»، وأمثال هذا في الصحيح كثيرة. واختلف العلماء في الجمع بينها، فذكر الإمام الجليل أبو عبد الله الحليمي الشافعي عن شيخه الإمام العلامة المتقن أبي بكر القفال الشاشي الكبير .... أنه جمع بينها بوجهين، أحدهما: أن ذلك اختلاف جواب جرى على حسب اختلاف الأحوال والأشخاص؛ فإنه قد يقال: خير الأشياء كذا، ولا يراد به خير جميع الأشياء من جميع الوجوه، وفي جميع الأحوال والأشخاص، بل في حال دون حال أو نحو ذلك، الوجه الثاني: أنه يجوز أن يكون المراد من أفضل الأعمال كذا، أو من خيرها أو من خيركم من فعل كذا، فحذفت (منْ) وهي مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس وأفضلهم، ويراد أنه من أعقلهم وأفضلهم، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيركم خيركم لأهله» ومعلوم أنه لا يصير بذلك خير

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٩/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٤.

الناس مطلقًا... هذا كلام القفال، وعلى هذا الوجه الثاني يكون الإيمان أفضلها مطلقًا، والباقيات متساوية في كونها من أفضل الأعمال والأحوال، ثم يعرف فضل بعضها على بعض بدلائل تدل عليها وتختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، فإن قيل: فقد جاء في بعض هذه الروايات أفضلها كذا، ثم كذا، بحرف ثم، وهي موضوعة للترتيب، فالجواب: أن ثم هنا للترتيب في الذكر كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ... ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[1]، ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب في الفعل؛ لأن الإيمان مقدم على هذه الأفعال. وكما قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]، ومعلوم أن إيتاء موسى عليه السلام الكتاب مقدم على خطاب الرسول ﷺ"[3].

وأما تقديم الجهاد على الحج مع أن الحج ركن من أركان الإسلام فقد قال ابن حجر: " إن نفع الحج قاصر غالبا، ونفع الجهاد متعد غالبا، هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أن مشقة الجهاد أعظم من مشقة الحج "[4].

وأما الحج المبرور فقد قال المصنف: "هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية، وذكر مثل ذلك، أو أنه المأجور، أو الخالص لله، أو المتقبل، وأن من علامات القبول أن يزداد صاحبه بعده خيرًا، والأقوال في تعريف الحج المبرور ملتقية"[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إن هذه الأمور من أفضل الأعمال)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة الهامة، حيث يحبب المدعو في فعل الخير ذلك لأن النفس البشرية

---

(١) سورة البلد الآيات: ١٢-١٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ١٥١ - ١٥٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢/٧٧ - ٧٨.

(٤) فتح الباري ١/٧٩.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٧٤ - ٧٥.

بطبيعتها تميل إلى الوعد بالثواب والأجر، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[٢].

رابعًا - من فقه الداعية: مراعاة أحوال المدعوين:

يتضح ذلك من مضمون الحديث، وذكر الإيمان بالله ورسوله ثم الجهاد ثم الحج، قال النووي: "ذكر في هذا الحديث الجهاد بعد الإيمان، وفي حديث آخر لم يذكر الحج، وفي حديث آخر بدأ بالصلاة ثم البر ثم الجهاد، قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال واحتياج المخاطبين، وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون وترك ما علموه، ويمكن أن يقال: إن لفظة (من) مرادة كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد من أعقلهم"[٣].

وقال ابن حجر: (اختلف الجواب عن هذا السؤال وأجيب بأن لفظ (من) مراد في كل منهما، وقيل: وقع باختلاف الأحوال والأشخاص فأجيب كل سائل بالحال اللائق به، وهذا اختيار الحليمي ونقله عن القفال)[٤].

ويتضح من هذا أن النبي ﷺ في جوابه راعى أحوال المدعوين وأجاب للسائل بما يناسبه ويناسب حاله وإلى هذا يجب أن يفطن الدعاة بأن تنزل إجابتهم حسب أحوال المدعوين.

قال الشيخ: عبدالله ناصح علوان: "إن الداعية لا ينجح في دعوته، ولا يكون موفقًا في تبليغه حتى يعرف من يدعوهم وكيف يدعوهم؟ وماذا يقدم معهم؟ وماذا يؤخر؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها؟ وما الأفكار الضرورية التي يطرحها ويبدأ بها؟ وهذه الطريقة في الدعوة هي طريقة الرسول ﷺ وطريقة الذين اتبعوه

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة القمر، الآيتان: ٥٤ - ٥٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ١٤٥.

(٤) فتح الباري ١/٩٨.

بإحسان فيجب على الداعية أن يبدأ بالأهم ثم المهم أن يبدأ في الدعوة بالعقيدة قبل العبادة، وبالعبادة قبل مناهج الحياة، وبالكليات قبل الجزئيات، وبالتكوين الفردي قبل الخوض في الأمور العامة[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم:

إن الإسلام يربي المسلمين على البحث والتعرف على الحقيقة، والتفاعل في ذلك مع أرفع المستويات والقيادات إيجابية وجدية وشجاعة، وإذا كان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يترددون في مساءلة الرسول ﷺ وهو إمام الأنبياء وسيد ولد آدم ومناقشته، والتكرار عليه حتى يظفروا بالمراد بآداب وأخلاق عالية من الطرفين، فأولى أن يتربى على ذلك سائر المسلمين في سائر الأزمنة والأمكنة مع قياداتهم وزعاماتهم. وهذه التربية ليست نظرية ترفيهية، وإنما هي عملية تطبيقية، ولذلك يُكتفى فيها بالقليل من الكلام والمناقشة، مع الكثير من العمل... فكلمات الرسول ﷺ كما في الحديث الذي نحن بصدده معدودة، وقد أوتي جوامع الكلم - عليه الصلاة والسلام - وكذلك كانت أسئلة الصحابة رضي الله عنهم من نفس الجنس، وهذه الروح هي المطلوبة أن تسري في الأمة، في نفوس أبنائها، وفي دعوتهم، وعملهم، وهي التي تشكل حياة اجتماعية فريدة. ولا شك أن واقع المسلمين يتمثل ذلك ولو بصورة متفاوتة، لكنها قابلة للتجديد والتوسع باستمرار ما دام هذا الدين باقيًا ومستمرًا.

وإن الإيمان المذكور في أولى الأولويات في هذا الحديث يوجد التربية المثالية بالرقابة الذاتية، ولا مثيل لذلك عند الآخرين، كما أنه يصنع النفوس المطمئنة الخالية من العقد والأمراض، ويوجد المجتمع المثالي المتآخي بالإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]، المجتمع الذي يطبق المحبة والمودة والإيثار. وأما الجهاد وهو حماية

---

(١) كيف يدعو الداعية ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

للحق، ونشرٌ له وحماية للمستضعفين، فإنه يمثل التضحية في أعلى صورها، إذ إنه تضحية بأغلى ما عند الإنسان: بالنفس والمال، وهذه التضحية يتقاعس عندها الآخرون، وكلّ منهم يريد أن ينوب عنه الآخر في ذلك. أما عند المسلمين فعلى العكس، فهنالك التسابق على هذه التضحية، لا سيما عند من يتشبع بالنصوص الشرعية التي تربط ذلك بأعلى المقامات، وبالإيمان بالذات، ومن ذلك ما في هذا الحديث، فيا لله ما أروع هذه الصفة! وما أعظم أثرها الاجتماعي في المجتمع المسلم! بهذه التضحية نشر الصحابة رضي الله عنهم والأجيال السالفة الإسلام والحق في البلاد التي فتحوها، ومعروف في التاريخ أن الداخلين بالقوة على أي بلد ينظر إليهم أبناء البلد أنهم محتلون مغتصبون مكروهون، بخلاف القادة الفاتحين وجنودهم الذين أدخلوا كثيرًا من البلاد في الإسلام، فإنه ينظر إليهم أبناء تلك البلاد أنهم مجاهدون مباركون قدموا أعظم جميل وخير لأبناء البلد، ويذكرونهم بكل محبة وتقدير، ويدعون لهم في كل حين.

وأما الحج فهو رحلة جماعية سنوية يمارسها المسلم مرة في العمر، ولأجل فضائلها ومنافعها، فإن كل مسلم يتشوّق ويتوق وتهفو نفسه لتكرارها كلما أمكن، لما تفعله في النفوس وفي الواقع الاجتماعي من صلاح وتقوى، وعلاقات وتبادل فوائد، ومنافع دينية ودنيوية، ولما تحدثه من تربية سنوية شاملة، ودعوة متكاملة، وعبادة عميقة، ولما تغرسه من مشاعر نبيلة وذكريات تستعصي على الوصف، ويحرص المسلم في كل مرّة حجٍ على أن يخرج من هذه العبادة وهو أتقى لله وأحظى عند إخوانه، بأن يكون حَجّهُ مبرورًا مقبولاً لا إثم فيه ولا معصية... يبادر في هذه العبادة الجماعية إلى خدمة الآخرين والإحسان إليه بالترويح على أجسامهم وأرواحهم، بتقديم أطايب الطعام لهم ما أمكن، ومعاشرتهم بالسلام وأحلى الكلام، لأن هذا هو برّ الحج... فما أروع هذا الدين!

الحديث رقم (١٢٧٦)

١٢٧٦- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ حَجَّ[١]، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يَرْفُث: من الرَفَث بفتح الراء وضم الفاء: الكلام الفاحش، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع، وعلى مقدماته، وعلى ذِكْره مع النساء أو مطلقًا، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها[٣].

لم يفسق: لم يأت بسيئة ولا معصية[٤].

الشرح الأدبي

يتكون الحديث الشريف من جملة شرطية واحدة يوضح النبي ﷺ فيها أمرين أساسيين لقبول حج المؤمن، وهما: عدم الرفث، والفسوق. والرفث كناية عن الجماع، ومقدماته، والفسوق، هو الخروج عن الحد، ويشمل كل المخالفات التي قد يرتكبها الإنسان، فيخرج بسببها من سياج التقوى، كما تخرج التمرة من قشرتها. وجاءت الفاء في قوله: " فلم يرفث. . " لتوضح أن المؤمن يحافظ علي حجه أثناء المناسك، وبعد الانتهاء منها، لأن الفاء للترتيب والتعقيب، حيث يعود الحاج إلي وطنه، وقد تغير إلي الأحسن، والأفضل في تصرفاته، وعبادته لله، ومعاملاته مع الناس، وتكون صفحته خالية من

---

(١) عندهما في هذه الرواية: (من حج لله) وعند مسلم بعده بدون رقم: (من حجَّ فلم يرفث)، تبع المؤلف المنذري وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠/٤٣٨) ولفظهما سواء. اورده المنذري في ترغيبه (١٦٤٠).

(٣) فتح الباري ١٢٥/٤، وانظر: شرح صحيح مسلم ٨٤٥.

(٤) فتح الباري ٤٤٧/٣.

الآثام كالطفل عندما تلده أمه حيث لم يفعل ذنبا قط، وهذا أكبر دليل علي أن التوبة تجبُّ ما قبلها وما ما أشارت إليه الصورة البيانية الرائعة في قوله (رجع كيوم ولدته أمه) والعبارة كناية عن نقائه من الخطايا، والتشبيه بهيئة المولود يشير إلى النقاء من الخطايا مع نقاء القلب يعرف هذا من نقاء قلب الطفل، كما يشير إلى تعلقه بربه كتعلق الجنين الفطري بأمه، وهو توكيد للمغفرة التامة ينفي وهم المبالغة من عقل من استعظم خطاياه. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الحج المبرور.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تهذيب وتقويم سلوك الإنسان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)، ومما لا شك فيه أن أسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب، وأسلوب الشرط يبين من جانب آخر ارتباط الشرط بالجزاء، والعمل بالثواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل وثواب الحج المبرور:

حيث جاء في الحديث: "رجع كيوم ولدته أمه"، قال النووي: (والرفث اسم للفحش

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٠.

من القول وقيل هو: الجماع ومعنى: كيوم ولدته أمه أي بغير ذنب، وأما الفسوق فالمعصية)[١].

وقال الطيبي: "قال الأزهري: والرفث هو كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة، وقوله: (من حج) شرط وجوابه: (رجع) أي: صار، والجار والمجرور خبر، ويجوز أن يكون حالاً، أي: رجع مشابهًا لنفسه في البراءة عن الذنوب في يوم ولدته أمه"[٢].

وقال ابن حجر: "قال ابن خالويه: المبرور المقبول، وقال غيره: الذي لا يخالطه شيء من الإثم، ومما قاله القرطبي: إنه الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعًا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل، وقوله: (رجع كيوم ولدته أمه)، أي: بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات"[٣].

ومما هو معلوم أن في عبادة الحج إظهار العبودية وشكر النعمة، ولكي ينال العبد ثواب الحج المبرور "فإنه يجب على من يريد بالحج طاعة وتقربًا إلى الله تعالى، ويطمع في قبوله وإثابته عليه أن يقصد بحجه وجه الله تعالى لا رياء ولا سمعة، وإن كنت ظلمت غيرك في ماله أو عرضه فرد إليه حقه واطلب منه أن يسامحك، وأن يكون مالك من كسب حلال طيب لا شبهة فيه، وأن تتوب إلى الله قبل سفرك توبة نصوحًا من جميع الذنوب التي ارتكبتها طول حياتك وتنوي عدم الرجوع إلى معصية قط"[٤].

إن الأصل في البشر والجن عدم العصمة والوقوع في الذنوب، والمؤمنون لذلك مطالبون بالتوبة والاستغفار، وهم خير الثقلين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[٦]،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨٤٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

(٣) فتح الباري ٤٤٦/٣ - ٤٤٧.

(٤) الدين وأركان الإسلام، الحاج عباس كرارة، ط/٢ مركز الحرمين مكة المكرمة: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ٥١٠.

(٥) سورة النور، آية: ٣١.

(٦) سورة هود، آية: ٣.

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة. ويستثنى الأنبياء عليهم السلام فهم معصومون، وإذا وقعت منهم بعض الصغائر التي تظهر بها بشريتهم منعًا للغلوّ فيهم، فإنهم ينبهون عليها ويغفرها الله لهم، وهذا نوع من العصمة، كما حدث لآدم حين أكل من الشجرة، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]، وكما حدث ليونس عليه السلام حين خرج مغاضبًا لقومه بدون إذن من الله فعوقب بالحبس في بطن الحوت، ثم تاب فتاب الله عليه: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[2].

والحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق باب عظيم من أبواب مغفرة الذنوب، ما دام أن الجن والإنس غير معصومين، فالحج يخرج صاحبه من ذنوبه كلها ويرجع كيوم ولدته أمه، والراجح أن هذه الذنوب تشمل الصغائر والكبائر، قال ابن حجر في قوله: (رجع كيوم ولدته أمه) أي: بغير ذنب، وظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات، وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن مرداس المصرح بذلك، وله شاهد من حديث ابن عمر في تفسير الطبري"[3].

قال العيني: "وظاهره الصغائر والكبائر، وقال صاحب (المفهم): هذا يتضمن غفران الصغائر والكبائر والتبعات، ويقال هذا ما يتعلق بحق الله لأن مظالم الناس تحتاج إلى استرضاء الخصوم"[4].

والحج عبادة جماعية وعندما يسافر الحجاج من بلادهم وكذلك عندما يؤدون المناسك، فغالبًا ما يكونون في مجموعات، ويشرع في الإسلام في مثل هذه الحالة أن تُؤَمّر المجموعة واحدًا منها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) فتح الباري ٣٨٣/٣.

(٤) عمدة القاري ١٥٩/١٠.

((إِذَا خَرَجَ ثَلاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ))[1]، وهذا معناه التربية على الانتظام، وعلى الالتزام بالحياة المدنية والاجتماعية، فيترتب في هذه الإمارة أمر الطعام، وأمر النوم، وأمر التوقف، وأمر التحرك، ويتم التعرف من أفراد المجموعة على بعضهم بعضًا، والتناوب بينهم في القيام بالخدمات، ومساعدة الضعيف، ومواساة المحتاج والمريض، وتعميق معاني الأخوة والمحبة والتناصح، والقيام بتعليم الجاهل ودعوة الغافل، وأداء المناسك بإتقان، وبذلك تمضي جميعًا قضايا التربية، والدعوة، وإصلاح النفوس، والسلوك الاجتماعي القويم، تحت مظلة هذه العبادة العظيمة، عبادة الحج.

كما أن اختلاط مجموعات الحجيج واحتكاك بعضها ببعض ينتج عنه التعارف والتأسي بالإيجابيات ونشرها وتعميمها، والتقاء مختلف الطاقات المتخصصة واستفادة بعضها من بعض، كالعلماء والدعاة والمصلحين السياسيين وعقد المؤتمرات والندوات، وتبادل الخبرات، وتنشيط التجارات والصناعات، وعقد الاتفاقات، والاستفادة من التنوع في بلاد المسلمين في شتى المجالات.

كما أنه يتم في هذه الأجواء الروحانية تفادي السلبيات، وعزل المنكرات وتنمية أنواع المعروف، فإذا وقع أحد في شيء من الرفث أو الفسوق أو الجدل فسوف يجد مسلكه غريبًا في مجتمع الحجاج، ولن يجد من يسايره، فيضطر للعودة للجادة، ويتعود ذلك في مدى كافٍ واسع مبارك من الزمان والمكان والإخوان.

وفترة الذهاب إلى الحج والأداء ثم العودة مع البرنامج الإيماني المكثف في تلك الأوساط الفعالة المؤثرة... كلُّ ذلك يجعل عبادة العمر تترك آثارها وبصماتها العميقة على الحاج على مدى العمر! بل تعيد صياغة وصناعة حياته من جديد، فيعود إلى وطنه وأسرته وعمله شخصًا جديدًا، داعية ومعلمًا ومربيًا بلسان الحال والمقال، منفقًا من مزادة التقوى، غارفًا من مستودع المشاعر والذكريات، ينفذ إلى القلوب بفعل المغفرة التي أعادته إلى جاذبيته القديمة كيوم ولدته أمه، فكما كان يجذب القلوب بطفولته البريئة فهو بعد الحج المبرور والذنب المغفور يجذبها بشفافيته المضيئة.

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٦٠٨، وقال الألباني حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٢٢٧٢).

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تهذيب وتقويم سلوك الإنسان:

حيث جاء في الحديث: "من حج فلم يرفث ولم يفسق"، إن من فوائد الحج أن يهذب سلوك الإنسان فيبتعد عن فحش القول والجدال والمراء ويتمرن على ذلك، وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة، قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾[1]، قال الطيبي: "قال سعيد بن جبير في قوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج): الرفث: إتيان النساء، والفسوق: السباب، والجدال: المراء، يعني مع الرفقاء والخدم والمُكَارِين، وإنما لم يذكر الجدال في الحديث اعتمادًا على الآية"[2].

وفي بيان آثار فريضة الحج على سلوك الإنسان قال الشيخ: السيد سابق: "إن الحج نوع من السلوك، ولون من ألوان التدريب العملي على مجاهدة النفس من أجل الوصول إلى المثل العليا، فملابس الإحرام خالية من الزينة، ومن كل ما يثير في النفس دواعي العُجْب والخيلاء، والمرء حينما يدخل في أعمال الحج يجب عليه أن يعيش في جو من العفاف والأدب العالي فلا يتدلى إلى رفث ولا يميل إلى فسوق، ولا ينطق بكلمة طائشة، أو ينظر نظرة فاحشة، وفي الحج يحرص المسلم على فعل الخير وهو عمل إيجابي، كل مؤمن يهتم به ويحرص عليه، وفي الحج يحدث التعارف بين الشعوب الإسلامية، وتتوحد غاياتهم التي توجههم الوجهة التي تأخذ بأيديهم إلى حياة القوة والعزة والعلم والعمل، بما يفيد بعضهم من بعض ومن تبادل الآراء المختلفة، والثقافات المتنوعة"[3].

ومن خلال هذا يتبين أن من أهداف الدعوة الرئيسة: تقويم وتهذيب السلوك الإنساني من خلال فريضة الحج.

إن الرفث والفسوق والجدال ممنوع في الحج لقوله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

(٣) إسلامنا ص ١٢٦ - ١٢٧.

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[١]، وهنا في الحديث ضمان بأن من لم يرفث ولم يفسق يرجع مغفورًا له، خاليًا من الذنوب، كيوم ولدته أمه.

"وأما الفسوق فهو يشمل المعاصي كلها، كما ذكر هؤلاء الأئمة، لأن أصل الفسوق هو الخروج، والمقصود الخروج عن طاعة الله بالوقوع في أي معصية"[٢].

وأما الجدال فهو التنازع حول أي موضوع كما يفهم من كلامهم، ولم يرد ذكره في الحديث، وإنما ورد في الآية، وقد نقل ابن حجر في الموضع المذكور أنه لم يذكر الجدال في الحديث، كما ذُكر في الآية، على طريق الاكتفاء، أو أن الحَسَنَ منه غير مؤثر، كما إذا كان حول أحكام الحج، وأما الفاحش فإنه داخل في عموم الرفث المنهي عنه.

وأما لماذا لم يتم الاكتفاء بالفسوق؛ إذ إنه يدخل في الفسوق الرفث المنهي عنه والجدال المنهي عنه، فالجواب أن الجدال قد أمكن الاكتفاء فيه كما في الحديث، وإنما ذُكر في الآية من باب التفصيل، ومن باب ذكر الخاص بعد العام، وأما الرفث فإن له خصوصية، وهو أن نوعًا منه وهو الجماع يفسد الحج بالإجماع، إذا كان قبل الوقوف بعرفة، وعلى صاحبه حج قابل - أي في العام القادم - والهدي كما ذكر الائمة. ولهذه الخصوصية كان إيراد الرفث سواء في الآية أم في الحديث، أم سائر المعاصي المعبر عنها بالفسوق فلا تصل إلى حد إفساد الحج، بل يلزم في بعضها دمٌ كما هو مفصّل في كتب الفقه، قال ابن تيمية: "وليس في المحظورات ما يفسد الحج إلا جنس الرفث، فلهذا ميز بينه وبين الفسوق. وأما سائر المحظورات: كاللباس، والطيب، فإنه وإن كان يأثم بها، فلا تفسد الحج عند أحد من الأئمة المشهورين"[٣].

إن للعبادات آثارًا عظيمة في حياة المسلم، ومن ذلك آثارها في الجانب الأخلاقي. والحج إحدى هذه العبادات، وهو عبادة بدنية ومالية مهذِّبة لما اعتادته الأبدان والنفوس،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٠١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٨/٢٦.

مقوّمة لسلوكيات الشخص في هذه العبادة الجماعية عندما يختلط بالآخرين، فالمنع من الرفث فيه ضبط للأقوال والأفعال، بحيث يتحكم الشخص في ميوله ورغباته ولو كانت مباحة في الأصل، ويجتنب الجدال إذا خرج عن الإطار المسموح به، لأنه يصير فاحشًا وداخلاً في الرفث كما مرّ، واختلاط الحاج بإخوانه الحجاج ومن تجمعه بهم الطريق ووسائل النقل، وإدارات التعامل ونحوهم، تجعل الحاج يعيش طوال فترة الإحرام، والحج وهو في حال رقابة وحرص على ضبط لسانه، وضبط تصرفاته، وما أكثر ما يتفلت اللسان! وليس هنالك ما هو أحوج إلى طول حبس من اللسان؛ بحيث يقتصر الحاج على الكلام المعروف البعيد عن أي لون من الفحش، أو المغالبة، ويشغل لسانه بأنواع الذكر. فهذا لا شك سمو بخلق الحاج بحيث تستسلم له نفسه بالانضباط في المباح فضلاً عن غير المباح ولا يستسلم لها.

وأما الفسوق فهو الوقوع في المعاصي بشكل عام، ومنها الأمور المنهي عنها أثناء الإحرام، وهي الأمور المحددة التي بالالتزام باجتنابها تتغير حياة المحرم حتى في مظهره وبرنامجه اليومي، فإذا كان عدم الالتزام بذلك فسوقًا، فكيف بما هو محرمٌ في سائر الظروف؟!

إن الامتناع عن الرفث والفسوق بحزم، مدة الإحرام، هو أكثر من الدخول في دورة موسمية نموذجية؛ فالترغيب والترهيب في دورات البشر لا يرتقيان أبدًا إلى مستوى الترغيب والترهيب إذا كانا من الرب الرقيب الحسيب! ومن الذي يستطيع أن يجمع تلك الأعداد الهائلة من مختلف الأجناس في زمان ومكان محددين بكل ذلك الانضباط؟! لكي تعود مجموعات هذه الأعداد بالنتائج الطيبة، والشمائل المستقيمة إلى مختلف البلاد، يعودون بالأخلاق المكتسبة، إضافة إلى غفران شامل لجميع الذنوب السالفة، وتطهير تام من جميع الأدران الماضية؛ إنها تحلية وتخلية، تحلية بالأخلاق وتخلية عن جميع الذنوب، إضافة إلى أداء ركن الإسلام: الحج، وقضاء فريضة العمر بزيارة بيت الله، والسياحة في أرض الله، والتشرف بعيش أفضل الأوقات في أفضل البقاع، (من حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) ولله الحمد والمنة.

الحديث رقم (١٢٧٧)

١٢٧٧- وعنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: ((العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ)) متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

كفارة: ماحية وساترة[٢].

المبرور: لا يرتكب صاحبه فيه معصية[٣]، وقيل: هو المقبول[٤].

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث الشريف علي الأسلوب الخبري الذي يبث الأمل، والتفاؤل، والاستبشار في قلب المتلقي، حيث أوضح المصطفي عليه الصلاة والسلام – أن أعمال العمرة، تكون كفارة لما سبقها من ذنوب الإنسان التي سبقتها، وكلمة " كفارة " توحي بأن الذنوب كثيرة نظرا لما في الفاء " من تشديد. والجملة الثانية: "والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " فيها قصر بلاغي حقيقي، حيث قصر الموصوف (وهو المؤمن الذي يقوم حجه علي البر) قصره علي صفة (دخول الجنة)، وبقي علي المؤمن أن يعيد النظر في حجه هذا: هل هو مبرور أم لا ؟. الجدير بالذكر أن الألفاظ التي جاءت في الحديث معبرة، وموحية، ومنتقاة. فلفظ " العمرة " من الإعمار ويشير إلى إعمار القلب بالطاعة، والمعروف بعد تخريب الشيطان له. بدفعه إلى المعاصي، ولفظ " مبرور " يوحي بالبر والتقوى. ولفظ: "الجنة" يوحي للنفس بكل متاع تهفوا إليه حسي أو معنوي في ثوبه الأخروي المصبوغ بصبغة الخلود.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩/٤٣٧) ولفظهما سواء

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٣) رياض الصالحين ٤٥٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - فضل العمرة: الحديث ظاهر في فضيلة العُمْرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين[١].

٢ - حكم الاعتمار قبل الحج: في الحديث إشارة إلى جواز أداء العمرة قبل الحج[٢].

٣ - حكم تكرار العمرة في السنة الواحدة: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، وبعض المالكية، والشافعية، والحنابلة وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأنس، وعائشة، وعطاء، وطاووس، وعكرمة) إلى استحباب تكرار العمرة في السنة الواحدة مرارًا[٣]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبأن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في شهر مرتين بأمر النبي ﷺ عُمْرةُ مع قِرَانِها وعمرة بعد حجها[٤].

وذهب المالكية في المشهور، والحسن، وابن سيرين إلى كراهة أن يعتمر في السنة الواحدة أكثر من مرة[٥].

وذهب القاضي وآخرون إلى أنه لا يعتمر في الشهر أكثر من عمرة[٦].

واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ لم يفعله[٧].

ويناقش هذا: بأن عدم فعل النبي ﷺ لا يدل على عدم الجواز بدليل أن النبي ﷺ أذن لعائشة في أن تعتمر في شهر مرتين ولو لم يكن جائزًا لما أذن لها[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٢) الجوهرة المنيرة ١٥٢/١، مواهب الجليل ٤٦٨/٢، مغني المحتاج ٢٨٦/٢، كشاف القناع ٤١٠/٢، فتح الباري ٧٣١/٣.

(٣) حاشية رد المحتار ٤٧٢/٢، مواهب الجليل ٤٦٧/٢-٤٦٨، مغني المحتاج ٢٢٤/٢، المغني ٩٠/٣، شرح صحيح مسلم ١١٨/٩، فتح الباري ٧٣٠/٣، نيل الأوطار ٢٨٣/٤.

(٤) المغني ٩٠/٣.

(٥) مواهب الجليل ٤٦٧/٢-٤٦٨، المغني ٩٠/٣، شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٦) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩، فتح الباري ٧٣٠/٣، نيل الأوطار ٢٨٣/٤.

(٧) المغني ٩٠/٣.

(٨) المغني ٩٠/٣.

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، لأن جميع السنة وقت للعمرة فصح في كل وقت منها[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستزادة من العمرة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ثواب الحج المبرور وأثره في سلوك المسلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الاستزادة من العمرة::

يتضح هذا من الحديث: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما)، في هذا الحديث بيان أن الذنوب ما بين العمرتين مكفَّرة، وأن الحج المبرور، أعظم من ذلك أثرًا، ليس له جزاء إلا الجنة.

أي أن هنالك فرقًا ما بين التكفير لما بين العمرتين من الذنوب، وبين ثمرة الحج، وهذا يؤكد ما نقلناه في شرح الحديث السابق من أن الحج يكفر الذنوب الصغائر والكبائر، ويبدو أن ذلك بسبب مشقة الحج، وبسبب العتق الذي يكون يوم عرفة، وغير ذلك. وأما التكفير للذنوب التي بين العمرتين فهو تكفير للصغائر فقط كغالب العبادات، ومما يدل على ذلك، الحديث الذي عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ. مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[٢]، وقد ذكر ابن عبدالبر أن بعض المنتمين إلى العلم في عصره قال بأن الكبائر والصغائر تكفرها الصلاة والطهارة ونحوها عملاً بظاهر بعض الأحاديث والآثار، وذكر أن هذا لا يتفق مع مثل قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٤]، وأنه لو كانت

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٨/٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٣) سورة التحريم، آية: ٨.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

الطهارة والصلاة وأعمال البر مكفرة للكبائر، والمتطهر والمصلي غير ذاكر لذنبه الموبق ولا قاصد إليه، ولا حضره في حينه ذلك أنه نادم عليه، ولا خطرت خطيئته المحيطة به بباله، لما كان لأمر الله عز وجل بالتوبة الخاصة معنى، ولكان كل من توضأ وصلى يُشهد له بالجنة بمجرد أن يسلم من الصلاة، وإن ارتكب قبلها من الموبقات ما شاء، وهذا لا يقول به أحد ممن له فهم صحيح واعتقاد سليم، واستدل بالحديث الذي عند مسلم المذكور قبل قليل... إلخ.

وذكر أن معنى قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[1]، أنه باجتناب الكبائر يتم تكفير الصغائر بالصلاة والصوم ونحوها، وأنه إذا لم يتم اجتناب الكبائر، ولا التوبة الخاصة من كل منها، فإنه لا يتم الانتفاع بتكفير الصغائر، وهذا قبل الموت، وأما بعده فمصير مرتكب الكبائر إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"[2].

وقد ذكر ابن حجر: "أن من ترك الصلوات ومثلها الطهارة والصوم ونحو ذلك، أنه يكون مرتكبا للكبائر غير مجتنب لها فلا يتم التكفير للصغائر، فتلتقي بذلك النصوص"[3].

والخلاصة أن أغلب العبادات تكفر الصغائر، ويبقى لبعض العبادات خصوصيتها في تكفير جميع الذنوب، ومنها الكبائر ما عدا حقوق بني آدم، ومن هذه العبادات الحج كما سبق، وكذلك الجهاد قال النووي عند شرح حديث (أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيل الله أتكفر عني خطاياي، فأجابه النبي ﷺ بـ (نعم) واستثنى الدَّين[4]، قال النووي: "فيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين"[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣١.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٤/٤٤ - ٥٠.

(٣) فتح الباري ٢/١٢.

(٤) الحديث أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣/٢٩.

والحديث يدل على جواز تكرار العمرة في السنة.

قال النووي: "هذا ظاهر في فضيلة العمرة، وأنها مكفرة للخطايا الواقعة بين العمرتين، والجمهور على استحباب تَكْرَار العمرة في السنة الواحدة مرارًا، وقال مالك وأكثر أصحابه: يكره أن يعتمر في السنة أكثر من عمرة، قال القاضي: وقال آخرون: لا يعتمر في شهر أكثر من عمرة.

واعلم أن جميع السنة وقت للعمرة، فتصح في كل وقت منها إلا في حق من هو متلبس بالحج، فلا يصح اعتماره حتى يفرغ من الحج، واختلف العلماء في وجوب العمرة فعند الجمهور أنها واجبة، وقال مالك وأبو حنيفة وأبو ثور: هي سنة وليست بواجبة"[1].

وذكر ابن حجر: "أن الحديث يدل على استحباب الاستكثار من الاعتمار، وجاء بنحو كلام النووي رحمه الله، وأجاب عن الاستدلال بأن الرسول ﷺ لم يفعلها إلا من سَنَةٍ إلى سَنَةٍ، بأنه كان ﷺ يترك الشيء وهو يستحب فعله لرفع المشقة عن أمته، وقد ندب إلى تكرار العمرة بقوله، فثبت الاستحباب من غير تقييد، وذكر ابن حجر أن الأثر عن أحمد أن المعتمر لابد أن يحلق أو يقصر، فلا يعتمر بعد ذلك إلى عشرة أيام ليمكن حلق الرأس فيها.

وفي الحديث إشارة إلى جواز أن يؤدي الشخص العمرة ولو لم يكن قد سبق له الحج في أي مرة من قبل، والمقصود أنه يجوز أن يعتمر في أي وقت حتى ولو لم يكن قد حج. ولا تدخل في ذلك عمرة التمتع؛ لأنه إنما يعتمر بعمرة مرتبطة بحج سيكون بعدها مباشرة فليس المقصود هذا.

وقد بوّب البخاري بقوله: (باب من اعتمر قبل الحج) ثم ذكر بسنده أن عكرمة بن خالد سأل ابن عمر رضي الله عنهما عن العمرة قبل الحج، فقال: لا بأس. قال عكرمة: قال ابن عمر: اعتمر النبي ﷺ قبل أن يحج"[2].

وقال ابن حجر أيضًا: "قوله: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) أشار ابن عبد البر

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨٤٤.

(٢) فتح الباري ٥٩٨/٣.

إلى أن المراد تكفير الصغائر دون الكبائر قال: وذهب بعض العلماء في عصرنا إلى تعميم ذلك، ثم بالغ في الإنكار عليه، وفي الحديث دلالة على استحباب الاستكثار من الاعتمار خلافا لقول من قال: يكره أن يعتمر في السنة أكثر من مرة "[١].

وقال ابن القيم: "وفي قوله ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) دليل على التفريق بين الحج والعمرة في التكرار، وتنبيه على ذلك، إذ لو كانت العمرة كالحج لا تفعل في السنة إلا مرة لسوَّى بينهما ولم يفرق، وروى الشافعي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اعْتَمِرْ في كل شهر مرة، وعن سويد بن أبي ناجية عن أبي جعفر قال: قال علي رضي الله عنه: اعْتَمِرْ في الشهر إن أطقت مرارًا، وعن بعض ولد أنس أن أنسًا رضي الله عنه كان إذا كان بمكة فحمّم رأسه[٢] خرج إلى التنعيم فاعتمر، وقال ابن الموّاز: وتكرار العمرة أرجو أن لا يكون به بأس وقد اعتمرت عائشة رضي الله عنها مرتين في شهر ولا أرى أن يمنع أحد من التقرب إلى الله بشيء من الطاعات، ولا من الازدياد من الخير في موضع، ولم يأت بالمنع منه نص، وهذا قول الجمهور"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: ثواب الحج المبرور وأثره في سلوك المسلم:

يتضح هذا من الحديث: (والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، قال النووي: "المبرور هو الذي لا يخالطه إثم مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن علامة القبول أن يرجع خيرًا مما كان ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا رياء فيه، وقيل: الذي لا يعقبه معصية، وهما داخلان فيما قبلهما، ومعنى ليس له جزاء إلا الجنة: أنه لا يقتصر لصاحبه من الجزاء على تكفيره بعض ذنوبه بل يعده أن يدخل الجنة"[٤].

وقال ابن علان: "وقوله: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)، يحتمل أن يكون من جزائه إلهام صاحبه التوبة من كل ذنب، وتوفيقه لذلك، وحفظه من المخالفة في عمره

---

(١) المرجع السابق ٦٩٦/٣.

(٢) أي: اسود رأسه بعد الحلق بنبات شعره، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م م).

(٣) زاد المعاد ٩٨/٢ - ١٠٠ بتصرف.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ٨٤٤.

فيدخل الجنة مع الفائزين"[١].

والحج هو التعبد لله عز وجل بأداء المناسك ففيه تبرز حقيقة العبودية والإيمان "إن الحج مدرسة يتعود فيها المسلم على الصبر، ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله، ويستشعر فيه لذة العبودية لله، ويعرف عظمة ربه وافتقار الخلائق كلها إليه، والحج موسم كبير لكسب الأجور، تضاعف فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات يقف فيه العبد بين يدي ربه مقرًا بتوحيده، معترفًا بذنبه وعجزه عن القيام بحق ربه، فيرجع من الحج نقيًا من الذنوب كيوم ولدته أمه، وفي الحج تذكير بأحوال الأنبياء عليهم السلام وعبادتهم ودعوتهم وجهادهم وأخلاقهم وتوطين النفس على فراق الأهل والولد، والحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم، وما هم عليه من علم أو جهل، أو غنى أو فقر أو استقامة أو انحراف"[٢].

وعندما يعلم المسلم بهذا الحديث وأمثاله؛ فإنه يترسخ لديه الشعور الملازم بطبيعة الإنسان وأنه مذنب كثيرُ الخطايا، وهذا معناه الشعور الإيجابي بالنقص الذي يدفع الإنسان إلى العمل على التقليل من الذنوب، والأخذ بأسباب التخلص منها، سواء عن طريق الابتعاد عنها عن مقارفتها، أو عن طريق محوها بعد الوقوع فيها، وذلك بالمكفرات كالعبادات ومنها: العمرة المتكررة، والحج المبرور.

كذلك فإن الشعور الإيجابي بالنقص، يجعل المسلم بعيدًا عن الغرور والعجب والكبر؛ لأنه يعلم نقطة الضعف التي لديه، ولدى سائر البشر غير الأنبياء عليهم السلام، وهي القابلية للذنب، وتذكر ذلك معناه الجزم من المرء بأنه ليس أفضل من سواه، وأنه يوجد من هو أفضل منه، وهو من كان أقل منه ذنبًا وأكثر منه تقوى ويتحقق عنده من خلال هذا اليقين، المعنى الدقيق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣].

ومن أجل أن يتخلص المسلم من ذنوبه أولاً بأول، فإن ذلك يدفعه للاهتمام

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٥.

(٢) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري ص ٦٤٧ - ٦٤٨.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

بالمكفرات، وهي في الأساس اجتناب الكبائر قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[1].

ومن اجتناب الكبائر: أداء الفرائض كالصلاة والصوم والحج والطهارة والعمرة عند من يرى أنها واجبة، وهو الراجح.

وهذا الاهتمام بالمكفرات معناه الاهتمام بتعبير آخر بأسباب مكارم الأخلاق، وحسن التعامل هو ثمرة الطاعات، ولا انفكاك بين حسن التعامل مع الله وحسن التعامل مع خلقه.

وحتى يكون التكفير أكمل، فلا بد أن يكون أداء الفرائض والطاعات بشكل عام أكمل وأفضل، وهذا معناه الاهتمام بالأداء وتحسينه من أجل مردود أحسن؛ لأن الحج المبرور على سبيل المثال، وهو حج أعلى وأرقى من الحج الذي ليس له هذا الوصف، ليس له جزاء إلا الجنة.

وبذلك تنشأ علاقة تبادلية نامية مستمرة بين العبادات والأخلاق؛ فإتقان العبادة ينتج تفكيرًا أفضل، وتعاملاً مع الله أحسن، وهذا التعامل يسري في خلق الشخص عمومًا؛ لأن السلوك لا يتجزأ فيتحسن الخَلْق مع الخُلُق، لا سيما والخالق جل وعلا بيّن أن من غايات عبادته تحسين الأخلاق واجتناب الفحشاء والمنكر والرفث والفسوق والجدال.. إلخ، فالالتزام بالأخلاق لا سيما أثناء العبادات معناه تحسين العبادات.

وتحسين العبادات معناه: أن يظهر الأثر على الأخلاق، وهكذا.

وإن الإسلام يربي المسلمين بالعبادات، لأنه بدونها لا يمكن للشخص أن يصلح وضعه، ويتزكى، وتكون سلوكياته أصيلة، وإنما تكون سلوكيات شكلية اصطناعية يحتاج من أجل استمرارها إلى أن يراقبها الآخرون، أو يطلّعوا عليها، أما عند المسلم فإنه يكتفي بعلم الخالق ومراقبته، والذي ينشيء ويثبت لديه الشعور بهذا العلم والمراقبة بل اليقين بهما هو الالتزام بالعبادات؛ فسواء علم الناس أم لم يعلموا فهو على سلوك قويم.

---

(١) سورة النساء، آية: ٣١.

وبذلك تضيع دعاوى اللا دينيين التربوية، عندما يدعون إلى مجتمع شريف ومواطنين شرفاء على حد تعبيرهم، لأنه مهما كانت المحفزات والمشجعات، فإنها تبقى في حيّز رقابة البشر، ولا يمكن أن ترتقي أبدًا إلى رقابة الرقيب الحسيب سبحانه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[1].

والمسلم الملتزم بأداء العبادات المتخلق بثمارها يعمل على نشر ذلك في الآخرين فهو مسؤول عن تربية أسرته بالعبادات ودعوتهم إلى ذلك فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: ((كلكم راعٍ وكلُّكم مَسؤولٌ عن رَعيَّته))[2].

ويتفقد زملاءه وجيرانه، ويحثهم، ويدعو إلى ذلك في المجتمع بشكل عام قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3].

وبذلك تسود المجتمع ظاهرةُ الطاعات والأخلاقُ والرقابةُ الذاتية، ويكثر الوافدون إلى بيت الله من حُجاج وعُمَّار، وتصلح ظواهر الناس وبواطنهم.

كما أن أسفار الحج والعمرة تنشّط التفاعلات الاجتماعية بين أبناء الإسلام، والتفاعلات العلمية والدعوية والسياسية والتجارية، وتزول الحواجز، وتذوب كثير من الفوارق بسبب ذلك ويعود للمسلمين كثير من ترابطهم وتماسكهم وأخوتهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب

يتضح هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو، "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه، ولما كان الإنسان مجبولا على حب ما ينفعه، وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه، كان لأسلوب الترغيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله، ويجب على الداعية استثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها"[4].

---

(١) سورة غافر، آية: ١٩.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٠٩، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي ص ١٩٣.

قال الشيخ: محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة، وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة، فإن الله ولي الأمر وولي النعمة، الخالق من عدم، المطعم من جوع، الكاسي عن عرى، الساتر من فضح فحقه إذا أمر أن نسارع إلى إجابته، وأن يرانا عند إرادته"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[2]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾[3].

فيجب على الدعاة استخدام أسلوب الترغيب مع المدعوين والموازنة بينه وبين أسلوب الترهيب.

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٣.

الحديث رقم (١٢٧٨)

١٢٧٨ - وعن عائشة رضي الله عنها، قَالَت: قُلْتُ: يَا رسول الله، نَرَى الجِهَادَ أفْضَلَ العَمَلِ، أفَلاَ نُجَاهِدُ؟ فَقَالَ: ((لَكِنَّ أفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ: مبرور: ليس فيه مأثم، أو هو المقبول[2].

الشرح الأدبي

بني هذا الحديث علي أسلوب الحكيم حيث خاطب الرسول الكريم أم المؤمنين عائشة، بما لم تكن متوقعة، فهي تستفهم عن الجهاد، وإذا بالرسول المجتبي ﷺ يجيبها بغير ما تتوقع يقول: " لكن أفضل الجهاد حج مبرور " وهذا معناه أن الحج المبرور يقوم علي الجهاد بالمال، والنفس، والوقت. وأفعل التفضيل: " أفضل " يوحي بأن الجهاد في الذروة من الفضل، والفضيلة. ولا يخفي ما في كلمة: " مبرور " من إشعاعات بيانية تلزم المتلقي بأهمية، وضرورة إتقان العمل، والإخلاص فيه، وأن يقوم علي البر، والتقوى – في وسائله – لكي يثمر ثمارا مرضية – في غايته – ولفظ " لكن " وتقديم الجار، والمجرور (لكنَّ) يدل علي الاختصاص، أي أن هذا الحكم بأفضلية الحج على الجهاد خاص بالنساء لا يتعداهن إلى الرجال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من فقه الداعية: المفاضلة بين الأعمال حسب حال المدعو.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) برقم (٢٧٨٤). أورده المنذري (١٦٤٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

رابعًا: من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالمرأة.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (قلت يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟) ومما لا شك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تبين الحقائق للمدعوين، وترشدهم إلى ما ينفعهم، ويفتح حوارًا بين الداعية والمدعو. والمدعو مطالب أن يسأل عما لا يعرف، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، والداعية مأمور أن يبين للناس ويشرح لهم ويجيب على تساؤلاتهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

وفي أهمية استخدام الدعاة إلى الله لأسلوب السؤال والجواب يقول الشيخ الميداني: "إن مجالس السؤال والجواب مجالس مفيدة ونافعة جدًا في نشر المعرفة وتثبيتها، وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصّلات لا غموض فيها ولا التباس، وبشرط أن يكون المجيب على علم مؤكد بالجواب الصحيح، وإذا كانت المسألة من المسائل الخلافية عند الفقهاء المعتمدين لدى جمهور المسلمين فليس للمجيب أن يقطع جازمًا بوجهة نظره"[4].

ثانيًا - من فقه الداعية: المفاضلة بين الأعمال حسب حال المدعو:

حيث جاء في الحديث: (لكن أفضل الجهاد حج مبرور)، وذلك حيث أرشد النبي ﷺ أنه في حقهن الحج مقدم على الجهاد، قال ابن علان: "وقوله.. لَكُنَّ: باللام الجارة لضمير خطاب النسوة وهو حال والمراد أي: ليس لَكُنّ الجهاد أفضل، ولَكُنّ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) فقه الدعوة إلى الله تعالى ٢/٦٢.

أفضل منه، لكن حج مبرور، وفي التعبير عنه بالجهاد إيماء إلى عظيم فضله وحض عليه النساء فكيف بالرجال؟"[١].

وقال ابن حجر: "وقوله: (لَكُنَّ)، اختلف في ضبطها فالأكثر بضم الكاف خطاب النسوة، قال القابس وهو الذي تميل إليه نفسي، وهذا يشمل إثبات فضل الحج وجوابها على سؤالها عن الجهاد وسماه جهادًا لما فيه من مجاهدة النفس، والمحتاج إليه هنا كونه جعل الحج أفضل الجهاد"[٢].

وقال ابن عثيمين: "وهذا بالنسبة للنساء فالنساء جهادهن هو الحج، أما الرجال فالجهاد في سبيل الله أفضل من الحج إلا الفريضة، فإنها أفضل من الجهاد في سبيل الله لأن الفريضة ركن من أركان الإسلام"[٣]، ومن هنا يتبين أنه يجب على الداعية أن يفاضل بين الأعمال حسب حال المدعو، ومراعاة أحواله.

"ولقد كان ﷺ يلفت السائل عن سؤاله إلى ما هو أهمّ منه، ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ: متى الساعةُ يا رسولَ الله؟ قال: ما أعدَدتَ لها؟ قال: ما أعدَدتُ لها من كثير صلاة ولا صَوم ولا صدَقة، ولكني أُحبُّ الله ورسوله. قال: ((أنتَ معَ من أحبَبْتَ))[٤] ولا شك أن الداعية حينما ينتهج هذا المسلك ويعنى بالإجابة على السؤال لكنه يركز على ما هو أهم منه أو ما ينبغي أن يؤكد عليه كان ذلك عين المصلحة"[٥].

إن في هذا الحديث بيان لأحد الفوارق بين الرجال والنساء، وهو نص من نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدل على أن هنالك فوارق بين الرجال والنساء، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[٦]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٦.

(٢) فتح الباري ٣/٤٤٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٢٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٨٨، ٦١٦٧، ومسلم ٢٦٣٩.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٩٩ - ١٠٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾[2].

والفرق بين الرجال والنساء في هذا الحديث هو: أن الجهاد فرض على الرجال في الأصل دون النساء، وهذا من حكمة الله ورحمته بالنساء لضعفهن، ولكن النساء في عهد النبي ﷺ عرفن من خلال النصوص فضل الجهاد، بل عرفن أنه أفضل الأعمال، فلذلك أحببن المشاركة فيه كما هو ظاهر من هذا الحديث، وسألت عائشة رضي الله عنها فقالت: (يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟).

قال ابن حجر: "نرى الجهاد أفضل العمل، وهو - أي نرى - بفتح النون: أي نعتقد ونعلم، وذلك لكثرة ما يُسمع من فضائله في الكتاب والسنة"[3].

وقد ورد في بعض ألفاظ هذا الحديث عند البخاري في بداية إجابة الرسول ﷺ: (لا) ثم قال: (لكن أفضل الجهاد حج مبرور).

قال ابن حجر: "يحتمل أن يكون المراد بقوله: (لا) جواب قولهن: ألا نخرج فنجاهد معك، أي ليس ذلك واجبًا عليكن كما وجب على الرجال، ولم يرد بذلك تحريمه عليهن، فقد ثبت في حديث أم عطية أنهن كن يخرجن فيداوين الجرحى"[4].

فظهر إذن من جواب الرسول ﷺ أن الجهاد ليس واجبًا على النساء كالرجال وذلك لظروفهن كما سبق، وإنما يجوز لهن الخروج فيه بالضوابط الشرعية ومنها: وجود المحرم، ويكون عملهن في الجملة مناسبًا لضعفهن كمداواة الجرحى كما ورد في الحديث الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر رحمه الله، ووجههنّ الرسول ﷺ إلى جهاد

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) فتح الباري ٣٨٢/٣.

(٤) المرجع السابق ٧٥/٤.

أفضل يتناسب مع ظروفهن، ألا وهو الحج المبرور، وفي هذا أحد الردود على أولئك المنهزمين أمام ثقافات المغضوب عليهم والضالين المنادين بالمساواة بين الرجال والنساء دون اعتبار لأحكام الشرع، ولا لواقع النساء وحالهن، ومسؤوليتهن في البيوت، وحملهن وإرضاعهن وضعفهن بشكل عام.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (لكُنَّ أفضلُ الجهاد حجٌ مبرور)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة وفعل الخير؛ لأن النفس البشرية بطبيعتها تحب الثواب والأجر والجزاء الطيب على العمل، "إن النفس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: عناية الإسلام بالمرأة:

ويتضح هذا من مضمون الحديث حيث أرشد الرسول ﷺ المرأة إلى ما ينفعها ويتناسب معها، ومع طبيعتها.

ورغم أن الإسلام واضح في منهجه في عدم المساواة المطلقة بين الرجال والنساء، ولأنه منهج رب العالمين فإنه لا يحتاج إلى مجاملة المرأة وتملقها كما تفعل المناهج البشرية الوضعية، رغم ذلك فإنه يراعي الناحية النفسية للنساء من باب الرحمة، وفتح

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٢) سورة النمل، آية: ٨٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٩.

المجال أمامهن لتحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة، وتلبية طموحاتهن في الخير كإخوانهن الرجال، ولكن بما يتناسب مع طبيعتهن وفطرتهن، ومن نماذج ذلك ما ورد في هذا الحديث، فإن النساء أردن المشاركة في أفضل الأعمال وهو الجهاد، فدلهن الرسول ﷺ على ما يفي بالغرض على أفضل الوجوه دون أن يلحق بهن عنت، ويتمثل ذلك في الحج المبرور.

وهذا الأسلوب الذي يتميز به الإسلام يوجد توازنًا نفسيًا عند الرجال والنساء على السواء، وهذا التوازن ينتج عنه صحة النفس والسلامة من التعقيدات، ويثمر أخلاقًا سوية وسلوكًا مستقيمًا.

كما أن الإسلام حريص على المحافظة على أخلاق وصفات الرجولة في الرجل، وعلى أخلاق وصفات الأنوثة في المرأة، ويأبى الخلط، ولذلك كان للرجل وظائفه والتزاماته، وللمرأة وظائفها والتزاماتها.

وأما المساواة المزعومة فكما لا يقرها الشرع، فإنه لا يقرها عقل ولا واقع، فالمرأة تحمل وتضع وترضع وتقوم على شؤون الأولاد والبيت، والرجل يقوم على الأعمال الشاقة خارج البيت، وكما لا يمكن للرجل أن يَحْمِل ويُرْضِع لا يمكن للمرأة أن تحمل الأثقال وتقود الشاحنات والقاطرات والقطارات، وتشتغل في الطرقات والمناجم، وتمارس العمليات العسكرية، ولذلك نأى الإسلام بالمرأة فلم يفرض الجهاد عليها في الظروف المعتادة حتى تبقى المرأة امرأة في صفاتها وسلوكها وأخلاقها، وأداء واجباتها المفروضة عليها بحكم أنوثتها، وترك ذلك على الرجال مراعاة لطبائع الأمور.

وكم ستكون الجناية على المرأة لو أنها تقدمت الصفوف العسكرية، وصار ذلك ديدنًا وسلوكًا في سائر الأحوال؟ هل يتناسب مع أنوثة المرأة ولطفها أن تتعرض للقتل الذريع والإعاقات وتقطيع الأوصال والانكشاف المريع؟! وهل يتفق مع أمومتها وحاجة أطفالها إليها في حالة نعومة أظفارهم أكثر من حاجتهم إلى الأب.. هل يتفق ذلك مع تعرضها للقتل في المعارك ومع تعرضها أيضًا للأسر، ثم إذا تم أسرها فهي معرضة لانتهاك العرض والممارسات العبثية، وهذا ما لا يطاق.

إن الإسلام رحيم بالمرأة، وحريص على الحفاظ على سلامتها وكرامتها وأخلاقها ولذلك فإنه عندما أجاز لها الجهاد ولم يفرضه، سمح لها بأن تمارس ما يتناسب مع طبيعتها وخَلْقها ورحمتها، بأن تكون في الصفوف الخلفية لمداواة الجرحى والعناية بهم مع وجود محرمها، وإذا حصلت هزيمة، فيمكنها وهي في الخلف الاتجاه مع من معها إلى مكان الأمان بقدر الإمكان.

إن الإسلام يربي أتباعه على المسابقة إلى الخيرات، والحرص على الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[2].

وبحكم هذه التربية ظهر الحرص من قبل النساء في سؤال الرسول ﷺ ليمارسن الجهاد لأنه أفضل الأعمال.

وهذه الروح موجودة لدى المسلمين رجالاً ونساءً عندما يحظون بالتذكير والتعليم والتربية الحسنة في كل زمان ومكان، بل إن النساء بحكم تميزهن أكثر بالعاطفة يكون تفاعلهن مع الأعمال الصالحة كبيرًا، وهذا ملموس مجرّب عند الدعاة والداعيات عندما ينشطون في صفوف النساء، ويكون التأثير على النساء أيسر وأسهل في الدعوة.

وقد عرف أعداء الإسلام هذا السر، فركزّوا كثيرًا على النساء وخدعوهن بمعسول القول، فصرفوا منهن عبر وسائل التعليم والإعلام ونحوها أعدادًا كبيرة نحو التبرج والانحلال والانحراف، وهم يعلمون مدى تأثير المرأة إذا صلحت أو فسدت، فركزوا على الإفساد، قال الشاعر:

من لي بتربية النساء، فإنها ... في الشرق علّة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبًا طيب الأعراق[3]

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٣) من ديوان الرصافي، قافية القاف.

وصدق الرسول -عليه الصلاة والسلام- كما في الصحيح عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ((ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ على الرِّجَالِ مِنَ النِّساءِ))[1]، ويقول كما في الصحيح أيضًا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[2].

إن المرأة التي تلّقت التربية السليمة وأثرت فيها الدعوة تتحول إلى مربية وداعية تؤثر ولا تتأثر، وتُصلح في بيتها وأسرتها وجيرانها ومجتمعها، وتنشر الخير والأخلاق والعفاف، وتقوّم النفوس وتعمّم الفضيلة، فتنتظم الموازين الاجتماعية، وتعرف المرأة المساحة الواسعة المخصصة لها، ويعرف الرجل كذلك نطاقه المرسوم، ويقف كل جنس عند حدوده، فلا يبغي ولا يطغى قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[3].

لقد وجه الرسول ﷺ عناية النساء إلى المناسب لهن في هذا الحديث عندما توجد عندهن الطاقة والقدرة، وهذا المجال الأليق يستغرق مثل هذه الطاقة ويوفر لهن قدرًا عظيمًا من الأجر والثواب يلحقن به الرجال، وليس في الحديث ما يمنعهن من الجهاد الأصيل بل فيه توجيه إلى الجهاد البديل على طريقة الإسلام في التربية بالبديل، وإقامة النموذج الأرقى. والجهاد الأصيل مسموح به لهن وفق ضوابط بيّنتها نصوص أخرى، ولم يغلقها هذا النص، وإنما فتح الأفق نحو الأمثل.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٤٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٢.

الحديث رقم (١٢٧٩)

١٢٧٩- وعنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ يَوْمٍ أكْثَرَ مِنْ أن يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

يُعتق عبدًا: يُحرِّره ويقيه[2].

الشرح الأدبي

إن التنكير الذي جاء في الحديث في كلمتي: " يوم – وعبد " يدل علي التعميم، لوقوعه في سياق النفي وتقم (من) التي تفيد الاستغراق فلا يوجد يوم من الأيام يكون العتق فيه أكثر من يوم (عرفة). ولفظ: " عبدا " يشير إلى أن مناط المغفرة مرتبط بالعبودية لله، والتقرب إلي في هذا اليوم، والفعل المضارع المسند إلي لفظ الجلالة، لأنه لا يوجد في الكون إلا الله عز وجل الذي يملك رقاب الناس، ويقدر علي أن يعتقهم من النار. والتعبير بالعتق يشير إلى أن النجاة من ذل المعصية التي تحبسه في النار، ولا يحرره منها إلا عتق ربه بعفوه عنه، وزحزحته عن النار، ولفظ " أكثر " أفعل تفضيل يدل على أن عتق الله لرقاب الناس، وعفوه عنهم في كل يوم، ولكنه أعظم ما يكون في يوم عرفة كما يوحي بعظمة المغفرة التي تستغرق الناس يوم عرفة فينجي الله أناسا كثيرين من النار أكثر من أي يوم آخر مما يشير إلى أن المغفرة ليست قاصرة على أهل الموقف بعرفة من الحجاج، وإنما تشمل غيرهم ممن شاركهم بالصيام ليوم عرفة الذي يكفر ذنوب سنة ماضية، ولاحقة.

---

(١) برقم (١٣٤٨/٤٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٧٤٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ت ق).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل يوم عرفة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده.

ثالثًا: من مهام الداعية: بيان وإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل يوم عرفة:

يتضح هذا من الحديث: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة)، قال النووي: "هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة وهو كذلك، وقد جاء في الحديث: (إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء)[1]، قال القاضي عياض: وقد يريد دنو الملائكة إلى الأرض أو إلى السماء بما ينزل معهم من الرحمة ومباهاة الملائكة بهم عن أمره سبحانه وتعالى"[2].

والمباهاة من الله للملائكة بأهل الموقف في عرفة فيها إظهار المعنى الذي امتاز به هؤلاء المؤمنون، وهي أنه رغم أنهم ليسوا معصومين كالملائكة وإنما تعتريهم الشهوات وأنواع القصور لكنهم جاهدوا أنفسهم وتحملوا المشقات اجتمعوا في ذلك الموقف على ذلك النحو من العبادة والطاعة والذكر، فاستحقوا أن يباهي الله بهم وأن يعتقهم.

ثم قارن النووي بين يوم عرفة وبين يوم الجمعة لورود الحديث عند مسلم في يوم الجمعة أنه خير يوم طلعت فيه الشمس، ثم رجّح أن الأصح أن يوم عرفة هو الأفضل للحديث الذي نحن بصدده، وأنه يُحمل حديث الجمعة على اعتبار أنه أفضل أيام الأسبوع.

وفي لطائف المعارف ذكر ابن رجب الحنبلي: " فضائل متعددة ليوم عرفة منها أنه: يوم إكمال الدين لأنه أنزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3] وأنه يشرع صيامه لأهل الأمصار، لأن صيامه يكفر ذنوب سنتين كما في الصحيح، وأما الحجاج

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٤٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٣.

فيشرع لهم عدم الصيام من أجل أن يَتَقوّوا على الذكر والعبادة، ولأن الرسول ﷺ أفطر فيه في الحج كما في الحديث، وأنه الشاهد الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[1]، فعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وموقوفًا: ((الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة))[2]، وإذا وقع يومُ عرفة في يوم الجمعة فقد اجتمع في ذلك اليوم شاهد ومشهود، واجتمعت فيه فضائل اليومين التي منها أنه يوم الوقوف في حجة الوداع للنبي ﷺ ويوم نزول آية إكمال الدين، وفيه ساعة يوم الجمعة.. إلخ فضائل اليومين.

ومن فضائل يوم عرفة: أنه يوم مغفرة للذنوب، ويوم العتق من النار، فلا يوجد يوم مثله في كثرة العتقاء كما في حديثنا الذي نتكلم عليه، وهو يوم دنوّ الله من أهل الموقف، وهو يوم المباهاة، يباهي الله ملائكته بأهل الموقف.

ومن فضائله: أنه يغفر فيه لأهل الموقف جميعًا محسنهم ومسيئهم، فقد أخرج ابن منده في كتاب التوحيد: (إذا كان يوم عرفة ينزل الله إلى سماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا، من كل فج عميق، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فتقول الملائكة يا رب فلان وفلان هو، قال: فيقول قد غفرت لهم. فما يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة)، قال ابن منده: وإسناده حسن متصل. ثم أضاف ابن رجب في لطائف المعارف: "ورويناه من وجه آخر بزيادة فيه وهي: (أشهدكم يا عبادي أني قد غفرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم"[3].

وقارن ابنُ القيم بين يوم عرفة ويوم النحر يوم الحج الأكبر، واعتبر أن يومَ عرفة يومُ مُقدِّمةٍ ليوم النحر بين يديه يكون فيه الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال ثم يكون يوم النحر يوم الوفادة والزيادة وأداء معظم أعمال الحج، فيوم عرفة كالطهور

---

(١) سورة البروج، آية: ٣.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٢٩٩ رقم ٧٩٧٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ١٣/٣٥٢.

(٣) لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ١/٢٩٩.

والاغتسال بين يدي يوم النحر[١].

ويوم عرفة يوم عظيم ومكانه في الإسلام كبير، والدعاء فيه مستجاب ورحمة الله فيه واسعة "إن يوم عرفة هو يوم إكمال الدين، ويوم إتمام النعمة لأن أعظم النعم نعمة الدين التي ينال أهلها السعادتين في الدنيا والآخرة، وقد تمت في ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[٢]، وهو يوم الرضوان لأن الله رضى لهم بدينهم الذي تمسكوا به وهو الإسلام، فهي بشارة بشرّهم بها في ذلك اليوم، فلا يوم أكمل ولا أشرف من اليوم الذي بشرهم فيه بإكمال الدين فهذا اليوم يوم صلة الواصلين، ويوم عيد المسلمين"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده:

حيث جاء في الحديث: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة)، ولا شك أن هذا يدل على رحمة الله بعباده ولطفه بهم، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥]، ورحمة الله واسعة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[٦]، وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))[٧]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول

---

(١) زاد المعاد ١/٥٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣.

(٣) الحج "أحكامه - أسراره - منافعه"، الشيخ: عبدالرحمن محمد الدوسري، ص ٨١.

(٤) سورة الشورى، آية: ١٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٧) أخرجه البخاري ٧٤٠٤، ومسلم ٢٧٥١ واللفظ له.

الله ﷺ: ((سَدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لايُدخلُ أحدًا الجنةَ عملُه))، قالوا: ولا أنتَ يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدَني الله بمغفرة ورحمة))[1]. وفي يوم عرفة تتجلى رحمة الله بعباده بمغفرة الذنوب والعتق من النار.

قال الشيخ محمد الغزالي: "والرحمة في أفقها العالي وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته عمت الملكوت وشملت الوجود، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة، ولذلك كان من صلاة الملائكة له ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[2]، وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو، إنّ تجاوزَ الله عن خطايا البشر يسبق اقتصاصه منهم وسخطَه عليهم، وبذلك كان أفضل الرحماء: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[3]، وما ترى في الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثرٌ من رحمة الله التي أودع جزءًا منها في قلوب الخلائق، فأرَقُّ الناسِ أفئدة أوفرهم نصيبًا من هذه الرحمة"[4].

وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الله وسعة رحمته إذ أنه يعتق في هذا اليوم أهل الموقف، ومعلوم أنه ينبغي للعباد أن يقتدوا بالله سبحانه فيما يصلح لهم ويناسب من الاقتداء به في صفاته كالرحمة ونحوها، ومما يدل على الاقتداء قوله في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا))[5].

فكما نقتدي بربنا جل وعلا في الابتعاد عن الظلم وتحريمه على أنفسنا، نقتدي به كذلك فيما يصلح لنا كعبيد فنرحم بعضنا بعضًا، فإذا كان الله يرحم عباده، وليس

---

(١) أخرجه البخاري٦٤٦٧ واللفظ له، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) سورة غافر، آية: ٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ١١٨.

(٤) خلق المسلم ص ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

في حاجة إليهم كما يصنع في يوم عرفة ويغفر لهم منة منه وكرمًا، فلماذا لا نرحم بعضنا بعضًا، وحاجاتنا لبعضنا معلومة؟ ولماذا لا نتغافر ونتسامح؟ والتعايش بين البشر والتمدن في الناس لا يستقيم إلا بالأخلاق الكريمة التي منها التراحم والتسامح.

كذلك فإن من فضل الله ولطفه بعباده دنوه منهم وهم في الموقف بعرفات، وهو دنو يليق بجلاله سبحانه، وهذا الدنو مع صمديته سبحانه وغناه عن خلقه يدل على مبلغ عناية الله بعباده ورعايته لهم، وعلمه بشدة حاجتهم إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

ويستفيد من ذلك من وفقّه الله للخير فيعتني بمن يحتاجون إلى عنايته ورعايته، ويتواضع لهم، ويتبسط معهم، ويتفقدهم مهما ارتفعت منزلته وعلَتْ مكانته، لأنه مهما بلغ شأنه فهو لا زال مخلوقًا وعبدًا، وما زاد الله عبدًا بتواضعه إلا عزًا.

ومن تكريم الله لعباده من الجن والإنس أنه يشكر لهم طاعتهم وصبرهم عليها وتحملهم من أجلها ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

بل إنه سبحانه يباهي بهم الملائكة؛ لأن الجن والإنس المسلمين رغم تناوش الأهواء والنزوات لهم جاهدوا أنفسهم وأقبلوا من كل فج عميق حتى جمعهم موقف عرفات، وهذا نوع امتياز لهم، لأن الملائكة وإن كانوا لا يعتريهم أدنى فتور من العبادة إلا أنهم خلقوا معصومين خالين من الأهواء والنزوات.

وشُكر الله لعباده طاعتهم ومباهاته بها فيه تعليم لعباده خلق الشكر وهو من مكارم الأخلاق، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس، كما في الحديث، ومن تخلق بخلق الشكر، شكر خالقه على نعمه التي لا تحصى، وشكر الناس على ما يُسْدُون إليه من المعروف.

ثالثًا - من مهام الداعية: بيان وإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث أرشد النبي ﷺ المسلمين إلى فضل يوم عرفة

---

(١) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٠.

وما فيه من مغفرة ورحمة وعتق، لكي يغتنم المسلمون هذا اليوم بالطاعة والإنابة، ومن هنا فإنه من أول مهام الداعية أن يرشد إلى الخير والنفع للمدعوين ويدل عليه كما قال تعالى عن الرسول الكريم ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وجاء في الحديث الشريف عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[2].

قال النووي: "وقوله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله، أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء"[3].

إن من أبرز ما يخرج به الحجيج من حجّهم غفران ذنوبهم من الصغائر والكبائر كما مرّ معنا من قبل، وأعظم يوم يجري فيه الغفران هو يوم عرفة؛ لأنه يوم العتق الأكبر من النار كما هو منطوق الحديث.

وهذا الغفران معناه إلقاء الأدناس والأوزار والأثقال عن كاهل الحاج، فيخرج الحاج من هذه العبادة العظيمة نقيًا نظيفًا خفيفًا، وهذا النقاء، وهذه النظافة وتلك الخفة تعيد إلى القلب سلامته، وإلى النفس اتزانها وإلى الفطرة صفاءها.

ويولد الحجاج بالحج ولادة من جديد..! وإذا كانت التربية تعني التعديلات السلوكية الإيجابية، فإن الحج أعظم من ذلك، وأكبر من أن يكون تربية فحسب. إنه ولادة واستئناف حياة جديدة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((من حجَّ فلمَ يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَع كيومَ ولدَتْهُ أمُّه))[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ص ١٢١٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٨١٩، ومسلم ١٣٥٠.

وعندما ينطلق الحُجّاجُ بعد موسم الحج بنفوس جديدة، فإن كل واحد منهم يحرص على أن يحافظ على نفسه وعلى حياته الجديدة ونقائها وصفائها بما أوتي من قدرة، ويحرص على ألا يتلوث بالذنوب من جديد وألا تأسره الأوزار، ولهذا أثره على الشخص نفسه، إذ إنه مع مرور الأيام، ومع وجود هذا الحرص، ومع مواصلة أداء العبادات، يزداد سموًا وارتقاء وطهارة، وإذا هفا هفوة أو هفوات بادر لتصحيح الوضع وغسل نفسه منها بالتوبة النصوح أو بحج جديد، لينطلق نحو المزيد من جديد.. حياة جديدة متجددة لها أثرها كذلك على أسرة الشخص وقرابته، التي تجد عنده الوفاء بالأمانة والقيام بالمسؤولية والقدوة بالسلوك، والتأثر بالتطبيق السليم.

وإذا خاض صاحب هذه الحياة الجديدة غمار الحياة في المجتمع، فإنه يكون للمجتمع نبراسًا ومقياسًا، يدعو بفعله كما يدعو بلسانه، ويُصلح بحاله كما يصلح بمقاله... حياته الوليدة الجديدة مشروعٌ فعال متنقلٌ في المجتمع، هذا يقتبس منه خُلقًا، وذلك يلتمس منه صفة، وآخر يقتدي به في أسلوب أو سلوك أو عبادة.

وإذا وجد الناس أثر الحج على هذه النحو، اشتاقوا للذهاب إلى الحج، لكي يولدوا من جديد، ولكي يستأنفوا حياة جديدة، تزدهر فيها القيم والأخلاق وحسن التعامل مع الخالق والمخلوقين، وبذلك تتجدد مجتمعات المسلمين.. أعمار جديدة وطاقات رشيدة مديدة.. وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت، ولا أخلاق إذا لم تكن منبثقة من العبودية للخالق العظيم سبحانه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

الحديث رقم (١٢٨٠)

١٢٨٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ[1] حَجَّةً - أَوْ حَجَّةً مَعِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

تَعْدِل: أي تماثل[3].

الشرح الأدبي

يقوم الحديث علي الأسلوب الخبري، وفيه بشارة من الرسول ﷺ لمن يقوم بأداء عمرة في شهر "رمضان"، لأن ثواب العمل فيه يضاعف، فالفريضة فيه تساوي سبعين فريضة فيما سواه، والنافلة فيه تعدل ثواب الفريضة فيما سواه. ومن فضل الله علي المؤمنين أن يجعل العمل اليسير ثوابه كبيرا كهذه النافلة "العمرة" التي جاءت في الحديث بصيغة المفرد، فعمرة واحدة ثوابها يعدل ثواب الحج في غير رمضان. وفي الحديث إيجاز بالحذف تقديره: (أداء عمرة في رمضان. ..) أو (القيام بعمرة في رمضان) والفعل المضارع: "تعدل" يوحي بعظمة فضل الله، لأنه يدل علي الاستمرار، والتجدد. والمعية الكائنة في قوله: "حجة معي" تؤكد حقيقة الجزاء المذكور، وأنه ليس على سبيل المبالغة كما تحقق الترغيب في هذا العمل الجليل، الذي يتقرب به صاحبه إلي الله تعالي. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

---

(١) لفظهما: (تقضي)، وعند مسلم برقم (١٢٥٦/٢٢١): (تعدل حجة) فقط، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٣)، ومسلم (١٢٥٦/٢٢٢). ولفظهما سواء، إلا قوله: (تعدل) فإنه عندهما بلفظ: (تقضي). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٦٨٥).

(٣) دليل الفالحين ١٣٨٦.

فضل العمرة في رمضان: يشير الحديث إلى العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفريضة للإجماع على أن الاعتماد لا يجزئ عن جمع الفريضة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العمرة في رمضان.

ثانيًا: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للحقائق.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من آداب المدعو: طلب معالي الأمور في العبادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان فضل العمرة في رمضان:

حيث جاء في الحديث: (عمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي)، قال النووي: "أي: تقوم مقامها في الثواب لا أنها تعدلها في كل شيء فإنه لو كان عليه حجة فاعتمر في رمضان لا تجزئه عن الحجة"[٢].

وقال الطيبي: "وقوله: (تعدل حجة)، أي: تقابل وتماثل في الثواب، لأن الثواب يفضل بفضيلة الوقت، وهذا من باب المبالغة، وإلحاق الناقص بالكامل ترغيبًا وبعثًا عليه، وإلا كيف يعدل ثواب العمرة ثواب الحج؟"[٣].

إن هذا الحديث فيه بيان فضيلة العمرة في رمضان، وأنها تعدل فضيلة حَجّة، بل فضيلة حجة مع الرسول ﷺ، وذلك لأنه اجتمعت فضيلة العمرة، مع فضيلة الزمن وهو رمضان، فحصل من مجموعهما الفضيلة المذكورة.

وليس معنى ذلك أن العمرة في رمضان تجزئ عن فريضة الحج، أو عن نذر الحج، بل إنها تعدله في الأجر فقط، وأما الفريضة أو النذر فلا بد فيهما من الأداء.

---

(١) فتح الباري ٧٣٨/٣، شرح صحيح مسلم ٢/٩، المغني ٩١/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧٩٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٩/٥.

قال ابن حجر: "قال ابن خزيمة: في هذا الحديث أن الشيء يشبه الشيء ويُجعَل عِدْله إذا أشبهه في بعض المعاني لا جميعها، لأن العمرة لا يُقضَى بها فرض الحج ولا النذر، ثم قال ابن حجر: فالحاصل أن العمرة في رمضان تعدل الحجة في الثواب، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض، للإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض، ونقل الترمذي عن إسحاق بن راهويه أن معنى الحديث نظير ما جاء أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] تعدل ثلث القرآن - يعني في الأجر، لا أنها تجزئ قراءتها ثلاث مرات عن قراءة جميع القرآن - وقال ابن العربي: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها، وقال ابن الجوزي: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وبخلوص القصد، ثم ذكر ابن حجر أن هناك من يقول: بأن فضيلة العمرة في رمضان خاصة بالمرأة صاحبة القصة في الحديث، ولكن ابن حجر ردّ ذلك، وذكر أن الظاهر حمله على العموم. ثم أجاب ابن حجر على السؤال: لماذا لم يعتمر الرسول ﷺ في رمضان مع حصول هذه الفضيلة للعمرة في رمضان؟ فقال: لم يعتمر النبي ﷺ إلا في أشهر الحج، وقد ثبت فضل العمرة في رمضان بحديث الباب، فأيهما أفضل؟ الذي يظهر أن العمرة في رمضان لغير النبي ﷺ أفضل، وأما في حقه فما صنعه هو أفضل؛ لأن فعله لبيان جواز ما كان أهل الجاهلية يمنعونه (لأنهم كانوا يمنعون العمرة في أشهر الحج)[2].

ثم نقل ابن حجر عن ابن القيم في زاد المعاد قوله: يحتمل أنه ﷺ كان يشتغل في رمضان من العبادة بما هو أهم من العمرة، وخشي من المشقة على أمته إذ لو اعتمر في رمضان لبادروا إلى ذلك مع ما هم عليه من المشقة في الجمع بين العمرة والصوم، وقد كان يترك العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يفرض على أمته وخوفًا من المشقة عليهم"[3].

---

(١) سورة الإخلاص، آية: ١.

(٢) فتح الباري ٣/٦٠٤ - ٦٠٥.

(٣) المرجع السابق ٣/٧٠٧.

ورمضان شهر العبادات المتعددة، فبالإضافة إلى أنه شهر الصيام فهو كذلك شهر الصلاة والقيام، وشهر الإنفاق والكرم، ويجعله كثير من الناس من أَجْل ذلك شهرَ أداء الزكاة، إضافة إلى أن زكاة الفطر تؤدَّى في آخره، وقد خرج الرسول ﷺ للجهاد فيه مع أصحابه رضي الله عنهم كما في بدر وفي فتح مكة، وهو شهر الذكر وقراءة القرآن، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس الرسول ﷺ القرآن في رمضان.. إلخ العبادات التي في رمضان.

ومن هذه العبادات زيارة بيت الله الحرام في هذا الشهر لأداء العمرة.. وكم تترك العمرة من آثار عظيمة بسبب بركة البيت الحرام، والبلد الحرام، والسفر في طاعة الله، والإنفاق في عبادته، ومخالطة سائر المسلمين، ومنهم أولئك الذين يؤدون هذه العبادة، والاكتساب منهم ولا سيما من كانوا من العلماء والدعاة، وغير ذلك من مجالات الخير التي تفتحها العمرة فيستفيدها المسلم من خالقه وكذلك من إخوانه.

ولأهمية إضافة العمرة إلى قائمة العبادات في رمضان فقد تميزت من دون عبادات أخرى بمكانة رفيعة؛ إذ إنها ترتقي في المثوبة والأجر إلى أن تكون في مستوى حَجّة، وليست حَجَّة معتادة، ولكن حَجّة فريدة.. حَجّة مع سيد البشر وإمام الأنبياء، مع رسول الله ﷺ.

إن فائدة العبادات في الجملة كما هو معلوم هو تحصيل المسلم للتقوى منها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، أي أن العبادة تربية للمسلم وتزكية له.

ومن أبرز ما تحدثه هذه التربية والتزكية بعد حسن الصلة والتعامل مع الله، حسن التعامل مع الخلق، وهو ما يعبر عنه بالأخلاق الكريمة.

وإن تشجيع الإسلام وحثه على تكثيف العبادات في هذا الموسم العظيم - شهر رمضان - ومن ذلك حثه وتشجيعه على العمرة فيه، يعني فيما يعني تقوية العلاقة مع

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

الله، وكذلك تقوية العلاقة مع الناس، بسبب ما تصنعه العبادات المكثفة في المواسم المباركة من سلوكيات راقية يُكتب لها الدوام وتصل في النهاية إلى بناء المجتمع المثالي الراقي، ويكفي أن رمضان شهر الامتناع عما لا يليق به كالرفث والصخب والجهل فضلاً عن المحرمات، فإذا أضيف إلى ذلك أن ذلك أيضًا ممنوع في العمرة التي هي أخت الحج، كانت الضوابط والكوابح والموانع مضاعفة في سبيل إعادة صناعة الأخلاق.

ثانيًا - من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للحقائق:

يتضح هذا من سياق الحديث، حيث بيّن النبي ﷺ أن العمرة في رمضان تعدل حجة، وهذا من أهم واجبات الداعية بيان وإيضاح الحقائق للمدعوين لأن مهمة الداعية الأولى هي البلاغ والبيان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال السعدي: "والمراد بالذكر: القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، وقوله: (لتبين للناس ما نزل إليهم)، هذا شامل لتبين ألفاظه وتبين معانيه وأرشد إلى التفكر فيه لاستخراج كنوزه وعلومه"[3].

ومن نصوص القرآن الكريم التي تبين أهمية البلاغ والبيان قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[4]، وقال جلّ شأنه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٣٩٤.

(٤) سورة الشورى، آية: ٤٨.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٥.

تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[١]، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٢]، وكل هذه النصوص تدلل على أهمية وضرورة البلاغ والبيان للمدعوين.

"إن الوظيفة الأساسية للرسل عليهم السلام ليست إعمار الأرض ولا توفير الرفاهية للناس أو إطعام الفقراء، وإنما تبليغ الرسالة التي حملهم الله تعالى إياها، والأنبياء وخلفاؤهم من الدعاة إذ يقومون بـ (البلاغ المبين) يكونون قد قاموا بالعمل الأساسي الذي تَبْرأ به الذمة أمام الله والبلاغ المبين يُعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم، وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية، ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا، ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية"[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (أن العمرة في رمضان تعدل حجة)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحفز المدعو إلى فعل الخير والمداومة عليه، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها، ونور الحق يدفئها"[٤].

ومن صور استعمال القرآن لهذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٥].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٤) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٥) سورة النبأ، آية: ٣١.

ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾[1].

رابعًا - من آداب المدعو: طلب معالي الأمور في العبادة:

ويتضح هذا من مضمون الحديث حيث إن عصر الرسول ﷺ هو أفضل العصور، وأصحابه رضي الله عنهم الذين عاشوا معه وتربوا على يديه، هم أكرم جيل، وأفضل قبيل، سواء في هذه الأمة أم في سواها، وهم أول من خوطب بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

والأمة تتطلع إلى ذلك العصر، وإلى ذلك الجيل بكل إجلال وتعظيم من أجل الاقتباس والاتباع والاقتداء، ويودّ المسلم لو أنه رأى النبي ﷺ، وعاش معه ولو يسيرًا حتى يشبع شيئًا من مشاعره الفياضة، والجاذبية التي لا تقاوم نحو ذلك العصر وذلك الجيل.

وتترسخ الأمنية ويتضاعف الودّ، إلى أن يتحول ذلك إلى عزم أكيد في إصلاح الواقع ومحاولة التشبه بالرعيل الأول، إلى أن يترك ذلك بصمات تربوية منتشرة هنا وهناك تتمثل منهج السلف الصالح وتدعو إليه.

وهذا العصر الفريد - عصر النبي ﷺ وصحبه رضي الله عنهم - مليء بنماذج الرجال ونماذج الأفعال، ونماذج الأقوال، ولا تحتاج الأمة إلى أن تستورد وعندها هذا الثراء والغنى، بل إنها أكثر من مكتفية، وعندها ما تُصدِّره إلى العالمين، ولا يصدق ذلك على عصر لاحق دون عصر، ولا على مِصْرٍ دون مِصْر، بل إن اللاحقين عمومًا إذا عملوا بأعمال السابقين لهم نصيبهم من ذلك الخير الذي لا يتخلف عنهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ٢٢ - ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1].

إن الفضل الذي ادّخره الإسلام للاحقين والمتأخرين بالإضافة إلى اقتدائهم بالسلف وعلى رأسهم النبي ﷺ وأهل قرنه، يكون بمثل العمل على إحياء السنن في أزمان الغربة، بحيث يكون للمحتسب الصابر على ذلك كأجر عشرات من السلف كما في الأحاديث، ولعل المقصود بذلك الأجر الفردي دون شرف الصحبة.

ويكون أيضًا بمجاهدة النفس على الطاعة لله تعالى والرسول ﷺ، وبهذه المجاهدة الجادة يلحق من فاتته المرافقة وشرف الصحبة في الدنيا بالمرافقة والصحبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾[2]، ومعنى ذلك أنه يعيش في الدنيا ما يتصوره من خلال النقل والرواية أنه أخلاق وسلوكيات الصحبة، يعيشه في دعوته ومجتمعه وأسرته لكي يكافأ على ذلك في الآخرة، برفقةٍ وصحبةٍ حقيقيةٍ تكون تنعمًا لا تكاليف.

كما أن مثل هذا الحديث الذي نحن بصدده والذي يجعل عمرة في رمضان تعدل حجة مع النبي ﷺ، مثل هذا الحديث يحلّق بأصحاب الهمم فيرفعهم من واقعهم إلى مستوى صحبة النبي ﷺ خلال أداء العبادة، ويجتاز بهم حواجز الزمان.

وكم يترك ذلك من إيجابيات تربوية ودعوية واجتماعية ونفسية، عند تلك الأفواج المشتاقة، التي تؤم البيت العتيق في رمضان للعمرة من كل أقطار المعمورة، وذلك في كل عام، وكم يترك ذلك من إيجابيات في محيطاتهم الواسعة. هذا بالإضافة إلى ما يتركه المُجدُّون المُحْيون للسنة عند الغربة، وما يتركه أهل المجاهدة الجادة في الطاعة، وما يتركه المقتدون بشكل عام.

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٢ - ٤.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩ - ٧٠.

الحديث رقم (١٢٨١)

١٢٨١- وعنه: أنَّ امرأة قالت: يَا رسول الله، إنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ، أدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لاَ يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أفَأحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لا يثبت على راحلة: لا يستطيع أن يستقر على الراحلة لضعفه الناشىء عن كبر سنّه[2]، والراحلة: الناقة أو البعير الصالح للسفر[3].

الشرح الأدبي

نلاحظ أن هذا الاستيضاح جاء علي لسان امرأة، وهذا يوحي بأن النساء أكثر عاطفة، وإشفاقا، وحنوا علي الوالدين – في غالب الأحوال – ويوحي هذا الموقف أيضا أن هذه المرأة ذات دين ، وتحب لوالدها الخير كل الخير،وترجو أن يتم أبوها أركان دينه، إلا أن الشيخوخة تمنعه من أن يقوم بأعمال الحج، أو السفر إلي تلك الأماكن الطاهرة. والاستفهام في قولها: " أفأحج عنه ؟ " حقيقي تريد منه فهم المسألة، ومعرفة الحكم الذي يترتب عليه عملها، والفعل المضارع: " أحج " يشير إلى أن هذه الصورة ليست خاصة بتلك المرأة فقط، ولكنها مستمرة في كل حالة مشابهة لها، ومتجددة، وهذا يوحي بأن الله تعالي يريد بعباده الخير، ويفتح لهم باب الحسنات لمن للوالدين بعد موتهما ببر أبنائهم، وهو ما يرغب بدوره في إنجاب الذرية الصالحة، وتعطي فرصة لمن قصَّر في حق والديه أن يبرهما بما نقصها من الفرائض، أو الإكثار عليهما من الصدقة. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥١٣) واللفظ له، ومسلم (١٣٣٤/٤٠٧).

(٢) المعجم الوسيط في (ث ب ت)، وفتح الباري ٨٢/٤.

(٣) الوسيط في (ر ح ل).

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم الحج عن الغير: في الحديث دليل على أنه يجزئ الحج عن المكلف، إذا كان ميئوسًا منه القدرة على الحج بنفسه، مثل الشيخوخة فإنه ميئوس زوالها، وأما إذا كان عدم القدرة لأجل مرض أو جنون يرجى برؤهما فلا يصح[١].

٢ - أن الاستطاعة تكون بالغير كما تكون بالنفس[٢].

٣ - حكم سماع صوت المرأة: يدل الحديث على جواز سماع كلام المرأة وسماع صوتها للأجانب عند الضرورة كالاستفتاء عن العلم، والترافع في الحكم والمعاملة[٣].

٤ - إحرام المرأة: يدل الحديث على أن إحرام المرأة يكون في وجهها، فيجوز لها كشفه في الإحرام[٤].

٥ - في الحديث جواز النيابة في السؤال عن العلم حتى من المرأة عن الرجل[٥].

٦ - حكم العمرة: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية في ظاهر الرواية، والمالكية، والشافعية في مقابل الأظهر، والحنابلة في رواية، وابن مسعود، وأبو ثور) إلى القول بأن العمرة سنة مؤكدة[٦]. واستدلوا على ذلك بما روي عن طلحة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول "الحج جهاد والعمرة تطوع". ولأنه نسك غير مؤقت فلم يكن واجبًا كالطواف[٧].

---

(١) سبل السلام ٣١٣/٢، فتح الباري ٨٥/٤، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٦٥/٣، نيل الأوطار ٢٨٠/٤.

(٢) مغني المحتاج ٢١٨/٢، فتح الباري ٨٥/٤.

(٣) فتح الباري ٨٦/٤.

(٤) الجوهرة النيرة ١٥٢/١، مغني المحتاج ٢٣٦/٢-٢٣٧، فتح الباري ٨٦/٤.

(٥) فتح الباري ٨٦/٤.

(٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٦/٢، حاشية رد المحتار ٤٧٢/٢، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٨٣/٢، مواهب الجليل ٤٦٦/٢، ٤٦٧، مغني المحتاج ٢٠٧/٢، المغني ٨٦/٣، سبل السلام ٣١٠/٢، نيل الأوطار ٢٨١/٤.

(٧) المغني ٨٩/٣.

وذهب الشافعية في الأظهر، والحنفية في قول، والحنابلة في رواية، وعمر، وابن عباس، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، والحسن، وابن سيرين، والشعبي، والثوري، وإسحاق إلى القول بأن العمرة واجبة[1]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾[2] ومقتضى الأمر للوجوب ثم عطفها على الحج، والأصل التساوي بين المعطوف والمعطوف عليه[3].

ويناقش هذا بأن الآية لا دلالة فيها على فرضية العمرة لأنها قرئت برفع العمرة "والعُمْرَةُ لله". وأنه كلام تام بنفسه غير معطوف على الأمر بالحج، أخبر أن العمرة لله ردًا لزعم الكفرة لأنهم كانوا يجعلون العمرة للأصنام على ما كانت عبادتهم من الإشراك، وأما على قراءة العامة فلا حجة فيها أيضًا لأن فيها أمرًا بإتمام العمرة وإتمام الشيء يكون بعد الشروع فيه[4].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بسنية العمرة.

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية.

ثانيًا: من خصائص الدعوة: السماحة واليسر والبعد عن المشقة.

ثالثًا: من فقه الداعية: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر.

---

(١) مغني المحتاج ٢/٢٠٧، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/٢٢٦، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢/٨٣، المغني ٣/٨٩، سبل السلام ٢/٣١٠، نيل الأوطار ٤/٢٨١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٦.

(٣) المغني ٣/٨٩.

(٤) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢/٢٢٦.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٨١ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٨٢.

خامسًا: من آداب المدعو: مراعاة حقوق الوالدين والعناية بهما.

أولاً - من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية:

حيث جاء في الحديث: (أدركت أبي شيخًا كبيرا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟)، ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو السؤال والاستفسار عن الأحكام الشرعية التي يجهلها حتى لا يقع في محظور شرعي وقد أمر الله تعالى بالسؤال، فقال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، قال السعدي: "وهذه الآية وإن كانت في سبب خاص بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه"[2].

وقد استنكر النبي ﷺ على من ترك السؤال ففي قصة المجروح الذي اغتسل فمات، قال عن الذين أفتوه من غير أن يسألوا: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[3].

ولما كان الحج أحد أركان الإسلام وفرائضه كما هو معلوم، وجب السؤال عنه وعن أحكامه وما يتعلق به لأهميته، قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[4]: "هذه آية وجوب الحج عند الجمهور، وقد وردت الأحاديث المتعددة بأنه أحد أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًا، وإنما يجب على المكلف في العمرة مرة واحدة بالنص والإجماع".

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

ثم قال ابن كثير: "وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، حدثني عبدالرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ((من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديًا مات أو نصرانيًا)) وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه"[1].

وقال القرطبي عقب قول عمر ونحوه: "هذا خرج مخرج التغليظ؛ ولهذا قال علماؤنا [يعني المالكية]: تضمّنت الآية أن من مات ولم يحج وهو قادر فالوعيد يتوجّه عليه، ولا يجزىء أن يحجّ عنه غيره، لأن حج الغير لو أسقط عنه الفرض لسقط عنه الوعيد. والله أعلم"[2]. ولهذا يرى المالكية أنه لا يصح الحج عن الميت إلا إذا أوصى.

قال ابن تيمية: "إن الاستسلام لله لا يتم إلا بالإقرار بما لَهُ على عباده من حج البيت"[3].

وفي الحديث الذي نتكلم عليه عبّرت المرأة في سؤالها للنبي ﷺ عن الحج بأنه فريضة الله على عباده، وأن هذا الأمر بدهي مقرر في العقيدة. وسؤالها يدل على أنها تعتقد أن هذه الفريضة تلزم أباها رغم ضعفه فبحثت له عن طريقة للأداء.

وقد ذكر النووي في شرح صحيح مسلم فوائد مأخوذة من هذا الحديث منها: "جواز النيابة في الحج عن العاجز الميئوس منه بهرم (أي كبر في السن) أو زمانة (أي مرض مزمن) أو موت. ومنها جواز حج المرأة عن الرجل. ومنها بر الوالدين بالقيام بمصالحهما من قضاء دين وخدمة ونفقة وحج عنهما وغير ذلك. ومنها وجوب الحج على من هو عاجز بنفسه مستطيع بغيره كولده، ثم ذكر النووي أن مذهب الجمهور ومنهم الشافعي جواز الحج عن المعضوب، وهو من حصلت به الزمانة أو الهرم أو نحوهما، وأنه على مذهبهم كذلك يجوز الحج عن الميت، عن فرضه ونذره سواء أوصى به أم لا ويجزى عنه، وأن مذهب الشافعي وغيره أن ذلك واجب في تَرِكَتِه"[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠٨/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٣٦/٤.

(٣) مجموع الفتاوى ٩٣/٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩٨/٩.

قال ابن حجر: "واستدل الكوفيون بعموم الحديث على جواز حج من لم يحج نيابة عن غيره، وخالفهم الجمهور فخصوه بمن حج عن نفسه - أي أنه لا يحج أحد عن أحد حتى يكون قد سبق له الحج عن نفسه من قبل - واستدلوا بما في السنن وصحيح ابن خزيمة وغيره من حديث ابن عباس أيضًا أن النبي ﷺ رأى رجلاً يلبي عن شبرمة فقال: (أحججت عن نفسك؟ فقال: لا. قال: هذه عن نفسك ثم احجج عن شبرمة)"[1].

وقال ابن حجر: "وادعى آخرون أن ذلك خاص بالابن يحج عن أبيه، ولا يخفى أنه جمود. ثم قال: واتفق من أجاز النيابة في الحج على أنها لا تجزئ في الفرض إلا عن موت أو عضب (زمانة أو هرم)، فلا يدخل المريض، لأنه يرجى برؤه، ولا المجنون، لأنه ترجى إفاقته، ولا المحبوس لأنه يرجى خلاصه، ولا الفقير لأنه يمكن استغناؤه، والله أعلم"[2].

وهذه الأحكام وغيُرها مأخوذة من النصوص كما هو معلوم، ومنها الحديث الذي نتكلم عليه، وقد أشار ابن حجر إلى طرق الحديث وقال: "والذي يظهر لي من مجموع هذه الطرق أن السائل رجل وكانت ابنته معه، فسألت أيضًا - هل تحج عن أبيها، وتعني جدها - والمسؤول عنه أبو الرجل وأمه جميعًا - لأن في بعض الروايات ذكر الأم..."[3].

وكأن النووي وغيره أخذ من الحديث: جواز حج المرأة بلا محرم كما هو في شرح صحيح مسلم في الموضع السابق، ولعله يقصد أنها سألت النبي ﷺ أثناء الحج ولم يكن معها محرم، أو أن الرسول ﷺ حين أجاز لها الحج عن جدها لم يُلزمها بالمحرم، ولكن من مجموع الطرق التي جمعها ابن حجر كما مرّ، تبين أن والدها وهو محرم لها كان موجودًا، كما أن سماح الرسول ﷺ لها بالحج عن جدها ليس معناه عدم الإلزام بالمحرم؛ لأن أدلة المحرم مذكورة في نصوص أخرى.

---

(١) فتح الباري ٤/٦٩.

(٢) نفس المرجع السابق ٤/٧٠.

(٣) نفس المرجع السابق ٤/٦٨.

إن المدعو يسأل ويستفسر عن الأحكام الشرعية، لأنه يعلم أنه مطالب بتنفيذها والقيام بها، والإسلام دين القيام بالتكاليف؛ لأن الدنيا لا تستقيم إلا بإصلاح النفوس وتربيتها، ولا يتحمل تبعاتها بحق وصدق إلا من هذبته العبادات، وصقلته الطاعات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، ولا يفلح في الآخرة إلا من نهض بتلك التكاليف الشرعية؛ لأن الجنة حفّت بالمكاره كما في الحديث الصحيح.

ومن أجل ذلك فإنه مطبوع في ذهن المسلم بأنه لا بد من أن يؤدي واجباته والفرائض التي عليه، وأي فريضة (عبادة) تتعسر فإن لها بدلاً وعوضًا، حتى لا يفوت على المسلم بركة هذه العبادة وآثارها النافعة له في دنياه وأخراه، فالوضوء والغسل بدلهما التيمم، والصيام عند العجز مقامه الكفارة، والحج والعمرة إذا ثبتا في الذمة يمكن فيهما النيابة وهكذا.

وإذا غفل المسلم عن شيء من ذلك، فإن الدعوة والتذكير والنصيحة من الآخرين، وفي مقدمتهم العلماء لا تنفك عنه مما يجعل المسلم في جاهزية مستمرة والتزام، وهذا يجعل المجتمع المسلم يتميز عن المجتمعات الأخرى، فبعض غير المسلمين مثلاً لا يتذكرون دينهم وتكاليفه المحدودة إلا في يوم الأحد أسبوعيًا، أو في عيد الميلاد سنويًا، أو في يوم السبت.

ولا يوجد دين كالإسلام فيه عبادات يومية وأسبوعية وشهرية وسنوية، وفي رأس العمر، ولذلك فالمجتمع المسلم مجتمع متدين ملتزم، فإذا أضيف إلى ذلك أن دين المجتمع المسلم هو الدين الحق، فقد اجتمعت أسباب الفلاح بذلك للمسلمين من كل جانب. إن الرابطة الأسرية في الأسرة المسلمة تقوم على الدين، ولذلك يتفقد كل فرد في الأسرة الأحوال الدينية لبقية الأفراد، ويقرر موقفه منهم بقدر تدينهم وعدمه أو محاربتهم للدين، وما إذا كان هذا الموقف المفاصلة أو المساعدة. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢٢.

ولذلك لا غرابة، أن يحج المرء في الإسلام ويعتمر عن أبيه أو عن أمه وعن القريب وحتى عن البعيد إذا اقتضى الحال على سبيل المثال لكي يتلافى ما عنده من عجز، وبذلك يتكامل الكيان المسلم، وتكون الرابطة الاجتماعية بشعبها الحياتية المتنوعة هي الرابطة الدينية القوية، مما يجعل المسلمين جميعًا تنظيمًا واحدًا وحزبًا واحدًا، ولذلك كان ختام الآية السابقة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ثانيًا - من خصائص الدعوة: السماحة واليسر والبعد عن المشقة:

ويتضح هذا من الحديث: (أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ قال: نعم)، وقوله: (إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، قال: حج عن أبيك واعتمر)، ولا شك أن هذا يدل على سماحة الإسلام ويسره في العبادات، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، قال ابن كثير: "أي: ما كلفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا، ومخرجًا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من حرج، أي: من ضيق ومظاهر ذلك ما ورد من الرخص والتخفيفات في سائر الفروض والواجبات"[3].

واليسر والبعد عن المشقة من أبرز خصائص الشريعة الإسلامية "إن من يتتبع أحكام الشريعة الإسلامية والنصوص التي استنبطت منها فسوف يجد لا محالة أن هذه الأحكام قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد، وأن مظاهر رفع الحرج واضحة جليلة في ابتدائها ودوامها، وأنه في كثير من الحالات يتضمن النص حكمين أحدهما: للحالة العادية، وثانيهما: لظرف طارئ يقتضي التخفيف من الحكم الأول لما يترتب على تطبيقه

---

(١) الآية السابقة نفسها.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٥.

من حرج شديد أو مشقة بالغة قد تصل إلى الهلاك، ونطاق السماحة والتيسير في شريعة الإسلام لا يقتصر على شؤون العبادات، وإنما يتسع لكل أحكام الشريعة من معاملات مدنية، وتصرفات شخصية، وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية ونحوها"[١].

وفي بيان أن الشريعة تقوم على التيسير ورفع الحرج عن العباد، قال ابن القيم: "وبناء الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد، والجهل بهذا غلط عظيم على الشريعة يوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم الدلالة وأصدقها وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة"[٢].

ثالثًا - من فقه الداعية: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم:

ويتضح هذا من سياق الحديث، ولذا كان من فقه الداعية التيسير على المدعو ورفع الحرج عنه، وبهذا أوصى النبي ﷺ معاذًا وأبا موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن فقال لهما: ((وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَيَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا))[٣]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فإنَّما بُعِثْتم مُيَسِّرِينَ، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين))[٤].

---

(١) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام ص ٨٠.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠، ٦١٢٨.

قال ابن القيم: "جمع الله عز وجل في هذه الشريعة بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل"[١].

وقال د. يوسف القرضاوي: "ومما أنصح به شباب الدعاة أن يتخلوا عن التشدد والغلو، ويلزموا جانب الاعتدال والتيسير، وخصوصًا مع عموم الناس الذين لا يطيقون ما يطيقه الخواص من أهل الورع والتقوى، ولا بأس بأن يأخذ المسلم في مسألة أو جملة مسائل بالأحوط والأسلم، ولكن إذا ترك دائمًا الأيسر أصبح الدين في النهاية مجموعة أحوطيات لا تمثل إلا الشدة والعسر، والله يريد بعباده السعة واليسر، وإذا جاز للإنسان أن يشدد على نفسه طلبًا للأكمل والأسلم فلا يجوز أن يشدد على جمهور الناس فينفرهم من دين الله من حيث لا يشعر، ولئن كان التيسير مطلوبًا في كل زمن فإنه في زماننا ألزم وأكثر تطلبًا"[٢].

إن النيابة في الحج والعمرة جائزة، وهذا من فضل الله تعالى على الناس، ومن يُسْر هذا الدين، إذْ لم يكلّف الله الناس ما يشق عليهم بأن يفرض عليهم مثلاً أداء الحج والعمرة وهم في حال المرض المزمن، أو الإعاقة الدائمة اللذين يصعب معهما الأداء.

وكذلك كانت النيابة تداركًا لما فات على الميت من الأداء، فيلحق كل من به زمانةٌ أو إعاقة، أو ذهب به الموت بإخوانه الذين منّ الله عليهم بالحج والعمرة بهذه الوسيلة التي تعني فيما تعني التعاون بين المؤمنين، وهو تعاون يشمل أمور الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[٣].

وإذا كانت النيابة جائزة من المسلم عن أخيه المسلم في أداء الحج والعمرة، وهذا ممّا يزيد الترابط بين المسلمين ويقوّي العلاقات، ويعمّق الأخوّة ومكارم الأخلاق، فإن هذه المعاني تكون أعمق وأوثق عندما تجري النيابة بين ذوي الأرحام والقرابات، فتخدم بذلك فريضة صلة الرحم، وهي فريضة أكدّ عليها الكتاب والسنة

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٥٨/١.

(٢) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص ٢١٠ - ٢١٢ بتصرف.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢.

وتكاثرت فيها النصوص، وإن من أقرب الناس إلى الشخص أبويه، وكما كانا السبب في وجوده، وكانا يتفقدانه صغيرًا في طعامه وشرابه وقيامه ومنامه وصحته ومرضه، وفي نظافته وملابسه، ويحرصان على تربيته، وتعليمه سلوكيات الحياة، ويجتهدان في تعليمه أمور الدين نظريًا وتطبيقيًا حتى ينشأ على الاستقامة، ويهتمان بإنقاذه من النار، فإنه يلزم الولد أن يحرص على أن يردّ لهما شيئًا من الجميل وهيهات. وردّ الجميل من مكارم الأخلاق، فيتفقد أحوال والديه في مختلف حاجاتهما، ويعمل على إسعادهما كما عملا على إسعاده، ومن ذلك أن يساعدهما في أداء واجباتهما الدينية.

وإذا كان شأن المؤمنين في مجتمعهم كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فكيف بشأن المؤمنين في داخل الأسرة الواحدة، ولاسيما في التعامل مع الأبوين.

فإذا عجز أحدهما عن أداء الفريضة المستقرة في الذمة كالحج والعمرة، فلابد أن ينهض الابن أو البنت بعبء المساعدة والنيابة، ومثل ذلك يقال في سائر الفرائض فتكون المساعدة في الوضوء أو في التيمم، أو في التهيئة للصلاة، أو في الكفارة عن الصيام، أو في حساب الأموال وإخراج الزكاة وهذا من صُلْب البر بالوالدين والإحسان إليهما، ولا يتخلف عن ذلك أي مسلم عنده التزام بخلق ودين.

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والأمر:

١ - **السؤال والجواب:** حيث جاء في الحديث: (أفأحج عنه؟ قال: نعم) وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتفتح مجالاً للمدعو للاستفسار عما يجهل ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

٢- **الأمر:** حيث جاء في الحديث: (حج عن أبيك واعتمر)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾(١).

خامسًا - من آداب المدعو: مراعاة حقوق الوالدين والعناية بهما:

إن أعظم حق على العبد هو حق الله تعالى الذي أوجده من عدم، وأنعم عليه بكل النعم، ومن أبرز الحقوق التي تأتي بعد ذلك حق الوالدين؛ لأنهما السبب في وجود الشخص بتقدير الله تبارك وتعالى، وهما اللذان تولّيا تربيته صغيرًا حتى بلغ سنّ الاعتماد على نفسه، وما أصعب التربية وأثقلها! وما أتعب تنشئة الأطفال ورعايتهم وحمايتهم! وبسبب ذلك قضى إلهنا الحكيم سبحانه بالإحسان إليهما بعد أن قضى بإفراده بالعبادة، وأمر بالمبالغة في حسن الخلق معهما، قال جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾(٢).

وطاعة الوالدين في المعروف طاعة لله تعالى، بل إن رضا الله في رضاهما وسخطه في سخطهما.

وعقوق الوالدين من الكبائر ومن أقبح الذنوب، ولذلك كان من الذنوب التي يعجل الله عقوبتها في الدنيا.

ومراعاة الوالدين والتلطف لهما واجبة حتى لو كانا كافرين، ولا طاعة للوالدين إذا أمرا بمعصية أو أمرا بالكفر، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٥.

ولاشك أن من الإحسان إلى الوالدين مساعدتهما في حال الضعف في أداء الفرائض، ومن ذلك الحج، وكذلك العمرة على قول من يرى فرضيتها فيقوم الولد ذكرًا أو أنثى بتلك المساعدة أثناء أداء المناسك، أو ينوب عن الوالد إذا كان يعجز عن الانتقال والسفر.

وإن أولى الناس بحسن التعامل والبر والخلُق هم الأقربون، وفي مقدمتهم الأب وأبوه وإن علا، الأم وإن علتْ، وهذه المرأة من هذا المنطلق سألت الرسول ﷺ مبينةً استعدادها للنيابة عن أبيها -الجد- في أداء فريضة الحج إن كان ذلك مأذونًا به شرعًا.

والنيابة في العبادة هي عبادة، والأصل أنه لا ينظر إليها نظرة مادية، سواء أكانت نيابة عن أحد الأقارب أم عن شخص ليس من الأقارب.

والنائب يأخذ ما يكفيه من النفقة دون نظر إلى الكسب، قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى: "والمنصوص عن أحمد أنه قال: لا أعرف في السلف من كان يعمل هذا - أي يتكسّب بالحج - وعدّه بدعةً وكرهه ... ولم يكره إلا الإجارة والجعالة - يعني أن يقصد ذلك في الحج - ثم يقول ابن تيمية: قلت: حقيقة الأمر في ذلك أن الحاج يستحب له ذلك إذا كان مقصوده أحد شيئين: الإحسان على المحجوج عنه، أو نفس الحج لنفسه ... فإذا كان مقصود الحاج قضاء الدين الواجب عن الشخص، فهذا محسن إليه، والله يحب المحسنين فيكون مستحبًا، وهذا غالبًا إنما يكون لسبب يبعثه على الإحسان إليه، مثل رحم بينهما، أو مودّةٍ أو صداقة أو إحسان له عليه يجزيه به، ويأخذ من المال ما يستعين به على أداء الحج عنه، وعلامة ذلك أن يطلب مقدار كفاية حجه، ولهذا جوّزنا نفقة الحج بلا نزاع، وكذلك لو وصّى -الشخص- بحجة مستحبة، وأحب إيصال ثوابها إليه.

والموضع الثاني: إذا كان الرجل مؤثرًا أن يحج محبةً للحج وشوقًا إلى المشاعر وهو عاجز فيستعين بالمال ... وهذا قد يعطي المال ليحج به لا عن أحد كما يعطي المجاهد المال ليغزو به، فلا شبهة فيه، فيكون لهذا أجر الحج ببدنه، ولهذا أجر الحج بماله كما في الجهاد، فإنه من جهّز غازيًا فقد غزا ... فهاتان صورتان مستحبتان وهما

الجائزتان من أن يأخذ نفقة الحج ويرد الفضل - يعني ويُرد الزيادة - أما إذا كان قصده الاكتساب بذلك ... فهذه صورة الإجارة والجعالة، والصواب أن هذا لا يستحب، وإن قيل بجوازه، لأن العمل المعمول للدنيا ليس بعمل صالح في نفسه إذا لم يقصد به إلا المال، فيكون من نوع المباحات، ومن أراد الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة من خلاق"[1].

إن الشخص في المجتمع المسلم يتربى منذ نعومة أظفاره على احترام الكبير وتوقيره وتقديمه، وتوفير حاجاته، ومعاونته فيما لا يستطيع القيام به، ويتم ذلك برحابة صدر وسرور، وينظر الشباب وصغار السن إلى ذلك أنه جزء من واجبهم، وبعضٌ من أدبهم وثقافتهم، وقاعدة هامة من قواعد أخلاقهم قال ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيوقِّرْ كَبِيرَنَا))[2].

ونجد في حديث: (إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا) نموذجًا لاهتمام الابن بأبيه، والبنت بجدّها؛ إذْ إنه من مجموع الروايات التي جَمعها ابن حجر كما مرّ ظهر أن الابن سأل عن إمكان نيابته عن أبيه في الحج لم ينس كذلك أن يسأل عن نيابته عن أمه .

إنها تربيةُ الإسلام وصياغته للنفوس، وتكوينه للأخلاق، وتنسيقه للأقوال حتى تكون معبّرة تعبيرًا صادقًا عن الأفعال، فالرجل وابنته ما سألاَ إلا للتطبيق .

وأين هذا من حضارة الغرب الزائفة التي لا أخلاق لها، وليس لها خَلاقٌ من القيم، لا يكاد الأب عندهم يطمئن إلى أن الابن الذي ينتسب إليه هو ابنه، والابن لا يعرف حق أبيه ولا حق أمه، بل قد يشك في الأبوّة، ولذلك يذهب كلٌّ منهم في سبيله ووراء حاجاته ومتطلباته في الحياة، أسرٌ مفكّكة وقيَمٌ غائبة، إذا كبر الأب في السن، أو كبرت الأم فليس أمامهما سوى ملجأ العجزة؛ لا يجدان من يتحنّن عليهما أو يعطف على شيخوختهما أو يؤنسهما، أو يتلمّس رغباتهما، فضْلاً عن أن يهتم

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/٢٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩١٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٥).

بواجباتهما الدينية كما هو الحال عندنا في الإسلام، وكما يدل على ذلك الحديث الوارد هنا بالذات.

إن مجتمعًا تتفكّك فيه الأسرة لَحَرِيٌّ أن يتفكّك كيانه، ولذلك كان للعلاقات الأسرية المتينة لدى المسلمين آثارٌ بنائية اجتماعية متينة على مستوى المجتمع ثم على مستوى الأمة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ))[2].

وإذا كان الغرب يدعو إلى حضارته تشدُّقًا ودعاوى، فإن المسلمين يدعون بالواقع قبل النظرية، وبالأفعال والأقوال معًا ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[3].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

الحديث رقم (١٢٨٢)

١٢٨٢- وعن لقيط بن عامر رضي الله عنه: أنَّه أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: إنَّ أَبي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لاَ يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلاَ العُمْرَةَ، وَلاَ الظَّعَنَ؟ قَالَ: ((حُجَّ عَنْ أبيكَ وَاعْتَمِرْ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

لقيط بن عامر: هو لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر العامري أبو رَزين العقيلي، أوفده قومه إلى رسول الله ﷺ.

وهناك خلاف بين المحدثين: هو لقيط بن صَبِرة المتقدم ذكره في الحديث (١٢٥١) أم غيره؟

ذهب جماعة منهم -كالبخاري- إلى أنه لقيط بن صَبِرة. وذهب آخرون -منهم مسلم بن الحجاج- إلى أنه غيره.

ورجح الحافظ ابن حجر أنهما اثنان وقال: لأن لقيط بن عامر معروف بكنيته ولقيط بن صبرة لم يذكر كنيته... والرواة عن أبي رزين جماعة ولقيط بن صبرة لا يعرف له راوٍ إلا ابنه عاصم. وإنما قوّى كونهما واحدًا عند من جزم به؛ لأنه وقع في صفة كل واحد منهما أنه وافد بني المنتفق، وليس بواضح، لأنه يحتمل أنه يكون كلٌّ منهما كان رأسًا ا. هـ.

وكان رجلاً يحسن السؤال، فقد رُوي أن النبي ﷺ كان يكره المسائل، فإذا سأله أبو رزين أعجبته مسألته[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٠)، والترمذي (٩٣٠) واللفظ له. وصحّحه ابن خُزيمة (٣٠٤٠)، وابن حبان (الإحسان ٣٩٩١)، وقال الحاكم (٤٨١/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال البيهقي في معرفة السنن والآثار (٥٧/٧، ف٩٢٨٥): وقد روينا عن أحمد بن حنبل أنه قال: لا أعلم في إيجاب العمرة حديثًا أجود من هذا، ولا أصحَّ منه.

(٢) الطبقات (٥١٨/٥)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٩١/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٤٣، ١١٤٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٨٢/٦)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤٧٩/٣).

ومن ذلك ما ورد في الحديث أنه سأل النبي ﷺ عن كثير من أمور الغيب ويوم القيامة. وفيه أن الرسول ﷺ شهد لقومه بالتقوى، فقال رسول الله ﷺ: إن هذين لعمر إلهك من أتقى الناس في الأولى والآخرة. فقال له كعب بن الخُدَارية أحد بني بكر بن كلاب: من هم يا رسول الله؟ قال: بنو المنتفق أهل ذلك[1].

غريب الألفاظ:

الظعن: السفر[2].

الشرح الأدبي

لقد أكد الراوي أن أباه لا يستطيع الحج، ولا العمرة، ولا الظعن (أي السفر) في المقدمة التي ساقها بين يدي سؤاله (إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن؟) ووصفه بالكبر بعد الشيخوخة مبالغة في إظهار ضعفه الذي يترتب عليه عجزه عن فريضة الحج، وسنة العمرة، فجاءه الرد من معلم الناس الخير ﷺ فقال له: "حج عن أبيك، واعتمر". والفعلان "حج. .. اعتمر" يفتحان الباب على مصراعيه لبر الوالدين، وتدارك ما فاتهما من الصالحات، ويتأكد هذا الأمر إذا كان "الابن" قادرا علي ذلك، وقدم "الحج" علي "العمرة"، لأنه الفريضة المتممة للركن الخامس من أركان الإسلام، ويستطيع أن يؤدي العمرة مع الحج عن طريق التمتع، أو القران، ولا يستطيع أن يحج أثناء أداء العمرة في غير أشهر الحج. والإضافة في قوله: "أبيك" تذكره بتلك الرابطة الإنسانية بين الولد والوالد، والتي تستلزم الإشفاق عليهما من التقصير في الفرائض فيسعى إلى إتمام النقص.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند (١٦٢٠٦/٢٦) وقال الحافظ في الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٢١: سنده حسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ ع ن).

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٨٣)

١٢٨٣- وعن السائب بن يزيد ﷺ، قَالَ: حُجَّ بي مَعَ رسولِ اللهِ ﷺ -(في حَجةِ الوَدَاعِ)[١]- وَأنَا ابنُ سَبعِ سِنينَ. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٣٨).

الشرح الأدبي

بدأ الراوي حديثه بالفعل الماضي " حج بي" للتدليل علي تحقق وقوع ذلك، ولعله يشعر بالسرور، والرضا، لكونه قد حج مع الرسول ﷺ أثناء "حجة الوداع"، وذكر المعية يوحي بالاعتزاز، والفخر، وقد بيَّن سنوات عمره في ذلك الوقت فقال: " وأنا ابن سبع سنين " وهذا يوحي بتعويد النشء علي العبادة، والطاعة، وحب الخالق المشرع -عز وجل- لتسهل عليهم الطاعات عندما يكبرون، لأن الأبناء ينشئون على ما ربَّاهم عليه آباؤهم من الطاعة أو المعصية، والجار والمجرور في قوله: "حج بي" يوحي بأنه حج بمصاحبة والديه أثناء الحج، وكان عمره -في ذلك الوقت- سبع سنوات. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - جواز حج الصبي قبل البلوغ أو مباشرته النسك إذا كان مميزًا وذلك ليتمرن على العبادة فيألفها بعد البلوغ[٣].

٢ - حكم حج الصبي: ذهب الحنفية والمالكية، والشافعية، والحنابلة وجماهير أهل العلم إلى أن حج الصبي صحيح منعقد يثاب عليه وإن كان لا يجزيه عن حجة

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وليس من لفظ الحديث.

(٢) برقم (١٨٥٨).

(٣) دليل الفالحين ٤/٦٤.

الإسلام بل يقع تطوعًا[١].

وشذ البعض فقال إذا حج الصبي أجزأه ذلك عن حجة الإسلام[٢].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء وذلك لأن الصبي غير مكلف بل إن ابن بطال نقل إجماع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ وإذا حج كان حجه تطوعًا[٣].

٣ - لا خلاف بين الفقهاء في جواز الحج بالصبيان[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تدريب الأبناء على أداء العبادات.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: حجة الوداع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بتربية الأطفال ومسؤولية الآباء:

أولاً - من موضوعات الدعوة: تدريب الأبناء على أداء العبادات:

حيث جاء في الحديث: (حُجَّ بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين)، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ إلا أنه إذا حج كان له تطوعًا عند الجمهور، وقال أبو حنيفة: لا يلزمه شيء إنما يحج به على جهة التدريب"[٥].

وقال ابن علان: "إحجاج الصبي قبل البلوغ أو مباشرته النسك، أي: إذا كان

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٢، حاشية رد المحتار ٤٥٩/٢، حاشية الدسوقي ٣/٢ وما بعدها، مغني المحتاج ٢٠٩/٢-٢١٠، المغني ٨٦/٣-٨٧، شرح صحيح مسلم ٩٩/٩، فتح الباري ٨٧/٤، سبل السلام ٣١٢/٢، نيل الأوطار ٢٩٤/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩، فتح الباري ٨٧/٤، نيل الأوطار ٢٩٤/٤، سبل السلام ٣١٢/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩، فتح الباري ٨٧/٤، نيل الأوطار ٢٩٤/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٠٠/٩.

(٥) فتح الباري ٨٥/٤.

مميزًا، وذلك ليتمرن على العبادة فيألفها بعد البلوغ"[١].

إن من رحمة الله بهذه الأمة أن رفع التكاليف عن أطفالها حتى سن البلوغ كي نتمكن من تدريبهم وتعويدهم على الطاعة والعبادة.

"إن إتاحة الفرصة للأطفال كي يؤدوا شعيرة الحج فيه تربية لهم وتعويد على هذه العبادة وغيرها من العبادات الأخرى، وهو عمل تربوي توجيهي؛ الأطفال في حاجة ماسة له؛ فلا بد من العناية به والدعوة إليه والحث عليه كي يحصل لهم الخير والبركة، من جرّاء قيامهم ومشاركتهم الكبار في هذه العبادة الجليلة الركن الخامس من أركان الإسلام، ولا شك أن هذا يربطهم بها ويشبوا على حبها والقيام بها عندما يبلغون سن التكليف"[٢].

ويستفيد الصبي من عمله الصالح عند الله تبارك وتعالى، ومن العمل الصالح حجّ الصبي.

قال ابن تيمية: "وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة، وإن كانت درجاتهم متفاضلة.

والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم إذا كانت لهم أعمال، فإن إبراهيم بن النبي ﷺ ليس هو كغيره، والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات، وإن كان القلم مرفوعًا عنهم في السيئات كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ رفعت إليه امرأة صبيا، فقالت: ألهذا حجٌّ ؟ قال: ((نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ)) [٣].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: ((مُرُوهُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ))[٤]، وكانوا يُصَوِّمون الصغار يوم عاشوراء وغيره؛ فالصبي يثاب على صلاته وصومه وحجّه وغير ذلك

---

(١) دليل الفالحين ص ١٣٨٨.

(٢) كيف ندعو الأطفال، د. حمدان الهجاري، ط/١ دون ذكر دار النشر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٨٥.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٣٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن أبي داود ٤٦٦).

من أعماله، ويَفْضُل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يُفعَل به إكرامًا لأبويه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك"[١].

وتعليم الأطفال العبادة من الصغر له فوائده الكثيرة، ومنها الفوائد العقدية، ومن ذلك أن يتعلم الطفل ويعتقد أنه بحفاظه على العبادة وحرصه عليها فإنه يلقى من الله جزاءً مناسبًا لحفاظه، وهو أن الله يحفظه حفظًا شاملاً في دينه ودنياه وأولاه وأخراه.

وقد علَّم النبي ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما وهو لا زال غلامًا كلمات كانت تحمل فيما تحمل هذا المعنى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: ((يَا غُلاَمُ! إِنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ اِحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ...))[٢]. وكل هذه الكلمات تربط العبادة بالعقيدة، وتبيّن بجلاء للصبي وغيره عائدة صلاته وصيامه وحجه وسائر طاعاته في واقعه الملموس فيزداد إيمانه ويقينه وتترسخ عقيدته، ويحرص على المحافظة على الأعمال الصالحة.

إن هذا الحديث وما في معناه يدل على أن الأعمال الصالحة مقبولة من الصبيان، وقد أمر الرسول ﷺ في أكثر من حديث بتمرينهم على أداء تلك الأعمال، كالصلاة والصيام، وكان الصحابة رضي الله عنهم يقومون بذلك، فينشأ الصبيان على تطبيق الأحكام ويعتادونها. وقد صار ذلك منهجًا تربويًا للمسلمين مع أولادهم في كل زمان ومكان.

والصبيان عمومًا أقرب إلى الفطرة والصلاح؛ لأن كل مولود يولد على الفطرة؛ فإذا أضاف الصبي إلى هذه الفطرة أعمالاً صالحة كان ذلك أدعى لتثبيت الفطرة لديه وتعميق الصلاح، ولا تتخلف هذه الفطرة في أولاد الكافرين إذا زالت عنهم سيطرة الآباء والأمهات ماداموا في سن الصبا.

قال ابن القيم: "بعد ذكر أقوال المذاهب في المسألة -أي سبايا الكفار من الأطفال-: "والصحيح في هذه المسألة أنه يُحكم بإسلامه -أي الطفل- تبعًا لسابيه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٧٨/٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٣/١، رقم ٢٦٦٩، وقال محققو المسند: إسناده قوي، ٤١٠/٤، وأخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني: (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

-يعني الذي أسره وسبَاهُ من المسلمين في الحرب- مطلقًا، وهذا مذهب الأوزاعي، وهو إحدى الروايات عن أحمد؛ لأنه مولود على الفطرة، وإنما حُكِم بكفره تبعًا لأبويه لثبوت ولايتهما عليه، فإذا انقطعت ولايتهما بالسباء عمل مقتضى الفطرة عمله، إذْ لم يبق له معارض فكيف يحكم بكفره، وقد زال حكم الأبوية عنه؟ وهو لم يَصِفِ الكفر ولم يعرفْه، وإنما كان كافرًا تبعًا لهما، والمتبوع قد زال حكم استتباعه إذْ لم يبق له تصرّفٌ في نفسه ولا ولاية على ولده، ومن هاهنا قال الإمام أحمد ومَنْ تبعه: إنه يُحكَم بإسلامه بموت الأبوين؛ إذْ عَدَمُهُما أقوى في زوال التبعية من سابيه منفردًا عنهما أو معهما أو مع أحدهما"[1].

وقد كان العثمانيون يربُّون أولاد النصارى الذين يأخذونهم من أوروبا تربية إسلامية جهادية، وأسّسوا منهم فرقة الإنكشارية الشهيرة التي كان شعار أفرادها: إما غازٍ وإمّا شهيد.

وفي الحديث الذي نحن بصدده حج هذا الصحابي وهو صبي، وذلك يعطينا صورة عمّا سبق الإشارة إليه من تربية الصبيان على أداء العبادات ولو كانت شاقة.

إن حج الصبي إنما هو على سبيل التمرين واكتساب الأجر ولا يُسقط عنه الفريضة إذا صار بالغًا مستطيعًا. قال ابن حجر: "قال ابن بطال: أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبي حتى يبلغ إلا إنه إذا حُجَّ به كان تطوعًا عند الجمهور، وقال أبو حنيفة: لا يصح إحرامه، ولا يلزمه شيء بفعل شيء من محظورات الإحرام، وإنما يُحَج به على جهة التدريب، وشذ بعضهم فقال: إذا حج الصبي أجزأه ذلك عن حجة الإسلام لظاهر قوله: (نعم) في جواب: ألهذا حجٌّ؟ - يعني في الحديث الآخر - .

وقال الطحاوي - وهو حنفي - : لا حجة فيه لذلك، بل فيه حجة على من زعم أنه لا حجّ له؛ لأن ابن عباس راوي الحديث قال: (أيما غلام حج به أهله ثم بلغ فعليه حجة أخرى) ثم ساقه بإسناد صحيح"[2].

---

(١) أحكام أهل الذمة ٢/٩٢٦.

(٢) فتح الباري ٤/٧١.

والصبي الذي يُحج به قد يكون مميزًا وقد يكون غير مميز. قال ابن تيمية في شرح العمدة: "فإن كان الصبي مميّزًا أحرم بنفسه بإذن الولي وفعل أفعال الحج واجتنب محظوراته؛ فإن أحرم عنه الولي، أو فعل عنه شيئًا مثل الرمي وغيره لم يصح؛ لأن هذا دخول في العبادة فلم يصح من المميز دون قصده كالصوم والصلاة.فإن أحرم بدون إذن الولي ففيه وجهان:

أحدهما: لا يصح، قاله أبو الخطاب وجماعة معه، قال متأخروا أصحابنا - يعني الحنابلة - : وهو أصحّ؛ لأنه عقدٌ يجب عليه به حق أي مال فلم يملك بدون إذن الولي كالنكاح.

وإن كان الصبي غير مميز عقدَ الإحرام له وليُّه سواء كان - يعني الولي - مُحْرِمًا أو حلالاً كما يعقد له النكاح وغيره من العقود، ويلبي عنه فيقول: لبيك عن فلان، وإن لم يُسمِّه جاز، ويطوف به ويسعى، ويُحْضِره المواقف ويرمي عنه، ويجنِّبُه كل ما يجتنبه المحرم، وإذا لم يمكنه الرمي استحب أن يوضع الحصى في يده، ثم يؤخذ فيُرمى عنه، وإن وضعه في يده ورمى بها وجعلها كالآلة جاز"[1].

وذكر ابن تيمية قبل ذلك: "أن حج الصبي صحيح - أي من حيث الأجر - سواء كان مميّزًا أو طفلاً بحيث ينعقد إحرامه، ويلزمه ما يلزم البالغ من فعل واجبات الحج وترك محظوراته"[2].

ثانيًا - من تاريخ الدعوة: حجة الوداع:

حيث جاء في الحديث: (حج بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع)، ولا شك أن حجة الوداع تاريخ هام في الدعوة الإسلامية، قال ابن عبدالبر: "قال ابن إسحاق: ولما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة، من سنة عشر تجهز للحج وأمر الناس بالجهاز له وخرج لخمس ليال بقين من ذي القعدة، وأحسن حديث في الحج، وأتمه حديث جابر رضي الله عنه وفيه أن رسول الله ﷺ مكث بالمدينة تسع سنين ثم أُذّن في الناس أن

---

(١) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة ٢/٢٧٨ - ٢٨٠.

(٢) نفس المرجع السابق ٢/٢٧٦.

رسول الله ﷺ حاجٌ العام، فنزل بالمدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يَأتمَّ برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل"(١).

وقال ابن القيم: "لا خلاف أنه ﷺ لم يحج بعد هجرته إلى المدينة سوى حجة واحدة، وهي حجة الوداع، ولا خلاف أنها كانت سنة عشر، ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله ﷺ إلى الحج من غير تأخير فإن فرض الحج تأخر سنة تسع أو عشر ولما عزم رسول الله ﷺ على الحج أعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا للخروج معه، وسمع ذلك مَنْ حَوْلَ المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله ﷺ، ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارًا بعد الظهر لست بقين من ذي القعدة، بعد أن صلى الظهر بها أربعًا، وخطبهم قبل ذلك خطبة علّمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه"(٢).

وقال د. أبو شهبة: "وتسمى هذه الحجة حجة الوداع لأن النبي ﷺ ودّع فيها المسلمين، وحجة الإسلام لأنه لم يحج بعد الهجرة غيرها، وحجة البلاغ لأن النبي ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً"(٣).

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية العناية بتربية الأطفال ومسؤولية الآباء:

إن من الأخلاق التي يغرسها الإسلام في نفوس أتباعه توقير الكبير والاهتمام بحاجاته وأداء واجباته لاسيما إذا كان قريبًا، وبوجه أخصّ إذا كان أبًا أو أمًّا، ولذلك رأينا كيف أن رجلاً وابنته اهتمّا بسؤال النبي ﷺ عن الحج عن الأب الذي صار شيخًا كبيرًا وكذلك سأل الرجل عن الأمّ، وذلك من أجل إبراء ذمة الأبوين، وبذل الجهد في التعاون معهما في ذلك.

وبالمثل نجد أن من خُلُق أهل الإسلام العناية بالناشئة، والتركيز في الاهتمام بهم وحسن التعامل معهم وإشعارهم بأهمية وجودهم، وأهمية أن يكونوا أفرادًا صالحين

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٢٦٠.

(٢) زاد المعاد ٢/١٠١ - ١٠٢ بتصرف.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٢/٥٦٧.

يمارسون العبادات، وشئون الحياة، بقدر طاقتهم كما يمارسها الكبار تشبّهًا بهم.

وعندما يشعر الصغير أن أقاربه الكبار يعتنون به ويهتمون، ويقدمون له المساعدة والعون، ولا يبخلون عليه بالجهد والمال حتى يصير فردًا مماثلاً لسائر أفراد الأسرة ثم لسائر أفراد المجتمع المسلم في القيام بالعبادة ، وأداء المسئوليات، فإنه يحتفظ في ذاكرته لأقاربه وأوليائه بهذا الجميل، ويشعر بنُبلهم وإحسانهم، فيغرس ذلك في نفسه الخلق الجميل، ويؤسس النبل والإحسان، ويصبح إسداءُ الجميل وتقديمُ المعروف وصناعةُ الفضل نحو الآخرين من سلوكيات هذا الناشئ ؛ تأثُّرًا بما تلَقَّاه، وتأسيًا بما استفاده ورآه.

وفي مقدمة من يجني ثمار هذه الأخلاق أبوه وأمه وأسرته وأقاربه، ثم تتوسع الدائرة لتشمل كل من يتعامل معه.

فإذا كان كل فرد يتخلّق بهذه الأخلاق كأثر عن أداء العبادات من بداية الحياة وامتدادًا في سائر مراحلها ؛ فإن السعة والشمول والتركيز وإصلاح الواقع ستكون سماتٍ عامة ومظاهر لا تخطئها العين.

قال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان مِنَّا ... على ما كان عوّده أبوهُ [1]

إن الصبي ينشأ حاملاً الصفات الوراثية لأصوله وآبائه، وكلما تغذّى ونما، وحصل الاعتناء بجسده، ومن ذلك النصيب الكافي من الرياضة، فإن الصفات الجيدة الكامنة في الصبي تبرز إلى حيز الوجود، وتتنامى مع الصبي حتى تظهر في أفضل ظهور وأكمله عند كِبرَه واكتمال أشدّه.

ومثل ذلك يقال في الصفات الفطرية التي أودعها الله في الإنسان، فإن التربية الإسلامية التي يتلقّاها الصبي منذ نعومة أظفاره تكون تغذيةً وتنميةً وتعزيزًا لتلك الصفات الفطرية، وإعدادًا لهذا الصبي لكي يصير مسلمًا ملتزمًا بتكاليف الإسلام،

---

(١) أبو العلاء المعري، العسر العباسي، قافية الهاء، البحر: الوافد.

وعضوًا نافعًا في المجتمع صاحبَ نفس سويَّة منسجمة مع الفطرة وداعيةً إلى ذلك فيمن حوله بسلوكه وأقواله.

عندما يحج الصبي فإنه يتلقى جرعات واسعة من التربية المعزّزة للفطرة، فاختلاطه بالناس وهم يمارسون العبادة والذكر وهو يمارسها معهم يترك أثرًا عظيمًا في نفس الصبي لا ينساه أبدًا، وحتى إذا لم يكن مميّزًا فإن هذا الأثر وبركته يبقى في لا شعوره ويمدُّه بالهدى والاستقامة والالتزام، فإذا خرج إلى دنيا الابتلاء كان عوده صلبا من التربية المكثفة السابقة.

كما أن بركة المشاعر المقدسة مع بركة البلد الحرام، وبركة الشهر الحرام بالانضمام إلى بركة أداء عبادة الحج والعمرة تترك آثارًا مضاعفة للبركة عند هذا الصبي على غرار ما تتركه عند الكبار، بل ربما بصورة أفضل ؛ لأن الصبي لازال صفحة بيضاء لم تتلوث.

ولهذا عاقبته المحمودة عند هذا الصبي في مستقبل رجولته.

وما يكتسبه الصبي من الأجور على أداء العبادة، فإنه يدخل في رصيده الإيجابي وهو في هذا أيضًا أفضل حالاً من الكبار ؛ لأنه بالنسبة للصبي لا توجد سيئات مزاحمةٌ للحسنات، فالصبي مرفوع عنه القلم، وهذه الإيجابية معناها بناءٌ بلا معوقات وإشادة بلا هدْم، وخير بلا شر.

فإذا بلغ الصبي ومضى في زحمة الحياة، كان صاحب ماضٍ مشرق وإمكانات رافدة وكنوز محفوظة، فمضى إلى الأمام بإذن الله بيسر وتوفيق وسلام. ومجتمع هذا شأن ناشئيه لاشك أنه كذلك بإذن الله مجتمع خير وسلام.

إن الصبي في الإسلام يتربى من صغره على الصلاة فيؤمر بها لسبع سنوات، ويضرب عليها لعشر، كما يتربى على النوم وحده والانفراد في المضجع، كما ورد بذلك الحديث، ويتربى أيضًا على الصوم وإن كان عبادة فيها مشقة، إلا أنه لابدّ له من التمرين حتى لا يصعب عليه عند البلوغ، وقد ذكرت الربيّع بنت معوّذ كما في الحديث المتفق عليه أنهم كانوا يصوّمون صبيانهم يوم عاشوراء عندما كان مفروضًا، ويجعلون

لأحدهم اللعبة من العهن -الصوف- مداراةً للصبي حتى يحين الإفطار.

وكذلك يتربى الصبي عند الاستطاعة على الحج، وهو عبادة أشق من عبادة الصوم؛ لأن في الحج سفرًا واغترابًا، واختلافًا في الجو والمناخ وغير ذلك.

وكل ذلك نافعٌ للصبي منافع عديدة، والتدرّيب واحدة من هذه المنافع، والأجر واحدة من هذه المنافع، وبركة العبادة وبركة الزمان وبركة المكان من المنافع.

وفي ذلك كله تهيئة للصغير ليكون فردًا متكامل الصفات، فلا يبلغ مبلغ الرجال إلا وهو ملتزم في نفسه فعالٌ في المجتمع داعية إلى الخير، ذو روحٍ سامية ونفس سويّة.

وهذا هو الإعداد للبشر الإعداد الدقيق الفريد بحيث يمر هذا الإعداد على كل فردٍ دون استثناء، مما يجعل الإسلام يتميز بذلك على سائر المناهج، لأن تلك المناهج مهما اهتمّت وركّزتْ فلا تصل في اهتمامها وتركيزها إلى المتابعة اليومية والشهرية والسنوية للفرد، وفي شئونه الشخصية بجانب الشئون العامة، وهذا ما يجعل المجتمع المسلم نموذجيًّا مثاليًّا، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

وإن التركيز في الإسلام على صناعة الإنسان، أعظم أثرًا وأعمق وأتم وأبقى من التركيز على صناعة الماديات، لأن إتقان صناعة الإنسان هي الأساس لكل صناعات الحياة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

والأنبياء عليهم السلام كانت هذه دعوتهم، وجاءت الحضارات النموذجية نتيجة لذلك، وأما غير الأنبياء وأتباعهم فكانت نتائج دعواتهم حضارات جوفاء شكلية تهتم بالإنسان كحيوان ناطق، وليس كمخلوق سامق كرّمه الله قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3]. وشتان بين المنهجين والنتيجتين في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ١١.

(٣) سورة محمد، آية: ١٢.

الحديث رقم (١٢٨٤)

١٢٨٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: ((مَنِ القَوْمُ؟)) قالوا: المسلِمُونَ. قالوا: مَنْ أنْتَ؟ قَالَ: ((رسولُ اللهِ)). فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ[1] صَبيًّا، فَقَالَتْ: ألِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الرّوحاء: موضع في طريق الجُحفة بين المدينة المنورة وبدر[3].

الشرح الأدبي

استفهام الرسول ﷺ (مَنِ القَوْمُ ؟) استفهام على حقيقته من باب التعارف الممهد لإعانة المسلم، وقضاء حاجته، ودعوة غير المسلم للإسلام، وهو من أساليب الدعوة التي يجب علينا أن نتعلمها بالتعرف إلى غير المسلمين، وتعريفهم بديننا، وشرح تعاليمه بما يحقق نشر الإسلام، وخدمة الدين ، ولو أن كل مسلم دعا واحدا من غير المسلمين لتغير، وجه الأرض، والاستفهام في قول المرأة المتوجهة إلي الحج، عندما رفعت صبيها: " ألهذا حج ؟ " يراد منه التعلم، والاسترشاد. وفي قوله: " نعم ولك أجر " إيجاز بالحذف تقديره: " هذا الصبي له حج ولك أجر " واللام في قوله: " ولك أجر " تدل علي الملكية لهذا الأجر، فلا ينازعها فيه أحد. وتنكير كلمة: " أجر " يدل علي تعظيم ذلك الثواب، وكأنه قال: " ولك أجر كبير لا يعلمه إلا الله علي تحملك مشقة اصطحابه، والقيام علي أمره مع ما يخص الحج من مناسك، وعبادات، والإجابة بـ " نعم " يراد منها الترغيب، والإقبال علي العبادة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) عند مسلم زيادة: (إليه).

(٢) برقم (١٣٣٦/٤٠٩)، وتقدم برقم (١٧٩).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل في (ر و ح).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٧٩.

الحديث رقم (١٢٨٥)

١٢٨٥ - عن أنسٍ ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكانت زَامِلَتَهُ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

رَحْل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب[٢].

زاملته: الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه، بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته وكانت هي الراحلة والزاملة[٣].

الشرح الأدبي

مشاركة الراوي في الأحداث التي يرويها بمعنى أن يكون طرفا في الحوار، أو مشاركا في بعض أحداثه، أو رأى الواقعة ورواها يعطي الخبر توكيداً قوياً؛ لأن الرؤية من أقوى طرق العلم مما يحقق الدقة في النقل، وراوي الحديث هو أنس ﷺ هو الذي رأي ذلك، وشاهده أثناء حج المصطفي ﷺ والفعل الماضي المسند إلي الضمير العائد علي النبي الكريم في قوله: " حج علي رحل " يدل علي تحقق ذلك من المصطفي، و أنه قد أتم أركان الإسلام وفرائضه، كما يوحي بأنه يطبق ما ينادي به علي نفسه، وأنه أول المقربين، ورائد المتقين، وإمام العارفين بالله العابدين له. وقوله: " وكانت زاملته"، والزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، من الزمل، وهو الحمل، والمراد أنه لم

---

(١) برقم (١٥١٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٩٠) بتمامه، ولم يورد المؤلف قوله: (حجَّ أنس على رحل، ولم يكن شحيحًا).

(٢) الوسيط في (ر ح ل).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز م ل)، وفتح الباري ٤٤٥/٣.

تكن معه زاملة تحمل طعامه، ومتاعه بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة، والزاملة مما يشير إلى ضيق الحال من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد أخذ بالأسباب، على قدر المتاح له، وحمل معه الزاد الذي يكفيه أثناء رحلة الحج من المدينة المنورة إلي مكة المكرمة – ذهابا وإيابا – فلم يتواكل، ولم يكن عالة علي غيره صلوات الله، وسلامه عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حجة الوداع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وزهده في الدنيا.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في أداء العبادات والحج.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حجة الوداع:

حيث جاء في الحديث: (أن رسول الله ﷺ حج على رحل)، ومما لا شك فيه أن حجة الوداع من الموضوعات الهامة للدعوة الإسلامية.

يقول د. البوطي: "إن لحجة رسول الله ﷺ هذه معنى جليلاً يتعلق بالدعوة الإسلامية يتعلق بحياته ﷺ ويتعلق بالمنهج العام للنظام الإسلامي، لقد تعلم المسلمون من رسول الله ﷺ صلاتهم وصيامهم وزكاتهم وعامة ما يتعلق بهم من عبادات وواجبات، وبقى أن يعلمهم مناسكهم، وكيفية أداء شعائر الحج بعد أن طويت تلك التقاليد الجاهلية المتوارثة أيام موسم الحج، من تَصْدِيَة وصفير وعرى أثناء الطواف، وقضى عليها مع القضاء على الأوثان وتطهير بيت الله الحرام منها، وإن الدعوة إلى الحج لبيت الله الحرام ستظل قائمة إلى يوم القيامة فهي دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأمر من ربه سبحانه وتعالى"[1].

وقال الشيخ محمد الغزالي: "أعلن رسول الله ﷺ نيته بالحج، وأشعر الناس بذلك حتى يصحبه من شاء، وأقبلت وفود الله من كل صوب تيمم وجهها شطر البيت العتيق،

---

(١) فقه السيرة النبوية ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

وهي تعلم أن رسول الله ﷺ هو في هذا العام أمير حجهم ومعلمهم مناسكهم. وفي يوم عرفة من هذه الحجة العظيمة نزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، وعندما سمعها أبو بكر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان. وكأنه استشعر وفاة رسول الله ﷺ. والحق أن مشاعر التوديع للحياة والأحياء كانت تتضح بها بعض العبارات التي ترد على لسان الرسول ﷺ في خطبه بالموسم"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وزهده في الدنيا:

حيث جاء في الحديث: (أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته)، قال ابن حجر: "والزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع والمراد أنه لم تكن معه زاملة تحمل طعامه ومتاعه بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، وكانت هي الراحلة والزاملة وقد فعل أنس رضي الله عنه ذلك فحج على رحل وفعله ذلك تواضعًا واتباعًا لا عن قلة وبخل"[3]، وقد مدح رسول الله ﷺ التواضع وحثّ عليه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللّهُ))[4]، ومن تواضعه ﷺ ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبيُّ ﷺ ليخالِطُنا حتى يقولَ لأخ لي صغير: ((يا أبا عُمَير، ما فَعلَ النغَير؟))[5].

وعن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله قالت: ((كان في مِهنةِ أهله، فإذا حضَرَتِ الصلاةُ قام إلى الصلاة))[6].

ومن تواضعه ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: ((كانتِ الأمَة من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) فقه السيرة ص ٤٥٤.

(٣) فتح الباري ٣/٤٤٥ - ٤٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦١٢٩، ومسلم ٢١٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٣٩.

بيد رسولِ الله ﷺ فتنطَلقُ به حيث شاءت))[١].

إن التواضع من الأخلاق الهامة التي ينبغي أن تسود بين الناس اقتداء برسول الله ﷺ، "والمقصود بالتواضع أن يمشي المؤمن بين الناس هونًا، وأن يخفض جناحه لمن يلقاه، وأن يرضى أن يأكل ما حضر من طعام، ويلبس ما تيسر له من اللباس، ويمتزج على من يلتقي من البشر دون كبر أو أن يدخله بقية عجب أو تساوره نظرة من استعلاء، والتواضع يجعل الداعية محبوبًا في قومه وبيئته ذا أثر فعال بينهم، وقوامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح فالكبر يشكل حاجزًا وجدارًا بين الداعية والناس، بل ويجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله"[٢].

لقد ورد هذا الحديث الذي معنا في البخاري بلفظ حجّ أنس على رحْل ولم يكن شحيحًا وحدّث أن رسول الله ﷺ حجَّ على رحل، وكانت زاملته.

والمقصود أن أنس بن مالك رضي الله عنه إنما اقتصد في الحج اقتداءً بالرسول ﷺ الذي اقتصد من أجل أن تتخلق الأمة بالقصد، والتواضع، فعن عبدالله بن سرجس المزني أن النبي ﷺ قال: ((التُّؤَدَةُ وَالاِقْتِصَادُ وَالسَّمْتُ الْحَسَنُ جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[٣].

وأنس بن مالك رضي الله عنه كان كثير المال والولد، فقد دعا له الرسول ﷺ بذلك كما في الحديث الذي عند مسلم وغيره، ولكنه صمّم على التخلّق بالبساطة في الحج تشبُّهًا بالرسول - عليه الصلاة والسلام - قال ابن حجر: "فوقع عند مسلم في آخر هذا الحديث ... قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم ... وتقدم في كتاب الطب عند البخاري قول أنس: أخبرتني ابنتي أمينة أنه دُفن من صُلْبي إلى يوم مقدم الحَجّاج البصرة مائة وعشرون... وأخرج الترمذي عن أبي العالية في ذكْر أنس: وكان له بستان يأتي في كل سنة الفاكهة مرتين، وكان فيه

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٢.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٥٩، ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٦٣٥).

ريحان يجيء منه ريح المسك. ورجاله ثقات"[١].

والحج يحدث فيه ازدحام في البلاد المقدسة بسبب وفود الحجاج من كل فج عميق ومعهم وسائل نقلهم ومتاعهم، وبسبب هذا الزحام قد تحدث حوادث وكوارث على الحجاج، ولذلك سنّ - عليه الصلاة والسلام - التقلُّل والتخفُّف من الأمتعة وحاجات السفر وكذلك من الدواب، فكيف الحال في أيامنا هذه، وقد زادت أعداد الناس وتوسعوا في الكماليات ولم تعد وسائل النقل الدواب، وإنما السيارات التي تحتل المساحات؟! وأكثر الناس رفاهيّةً وتوسُّعًا هم أهل المسئولية وأرباب الغنى.. فهلاّ اقتدى هؤلاء بسيد البشرية وإمام المسئولين ﷺ ،وكذلك بما فعل صاحبه المقرّب منه كثير المال والرجال، وبما سار عليه الصالحون على مدى القرون؟ إن المتخفّفين في الدنيا، يكون سلوكهم وتعاملهم، بل وحياتهم خفيفةً على الناس، كما أن حسابهم يوم الحساب يكون خفيفًا يسيرًا، وسبقهم إلى الجنان سبْقًا ميسورًا، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

ومما يدل على تواضع النبي ﷺ ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ لقي ركبًا بالروحاء فقال: ((مَنِ الْقَوْمُ؟)) قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ. فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: ((رَسُولُ اللَّهِ)) فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. وَلَكِ أَجْرٌ))[٢].

وفي هذا الحديث دلالة على خلُق التواضع عند رسول الله ﷺ، وقد كان ﷺ قمة في مكارم الأخلاق؛ وإنما بُعث لتتميمها، ومن تواضعه ﷺ أنه سأل الركْب بنفسه فقال: (من القوم؟) ولم يُوكِل السؤال إلى غيره، كما هي عادة الكبراء والوجهاء.

ومما يدلّ كذلك على بساطته وتواضعه - عليه الصلاة والسلام - أنه لم يكن وضْعه مُلفتًا للنظر، بل كان كآحاد الناس، فهو وإن كان الوقت ليلاً كما ذكر بعض شراح الحديث، أو كان الركب ممن أسلموا في بلدهم ولم يعرفوا الرسول ﷺ بعد، فإن سؤال الركْب للرسول عليه الصلاة والسلام: من أنت؟ دليل

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٣٦.

واضح على بساطة المنظر والهيئة، وحتى لو كان الوقت ليلاً ؛ فإن مظهر الأبّهة والفخامة والخدم والحشم الذي يحيط به الكبراء أنفسهم لا يخفى، وفي هذه الحالة إذا تم توجيه السؤال فسوف يكون إلى أحد المحيطين، ولن يتمكن من يسأل من اللقاء المباشر بالشخص الكبير.

والتقاء الركب مباشرة بالرسول -عليه الصلاة والسلام- دون موانع وسؤاله لهم ثم سؤالهم له رغم أنه سيد البشر، ولا يمكن أن يرقى أحد من البشر إلى رتبته يبين بوضوح القيمة الأخلاقية العظيمة المستفادة من ذلك.

وأسعد الناس من جعل مثل هذا الخلق نصب عينيه اقتداءً بسيد البشرية - عليه الصلاة والسلام - وإن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم كما ورد في الحديث.

وذووا الوجاهات، وأصحاب المناصب وأهل الملْك والسؤدد جديرون بالتواضع كما تواضع إمام الأنبياء ﷺ، وبالتواضع يحفظون مكانتهم عند الله، وكذلك عند الناس ومن تواضع لله رفعه.

وإن من أعظم ما خلّد سِيرَ الخلفاء الراشدين وأئمة الهدى أمثال: عمر بن عبد العزيز هو التواضع، لأن أفراد الرعية والبسطاء كانوا يصِلون إلى الخليفة بسهولة، ويكلّمونه بيسر، وينزلون به حاجاتهم فيقضيها، وأما الرعاة المتباعدون، والمسئولون المتعالون، فبالإضافة إلى إثم التعالي، فإنهم يتحملّون إثم التباعد عن الرعية، لأنهم مسئولون عن قضاء حاجاتهم، والإمام راع ومسئول عن رعيته، وما يظنونه من المظاهر أنه يضفي عليهم حزْمًا ومهابةً فإنما يعود عليهم بنقيض قصدهم في الدنيا والآخرة فيمقتهم الله ويمقتهم الناس.

وأما زهده ﷺ في متاع الدنيا، فإن الناس يميلون إلى الدنيا لما فيها من متاع عاجل وزينة وزخارف، مع أنها منقضية زائلة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]. ويؤثرون الدنيا مع أنها دار ممرّ وليست دار مقرّ، ومع أنهم فيها

---

(١) سورة الكهف، آية: ٧.

غرباء، ووطنهم الدائم الآخرة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1].

ويترتب على إيثار الدنيا ومتاعها وزخارفها نظرة خاطئة وجهود ضائعة، ويدخل الناس من أجل ذلك في تكالبٍ وتهالكٍ وصراعاتٍ، وينسون الاستعداد للمصير الذي ينتظرهم، والمستقبل الذي سوف يفاجئهم. ولذلك كان تصحيح هذه النظرة من أهم الأمور، وكان ذلك من أهم مهمّات الأنبياء، وقد جاء التوجيه للنبي ﷺ وهو قدوة الأمة بغضّ البصر عن الدنيا وأبنائها المفتونين بها تربيةً له - عليه الصلاة والسلام - ولأمته من بعده، وذلك لأن النظر للدنيا يورث الإعجاب، والإعجاب يورث الانسياب في الفتنة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2]، ولم يقف الأمر عند التوجيه بغضّ البصر عن زينة الحياة الدنيا، وإنما بالموقف الحازم الحاسم من تسلّل متاع الدنيا إلى البيت والأسرة، وضرورة الحرص على حياة الكفاف النموذجية حتى تتفرغ الطاقات والاهتمامات للمستقبل الحقيقي قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ولما ضَمِن - عليه الصلاة والسلام - نفسه وأسرته من الاغترار بالدنيا صار قدوة بالقول والفعل، ومربيًّا بالمنطق والواقع، وداعية بالنظرية والسلوك.

وربّى فعلاً الجيل الأول جيل الصحابة على ذلك، فكانت غايتهم رضوان الله والعمل للآخرة، ولم تكن الدنيا أكثر من وسيلة يأخذون منها الميسور، ثم تتابعت الأجيال، ومثلُها الأعلى ذلك، وانبنى السلوك الاجتماعي في مجتمع المسلمين على هذا الأساس، وإن وُجد الدخَن والمخالفات، إلا أن المثل الأعلى استمر سافرًا ظاهرًا.

---

(١) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٢) سورة طه، آية: ١٣١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

وما كان حجّ الرسول ﷺ على رحل، وكانت زاملته، إلا إحدى مفردات ذلك السلوك اليومي الزاهر الذي اعتمده -عليه الصلاة والسلام- مسلكًا ثابتًا لا يفرّط فيه ولا يحيد عنه، ولم يجد -عليه الصلاة والسلام- صعوبة في توطين نفسه على ذلك ولا مشقة، لأن الهمّة العالية تتجاوز السفاسف وتتخطى المعوقات، وحينها لا يستغرب المطلّع على الحديث الصحيح الذي يذكر أن رسول الله ﷺ كانت تمرّ عليه ثلاثة أَهِلَّة في شهرين، وما يوقد في بيته نار، ويكتفي مع أسرته بالأسودين التمر والماء، إضافةً إلى اللبن وقد وجد الكثيرون في أمته من ينظر إلى هذه القمة السامقة ويبذل جهوده في محاولة الاقتراب منها، وهؤلاء الذين هيأهم الله لتحقيق المنجزات التي هي أشبه بالمعجزات ففتحوا الشرق والغرب، وحملوا منهج الإسلام ولواءه، بعضهم غزا بالسيف والأخلاق، وبعضهم غزا بالأخلاق فقط، ولمّا لم تكن الدنيا مشروعهم فقد احتلوا قلوب العالمين، وصارت الأمم المفتوحة تحبهم حبًّا يكاد أن يقترب من التقديس، وصاروا أمثلة حية للأسوة والقدوة وصار يتكرر لهم أشباه وأمثال في سائر الأجيال.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: هدي النبي ﷺ في أداء العبادات والحج:

الرسول ﷺ بشر مثل سائر البشر إلا أن الله تعالى اختاره لكي يوحي إليه بالدين، ورغم هذا الاختيار والاصطفاء ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[1]، فإنه مكلّف كسائر البشر يؤدي الفرائض ويقوم بالواجبات، ويترك المنهيات، يدعو إلى الله ويتحمل الأذى ويجاهد في سبيله ويتلقى الإصابات والابتلاءات، ولذلك ورد في الحديث القدسي الذي عند مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ((أَلاَ إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي، وقال: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ))[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[3]، وهنالك من

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٣) سورة المزمل، آية: ٥.

الناس من يظن أنه لو نال مرتبة دنيوية كالملك ونحوه أن التكاليف تتحاز إلى غيره وتتخفّف عنه، وهو ظنٌّ يجانبه الصواب، بل كلما ازدادت مرتبة الشخص ازدادت مسئوليته، وهذا الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن ينأى بنفسه عن المشقات بل كان يبادر في حين قد ينأى غيره حتى قال الله في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[1]، وهنالك أيضًا من يظن أنه إذا بلغ في العبادة مرتبة، فإنه تخفّ عنه التكاليف أو قد تلغى كما يزعم بعض الصوفية، وهو كذلك أكذوبة لا أساس لها، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - كان أبلغ الناس عبادة، وقد قال الله له: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾[2].

كما أنه كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، كما في الحديث عند مسلم، وأمره الله بمواصلة هذا السير في العبادة، حتى يأتيه اليقين وهو الموت فقال سبحانه: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[3].

وحياته شاهدة على ذلك فلم يتوقف عن الاجتهاد في العبادة إلى أن مات عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث الذي نحن بصدده أدى - عليه الصلاة والسلام - عبادة الحج - وهي عبادة فيها مشقة - كأحسن ما يكون الأداء، أداءً نموذجيًا لأنه قدوة العالمين، وقال كما في الحديث الذي عند مسلم: ((لِتَأْخُذُوا عَني مَنَاسِكَكُمْ، فَإِني لاَ أَدْرِي لَعَلي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هذِهِ))[4]. وكان نموذجيًا - عليه الصلاة والسلام - في بساطته حين حجّ مع عامة الناس ببساطةِ عامةِ الناس، فلم يكن معه شخصيًّا - عليه الصلاة والسلام - سوى راحلته عليها يركب، وعليها يحمل متاعه وطعامه، مع أن بإمكانه - عليه

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩٦.

(٤) أخرجه مسلم ١٢٩٧.

الصلاة والسلام - أن يضيف راحلة أخرى، أو أكثر بل يمكنه أن يكون له موكب، ولكنها القدوة والمثال جعلته - عليه الصلاة والسلام - كما يحرص على أداء العبادة لأنه مكلّف كسائر الناس، يحرص كذلك على كيفية الأداء، وأن يكون أداءً يسيرًا بسيطًا بعيدًا عن الشكليات والمظهريات.

وفي هذا الحديث بيان أن الرسول ﷺ اكتفى براحلة واحدة كانت هي التي وضع عليها رحْله فركب عليها للسفر ووضع عليها نفسها متاعه وزاده فكانت هي أيضًا زاملته.

والراحلة وتوابعها مما يدخل في الاستطاعة، قال ابن تيمية في شرح العمدة: "وإنما تعتبر الراحلة في حق من بينه وبين مكة مسافة القصر... فأما القريب والمكي ونحوهما ممن يقدر على المشي فيلزمه ذلك كما يلزمه المشي على الجمعة والعيد ؛ فإن كان زَمِنًا - مصابًا بمرض مزمن - لا يقدر على المشي لم يلزمه أن يحج حبْوًا. وأما الزاد فيعتبر في حق القريب والبعيد... لأنه لابد منه. وهناك من قال: لا يعتبر أن يجد الزاد، وإنما يعتبر أن يحصل له ما يأكله ولو بكسْبه، فإن كان متى تشاغل بالحج انقطع كسبه وتعذّر الزاد عليه لم يلزمه الحج.... ويعتبر وجود الزاد والراحلة بالآلة التي تصلح لمثله من الغرائر (الأكياس) وأوعية الماء، وأن يكون الزاد مما يقتاته مثله في هذا الطريق طعامًا وإدامًا، وأن تكون آلات الرحلة مما تصلح لمثله ؛ فإن كان مما لا يمكنه الركوب إلا في محمل ونحوه بحيث يخاف السقوط، اعتُبر وجود المحمل، وإن كان يكفيه الرحل والقتب بحيث لا يخشى السقوط أجزأه وجود ذلك سواء كانت عادته السفر في المحامل أو على الأقتاب والزوامل والرحال، وإن كان ممن يستحيي من الركوب على الزوامل لكونه من الأشراف والأغنياء. والأفضل أن يحج على الرحل والزاملة للحديث أن الرسول ﷺ حج كذلك"[1].

وفي زماننا هذا ينظر إلى ما يناسبه في الراحلة والزاد، فالذي لا يستطيع السفر في

---

(١) شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة ١٤٦/٢ - ١٤٧.

البحر لما يلحقه من الغثيان الشديد والمرض، وكذلك إذا كان لا يمكنه السفر على السيارة لأنه معوق، فلابد من أن يتيسر له السفر بالطائرة وتكاليف ذلك مع تكاليف العربة التي تحمله في الطواف والسعي ونحو ذلك. ولابد أن يتوفر له من ثمن الطعام ما يناسبه إذا كان ممنوعًا من بعض أنواع الأطعمة لضررها عليه، فإذا لم يتيسر له ما يلزم مما سبق ولم يتوفر لم يعتبر مستطيعًا، كما تدخل تكاليف استخراج أوراق السفر كالجواز ونحوه.

الحديث رقم (١٢٨٦)

١٢٨٦- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ، وَمَجِنَّةُ، وَذُو المَجَازِ أسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أن يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾[البقرة: ١٩٨] فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

عُكَاظ: نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة المكرمة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب في منتصف ذي القعدة حتى نهايته بموضع يقال له "الأُثيداء" شمال شرق الطائف (بلدة الحوّية اليوم) ٣٥ كم أسفل وادي شرب، وأسفل وادي عرج، يلتقيان هناك[٢].

مَجِنَّة: وهي من الجُنّة وهو الستر والإخفاء، وَمجِنّة اسم سوق من أسواق مكة المكرمة في الجاهلية، وهي أسفل مكة المكرمة على قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرين منه وهي لبني الدُّئِل[٣].

ذو المجاز: سوق من أسواق مكة المكرمة في الجاهلية، وهي قرب عكاظ سوق بعرفة، على ناحية كبكب على فرسخ من عرفة، تعقد أول يوم من ذي الحجة إلى يوم التروية ثم يصيرون إلى منى، وشمال ذي المجاز سوق مجنة[٤].

فتأثموا: أي طرحوا الإثم، والمعنى: تركوا التجارة في الحج حذرًا من الإثم[٥].

---

(١) برقم (٤٥١٩).

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٨٨، ٢٧٤.

(٣) المرجع السابق ١٨٨، ٣٣٠.

(٤) المرجع السابق ١٨٨، ٣٣٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (أ ث م).

الشرح الأدبي

يدل هذا الحديث على التوازن الواقعي بين مصالح الدنيا، وأمور الدين فلا حرج من التجارة أثناء موسم الحج مادام المسلم على صلة قوية بالله تعالى – ويؤدى حقوقه وحقوق الآخرين، ويتقى الله فيما يكسب من مال، وينفقه في مرضاه الله تعالى، يقول ابن عباس: " فتأثموا أن يتجروا في المواسم – فنزلت " ليس عليكم جناح (أي حرج) أن تبتغوا فضلاً من ربكم " فالفعل الماضي: " تأثموا " يدل على حاله بالغة من المراقبة، واليقظة، والنظرة الأخروية في تعاطي المصالح الدنيوية، ولذلك نزلت الآية من الخبير بما في نفوسهم – جل في علاه ليصحح ذلك الخلط، وتلك المفاهيم، ويجعلهم في حاله محمودة من القوة الاقتصادية، والدينية، والاجتماعية، ويبين لهم أن الدين لا يعادى الدنيا، (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) في أسلوب النفي المزيل للحرج من نفوسهم الموسع عليهم في ابتغاء أرزاقهم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - أن مواضع المعاصي، وأفعال الجاهلية لا تمنع من فعل الطاعة فيها[١].

٢ - حكم بيع المعتكف: ذهب جمهور الفقهاء (الحنفية، والشافعية، والحنابلة) إلى أنه يجوز للمعتكف بيع وشراء ما يحتاج إليه واستدلوا على ذلك بعموم الأدلة من الكتاب والسنة الدالة على جواز البيع والشراء من غير فصل بين المسجد وغيره[٢]. كما استدلوا بالقياس على جواز التجارة في الحج، والجامع بينهما العبادة[٣].

وذهب المالكية، وعطاء، ومجاهد، والزهري إلى كراهة ذلك[٤]. واستدلوا على

---

(١) فتح الباري ٣٩٣/٤.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٧/٢.

(٣) فتح الباري ٧٢٦/٣.

(٤) حاشية الصاوي والشرح الصغير ٧٣٢/١-٧٣٣، مواهب الجليل ٤٦١/٢، فتح الباري ٧٢٦/٣.

ذلك بما روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ، وَبَيْعَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ، وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ، وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ)).

ويناقش هذا: أن هذا الحديث محمول على اتخاذ المساجد متاجر كالسوق يباع فيها وتنتقل الأمتة إليها، أو يحمل على الندب والاستحباب توفيقًا بين الأدلة قدر الإمكان[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام وبيانه: أن التجارة لا تنافي صحة الحج.

ثانيًا: من آداب الداعية: التيسير على المدعوين.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تحرز الصحابة رضي الله عنهم من الوقوع في أعمال الجاهلية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: يسر تعاليم الإسلام وبيانه أن التجارة لا تنافي صحة الحج:

حيث جاء في الحديث: (كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقًا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم)، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[2].

قال القرطبي: "ولما أمر تعالى بتنزيه الحج عن الرَّفَث والفُسوق والجدال رخّص في التجارة؛ والمعنى: لا جناح عليكم في أن تبتغوا فضل الله. وابتغاءُ الفضل وَرَدَ في القرآن بمعنى التجارة، ففي الآية دليل على جواز التجارة في الحج للحاج مع أداء العبادة، وأن القصد إلى ذلك لا يكون شركًا، ولا يخرج به المكلف عن رسم الإخلاص المفترض عليه، أما إن الحج دون تجارة أفضل فلخلوه عن شوائب الدنيا وتعلق القلب بغيرها"[3].

وقال القاسمي: "قال الراغب: كانت العرب تتحاشى من التجارة في الحج، حتى إنهم كانوا يتجنبون المبايعة إذا دخل العشر، وحتى سمّوا من تولّى متجرًا في الحج:

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٧/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤١٣/٢ - ٤١٤.

الداج دون الحاج؛ فأباح الله ذلك، ففي الآية الترخيص لمن حجّ، في التجارة ونحوها من الأعمال التي يحصل بها شيء من الرزق - وهو المراد بالفضل هنا - فلا إثم عليكم في أن تبتغوا في مواسم الحج رزقًا ونفعًا وهو الربح في التجارة مع سفركم لتأدية ما افترضه عليكم من الحج"[1].

قال ابن حجر: "والتجارة أيام الموسم جائزة، ولقد خشي المسلمون من الوقوع في الإثم للاشتغال في أيام النسك بغير العبادة، ولما نزلت هذه الآية نفت الجناح والإثم عمن يفعل هذا"[2]. إن من مقتضيات الإيمان أن يتخلق المؤمن بالعبودية المطلقة لله تبارك وتعالى التي ليس فيها استثناء، ولا بقاء فيها لأي حظٍ من حظوظ النفس، أو تقديمٍ لأي علاقة من علائق الدنيا.

وهذه هي الغاية التي لأجلها خُلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] ولأجلها بُعث الرسل -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[4].

والعبودية المطلقة تعني أن يكون عند الإنسان الاستعداد في الاستسلام للتكليف مهما كانت التضحية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[5].

وقد حصل الاستسلام فعلاً من بني إسرائيل، عندما أُمروا بالقتل توبةً من عبادة العجل: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[6].

---

(١) محاسن التأويل ١٥٦/٣.

(٢) فتح الباري ٦٩٦/٣.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) سورة النساء، الآيات: ٦٦-٦٨.

(٦) سورة البقرة، آية: ٥٤.

وكان هذا الابتلاء صعبًا يحمل معنى العقاب لأنهم أذنبوا ذلك الذنب العظيم.

وقد حدث مثل هذا الابتلاء لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لإظهار عبوديته المطلقة في الاستسلام ولكن دون أي ذنب، عندما أمره الله بذبح ابنه فاستسلم الاثنان لأمر الله وبادرا إلى التنفيذ، فكان ذلك أصدق دليل على العبودية المطلقة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

هذا الاستعداد يجعل من اليسير على المؤمنين عدم التطلع إلى الدنيا وعزلها تمامًا أثناء العبادات، إلا ما أذن به الشرع، وما يتحول هذا الاستعداد إلى خُلقٍ دائم والتزام معتاد.

ومن هذا القبيل ما كان ينوي أن يمارسه المؤمنون من اجتناب التجارة في موسم الحج، لولا أن الله أذن بذلك، ونزلت الآية الكريمة في رفع الجناح، والمسلم الذي يسهل عليه أن يرى الطعام اللذيذ وهو جائع أو الماء الزلال وهو عطشان أثناء الصيام ولا يصعب عليه اجتناب ذلك، لن يصعب عليه اجتناب البيع والشراء أثناء الحج لو أن شرْع الله سبحانه منع من ذلك.

وقال ابن علان: "ومعنى فتأثموا: أي: تحرجوا خافوا من الحرج بسبب اتجارهم فيها فنزلت: (ليس عليكم جناح)، أي: حرج في (أن تبتغوا فضلاً من ربكم) أي: بالتجارة، ففي الحديث أن التجارة في الحج لا تنافي صحته وإن كان الكمال خُلُوّ يد الحاج منها؛ لأنها تشغل عن تمام التوجه إلى الله تعالى، والصحيح أنه يثاب على مقصده الديني وإن قلّ! أخذًا من عموم قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[2]، وهذا جَارٍ في كل عمل أشرك فيه قصد ديني وقصد دنيوي"[3].

ثانيًا- من آداب الداعية: التيسير على المدعوين:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن من أهم آداب الداعية التيسير على المدعوين، لأن الشريعة الإسلامية كلها تيسير، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ

---

(١) سورة الصافات، آية: ١٠٦.

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) دليل الفالحين ص ١٣٩٠.

حَرَجٍ﴾[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة))[٢]. وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي لأَدْخُلُ الصَّلاَةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ، مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ))[٣].

إن التيسير على المدعوين أمر هام في مسيرة الدعوة الإسلامية للوصول بالدعوة إلى قلوب الناس: "إنّ سماحة الداعية ولينه وسهولة معشره هي التي تفتح مغاليق القلوب، وتنفذ به إلى أعماق النفوس، يلامسها بالهداية فتقبل، ويدعوها إلى الخير فتستجيب، وهذا الخلق يجب أن يغطي مساحة حياة الداعية كلّها، وأن يكون ملازمًا له في كل شأن من شؤونه في دعوته، وفي حياته اليوميّة وفي حياته العامة.

ولقد كان من سماحة الإسلام أن جعل أحكامه وتشريعاته مبنية على التيسير ورفع المشقة والحرج عن الأمة، ولقد يسر الله سبحانه وتعالى الأخذ بتعاليم الإسلام فجعلها مقدورة من جهة، وتزال الكلفة عند حدوث المشقة من جهة ثانية، والدعوة الإسلامية بحاجة ماسّة إلى دعاة لديهم مع العلم الراسخ فقه ثاقب حتى لا يحجر على المدعو كثيرًا فيبتعد كثيرًا عن هذا الخير الذي يدعى إليه"[٤].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية:

يتضح هذا من خلال جواز التجارة وهو أمر دنيوي في موسم الحج وهو أمر تعبدي أخروي وفي هذا مواءمة بين مصالح الدنيا ومصالح الآخرة، وهذا هدف رئيس من أهداف الدعوة وقد قال الله تعالى لقارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٥]، "ومن عظمة التشريع

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧٠٨، ومسلم ٤٧٠.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٧٥ - ٧٦ بتصرف.

(٥) سورة القصص، آية: ٧٧.

الإسلامي أنه لا يباعد بين المادة والروح، ولا يفصل بين الدنيا والآخرة، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة بين حق الإنسان لربه، وحقه لنفسه، وحقه لغيره فالإسلام يقيم التوازن بين هذا وذاك"[١].

إن تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية من ميزات شريعة الإسلام، وتأكيد الدعاة إلى الله على هذا المعنى يبرز عظمة الشريعة الإسلامية، ومقاصد الإسلام، وغايات الدعوة "ومن خصائص التوجيه الإسلامي أنه ملائم للفطرة والجبلة الإنسانية فهو يهتم بتربية جميع جوانب الإنسان: الخلقية، والجسمية، والعقلية، ويحقق التوازن بين مطالب الإنسان الجسدية والروحية فلا يطغى جانب على جانب آخر وحتى لا يكون الإنسان في صراع نفسي وعناء داخلي وكبت لغرائزه التي فطره الله عليها، فلحاجة الإنسان للمال أحل له التجارة وحثه على العمل والكسب الحلال، ولحاجة الإنسان إلى الطعام أحل له الطيبات من الرزق وحرم عليه الخبائث من الأطعمة والأشربة، وبهذا يتضح أن التوازن سمة من سمات التوجيه الإسلامي، التوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح والتوازن الخلقي بين حق الله وحق الأهل وحق الضيف وحق النفس"[٢].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: تحرز الصحابة رضي الله عنهم من الوقوع في أعمال الجاهلية:

ويتضح هذا من سياق الحديث، حيث كان الصحابة رضي الله عنهم شديدي الحرص على التخلص من أمور الجاهلية، بعد أن هداهم الله إلى الإسلام؛ لأنهم أدركوا عِظَم خطورة ما كانوا فيه من الضلال؛ فلذلك كانوا يخشون من بقاء شيء من بقاياه، كمن يخشى وجود شيء من النار مهما قلّ أن يأتي على أثمن ممتلكاته بشرارة الحريق، فهو لذلك يتجنب كل ما يمُتُّ إلى النار بسببٍ أو صلة.

ونار الآخرة أعظم شرًّا وأكبر خطرًا، وكل أمور الجاهلية تدعو إليها، وقد كانت كراهية الصحابة لأي أمرٍ من أمور الجاهلية مثل كراهيتهم للنار.

والقرآن الكريم يقرّر بعض المعالجات والأحكام، اعتمادًا على وجود تلك

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على صالح المرشد ص ٤٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٤٩ - ٥٠.

الكراهية، التي جمعت بين الجاهلية والنار كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1]، وكما في مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ﴾[2].

وقد بلغ الحذر في الصحابة والحساسية من الأوضاع التي كانت سائدة في الجاهلية إلى حد التحرّج من بعض الأحوال والتصرفات التي قد لا يوجد محلّ للتحرّج منها، ومن ذلك تحرّجهم كما في هذا الحديث من أن يتجروا في موسم الحج فأنزل الله سبحانه ما يطمئنهم في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3]، ومن ذلك أيضًا ما رواه البخاري عن عاصم ابن سليمان قال: سألت أنسًا عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلمّا جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[4].

وهذا التحرّج عند الصحابة رضي الله عنهم هو من شدة تديّنهم وتمسّكهم بعقيدة التوحيد.

إن الإسلام يحرص على تربية أتباعه على الورع، بحيث توجد لدى الشخص رقابة ذاتية داخلية تجعله يتحرى فيما يأخذ وما يدع، وما هو الذي ينبغي أن يمضي فيه وما هو الذي لا ينبغي، ويقدّم جانب الاحتياط في الأمور الملتبسة فيترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس، وذلك لأن السلامة لا يعدلها شيء.

ومعلوم أن الحياة مكرسّة أصلاً للابتلاء قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[5].

ولذلك فإن الأشواك مبثوثة في كل مكان، ولا يسلم منها إلا من كان شديد الحذر، ورحمة الله للإنسان في هذا الابتلاء ينالها من أخذ بالأسباب، ومن أبرز الأسباب

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٨.

(٥) سورة الملك، آية: ٢.

أن يرحم الإنسان نفسه فيحجزها عن الاندفاع والرعونة، ولو حرمها بعض الشيء تورّعًا، رعايةً لها وعنايةً بها لكي يكون هذا سببًا لنزول رحمة الله عليه قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1].

وهذه الأشواك التي يتربى المسلم على اتقائها والحذر منها تتمثل في كل ما هو ظاهر الضرر، وكذلك كل ما يتردّد فيه المسلم ويرتاب منه، ولا يطمئن إليه قلبه، وتشك فيه نفسه الحسّاسة اللوّامة الرقيبة الورعة، فيترك ما يريبه، ويكتفي بما لا يريبه، ويصير ذلك ميزانًا لديه، ومعيارًا يعتمد عليه، فيتقي كل الشبهات حتى يحفظ دينه من أي خلل قد يتسلّل إليه، ويصون عرضه من التساهلات والتنازلات التي قد يقضي فيها وطَرًا، ولكنه يعقبها سياطٌ من لوم النفس ولوم الناس ونقدهم بحيث يصبح وقوعه في الريبة والشبهة ضررًا عاجلاً عليه، يجعله هو نفسه محل ريبة وشبهة عند الناس، كما جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ))[2].

واتقاء الشبهات هو مظهر الورع، وصاحبه يكون محل قبول عند الله، ويضع سبحانه له القبول في الأرض فيكون بورعه داعية ولو كان لسانه صامتًا، وعندما يتكاثر الأتقياء الورعون ويشكّلون ظاهرة اجتماعية، فإن مجتمعهم يكون مثاليًّا ونموذجًا تتطلع إلى الاحتذاء به المجتمعات الأخرى فيجذبها ذلك إلى روضة الإسلام.

وهذا يفسر لنا سرّ تأثير أفراد أو أوزاعٍ[3] من تجمّعات صغيرة من المسلمين في أمم كبيرة، دخلت في الإسلام كما حصل في إندونيسيا، وكما يحصل اليوم في أوروبا وأمريكا عندما تدخل أعداد كبيرة في الإسلام بسبب الدعوة، وأبرز ما في هذه الدعوة دعوة السلوك.

إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وهم أول من نشروا الإسلام في الأرض كانوا يحملون

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٣) أو زاعٍ: فرق، الوسيط في (و ز ع).

نفسية الوَرَع والتقوى، وتحرُّجهم من التجارة في موسم الحج رغم علمهم أن التجارة في أصلها حلال حتى جاءهم الإذن الصريح لدليل على عمران تلك القلوب العظيمة بالتقوى واكتفائها برضوان الله، وترفّعها عن حطام الدنيا، وهذا هو الذي جعلها تكسب الدنيا والآخرة، وحُبَّ الله وحب الناس، وجعل ذلك الجيل يتبوّأ مركز الصدارة لخير أمة أخرجت للناس.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: الحج والعمرة:

هذا الباب يتضمن كثيرًا من الأحاديث التي تحث على أداء الحج والعمرة، وبيان فضلهما، وإذا كان لهما يقينًا مقصودٌ تعبدي كبير، فإنه يمكن أن يكون لهما كذلك دور تربوي مفيد في حياة الناس، وفي تربيتهم تربية سليمة صحيحة، وفي تغييرهم إلى الأحسن والأفضل والأكمل، ولعل هذا الدور التربوي يتضح فيما يلي:

أ - الحج والعمرة قائمان على الامتثال المطلق والإذعان المحض، فإن الحاج أو المعتمر يؤدي المناسك وقد لا يفهم الحكمة منها ولا المقصود من ورائها إلا أنه يطيع الله سبحانه وتعالى، إنه يطوف حول البيت ويسعى بين الصفا والمروة ويرمي الجمار ونحو ذلك وهو مطيع خاضع مذعن مستجيب لمولاه وحسبه وكفاه ذلك، وفي هذا فرصة ذهبية، لتعويد الناشئة على الاستجابة للشرع والخضوع له وامتثاله، حتى ولو لم يفهموا أو يدركوا الحكم من وراء ذلك، فحسبهم أنهم لله ممتثلون ولربهم خاضعون، إنهم عباد لله، يفعل بهم ما يشاء، فيأمرهم وينهاهم وهم لا يملكون إلا الانقياد.

ب - يجتمع في البيت الحرام والمشاعر والمناسك المسلمون من مختلف الجنسيات والألوان واللغات، ومن مختلف الأعمار: الطفل والصبي والشاب والشيخ والكبير، ومن مختلف أقطار الأرض من مشارقها ومغاربها وشمالها وجنوبها، كل هذا يدفع الحاج والمعتمر إلى الاعتزاز بدينه والاعتزاز بالانتساب إلى هذا الدين العظيم، هذا الدين الذي شمل مختلف نواحي الأرض، ومختلف الشعوب والأجناس، ووحد أهدافهم وأغراضهم وأعمالهم ومناسكهم وغاياتهم بحيث يشكلون وحدة رائعة تتغلب على كل ما يعيقها ويقف أمامها.

ج - في الحج والعمرة يشعر من يؤدي المناسك أنه مهما فعل فهو مقصر، فإذا كان قد ترك الأهل والبلدان فإنه غيره قد جاء من بلاد وأماكن أبعد مما جاء، وإذا كان أنفق من المال الشيء الكثير فإن هناك من أنفق أكثر منه، وإذا كان اجتهد في أداء المناسك وهو في صحته وقوته، فإن غيره قد أداها وهو يكاد لا يستطيع أن يمشي أو

يقيم صلبه ورغم ذلك أدّاها بكل حب وشوق وامتثال، وهكذا يشعر مؤدي المناسك بأن غيره فعل أكثر مما فعل، وفي هذا الشعور حماية له من الغرور والتكبر والتعالي على غيره ومن ثم يلزم التواضع والأدب مع نفسه ومع غيره.

د - في الحج والعمرة درس عملي لتعلم أخلاق التراحم والتسامح وسعة الصدر والرفق، حيث يكون التزاحم والازدحام في أداء المناسك،وهذا لا يناسبه إلا أن يكون مؤدي المناسك متصفاً بهذه الأخلاق حتى يستطيع أن يؤدي المناسك على خير وجه كما يساعد إخوانه على الوصول إلى ذلك.

وغير ذلك من الفوائد التربوية المهمة التي يحققها الحج والعمرة، لذا بيّن العلماء أن علامة الحج المبرور والعمرة المقبولة، أن يكون الإنسان بعدهما خيرًا من قبلهما وأفضل حالاً وأحسن سلوكًا.

ثانيًا - من فطنة المربي: معرفة ما يناسب من يقوم بتربيتهم:

لقد قال النبي ﷺ لأصحابه "أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجُّوا" فرغب رجلٌ في السؤال عن تكرار هذه الفرضية، فقال أكلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم". فلم يجبه ﷺ على سؤاله وإنما أخبره أنه لو قال بالوجوب، كل عام لما استطاع المخاطبون وما أطاقوا وعجزوا عن الامتثال، وفي ذلك بيان لما يناسبهم ويتوافق معهم ولا يشق عليهم ولا يكلفهم من أنفسهم عنتًا ولا مشقة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن زوجه عائشة رضي الله عنها لما سألت النبي ﷺ عن رغبتها في الجهاد والقتال لكونه أفضل الأعمال، لم يوافقها على هذه الرغبة ودلها على ما يناسبها ويناسب بنات جنسها ويتوافق مع قدراتهن واستعداداتهن، إنه الحج.

والخلاصة أن هذين الحديثين يمكن أن يستدل بهما على أن المربي يجب أن يكون فطنًا متيقظًا، ومن أمارات فطنته وتيقظه أنه يدل من يقوم بتربيتهم على ما يناسبهم ويلائمهم، ولا يوافقهم على كل أمر رغبوا فيه أو أحبوه أو رأوا أنهم قادرون على الالتزام به دون أن يدركوا حجم قدراتهم وإمكاناتهم.

إن المربي إن فعل ذلك قدّم خدمة جليلة لهم، فهو من ناحية دلهم على ما يتفوقون فيه ويبرزون وينجحون، وفي ذلك تأثير إيجابي عليهم نحو الإنجاز والإنتاج والإبداع، ومن ناحية أخرى فهو يوفر عليهم مرارة التجربة وصعوبة الطريق وعسر المسلك عندما يعملون ما لا يناسبهم ولا يكون في قدراتهم وسعتهم على المدى القصير أو الطويل.

إن على المستوى العام للتربية يجب أن يؤخذ ذلك في الحسبان والاعتبار، فما يناسب أحدهم لا يناسب الآخر، وما يوافقه ويناسبه لا يكون بالضرورة كذلك للآخرين، وهذا له تأثير مهم جدًّا على مستوى ما يسمى الصراع بين الجنسين الرجال والنساء، فلو عرف كل جنس ما يناسبه وما يوافقه ما حدث الاختلاف والتنازع والشقاق والتصارع والاتهام والرمي بالسيطرة والديكتاتورية، فإن لكل جنس أعماله التي تناسبه ويبرز فيها ويتفوق ويحقق الإبداع والابتكار.

والمقصود أن على المربي أن يكون فطنًا فيدل من يقوم بتربيتهم على ما يناسبهم من أعمال حتى يريحهم ويساعدهم على الإنتاج والنجاح.

ثالثًا - التربية على إتيان المأمورات واجتناب المنهيات:

لقد قال النبي ﷺ "ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه".

لذا فإن "تلقي النصوص الشرعية، لتنفيذ ما فيها من أوامر، وتطبيق ما فيها من أحكام، من سمات التربية الجادة التي تفترض في أفراد الأمة الإسلامية، وهذه السمة تحتاج إلى رصيد من الإيمان القوي والتربية الزاكية، ولقد دلت النصوص الشرعية على أهمية هذه السمة في أكثر من آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٥.

ولقد ابتلى الله صحابة رسوله ﷺ بآية في كتاب الله، وقفوا منها موقف المتلقي للتنفيذ المشفق على نفسه من القصور، مع شعور قوي بمسؤولية الأمانة تجاه أنفسهم في تلقي أحكام النصوص الشرعية، فظنوا أنهم عاجزون عن العمل بمقتضاها، فراجعوا رسول الله ﷺ فيها إشفاقًا على أنفسهم لا اعتراضًا، ومع ذلك سمعوا وأطاعوا، فنسخ الله حكمها وبقي لفظها، وكم من سامع لها بعدهم ممن لا يحمل همّ التلقي للتنفيذ يمر عليها لا يحسب لها حسابًا، ولا يقف عندها بل يستوي الأمر عنده، أنسخت الآية، أم لم تنسخ؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ قَالَ فَاشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ فَأَتَوْا رَسُولَ اللّهِ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ. فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللّهِ! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ. الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ. وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذِهِ الآيَةُ. وَلاَ نُطِيقُهَا. قَالَ رَسُولُ اللّهِ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ. فَأَنْزَلَ اللّه فِي إِثْرِهَا: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ نَسَخَهَا اللّه تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ (قَالَ: نَعَمْ) ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] (قَالَ: نَعَمْ))[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٢٥.

إن الغاية من الأحكام الشرعية التي جاءت بها نصوص الكتاب والسنة هي العمل بتنفيذ أوامرها واجتناب نواهيها، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

ومن أسمى الصور التي تتحقق فيها سمة التلقي للتنفيذ، تلك الصورة التي يتلقى فيها المؤمن الحث على أعمال مستحبة غير ملزم بفعلها، فيأخذها مأخذ العزيمة، ويلتزم بما فيها من أعمال من لحظة تلقيه للنصوص الشرعية فلا تردد أو تكاسل، أو انقطاع أو فتور، ومن تلك النماذج ما رواه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "نعم الرجل عبدالله لو كان يصلّي من الليل" قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً[2] ... وقال البخاري: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدًا[3].

رابعًا - التربية على أن الأعمال بحقيقة أدائها لا بشكلها وهيئاتها فحسب:

لقد ذكر النبي ﷺ أن الحجّ المبرور من أفضل الأعمال، قال النووي: (المبرور هو الذي لا يرتكب صاحبه فيه معصية)[4]، وأخبر ﷺ أن "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"، أي أنه أدى الحج أداء منعه من ارتكاب المعاصي والذنوب كما أخبر ﷺ "أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة"، أي أننا أمام أحاديث تحث وترغب على أداء الحج كما ينبغي، وكما يكون، لا يكتفي فيها بالشكل والصورة فحسب، إنما يكون حجًّا يحج معه القلب وتطوف وتسعى الجوارح وترمي الأفئدة ما علق بها من حب الدنيا والشهوات والأهواء، إنه يكون حجًّا مبرورًا خاليًا من الإثم والذنب، إنه حجّ قصد مؤديه أن يختلف حاله بعده عما سبقه، فيقبل على أداء مناسكه

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري ١١٢٢، ومسلم ٢٤٧٩.

(٣) التلقي للتنفيذ سمة إيمانية، سلمان بن عمر السنيدي، مقال بمجلة البيان، العدد ١٢٣، ص ٤٠-٤٥.

(٤) رياض الصالحين ٤٥٣.

وشعائره بقلبه وروحه، يناجي ربه ويدعوه مخلصًا أن يتقبله منه، وأن يكون خالصًا لوجهه، إنه يعيش كل شعيرة وكل منسك بقلبه وجوارحه، فيلهج لسانه بذكر ربه ويخضع قلبه ويسكن ويذلّ له سبحانه، إنه إذا أحرم وقد تجرد من ملابس الدنيا، فإنه كذلك يتجرد من أطماع الدنيا وشهواتها وملذاتها، ويتعلق قلبه بالله الواحد القهار ويطمع في رضاه وعفوه وكرمه ودخوله جنته، إنه يرى نفسه عبدًا لله حقًا، فيفعل ما يأمره به وينتهي عما نهاه، فإنه بلبسه الإحرام قد منع من فعل أشياء، وهو بهذا مسلم مطيع منقاد، وفي الوقت نفسه يعلن استجابته لله عز وجل فيقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، ثم هو يطوف حول البيت، بيت الله الحرام سبعة أشواط، فيعظم ما عظمه الله ويجلّ ما أجله الله، فلا ينتهي من الطواف إلا وقد استقر في قلبه تعظيم شعائر الله. ثم يذهب إلى الصفا والمروة يسعى بينهما داعيًا ربه، مقبلاً على ذكره، متضرعًا بقلبه إليه أن يتقبله، فها هو ذا يمشي في مكان المشي، ويسرع في مكان الإسراع، ويصعد ويهبط استجابة لله رب العالمين، فلا يكاد يفرغ من السعي إلا واستقرّ حب طاعة الله في قلبه وبين جوانحه، ثم في عرفة يقبل على الدعاء والذكر ويشتد في ذلك، ولا يدعو بلسانه فحسب بل يدعو أيضًا بقلبه وجوارحه وفؤاده، كل ذلك رجاء أن يعتقه الله من النار.

ثم هو إذا رمى الجمرات رمى معها شهواته وملذاته ودنياه، وأقبل على آخرته وعمله الصالح، كل ذلك ابتغاء رضا الله ونيل رحمته، فإن هو فعل ذلك كان حجه مبرورًا وسعيه مشكورًا، وقد تغير قلبه فأصبح أكثر إيمانًا وتبدلت جوارحه فأصبحت أكثر توجهًا لله رب العالمين، وانضبط جسده فلا يتحرك إلا لله، ولا يقف إلا عند حدود الله تعالى.

أما من حج والتزم الشكل والهيئة فحسب، دون أن يحاول أن يحقق معاني الحج من الابتهال والتضرع والخضوع والخشوع والانقياد، فإنه نادرًا ما يستفيد من حجه هذا، ويكون تعبه ومشقته أكثر من استفادته من هذا المنسك العظيم.

وشتان بين حاج حج حجًا مبرورًا، وحاج لم يكن له من حجه إلا الشكل والهيئة،

فهذا رجع إلى أهله مسرورًا، وذاك رجع كما ذهب، وهذا أقبل بتغيير هائل في نفسه وذاك ظلّت نفسه خامدة منطفئة، وهذا أحس المحيطون به بأنه قد حج كما ينبغي، وذاك ما أحس الناس بحجه ولا بتغيره، وهكذا.

وعلى ذلك كان هناك فارق كبير بين حج وحج، بين حج يحج فيه القلب والجوارح وحج حج الظاهرُ دون الباطن، وعلى ذلك ينبغي أن تكون التربية منصبة على أداء الأعمال بحقيقتها ومقصودها ولبها لا الاكتفاء بالشكل والهيئة فحسب.

خامسًا - التربية على اختلاف مراتب الأعمال باختلاف الأزمان والأماكن:

لقد أخبر النبي ﷺ عن فضل يوم عرفة فقال: "ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة"، فعرفة زمان ومكان، فضله الله تعالى على كثير من الأماكن وعديد من الأوقات، كما أخبر النبي ﷺ عن فضل العمرة في رمضان فقال: "عمرة في رمضان تعدل حجة، أو حجة معي" فدل ذلك على أن العمرة في رمضان لها من الفضل ما ليس للعمرة في سواه، وما هذا إلا لفضل الوقت وشرفه، وعلى ذلك يمكن الاستدلال بهذين الحديثين في مجال التربية على أنه ينبغي أن يربى الناشئة على أن مراتب الأعمال تختلف باختلاف الأزمان والأماكن، وفي ذلك عدة فوائد تربوية، منها:

أ - غرس عادة إتيان الأعمال الفاضلة ذات المردود الأعلى والنتيجة الأسمى، والحرص على ذلك وعدم تفويتها ما أمكن إلى ذلك من سبيل.

ب - غرس عادة التمييز بين مراتب الأعمال والأفعال، والتمييز بين فضائل الأوقات من غيرها، ومعرفة ما يناسبها من أعمال.

ج - تعويد الناشئة وغيرهم على الجمع بين الأعمال الصالحة في الأوقات الفاضلة ما دام ذلك مشروعًا وفي الطاقة وفي الوسع وإلا قدم الأفضل والأحسن والأعلى في العمل والوقت.

سادسًا - الاهتمام بكبار السن والمقعدين:

لقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تسأله عن الحج عن أبيها الذي أدركته

فريضة الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يؤدي مناسك الحج، كما ذهب لقيط بن عامر رضي الله عنه إليه ﷺ فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن، وكلا السائلين يسألان عن الحج عن الأب، فأجاز لهما النبي ﷺ أن يحج كل واحد منهما عن أبيه، وهنا قد تحضر بعض الأسئلة: أليس هذا اهتمامًا من الأبناء بآبائهم الكبار المقعدين الطاعنين في السن؟ أليس هذا إقرارًا من النبي ﷺ على هذا الاهتمام وتشجيعًا له؟ أليس الحج عن هؤلاء الكبار الطاعنين إدخالاً للسرور عليهم والسعادة على قلوبهم أن مكن الله لمن يحج عنهم ويمن الله عليهم بفضل هذا الحج وثوابه؟ أليس في هذا كله اهتمام كبير بهؤلاء الذين بلغوا من العمر عتيًا ومن العمر أرذله؟ أليس هذه التفاتة رائعة يوليها الإسلام لهؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في تحقيق مصالح الدين ومصالح الدنيا المشروعة؟ أليس في هذا رد لبعض الجميل لهؤلاء الذين طالما قدموا الكثير من المعروف والخير لأبنائهم وذرياتهم؟ أليس في هذا خير هدية وأثمن منحة لهم وهم يوشكون أن يودعوا الدنيا وينتقلوا إلى جوار الرحمن؟

إننا يمكن أن نستدل بهذين الحديثين على أن ينبغي أن نربي الناشئة وغيرهم على الاهتمام بكبار السن والمقعدين، وإعطائهم ما يستحقون من تقدير ومكانة ومنزلة واحترام، ولا نفعل كما تفعل بعض المناهج التربوية الأخرى التي ترى فيهم عبئًا على الدولة وعلى مصادرها ومواردها، فهم في رأيها أصبحوا قوة معطلة تعاني من الأمراض الخطيرة والعلل المقعدة والتي تجعلهم فئة مستهلكة بعد أن كانت منتجة، ومن ثم تضيق بهم ذرعًا حتى إنها قد تفكر في التخلص منهم بأشكال غير آدمية بالمرة، فأين ذلك من اهتمام الإسلام بهم، واعتبارهم أنهم أولى الناس بالإكرام والعناية والتقدير والاهتمام، حتى إنه لا يكتفي بأن يطالب أتباعه أن يوفروا لهم متطلبات الحياة الضرورية فحسب، بل يسعوا إلى أن يستكملوا ما قد يكون فاتهم من فرائض وعبادات وذلك على نحو مشروع مقبول.

والخلاصة أنه ينبغي أن يكون من اهتمام المربي أن يربي من يقوم بتربيتهم على الاهتمام بالكبار، والعناية بشؤونهم، والعمل على احترامهم، كما يربيهم على العطف

على الصغار والحدب عليهم، فإن التربية الإسلامية تربية متراحمة متوادة.

سابعًا - تعويد الصغار على أداء العبادات:

لقد قال الصحابي السائب بن يزيد رضي الله عنه: حُجّ بي مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، وأنا ابن سبع سنين، كما أن امرأة مسلمة رفعت صبيًا إلى رسول الله ﷺ فقالت: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر، فكان في هذين الحديثين إرشاد للمربين أن يعوّدوا الناشئة وغيرهم على أداء العبادات والطاعات وهم في سن الصغر، ولا يمنعوهم من ذلك بُحجّةِ كونهم صغارًا لا يتحملون ذلك ولا يطيقونه، وأنهم سوف يؤدونها وهم في سن البلوغ، إن تأخير تعويد الصغار عن أداء العبادات يعود على درجة امتثالهم للطاعات والعبادات وقت البلوغ والتكليف، فتجد أنه ليس عندهم من اليقظة والإقبال والاهتمام ما عند من عُوِّدوا عليها وهم ما زالوا صغارًا، إن الأم التي تمنع طفلها من أن يصوم بحجة أن جسمه ضعيف، وأن الصيام سيؤثر عليه وعلى جسده، وتبالغ في ذلك، مع أن أقرانه ومن هم في سنّه يصومون ولا تظهر عليهم أمارات التأثر التي تخشاها على ولدها ولا علامات الإرهاق والضعف التي ترهبها على ابنها، إنها تبالغ في ذلك أشد المبالغة وذلك بدافع الحب والشفقة، إلا أنها من ناحية أخرى تحرم ولدها من يكون له دور إيجابي في أداء العبادات وهو صغير وتحرمه من أن يحس بلذة التعبد ولذة أن يكون مثل قرنائه وأمثاله ونظرائه، إنها تجعله يشعر -دون أن يدري- أنه مختلف عنهم، وأن قدراته أقل من قدراتهم، وعزيمته أضعف من عزيمتهم، وخبرته أقل من خبراتهم، وهذا ينطبع في نفسه ويتعمق ويظلّ يحركه بعد ذلك في مستقبل أيامه.

إننا نريد من الآباء أن يعودوا أولادهم على العبادة بقدر الاستطاعة وبقدر الإمكان، حتى يسهل عليهم أداؤها عند سن التكليف، فكم من مسلم يعرف أن الصوم حق وواجب لكنه يعاني ويقاسي في صومه كل عام، بل إنه - والعياذ بالله - لا يستطيع الاستمرار في الصوم فيفطر، وما ذلك إلا لأنه لم يعود الصيام في صغره. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن أداء العبادات في وقت الصغر يكوّن حبًّا واعتزازًا في نفوس الناشئة عندما يكبرون ويكلفون، فكم من الذكريات الجميلة نحملها لوقت طفولتنا

ونحن نذهب إلى المساجد وقت الصلوات ونذهب للقيام في رمضان، وإيقاظ الجيران وقت السحور، وكذلك ونحن نذهب ببعض الصدقات للمحتاجين والمساكين، ويود كل واحد منا أن ينقل هذه الذكريات الجميلة إلى أبنائه وذريته.

ولذا كان على المربين أن يربوا صغارهم على أداء ما يستطيعون من عبادات وأعمال صالحة.

ثامنًا - التربية على الجمع بين العمل للآخرة والعمل للدنيا:

لقد أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] بسبب ما شعر به الحجاج من حرج وتأثم من متاجرة والقيام بالبيع والشراء وقت الحج ومكانه، وذلك لأن الحج لله تعالى، فشعروا أنهم إذا تاجروا خدشوا نيتهم الخالصة لله تعالى بما يأتيهم من نفع دنيوي، إنهم اعتقدوا أن الحج لا يكون فيه إلا أعمال الحج وأداء المناسك أما التجارة والانشغال بالكسب المادي معه ففيه إقحام للدنيا فيما هو خالص للآخرة. فنزلت هذه الآية الكريمة تنفي عنهم هذا الحرج وهذا التأثم وتبين لهم أنه لا حرج أن يتاجروا في موسم الحج، بشرط ألا يطغى هذا على المقصود الأول وهو أداء النسك والشعائر كما ينبغي وكما يراد. والسؤال هنا: أليس في نفي الحرج هذا جمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي؟ وأنه متى استطاع المكلف أن يجمع بينهما على وجه مشروع ومقبول انتفى التعارض والتزاحم بينهما؟ وأنه انطلاقًا من هذا أليس هذا دليلاً واضحًا لحث الشرع المكلفين على العمل للدنيا كما يعملون للآخرة ويجدون ويجتهدون؟ أليس الدنيا مزرعة الآخرة؟ أليس صلاحها طريقًا لصلاح الآخرة؟ أليس امتلاكها سبيلاً من سبل عبادة الله على الوجه الذي يرضيه عنا؟

والخلاصة أنه يمكن الاستئناس بهذا الحديث لدفع المربين لأن يربوا أتباعهم على أن يعملوا للدنيا كما يعملون للآخرة، وأن يجمعوا بين العملين ما دام هناك طريق للجمع بينهما، ويغرسوا ذلك في نفوسهم غرسًا واضحًا لا لبس فيه، وعندها يحققون فوائد تربوية مهمة جدًا منها:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٨.

أ - تعويد الناشئة على أن يكون لهم مردود قوي وإيجابي في هذه الحياة الدنيا ولا يكتفون بدور المتفرج أو المشاهد، ويتركون غيرهم يحقق السبق والتقدم ويتملك من الوسائل ما يجعله يتحكم في غيره ويفرض ثقافته عليه طوعًا أو كرهًا. إن على المسلم أن يكون على الأقل قائمًا بدور الند والمنافس لا دور المتلقي والمستهلك لما ينتجه غيره أو يفرضه غيره، وهذا لا يكون إلا بالعمل من أجل التمكين في هذه الدنيا والسيطرة على ما يساعد على تحقيق هذه الغاية النبيلة.

ب - العمل للدنيا يساعد على نشر دين الإسلام وإشاعة تعاليمه بين الأمم والشعوب المختلفة ويمحو تلك الصورة القائمة التي تكونت في الذهن الغربي عن المسلم بأنه تارك لدنياه لا يلتفت إليها ولا يلقى لها بالاً، وإنما كل همه التمتع بملذات الدنيا من طعام ونحو ذلك، ولو أحسنوا التصور وأحسن المسلمون العمل لتغيرت الصورة نهائيًا وأصبح ينظر إلى المسلم في عالم اليوم نظرة تقدير واحترام.

ج - إذا كان العالم الغربي الآن لا يعرف إلا الحضارة المادية المغرقة في أوحال المادية التي لا تقيم للروح ولا للوجدان ميزانًا لا تفسح لهما مكانًا في حضارتها المادية، فإن المسلمين إذا عملوا للدنيا كما يعملون للآخرة، يقدمون حلاً مدهشًا طالما حار المفكرون الغربيون في البحث عنه، ومحاولة تلمس مواصفاته وتلمس طرق تحقيقه، إن المسلمين إن فعلوا ذلك قدموا صورة تحتاجها البشرية أمسّ الاحتياج لتنقذها من هذا التيه، الذي دخلت فيه بسبب العمل الدنيوي البحت.

د - إن الجمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي يهذب العمل الدنيوي ولا يخرج به عن نطاقه المأمول في إسعاد البشر دون التسبب في شقائهم كما هو حادث الآن، إنه يوظف العمل الدنيوي في خدمة البشرية وإسعادها وتحقيق ما تطمح إليه من تقدم وازدهار، ويحفظه من أن ينحرف عن هدفه النبيل وغرضه الشريف إلى أن يكون وسيلة لتدميرها والعمل على إفنائها.

والخلاصة أن التربية على الجمع بين العمل الأخروي والعمل الدنيوي من المبادئ المهمة جدًّا التي يجب أن يتربى عليها النشء حتى يحقق لنفسه السعادة في الدارين.

١١- كتاب الجهاد

٢٣٤- باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾[التوبة: ٤١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١١١]، وقال الله تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ٩٥ - ٩٦]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف: ١٠-١٣]. والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أنْ تحصر، فمن ذلك:

الحديث رقم (١٢٨٧)

١٢٨٧- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضَلُ؟ قَالَ: ((إيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ)) قيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ((الجهادُ في سَبِيلِ اللهِ)) قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:

((حَجٌّ مَبْرُورٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مبرور: لم يأت فيه الحاج إثمًا، أو هو المقبول عند الله تعالى[2].

الشرح الأدبي

هذه الاستفهامات الثلاثة التي جاءت في الحديث يراد منها التعلم، والتوجيه وتنبيء عن حب جم لدين الله؛ لأنه يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، كما تنبيء برغبة في ارتقاء أعظم الدرجات في الجنة بتحصيل أعظم الأعمال، ولا يصدر مثل هذا إلا من نفس صموحة إلى المعالي، والتعبير بـ" العمل " لأنه يشمل الفعل، والقول جاءت بصيغة المفرد في قوله :" أي العمل أحب إلى الله " ليوضح أن المعتد به في العمل هو الإخلاص فيه، ليكون مقبولاً، وليس تعدد الأعمال دون إخلاص، ولأن السائل يريد أعلاها، فسؤاله عن قمتها، ولذلك بدأ بالصلاة في قوله: " الصلاة على وقتها " لأنها عمل واحد في طياته أعمال كثيرة تقوم على الإيمان، والخشية، والمراقبة، والخشوع والإخلاص، وجاء بحرف الجر " على " ليفيد الاستعلاء أي أن الوقت خادم للصلاة، والإضافة في وقتها تفيد الخصوصية، فللصلاة وقتها الذي يخصص لها، ثم جاء بعد ذلك ببر الوالدين، والجهاد فى سبيل الله؛ لأنهما فرع عن إتقان الصلاة التي تنهى عن الفحشاء، والمنكر، وقدم بر الوالدين؛ لأنه دائم لا ينقطع، ويحتاج إلى مجاهدة شديدة دائمة للنفس، والشيطان لاسيما حين تتعارض الرغبات، والجهاد يكون في وقت دون وقت.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦) واللفظ له، ومسلم (٨٣/١٣٥)، وتقدم برقم (١٢٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٦٣٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ر ر).

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الجهاد: اتفق الفقهاء على أفضلية الجهاد وأنه من أفضل الأعمال بعد الفرائض لأن في الجهاد بذلُ المُهَج والمال، ونفعه يعم المسلمين كلهم صغيرهم وكبيرهم قويهم وضعيفهم، ذكرهم وأنثاهم وغيره لا يساويه عمل في نفعه، ولا في فضله وأجره[1].

٢- حكم الجهاد: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية في الأظهر والحنابلة إلى أن الجهاد فرض كفاية[2] وأنه لا يتعين إلا في بعض الأحوال[3]. واستدلوا

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٦/٥، حاشية رد المحتار ١١٩/٤-١٢٠٠، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٥٩/٣، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢١/٩، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٤/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٣٤٧/٣، حاشية الصاوي على الصغير ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٤/١.

(٣) حالات تعين الجهاد هي:

١- إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام.

٢- إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم، كما يتعين على من يقربهم إن عجزوا عن دفع العدو بأنفسهم.

٣- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير. =

على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[1] حيث وعد الله عز وجل المجاهدين والقاعدين الحسنى، ولو كان الجهاد فرض عين في الأحوال كلها لما وعد الله القاعدين الحسنى لأن القعود حرام[2]. ولأن ما فرض له الجهاد وهو الدعوة إلى الإسلام، وإعلاء كلمة الدين الحق، ودفع شر الكفرة وقهرهم يحصل أيضًا بقيام البعض به[3].

وذهب الشافعية في قول ضعيف، وسعيد بن المسيب إلى أنه فرض عين[4]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[5] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[6] حيث أمر الله تعالى بالنفير العام لجميع المسلمين وهدد تهديدًا شديدًا لمن يترك النفير مما يدل على أنه فرض عين على كل مكلف.

ويناقش هذا بأن الوعيد في الآيتين يتوجه لمن عينه النبي ﷺ لتعين الإجابة عليه.

= ٤- ويتعين أيضًا بالنذر. يراجع بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤١/٣، حاشية الصاوي ٢٧٥/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣/٦، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٩/٤، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٣/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٢/٣ وما بعدها.

(١) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٩٨/٧.

(٣) المرجع السابق ٩٨/٧.

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٤/٧.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٣٩.

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل: بأن الجهاد فرض كفاية.

٣- حكم أداء الصلاة في أول الوقت: اتفق الفقهاء على استحباب أداء الصلاة في أول الوقت لكونه احتياطًا لها، ومبادرة إلى تحصيلها في وقتها[١].

٤- بيان فضل الانفراد عن خوف الفتنة لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٥/١، مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٤٠٣/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٣٤/١، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٧٩/٢، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٠/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٣/٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٢٧٥.

الحديث رقم (١٢٨٨)

١٢٨٨- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: ((الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا)) قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((برُّ الوَالِدَيْنِ)) قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه البخاري (٥٢٧) واللفظ له، ومسلم (٨٥/١٣٩)، وتقدم برقم (٣١٢)، و (١٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥٦٢).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٣١٢، ١٠٧٦.

الحديث رقم (١٢٨٩)

١٢٨٩- وعن أبي ذرّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: ((الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

تعدد السؤال عن أفضل الأعمال كثيرا بتعدد السائلين، وبتعدد المواقف، وقد كان النبي ﷺ يجيب كل سائل بما هو أصلح لحاله، وحال المسلمين، فقد يصلح إنسان لعمل، ولا يصلح لآخر، كما أن العمل قد يكون فاضلا في وقت، ومفضولا في وقت، وفي هذا الحديث سئل الرسول الكريم ﷺ عن أفضل الأعمال على الإطلاق فقال: " الإيمان بالله " ومنه يتشعب الأمن، واليقين في قدرة الخالق الذي يؤمن به الإنسان المسلم، ومنه أيضاً يتشعب الإيمان بالملائكة والكتب والسماوية والقضاء والقدر، خيره وشره، والإيمان بالقبر، والجنة والنار، والعمل بمقتضى ذلك، وجاء " الجهاد في سبيله " بعد ذلك، لأنه فرع عن الإيمان القلبي، واليقين الراسخ فلن يجاهد المسلم بماله أو نفسه إلا إذا كان من أصحاب الإيمان القوى وكان مستعداً للبذل والتضحية نظراً لإيمانه بالعاقبة الحسنى للمتقين ولإيمانه بقول الحق جل جلاله ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت٦٩].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) واللفظ له، ومسلم (٨٤/١٣٦)، وتقدم برقم (١١٧)، وسيكرره المؤلف برقم ١٣٦١، أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١١٧.

الحديث رقم (١٢٩٠)

١٢٩٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الغدوة: الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[2].

الروحة: المرة الواحدة من الرواح، وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[3].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري وفية بشارة للمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وجاههم وبدأ " بالغدوة " لأنها تتصل بالغدو، والبكور الذي حث عليه النبي صلى الله علية وسلم – ودعا لامته بأن يبارك لها في بكورها، ولأن المسلمين إذا فاجأوا عدوهم في الصباح هزموهم بإذن الله، ولكن بشرط: أن تكون " الغدوة " أو " الروحة " في سبيل الله، ومن هنا لابد من نبل الهدف، وسموا الغاية التي تقوم على حسن النية، وسلامة الطوية، وكلمة " خير " معناها أكثر خيراً فهي أفعل تفضيل يدل على أن الخير كثير، ولكن الجهاد في سبيل الله أفضل أنواع الخير عند الله تعالى وقوله " خير من الدنيا، وما فيها " كناية ضآلة الدنيا بجوار أعمال الآخرة لأنها عرض زائل ومتاع فان، وما يتعلق بالآخرة يصطبغ بصبغتها في الخلود فالجهاد خير مما في الدنيا كلها لأنه في سبيل الله. والله أعلم

---

(١) اخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١١٢/١٨٨٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٠٦)

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧/٦.

(٣) المرجع السابق ١٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ. على الغدو والرواح في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ، على الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث: حث النبي ﷺ على الجهاد في سبيل الله وبيان فضل الغُدُو والرواح في سبيل الله، فقال ﷺ: لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، والغدوة بالفتح من الغدو وهو الخروج في أى وقت كان من أول النهار إلى انتصافه، والرَوْحة المرة الواحدة من الرواح وهو الخروج في أى وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[1]، وقد جاء الحث على الغدو والرواح في سبيل الله في كثير من نصوص القرآن والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها" [3]، وذلك لما للجهاد في سبيل الله من فضل، إذ هو وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه[4].

لقد جعل النبي ﷺ الجهاد في سبيل الله بما فيه من غُدُوٍ ورواح سياحة الأمة، فروى عن أبي أمامة ((أَنَّ رجلاً قالَ: يا رسولَ الله ائْذَنْ لِي في السياحةِ، فقالَ النبي ﷺ: إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي، الجهادُ في سبيلِ الله))[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧/٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢، ومسلم ١٨٨١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص١٣٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٤٨٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٧٢).

قال العلامة المناوي: (وإن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله" أي هو مطلوب منهم كما أن السياحة مطلوبة في دين النصرانية فهو يعدلها في الثواب بل يزيد عليها، "وإن لكل أمة رهبانية" أي تبتلاً وانقطاعًا للعبادة، ورهبانية أمتي الرباط في نحور العدو" أي ملازمة الثغور، بقصد ملاقاة أعداء الدين، ومقابلتهم بالضرب على أعناقهم وصدورهم والرباط)[1].

إن الجهاد في سبيل الله من أقوى طرق التزكية، لأن أمراض النفس كلها بسبب الدنيا، والجهاد ترك للدنيا برمتها والتوجه نحو الآخرة.

كما أن في الجهاد تقوية لليقين بالله لما يراه المجاهد من الكرامات الكثيرة التي يجعلها الله مثبتة للمجاهد فتزول عنه كل الشبه التي يقذفها في قلبه الجن وشياطين الإنس.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الغدو والرواح في سبيل الله:

جاء في صريح الحديث بيان فضل الغدو والرواح في سبيل الله، وأنه خير من الدنيا وما فيها، فقال ﷺ: "لغدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها".

قال ابن حجر: (ويؤيد هذا الثاني ما رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد من مرسل الحسن قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا فيهم عبدالله بن رواحة، فتأخر ليشهد الصلاة مع النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم)[2].

قال القاضي عياض: (ومعناه أن فضل ذلك وثوابه ونعيمه - على قلة هذا العمل خير من نعيم الدنيا كلّه لو ملكه مالك على اتساعه في التقدير، ومحل ذلك من العظم في النفوس لشاهديه، وذلك لأنه زائل ونعيم الآخرة باق.

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق وهذا الحديث يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من باب تنزيل الغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس،

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٥٠٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت المفاضلة بها وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة.

ثانيهما: أن المراد بأن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة)[١].

قال النووي: "والظاهر أن ذلك لا يختص بالغدو والرواح من بلدته، بل يحصل هذا الثواب بكل غدوة أو روحة في طريقه إلى الغزو، وكذا غَدُوه ورَوْحُه في موضع القتال، لأن الجميع يسمى غَدْوةً ورَوْحَةً في سبيل الله، ومعنى هذا الحديث أن فضل الغدوة والروحة في سبيل الله وثوابهما خير من نعيم الدنيا كلها لو ملكها إنسان وتصور تنعمه بها كلها لأنه زائل ونعيم الآخرة باق[٢]. قال ابن علان: ويحتمل أن يكون المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن حصلت له الدنيا وأنفقها في طاعة الله غير الجهاد[٣].

وذلك أن البذل يشرف بشرف المبذول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله[٤]، أضف إلى ما في الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام، وما فيه من إرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه[٥].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله والحرص على الفوز في الآخرة:

إن من أهداف الدعوة الحث على الجهاد في سبيل الله، وبيان أنه من أكبر السبل وأعظمها لنيل الفوز والثواب في الآخرة، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث فقال ﷺ: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها"، وذلك ليس دعوة

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٤/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٠.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٢١٥.

(٤) أحكام الجهاد وفضائله، الإمام عزالدين بن عبدالسلام، تحقيق نزيه حماد، مكتبة دار الوفاء، ١٤٠٦هـ، ص ٥٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

للانتقام وحبًا في التشفي والاعتداء وإنما دفاعًا عن العقائد والأنفس، قال الشيخ محمد الراوي: "على أن الحرب في حقيقتها شِرْعَةٌ لابد منها لعلاج الفساد وصيانة الأمن والسلام، شرعة أخذت بها جميع الأمم تصون حماها وترد كيد العدو عنها، بيد أن الإسلام قد انفرد في الحرب بآدابه الخاصة وغايته الواضحة، فما شرعت الحرب عنده إلا لِحَق وبِحَقّ.

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء

فرد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن أمرٌ تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة، ولولاه لعاد الضرر، لا على المسلمين وحدهم بل عليهم وعلى غيرهم[1]، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[2].

والجهاد في سبيل الله لا يقتصر على ميادين المعارك فحسب بل هو أوسع من ذلك بكثير، ومن ألوان الجهاد التي تلزم كل مسلم الجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل، فالجهاد بالدعوة إلى الله عز وجل وظيفة كل مؤمن.

(إن ما يعم الناس من البلاء في هذه الأيام، سواء كان على مستوى الأفراد، وما هم فيه من القلق والحيرة والتعاسة. وما يلاحظ عندهم من اختلال القيم واضطراب المقاييس، أو كان على مستوى الأمة، وما منيت به من ذل وهزيمة. إنما هو نتيجة حتمية لاجتماع عاملين اثنين هما:

الأول: اجتهاد أولياء الشيطان في تلبية ندائه، والصد عن سبيل الله عز وجل.

الثاني: تخلي المؤمنين عن مراكزهم التي وضعهم الله فيها. وعن وظيفتهم التي ناطها بهم، وهي الدعوة إلى دين الله. ومجاهدة الشيطان وأوليائه.

وناس اليوم في هذا الشقاء سواء: الذين يدعون الإيمان. والذين اتخذوا الشياطين أولياء.

---

(١) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٤٩٤، ٤٩٥.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٠.

والمؤمن لا يتساءل عن سبب ذلك بالنسبة للضالين. فإن ربه يقول ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]، ولكن قد يتساءل المؤمنون لم لا يتميزون في ذلك عن الآخرين. وهم الذين اعترفوا بالخالق إلهًا. وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولاً، وصاموا وصلوا وحجوا. فلم لا يتنزل على قلوبهم السكينة، ولم لا يستثنون من العذاب الذي كلما نزل أصابهم كما يصيب الجاحدين؟!.

لعل أهم سبب في ذلك أنهم تركوا وظيفتهم التي قلّدوها. حين قيل لهم عرفتم الحق فادعوا إليه، وأدركتم الباطل فجاهدوه. فلم يحركوا ساكنًا، ووقفوا متفرجين فنسيهم ربهم من فضله. وعمهم بعقابه وأشركهم في ذلك مع المجرمين. مصداقًا لقول الله عز وجل من قائل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2]. نعم إن وظيفة المؤمنين التي جعلوها وراء ظهورهم في هذه الأيام هي الدعوة إلى دين الله الذي اعتنقوه. والحق الذي عرفوه.

إن الدعوة إلى الله ودينه فرض من فروض الإسلام. وليست تطوعًا ولا نفلاً. بل إن الجهاد بالدعوة يقع من الإيمان في خمسة مواقع:

فهو أولاً: مقتضى من مقتضيات الإيمان، والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

وهو ثانيًا: علامة الإيمان الصادق.

وهو ثالثًا: وقاية للإيمان من الضعف والضمور.

وهو رابعًا: غذاء للإيمان وتنمية له.

وهو خامسًا: شرط لتمام الإيمان وصدقه[3].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٥ .

(٣) الجهاد، ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٨٢، ٨٣.

الحديث رقم (١٢٩١)

١٢٩١- وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ[1] يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((مُؤْمِنٌ فِي شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الانشائى القائم على الاستفهام حيث يقول الرجل للرسول الكريم: " أي الناس أفضل ؟ " فنراه هنا لا يسأل عن الأعمال، إنما يسأل عمن يقومون بتلك الأعمال؛ لأن الناس معادن منها ما هو طيب، ومنها ما هو غير ذلك أما الطيب، فإنه يوصف بالفطرة النقية، ويعتنق الفضيلة من أول وهله وهذا من أفضل الناس الذين سئل عنهم المصطفى ﷺ فأجاب بقوله: " مؤمن – يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله "وفيه إيجاز بالحذف أي أفضل الناس مؤمن. . لأن الإيمان هو المتصرف في الجوارح، وكأنه قال: الإيمان بالله هو الذي شكل المؤمن وجعله يجاهد بنفسه، وماله في سبيل الله، وللأفعال المضارعة في قوله: " يجاهد. . يعبد الله. . يدع الناس " دلالات مؤثرة في إيضاح هوية ذلك المؤمن الذي هو في جهاد مستمر لنفسه، وللشيطان، وعبادة متصلة، وبعد عن الشر، والأذى، و لا يتسبب في الحاقهما بأحد يؤكد ذلك الجناس بين شعب، والشعاب تأكيدا للعزلة التي تقتضي قلة المعاملة التي قد تحدث الظلم أو

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (رجل)، والمثبت لفظ البخاري، ولفظ مسلم برقم (١٢٣/١٨٨٨) وتبع المؤلف المنذري في ترغيبه وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٢٢/١٨٨٨) واللفظ له، وتقدم برقم (٥٩٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٢).

الأذى ثم إن اعتزاله ليس رغبة في العزلة بل رغبة في العبادة، وتفريغ القلب لله؛ لأنه محكوم بإيمانه في الحركة، والسكون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٩٨.

الحديث رقم (١٢٩٢)

١٢٩٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[2].

الرَوْحَةُ: المرة الواحدة من الرَوَاح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها[3].

الغَدْوَة: بالفتح المرة الواحدة من الغُدُوّ، وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه[4].

الشرح الأدبي

بنى الحديث على الأسلوب الخبري، وهذا يتناسب مع مقام البشريات التي يبشر بها النبي أمته؛ لأن الله أطلعه على هذا الأجر العظيم لمن جاهد في سبيل الله، أو غدا أو راح، وكلمة " رباط " توحي بأن المؤمن يوقف نفسه على عمل الخير، وكأنه يربطها

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٨٨١/١١٣) اللفظ الأخير أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٨، ١٩٠٨).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٣) المرجع السابق ١٧/٦.

(٤) المرجع السابق ١٧/٦.

برباط لا تتزحزح عنه حتى، ولو كان ذلك الرباط في " يوم " واحد، بشرط أن يكون الله على باله، وفى قلبه، وفكره، ونيته، ولذلك قال " في سبيل الله " و" في " للسببية وقوله: " خير من الدنيا وما عليها " يشير إلى أن المرابطة في سبيل الله بفضل الدنيا، وما عليها، وقوله (وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ) كناية عن عظمة نعيم الجنة الخالد، والغدوة، والروحة في سبيل الله كل هذا. . فوق الدنيا وما عليها؛ لأن (على) تفيد الاستعلاء، والعجيب أن هذه الجملة كررت ثلاث مرات في الحديث للتأكيد على هذه الحقيقة التي ينشغل الناس عنها بمتع الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة، وهذا حق؛ لأن عمل الخير أبقى من الدنيا التي لا تعدل عند الله جناح بعوضه.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضل الرباط في سبيل الله: اتفق الفقهاء على أن الرباط في سبيل الله من أفضل الأعمال وأن المرابط يجري عليه عمله إلى يوم القيامة وأنه يؤمن من فتنة القبر[١].

٢- حكم الرباط بسد الثغور: اتفق الفقهاء على استحباب الرباط بسد الثغور خوفًا، وأنه من أفضل الرباط حتى لا يفاجئ العدُو المسلمين في عقر دارهم، لأن في مفاجأتهم إزلالهم[٢].

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل لابن الحاج ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٧/٩-١٦٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨/٢، ٥٠٩، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٤/٣.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٤٣٧/٥، حاشية رد المحتار ١٢٢/٤، المدخل ١٩٠/٣، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ١٦١/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٩/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٨/٩، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٨، ٥٠٩.

٣- تعظيم أمر الجهاد وأن من حصل له من الجنة قدر سوط يصير كأنه حصل له أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف لمن حصل على أعظم الدرجات[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله:

جاء في الحديث حث النبي ﷺ على الرباط في سبيل الله، فقال ﷺ رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها، كما جاء الأمر بالرباط في كتاب الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢]، وذلك أمر من الله للمؤمنين بالمرابطة والإعداد لذلك، وذلك ليكونوا دائمًا على حذر من عدوهم[٣]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٤].

وفي ذلك: دعوةٌ من الله عز وجل وأمرٌ بالاستعداد الدائم، ولقد جاءت الأحاديث النبوية وآثار السلف تبين أهمية أخذ الحذر والحيطة والكون على أهبة الاستعداد لأي أمر يوجب عليهم النفرة في سبيل الله، وما يتبع ذلك من تدريب مستمر على وسائل الحرب وأساليب الجهاد.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ٢٠٨/٤/٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

روي عن عطاء بن أبي رباح قال: ((رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَابِرَ بْنَ عُمَيْرٍ الأَنْصَارِيَّ رضي الله عنهما يَرْتَمِيَانِ، فَمَلَّ أَحَدُهُمَا فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ الآخَرُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهْوٌ، أَوْ سَهْوٌ إِلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ: مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الْغَرَضَيْنِ، وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ، وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ، وَتَعْلِيمَ السِّبَاحَةِ))[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: «يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2]؛ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[3].

وعن عمر رضي الله عنه قال: « كانت أموالُ بني النَّضيرِ ممّا أفاءَ اللهُ على رسولهِ ﷺ ممّا لم يُوجِفِ المسلمون عليهِ بخَيلٍ ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصةً، وكان يُنفِقُ على أهلهِ نَفَقةَ سَنَتهِ، ثمَّ يجعلُ ما بقيَ في السلاحِ والكُراعِ عُدَّةً في سبيلِ الله»[4].

وعن عبدالرحمن بن شماسة: «أَنَّ فُقَيْمًا اللَّخْمِيَّ قَالَ لِعُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لابْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ «مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى»[5].

وعن علي رضي الله عنه قال: « ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ - وكان راميًا - سمعتهُ يقول: "ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي"»[6].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٧٨٥، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣١٥).

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٩٠٤، ومسلم ١٧٥٧.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٥، ومسلم ٢٤١١.

ولقد كان رسول الله ﷺ يغرس في نفس المسلمين المنافسة والإقبال على تعلم فنون القتال، ويثنى على ذلك.

فروى عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «مرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ من أسلَم ينتضلون، فقال النبيُّ ﷺ: ارْموا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكم كان راميًا، ارْموا وأنا معَ بني فلان. قال: فأمسَكَ أحدُ الفَريقينِ بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ: مالَكم لا تَرْمون؟ قالوا: كيفَ نَرْمي وأنت معهم؟ فقال النبيُّ ﷺ: ارموا فأنا معكم كلِّكم»[1].

وقوله "ينتضلون" أي يترامون، والتناضل الترامي للسبق، وفي الحديث تنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله وتطييب قلوب من هم دونه، وفيه حسن خلق النبي ﷺ ومعرفته بأمور الحرب، وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها وفيه حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ[2].

وذلك أمر من الله بالإعداد وأخذ الأهبة والاستعداد والحذر والحيطة قدر الطاقة والإمكان والاستطاعة[3].

وذلك عملاً بعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[4]، قال ابن عطية احذروا واستعدوا بأنواع الاستعداد من أخذ السلاح وغيره[5]، وذلك أن أخذ الحيطة والبقاء على أهبة الاستعداد يجنب الأمة الأخطار الكثيرة[6].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل وثواب الرباط والجهاد في سبيل الله:

لقد تضافرت النصوص القرآنية والنبوية على بيان عظم ما أعد الله للمجاهدين

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٠٨/٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٠/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١ .

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ١٧٢/٤.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٨٢٢/٥.

والمرابطين في سبيل الله، من عظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من قول رسول الله ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"، وجاء التعبير في الحديث بقوله: "وما عليها" للمبالغة[1]، وهذا الحديث من صرائح الأدلة في عظم أجر المرابطة والجهاد في سبيل الله[2]، ففي الحديث أخبر النبي ﷺ أن صغير الزمان، وصغير المكان، في الآخرة خير من طويل الزمان وكبير المكان في الدنيا، تزهيدًا فيها وتصغيرًا لها وترغيبًا في الجهاد إذ بهذا القليل يعطيه الله في الآخرة أفضل من الدنيا وما فيها، فما ظنك بمن أتعب نفسه وأنفق ماله[3]، وذلك لما للجهاد من أهمية، فهو الوسيلة لحماية العقيدة، وتأمين الدعوة، ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير[4].

لذا جاءت النصوص التي تبين ما أعده الله للمجاهدين والمرابطين من ثواب وأجر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[5]، وعن فضال بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤْمَنُ مِنْ فتَّان الْقَبْرِ»[6].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٦.

(٤) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ص ٨٤.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٦) أخرجه مسلم، ١٥٦.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط والجهاد في سبيل الله بثواب لا يعادله ثواب، ونعيم لا يدانيه نعيم الدنيا بأسرها لو تصور أنها كانت لإنسان، فقال ﷺ: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها". وأسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا وأعظمها أثرًا، وذلك أن الإنسان إذا علم بما أعده الله له من ثواب تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من مستحقيه، وسعى له سعيه، فكان من المتقين ومن المحسنين، ومن الذاكرين، ومن الأوابين المنيبين الذين: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]، [2]، وثمرة الترغيب تكمن وتتجلى في حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله، والرهبة من عقابه. وذلك يجعله تتوق نفسه إلى ما أعده الله لعباده الطائعين فيزداد طاعة وتقوى ويتولد عنه من الأمل ما يبعثه على النشاط والعمل للدار الآخرة.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٢٩٣)

١٢٩٣- وعن سَلمَانَ رضي الله عنه ، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فيه جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

غريب الألفاظ:

رباط يوم وليلة: الرباطُ : ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم[2].

وأمن الفتّان: أي فتّانيْه وهما: منكر ونكير، من الفَتْن: الامتحان والاختبار[3].

الشرح الأدبي

هذه بشريات كثيرة جاءت على لسان الصادق الأمين ﷺ بأسلوب خبري يدل على أن الله تعالى قد أعلى منزلته، وأطلعه على هذا الجزاء السار للمجاهدين في سبيل الله تعالى " والرباط " جاء من المرابطة، وكأن المجاهد قد " ربط " نفسه للدفاع عن حرمات الأمة، وأعراضها، وأموالها، ولذا فإن ثواب المرابطة أفضل من صيام شهر، وقيامة كما جاء في الحديث؛ لأن الصائم هو المستفيد من صيامه وقيامه – أما " المرابط " فيفيد المجتمع بصفة كلية، ويستفيد هو ضمناً ويكافأ المرابط بثلاثة أشياء: أولها: إن مات جرى عليه ثواب عمله، وثانيها: وأجرى عليه رزقه - وثالثها: وأمن الفتان، وجاءت

---

(١) برقم (١٩١٣/١٦٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٢٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠١/٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ت ن)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

الأفعال الماضية في هذه البشريات السارة لتدلل على أن هذه الأمور محققه بلا ريب، ولا شك فهو يجرى عليه ثواب عمله الذي كان يعمله في الدنيا، وكذلك رزقه لزويه من بعده، ويأمن من فتنة القبر، وسؤال الملكين؛ لأنه تسبب في جلب الأمن إلى المجتمع فأمنه الله تعالى من فزع القبر، وسؤاله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للأمور الغيبية:

إن من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلية وما أطلعه الله عليه من ثواب الأعمال وإخباره عنها[2]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لثواب الرباط في سبيل الله تعالى "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر" فكما جاءت الأدلة تدل على أن الله قد اختُصَّ بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه جاءت أدلة أخرى تفيد استثناء الله من خلقه من ارتضاه من رسله فأطلعه على بعض غيبه، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا﴾[3]، وقال القاضي عياض: "وهذه المعجزة من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٢٩٣ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٢٩٤.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر"[١].

فقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات: فروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ قَائِمًا فَمَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ من نسيهِ»[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الرباط في سبيل الله وبيان فضل ذلك:

إن أخذ الأهبة والاحتياط ومرابطة الثغور وحراستها من الفضائل التي حث عليها الإسلام[٣]، ومن ذلك ما جاء في الحديث، "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأَمِن الفتّان". وذلك من إعداد العدة التي أوجبها الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

ففي هذه الآية يوصي الله عز وجل المسلمين ويحضهم على الصبر على الطاعات وعن الشهوات؛ فقال (وصابروا) ومعناه مصابرة الأعداء، وهو قول الجمهور وقيل على الصلوات وقيل إدامة مخالفة النفس عن شهواتها فهي تدعو وهو ينزع، وقوله (رابطوا) من المرابطة أي رابطوا أعداءكم، والرباط هو الملازمة في سبيل الله أصله من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثَغْر من ثغور الإسلام مرابطًا فارسًا كان أو راجلاً.

وعن فُضَالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ

---

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض ٣٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

(٣) انظر: الجهاد، ميدانيه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة الأقصى، عمان، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١٥٤.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

إلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَنْمو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤْمَّنُ مِنْ فِتَانِ الْقَبْرِ»[١]، فبيان أجر الرباط في سبيل الله وعِظَمه، دلالةٌ على أهمية الجهاد في سبيل الله في إقرار الأمن وعموم السلام، فلولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض[٢]، فالإسلام شرع الجهاد ضمانًا لرد الاعتداء، ودفعًا للظلم، لتتوافر للناس حرياتهم وتسلم لهم مقدساتهم، وإن تأمين الناس ورفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة، قوة أمن ذاتية تقوم مع الإسلام بشكل طبيعي عادلة معتدلة، لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد[٣]، ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: ثواب رباط يوم وليلة في سبيل الله:

لقد جاءت النصوص مبينة فضل الرباط في سبيل الله تعالى والسهر لحماية البلاد من الأعداء، وقت السلم فضلاً عن الحرب، وأن نعيم الجنة لا يعادله نعيم، وبيان أن الرباط أفضل العبادات، لأن نفعه متعد إلى الغير، ونفع العبادة مقتصر على صاحبها، وبيان أنه سبب في النجاة من عذاب القبر واستمرار أجر العمل بعد الموت، كما لو كان حيًا إلى يوم القيامة والتمتع برزق الجنة بعد الموت[٥]. ولما كان للرباط في سبيل الله من منزلة اختص الله سبحانه وتعالى صاحبه ببعض الفضائل التي لا يشاركه فيها أحد[٦]، ومنها ما جاء في الحديثين من التصريح بعظم ثواب الرباط في سبيل الله، وبيان فضله، وذلك لما فيه من إعلاء كلمة الله وحفظ دين الله وحفظ المسلمين، فقال ﷺ: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٣) الدعوة الإسلامية، دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ص ٥١٩.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٧٣.

(٥) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٦٣٥.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٢٢٤.

يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان". وقال: ((كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ)).

قال القاضي عياض: وهذه فضيلة مختصة بالمرابط. أن عمله يجرى له أجره بعد موته[1]. وقال العظيم آبادي "في شرح الحديث" ينمي له عمله " أى أن ثوابه يجري له دائمًا ولا ينقطع بموته وقوله "يؤمن فتنة القبر" يحتمل أن يكون المراد أن الملكين لا يجيئان إليه، ولا يختبرانه بل يكفي موته مرابطًا في سبيل الله شاهدًا على صحة إيمانه، ويحتمل أنهما يجيئان إليه لكن لا يضرانه ولا يحصل بسبب مجيئهما فتنة[2]، واستحق المرابط في سبيل الله هذا الثواب لما للجهاد والرباط في سبيل الله من منزلة جعلته أفضل الأعمال، إذ أنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه[3]، فليس ثمة عمل يعدله[4].

والمراد بالرباط في أحاديث الجهاد الإقامة في ثغر للحراسة وأصله من ارتباط الخيل في الثغر للحرس، وقال أبو عمر: "شرع الجهاد لسفك دماء المشركين وشرع الرباط لصون دماء المسلمين، وصون دماء المسلمين أحب إلى من سفك دماء المشركين"، وهذا يدل على أن الرباط أفضل عنده من الجهاد، وقد اختلف في ذلك، فقيل الجهاد أفضل، وقيل الرباط أفضل، وقوله "وإن مات جرى عليه عمله" قال الأبّى: "يعني أن الثواب المرتب على رباط اليوم والليلة يجرى له دائمًا... ولا يعارض هذا الحديث حديث "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث" إما بأنه لا مفهوم للعدد في الثلاث، وإما بأن يرجع هذا إلى إحدى الثلاث، وهو صدقة جارية[5].

فإن الصدقة الجارية، والعلم المنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو لأبويه، ينقطع

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٤٢/٦.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقى العثماني ٣٨١/٩.

ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلم وموت الولد، والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة، لأنه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة، وهذا لأن أعمال البر كلها لا يتمكن منها، إلا بالسلامة من العدو، والتحرز منه بحراسة بَيْضة الدين وإقامة شعائر الإسلام، وهذا العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة[1].

قال النووي: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد، وقد جاء ذلك صريحاً فيما روى عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر"[2]، وقوله:"أجرى عليه رزقه" موافق لقوله تعالى: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]،[4]، وقوله "أمن الفتان" قال الشيخ ابن عثيمين: "أنه يأمن من فتنة القبر"[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: استنهاض المدعوين للجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة استنهاض همم المدعوين للجهاد في سبيل الله، وذلك ببيان الثواب المترتب على الجهاد وبذل النفس والمال في سبيل الله تعالى، كما جاء في الحديث "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان" ، ولا يقف الإسلام في سبيل إعداد الأمة وتربيتها على القوة عند حد رفع الروح المعنوية، بالمفهوم الشائع الصغير، ولا يعتمد إلى استثارة حماسة العاطفة أو التعصب، بل يصل إلى غايته بالتربية العميقة الهادئة والإيمان الراسخ بالحق والتمسك الكامل بالمنهج والطاعة الواعية لأوامر الله، والجهاد الدائم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/٤/٣٢٢-٣٢٥.

(٢) أخرجه أبي داود، ٢٥٠٠، والترمذي، ١٦٢١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢١٨٢).

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٦٩ .

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ١٢٢٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٤٠، ١٤٤١.

لخير بني الإنسان، وتحقيقًا لهذا الإيمان والتربية والتجرد الكامل لله تعالى عقد القرآن بين الله سبحانه وبين المؤمنين مبايعة اشترى الله فيها أنفسهم وأموالهم بالجنة[١].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢].

وهذا من بالغ فضله وعظيم إحسانه، بأن اشترى من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به[٣].

وجاءت النصوص النبوية الكثيرة في التحفيز على الجهاد في سبيل الله ومنها ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حتى يَعُودَ اللَّبنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ»[٤].

إن المجتمع الذي يسعى لأن يكون مجتمعًا إسلاميًا وربانيًا لابد أن يجاهد في الله حق جهاده، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٥].

وحق الجهاد هو التصدي لكل عدو يقف أمام دعوة الله، وممارسة جميع الأنواع التي يتم بها صيانة دماء المسلمين، وتعبيد الطرق وإزالة العقبات من أمام الدعوة إلى الله تعالى.

إن ترك ثغرة من الثغور وفسح المجال لعدو من الأعداء ليس مقبولاً في الدين الإسلامي.

---

(١) الجهاد في الإسلام، محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٩٧، ١١٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٧/٨/٤.

(٤) أخرجه الترمذي، ١٦٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٣٣٣).

(٥) سورة الحج، آية: ٧٨ .

إن قيمة جهاد المؤمن عند الله تعالى هو مقدار التضحية التي يقدمها بجهاده في سبيل الله تعالى: فما كان أشد تضحية كان أفضل عند الله عز وجل، وأثقل في الميزان لدلالته على قوة الإيمان بالله وشدة الثقة بما عنده.

ولاشك في أن التضحية بالنفس هي أعلى أنواع التضحية وأكرمها عند الباري تبارك وتعالى، إذ أثمن ما يملك العبد نفسه، وهي أصل كل ثمين، ومرجع كل لذة في هذه الحياة الدنيا، فمن ضحى بها بذل كل ما يملك ولا يَسْتَبْق لنفسه شيئًا، وإنما قدمه في سبيل ربه.

فإن كانت نيته خالصة لله تعالى، كان أكرم الشهداء عند رب العباد.

ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2]، [3].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغب النبي ﷺ في الرباط في سبيل الله بما يترتب على ذلك من خصوصيات وأفضلية، منها: جريان ثواب العمل والأمن من فتنة سؤال مَلَكَيْ القبر، كما جاء في الحديث "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة وهو وسيلة قوية للتأثير على المدعو

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٥ .

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ١٩، ٢٠ .

(٣) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم يس، ص٢٣٥-٢٣٨.

وجذبه إلى الدعوة والطاعة رغبة فيما عند الله[١]، وكان الترغيب أكثر الأساليب استخدامًا في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣]، إذ أن الترغيب يولد الأمل، ويبعث على النشاط والعمل للآخرة، ويحبب إلى المسلم الطاعات، وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان[٤].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ص ٤٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٢٩٤)

١٢٩٤- وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطَ**[1] **فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْمى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٤).

غريب الألفاظ:

المرابط: هو الملازم للثغر [حدود البلاد][3].

الشرح الأدبي

لقد بني الحديث على الأسلوب الخبري وتحمل كلماته أخباراً تدخل السرور على قلب كل مرابط وترغب في الرباط في سبيل الله لما له من قيمة في نشر الإسلام، وحماية الأمة، وحماية مقدَّراتها، وحماية أفرادها في سبيل الله تعالى – ولفظ "كل" في قوله: "كل ميت يختم على عمله" يفيد الشمول، والاستغراق، ولكن المصطفى علية الصلاة، والسلام يستثنى صنفان من الناس فيقول: "إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر" ونلاحظ أن الرسول الكريم يؤكد مضمون كلامه بأن، والضمير العائد على المرابط لتعظيم الخبر وصرف المخاطبين للعناية به، والفعلين المضارعين "ينمى" و"يؤمن" اللذين يدلان على الاستمرار، والتجدد

---

(١) لفظ الترمذي: (الذي مات مرابطًا)، والمثبت لفظ أبي داود، تبع المؤلف المنذري وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٢٤)، وقال الحاكم (١٤٤/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٣٠).

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٨٩، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٨٩.

ولا شك أن نمو عمله، وتأمينه من فتنة القبر من أكبر المنح الربانية التي يهبها الله تعالى للمجاهد في سبيله، لأنه أدخل السرور على قلوب المحيطين به، وأمنهم من أعدائهم فأمنه الله تعالى من فتنة تعد من أعظم الفتن على الإطلاق، وهى فتنة القبر، نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفى الآخرة. اللهم أمين

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٢٩٥)

١٢٩٥- وعن عثمان ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: ((رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٨١).

غريب الألفاظ:

رباط يوم: الرباط: ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منه[2].

الشرح الأدبي

الرسول الكريم يرغب في الجهاد في سبيل الله تعالى بشتى الأساليب فنراه يذكر هنا أن المرابطة في سبيل الله "ليوم" واحد، خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل بالنسبة لبقية الأيام التي ليس فيها جهاد، وكلمة "رباط" كلمة موحية بأنه أوقف نفسه لله تعالى، وحبسها عليه مخاطرا بروحه، قائما على خوف دائم حسبة لله -تعالى- وتبين أن الذي يفعل ذلك جعل الله تعالى نصب عينية، ويقوم بذلك من أجله عز وجل - ولذلك تكررت عبارة: "في سبيل الله" في معظم أحاديث الجهاد، لاستحضار النية الصادقة، والهدف الأسمى، والتنكير في كلمة: "يوم" يوحى بأن المعتد به في العمل هو الكيفية، والإتقان، والإخلاص في ذلك العمل، ولو كان قليلاً فيوم واحد بنية صالحة، وعمل خالص خير من ألف يوم بلا نية، ولا إخلاص ،وذكر العدد (ألف) مبالغة في تعظيم الجزاء، لأنه قد يزيد، ولكن لن ينقص مما يشير إلى عظمة المرابطة لحماية ثغور المسلمين، وحماية الأمة، والله أعلم.

---

(١) برقم (١٦٦٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٠٩)، وقال الحاكم (٢/٦٨): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٠).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٠١.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله.

ثالثًا: من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الرباط في سبيل الله:

إن الصراع بين الحق والباطل سنة كونية، ودائمًا تكون الغلبة في النهاية للحق، لأنه الثابت النافع، كما تكون الهزيمة للباطل لأنه هو الزهوق الضار، وهذه سنة الله التي أبان عنها في كتابه في مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]، ومن سنن الله: ألا يقوم الحق وحده، وإنما ينهض بالرجال الكبار[2]، الذين وهبوا أنفسهم للحق والدفاع عنه والذود عن حياضه، لذا اختصهم الله بعظيم الأجر وجزيل الثواب، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان فضل الرباط في سبيل الله تعالى، فقال ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، لما في الرباط من فضل في حفظ حوزة الإسلام، وأمان الأنام في جميع المعاقل والأمصار في سائر الليالي والأيام[3]؛ إذ أن في الرباط حفظًا لثغور الإسلام وصيانتها، ودفعًا عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو ولذا قال بعضهم: الرباط هو أصل الجهاد وفرعه[4].

إن الرباط أحد الأمور الرئيسة التي أمرنا الله بإعدادها وملازمتها حماية للإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٢) انظر: عناصر القوة في الإسلام، الشيخ سيد سابق ص ٢٣ - ٢٤.

(٣) الاجتهاد في طلب الجهاد، ابن كثير ص ٦١ - ٦٢.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢/٧٧.

إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[١].

حيث الهدف من ذلك هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي. ومعنى القوة هنا يتسع ليشمل كل عناصر القوة ماديًا ومعنويًا كالقوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية بالإضافة إلى القوة العسكرية[٢]، وذلك كله ما شملته غزوات الرسول ﷺ ضد أعداء الإسلام من كفار ويهود ومنافقين، وبهذا الأمر من الله للمسلمين سلط اللهُ النبيَّ والمسلمين على العدو، والمتربص بهم، والكائد لهم، وذلك من خلال ما أعدوه من القوة رجالاً وسلاحًا لإيجاد الرهبة والخوف والاضطراب في نفس العدو. "وهذا الإرهاب لمنع العدو وزجره حتى لا تحدثه نفسه بالحرب حين يرى القوة الراصدة له"[٣]، وذلك ما يُستشف من جميع الغزوات التي خاضها الرسول ﷺ سواء في أحد أو بدر أو غزوة الخندق وخيبر، وحنين، وبني المصطلق التي جميعها أظهرت لأعداء الإسلام الاستعداد التام من خلال مصاولتهم مما أوقع في نفوسهم الرعب[٤].

وذلك المراد من الإعداد والتيقظ، كما جاء في صريح الآية: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٥].

قال القاسمي في تفسير هذه الآية: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، اتقاءً لبأس العدو وهجومه. ولَمّا عمل الأمراءُ بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزا عظيمًا، أَبِيُّ الضيم، قوي القنا جليل الجاه، وفير السنا، إذ نشر لواء سلكته على منبسط الأرض، فقبض على ناصية الأقطار والأمصار، وخضد شوكة المستبدين الكافرين، وزحزح سجوف الظلم والاستعباد وعاش بنوه أحقابًا

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) النظريات الإسلامية في الحرب النفسية، محمد جمال الدين محفوظ، القاهرة: ١٩٨١م، ص ٢٤.

(٣) المدرسة العسكرية الإسلامية، محمد فرج، المكتبة العصرية، بيروت: ١٩٩٧م، ص ١٣٢.

(٤) غزوة حنين، محمد أحمد باشميل ص ١١.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

متتالية، وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب رحى العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة. وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة، ومالوا إلى النعيم والترف فأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض. ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني. وكيف لا يطمع العدو بالممالك الإسلامية، ولا ترى فيها معامل للأسلحة، وذخائر للحرب بل كلها مما يشترى من بلاد العدو؟ أما آن لها أن تتنبه من غفلتها، وتنشئ معامل لصنع المدافع والبنادق والقذائف والذخائر الحربية؟ فلقد ألقى عليها تنقص العدو بلادها من أطرافها درسًا يجب أن تتدبره، وتتلافى ما فرطت به قبل أن يداهم ما بقى منها بخيله ورَجلِهِ، فيقضى - والعياذ بالله- على الإسلام وممالك المسلمين، لاستعمار الأمصار، واستعباد الأحرار، ونزع الاستقلال المؤذن بالدمار. وبالله الهداية.

وقوله تعالى: (آخرين) أي وترهبون قومًا آخرين (من دونهم) أي من دونَ منْ يُظْهر عداوتكم، وهم المنافقون (لا تعلمونهم) أي أنهم يعادونكم (الله يعلمهم) أي أنهم أعداؤكم، يظهرون عداوتهم إذا رأوا ضعفكم. ثم شجعهم سبحانه على إنفاق المال في إعداد القوة، ورباط الخيل، مبشرًا لهم بتوفية جزائه كاملاً، بقوله تعالى: (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي الذي أوضحه الجهاد (يوف إليكم) أي في الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج، وفي الآخرة بالثواب المقيم (وأنتم لا تظلمون) أي بترك الإثابة"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ثواب المرابطين في سبيل الله:

إن مما هو معلوم أنه لا بد للمجتمع من حماية ونظام دفاعي يرد عدوان الطامعين، ويدفع عادية المهاجمين، ويخيف المتربصين المتآمرين[2]، ومن هنا كان تشريع الإسلام للجهاد وبيان فضل وثواب الرباط في سبيل الله وإعداد الله لأهله ما لم يعده لغيرهم، ومن ذلك الثواب: ما جاء بيانه في الحديث، فيقول ﷺ: (ورباط يوم في سبيل الله خير

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٥/٨/٨٥ - ٨٦.

(٢) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي ص ١٢٨.

من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، أي: خير من ألف يوم فيما سوى الرباط أو فيما سوى سبيل الله[١]، والقصد من ذلك الإخبار بتضعيف أجر المرابط في سبيل الله على غيره[٢].

إضافة إلى ما جاء في النصوص الأخرى من جريان ثواب عمله عليه إلى يوم القيامة وعدم انقطاعه، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ المَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إلاَّ المُرَابِطُ فإنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمِّنُ مِنْ فُتَّانِ الْقَبْرِ))[٣].

ولذا جاءت الأحاديث عَادّةً فَضْلَ الرباط في سبيل الله بأنه سبب للوقاية من فتنة القبر وغيره، وأنه ليس كغيره من الأعمال، وأن المرابط إذا مات أجرى عليه عمله الذي كان يعمله دونما انقطاع وإنما استحقه المرابط في سبيل الله هذا الأجر وأكرم بهذا الثواب؛ لأن المرابط في سبيل الله مُعرض للقتل إذا ما أغار عليه العدو، والرباط في سبيل الله نفعه متعد، حيث إن هذه الثغور إن لم تحرس أغار منها الأعداء على المسلمين، فيكون وجود هذا المرابط في هذه الثغور حاجزًا منيعًا أمام الأعداء، فيأمن الناس على نفوسهم وأموالهم، فحُقَّ لمن كان سببًا في أمان الناس واطمئنانهم وعدم ترويعهم أن يؤمنه الله ويطمئنه ولا يروّعه في قبره، والجزاء من جنس العمل.

وإن مات في رباطه هذا أجرى الله تعالى له عمله ونماه له إلى يوم القيامة. فيكون في قبره آمنًا من عذاب الله، ويجرى له ما كان يعمله من رباط وعمل إلى يوم بعثه، ويوم حشره. وفي ذلك ترغيب وتشجيع للمسلم للدفاع عن المسلمين وديارهم ودينهم من عدوهم وعدو ربهم. فمن كان كذلك آمن من فتنة القبر[٤].

ثالثًا- من مهام الداعية: حض المدعوين على الجهاد في سبيل الله:

من مهام الداعية الواجب عليه الاضطلاع بها تحفيزُ المدعوين على الجهاد والمرابطة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٨١/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٤٩.

في سبيل الله، وترغيبهم فيه ببيان الأجر المترتب عليه، ومنه ما جاء في قوله ﷺ: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)، وذلك تمشيًا مع توجيه الوحي وسياسة الواقع، وحفاظًا على حق الله تعالى، وحق الحياة[1]، قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾[2]، أي: حرض المؤمنين على القتال ورغبّهم فيه وشجعهم عنده، فتنبعث هممهم على مناجزة الأعداء ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ومقاومتهم ومصابرتهم[3]. وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين، وقوة قلوبهم من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم وبما أعد للمقاتلين من الثواب، وما على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال[4].

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٦٧ - ٣٦٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٤.

الحديث رقم (١٢٩٦)

١٢٩٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ[1] الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ[2] مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ[3] كُلِم؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ[4] مِسْكٍ.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أبداً، وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي.

وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ[5] أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ)) رواه مسلم، وروى البخاري بعضه[6].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

تضَمَّنَ: ضَمِنَ[7].

فهو عليّ ضامن: فيه وجهان، أحدهما: أنه بمعنى مضمون كماء دافق ومدفوق، وثانيهما: أنه بمعنى ذو ضمان[8].

---

(١) لفظهما: (مسكنه)، والمثبت لفظ المنذري.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (نائلًا ما نال) والمثبت عنده برقم (١٨٧٦/١٠٤).

(٣) لفظ مسلم: (حين) والمثبت لفظ المنذري.

(٤) (ريح) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١٨٧٦/١٠٥)، وكذا عند المنذري.

(٥) لفظ مسلم: (أني)، والمثبت لفظ المنذري.

(٦) أخرجه مسلم (١٨٧٦/١٠٣)، والذي عند البخاري برقم (٣٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩١١).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض م ن).

(٨) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

غنيمة: الغنمية: ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[١].

الكَلْم: الجرح[٢].

مِسْك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[٣].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا[٤].

سَعَةً: طاقة وقوة[٥].

الشرح الأدبي

لقد بشر رسول الله ﷺ المجاهدين بالجنة، وذلك عن طريق الفعل الماضي " تضمن الله " أي ضمن الله الجنة، " لمن خرج في سبيله " وهو فعل يدل على تحقق وقوع ذلك الجزاء العظيم من وجوه: أولا: أنه في صورة الماضي المتحقق، ثانيا: من جهة دلالته على الكفالة، والضمان، ثالثا: من جهة نسبة الفعل لله، وما يضمنه الله محقق لا محالة، رابعا: من جهة صيغة (تضمن) وتشديد الفعل وصيغة التفعل التي تفيد مزيد عناية، ومبالغة في التحقق، ثم بيَّن شرط ذلك فقال: " لا يخرج إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي " وتصديق برسلي، فهو ضامن على أن أدخله الجنة " وهو يقرر ضرورة توفر الإخلاص في ذلك ، فالإيمان بالله، والتصديق بالرسل يؤديان إلى البذل، والتضحية بالنفس، والمال ابتغاء مرضاة الله جل في علاه، ونلاحظ أن المصطفى ﷺ أقسم – في هذا الحديث – ثلاث مرات وهو الصادق الذي لا يحتاج إلى قسم، (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) ولكنه يؤكد المعنى للمخاطب تعظيما للخبر في نفوس السامعين، وحملا على

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٧.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ي).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و س ع).

العناية به، ودفعا لتوهم المبالغة لعظمة الثواب التي جعلت الرسول ﷺ، - وهو في مقام النبوة - يتمنى أن يقتل في سبيل الله ثلاث مرات كما أن القسم تكرر ثلاث مرات على إثبات ثلاث معان بلغت من الفضل مبلغا عظيما فيقسم في المرة الأولى أن أي مؤمن يجرح في الدنيا أثناء الجهاد يأتي يوم القيامة بجرحه لونه لون الدم وريحه ريح المسك وهذا التشبيه له بعد نفسي يجعل المجاهد يفرح، ويسر بالجرح بدلا من أن يحزن، ويتألم؛ لأنه يعلم أن هذا الجرح سيكون يوم القيامة نوط شرف في رقبته يوم القيامة عند الله، وفى المرة الثانية يقسم على أنه لا يريد أن يقعد خلف سرية أي لا يريد ترك سرية تخرج دون أن يكون فيها لولا خوفه أن يشق على الأمة بكثرة الخروج للجهاد ليشعرهم أن الجهاد عزهم في الدنيا، وعزهم في الآخرة بما ينالون من الفضائل، وفى المرة الأخيرة يقسم أنه يود أن يغزو ثم يقتل ثم يغزو ثم يقتل ، ،وهو يقرر بهذه الأمنية ويصور بالأفعال المضارعة حياته عبارة عن جهاد متواصل متحقق فيه بذل الروح عدة مرات لبيان منزلة هذا العمل الجليل الذي فيه عز الأمة في الدارين.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان فضيلة من يقاتل في سبيل الله، وعلو درجته، ومَالَهُ عند الله من الثواب الجزيل والنعيم المقيم[1].

٢- أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذل نفسه في طاعة الله عز وجل[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

---

(١) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢٠٥/٣، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٥/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢١/١٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦/٦.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته.

خامسًا: من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الإخلاص في الجهاد في سبيل الله:

إن العامل الرئيس في استحقاق ثواب الجهاد في سبيل الله هو الإخلاص في سبيل الله، وذلك كسائر الأعمال، وقد أشير إلى هذا الشرط في الحديث في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي)، وفي ذلك، بيان فضل الخارج للجهاد، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيل الله ويريد لتصديق كلماته الشهادتين وعداوة من أباهما، وقيل: يحتمل أن يريد الأمر بالجهاد وتصديق ما جاء في ثوابه[1].

وقال النووي: "أي: لا يخرجه المُخْرِج ويحركه المُحَرِّك إلا للجهاد والإيمان والتصديق، ومعناه: (لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى)[2]، فإن الله سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الكريم، وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3]: قال: أخلصه وأصوبه، إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، وقال: والخالص إذا كان لله عز وجل، والصواب إذا كان على السنة، وقد دل على هذا الذي قاله الفضيل مثل قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[4][5].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون

---

(١) إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٩٣/٦ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٣) سورة الملك، آية: ٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٢/١.

خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ"[١].

وقال ابن القيم: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه"[٢]. إذ أن الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال[٣].

إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يُرد عليه أحوج ما هو إليه هباء منثورًا، لذا كان على أرباب الأعمال أن يخلصوا فيها لله تعالى وأن يحسنوا فيها الإخلاص، قال ابن القيم: "أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة، وهم أهل (إياك نعبد) حقيقة، فأعمالهم كلها لله وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهرا وباطنا لوجه الله وحده لا يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورا، ولا ابتغاء الجاه عندهم ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فالعمل لأجل الناس وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون مِنْ عارفٍ بهم ألبتة بل من جاهل بشأنهم، وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه، ولا يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي بلا عباده بالموت والحياة لأجله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٤]، وجعل ما على الأرض زينة لها ليختبرهم أيهم أحسن عملاً، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٤/٥.

(٢) الفوائد ص ٦٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٤٠/٢.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ٧.

إن الله سبحانه وتعالى، قيد قبول العبادات والأعمال بالإخلاص التام لله رب العالمين، وهو قيد في التكليف الإلهي، أن تكون الأعمال في البدء والمنتهى، دينية ودنيوية، لا يقصد بها سوى وجه الله سبحانه وتعالى، وقد صرح القرآن بأن السابقين قد أمروا بذلك، قال تعالى في حق أهل الكتاب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1].

وقد امتدح الله الرسل السابقين بهذا الخُلق، قال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وبنيه: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[2].

وفي حق يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[3].

وفي حق موسى عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾[4]، وبحقه ورد في سورة طه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾[5].

وتمثل الإخلاص في أعلى درجاته في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو صلى الله عليه وسلم الإمام لهذه الأمة، فقد خلد الحق لنا بعض أفعاله في القرآن لنتأسى بها، وهي تطبيق عملي للأوامر

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة ص، الآيات: ٤٥ - ٤٨.

(٣) سورة يوسف، آية: ٢٤.

(٤) سورة مريم، آية: ٥١.

(٥) سورة طه، الآيتان: ٨٣ - ٨٤.

الإلهية الصادرة إلينا فيما يتعلق بالربانية، فلقد أمرنا الله بالإخلاص في العبادة، بمعنى ألا نقصد بعملنا سوى وجهه، ولا نجعل من ورائها هدفًا إلا مرضاته، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[1]، ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

كما ذكر لنا بعض النعم التي أنعم بها علينا، وأمرنا بعدها بأن نعبده وحده، ولا نخضع لغيره ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

وقد أمر ﷺ أن يجاهر بذلك، وأن يُعلنها صراحة: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾[4]، [5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة:

ورد في الحديث بعض الإشارات إلى بيان فضل الله تعالى وإكرامه للشهداء يوم القيامة.

أولاها بأنه التزام فضلٍ وإحسانٍ[6]، بإدخال الجنة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادٌ في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برسلي)، فهو ضامن أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر وغنمية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٢) سورة غافر، آية: ١٤.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٦٤ - ٦٥.

(٤) سورة الزمر، الآيات: ١١ - ١٤.

(٥) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ١٥٥-١٥٧.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٨.

ومعناه: (تضمن الله...) أنه سبحانه وتعالى أوجبه له بفضله، وقوله أن يدخله الجنة له وجهان:

أحدهما: أن يدخله إياه كما جاء في الشهداء في كتاب الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وثانيهما: يحتمل أن يريد دخوله الجنة عند دخول السابقين، والمقربين لها دون حساب ولا عقاب ولا مؤاخذة بذنب، إذ الشهادة كفارة لما تقدم من ذنوبه، كما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ، إلاَّ الدَّيْنَ))[2][3].

وقال النووي: "أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4]"[5].

"ففي هذه الآية أخبر سبحانه أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِل العوضَ عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له. ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) أي سواء قَتَلُوا أو قُتِلُوا أو اجتمع لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة"[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٦٩ - ١٧١.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٦.

(٣) إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٩٤/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

قال القاسمي: "لما هدى الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان، والأنفس مفتونة بمحبة الأموال والأنفس، استنزلهم لفرط عنايته بهم، عن مقام محبة الأموال والأنفس، بالتجارة المربحة، والمعاملة المرغوبة، بأن جعل الجنة ثمن أموالهم وأنفسهم، فعوض لهم خيرا مما أخذ منهم. فالآية ترغيبٌ في الجهاد وبيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلفين عنه.

قال أبو السعود: ولقد بولغ في ذلك على وجهٍ لا مزيد عليه، حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى، وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة، بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية. ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنْفُسَ المؤمنين وأموالَهم، والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة، الجنة، ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: (إن الله باع الجنة من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم) ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها، إيذانًا بتعلق كمال العناية بهم وبأموالهم ثم إنه لم يقل (بالجنة) بل (بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم، واختصاصه بهم. وكأنه قيل: (بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم).

وفي (الكشاف) و(العناية) ولا ترى ترغيبًا في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية، لأنه أبرزه في صورة عَقْدٍ، عاقِدُه ربُ العزة وثمنه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضًا لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وجعله مسجلاً في الكتب السماوية، وناهيك به من صك. وجعل وعده حقًا، ولا أحد أوفى من وعده، فنسيئته أقوى من نقد غيره. وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم، وهو استعارة تمثيلية، صور جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، وإثابة الله لهم على ذلك الجنة، بالبيع والشراء وأتى بقوله (يقاتلون... إلخ) بيانًا لمكان التسليم وهو المعركة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: ((الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ))[1]، ثم أمضاه بقوله: (وذلك هو الفوز العظيم). ولما في هذا من البلاغة واللطائف المناسبة للمقام، لم يلتفتوا إلى جعل (اشترى) وحده استعارة أو مجازًا

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٤٦.

عن الاستبدال، وإن ذكروه في غير هذا الموضع، لأن قوله (فاستبشروا ببيعكم) يقتضي أنه شراء وبيع، وهذا لا يكون إلا بالتمثيل. ومنهم من جوز أن يكون معنى (اشترى من المؤمنين أنفسهم) بصرفها في العمل الصالح (وأموالهم) بالبذل فيها. وجعل قوله (يقاتلون) مستأنفًا لذكر بعض ما شمله الكلام اهتمامًا به"[١].

وثانيهما: ما جاء في إكرامه يوم القيامة بتطييب الجرح والدم، فقال ﷺ: (والذي نفسُ محمد بيده ما من كَلْم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلِم، لونُه لوْن دم وريحُه ريحُ مسك)، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى"[٢]. وجهاده في سبيل الله هو أفضل الأعمال، قال ابن حجر: قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على المجاهدين في سبيل الله:

جاء في الحديث: بيان فضل الله على المجاهدين في سبيله، بأنه يكرمهم بإحدى الحسنيين، إما الظفر بالشهادة، وإما السلامة والغنيمة، فقال ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاده في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة)، وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾[٤]، شهادةٌ أو ظَفَر"[٥]. فلا تنتظرون من حالنا إلا حسنة عاجلة أو حسنة آجلة[٦].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٣٢/٨/٥ - ٣٣٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٠٧ - ١٢٠٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٦٢/٤.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٢٤/١٠/٥.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة النبي ﷺ بأصحابه وأمته:

إنه لمن المعلوم من الدين بالضرورة ما اتصف به ﷺ من رحمة خاصة بأمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، ومن مظاهر رحمته ﷺ ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لولا أن يُشَقّ على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني)، قال القاضي عياض: "قد بيّن في الحديث صورة المشقة، من أنه يشق عليهم التخلف بعده، ولا تطيب أنفسهم بذلك، وأنه لا يقدر على حملهم كلهم، ولا يقدرون هم على ذلك لضيق الحال،وفيه رفقه ﷺ بأمته ورأفته بهم، وأنه يترك من أعمال البر لئلا يتكلفوه هم فيشق عليهم"[2]، وذلك رحمة منه ﷺ ورعاية لشعور العاجزين عن الخروج للجهاد"[3].

خامسًا- من أهداف الدعوة: حماية الدعوة الإسلامية:

إن الإسلام عندما شرّع الجهاد، لم يكن بَهَدف البغي والعدوان، وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة [4]، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[5]، فالدين الإسلامي دين يسالم من يسالمه، ولا يقاتل إلا من يقاتله، أو يمنع نشر

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٩٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٤) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

(٥) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

دعوته، ويقطع السبيل في منع إبلاغها للناس، فإنهم بمنع إبلاغها يعدّون معتدين على الدين، وعلى الخلق أجمعين [١]، لذا شرع الجهاد، حماية للدعوة وإزالةً للحجب والحواجز أمامها، وتأمينا لحرية الدعوة، والدعاة، والمدعوين، والدفاع عنهم ضد من يقف في طريقهم، حتى لا يخشى من يريد الدخول في الإسلام الفتنة عن دينه[٢].

ومن ثمّ صار الجهاد فريضة في الإسلام، بغية نشر الدين ورد المعتدين، والأهبة للأمرين على الدوام، فإن الحرب ضرورة واجهها الإسلام، وهو الدين الواقعي بالرأي، وقد أذن الله للمسلمين بالقتال متى ظُلموا أو سُدّت الطريق أمامهم لتبليغ دعوتهم، أو لردع المعتدي[٣].

---

(١) انظر: الجهاد المشروع في الإسلام، عبدالله بن زيد آل محمود، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٩٣.

(٢) غزوة أحد "دراسة دعوية"، محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج ص ٦٠.

(٣) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريشي ص ١٤٩ - ١٥٣.

الحديث رقم (١٢٩٧)

١٢٩٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَم في سَبيلِ الله إلاَّ جَاءَ يَومَ القِيَامةِ، وَكَلْمُهُ يدْمِي: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ ريحُ مِسكٍ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مكلوم: مجروح[2].

مسك: ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان[3].

الشرح الأدبي

إذا دخل النفي على النكرة أفاد التعميم في الحكم، وهذا ما جاء في هذه البشارة على لسان خاتم الرسل ﷺ عندما قال: " ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة، وكلمة يدمى: اللون لون الدم والريح ريح مسك "، وقوله (مكلوم يكلم) جناس يؤكد أثر الجهاد المبارك في الله، وقوله: " في سبيل الله " قد حدد هوية هذا المجروح وأنه جرح في عمل مشروع يحبه الله، ورسوله، لأن حرف الجر " في " يفيد السببية، وربط ذلك بيوم القيامة للترغيب في الإقبال على الجهاد في سبيل الله بالبدن، والمال، والعلم، والجاه، والجملة الحالية: " وكلمة يدمى. .. " تبين هيئة ذلك المسلم الذي جرح، وأصيب في الدنيا، وترسم صورة لذلك المؤمن وأن الله عنده الخير الكثير الذي ينتظره فاللون لون دم، والريح ريح مسك " والتشبيه يشير إلى الاتفاق الموجد للصلة بين، وبين جرح الدنيا، والمفارقة في الأثر لأنه صار بريح المسك لا ألم فيه بل فخر، وسرور به ينبعث من كلمة مسك " تدخل السرور على قلب المتلقي، وتفرض عليه أن يوقن بكلام

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٣) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٦/١٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ل م).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

الله، ورسوله، ولذلك صاغه في ثوب القصر الذي يقصر المكلوم على المجيء على هذه الهيئة الموصوفة بلون الدم، وريح المسك تشريفا له، وإشادة به على رؤوس الأشهاد، ثم إن سوق الخبر بهذا التوكيد بالقصر يرغب في الجهاد في سبيل الله، وتحمُّل تبعاته، وله بُعد نفسي يعالج في النفس خوفها من ألم الجراح، والتشويه، ويحوله إلى سبب للسرور، والفخر، كما عالج في أحاديث أخرى خوف الموت، وألمه، وأخبر بأن الشهيد لا يتألم، ولا يخاف أهوال القبر كغيره بل يؤمن منها، ويدخل الجنة، دون حساب، كما أنه عالج أصوات المعترضين من أهله التي تعترض المجاهد عند خروجه، فأوصى بأهل المجاهد غيره من القاعدين، وضمن له الشفاعة في سبعين منهم، حتى يخرج بنفس مطمئنة، ورضا الجميع.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هيئة الشهيد يوم القيامة:

حيث جاء ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي، اللون لون دم والريح ريح مسك)، "وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، ولعل ترك الغسل والصلاة على الشهداء في سبيل الله، أن يلقوا الله عز وجل بكلومهم، واستغنوا بكرامة الله عز وجل عن الصلاة لهم مع التخفيف على مَنْ بقي من المسلمين، لما يكون فيمن قاتل بالزحف من المشركين من الجراح وخوف عودة العدو ورجاء طلبهم، وهمهم بأهليهم وهم أهليهم بهم، والحكمة في ذلك إبقاء أثر الشهادة عليهم والتعظيم لهم[1]، قال النووي: "والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته، وبذله نفسه

---

(١) انظر: كتاب الأم، الإمام الشافعي ٢٣٧/١، ومغني المحتاج، الشربيني الخطيب ٣٤٩/١ - ٣٥٠.

في طاعة الله تعالى"[١]، ويُشهد له على ظالمه بفعله، وفائدة رائحته الطيبة أن ينشهر في أهل الموقف إظهارًا لفضله[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في الجهاد:

إن مما يستنبط من الحديث بيان فضل الإخلاص لله في الجهاد وأنه سبب لقبول الله للجهاد، فقال ﷺ: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله)، فإن صدق النية وإخلاص العمل من أفضل الأعمال وعليه يتوقف قبولها، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات)) [٣]، قال ابن رجب الحنبلي: "أي أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها، فإذا افتقر الجهاد إلى إخلاص النية وغلب عليه الرياء لم يكن له نصيب من القبول، وجاء هذا المعنى في مثل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[٤].

لذا كان أهمية الإخلاص، ويكون بتصفية العمل والقول والعبادة مما يشوبها من رياء ومراءاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي طرح العمل وعدم رؤيته فضلاً عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المُخلص على أنه جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالخلاص منه، أي جعله خالصًا لوجه الله تعالى[٥].

إن الإخلاص في الطاعات واجب، وإن الرياء يفسدها في جميع الطاعات، ومنها باب الجهاد الذي جاءت الأحاديث فيه مصرحة بإبطال الرياء لثواب الجهاد، ومنها ما روي

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٣٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٤) صحيح مسلم، رقم ١٩٠٥.

(٥) انظر: روضة التعريف بالحب الشريف، الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: عبدالقادر عطا ٤٧٢/٢.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1].

قال القاضي عياض: "يفهم منه اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

والإخلاص: مصدر أخلصت العسل إذا صفيته من شوائب كدره. فالمخلص في عبادته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء، وذلك لا يتأتى له إلا بأن يكون الباعثُ له على عملها قصدَ التقرب إلى الله تعالى وابتغاء ما عنده، فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أغراض الدنيا، فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو: الشرك الأكبر؛ وإما رياء وهو: الشرك الأصغر، ومصير صاحبه إلى النار، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة المذكورين فيه. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فقد ذلك الغرض لترك العمل، فأما لو انبعث لتلك العبادة لمجموع البَاعِثَين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى أو مساويًا، ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل مثل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: ((أنا خيرُ الشركاء، فمن عمل عملاً أشْرَك فيه غيري فأنا بريءٌ منه، وهو للذي أَشْرَك))[3]، فأما لو كان باعثُ الدين أقوى، فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل، وهو الأقدم في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[4]، فجعل الجهاد

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٧١.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) أخرجه أحمد ٣٠١/٢، رقم ٧٩٩٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٣٧٧/١٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

مما يصح أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد، فأما لو تفرد باعثُ الدين بالعمل؛ ثم عرض باعثُ الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

إن للحبيب ﷺ خصائصُ اختصه الله تعالى بهاُ لكماله الذاتي والروحيُ لم تكن لغيره من أفراد أمته [٢]، ومن ذلك ما اختصه الله من إطلاعه على بعض الغيبيات، وبيان الثواب والعقاب يوم القيامة، وهيئات وأصناف الناس يومئذ، كما جاء في الحديث من بيانه ﷺ للشهيد يوم القيامة: (ما من مكلوم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمي اللون لوم دم والريح ريح مسك)، والنصوص الدالة على ما اختص الله به رسوله ﷺ من إطلاعه على بعض الغيبيات كثيرة، دلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته [٣]، وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على بعض المغيبات، روي عن عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قال: ((صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ. وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ. فَنَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ. ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى. ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ. فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ. فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ. فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا))[٤].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[٥]، وبيّن القاضي عياض أن ذلك من جملة معجزاته ﷺ فقال: "ما أُطلع عليه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٢ - ٧١٣.

(٢) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، ص ٣٨٧.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٥٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٩٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣.

من الغيوب وما يكون من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب"[1].

(١) كتاب الشفا بتعريف أحوال المصطفى ٣٢٩/١.

الحديث رقم (١٢٩٨)

١٢٩٨- وعن معاذٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِن رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالمِسْكِ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

فُواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة[2].

النكبة: الخدش والجرح من أثر الحجارة ونحوها[3].

الزعفران: نبتٌ أحمر اللون [4].

المسك: ضربٌ من الطيب يتخذ من نوع من الغزلان[5].

الشرح الأدبي

بني الحديث على أسلوب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب؛ لأنه يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار، بعد أن يعرض عليه العمل مرتبطا بجزائه، وقد تكوَّن الحديث من جملتين شرطيتين، الأولى: " من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧) واللفظ له. وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٨)، وقال الحاكم (٧٧/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٩).

(٢) رياض الصالحين ٤٥٨.

(٣) الصحاح في (ن ك ب).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ز ع ف ر).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م س ك).

فواق ناقة (أي ما بين الحلبتين) وجبت له الجنة، فربط قتال الوقت القليل في سبيل الله، باستحقاق الجنة، والثانية: " من جرح جرحاً في سبيل الله، أو نكب (أي أصيب) نكبة، فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت: لونها الزعفران، وريحها المسك، حيث ربط المجروح في سبيل الله على المجيء بالهيئة المذكورة، والتنكير في كلمة " رجل " يفيد التعميم، ويشير إلى أن الرجال ملزمون بالدفاع عن أعراضهم، وحرماتهم؛ لأنهم أكثر تحملاً لمشقة الجهاد، والفعل الماضي في قوله: " وجبت له الجنة " يوحي بأن الله تعالى قد تكرم على هؤلاء بأن أوجب على نفسه الجنة لهم، والتنكير في " جرحا" و " نكبة " يوحى بأن المعتد به في العمل هو النية الصالحة وأن هذا الجرح سواء كان صغيراً، أو كبيراً له ثوابه، وكذلك النكبة، وهما يشملان الأشياء المادية الظاهرة، والجروح، والنكبات النفسية الباطنية بشرط أن يكون ذلك كله " في سبيل الله " أي يستحضر المسلم النية في تحمل تبعات الجهاد وما يطرأ عليه من جرح، أو ونكبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الجهاد في سبيل الله ولو مدة قليلة:

لما كان الجهاد هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير، رغّب الله ورسوله ﷺ فيه أيما ترغيب[1]، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك كناية عن قليل الجهاد، (وجبت له الجنة) وفي ذلك بشارة لمن جاهد في سبيل الله طلبًا لمرضاة الله بالموت على الإسلام إذ لا تجب الجنة لغيره[2]، وقوله ﷺ:

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٨٤/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

(وجبت له الجنة)، ليس إيجابًا على الله وإنما تفضلاً من الله تبارك وتعالى ومنة، كما جاء ذلك في قوله ﷺ: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن)، وذلك إيجاب من الله بفضله وكرمه سبحانه وتعالى، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1][2].

قال ابن كثير: "في هذه الآية يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين على أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم"[3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في ترغيب النبي ﷺ في الجهاد ببيان فضله وأثره فقال ﷺ: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة، ومن جرح جرحًا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك)، والترغيب في الشيء يكون بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه"[4].

وبيّن القرآن أن الترغيب والرغبة فيما عند الله أحد الأسباب التي تحمل الإنسان

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

على طاعة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله وذلك ببيان الثواب والأجر المترتب عليه، كما جاء في الحديث: (من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة...)، وذلك لما كان للجهاد من أهمية في نشر الدعوة وحمايتها، فهو ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة كما لهم الرفعة في الدنيا فهم الأعلون في الدنيا والآخرة [3]، فالجهاد لم يفرض بغيًا ولا عدوانًا، إذ أن الإسلام قد أسس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[4]، وقال: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[5]، لا على الحرب والقتال؛ إلا إذا أريدوا بسوء لفتنتهم عن دينهم أو صدهم عن دعوتهم، فحينئذ يفرض عليهم الجهاد، دفعًا للشر وحماية للدعوة"[6]. ومنعًا لاستفحال الشر والفساد في الأرض[7].

إن الله عز وجل لم يأذن بالقتال إلا حماية للدعوة وإزالة للعقبات التي يقيمها أعداؤها، حماية للضعفاء من المؤمنين الذين يتعرضون للفتنة في دينهم، ويُؤذون في

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥/٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٠٨.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦١.

(٦)السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية، عبدالوهاب خلاف، دار الأنصار: ١٣٩٧هـ، ص ٧٦، ٧٧.

(٧) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

اعتقادهم؛ ولذلك شرع الله تعالى القتال فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

لهذا كان الإذن بالقتال، وفتح باب الجهاد، وفي هذا النص الكريم بيان الباعث عليه، والنتيجة التي ينتهي إليه، وإنها لخير، ووسائل الخير تكون خيرًا ولو كانت أمرًا كريهًا، ما دام قد تعين أنه الطريق، وأنه إذا تعين كان خيرًا ولذلك قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

والآيات التي كان فيها الإذن بالقتال فيها إشارات بيانية تليق بالقرآن أبلغ كلام في هذا الوجود الإنساني.

أولها: أن فيها الإذن بالقتال، ولكنه لم يصرح بها، إذ أنه صرح بأشد ما يبعث عليه، وهو أن القتال من جانب الأعداء قد وقع فعلاً، لأنه سبحانه وتعالى عبر بقوله (يقاتلون) بالبناء للمجهول، أي أن المشركين قاتلوا المؤمنين فعلاً، فقد آذوهم وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم، والفتنة أشد من القتل كما قال الله تعالى، وحاولوا قتل النبي ﷺ وحاولوا أن يقتلوا المبايعين في بيعة العقبة الثانية، فكان التعبير بالبناء للمفعول دليلاً على أن قتال المؤمنين في مقابل أنهم ابتدؤوا، وهو دفع للأذى، وللفساد في

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٣٨ - ٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

الثانية: أن الله تعالى صرح بأن القتال دفع للظلم أو منع لاستمراره.

الثالثة: أن أهل الإيمان هم أهل الحق، فإن قاتلوا فهو دفاع عنه، وعن التوحيد، والإيمان به فهو قتال يحمل في باعثه، وفي ذات الدعوة إلى الله تعالى.

الرابعة: أن القتال الذي يكون جهادًا في سبيله هو دفع الباطل، وإلا كان الفساد في الأرض، وألا يعبد الله تعالى فتهدم بيع وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، فالقتال نصرة لله تعالى، وحماية للحق، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز.

الخامسة: أن القتال فيه تمكين للحقائق الإسلامية، فنتيجة القتال تمكين للذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، فالقتال من نتيجته أنه يمكن أهل الحق، من الدعوة إليه بالقول وبالعمل، وبذلك تقوم شريعة الله.

وفي هذا إشارة إلى أن غاية القتال: دفع الاعتداء ومنع الظلم، والتمكين للدعوة الإسلامية، وأن يدخل الناس في دين الله تعالى مختارين من غير فتنة، ومن غير إرهاق لهم في عقائدهم.

بهذا نأخذ من الآية الكريمة أن الباعث على الجهاد في الإسلام أمران:

أولهما: دفع الظلم ومنع الفتنة كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

وأن الاعتداء يُرَدّ بمثله، فمحمد ﷺ الذي جاء بالحق لا يدفع إرادة الأذى بالسكوت عليه واستمراره، بل يدفع الاعتداء بمثله، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٣.

ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[1].

الأمر الثاني: هو التمكين للدعوة الإسلامية، بأن تزال المحاجزات التي يقيمها الملوك والحكام الظالمون بين دعوة الإسلام، والاستجابة لدين الحق أو أن يعوقوه، وليس معنى ذلك حمل الشعوب على الدخول في الإسلام كرهًا بقوة السيف بل إن مؤداه أن يعرفوا الإسلام، ويتمكنوا من تلقي الدعوة الإسلامية، فإذا عرفوها فقد تبين الرشد من الغي، والحق من الباطل فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذلك قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2][3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، القسم الثاني للعهد المدني، الشيخ: محمد أبو زهرة، ص ٦٨٠ - ٦٨٢.

الحديث رقم (١٢٩٩)

١٢٩٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأعْجَبَتْهُ[1]، فَقَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأقَمْتُ في هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أفْعَلَ حَتَّى أسْتَأْذِنَ رسولَ اللهِ ﷺ، فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((لاَ تَفعلْ؛ فَإنَّ مُقامَ أحَدِكُمْ في سَبيلِ اللهِ أفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ أُغْزُوا في سَبيلِ الله، من قَاتَلَ في سَبيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بشعب: الشعب: الطريق في الجبل[3].

عيينة من ماء عذبه: تصغير عين، وكأنه لقلة مائها[4].

فواق ناقة: الفُواقُ: ما بين الحلبتين من ضرع الناقة، بقدر ما يحلب الحلبة بيده، ثم يعود فيحلب مرةً أخرى[5].

الشرح الأدبي

يدل الحديث على الصراحة المطلقة بين النبي الكريم، وأتباعه، فهذا الرجل قد مر بشعب فيه ماء عذب، وأحب أن يقيم في هذا الشعب، ولكنه أبى حتى يستأذن رسول الله ﷺ فقال له، ولغيره: " لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من

---

(١) عند الترمذي زيادة: (لطيبها). ولم يوردها المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٢) برقم (١٦٥٠). وقال الحاكم (٢/٦٨): هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ش ع ب).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٠١.

(٥) رياض الصالحين ٤٥٨.

صلاته في بيته سبعين عاما " وقد جمع الرسول بين النهى في قوله: " لا تفعل " والتأكيد بأن واسمية الجملة في قوله: " فإن مقام أحدكم. .. " ولا شك أن أفعل التفضيل في قوله: " أفضل من صلاته " يبين منزله الجهاد، والمجاهدين في سبيل الله وأكد ذلك بقوله " سبعين عاما"، ويجب أن نتأمل ما في هذه الأعوام السبعين من آلاف الصلوات المفروضة، وغير المفروضة، وقوله: " لا تفعل يشير إلى أن رسول الله ﷺ هو الذي يملك أن يقول (أفعل، ولا تفعل)، لأنه مبلغ عن الله تعالى، وفعلة، ونهيه مستمدان من الله تعالى الذي أنزل الكتب، وقوله (أَلاَ تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟)وهو استفهام عرض، وتشويق تبعه بالأمر ترغيبا في الجهاد الذي يحقق عز الأمة، ونشر الدعوة في قوله: (أُغْزُوا في سَبيلِ الله) وقد صعَّد هذا الأمر بالترغيب بأسلوب الشرط الذي يربط العمل بالجزاء(من قَاتَلَ في سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على عرض أمورهم على النبي ﷺ:

ورد في الحديث مشهد ومثل حي لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حرص على عرض أمورهم على النبي ﷺ واستئذانه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ)، فكانوا دائمًا يرجعون إلى رسول الله ﷺ في أمورهم يسألوه ويستوضحوه حتى يكونوا على بينة من

أمر دينهم[١].

إن في الحديث ما يدل على تفويض الأمر لرسول الله ﷺ والتقيد بأمره ونهيه لمعرفتهم وعلمهم أن في طاعته الهداية كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٢]، وفي مخالفته الفتنة والعذاب كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣].

إن المؤمن الصادق والكامل في إيمانه قد سلم نفسه لشرع الله المتمثل فيما جاء به رسول الله ﷺ.

سلّم نفسه عن رضا وطواعية واختيار، بكامل قناعته، أن ذلك هو محض الحق وعين الصواب وسبيل النجاة، شأنه وحاله كالمريض بين يدي الطبيب الماهر والمداوي المتمكن العارف بحقيقة الداء وبحقيقة الدواء، بحسبه أن أمر له مر المذاق أو أمر له بإجراء عملية جراحية فيها مخاطرة بحياته أو بقطع جزء من أجزائه يسلم ويرضى بذلك.

وكذلك لو منعه مما يشتهي من المأكولات والمشروبات، وحماه مما تتوق إليه نفسه من الحلال من الشهوات، فإنه يمتنع عن ذلك رغبة منه في حصول الشفاء ورهبة من استمرار المرض يفعل ما يأمره الطبيب، ولو كرهته نفسه، ثقة واعتقادًا بصحة خبر الطبيب وعلمه ولله المثل الأعلى فإن المؤمن يعرض نفسه في جميع أموره على شرع الله ويقبل ما يأمره وينهاه بكامل الرضا والقبول والتسليم.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يستأذنون رسول الله ﷺ في أمور دينهم ودنياهم.

فأما ما يكون من أمور دينهم فالاستئذان فيه يكون بمعنى الاستفتاء أو السؤال عن الحكم الشرعي في تلك المسألة، كما مرّ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من استئذان

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

الصحابي في العزلة ولم يأذن له ﷺ يومها، لأن أمر الدين ظاهر يوم ذلك والجهاد في سبيل الله قائم، والمؤمنون يمثلون قوة واحدة تمضي بتوجيه رباني واحد وقائد رباني واحد يخضعون لإمرة واحدة، وحالهم في مواجهة أعدائهم كأنهم بنيان مرصوص، ولهذا قال له النبي ﷺ: (لا تفعل فإن مقامِ أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته سبعين عامًا).

إن استئذان المؤمنين رسول الله ﷺ ورجُوعهم إليه في حياته وسنته بعد مماته ﷺ دليل على كمال إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وهذا إرشاد من الله لعباده المؤمنين، أنهم إذا كانوا مع الرسول ﷺ على أمر جامع أي من ضرورته أو مصلحته أن يكونوا فيه جميعًا، كالجهاد والمشاورة ونحو ذلك من الأمور التي يشترك فيها المؤمنون، فإن المصلحة تقتضي اجتماعهم عليه وعدم تفرقهم، فجعل موجب الإيمان عدم الذهاب إلا بإذن، ومدحهم على فعلهم هذا وأدَبَهم مع رسوله وولي الأمر منهم[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: تفضيل النبي ﷺ للجهاد في سبيل الله على صلاة الرجل في بيته سبعين عامًا:

جاء في ذلك صريح قوله ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما)، قال ابن علان: "هذا كان في ابتداء الأمر، ومثله ما إذا ألجأ الأمر للجهاد بأن هجم الكفار على بلاد المسلمين وخشي استيلاؤهم عليها، فالاشتغال بالجهاد حينئذ لما فيه من إنقاذ المسلمين أفضل من صلاة النافلة، وذلك لأنه متعد، وأما

---

(١) سورة النور، آية: ٦٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢٤.

إذا لم ينته الأمر لذلك فأفضل العبادات البدنية الصلاة كما قاله الجمهور"[١].

وفي الحديث: لزوم الأدب مع الرسول ﷺ باتباع سنته في كل عمل، وأن الجهاد أفضل من العزلة إذا تعين، وهو في كل حال سبيل المغفرة وطريق دخول الجنة ولو قل زمن الجهاد، ما دام نابعًا من إخلاص وقائمًا على أساس رضا الله تعالى لا غير[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد ببيان أنه أفضل من صلاة النافلة، وسبب لمغفرة الذنوب ودخول الجنة، فقال ﷺ: (فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟)، فإن أسلوب الترغيب وسياسته أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٣]، التي تؤثر في المدعو تأثرًا إيجابيًا نافعًا، لإثارته وتهييجه حتى يقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك المناسب الذي يوصل إلى الجهة التي يكون فيها تحقيقه ما تعلقت به النفس راغبة في نيله أو الظفر به[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الجهاد في سبيل الله سبب في مغفرة الذنوب ودخول الجنة:

جاء ذلك في الحديث في صريح قوله ﷺ: (ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟ اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، أي: أن يغفر الله ذنوبكم مغفرة تامة، ويمن عليكم بإدخالكم الجنة[٥]، وقد جاءت آيات القرآن مبينة ذلك الفضل أيضًا وأن الجهاد سبب للمغفرة ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٣٨.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٣٣/١.

(٥) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٧٤/٢.

سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، أي: إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه، غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات[2]، فالجهاد في سبيل الله فيه النجاة من النار ومغفرة الأوزار ودخول الجنة مع الأبرار[3].

وفي ذلك تشجيع المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، والثبات أمام أعدائهم والتحذير من الزيغ عن ذلك، والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل[4].

خامسًا - من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في قوله ﷺ: (اغزوا في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، وذلك أمر بالجهاد بعد أن حرض عليه بذكر ثوابه وعرض للعباد بالدعوة إليه، وعلل ذلك زيادة في الترغيب بقوله على سبيل الاستئناف النحوي والبياني: (من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، فلا بد من موته على الإسلام ودخوله لها، إما مع الناجين ولو بعد حين والوعد بالمحبوب محبوب[5]، وَوَعْدُ الله لا محالة محققه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[6]، أي: لا أحد أوفى بعهده من الله، فأظهروا

---

(١) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٢/٨.

(٣) انظر: خطب مختارة، اختيار: وكالة شؤون المطبوعات والنشر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية: ١٤١٩هـ، ص ٢٩٤.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٣/١٦/٩.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٢.

(٦) سورة التوبة، آية: ١١١.

السرور بذلك فإن دخول الجنة والظفر بها هو الفوز العظيم[١].

ومن الأحاديث التي جاء فيها الأمر والحث على الجهاد ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ. وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا))[٢].

إن الجهاد في سبيل الله لما كان هو الوسيلة لحماية العقيدة وتأمين الدعوة ونشر الشريعة، شريعة التوحيد والحق والعدل والخير رغّب الإسلام فيه أيما ترغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣].

وقال سبحانه مبينًا الفرق ما بين المجاهدين والقاعدين: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

وقال سبحانه مرشدًا إلى أعظم طرق الخير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٦٩/٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٧٨٣، واللفظ له، ومسلم ١٨٦٤.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠، ١١.

وقال سبحانه مبينًا أن القتال وإن كان مكروهًا للنفس بحسب الفطرة، لكنه قد يكون فيه الخير الكثير: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا جاز لغير المسلم أن يخشى الجهاد أو يفرط فيه فلا يجوز ذلك للمسلم، إذ مآل الجهاد له إما نصر وغنيمة وإما أجر وشهادة، وكلا الأمرين غُنم وجميل، قال سبحانه آمرًا المسلمين أن يعلنوها صريحة لخصومهم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[2][3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥٢.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٢/٨٤، ٨٥.

الحديث رقم (١٣٠٠)

١٣٠٠ - عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قيل: يَا رسولَ اللهِ، مَا يَعْدلُ الجهادَ في سَبيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((لاَ تَستَطِيعُونَهُ)) فَأعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: ((لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ!)) ثُمَّ قَالَ: ((مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانتِ بآياتِ الله لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ في سَبيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ مسلمٍ.

وفي رواية البخاري[2]: أنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رسول الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: ((لاَ أجِدُهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ المُجَاهِدُ أنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلاَ تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ؟)) فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القانت: الخاشع[3].

لا يفتر: لا يضعف[4].

الشرح الأدبي

ينقل هذا الحديث حواراً حدث بين رسول الله صلى الله علية وسلم، وبعض محبيه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٧٨/١١٠) فقط بهذا اللفظ. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٩) بنحوه وعزاه إلى ابن حبان. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥٩).

(٢) برقم (٢٧٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (١/١٩٥٩). تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه (٢٣٤/٣، رقم ٢٤٩١) في المتفق عليه، وعزا اللفظ الأول إلى مسلم، واللفظ الثاني إلى البخاري. وأظنُّ أن المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه (٢٥١/٢): حيث قال: رواه البخاري ومسلم واللفظ له. ثمّ أورد اللفظ البخاري كما هنا.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ت).

(٤) المرجع السابق في (ف ت ر).

حيث سئل: " ما يعدل الجهاد في سبيل الله ؟، أي ماذا يساويه في الأجر، والثواب من العمل ؟ والاستفهام هنا حقيقي؛ لأنهم يريدون أن يتعلموا منه ﷺ فرد عليهم قائلاً " لا تستطيعونه " فنفي الاستطاعة فيه دلالة على عظمة العمل الذي يدل على عظمة الثواب، وكرر السؤال مرتين، أو ثلاثاً، وكرر الجواب معه: " لا تستطيعونه " ليؤكد بذلك عدم استطاعة الإنسان القيام بعمل صالح يساوى الجهاد في سبيل الله، ثم جاء النبي بتشبيه تمثيلي (مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ) والمثل:هو قول سائر شبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه، وإضافة الكاف لكلمة (مثل) تؤذن بتشبيه الهيئات، والأحوال حتى لا يتوهم أنه تشبيه الأفراد، والصورة التشبيهية ترسِّخ هذا المضمون فقوله: "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله، ومعناه: أن المجاهد في كفه. .. وأن هذه الأعمال الصالحة كلها في كفه أخرى، وتغلب الكفة الأولى لأن الإتيان بتلك الأعمال صعب على المسلم إلا من رحم الله – والله اعلم.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله.

رابعًا: من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على معرفة ما يعدل الجهاد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قول أبي هريرة رضي الله عنه: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث – ١٣٠٠ – مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٠١.

سبيل الله؟ وذلك يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حرص على معرفة أمور دينهم، يسألون عنها ويستوضحونها من رسول الله ﷺ حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم ودعوتهم [١]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢]. "أي على بصيرة من دعوته يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار:

ورد أسلوب التكرار في الحديث في إعادة الصحابة رضي الله عنهم السؤال لرسول الله ﷺ وإعادته الجواب عليهم: قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ولقد كان من هدي رسول الله ﷺ أنه كان يكرر القول أو الفعل في وقت واحد وفي أوقات متفرقة، حتى يُتعلم منه ويطبعه في أذهان أصحابه ويطبقونه، ومن هذا تكرار القصص في القرآن، وتكرار الأوامر والنواهي، حتى إن الأمر بالصلاة أو التوجيه إليها ليرد عشرات المرات[٤].

إن تكرار الكلام له أثر كبير في تأكيده في النفوس، وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان، فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله لما لذلك من أثر في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه[٥].

وقد استخدم الرسول ﷺ التكرار في كثير من الأحاديث النبوية، فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤/٤٢٢.

(٤) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.

(٥) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغًا ومنهاجا، د. عبدالغني محمد سعيد ص ٣٤.

مدارك البشر وأمزجتهم[١].

ولقد كان من عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[٢].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١ - ما رواه البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنَبِّئُكم بأكبَر الكبائِر (ثلاثًا)؟)) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين - وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال -: ألا وقولُ الزُّورِ وشَهَادَةُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ))[٣].

٢ - وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: مَن يا رسولَ الله؟ قال: الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٤].

٣ - وما رواه عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجُل على رجل عندَ النبيِّ ﷺ فقال: ((وَيلكَ، قطعتَ عنُقَ أخيك. ثلاثًا. مَن كان منكم مادحًا لا محالةَ فلْيَقل: أحسِبُ فلانًا والله حَسيبهُ، ولا أُزكِّي على الله أحدًا، إن كان يَعلم))[٥].

٤ - وما رواه عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبة))[٦].

٥ - وروى البخاري أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((أنه كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أَعادَها ثلاثًا حتّى تُفهمَ عنه، وإذا أتى على قومٍ فسلَّمَ عليهم سَلَّم

---

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ١٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٥٠١/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٧٢، ومسلم ٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٦) أخرجه البخاري ٥٠٤٠.

عليهم، ثلاثًا))[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ للصحابة رضي الله عنهم ولأمته على الجهاد في سبيل الله:

ورد في قوله ﷺ: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وفي ذلك حث على الجهاد أيما حث، وبيان لعظم ثواب الجهاد وأنه لا تطاوله عبادة من العبادات، ففي الحديث سئل النبي ﷺ: (ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟) أي ما يعادله ويماثله في الثواب عند الله تعالى؟ فقال ﷺ: (لا تستطيعونه) أي لا تطيقون أن تفعلوا ما يساوي ثواب الجهاد، ووجهه أن كل ما يصدر عن المجاهد في حالتي نومه ويقظته وسكونه وحركته هو عمل صالح يكتب له ثوابه دائمًا بدوام أفعاله، إذ لا يتأتى لغيره فيه، لأنه على كل حال في الجهاد ومُلاَبِسُ أَحْوالِه، وذلك: أن المجاهد إما أن ينال من العدو، أو يغيظه، أو يروعه، أو يكثر سواد المسلمين، أو يصيبه نصب أو مخمصة. وكل ذلك أعمال كثيرة لها أجور عظيمة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

وعلى هذا نبه النبي ﷺ حيث قال: ((مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللّهِ. لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَلاَةٍ. حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ))، فشبه المستغرق في أفضل العبادات التي هي الصوم والصلاة، الخاشع فيها؛ الذي لا يفتر بالمجاهد؛ لذلك المعنى الذي ذكرنا. و(القائم) يعني به: في الصلاة. و(القانت) الخاشع فيها"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٩٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٨ - ٧٩.

قال النووي: (وفي هذا الحديث عظيم فضل الجهاد، لأن الصلاة والصيام والقيام بآيات الله أفضل الأعمال، وقد جعل المجاهد مِثْل مَنْ لا يفتر عن ذلك في لحظة من اللحظات، ومعلوم أن هذا لا يتأتى لأحد، ولهذا قال ﷺ: "لا تستطيعونه")[1].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم زاخرة بالحث على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

فرغّب الله تعالى في هذه الآية في النفقة في سبيله، وبذل المهج في مرضاته ومرضاة رسوله فقال: (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي: هذا خير لكم في الدنيا والآخرة، ولأنكم تغرمون في النفقة قليلاً فيغنيكم الله أموال عدوكم في الدنيا، مع ما يدخر لكم من الكرامة في الآخرة[4]، كما قال النبي ﷺ: ((وتكفّلَ اللهُ للمجاهدِ في سبيله بأن يَتوَفّاهُ أن يدخلَهُ الجنَّةَ، أو يَرجِعَهُ سالمًا معَ أجرٍ أو غنيمة))[5].

رابعًا- من أهداف الدعوة: مشروعية الجهاد وأهميته في الدعوة إلى الله:

إن الجهاد في سبيل الله لم يشرعه الإسلام بغيًا ولا عدوانًا وإنما ردًا للعدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين، وهذا أمر تقره الفطرة وتقرره الحنيفية السمحة[6]، قال الشيخ محمد أبو زهرة: القتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنه الظلم والعدوان

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٦٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٦) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي ص ٤٩٥.

وإرهاق الشعوب من أمرهم عسرًا، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي ﷺ إنما كان المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق والاستشهاد في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، كان المؤمنون كارهين للقتل وإزهاق الأرواح، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل، والإيمان بالله وحده لا شريك له[3].

ولبيان مدى الحكمة من تشريع الجهاد في الإسلام وأنه لم يكن ألبتة للعدوان وظلم الناس، وإنما كان لرد العدوان ودفع الظلم وتعبيد الطرق وتذليلها أمام الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، نذكر مراحل التشريع للجهاد ليتراءى للقارئ الحكم العظيمة والمبررات المقبولة لتشريع الجهاد.

لقد مرّ تشريع الجهاد في سبيل الله بعدة أطوار نوجزها على النحو التالي:

الطور الأول: كان المؤمنون في ابتداء الإسلام - وهم بمكة - مأمورين بالصلاة والزكاة على سبيل التدريب لا التكليف، وبالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين، وكانوا يتحرقون شوقًا إلى قتال أعدائهم ليتشفوا منهم، ولكنهم كانوا قليلي العدد والعدة وهم في البلد الحرام ولذا لم يُشرع الجهاد ذلك الوقت[4]، يقول تعالى:

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) الدعوة إلى الإسلام "تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة"، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٦٩.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤١٢/١.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبدالرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا نبي الله كنا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، قال ﷺ: ((إنِّي أُمِرْتُ بالعفوِ، فلا تُقَاتِلُوا القومَ))[٢].

وكان الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله عز وجل ويصبرون على الأذى، قال الله عز وجل: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٣]، ولذلك نجد اتفاق العلماء أن الجهاد لم يُشرع إلا في المرحلة المدنية، قال القرطبي: "ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة، فلما هاجر أذن له في قتال من يقاتله من المشركين"[٤]، قال ابن حجر: "فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقًا"[٥].

الطور الثاني: وهي طور الإذن بالقتال بعد الهجرة دون أن يفرض عليهم[٦]، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٧].

الطور الثالث: وهي مرحلة فرض القتال لمن يقاتلهم فقط، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾[٨]. قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٧.

(٢) أخرجه النسائي ٣٠٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٢٨٩١).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٨/٣/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٧/٦.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٧٠/٣.

(٧) سورة الحج، آية: ٣٩.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾"[1].

الطور الرابع: وهو الطور الأخير والمرحلة الأخيرة وهي قتال المشركين كافة كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[3].

قال ابن القيم: "ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين إما فرض عينٍ على أحد القولين، أو فرض كفاية على المشهور"[4].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/٧١.

(٢) سورة التوبة، آية: ٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/٧١.

الحديث رقم (١٣٠١)

١٣٠١- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذه الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن[1] الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إلاَّ فِي خَيْرٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

العِنان: سَيْرُ اللِّجام تُمسك به الدابةُ[3].

يطير: يُسرع[4].

متنه: ظهره[5].

الهَيْعَةُ: الصوت للحرب[6].

الفزعة: الصوت للحرب[7].

مظانُّ الشيء: المواضع التي يُظنُّ وجوده فيها[8].

غُنَيْمَةَ: تصغير الغنم[9].

---

(١) عند مسلم زيادة: (هذه).

(٢) برقم (١٨٨٩/١٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ن ن).

(٤) رياض الصالحين ص ٢٧٠.

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٠.

(٦) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٧) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٨) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٩) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الشَّفَعَةَ: أعلى الجبل[1].

الشرح الأدبي

لقد صدَّر الحديث ببيان الخيرية للناس في معاشهم، وأتى بلفظ " الناس " ليفيد العموم في هذا الخير من ناحية، ويفيد أن هناك هموماً مشتركة بين الناس جميعاً، ومن أهم هذه الهموم، والاحتياجات الإنسانية " نعمة الأمن " وإن هذا الرجل الذي يمسك بعنان فرسه مصدر أمن للأمة يتميز بأنه يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعه طار على متنه يبتغى القتل، أو الموت، وقول الرسول ﷺ (مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رجل) ورجل بالابتداء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي معاش رجل هذا شأنه من خير معاش الناس وقوله (لهم) أي معاش الناس الكائن لهم لا عليهم أي هو من خير معاشهم النافع لهم، وقوله (مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ) كناية عن دوام الاستعداد للجهاد في سبيل الله في كل وقت، وذكر العنان يشير إلى تمام السيطرة، والفرس لتمام إعداد العدة، وآلة الحرب، والتعبير بالطيران يشير إلى الخفة في إجابة الداعي الأمر الذي يوحي بمحبته للجهاد، لأن النفس تخف إلى ما تحب وتثقل عندما تكره، وقوله (على متنه) يشير إلى التمكن، والتعبير بـ(كلما) يشير إلى العادة في الفعل وقوله (هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوْ المَوْتَ مَظَانَّه) كناية عن شجاعته، ورغبته فيه، والهيعة والفزع صوت المنادي للحرب، والمستغيث، والتعبير بالماضي الدال على التحقق يؤكد السرعة في التلبية، وتمام الاستعداد رغبة في الشهادة، ومظان الموت أماكن غلب الظن على وقوعه فيها، (أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ) والشعفة أعلى الجبل، والإشارة (هذه) في هذه العبارة والتي تليها للتحقير؛ لأنه لا يبحث عن ترف، و تصغير غنيمة للتحقير الذي يوحي بأن الرجل لم يسع إلى طلب دنيا بل سعى إلى عزلة لتفريغ القلب للعبادة وهو ما صورته الأفعال في صورة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار (يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ) إلى الغاية المنتظرة (حَتَّى يأتِيَهُ اليَقِينُ) لا يؤذي الناس، ولا يؤذونه وهو ما أكده بالقصر البلاغي، وختم به الحديث في قوله: " ليس من الناس إلا في خير "للإشارة إلى الخير المحض في علاقته بالناس.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٠٢)

١٣٠٢- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إنَّ في الجنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقوم الحديث على الأسلوب الخبري، ولا شك أن الرسول الكريم ﷺ قد أطلعه الله تعالى على بعض الأمور الغيبية التي ترغب المؤمنين في فضل الله الذي لا يحد بحدود ويوصف هذا الحديث ببراعة الاستهلال لأنه صدَّر الحديث بأسلوب التشويق بذكر درجات الجنة، وتقديم قوله (في الجنة) تخصيص يفيد قصرها على كونها في الجنة لا في غيرها، وهو ما يؤكد عظمة العطاء، وخلوده لأن كل ما في الجنة عظيم خالد، وقد أكد النبي ﷺ الخبر بإن، واسمية الجملة تنبيها على عظمة الجزاء، وضرورة اغتنامه في قوله: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض" وجاء بالعدد "مائة درجة" لتقريب المعنى إلى الإفهام، والفعل الماضي المسند إلى لفظ الجلالة: "أعدها الله" يفيد تحقق هذا الإعداد، وأن الذي أعد ذلك هو رب العالمين الذي لا يخلف وعده رسله، ويشبه الرسول الكريم المسافة بين كل درجة، وأخرى كما بين السماء والأرض، ويحتوى هذا التشبيه على كناية توضح سعه فضل الله تعالى؛ لأن ما بين السماء، والأرض يقدر بآلاف الكيلومترات، وهو دليل على عظم الثواب الذي أعده الله للمجاهدين ترغيبا للمؤمنين في الجهاد الذي يمثل مصدر العزة، والحماية، والكرامة للأمة والله أعلم.

---

(١) برقم (٢٧٩٠). تبع فيه المؤلفُ المنذريَّ في ترغيبه (١٩٦٠) حيث أورده مختصرًا هكذا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: جزاء المجاهدين في سبيل الله:

جاء ذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وأصل الحديث في البخاري: ((من آمَنَ باللهِ وبرسولِه وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقًّا على الله أن يُدْخلَهُ الجنَّة، جاهدَ في سبيلِ اللهِ أو جلَسَ في أرضهِ التي وُلِدَ فيها. فقالوا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض فإذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة - أَراهُ قال: وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ - ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة)).

قال الطيبي: "قوله: (إن في الجنة...) قال الأشرف: لما سوى النبي ﷺ بين الجهاد في سبيل الله وبين عدمه وهو المراد بالجلوس في أرضه التي ولد فيها في دخول المؤمن بالله ورسوله، المقيم للصلاة الصائم لرمضان في الجنة، ورأى ﷺ استبشار الراوي بما سمعه لسقوط مشاق الجهاد عنهم وعدم امتيازه في نيل الجنة استدرك النبي ﷺ قوله بقوله الثاني "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله...".

أقول - الطيبي - الجواب من الأسلوب الحكيم، أي بشرهم بدخول الجنة بالإيمان والصوم والصلاة وإيجابها لهم بحسب الأجر على سبيل الوعد، ولا يكتف بذلك بل زاد على تلك البشارة الأخرى وهو الفوز بدرجات الشهداء فضلاً من الله تعالى ونعمة وزيادة على ذلك، ولا يقنع بهذا أيضًا فبشرهم بالفردوس الذي هو أعلاها وأوسطها، وفيه الحث على ما يحصل به أقصى درجات الجنان وهي الفردوس الأعلى، من المجاهدة مع العدو والنفس والشيطان، والإشارة إليه بقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[1]، "[2].

---

(١) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٢/٧ - ٢٦٣.

وقال ابن حجر: "وفي الحديث فضيلة ظاهرة للمجاهدين، وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها"[١].

قال ابن علان: "وفيه عظيم فضل المجاهد، وعظيم عناية الله به، وقوله: (ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، يراد به بيان علو منزلتهم في الجنة ورفعة مقامهم فيها"[٢]، وذلك لتلبسهم بأفضل الأعمال وأعلاها منزلة، قال ابن دقيق العيد: "الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا؛ لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك"[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الجهاد، ببيان ما أعده الله لأهله من درجات، فقال ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، وذلك لما يبذلونه من نفس ومال في سبيل الله، فلما بذلوا أشرف ما عندهم أسكنهم الله أفضل ما عنده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، قال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"[٥].

ولقد حفلت آي الذكر الحكيم، ووردت الأحاديث الشريفة، بوصف الجنة وما أعده الله فيها ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات والجهاد وتحمل المشاق، ذلك أن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٦/٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٤، شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ١٤٤٣/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٦.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيهًا فكان من المتقين ومن المحسنين ومن الذاكرين ومن المخبتين ومن المجاهدين ومن المنفقين ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2][3].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على الجهاد في سبيل الله:

إن الحث على الجهاد وترغيب الناس في إدراك ثواب المجاهدين من الأهداف الرئيسة للدعوة، وذلك واضح من خلال بيان رسول الله ﷺ في الحديث لمنازل المجاهدين: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض)، فالجهاد تجارة رابحة، عائدها النجاة من العذاب ومغفرة الذنوب ودخول الجنة والإقامة فيها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

فوعدهم الله بالدرجات العلى في الجنة والمساكن الطيبة، قال الطاهر بن عاشور: "وإنما خصت المساكن بالذكر، لأن في الجهاد مفارقة المجاهدين مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة المؤقتة بمساكن أبدية"[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٤) سورة الصف، الآيات: ١٠ - ١٣.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١٩٥/٢٨/١١.

وقال السعدي في تفسير الآية: "(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم...) هذه وصية ودلالة وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة وأجلّ مطلوب وأعلى مرغوب يحصل بها النجاة من العذاب الأليم والفوز بالنعيم المقيم وأتى بأداة العرض (هل أدلكم) الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل معتبر ويسمو إليه كل لبيب فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال: (تؤمنون بالله ورسوله) ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق به المستلزم لأعمال الجوارح التي من أجلّها الجهاد في سبيل الله، فلهذا قال: (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) بأن تبذلوا نفوسكم ومهجكم لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصرة دين الله، وإعلاء كلمته.

وتنفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك وإن كان كريهًا للنفوس شاقًا عليها، فإنه (خير لكم إن كنتم تعلمون)، فإن فيه الخير الدنيوي من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانشراحه.

والخير الأخروي بالفوز بثواب الله، والنجاة من عقابه، ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة فقال: (يغفر لكم ذنوبكم) وهو شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله، والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب ولو كانت كبائر. (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها، أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات.

(ومساكن طيبة في جنات عدن) أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع وحسن بناء وزخرفة.

حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءآهم أهل الجنة، كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي.

وحتى إن بناء الجنة بعضه من لَبِن ذهب، وبعضه من لَبِن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد، والجواهر الملونة بأحسن الألوان حتى إنها من

صفائها يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقرّ به أعينهم.

ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة، لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه.

وتبارك الجليل الجميل الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق، ويأخذ بأفئدتهم.

وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها أنه لو رأى العباد الجنة، ونظروا إلى ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هنأهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بألمها، وفرحها بترحها.

وسميت جنة عدن؛ لأن أهلها مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدًا ولا يبغون عنها حولاً، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، هو الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي.

وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة فذكره بقوله: (وأخرى تحبونها)، أي: يحصل لكم خصلة أخرى تحبونها، وهي: (نصر من الله) لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح.

(وفتح قريب) تتسع به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٩٨.

الحديث رقم (١٣٠٣)

١٣٠٣- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ: أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ[١]: ((مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ))، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ اللهِ، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ[٢]، ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ[٣] بِهَا العَبْدَ مِئَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

الشرح الأدبي

إن الحوار في البيان النبوي من وسائل تبليغ الدعوة وهو برهان على التفاعل والتجاوب بين الخطاب النبوي الراشد وكل من يتلقى هذا الخطاب وهو مشروح الصدر متفتح الذهن نابضاً قلبه بمحبة السراج المنير البشير النذير، وهذا الحديث الشريف نموذج للحوار المقنع الذي يشد المستمع ويؤثر في المتلقي، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف تطالعنا الظواهر الفنية التالية: أولها: التأكيد في بداية الحديث على لسان الراوي الأعلى "أبي سعيد الخدري: رواية عن الإمام مسلم" أن رسول الله ﷺ قال: ولم يقل: قال رسول الله.. دلالة على أن الخبر المؤكد له أهميته، وله أثاره الممتدة عبر الزمان، والمكان على مر العصور، واختلاف البيئات، وثانيها: صيغة الشرط، والجواب في قوله: من رضي بالله رباً، وبالإسلام دينا، وبمحمد

---

(١) عند مسلم زيادة: (يا أبا سعيد) ولم يوردها المنذري في ترغيبه، فتبعه عليها المؤلف.

(٢) لفظ مسلم: (ففعل). والمثبت لفظ المنذري.

(٣) لفظ مسلم: (يرفع) فقط. والمثبت لفظ المنذري.

(٤) برقم (١١٦/١٨٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٦٢).

رسولا: وجبت له الجنة " إن هذه الصيغة ترشد إلي أن وعد الله نافذ فالمقدمات الصحيحة تؤدى إلي النتيجة الصحيحة والله لا يخلف الميعاد، والتعبير بقوله: رضي "يوحى" بإن الإيمان لابد أن يكون نابعاً من القلب متوجاً بصدق الشعور، محصناً بالأعمال الصالحة، والأقوال الصادقة: فالرضا ينبع من الإقتناع والسكينة والتسليم المطلق الرافض لكل شوائب الشك، والقلق، والاضطراب، وثالثها: حسن التقسيم. . وحلاوة الإيقاع في مكونات جمله الشرط. . فهي تتكون من ثلاث وحدات لغوية. . ويختم كل منها بالتمييز " رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً " وهذا التقسيم يحمل فى طياتة الترغيب والبشارة ويحدد أبعاد عقيدة المسلم، فربة الله، ودينه الإسلام، ورسوله ونبيه محمد ﷺ، ورابعها: دلالة " التنكير " في " التميز " رباً، وديناً، ورسولاً " تفيد التميز، والتحديد، التعظيم وتوحي بإنكار ما عداها. . فلا رب سوى الله، ولا دين سوى الإسلام، ولا رسول للإسلام سوى محمد ﷺ، وتقديم لفظ الجلالة، واسم رسول الله، ولفظ الإسلام يؤكد هذه الدلالة ويدعمها، وخامسها: طلب الإعادة: ليس للشك ولكنة كما قال العلماء: استلذاذ بذكر المحبوب " ولمزيد من البشارة والثواب، وسادسها: التكرار في نهاية الحديث: لتعظيم شأن الجهاد، والحض على قيمته: وحث المسلمين على نشر الإسلام، واستمرار الفتوحات التي تضيء الآفاق بنور الأيمان، وتبدد ليل الظلم والطغيان.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة.

ثانيًا: من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته.

ثالثًا: من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الرضى بالله ربًا وبالإسلام دينا وبرسوله ﷺ في دخول الجنة:

قد جاء ذلك في صريح الحديث في قوله ﷺ: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فالإيمان شرط قبول كل الأعمال وسبب لنيل الرضا والحب والإنعام من الله تعالى والحياة الطيبة في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة [1]، والرضا والتسليم لله بالربوبية والعبودية هو الغاية والهدف الذي خلق من أجله الإنسان[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[3].

إن الإيمان لا يقتصر ويقف عند مجرد التلفظ بالشهادتين فحسب بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الدين، فلقد أطلق رسول الله ﷺ لفظ الإيمان على جميع فروع الدين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الْأيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْأيمَانِ))[4].

وهذه الفروع والشعب منها ما يتعلق بالجنان، ومنها ما يتعلق باللسان، ومنها ما يتعلق بالأبدان.

فأما ما يتعلق بالقلب، فهي المعتقدات والنيات... وتنتظم الخصال الآتية:

الإيمان بالله، وتوحيده، وأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته، وكتبه ورسله.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

والإيمان باليوم الآخر. ويدخل فيه سؤال القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٧٤٩/٣.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٦١.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٥٦ - ٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٥٧ واللفظ له.

ومحبة الله، والحب والبغض في الله.

ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته.

والإخلاص لله، وترك الرياء والنفاق. والتوبة، والخوف والرجاء، والشكر والوفاء، والصبر والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة والتواضع، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد والحقد والغضب.

وأما ما يتعلق باللسان فهي هذه الخصال:

التلفظ بالشهادتين، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء، والذكر، واجتناب اللغو.

وأما الخصال التي تتعلق بالأبدان فهي:

التطهر حسًا وحكمًا، واجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والزكاة، والجود، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، وتحرير العبيد والصيام فرضًا ونفلاً. والحج والعمرة، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، والهجرة من دار الحرب، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

والتعفف بالزواج، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، واجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم.

والقيام بالإمارة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، وقتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد والمرابطة في سبيل الله، وأداء الخمس مع الغنيمة، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وجمع المال من حلّه، وإنفاقه في حقه، وترك التبذير والإسراف، وردّ السلام وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

هذا هو الإيمان الحق وهو ينتظم العقائد، والعبادات، والأخلاق والآداب وسائر المعاملات وهذا ما اتفق عليه علماء السلف.

قال الإمام البخاري: "لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت

أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان: قول وعملٌ، ويزيد وينقص"[١][٢].

وجزاء ذلك الجنة تلك الدار التي هيأها الله لمثوبة المؤمنين الصالحين من عباده، وأعد لهم فيها من النعيم الروحي والمادي[٣]، ما يعجز البشر عن تصوره، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

أي: لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم، فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ وغير ذلك فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر[٥].

ثانيًا - من حقوق المدعو: أن يستوعب كلام الداعية وأن يطلب إعادته:

إن ذلك ما يمكن أن ندركه من طلب أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من رسول الله ﷺ بإعادة كلامه عليه: (من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة)، فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه، وطلبه الإعادة استلذاذًا بذكر المحبوب[٦]، إضافة إلى ما في الإعادة والتكرار من بيان للحق وتعميق مجراه في نفوس المؤمنين، فلا ريب أن الدعوة والتربية عملية شاقة ولا بد أن تكون متواصلة حتى تؤتي أكلها وكلنا يعلم إلى أي مدى تحتاج تربية النفوس والأفراد من جهد وتذكير دائم بالأمور المراد بناؤها في النفوس وتربية الأفراد عليها، والتكرار

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٤٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق ص ٢٧ - ٢٩.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ٣٦.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٢٣٠/٢١/٨.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٠.

هو أنجع وأحسن الأساليب في تنمية هذا الأمر سواء كان التكرار قولاً يردد، أو عملاً يُقتدى به أو يدرب عليه[١].

ثالثًا - من واجبات الداعية: أن يعيد ما قاله على المدعو لأجل استيعابه:

إن تأكيد الكلام من أهم الوسائل في تثبيت المعنى في القلوب وبثه في النفوس وحملها على التصديق والإيمان به، ولا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة[٢]، وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التكرار كما هو واضح في الحديث: (فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها عليّ يا رسول الله فأعادها عليه).

إنَّ التَكْرار والإعادة مبدأ يؤثر في غرس الخير، وفي بناء الشخصية المسلمة، لذا كان من هدي رسول الله ﷺ أنه يكرر القول أو الفعل في وقت واحد أو في أوقات متفرقة - وهو ما يسمى بالتعليم الموزع - حتى يُتعلم منه ويطبق[٣].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله وبيان درجات المجاهدين:

ورد ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، قال: وما هي يا رسول الله؟، قال: الجهاد في سبيل الله)، قال النووي: "قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا على ظاهره وأن الدرجات هنا المنازل التي بعضها أرفع من بعض في الظاهر، وهذه صفة منازل الجنة كما جاء في أهل الغرف أنهم يتراءون كالكوكب الدري، قال: ويحتمل أن المراد الرفعة بالمعنى من كثرة النعيم وعظيم الإحسان مما لم يخطر على قلب بشر ولا يصفه مخلوق، وأن أنواع ما أنعم الله به عليه من البر والكرامة يتفاضل تفاضلاً كثيرًا، ويكون تباعده في الفضل كما بين السماء والأرض في البعد، قال القاضي: والاحتمال الأول أظهر، وهو كما قال"[٤]، وتضافرت آيات القرآن على رفعة منزلة الجهاد في سبيل

---

(١) عظمة القرآن الكريم، محمود بن أحمد بن صالح الدوسري ص ٢٩٤.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٢٤.

(٣) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز بن محمد النغيمشي ص ٢٢٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٠.

الله وعلو درجة صاحبه، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

وهذا إخبار من الله تعالى بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات، ومغفرة الذنوب والزلات وحلول الرحمة والبركات إحسانًا منه وتكريمًا[2]، ولهذا قال تعالى: ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[3].

قال ابن حجر: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته فضيلة ذلك"[4].

وقال العز بن عبدالسلام: "يشرف البذل بشرف المبذول وأفضل ما يبذله الإنسان نفسه وماله، ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها لشرف ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله وإعزاز الدين وصون دماء المسلمين"[5]، وقال أيضًا: "إنما شرفت النفقة في سبيل الله؛ لأنها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبعمائة فما الظن بحسنة الجهاد في سبيل الله"[6].

وللجهاد فوائد كثيرة منها:

(أ) أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.

(ب) هو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين.

(ج) فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعوانه.

(د) لولا الجهاد لاستفحل الشر ولفسدت الأرض.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٩٥ - ٩٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٣٨٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٨.

(٥) أحكام الجهاد وفضله: العز بن عبدالسلام ص ٥٤.

(٦) المرجع السابق ص ٦١.

(هـ) فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس.

(و) الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

(ز) من أسباب التمكين في الأرض.

(ح) فيه إرضاء الله وإذلال ودحر الشيطان وأعوانه.

(ط) به ينال العبد أعلى الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن.

(ي) ليس ثمة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله[1].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤ بتصرف.

الحديث رقم (١٣٠٤)

١٣٠٤ - وعن أَبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبي ﷺ، وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقول: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ أبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)) فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أأنْتَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَرَجَعَ إِلَى أصْحَابِهِ، فَقَالَ: أقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلاَمَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَألْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

بحضرة العدو: قربه، وعنده[2].

رث الهيئة: خَلَقُ الثياب[3].

جفن سيفه: غمده[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نستضيء بأول ومضة بدأت بها صيغته. . وهى أنه حكاية يرويها أبو بكر بن أبى موسى الأشعري وهو " ثقة في روايته " ومن أوساط التابعين، فهو يقول: سمعت من أبى، وقوله من أبي " تأكيد لصدق الرواية، وإيحاء بعدم التشكيك فيها، وقوله، وهو بحضرة العدو جمله حالية: تنبيء عن امتزاج الأقوال بالأفعال. . فالحديث ليس رواية قولية فقط، ولكنة قول،

---

(١) برقم (١٩٠٢/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ض ر).

(٣) المرجع السابق في (ر ث ث).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

وعمل، والعدو. لفظ فيه عموم، وشمول، فكل من يهدد ديار الإسلام فهو عدو، وكل من يشوه الإسلام فهو عدو. مهما تباينت الوسائل وتعددت الأشكال، واختلفت الطرق، والتأكيد من قوله إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف " لمزيد من الإيحاء بصدق الخبر، وصدق الوعد، والترغيب في الجهاد، وصيغة الجمع في أبواب تعطى شحنة ترغيبية دافعة للإقدام، والجهاد. وللجنة سبعة أبواب. فأبواب الجنة كلها مشرعة تستقبل الشهداء الفاتحين، وما أجمل الصورة الحركية الأدبية الناطقة بكل معالم الترغيب في قوله: تحت ظلال السيوف، وليس هناك، وصف لالتحام الصفوف، ورصد صور القتال، والجهاد أروع من هذا الوصف الدال الجامع المانع " ويقول القرطبي. كما يروى صاحب – دليل الفاتحين – هذا الكلام النفيس البديع: فإنه استفيد من الحض على الجهاد، والاختبار بالثواب علية، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف، والاعتماد عليها، واجتماع المقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو، وبعضها ترتفع عليهم حتى كأن السيوف أظلت الضاربين بها " فما أجمل، وما أروع هذه البلاغة النبوية السامقة " – وتكتمل صورة الخبر في الجزء الثاني حيث يحكى الراوي قائلاً: فقام رجل رث الهيئة وهذه الصفة ليست للتحقير، ولكنها تفيد المساواة ف الإسلام. فالرجل ليس معروفاً، وليس من أهل اليسار، والشأن، ولكنه حريص على صحة الحديث، ولذلك يأتي استفهام وزراؤه في هيئة مواجهة علمية لأبي موسى: أأنت سمعت رسول الله يقول هذا ؟" وهذه المعالم الأسلوبية مع اسم الإشارة هذا، وضمير الخطاب: أنت لمزيد من الاطمئنان على صحة الحديث، وتوثيقه الدقيق، والنتيجة أن الرجل ينطلق ليفوز بالجنة، ولم يكتف بعلم الرؤية أو علم الدراية. ولكنة ودع أصحابة، وكسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل، والعطف بالفاء له دلالة في سرعة الحركة أو بطئها حسب سياق الكلام، والرغبة في الفوز بدار السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

ثالثًا: من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

جاء في الحديث بعض الإشارات إلى فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه منها:

أ - جهاده في سبيل الله كما جاء في قول ابنه أبي بكرة: سمعت أبي رضي الله عنه وهو بحضرة العدو.

لقد كان لأبو موسى الأشعري رضي الله عنه باع في الجهاد في سبيل الله ونشر دعوته، فمنذ غزوة خيبر بدأت مغازي أبي موسى في عرض البلاد وطولها وحظي بشرف الجهاد تحت الراية المحمدية واللواء المصطفوي المظفر.

وشهد ما بعد خيبر بمعية النبي ﷺ؛ وكان أبو موسى فارسًا مغوارًا لا يُشق له غبار، وقد حظي بشهادة الشجاعة ووسامها من رسول الله ﷺ حيث قال عنه: ((سَيدُ الْفَوَارِسِ أَبُو مُوسَى))[1]، وثبت أنه جندل في معركة واحدة تسعة إخوة من المشركين، وجعلهم كأمس الدابر.

وفي العهد البكري الميمون، والعهد العمري من العصر الراشدي فتح أبو موسى بلادًا شاسعة واسعة من أرض فارس، وشهد فتح الجزيرة وأرض الشام.

وأبو موسى هو الذي افتتح أصبهان في زمن عمر رضي الله عنه وفتح تُستر[2] كذلك.

قال ابن الأثير: "وكان أبو موسى عاملَ رَسُول الله ﷺ على زبيد وعَدَن، واستعمله عمر رضي الله عنه على البصرة، وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجَرَّاح بالشام"[3].

ولأبي موسى رضي الله عنه أخبار سارة في مجال الفتوحات كما كانت له أخبار كثيرة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخصوصًا في قصة التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وقد

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ١٠٧/٤.

(٢) تستر بالعراق مدينة معلومة، تنسب إليها الثياب التسترية، انظر: معجم ما استعجم، البكري ٣١٢/١.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٦٥/٣.

تكفلت المصادر المتنوعة بالحديث عنها وإيضاح إشكالها، كما كانت له بضعة أخبار مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ولا مجال لذكره الآن لأنها خارجة عن فكرة هذه الموسوعة.

كما كانت لأبي موسى رضي الله عنه آثار عديدة في ميادين المعارك تدل على فقهه وعلمه، وتأثره بالهدي النبوي في سلمه وحربه:

إن حاربوا ملؤوا البلاد مصارعا أو سالموا عمروا الديار مساجدا [1]

قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2][3].

ب - سماعه الحديث من رسول الله ﷺ. ومن دلائل ذلك ما جاء في الحديث "فقام رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم.

إن أبا موسى الأشعري قد أصاب كثيرًا من الفضائل والمآثر، فهو صاحب رسول الله ﷺ، الإمام الكبير، الفقيه، المقرئ، من الولاة الفاتحين كان حسن الصوت، فاضلاً، عابدًا جمع بين العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، وحمل وروى عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا، وهو معدود فيمن قرأ على النبي ﷺ[4].

روى مسلم بسنده عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[5].

لقد حرص أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أشد الحرص على الاستفادة من المجالس النبوية، وأخذ يسعى لكي يكون قريبًا منها، يأنس برؤية النبي ﷺ، ويأخذ عنه ويتعلم ويتفقه؛ فلقد أوتي أبو موسى فهمًا وذكاء وحرصًا وحبا للعلم، ومنّ الله عليه

---

(١) الشاعر: عبدالله الخفاجي، قافية الدال، بحر الكامل.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٦٣١ - ٦٣٢.

(٤) موسوعة عظماء حول الرسول، عبدالرحمن العك ص ٢٠٨٩.

(٥) أخرجه البخاري، ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

بحافظة واعية جعلته يدرك ما فاته من الفوائد المجموعة في تلكم المجالس النبوية العطرة في مكة والمدينة.

إن الأقلام تعجز عن وصف المحبة العظيمة التي كان يكنها الصحابة الأطهار رضي الله عنهم لمربيهم رسول الله ﷺ، فكانوا يعملون ما بوسعهم كي يحظوا بمرضاته، ويقضوا أوقاتًا مفيدة في صحبته الشريفة تدنيهم من جنة عرضها السماوات والأرض.

أحبّ أبو موسى أن يحقق هذا الهدف السامي، وأن يكون يومًا من الملازمين للنبي ﷺ، ينهل من المورد العذب ما راق ليكون من الأصفياء ويُكْتَب في زمرة السعداء.

تحدث أبو موسى رضي الله عنه عن تلك الأمنية المباركة التي تشرّف بها وهو يخدم رسول اله ﷺ حيث أحبّ ورَغِب أن يكون بوّاب رسول الله ﷺ وحاجبَه في ذلك.

أخرج البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: (أخبرَني أبو موسى الأشعريُّ أنه توضَّأ في بيتِه ثمَّ خرَجَ فقلتُ: لألزمنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ولأكونن معَهُ يومي هذا. قال: فجاءَ المسجدَ فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووَجَّهَ ها هنا، فخرجتُ على إثرِهِ أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ، فجلستُ عندَ الباب ـ وبابُها من جَريد ـ حتى قضى رسولُ اللَّهِ ﷺ حاجَتَه فتوضأ، فقمتُ إليه، فإذا هوَ جالس على بئرِ أريسٍ وتَوسَّطَ قُفَّها وكشفَ عن ساقَيهِ ودَلاهما في البئر، فسلمتُ عليهِ ثمَّ انصرَفتُ فجلستُ عندَ الباب فقلت: لأكونَنَّ بَوّابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ اليومَ، فجاء أبو بكرٍ رضي الله عنه فدفَعَ البابَ، فقلتُ من هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلتُ: على رِسلِكَ، ثم ذهبت فقلت: يا رسولَ الله هذا أبو بكر يَستأذِن، فقال: ائذَنْ له وبشِّرْهُ بالجنة. فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُلْ ورسولُ الله ﷺ يبشِّرُكَ بالجنة. فدخلَ أبو بكرٍ فجلسَ عن يمين رسولِ الله ﷺ معَهُ في القُفِّ ودلَّى رِجلَيه في البئر كما صنعَ النبيّ ﷺ وكشفَ عن ساقَيهِ. ثم رجعت فجلست وقد تركتُ أخي يَتوضأُ ويَلحَقني، فقلت إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً ـ يريدُ أخاهُ ـ يأتِ بهِ. فإذا إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: من هذا؟ فقال: عمرُ بن الخطّاب، فقلت على

رِسْلك ثم جئت إلى رسولِ الله ﷺ فسلمت عليه فقلتُ: هذا عمرُ بن الخطاب يَستأذِنُ. فقال: ائذَن لهُ وبشِّرْهُ بالجنة فجئت فقلت: ادخلْ وبشرَّكَ رسولُ الله ﷺ بالجنَّة. فدخلَ فجلسَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في القُفِّ عن يَسارِهِ ودلَّى رِجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيرًا يأتِ به، فجاء إنسان يُحرِّكُ البابَ، فقلت: مَن هذا؟ فقال: عثمانُ بن عَفّانَ فقلت: على رِسلِكَ. فجئت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه، فقال: ائذَن له وبشِّرْهُ بالجنةِ على بَلْوَى تُصيبهُ، فجئتهُ فقلت له: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجنةِ على بَلوَى تُصيبُك. فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد ملىءَ، فجلسَ وجاهَهُ منَ الشقِّ الآخر)[1].

وبهذا التصرف الموفق حظي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه بالمعية النبوية الشريفة، وبخدمة رسول الله ﷺ وخدمة أصحابه الأعلام الكرام؛ أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وحشرنا معهم ونقل لهم البشرى والبشارة بالجنة، فهل فوق هذا من مطمح؟:

قُلْ لِبَنِي الدُّنْيَا أَلاَ هَكَذَا فَلْيَفْعَلِ النَّاسُ مَعَ النَّاسِ[2]

ولعل من أبرز حصائل الصحبة النبوية وحصائدها التي جناها أبو موسى رضي الله عنه، تلكم الإشراقات الدافقة باليمن التي تشع بالبركة، وتمنح أبا موسى رضي الله عنه شهادة متميزة، وبشارة بالحسنى خصه بها النبي ﷺ.

فقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قد دعا لأبي موسى بصريح اسمه بالمغفرة والمدخل الكريم، حيث قال ﷺ: ((اللهمَّ اغفر لعبدِ اللَّهِ بن قَيسٍ ذَنْبَه، وأدخلْه يومَ القيامة مُدخَلاً كريمًا))[3].

كما حظي هذا الموفق بدعاء كريم من النبي ﷺ، وكان من السابقين إلى اقتناص تلكم الدعوات المباركات من النبي ﷺ، ويغتنم تلكم الأوقات الملائمة لذلك، وهذا يدل على معرفته قدر النبي ﷺ، ويشير إلى علمه وفقهه لآداب الصحبة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٧٤.

(٢) بغية الطلب، قافية السين ٥/٢٤٢٠، الوافي بالوفيات ١٢/٥٤.

(٣) أخرجه البخاري من حديث طويل في المغازي ٤٣٢٣، ومسلم ٢٤٩٨.

النبوية في مختلف الظروف التي كان يعيشها مع معلمه وأستاذه رسول الله ﷺ[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

ورد ذلك في الحديث في قوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، قال القاضي عياض: "وقوله: (إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف)، وهذه استعارة، يعني أن الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب إليها"[٢].

قال النووي: "قال العلماء: معناه: إن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها"[٣]، وقال ابن علان: "قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع فإنه استفيد منه الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه والحض على مقاربة العدو واستعمال السيوف، والاعتماد عليها واجتماع المتقاتلين حين الزحف بعضهم لبعض حتى تكون سيوفهم بعضها تقع على العدو وبعضها ترفع عليهم، حتى كأن السيوف قد أظلت الضاربين بها، والمراد أن الضارب بالسيف في سبيل الله يدخله الله الجنة بذلك[٤] في أعلى درجاتها، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَا أَبَا سَعِيدٍ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)) فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ. يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: ((وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)) قَالَ: وَمَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: ((الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٥].

هذا عن فضل الجهاد في الآخرة، أما في الدنيا فإن الجهاد سبب للتمكين في الأرض لدين الله تبارك وتعالى، واجتثاث الفساد، والقضاء على روافده.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

---

(١) علماء الصحابة، د. أحمد خليل جمعة ص ٥٩٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٥ - ١٤٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٨٨٤.

ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٢].

فالفساد في الأرض قائم ما لم يكن الجهاد، والآية الثانية تفسر هذا الفساد، بأنه منع ذكر الله في الأرض، وهدم بيوت العبادة والطاعة لله في الأرض، واجتثاث هذه العقيدة من الناس، ليكون الحكم للطواغيت، فلا يعبد الله في الأرض، ((اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))[٣]، هذا من الناحية السلبية، ولا يكفي أن يكون الجهاد فقط هو أن يسمح بذكر الله وأن يسمح بحرية العبادة، وأن يسمح بحرية القول.

هناك هدف أبعد هو إقامة شريعة الله في الأرض، وتنفيذ منهجه فيها بحيث تكون الحاكمية له وحده في هذا الوجود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾[٤]، والتمكين في الأرض يرافقه إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾[٥]، فلا بد من الاستخلاف في الأرض، والتمكين فيها للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهذا لا يتم إلا عن طريق الجهاد.

إن الجهاد في الإسلام من أدوات التمكين في الأرض ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآيتين: ٤٠ - ٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٨٤.

(٥) سورة النور، آية: ٥٥.

مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ...﴾ وحتى يتحقق هذا الهدف الذي من أجله أنزل الكتاب، ليحقق القسط والعدل بين الناس، لا بد من الوسيلة الرئيسية له ألا وهي السلاح والجهاد ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1]"[2].

ثالثًا - من آداب المدعو: سرعة الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

جاء في الحديث بيان لسرعة امتثال الصحابة رضي الله عنهم لتوجيهات النبي ﷺ وما ينبغي أن يكون عليه المدعو من امتثال مطلق واستجابة سريعة لتوجيهات النبي ﷺ، فقال: (رجل رث الهيئة فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب حتى قتل)، والمعنى: ألقى عليهم السلام مودعًا وكسر غمد سيفه وألقاه قَطْعًا لطَمَع نفسه من الحياة وإيئاسًا لها من العَوْد"[3]، وذلك امتثال لمثل قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[4]، من معانيها ما قاله عروة بن الزبير: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، أي: للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم[5].

فبينت الآية أن في الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ وإرشاداته الحياةَ، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والدلالة على

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) فقه السيرة النبوية، منير محمد غضبان من مطبوعات جامعة أم القرى ص ٣٨٩ - ٣٩١.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥/٤.

الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة، فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة، والحرية حياة، واستقامة أحوال العيش حياة، ولما كان دعاء الرسول ﷺ لا يخلو عن إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله الأمة بالاستجابة له، فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ سواء دعا حقيقة بطلب القدوم، أم طلب عملاً من الأعمال[1].

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٣١٣/٩/٤.

الحديث رقم (١٣٠٥)

١٣٠٥- وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمن بن جَبْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدُ الرَّحمن بن جَبْر: وهو عبدالرحمن بن جبر بن عمرو بن زيد الأوسي الحارثي الأنصاريّ البدريّ، وكان اسمه في الجاهلية معبدًا أو عبد العزى فسمى في الإسلام عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي عَبَس الأنصاري واشتهر بها، روى عن النبي ﷺ وكان فيمن شهد بدرًا، وكان سنه إذ شهدها ثمانية وأربعين عامًا، أو نحوها وكان يخضب بالحناء.

ويقال: أنه كان يكتب بالعربية قبل الإسلام، وكانت الكِتابة بالعربية قبل الإسلام قليلة، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وكان كعب بن الأشرف وأبو رافع بن أبي الحقيق اليهوديان يؤذيان رسول الله ﷺ، وكان ذلك قبل نزول سورة براءة.

آخى النبي ﷺ بينه وبين خُنَيْس بن حُذَافة السهمي، وكان عبدالرحمن بن جبر وأبو بُرْدَة يكسران أصنام بني حارثة حين أسلما، وكان عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما يبعثانه يُصَدِّق الناس.

مات رضي الله عنه سنة ٣٤هـ في خلافة عثمان بن عفان، وصلى عليه عثمان بن عفان، ونزل في قبره أبو بُرْدة بن نِيار ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وَقش، وكلهم قد شهد بدرًا، ودفن بالبقيع، مات وهو ابن سبعين سنة[2].

---

(١) برقم (٢٨١١). أورده المنذري في ترغيبه (١٠١٩، و١٩١٧).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٤٥٠/٣، ٤٥١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٤٤٧، ٤٤٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٢٨/٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٦٩١)، (١٥٣٠)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٦٠/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٥١/٤).

غريب الألفاظ:

اغبرت قدما عبد: أصابهما الغبار وعلاهما[1].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز، والاختصار، وحذف فضول الكلام يعد من شروط الفصاحة، والبلاغة لأنه يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الباب كما يقول ابن سنان الخفاجي في كتابة " سر الفصاحة " من أشهر دلائل الفصاحة، وبلاغة الكلام عند أكثر الناس "، وكلام رسول الله من جوامع الكلم. . فهو كما يقول هند بن أبي هاله " يتكلم بجوامع الكلام فضلاً لا فضول فيه، ولا تقصير. . وهذا الحديث برهان صدق على ذلك فهو يتكون من جمله واحدة، ولا يستطيع المتحدث إلا أن يكمل هذا الحديث حتى تتم الفائدة، وتقطف الثمرة، والحديث ينفى نفياً قاطعاً أن تمس النار قدمي عبد غبرتا في سبيل الله " والنفي الذي تصدر الحديث يفيد مع جوابه الترغيب في استمرار هذا الفعل المحبب في الإسلام وهو أن يغبر المؤمن قدميه في سبيل الله فذلك طريق النجاة من النار، والفوز بالجنة، والتنبيه في قوله: قدما عبد " يوحى بشمولية الحركة، والسعي الدءوب في إنجاز أعمال الخير، والاستهانة بالمشقة والتعب في ذلك، وهذا من قبيل الكناية، والرمز إلي الجهد المبذول، والعطاء المأمول، وتنكير قوله " عبد " ليس للتهوين من شأنه، ولا للتقليل منة، ولكن لإفادة العموم. . فالمراد ليس عبداً بعينة، ولكنة كل عبد يعمل ذلك وفى ذلك لإشارة إلى أن هذا الصنيع يجب أن يتحلى به كل عبد مسلم صادق مخلص في أقواله وأفعاله واختيار مادة العبودية والعدول عن أي مادة أخرى يجعل لهذه الكلمة إشعاعا إيمانيا متوهجاً. . حيث لا يكون الجهاد إلا من منطلق العبودية لله عز وجل، ومن شواهد الإيجاز المشع قوله: في سبيل الله فهنا تبرق دلالتان: إحداهما خاصة وهى " الجهاد " فالحديث في ظل هذه الدلالة يسوق البشرى للمجاهدين بالنجاة من النار، وثانيهما: عامة " وهى أن يحمل قوله: في سبيل الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ب ر).

على كل طاعة والحديث كما قال العلماء زيادة في البشرى ومما يؤازر صدق هاتين الدلالتين. . مع دلالات كثيرة أن " البخاري " روى هذا الحديث في كتاب الصلاة، وأن الترمذي رواه في باب " الجهاد ، وقوله: فتمسه النار يوحى بأن النار لن تقترب منه. . والتعبير بالمس يفيد ذلك ويفتح الباب لكل مسلم في ظل عبودية لربة أن يسعى في الخير وأن يغير قدميه في سبيل الله، جعل الله الجنة مثوانا. . ونجانا من النار، وبئس القرار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الترغيب في تشييع الغازي وإعانته على بعض ما يحتاج إلى القيام به لأن الجهاد من أفضل العبادات، والمشاركة في مقدماته من أفضل المشاركات[١].

٢ - بيان عظم قدر الجهاد في سبيل الله فإن مجرد مس الغبار للقدم إذا كان من موجبات السلامة من النار فكيف بمن بذل جهده واستفرغ وسعه[٢].

٣ - حكم الحراسة في سبيل الله: تستحب الحراسة في سبيل الله لما فيها من الفضل الكبير[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله.

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٦/٧، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٢/٢، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٩/٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٩/٧.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٠٩/٧.

(٣) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٦٩/٩، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣/٣.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ثواب ما يلاقيه المجاهد في سبيل الله:

جاء ذلك واضحًا في قوله ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، قال الطيبي: "قوله: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، فائدة النفي فيه (ما اغبرت) أن غير المذكور محال حصوله، فإذا كان مس الغبار قدميه دافعًا لمس النار إياه، فكيف إذا سعى فيها واستفرغ جهده، وألقى النفس عليها فقتَل وقُتل"[1].

قال ابن حجر: "والمعنى: أن المس ينتفي بوجود الغبار المذكور، وفي ذلك إشارة إلى عظيم قدر التصرف في سبيل الله، فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار فكيف بمن سعى وبذل جهده واستنفد وسعه؟"[2].

وقال ابن علان: "وفيه بشارة للمجاهد بالنجاة من النار وإن عمم سبيل الله فحمل على كل طاعة، كان زيادة في البشرى"[3]، وفضل الجهاد في النجاة من النار نطقت به آيات القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

فوعد الله المجاهدين في الآيات بمغفرة الذنوب ودخول الجنات ونزول مساكنها ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[5]، أي: "النجاءُ العظيم من نكال الآخرة وأهوالها، زد على ذلك ما يمن

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٦٨/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦/٦.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٦.

(٤) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٥) سورة الصف، آية: ١٢.

الله به على المؤمنين بالفوز والظفر على أعدائهم، والقصد من الآيات تشجيع المؤمنين على قتال محاربيهم والثبات أمامهم والتحذير من الزيغ عن ذلك والترغيب في السخاوة ببذل الأنفس والأموال، في سبيل الحق لإعلاء شأنه وإزهاق الباطل" [١].

إن الجهاد أحد سلع تلك التجارة العظيمة التي لا تبور والتي هي محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور[٢].

فإذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفار[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا واضحًا، حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد بأنه منجاة من النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار).

حيث رغّب النبي ﷺ في الجهاد مبينًا أن مجرد اغبرار قدمه في سبيل الله سبب لزحزحته عن النار والنجاة منها ولا فوز أعظم من ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٤]، أي: من نُجي وأزيل عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وظفر بالنجاة، ونجا من الخوف[٥]، فإن من نجا من النار فهو من أهل الجنان التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن لم يزحزح وينجو من النار فقد شقى وخسر[٦].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا لما فيه من حث المؤمن على

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٥٣/١٦/٩.

(٢) تفسير القرآن ١١٢/٨.

(٣) أحكام الجهاد وفضله، العز بن عبدالسلام ص ٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٥) معالم التنزيل، البغوي ١٥٤/٢.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٦.

الرغبة فيما عند الله تعالى، فإن المؤمن إذا علم فضل العمل في النجاة من النار واستحقاق الجنة، تولدت عنده الرغبة الصادقة في النجاة وتحمل المشاق في سبيلها"[١].

والترغيب أحد ركني الموعظة الحسنة المأمور بالدعوة بها، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢]، قال ابن القيم رحمه الله: "والموعظة الحسنة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[٣].

ثالثًا - من مهام الداعية: الحث على الجهاد في سبيل الله:

جاء في الحديث فضل الجهاد في سبيل الله في تحريم صاحبه على النار، فقال ﷺ: (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار)، وهذا الحديث يغرس في نفوس المدعوين الحرص والتشوق إلى الجهاد في سبيل الله؛ فالجهاد نجاة من النار وفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[٤]، وهو دليل كمال الإيمان وصدق صاحبه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[٥]، إضافة إلى ما في الجهاد من فضائل في الدنيا فهو سبب للعزة والبقاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٦].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٢٧/٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص ٣٤٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٦) سورة المائدة، آية: ٥٤.

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، أي: ويستبدل قومًا غيركم لنصرة نبيه وإقامة دينه[2]، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[3]، إضافة إلى ما في الجهاد من أسباب للتمكين في الأرض والتأمين لحدود الدولة الإسلامية[4]، وإرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعوانه"[5].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٤/٤.

(٣) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، الإمام القرافي، تقديم وتحقيق وتعليق د. بكر زكي عوض، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ١٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٥٠٥/٤.

الحديث رقم (١٣٠٦)

١٣٠٦- وعن أبي هريرة ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ : ((لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ (عَلَى عَبْدٍ) [1] غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أعظم البشارة التي يزفها المصطفى ﷺ لجماعة المؤمنين الذين بكوا من خشية الله، واغبرت أقدامهم في سبيل الله وهذه البشارة تتوهج بها كلمات الحديث. . وطريقة نظمه العجيب وتأليفه البديع، فبناؤه اللغوي يتكون من جملتين يتصدرهما الفعل المضارع المنفى بلا، والنفي هنا يتكرر في بداية الجملتين ليطمئن المؤمن على مستقبلة في الآخرة. . ولنتأمل كيف جاءت صياغة هاتين البشارتين في ثوب من النظم المحكم وفى بناء جمالي يستبق فيه المبنى مع المعنى إن البشارة الأولى تبدأ بنفي دخول النار " لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى لا ينصرف الذهن إلى معنى آخر واختيار مادة الفعل يلج وعدم التعبير بالفعل يدخل مع أن الدلالة واحدة في ظاهرها. . يوحى بأن دخول النار ليس عادياً ولكنة مرتبط بالعذاب والإيذاء ودلالة هذه المادة اللغوية في بعض تعاريفها توحي بذلك ففي حديث ابن مسعود " إياكم والمناخ على ظهر الطريق فإنه منزل " الوالجة. . يعنى السباع والحيات "

وقال الفراء "الوليجة" البطانة: من المشركين ومن هنا يأتي سر جمال اختبار الفعل "يلج دون غيره لمواءمته للسياحة. . ومناسبة للنار ومتعلقاتها: فهي مأوى المشركين

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي.

(٢) برقم (١٦٣٣)، وتقدم برقم (٤٤٨). وقال الحاكم (٤/٢٦٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩١٦).

ومستقر الجاحدين الظالمين وتأمل دلالة التنكير في قوله: رجل " فذلك ليس للتقليل ولكنة للشيوع والتعميم. . فكل رجل بكى من خشية الله فهو لن يلج النار " وختام البشارة الأولى يجعل من ولوج النار أمرا مستحيلاً لهذا الصنف من المؤمنين الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، ولأن عود اللبن في الضرع محال بحسب العادة والمرتب على المحال محال، وهذه الصورة المقنعة نابعة من البيئة المتاحة لكل إنسان على وجه الأرض في كل زمان ومكان، وأما البشارة الثانية فقد صيغت في قالب المضارعية – إشارة إلى عدم الانقطاع – فالمؤمنون يغبرون أقدامهم في سبيل الله و لا ينقطعون إلى يوم القيامة وكذلك يوم القيامة يظل هذا الغبار شاهداً على ما قدموا. . ولا يجتمع غبار في سبيل الله ولا دخان جهنم، وتأمل السر وراء الاختيارات اللغوية فلفظ الرجل في البشارة الأولى يناسب السياق لأن البكاء من خشية الله يعنى التكليف. . والمسئولية واختيار مادة العبودية في البشارة التالية يومئ بقيمة الإخلاص في المعنى. . وامتزاج كل عمل بمشاعر الولاء لله والعبودية له وقوله: في سبيل الله في دلالته الخاصة يرتبط بالجهد وفى دلالته الأعم والأشمل يتفتح على كل طاعة وتسعى في سبيل الله، والله اعلم.

غريب الألفاظ:

يلج: يدخل [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ل ج).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٠٧)

١٣٠٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((عَيْنَانِ لاَ تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

ما زالت البشارات تتوالى. . وتتصاعد ورسول الله ﷺ صاحب هذه البشارات. . وهذا الحديث الشريف يسوق بشارتين، وابن عباس " حبر هذه الأمة " هو ناقل هاتين البشارتين لأن الحديث يبدأ بالفعل سمعت رسول الله. . وابن عباس: صادق صدوق، وهو من الذين يظلهم دعاء المصطفى ﷺ: حيث يقول (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، وأداها كما سمعها، والحديث في صياغته يبدأ بالإجمال ثم التفصيل، وفى ذلك تشويق للسامع، وإثارة للعواطف، والمشاعر، وجمل الحديث كلها صيغت في قالب الجملة الاسمية، وفى هذا دلالة على ثبوت هذه البشارة، ودوامها؛ لأن الجملة الاسمية توحي بالثبات، وعدم التغيير، وكرر العين " ثلاث مرات " وفى ذلك تأكيد لهذه البشارة، ولمزيد من الاطمئنان الذي يجب أن يعمر به قلب مؤمن يبكى من خشية الله، ويسهر على مصالح الأمة، وفى قوله: عينان " مجاز مرسل. . حيث أطلق الجزء، وأراد الكل. .، والمراد: شخصان أو صنفان من الناس: وليس المراد الاقتصار على شخصين أو عينين وإنما ذلك لكل من يكون على هاتين الصفتين من أمة الإسلام في كل زمان، وفى كل مكان، واختيار لفظ " الخشية " له دلالته العميقة في الباعث على البكاء. . فهو ليس للخوف فقط، ولكنة للخوف الناشئ عن تعظيم، ومعرفة: فالخشية مرحله

---

(١) برقم (١٦٣٩) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٤٨).

أعمق وأدق من الخوف، وفى ذلك توجيه إلى ضرورة التفقه في الدين، والتعمق فى مسائله، وفى جميع فروع العلم الأخرى. . لأن الله وصف العلماء بالخشية من الله فقال " إنما يخشى الله من عبادة العلماء " والتعبير بالمضارع فى قوله: تحرس في سبيل الله يوحى باستمرار هذه الصفة ويحددها، والحراسة تأخذ طابع الشمول: فهي تشمل من يحرس الجيش من الأعداء المتربصين به، ومن يحرس الثغور، والمنشآت، والدواوين العامة. . حماية لها من المغيرين، واللصوص ونشراً للأمن، والاستقرار في النفوس. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل البكاء من خشية الله:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله...)، وذلك بالتحريم على النار جملة، قال المباركفوري: "في قوله: (عينان لا تمسهما النار)، أي: لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى"[1]، والمراد بقوله: بكت من خشية الله، "أي: لخشيته، والخشية هي الخوف الناشئ عن تعظيم ومعرفة"[2].

وقال الطيبي : "قوله: عين بكت من خشية الله، كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[3]، حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوز عنهم، فحصلت النسبة بين العينين، عين مجاهدة مع النفس

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٦٥/٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٠٧.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

والشيطان، وعين مجاهدة مع الكفار والخوف والخشية مترادفان"[١].

إن البكاء من خشية الله تعالى، وإراقة الدموع من أثر الخوف منه، أمر محمود مشروع، وذلك من دلائل الإيمان وأعمال المؤمنين، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٣].

لقد كانت دموع رسول الله ﷺ أسرع ما تكون للإراقة إذا قرأ أو استمع لآية من كتاب الله عز وجل، روي عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: ((رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ يُصلِّي وفي صَدْرِهِ أزِيزٌ[٤] كأزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ ﷺ))[٥].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ)) قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: ((إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي)) فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ. حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٦] رَفَعْتُ رَأْسِي. أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي فَرَفَعْتُ رَأْسِي. فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ[٧].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٩٣/٧.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٤) أزيز: صوت كصوت الرحى في التحرك والاضطراب.

(٥) أخرجه أبو داود ٩٠٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٧٩٩).

(٦) سورة النساء، آية: ٤١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٥٨٢ ومسلم ٨٠٠ واللفظ له.

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يؤثر فيهم سماع القرآن وكلام النبي ﷺ أيما تأثير، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، منها: ما روي عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَعْدَ صَلاَةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ فَقَالَ رُجُلٌ إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَبِمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، وَإِيَاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلاَلَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ. فَخَطَبَ فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ. فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[2].

لقد جعل النبي ﷺ الباكين من خشية الله من أولئك النفر السعداء الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ. وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ. وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ. وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ))[3].

ومما سبق يتبين منزلة الخوف من الله والبكاء من خشيته، فالبكاء من خشية الله، له من الفوائد الكثير نذكر منها:

أ/ أن البكاء دليل على خشية الله ومراقبته.

ب/ البكاء دليل على صلاح العبد واستقامته.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٢١، ومسلم ٢٣٥٩ واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١ واللفظ له.

ج/ البكاء يورث الخوف من الله وهو علامة على صحة الإيمان.

د/ البكاء طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.

هـ/ البكاء دليل على رقة القلب واستجابته.

و/ البكاء سمة من سمات الخاشعين[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الرباط والحراسة في سبيل الله:

ورد بيان ذلك في الحديث حيث بيّن النبي ﷺ أن الرباط وحراسة ثغور الإسلام والمسلمين سبب للنجاة من النيران، فقال ﷺ: عينان لا تمسهما النار... وعين باتت تحرس في سبيل الله"، يقول ابن النحاس: "واعلم أن الحراسة في سبيل الله تعالى من أعظم القربات وأعلى الطاعات، وهي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط في سبيل الله وله فضائل كثيرة والتي منها ما جاء في الحديث من بيان أن النار لا تمس عينًا حرست في سبيل الله أبدًا"[2].

إلى غير ذلك من النصوص التي تبين مدى فضل الله على المجاهدين المرابطين في سبيله، والتي منها ما روى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((رِباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها. ومَوضعُ سَوطِ أحدكم من الجنةِ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها، والرَّوحةٌ يَروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغَدْوَةُ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها))[3]، ولأهمية الرباط في حماية ثغور المسلمين وحماية الأمة بسياج من الأمن والطمأنينة أمر الله بالرباط فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[4].

فالآية حضت المؤمنين على المرابطة في سبيل الله وجعلت ذلك سببًا من أسباب

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨٤٢/٣.

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ابن النحاس ٤١٣/١.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٩٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

الفلاح والفوز بالمحبوب الديني والدنيوي والأخروي والنجاة من المكروه كذلك[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، في البكاء خشية لله، والحراسة في سبيل الله بامتناع العذاب بالنار، فقال ﷺ: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فإن النجاة من النار فوز لا يدانيه شيء، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢].

وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، فهو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٣]، والترغيب يكون ببيان العاقبة الحميدة التي ترغب فيها النفوس، والعاقبة الحميدة لإتباع سبيل الله هي الظفر بسعادة النفس في الحياة الدنيا،ونجاتها من كثير من الشرور والآلام المشقية المعذبة لها، والظفر بسعادة الآخرة في الخلود بجنات النعيم، على ما وصف الله عز وجل في كتابه مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[٤].

رابعًا - من مهام الداعية: بيان كيفية الوقاية من النار:

إن من المهام الواجبة التي ينبغي على الداعية الاضطلاع بها بيانه للمدعوين أسباب الوقاية والنجاة من النار، والتي منها ما ورد في الحديث: (عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)، فيجب على من جند نفسه للدعوة أن يكون هدفه ومرامه إنقاذ الناس من نار الجحيم، والفوز بدار النعيم،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ١/٦٣١ - ٦٣٢.

ومعذرة إلى الله خروجًا من العهدة، وبراءة للذمة"[١]، وإن دلالة الناس على أسباب النجاة من الأمور المقصودة بالدعوة، والتي يجب على الداعية أن يتخذها في الحسبان، وقد أشار إلى ذلك ابن رجب بوجوب النصيحة على الداعية للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة [٢]، وليكن له في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة في الحرص على إيصال الخير للمدعوين وإبعاد الشر عنهم، رحمة بهم وحرصًا عليهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣].

أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، وحريص على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم[٤].

وقال القاسمي: "(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه شاق ـ لكونه بعضًا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه، فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) أي: على هدايتكم كي لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والسعادة بدين الحق الذي جاء به، (بالمؤمنين رؤوف رحيم) إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب. بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته (رحيم) إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب منها برحمته"[٥].

---

(١) واجبات الداعي إلى الله، سعيد بن عوض الأسمري ص ١٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٠٣/١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٥) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٣٦٥/٨/٥.

الحديث رقم (١٣٠٨)

١٣٠٨- وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

غريب الألفاظ:

جَهَّز: حمّله وأعدَّه بما يحتاج إليه في غزوه[2]، من زاد ودابة وسلاح.

غازيًا: مجاهدًا[3].

خَلَف غازيًا في أهله: قام بعده فيهم بما كان يفعله[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده يتكون من جملتين شرطيتين وهذه الصيغة اللغوية تتسق مع المقام، ومقتضى الحال. فالمقام فيه إثابة، ووعد بالمثلية في الجزاء، وحسب المقدمات تكون النتائج " من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا " وأداة الشرط من وهى للعاقل. وكأن هذه الأداة العاقلة صوره لهذا المسلم العاقل الرشيد الذي يقدم على توفير العدة، والعتاد. للمحارب المسلم والتضعيف في الفعل " جهز " يفيد التكثير. وإحكام الإعداد الشامل إتباعا لقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٣)، ومسلم (١٣٦/١٨٩٦) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج هـ ز).

(٣) المرجع السابق في (غ ز و).

(٤) المرجع السابق في (خ ل ف).

وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]. والتنكير في قوله: غازياً لإفادة العموم. . فالمراد ليس غازياً بعينة، ولكن كل من يتأهب ويستعد لمواجهه الأعداء. . ومادة غزا في اللغة تفيد الإرادة، والطلب " فيقولون: غزا الشيء أي "أرادة وطلبه " والغزو في اللغة: القصد، والغزو في مصطلح الفقهاء " السير إلى قتال العدو " فالتعبير بقوله غازياً: يفيد الإرادة والطلب. . والسير إلى القتال. . والالتحام.. والنصر أو الشهادة وقوله في سبيل الله يؤطر الحركة بالإطار الإسلامي حيث لا تكون الدوافع شخصية أو قبلية أو بدافع الطمع وطلب الجاه والملك وغير ذلك من الدوافع والرغبات الدنيا وجواب الشرط يجيء ماضيا يدل على التأكيد والتحقيق تشجيعاً لكل من يشارك في تجهيز الجيش وإعانة الجنود والتبرع بما يستطيع لصالح: المجهود الحربي والجملة الثانية تتوهج بالشعور الاجتماعي والعاطفة الإنسانية والتعبير بقوله من خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا يشع بدلالات كثيرة فالتعبير بالفعل " خلف " يرشد إلى أن من يتولى أمر أهل الغازي " خليفة في أهله " علية أن يقوم برعايتهم رعاية كاملة: إنفاقاً وحماية وصوناً لأعراضهم وقوله: بخير " يموج بكل ألوان الرعاية والإنفاق والحماية والولاية.

ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: التناسق في بناء العبارتين والتوازن في نظمهما فالجملتان شرطيتان وأداة الشرط فيهما متماثلة (من) وهى للعاقل، وجواب الشرط فيها متماثل في صيغته الزمنية: فهو فعل ماضٍ في كل منهما " جهز، وخلف " وجواب الشرط موحد فيها " فقد غزا " ويوحي هذا التناسق اللغوي والتوازن الأسلوبي والتوحد في النتيجة بضرورة التناسق بين المؤمنين في الإعداد للغزو وبالتكامل التام في وضع الخطط لمواجهه العدو المتربص بالأمة وبالتوازن التام في الحركة والقول والفعل والإعداد وضرورة حماية الجبهة الداخلية. . مثل حماية الجيش والحرص على الفوز والغلبة في تنسيق تام وتخطيط واع وتفكير متوازن سديد.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - استحباب تجهيز الغازي في سبيل الله، وأن من جهز غازيًا أو خلفه في أهله

كان له مثل أجر الغازي[١].

٢ - يجوز للإمام بذل الأهبة والسلاح من بيت المال، ومن ماله، إعانة للغازي، وللإمام ثواب إعانته[٢].

٣ - فيه إشارة إلى أن الغازي إذا جهز نفسه وقام بكفاية من يخلفه بعده كان له الأجر مرتين[٣].

٤ - الحث على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهماتهم[٤].

٥ - أن ما نوى الإنسان صرفه في جهة بر فتعذرت عليه تلك الجهة كان له بذله في جهة أخرى، ولا يلزمه ذلك، ما لم يلتزمه إلا بالنذر[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦، شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ٢٩٩/٣.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٨/٦.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٠/١٣.

(٥) المرجع السابق ٣٩/١٣.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٧٧.

الحديث رقم (١٣٠٩)

١٣٠٩ - وعن أَبي أُمَامَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((أفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ في سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ في سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحلٍ في سَبِيلِ اللهِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

الفسطاط: بيت يتخذ من الشعر[2].

منيحة: هبة أو إعارة[3].

طروقة فحل: أي مركوبة للفحل، يعلو الفحل مثلها في سنها ويعني بذلك ناقة أو فرسًا يعطي المجاهد إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الذي يرغب في فضائل الأعمال، ويفتح آفاق المؤازرة والتعضيد للمجاهدين في سبيل الله ولكل من يؤسس لأعمال الخير والبر هذا الحديث يبدأ بصيغة التفصيل: أفضل الصدقات وذلك للدلالة على قيمة هذه الأعمال وعلى عظيم ثوابها، والمادة اللغوية تبوح بالفضل " مبنى ومعنى " فلم يقل أحسن أو أعظم. . لأن الوصف بالأفضلية يتضمن كل معالم التميز قولاً وعملاً ونية، والإضافة للجمع حيث قال:

---

(١) برقم (١٦٢٧). وصحّحه الحاكم (٢/٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف س ط ط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ح).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ر ق)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٦٠.

أفضل الصدقات للترغيب في كثرة الصدقات فلم يقل عليه السلام أفضل صدقة إشارة إلى الإكثار من هذه الصدقات وإيذانا بتعددها وتنوعها، والحديث في بنائه اللغوي تنتظمه جمله إخبارية واحدة مكونة من مبتدأ (أفضل الصدقات) وخبر وهو ما بعد ذلك حيث تفصيل القول في هذه الصدقات المفضلة على غيرها وهى ثلاث كما جاء في الحديث أولاها: ظل فسطاط في سبيل الله وهذه الصدقة تلزم المجاهد وغيره في الجو القائظ والصحراء المترامية وهى رمز لكل من يقيم بناءً في سبيل الله لإيواء المجاهدين أو غيرهم ممن يحتاجون لحماية أنفسهم من حرارة القيظ وأعاصير الشتاء وكلمة ظل توحي بالمنفعة أيا كان حجمها والصدقة الثانية ترمز إلى المعاونة والمؤازرة فكل مجاهد يحتاج إلى من يقوم على شئون بيته ويرعى مصالحة ولذلك عبر عن ذلك بقول منجية خادم فى سبيل الله وهى: دفع الخادم للغازي ليخدمه والصدقة الثالثة هي للمساعدة في المؤن، والحياة المادية وغير ذلك دل على ذلك بقوله أو طروقة فحل في سبيل الله وهى الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل، وصياغة الخبر متناسقة في الجمل الثلاث حيث النكرة المضافة لما بعدها وهى تكتسب التعريف بهذه الإضافة (ظل فسطاط) ومنيحة خادم أو طروقة فحل وقد تكرر قوله: في سبيل الله ثلاث مرات للتأكيد على أفضلية هذه الصدقة ومعيار قبولها وللترغيب في التصدق والتبرع الخالي من الرياء والنفاق والمنافع الدنيوية القاصرة والله اعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحب الإكثار من الصدقة، عند الأمور المهمة، وعند الكسوف، والمسفر وبمكة والمدينة، وفي الغزو، والحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة، وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥١/٦.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين لمساعدة المجاهدين في سبيل الله:

إن من أكثر الصدقات ثوابًا إعانة المجاهدين، خاصة إذا تعين الجهاد لما فيه من توفير المأوى والطعام، وتوفير حاجات المقاتل وتفريغه للجهاد، إضافة إلى ما في ذلك من اشتراك الجميع في ثواب الجهاد في سبيل الله، القادر يجاهد بنفسه والعاجز عن الجهاد بالنفس يجاهد بماله[1]، فلا يحرم أحد من الأجر.

وقد جاء بيان فضل الإنفاق في سبيل الله والحث عليه فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله)، وذلك موافق لقول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وذلك لتوجيه المسلمين إلى إمداد المجاهدين بما يحتاجون إليه من أموال وعدة وعتاد.

قال السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريق للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة وفي الاستعداد للجهاد في سبيله وفي تجهيز المجاهدين وتجهيزهم وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة المسلمين"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في سبيل الله:

جاء في الحديث التصريح بأن الإنفاق في سبيل الله أفضل الصدقات فقال ﷺ: أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله - أي ظل خيمة يستظل بها المجاهد، أي نصب خيمة أو خباءة للغزاة يستظلون به - ومنيحة خادم في سبيل الله - أي: هبة عبد

---

(١) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٤١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

للمجاهد ليخدمه أو عاريته له - أو طروقة فحل في سبيل الله، يعني: ناقة أو نحو فرس بلغت أن يطرقها الفحل يعطيه إياها ليركبها إعارة أو قرضًا أو هبة[1].

إن الإنفاق في سبيل الله وتجهيز المجاهدين من أعظم الأعمال، وقد وعد الله بتضعيف الثواب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

قال ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله، وقال مكحول: يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل وإعداد السلاح وغير ذلك، وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[4].

ولقد ضرب لنا صحابة رسول الله ﷺ أروع المثل في الإنفاق في سبيل الله وبذل الغالي والنفيس من أجل رفعة هذا الدين والدفاع عن حياضه، ومن أظهر تلك الأمثلة في مجال الجهاد تسابق الصحابة رضي الله عنهم ومسارعتهم في تجهيز جيش العسرة، فقد كانت هذه الغزوة في زمان عسرة من الناس، وجدب بالبلاد، وشدة الحر، كما كانت حين طابت الثمار، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، لذلك أمر الرسول ﷺ بالتجهز، واستنفر لذلك أهل المدينة وما حولها، وأهل مكة وما جاورها، واستنفر أيضًا

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٦٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٦٩١.

الأعراب الضاربين في الجزيرة العربية ممن أسلموا، كي يتكون من ذلك أكبر جيش يمكن إعداده لمقاتلة الروم ذوي العدد والعدة، والدربة في الحروب.

وحثّ رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على البذل والإنفاق في سبيل الله وتسابق الخيّرون في هذا المضمار فتبرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وتبرع بألف دينار جاء بها في ثوبه، فجعل الرسول ﷺ يقلبها وهو يقول: ((مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، يُرَدِّدُهَا مِرَارًا))[1].

وأراد عمر رضي الله عنه أن يسبق أبا بكر رضي الله عنه ولو مرة في فعل الخير والإنفاق في سبيل الله فجاء بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ: ((مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ الصِدِّيق بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فقالَ رسول الله ﷺ: يا أبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ فقالَ أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ عمر: لاَ أسابِقُكَ إِلى شَيْءٍ أَبَدًا))[2]، وجاء عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه بثمانية آلاف درهم[3]، وجاء غيرهم بمال كثير وأرسلت النساء ما استطعن من حليهن[4]، وهكذا ضرب المسلمون أروع ألوان التضحية والبذل، وتكاثر الراغبون في الجهاد على رسول الله ﷺ يبغون الظهر والنفقة حتى لم يبق لديه شيء[5].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث للحث على الإنفاق في سبيل الله وبيان أن ذلك أفضل الصدقات، فقال ﷺ: (أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله).

وفي ذلك حث ودليل على مشروعية الجهاد بالمال، وأن الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس بل إن الأمر والحث على الجهاد بالمال يأتي في القرآن مقدمًا على بذل النفس،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٧٠١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٩٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود ١٣٦٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٧٢).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٢/٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٢٧/٤.

(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة ٤٩٥/٢ - ٤٩٦.

وذلك كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ﴾[1]، ولم يقدم بذل النفس على المال في القرآن الكريم إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

وقد حفلت آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة بالترغيب كالترغيب في الجنة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

إن أسلوب الترغيب له فوائد عديدة منها:

أ- يجعل العبد يتوق إلى ما أعده الله للطائعين فيزداد طاعة وتقوى.

ب- يولّد الأمل ويبعث على النشاط والعمل للآخرة.

جـ- يحبب إلى المسلم الطاعات وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان.

د- يورث الصبر على المكاره في الدنيا رجاء أن يعوض عنه بالنعيم المقيم في الآخرة[4].

فالترغيب أبرز الأساليب الدعوية حملاً للإنسان على طاعة الله عز وجل، وذلك لما جبلت عليه نفسه من حب ورغبة فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها.

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٣) سورة غافر، آية: ٤٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

الحديث رقم (١٣١٠)

١٣١٠ - وعن أنس ﷺ: أن فَتًى مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجهَّزُ بِهِ[1]، قَالَ: ((ائْتِ فُلانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ)) فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، ويقول: أعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلاَنَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلاَ تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لاَ تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قصة واقعية صور الحوار مشاهد الأحدث فيها والأشخاص هنا حقيقيون لهم دور في سيرة الإسلام. . وهم هذا الفتى المجاهد (اسلم به أقصى بن حارثه، وهذا المسلم " المريض " الذي منعه مرضه من المشاركة في ميدان الجهاد وهذه الخادمة التي قامت بتسليم عدة القتال للفتى بعد أن أذن لها وأمرها صاحب هذه العدة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو تاج هذه المشاهد، وهو الموجه. . والقدوة الحسنة، وهذه القصة الواقعية صيغت مشاهدها المتماسكة صياغة فنية أسلوبية معبرة عن المعنى أصدق تعبير فالتأكيد في بداية الحديث يجيء لترسيخ المعنى المراد في ذهن المتلقي ولبيان أفضلية السعي إلى الجهاد والبحث عن الوسائل والأسباب التي تؤهل المجاهد للمشاركة والدفاع عن الإسلام، وكلمة " فتى " توحي بالقوة والفتوة " حيث لم يقل " أن شاباً أو رجلاً ولكن – قال: فتى " للإيحاء بالعزيمة القوية، والإرادة الناقدة " ولنتأمل دلالة التأكيد مره ثانية في قول الفتى: إني أريد الغزو حيث يفصح هذا التأكيد عن

---

(١) (به) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٨٩٤/١٣٤)، وتقدم برقم (١٧٦).

التصميم والتحفز وليس لمجرد الإذن أو الاعتذار لعدم وجود ما يتجهز به، والتأكيد فى الحديث يأتي مرة ثالثة في قول رسول الله: فإنه كان قد تجهز فمرض للدلالة على أن هذا المسلم المريض لم يحبسه عن الغزو إلا المرض ولذلك أمر رسول الله هذا الفتى بأن يذهب إليه ليأخذ عدته ومما ينبيء عن سرعة الاستجابة وسرعة الحركة للحصول على عدة القتال هذا العطف المتوالي بالفاء. . وهى للترتيب والتعقيب في قوله: فمرض فأتاه. . فقال: ويتكرر التأكيد مرة رابعة فى الحديث في قول الفتى إن رسول الله يقرئك السلام، وذلك لإعطاء المستمع مزيداً من الاهتمام بهذا الأمر ولتأكيد محبة الرسول صلى الله علية وسلم لهذا المسلم الذي أقعده مرضه عن الجهاد، وتكرار جمله لا تحبس عنه شيئاً " يرشد إلى صدق النية والاستجابة الكاملة لأمر رسول الله صلى الله علية وسلم، والقسم في قوله: فوالله لا تحبس عنه شيئاً يفصح عن الإخلاص في العطاء، وحذف النون من الفعل في قوله: فوالله لا تحبس منه شيئاً مع أن لا للفتى وليست للنبي ﷺ يعطى لهذا النفي قوة النهى لأن المراد نهيها عن المنع، والمعنى: لا تمنع منه شيئاً، والله در خبيب الصحابي الجليل الذي أنشد:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِماً ... لَي أيِّ جَنْبٍ كَانَ للهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ في ذَاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٧٦).

الحديث رقم (١٣١١)

١٣١١ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بَعَثَ[١] إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: ((لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا)) رواه مسلم[٢].

وفي روايةٍ لَهُ[٣]: ((لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ)) ثُمَّ قَالَ للقاعد: ((أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ)).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لينبعث: ليخرج[٤].

خلف الخارج في أهله: قام فيهم بما كان يفعله[٥].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يبدأ بالتأكيد (أن رسول الله ﷺ... الخ) وذلك للإعلان عن أهمية الموضوع ولتأكيد صدق الخبر الذي يفيد بأن رسول الله ﷺ بعث إلى بني لحيان من المسلمين لغزوهم حين كانوا كفاراً. . حتى يهتدوا إلى الإسلام وتعاليمه المضيئة ولام الأمر في قوله: لينبعث من كل رجلين رجل، تضفى على صيغة المضارع دلالة الأمر الواجب تنفيذه والأمر هنا للتنظيم واقتسام المسؤولية حيث يذهب نصف الرجال للغزو ويبقى النصف الآخر لحراسة الجبهة الداخلية ورعاية أهل الغازين

---

(١) عند مسلم زيادة: (بعثًا).

(٢) برقم (١٨٩٦/١٣٧).

(٣) برقم (١٨٩٦/١٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٦٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

المجاهدين في سبيل الله، وقوله أحداهما يوحى بالاختيار والمشورة وللإيحاء بأن أجر المقيم الذي يخلف الغازي في أهله بخير مماثل لأجر الغازي في الثواب عند الله سبحانه وتعالى، وقوله: الأجر بينهما: فيه تصريح بذلك وتحديد له ويؤيد ذلك الحديث السابق الذي رواه "يزيد بن خالد" حيث يقول في ختامه "ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا"

وفي الرواية الأخرى عبر عن الغازي بلفظ " الخارج " وكرره مرتين في الحديث: وهذا اللفظ فيه إيحاء بالبعث ويوم الخروج من أسماء يوم القيامة: حيث يقول الحجاج:

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجة رجوجا ؟

ويوم الخروج عند العرب: أي يوم العيد، ويقال له يوم الزينة ويوم المشرق وكان الغازي في سبيل الله يخرج للقتال وهو مهيأ للاحتفال بعيد النصر أو عيد الشهادة وكلاهما عبر عنة رسول الله صلى الله علية وسلم بإحدى الحبيبين "النصر أو الشهادة"

* وما أصدق الصحابي الجليل "عمير بن الحمام" الذي انطلق في معركة بدر الكبرى وهو يردد في صدق وحماس وإيمان

"ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

فقه الحديث

هذا الحديث يستدلّ به على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين[1]. شريطة أن لا يدهم العدو ديار المسلمين، فإن دخلها صار فرض عين على الرجال والنساء على قدم سواء، ويلحق بهذا الحر والعبد والكبير والصغير وكل قادر على المقاومة.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦/١٣٠.

(٢) سيأتي ذكرها في شرح الحديث التالي.

الحديث رقم (١٣١٢)

١٣١٢- وعن البَراءِ ﷺ، قَالَ: أتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بالحَديدِ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أُقَاتِلُ وأُسْلِمُ؟ قَالَ: ((أسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ)). فَأسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاريُّ.

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

غريب الألفاظ:

مقنع بالحديد: متغط بالسلاح، وقيل: هو الذي على رأسه بيضة، وهي الخوذة، لأن الرأس موضع القناع[2].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد الفداء والإباء والإخلاص والوفاء والترغيب في الشهادة والحكمة في التوجيه وهذا المشهد الحواري كان بين رسول الله وذلك الرجل المقنع بالحديد استعداد للقتال وهو كما قال الكرماني " أصيرم بن عبد الأشهل " وقد غير النبي ﷺ وسماه "زرعة" والنداء في قوله: يا رسول الله: يعطى البشارة بإسلام الرجل. . لأنه أقر بالرسالة وقال: يا رسول الله وفى سؤاله قدم: القتال على الإسلام حيث قال: أقاتل أو أسلم وحين أرشده رسول الله إلى الطريق الصحيح: قدم الإسلام على القتال فقال: اسلم ثم قال قاتل لأن قتال الأعداء لا يكون مجدياً إلا إذا كان نابعاً من عقيدة صحيحة في ظل تعاليم الإسلام المشرقة والعطف بثم في قوله "أسلم ثم قاتل" يفيد التأني في فهم تعاليم الإسلام ومعرفة مقاصده من القتال والدفاع عن ديار الإسلام وحرماته، والعطف بالفاء في قوله "فأسلم" يرشد إلى سرعة استجابة هذا الرجل لكلام رسول الله ﷺ وقوله: ثم قاتل فقتل " يجمع بين التأني والتروي في فهم مقاصد الإسلام وذلك في قوله: فأسلم ثم قاتل، وبين الإسراع والاندفاع نحو الشهادة في القتال وعدم النكوص

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، ومسلم (١٤٤/١٩٠٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ن ع).

أو الخوف – والعطف بالفاء في قوله – فقتل " يفصح عن ذلك الشوق للشهادة في سبيل الله والعطف بالفاء كذلك في قوله: فقال رسول الله – عمل قليلاً وأجر كثيراً " ينبئ عن إسراع رسول الله في الإشادة بما صنع ذلك الشهيد وتبشيره بالأجر الكثير، والطباق في قوله ﷺ عمل قليلاً وأجر كثيراً فيه مزيد من البشارة لهذا الشهيد وغيره

وفيه إشارة دقيقة ولطيفة من لطائف النبوة وهى أن الأجر الكثير قد يكون على العمل القليل. . كما قال رسول الله ﷺ " إنما الأعمال بالنيات " فقلة العمل مع الإخلاص وصدق النية لا تمنع من مضاعفة الثواب وكثرة الأجر، وكأني بهذا الشهيد يتمثل بقول عبد الله بن رواحه. . وهو في معركة مؤتة. . حيث أنشد في صدق وحماس وشوق للجنة وهو يقاتل الروم

أقسمت يا نفس لتنزلنه. ..طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة مالي أراك تكرهين الجنة

فقه الحديث

الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو:

اختلف الفقهاء في جواز الاستعانة بغير المسلمين على قتال العدو: فذهب الحنفية والحنابلة في الصحيح من المذهب والشافعية ما عدا ابن المنذر وابن حبيب من المالكية، وهو رواية عن الإمام مالك إلى جواز الاستعانة بغير المسلم عند الحاجة.

وصرّح الشافعية والحنابلة بأنه يشترط في أن يعرف الإمام حسن رأيهم في المسلمين ويأمن خيانتهم. وصرح الشافعية أن يكثر المسلمون بحيث لو خان المستعان بهم وانضموا إلى الذين يغزونهم أمكنهم مقاومتهم جميعًا.

وشرط الماوردي أن يخالفوا معتقد العدو.

وعند المالكية -ما عدا ابن حبيب- وجماعة من أهل العلم منهم ابن المنذر

والجوزجاني: لا تجوز الاستعانة بمشرك[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإسلام أساس قبول الأعمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الإسلام هو أساس قبول الأعمال:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن قال له: يا رسول الله أُقاتَل أو أُسْلم؟ قال: (أسلم ثم قاتل).

قال ابن عثيمين: "أن الجهاد بدون إسلام لا ينفع صاحبه؛ لأن هذا الرجل عندما استأذن من النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أُجَاهد ثم أُسْلم، أم أُسْلم ثم أُجَاهد؟ قال: أَسْلم ثم جاهد، فأَسْلَم ثم جَاهَد، وهكذا جميع الأعمال الصالحة يشترط فيها الإسلام، لا يقبل الله من أحد صدقة ولا حجًا ولا صيامًا ولا أي شيء وهو غير مسلم.

ولذلك أمر الله عز وجل بعدم دخول المشركين المسجد الحرام فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٥/٣، والمبسوط، السرخسي ٣٣/١٠، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٢/٥، ٢٤٣، والحطاب ٣٥٢/٣، والمدونة الكبرى رواية سحسنون عن ابن القاسم، الإمام مالك الأصبحي ٤٠/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٢١/٤، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٩/١، وشرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٦٦/١٢/٦-١٦٧، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٨/١٣-٩٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨/٣ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٦/١٦).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٣١٢).

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٨.

فالإسلام شرط لكل عبادة، لا تقبل أي عبادة إلا بالإسلام، ولا تصح أي عبادة إلا بالإسلام"[١].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أي: من سلك طريقًا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه (وهو في الآخرة من الخاسرين)، كما قال النبي ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٣]"[٤].

قال د. محمد محمود حجازي: "ومن يبتغ غير الإسلام الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام والدين الذي ارتضاه الله لعباده لأنه دين الفطرة السليمة، والدين الذي يؤمن بكل نبي ورسول، وهو الواضح الخالي من التعقيد صاحب المعجزة الباقية ألا وهي القرآن الكريم، ومن يبتغ غيره دينًا فلن يقبل منه قطعًا وهو في الآخرة من الخاسرين"[٥].

"فمن البديهي أن العمل المرضي عند الله تعالى يشترط لقبوله شرط ضمني هو اعتناق الإسلام، أي الإيمان به، ولهذا قرن الله العمل الصالح بالإيمان، والمقصود به اعتناق الإسلام بعد أن بعث الله محمدًا ﷺ رسولاً إلى العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٦]، وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر، أي من حيث توفر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي، وكان قصد صاحبه مرضاة الله، ولكنه لم يؤمن بالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب"[٧].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٤٧/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠/٢.

(٥) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧٦/٣/١.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

(٧) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٠ - ٤١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل العمل القليل مع النية الصالحة:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن الرجل الذي أتى النبي ﷺ كانت نيته الجهاد ونصرة الله تعالى، ورسوله ﷺ فقتل ولم يسبق له عمل صالح في الإسلام غير ذلك، فنال الأجر الكثير وذلك لأن الأعمال واقعة أو حاصلة حسب النية، قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى))[1].

قال ابن رجب: "أي: الأعمال صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة بالنيات فيكون خبرًا عن حكم شرعي، وهو أن صلاح الأعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها.

وقوله: (إنما لكل امرئ ما نوى)، إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به، فإن نوى خيرًا حصل له الخير، وإن نوى شرًا حصل له شر، فدلّ على أن ثواب العامل على عمله بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه بحسب نيته الفاسدة.

وعن ابن المبارك قال: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[2].

وذلك؛ لأن "النية أصل الشريعة وعماد الأعمال، ومعيار التكليف"[3].

وقال الخطابي منوهًا بشأن حديث (إنما الأعمال بالنيات): "هذا الحديث أصل كبير في أصول الدين، ويدخل في أحكام كثيرة... ومعناه أن صحة أحكام الأعمال في حق الدين إنما تقع بالنية، وأن النيات هي الفاصلة بين ما يصح منها وبين ما لا يصح"[4].

ومن نفيس كلام ابن القيم: "النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وشَفَتَا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى)، ثم بين في الجملة

---

(١) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ص ٦٤، ٦٥، ٧١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٥٢/١.

(٤) أعلام الحديث شرح صحيح البخاري ١١٢/١.

الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه، وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[(١)(٢)].

فإن صلاح الأعمال وفسادها بالنيات، وأنه يحصل للعبد من الثمرات والنتائج بحسب نيته، ومعلوم أن جميع العبادات لا تصح إلا بالنية، بأن ينوي ذلك، ويميز بين العادة والعبادات، وبين مراتب العبادات، ثم لا بد مع ذلك أن يكون القصد منها والغرض وجه الله وثوابه، وينبغي للعبد أن يتعبد لله بإخلاص في كل جزء من أعماله، فيستحضر بقلبه وأن يعمله لله متقربًا به إليه، راجيًا ثوابه من الله وحده، لم يحمله على ذلك العمل غرض من الأغراض سوى قصد وجه الله وثوابه، ويسأل ربه تعالى أن يحقق له الإخلاص من كل ما يأتي وما يذر، وأن يقوي إيمانه ويخلصه من الشوائب المنقصة، وبهذه النية الصادقة يجعل الله البركة في أعمال العبد ويكون اليسير منها أفضل من الكثير مِنْ عملِ مَنْ خلا قلبه من هذه النية ثم إذا عرضت له العوارض المنقصات، كالرياء وإرادة تعظيم الخلق، فليبادر بالتوبة إلى الله ويصرف قلبه عن هذه العوارض المنقصة لحال العبد التي لا تغني عنه شيئًا ولا تنفعه نفعًا عاجلاً ولا آجلاً[(٣)]، فينبغي على المسلم الحرص على إخلاص النية في عمله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما..." وقوله ﷺ: "عمل قليلاً وأُجرَ كثيرًا" لمن أسلم ثم قاتل وقتل، فالجهاد في سبيل الله فضله عظيم للمسلم ولدينه، لأن مآله إما النصر أو الشهادة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[(٤)]، والجهاد في سبيل الله لا يعدله

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٢) انظر: جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات، د. علي أحمد الندوي ١٢٩/١ - ١٣٠.

(٣) انظر: الرياض الناضرة، الشيخ السعدي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) سورة التوبة، آية: ٥٢.

عمل في الإسلام وهذا ما بينه رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: دُلَّني على عملٍ يَعدلُ الجهادَ. قال: لا أجِدهُ. قال: ((هل تَستطيعَ إذا خرَجَ المجاهدُ أن تدخُلَ مَسجِدَك فتقومَ ولا تَفتُرَ، وتَصومَ ولا تُفطِرَ؟)) قال: ومن يَستطيعُ ذلك؟ قال أبو هريرةَ: إنَّ فرَسَ المجاهدِ ليَستَنُّ في طِوَلِهِ، فيُكتبُ لهُ حسَناتٍ[1].

"إن مكانة الجهاد سامقة، ذلك أنه ماضٍ إلى يوم القيامة وهو مفروض على أمة محمد ﷺ يرتفع من خلاله المسلم عن بقية إخوانه المسلمين مكانًا عليًّا"[2].

"فالجهاد من أنواع العبادة، التي خلق الحق - تبارك وتعالى - الناس من أجلها، نَعْم الجهاد الذي هو محاربة الأعداء، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

لقد فرض الله تبارك وتعالى على هذه الأمة الجهاد، وجعله من أعلى مراتب العبادة واعدًا لمن قام به أعلى الدرجات في جنات عدن، جزاء ما بذل في سبيل الله من نفس ومال وجهد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول الكريم ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال قال: ((إيمان بالله). قال ثم ماذا؟ قال: (الجهاد في سبيل الله))[5] فعلينا أن نخلص فيه طاعة لله رب العالمين، الذي شرفنا بهذه العبادة، ومنحنا الرضا والجنة لقاء قيامنا بها بصدق وإخلاص: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٨٥، ومسلم ١٨٧٨.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٦، ١٥١٩، ومسلم ٨٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

لقد امتلأت صفحات القرآن المجيد بذكر فضائل الجهاد: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2].

إن الاعتداءات الظالمة، والمفاسد الآثمة التي يقوم بها الإنسان على أرض الله، وبين عباد الله، تنتشر بسببها الفتن، وتعم المفاسد، وتموج المجتمعات البشرية بألوان الشرور والآثام، وأنواع الظلم والطغيان، وتسود بينهم شريعة الغاب، القوي يأكل الضعيف ويسيطر على الناس فئة طاغية ظالمة، فيسود الفساد في الأرض، ويحصل للناس المشقة والعذاب، ويعم الأرض الخوف والرعب، والدمار، ويحل بالناس البلاء.

ورب العزة والجلال لا يقبل لعباده ذلك، ولا يرضى لهم هذا الهوان، ولا يجيز للقوي أن يأكل الضعيف، أو أن يعتدي عليه بأي نوع من أنواع الاعتداء، أو أن يسلب القوي أمن الضعيف وطمأنينته، كما لا يقبل سبحانه وتعالى أن يُصاب عباده في حياتهم الأخلاقية أو حياتهم المادية أو النفسية بأي نوع من أنواع الإصابات والعدوان، كما لا يرضى سبحانه وتعالى بانتشار الظلم والقتل بين عباده، أو أن يصبح عباده عبادًا لمخلوقيه من بقية العباد، فيلطخوا شرفهم الإنساني بجراح الذلة والصغار والهوان، فيخضعوا لغير الذي خلقهم وصورهم سبحانه وتعالى أيا كان هذا.

لذا؛ فإن الجماعة التي تهب وتنهض لتطهير الأرض، بل البشرية من هذه الفتن وتنقذها من الظلم والعدوان، وتقيم العدل والإحسان، وترفع راية الحق والدين، دون طمع في ثروة أو وصولاً إلى مغنم، وتُضحي في سبيل تحقيق ذلك الخير، بمالها وراحتها، بل بأرواحها، جديرة حقًا بحب الله ومرضاته عنها، أولئك هم المجاهدون.

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

فالجهاد عبادة ينبغي إخلاصها لله، لأن الحق تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا، لا رياء فيه ولا سمعة، والجهاد في سبيل الله يحتل الدرجة العليا بين جميع الأعمال الإنسانية بعد الإيمان بالله رب العالمين، قال رسول الله ﷺ: ((لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا))[1]"[2].

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٠.

(٢) أنواع العبادة في إفراد الله بالعبادة، د. الشريف حمدان الهجاري ص ١٩١ - ١٩٢.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢١٧-باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به	٥
الحديث رقم (١٢١٧)	٥
الحديث رقم (١٢١٨)	١٨
الحديث رقم (١٢١٩)	٢٩
الحديث رقم (١٢٢٠)	٣٤
الحديث رقم (١٢٢١)	٤٠
الحديث رقم (١٢٢٢)	٤٦
الحديث رقم (١٢٢٣)	٥١
٢١٨-باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه	٦٩
الحديث رقم (١٢٢٥)	٦٩
الحديث رقم (١٢٢٥)	٧٩
٢١٩-باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا لمن وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الاثنين والخميس فوافقه	٨٤
الحديث رقم (١٢٢٦)	٨٤
الحديث رقم (١٢٢٧)	٨٩
الحديث رقم (١٢٢٨)	٩٠
الحديث رقم (١٢٢٩)	٩٥
٢٢٠-باب ما يقال عند رؤية الهلال	١٠٧
الحديث رقم (١٢٣٠)	١٠٧
٢٢١-باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر	١١٩
الحديث رقم (١٢٣١)	١١٩
الحديث رقم (١٢٣٢)	١٢٨
الحديث رقم (١٢٣٣)	١٣٠
الحديث رقم (١٢٣٤)	١٣٢
٢٢٢-باب فضل تعجل الفطر وما يفطر عليه، وما يقوله بعد إفطاره	١٤٠
الحديث رقم (١٢٣٥)	١٤٠
الحديث رقم (١٢٣٦)	١٤٧
الحديث رقم (١٢٣٧)	١٥٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٢٣٨)	١٥١
الحديث رقم (١٢٣٩)	١٥٨
الحديث رقم (١٢٤٠)	١٦٠
الحديث رقم (١٢٤١)	١٦٨
٢٢٣-باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها	١٧٥
الحديث رقم (١٢٤٢)	١٧٥
الحديث رقم (١٢٤٣)	١٨٤
٢٢٤-باب في مسائل من الصوم	١٩٠
الحديث رقم (١٢٤٤)	١٩٠
الحديث رقم (١٢٤٥)	١٩٦
الحديث رقم (١٢٤٦)	٢٠٤
الحديث رقم (١٢٤٧)	٢١١
٢٢٥-باب فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم	٢١٦
الحديث رقم (١٢٤٨)	٢١٦
الحديث رقم (١٢٤٩)	٢١٨
الحديث رقم (١٢٥٠)	٢٢٢
٢٢٦-باب فضل الصوم وغيره في العشر الأول من ذي الحجة	٢٣٤
الحديث رقم (١٢٥١)	٢٣٤
٢٢٧-باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء	٢٤٤
الحديث رقم (١٢٥٢)	٢٤٤
الحديث رقم (١٢٥٣)	٢٤٩
الحديث رقم (١٢٥٤)	٢٥٥
الحديث رقم (١٢٥٥)	٢٥٦
٢٢٨-باب استحباب صوم ستة أيام من شوال	٢٦٠
الحديث رقم (١٢٥٦)	٢٦٠
٢٢٩-باب استحباب صوم الاثنين والخميس	٢٦٩
الحديث رقم (١٢٥٧)	٢٦٩
الحديث رقم (١٢٥٨)	٢٧٦
الحديث رقم (١٢٥٩)	٢٧٧
٢٣٠-باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر	٢٨٢
الحديث رقم (١٢٦٠)	٢٨٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٢٦١)	٣٠٠
الحديث رقم (١٢٦٢)	٣٠١
الحديث رقم (١٢٦٣)	٣٠٢
الحديث رقم (١٢٦٤)	٣٠٣
الحديث رقم (١٢٦٥)	٣٠٤
الحديث رقم (١٢٦٦)	٣٠٦
٢٣١-باب فضل من فطّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده	٣١٤
الحديث رقم (١٢٦٧)	٣١٤
الحديث رقم (١٢٦٨)	٣٢٠
الحديث رقم (١٢٦٩)	٣٢٥
٩-كتـــاب الاعتكـــاف	٣٣٤
٢٣٢-بـــاب فـــضل الاعتكـــاف	٣٣٤
الحديث رقم (١٢٧٠)	٣٣٤
الحديث رقم (١٢٧١)	٣٤٥
الحديث رقم (١٢٧٢)	٣٤٦
١٠-كتـــاب الحـــج	٣٥٣
٢٣٣-بـــاب وجـــوب الحـــج وفـــضله	٣٥٣
الحديث رقم (١٢٧٣)	٣٥٣
الحديث رقم (١٢٧٤)	٣٥٥
الحديث رقم (١٢٧٥)	٣٦٩
الحديث رقم (١٢٧٦)	٣٧٨
الحديث رقم (١٢٧٧)	٣٨٦
الحديث رقم (١٢٧٨)	٣٦٩
الحديث رقم (١٢٧٩)	٤٠٤
الحديث رقم (١٢٨٠)	٤١٢
الحديث رقم (١٢٨١)	٤٢٠
الحديث رقم (١٢٨٢)	٤٣٥
الحديث رقم (١٢٨٣)	٤٣٧
الحديث رقم (١٢٨٤)	٤٤٧
الحديث رقم (١٢٨٥)	٤٤٨
الحديث رقم (١٢٨٦)	٤٥٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
١١-كتاب الجهاد	٤٨٠
٢٣٤-باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة	٤٨٠
الحديث رقم (١٢٨٧)	٤٨٠
الحديث رقم (١٢٨٨)	٤٨٥
الحديث رقم (١٢٨٩)	٤٨٦
الحديث رقم (١٢٩٠)	٤٨٧
الحديث رقم (١٢٩١)	٤٩٣
الحديث رقم (١٢٩٢)	٤٩٥
الحديث رقم (١٢٩٣)	٥٠٢
الحديث رقم (١٢٩٤)	٥١١
الحديث رقم (١٢٩٥)	٥١٣
الحديث رقم (١٢٩٦)	٥١٩
الحديث رقم (١٢٩٧)	٥٣١
الحديث رقم (١٢٩٨)	٥٣٧
الحديث رقم (١٢٩٩)	٥٤٤
الحديث رقم (١٣٠٠)	٥٥٢
الحديث رقم (١٣٠١)	٥٦١
الحديث رقم (١٣٠٢)	٥٦٤
الحديث رقم (١٣٠٣)	٥٧٠
الحديث رقم (١٣٠٤)	٥٧٨
الحديث رقم (١٣٠٥)	٥٨٨
الحديث رقم (١٣٠٦)	٥٩٥
الحديث رقم (١٣٠٧)	٥٩٧
الحديث رقم (١٣٠٨)	٦٠٤
الحديث رقم (١٣٠٩)	٦٠٧
الحديث رقم (١٣١٠)	٦١٣
الحديث رقم (١٣١١)	٦١٥
الحديث رقم (١٣١٢)	٦١٧
فهرس المحتويات	٦٢٧

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السادس عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٦

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٢ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-١٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٦-١٠-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٦)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (١٣١٣)

١٣١٣- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأرْضِ مِنْ شَيْءٍ إلاَّ الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ))[1].

وفي رواية[2]: ((لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الكرامة: الكَرَمُ والجود[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي ينوه بفضل الشهيد ويقدم نموذجاً فريداً لكل متشوق للجهاد راغب في الدفاع عن عقيدته وأمته نجد الراوي يبدأ رواية الحديث بالتأكيد فيقول " عن أنس رضي الله عنه أن النبي قال) والتأكيد هنا للتنبيه على عظمة هذا السلوك الذي يقوم به الشهيد رغبة في تشويق الناس إلى أن يحذو حذوه في الشهادة والتعبير بقول " ما أحد " للاستقصاء والعموم ليشمل كل إنسان أنعم الله عليه بدخول الجنة وجمله " يدخل الجنة صفة لهذا الذي أنعم الله علية لتحديد نوع النعمة ولبيان قيمتها ودخول الجنة أقصى ما يرجوه المسلم ويرغب فيه والتعبير بالمضارع في قوله "يدخل الجنة" يفيد تجدد هذه الحالة بتجدد الزمان والمكان والمقابلة بين قوله "يدخل الجنة، ويرجع إلى الدنيا... لإظهار الفرق الشاسع بين نعيم الجنة وضآلة قيمة الدنيا ومع ذلك يحب الشهيد أن يرجع لا حباً في الدنيا ولكن لشوقه إلى الجهاد في سبيل الله وأسلوب القصر هنا عن طريق النفي والاستثناء يفيد الحصر وقصر هذا السلوك البطولي على الشهيد وتأخير لفظ: الشهيد ليس لعدم أهميته ولكن للتشويق. .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٧) واللفظ له، ومسلم (١٨٧٧/١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٧/١٠٨).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر م).

والرغبة في معرفة صاحب هذه الأمنية التي يعجز عنها الكثيرون والتعبير بقوله " يتمنى " يفيد استحالة وقوع ذلك لأن التمني هو تمنى الأمر البعيد الحصول وقال العلماء وعبر عنه بالتمني لأنه محال لتعلق القدرة الإلهية بعدم وجوده، والتعبير بقوله " فيقتل عشر مرات " لإظهار شوق الشهيد إلى الاستزادة من سبب الفضل والكرامة بنيل الشهادة دفاعاً عن الإسلام والمسلمين وصوناً للحرمات والأعراض ويقول الشاعر في تحية الشهيد:

نلت الشهادة فاهنأ أيها البطل ... بمثل عزمك تبنى مجدها الدول
أمامك الجنة الخضراء تفتحها ... لك السيوف التي حطمت والأسل
وليس أشرف من موت حظيت به ... والنصر دان إلى عينيك مقتبل

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - بيان فضل الشهادة والجهاد، وأنه ليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب[١].

٢ - أن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين وإنما يكفر حقوق الله تعالى[٢].

٣ - حكم جهاد من عليه دَيْن بغير إذن غريمه: اتفق الفقهاء على من تعين عليه الجهاد جاز له الخروج سواء أذن له صاحب الدين أم لم يأذن لأن تعلق الجهاد بعينه مقدم على تعلق الدَيْن بذمته[٣].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٦.

(٢) حاشية رد المحتار ١٢١/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٩/١٣، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٢٢/٧.

(٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.
قال ابن قدامة: ولكن يستحب له أن لا يتعرض لمظان القتل من المبارزة والوقوف في أول المقاتلة، لأن فيه تغريرًا بتفويت الحق. راجع المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧/٩، ١٨.

اتفق الفقهاء على أن من عليه دين حال وكان موسرًا لا يجوز له الخروج إلى الجهاد إلا إذا أذن له الدائن أو ترك وفاءً أو أقام كفيلاً فحينئذ يجوز له الاشتراك في الغزو[١].

أما إذا كان الدين مؤجلاً فقد اختلف الفقهاء في ذلك. فذهب المالكية والشافعية[٢] إلى جواز خروج المدين إلى الجهاد بغير إذن غريمه لأن الدين لم يحل بعد فلم تجب المطالبة به[٣].

وذهب الحنفية والحنابلة[٤] إلى عدم جواز ذلك، لأنه يعرض نفسه للقتل طلبًا للشهادة، وإذا قتل فقد فات الحق على صاحبه[٥]. وهذا هو الراجح.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الشهادة في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ما أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من الكرامة)، وفي رواية: (لما يرى من فضل الشهادة).

---

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ١٧/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٢) القوانين الفقهية ١٥٠/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠/٦.

(٤) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين الزيلعي ٢٤٢/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧١/٩-١٧٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٢/٢.

(٥) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٧٢/٩.

قال النووي: "هذا من صريح الأدلة في عظيم فضل الشهادة"[١].

وقال ابن بطال: "هذا الحديث أجل ما جاء في فضل الشهادة، قال: وليس في أعمال البر ما تبذل فيه النفس غير الجهاد فلذلك عظم فيه الثواب"[٢].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣].

قال السعدي: "هذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء، وكرامتهم وما منّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم، وتعزيتهم وتنشيطهم للقتال في سبيل الله، والتعرض للشهادة. فقال: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا)، أي: لا يخطر ببالك وحسبانك، أنهم ماتوا وفقدوا لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال وزهد في الشهادة، (بل) قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم (أحياء عند ربهم)، في دار كرامته.

ولفظ (عند ربهم)، يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، (ويرزقون)، من أنوع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا صاروا (فرحين بما آتاهم الله من فضله)، أي مغتبطون بذلك، وقرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه وعدم المنغص"[٤].

عن مسروق قال: سألنا عبدالله عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦/٤٠.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان ١٦٩ - ١٧٠.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٢٤.

اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١] قَالَ: (أَمَا إِنَّا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ فِي جوف طير خضر لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)[٢].

قال القرطبي: "قول مسروق: سألنا عبدالله عن هذه الآية، هو عبدالله بن مسعود، وهكذا في رواية أبي بحر: سألنا عبدالله بن مسعود. ومن قال فيه: عبدالله بن عمرو فقد أخطأ.

وقول عبدالله: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: كذا صحت الرواية، ولم يذكر فيها (رسول الله ﷺ) وهو المراد منها قطعًا. ألا ترى قوله: فقال؟ وأسند الفعل إلى ضميره، وإنما سكت عنه للعلم به، فهو مرفوع، وليس هذا المعنى الذي في هذا الحديث مما يتوصل إليه بعقل ولا قياس، وإنما يتوصل إليه بالوحي، فلا يُقال: هو موقوف على عبدالله بن مسعود.

وقد تضمن هذا الحديث تفسير قوله تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣]، وأن معنى حياة الشهداء: أن لأرواحهم من خصوص الكرامة ما ليس لغيرهم، بأن جعلت في جوف طير، كما في الحديث، أو في حواصل طير خضر، كما في الحديث الآخر، صيانة لتلك الأرواح، ومبالغة في إكرامها، لإطلاعها على ما في الجنة من المحاسن والنعم كما يطلع الراكب المظلل عليه بالهودج الشفاف؛ الذي لا يحجب عما وراءه، ثم يدركون في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها، ونعيمها، وسرورها ما يليق بالأرواح مما ترتزق وتنتعش به، وأما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله تعالى لها، ثم إن أرواحهم بعد سرحها في الجنة ترجع تلك الطير بهم إلى مواضع مكرمة، مشرفة، منورة عبر عنها بالقناديل لكثرة أنوارها وشدتها. والله تعالى أعلم. وهذه الكرامات كلُّها مخصوصة بالشهداء كما دلّت عليه الآية وهذا الحديث.

و(قولهم) نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، دليل على أن مجرد الأرواح هي المتكلمة... وأنها أجواف، ليست أجسادًا لها، وإنما هي مودعة فيها على سبيل الحفظ والصيانة والإكرام، وهذا كله يدل على أن لمنزلة الشهادة من خصوص الإكرام ما ليس لغيرها من أعمال البر، كما قال في الحديث الآخر: (ليس لأحد له عند الله خير يتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، لما يرى من فضل الشهادة... الحديث)"[1].

وقال القاضي عياض: "وأما قوله لهم: (هل تشتهون شيئًا) فمبالغة في الإكرام والنعيم؛ إذ قد أعطاهم ما لا يخطر على قلب بشر ثم رغبهم في سؤال الزيادة، فلم يجد وراء ما أعطاهم من مزيد، لكن تلقوا ذلك بالشكر بأن سألوه بأن يرد أرواحهم إلى أجسادهم حتى يجاهدوا فيه، ويبذلوا أنفسهم، ويقتلوا في شكر إحسانه، ويستلذوا ألم القتل والموت لمكافأة بره، ويجودوا بذواتهم له، إذ لم يقدروا على غاية فوق ذلك والجود بالنفس أقصى غاية الجود"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن بعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في إخباره ﷺ عن الشهيد ودخوله الجنة حيث قال: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع...)، فهذا من إخباره ﷺ بحال الشهيد وإكرام الله له وهذه المنازل التي اختصه الله بها وقد ورد عنه كثير من الأحاديث التي تخبر عن حال الشهداء عند الله.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٥، ٧١٦، ٧١٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٠٩.

مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي قتل يوم أحد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: قَالَ: ((أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللهُ بِهِ أَبَاكَ؟)) قلت: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾[1]))[2].

ومنها قوله ﷺ: ((للشَّهِيدِ عندَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ ويرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ))[3].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب

يظهر ذلك من عموم الحديث حيث رغب رسول الله ﷺ في الشهادة في سبيل الله، وبيّن أنها من أفضل الأعمال، ومن عظم فضلها يتمنى الشهيد الخروج من الجنة، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لعظم الشهادة وعظم ما يراه من إكرام من المولى عز وجل له. وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يقصد كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٦٣، وابن ماجة ٢٧٩٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٧).

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٤)

١٣١٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ الدَّيْنَ)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ له[2]: ((القَتْلُ في سبيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إلاَّ الدَّيْن)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يكفِّر: يستر ويمحو[3].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز في الحديث الشريف منبع بلاغته ومصدر حكمته وسر تأثيره وقوته وهذا الحديث نموذج للإيجاز البليغ الدال فهو يتكون من جمله واحدة. . يسبقها التأكيد الذي يدل على أهمية المعنى المراد وقوة الدلالة المنبثقة من الحديث الشريف، وصيغة " المبنى للمجهول " في قوله – يغفر للشهيد كل ذنب – توحي بأن المغفرة تساق للشهيد من حيث لا يحتسب ولأن الشهيد مقابل ربه. . فإنه يوقن أنه لا يغفر الذنوب إلا الله فهو غافر الذنب، قابل التوب وذاكرة الشهيد تنفى أي احتمال غير ذلك وإدراكه يأبى أن يفكر في غير خالقه وبارئة ومصورة ولذلك لم يحدد الفاعل في الفعل لأن مصدر الغفران معلوم. . وهو الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب " والتعبير بقوله: كل ذنب " يفيد العموم " وغفران جميع الذنوب أيا كان نوعها ولذلك تؤيد الرواية الأخرى هذه الدلالة الترغيبية حيث يقول: يكفر كل شيء إلا الدين والاستثناء

---

(١) برقم (١٨٨٦/١١٩) بنحوه ولفظه: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٦) بلفظ مسلم.

(٢) برقم (١٨٨٦/١٢٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

بإلا يفيد تنبيه المسلم إلى أهمية قضاء الديون وإرجاع الحقوق لأصحابها وفى الحديث بلاغة الحذف في ختامه، والتقدير. . إلا الدين فلن يغفر للشهيد عدم أدائه، وذلك لمزيد من الترغيب في إرجاع الحقوق إلى ذويها حتى تظل الروابط بين المسلمين متماسكة، وتظل الأخوة الإيمانية راسخة بين طوائف الأمة وأفرادها، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدَيْن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدَيْن)، حيث بيّن ﷺ أن الدين من الأشياء التي لا يغفرها الله للشهيد رغم منزلته وفضله عند الله.

فعلى الداعية أن يلتزم ببيان الحقائق للمدعوين وقد أمر الله رسوله ﷺ ببيان الحق فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، "أي: فتفصل لهم ما أجمل، وتبين ما أشكل (ولعلهم يتفكرون)، أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين"[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3].

قال السعدي: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك،

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق وخوفًا من إثم الكتمان"[1]. فيجب على الداعية بيان الحقائق للمدعوين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من عدم أداء الدين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، ويؤيد ذلك ما ورد عن قتادة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[2].

قال القرطبي: "و(قول السائل: أرأيت إن قتلت في سبيل الله؛ أتكفر عني خطاياي؟) هذا بحكم عمومه يشمل جميع الخطايا، ما كان من حقوق الله تعالى، وما كان من حقوق الآدميين. فجوابه بـ (نعم) مطلقًا يقتضي تكفير جميع ذلك، لكن الاستثناء الوارد بعد هذا يبين أن هذا الخبر ليس على عمومه، وإنما يتناول حقوق الله تعالى خاصة لقوله ﷺ: ((إلا الدَيْن)) وذكْره الدَيْن تنبيه على ما في معناه من تعلق حقوق الغير بالذمم، كالغصب، وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد، وجراحه، وغير ذلك من التبعات، فإن كل هذا أولى بأن لا يغفر بالجهاد من الدَيْن، لكن هذا كله إذا امتنع عن أداء الحقوق مع تمكنه منه، وأما إذا لم يجد للخروج من ذلك سبيلاً، فالمرجو من كرم الله تعالى إذا صدق في قصده، وصحت توبته أن يُرضيَ الله تعالى خصومه عنه،

---

(١) تيسر الكريم الرحمن ص ١٢٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

كما قد جاء نصًا في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ المشهور في هذا، وقد دلّ على صحة ما ذكرناه قوله ﷺ: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ...))[1] الحديث. ولا يلتفت إلى قول من قال: إن هذا الذي ذكره من الدين إنما كان قبل قوله ﷺ: ((مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فعلى...))[2] الحديث. يشير بذلك إلى أن ذلك المعنى منسوخ. فإنه قول باطل مفسوخ، فإن المقصود من هذا الحديث بيان أحكام الديون في الدنيا، وذلك: أنه كان من أحكامها دوام المطالبة وإن كان الإعسار. وقال بعض الرواة: إن الحر كان يباع في الدَيْن. وامتنع النبي ﷺ من الصلاة على من مات وعليه دينار ولم يجد وفاء له. فهذه الأحكام وأشباهها هي التي يمكن أن تنسخ، والحديث الأول لم يتعرض لهذه الأحكام. وإنما تعرض لمغفرة الذنوب فقط. هذا إذا قلنا: إن هذا ناسخ، فأما إذا حققنا النظر فيه فلا يكون ناسخًا، وإنما غايته: أن تحمل النبي ﷺ على مقتضى كرم خُلقه عن المعسر دينه، وسد ضيعة الضائع. وقد دلّ على ذلك قوله ﷺ في هذا الحديث بعينه: ((أنا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ))[3]، فعلى هذا يكون هذا التحمل خصوصًا به، أو من جملة تبرعاته لما وسع الله عليه، وعلى المسلمين. وقد قيل في معنى هذا الحديث: إن معنى ذلك: أن النبي ﷺ قام بذلك من مال الخمس والفيء ليبين أن للغارمين ولأهل الحاجة حقًا في بيت مال المسلمين، وإن الناظر لهم يجب عليه القيام بذلك لهم، والله تعالى أعلم"[4].

قال النووي: "ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرها من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وفيه هذه الفضيلة العظيمة للمجاهد وهي تكفير خطاياه كلها إلا حقوق الآدميين"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧١، ومسلم ١٦١٩.

(٣) هو الحديث السابق.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧١٣-٧١٤.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١١.

وقال ابن عثيمين: "أن الشهادة تكفر كل شيء من الأعمال إلا الدَيْن، يعني: إلا دَيْن الآدمي، فإن الشهادة لا تكفره، وذلك لأن الآدمي لا بد من إيفائه إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وفي الحديث التحذير من التساهل في الدَيْن وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدَيْن ولا يستدين إلا عند الضرورة القصوى، وذلك لأن الدَيْن لا تكفره حتى الشهادة في سبيل الله"[١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر هذا من عموم الحديث حيث رهّب رسولُ الله ﷺ من عدم سداد الدين وذلك بقوله: (يغفر الله للشهيد كل شيء إلا الدين)، فالشهادة وما لها من فضل ومكانة عند الله لا تكفر الدين وفي ذلك ترهيب منه ومن التساهل فيه، (وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي يقصد به كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٢].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٤٦/٢ - ١٤٤٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣١٥)

١٣١٥- وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَامَ فِيهِم فَذَكَرَ[١]: ((**انَّ الجِهَادَ فِي سَبيلِ اللهِ، وَالإيمَانَ بِاللهِ، افْضَلُ الأعْمَالِ**))، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرأيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبيلِ اللهِ، أتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لهُ رسول الله ﷺ: ((**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ فِي سَبيلِ الله وَانْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**))، ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((**كيْفَ قُلْتَ؟**)) قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبيلِ اللهِ، أتُكَفِّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((**نَعَمْ، وَانْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ، إلاَّ الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام قَالَ لِي ذَلِكَ**)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

تُكفِّر: تُستَر وتُمحى[٣].

محتسب: مبادر إلى تحصيل الثواب بالتسليم والصبر[٤].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من خطابة النبي ﷺ، وإشعاع من بلاغة النبوة في الحوار والإقناع والهدى والإرشاد وتتسم خطابة المصطفى ﷺ بالدقة والوضوح وعدم المبالغة فالخطبة النبوية نسيج متلائم من الفكر التشريعي الواضح في ضوء التعاليم القرآنية ويأتي التأكيد في بداية الحديث ليبين أفضلية الجهاد والإيمان بالله وصيغة التفضيل في قوله " أفضل الأعمال " للإخبار عن الجهاد والإيمان " أي مجموعها، وتقدم: الجهاد..

---

(١) عند مسلم زيادة: (لهم)، وهي لا توجد عند المنذري، فتبعه عليها المؤلف..

(٢) برقم (١٨٨٥/١١٧)، وتقدم برقم (٢١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٧).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ح و).

(٤) المرجع السابق في (ح س ب).

على الأيمان ليس لأفضليته المطلقة ولكن للاهتمام به والحض عليه في بدء الدعوة الإسلامية وفى كل عصر تتعرض فيه الأمة للأخطار من أعدائها، والمتربصين بها فالجهاد لا يقبل ولا تكون له عزة إلا في ظل الإيمان الذي تتسع دائرته لتشمل الصالح من كل الأعمال والحوار في الحديث الشريف بين رسول الله وهذا السائل يعد خير وسيلة للإقناع ولتوصيل المعرفة والترغيب في الجهاد ولبيان أهمية الدين، وتكرار الاستفهام في سؤال السائل: أرأيت إن قتلت " أتكفر عن خطاياي؟ يرشد إلى لهفة السائل لمعرفة الحقيقة ولرغبته في المغفرة ورغبته كذلك في الجهاد، وإجابة رسول الله تتضمن نوعين من البلاغة الأسلوبية: أسلوب الشرط وبلاغة الحذف فالشرط يفيد أن الجزاء من جنس العمل فالأمر ليس إهلاكاً للنفس، ولكن لا بد أن يكون القتل في سبيل الله وفيه صبر واحتساب، وأن يموت الشهيد مقبلاً غير مدبر والموقع اللغوي للجملة التي تتضمن هذه الصفات تصور حال حركة الشهيد ساعة القتال فهي جمله حالية وأنت صابر تحتسب مقبل غير مدير وصيغة اسم الفاعل في هذه الخصال الأربع تعلن عن صدق النية وقوة العزيمة لدى الشهيد وكأنة هو الذي يصنع الصبر والثبات والاحتساب بمضاء عزيمته وصدق نيته وهو يواجه الأعداء وينأى عن الفرار والتولي يوم الزحف ومراجعة رسول الله لهذا السائل وتكرار السؤال لتوضيح أهمية الدين والترغيب في أدائه على خير وجه – وقال صاحب دليل الفالحين نقلاً عن العاقولي " استعاد منه سؤاله لبعيد جوابه مقيداً بما يأتي مبالغة في عظم أمر الدين لأنه لما علم بأجر الشهيد مجرداً عن الدين إطمأنت نفسه وانشرح صدره وفرح بذلك غاية الفرح فلما أورد عليه حكم الدين وأنه مستثنى كان كالانباه بعد الرقدة والإزعاج بعد الغفلة وهو أبلغ من الإعلام أولاً. والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٢١٧.

الحديث رقم (١٣١٦)

١٣١٦ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ[1]: أَيْنَ أَنَا يَا رسول الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: ((في الجَنَّةِ)) فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الحواري بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة لم يتحدد زمانه ولم يتحدد مكانه واسم الرجل لم يهتم به الراوي الأعلى. . لأن الغاية هنا ليست حكاية أو قصة لها أحداثها ووقائعها ولكن الغاية من هذا الحديث التنويه بفضل الاستشهاد وبيان حرص الصحابة على القتال في سبيل الله والظفر بإحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة، ولذلك نرى الاستفهام الحقيقي في بداية الحديث. . يعلن عن صدق السائل في شوقه للجهاد والاستشهاد في سبيل الله وتخصيص السائل بضمير الرفع المنفصل " أنا" يؤكد صدق هذا السائل فهو لا يسأل للمعرفة فقط ولكن للإقدام والتنفيذ وقد استجاب ونفذ شوقاً للجنة، وبلاغة الإيجاز في هذا الحديث تتجلى في حذف جواب الشرط في قوله: " إن قتلت " والتقدير فأين أنا ؟ وهذا الحذف في حكم المذكور لأنه جواب الشرط وقد حذف لدلاله ما قبلة عليه وكأنه كرر السؤال مرتين إحداهما بالإظهار. . والأخرى بالإضمار وإجابة رسول الله ﷺ وسلم تتضمن إيجازاً حيث اقتصر على قوله: في الجنة – والتقدير: أنت إن قتلت – تدخل الجنة ولأن السائل مشتاق إلى معرفة مصيره ومشوق للجهاد فقد بشرة رسول الله بما يدفعه إلى الإقدام والإسراع

---

(١) هو: عُمير بن الحُمام الأنصاري. تنبيه المعلم (٧٨٧).

(٢) برقم (١٨٩٩/١٤٣)، وتقدم برقم (٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٥٨) من رواية أنس بنحوه أخرجها الحاكم (٢/٩٣).

إلى القتال فقال "في الجنة"، والعطف بالفاء في قوله "فألقى: يجعل من الفعل مصور الحركة الرجل وسر استجابته لهذه البشرى والعطف بثم في قوله: ثم قاتل يرشد إلى كثرة القتال... واتساع المساحة الزمنية لذلك والتعبير، بـ"حتى" وهى للغاية ينبيء عن ذلك ويفيد بأن الرجل استمر يقاتل حتى نال شرف الشهادة وقتل في سبيل الله وهذا أعظم ما يناله المسلم من تكريم وثواب مضاعف فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكرمه وعفوه وهو أرحم الراحمين

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١ - ثبوت الجنة للشهيد[١].

٢ - المبادرة بالخير، وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس[٢].

٣ - جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٤٤/١٣.

(٢) المرجع السابق ٤٤/١٣.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ١٨٣/٢، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان الباجي ٢١٤/٣، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٢٨٣/٢، أحكام القرآن، الجصاص ٣٦٠/١، أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٦/١، أحكام القرآن للقرطبي ٨٤٦/١-٨٤٩، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٩١/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٢/٧.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة على السؤال عما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: قال رجل: (أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟ قال: في الجنة)، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال النبي ﷺ عن كل ما يشغلهم في أمر الجهاد في سبيل الله، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسله رسول الله ﷺ وأعطاه إمارة الجيش في فتح خيبر يصرخ ويقول: يَا رَسُولَ اللّهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ ﷺ: ((قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ. إِلاَّ بِحَقِّهَا. وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللّهِ))[1]، وهذا صحابي آخر عندما سمع رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالإِيمَانَ بِاللّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ))، قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟[2]، وكان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعن لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا، حتى أن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[3].

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي))[4].

فعلى المدعو أن يسأل عما يشغله من أمور دينه.

ثانيًا - من واجبات المدعو: المسارعة وعدم التردد في اغتنام الفرص:

إن الفرص ثمينة، وإن فواتها لا يعوض، وإن انتهازها لدليل الحزم، وعنوان العقل والجد. "ومهما حفظ الإنسان من الحكم، وكانت رغباته صالحة، فلن تتحسن أخلاقه وتقوى إلا إذا انتهز كل فرصة تسنح له"[5]، قال البارودي:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٤٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٣) من أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

(٥) الأخلاق والسير، لابن حزم ص ٣٨.

بـــادر الفرصـــة واحـــذر فوتهـــا فبلـــوغ العـــز في نيـــل الفـــرص
فابتـــدر مـــسعاك واعلـــم أن مـــن بـــادر الـــصيد مـــع الفجـــر قـــنص [1][2]

فينبغي على المسلم أن يبادر إلى اغتنام الفرص، يظهر ذلك في قول عمير بن الحمام رضي الله عنه: (فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل).

قال النووي: "وفيه المبادرة بالخير وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس"[3].

إن المنهج الإسلامي يوجه الإنسان الوجهة الصحيحة السليمة، وذلك بحثه على فعل الخير والمسابقة إليه باستمرار دون أن يكون هناك تباطؤ أو كسل، نرى ذلك من خلال دعوة الله المتكررة إلى فعل الخير، والتي من خلالها يتبين لنا أهميتها بالنسبة للإنسان. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

وقد جعل الله المبادرة إلى فعل الخير أحد العناصر الرئيسة للفوز برضاه والفلاح في الدنيا والآخرة حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

وقد جعل الله لنا نماذج هم خير قدوة لنا في حياتنا نقتبس منهم، وهؤلاء هم أنبياؤه ورسله عليهم السلام، فقد أوحى الله إليهم فعل الخيرات فامتثلوا لذلك. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[6].

---

(١) ديوان البارودي قافية الصاد. البحر: رمل تام ص ٢٩٣.
(٢) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ٢٤١.
(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٧.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٤٨.
(٥) سورة الحج، آية: ٧٧.
(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

ومن طرق الإسلام في الحث على المبادرة لفعل الخير أنه أثنى على الذين سارعوا إلى فعل الخير وكانوا حريصين على القيام به، ليكون ذلك حافزًا قويًا لمن يأتي بعدهم فيقتدي بهم[١]. قال عز وجل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٢].

وغاية المنهج الإسلامي - مما سبق - هو: تكوين الإنسان المسلم الحق من خلال إيداع طبيعته الإنسانية كل ذخائر الإسلام الجليلة وبذور الخير، وذلك ليتسنى للإنسان قهر نوازع الشر دون أن يكون هناك كبت لغرائزه ونشاطه الجسمي. فالإسلام يصادم الشر لكي تتجه قوى الإنسان إلى الخير والبناء.

فالشخصية الإسلامية لتيقنها أن الدنيا دار سعي وعمل، ومدتها محدودة قليلة، والآخرة دار حساب وجزاء وهي حياة أبدية؛ فإنا نجدها تسارع في هذه الدنيا إلى كل عمل طيب سباقة إلى كل فعل خير، وما ذاك إلا ليكون لها زادًا تتزود به يوم القيامة وتحصل به على الثواب العظيم من الله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣].

ونجده سبحانه في آية أخرى يذكر سمات الشخصية الإسلامية التي منها المبادرة لفعل الخير وما تتميز به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[٤].

وقد ثبت في الإسلام أصل طلب المسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها[٥]، فالله

---

(١) إسلامنا، الشيخ السيد سابق ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) سورة الأنبياء آية: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ - ٦١.

(٥) انظر: الموافقات، للشاطبي ١٥٣/١.

سبحانه وتعالى ندب الإنسان إلى المسارعة في فعل الخيرات والمبادرة إليها حيث قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1]. وهي: طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخًا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن، الذي هو آخر كتاب أنزله[2].

وقد نبه الرسول ﷺ على أنه يحصل في هذه الدنيا فتن شاغلة وكثيرة، فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية أن يبادر إلى الأعمال الصالحة النافعة التي أمر بها الدين الإسلامي، من عبادة لله عز وجل وجهاد في سبيله، أي أنه يلتزم المنهج الإسلامي بكامله قبل حصول الفتن وكثرة المشاغل التي تصرفه عن الالتزام بهذا المنهج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا))[3].

فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تأصيل هذه الخصلة في نفوس المسلمين وجعلها سمة يتسابقون إلى التحلي بها والتنافس فيها.

والشخصية الإسلامية في مبادرتها لفعل الخير وتنافسها فيه؛ لا بد أن تلتزم بشرط ضروري يتعلق بقبول العمل عند الله سبحانه وتعالى وذلك بأن تكون عند مبادرتها لفعل الخير نظرها متجه إلى الله وحده لا إلى الناس؛ لأن من لم تكن هذه نيته يكون قد دخل في باب الرياء وهو كما سمي الشرك الخفي، فالشخصية الإسلامية عندما تبادر إلى فعل خير فإن نهاية قصدها هو نيل القرب من خالقها والوصول إلى أعظم الدرجات عنده[4].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن سأله: أين أنا يا رسول الله إن قتلت؟

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٣٠.

(٣) أخرجه مسلم ١١٨.

(٤) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي ص ٣٦١ - ٣٦٤.

فقال: (في الجنة).

حيث رغّبه في الشهادة في سبيل الله وبيّن له أن جزاء ذلك الجنة، وقد كان من هديه ﷺ أن يرغب الصحابة رضي الله عنهم في الشهادة، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُغْزَوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ))[1].

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يشوق بها المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق، ونيل رضاء الله في الآخرة والفوز فيها بالجنة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦، ٣١٣٢، ومسلم ١٨٧٦.

الحديث رقم (١٣١٧)

١٣١٧- وعن أنس رضي الله عنه ، قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أكُونَ أنَا دُونَهُ**)). فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ**)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الحُمَامِ الأنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رسولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّماوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: ((**نَعَمْ**)) قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟**)) قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ إلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: ((**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[٢].

لا يقدمن أحد منكم إلى شيء: أي قدامه متقدمًا في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها[٣].

دونه: أقرب منه إليه[٤].

بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير[٥].

---

(١) برقم (١٩٠١/١٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧٣).

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤١٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

قرنه: القَرَن: جعبة من جلد تُشقُّ ويُجعل فيها النبل[1].

الشرح الأدبي

ما أجل الوقائع الماجدة التي تحفل بها السيرة النبوية العطرة وهذا الحديث من المشاهد المضيئة بأشعة البطولة وتوهجات الصدق والفداء في معركة بدر الكبرى وكل مسلم في هذه المعركة كان قلبه ينبض بالكلمات التي أطلقها رسول الله ﷺ وهو يبشر أصحابه بالجنة والنصر حيث قال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة "وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجدها تموج بالظواهر الفنية والأسلوبية الآتية: الحوار بين رسول الله ﷺ وأصحابه يرسى قاعدة المشورة في الإسلام حتى في اللحظات الحرجة الخطرة ومنها التحفز والاستعداد للقتال ومواجهه الأعداء، ثم الجملة الخبرية في بداية الحديث وما بعدها: تفيد الإخبار بوقائع حقيقية ولها أثرها في إرساء قواعد الدعوة ومشروعية القتال والترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام، ثم التأكيد في قول رسول الله صلى الله علية وسلم: " لا يقدمن أحد منكم إلي شيء. .. الخ " يوضح موقف رسول الله وثباته في إقدامه وشجاعته والمراد. . النهى عن الاستبداد في شيء من ذلك دون أمره وإشارته، كما أن التعبير بقوله: انطلق رسول الله، وقوله: حتى سبقوا. . يجسد حركة المسلمين وقوتهم في التوجه إلى ميدان المعركة ولم يقل ذهب ولم يقل وصلوا لأن المراد رصد ما عليه المسلمون من قوة الإرادة وصدق العزيمة فجاءت الألفاظ مصورة لإيقاع الحركة المادية والمعنوية، والعطف بالفاء في قوله: فدنا المشركون، فقال رسول الله: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض – يوحى بسرعة التحركات بين الجانبين – المسلمين والمشركين – طمعاً في الفوز والغلبة، وفي قوله: فقوموا إلى جنه. . يفيد المسارعة ووصف الجنة بالعرض من باب المبالغة والترغيب وليدل على أن الطول أعظم وأعظم، وتكرار – جنه عرضها السماوات والأرض على لسان –

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ن).

عمير بن الحمام الأنصارى – يفيد التلذذ بذكر هذا النعيم والتثبت من ذلك والحرص على الفوز بالجنة بعد الشهادة، وقوله " بخ بخ " تعبير صوتى عن المراد وهذا مما تمتاز به اللغة العربية فهي كما قال ابن جني – أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " وكلمة: بخ " تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير، ولنتأمل السر الذي يكمن في سؤال رسول الله حين قال لعمير: ما يحملك على بخ بخ ؟ إنه يريد أن يظهر مراد عمير للناس وهو أن يكون من أهل الجنة وبشره قائلاً إنك من أهلها واستشهد عمير وفاز بالجنة وهذا كما يقول العلماء من جملة معجزاته صلى الله علية وسلم: لأنه أخبر عن أمر مغيب قبل كونه بأنه يكون فكان كما أخبر ونعم المسلمون جميعاً بالنصر في غزوة بدر الكبرى بعون الله ومشيئته قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾} [الحج آية ٣٨].

فقه الحديث

قال النووي: (قوله "لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل" فيه جواز الانغمار في الكفار والتعرض للشهادة، وهو جائز بلا كراهة عند جماهير العلماء)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي ﷺ في الجهاد.

ثانيًا: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم.

رابعًا: من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل.

أولاً – من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على مرافقة النبي ﷺ في الجهاد:

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤١/١٣/٧ .

المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يُقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ... إلخ).

وهذا يدل على حرص صحابة رسول الله ﷺ على مرافقته في الجهاد وهذا من كل الصحابة رضي الله عنهم الكبير والصغير، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما يقول: ((أن رسولَ الله ﷺ عَرضَهُ يومَ أُحُدٍ وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنةً فلم يُجزني، ثم عَرضني يومَ الخَندَقِ وأنا ابنُ خمسَ عشرةَ فأجازني))[1].

قال ابن الجوزي في ترجمة سعد بن خيثمة: "يكنى أبا عبدالله، أحد نقباء الأنصار الاثنى عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولما ندب رسول الله ﷺ الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فآثرني بالخروج وأقم مع نسائك. فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما فخرج سهم سعد فخرج فقتل ببدر"[2].

وعن ثابت البناني، عن ابن أبي ليلى أن ابن أم مكتوم قال: (أَي ربِّ أنزل عذري. فأنزلت ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾[3] فكان بعدُ يغزو ويقولُ: ادفعوا إِليَّ اللواءَ، فإِني أَعمى لا أَستطيع أَن أَفِرَّ، وأَقيموني بين الصفين)[4].

ومن ترجمة واثلة بن الأسقع رضي الله عنهما: عن محمد بن سعد قال: أتى واثلة رسول الله ﷺ فصلى معه الصبح. وكان رسول الله ﷺ إذا صلى وانصرف تصفح أصحابه. فلما دنا من واثلة قال: من أنت؟ فأخبره فقال: ما جاء بك؟ قال: جئت أبايع. فقال رسول الله ﷺ: فيما أحببت وكرهت؟ قال: نعم. قال: فيما أطقت؟ قال: نعم. فأسلم وبايعه.

وكان رسول الله ﷺ يتجهز يومئذ إلى تبوك فخرج واثلة إلى أهله فلقي أباه

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٦٤، ومسلم ١٨٦٨.

(٢) صفة الصفوة ٢١١/١.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٦٤/١.

الأسقع فلما رأى حاله قال: لقد فعلتها؟ قال: نعم. قال أبوه: والله لا أكلمك أبدًا. فأتى عمه فسلم عليه فقال: قد فعلتها؟ قال: نعم. قال: فلامه أيسر من ملامة أبيه وقال: لم يكن ينبغي لك أن تسبقنا بأمر.

فسمعت أخت واثلة كلامه فخرجت إليه وسلمت عليه بتحية الإسلام. فقال واثلة: أنى لك هذا يا أخيَّة؟ قالت: سمعت كلامك وكلام عمك فأسلمت. فقال: جهزي أخاك جهاز غاز فإن رسول الله ﷺ على جناح سفر. فجهزته فلحق برسول الله ﷺ قد تحمل إلى تبوك وبقي غُبرات من الناس وهم على الشخوص فجعل ينادي بسوق بني قينقاع: من يحملني وله سهمي؟ قال: وكنت رجلاً لا رُحلة بي قال: فدعاني كعب بن عجرة فقال: أنا أحملك عقبة بالليل وعقبة بالنهار ويدك أسوة يدي وسهمك لي. قال واثلة: نعم. قال واثلة: جزاه الله خيرًا لقد كان يحملني ويزيدني وآكل معه ويرفع لي حتى إذا بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبدالملك بدومة الجندل خرج كعب في جيش خالد وخرجت معه فأصبنا فيئًا كثيرًا فقسمه خالد بيننا فأصابني ست قلائص [1] فأقبلت أسوقها حتى جئت بها خيمة كعب بن عجرة فقلت: اخرج رحمك الله فانظر إلى قلائصك فاقبضها فخرج وهو يبتسم ويقول: بارك الله لك فيها ما حملتك وأنا أريد أن آخذ منك شيئًا"[2][3].

فهذه القصص وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن الله اختار لنبيه ﷺ أفضل الخلق لصحبته وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي. ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ))[4].

ثانيًا- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا

---

(١) القلوص: هي الإبل الفتية المجتمعة الخلق، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل ص).

(٢) صفة الصفوة، ابن الجوزي ٢٩٩/١.

(٣) انظر: أين نحن من أخلاق السلف، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، بهاء الدين بن فاتح عقيل، ط٩ دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٧٣ - ٧٩.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٠٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٨٧٤)..

المشركين إلى بدر. وغزوة بدر كانت في صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من بدء الهجرة النبوية إلى المدينة[١].

وهذا التاريخ كان من أهم تواريخ الدعوة إلى الله، وحول هذه المعركة نزلت سورة الأنفال بيان إلهي عن هذه المعركة.

ولقد وجه الله تعالى أنظار المسلمين - أولاً - إلى التقصيرات والتقاريظ الأخلاقية التي كانت قد بقيت فيهم، وصدرت بعضًا منهم ليسعوا في تكميل نفوسهم وتزكيتها عن هذه التقاريظ.

وقد حملت هذه الغزوة الكثير من الدروس الدعوية التي يمكن الاستفادة منها، ومنها: الهدف النبيل الذي خاض النبي ﷺ من أجله هذه المعركة... وهو نصرة الحق ونشره والكفاح ضد الشرك وأهله.

ثم خطاب المشركين والمنافقين واليهود وأسارى المعركة ووعظهم، وتدعوهم إلى الاستسلام للحق والتقيد به.

ثم خطاب المسلمين حول الغنائم، وتقنين مبادئ وأسس هذه المسألة، ثم بيان ومشروعية قوانين الحرب والسلم للمسلمين ما كانت الحاجة تمس إليها بعد دخول الدعوة الإسلامية في هذه المرحلة، حتى تمتاز حروب المسلمين عن حروب أهل الجاهلية، ويقوم لهم التفوق الأخلاقي والقيم والمثل، ويتأكد للدنيا أن الإسلام يثقف أهله عمليًا على القيم والمبادئ التي يدعو إليها.

ثم إقرار بنود قوانين الدولة الإسلامية التي تُقَيِّم الفَرْق بين المسلمين الذين يسكنون داخل حدودها، والذين يسكنون خارجها"[٢].

إن بدر من أهم الأحداث في تاريخ الدعوة وأهم المواقع التي أيد الله فيها المسلمين

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٣٥.

(٢) انظر: الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المباركفوري ص ٢٣١.

ونصرهم وهم قلة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب والتفخيم:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث استخدم أسلوب الأمر بقوله ﷺ (قوموا)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يحث بها الداعية المدعوين إلى امتثال دعوته لأنه يأمر بما أمر به دين الإسلام من حقائق، ويظهر الترغيب في قوله ﷺ: (جنة عرضها السماوات والأرض)، حيث رغّب في الشهادة بدخول جنة عرضها السماوات والأرض، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية التي يقصد بها تشويق المدعو إلى الاستجابة للدعوة وقبولها. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

ويظهر أسلوب التفخيم في قول عمير بن الحمام رضي الله عنه: (بَخٍ بَخٍ)، قال النووي: "كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير"[3]، وذلك أنه ﷺ لما قال: (قوموا إلى جنة)، أي: سارعوا إليها وابذلوا مهجكم وأرواحكم في سبيل الله، ولا تقاعسوا عنها. عظم عمير ذلك وفخمه بقوله: (بخ بخ) فقال ﷺ: (ما حملك على هذا التعظيم؟ أخوفًا قلت هذا؟ فقال: لا، بل رجاء)، والفاء في قوله: (فإنك) جزاء شرط، أي: إذا كان الأمر على ما قلت؛ فإن الله تعالى يجيبك إلى ما تروحه وترجوه"[4]. وأسلوب التفخيم يقصد تعظيم الأمر والرغبة فيه.

رابعًا - من آداب الداعية: الاستفسار عن كلام المدعو وتبشيره بالخير:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قول: بخ بخ؟)، وقوله ﷺ: (فإنك من أهلها).

---

(١) سورة الأنفال آية: ٢٦.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/ ٢٨٠.

واستفسار الداعية عن كلام المدعو حتى يعلم حقيق قوله وما يقصد به، وقد كان رسول الله ﷺ يسأل ويستفسر عن أفعال أصحابه وأقوالهم حتى يعلم حقيقتها ويوضح لهم الحقيقة، ويبشرهم بالخير، ومن ذلك ما ورد عن أبي قتادة عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ لَهُمْ: ((أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالإِيمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ)) فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ)) ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((كَيْفَ قُلْتَ؟)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ. وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. إِلاَّ الدَّيْنَ. فَإِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، قَالَ لِي ذَلِكَ))[1].

من ذلك أيضًا ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ. فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُمْ: ((إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ)) قَالُوا: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: ((يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ))، فَقَالُوا: مَا كَانَ يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا[2].

ويظهر تبشيره ﷺ في قوله: (فإنك من أهلها)، فبشره بالجنة، وكان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بالجنة وكل خير ويأمر أصحابه أن يبشروا ولا ينفروا، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))[3].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: فضل الإخلاص في العمل:

إن الجهاد في سبيل الله وثيق الصلة بالإيمان بالله تعالى، ولا بد أن ينقى من جميع الشوائب وأن يخلص من جميع العوائق وأن يتجرد فيه حظوظ النفوس والأهواء، وإلا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٦٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

فهي الخسارة يوم الدين لكل من لم يخلص عبادته لله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1]، وقد وردت الإشارة إلى فضل الإخلاص في العمل في هذا الحديث حيث إن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كانوا مخلصين في جهادهم، ويتجلى هذا الإخلاص في قصة عُمير بن الحمام رضي الله عنه ورجاءه أن يكون من أهل الجنة. وإلقاؤه ما معه من تمر وقتاله حتى قُتل، وكان وعده رسول الله ﷺ بأنه من أهل الجنة، وذلك بفضل الإخلاص، والإخلاص أمر في أعماق القلب، لا يطلع عليه أحد إلا الله تبارك وتعالى، والإخلاص من صفات المسلمين، قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[2].

وقال ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[3].

ولو تحقق الإخلاص في واقع المسلمين لما كان هذا الشتات وتلك الفرقة بين أبناء الإسلام[4].

---

(١) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٤) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٣٦.

الحديث رقم (١٣١٨)

١٣١٨- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ[1]، فَعَرَضُوا لَهُمْ فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أهل الصفة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، إبَّان العصر النبوي بعد الهجرة يأوى إليه فقراء المهاجرين ينامون فيه[3].

فعرضوا لهم: اعترضوا طريقهم[4].

أنفذه: أخرجه من الجهة الأخرى[5].

الشرح الأدبي

إن الحديث كما يقول أبو البقاء: اسم من التحديث وهو – الإخبار – ثم سمي به

---

(١) عند مسلم زيادة: (إليهم).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٩٠، ٤٠٩١)، ومسلم (٦٧٧/٢٩٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٣).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٣٧، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٨.

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٦٠٥.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف ذ).

قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي ﷺ وكيفما نقلت مادة الحديث اللغوية نجد معنى الإخبار واضحاً فيها ويقول ابن حجر في شرح البخاري: المراد الحديث في عرف الشرع ما أضيف إلى النبي ﷺ وكأنة أريد به مقابله القرآن لأنه قديم.

وحين نتأمل هذا الحديث الشريف نجده يتألق ببعض مشاهد التاريخ الإسلامي ومشاهد السيرة النبوية وهذه المشاهد ممزوجة بالقدوة الحسنة التي تشع بها ملامح هذه الشخصيات التي يروى هذا الحديث ما حدث لهم من مكر الأعداء وتربصهم بهم وهم يقابلون ذلك بالرضا والدعاء ومن أسرار الجمال الأسلوبي في هذا الحديث ومن أسرار تراكيبه وبلاغته: النزعة القصصية التي ترغب السامع وتؤثر في المتلقي طلباً للهداية وتلمساً للقدوة الصالحة والأمر في أول الحديث – أن ابعث معنا رجالاً ويحمل معنى الرجاء وليس على حقيقته للتأدب مع رسول الله ﷺ، وحذفت نون الرفع من الفعل " يعلمونا " مراعاة للغة هذا الوفد فحذف النون في مثل هذه المواضع لغة معروفه عند العرب وليست قاعدة مضطردة وقوله: الأنصار " علم بالغلبة " على أولاد الأوس والخزرج – كما يقول صاحب دليل الفالحين وسموا بذلك لأنهم نصروا الإسلام، وتقدم ما يفيد الظرفية في قوله: فيهم خالي حرام " للاهتمام. . حيث يوضح " أنس " إن ابن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام الأنصاري " خاله كان مع الوفد وليس منفصلاً عنهم، ولنتأمل سر التعبير بالمضارع في وصف هؤلاء القراء فهم " يقرءون القرآن ويتدارسونه بالليل – يتعلمون " وسر الجمال التعبيري هنا ينبع من دلاله تجدد هذا الحدث واستمراره: فهم رهبان الليل وفرسان النهار في العمل والسعي على الرزق والمقابلة بين عملهم بالليل وعملهم بالنهار توحي بأن المسلم لا ينقطع للعبادة ولا يركن إلى العزلة وإنما المسلم يقتدي بالسلف الصالح من هذه الأمة فهم بالنهار يجتلبون بالماء ويضعونه بالمسجد ويحتطبون ويبيعون ويشترون الطعام للفقراء وهذه الأعمال جاءت في صيغة المضارع للدلالة على استمراريتها وتجددها في كل يوم، وتتوالى مشاهد هذه القصة، والعطف بالفاء يصور سرعة الحركة، وسرعة توالى الأحداث حيث يقول فبعثهم النبي ﷺ فعرضوا لهم فقتلوهم. . فقالوا ،(اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا) وصيغة الدعاء الجمعي مع

التأكيد: في قولهم: اللهم بلغ نبينا. .. الخ " توحي بأنهم حريصون على إبلاغ النبي ﷺ بحقيقة الموقف وأنهم فرحون مستبشرون بالشهادة في سبيل الله.

فقه الحديث

قال النووي: (١ - قوله "وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد" معناه يضعونه في المسجد مسبلاً لمن أراد استعماله لطهارة أو شرب أو غيرهما، وفيه جواز وضعه في المسجد وقد كانوا يضعون أيضًا أعذاق التمر لمن أرادها في المسجد في زمن النبي ﷺ، ولا خلاف في جواز هذا وفضله.

٢ - قوله "يحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة" أصحاب الصفة هم الفقراء والغرباء الذين كانوا يأوون إلى مسجد النبي ﷺ وكانت لهم في آخره صفة، وهو مكان منقطع من المسجد مظلل عليه يبيتون فيه ... وفيه جواز الصفة في المسجد وجواز المبيت فيه بلا كراهة وهو مذهبنا ومذهب الجمهور)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله.

خامسًا: من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٧/١٣/٤١-٤٢ ، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٦٣٧-٦٣٨، شرح الحديثين ٤٤٠، ٤٤١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٣٨.

أولاً - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: (جاء ناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلموننا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء... الحديث).

"ولا شك أن الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة، وانشراح الصدر به خير غزير.

وأول ما يجب على أصحاب الحق - وقد عرفوه - أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء. ذاك ما يفرضه العلم على أصحابه، ألا يجعلوه عليهم حكر وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه.

فإن فتك الجهل بالناس ذريع، وغلبة الأوهام على أفكارهم تذهب بهم بددًا في كل فج، وتخيل إليهم أنهم على صواب، والواقع أنهم موغلون في الضلال والسر هو الجهل.

والعالم بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة"[1].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ فِي الْبَحْرِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ))[2]، إن هذا الظلام الحالك بالأمة، لن يزول إلا بتعليم الناس أمور دينهم، حتى يؤدوها على الوجه الذي يرضي الله تعالى، فترشيد الناس تجاه الطريق المستقيم، هو الحل الوحيد لإخراج المسلمين من هذا الليل الطويل، فمستنقع الجهل والخرافات قد ظهر ظله، وموجات الباطل والإلحاد بشتى دروبها بدأت تشتد إن لم تكن اشتدت والخلاص من هذا المعترك الرهيب، هو الأخذ بقلوب المسلمين وعقولهم وأفئدتهم وإرجاعهم إلى دينهم رجوعًا حميدًا يفك القيد، ويصيرهم من هذه التبعية الذليلة الحقيرة الذليلة، إلى سُلم الصدارة

---

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦١).

والريادة كما كانوا وطريقهم إلى ذلك هو العلم"[١].

فالتعليم من الوسائل الدعوية التي تحقق النفع والخير للعالم بأسره.

ثانيًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم والسنة النبوية :

يظهر ذلك في قول الناس الذين جاءوا إلى النبي ﷺ: "أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة"، والقرآن الكريم هو مصدر الشريعة الأول وهو كتاب الأمة الحي ورائدها الناصح، لأنه هو مدرستها التي تتلقى فيه دروس حياتها، وأن الله هو المربي، ولقد أراد الله سبحانه أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ لقيادة أجيال هذه الأمة وتربيتها وإعدادها لدور القيادة الراشدة الذي وعدها به كلما اهتدت بهديه، واستمسكت بعهدها معه، واستمدت منهج حياتها كله من هذا القرآن، واستعزت به، واستعلت على جميع المناهج الأرضية الجاهلية[٢].

فالقرآن هو كتاب الدعوة ودستورها ووسيلتها وضياؤها، الهادي إلى الحق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[٣].

والسنة النبوية مصدر من مصادر الدعوة تلي في ترتبها ومنزلتها كتاب الله عز وجل عند اجتماعهما، أما عند الانفراد فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه والمصدر الذي لا محيد عنه[٤].

وقد ثبت حجية السنة واعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع بشكل قاطع، من ذلك ما جاء صريحًا من قرن طاعة الله بطاعة رسوله ﷺ واعتبار طاعة رسول الله من طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿مَّن

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٣٣٢..

(٢) انظر: طريق الدعوة في ظلال القرآن، أحمد فائز ١١٩/١.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٢.

يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[١].

ومع هذا القدر من الاهتمام نجد الأمر صريحًا بالأخذ بما جاء به والانتهاء عما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ. وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ))[٣].

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما المصدران الأساسيان للدعوة الإسلامية يستقي منهما الداعية دعوته، ويهتدي بهما في كل عمل يأتيه.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل تعليم القرآن والسنة والسمع والطاعة لرسول الله ﷺ:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، فيهم خالي حرام، يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون.. إلخ الحديث.

وفضل تعليم القرآن والسنة عظيم وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه منها:

قوله ﷺ: ((ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهمُ السكينةُ، وغشيَتهُمُ الرحمةُ، وحفَّتهمُ الملائكةُ، وذكَرهم اللَّهُ فيمن عنده. ومَن بَطَّأ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه))[٤].

وقال ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ. وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ. يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ))[٥].

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٠.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٩٥٧، ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٥) أخرجه ابن ماجة ٢٤٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجة ١٩٨)..

وقال رسول الله ﷺ: ((خيرُكم من تعلم القرآن وعلمهُ))[١].

فالقرآن الكريم يحمل العلم الإلهي والحكمة الربانية والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال والمنعوتة بالتوفيق والهداية والمنزهة عن كل قصور ونقص، وصدق الله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢].

إذا قال القرآن فقوله الصدق الذي لا برهان بعده، وإذا حكم فحكمه العدل الذي لا صواب غيره وصدق الله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٣].

وإذا قص فقصصه الحق الهادف والعبرة المؤثرة، والموعظة الحسنة، والمثل المعبر والتوجيه الحي، وصدق الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

وإذا خاطب فخطابه ميسر وحديثه واضح ولفظه مضيء، ميسر على العقل وعلى البصيرة وعلى الفطرة وعلى العمل، فليس ضد الطبيعة، أو متنافرًا مع الفطرة، أو متعارضًا مع الحياة، بل إن كل هذه الملكات مشوقة إليه ومتعطشة وكل ما في الحياة متجاذب مع تعاليمه وأحكامه ومتناسق مع أوامره ونواهيه وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[٥][٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٢٧.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٥.

(٤) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٥) سورة القمر، آية: ١٧.

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ١١٥ - ١١٦.

والسنة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن الكريم وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع وعلل النفوس ومشكلات الحياة وضروب الإصلاح وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم.

كما أنها ينبوع من ينابيع الخُلُق والمثل ومكارم الأخلاق التي تتزود منها الإنسانية طول فترة بقائها على وجه هذه المعمورة وإلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كذلك مواقف للبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية والاحتساب في سبيل الله سبحانه ولأجل إعلاء كلمته وتبليغ رسالته.

وهي كذلك أساليب للتربية وخطوات للتوجيه وخطة لخلق الكفاءات وتنشئة الكوادر والرجال كما نرى هذا في ذلك الجيل الذي أخرجه وعلمه رسول الله ﷺ وأشاد به القرآن الكريم في غير موضع من ذلك قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1]، فتعليم القرآن والسنة فضلهما عظيم ونفعهما كبير لعامة المسلمين[2].

ويظهر السمع والطاعة لرسول الله ﷺ في ذهاب من بعثهم ﷺ لتعليم من طلبوا منه ذلك؛ وذلك لحرصهم على الاستجابة لأمره وطاعته ولأنهم مأمورون بذلك من الله، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾[3]. وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكريم الله تعالى للعلماء المخلصين الذين يقتلون في سبيله:

يظهر ذلك في قول رسول ﷺ: (إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا إنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا).

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

قال النووي: "فيه فضيلة للشهداء وثبوت الرضا منهم ولهم وهو موافق لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[1]، قال العلماء: رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما أكرمهم به وأعطاهم إياه من الخيرات والرضا من الله تعالى إفاضة الخير والإحسان والرحمة فيكون من صفات الأفعال وهو أيضًا بمعنى إرادته فيكون من صفات الذات"[2]، ومن إكرام القتلى من العلماء ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه جمع بينَ الرجُلينِ من قَتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ ثم يقول: ((أيُّهما أكثرُ أخذًا للقرآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدِهما قَدَّمَهُ في اللّحد وقال: أنا شهيدٌ على هؤلاءِ يومَ القيامةِ))[3].

خامسًا - من واجبات الداعية: السعي في تعليم الناس والصبر على المتاعب والأذى في سبيل الدعوة إلى الله:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء، فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفة، وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان.

إن المؤمن لا يعيش في هذه الحياة وحده، بل يشاركه فيها أفراد آخرون، ويجب على الداعية أن يحرص على هداية الناس، ودعوتهم للإيمان، ويعرف أنهم تتنازعهم الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

فعلى الداعية أن يستصحب في دعوته الصبر وأن يتحمل ما يناله من أذى وقت البلاغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٢٢..

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٤٣، ١٣٤٧.

(٤) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٦) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

وإزاء هذا الوضع المتردي تفرض تعاليم الإسلام على المنتمين إليها ضرورة القيام بواجب دعوة الآخرين إلى الله، لتخليصهم من ربقة الجهل والكفر، ونقلهم إلى نور العلم والإيمان، وفي هذا يقول عز من قائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وتتبوأ هذه الصفة في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجد، وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية[2]. فينبغي على الداعية أن يحرص على تعليم الناس وأن يصبر على أذاهم.

ولقد أوذي النبي الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أشد الأذى في سبيل الدعوة إلى الله ونصرة دين الله، وامتحنوا بأبلغ المحن فثبتوا في وجه الفتن ثبوت الجبال الشم الرواسي بفضل الله عليهم ثم بقوة إيمانهم العميق وصدق عزيمتهم وثقتهم بالله القائل وقوله الحق، ووعده الصدق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[3].

وتاريخ الدعوة المحمدية حافل بالدعاة الذين تحملوا الأذى وأنواع العذاب والألم في سبيل دعوتهم[4].

ومن أروع الأمثلة على ذلك في حياة السلف حينما اشتد الوطيس يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ((... قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ)) قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: بَخٍ بَخٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قَالَ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلاَّ رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: ((فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا)) فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ. فَجَعَلَ يَأْكُلُ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

(٤) انظر: المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم ﷺ، زيد بن محمد هادي مدخلي ص ١٩ - ٢٠.

مِنْهُنَّ. ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَـٰذِهِ، إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ. ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ[1].

فهذا شاهد في سيرة سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لتزرع الهمة في نفس الداعية وتجعله يضحي بأغلى ما يملك، ولا يبخل على دعوته في سبيل تقديم خطوة نافعة في استصلاح الآخرين[2].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٠١.

(٢) انظر: صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٣ - ٦٤.

الحديث رقم (١٣١٩)

١٣١٩ -عن أنس ﷺ، قَالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ ﷺ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أصنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي اعتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاء - يعني: أصْحَابَهُ - وَأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ - يَعنِي: المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاستَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعْدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ ريحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ! فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ اللهِ مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضعًا[1] وَثَمَانِينَ: ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أحَدٌ إلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.

قَالَ أنسٌ: كُنَّا نَرَى - أَوْ نَظُنُّ - أنَّ هذِهِ الآية نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾[الأحزاب: ٢٣] إلَى آخرها. متفقٌ عَلَيْهِ[2]، وَقَدْ سبق في باب المجاهدة.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مثّل به المشركون: شوّهوا جُثته بعد قتله؛ بأن جدعوا أنفه أو أذنه أو مذاكيره أو شيئًا من أطرافه[3].

بنانُه: أطراف أصابعه، واحدها بنانة[4].

---

(١) بفتح الباء، وكسرها أفصحُ، وهو: ما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: ما بين الواحد إلى أربعة، وقيل: من أربعة إلى تسعة، وقيل: هو سبعة. الترغيب (٢/٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٥) واللفظ له، ومسلم (١٩٠٣/١٤٨)، وتقدم برقم (١٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٢٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

(٤) المرجع السابق في (ب ن ن).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثالث الذي يروى: انس بن مالك " في باب فضل الجهاد " وهو حديث أشبة بالوثيقة والمذكرات لأنه يتحدث فيه عن عمه. . انس بن النضر ويحكى قصة اعتذاره عن عدم المشاركة في غزوة بدر الكبرى ولذلك يبدأ الحديث بالجملة الخبرية: غاب عمى أنس عن قتال بدر " بصيغة الغائب " ثم يغير الأسلوب فيأتي بصيغة المتكلم على لسان " أنس " حيث يقر بهذا الغياب ممتزجاً بالنداء الموحى بطلب العفو. . والمقرون بالعزم على المشاركة في أول لقاء ومواجهة مع المشركين وأسلوب الشرط يغلف هذا القرار وذلك الوعد بالالتزام بما قال، وأسلوب الشرط مصدر باللام المؤذنة بالقسم " لئن أشهدني الله فقال المشركين ليرين الله ما أصنع " وهذا القسم لتأكيد الفعل الذي عزم علية " أنس بن النضر " وما أسمى هذا الإحساس وما أجمل هذا التأدب في هذا المقام حيث قال مؤكداً في جواب القسم والشرط: ليرين الله ما أصنع، ولم يقل: لأرين الله ما أصنع " وإنما الله هو الذي يعلم، ويرى، وكأنه يشهد الله على صدق نيته ومضاء عزيمته وصيغة الدعاء التي قدمها في سياق إنفاذ وعده وتحقيق أمنيته تعلن عن صدقه وعن من مخالفة المسلمين " الرماة " لأوامر رسول الله وعن رفضه لما صنع المشركون من إيذاء المسلمين وساق هذا الموقف مصدراً بالتأكيد والدعاء (اللهم إنى) ولنتأمل دقة التعبير واختيار المادة اللغوية المناسبة للسياق والمشعة بالدلالة المتسقة مع الشعور والموقف حيث عبر بقوله " إني اعتذر " في مقام حديثة عن أصحاب رسول الله الذين خالفوا أوامره وتركوا مواقعهم وعبر بقوله " إني أبرأ إليك " في سياق حديثة عن صنع المشركين وعذرهم وإيذائهم لرسول الله ﷺ وأصحابه والنداء في قوله: يا سعد بن معاذ يوحى بخطورة الأمر وشدته ولم يقل سأقاتل ولكن قال وهو يتطلع للشهادة ويرغب في تحقيق ما وعد به رسول الله من قبل حيث قال: ليرين الله ما أصنع والآن حانت الفرصة ولذلك قال: (الجنة ورب النضر إني أجد ريحها) من دون أحد وصياغة الجملة تمثل البداية والنهاية: فالجنة: المبتدأ والخبر: إني أجد ريحها والتركيز في الخبر يرشد إلى يقين أنس من الشهادة وتثبته من ذلك وقوله ورب النصر قسم معترض بين

ركني الجملة ومجيئه في هذا السياق يؤكد صدق النية وقوة الإرادة، والعزم على الشهادة وتحقق له ما أراد ويروى ابن هشام في السيرة النبوية عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا يا أنس بن النضر يومئذ "أى يوم أحد" سبعين ضربة فما عرفه إلا أخته عرفته ببنانه والعطف بأو في قوله أو طعنه برمح أو رمية بسهم: ليس للاختيار أو لمطلق الجمع وإنما للتقسيم، والتنويع فهو تلقى صابراً محتسباً ضربات السيف وطعنات الرماح ورمى السهام وتحققت أمنية هذا الشهيد الفارس وحقاً كان صادقاً حينما قال " لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع " والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ١٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٠)

١٣٢٠- وعن سَمُرَة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أحْسَنُ وَأَفضَلُ، لَمْ أَرَ قَطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، قالا: أمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ)). رواه البخاريُّ[1]، وَهُوَ بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع العلم سيأتي في باب تحريم الكذب[2] إنْ شاء الله تَعَالَى.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

الشَّجرة: معراج الصعود[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث جزء من حديث مطول " صيغ في قالب رمزي. . من خلال رؤيا رآها رسول الله ﷺ ورؤيا الأنبياء حق، والحديث يصاغ في جمل " خبرية " وتسيطر على الأفعال صيغة الماضي إيحاء بأن هذه الأخبار وقعت وهى صادقة لا مجال فيها للشك لأنها صادرة من الصادق الأمين محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ. . والرجلان في هذا الحديث هما جبريل وميكائيل وجاءوا على صورتهما والحديث رقم (١٥٥٤) فيه تصريح بأسمائهم. . حيث قال في نهاية الحديث الذي يتفق مع الحديث الذي نحن بصداه وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل والشجرة رمز للنعيم الذي ينتظر الشهداء في الجنة وهى الدوحة التي وردت في الحديث المطول والدوحة في اللغة: الشجرة الكبيرة ولم يحدد نوع الشجرة ولا اسمها ولا ثمرها ليعطى لكل مسلم مساحة كبيرة من التصور والشوق لهذا النعيم المقيم الذي ينتظر الشهداء.

---

(١) برقم (٢٧٩١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٤٨) مطولًا. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٠).

(٢) برقم (١٥٤٨).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٣٧٥/٨.

وقوله: فصعدا أي يرمز إلى علو المكانة ومضاعفة الثواب الذي يمنحه الله للشهداء في الجنة وبلاغة الحذف تتجلى في هذا الحديث حيث حذف المفضل علية بعد أفعل التفضيل في قوله أحسن وأفضل للإيحاء بتفخيم الدار وشرفها ولفضل نعيمها فهي أحسن من كل دار وأفضل من كل مكان ولذلك جاءت الجملة التالية مبنية وموضحة لهذا التميز في الحسن والفضل، حيث قال رسول الله ﷺ: لم أر قط أحسن منها وقوله " قط " يفيد تأكيد هذه الأفضلية المطلقة وأما للتفصيل وقد أتى بها للاهتمام بما بعدها واسم الإشارة (هذه) يدل على التعظيم والدار بدل أو عطف بيان وتخصيصها بدار الشهداء فيه بيان لفضل الشهيد والنعيم المقيم الذي ينتظره ولذلك أتى الإمام النووي بهذا الحديث في باب فضل الجهاد وقال وهو بعض من حديث مطول فيه أنواع من العلم، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: رؤيا النبي ﷺ حق:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، ثم لم أر قط أحسن منها... الحديث)، فقد رأى رسول الله ﷺ ذلك في المنام ورؤيا الأنبياء حق، ففي الحديث قال عمرو: ((سَمِعْتُ عُبَيْدَ بنَ عُمَيْرٍ يَقُولُ : رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ حق))[1]، وقال رسول الله ﷺ: ((رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[2].

قال النووي: " قال الخطابي: هذا الحديث توكيد لأمر الرؤيا وتحقيق منزلتها

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨، ٨٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٣.

وقال: وإنما كانت جزءًا من أجزاء النبوة في حق الأنبياء دون غيرهم، وكان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى إليهم في منامهم كما يوحى إليهم في اليقظة. قال الخطابي: وقال بعض العلماء: معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء باق من النبوة"[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان أوَّلُ ما بُدِىء به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصَّادِقة في النوم، فكان لا يرَى رُؤْيا إلا جاءَت مثلَ فَلِق الصبْح))[٢].

قال ابن حجر: "أي في أول المبتدآت من إيجاد الوحي الرؤيا... وقوله: (من الوحي) يعني إليه وهو إخباره عما رآه من دلائل نبوته من غير أن يوحى بذلك إليه"[٣].

وقد رأى ﷺ في حياته كثيرًا من الرؤى المنامية التي جعلها الله حقًا، وتحققت كما رآها ﷺ منها: رؤيا الهجرة إلى المدينة المنورة، عن أبي موسى رضي الله عنه - أُراه - عن النبي ﷺ قال: ((رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخلٌ، فذهبَ وَهلي إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرٌ، فإذا هيَ المدينةُ يَثرب))[٤].

كذلك رؤياه ﷺ فتح مكة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٥].

قال القرطبي: "قال قتادة: كان رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة؛ فلما صالح قريشًا بالحديبية ارتاب المنافقون، حتى قال رسول الله ﷺ إنه يدخل مكة، فأنزل الله تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق)، فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام، وأن رؤياه ﷺ حق، وقيل: إن أبا بكر هو الذي قال: إن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٤٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٥٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٨٧/٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٣٥، ومسلم ٢٢٧٢.

(٥) سورة الفتح، آية: ٢٧.

المنام لم يكن مؤقتًا بوقت، وأنه سيدخل، وروي أن الرؤيا كانت بالحديبية ورؤيا الأنبياء حق، والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (رأيت الليلة رجلين أتياني، فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها، قالا: أما هذه الدار فدار الشهداء.

وهذا يدل على فضل ومنزلة الشهداء عند الله تعالى، وهي منزلة عظيمة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

ومما يدل على منزلة وفضل الشهداء عند الله أنهم يريدون أن يرجعوا إلى الدنيا فيقتلوا لما رأوا منزلتهم عن الله وإكرامه لهم على شهادتهم في سبيله، قال رسول الله ﷺ: ((ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ، يُحبُّ أن يَرجعَ إلى الدُّنيا، وله ما على الأرضِ مِن شيء إلا الشهيدُ، يتمنَّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتَلَ عشرَ مرات، لما يَرى منَ الكرامةِ))[٣].

والشهادة والجراح في سبيل الله لها فضل عظيم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يُكلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله -والله أعلمُ بمن يُكلَمُ في سبيلِهِ- إلا جاءَ يومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[٤].

فهذا شرف لأهل الشهادة ما بعده شرف، وليس أدل على ذلك من أنه - صاحب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨٨/١٦/٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩ - ١٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٧، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٥٣٣.

الجرح والشهيد "ريحه كريح المسك ولونه لون الزعفران[١].

قال ابن القيم: (إن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصِّدِّيقيَّة إلا الشهادة، وهو سبحانه يُحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث رغّب في الشهادة في سبيل الله وبيّن أن الله أعدّ لهم دارًا أحسن ما يكون وهذا عند الله عز وجل.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي يقصد به تشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣]، والحرص على طلبه ونوله.

وهذه صورة من كلام النبوة مما أخرجه البخاري ومسلم قال ﷺ: ((تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيق بِرُسُلِي. فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ وَرِيحُهُ مِسْكٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَبَدًا. وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))[٤].

هذه الكلمات المحمدية النبوية النورانية يجد فيها المسلم قوة هائلة تدفعه إلى أن

---

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ص ٥٠٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٢١/٣، ٢٢٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦، ٢٧٨٧، ٢٧٩٧، ٧٢٢٦، ومسلم ١٨٧٦.

يسرع لينال هذا الأجر العظيم الذي يرغب رسول الله ﷺ أن يقتل فيه مرات ومرات لما يعلمه مما أعده المولى جل وعلا للشهيد في سبيله من أجر عظيم ومقام كريم، إنها أعظم المرغبات وأقوى المشوقات بعد كلام المولى جل وعلا، الوارد في فضل الشهادة والشهداء ومنزلتهم عنده تعالى، لقد كان رسول الله ﷺ مرغبًا ولم يكن يومًا من الأيام منفرًا؛ لأنه بشير ونذير ﷺ يحب الترغيب ويؤكد عليه ويدعو أمته إليه ﷺ؛ لأنه رفق وخير وبركة[1].

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري ص ٥١٢.

الحديث رقم (١٣٢١)

١٣٢١- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ أمَّ الرُّبيعِ بنتَ البَرَاءِ وهي أُمُّ حَارِثة بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النبي ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، ألاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ[1] - فَإنْ كَانَ في الجنَّةِ صَبَرْتُ، وَإنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ، فَقَالَ: ((يَا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى)) رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

بدر: غزوة بدر هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[3].

اجتهدت عليه في البكاء: من الاجتهاد وهو بذل الوُسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد: الطاقة[4]، والمعنى أن تكثر البكاء عليه. وفي رواية عند البخاري ٦٤٦٧: "فإن كان في الجنة لم أبك عليه".

الفردوس: قال ﷺ: ((إذا سألتمُ اللهَ فاسألوهُ الفِردَوسَ فإنهُ أوْسَطُ الجنة وأعلى الجنة، وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنهُ تَفَجَّر أنهارُ الجنة))[5].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذه المحاورة بين رسول الله وأم حارثة هذه الأم الثكلى التي قتل ابنها يوم بدر وكان من أوائل الشهداء في هذه الغزوة وهذه المحاورة تتكون في مبناها اللغوي من سؤال وجواب والسؤال نابع من قلب أم حارثة حيث توجه للنبي ﷺ استفسارا في صيغة

---

(١) عند البخاري زيادة: (أصابه سهمٌ غربٌ)، ولم يوردها المنذري، فتبعه المؤلف عليها.

(٢) برقم (٢٨٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٦٠).

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٧٥.

(٥) أخرجه البخاري ٧٤٢٣.

النداء والاستعطاف (يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة)، والحديث هنا ليس إخباراً عنه وعن أحواله وإنما تريد أن تطمئن على فوزه بمرتبة الشهادة ودخوله الجنة ولم تقل أخبرني وقالت ألا تحدثني لكي يطمئن قلبها على ابنها الذي قتل يوم بدر وهو يشرب من الحوض حيث قتله أحد بنى عدى بن النجار كما يروى ابن هشام في السيرة النبوية، والحديث فيه أُنس واستبشار وسؤالها صيغ في قالب الشرط والجزاء " فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء " فجواب الشرط في الجملة الأولى هو الصبر والاحتساب والفرح والبشرى لأن هذا الجواب ثمرة جزاء لفعل الشرط وهو الفوز بالجنة والتعبير بقولها " كان " يوحى بأنها تقر بموته ولكنها تريد أن تطمئن عليه. أما الجملة التالية فهي شرطية أيضاً وفعل الشرط غير محدد حيث قالت وإن كان غير ذلك لأنها لم ترد أن تصرح بما يأباه قلبها وبما يتصادم مع رجائها وبما لا تحبه من مصير لابنها ولذلك لم تقل وإن كان في النار وجواب الشرط يعلن عن فزعها من هذا المصير الذي لا ترجوه لابنها والبكاء ليس على فراقه ولكن خوفا من المصير المظلم حيث النار وبئس القرار، وتأتى إجابة رسول الله مغلفة بالبشرى والاطمئنان وصيغة النداء تتصدر هذه البشارة ويناديها بالكنية المحببة إليها فيقول: يا أم حارثة وفى هذه الكنية تقدير لحارثة وتمهيد للبشرى وإعلان عن فوز حارثة بالجنة ويتكرر التأكيد مرتين في إجابة رسول الله. . لمزيد من الاطمئنان حيث قال: إنها جنان في الجنة ثم يؤكد مرة ثانية ويقول وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والتعبير بقوله: ابنك بدلاً من حارثة للإشعار بعاطفة الأمومة، وللإيحاء بأن هذا الابن مفخرة لأمه ويحق لها أن تزهو وتفاخر بابنها الشهيد الذي أصاب الفردوس الأعلى.

فقه الحديث

قال ابن حجر: (قوله: "اجتهدت عليه في البكاء، قال الخطابي: أقرّها النبي ﷺ على هذا فيؤخذ منه الجواز، قلت [القائل ابن حجر]: كان ذلك قبل تحريم النوح فلا دلالة فيه، فإن تحريمه كان عقب غزوة أحد. وهذه القصة كانت عقب غزوة بدر)[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٢٧.

ولم يرد في النص الإعلام بالنواح بل بالبكاء وهو مأذون به شرعًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر.

ثانيًا: من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص أم حارثة بن سراقة رضي الله عنها على سؤال النبي ﷺ عن مصير ابنها حارثة رضي الله عنه الذي قتل في غزوة بدر:

إن سؤال الأم عن ابنها جياش فياض بالمشاعر في أي حال فكيف إذا كان ابنها قتل برفقة ذلك المسؤول؟ ومع هذا كله كان خطاب أم الشهيد حارثة يفيض بالثبات والصبر والحلم والأناة، خطاب ليس فيه تبرم ولا جزع ولا هلع من هول المصيبة ومن جراء الواقعة المؤلمة الموجعة لقلبها، وليس فيه تكسر أو تملق أو تمدح أو مدخل للنفس والشيطان، والشاهد على ذلك: "فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة - وكان قتل يوم بدر - فإن كان في الجنة صبرت..." وليس السؤال الذي وجهته سؤالاً عارضًا سطحيًا كلا بل إنه سؤال عميق معناه، بعيد مرماه إنه سؤال عن مصير هو عليها وعندها مجهول لكنه عند النبي ﷺ بمشيئة الله معلوم.

تسأل: هل ابنها في الجنة مع الشهداء فتصبر وتحتسب، ما دام قد نال المنى، وبلغ الذرى وحقق العلى، لأن الغبطة بالمكانة التي ينالها يفوق على المصيبة النازلة بها، وإن كان في غير الجنة اجتهدت عليه في البكاء لعل الله يرحم دموعها فيشفعها فيه.

إن كثيرًا من الأمهات بل ومن الآباء اليوم لا يستحضرون عند المصيبة جنة ولا نارًا فليكن لنا قدوة وأسوة بأم الشهيد أم حارثة رضي الله عنها.

يظهر ذلك من قول أنس رضي الله عنه: أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة؟ - وكان قتل يوم بدر - فإن

كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء.

فأم حارثة رضي الله عنها أم حزينة على فقد ابنها وتريد أن تطمئن على مصير ابنها فلذلك كانت حريصة على سؤال رسول الله ﷺ عن مصيره، حتى تعلم أهو في الجنة أم لا؟

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على سؤال رسول الله ﷺ عن كل ما يشغلهم وذلك لعلمهم بأن ما يخبرهم به إنما هو حق ومن عند الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، قال ابن كثير: "ما يقول قولاً عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى)، أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفرًا من غير زيادة ولا نقصان[2].

ثانيًا - من صفات الداعية: التبشير والتلطف بمن أصيب بمصيبة:

أي تواضع وأي مكانة وعز وشرف يداني ما أكرم الله به نبيه محمدًا ﷺ فمن شاء أن يسأله فليسأل أيًا كان السائل وأيًا كان السؤال وأيًا كان المكان في البيت أو المسجد أو الطريق. فهذه أم حارثة رضي الله عنها أتته وسألته عن مصير ابنها الذي قتل فيتلطف معها ويجيبها على سؤالها ببشرى تثلج صدرها وتطمئن نفسها وهي أن ابنها في الجنة بل إنه في الفردوس الأعلى.

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، فرسول الله ﷺ يعلم مصيبتها في ابنها ومدى حزنها عليه فلذلك تلطف معها وبشرها بدخول ابنها جنة الفردوس الأعلى، ومن ذلك تبشير المسلمين بدخول قتلى أحد الجنة وتنعمهم فيها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُم بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا مَنْ

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٤٣/٧.

يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ وَلاَ يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ))[1].

فعلى الداعية أن يحرص على مواساة المدعوين في مصابهم ويتلطف بهم، "وإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يُعكر صفوه، ولذا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها وقد كان ﷺ يواسي بالقليل والكثير، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب: ((إِنَّا وَاللهِ، قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِنَّ نَاسًا يُعْلِمُونِي بِهِ، عَسَى أَلاَّ يَكُونَ أَحَدُهُمْ رَآهُ قَطُّ))[2]، وقد علمنا أن من أقال مسلمًا من عثرته أقال الله عثرته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ))[3]، وأن الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه.

"وإن حاجة المسلم تتنوع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكل ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥٢٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٩)، والآية رقم ١٦٩ من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/٧٠ رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن على شرط الشيخين ١/٥٣٢، وأحمد بمعناه برقم ٧٤٣١ وقال محققوه: صحيح على شرط الشيخين ونصه عند أحمد: "من أقال عثرة أقاله الله يوم القيامة".

(٣) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه"[١].

فينبغي على الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ وأن يتلطف مع من أصابته مصيبة ويكون له مبشرًا بالثواب والأجر من الله حتى يرفع ما به من حزن ويدخل على نفسه الراحة والقبول بقضاء الله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه:

يظهر ذلك في شهود حارثة رضي الله عنه بدرًا واستشهاده فيها. وقول رسول الله ﷺ: (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى).

قال ابن حجر: "وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم، أي: أهل بدر"[٢]، وقال رسول الله ﷺ في فضل من شهد بدر: ((لعلَّ اللَّهَ اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شِئتم فقد وَجَبَتْ لكُم الجنة))[٣].

وقال ﷺ: ((لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالحُدَيْبِيَّةَ))[٤]. كل ذلك يدل على فضل حارثة بن سراقة رضي الله عنه وأنه من أهل الجنة، وكذلك فضل وثواب كل من حضر بدرًا من المسلمين.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببعض الأمور الغيبية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (.. إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)، وإخبار النبي ﷺ عن الجنة وأنها جنان من الأمور الغيبية التي أطلعه الله عليها وخصه بها.

وقد رأى النبي ﷺ الجنة، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره قال: ((ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى. فَغَشِيَهَا

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٤٦٠/٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩٨٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٦/٣، رقم ١٥٢٦٢، وقال محققو المسند: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن ٤١٠/٢٣.

أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ. قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ))[1].

والحديث يدل على زيارة النبي ﷺ الجنة ورآها، ودخلها، ووصف جنابذها وتربتها وقد بيّن الرسول ﷺ في موقف آخر أنه رأى كل شيء وعد الناس به في الدار الآخرة، ورأى قطفًا من الجنة، فقصرت يده عن تناوله، فدل على حقيقة وجود الجنة[2]. وإطلاعه عليها، قال ﷺ: ((لَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هذَا كُلَّ شَيْءٍ وُعِدْتُهُ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُ أُرِيدُ أَنْ آخُذَ قِطْفًا مِنَ الْجَنَّةِ، حِينَ رَأَيْتُمُونِي جَعَلْتُ أَتَقَدَّمُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٩، ومسلم ١٦٣.

(٢) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، الشيخ عبدالمجيد الزنداني ص ٣٣٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٢١٢، ومسلم ٩٠١.

الحديث رقم (١٣٢٢)

١٣٢٢- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَا زَالتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

مُثِّل به: جدع أنفه أو أذنه أو مذاكيره، أو شيء من أجزائه[3].

الشرح الأدبي

ما أروع هذا المشهد الحقيقي من مشاهد البطولة الإسلامية في غزوة أحد " وهذا المشهد يسرد تفاصيله ابن الشهيد. . عبد الله الأنصاري السلمي وهو الصحابي " جابر بن عبد الله " الراوي الأعلى لهذا الحديث، حيث يصور ما لحق بأبية من أذى المشركين الذين مثلوا به ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف أنه يصاغ على لسان " المتكلم " وهو جابر بن عبد الله " لأنه يروى حدثاً شخصياً ولكنة يتجاوز هذه الخصوصية إلى دائرة العموم لأن الشهادة في سبيل الله غاية كل مسلم يدافع عن إسلامه وعقيدته ويبدأ الحديث بالفعل المبنى للمجهول "جيء بأبي" لأن معرفة الفاعل لا تضيف للحدث شيئاً. . فالمجيء قد تحقق، ورسول الله يكرم الشهيد ويضعه بين يديه ، وصيغة المبنى للمجهول في قوله: قد مثل به " تفيد تحقير الفاعل. . وهم المشركون فهم

---

(١) عند مسلم زيادة: (فسمعتُ صوت صائحة، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، فقال: لمَ تبكي، أو: لا تبكي). أوردها المنذري، ولم يوردها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧١/١٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ث ل).

لا يستحقون أن يكون لهم مكان حتى في البنيان اللغوي و(قد) تفيد التحقيق والتأكيد، والتضعيف في الفعل " مثل به " يدل على المبالغة وقد نهى رسول الله عن " المثلة " ويقال: مثلت بالحيوان أمثل مثلاً إذا قطعت أطرافة وشوهت به، ويقال مثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه وأذنه أو مذاكيره أو شيئاً من أطرافة، والاسم " المثلة " فأما " مثل " بالتشديد " فهو المبالغة " كما ورد في لسان العرب في مادة مثل، فقوله: قد مثل به " يدل على قسوة المشركين ومبالغتهم في تشويه وجه هذا الشهيد وجسده، وقوله فوضعه بين يديه " فيه تكريم من رسول الله لذلك الشهيد وفيه عزاء لابنه وكل ذريته والعطف بالفاء في الأفعال المتتالية ينبئ عن سرعة أحداث هذا المشهد وعن السرعة في الإعداد لدفن هذا الشهيد: (فوضعه – فذهبت أكشف عن وجهه – فنهاني قوم) فقال النبي ﷺ، والتعبير بقوله ما زالت يفيد الاستمرار وفى ذلك غاية التكريم ومضاعفة الثواب وإعلان الحماية الإلهية. . حيث يقول المصطفى صلى الله علية وسلم: ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها، ويصور كعب بن مالك بلاء المسلمين وشجاعتهم في غزوة أحد ضد المشركين.

شددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شرع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتطلع

فقه الحديث

بوب البخاري على ثلاثة أحاديث منها حديث الباب، بوّب عليها: باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه[1] وذلك في كتاب الجنائز. قال ابن حجر: "إذا أدرج في أكفانه" أي: لفّ فيها. قال ابن رشيد: موقع هذه الترجمة من الفقه أن الموت لما كان سبب تغيير محاسن الحي التي عهد عليها - ولذلك أمر بتغميضه وتغطيته - كان ذلك مظنة للمنع من كشفه حتى قال النخعي: ينبغي أن لا يطلع عليه إلا الغاسل له، ومن

(١) الأحاديث ١٢٤١-١٢٤٤.

يليه، فترجم البخاري على جواز ذلك، ثم أورد ثلاثة أحاديث[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله والد جابر رضي الله عنهما:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها) قال القاضي: (يحتمل أن ذلك لتزاحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه وما أعد له من الكرامة ازدحموا عليه إكرامًا له وفرحًا به وأظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه)[٢].

وعبدالله بن عمرو بن حرام والد جابر بن عبدالله الصحابي المشهور معدود من أهل العقبة، وكان من النقباء واستشهد بأحد[٣].

وعن جابر رضي الله عنه قال: ((لمّا حَضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليلِ فقال: ما أُراني إلاّ مَقتولاً في أوَّلِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ، وإني لا أترُكُ بَعدي أعَزَّ عليَّ مِنك، غيرَ نَفْسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وإنَّ عليَّ دَينًا، فاقضِ، واستوْصِ بأخَواتِكَ خَيرًا. فأصبَحْنا، فكان أوَّلَ قَتِيلٍ، ودُفِنَ مَعَهُ آخَرُ في قبرٍ، ثمَّ لم تَطِبْ نفسي أنْ أترُكَهُ معَ الآخَرِ فاستخرجتُه بعدَ ستةِ أشهر، فإذا هوَ كيوم وضَعْتُهُ هُنَيَّةً، غيرَ أُذُنِهِ))[٤].

وعن جابر رضي الله عنه: ((لما خرج لدفن شهداء أحد قال زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم)) وكفّن أبي في نمرة[٥].

قال ابن سعد: (وكان عبد الله أولَ من قُتل يوم أحُد، وكان أحمرَ أصلع ليس

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٤/٣.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٠/٧-٥٠١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٨١٢.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٥١.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠٥/٢/٣، وقال محققو سير أعلام النبلاء: إسناده صحيح ٣٢٦/١.

بالطويل، وكان عمرو بن الجموح طويلاً، فدفنا معًا عند السيل، فحفر السيل عنهما، وعليهما نمرة، وقد أصابَ عبدَ الله جرحٌ في وجهه فيده على جرحه، فأُميطَتْ يدُه، فانبعث الدم، فرُدَّت، فسكن الدم.

قال جابر: فرأيت أبي في حفرته، كأنه نائم، وما تغير من حاله شيء، وبين ذلك ست وأربعون سنة، فحوِّلا إلى مكان آخر، وأُخْرِجُوا رِطابًا يَتَثَنَّون)[1].

أبو الزبير: عن جابر قال: (صُرخ بنا إلى قتلانا، حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم ليِّنةً أجسادُهم، تَتَثَنَّى أطرافُهم)[2].

وعن جابر قال: (دُفن رجلٌ مع أبي، فلم تطب نفسي، حتى أخرجتُه، ودفنتُه وحدَه)[3].

ومما يدل على فضله ما ورد عن ابنه جابر قال: لَقِيَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: ((يَا جَابِرُ مَالِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟)) قُلْتُ يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي، قتل يوم أحد وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قالَ: قال: ((أَفلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟)) قالَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ((مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَى أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِيكَ، قالَ: يَا رَبُّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قالَ الرَّبُّ عز وجل إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي ﴿أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ قالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا﴾[4][5].

قال القرطبي: (وقد تضمَّن هذا الحديث فضيلةً عظيمة لعبد الله لم يُسمع بمثلها لغيره، وهي: أن الله تعالى كلَّمه مشافهة بغير حجاب حجبه به. ولا واسطة قبل يوم

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٠٦/٢/٣ من طريق الوليد في مسلم، حدثني الأوزاعي عن الزهري، عن جابر فذكره بأطول مما هنا، وقال محققو سير أعلام النبلاء: وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ في الفتح ١٧٣/٣، (سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٥٥/١).

(٢) أخرجه ابن سعد ١٠٦/٢/٣.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٠١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٤٠٨).

القيامة، ولم يفعل الله تعالى ذلك مع غيره في هذه الدار، كما قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾[1].

وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث: "وما كلّم الله أحدًا قدط إلا من وراء حجاب". في هذا الحديث: أن الله تعالى لم يفعل هذا في هذه الدار لحيٍّ ولا لميت، إلا لعبد الله هذا خاصةً، فيلزمُ على هذا العموم: أنه قد خصَّ من ذلك بما لم يخص به أحدٌ من الأنبياء. وهذا مشكلٌ بالمعلوم من ضرورة الشرع، ومن إجماع المسلمين على: أن درجة الأنبياء وفضيلتهم أعظمُ من درجة الشهداء والأولياء، فوجْهُ التوفيق أن قوله ﷺ: "وما كلم الله أحدًا إلا من وراء حجاب" إنما يعني به -والله أعلم-: أنه ما كلّم أحدًا من الشهداء، وممن ليس بنبي بعد موته، وقيل: يوم القيامة، إلا عبدالله، ولم يرد به الأنبياء، ولا أراد بعد يوم القيامة، لما قد علم أيضًا من الكتاب والسنة، وإجماع أهل السنة من: أن المؤمنين يرون الله تعالى في الجنة، ويكلمهم بغير حجاب، ولا واسطة. وأما الآية: فإنما مقصودها حصر أنواع الوحي الواصل إلى الأنبياء من الله تعالى، فمنه: ما يقذفه الله تعالى في قلب النبي، وورعه، ومنه ما يُسمعه الله تعالى للنبي مع كون ذلك النبي محجوبًا عن رؤية الله تعالى، ومنه: ما يبلّغه له الملك، وحاصلها: الإعلامُ بأن الله تعالى لم يره أحدٌ من البشر في هذه الدار؛ نبيًا كان أو غير نبي، ويشهد لهذا قولُه ﷺ في الصحيح: ((تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ))[2][3].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ عن والد جابر بن عبدالله عندما قتل في غزوة

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٣٨٦-٣٨٧.

أحد: (ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها). حيث بين رسول الله ﷺ إكرام الله لوالد جابر وتظليل الملائكة له حينما قتل في غزوة أحد، وفي ذلك ترغيب في الشهادة في سبيل الله، والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها[1].

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب الترغيب في دعوته، ومن أنفع وسائل الترغيب تنبيه الفرد والأمة إلى ماضي أسلافهم الصالحين الذين رفعوا منار العلم والدين. ونشروا لواء العدل والحرية وقهروا الظلم والبغي وأناروا العالمين وشرقوا وغربوا في أرجاء المعمورة فاتحين مكبرين، هادين وكانوا كما قال القائل:

كنا جبالاً كالجبال وربما ... سرنا على موج البحار بحارًا
بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا
لم نخش طاغوتًا يحاربنا ... ولو نصب المنايا حولنا أسوارًا
ندعوا جهارًا لا إله سوى الذي ... خلق الوجود وقدر الأقدارا [2]

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥.

الحديث رقم (١٣٢٣)

١٣٢٣ - وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن حُنيف: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٧).

غريب الألفاظ:

بَلَّغه: أوصله وأدخله[2].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز هو منبع الجمال الأسلوبي في هذا الحديث الشريف فهو يتكون في بنائه اللغوي من جملتين شرطيتين ولكن هذا الإيجاز في المبنى يقابله اتساع في الدلالة وإعلان عن الأجر المضاعف الذي ينتظر كل من يتمنى الشهادة في سبيل الله ويسأل الله ذلك، والجملة الأولى تبدأ بأداة الشرط " من " وهى للعاقل وفى ذلك إشارة إلي إن كل من يتمنى الشهادة فهو صاحب عقل راجح يميز الطيب من الخبيث ويعرف قيمة الشهادة في سبيل الله عز وجل، وفعل الشرط (سأل الله تعالى الشهادة)، والسؤال فيه إخلاص. . ورغبة حقيقية وقوله (بصدق) يؤكد ذلك: والباء للمصاحبة " فالصدق مصاحب، وممتزج بالسؤال وجواب الشرط: قوله (بلغة الله منازل الشهداء) والتعبير بقوله: بلغة الله يوحى بعلو مكانة هذه المنازل وبأن الوصول إليها يحتاج إلى المجاهدة، وإلى الاستعانة بالله عز وجل، ومجيء: منازل " في صيغة الجمع فيه تنبيه على كثرة منازل الشهداء وأعلاها " الفردوس الأعلى " والشهيد في الأصل " من قتل مجاهداً في سبيل الله ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي صلى الله علية وسلم من " المبطون،

---

(١) برقم (١٩٠٩/١٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٧)، وقد تقدم برقم (٥٧).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ل غ).

والغرق، والحرق، وغيرهم، وسمي شهيداً لأن الملائكة شهود له بالجنة وقيل لأنه حي لم يمت كأنة شاهد أي حاضر وقيل لأن ملائكة الرحمة تشهد له، وقيل لقيامه بشهادة الحق في أمر الله حتى قتل، وقيل لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وقيل غير ذلك فهو فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول: أى شاهد ومشهود على اختلاف التأويل كما أشار ابن منظور في لسان العرب في مادة شهد. ، والجملة الثانية: (وإن مات فراشة) تتضمن إيجازاً بالحذف. لأن الجواب محذوف وتقديره فهو شهيد وقد حذف للتشويق ولدلالة ما قيل عليه وفى الحديث استحباب طلب الشهادة واستحباب ما فيه الخير وأن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب كما يقول صاحب دليل الفالحين، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين.

ثالثًا: من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل إخلاص النية لله تعالى في طلب الشهادة:

يظهر ذلك من عموم الحديثين فقد قال ﷺ في الحديث الأول: (من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه).

وفي الحديث الثاني: (من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه).

قال النووي: "ومعناهما جميعًا: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير"[2].

وإخلاص النية له فضل عظيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[3]، فإسلام الوجه إخلاص القصد والعمل لله، والإحسان فيه: متابعة رسول

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٣٢٣ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٢٥.

الله ﷺ وسنته.، فإخلاص النية في طلب الشهادة أساس قبول الجهاد، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل رياء، ويقاتل شجاعة، ويقاتل حمية: أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ عزَّ وجلَّ))[1][2].

قال القرطبي: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، يعني بـ (كلمة الله) دين الإسلام. وأصله: أن الإسلام ظهر بكلام الله تعالى؛ الذي أظهره على لسان نبيه ﷺ.

ويفهم من هذا الحديث: اشتراط الإخلاص في الجهاد، وكذلك هو شرط في جميع العبادات، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[3]، والإخلاص مصدر من: أخلصت العسل وغيره: إذا صفيته، وأفردته من شوائب كدره أي: خلّصته منها. فالمخلص في عباداته هو الذي يخلصها من شوائب الشرك والرياء. وذلك لا يتأتي له إلا بأن يكون الباعث له على عملها قصد التقرب إلى الله تعالى، وابتغاء ما عنده. فأما إذا كان الباعث عليها غير ذلك من أعراض الدنيا؛ فلا يكون عبادة بل يكون مصيبة موبقة لصاحبها؛ فإما كفر وهو الشرك الأكبر وإما رياء، وهو: الشرك الأصغر. ومصير صاحبه إلى النار. هذا إذا كان الباعث على تلك العبادة الغرض الدنيوي وحده، بحيث لو فُقد ذلك الغرض لترك العمل. فأما لو انبعث لتلك الحالة لمجموع الباعثين - باعث الدنيا وباعث الدين - فإن كان باعث الدنيا أقوى، أو مساويًا ألحق القسم الأول في الحكم بإبطال ذلك عند أئمة هذا الشأن، وعليه يدل قوله ﷺ حكاية عن الله تبارك وتعالى: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[4].

فأما لو كان باعث الدين أقوى؛ فقد حكم المحاسبي بإبطال ذلك العمل متمسكًا بالحديث المتقدم، وبما في معناه، وخالفه في ذلك الجمهور، وقالوا بصحة ذلك العمل

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠ - ٣١١.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٥٨.

وهو الأقدمُ في فروع مالك. ويستدل على هذا بقوله ﷺ: ((خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[1]، فجعل الجهاد مما يصحُ أن يتخذ للمعاش، ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصودًا، لكن لما كان باعث الدين على الجهاد هو الأقوى والأغلب، كان ذلك الغرض مُلغى، فيكون معفوًا عنه، كما إذا توضأ قاصدًا رفع الحدث والتبرد، فأما لو تفرد باعث الدين بالعمل؛ ثم عرض باعث الدنيا في أثناء العمل فأولى بالصحة"[2].

فينبغي على المسلم أن يخلص النية في الجهاد وفي طلب الشهادة، وعن أبي أمامة الباهلي قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((لاَ شَيْءَ لَهُ)) ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[3].

قال ﷺ: ((الغَزْوُ غَزْوَانِ فَأَمَّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ اللهِ وَأَطَاعَ الإِمَامَ وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَسُمْعَةً وَعَصَى الإِمَامَ وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بِالْكَفَافِ))[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المخلصين:

ويظهر ذلك من عموم الحديثين حيث بيّن رسول الله ﷺ أن إخلاص النية في طلب الشهادة يكون سببًا في نوال درجة الشهادة وثوابها ولو مات الإنسان على فراشه.

وذلك؛ لأن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٤٢/٣ - ٧٤٣.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) أخرجه ابو داود ٢٥١٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٥).

والحق أن المرء ما دام قد أسلم وجهه وأخلص نيته، فإن حركاته وسكناته ونوماته ويقظاته، تحتسب خطوات إلى مرضاة الله وقد يعجز عن عمل الخير الذي يصبو إليه، لقلة ماله أو ضعف صحته، ولكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع الحريص على الإصلاح إلى مراتب المصلحين، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين لأن بعد همتهم أرجح لديه من عجز وسائلهم.

وحدث في غزوة العسرة أن تقدم إلى رسول الله ﷺ رجال يريدون أن يقاتلوا الكفار معه، وأن يجودوا بأنفسهم في سبيل الله، غير أن الرسول لم يستطع تجنيدهم فعادوا وفي حلوقهم غصة، لتخلفهم عن الميدان وفيهم نزل قوله عز وجل: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[1].

فقد أعطى الله هؤلاء المخلصين ثواب المجاهدين لصدق نيتهم، وقد نوّه النبى ﷺ بإيمان أولئك القوم وإخلاصهم[2] فقال للجيش السائر: ((إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلاَ وَادِيًا إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ))[3].

ثالثًا- من مهام الداعية: حث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة:

يستنبط هذا من عموم الحديثين فذكره ﷺ لإعطاء ثواب الشهادة لمن طلبها وأخلص النية في الطلب ولو مات على فراشه، حث للمسلمين على إخلاص النية والحرص على طلب الشهادة.

فعلى الداعية أن يحث المدعوين على الإخلاص في طلب الشهادة وذلك لقول رسول الله ﷺ: ((إن اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) انظر: خلق المسلم، الشيخ محمد الغزالي ص ٦٨ - ٧٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٣٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[١].

والإخلاص من الأشياء التي ينبغي أن يحرص عليها المسلم قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ))[٢].

وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصده من الرياء، وإظهار الشجاعة والعصبية، وغير ذلك: أي ذلك في سبيل الله؟ ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ. وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ أَعْلَى فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[٣].

قال النووي: "أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا"[٤].

فينبغي على الداعية حث المدعوين على إخلاص النية في طلب الشهادة، حتى يكون لهم كمال الأجر والثواب من الله وإن مات على فراشه. (وذلك لأن من أعظم مسؤوليات الدعاة إلى الله تعالى التربية على الإخلاص لله تعالى في كل عمل، وكذلك تربية الإخلاص في نفس الإنسان، وتعهده دائمًا، ليكون زادًا مغذيًا لروحه وكيانه، ووقودًا ممدًا له بالطاقة الفكرية، والحيويّة النفسية في كل وقت، وكيلاً تأتي عليه جوائح الدنيا المختلفة، ولا تغتاله فتن الشبهات والشهوات، فتلقي به على قارعة الطريق.

فإذا غرسوا الإخلاص وتعهدوه، فلن يكون بعد ذلك من صاحبه إلا أن يرقى في مدارج كماله، حتى يكون من أهل البر والاحتساب، والحرص على فعل المعروف والتنافس في أبواب الخير)[٥].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٢٣٠ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٣) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ٣١٢٦، ومسلم ١٩٠٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢١٩.

(٥) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١٦٩.

الحديث رقم (١٣٢٤)

١٣٢٤- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥).

غريب الألفاظ:

أعطيها: أعطى ثوابها[2].

الشرح الأدبي

إن حماية الدين والعرض والمال والنفس من الواجبات التي يقوم بأدائها كل مسلم وعلية أن يدافع ويجاهد. .. والشهادة تعد تاج الدفاع والجهاد وإذا لم يقم القادرون من أبناء الأمة بأداء هذا الواجب فهم من الذين يظنون البذل في سبيل الله مغرماً يستحق الرثاء، والموت في سبيل الله تضحية تستحق العزاء، هم قوم ليسوا من الدين في شيء ولا من الدنيا في شيء كما يقول الشيخ محمد الغزالي وحق على هؤلاء أن يدفنوا وهم أحياء وأن يرقدوا في مهاد الذل لا ليستريحوا ولكن لتستجاب فيهم دعوة خالد بن الوليد " لا نامت أعين الجبناء "

وفي ضوء هذا الواقع الذي يحيط بالمتخاذلين عن نصرة دينهم وحماية أوطانهم يرغب المصطفى ﷺ كل مسلم في طلب الشهادة: ليس حباً في الموت ولكن دفاعاً عن حرمات الإسلام وديار المسلمين وصوناً لأعراضهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين شرطيتين للدلالة على أن الجزاء من جنس العمل، وفعل الشرط يتوهج بدلالة السعي والحركة وهو الفعل " طلبه، والطلب هو السعي إلي تحقيق المقصد المراد

---

(١) برقم (١٩٠٨/١٥٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٠.

والغرض المنشود والمطلوب هنا هو الشهادة، وهذه الشهادة ليست ادعاءً ولا رياءً، ولكنها مؤطرة بالصدق " وقوله " صادقاً في موقع " الحال " فطالب الشهادة " صادق في طلبه " ابتغاء مرضاة الله ولذلك نجد جواب الشرط متضمناً مادة العطاء وجاء الفعل مبنياً للمجهول أعطيها لأن الفاعل معلوم وهو " الله عز وجل " ومن أعظم عطاء الله ولسوف يعطيك ربك فترضى، والجملة الثانية: (ولو لم تصبه) أى الشهادة " متعلقة بدلاله الجملة الأولى: وتتضمن إيجازاً بالحذف وتقدير الكلام ولو لم تصبه الشهادة فسيعطاها " أى يعطى ثوابها " فأي ترغيب أجمل من هذا الترغيب وأي نعيم ينتظر هذا المجاهد الصادق الجسور وهذا الشهيد الذي يشهد ما أعد الله له من الكرامة يوم البعث والنشور، ورزقنا الله منازل الشهداء ودرجات الأولياء.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٢٥)

١٣٢٥ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

القَرْصَة: عَضَّة النَّملة، أو المرة من القَرص: وهو القبض بالإبهام والسبّابة على جزء من الجسم قبضًا مؤلمًا[2].

الشرح الأدبي

إن الشهيد يستعذب الموت في سبيل الدفاع عن عقيدته وحريته ودم الشهادة يوم القيامة يضوع عبيره وينتشر أريجه فاللون لون الدم والرائحة رائحة المسك وجرح الشهيد وسام يتباهى به في ميدان القتال وهو يوم القيامة تاج فخار ولواء انتصار، ويصور هذا الحديث الشريف حقيقة شعور الشهيد وهو يتلقى ضربات السيوف وطعنات الرماح وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ترددا أحد !. أحد ! فرد صمد ! ، وهو شعور الارتياح. . والاستبشار بدخول الجنة، ويصاغ الحديث كله في جمله واحدة. . من خلال أسلوب " القصر " عن طريق النفي والاستثناء وهذا الأسلوب الغرض منه " الحصر " دفعاً لما يتوهم أن ألم القتل في سبيل الله أعظم من ألم القرصة وبذلك يزيل أكبر مخاوف الإنسان من الموت، وهو ما فيه من الألم، وليس هناك إحساس في الوجود وشعور بالألم أخف من

---

(١) برقم (١٦٦٨) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٣٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي ٤١٠/٧، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ر ص).

هذا الإحساس وذلك الشعور وللألفاظ دورها في تصوير الشعور ونقل الإحساس إلى المتلقي وقوله "مس" مصدر مضاف إلى القتل والمس في اللغة هو أول ما يحس به المرء من التعب الذي لا يلبث أن يزول، وفى حديث موسى "على نبينا وعلية الصلاة والسلام" ولم يجد مساً من النصب "ويقولون" وجد مس الحمى "أي رسها وبدأها قبل أن تأخذه وتظهر"[1] والحديث يصور عن طريق هذه الموازنة الدقيقة: حال الشهيد ساعة استشهاده بأنة يشبه الذي شعر بالألم الخفيف من مس القرصة وقال الليث: القرص باللسان والأصبع والمراد فى الحديث: القرص بالإصبعين، ومنبع سر الجمال في هذا الحديث هو الإيجاز والترغيب فى الجهاد فالمسلمون- كما يقول الشيخ محمد الغزالي - في سبيل الله لا يبالون بالموت، كيف وهو هم الذين يطلبون وفيه يرغبون، فكان هذا الشعور الغامر هو الدعامة المكينة التي بنوا عليها تاريخهم وسجلوا فيه صحائف خلودهم فعاش من عاش سعيداً، ومات من مات شهيداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحصر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل.

أولاً - من أساليب الدعوة: الحصر:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة).

قال المناوي: "القرصة: الأخذة بأطراف الأصابع وعبر بأداة الحصر؛ دفعًا لتوهم تصور أن ألمه يفضل على ألمها، وهذه تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم، والخطب الجسيم، وتهييج الصبر على وقع السيوف واقتحام الحتوف".

وقال أيضًا: يعني أنه تعالى يُهون عليه الموت، ويكفيه سكراته وكربه، بل رب راغب في الشهادة يتلذذ ببذل نفسه في سبيل الله طيبة بها نفسه، كقول خبيب

---

(١) انظر: تأملات في الحياة والدين – الشيخ محمد الغزالي.

الأنصاري حين قُتل:

ولَسْتُ أبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... على أيِّ شِقٍّ كَانَ للَّهِ مَصْرَعِي[1]

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان إكرام الله للشهيد وعدم إيلامه من القتل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة)، فبيّن رسول الله ﷺ أن الذي يصيب الشهيد من ألم القتل مثل القرصة الأخذ بأطراف الأصابع مع أن الموت له سكرات وله آلام يعاني منها الإنسان، وقد ثبت ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[2].

قال القرطبي: "أي: غمرته وشدته"[3].

والشهيد هو الذي يقدم شهادة من روحه ودمه أن دين الله أغلى عنده من حياته، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله.

يا شهيدًا رفع الله به ... جبهة الحق على طول المدى

سوف تبقى في الحنايا علمًا ... حاديًا للركب رمزًا للفدى

ما نسينا أنت قد علمتنا ... بسمة المؤمن في وجه الردى

إن الناس يعيشون ويموتون، لكن الشهداء يعيشون ويعيشون!!

إن الناس يعيشون؛ ليموتوا ولكن الشهداء يموتون ليعيشوا.

إنهم الذين يحسنون طريقة الموت.. الواحد منهم آنس بالموت من الطفل بثدي أمه!!

إنهم الذين يخطون تاريخ الأمم؛ لأن صروح المجد لا تبنى إلا بجماجمهم

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ١٨٢/٤. والأبيات في البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٣/٤، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٢٦/٢.

(٢) سورة ق، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢/١٧/٩.

وأشلائهم، وهم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تذوى؛ لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء، وهم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء، وبذكرهم تحيا القلوب؛ لأنهم قُتلوا لتحيا أممهم، ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء هم عشاق الموت الذين تُبنى بهم الحياة؛ فهم يبحثون عن الموت، ويبغونه في مظانه، ليبعثوا الحياة في أممهم وفي الأجيال التي تأتي من بعدهم؛ كما قال ﷺ: ((مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. يَطِيرُ عَلَىٰ مَتْنِهِ. كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ. يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ....))[1].

فهم يبتغون الموت مظانه؛ أي: أنهم حيثما ظنوا مكان الموت أسرعوا إليه ومضوا مسرعين يطلبونه.

ما العيش إلا معهم، وقربهم حياة للأرواح، وبذكرهم تطيب المجالس وتحيا القلوب.

تضيق بنا الدنيا إذا غبتم عنا ... وتزهق بالأشواق أرواحنا منا

بعادكم موتٌ وقربكم حيا ... ولو غبتم عنا ولو نَفَسًا متنا

نعيش بذكراكم ونحيا بقربكم ... ألا إن تذكار الأحبة ينعشنا

الشهادة في سبيل الله مَرْتَبةٌ ساميةٌ ورتبة عظيمة، لا يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم، ولا ينالها إلا كفؤ ماجد نبيل كريم، سبقت له من ربه الحسنى والفوز العظيم"[2].

ولقد منّ الله على الشهداء بنعم لا تحصى، وفضائل ومآثر لا تنسى، ومن أجل هذه النعم وأعظمها أن الله سبحانه جعلهم أحياء عنده يُرزقون من الجنة حيث يشاءون ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[3].

إن هنالك قتلى سيخرون شهداء في معركة الحق، شهداء في سبيل الله، قتلى أعزاء أحباء، قتلى كرامًا أزكياء، فالذين يخرجون في سبيل الله، والذين يضحون

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٨٩.

(٢) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسين العفاني ١/٥١٣ - ٥١٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٤.

بأرواحهم في معركة الحق هم عادة أكرم القلوب وأزكى الأرواح وأطهر النفوس، هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتًا، إنهم أحياء، فلا يجوز أن يقال عنهم: أموات. لا يجوز أن يعتبروا أمواتًا في الحس والشعور، ولا أن يقال عنهم: أموات بالشفة واللسان، إنهم أحياء بشهادة الله سبحانه، فهم لا بد أحياء.

إنهم قتلوا في ظاهر الأمر، وحسبما ترى العين،ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررها هذه النظرة السطحية الظاهرة.. إن سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد. وسمة الموت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع.

وهؤلاء الذي يقتلون في سبيل الله فاعليتهم في نُصرة الحق الذي قتلوا من أجله فاعلية مؤثرة، والفكرة التي من أجلها قتلوا ترتوي بدمائهم وتمتد، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد؛ فهم ما يزالون عنصرًا فعالاً دافعًا مؤثرًا في تكييف الحياة وتوجيهها، وهذه هي صفة الحياة الأولى، فهم أحياء بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس ثم هم أحياء عند ربهم، إما بهذا الاعتبار، وإما باعتبار آخر لا ندري نحن كنهه، وحسبنا إخبار الله تعالى به: ﴿أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، لأن كنه هذه الحياة فوق إدراكنا البشري القاصر المحدود، ولكنهم أحياء.

أحياء: ومن ثم لا يغسلون كما يغسل الموتى، ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها؛ فالغسل تطهير للجسد الميت وهم أطهار بما فيهم من حياة، وثيابهم في الأرض ثيابهم في القبر؛ لأنهم بعد أحياء.

أحياء: فلا يشق قتلهم على الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: يشاركون في حياة الأهل والأحباء والأصدقاء.

أحياء: فلا يصعب فراقهم على القلوب الباقية خلفهم، ولا يتعاظمها الأمر، ولا يهولنها عظم الفداء.

ثم هم بعد كونهم أحياء مكرمون عند الله، مأجورون أكرم الأجر وأوفاه"[1].

---

(١) فرسان من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسن العفاني ١/٥٢٥ - ٥٢٦.

عن مسروق قال: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ - هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ - عَنْ هَـٰذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1] قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَٰلِكَ. فَقَالَ: ((أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمَّ تَأْوِي إِلَىٰ تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا. فَفَعَلَ ذَٰلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّىٰ نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ. فَلَمَّا رَأَىٰ أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا))[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما أحدٌ يَدخلُ الجنةَ، يُحبُّ أَن يَرجعَ إلى الدُّنيا، وله ما على الأرضِ مِن شيء إلا الشهيدُ، يتمنّى أن يرجعَ إلى الدُّنيا فيُقتَلَ عشرَ مرات، لما يَرى منَ الكرامةِ))[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ، بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَه الْجَنَّةَ وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْت أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ))[4].

فأعظِم بها ميتةً تمنّاها رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: ((للشَّهيدِ عندَ الله ستُّ خِصالٍ: يُغفَرُ لَهُ في أوَّلِ دُفعَةٍ ويرَى مَقعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُجارُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأكْبَرِ، وَيُوضَعُ على رأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ مِنْ أقَارِبِهِ))[5].

وقال ﷺ: ((والذي نَفْسي بيده، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيلِ الله - والله أعلمُ بمن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٩٥، ٢٨١٧، ومسلم ١٨٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٦.

(٥) أخرجه الترمذي ١٦٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٥٨).

يُكلَمُ في سبيلهِ - إلا جاءَ يَومَ القيامةَ واللَّونُ لَونُ الدَّمِ، والرِّيحُ رِيحُ المسْكِ))[1].

فنِعم المولى تبارك وتعالى على الشهيد لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة تخفيف آلام الموت وسكراته، كما معنا في الحديث الذي نحن بصدده، وذلك لأن جهاد أعداء الله من الكفار والمشركين من أصول هذا التوحيد، وهذا شيء مقرر، والذي جعل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الله، وتقرب إلى الله بدمائه قد وصل إلى أعلى مراتب الإيمان بالله، ومن كان هذا هو حاله لا يجد عند استشهاده عناء سكرات الموت، وذلك جزاء ما كان عليه من إيمان راسخ، وولاء وبراء وجهاد في سبيل الله وهذا من أجلّ مراتب التوحيد، فخفف الله عنه سكرات الموت بذلك، نسأل الله ذلك"[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٠٣، ٥٥٣٣، ومسلم ١٨٧٦.

(٢) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ١٧٢ - ١٧٣.

الحديث رقم (١٣٢٦)

١٣٢٦ - وعن عبد الله بن أَبي أوْفَى رضي الله عنه : أنَّ رسولَ الله ﷺ في بَعْضِ أيَّامِهِ الَّتي لَقِيَ فِيهَا (العَدُوَّ)[1] انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ.

ثُمَّ قَامَ في النَّاسِ فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِروا؛ وَاعْلَمُوا أنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ)) ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

غريب الألفاظ:

تحت ظلال السيوف: يعني الجهاد في سبيل الله.

الشرح الأدبي

إن هذا المشهد الجليل من مشاهد السيرة النبوية العطرة يصور محبة النبي لأصحابه وحرصه على أن يظل المسلمون أقوياء أشداء ينشرون دين الله بين العالمين وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجدها متعددة ومتنوعة فالحديث يبدأ بالتأكيد "بأن" وذلك لترسيخ مفهوم الحديث في الأذهان لأنه واقعة تاريخية حقيقية وحتى يدفع الشك والارتياب من أي متوهم وظان في حقيقة الخير وقوله في بعض (أيامه)" إشارة إلى معارك رسول الله وغزواته: وأيام العرب في التراث العربي هي: حروبهم ومعاركهم التي يدافعون فيها عن حرياتهم وكرامتهم وأعراضهم، والنداء في بداية كلام رسول الله: أيها الناس " لأهمية الأمر ولضرورة الإصغاء والإتباع، وقوله: الناس ولم يقل " المسلمون " للترغيب في اعتناق الإسلام وللإيحاء بأن كل من يسمع هذا،

---

(١) قوله: (العدو) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٣٠٢٤)، وكذا عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦) واللفظ له، ومسلم (١٧٤٢/٢٠). وتقدم برقم (٥٣).

النداء أو يصل إليه عن طريق القراءة أو الرواية أو السماع بعد ذلك يجب أن يستظل بظل الإسلام، وأن يكون من المنافحين عنه الزائدين عن حياضه، وأسلوب النهى في قوله " لا تتمنوا لقاء العدو " ليس نهياً عن القتال وإنما نهى عن الغرور والاعتماد على قوة النفس والركون إليها وعدم التوكل على الله والاحتماء به وأسلوب الأمر فى قوله " وأسالوا الله العافية " فيه حث للمسلمين على عدم إلقاء أنفسهم في التهلكة والحرص على الفوز والانتصار بعد إعداد القوة في ظل الخطط المحكمة وأسلوب الشرط في قوله: فإذا لقيتموهم فاصبروا، يوحى بأن لقاء العدو لابد منه والتعبير بأداة الشرط " إذا " يفيد ذلك لأنها تدل على التحقق وجواب الشرط قوله: فاصبروا: يشع بدلالات متعددة وكلها توحي بالثبات وعدم الفرار من ميدان المعركة ولمزيد من الترغيب في الاستشهاد دفاعاً عن الإسلام علل الصبر بهذه البشرى التي لا تتحقق إلا عن طريق الجهاد وما أجمل هذه الصورة الأدبية البلاغية " إن الجنة تحت ظلال السيوف " وصيغة الدعاء جاءت في ختام الحديث الشريف على لسان النبي ﷺ لتزيد المسلمين اطمئناناً لأن الرسول مستجاب الدعوة وجمل الدعاء الثلاث متناسقة فى مبناها، ومتوازنة فى معناها ومغزاها، واسم الفاعل المضاف إلى ما بعده وما فيه من السجع الجميل الذي يحدث إيقاعا محبباً ومرغباً يستميل السامعين ويؤثر في المتلقين وينبئ عن الصدق في الدعاء والأمل في تحقيق الرجاء "اللهم منزل الكتاب، ومجرى السحاب، وهازم الأحزاب إهزمهم وانصرنا عليهم". . آمين آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٥٣.

الحديث رقم (١٣٢٧)

١٣٢٧- وعن سهل بن سعد ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((ثِنْتَانِ لاَ تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ وَعِنْدَ البَاسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعضًا)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

النداء: الأذان[2].

البأس: الحرب[3].

حين يلحم بعضهم بعضًا: أي يتقاربون فيصيرون كالذين يلتصق لحم بعضهم ببعض[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي نجد في مقدمتها "الإيجاز" وهذه سمة في البيان النبوي.. وفى هذا الحديث حيث تتجلى بلاغة الحذف من بدايته.. فقوله ثنتان " ورد في روايات أخرى: دعوتان: والتقدير في هذا الحديث: دعوتان اثنتان، ويتجلى الإيجاز في قوله - عند النداء، والمراد بالنداء الأذان والإقامة - وصيغة الأذان معروفة. . وكلها في مجملها نداء لجميع المسلمين في كل زمان ومكان، وللإقامة صيغة معروفة والأذان والإقامة يتكرران يومياً قبل كل صلاة في جميع بقاع الأرض مشارقها ومغاربها.

---

(١) برقم (٢٥٤٠). وصحّحه ابن خزيمة (٤١٩)، وابن حبان (الإحسان ١٧٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن د و).

(٣) المرجع السابق في (ب أ س).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢١.

فتأمل هذه الإشعاعات المنبثقة من هذه الكلمة المتوجة بما لا يتناهى من الرجاءات والدعوات في كل الأماكن والأوقات، وفى كل العصور والبيئات، ومن مظاهر الجمال الأسلوبي: حسن التقسيم حيث العبارات المتساوية المتوازنة وجمال الإيقاع. . والتوازن الأسلوبي والسجع غير المتكلف الذي يحدث إيقاعاً محبباً يستميل المشاعر "ثنتان لا تردان. . أو قلما تردان: الدعاء عند النداء ومن مظاهر الجمال الأسلوبي اختيار الكلمات ذات الإشعاع الدلالي الذي يتفق مع سياق الحديث ومناخ الغرض والمقصد الأسنى من الحديث، وكلمة " البأس " لها إشعاعها وتأثيرها وليس هناك من الكلمات ما يصلح للإيحاء بجو الحرب والقتال والمجاهدة مثلها فالبأساء: اسم الحرب والمشقة والضرب واليأس والعذاب والبأس: الشدة في الحرب، ويقول ابن سيدة " البأس: الحرب: ثم كثر حتى قيل لا بأس عليك أي لا خوف ويقول على بن طالب: كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ يريد الخوف و لا يكون إلا مع الشدة والصورة التعبيرية الموحية في قوله: حين يلحم بعضهم بعضاً " تصور شدة الحرب والتحام الصفوف وفى العبارة روايتان " وكل منهما تؤديان المعنى المراد: فإذا قلنا: يلتحم بعضهم بعضا بالحاء يكون المعنى ملتصقين حين يتقاربون كالذي يلتصق لحم بعضهم ببعض، وإذا كان الفعل بالجيم أى يلجم فيكون المعنى كأن كلا منهم يلجم صاحبة بالسلاح، " فاللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، آمين آمين).

فقه الحديث

بوّب ابن خزيمة على هذا الحديث: باب استحباب الدعاء عند الأذان ورجاء إجابة الدعوة عنده[1].

وقد بوّب النووي في الأذكار هذا الحديث والحديث الذي قبله والحديثين الذين بعده، بوّب باب الدعاء والتضرع والتكبير عند القتال واستنجاز الله ما وعد من نصر المؤمنين[2].

---

(١) الحديث ٤١٩.

(٢) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٢٣٧-٢٤٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأوقات إجابة الدعاء:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ثنتان لا تردان، أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا).

حيث بيّن رسول الله ﷺ إجابة الدعاء وقت النداء ووقت الجهاد، وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين أوقات الإجابة، منها:

آخر الليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ))[1].

ودبر الصلوات المكتوبة، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ))[2].

وفي ليلة القدر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة هي - ليلة القدر - ما أقول فيها؟ قال: ((قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي))[3].

والدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، إما لضعف في نفسه بأن يكون الدعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان - وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وقت الدعاء - فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًا،

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٥، ومسلم ٧٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥١٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٩).

فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفًا..، وإما لحصول المانع من الإجابة، من أكل الحرام والظلم، ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها.

ومن أنفع الأدوية في أي عقدة الإلحاح في الدعاء، وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتًا من أوقات الإجابة، وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبة، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر، وعند نزول الغيث، وشرب ماء زمزم، وفي السجود.

وصادف خشوعًا في القلب وإنكسارًا بين يدي الرب وذلة له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته، التوبَة والاستغفَار، ثم دخل على الله وألح في المسألة وتملقّه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين دعائه صَدَقَة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم[1].

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين هذه الأوقات حتى يغتنموها في التوجه إلى الله بالدعاء والرغبات.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد:

ذلك لأن الدعاء في هذين الوقتين لا يرد، أو قلما يرد كما أخبر الصادق الأمين في الحديث، ولأنهما وقتان عظيمان أما الأذان فلأنه كلمة جامعة لعقيدة الإيمان مشتملة على نوعية من العقليات والسمعيات، فأوله إثبات الذات وما يستحقه من الكمال والتنزيه عن أضدادها وذلك بقول: الله أكبر، ثم صرح بإثبات الوحدانية ونفي ضدها من الشركة المستحيلة في حقه سبحانه وتعالى، وهذه عمدة الإيمان والتوحيد، المقدمة

---

(١) انظر: الداء والدواء، ابن القيم الجوزية ص ٩ - ١٥ بتصرف.

على كل وظائف الدين. ثم صرح بإثبات النبوة والشهادة بالرسالة لنبينا ﷺ وهي قاعدة عظيمة بعد الشهادة بالوحدانية وموضعها بعد التوحيد لأنها من باب الأفعال الجائزة الوقوع، وتلك المقدمات من باب الواجبات، وبعد هذه القواعد كملت العقائد العقليات فيما يجب ويستحيل ويجوز في حقه سبحانه وتعالى، ثم دعا إلى ما دعاهم إليه من العبادات، فدعاهم إلى الصلاة وعقبها بعد إثبات النبوة، لأن معرفة وجوبها من جهة النبي ﷺ لا من جهة العقل، ثم دعا إلى الفلاح وهو الفوز والبقاء في النعيم المقيم، وفيه إشعار بأمور الآخرة من البعث والجزاء وهي آخر تراجم عقائد الإسلام، ثم كرر ذلك بإقامة الصلاة للإعلام بالمشروع فيها وهو متضمن لتأكيد الإيمان وتكراره وذكره عند الشروع في العبادة بالقلب واللسان، وليدخل المصلي على بينة من أمره، وبصيرة من إيمانه، ويستشعر عظيم ما دخل فيه وعظمة حق من يعبده وجزيل ثوابه[1].

فالأذان نداء حبيب إلى كل نفس مؤمنة، يدعو إلى خير عمل، وأعظم لقاء، في أطهر مكان، فهو عبادة تتقدم الصلاة، يتردد صداها في الكون، الله أكبر، فكل ما نتصور أنه كبير، فالله أكبر منه، فكل شيء دون الله حقير، التجارة، الأموال، المتاع الدنيا، يا له من نداء عظيم، يدعو إلى التوحيد ونفي الشرك، ويثبت الرسالة لمحمد ﷺ، فيرتفع ذكره مع كل أذان مقترنًا بذكر الله تعالى يتردد عبر الأزمان.

يدعو النداء أمة الإسلام أن تقبل على الله لأداء الصلاة، والفوز برضاه، إلى الطاعة في صلاة الجماعة، في بيت الله، إلى الفلاح في الدنيا والآخرة.

وينتهي الأذان معلنًا لكل من شغلته الدنيا وألْهَتْه، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله حتى ينتبه، ويترك كل شيء، ويسعى إلى لقاء الله[2].

ومما يدل على فضل الأذان أن الشيطان إذا سمعه هرب فعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ، ذَهَبَ حَتَّى يَكُونَ مَكَانَ

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٣٣٩، وهذا ملخص كلام القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٣ - ٢٥٤.

(٢) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار ص ٦٤ - ٦٥.

الرَّوْحَاءِ)) قَالَ سُلَيْمَانُ: فَسَأَلْتُهُ عَنِ الرَّوْحَاءِ؟ فَقَالَ: هِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةٌ وَثَلاثُونَ مِيلاً[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ أَحَالَ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ صَوْتَهُ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ))[٢].

قال القاضي: "وهروب الشيطان عند النداء لعظيم أمْرِه عنده، وذلك - والله أعلم - لما اشتمل عليه من الدعاء بالتوحيد، وإظهار شعار الإسلام، وإعلان أمره كما فعل يوم عرفة، لما رأى من اجتماع عباد الله على إظهار الإيمان، وما ينزل عليهم من الرحمة"[٣][٤]. فهذه المعاني تدل على أن وقت الأذان وقت مفضل لإجابة الدعاء ينبغي الحرص على الدعاء فيه. أما الدعاء عند التقاء الجمعين فهو مجاب أيضًا فينبغي الحرص على الدعاء فيه، يؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ. دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ. وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ))[٥].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذكره واللجوء إليه بالدعاء عند لقاء العدو في الجهاد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

قال ابن كثير: "فأمر الله تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه، بل

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٩.

(٣) يعني بذلك ما أخرجه مالك في الموطأ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، أن رسول الله ﷺ قال: ((ما رؤي إبليس في يوم أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزل الرحمة والعفو عن الذنوب إلا ما رأى يوم بدر، قالوا: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟ قال: أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة))، الحج باب: جامع الحج ١/٤٢٢، رقم ١٨٤١.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٢٥٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٨٩٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٣٩).

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

يستعينوا به ويتوكلوا عليه ويسألوه النصر على أعدائهم"[١].

وقال د. محمد محمود حجازي: "المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إذا حاربتم جماعة من الكفار، والتقيتم بهم في ميدان الحرب فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم وتصمدوا للقائهم، وإياكم والفرار من الزحف وتوليتهم الأدبار، فالثبات فضيلة. والفرار كبيرة؛ وعليكم بذكر الله في السراء والضراء وحين البأس، فبذكره تطمئن القلوب، وبدعائه تفك الكروب، فهو القريب، المجيب دعوة الداعي، لا سيما إذا كان دعاء بالنصر على عدو الله، اثبتوا عند اللقاء، واذكروا الله كثيرًا، رجاء أن تفوزوا بالأجر والثواب، والنصرة على الأعداء"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ثنتان لا تردان أو قلما تردان، الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الدعاء عند الأذان وعند التقاء الجمعين في الجهاد وبين سبب ذلك بأن الدعاء فيهما لا يرد.

وأسلوب الترغيب من الأساليب التي يحسن استخدامها في الدعوة إلى الله، "وذلك لأن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر سواء ما كان فيها من عاجل وما كان من آجل، ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعي هداية القرآن، وهدي الرسول ﷺ، وتعمل جاهدة على أن تحفظ منهما ما وسعها الإمكان"[٣] لتستفيد به في كل زمان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٢/٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٧/١٠/١.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٥٠٩.

الحديث رقم (١٣٢٨)

١٣٢٨- وعن أنس ﷺ، قَالَ: كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذَا غَزَا، قَالَ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

عَضُدي: ناصري أتم نصر وأبلغه[2].

أَحَول: أصرف كيد العدو وأحتال لدفع مكرهم، من حال يحول حيلة وأصله حولة[3].

أَصُول: أحمل على العدو حتى أغلبه واستأصله، ومنه الصولة بمعنى الحملة[4].

الشرح الأدبي

إن التوكل على الله من سمات المنهج الإسلامي ومن معالم التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة وفي أيام الجهاد وأزمنة الصراع ومقاومة جحافل الشرك والغزاة يكون المسلم في أشد حالاته توكلاً على الله واحتماء به واحتياجاً لتأييده ونصره، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الذي يرصد موقف رسول الله وسلوكه الإيماني وهو يواجه أعداءه ويستعد لملاقاتهم نجد الحديث يضيء بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية ومن هذه الظواهر الفنية أسلوب الشرط في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٨٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦١).

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ع ض د).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح و ل).

(٤) المرجع السابق في (ص و ل).

بداية الحديث في قول الراوي الأعلى :انس بن مالك " إذا غزا قال " وهذا الأسلوب تتصدره أداة الشرط " إذا " وهى للتحقيق واليقين ولم يقل: إن غزا " لأن " إن " تفيد الشك وعدم التحقق، وانس يروى مشاهد حقيقية ويسرد دعاء رسول الله عندما يستعد للحرب وهو دعاء مأثور موثوق الخبر وصيغة الدعاء في قوله " اللهم " وما بعده " تعلن عن طبيعة المنهج الذي يتبعه المسلم في بداية كل عمل " وهو الدعاء " اتباعا لأمر الله عز وجل :ادعوني أستجب لكم " وصيغة " اللهم في الدعاء " مرتبطة بشدائد الأمور وقال الخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم اللهم بمعنى يا الله " وأن الميم المشددة عوض من يا " وضمير المخاطب " أنت " وهو في مخاطبة الله عز وجل واستحضار جلاله وسلطانة وإسناد العضد إلى الله عز وجل. . مع إضافته إلى ياء المتكلم وهو رسول الله ﷺ لأنه قوى بربه منصور به ومعنى " أنت عضدي " أي ناصري أتم نصر وأبلغه " ولنتأمل هذا الجمال الأسلوبي النابع من التكرار قوله: بك ثلاث مرات " وضمير الخطاب المتصل المقترن بباء الاستعانة. . والمقصود بك يا رب استعين وتتغير أحوالي من الضعف إلى القوة ومن الهوان إلي العزة ولا صولة إلا بك، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل، ولا قتال ولا انتصار إلا به ومما يقوى من هذا التوجه أسلوب القصر " عن طريق التقديم في الخبر في الجمل الثلاث بك أحول وبك أصول وبك أقاتل " والتعبير بالمضارع في قوله: أحول وأصول وأقاتل " للدلالة على تجدد هذا المنهج الإسلامي في كل زمان وفى كل مكان ولدى أي مواجهة تحدث بين المسلمين وأعدائهم ويجب أن يكون هذا الدعاء على لسان كل مجاهد يدافع عن الإسلام، وكرامة المسلمين، ولا يخفى عنصر التأثير الصوتي الذي يحدثه هذا الإيقاع الجميل المؤثر الناشئ من توازن العبارات وتوافق الفواصل من خلال السجع الذي جاء من غير تكلف في قوله: بك أحول وبك أصول. وبلاغة رسول الله كما وصفت (لم تصنع وهى من الأحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهى على السهولة بعيدة ممنوعة) عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: (اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل).

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الاستعانة بالله واللجوء إليه خاصة في أوقات الشدة.

وهذا كان شأنه ﷺ، فهو دائم اللجوء إلى الله والاستعانة به تعالى في كل وقت وحين، وأما في أوقات الشدة فيكون أشد إلحاحًا في الدعاء وفي طلب الإعانة من الله تعالى، وفي ذلك تعليم لأمته باللجوء إلى الله وقت الشدة والكروب بالدعاء والإلحاح فيه وطلب عونه ونصره تعالى. ومما ورد عنه ﷺ في ذلك لجوؤه إلى الله بالدعاء، والإلحاح فيه قبيل غزوة بدر.

فقبيل غزوة بدر يدعو رسول الله ﷺ ربه ويستعين به ويكثر من الإلحاح في الدعاء، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه: ((اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ. ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ. وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1]. فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلاَئِكَةِ))[2].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٦٣.

وقال القرطبي: "قوله: (فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه)، هذا منه ﷺ قيام بوظيفة ذلك الوقت من الدعاء، والالتجاء إلى الله تعالى، وتعليم لأمته ما يلجؤون إليه عند الشدائد والكرب الواقعة بهم، فإن ذلك الوقت كان وقت اضطرار وشدة، وقد وعد الله المضطر بالإجابة، حيث قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1]، يعني: عن المضطر عند الدعاء، فقام بعبادة ذلك الوقت، ولا يلزم من اجتهاده في الدعاء في ذلك الوقت أن يكون ارتاب في أن الله سينجز له ما وعده به، كما ظهر مما وقع لأبي بكر رضي الله عنه حيث قال له: كفاك مناشدتك ربك! فإنه سينجز لك ما وعدك! كما لا يلزم من دعائه في أن يدخله الله الجنة، وينجيه من النار، ويغفر له ذنوبه أن يكون في شك من شيء من ذلك، فإن الله قد أعلمه قطعًا أنه يدخله الجنة وينجيه من النار ويغفر له، لكنه قام بحق العبودية من إظهار الفاقة، وامتثال العبادة؛ فإن الدعاء مخ العبادة، فقلبه ﷺ مستغرق بمعرفة الواعد، وإنجاز الموعود، ولسانه وجوارحه مستغرقة بالقيام بحق عبادة المعبود، فقام في كل جارحة بوظيفتها، ولكل عبادة بحقيقتها.

وسقوط ردائه ﷺ عن منكبيه أوجبه غيبته عن ظاهره بما وجده في باطنه، وَردُّ أبي بكر رضي الله عنه رداء رسول الله ﷺ على منكبيه بعد سقوطه، أوجبه مراعاة أبي بكر رضي الله عنه أحوال رسول الله ﷺ حتى يحفظ عليه محاسن آدابه. والتزامه إياه، وتثبيته له بما قاله له، أوجبه فَرَطُ محبته وشفقته وقصر نظره على ظاهره، مع ذهوله عما استغرقه من ذلك من الالتفات إلى ما ذكرناه من المعاني والأسرار التي لاحت للنبي ﷺ في باطنه.

ولا يظن أحد أن أبا بكر رضي الله عنه كان في تلك الحالة أقوى من النبي ﷺ، وأوثق بما وعده الله به من النصر، فإن ذلك ظن من لا يعرف محمدًا ﷺ حق معرفته، ولا قدّره حق قدره. وكيف يصير إلى غير هذا المعنى من سمع قوله في الغار يوم سراقة:

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٢.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، وكيف يظن من يعلم أن رسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وأكملهم، وأقواهم ولو وزن بجميع أمته لرجحهم؟ وبلا شك: أن الأنبياء أفضل الناس، وأعلمهم بالله وبحدوده. ولا شك في أنه ﷺ أفضل الأنبياء وأكملهم. وإذا كانت هذه حاله مع الأنبياء، فحاله مع من ليس بنبي أعلى، وأكمل وهو فيها أقوى. وكيف لا يكون حاله في هذه القصة أتم، وأقوى من حال أبي بكر، وقبل ذلك الوقت بيسير كان قد أخبر أصحابه بأن الله ينصره على عدوه ذلك، حتى أراهم مصارعهم واحدًا واحدًا باسمه وعينه، فكان الأمر كما ذكر فثبت ما قلناه.

وقوله: (كفاك مناشدتك ربك) هكذا رواية العذري: كفاك - بالفاء - ورواية الكافة: كذاك مناشدتك ربك. ورواه البخاري: حسبك. وكلها متقاربة، إلا أن: كذاك، بابها الإغراء، كـ (إليك)، كما أنشدوا:

يَقُلْنَ وقد تَلاحَقَتِ المَطايَا ... كذاكَ القَوْلُ إنَّ عَلَيْكَ عَيْنا

والرواية (مناشدتك) بالرفع على أنه فاعل ما في كفاك وكذاك من معنى الفعل. وقد ضبط عن أبي بحر بالنصب على المفعول، ويكون الفاعل مضمرًا في الأمر المقدر الذي ناب (كذاك) عنه.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، أي: تطلبون منه الغوث وهو النصر: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[2]، أي: أجاب. (ممدكم) مقويكم ومعينكم، (مُرْدَفين) -بفتح الدال- اسم مفعول، أي: أردف الله بهم المسلمين، وبكسر الدال: اسم فاعل. قال أبو علي: يحتمل وجهين: أحدهما: مردفين مثلهم. يقال: أردفت زيدًا دابتي. فيكون المفعول الثاني محذوفًا.

والثاني: أن يكون المعنى: جاؤوا بعدكم. تقول العرب: بنو فلان مردفونا، أي: يجيئون بعدنا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(من فورهم): وجهتهم، وحينهم. و(مسوَّمين) -بفتح الواو-: اسم مفعول، أي: معلمين، من السيما، وهي العلامة أي: قد علموا بعلامة. وبكسر الواو: اسم فاعل، أي: علموا أذناب خيلهم بصوف أبيض، وقيل: أنفسهم بعمائم صفر"[١].

إن هذا الدعاء فيه كل مقومات الإيمان بالله والتوكل عليه وفيه يقين بأن الله الذي أرسله لن يخذله، وفيه حقيقة أنه استنفد جهده في الأخذ بالأسباب المادية لنصرة دعوته، فلا بد إذن أن تتدخل العناية الإلهية وتمده بأسباب النصر، تتولاه بعنايته[٢]، فلجأ إلى الله طالبًا عونه ونصره، ليعلم أمته أن تحرص على الأخذ بالأسباب ثم اللجوء إلى الله بالدعاء.

وقد كان رسول الله ﷺ دائم الحرص على اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه وتعالى في وقت الشدة، والأمثلة على ذلك كثيرة مثل: دعاؤه ﷺ على سادة قريش عندما اشتد إيذاءهم له، ودعاؤه بعد فشل رحلته إلى الطائف.. وغيرها الكثير من الوقائع التي وردت في ذلك.

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم النبي ﷺ لأمته بأهمية اللجوء والاستعانة بالله في كل وقت وخاصة وقت الشدة، والتعليم من الأشياء التي حرص عليها رسولنا الكريم ﷺ، معلم الخير منذ بداية دعوته وفي فترتها السرية كان يجتمع مع من أسلم ليعلمهم أمور دينهم، واستمرت هذه المهمة حتى قبض - عليه الصلاة والسلام - يعلم أصحابه رضي الله عنهم أمر دينهم، وهكذا صحابته رضي الله عنهم من بعده، ومعلوم أنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون حتى في الأمور الحياتية نلحظ هذا الفارق، والإسلام من خصائصه التي عرف بها الاهتمام بالعلم والتعليم، فلا بد أن تبدأ الدعوة في المجتمعات الإسلامية بالحث على الاهتمام بالعلم تعليمًا وتعلمًا حتى يتمكن الواحد منهم من العمل إذ لا عمل بدون علم،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٥٧٤ - ٥٧٧.

(٢) انظر: الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي ص ٢١٤ - ٢١٥.

وبالأخص العمل المتعلق بالعبادة أو العبادات المفروضة على المسلم[١].

ثالثًا - من آداب الداعية: الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء والاستعانة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث وذلك؛ لأن المسلم مأمور بالتأسي والاقتداء برسول الله ﷺ في الالتجاء إلى الله بالدعاء وطلب العون والمساعدة في كل الأشياء وذلك لأن الدعاء من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَرُدُّ القَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ))[٣].

وقال ﷺ: ((الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بالدُّعَاءِ))[٤].

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن الدعاء هو العبادة، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ وَقَرَأَ: وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - دَاخِرِينَ))[٥].

أي: "هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والإعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه"[٦].

فينبغي على المسلم الاقتداء بالنبي ﷺ في اللجوء إلى الله ودعائه وقت الشدة، لكن اللجوء يكون بعد استكمال الأسباب كاملة، وإعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٧].

فعلى الأمة المسلمة اتخاذ جميع أسباب القوة وتحصيل أسبابها وأن تأخذ بعوامل النصر كاملة من ثبات وتحمل وإخلاص وتكاتف بين أفرادها.

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٣٦ - ٤٣٩.

(٢) انظر: الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص ٨٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٢١٣٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٧٣٨)..

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٤٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٣)..

(٥) أخرجه الترمذي ٢٩٦٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٥).

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢١٩٣.

(٧) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

بعد هذا كله يتوجه الداعي إلى الله تعالى يطلب منه النصر والغوث والحفظ والرعاية ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾[١]، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[٢]، ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]، يدعوه بعد أن لم يترك ما في طاقته من قدرة واستعداد وتأهب وأخذ بالأسباب. لا أن يدعوه دعاء الكسالى، ويلجأ إليه لجوء المتواكلين والمغفلين، الذين يستحثون غارة الله أن تجد السير مسرعة لتنقص على الأعداء فتمزق جموعهم وتشتت شملهم وتحطم صناعتهم وتعطل تقدمهم وتطورهم، وإن كان هذا ليس على الله ببعيد ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤]. لكنه مشروط بـ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٥]، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟﴾[٦]، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٧]، واللجوء إلى الله تعالى أسلوب من أساليب الأخذ بالأسباب، التي اعتمدها رسول الله ﷺ في مسيرته الدعوية الطويلة، لأن بالأخذ به استشعار بمعية الله تعالى، وهو الحصن الحصين الذي يعتصم به. والقوة القاهرة التي تقف وراء الداعية فتبث بداخله الطمأنينة، والثقة بنصر الله وعونه، وتمده بالشجاعة والإقدام، وتظهر أمامه قوى الأعداء مهما بلغت هزيلة ضعيفة ذليلة متداعية"[٨].

---

(١) سورة القمر، آية: ١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٣) سورة القصص، آية: ٢١.

(٤) سورة يس، آية: ٨٢.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٧) سورة الرعد، آية: ١١.

(٨) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ١٢٢.

الحديث رقم (١٣٢٩)

١٣٢٩- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَومًا، قَالَ: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

نحورهم: جمع نُحْر: أعلى الصَّدر، ويقال: جعلتَ فلانًا في نحر العدو: أي قبالته وحذاءه ليُقاتل عنك، ويحول بينك وبينه، والمعنى: نسألك أن تصد صدورهم وتدفع شررهم[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الموجز البليغ نجده مطعماً بكثير من الأسرار التعبيرية في ظل نظرية النظم التي تكشف عن أسرار التعبير وجماليات الأسلوب فالحديث يبدأ بالتأكيد بأن على لسان الراوي " أبو داود " رواية عن أبى موسى، وبداية الحديث بالتأكيد ينبئ عن أهمية الخبر ويوحي إلى ترسيخ الموقف من الأعداء الذين نخشى بأسهم وغدرهم وأسلوب الشرط في قوله: كان إذا خاف قوماً: يرشد الى تحقق الدعاء وهو ما تحقق بعد ذلك: لأن إذا تدل على التحقق فأعداء الإسلام في كل عصر موجودون = والتنكير في قوله: قوماً. للعموم والتنويع، فلم يحدد هؤلاء القوم لأن جبهات العداوة للإسلام تتعدد وتتلون حسب تلون البيئات وتغير العصور

---

(١) برقم (١٥٣٧)، وتقدم برقم (٩٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٧٦٥)، وقال الحاكم (١٤٢/٢): هذا حديث صحيحٌ على شرط الشيخين وأكبر ظني أنهما لم يخرجاه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ح ر)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٦٩٢.

والدعاء في بيان الرسول ﷺ يجيء في صيغة الجمع ويبدأ بالتأكيد بعد قوله: اللهم، وصيغة الجمع توحي بأن الدعاء ليس فردياً وليس مناجاة وإنما الأمر أعم وأشمل فالخطر يهدد المسلمين جميعاً ولذلك لابد أن يقتدوا بالمصطفى ﷺ ويثقوا في قدرة الله عز وجل وحمايته لهم بعد الأخذ بالأسباب وإعداد القوة: (إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم) ولنتأمل هذا الإيقاع الصوتي النابع من السجع الجميل المؤثر وكذلك من الجناس الناقص في قوله " في نحورهم، ومن شرورهم " والتعبير بالمضارع في هذا الدعاء " نجعلك، ونعوذ بك " يعطى للدلالة هنا صبغة التجدد والحدوث والاستمرار والتوازن بين عبارتي الحديث يشير إلى ضرورة توازن شخصية المسلم في موقعة وعدم هلعه وبعده عن الفزع لأنه التجأ الى ربه وأوكل أمر أعدائه إلي حكم ربه وقدرته وإرادته، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم ٩٨٢.

الحديث رقم (١٣٣٠)

١٣٣٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((الخَيْلُ (مَعقُودٌ)[1] في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

معقود: ملوي مضفور[3].

نواصيها: المراد بالناصية هنا: الشعر المسترسل على الجبهة، وكني بالناصية عن جميع ذات الفرس[4].

الشرح الأدبي

إن للخيل في مسيرة الدعوة الإسلامية دوراً وأثر كبيراً فهي مقترنة بالجهاد والقوة والاستعداد " قال تعال {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} [الأنفال: ٦٠]. والحديث الشريف جاءت صياغته في قالب " الجملة الاسمية " وهى لها صفة الثبات وعدم التغيير وكأن هذه الإشارة الأسلوبية إعلان عن ثبات هذه القيمة المباركة التي أضفاها رسول الله ﷺ على الخيل، وسميت الخيل بذلك لأنها تختال في مشيتها وتزهو بنفسها وكذلك المسلم

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وإنما عند أحمد في المسند (٥٢٠٠)، وكذا عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليها المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٠) واللفظ له، ومسلم (١٨٧١/٩٦) كلاهما بدون قوله: ((معقود))، وهذه الزيادة في رواية عروة التي ستأتي بعد هذا. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٢).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٠٥.

(٤) المرجع السابق ١٢٠٦.

أمام أعدائه يختال ويزهو بقوته وشجاعته وهو مرهوب قال أبو عبيدة: الخيل واحدها خائل " لأنه يختال في مشيته، وقال جمهور علماء اللغة " لا واحد له من لفظه وتركيب الجملة في الحديث يفصح عن مراد الحديث وغايته فالخيل في الجملة: مبتدأ وقوله: معقود في نواصيها في كل زمان ومكان ينتشر فيه الإسلام إلى يوم القيامة والجناس والتشابه اللفظي بين قوله: الخيل والخير له أثره الصوتي العميق وكذلك له دلالته الدقيقة في التقارب الشديد والاقتران الدائر بين الخيل والخير حتى في النطق والحروف والتقديم في قوله: معقود في نواصيها الخير: يدل على أن الخير لا يفارق الخيل الغازية في سبيل الله والتعبير بقوله: معقود يوحى بالشدة. . والرسوخ، وبأن هذه الصفة ليست طارئة وإنما هي من ملازمات الخيل وتخصيص النواصي بذلك وهى مقدمة جبهة الفرس والشعر المسترسل عليها لأن العرب تقول: فلان مبارك الناصية وفى ذلك إشارة إلى ضرورة الإقدام بها على العدو وعدم الإدبار وكلمة: الخير: تشع بكثير من الدلالات التي ترتبط بالقوة والنصر والشجاعة. . ورفع كلمة الحق ونشر راية الإسلام خفاقة في كل زمان، ومكان والله أعلم.

فقه الحديث

قال النووي: (في هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله)[1].

المضامين الدعوية [2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل خيل الجهاد:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث قال رسول الله ﷺ في الأول: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦/١٣.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٣٣٠ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم ١٣٣١.

وقال في الثاني: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم).

قال القاضي عياض: "وقوله: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة)، وهذا من كلامه البليغ ﷺ، وتحسينه الألفاظ العذبة السهلة بعضها ببعض، وفي الحديث الآخر: ((الْخَيْرُ مَعْقُوصٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ))[1] وهو بمعنى معقود، أي ملوي بها ومضفور فيها والعقصة: الضفيرة. وفي الحديث الآخر: ((الْبَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ))[2]، الناصية: هذا الشعر المسترسل على الجبهة. قاله الخطابي[3]: وكنى بها عن الذات نفسها. يقال: فلان مبارك الناصية، أي الذات والنفس، وهذا كله دليل على تفضيل الخيل وارتباطها في سبيل الله، واتخاذها عدة لجهاد أعدائه، وأن خيرها وبركتها ما فسر في الحديث من الغنيمة. وفيه أن الجهاد باق ثابت إلى يوم القيامة، واستدل بعض العلماء باستمراره تحت راية كل بر وفاجر بهذا الحديث وفيه بقاء الإسلام والمجاهدين الذابين إلى يوم القيامة"[4].

قال النووي: "وفي هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل، واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأن فضلها وخيرها والجهاد باق إلى يوم القيامة"[5].

قال ابن حجر: (قال الخطابي: وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها).

وقال ابن عبدالبر: "فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب لأنه لم يأت عنه ﷺ في شيء غيرها مثل هذا القول"[6].

قال الشيخ محمد تقي العثماني: "قوله: (إلى يوم القيامة)، فيه إشارة إلى أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن الخيل لا يستغنى عنها في الجهاد إلى يوم القيامة، كما هو

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٧٣ عن عروة البارقي برواية أخرى.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٥١، ومسلم ١٨٧٤.

(٣) معالم السنن ٣٩٨/٣ وما بعدها.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٨٨/٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٠٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٦/٦.

مشاهد في عصرنا، حيث إن الخيل يحتاج إليها في الجبال والفلوات على الرغم من توفر الطائرات والدبابات وسائر آلات الحرب المعاصرة"[١].

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٢]، قال ابن زيد: "ورباط الخيل فضل عظيم ومنزلة شريفة، وكان لعروة البارقي سبعون فرسًا معدة للجهاد".

قال القرطبي: "فإن قيل: إن قوله: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، كان يكفي فلم خص الرمي والخيل بالذكر؟ قيل له: إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير على نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة، وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان خصها بالذكر تشريفًا، وأقسم بغبارها تكريمًا فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾[٣]"[٤].

والأحاديث في فضل حبس الخيل للجهاد كثيرة، منها:

قال رسول الله ﷺ: ((مَنِ احتبسَ فَرَسًا في سَبيلِ اللهِ، إيمانًا باللهِ، وتَصْديقًا بوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وروْثَهُ وبَوْلَهُ في مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ))[٥].

وقال ﷺ: ((مَنِ ارْتَبَطَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ عَالَجَ عَلَفَهُ بِيَدِهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةٌ))[٦].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (الخيل معقود في نواصيها الخير)، قال الطيبي: "فيه الترغيب في اتخاذ الخيل للجهاد، وأن الجهاد لا ينقطع أبدًا"[٧].

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٨/٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) سورة العاديات، آية: ١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧/٨/٤.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨٥٣.

(٦) أخرجه ابن ماجة ٢٧٩١ وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجة ٢٢٥٠).

(٧) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

فرغّب رسول الله ﷺ في الخيل وبيّن أن الخير معقود في نواصيها، ومن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها[1].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ على هذا المنوال الترغيب في الخير، يقول ﷺ: ((مَنِ اسْتَنَّ خَيْرًا فاسْتُنَّ بِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مُنْتَقصٍ مِنْ أُجورِهِمْ شَيْئًا))[2].

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٦/٢، رقم ٣٩٦١، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ.

الحديث رقم (١٣٣١)

١٣٣١ - وعن عروة البارقيِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((الخَيْلُ مَعقُودٌ في نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ: الأجْرُ، وَالمَغْنَمُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عروة البارقي: هو عروة بن الجعد وقيل: ابن أبي الجعد وقيل: ابن عياض بن أبي الجعد البارقي الأزدي.

كان ماهرًا في أمور البيع والشراء ودعا له النبي ﷺ بالبركة في بيعه، فصار من أغنى الناس، فقد أعطاه ﷺ دينارًا يشتري به شاة فاشترى له شاتين، فباع إحداهما بدينار فجاء بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه[2].

وفي رواية: قال: لقد رأيتني أقف بكُناسة الكوفة [اسم مكانٍ] فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلي. فكان أكثر أهل الكوفة مالاً[3].

وكان من المجاهدين بنفسه وماله في سبيل الله، أعدّ في بيته خيلاً للجهاد، لما عرف من فضل ذلك من النبي ﷺ كما في الحديث المذكور. قال شبيب بن غرقدة [أحد الرواة عنه]: رأيت في دار عروة سبعين فرسًا مربوطة للجهاد في سبيل الله عز وجل وشارك في الفتوحات فشهد فتوح الشام وكان مرابطًا في إحدى ثغورها ومعه عدة أفراس منها فرس اشتراه لعشرة آلاف درهم.

وظلّ هناك حتى استعمله عمر على قضاء الكوفة، فكان أول من قضى بها وهناك نشر علمه وحدّث بأحاديث رسول الله ﷺ[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣/٩٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٨٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).

(٣) أخرجه أحمد ٢٧٦/٤، رقم ١٩٣٦٢، وقال محققو المسند: هذا إسناد حسن ١٠٦/٣٢، ١٠٧.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٤/٤) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٥٦٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٤) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٢/٥) والتهذيب (٩١/٣).

غريب الألفاظ:

المَغْنَم: هو ما أصيب من أموال أهل الحرب، وأوْجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[١].

الشرح الأدبي

هذه رواية أخرى للحديث السابق وهى عن عروة البارقي. . وفيها زيادة وهى قوله "الأجر والمغنم" وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ولراوي الحديث الأعلى صلة قوية بموضوع الحديث فهو خبير بالخيل. . ويعرف فضلها. . ومواطن الخير فيها، فقد كان مرابطاً معه عده أفراس مربوطة للجهاد في سبيل الله منها فرس اشتراه بعشرة آلاف درهم، وقال شبيب بن عرقد: قد رأيت في دار عروة سبعين فرساً مربوطة للجهاد في سبيل الله تعالى " وقوله: الأجر والمغنم: تفصيل لبعض دلالات الخير وتوضيح للمراد والثواب في الآجل والعاجل، فالأجر: أي الثواب المرتب على ربطها: وهو خير آجل، والمغنم الذي يكتسبه المجاهد من مال الأعداء وهو خير عاجل والموقع الإعرابي لكلمتي: الأجر والمغنم، يفصح عن دلالة هاتين الكلمتين وعلاقتهما بالخير فهما اشعاعان يصدران عن فضاء الخير المتوهج بشموس العطاء الإلهي وأنوار التأييد الرباني، والكلمتان بدل من الخير أو عطف بيان وفى الحديث صورة بيانية ذات أثر بالغ في الترغيب والتشويق فقول الحبيب كما يقول صاحب دليل الفالحين يحتمل أن يكون الخير المبشر بالأجر والغنيمة استعاره لظهوره وملازمته وخص الناصية لرفعة قدرها: فكأنه شبهه لظهوره بشيء محسوس معقود على مكان مرتفع فنسب الخير إلى لازم المشبه به وذكر الناصية تجريد للاستعارة ومما يؤكد بركة الخيل رواية جابر التي رواها: أحمد حيث يقول ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار))[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ن م).

(٢) مسند الإمام أحمد الحديث رقم (١٤٧٩١).

(٣) تقدم ذكرها مدمجة في مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٢)

١٣٣٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

احتبس فرسًا: وقفه على الغزاة يركبونه في الجهاد[2].

شِبعه: قدر ما يشبع به[3].

رِيَّه: شُربه وشَبَعه[4].

وروثه وبوله: يريد ثواب ذلك لا الأرواث بعينها[5]، والرَّوث: رجيع ذات الحافِر[6]. أي: ما خرج من دبرها.

الشرح الأدبي

هذا وعد نبوي صادق لكل من يستعد لملاقاة العدو، ويعد العدة والعتاد. . من سلاح وخيل وزاد والحديث كله يصاغ في جمله شرطيه واحدة مكونة من أداة الشرط وجمله فعل الشرط وجمله جواب الشرط وهذه الصياغة تتفق مع مضمون الحديث الذي يتضمن الوعد بالجنة... مكافأة لكل من اقتنى الخيل وغذاها وتعهدها بالرعاية

---

(١) برقم (٢٨٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٨٧٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ب س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ب ع).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر و ي).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر و ث).

استعداداً للدفاع عن ثغور الإسلام. ،وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إيحاء بأن كل من يقدم على هذا الصنيع ينعم بالرشاد والهداية في ثوب التفكير المتزن والتوازن في كل خطواته، وجمله الشرط تتضمن " الفعل "احتبس" ومتعلقاته وصيغة "افتعل" تدل على المعاناة وبذل الجهد في تربية الخيل وإعدادها "والمراد" احتبسه على نفسه لسد ما عسى أن تحدث ثلمة في ثغر من الثغور ولذلك قيد الاحتباس بقوله في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده وقوله: إيمانا وتصديقاً: في موقع المفعول لأجله: فغاية الاحتباس من أجل الإيمان والتصديق بوعد الله ووعده صادق والله لا يخلف الميعاد، وجمله جواب الشرط: فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة: وهذه الجملة اسمية. . وهى تدل على الثبات وفى ذلك إشارة عن طريق الأسلوب إلى أن وعد الله ثابت ودائم ولا يتغير والتأكيد في بداية الجملة يقوى ذلك التفسير فالله لا يخلف الميعاد. . وقال العيني " وروثه يدل: أرد به ذلك الثواب لا أن الأرواث توزن بعينها فأي ترغيب في الجهاد أعظم وأجمل من هذا الترغيب النبوي الصادق البشارة والجميل.

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١- قال المهلب وغيره: في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب الأولى[١].

٢- وقوله: "وروثه" فيه أن المرء يؤجر بنية كما يؤجر العامل، وأنه لا بأس بذكر الشيء المستقذر بلفظه للحاجة)[٢].

---

(١) وقد خالف في ذلك أبو حنيفة: انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٢٠/٦، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٦٤/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٦٣/٤، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٤/٤٤-١٦٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧/٦.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على اقتناء الخيل وإعدادها في سبيل الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانٌ بالله، وتصديقا بوعده... إلخ الحديث)، قال الطيبي: "قال التوربشتي: والمعنى أنه يحبسه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور من ثلمة. قوله: (إيمانًا) مفعول له أي ربطه خالصًا لله تعالى امتثالاً لأمره. وقوله: (تصديقًا بوعده)، عبارة عن الثواب المرتب على الاحتباس فمن احتبس فكأنه قال: صدقت فيما وعدتني"[1].

وقد أمر المولى عز وجل بإعداد الخيل واقتنائها للجهاد في سبيل الله ولإرهاب أعداء الله، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2].

وقد أكد رسول الله ﷺ على أهمية اقتناء الخيل وإعدادها للجهاد في سبيله في كثير من الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: ((الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ. وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلاَ رِقَابِهَا. فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ. فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ. فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ. فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ. إِلاَّ كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ، حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ، عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ. وَلاَ تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٧/٧.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ إِلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا، حَسَنَاتٍ. وَلاَ مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا، إِلاَّ كَتَبَ اللّهُ لَهُ، عَدَدَ مَا شَرِبَتْ، حَسَنَاتٍ))[١].

وقال ﷺ: ((إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْزُوَ، فَاشْتَرِ فَرَسًا أَدْهَمَ أَغَرَّ مُحَجَّلاً مُطْلَقَ الْيُمْنَى، فَإِنَّكَ تَغْنَمُ وَتَسْلَمُ))[٢].

فالخيل كانت في الزمن القديم آلة الجهاد، وهي بمثابة أسرع المركبات العسكرية في عصرنا، ولذلك جاء الحث على اقتنائها بنحو قوله ﷺ: ((الخيلُ مَعْقُودٌ في نواصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ))[٣]، ولم تجب الزكاة فيها، تشجيعًا على اقتناءها، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((ليسَ على المسلمِ صدقةٌ في عبدِه ولا في فرَسِهِ))[٤]، وكره أكل لحمها، لأنها لو تسلط الناس عليها لأثر ذلك في كفاءة الجيوش، وجعل لها في الغنمية استحقاقًا هو ضعف استحقاق المقاتل وكره إنزاء الحمير على الخيل لإنتاج البغال؛ ولأن الخيل أجدى في الحرب من البغال، لأن البغال تصلح للحمل، أما الخيل فإنها للكر والفر، فقد أهديت لرسول الله ﷺ بغلة، فركبها، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو حملنا الحمير على الخيل لكانت لنا مثل هذه، فقال رسول الله ﷺ: ((إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ))[٥]"[٦].

أي لا يعلمون قيمة الخيل وفضلها أو الذين لا يعلمون أثر المزج بين الأنواع على انقراض الجميع في النهاية.

ثانيًا - فضل الإنفاق في إعداد عدة الجهاد:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث ذكر رسول الله ﷺ: (أن من احتبس

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٦٢، ٧٣٥٦، ومسلم ٩٨٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٢/٢، رقم ٢٥٠٤، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٤٩، ٣٦٤٤، ومسلم ١٨٧١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٦٣، ١٤٦٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٥٦٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٣٦).

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعه جي ٨٤٥/١.

فرسًا في سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده فإن شبعه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة).

وفضل الله على المنفقين لأموالهم في سبيل الله كبير، قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: "أي: مهما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال"[2].

وقال ﷺ: ((لِلْغَازِي أَجْرُهُ، وَلِلْجَاعِلِ أَجْرُهُ وَأَجْرُ الْغَازِي))[3].

أي: "له ثواب ما بذل من المال (وأجر الغازي)، أي: مثل أجره لإعانته على القتال"[4].

فيكون المنفق حصل على الأجر مرتين: الإنفاق وعلى أجر الغزو، وهذا يدل على فضل الله على المنفقين في سبيله.

والجهاد بالمال يتحقق بإحدى حالتين في الغالب:

الحالة الأولى: أن يجاهد المؤمن بنفسه وماله في سبيل الله فيقوم بشراء السلاح وشراء ما يحتاجه من زاد وراحلة ونحوه ويخرج بنفسه معتمدًا على ماله في النفقة وإعداد العدة وهذا ما أكده القرآن وأمر به في كثير من الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

الحالة الثانية: أن يجاهد بماله دون نفسه في سبيل الله ويكون الجهاد بالمال

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨٣/٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٥٢٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٢٠٣).

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٩٧.

(٥) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

مسقطًا عن صاحبه لفريضة الجهاد بالنفس عند عدم القدرة على الجهاد بالنفس لمرض أو عذر مانع ولتحقيق مثل أجر المجاهد إذا قام المجهز بإعطاء المجاهد جميع التكاليف من نفقة وتجهيزات بل قد يكون الجهاد بالمال بتجهيز الغزاة في بعض الأماكن والأزمان في حق بعض الأشخاص أولى من الجهاد بالنفس، وذلك مثل أن يوجد شباب لهم خبرة وتدريب ومعرفة بالمسالك والدروب وليس معهم ما يتجهزون به للجهاد، ويكون صاحب المال له قدرة على الإنفاق في سبيل الله، وخبرة بطرق تنمية المال وليس له معرفة بأمور الجهاد في سبيل الله، فجهاده بالمال بتجهيز من ذكرنا أولى وأنفع للأمة من جهاده بنفسه بمفرده.

إن كثيرًا من البلدان الإسلامية في هذه الأيام أحوج ما يكون للمال لتجهيز المجاهدين للدفاع عن النفس والعرض والدين وما يجب الدفاع عنه عمومًا.

إنه يجب على أصحاب الأموال والقادرين على الإنفاق، تجهيز من يقدرون على تجهيزه، بما يستطيعون من عتاد وتأهيل وتدريب ووقف أرصدة مالية لمن يرونه أهلاً للجهاد في سبيل الله في أي بقعة من بقاع الأرض، ويكون الواجب أشد وجوبًا وأعظم أجرًا في الإنفاق لإعانة وتجهيز المدافعين عن أنفسهم ودينهم وأهليهم أمام قوات الاحتلال الغاصبين.

إن الفرض الواجب على القادرين على الجهاد في سبيل الله لا يسقط إلا على من قام بالجهاد بنفسه وماله أو بتجهيز غيره للجهاد تجهيزًا كاملاً من ماله الحلال ابتغاء مرضاة الله ودون أي مقابل أو عرض من عرض الدنيا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[1].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: الحث على البذل والإنفاق في سبيل الله:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث إن النبي الكريم ﷺ يحث على البذل والإنفاق على احتباس الخيل في سبيل الله ليكون ذلك سببًا في الحصول على ثواب الله

---

(١) سورة الليل، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

ورضوانه.

قال ابن حجر: (قال المهلب وغيره: وفي الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى.

وقال ابن أبي جمرة: "يستفاد من هذا الحديث أن هذه الحسنات تقبل من صاحبها لتنصيص الشارع على أنها في ميزانه بخلاف غيرها فقد لا تقبل فلا تدخل الميزان"[١].

والإنفاق والبذل في سبيل الله يترتب عليهما رضوان الله، لأن الجهاد جزء أصيل لا يتجزأ عن طبيعة هذا الدين، والدين الذي ليس فيه جهاد لا يستطيع أن يثبت فوق أي أرض، ولا أن تستوي شجرته على سوقها، وأصالة الجهاد - التي هي من صميم هذا الدين ولها وزنها في ميزان رب العالمين - ليست ملابسة طارئة من ملابسات تلك الفترة التي تنزل فيها القرآن، وإنما هو ضرورة مصاحبة لهذه القافلة التي يوجهها هذا الدين فينبغي البذل والإنفاق في سبيل الله لإقامة دين الله وحفظه من الأعداء واعتدائهم على أهله[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٨/٦.

(٢) انظر: فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد العفاني ٢٣/١.

الحديث رقم (١٣٣٣)

١٣٣٣ - وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ - (إِلَى النبيِّ ﷺ)[١] - بِنَاقةٍ مَخْطُومَةٍ فَقَالَ: هذِهِ في سَبيلِ اللهِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُمائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مَخْطُومة: من الخطام، وخطام البعير أن يؤخذ حبل فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشد فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقاد به البعير. والمعنى ناقة مخطومة أي مربوطة مشدودة[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وأحد الصحابة الذين أخلصوا النية وأعدوا العدة وهذا الرجل: احتبس ناقة في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقاً بوعده ووصف الناقة بأنها مخطومة: أي في رأسها الخطام فهي ناقة زوراء. يشارك بها في الدفاع عن دين الله عز وجل والخطم في الدابة: مقدم الأنف والفم واسم الإشارة في قول الرجل: هذه في سبيل الله يوحى بإخلاص النية واحتباسه الكامل لهذه الناقة في سبيل الله حيث لم يقل هذه ناقتي ولم يقل خذ ناقتي وإنما قال: هذه: ثم أكمل الجملة وتتم المعنى بقوله: في سبيل الله، وتجيء مقولة رسول الله له مبشرة واعدة بأوفى وعد وبالجزاء المضاعف إلى سبعمائة ضعف ولنتأمل التقديم والتأخير في قول رسول الله: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة حيث قدم خطابه للرجل، مقروناً بلام الملكية وهذا التقديم يفيد النصر وفى ذلك

---

(١) هذا التفسير من المؤلف، وليس عند مسلم.

(٢) برقم (١٨٩٢/١٣٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ط م).

اطمئنان للرجل. . وترغيب في الإنفاق، وحث لغيرة على أن يحذو حذوه، والتقديم في قوله كلها مخطومة. . يفيد الاستقصاء والتأكيد على الثواب والخطام: هو الحبل الذي يقاد به البعير، وهو ترغيب يفتح القلوب على مصراعيها للبذل والعطاء استثمارا عند الله في الباقيات الصالحات.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البذل في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البذل في سبيل الله:

يظهر ذلك في قول أبي مسعود رضي الله عنه: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله.

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون في الإنفاق والبذل في سبيل الله. فعندما حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإنفاق في تبوك تصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله، وظنّ أنه سيسبق أبا بكر رضي الله عنه بذلك ولكن وجده أنفق كل ماله في سبيل الله.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك: أَمَرَنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) فَقُلْتُ مِثْلَهُ. قال: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بكلِّ ما عِنْدَهُ، فقال لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟)) قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا[1].

إن أجر البذل والإنفاق في سبيل الله عظيم عند الله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٦٧٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ١٤٧٢).

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٤.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل)[١]. وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى وعملوا بمقتضاه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا نزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢]. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَرَى رَبَّنَا يَسْأَلُنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَأُشْهِدُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ أَرْضِي، بيرحَا لِلَّهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اجْعَلْهَا فِي قَرَابَتِكَ قَالَ: فَجَعَلَهَا فِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ))[٣].

وكان أغنياء الصحابة رضي الله عنهم وفقراؤهم يشاركون في الإنفاق في سبيل الله بل إن إنفاق الفقراء أفضل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول اللهِ أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: ((أن تَصدَّقَ وأنتَ صَحيحٌ شَحيحٌ تَخشى الفَقْرَ وتأمُلُ الغِنى، ولا تُمْهِلُ حتى إذا بلغت الحُلْقُومَ قلتَ: لفُلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلان))[٤].

وكما كان الصحابة رضي الله عنهم ينفقون في سبيل الله، كذلك كانت الصحابيات - رضي الله عنهن - أكثر من يتصدق في عصر النبوة، وكانت أم المؤمنين زينب بنت خزيمة رضي الله عنها تعمل بيدها فتتصدق به، وكن يتصدقن من مال أزواجهن بعد استئذان الأزواج، وقد سجل التاريخ مواقف رائعة في الإنفاق في سبيل الله[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى لأجر المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن جعل الناقة في سبيل الله: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة)، ومضاعفة الأجر للمنفقين في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف واضح في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢١٩/٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم ٩٩٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٤١٩.

(٥) انظر: التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري ص ٣٠٨ - ٣١٠.

سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، أن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وهذا المثل أبلغ في النفوس، من ذكر عدد السبعمائة، فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف"[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سبيلِ الله كُتِبَتْ لَهُ بسَبْعَمَائَةِ ضِعْفٍ))[٣].

أي: من صرف نفقة صغيرة أو كبيرة كتبت له سبعمائة ضعف، أي: مثل، وهذا أقل الموعود، والله يضاعف لمن يشاء، قال المناوي: (أخذ منهم بعضهم أن هذا نهاية التضعيف، ورُدَّ بآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤])[٥].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الإنفاق والبذل في سبيل الله وبين ثواب ذلك مضاعف بسبعمائة ضعف يوم القيامة.

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة وكسب ثوابه في الآخرة والفوز فيها[٦]، وهو ما فعله رسول الله ﷺ من الترغيب في النفقة في سبيل الله.

"ومعلوم أن الإنسان في هذه الحياة - دار الاختبار والامتحان - تحيط به صوارف

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩١/١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٢٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٣٢٦).

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦١

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٩/٢.

(٦) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٠٢.

كثيرة جدًا خاصة في هذا العصر، والتي تؤثر على قيامه بما كلف به من أمر الدين وفي نفس الوقت جبلت نفسه على حب الخير والسعي في الحصول عليه وكره الشر والرغبة في البعد عنه، فالإنسان يحب نفسه ويتوق إلى حمايتها من كل الشرور العاجلة والآجلة، لهذا فإن أسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده الذي أطاعه واتقاه محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له"[1].

(١) قواعد الدعوة الإسلامية د. الشريف حمدان الهجاري ص ٤٤٠.

الحديث رقم (١٣٣٤)

١٣٣٤- وعن أَبي حمادٍ -ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِر، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ- عُقبة بن عامِر الجُهَنيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يقول: ((﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، أَلاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألاَ إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس متوهج من خطبة نبوية كريمة يحث فيها الرسول ﷺ أصحابة على الجهاد. . والحديث فيه اقتباس من القرآن الكريم حيث تلا النبي ﷺ في خطبته هذه الآية من سورة الأنفال. وهي في سياق قصة غزوة بدر حيث قصد المسلمون الكفار بلا آلة و لا عدة فأمرهم الله أن لا يعودوا لمثل ذلك، وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة، وقوة، وفعل الأمر هنا للوجوب ويدل على الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمي فريضة إلا أنه من فروض الكفايات والقوة لها عموميتها. . والمراد كل ما يتقوى به على وجوب العدو وكل ما هو آله للغزو والجهاد فهو من جمله القوة كما يقول: الرازي في مفاتيح الغيب، ولنتأمل القوة في هذا الجمل الثلاث. . وهى جمله واحدة متكررة لتأكد المعنى لترسيخ مفهوم ثقافة القوة في وجدان المسلمين في كل العصور، " ألا إن القوة الرمي " و الجملة تبدأ بألا " وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بأن متكرراً وهى للحض والاستعداد وتتكرر ثلاث مرات ثم يجيء التأكيد بإن متكرراً ثلاث مرات " إن القوة الرمي " والمراد أن الرمي أعظم أنواع القوة في العدد وأنفعها في الحرب ولا ينفى هذا

---

(١) برقم (١٩١٧/١٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٠).

كون غير الرمي لأن المسلم مطالب بأن يواكب كل تطور في صناعة آلات الدفاع، ووسائل الحرب في كل عصر وفى العصر الحديث على المسلمين أن يستكملوا معالم القوة المادية والمعنوية، وحتى الاقتصادية لأنها صارت في عصرنا من أسلحة السيطرة، لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ".

فقه الحديث

١ - حثّ النبي ﷺ أصحابه على الرمي وحضّهم على مواصلة التدرب عليه وحذّر من تعلّم الرمي وتركه، كما في أحاديث الباب[١]، قال النووي: (في هذه الأحاديث فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى. وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيل وغيرها. والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعداء بذلك[٢].

وقال أبو عبدالله القرطبي: (فضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين ونكايته شديدة على الكافرين، قال رسول الله ﷺ: "يا بني إسماعيل ارموا فإن أباكم كان راميًا" وتعلّم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية وقد يتعين)[٣].

٢ - المناضلة: المناضلة هي المسابقة في الرمي بالسهام، وتصح المناضلة على الرمي بالسهام بالاتفاق[٤].

وأجاز الشافعية المناضلة - بجانب ما تقدم - على رماح وعلى رمي بأحجار بمقلاع

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٨/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٦/١٣/٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٧/١٠ .

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٥٧/٥، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠٦/٦، والمغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١٦/١٣ وما بعدها ، والإقناع ٢٤٧/٢، وجواهر الإكليل ٢٧١/١ (عن الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٠/٢٣).

أو بيد ورمي بمنجنيق وكل نافع في الحرب بما يشبه ذلك كالرمي بالمسلات والإبر، والتردد بالسيوف والرماح.

وقد تجب المناضلة إذا تعينت طريقًا لقتال الكفار، وقد يكره أو يحرم - حسب اختلاف المذاهب - إذا كان سببًا في قتال قريب كافر لم يسبّ الله ورسوله. وبذلك تعتري المناضلة الأحكام التكليفية الخمسة[1].

٣ - قال النووي: (قوله ﷺ "من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى" هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر)[2].

٤ - وقال ابن حجر عن حديث سلمة بن الأكواع رضي الله عنه مرفوعًا: "ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا" قال: (فيه أن الجد الأعلى يسمّى أبًا، وفيه التنويه بذكر الماهر في صناعته ببيان فضله، وتطييب قلوب من هم دونه ... وفيه الندب إلى اتباع خصال الآباء المحمودة والعمل بمثلها)[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء.

أولاً - من فقه الداعية: الاستدلال بالقرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول عقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ("وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، ألا إن القوة الرمي...).

---

(١) الإقناع وحاشية الباجوري عليه ٢٤٧/٢، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٥٠/١٦، ١٧٠/٢٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٥٦/١٣/٧-٥ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٢/٦.

إن الداعية إلى الله صديق لكتابه الكريم، يألف تلاوته وينتظم في أداء وِرْده، ويستوحش إذا حجزته عنه شواغل طارئة.

والأصل أن يستوعبه كله حفظًا وتجويدًا، فإن قصر عن تلك الدرجة فلن يقصر في المداومة على مطالعته، واستذكار موضع الاستشهاد منه.

إن المعاني العلمية للقرآن الكريم يجب أن تكون جزءًا كبيرًا من حياة الداعية العقلية.. تسبح في فكره كما تسبح الكواكب في أجواء الفضاء، ففي رأسه كل ما يحويه القرآن من معارف يستخدمها في الاستدلال في دعوته.

والداعية الذي يحيا في جو القرآن ينشد للمجتمع حوله أن يحيا هو الآخر فيه، وأن يقيم أوامره ويجتنب نواهيه، وينفذ أحكامه، ويرعى حدوده ويقبل عليه إقبال المعظم لرسالته الموقن بصدقها، الراجي سعادة الدارين من ورائها..

قال الهراوي تحت عنوان: "نحن نبغي القرآن:

إن هذا القرآن يهدي إلى الرشد ... ويدعو لصالح الإنسان

نحن نبغي القرآن علمًا وفهمًا ... يخلقان الكمال في الشبان

نحن نبغي القرآن لفظًا ومعنى ... فهو صقل الحجا وصقل اللسان

نحن نبغي القرآن دينًا ودنيا ... يتجلى هديه الحسنيان

نحن نبغي القرآن في مهد الدّر ... س وفي كل منزل ومكان

والقرآن كله نماذج يتخير منها الداعية ما يناسب مقتضى الحال"[1].

قال د. القرضاوي: "ومما ينبغي للداعية أن يتحراه ويحرص عليه ويحكمه: حسن الاستدلال بالقرآن وآياته على ما يريد تقريره أو تثبيته من أحكام وتعاليم وأفكار. فإنه إذا أحسن الاستدلال بالنص القرآني، ووضعه في موضعه، أزاح كل شبهة، وقطع كل تعلة، وأخرس كل معارض، فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله ﴿وَمَنْ

---

(١) انظر: مع الله، الشيخ محمد الغزالي ص ٤٣١ - ٤٣٣.

أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[١]! ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[٢]. ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٣].

ولهذا لا يملك المؤمنون أمام الدليل القرآني الصريح إلا أن يقولوا: آمنا وصدقنا. أو: سمعنا وأطعنا كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[٤].

قد أدخل رجل على المأمون كان يمشي في الناس فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، دون أن يكون مأمورًا من قِبَل الخليفة، فقال له المأمون: لم تأمر وتنهى وقد جعل الله ذلك إلينا، ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٥]، فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أولياؤك وأعوانك فيه - ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٦]، وقال رسول الله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))[٧]. فأعجب المأمون بكلامه، وسر به وقال: "مثلك يجوز أن يأمر بالمعروف، فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا.

---

(١) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٥٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٥) سورة الحج، آية: ٤١.

(٦) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٧) أخرجه البخاري ٤٨١ ٢٤٤٦، ٦٠٢٦، ومسلم ٢٥٨٥.

وهكذا حين أحسن الرجل الاستشهاد بالقرآن والسنة، انقطعت حجة الخليفة، ولم يجد بدًا من إقرار الرجل على ما هو عليه.

وفي مقابل ذلك، دخل واعظ على المأمون فوعظه، وعنف له في القول. فقال المأمون: يا رجل، ارفق، فإن الله بعث من هو خير منك إلى من هو شر مني، وأمره بالرفق: بعث موسى وهارون إلى فرعون، فأوصاهما بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، وهنا كان موقف المأمون هو الأقوى، لأن الدليل القرآني معه. ومما يجب على الداعية أن يراعيه في هذا المقام أن يستدل بالمتفق عليه. لا بالمحتمل والمختلف فيه. فإن الدليل الذي يتطرق إليه الاحتمال، يسقط الاستدلال به.

فعند الحديث عن شمول القرآن - مثلاً - يستدل بعض الناس بقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[2].

مع أن الكتاب في الآية يحتمل أن يكون هو القرآن، فيكون الاستدلال صحيحًا ويحتمل أن يكون المراد به (اللوح المحفوظ) الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[3]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[4]. وغيرها من الآيات.

والأولى هنا أن يستدل على شمول القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[5]، فهي صريحة في الدلالة على المراد.

كما أن على الداعية أن يتجنب الاستدلال بما ليس بدليل.

---

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٣) سورة يس، آية: ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٨٩.

مثال ذلك: أن بعض الناس يستدلون على أن من ثمار تقوى الله أن يعلمه ما لم يكن يعلم - بقوله تعالى في ختام آية من سورة البقرة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[١].

والحق أن الآية لا تدل على هذه الدعوى، لأنها ليست أمرًا وجوابًا فإنما كان يصح ذلك لو كان لفظها: (واتقوا الله يعلمكم الله)، أما الآية أو هذه الفقرة منها - فإنها تتضمن أمرًا بتقوى الله، كما هي سنة القرآن حين يقرن الأوامر والنواهي بالتقوى. ثم بعد ذلك قال: (ويعلمكم الله) أي هذه الأوامر والأحكام، كما قال في آية أخرى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا﴾[٢].

أما الاستدلال على الدعوى المذكورة فيمكن بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٣]. أي نورًا تفرقون به بين الحق والباطل.

ومثلها قوله في سورة الحديد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾[٤].

بل يمكن أن يستدل بعموم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[٥]، لأنه يشمل المخرج من الشبهات والمتشابهات"[٦].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: التكرار والتوكيد:

يظهر ذلك من قول رسول الله ﷺ: (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)، حيث كرر وأكد ﷺ أن القوة الرمي، والتأكيد من أهم الوسائل

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١٧٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٨.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٢.

(٦) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي ص ٣٠ - ٣٣.

في تثبيت المعنى في القلوب، وبثه في النفوس، وحملها على التصديق والإيمان به، لا يكون التأكيد ذا نفوذ حقيقي، إلا إذا دام تكراره ما أمكن، والأمر إذا ما أكد انتهى بالتكرار إلى الرسوخ في النفس على أنه حقيقة ثابتة"[١].

ولا شك في أن التأكيد والتكرار لهما أثر كبير في النفوس. وهذا شيء هديت إليه فطرة الإنسان فلجأ إلى تأكيد كلامه للسامع وتكرار ما يريد نقله إليه، لما رأى أثر ذلك في تثبيت المعاني وتأكيد الأفكار لديه"[٢].

والأمر إذا كرر لم يلبث في الحقيقة أن يستقر في مناطق اللاشعور العميقة، حيث تنضج عوامل سيرنا، ونحن إذا ننسى مصدر الزعم المكرر بعد انقضاء بعض الزمن، لا نلبث أن نؤمن به. وبهذا نفسر قوة الإعلام العجيبة[٣].

والقرآن الكريم سبق السنة النبوية في استخدام التكرار والتوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم، حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، وقد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها، علمًا منه بما لذلك من أثر في النفس[٤].

وقد استخدم الرسول ﷺ التوكيد والتكرار وسيلة تربوية، تجعل من الأمر المكرر عند المرء عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه.

فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[٥].

ومن عادته ﷺ التكرار للأمور المهمة ثلاث مرات أو أكثر تأكيدًا لينبه السامع

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة ص ٣٤، وروح الجماعات، لجوستاف ص ١١٥.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد بركة ص ٣٤.

(٣) روح الجماعات، لجوستاف ليبون ص ١١٥.

(٤) من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٥) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، رسالة دكتوراه، الشركة التونسية للتوزيع: ١٩٧١م، ص ١٢٨ بتصرف.

على إحضار قلبه وفهمه للخير الذي يذكره[١].

ومن أمثلة التكرار والتأكيد عنده ﷺ:

١/ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((ألا أُنبِّكم بأكبرِ الكبائر؟)) قلنا: بلى يا رسولَ الله. قال ثلاثًا: ((الإشراك بالله، وعُقوق الوالِدَين. وكان متَّكِئًا فجلسَ فقال: ألا وقولُ الزُّور. وشهادةُ الزور. ألا وقولُ الزور. وشهادةُ الزور))، فما زال يقولها حتى قلنا: ليته سَكَت[٢].

٢/ وروى البخاري عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: ((واللّهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)). قيل: ومَن يا رسولَ الله؟ قال: ((الذي لا يأمنُ جارهُ بوائقَه))[٣].

٣/ وما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة أيضًا قال: أثنى رجلٌ على رجلٍ عند النبيِّ ﷺ، فقال: ((وَيلَكَ، قطعتَ عُنُقَ صاحِبكَ مرارًا، قطعتَ عنقَ صاحبكَ)). ثم قال: ((من كان منكم مادحًا أخاهُ لا مَحالَةَ فلْيَقُلْ: أحسب فلانًا. واللهُ حَسيبُه. ولا أُزكي على اللهِ أحدًا. أحسِبهُ كذا وكذا. إن كان يَعلمُ ذلك منه))[٤].

٤/ وما رواه البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثم قال: اتقوا النار. ثمَّ أعرض وأشاحَ ثلاثًا حتى ظننا أنه يَنظرُ إليها. ثم قال: اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرة، فمن لم يَجِدْ فبكلمةٍ طيِّبة))[٥][٦].

٥/ وما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: ((كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثًا))[٧].

فأسلوب التكرار من أساليب الدعوة التي توضح الدعوة وتجعل المدعوين يفهمونها

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ١٠/٥٠١.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٥٤، ٥٩٧٦، ٦٢٧٣، ٦٢٧٤، ٦٩١٩، ومسلم ٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١٦.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٦٦٢، ٦١٦٢، ومسلم ٣٠٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٥٤٠.

(٦) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٣٠١ - ٣٠٣.

(٧) أخرجه البخاري ٩٥.

وتزيل ما بأنفسهم من شك وعدم فهم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية استخدام القوة والإفادة من التقنيات الحديثة في الحرب مع الأعداء:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إلا إن القوة الرمي...).

قال القرطبي: "إنما فسر القوة بالرمي، وإن كانت تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب، لكون الرمي أشد نكاية في العدو وأسهل مؤونة، لأنه قد يرمي رأس الكتيبة فيصاب فيهزم من خلفه"[١].

قال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٢]، "والإعداد التهيئة والإحضار، ودخل في (ما استطعتم) كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة.

والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم، لأن ما يراد من الجماعة إنما يقوم بتنفيذه ولاة الأمور الذين هم وكلاء الأمة على مصالحها.

والقوة تطلق مجازًا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق أيضًا على سبب شدة التاثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا، فهو مجاز مرسل بواسطتين فاتخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطائرات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا.

وبهذا الاعتبار يفسر ما روى مسلم والترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال: (ألا إن القوة الرمي، قالها ثلاثًا)، أي أكمل أفراد القوة آلة الرمي، أي: في ذلك العصر وليس المراد حصر القوة في آلة الرمي"[٣].

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥/٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٥٥/١٠/٥.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: "أي: (وأعدوا) لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم، وإبطال دينكم (ما استطعتم من قوة)، أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم، فدخل من ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنه به شر أعدائهم وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي ﷺ: (ألا إن القوة الرمي)، ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته. فإذا كان شيء موجودًا أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)"[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

الحديث رقم (١٣٣٥)

١٣٣٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلاَ يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

يلهو بأسهمه: يلعب بأسهمه، والمعنى: الندب إلى الرمي والتمرن عليه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من المبشرات التي تحققت والتي تؤكد سر تفرد الحديث النبوي بعد القرآن الكريم بكثير من أسرار الإعجاز العلمي والبياني والتاريخي ولنتأمل سر بناء الفعل (ستفتح) للمجهول وسر اقترانه بالسين، وتعلق حرف الجر ومجروره به، والسر التعبيري يتمثل في أن هذه الصيغة اللغوية تشير إلى كثرة الفتوحات وكثرة البلاد التي ستدين بالإسلام وتدخل في دين الله أفواجاً بدون قتال ولا حروب بقدرة الله عز وجل وقد حدث ذلك في العصور المتعاقبة وفى العصر الحديث بمشيئة الله عز وجل وإرادته والتعبير بقوله: عليكم " أولى وأنسب لسياق الحديث " لكم " لأن عليكم توحي بالخير والغنائم وكثرة الأرزاق والفتح: هو النتيجة الحتمية للنصر وهو في اللغة ضد الإغلاق ومن معاني الفتح التي توحي بالخير والخصب أن الفتح هو الماء المتحدر إلى الأرض لتسقى به أو هو الماء الجاري على سطح الأرض أو هو " النهر " وفى الحديث ما سقى فتحاً وما سقى بالفتح ففيه العشرة ومادة الفتح وما يشق منها " ذكرت فى ٣٨ " ثمانية

---

(١) برقم (١٦٨/١٩١٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل هـ و)، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٥، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٥.

وثلاثين آية في القرآن الكريم ودلالاتها متقاربة فالفتح ضد الإغلاق والفتح بمعنى " الحكم والفتح المراد هو انتشار الإسلام وظهوره بعد نصر الله لجنده في ميادين الجهاد.، والتفكير في قوله " أرضون " يوحى بكثرة الفتوحات التي لا تحدها جهة و لا يؤخرها زمان وإنما هذه الأرضون ستكون في كثير من جهات العالم وقاراته، وقوله: ويكفيكم الله إشارة إلى الراحة من عناء القتال ودخول الناس في الإسلام طواعية في أيام السلم وقال أحد المفشرين في شأن صلح الحديبية سمى ظفر المسلمين فتحاً تعظيماً لشأن المسلمين وأسلوب النفي في العبارة الأخيرة فيه تحذير للمسلمين من نسيان فنون القتال وفى مقدمتها " الرمي " وفيه دعوة للتدريب والاستعداد للدفاع عن الإسلام والتصدي للأعداء المتربصين بالمسلمين وعقيدتهم وديارهم [1] والله اعلم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بشارة النبي ﷺ بالفتوحات الإسلامية:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله..).

وفي ذلك بشارة من النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم بالفتوحات الإسلامية وهذا معجزات ودلائل نبوته ﷺ، وما أخبر به ﷺ من المغيبات زيادة على ما جاء في الكتاب العزيز فوقع بعد وفاته كما أخبر سواء بسواء والأحاديث في هذا كثيرة[3]، منها:

---

(١) أنظر : التطور الدلالى بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٦).

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

قوله ﷺ: ((تُفْتَحُ الشَّامُ. وَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يُبِسُّونَ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْيَمَنُ. فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. ثُمَّ تُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيهِمْ. يَبِسُّونَ. وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[1].

قال النووي: "قال العلماء: في هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ؛ لأنه أخبر بفتح هذه الأقاليم، وأن الناس يتحملون بأهليهم إليها ويتركون المدينة، وأن هذه الأقاليم تفتح على هذا الترتيب، ووجد جميع ذلك كذلك بحمد الله وفضله"[2].

وقال ابن عبدالبر وغيره: "افتتحت اليمن في أيام النبي ﷺ وفي أيام أبي بكر رضي الله عنه، وافتتحت الشام بعدها، والعراق بعدها وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد وقع على وفق ما أخبر به النبي ﷺ وعلى ترتيبه، ووقع تفرق الناس في البلاد لما فيها من السعة والرخاء"[3].

ومن الأحاديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ. فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا. وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ. وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ. وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ. وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ. وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ. يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ. وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[4].

وهكذا وقع فقد عمّ وظهر وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم وذلت لهم سائر البلاد ودان

---

(١) أخرجه البخاري ١٨٧٥، ومسلم ١٣٨٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ٨٦١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٤/١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٨٩.

لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله [١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: حثّ المسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو:

يظهر ذلك من قوله ﷺ: (فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه)، وقوله ﷺ: (من علم الرمي، ثم تركه فليس منا أو فقد عصى)، وفي ذلك حث للمسلمين على الأخذ بأسباب القوة والاستعداد في أوقات السلم وعدم الخضوع واللهو.

وهو ما يعرف في الحروب الحديثة بالحرب النفسية، وهذا من أخطر الأسلحة التي يمكن أن يستخدمها كل فريق ضد الآخر، والقرآن الكريم أشار إلى أن إعداد العدة المادية والمعنوية فيه إرهاب لأعداء، تمكين للرعب في قلوبهم، وهو هدف من أهداف إزهاق الباطل وإذلاله [٢]، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٣].

قال القاسمي: "دلت هذه الآية على وجوب إعداد القوة الحربية، إتقاء بأس العدو وهجومه، ولما عمل الأمراء بمقتضى هذه الآية، أيام حضارة الإسلام، كان الإسلام عزيزًا عظيمًا...، وعاش بنوه أحقابًا متتالية وهم سادة الأمم، وقادة وشعوب، وزمام الحول والطول وقطب روحي العز والمجد، لا يستكينون لقوة، ولا يرهبون لسطوة، وأما اليوم، فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ومالوا إلى النعيم والترف وأهملوا فرضًا من فروض الكفاية، فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض، ولذا تعاني اليوم من غصته ما تعاني" [٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٦/١.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٣٧٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٨٥/٨/٥.

فالأخذ بأسباب القوة فريضة على المسلمين على اختلاف صنوفها وألوانها، وأسبابها، مادية كانت أو معنوية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، والخطاب لكافة المسلمين لأن المأمور به وظيفة كافتهم، وتشمل كل ما يطيقونه مما يفيد في الحرب من الوسائل ماديًا كان كالسلاح والإنفاق وتدريب المجاهدين في فنون الحرب، وإتقان استعمال أنواع السلاح المختلفة، لقوله: (ما استطعتم) أو معنويًا كالتصافي، واتفاق الكلمة والثقة بالله وعدم خوض الحرب بغير إذن الإمام، والاختيار لإمارة الجيش من كان ثقة في دينه، والتوصية بتقوى الله، وأخذ البيعة عليهم بالثبات على الجهاد وعدم الفرار، وغير ذلك مما يؤدي إلى القوة البدنية والمعنوية.

فأخذ أسباب القوة بقسميها فرض على المسلمين، بالأمر القرآني: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، وقد ثبت أن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم مارسوا كل عمل مشروع متاح لهم في بيئتهم يدل على علو الهمة وكمال الرجولة، ويؤدي إلى قوة الجسم ودفع الكسل والميل إلى الدعة"[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بالأسباب وإعداد العدة:

ويستنبط ذلك من عموم الحديثين حيث أن نهيه ﷺ عن ترك الرمي، بيان لأهمية إعداد العدة والحفاظ على أسباب النصر، وقد أمر الله تعالى في السعي في الأسباب وإعداد العدة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[3].

قال ابن كثير: "يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيله"[4].

إن الأخذ بالأسباب وإعداد العدة من الأشياء المهمة في تحقيق النصر وإرهاب العدو؛

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٣٤، انظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) سورة النساء، آية: ٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٥٧/٢.

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))[١].

فالعدة - أي الاستعداد للحرب - فريضة تلازم فريضة الجهاد، فالحرب بلا عدة إلقاء للنفس إلى التهلكة، والعدة للحرب في سبيل إعلاء كلمة الله بأنواعها فرض على المسلمين. قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٢]، والخطاب لكافة المسلمين، وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٣]، أي بترك الإنفاق في سبيل الله، والخطاب أيضًا لكافتهم، وعد سبحانه وتعالى: ترك الإنفاق في سبيل الله وعدم الاستعداد للحرب باتخاذ العدة اللازمة للنصر تهلكة للنفس، وتهلكة للجماعة، فالدعوة إلى الجهاد في التوجيهات القرآنية والنبوية تلازمها في الأغلب الأعم دعوة إلى الإنفاق.

جاء في تفسير الماوردي: "(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بأن تتركوا النفقة في سبيل الله فتهلكوا، ثم قال: هذا قول ابن عباس، قيل: لا تقحموا أنفسكم في الحرب بغير نكاية في العدو، وقال ابن كثير: التهلكة أن تمسك يدك عن النفقة في سبيل الله.

والعدة بما في الطوق من فروض الكفاية على المسلمين، فإن تركوها أثموا جميعًا، وهي من الأمور المنوطة بالإمام وتلزم عليه، قال الماوردي: من الأمور الواجبة على الإمام: تحصين الثغور بالعدة المانعة، والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرمًا، أو يسفكون يها لمسلم أو معاهد دمًا، وعد القرآن ترك العدة للحرب إعلاء لكلمة الله من علامات النفاق، فقال تعالى في شأن المنافقين الذين استأذنوا النبي ﷺ لأعذار واهية في عدم الخروج معه في الجهاد: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٢) سورة الأنفال آية: ٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً ﴾[1]"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى).

قال النووي: "هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر"[3].

إن أسلوب الترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال بها العبد مرضاته[4].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٤٤ - ٤٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣٠١/٩ - ٣٠٢، وانظر: مراجعها ومصادرها.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٥.

(٤) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب بن لطف الديلمي، ط١ دار المجتمع، جدة: ١٤٠٦هـ، ٥٤٣/١.

الحديث رقم (١٣٣٦)

١٣٣٦ - وعنه: أنَّه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ: فَقَدْ عَصَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور معناه في فلك الحدثين السابقين ومن دلائل هذا الإتقان في المعنى أن الراوي واحد في الأحاديث الثلاثة والحديث التالي كذلك يتفق في معناه ومقصده. . وهو التأكيد على إتقان فن الرمي كما قال رسول الله صلى الله علية وسلم " ألا إن القوة الرمي " وصياغة الحديث اللغوية تكشف عن أسرار ودلالات كثيرة في سياق المراد من الحديث فالحديث كله جمله شرطية واحدة وهو بمثابة قاعدة إسلامية يرسيها رسول الله صلى الله علية وسلم في كل عصر وفى كل مكان وأداة الشرط " من " وهى للعاقل. . وفى ذلك إشارة إلى ما يجب أن يكون علية المسلم من الوعي والإدراك وفعل الشرط قوله: (علم): وبناؤه للمجهول يرشد إلى أن تعليم الرمي لا يكون اختياراً وليس مسؤولية فردية وإنما تعلمه مسؤولية جماعية وفرق بين (علم) (وتعلم): فالفعل تعلم يفيد التكلف الذي يوحي بمشقة والفعل (علم) يشير إلى المواتاة، والطواعية التي تشير إلى الميل الداعي للملازمة لمن يتعلمها فتتمكن من نفسه، ويتقنها فلا يجب عليه أن يضيع تلك الميزة لهذه المهارة التي تحقق التفوق القتالي مع حفظ قوة المسلمين لأن الرامي يصيب عدوه، دون أن يناله من أذى هذا العدو خطر لأنه ليس فيه مواجهة مباشرة كما في المبارزة بالسيف مثلا، أما الفعل تعلم فإنه يشير إلى تكلف فتفيد التكليف وهناك من ينتدب لتعليم الرمي بصورة منتظمة وعلمية وقس على ذلك كل

---

(١) برقم (١٩١٩/١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٤٨).

فنون الاستعداد للدفاع عن النفس والأرض والعرض والعقيدة والعطف بثم في قوله: ثم تركة " يوحى بالتمهل وطول الخبرة في هذا الفن القتالي، وجواب الشرط فيه قسم للأمر وفية تنويه بأهمية تعلم الرمي: حيث قال: فليس منا ومعناه: ليس من أهل هدينا أو ليس على مثال المسلم الكامل وقوله: " منا " إشارة إلى وحدة التصور الإسلامي وتوحد الأمة الإسلامية فالأمة كلها كالبنيان المرصوص يشد بعضة بعضا " وقال العلماء (هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد تعلمه وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركة بلا عذر) والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٣٧)

١٣٣٧ - وعنه ﷺ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يقول: ((إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ ومُنْبِلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا[1].

وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا)) أَوْ قَالَ: ((كَفَرَهَا)) رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

غريب الألفاظ:

بالسهم الواحد: أي بسبب رميه على الكفار[3].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة ولا واحد له من لفظه[4].

يحتسب الخير: استعمل أنواع البر وقام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجوِّ منها[5].

منبله: مناول النبل، يقال: نبَّلت الرجل بالتشديد إذا ناولته النبل ليرمي به، قال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحدًا بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل المرمي به[6].

---

(١) عند أبي داود زيادة: (ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسَه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونَبله)، تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه، حيث لم يوردها.

(٢) برقم (٢٥١٣). وقال الحاكم (٢/٩٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣١).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٥) المرجع السابق في (ح س ب).

(٦) المرجع السابق في (ن ب ل).

رغبة عنه: إعراضًا عنه[١].

كفرها: سترها ولم يشكرها[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين فضل تعلم الرمي للدفاع عن دين الله وراويه هو " راوي الأحاديث الثلاثة السابقة " ويبدأ الحديث بالتأكيد بأن للدلالة على أفضلية الرمي وأهميته وفيه بشرى لكل من تعلم الرمي أو صنع السهام أو شارك في مساعدة الرماة والمؤكد في هذه الجملة هو " دخول الجنة " واسم إن " لفظ الجلالة " الله " والتصريح باسم الجلالة، ثم إعادته مرة ثانية عن طريق الإضمار في قوله: (يدخل): أي هو يضاعف من قيمة التأكيد على أهمية " الرمي " في الإسلام وصيغة اسم الفاعل في بيان هؤلاء الثلاثة الذين يدخلون الجنة بسبب صنع السهام واستعمالها في سبيل الله هذه الصيغة المتماثلة في قوله: صانعه، والرامي به، ومنبله " يرشد إلى عظمة الفعل ومهارة الفاعل، وإتقان العمل، وإخلاص النية وقوله: (الخير) لفظ جامع لكل استخدام للسهام في سبيل المصلحة العامة. . وحماية النفس: حيث يقصد الرامي بعمله التقرب إلى الله وإثابته وتكرار الأمر في قوله: وارموا واركبوا. . للدلالة على أهمية الأمر والاستعداد للقتال حتى الخيول لابد من تدريبها. . وإتقان فن الفروسية استعداداً للمواجهة والدفاع والنصر والفتح، وقدم الرمي على الركوب: لقوة نفعه بالنسبة لنفع الركوب لأن الرمي يصيب العدو عن بعد، فيضمن سلامة المجاهد، وإصابة عدوه، ولذلك يصرح رسول الله بذلك، ويستخدم المصدر المؤل مرتين في أسلوبه للإيحاء بالمكابدة والمعاناة والفعل المتجدد. . وتتضمن هذه الصيغة أمر بالرمي والركوب غير مباشر بعد وروده صريحاً في الجملة الأخيرة جاءت في صيغة الشرط لإرساء قاعدة الثواب والعقاب، حيث قال: ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها أو قال كفرها" .

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر غ ب).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

وجواب الشرط فيه إنذار غير مباشر. وجاء مؤكداً ولم يصرح بالعقاب وإنما اكتفى بقوله فإنها نعمة تركها أو كفرها وهل هناك ذنب أشد وأكبر من كفران النعمة وجحدها؟؟ والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة)، حيث أكد رسول الله ﷺ على دخول الجنة بالسهم الواحد ثلاثة نفر.

وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على الحقائق للمدعوين حتى يتيقنوا من صدقها.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل النية الخالصة في العمل:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (صانعه يحتسب في صنعته الخير)، أي:حال كونه يطلب في صنعة السهم الثواب من الله تعالى[1].

فلا يعتد بالعمل في أبواب الخير إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، فتكون وجهة الإنسان في الحياة إرادة الخير لنفسه وللناس جميعًا[2].

وفي الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي ص ٢٧٩.

يقول: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى: فَمَنْ كانتْ هِجْرَتُه إلى دُنْيَا يُصِيبُها، أَوْ إلى امْرَأَةٍ يَنْكِحُها، فَهِجْرَتُه إلى ما هاجَرَ إِلَيه))[١].

قال ابن رجب: "لما ذكر رسول الله ﷺ أن الأعمال بحسب النيات وأن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شيء ذكر بعد ذلك مثالاً من الأمثال والأعمال التي صورتها واحدة ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات وكأنه يقول سائر الأعمال على حذو هذا المثال.

أي: سائر الأعمال كالهجرة في هذا المعني فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد والحج وغيرهما وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به من الرياء وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك أي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فخرج بهذا كل ما سألوه عنه من المقاصد الدنيوية.

ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن قاتل في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ)).

وفي رواية لمسلم سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله؟ فذكر الحديث.

وفي رواية له أيضًا ((الرَّجُلُ يُقَاتِلُ غَضَبًا وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً))[٢].

وخرج النسائي من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له فقال رسول الله ﷺ: لاشيء ثم قال رسول الله ﷺ ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ))[٣]"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ١، واللفظ له، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦، ٧٤٥٨، ومسلم ١٩٠٤.

(٣) أخرجه النسائي ٣١٤٠، وقال الألباني: حسن صحيح، (صحيح سنن النسائي ٢٩٤٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٧٢ - ٧٥.

" فالنية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، والنبي ﷺ قد قال كلمتين كَفَتَا وشَفَتَا وتحتهما كنوز العلم وهما قوله: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى)) فبين في الجملة الأولى أن العمل لا يقع إلا بالنية، ولهذا لا يكون عمل إلا بنية، ثم بين في الجملة الثانية أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه وهذا يعم العبادات والمعاملات والأيمان والنذور وسائر العقود والأفعال"[١].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحث على المساهمة في دعم قوة المسلمين من خلال الصناعة وغيرها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبله ...).

وقد كان رسول الله ﷺ يذكر الصحابة رضي الله عنهم بأن الأنبياء عليهم السلام وهم القدوة للناس كانوا يحترفون لأنفسهم ويقومون ببعض الحرف للكسب، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا))[٣].

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ كان دائمًا يضرب الأمثال للصحابة رضي الله عنهم بالأنبياء عليهم السلام وأنهم كانوا يحترفون لأنفسهم ويطلبون العيش عن طريق بعض الحرف أو الصناعات اليدوية دون أن يأنفوا من ذلك وكان لدى الصحابة رضي الله عنهم استجابة لهذه التوجيهات الكريمة[٤].

ويكاد علماء المسلمين يجمعون على أن القيام بالصناعات فرض كفاية على المسلمين كما أنهم جعلوا لولي الأمر إلزام أرباب الصناعات القيام بأعمالهم[٥].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ٦٠٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٧٩، وابن ماجه ٢١٥٠.

(٤) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د. عبدالعزيز بن إبراهيم العُمري ص ٤٦.

(٥) انظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية أو الفراسة المرضية في أحكام السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، خرج آياته وأحاديثه: الشيخ/ زكريا عميرات ص ١٩٢.

وهذه التوجيهات النبوية الكريمة كلها توجه الأمة نحو العمل والكسب والاحتراف والقيام بما يحتاج إليه الناس من صناعات[١].

رابعًا - من أهداف الدعوة: الحث على الإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: (وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا..). وفي ذلك حث على الرمي والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية اللازمة.

والإعداد البدني وتعلم الرياضة البدنية من الأشياء اللازمة للمحارب، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتمرنون على الرمي باستمرار بناء على توجيه الرسول ﷺ لهم، وكان الرسول ﷺ يشهد ذلك معهم حتى إنهم في بعض الأيام كانوا يترامون عامة اليوم[٢].

فمن أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسميًا، وتكوينهم صحيًا.. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية، وتمرينات رياضية.. كلما سنحت لذلك فُرص، أو تهيأت ظروف..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة، وتعاليمه السامية.. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء، وَوَفَّق بين مطالب الروح، وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء.

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي، والتكوين الجسماني.. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة، وعلى أعضائه بالقوة، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط.. وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: للفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني: لوقايته من الأمراض والأسقام.

---

(١) الحرف والصناعات، د. عبدالعزيز العمري ص ٤٦.

(٢) القول التام في فضل الرمي بالسهام، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، مخطوط مصور بقسم المخطوطات، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم ١٧٤١، ميكروفيلم ص ٨١.

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد.

وهذه بعض من نصوص الشريعة في اهتمام الإسلام بالتربية الرياضية، والإعداد العسكري؛ ليعلم كل ذي عينين أن الإسلام هو دين الله الخالد في دعوته إلى وسائل العزة والقوة والجهاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ...))[2].

وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ الله عز وجل فَهُوَ لغو ولَهْوٌ أوسهو إلا أَرْبَعْ خصال: مَشْيُ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ، وَتأْدِيبُه فَرَسَهُ، ومُلاعَبَتُه أهله، وَتَعَلُّمُ السِّبَاحَةَ))[3].

وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾[4]، ثم قال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[5].

وروى الشيخان أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها فقال عليه الصلاة والسلام: ((دَعْهُم يا عمرُ))[6].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٨٥، وقال الهيثمي في المجمع ٢٦٩/٥: رواه الطبراني في الأوسط ٢٢٩ مجمع البحرين، والكبير والبزار ١٧٠٤، ورجال الطبراني رجال الصحيح خلا عبدالوهاب بن بحث وهو ثقة، وصححه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣١٥).

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠١، ومسلم ٨٩٣.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((سَابَقَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَسَبَقْتُهُ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إذا أَرْهَقَنِي اللَّحْمُ سَابَقَنِي فَسَبَقَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هذه بِتِلْكَ))(١).

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقةٌ لرسول اللّه ﷺ تسمى العَضْباء، وكانت لا تُسبَق، فجاء أعرابيٌّ على قَعودٍ له فسبَقها، فاشتد ذلك على المسلمينَ وقالوا: سُبِقتِ العَضباءُ، فقال رسول اللّه ﷺ: ((إن حقًّا على اللّهِ أن لا يَرفَعَ شيئًا من الدنيا إلا وَضَعَه))(٢).

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية، والتدريبات الجهادية من مصارعة، وَعَدْوٍ، وسباحة، ورماية، وفروسية.. من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة، وأن تتربى أفرادًا وجماعات على معاني القوة، والفتوة والجهاد، تنفيذًا لقوله تبارك وتعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، وتحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكريًا وحربيًا، وتكوّنت صحيًّا وجسميًا، واكتملت إيمانيًا ونفسيًا، وعزمت على الجهاد حركيًا وإراديًا... فإنهم - لا شك - ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة.. قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد، وهذا ما يعرف اليوم بالسلم المسلح، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال: ((نُصِرْتُ بالرُّعْب مَسِيرَةَ شَهرٍ))(٣)(٤).

خامسًا - من موضوعات الدعوة: أهمية التعاون في دعم القوة الإسلامية:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: والرامي به ومنبله..)، أي: مناول النبل للرامي ليرمي به.

وقال الخطابي: "وقد يكون ذلك على وجهين، أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحد بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عليه النبل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩/٦ رقم ٢٤١١٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٠١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢٣.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، الشيخ عبدالله ناصح علوان، ٨٨٧/٢ - ٨٩٠.

المرمي به"[١].

والتعاون في دعم القوة الإسلامية أمر هام وقد ضرب لنا المثل في ذلك رسول الله ﷺ فقد عمل ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم يوم الخندق، فعن البراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى بياض بطنه - وهو يقول:

((لولا أنتَ ما اهتدَينا ... ولا تَصدَّقْنا ولا صلَّينا

فأنزِلِ السَّكينةَ علينا ... وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا

إنَّ الأُلى قد بَغَوا علَينا ... إذا أرادوا فِتنةً أبَينا))[٢]

وقد كانت النسوة يقدمن خدماتهن في ميادين الجهاد، ومن ذلك موقف نساء بني غفار أردن الخروج مع رسول الله ﷺ فقلن له: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر فنداوي الجرحي، ونعين المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله"[٣].

فإذا كان هذا شأن النساء في التعاون فهل يحجم الرجال؟! وأصحاب الأهداف العظيمة لا يصلون إلى أهدافهم بالجهود المتضادة المتنافرة، ولنا في ذي القرنين أسوة حين قال لقومه: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾[٤]، فلا بد من التعاون بقوة للخير وعلى الخير، ولنخرج من دائرة الأنانية والاهتمامات الفردية، ولنعش مشاعر الأمة ذات الجسد الواحد[٥].

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٨٣٧، ومسلم ١٨٠٣.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩٠/٣، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٣١٢/٦.

(٤) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(٥) انظر: هذه أخلاقنا، الخزندار ص ٢١٧.

الحديث رقم (١٣٣٨)

١٣٣٨ - وعن سَلَمة بن الأكوعِ رضي الله عنه، قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ[١] يَنْتَضِلُون، فَقَالَ: ((ارْمُوا بَنِي إسمعِيلَ فَإنَّ أبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا)) رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

سلمة بن عمرو بن الأكوع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٥٩).

غريب الألفاظ:

ينتضلون: يترامون بالسهام للسبق[٣].

بني إسماعيل: أي: يا بني إسماعيل، يقصد بهم العرب[٤].

الشرح الأدبي

هذا مشهد من مشاهد السيرة النبوية وملمح من ملامح السنة العملية حيث أقر النبي ﷺ عمل هؤلاء النفر الذين ينتضلون. "والنفر" عدد من الأشخاص ما بين الثلاثة والتسعة وهم من قبيلة " أسلم، والفعل (ينتضلون) يوضح ما كان علية هؤلاء النفر من عمل محبب فيه قوة وبأس واستعداد وحركة جماعية إيجابية ومعنى ينتضلون أي: يترامون بالسهام للسبق، ومادة (نضل) في اللغة تعنى الرمي والقتال والزود والدفاع " فيقولون " ناضله مناضلة ونضالاً: إذا باراه في الرمي، وخرج القوم ينتضلون إذا استبقوا في رمى الأغراض ومن النضال: الدفاع: والنصح والمحاججة: وفى الحديث " بعدا لكن وسحقاً: فعنكن كنت أناضل، أي أجادل وأخاصم وأدافع. ومن معاني: المناضلة:

---

(١) عند البخاري زيادة: (من أسلم).

(٢) برقم (٢٨٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٢) بتمامه، واختصره المؤلف.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٦، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

(٤) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٦.

المفاخرة، وانتضل القوم إذا تفاخروا وقال ابن السكيت موضحاً دلالة أخرى لهذه الفعل وهى لا تخرج عن دائرة الفروسية والشجاعة: يقول انتضى السيف انتضله بمعنى واحد، وتنضلت الشيء إذا استخرجته وكل الدلالات السابقة يمكن أن يشع بها الوصف الحركي الدقيق لهؤلاء النفر من أسلم الذين رآهم النبي ﷺ (ينتضلون)، فقال وتأمل العطف بالفاء الدال على سرعة التعقيب والتأييد والإقرار من رسول الله ﷺ والأمر في قوله: ارموا بني إسماعيل للإعجاب بعملهم وكذلك لوجوب الإقتداء بهؤلاء النفر في ظل تعاليم رسول الله وحثه على تعلم الرمي. وقوله: بني إسماعيل: للمباهاة والافتخار لأن كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وفى ذلك إيحاء بأن الرمي يجب تعلمه على كل من تحدر من ذرية إسماعيل وكذلك غيرهم من المسلمين اقتداء بهم فالقوة الرمي، والفاء في قوله: فإن أباكم للتعليل والتأكيد لترسيخ المعنى في نفوس السامعين ولتذكيرهم بأن من حقهم أن يفاخروا وهم ينتضلون بأبيهم جميعاً إسماعيل.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في قول سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: مر النبي ﷺ على نفر ينتضلون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا... الحديث).

وقد كان من هديه ﷺ أن يتعهد أصحابه رضي الله عنهم ويسألهم عن أحوالهم وعبادتهم، تنشيطًا لهم، ورفعًا لهمتهم في الطاعة والعبادة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٣٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٣٩).

قَالَ: ((فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. قَالَ: ((فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟)) قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِىءٍ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1].

فهذا أدب حسن للدعاة في تعهد من يقومون بدعوتهم، فيظهر لهم المقصر في الطاعة والعبادة، فيخصونهم بمزيد من الاهتمام والنصح، وكذا يثنون على من ينشط للطاعة ويبشرونه بالخير[2].

فالداعية الناجح هو الذي يحرص على تفقد أحوال المدعوين ومخالطتهم ذلك لأن "الدعوة إلى الله تقتضي مخالطة الناس فتكون المخالطة واجبة لأن ما لا يؤدى الواجب إلا به فهو واجب، والواقع أن طبيعة الإسلام تقتضي المخالطة، فالإسلام ليس معنى خاصًا بالفرد بل هو أيضًا عمل المسلم خارج نفسه، ورسول الله ﷺ منذ أن أكرمه الله بالنبوة وأمره بالتبليغ عاش مع الناس وخالطهم وغشي مجالسهم يدعوهم إلى الله ويحذرهم مما هم فيه وكذلك فعل أصحابه الكرام ﷺ خالطوا الناس وبثوا فيهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ من الهدى والعلم والدين. وما روي عن بعض التابعين من استحباب العزلة وكراهية المخالطة فهو أمر يتعلق بأحوال طارئة وظروف استثنائية فليس ما ذكروه هو القاعدة التي يستهدي بها المسلمون من بعدهم لأن وجوب الدعوة إلى الله أمر ثابت في الشرع، والمخالطة هي المقدمة إلى الدعوة. فلا يمكن التخلي عنه، بل إن هذا الوجوب أصبح أشد في زماننا من أي زمان مضى، لما غشي البشر من غاشية رهيبة قاسية من المادية الصماء السوداء التي حجبت عنهم أنوار الحق وقطعت صلاتهم بالله عز وجل، مما جعل لزامًا على كل مسلم أن يسهم في الدعوة إلى الله بقدر طاقته وبأي نوع من أنواع القدرة يستطيعه وهذا يستلزم مخالطة الناس ليدعوهم إلى الله"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠٢٨.

(٢) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٧٧.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٣٦٥.

فعلى الدعاة أن يفقهوا أحوال الناس وطبائعهم وأنواعهم ليتعاملوا معهم على ضوء تلك المعرفة بما يتناسب مع كلٍّ، ورحم الله الإمام ابن القيم فقد ذكر لنا أصناف الناس الذين نخالطهم وشخصّهم لنا تشخيصًا دقيقًا، فقال: ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بقدر الحاجة، ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر:

فأحدها: من مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة وهذا الصنف نادر، وهم العلماء العاملون الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه.

الثاني: من مخالطتهم كالدواء تحتاج إليه عند المرض فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك به، وهم من لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش من أنواع المعاملات.

الثالث: من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه.

الرابع: من مخالطتهم فيها الهلكة والموت المحقق إلا أن يشاء الله وهؤلاء هم أهل الضلالة والبدع الصادين عن الله وشرعه ودينه[1]، مع ملاحظة أن عمل الداعية مع الناس، فالمخالطة مع الناس من لوازم عمله الدعوي، ولكن عليه أن يخالطهم بقصد علاجهم كما يخالط الطبيب مرضاه، فلا يتخذ من غير الصالحين أصحابًا له يأوي إليهم ويطمئن بهم ويسمع منهم ويقضي أوقات فراغه معهم، أما غيرهم فيخاطبهم بقدر ما يستلزمه عمله الدعوي معهم، فإذا غشي مجالسهم غشيها من أجل الدعوة، وإذا زارهم في بيوتهم فمن أجل الدعوة، وإذا ابتعد عنهم وهجرهم إلى حين فمن أجل الدعوة، وهكذا يكون الداعية في دعوته للآخرين إلى الله[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الرمي في سبيل الله والتدرب عليه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا).

وكذلك قوله في الحديث الثاني: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" وتشجيع النبي ﷺ لرياضة الرمي لأنه جعل للقوس دورًا كبيرًا وركز على الاهتمام

---

(١) انظر: التفسير القيم، ابن القيم ص ٦٢٨.

(٢) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصافح ص ٩٦ - ٩٨.

به، فحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[١]، فسّر الرسول ﷺ القوة فقال: ((أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ))[٢]، وتفسير الرسول ﷺ (القوة) بأنها الرمي لا يقتصر على أن القوة في الرمي أمر مختص بزمن الرسول ﷺ بل إن الرسول ﷺ بهذا الكلام قد أعطى إشارة بأن القوة في الرمي سواء في زمنه أم في الأزمان التي تأتي من بعده، فالرمي بالقوس أو بالمنجنيق أو غيره في تلك الأيام هو (القوة) ويمكننا أن نتأكد أن القوة هي (الرمي) في زماننا هذا حيث نرى أن معظم الأسلحة الحديثة تقوم على الرمي، فالرمي بالبندقية أو الرشاش أو الرمي بالمدفعية أو الرمي بالصواريخ أو الرمي بالطائرات كله لا تخرج عن كلام الرسول ﷺ في تحديد القوة بأنها الرمي[٣].

وإنما فسّر القوة بالرمي وإن كانت القوة تظهر بإعداد غيره من آلات الحرب لكون الرمي أشد نكاية في العدو، وأسهل مؤنة، لأنه قد يرمي رأس الكتبية فيصاب فينهزمُ مَنْ خلفه"[٤].

إن الرمي بالسهام من الوسائل المستخدمة في الحروب سابقًا وهو يشبه الرمي بالأعتدة الخفيفة (البنادق) عندنا اليوم، وله تأثير كبير في كسب المعركة، وإلحاق الخسائر والهزائم في الأعداء، لهذا شجع النبي ﷺ على تعلمه وممارسته، فقال رسول الله ﷺ: ((ارموا بني إِسْمَاعِيلَ، فإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا... الحديث)).

بل إن رسول الله ﷺ عدّ من ترك الرمي بعد تعلمه أنه ليس من هذه الأمة أو من العاصين، لذلك لم يترك الصحابة الكرام رضي الله عنهم تعلم الرمي وممارسته شبابًا وشيوخًا، روى مسلم في صحيحه أن فقيمًا اللخمي قال لعقبة بن عامر: تَخْتَلِفُ بَيْنَ هَذَيْنِ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٧.

(٣) انظر: النظم الإسلامية "نشأتها وتطورها"، د. صبحي الصالح ص ٥٠٧.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٥٩/٣.

الْغَرَضَيْنِ، وَأَنْتَ كَبِيرٌ يَشُقُّ عَلَيْكَ. قَالَ عُقْبَةُ: لَوْلاَ كَلاَمٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، لَمْ أُعَانِيهِ. قَالَ الْحَارِثُ: فَقُلْتُ لابْنِ شُمَاسَةَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ قَالَ: ((مَنْ عَلِمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ قَدْ عَصَى))[١].

ولم ينس رسول الله ﷺ وهو يبشرهم بفتح الدول والمدن عليهم أن يوصيهم بالرمي فيقول: ((سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ. وَيَكْفِيكُمُ اللّهُ. فَلاَ يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ))[٢].

يتبين لنا مما تقدم من أحاديث مدى اهتمام النبي ﷺ بتدريب أصحابه رضي الله عنهم على الرمي وإعدادهم وحثهم على تعلمه، كأسلوب من أساليب التربية الجسدية المكملة لبقية أنواع التربية[٣].

حتى إذا ما جاهد المسلم في سبيل الله ورمى صوب رميه وسددت خطاه ونال من الجزاء جزيله ومن الثواب عظيمه كما نرى ذلك في الحديث الثاني في قوله ﷺ: ((مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ)) أي مثل ثواب مُعْتَق[٤]. وفي ذلك حث منه ﷺ على الرمي في سبيل الله وذلك لاهتمامه ﷺ بالرمي، ومما يدل على اهتمام رسول الله ﷺ بالرمي أنه في غزوة أحد خصص مكانًا عاليًا للرماة على جبل صغير قرب معسكر المسلمين، وأمر الرماة ألا يبرحوه لمعرفته ﷺ بقوة الرمي ودفعه الشر عن معسكر المسلمين، كما أمرهم بصد الخيل عن المسلمين بالنبال[٥].

كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان أبو طلحةَ يَتَتَرَّسُ معَ النبيِّ ﷺ بتُرْسٍ واحد، وكان أبو طلحةَ حسَنَ الرَّمي، فكان إذا رَمى يُشرِفُ النبيُّ ﷺ فينظُرُ إلى مَوضع نبلِهِ))[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩١٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٩١٨.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٦٤/٢.

(٥) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٩/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٢٩٠٢.

فرسول الله ﷺ كان يحث الصحابة رضي الله عنهم على الرمي ويشجعهم عليه فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما رأيتُ النبي ﷺ يُفَدِّي رجُلاً بعد سعدٍ، سمعتهُ يقول: ((ارْمِ فِداكَ أبي وأمِّي))[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في الرمي وبيّن أن إسماعيل عليه السلام كان راميًا.

كما رغب النبي ﷺ في قول في حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه: "من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة" أي رمى سهم في سبيل الله يعدل ثواب عتق رقبة، وفي ذلك ترغيب عظيم في الرمي في سبيل الله، فأسلوب الترغيب من لوازم الداعية في دعوته وإرشاده للناس بالعدول عن طريق الغواية والتزام طريق الرشد والهداية وعلى هذا الأساس كان للترغيب أهمية كبيرة في جنس الطاعات، وعلى رأسها تحقيق كلمة التوحيد، والقيام بمقتضياتها وشروطها والبعد عما ينقضها ويخدشها[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٠٥.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ص ١٩٣ - ١٩٤.

الحديث رقم (١٣٣٩)

١٣٣٩- وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ رَمَى بِسَهمٍ في سَبيلِ الله فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ[1])) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عمرو بن عَبَسة السلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٣٨).

غريب الألفاظ:

عدل: مثل[3].

محررة: رقبة معتقة[4].

الشرح الأدبي

إن الدفاع عن الإسلام والتصدي لأعدائه من ألزم الواجبات التي يتحملها المسلم ولا يليق به أن يتقاعس أو يفرط في هذا المضمار، ويرغب رسول الله كل مسلم في الإقدام وعدم الإدبار وللمواجهة والمجابهة والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جمله واحدة: صيغت في قالب الشرط والجواب وأسلوب الشرط يجيء في مقام الثواب والعقاب. .

---

(١) لفظ الترمذي وغيره: (محرر) بلفظ التذكير، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه (٢/٢٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٣٨) بهذا اللفظ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦١٥)، وقال الحاكم (٢/١٢١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٣٨).

تنبيه: لفظ الحديث عند أبي داود (٣٩٦٥): (من بلغ بسهم في سبيل الله عزّ وجلّ، فله درجة) ولم يكمله. ولذا اعترض الناجيُّ على المنذريِّ في عجالة الإملاء بقوله: ليس هذا كما قاله المصنف، ، وإنما عند أبي داود، ثمّ ذكره. علمًا بأن المنذري ذكر برقم (١٩٤٢) حديثًا بلفظ أبي داود، وعزاه لابن حبان بتمامه. فتبين أن الحديث بهذا اللفظ ليس عند أبي داود، بل هذا اللفظ للترمذي فقط.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع د ل).

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٢٧.

فالجزاء من جنس العمل والمقدمات الصحيحة تؤدى إلى النتائج الصحيحة الحاسمة ولذلك يقول الحبيب المصطفى ﷺ من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محررة " وأداة الشرط للعاقل أو فعل الشرط " رمى " وهو دال على المواجهة والمبادرة والإقدام، وقوله "بسهم" لا يدل على التقليل ولكن لتحديد النوعية وتحديد الفضل والعمل لا يقاس بالكثرة ولكن يقاس بالنية والقصد والحديث يرسخ هذا التصور في وجدان المسلمين فالعمل الصالح مهما قل فله جزاؤه المضاعف عند الله عز وجل، فالسهم الواحد. . الذي يرميه صاحبة في سبيل الله ثوابه مثل ثواب رقبة محررة أعتقها صاحبها عن طيب قصد وإخلاص نية. وقوله: عدل محررة: فيه بلاغة الحذف: أي مثل جزاء رقبة محررة: وقيل العدل والعديل والعدل سواء، أي: النظير والمثيل وفرق سيبوبه بين " العديل والعدل " – فقال: العديل من عادلك من الناس، والعدل لا يكون إلا للمتاع خاصة، وقال ابن الأثير: " العدل " بالفتح ما عادله من جنسه والعدل بالكسر: ما ليس من جنسه " – وتحديد الضمير " هو" بعد الفاء في جواب الشرط. . يرشد إلى مكانة الرامي بسهم في سبيل الله، حيث لم يقل: فله: وإنما قال: فهو له، وتكرار الضمير يؤكد هذه المكانة ويرمى إلى تخصيصه بالثواب الجزيل وهذا صاحب السهم فما بالنا بمن كانت حرفتهم الرماية وعملهم المتقن هو هذا الصنيع الماجد أنه مثل من يحرر آلاف الرقاب وهو يحرر النفوس من قيود الشرك ومن طواغيت الوثنية ومعاقل الطغيان وحبائل الشيطان ويقود الناس مع كل المجاهدين إلى منارات الهداية وسبل السلام وآفاق الرضوان.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٤٠)

١٣٤٠- وعن أبي يحيى خُرَيْم بن فاتِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أنْفَقَ نَفَقَةً في سَبيلِ اللهِ كُتِبَ[1] لَهُ سَبْعُمِئَةِ ضِعْفٍ)) رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

خريم بن فاتكٍ الأسدي: وهو خريم بن الأخرم بن خزيمة الأسدي.

له صُحبة ورواية، قال له النبي ﷺ: ((أيُّ رجلٍ أنتَ لولا خلَّتَان فيك، قال: وما هما؟ قال: تُسْبِل إزارك، وترخي شعرك. قال خريم: لا جرم، فجزَّ شعره، ورفعَ إزاره[3]).

وقد أخبر خريم عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه بإسلامه، وشهد بدرًا، وقال ابنه أيمن - وكان شاعرًا فارسًا شريفًا - إن أبي وعمي شهدا بدرًا ونهياني أن أقاتل مسلمًا، وقيل إنه أسلم حين أسلمت بنو أسد بعد فتح مكة وتحول إلى الكوفة فنزل بها بعد ذلك.

وروى عن النبي ﷺ، وعن كعب الأحبار.

وعداده في الكوفيين وقيل في الشاميين.

وتوفي بالرَّقة في عهد معاوية رضي الله عنه[4].

غريب الألفاظ:

ضعف: الضعف: المِثل فما زاد، وليس بمقصور على مثلين، فأقل الضعف محصور

---

(١) لفظ الترمذي: (كتبت)، وهذا لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٢٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٦٤٧)، وقال الحاكم (٨٧/٢): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، رقم (٤١٥٦).

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣٨/٦-٣٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٠٧-٢٠٨)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٦٧/٢-١٦٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٨١/٢-٣٨٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٥٤١/١).

في واحد، وأكثره غير محصور[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتوهج ضوؤه في باب فضل الجهاد. وهو ذو دلالة عامة ترغب في الإنفاق بمعناه الشامل في سبيل الله والإنفاق في تجهيز الجيوش وتقويه شوكة المسلمين من أجلّ السبل وأشرفها في هذا الميدان وحين نتأمل صياغة هذا الحديث الموجز نجده يتكون من جملة واحدة تعد قاعدة شرعية تؤصل للإنفاق الصحيح الذي يتقوى به المسلمون. . وهو أن يكون في سبيل الله أي في كل ميدان من شأنه تقويه المسلمين وتقدمهم. . ورعاية مصالحهم وتعليمهم وعلاجهم وحماية أموالهم وأعراضهم وديارهم وثغورهم وأسلوب الشرط والجواب يتفق مع منطق الثواب والعقاب وجو الحديث فيه حث على الإنفاق وترغيب فيه ووعد بمضاعفة الثواب والفعل انفق: يدل على صرف المال في سبيل الطاعة: قال تعالى: وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي: أنفقوا في سبيل الله وأطعموا وتصدقوا، ومادة الإنفاق توحي بالزيادة لأن (نفق) " بدون الهمزة " تعنى البوار. . والذهاب والقلة بلا ثواب – وتنكير قوله: نفقة لمزيد من الترغيب في الإنفاق في سبيل الله: فمهما قلت النفقة فالله يضاعفها إلى سبعمائة ضعف لأنها في سبيل الله، وبناء الفعل للمجهول في قوله: كتب له " وهو (جواب الشرط) يوحى بأن الثواب مؤكد ولا يحتاج الأمر إلى تحديد من يضاعف الثواب لأنه معلوم وهو الله وليس سواه من مكافىء والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم، ومادة " كتب " تعطى دلالة صدق الوعد ويقينه، ومعناها: أثبت الله للمتقين في صحف الأعمال أو في عالم الملكوت في علم الله: سبعمائة ضعف: وضعف الشيء كما يقول اللغويين – مثلاه: وقال الزجاج ضعف الشيء: مثله الذي يضعفه وأضعافه: أمثاله. ومعنى: أضعف الشيء وضعفه وضاعفه: زاد على أصل الشيء وجعله مثيلة أو أكثر ومعنى: سبعمائة ضعف: أي سبعمائة من مثيلة وفى ذلك غاية الإكرام من الملك العزيز العلام.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ض ع ف).

فقه الحديث

قال النووي: (قال أصحابنا: يستحبّ الإكثار من الصدقة عند الأمور المهمة وعند الكسوف والسفر وبمكة والمدينة وفي الغزو الحج والأوقات الفاضلة كعشر ذي الحجة وأيام العيد ونحو ذلك، ففي كل هذه المواضع هي آكد من غيرها).

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف.

أولاً - من أهداف الدعوة: ترغيب المدعوين في الجهاد في سبيل الله:

لقد رغب الإسلام في الإنفاق في سبيل الله، وحثّ عليه وبيّن ما يعطي الله عز وجل عليه من زيادة كبيرة هائلة حيث تضعف النفقة فيه إلى سبعمائة ضعف[1]، فقال ﷺ: "من أنفق في سبيل الله كُتب له سبعمائة ضعف".

قال المباركفوري: "قوله: (من أنفق نفقة)، أي: صرف نفقة صغيرة أو كبيرة (كتبت له سبعمائة ضعف)"[2]، وفي ذلك ترغيب في الإنفاق في سبيل الله، فالترغيب للمدعوين في الجهاد والإنفاق في سبيل الله من أهداف الدعوة، فإن الجهاد في سبيل الله يكون بالنفس وبالمال وباللسان، وقد أعظم الله الثمن للمجاهدين بالأنفس والأموال، فقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٠.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٩/٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١١.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه عاوض المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له، لهذ قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم والله فأغلى ثمنهم"(١).

لقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية حاضَّة على الإنفاق في سبيل الله، فمن القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٥).

فنجد أن الله تعالى حثّ على النفقة في سبيله؛ لأن الجهاد متوقف على النفقة فيه وبذل الأموال في التجهز له، فقال: "من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا" وهي النفقة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٥) سورة الحديد، الآيتان: ١٠ - ١١.

الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله تعالى، موافقة لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضًا، والمال ماله والعبيد عبيده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافًا كثيرة وهو الكريم الوهاب [١].

كما جاء الأحاديث الكثيرة في الحث على الإنفاق في سبيل الله، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)) [٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن أنفقَ زَوجَينِ مِن شيءٍ مَن الأشياء في سبيل الله دُعِيَ من أبوابِ - يعني الجنةَ - يا عبدَ الله هذا خيرٌ. فمن كان من أهلِ الصلاةِ دُعي من بابِ الصلاةِ ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدَقَةِ دُعيَ من بابِ الصدقة ومن كان من أهل الصيام دُعيَ من بابِ الصيام وبابِ الرَّيَّانِ. فقال أبو بكرٍ: ما على هذا الذي يُدعى من تلكَ الأبوابِ من ضَرورة. وقال: هل يُدعى منها كلِّها أحد يا رسول الله؟ قال: نعم وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر))[٣].

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم المثل الأعلى في التطبيق العملي لهذه النصوص وتجسيدها في حيز التنفيذ، فذلكم عثمان بن عفان رضي الله عنه من بارزي الصحابة في الإنفاق في سبيل الله، فعنه رضي الله عنه لما حوصر بعد أن أشرف عليهم: أنشُدُكُم اللهَ، ولا أنشُدُ إلا أصحابَ النبيِّ ﷺ: أَلستم تَعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَن حَفرَ رُومةَ فلهُ الجنَّة، فحفرتُها؟ أَلَستم تَعلَمونَ أنهُ قال: مَن جهَّزَ جيشَ العُسرةِ فلهُ الجنة، فجهَّزتُه؟ قال: فصدَّقوهُ بما قال))[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٩٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٦٦ واللفظ له، ومسلم ١٠٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٧٧٨.

ولم يكن التباري في الإنفاق في سبيل الله قاصرًا على كبر الصحابة رضي الله عنهم، وإنما كان ذلك سمة عامة لمجتمع الصحابة كل حسب قدرته، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: ((لَكَ بِهَا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ. سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ. كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ))[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: مضاعفة الله تعالى ثواب المنفقين في سبيل الله سبعمائة ضعف:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: (من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف).

وقد أيد الله مضاعفة ثواب المنفقين في سبيله إلى سبعمائة ضعف في كتابه، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

قال ابن عطية الأندلسي في تفسير هذه الآية: (هذه الآية لفظها بيان مثال بشرف النفقة في سبيل الله وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك، وهذه الآية في نفقة التطوع، وسبل الله كثيرة، وهي جميع ما هو طاعة وعائد بمنفعة على المسلمين والملة وأشهرها غناءً الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا.

والجنة اسم جنس لكل ما يزرعه ابن آدم ويقتاته، وأشهر ذلك البر، وكثيرًا ما يراد بالحب، وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، وأما في سائر الحبوب فأكثر، ولكن المثال وقع بهذا القدر، وقد ورد في القرآن بأن الحسنة في جميع أعمال البر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أن نفقة الجهاد حسنتها بسبعمائة ضعف[3]، وبين ذلك الحديث: "من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف".

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٥٧/٢.

قال الشيخ السعدي: "هذا حث عظيم من الله لعباده على إنفاق أموالهم في سبيله، وهو طريقه للوصول إليه، فيدخل في هذا إنفاقه في ترقية العلوم النافعة، وفي الاستعداد للجهاد وتجهيز المجاهدين، وفي جميع المشاريع الخيرية النافعة للمسلمين. وهذه النفقات مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وإلى أضعاف أكثر من ذلك"[1].

إن الإنفاق في سبيل الله ركن أساسي من أسس الدين، ودعامة من دعائم الدولة، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذل والاستعباد، وسلط الله عليها الأعداء من كل جانب يتكاثرون عليها كما تتكاثر الأكلة الجياع على المائدة.

والإنفاق في سبيل الله واجبًا كان أو مندوبًا، ما دام في وجوه الخير ومحاربة الجهل والفقر والمرض ونشر الدين وخدمة العلم فهو مما يطلبه الدين ويحث عليه الشرع [2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٩٤.

(٢) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ١٢/٣/١.

الحديث رقم (١٣٤١)

١٣٤١- وعن أَبي سعيد ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث. .. نجد أن التركيب اللغوي يكشف عن أسرار تعبيرية متعددة لأن جمال المبني يؤدى إلى جمال المعنى، والحديث كله جملة واحدة صيغت في قالب، " القصر " عن طريق النفي والاستثناء " ما وإلا " وهذا الأسلوب يؤكد المضمون المراد من الحديث الشريف وهو ما ينعم به الله على من يصوم يوماً في سبيل الله بنجاته من النار وما فيها من عذاب وهلاك وسوء مصير، ولكل لفظ في الحديث إشعاع يتوهج بسر من أسرار البيان النبوي – فقوله: ما من عبد: يفيد الاستقصاء؛ لأن الحرف (من) ليس زائداً عن المعنى – وإنما هو زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى – والمراد أنه لن يحرم عبد من العباد قام بهذه الطاعة من نعم الله عز وجل الذي وعد به رسول الله في هذا الحديث، وصيغة " التفكير " في قوله " عبد " تؤكد هذا الاستقصاء الذي أفادته " من " فالنكرة هنا للتعميم، والشيوع، ومادة " العبودية " تفيد الخضوع وإسلام الوجه لله – ولفظ عبده له إشعاع وظلال غير لفظ " أحد " أو " فرد " لأنه يوحى بأن العبادة من شأن العباد، وقوله: في سبيل الله – فيه إطلاق وتشريع لأوجه كثيرة من الصوم نابعة من النية الخالصة لوجه الله عز وجل، واسم الإشارة " ذلك " المقترن بباء السببية يوحى بتعظيم ذلك اليوم وتمييزه أكمل تميز،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم واللفظ له (١٦٧/١١٥٣)، وتقدم برقم (١٢٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٥).

ولذلك لم يقل " بهذا " وإنما قال " بذلك "، وقوله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا: كناية عن النجاة من النار والفوز بنعيم الجنة، وقوله: وجهه: فيه مجاز مرسل: لأن المراد: أبعده الله عن النار، أو باعد ذاته، وقد أطلق الجزء وأراد الكل. . من باب المجاز المرسل، وقوله: سبعين خريفا: كناية عن البعد الزمني والبعد المكاني، والبعد بكل أبعاده واحتمالاته عن النار، والنار لها في القرآن الكريم صفات وألقاب كثيرة ومنها جهنم، والجحيم، وسعير، وسقر، والحطمة، ولظى، والهاوية، والغاشية، أعاذنا الله من النار وعذابها، ووعدنا بالجنة وما فيها من نعيم مقيم، وهناء عميم آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٢٢٠).

الحديث رقم (١٣٤٢)

١٣٤٢- وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

خندقًا: الخندق: حفير حول المكان، وأخدود عميق مستطيل يحفر في ميدان القتال ليتقي به الجنود[2].

الشرح الأدبي

إن الصيام يعد جهاداً للنفس، ومقاومة لرغباتها. .، ويعد من سمات الجهاد الأكبر.. لأنه جهاد للنفس، وانتصار على أهوائها، وكبح لجماح غرائزها، ويمكن أن يكون هذا التوجيه لدلالة الحديث الشريف من أسرار وورود هذا الحديث في باب فضل الجهاد، ويرى البعض العلماء أن دلالة: في سبيل الله " مرتبطة بالجهاد، والحديث يبشر كل من يصوم في سبيل الله يوماً بالنجاة من النار.. مثل الحديث السابق، ولكن تصوير المعنى وتقريبه يختلف من حديث إلى آخر. وهذا من أسرار جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي، " وقد صيغ الحديث في قالب الشرط والجواب " وهذه الصياغة اللغوية تتفق مع جو الحديث، وسياق المعنى وطبيعة الدلالة، فالجزاء من جنس العمل، والصائم ابتغاء مرضاة الله ثوابه مضاعف. . وهو يتمثل في هذه التعبير المجازى البليغ المبشر المطمئن " جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض ".

---

(١) برقم (١٦٢٤) وقال: حديثٌ غريبٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٤٣، ١٨٩٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ن د ق).

والأصل اللغوي في الصيام " الإمساك عن الحركة، فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة خيل صائمة، ولكن الصيام في المصطلح الإسلامي اتخذ دلالة جديدة، ومعالم محددة وهو " الامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس " وله آداب وشروط ومتعلقات كثيرة، وقوله صلى الله عليه وسلم: جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض: كناية أو مجاز مرسل. . يصور البعد السامع الذي لا حد له بين الصائم وبين النار. .، وهذه الجملة الكنائية، أو المجازية جواب الشرط الذي يحدد الثواب الجزيل للصائمين في سبيل الله، وصورة " الخندق " الذي صوره الحديث بهذا الاتساع – كما بين السماء والأرض، توحي بأن البعد مطلق غير محدود، وبأن النجاة حتمية في ظل هذا التصوير الحسي، فهو خندق كبير عرضه يقدر بمسافة ما بين السماء والأرض، وهى مسافة تقدر بحيز يبدأ من الأعلى إلى الأسفل، وذلك مبدأ يوافق الحفر في الخندق، والخندق في هذا السياق التصويري والدلالي رمز لطيف إلى المعاصي التي هي دنو في النفس ونزول عن مرتبة الكمال بالهبوط في المستوى البهيمي المتدني، والمفهوم الذي يشع به هذا الحديث في سياق توهج هذه الصورة هو نعمة الله على الصائمين المخلصين الذين نجاهم الله من النار، وجعل بينهم وبينها خندقاً كما بين السماء والأرض.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله.

ثالثًا: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

أولاً – من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بيّن السماء والأرض)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في جذب المدعوين إلى الطاعة، وتحبيبهم في فعل الخير.

قال د. عبدالكريم زيدان: "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول

الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهو من نهج الرسل عليهم الصلاة والسلام"[١].

"إن الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله، جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة.. والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"[٢]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل الصيام في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض) وهذا بلا شك يبين فضل الصيام في سبيل الله، قال المباركفوري: "قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل الله فالمراد به الجهاد، وقال القرطبي: سبيل الله: طاعة الله، فالمراد: من صام قاصدًا وجه الله، قال الحافظ: ويحتمل أن يكون ما هو أعم من ذلك، وقال ابن دقيق العيد: العرف الأكثر استعماله في الجهاد؛ فإن حمل عليه كانت الفضيلة لاجتماع العبادتين، قال: ويحتمل أن يراد بسبيل الله طاعته كيف كانت والأول أقرب ولا تعارض في أن الفطر في الجهاد أولى لأن الصائم يضعف عن اللقاء، لأن الفضل المذكور محمول على من لم يخش ضعفًا ولا سيما من اعتاد به فصار ذلك من الأمور النسبية، فمن لم يضعفه الصوم عن الجهاد فالصوم في حقه أفضل ليجمع بين الفضيلتين"[٥].

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٢) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، الشيخ محمد الغزالي ص ٣١٢.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٤٥٨.

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على فضيلة الصيام في الجهاد في سبيل الله وأن الإنسان إذا صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وجهه وبين النار سبعين خريفًا، يعني: سبعين سنة"[١].

قال الشيخ أبو الحسن الندوي: "وإذا تغلبت الطبيعة الحيوانية، وملكت زمام الحياة، واستحوذت على مشاعر الإنسان وحواسه، وأصبحت (المعدة) هي القطب الذي تدور حوله الحياة، شقّ على الإنسان كل ما يحول بينه وبين رغبته، وما يشغله عن ارضاء نهمته، وكل ما يذكره بمبدئه ومصيره، وما يصور له الحساب، والاحتساب، والجزاء والعقاب فلا يجد في أعوامٍ طوالٍ وقتًا صافيًا، وقلبًا فارغًا، وعقلاً يقظًا، وضميرًا حيًّا، فتثقل عليه العبادة والذكر وما يتصل بهما، ولا يجد لذتهما بطبيعة الحال؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٢]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٣].

ولقد جاءت النبوة في أزمان مختلفة، وأمكنة مختلفة، تُغيث الإنسانية المهددة بالمادية الطاغية، وتُديل الروح والأخلاق، والمشاعر اللطيفة، والقلب المخنوق المفلوج من طغيان الشهوات، وقسوة المعدات، وتقيم الموازين القسط في الحياة، وتُعد الإنسان إعدادًا جديدًا لتحقيق الغاية التي خُلق لها، وهي (العبادة) والوصول إلى الكمال المطلوب، الذي هيئ له، وهي (الولاية) وإكمال المهمة التي أُهبط لها في الأرض وهي (الخلافة).

وذلك لا يتحقق بروحانية ملكية ولا بمادية بهيمية. فأمرت بالصوم ليُحد من شِرّة هذه المادية المعَديّة، ويعيد للنفس ما فقدته من حياة ونشاط، ومن جدّة وقوة وليشحنها

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٥٤/٢.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٢.

شحنًا روحانيًا إيمانيًا، تستطيع أن تحفظ به اعتدالها في الحياة، وتقاوم به مغريات الشهوة ومفاسد التخمة، وتتخلق ببعض أخلاق الله، وتنال منها نصيبًا، فتسعد به وتسمو. وتلتحق بالملائكة والملأ الأعلى، فترتع في رياض الروح والقلب، وتسرح في ملكوت السماوات والأرض، وتعرف لذة لا عهد لها بها في ألوان الطعام والشراب، وفي الشبع المُفرط والتخمة المُملة"[١].

وقال أبو حامد الغزالي: "المقصود من الصوم، التخلق بخُلق من أخلاق الله عز وجل، وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه، وكونه مبتلى بمجاهدتها، فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين، والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثمَّ بالمكان بل بالصفات"[٢].

وقال ابن القيم: "المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرّها في معاشها ومعادها، ويسكّن كل عضوٍ منها وكل قوةٍ عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين"[٣].

ويمضي ابن القيم ببلاغته في شرح أسرار الصوم ومقاصده، فيقول: "وللصوم تأثيرٌ

---

(١) الأركان الأربعة ص ١٨٤ - ١٨٥.

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/ ٢٣١.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/ ٢٨.

عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها، أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد اليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]. وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح، ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود: أن مصالح الصوم لما كانت مشهودةً بالعقول السليمة، والفطر المستقيمة، شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وحميةً لهم وجُنةً"[2].

ثالثًا - من صفات الداعية: البيان والإيضاح:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك أن من أهم صفات الداعية البيان والإيضاح لتصل الدعوة إلى الجميع، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، قال القاسمي: "أي: تبين للناس ما أمروا ونهوا ووعدوا وأوعدوا فلعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين، أو يتأملون ما فيه من العبر فيحترزون عما أصاب الأولين"[4].

قال د. عبدالكريم البكار: "إن الأنبياء عليهم السلام وخلفاءهم من الدعاة إذ يقومون بـ (البلاغ المبين) يكونون قد قاموا بالعمل الأساس الذي تبرأ به الذمة أمام الله سبحانه وتعالى، وهناك آيات كثيرة تدل على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾[6]،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٣.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٩/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١١٢/١٠/٦.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٦) سورة الشورى، آية: ٤٨.

وتحقيق البلاغ المبين يجعل حياة الأمة مشدودة نحو هدف واحد إذ إن تبليغ الرسالة يحول دون انسياق الأمة خلف أهداف مشتتة متناقضة ودنيوية، والبلاغ المبين يعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم، وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية"[1].

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ص ١٤٣ - ١٤٤.

الحديث رقم (١٣٤٣)

١٣٤٣ - وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الشعبة: الطائفة من كل شيء، والقطعة منه[2].

الشرح الأدبي

إن للمجد ثمنه الغالي الذي يتطوع الإنسان بدفعه وإن الشجاعة قد تكلف صاحبها فقدان حياته ولكن الهوان لا يعفى صاحبة من ضريبة يدفعها وهو كاره حقير ومن ثم كما يقول الداعية الإسلامي الشيخ محمد الغزالي – فالأمة التي لا تربي بنيها في ساحة الجهاد تفقدهم أيام السلم والتي لا تقدم للحرية أبطالا وشهداء يقتلون وهم سادة كرام تقدم للمذلة والاستعباد رجالاً يشنقون وهم سفلة لئام في ضوء هذا المعنى، وذلك التصور نقرأ هذا الحديث الشريف قراءة تتطلع إلى قيمة الشهيد ودوره في إحياء أمجاد الأمة وصون عقيدتها وكرامتها ومن ثم فالحديث الشريف ينعى على هؤلاء الذين يتناهون عن الجهاد فساد سلوكهم وينذرهم بسوء المصير وسوء العافية فهم يموتون على شعبة من النفاق. والحديث يصاغ في قالب يتواءم مع دلالته. . حيث صيغ في أسلوب الشرط، والجزاء وهو يحدد مصير الذين لم يشاركوا في الغزو ولم يسعوا إلي ذلك ولم يتمنوا ذلك والمصير هو الموت على سفينة من النفاق، فجمله فعل الشرط في الحديث مات ولم يغز ولم يحدث نفسة بغزو ونلاحظ أن جمله الشرط هنا ممتدة ولها متعلقاتها ومكونة

---

(١) برقم (١٩١٠/١٥٨) وزاد: قال عبد الله بن المبارك: فنُرى أنَّ ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ع ب).

من ثلاثة مراحل: الموت: وهو النهاية – وعدم الغزو: وهو حال الرجل في حياته وساعة مماته – ولم يحدث نفسه بغزو: وهذا هو حال سريرته، وحقيقة نيته وطبيعة مشاعره وجواب الشرط: وهو (مات على شعبة من النفاق) وتكرار الفعل " مات " في بداية الشرط وبداية الجواب. . يوحى بعدم جدوى حياة هذا الصنف من الناس فحياته لا قيمة لها. . وموته كشف حقيقته وأبان عن طبيعته. . فهو ينتمى لشجرة المنافقين التي تتعدد شعبها وتمتد فروعها لتحجب ضوء الحقيقة وتغمى عيون الضعفاء والجبناء الذين لم يفقهوا أسرار مقولة أبي بكر الصديق: احرص على الموت توهب لك الحياة، قال تعالى :" قل لن ينفعكم الفرار من الموت أو القتل وإذن لا تمتعون إلا قليلاً " الأحزاب آية ١٦) رزقنا الشهادة وحسن الخاتمة.

فقه الحديث

١ - ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قبل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ - قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الغزو وأهمية النية والعزم عليه:

وذلك حيث جاء في الحديث: (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق)، قال الإمام النووي: "والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق، وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها"[٢].

وقال القاضي عياض: "وقوله: (من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق): بيّن فيه أن من منعه مانع من أداء فرض أو مسارعة إلى ركن من أركان الشرع أو سننه المشهورة، أن يكون على نيته فيه متى أمكنه فعل ذلك، وأن العزم على الشيء بدل من فعله إذا لم يتعين وقت فعله.

قوله: (مات على شعبة من نفاق): فسره في الكتاب ابن المبارك: أنه مخصوص بزمن النبي ﷺ، حيث كان الجهاد واجبًا، وحمله على النفاق الحقيقي. وقد يحتمل أنه على العموم، ويكون معنى هذا: أنه تشبه بأخلاق المنافقين التي منها التخلف عن الجهاد وهو أحد شعب النفاق وأخلاق المنافقين"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وقوله: (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات

---

(١) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٣٥/٦.

على شعبة من النفاق) فيه ما يدل على أن من لم يتمكن من عمل الخير فينبغي له أن يعزم على فعله إذا تمكن منه وأن ينويه، فيكون ذلك بدلاً من فعله في تلك الحال. فأما إذا أخلى نفسه عن ذلك العمل ظاهرًا وباطنًا عن نيته، فذلك حال المنافق الذي لا يعمل الخير، ولا ينويه. وخصوصًا: الجهاد الذي به أعزّ الله الإسلام، وأظهر به الدين حتى علا على كل الأديان؛ ولو كره الكافرون.

وقوله: (شعبة من نفاق) أي: على خلق من أخلاق المنافقين"[١].

ومن خلال هذا يتضح أهمية استحضار النية والتطلع للجهاد في سبيل الله، جاء في الموسوعة الفقهية: "إن النية هي محط نظر الله تعالى من العبد، قال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٢]، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مَظِنَّة النية، وهذا هو سر اهتمام الشارع بالنية فأناط قبول العمل ورده وترتيب الثواب والعقاب بالنية، ومن فضيلة النية أن الهم بفعل الحسنة حسنة في ذاته يدل على ذلك قول النبي ﷺ: ((مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً))[٣]، فالنية في نفسها خير، وإن تعذر العمل بعائق، والنية تعظم العمل وتصغره فقد ورد عن بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية، وإن الله تعالى يعين العبد ويوفقه للعمل على قدر نيته، فقد كتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبدالعزيز: اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله له، وإن نقصت نقص بقدره"[٤].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: تنمية روح الجهاد لنصرة الإسلام:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن تنمية روح الجهاد هدف رئيس من

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٣٠.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٦٣ - ٦٤.

أهداف الدعوة الإسلامية، وقد حث الله عليه في مواضع متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2]، وبيّن الله سبحانه وتعالى أن الجهاد هو التجارة الرابحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

وحثّ الله على الوحدة في القتال والجهاد فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[4]، "ولما كان الجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة وأصبح من لوازم الحياة الكريمة حيث يبذل المسلم ماله ونفسه وجميع ما يملك لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى امتثالاً لأمره جلّ وعلا والجهاد يضمن بقاء أمة الإسلام قوية مهابة الجانب يحسب لها الطامعون ألف حساب، وهذا الأثر لو لم يكن إلا هو فقد كفى"[5].

إن الإسلام يحث أتباعه على بذل النفس والوسع والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله "ولما كان الجهاد هو الحجة والبرهان على صدق الإيمان، كانت منازل الناس عن ربهم في الدنيا والآخرة، حسب ما يقومون به من جهاد، وما يقدمونه من تضحيات فمن حاز قصب السبق منه، وجب على المجتمع المسلم أن يرفعه ويكرمه، ومن فترت همته عنه لم يجز تسويته بالمجاهدين.

فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم، وإنما كان العلم والتقوى من تلك القيم أيضًا، لأنها أنواع من الجهاد، لما في العلم من دوافع للجهاد،

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة الصف، الآيتان: ١٠ - ١١.

(٤) سورة الصف، آية: ٤.

(٥) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري ص ٢٤١.

ومعرفة طريقه، والتثبيت عليه، ولما في التقوى من جهاد النفس وإلزامها بطاعة الله وترك نواهيه سبحانه، وكذلك فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى، قال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[١].

ولهذا كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق وأكملهم عند الله لأنه كمل مراتب الجهاد كلها، وجاهد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله وجاهد بقلبه وجنانه، ودعوته وبيانه، وسيفه وسنانه، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد.

وإذا كان المسلم لا يمكنه أن يصل إلى تلك الرتبة العليا فينبغي أن يسير نحوها، وأن يحاول أن يقترب منها، وأن يأخذ من تلك المراتب الجهادية قسطًا وافرًا حتى يكون ممتثلاً لقول الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[٢]، وحق الجهاد أن يستعمل العبد جميع ما أوتي من طاقة في جهاد نفسه وشيطانه وأهل الكفر والنفاق والمنكر في الأرض"[٣].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (مات على شعبة من النفاق) وهذا ترهيب من هذه النهاية ولا شك أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من الوقوع في محظور، قال الشيخ محمد الغزالي: "وكما تقاد النفس عن طريق الرغبة تقاد عن طريق الرهبة فتكف عن الرذيلة وجلاً مما يعقبها من منغصات، أو تندفع إلى الفضيلة خوفًا من مغبة التراخي والتفريط"[٤].

ومن استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٥].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) الجهاد "ميادينه وأساليبه"، د. محمد نعيم ياسين ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٤) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٦.

(٥) سورة النبأ، الآيتان: ٢١ - ٢٢.

الحديث رقم (١٣٤٤)

١٣٤٤ - وعن جابر رضي الله عنه، قَالَ: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ، في غَزاةٍ فقالَ: ((إنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ)) [1].

وفي رواية[2]: ((حَبَسَهُمُ العُذْرُ)).

وفي رواية[3]: ((إلاَّ شَرَكُوكُمْ في الأجْرِ)) رواه البخاريُّ من رواية أنس.

ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ لَهُ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من أحداث غزوة تبوك وبشارة محمدية لهؤلاء الذين لم يتخلفوا عن الجهاد خوفاً وجبناً ونفاقاً وإنما حبسهم العذر أو حبسهم المرض فهم ليسوا هؤلاء المنافقين الذين قالوا حين دعا رسول الله ﷺ لغزو بلاد الروم - لا تنفروا في الحر. . ورد الله عليهم (قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) وقد نزلت فى هؤلاء آيات كثيرة من سورة التوبة. ويبدأ الحديث بالتأكيد بقوله: إن بالمدينة لرجالاً والتأكيد هنا لإثبات صدق الخبر فى مقابل المنافقين الذين تقاعسوا لأسباب واهية، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] ويصور الحديث مشقة السفر وعناء المكابدة في قوله: ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً، - والتحرك إلى تبوك كان في وقت لم ينته فيه الصيف بعد والقيظ في أوائل الخريف يصل إلى درجات تجعله أشد من قيظ الصيف في هذه الصحارى إرهاقاً وقتلاً - كما يقول د. محمد حسين هيكل في كتابة - حياة محمد

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١١/١٥٩) من حديث جابر.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٣٩، ٤٤٢٣) من حديث أنس.

(٣) أخرجها مسلم بعد حديث (١٩١١/١٥٩، بدون رقم) من حديث جابر. وتقدم برقم (٤).

- ثم يقول إن المشقة من المدينة إلى بلاد الشام طويلة شاقة تحتاج إلى الجلد وتحتاج إلى المؤنة وإلى الماء، ولذلك يبشر الحديث هؤلاء الذين فاتهم حظ الجهاد وكانوا على استعداد لتحمل مشاق السفر وتبعات الطريق، وقد أقبلوا على رسول الله يريدون أن يحملهم النبي ﷺ معه فحمل منهم ما استطاع واعتذر إلى الباقين وهم الذين نوه بهم في هذا الحديث الشريف وقال: لا أجد ما أحملكم عليه. . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون، وأسلوب التعريف في هذا الحديث يؤكد المعنى ويرشد إلى صدق العزم عند هؤلاء الذين حبسهم العذر ولم يجدوا ما يتجهزون به للقتال ولا ما يحملهم إلى ملاقاة العدو. والروايات الثلاث لختام الحديث كلها تتكامل في تتميم المعنى وشمولية الغرض فهؤلاء منهم من حبسه المرض ومنهم من حبسه الفقر ومنهم من حبستهم أحداث أخرى غير مرفوضة وكلهم شركاء في أجر الغازين والمجاهدين والشهداء الأبرار والصالحين الأخيار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤).

الحديث رقم (١٣٤٥)

١٣٤٥ - وعن أَبي موسى رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًا أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ[1].

وفي رواية[2]: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً.

وفي رواية[3]: يُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ في سبيل الله؟ فقالَ رسولُ اللهِ: ((**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبِيلِ اللهِ**)) متفقٌ عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث ونستشف ما وراء التراكيب من أسرار. نجده يبدأ بالتأكيد في التمهيد لمضمون الحديث يقول الراوي: أن أعرابياً. . أتى النبي ﷺ فقال: ولم يعرف من هذا الأعرابي. . ولذلك جاء "منكراً "لأن المراد هو معرفة إجابة هذه الأسئلة وصفة "الأعرابي "تطلق على كل من سكن البادية عربياً كان أو غيره وقيل هو "لاحق بن ضمرة الباهلي "والعطف بالفاء في قوله: فقال: يدل على التتابع واللهفة لمعرفة الإجابة والنداء في قوله: يا رسول الله يدل على اهتمام الأعرابي وعلى اقتناعه بالإسلام وحبة للنبي ﷺ وحرصه على معرفة حكم الإسلام الصحيح في القضايا التي أثارها لأنه ناداه بصفة الرسالة وليس باسمه المجرد ولا بكنيته ولا بلقبه وإنما قال: يا رسول الله، واللام في قوله: الرجل: للعهد الذهني وليس المقصود

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم واللفظ له (١٩٠٤/١٤٩).

(٢) أخرجها البخاري (٧٤٥٨) بلفظ: (يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة) بتقديم وتأخير.

(٣) أخرجها البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤/١٥١).

(٤) أورده المنذري في ترغيبه (١٩٨٧) بدون ذكر اختلاف الألفاظ، بلفظ مسلم (١٩٠٤/١٤٩) بتمامه، وتقدم برقم (٨).

شخصاً بعينة. . لأن المفهوم المراد أعم، وأشمل ولنتأمل تكرار قوله: الرجل يقاتل "ثلاث مرات "وذلك لتأكيد وقوع "فعل القتال "ولكنه تنوع من شخص لآخر حسب النوايا والمقاصد والتعبير بالمضارع في قوله: يقاتل مع التكرار ثلاث مرات يوحى بتجدد هذا الفعل وتكراره في كل عصر ولكن النوازع والدوافع تختلف فالقتال قد يكون لمزيد من المكاسب المادية وقد يكون للشهرة والتمجيد والتغني بالبطولة والقيادة في حياته وبعد مماته وقد يكون القتال للمنافسة وإثبات الذات وأخذ الريادة في حركات التحرر والقتال وقد يكون بدافع العصبية والدفاع عن القبيلة أو الحدود الجغرافية المصطنعة أو بدافع الانتقام للنفس، وسؤال الأعرابي يجيء في نهاية تفصيل هذه المواقف وذلك للتشويق وتطلع المسامع والقلوب لمعرفة من المقبول من هؤلاء هو عند الله وتأتى إجابة رسول الله على خلاف مقتضى الظاهر وعلى غير المتوقع. . فهو لم يحدد أحد هؤلاء الثلاثة. . وإنما أرسى قاعدة كلية شامله ليست مرتبطة بمكان السؤال ولا زمانه و لا بشخصه وإنما تصلح لتقويم كل تحرك للقتال في كل زمان ومكان، وجاءت الإجابة في صيغة الشرط والجزاء لتحدد قيمة الفعل وهدفه ثم جزاءه وموقعه من الله عز وجل وتأمل هذا البيان النبوي الحكيم البليغ. "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله "فإعلاء كلمة الله. . هو المقصد أي إعلاء شأن العقيدة وراية التوحيد ويمكن أن يكون هذا الإعلاء لكلمة التوحيد مصحوباً بالغنائم التي تقوى شوكة المسلمين وكذلك يكون مقروناً بتمجيد أبطال الإسلام وقادته ومازلنا نذكر كل أبطال الفتوحات الإسلامية في كل العصور وما زلنا نشيد بالقادة العظام والفرسان الأماجد في ساحات الوغى وميادين الجهاد، صلى الله عليك يا رسول الله يا من أوتيت جوامع الكلم ويا من نصرت بالرعب. . بفضل تأييد الله عز وجل فهو القاهر فوق عبادة وهو القوى العزيز.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨) مع اختلاف في ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٣٤٦)

١٣٤٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلاَّ كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهُمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إلاَّ تَمَّ لَهُمْ[1] أجُورهُمْ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

غازية: تأنيث الغازي وهي - هاهنا - صفة لجماعة غازية[3].

السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا، سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السريّ النفيس، وقيل: سموا بذلك لأنهم ينفذون سرًا وخفية[4].

فتغنم: فتصيب غنيمة وهي ما أصيب من أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب[5].

تخفق: الإخفاق أن يغزوا فلا يغنموا شيئًا[6].

الشرح الأدبي

إن الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الله أسمى ما يتطلع إليه المسلم الشجاع الجواد والبطل الكمي الهصور وهذا الحديث يفتح الطريق أمام هؤلاء الفرسان ليفوزوا

---

(١) (لهم) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (١٩٠٦/١٥٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩٨).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (غ ز و).

(٤) المرجع السابق في (س ر ى).

(٥) المرجع السابق في (غ ن م).

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

بالفردوس الأعلى من الجنة وليتم لهم أجرهم وليخلد في العالمين ذكرهم والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين متقابلتين في الحركة. . ولكنهما تلتقيان في دائرة واحدة، هي دائر ة الجهاد الخالص لوجه الله عز وجل والجملتان بينهما تشابه في الصياغة وتشابه في بعض المقاصد فهما صيغا في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، والقصر هنا يفيد الحصر. . والتأكيد على ثواب كل من الفريقين ولكن الفريق الثاني ثوابه أتم وأكمل من الفريق الأول ومن أسرار بلاغة النبوة هنا. . "الحذف "حيث قال: ما من غازية "والتقدير ما من طائفة غازية وقوله "أو "للتنويع أو للشك من الراوي ولكنها للتنويع أقرب، واختيار الألفاظ له دلالته في ترسيخ المعنى وتقويته في البيان النبوي فكلمة (سرية) تدل على قطعة من الجيش: وهى بمعنى فاعله: أي سارية: والسرى: هو المشي ليلاً وذلك (الجيش يسرى ليلاً في خفية. . والجمع سرايا وسريات وقد تحمل هذه الكلمة في دلالتها معنى: إحراز الغنائم فهي توحي بالحركة "السير ليلاً "وتوحي بثمرة الحركة وهى الغنائم: حيث تتسق من "السرى وهو الخفاء، والتعبير بالمضارع المتوالي في هذه الأفعال (تغزو فتغنم وتسلم) يوحى بتتابع الحركة وسرعة المقاتلة وسرعة الانتصار وقوة المقاتلين والعطف بالفاء في قوله: تغزو فتغنم: يقوى من هذا التفسير: والعطف بالواو في قوله: فتغنم وتسلم. . يوحى باقتران الغنيمة بالسلامة وعدم الإصابات لأن الواو لمطلق الجمع وليست للترتيب ولا للتعبير "وقد "تفيد التحقيق، وقوله: تعجلوا "فيه إشارة إلى أن هذا المغنم ليس هو نهاية المطاف. . ولكن لابد من المكابدة والاستعداد واستشهاد بعض المقاتلين (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا. ...الآية) واختيار الفعل "تحفق" بما له من دلاله خاصة، يعد سراً من أسرار بلاغة النبوة: فالإخفاق - كما قال أهل اللغة: أن يغزوا. . فلا يغنموا شيئاً، وكذا كل طالب حاجة إذا لم تحصل له فقد أخفق: ومنه قولهم: أخفق الصائد: إذا لم يقع له صيد فالحديث لا يشير إلى الهزيمة في الحرب ولكنة يشير إلي الجهاد في سبيل الله والاستشهاد ولكن لا توجد غنائم وغنائم الشهداء والمصابين هي تمام أجورهم، والله يضاعف لمن يشاء وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل المشاركة والخروج للغزو في سبيل الله:

حيث جاء في الحديث: (ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم تسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم).

قال النووي: "والإخفاق أن يغزو فلا يغنموا شيئًا، وكذلك كل طالب حاجة إذا لم تحصل فقد أخفق أما معنى الحديث: أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وأن الغنيمة هي في مقابلة جزء من أجر غزوهم فإذا حصلت لهم فقد تعجلوا ثلثي أجرهم المترتب على الغزو وتكون هذه الغنيمة من جملة الأجر، هذا موافق للأحاديث الصحيحة المشهورة عن الصحابة رضي الله عنهم كقوله: ومنا من مات ولم يأكل من أجره شيئًا، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها أي يجتنيها"[1].

قال القاضي عياض: "ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث الوارد في قوله ﷺ: ((تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ. لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ جِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَتِهِ. بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ. أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ. مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ))[2]، قالوا: قال القاضي: ذهب غير واحد أن هذا الحديث يعارض الحديث المتقدم في قوم مع ما قال: (من أجر وغنيمة). قالوا: ولا يصح أن تنتقص الغنيمة من أجورهم كما لم تنقص من أجر أهل بدر، وكانوا أفضل المجاهدين، وأفضلهم غنيمة، حتى قال بعضهم: لا يصح الحديث. وأبو حميد بن هانئ راوية ليس بمشهور، ورجحوا الحديث المتقدم عليه لشهرته وشهرة رجاله، لكن إدخال مسلم له من طريق

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٧٦.

يضعف قوله، قد ذكره البخاري في التاريخ، فقال: أبو حميد الخولاني مصري، سمع بعدالرحمن الحبلى، وعمرو بن مالك سمع من حيوة وابن وهب.

وقيل في الجمع بينهما: إن هذه التي أخفقت تزداد من الأجر بالأسف على ما فاتها من المغنم، ويضاعف لها كما يضاعف لمن أصيب بماله وأهله. وقيل: بل لعل الذي تعجل من أجره بالغنيمة في غنيمة أخذت على غير وجهها، وهذا بعيد لا يحتمله الحديث، وأصح ما يجمع فيه بين الحديثين أن الأول قال فيه: "لا يخرجه إلا للجهاد في سبيله وتصديق كلماته)، فهذا الذي ضمن له الجنة، أو يرد إلى بيته مع ما نال من أجر أو غنيمة. وهذا الحديث الآخر لم يشترط فيه هذا الشرط، فيحتمل أنه فيمن خرج بنية الجهاد وطلب المغنم فهذا شرك بما يجوز له الشريك فيه، وانقسمت نيته بين الوجهين فنقص أجره، والأول أخلص فكمل أجره.

وأوجه من هذا عندي في استعمال الحديثين على وجههما أيضًا: أن أجر المغانم بما فتح عليه من الدنيا وحساب ذلك عليه وتمتعه به في الدنيا وذهاب شظف عيشه في غزوة وبعده إذا قوبل، فمن أخفق ولم يصب منها شيئًا، وبقى على شظف عيشه والصبر على حالته في غزوة وجد أجر هذا أبدًا في ذلك وافيًا مطردًا بخلاف الأول، ومثله قوله في الحديث الآخر: ((فمنًّا من مات لم يأكُلْ مِن أجرِهِ شيئًا، ومنّا مَن أَيْنَعَتْ له ثمرَتُهُ فهوَ يَهدبُها))[1]، فكان هذا إذا لم يهدب ثمرة الدنيا والاتساع فيما فتح عليه من مغانمها، وبقى على حالته الأولى، كان أجره في الصبر والتقلل على ما كان عليه، فلما خالف لم يكن له ذلك الأجر، فكأنه نقص بما كان له في التقدير وكذلك هذا -والله أعلم.

ويدل على صحة هذا التأويل قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم)، أي أنهم نالوا من الدنيا ما هو حساب ما فاتهم منها بقدر ثلثي الأجر، ولو كان نقصًا من الأجر في الأصل كان على ثلث أجر من لم يغنم، كما قال في صلاة القاعد على النصف من

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣٥.

صلاة القائم، لما كان حظ الأجر في أصل العمل - والله أعلم. وأما على ما جاء في الحديث فيخفق ويصاب الإثم أجورهم فبين؛ لأن لهم أجر الجهاد كاملاً، وأجر ما فاتهم من الغنيمة، وأجر ما أصابهم من العدو، ونال منهم واستشهدوا، بخلاف من لم يصب الذي له أجر الجهاد فقط، ولا شك أن المصائب كثيرة الأجور، فكيف إذا كانت في ذات الله؟ فهي مضاعفة على تقدير ما جاء في الحديث من الثلثين وأكثر، فيكون معنى قوله في التي غنمت ولم تصب: (إنها تعجلت ثلثي أجورها)، بالإضافة إلى الأخرى إلى تضاعف أجرها عليها مرتين ساوتها في أجر الجهاد، وفضلت عليها بأجر الإخفاق وأجر الإصابة، فجاء نقصها عن درجتين من درجات هذه، كأنه تعجيل بما حصل لها من الدنيا والأخرى بخلافها، كما قال في الحديث المذكور قبل: (فمنا من لم يأكل من أجره شيئًا) على ما قدمناه"[1].

وقال ابن حجر: "جاء عن بعض المتأخرين حكمة لطيفة بالغة وذلك أن الله أعد للمجاهدين ثلاث كرامات: دنيويتان وأخروية ، فالدنيويتان السلامة والغنيمة والأخروية دخول الجنة، فإذا رجع سالما غانما فقد حصل له ثلثا ما أعد الله له وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة عوضه الله عن ذلك ثوابا في مقابلة ما فاته، وكأن معنى الحديث أنه يقال للمجاهد: إذا فات عليك شيء من أمر الدنيا عوضتك عنه ثوابا، وأما الثواب المختص بالجهاد فهو حاصل للفريقين معا، قال: وغاية ما فيه عد ما يتعلق بالنعمتين الدنيويتين أجرًا بطريق المجاز، والله أعلم"[2].

وجاء في فتح الملهم: "قوله: (إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة) ظاهره أن من غنم من المجاهدين انتقص أجره بقدر الثلثين من المجاهد الذي لم يغنم شيئًا. واستشكله بعض العلماء بأن الغنيمة نعمة من الله تعالى أحلّت لهذه الأمة فكيف ينتقص بها أجر الجهاد؟ ولو كانت منقصة للأجر لما تناولها الصحابة والتابعون والذين كانوا يطمعون في زيادة الأجر أكثر مما يطمعون في التمتع بالغنائم ولو كانت الغنيمة ينقص بها الأجر

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٣٠ - ٣٣١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٢ - ١٣.

لما فضل أصحاب بدر على أصحاب أحد.

والحق أنه لا إشكال في حديث الباب، لأن الأجر على قدر المشقة والمصيبة، ولا شك أن من لم يسلم أو لم يغنم مصيبته أكثر ممن سلم وغنم، فكان ثوابه أعظم.

وأما ما ذكروا من حل الغنيمة لهذه الأمة والتمدح بها، وتناول السلف لها برغبة، فإن ذلك لا إشكال فيه لأن الحرمان من الغنيمة لهذه الأمة يؤجر عليها الغازي، وكذلك حال كل مصيبة، ولكن لا يجوز أن يتمنى الرجل مصيبة لزيادة الأجر، وإنما أمر بأن يسأل الله العافية. ثم إن في الغنيمة مصالح عظيمة من كونها قوة للمسلمين، فلا مانع من أن يغتفر لها بعض النقص في الأجر.

وكذلك الاستدلال بفضيلة أهل بدر على أهل أحد استدلال في محله، إذ مفاد الحديث الباب أن أهل بدر لو لم يغنموا شيئًا كان أجرهم أكثر مما حصل لهم بعد الغنيمة فالتقابل بين كمال الأجر ونقصانه لمن يغزو بنفسه إذا لم يغنم، أو يغزو فيغنم، ولا ينفي ذلك أن يكون حالهم أفضل من حال غيرهم من جهة أخرى. فأفضل الله سبحانه وتعالى أهل بدر على من بعدهم بحيث يفضل الغانم منهم على غير الغانم بعدهم فإن ذلك فضله يؤتيه من يشاء، والله سبحانه أعلم"[1].

وقال ابن علان: "وقوله: تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم، معناه: يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم أو سلم ولم يغنم، وقال القرطبي: ويحتمل أن هذه التي أخفقت إنما يزاد في أجرها لشدة ابتلائها وأسفها على ما فاتها من الظفر الغنيمة، قلت: فيه بُعد لأن الكامل من قاتل لإعلاء كلمة الله فهو باذل نفسه لله غير ناظر لعرض ولا غرض"[2].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على بذل الجهد والحرص على الشهادة أو النصر:

ويتضح هذا من سياق الحديث ومما لا شك فيه أن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين على بذل الجهد والحرص على الشهادة والنصر، وقد دلت الكثير من

---

(١) فتح الملهم ٣٦٨/٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٠ - ١٤٣١.

آيات القرآن الكريم على فضل الجهاد وبذل النفس، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[2].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: "إن الجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال وتزكو الخصال، وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، به يحفظ الدين الإسلامي، ويتسع وينصر الحق، ويخذل الباطل. ولقد صرح الله تعالى بفضل النفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة والخروج بالنفس بأن ذلك أعظم درجة عند الله فلا يفوز بالمطلوب، ولا ينجو من المرهوب، إلا من اتصف بصفاتهم، وتخلق بأخلاقهم يبشرهم ربهم رحمة منه وكرمًا وبرًا بهم، واعتناء ومحبة لهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى الذي منه ما أعده الله للمجاهدين في سبيله مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم"[3].

"إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فالدعوة جهاد والجهاد دعوة"[4].

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٩٢.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم)، وقوله: (إلا تم أجورهم)، (وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحث المدعو على الإقدام على الطاعات، والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهي ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تتحقق للملتزم)[1]، ومن آيات الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2].

وفي الحديث رغّب النبي ﷺ في الجهاد وحث عليه من خلال بيان الأجر الذي يناله المجاهد في سبيل الله.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٣٤٧)

١٣٤٧ - وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً، قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ عز وجل)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ جيدٍ.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة[2].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حقيقي من مشاهد تعليم النبي ﷺ لأصحابه وإقناعهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والحديث يبدأ بتأكيد الخبر (أن رجلاً قال)؛ لأن الموقف حقيقي، ولم يسم السائل لأن العبرة بالمنهج المتبع المأخوذ عن رسول الله وليس العبرة بالأشخاص، ولذلك ورد السائل في صيغة النكرة أن رجلاً قال، ولم يقل سأل لأن الرجل لا يسأل وإنما يطلب الإذن في السياحة وفعل الأمر هنا ليس على حقيقته، ائذن لي "وإنما هو التماس بالإذن، ولفظ "السياحة "من الألفاظ ذات الدلالة المشعة فالمراد من الإذن هو "مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصل الاشتقاق اللغوي من "السبح وهو الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض وفى حديث الزكاة: ما سقى بالسبح العشر "وقيل السياحة: الذهاب في الأرض للعبادة والترهيب وفى الحديث "لا سياحة في الإسلام "أراد - كما يقول ابن الأثير "مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة الجماعات "وقيل

---

(١) برقم (٢٤٨٦). وقال الحاكم (٢/٧٣): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٦٥٩): إسناده جيدٌ.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (س ي ح).

المراد بالسياحة عند بعض العلماء: الذين يسعون في الأرض بالشر والنميمة والإفساد بين الناس، وهذا الرأي لا يتسق مع دلاله الحديث واستفسار الصحابي. وإجابة النبي ﷺ تأتى مدعمة بالتأكيد حتى يتعمق المفهوم الجديد للسياحة في ذهن الرجل وفى أذهان كل المسلمين. . وحتى يصبح سلوكاً عملياً (وهو الجهاد) والمشاركة في الفتوحات الإسلامية ولذلك جاءت إجابة رسول الله ليس بالمنع ولا بالإذن وإنما بتوضيح التصور الإسلامي للسياحة حسب المفهوم الواقعي الجديد الذي تتحرك في ظلاله الأمة كلها، "إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل "وإضافة أمة إلى ياء المتكلم. . تشريف لهذه الأمة لأنها أمة رسول الله وهى خير امة أخرجت للناس أكرمها الله بالإسلام وأنعم عليها بخير الأنام سيدنا محمد علية الصلاة والسلام.

فقه الحديث

قال البهوتي: (والجهاد من السياحة المرغوب فيها، وأما السياحة في الأرض لا لمقصود شرعي، ولا إلى مكان معروف فمكروهة لأنهامن العبث)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم.

ثانيًا: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استئذان النبي ﷺ في أمورهم:

حيث جاء في الحديث: (أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة)، ومما لا شك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن كل كبيرة وصغيرة في أمورهم وحياتهم، ذلك لأنهم يعرفون أن رسول الله ﷺ هو المبلغ عن وحي الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[2]، وهم في ذلك يستجيبون لأمر

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٢٥٩/٤.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ - ٤.

الله في رد كل أمورهم إلى الله والرسول، قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، قال شرف الحق العظيم آبادي: "والسياحة من ساح في الأرض يسيح إذا ذهب فيها، والمراد مفارقة الأمصار وسكنى البراري وترك الجمعة والجماعات، قال في السراج المنير: كأن هذا السائل استأذن النبي ﷺ في الذهاب في الأرض قهرًا لنفسه بمفارقة المألوفات والمباحات واللذات، وترك الجمعة والجماعات وتعليم العلم ونحوه فرد عليه ذلك كما رد على عثمان بن مظعون في التبتل"[2].

وقال ابن علان: "والسائل أراد مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وأصله من السيح وهو الماء الجاري على وجه الأرض منبسطًا وقد رده ﷺ كما ردّ من أراد التبتل وهو الانقطاع عن النساء وترك النكاح لعبادة الله تعالى، قان ابن رسلان: ولعله محمول على أن السؤال كان في زمن تعين فيه الجهاد وكان السائل شجاعًا، قال: أما السياحة في الفلوات والإنسلاخ عما في النفس من الرعونات فلمن علم من نفسه الصبر على ذلك من غير تضييع من يعوله من أولاد وزوجات ففيها فضيلة بل هي من المأمورات"[3].

والرسول عندما وجهّه إلى الجهاد فإنما أراد أن يرشده إلى الأفضل له في دنياه وأخراه "والسياحة مفارقة الوطن والذهاب في الأرض وما دام هناك جهاد وتحققت القدرة عليه فإن التفرغ للعبادة والابتعاد عن تحمل المسؤوليات لا قيمة له ولا اعتبار وفيه: حكمة الإسلام، وحسن مواجهته للحياة وحسمه في الحكم على الأمور"[4].

ثانيًا - من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتوجيههم لما ينفعهم:

يتضح هذا من الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، ويعتبر بيان الحقائق للمدعوين من أولى مهام الداعية لأنه عليها تقوم مهمة الدعوة إلى الله، وقد

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٠٨٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣١.

(٤) شرح رياض الصالحين ص ٦٥٢.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]، والداعية دائمًا يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم لأنه حريص عليهم كما كان ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

لقد كان النبي ﷺ شديد الحرص على توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم، واستقبال أسئلتهم واستفساراتهم، ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ لاَ وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ)) قَالَ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[3].

"إن قصة هذا الشاب المتوقد شبابًا وغريزة، تقدّم لنا نموذجًا رائعًا من الهدي النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، ومعالجة مشكلات الناس النفسية والسلوكية..

فإن تغيير السلوك الفردي أو الاجتماعي ليس كتغيير شيء من الجماد عن موضعه.. وإن فطم النفس عن المعصية إذا ألفتها واعتادت عليها من أشق الأمور وأصعبها.. إنه

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، ٥٤٥/٣٦.

يصطدم بعقبات كثيرة في النفس والمجتمع، تمنع من أن تجري دعوة الحق وموجة الإصلاح على طبيعتها الهادية البينة، الوادعة المرسلة. فما لم يكن الداعية حكيمًا، واعيًا لهذه العقبات والعراقيل، عارفًا بدوافع النفوس وكوابحها، قادرًا على حسن توظيفها واستغلالها.. فإنه سرعان ما تفل عزيمته، ويدب اليأس إلى قلبه، وينكص على عقبيه، ويلقى على قارعة الطريق. والحادثة التي بين أيدينا تعطينا صورة جلية من المنهج النبوي الحكيم، في الدعوة إلى الله تعالى ومعالجة المشكلات، وبالأخص المشكلات النفسية السلوكية.

لقد جاء هذا الشاب يطلب منه أن يأذن له بالزنى، والزنى فعل قبيح مستهجن، دنيء وضيع يدل على خسة مرتكبه، وتفاهة فاعله، وقد يأنف من التصريح به من يفعله، ويغرق في قاذوراته، فكيف تجرأ هذا الشاب على أن يطلب من النبي ﷺ أن يأذن له به؟ ولم تمنعه هيبة النبي ﷺ من ذلك؟ فهلا من غير النبي ﷺ؟ من بعض أصحابه، ولو من كبارهم؟!

إن هذا الطلب المباشر من النبي ﷺ يدل على شدة توقد الغريزة في نفس هذا الشاب، أو على أنه قد اعتاد في جاهليته عليه، فهو لا يستطيع عنه فكاكًا.. فكيف عالجه النبي ﷺ؟ وكيف حرره من أسره وفساده؟

لقد أدناه ﷺ منه دنوًا شديدًا، وهذا ما يحمل دلالات متنوعة من الشفقة والرحمة، إلى المودة وبث الطمأنينة، وإشعاره بالأنس بالنبي ﷺ، ليكون التلقي عنه على أكمل وجه، وأقوى تأثير. ثم افتتح معه النبي ﷺ حوارًا صريحًا، فماذا كانت سمة ذلك الحوار؟ لقد كان حوارًا فطريًا عاطفيًا، إنه يقوم على الاستنجاد برصيد الفطرة.. التي فطر الله الناس عليها التي تأبى على صاحبها أن يتمرد عليها، أو يشقى بها..

ولا يزال هذا المبدأ النبوي الحكيم: (أتحبه لأمك؟)، وهو مبدأ من مبادئ الفطرة السوية، مبدأ مفيدًا في الدعوة حاسمًا، مؤثرًا في جل الناس وأكثرهم.. ولا عبرة بمن انحرفت فطرهم، أو حاولوا المعاندة والمكابرة للحق في بعض المواقف، وقد يفعلون

ذلك، بل ويتبجحون به إلى حين.. ولكنهم في قرارة أنفسهم، لا يحبون الفساد لأهليهم وذويهم. ولا يرتضونه، ولو قدّر لهم الداعية الحكيم لفاءوا إلى الحق، وثابوا إلى رشدهم.

ومن الفوائد الدعوية المهمة في هذه الحادثة: خطر الانفصام بين الدعوة والفتوى، ونزوع العالم إلى تحرير الفتوى، دون أن يتحلى بروح المعلم المربي.. إنه لا بد للعالم أن يكون داعيًا مربيًا حكيمًا، قبل أن يكون مفتيًا أو قاضيًا.. وما كثر ما أفسدت الفتوى المتجردة عن روح الدعوة والتربية ولم تصلح، ونفرّت ولم تقرّب"[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل)، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف يأتي علاجًا وردعًا، ويأتي بشيرًا ونذيرًا فإن من النفوس من ترغب في الخير وتهفوا إلى الهدى، وتشتاق إلى النور ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها ومن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة فهذا يقرعه الترهيب ويوقفه الإنذار[2].

وفي الحديث يرغب النبي ﷺ في الجهاد في سبيل الله من خلال بيان أنه سياحة هذه الأمة وأن المسلم يجب أن يصرف همته إليه ويحرص عليه.

---

(١) انظر: ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني ص ١١٦ - ١٢٠.

(٢) الدعوة إلى الله "الرسالة - الوسيلة - الهدف"، د. توفيق الواعي ص ٢٠٠.

الحديث رقم (١٣٤٨)

١٣٤٨ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ)) رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

قفْلة: القفلة: الرجوع، والمراد: الرجوع من الغزو بعد فراغه، ومعناه: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في غاية الإيجاز حيث يتكون من كلمتين "قفلة كغزوة "والإيقاع فيها سريع. وهما متساويان في الحروف ومتشابهان في الحركات ومتشابهان في النوعية فهما: اسما مرة: أي قفلة واحدة، وغزوة واحدة، والمثلية بينهما ليست تشبيهاً بيانياً وليست صورة في الفعل، وإنما المثلية هنا في الأجر والمثوبة، والقفول: الرجوع من السفر وحدد بعض العلماء دلالة القفول وخصوها بالجهاد فقالوا (القفول): رجوع الجند بعد الغزو فالرجوع ليس عن ضعف وإنما بعد انتصار مبين وهذا القفول يعقبه عود للغزو بعد الاستعداد والراحة التي تهيىء للمجاهدين أسباب النصر وبواعث القوة والفوز وسميت: القافلة "قافلة "تفاؤلاً بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، ودلاله الحديث تفيد أن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله بعد غزوة كأجره في إقباله إلى الجهاد: لأن في قفوله إراحة للنفس واستعدادا بالقوة للعود وحفظاً لأهله برجوعه إليهم وللحديث دلاله أخرى يشع بها نصه الموجز: حيث قيل: يحتمل أن يكون رسول الله سئل عن قوم قفلوا لخوفهم

---

(١) برقم (٢٤٨٧). وقال الحاكم (٢/٧٣): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) رياض الصالحين ٤٦٩.

أن يدهمهم من عدوهم من هو أكثر عدداً منهم فقفلوا ليستضيفوا لهم عدداً أخر من أصحابهم، ثم يكروا على عدوهم (١) ودلاله لفظ: غزوه "يشع بالحركة وقصد القتال: فالعرب تقول غزا الشيء غزواً أراده وطلبه، والغزو: القصد، والغزو: السير إلى قتال العدو وانتهابه: وقال ثعلب: إذا قيل غزاة فهو عمل سنة وإذا قيل "غزوة "فهي المرة الواحدة من الغزو، إن هذا الحديث نموذج للبيان النبوي الذي وصفه الجاحظ قائلاً: هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانية، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وجمع بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، ومما لا شك فيه أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم فكان يعبر عن المعاني الكثيرة باللفظ القليل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[1].

ولا يستطيع أحد أن يمارئ في بلوغ النبي ﷺ الغاية من البلاغة والفصاحة، وأوتي جوامع الكلم في التعبير قال الماوردي: "وليس يصح اختيار الكلام، إلا لمن أخذ نفسه بالبلاغة، وكلفها لزوم الفصاحة، حتى يصير متدربًا بها، معتادًا لها. فلا يأتي بكلام مستكره اللفظ، ولا مختل المعنى، لأن البلاغة ليست على معان مفردة، ولا لألفاظها غاية، وإنما البلاغة أن تكون المعاني الصحيحة، مستودعة في ألفاظ فصيحة، فتكون فصاحة الألفاظ مع صحة المعاني هي البلاغة.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٢٣.

وقد قيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام. وقيل ذلك للرومي. فقال: حسن الاختصار عند البديهة، والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي فقال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل للعربي، فقال: ما حسن إيجازه وقل مجازه وقيل للبدوي، فقال: ما دون السحر، وفوق الشعر، يفتُ الخردل، ويحط الجندل. وقيل للحضري، فقال: ما كثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه.

وقال ابن المقفع: البلاغة قلة الحصر، والجراءة على البشر. وسأل الحجاج ابن القرية عن الإيجاز؟ قال: أن تقول فلا تُبطئ، وأن تصيب فلا تخطئ. قال الشاعر:

خَيْرُ الكلامِ قَليلُ ... على كَثيرٍ دَليلُ
والعِيُّ مَعنى قَصيرُ ... يَحويه لفظٌ طَويلُ
وفي الكلام فضولٌ ... وفيه قال وقيل[1]

ولقد استجمع النبي ﷺ شروط البلاغة في الكلام، قال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد ﷺ وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازي فصاحة ولا يباري بلاغة"[2]، لقد فضل الله عز وجل نبيه ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام بأن أعطاه جوامع الكلم، "فلقد كان ﷺ يتكلم؛ بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني أعطاه مفاتيح الكلام وهو ما يسره له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره وتعذرت عليه، قال العز بن عبدالسلام: "ومن خصائصه أنه بعث بجوامع الكلم واختصر له الحديث اختصارًا وفاق العرب في فصاحته وبلاغته"[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الجهاد والحث عليه:

حيث جاء في الحديث: (قفلة كغزوة)، قال ابن الأثير: "والمراد أن أجر المجاهد في

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٦١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٤٥٩.

انصرافه إلى أهله بعد غزوه كأجره في إقباله إلى الجهاد لأن في قفوله راحة للنفس، واستعدادًا بالقوة للعود، حفظًا لأهله برجوعه إليهم، وقيل: أراد بذلك التعقيب وهو رجوعه ثانيًا في الوجه الذي جاء منه منصرفًا، وإن لم يلق عدوًا ولم يشهد قتالاً، وقيل: يحتمل أن يكون سئل عن قوم قفلوا لخوفهم أن يدهمهم من عدوهم من هو أكثر عددًا منهم فقفلوا ليستضيفوا إليهم عددًا آخر من أصحابهم ثم يكروا على عدوهم"[1].

وقال ابن علان: "والقفول هو الرجوع والمراد: الرجوع من الغزو وبعد فراغه، ومعنى الحديث بجملته: أنه يثاب في رجوعه بعد فراغه من الغزو كما يثاب في ذهابه إليه لما في القفول من معاني داعية للإثابة من راحة النفس وحفظ الأهل والاستعداد للعود"[2]، ومما لا شك فيه أن الله عز وجل فضل المجاهدين في سبيله ووعدهم بالأجر الجزيل والثواب العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[4].

وقال الفيروزآبادي: "والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو قال الشاعر:

يا من يجاهد غازيًا أعداء دين الله ... يرجو أن يعان وينصرا
هل غشيت النفس غزوًا إنها ... أعدى عدوك كي تفوز وتظفرا
مهما عنيت جهادها وعنادها ... فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

وقال آخر في الجهد ومعنييه:

تعاليت عن قدر المدائح صاعدًا ... فسيّان عفو القول عندك والجهد
وإني لأدري أنّ وصفك زائد ... على منطقي لكن على الواصف والجُهْد
وإنّ قليل القول يكثر وَقْعُه ... إذا عُرفت فيه الموالاة والودّ

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ف ل).
(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٢.
(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.
(٤) سورة النساء، آية: ٩٥.

وورد الجهاد في القرآن على معانٍ:

الأول: مجاهدة الكفار والمنافقين بالبرهان والحجة قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[2].

الثاني: جهاد أهل الضلالة بالسيف والقتال، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4].

الثالث: مجاهدة مع النفس قال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾[5].

الرابع: مجاهدة مع الشيطان بالمخالفة طمعًا في الهداية قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[6].

الخامس: جهاد مع القلب لنيل الوصل والقرب، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[7].

والحق أن يقال: المجاهدة ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. ويدخل الأضرب الثلاثة في ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾، والمجاهدة تكون باليد وباللسان. قال ﷺ: ((قوله تعالى جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ))[8]،[9].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧٣، وسورة التحريم، آية: ٩.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٢.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٥) سورة العنكبوت، آية: ٦.

(٦) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٧) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٨) أخرجه أبو داود ٢٥٠٤، وصححه اللباني، (صحيح سنن أبي داود ٢١٨٦).

(٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/٤٠٢-٤٠٣.

الحديث رقم (١٣٤٩)

١٣٤٩ - وعن السائب بن يزيد ﷺ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَّيْتُهُ[1] مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ. رواه أَبُو داود[2] بإسنادٍ صحيح بهذا اللفظ.

ورواه البخاريُّ[3] قَالَ: ذَهَبنا نَتَلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ، مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢٣٨).

غريب الألفاظ:

تبوك: بلدة بين وادي القرى والشام، بين الحجر وأول الشام، تبعد عن المدينة المنورة ٧٧٨ كم، وقد توجه النبي ﷺ ٩هـ إليها وهي آخر غزواته[4].

ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة[5].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد العودة. . بعد أن منَّ الله على رسول الله بالنصر في غزوة "تبوك "وهذه الغزوة كانت كما يقول ابن هشام في السيرة النبوية "في زمان من عسرة الناس وشدة الحر وجدب من البلاد "وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

---

(١) لفظ أبي داود: (فلقيته).

(٢) برقم (٢٧٧٩). قال المنذري في مختصره (٢٦٦٢): فيه تمرين الصبيان على مكارم الأخلاق، واستجلاب الدعاء لهم.

(٣) برقم (٣٠٨٣). قلتُ: وأقرب منه، لفظ البخاري برقم (٤٤٢٧): أذكر أني خرجتُ مع الصبيان نتلقى النبي ﷺ إلى ثنية الوداع، مقدمه من غزوة تبوك.

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ص ٨٩.

(٥) المرجع السابق ص ١٠٨.

وهذا التصوير للأجواء المصاحبة لغزوة تبوك اقتضى أن يصرح رسول الله بما يريد من غزو الروم، وكان رسول الله "قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم (١) ولذلك حينما قفل رسول الله من الغزو "تلقاه الناس "كما يصف هذا الحديث الشريف بالبشر والفرح والسرور، وكلمة (الناس) كلمة جامعة تشمل كل الطوائف (الرجال - النساء - الشباب - الشيوخ - الأطفال) وصيغة الفعل (تلقاه الناس) توحي باللهفة والشوق: حيث لم يقل لقيه الناس "وإنما تلقاه الناس "فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، والتلقي ينبيء عن الحرص والشوق والتضعيف في "القاف "يدل على الكثرة والمزاحمة. . والشوق إلى اللقاء، ويصف السائب بن يزيد فرحته ولهفته فيقول (فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع) وتحديد المكان: يفيد الخروج، والاستعداد للقاء وانتظار رسول الله مع الجيش العائد المنتصر ومن الذين استقبلوه أو تلقوه (البكاؤون) الذين لم يجدوا لهم ما يحملهم عليه ومنهم المعذرون من الأعراب "الذين تخلفوا وبعضهم اعتذروا لرسول الله ولم يعذرهم الله تعالى "وبغزوة تبوك "كما يقول د. محمد حسين هيكل "تمت كلمة ربك في الجزيرة كلها وأمن محمد كل عادية عليه وأقبل سائر أهلها وفوداً علية يقدمون الطاعة ويعلنون لله الإسلام ولقد كانت هذه الغزوة خاتمة غزوات النبي ﷺ ومن بعدها أقام محمد علية السلام بالمدينة مغتبطاً بما أفاء الله عليه.

فقه الحديث

قال الشوكاني: (في الحديث دليل على مشروعية تلقي الغازي إلى خارج البلد لما في الاتصال به من البركةو والتيمن بطلعته، فإنه في تلك الحال ممن حرّمه الله على النار، وما في ذلك من التأنيس له والتطييب لخاطره، والترغيب لمن كان قاعدًا في الغزو)[1].

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٩٠ ، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣/١٧-١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة تبوك:

جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك)، قال ابن عبدالبر: "وخرج ﷺ في رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم وهي آخر غزاة غزاها ﷺ بنفسه وكان خروجه إلى غزوته تلك في حر شديد وحين طاب أول الثمر وفي عام جدب وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يتجاوزها، ثم انصرف وبنى رسول الله ﷺ بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدًا، ولقد نزل من القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب ما يفضح المنافقين الذين كانوا يخذلون المسلمين في هذه الغزوة"[1].

وقال د. أبو شهبة" وبعد أن أقام النبي ﷺ بتبوك مدة استشار أصحابه رضي الله عنهم في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعد منها من ديار الشام فقال الفاروق عمر رضي الله عنه: (إن كنت أمرت بالسير فسر)، فقال ﷺ: (لو كنت أمرت بالسير لما استشرت)، فقال عمر رضي الله عنه: (يا رسول الله إن للروم جموعًا كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرًا، فاستجود النبي ﷺ رأيه واتبع مشورته بالرجوع إلى المدينة فعادوا حامدين شاكرين"[2].

ولا ريب أن غزوة تبوك تمثل تاريخًا هامًا للدعوة الإسلامية وتمثل طورًا من أطوار تبليغ هذا الدين للعالمين، ونشره في كل بقعة من بقاع الأرض، ويدلل على جهاد النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وتحملهم المشاق في سبيل الدعوة الإسلامية لتظل

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبدالبر ص ٢٣٨.

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة ٥٠٤/٢.

حية في القلوب، شاخصة للناظرين، متحركة في الدماء والعروق "إن الدعوة الإسلامية تقوم على بذل الجهد، وهو حصيلة جهود الأفراد، وهو مظهر تخطيط القيادة التي تستفيد من جميع الطاقات فلا يوجد في قاموسها (طاقات معطلة) ولا يخطر ببالها أن فردًا مهما كان وأيًا كان لا يستطيع أن يقدم شيئًا؛ فكل إنسان قد يكون له دور، وقد يتقن شيئًا لا يتقنه غيره، إنها دعوة تجاهد نفسها لتحافظ على أفرادها وتنميتهم، وتضم عناصر جديدة إليها، وهي دعوة تجاهد لتبليغ دين الله الذي يحتاجه الناس وهم في ضلال، وهي دعوة تجاهد لتفنيد شبهات المناوئين من الكافرين والمشركين والمنافقين والفاسقين والزنادقة، فجوانب الجهاد لا تتوقف بل هي متعددة متحركة عبر الزمان والمكان، تجاهد للتجديد ولمواجهة مكر أعداء الله تخطط وتدعو الله تعالى أن يوفقها لما فيه خير البلاد والعباد"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ في رجوعه من غزوة تبوك:

وذلك حيث جاء في الحديث: (لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فتلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وتبوك موضع من بادية الشام قريب من مدين الذين بعث الله إليهم شعيبًا والثنية العقبة أو طريقها أو الجبل وسميت ثنية الوداع بالمدينة لأن من سافر إلى مكة كان يودع ويشيع إليها"[2].

قال محمد الغزالي: "وقدم رسول الله ﷺ المدينة ولاحت له معالمها من بعيد فقال: هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتسامع الناس بمقدمه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٣١ - ٣٢.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٨٦.

لقد قوبل جيش العسرة في مرجعه هذا بحفاوة بالغة إنه أكبر جيش خرج مع رسول الله ﷺ، إذ وصل تعداده لثلاثين ألفاً"[١].

ولحرص الصحابة رضي الله عنهم على استقبال النبي ﷺ عنون الإمام البخاري بابًا سماه: باب استقبال الغزاة وأورد فيه حديث ابن أبي مليكة: قال ابنُ الزُّبير لابنِ جَعفرٍ رضي الله عنهما: ((أتذكُرُ إذ تَلقَّينا رسولَ اللهِ ﷺ أنا وأنتَ وابنُ عباسٍ؟ قال: نعم، فحملنا وترَكَكَ))[٢]، وحديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: ((ذَهبْنا نَتلَقَّى رسولَ اللهِ ﷺ مَعَ الصِّبيانِ إلى ثَنِيَّة الوَداعِ))[٣].

قال ابن حجر: "والمراد باستقبال الغزاة أي عند رجوعهم وفي الحديث جواز الفخر بما يقع من إكرام النبي ﷺ، وثبوت الصحبة لابن جعفر ولابن الزبير وهما متقاربان في السن"[٤].

وجاء في كتاب المغازي من صحيح البخاري من حديث السائب بن يزيد أيضًا: ((أذكرُ أني خرجتُ مع الصِّبيانِ نتلقى النبيَّ ﷺ إلى ثنيَّةِ الوداع، مَقْدَمَهُ من غزوةِ تبوك))[٥].

قال ابن حجر: "أنكر الداودي كون ذلك مقدمة من غزوة تبوك وتبعه ابن القيم وقال: ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك، بل هي مقابلها كالمشرق والمغرب، قال: إلا أن يكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة، والثنية ما ارتفع في الأرض، وقيل الطريق في الجبل، قلت: لا يمنع كونها من جهة الحجاز أن يكون خروج المسافر إلى الشام من جهتها، وهذا واضح كما في دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى، وينتهي كلاهما إلى طريق واحدة، وقد روينا بسند منقطع في (الحلبيات) قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع) فقيل: كان ذلك عند قدومه في الهجرة وقيل عند قدومه من غزوة تبوك"[٦].

---

(١) فقه السيرة ٤٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٣٠٨٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٢٢/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٤٢٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٣٥/٧.

الحديث رقم (١٣٥٠)

١٣٥٠ - وعن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ[1] قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ)) رواه أَبُو داود[2] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

يخلف غازيًا في أهله بخير: يقوم بما كان يفعله من قضاء مصالحهم[3].

بقارعة: بداهية تهلكه، يقال: قرعه أمر إذا أتاه فجأة[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي. نجده يتكون من جملة واحدة. وهي جملة شرطية. تتسق مع دلالة الحديث حيث يتوعد النبي ﷺ أولئك الذين يتقاعسون عن الجهاد مثل المنافقين في غزوة تبوك، وغيرها من المعارك التي خاضها المسلمون علي امتداد تاريخ الإسلام وسيرته الجهادية، ويتوعد الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله، ويتوعد الذين لا يحمون الأهل والأموال والديار في غياب المجاهدين والمرابطين علي الثغور، بأن يصيبهم الله بقارعة قبل يوم القيامة. وفعل الشرط يتضمن ثلاث طوائف من الناس: فمنهم من لم يغز، ولم يحدث نفسه يغزو فهو

---

(١) قال أبوداود: (قال يزيد بن عبد ربه في حديثه: قبل يوم القيامة). رواه ابن ماجه (٢٧٦٢) بتمامه من رواية هشام بن عمار. والمؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه، حيث أورده هكذا، وعزاه إلى أبي داود، وابن ماجه.

(٢) برقم (٢٥٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

(٤) المرجع السابق في (ق ر ع).

يتعمد القعود عن الجهاد، وإذا قصر في المشاركة والقتال فأمامه مجال آخر وهو الجهاد بالمال.. وتجهيز الغزاة. . ولكنه لم يقم بذلك، وحذف حرف النفي لم. . يدل عليه ما قبله في الجملة الأولى، ويمكن أن يكون الحذف هنا إشارة إلي أن التجهيز غير منفي لمزيد من الترغيب في هذا المجال، وهذه المرحلة التي تحتاج إلي ثراء وغني - قد يفتقدها بعض الناس، ولكن يبقي أمامه المجال مفتوحا وهو الحراسة والحماية، ورعاية أهل المجاهدين. . وهو إن قام بهذا الصنيع له مثل اجر المجاهد. فجملة الشرط تتضمن المراحل الثلاث التي يمكن أن يشارك بها المسلم في الجهاد كل حسب طاقته وقدرته وإمكاناته، ولذلك يأتي جواب الشرط منذرا وعاصفا. . إذا لم يقتحم المسلم أي مجال من المجالات السابقة. . حيث يقول رسول الله محددا عقاب هذا المتقاعس عن الجهاد بكل ألوانه فيقول: أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة، وفاعل أصاب: لفظ الجلالة الله: وهو ظاهر لمزيد من الرهبة والخشية. . والتوعد والإنذار. والمادة اللغوية للفعل: أصاب بجد الفجيعة والألم: فمعني أصابه بكذا: فجعه به، وأصابهم الدهر بنفوسهم وأموالهم أي : فجعهم فيها، واختيار لفظ القارعة. . دون غيره للإشعار بالخوف والعذاب حتى يرتدع المتقاعسون عن منهجهم. . ويعودوا إلي النهج الصحيح. فالقارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، والمراد بها في الحديث، أصابه الله بداهية تهلكه، وقالوا: القارعة هي المصيبة التي لا تدع مالا ولا غيره، وهذا عقاب من الله عز وجل حيث يفقد ماله الذي ضن به، ويفقد كل ما يملك من أعوان وجاه، وهذا في الدنيا قبل يوم القيامة. . وهو من أسمائه: القارعة، والطامة الكبرى، والطارق، والحاقة، ولينصرن الله من ينصره إن الله القوي العزيز.

فقه الحديث

١ - ساق مسلم بعد هذا الحديث الشريف قول عبدالله بن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ. وعقّب النووي على ذلك فقال: (وهذا الذي قال ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره: إنه عام والمراد أن من فعل ذلك فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق.

وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فمات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوها. وقد اختلف أصحابنا فيمن تمكن من الصلاة في أول وقتها فأخرها بنية أن يفعلها في أثنائه، فمات قبل فعلها أو أخّر الحج بعد التمكن إلى سنة أخرى فمات قبل فعله، هل يأثم أم لا؟ والأصح عندهم أنه يأثم في الحج دون الصلاة، لأن مدة الصلاة قريبة فلا تنسب إلى تفريط بالتأخير بخلاف الحج، وقيل: يأثم فيهما، وقيل: لا يأثم فيهما، وقيل: يأثم في الحج الشيخ دون الشاب، والله أعلم)[1].

٢ - قال الأمير الصنعاني: (فيه دليل على وجوب العزم على الجهاد وألحقوا به فعل كل واجب، قالوا: فإن كان من الواجبات المطلقة كالجهاد وجب العزم على فعله عند إمكانه، وإن كان من الواجبات المؤقتة وجب العزم على فعله عند دخول وقته. وإلى هذا ذهب جماعة من أئمة الأصول، وفي المسألة خلاف معروف)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على المشاركة في الغزو أو تجهيز الغزاة:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة)، ولا شك أن في هذه حث على الغزو والقتال في سبيل الله وإلا فالمشاركة بالمال والإعانة للمجاهدين، قال شرف الحق العظيم آبادي: "وأصابه الله بقارعة، أي: بداهية مهلكة، قرعه أمر إذا أتاه فجأة"[3].

وقال ابن علان: "والمعنى: من لم يخرج للغزو، أو يهيئ أسباب السفر لمن يغزو، أو

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٤٩/١٣/٧ .

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ض ١٠٩٠.

يكون قائمًا بمصالح من غزا في أهله بخير أصابه الله بداهية تقرعه وتقلقه وأشار إلى تعجيلها بقوله: قبل يوم القيامة"[١].

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على الغزو، وأن الإنسان إذا لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ولم يخلف غازيًا في أهله وماله فإنه تصيبه قارعة قبل يوم القيامة"[٢].

إن في هذا الحديث تحذيرًا من النكوص عن الجهاد في سبيل الله "من لم يخرج للجهاد أو يساعد المجاهدين بعمله أو ماله أو ينفق على أهله وعياله أصابه الله بداهية تقلقه وتقرعه وإن ظن أن ذلك طريق السلامة والنجاة" [٣].

ولا أدلّ على فضل تجهيز الغزاة وإعانتهم مما وقع في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: ((مَا عِنْدِي)) فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٤].

قال النووي: "وقوله: (أبدع بي)، معناه: هلكت دابتي وهي مركوبي وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله"[٥].

لم يكن تحريض النبي ﷺ وحثه على الجهاد والغزو رغبة منه في سفك الدماء، واحتلال البلاد ولكن "لما أصبح للمسلمين دولة بالمدينة، ورضي أهلها جميعًا بالنبي ﷺ رئيسًا لها مسؤولاً عن أمنها وسلامتها، كان لا بد من حماية هذا الوضع من العدوان.

وما كانت قريش لتدع هذا المجتمع آمنًا، وقد أعلنت الحرب على الإسلام منذ ثلاثة عشر عامًا، فقاومت رسوله وآذته وهمت بقتله، وأصابت المؤمنين في أنفسهم وأموالهم، فلما هاجر بعضهم إلى الحبشة عز عليها أن يفلتوا من قبضتها، فبعثت وفدًا

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٥٦/٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١٢١٥.

يحمل الهدايا إلى النجاشي ورجاله لإعادتهم، واعتبرت الهجرة إلى المدينة خطرًا كبيرًا على تجارتها إلى الشام وسلطانها بالجزيرة، ففزعت حين علمت ببيعة العقبة الكبرى في موسم الحج، وحاولت أن تبطش بالذين بايعوا رسول الله ﷺ من أهل يثرب ثم وقفت في سبيل الهجرة مصرة على أن تحول دونها بأي ثمن، فأجمعت على قتل النبي ﷺ ليلة هجرته، وحبست عددًا من المؤمنين وقيدتهم بالأغلال وسامتهم سوء العذاب واستولت على أموال الذين تمكنوا من الخروج من مكة وممتلكاتهم، فلم يكن من المتوقع أن ترضى بوضع المسلمين بالمدينة أو تسكت عليه، بل كان المؤكد أنها سوف تلجأ إلى العدوان المسلح على المدينة، وبهذا كانت ظروف المسلمين تحتم عليهم الدفاع عن أنفسهم والإذن لهم بالقتال، وقد أذن الله لهم به بعد الهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ثم حضّ القرآن على القتال لمقاومة الظلم وتحرير المستضعفين الذين كانوا يعذبون في مكة إكراهًا على الكفر وترك الإسلام، والذين كانوا يجأرون إلى الله بالشكوى والدعاء: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[2].

والآيات تحدد أسباب الحرب في دفع الظلم ونصرة المظلوم ومنع الفتنة في الدين، والإخراج من الوطن بغير حق، وكفالة حرية العبادة، وتعديدها لأماكنها: من صوامع وبيع للنصارى، وصلوات لليهود، ومساجد للمسلمين، يعني كفالة هذه الحرية لجميع الناس.

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٧٥.

ثم بين القرآن واجب المسلمين بعد النصر، والتمكين لهم في الأرض، في تطهير المجتمعات من الظلم والإثم، وإقامتها على الحق والعدل والخير، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[1].

وبهذا حصر الإسلام الحرب في أضيق نطاق، وجعلها إنسانية الأسباب والأهداف، ليس فيها مظنة عدوان ولا مطامع"[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: الإخبار عن الحقائق:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، ويعتبر الإخبار عن الحقائق من أولى مهام الداعية لأن على الإخبار والبيان تقوم الدعوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[3]، وبالإخبار عن الحقائق تقوم الحجة على المدعوين: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[4].

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث أن من لم يشارك في الغزو، أو يجهز غازيًا، أو يتعاون في إعانة أهل الغازي برعايتهم والنفقة عليهم فإن الله عز وجل يصيبه بداهية عظيمة وقارعة كبيرة يوم القيامة.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (من لم يغز أو يجهز غازيًا أو يخلف في أهله بخير أصابه الله)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب.

---

(١) سورة الحج، آية: ٤١.

(٢) الجهاد في الإسلام، الشيخ: محمد شديد ص ٩١ - ٩٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) سورة التغابن، آية: ١٢.

وفي الحديث بيّن النبي ﷺ أن الجزاء من جنس العمل، وأن الشرط مقرون بجوابه وأن من تقاعس عن الجهاد والغزو، وبخل بماله عن إعانة المجاهدين وتجهيزهم، أو النفقة على أهلهم فإن جزاءه قارعة تصيبه يوم القيامة.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: (أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة)، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعو وترهبه من المخالفات الشرعية، "والترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[3].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف، الآيتين: ٧٤ - ٧٥.

الحديث رقم (١٣٥١)

١٣٥١ - وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ)) رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الجهاد في سبيل الله منهج إسلامي لا يحيد عنه إلا من ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم، وجعل علي أبصارهم غشاوة، ولذلك نجد هذا الحديث الشريف يصاغ في قالب الأمر. . فهو يتكون من جملة واحدة ومتعلقاتها. . ويبدأها بفعل الأمر - جاهدوا والأمر للجماعة. . لأن الدفاع عن العقيدة مسؤولية الأمة كلها والمادة اللغوية للفعل، جاهد "تتسق مع دلالة الجهاد في كثير من معطياتها ومعانيها فالجهد والجهد: الطاقة، وقيل: الجهد بالفتح: المشقة وقيل المبالغة والغاية، وبالضم الوسع والطاقة، والدلالتان يجمعهما الجهاد في سبيل الله: لأن الجهاد مشقة وبذل. والعطف بالواو في الحديث الشريف ليس للاختبار ولكن للتنويع. .. فالجهاد بالأموال والأنفس، والإعلام والتوعية. . وكشف مؤامرات أعداء الإسلام، ولا يمييز أحد هذه الأنواع عن الآخر ولذلك جاء العطف بالواو وهي لمطلق الجمع، ولم يجئ بأو أو الفاء: لأن أو تفيد الاختيار، والفاء تفيد الترتيب، والبيان النبوي في غاية الدقة، والحروف لها وظيفتها، والكلمات لها دلالتها المتسقة الدالة، والجمع في الكلمات الثلاثة يرشد إلي حتمية الاستعداد ماليا وجسمانيا. . وعقليا. . فالمال يوفر العدة والعتاد. . والمجاهد لابد أن يكون ذا خبرة قتالية ومدربا علي فنون القتال. . كذلك لابد أن يكون في جماعة المسلمين من يقدرون علي مهاجاة المشركين والتصدي لأفكارهم الخبيثة، ومؤامراتهم وتشويههم لمباديء الإسلام ورموزه وشخصياته وتاريخه.

---

(١) برقم (٢٥٠٤). وقال الحاكم (٢/٨١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

فقه الحديث

قال الأمير الصنعاني: (الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وهذا هو المفاد من عدة آيات في القرآن: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[١].

والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله تعالى، وبالأصوات عند اللقاء والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[٢] وقال ﷺ لحسان: ((إن هجو الكفار أشد عليهم من وقع النبل))[٣])[٤].

وقال الشوكاني: (فيه دليل على وجوب المجاهدة للكفار بالأموال والأيدي والألسن. وقد ثبت الأمر القرآني بالجهاد بالأنفس والأموال في مواضع، وظاهر الأمر الوجوب)[٥].

وقال ابن حجر: (والتحقيق أن جنس جهاد الكفار متعين على كل مسلم إما بيده أو بلسانه وإما بماله وإما بقلبه، والله أعلم)[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٩٠.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٨١٠.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٤٧٢.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٨/٦.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر :

حيث جاء في الحديث: (جاهدوا المشركين)، وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تؤكد للمدعو أهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه والاستجابة له، خاصة إذا كان من الأعلى للأدنى، وأما إذا كان من المساوي للمساوي فهو التماس، وإذا كان من الأدنى للأعلى فهو دعاء.

ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[2].

وقوله جلّ شأنه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[4].

والداعية الناجح هو الذي يستخدم أسلوب الأمر في وقته المناسب ويراعي أصناف المدعوين، ومن يوجه لهم الأمر حتى يضمن الاستجابة لدعوته وتوجيهه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان:

يتضح هذا من الحديث: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)، قال شرف الحق العظيم آبادي: "الحديث دليل على وجوب الجهاد بالنفس وهو بالخروج والمباشرة للكفار، وبالمال وهو بذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه، وباللسان بإقامة الحجة عليهم ودعاؤهم إلى الله تعالى والزجر ونحوه من كل ما فيه

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

نكاية للعدو، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾[1]"[2].

وقال السيوطي: "قال المنذري: يحتمل أن يريد بقوله: (وألسنتكم، الهجاء ويؤيده قوله فهو أسرع فيهم من نضح النبل ويحتمل أن يريد به حض الناس على الجهاد وترغيبهم فيه وبيان فضائله لهم"[3].

وقال السندي: "وقوله: (وألسنتكم)، أي: بإقامة الحجج وبالذم وبالشعر وبالنهي والزجر"[4].

جاء في موسوعة فقه القلوب: "والجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس، وكلاهما مطلوب من العبد، والجهاد باللسان مقدم على الجهاد بالسيف، وكلاهما مطلوب من العبد.

فمن كان له مال وهو يقدر على الجهاد بنفسه وجب عليه الجميع، وإن كان لا يقدر بنفسه وله مال وجب عليه الجهاد بماله.

فإن كان لا يقدر بالمال ولا بالنفس فالحرج عنه مرفوع كما قال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5]، والجهاد فريضة من فرائض الله إذا قامت أسبابه، فإذا تركته الأمة وأقبلت على الدنيا هلكت كما قال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[6].

ويجب على المسلمين أن يقوموا بما أمرهم الله به من جهاد أعدائهم بحسب

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٩٠.

(٣) حاشية السيوطي على سنن النسائي ٣١٤/٦.

(٤) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١٤/٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٩١.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

استطاعتهم، وأن يتوكلوا على الله وحده ولا ينظروا إلى قوتهم وكثرتهم ولا يركنوا إليها، فإن ذلك من الشرك الخفي، ومن أسباب إدالة العدو عليهم، ووهنهم عن لقاء العدو، لأن الله أمرنا بفل الأسباب، ولكن لا نركن إليها، بل نتوكل على الله وحده كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

وعلينا ألا نغتر بأهل الكفر، ولا بما أعطوه من القوة والعدة، فإن المسلمين يقاتلون بأعمالهم، فإن أصلحوها وصلحت وعلم الله منهم الصدق والإخلاص أعانهم ونصرهم على عدوهم وأذل أعداءهم وخذلهم، فالخلق كلهم عبيده، ونواصيهم بيده، وهو القوي الذي لا يقهر، والعزيز الذي لا يغلب ينصر أولياءه، ويخذل أعداءه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[2].

ومن كفر سلّط الله عليه العذاب الشقاء، وعذبه في دنياه بالأموال والأولاد، وفي الآخرة بالنار، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[3].

والله عز وجل أمر المؤمنين أن يجاهدوا الكفار لا طمعًا في أرضهم وأموالهم، إنما يجاهدونهم لأجل إنقاذهم من النار إن أسلموا، ولأجل كف ظلمهم وإراحة المسلمين من شرهم وتطهير الأرض من شركهم وكفرهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[4].

وقد شرع الله القتال في الإسلام وأذن به لتحقيق أهداف كثيرة:

---

(١) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٦٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنفال، الآيتين: ٣٩ - ٤٠.

أحدها: الدفاع عن المؤمنين، وحفظهم من الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها وليكفل لهم الأمن على أنفسهم أموالهم ودينهم.

الثاني: تقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، فقد جاء الإسلام بهذا الخير ليهديه للبشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، ثم من شاء بعد البيان أن يؤمن أو يكفر.

فمن وقف في وجه من يقوم بذلك، ومنع الناس من الاستماع للدين والحق، أو صدهم عنه، فهذا يجب قتاله لأنه منع الناس من قول الحق، وسماع الحق، والعمل بالحق.

الثالث: إقامة خلافة الله في أرضه، ليعبد الله وحده لا شريك له، وتمتثل أوامره وحده، وتقرير ذلك وحمايته.

فالإسلام هو نظام الحياة المنزل من عند الله، وهو الذي يقرر حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان، فيقرر عبودية الله، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر، وهذا الدين لا يقوم إلا بجهد وجهاد، فلا بد له من أهل يبذلون جهدهم لتعريف الناس به، وتعليمهم إياه وردهم إليه.

لا بد من جهد بالحسنى حين يكون الضالون أفرادًا ضالين يحتاجون إلى الإرشاد والإنارة.

وبالقوة حين تكون القوة الباغية في طريق الناس هي التي تصدهم عن الهدى وتعطيل دين الله أن يوجد، وتعوق شريعة الله أن تقوم.

وعدة الإنسان في الحياة والجهاد والقتال هي الإيمان فالإيمان زاده وهو الذي يحركه، وهو الذي يحفظه، وبه يحصل له النصر والأمن، سواء كانت معه الأسباب أو لم تكن.

ولا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض، وأهم ما تصنعه هذه القوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يصدون عنها، ولا يفتنون بعد اعتناقها، وأن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون في الاعتداء على دار الإسلام، وأن

تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، وتظلم العباد، وتحكم الناس بغير ما أنزل الله وتصد عن سبيل الله"[١].

قال ابن عثيمين: "وفي الحديث الحث على جهاد المشركين بالمال والنفس واللسان: بالمال أي أن يبذل الإنسان مالاً يساعد به المجاهدين، أو يشتري به سلاحًا أو غير ذلك. والنفس بأن يخرج بنفسه يقاتل واللسان: بأن يهجوهم بالقصائد والأشعار لأن هجو المشركين يؤثر فيهم ويكون ذكرى سيئة في حقهم إلى ما شاء الله ونحن نسمع إلى الآن هجاء حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وغيرهم للمشركين"[٢].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: أثر الجهاد في نشر الدعوة:

يتضح هذا من سياق الحديث، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالجهاد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣]، "والجهاد من فرائض الإسلام فقد عظمت به الوصية واشتدت إليه الحاجة والجهاد دليل واضح وقاطع على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وفي الجهاد عزة وقوة للمسلمين وفخر لهم، والجهاد في مقدمة عوامل الاتحاد والائتلاف بين أمة الإسلام، لأن المسلمين يخرجون تحت راية واحدة ولهدف واحد والجهاد محصلته الفوز أو الشهادة[٤].

قال ابن القيم: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فمراتبه أربعة: بالقلب، واللسان، والمال والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص باللسان. وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فعلى ثلاث مرات: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، وجهاد الكفار والمنافقين ومن في حكمهم من أهل البدع فهو فرض كفاية قد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد،

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٥٠٠ - ٢٥٠٣ بتصرف.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٥٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٣.

(٤) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٢٤١ - ٢٤٢.

وأكمل الخلق عند الله تعالى من كمّل مراتب الجهاد كلها، وهم متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في هذه المراتب"[١].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: "قال ابن دقيق العيد: الجهاد أفضل الأعمال مطلقًا لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه ففضيلته بحسب فضيلة ذلك والله أعلم. وقال العز بن عبدالسلام: إذا كانت مشقة الغبار عاصمة من عذاب النار فما الظن بمن بذل ماله، وغرّر بنفسه في قتال الكفار. وقال نقلاً عن بعض أهل العلم: إن أتم الشرائع وأكمل النواميس هوالشرع الذي يؤمر فيه بالجهاد"[٢].

(إن لفظ الجهاد له معنيان:

أحدهما: بمعنى بذل الجهد لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه، بالدعوة إلى الله والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال سبحانه في الآيات المكية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾[٤].

فهذا كله وما في معناه كله بمعنى الدعوة إلى الله وبذل الجهد في نشر دينه.

الثاني: الجهاد بمعنى القتال كما هو غالب في الآيات المدنية كقوله سبحانه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[٥].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣/١١ - ١٢.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤/١٥٠٤.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ٥١ - ٥٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٤١.

رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالجهاد بمعنى الدعوة حسن لذاته.. والجهاد بمعنى القتال حسن لغيره.

فالله خلق الخلق لعبادته وطاعته، وأرسل رسله لإبلاغ شرعه إلى عباده، وأنزل كتبه ليهتدي بها الناس إلى ربهم.

فمن استجاب فآمن بالله وعمل بشرعه فهو من المؤمنين.. ومن أبى الإسلام فعليه أن يدفع الجزية مقابل رعايته في المجتمع الإسلامي.. فإن أبى الإسلام وأبى دفع الجزية فهذا مستكبر معاند، مؤذ ظالم كافر غير شاكر، عاصٍ غير مطيع، يجب قتاله حتى يكون الدين كله لله.

فالقتال في سبيل الله له أسباب، وله أوامر وله أوقات وله أحوال.

والدعوة إلى الله مشروعة ومفتوحة كل وقت لكل مسلم ومسلمة، والإسلام جاء لهداية الناس ورحمتهم ودعوتهم لعبادة الله وحده لا شريك له.

فالدعوة إلى الله واجبة على المسلمين في جميع الأوقات والأحوال ليلاً ونهارًا. سرًا وجهارًا، حال الأمن وحال الخوف، حال الإقامة وحال السفر، والنبي ﷺ أعطاها أكثر الوقت، وهي مسؤولية الأمة بعده.

أما الجهاد في سبيل الله فيشرع عند اللزوم، بل هو واجب لدفع عدو عن المسلمين، وقتال معاند، ونصر مظلوم، وحماية المسلمين ورفع الظلم عنهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله.

فنوح عليه السلام دعا إلى الله ولم يقاتل، وهود، وصالح، وإبراهيم ولوط، وإسماعيل، وإسحق، وموسى، وعيسى عليهم السلام، جميع هؤلاء الأنبياء دعوا إلى الله، ولم يؤمروا بقتال، وقاتل داود عليه السلام من أنبياء الله بني إسرائيل.

ثم منّ الله على هذه الأمة بخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فدعا إلى الله، ولما أوذي والمؤمنون معه أذن الله لهم بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة كما قال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾(١).

ولما أظهر الله دينه، وأعز أهله، وصارت لهم دار في المدينة، وقويت شوكتهم، عظم ذلك على الكفار، فزاد شرهم وظلمهم، وعظم كيدهم وطغيانهم، فحملوا سيوفهم وركبوا خيلهم للقضاء على الإسلام وأهله والدعاة إليه، واجتمع المشركون كافة لإبادة المسلمين كافة، فحينئذ شرع الله للمسلمين قتالهم كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(٢).

وكلما احتاج المسلمون في عهد النبي ﷺ إلى القتال بسبب ظلم الكفار لهم، وصدهم عن سبيل الله، شرعه الله لهم، وأمرهم به ورغبهم فيه لإعلاء كلمة الله كما قال سبحانه: ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾(٣).

وقد جاهد المسلمون مع النبي ﷺ لرد كيد الكفار، وصد عدوانهم، ومنعهم من الصد عن سبيل الله كما حصل في بدر وأحد، والأحزاب، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة والطائف وغيرها كما قال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾(٤).

وقد فرض الله الجهاد في سبيل الله على المسلمين كافة كما فرض عليهم الصلاة والزكاة، فلا يحل لأحد أن يتخلف عنه إلا من عذر كما قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٤.

(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٨٨ - ٨٩.

سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

والدعوة إلى الله كالمطر للنبات، فإذا لم يوجد مطر لا يوجد نبات ولا حيوان، وكذلك إذا لم توجد الدعوة لا يعرف الناس الإيمان، ولا العبادات كالصلاة والزكاة، والصيام والحج وغيرها، ولا يعرفون المعاملات والآداب والأخلاق والسنن والأحكام.

فالصلاة لها وقت، والصيام له وقت، والحج له وقت، والجهاد له وقت والدعوة إلى الله كل الوقت لأنها أم الأعمال، وهي من وظيفة كل فرد من الأمة كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3][4].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٤) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٣/٢٤٩٠ - ٢٤٩٣.

الحديث رقم (١٣٥٢)

١٣٥٢ - وعن أَبي عمرو -ويقالُ: أَبُو حكيمٍ- النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن ﷺ قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أوَّلِ النَّهَارِ أخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن مُقَرِّن: وهو النعمان بن مُقَرِّن، وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن مِيْجَا بن هجير بن حُبْشِية بن كعب، المزني، الصحابي، الأمير، الشهيد، يكنى أبا عمر وقيل أبو حكيم، روى عن النبي ﷺ وروى له الجماعة، وقدم في وفد في قومه مزينة لمبايعة رسول الله ﷺ على الإسلام فروى عنه أنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربع مائة من مزينة...))[2] وذكره ابن سعد في الطبقات في وفد مزينة.

وروى ابن عبدالبر في الاستيعاب عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: ((إن للإيمان بيوتًا، وللنفاق بيوتًا، وإن بيت بني مُقرِّن من بيوت الإيمان)).

وأول مشاهد النعمان بن مقرن مع رسول الله ﷺ الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، وكان معه لواء مُزَينة يوم فتح مكة.

سكن البصرة، وتحول عنها إلى الكوفة، فوجهه سعد إلى "كَسْكَر" فصالح أهل زندورد، وقدم المدينة بفتح القادسية، وورد حينئذ على عُمرَ بن الخطاب اجتماع أهل أصبهان وهمذان والرَّيّ وأذربيجان ونهاوند فأقلقه ذلك، وشاور أصحاب النبي ﷺ وكتب إلى أهل الكوفة والبصرة بأن يسير ثلثاهم، وقال لأستعملنَّ عليهم رجلاً يكون لها فخرج إلى المسجد فرأى النعمان بن مقرن يصلي، فلما فرغ من صلاته، قال له عمر: إني مُستعْمِلُك، فقال: أمّا جابيًا فلا، وأما غازيًا فنعم، قال: فإنك غاز،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٥٥)، والترمذي (١٦١٣). قلتُ: يستدرك على المؤلف بأنه أخرج البخاري (٣١٦٠) هذا الحديث عن النعمان بن مقرن، ولفظه: (ربَّما أشهدك الله مثلها مع رسول الله ﷺ، كان إذا لم يقاتل في أول النهار، انتظر حتّى تهب الأرواح، وتحضر الصلوات.

(٢) أخرجه أحمد ٤٤٥/٥، رقم ٣٣٧٤٦، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٥٥/٣٩.

فأمره بالمسير والتقدم على الجيش في قتال الفرس، وقال عمر: إن قتل النعمان فحذيفة والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس، وجرير وعبدالله بن عمر، وغيرهم تحت لوائه، ففتح الله عليهم "أصبهان" فلما أتى نهاوند، قال النعمان: شهدت مع رسول الله ﷺ فكان إذا لم يُقاتل أول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياحُ ويَنْزِلَ النصر))[1] اللهم ارزق النعمان الشهادة بنصر المسلمين وافتح عليهم، فأمَّن القوم، وقال: إذا هززتُ اللواءَ ثلاثًا فاحملوا مع الثالثة، وإن قُتِلتُ فلا يلوي أحد على أحد، فلما هزَّ اللواءَ الثالثة حمل الناس معه، فقُتِل، وكان أول شهيد، وأخذ الراية حذيفةُ ففتح الله عليهم، وكانت وقعة "نهاوند" يوم جمعة سنة (٢١)، ولما جاء نعيه إلى عمر خرج إلى الناس فنعاه إليهم على المنبر ووضع يده على رأسه يبكي[2].

غريب الألفاظ:

تزول الشمس: تميل عن منتصف السماء[3].

الشرح الأدبي

هذه شهادة صادقة من صحابي جليل له خبرة بفنون القتال وأوقاتها. وقد استشهد بنهاوند سنة احدي وعشرين هـ، في عصر الفتوحات الإسلامية لبلاد فارس والروم،

---

(١) الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، ص (٣٨٠)، حديث رقم (١٦١٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي، المشكاة (٣٩٣٣).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٢٩١/١، ٢٩٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٧٢١، ٧٢٢)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٣٢٣/٥، ٣٢٤)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٣٣٣، ١٣٣٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٤٠٣/١، ٤٠٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٤٨/٧، ٣٤٩)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢٣٢/٤، ٣٣٣)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٢/٨)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١٩٠٢/٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ز و ل).

ولذلك يقول: شهدت رسول الله ﷺ. . أي رأيت رأي العين وشاركت في ذلك ولم يقل علمت، ولا: كان رسول الله فاختيار الفعل شهدت له دلالة المشاركة. . والمشاهدة حيث يقال: فلان شهد المعارك كلها، وأسلوب الشرط يفيد التحقق حيث استخدم أداة الشرط إذا. . فرسول الله ﷺ يقاتل صباحا أو بعد وقت الزوال، واختيار وقت القتال ينبيء عن خبرة باستراتيجية الحرب. . والإعداد لها. . والتخطيط المحكم لها من كل الجوانب وقوله: أول النهار إشارة إلي وقت البكور حال برد الصبح وهبوب نسماته، وقوله حتى تزول الشمس: لا يعني: زوالها: أي فناءها: ولكن يدل علي وقت الزوال. . وهو حين تنتعل المطي ظلالها. . أو أن يصير ظل كل شيء مثله وقوله: وتهب الرياح: فيه إشارة إلي عنصر ملاءمة المكان والزمان لجو القتال: وقيل أن جواب الشرط في الحديث إفادته تسهيل لبس السلاح علي المقاتلة، وكذلك إتاحة الكر والفر في ميدان القتال للخيل التي يمتطيها الفرسان، واختيار الرياح "في صيغة الجمع أما الريح فهي كثيرا ما تأتي في سياق الإنذار والهلاك. وقال ابن رسلان وحربه ﷺ: عند هبوب الرياح استنصار بما نصره الله من الرياح حيث قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ن وقوله وينزل بالنصر إشارة إلي أن النصر من عند الله. . وإسناد النزول إلي النصر مجاز مرسل وفيه تشخيص للنصر وتجسيد له. . وكأنه كائنا مشاهدا ينعم به المؤمنون. . وما النصر إلا من عند الله، ولينصر الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

فقه الحديث

بوّب البخاري بابًا في كتاب الجهاد، بعنوان: باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس[1].

قال ابن حجر: (لأن الرياح تهب غالبًا بعد الزوال فيحصل بها تبريد حدة السلاح والحرب وزيادة في النشاط)[2].

---

(١) وساق تحته حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه، برقمي ٢٩٦٥، ٢٩٦٦، وهو الحديث المتقدم في الرياض برقم ٥٣، ١٣٢٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٠/٦٧.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال.

ثانيًا: من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحين النبي ﷺ الأوقات المناسبة للقتال:

إن من حكمة النبي ﷺ أنه كان يختار الوقت المناسب للقتال، ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (شهدتُ رسولَ الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر)، قال الطيبي: "وفي ترك النبي ﷺ القتال في الأوقات المذكورة كان لاشتغالهم بالصلوات فيها اللهم إلا بعد العصر فإن هذا الوقت يستثنى فيها لحصول النصر فيه لبعض الأنبياء عليهم السلام فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((غَزا نبيٌّ منَ الأنبياءِ فدَنا منَ القَريةِ صلاةَ العصرِ أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنكِ مأمورةٌ وأنا مأمور، اللهمَّ احبسْها علينا، فحُبِسَت حتّى فتحَ اللهُ عليهم))[1]، ولعل لهذا السر كان الاجتهاد في القتال في هذا الوقت أشد وتحريه فيه أكمل"[2].

وقال المباركفوري: "والحكمة في إمساك النبي ﷺ عن القتال إلى الزوال لأجل أن تجيء أو تهيج الريح ويدعو المؤمنون لجيوشهم في صلواتهم أي في أوقات فراغها أو في أثناءها بالقنوت عند النوازل"[3].

وقال شرف الحق العظيم آبادي: "وقوله: (حتى تزول الشمس) ظاهر هذا أن التأخير ليدخل وقت الصلاة لكونه مَظِنَّة الإجابة، وهبوب الريح قد وقع النصر به في الأحزاب فصار مظنة ذلك"[4].

وقال ابن علان: "وقوله: إذا لم يقاتل من أول النهار، أي حال برد الصبح وهبوب

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٢٤.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٥٧/٧ - ٣٥٨.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٤٥٢/١.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١٣٣.

نسماته أخر القتال حتى تزول الشمس من كبد السماء إلى جهة المغرب، وذلك ليبرد الوقت ويسهل لبس السلاح على المقاتلة، وعلى الخيل الكر والفر ويكون مع ذلك النصر بالتأييد الإلهي، قال ابن رسلان: وحربه عند هبوب الرياح استبشار بما نصره الله من الرياح وهذا مفهوم من قوله في الحديث: ((نُصِرْتُ بالصَّبا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبورِ))[1]، ويرجو أن يهلك الله أعاديه بالدبور كما أهلك عادًا بها ونصر بالصبا"[2].

ثانيًا - من حكمة الداعية: تحري الأوقات والظروف المناسبة للدعوة:

إن الداعية الناجح يختار الوقت المناسب والظرف المناسب لإلقاء دعوته حتى تجد صدًى لدى نفوس المدعوين، ويتضح هذا من سياق الحديث، وإذا كان النبي ﷺ يتحرى الأوقات المناسبة للقتال والتي يرجو فيها النصر أيضًا فإنه من حكمة الداعية أن يتحرى الأوقات المناسبة لظروف المدعوين ليعرض دعوته، "وعلى الداعي أن يترقب الفرصة المناسبة لنشر الدعوة ترقب الفلاحين لنزول المطر، واعتدال الجو، ومواتاة الطقوس وإذا أتاح الله له فرصة ما تلائم عرض الدعوة فلا يجوز له أن يدعها تضيع هدرًا، بل يبادر في استعمالها في أكبر غاية وأعظم هدف"[3].

إن الداعية الحصيف هو الذي يجتهد في اختيار الوقت المناسب والظرف المناسب لعرض دعوته "والمقصود بمراعاة الوقت تخير الوقت الملائم للدعوة من حيث فراغ المدعوين واستعدادهم للتلقي، وكذا المراعاة لأوقات المواعظ والدروس، ومناسبة طول وقتها لأحوال الناس، ويندرج تحت ذلك مراعاة استعداد المدعو وبلوغه المرحلة التي يكون فيها الوقت مناسبًا لتفاعله واستجابته.

ومن هنا نعلم أن تخير الأوقات ومراعاة مناسبتها للموضوعات في غاية الأهمية، والأوقات متفاضلة وتفاضلها متفاوت متغير، والاجتهاد من الداعية مطلوب ليصيب الهدف باختيار العمل المناسب للوقت المناسب.

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٣٥، ومسلم ٩٠٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٣ - ١٤٣٤.

(٣) منهج الدعوة إلى الله، أمين أحسن إصلاحي ص٩٣.

وهكذا نرى أمر المراعاة متشعبًا ومهمًا، والحقيقة أن المراعاة ضرب من التدرج؛ لأن المراعاة كثيرًا ما تقتضي ترك أمر لعدم ملاءمته إما للطبع أو الفهم أو الحال أو غير ذلك ثم يفعل مكانه أمر غيره حتى يكون ممهدًا لعرض الأمر المتروك فيأتي في وقته المناسب"[١].

ومن التطبيقات النبوية في تحري النبي ﷺ الأوقات المناسبة للدعوة ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه: ((كان النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بالموْعِظةِ في الأيامِ، كَراهةَ السَّآمةِ علينا))[٢]، قال ابن حجر: "ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يومًا بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يومًا في الجمعة، ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط"[٣].

وقال البغوي: "قال منصور: عن أبي وائل قال كان عبدالله بن مسعود يذكرنا كل يوم خميس فقال له رجل يا أبا عبدالرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيه ولوَدِدْنا أنك حدثتنا كل يوم فقال ما يمنعني أن أحدثكم كل يوم إلا كراهية أن أُمِلَّكم، وذكر هذا الحديث.

قوله: (يتخولنا) أي: يتعهدنا بها في مظان القبول، لا يكلمنا في كل وقت لئلا نسأم، ومثله التخُّونُ، يقال: تخولت الرجل وتخونته، والخائل: المتعهد للشيء الحافظ له.

قال أبو عمرو بن العلاء: الصواب (يتحولهم) بالحاء، أي: يطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة، فيعظهم فيها، ولا يُكْثِر عليهم فيملّوا.

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم، فلا تحدثهم قيل: وما علامة ذلك؟ قال: إذا التفت

---

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص ١٥١ – ١٥٣ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨، ومسلم ٢٨٢١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٦٣.

بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتثاءبون، فلا تحدثهم.

قوله: (حدجوك بأبصارهم) أي: رموك بها يريد: حدثهم ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك فاسكت.

وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: حدِّثِ الناسَ كلَّ جُمعةٍ مرَّةً، فإن أَبَيتَ فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآنَ، ولا أُلفينَّك تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتَقصُّ عليهم فتقطعُ عليهم حديثهم فتُملُّهم، ولكنْ أنصتْ، فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يَشتهونهُ. وانظرِ السجعَ من الدعاء فاجتنِبْه، فإني عهدتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأصحابَهُ لا يفعلون إلا ذلك.

وقالت عائشة رضي الله عنها لعبيد بن عمير: ألم أحَدّث أنك تجلس ويُجْلَس إليك؟ قال: بلى، يا أم المؤمنين قالت: فإياك وإملال الناس، وتقنيطهم.

وروي أنها قالت له: اقصص يومًا واترك يومًا، لا تُمِلّ الناس"[1].

---

(١) شرح السنة ١/٣١٣ - ٣١٤.

الحديث رقم (١٣٥٣)

١٣٥٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن نسق البلاغة النبوية وكما يقول الرافعي يمتاز في جملته أنه ليس في شئ أنت واجده في كلام الفصحاء وهو محدود من ضروب الفصاحة ومتعلقاتها إلا وجدته في هذا النسق علي مقدار من الاعتبار يفرده بالميزة، ويخصه بالفضيلة، وهذا الحديث يتسم بالإيجاز والقصد. . وذلك من دعائم البلاغة النبوية. . حيث الاقتصار علي ما هو من طبيعة المعني في ألفاظه، ومن طبيعة الألفاظ في معانيها.

ويتكون الحديث من جملتين: الأولي: طلبية حيث أسلوب النهي. . حيث ينهي النبي ﷺ عن أن يكون لقاء العدو أمنية لدي المسلمين بدافع الاعتداء. . لأن الجهاد لنشر الإسلام وتخليص الناس من ظلمات الشرك وبرأ من الاستبداد والظلم والطغيان، وهذا هو الهدف الأسمى والعمل الجاد والتخطيط المتقن، فالتمني من اللغة هو طلب الأمر البعيد الحصول أو المستحيل وقوعه، والمسلم شجاع يقبل ولا يدبر، يقدم ولا يحجم، يكر ولا يفر، ولذلك جاءت الجملة الثانية في قالب الشرط والجواب. وأداة الشرط إذا الدالة علي التحقق فلابد من اللقاء، ولابد من المجاهدة: (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة٢١٦]، وفعل الشرط: لقيتموهم "يوحي

---

(١) أخرج البخاري (٣٠٢٦) معلقًا، ومسلم (١٧٤١/١٩) ولفظهما سواء. وهذا الحديث قد ورد بنصّه في حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، المتقدم برقم ٥٣، ١٣٢٦ فيحال إليه.

بالمواجهة ".. والدفاع عن النفس والعرض والمال والدين، وجواب الشرط: فصابروا "يفيد المفاعلة والمصابرة ".. ولم يقل: فاصبروا، فقوله: فصابروا يوحي بالتواصي بالصبر. والمؤازرة والمعاضدة في يوم الوفاء، وفي مجال المفاخرة بالنبي ﷺ، وفي ظلال هذه الرؤية المجاهدة يقول حسان بن ثابت: شاعر الرسول ﷺ: دفاعا عن النبي ﷺ ونصرا له:

نصرنا وآوينا النبيَّ محمداً ... على أنفِ راضٍ منْ عدوٍ وراغمِ
بحَيٍّ حريرٍ أصلُهُ وذمارُهُ ... بجابيةِ الجولانِ وسطَ الأعاجمِ
نصرناهُ لمّا حلَّ وسطَ رحالنا ... سيافنا من كلِّ باغٍ وظالِمِ
جعلنا بنينا دونَهُ وبناتنا ... وطبنا لهُ نفساً بفيءِ المغانِمِ
ونحنُ ضربْنا الناسَ حتى تتابَعُوا ... على دينهِ بالمرهفاتِ الصوارِمِ
ونحنُ ولدنا من قريشٍ عظيمَها ... ولدنا نبيَّ الخيرِ منْ آل هاشِمِ

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٣، ١٣٢٦).

ملحوظة: الرواية في هذا الحديث (١٣٥٣) مختصرة عما ورد في الحديثين المشار إليهما.

الحديث رقم (١٣٥٤)

١٣٥٤- وعنه وعن جابرٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((الحَرْبُ خَدْعَةٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحرب خدعة: أي: من وسائلها الخداع أو هي تُخْدَع، وإذا خدع أحد الفريقين الآخر فيها فكأنما خُدِعتْ هي. يقال: خدع فلانًا خدعًا وخُدْعة وخديعة: أظهر له خلاف ما يخيفه وأراد به المكروه من حيث لا يعلم[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف من جومع كلمه ﷺ. لأنه يتضمن أسرارا ودلالات كثيرة وهو يتكون من جملة واحدة: مبتدأ وخبر، وقيل: معناه الظفر مع المخادعة بغير خطر، ولفظ "خدعة "له أكثر من ضبط في التشكيل الذي ينطق به ومن ذلك خدعة وخدعة بفتح الدال وضم الخاء، أو خدعة "بفتح الخاء والدال أو خدعة بفتح الخاء وسكون الدال: وقالوا: هذه لغة النبي ﷺ ولغته أفصح اللغات وقال أبو بكر بن طلحة كان رسول الله يختار هذه البنية ويستعملها كثيرا لأنها بلفظها الوجيز تعطي معنى البنيتين الأخريين وتعطي أيضا معناها: أي: استعمل الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحيل فقاتل، فكانت هذه اللغة علي ما ذكرنا مختصرة اللفظ كثيرة المعني، فلذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٩)، ومسلم (١٧٣٩/١٧) ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ د ع)، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٦.

كان ﷺ يختارها، وهذه القاعدة التي أرساها رسول الله ﷺ تصلح للتطبيق في كل العصور مهما اختلفت آلات الحرب، ووسائل القتال، وبواعث الحرب، وبيئات المواجهة.

وقد أصدر هذه القاعدة وهو يخوض معركة الأحزاب، وبعد أن نقضت قريظة عهدها، وبعد أن اقتحم بعض فوارس من قريش الخندق "عمرو بن ود"، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، وقال رسول الله لنعيم بن مسعود، الحرب خدعة.. ولم يواجه نعيم بن مسعود الأعداء، وإنما قام بإشعال نار الوقيعة بين الأحزاب وقريظة "ونجحت الحيلة "ووقعت الفتنة بين المشركين واليهود.. وقال أبو سفيان بعد أن اقتنع بغدر اليهود، وبعد أن عصفت ريح شديدة، وهطل المطر غزيرا، وقصف الرعد، ولمع البرق، واشتدت العاصفة، فاقتلعت خيام الأحزاب: (يا معشر قريش: إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، والخف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما تروت، فارتحلوا فإني مرتحل".

ويصور حسان بن ثابت هذا النص الرباني والتأييد الإلهي: فيقول:

بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب

وكفي الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم في الأجر خير ثواب

وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

فقه الحديث

١ - قال النووي: (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحلّ. وقد صحّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب[1]. قال الطبري: إنما يجوز من الكذب في

---

(١) أخرج البخاري ٢٦٩٢، ومسلم ٢٦٠٥ من حديث أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا" وزاد مسلم في رواية: قالت أم كلثوم: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث تعني: الحرب والإصلاح بين الناس. وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب فإنه لا يحلّ، هذا كلامه، والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل، والله أعلم)[١].

٢ - قال ابن حجر: (وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وأن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر.

أولاً - من خصائص النبي ﷺ: جوامع الكلم:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، ولا شك أن هذا من جوامع كلمه ﷺ التي آتاه الله إياها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسل الله ﷺ قال: ((فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ. وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ. وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ. وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا. وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً. وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ))[٣].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ))[٤].

قال ابن منظور: "وفواتح الكلم وفي رواية: أوتيت مفاتيح الكلم جمع مفتاح وهما في الأصل مما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها ومن كان في يده مفاتيح شيء مخزون سهل عليه الوصول إليه"[٥].

قال ابن حجر: "وقوله: بعثت بجوامع الكلم، حاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ٦/١٢/ ٤٠ ، وانظر: شرح صحيح مسلم، الإمام النووي كذلك، ٨/١٦/١٢٩-١٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/١٥٨ ، وانظر: المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٣/٤١.

(٣) أخرجه مسلم ٥٢٣.

(٤) أخرجه أحمد ١/٤٠٨، رقم ٣٨٧٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ٦/٤٢٢.

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ف ت ح).

الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني"[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: "فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان أحدهما ما هو في القرآن، والثاني ما هو في كلامه ﷺ وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه قد جمع العلماء جموعًا من كلماته ﷺ الجامعة"[٢].

وقال القاضي عياض: "وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة"[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الخداع في الحرب وأخذ الحذر:

حيث جاء في الحديث: (الحرب خدعة)، قال النووي: "واتفق العلماء على جواز الخداع في الحرب للكفار وكيف أمكن الخداع إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل، وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل"[٤].

وقال القاضي عياض: "(الحرب خدعة)، قال أهل العلم: الخداع في الحرب جائز كيفما تمكن لهذا الحديث، إلا أن يكون بنقض عهود أمان فلا يحل. قال الطبري: وإنما يجوز من الكذب في الحرب ما لا يجوز في غيرها من المعاريض والكلام بما يحتمل الألغاز والقصد إلى الإخبار عن الشيء ما هو عليه يعني في ظاهره.

ولغة النبي ﷺ (خدعة) بالفتح، وهي أفصح اللغات. قال: ثعلب: قال بعضهم: ومعناه: أنها تخدع أهلها وصف الفاعل باسم المصدر، وقيل: ويحتمل أن يكون وصفًا للمفعول، كما قيل: درهم ضرب الأمير، أي مضروبه، وقيل: معناها المرة الواحدة، أي لا يقبل العثرة إذا اتفقت فيها الخدعة، قال: ومن قال: (خُدعة) بالضم والسكون، إلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٦١/١٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٥٥/١ - ٥٦.

(٣) الشفا ١٦١/١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص١١١٨.

أنها تخدع؛ لأن أحد الفريقين إذا خدع صاحبه فيها فكأنها خدعت فيها. ومن قالها بالضم وفتح الدال فهي تخدع أهلها، أو تمنيهم الظفر أبدًا، وقد تنقلب بهم الحال لغيرها"[١].

وقال ابن الأثير: "وقوله: (الحرب خَدْعة)، تروى بفتح الخاء وإسكان الدال ومعناها أن الحرب ينقضي أمرها بخَدْعة واحدة من الخداع أي: أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم تكن لها إقالة وهي أفصح الروايات وأصحها، وتروى (خُدْعة)، بضم الخاء وإسكان الدال ومعناها الاسم من الخداع، وتروى (خُدعة) بضم الخاء وفتح الدال ومعناها: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تفي لهم"[٢].

وقال ابن حجر: "والحكمة في الإتيان بالتاء (خدعة) للدلالة على الوحدة فإن الخداع إن كان من المسلمين فكأنه حضهم على ذلك ولو مرة واحدة، وإن كان من الكفار فكأنه حذرهم من مكرهم ولو وقع مرة واحدة، فلا ينبغي التهاون بهم لما ينشأ عنهم من المفسدة ولو قلّ، وأصل الخدع إظهار أمر وإضمار خلافه، وفيه التحريض على أخذ الحذر في الحرب، والندب إلى خداع الكفار، وإن من لم يتيقظ لذلك لم يأمن أن ينعكس الأمر عليه، قال ابن العربي: الخداع في الحرب يقع بالتعريض وبالسكين ونحو ذلك وفي الحديث إشارة إلى استعمال الرأي في الحرب، بل الاحتياج إليه آكد من الشجاعة. قال ابن المنير: معنى الحرب خدعة أي: الحرب الجيدة لصاحبها الكاملة في مقصودها، إنما هي المخادعة لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"[٣].

قال القرطبي: "ومعنى قوله: (الحرب خدعة) أن الحرب تكون ذات خدعة فوضع المصدر موضع الاسم. أي: ينبغي أن يستعمل فيها الخداع ولو مرة واحدة. ويحتمل أن يكون معناه: أن الحرب تتراءى لأخفاء الناس بالصورة المستحسنة، ثم تتجلى عن صورة

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٢/٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ د ع).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٣/٦.

مستقبحة كما قال الشاعر:

الحَرْبُ أَوَّلُ ما تكونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَى بِزَيِّتِها لكلِّ جَهُولِ[1]

وجاء في فتح الملهم: قوله: (الحرب خدعة) فيه ثلاث لغات مشهورة:

١/ خَدْعَة بفتح الخاء، وسكون الدال، وهي مرة من الخدع، والمراد على ذلك أن أمر الحرب ينقضي بمرة واحدة من الخداع، أي: أن المقاتل إذا خُدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة.

٢/ خُدْعة بضم الخاء وسكون الدال، وهي اسم من الخداع والمراد حينئذ أن الحرب تشتمل على الخداع، فيخدع كل فريق مقابله، كأنها عبارة عن الخداع.

٣/ خُدَعة بضم الخاء، وفتح الدال، وهي مبالغة من الخداع مثل هُمزة، ولُمزة، وضُحكة، للذي يكثر الضحك، والمعنى على هذا: أن الحرب تكثر من الخداع، فتخدع الرجال، وتمنيهم، ولا تفي لهم.

هذه خلاصة ما حكاه ابن الأثير في جامع الأصول (٢/٥٧٥ - ٥٧٦) عن الخطابي، وزاد بعض العلماء لغتين سوى ما ذكر:

١/ خَدَعَة، بفتح الخاء والدال كلتيهما حكاه المنذري، وقال: وهو جمع (خادع)، أي: أن أهل الحرب خَدَعة، يخدعون خصومهم.

٢/ خِدْعة، بكسر الخاء، وسكون الدال، حكاه مكيّ، ومحمد بن عبدالواحد، ولعله اسم هيئة من الخداع، كأنه قال: الحرب هيئة مخصوصة من الخداع.

وهذان الوجهان ذكرهما الحافظ في فتح الباري (٦/١٥٨).

ورجح الخطابي، وابن الأثير، والنووي وأكثر العلماء الوجه الأول (وهو بفتح الخاء وسكون الدال)، ورجح الشيخ الأنور الوجه الثالث، فقال: الأبلغ فيه أن يكون صيغة

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٥٢٢.

مبالغة من اسم الفاعل. والمراد أن الحرب لا تُدرى عاقبتها، ولا يتأتى فيها الاعتماد على الأسباب، فإنه قد تبدو النصرة في أول الأمر، ثم تنقلب هزيمة، وقد تنعكس"[١].

ورغم اختلاف الآراء حول تفسير قوله ﷺ في الحديث: (الحرب خدعة) إلا أن المتفق عليه أن الإسلام وضع للحرب آدابًا وشروطًا وضوابط وطالب أتباعه أن يتبعوها وكانوا أول من طبقوها.

قال الشيخ السيد سابق: "وإذا كان الإسلام أباح الحرب كضرورة من الضرورات، فإنه يجعلها مقدرة بقدرها. فلا يقتل إلا من يقاتل في المعركة. وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله أو التعرض له بحال.

وحرم الإسلام كذلك قتل النساء، والأطفال، والمرضى، والشيوخ، والرهبان، والعباد، والأجراء، وحرم المثلة؛ بل حرم قتل الحيوان، وإفساد الزروع والمياه، وتلويث الآبار وهدم البيوت، وحرم الإجهاز على الجريح، وتتبع الفار. وذلك أن الحرب كعملية جراحية لا يجب أن تتجاوز موضع المرض بمكان.

والإسلام يوجب العدل، ويحرم الظلم، وتعاليمه السامية، وقيمه الرفيعة، تتجه إلى المودة والرحمة، والتعاون والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات وغير ذلك، مما يرفه الحياة، ويعطف القلوب، ويؤاخي بين الإنسان وأخيه الإنسان. وهو بعد ذلك كله، يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويجعل العقل والفكر وسيلتين من وسائل التفاهم والإقناع.

فهو لا يرغم أحدًا على عقيدة معينة، ولا يكره إنسانًا على نظرية خاصة بالكون، أو الطبيعة، أو الإنسان، وحتى في قضايا الدين، يقرر أنه لا إكراه فيه، وأن وسيلته هي استعمال العقل والفكر والنظر فيما خلق الله من أشياء.

يقل الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[٢].

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٢٨/٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

ورسول الله ﷺ لم تكن وظيفته إلا أنه مبلغ عن الله وداعية إليه.

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

والإسلام يرى أن منع الحرب إنما يتم بمنع الظلم، الممثل في الاستعمار، وفي التفرقة العنصرية، وفي تجنب اعتقاد أن الجنس الأبيض ما خلق إلا ليسود، وأن غيره ما خلق إلا ليكون مسخرًا له، ودائرًا في فلكه.

وإما يتم ذلك ويتحقق في نظره، بنشر التعاليم الصحيحة، وتعميق جذورها في النفس الإنسانية؛ وتربية النشء على فضائل المحبة والمودة والإخاء والتعاون والتآزر، وتسخير جميع أدوات الإعلام في هذه السبيل حتى تصل الإنسانية إلى ما تنشده من أمان، وما تصبو إليه من سلام"[3].

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٩٩ - ١٠١.

(٢) سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٣) عناصر القوة في الإسلام ص ٢١٢ - ٢١٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الجهادية:

إن الآيات والأحاديث التي أوردها المصنف في هذا الباب لترشد إلى وجوب تربية الناشئة وغيرهم على الجهاد والعمل بمقتضياته والأخذ بلوازمه. إن الجهاد تربية لا غنى عنها للأفراد والجماعات فحسب بل لا غنى للأمم والشعوب أيضًا عنها، بل لا غنى للبشرية عنها كذلك، إن التربية الجهادية هي التي تميز البشر في كونه بشرًا، فإذا تخلى عن ذلك فإنه سيكون في مراتب الحيوانات تأكل وتشرب وتنام وتخرج فضلاتها ثم تموت لا يحس بها أحد ولا يشعر بها إنسان، بل إنه إذا فعل ذلك انحط عن هذه الحيوانات درجات سفلى ومراتب دنيا، لذا فإن التربية الجهادية يجب أن يقوم بها كل المربين والواعظين والمرشدين والموجهين وكل من له شأن بالتربية من قريب أو بعيد، ولا يكون عملهم هكذا فرديًا كيفما اتفق، لا بل يكون مخططًا مدروسًا حق الدراسة معدًّا له حق الإعداد والتجهيز حتى يتحقق الغرض النبيل والهدف السامي من وراء التربية الجهادية، ولكن السؤال هنا: ماذا نقصد بالتربية الجهادية؟

أنقصد بها التربية على رفع السلاح في وجوه المخالفين ليل نهار حتى يسلموا لنا ويخضعوا لحكمنا ويسلموا لقوتنا؟ أنقصد بها أن نكون في حرب ونزاع مع المخالفين حتى نقضي عليهم أو يقضوا علينا؟ أنقصد بها أن نعلن الحرب إعلانًا دائمًا لا ينزل ولا ينخفض أبد الآبدين؟ أنعنى بها هدم الحضارات الأخرى ونسف إنجازاتها وإرجاعها إلى عصر البداوة والحياة المحدودة البسيطة؟ أنعني بها خروج المسلمين إلى بقاع الأرض المختلفة في سيل لا ينقطع ومدد لا ينفصم لمحاربة القاصي والداني في حرب لا هوادة فيها؟

إن الذين يبغضون الإسلام وكذلك الذين يسيئون فهم الجهاد وقيمه الحضارية، يرونه كذلك أو يودون أن يروه كذلك، ويروجون لذلك وينشرونه في أرجاء العالم وأنحاء الدنيا، يُخيفون العالم من الإسلام ومن المسلمين ويصورونهم الخطر المحدق بالعالم والذي يكون فناؤه وهلاكه على يديه. لكن الحقيقة خلاف ذلك وأشرف من هذا وأعظم من ذلك، إن الجهاد ما هو إلا وسيلة لنشر الإسلام للعالمين وتبيين فضائله

ومزاياه للناس ليدخل فيه من دخل عن بينة، فإن تحقق ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة قام ذلك مقام الجهاد والحرب، وإلا جاهد المسلمون أعداء الدعوة الإسلامية حتى ييسروا سبل وصولها للناس واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ولا تحريف. وفي كلتا الحالتين كان على المربين أن يربوا أتباعهم التربية الجهادية التي هي شرف الأمة وعنوان عزها ومجدها وشعار فخرها، ونعني بالتربية الجهادية ما يلي:

أ - استعداد المسلمين في جميع الأحوال والأوقات والظروف لبذل الغالي والرخيص من أجل نصرة دين الله وسنة رسول الله ﷺ، إنهم يربون على أن يستسهلوا التضحية بالمال والنفس معًا في سبيل الله.

ب - تربيتهم على امتلاك كل ما يمكنهم من وسائل القوة والدفع، والتي تمكنهم من غلبة أعداء الله والانتصار عليهم، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ج - تربيتهم على الانشغال بمعالي الأمور وجلائلها وعظائمها، التي تيسر لهم سبل العلو في هذه الدنيا، وعدم الاهتمام بالصغائر والتوافه التي تجرهم إلى مستنقع الذل والهوان والخسّة.

د - التربية الجهادية تجعل المسلمين يعتزون بهذه الحياة الدنيا اعتزازًا كبيرًا جدًّا، ويقدرونها حق قدرها لا لأنهم يستمتعون فيها بما لذّ وطاب، كما ينظر إليها كثير من الغربيين والشرقيين، بل لأنهم يرونها منحة إلهية عظيمة أعطاها الله لهم لكي يتركوها وهي أحسن وأفضل وأثمن وأقيم، لأن ذلك هو الذي يوصلهم إلى نعيم ربهم في الدار الآخرة، لذا يجعلهم الجهاد محافظين عليها تمام الحفظ، وهذا عكس ما يراه أهل الفكر من الغرب من أن الجهاد يجعل الحياة وحياة الناس كأنها لا قيمة لها، إذ بإمكان أحدهم أن يفجر نفسه في جموع من الناس فيخلف الكثير من القتلى والجرحى، نقول: هذا خطأ محض لتصور قيمة الجهاد، فالجهاد - كما أسلفنا - ليس توزيعًا للموت على سكان المعمورة كل يوم وكل ليلة، وإنما هو سبيل لتوفير الحياة الطيبة التي يتوارى فيها الظالمون والمستبدون والمعتدون والمتكبرون فيما وراء

الصفوف الخلفية، لا أن يبرزوا في مقدمة الصفوف كما هو الحال الآن.

لكننا يجب أن نفرق بين حياة وحياة، فهناك حياة تستحق أن تعاش وأن تحيا، هذه الحياة التي يحس فيها الإنسان بكرامته وعزته، ويكون آمنًا على نفسه وأهله وماله، ناظرًا إلى مستقبل مشرق لا يتسلط عليه أحد يظلمه أو يبخسه حقه أو يعتدي عليه، فهذه الحياة هي التي يحافظ عليها بكل طاقة وجهد، أما حياة تهان فيها المقدسات، ويعتدي على الأصول والثوابت ويستهان فيها بالكرامات وتداس فيها المشاعر المعتبرة، ويتسلط فيها المستبدون والطواغيت، فهذه حياة ما أتفهها وما أحقرها، وكل من يحاول أن يحافظ عليها فهو أحقر وأتفه وأذل.

ولذا شرع الجهاد لتغييرها إلى ما تستحق أن تكون به حياة.

هـ - التربية الجهادية تربية على العزة والكرامة، وتحطيم للذل والهوان والضعة، والإنسان الذي يبني، ويقدم الخير لنفسه وللآخرين وللأوطان والبشرية، هو الإنسان العزيز الكريم الذي يعتز بقيمه ومبادئه وأصوله وأهدافه، والتاريخ لا يعرف حضارة قامت على أكتاف العبيد والأذلاء، لأن الإبداع والابتكار يتنافيان تنافيًا كليًا مع الرق والعبودية والذل والهوان، ولماذا نذهب بعيدًا وتاريخنا شاهد صدق على ذلك؟ إن المسلمين الأوائل هم الذين شيدوا وأقاموا حضارة الإسلام ووضحوا معالمها وقدموا منجزاتها ونشروا الإسلام في أنحاء كثيرة من العالم القديم، على حين لم يكن خَلَفُهم على مستواهم الحضاري ومرتبتهم الإنجازية وسلمهم الابتكاري، والسبب في ذلك هو التربية الجهادية التي تشربها السلف وأعرض عنها الخلف.

ثانيًا- التربية على تقديم العمل المتعدّي نفعه على العمل القاصر نفعه:

الأعمال قسمان: قسم يقتصر نفعه على صاحبه، وقسم يتعدى ويشمل نفعه صاحبه وغيره، فكان فيه إفادة للغير وتحصيل النفع له، مثال الأول صلاة النوافل فإن صاحبها يحصّل بها التزكية والتهذيب والقرب من الله العليّ الجبار، ولا يتعدى نفعها إلى غيره بطريق مباشر، أما بالطريق غير المباشر فإن التزكية التي يتحصل عليها مصلّي النوافل لاشك تنعكس على معاملاته مع غيره من الناس، فنجده أحسن أخلاقًا وألين عريكة

وأكثر ألفة، أما مثال العمل المتعدي نفعه فكالجهاد في سبيل الله، أليس المجاهد بين سبيلين لا ثالث لهما: إما سبيل الفوز والانتصار، وإما سبيل الشهادة والقتل وهو في كلتا الحالتين تعدّى نفعه لغيره، فقد استفاد غيره الأمن والأمان الذي يحققه النصر والفوز، فضلاً عن الزهو والفخر و الاعتزاز، وإن كانت الشهادة فقد استفاد غيره الحياة التي بذلها هذا الشهيد رخيصة في سبيل الله، فضلاً عن كونه ضرب المثل الأعلى في بذل المهج والأنفس ابتغاء مرضاة الله، لذا أخبر رسول الله ﷺ عن فضل الجهاد وفضّله على غيره من النوافل غير المتعدية كالصيام وقيام الليل وغيره من الصلوات، فقال: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه" كما أخبر ﷺ أن ما يعادل الجهاد من الأعمال لا يستطاع ولا يقدر عليه ولا يحصل، فقد قيل له: يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه" وأعاد ذلك بإعادة السؤال "فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: "لا تستطيعونه" وفي رواية أخرى قال: "لا أجده" ثم زاد الأمر وضوحًا وبيانًا عن طريق السؤال التقريري الذي يدفع المخاطب إلى الإقرار والتسليم: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ ثم قال نافيًا ذلك "ومن يستطيع ذلك؟" كما بين ﷺ بعض ما يقدم المجاهد من نفع للناس، فقال ﷺ: "من خير معاش الناس لهم: رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فَزْعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه".

وإذا كان المجاهد يحقق من المنافع الكثير للناس فإن الله يعامله ويجازيه على هذه الشاكلة وهذا النحو، فإنه سبحانه يزيد في عمله ويكثر من ثوابه إلى يوم القيامة، فيخبر عن ذلك ﷺ: "وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن الفتان" و"كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن فتنة القبر". فإذا كان تخلّص من أسر البشرية وحبّ الذات والخوف عليها، وهذا لا يتخلص منه إلا الصفوة والنخبة من الخلق، وأراق دمه أنهارًا تجري في الأرض، وأصبح مثالاً حيًا يتناقل ذكره على مر الدهور والعصور وعلى مر

الأجيال، فلا عجب أن كان ثوابه متواصلاً وجزاؤه متجددًا، لذا نهى النبي ﷺ الصحابي الذي رغب في العزلة للتعبد ورغبه في الجهاد قائلاً: "إن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة؟".

لذا كان من الأهمية بمكان: تربية الناشئة وغيرهم على تقديم العمل المتعدِّي النفع على القاصر النفع، إن تعذر الجمع بينهما، وقد حصل التعارض أو التزاحم، لما في ذلك من فوائد جليلة تعودُ على الأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم.

ثالثًا- من الصفات الواجب توافرها في المربي: مراعاة أحوال من يقوم بتربيتهم جميعًا:

إن الجهاد يحتاج إلى استطاعة بدنية واستطاعة مالية، وإذا كان من الصحابة من يجدهما فإن بعضًا منهم كان لا يجدهما معًا أو يفقد إحداهما ويجد الأخرى، كما أن الرسول ﷺ لا يجد عنده من المال الكافي ما يجهز به الصحابة كلهم للغزو والجهاد، فإن هو خرج مع الغزاة والمجاهدين ترك بعض الصحابة في المدينة ممن حبسهم العذر، وهؤلاء يشق عليهم ألا يكونوا مع رسول الله ﷺ وإنهم يرغبون أن يكونوا معه، يدهم قبل يده، وسيوفهم قبل سيفه، وخيولهم قبل فرسه، ورماحهم قبل رمحه، ونفوسهم دون نفسه.

وإن هو ﷺ أمرهم بالتجهز والإعداد للخروج شق عليهم ألا يجدوا ما يتجهزون به ويستعدون، لذا كان النبي ﷺ لا يخرج مع كل سرية تقاتل في سبيل الله، مع رغبته ﷺ في ذلك، وفي الاستشهاد في سبيل الله، ورغبتُه ﷺ رغبة عارمة صادقة أصيلة، فهو أصدق من نوى، وأخلص من عمل، و أشدّ من امتثل ﷺ.

إنه ﷺ كان بين موقفين: موقف أشد حبًّا إلى نفسه، وهو الخروج في سبيل الله والقتال مع كل سرية وعدم القعود، وموقف يفرضه عليه حبّ الصحابة له وحب ملازمته والتعلم بين يديه وهذا لا يتاح لبعضهم إن هو خرج مع كل سرية، فآثر النبي ﷺ - لشفقته وحبه ورحمته - الموقف الآخر، فكان ﷺ في بعض الأحيان

يبعث السرايا والجيوش تقاتل في سبيل الله، وترفع راية الإسلام عالية خفاقة، وهو ﷺ في المدينة بين أصحابه يعلمهم ويرشدهم ويواسي فقيرهم ويعين محتاجهم ويعلم جاهلهم ويرشد حائرهم، ومن معه من الصحابة أشد حرصًا على التعلم منه، والاقتداء به ونقل أحواله وأخباره إلى غيرهم، حتى يستفيدوا كما استفادوا، ويهتدوا كما اهتدوا ويرشدوا كما رشدوا، ويصيبهم الخير كما أصابهم.

كما أن وجود النبي ﷺ في المدينة كان يسهل عليه استقبال المسلمين الجدد أو الراغبين في التعرف على دين الله الحق، ومراسلة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى دين الإسلام، ونحو ذلك.

إننا نرى في قوله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ أَبَدًا. وَلَـٰكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ. وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً. وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللّهِ فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ. ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ))، إننا نرى في قوله ذلك دعوة للمربين جميعًا أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة التي لا تفرق بين غني وفقير ولا قوي وضعيف، وكريم وغيره، وشريف وسواه، فينبغي أن يكونوا على مستوى رسالتهم النبيلة فيراعوا أحوال من يقومون بتربيتهم جميعًا، لأن التربية للجميع، وليست لطائفة دون طائفة، ولا لشعب دون شعب، ولا لأمة دون أمة.

رابعًا - التربية على التعاون على فعل الطاعات:

إذا كان من المتعذر أن يخرج كل المسلمين إلى الجهاد، فإنه لا محالة سوف يظلّ بعضهم في أوطانهم يخلفون المجاهدين ويخلفونهم في أولادهم وأهليهم، وهؤلاء أمامهم طريقان لأن يعاونوا المجاهدين على أداء رسالتهم النبيلة في ساحات القتال ومنازل المعارك.

الطريق الأول: أن يقوموا بتجهيزهم أو تجهيز من لا عتاد له ولا سلاح ولا ركاب، فيسدون حاجتهم ويكفونهم مؤونتهم ويقومون بإعدادهم وتجهيزهم حتى يكونوا على أتم استعداد للقتال والاعتراك. وهذا ما تقوم به الدول الحديثة عن طريق فرض ضرائب

وتشتري ببعضها ما يلزم قواتها المسلحة من أسلحة وعتاد حديث يتناسب مع تطورات الأسلحة وتعقيداتها المتوالية التي لا تقف عند حدٍ، ولو التفتت هذه الدول إلى الأخذ بهذا الحديث لفتحت المجال واسعًا أمام التبرعات والمنح والهبات من الأفراد والهيئات للإسهام في هذا الهدف النبيل. وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الصدقات من أفضلها أو أفضلها فقال: "أفضل الصدقات ظلّ فسطاط في سبيل الله، ومنيحة خادم في سبيل الله أو طروقة فحل في سبيل الله" وقد قام النبي ﷺ بنفسه بإرشاد بعض الصحابة الذين ينقصهم ما يتجهزون به، أرشدهم إلى من يساعدهم على ذلك، فقال: "ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض" فرحب هذا الصحابي الأخير بذلك خير ترحيب ونادى: "يا فلانة أعطيه الذي كنت تجهزت به، ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارك لك فيه".

الطريق الثاني: أن يكونوا عونًا لأهل المجاهدين ومساعدي خير لهم، فيقوموا بقضاء حوائجهم ومتطلباتهم حتى كأنهم يشعرون بأنهم ما فقدوا الكثير بغياب آبائهم وأوليائهم وإخوانهم، بل إن موقف هؤلاء يدفع هؤلاء الأبناء والأهل إلى أن يشعروا بمزيد من الاهتمام والعناية ربما لم يجدونهما من أوليائهم، ولا يقتصر موقف هؤلاء على ذلك فحسب، بل يمتد أيضًا إلى الدعم المعنوي، فيبعثون إليهم برسائل التشجيع والتأييد والتحفيز والمساندة، سواء بطريق مباشر أم بما يصل إلى المجاهدين وهم في مواقع القتال من أخبار وأنباء.

إن أشد ما يكون على المقاتلين وقد قدموا أرواحهم فداءً وتضحية، ما يعرف في عالم اليوم بالطابور الخامس، ذلك النفر الذين يخلفون المقاتلين في بلادهم وأوطانهم بأسوأ ما يكون من إشاعة روح الهزيمة والتخاذل والاستسلام بين جموع المواطنين، وهذه خيانة كبرى لأولئك المجاهدين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ابتغاء وجه الله والدفاع عن الأديان والأوطان، لذا كان دور من يخلف المجاهدين لا يقل أهمية عن دور المجاهدين أنفسهم، فقال ﷺ: "من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا" وقال ﷺ: "أيكم خَلَف الخارجَ في أهله وماله بخير كان

له مثل نصف أجر الخارج".

هذا من ناحية تجهيز الغزاة والمجاهدين، أما من ناحية الأسلحة فحدّث عن التعاون في ذلك ولا حرج، فإن الأسلحة قديمًا كانت تصنع بسهولة ويسر، مما يجعل تعلم صنعها ميسورًا سهلاً، ومما لا يخفى أن الأسلحة لها دور كبير في القتال والنزال، فلا تتصور معركة بدون أسلحة سواء في القديم أم في الجديد، لذا كان دور صانعي الأسلحة من الأهمية بمكان، حتى إنه ليقارب دور المجاهد إذا ابتغى بصنعها وجه الله، وهذا هو التعاون المشروع لاشك في ذلك، فصانع يصنع السهم أو السيف يسلمه إلى المجاهد يقاتل به، فيساعده على أداء مهمته النبيلة ودوره الرائع، لذا قال النبي ﷺ: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله".

وفي عالم اليوم، نحن أحوج ما نكون، إلى أن يكون سلاحنا مصنوعًا في بلادنا وبأيد أبنائنا وسواعدهم الفتية، حتى لا يتحكم فينا غيرنا ويعطينا من السلاح ما يكون قديمًا أو غير مواكب لأحدث التطورات العسكرية، مما يحد من قدراتنا العسكرية بصورة كبيرة جدًا، فهل تتحقق صناعة السلاح في أرضنا ويكون للقائمين عليها أجر المجاهدين الصادقين أو نحوه؟

نخلص من ذلك كله إلى أنه ينبغي أن تكون التربية قائمة على التعاون على الخير لا على الشر والعدوان، وهذا ما ينبغي أن يستقر في أذهان الناشئة وأفئدتهم.

خامسًا - التربية على الترهيب من الدَّيْن:

أجر الشهيد لاشك في عَظَمه، وجزاؤه لا ريب في كثرته، وذلك لأنه قدّم أغلى ما يملك راضيًا طائعًا في سبيل الله، وابتغاء مرضاته سبحانه، لذا أعظم الله له الثواب وأجزل له العطاء، ووسّع له الفضل، وأكثر من إكرامه والإنعام عليه، فغفر له الذنوب ومحي عنه السيئات، وعفا عنه، وعن آثامه وخطاياه، إلا شيئًا واحدًا لم يغفره له تعالى على عظم فضله وكريم منّه، ألا وهو الدَّيْن، الذي هو حق للآخرين عليه كان يجب عليه أن يقوم بسداده لصاحبه إن استطاع ذلك. وهذا يستدعي سؤالاً ملحًا في الذهن:

أليس في هذا ترهيب من الاستدانة، والإقبال على الدَيْن، دون مسوغ مشروع من دفع حاجة أو القيام بواجب أو نحو ذلك؟ أليس في هذا تنبيهٌ للمربين وأتباعهم إلى أن يحذروا من الدَّين ومن تبعاته؟ أليس في هذا دفع لمن يستسهل الدين والاستدانة أن يكفّ عن ذلك وأن يحاول أن يسد هذا الباب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؟ إننا أمام توجيه نبوي كريم يؤخذ به في الترهيب من الاستدانة والإقبال عليها.

إن الناظر في الحياة الاقتصادية المعاصرة ليجد أن التربية على الترهيب من الاستدانة أمر مهم جدًّا يجب أن يفعّل في تربية الناشئة وتوجيههم وإرشادهم حتى يسلموا من المشاكل التي لا تكاد تنتهي مِن وراء الاستدانة، من ضياع المال والهيبة والتقدير والمكانة، ورغم ذلك يقع كثير في شَركِها وذلك لأن كثيرًا من التنظيمات الاقتصادية المعاصرة تدفع وتغري الناس إلى الاستدانة والاستمرار فيها ونستطيع أن نرصد بعض الصور المشهورة التي تقوم على الاستدانة والدين:

أ - ما تقوم به المصارف والبنوك من إغراء لعملائها في شراء سلع كمالية كثيرة هم في غنى عنها، وحياتهم لا تتضرر كثيرًا إذا لم يحصّلوها ويشتروها، فنجد هذه المصارف تغري عملاءها بشراء أحدث السيارات، وأحدث البيوت، وأرقى الملابس، ونحو ذلك عن طريق بيع التقسيط، وتقديم شروط ميسرة في ذلك، وهذا يساعد بدور كبير في تنامي الاقتصاد الاستهلاكي غير الإنتاجي الذي تزيد فيه النفقات كثيرًا عن مستوى الدخول والموارد.

ب - تقديم المصارف والبنوك التسهيلات والتيسيرات للمضاربين في الأسواق المالية "البورصة" عن طريق تقديم قروض بشروط ميسرة لهم فتزداد حمى المضاربة مع قلة المعروض من أسهم الشركات، فترتفع ارتفاعًا جنونيًا مما يزداد معها حمى المضاربة سُعارًا واشتعالاً فتظل هكذا، حتى تبلغ الذروة ثم تهبط هبوطًا لا قيام بعده. وقد ضاع كثير من الثروات والأموال، وتحول كثير من المضاربين إلى فقراء بعد أن كانوا قمة الأغنياء، وخربت بيوت ومات عائلها بعد أن كانت عامرة بالود والحب، وانطفأت شعلة الزواج بأن كثر عددُ المطلقين والمطلقات بعد أن كانت هناك بيوت زوجية واعدة،

وضاعت أصول مالية ممتازة باعها أصحابها ليستفيدوا بثمنها في المضاربة، وليأتوا بأحسن منها بعد ذلك، فضاعت عليهم سدىً وعضُّوا بنان الندم أن باعوها وفرطوا فيها.

ج - قيام النظام الاقتصادي العالمي على الفائدة التي تحتل فيه ركنًا أساسيًا لا يُتصور أن يستغني أو يتنازل عنها، والفائدة ما هي إلا زيادة للمال وتنمية له عن طريق الإقراض والإدانة، فيما يُعرف بالائتمان والقدرة الائتمانية، لا تنمية المال عن طريق العمل أو المشاركة، وكل ذلك قد استقرّ في أذهان الناس وشاع فيما بينهم، وأصبح من الثقافة الشائعة التي قلما تجد لها معارضًا أو ناقدًا أو مُعرضًا، مع أن ذلك هو عين الربا الذي حرّمه الله تعالى وآذن من يقترفه بحرب من الله ورسوله.

كل هذا يدفع المربّين دفعًا حثيثًا إلى أن يضربوا القدوة لمن يقومون بتربيتهم على الحذر من الاستدانة والخوف من الوقوع في تبعاتها المؤلمة، فضلاً عن أن يغرسوا ذلك في نفوسهم حتى يربوهم بالقول والعمل؛ نظرًا لخطورة هذا الأمر وشدة أثره.

سادسًا - من الأساليب التربوية: التبشير:

لقد كان النبي ﷺ في موقف الحرب أشجع الشجعان، وأثبت من الجبال، وأرسخ من الرواسي الراسخات، إنه مقدمة المسلمين تجاه العدّو وقبالته، يلوذ به المسلمون ويتقون به ﷺ من بأس العدو وقوته، وزاد على ذلك ﷺ بأنه كان يبشّر أتباعه وأصحابه المجاهدين الصابرين المحتسبين بالجنة ويخبرهم - وهو الصادق المصدوق - بأنهم من أهلها المنعمين بآلائها وظلالها الوارفة، فهذا صحابي كريم يقوله له: "أين أنا يا رسول الله إن قُتلت؟ قال: في الجنة، فاستبشر الرجل وطار من الفرح وترك دنياه ونسي لذته وشهوته فألقى تمرات تذكر بالدنيا وبأهل الدنيا وأقبل على القتال حتى قتل ففاز بجنة الخلد.

ولما كان يوم بدر يومًا له خطره وشأنه في حياة المسلمين، فهو أول اختبار عملي لقوتهم وبأسهم، وقبل ذلك هو اختبار لمدى صدقهم وإيمانهم بدينهم الجديد وبرسوله الكريم الذي يدعوهم إلى بذل الروح والمال رخيصين في سبيل الله، لذا كان يوم بدر بحق يوم الفرقان، لما كان الأمر كذلك استخدم النبي ﷺ التبشير العام، وذلك

ليقضي على ما قد يكون قد تبقى من خوف أو رهبة في نفوس بعض المسلمين لقتال أهل الشرك المعروفين بشدة بأسهم وكثرة عتادهم وعددهم، فقال ﷺ: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض" إنه ﷺ يبشرهم بجنّة واسعة وسعًا لا يكاد تدركه عقول البشر، مع أن المسلمين وقتذاك كانوا في ضيقٍ في كل شيء تقريبًا، ضيق في المال وقد تركوا أموالهم وديارهم وهاجروا إلى الله ورسوله، وضيق في السلاح والعتاد، فليس في الجيش من الفرسان إلا واحد أو اثنان، وضيق في العدد: فعددهم ثلث عدد أعدائهم، وضيق وقلة في النصير والمعين، فإن الجزيرة العربية على وسعها تكاد تضيق على هؤلاء النفر المسلمين، فكلها أعلنت العداء والتنكر لهم، وهكذا كانت السمة العامة لحياة المسلمين الضيق، فبشرهم النبي ﷺ بالجنة الواسعة: فإذا كانوا هم في الدنيا في ضيق فإنهم سيكونون في سعةٍ في الآخرة، لذا أراد الصحابي عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه أن يطمأن قلبه فسأل النبي ﷺ: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. ففرح بذلك أشد الفرح وتمنى أن يكون من أهلها وعبر عن ذلك بقوله: بخ بخ.

فلما أخبره النبي ﷺ أنه من أهلها اشتاق إليها واشتاق إلى دخولها، فأعرض عن الطعام ولذته وأسرع نحو غايته: الجنة التي طريقها الاستشهاد في سبيل الله.

ولم يكتف النبي ﷺ بتبشير المجاهدين فحسب بل كان يبشر أهليهم وذويهم أيضًا، فقال لأم حارثة: "يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى".

إننا نجد أن التبشير النبوي قد حقق الغاية وأتى بالمرجو وحصّل المطلوب.

وبناء على ذلك فإن على المربين أن يبشروا من يقومون بتربيتهم حتى يدفعوهم إلى معالي الأمور وفضائل الأخلاق ومكارمها، ولا يكون تبشيرهم إلا حقًّا وصدقًا، ولاشك أن القرآن الكريم والسنة النبوية معين لا ينضب من التبشير عليهم أن يستخدموه ويفعلوه ويحققوه.

سابعًا - التربية على أن من تعلّم علمًا علّمه غيره:

لقد بعث النبي ﷺ إلى أمة أمية، فهدى الله به قلوبًا عميًا وفتح به آذانًا صمًا

وعلّم أفئدة كان الجهل فيها راسخًا، وربّى رجالاً يقيمون دولاً وحضارات بعد أن كانوا معول هدم للدول والحضارات، وهؤلاء علّموا غيرهم ما تعلموه وأنقذوهم من الجهل والضلال كما أنقذهم رسول الله ﷺ.

وهكذا ربّى النبي ﷺ معلمين أفذاذًا، ومربين متفردين، لم ير لهم التاريخ مثيلاً أو نظيرًا، وقد كان ﷺ يبعثهم إلى القبائل والأمصار، يعلمون غيرهم ويبصرونهم بأمور دينهم، ويصححون لهم أخطاءهم، ويقيمونهم على الملة الصحيحة، والصراط المستقيم والطريق الذي لا عوج فيه ولا أَمْتَى.

من ذلك ما أخبر به أنس بن مالك رضي الله عنه أنه "جاء ناس إلى النبي ﷺ أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي رضي الله عنه ...".

لقد كان هؤلاء القراء السبعون يداومون على التعلّم والمدارسة، تعلم القرآن ومدارسته وكذلك الأمر في تعلم السنة ومدارستها، لذا كانوا أنسب من يبعثهم النبي ﷺ ليعلموا غيرهم، إنهم نماذج حية للتعلم والتعليم المستمرين: تعلم ومدارسة بالليل، وتعليم وتربية بالنهار، وهذا مبدأ تربوي وتعليمي إسلامي أصيل: أن من تعلم شيئًا صحيحًا علّم غيره ونقله إليه، ولا يضن ولا يبخل به ولا يكتفي بإصلاح نفسه ويترك الآخرين نهبًا للجهل والجهالات. وبهذا انتقل العلم الإسلامي وضُمن له الاستمرار والحيوية وتحمل الأجيال المتعاقبة له، كل جيل ينقله إلى من يليه من أجيال وهكذا حتى شاع العلم وانتشر وعرفت الأمة الإسلامية بأنها أمة "اقرأ" وأمة العلم والعلماء.

ولذا كان من المهم جدًّا تربية الناشئة وغيرهم على أن ينقلوا لغيرهم ما تعلموه وفهموه ودرسوه، وفيما يلي بعض الصور السلبية الناشئة عن عدم التربية على هذا:

أ - الأمة الإسلامية لها كثير من العلماء الكبار المنتشرين في المراكز البحثية المتقدمة في العالم الغربي، وبعضهم قد نال جوائز علمية قيمة في مجاله وكان من

المتوقع والمنتظر أن ينقل هؤلاء العلماء ما تعلموا إلى دولهم الإسلامية حتى تلحق بركب التقدم العلمي الذي يشهد تطورات هائلة كل يوم، لكن الصورة الواقعية تكشف عن قصور شديد في ذلك مع الاعتراف بأن هناك أسبابًا كثيرة تقف وراء ذلك، لكن لو صمم هؤلاء العلماء الأفذاذ على نقل خبرتهم إلى دولهم التي خرجوا وتعلموا فيها لربما كانت الصورة مغايرة وأصابها بعض التحريك الدافع إلى الأمام.

ب - كثير من أهل الطب الحاذقين يضنون بمهاراتهم وخبراتهم الثمينة ويحتفظون بها ولا ينقلونها إلا لأقل القليل من تلاميذهم الذين ربما كانوا أبناءهم أو أقاربهم. أما من عداهم فيضعون أمامهم الكثير من العراقيل والمعوقات التي لا تكاد تنتهي حتى يصرفوهم عن وجهتهم، ويظلوا هم محتفظين بالنجومية واللمعان في عالم الطب، فلا ينصرف عنهم المرضى بل يزدادون عامًا بعد عامٍ.

ج - عالم الإدارة بما فيه من خبرات ثمينة وتجارب قيمة يكتسبها المديرون من خلال عملهم الطويل والمتواصل، كثير منهم يحرص أشد الحرص على الاحتفاظ بهذه الخبرات وتلك التجارب ولا يكاد ينقلها إلى من تحته من المديرين الشباب وربما ظلّ محتفظًا بها حتى تدخل معه قبره.

مع أن الدول الحيوية ذات التجارب الحضارية والتقدمية تحرص بكل وسيلة ممكنة على إيجاد صفٍ ثانٍ وثالث من المديرين الأكفاء على مختلف المستويات حتى تظل الإدارة على درجة واحدة من الكفاءة لا تتغير ولا تتأثر بغياب فلان أو تقاعده.

ثامنًا - التربية على صدق النية:

يتمنّى المسلم أن يفعل الخير كله ويأتي العمل الصالح بأنواعه ومراتبه، ويرغب في إتيان أفضل الأعمال وأعلاها وأحسنها، إنه يتمنى أن يكون من المجاهدين - بحق - في سبيل الله، لكن ذلك قد لا يتيسر له ولا يتاح، فيحال بينه وبين هذا العمل النبيل بسبب قلة الزاد أو قلة ذات اليد، أو بسبب مرض من الأمراض المقعدة، أو بسبب عدم توافر الظروف الملائمة للجهاد في سبيل الله أو لأي سبب آخر، فماذا يفعل المسلم الصادق أمام هذا؟ أينسى الجهاد وفضله أم يتناساه ويتجاهله أم يلغي مصطلح الجهاد من قاموسه

اليومي ويشطبه كما يريد كثير من الناس في عالم اليوم أم يتباكى ويقيمها مبكاة على فقد الجهاد وانعدام سبله؟

إن المسلم لا يفعل هذا ولا ذاك، إن أمامه أن يشارك المجاهدين جهادهم ولو لم يحضر معهم، إن بإمكانه:

أ - أن يسأل الله الشهادة ويبالغ في ذلك ويكون في ذلك صادقًا مخلصًا، سواء تيسر أمامه الجهاد أم أغلق، إنه بنيته تلك يبلغ منازل الشهداء وإن لم يرفع سيفًا أو يطلق طلقة واحدة "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" و"من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه".

ب - إن حبسه العذر أن يلحق بالمجاهدين ويكون في صفوفهم يقاتل معهم وينازل الأعداء، فإن صدق النية لا يحرمه من الأجر الذي يحصله المجاهدون في جهادهم سواء في سيرهم أو قطعهم المفازات وارتقائهم الجبال والتلال أو ما يصيبهم من تعب أو نصب في ذلك أو في قتالهم لعدوهم، كل ذلك ناله وحصّله بصدق نيته، مصداق ذلك ما أخبر به النبي ﷺ أصحابه في غزوة من الغزوات "إنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا ، إلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ. حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ" وفي رواية "حبسهم العذر" وفي رواية "إلا شركوكم في الأجر".

ج - أما المقاتل المجاهد في ميدان القتال والنزال فإن لابدّ أن تكون نيته خالصة لله رب العالمين، فلا يقاتل إلا لله، ولا تحركه عصبية ولا قبلية ولا حمية، إنما يحركه ويدفعه نصرة دين الله فحسب، فإن كانت نيته كذلك كان جهاده لله وفي الله وإلا كان جهاده لشيء آخر، فقد جاء أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليُذْكر، والرجل يقاتل ليُرَى مكانُه؟ وفي رواية: يقاتل شجاعة ويقاتل حمية؟ وفي رواية: يقاتل غضبًا. فَمَنْ في سبيل الله؟ فأجاب النبي ﷺ مبينًا أن من كانت نيته لله فهو في سبيل الله، فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله".

ولم يكن إخلاص النية مطلوبًا في الجهاد فحسب، وإنما كان مطلوبًا أيضًا في

جميع العبادات والطاعات، لأن الله أغنى الأغنياء عن الشرك، والبشر يغضبون أشدّ الغضب، ويثورون ثورة شديدة، إذا أحسُّوا أن أحدهم قصد بالعمل الذي عمله له، أحدًا آخر فكيف بالله تعالى، ولله المثل الأعلى؟

إن على المربين أن يربوا من يقومون بتربيتهم على إخلاص النية لله رب العالمين في أعمالهم وطاعاتهم، لأن ذلك يعود عليهم بالفوائد الجمة، من ذلك:

أ - العمل على إتقان العمل وإجادته بأفضل ما يكون وأحسن ما يستطاع، لأنه مقصود به رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى.

ب - إحساسهم المليء بالثقة والاعتزاز اعتزازًا لا حدّ له بأعمالهم التي أخلصوا فيها، لأن الأعمال إنما تكتسب شرفها ونبلها وسموها من شرف الذي تتوجه إليه، فكيف بعمل يتوجه به إلى الله رب العالمين الذي عز عن النظير وجلّ عن المثل والشبيه ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[1].

ج - تعويدهم على المثابرة، والجد والاجتهاد، والاستهانة بالصعاب والمعوقات مهما كانت، وكيف كانت، لأنها أعمال قصد بها وجه المولى جل في علاه، فلا يؤثر عليها صعب ولا مانع، ولا يعيقها معوق ولا ناقم، بل هي تتغلب على كل ما يقف في طريقها، لأن ما كان لله عز وجل دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل.

تاسعًا - التربية على الالتجاء إلى الله وطلب العون منه والمدد:

رسول الله ﷺ مؤيد من قبل ربه، أيده الله بالنصر والظفر على أعدائه، كما أيده بالتمكين في الأرض، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2] و﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾[3] وقال ﷺ مبينًا بعض فضل الله عليه "أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ..."

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٢١.

(٣) سورة غافر، آية: ٥١.

الحديث[1]، ولمزيد عبوديته ﷺ جمع بين هذا التأييد والافتقار إلى الله رب العالمين وقت البأس والحرب والقتال والنزال، فكان يبتهل إلى الله مولاه ويتضرع إليه ويعلن خضوعه له سبحانه ويطلب منه - طلب الافتقار والحاجة والمسكنة - أن ينصره الله على أعدائه، تراه ﷺ وهو يستعد للعدو يقول: "اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" كما يحث أتباعه ويرغبهم في الالتجاء إلى الله وقت القتال والنزال، وهم أحوج ما يكونون إلى التأييد والإمداد، فيخبرهم ﷺ أن الدعاء -وهو أصدق مظاهر الالتجاء إلى الله- قلما يرد وقت الاقتتال ووقت الأذان، فقال ﷺ: "ثنتان لا تردان أو قلما تردَّان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضًا" فإذا كان الجيش الواحد يلتحم مع بعضه بعضًا ليتحد ويتقوى في مواجهة الأعداء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الجيش يلتحم مع جيش الأعداء لينال منه، وفي كلتا الحالتين: الجيش محتاج إلى المدد من الله ليزيد من التحامه بعضه ببعض من جهة، ومن جهة أخرى، من التحامه بالعدو، ليكون أكثر نَيْلاً من جهة أخرى.

وهذا النبي ﷺ يقول أمام أصحابه وهو يغزو "اللهم أنت عضدي ونصيري بك أحول وبك أصول وبك أقاتل" إنه ﷺ يستمد من ربه النصر والعون فهو العضد والنصير، وهو الذي يمن على عبده فيعطيه القوة والحول وييسر له الأسباب والأحوال ليقاتل وينازل ويكرّ ويهجم ويعاود الكرة بعد الكرة، أليس هذا اعترافًا بفضل الله وكرمه؟ أليس هذا استحضارًا لعون الله ونصره؟ أليس هذا إقرارًا بأن النصر إنما هو من عند الله؟ أليس هذا إعلانًا للبشر وللبشرية جمعاء أنه عبد الله يمن عليه بما شاء وكيف شاء وأنه لا يستغني عن نصره وعونه وظفره طرفة عين واحدة؟ أليس في هذا توكل على الله حق التوكل واعتماد عليه تمام الاعتماد فهو الناصر وهو المعين؟.

ولذا كان ﷺ إذا خاف قومًا، أعلن التجاءه لرب العالمين، وأظهر تضرعه إليه ليقيه بأسهم ويأمنه شرهم، فيدعو: "اللهم إنا نجعلك في نحورهم، و نعوذ بك من شرورهم".

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١.

إننا أمام أحاديث نبوية شريفة ترسم لوحة رائعة -إن جاز هذا التعبير- للتضرع لله رب العالمين، واللجوء إليه وقت البأس والالتحام والنزال، وهذا من أشرف الخلق وأكرمه على الله، فكيف بغيره من البشر؟

إن على المربين أن يبذلوا الوسع والطاقة في تعويد الناشئة وغيرهم على الالتجاء إلى الله رب العالمين وقت الشدة ووقت الرخاء، إنهم إن غُرِس ذلك في نفوسهم حققوا من المنافع ما لا يحصى، من ذلك:

أ - إنهم يلجأون إلى خير معين وخير ناصر وخير مجيب وخير معطي، فيتعودون أن يكون توجههم إلى الله الأعلى ولا يلتفتون إلى ما سواه سبحانه مما يلجأ إليه المشركون وغيرهُم، من حجر أو شجر أو قبر أو نحو ذلك.

ب - إنهم يزدادون إيمانًا وتصديقًا، فبالمناجاة والتضرع والالتجاء يصفو القلب ويخلو مما سوى الله، ويتوجه إلى الله رب العالمين بكليته وجمعيته، وهذا طريق من طرق زيادة الإيمان والرسوخ فيه، فكلما كان القلب أكثر تعلقًا بالله ازداد إيمانه وبناؤه ورسوخه.

ج - انتفاء الكِبْر والعُجْب والبطر عنهم وعن أعمالهم، ففي الالتجاء إلى الله رب العالمين، يرى الإنسان مدى ضعفه، ومدى قلة حيلته، ومدى هوانه على الناس، وعلى أنه وحيدا في هذا الكون الفسيح، ولولا أن الله معه بعلمه وتأييده وعونه لضاع كما ضاع غيره، وهلك كما هلك غيره، وفي هذا أقوى الطرق لإخراج عفن الكبر من نفسه وعطن العجب من قلبه ومستنقع البطر من فؤاده.

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة، أننا نجد كثيرًا من الطلاب والتلاميذ يقبلون على الصلوات والطاعات في أيام الامتحانات وأوقات الاختبارات، حتى لتجد بعض المساجد مليئة بهم بعد أن كانت تشكو من هجرانهم لها، ويلفت هذا المشهد نظر المصلين والمداومين على الصلاة والمحافظين عليها، وتجدهم ينقسمون إلى قسمين: قسم معجب بذلك يتمنى لو استمروا وأخذوا العبرة والعظة من ذلك، وفريق لائم ساخط عليهم مقرع لهم ولأفعالهم، يرون أنهم بالصلاة لاعبون وبالعبادات مستهزئون وأنهم

مجترئون على مقام العبودية، فهم لا يصلون إلا هذا الوقت القليل ولأجل مصلحة دنيوية فإذا تحققت لهم عادوا إلى سيرتهم الأولى من ترك الصلوات وهجران المساجد.

والحق أن كلا الفريقين له وجهة من النظر مقبولة، ولكننا نميل إلى الفريق الأول، الذي يحزنه بالطبع أن هؤلاء حرموا أنفسهم من خير كثير بابتعادهم عن الصلوات وعن المساجد فترات طويلة، وأنهم ما دخلوا المساجد وأقاموا الصلوات إلا هذه اللحيظات من حياتهم، لكن هذا الحزن لا يدفعهم إلى مقاطعتهم وإعلان الخصام واللوم لهم، بل إلى فتح قلوبهم وأذرعتهم لهم لاحتضانهم وبيان الواجب عليهم، فإذا كانوا قد لجأوا إلى الله وقت الشدة فإن الإنسان لا يخلو يوم من أيامه من شدائد وصعاب، فلماذا يحرمون أنفسهم من اللجوء إلى المعين والمناصر، وإذا كانوا لجأوا إليه سبحانه لقضاء حوائجهم ولو كانت دنيوية، فمن يقضي الحاجات غير الله، ومن منجزها غير الله تعالى؟ والإنسان لا تنقضي حاجاته ولا طلباته في هذه الدنيا، فهي مستمرة باستمرار حياته. فلماذا يحرم نفسه من طرق باب قاضي الحاجات ومحقق المرغوبات؟ وإذا كان لجأ إليه في حاجة دنيوية فقضاها عز وجل، فمن يقضي له الحاجات الأخروية في الدار الآخرة إلا الله تعالى؟ فضلاً عن أن الدنيا إذا قورنت بالآخرة فلا مجال للمقارنة ولا مجال للمناسبة بينهما، وآخرة الإنسان هي حياته التي يجب عليه أن يسعى لتكون في الجنة وليس ذلك بيد أحد إلا الله تعالى.

وإذا لِيمَ هؤلاء أنهم يلجؤون إلى الله من أجل مصلحة دنيوية ينقضي بانقضائها أجيب عليهم: ما المانع من الالتجاء إلى الله تعالى في قضاء الأمور الدنيوية فهو سبحانه الذي يقضي الحاجات في الدنيا والآخرة؟ فلا ضير على العبد إن لجأ إليه في قضاء حاجات الدنيا، فهو النافع والضار في الدنيا والآخرة سبحانه.

إننا إذا تعاملنا معهم من هذا المنطلق لجذبنا عددًا غير قليل منهم إلى حظيرة الاستمرار على الطاعة والمداومة عليها وعدم الانقطاع، وهذا أفضل من اللوم والتقريع الذي ربما لا يتأثر بهما إلا عدد قليل منهم.

عاشرًا - مشاركة الصبيان في استقبال الجيوش والغازين والمجاهدين:

تداعب الأماني والأحلام خيال الصبيان، وهم في هذه المرحلة الخصبة من العمر، فتجدهم يتعلقون بالبطولة والإقدام والشجاعة والتضحية، لذا يتمنى كثير منهم أن يكونوا في صفِّ الجندية والعسكرية، فيحلمون بأن يلبسوا الملابس العسكرية تزيّنها النجوم والسيوف والأنواط، ولهذا نجد أكثر الهدايا التي تفرحهم ملابس الضباط وكذلك المدافع والبنادق والأسلحة، ولذا كان الصحابة الصغار - وطبائعهم طبائع الأطفال - يفرحون ويسعدون ويُسرون باستقبال المجاهدين الفاتحين المظفرين وفي مقدمتهم النبي ﷺ، عيونهم معلقة به ينظرون إليه نظرة الانبهار والإعجاب والتقدير، فهذا السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من غزوة تبوك تلقاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع. وفي رواية البخاري: ذهبنا نتلقّى رسول الله ﷺ مع الصبيان إلى ثنية الوداع.

إننا نرى في هذا الحديث توجيهًا إلى أهل التربية والتعليم، لأن يشركوا الناشئة في استقبال الجيوش المجاهدة، والسرايا المقاتلة، كلما أمكن ذلك، نظرًا لما في ذلك من فوائد تربوية مهمة، من ذلك:

أ - تعليق أنظارهم وأفئدتهم وقلوبهم بالمثل العليا في التضحية والفداء والنماذج الطيبة في البذل والعطاء، ودفعهم إلى الاقتداء بهم وتمثل أفعالهم أو على الأقل التحلي بسجاياهم الطيبة وخصالهم الحميدة.

ب - تقدير أهل البطولة والشجاعة والإقدام، وأصحاب البطولات العجيبة، وإعطاؤهم ما يستحقونه من منزلة ومكانة استحقوها بأعمالهم النبيلة وأفعالهم السامية.

ج - تربيتهم على الاهتمام بتاريخ أوطانهم وبطولاته وأمجاده وعلى الاعتزاز بها والفخر المحمود المرغوب فيه، ولاشك أن هذا يدفعهم إلى أن يزيدوا هذه الأمجاد أو على الأقل المحافظة عليها.

د - غرس حب الجهاد في نفوسهم وأفئدتهم. وبالجهاد تتحقق العزة والكرامة للأمّة، ويكون أفرادها من ذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة التي تتعلق بمعالي الأمور وأخطر الشؤون، وتطمع إلى أن تكون في مقدمة الصفوف في هذا العالم.

❁ ❁ ❁

٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

الحديث رقم (١٣٥٥)

١٣٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المطعون: من مات بمرض الطاعون وهو داء ورمي وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان[2].

المبطون: الذي يموت بمرض بطنه كالاستسقاء ونحوه[3].

صاحب الهدم: الهدم: البناء المهدوم وصاحب الهدم أي من مات تحته[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف. . نجد أسلوبه دالا واضحا. . وهو أسلوب تقريري. . قدم للإخبار عن حقائق واقعية تحدث في بلاد الإسلام بل وفي العالم كله. ولكن وقوعها في الوسط الإسلامي له تصور خاص، وتفسير مرتبط بآفاق التفكير الإسلامي، والحديث يبدأ بالإجمال ثم التفصيل: والجملة الاسمية الدالة علي الثبات وعدم التغير من زمن إلي زمن هي الصيغة التي صبت في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٩)، ومسلم (١٩١٤/١٦٤) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١/٢٠٧٣).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ع ن).

(٣) المرجع السابق في (ب ط ن).

(٤) المرجع السابق في (هـ د م)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٥.

قالبها هذا الحديث: حيث يقول رسول الله الشهداء خمسة: ثم يفصل القول في بيان هذه الأنواع الخمسة، وتحديد العدد للتنويع وليس للتحديد، وقال العلماء: إن قوله: خمسة لا ينافي الزائد عليه الوارد في إخبار آخر، إما لعدم اعتبار مفهوم العدو أو أنه أُخْبِر بالأقل فأخبر به، ثم زيد في عددهم فأخبر به ثانيا.

وقوله: الشهداء: جمع: الشهيد: ولفظ: شهيد من خصوصية اللغة في ظل الإسلام. . وسمي بذلك لعدة معايير وتأويلات: منها: أن الله ورسوله شهدا له بالجنة، ومنها أنه يبعث وله شاهد بقتله ودليل علي ذلك: فاللون لون الدم، والريح ريح المسك، ومنها أن ملائكة الرحمة يشهدون فيقبضون روحه، ومن أنواع هؤلاء الشهداء. ، والمطعون: وهو اسم مفعول: أي الذي أصابه الطاعون، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله، ما الطاعون، قال غدة كغدة الإبل: المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف، والمبطون: وهو الذي أصابه مرض البطن، وأمراض البطن متعددة. . ولكن كلها يتضمنها هذا التعبير البليغ الذي جاءت بصيغة اسم المفعول: "المبطون "أي الذي وقع عليه المرض فأصبح فريسة له، والإيقاع الصوتي والتشابه في الصياغة اللغوية بين: المطعون والمبطون، وكذلك التجانس بينهما في كثير من الحروف يقرب ما بينهما في الخطر والعذر المحيط بالمريض. . وهو ما يجعلهما في عداد الشهداء إذا صبرا واحتسبا أجرها عند الله عز وجل، وكذلك "الغريق "الذي جرفه الموج وغيبه في ظلمات البحار، وصاحب الهدم. .. أي من مات تحت الأنقاض وهو آمن في بيته أو كان يعمل في البناء. . وغير ذلك، ثم الشهيد في سبيل الله: وهو المقاتل إيمانا واحتسابا. . وخصه بلفظ الشهيد للتأكيد علي ثبات هذه الصفة في كل مجاهد صابر محتسب خاض القتال. . وقاتل وقتل في سبيل الله. ووعد رسول الله الشهداء المصابين بعيدا عن ميدان القتال بأنهم شهداء أعظم مواساة لهم علي ما أصابهم في حياتهم من كوارث وأمراض أو نهايات مفجعة وهم مؤمنون قلوبهم تنبض بالتصديق، ولسانهم يقر بالتوحيد وجوارحهم تقوم بالعمل الصالح النافع المفيد.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامسًا: من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم الخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين.

أولاً - من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، ومن أولى مهام الداعية البيان والإيضاح حتى تقوم على المدعوين الحجة، وفي الحديث بيّن النبي ﷺ ووضح للمدعوين أصناف الشهداء وأنواعهم حتى يكون المدعو على دراية ومعرفة بأحكام الشريعة وأحكام الشهداء، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالبلاغ والبيان فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

قال ابن كثير: "وأنزلنا إليك القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم لعلمك بما أنزل عليك وحرصك عليه، واتباعك له لعلمنا بأنك أفضل الخلائق، وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل لعلهم ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين"[4].

قال د. عبدالكريم زيدان: "القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله ولذا فيجب أن يكون القول واضحًا بينًا لا غموض فيه ولا إبهام مفهومًا عند السامع لأن الغرض من

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٥٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٥٦، ١٣٥٧).

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٧٤/٤.

الكلام إيصال المعاني المطلوبة إلى من يكلمه الداعي فيجب أن يكون الكلام واضحًا غاية الوضوح، وقد جعل الله تعالى وظيفة الرسل الكرام عليهم السلام التبليغ المبين الواضح لتقوم الحجة على المخاطبين"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أصناف الشهداء:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله)، وفي الحديث أيضًا: (من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد والغريق شهيد)، وهذا بيان لأصناف الشهداء.

وقال القرطبي: "وقوله: (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله) قال مالك من حديث جابر بن عتيك: أن رسول الله ﷺ قال: ((الشُّهَدَاءُ سَبْعَةٌ، والْقَتِيلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[2]، وذكر نحو ما تقدم، وزاد: (وصاحب ذات الجَنْب، والحريق، والمرأة تموت بجُمْعٍ) ولا يظن: أن بين قوله: (الشهداء خمسة) و(الشهداء سبعة) تناقضًا؛ لأنهما حديثان مختلفان، أخبر بهما في وقتين مختلفين. ففي وقت أوحي إليه أنهم خمسة، وفي وقت آخر أوحي إليه أنهم أكثر. والله تعالى أعلم.

فأما (المطعون) فهو الذي يموت بالطاعون، وهو: الوباء. وقد فسره في الحديث الآخر، إذ قال فيه: (الطاعون شهادة لكل مسلم) ولم يُرِدِ المطعونَ بالسِّنان، لأنه هو المقتول في سبيل الله، المذكور من جملة الخمسة.

و(المبطون): هو الذي يموت من علّة البطن، كالاستسقاء، والحَقْن -وهو: انتفاخ الجوف- والإسهال.

و(الغرق) يروى بغير ياء، كحَذِرٍ. ويروى بالياء - وهو للمبالغة - كعليم.

و(صاحب الهدم): هو الذي يموت تحت الهدم. و(الحريق): هو الذي يموت بحرق النار.

---

(١) أصول الدعوة ص ٤٧١.

(٢) أخرجه أبو داود ٣١١١، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٦٦٨).

وهؤلاء الثلاثة إنما حصلت لهم مرتبة الشهادة لأجل تلك الأسباب؛ لأنهم لم يغرِّروا بنفوسهم، ولا فرّطوا في التّحرُّز، ولكن أصابتهم تلك الأسباب بقضاء الله وقدره. فأما من غرّر، أو فرَط في التحرُّز حتى أصابه شيء من ذلك، فمات، فهو عاصٍ، وأمره إلى الله؛ إن شاء عذب، وإن شاء عفا.

وأمَّا صاحبُ ذات الجَنْب: فهي قرحةٌ في الجَنْب، وورم شديد، وتسمى: الشّوصة.

وأما المرأة تموت بجُمْع: ويقال: بضم الجيم وكسرها - فهي المرأة تموت حاملاً، وقد جمعت ولدها في بطنها. وقيل: هي التي تموت في نفاسه وبسببه. وقيل: هي التي تموت بكرًا لم تفتضّ. وقيل: بكرًا لم تظهر لأحد. والأول أولى وأظهر. والله أعلم.

وقوله: (ومن مات في سبيل الله فهو شهيد) يعني: أنه يموت شهيدًا وإن لم يباشر الحرب، ولم يشاهده"[1].

قال النووي: "والمطعون هو من مات بالطاعون والمبطون هو صاحب داء البطن وهو الإسهال، قال القاضي: وقيل: هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن وقيل: الذي يموت بداء بطنه مطلقًا، وأما الغرق فهو الذي يموت غريقًا في الماء وصاحب الهدم من يموت تحته والحريق الذي يموت بحريق النار"[2].

وقال ابن حجر: "ويتحصل مما ذكر في الأحاديث أن الشهداء قسمان: شهيد الدنيا، وشهيد الآخرة، وهو من يقتل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر مخلصًا، وشهيد الآخرة وهو من ذكر، بمعنى أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء ولا تجري عليهم أحكامهم في الدنيا"[3].

وقال ابن علان: "وهؤلاء المذكرون شهداء في الآخرة، أي: في الثواب المعد للشهيد ويغسلون ويصلى عليهم كغيرهم من أموات المسلمين بخلاف القتيل في حرب الكفار

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣/٧٥٦ - ٧٥٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٥٢.

سواء كان بسلاح الكفار أو بسلاح نفسه أو سقط عن فرسه أو نحوه فلا يغسل ولا يصلى عليه ثم إن قصد بجهاده وجه الله تعالى ونصر دينه كان من شهداء الآخرة أيضًا، وإلا فهو شهيد الدنيا ولا ثواب له في الآخرة"[١].

وقال الطيبي: "ومن مات بالطاعون أو بوجع في البطن ملحق بمن قتل في سبيل الله لمشاركته إياه في بعض ما ينال من الكرامة بسبب ما كابد من الشدة لا في جملة الأحكام والفضائل"[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين:

حيث جاء في الحديث: (الشهداء خمسة)، وقوله: (إن شهداء أمتي إذًا لقليل)، ولا شك أن هذا من فضل الله ورحمته بعباده حيث ألحق المطعون والمبطون والغريق والحريق والهدم بمن قتل في سبيل الله في الثواب، قال النووي: "والمراد بشهادة هؤلاء كلهم غير المقتول في سبيل الله أنهم يكون لهم في الآخرة ثواب الشهداء وأما في الدنيا فيغسلون ويصلى عليهم والشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة وهو المقتول في حرب الكفار، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا وهم هؤلاء المذكورون هنا وشهيد في الدنيا دون الآخرة وهو من غل في الغنيمة أو قتل مدبرًا"[٣]، والشهيد سمي شهيدًا لفضل كبير يلحق به ويناله.

هذا وقد ساق الإمام البدر العيني روايات كثيرة تبين أصناف الشهداء ومن يلحق بهم، وهذا يدل على فضل الله ورحمته بعباده، ولهذا علق الإمام البدر العيني على هذه الروايات فقال: "وهذا كما رأيت ترتقي الشهداء إلى قريب من أربعين. فإن قلت: كيف التوفيق بين الأحاديث التي فيها العدد المختلف صريحًا، والأحاديث الأخر أيضًا. قلت: أما ذكر العدد المختلف فليس على معنى التحديد، بل كل واحد من ذلك بحسب الحال وبحسب السؤال وبحسب ما تجدد العلم في ذلك من النبي ﷺ، على أن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٤٣٥.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٨٢/٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٢٢٤.

التنصيص على العدد المعين لا ينافي الزيادة، ومع هذا: الشهيد الحقيقي هو قتيل المعركة وبه أثر. أو قتله أهل الحرب أو أهل البغي أو قطاع الطريق، سواء كان القتل مباشرة أو تسببًا أو قتله المسلمون ظلمًا ولم يجب بقتله دية، فالحكم فيه أن يكفن ويصلى عليه، ولا يغسل ويدفن بدمه وثيابه إلاَّ ما ليس من جنس الكفن: كالفرو والحشو والسلاح المعلق عليه، ويزاد وينقص، هذا كله عند أصحابنا الحنفية. وعند الشافعي: من مات في قتال أهل الحرب فهو شهيد، سواء كان به أثر أو لا، ومن قتل ظلمًا في غير قتال الكفار أو خرج في قتالهم ومات بعد انفصال القتال، وكان بحيث يقطع بموته ففيه قولان: في قول: لم يكن شهيدًا، وبه قال مالك وأحمد، وفي (المغنى): إذا مات في المعترك فإنه لا يغسل، رواية واحدة، وهو قول أكثر أهل العلم، ولا نعلم فيه خلافًا إلا عن الحسن وابن المسيب فإنهما قالا: يغسل الشهيد ولا يعمل به، وأما ما عدا ما ذكرناهم الآن فهم شهداء حكمًا لا حقيقة، وهذا فضل من الله تعالى لهذه الأمة بأن جعل ما جرى عليهم تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجرهم بلغهم بها درجات الشهداء الحقيقية ومراتبهم، فلهذا يغسلون ويعمل بهم ما يعمل بسائر أموات المسلمين. وفي(التوضيح): الشهداء ثلاثة أقسام: شهيد في الدنيا والآخرة، وهو المقتول في حرب الكفار بسبب من الأسباب، وشهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا، وهم من ذكروا آنفًا. وشهيد في الدنيا دون الآخرة، وهو من غل في الغنيمة ومن قتل مدبرًا أو ما في معناه"[1].

قال ابن حجر: "واختلف في تسمية الشهيد شهيدًا فقال النضر بن شميل: لأنه حي فكأن أرواحهم شاهدة أي حاضرة، وقال ابن الأنباري: لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل: لأنه يشهد عند خروج روحه ما أعد له من الكرامة، وقيل: لأنه يشهد له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه شاهدًا بكونه شهيد، وقيل: لأنه لا يشهده عند موته إلا ملائكة الرحمة، وقيل: لأنه الذي يشهد يوم القيامة بإبلاغ الرسل، وقيل: لأن الملائكة تشهد له بحسن الخاتمة، وقيل: لأن الأنبياء عليهم السلام تشهد له بحسن الاتباع،

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٤/١٢٧ - ١٢٨.

وقيل: لأن الله سبحانه وتعالى يشهد بحسن نيته وإخلاصه، وقيل: لأنه يشاهد الملائكة عند احتضاره، وقيل: لأنه يشاهد الملكوت من دار الدنيا ودار الآخرة، وقيل: لأنه مشهود له بالأمان من النار، وقيل: لأن عليه علامة شاهدة بأنه قد نجا، وبعض هذه يختص بمن قتل في سبيل الله وبعضها يعم غيره، وبعضها قد ينازع فيه.

قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة تفضل الله على أمة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصًا لذنوبهم وزيادة في أجورهم يبلغهم بها مراتب الشهداء، قلت: والذي يظهر أن المذكورين ليسوا في المرتبة سواء"[1].

وقال القاضي عياض: "وإنما كانت هذه الموتات شهادة بتفضيل الله على أربابها لشدتها وعظيم الألم فيها، فجازاهم الله على ذلك، بأن جعل لهم أجر الشهداء، أو يحتمل أنهم سموا بذلك لمشاهدتهم فيما قاسوا من الألم عند الموت وشدته، ما أعد لهم كما أعد للشهداء، أو سموا بذلك على أحد التأويلات. وقد ألحق النبي ﷺ بذلك من مات في سبيل الله بغير القتل كما تقدم"[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد)، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة حيث تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجع المدعو على الاستفسار عما يجهل والداعية الحصيف هو الذي يجعل من أسلوب السؤال والجواب سبيلاً موصلاً لعرض دعوته وبيان ما يريد.

قال الطيبي: "قال التوربشتي: (ما) استفهامية ويسأل بكلمة (ما) عن جنس ذات الشيء ونوعه، وقد يسأل بها عن الاشخاص الناطقين، ولما كانت حقيقة الاستفهام هنا السؤال عن الحالة التي ينال بها المؤمن رتبة الشهادة استفهم عنها بكلمة (ما) لتكون أدل على وصفها وعلى المعنى المراد منها، ثم إنها مع ذلك تُسدّ مسد (من) ولهذا أجابوا عنها بقولهم: (من قتل في سبيل الله)، أقول - أي الطيبي -: (ما) هنا للسؤال عن وصف

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٦/٥١ - ٥٢.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٣٤٤.

من له كرامة وقرب عند الله ولما لم يطابق جوابهم سؤاله ﷺ رد عليهم بقوله: (إن شهداء أمتي إذن لقليل)، وكان يكفي أن يقولوا: من قتل في سبيل الله"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٢]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣].

خامسًا - من واجبات الداعية: تصحيح المفاهيم لخاطئة المستقرة في أذهان المدعوين:

حيث جاء في الحديث: (ما تعدون الشهداء فيكم؟ ...) ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات الداعي تصحيح المفاهيم لدى المدعوين، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها، وفي هذا الحديث بيّن لهم النبي ﷺ أن مفهوم الشهيد لا يقتصر على القتل في سبيل الله، وإنما يمتد ليشمل الأصناف المذكورين فالداعية الناجح هو الذي يبصر أحوال المجتمع وما فيه من مفاهيم خاطئة يصوبها ويصححها في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

ولقد كان تصحيح المفاهيم من هدي النبي ﷺ حيث كان يحرص على تغيير المعتقدات الخاطئة، وبيان التصور الإسلامي الصحيح لها ويتضح هذا مما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليس المسكينُ الذي تَرُدُّهُ الأكلةُ والأكلتانِ، ولكنِ المسكينُ الذي ليس له غِنىً ويَسْتَحيي أو لا يَسألُ الناسَ إلحافًا))[٤].

ومن صور تصحيح المفاهيم أيضًا ما جاء عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟)) قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ: ((لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ. وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا)) قَالَ: ((فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٧/٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٦.

فِيكُمْ؟)) قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لاَ يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: ((لَيْسَ بِذٰلِكَ. وَلٰكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[1].

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة، وينبغي على الدعاة الهداة الاهتداء بهدي النبي ﷺ والاقتداء به في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٨ واللفظ له.

الحديث رقم (١٣٥٦)

١٣٥٦- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ[1] فِيكُمْ؟)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: ((إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ!)) قالوا: فَمَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا الحوار بين رسول الله والصحابة الأخيار. . ومنبع الجمال يكمن في أن الحديث يحمل بشريات الشهادة: لكل من أصيب في بدنه أو وقع فريسة لوباء أو دهمه السيل أو جرفه الطوفان، أو تواري تحت الأنقاض، أو غيبته ظلمات البحار، أو تفجرت به طائرة في أجواء الفضاء، أو علي ظهر الأرض، فالمصطفي يواسي كل هؤلاء ويبشرهم بأجر الشهداء ولذلك يبدأ بالسؤال المثير للدهشة وطلب المعرفة: ما تعدون الشهداء فيكم؟، ويتصاعد الحوار الجميل حين يحدد الصحابة نوعية الشهيد، وقد صدروا إجابتهم بالنداء الذين يقرون فيه بالرسالة: يا رسول الله "وكأن هذا النداء إيذان بمعرفة الموقف الصحيح. . وكلامهم مؤطر بحدود معرفتهم. . ولدى رسول الله المعرفة الأوفى. . لأنه علمه شديد القوي، وإجابتهم لم تكن شافية كافية، حيث حددوا الشهيد وحصروه بأنه من قتل في سبيل الله فهو شهيد.

ومن جمال أدب النبوة وبلاغة الرسول أنه لم يخطِّئهم، وإنما حفَّزهم لمواصلة الحوار

---

(١) لفظ مسلم: (الشهيد) بالإفراد، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٥/١٩١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٧٣).

والتساؤل حيث قال مصدرا كلامه بالتأكيد: إن شهداء أمتي إذا لقليل، وتساءل الصحابة في فرح ودهشة وشعور بالبشريات التي سيتوهج بها كلام سيد المرسلين: وقالوا: فمن يا رسول الله؟،وتكرار النداء: يا رسول الله للإيحاء بأنهم يتشوقون إلي معرفة الرأي الصادق الصحيح، ومن غير رسول الله يتفوه بالصدق. . والحق واليقين؟ وحدد رسول الله آفاق الشهادة تحديدا لا يمنع غيرها من صور الاستشهاد، وجاءت الصياغة في الأنواع الأربع الأولي في قالب الشرط والجزاء للتدليل علي الثواب الذي يعده الله للشهداء، وتكرار الجواب بالصيغة نفسها أربع مرات، فهو شهيد لتأكيد ثواب الشهادة، وحصول الجزاء، وتكرر فعل الشرط مع أداة الشرط "من مات "ثلاث مرات: للإيحاء بأن الموت وإن تعددت صوره، . واختلفت مسبباته ومواقعه فإن دائرة الشهادة تجمع الجميع، وإن ثواب الشهيد المعد للكل لن يضيع، ولنتأمل قوله: من قتل في سبيل فهو شهيد "ولم يقل من مات "لأن قوله من قتل "بيان لتوضيح ظروف الاستشهاد وأسبابه. . ومنها لقاء العدو، والقتال في ساحة المعركة، وهذا ملحظ دقيق لأن من مات في سبيل الله بعيدا عن ميدان القتال: هو شهيد ولكنه لم يقتل وهو يصارع الأعداء وغنمها بسبب غير القتال: كأن يسقط عن فرسه أو مات حتف أنفه أو هو يقوم بإنجاز عمل فيه خدمة للإسلام، والتعبير "بفي "يدل علي الظرفية وتمكن المرض من الإنسان: وقيل في: سببية وهي للتعليل، والجملة الأخيرة خالية من الشرط، والغريق شهيد: لأن الغريق يلقي حتفه في الحال، والأمر لا يحتاج إلي أسلوب شرط فالغريق ليست لديه فرصة للاختيار أو الفرار حين يداهمه التيار وتحدق به الأخطار.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم المدافعة عن النفس: اتفق الفقهاء على جواز المدافعة عن النفس ولو بالقتل إذا كان طريقًا للدفع، ولا ضمان عليه بقصاص ولا دية ولا كفارة ولا قيمة، ولا إثم

عليه لأنه مأمور بدفعه، وفي الأمر بالقتال والضمان منافاة[١].

٢-حكم قتل القاصد لأخذ المال بغير حق: اتفق الفقهاء على جواز قتل القاصد لأخذ المال بغير حق سواء أكان المال قليلاً أم كثيرًا إذا كان القتل طريقًا متعينًا لدفعه[٢].

٣-حكم المدافعة عن الحريم: لا خلاف بين الفقهاء في أن المدافعة عن الحريم واجبة[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) غمز عيون البصائر للحموي ٢٧٦/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٣٤٧/٢، القواعد لابن رجب ٣٧، القاعدة السابعة والعشرون، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥، ٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥.

(٢) غمز عيون البصائر ٢٦٧/١، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، برهان الدين بن فرحون المالكي ٢٣٧/٢، شرح مختصر خليل للخرشي ١١٢/٨، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٦/٥-٥٢٧، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٦٧/٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٥٤/٦-١٥٥، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٦٥/٢.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٥٧)

١٣٥٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قبس من توهجات الحديث السابق. . فهذا النوع من الشهادة لم يرد في الحديثين السابقين ولكنه يعد شرياناً جارياً في دائرة الشهادة. . فالدفاع عن النفس والعرض والدين والمال والوطن يعد استشهادا في سبيل الله، والحديث جملة واحدة صيغت في قالب الشرط والجواب وفعل الشرط "قتل "مبنى للمجهول. . إشارة إلى أن أسباب القتل وبواعثه أثرها منكور وفعلها أمر محظور والإقدام عليه شر مستطير، ودائماً القاتل يتخفى وإن ظهرت ملامحه وذاع أمره وفشا خبره وقوله"دون ماله "يصور حرص صاحب المال على حمايته: لأن دون في دلالتها اللغوية ونوعيتها ظرف مكان بمعنى تحت، وتستعمل للتنبيه مجازا، ودقة الأسلوب المصور للحركة والحرص على المال تتمثل في أن الذي يقاتل عن ماله غالباً إنما يجعله خلفه أو تحته ثم يقاتل عليه: وهو حريص على أن يمنع سارق المال أو مغتصبه من الوصول إليه بشتى وسائل المقاومة وفى بعض الروايات: من قتل دون ماله مظلوماً فله الجنة "والشهيد صيغة لغوية تدل على المبالغة والحضور والشهيد لا يقضى حتى يبذل كل ما في وسعة في سبيل إعلاء كلمة الحق والعلاقة قوية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي فالشهيد في الإسلام هو الذي يقضى في سبيل الله. ويدافع عن حقه وممتلكاته بدافع من إيمانه وإقراره بشهادة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١/٢٢٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٣) وعزاه إلى البخاري والترمذي.

التوحيد، والقرآن عندما يسمى ذلك شهيداً وكذلك رسول الله في ضوء التعاليم القرآنية فكأنه يقول: انظروا إلى رجل لم تغب عن قلبه شهادة أن لا إله إلا الله، عاش عمره في ظلالها يدافع عنها ويعلن عن وجودها (١). وحينما يدافع عن دينه وعرضه وماله ونفسه ويقتل يموت والشهادة في قلبه عالية، وهو يموت لتظل كلمة الله هي العليا.. وكلمة الذين كفروا هي السفلى، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٥٥).

الحديث رقم (١٣٥٨)

١٣٥٨- وعن أَبي الأعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجنَّةِ رضي الله عنهم، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**[1]**، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**)) رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: وهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى العدوي، ولد بمكة صحابي مشهور، من فضلاء الصحابة، وعَلَم من أعلامهم، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره على أخته فاطمة بنت الخطاب، له في كتب الحديث ثمانية وأربعون حديثًا.

وكان إسلامهُ مبكرًا فأسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان من المهاجرين الأولين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بدءً من أحد، ولم يشهد بدرًا لأنه كان بالشام بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيدالله يتحسّبان له أمر غير قريش قبل أن يخرج من المدينة فلم يحضر بدرًا، وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما.

كما كان حريصًا على ملازمة رسول الله ﷺ فكان دائمًا ممن يكونون أمام رسول الله ﷺ في الجهاد، وخلفه في الصلاة، وكان رضي الله عنه له كثير من المناقب منها: أنه كان ممن نزل فيه قول الله تبارك وتعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾[3] وكان مجاب الدعوة ومن بين الوقائع الدالة على ذلك أنه دعا على امرأة تسمى أروى بنت أويس ظلمته في أرض له فقال: اللهم إن كانت أروى

---

(١) لفظ الترمذي: بتقديم الدين على الدين. تبع المؤلف فيه المنذريَّ في ترغيبه، وهذا لفظه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٧٢)، والترمذي (١٤٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٢).

(٣) سورة الزمر، آية: ١٧.

ظلمتني فأعم بصرها، واجعل قبرها في بئرها، واستجاب الله دعائه فعميت، وذات يوم خرجت في بعض حاجتها فوقعت في بئر أرضها فماتت وكان ذلك بعد أن أظهر الله براءته.

طلب من النبي أن يستغفر لأبيه قائلاً: ((يا رسول الله إن أبي زيد بن عمرو بن نفيل كان كما رأيت وكما بلغك، ولو أدركك آمن بك فاستغفر له، قال: نعم فاستغفر له وقال أنه يجيء يوم القيامة أمة وحده))[1].

وكان أيضًا مما سطره له التاريخ ماروى عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائمًا مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيري، وكان يحيى الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مهلاً لا تقتلها، أنا أكفيك مؤنتها، فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها[2].

كما كان رضي الله عنه من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، وولاه أبو عبيدة عليها.

توفي رضي الله عنه بالعقيق وحمل على رقاب الرجال فدفن بالمدينة، وقيل مات بالكوفة وصلى عليه المغيرة بن شعبة، مات سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين.

عاش بضعًا وسبعين سنة، وذكر البعض عمره على وجه التحديد فقال ثلاثًا وسبعين سنة وقيل أربعًا وسبعين[3].

---

(١) المستدرك (٣/٤٣٩، ٤٤٠)، سيرة ابن هشام (٢/٢٤٤)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٨٠، ٣٨١).

(٢) المستدرك (٣/٤٤٠)، السيرة لابن هشام (١/٢٤٤)، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٨٠، ٣٨١).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (٣/٣٧٩-٣٨٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٢٦٩-٢٧١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢/٤٧٦-٤٧٨)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٠٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (١/١٢٤-١٤٣)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/١٦١-١٦٣)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٢/٢٠)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٩٤)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (١/٣٧٥-٤٧٩)، (٢/٩٠٥).

غريب الألفاظ:

من قتل دون ماله: أي من قاتل الصائل [أي المعتدى] على ماله حيوانًا كان أو غيره فقتل في المدافعة[١].

من قتل دون دمه: بأن صال عليه صائل فقاتله فقتل[٢].

من قتل دون دينه: من قتل في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين[٣].

دون أهله: في الدفع عن بُضْع حليلته أو قريبته[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف ندرك أنه يتصل اتصالاً وثيقاً بآفاق الصياغة والمضامين في الأحاديث السابقة في "باب بيان جماعة الشهداء "والراوي الأعلى لهذا الحديث. . نموذج للمجاهد الفارس المحتسب فقد شهد مع رسول الله المشاهد كلها - بدر - وشهد اليرموك - وحصار دمشق - وكان مجاب الدعوة والحديث يضيف إلى قافلة الشهداء نماذج جديدة والمكونات اللغوية للحديث تتضمن أربع جمل وكلها تتفق في الرؤية والشكل، حيث تتكون كلها من جمل شرطية وفعل الشرط والأداة فيها كلها متحدة في الصياغة والمعنى: حيث يتكرر قوله: من قتل أربع مرات ولم يقل من مات: للدلالة على الدفاع وخوض القتال في سبيل حماية الدين - والدم - والمال - والعرض - وجواب الشرط متحد في الجمل الأربع كلها وهو الحكم بالفوز بالشهادة لكل هؤلاء النماذج المدافعة عن كرامتها ووجودها "فهو شهيد

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١، ومعجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعة جي ٢٤٠.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٣٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٠٧١.

(٤) المرجع السابق ٢٠٧١.

"وقوله: دون "كما في الحديث السابق يصور حركة كل من هؤلاء في حماية ما يدافع عنه حتى يجود بنفسه مرفوع الهامة موفور الكرامة وهو يفوه بكلمة التوحيد (أشهد لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله) وقوله: دون دمه "كناية عن الدفاع عن نفسه حين يصول علية صائل فيقاتله فيقتل فيموت كريماً عزيزاً ولا يعيش مهاناً ذليلاً وقوله: دون دينه كناية عن حركة المدافع عن دينه حين يطلب منه في عصر الفتنة والقهر - الارتداد والنطق بالكفر أو السير في ركاب الملحدين فيأبى فيقتل "ودون أهلة "كناية عن حماية الرجل لزوجه وأهل بيته جميعاً حين يغير عليهم لص أو معتد على الأعراض أو خاطف للأطفال أو غير ذلك من أنواع الاعتداءات والبلاءات واتفاق جمل الحديث في الصياغة والدلالات يوحى بأن الأجر يتماثل في كل الحالات وبأن صفة الشهيد هي منحة إلهية وعطاء رباني: والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أهداف الدعوة: الحفاظ على الضرورات الخمس:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث بيّن الحديث أن كل من يدافع عن هذه الضرورات الخمس وتشمل: (الدين والنفس والعرض والمال والعقل)، فهو شهيد ولا شك أن الحفاظ على هذه الأشياء هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية.

"إن الدعوة الإسلامية تهدف إلى خمسة مقاصد هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسب، وحفظ المال وكل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواهٍ وزواجر وعقوبات.. كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد الخمسة، وإن هذه الأمور الخمسة هي الضرورات التي تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة وبالمحافظة

عليها تتحقق السعادة وينتشر السلام"[١].

قال الشاطبي: "ومجموع الضرورات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين"[٢].

وإذا كانت هذه الضروريات الخمس قد أمر الشارع بالمحافظة عليها وذلك لأن قيام مصالح الدين والدنيا عليها.

فقد قال الشاطبي أيضًا: "والحفاظ عليها يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم.

فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود، كالإيمان والنطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك.

والعادات راجعة إلى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود - أيضًا - كتناول المأكولات، والمشروبات، والملبوسات، والمسكونات، وما أشبه ذلك.

والمعاملات راجعة إلى حفظ النسل والمال من جانب الوجود، وإلى حفظ النفس والعقل -أيضًا- لكن بواسطة العادات.

والجنايات ترجع إلى حفظ الجميع من جانب العدم.

وأما المعاملات: فما كان راجعًا إلى مصلحة الإنسان مع غيره كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض، بالعقد على الرقاب أو المنافع أو الأبضاع.

والجنايات ما كان عائدًا على ما تقدم بالإبطال، فشرع فيها ما يدرأ ذلك الإبطال ويتلافى تلك المصالح كالقصاص والديات للنفس، والحد للعقل والنسل، والقطع

---

(١) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ على صالح الراشد ص ٦٠.

(٢) الموافقات ٢/٨ - ١٠.

والتضمين للمال"[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "الضروريات أقوى مراتب المصلحة فقد قسم الغزالي المصلحة باعتبار قوتها في ذاتها إلى ثلاثة أقسام:

أ/ رتبة الضروريات.

ب/ رتبة الحاجيات.

ج/ رتب التحسينيات.

ثم قال: والمقصود بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة - وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم.

هذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضروريات فهي أقوى المراتب في المصالح.

ويلي الضروريات في الرتبة الحاجيات ثم التحسينات.

والمقاصد الضرورية في الشريعة أصل للحاجية. والتحسينية، فلو فرض اختلال الضروري بإطلاق لاختل الحاجي والتحسيني بإطلاق، ولا يلزم من اختلال الحاجي والتحسيني اختلال الضروري بإطلاق - ومع ذلك فقد يلزم من اختلال الحاجي بإطلاق اختلال الضروري بوجه من الوجوه - فالحاجي يخدم الضروري، والضروري هو المطلوب لأنه الأصل.

وبيان ذلك أن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة المعروفة، فإذا اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوي مبنيًا عليها حتى إذا انخرمت لم يبق للدنيا وجود، (أي ما هو خاص بالمكلفين والتكليف).

وكذلك الأمور الأخروية لا قيام لها إلا بذلك، فلو عُدِم الدين عُدِم ترتب الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف لعدم من يتدين، ولو عدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء، ولو عدم المال لم يبق عيش، فلو ارتفع ذلك لم يكن بقاء، وهذا كله معلوم لا يرتاب فيه من عرف ترتيب أحوال الدنيا وأنها زاد للآخرة"[٢].

---

(١) المرجع السابق نفسه، والجزء والصفحة نفسها.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها ٢٨/٢٠٩ - ٢١١.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرمة الاعتداء على المال والنفس والدين والعرض:

يتضح هذا من الحديث: (ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)، ومما لا شك فيه أن الإسلام حرم الاعتداء على هذه الأمور، ومن أجل ذلك شرع العقوبات.

"إن العقوبات الشرعية هي جملة ما وضع من حدود وتعازير لمعالجة مشاكل الانحراف والاعتداء والجناية، والحدود هي جملة العقوبات التي نص عليها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ والعقوبات الشرعية في الإسلام ليست تشريعًا أصيلاً وابتدائيًا، إنما هي لاستبقاء سلامة الأمة ومعافاتها وأمنها في النفوس والعقول والأعراض والأموال وتمكين دينها وعقيدتها وتقرير فضائلها وأخلاقها وقيمها"[1].

قال شرف الحق العظيم آبادي: "من أريد أخذ ماله فقاتل في الدفع عنه فهو شهيد، أي: من شهداء الآخرة بمعنى أن له أجر شهيد، وقوله: (من قتل دون ماله)، أي: من قاتل الصائل على ماله حيوان كان أو غيره فقتل في المدافعة عنه فهو شهيد، ومن قتل في الدفع عن بُضع حليلته أو قريبته أو دون ماله أي في نصرة دين الله تعالى والذب عنه وفي قتال المرتدين عن الدين"[2].

فالإسلام يضع العقوبات الرادعة لصيانة النفس الإنسانية واعتبرت من يدافع عن نفسه شهيدًا عند الله تعالى، "إن الإسلام يحترم الحياة الإنسانية ويحترم حق الإنسان على الإطلاق في الحياة، وأنه قد وضع عقوبة القصاص لحماية هذه الحياة بقطع النظر عن جنس القتيل وسنه ومنزلته ودينه وتقرير الشريعة الإسلامية بجانب عقوبة القصاص في القتل العمد عقوبات دنيوية أخرى منها حرمان القاتل من ميراث القتيل ومن وصيته إن كان مستحقًا لأحدهما ولا يكتفي الإسلام بهذه العقوبات الدنيوية جميعها بل يتوعد كذلك القاتل بغضب من الله ولعنته وأشد عذاب مقيم في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) المقاصد الشرعية، د. نور الدين بن مختار الخادمي ص ٥٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ٢٠٧١.

يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1]، ولم يتوعد القرآن في آية جريمة بمثل ما توعد به جريمة القتل في هذه الآية، فقد جعل عذابها في الآخرة مساويًا لعذاب الشرك بالله"[2].

قال: السيد سابق: "إن الله سبحانه كرم الإنسان، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعًا منه، وجعله خليفة عنه، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي، وارتقاء روحي.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه ويبلغ غايته، إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة.

وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام حق الحياة، وحق التملك، وحق صيانة العرض.

وهذه الحقوق واجبة للإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن لونه أو دينه، أو جنسه، أو وطنه"[3].

وفي تكريم الإنسان وضمانه حقوقه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[4].

وجاء عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبٌ، شَهْرُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ))، ثُمَّ قَالَ: (أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د. علي عبدالواحد وافي، دون ذكر لرقم وتاريخ الطبعة، دار الشعب، القاهرة، ص ٩ - ١٠.

(٣) إسلامنا ص ٢٦٧.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((فَأَيُّ بَلَدٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ. قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ، سَيُسَمِّيْهِ بِغَيْرِ إِسْمِهِ. قَالَ: ((أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَأَيُّ يَوْمٍ هذَا؟)) قُلْنَا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللّهِ.

قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ) وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذَا، فِي شَهْرِكُمْ هذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، فَلاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا أَوْ ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ))، ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟))[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل سعيد بن زيد بن عمرو رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة)، ولا شك أن هذا يدل على فضله ومنزلته، قال ابن عبدالبر: "وهو ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصهره يكنى أبا الأعور، وأمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية، وكان سعيد بن زيد من المهاجرين الأولين وكان إسلامه قديمًا قبل عمر وكان إسلام عمر بسبب زوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر وخبرهما في ذلك خبر حسن وهاجر هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب ولم يشهد بدرًا لأنه كان غائبًا بالشام قدم منها بعقبه غزوة بدر فضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره فقصته أشبه القصص بقصة طلحة ابن عبيد الله وهو أحد العشرة الذين يشهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة"[2].

وقال ابن حجر: "هو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وهاجر وشهد أحدًا والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدها، وكان سعيد رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وروي عنه أنه قال: (لقد رأيتني، وإن عمر لموثقي على الإسلام)، قال الواقدي: توفي بالعقيق فحمل إلى المدينة

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٥، ومسلم ١٦٧٩ واللفظ له.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٢٦٩.

وذلك سنة خمسين وقيل: إحدى وخمسين وعاش بضعًا وسبعين سنة وكان طوالاً آدم أشعر"[١].

ومن مناقبه رضي الله عنه أنه مستجاب الدعوة فعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، أن أروى خاصمته في بعض داره، فقال: دعوها وإياها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، طُوِّقَهُ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا. قَالَ: فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا[٢].

وعن هشام بن عروة عن أبيه. أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ))، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ[٣].

قال النووي: "وفي حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه منقبة له وقبول دعائه وجواز الدعاء على الظالم ومستدل أهل الفضل والله أعلم"[٤].

ومما يدل على زهده وتقواه رضي الله عنه ما جاء: "أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يقول له: أخبرني عن حال الناس وأخبرني عن حال خالد بن الوليد أي رجل هو؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأخبرني عن سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ٥٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٨)

(٣) أخرجه مسلم ١٦١٠ (١٣٩).

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٢٢.

كيف حالهما؟ فكتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه عن حال أصحابه وكان مما قال عن سعيد ومعاذ رضي الله عنهما: (كما عهدت إلا أن السواد زادهما في الدنيا زهدًا وفي الآخرة رغبة) وقد تولى سعيد ولاية دمشق ولما وجد أن ذلك شغله عن الجهاد كتب في ذلك إلى أبي عبيدة: (فإني ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي فإذا أتاك كتابك هذا فابعث إلى عملك وهو أرغب إليه مني"[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الترغيب في الشهادة لمن يقاتل عن دينه وماله عرضه وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير لأن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الثواب والأجر، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[4].

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة، الشيخ: محمد أحمد عيسى، ط١، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٩٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ١٤.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٥٥ - ٥٦.

الحديث رقم (١٣٥٩)

١٣٥٩- وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ، أرَأيتَ إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أخْذَ مَالِي؟ قَالَ: ((فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: ((قَاتِلْهُ)) قَالَ: أرَأَيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: ((فَأنْتَ شَهِيدٌ)) قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: ((هُوَ فِي النَّارِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الذي ختم به "النووي "باب بيان جماعة من الشهداء وقد صيغ في قالب حواري مقنع ممتع بين أحد الصحابة وهو رجل: لم يحدد الراوي شخصيته؛ لأن المقصود هو معرفة الحكم في مثل هذه المواقف التي سأل عنها ذلك السائل وهي يمكن أن تتكرر في كل زمان وكل مكان في البيئة الإسلامية وغيرها من البيئات المتعددة.

ويبدأ الحوار بالنداء والاستفهام: يا رسول الله أرأيت: أي أخبرني: لأن رأى هنا خبرية - علمية وليست رأى - البصرية: ومضمون السؤال صيغ في قالب الشرط والجواب ولكن حذف جواب الشرط. . حيث دل علية مضمون الشرط وسياق الموقف: يقول - إن جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ والمحذوف تقديره: فماذا أفعل وأداة الشرط "إن "وهي للشك لأن مثل هذا التعرض مشين ولا يليق من الإنسان وأخيه الإنسان فهو من المنكرات والمحرمات وقوله: يريد أخذ مالي. . أبلغ من قوله "أخذ مالي "لأنه لا يليق بالمسلم أن يترك ماله نهباً للضياع والسرقة والأخذ بدون مقاومة: فقوله "يريد "يعطى فرصة للدفاع والمقاومة والتصدي لحماية المال ولذلك قال رسول الله: فلا تعطه مالك "وهنا بلاغة

---

(١) برقم (١٤٠/٢٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٠٩٥).

الحذف والتقدير إن جاء يريد أخذ مالك فلا تعطه "والأخذ "يوحى باستيلائه على المال بالقوة وهو غير الطلب أو القرض أو الهبة. ويتكرر السؤال مع تصاعد الحوار إلى أفق آخر وهو مرحلة -القتال- مع حذف الجواب لأنه معلوم ولابد منه: والتقدير: إن قاتلني فماذا أفعل: ويجيء جواب رسول الله في صيغة الأمر الحاسم الجازم "قاتله "ويبلغ الحوار ذروته حين يسأل الرجل: أرأيت إن قتلني: والجواب محذوف والتقدير فما مصيري. . فقال له رسول الله تكملة للجواب: فأنت شهيد، وعبر أسلوبي المقابلة والتضاد في المواقف يأتي السؤال الأخير في هذه المحاورة العميقة الدالة الدقيقة المتزنة: فيقول الرجل مستحضراً الواقع الذي يمكن أن يحدث لكليهما: أرأيت إن قتلته وتأتى إجابة المصطفى ﷺ مبشرة لهذا المؤمن العزيز القوى ومنذرة كل من يعتدي على حقوق المسلم وممتلكاته وحياته: قال: هو في النار وما أبشع هذا المصير الذي حدده البشير النذير محمد ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم:

إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا شديدي الحرص على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وسؤاله عما أشكل عليهم من أمور، ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي) وهذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما أشكل عليهم وبهذا أمرهم الله تعالى فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، وتعلموا من القرآن أن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يردوا جميع أمورهم إلى الله والرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

ولتشجيع الصحابة رضي الله عنهم على السؤال كان الله سبحانه وتعالى يتولى الإجابة عن تساؤلاتهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾[2]، وقوله: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

وقد استنكر النبي ﷺ على من لم يسأل فيما أشكل عليه حيث قال لما بلغه أمر المجروح الذي اغتسل بالماء فمات فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَّ سَأَلُوا إذْ لَمْ يَعْلَمُوا فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[4].

ومما يدل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ ما جاء أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ)) قالتْ عائشةُ رضي الله عنها فقلتُ: أوَليسَ يَقولُ اللهُ تعالى: ﴿فسَوْفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسيرًا﴾[5] قالت: فقال: ((إنَّما ذلك العَرضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ))[6].

ومما يدل على ذلك أيضًا حديث المقداد بن عمرو الكندي وكان شهد بدرًا مع النبي ﷺ أنه قال: يارسولَ الله إنْ لقيتُ كافرًا فاقتَتَلْنا فضرَب يدي بالسيف فقطَعَها ثم لاذَ بشجرةٍ وقال: أسلمتُ لله، آقتلهُ بعدَ أن قالها؟ قال رسولُ الله ﷺ: لا تقتُله. قال: يارسولَ الله فإنه طرَحَ إحدَى يديَّ ثم قال ذلك بعدَ ما قطعها آقتلهُ؟ قال: ((لا تقتله فإن

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٥) سورة الانشقاق، آية: ٨.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٣.

قتلْتَه، فإنه بمنزلتكَ قبلَ أن تقتله، وأنتَ بمنزلتهِ قبلَ أن يقولَ كلمتَهُ التي قال))[١].

ومن خلال هذه النصوص يتبين حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما أشكل عليهم من أمور.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب والنهي:

١/ السؤال والجواب: حيث جاء في الحديث: (أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟) قال: فلا تعطه مالك، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة النافعة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وعلى الداعية أن يتميز بسعة الصدر ليشجع المدعو على السؤال ويستحثه عليه (ولقد كان ﷺ ينتهج الأسلوب الحواري الاستجوابي مع من يلتق بهم ويدعوهم ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم وسآمتهم ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[٢].

٢/ النهي: حيث جاء في الحديث: (فلا تعطه مالك)، وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المنهي عنه ضرورة اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

وفي الحديث نهى النبي ﷺ عن إعطاء المال لمن جاء يريد أخذه جاء في البلاغة الواضحة: "النهي طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وللنهي صيغة واحدة هي المضارع مع لا الناهية، وقد تخرج صيغة النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفاد من السياق وقرائن الأحوال كالدعاء والالتماس والتمني والإرشاد والتوبيخ والتيئيس والتهديد والتحقير"[٤].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حق الإنسان في الدفاع عن ماله:

إن الإسلام أعطى الإنسان حق ملكية المال، وأعطاه حق المحافظة على هذا المال

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٦٥.

(٢) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٩٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) البلاغة الواضحة، د. علي الجارم، أ. مصطفى أمين ص ٢٢٣.

وقتال من جاء ليأخذه ويتضح هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد)، قال الشيخ ابن عثيمين: "وقد دلّ الحديث على أن الإنسان يدافع عن ماله إذا جاء أحد يريد أخذ المال، فإنك تدافع فإن لم يندفع إلا بالقتل فاقتله، وإن اندفع بدون ذلك فلا تقتله، يعني: لو أمكن أن تكون أنت أقوى منه وتشد يديه ورجليه وتأسره فلا تقتله، لأنه لا حاجة لقتله، وإذا كان لا يمكن فقاتلك فقاتله، ولو قتلته وإن خفت أن يبادرك بالقتل فاقتله، ولا حاجة للمقاتلة، يعني: لو جاء إليك يسعى ويشتد ومعه سلاح قد شهره فاقتله، لأنك إن لم تبادره قتلك فإذا قتلته فإنه في النار، وإن قتلك هو فأنت شهيد، ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل ولو أدى إلى قتله جائز لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله"[1].

قال النووي: "قوله ﷺ: (فلا تعطه) فمعناه لا يلزمك أن تعطيه وليس المراد تحريم الإعطاء. وأما قوله ﷺ في الصائل إذا قتل هو في النار فمعناه أنه يستحق ذلك وقد يجازى وقد يعفى عنه، إلا أن يكون مستحلاً لذلك بغير تأويل فإنه يكفر ولا يعفى عنه، والله أعلم"[2].

وقال القرطبي: "وقوله: (لا تعطه مالك وقاتله)، دليل على أن المحارب لا يجوز أن يُعطي شيئًا له بالٌ من المال إذا طلبه على وجه الحرابة ما أمكن، لا قليلاً ولا كثيرًا، وأن المحارب يجب قتاله، ولذلك قال مالك: قتال المحاربين جهاد. وقال ابن المنذر: عوام العلماء[3] على قتال المحارب على كل وجه ومدافعته عن المال والأهل والنفس"[4].

وقال القاضي عياض: "وفي الحديث دليل على أنه لا دية في قتل المحاربين ولا قود؛ لأنه إذا كان مقتوله شهيدًا وأمر بقتاله، وأخبر النبي ﷺ أنه إن قُتل في النار، فما

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٥٩/٢ - ١٤٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٨١.

(٣) المراد: جمهور وجماعة انظر: محققي كتاب المفهم: ٣٢٥/١.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٢/١.

يأمر الشرع به لا يُعقّبُ على فاعله بعد ولا تباعة في دنيا ولا آخرة"[١].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على أموال الناس:

إن الشرع الحنيف وضع الضمانات اللازمة للحفاظ على المال، ولذا رهّب من الاعتداء على مال الغير، ويستنبط هذا مما جاء في الحديث: (أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار)، لقد جاء الإسلام يحذر من الاعتداء على أموال الناس بالباطل، ولذا كان حد السرقة فيمن يعتدي ويأخذ مال غيره سرقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٢].

وقد جاء في الحديث أن الذي يعتدي على مال الغير إن قتل فهو في النار، "إن الإسلام لا يقل حرصه على حماية مال الفرد وما يملكه عن حرصه على حماية نفسه، ذلك أن مال الفرد هو عماد حياته فلا تتحقق حماية الحياة على وجه كامل بدون حماية المال ويبدو حرص الإسلام على حماية المال أوضح ما يكون في تحريمه تحريمًا باتًا جميع أنواع الاعتداء على الملك والعقوبات الصارمة الدنيوية والأخروية التي يقررها في جميع هذه الأنواع[٣].

إن الإسلام يحفظ ملكية الإنسان، ويرهّب من الاعتداء عليها بأي صورة من الصور، وبأي وسيلة من الوسائل. "فمن قتل في الدفاع عن نفسه أو ماله أو أهله كان من الشهداء، وقدم المال لأن الطمع فيه أكثر، ولئلا يظن أحد أن التفريط فيه مطلوب أو الاعتداء عليه مباح، وفي الحديث تحريم الظلم واغتصاب الأموال بالإكراه والتهديد، والمنع من التفريط فيه، ولو أدى الأمر إلى قتل الإنسان في سبيلها، إلا أن يكون سلطانًا أو نحوه، وفي الحديث موقف الإسلام الحازم من الظلم، وتربية المسلمين على الشجاعة والاستهانة بالموت في سبيل تحقيق العدل والحق والسلام"[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٤٤٤.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٣) حماية الإسلام للأنفس الأعراض، د. علي عبدالواحد وافي ص ٣٩.

(٤) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

قال الشيخ السيد سابق: "وكما أن الإسلام احترم حق الحياة، فإنه كذلك احترم حق الملكية، واعتبره حقًا مقدسًا، لا يحل لأحد أن يعتدي عليه بأي وجه من الوجوه.

ولهذا حرم السرقة، والغصب، والربا، والغش، وتطفيف الكيل والوزن، والرشوة، واعتبر كل مال أخذ بغير سبب مشروع أكلاً للمال بالباطل.

وقد قضى الإسلام بقطع يد السارق، التي من شأنها أن تباشر السرقة وفي ذلك حكمة بينة، إذ أن اليد الخائنة بمثابة عضو مريض يجب بتره ليسلم الجسم. والتضحية بالبعض من أجل الكل، مما اتفقت عليه الشرائع والعقول.

كما أن في قطع يد السارق عبرة لمن تحدثه نفسه بالسطو على أموال الناس فلا يجرؤ أن يمد يده إليها.

وبهذا تحفظ الأموال وتصان، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فإذا تقوى اللصوص بقوة السلاح، وأفسدوا في الأرض، وأخافوا الآمنين، وخرجوا على النظام العام، وسطوا على أموال الناس وجبت مطاردتهم، والتنكيل بهم، سدًا لذرائع الفساد، ومنعًا للعدوان، يقول الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

كما حرّم الإسلام الرشوة، فالراشي والمرتشي لا حظ لهما من رحمة الله، إذ أن الرشوة من شأنها أن تفسد أداة الحكم، وتجعل الحكام يتلاعبون بالأحكام، وينقادون للهوى، ويميلون حيث يحلو لهم الميل، فيضلون عن الحق، ولا يعرفون السبيل

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

إليه. وإذا وصل الحكام إلى هذا الانحطاط ولم يجدوا من يقوم انحرافهم فعلى الأمة العفاء ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

والله سبحانه وتعالى ينهى عن أكل أموال الناس بالباطل، وتقديمها إلى الحكام، للإستعانة بذلك على أكل فريق من أموال الناس بالإثم، أو أخذ ما ليس بحق، فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وكل هذا يؤكد حرص الإسلام على المحافظة على أموال الناس"[3].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٣) إسلامنا ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

تهدف التربية الإسلامية إلى بيان الحقائق وإيضاحها، حتى تكون مستقرة في النفوس، ليكون المسلم على معرفة بها، إن من أبرز المضامين التربوية في هذا الباب ما يلي:

أولاً- من الأساليب التربية: البيان والإيضاح:

إن البيان والإيضاح من أبرز أساليب التربية الإسلامية، حتى يكون المتربي على معرفة وعلم بالحقائق التي ينبغي له معرفتها، ومن هنا فقد عُني النبي ﷺ في تربيته لأصحابه بالبيان والإيضاح، وقد ورد ذلك في عدد من أحاديث هذا الباب، حيث قال النبي ﷺ: الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله". وقال ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد".

ثانيًا- من أهداف التربية الإسلامية: الحث على الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل:

إن من أبرز ما تهدف إليه التربية الإسلامية: إعلاء قيمة الدفاع عن المال والنفس والدين والأهل، حتى يعيش المسلم كريمًا عزيزًا شجاعًا، يدافع عن ماله من أن يعتدي عليه أحد، ويعلم قيمة الدفاع عن هذه الأمور، إنه في سبيل الدفاع عن هذه الأمور سالفة الذكر قد يُقتل، وتنتهي حياته، ولكنه يكون قد حاز فضل شرف الشهادة، حيث قُتِلَ شهيدًا، إنها المبادئ والقيم الإسلامية العظيمة التي بيَّنها النبي ﷺ، وربّى عليها أصحابه رضي الله عنهم حيث بيّن لهم أنّ من قتل في سبيل الدفاع عن ماله فهو شهيد، وكذلك من قتل في سبيل الدفاع عن نفسه أو دينه أو أهله فهو شهيد.

كل ذلك حتى يتربى المسلم على العزة والكرامة والشهامة، وعدم الخوف وعدم الجبن، حتى يعيش كريمًا، وإن قتل كان شهيدًا، إنها القيم التربوية التي تحقق العزة والكرامة، وتجعل المسلم مرفوع الرأس، كريمًا عزيزًا.

٢٣٦- باب فضل العتق

الحديث رقم (١٣٦٠)

١٣٦٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ، عُضْوًا (مِنْهُ) [1] مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رَقبة: وهي في أصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه[3].

الشرح الأدبي

إن الحرية في الإسلام من دلائل عزة المسلم ومعالم كرامته فهو لا يدين بالعبودية إلا لله عز وجل وهو لا يحني رأسه ولا يسجد إلا للحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وفى ضوء هذه الحقيقة الباهرة والمزية السافرة تتحرك دلالات هذا الحديث الشريف من خلال نظمه الفريد ونسقه العجيب فالحديث يتكون في بنائه اللغوي من جمله واحدة - صيغت في قالب "الشرط والجواب "وهو يعد "قاعدة شرعية "وحكما نافذاً ووعداً صادقاً ببشرية رسول الله ﷺ تعتق كل من أعاد للمسلم عزته وأعطاه حريته وأعتق رقبته والعتق في مصطلح الفقهاء: هو إزالة الرق عن الآدمي، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد، ولا تتحقق هذه

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عندهما، وهي من المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧١٥) واللفظ له، ومسلم (١٥٠٩/٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٢٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر هذه البشرى العظيمة التي بشر بها رسول الله كل من أعتق رقبة مسلمة وهل مثل العتق من النار فوز وثواب ؟ وجواب الشرط "أعتق "جاء في صيغة الماضي للإيحاء بضرورة تحقق العتق في الواقع ولذلك كان الصحابة يستكثرون منه - وقيل: إن عبد الرحمن بن عوف أعتق "ثلاثين ألف نسمة "- والتكبير في قوله: رقبة. . للتعميم وللشمول: الذكر والأنثى - الكبير والصغير - العرب والعجم. . فالكل سواء والتخصيص بالوصف في قوله مسلمة "إيحاء وإشارة إلى أنه يجب أن لا يظل المسلم "مملوكاً مستعبداً "ولذلك كثرت المواقف التي يكون العتق فيها كفارة وسبيلاً من سبل التوبة والخلاص من الذنوب والآثام وجواب الشرط. . جاء في صيغة الماضي كذلك لتحقيق وقوع الجزاء لأنه وعد من الله والله لا يخلف الميعاد والتماثل في قوله (بكل عضو منه عضواً منه) يوحى بالمساواة التامة بين الخلق أجمعين.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- فضل العتق: اتفق الفقهاء على أن العتق من أفضل الأعمال، ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة[1].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٥/٤، حاشية رد المحتار ٦٤٠/٣، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٣٥٩/٤، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٤٥/٦-٤٤٦، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٩١/٤-٦٩٢، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٨/١٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠.

٢- ما يستحب اعتاقه: اتفق الفقهاء على استحباب عتق كامل الأعضاء، فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة.

ثانيًا: من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على عتق الرقاب المسلمة

حيث جاء في الحديث: (من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار)، ولا شك أن هذا يدل على فضل عتق الرقاب قال النووي: "وفي هذا الحديث بيان فضل العتق وأنه من أفضل الأعمال ومما يحصل به العتق من النار ودخول الجنة، وفيه استحباب عتق كامل الأعضاء فلا يكون خصيًا ولا فاقد غيره من الأعضاء، وفي الخصى وغيره أيضًا الفضل العظيم لكن الكامل أولى وأفضله أعلاه ثمنًا وأنفسه وأما التقيد في الرقبة بكونها مؤمنة فيدل على أن هذا الفضل الخاص إنما هو في عتق المؤمنة وأما غير المؤمنة ففيه أيضًا فضل بلا خلاف ولكن دون فضل المؤمنة"[٣].

وقال ابن حجر: "وفي قوله: أعتق الله بكل عضو منه عضوًا)، إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يكون في الرقبة نقصان ليحصل الاستيعاب، وقال ابن المنير: وفي الحديث: إشارة إلى أنه ينبغي في الرقبة التي تكون للكفارة أن تكون مؤمنة لأن الكفارة منقذة

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٨/٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٤٨/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤٢/٥، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٨/٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥١٩/٥-٥٢٠، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥١/١٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦١).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٦١.

من النار فينبغي أن لا تقع إلا بمنقذة من النار"[١].

ومن الشواهد على الحث على عتق الرقاب المسلمة قوله ﷺ عندما سئل: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنًا.

ومما يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب أنه:

١- أمر الله بعتق الرقاب وجعلها بابًا من أبواب التوبة لعباده وكفارة لذنوب عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٢].

وقال جل شأنه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

٢- كذلك أمر رسول الله ﷺ بالعتق كفارة عن بعض التصرفات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَينما نحنُ جُلوسٌ عندَ النبيِّ ﷺ إذ جاءه رجلٌ فقال: يارسولَ الله

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٧٦/٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٣.

هَلَكتُ، قال: ما لكَ؟ قال: وَقَعتُ على امرأتي وأنا صائمٌ. فقال رسولُ الله ﷺ: ((هل تَجِدُ رَقبةً تُعتِقُها؟ قال: لا. قال: فهل تَستطيع أن تَصومَ شَهرَيْنِ مُتتابعَينِ؟ قال: لا. قال: فهل تَجدُ إطعام سِتينَ مِسْكينًا؟)) قال: لا. قال: فمكَثَ النبيُّ ﷺ، فبَينا نحنُ على ذلكَ أُتِيَ النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيها تَمْرٌ ـ والعَرَقُ: المِكْتَل ـ قال: أينَ السَّائلُ؟ فقال أنا. قال: خُذ هذا فتصدَّقْ بهِ. فقال الرجلُ: أعَلَى أفقرَ مني يا رسولَ الله؟ فوالله مابَينَ لابَتَيْهَا ـ يُرِيدُ الحَرَّتَينِ ـ أهلُ بيتٍ أفقرُ من أهلِ بيتي. فضَحِكَ النبيُّ ﷺ حتّى بَدَتْ أنيابهُ ثم قال: ((أطْعِمْهُ أهلَكَ))[1].

٣/ فتح الإسلام باب تحرير العبد نفسه بالمكاتبة قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

٤/ جعل العتق هو العقبة التي من تجاوزها نجا: قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[3].

٥/ جعل الرسول ﷺ من أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عتق الرقاب: فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: ((إيمانٌ باللهِ وجِهادٌ في سبيلهِ)). قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: ((أغلاها ثمنًا، وأنفَسُها عندَ أهلِها)). قلتُ: فإنْ لم أفعَلْ ؟ قال: ((تُعِينُ صانعًا، أو تَصنَعُ لأخْرَقَ)). قال: فإن لم أفعلْ ؟ قال: ((تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنّها صدَقةٌ تَصدَّقُ بها على نفسِك))[4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٣٦.

(٢) سورة النور، آية: ٣٣.

(٣) سورة البلد، الآيات: ١١ - ١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

٦/ وجعل الرسول ﷺ من ضرب عبده كفارته عتقه: فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللّه فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ)).

((أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، قُلْتُ[1]: يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللّهُ بِالإِسْلاَمِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ: فَلاَ تَأْتِهِمْ، قَالَ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلاَ يَصُدَّنَّهُمْ "قَالَ ابْنُ الْمُصَبَّاحِ: فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ" قَالَ: قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ، قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدم، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عليَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَفَلاَ أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: ائْتِنِي بِهَا، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ اللّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ، قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))[2]. وكل هذا يدل على حث الإسلام على عتق الرقاب.

ثانيًا - من فقه الداعية: بيان الثواب المترتب على العمل:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه من النار حتى فرجه بفرجه)، ولا شك أن من فقه الداعية أن يبين الثواب المترتب على الفعل ليحفز المدعو إلى الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب السنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة والدعاة

---

(١) القائل هو معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه راوي الحديث.

(٢) أخرجه مسلم ٥٣٧.

عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المضروبة والعلل الباعثة"[١].

والإنسان دائمًا يتطلع إلى الثواب والأجر وتذكير الإنسان بثواب الله له على الفعل يمثل قوة دافعة على الاستجابة لأمر الله ورسوله، "إن ما وعد الله به عباده المؤمنين من أنواع النعيم المادي والمعنوي في دار الخلود إنما يمثل تلبية مكتملة لتطلعات الإنسان وأشواقه ولحاجاته وأمنياته وهو بهذا يستجيب استجابة شاملة وهذا يجعل بيان الثواب من أعظم الحوافز وأبلغها جذبًا وتأثيرًا في حياة المؤمنين"[٢].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (أعتق الله بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه)، وفي الحديث حث النبي ﷺ على عتق الرقاب، ورغّب في ذلك من خلال بيان أن من يعتق عبدًا يعتقه الله من النار ويعتق بكل عضو منه عضوًا من النار حتى فرجه بفرجه، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو إيجابًا وترغبه في الخير ولذا وجب على الداعي أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته، (والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول أحق والثبات عليه)[٣].

---

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة" ص ٣١٢.

(٢) علم النفس الدعوي، د. عبدالعزيز النغيمشي ص ١٥١ - ١٥٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٦١)

١٣٦١- وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أيُّ الأعمَالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((الإيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ)) قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَنًا)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الرِّقاب: جمع رقبة: وهي في الأصل العنق، فجُعلت كناية عن جميع ذات الإنسان، تسمية للشيء ببعضه [2].

أنفسُها: أعظمها قيمةً [3].

الشرح الأدبي

هذا مشهد حواري من مشاهد تعليم النبي ﷺ لأصحابه الكرام الأخيار والحوار من أساليب ومعالم البيان النبوي. . وهو من وسائل التعليم والإقناع وهو من أحدث الوسائل التربوية في العصر الحديث ويأتي الحوار في قالب - الحكاية والسرد - حيث يكرر "أبو ذر "قال: وقلت "وذلك لمزيد من التشويق ولمزيد من توصيل ما أخبر به رسول الله في إجابته من خلال وسيلة مشوقة، وهي -الحوار- عن طريق السؤال والجواب.

ويبدأ بالنداء والاستفهام: يا رسول الله: أي الأعمال أفضل، وقوله: أفضل يوحى بأن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨)، ومسلم (٨٤/١٣٦) واللفظ له، وتقدم برقم (١٢٨٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٥١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ق ب).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ف س).

الأعمال الصالحة يجمع بينها الفضل. ولكن هناك عمل فاضل وهناك عمل أفضل وصيغة "الجمع "في قوله الأعمال "توحي بأن الفضل لا يقتصر على عمل واحد محدد. ولكن الأفضلية تشمل أعمالاً كثيرة متنوعة والتعريف "في قوله: الأعمال "للعهد ولم يقل: الصالحات "لأن وصفها بالأفضلية يغنى عن وصفها بالصالحات والجمع بين الإيمان والجهاد في كلام رسول الله. . إرشاد إلى قيمة الجهاد وفضله وحث لكل مسلم أن يكون نضاله وكفاحه وقتاله محصناً بقوة الإيمان والدفاع عن رايه الإسلام. وقيل "العطف للاشتراك في أصل الأفضلية وإن تفاوتا فيها.

والسؤال الثاني: أي الرقاب أفضل، فيه إشارة وتوجيه لكل مسلم حيث يختار أفضل ما عنده في مجال الصدقة، والعتق، والهبة وغير ذلك وحدد رسول الله ﷺ: معيار الأفضلية فقال "أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً: أي أجودها شكلاً. . وقوة. . وأعلاها ثمناً ومجيء هذين الوصافين في صيغة التفضيل يوحى بضرورة الانتقاء. . والاختيار بعد التأني والفحص وصولاً لمعرفة الأجود والأبهى والأحسن والأغلى كما قال سبحانه وتعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ".

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية[١].

٢- أجمع المسلمون على استحباب إطعام السيد مملوكه مما يطعم وإلباسه مما يلبس[٢].

٣-أجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلف السيد عبده من العمل ما لا يطيقه فإن كلفه لزمه إعانته بنفسه أو بغيره[٣].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١١/١٣٢-١٣٣.

(٢) المرجع السابق ١١/١٣٣.

(٣) المرجع السابق ١١/١٣٣.

٤- حكم نفقة المملوك على سيده: أجمع الفقهاء على أن نفقة المملوك تجب على سيده وكذا كسوته وأنها تكون من غالب قوت البلد، وأنها مقدرة بالكفاية لأن وجوبها للكفاية فتقد بقدر الكفاية كنفقة الأقارب[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) حاشية رد المحتار ٢٣٦/٣، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٩/٤، ٤٠، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٧٠/٢، حاشية الصاوي ٧٤٩/٢-٧٥٠، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٠٣/٥، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٥٣/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٨٨/٥، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٥٣/٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على إكرام الإنسان وتكريمه:

تتباهى الدول وتتفاخر الشعوب بما حققته وتحققه فيما يتعلق بإكرام الإنسان وتكريمه وتشريفه، وتجدها تدعو غيرها إلى أن تحترم الكرامة الإنسانية وتعامل الإنسان بما يليق به ويجدر أن يعامل به، وتجد بعض الكُتَّاب يقسم العالم حسب احترامه لهذه الكرامة وتقديرها، فيصف الدول التي تعنتي بذلك بأنها دول حضارية مدنية راقية، على حين تنال الأخرى وصف البدائية الجافية غير الراقية والمتخلفة.

والحق الذي لا مراء فيه ولا جدال، أن الإسلام أولى إكرام الإنسان عناية فائقة واهتم بذلك اهتمامًا بالغًا، وسن من التشريعات ما يعمل على تحقيق ذلك على أرض الوجود، ويحفظه من كل صور الاعتداء والتعدي والمحو والإزالة، ومن أصدق الأدلة على ذلك ما رغّب الشرع فيه، من عتق العبيد والإماء وإعطائهم حريتهم وجعلهم أحرارًا يعيشون كما يعيش الأحرار ويحيون كما يحيون، ويكون أولادهم أحرارًا لا عبيدًا ملاكًا لا مملوكين متصرفين لا متصرفًا فيهم، حاكمين لا محكومين، يملكون إرادتهم لا يُملكون هم وإرادتهم، كما أن الشرع الحنيف ليُحَقِّق هذه الغاية النبيلة قد ضيق من طرق الاسترقاق ووسع من دائرة العتق، لأنه يتشوف ويتطلع إلى إعطاء الناس حرياتهم، ولذا فتح المجال واسعًا لعتق العبيد والإماء، فجعل الإمام والحاكم يتصرف في ذلك بحسب ما يراه من مصلحة ونفع، وجعل قسمًا من الكفارات يقوم على عتق الرقاب، فضلاً عن ترغيبه في العتق المطلق، ولم يكتف بذلك فحسب بل أنزل كذلك من أُعتق منزلته وأعطاه ما يستحقه من كرامة ومكانة، كأنه لم يكن قبل ذلك عبدًا ومملوكًا، إن بعض من كان مملوكًا أصبح له مكانة لا تخفى في تاريخ الإسلام، إن الصحابي الجليل بلالاً رضي الله عنه كان عبدًا لأمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه، وأبلى بلال رضي الله عنه في الإسلام بلاءً حسنًا وأنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة كبيرة فجعله مؤذنه، حتى عُرف بأنه مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك أنزله الصحابة منزلة عالية، فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (أبو بكر سيدنا

وأعتق سيدنا يعني بلالاً)[1]، هذا على مستوى الأفراد، أما على مستوى الجماعات والدول فإن المماليك قد حكموا مصر والشام مدة طويلة من الزمن فيما يعرف بدولة المماليك، وأصبحوا هم يحكمون الأحرار والسادة، وقد أبلوا في الدفاع عن الإسلام والمسلمين بلاءً حسنًا.

إن دولة تكرم مماليكها، فتجعلهم حكامها وقادتها، لدولة حريصة على إكرام الإنسان والعمل على تكريمه.

والسؤال هنا: إذا كان الرِّق قد أُلْغِي الآن واتفقت دول العالم على منعه وإلغائه، فكيف نفعّل ما رغّب فيه الإسلام من العتق وإعطاء الحرية؟

لعلّ الجواب في ذلك يتمثل في أنه إذا كانت الدول المعاصرة اتفقت على إلغاء الرق ومنعه، إلا أن هناك صورًا قد ظهرت أشدّ وأقسى منه، بل لا يكاد يقارن بها في بشاعتها وإجرامها، من تلك الصور: المتاجرة بالفتيات الصغيرات والشابات، وإدخالهن إلى عالم المتعة الحرام، وإكراههن على امتهان البغاء وتسخيرهن في الترفيه الحرام، وجعل أجسادهن وشرفهن سلعة تدر بلايين الدولارات، وتدريبهن على فنون إغواء الرجال وإسقاطهن في حبائلهن، فيما يعرف ذلك كلّه بالرقيق الأبيض. والذي أصبح له مؤسساته الضخمة وشبكاته المعقدة التي تتعمد سرقة أعمار الصغيرات وسرقتهن أنفسهن، وقذفهن في دائرة هذه التجارة القذرة.

ومن الصور التي لا تقلّ بشاعة عن سابقتها: شراء الأطفال من الدول الفقيرة المدقعة الفقر، ونقلهم إلى الدول الغنية، لكي تؤخذ أعضاؤهم الجسدية وتزرع في أجساد المرضى الأغنياء بدون أدنى إحساس من شفقة ورحمة، فإنهم يميتون الزهور البريئة من أجل إحياء هؤلاء المرضى، وهم في الأغلب الأعم كبار من السن، من أجل إحيائهم بضع سنوات قليلات معدودات.

أليس في هاتين الصورتين من البشاعة والإجرام، ما لم يكن في الرق؟ من تقييد وحرمان للحرية؟

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٥٤.

إنا نظن أنه لا مجال للمقارنة والسؤال هنا: ما الذي نستفيده من تربية الناشئة وغيرهم على إكرام الإنسان وتكريمه أمام هاتين الصورتين البشعتين وغيرهما؟

إننا نستفيد ما يلي:

أ- أن ينفروا من ذلك أشد النفور ويَغْضَبُوا لله عز وجل، ويمنعوا ذلك أشد المنع بكل طريقة ووسيلة ممكنة، من سن التشريعات وملاحقة المجرمين وإلحاق الجزاء الذي يستحقونه بهم، وإنقاذ هذه الأزهار البريئة من هذا الوحل وهذا المستنقع الآسن.

ب- أن يكونوا نماذج حيّة لإكرام الإنسان وعمل ما يستطاع لإكرامه وتشريفه، وجعله يعيش الحياة الكريمة التي تليق بهذا المخلوق الذي كرمه الله وفضله على كثير من خلقه.

جـ- أن يهتموا بالكرامة الإنسانية ويقدموها على غيرها وما سواها، ولا يفعلوا كما يفعل بعضُ أهل الغرب الذين يثورون ثورة عارمة على المسلمين بسبب أنهم يذبحون الأنعام من البقر والإبل والأغنام والماعز في عيدهم الأضحى، وتقربًا لله عز وجل، ويتهمون المسلمين بأنهم همجيون بربريون متخلفون لا يعرفون للحضارة معنىً ولا للمدنية مفهومًا، على حين أن هؤلاء الثائرين يسكتون سكوت المقبورين حينما يقتل الآلاف من المسلمين ظلمًا وعدوانًا وبدون وجه حق، بل تجد بعضهم يلتمس الأعذار لمن قام بهذه المذابح تحت دعوى حماية نفسه وقومه ووطنه.

إن هذا هو الخلل بعينه أن يقدم ما يتوهمه من مصلحة الحيوان على كرامة الإنسان وحياته، وعلاج هذا الخلل هو التربية على إكرام الإنسان وتكريمه.

❁ ❁ ❁

٢٣٧- باب فضل الإحسان إلى المملوك

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[النساء: ٣٦].

الحديث رقم (١٣٦٢)

١٣٦٢- وعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍ رضي الله عنه، وَعَلَيهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رسول الله ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ[1]، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**[2])) متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الحلة: واحدة الحُلَل، وهي برود اليمن، ولا تسمى حُلّة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد[4].

خولكم: جمع خول وهو: حشم الرجل وأتباعه ويقع على العبد والأمة[5].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يأتي في سياق حدث واقعي ومشهد حقيقي يترجم حرص الصحابة

---

(١) عند مسلم زيادة: (فأتى الرجل فذكر ذلك له).

(٢) عند مسلم زيادة: (عليه).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١/٤٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٦٨).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ل ل).

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ و ل).

على إعلان المساواة في الحقوق والواجبات والحياة الكريمة بين السيد والمملوك، ويبدأ الحديث بالفعل "رأى "وهى بصرية وذلك ليدلل: المعرور بن سويد على أن الحدث حقيقي وليس مشهداً افتراضياً أو من محض الخيال القصصي والمساواة بين أبى ذر وغلامه من آثار توجيه النبي ﷺ ولومه لأبى ذر حين سابَّ رجلاً وعيره بأمه السوداء، وتنكير قوله: رجلاً لعدم تحديد الشخص المقصود وهو معروف فهو "بلال - الصحابي الجليل "والتنكير هنا ليس للتقليل من مكانة بلال ولكنه مراعاة لمكانة هذا الصحابي الجليل وعدم إقحام اسمه في هذا الموقف "المشين "ولأن العبرة بعمومية الحكم وليس لخصوصية السبب والتأكيد في بداية كلام رسول الله ﷺ لشدة التقريع وشدة النكير على هذا الصنيع وكلمة: جاهلية "تخفى في طياتها معالم وأوصاف وتصورات عديدة كلها ترفض القيم الفاسدة في المجتمع الجاهلي، وقوله: "هم إخوانكم وخولكم "يتضمن الجناس والتشابه بين هاتين الصفتين في اللفظ. . وهذا التشابه اللفظي هو ترجمة للتشابه في الحقيقة فهم إخوة ينسبون لأب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء.

ومعنى قوله: خولكم: أي بيدهم إصلاح الأمر والقيام بالأعمال لأنهم يخولونهم في ذلك أي يكلفونهم به وهذا التجانس اللفظي: يتسق مع جو الحديث: فالناس كلهم سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وضمير الخطاب المتصل في الكلمتين "كم "فيه إيحاء كذلك بضرورة المساواة والتواصل وعدم الانفصال والتمايز بدافع من الإحساس بالتفوق القبلي أو اللوني أو الشعور بالسيادة والحرية في مقابل الملكية والعبودية، وقوله: جعلهم الله تحت أيديكم، فيه إشعار بأن هذا قدر الله في هذا المملوك وليس للسيد الحر أفضلية في هذا الفضل والواجب عليه أن يفوز بالفضل وأن يعتق أنفس ما عنده وأغلاها ثمناً من الرقاب: ابتغاء مرضاه الله عز وجل وتمم الحديث بثلاث جمل - تمثل توجيهات نبوية وتعاليم إسلامية لترشيد السلوك الأمثل في هذا الباب والجملة الأولى شرطية وجوابها جاء في صيغة الأمر الواجب تنفيذه وقوله: كان "أخوه" ولم يقل كان "غلامه أو مملوكه" إشارة إلى أن المؤمنين جميعاً إخوة متساوون

(فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس) ثم جاء النهي والتحذير في قوله "ولا تكلفوهم ما يغلبهم، للحث على الرحمة والشفقة والعطف على هؤلاء الذين جعلهم الله تحت أيدي سادتهم والشرط في قوله: فإن كلفتموهم فأعينوهم "للحث على الرفق بهؤلاء وإعانتهم، وأداة الشرط "إن "لتعطى مساحة للاختيار والتخفيف في التكليف من آن لآخر لأنها ليست لليقين، وصدق رسول الله حين قال: للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف و لا يكلف من العمل ما لا يطيق "رواة أبو هريرة.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضيلة ظاهرة للملوك المصلح وهو الناصح لسيده القائم بعبادة ربه المتوجهة عليه والقائم بحقوق سيده وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق[١].

٢- فضيلة من آمن من أهل الكتاب بنبينا ﷺ، وأن له أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ، ولإيمانه بنبينا ﷺ[٢].

٣- فضيلة من أعتق مملوكه وتزوجها وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء بل هو إحسان إليها بعد إحسان[٣].

٤- أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع[٤].

٥- حكم وجوب الحج على العبد: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الحج على المملوك، لأن من شروط وجوب الحج الاستطاعة ولا استطاعة بدون ملك الزاد والراحلة، ولا ملك للعبد لأنه مملوك[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٨٩/٢، ١٣٥/٢-١٣٦.

(٢) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٣) المرجع السابق ١٨٩/٢.

(٤) المرجع السابق ١٣٦/١١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/٥.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٠/٢، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٥٠/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤٤٤/١، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٦٧/٢.

٦- حكم وجوب الجهاد على المملوك: اتفق الفقهاء على عدم وجوب الجهاد على المملوك لأنه مشغول بحق سيده، وحق السيد مقدم على حق الله تعالى[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل أبي ذر رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (رأيت أبا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها)، وأبو ذر رضي الله عنه له فضل عظيم، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه اختلف في اسمه والأكثر والأصح أنه جندب بن جنادة هو من كبار الصحابة رضي الله عنهم قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا ثم انصرف إلى بلاد قومه أقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، قال علي رضي الله عنه: وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه، ثم أوكأ عليه فلم يخرج شيئًا منه، وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا"[٢].

قال الذهبي: "وأبو ذري الغفاري أحدُ السابقين الأولين، من نُجباء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. قيل: كان خامسَ خمسة في الإسلام. ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، فلما أن هاجر النبيُّ صلى الله عليه وسلم، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه. وكان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. وكان رأسًا في الزهد، والصدق، والعلم والعمل، قوالاً بالحق، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم، على حِدَّة

---

(١) حاشية رد المحتار ١٢٥/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٣٩٥/١، أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ١٧٦/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٥٠٠/٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٠٠.

فيه. وقد شهد فتحَ بيت المقدس مع عُمر. وعن أبي معشر السِّندي: كان أبو ذر يتألَّهُ في الجاهلية، ويوحِّدُ، ولا يعبدُ الأصنام. قال الواقدي: كان حاملَ راية غِفار يومَ حُنين أبوذر. وكان يقولُ: أبطأتُ في غزوة تبوك، من عَجَف بعيري. عن أبي سلمة، مرسلاً: أن النبيَّ ﷺ قال: ((اللهم اغفِر لأبي ذَرَ وتُب عَلَيهِ)). وعن هانئ بن هانئ أنه سمع عليًا يقول: أبو ذر وعاء مُلئ علمًا أوكى عليه، فلم يخرج منه شيئ حتى قبض، ويروى عن النبي ﷺ: إنه لم يكن نبي إلا وقد أعطي سبعة رفقاء ووزراء وإني أعطيت أربعة عشر فسمى فيهم أبا ذر. وعن ثعلبة بن الحكم عن علي قال: لم يبق أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر ولا نفسي ثم ضرب بيده على صدره"[1].

وقال ابن حجر: "كان من السابقين إلى الإسلام، وكان طويلاً أسمر اللون نحيفًا، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر: دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم عليه حلة قطري فعرفت أنه أبو ذر بالنعت وكانت وفاته بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل: في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان أخطاء المدعو وتوجيهه:

حيث جاء في الحديث: (فذكر أنه سابّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه فقال النبي ﷺ إنك امرؤ فيك جاهلية هم إخوانكم)، ولا شك أن من أهم واجبات الداعية تنبيه المدعو إلى أخطائه وبيانها له حتى لا يكررها ويوجهه إلى الأفضل والأحسن والأكمل، وهذا ما حدث من إمام الدعاة ﷺ.

قال النووي: "وقوله: (فيك جاهلية)، أي: هذا التعبير من أخلاق الجاهلية ففيك خلق من أخلاقهم وينبغي للمسلم أن لا يكون فيه شيء من أخلاقهم ففيه النهي عن التعيير وتنقيص الآباء والأمهات وأنه من أخلاق الجاهلية"[3].

ولقد كان هذا هدي النبي ﷺ دائمًا ومما يدل على ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١٣٢٨/١ – ١٣٣٤ بتصرف.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٤٦٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٥٨.

قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فقال: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فقالوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: ((قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ))[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء عن أبي قلابة، عن رجل من بني عامر قال: دَخَلْتُ فِي الإِسْلاَمِ فَأَهَمَّنِي دِينِي، فَأَتَيْتُ أَبَا ذَرٍ، فقال أَبُو ذَرٍّ: إِنِّي اجْتَوَيْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَمَرَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ بِذَوْدٍ وَبِغَنَمٍ فقال لِي اشْرَبْ مِنْ أَلْبَانِهَا (قال حَمَّادٌ: وَأَشُكُّ فِي أَبْوَالِهَا هذا قول حماد) فقال أَبُو ذَرٍّ: فَكُنْتُ أَعْزُبُ[2] عن الْمَاءِ وَمَعِي أَهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فَأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فَأَتَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ بِنِصْفِ النَّهَارِ وَهُوَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ فِي ظِلِّ الْمَسْجِدِ، فقال ﷺ: أَبُو ذَرٍّ؟ فقلت: نَعَمْ هَلَكْتُ يا رسولَ اللهِ. قال: وَمَا أَهْلَكَكَ؟ قُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَعْزُبُ عن الْمَاءِ وَمَعِي أَهْلِي فَتُصِيبُنِي الْجَنَابَةُ فَأُصَلِّي بِغَيْرِ طُهُورٍ، فَأَمَرَ لِي رسولُ اللهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَجَاءَت بِهِ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ بِعُسٍّ[3] يَتَخَضْخَضُ مَا هُوَ بِمَلأْنٍ فَتَسَتَّرْتُ إِلَى بَعِيرِي فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((يَا أَبَا ذَرٍ إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ طَهُورٌ وَإِنْ لَمْ تَجِدِ الْمَاءَ إِلَى عَشْرِ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمِسَّهُ جِلْدَكَ))[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس)، وفي هذا حث على الإحسان، قال أبو البقاء الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل حسنًا

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) أعْزُبُ: أبعد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ز ب).

(٣) عس: المراد القدح الكبير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع س س).

(٤) أخرجه أبو داود ٣٣٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٢).

بنفسه"[١]، والإحسان من خلق النبي ﷺ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال في خطبة له: (إِنَّا وَاللَّهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيُشَيِّعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ)[٢]، قال ابن حجر: "وكان أبو ذر رضي الله عنه بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة وقد أخرج الطبراني أنه كان لأبي ذر ثوب فشقه نصفين فأعطى الغلام نصفه فرآه النبي ﷺ فسأله، فقال: قلت يا رسول الله: أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون، قال: نعم"[٣].

قال القاضي عياض: "وفي الحديث النهي عن التعيير بنقص الآباء، كما نهى عن الفخر بذلك وأن الكل من فعل الجاهلية، وقوله: (فأطعموهم مما تأكلون، ألبسوهم مما تلبسون) حمله أبو ذر على ظاهره فكان يلبس غلامه مثل لباسه كما جاء في الحديث وهذا على الاستحباب قال بعضهم: وليس إطعامه من طعامه، ولباسه من لباسه على الإيجاب عند أحد من أهل العلم، ولا أنه يلزمه أن يطعمه من كل ما يأكل على العموم من الأدم وطيبات العيش، بل إن أطعمه من الخبز وما يقتاته كان قد أطعمه مما يأكل، لأن (من) للتبعيض وإن كان مستحبًا أن يستأثر على عياله بشيء دونهم، ويفضل نفسه في العيش عليهم. وقوله: (ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فإن كلفتوهم فأعينوهم)، فيه الرفق بالمماليك، وألا يكلفوهم ما يفدحهم، فإن كلفوه أعينوا فيه حتى لا يفدح، قال الجمهور: هذا فرضه وحقه اللازم من طعام يكفيه، وكسوة تستره وتقيه الحر والبرد ولا يكلف ما يفدحه ويعنته"[٤].

وقال القرطبي: "وفي هذا الحديث حض على مكارم الأخلاق وإرشاد إلى الإحسان

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ١/٧٠، رقم ٥٠٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ١/٥٣٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/١٠٩.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥/٤٣٤.

وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يرى لنفسه مزية على عبده إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، ولكن سخر بعضهم لبعض وملّك بعضهم بعضًا، إتمامًا للنعمة، وتقعيدًا للحكمة. وقوله: (فإن كلفتموهم فأعينوهم) أي إن أخطأتم فوقع ذلك منكم فارفعوا عنهم ذلك بأن تعينوهم على ذلك العمل، فإن لم يمكنكم ذلك فبيعوهم"[١].

وقوله ﷺ في الحديث: (ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم)، يدل على أهمية الرحمة والشفقة بالخدم والعمال، وقال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٣].

وأمر الله بالتواصي بالرحمة فقال: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[٤].

ومن الرحمة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ. فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ. فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ، شَتَمْتُهُ، لَعَنْتُهُ، جَلَدْتُهُ. فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلاَةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، وجاء في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ. ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ))[٦].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٢/٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٤) سورة البلد، آية: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦١، ومسلم ٢٦٠١، واللفظ له.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٢٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٥٦٩).

الحديث رقم (١٣٦٣)

١٣٦٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلاَجَهُ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الأُكْلَةُ: اللُّقمة[2].

الشرح الأدبي

ما أعظم هذا التوجيه النبوي الإنساني الراشد وما أجل أثره في تقريب المسافات بين بنى البشر، فلا تمايز إلا بالعمل الصالح ولا تفاضل إلا بالتقوى، وحين نتأمل معالم الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد أسلوب الشرط ينتظم الحديث كله ما عدا الجملة الأخيرة ويبدأ الحديث بأداة الشرط إذا. . إعلانا عن تحقيق طاعة هذا الخادم (المملوك أو الأجير.) ففعل الإتيان متحقق وقدم المفعول هنا وهو "لفظ "أحدكم "على الفاعل وهو "خادمه "للإرشاد بأن "السيد "أو صاحب العمل أو صاحب الدار قد تحقق له ما يريد. . وعلية "حينئذ "أن يقوم بواجبه تجاه ذلك الخادم وإضافة لفظ "خادم "إلى "ضمير "الغيبة العائد إلى أحدكم "للإشعار بان هذا الخادم من رعية "المخدوم "فهو منتسب إليه. . فلا بد أن يحسن رعايته ومعاملته وقوله: فإن لم يجلسه معه "جمله شرطية أخرى "وأداة الشرط فيها "إن "وهى تتسق مع دلالة الحديث والغرض منه لأنها احتمالية وكأن عدم جلوس الخادم مع "سيده "سلوك غير مرغوب، وخلق غير محمود، والأولى جلوسه معه لما فيه من التواضع وعدم الترفع على المسلم وحين نتأمل "جواب

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٧) واللفظ له، ومسلم (١٦٦٣/٤٢).

(٢) رياض الصالحين ٤٣٧.

الشرط "فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين. . نرى أنه مشترك بين الجملتين السابقتين حيث وردت أداة الشرط مرتين وورد فعل الشرط مرتين. . وذلك لتأكيد السلوك الذي يجب أن يُتَّبع أو أن التقدير في الحديث "إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه. . فليجلسه معه، . . وحينئذ يكون جواب الشرط محذوفاً من باب بلاغة الحذف. . ولإعطاء الحرية للمخدوم في مزيد من العطاء والعطف على هذا الخادم، ولذلك يرد التأكيد الذي يعلل ذلك السلوك ويعطى للخادم قدره ودوره في إنجاز ما كلف به، حيث يقول: فإنه ولى علاجه: أي مزاوله العمل المكلف به بلا تقصير. وقيل: إن ابن عمر رضي الله عنهما كان يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت: فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه. والله اعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الشرط.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الإحسان إلى الخدم والعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين..)، ومما لا شك فيه أن هذا يدل على ضرورة الإحسان إلى الخدم والعمال.

قال ابن حجر: "وقوله: (فليناوله أكلة أو أكلتين)، أو للتقسيم بحسب حال الطعام وحال الخادم، ومقتضى ذلك أن الطعام إذا كان كثيرًا فإما أن يقعده مقعده وإما أن يجعل حظه منه كثيرًا.

وقوله: "فإنه ولي علاجه"، أي: عند تحصيل آلاته وقبل وضع القدر على النار ويؤخذ من هذا أن معنى الطباخ في حامل الطعام لوجود المعنى فيه وهو تعلق نفسه به بل يؤخذ منه الاستحباب في مطلق خَدَم المرء ممن يعاني ذلك، وفي هذا إشارة إلى أن للعين حظًا في المأكول فينبغي صرفها بإطعام صاحبها من ذلك الطعام لتسكن نفسه فيكون أكف لشره.

وقد نقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذي يأكل منه مثله في تلك البلد، وكذلك القول في الأدم والكسوة وأن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم في ذلك والله أعلم"[١].

وفي معنى الإحسان قال الإمام الراغب: "الإحسان فعل ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان أحدهما: "الإنعام على الغير، والثاني: الإحسان في فعله، وذلك إذا علم علمًا محمودًا، وعمل عملاً حسنًا ومنه قول علي رضي الله عنه: (الناس أبناء ما يحسنون). أي: منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون"[٢].

وقال الكفوي: "الإحسان هو فعل الإنسان ما ينفع غيره بحيث يصير الغير حسنًا به كإطعام الجائع أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه"[٣].

قال محمد الغزالي: "ومن مواطن الرحمة أن نحسن معاملة الخدم، وأن نرفق معهم فيما نكلفهم من أعمال، وأن نتجاوز عن هفواتهم. وألا تُحَسَّ سطوة التصرف فيهم فنعبث بتسخيرهم فإن الله إذا ملّك أحدًا شيئًا فاستبد به وأساء، سلبه ما ملك وأعد له سوء المنقلب.

فعن أبي مسعود البدري: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا ((اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)) فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللّهِ، فَقَالَ: ((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ))[٤].

وجاءه ﷺ رجل يسأله: كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ عَنْهُ النبيُّ ﷺ، ثم قالَ: يا رسولَ الله كَمْ أَعْفُو عن الْخَادِمِ؟ قالَ: ((كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً))[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٥/٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني في (ح س ن).

(٣) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٦٥٩.

(٥) أخرجه أبو داود ٥١٦٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٣٠١).

إن هناك رجالاً ونساءً ينتهزون فرصة ضعف الخدم فيوقعون بهم ألوان الأذى وقد رهب الإسلام من هذه الفظاظة وتوعد عليها[١].

إن الإسلام الحنيف جعل الخدم إخوان في الدين، ولذا حثّ على حسن معاملة الخدم والإحسان إليهم والرحمة بهم، "إن المدار في معاملة الخدم على المواساة والغرض أن تكون نفوسهم قانعة، وبحالهم راضية، وقد نهانا الرسول ﷺ أن نكلفهم من الأعمال ما يشق عليهم، ويَهدُّ من قوتهم، أو يستفرغ جهدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم، فإن كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا أو بخدم إلى خدمنا والحديث نصر للعمال، وأخذ بيد الخادم والغلمان؛ ورفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم؛ وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا منهم موقف العدالة. ولا يتناسوا رابطة الأخوة. ولا تبادل المنافع، وفيه النهي عن سباب الخدم وعدم التعرض لآبائهم وأمهاتهم بما يسوؤهم. أو يحط من قدرهم.

وبالجملة فهذا موقف الإسلام تجاه الأرقاء. وهذا حرصه على مصلحة العمال. فهل بعد هذا رقيٌّ في دين"[٢].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحض على التواضع وعدم التعالي:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله).

قال القرطبي: "وفي الحديث أمر بتعليم التواضع، وترك الكبر على العبد، وهذا كان خلقه ﷺ فإنه كان يأكل مع العبد، ويطحن مع الخادم، ويشاركه في عمله ويقول: ((إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وأجلس كما يجلس العبد))[٣]، وهذا كله أمر بمكارم الأخلاق، واستدراج للإيثار ونقيض ذلك: أخلاق البخلاء أهل

---

(١) خلق المسلم ٢١٠ - ٢١١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٧٦.

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة ٢٤٨/١٣، وقال محققه: للحديث شاهد يتقوى به والهيثمي في المجمع ١٩/٩ وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن، وهو في الصحيحة للألباني برقم ٥٤٤.

النهم والجشع"[١].

والحث على التواضع هدف رئيس من أهداف الدعوة الإسلامية، وقد أمر الله بالتواضع وخفض الجناح، فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٢]، وكان التواضع من وصايا لقمان الحكيم لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[٣]، وقال النبي ﷺ: ((وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ))[٤]، وجاء في الحديث أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ))[٥]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ. فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٦]. وعن أنس رضي الله عنه أنه مرّ على صبيان فسلم عليهم وقال:كان النبي ﷺ يفعله) [٧].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة)، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة جواب الشرط وتبين له ارتباط الشرط بالجزاء، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٥٣/٤ - ٣٥٤.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٣٥٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩١٧).

(٧) أخرجه البخاري ٦٢٤٧ واللفظ له ومسلم ٢١٦٨.

ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1].

وفي الحديث اشترط النبي ﷺ أن الخادم إذا أتى بطعام لسيده فإما أن يجلسه معه، وإما أن يناوله لقمة.

(١) سورة النصر، الآيات: ١ - ٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تنفيذ ما جاء به الشرع:

لقد بعث الله تعالى رسوله ﷺ ليطاع ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[1]، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أسرع الناس طاعة لرسولهم وأخلص امتثالاً لذلك، بل إن بعضهم كان يزيد في الامتثال والطاعة، فهذا أبو ذر رضي الله عنه تأخذه الطبيعة البشرية ويسبّ رجلاً [2] فعيّره بأمه، فيلومه النبي ﷺ على ذلك ويقوم له: (إنك امرؤ فيك جاهلية) ثم يبين له كيف تكون معاملة الرقيق والخدم، فوصفهم ﷺ بأنهم إخوانكم وخولكم، ومنّ الله عليكم بأن جعلهم تحت أيديكم، لذا "فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

فماذا فعل أبو ذر رضي الله عنه بعد هذا التوجيه النبوي الشريف؟ كان يُلبس رقيقه مثل ما يلبس، مع أن "المراد - كما يقول ابن حجر- المواساة من كل جهة، لكن من أخذ بالأكمل كأبي ذر فعل المساواة وهو الأفضل[3]"، أي إن أبا ذر نفذ ما أرشده إليه النبي ﷺ وعمل به، بل عمل أفضل مما هو مراد ومطلوب، ليضرب المثل في حبّ التنفيذ والمسارعة إليه والطاعة وفعلها على الوجه الأفضل وعدم الاكتفاء بالوجه المطلوب والوقوف عنده، ويبدو أن هذه سمة أبي ذر رضي الله عنه فيما يتعلق بالرقيق، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطى أبا ذر قنا [أي عبدًا] فقال: ((ما لِي أَرَى ثَوْبَكَ هَكَذَا؟» قال: يا رسول الله، قلت: «أَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأكلونَ وَألبسوهم مما تلبَسُونَ» قال: «نَعَمْ» قلت: أعتقته، قال: آجَرَكَ الله يا أبا ذرٍ))[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ٢٦٥٩/٣ : الرجل المذكور هو بلال المؤذن وكان اسمه حمامة.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٤/٢، شروح الحديث ٢٥٤٥.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٨١٠٤/٨، وقال الهيثمي في المجمع ٢٣٧/٤: مداره على أبي غالب وهو ثقة وقد ضعّف.

إن أبا ذر ﷺ يقدّم صورة مشرّفة لتنفيذ ما جاء به النبي ﷺ وأرشد إليه، وعلى ذلك ينبغي أن يربَّى الناشئة وغيرهم، فإن الشرع ما نزل إلا ليعمل به، وما جاء إلا ليطبق في دنيا الناس، والإيمان تختلف درجته ورتبته حسب سرعة الامتثال ودرجتها، إنه يمكن القول: إن الإسلام ما هو إلا تربية عملية، فلا هو بالتربية المجردة التي تعيش في عقول أصحابها ومعتنقيها، ولا تكاد ترى النور في أرض الواقع، ولا هو بالتربية المتغيرة التي تتغير ثوابتها بتغير الزمان والمكان والأحوال، ولا بالتربية الوقتية التي تصلح لوقت دون وقت، بل هي تربية مستمرة ومتواصلة إلى قيام الساعة، والذي يميز هذه التربية عن غيرها من التربيات أنها تربية طبقت في أرض الواقع، وحملها أصحابها في قلوبهم وتترجمها أعمالهم وأفعالهم ومعاملاتهم، وما ذلك إلا لأن أصحابها كانوا مطبقين لها منفذين، أَفْعَالُهم تطابق أقوالَهم، إذا أمرهم الشارع بأمر سارعوا إلى تنفيذه وبادروا وإذا نهاهم كانوا أسرع ما يكون إلى الاجتناب والابتعاد.

إن في تربية الناشئة على تنفيذ ما جاء به الشرع فيه من الفوائد التربوية الكثير التي منها:

أ- تحقيق مصلحتهم في الدنيا والآخرة، فالشرع ما جاء إلا تحقيق مصلحتهم ورفع المفسدة والضرر عنهم، فما أمر به الشرع فهو المصلحة وما نهى عنه هو المفسدة.

إن العالم الغربي الآن يستنكف أن يرى في العلاقات غير المشروعة بين الرجل والمرأة خروجًا على الفطرة السليمة، وخروجًا على الأعراف الطبيعية، بل يرى أن ذلك لا إثم فيه ولا حرج، فالأمر يحدده كل رجل وكل امرأة وأنه لا يجوز أن يعاقبا على فعلهما هذا، وأن هذا هو السبيل للتخلص من الكبت الذي تعاني منه الدول التي تحرم شعوبها مثل هذه العلاقات، فكان ماذا بعد إطلاق المجال للشهوات دونما رادع: انتشرت الأمراض الفتاكة التي تقتل الآلاف كالايدز ونحوه، واختفت الأسرة بمفهومها الطبيعي أو كادت تختفي، وعانت أوروبا من قلة المواليد إلى رجة مخيفة، حتى قدروا أنهم إن استمروا على ذلك لن تكون هناك شعوب أوروبية أصيلة على المدى الطويل، وغير ذلك من المفاسد التي نشأت عن الخروج على المنهج الإلهي الذي ينبغي إصلاح

البشر في الدنيا والآخرة، وعلى ذلك مشيى بقية المآسي التي تعاني منها المدنية الغربية.

ب- خلق التنافس فيما بينهم -أي الناشئة- في المبادرة إلى الامتثال وتنفيذ ما جاء به الشرع وشغلهم بهذه المنافسة وجعلهم يعيشون فيها ومعها في مختلف أوقاتهم بالليل والنهار، إن مجتمعًا ثقافته المنافسة والمبادرة إلى الخيرات، يختلف قطعًا عن مجتمع المبادرة فيه إلى تحصيل الأموال، وتجميع أقصى ما تصل إليه يد الإنسان، وبكل وسيلة ممكنة سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة. إن المجتمع الأول لمجتمع سعيد طيب على حين أن المجتمع الآخر لمجتمع شقي خبيث. والطيب لا ينتج إلا طيبًا أما الخبيث فلا ينتج إلا أخبث منه.

ثانياً- التربية بالتوبيخ:

إذا كان أبو ذر رضي الله عنه أساء إلى الرجل وعيّره بأمه، قال ابن حجر: (أي نسبه إلى العار، زاد [البخاري] في [كتاب الأدب]: وكانت أمه أعجمية فنِلْتُ منها[1]، وفي رواية: قلت له: يا ابن السوداء)[2]، فبين له النبي ﷺ أن ما قاله لا يجوز شرعًا، وأنه مذموم من قبل الشريعة فقال له: "إنك امرؤ فيك جاهلية"، قال ابن حجر: (أي خصلة من خصال الجاهلية، ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخَصْلة من خِصَال الجاهلية باقية عنده، فلهذا قال -كما عند المؤلف [البخاري] في الأدب-: قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال نعم[3]، كأنه تعجب من خفاء ذلك عليه مع كبر سنه، فبيّن له كون هذه الخصلة مذمومة شرعًا)[4].

وقال ابن حجر في موضع آخر: (والجاهلية ما كان قبل الإسلام، ويحتمل أن يراد بها هنا الجهل: أي أن فيك جهلاً)[5]. وايًا كان المعنى فإن فيه توبيخًا تربويًا من قبل النبي ﷺ - وهو المربي البصير- قصد به الإصلاح وعلاج الخطأ وتقويم السلوك لا

---

(١) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٣) صحيح البخاري الحديث ٦٠٥٠.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٩١/١.

(٥) المرجع السابق ٢٦٥٩/٣.

التشهير ولا الفضيحة، لذا أتى بثماره التربوية المبتغاة، وفهم أبو ذر رضي الله عنه الرسالة التربوية حق الفهم وغيّر من سلوكه وأفعاله إلى الأحسن والأفضل "فكان بعد ذلك يساوي غلامه في الملبوس وغيره أخذًا بالأحوط، وإن كان لفظ الحديث يقتضي اشتراط المواساة لا المساواة"(١).

وفي هذا الحديث إرشاد لأهل التربية أن يستخدموا في تربيتهم التوبيخ إذا كان الموقف يتقضي ذلك وكان مناسبًا وملائمًا أن يُستخدم فيه، ولعل المربي يجني من وراء ذلك عدة فوائد تربوية مهمة، منها:

أ- تقويم سلوك الناشئة وغيرهم وعلاج ما يظهر من أخطاء في الممارسة والتعامل.

ب- تربيتهم على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو صمام أمن المجتمع وحمايته من الانحرافات والزيغ والضلالات والابتداعات والخرافات.

ج- التربية على الرجوع إلى الحق مهما كان الأمر، والتزامه والقيام بتبعاته ولوازمه من إصلاح السلوك والاعتذار إلى من يستحق أن يعتذر إليه وردّ الحقوق إلى أهلها والمسارعة إلى ذلك.

ثالثًا- التربية على تذكر قدرة الله:

عندما حصّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر رضي الله عنه على التعامل الحسن مع الخدم والرقيق، ذكّره بقدرة الله ونعمته عليه، وأنه سبحانه - لحكم يعلمها - جعلهم تحت أيدي من يخدمونهم وذلك بقدرته لا بقدرة أحد سواه سبحانه، وهذا لا يمنع أن يبدل الله عز وجل الأدوار فيجعل الخادم مخدومًا والمخدوم خادمًا، فإنه سبحانه يقدر على كل شيء، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾(٢).

لذا كان على السادة والمخدومين أن يتذكروا فضل الله ونعمته عليهم أن سخر لهم من يكون تحت أيديهم ويخدمهم ويقضي لهم حاجاتهم ويقوم على شؤونهم من غير حول منهم ولا قوة، وإذا رسخ في أذهانهم ذلك عاملوا من كان تحت أيديهم من خدم وأعوان

---

(١) السابق ١/٢٩١.

(٢) سورة غافر، آية: ٦٨.

بما يستحقونه من رحمة وشفقة وعطف وحسن أدب، فلا يتطاولون عليهم ولا يعتدون عليهم سواء بالقول أم بالفعل أم بالإيماءات والإيحاءات والإشارات، لأن كل واحد من هؤلاء نفس كرمها الله وفضلها، ولكنه سبحانه إن مما هو شائع الآن أن يسيء أرباب البيوت إلى الخدم إساءات كبيرة ومتكررة تصل في بعض الأحيان إلى إحداث عاهات مستديمة أو إزهاق الأرواح، ولا يكتفون بذلك فحسب بل يغرسون أيضاً في نفوس أولادهم النظرة الدونية إليهم حتى يعتقدوا أنهم لا يستحقون إلا هذا من سوء معاملة وامتهان واحتقار.

وهذه صورة -وإن كانت شائعة- إلا أنها صورة سيئة جدًّا لا يرضى عنها الله ولا رسوله، "فقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى، وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[1]"[2].

إن مما يجدى في التربية التذكير بقدرة الله على العبد وإن من العبارات ذات التأثير الكبير في الارتداع عن الظلم والطغيان العبارة المشهورة: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، وتخطت هذه العبارة نطاق القول إلى الكتابة، فتجدها مكتوبة على كثير من سيارات النقل.

وهكذا يكون الإنسان: إذا كان صاحب مال فلا يضنّ به ويبخل على الفقراء لأن الله يقدر أن يسلبه منه ويعطيه إلى من يضن به عليهم، فيذوق مرارة الحاجة والفقر والعوز وذل السؤال والطلب.

ومن أعطاه الله قوة أو سلطانًا فلا يتجبر على الضعفاء والمساكين ويذيقهم الظلم والعدوان، لأنه سبحانه قادر على أن يجعله أضعف منهم وأقل شأنًا.

وقُلْ مثل ذلك في سائر النعم، لذا كان على الإنسان أن يحافظ عليها، وأول طريق لذلك هو تذكر فضل الله عليه وقدرته سبحانه في الإعطاء والمنع والإعزاز والإذلال ثم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢٦٥٩/٣..

يتلوه القيام بواجب الشكر، وهو استعمال هذه النعم فيما يرضي الله ولا يستعملها فيما يغضبه. وعلى ذلك ينبغي أن يربى الناشئة وغيرهم.

۞ ۞ ۞

٢٣٨- باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

الحديث رقم (١٣٦٤)

١٣٦٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((إنَّ العَبْدَ إذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

في ظلال هذا الحديث تتحرك أشعة المسؤولية وشهب التكليف وأطياف الأمانة والعبد هنا هو صاحب المسؤولية، وهو الذي يحمل الأمانة فإذا قام بواجبة وهو يحسن العبادة ويطيع ربة. . فله الأجر مضاعفاً، ونظم الحديث وبعض كلماته وأسلوبه. . كل هذه المعالم تفيض بالمعاني المتسقة مع الأداء الأسلوبي فالحديث يبدأ بالتأكيد بإن "للإشعار بأهمية الأمر - واللام "في قوله: العبد "للجنس وللتعميم: فأي مملوك: كان ذكراً أو أنثى يصدق عليه ذلك - وأسلوب الشرط إذا نصح لسيده. .. الخ. يفيد أن الجزاء من جنس العمل والجزاء مؤكد محقق لأن هذا الوعد صادق من رسول الله، ولأن الذي يعطى الأجر ويضاعفه هو الله عز وجل - والله يضاعف لمن يشاء والعطف بالواو "في قوله: وأحسن عبادة الله.. لا يعنى ترتيب الأولويات ولكن يفيد مطلق الجمع -فالجمع بين إحسان العبادة والنصح للسيد هو المنهج الصحيح الذي يحكم العلاقة بين المملوك وسيده في الإسلام. وللألفاظ في اللغة العربية دلالتها وإشعاعها والفعل نصح "يتضمن الدلالة العميقة التي يرشد إليها الحديث الشريف "فالناصح في اللغة: هو الخالص من العلل وغيره- وكل شيء خلص فقد نصح، والنصح كذلك: نقيض الغش

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٦)، ومسلم (١٦٦٤/٤٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٧)..

ويقولون: رجل ناصح الجيب أي نقى الصدر ناصح القلب لا غش فيه، والأرض المنصوحة: الأرض المتصلة النبات بعضه ببعض، وقيل: نصح الغيث البلاد نصحاً: إذا اتصل نبتها فلم يكن فيه فضاء ولا خلل، وهذه الدلالات كلها تشع في أجواء الحديث ومقاصده: فقوله: نصح لسيده: أي قام منه قدر طاقته وحسب استطاعته وكان مخلصاً وصادقاً في المشورة والعمل وهذا السلوك ثماره كالعسل الصافي الخالص حيث يعم الخير - وينتشر الرخاء. . كالسحاب الذي يجود بالمطر. . فتصبح الأرض مخضرة وينعم بخيراته البلاد والعباد. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة رضي الله عنه.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث: (إن العبد إذا نصح لسيده)، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو ببيان مدى صدق الداعي فيما يقول وتأكيده لكلامه، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾[2]. وقوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (للعبد المملوك المصلح أجران)، (المملوك

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٦٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٦٥، ١٣٦٦).

(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٧.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الذي يحسن عبادة ربه ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران)، ولا شك أن هذا يدل على فضل العبد المملوك الذي يؤدي حق الله تعالى وحق مواليه.

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين)، وذلك أن جميع تصرف العبد غالبًا في امتثال الأوامر، إما لله وإما لمالكه، بخلاف الحر الذي يتصرف باختياره، فالعبد طائع لمولاه بما ملكه الله من منافعه، وطاعته له طاعة لله، فأجره أبدًا متصل، فإما أن يكون التضعيف المراد به كثرة الأجور وزيادتها على أجر الحر، أو يكون على وجه التضعيف المعروف في أجر العمل الواحد من طاعة الله تعالى، بما امتحن به من الرق وربقة العبودية، تفضلاً من الله تعالى عليه كما ضعف ذلك لأسباب أخر من المرض، والمقام بالمدينة وغير ذلك.

وقول أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث: (لولا الجهاد في سبيل الله وبر أمي، لأحببت أن أموت وأنا مملوك) ودليل على أنه لا يلزم العبد جهاد ولا حج حال عبوديته؛ لأنه غير مالك لنفسه، ولا له خروج عن مصالح سيده وهو غير مستطيع بالملك الذي لزمه ولا للجهاد، إلا أن ينزل العدو ببلد فيتعين الجهاد على كل من فيه بقدر طاقته من عبد وحر.

وقوله: (وبر أمي): فيه حجة أنه لا يلزم العبد النفقة على والديه ولا شيء من مؤنتهما لاستحقاق سيده رقبته وماله، وأما ما يلزمه لها من البر بالقول والملاطفة وخفض الجناح فيستوي فيه الحر والعبد، فأبو هريرة -والله أعلم- أراد ما يلزمه من السعي عليها والإلطاف لها والإحسان الذي لا يتفق مع العبودية.

وقد يكون مراد أبي هريرة بهذا كله تعظيم أجر الحج والجهاد وبر الوالدين وأن الأجر فيها ذلك أعظم من أجر العبودية، وأن بالعبودية لا يصل إلى شيء من ذلك، لمنعه من الحج والجهاد، وتغريبه عن والدته، فلا يصل إلى شيء من برها، ألا تراه كيف قال في الحديث: (وبلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها)؛ لأن بر الأم، وصحبتها والقيام بها فرض متعين، وأبو هريرة قد كان قضى حجة، وحجه بعد ذلك إنما كان نافلة، فقدم الفرض من بر أمه على فضل الحج، وقد قال مالك: (لا يحج

أحد إلا بإذن أبويه إلا الفريضة فيخرج ويدعهما. وقال أيضًا لا يعجل عليهما في غير الفريضة وليستأذنهما العام والعامين.

وقول كعب في هذا الحديث: (ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد)، قال الإمام: يعني بالمزهد: القليل المال، يقال: أزهد الرجل يزهد إزهادًا: إذا قل ماله، قال الأعشى:

فلن يطلبوا سرها للغنى ولن يسلموها لإزهادها

فالإزهاد قلة المال. والسر في هذا البيت يعنى به النكاح، والشيء الزهيد هو القليل.

معنى قول كعب: (ليس عليه حساب): أي ليس على عبد أدى حق الله وحق سيده حساب؛ لكثرة أجره، فإما أن يقولها كعب عن توقيف عنده، وأن هذا مما خص بذلك كما خص به السبعون ألفًا المذكورون في الحديث ومن خص بذلك من غيرهم، أو يكون اجتهادًا منه لتخفيف حسابه، فكان كمن لم يحاسب لغلبة حسناته وكثرتها، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾[1][2].

هذا وقد مدح النبي ﷺ العبد الذي يتمكن من أداء حق الله وحق سيده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((نِعِمَّا لِلْمَمْلُوكِ أَنْ يُتَوَفَّى، يُحْسِنُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَصَحَابَةَ سَيِّدِهِ، نِعِمَّا لَهُ))[3].

وقال القرطبي: "وقول أبي هريرة: (لولا الجهاد، والحج، وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك) تصريح: بأن العبد لا يجب عليه جهاد، ولا حج. وهو المعلوم من الشرع؛ لأن الحج، والجهاد لا يخاطب بهما إلا المستطيع لهما. والعبد غير مستطيع. إذ لا استقلال له بنفسه، ولا مال؛ إذ لا يملك عند كثير من العلماء، وإن ملك عندنا فليس مستقلاً بالتصرف فيه. ويظهر من تمني أبي هريرة رضي الله عنه كونه مملوكًا: أنه فضَّل العبودية على

---

(١) سورة الانشقاق الآيات: ٧ - ٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٣٦/٥ - ٤٣٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٦٧.

الحرية. وكأنه فهم هذا من مضاعفة أجر العبد الصالح. وهذا لا يصح مطلقًا؛ فإن المعلوم من الشرع خلافه، إذ الاستقلال بأمور الدين والدنيا إنما حصل بالأحرار. والعبد كالمفقود لعدم استقلاله، وكالآلة المصرّفة بالقهر، والبهيمة المسخّرة بالجبر. ولذلك سُلب مناصب الشهادات، ومعظم الولايات، ونقصت حدوده عن حدود الأحرار، إشعارًا بخسة المقدار.

وكونه: له أجره مرتين؛ إنما ذلك لتعدد الجهتين، لأنه مطالب من جهة الله تعالى بعبادته، ومن جهة سيده بطاعته، ومع ذلك فالحر وإن طولب من جهة واحدة؛ فوظائفه فيها أكثر، وغناؤه أعظم، فثوابه أكثر. وقد أشار إلى هذا أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: (لولا الجهاد والحج وبر أمي لأحببت أن أموت عبدًا). أي: لولا النقص الذي يلحق العبد لفوات هذه الأمور"[1].

قال النووي: "وفيه فضيلة ظاهرة للمملوك المصلح وهو الناصح لسيده والقائم بعبادة ربه المتوجهة عليه، وأن له أجرين لقيامه بالحقين ولانكساره بالرق هذا وقد قال كعب رضي الله عنه: ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد والمراد بهذا الكلام: أن العبد إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه فليس عليه حساب لكثرة أجره وعدم معصيته، وهذا الذي قاله كعب رضي الله عنه يحتمل أنه أخذه بتوقيف ويحتمل أنه بالاجتهاد لأن من رجحت حسناته وأوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورًا"[2].

وقال ابن حجر: "والذي يظهر أن مزيد الفضل للعبد الموصوف بالصفة لما يدخل عليه من مشقة الرق، وإلا فلو كان التضعيف بسبب اختلاف جهة العمل لم يختص العبد بذلك، وقال ابن التين: المراد أن كل عمل يعمله يضاعف له، قال: وقيل: سبب التضعيف أنه زاد لسيده نصحًا وفي عبادة ربه إحسانًا فكان له أجر الواجبين وأجر الزيادة عليهما ولا يلزم من ذلك أن يكون أجر المماليك ضعف أجر السادات، وقد أجاب

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٣٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

الكرماني عن ذلك فقال: لا محذور في ذلك فقد يكون أجره مضاعفًا من هذه الجهة وقد يكون للسيد جهات أخرى يستحق بها أضعاف أجر العبد أو المراد ترجيح العبد المؤدي للحقين على العبد المؤدي لأحدهما"[١].

إن الإسلام دين العدالة ولذا فهو يَعِد العبد المملوك بالأجر مرتين لقيامه بحق الله سبحانه، وحق سيده، (وهذا التكرار في الأجر للعبد لقيامه بعبادة ربه وخدمة سيده ولقيامه بواجب العبادة مع مشقات الرق ومتطلباته، وفي الحديث مواساة للعبيد وأصحاب المهن الحقيرة والخدم وغيرهم ممن يضيقون بأعمالهم وتبشيرهم بحسن الجزاء وتضعيف الأجر إن قاموا بواجبهم ولم ينحرفوا عما يجب أن يكونوا عليه، وفي هذه الأحاديث ما يدل على أن الإسلام لا يعرف الطبقية والتفريق بين الناس، وقد عالج الأوضاع السائدة في العالم حين وجد منها الرق، فحث على العتق وأزال من الرق مضمونه من التسخير والتحقير)[٢].

وقال ابن عثيمين: "إن المملوك إذا قام بحق الله وحق سيده كان له الأجر مرتين، الأجر الأول: لقيامه بحق الله، والثاني: لقيامه بحق سيده، لأن لله عليه حقًا كالصلوات والصيام وغيرهما من العبادات التي ليست مبنية على أمر مالي، وللسيد عليه حق وهو القيام بخدمته، وما إلى ذلك، فإذا قام بالحقين صار له أجران"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (فله أجره مرتين)، (له أجران)، للعبد المملوك المصلح أجران)، وأسلوب الترغيب من الأساليب النافعة في حث المدعوين على الطاعة، وترغيبهم في الخير، "والترغيب هو التشويق للحمل على فعل أو اعتقاد أو تصور أو ترك خلافه، والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم، والإنسان مفطور

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٥٧ - ٦٥٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٦٣/٢.

على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب"[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٣].

رابعًا- من حكمة المدعو: الموازنة بين الأعمال:

حيث جاء في الحديث: (إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله)، وقوله: (لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، وهذا يدل على فضل الموازنة بين الأعمال ومراعاة الفروض والتطوع.

قال النووي: "وفي الحديث أن المملوك لا جهاد عليه ولا حج لأنه غير مستطيع، وأراد ببر أمه القيام بمصلحتها في النفقة والمؤن والخدمة ونحو ذلك مما لا يمكن فعله من الرقيق، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه لم يكن يحج حتى ماتت أمه لصحبتها، والمراد به حج التطوع لأنه قد كان حج حجة الإسلام في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقدم بر الأم على حج التطوع لأن برها فرض فقدم على التطوع"[٤].

وفي بيان فضل الموازنة بين الأعمال قال ابن حجر: "قال ابن عبدالبر: ومعنى الحديث: أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات، وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعًا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله بطاعته، قال: ومن هنا أقول: إن من اجتمع

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٣٩٣.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠٦٠.

عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد فأداه، كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئًا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها"[1].

جاء في فتح الملهم: "قوله: (فله أجره مرتين) قال ابن عبدالبر: معنى هذا الحديث عندي أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة ربه في العبادات وطاعة سيده في المعروف فقام بهما جميعا كان له ضعف أجر الحر المطيع لطاعته، لأنه قد ساواه في طاعة الله وفضل عليه بطاعة من أمره الله لطاعته... ومن هنا أقول: إن من اجتمع عليه فرضان فأداهما أفضل ممن ليس له عليه إلا فرض واحد فأداه كمن وجب عليه صلاة وزكاة فقام بهما فهو أفضل ممن وجبت عليه صلاة فقط، ومقتضاه أن من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد منها شيئا كان عصيانه أكثر من عصيان من لم يجب عليه إلا بعضها.

قوله: (للعبد المملوك المصلح) بضم الميم، اسم فاعل من الإصلاح، ووقع في رواية البخاري: (للعبد المملوك الصالح) وكأنه تفسير لهذا، والمراد العبد الذي يصلح عمله بالنصح لسيده، والقيام بعبادة ربه.

قوله: (والذي نفس أبي هريرة بيده) هذا صريح في أن هذه القطعة من الحديث مدرجة من أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه البخاري من طريق بشر بن محمد، فلم يميز المرفوع من المدرج، فزعمها الخطابي مرفوعة، وقال: (لله أن يمتحن أنبيائه، وأصفيائه بالرق، كما امتحن يوسف)، والحق أنها ليست مرفوعة، كما دلت رواية مسلم هذه، وقد جاء الحافظ في الفتح بعدة روايات أخرى قد صرح فيها بأنها مدرجة.

قوله: (لولا الجهاد في سبيل الله) إلخ: وإنما استثنى أبو هريرة رضي الله عنه هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترط فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض وجوهه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/٥.

لكونه إذ ذاك لم يكن له ما يزيد على قدر حاجياته، فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن السيد، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن السيد، كذا في فتح الباري.

ودل الحديث على أن المملوك لا تجب عليه هذه الأشياء الثلاثة، أما الأولان فلعدم الاستطاعة، لأن منافعه مملوكة لسيده، وأما الثالث فلأن المال الذي ينفق منه عليها للسيد، وإنما يريد أبو هريرة رضي الله عنه ببرها النفقة عليها، وأما البر الذي يرجع إلى خفض الجناح والملاطفة فيستوي في الحر والعبد. كذا في شرح الأبي حكاية عن القاضي عياض -رحمهما الله تعالى-.

قوله: (وبر أمي) اسمها أميمة، أو ميمونة، وهي صحابية.

قوله: (لأحببت أن أموت وأنا مملوك) لما له من الأجر المضاعف. وإن قول أبي هريرة هذا يترقرق منه مدى سماحة المجتمع الإسلامي للعبيد والمماليك، وحسن معاملته بهم، ومعرفة فضلهم في الأجر، حتى إنهم يغتبطهم الأحرار، وهذا من أدل دليل على ما أسلفنا في أول كتاب العتق من أن الإسلام جعل الرق إخاء، ولم يترك على العبد إلا اسم الرقيق.

قوله: (لم يكن يحج حتى ماتت أمه) يعني: حج التطوع، وإلا فقد ثبتت حجته المفروضة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ودل عمله هذا على أن بر الأم فرض، فلا يترك للعبادات النافلة، ومن هنا أجمع العلماء على أن حج التطوع لا يجوز بغير إذن الوالدين، وفي الحج المفروض خلاف، فقال مالك والشافعي -رحمهما الله-: ولا يجوز للوالدين المنع منه، ولا يمتنع الولد منه إن منعا، وقيل: لا يجوز الحج، حتى يأذن له الوالدان.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: مذهب الحنفية في الحج المفروض أنه إن كان أحد الوالدين بحال يحتاج فيه إلى خدمة الولد، ولا يطيق القيام بمصالحه لكبر أو مرض، وليس عنده خادم يقوم بأمره، فحينئذ لا يجب الحج على ابنه، حتى يجد من يقوم بأمره"[1].

ومن هذا يتبين أن من حكمة المدعو أن يوازن بين الأعمال ويقدم الفروض على النوافل والواجبات على المستحبات.

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ: محمد تقي العثماني ٢٠٩/٨ - ٢١١.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل أبي هريرة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث: (والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك)، ولا شك أن هذا يدل على فضل أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن عبدالبر: "هو صاحب رسول الله ﷺ قال عن نفسه: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس، فسميت في الإسلام عبدالرحمن وإنما كنيت بأبي هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كُمي فقيل لي: ما هذه؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة أسلم أبو هريرة عام الخيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم راضيًا بشبع بطنه فكانت يده مع رسول الله ﷺ وكان يدور معه حيث دار وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ"[1].

وقال ابن الجوزي: "وقدم أبو هريرة رضي الله عنه المدينة سنة سبع ورسول الله ﷺ بخيبر فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله ﷺ المدينة، جاء عنه أنه قال: نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا وكنت أجيرًا لبرّة بنت غزوان بطعام بطني وعُقبة رحلي فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدوا إذا ركبوا فزوجنيها الله عز وجل فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا وجعل أبا هريرة رضي الله عنه إمامًا وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله ﷺ وبين حجرة عائشة رضي الله عنها فيقول الناس: إنه لمجنون، وما بي جنون، ما بي إلا الجوع وعن أبي عثمان النهدي قال: تضيفت أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يتعقبون الليل أثلاثًا، يصلي هذا ثم يوقظ هذا، ويصلي هذا ثم يوقظ هذا، وعن ابن شوذب قال: لما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعقبة كؤود المهبط منها إلى الجنة أو النار"[2].

وقال ابن حجر: "قال أبو نعيم: كان أحفظ الصحابة رضي الله عنهم لأخبار رسول الله ﷺ ودعا له بأن يحببه إلى المؤمنين، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرًا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٨٦٢ - ٨٦٣.

(٢) صفة الصفوة ١/٣٠٤ - ٣٠٥.

وسكن الصفة، ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقى بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة رضي الله عنهم حديثًا، وعاش أبو هريرة رضي الله عنه ثمانيًا وسبعين سنة وكانت وفاته بقصره بالعقيق فحمل إلى المدينة وتوفي سنة سبعة وخمسين هجرية"[1].

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ص ١٥٧٠- ١٥٧١.

الحديث رقم (١٣٦٥)

١٣٦٥- وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أجْرَانِ))، وَالَّذي نَفْسُ أَبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَوْلاَ الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبْتُ أنْ أَمُوتَ وَأنَا مَمْلُوكٌ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المصلح: من الصلاح وهو إحسان العبادة والنصح للسيد، ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث فيه وعد صادق للمملوك بمضاعفة الأجر كما جاء في الحديث السابق، ولكن هذا الحديث فيه ما يلفت النظر ويستحق التأمل وهو أن أبا هريرة أحب أن يموت وهو مملوك ليفوز بالأجر المضاعف. . وجعل هذه الأمنية متعلقة بالشرط. . حيث العوائق والمسؤوليات الشرعية التي تحول دون تحقيق هذه الرغبة المحببة، ومن أسرار الحديث البلاغية: التقديم والتأخير في الجملة الأولى حيث قدم الخبر على المبتدأ وقال للعبد المملوك أجران، وهذا التقديم يعطى الأهمية والقيمة للمملوك. . ولكن صفه هذا المملوك هي التي تؤهله لهذه القيمة وذلك الأجر وهى صفة "المصلح "اسم فاعل: أي أن العبد يقوم بالإصلاح، وكلمة "مصلح "من الكلمات الموجزة التي تشع بما ورد في الحديث السابق من سلوكيات يقوم بها العبد في ظل طاعة سيده وخدمته: قال الحافظ: اسم الصلاح يشمل ما نقدم من إحسان العبادة والنصح للسيد يشمل أداء حقه من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٤٨)، ومسلم (١٦٦٥/٤٤) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٠).

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٨/٥.

الخدمة وغيرها. والقسم في كلام أبى هريرة "والذي نفس أبى هريرة بيده "يرشد إلى أهمية الرغبة التي يتمناها أبو هريرة وقيل أن هذا القسم ورد على لسان رسول الله ﷺ "حيث لفظ "أبى هريرة عند البخاري "- وأسلوب الشرط : في الحديث ينبيء عن التضاد الموجود بين المأمول والواقع: فالمأمول هو جواب الشرط الممتنع وهو "الموت مملوكاً وذلك لوجود ما يحول دون ذلك وهو "الجهاد - والحج - وبر الأم "ولولا "أداة امتناع لوجود - حيث امتنع وقوع الجواب لوجود الشرط وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى "فالمصدر المؤول "أن أموت "تقديره "الموت "ولكن صياغته في الحديث تبتعد بالمتحدث عن تمنى الموت "الصريح "وقوله "وأنا مملوك "لأن ضمير الرفع المنفصل للمتكلم "أنا "يفيد الاختصاص بهذه الصفة وليس سواه والجملة "حالية "ترصد حال المتحدث ورغبته في أن يموت وهو في حالة "الرق "ليس طلباً للرق - ولكن طلباً للأجر المضاعف.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٦٦)

١٣٦٦- عن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالطَّاعَةِ، لَهُ أَجْرَانِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث ينوه بفضل المملوك الذي يؤدى حق الله تعالى وحق مواليه وهو هاله في قلب مجموعة من الأحاديث يتضوأ بها باب "فضل المملوك "وأحاديث الباب كلها تقر بأن له أجرين ولكن تختلف الصياغة من حديث لآخر وهذا الحديث كله جمله اسمية واحدة تتكون من مبتدأ - والمملوك وما يتبعه من متعلقات وصفات ثم الخبر وهو قوله: له أجران فالحديث كتلة أسلوبية ومعنوية متماسكة ويتسم بوحدة عضوية وموضوعية على الرغم من إيجازه وصفات المملوك التي تؤهله للفوز بأجرين "تبدأ باسم الموصول "الذي "وهو لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، واسم الموصول من أنواع المعارف التي لها أثرها في تحسين الكلام وترابطه وتماسكه والتعبير بالمضارع في قوله: يحسن ويؤدى - يصور نشاط هذا المملوك وتجدد حركته وعدم إنشغاله عن ربه، وعدم تقصيره في حق سيده، ولكنه يحسن العبادة ويؤدى إلى سيده الذي عليه من الحق والطاعة والنصيحة، وفى قوله: الذي عليه "إشارة إلى أن العبد لا بد أن يلتزم بذلك فهي حقوق عليه لسيده، و"من "للبيان وتوضيح الإبهام الذي يتضمنه اسم الموصول: الذي - وتكرار اسم الموصول يوحى بأهمية المملوك، وبأهمية ما علية من حقوق، حتى يفوز بما وعده به رسول الله ﷺ حيث ختم الحديث الشريف بقوله: له أجران "ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٥٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٨).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٦٤).

الحديث رقم (١٣٦٧)

١٣٦٧- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لَهُمْ أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أدَّى حَقَّ الله، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ[1] أَمَةٌ فَأدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

مواليه: جمع مولى وهو اسم يقع على جماعة كثيرة منها المالك والسيد[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد المباني متلبسة فيه بالمعاني وهذه ميزة البيان النبوي حيث يتسم بالقصد والخلوص والاستيفاء ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث "التفصيل بعد الأجمال "حيث أجمل أولاً في قوله: ثلاثة لهم أجران، ثم فصل بعد ذلك في بيان معالم هؤلاء الثلاثة وفى مفتتح الحديث مظهران من مظاهر الأسلوب الفني. . هما: التقديم، والتأخير في قوله: لهم أجران فتقديم "الجار والمجرور لإشعارهم بأن حقهم لا يضيع واللام للملكية لزيادة الاطمئنان والترغيب في الجودة والإتقان وفى قوله: ثلاثة "حذف "وهو من سمات البلاغة الأسلوبية والتقدير: ثلاثة أشخاص أو طوائف والمفهوم يغنى عن المنطوق والحذف أبلغ وأولى حين يكون الذكر إسهاباً وزيادة لفظية، وقوله: رجل للتغليب والمراد: الرجل

---

(١) عند البخاري بدل: (له)، (عنده أمة يطؤها). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٧)، ومسلم (١٥٤/٢٤١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ي).

والمرأة - والذكر والأنثى، وتكرار الفعل آمن. . لتأكيد الإيمان بالأنبياء السابقين والنبي محمد ﷺ ويوحي هذا التكرار بتعدد الأجر لأنه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم وأسلوب الشرط في قوله "إذا أدى حق الله وحق مواليه. . يشير إلى أن تحقق فعل الشرط - يمهد ويفتح الطريق لتحقيق جواب الشرط وهو هنا محذوف للعلم به سابقاً وتقديره "فله أجران "وحين نتأمل دلالة أدوات الربط في الحديث وخاصة حروف العطف نجد أنها تتسق مع مراعى الحديث ومقاصده فالواو لمطلق الجمع في قوله: آمن بنبيه وآمن بمحمد، والمراد الجمع بينهما بلا أي تسويف والعطف بالفاء في قوله: فأدبها فأحسن تأديبها يناسب المقام: لأن تعليم الآداب الشرعية أولاً ثم التأديب والتعليم وهو "ما تحتاجه الأمة من توجيهات وإرشادات في معاشها ومعادها وطرق خدمتها وفى مجال العتق يأتي العطف بثم "لأن ذلك يكون بعد التأديب والتعليم والإعداد الجيد وثم تفيد التراخي ولكن بعد العتق يكون الزواج على الفور ولذلك جاء العطف بالفاء وهى تفيد الترتيب والتعقيب والإسراع (ثم اعتقها فتزوجها) وتكرار "فله أجران "في ختام الحديث: لتذكير هؤلاء الذين ضوعف لهم الأجر. . ولكي يزيدوا اطمئناناً بأن حقهم لن يضيع مصداقاً لقول الله عز وجل "إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا "سورة الكهف ٣٠.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: أهل الكتاب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب..)، وأسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة التي تثبت المعلومة لدى المدعو وتدل على بلاغة الداعية وتمكنه مما يقول، وتشد انتباه المدعو إلى معرفة التفصيل بعد الإجمال، ومن

صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الإجمال والتفصيل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾[1].

وفي الحديث أجمل النبي ﷺ عدد الثلاثة الذين لهم أجران ثم فصل ذكرهم واحدًا بعد الآخر والواجب على الداعية استعمال هذا الأسلوب لزيادة إفهام السامع.

ثانيًا- من أصناف المدعوين: أهل الكتاب::

يتضح هذا من الحديث: (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ)، "ولما كان الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعًا وليس مقصورًا على العرب وحدهم توجه الرسول ﷺ بدعوته إلى أهل الكتاب لإقامة الحجة عليهم من خلال تنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ﷺ وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة، وقد أقام الرسول ﷺ الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بمؤمني أهل الكتاب وتصديقهم ما جاء به الرسول ﷺ وشهاداتهم أن ما أنزل عليه هو الحق"[2]، والحكمة في جعل أهل الكتاب صنفًا خاصًا من أصناف المدعوين: "أن أهل الكتاب وإن كانوا يشتركون مع غيرهم من المشركين في الكفر والشرك إلا أنهم يتميزون عنهم بأنهم أهل كتاب سماوي ولذلك جاءت آيات القرآن تخاطبهم باسمهم وتبين لهم طريقًا في الدعوة يختص بهم دون غيرهم"[3].

وإذا كان من أصناف المدعوين أهل الكتاب فإن الواجب على الدعاة إلى الله التزام منهج القرآن في خطاب أهل الكتاب، وطريقة دعوته لهم.

"إن الخطاب القرآني لغير المسلمين اتسم بالحكمة التي من أبرز معانيها: وضع

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٨ - ٢٠.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله اللحيدان ص ٤٥.

الشيء في موضعه، ففي مواطن الحسم والحزم يكون الخطاب حاسمًا، لكن السمة الغالبة على الخطاب هي عدم تجريح أو إيذاء مشاعر غير المسلمين، وهذا لا يمنع بالطبع من إقامة الحجة والبرهان عليهم وكشف أفعالهم ومواقفهم فتلك حقائق ينبغي أن تكون واضحة، فليس هناك مجال للمداهنة ولا التملق أو النفاق، أو ما يتردد الآن من دعاوى غربية تطالب المسلمين بضرورة "تغيير الخطاب الديني"، هذه العبارة مطاطة والمعاني المقصودة منها أو التي يقصدها الغرب غير المعاني التي نطالب بها.

فالمراد من تغيير الخطاب الديني من وجهة نظر الغرب، هو عملية مسخ على الطريقة الغربية إسلام غربي، يغيب المسلم عن واقعه، تضيع فيه الهوية الإسلامية للمجتمعات لا يتحدث عن الآيات القرآنية التي وردت في شأن اليهود، كما يراد في مناهج التعليم في العالم الإسلامي، إنهم يريدون خطابًا يكرس التبعية للغرب.

ويا للأسف فقد استتبتوا نابتة لهم في العالم الإسلامي من أبنائه، ممن ينادون بضرورة تغيير الخطاب الديني، إنها دعوة ماكرة فاسدة ترمي إلى تضييع معالم الخطاب الديني وسلخ الأمة من تاريخها وحضارتها، وتغييب وعي الأمة الإسلامية.

ومما ينبغي التأكيد عليه أن الخطاب الديني الذي يحتاج إلى تطوير وتغيير لا يتعلق بأصول الخطاب ومادته المستمدة من الكتاب والسنة.

وإنما يتعلق بتطوير الأفكار في عرض موضوعات الخطاب، وتطوير الأساليب، ودراسة عقلية وفكر من نخاطب من غير المسلمين، إنه لا بد أن يصدر الخطاب الديني لغير المسلمين عن فهم ودراسة وفقه للواقع وللجغرافيا بأنواعها، وفهم للزمان والمكان.

إننا بحاجة إلى مراجعة مستمرة لتقويم وسائلنا وأساليبنا في الخطاب، إنه لا بد من إعادة النظر باستمرار في لغة الخطاب سواء من ناحية اللهجة التي تحتاج إلى إتقان، أم من ناحية الأسلوب، فالخطاب مع غير المسلمين لا بد وأن يكون راقيًا وليس مستهجنًا، لا بد وأن يكون لائقًا بعيدًا عن الاستفزاز.

إنه لا بد من إبراز الجوانب الفكرية في الخطاب الديني، وكيف أن الإسلام احترم العقل، لأنه من مصادر المعرفة بعد الوحي، ومن ثمّ حث الإسلام على إعمال العقل، وذم التقليد.

إن الخطاب الإسلامي بحاجة إلى إبراز التكامل بين الروح والمادة، والعلاقة الوثيقة بين عمل الإنسان في الدنيا، وجزائه في الآخرة"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبمحمد ﷺ والعبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه والمحسن إلى أمته:

يتضح هذا من الحديث: (ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ... إلخ الحديث)، وهذا يدل على فضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه وبالرسول ﷺ وكذلك العبد المملوك المؤدي لحق الله وحق مواليه، والمحسن لجاريته "أمته" وأنهم يأخذوا حر أجرهم مرتين وقد نص الله على هذا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٢].

قال أبو عبدالله القرطبي: (قال علماؤنا: لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبًا بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطبًا من جهة نبيِّه، ثم إنه خوطب من جهة نبيّنا فأجابه واتبعه فله أجر الملتين، وكذلك العبد هو مأمور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده، ورب الأمة لما قام بما خوطب به من تربيته أمته وأدبها فقد أحياها إحياء التربية، ثم إنه لما أعتقها وتزوّجها أحياها إحياء الحرّية التي ألحقها فيه بمنصبه، فقد قام بما أمر فيها، فأجر كل واحد منهما أجرين. ثم إن كل واحد من الأجرين مضاعف في نفسه، الحسنة بعشر أمثالها فتتضاعف الأجور. ولذلك قيل: إن العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى أفضل من الحرّ)[٣].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه: نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما

---

(١) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين د. محيي الدين عفيفي أحمد ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/١٦.

قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾[1]، حتى ختمها فجعلوا يبكون وأسلموا وقوله تعالى: (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)، أي: هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني يؤتون أجرهم مرتين بإيمانهم بالرسول الأول ثم بالثاني ولهذا قال: (بما صبروا)، أي: على اتباع الحق، فإن تجشم مثل هذا شديد على النفوس"[2]، وعن أبي أمامة قال: إني لتحت راحلة رسول الله ﷺ يوم الفتح،فقال قولاً حسنًا جميلاً وكان فيما قال: ((مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَهُ أَجْرُهُ، وَلَهُ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا))[3].

جاء في فتح الملهم: "قوله: (يؤتون أجرهم مرتين) إلخ: قلت الذي يظهر لي -والله أعلم- أن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة مركب من جزئين متزاحمين، يمنع الاشتغال بأحدهما توفية حق الآخر.

فمن آمن بنبي هو مسلم الصدق عند نبينا ﷺ صحيحًا كان هذا الإيمان عند الشرع أم لا، ثم لم يستغن بما عنده عن الإيمان بنبينا ﷺ، فلا ريب أنه أشد مجاهدة لنفسه في ترك حظوظها، ودفع شهواتها، وإيثار ما عند الله تعالى على ما يحكم به هواه، فهو أعظم درجة عند الله من هذه الجهة بالنسبة إلى سائر المؤمنين الذي ليسوا بهذه المثابة، فلا بعد في تضعيف أجره. وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾[4]، إيماء إلى أن تضعيف أجورهم إنما هو بالصبر على مكاره النفس، والحاصل: أن من عمل حسنة مع وجود ما يقاومها ويزاحمها، أو ما يمنع من استيفاء حقها أحق بإعطاء الأجر مرتين، ونظيره قوله ﷺ عند الشيخين: ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ

---

(١) سورة يس، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦/٢٤٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٥٩، رقم ٢٢٢٣٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٦/٥٧٠.

(٤) سورة القصص، آية: ٥٤.

السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ))[1].

وقس على هذا: العبد الذي يؤدي حق الله سبحانه وتعالى مع أداء حق سيده، فإن الجمع بينهما متعذر غاية التعذر، فالمحبوس في الرق إذا وفق للجمع بين الأمرين، ولم ينقص من حق أحدهما شيئًا، فهو حقيق بأن يضاعف أجره، وهكذا الرجل الذي غذا جاريته، فأحسن غذاءها، وأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها ثم تزوجها، فإن تزويجه الأمة المملوكة التي شأنها كذا موجب لتعيير الناس عرفًا كما يفهم من تشبيهه بالراكب بدنته في قول الخراساني للشعبي، وأصرح منه ما نقلنا عن أنس وغيره من السلف.

فحديث الباب دلّ على أن للمتزوج أمته بعد إعتاقها أجرين، وليس هذا من باب العود في الصدقة في شيء بل هو إحسان عظيم إليها بعد إحسان عظيم، لأن في الإعتاق تخليصًا من قهر الرق وأسره، والتزوج فيه الترقي إلى إلحاق المقهور بقاهره، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2].

وقوله: (رجل من أهل الكتاب)، قال الحافظ: لفظ الكتاب عام ومعناه خاص أي: المنزل من عند الله، والمراد به التوراة والإنجيل - كما تظاهرت به نصوص الكتاب والسنة - حيث يطلق أهل الكتاب. وقيل: المراد به هنا الإنجيل خاصة، إن قلنا: إن النصرانية ناسخة لليهودية، كذا قرره جماعة، ولا يحتاج إلى اشتراط النسخ، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام كان قد أرسل إلى بني إسرائيل بلا خلاف، فمن أجابه منهم نسب إليه، ومن كذبه منهم واستمر على يهوديته لم يكن مؤمنًا، فلا يتناوله الخبر، لأن شرطه أن يكون مؤمنًا بنبيه، نعم! من دخل في اليهودية من غير بني إسرائيل، أو لم يكن بحضرة عيسى عليه السلام فلم تبلغه دعوته يصدق عليه أنه يهودي مؤمن، إذ هو مؤمن بنبيه موسى عليه السلام، ولم يكذب نبيًا آخر بعده، فمن أدرك بعثة محمد ﷺ ممن كان بهذه المثابة وآمن به: لا يشكل أنه يدخل في الخبر المذكور.

---

(١) أخرجه البخاري ٤٩٣٧، ومسلم ٧٩٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

ومن هذا القبيل العرب الذين كانوا باليمن وغيرها ممن دخل منهم في اليهودية، ولم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لكونه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة. نعم! الإشكال في اليهود الذين كانوا بحضرة النبي ﷺ، وقد ثبت أن الآية الموافقة لهذا الحديث - وهي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[1]، نزلت في طائفة آمنوا منهم كعبدالله بن سلام وغيره، ففي الطبراني من حديث رفاعة القرظي قال: (نزلت هذه الآية في وفيمن آمن معي)، وروى الطبراني بإسناد صحيح عن علي بن رفاعة القرظي، قال: (خرج عشرة من أهل الكتاب، منهم أبو رفاعة إلى النبي ﷺ، فآمنوا به فأوذوا فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[2][3]، فهؤلاء من بني إسرائيل، ولم يؤمنوا بعيسى، بل استمروا على اليهودية، إلى أن آمنوا بمحمد ﷺ، وقد ثبت أنهم يؤتون أجرهم مرتين.

قال الطيبي[4]: "فيحتمل إجراء الحديث على عمومه، إذ لا يبعد أن يكون طريان الإيمان بمحمد ﷺ سببًا لقبول تلك الأديان، وإن كانت منسوخة" انتهى.

ويمكن أن يقال في حق هؤلاء الذين كانوا بالمدينة إنه لم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام، لأنها لم تنتشر في أكثر البلاد فاستمروا على يهوديتهم، مؤمنين بنبيهم موسى عليه السلام إلى أن جاء الإسلام، فآمنوا بمحمد ﷺ فبهذا يرتفع الإشكال إن شاء الله تعالى. كذا في الفتح. وقد سبق منا ما يزيل هذا الإشكال.

قوله: (آمن بنبيه) إلخ: فيه إشعار بعلية الأجر، أي: أن سبب الأجرين الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك، ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمدًا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿يَجِدُونَهُۥ

---

(١) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٢.

(٣) انظر: ما أخرجه الطبراني ٥/٥٣، رقم ٤٥٦٣، ٤٥٦٤.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١/١٢٦.

مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[١]، فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذا من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره، وقد ورد مثل ذلك في حق نساء النبي ﷺ، لكون الوحي كان ينزل في بيوتهن. فإن قيل فلم لم يذكرن في هذا الحديث، فيكون العدد أربعة، فأجاب شيخنا شيخ الإسلام بأن قضيتهن خاصة بهن، مقصورة عليهن، والثلاثة المذكورة في الحديث مستمرة إلى يوم القيامة، قاله الحافظ.

قوله: (فآمن به واتبعه وصدقه) إلخ: قال ابن المنير: مؤمن أهل الكتاب لا بد أن يكون مؤمنًا بنبينا ﷺ، لما أخذ عليهم من العهد والميثاق، فإذا بعث فإيمانه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أجره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا رسول، والثاني بأن محمدًا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. انتهى.

ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم فحصل له الأجر الثاني بمجاهدته نفسه، وعلى مخالفة نظرائه، كذا قيل.

والحق أن الكتابي قد آمن بكل من النبيين مرتين، مرة بنبيه السابق تفصيلاً، وبمحمد ﷺ إجمالاً، وأخرى بمحمد ﷺ مفصلاً وبالأنبياء السابقين مجملاً، فإن محمدًا ﷺ مصدق لسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهم قد بشروا به وأخذ منهم العهد والميثاق على الإيمان به ونصره، فانطوى الإيمان بنبي سابق على الإيمان بنبي لاحق، وبالعكس، ولعل لهذه النكتة قال في القرآن: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[٢]، دون (يؤتون أجرين) والله أعلم"[٣].

قال القرطبي: "وفيه دليل على أن من لم تبلغه دعوة رسول الله ﷺ ولا أمره لا عقاب عليه، ولا مؤاخذة، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[٤]،

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٤.

(٣) فتح الملهم، الشيخ: شبير أحمد العثماني ١٩٧/٢ – ٢٠٠ بتصرف.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٥.

ومن لم تبلغه دعوة الرسول ولا معجزته فكأنه لم يُبعث إليه رسول. وهذا الكتابي الذي يُضاعف أجره هو الذي كان على الحق في شرعه عقدًا وفعلاً، ثم لم يزل مُتمسكًا بذلك إلى أن جاء نبينا ﷺ فآمن به، واتبع شريعته، فهذا هو الذي يؤجر على اتباع الحق الأول والحق الثاني، وأما من اعتقد الإلهية لغير الله تعالى كما تعتقده النصارى اليوم، أو من لم يكن على حق في ذلك الشرع الذي ينتمي إليه، فإذا أسلم جبّ الإسلام ما كان عليه من الفساد والغلط، ولم يكن له حق يؤجر عليه إلا الإسلام خاصة، والله أعلم[1].

وأما فضل العبد المملوك فقد جاء في الحديث: (العبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه)، وهذا يدل على فضله لأنه يأخذ أجره مرتين.

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة العبد المملوك القائم بحقوق الله تعالى وحقوق سيده"[2].

وأما فضل من أعتق جارية فتزوجها فقد قال ابن حجر: "وفي الحديث دليل على فضل من أعتق أمته ثم تزوجها سواءً أعتقها ابتداء لله أو لسبب وقد بين الحديث أن من يحصل لهم تضعيف الأجر مرتين ثلاثة أصناف: متزوج الأمة بعد عتقها، ومؤمن أهل الكتاب، والمملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه"[3].

جاء في الموسوعة الفقهية: "شُرع العتق بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾[4]، وقوله جل شأنه: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾[5]، وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[6].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٩٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩/٣٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٥) سورة المجادلة، آية: ٣.

(٦) سورة البلد، آية: ١٣.

وأما السنة فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((من أعتَقَ رقَبةً مُسلمةً أَعتقَ اللّهُ بكل عُضو منه عضوًا من النار حتَّى فَرجَهُ بفَرجهِ))[1]، وقد أعتق النبي ﷺ الكثير من الرقاب، وأعتق ابو بكر وعمر رضي الله عنهما الكثير من الرقاب.

وقد أجمعت الأمة على صحة العتق وحصول القربة به.

وأما حكمة مشروعية العتق فإن العتق من أفضل القرب إلى الله تعالى، فقد جعله كفارة لجنايات كثيرة منها: القتل، والظهار، والوطء في شهر الصيام، والحنث في الأيمان، وجعله الرسول ﷺ فكاكًا لمعتقه من النار - لأن فيه تخليصًا للآدمي المعصوم من ضرر الرق وملك نفسه ومنافعه وتكميل أحكامه وتمكنه من التصرف في نفسه على حسب إرادته واختياره.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٥١، ومسلم ١٥٠٩ واللفظ له.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الجمع بين أداء الحقوق:

العبدُ المملوك يعمل طوع أمر سيده فيقضي حاجاته، ويقوم على شؤونه، ويكون وقته وجهده لسيده، فهو واجب عليه أن يطيعه فيما هو حق ومباح، ولا يجوز له أن يتخلف عن ذلك، فهذا هو واجبه الذي عليه أن يؤديه ويقوم به، ولذا كان في شغل من أمره، وهو من ناحية أخرى عبد لله رب العالمين، يجب أن يعبد رب بما طلبه، من صلاة وصيام ونحو ذلك ويكون في ذلك محسنًا في عبادته لا يكتفي بمجرد الأداء والصورة فحسب بل يجمع إلى ذلك، حضور قلبه وخشوعه وخضوعه لله رب العالمين أيضًا.

إذن اجتمع على العبد واجبان: أحدهما ديني والآخر دنيوي وهذا التفصيل من أجل بيان الجهة التي يتوجه بها إلى عمله، وإلا فإنه في الإسلام ليس هناك فصل بين الديني والدنيوي، فالدنيوي ديني بالنية والإخلاص لله عز وجل، إذن اجتمع على هذا العبد حقان ديني ودنيوي، وقد يكون في أدائه الحق الدنيوي متعبًا منهكمًا نظرًا لكثرة العمل، فيدفعه هذا إلى التقصير في عبادته والإحسان فيها.

ومن ناحية أخرى ربما يدفعه رغبته في إحسان عبادته وتجميلها إلى التقصير في حق سيده، فيقوم بأعماله بوجه فيه قصور أو إهمال أو تسيب قد لا يلحظه سيده، ولا يكون ناصحًا له فلا يؤدي إليه حقه الذي له عليه كما ينبغي.

إذن ربما أدى هذا أو ذاك إلى التقصير في أحد الواجبين أو كليهما معًا، لذا كان للعبد فضل كبير وثواب جزيل إذا أدّى هذين الواجبين على خير ما ينبغي: فعبد ربه وأحسن عبادته ونصح لسيده فخدمه وأحسن خدمته وأطاعه، لذا أشاد النبي ﷺ بهذا العبد الذي قام بما يجب عليه خير قيام وأداه خير أداء وأحسن في ذلك وأجاد، فقال: (إن العبد إذا نصح لسيده، وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين)، وقد تكرر هذا المعنى في أحاديث الباب الأخرى.

قال ابن حجر: (اسم الصلاح يشمل شرفين، وهما إحسان العبادة والنصح للسيد،

ونصيحة السيد تشمل أداء حقه من الخدمة وغيرها)[1].

إذن هذه الاحاديث صورة من صور الحض والترغيب في أداء الحقوق جميعها وعدم الاهتمام بجانب وترك جانب آخر، لكننا في حياتنا المعاصرة نرى صورًا من الإخلال في أداء الحقوق جميعها، من ذلك:

أ- تجد بعض الأزواج يقدمون واجبات على أخرى، فيهتمون بالأولى ويهملون الأخرى، تجدهم إما أن يؤدوا حقوق الأم والأب والأخوة ولا يلتفتون إلى حقوق الزوجة إلا نادرًا، وإما أن يؤدوا حقوق الزوجة كاملة، ولا يؤدون حقوق الآباء والأمهات إلا في الأعياد والمناسبات على قلتها وندرتها.

ب- تجد بعض الموظفين والعاملين يهمل في أداء واجبات وظيفته الحكومية، فتجده كثير الغياب وإذا حضر سخر وقته وجهده لعمله الخاص وإلا أخلد إلى الراحة والكسل وأهمل أداء ما يجب عليه، أما في عمله الخاص به فتجده شعلة نشاط لا يكاد يهدأ ولا يكاد ينال قسطًا كافيًا من النوم، وتجده شديد اللوم لمن يعملون معه إذا قصروا أو أهملوا إهمالاً بسيطًا غير مقصود.

ج- تجد بعض المكثرين من الحج والعمرة مقصرين في أداء الواجبات أو المندوبات المالية، فربما يكون بعضهم لا يخرج زكاة ماله، وكثير منهم قد يخرج إلى الحج والعمرة وقد ترك له جيرانًا لا يجدون ما يسدون جوعهم ولا ما يسترون به أبدانهم، ولا ما يقيهم حرّ الصيف وبرد الشتاء.

وغير ذلك من مظاهر الخلل في الجمع بين الواجبات جميعها، وعلى ذلك تكون أهمية التربية على عدم الإخلال بالواجبات قدر الجهد والطاقة، وتأدية كل واحد ما يجب عليه.

ثانيًا- التربية على الموازنة بين الأمور:

لما عرف أبو هريرة رضي الله عنه فضل العبد المملوك الصالح وما له من أجر كبير، لما عَرَف ذلك أحب أن يكون مملوكًا يعيش مملوكًا ويموت مملوكًا، لكنه قلّب الأمر

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/١٢٨٥.

على وجوهه المختلفة فوجد أن كونه مملوكًا -على فضله وأجره- يمنعه من فعل أشياء أفضل وأعظم، إنه يمنعه من أن يجاهد في سبيل الله، ويمنعه من أن يؤدي الحج، فضلاً عن أنه يمنعه من بر أمه البرّ التام، قال ابن حجر: (إنما استثني أبو هريرة رضي الله عنه هذه الأشياء لأن الجهاد والحج يشترك فيهما إذن السيد، وكذلك بر الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض الوجوه، بخلاف بقية العبادات البدنية، ولم يتعرض للعبادات المالية إما لكونه كان إذ ذاك لم يكن له مال يزيد على قدر حاجته فيمكنه صرفه في القربات بدون إذن سيده، وإما لأنه كان يرى أن للعبد أن يتصرف في ماله بغير إذن سيده) [1].

إننا أمام موازنة أقامها أبو هريرة رضي الله عنه بين فضل كونه مملوكًا وفضل الأعمال التي قد لا يستطيع أن يفعلها إن هو أصبح مملوكًا، فقارن ووازن بين الفضلين والثوابين فاختار أعلاهما، وأحسنهما وأفضلهما، وترك أدناهما وأقلهما.

وفي ذلك تربية على الموازنة بين الأمور واختيار أفضلها وأحسنها، ونحن أحوج ما نكون إلى هذه التربية الموازنة، نظرًا لشيوع بعض مظاهر الخلل في حياتنا المعاصرة، والتي ظهرت بسبب غياب الموازنة والترجيح بين الأمور المتعارضة أو المتزاحمة، ونستطيع أن نرصد بعض هذه المظاهر:

أ - ترك ذوي التعليم المهني الممتاز أعمالهم وطلبهم للعلم الشرعي والرغبة في التفوق فيه والبروز، فتجد الطبيب والمهندس والصيدلي ونحوهم ممن قطعوا شوطًا كبيرًا في التعليم التخصصي وممارسة العمل والتفوق فيه، تجد بعضهم يترك عمله هذا أو يتوقف عن الإطلاع على المزيد ومواصلة التطور والتعمق فيه، ويكتفي بما حصّله، ويتجه بكليته إلى طلب العلم الشرعي التخصصي من فقه وحديث وتفسير وعلوم قرآن، ويجد في ذلك ويجتهد.

وهو في هذا صاحب نية صادقة وتوجه مشكور، ولكن لنوازن بين ما هو فيه وما يريد أن يكون: إنه قد ترك مهنته التي يعرفها ويتقنها أو توقف عن مواصلة التعلم فيها،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢٨٥/٢.

ومهنته هذه يحتاجها الناس أشد الاحتياج، ويبحثون عن كل أمين صادق قنوع في هذه المهن الخطيرة، فإذا ترك مهنته فربما أحوج الناس إلى الذهاب إلى غيره ممن لا يُعرف بصدق وأمانة أو قناعة، كما أنه إذا ترك الصادقون المخلصون الأمناء هذه المهن الخطيرة فإلى أين يذهب الناس وبمن يثقون؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مجال العلم الشرعي التخصصي فيه علماء مبرزون صادقون مخلصون ربانيون، يمكن أن يسألهم ويثق بعلمهم.

إننا نرى أن أصحاب هذه المهن الحيوية التي يحتاجها الناس عندهم من الفرص الثمينة ما يستطيعون أن يخدموا به الإسلام خير خدمة، دون أن يتركوا مهنهم تلك، إن عملهم يقوم على الاحتكاك بالناس ومخالطتهم ومعرفة الكثير عنهم، وهم إذا أخلصوا النية لله، وعاملوهم بصدق وأمانة وقناعة، كما هي آداب الإسلام وأخلاقه، لضربوا أمامهم أمثلة رائعة على كيف يكون الالتزام بالإسلام مفيدًا للناس قبل الملتزم، كما أنهم بسلوكهم هذا معهم يدعونهم بالممارسة والعمل إلى التحلي بآداب الإسلام وأخلاقه، ولا شك أن الدعوة بالممارسة والفعل أقوى من الدعوة بالقول.

ب - انشغال كثير من الناس ببناء المساجد وتعميرها، دون أن يلتفتوا إلى أهمية توفير مكتبة إسلامية تحتوي على أمهات الكتب الإسلامية في القديم والحديث، وتحتوي كذلك على النافع من العلوم، إنه من النادر أن تجد المكتبات الأهلية، وإذا وجدتها كانت قليلة الكتب محدودة المصادر، أما المساجد فتجدها كثيرة جدًا، لا يكاد يخلو شارع أو عدة شوارع من مسجد، بل قد تجد في بعض المدن أن الشارع الواحد فيه بضعة مساجد، لكن قد تخلو مدينة كبيرة من وجود مكتبة أهلية ذات وزن مقبول، أَلَيْست هذه المساجد تحتاج إلى من يعمرها ويرشد الناس فيها إلى الحق ويبصرهم بأمر دينهم ووجود مكتبة شرعية كثيرة المراجع والمصادر تسهل هذه المهمة تسهيلاً كبيرًا؟.

إن الإكثار من بناء المساجد عمل مشكور وجهد طيب لكن في نفس الوقت إهمال السبل لتيسير العلم والتعلم والاطلاع ومعرفة الصحيح والخطأ -أي التفقه في دين الله-

إهمال ذلك فيه إخلال كبير وخلل في الموازنة، لذا كان الأمر يحتاج إلى علاج هذا الخلل بالموازنة بين بناء المساجد وإقامة المكتبات الإسلامية الأهلية الكبرى حتى نجمع بين مكان العبادة وتصحيح العبادة التي تقام في المساجد وغيرها.

ثالثًا- من أهداف التربية الإسلامية: تعليم البنات:

حضّ النبي ﷺ على تأديب الإماء وإحسان تعليمهن ثم عتقهن وتزويجهن، أي الإحسان إليهن بكل ما تحمله كلمة الإحسان من معانٍ ودلالات، حضّ على ذلك بأن ذكر أن من فعل ذلك كان له أجران، قال النووي: (وليس هذا من الرجوع في الصدقة في شيء، بل هو إحسان إليها بعد إحسان) [1].

والذي يلفت نظرنا في هذا الحديث الشريف أنه ﷺ حضّ على تعليم الإماء في بيئة كانت لا تقيم لهن ولا للحرائر كبير وزن أو مزيد اهتمام أو كثير عناية، بل كانت بعض القبائل تنظر إلى المرأة أنها من سقط المتاع فلا تستحق تعليمًا أو تأديبًا أو إحسانًا أو مراعاة، ولم يكن المجتمع العالمي وقت البعثة بأحسن حالاً في نظرته الإجمالية إلى المرأة، فكون النبي ﷺ يحضّ على تعليم الإماء -وهن أقل من الحرائر بكثير- دليل واضح وجلي على أن التربية الإسلامية من أهدافها الأصيلة تعليم البنات حرائر وإماء كما كان من أهدافها تعليم البنين والرجال، إنها باختصار تهدف إلى تعليم المجتمع كله بجميع فئاته وأعماره، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث في كتاب العلم من صحيحه: باب: تعليم الرجل أَمَتَه وأهله[2].

قال ابن حجر: (باب تعليم الرجل أَمَتَه وأهله مطابقة الحديث للترجمة في الأمة بالنص وفي الأهل بالقياس، إذا الاعتناء بالأهل الحرائر في تعلم فرائض الله وسنن رسوله ﷺ آكد من الاعتناء بالأمة)[3].

إننا أمام توجيه نبوي شريف لتعليم البنات والنساء وتيسير السبل والطرق لذلك، لأن

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١/١٩٠.

(٢) الحديث ٩٧.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٣٣٦.

الاهتمام بتعليم البنات تعليم لأمهات المستقبل، ولا يخفى أن تأثير الأم على أولادها قد يعادل أو يفوق تأثير الأب عليهم، نظرًا لتفرغها ومعايشتها لأولادها في كل صغيرة وكبيرة، فتعليمها يتعدى إلى غيرها يتعدى إلى أولادها وأهلها فتساهم بدور فعال في إصلاح المجتمع والعمل على ترقيته وصدق حافظ إبراهيم إذ قال:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ولكي يأتي تعليم البنات بآثاره المرجوة من ورائه، نرى أنه لا بد أن يقوم على مبادئ وركائز هي:

أ - لا بدّ من تعليم البنات أن دورهن في الحياة لا يكون التصارع مع الرجال واعتبارهم مغتصبين لفرصهن ومناصبهن وحقوقهن، وإنما يكون التكامل مع الرجال والتعاون، فلا شك أن للرجال دورًا لا تستطيع النساء أن يقمن به، كما أن للنساء دورًا لا يستطيع الرجال أن يقوموا به.

ب - لا بدّ من غرس في نفوس البنات وأفئدتهن أن مهمتهن الأولى في هذه الحياة هي الحفاظ على بيوتهن وجعلها حدائق للتربية والتوجيه، ومساعدة الزوج، فكل عمل يتعارض مع هذه المهمة الجليلة يجب تجنبه وعدم الاشتغال به.

ج - لا بدّ من بيان أن الحضارة الإسلامية حضارة أصيلة، لا هي شرقية ولا غربية، هي فكر مستقل عن غيره من الأفكار، وهي حضارة لها من الأسس المتينة والمبادئ الراسخة ما يحفظ عليها خصائصها ومقوماتها، ولا يجعلها تذوب في غيرها وعلى ذلك يجب أن يكون للمرأة موقف مما هو حادث في عالم المرأة على مستوى العالم، فلا تتبع كل ناعق أو ناعقة، ولا تميل مع كل دعوى زائفة أو كل فكرة براقة، بل ترد ذلك إلى دينها فما أقرّه تمسكت به وعضت عليه بالنواجذ، وما رفضه رفضته ولم تنشغل به، بل كانت على حذر وحيطة منه.

❁ ❁ ❁

٢٣٩- باب فضل العبادة في الهرج

وَهُوَ: الاختلاط والفتن ونحوها

الحديث رقم (١٣٦٨)

١٣٦٨- عن مَعْقِلِ بن يسار ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إليَّ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

معقل بن يسار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٥٤).

غريب الألفاظ:

الهرج: الفتنة واختلاط أمور الناس، والقتال. وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع[٢].

الشرح الأدبي

حين نتأمل آفاق المعنى في هذا الحديث الذي اتسم بالدقة والإيجاز نجد الحديث مؤطرا بصورة تشبيهية تجمع بين طرفي الحديث، والجملة الأولى تمثل الطرف الأول من هذا التشبيه "وهو حال المسلم في عبادته التي يقوم بها في أجواء غير مناسبة حيث الاختلاط والفتن وهوشات الأسواق وحركة الناس في مثل هذه التجمعات التي تعج بالضجيج والصخب والأغاني واللعب، وغير ذلك من مظاهر اللهو والفن والتعبير بفي يدل على الظرفية والتمكن من الشيء وعلى الرغم من ذلك ينتصر العابد على هذه المغريات وتلك الإرجافات ويخلص العبادة لله والطرف الثاني من الصورة التشبيهية هو هذه العبادة المحاطه بالفتن تشبه في قوة الإرادة وصدق النوايا وصمود الإيمان في وجه مغريات الشيطان تشبه: الهجرة والفرار بالدين من دار الشرك إلى دار الإيمان، يقول

---

(١) برقم (٢٩٤٨/١٣٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ر ج).

القرطبي في تفسير هذه الصورة في ذلك (والمنقطع إليها المنعزل عن الناس أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ، وللهجرة دلالات متعددة وموحية تفجرها هذه الدلالات ومن ذلك: الدلالات اللغوية والدلالة الإصلاحية فالدلالة اللغوية تقودنا إلى عدة منابع تتجمع كلها لتعطى معنى الشدة والقوة والطول والعظيم والجيد من كل شيء، والفائق الفاضل على غيره ومادة "هجره "في القاموس المحيط: تتدرج تحتها هذه المعاني الإيجابية فالهجرة في ظل هذه الدلالات تعنى المكابدة والقوة. . والتضحية - وكل هذه الصفات لانتصار الإرادة وانتصار العقيدة والعبادة في، "الهرج"وقلب الفتن هي المظهر الأسمى للقابض على دينه وهو مثل من يقبض على الجمر. .. وفى مقدمه هؤلاء القابضين على الجمر الفارون بدينهم إلى ربهم، والمهاجرون إلى رسول الله ﷺ وفى تصوير "هجرة الحبيب المصطفى ﷺ يقول: صاحب هذه السطور

الله يعلم كم كابدت من كمد ... وأنت ترحل عن أهل وعن ولد
فكم خطرت حبيبا في مرا بعها ... والكف تجهل كم تحوى من العدد
وكم سجدت مع الإلهام منفرداً ... وفى حراء تلاشت حيرة الخلد
ما كنت تقرأ شيئاً من ضلالتهم ... وعدت تقرأ باسم البارىء الصمد
أشرقت في يثرب بدراً ومرحمة ... فأنقذ الكون من تيه ومن بدد

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليَّ)، حيث رغّب رسول الله ﷺ في عبادة الله وقت الفتن وانشغال الناس، بأن ثواب هذه العبادة كهجرة إليه ﷺ، وهذا ترغيب عظيم خاصة مع معرفة فضل الهجرة إليه، وثوابها العظيم عند الله تعالى.

وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي توجه المدعو وتحببه في الطاعة، قال الشيخ محمد الغزالي: "الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله جاء في الكتاب والسنة مقرونًا ببشريات كثيرة وحكم مذكورة، والدعاة عندما يغرون العامة والخاصة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار هذه الجوائز المفروضة العلل الباعثة"[١]، ومما لا شك فيه أن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا﴾[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل العبادة في الهرج:

حيث جاء في الحديث: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، قال النووي: "والمراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد"[٤]، هذا وقد جاء في مسند الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: ((العِبَادَةُ فِي الفِتْنَةِ كَالهِجْرَةِ إِلَيَّ))[٥]، قال ابن رجب: "والعبادة في غفلة الناس أشق على النفوس، وأفضل الأعمال أشقها على النفوس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بما تشاهده من أحوال أبناء الجنس، فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها"[٦].

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة ص ٣١٢.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٨٦.

(٣) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٧٠٥.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧/٥، رقم ٢٠٣١١ وقال محققو المسند: حديث صحيح، ٤٢٤/٣٣.

(٦) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ص ٢٥٣.

والسر في التعبير عن العابد في الهرج بالمهاجر إلى رسول الله ﷺ، قال ابن رجب الحنبلي أيضًا: "وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به متبعًا لأوامره مجتنبًا لنواهيه"(١).

قال القاضي عياض: "وقوله: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ) أي في احتدام الفتنة، واختلاط أمر الناس، فيحمل أنه في آخر الزمان الذي أنذر به في الحديث: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ)) قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: ((الْقَتْلُ. الْقَتْلُ))(٢)، ويحتمل أنه عمومًا في كل وقت وفضل الانعزال حينئذ لعبادة الله"(٣).

وقال القرطبي: "والهرْج: الاختلاط والارتباك، ويراد به هنا الفتن والقتل، واختلاط الناس بعضهم في بعض فالمتمسك بالعبادة في ذلك الوقت والمنقطع إليها المعتزل عن الناس أجره كأجر المهاجرة إلى النبي ﷺ لأنه يناسبه من حيث إن المهاجر قد فرّ بدينه عمن يصده عنه إلى الاعتصام بالنبي ﷺ وكذلك هو المنقطع للعبادة فرّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو على التحقيق قد هاجر إلى ربه، وفرّ من جميع خلقه"(٤).

وقال محمد تقي العثماني: "وقوله: (العبادة في الهرج) أصله الاختلاط والقتل والمراد منه هنا: الفتنة وقوله: (كهجرة إلي) والهجرة إلى رسول الله ﷺ من أعظم القربات وإنما عظم أجر العبادة في الفتنة لكثرة الشواغل والذواهل وقلة الفراغ فيها"(٥).

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٢٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٨٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٩/٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٩/٧.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٣٢٩/١٢.

وتظهر أهمية وفضل العبادة في الهرج لشدة الفتن التي تأخذ بالألباب، فيما ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُم وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُم وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُم بِالْحِجَارَةِ، فإنْ دُخِلَ - يَعني عَلَى أحَدٍ مِنْكُم فليَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ))[1]. وهذا الحديث يبين شدة الفتن في آخر الزمان.

(والمراد بالفتن هنا: (المصائب والنكبات) والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم أو في أموالهم أو في أولادهم أو في عقائدهم، قال الشاعر العربي:

إن للّـــه عبـــادًا فُطَنَـــا ... طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا
نَظَـــرُوا فِيهَـــا فَلَمَّـــا عَلِمُـــوا ... أنهـــا لَيـــستْ لحَـــيٍّ ســـكنا
جعلُوهَـــا لُجَّـــةً وَاتَّخَـــذوا ... صَـــالِحَ الأعمـــالِ فيهَـــا سُـــفُنَا

وقوله: (كقطع الليل) المراد أن الفتن تأتي متلاحقة متتالية كما يأتي الليل متلاحق الأجزاء، وكلما تقدم الليل اشتد الظلام، والحديث يصور صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش يطارد بعضها بعضًا وتشتد هذه الفتن العصيبة فتحدث انقلابًا في نفوس البشر من الإيمان إلى الكفر، ومن الهدى إلى الضلال ومن النور إلى الظلام، فيصاب الإنسان بأعظم نكسة وأفدح مصيبة!! وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والإيمان، وهل هناك من خسارة توازي هذه الخسارة؟"[2].

ومما يدل أيضًا على خطورة الفتن وفضل العبادة فيها ما جاء عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: ((لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ)) وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))[3].

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٢٥٩، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٢).

(٢) من كنوز السنة، الشيخ: محمد علي الصابوني ص ٢٩ - ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٠.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على التمسك بالكتاب والسنة والابتعاد عن الفتن:

يتضح هذا من سياق الحديث، ولا شك أن مطلوب المسلم الأول أن يتمسك بالكتاب والسنة في كل وقت، وخاصة عند الفتن والهرج الاختلاط، ولما وعظ رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قالوا: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ والطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[1].

إن المسلم عند الفتن لا منجي له إلا التمسك بالكتاب والسنة وأن يبتعد عن الفتن قدر ما يستطيع "إن من آثار الفتنة أنها تُنسي الواقعين فيها حقائق يعرفونها وحدودًا كانوا يلتزمونها، وإن الواقع في الفتنة تخف تقواه، ويرق دينه، ولذلك حين يُبعد أناس عن الحوض كان يظنهم رسول الله ﷺ من أمته يُجاب: (لا تدري مشوا على القهقهري)، قال راوي الحديث ابن أبي مليكة: ((اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ أَنْ نُفْتَنَ))[2].

ومن أخطر آثار الوقوع في الفتن انعدام التأثر بالموعظة، روى أحمد: أن أخًا لأبي موسى كان يتسرع في الفتنة فجعل ينهاه ولا ينتهي فقال: إن كنتُ أرى أنه سيكفيك مني اليسير -أو قال من الموعظة- دون ما أرى...، بل ويستصغر الناس المعاصي. يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: في الفتنة لا ترون القتل شيئًا، فما سبيل النجاة من الفتن؟

ومن المنجيات من الفتن: أن تتنازل عن حقك في الدنيا وإن كان الصبر على ذلك شاقًا على النفس، كما جاء في سنن أبي داود: ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا))[3]، ومن كانت الفتنة تحيط به ولا مُنْجِيَ له منها فليفر بدينه من الفتن أو ليكثر من العبادة

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٨٥١)، والترمذي ٢٦٧٦، وابن ماجه ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٤٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٢٦٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٥٨٥)، واهًا: ما أطيب الصبر على البلاء.

كما في الحديث: ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[١]، والتزود بالأعمال الصالحة مطلوب للوقاية من الفتنة قبل وقوعها، قال ﷺ: ((بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا))[٢].

قال النووي في شرح الحديث: "معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة المتكاثرة"[٣].

ومن كان يملك أسباب الفتنة فليتخلص منها حتى إن كعب بن مالك رضي الله عنه يذكر في قصة الثلاثة الذين خُلفوا؛ كيف جاءه كتاب من ملك غسان وفيه: (...قد بلغني أنَّ صاحبَك قد جَفاك، ولم يَجعلْك اللَّهُ بدارِ هَوانٍ ولا مَضْيَعَة، فالْحَقْ بنا نُواسِكَ. يقول كعب: فقلتُ لما قرأتُها: وهذا أيضًا مِنَ البَلاء. فتيمَّمْت بها التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بها)[٤].

والدعاء بالحماية من شرور الفتن سبب من أسباب النجاة، وينجيك عند الله أن تنكر الفتنة، ولا ترضى بها، ولا تعين عليها، وأهم المنجيات أن يفقه المرء دينه، وأن يميز حدود الشرع - دون التباس - فقد نقل ابن حجر عن ابن أبي شيبة حديثًا عن حذيفة رضي الله عنه يقول فيه: (لا تضرّك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل)[٥].

ورغم كل هذه الأسباب المنجية وغيرها، لا بد للقلب من أن يبقى معلقًا بالله، وحقًا: إن السعيد لمن جنب الفتن، فاجتناب الفتن حفظ رباني، أكثر من كونه كسبًا بشريًا.

والخلاصة: أن من أسباب الوقوع في الفتنة:

- استعداد القلب لقبولها.
- الخوض بالألسنة واعتقاد الأوهام.
- تقديم الرأي على حكم الشرع.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٢) أخرجه مسلم ١١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٩٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩/١٣.

- استلام إمارة لا يعان عليها.
- الانشغال بالقول عن العمل

ومن آثار الفتنة أنها:

- تُنسي الناس حقائق يعرفونها.
- تُرقق الدين.
- تُذهب العقل.
- تعدم التأثر بالموعظة.

ومن المنجيات من الفتن:

- التنازل عن حقك في الدنيا.
- الفقه في الدين.
- التخلص من وسائل الفتنة وأسبابها.
- عدم تولي إمرة في الفتنة.
- الدعاء بالحماية من شرها.
- إنكار القلب للفتنة.
- التزود بالعمل الصالح.
- اجتناب الفتن حفظ رباني أكثر من كونه كسبًا بشريًا"[1].

وقال ابن الجوزي: "ما رأيت فتنة أعظم من مقاربة الفتنة. وقلّ أن يقاربها إلا من يقع فيها، قال بعض المعتبرين: قدرت مرة على لذة ظاهرها التحريم، وتحتمل الإباحة، إذ الأمر فيها مردد، فجاهدت النفس، فقالت: أنت ما تقدر فلهذا تترك، فقارب المقدور عليه، فإذا تمكنت فتركت كنت تاركًا حقيقة. ففعلت وتركت، ثم عاودت مرة أخرى في تأويل، أرتني فيه الجواز، وإن كان الأمر يحتمل. فلما وافقتها أثر ذلك ظلمة في قلبي، لخوف أن يكون الأمر محرمًا. فرأيت أنها تارة تقوى بالترخص والتأويل، وتارة

---

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار ص ٣٧٦ - ٣٧٩ بتصرف.

أقوى عليها بالمجاهدة والامتناع. فإذا ترخصت لم آمن أن يكون ذلك الأمر محظورًا، ثم أرى عاجلاً تأثير ذلك الفعل في القلب.

فلما لم آمن عليها بالتأويل تفكرت في قطع طمعها من ذلك الأمر المؤثر، فلم أر ذلك إلا بأن قلت لها: قدري أن هذا الأمر مباح قطعًا، فوالله الذي لا إله إلا هو لا عُدت إليه. فانقطع طمعها باليمين والمعاهدة. وهذا ابلغ دواء وجدته في امتناعها؛ لأن تأويلها لا يبلغ إلى أن تأمر بالحنث والتكفير.

فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤديًا إلى ما لا يجوز[1].

---

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٨٨ - ٢٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

الثبات على مبادئ الإسلام كل وقت وكل حين وفي كل مكان:

إذا كانت الهجرة في أول ظهور الإسلام من الأعمال التي تدل على صدق الإيمان وعلى حبّ الله ورسوله وحب شرعه، فإن المهاجر ترك كل شيء دنيوي من أجل الهجرة إلى النبي ﷺ، فقد ترك ماله وأهله وولده وزوجته وقبيلته وعزّه ومجده وحَسَبه ومكانته وما شابه ذلك، ابتغاء مرضاة الله ونيل رضاه، لذا كان المهاجر له من المكانة ما ليس لغيره ومن الفضل ما ليس لأحد سواه، فقد هاجر والخوف يحيط بالمسلمين من كل مكان يخافون أن يتخطفهم الناس، والجزيرة كلها أو معظمها تعلن العداء لدولة الإسلام الناشئة في المدينة المنورة، ومن أقدم على الهجرة نبذه أهله وأولاده وعادات قومه وقبيلته وربما تبرأوا منه ومن هجرته، لذلك كان أمر الهجرة إلى رسول الله ﷺ أمرًا عظيمًا وشأنًا خطيرًا، يتمنى المسلمون في كل زمان وعصر لو نالوا هذا الشرف العظيم والخير الوفير.

لكن النبي ﷺ قد بيّن أن هناك من الأفعال ما إن فعلت كانت تعادل الهجرة إليه ﷺ، فكأنها هجرة إليه.

إن ذلك يتحقق بالعبادة في الهرج وقت الفتن واختلاط أمور الناس، فهذا وقت الثبات، ووقت الإمساك بمبادئ الشرع وعدم التزحزح عنها والالتزام بها وعدم الحيد عنها مهما كانت المغريات والمؤثرات والضغوط، ومهما قلّ المتمسكون والملتزمون، ومهما كثر السقوط والتخلي عن الأصول والمبادئ والأساسيات، إنه رغم كل ذلك متمسك بالعبادة وملازمتها والقيام بها خير قيام حتى يأتيه اليقين، إن من فعل ذلك استحق أن يكون كمن هاجر إلى النبي ﷺ وقت ظهور الإسلام وبدايته.

ولنا أن نسأل: لماذا كان هذا التشبيه بوجه خاص؟ لماذا ذكرت الهجرة مع العبادة وقت الهرج؟

إننا نستطيع أن نجيب بما يلي:

أ- الهجرة في أصلها هجرة ما يغضب الله تعالى، والعبادة من لوازمها ومقتضياتها هجر ما يغضبه سبحانه وتعالى، فلا يتصور صاحب عبادة حقة يعبد الله وهو مصرّ على ارتكاب الفواحش والكبائر والذنوب والسيئات، إنه بعبادته يلازم طريق الاستقامة فلا يفعل إلا طيبًا، ولا يهجر إلا خبيثًا.

ب- كانت الهجرة في أول الإسلام لا يفعلها إلا الأقوياء في الإيمان الأشداء في العقيدة، وكذلك العبادة وقت الهرج لا يفعلها إلا المؤمنون الأقوياء المخلصون العابدون العاملون، وهؤلاء أفراد قلة وقت الهرج.

ج- الهجرة إلى رسول الله ﷺ هجرة إلى أحب محبوب وأشرف مخلوق، كذلك الالتزام بالعبادة وقت الهرج هجرة لما عليه الناس إلى أحب الأعمال وأشرفها، فهل هناك أحب أو أشرف من عبادة الله وحده؟

د- كان المهاجرون الأوائل شامات بين الناس وعلامات مضيئة، وكذلك العابدون وقت الهرج أعلام بين الناس ونجوم لامعة في سماء الناس، وذلك لقلتهم كما أن أعمالهم الطيبة إلى أعمال الناس الآخرين كالنقطة البيضاء في سواد قاتم بغيض.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أليس للالتزام بالعبادة وقت الهرج ضريبة تدفع إن صح هذا التعبير؟

لا شك أن هذا مقرر وواقع ومعروف لا يحتاج إلى دليل، لكن على صاحب المبدأ أن يظّل على مبدئه لا يحيد عنه ولا يميل، "فلقد كانت دعوة النبي ﷺ واضحة جلية منذ أيامها الأولى، فحينما رأى المشركون قوة دعوة النبي ﷺ والتفاف الناس حوله، أرادوا أن يجروه إلى التفاوض على المبدأ وسياسة الترقيع والقبول بالحلول الوسط والمنافع المشتركة، أنزل الله تعالى قوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[1]، ولهذا فمن مبادئ الدخول في دين الإسلام: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ

(١) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٦.

فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾[١].

ويتربى الصحابة رضي الله عنهم على هذه الحقيقة أعزة شامخين بإيمانهم فها هم أولاء يخرجون من غزوة أحد وقد ثقلتهم الجراح، وفقدوا جمعًا كريماً من جلّة الصحابة، ومع ذلك يتنزل عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢].

صحيح أن ذلك قد يجرّ مزيدًا من التسلط والتضييق والملاحقة لأولياء الله الصالحين، ولكن هذه هي طبيعة هذا الدين، فما من نبي من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام إلا وقد تسلط عليه قومه بالسخرية والإيذاء، بل بالضرب والقتل أحيانًا، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣]، ولما سمع ورقة ابن نوفل ما حصل للنبي ﷺ في غار حراء قال له: هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك، فقال له رسول الله ﷺ: ((أوَ مُخْرِجيَّ هُمْ؟ قال: نَعم، لمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ماجِئتَ بِهِ إلا عُودِي))[٤].

وقال قيصر الروم في حواره مع أبي سفيان بن حرب: (سألتُكَ كيفَ كان قتالُكم إيّاهُ، فزَعمتَ أنَّ الحربَ سِجالٌ ودُوَلٌ، فكذلك الرُّسُلُ تُبْتَلى ثمَّ تكونُ لهمُ العاقبةُ)[٥][٦].

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٩.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٤) أخرجه البخاري ٣ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه البخاري ٧ من حديث ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهما.

(٦) لكم دينكم ولي دين: دعوة إلى الثبات على المبادئ الصحيحة. افتتاحية مجلة البيان العدد ١٠٦، ص ٥ - ٦.

٢٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسِر المُعسِرَ والوضع عَنْهُ

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾[هود: ٨٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين: ١ - ٦].

الحديث رقم (١٣٦٩)

١٣٦٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ فَأَغْلَظَ لَهُ[١]، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً)) ثُمَّ قَالَ: ((أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ)) قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إِلاَّ أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قَالَ: ((أَعْطُوهُ، فإنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً)) متفقٌ عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتقاضاه: يطلب منه قضاء الدين[٣].

---

(١) (له) لا توجد عند البخاري، وهو لفظ مسلم، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠٦) واللفظ له، ومسلم (١٦٠١/١٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦١١).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٩/٥.

فهمَّ به أصحابه: أرادوا أن يؤذوه بالقول أو الفعل لكن لم يفعلوا أدبًا مع النبي ﷺ[١].

مقالاً: المقال: صولة الطلب وقوة الحجة لكن مع مراعاة الأدب المشروع[٢].

سنا: جملاً ذا سن[٣].

أمثل: أعلى[٤].

الشرح الأدبي

هذا مشهد مضيء بالقدوة الحسنة من مشاهد السيرة النبوية. . يؤكد عدالة الإسلام، وسماحة نبي الإسلام ﷺ والتعامل بالفضل والحسنى ويموج هذا الحديث الحواري بعدة ظواهر فنية وأسلوبية تشع بدقة البيان النبوي وروعته، وجماله، ونصاعته منها: التأكيد بأن في بداية الحديث. . يرشد إلى أهمية الواقعة وإلى ضرورة اتخاذها نموذجاً للتعامل بالحسنى التعبير بقوله: يتقاضاه: ومعناه: يطلب منه قضاء ماله عنده والصيغة تدل على التفاعل، والمفاعلة: فالمال بين الاثنين: صاحب الدين وهو له حق الملكية ورسول الله وهو له حق الانتفاع إلى حين قضاء الدين، ثم العطف بالفاء الذي ينبيء عن تتابع الحدث وسرعة الحركة. . والأفعال تصور المشهد كأنه وقع أمامنا على هذا النسق المتوالي (فأغلظ له) فهم به أصحابه، فقال رسول الله. . والأفعال كلها ماضية لأنها تسرد مشهدا وقع. . ويساق للعبرة والقدوة والموعظة وقد شارك في صنع هذا الحدث ثلاثة أطراف، صاحب الدين وقيل هو "زيد بن شعبة الكناني "وكان حينئذ مشركاً وأسلم بعد، والطرف الثاني يتمثل في صحابه رسول الله الذين ساءهم ما عليه الرجل من غلظه وجفوه والطرف الثالث رسول الله ﷺ، ثم الأمر في قوله ﷺ "دعوه "يدل على سماحة رسول الله وعلى خلقه العالي لأنه بحكمته وسماحته راعى العامل

---

(١) المرجع السابق ٦٩/٥.

(٢) المرجع السابق ٦٩/٥.

(٣) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، ابن هبيرة ٣٨٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٨.

النفسي والاجتماعي في تصرفات الرجل وأعقب الأمر بتعليل وتفسير هذا التعريف وجاء التعليل مقروناً بالتوكيد ليبرر غلظة الرجل وسوء طبعه. . فقال إن لصاحب الحق مقالاً: أي طريقة في القول تخالف المألوف المعهود، وتكرار الأمر في قوله علية الصلاة والسلام (أعطوه سناً مثل سنه) يدل على إصرار الرسول ﷺ على أن يأخذ الرجل حقه متماثلاً وأسلوب القصر في قول الصحابة "لا نجد إلا أمثل من سنه "يؤكد على وجود الأفضل وهو مستحسن في أداء الحقوق "ثم إن التأكيد في ختام الحديث يتناسب مع التأكيد في بدايته - حيث ختم الحديث بقاعدة إسلامية يجب أن يتحلى بها كل مسلم وهى قاعدة شرعية عامة وليست خاصة بشخص ولا بحادثة محددة ولا زمن معين "فإن خيركم أحسنكم قضاء"والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١ - حكم الاقتراض والاستدانة: أجمع الفقهاء على جواز الاقتراض والاستدانة[1].

٢ - حكم اقتراض الحيوان: ذهب المالكية، والشافعية، والحنابلة، وجماهير أهل العلم من السلف والخلف إلى جواز قرض جميع الحيوانات إلا الجارية لمن يملك وطأها فإنه لا يجوز ويجوز إقراضها لمن لا يملك وطأها كمحارمها[2]. واستدلوا على ذلك بما

---

(١) الإجماع ٩٤/١٤، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني ٧٠/٧ - ٧١، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٢/٣، ٢٢٣، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٩/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٧/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٧/٣، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٣/٥، حاشية الصاوي ٢٩٢/٣ - ٢٩٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣١/٣، المغني ٢٠٩/٤، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٣٩/٣ - ٢٣٠، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣١/٥.

روي عن النبي ﷺ "أنه استسلف بكرًا" ولأن ما ثبت سلمًا يملك بالبيع ويضبط بالوصف فجاز قرضه كالمكيل والموزون[١].

وذهب المزني، وابن جرير، وداود إلى جواز قرض الجارية وسائر الحيوان لكل واحد[٢].

وذهب الحنفية، والكوفيون، والثوري إلى عدم جواز قرض شيء من الحيوان[٣]. واستدلوا على ذلك بأن الحيوان لا مثل له أشبه الجواهر[٤].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن الحديث يرد على مخالفيهم.

٣ - ما الحكم لو رد القرض أجود مما أخذ بدون شرط؟ اتفق الفقهاء على أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه، وأن هذا من السنة ومكارم الأخلاق، وليس هو من قرض جر منفعة فإنه منهي عنه، لأن المنهي عنه ما كان مشروطًا في عقد القرض[٥].

٤ - حكم المطالبة بالدين إذا حل: تجوز المطالبة بالدين إذا حل[٦].

---

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٢/٥، حاشية رد المحتار ٢٧/٥، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٠٩/٤.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٦٥/٧، حاشية الصاوي والشرح الصغير ٢٩٦/٣، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٤٠/٣، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٢٤٥/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٢/٥.

٥ - أن الاقتراض في البر والطاعة وكذا الأمور المباحة لا يعاب[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ ونصرته:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهم به أصحابه).

قال القاضي عياض: "يحتمل أن إغلاظه إياه كان في طلب حقه وتشدده فيه لا في كلام مؤذٍ يسمعه إياه، فإن ذلك يُعدُّ مَغْبَة مع النبي ﷺ وقد يكون الفاعل على هذا غير مسلم من اليهود أو غيرهم"[٢].

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم أغير الناس على رسول الله ﷺ، (فها هو ذا زيد بن الدَّثنة يقول له أبو سفيان بن حرب حين قُدِّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي)[٣].

وعن عبدالله بن أوفى رضي الله عنه قال: (لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غِلمانِ المشركينَ ومنهم، أن يُؤذُوا رسولَ اللّهِ ﷺ)[٤].

وليس أدلّ على غيرة الصحابة رضي الله عنهم على النبي ﷺ من أن الرجل يقتل أم ولده من أجل سبها للنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٢/٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٠٠/٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١٧١/٢ - ١٧٢، البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٠٥/٥ - ٥٠٦.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٢٥٥.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ أعمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتِمُ النَّبيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي وَيَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ قَالَ فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبيِّ ﷺ، وَتَشْتِمُهُ، فَأَخَذَ المِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبيِّ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: ((أَنْشُدُ اللهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إلاَّ قَامَ)) قَالَ: فَقَامَ الأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلْزَلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا صَاحِبُهَا كَانَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلاَ تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلاَ تَنْزَجِرُ وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتِمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ المِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ))[1].

فإن الغيرة من لوازم الحب، وكلما كان الشيء محبوبًا، لاصقًا بخاصة نفس المرء، عظمت حرمته لديه، وقامت الغيرة تحرس حماه، وتصون محارمه أن تستباح[2].

وصحابة رسول اله ﷺ كان لهم النصيب الأوفى من محبته وتعظيمه مما سبقوا به غيرهم، ولم يدركهم من بعدهم وأوضح ما يستدل عليه، وأجمل من وصف شأنهم في ذلك عروة الثقفي رضي الله عنه حين فاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى قريش قال: (أيْ قَومِ، واللهِ لقَد وفَدْتُ على المُلوكِ، ووَفدتُ على قَيصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ، واللهِ إنْ رأيتُ مَلِكًا قطُّ يُعظِّمهُ أصحابهُ ما يعظم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمدًا، واللهِ إنْ يَتنَخَّمُ نُخامةً إلاّ وَقَعَت في كفِّ رجُلٍ منهم فدَلَكَ بها وَجهَه وجِلدَه، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه، وإذا تَوَضَّأَ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه، وإذا تكلموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيمًا له)[3].

فقد أحبّ الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ، وكانوا يغيرون عليه أكثر من

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٣٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٦٥).

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٣١، ٢٧٣٢.

أنفسهم وأهليهم، وكانوا في أتم استعداد لنصرته والدفاع عنه بأنفسهم وأموالهم، وكل ما هو عزيز عليهم.

فينبغي على كل مسلم أن يغار على رسول الله ﷺ ويحبه أكثر من نفسه وأهله وماله، وأن يعمل على نصرته ونصرة سنته ﷺ.

"فقد أمر الحق تبارك وتعالى بنصرة نبيه ﷺ وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه"[١]، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣].

قال الطبري: "ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"[٤].

"ومن تعظيمه ﷺ نصرته والذب عنه، وقد أوجب الله تعالى على الأمة تعزير نبيه ﷺ وتوقيره...، ومن نصر الرسول ﷺ نصر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته، برد شبههم ودحض مفترياتهم، وإظهار ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق"[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

قد ورد هذا الأسلوب في الحديث من قوله ﷺ (دعوه) والأمر من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية على حمل المدعو وإرشاده إلى فعل الأمر المدعو إليه وذلك لتحصيل كامل الخير له في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: مجموعة الفتاوى ابن تيمية ٢١٦/١.

(٢) سورة الفتح، الآيتان: ٨ - ٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٧٥/٢٦.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع عبدالرؤوف محمد عثمان ص ٨٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: السماحة مع الناس:

لقد حفل الإسلام بالدعوة إلى التسامح من بزغ فجره، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة في تجسيد التسامح وبيانه للناس قولاً وعملاً، فهو ﷺ القائل: ((اسْمَحْ يُسْمَحْ لَكَ))[1]، والقائل: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ))[2].

أما عمله ﷺ فقد طابق قوله فكان تسامحه أروع مثالاً للبشرية، وأعظم نبراسًا يهتدى به في ذلك، وهذا ما بينه نص الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له، فهمّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً)، وقد جسدت سيرة النبي ﷺ السماحة كمثال تطبيقي يراه كل مسلم فيقتدى به.

فعن البراء رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ ﷺ لما أراد أن يَعتَمِرَ أرسلَ إلى أهلِ مكةَ يَستأذنهم ليَدخُلَ مكةَ، فاشتَرَطوا عليهِ أن لا يُقيم بها إلا ثلاثَ ليالٍ، ولا يَدْخُلها إلا بجُلُبّانِ السلاح[3]، ولا يَدْعُوَ منهم أحَدًا. قال: فأخَذَ يكتب الشرطَ بينهم عليُّ بن أبي طالبٍ، فكتَبَ: هذا ما قاضى عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ. فقالوا: لو علمنا أنكَ رسولُ اللهِ لم نمنَعْكَ ولتابَعْناك، ولكنِ اكتُبْ: هذا ما قاضى عليهِ محمدُ بن عبدِ الله. فقال: أنا واللهِ محمدُ بن عبد الله، وأنا واللهِ رسولُ الله. قال وكان لا يكتُبُ، قال فقال لعليّ امحُ رسولَ الله. فقال عليٌّ: واللهِ لا أمحاهُ أبدًا. قال: فأرِنيهِ، قال: فأراه إياهُ، فمحاه النبيُّ ﷺ بيده. فلما دخَلَ ومَضَتِ الأيامُ أتَوْا عليًا فقالوا: مُرْ صاحبَكَ فلْيَرْتَحِلْ. فذكرَ ذلكَ عليٌّ رضي الله عنه لرسولِ اللهِ ﷺ، فقال: نعم. ثم ارتحَل))[4].

---

(١) أخرجه أحمد ١/٢٤٨، رقم ٢٢٣٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤/١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٨، وصححه الألباني، (صحيح سن الترمذي ٢٠٢٢).

(٣) جلبان السلاح هو ألطف من الجراب يكون من الأدم، يوضع فيه السيف مغمدًا، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ويعلقه في الرّحل، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٥٤.

(٤) أخرجه البخاري ٣١٨٤ واللفظ له، ومسلم ١٧٨٣.

وفي غزوة بدر، أرسى النبي ﷺ قواعد السماحة في معاملة الأسرى معاملة حسنة، فقد أمر أصحابه رضي الله عنهم بذلك قائلاً: ((اسْتَوْصُوا بِالأُسَارَى خَيْرًا))[1]، ولما أظهر الله دينه ونصر نبيه ﷺ في فتح مكة قال ﷺ لقريش: ((مَا تَرَوْنَ أَنِّي صانعٌ بِكُمْ))، قالُوا: خيرًا، أَخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قالَ: ((اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ، يَغْفِرُ اللهُ لي ولَكُمْ))[2].

وقد كانت السماحة في التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى تجلب لهم الطمأنينة والأمن فيؤدي ذلك إلى حبهم للمتسامحين معهم ومعاونتهم ثم الدخول في هذا الدين الذي يقر مبدأ التسامح مع الآخرين وقد حدث ذلك عقب الفتوح الإسلامية"[3].

وهذا ما بينه الشيخ محمد الصادق عرجون تحت عنوان (سماحة المعاملة في تصرفات القادة والأمراء في فتوح الشام) فقال: "والناظر في تصرفات قادة الفتوحات الإسلامية من أصحاب رسول الله ﷺ وأمرائه وولاته وتلاميذهم من التابعين وتابعيهم يرى أنهم كانوا أحرص على الرفق والسماحة في تنفيذ العهود والمصالحات مما جعل المعاهدين والمصالحين يتعاونون مع المسلمين في صدق وإخلاص، نتيجة لما رأوه من العدالة الرحيمة في معاملة المسلمين لهم.

وقال الشيخ: تطبيق سماحة الإسلام من أعظم أسباب سرعة انتشاره. وفي هذه السياسة الحكيمة الرحيمة أوضح إجابة عن تساؤل المتسائلين عن أسباب السرعة الهائلة التي طوى فيها الإسلام أكثر المعمور من الأرض تحت ظله الظليل.

ويتجلى إبراز هذه المبادئ في أمور:

أولاً: أن هذه المبادئ السمحة الراشدة تنقض الفكرة المتعنتة الجاحدة التي يرددها أعداء الإنسانية، بتصوير فتوحاته غزوًا ماديًا لنهب ثروات الأمم، واغتصاب خيراتها وحرمانها من نعم الله عليها فيما أنعم به من مصادر الثروة الاقتصادية.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة النبوية ٢/٢٨٧، تاريخ الطبري، الطبري ٢/٤٦٠.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٤/٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) نضرة النعيم ٦/٢٣٠٠.

وتصوير هذه الفتوحات بأنها إكراه للناس بقوة السلاح على الدخول في دين الإسلام. لأن النظرة العابرة، بل الناقدة الفاحصة، في فتوحات الإسلام، ترد ذلك وتدفع في صدر زاعميه؛ لأن هذه الفتوحات كما دونها التاريخ الصادق بأقلام جهابذته من أبناء الإسلام، أو غيرهم من طلاب الحقائق الذين ينشدونها في مقارها من واقع الأحداث، مهما كلفهم ذلك من تعب ومشقة، أصدق شاهد على عدالة الإسلام وسامحته.

فها هوذا أبو عبيد بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة الإسلامية، وعظيم فتوح المصالحات. نقرأ في مصالحاته لأهل الشام أنه صالحهم على الإبقاء على معابدهم من البيع والكنائس داخل المدن وخارجها مصونة، لا يهدم منها شيء، ولا يغير من معالمها شيء. وصالحهم على حقن دمائهم وحفظ حياتهم. وصالحهم على الدفاع عنهم وحمايتهم من اعتداء من يهم بالاعتداء عليهم. وصالحهم على أن من قاتلهم أو ناوأهم وجب على المسلمين أن يقاتلوه دونهم، ويدفعوه عنهم بقوة السلاح. فهل هذه المبادئ التي تلزم المسلمين أن يحافظوا على معابد أهل الذمة والمعاهدين داخل المدن وخارجها، وتلزمهم بحماية دمائهم أن تسفك والدفاع عنهم. يمكن أن يُشتمَّ منها رائحة غزو مادي لنهب ثروات أو جمع أموال؟ أو يتصور فيها اعتداء على حرية الأديان؟

ثانيًا: إن هذه المصالحات التي تعتمد على العدل والرحمة. والتي قامت على الرفق بأهل الذمة كان لها أثرها الخطير الذي استهدفه الإسلام من فتوحاته.

فقد رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم بشروطهم، وشاهدوا حسن سيرتهم فيهم، وجربوا معاملتهم، فوقفوا معهم مخلصين، وصاروا عونًا للمسلمين على أعدائهم، فكانوا يخبرونهم بأحوال أعدائهم، ليكونوا منهم على حذر واستعداد لملاقاتهم.

بهذه المعاملة السمحة، وبهذه السماحة في المعاملة فتحت بلاد الشام، ولم تكن هذه السياسة الحكيمة الرحيمة في معاملة أهل الذمة هي منهج أبي عبيدة وحده، بل كانت المنهج الذي أقام الإسلام دعائمه، وثبت في شريعته أعلامه. وأعلى في آفاقها منائره، فهو ليس منهجًا خاصًا لأمير فتح المصالحة أبي عبيدة توصل إليه باجتهاده، وفرضه على

ولاته الذين عملوا تحت إمرته؛ وإنما هو منهج عام في شريعة الإسلام؛ ينبع من مصدريها الأصليين: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة"[١].

ولكن سماحة الإسلام لا تعني غض الطرف عن الانتهاكات الدينية، وإهدار القيم الإسلامية، فكم من جريمة ترتكب باسم التسامح في الدين، فأي تسامح يُبتغى عند الإساءة إلى أكرم خلق الله محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام!!، وأي تسامح يكون عند إهدار قيم الإسلام وفرائضه كالصلاة والحجاب!!، بل الواجب على الأمة الإسلامية جمعاء أن تنتفض لنصرة دين ربها إذا انتهكت محارمه، مقتدية في ذلك بنبيها محمد ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا. فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ. وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللّهِ لِنَفْسِهِ، إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٢]، وفي رواية: ((إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللّهِ. فَيَنْتَقِمَ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ))[٣].

فعلى الأمة الإسلامية أفرادًا وشعوبا وحكامًا أن تضع التسامح مع الآخرين في موضعه الذي يتفق والشرع، لا الذي يخل بفروض الإسلام وأحكامه.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: حسن قضاء الدين:

هذا ما اشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (أعطوه سنًا مثل سنه، قالوا: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه، قال: أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاءً) قال النووي: "وفي الحديث أنه يستحب لمن عليه دين من قرض وغيره أن يرد أجود من الذي عليه وهذا من السنة ومكارم الأخلاق"[٤]، فعن أبي رافع، أن رسول الله ﷺ استسلف من رجل بكرًا، فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكره،

---

(١) الموسوعة في سماحة الإسلامية، محمد الصادق عرجون ٤٢٥/١ - ٤٤٢ باختصار، ولقد استفدناه من موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٢٨٩/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٦٠، ومسلم ٢٣٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٣٢٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خيارًا رباعيًا فقال ﷺ: ((أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً))[1].

قال النووي: "أما البكر من الإبل فبفتح الباء وهو الصغيرة كالغلام من الآدميين والأنثى بكرة..، فإذا استكمل ست سنين ودخل في السابعة وألقى رباعية بتخفيف الياء فهو رباع والأنثى رباعية...، والمعنى أنه ﷺ اقترض لنفسه فلما جاءت إبل الصدقة اشترى منها بعيرًا رباعيًا ممن استحقه فملكه النبي ﷺ بثمنه وأوفاه متبرعًا بالزيادة من ماله"[2]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان أن يقتدي برسول الله ﷺ في حسن القضاء"[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٠١٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٤٦٧/٢.

الحديث رقم (١٣٧٠)

١٣٧٠- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((رَحِمَ اللهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

سمحًا: أي سهلاً جَوادًا سخيًا[2].

اقتضى: طلب سداد دين له عند غيره[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف الذي يتسم بالدقة والإيجاز - نجده يبدأ بقوله: رحم الله رجلاً سمحاً "وهذه الجملة تحمل في طياتها معنى في احتمالين لنوعين من الأساليب: الأسلوب الخبري إذا كان المقصود الإخبار عن رجل بعينة كان سمحاً. والأسلوب الإنشائى "الطلبي "حيث قيل أن الجملة خبرية لفظاً دعائية معنى كما جزم به ابن حبيب المالكي وابن بطال، ورجحه الداوري، وصيغة الدعاء هي الأقرب لأنها تتسق مع دلالة أسلوب الشرط بعد ذلك. . حيث وردت أداة الشرط "إذا "وهى للاستقبال والتحقق فهي عند النحاة ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطة منصوب بجوابه "والدعاء هنا عام وهو توجيه نبوي لكل مسلم بأن يكون سمحاً في البيع والشراء وطلب الحاجة. والتعبير بقوله: سمحاً يشع بدلالات متعددة وكلها تكون مجموعة من صفات المسلم الذي يدعو له الرسول ﷺ بالرحمة

---

(١) برقم (٢٠٧٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٠٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س م ح).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ض ى).

في كل زمان وكل مكان: فالفعل سمح: معناه جاد وأعطى، فالسمح: هو الجواد المعطاء الذي يفيض بأخلاقه ومعاملاته الحسنة على كل من يعامله ومن أمارات السماح أنه يوافقه على ما يريد في إطار تعاليم الشرع الحنيف والمسامحة: المساهلة وتسامحوا: أي تساهلوا ومن الدلالات التي تشع بالمساهلة الأثر الوارد "السماح رباح "أى المساهلة في الأشياء تربح صاحبها ومن الدلالات التي توحي بذلك وتعضده: قولهم: عود سمح بين السماحة: أي لا عقده فيه، والسمح: هو المستوى الذي لا عرج فيه "فكل ما استوت بنيته حتى يكون ما بين طرفيه منه ليس بأدق من طرفيه أو أحدهما، فهو من السمح، وهذه الدلالات يمكن أن نستضيء بها في رصد ما يجب أن يكون عليه المسلم في بيعه وشرائه وطلبه حاجته وفى كل معاملاته وتكرار إذا. . في الجمل الثلاث يرشد إلى ضرورة تحقق هذه الصفات في كل الحالات: وحذف الجواب في الجمل الثلاث من أمارات بلاغة النبوة فالإيحاء والإيجاز من معالم البلاغة والحذف حين يقتضيه المقام والسياق من دلائل البلاغة والفصاحة، وقوله: سمحاً: قيل ذلك يوحى بأن السماحة والمساهلة لا بد أن تكون طبعاً راسخاً في النفوس يسبق حركة البيع والشراء ولذلك لم يذكر جواب الشرط وظل كامناً إشارة إلى أنه معلوم من طبائع النفس السوية التي نشأت في ظل القيم الإسلامية واقتدت بالشمائل المحمدية. والله أعلم.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١ - الحث على السماحة في المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق، وترك المشاحة، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم[1].

٢ - فضل إنظار المعسر، وفضل الوضع من الدين، وأنه لا يُحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والبركة[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٦/٤، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

٣- أن الكثير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات[١].

٤- أن الأجر يحصل لمن يأمر به وإن لم يتول ذلك بنفسه[٢].

٥- حكم توكيل العبيد: اتفق الفقهاء على جواز توكيل العبيد والإذن لهم في التصرف[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: السماحة في المعاملات:

المعاملات هي ما يجري بين الناس من أمور الدنيا، وتتشكل في صور مختلفة كالبيع والشراء ونحوهما، وهي قائمة على أساس من المشاحة والمشادة، ذلك أن القصد منها الوصول إلى مطمع دنيوي، أو ربح مادي، ومن أجل ذلك تجد المتبايعين يحرص كل واحد منهما على مماكسة صاحبه كي يظفر منه بالتنازل على شيء قد يحصل له، وحينما يتم العقد بينهما تأتي مشكلة أخرى، وهي ما قد يحصل من مماطلة أحدهما للآخر وعدم تسليمه لصاحبه ما يستحق...، وكل ذلك شج في النفوس، وبخل ضارب بجذوره في سويداء القلوب، وهذا من شأنه أن يورث الشحناء بين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧٨/٤.

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٠/٦، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٢٢٩/٢، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٣٢/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٦٣/٣، المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١/٥ - ٥٢، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٤/١١.

الطرفين، والحقد الذي يستمر مدة، الله أعلم بوقت انتهائها، بل قد يتعدى ذلك إلى الأسرة نفسها، فينتج عن ذلك تفكك بين الأسر، وتنازع بين القبائل، وكل ذلك ينتهي في آخر المطاف إلى المجتمع بالتفكك والاضطراب والضعف والهوان، لذلك حثّ الشارع الحكيم على التسامح في البيع والشراء، ورغب في حسن الاقتضاء، والتسامح فيه"[١].

وهذا ما اشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى) قال ابن عثيمين: "وهذا خبر بمعنى الدعاء، يعني: يدعو له - أي النبي ﷺ - بالرحمة إذ كان سمحًا في هذه المواضع"[٢]، وقال ابن حجر: "وسمحًا، أي: سهلاً...، والسمح هو الجواد والمراد هنا المساهلة، وقوله: (وإذا اقتضى)، أي: طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف، وفي الحديث الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[٣].

"أما المشاحة في البيع والشرى أمارة على البخل، ودليل على الشح ولا سيما مع الإخوان من المسلمين؛ الذين ينبغي إيثارهم بالشيء، وتقتضي المروءة إعطاءهم بلا ثمن، فإذا باعهم بثمن فلا أيسر من أن يقف على أنه سيكون سمحًا بائعًا، وسمحًا مشتريًا، وسمحًا مقتضيًا، فإنه إذا استبدل السماحة العسر في كل ذلك دالاً من شيمه على أنه ليس تناله دعوة الرسول ﷺ"[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في المعاملات:

لقد دعا الإسلام إلى المسامحة في المعاملات، ورغّب في القيام بها أشد الترغيب، لما في ذلك من تحقيق معنى الأخوة الإسلامية وتقوية أواصر المحبة بين المسلمين، وكان من الترغيب في ذلك ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا.. إلخ).

---

(١) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز عبدالرحمن علي ربيعة ص ٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٤٦٧/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٩/٤.

(٤) المرجع السابق ١٢٨١/٨.

فالسماحة في المعاملات سبب لنيل دعوة النبي ﷺ بالرحمة، وقد استفاضت النصوص النبوية في بيان فضل المسامحة في المعاملات والترغيب فيها وذلك بجعلها سببًا لحب الله ومغفرته ودخول جنته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ، سَمْحَ الشِّرَاءِ. سَمْحَ الْقَضَاءِ))[1]، قال المباركفوري: "قوله ﷺ: (إن الله يحب سمح البيع) بفتح السين وسكون الميم، أي: سهلاً في البيع وجوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع. قال الحافظ: السمح الجواد، يقال: سمح بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة (سمح الشراء سمح القضاء) أي: التقاضي لشرف نفسه وحسن خلقه بما ظهر من قطع علاقة قلبه بالمال"[2]. فكان ذلك سببًا لحب الله له.

وكان من فضل المسامحة في المعاملات أنها سبب في غفران الذنوب وإقالة العثرات يوم القيامة؛ فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كان قَبْلَكُمْ. كانَ سَهْلاً إذَا بَاعَ. سَهْلاً إذَا اشْتَرَى. سَهْلاً إذَا اقْتَضَى))[3]، قال المباركفوري: "قال المناوي: فيه حث لنا على التأسي بذلك لعل الله أن يغفر لنا"[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أقَالَ مُسْلِمًا أقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ))[5].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أقال مسلمًا" أي بيعه (أقاله الله عثرته) أي غفر زلته وخطيئته. قال في إنجاح الحاجة: صورة إقالة البيع إذا اشترى أحد شيئًا من رجل ثم ندم على اشترائه إما لظهور الغبن فيه أو لزوال حاجته إليه أو لانعدام الثمن فرد المبيع على البائع وقبل البائع رده أزال الله مشقته وعثرته يوم القيامة لأنه إحسان منه

---

(١) أخرجه الترمذي ١٣١٩، صححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٤).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨١.

(٣) أخرجه الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٠٦٥)..

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١/١٢٨.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

على المشتري، لأن البيع كان قد بت فلا يستطيع المشتري فسخه. انتهى"[١].

وقد عظم الحق تبارك وتعالى أجر المسامحة في المعاملات، بأن جعلها سببًا لدخول الجنة، فعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ. فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ. إلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ. تَجَاوَزُوا عَنْهُ))[٢]، وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((كان رجل سمحًا بائعًا ومبتاعًا، وقاضيًا ومقتضيًا، فدخل الجنة))[٣]، وفي ذلك بيان على فضل المسامحة في المعاملات.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

"الترغيب من أهم الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد الناس، وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"[٤]، وقد رغّب الحق تبارك وتعالى في جنس الطاعات فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٦]، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في أن يكون المرء سمحًا في المعاملات حتى ينال رحمة الله، وذلك في قوله ﷺ: (رحم الله رجلاً سمحًا).

---

(١) عون المعبود، محمد شرف الحق بن أمير العظيم آبادي ص ١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٥٦١.

(٣) أخرجه أحمد ٥٨/١، رقم ٤١٤، وقال محققو المسند: حسن لغيره ٤٧٣/١ - ٤٧٤.

(٤) انظر: هداية المرشدين، على محفوظ ص ١٩٢.

(٥) سورة النحل، آية: ٣٠.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٧.

الحديث رقم (١٣٧١)

١٣٧١- وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((مَنْ سَرَّهُ أنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ)) رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

الكرب: كرب جمع كُربةٍ، وهي غمٌّ يأخذ بالنفس لشدته[٢].

فلينفس عن معسر: أي يمد ويؤخر في المطالبة، وقيل معناه: يفرج عنه[٣].

المعسِرُ: المفتقر ضيِّق الحال[٤].

يضع عنه: يحط عنه شيئًا من أصل الدين[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يقدم له الراوي الأعلى بما يفيد أنه سمع هذا الحديث منه. . وهذا تمهيد لأهمية مضمون الحديث وصدقة وفى ذلك استجابة لدعوة رسول الله ﷺ ودعائه حيث يقول فيما معناه "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، والحديث الشريف يبشر الذين يتعاملون بالحسنى في البيع والشراء والاستدانة ، وبناء الحديث اللغوي يتسق مع دلالته ومقصده، فهو يتكون من جمله واحده صيغت في قالب الشرط والجواب، وهذا القالب يتوافق مع وعد الرسول بالثواب والنجاة لكل من ينفس عن معسر أو يضع عنه، وفعل الشرط "سره "أى فرَّحه. . والتعبير بما يتضمن مادة

---

(١) برقم (١٥٦٣/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ر ب).

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٦٤.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع س ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ض ع).

"السرور والفرح "يوحى بأن الذي يقدم على تفريج الكربة عن معسر أو يسقط الدين عن المدين لا يقوم بذلك وهو ضيق الصدر ولكن لابد أن يكون فعله متلبساً بمشاعر الرضا والسرور وصيغة "الجمع "في قوله "كرب "يوم القيامة: تشير إلى شدة العذاب والكربة: غم يأخذ بالنفس لشدته، وإنها ليست كربة واحدة ولكنها كرب وهى ليست من كرب الدنيا ولكنها كرب "يوم القارعة - والطامة - والصاخة - والحاقة - ويوم الفصل - يوم القيامة، وجواب الشرط جاء مقترناً بلام الأمر. . التي تقتضى وجوب تنفيذ الشرط لأنه أمر صادر من رسول الله حتى يستحق ذلك المحسن النجاة يوم القيامة، والتعبير بقوله "نفس "فيه تصوير لحالة الفقير المعسر، فهو "مختنق "يكاد لا يجد هواء الحياة ولا نسمات السعادة ومشاركة الغنى له في محنته تنقذه من قبضة الفقر، وذل الإعسار، وصيغة النكرة في "معسر "تصبغ الصفة بصبغة العموم، والمراد أي معسر وليس معسراً معيناً، أو معسراً واحداً، وقوله: (أو يضع عنه) معطوف على جواب الشرط، وهو مرحلة أخرى من مراحل التكافل والتضامن مع "المعسر "فهو إما أن يؤخر مطالبة الدين عن المدين، أو يحط عنه الدين، ويتنازل عنه أو يجد له. حسب الاتفاق الذي يريح الطرفين، وهذا هو السلوك الإسلامي الأمثل - حيث التعاطف والتراحم. والمناصرة والمؤازرة في كل الأحوال.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الإخبار.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

خامسًا: من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٧١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٢، ١٣٧٣).

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين وبيان فضل ذلك:

لقد راعى التشريع الإسلامي حاجة البشر بعضهم إلى بعض ولم يتوقف عند حدّ الحث على السماحة في المعاملات، بل وجه المسلمين وحضّهم على مراعاة ما يكون بهم من كروب وشدائد، فرغّب في التنفيس عنهم، وأجزل الثواب في ذلك.

وهذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك قال ابن علان في قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر أو يضع عنه، أي: من أفرحه (أن ينجيه الله)، أي: يجعله ذا نجاة (من كرب يوم القيامة)، وهو غم يأخذ بالنفس لشدته (فلينفس عن معسر)[1].

قال القاضي عياض: "أي يؤخر ويملي له في الأجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[2]، أي إذا امتد حتى يصير نهارًا بينًا، ومنه، نفس الله في أجله، وقد يكون معنى (ينفس عن معسر)، أي: يُفَرِّج"[3].

وقوله ﷺ: (كان رجلا يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه)، قال القاضي عياض: "والتجاوز والتجوز: المسامحة في الاقتضاء..،وأن الله قد تجوز عنه بذلك، وغفر ذنوبه،وأنه لا يُستحقر شيء من فعل الخير، أو لأمرهم بالحض عليه، وأن الله قد يفسح لعبده ويتجاوز عنه، وينجيه من عذابه بالقليل من عمل الخير، كمثل هذا الذي قد اعترف أنه لم يعمل من الخير شيئًا إلا هذه المسامحة"[4].

قال ابن عثيمين: "وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فقد جازاه الله بمثل ما يجازي به الناس، يعني بمثل ما يفعل هذا الرجل في الناس عامله الله عز وجل فتجاوز عنه؛

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ص ١٤٤٩.

(٢) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٢٩/٥.

(٤) المرجع السابق.

وذلك لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"[١].

قال القرطبي: "وقوله: (حوسب ممن كان قبلكم فلم يوجد له شيء من الخير)، هذا العموم مخصص قطعًا بأنه كان مؤمنًا، ولولا ذلك لما تجاوز عنه فـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[٢]، وهل كان قائمًا بفرائض دينه من الصلاة، والزكاة، وما أشبهها؟ هذا هو الأليقُ بحاله. فإن هذا الحديث يشهد بأنه كان ممن وقى شح نفسه، وعلى هذا: فيكون معنى هذا العموم: أنه لم يوجد له شيء من النوافل إلا هذا. ويحتمل أن يكون له نوافل أخر، غير أن هذا كان الأغلب عليه، فنودي به، وجوزي عليه، ولم يذكر غيره اكتفاء بهذا. والله تعالى أعلم. ويحتمل أن يكون المراد بالخير: المال، فيكون معناه: أنه لم يوجد له فعل بر في المال إلا ما ذكر من إنظار المعسر. والله تعالى أعلم. والتنفيس عن المعسر: تأخيره إلى الإمكان. والوضع: الإسقاط"[٣].

وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل تنفيس الكروب عن المعسرين فقال: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))[٤].

قال ابن حجر: "والكرب - بفتح الكاف وسكون الراء بعدها موحدة - هو ما يدْهَمُ المرء مما يأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه"[٥]، وقال النووي: "في معنى من نفس كربة: أي: أزالها وفي الحديث فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال...،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٤٦٨/٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٧/٤.

(٤) أخرجه مسلم٢٦٩٩.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥٠/١١

وفضل الستر على المسلمين وفضل إنظار المعسر..."[١].

وقال الماوردي في فضل المسامحة والتجاوز والتنفيس عن المعسر: "وأما المسامحة في الأموال، فتتنوع ثلاثة أنواع: مسامحة إسقاط لعدم، ومسامحة تخفيف لعجز، ومسامحة إنكار لعسرة، وهي مع اختلاف أسبابها تفضُّلٌ مأثور، وتألف مشكور.

وإذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده، وينفذ فيه تصرفه، كان أولى أن يجود بما خرج عن يده، فطاب نفسًا بفراقه، وقد تصل المسامحة في الحقوق إلى من لا يقبل البر، ويأبى الصلة، فيكون أحسن موقعًا، وأزكى محلاً، وربما كانت المسامحة فيها آمن من ردّ السائل، ومنع المجتدى، لأن السائل كما اجترأ على سؤالك، فيستجرئ على سؤال غيرك إن رددته، وليس كل من صار أسير حقك، ورهين دينك، يجدُ بدًا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء، وجزيل الأجر وقال محمود الوراق:

المرء بعد الموت أُحدوثةٌ ... يفنى وتبقى منه آثارهُ

فأحسنُ الحالات امرئ ... تطيب بعد الموت أخبارهُ [٢]

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي المهم في الحديث من قوله ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة)، وأيضًا في قوله ﷺ: (فلقي الله فتجاوز عنه)، وقوله ﷺ: (قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه)، "والترغيب بالوعد بالخير في العاجل والآجل من الأساليب الدعوية المهمة في حمل المدعو عل القيام بما رغب فيه على الوجه المطلوب والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٣]، وهذا ما ورد في الأحاديث من ترغيبه ﷺ وحثه على التجاوز والتنفيس عن المعسرين.

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٩١.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ٣٣٢.

(٣) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٥١٣، وأصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الإخبار:

قد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الأحاديث الثلاثة من إخباره ﷺ عن فضل من تجاوز عن المعسر وذلك في قوله ﷺ: "من سره أن ينجيه الله.. إلخ الحديث"، وفي قوله ﷺ: (كان رجل يداين الناس... إلخ)، وقوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم... إلخ)، والإخبار من الأساليب الدعوية الهامة التي يستعين بها الداعية في تبليغ دعوته للمدعوين بما يحقق إرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة لهم.

رابعًا - من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الحث على التجاوز والتنفيس عن المعسرين:

وفي بيان الحكمة من ذلك فضل عظيم لما فيه من حمل المدعوين على الامتثال لحث النبي ﷺ في التجاوز عن المعسرين والتنفيس عن المكروبين.

وفي بيان الحكمة من التنفيس عن المعسر قال د. عبدالعزيز علي الربيعة: "إن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده، كما لا يستطيع أن يقوم على شؤون نفسه ومتطلبات حياته، دون مد اليد إلى غيره من بني البشر لمساعدته على تحقيقها له، والإنسان في غالب أحواله لا يعطي غيره شيئًا إلا بمقابل يكون عوضًا عما قدمه له، وقد لا يكون عند ذلك المحتاج ما يعطيه مقابلاً له، ومن هنا نشأت فكرة البيع إلى أجل يأخذ المشتري بموجبه السلعة، ويكون ثمنها دينًا في ذمته تحت قيود يلتزم بها الطرفان وإلى مدة يتفقان على تحديدها.

وقد يكون ذلك المدين حال حلول الدين عليه غير مستطيع للوفاء بما عليه، وحينئذ ينتابه الهم، ويدخل عليه الضيق والحرج، لانتهائه إلى ذلك الواقع المرير، وكيف لا يكون مريرًا وهو يخاف في كل لحظة من تطاول غريمه عليه، وإلحاحه في طلب دينه، ورفع أمره إلى السلطة الحاكمة، والتشهير بحاله، فيعرف الناس فيه ذلك فيظنونه مماطلاً، وغير كفؤ للتعامل معه، أو إنهم يعرفون أن ذلك ناشيء عن عجزه عن تسديد ما وجب عليه وإعساره، وهذه كأختها في جلب الضيق والحرج، إذ أن الناس حينئذ يتباعدون عنه، ويجتنبون التعامل معه، وإهماله حتى في أحقر الأشياء وأقلها قيمة، فيصل إليه من الضرر بذلك الشيء الكثير.

وقد كان موقف شريعة الغاب أيام الجاهلية الوثنية التي لا تعرف من الأهداف سوى الطمع في الدنيا موقفًا يجعل من المدين فريسة سهلة تأكل لحمه وعظامه وتشرب دمه وعروقه وذلك بما كان متعارفًا لديها بأن من حل عليه دين فإنه لا بد له من أحد أمرين لا ثالث لهما، إما أن يقضيه أو يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن في وضع لا يسمح له بذلك، وإما أن يزيد صاحب الدين مقابل تأجيله له مدة من الزمن، وهذا معروف عندهم في نظامهم الاقتصادي الجشع بمبدأ (إما أن تقضي وإما أن تربي).

ثم جاء الإسلام يحمل السماحة الندية للبشرية، ويضع الظل الظليل الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة والشح والطمع والتكالب والسعار، جاء يحمل الرحمة للدائن والمدين وللمجتمع الذي يظل الجميع، فمنع مطاردة المعسر من صاحب الدين ومن المحاكم، وشرع أن ينظر حتى يوسر، وبالغ في الرحمة به والشفقة عليه، فحث على التصدق عليه ووضع ذلك الدين عنه، ورغب في ذلك، فوصفه بأنه خير، وبأنه سبب لتفريج الكربة يوم القيامة، وسبب لانشراح الصدر في ذلك اليوم الهائل جزاء ما نفّس عن مدينه من كربة، وما أدخل عليه من فرح وسرور، كما بيّن الإسلام أن ذلك سببًا لتجاوز الذنوب عن الدائن والفوز بالجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]"[2].

خامسًا- من أهداف الدعوة: نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين:

إن التعاون بين المسلمين والتكافل الاجتماعي هو قاعدة المجتمع الإسلامي، والجماعة المسلمة مكلفة أن تراعي مصالح الضعفاء فيها، والمعسرين، ومن أجل ذلك حثت نصوص الشريعة الإسلامية على نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين باعتباره هدف من أهداف الدعوة، وهذا ما يستفاد من نص الأحاديث.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٢) صور من سماحة الإسلام، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن علي الربيعة ص ٨٢ - ٨٤.

وهذا ما أمر به الحق تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال ابن كثير في قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة): "يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك"[٤]، وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ))[٥]، وقال ﷺ: ((الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا))[٦]، قال النووي: "هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه"[٧].

"وقد رفع الإسلام هذا اللون من التكافل ليجعله تعاملاً مع الله"[٨]، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٧٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠/٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨٦.

(٦) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٥٤٥.

(٨) التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص، د. محمد أحمد الصالح ص ١١٨.

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي))[1]، وفي ذلك بيان على أهمية نشر التعاون والتلاحم والتكافل بين المسلمين كهدف من أهداف الدعوة وذلك بالحث على التجاوز عن المعسرين وتنفيس كرب المكروبين.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى وعفوه عن عباده:

(إن من كرم الله سبحانه وتعالى أنه يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ويتبرع بالإحسان من غير استثابة، ويغفر الذنب ويعفو عن المسيء)[2]، فكرم الله تعالى وعفوه عن عباده أمر عظيم، فهو الرحمن الرحيم الذي يجازي عن الحسنات إحسانًا، وعن السيئات عفوًا وغفرانًا.

ومن كرمه تعالى وعفوه عن عباده أنه يجازي من يتجاوز عن المعسر؛ بأن يعفو عنه، ويتجاوز عن سيئاته إكرامًا له على حسن فعله، وعظيم كرمه، وهو العلام القدير الذي لا تضيع عنده حسنة... أو عمل صالح فإنه يجازي عنه بأفضل منه.

وهذا ما ظهر جليًا في الحديث من قوله ﷺ: (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه؛ تجاوزوا عنه) وأيضًا في قوله ﷺ: (... فلقي الله فتجاوز عنه).

قال ابن حجر: "وفي الحديث أن اليسير من الحسنات إذا كان خالصًا لله كفر كثيرًا من السيئات"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥٠٧.

(٢) الأسماء والصفات، البيهقي، ١٠١/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٢/٤.

وما ذلك إلا لكرم الله تعالى وعفوه على عباده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يبلغه عن ربه عز وجل قال: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذَ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا. فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ))[1]، وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ. وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ. حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))[2].

قال النووي: "وهذه الأحاديث ظاهرة في الدلالة على قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقط ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جمعها صحت توبته"[3]، وفي ذلك بيان لعظم كرم الله تعالى وعفوه عن عباده.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٥٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ص ١٦١٥.

الحديث رقم (١٣٧٢)

١٣٧٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يداين: يعطي ويقرض من استقرضه[2].

لفتاه: وهو الخادم حرًّا كان أو مملوكًا[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده قد صيغ في قالب "الحكاية "حيث بدأ بالفعل كان ورسول الله يسرد موقفاً من مواقف السابقين حتى يكون عبره يقتدي بها اللاحقون ولذلك: قال: كان رجل "ولم يحدد من هو "لأن العبرة بالموقف والسلوك وليس بتحديد الشخص، وقوله: يداين الناس "صفة للرجل "والتعبير يدل على أن الرجل كان لديه مال كثير فهو كثيراً ما يعطى الناس على سبيل الدين "وصيغة "الفاعل وهى "المداينة "للمبالغة أي أنه كثير المداينة للناس وهى ليست للمغالية أو للجاج والعناد لأن الرجل من طبيعته السماحة والمساهلة، وتكرار الفعل كان "يوميء إلى الكثرة. . وإلى أنه كان لديه من يقوم بتحصيل الديون وكان يأمرهم بالرفق في المطالبة، وأسلوب الشرط في قوله: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه يفسر سلوك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٠)، ومسلم (١٥٦٢/٣١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ي ن).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

الرجل وصدقة في حط الدين عن المدين أو تخفيف المطالبة لأن أداة الشرط "إذا "توحي بذلك فهي للتحقيق ولم يقل الرسول على لسان الرجل "إن "وإنما قال: إذا "للإشعار بصدق النية، وتحقق الفعل، وقوله: فتجاوز عنه "يحمل دلالات سلوكية كثيرة: حيث قال العلماء يدخل في التجاوز "الإنظار، والوصية وحسن التقاضي وأسلوب الرجاء في قوله: لعل الله: إيماء بأن الدافع إلى التجاوز عن المعسر هو "ابتغاء رضوان الله عز وجل وليس بدافع من الرياء وطلب السمعة أو تخفيض الضرائب أو اكتساب الوجاهة الاجتماعية أو التمهيد للدعاية الانتخابية أو التغطية على مصادر هذه الأموال غير المشروعة كما يحدث في المجتمعات المعاصرة "فالله طيب لا يقبل إلا طيباً "والنتيجة المبشرة في الحديث الشريف تأتى في إطار الأسلوب الخبري. . ومقترنة بحرف العطف "الفاء "مرتين لمزيد من البشرى وصدق الوعد بالثواب، وصيغة الفعل الماضي إشارة إلى تحقق الوقوع ولنتأمل هذا الختام لذلك المشهد القصصي وهو ختام يريح النفس ويطمئن القلوب ويفتح الباب على مصراعيه للتكافل الاجتماعي والتراحم بين الناس والوقوف مع المعسرين في محنهم وأزماتهم، "فلقي الله فتجاوز عنه" والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٣)

١٣٧٣- وعن أبي مسعود البدريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إلاَّ أنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

يخالط الناس: يعاملهم بالبيوع والمداينة[2].

موسرًا: غنيًّا[3].

غلمانه: جمع غلام، ومعناه هنا: الخادم حرًّا كان أو مملوكًا[4].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[5].

الشرح الأدبي

الحديث يضرب في عمق الماضي ليستخرج منه عبرة يقرر بها معنى عن طريق القصة، وللقصة في البيان النبوي دور مهم في مجال التقويم، والتربية، وغرس المفاهيم، وتأصيل مكارم الأخلاق، وإيجاد المثل العليا للنماذج البشرية المؤثرة، ولما لها من أثر يواكب فطرتها في مدارج الحياة فقد كثرت في البيان النبوي، وتعتمد قصة هذا

---

(١) برقم (١٥٦١/٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٤٩.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ي س ر).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦١/٤.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

الحديث أسلوب القص الخبري بذكر بطل القصة صاحب الموقف مرتبطا بالموقف الذي تدور فيه الأحداث (حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) وتنكير الرجل لعدم تعلق غرض بتعريفه ؛لأن المقصود التعريف بعمله، والتعبير بالحساب يوحي بالشدة، والتضييق، وبناؤه للمفعول ليذهب العقل في تخيل المحاسب كل مذهب لأن كل إنسان يتخيل محاسبه من الملائكة بحسب عمله، وإلا فحساب الله عليه أشد إن كان عاصيا، ويكون عتاب حبيب لحبيب إن كان طائعا، وقوله (فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ) يمثل عقدة القصة التي تشير إلى تأزم موقفه بنفي كل خير يمكن أن يكون سببا لنجاته من هول الموقف، وتنكير كلمة (شيء) يفيد التعميم الذي يشمل قليله، وكثيره، وقوله (إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً، وَكَانَ يَأمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ) استثناء يشير إلى بارقة أمل تجاه الحل، وقَولَ اللهُ - عز وجل -: (نَحْنُ أَحَقُّ بذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ) يشير إلى الحل، ترتب على تجاوزه عن الناس، والدرس الذي تنقله القصة بطريقة عملية يتمثل في بيان أثر التجاوز عن المعسرين في الموقف العظيم، وجزائه بتجاوز الله عنه، وهو من جنس عمله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٣٧١).

الحديث رقم (١٣٧٤)

١٣٧٤- وعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ: أُتِي اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ((وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا)) قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ((أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي)) فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِرٍ، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكَذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِيِّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

الجواز: أي: الصبر على المعسر وقبول ما جاء به الموسر[2].

أتيسر على الموسر: آخذ ما تيسر بأن أقبل ما قد يتوقف من نقص يسير أو عيب في المأتي به[3].

أنظر: أمهل من الإنظار وهو التأخير والإمهال[4].

المعسر: الذي عجز عن قضاء ما عليه من الدّين في الحال[5]. وفي النهاية: من ضاق حاله واشتد[6].

الشرح الأدبي

الحديث عن مواقف الآخرة حديث مشوق يسيطر على سمع المخاطب، وعقله،

---

(١) برقم (١٥٦٠/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٢٥) من لفظ متفق عليه. أخرجه البخاري (٣٤٥١)، ومسلم (١٥٦٠/٢٨).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٧٣.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤١٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

والتعبير بالإتيان يشير إلى اصطحاب شيء، ونسبة الفعل لله تعطيه أبعادا إيحائية لارتباط الأثر بالمؤثر، وبين عبد، وعباده جناس يؤكد المعنى ويشير إلى لازم تلك العبودية من الطاعة، وتنكير (مالا) للتعظيم وسؤال الله له (مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟) استفهام للتقرير بغرض إحراج المخاطب، والتضييق عليه، والآية المذكورة تؤكد مسبقا فقدانهم القدرة على تبديل الحقائق أو كتمانها كما كانوا يفعلون في الدنيا، وقول الرجل: (وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ) التعبير بكان يشير إلى أنها كانت عادته في معاملة المعسرين، ويؤكد ذلك التعبير بالخلق، وإضافته إليه يشير إلى ذلك، وأنه طبع فيه، والطباق في قوله الموسر، والمعسر يشير إلى حسن معاملته للجميع بحسب ظروفهم، والجناس بين (أتيسَّر، وموسر) يشير إلى مراعاته حال الناس، وغلبة اليسر، والسماحة على معاملته في قوله: (فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ) وقول الله تعالى: (أنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي) التعبير بالضمير أنا، وأفعل التفضيل (أحق)، والإشارة المقربة للعمل الفاضل مع تقريره لعظيم فضل الله تعالى يشير إلى أن الجزاء من جنس العمل، ويشيد بعبد تخلق بخلق كريم كان مردُّه عليه في اليوم العصيب.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: سؤال العبد عن عمله يوم القيامة، وتقرير الله تعالى له:

هذا ما أشار إليه الحديث الأول في قوله ﷺ: "أتى الله تعالى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا ؟ قال: ولا يكتمون الله حديثًا"، قال القرطبي: (وقوله: ولا يكتمون الله حديثًا، أي: لا يستطيع أحد أن يكتم يوم القيامة شيئًا من

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٢٧٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٢٧٥)

أعماله. فإن كتم شهدت عليه جوارحه)[١]، وقد بين الحق تبارك وتعالى سؤاله للعبد عن عمله يوم القيامة فقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٢]، وقال: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾[٣]، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٤]، أي: قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا)[٥].

وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسب، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه))[٦]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم))[٧].

وفي بيان ذلك قال المباركفوري في قوله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، أي: عن مدة أجله فيما صرفه)[٨]، وقال الطيبي في قوله ﷺ: ("وعن شبابه فيما أبلاه"، أي: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن فيه على أقوى العبادة)[٩] و (قوله ﷺ: "وعن ماله من أين اكتسبه" قال المباركفوري، أي: من حرام أم حلال؟ "وفيما أنفقه" أي: طاعة أو معصية)[١٠]، وقوله: "عن علمه ماذا

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٤٣٦.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٨.

(٤) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/٩.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٧٠).

(٧) أخرجه الترمذي ٢٤١٩، صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٦٩).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٨٩.

(٩) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٩/٣١٤.

(١٠) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨٨٩.

عمل به" قال الطيبي: (إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل:وعن عمله ماذا عمل به، لأنها أهم شيء وأولاه. وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل)[1] فإن سؤال العبد عن عمله يوم القيامة وتقرير الله تعالى له أمر معلوم وهو ثابت بالقرآن والسنة كما سبق، فعلى المرء أن يعد الإجابة لذلك بعمل صالح وصدق يبتغى به وجه الله.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على إنظار المعسرين أو الوضع عنهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين في قوله ﷺ: ((يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله تعالى: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وأيضًا في قوله ﷺ: "من أنظر معسرًا أو وضع له، أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قال القرطبي: (الإنظار: التأخير. والمعسر هنا: هو الذي يتعذَّر عليه الأداء في الوقت دون وقت. فندب الشرع إلى تأخيره إلى الوقت الذي يمكن له ما يؤدي. وأما المعسر بالإفلاس: فتحرم مطالبته إلى أن يتبين يساره. والمال: يساره. والمال: كل ما يتمول، أو يتملك من عين، وعرض، وحيوان، وغير ذلك. ثم قد يخصه أهل كل مال بما يكون غالب أموالهم. فيقول أصحاب الإبل: المال: الإبل. وأصحاب النخل: النخل. وهكذا.

و(قوله: وكان من خلقي الجواز) أي: التجاوز عن حقوقه، فأما من حلول الأجل فيؤخره، وأما من استيفاء الحق فيسقط بعضه، أو يسامح في الزيف.

و(قول الله تعالى: أنا أحق بذلك) صدق، وحق؛ لأنه تعالى متفضل ببذل ما لا يستحق عليه، ومسقط بعفوه عن عبده ما يجب له من الحقوق عليه. ثم يتلافاه برحمته، فيكرمه، ويقربه منه، وإليه. فله الحمد كفاء إنعامه، وله الشكر على إحسانه)[2].

وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لاظل إلا ظله"، قال ابن القيم:

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٤/٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤٣٦/٤.

((لأنه لما جعله في ظل الإنظار والصبر، ونجاة من حر المطالبة، وحرارة تكلف الأداء مع عسرته وعجزه، نجاه الله من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش))[١].

وقال النووي: (وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه إما كل الدين وإما بعضه من كثير أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء، سواء استوفى من موسر أو معسر، وفضل الوضع من الدين وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير فلعله سبب السعادة والرحمة)[٢]، وقد أمر تعالى: بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[٣]. أى: لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينة إذا حل عليه الدين: إما أن تقض وإما أن تربى. ثم يندب إلى الوضع عنه، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل، فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]، أى: وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين[٥]، (وقد استثنى الفقهاء من أصل أفضلية الفرض على النفل أمورًا، وذكروا صورًا للنوافل التي فضلها الشرع على الواجبات منها إبراء المعسر فإنه أفضل من إنظاره، وإنظاره واجب، وإبراؤه مستحب)[٦].

وقال ابن عثيمين: (ولاشك إن الإبراء أفضل، لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائيًا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي)[٧] وفي ذلك دليل على فضل إنظار المعسر أو الوضع عنه والحث على ذلك.

---

(١) نقلاً عن: جامع الفقه، موسوعة الأعمال الكاملة، ابن القيم، جمع: يسري السيد محمد ١٢/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٩٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧١٧.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٣/٤١.

(٧) شرح رياض الصالحين، ١٤٦٨/٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(مما لاشك فيه أن النفس البشرية مطبوعة على حب الخير وفعله، الأمر الذي يجعل صاحبها، ذكرًا كان أو أنثى صغيرًا كان أم كبيرًا، يتقبل كل ما يحقق له ذلك، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعات...، وأن من قام بما أوجبه جل وعلا، سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة)[1] . وهذا ما ورد في الحديثين من ترغيبه ﷺ في إنظار المعسر أو الوضع عنه وذلك بقوله ﷺ: فقال الله: "أنا أحق بذا منك تجاوزا عن عبدي"، وقوله ﷺ: "أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، شريف الهجاري، ٤٤١.

الحديث رقم (١٣٧٥)

١٣٧٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أظَلَّهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَومَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أنظر: أمهل وأخَّرَ[2].

وَضَعَ لهُ: حط عنه من أصل الدَّيْن شيئًا[3].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى جانب من الجوانب الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام يرغب في سلوك اجتماعي يحقق مزيد تكافل بين المسلمين، ومحبة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربط الجزاء العظيم بالفعل المتاح حتى يسعى كل من تيسر له إلى تحصيله فقد ربط إنظار المعسر بالكون في ظل عرش الله، وإضافة الظل لله إضافة تشريف، وملك، والمراد أنه في ظله من الحر ووهج الموقف، أو كناية عن الراحة، والنعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب، والتعبير بالإعسار يشير إلى لون من العجز في الوفاء يستلزم مزيدا من التساهل معه، ، وتقييد الظل بيوم القيامة يزيد الرغبة فيه لما هو مستقر في وجدان الناس من هول اليوم، والجناس بين أظله، وظله يؤكد حقيقة هذا الظل الأوحد، وتكرار لفظ الظل لتقرير معناه في قلب

---

(١) برقم (١٣٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٣٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ظ ر).

(٣) المرجع السابق في (و ض ع).

المخاطب، وسمعه ترغيباً في حسن المعاملة بين المؤمنين في الدنيا، والتي يجمعهم الله بها في الآخرة، وقد صعَّد الترغيب الذي أثاره الشرط بجملة القصر التي تقرر أنه الظل الأوحد في يوم تدنوا فيه الشمس من الرؤوس (يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٣٧٦)

١٣٧٦- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفقٌ عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أرجح: أعطاه أكثر من حقّه[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشير إلى جانب اجتماعي في حياة الرسول ﷺ يعرض لصورة من صور تعاملاته في البيع، والشراء، ويقرر كرمه، وتسامحه، فهو يعرض لسنن فعلية بنقل فعل الرسول ﷺ لها ترغيبا فيها، والخبر مؤكد من راويه جابر رضي الله عنه بعدة مؤكدات منها التوكيد بإن مع اسمية الجملة، والتعبير بالفعل الماضي الدال على التحقق (اشترى)، وقد زاد الخبر توكيدا كونه طرفا في هذه المعاملة دل على ذلك الضمير العائد على جابر في قوله (منه)، وقوله (فوزن) يشير استخدام الفاء إلى سرعة القضاء، وقوله (فأرجح) يشير إلى التفضل بالزيادة على المستحق، وهو من كرم النبي ﷺ في تعامله مع الناس الوفاء، والزيادة.

فقه الحديث

يشير الحديثان[٣] إلى عدة أحكام منها:

١ - جواز أخذ الأجرة على الوزن والكيل وما في معناها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٤)، ومسلم (٧١٥/١١٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ج ح).

(٣) حديث (١٣٧٦، ١٣٧٧).

(٤) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩٠، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

٢ - استحباب إرجاح الميزان[١].

٣ - أن أجرة وزن الثمن على البائع[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام.

ثانيًا: من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التجارة وفضلها في نشر الإسلام:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، "والتجارة هى محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أيًا ما كانت السلعة"[٤]، "وللتجارة عادة يغلب عليها حب الكسب إلى حد الشجع حينًا، والخيانة والظلم أحيانًا فإذا غلب الإيمان هان المال في سبيل المثل الأعلى ومكارم الأخلاق"[٥]، وقد كان للإسلام توجيهات خاصة في مجال التجارة أصلحت من تنظيمها وشجعتها وأبعدت الظلم عن البائع والمشتري...، فقد كان لتحريم الربا دور كبير في منع الظلم عن كثير من الناس، وكان للأمر بالتسامح في البيع والشراء دور كبير في صفاء قلوب الناس وتحابهم وهكذا وضع الإسلام الأسس العامة للتجارة وحث عليها مما دفع المسلمين، إلى أن يجوبوا أقطار الأرض تجارًا ودعاة للإسلام في سياق واحد، بل يجعلون التجارة وسيلة لنشر الإسلام"[٦].

وفي ذلك قال الإمام أبو زهرة: "كان التجار المؤمنين في اليمن وحضرموت، يسيرون

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١.

(٢) العناية على شرح الهداية ٢٩٥/٦، شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٣٦/١١، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤/٤.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٣٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٣٧٧).

(٤) تاريخ ابن خلدون، المقدمة، ابن خلدون ص ١٩٩.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٠٤.

(٦) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، د.عبدالعزيز العمري، ١٤٥ - ١٥١.

بمتاجرهم منبعثين من شطر البلاد العربية ميممين شرقى البلاد وغربها، ومع تجارتهم الدعوة المحمدية يعطون بضائع المال، ويأخذون مثلها، ومعها بضائع هي النور وهو الإسلام، وقد جابوا الآفاق على البضاعة المادية والهدى المحمدي، وكان يسهل الطريق أن الوثنية كانت مسيطرة على الشعوب التي يعاملونها فيهدونها، ثم يتعاملون معها بنور الهداية، فكانت بضاعة النور رائجة، وبضاعة المادة رائجة أيضًا، وبالتجارة الحضارمة آمن أكثر شرق أفريقيا، ولا تزال آثارهم باقية في شرق أفريقيا، فعلى أيديهم أسلمت الحبشة إلا قليلا، وإن كان المسلمون فيها مضطهدين تحت عين المسلمين وبصرهم. وكذلك الصومال، وسائر شرق أفريقيا، والتجار المسلمون هم الذين نشروا الإسلام في إندونيسيا، وغيرها من بلاد الشرق الأقصى"[1]، فعلى التجار أن يقتدوا بسلفهم الصالح في إظهار حسن وجمال الإسلام، في أمره بالسماحة، وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف، وأن يدللوا على ذلك باتباعهم لتعاليم الإسلام وامتثالهم لها، فيكون ذلك أبلغ في نشر الدعوة ونفاذها في قلوب المدعوين.

ثانيًا - من آداب الداعية: الاقتداء بهدى النبي ﷺ في السماحة وحسن القضاء:

هذا ما أشار إليه نص الحديثان الأول في قول جابر رضي الله عنه: "إن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا، فوزن له فأرجح"، والثاني في قول أبي صفوان سويد بن قيس رضي الله عنه "... فقال النبي ﷺ للوزان "زن وأرجح" وفي بيان ذلك قال النووي: "وفيه استحباب إرجاح الميزان في وفاء الثمن وقضاء الديون"[2].

وقال ابن عثيمين: "في قوله ﷺ: "زن وأرجح" أى زاده أكثر مما يستحق وهكذا ينبغي للإنسان عند الوفاء أن يوفي كاملاً بدون نقص وإذا زاد فهو أفضل"[3]، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في انتهاج الخلق الكريم والسلوك القويم، - ومن ذلك السماحة في البيع والشراء وحسن القضاء - ، فالدعوة أمانة عظيمة ولا تؤدى

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بدون طبعة، ٩١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٩٢٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٧٠.

على أتم وجهها إلا بعد أن تمرّس النفس على الانضباط بأخلاق الدعاة الصادقين، وصفات المصلحين المخلصين، ويتبوأ إمام الدعاة قدوتنا رسول الله ﷺ مكان الذروة من ذلك، فهو ذو الخلق الكريم، والخلق العظيم بشهادة رب العالمين القائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا"[٢]،[٣].

"فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره، لأن الدعاة يدعون بالأقوال والأفعال بالبيان والقدوة، والناس يرون في أفعال الدعاة وسيرتهم تطبيقًا حيًا لما يدعون إليه، فإذا لم يكونوا مقتفين أثر النبي ﷺ متتبعين منهجه، مقتدين به، مترسمين خطاه فقد ضلوا وأضلوا"[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل السماحة في البيع والشراء:

هذا ما يستفاد من نص الحديثين، وفي بيان عظم فضل السماحة في البيع والشراء، قال ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى"[٥]، وقال ﷺ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع سهلاً إذا اشترى سهلاً إذا اقتضى"[٦]، وقال ﷺ: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"[٧].

قال المباركفوري: "في قوله ﷺ: إن الله يحب سمح البيع"، أي: سهلاً في البيع جوادًا يتجاوز عن بعض حقه إذا باع"[٨]، وقال ابن حجر: "السمح الجواد يقال: سمح

---

(١) سورة القلم، آية : ٤ .

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٦٦، مسلم ٢٣٢١.

(٣) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ٧٠ - ٧١.

(٤) المرجع السابق ٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٦.

(٦) الترمذي ١٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).

(٧) الترمذي ١٣١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٠٦٥).

(٨) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٨١/١.

بكذا إذا جاد والمراد هنا المساهلة...، وفيه الحض على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم"[١].

وقد بين ابن هبيرة في ذلك معنًى بديعًا قال فيه: (إن الله سبحانه وتعالى مكن عبده في حياته الدنيا من أشياء تشابه ما تنتهي إليها أحواله في الآخرة؛ ليكون إذا وجد ما يسوءه من قصور عن مدى لم يبلغه لم يلم غير نفسه؛ فإن أراد أن يتجاوز الله له عن كل شيء تجاوز هو لعباد الله المؤمنين عن كل شيء، وإن أراد أن يجود الله له بكل شيء جاد هو لعباد الله سبحانه بكل شيء في الله سبحانه، وإن أراد أن يؤثره الله على كل مخلوق في وقته آثر هو الله سبحانه على كل مخلوق في وقته، وكذلك إذا أحب ألا يأتيه من الله ما يكرهه لم يأت هو في أمر الله ما يكرهه، ولذلك إذا أراد أن يكون أكرم خلق الله على الله فليكن أشد خلق الله اتقاء لله، وكذلك إذا أراد أن يكون أحب خلق الله إلى الله فليكن ممن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، وهي العروة الوثقى؛ الحب في الله والبغض في الله.

وإن مما أخافه على أهل الخير عند هذه العقبة من عقاب النيات أنه إذا رأى الرجل المسلم الرجل المسلم وقد أعجبته خلاله وثبت عنده صلاح علانيته، وهو يشير إليه ضميره فاستحق حبه وأن يمحضه وده، فنظر إلى أنه ليس من قومه؛ أو ليس على مذهبه، أو ليس آخذاً في طريقه المشوبة، فقصر في إمحاضه الود لذلك المعنى الذي ليس بصالح؛ لأنه قد تعرض بذلك لأن يمقته الله عز وجل في أدنى خلة يستحق بها المقت، وإن كان هو لم يمقته في خلة يستحق بها المقت؛ ولكن عدل الله عز وجل يقتضي ألا يكون إلا كذلك)[٢].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/٣٥٩.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٣٠.

الحديث رقم (١٣٧٧)

١٣٧٧- وعن أَبي صَفْوَان سُوَيْدِ بنِ قيسٍ ﷺ قَالَ: جَلَبْتُ أنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءنا النبيُّ ﷺ، فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالأجْرِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: ((زِنْ وَأَرْجِحْ)) رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سُوَيْد بن قيس: هو سويد بن قيس العبدي، يكنى، أبو مرحب له صحبة، غير أنه لم يرو إلا حديثًا واحدًا وهو قال سويد بن قيس جلبت أنا ومَخْرفَة العبديُّ ثيابًا من هجر، قال: فأتانا رسول الله ﷺ فساومنا بسراويل، وعندي وزَّان يزن بالأجر، فقال للوازن: ((زن وأرجح)). وفي رواية ((جلبت أنا ومخرفة العبدي بزًا من هجر أبو البحرين، فلما كان بمنى أتانا رسول الله ﷺ فاشترى منا سراويل وقباء، ووزّانٌ يزن بالأجرة، فدفع إليه رسول الله ﷺ الثمن، فقال: زن وأرجح)) وهو حديث الباب. وكان ﷺ ممن سكن الكوفة[2].

غريب الألفاظ:

جلبت: جلب يجلبه جلْبًا وجلَبا واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر[3].

بزًا: البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب ونحوها[4].

هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين -قديمًا- وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٣٣٦)، والترمذي (١٣٠٥) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥١٤٧)، وقال الحاكم (٢/٣٠): حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥٩٩، ٦٠٠)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٦١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٣٤١)، السندي (٣١/٤٤٤ - ٤٤٦).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ج ل ب).

(٤) المرجع السابق في (ب ز ز).

اليوم "الإحساء" والبحرين قديمًا كانت تطلق على ساحل الخليج العربي من عمان جنوبًا حتى الكويت والبصرة شمالاً، أما البحرين حاليًا فكانت تسمى دلمون[١].

فساومنا: من المساومة وهي المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة، وفصل ثمنها[٢].

سراويل: جمع سروال: لباس يغطي السرة والركبتين وما بينهما[٣].

وزّان يزن بالأجر: يأخذ على وزنه أجرة[٤].

وأرجح: رجح الميزان يرجح أي مال له ورجح وأرجح أي أعطاه راجحًا[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الدلالة على تعاملات النبي ﷺ في البيوع من جهة، وعلى وفائه مع الزيادة كرما منه، وحسن معاملة، قال ابن القيم: قد باع النبي صلى الله عليه و سلم واشترى وشراؤه أكثر، وآجر، واستأجر وإيجاره أكثر، وضارب، وشارك ووكل وتوكل، وتوكيله أكثر، وأهدى، وأهدي له، ووهب، واتهب، واستدان، واستعار، وضمن عاما، وخاصا، ووقف، وشفع، فقبل تارة، ورد أخرى فلم يغضب، ولا حلف واستحلف، ومضى في يمينه تارة، وكفر أخرى، ومازح، وورى، ولم يقل إلا حقا، وهو القدوة والأسوة)، وقول أَبي صَفْوَان سُوَيْد بنِ قيسٍ - رضي الله عنه (جلبت) يشير إلى عناء، ومشقة في الإتيان بالثياب كعادتهم في رحلات التجارة من الشام، أو اليمن، و (هجر) اسم مدينة يمنية مما يؤكد دلالة الفعل (جلبت) والبز نوع من أنواع الثياب، وقوله (فَجَاءنا النبيُّ ﷺ) يشير إلى أنه هو الذي قصدهم للشراء منهم، وقوله

---

(١) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٢، ٣٦٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و م).

(٣) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢١٧.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٧٣/١.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ر ج ح).

(فساومنا) يشير إلى أعلى مستويات التواضع، والعدل، وترك المحاباة، وإن كان التعامل مع رأس الناس، وهو نوع من العدالة، والإنصاف لم تعرفه أكثر المجتمعات عدالة، واستقامة في أي عصر بعد عصر النبوة، وقول الرسول ﷺ (زِنْ وَأَرْجِحْ) الأمر الأول يمثل العدالة في أسمى صورها لأهم شخصية في المجتمع بله على وجه الأرض تشتري، وتبيع وتعدل، والأمر الثاني (وأرجح) يشير إلى الكرم في القضاء كما أشار ما قبله إلى العدل في الوفاء.

فقه الحديث

قال ابن قدامة في المغني: (ويجوز استئجار كيال ووزان لعمل معلوم أو في مدة معلومة، وبهذا قال مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي، ولا نعلم فيه مخالفًا، وذلك لحديث الباب)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) المغني شرح مختصر الخرقي، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٤١/٨ بتصرف.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالممارسة:

تكون المواقف ذات تأثير كبير على نفوس البشر والناس، وتكون أبلغ في توصيل الرسالة المراد توصيلها إليهم، لأن المواقف هي المحك الفعلي لصدق القول وإخلاص القائل وإيمانه بما يقول، فكم من المواقف كشف زيف القائل وفضحه وكشف عن الهوّة البعيدة بين قوله وبين فعله، فزَهَدَه الناسُ وانفضوا من حوله، بل كانوا فتنة لبعضهم، فمنعوهم من الاستجابة لما يقولون مع أنه الصدق والحق، فكانوا أشبه بقطاع الطرق، وفي ذلك يقول ابن القيم: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى التأسي بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا. قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق)[1].

لذا كانت المواقف التي تقع للمربي ومنه ذات تأثير لا يخفى على أتباعه ومن يقوم بتربيتهم، فعيونهم معلقة به وقلوبهم متجهة إليه، وأفئدتهم مفتوحة لما يفعل وما يقول، إن رأت فعله يصدق قوله ازدادت استجابة له وطاعة وامتثالاً، وإلا نفرت عنه، ولم تلتفت إلى قوله ولم تلق بالاً إلى فعله.

ونبينا محمد ﷺ كان أصدق الناس وأصدق الخلق في قوله وفعله، ففعله مصدق لقوله، وقوله معبر عن فعله، فلا يأمر أصحابه بفعل إلا وكان أول الفاعلين ولا ينهاهم عن فعل إلا كان أسرع المنتهين، إنه ﷺ أفضل من شهدته البشرية مربيًا ومعلمًا وموجهًا وقائدًا وواعظًا، وليس هذا من الكلام الإنشائي أو الكلام الذي يحمل عليه الحب والتوقير له ﷺ، ليس هذا من الكلام الإنشائي في شيء، ولكنه كلام صدر عن كل قلب محبٍ مبجل له ﷺ مؤمن به، كما أنه كلام يصدقه الواقع ويشهد له التاريخ، فلم يشهد التاريخ رجلاً نجح في تكوين دولة تقوم على ما كان يدعو إليه من

---

(١) الفوائد ص ٩٤.

توحيد وعدل وتسامح ومحبة، وفي تربية أصحاب يحملون ويؤمنون بما يدعو إليه إلاّ محمدًا ﷺ.

وبهذا شهد المنصفون قبل المحبين، فهذا مايكل هارت يؤلف كتابه (العظماء مائة) ويختار مائة شخصية يجمع بينها أنها أكثر الشخصيات تأثيرًا في تاريخ العالم، وبدراسته لسير هؤلاء العظماء يخرج إلى أن أعظم هذه الشخصيات محمد ﷺ، فيجعله الشخصية الأولى، ويكون عنوان الكتاب - مترجمًا - (العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ).

ولا شكّ أن من أسباب نجاح النبي ﷺ تصديق فعله لقوله، وهذا من أهم الشروط الواجب توافرها في كل مصلح ومربٍ وداعية، وبعض أحاديث الباب تشهد بذلك، إنه كان ﷺ يحث أصحابه ويرغبهم في محاسن الأخلاق ومكارم الصفات، منها التسامح والعفو وحسن القضاء، وجاءت المواقف العملية لتبين أن رسول الله ﷺ أكثر المتسامحين وأصدق العافين، وأحسن الناس قضاءً.

فهذا النبي ﷺ يكون عليه دينٌ فيأتيه صاحب الدين يتقاضاه ويغلظ في المطالبة بدينه إغلاظًا، يدفع أصحاب النبي الكرام إلى أن يهموا به ليعاقبوه على إغلاظه هذا، لكن النبي ﷺ يأمر أصحابه بأن يكظموا غيظهم ولا يعاملوه بما يستحق، بل إنه ﷺ ليزيد في أمرهم بالكظم بأن يدعوهم بأن يلتمسوا له عذرًا، فيقول (دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً) وينقل أصحابه من الثورة على هذا الرجل الغليظ إلى الانشغال بأداء دينه، والعمل على قضائه، وهو في هذا نقلَ تفكيرهم واهتمامهم بمعاقبة هذا الرجل وتأديبه إلى مجال آخر وهو تأدية دينه إليه، وهو بذلك خَفّض ثورتهم إلى أدنى حد ممكن بل يدعوهم إلى محوها وعدم الالتفات إلى تبعاتها ولوازمها، إلى ما يعبّر عن التسامح والعفو، إنه يقول لهم: (أعطوه سنًّا مثل سنه) فينشغل الصحابة بهذا الأمر النبوي الكريم ويبحثون عن مثل سنّه فلا يجدون، فيخبرون النبي ﷺ وقد هدأت ثورتهم لما رأوا من عفو صاحب الحق وهو النبي ﷺ عن الرجل وإغلاظه وسوء أدبه فيخبرونه ﷺ: يا رسول الله لا نجد إلا أمثل [أي أعلى] من سنه. فيضرب لهم رسول

الله ﷺ القدوة في حسن القضاء، فيقول لهم (أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء).

إنه ﷺ لم ينسب حسن القضاء لنفسه، ولم يشر لذلك مع أنه لو فعل لم يكن هناك حرج ولا بأس بذلك، لكنه ﷺ استفاد من الموقف ليغرس في أصحابه هذا الدرس البليغ في العفو وحسن القضاء فجاء بصيغة العموم (فإن خيركم أحسنكم قضاء)، لكي يدفع أصحابه وأتباعه إلى المبادرة إلى القضاء وحسن القضاء.

وإذا كان هذا الموقف بحضرة الناس، فإنه ﷺ كان مع أفراد الناس كذلك، لم يكن يختلف فعله أمام الناس وبحضرتهم عن فعله مع أفرادهم وآحادهم، بل فعله معهم كفعله مع أحدهم، لا يختلف ولا يتباين فهذا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يخبر أن النبي ﷺ اشترى منه بعيرًا، فوزن له الثمن وأعطاه أكثر منه، ليضرب المثل ﷺ في التسامح في أداء ثمن المبيع بالزيادة فيه.

إننا في عالم اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الدروس العملية وتفعيلها في أرض الواقع، وخاصة مع موجات الغلاء المعيشية المتصاعدة التي لا تكاد تتوقف عند حد معين، حتى إنها لتأكل معظم الدخول، ولا تجعل لها قيمة كبيرة، فالسلع في ارتفاع وازدياد، والنقود في هبوط وتدنٍ مستمرين، إننا نعاني اليوم من أن بعض التجار قد يرفع الأسعار بدون سبب مبرر ولا سبب مقنع، فإذا أعلنوا أن سبب الارتفاع هو ارتفاع العملات الصعبة أمام العملات المحلية، فتجد أن السلع في ازدياد رغم أن هذه العملات الصعبة قد انخفضت إلى أدنى مستوياتها بعد أن كانت مرتفعة.

كما نعاني أيضًا من بعض صور الاحتكار في بعض السلع الضرورية التي لا يكاد يستغني عنها الناس، وتجد تعاون بعض المؤسسات والتجار على عدم فك هذا الاحتكار وضرب كل محاولة جادة لكسره، وما ذلك إلا ليظلوا هم المحتكرين لهذه السلع فيتحكمون في رفع أسعارها ويحققون من وراء ذلك المكاسب الطائلة.

إننا نستطيع أن نفسر هاتين الصورتين ونحوهما بغياب روح المسامحة في البيع والشراء والمعاملات بوجه عام، مما يجعل مهمة التربويين ملحة وضرورية لتربية الناشئة وغيرهم على هذا التسامح، ذلك الخلق النبيل.

ثانيًا- التربية بالدعاء:

وهذا مستمد من حديث رسول الله ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)) ، قال ابن حجر: (قوله: "رحم الله رجلاً" يحتمل الدعاء ويحتمل الخبر، وبالأول جزم ابن حبيب المالكي وابن بطال ورجحه الداودي، ويؤيد الثاني ما رواه الترمذي[1] في هذا الحديث بلفظ "غفر الله لرجل كان قبلكم كان سهلاً إذا باع" الحديث، وهذا يشعر بأنه قصد رجلاً بعينه في حديث الباب، قال الكرماني: ظاهره الإخبار لكن قرينة الاستقبال المستفادة من "إذا" تجعله دعاء تقديره: رحم الله رجلاً يكون كذلك، وقد يستفاد العموم من تقييده بالشرط)[2].

وبناء على ذلك فإن النبي ﷺ استخدم الدعاء وسيلة تربوية لحض المخاطبين على التخلق بخلق السماحة في البيع والشراء والاقتضاء، وينسحب هذا على بقية المعاملات الأخرى، وإنما خصّ البيع والشراء واقتضاء الدين والحقوق بالذكر نظرًا لكونها مظنة مواطن النزاع والاختلاف، فرغب في السماحة فيها سدًا لذلك.

والخلاصة أن الدعاء استخدم هنا وسيلة تربوية فعالة، فمن منا لا يرغب أن يرحمه الله ويمنّ عليه بعفوه وفضله؟

لذا كان على أهل التربية أن يستخدموا الدعاء مع من يربونهم ويقومون على رعايتهم، وذلك ترغيبًا لهم وحضًا على إتيان الأعمال الطيبة والتحلي بمكارم الأخلاق والشمائل السامية، وكذلك على النفور من الأعمال السيئة واجتنابها والابتعاد عنها.

لنقرأ هذا الحديث التالي: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((احْضُرُوا الْمِنْبَرَ»، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً قَالَ: «آمِينَ »، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ؟ قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ لِي، فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ

---

(١) سنن الترمذي ١٣٢٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١٣٥/١.

ذُكِرْتَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الْكِبَرُ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ: آمِينَ))[1].

إن هذا الحديث الشريف يقوم على الدعاء والتأمين عليه، للتنفير من هذه الأفعال الثلاثة الذميمة، وقد كان هذا التنفير عجيبًا، فقد كان الداعي هو أمين الوحي جبريل عليه السلام، والمؤمِن على دعائه أفضل الخلق وخليل الرحمن محمد ﷺ، كما أن مكان الدعاء كان يزيد الأمر رهبة وإجلالاً، فإن النبي ﷺ كان يصعد المنبر، وهو موطن تنزل الرحمات الإلهية، حيث يُذكر الله عليه ويتضرع إليه ويدعى إلى الإيمان به وتقواه ويُحبب إلى خلقه ونحو ذلك من مقاصد خطبة الجمعة، كل ذلك يجعل المخاطبين منتبهين أشد الانتباه إلى تلقي الرسالة التربوية والعمل بمقتضاها.

إننا نستعمل الدعاء في حياتنا اليومية وفي معاملاتنا المعتادة بصورة كبيرة، من ذلك:

أ - جزاك الله خيرًا. لمن أسدى إلينا معروفًا وفي ذلك تربية على الشكر، وحضٌ على فعل المزيد من المعروف.

ب - نفع الله بك. لمن يرجى منه الخير والنفع، وفي ذلك تربية على أن يكون الإنسان مفيدًا لنفسه ولغيره ولمجتمعه.

ج - الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها. في التحذير من بعث الفتن من مرقدها والعمل على إشعالها. وفي ذلك تربية على الاتحاد وعدم الاختلاف وجمع كلمة المسلمين.

ونحو ذلك كثير يشيع في حياتنا اليومية، مما يؤكد الدور التربوي للدعاء.

ثالثًا- التربية على أن الجزاء من جنس العمل:

من الحقائق المذكورة في الأفهام والعقول لكل عمل جزاء، وأن هذا الجزاء يكون من جنس العمل، فمن عمل صالحًا كان جزاؤه صالحًا، ومن عمل طالحًا كان جزاؤه

---

(١) أخرجه الحاكم ١٥٣/٤، وقال: صحيح الإسناد، وانظر: كتاب: الترغيب والترهيب، آخر باب الترغيب في إكثار الصلاة على النبي ﷺ والترهيب من تركها عند ذكره ﷺ كثيرًا دائمًا، من كتاب الذكر والدعاء، الأحاديث ٢٦٠٥ - ٢٦١٣.

طالحًا، إن الأرض خير شاهد على ذلك، فمن رعاها وأحسن رعايتها بالبذر والسقى والحرث أتت بما تشتهي النفوس من نبات طيب وثمرة طيبة، فيحصد جزاء عمله، ومن أهملها وتركها كانت جرداء قبيحة المنظر، لا يحصد منها إلا كل قبح وكل كآبة، وهذه من السنن الإلهية التي قررها الله في كتابه وأكدها رسول الله ﷺ في سننه: قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[2].

وبعض أحاديث الباب تؤكد هذا، من ذلك: (كان الرجلُ يُداينُ الناس، فكان يقولُ لفتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِرًا فتجاوَز عنه، لعلَّ اللهَ أن يَتجاوَزَ عنا. فلَقِيَ اللهَ فَتجاوَزَ عنه) إنه تجاوز عن الناس وأبرأهم من ديونه التي له عليهم وأسقطها من على كاهلهم، فأسقط الله عنه ذنوبه وسيئاته وتجاوز عنها ولم يحاسبه عليها.

إنه تجاوز بشري، قابله المولى بفضله وكرمه بتجاوز إلهي، وهو إن كان تماثلاً في الصورة إلا أن الفرق كبير بينهما، ولله المثل الأعلى، فهذا قد تجاوز عن بعض أمواله، وهي إن بلغت حد الكثرة إلا أنها قليلة لما ناله بسببها، إنه سبحانه تجاوز عن السيئات والذنوب والآثام والأعمال غير الصالحة، وما أكثرها وما أثقلها، لكنها رحمة الله وفضله وكرمه، إنه سبحانه يقول له: "نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه" وفي رواية: "أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي".

وحث النبي ﷺ على هذا بأسلوب الشرط كما حث عليه بالإخبار عن هذا الرجل المتجاوز عن المعسرين، فقال ﷺ: (من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه). وهذا أيضًا من قبيل مقابلة العمل بمثله من الجزاء، فإنّه لا شك أن المعسر في كربة شديدة، فالدين -كما يقولون- ذل بالنهار وهمٌ بالليل، إنه كربة تلازم صاحبها بالليل والنهار يقظة ومنامًا، فإذا أنظره صاحب

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

الدين المعسر أو وضع عنه فإنه قد أزال عنه هذه الكربة الشديدة والمحنة الصعبة، فكافأه الله يوم القيامة بأن أزال عنه ونجاه من كرب يوم القيامة وما أشدها! وما أصعبها وما أقساها!

فيكون في ظل عرش الله إكرامًا له ومعاملة له بما كان يعامل به الناس من التسامح والتجاوز: "من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله".

وفي هذا الحديث إضاءة قوية وإرشاد مؤكد لأهل التربية أن يربوا من يقومون بتربيتهم على أن جزاءهم يكون من جنس عملهم، فلا يتوقعون الخير والإكرام، وما قدموا إلا الشر والسوء، ولا ينتظرون إحسان الجزاء وما أحسنوا أعمالهم وأتقنوها وأخلصوها لله رب العالمين.

إننا نرى في هذا مبدأ تربويًا مهمًا جدًا ينبغي أن تربى عليه الأجيال، لأن ذلك يفيدهم في مسيرتهم الحياتية أكبر فائدة، وذلك على النحو التالي:

أ - إتاحة الفرصة للمتفوقين والنابهين والمتميزين لأن يحتلوا مكان الصدارة والقيادة والتوجيه، ولا يتسلقها الضعفاء الخاملون الفاقدون لكل صفة نبيلة ومعنى شريف، الجامعون لأسوأ ما في النفس البشرية من التملق والنفاق وانتهاز الفرص ومحاربة الناجحين وإزاحتهم من طريقهم بكل ما استطاعوا من جهد.

ب - تربيتهم على إحسان العمل وإتقانه وإجادته، لأن هذا هو السبيل الطبيعي للإنجاز ونيل ما يستحقون من جزاء وإكرام وفضل، وليس هناك طريق آخر لذلك، فإذا وقع وحدث خلاف ذلك كان علامة خطيرة على مرض المجتمع وعلى اختلال موازينه وإعوجاجها مما يستدعي الخوف عليه وعلى قيمه ومبادئه وعلى مسيرته نحو التقدم والتحضر، فإنه حينئذٍ يكون مشكوكًا في ذلك.

إن ما تعاني منه الدول النامية -أو دول العالم الثالث- انتشار الفساد والرشوة، وانعدام الكفاءة عند كثير ممن يشغلون المناصب العليا والمراكز القيادية، وسبب ذلك ناتج في جزء كبير منه عن الإخلال بمبدأ الجزاء من جنس العمل، ويظهر ذلك جليًا في

أن يفقد الناس المصداقية في العبارة التي يسمعونها ليل نهار: الرجل المناسب في المكان المناسب، ومكان صادف أهله.

ج - إيجاد التنافس بين أفراد المجتمع نحو المبادرة إلى معالي الأمور وأفضلها، وإيجاد ثقافة شائعة تنتشر بين أفراده تحض وتمجد وتعظم من شأن الابتكار والإبداع والإنجاز والمثابرة، والمواصلة والاستمرار في ذلك..

إن مما يحزن أشد الحزن أن قطاعًا كبيرًا من الناشئة الآن إذا سألتهم عما يرغبون أن يكونوا في المستقبل كانت إجاباتهم تتراوح بين أن يكونوا لاعبي كرة أو ممثلين أو ممثلات ومغنين أو مغنيات، ونادرًا منهم من يود أن يكون عالمًا أو ممتهنًا لمهنة من المهن التي تفيد المجتمع إفادة كبيرة، وتحتاج إلى بذل كثير من الجهد ومزيد عناية للقيام بها.

إنه قد شاع بينهم ثقافة الاستسهال، وثقافة النَفَس القصير، وثقافة الإنجاز السريع الهش مع بذل القليل من الجهد، مع أن الأمة الإسلامية تحتاج أشد الاحتياج إلى علماء بارزين ومفكرين مبدعين ومهنيين متفوقين لسدّ كثير من احتياجاتها ومطالبها.

رابعًا- التربية على العمل مع تشجيع العاملين:

خلق الله الخلق ليعملوا وينتجوا فيفيدوا أنفسهم ويفيدوا غيرهم، فإن العامل النافع لا يقتصر نفعه على نفسه وأهله فحسب بل يمتد نفعه كذلك إلى مجتمعه وشعبه ودولته.

إن أصحاب رؤوس الأموال ليستطيعون بما أعطاهم الله من أموال طائلة أن يقيموا المشاريع الحيوية التي تدّر عليهم الربح الوفير والخير العميم ويلزم عن ذلك أنهم يتيحون فرص عمل لغيرهم، الذين يكتسبون من المال -لقاء عملهم- ما يمكنهم من توفير متطلبات الحياة فضلاً عما قد يوفرونه من مال، ليصبحوا بدورهم هم أنفسهم أصحاب مشاريع مهمة، وهكذا يدب في أوصال المجتمع الحيوية والنشاط والحركة، ويقل عدد العاطلين عن العمل إلى درجات دنيا، إن لم يقض على البطالة، فضلاً عن توفير متطلبات المجتمع واحتياجاته التي لا يستغني عنها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن وتعليم وعلاج ونحو ذلك.

لذا حثّ الإسلام على العمل وشجّع العاملين وأصحاب الأعمال، ونكتفي في هذا المقام بهذ الحديث الذي رواه كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: ((مَرَّ على النبي ﷺ رجل فرأى أصحابُ النبي ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونشاطِهِ، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعى على وُلْدِهِ صِغَارًا فَهُوَ في سبيلِ الله وإنْ كانَ خَرَجَ يَسْعى على أَبَوينِ شَيْخَيْنِ كَبِيْرَينِ فهوَ في سَبيلِ الله وإنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعى على نَفْسِهِ يُعِفُّهَا فَهُوَ في سَبيلِ الله. وإنْ كانَ خرجَ يَسعى رِياءً ومُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبيلِ الشَّيْطَانِ))[1].

فليس هناك أدل على احترام العمل الشريف والاكتساب من ورائه، من هذا الحديث الذي جعل ذلك في سبيل الله.

ومن لوازم العمل النافع -كما ذكر سابقًا- بث الرواج في المجتمع ونفي الكساد الاقتصادي الذي له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع، وبخاصة العمل التجاري الذي يعتمد على جلب السلع من أصحابها ومنتجيها وتيسيرها للمستهلكين والمشترين، وما يلزم عن ذلك من إتاحة كثير من فرص العمل سواء في إنتاج السلع في خدمات البيع والاستهلاك وما بعد البيع، والحديث الذي معنا من هذا القبيل، فعن أبي صفوان سويد ابن قيس رضي الله عنه قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزًا [أي ثيابًا] من هجر، فجاءنا النبي ﷺ فساومنا سراويل، وعندي وزّان يزن بالأجر، فقال النبي ﷺ للوزّان: زن وأرجح.

إن الرجلين كانا تاجرين أو اشتغلا بالتجارة فجلبا ثيابًا إلى مكة[2]، وذلك تيسيرًا على المشترين والراغبين في الشراء، كما أن هذين الرجلين جعلا معهما وزّانًا يزن الثمن من الدنانير والدراهم، ويأخذ أجرًا على ذلك، فأوجدا معهما فرصة عمل له يتكسب

---

(١) قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. والملاحظ أنه قد أورده في موضعين من كتابه: في أول كتاب البيوع وغيرها: الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره، الحديث ٢٦٢٩، وفي كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النفقة على الزوجة والعيال والترهيب من إضاعتهم وما جاء في النفقة على البنات وتأديبهن ٣٠٣٩.

(٢) كما في الرواية التي عند أبي داود ٣٣٣٦.

من ورائها، وهذان التاجران الغالب على الظن أنهما ربحا، لأنهما عاملا النبي ﷺ فاشترى منهما وأمر الوزّان أن يرجح في ميزانه للثمن الذي دفعه النبي ﷺ للسراويل التي اشتراها.

والمقصود أن الحديث هدي نبوي للمربين أن يربوا أتباعهم على حب العمل النافع وتشجيع أصحاب الأعمال النافعة، ولا شكّ أن هذا الهدي يفيد في علاج ما ظهر على الساحة المعاصرة من انحرافات يمكن ذكر بعضها فيما يلي:

أ - تسخير رؤوس أموال ضخمة في إنشاء قنوات فضائية ذات توجيه ماجنٍ داعر، فلا تقدم من الفن إلا أفشحه، ولا من البرامج إلا أشدها سقوطًا ولا من الأغاني إلا أكثرها فجورًا لفظًا وصورة، واستغلال كل ذلك في إلهاء شباب الأمة عن قضاياها الحيوية والخطيرة، والتي أصبحت الأمة تهددها في وجودها وكيانها، ولا تهدد في مصالحها فحسب.

ب - توجيه كثير من الأموال إلى ما يعرف بالصناعة الترفيهية، كالإكثار من إنشاء الملاهي وأماكن الترويح، كثرة لا نعتقد أن أمة جادة تريد العزة واسترجاع مجدها بحاجة إلى هذا العدد الضخم منها، إن أمة يغلب لَهْوُها على جدها وترويحها على عملها لأمة لا ينتظر منها خيرٌ كثير ولا تقدم كبير، وخير شاهد على ما نقول انتشار ملاعب الجولف ذات المساحات الشاسعة والتي تحتاج إلى مياه عذبة كثيرة جدًا، مع أن الذين يلعبون هذه اللعبة الغربية في وطننا العربي قليل جدًّا لكنهم من ذوي الثراء العريض.

ج - شغل الناس بكثرة المسابقات الهاتفية التي تجريها القنوات الفضائية والشركات الإعلامية وغيرها، والتي تقوم على الاتصال برقم معين يكون فيه ثمن الدقيقة أغلى من ثمنها المعتاد بكثير، وذلك لنيل جائزة نقدية أو عينية، ولا تكون هذه الجائزة إلا فتات ما تجمع لدى الشركة أو القناة من مبالغ حصدتها من اتصال المتصلين والتي تدخل جيوب أناس قليلة حصدوا من المال الكثير دون جهد يذكر أو عمل يشكر.

إن من العجيب أن ينادي بعض رجال السياسة والاقتصاد بقفل هذا الباب الذي يُستولي بسببه على ما في جيوب الناس دون أدنى تعب أو جهد، ويذهب بعض أهل الفتوى المعاصرين إلى حلّ هذه المعاملات مع ما فيها من قمار وميسر واضحين لا شك فيهما!!

والخلاصة أنه من الأهمية بمكانٍ التربية على حب العمل النافع المفيد للفرد والمجتمع والشعوب والدول، وما يلزم عن ذلك من بغض العمل التافه غير المفيد إلا لقلة من البشر تقتات على جهود الآخرين وتستولي على ما بأيديهم من أموال، بطرق ظاهرها القبول والرضا وحقيقتها الغش والتغرير والخداع والميسر والقمار.

❁ ❁ ❁

١٢- كتَابُ العِلم

٢٤١- باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه: ١١٤]، وقال تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٩]، وقال تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[فاطر: ٢٨].

الحديث رقم (١٣٧٨)

١٣٧٨ - وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أعظم فضائل العلم، ويقرر أن العلم النافع علامة على سعادة العبد، وأن الله أراد به خيرا، والفقه في الدين يشمل الفقه في أصول الإيمان، وشرائع الإسلام، والأحكام، وحقائق الإحسان. فإن الدين يشمل الثلاثة كلها، وقد ورد الحديث في جملة خبرية قصيرة تقرر هذه الحقيقة، وتقرر ضمنا أن من لم يرد الله به الخير لن يفقهه في الدين، وتنكير (خيرا) للتعظيم ؛لأن المقصود به الفوز بالجنة ،والنجاة من النار، وهو حاصل التفقه في الدين الذي يثمر الإيمان، والإحسان، وهما طريق الجنة، والتعبير بالفقه إشارة إلى حسن الفهم، وصوابه، و لأن بعض الناس قد يعلم،

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧/٩٨) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (١٠٠).

ولا يفقه، فيأخذ المسألة من غير وجهها، ولا يوفق إلى الصواب، والأمر في ذلك بيِّن واضح، والتقييد بالدين؛ لأنه الموصل لله، وبه النجاة من المهالك، وغيره من العلوم الدنيوية له فضل بتبعيته له، وقيمته على قدر اتصاله به.

فقه الحديث

قال النووي: (الحاصل أنهم متفقون على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغالات بنوافل الصوم والصلاة والتسبيح ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن، ومن دلائله سوى ما سبق أن نفع العلم يعم صاحبه والمسلمين، والنوافل المذكورة مختصة به، ولأن العلم مصحح فغيره من العبادات مفتقر إليه ولا ينعكس، ولأن العلماء ورثة الأنبياء ولا يوصف المتعبدون بذلك، ولأن العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له في عبادته وغيرها واجب عليه طاته ولا ينعكس، ولأن العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنوافل تنقطع بموت صاحبها، ولأن العلم صفة لله تعالى، ولأن العلم فرض كفاية أعني العلم الذي كلامنا فيه، فكان أفضل من النافلة.

وقد قال إمام الحرمين في كتابه "الغياثي": فرض الكفاية أفضل من فرض العين من حيث أن فاعله يسد مسد الأمة، ويسقط الحرج عن الأمة، وفرض العين قاصر عليه، وبالله التوفيق)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على العلم والتفقه في أمور الدين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٥٦ - ٥٧.

قال ابن حجر في قوله ﷺ: ("يفقهه" أي: يفهمه...، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير)[١]، وقال ابن عثيمين: (إن العلم جهاد في سبيل الله، وعليه يبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢] يعني لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة، وقعدت طائفة أخرى "ليتفقهوا" أي: الطائفة القاعدون "في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم" أي رجعوا من الغزو "لعلهم يحذرون" فجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلاً للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد، ولا أن يصلي المصلي، ولا أن يزكي المزكي، ولا أن يصوم الصائم، ولا أن يحج الحاج، ولا أن يعتمر المعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرب الشارب...، إلا بالعلم، فالعلم هو أصل كل شيء ولذلك قال النبي ﷺ "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ به خَيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين")[٣]. وفي ذلك حثًا منه ﷺ على تعلم العلم والتفقه في الدين.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل العلم والتفقه في الدين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين".

قال القاضي عياض: (فيه فضل العلم والفقه في الدين، ولأنه يقود إلى خشية الله تعالى وتقاه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٤] وهذا يقود إلى الخير في الآخرة وعظيم الثواب)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٧٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٥٧٠.

(فالعلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ماطلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١]، (وهو تركة الأنبياء وتراثهم، وأهله عصبتهم ووُرَّاثهم، وهو حياة القلوب، ونور البصائر، وشفاء الصدور، ورياض العقول، ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال.

وهو الحاكم المفرق بين الشك واليقين، والغي والرشاد، والهدى والضلال.

به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون.

به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام، وبه توصل الأرحام وبه تعرف مراضي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب.

وهو إمام، والعلم مأموم. وهو قائد، والعمل تابع. وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه، والكَنَف الذي لا ضيعة على من آوى إلى حرزه.

مذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه قربة، وبذله صدقة، ومدارسته تعدل بالصيام والقيام، والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام.

قال الإمام أحمد: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه.

وروينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)[٢].

ونص على ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه. وقال ابن وهب: (كنت بين يدي مالك رضي الله عنه، فوضعت ألواحي وقمت أصلي، فقال: ما الذي قمت إليه بأفضل مما قمت عنه)[٣].

واستشهد الله عز وجل بأهل العلم على أجَلِّ مشهود به وهو "التوحيد" وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وفي ضمن ذلك تعديلهم؛ فإنه سبحانه وتعالى لا

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٨، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١١٦، وقال محقق الجامع: إسناده صحيح.

يستشهد بمجروح...، والعلم هو حجة الله في أرضه، ونوره بين عباده، وقائدهم ودليلهم إلى جنته)[١].

كما قال ﷺ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٢]، (ولم يرغب النبي ﷺ أحدًا في أن يغبط أحدًا على شيء من النعم التي أنعم الله بها إلا على نعمتين هما: طلب العلم والعمل به، والتاجر الذي جعل ماله خدمة للإسلام)[٣]، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا حسَدَ إلاّ في اثنَتينِ: رجُلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فسلَّطهُ على هَلَكتهِ في الحقّ، ورجُلٍ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها))[٤]، قال ابن حجر: (... وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة وأطلق الحسد عليها مجازًا، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه، والحرص على هذا يسمى منافسة، فإن كان في الطاعة فهو محمود، ومنه ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٥]...، وقوله ﷺ "الحكمة" ... قيل: كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح)[٦]. وما ترغيب النبي ﷺ في ذلك إلا لعظم فضل العلم والتفقه في الدين.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(إن الترغيب من الأساليب الدعوية التي يكون بها تشويق المدعو إلى الاستجابة وفعل الأمر المدعو إليه، والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الدنيا والآخرة)[٧]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في العلم والتفقه في الدين بقوله "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٣٣٥ - ٣٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٣) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٠.

(٤) البخاري، ٧٣.

(٥) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٠١.

(٧) انظر: أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٣٧٩)

١٣٧٩- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لا حَسَدَ إلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

والمراد بالحسد: الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّى مِثله[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

الحديث يبدأ بأسلوب القصر بطريق النفي، والاستثناء، وهو من الأساليب الخبرية التي تتضمن نوعا من توكيد الخبر عن طريق إثبات المعنى لمعنى آخر، ونفيه عن كل ما عداه، والذي يتضمن تأكيد الإثبات الأول بالمفهوم، وقوله (لا حسد إلا في اثنتين) المقصود بالحسد هنا الغبطة، وهي تمني مثل ما للغير، وليس هو بعينه بحيث يتمنى زوال النعمة عنه، وحصوله عليها، وأسلوب القصر نفى استحقاق الحسد عن كل شيء، وأثبته للاثنين دون غيرهم فقد تضمن إثباتاً ونفياً مما يؤكد المعنى، ثم إن ذكر العدد اثنين فيه نوع من التشويق؛ لأنه عدد مبهم بالنسبة للمخاطبين، وقد فسَّره بما بعده، وهو ما يحقق ترقب المخاطب وتنكير لفظ (رجل) يفيد التعميم، ونسبة فعل الإتيان لله يشير إلى أن الأمر ليس بمحض كسب الإنسان، وإنما هو سعي من العبد وتذلل للرب، وفضل من الله عليه بالتوفيق، والتعبير بالقيام يشير إلى الصلاة، والتلاوة، والتعلم، والتعليم، وحفظ الحدود، والعمل به، والطباق بين الليل، والنهار يشير إلى دوام

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦/٢٦٨) ولفظهما سواء. تقدم برقم (٥٤٣). أورده المنذري في ترغيبه (١٢١).

(٢) الترغيب للمنذري (١٢٦/١).

العمل به تلاوة، وتحكيماً، وشيوع لفظ (آناء) في الحديث يشير إلى دوام العمل، وعدم الانقطاع في التلاوة، والتحكيم والعمل، وفي المال تشير إلى الإنفاق في كل سبيل للخير ينفتح له كما دل على ذلك استخدام صيغة المضارع الدال على التجدد، والاستمرار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤٣).

الحديث رقم (١٣٨٠)

١٣٨٠ - وعن أبي موسى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا[1]، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

أجادب: جمع جَدْبٍ: وهو الأرضُ الصلبة التي لا ينضب منها الماء[3].

قيعان: جمع قاعٍ: الأرض المستوية التي لا تُنبتُ[4].

فقُه: صار فقيهًا[5].

لم يرفع بذلك رأسًا: أعرض عنه فلم ينتفع به ولا نفع[6].

الشرح الأدبي

المتأمل للصورة النبوية في هذا التشبيه التمثيلي يجد أنها من صميم البيئة التي يلابس المخاطب كل دقائقها، وبالتالي تنعكس على فهمه للمعنى، وثرائه مما يسهم

---

(١) لفظ مسلم: (ورعوا)، والمثبت لفظ البخاري، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٣/١٦)، وتقدم برقم (١٦٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٢).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د ب).

(٤) المرجع السابق في (ق ي ع).

(٥) رياضا الصالحين ١١٤.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١.

في اتساع دلالة التشبيه، قال النووي: (معنى هذا التمثيل أن الأرض ثلاثة أنواع فكذلك الناس؛ فالنوع الأول... المنتفع النافع والثاني: النافع غير المنتفع، والثالث : غير النافع، وغير المنتفع، فالأول إشارة إلى العلماء، والثاني إلى النقلة، والثالث إلى من لا علم له، ولا عقل)[1]. وبتحليل الحديث نستطيع أن نقف على كثير من خصوصيات البيئة التي أثرت المعنى، وألقت بظلالها على مدلول النص.

١- من عادة العربي أن يسمي المطر في الخير بالغيث وفي غيره بالمطر فالغيث يستعمل في الخير، وفيه إشارة إلى أن كل ما جاء به الرسول ﷺ خير، وذكر الإمام العيني وجهاً آخر قال: (فإن قلت لم اختير الغيث من بين سائر أسماء المطر قلت ليؤذن باضطرار الخلق إليه حينئذ قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيّ الْحَمِيدُ) (الشورى: ٢٨) وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلوب، ونضوب العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده، وفي الحديث تشبيه ما جاء به النبي ﷺ من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه وتشبيه السامعين له بالأرض المختلفة فالأول تشبيه المعقول بالمحسوس، والثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، وعلى قول من يقول بتثليث القسمة يكون ثلاث تشبيهات على ما لا يخفى، ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل إلى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع، وعدمه بصفة المطر المصيب إلى أنواع الأرض من تلك الجهة قوله فذلك مثل من فقه تشبيه آخر ذكر كالنتيجة للأول، ولبيان المقصود منه..وأما وجه الشبه فهو الجهة الجامعة بين العلم والغيث فإن الغيث يحيي البلد الميت، والعلم يحيي القلب الميت)

٢- في التشبيه بالغيث إشارة إلى عموم الرسالة، لأن المعهود عن الغيث في البيئة أنه يسقي الجميع ولا يسقي شخصا ويترك شخصا بل يعم.

٣- وصف الغيث بالكثير فيه إشارة إلى امتداد العطاء عبر الأجيال لما هو معلوم من أن الماء الكثير يبقى أكثر لاسيما إذا وجدت الأرض التي تحفظه كما تشير بقية الحديث.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ١٥/٤٦ .

٤- تعبير الرسول ﷺ بقوله (أصاب) إشارة إلى تحقق التبليغ، لأن الإصابة ضد الخطاء يقال أَصاب فلانٌ في قوله وفِعْلِه وأَصابَ السهمُ القِرْطاسَ إذا لم يُخْطِئْ[1] مما يعني تحقق الوصول بالرسالة للمرسل إليهم.

٥- تقسيم الرسول ﷺ لأنواع الأرض في استقبالها للغيث يستوعبها في البيئة إذ أن الأرض إما أن تكون صلبة تمسك الماء، وإما أن تكون خصبة تنبت، وإما أن تكون قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء وهو من حسن التقسيم كما أنه يشير إلى الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ فَجَاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)[2].

شخَّص الرسول ﷺ من خلال البيئة الطبيعية أصناف الناس في استقبالهم لما جاء به من الوحي بأصناف الأرض الثلاثة وقابلها بنوعين من الناس نوع علم وتعلم ونوع أَبَىَ وتكبَّر وسكت عن النوع الناقل وإذا نظرنا إلى مقابله في البيئة من أنواع الأرض نجد أنها لا تذكر لأنها تكون مغطاة بالمياه ونفعها قاصر على إمساك الماء. قال العيني: (ذكر في تقسيم الأرض ثلاثة أقسام وفي تقسيم الناس باعتبار قبول العلم قسمين أحدهما من فقه ونفع الغير والثاني من لم يرفع به رأسا وإنما ذكره كذلك لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه ينتفع به والثاني هو ما لا ينتفع به وكذلك الناس قسمان من يقبل ومن لا يقبل وهذا يوجب جعل الناس في الحديث على قسمين من ينتفع به ومن لا ينتفع وأما في الحقيقة فالناس على ثلاثة أقسام فمنهم من يقبل من العلم بقدر ما يعمل به، ولم يبلغ درجة الإفادة ومنهم من يقبل ويبلغ، ومنهم من لا يقبل...)[3][4].

المضامين الدعوية[5]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور ص: ٢٠٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٠٤ / كتاب تفسير القرآن/ باب ٣ ومن سورة البقرة / حديث : ٢٩٥٥ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢ / ٧٩

(٤) ينظر أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم / بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج / العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م

(٥) تم ذكرها في شرح رقم (١٦٢).

الحديث رقم (١٣٨١)

١٣٨١- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: ((فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

حُمْرُ النِّعم: الإبل الحمراء[2]، وهي أكرمها عند العرب.

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب القسم، وهو من البدايات التي تحقق سيطرة الأسلوب لأنها تشوق المخاطب إلى معرفة سر القسم وما يسفر عنه والقسم : (معناه: الحلف واليمين، وهو ضرب من ضروب الإنشاء غير الطلبي وهو أما أن يكون بجملة فعلية نحو اقسم بالله أو بجملة اسمية نحو يمين الله لأفعلن كذا، أو بأدوات القسم وهي الياء، والواو، والتاء، واللام، والميم المكسورة)[3] (وألفاظ القسم وأدواته التي شاعت في الحديث الشريف عموماً هي (القسم باللام والقسم بالواو، وقد ورد فيها (وأيم الله - ورب الكعبة - والذي نفسي بيده - والذي نفس محمد بيده - والله - مقلب القلوب)' وأكثر هذه الألفاظ تردداً، والذي نفسي بيده، والذي نفس محمد بيده، ورب الكعبة، وهذه الألفاظ تعتبر من قاموس الرسول ﷺ الخاص فلم ترد في الحلف قبله مثل هذه الألفاظ بهذه الصيغة، ووردت قليلاً بعده في حلف بعض الصحابة الذين اتصلوا به كأبي هريرة، وعمر بن الخطاب، وذلك للتأثر المباشر بالرسول ﷺ أما بعد هذا العهد،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦/٣٤) واللفظ له، وتقدم برقم (١٧٥) مطولا.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن ع م).

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي د . عبد السلام هارون صـ ١٦٢.

فلعل هذا الأسلوب لم يرد ليظل أسلوباً منفرداً في الحديث الشريف، ولنستطيع التأكيد على أن أسلوب القسم وبخاصة هذه الألفاظ خصيصة يعرف بها الحديث الشريف الصحيح من غيره[1]، وفي هذا الحديث أقسم الرسول ﷺ بلفظ (الله) ثم صعَّد التوكيد باللام، و(أن) لتوكيد الخبر تعظيما له، وتنبيها للمخاطبين على أهميته، والتعبير بالهداية، ونسبتها لله توحي بأن مرد التوفيق في هداية النفس، أو هداية الناس لا يتحقق إلا من بإذن الله الأمر الذي يعود بالداعي إلى ربه ليوفقه متبرئاً من حوله، وقوته إلى حول الله، وقوته وتنكير (رجلا) للتقليل، وذكر لفظ العدد (واحدا) للتوكيد، وقوله (خير) أفعل تفضيل، والمفضل عليه هو حمر النعم، وهي من كرائم أموال العرب، وتقديم الجار، والمجرور (لك) يفيد التخصيص أي لك وحدك، وهو ما يشير إلى عظمة أجر الدعوة إلى الله تعالى.

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر بناء الجملة في الحديث الشريف في الصحيحين د. عودة خليل أبو عودة صـ ٦٦١.

(٢) تم تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (١٧٥).

الحديث رقم (١٣٨٢)

١٣٨٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

ولا حرج: الحرج في الأصل: الضيق، ويقع على الإثم والحرام، وقيل: الحرج أضيق الضيق، والمعنى: لا بأس ولا إثم عليكم أن تحدثوا عنهم ما سمعتم[2].

فليتبوأ: لينزل منزله من النار، يقال: بوَّأه الله منزلاً، : أسكنه إياه[3].

الشرح الأدبي

العلم هو النور الأعظم الذي جاء به الرسول ﷺ ينير الطريق إلى الله بعد أن تخبطت الأمم في دياجير الجهل، ولذلك أراد أن يصل قبس النور إلى كل شبر من الأرض فندب أمته لحمل أمانة نشر الدين، وقوله (بلغوا عني) أمر توجيه، وإرشاد يبعث النور إلى أقطار الأرض، وافتراضه (ولو آية) يؤكد أمره، ولا يقيده بحد معين قد يعجز عنه بعض الناس، وهو ذكاء فطري يجعل الأمة كلها تشارك؛ لأنه من المستبعد أن يوجد مسلم لا يحفظ آية، وبذلك تكون الأمة كلها منوطة بالتبليغ كل على قدر علمه، واستطاعته، وقوله (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ) للاعتبار بأحوالهم، وأحوال رسلهم حتى لا نقع فيما أغضب الله عليهم، وقوله (وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً

---

(١) برقم (٣٤٦١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ج).

(٣) المرجع السابق في (ب و أ).

فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) يبين فيه الرسول ﷺ خطر الكذب عليه وعقابه، لأن الكذب على الرسول وهو المشرع من قبل الله يؤدي إلى تضليل الأمة فما هلك اليهود ومن بعدهم النصارى إلا بكذبهم على أنبيائهم، فهو مما تعم به البلوى ويعظم به الخطب، ولذلك جاء أمره (فليتبوأ) تهديدا، ووعيدا، ومعناه فلينزل منزلة منها، أو فليتخذ منزلا بها[1] وصورة الفعل المضارع تصور الكاذب على الرسول ﷺ بصورة من يعد لنفسه منزلا في جهنم، والعياذ بالله ووقوع هذا الأمر في جواب الشرط إشارة إلى ترتبه على الفعل؛ ليسلم لكل إنسان قياد نفسه، ويحمِّله مسئولية هذا القياد، وما يؤول إليه بحسب ما يفعل، ويختار.

فقه الحديث

١- قال النووي: (يجب تبليغ العلم فهو فرض كفاية، فيجب تبليغه بحيث ينتشر، وذلك لقوله ﷺ في خطبة الوداع "يبلغ الشاهد الغائب"[2])[3].

وقال القرطبي: (وتبليغ القرآن والسنة مأمور بهما، كما أمر النبي ﷺ بتبليغهما فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4] وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: "بلغوا عنِّي ولو آية ..." الحديث[5].

٢- التحديث عن بني إسرائيل: قال ابن كثير في مقدمة كتابه "البداية والنهاية": (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله، مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو القسم الذي لا يصدق ولا يكذب، مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا، مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل

---

(١) ينظر هدي الساري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني جـ ١ صـ ٢٤٣ كتاب: (العلم) حديث ١٠٧

(٢) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ١٤١/١١/٦، بتصرف.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٣٧/٨ .

التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ما صحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نبينه، وبالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، العلي العظيم، فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾[1]. وقد قص الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات، وذكر الأمم الماضين، وكيف فعل بأوليائه، وماذا أحلَّ بأعدائه، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ لأمته بيانًا شافيًا، كما سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه صلوات الله وسلامه عليه من ذلك تلو الآيت الواردات في ذلك، فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك، وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب، مما لا فائدة فيه لكثيرٍ من الناس، وقد يستوعب نقله طائفةٌ من علمائنا أيضًا، ولسنا نحذو حذوهم، ولا ننحو نحوهم، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار، ونبيِّن ما فيه حق منها يوافق ما عندنا، وما خاله يقع فيه الإنكار.

فأما الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً، وحدِّثُوا عن بَنِي إسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ، وحدِّثُوا عنِّي ولا تكذبوا عليَّ، ومن كذب عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقْعَدَهُ من النَّارِ)). فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدِّقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذبٌ ووضعٌ، وتحريفٌ وتبديلٌ، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد

---

(١) سورة طه، آية: ٩٩.

بيَّنه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله)[١].

٣- الكذب على رسول الله ﷺ: قال ابن حجر: (وقد اتفق الفقهاء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، بالغ الشيخ أبو محمد الجويني بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على تبليغ الدعوة إلى الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على تبليغ الدعوة إلى الله:

إن الدعوة إلى الله تعالى، من أكرم الأعمال وأشرف الغايات وأنبل المقاصد، لذا أمر النبي ﷺ بتبليغها وحث على بيانها، وهذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "بلغوا عني ولو آية".

وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة لأمته في ذلك، فقد بلَّغ رسالة ربه أتم البلاغ، وقام بها أتم القيام، فعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَن حدَّثك أنَّ محمدًا ﷺ كتَمَ شيئًا مما أُنزِلَ عليه فقد كذَب، واللَّهُ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[٣]))[٤].

قال السعدي: (وهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١/٧ - ٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٤٩٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢/١٢٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٦١٢، ومسلم ١٧٧.

وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد، والأعمال، والأقوال، والأحكام الشرعية، والمطالب الإلهية. فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا، وأنذر، وبشر، ويسر، وعلّم الجهال الأميين حتى صاروا في العلماء الربانيين. وبلّغ، بقوله، وفعله، وكتبه، ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة، من الصحابة رضي الله عنهم، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين... إلخ)[1]، والنبي ﷺ هو القدوة والأسوة الحسنة لأمته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[2] (فعلى كل مسلم أن يقتدي به ﷺ في تبليغ دعوته شريطة أن يكون قد علمها وأنها من كلام الرسول ﷺ)[3].

وحتى يتسنى للداعية أن يقتدي بنبيه ﷺ في تبليغ دعوة ربه؛ (فإنه يجب عليه أن يشعر بأن دعوته حية في أعصابه، متوهجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة، إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله... وهذا هو الداعية الصادق، تحس إيمانه بدعوته في النظرة، والحركة، والإشارة، وفي السمة التي تختلط بماء وجهه وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته.

ولا نقصد بهذا أن يكون الداعية رجلاً مهرجًا، يصطنع الحماسة ليلعب بحماسة الجماهير لأتفه الغايات، ويثير مشاعرهم إثارة مصطنعة، فذلك شأن الدخيل المدّعي لما ليس فيه، بل نريد الصنف المفطور على يقظة الطبيعة، الذي يتكلم فتتكلم أسرار الدعوة في ألفاظه ونبراته، وهو إذ يفعل ذلك لا يثيرهم إلى باطل، بل يهيئهم لقبول الحق الذي يألفه العقل والفطرة... وإذا كان هذا لازمًا للرسالات الأرضية على ما فيها من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٠١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٧٩/٢.

باطل، فهو ألزم للإسلام، لأنه رسالة الحق الخالص، وبين الحق وفطرة الإنسان نسب، فكلاهما من روح الله، فإذا أثرت حماسة قلب المرء إلى حقائق هذه الرسالة؛ رأيت فطرته تسرع إليها إسراع الأليف إلى أليفه في غير إنكار ولا تردد، وتقبل عليها في معرفة وثقة ويقين، بل في لذة وشوق وحنين ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، ذلك بأن الحق مسطور بقلم الله في كل فطرة، والفطر السافرة التي لا رين عليها إذا سمعت الحق يتلى في أي وجه، أحست أنه صدى أحاديثها، وصورة ما هو مكتوب في أطوائها ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾[2].

... إن على الداعية إلى الله تعالى، أن يعي أن الدعوة هي: نقل أمة من محيط إلى محيط، تلك هي مهمته، وفيها يندرج مجمل منهاجه ومفصله، ومن ظنها غير ذلك فقد جهل نفسه ورسالته.

ومن المؤسف أن هناك جماعات تظن الإصلاح مدارس تنشأ، وجامعات تقام، وترعًا تحفر، ومصحّات تبنى، ومصارف تدبر المال، ومصانع تسد حاجة البلاد، إلى آخر ما هنالك مما يدور على ألسنتهم، ويشيع من أنديتهم وصحفهم، وليس هذا من الإصلاح في شيء، إنما هو ضرورات حيوية، يجب أن يسار إليها، مع منطق الحاجة الاجتماعية، أما أنها هي الإصلاح والإنقاذ فلا... أرأيت لو أن إنسانًا رأى غريقًا جائعًا أشرف على الغرق، فشرع يبحث له عن طعام يسد به جوعه، ماذا تكون نتيجة حماقة هذا الإنسان؟ وماذا تكون نتيجة حماقته لو أنه ترك مريضًا ومرضه فلم يستدع له الطبيب، واستدعى معلمًا يعلمه الحساب أو شيئًا من هذا القبيل!؟

ماذا أغنى الاهتمام بالترع والجسور والمدارس والمصانع والمسارح والصحف وغيرها في أوروبا؟ ماذا أغنى الاهتمام بهذا - والروح مريض، والاتجاه القلبي فاسد، ماذا أغنى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

ذلك غير الاضطرابات والقلاقل والمبادئ التي تقوم ثم تزول، والحروب التي تنطفئ ثم تستعر إلى ما شاء الله.

أيها الداعية، أنت بصدد أمة، بل بصدد إنسانية تعيش في محيط آسنٍ خانقٍ، ومهمتك أن تنقلها إلى المحيط العذب الفسيح الهنيء، من محيط المادية إلى محيط الربانية، من محيط قلبي إلى محيط قلبي آخر، ثم أنشئ لها بعد ذلك ما تدعو إليه ضرورة الحياة الجديدة.

فأقبل بقوة على غرضك، وأجمع له عزيمتك، ودبر له خطتك، واستفت رسالتك دائمًا فيما تريد عمله، فإن أفتتك بطبع كتاب فاطبعه وأنشره، وإن أفتتك بفتح مدرسة مدرسة فافتحها، ولا تظن هذا يناقض ما حملنا عليه سابقًا، فإنك تفتحها وتنشئها لنقل التعليم من محيط إلى محيط، ونقل القلب من حال إلى حال)[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحديث عن بني إسرائيل:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (وبني إسرائيل من أسماء اليهود نسبة إلى أبيهم إسرائيل، وقد أطلق القرآن عليهم عبارة "أهل الكتاب" وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتاب وإنما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوي منزل من الله وهو التوراة)[2].

وقد بين الخطابي أن قوله ﷺ "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (ليس معناه إباحة الكذب في أخبار بني إسرائيل، ورفع الحرج عمن نقل عنهم الكذب، ولكن معناه: الرخصة في الحديث عنهم على معنى البلاغ، وإن لم يتحقق صحة ذلك بنقل الإسناد، وذلك لأنه أمرٌ قد تعذر في أخبارهم، لبعد المسافة، وطول المدة ووقوع الفترة بين زماني النبوة)[3].

وقال ابن كثير: (وقوله ﷺ "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" محمولٌ على

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ٣٤ - ٣٦.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ٢٩.

(٣) معالم السنن ٥/٢٥٤.

الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يُصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه، استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان، فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال، فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسوله محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيدهم مما قد وقع فيه خبط وخلط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغييرٌ. فالمحتاج إليه قد بينه لنا رسولنا، وشرحه وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرُ مَا قَبْلَكُمْ وَنَبأُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ))[1] وقال أبو ذر رضي الله عنه: ((لقد توفي رسول الله ﷺ وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا أَذْكَرَنَا مِنْهُ عِلْمًا))[2])[3].

وفي بيان ما هو مسكوت عنه عندنا من الإسرائيليات، قال الحافظ ابن كثير: (وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني ولهذا يختلف علماءُ أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل أسماء أهل الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله موسى عندها... إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه، تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، لكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٩٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٥٤).

(٢) أخرجه أحمد ١٥٣/٥، رقم ٢١٣٦١ بلفظ: ((لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا))، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٩٠/٣٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٨/١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٢٢.

وقد علق الشيخ أحمد شاكر على كلمة ابن كثير هذه، فقال: إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه، ولا كذبه شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها أو في تفصيل ما أجمل فيها، شيء آخر لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله، ما يُوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبيَّن لمعنى قول الله سبحانه، ومفصل لما أجمل فيه، وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم ((أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم))[1]، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟ اللهم غفرًا)[2].

وقال ابن حجر في تفسير قوله ﷺ "لا حرج" (أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل معنى قوله "لا حرج": لا تضيق صدوركم بما تسمعونه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرًا، وقيل لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا "حدثوا" صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله "ولا حرج" أي في ترك التحديث عنهم. قيل المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾[3] وقوله ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾[4] وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، والمراد حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف، وهذا أبعد الأوجه.

وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) نقلاً عن محققي مسند الإمام أحمد ٤٦١/٢٨ - ٤٦٢.

(٣) سورة المائدة، آية: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٣٨.

فلا. وقيل المعنى حدثوا عنهم بمثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح، وقيل المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحدث عنهم، بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحدث بها الاتصال، ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله: ((إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم))[1] ولم يرد الإذن ولا المنع من التحديث بما يقطع بصدقه)[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والتقول على رسول الله ﷺ:

هذا ما أكد عليه الحديث من قوله ﷺ "ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار". (وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام القاضي أبي بكر العربي يميل إليه)[3].

(وقوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بنى له بيت في النار))[4] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[5].

وقد تواترت النصوص النبوية في الترهيب من الكذب على رسول الله ﷺ،

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٨٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

(٣) المرجع السابق ٥٧٦/٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٩/٣، رقم ١١٣٥٠، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٤٤٨/١٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٣/١.

وكان منها قوله ﷺ ((لا تَكذبوا عَلَيَّ، فإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النارَ))[١].

قال ابن حجر: (وقوله "لا تكذبوا علي" هو عام في كل كاذب، مطلق في كل نوع من الكذب، ومعناه لا تنسبوا الكذب إليّ. ولا مفهوم لقوله "علي" لأنه لا يتصور أن يكذب له لنهيه عن مطلق الكذب. وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب وقالوا: نحن لم نكذب عليه بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دروا أن تقويله ﷺ ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى، لأنه إثبات حكم من الأحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب، وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه. ولا يعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لا عليه، وهو جهل باللغة العربية. وتمسك بهضم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهي ما أخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ "من كذب علي متعمدًا ليضل به الناس"[٢] الحديث، وقد اختلف في وصله وإرساله. ورجح الدارقطني والحاكم إرساله، وأخرجه الدارمي من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة كما فسر قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾[٣] والمعنى أن مآل أمره إلى الإضلال، أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾[٤] ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[٥] فإن قتل الأولاد ومضاعفة الربا والإضلال في هذه الآيات إنما هو لتأكيد الأمر فيها لا لاختصاص الحكم)[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٦.

(٢) أخرجه البزار ٢٦٢/٥، رقم ١٨٧٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٣٠.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤١/١.

قوله "فليلج النار" (جعل الأمر بالولوج مسببًا عن الكذب، لأن لازم الأمر الإلزام والإلزام بولوج الناس سببه الكذب عليه أو هو بلفظ الأمر ومعناه الخبر، ويؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ ((من يكذب عليّ يلج النار))[1]. ولابن ماجه من طريق شريك عن منصور قال: (الكذب عليّ يولج - أي يدخل - النار))[2])[3].

وفي ذلك بيان لأهمية التثبت في الحديث عن النبي ﷺ، والحذر من الكذب عليه.

رابعًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترهيب:

الأمر من الأساليب الدعوية المهمة في حمل وإرشاد المدعو على فعل ما فيه خير له في الدنيا والآخرة، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من أمره ﷺ بتبليغ دعوة ربه وبيانها، وذلك في قوله ﷺ "بلغو عني ولو آية".

قال ابن حجر: (قوله: "بلغوا عني ولو آية"، قال المعافى النهرواني في كتاب: "الجليس": الآية في اللغة تطلق على ثلاثة معان: العلامة الفاصلة، والأعجوبة الحاصلة، والبلية النازلة. فمن الأول قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[4]، ومن الثاني: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾[5]، ومن الثالث جعل الأمير فلانًا اليوم آية. ويجمع بين هذه المعاني الثلاثة: أنه قيل لها آية لدلالتها وفصلها وإبانتها. وقال في الحديث: "ولو آية" أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قل ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ)[6].

(أما الترهيب فهو أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو فيحمله على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وذلك ببيان ما

---

(١) أخرجه مسلم ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٣١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٩).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢٤١/١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٨.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٧٥/٦.

أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي الهام في الحديث من ترهيبه ﷺ من الكذب والتقول عليه، وذلك في قوله ﷺ: "ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار".

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٨٨، ٥١٥.

الحديث رقم (١٣٨٣)

١٣٨٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

سلك: دخل أو مشى[2].

يلتمس: يطلب[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في السعي إلى العلم الذي يوصل إلى معرفة الله تعالى، وحدود دينه، ولذلك قال الله تعالى- {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } (فاطر٢٨) فجعل الخشية الحقيقة الكاملة مقصورة على العلماء دون غيرهم، وهو ما يؤكد قيمة العلم الذي يحقق الغاية من خلق البشر، وهي تعبيد الناس لربهم، وقد جاء الحديث في أسلوب الشرط، وأسلوب الشرط من الأساليب الخبرية الشائعة في الحديث النبوي لما لها من خصوصيات تجعله أنسب الأساليب للسياق، وأوفاها للمعنى لأنها تعطي الخبر حكم العموم، وبذلك يكون صالحاً لكل زمان، ومكان، مع ربطه الجزاء بالفعل، وجعل المخاطب طرفاً حرَّ الاختيار بعد توضيح العاقبة، وقد ربط سلوك طريق العلم بتسهيل طريق الجنة، ولهذا الشرط بُعد نفسي يجعل الساعي في طريق العلم يتحمل المعاناة، والألم، ويضحي بمتع الدنيا من أجل العلم الذي يرى به نفسه ساعيا إلى الجنة.

المضامين الدعوية[4]

---

(١) برقم (٢٦٩٩/٣٨) وهو جزء من حديث طويل. تقدم برقم (٢٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٥) ضمن حديث طويل.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ك).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل م س).

(٤) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٤٥).

الحديث رقم (١٣٨٤)

١٣٨٤ - وعنه أيضًا رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفتح باب الخير على مصراعيه لكسب الحسنات بالدعوة إلى الصالحات، وبذلك يندب، ويرغب كل أفراد الأمة إلى أن يكونوا دعاة خير في كل مكان، وزمان بما يصلح وجه الأرض، ويقضي على كل أشكال السلبية، وقد بدأ بأسلوب الشرط عن طريق الاسم الموصول المتضمن لمعنى الشرط (مَنْ) لكي يدخل الجميع عن طريقه تحت الحكم، وفعل الشرط (دعا) والدعاء طلب الإقبال، وتعلقه بالهدى يبين حسن النية، ونبل المقصد، والذي يقرره لفظ الهدي الموحي بالرشاد، وحسن الاختيار في ما يقود الناس إليه، وجواب الشرط (كان له من الأجر مثل) يقرر تحقق الأجر بهذه الدعوة لهذا الداعي، ولفظ (مثل) يقتضي التساوي في الأجر، وجمع كلمة أجور يوحي باتساع دائرة الخيرية، واتساع قدر الجزاء المرتبط بها مما يرغب في الفعل عن طريق بيان عظمة الجزاء المتضاعف كلما زاد المقتدون به في الخير، وقوله (لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً) تتميم بلاغي يفيد استقلال الأجر لكل منهم بتمامه حتى لا يتوهم المقتدي أن الداعي انتقص أجره بدعوته له، والتعبير باسم الإشارة (ذلك) لتعظيم هذا الأجر، وتنكير(شيئا) يفيد العموم أي لا ينقص قليلا، ولا كثيرا مما يقرر عظمة جزاء الداعي دون نقص جزاء المدعو.

---

(١) برقم (٢٦٧٤/١٦)، وتقدم برقم (١٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٧).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح:

إن الدعوة إلى الله تعالى والحرص على هداية الناس، من أهم الواجبات وأقدس المهمات؛ التي بعث الله تعالى من أجلها رسله وأنبيائه وأنزل شرعه وكتابه.

إذًا فالدعوة إلى الله تعالى أرقى وأشرف مهنة؛ لأنها وظيفة الرسل عليهم السلام، وهم أشرف الخلق على الإطلاق، وأكرمهم وأقربهم إلى الله تعالى، وهي وظيفة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين الذين يهدون الناس إلى الحق، ويحببون الخير إليهم، ويخرجونهم من غياهب الظلمات إلى فجر النور والعلم والإيمان[1].

لذا كانت من أفضل الطاعات وأكثرها ثوابًا وهذا ما بيّنه رسول الله ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا".

قال الطيبي: (قوله: "من دعا إلى هدي" قال القاضي البيضاوي: أفعال العباد وإن كانت غير موجبة ولا مقتضية للثواب والعقاب بذاتها لكنه تعالى أجرى عادته بربط الثواب والعقاب ارتباط المسببات بالأسباب وفعل العبد ما له تأثير في صدوره بوجه، فكما يترتب الثواب والعقاب على ما يباشره ويزاوله يترتب كل منهما على ما هو سبب فعله كالإرشاد إليه والحث عليه، ولما كانت الجهة التي بها استوجب المسبب للأجر والجزاء غير الجهة التي استوجب بها المباشر لم ينقص أجره من أجره شيئًا. أ هـ.

أقول -أي الطيبي-: "هدي" وهو إما للدلالة الموصلة إلى البغية، أو مطلق الإرشاد وهو في الحديث ما يهتدي به من الأعمال الصالحة وهو بحسب التنكير مطلق شائع في

---

(١) الدعوة الإسلامية "مفهومها وحاجة المجتمعات إليها"، محمد خير يوسف ص ٢٧ - ٢٨.

جنس ما يقال له هدى يطلق على القليل والكثير والعظيم والحقير، فأعظمه هدى من دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين، وأدناه هدى من دعا إلى إماطة الأذى عن طريق المؤمنين لأن نفعه يعم الأشخاص والأعصار إلى يوم الدين).

وفي بيان أهمية وفضل الدعوة إلى الهدى والصلاح قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

قال ابن كثير: (وفي قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة" أي منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[2]، وقال السعدي: (ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية، ثم بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل الدعوة إلى الهدى والصلاح فقال "وأولئك هم المفلحون" أي المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب)[3].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على هداية الناس ونفعهم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "من دعا إلى هدي كان له من الأجر مثل من تبعه.. إلخ" ففيه ترغيب للدعاة إلى الله وحث لهم على مضاعفة جهودهم في دعوة الناس إلى الله، وإرشادهم إلى طريقه والمسارعة إلى مرضاته، ليكون خير متعد، ونفعهم واصل إلى الكافة، فيكون أجرهم موفورًا، وسعيهم مشكورًا[4].

وقد حث الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩١/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ١١٢.

(٤) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر الصافح، ص ٤١.

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] أي دعا عباد الله إليه وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى. وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير...، وقال الحسن البصري بعد أن تلا هذه الآية (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله)[2].

وقال القاسمي في قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، أي: لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه تعالى في التوحيد.

كما أنه ذكر في الآية عدة لطائف منها:

الأولى: قال القاشاني: وإنما قدم الدعوة إلى الحق والتكميل، لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملي، وإلا لما صحت الدعوة.

الثانية: في الآية إشارة إلى ترغيبه ﷺ في الإعراض عن المشركين، وعما كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ، والدعوة، ببيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس العبادات. فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق، وثمة وجه آخر، وهو أن مراتب السعادات اثنان: كامل وأكمل. أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة، اشتغل بعدها بتكميل الناقصين، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾[3]، إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٩/٧، ١٨٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

النفس في جوهرها. فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله تعالى: "ومن أحسن قولاً" الآية.

واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيبًا وافيًا من العلوم الإلهية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن، أفاده الرازي.

الثالثة: يدخل في الآية كل من دعا إلى الله تعالى بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة؛ لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوية النبوية، ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق.

الرابعة: في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله تعالى - على ما قرره الرازي - لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال، وكل ما كان أحسن الأعمال، فهو واجب)[1].

وقد حث النبي ﷺ على الدعوة إلى هداية الناس ونفعهم فقال: ((فو الله لأَنْ يُهدَى بكَ رجُلٌ واحدٌ خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم))[2]، قال النووي (وحُمْرُ النعم هي الإبل الحمر وهي: أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: عظم أجر الداعية إلى الله:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ))[4] وقال ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[5] قال ابن علان (وفي ذلك بيان عظيم على فضل الله وكمال كرمه وإنما لم ينقص ذلك ثواب العامل

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٢٧٣/١٤/٨ - ٢٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢١٠، ومسلم ٢٤٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٤٧١.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٧.

(٥) أخرجه مسلم، ١٨٩٣.

لاختلاف وجهتي الإنابة فهي للداعي من حيث الدعوة وللعامل من حيث العمل)[١].

وقال النووي: (وفيه فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم...، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٢].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢١٥.

الحديث رقم (١٣٨٥)

١٣٨٥- وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إِذَا مَاتَ (ابْنُ آدَمَ)[١] انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جارية: دائمةٌ متصلة[٣].

الشرح الأدبي

يعتمد الأسلوب البلاغي لهذا الحديث أسلوب التشويق في عرض المعنى عن طريق أسلوب الشرط، والتفصيل بعد الإجمال مع حسن التقسيم، والإيجاز غير المخل فأسلوب الشرط (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ)، ويحقق التشويق من حيث أن النفس تتعلق بالجواب إذا ذكر الشرط، والإجمال في قوله: (ثلاث) وهي تحقق التشويق برغبة النفس في معرفة ما يسفر عنه العدد فإذا فصَّل بعد ذلك كان له في النفس فضل تمكن، وقد بدأ تفصيلها بقوله (صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ووصف الصدقة بالجارية يعطيها بعداً إيحائياً بالامتداد، والتجدد في العطاء، الذي يترتب عليه استمرار الأجر، ووصف العلم بالانتفاع به يشير إلى العلم المؤثر الفاعل، فكم من علم يضر، ولا ينفع !، وكم من علم نفع الناس، وضر صاحبه يوم قصد به غير وجه الله !، والفعل المضارع (ينتفع) يصور التجدد، والاستمرار حتى بعد موت صاحبه مما جدد له الأجر، ووصف الولد بالصالح يشير إلى عمل والده على إصلاحه في

---

(١) لفظ مسلم: (الإنسان)، وقد سبق برقم (٩٥٣) وفيه بلفظ: (الإنسان)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٦٣١/١٤)، وتقدم برقم (٩٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (١٢٤).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ى).

حياته، واستمراره على الصلاح الذي تدل عليه اسمية الوصف (صالح)، وقوله (يدعو له) يصور الفعل المضارع استمرار الفعل، وتجدده، الذي يؤدي إلى تجدد الثواب، واستمراره، وهي دعوة لكل عاقل لكي يتخذ لنفسه عملاً ينتفع به بعد مماته يصله بمدد من الحسنات لا ينقطع.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٥٠).

الحديث رقم (١٣٨٦)

١٣٨٦ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلاَّ ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وما والاه: طاعة الله[2].

الشرح الأدبي

البداية بالدنيا، والإخبار عنها باللعنة، وهي ظرف لنا، وما زلنا على ظهرها أمر يسترعي انتباهنا كمخاطبين بالحديث، والتعبير باللعنة يوحي بالغضب، وينبه على خطأ، ويوحي بمشاعر الرهبة ثم إن ثبات معنى اللعنة المفهوم من التعبير بالجملة الاسمية يشير إلى دوام هذه الصفة للدنيا، وأنها لن تنفك عنها يوماً لتطيب لأحد ثم إنه كرر اللعنة لما فيها، وهو من ذكر الخاص بعد العام عناية به، لأنه هو الذي يشغل الناس عن آخرتهم، إلا ما تصل بالآخرة منه، ولذلك جاء قوله (إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا وَالاهُ، وَعالِماً وَمُتَعَلِّماً) وفيه تعظيم لقيمة الذكر، وما والاه أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير، أو تابعه من إتباع أمره، واجتناب نهيه؛ لأن ذكره يوجب ذلك، وفيه بيان لفضل الانشغال بالعلم تعليماً،

---

(١) برقم (٢٣٢٢) بنحوه، وهذا لفظ ابن ماجه (٤١١٢)، وتقدم برقم (477). أورده المنذري في ترغيبه (١١٧).

تنبيه: الحديث أورده المنذري في ترغيبه، وعزاه إلى الترمذي، وابن ماجه، والبيهقي، واللفظ لابن ماجه، والبيهقي في شعب الإيمان، فلما أورده المؤلف في ترغيبه، اكتفى بذكر الترمذي، ولفظه: (إن الدنيا..)، (وعالمٌ ومتعلمٌ).

(٢) رياض الصالحين ٤٧٩.

وتعلماً؛ لأن العلم طريق لله، ولذلك كان طريقاً للجنة، وفي الحديث سجع بديع بين قوله (إلاَّ ذِكْرَ اللهِ) وبين (وَمَا وَالاهُ) وجناس رقيق بين عالِماً ، وَمُتَعَلِّماً) يؤكد أفضلية الطرفين باستثنائهم من اللعنة العامة التي شملت الدنيا، وما فيها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: ذم الدنيا وكل ما يلهي عن ذكر الله وعبادته:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى، وما والاه، وعالمًا، أو متعلمًا" قال ابن القيم: (ولما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة كانت وما فيها في غاية البعد منه وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبرًا إليها يتزود منها عباده إليه فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمنًا لإقامة ذكره ومفضيًا إلى محابه وهو العلم الذي يعرف الله ويعبد ويذكر ويثنى عليه ويمجد ولهذا خلقها وخلق أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وقال ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[2] فتضمنت هاتان الآيتان أنه سبحانه إنما خلق السماوات والأرض وما بينهما ليعرف بأسمائه وصفاته وليعبد فهذا المطلوب وما كان طريقًا إليه من العلم و التعلم فهو المستثنى من اللعنة واللعنة واقعة على ما عداه إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه وهذا هو متعلق العقاب في الآخرة فإنه كما كان متعلق اللعنة التي تتضمن الذم والبغض فهو متعلق العقاب والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الطلاق، آية: ١٢.

ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى إليه وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله "الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه" وفي بيان عظم فضل ذكر الله تعالى قال أبو هريرة رضي الله عنه: ((إن رسول الله ﷺ مر على جبل يقال: جُمْدان، فقال: "سيروا هذا جمدان، قد سبق المفردون" قالوا ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: "الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات"))[٢] قال النووي: (وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى وجاء في رواية ((هم الذين أُهْتروا في ذكر الله))[٣] أي: لهجوا به وقال ابن الأعرابي: يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهي)[٤].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعمَالِكُمْ وأزْكَاها عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟ قالُوا بَلَى، قالَ ذِكْرُ الله تَعَالَى))[٥] قال الطيبي: (قال الشيخ ابن عبدالسلام في كتاب القواعد: هذا الحديث مما يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل الأعمال أكثر مما يأجر على كثيرها، فإن الثواب يترتب على تفاوت في الرتب في الشرف. قال "الأشراف" لعل الخيرية والأرفعية في الذكر؛ لأجل أن سائر العبادات من إنفاق الذهب والفضة، ومن ملاقاة العدو، والمقاتلة معهم إنما هي وسائل ووسائط يتقرب العباد بها إلى الله، والذكر إنما هو المقصود الأسنى، والمطلوب الأعلى)[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٩/١ - ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٣) انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة الدينوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، حديث رقم ٤٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٤.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٨).

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٣٤/٤ - ٣٣٥.

وقال ابن حجر: (بأن المراد بالذكر الذي هو أفضل من الجهاد، الذكر الكامل الجامع بين ذكر اللسان وذكر القلب بالتفكر والاستحضار فالذي يحصل له ذلك يكون أفضل ممن يقاتل الكفار من غير استحضار لذلك وأفضلية الجهاد هي بالنسبة للذكر اللساني المجرد. ونقل عن ابن العربي أن وجه الجمع أنه ما من عمل صالح إلا والذكر مشترط في تصحيحه، فمن لم يذكر الله بقلبه فليس عمله كاملاً، فصار الذكر أفضل الأعمال من هذه الحيثية)[1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لايَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[2] وقال ﷺ: ((مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ))[3]. قال النووي: (قال القاضي عياض: وذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان، وذكر القلب نوعان: أحدهما وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سمواته وأرضه...، والثاني: ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه. وأما ذكر اللسان مجردًا فهو: أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم)[4]. وفي ذلك بيان على عظم فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا- من واجبات الداعية: طلب العلم وتعليمه:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "وعالمًا، أو متعلمًا" (فإن زاد العلم والثقافة أساس لابد منه حتى يجد الناس عند الداعية إجابات التساؤلات، وحلول المشكلات إضافة إلى ذلك هو العدة التي بها يُعلِّم الداعية الناس أحكام الشرع، ويبصرهم بحقائق الواقع، وبه أيضًا يكون الداعية قادر على الإقناع وتفنيد الشبهات، ومتقنًا في العرض، ومبدعًا في التوعية والتوجيه)[5]، (فلابد للداعية أن يوقن أن "العلم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٣/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٩.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ٥٧.

أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[١].

من أجل ذلك (قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا العلم، وعلموه الناس وتعلموا له الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم)[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لرجل من أصحابه: يا كميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالإنفاق)[٣].

(وكان عمر بن عبدالعزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

يُرى مُستكينًا وهو للهوِ ماقتٌ ... به عن حديث القوم ما هو شاغله
وأزعجهُ علم عنِ الجهل كُله ... وما عالم شيئًا كَمنْ هُوَ جاهلُهُ
عبوس عن الجهال حين يراهم ... فليس له منهم خَدينٌ يُهَازِلُهْ
مُذَكِّر ما يبقى من العيش آجلاً ... فيشغلُهُ عنْ عاجلِ العيش آجلُه)[٤]

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ٨٩٣، وقال محققو الجامع: إسناده حسن.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١/١٧ - ١٨.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر ١/٥٥٠، رقم ٩١٦.

الحديث رقم (١٣٨٧)

١٣٨٧ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يثمِّن غاليا وقت، وجهد، وثواب طالب العلم، لأنه يجعله في سبيل الله، ومن ثم تترجم الخطوات إلى حسنات، والنفقات إلى مكفرات، ويترجم جهده إلى أجر عظيم يثقل ميزان حسناته، والحديث جاء في جملة خبرية خالية من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن منه، وهي من الأمور الغيبية التي لا يطَّلع بها إلا نبي بوحي من ربه، وقد جاءت في ثوب الشرط الذي يربط نتيجة بمقدمة تتصل بها، و(من) اسم موصول متضمن معنى الشرط ينادي بكل عاقل لاغتنام الفرصة، وسلوك طريق العلم الذي يسعى به في سبيل الله، وليس هناك أفضل من أن يتقلب المؤمن في عادته، وعبادته في مرضاة الله، والجملة الاسمية (فهو في سبيل الله) جواب الشرط، واتصالها بالفاء لكونها جملة اسمية كما أنها تفيد الثبات، والدوام الذي يؤكد لزوم هذه الصفة ما لزم العلم، وقوله (حتى يرجع) يؤكد ذلك، ويشير إلى أن حركة طالب العلم مادام في طلبه صارت محسوبة على الله مشفوعة بالجزاء، وهو ترغيب في العلم الذي هو عمارة الدنيا، والآخرة.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

---

(١) برقم (٢٦٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه، انتهى. فيه أبو جعفر الرازي، قال ابن حبان في المجروحين (٢/١٢٠): كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إلا فيما وافق الثقات، ولا يجوز الاعتبار بروايته إلا فيما لم يخالف الثقات. أورده المنذري في ترغيبه (١٤٨).

١- فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى[١].

٢- اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر[٢].

٣- استحباب الرحلة في طلب العلم[٣].

٤- الحث على استحباب سن الأمور الحسنة وتحريم الأمور السيئة[٤].

٥- الحسد قسمان حقيقي، ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرام بإجماع الأمة والنصوص الصريحة، وأما المجازي فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي عند غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد بالحديث لا غبطة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما[٥].

٦- أن الغني إذا قام بشروط المال، وفعل فيه ما يرضي ربه عز وجل فهو أفضل من الفقير الذي لا يقدر على مثل حاله[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم وتعلمه:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله

---

(١) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٢٨/٧، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٦/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٦٩/١، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٠٥/٦.

(٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٦٠/٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ٢٢٦/١٦.

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٢/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٠٩/١.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٧٤/٤، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٠/١.

حتى يرجع" وفي بيان ذلك قال ابن القيم: (وإنما جعل طلب العلم في سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه قال تعالى في سورة الفرقان ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1])[2].

فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا؛ فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر وربما يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[3]، ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله، ولهذا قال معاذ رضي الله عنه: "عليكم بطلب العلم فإن تعلمه لله خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد"، ولهذا قرن سبحانه بين الكتاب المنزّل والحديد الناصر كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[4]، فذكر الكتاب والحديد إذ بها قوام الدنيا كما قيل:

فَما هُوَ إلاّ الوَحيُ أوحَدَ مُرهَفٍ ... يُقيمُ ظُباهُ أخدَعًا كُلُ مائلِ
فَهَذا شِفاءُ الداءِ مِن كُلِ عاقِلٍ ... وَهَذا دواءُ الداءِ مِن كُلِ جاهِلِ

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٥١ - ٥٢.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٠.

(٣) سورة التحريم، آية: ٩.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

ولما كان كل من الجهاد بالسيف والحجة يسمى سبيل الله، فسّر الصحابي رضي الله عنه قوله: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، بالأمراء والعلماء؛ فإنهم المجاهدون في سبيل الله هؤلاء بأيديهم وهؤلاء بألسنتهم، فطلب العلم وتعليمه من أعظم سبيل الله عز وجل، قال كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرايح في سبيل الله عز وجل. وجاء عن بعض الصحابة رضي الله عنهم: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات وهو شهيد. وقال سفيان بن عيينه: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل. وقال أبو الدرداء: من رأى الغد والرواح ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورأيه[2].

وقال ابن الضحاك: (أنا عبدالرزاق قال: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب "ويحكم! اطلبوا العلم، فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلون، اطلبوا العلم، فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة)[3].

وفي بيان فضل طلب العلم وتعلمه (قال: زر بن حبيش: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله وهو في المسجد متكيء على بردٍ له أحمر قال: قلت: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال: مرحبًا بطالب العلم، إن طالب العلم لتحفُّ به الملائكة وتظلله بأجنحتها، فيركب بعضها بعضها حتى تعدو إلى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب، فما جئت تطلب؟ قال: قلت: يا رسول الله لا أزال أسافر بين مكة والمدينة فأفتني على المسح على الخفين. وذكر الحديث)[4]، وعن أبي العالية قال: (كنت آتي ابن عباس، وهو على سريره، وحوله قريش فيأخذ بيدي، فيجلسني معه على السرير، فتغامزني قريش، ففطن لهم ابن عباس، فقال: كذاك هذا العلم، يزيد الشريف شرفًا ويجلس المملوك على الأسرة)[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/ ٧٠ - ٧١.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٢٧٤، وقال محققو الجامع صحيح.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله، ١٦٢، وقال محقق الجامع: حديث صحيح.

(٥) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ١/ ١٤٠ - ١٤١، وقال محقق الكتاب إسناده لا بأس به.

وقال أبو إسحاق: (وكان محمد بن عبدالرحمن الأوقص عُنُقُهُ داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زَجَّان - "والزج: الحديدة التي في أسفل الرمح"[1] - فقالت له أمه: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك. قال: فَطَلَبَ العلم، قال: فَوُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، قال: فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرعَدُ حتى يقوم، قال: ومرت به امرأة يومًا، وهو يقول: اللهم أعتق رقبتي من النار، قال: فقلت له: يابن أخٍ وأيُّ رقبة لك)[2]، وفي ذلك بيان على فضل تعلم العلم في أنه يرفع صاحبه ويبلغه عز الزمان والمكان فضلاً عن شرف الآخرة ورضاء الرحمن.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من أهم الأساليب الدعوية الناجعة للنفس الإنسانية التي جبلت على حب السعادة والنفور من الضيق والعذاب ويقصد بهذا الأسلوب الهام حمل المدعو وتشويقه إلى فعل ما رغب فيه والثبات عليه)[3]، وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم بأن من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع، فضلاً عن ترغيب الحق تبارك وتعالى في طلب العلم بقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[4] فعلى الداعية أن يراعي استخدام الترغيب كأسلوب دعوي لما فيه من أثر عظيم في حمل المدعو على سرعة الامتثال لما رغب فيه).

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ز ج ج).

(٢) الفقيه والمتفقه ١/١٤١ - ١٤٢، وقال محقق الكتاب إسناده صحيح.

(٣) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) سورة المجادلة، آية: ١١.

الحديث رقم (١٣٨٨)

١٣٨٨ - وعن أَبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

منتهاه الجنة: المنتهى: الغاية والنهاية[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول بالبيان علاقة المؤمن بالعلم، وارتباطه به، وأنه يكون في نهم دائم للعلم لا يكتفي منه حتى يلقى الله، والحديث جاء في أسلوب النفي بـ(لن) الداخلة على الفعل المضارع المفيد للتجدد والاستمرار، وتعريف المؤمن بـ(ال) يشير إلى أنه الكامل في صفة الإيمان والتعبير عن العلم بالخير على سبيل المجاز المرسل باعتبار ما سيكون، وفائدة التعبير بالمجاز يزيد المخاطب ترغيبا في العلم بالتذكير بمآله، ، والتعبير بالشبع في جانب العلم على سبيل الاستعارة قال الطيبي: شبه استلذاذه بالمسموع بالتذاذه بالمطعوم، لأنه أرغب، وأشهى، وأكثر إتباعا لتحصيله، وحتى للتدريج في استماع الخير، والترقي في استلذاذه والعمل به إلى أن يوصله الجنة، ويبلغه إياها؛ لأن سماع الخير سبب العمل والعمل سبب دخول الجنة ظاهرا، ولما كان قوله يشبع فعلا مضارعا يكون فيه دلالة على الاستمرار تعلق به حتى، قال ابن الملقن: فيه أن من شبع فليس

---

(١) برقم (٢٦٨٦). هذا الحديث أورده ابن عدي في الكامل (٩٨١/٣) وقال: وعامة هذه الأحاديث التي أمليتها مما لا يتابع دراج عليه... وسائر أخبار دراج غير ما ذكرتُ من هذه الأحاديث يتابعه الناس عليها وأرجو إذا أخرجتَ دراجَ وبريئه من هذه الأحاديث التي أنكرت عليه أن سائر أحاديثه لا بأس بها، ويقرب صورته ما قال عنه يحيى بن معين. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٨٥) من رواية ابن حبان.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٩٦٠.

بمؤمن وناهيك به منفرا من القناعة في العلم وسره ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طه: ١١٤][1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات.

ثالثًا: من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة.

أولاً - من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على نفي ما يريد نفيه من أحوال وأشياء، وينبغي ألا تكون في المدعو، وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ بأن يرضى المؤمن ويقتنع بما أتي من طاعات حتى يبلغ الجنة. وذلك في قوله ﷺ "لن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة".

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستباق إلى الخيرات:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "لن يشبع المؤمن من خير" قال ابن علان: (أي من كل مقرب إلى الله تعالى من سائر الطاعات وأشرفها)[2] وفي ذلك قال تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[3] قال السعدي: (والأمر بالاستباق إلى الخيرات، قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات فالسابقون أعلى الخلق درجة. والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر، ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب...، فقال

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي، حديث (٧٣٩٠) ص ١٣٥٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٧.

تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1] ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة من الصيام، والحج والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها)[2].

ثالثًا - من واجبات المدعو: علو الهمة في طلب الآخرة:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ "حتى يكون منتهاه الجنة" قال ابن علان: (أي لا ينتهي عن الخير حتى يموت فيدخل الجنة بما اكتسب في حياته من العمل الصالح، ولكونها تعليلية أي: عدم قناعته بيسير من الطاعة ليكون مآله الجنة فإنها تتفاوت منازلها بتفاوته)[3]، وفي ذلك قال ابن القيم: (فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة)[4]، وقال ابن الجوزي: (فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه؛ فلو كان يتصور للآدمي صعود السماوات لرأيت من أقبح النقص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض - أي القرار من الأرض عند مقطع الجبل - غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي أن يطلب الممكن)[5].

وقال الشوكاني: (وينبغي لمن كان صادق الرغبة، قوي الفهم، ثاقب النظر، عزيز النفس شهم الطبع، عالي الهمة، سامي الغريزة - ألا يرضى لنفسه بالدون، ولا يقنع بما دون الغاية، ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد، وأرفع ما يستفاد؛ فإن النفوس الأبية، والهمم العلية لا ترضى بما دون الغاية في المطالب الدنيوية

---

(١) سورة النجم، آية: ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٥٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

(٤) الفوائد ٢٥٤.

(٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٢٣٦.

من جاه، أو مال، أو رئاسة، أو صناعة، أو حرفة)[١].

ثم قال: (وإذا كان هذا شأنهم في الأمور الدنيوية التي هي سريعة الزوال، قريبة الاضمحلال، فكيف لا يكون ذلك من مطالب المتوجهين إلى ما هو أشرف مطلبًا، وأعظم مكسبًا، وأرفع مرادًا، وأجل خطرًا، وأعظم قدرًا، وأعود نفعًا، وأتم فائدة؟ وهي المطالب الدينية)[٢]. ولا ريب أنها أعلى المطالب وأشرف المكاسب

ولذلك "لما كان مجد الآخرة أعظم المجد، كان ابتغاؤه أعظم الغايات، وكان هو الهمّ الأكبر للمؤمنين الصادقين ذوي الهمم العلية، والنفوس الكبيرة الزكية.

أما الدنيا فإنها في نظرهم - مهما بلغت أمجادها - قليلة القيمة في جنب الآخرة؛ لذلك فهم يحاولون أن يبتغوا فيما آتاهم الله الدار الآخرة، مع أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا" [٣].

وقد قيل للعتابي: فلان بعيد الهمة، قال: إذًا ليس له غاية دون الجنة [٤].

(فعلو الهمة خلق رفيع، وغاية نبيلة، تتعشقه النفوس الكريمة، وتهفو إليه الفطر القويمة، وعلو الهمة من الأسس الأخلاقية الفاضلة، وإليه يرجع مجموعه من الظواهر الخلقية، كالجد في الأمور، والترفع عن الصغائر والدنايا وكالطموح إلى المعالي)[٥]، وخاصة الفوز بالجنة في الآخرة، والتي هي غاية كل مؤمن، ورغبة كل مسلم، فهي أعلى المعالي وأكرم الأماني وأشرف الغايات وأحلاها.

---

(١) أدب الطلب ومنتهى الأرب، للشوكاني، ص ١٢٧، نقلاً عن كتاب الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١١١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٨.

(٣) الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني ٢/٤٧٥.

(٤) عيون الأخبار، ابن قتيبة ١/٢٣٣.

(٥) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٠٧.

الحديث رقم (١٣٨٩)

١٣٨٩ - وعن أبي أُمَامَة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أدْنَاكُمْ)) ثُمَّ قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأهْلَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ[1] حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي[2] النَّاسِ الخَيْرَ)). رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

أدناكم: أقلكم[4].

الحوت: السمك[5].

يصلون: يدعون[6].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ للفارق بين العالم والعابد بالفارق بينه، وبين أدنى فرد في الأمة لبيان مقدار الفضل بين من يعبد الله تعالى على علم، وبين من يعبد الله على جهل بصفات الله، وأسمائه وما يتعلق بهذه المعرفة من أمور كما يشير هذا التعبير إلى أن الهداية، في جانب حامل العلم، لأن الرسول ﷺ هو مصدر الهداية، كما يشير هذا

---

(١) لفظ الترمذي: (والأرضين).

(٢) لفظ الترمذي: (معلِّم).

(٣) برقم (٢٦٨٥). وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤٩): وفي نسخة: حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (١٣٠).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (د ن و).

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ل و).

التشبيه إلى أن العالم آخذ بحظ من النبوة لأن العلماء ورثة الأنبياء، كما يشير إلى أن أكبر العباد أصغر من أقل العلماء، ويقرر أن هداية الناس مسئولية العالم، ثم إن الرسول ﷺ حشد له أهل السماوات، والأرض يصلون عليه في قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ) وصلاة الله على العبد رحمة، ومغفرة، وعطايا يعلمها الله، وصلاة الملائكة دعاء، واستغفار، وكذلك صلاة الناس، والدواب، والحشرات كل هذا الحشد الدال على بالغ الحفاوة يشير بل يقرر من قريب عظمة عمل العالم الساعي في طريق العلم، والتعليم؛ لأنها مهنة الأنبياء، واختيار الفضلاء، وعليها تقوم عبادة الله على الوجه الصحيح، وهي المهمة السامية التي خلق الإنسان من أجلها، وهذا التشبيه ترغيب بالغ الدقة، والإصابة، والتأثير في السامع في أن يكون من أهل العلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل العالم على العابد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"، قال ابن علان: (قوله ﷺ: "فضل العالم" أي: المقتصر على فرائض العبادات ويصرف باقي أوقاته في العلم "على العابد" أي: العارف بما يجب عليه تعلمه من الديانات فقط، ويصرف ما زاد عليه في التعبد "كفضلي على أدناكم"، فيه عظيم شرف العلماء قال الزملكاني: ... والذي استقر من ذلك أن العالم المستحق للتفصيل بالعلم هو الذي تعلم العلم النافع في الدنيا والآخرة، وقام بحق علمه من عمل أو نفع أو هداية، أو غير ذلك من حقوق العلم النافع؛ فذلك هو العالم المفضل)[1].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٥٩.

وفي بيان سبب فضل العالم على العابد ذلك قال ابن القيم: (إن الشيطان يضع البدعة فيبصرها العالم وينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه لها ولا يعرفها...، فإن العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبينه فكل ما أراد إحياء بدعة وإماتة سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شيء أشد عليه من بقاء العالم بين ظهراني الأمة ولا شيء أحب إليه من زواله من بين أظهرهم ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة وأما العابد فغايته أن يجاهد ليسلم منه في خاصة نفسه وهيهات له ذلك)[1]، وزاد المباركفوري في بيان فضل العالم على العابد فقال: (إن فضل العالم بالعلوم الشرعية مع القيام بفرائض العبودية على العابد المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر من العلوم "كفضلي على أدناكم" أي نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة، قال القاري: فيه مبالغة لا تخفى فإنه لو قال: كفضلي على أعلاكم لكفى فضلاً وشرفًا)[2]، وفي ذلك بيان على عظم فضل العالم على العابد.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على تعليم العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد في الحديث من قوله ﷺ: "... إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير، وفي ذلك قال ابن القيم: (لما كان تعليمه للناس الخير سببًا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه ومعرفًا له بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهًا به وتشريفًا له وإظهارًا للثناء عليه بين أهل السماء والأرض)[3].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٩/١.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٤١/٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٣/١.

وقد بين الإمام أحمد ابن حنبل فضل تعليم العلم فقال: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرسل بقايًا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

(الترغيب من الطرق التي ينبغي للداعية أن يسلكها في إرشاد المدعوين وحملهم على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة والترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة للنفس الإنسانية التي جُبلت على حب السعادة والفلاح)[2]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترغيبه ﷺ في أخذ العلم وتعليمه لما في ذلك من فضل عظيم وخير عميم في الدنيا والآخرة.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٨.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

الحديث رقم (١٣٩٠)

١٣٩٠ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا (بِمَا يَصْنَعُ) [1]، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ [2].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب [3].

الحيتان: جمع الحوت، جمع كوكب، وهي الأجرام والنجوم التي تدور في السماء [4].

الكواكب: باقي الكواكب [5].

بحظ: نصيب من الكمال [6].

وافر: كثير [7].

الشرح الأدبي

سبق الحديث عن كون سلوك طريق العلم يكون سلوكا لطريق الجنة لأن العلم يهدي إلى معرفة الله، وعبادته التي توجب دخول الجنة وقد ورد هذا المعنى في أسلوب

---

(١) هذه الزيادة عند البيهقي في الآداب (١١٨٧)، وهي عند المنذري في ترغيبه، تبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٠٦).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ي).

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي في (ح و ت).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك ك ب).

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٤٦١.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ف ر).

الشرط (مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ) وتنكير.

(علما) ليتناول أنواع العلوم الدينية، وليندرج فيه القليل، والكثير قوله (سهل الله) له أي في الآخرة، أو المراد منه وفقه الله للأعمال الصالحة فيوصله بها إلى الجنة، أو سهل عليه ما يزيد به علمه؛ لأنه أيضا من طرق الجنة بل أقربها، وقول الرسول ﷺ: (وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ) كناية عن الرحمة، والمحبة، والرضا لعظم منزلته، وفضيلة عمله، والتعبير بالأجنحة فيه حنو، ومودة، ورحمة كما يفعل الطائر ببسط جناحه فوق صغاره يحميهم الحر، والقرّ، وقوله (وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ) كثافة المؤكدات في الجملة لعظمة الخبر، ولبيان أهميته وصرف المخاطبين الغافلين عن فضله إلى العناية به، وقوله (حَتَّى الحيتَانُ فِي المَاءِ) ينفي وهم المبالغة، ويؤكد التفاف كل هذا الحشد في الكون للاستغفار لهذا العالم، والتشبيه في قوله (وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ) يبين مدى التفاوت بين المنزلتين مع ما في التشبيه بالقمر من الإشارة إلى الضياء الذي يهدي السائرين، ويضيء للمقيمين، ويشير في جانب المشبه، وهو العالم إلى النور الذي يستفيده الناس من علمه، ويهتدون به، فنفعه عام، ونفع العابد مختص بنفسه، هذا إن سلم من كيد الشيطان، ومبطلات العمل الخفية، وقوله (وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ) هو منتهى الشرف للعلماء لأنهم خلفوا الرسل في علمهم، وفي تعليمهم الخير للناس، وهذا الحديث من أعظم الأحاديث التي تبين فضل العلم، والعلماء، وأهمية وجود العالم، وترغب في طلب العلم، ولو أن الأمة عملت بمثل هذا الحديث لكانت لها الريادة في جميع المجالات الدنيوية، والدينية كما كان حال من فعلوا من الجيل الراشد رضي الله عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طالب العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم:

إن طلب العلم (هو دأب عباد الله المتقين، ومأدبه حزبه المفلحين، وغاية أوليائه الصالحين، وما ذلك إلا لما عرفوا له من اللذة والفضل في هذه الحياة، ومن الأجر والذخر يوم يحشر العلماء في زمرة الأنبياء، ويفوزون بأعلى الجنان لأنهم أئمة الأولياء وكفى بطلب العلم فضلاً وبأهله شرفًا ونبلاً أنهم ورثة الرسل الكرام والأنبياء العظام والأئمة الأعلام عبر مرور السنين والشهور والأيام)[1]. لذا حث النبي ﷺ على طلب العلم كما ورد في نص الحديث من قوله "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة" قال القرطبي: (أي: من مشى إلى تحصيل علم شرعيٍّ قاصدًا به وجه الله تعالى جازاه الله عليه بأن يُوصله إلى الجنة مسلمًا مكرَّمًا. ويلتمس [2]: معناه يطلب، كما قال: ((الْتَمِسْ ولَوْ خَاتَمًا مِنْ حديدٍ))[3] وهو حضٌّ وترغيب في الرحلة في طلب العلم، والاجتهاد في تحصيله)[4].

وليس أدل على أهمية ذلك من أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده وكلمه منه إليه أنه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه ويزداد علمًا إلى علمه فقال ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾[5] حرصًا منه على لقاء هذا العالم وعلى التعلم منه فلما لقيه سلك معه مسلك المتعلم مع معلمه وقال له ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[6] فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته وأنه لا يتبعه إلا بإذنه وقال ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

---

(١) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٢٧.

(٢) لفظ رواية مسلم ٢٦٩٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٤٩، ومسلم ١٤٢٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٤ - ٦٨٥.

(٥) سورة الكهف، آية: ٦٠.

(٦) سورة الكهف، آية: ٦٦.

رُشْدًا﴾[١] فلم يجيء ممتحنًا ولا متعنتًا وإنما جاء متعلمًا مستزيدًا علمًا إلى علمه. وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لقي النصب من سفره)[٢]، وفي ذلك خير دليل في للحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل طلب العلم

هذا ما أشار إليه نص الحديث وفي بيان ذلك قال ابن القيم في قوله ﷺ "من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة... إلخ الحديث" أي: (أن الطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه)[٣] وقال ابن حجر: (وقوله ﷺ "أي في الآخرة، أو في الدنيا بأن يوفقه للأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنة وفيه بشارة بتسهيل العلم على طالبه لأن طلبه من الطرق الموصلة إلى الجنة)[٤].

قال القرطبي: (وهذا حديث عظيم يدلُّ على أن طلبَ العلم أفضل الأعمال، وأنه لا يبلغ أحد رتبة العلماء، وان رتبتهم ثانية عن رتبة الأنبياء.

وقوله: "إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم" قيل: معناه تخضع له وتعظمه، وقيل: تبسطُها بالدُّعاء؛ لأن جناح الطائر يده)[٥].

وقال ابن القيم: (ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعًا له وتوقيرًا وإكرامًا لما يحمله من ميراث النبوة ويطلبه وهو يدل على المحبة والتعظيم فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبينه وبينهم تناسب فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم...، فهم يستغفرون لمسيئهم

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦٦.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزيه ١/٥٥ - ٥٦.

(٣) المرجع السابق ١/٦٣.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٥.

ويثنون على مؤمنهم... قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

فأي نصح للعباد مثل هذا إلا نصح الأنبياء فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه حتى تضع أجنحتها له رضًا ومحبة وتعظيمًا. وقال أبو حاتم الرازي سمعت ابن أبي أويس يقول سمعت مالك بن أنس يقول معنى قول رسول الله ﷺ تضع أجنحتها يعني تبسطها بالدعاء لطالب العلم بدلاً من الأيدي وقال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة له حدثنا زكريا بن عبدالرحمن البصري. قال سمعت أحمد بن شعيب يقول كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال والله لأطرقن غدًا نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعًا ووقعت فيهما الأكلة. وقال الطبراني سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي. قال كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي وكان معنا رجل ماجن منهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط (وفي السنن والمسانيد)[2] من حديث صفوان بن عسال. قال قلت يا رسول الله إني جئت أطلب العلم قال مرحبًا بطالب العلم إن طالب العلم لتحف به الملائكة وتظله بأجنحتها فيركب بعضهم بعضًا حتى تبلغ

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ٢٣٩/٤، رقم ١٨٠٨٩، وقال محققو المسند إسناده حسن ٩/٣٠، ابن حبان ١١٠٠، وقال محققه: الصحيح إسناده حسن، وأخرجه الطبراني في الكبير ٧٣٤٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١٦٢، وقال محققه في الجامع: حديث صحيح.

السماء الدنيا من حبهم لما يطلب. وذكر حديث المسح على الخفين.

قال ابن عبدالبر: هو حديث صحيح حسن ثابت محفوظ مرفوع ومثله لا يقال بالرأي ففي هذا الحديث حف الملائكة له بأجنحتها إلى السماء وفي الأول وضعها أجنحتها له فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل والحف بالأجنحة حفظ وحماية وصيانة فتضمن الحديثان تعظيم الملائكة له وحبها إياه وحياطته وحفظه فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفًا وفضلاً)[1].

قال القرطبي: (وقوله ﷺ "وإن العالم ليستغفر له من السموات ومن في الأرض"، يعني بـ"من" هنا: من يعقل، وما لا يعقل غير أنه غلّب عليه من يعقل، بدليل أن هذا الكلام قد جاء في غير كتاب أبي داود، فقال: (حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في جوف الماء)[2]، وعلى هذا المعنى يدلُّ - من حديث أبي داود هذا - عطف الحيتان بالواو على من في السموات، ومن في الأرض، فإنه يُفيد أن من يعقل، وما لا يعقل يستغفر العالم؛ فأما استغفارُ من يعقل فواضح؛ فإنه دعاءٌ له بالمغفرة، وأما استغفارُ ما لا يعقل، فهو - والله أعلم - أن الله يغفر له، ويأجره بعدد كل شيء لحقه أثر من علم العالم. وبيان ذلك: أن العالم يبين حكم الله تعالى في السماوات وفي الأرض، وفي كل ما فيهما، وما بينهما، فيغفر له ذنبه، ويعظم له أجره بحسب ذلك، ويحتمل أن يكون ذلك على جهة الإغياء، والأول أولى، والله تعالى أعلم)[3].

وقد بين الخطابي: (أن الله سبحانه قد قيض للحيتان وغيرها من أنواع الحيوان العلم على ألسنة العلماء أنواعًا من المنافع والمصالح والإرفاق، فهم الذين بينوا الحكم فيها فيما يحل ويحرم فيها، وأرشدوا إلى المصلحة في بابها، وأوصوا بالإحسان إليها ونفي الضرر عنها. فألهمها الله الاستغفار للعلماء، مجازاة على حسن صنيعهم، بها

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٣ - ٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٨).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٥ - ٦٨٦.

وشفقتهم عليها)[١].

وكان من الأمور أشار إليها الحديث في بيان فضل طلب العلم قوله ﷺ "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" قال ابن القيم: (وفي ذلك تشبه مطابق لحال القمر والكواكب فإن القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره في أقطار العالم وهذا حال العالم وأما الكواكب فنوره لا يجاوز نفسه أو ما قرب منه وهذا حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره وإن جاوز نور عبادته غيره فإنما يجاوزه غير بعيد كما يجاوز ضوء الكوكب له مجاوزة يسيرة)[٢]

وبين القرطبي أن (هذه المفاضلة لا تصحُّ حتى يكون كل واحد منهما قائمًا بما وجب عليه من العلم والعمل؛ فإن العابد لو ترك شيئًا من الواجبات، أو عملها على جهل لم يستحق اسم العابد، ولا تصحُّ له عبادةٌ، والعالم لو ترك شيئًا من الواجبات لكان مذمومًا، ولم يستحق اسم العالم، فإذًا محلُّ التفضيل: إنما هو في النوافل، فالعابد يستعمل أزمانه في النوافل من الصلاة، والصوم، والذكر وغير ذلك، والعالمُ يستعمل أزمانه في طلب العلم وحفظه، وتقييده، وتعليمه، فهذا هو الذي شبَّهه بالبدر؛ لأنه قد كَمُلَ في نفسه، واستضاء به كل شيء في العالم من حيث أنَّ علمه تعدَّى لغيره، وليس كذلك العابد؛ فإن غايته أن ينتفع في نفسه، ولذلك شبهه بالكوكب الذي غايته أن يظهر نفسه)[٣].

وقد أكد نص الحديث في نهايته على أعظم منقبة لأهل العلم، وهي قوله ﷺ "إن العلماء ورثة الأنبياء" قال ابن القيم: (هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما

---

(١) معالم السنن ٥/٢٤٤.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٨٦.

أرسلوا به إلا العلماء كانوا أحق الناس بميراثهم)[١].

قال القرطبي: (وإنما خصَّ العلماء بالوراثة، وإن كان العُبَّاد -أيضًا- قد ورثوا عنه العلم بما صاروا به عبادًا، لأن العلماء هم الذين نابوا عن النبي ﷺ في حملهم العلم عنه، وتبليغهم إيَّاه لأمته، وإرشادهم لهم، وهدايتهم. وبالجملة فالعلماء: هم العالمون بمصالح الأمَّة بعده، الذابُّون عن سنته، الحافظون لشريعته، فهؤلاء الأحقُّ بالوراثة، والأولى بالنيابة والخلافة، وأما العباد فلم يطلق عليهم اسم الوراثة لقصور نفعهم، ويسير حظهم.

وقوله: "إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا" يعني: أنهم صلوات الله عليهم كان الغالبُ عليهم الزهد، فلا يتركون ما يُورث عنهم، ومن ترك منهم شيئًا، يصح أن يورث عنه تصدَّق قبل موته، كما فعل نبينا ﷺ حين قال: ((لا نورث، ما تركنا صدقة))[٢])[٣].

وقد بين ابن القيم: (أن هذا من كمال الأنبياء وعظم نصحهم للأمم وتمام نعمة الله عليهم وعلى أممهم أن أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد التي توهم بعض النفوس أن الأنبياء من وجنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها فحماهم الله سبحانه وتعالى من ذلك أتم الحماية. ثم لما كان الغالب على الناس أن أحدهم يريد الدنيا لولده من بعده ويسعى ويتعب ويحرم نفسه لولده سد هذه الذريعة عن أنبيائه ورسله وقطع هذا الوهم الذي عساه أن يخالط كثيرًا من النفوس التي تقول فلعله إن لم يطلب الدنيا لنفسه فهو يحصلها لولده فقال ﷺ: ((نَحْنُ مُعَاشِرِ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ))[٤].

فلم تورث الأنبياء دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم. وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٦٦/١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٣٧٥، ومسلم ١٧٥٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٨٦/٦ - ٦٨٧.

(٤) مسند الإمام أحمد ٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٢ بلفظ: ((إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركت بعد مؤونة عاملي، ونفقة نسائي صدقة))، قال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧/١٦.

سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[١] فهو ميراث العلم والنبوة لا غير. وهذا باتفاق أهل العلم من المفسرين وغيرهم وهذا لأن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرة سوى سليمان فلو كان الموروث هو المال لم يكن سليمان مختصًا به. وأيضًا فإن كلام الله يصان عن الأخبار بمثل هذا فإنه بمنزلة أن يقال مات فلان وورثه ابنه. ومن المعلوم أن كل أحد يرثه ابنه وليس في الأخبار بمثل هذا فائدة. وأيضًا فإن ما قبل الآية وما بعدها يبين أن المراد بهذه الوراثة وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾[٢] وإنما سيق هذا لبيان فضل سليمان وما خصه الله به من كرامته وميراثه ما كان لأبيه أعلى المواهب وهو العلم والنبوة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[٣].

وكذلك قول زكريا عليه السلام: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾[٤] فهذا ميراث العلم والنبوة والدعوة إلى الله وإلا فلا يظن بنبي كريم أنه يخاف عصبته أن يرثوه ماله فيسأل الله العظيم ولدًا يمنعهم ميراثه ويكون أحق به منهم وقد نزه الله أنبياءه ورسله هذا وأمثاله فبعدًا لمن حرف كتاب الله ورد على رسوله كلامه ونسب الأنبياء إلى ما هم برآء منزهون عنه والحمد لله على توفيقه وهدايته)[٥].

(ويذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بالسوق فوجدهم في تجاراتهم وبيوعاتهم فقال أنتم ههنا فيما أنتم فيه وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم في مسجده فقاموا سراعًا إلى

---

(١) سورة النمل، آية: ١٦.

(٢) سورة النمل، آية: ١٥.

(٣) سورة النمل، آية: ١٦.

(٤) سورة مريم، آية: ٥.

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٧.

المسجد فلم يجدوا فيه إلا القرآن والذكر ومجالس العلم فقالوا أين ما قلت يا أبا هريرة. فقال هذا ميراث محمد ﷺ يقسم بين ورثته وليس بمواريثكم ودنياكم أو كما قال. وقوله فمن أخذه أخذ بحظ وافر أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه له وليس هذا إلا حظه من العلم والدين فهو الحظ الدائم النافع الذي إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول له أبد الآبدين وذلك لأنه موصول بالحي الذي لا يموت فلذلك لا ينقطع ولا يفوت وسائر الحظوظ تعدم وتتلاشى بتلاشي متعلقاتها كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1].

فإن الغاية لما كانت منقطعة زائلة تبعتها أعمالهم فانقطعت عنهم أحوج ما يكون العامل إلى عمله وهذه هي المصيبة التي لا تجبر عياذًا بالله واستعانة به وافتقارًا وتوكلاً عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله. وقوله موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له. وأيضًا فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفًا عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده وتأمل إذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو محسن إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فموت العالم أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت بموته أمم وخلائق كما قيل:

تعلم ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته بشر كثير

وقال آخر:

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما)[2]

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٦٧ - ٦٨.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

(المرء يحتاج على ما يدفعه للقيام بما طلب منه على الوجه المطلوب والصفة المرغوبة وهنا تأتي كلمة الداعية وفعاليتها ودوره في الترغيب بما يفيد في حمل المدعو على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة)[١]، (وهذا ما ورد في الحديث من ترغيبه ﷺ في طلب العلم وتحصيله، حيث قال: "ومن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة.... إلخ الحديث"، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث من الترغيب في طلب العلم ما لا يخفى على أحد؛ فينبغي للإنسان أن ينتهز الفرصة، ويبادر بطلب العلم قبل أن يأتيه ما يشغله عن ذلك)[٢].

وكفى بطلب العلم شرفًا وترغيبًا في تحصيله أن الله عز وجل أمر نبيه أن يسأله المزيد منه) [٣] فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٤] (أي: زدني منك علمًا قال ابن عُيينة: ولم يزل ﷺ في زيادة من العلم، حتى توفاه الله عز وجل)[٥]، وكان ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وعَلِّمْنِي ما يَنْفَعُنِي وزِدْنِي عِلْمًا))[٦].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٣، وهداية المرشدين، علي محفوظ، ١٩٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٨٠.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٠.

(٤) سورة طه، آية: ١١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/٣١٩.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٣).

الحديث رقم (١٣٩١)

١٣٩١ - وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((نَضَّرَ اللهُ امْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

نضر الله امرًا: أي نعمه، من النضارة وهي في الأصل: حسن الوجه والبريق، والمراد حَسَّن خلقه وقدره[2].

أوعى: أكثر حفظًا وفهمًا[3].

الشرح الأدبي

يدعو الرسول ﷺ أمته إلى نشر العلم، وقد رغبهم في ذلك عن طريق الدعاء بصيغة الماضي في قوله ﷺ (نضر الله امرأً) والذي يشعر بتأكيد، وقوع الطلب، وتحققه كما لو كان قد حصل المطلوب عند الدعاء، وذلك ادعى لدقة التبليغ، والحرص عليه والحكم هنا ممتد إلى ما يحدث مستقبلا، ولو كان الفعل (نضر) هنا إخبارا لما كان له من الأثر كما له في الإنشاء في مقام الترغيب، والحث، والتحضيض عن طريق الدعاء، ونسبة الفعل (نضر) لله يعطي الفعل بُعدا إيحائيا؛ لأن فعل لا يشبه فعل خلقه، وتنكير كلمة (امرأ) يفيد عموما يدخل الجميع تحت الحكم، وتنكير شيئا للتقليل فيشمل الدعاء من قام بتبليغ ما قل، أو كثر، وقوله (فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ)

---

(١) برقم (٢٦٥٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ض ر).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ع ى).

فيه إشارة إلى أمانة النقل دون تزيد، أو انتقاص، لأنه ينقل للناس دينهم (فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) يشير إلى تفاوت العقول في الفهم عن النبي ﷺ فيستنبط هذا ملا يستنبط ذلك، ويفهم هذا ما لا يفهمه هذا، وهو فضل الله قسمه بين الناس بفضله.

فقه الحديث

قال النووي: (اعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن إمحاق العلم، فهو من أهمّ أمور الدين وأعظم العبادات، وآكد فروض الكفايات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾[2] وفي الصحيح من طرق أن النبي ﷺ قال: ((ليبلغ الشاهد منهكم الغائب))[3] والأحاديث بمعناه كثيرة، والإجماع منعقد عليه)[4].

وقال ابن العربي: (الصحيح عندي أنه إن كان هناك من يبلغ اكتفى به، وإن تعيّن عليه لزمه)[5].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "نضر الله امرًا سمع منا شيئًا فبلغه -

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٢٨/٢ .

(٥) أحكام القرآن ٤٩/١.

وفي رواية الترمذي سمع منا حديثًا-"، قال الطيبي: (والمعنى خصه تعالى بالبهجة والسرور لما رزق بعلمه ومعرفته من القدر والمنزلة بين الناس في الدنيا وفي الآخرة، حتى يرى عليه رونق الرخاء ورفيق النعمة. وإنما خص حافظ سنته ومبلغها بهذا الدعاء؛ لأنه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة، فجازاه في دعائه له بما يناسب حاله في المعاملة...)[1].

وقال ابن القيم: (إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وبلغه بالنضرة وهي البهجة ونضارة الوجه وتحسينه ... وقال: ولو لم يكن في فضل العلم إلا هذا وحده لكفى به شرفًا فإن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه وهذه هي مراتب العلم أولها وثانيها سماعه وعقله فإذا سمعه وعاه بقلبه أي عقله واستقر في قلبه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه وكذلك عقله هو بمنزلة عقل البعير والدابة ونحوها حتى لا تشرد وتذهب ولهذا كان الوعي والعقل قدرًا زائدًا على مجرد إدراك المعلوم. المرتبة الثالثة تعامده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب. المرتبة الرابعة تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده وهو بثه في الأمة فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه وهو معرض لذهابه فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن به وفرح القلب وسروره والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة على الوجه ولهذا يجمع له سبحانه بين البهجة والنضرة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[2] فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه. كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾[3] والمقصود أن هذه

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣٨٣/١.

(٢) سورة الإنسان، آية: ١١.

(٣) سورة المطففين، آية: ٢٤.

النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه)[١].

ثانيًا - من واجبات الداعية: تبليغ العلم والأمانة في نقله:

هذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ "فبلغه كما سمعه". قال د. الحسيني هاشم: (فيه الحث على تبلغ الدين بلا تحريف والدعاء لمن نشره على وجهه الصحيح)[٢].

(وقد أمر النبي ﷺ بتبليغ العلم عنه فقال: ((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))[٣] قال ابن القيم: فأمر ﷺ بالتبليغ عنه لما في ذلك من حصول الهدى بالتبليغ وله ﷺ أجر من بلغ عنه وأجر من قبل ذلك البلاغ وكلما كثر التبليغ عنه تضاعف له الثواب فله من الأجر بعدد كل مبلغ وكل مهتد بذلك البلاغ سوى ما له من أجر عمله المختص به فكل من هدى واهتدى بتبليغه فله أجره لأنه هو الداعي إليه ولو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلاً. وعلامة المحب الصادق أن يسعى في حصول محبوب محبوبه ويبذل جهده وطاقته فيها، ومعلوم أنه لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من إيصاله الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه ساع في حصول محابه فهو أقرب الناس منه وأحبهم إليه وهو نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم وأهله)[٤].

وقد أكد النبي ﷺ في نص حديث الباب على عظم وأهمية الأمانة في نقل العلم عنه، فقال ﷺ "فبلغه كما سمعه" قال المباركفوري، أي: (من غير زيادة ولا نقصان)[٥]، وقد توعد النبي ﷺ من يخالف ذلك بأشد العذاب وسوء العقاب، فقال: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار))[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٧١/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ص ٦٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٧٣/١.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٠٢٦/٢.

(٦) أخرجه البخاري ١٠٧.

قال ابن حجر: (قوله "فليتبوأ" أي فليتخذ لنفسه منزلاً، يقال تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنًا، وهو أمر بمعنى الخبر أيضًا، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء على فاعل ذلك أي بوأه الله ذلك. وقال الكرماني: يحتمل أن يكون الأمر على حقيقته، والمعنى من كذب فليأمر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا، قال: وأولها أولاها، فقد رواه أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ ((بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي النَّارِ))[1] قال الطيبي: فيه إشارة إلى معنى القصد في الذنب وجزائه، أي كما أنه قصد في الكذب التعمد فليقصد بجزائه التبوء)[2]. فعلى الداعية أن يتثبت في حديثه عن النبي ﷺ، فلا يبلِّغ عنه إلا صدقًا.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فائدة تبليغ العلم:

هذا ما يستفاد من قوله ﷺ "فرب مُبلغ أوعى من سامع"، قال المباركفوري: ("فرب" للتقليل وقد ترد للتكثير "مبلغ" بفتح اللام و"أوعى" نعت له والذي يتعلق به "رب" محذوف وتقديره يوجد أن يكون، ويجوز على مذهب الكوفيين في أن "رب" اسم أن تكون هي مبتدأ وأوعى الخبر فلا حذف ولا تقدير والمراد رب مُبلِّغ عني أوعى، أي أفهم لما أقول من سامع مني)[3] وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ))[4].

قال ابن القيم: (وقوله ﷺ رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه تنبيه على فائدة التبليغ وإن المبلِّغ قد يكون أفهم من المبلِّغ فيحصل له في تلك المقالة ما لم يحصل للمبلِّغ أو يكون المعنى أن المبلِّغ قد يكون أفقه من المبلِّغ فإذا سمع تلك المقالة حملها على أحسن وجوهها واستنبط فقهها وعلم المراد منها)[5]، وفي ذلك قال ابن عثيمين: (قد تجد

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٢، رقم ١١٣٥٠ بلفظ: ((إن الذي يكذب عليَّ يبنى له بيت في النار))، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٨/٣٦٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/٢٤٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٠٢٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

(٥) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٧٢.

مثلاً من العلماء من هو راوية يروي الحديث يحفظه ويؤديه لكنه لا يعرف معناه فيبلغه إلى شخص آخر من العلماء يعرف المعنى ويفهمه ويستنتج من أحاديث الرسول ﷺ أحكامًا كثيرة فينفع الناس، وقد مثل ﷺ الأول كمثل الأرض التي أمسكت الماء فرُوي الناس وارتووا لكنها لا تنبت، وأما الأرض الرياض التي أنبتت، فهم الفقهاء الذين عرفوا الأحاديث وفقهوها واستنتجوا منها الأحكام الشرعية)[1]، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمَثَلِ الغَيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٤٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

الحديث رقم (١٣٩٢)

١٣٩٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)). رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ألجم يوم القيامة بلجام من نار: اللجام: الحديدة في فم الفرس ثم سموها مع ما يتصل بها من سيور وآلة لجامًا. ويراد بهذا: الممسك عن الكلام بأنه ممثل بمن ألجم نفسه بلجام[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة وردت لبيان فضل العلم، والعلماء، والترغيب في العلم، أما هذا الحديث فإنه جاء ترهيبا من كتمان العلم؛ لأنه ينطوي على إضلال الناس، بتركهم في براثن الجهل، وقد جاءت جملة الترهيب، وفيها تناسب بين الألفاظ، والمعاني مع تناسب الجزاء مع العمل فاللجام للفم مقابل الكتمان، وهو أيضا بالفم، وبناء الفعل (ألجم) للمفعول يذهب بالعقل في تصوره كل مذهب، وبين ألجم، واللجام جناس يؤكد نوع العذاب الذي يتناسب مع نوع العمل، وهذا الترهيب بهذا التكوين، له بُعد نفسي يذكّر العالم إذا فكر في إغلاق فمه لكتمان العلم بأنه يغلقه على لجام من النار الأمر الذي

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦٤٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٥)، وقال الحاكم (١٠٢/١): هذا إسناد صحيح من حديث المصريين على شرط الشيخين، وليس له علة. أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ج م).

يجعله يبذل العلم، والنصيحة لكل من احتاجها، وتقييد اللجام بالظرف (يوم) المضاف للقيامة يزيد الموقف هولا، ويعطي الفعل (ألجم) أبعادا إيحائية تتناسب مع طبيعة اليوم، وهوله، ثم إن الجار، والمجرور (من نار)المتعلق بالفعل (ألجم) يشير إلى صعوبة هذا اللجام الذي يشتعل نارا لا تنطفيء داخل فم الكاتم.

فقه الحديث

قال ابن العربي: (إن العالم إذا قصد الكتمان عصى، وإذا لم يقصده لم يلزمه التبليغ إذا عرف أن معه غيره وأما من سئل فقد وجب عليه التبليغ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1] ولحديث الباب)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر العلم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ من كتمان العلم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار" قال صاحب عون المعبود في بيانه قوله ﷺ ("ألجمه الله" أي: أدخل الله في فمه لجامًا (بلجام من نار): مكافأة له حيث ألجم نفسه بالسكوت)[3]، وقال الخطابي: (الممسلك عن الكلام مُمَثَّلٌ بمن ألجم نفسه، كما يقال التقيُّ ملجَم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٢) أحكام القرآن ٤٩/١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٤٨١/٢ .

(٣) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

وكقول الناس: كلّم فلان فلانًا فاحتجَّ عليه بحجة ألجمته، أي أسكتته. والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له: يعاقب في الآخرة بلجام من نار.

وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1].

قال: وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه. ويتعين عليه فرضه كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام، وما الدين؟ وكمن يرى رجلاً حديث العهد بالإسلام لا يُحسن الصلاة، وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني، وأرشدوني. فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يُمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًا للوعيد والعقوبة وليس الأمر كذلك في نوافل العلم الذي لا ضرورة للناس إلى معرفتها)[2]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن يكتم العلم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾[3] قال ابن كثير (هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدي النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله - تعالى - لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله)[4]، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول (لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت)[5] يريد الآيتين سالفتا الذكر في سورة البقرة، وفي ذلك بيان على الترهيب والتحذير من كتم العلم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) معالم السنن ٢٥١/٥ - ٢٥٢.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩ - ١٦٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٢/١.

(٥) أخرجه البخاري، ١١٨.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر العلم:

هذا ما يستفاد من عموم الحديث في قوله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه... إلخ"، حيث رهّب من كتمان العلم، وفي ذلك دعوة إلى نشر العلم وتعليمه للناس، قال د. الحسيني هاشم: (فيه عظم وعيد كاتم العلم، وتقييد العلم الفاضل النافع في الآخرة بما نشره صاحبه ولم يبخل به على الناس) [١].

قال ابن عثيمين: (نشر العلم من زكاته فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كلفة ومؤنة، أبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًّا شددت)[٢].

وفي ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال ((مَثَلُ الذي يتعلَّمُ العِلمَ ولا يتحَدثُ بهِ كمثَلِ الذي يَكنُزُ الذهب ولا يُنْفِقُ منهُ))[٣]، (ومن المعلوم الذي لا ينكره عاقل أن الناس في زمننا هذا قد فشا فيهم الجهل بنوعيه البسيط والمركب سواء كانوا من أهل المدن أم من أهل البوادي والقرى...، ونظرًا لحال الناس في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه وسائل الزيغ والانحراف عن طريق الحق المبين وهدي رب العالمين، فإنه يجب على كل طالب علم أن يجند نفسه ويبذل جهده في سبيل إيصال الخير والهدى والنور إلى البشرية كلها لتحيى بعد موتها وتستيقظ من غفلتها، وترشد بعد جهلها وضلالها)[٤]، وهذا لا يكون إلا بنشر العلم.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(وأسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق

---

(١) شرح رياض الصالحين ٦٦٦.

(٢) كتاب العلم ٢٤٦.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، رقم ٧٧٤، وقال محققه: إسناده حسن.

(٤) المنهج القويم في التأسي بالرسول الكريم، زيد مدخلي، ٢٣٠ - ٢٣١.

المدعو...، وذلك ببيان ما ورد من وعيد تقشعر منه الأبدان، حيث جهنم ولهيبها وأنواع العذاب فيها جزاء وفاقا)[1]، وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ لمن يكتم العلم وذلك ببيان أن عاقبته هي إلجامه يوم القيامة بلجام من نار.

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٤٤٨.

الحديث رقم (١٣٩٣)

١٣٩٣- وعنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يبتغي: يطلب[2].

عرضًا: العرض: متاع الدنيا وحطامها[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول الإخلاص في العلم، والذي يحقق الغاية منه في الدنيا ببذله لكل من يحتاج إليه، وفي الآخرة بتحقيق أعلى الدرجات، وقوله (تعلم علما) جناس يؤكد تحقق الفعل، وحصول العلم الذي يستلزم العمل بموجبه، وإخلاص النية فيه لله، وقوله (مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ - عز وجل) يشير إلى العلم الأخروي، وأسلوب القصر في قوله (لا يَتَعَلَّمُهُ إِلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا) يقصر تعلمه على العرض الدنيوي، وينفيه عن الغرض الأخروي أي ليس لمرضاة الله فيه نصيب، وقَوْله (عَرَضًا) أَيْ: مَتَاعًا، وَفِيهِ دَلَالَة عَلَى أَنَّ الْوَعِيد الْمَذْكُور لِمَنْ لَا يَقْصِد بِالْعِلْمِ إِلَّا الدُّنْيَا، وَأَمَّا مَنْ طَلَبَ بِعِلْمِهِ رِضَا الْمَوْلَى، وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مَيْل مَا إِلَى الدُّنْيَا فَخَارِج عَنْ هَذَا الْوَعِيد، قَوْله (عَرْف الْجَنَّة)

---

(١) برقم (٣٦٦٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨)، وقال الحاكم (١/٨٥): هذا حديثٌ صحيحٌ سنده، ثقات رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٧٧).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب غ ى).

(٣) المرجع السابق في (ع ر ض).

أي الرَّائِحَة كناية عن حرمانه من الجنة، وفائدة التعبير بالكناية أن فيها مُبَالَغَة فِي تَحْرِيم الْجَنَّة عليه لِأَنَّ مَنْ لَا يَجِد رِيح الشَّيْء لَا يَتَنَاوَلهُ قَطْعًا، والحديث ينادي بضرورة أن يجعل كل متعلم في تعلمه سبيلا يرضي الله به، ويطلبه من أجله.

فقه الحديث

قال النووي: (يجب على المعلم أن يقصر بتعليمه رحمة الله تعالى، وألا يجعله وسيلة إلى غرض دنيوي)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (من آداب المعلم ... أن ينزه علمه عن جعله سلَّمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه)[2].

وقال القرطبي: (وهذه الآية ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾[3] وإن كانت خاصة ببني إسرائيل، فهي تتناول من فعل فعلهم، فمن أخذ رسوة على تغيير حقأو إبطاله أو امتنع من تعليم ما وجب عليه أو أداء ما علمه -وقد تعين عليه- حتى يأخذ عليه أجرًا فقد دخل في مقتضى الآية، والله أعلم، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله عز وجل ...)) الحديث[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: الحذر من الرياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ٧٢/١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٨٤/٢٩ - ٨٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١١/٢ - ١٢، وانظر الكتاب نفسه ٣٢/١ - ٣٥.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخلاص النية في طلب العلم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، ومما لا شك فيه أن العلم من أجلّ العبادات وأفضل الطاعات والقربات إلى رب العباد، وأن الله لا يقبل من العبادة إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[2] وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[4].

قال ابن القيم: (قال الفضيل بن عياض: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، لم يقبل؛ وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾[6].

فإسلام الوجه: إخلاص القصد والعمل لله. والإحسان فيه: متابعة رسوله ﷺ وسنته. وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[7] وهي الأعمال

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٢ - ٣.

(٣) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ - ١٥.

(٤) سورة الملك، آية: ٢.

(٥) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٦) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٢٣.

التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله)[١].

قال النبي ﷺ قال الله عز وجل: ((أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ))[٢].

قال النووي: (ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به)[٣]، (فعلى طالب العلم أن يخلص نيته لله؛ بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ لأن الله تعالى حث عليه ورغب فيه، فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٤]. والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله عز وجل)[٥].

والعلم الذي ورد فيه الوعيد على ترك الإخلاص فيه لله تعالى هو العلم الشرعي، وذلك لقوله ﷺ في نص الحديث "من طلب علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنياء لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها. وفي بيان ذلك قال ابن عثيمين: (والعلوم تنقسم إلى قسمين، قسم: يراد به وجه الله وهو العلوم الشرعية وما يساندها من علوم عربية، وقسم آخر: علم الدنيا، كعلم الهندسة والبناء والميكانيكا وما أشبه ذلك، فأما الثاني - علم الدنيا - فلا بأس أن يطلب الإنسان به عرض الدنيا، يتعلم الهندسة ليكون مهندسًا يأخذ راتبًا وأجرة، يتعلم الميكانيكا من أجل أن يكون ميكانيكيًا يعمل ويكدح وينوي الدنيا، هذا لا حرج عليه أن ينوي في تعلمه الدنيا، لكن لو نوى نفع المسلمين بما تعلم؛ لكان ذلك خيرًا له وينال بذلك

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٠ - ٣١١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٨٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٧١٧.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) كتاب العلم، ابن عثيمين، ٢٧.

الدين والدنيا، يعني لو قال: أنا أريد تعلم الهندسة من أجل أن أكفي المسلمين أن يجلبوا مهندسين كفارًا مثلاً، لكان هذا طيبًا، أو يتعلم الميكانيكا من أجل أن يسد حاجة المسلمين فيما إذا احتاجوا ميكانيكيين، فهذا خير وله أجر على ذلك، لكن لو لم يرد إلا الدنيا؛ فله ذلك ولا إثم عليه، كالذي يبيع ويشتري من أجل زيادة المال، أما القسم الأول: الذي يتعلم شريعة الله عز وجل وما يساندها؛ فهذا علم لا يبتغي به إلا وجه الله، إذا أراد به الدنيا؛ فإنه لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد شديد والعياذ بالله، يدل على أن من قصد بتعلم الشرع شيئًا من أمور الدنيا؛ فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يبارك في علمه، يعني مثلاً، قال: أريد أن أتعلم من أجل أن أصرف وجوه الناس إليَّ، حتى يحترموني ويعظموني...، وما أشبه ذلك، هذا - والعياذ بالله - لا يجد ريح الجنة يوم القيامة)[1].

ثانيًا - من واجبات الداعية: الحذر من الرياء:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "... لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" (أي لا يريد بطلبه للعلم إلا أن ينال عرضًا من الدنيا مالاً أو جاهًا، وقوله ﷺ "لم يجد عرف الجنة" يعني ريحها وفي ذلك مبالغة في تحريم الجنة لأن من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعًا)[2].

قال النووي: (إن الفضل في طلب العلم إنما هو فيمن طلبه مريدًا به وجه الله تعالى، لا لغرض من الدنيا، ومن أراده لغرض دنيوي كمال أو رياسة أو منصب أو وجاهة أو شهرة أو استمالة الناس إليه أو قهر المناظرين، أو نحو ذلك فهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٤٨٨/٢.

(٢) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ٥٦٦، وشرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٤٨٨/٢.

(٣) سورة الشورى، آية: ٢٠.

لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[3]، والآيات فيه كثيرة.

وفي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ. ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ))[4]، ثم ذكر حديث الباب).

ثم قول النبي ﷺ على ذلك فقال: ((مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ وَيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللّٰهُ النَّارَ))[5][6] قال المباركفوري في بيان قوله ﷺ ("من طلب العلم" أي لا لله به "ليجاري به العلماء" أي يجري معهم في المناظرة والجدال ليظهر علمه في الناس رياء وسمعه "أو ليماري به السفهاء" جمع سفيه وهو قليل

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٨.

(٢) سورة الفجر، آية: ١٤.

(٣) سورة البينة، آية: ٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٠٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٤، حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٨).

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي، المقدمة ١/٥٨ - ٥٩.

العقل، المراد به الجاهل أي ليجادل به الجاهل والمماراة من المرية وهي الشك فإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه ويشككه مما يورد على حجته "أو يصرف به وجوه الناس إليه" أي يطلبه بنية تحصيل المال والجاه وإقبال العامة عليه)[1]، ثم بين ﷺ عاقبة ذلك فقال "أدخله الله النار" فعلى الداعية أن يحذر كل الحذر من الرياء في طلب العلم بل عليه أن يخلص نيته وعمله في ذلك لله وحده.

وإخلاص النية كما قال ابن القيم: (هي تصفية العمل من كل شوب أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عَقدُ متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله، كائنًا ما كان)[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(الترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام)[3]، (والأصل أن يكون الترهيب بالله تعالى أو بصفاته مع عدم الغفلة عن الترهيب بعذاب الله، وهذا هو نهج القرآن والسنة المطهرة...، فقد أمر تعالى عباده بالرهبة والخوف منه وعدم الأمن من مكره، فقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[4] وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[5] وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٢٠٢٥/٢.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١٥/٢.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ٢٥٧.

(٤) سورة البقرة، جزء من آية: ٤٠.

(٥) سورة آل عمران، جزء من آية: ٢٨.

(٦) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٧٥.

مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1] وما جاء في السنة المطهرة أنه ﷺ كان يقول: ((إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للَّهِ))[2] ومع أن الأصل في الترهيب أن يكون بالله وبصفاته، فإنه يجوز أن يكون بما يصيب الناس من عذابه تعالى في الدنيا والآخرة)[3]. وهذا ما ورد في الحديث من ترهيبه ﷺ من تعلم العلم لغير الله وذلك ببيان أن من نهج ذلك لم يجد عرف الجنة يوم القيامة.

---

(١) سور الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ٤١، ٤٢.

الحديث رقم (١٣٩٤)

١٣٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ[١]، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ[٢] عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)). متفقٌ عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

انتزاعًا: محوًا من الصدور[٤].

قبض العلماء: بموتهم[٥].

رؤوسًا: جمع رأس: السيد المُقدَّم في الناس[٦].

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث خطر غياب العلماء وتصدُّر الجهلاء للفتوى وضلالهم وإضلالهم وذهابهم بسفينة المجتمع إلى غير شاطئ، أيضاً يبين الحديث أن الله لا يقبض العلم إلا بقبض العلماء مما يلزم المجتمع أن يعد العلماء جيلاً بعد جيل حتى لا تنقطع سلسلة النور وأشعة الضياء بموت العلماء، لذلك استخدم الرسول عدة أشكال بلاغية لتقرير هذه المعاني منها: البداية بأسلوب التوكيد عن طريق أداة التوكيد (إن)

---

(١) لفظ البخاري: (العباد) وهذا لفظ مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (لم يترك)، والمثبت لفظ البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣/١٣).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣٥/١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ب ض).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر أ س).

مع اسمية الجملة في قوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) تنزيلاً للمخاطبين منزلة المترددين، وتصدير الجملة بلفظ الجلالة (الله) يربي المهابة ويوفر على الأسلوب هالة من القدسية تكون أدعى للإنصات والوعي فالخضوع، وقوله: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً) (أي: إن الله لا يقبض العلم من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم، بل يقبضه إليه بقبض أرواح العلماء وموت حملته.

وقال ابن بطال: معناه أن الله لا ينزع العلم من العباد بعد أن يتفضل به عليهم، ولا يسترجع ما وهب لهم من العلم المؤدي إلى معرفته وبث شريعته، وإنما يكون انتزاعه بتضييعهم العلم فلا يوجد من يخلف من مضى فأنذر ﷺ بقبض الخير كله وكان تحديث النبي ﷺ بذلك في حجة الوداع)[1]

وقوله: (انتزاعاً) مصدر مؤكد لعامله وهو نائب عن المفعول المطلق كما ذكر الزمخشري نحو: رجع القهقرى وقعد جلوساً[2] ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً مقدماً على فعله وهو ينتزعه، ويكون (ينتزعه) حالاً من الضمير في يقبض، تقديره إن الله لا يقبض العلم حال كونه ينتزعه انتزاعاً من العباد[3] وعلى القول الأول يكون قوله: (انتزاعاً) توكيداً للفعل يقبض ويفيد معنى شدة القبض والإزالة لأثر العلم وذلك بنزعه في وعائه وهو العلماء، وعلى الثاني: يكون (انتزاعاً) مقدماً على فعله وهو (ينتزعه) وهذا التقديم يفيد أن الله لا يقبض العلم حال كونه منتزعاً من بين الناس على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء أو يمحوه من صدورهم بل يقبضه بقبض العلماء مما يؤكد أهمية العلم وخطر غياب العلماء وضرورة التواصل العلمي بين مختلف الأجيال، وقوله: (ولكن يقبض العلم بقبض العلماء) ولكن للاستدراك وقوله: (يقبض العلم) ذكر المسند إليه (العلم) مع إمكان الاستغناء بذكره سابقاً من قبيل وضع المظهر موضع

---

(١) عمدة القارى ٢/١٨٥.

(٢) ينظر: شرح المفصل للزمخشرى، ص ٥٥، تحقيق د. على بو ملحم .

(٣) عمدة القارى ٢/١٨٤.

المضمر لزيادة تعظيم المضمر كما في قوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[1] بعد قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[2] وكان مقتضى الظاهر أن يقال: هو الصمد كما أن المقتضى هنا: ولكن يقبضه[3].

وقوله: (حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) و(حتى) في العبارة تحكي حدوث القبض درجة درجة وكأن هذا القبض صار شبحاً يطارد أطياف النور حتى يترك الأرض ظلاماً يتخبط أهلها في الجهل يلتمسون قائداً فلا يجدون إلا أعمى يقود بصيراً إلى هاوية وسوء مصير، (وإذا) أداة شرط تدل على تحقق الوقوع و(لم) أداة نفي على التأبيد لا تدع مجالاً لرجوع وتقلب الفعل المضارع ماضياً لكن دخول إذا التي للاستقبال أحدث توازناً أبقى الفعل المضارع على أصله،وقوله: (لم يبق عالماً) نكر كلمة (عالماً) لإفادة التعميم لوقوعها في سياق النفي، وكلمة (الناس) تدل على أن الفعل - وهو اتخاذ الرؤوس الجهال - شمل الجميع وانتشر الجهل، وجمع كلمة (رؤوساً) يؤكد هذا الشمول وانتشار الجهل. وقوله (جهالاً) جمع (جاهل) على وزن فاعل تفيد الثبوت والدوام، وقوله: (فسئلوا فأفتوا بغير علم. ..) الفاء الأولى في الجملة عطفت جملة السؤال على جملة الاتخاذ ورتبت المعطوف على المعطوف عليه دون مهلة، مما يؤكد الاندفاع وعدم التروي في اختيار الشخص المستفتى مما يجعل الخطأ في الفعل مشتركاً بين المفتي والمستفتى وبين الناس ورؤوسهم، وقوله: (فأفتوا بغير علم) تتابع الفاءات يدل على تسارع الأحداث، وتلاحقها، وينادي بجرأة هؤلاء، ويؤكد جهلهم الذي جعلهم يفتون دون تروي ويقودون الناس إلى غير طريق لأنهم يسيرون على غير هدى.

وقوله: (بغير علم) إيغال أفاد تأكيد جهلهم لأن قوله قبلها (اتخذ الناس رؤوساً جهالاً) يؤكد أن فتواهم بغير علم فجاء قوله ليؤكد أنهم غير أهل للتصدر للفتوى مما ينادي بضلالهم وضلال من يفتونهم ويرصد لجملة الختام،في قوله: (فضلوا وأضلوا)

---

(١) سورة الإخلاص: ٢.

(٢) سورة الإخلاص: ١.

(٣) عمدة القارى / جـ ٢ / صـ١٨٤.

يعني فضلوا في أنفسهم وأضلوا السائلين، وتتابع الفاءات في قوله ﷺ (فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا) يفيد عدة دلالات منها:

أ- التسرع وعدم التروي في اختيار من يستفتى.

ب- الخفة والنزق والجهل المستحكم لهؤلاء الرؤوس المفهوم من سرعة إفتائهم وجملة الإيغال (بغير علم).

ج- وحدة العاقبة والمصير للمفتي والمستفتي حيث أن كلاهما في الضلال.

د- شمول العقاب إذ لا يتوقف ضرر غياب العلماء وترؤس الجهال - على فرد دون فرد بل يشمل المجموع يفهم ذلك من اتصال واو الجماعة بالأفعال الأربعة.

ه- سرعة العقاب لأن حاجة الناس للمعرفة لا تقتصر على أمور الدين بل يحتاجون لمن يرشدهم ويفتيهم في أمور دنياهم مما يعجِّل بالهلاك ويشل حركة الحياة.

والحديث بأساليبه البلاغية المختلفة أكد حقيقة غابت عن الناس وهي أن ذهاب العلم وعموم الجهل مفضٍ إلى الهلاك المترتب على غياب العلماء، واتخاذ رؤوس جهال يتصدرون للفتوى فيقودون المجتمعات إلى هلاك محقق[1].

فقه الحديث

قال ابن حجر:

(١ - استدل بهذا الحديث على جواز خلو الزمان عن مجتهد وهو قول الجمهور خلافًا لأكثر الحنابلة[2].

٢ - وفي الحديث الزجر عن ترئيس الجاهل لما يترتب عليه من المفسدة.

٣ - وقد يتمسك به من لا يجيز تولية الجاهل بالحكم، ولو كان عاقلاً عفيفًا، لكن إذا دار الأمر بين العالم الفاسق والجاهل العفيف، فالجاهل العفيف أولى، لأن ورعه يمنعه من الحكم بغير علم فيحمله على البحث والسؤال.

---

(١) ينظر الشرح الكامل في كتاب بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د. ناصر راضي الزهري.

(٢) وفي المسألة نقاش طويل انظره في فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٨٦/١٣ - ٢٨٧.

٤ - وفي الحديث أيضًا حض أهل العلم وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض. وفيه شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل. وفيه حضّ العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيده ما ليس عنده)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي يفيد منها الداعية في التأكيد على الأمور المهمة في نفوس المدعوين. وقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من تأكيده ﷺ على قبض العلم وذلك بقوله ﷺ "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء".

ثانيًا - من واجبات الداعية: طلب العلم وبيان فضله:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال ابن عثيمين: (وفي هذا الحديث حث على طلب العلم؛ لأن الرسول ﷺ أخبر بأن العلماء سيموتون وذلك لأجل أن نتحاشى ونتدارك هذا الأمر ونطلب العلم)[٢]، وقد بين ابن القيم على أهمية طلب العلم وتحصيله فقال: (إنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٣] وكفي بهذا شرفًا للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه)[٤]، (ومما لا شك فيه أن الآخذ بالعلم آخذ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٨٦ - ٢٨٧.

(٢)انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٤٩٠ - ١٤٩١.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٥٠.

بالبداية الصحيحة إذ العلم مقدم على القول والعمل كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1] وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2] والسعي في طلب العلم تحقيق للغاية التي أرادها الله ووجه إليها في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[3] وإذا سلك الداعية طريق العلم حظي بالخيرية الربانية الثابتة في حديث الرسول ﷺ ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ))[4][5] فعلى الداعية أن يوقن أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب)[6]. فيجتهد في تحصيله.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من الإفتاء بغير علم:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ "حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جُهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا" قال النووي: (أي أنه يموت حملته - أي العلم - ويتخذ الناس جهالاً يحكون بجهالتهم فيضلون ويضلون)[7]، قال ابن القيم: (وقد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، ٢٦٩٩.

(٥) مقدمات الداعية الناجح، د. علي بادحدح، ٦٣.

(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٤٠.

(٧) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي ١٥٨٢.

ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1] فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنى بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلّث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربّع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[2] فتقدّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقوله لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال، وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول: هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه)[3].

وقد أكد النبي ﷺ على شدة الوعيد في ذلك قائلاً: ((مَنْ قالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ بيتًا في جَهَنَّمَ، ومَنْ أَفْتَى بغيرِ علمٍ كانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ، ومَنْ أَشَارَ على أخيهِ بأمرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرَّشَدَ في غيرِهِ فقد خَانَهُ))[4].

قال صاحب عون المعبود: (وقوله ﷺ "من أفتى بغير علم" على بناء المفعول أي من وقع في خطأ بفتوى عالم فالإثم على ذلك العالم وهذا إذا لم يكن الخطأ في محل الاجتهاد أو كان إلا أنه وقع لعدم بلوغه في الاجتهاد حقه. قاله في "فتح الودود".

وقال القاري: على صيغة المجهول، وقيل من المعلوم يعني كل جاهل سأل عالمًا عن مسألة فأفتاه العالم بجواب باطل فعمل السائل بها ولم يعلم بطلانها فإثمه على المفتي إن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٦ - ١١٧.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٦ - ٣٧، مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٦٤٤/١ - ٦٤٥.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٦٥٧، وحسنه الألباني لبدون ذكر "من قال علي ما لم أقل فليتبوأ بيتًا في جهنم" (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٥)، وأخرجه أحمد ٣١٢/٢، رقم ٨٢٦٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ١٧/١٤.

قصر في اجتهاده وقوله ﷺ "ومن أشار على أخيه" في "القاموس"[1] أشار عليه بكذا أمره، واستشار طلبه المشورة انتهى، والمعنى أن من أشار على أخيه وهو مستشير وأمر المستشار المستشير بأمر قاله القاري. وقوله ﷺ "يعلم" والمراد بالعلم ما يشمل الظن "أن الرشد" أي المصلحة "في غيره" أي غير ما أشار إليه "فقد خانه" أي خان المستشار المستشير إذ ورد أن المستشار مؤتمن، ومن غشنا فليس منا)[2].

---

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي ٤٢١.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود، شرف الحق العظيم آبادي، ١٥٦٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العملية للنشء المسلم:

على الأسرة التي هي المحضن الأول لتربية النشء المسلم، أن تَعْلَم أن العلمَ هو أول مطالبها ومبلغ همتها في تربية النشء المسلم، فإن أحسنت إيداعه وأقامت إبداعه، تحقق فضله وعَظُمَ خيره.

"وقد حَمَّل الإسلام الوالدين والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الأولاد وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم، فأول شيء يجب أن يتعلمه الناشئ القراءة، وأفضل ما يقرأ كتاب الله لأن أول آية من كتاب الله نزلت تحض على القراءة، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، ولقد تعددت الشواهد والأدلة التي تدعو إلى العلم وتمجد العلماء.

وانطلاقًا من هذا المفهوم ينبغي على المربين والمعلمين أن يرغبوا الناشئين في العلم والتعليم، ويتعين على الوالدين مواصلة تعليم النشء وتربيته، بحسب ما تقتضيه مراحل نموه، فيعلم كيفية النطق ثم الكلام، ثم يؤخذ بتعليم القراءة والكتابة، ومعرفة أمور دينه ودنياه" [2].

ومفهوم العلم الذي يشيد به القرآن ويدعو إليه في تربية النشء هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينتظم به كل ما يتصل بالحياة. ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الديني، كما يتبادر إلى بعض الأذهان، أو ما ذاع في عهود التخلف عن القرآن؛ فقد دعا القرآن إلى النظر في ظواهر الوجود، ومظاهر الحياة، وجعل من الكون كتابًا للمعرفة، ووجه القلوب والعقول والأبصار إلى بدائع صنع الله فيه، ودعا إلى التفكر في آياته، واستكناه أسراره، وفهم نظمه ونواميسه، ففتح بهذا العرض والتوجيه باب

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١-٥.

(٢) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ١٣٥-١٣٦.

العلم، وحرر العقول، والتفكير من أسرار الجمود والجهل، وأغرى بالبحث والدراسة والعلم [١] لما في مخالفة ذلك من خطر عظيم؛ حيث يتخبط النشء في ظلمات الجهل بعيدًا عن نور المعرفة، وربما ضربته أمواج الشبهات وأحاطت به أعاصير الشهوات، فكانت الحسرة والندامة[٢].

وحتى يتسنى للمربي والمعلم تربية النشء المسلم تربية علمية، عليه أن يراعي بعض الوسائل في ذلك والتي منها:

١- تعريف النشء المسلم بمعنى العلم وفضائله العديدة حتى يقفوا على أهميته، ومن ثم تتوق أنفسهم إليه، ويحرصون عليه، ويبذلون في طلبه كل نفيس.

٢- تعريف النشء المسلم بضرورة التعليم، وأهمية طلب العلم التي لا يغفل عنها إلا غافل، ولا يجحدها إلا منكر جاهل.

٣- تعريف النشء المسلم بالأسباب المعينة على طلب العلم حتى يأخذوا بها مستعينين بعد توكلهم على ربهم ومولاهم واستعانتهم به ابتداءً؛ فيُسهل عليهم الطرق الصعاب، ويهوِّن عليهم الأمر؛ فيتعلمون دونما عناء، ولا يجدون في طريقهم أي شقاء [٣].

ثانيًا- تربية الهمة العالية لطلب العلم:

إن تربية الهمة العالية في طلب العلم، وغرسها في نفوس المتعلمين، من أبرز المهمات التي تقع على كاهل المربين والمعلمين، فما من شيء أنفع لطالب العلم من همة عالية تعينه على الصبر والمثابرة في طلب العلم وتعلمه.

وقد تضمنت أحاديث الباب، الحث على تربية الهمة العالية لطلب العلم، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)، وقوله ﷺ: (فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ).

وتكون تربية الهمة العالية في طلب العلم بإبراز همة السلف الصالح في ذلك والتي منها:

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ١٣٧-١٣٨.

(٢) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ١٧٥/٢.

(٣) المرجع السابق، ١٧٥.

قول النووي: "كنت أقرأ كل يوم اثني عشر درسًا على المشايخ شرحًا، درسين في الوسيط، ودرسًا في المهذب، ودرسًا في الجمع بين الصحيحين، ودرسًا في صحيح مسلم، ودرسًا في اللمع لابن جني، ودرسًا في إصلاح المنطق لابن السكيت في اللغة، ودرسًا في التصرف، ودرسًا في أصول الفقه، ودرسًا في أسماء الرجال، ودرسًا في أصول الدين.

وقال: بعد أن نُوزِع مرة في النقل عن الوسيط: أتنازعوني وقد طالعته أربعمائة مرة.

وقال: فلما كان عمري تسع عشرة سنة، قدم بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين، فسكنت المدرسة الرواحية، وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض...، وحفظت التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وحفظت ربع المهذب في باقي السنة"[1].

وكان من الهمة العالية في طلب العلم قول ابن عابدين في مقدمة حاشيته للرد على الدر المختار: "وقد كنت صرفت في معاناته برهة من الدهر، وبذلت له مع المشقة شقة من جديد العمر، واقتنصت بشبكة الأفهام أجل شوارده، وقيدت بأوتاد الأقلام جلىّ أوابده، وصرت في الليل والنهار سميره، حتى أسرَّ إلي سرّه وضميره، وأطلعني على حوره المقصورة في الخيام، وكشف لي عن وجوه مخدّراته اللثام، فطفقت أوشي حواشي صحائفه اللطيفة، بما هو في الحقيقة بياض للصحيفة، ثم أردت جمع تلك الفوائد، وبسط سمط هاتيك الموائد، من متفرقات الحواشي والرقاع، خوفًا عليه من الضياع"[2].

فهذه هي همة العلماء التي أضاءت بسبل الطالبين وكشفت عن طريق المسترشدين لتعلم العلم وتحصيله.

ثالثًا: غرس الإخلاص في نفوس المتعلمين:

مما لا شك فيه أن العلم من أجلِّ العبادات، وأعظم الطاعات، ولا تستقيم طاعة ولا تقبل عبادة إلا بالإخلاص بين يدي العزيز الوهاب؛ لذا كان غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم من أجل الأعمال التي يجدر بالمربين والمعلمين القيام بها على أتم وجه، وذلك بإفراد الحق سبحانه بالقصد في طلب العلم.

---

(١) المنهج السوي في ترجمة الإمام النووي، جلال الدين السيوطي، مطبوع ضمن كتاب روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١/٥٤، ٥٥، ٥٨.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١/٦٩، ٧٠.

وقد بيّن النبي ﷺ أن من ترك الإخلاص لله في طلب العلم لم يجد عرف الجنة يوم القيامة، وحتى يتسنى غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، وجب "الحث على مجاهدة النفس ومصابرتها لتنقاد مع المخلصين، وذلك فضلاً عن ملازمة تقوى الله، واستحضار عظمة الباري جل وعلا.

وقد كان من أعظم وسائل غرس الإخلاص في نفوس طلاب العلم، القراءة في أخبار العلماء المخلصين ومعرفة أحوالهم ليكسب طالب العلم معرفة بهم، وقدوة في شمائلهم.

قال أبو حنيفة: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُ إلى من كثير من الفقه لأنها آداب القوم؛ قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[1][2]، وقد كان من أخبار السلف في ذلك قول الشافعي: "لوددت أن الخلق يتعلمون مني، ولا ينسب إليّ منه شيء"[3].

وقال الحسن البصري: "إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سرّ فيكون علانية أبدًا"[4].

وأخيرًا... فإن من أعظم الوسائل في غرس الإخلاص في قلوب المتعلمين هو تعلم الدعاء والإلحاح على الله تعالى في ذلك؛ حيث إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، كما جاء في الحديث الشريف[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ط١، دار القاسم، المملكة العربية السعودية، ط١٥-١٧ باختصار.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي، ٢/٢٥١.

(٤) الزهد، ابن المبارك، ص٤٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٥٤ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

١٣- كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢- باب وجوب الشكر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢] وقال تَعَالَى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ٧] وقال تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ﴾[الإسراء: ١١١] وقال تَعَالَى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[يونس: ١٠].

الحديث رقم (١٣٩٥)

١٣٩٥ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ[١] بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ[٢] جبريل: الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بقدحين: مثنى قدح وهو إناء يشرب فيه الماء ونحوه[٤].

الفطرة: الإسلام والاستقامة[٥].

غوت أمتك: ضلت وانهمكت في الشر[٦].

الشرح الأدبي

قضى الله تعالى بفضله، ومنته على عباده الصالحين بالرشاد، والهدى، وفطرهم

---

(١) عندهما زيادة: (بإيلياء).

(٢) عند مسلم زيادة: (له).

(٣) (١٦٨/٢٧٢، كتاب الأشربة، باب ١٠). وأخرجه أيضًا البخاري (٤٧٠٩).

(٤) اللسان والوسيط في (ق د ح).

(٥) شرح صحيح مسلم ١٢٧٦.

(٦) المرجع السابق ١٢٧٦.

على ما يحقق تلك الهداية، وأطهر فطرة، وأنقاها فطرة رسول الله التي صفت، وراقت فانساقت وفق مقتضى مرضاة الله تعالى في الأزل، وهذا الحديث يحكى صدى هذه الفطرة، وانعكاسها على اختيار الرسول ﷺ ليلة الإسراء، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول ﷺ، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول ﷺ لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع وسيلة نقل فيه هي الإبل، والخيل، وقوله (بقدحين) يشير إلى التخيير؛ لأن من يريد أي يسقي ضيفه شرابا معيناً لا يقّدم له كوبين، وهو مثنى فسره بما بعده، وهو من أسلوب التوشيع الذي يشوق للمعنى، ويؤكده، وقوله (فنظر إليهما) نظرة فكر، وتأمل قبل الفعل، وهو ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بعده في النظر، والتفكير فيما ينوي أن يقدم عليه من الأفعال فإن كان خيرا أتاه، وإن كان شرا تركه، وابتعد عنه، وقوله (فأخذ اللبن) الربط بالفاء تشير إلى سرعة اتخاذ القرار وهي المناسبة للموقف، ولأن معرفة الصواب في الاختيار بين القدحين لا يستغرق وقتا طويلا، وهو ما يشير إلى أن المؤمن لا يتردد في الخير، والصواب ما دام قد تأكد منه، والرسول ﷺ لم يشرب الخمر قبل البعثة، وبعدها مما يشير إلى سلامة الفطرة التي مهّدت لهذا الاختيار، وفي هذا الاختيار إشارة، ورمز إلى موافقة شرائع الأمة المحمدية لما يصلح عليه حال النفوس البشرية في كل زمان، ومكان، وقول جبريل عليه السلام: (الحَمْدُ للهِ الَّذي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ لَوْ أخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ) يشير إلى محبة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، وأمته وقوله (هداك للفطرة) يقرر أن مرد الفضل، والنعمة لله تعالى، وهو الموفق، وهي عقيدة يرسّخها في معتقد الأمة إلى يوم القيامة، حتى يتحرك المؤمن بالأسباب، وهو على يقين من أن الفضل ابتداً وانتهاءً من عند الله - عز، وجل -، وقوله (لو أخذت الخمر غوت أمتك) أسلوب شرط يعلق الغواية على اختيار الخمر؛ لأن الخمر متعة تكتنفها مهلكة؛ لأنها تذهب العقل، والإنسان بدون العقل بهيم فاقد الأهلية، واختيار الرسول ﷺ للبن اختيار لما فيه المتعة الحسية في الطعم اللذيذ، والمنظر الحسن، والتقوية المعنوية، مع خلوه من التبعة المهلكة التي في الخمر، وهو الموافق للفطرة،

وما وقع في الحديث رمز لموافقة الشرائع المحمدية لطبيعة البشر في كل زمان، ومكان -والله أعلم-.

فقه الحديث

١- بوّب النووي على هذا الحديث في شرحه لصحيح مسلم "باب جواز شرب اللبن"[١].

٢- قال النووي: (قوله: "الحمد لله" فيه استحباب حمد الله عند تجدد النعم وحصول ما كان الإنسان يتوقع حصوله وأنه ناع ما كان يخاف وقوعه)[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة.

أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء بالنبي ﷺ:

كان الإسراء بالنبي ﷺ معلمًا بارزًا في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث كان تكريمًا للنبي ﷺ ومواساة له وتثبيتًا وتأييدًا في مواجهة قوى الشرك وقد وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث "أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين..."، وقد أكرمه الله تعالى به قبل الهجرة، والإسراء مذكور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣]، [٤]، وذلك أن الله يتيح لرسله فرص الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلوبهم ثقة فيه واستنادًا إليه،

---

(١) وساق تحته الأحاديث ٢٠٠٩، ٩٠، ٩١، ٩٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٧/ج١٣/١٥٤، ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، ص ٤٤، ٤٥.

إذ يواجهون قوى الكفر المتألبة ويهاجمون سلطانهم القائم، وإن جهاد الدعوة الذي حمله النبي ﷺ على كواهله، عرضه لعواصف عاتية، فمن تطمين الله له ومن نعمائه عليه أن يهيئ له هذه الرحلة لتمس فؤاده المعنى ببرد الراحة، وليشعر أنه بعين الله، مذ قام يوحده ويعبده، ويعلم البشر توحيده وعبادته[1]. وكان في مسراه ﷺ أمر من الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد[2].

لقد أكرم الله رسوله ﷺ برحلة الإسراء والمعراج في وقت ضاقت عليه الأرض وتكاثرت عليه الهموم، بعد أن فقد ناصريه زوجه خديجة وعمه أبو طالب، ووجد إعراضًا ومجاهرة بالعداوة خاصة بعدما خرج إلى الطائف داعيًا إلى الله، إلا أنهم قابلوه بأشد أنواع الأذى حتى أدموا عقبية.

(عاد النبي ﷺ من الطائف مهموم النفس، جريح الفؤاد، لا لما ناله من الأذى فذلك أمر يهون، ولكن خوفًا على الدعوة أن لا تجد مكانًا صالحًا لانتشارها، فقد كان ﷺ يرجو من وراء رحلته المضنية إلى الطائف خيرًا للدعوة، ومؤازرة لها، ولكنه وجد أهلها أسوأ من أهل مكة، وأجهل وأسفه، وكيف حَالَ مشركو مكة بينه وبين دخول بلده لولا أن أجاره المطعم بن عدي سيد من سادات قريش، فتمكن من دخولها، والطواف حول الكعبة.

وفي هذه الغمرة من المآسي والأحزان، وصدود القوم عن الإيمان، ومحاربة الدعوة الإسلامية بكل الوسائل والطرق، وبعد هذه الشدائد المتلاحقة؛ كان من رحمة الله بعبده وحبيبه محمد صلوات الله وسلامه عليه أن يُسرِّي عن نفسه الجريحة، وفؤاده المحزون، فكان الإسراء والمعراج.

فقد شاهد من آيات ربه الكبرى ما شاهد، وعاين من أمارات العناية الإلهية به

---

(١) فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، ج٤/٢٧١.

وبدعوته ما زاده يقينًا إلى يقين بإنجاح دعوته، وتبليغ رسالة ربه، ونصره على أعدائه، وأطلعه الله سبحانه من ملكوته العظيم على ما أطلعه عليه مما ملأ نفس الرسول ﷺ رِضَىً عن الله، وقلبه نورًا وطمأنينة، وصدره ثلجًا وانشراحا)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإسلام دين الفطرة:

ورد بيان ذلك في الحديث"أن النبي ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل عليه السلام: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك" وفسروا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة، ومعناه والله أعلم اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وجعل اللبن علامة ذلك لكونه سهلاً طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين سليم العاقبة[2]. وقد تضافرت النصوص على أن الإسلام هو دين الفطرة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، فإن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ قال تعالى: "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"[5].

وقد جاءت تعاليم الإسلام متوافقة مع الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، لأنه سبحانه هو الخالق وهو العليم بما يصلح خلقه، وقد جاءت الإشارة إلى الهداية للفطرة في الحديث في قول جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك".

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد أبو شهبة، ٤٠٧/١.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٤٦٥.

(٣) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٣١٤/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٤٧٧٥، و مسلم ٢٦٥٨.

قال القاضي: (المراد بها الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها فإن منها الإعراض عما فيه غائلة وفساد، كالخمر المخل بالعقل: الداعي إلى الخير، الوازع عن الشر المؤدي إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومضرة دينية كشرب اللبن فإنه من أصلح الأغذية وأول ما حصل به التربية[1].

وقال ابن الملك في المرقاة: (وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة، فإن اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض، وأول ما يحصل به تربية المولود: صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية، بخلاف الخمر، فإنها لكونه ذات مفسدة: صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية)[2].

(إن في اختيار النبي ﷺ اللبن على الخمر حينما قدمها له جبريل عليه السلام دلالة رمزية على أن الإسلام هو دين الفطرة، أى الدين الذي ينسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة، فليس في الإسلام شيء مما يتعارض والطبيعة الأصيلة في الإنسان، ولو أن الفطرة كانت جسمًا ذا طول وأبعاد لكان الدين الإسلامي الثوب المفصل على قدره، وهذا من أسرار سعة انتشاره وسرعة تقبل الناس له. إذ الإنسان مهما ترقى في مدارج الحضارة وغمرته السعادة المادية، فإنه يظل نزاعًا إلى استجابة نوازع الفطرة لديه، ميالاً إلى الانعتاق عن ربقة التكلفات والتعقيدات البعيدة عن طبيعته، والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لأعمق نوازع الفطرة البشرية)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التفاؤل بالبشائر الحسنة والأمور السارة:

أشير إلى ذلك في الحديث في اختيار النبي ﷺ اللبن دون الخمر، وقول جبريل عليه السلام له "الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر لغوت أمتك"، قال

---

(١) إكمال المعلم ٢٠٦/١.

(٢) موسوعة فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٢٤٦/٢.

(٣) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ١٦٧.

الإمام ابن علان: "فيه إيماء إلى التفاؤل بالفأل الحسن"[١]، وجاء في فضل التفاؤل والتبشير ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، الكلمة الحسنة والكلمة الطيبة"[٢]، قال الماوردي: فينبغي لمن تفاءل أن يتأول تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا[٣]، وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال[٤]، إضافة إلى ما في الفأل الحسن من جلب للسعادة إلى النفس والقلب وتقوية للعزائم ومعونة على الظفر وباعث على الجد[٥].

---

(١) دليل الفالحين ١٤٠٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٦، ومسلم ٢٢٢٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٠.

(٤) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٢٢٦/١٠.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ١٠٤٩/٣.

الحديث رقم (١٣٩٦)

١٣٩٦ - وعنه، عن رسول الله ﷺ قَالَ: ((كُلُّ امْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ للهِ فَهُوَ اقْطَعُ)). حديث حسن، رواه أَبُو داود[1] وغيره.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ذي بال: ذي شأن يهتم به[2].

أقطعُ: ناقص البركة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر في قاعدة شرعية فضيلة من فضائل الأعمال من شأنها أن تربط المؤمن بربه في تقلُّبه لمعاشه، ومعاده، ثم إنه أرادها قاعدة كلية ترتبط بها حركة التمام في العمل، وتضم الجميع تحت مظلتها وقد حقق هذا لمعنى عن طريق لفظ الشمول (كل) الذي صدَّر الحديث به ثم أضافه إلى لفظ (أمر) النكرة الذي تعرف به، ومعناه يعطي عموم الشأن الذي يعتري كل إنسان، وقوله (ذي بال) البال الخطر أي كل أمر له أهمية، وقيمة، والعبارة تكميل بلاغي يخص الأعمال ذات القيمة عند صاحبها، وأكثر أمور المؤمن ذات بال؛ لأنها مرتبطة بحركته في رضا ربه، فترتبط

---

(١) برقم (٢٨٤٠). قال أبو داود: رواه يُونس، وعقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهريِّ مُرسلًا. ورجّحه الدارقطني في العلل (٢٢٩/١) حيث قال: تفرد به قرّة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة، وأرسله غيره، عن الزهريّ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقرّة: ليس بالقوي في الحديث. وقال: ورواه صدقة، عن محمد بن سعيد، عن الزهريّ، وصدقة، ومحمد: ضعيفان، والمرسل: هو الصواب. قلتُ: وصحّحه ابن حبان (الإحسان١)، وقال الحافظ ابن حجر كما نقله في الفتوحات الربانية (٢٨٧/٣): حديث حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٣٢٢٨).

(٢) اللسان والوسيط في (ب و ل)

(٣) دليل الفالحين ١٤٦٥.

حركته بذلك بذكر الله في صورة الحمد لله تعالى، وهو شكر لنعمة سابقة، ونعمة لاحقة تتضمن الاستعانة بالله؛ لأنه المالك لتحقيق غاية الأمر الذي يسعى فيه الإنسان، وقوله (فهو أقطع) ذكر (هو) الضمير العائد على الأمر توكيد له وتقرير، والتعبير بالقطع يوحي بالتشويه، والنقص، ويبشر بعدم تمامه إما من ناحية عدم تحقيقه لغرضه القريب المقصود للدنيا أو عدم تحقيقه لغرضه الأخروي بالأجر، والثواب الكامل، بل ينتقص من أجره، والمؤمن الذي ينخرط بالعمل بهذه الفضيلة ينتقل من ذكر إلى ذكر الله على الدوام مما يجعله في معية الله، وليس أفضل منها عونا على تمام الأعمال.

فقه الحديث

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الابتداء بحمد الله تعالى في الأمور المهمة مندوب، اقتداء بكتاب الله تعالى، وعملاً بحديث الباب [1].

قال النووي: (قال العلماء: يستحب البداءة بالحمد لله لكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخاطب ومزوج ومتزوج وبين يدي سائر الأمور المهمة)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية بدء الأعمال المشروعة بالحمد:

إن من كمال بركة الأعمال أن يكون بدؤها بحمد الله تعالى، كما جاء في مفهوم قوله ﷺ في الحديث "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" أى

---

(١) رد المحتار ٧/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٦/١، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٤، والمجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب، وكشاف القناع ١٢/١ (عن الموسوعة الفقهية ١٢٨/١٨-١٢٩).

(٢) المجموع ٥/١ ط دار عالم الكتب.

مقطوع البركة، على وجه المبالغة، أى أقطع من كل مقطوع"[١]، وفي الحديث حث على بدء الأعمال كلها بحمد الله تعالى، ولذا استن العلماء الأقدمون والمحدثون حمد الله في بداية أعمالهم العلمية من تأليف وتدريس وخطابة وغير ذلك، قال الشافعي أحب أن يُقدِّم المرء بين يدي خطبته وكل أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسول الله ﷺ[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: "ومن فوائد الحمد أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله، فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، إذا ابتدأه بحمد الله جعل الله فيه البركة، يعني إذا أراد أن يؤلف كتابًا أو يتكلم في كلام خطبة أو غير ذلك، إذا حمد الله جعل الله فيه البركة، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو منزوع البركة"[٣]. وقد جاءت النصوص الكثيرة الآمرة بحمد الله تعالى في ابتداء الأعمال منها قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾[٤]، وابتدأ الله به بعض السور وكثيرًا من القضايا التي عرضها القرآن، فافتتح بسورة الفاتحة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]، وسورة الأنعام بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[٦]، والكهف بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾[٧]، وغير ذلك.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: حث المسلم على الاستعانة بالله، وحمده على نعمه في كل عمل يقوم به:

إن من أهداف الدعوة ومقاصدها: حث المسلم على الاستعانة بالله، فإن صلاح

---

(١) عون المعبود، العظيم آبادي، ٢٠٩٢.

(٢) مقدمة فتاوى النووي، المسماه بالمسائل المنثورة، النووي، ص٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٤٩٤/٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٥٩.

(٥) سورة الفاتحة، آية: ٢.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١.

(٧) سورة الكهف، آية: ١.

العبد في عبادة الله واستعانته به[١]، والعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات، والصبر على المقدورات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله - عز وجل - فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه الله، ومن ضروب الاستعانة بالله ابتداء كل أمر بحمد الله تعالى[٢]. وقد جاء في الحديث بيان فائدة بدء الأعمال وافتتاحها بحمد الله، فقال ﷺ: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع" وإذا تقرر ذلك فإنه ينبغي على المسلم ألا يبدأ عملاً إلا بحمد الله تعالى، ففي ذلك حصول البركة، وتحقيق للمطالب العالية، والمقاصد الجليلة والخير الكامل في الدنيا والآخرة[٣].

إن افتتاح الأعمال بالحمد افتتاح لها بأعظم الكلمات، إنها كلمة تملأ الميزان، كما جاء في صريح الحديث الذي روى عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ (أَوْ تَمْلأُ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ. وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ. وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَايِعٌ نَفْسَهُ. فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[٤].

قال القاضي عياض: قوله: ("والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض": بيان أجر الحمد إذا أضيف إلى التسبيح وقرن به على إفراده، لأنه ملأ الميزان - أي من الأجر - وإذا قرن بالتسبيح كان أجره بقدر ملء ما بين السماوات والأرض، وذهب بعضهم إلى أن ثناء العبودية على شيئين: المعرفة بالله، والافتقار إلى الله، فصفاء معرفة الله بتنزيهه، وكمال الافتقار إليه: أن ترى نفسك في تصريفه كيف شاء، فغاية التنزيه سبحان الله، وفي الحمد لله الافتقار إلى الله، وأنه رأى أقواله وأفعاله بالله، ولم يرها من نفسه)[٥].

---

(١) جامع البيان، الطبري، ٢٩٨/١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١٨٢/١

(٣) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع، ص ٣٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٥) إكمال المعلم ٧/٢.

وقال ابن رجب الحنبلي: (فأما الحمد لله، فاتفقت الأحاديث كلها على أنه يملأ الميزان، وقد قيل إنه ضرب مثل، وأن المعنى: لو كان الحمد جسمًا لملأ الميزان، وقيل: بل الله عزو حل يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم صورًا ترى يوم القيامة وتوزن)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، حيث رهب النبي ﷺ من ترك ابتداء الأعمال بحمد الله بنزع البركة، فقال ﷺ "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع"، وأسلوب الترهيب من الأساليب الدعوية التي أُمر بها الداعية في دعوته، فهو أحد ركنى الموعظة الحسنة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[٢]، قال ابن كثير: "والموعظة الحسنة"، أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس، ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى"[٣]، والترهيب أحد مراتب الدعوة الرئيسة، قال ابن القيم في تفسير الآية: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه: يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده غفلة وتأخر: يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يُجادَل بالتي هي أحسن)[٤]، وإن أسلوب الترهيب في الدعوة لمن الأهمية بمكان، فإن ما جاء به الشرع الحنيف كله، بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ، لا يعدوا أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[٥].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ج٢/١٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦١٣/٤

(٤) التفسير القيم، ص٣٤٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٣٩٧)

١٣٩٧- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيقولون: نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فيقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

استرجع: قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون)[2].

الشرح الأدبي

الاستفهام الإلهي (قبضتم ولد عبدي؟) قبضتم ثمرة فؤاده ؟. ... تقرير للملائكة بغرض الإخبار لهم والإشادة ببني آدم في موقف أبلى فيه الإنسان الثكول بلاءً حسناً وقد قالت الملائكة من قبل (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }(البقرة٣٠)' وحذف الأداة في هذا الاستفهام أوحت بفيض غامر من الرحمة على الأب الثكول، ورحمة لا تصدر إلا من رحمن تبعث الأسى، وتصور حجم الفجيعة التي مُنى بها الأب يدلك على ذلك بقية عبارة الاستفهام، وتدرجه من الخصوص (ولد عبدي) إلى الأخص (ثمرة فؤاده) تصعيداً لشعور الأسى، والشفقة لدى المخاطبين، وتعبيره بـ (عبدي) وإضافته لنفسه تشريف للأب الثكول

---

(١) برقم (١٠٢١)، وتقدم برقم (٩٢٣). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٩٤٨). وقال الحافظ كما في الفتوحات الربانية (٢٩٦/٣): الحديثُ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٨٦).

(٢) الوسيط في (ر ج ع).

يوحي بحنو الله جل، وعلا، وهو يريد بذلك أن يصور حجم المصيبة التي لحقت به، ثم يأتي استفهامه الآخر مذكور الأداة (ماذا قال عبدي) بعد شدة ما أصيب به، واستعمل حرف الاستفهام (ماذا) (ما) التي يطلب بها تعيين غير العقلاء فيطلب بها تعيين الاسم، أو صفته مضافة إليها (ذا) الإشارية لفتاً للنظر إليه، وإظهاراً لمقالته بإثارة السؤال واضحاً على أسماع الملائكة، وكل من بلغه الحديث إشارة إلى فضل بني آدم عامة، وصبر هذا الأب الثكول خاصة[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في صحيح الترغيب ،والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠٠، مخطوطة بكلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٩٢٣).

الحديث رقم (١٣٩٨)

١٣٩٨- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله لَيرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

الحديث يبين مدى فضل الله -عز وجل- على عباده بتقبله لقليل أعمالهم، ومغفرته لكثير ذنوبهم، وهذا الحديث يشير إلى جانب من هذا المعنى، ومن الملاحظ في بداية الخبر كثافة المؤكدات التي تدل على أهمية الخبر، وتعظيمه، وربما أشارت هذه المؤكدات إلى تنزيل المخاطبين منزلة المنكرين بسبب غفلتهم عن فضل هذه الأعمال، واستهانتهم بها، لأنها تبدو سهلة بسيطة، ويترتب عليها أمر جلل، وهو رضى الله -عز وجل-، وفي قوله (يأكل الأكلة)، و(ويشرب الشربة) جناس أكد المعنى المراد، وأحدث توازنا صوتياً في العبارة يلفت السمع، وتكرار الحمد للتنبيه على فضله، وصرف العناية إليه، واستخدام حرف العطف (أو) للتنويع، أي: أي نوع يفعله فيحمد الله، يرضي الله تعالى، وربط فعل الحمد بالفاء يؤذن بالتعقيب دون مهلة يستغلها الشيطان لينسيه إياها.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٧٣٤/٨٩)، وتقدم برقم (١٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٩٥).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- إيقاظ الفطرة وتربيتها:

إن الفطرة الدينية من الأهداف التربوية التي يجدر بأهل التعليم والتربية إيقاظها والحفاظ عليها، وتعاهدها بالتربية، وهذا ما يستفاد في حديث الباب من قول جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ».

"والفطرة هي الطبيعة والخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه، فقد أودع الله سبحانه وتعالى كل واحد من البشر عند خلقه وولادته فطرة سليمة، يمكن أن توجهه إلى طريق الهداية، وتصل به إلى سبيل الرشاد، وذلك إن لم تشبها الشوائب، ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ. هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟»[1][2].

قال سهل بن عبدالله التستري: "كنت وأنا ابن ثلاث سنين، أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك، الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي، ثم أعلمته، فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك، ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية، فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرّق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ومسلم ٢٦٥٨.

(٢) الموسوعة الفقهية، ٣/١٨٢-١٨٤.

أرجع، فمضيت إلى الكتَّاب فتعلمت القرآن وحفظته وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر، وقُوتِي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشفِ أحد عني شيئًا. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة بن أبي عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني، فأقمت عنده مدّة أنتفع بكلامه، وأتأدب بآدابه"[1].

"فانظر كيف تأدب هذا الصبي بآداب الإسلام، وطَلَبَ العلم وانتقلَ إليه، وحَرَصَ على طاعة الله منذ طفولته، إنها إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها.

حيث إن الأخلاق الدينية لن تترسخ في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة، وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وذلك بإيقاظ الفطرة الدينية الصحيحة، والتربية والاعتياد في تهذيب الأخلاق" [2].

إن إيقاظ الفطرة الدينية وتربيتها، يزيد الارتباط بخالق السماوات والأرض، فضلاً عن تهيئة الأنفس في هذه الحياة المضطربة، وتأمين وجودها ومصيرها في هذه الحياة، وبها تستمد الأنفس التفاؤل والصبر والصدق والإخلاص والصلة المستمرة بخالق الكون والبذل والعطاء، ... لتستكمل رحلة الحياة في سعادة وابتسام وأمل[3].

ثانيًا: التربية على شكر الله وحمده:

إن من أهم الأصول التربوية التي أشارت إليها أحاديث الباب، والتي يجب غرسها في نفوس المتعلمين، شكر الله على نعمه وآلائه، والذي يعكس بدوره إرهاف الشعور والحس لدى المتعلم، مما يؤدي بدوره إلى إكمال سجيته مع خالقه.

وحتى يتسنى غرس خلق الشكر لله وحمده في نفوس المتعلمين، يجب استظهار نعم الله وآلائه وعظم فضله على عباده، مما يستدعي في نفوس المتعلمين الرغبة والشوق إلى

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٥٣/١.

(٢) انظر: تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢٣١.

(٣) انظر: التربية بالعبرة، عبدالرحمن النحلاوي، ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ص١٧٧-١٧٩.

شكر المنعم، وكيف لا!!!، وقد جبلت الأنفس على شكر وحمد مُنعمُها.

وهذا ما استظهره السلف الصالح لغرس الشكر لله في قلوب المتعلمين.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْرَبُ الْمَاءَ الْقُرَاحَ، فَيَدْخُلُ بِغَيْرِ أَذًى، وَيَخْرُجُ بِغَيْرِ أَذًى إلاَّ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ».

وقال يونس بن عبيد لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا قال: فذكّره نعم الله عليه فقال يونس: أرى عندك مِئين الألوف وأنت تشكو الحاجة"[1].

وقد أراد المنهج التربوي الإسلامي، بناء الشخصية الإسلامية وتربيتها تربية فريدة في خلقها وسلوكها وشكرها لبارئها، فلم يكتف هذا المنهج الرباني الفريد بغرس خلق حمد الله وشكره على آلائه ونعمه، بل جعل حمد الله وشكره على ابتلائه واختباره، جزءً من عقيدة المؤمن في رضائه بالقضاء والقدر حلوه ومره، بل عظّم جانب الأجر في ذلك.

وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة لملائكته - إذا مات ولد العبد - قبضتم ولد عبدي فيقولون: نعم، فيقول جلا وعلا قبضتهم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد.

❁ ❁ ❁

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، ١٢٥، نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٦٦١/١، ٦٦٢.

١٤- كتاب الصَّلاة عَلَى رَسُول الله ﷺ

٢٤٣- باب الأمر بالصَّلاة عَلَيْهِ وفضلها وبعض صيغها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

الحديث رقم (١٣٩٩)

١٣٩٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما: أنَّه سمع رسول الله ﷺ، يقول: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

من صلَّى عليَّ: قال: "اللهم صل على محمد"[2].

الشرح الأدبي

الصلاة على النبي ﷺ من أعظم القرب لله تعالى، ومن أعظم أنواع الذكر لتضمُّنها ذكر الله تعالى، وذكر أحب خلقه إليه الذي ربط ذكره بذكره في أعظم كلمة تقال في كلمة التوحيد، وصيرها على مسمع من الأمة تتردد في مسامعهم على مدار اليوم، والليلة وكأنه حاضر بينهم في كل وقت، وصياغة الرسول ﷺ لهذه المعاني في أسلوب الشرط يشير إلى أهميتها لعظمة الأجر المترتب عليها مع قلة المؤنة التي تحتاج إليها، ومع قدرة جميع المسلمين عليها، حيث ربط الصلاة عليه بصلاة الله على

---

(١) برقم (١١/٣٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٦٩).

(٢) النهاية في (ص ل و).

العبد، وصلاة الله على العبد تكريم له بذكره له في الملأ الأعلى، ورحمة له في الأرض، ومغفرة له في أم الكتاب، لأنه هذه الصلاة مع كونها ذكرا لله فيه تتضمن اعترافا بفضل هذا النبي ﷺ الذي تحمَّل من أجل تبليغ دين الله ما لم يتحمله غيره، وفيها، وارتباط بالنبي وصلة في الوجدان تستلزم متابعة في المنهج، وهذا حال كل من يكثر الصلاة عليه فهي دليل محبة، والمحب مطيع، فقوله (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً) ترغيب في كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وبين صلى، وصلاة جناس يؤكد المعنى، ويجعله ملأ الأسماع، والأفهام، ونسبة الصلاة المقابلة لصلاة العبد لله يعظم الأجر، ويرتقي به في درج الثواب مرتقى عظيماً لارتباط الأثر بالمؤثر، فحري بكل مسلم أن يكون له وردا من الصلاة على النبي ﷺ يضمن به ذهاب همه، وغمه، وسعة رزقه، ورضا ربه، وشفاعة النبي ﷺ، ومحبَّته يوم القيامة.

فقه الحديث

١- قال ابن العربي: (الصلاة على النبي ﷺ فرض في العمر مرة بلا خلاف، فأما في الصلاة فقال محمد بن المواز والشافعي: إنها فرض، فمن تركها بطلت صلاته. وقال سائر العلماء: هي سنة في الصلاة)[1] وانظر الحديث التالي (١٤٠٢).

٢- قال النووي: (فيه أنه يستحب لمن رغب غيره في خيرٍ أن يذكر سننًا من دلائله، لينشطه، لقوله ﷺ: "من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرًا")[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) أحكام القرآن ١٥٨٤/٣، وانظر: تفسير القرطبي ٢١٥/١٧ ط الرسالة، والأذكار ٩١، ١٤٢ - ١٤٣ ط مكتبة الصفا، والموسوعة الفقهية ٢٣٤/٢٧ - ٢٣٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٧٦/٤ ط دار الكتب العلمية.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

لقد تضافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث: "من صلى عليّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، قال النووي: قال القاضي: معناه: رحمته وتضعيف أجره، كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]، قال وقد يكون الصلاة على وجهها وظاهرها تشريفًا له بين الملائكة[2]، وقد أمرنا الله تعالى: بالصلاة على رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3].

قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلى جميعا"[4].

وفي ذلك أمر من الله وطلب منه لعباده المؤمنين بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ في الحقيقة إنما هي طلب من الله بأن يصلى عليه، وذلك واضح في صيغ الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، والتي منها ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال: قلنا يا رسولَ اللّه، هذا السلامُ عليكَ فكيفَ الصلاة عليك؟ قال: ((قولوا اللهمَّ صلِّ على محمدٍ عبدكَ ورسولك كما صلَّيتَ على إبراهيمَ، وباركْ على محمد وآل محمد كما باركتَ على إبراهيمَ وآل إبراهيم))[5]. وهنا سؤال مهم هو: لماذا لا نصلي عليه مباشرة وإنما نطلب ذلك من الله عز وجل؟ وعن هذا

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٢) شرح مسلم، ص ٤٠٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٥٧/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٥٨.

السؤال يجيب ابن القيم فيقول: (أولاً: إن الصلاة من الله تعالى من أجل المراتب وأعلاها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق فلا بد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لمخلوق فلا يكون غير مساويًا له فيها.

ثانيًا: إن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه، ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا ما دونها، وهو أكمل الصلاة وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة)[1].

كما كان أجر فضل صلاة الله عز وجل أعلى رتبة من فضل صلاة الإنسان بنفسه، فقد كان هذا الفضل -الحاصل بصلاة الله عز وجل- عائدًا على الإنسان له فائدة وأجر عظيم[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ:

ورد في الحديث الحث على الصلاة على النبي ﷺ وبيان فضلها، فقال ﷺ: "من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا"، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[3]، قال الإمام ابن علان: " أى قولوا الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أو انقادوا لأوامره، والآية أمر من الله تعالى لكل مؤمن بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ووطأ قبله بالإخبار عنه تعالى، وعن ملائكته الكرام بأنهم دائمون على ذلك وتجديده وقتًا فوقتًا، وذلك بعثًا للمؤمنين على الاعتناء وامتثال ذلك الأمر، وحثًا لهم على الدوام والاستمرار عليه ليفوزوا بقربه، ويتحفوا بلحظه وإمداده[4]، وقد علم الرسول ﷺ أمته كيف يصلون عليه في الصلاة وغيرها[5]، والتي منها ما جاء فيما روى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، «لَقِيني كعبُ بن عُجرةَ فقال: ألا

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ١٥٤، ١٥٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٥٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٤) دليل الفالحين ١٤٦٧.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ٧٩.

أُهدي لكَ هَديةً سمعتُها منَ النبيِّ ﷺ؟ فقلت: بلَى فأهدها لي، فقال: سألنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسولَ الله كيفَ الصلاةُ عليكم أهلَ البيت، فإن اللهَ قد علمنا كيفَ نسلِّم عليكم. قال: ((قولوا اللّهمَّ صل على محمدٍ وعلَى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنكَ حَميدٌ مَجيد، اللّهمَّ بارك على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيم وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيد))[1].

فإن في الصلاة على رسول الله ﷺ رفع للدرجات وحط للسيئات، فعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: (أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيِّب النفس، يرى في وجهه البِشْر، قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيِّب النفس، يُرَى في وجهك البِشْر، قال: أجل، أتاني آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها)[2].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ترغيبًا في الصلاة على رسول الله ﷺ "من صلى عليّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، فذكر في الحديث فائدة من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ، وهي أنها سبب لصلاة الله على المصلي[3]، وهذا سبب من أسباب الخروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[4]، وقد حفلت آيات القرآن والسنة النبوية بالترغيب، والحث على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، وذلك أن الإنسان إذا علم بما أعده الله له من ثواب تولدت عنده الرغبة الصادقة فيما عند الله تعالى وسعى له سعيه[5]، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٠، ومسلم ٤٠٦.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩/٤، رقم ١٦٣٥٢، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف ٢٧٢/٢٦، ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٥٧).

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، ص ٦١٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٥) انظر موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1].

وتلك هي حياة المؤمن الحق، فقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق، عندما قالوا له: جزاك الله خيرًا فعلت وفعلت، فقال راغب وراهب، أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[2].

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٣٣٧.

الحديث رقم (١٤٠٠)

١٤٠٠ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((أَوْلَى النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

تصَّدرُ أفعل التفضيل للكلام نوع من التشويق بمداعبة النفس بما هو في فطرتها من ميل لمعرفة ما غاب عنها مما يلوح لها بالخير، وأفعل التفضيل تشير إلى اشتراك شيئين في صفة معينة، وزيادة أحدهما في هذه الصفة، ودلالة أفعل التفضيل على (الولاية) وإضافتها للناس، وتعلق الجار، والمجرور (بي) العائد على الرسول بها يشير إلى قيمتها العظيمة التي لوَّحت للمؤمنين بما يحبون من رفقة الرسول ﷺ وحصول شفاعته لهم، والتعبير بها يشير إلى الاستحقاق لهذه الولاية بتكثير هذه الصلاة، وتعلق الظرف (يوم) المضاف للقيامة بحصول هذه الولاية يصعِّد الشعور بأهمية الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ لأنه يوم يعظم فيه الهول، وتعم فيه البلوى، ويبحث كل فرد فيه عن ما ينجيه، ولا يجد إلا عمله، وشفاعة النبي ﷺ، وكلاهما يتحقق بكثرة الصلاة على النبي ﷺ، وتقديم الأجر على العمل يفتح آفاق النفس المتطلعة للخير إلى الاشتغال بتحقيق العمل الذي يحققها، وهو قوله (أكثرهم عليَّ صلاة) فقد قابل الأفضلية في الولاية به بالأفضلية في تكثير الصلاة عليه، والجزاء من جنس العمل.

فقه الحديث

قال النووي: (يستحب أن يكثر في يوم الجمعة وليلتها من الصلاة على رسول الله ﷺ)[2].

---

(١) برقم (٤٨٤). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٧٩).

(٢) الأذكار ١٩٨ ط مكتبة الصفا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على الصلاة على النبي ﷺ والمداومة عليها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

لقد تضافرت النصوص على بيان فضل الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة" أى أن أقربهم بي أو أحقهم بشفاعتي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة لأن كثرة الصلاة منبئة عن التعظيم المقتضى للمتابعة الناشئة عن المحبة الكاملة المرتبة عليها محبة الله تعالى[1]، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2]، ولما كانت كلمة أولى بمعنى القرب والقرب ضمن معنى الاختصاص فعدى بالباء، فقال ﷺ: أولى الناس بي"، أى أخص أمتي بي وأقربهم مني وأحقهم بشفاعتي"[3]. فالحديث ضمن فائدة من الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة على النبي ﷺ وهى أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة[4].

إن للصلاة على رسول الله ﷺ فضائل وفوائد جمة منها ما جاء في الحديث ببيان أن أولى الناس برسول الله ﷺ أكثرهم عليه صلاة، كذلك من فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ أن فيها:

أ - رفع للدرجات وحط للسيئات:

روى عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: «أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيِّب النفس،

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج١/٧٦٣.

(٢) سورة آل عمران، آية : ٣١.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٤٦٨.

(٤) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، الإمام ابن القيم، ص ٦١٣.

يرى في وجهه البشْر، قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيِّب النفس، يُرَى في وجهك البشْر، قال: أجل، أتاني آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»[2].

ب- أن في الصلاة على رسول الله ﷺ كفاية الهموم ومغفرة الذنوب.

فعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: (كَانَ رَسُولُ الله إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: ((يَا أَيُهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله اذْكُرُوا الله جَاءَتْ الرَاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ)). قَالَ أُبَيٌّ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي؟ فقَالَ: مَا شِئْتَ. قال: قُلْت الرُّبُعَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ. فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قُلْتُ فَالنِّصْفَ؟ قَالَ: مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ. قال: قُلْتُ فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: ((مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ))، قُلْتُ أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: ((إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ))[3].

ج- أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لنيل شفاعته ﷺ.

فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا الله لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ))[4].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢٩/٤، رقم ١٦٣٥٢، وضعف محققوا المسند إسناده (مسند الإمام أحمد، ٢٧٢/٢٦، ٢٧٣، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير، ٥٧).

(٢) أخرجه النسائي، ١٢٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي، ١٢٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٧، وقال: هذا حديث صحيح (صحيح سنن الترمذي، ١٩٩٩).

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٤.

د- أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لعرض اسم المصلى على رسول الله ﷺ.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ فَإِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ))[1].

هـ- أن الصلاة على رسول الله ﷺ من الطرق الممهدة إلى الجنة ودليل إليه وأن نسيانها والتهاون فيها تضييع لهذا الأجر وفوات لهذا الفضل.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خَطِيءَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ))[2]. إلى غير ذلك من الفوائد والفضائل للصلاة على رسول الله ﷺ.

ثانيًا - من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

إن من أهداف الدعوة: الحث على الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لما في ذلك من قوة الارتباط والصلة الوثيقة برسول الله ﷺ، وأيضًا فإن الصلاة عليه ﷺ مما ينتج عن اعتقاد تفضيله واستشعار هيبته وجلالة قدره وعظيم شأنه واستحضار محاسنه ومكانته ومنزلته ﷺ[3]، فمتى كان توقير النبي ﷺ مستقرًا في القلب مسطورًا فيه على تعاقب الأحوال فإن آثار ذلك ستظهر على الجوارح حتما لا محالة، وحينئذ سترى اللسان يجري بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وترى باقي الجوارح ممتثلة لما جاء به ومتبعة لشرعه وأوامره، ومؤدية لما له من الحق والتكريم، ولذا كانت أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ والحث عليها، وبيان آثارها كما جاء في الحديث "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة"[4].

---

(١) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، ٩٣/١، وحسنه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٥٣٠، وصحيح الجامع الصغير، ١٢١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه، ٩٠٨، وقال الألباني: حسن صحيح، انظر (صحيح سنن ابن ماجه، ٧٤٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢٣٣٧).

(٣) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، كتاب المنتدى، ٣٥، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص٧٣

(٤) حقوق النبي ﷺ على أمته، الإمام التميمي، ج٢/٤٧٠

فكما سبق فإن الصلاة على رسول الله ﷺ من مظاهر توقيره والقيام بحقه ﷺ، وقد أمر الله بذلك في كثير من آي القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فجعل الله عز وجل في الآية توقير النبي ﷺ وتعزيزه من أسس الإيمان ومن مسببات الفلاح ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه ووقروه، ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي على أعدائه في الدين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالرحمة والناجون من النقمة.

قال الجشمي: (تدل الآية على أن شريعته ﷺ أسهل الشرائع وأنه وضع عن أمته كل ثقل كان في الأمم الماضية، وذلك نعمة عظيمة على هذه الأمة، وتدل على وجوب تعظيم الرسول ﷺ ونصره ونصرته بنصر دينه وكل أمر يؤدي إلى نصرة دينه)[2].

ثالثًا - من آداب المدعو: الحرص على الصلاة على النبي ﷺ والمداومة عليها:

إن من دلائل محبة النبي ﷺ وتعظيمه سلوك الأدب معه والذي يتحقق بأمور منها الثناء عليه ﷺ بما هو أهله، وأبلغ الثناء ثناء ربه عليه، وما أثنى هو على نفسه به، وهو الصلاة والسلام عليه لأمر الله عز وجل وتوكيده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[3]، وهذا إخبار من الله تعالى بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة وأن الملائكة تصلي

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٠٧.

(٢) انظر: محاسن التأويل، الإمام محمد جمال القاسمي، مج٥/ج٧/٢٦٥ - ٢٧٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلى جميعًا[١]، وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ ورفعة درجته، وعلو منزلته عند الله وعند خلقه، ورفع ذكره. و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة، وفي الملأ الأعلى، لمحبته تعالى إياه. ويثنى عليه الملائكة المقربون، ويدعون له يتضرعون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم، وتكميلاً لإيمانكم، وتعظيمًا له ﷺ ومحبة وإكرامًا وزيادة في حسناتكم، وتكفيرًا عن سيئاتكم.

وأفضل هيئات الصلاة عليه "عليه الصلاة والسلام" ما علمه أصحابه "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد"، وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[٢].

ولا يخفى على مسلم ما في الصلاة على النبي ﷺ من فوائد وثمار وقد ذكر الإمام ابن القيم للصلاة على رسول الله ﷺ أربعين فائدة منها: رفع الدرجات، كتابة الحسنات، ومحو السيئات، وسبب للغفران، وسبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة واستحقاق شفاعته وغير ذلك[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ج٦/٤٥٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ السعدي، ص٦١٨.

(٣) انظر كتاب جلاء الأفهام، الإمام ابن القيم، ص ٦١٢ - ٦٢٦

الحديث رقم (١٤٠١)

١٤٠١- وعن أوس بن أوس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إنَّ مِنْ أفْضَلِ أيَّامِكُمْ يَومَ الجُمُعَةِ، فَأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ)). قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرَمْتَ؟! قَالَ: يقولُ: بَلِيتَ. قَالَ: ((إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أَوْس بن أَوْس الثقفي: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١١٦٠).

غريب الألفاظ:

الصَّلاةُ: قولنا: اللهم صلِّ على محمد[2].

الشرح الأدبي

من المعلوم أَنَّ لَفْظَةَ "أَفْعَلُ" تَقْتَضِي وُجُودَ الاشْتِرَاكِ فِي الأصْلِ مَعَ التَّفَاضُلِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ الأمر الذي يدل أولا على أن أيام المؤمنين كلها فاضلة لأنها أيام عامرة بطاعة الله تعالى، ثانيا تدل على أفضلية يوم الجمعة على هذه الأيام، وقد رتب الرسول ﷺ على هذه الأفضلية الأمر بالإكثار من الصلاة عليه لما هو معلوم من فضل الصلاة على رسول الله ﷺ فالعمل الفاضل في اليوم الفاضل نوع من تقدير الزمان بقدره ثم علل لهذا الأمر، ورغب فيه بقوله (فَإنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ) أي على جهة القبول، والجناس بين (الصلاة)، وبين (صلاتكم) يقرر المعنى المراد من العبد، والذي يحقق له تضاعف الأجر، والتعبير بالاسم (معروضة) دون الفعل (تعرض) الدال على التجدد للإشارة إلى الدوام، والثبات المفهوم من الاسمية أي: أنها دائمة العرض عليه، وتختص

---

(١) برقم (١٥٣١)، وتقدم برقم (١١٦٠). وصحّحه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (الإحسان ٩١٠)، وقال الحاكم (٢٧٨/١): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري ولم يخرجاه.. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٨٨).

(٢) النهاية في (ص ل و).

في الجمعة بمزيد القبول، وصلاة المؤمن على الرسول ﷺ تتضمن ذكر الله، وذكر رسوله ﷺ، والعرفان بفضل الله بالإنعام عليهم بالنبي ﷺ، وعرفان بفضل هذا الرسول ﷺ، وكثرة الصلاة عليه تعود على المؤمن مع أجر الآخرة العظيم بذكر الله للعبد، وصلاته عليه مع ذكره عند الرسول ﷺ بعرض صلاته عليه، ثم إنها للعبد معافاة في بدنه، وسمعه، وبصره، وبصيرته، وذهاب لهمه، وغمه، وحزنه، وسعة في رزقه فعلى كل مؤمن أن يحرص على أن يكون له ورد من الصلاة عليه كل يوم يكون وسيلة تعارف بينه، وبين الرسول ﷺ. وسؤالهم (وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟!) استفهام تعجب يبحث عن لون من المعرفة لا يفصح به إلا النبي ﷺ يُذهب سبب التعجب ببيان سره بقوله المشمول بكثرة المؤكدات (إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ) كناية عن بقاء أجسادهم كما هي دون أن تتحلل كغيرها - صلوات الله، وسلامه عليهم أجمعين - فهلا ترسل إليه الآن تحية بصلاتك عليها فيرد عليك ؟!.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تحريم أجساد الأنبياء على الأرض.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

يظهر ذلك في قول أوس بن أوس رضي الله عنه "قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت. هذا هو السؤال.

والجواب في قوله ﷺ: "إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء".

وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة المهمة وذلك لما له من قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذي يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين.

وذلك لأن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه، ويقدرونه، ويثقون بعلمه وأمانته العلمية، وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا؛ فإذا

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٦٠) بالإضافة إلى ما ذكر بعاليه.

أجاب عليهم حرصوا على تلقي الجواب منه وتلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه[١].

فأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في دعوته وفي إفادة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تحريم أجساد الأنبياء على الأرض:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء".

قال الطيبي: (ولا شك أن حفظ أجسادهم من أن ترم خرق العادة المستمرة، فكلما أن تعالى يحفظها منه، كذلك تمكن من العرض عليهم، ومن الاستماع منهم صلوات الأمة)[٢].

وقال ابن عثيمين: (فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مهما بقوا في الأرض فإن الأرض لا تأكلهم، أما غير الأنبياء فإنها تأكلهم ولكن قد يكرم الله تعالى بعض الموتى فلا تأكلهم الأرض وإن بقوا، لكننا لا نتيقن أن أحدًا لا تأكله الأرض إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[٣].

فإن من إكرام الله لأنبيائه ورسله أن الأرض لا تأكل أجسادهم، فهمها طال الزمان وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البلى، كما ورد في الحديث "إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

ويذكر أهل التاريخ قصة فيها عجب وغرابة، روى ابن كثير في البداية والنهاية[٤] عن يونس بن بكير قال: لما فتحنا تستر وجدنا في مال بيت الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملنا إلى عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أوّل رجل من العرب قرأه، قرأته مثل ما أقرأ القرآن هذا.

فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيركم وأموركم ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد.

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميدان، ص ٥٨.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٠٥/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٠١/٢.

(٤) البداية و النهاية، ابن كثير، ط٢، مكتبة دار المعارف، بيروت، ٤٠/٢.

قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرًا متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها، فنعميه على الناس فلا ينبشونه [1].

قلت: فما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون.

قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال.

قلت: مذكم وجدتموه؟ قال: قد مات منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما تغير منه شيء؟ قال: لا إلا شعرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا يبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية.

ويبدو أن هذا من أنبياء بني إسرائيل، وقد ظنَّ الصحابة أنّه دانيال، لأن دانيال أخذه ملك الفرس، فأقام عنده مسجونًا، ويبدو أنَّ تقدير الذين وجدوه لم يكن صوابًا، فإنَّ دانيال كان قبل الإسلام بثمانمائة سنة، فإن كان تقديرهم صوابًا فليس بنبيّ لأنه لا نبي بين عيسى ورسولنا محمد عليهما الصلاة والسلام، فيكون عبدًا صالحًا ليس بنبي، وكونه نبيًا أرجح، لأن الذين تحفظ أجسادهم هم الأنبياء دون غيرهم، ورجح هذا أيضًا ذلك الكتاب الذي وجد عند رأسه، لا شك أنه كتاب نبي، فالأمور الغيبية التي تضمنها لا تكون إلا وحيًا سماويًا، وترجيحنا لكونه من بني إسرائيل لأمرين:

الأول: ظن الصحابة أنه دانيال، ويكونون قد علموا ذلك من قرائن لم تذكر.

والثاني: الكتاب الذي وجد عند رأسه، ويبدو أنه كان مكتوبًا بالعبرانية، لأن الذي ترجمه هو أبي بن كعب، وقد كان قبل إسلامه يهوديًا[2].

---

(١) قال د. عمر الأشقر: وهذا يدل على فقه المسلمين في ذلك الوقت، فإن إكرام الميت دفنه سواء أكان نبي أم غير نبي، وحفرهم القبور الكثيرة لتعمية أمره على الناس حتى لا ينبشوا قبره وفي ذلك إيذاء لهذا النبي الكريم وقد يتخذون قبره عيدًا ويقيمون عليه مسجدًا ويقصدونه بالدعاء والتبرك كما يفعل كثير من الذين ضلوا عن سواء الصراط في كثير من ديار الإسلام. انظر: الرسل والرسالات، ص ٩٢ هامش ٣.

(٢) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر، ص ٩٢ - ٩٣.

الحديث رقم (١٤٠٢)

١٤٠٢ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((رَغِمَ أنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رغم: الأصل التصق بالرغام وهو التراب، واستعير هنا للذل والخضوع والانقياد[2].

الشرح الأدبي

يعمد البليغ لإبراز عاطفته نحو معانيه إلى التصرف في بناء الجملة فتراه يورد العبارة بأسلوب خبري يمتاز بالهدوء والتجدد والحركة والتصوير، وأحياناً أخرى يلقي إلى السامع بأساليب إنشائية تنقل ما في نفسه من خبر وشك وتعجب ورجاء وأمنيات، وفي الوقت نفسه يكون هذا التغيير ضرورة لدفع السامة وإثارة الانتباه ويعطى النص حيوية وحياة، وقصد المتكلم إلى هذه الأغراض هو الذي يحدد طبيعة الكلام فقد يكون اللفظ والقالب في صورة الخبر والمعنى إنشائي والعكس أيضاً ويكون هذا لغرض يرمي إليه المتكلم[3]، وقول الرسول ﷺ: (رغم أنف) أي أذله وأهانه، قال الزمخشري: (رغم) ألقاه في الرغام في التراب، ومن المجاز ألصقه بالرغام إذا أذله وأهانه، وهو دعاء في صورة إخبار، والدعاء بصيغة الماضي في قوله ﷺ (رغم) يشعر بتأكيد وقوع الطلب، وتحققه كما لو كان قد حصل المطلوب عند الدعاء وذلك أدعى لدقة التبليغ

---

(١) برقم (٣٥٤٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٠٠).

(٢) النهاية في (ر غ م).

(٣) ينظر من بلاغة النظم العربي د. عرفة عبد المعطي جـ ٢ صـ ٣٥ بتصرف بسيط

والحرص عليه والحكم هنا ممتد إلى ما يحدث مستقبلا ولو كان الفعل (رغم) هنا إخبار لما كان له من الأثر كما له في الإنشاء في مقام الترهيب من ترك الصلاة على النبي ﷺ عن طريق الدعاء، وصياغة الحديث تنبئ بعظم خسارة هذا الراغم وخيبته، والظرف عند المضاف للضمير العائد عليه يشير إلى مزيد توبيخ لكونه في حضرته ويشعر بخصوصيته به فالتقصير في حقه أقبح.

فقه الحديث

هذه الأحاديث مما يستدل بها على أن الصلاة على النبي ﷺ واجبة[1]، قال ابن القيم: (وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ فقال أبو جعفر الطحاوي وأبو عبدالله الحليمي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه، وقال غيرها: إن ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه. ثم اختلفوا: فقالت فرقة: يجب الصلاة عليه في العمر مرة واحدة لأن الأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا، والماهية تحصل بمرة، وهذا محكي عن أبي حنيفة ومالك والثوري والأوزاعي، قال عياض وابن عبدالبر: وهو قول جمهور الأمة.

وقالت فرقة: بل تجب في كل صلاة في تشهدها الأخير وهو قول الشافعي وأحمد في آخر الروايتين عنه وغيرها.

وقالت فرقة: الأمر بالصلاة عليه أمر استحباب لا أمر إيجاب، وهذا قول ابن جرير وطائفة: وادعى ابن جرير فيه الإجماع، وهذا على أصله. فإنه إذا رأى الأكثرين على قول جعله إجماعًا يجب اتباعه[2].

أما الصلاة على النبي في الصلاة في التشهد الأخير، فقال النووي مذاهب العلماء في ذلك: (مذهبنا أنها فرض فيه، ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي مسعود البدري رضي الله عنهما، ورواه البيهقي وغيره عن الشعبي وهو إحدى الروايتين عن أحمد. وقال مالك وأبو حنيفة وأكثر العلماء: هي مُستحبة لا واجبة وحكاه ابن المنذر عن مالكٍ وأهل المدينة وعن الثوري وأهل الكوفة

---

(١) انظر: جلاء الأفهام، ص ٥٤٢ الحديث ٤٠٧، ونيل الأوطار ٤٢٤ ط بيت الأفكار.

(٢) جلاء الأفهام ٥٤٠ - ٥٤١.

وأهل الرأي وجملة من أهل العلم. قال ابن المنذر: وبه أقول وقال إسحاق: إن تركها عمدًا لم تصحّ صلاته، وإن تركها سهوًا رجوت أن تجزئه)[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على رسول الله ﷺ.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترهيب:

إن الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية، وترك الطاعات، وفعل المنكرات وفي الحديث جاء الترهيب في قول النبي ﷺ "رغم أنف رجل" وهذا كناية عن الذل والحقارة لمن يترك الصلاة على رسول الله ﷺ. قال ابن الأثير: (يقال: رغم يرْغم، ورغَم يرغم رغْمًا ورُغْمًا ورِغْمًا، وأرغم الله أنفه؛ أي ألصقه بالرغام وهو التراب. هذا هو الأصل، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف، والانقياد على كره)[٢].

وقال ابن علان: (ورغِم بكسر الغين المعجمة أي: لصق بالرغام أي التراب، وهو كناية عن الذل والحقارة؛ أي ذل وقوله "أنف رجل" والمرأة كذلك)[٣].

ولاشك أن في هذا الدعاء بالذلة والحقارة ترهيب للمدعو أن يتكاسل عن الصلاة على رسول الله ﷺ، والترهيب له أثر فاعل في تخويف المدعو. قال د. توفيق الواعي: (والترهيب هو التخويف والتوعد، والمقصود بالترهيب في الشرع كل ما يخفف وكل ما يحذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه فمن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة، ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه. وبالجملة فالترغيب والترهيب في الشريعة يأتي

---

(١) المجموع ٣١٢/٣ ط دار عالم الكتب، وانظر: المغني ٢٢٨/٢-٢٣٠ ط دار هجر، وانظر كذلك: الموسوعة الفقهية ٢٣٥/٢٧ - ٢٣٧، ونيل الأوطار ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣٦٥.

(٣) دليل الفالحين ١٤٧٠.

حسب الأحوال والنفوس، والمواقف يأتي علاجًا وردعًا، يأتي بشيرًا ونذيرًا)[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٣].

ويجب على الدعاة الهداة الموازنة بين الترغيب والترهيب واستخدام كل في موضعه ومقامه اللائق به.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على رسول الله ﷺ:

إن مما يدل على أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ ما جاء في الحديث "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليَّ".

قال الطيبي: (وقوله: "رغم أنف رجل" كناية عن غاية الذل والهوان، وأن الصلاة على النبي ﷺ عبارة عن تعظيمه وتبجيله، فمن عظم رسول الله ﷺ وحبيبه عظمه الله، ورفع قدره في الدارين، ومن لم يعظمه ذله الله وأهانه. فالمعنى: بعيد من العاقل بل من المؤمن المعتقد أن يتمكن من إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بعشر صلوات من الله عز وجل، ويرفع عشر درجات له، ويحط عشر خطيئات عنه ثم لم يغتنمه حتى يفوت عنه، فحقيق بأن يحقره الله تعالى، ويضرب عليه الذلة والمسكنة، وباء بغضب من الله تعالى)[٤].

قال القاضي عياض: (أعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة غير محددٍ بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وقال القاضي أبوبكر بن بكير: افترض الله على خلقه أن يصلوا على

---

(١) الدعوة إلى الله: الرسالة والوسيلة والهدف، ص ٢٠٠.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٣٦٥.

نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها، ولا يغفل عنها)[١].

وفي أهمية الصلاة على رسول الله ﷺ (جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أرد أحدكم أن يسأل الله شيئًا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح. وقال ابن عطاء: للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن وافق أركان قوى وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار وأسباب الصلاة على محمد ﷺ)[٢].

هذا وقد عدَّ الإمام ابن القيم أكثر من ثلاثين فائدة وثمرة تحصل بالصلاة على النبي ﷺ وذكر منها: (امتثار أمر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وموافقة الملائكة فيها، وحصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة، وأن يرفع له عشر درجات، وأن يكتب له عشر حسنات، وأن يمحي عنه عشر سيئات، وأن يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، وأنها سبب لشفاعته ﷺ، وأنها سبب لغفران الذنوب، وأنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه وأنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة وأنها سبب لقضاء الحوائج، وأنها سبب لطيب المجلس، وأنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المسلم وأنها سبب لنفي الفقر...)[٣].

إن هذا الحديث يخبر فيه النبي ﷺ أن من يتكاسل عن الصلاة عليه يذله الله ويحقره، قال المباركفوري: (قوله "رغم أنف رجل" أي لصق أنفه بالتراب كناية عن حصول الذل والفاء في قوله "فلم يصل عليّ" قيل استبعادية أي يستبعد على العاقل أن يترك الصلاة عليه ﷺ وقيل إنها للتعقيب فتقيد به ذم التراخي عن الصلاة عليه عند

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/٤٢٢.

(٢) المرجع السابق نفسه ٢/٤٢٦.

(٣) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ص ٦١٠ - ٦١٤.

ذكره ﷺ)[1].

وقال د. الحسيني هاشم: (ومعنى الحديث أن الصلاة عليه ﷺ سبيل العزة والرفعة، وأن تركها مؤدٍ إلى الذلة والانحطاط)[2].

هذا والواجب على المسلم أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، وأن يحرص على ذلك في كل موطن يذكر فيه ﷺ حتى لا يناله الدعاء بالذلة والحقارة على من ترك ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٠١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٦٧١.

الحديث رقم (١٤٠٣)

١٤٠٣ - وعنه رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ)). رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عيدًا: فعيل بمعنى مفعول، أي: تعتادون زيارته[2].

تبلغني: تصلني[3].

الشرح الأدبي

الحديث يتصدره أسلوب نهي ينبيء بخطأ قد يقع مستقبلا يغلق الباب دونه، وهو أشبه بالمصل الواقي من الوقوع في الخطأ؛ لأنه يتحدث عن قبره، وهو حي لم ينتقل إليه بعد، لأنه اتخاذ قبور الأنبياء عيدا، ومساجد خطأ ضلت به الأمم السابقة فحذر الرسول ﷺ أمته من اتخاذ أمته قبره عيدا، والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا ما تعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك، وقال ابن القيم (الْعِيدُ مَا يُعْتَادُ مَجِيئُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ زَمَنٍ وَمَكَانٍ مَأْخُوذٍ مِنْ الْمُعَاوَدَةِ وَالاعْتِيَادِ، فَإِذَا كَانَ اسْمًا لِلْمَكَانِ فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُقْصَدُ فِيهِ الاجْتِمَاعُ وَالانْتِيَابُ بِالْعِبَادَةِ وَبِغَيْرِهَا كَمَا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَمِنًى وَمُزْدَلِفَةَ وَعَرَفَةَ وَالْمَشَاعِرَ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عِيدًا لِلْحُنَفَاءِ وَمَثَابَةً لِلنَّاسِ، كَمَا جَعَلَ أَيَّامَ الْعِيدِ مِنْهَا عِيدًا. وَكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَعْيَادٌ زَمَانِيَّةٌ وَمَكَانِيَّةٌ فَلَمَّا جَاءَ اللَّهُ بِالإِسْلامِ أَبْطَلَهَا وَعَوَّضَ الْحُنَفَاءَ مِنْهَا عِيدَ الْفِطْرِ وَعِيدَ النَّحْرِ، كَمَا عَوَّضَهُمْ عَنْ أَعْيَادِ الْمُشْرِكِينَ الْمَكَانِيَّةِ بِكَعْبَةٍ وَمِنًى وَمُزْدَلِفَةَ وَسَائِرِ الْمَشَاعِرِ،

---

(١) برقم (٢٠٤٢). وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (٣/٣١٣): حديثٌ حسنٌ.

(٢) الوسيط في (ع و د).

(٣) الوسيط في (ع و د).

قال المناوي في فتح القدير معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ويؤيده قوله (وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أي لا تتكلفوا المعاودة إلي فقد استغنيتم بالصلاة علي، والأمر بالصلاة للترغيب فيها، والظرف (حيث) يلغي الفارق المكاني، والزماني بينه، وبينهم مقررا ضمنا قربه منهم في كل مكان أو زمان صلوا عليه فيه.

فقه الحديث

السَّفر لزيارة قبر النبي ﷺ:

قال العظيم آبادي: (قال المناوي في فيض القدير: معناه النهي عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد، إما لدفع مشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم. وقيل العيد ما يعاد إليه، أي لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلُّوا عليّ. فظاهره منهي عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده قوله: "وصلُّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" أي لا تتكلفوا المعاودة إليّ فقد استغنيتم بالصلاة عليّ.

قال المناوي: ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون: هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعًا، وعلى وليّ الشرع ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله.

وقال ابن تيمية: الحديث يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا)[1].

والحديث دليل على منع السفر لزيارته ﷺ لأن المقصود منها هو الصلاة والسلام عليه والدعاء له ﷺ، وهذا يمكن استحصاله من بعد كما يمكن من قرب، وأن من سافر إليه وحضر مع ناس آخرين فقد اتخذه عيدًا، وهو منهي عنه بنصّ الحديث.

---

(١) عون المعبود ٩٠٦ ط بيت الأفكار، وانظر: الموسوعة الفقهية ٢٤/٨٥ - ٨٦.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بالآداب الشرعية عند زيارة النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها لأنه تبلغه ﷺ.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بالآداب الشرعية عند زيارة النبي ﷺ:

إن مما جاءت به شريعة الإسلام النهي عن التشبه بأهل الكتاب في اتخاذ قبور الأنبياء أعيادًا ومجال لهو واستمتاع والنهي عن الخروج في زيارة قبور الأنبياء عن الحدود التي حدها الشرع في زيارة المقابر من التذكر والاتعاظ، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهيه ﷺ عن اتخاذ قبره عيدًا فقال ﷺ: "لا تجعلوا قبري عيدًا"، قال العظيم آبادي في عون المعبود، قال المناوي في فتح القدير: معناه النهى عن الاجتماع لزيارته اجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم، وقيل العيد ما يعاد إليه أى لا تجعلوا قبري عيدًا تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا عليّ، فظاهره منهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه، ويؤيده قوله" وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم، وقال ابن تيمية: الحديث يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم عنه فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيدًا[2]، قال ابن علان بعدما ساق أقوال العلماء: وحاصله أن المنهي عنه الاجتماع عند قبره للزينة واللهو وغير ذلك من المحرمات التي تعمل في الأعياد، والنهى عن معاودة تؤدي إلى الإخلال لعظيم الحرمة، أو الملل أو سوء الأدب أو نحو ذلك[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٠٤).

(٢) عون المعبود ٩٠٦.

(٣) دليل الفالحين، ص ١٤٧٠.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الصلاة على النبي ﷺ والإكثار منها لأنه تبلغه ﷺ:

ورد ذلك في الحديث، في قوله ﷺ: وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، قال ابن عثيمين: إذا صليت على الرسول ﷺ فإن صلاتك تبلغه حيثما كنت في بر أو بحر أو جو، قريبًا كنت أو بعيدًا[1]، وذلك من خصائصه ﷺ قبول الصلاة عليه في أي مكان ووصولها إليه[2]، لذا كان الحث واغتنام الحياة في كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، فهي سبب لرفع الدرجات وحط السيئات، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات"[3]. والحديث بين بلاغ الصلاة إلى رسول الله ﷺ، "فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، وما أجمل أن تَصِلَ صلاة وسلام المسلم إلى رسول الله ﷺ ويعلم بها النبي ﷺ وبصاحبها، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "أكثروا الصلاة عليّ، فإن الله وكل بي ملكًا عند قبري، فإذا صلى عليّ رجل من أمتي، قال لي ذلك الملك، يامحمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة"[4].

فدل هذا الحديث أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ[5]، وياله من عظيم الأجر والجزاء وتحصيل السؤدد والشرف أن يرد الرسول ﷺ على من يسلم عليه، كما جاء في الحديث ما من مسلم يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام".

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٠٢/٢.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٦/١.

(٣) أخرجه النسائي ١٢٩٧، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٦٢٣٥).

(٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس في مسند الفردوس ٩٣/١، وحسنه الألباني (سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥٣٠، وصحيح الجامع الصغير ١٢١٨).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٨/١.

وهذه فائدة من فوائد وفضائل الصلاة على رسول الله ﷺ، وقد عدد الإمام ابن القيم ثلاثًا وثلاثين فائدة للصلاة على رسول الله ﷺ ننقلها إتمامًا للفائدة:

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنه يرفع له عشر درجات.

السادسة: أنه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنه يمحى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصعَّد الدعاء إلى رب العالمين عز وجل.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها (بسؤال) الوسيلة له أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشر: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشر: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشر: أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

الرابعة عشر: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشر: أنها سبب لصلاة الله على المصلي، وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشر: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشر: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشر: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشر: أنها سبب لرد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر.

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه الله تعالى ورسوله ﷺ، ويحمد الله ويثنى عليه فيه، ويصلي على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

التاسعة والعشرون: أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثنى على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلابد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه؛ لأن المصلي داع ربه أن يبارك عليه، وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له؛ لأن الرحمة إما معنى الصلاة - كما قاله طائفة-، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها. وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به؛ لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه، تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه؛ نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين العبد من رؤية محبوبه، ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه؛ جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك، حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

عجبت لمن يقول ذكرت حبي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت

فتعجب هذا المحب ممن يقول: ذكرت محبوبي؛ لأن الذكر يكون بعد النسيان، ولو كمل حب هذا؛ لما نسي محبوبه[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: "وصلوا عليّ" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية النافعة لحمله المدعو على الالتزام بما جاء في مضمون الأمر خاصة إذا ما قرن هذا الأمر وشفع بالترغيب، كما جاء في الحديث الترغيب في الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ ببيان جوازها في أى مكان وبلوغها رسول الله ﷺ "وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم" وأسلوب الترغيب يوافق طبيعة النفس البشرية وما جبلت عليه من حبها وإقبالها على ما فيه سعادتها وصلاح أمرها[2].

إن الترغيب أحد العوامل الرئيسة التي تدفع الإنسان إلى فعل الطاعات، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[3]، وذكر الله أن حال المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء

---

(١) انظر: جلاء الأفهام عن فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ٦١٢ - ٦١٦.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

الرغبة والرهبة، الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[1]. وقد لخص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند موته حياة المؤمن الحق، فقال: راغب راهب، أي راغب فيما عند الله وراهب من عذابه[2].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٢) النهاية ٣٣٧.

الحديث رقم (١٤٠٤)

١٤٠٤ - وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ)). رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر معنى التواصل بين النبي ﷺ، وأمته بعد موته عن طريق السلام عليه، وتمكين الله تعالى له من الرد عن طريق رد روحه عليه، ومعنى هذا أن سلامنا على النبي ﷺ حياة للنبي ﷺ وتواصل معه، وما أجمل أن تستشعر معية الحبيب كلما سلمت عليه، وقد قرر هذا المعنى عن طريق أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء، وهذا الطريق يستخدم في إبراز المعاني التي يجهلها المخاطب أو ينكرها؛ لأن فيها فضل توكيد بالإثبات بعد النفي، ولغرابة المعنى مع عظمته أكد بهذا الأسلوب، حيث قصر سلام المسلم على الرسول ﷺ على رد روحه إليه ورده عليه، والحديث يبدأ بالتعميم، والاستغراق المسبوق بالنفي في قوله: (مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ) يليه الاستثناء المقرر للمعنى المراد في قوله (إِلاَّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي) ثم بيَّن الغرض من هذا الحدث العظيم، وهو رد الروح، وهو قوله: (حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ) فالغاية من هذا الرد للروح الطاهرة هو رد السلام على رسول ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٠٤١). وقال الحافظ في الفتح (٦/٤٨٨): رواته ثقات.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٠٥)

١٤٠٥ - وعن عليّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يضع مفهوما جديدا للبخيل يخالف المفهوم المعروف عند الناس بصفات الشح، ولذلك عرَّفه باللام (البخيل) وهي للذم أي الكامل في صفة البخل، أو البخيل الحقيقي، والتعريف بالموصول بعده للذم أي حقيق بالصفات المذكورة وقوله: (ذكرت) بالبناء للمفعول لعدم تعلق غرض بذكره لأن العبرة بالمذكور، وليس بالذاكر، والظرف عند، وإضافته إلى ضميره يصعِّد الذم، والتوبيخ لأنه بخل على ضيفه، وهو أكرم ضيف بأيسر شيء وهو الصلاة عليه باللسان، وأشد الناس بخلا من يبخل بالكلمة الطيبة لاسيما كلمة فيها ذكر لله، وصلاة على رسوله ﷺ مع أن مردودها عليه لأن الله يصلي عليه بها عشرا، ويرفعه بها درجات، ويغفر له بها من خطاياه والفعل المضارع المنفي (ولم يصل علي) يصور استمرار صمته حال ذكر الاسم الطاهر بين مسامعه، وهو غافل عنه، والحديث يشير إلى أن اسم الرسول ﷺ له خصيصة عن جميع أسماء البشر تستلزم التوقف قليلا لأداء التحية، وتستحق التوقف كثيرا لتأمل السيرة العطرة، والأسوة الحسنة في كل عمل، والتي تشير إلى أن المذكور ليس بشرا عاديا، ولكنه رسول الله ﷺ، وهو صاحب الفضل عليك في أعظم نعمة أنت فيها، وهي نعمة الإسلام عرفك الطريق إلى السعادة الأبدية بلزومك عتبة العبودية تليها دار نعيم أبدية.

---

(١) برقم (٣٥٤٦). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٠٩)، وقال الحاكم (١/٥٤٩): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٥٠٤).

فقه الحديث

هذا الحديث مما استدلّ به على وجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة وقد تقدمت المسألة في الحديث رقم (١٤٠٢).

قال الشوكاني: (ومن جملة ما استدلّ به القائلون بوجوب الصلاة بعد التشهد الأخير هذا الحديث. قالوا: وقد ذكر النبي ﷺ في التشهد وهذا أحسن ما استدل به على المطلوب، وتعقبهم الشوكاني فقال: لكن بعد تسليم تخصيص البخل بترك الواجبات، وهو ممنوع، فإن أهل اللغة والشرع والعرف يطلقون اسم البخيل على من شح بما ليس بواجب فلا يستفاد من الحديث الوجوب)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من ترك الصلاة على النبي ﷺ

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ:

إن البخل من الأخلاق المذمومة وهو ذريعة إلى كل مذمة، والبخل إذا تمكن من صاحبه لم يبق معه خير موجود ولا صلاح مأمول[2].

وقد اجتمع الناس على ذم البخل ومدح الكرم والجود، قال ابن تيمية: إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبخل والجبن. ثم قال: ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم، بين الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله من يقوم بذلك ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك.

---

(١) نيل الأوطار ٤٢٣ - ٤٢٤ ط بيت الأفكار.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ص ٢٢٨.

فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[1][2].

ومن أشد أنواع البخل الامتناع عن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وقد جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ أى الكامل البخل الذي ذكر اسمي بمسمع منه "فلم يصل علي" لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشرًا إذا هو صلى واحدة"[3]. إضافة إلى ما في ترك الصلاة على رسول الله ﷺ عند ذكر وسماع اسمه من الجفاء وإذهاب هيبته ﷺ في النفوس، فإن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والثناء عليه بما هو أهله من غير غلو ولا تقصير خاصة عند ورود ذكره الشريف على المسامع واللسان وعند الخط بالبنان[4]، من ألوان توقيره وتعزيزه، وقد أمرنا الله بذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[5].

قال السعدي: في قوله: "وتعزروه وتوقروه" أى تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أى تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم[6].

فالصلاة على رسول الله ﷺ سبب لدوام محبة المسلم للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من

---

(١) سورة محمد، آية: ٣٨.

(٢) الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ج٢/٢٦٣.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٢/٢٥٠١.

(٤) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرءوف محمد عثمان، ٧٧.

(٥) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص٧٣٦.

ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، كما أن الصلاة على رسول الله ﷺ سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره استولت محبته على قلبه، حتى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولاشك في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه، لازال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلما ازداد في ذلك بصيرة وقوة معرفة ازدادت صلاته عليه ﷺ[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحذر من ترك الصلاة على النبي ﷺ:

إن الرسول ﷺ منبع الهداية وطريق النجاة، وعلى كل إنسان أن يدرك ذلك وأن يمتلئ قلبه حبًا له فلا يهمل الصلاة عليه، لأنها من دلائل ذلك الحب المعبرة عن تعلق القلب به ﷺ ومتابعته له، إلا من شح طبعه وغلظت نفسه وضاع منه الفضل والإحسان أو الشعور بالواجب والمسئولية والقيام برد الجميل[2].

من أجل ذلك تضافرت النصوص على التحذير والتنفير من ترك الصلاة على النبي ﷺ، ومنها ما جاء في الحديث "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ"، وذلك لأنه بامتناعه من الصلاة عليه قد شح وامتنع من أداء حق يتعين عليه أداؤه امتثالاً للأمر، ولما فيه من مكافئة جزئية لمن كان سببًا في سعادته الأبدية، بل في الحقيقة إنما شح وبخل عن نفسه، ومنعها أن يصل إليها عطاء عظيم ممن يعطي بلا حساب ولا تنقص خزائنه بالعطاء، فبهذا الشح تفوته تلك الكنوز التي لولاه لكان يكتالها بالمكيال الأوفى من غير أدنى مشقة[3]، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تنفر من ترك الصلاة على رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا

---

(١) جلاء الأفهام عن فضل الصلاة على محمد خير الأنام، الإمام ابن القيم، ص ٣٦٥.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص٦٧٢.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٤٧١.

لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ))[١]، أى إلا كان عليهم هذا المجلس تبعة ومعاتبة ونقصانًا وحسرة[٢].

إن من الجفاء في حق نبينا ﷺ ترك الصلاة والسلام عليه.

إن هذا والله من الغبن والحرمان، إن كان ربنا تبارك وتعالى يصلي عليه هو وملائكته أفلا نصلي عليه؟!.

بلى والله!! فهذا حقه علينا، بأبي هو وأمي. ولقد رغّبنا ﷺ في الصلاة عليه، وأخبر أن من فعل ذلك صلت عليه الملائكة.

وهذا الحديث أيضًا، قاعدة نورانية جامعة، يرغب المسلم أن يعمل الطاعات التي بموجبها تصلي الملائكة على صاحبها، فهل بعد هذا البيان بيان.

عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ((مَا مِنْ مسلم يُصَلي عَلَيَّ إِلاَّ صلَّتْ عَلَيهِ الْمَلاَئِكة مَا دَامَ يُصَلي عليَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ))[٣].

فمهما صليت على النبي ﷺ، صلت عليك الملائكة، فاختر لنفسك، إما تُقِلّ أو تستكثر. ولقد أمرنا الله عز وجل بالصلاة على رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٤][٥].

قال السعدي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة المقربون، ويدعون له ويتضرعون، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ اقتداء بالله وملائكته، وجزاء له على بعض حقوقه عليكم ... وهذا الأمر بالصلاة والسلام عليه مشروع في جميع الأوقات، وأوجبه كثير من العلماء في الصلاة[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٣٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٩١).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٩٠٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٣٩).

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٣٣٥.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن ٦٠٢.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث، في ترهيب النبي ﷺ من عدم الصلاة عليه عند ذكره ﷺ ووصم مَنْ هذه صفته بأبغض الصفات، فقال ﷺ: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ"، والترهيب من الأساليب الدعوية النافعة المفيدة، لما يتحقق به عند المدعو من رهبة تخالج شعوره وتدفعه إلى البعد المرغوب عنه وعما يؤدى إليه من أعمال[1].

وقد استخدم القرآن أسلوب الترهيب في عرض الدعوة في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[3]، والرهبة من دلائل يقين المؤمن وعلمه، فعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[4]، قال كان يقال كفى بالرهبة علمًا[5]، وقال النيسابوري: (الرهبة هي الخوف، والخوف إما من العقاب وهو نصيب أهل الظاهر وإما من الجلال وهو وظيفة أرباب القلوب، والأول يزول والثاني لا يزول، ومن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس)[6].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٧٠.

(٢) سورة النحل، آية: ٥١.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) جامع البيان، الطبري، ط١، ١٩٩.

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢٧٠.

الحديث رقم (١٤٠٦)

١٤٠٦- وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ، رَجُلاً يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ ﷺ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((عَجِلَ هَذَا)) ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ - أَوْ لِغَيْرِهِ -: ((إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

فَضَالة بن عُبيد الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥١٤).

غريب الألفاظ:

لم يمجد الله تعالى: أي لم يعظّم الله ولم يثنِ عليه[2].

الشرح الأدبي

لا يترك الرسول ﷺ خطأ يراه إلا قوّمه وبيَّن وجه الصواب، ونصح، وأرشد وهو ما انتدب إليه جميع المسلمين ألا يتركوا مخطئا مقيما على خطئه دون أن يبينوا له الصواب إن كان جاهلا، وينهوه عن المنكر إن كان عاصيا، وبذلك يظل المجتمع المسلم مجتمع الأخيار تتوفر فيه شروط الخيرية على جميع الأمم، وقول الراوي: (سمع رسول ﷺ) يفيد إدراكه للمخطيء حال تلبسه بالخطأ، وتنكير كلمة رجل لعدم تعلق فائدة بذكره، ولأن الستر على المخطيء خير من ذكره ما لم يتعلق غرض شرعي بذكره، وقوله (يَدْعُو في صَلاَتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبيِّ - ﷺ) يبين موضع الخطأ وطبيعته، وقوله (عجل هذا) يوحي بسبب الخطأ وهو العجلة، والإشارة لتمييز المخطيء أكمل تمييز لأنه يريد أن يعلم من حوله حتى لا يقعوا فيما وقع

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٧) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن حبان (١٩٦٠)، وقال الحاكم (١/ ٢٣٠): هذا حديث صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) المعجم الوسيط في (م ج د).

فيه، وقوله (إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ) يمثل التوجيه إلى الصواب الذي يجب أن يلتزمه في الصلاة، وصياغته في ثوب الشرط تجعله عادة مرتبطة بالصلاة كلما صلى فعل ذلك حتى تصعد صلاته إلى ربه في أتم صورة تحقق الغاية منها دون إفراط، ولا تفريط

فقه الحديث

قال النووي: (أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك يختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب معروفة)[1].

وقد احتجّ بهذا الحديث على وجوب الصلاة على النبي في التشهد الأخير[2]، وقد مضى الخلاف في هذا الحديث (١٤٠٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى الكيفية الصحيحة للدعاء.

ثانيًا: من آداب المدعو: البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم الدعاء بما شاء.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

رابعًا: من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين.

أولاً- من مهام الداعية: توجيه المدعو إلى الكيفية الصحيحة للدعاء:

إن من المهام التي ينبغي للداعية أن يقوم بها توجيه المدعوين إلى الكيفية الصحيحة للدعاء، لأن ذلك من جملة المهام المناطة بالداعية مما يتعلق بالبيان والإيضاح والتوجيه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]،

---

(١) الأذكار ٤٣ ط مكتبة الصفا.

(٢) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٤/١٠٦ ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

وذلك يتناول تعليم الناس وتفقيههم لأمور دينهم ودنياهم، وذلك يتناول تعليم العقيدة، وتوضيح ما أحل الله لهم، وما حرم عليهم وغرس الالتزام بالإسلام في سلوك الناس، وفي الحديث أنموذج تطبيقي لذلك، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: سمع رسول الله ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ، عجل هذا، ثم دعاه، فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد ما شاء"[1].

ثانيًا - من آداب المدعو: البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ﷺ ثم الدعاء بما شاء:

جاء التصريح بذلك في الحديث، في قوله ﷺ، "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد ما شاء" قال العلامة شرف الحق العظيم آبادي: وفيه دلالة على أن من حق السائل أن يتقرب إلى المسئول منه بالوسائل قبل طلب الحاجة بما يوجب الزلفى عنده، ويتوسل بشفيع له بين يديه ليكون أطمع في الإسعاف وأرجى بالإجابة، فمن عرض السؤال قبل الوسيلة فقد استعجل[2]، لذا ذكر أن النبي ﷺ، في الحديث أن من آداب الدعاء أن يفتتح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ[3]. فإن افتتاح الدعاء بالثناء على الله وحمده وتمجيده، ثم الصلاة على رسوله ﷺ. من الأسباب العظيمة التي تستوجب قبول دعاء الداعي[4]، قال الإمام النووي أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ. وكذلك تختم الدعاء بهما[5].

قال ابن القيم عن افتتاح الدعاء بالصلاة على رسول الله ﷺ: فمفتاح الدعاء:

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨، ٢٦.

(٢) عون المعبود ٦٧٩.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ١٩٠٤/٥.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص٣٦٦.

(٥) كتاب الأذكار ١٧٦.

الصلاة على النبي ﷺ كما أن مفتاح الصلاة الطهور، والصلاة على النبي ﷺ بمنزلة الفاتحة من الصلاة، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، قال أحمد بن الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: "من أراد أن يسأل الله حاجته، فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ وليسأل حاجته، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة، والله أكرم أن يرد ما بينهما"[1].

وقد درج العلماء في كتبهم وكلامهم أن يبدأوا بعد حمد الله والثناء عليه بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ لكونه ﷺ الواسطة في الكمالات العلمية والعملية إلينا من الله سبحانه وتعالى.

وههنا أمر يشكل في الظاهر: هو أن الله أمرنا بأن نصلي على نبيه ﷺ ونحن أَحَلْنا الصلاة عليه في قولنا: اللهم صل على محمد وكان حق الامتثال أن نقول صلينا على النبي وسلمنا فما النكتة في ذلك؟

قال في شرح المنهاج: فيه نكتة شريفة كأننا نقول يا ربنا أمرتنا بالصلاة عليه وليس في وسعنا أن نصلي صلاة تليق بجنابه لأنا لا نقدر قدر ما أنت عالم بقدره ﷺ فأنت تقدر أن تصلي عليه صلاة تليق بجنابه"[2].

ثالثًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ. لذلك الرجل الذي عجل في دعائه كيفية الدعاء وآدابه، سمع رسول الله ﷺ. رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ. عجل هذا، ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ. ثم يدعو بعد بما شاء" والتعليم أهم وسائل الدعوة ضرورة ونفعًا، فأول ما يجب على أصحاب الحق أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعرفوا الجاهلين به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس، شائعًا كأمواج الهواء، وإن حاجة البشر

---

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ٢٠٣.

(٢) انظر: نيل الأوطار، الشوكاني ٨/١.

إلى العلم الكثير، خاصة العلم الشرعي، كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق، ويوصلوه إلى الخلق[١].

رابعًا - من صفات الداعية: الرفق بالمدعوين:

وهذا مما يلاحظ في الحديث، فالرسول ﷺ. لم يعنف الرجل على دعائه بدون افتتاح بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ. وإنما دعاه وعلمه آداب الدعاء، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ. ثم يدعو بعد بما شاء" فإن الداعية لكي ينجح في التعامل مع شتى الطبقات وتحت كافة الظروف فلابد من التحلي بالرفق في الدعوة إلى الله، وأن يتصف في تعامله بلين الجانب، وسهولة المعاشرة حتى يفتح لدعوته مغاليق القلوب وينفذ بنصيحة إلى أعماق النفوس[٢]، وقد وصف الله نبيه بالرفق ولين الجانب مبينًا أن ذلك سر اجتماع المسلمين حوله، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٣]، وقال ﷺ: "إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"[٤]، فبالرفق تساس الطباع، ويعرف مكمن الداء، ويعطي الدواء، لتستقيم الأنفس على الخير، وتقبل دعوة الله عز وجل، ويزول ما في الصدور ما حل فيها من عوارض البغض، وأسباب الشحناء، ولا شك أن الدواء لهذا كله بلسم الرفق"[٥].

لقد حث النبي ﷺ المسلمين عامة ويدخل في ذلك الدعاة من باب أولى إلى التحلي بالرفق، ومن ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ

---

(١) انظر: مع الله، محمد الغزالي، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ص ١٨٥.

(٣) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٥) كيف يدعو الداعية، عبدالله ناصح علوان، ص ٤٧.

يُحِبُّ الرِّفْقَ. وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ. وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ))[١].

ولقد تحلى قدوة الدعاة النبي الخاتم محمد ﷺ بالرفق في أقواله وأفعاله مع من دعاهم إلى الله تعالى، وكان ذلك سببًا رئيسًا من أسباب نجاحه في دعوته إلى الله تعالى[٢].

ومن دلائل ذلك ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))[٣].

وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ))[٤].

وعن أبي أمامة، قال: ((إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: ولا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))[٥].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٩٣.

(٢) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٢٠.

(٤) أخرجه مسلم، ٥٣٧.

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٤٥/٣٦.

الحديث رقم (١٤٠٧)

١٤٠٧ - وعن أبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

كعب بن عجرة: هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي البلوي حليف الأنصار كنيته أبو محمد. وقيل غير ذلك في كنيته ونسبه.

تأخر إسلامه وكان له صنم يعبده فكسّره عبادة بن الصامت - وكان صاحبه وخليله - فهداه تفكيره إلى أن إلهه باطل، إذ لو كان حقًا لدافع عن نفسه ولم يقدر عليه عبادة. فأسلم وشهد المشاهد والمغازي كلها وأبلى بلاءً حسنًا فيها، فقد قطعت يده في إحداها، وقد شهد عمرة الحديبية وبيعة الرضوان، والمسلمون محرمون، وكان القمل يتناثر على وجهه فأمره النبي ﷺ بحلق شعر رأسه وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[2] فكان يفاخر بهذا فيقول: نزلت هذه الآية فيّ خاصةً وهي لكم عامة[3].

وكان يحب النبي ﷺ حبًا جمًّا لا يقر له حال ولا يرتاح له خاطر إذا رأى النبي ﷺ وقد تغيّر أو أصابه شيء أو ألّم به أذى.

قال: أتيت النبي ﷺ فرأيته متغيرًا فقلت: بأبي أنت. مالي أراك متغيرًا؟ قال: ((ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذات كبدٍ منذ ثلاث)).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧) واللفظ له، ومسلم (٤٠٦/٦٦).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٦.

(٣) أخرجه البخاري (٤٥١٧) ومسلم (٨٥ - ١٢٠١).

قال: فذهبت فإذا يهودي يسقي إبلاً له فسقيت له على كل دلو بتمرة. فجمعت تمرًا فأتيت به النبي ﷺ فقال: ((من أين لك يا كعب؟)) فأخبرته. فقال النبي ﷺ: ((أتحبني يا كعب قلت: بأبي أنت نعم))... الحديث[1].

ومسنده يبلغ ٤٧ حديثًا. ونزل الكوفة وتوفي بالمدينة ٥١هـ وقيل ٥٢. وعمره ٧٧ وقيل: ٧٥[2].

الشرح الأدبي

قول أبي محمد كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه، (خَرَجَ عَلَيْنَا النبيّ ﷺ، فَقُلْنَا) يشير إلى سرعتهم في مبادرته بالسؤال الأمر الذي يشير إلى حرصهم على العلم يؤكد على ذلك ربط الراوي جملة القول بما قبلها بالفاء الدالة على السرعة كما يدل عليه نداؤهم للرسول ﷺ لينصرف إليهم قبل غيرهم وتقديمهم بين يدي سؤالهم ما يقرر تحصيلهم، وعنايتهم بما سبق وتعلموه، ترغيبا له في تعليمهم ما ينقصهم، وهو قولهم (قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ) ثم سألوه عن الذي يريدونه (فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟) وهو استفهام حقيقي لطلب العلم، فجاء قوله (قولوا) إرشادا، وتوجيها لصيغة الصلاة على النبي ﷺ، ومن الملاحظ في الصيغة المذكورة كثرة ترديد الاسم الظاهر (محمد) لأن مدار الصلاة عليه هو، ثم إن في ذكره لذة في أسماع، وعلى ألسنة المصلين، وتقرير لموجبات هذا الاسم من التقدير، والإجلال، وما يستلزمه من المتابعة في القليل، والكثير كما تكرر ذكر الآل لأن حبهم واجب على الأمة لازم لاستكمال الإيمان، كما كثر في هذه الصيغة تكرار النداء بقوله (اللهم) وهي صيغة لها خصوصية لأنها مجمع الدعاء وهي إيذان بالتوجه لله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى بالإضافة إلى طبيعة تكوين اللفظ التي تساعد على مد الصوت وتحقيق الخشوع، كما تضمن الصلاة على

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٣١٣/١٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣١٠٣) وصحيح الترغيب ٣٢٧١.

(٢) الاستيعاب ٦٢٦، وأسد الغابة (٤٥٤/٤) والإصابة ١١٢٤، والسير (٥٢/٣) وتهذيب الكمال (١٦٧/٦) والتهذيب (٤٦٩/٣) والأعلام (٢٢٧١/٥) وموسوعة عظماء حول الرسول (١٦٥٤/٣).

إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وأحد أولي العزم من الرسل - عليهم السلام - ثم ختمه بتقرير حمد الله، وتمجيده تدعيما بما يحقق القبول.

فقه الحديث

١ - قال النووي: (الواجب عند أصحابنا في الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صلّ على محمد، وما زاد عليه سنة)[١].

٢ - قال النووي: (قوله: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" احتج به من أجاز الصلاة على غير الأنبياء، وهذا مما اختلف العلماء فيه، فقال مالك والشافعي والأكثرون: لا يصلّى على غير الأنبياء استقلالاً فلا يقال: اللهم صل على أبي بكر أو عمر أو علي أو غيرهم. ولكن يصلي عليهم تبعًا، فيقال: اللهم صل على محمد وآل محمد وأصحابه وأزواجه وذريته، كما جاء به الأحاديث.

وقال أحمد وجماعة: يصلّي على كل واحد من المؤمنين مستقلاً، واحتجوا بأحاديث الباب وبقوله ﷺ: "اللهم صلّ على آل أبي أوفى" وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم صلى عليهم[٢].

قالوا وهو موافق لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[٣] واحتجّ الأكثرون بأن هذا النوع مأخوذ من التوقيف واستعمال السلف. ولم ينقل استعمالهم ذلك، بل خصُّوا به الأنبياء كما خصُّوا الله تعالى بالتقديس والتسبيح فيقال: قال الله سبحانه وتعالى، وقال الله تعالى وقال عزّ وجل. وقال جلت عظمته وتقدست أسماؤه وتبارك وتعالى، ونحو ذلك. ولا يقال: قال النبي عز وجل وإن عزيزًا جليلاً ولا نحو ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/١٠٦ ط دار الكتب العلمية، وانظر: المهذب وشرحه المجموع ٣/٣٠٩ - ٣١٢ ط دار عالم الكتب، والأذكار ٨٨ ط مكتبة الصفا.

(٢) أخرجه البخاري ١٤٩٧، ومسلم ١٠٧٨، من حديث عبدالله بن أبي أوفى قال: كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: "اللهم صلِّ على فلان" فأتاه أبي بصدقته فقال: "اللهم صلِّ على آل أبي أوفى".

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

وأجابوا عن قول الله عز وجل ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ وعن الأحاديث بأن ذلك ما كان من الله عز وجل ورسوله فهو دعاء وترحم وليس فيه معنى التعظيم والتوقير الذي يكون من غيرهما.

وأما الصلاة على الآل والأزواج والذري، فإنما جاء على النبع الأعلى الاستقلال، وقد بينا أنه يقال تبعًا، لأن التابع يحتمل منه ما لا يحتمل استقلالاً).

٣ - واختلف أصحابنا في الصلاة على غير الأنبياء هل يقال هو مكروه أو هو مجرد ترك أدب، والصحيح المشهور أنه مكروه كراهة تنزيه.

قال الشيخ أبو محمد الجويني: والسلام في معنى الصلاة، فإن الله تعالى قرن بينهما فلا يفرد به غائب غير الأنبياء، فلا يقال أبو بكر وعمر وعليٌ عليهم السلام، وإنما يقال ذلك خطابًا للأحياء والأموات، فيقال السلام عليكم ورحمة الله، والله أعلم)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم كيفية الصلاة على النبي ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من وسائل الدعوة: الدعاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على تعلم كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

يتضح ذلك مما ورد في الحديث من طلب الصحابة رضي الله عنهم ذلك من رسول الله ﷺ. فعن أبي محمد كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: "خرج علينا النبي ﷺ. فقلنا يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا: "اللهم صل على محمد..."، وذلك يعكس لنا ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من حب للتعلم من رسول

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٢/ج٤/١٠٨ - ١٠٩ ط دار الكتب العلمية، وانظر: الأذار ١٤٤ ط مكتبة الصفا.

الله ﷺ. فكانوا يسألونه عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين بل في الكثير من شئون الدنيا[١]، فبالعلم "يبصر الإنسان منازل الطريق ومواضع السلوك، فيقصدها سائرًا فيها، ويجتنب أسباب الهلاك ومواطن العطب وطرق المهالك المنحرفة عن الطريق الموصلة، فقوة الإنسان العلمية كنور عظيم بيده يمشى به في ليلة عظيمة مظلمة شديدة الظلمة"[٢].

لقد كان سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة عليه حبًا له وتحصيلاً للمثوبة وحرصًا على تعلم الخير بغية العمل به، فقالوا: (فكيف نصلي عليك...) والسؤال هنا إنما وقع عن الصفة لا عن جنسها، لأن لفظ "كيف" ظاهرة في الصفة وذلك أنهم عرفوا المراد بالصلاة فسألوا عن الصفة التي تليق بها ليستعملوها.

قال الحافظ: (والحامل لهم على ذلك أن السلام لما تقدم بلفظ مخصوص"السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" فهموا منه أن الصلاة أيضًا تقع بلفظ مخصوص وعدلوا عن القياس لإمكان الوقوف على النص ولاسيما في ألفاظ الأذكار فإنها تجيء خارجة عن القياس غالبًا فوقع الأمر كما فهموا فإنه لم يقل لهم قولوا الصلاة عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولا قولوا الصلاة والسلام عليك إلخ، بل علمهم صيغة أخرى، فقال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وفي رواية قال: ﷺ "والسلام كما قد علمتم" أي في التشهد وهو قولهم "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته")[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ. "قولوا" وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من حمل المدعو على نهج الجادة والابتعاد عن موارد الهلكة

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

(٢) مفتاح دار السعادة، الإمام ابن القيم، ج٢/١٢.

(٣) انظر: فتح الملهم، شبير العثماني، ج٣/٣٢١.

ومواطن الردي، وقد حفلت آيات القرآن والسنة النبوية بهذا الأسلوب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[2].

وقد وصف الله المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3]، والأمر في اللغة: كلام دال على طلب الفعل، أو قول القائل لمن دونه: افعل، وأمرت بالمعروف أي بالخير والإحسان[4].

ثالثًا- من وسائل الدعوة: الدعاء:

ورد أسلوب الدعوة في الحديث في قوله:"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..."، وما من شك أن الدعاء من الأساليب الدعوية المهمة، لما له من أثر عظيم في حصول المطلوب من نجاح للدعوة وانتصارها وظهورها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾[5]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6]، لذا ينبغي على الدعاة الإكثار من الدعاء والإلحاح فيه، وتحري الأوقات المناسبة التي يستجاب فيها الدعاء، فإن ذلك من أهم أسباب نجاح الدعوة وانتشارها ودعاء الداعية دليل على مدى توثيق صلته بالله تعالى، وذلك من أسباب

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٢) سورة طه، آية: ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٤٧/٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

النصر، فلا يتأتى للمرء أن يصحبه توفيق الله ونصرته وبالتالي نجاحه ما لم يكن على صلة وثيقة بربه، وعلاقة وطيدة بمولاه ولله در القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده[1]

والدعاء أكرم شيء على الله سبحانه وهو طريق إلى الصبر في سبيل الله وصدق في اللجوء وتفويض الأمور إليه والتوكل عليه، والدعاء عبادة سهلة ميسورة مطلقة غير مقيدة أصلاً بمكان ولا زمان ولا حال، فهي في الليل والنهار، وفي البر والبحر والجو والسفر والحضر وحال الغني والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية، فالدعاء - وأيم الله - وظيفة العمر، وهي مع المسلم في أول منازل العبودية وأوسطها وآخرها، ليعيش العبد دائمًا في حال الالتجاء والافتقار إلى خالقه ومولاه، وملازمة الدعاء، أخذ بأسباب رفع البلاء ودفع الشقاء، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[2]، وقال عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[3]،[4].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ:

تضافرت النصوص في كتاب الله وسنته رسول الله ﷺ. على بيان فضل الصلاة على رسول الله ﷺ. والأمر بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[5]، وكما جاء في الحديث: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد..." والصلاة على النبي ﷺ. دليل إلى الجنة[6]. فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ٢٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٨.

(٣) سورة مريم، آية: ٤.

(٤) بدائع الفوائد، ابن القيم، ٢/٣.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٧٠/١.

قال: ((مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ))[١]، وقد ذكر الإمام ابن القيم أربعين فائدة للصلاة على النبي ﷺ. منها امتثال أمر الله تعالى، وحصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة، ورفع عشر درجات وكتابه عشر حسنات ومحو عشر سيئات، وهى سبب لغفران الذنوب وقضاء الحوائج وقرب العبد من رسول الله ﷺ. يوم القيامة إلى غير ذلك من الفوائد والثمار[٢].

إن الصلاة على رسول الله ﷺ ظفر بها من وُفِّقَ لها وحرم وشقى من تغافل عنها، وللصلاة فضائل كثيرة منها:

أ- أن الله يصلي على من صلى على النبي ﷺ عشر مرات، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا))[٣].

ب - أنها سبب لنيل شفاعته ﷺ، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ له الشَّفَاعَةُ))[٤].

كما أن في الصلاة على رسول الله ﷺ سببًا لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ وطهرة من لغو المجالس وسببًا لإجابة الدعاء وانتفاء لوصف الإنسان بالبخل والجفاء، زيادة على ذلك أنها دليل إلى جنان الرحمن سبحانه وتعالى[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٩٠٧، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٣٧).

(٢) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، ص ٦١٢ - ٦٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٠٨.

(٤) أخرجه مسلم، ٣٨٤.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ج١/٥٦٧ - ٥٧٠.

الحديث رقم (١٤٠٨)

١٤٠٨ - وعن أَبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه، قَالَ: أتانا رسُولُ اللهِ ﷺ، ونَحنُ في مَجْلِسِ سَعدِ بن عُبَادَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعدٍ: أمَرَنَا الله تَعَالَى أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ[1]، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

قول بَشِيرُ بْنُ سَعدٍ رضي الله عنه: (أمَرَنَا الله تَعَالَى أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ) خبر أريد به لازم فائدته وهو ما يريد أن يرتب عليه من السؤال عن كيفية هذه الصلاة، وصيغتها، والنداء (يَا رَسُولَ اللهِ) طلب لإقباله حال إتيانه يعكس حرصهم على تنفيذ أمر الله، والصلاة على رسوله ﷺ وقوله: (فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟) استفهام رتبه على ما سبق وهو لطلب العلم، وقولهم (فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ، حَتَّى تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ) سكوت الرسول ﷺ له تأثير عميق على الصحابة لأنه إثر سؤال منهم ظنوا أنهم تجاوزا به حدا لا ينبغي تجاوزه، أو أنهم سألوه في وقت أو مكان غير مناسبين، ثم إنهم في أثناء سكوته في ظلوا في لهفة لما يسفر عنه هذا السكوت، وهذا الشعور ينعكس على حالهم ظاهريا بالسكون، والصمت، والترقب مما يمهد لحسن استقبال الخبر، ويربطه بحدث فريد يجعله أبقى مع الزمن، ويدل على شدة أثر حالة سكوت الرسول ﷺ

---

(١) عند مسلم زيادة: (في العالمين).

(٢) برقم (٤٠٥/٦٥).

قولهم الذي يشير إلى المدى الذي بلغه في إحساسهم (حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ) وقوله ﷺ: (قولوا اللهم صلي.. ..) أمر إرشاد وتوجيه إلى الصيغة المشروعة للصلاة على النبي ﷺ بعد أن تهيأت نفوسهم لاستقبال الخبر، واستشرفت لمعرفة صيغة الدعاء، وهذا الدعاء كسابقه في بيان كيفية الصلاة على النبي، وآله وعلى سيدنا إبراهيم عليهم الصلاة، والسلام جميعا.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: التواصل مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم عما أشكل عليه من أمور الدين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلى أزواجه وذريته.

أولاً - من صفات الداعية: التواصل مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم:

إن من أسباب نجاح الداعي في دعوته تواصله مع المدعوين والالتقاء بهم والإجابة على تساؤلاتهم، كما ورد ذلك في الحديث في قوله: "أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه". وإجابته لسؤاله الصحابة عن كيفية الصلاة عليه: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..."، فكما أوجب الله على طلاب العلم والمعرفة أن يسألوا ويستوضحوا حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم، فقد أوجب على العلماء والدعاة أن يجيبوهم على ما سألوا وأن يبادروا بالتوضيح والتبيين لهم إذا لم يسألوا[2]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[3]. إن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٠٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٠٩).

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د/حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

الآية تشير إلى أن الواجب على العلماء وعلى كل من يفهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن يبينوا ويوضحوا ويظهروا ما فيهما من عظات وأسرار في الأحكام العامة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحكام الدينية وعلاقتها بصالح الأمة، وها نحن نأمل أن يوقظ الله العلماء فيثابروا ويتعاونوا ويستهينوا بالصعاب حتى يخرجوا للناس كنوز الدين بما يلائم المجتمع الحاضر. فإن الواجب ينحصر في شيئين:

أ- تبيين الدين وحقيقته لغير المؤمنين حتى يهتدوا به ويدخلوا فيه.

ب- تبيينه للمسلمين حتى يهتدوا به ويفهموه على حقيقته ويعرفوا مخلصين أنه الطريق الوحيد للخلاص من كل ما يضرنا ويؤذينا من خلق فاسد وداء كامن ومستعمر جائر فوالله! أيها الناس. لا خلاص لنا إلا بالدين ولا خير إلا في القرآن فتعلموه وافهموه وادرسوه تكونوا من الناجين في الدنيا والآخرة.

وقد روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال: "ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا"[1].

إن من شأن الداعية أن يكون في حركة دائبة لا يكف عن الدعوة ولا يخمد عن العمل، يزور هذا ويدعو ذاك... ويعرض دعوته على الناس، لا يخلد إلى راحة ولا يركن إلى دعة، فراحته تعبه وسعادته في دعوته، فإن كل راغب في الخير يمكنه أن ينهض وأن يتحرك حتى ينقدح زنده ويمور باطنه، أما دعاة المجالس الراكدة والكراسي الجامدة والكلمات التي لا تكلفهم إلا حركة اللسان، فنسأل الله لهم حسن التوجيه وأن يخرجهم من إثم ما هم فيه[2].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

وردت هذه الوسيلة في الحديث في تعليم النبي ﷺ للصحابة كيفية الصلاة عليه "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...." ووسيلة التعليم في الدعوة أهم الوسائل الدعوية وأعظمها شأنًا، فحاجة البشر إلى العلم الكثير

---

(١) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج١/٤/٥٨، ٥٩.

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٢٥٤.

كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[١]، وقد وصف الله نبيه بتعليم أمته قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٢]، ولقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أصحابه اهتمامًا كبيرًا لأنه كان يعلم أن الجهل أساس كل داء، وأن من جهل شيئًا عاداه، فما عليه إلا أن يفتح عقولهم ليسمعوا كلمة الحق ويتبعوا الدين المبين، وليدعوا الناس على بصيرة وفهم[٣].

والعالَمُ بحاجة ملحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصحيح لشرح أصوله وإبداء صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة.

إن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، ولابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[٤].

ثالثًا- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم عما أشكل عليه من أمور الدين:

لقد وجه الله الناس إلى طلب العلم والاستزادة منه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٥]، ومن روافد العلم سؤال أهله وذويه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦]، وبين النبي ﷺ أن السؤال شفاء للجهل، وتجنب لكثير من المضار، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ

---

(١) كتاب "مع الله"، الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٣.

(٢) سورة الجمعة، آية : ٢.

(٣) الدعوة الإسلامية، الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ٧٥.

(٤) مع الله، الشيخ محمد الغزالي، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٥) سورة طه، آية : ١١٤.

(٦) سورة الأنبياء، آية : ٧.

فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ، فقال: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فقالوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أُخْبِرَ بِذَلِكَ فقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ أَوْ يَعْصِبَ - شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحُ عَلَيْهَا وَيَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ»[1]. وإن من توفيق الله للإنسان إلى الحق والخير، سؤاله واستيضاحه عن كل مالا يعرفه أو يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر وغير ذلك[2].

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ أحرص ما يكونوا على الرجوع إلى رسول الله ﷺ وسؤاله عما يعنّ لهم ويعرض لهم من قضايا، أما بعد وفاته ﷺ فإن الرجوع يكون إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإن عجز الإنسان عن استخراج الحكم ورجع إلى أهل الذكر والقدرة على استخراج الأحكام والاستنباط، لكن ينبغي على السائل أن يضع نصب عينيه أن يرجع بسؤاله إلى أهل العلم والخبرة والاختصاص والقدرة على الاجتهاد واستنباط الأحكام والتفقه في الدين، فقد يخطئ البعض فيسأل من تظهر عليه آثار التعبد لكن لم يؤت مفاتيح العلم أو يسأل غير المتخصصين فيفسد بإجابته أكثر مما يصلح، ولذا ركز الحق تبارك وتعالى على طلب العلم من أهله والمختصين به فجاء بلفظ أهل في الآية: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

وذكر لنا النبي ﷺ قصة رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فرجع إلى عالم وعابد فكان صلاحه على يد العالم، روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن بين الله ﷺ قال: ((كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ

---

(١) أخرجه أبي داود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٢٥)

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ١٧، ١٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ. وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيَ. فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ. فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ. فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ)).

قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ» أي: نهض[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلى أزواجه وذريته:

لقد وردت النصوص الجمة على بيان فضل الصلاة على النبي ﷺ، وعلى آله وأزواجه وذريته ومنها ما جاء في الحديث في حثه على الصلاة عليه وبيانه ﷺ، لكيفيتها، "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد"، وقوله" قولوا: اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد"، قال النووي: وأما الصلاة على الآل والأزواج والذرية فإنما جاء على التبع لا على الاستقلال" [2].

والصلاة على النبي ﷺ، وأزواجه وذريته من مظاهر توقيره ودلائل محبته ﷺ[3]، وهى لون من ألوان تعزير رسول الله ﷺ، وتوقيره، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

---

(١) أخرجه البخاري ٥٤، ومسلم ٢٧٦٦ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٥٥.

(٣) دمعة على حب النبي ﷺ، عبدالله بن صالح الخضيري، مجلة البيان، كتاب المنتدى، ص ٧٩.

وَأَصِيلاً ﴾[١]، قال ابن جرير: معنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال[٢]، ويقول ابن تيمية عن التعزير هو اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه وقال اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٣].

إنه لا أدل على فضل الصلاة على النبي ﷺ من أن الله أمر بها والله عز وجل لا يأمر إلا بكل فاضل محمود، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[٤].

وهنا سؤال مهم هو أن الملاحظ في صنيع الصلاة على رسول الله ﷺ إنما هي طلب من الله عز وجل أن يصلي على النبي ﷺ، وعن هذا السؤال يجيب ابن القيم فيقول:

أولاً: إن الصلاة من الله تعالى من أجلّ المراتب وأعلاها، ومحمد ﷺ أفضل الخلق فلابد أن تكون الصلاة الحاصلة له أفضل من كل صلاة تحصل لمخلوق فلا يكون غيره مساويًا له فيها.

ثانيًا: إن الله تعالى أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، ثم أمر بالصلاة عليه ولا ريب أن المطلوب من الله هو نظير الصلاة المخبر بها لا مادونها، وهو أكمل الصلاة وأرجحها لا الصلاة المرجوحة المفضولة.

كما كان أجر فضل صلاة الله عز وجل أعلى رتبة من فضل صلاة الإنسان

---

(١) سورة الفتح، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل أى القرآن، الإمام ابن جعفر ابن جرير الطبري، ٧٥/٢٦.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٤٢٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٦.

بنفسه، فقد كان هذا الفضل الحاصل بصلاة الله عز وجل عائدًا على الإنسان له فائدة وأجر أعظم[١].

كذلك من أدل الدلائل على فضل الصلاة على رسول الله ﷺ أنها سبب لصلاة الله وملائكته على العبد وذلك بإخراجه من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[٢].

والصلاة: الرحمة والعطف. والمعنى: هو الذي يترحم عليكم ويترأف، حيث يدعوكم إلى الخير، ويأمركم بإكثار الذكر، والتوفر على الصلاة والطاعة ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمة الكفر والمعاصي والشبهات ومساوئ العادات ﴿إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ أي نور الإيمان والسنة والطاعة ومحاسن الأخلاق ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ أي حيث لم يتركهم يتخبطون في عمياء الضلالة والجهالة، بل أنار لهم السبل وأوضح لهم المعالم. وذكر الملائكة تنويها بشأنهم وشأن المؤمنين. وأن للملأ الأعلى عناية وعطفًا وترحمًا، بالاستغفار والدعاء والثناء على الجميل. كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٣][٤].

---

(١) انظر: جلاء الأفهام ١٥٣، ١٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٣) سورة غافر، الآيات: ٧ - ٩.

(٤) انظر: محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج ١٨/١٣/٢٧٩، ٢٨٠.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣١٣)	٥
الحديث رقم (١٣١٤)	١٢
الحديث رقم (١٣١٥)	١٧
الحديث رقم (١٣١٦)	١٩
الحديث رقم (١٣١٧)	٢٦
الحديث رقم (١٣١٨)	٣٥
الحديث رقم (١٣١٩)	٤٦
الحديث رقم (١٣٢٠)	٤٩
الحديث رقم (١٣٢١)	٥٥
الحديث رقم (١٣٢٢)	٦٢
الحديث رقم (١٣٢٣)	٦٨
الحديث رقم (١٣٢٤)	٧٤
الحديث رقم (١٣٢٥)	٧٦
الحديث رقم (١٣٢٦)	٨٣
الحديث رقم (١٣٢٧)	٨٥
الحديث رقم (١٣٢٨)	٩٢
الحديث رقم (١٣٢٩)	١٠٠
الحديث رقم (١٣٣٠)	١٠٢
الحديث رقم (١٣٣١)	١٠٧
الحديث رقم (١٣٣٢)	١٠٩
الحديث رقم (١٣٣٣)	١١٦
الحديث رقم (١٣٣٤)	١٢١

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣٣٥)	١٣٢
الحديث رقم (١٣٣٦)	١٣٩
الحديث رقم (١٣٣٧)	١٤١
الحديث رقم (١٣٣٨)	١٥٠
الحديث رقم (١٣٣٩)	١٥٧
الحديث رقم (١٣٤٠)	١٥٩
الحديث رقم (١٣٤١)	١٦٦
الحديث رقم (١٣٤٢)	١٦٨
الحديث رقم (١٣٤٣)	١٧٥
الحديث رقم (١٣٤٤)	١٨١
الحديث رقم (١٣٤٥)	١٨٣
الحديث رقم (١٣٤٦)	١٨٥
الحديث رقم (١٣٤٧)	١٩٣
الحديث رقم (١٣٤٨)	١٩٩
الحديث رقم (١٣٤٩)	٢٠٤
الحديث رقم (١٣٥٠)	٢٠٩
الحديث رقم (١٣٥١)	٢١٦
الحديث رقم (١٣٥٢)	٢٢٧
الحديث رقم (١٣٥٣)	٢٣٤
الحديث رقم (١٣٥٤)	٢٣٦
٢٣٥-باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسلون ويصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار	٢٦٣
الحديث رقم (١٣٥٥)	٢٦٣
الحديث رقم (١٣٥٦)	٢٧٣
الحديث رقم (١٣٥٧)	٢٧٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣٥٨)	٢٧٨
الحديث رقم (١٣٥٩)	٢٨٩
٢٣٦-باب فضل العتق	٢٩٨
الحديث رقم (١٣٦٠)	٢٩٨
الحديث رقم (١٣٦١)	٣٠٥
٢٣٧-باب فضل الإحسان إلى المملوك	٣١١
الحديث رقم (١٣٦٢)	٣١١
الحديث رقم (١٣٦٣)	٣١٩
٢٣٨-باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه	٣٣١
الحديث رقم (١٣٦٤)	٣٣١
الحديث رقم (١٣٦٥)	٣٤٢
الحديث رقم (١٣٦٦)	٣٤٤
الحديث رقم (١٣٦٧)	٣٤٥
٢٣٩-باب فضل العبادة في الهرج وهو: الاختلاط والفتن ونحوها	٣٦٢
الحديث رقم (١٣٦٨)	٣٦٢
٢٤٠-باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسر المعسر والوضع عنه	٢٧٤
الحديث رقم (١٣٦٩)	٢٧٤
الحديث رقم (١٣٧٠)	٣٨٦
الحديث رقم (١٣٧١)	٣٩٢
الحديث رقم (١٣٧٢)	٤٠٢
الحديث رقم (١٣٧٣)	٤٠٤
الحديث رقم (١٣٧٤)	٤٠٦
الحديث رقم (١٣٧٥)	٤١٢

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣٧٦)	٤١٤
الحديث رقم (١٣٧٧)	٤١٩
١٢-كتاب العلم	٤٣٣
٢٤١-باب فضل العلم تعلمًا وتعليمًا لله	٤٣٣
الحديث رقم (١٣٧٨)	٤٣٣
الحديث رقم (١٣٧٩)	٤٣٨
الحديث رقم (١٣٨٠)	٤٤٠
الحديث رقم (١٣٨١)	٤٤٣
الحديث رقم (١٣٨٢)	٤٤٥
الحديث رقم (١٣٨٣)	٤٥٨
الحديث رقم (١٣٨٤)	٤٥٩
الحديث رقم (١٣٨٥)	٤٦٥
الحديث رقم (١٣٨٦)	٤٦٧
الحديث رقم (١٣٨٧)	٤٧٢
الحديث رقم (١٣٨٨)	٤٧٧
الحديث رقم (١٣٨٩)	٤٨١
الحديث رقم (١٣٩٠)	٤٨٥
الحديث رقم (١٣٩١)	٤٩٦
الحديث رقم (١٣٩٢)	٥٠٢
الحديث رقم (١٣٩٣)	٥٠٧
الحديث رقم (١٣٩٤)	٥١٥
١٣-كتاب حمد الله تعالى وشكره	٥٢٧
٢٤٢-باب باب وجوب الشكر	٥٢٧
الحديث رقم (١٣٩٥)	٥٢٧
الحديث رقم (١٣٩٦)	٥٣٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٣٩٧)	٥٣٩
الحديث رقم (١٣٩٨)	٥٤١
١٤-كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ	٥٤٥
٢٤٣-باب باب وجوب الشكر	٥٤٥
الحديث رقم (١٣٩٩)	٥٤٥
الحديث رقم (١٤٠٠)	٥٥١
الحديث رقم (١٤٠١أ)	٥٥٧
الحديث رقم (١٤٠٢)	٥٦١
الحديث رقم (١٤٠٣)	٥٦٧
الحديث رقم (١٤٠٤)	٥٧٥
الحديث رقم (١٤٠٥)	٥٧٦
الحديث رقم (١٤٠٦)	٥٨٢
الحديث رقم (١٤٠٧)	٥٨٨
الحديث رقم (١٤٠٨)	٥٩٦
فهرس المحتويات	٦٠٥

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد السابع عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٧

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٥٨٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-١١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٧)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٣-١١-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٧)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (١٤٠٩)

١٤٠٩- وعن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قالوا: يَا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو حميد الساعدي: هو عبدالرحمن بن سعد بن المنذر. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠٩).

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقيه في بيان كيفية الصلاة على النبي ﷺ، ويقوم - أيضا - على السؤال، والجواب والسؤال في هذا الحديث جاء بصيغة الجمع الذي دل عليه اتصال فعل القول بواو الجماعة (قالوا) التي تشير إلى أن الرغبة في معرفة هذه الصيغة أصبحت مطلبا عاما الأمر الذي يشير إلى حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على ما يرضي الله تعالى، بالإضافة إلى أنه يعكس شدة محبة الصحابة لرسول ﷺ، والصيغة التي أرشدهم إليها الرسول ﷺ تتضمن تفصيلا أكثر في من شملتهم الصلاة حيث تضمنت الصلاة على أزواج النبي ﷺ، وذريته وهو تفسير للفظ الآل الذي تقدم في الحديث السابق، وقوله (صل) أمر قصد به الدعاء فهو من الأدنى إلى الأعلى وهو طلب الرحمة، والمنزلة، والفضيلة المختصة برسول الله ﷺ، والصَّلاةُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ الدُّعَاءُ وَالصَّلاةُ الرَّحْمَةُ إلا أَنَّ الصَّلاةَ الَّتِي أُمِرْنَا بِهَا هِيَ الدُّعَاءُ وَإِنَّمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ صِفَةِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْ جِنْسِ الصَّلاةِ عَلَيْهِ لأَنَّهُمْ لا يُؤْمَرُونَ بِالرَّحْمَةِ وَإِنَّمَا يُؤْمَرُونَ بِالدُّعَاءِ إلا أَنَّ الدُّعَاءَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ وَعَلَى صِفَاتٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧/٦٩) واللفظ له.

مُخْتَلِفَةٍ فَسَأَلُوا هَلْ لِذَلِكَ صِفَةٌ تَخْتَصُّ بِهِ فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي ذَلِكَ صِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ وَهِيَ أَنْ يُدْعَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ. وقوله (وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ) أمر للدعاء، والْبَرَكَةُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ التَّكْثِيرُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمَبَرَّةِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِقَوْلِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ تَكْثِيرَ الثَّوَابِ لَهُمْ وَرَفْعَ دَرَجَاتِهِمْ، وقيل: وَيَحْتَمِلُ بِذَلِكَ تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ مَعَ تَوْفِيقِهِمْ، ويَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ طَهِّرْهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر المنتقى - شرح الموطأ - الحديث: (٣٥٧).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: تعظيم النبي ﷺ وإجلاله في الصدور:

إن لكل أمر تربوي سنام، وسنام التربية في الإسلام، توقير وإجلال النبي عليه أفضل الصلاة وأتم السلام؛ المربي الأول للأمة الإسلامية.

لذا كان من أعظم الواجبات وأجدر المهمات التي تُثقل كواهل دعاة التربية والتوجيه، توقير وتعظيم سيد الأنام في قلوب أبناء الإسلام، ومن ذلك الصلاة عليه ﷺ عند ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته، وهذا ما أشار إليه أحاديث الباب.

وقد عظم الحق تبارك وتعالى إجلال ذي الشيبة المسلم في الإسلام، فكيف بمن كتب الله على يديه هداية الأنام، وإقامة الملة، ومناصحة الأمة في الإسلام، وقد قال فيه الحكيم المنان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1].

وحتى يتسنى لمربي جيل الإسلام غرس إجلال وتوقير سيد الأنام في قلوب أبناء الإسلام يجب ما يلي:

١ - ذكر تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي المصطفى ﷺ وخصوصِهِ إياه بفضائلَ، ومحاسنَ، ومناقبَ، لا تنضبُط لِزِمَام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنةُ، والأقلامُ، فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبَّه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلُّدِ إلجَابِهِ: فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى - ثم طهَّر وزكَّى ثم مدح بذلك، وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى"[2]، فذكر ذلك يبعث في قلوب المتعلمين الإجلال والعظمة والتوقير لسيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) الشفا، بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ١/١١٨.

٢ - ذكر عظيم فضله ﷺ على أمته، والتي منها شفقته ورحمته بهم، ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم، وشفاعته لهم فهو القائل ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ. فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ. وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَهِيَ نَائِلَةٌ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا»، وقال ﷺ: «إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

٣ - ذكر سيرة السلف الصالح في توقيره ﷺ وإجلاله، مما يبعث في نفوس المتعلمين والمربين الشوق إلى الاقتداء بتعظيمه وإجلاله ﷺ، وكان منها:

إن رجلاً أتى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدَّثه فقال له الرجل وددتُ أنك لم تَتَعَنَّ، فقال: إني كرهت أن أحدث عن رسول ﷺ، وأنا مضطجع، وكان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا وهو على وضوء إجلالاً له، وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم [1].

ثانيًا: أسلوب التربية بالتحفيز:

قد استخدم النبي ﷺ التحفيز كأسلوب من أساليب التربية والإعداد؛ لما يتفق مع ما فطر الله عليه الإنسان من محبة النعيم والرغبة فيه[2]، وهذا ما ظهر جليًا في قوله ﷺ من حديث الباب-: "من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا"، فعلى المربين والمعلمين استحضار هذا الأسلوب في التربية لما فيه من التحريض على السعي الحثيث في تحصيل الخير وعظم الأجر.

ثالثًا: التربية بالترهيب:

قد يحتاج المربي والمعلم في توجيهه وتعليمه إلى علاج حاسم يضع الأمور في نصابها الصحيح، فقد لا تُجدي التربية بالتحفيز، وقد لا يثمر الترغيب، فعندئذ يحتاج المتربي إلى معرفة أن هناك نتائج مؤلمة بسلوكه المعيب، تعالج اعوجاجه، وتقيمُ انكساره، وهذا ما يسمى بأسلوب الترهيب[3]، وهو ما ترائى جليًا في قول النبي ﷺ من حديث

---

(١) المرجع السابق، ٢/٤٠٤-٤٠٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢١٩.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

الباب "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي" وذلك كناية عن الذل والحقارة.

رابعًا: أثر الدعاء في التربية:

"إن الدعاء ثمرة المعرفة والإيمان برب واحد قوي ديان، وهو شعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان والاعتداء؛ ففي غفلة النفس عن حقيقة عبوديتها لله وحاجتها إليه سبيل إلى طغيانها واعتدائها، والدعاء سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع، وفقدان السند المعين، واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة. وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة"[1]؛ لذا وجب تأسيس تربية النشء والفرد على الدعاء في أموره كلها جليلها وصغيرها، وهذا ما يستفاد من حديث الباب في قول الصحابي: "سمع رسول الله ﷺ رجلاً، يدعو في صلاته.

❁ ❁ ❁

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٢٢-٢٢٥.

١٥- كتاب الأذْكَار

٢٤٤- باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾... إِلَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[الأحزاب: ٤١- ٤٢] الآية. والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

الحديث رقم (١٤١٠)

١٤١٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ العظيمِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب في الذكر يعتمد أسلوب التشويق في تقرير المعنى وتهيئة المخاطب ليقع في نفوسهم الموقع الأمثل، وقد تصرف في النبي ﷺ في أسلوبه بعبقرية بلاغي، وتوفيق نبي فجاء حديثه قطعة بديعة في تناسق، ورقة في العبارات، ودقة في المعانى

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم واللفظ له (٢٦٩٤/٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧٩).

فقوله (كلمتان) نكرة مقدمة؛ لأنها الخبر وقوله: (حبيبتان) وما بعدها صفة تزيد تعلق المخاطبين بالنكرة، والمبتدأ (سبحان الله) إلى آخره، والنكتة في تقديم الخبر تشويق السامع إلى المبتدأ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه؛ لأن كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقا، وقوله: (خفيفتان) قال الطيبي الخفة مستعارة للسهولة شبه سهولة جريان هذا الكلام على اللسان بما يخف على الحامل من بعض المحمولات ولا يشق عليه فذكر المشبه، وأراد المشبه به والتعبير بَخِفَّتهمَا لبيان سُهُولَتهمَا عَلَى اللِّسَان لِقِلَّةِ حُرُوفهمَا وَحُسْن نَظْمهمَا وَاشْتِمَالهمَا عَلَى الاسْم الْجَلِيل الَّذِي يُذْعِن الطِّبَاع فِي ذِكْره كَأَنَّهُمَا فِي ذَلِكَ كَالْحِمْلِ الْخَفِيف الَّذِي يَسْهُل حَمْله، وقوله (ثقيلتان في الميزان) الثقل فيه على حقيقته، لأن الأعمال تتجسم عند الميزان والميزان هو الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد، والله تعالى يجعل الأعمال كالأعيان موزونة، أو يوزن صحف الأعمال، والطباق بين خفيفتان، وثقيلتان يشير إلى المفارقة العجيبة بين سهولة العمل، وبين عظمة الجزاء التي تنادي العاقل باغتنامها، وقوله (حبيبتان) تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، والمراد هنا محبوبية قائلهما، وتخصيص لفظ الرحمن من بين سائر الأسماء الحسنى، لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل بالإضافة إلى أنه أنسب لإقامة السجع أعني الفواصل وهي من محسنات الكلام التي تعطي اللفظ عذوبة والعبارة انسجاما مع غيرها، وقوله (سبحان الله) وَمَعْنَى سُبْحَان اللَّه تَنْزِيهُهُ عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِجَنَابِهِ الْعَلِيّ وَهُوَ مَصْدَر لِفِعْلٍ مُقَدَّر أَيْ أُسَبِّحُ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَالْوَاو فِي وَبِحَمْدِهِ لِلْحَالِ بِتَقْدِيرِ وَأَنَا مُلْتَبِس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ لِلْعَطْفِ أَيْ أُنَزِّهُهُ وَأَتَلَبَّس بِحَمْدِهِ وَقِيلَ زَائِدَة أَيْ أُسَبِّحهُ مُلْتَبِسًا بِحَمْدِهِ، ووجه تكرير سبحان الله الإشعار بتنزيهه على الإطلاق ثم أن التسبيح ليس إلا ملتبسا بالحمد ليعلم ثبوت الكمال له نفيا وإثباتا جميعا، وفي الحديث من البديع المقابلة والمناسبة والموازنة في السجع لأنه قال حبيبتان إلى الرحمن، ولم يقل للرحمن لموازنة قوله على اللسان، وعدى كلا من الثلاثة بما يليق به، وفيه إشارة إلى امتثال قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه١٣٠]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل.

ثالثًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث في قوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو وترغبه في فعل الخير، وتجعله يقبل على الطاعة، "والترغيب هو تشويق الناس إلى ثواب الله والجنة والترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف ويأتي علاجًا وردعًا ويأتي بشيرًا ونذيرًا فمن النفوس من ترغب في الخير وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، ذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها ونور الحق يدفئها[٢]"، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل التسبيح والتحميد والتهليل:

حيث جاء في الحديث "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"، وقوله: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، "ولا شك أن هذا ترغيب وبيان لفضل هذه الأذكار، قال الطيبي: "وفيه الحث على المواظبة عليها وتحريض على

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١١).

(٢) الدعوة إلى الله – الرسالة والوسيلة والهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩-٢٠٠.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

ملازمتها، وتعريض بأن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفس ثقيلة وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان ثقل غيرها من التكاليف فلا يتركوها إذن روى في الآثار أنه سئل عيسى عليه السلام: ما بال الحسنة تثقل والسيئة تخف؟، فقال: لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فلذلك ثقلت عليهم فلا يحملنكم ثقلها على تركها، فإن بذلك ثقلت الموازين يوم القيامة والسيئات حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليكم فلا يحملنكم على فعلها خفتها، فإن بذلك خفت الموازين يوم القيامة"[١].

وقال الطيبي أيضًا: "والتعبير بقوله" مما طلعت عليه الشمس"، هى كنايات يعبر بها عن الكثرة عرفًا"[٢]، وقال ابن حجر: "وفي الحديث حث على المواظبة على هذا الذكر وتحريض على ملازمته فلا ينبغي التفريط فيه لأن جميع التكاليف شاقة على النفس وهذا سهل، ومع ذلك يثقل في الميزان كما تثقل الأفعال الشاقة وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" المراد أن قائلها محبوب لله ومحبة الله للعبد إرادة إيصال الخير له والتكريم، وخص الرحمن من الأسماء الحسنى للتنبيه على سعة رحمة الله حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، ولما فيها من التنزيه والتحميد والتعظيم[٣].

وقال ابن عثيمين: "وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها لأن الشيطان يكسله ويخذله ويثبطه عنها مع أنها أحب إلى رسول الله ﷺ، مما طلعت عليه الشمس رغم أن الإنسان لو ملك الدنيا كلها لا يستفيد منها شيئًا بعد موته لكن "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"، هى الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٤]، فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة"[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٣/٥.

(٢) المرجع السابق نفسه ٧٢/٥.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١.

(٤) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٥٠٧/٢.

قال أبو العباس القرطبي: وقوله في الحديث: (لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، أي: من أن تكون له الدنيا بكليتها، فيحتمل أن يكون هذا على جهة الغاية والانتهاء على طريقة العرب في ذلك، ويحتمل أن يكون معنى ذلك: أن تلك الأذكار أحب إليه من أن تكون له الدنيا فينفقها في سبيل الله، وفي أوجه البر والخير، وإلا فالدنيا من حيث هي دنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وكذلك هي عند أنبيائه، وأهل معرفته فكيف تكون أحب إليه من ذكر أسماء الله وصفاته التي يحصل بها ذلك الثواب العظيم والحظ الجزيل؟)[1].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله: "حبيبتان إلى الرحمن" أي محبوبتان، والمعنى محبوب قائلهما. وخصّ لفظ الرحمن بالذكر لأن المقصود من الحديث بيان سعة رحمة الله تعالى على عباده حيث يجازى العمل القليل بالثواب الكثير. وقوله: "سبحان الله وبحمده" أي: أسبح الله متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه).

وقال الخطابي في حديث: (سبحان اللهم ربنا وبحمدك: أي: بقوتك التي هي نعمة توجب عليّ حمدك سبحتك لا بحولي وقوتي. وقوله: "سبحان الله العظيم" قال بعض مشايخنا: إن الكلمة الأولى وهي سبحان الله وبحمده، تشعر بتنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق به سبحانه، وبالاعتراف بجميع ما يحمد به، وهذا يورث في القلب حبًا لله تعالى لأن من كان منزهًا من كل عيب، ومستجمعًا لجميع صفات الكمال استحق الحق. وأما الكلمة الثانية، فتشعر بعظمة الله تعالى وجلاله، وذلك يورث خوفًا منه تعالى، وإذا اجتمع الخوف والحب أورث خشية وهي من أعظم ما يقصد حصوله للعبد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2]، ومن هذه الجهة كان ثواب الكلمتين عظيمًا. ثم قال ابن بطال: هذه الفضائل الواردة في فضل الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين، والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام. فلا نظن أن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٢/٧، ٢٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٨.

من أدمن الذكر، وأصر على ما شاءه من شهواته، وانتهك دين الله وحرماته، أنه يلتحق بالمطهرين المقدسين، ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح)[1].

فمن أجل ذلك (قد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب)[2]. فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[3].

قال القرطبي: (أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم، وجعل تعالى ذلك دون حدّ لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: لم يُعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غُلب على عقله...، وفي قوله تعالى ﴿وَسَبِّحُوه بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ أي: أشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب...، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾، قال القرطبي: والصلاة من الله على العبد رحمته له وبركته لديه. وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال: ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4])[5].

وفي ذلك قال ابن القيم: (إن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز...، فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٤٢٨/١١، ٤٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٨٠/١١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٤١-٤٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٧.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١٦٧/١٧-١٦٩.

الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم، وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله)[١].

ثالثًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث أرشد الرسول ﷺ، إلى فضل هذه الأذكار، حيث قال ﷺ: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إلا إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس". والداعية الناجح هو الذي يرشد ويدل إلى الخير دائمًا وبهذا يظهر حرصه على المدعوين، وقد قال الله تعالى عن إمام الدعاة الأول ﷺ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢]، وبين الله تعالى أن نبيه يدعو إلى الهدى دائمًا والحق، قال جل شأنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣]. وقد بين النبي ﷺ، أن الذي يرشد ويدل إلى الخير له من الأجر مثل فاعله فقال في الحديث: "من دل على الخير فله مثل فاعله. أو قال عامله" [٤].

إن الداعية دائمًا مصدر نفع للمدعوين، وحرص على إرشادهم وتوجيههم يفرح لطاعتهم ويحزن لمعصيتهم.

(وهذا الشعور الغامر بالشفقة على الناس يبعث في النفس الحزن والأسى على حال المعرضين والعاصين، ويتولد إثر ذلك قوة نفسية دافعة لاستنقاذهم من الخطر المحدق بهم، والهلاك القادم إليهم، وما أبلغ وأدق النص القرآني في بيان هذه الصفة عند

---

(١) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ط١، دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ٤٢٨/٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢، ٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

الرسول الكريم ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾[2].

تأمل هذه الآيات فإنه من فرط شفقته ﷺ داخله الحزن لامتناعهم عن الإيمان، فهوّن الله سبحانه عليه الحال، بما يشبه العتاب في الظاهر.

وقال ابن كثير في تفسيره[3]: يقول تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ...﴾ مسليًا لرسوله ﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه.

فهذه نفس الرسول ﷺ ملئت رحمة وشفقة على هؤلاء حتى كاد يُهلك نفسه وهو يدعوهم ويحرص على هدايتهم، ثم يخالط مشاعره الحزن عليهم والأسى لهم.

إن الداعية ينظر إلى المدعوين نظرة الطبيب إلى مرضاه، يرحمهم ويشفق عليهم لعلمه بدائهم وخطورته، ويتلطف في علاجهم، وإن رأى منهم عزوفًا عن الدواء لصعوبته أو مرارته هاله الأمر واحتال بكل الطرق لتوصيل الدواء، وإقناعهم بضرورة تناوله، ولا يمكن أن يتركهم وشأنهم بحجة أنهم هم المفرطون[4]، وهكذا فإن: "الداعي الرحيم لا يكف عن دعوته ولا يسأم من الرد والإعراض لأنه يعلم خطورة عاقبة المعرضين العصاة، وأن إعراضهم بسبب جهلهم، فهو لا ينفك عن إقناعهم وإرشادهم"[5].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٧٢/٣.

(٤) مقومات الداعية الناجح، د.علي عمر بادحدح، ص١١٢، ١١٣.

(٥) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص٣٤٤.

الحديث رقم (١٤١١)

١٤١١- وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ؛ وَالحَمْدُ للهِ؛ وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أكْبَرُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ أحرص الناس على ما يقرب إلى الله، فهو أتقى الناس، وأعلمهم، فإذا قال قولا فهو الحق المبني على العلم، وإذا اختار اختيارا فهو مبني على اليقين وقوله (لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ... إلخ) كناية عن عظمة الأجر الذي تحويه هذه الكلمات، والتعبير بأفعل التفضيل يشير إلى أنه المختار المرضي عند رسول ﷺ، وقوله (مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ) كناية عن كل متاع الدنيا بأموالها وقصورها وبساتينها وغيرها من المتاع الفاني، وإذا تأملنا الأدعية وجدناها تضمنت تنزيه الله عن النقص (سُبْحَانَ اللهِ) والتعبير بالمصدر سبحان دون الفعل أسبح للمبالغة في التنزيه، كما تضمن الحمد والثناء على الله في قوله: (الحمد لله) وال في قوله الحمد للجنس أي جنس المحامد ثابت لله تعالى، كما تضمنت توحيد الله - عز وجل - في قوله: (وَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي، والذي يقصر صفة الألوهية عليه وحده، وينفيها عن كل من سواه كما تضمنت تكبير الله في قوله: (وَاللهُ أكْبَرُ) ثم إن هذا التنويع في الذكر يقابله تنويع في الشعور الوجداني عند الداعي لأن إحساسه بمعنى تنزيه الله يخالف إحساسه بحمده الذي يرافق استشعاره لنعم الله عليه كما يخالف تكبيره لله الذي يستشعر معه تصاغر الموجودات مهما عظمت بالنسبة لغيرها، وهكذا في كل ذكر يرافقه لون من الشعور في الوجدان يزيده معرفة بصفة من صفات الله وجهة من جهات عظمته تعالى، والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٦٩٥/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٢)

١٤١٢- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَاتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ)).

وقال[1]: ((مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رقاب: جمع رقبة وهي في الأصل العنق فجعلت كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه، فالرقبة يراد بها العبد أو الأمة[3]، يعني قدر عتق عشر رقاب.

حرزًا: حماية وحفظًا وصونًا[4].

حُطَّت: أسقطت وغُفرت[5].

زبد البحر: رغوةُ مائه[6].

الشرح الأدبي

باب الذكر من أعظم الأبواب خيرا لكثرة الأجر المترتب عليه من ناحية، ومن

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، إلا الشطر الأخير، ومسلم (٢٦٩١/٢٨). ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٥)، وفصل القول الأخير بقوله: (وزاد مسلم) ثمّ ذكره، وهو الصواب.

(٣) النهاية في (ر ق ب).

(٤) النهاية في (ح ر ز).

(٥) النهاية في (ح ط ط).

(٦) لسان العرب في (ز ب د).

أخرى لسهولة إتيانه من مختلف طبقات الناس، وعلى اختلاف أعمارهم فيشترك فيه الغني، والفقير، والكبير، والصغير، والصحيح، والسقيم، والقوي، والضعيف لا يفرق بينهم في هذا العمل إلا الإخلاص فيه، وكثرة أحدهم عن غيره ثم إنه لا يختص بزمان كبعض العبادات، ولا بمكان بل في كل حين بلا كلفة، ولا مشقة فالعاجز المحروم من حرم نفسه خيرا عظيما لا كلفة فيه، وهذا الحديث يفتح بابا من أبواب الخير التي لا يعلم مداها وصولا بالعبد في درجات الزلفى إلا الله، وقد ساق الخبر في قالب الشرط، وهو من أنسب الأساليب للترغيب في الذكر لأنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل، ويترك المؤمن ليختار فعلا بعاقبته، وداعي الله في قلبه يؤزه أزا لتحصيله وفعل الشرط هو قول كلمة التوحيد في قوله (مَنْ قَالَ لا إلهَ إلاَّ اللهُ...) بالصيغة المذكورة، في الظرف المذكور وبالعدد المذكور (فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ) وجواب الشرط يفيد ثبات، وتحقق الأجر المذكور في قوله (كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي) وقد تضمن هذا الجزاء درجات من الفضل أولها أنها تصير له عدل عشر رقاب أي تساوي فكأنه تصدق بما يساوي ثمن العشرة، والتصدق في عتق الرقاب له خصوصية لأنه يملِّكُ الإنسان أعز ما له، وهو نفسه، وحريته مما يدل على عظم الأجر وتميزه، ، والدرجة الثانية في الجزاء أن تكتب له مائة حسنة وتمحى عنه مائة سيئة، ولا ننسى أن الكتابة تدل على شدة الثبات، وصيغة الماضي في الجواب تفيد التحقق، وبناء الفعل للمفعول للعلم بالفعل وهو الله - تعالى- أو من كلَّفه بذلك من ملائكته، والدرجة الثالثة كونها حرزا أي حصنا من الشيطان، وهو العدو الأكبر الخفي ثم إنه قرر أفضليته على الناس جميعا في العمل، إلا من عمل مثله أو زاد عنه، وذلك عن طريق أسلوب القصر الذي يؤكد سبقه للجميع (وَلَمْ يَأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلاَّ رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ) ثم فتح بابا من الفضل بالتسبيح، والتحميد مائة مرة، والذي يمحو جميع الخطايا مهما بلغت، وقد وردت في أسلوب الشرط المرغب في العمل بذكر الجزاء، مع إشعار المخاطب بأنه حر الاختيار في تحصيل هذا الفضل أو تركه، والتشبيه بزبد البحر مبالغة في استقصاء الذنوب بالمغفرة لمن عمل بهذا العمل مهما بلغت ذنوبه فضلا من الله.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له..."، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعوين، وتشد فكرهم إلى معرفة جواب الشرط، وتبين للمدعو مدى ارتباط الشرط بالجواب، فالجزاء من جنس العمل ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[2]، وقوله جل شأنه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير:

يتضح هذا من الحديث: "كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه"، وهذا يدل على فضل هذا النوع من الذكر، قال النووي: "والتهليل المذكور في الحديث أفضل من غيره لأن فيه زيادة الحسنات ومحو السيئات، وفيه من فضل عتق الرقاب وكونه حرزًا من الشيطان وبهذا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٣).

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٨.

يزيد على فضل التسبيح وتكفير الخطايا، لأنه قد ثبت أن من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، وفي الحديث دليل على أنه لو قال هذا التهليل أكثر من مائة مرة في اليوم، كان له هذا الأجر المذكور على المائة، ويكون له ثواب آخر على الزيادة، وليس هذا من الحدود التي نهى الله عن اعتدائها، ومجاوزة أعدادها وأن زيادتها لا فضل فيها أو تبطلها كالزيادة في عدد ركعات الصلاة، ويحصل الأجر المذكور لمن قالها متوالية أو متفرقة في مجالس، أو بعضها أول النهار، وبعضها آخره، لكن الأفضل أن يأتي بها متوالية في أول النهار ليكون حرزًا له في جميع نهاره"[1].

قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث ذكر ثواب عتق عشر رقاب لقولها مائة فيكون مقابل كل عشر مرات رقبة من قبيل المضاعفة فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، هذا وقد جاء في الحديث أن من قال هذا الذكر أيضًا عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع وصف كون الرقبة من بني إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم، أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم[2].

قال القاضي عياض: وقوله: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ. وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذٰلِكَ، حَتَّىٰ يُمْسِيَ. وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ. وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، ثم ذكر بعد في فضل من قال: "لا إله إلا الله" المتقدم "كان كمن أعتق أربعة [أنفس] من ولد إسماعيل" ثم ذكر حديث: ((من سبح مائة تسبيحة كتبت له ألف حسنة، وحطت عنه ألف سيئة))، ذكر هذا العدد من المائة، وهذا الحصر لهذه الأذكار لا دليل على أنها غاية وحدٌّ لهذه الأجور. ثم نبه عليه السلام بقوله: "إلا أحدٌ عمل

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٩٠.

(٢) فتح الباري ٢٠٩/١١.

أكثر من ذلك" أنه جائز أن يزاد على هذا العدد فيكون لقائله من الفضل بحسابه، لئلا يظن أنها من الحدود التي نهى عن اعتدائها، وأنه لا فضل في الزيادة عليها كالزيادة على ركعات السنن المحدودة أو أعداد الطهارة.

وقد قيل: يحتمل أن هذه الزيادة من غير هذا الباب، أي ألا يزيد أحد أعمالاً أخرى من البر غيرها، فيزيد له أجرها على هذا.

وقوله في حديث التهليل: "محيت عنه مائة سيئة"، وفي حديث التسبيح: "حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" ظاهره أن التسبيح أفضل. وقد جاء في حديث التهليل "ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به" فيحتمل الجمع بينهما أن يكون حديث التهليل أفضل، وأنه إنما زيد من الحسنات ومحي من السيئات المحصورة، ثم جعل له من فضل عتق الرقاب ما قد زاد على فضل التسبيح، وتكفيره جميع الخطايا لأنه قد جاء أنه «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَعْتَقَ اللّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا، عُضْوًا مِنْه مِنَ النَّارِ»[1].

فهنا قد حصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا عمومًا بعد حصر ما عد منها خصوصًا مع زيادة مائة درجة، وما زاده عتق الرقاب الزائدة على الواحدة.

وقد جاء في الحديث هنا أيضًا: أفضل الذكر التهليل، وأنه أفضل ما قاله عليه السلام والنبيون من قبله. وقد قيل: إنه اسم الله الأعظم، وهي كلمة الإخلاص[2].

قال القرطبي: (وقوله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ. وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ. وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ»)يعني: أن ثواب هذه الكلمات بمنزلة ثواب من أعتق عشر رقاب، وقد تقدم في العتق: أن من أعتق رقبة واحدة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار، ثم يزاد مع ذلك كَتْبُ مئة حسنة، ومَحْو مئة سيئة، يُجْمَع ذلك كله له، وكل واحد من هذه الحسنات مضاعفة بعشر، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٥٠٩.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٩١/٨، ١٩٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

وكما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المذكور بعد هذا، وهذا الحديث وجميع ما في الباب من الأحاديث يدل على: أن ذكر الله تعالى أفضل الأعمال كلها، وقد صرح بهذا المعنى في آخر هذا الحديث حين قال: «وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ». وأنص ما في هذا الباب ما جاء عن أبي الدرداء قال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ، وَالْوَرِقِ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللَّهِ. قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: مَا شَيْءٍ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1]. وهذا لا يقوله أبو الدرداء من رأيه، ولا ينظره؛ فإنه لا يتوصل إليه برأيه، فلا يقوله إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه سكت عن رفعه للعلم بذلك عند من حدثه بذلك. وقد رواه الترمذي مرفوعًا، والله تعالى أعلم.

وقوله: "وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى"، يعني: أن الله تعالى يحفظه من الشيطان في ذلك اليوم فلا يقدر منه على زلة، ولا وسوسة ببركة تلك الكلمات.

قلت: وهذه الأجور العظيمة، والعوائد الجمة إنما تحصل كاملة لمن قام بحق هذه الكلمات، فأحضر معانيها بقلبه، وتأملها بفهمه، واتضحت له معانيها، وخاض في بحار معرفتها، ورتع في رياض زهرتها، ووصل فيها إلى عين اليقين؛ فإن لم يكن، فإلى علم اليقين، وهذا هو الإحسان في الذكر؛ فإنه من أعظم العبادات. وقد قال صلى الله عليه وسلم في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[2].

ثم لما كان الذاكرون في إدراكاتهم وفهومهم مختلفين كانت أجورهم على ذلك بحسب ما أدركوا، وعلى هذا ينزل اختلاف مقادير الأجور، والثواب المذكور في أحاديث الأذكار، فإنك تجد في بعضها ثوابًا عظيمًا مضاعفًا، وتجد تلك الأذكار بأعيانها في رواية أخرى أكثر أو أقل، كما اتفق هنا في حديث أبي هريرة المتقدم، فإن

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، ٨.

فيه: ما ذكرناه من الثواب، وتجد تلك الأذكار بأعيانها وقد علق عليها من ثواب عتق الرقاب أكثر مما علّقه على حديث أبي هريرة، وذلك أنه قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((من قال ذلك في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب))، وفي حديث أبي أيوب: ((من قالها عشر مرات كانت له عدل أربع رقاب)). وعلى هذا فمن قال ذلك مئة مرة كانت له عدل أربعين رقبة، وكذلك تجده في غير هذه الأذكار، فيرجع الاختلاف الذي في الأجور لاختلاف أحوال الذاكرين، وبهذا يرتفع الاضطراب بين أحاديث هذا الباب، والله الموفق للصواب.

وقوله: "إلا أحد عمل أكثر من ذلك"، أي: قال: فسمى القول عملاً، كما قد صرح به في الرواية الأخرى. والذكر من الأعمال التي لا تنفع إلا بالنية والإخلاص[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، قال الإمام ابن حجر: "ومعنى التسبيح تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، ويطلق ويراد به صلاة النافلة"[2]، وقال الطيبي: "وقوله في الحديث "في يوم" يوم مطلق لم يعلم في أى وقت من أوقاته فلا يقيد بشيء منها وبقوله: "مثل زبد البحر" هذا وأمثاله كنايات عبر بها عن الكثرة عرفًا[3]. وقد أمر الله بتسبيحه فقال جل شأنه: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[4]. وبالجملة فالتسبيح والتحميد نوع من ذكر الله المأمور به في القرآن والسنة النبوية المطهرة، الموعود عليه بالثواب الجزيل والأجر الكبير.

وقد علق الحق تبارك وتعالى الفلاح على الإكثار من الذكر فقال سبحانه:

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/١٩-٢١.

(٢) فتح الباري ١١/٢١٠.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٥/٧٢.

(٤) سورة الأعلى، آية : ١.

﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١]، قال السعدي: (أمر الله بالإكثار من ذكره فقال: "أذكروا الله كثيرًا" أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، "لعلكم تفلحون" فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح)[٢].

وأثنى جل وعلا على أهله، وحسَّن جزاءهم: فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٣]. قال الطبري: (والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك "أعد الله لهم مغفرة" لذنوبهم، "وأجرًا عظيما" يعني ثوابًا في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيمًا، وذلك الجنة)[٤].

وقد جعل تبارك وتعالى ذكره لهم جزاء لذكرهم له: فقال سبحانه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[٥]، قال السعدي: (فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله ﷺ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي. إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»[٦]. وذكر الله تعالى أفضله ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته وكثرة ثوابه، والذكر

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٨٠٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٩/١٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٦) أخرجه البخاري ٧٤٠٥، ومسلم ٢٦٧٥.

هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصًا، ثم من بعده أمر بالشكر عمومًا، كما جاء في الآية[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

"يتضح هذا من سياق الحديث، ولاشك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة في توجيه المدعوين وحثهم على الإقبال على الطاعة حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الوعد بالثواب والأجر: "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه وهو يكون بما أعده الله تبارك وتعالى لعباده الصالحين المطيعين لأمره الممتثلين لشرعه في الحياة الدنيا من النصر والعزة والتمكين وفي الآخرة، بالرضا منه سبحانه والقرب من حضرته ودخول جنته"[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٧٤.

(٢) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩١.

الحديث رقم (١٤١٣)

١٤١٣- وعن أَبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ[1]. كَانَ كَمَنْ أعْتَقَ أرْبَعَةَ أنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ)). متفقٌ عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: هو خالد بن زيد بن النجار الخزرجي. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

غريب الألفاظ:

أعتق: حَرَّر وأطلق[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه من ناحية الترغيب في الذكر، ومن ناحية نوعية الذكر، ومن ناحية الأسلوب، وهو أسلوب الشرط الذي يربط عملا بنتيجته، كارتباط النتيجة بالمقدمة وفعل الجزاء في عبارة الشرط هو فعل القول: (قال) ومقول القول هو عبارة التوحيد المتصلة بالحمد والإقرار لله بالقدرة التي تتضمن بالمفهوم المقابل اعتراف الإنسان بالعجز، وأداة الشرط هي (من) وهي اسم موصول متضمن للشرط وهي للعاقل، وكأنها إيذان بانتداب أهل العقل لتحصيل هذا الأجر العظيم مع تقييد قول هذه الصيغة بالعدد عشر، وجواب الشرط هو أن يصير له أجر من أعتق أربعة أنفس، وقوله (من ولد إسماعيل) إيغال بلاغي يضيف صفة تقرر أفضلية النوعية المعتقة التي ارتفعت قيمتها مبالغة في رفع أجره بالمقابل ثم إن التعبير بالعتق يشير بأصل المادة، ومادة: عتق "في اللغة لها دلالات كثيرة، وكلها تشع بأصداء القوة والأصل والسبق والتفرد،

---

(١) لفظ مسلم: (مرار)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣/٣٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧١).

(٣) النهاية والوسيط في (ع ت ق).

ولا تتحقق هذه المعانى إلا لدى من يملك قراره ويعرف مصيره ومسيره فالعتق خلاف الرق وهو الحرية وعتاق الطير: الجوارح منها ، والعتيق: الكريم الرائع من كل شيء والخيار من كل شيء ، والعتق: الكرم، يقال: ما أبين العتق في وجه فلان: يعنى الكرم، وقيل: العتق: الجمال، وسمي أبو بكر الصديق "عتيقاً "لأن الله تبارك وتعالى أعتقه من النار كما بشره بذلك رسول الله ﷺ - وقيل سمي عتيقاً: لجماله فالعتق من معانيه الجمال، وفى ضوء هذه الدلالات ندرك سر اختيار التعبير بالعتق عن تحرير الرقاب الذي يشير إلى خيار الأعمال التي تساوى بها أجر من قال هذه العبارة عشر مرات، فالغافل الكسول من قرأ ، أو سمع الحديث ثم لم يقلها عشر مرات بل، ويجعلها من أذكار يومه التي تثقل ميزان يومه في الحساب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤١٤)

١٤١٤- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ[1]؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعتمد الترغيب في ذكر الله - تعالى- عن طريق أسلوب التشويق بالاستفهام في قوله (ألاَ أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق صعَّده بالفعل أخبر المضاف لكاف الخطاب التي تستولي على سمع المخاطب، وقلبه، ثم زاده تشويقا بأفعل التفضيل أحب، ودلالة الكلمة توحي بالقبول، والتفضيل، والرضا، وإضافتها للكلام تشير إلى عدم الكلفة، وقلة الجهد في العمل الذي يبشر بيسره، وتمكن المخاطب من إتيانه دون مشقة، ثم إن تعلق الجار، والمجرور في قوله (إلى الله) بأفعل التفضيل يعطيه بُعدا إيحائيا في خصوصية التفضيل؛ لأن رضا الله، وما يحبه هو غاية المؤمنين، وإعادة الجملة بلفظها في الجواب مؤكدة (إنَّ أَحَبَّ الكَلاَمِ إِلَى اللهِ) تقريرا لها وتثبيتا لمعناها في الأذهان لأهميته، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزهه عن كل عيب، ونقص، وعن مماثلة المخلوقين بأنه كامل الصفات واسع الهبات عظيم السلطان له المجد كله والحمد كله، ولهذا قرنه بقوله، وبحمده أي : ، وأحمدك فالباء هنا للمصاحبة أي أنك تجمع بين تنزيه الله عز وجل عن النقائص، والعيوب، وبين الثناء عليه بحمده سبحانه ، وفيه مراعاة نظير، وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه لأن التنزيه عن النقص يناسبه الثناء بالخير.

---

(١) عند مسلم زيادة: (قلتُ: يا رسول الله، أخبرني بأحب الكلام إلى الله).

(٢) برقم (٢٧٣١/٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٠) مع الزيادة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده.

أولاً- من موضوعات الدعوة: منزلة أبي ذر رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ:

حيث جاء في الحديث: "قال لي رسول الله ﷺ: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ فاختصاص النبي ﷺ أبا ذر رضي الله عنه بإخباره عن أحب الكلام إلى الله دليل على منزلته وعظيم فضله رضي الله عنه، قال ابن عبدالبر: "وأبو ذر الغفاري اختلف في اسمه والأكثر الأصح أنه جندب بن جنادة وهو من كبار الصحابة قديم الإسلام يقال: أسلم بعد أربعة فكان خامسًا، قال علي رضي الله عنه: "وعى أبو ذر علمًا عجز الناس عنه ثم أوكأ عليه فلم يخرج منه شيئًا"[1]. وقال ابن الجوزى: "كان أبو ذر طوالاً آدم، وقال خفاف بن إيماء: كان أبو ذر شجاعًا ينفرد وحده فيقطع الطريق ويغير على الصَّرْم[2] كأنه السبع ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام وسمع بالنبي ﷺ. بمكة فأتاه وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب: إلى أم ذر بلد موته فسألها عن عبادة أبي ذر قالت: كان نهاره أجمع في ناحية يتفكر، وعن بكر بن عبدالله عن أبي ذر أنه قال: يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح"[3].

ومما يدل على فضله ومنزلته عند رسول الله ﷺ ما جاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ، : «مَا أَظَلَّت الْخَضْرَاءُ ولاَ أَقَلَّت الغَبْرَاء أَصْدَقَ مِنْ أَبي ذَرٍّ»[4].

وفي حديث: إسلامه الطويل جاء فيه: ((وَجَاءَ رَسُولُ اللّهِ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ. وَطَافَ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٨٠٠.

(٢) الصَّرْم: الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء، النهاية في (ص ر م).

(٣) صفة الصفوة ١/ ٢٦٠.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٠١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٩٠).

بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ. ثُمَّ صَلَّى. فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ أَبُو ذَرٍ فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ. قَالَ: فَقُلْتُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ فَقَالَ وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ. قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ. فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ. فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ. فَدَفَعَنِي[1] صَاحِبُهُ. وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ. ثُمَّ قَالَ: مَتَى كُنْتَ هَهُنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَهُنَا مُنْذُ ثَلاَثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلاَّ مَاءُ زَمْزَمَ. فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي. وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ. قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ. إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ[2].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ ائْذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ. فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللّهِ وَأَبُو بَكْرٍ. وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا. فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا. فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ. وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا. ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ. ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِيَ أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ. لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ. فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللّهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ. فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَأَتَيْنَا أُمَّنَا. فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا. فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ. فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ. وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ إِيمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ. وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا. فَقَدِمَ رَسُولُ اللّهِ الْمَدِينَةَ. فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي. وَجَاءَتْ أَسْلَمُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إِخْوَتُنَا. نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ. فَأَسْلَمُوا. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: غِفَارُ غَفَرَ اللّهُ لَهَا: وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللّهُ))[3].

وقال ابن حجر: "كان أبو ذر من السابقين إلى الإسلام وكان طويلاً أسمر اللون نحيفًا، وقال أبو قلابة عن رجل من بني عامر دخلت مسجد منى فإذا شيخ معروق آدم

---

(١) في الطبقات وصحيح مسلم: فقدعني، أي منعني وكفني.

(٢) أي: يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام.

(٣) أخرجه مسلم ٢٤٧٣.

عليه حلة قطرى فعرفت أنه أبو ذر بالنعت، وكانت وفاته رضي الله عنه بالربذة سنة إحدى وثلاثين وقيل في التي بعدها وعليه الأكثر ويقال إنه صلّى عليه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه"[١].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة الهامة، "إن حاضري مجالس السؤال والجواب لابد أن تثير فيهم الأسئلة المطروحة انتباههم، إذ يشعرون أن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وأن تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة العالم بأجوبة المسائل المطروحة"[٢]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإكثار من قول سبحان الله وبحمده:

حيث جاء في الحديث: "إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده" قال الإمام النووي: في هذا الحديث: "أحب" وفي رواية "أفضل" وهذا محمول على كلام الآدمي وإلا فالقرآن أفضل، وكذا قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل المطلق، فأما المأثور في وقت أو حال ونحو ذلك فالاشتغال به أفضل"[٤]، وقال الطيبي: "وقوله: "سبحان الله، تنزيه لذاته عما لا يليق بجلاله، وتقديس لصفاته من النقائض فيندرج فيه معنى قول: "لا إله إلا الله" وقوله "وبحمده" صريح في معنى "والحمد لله، لأن الإضافة فيه بمعنى اللام في الحمد ومستلزم لمعنى "والله أكبر" لأنه إذا كان كل الفضل والإفضال لله ومن

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٦٦.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٦٠٣.

الله، وليس من غيره، فلا يكون أحد أكبر منه"[١].

ولأهمية التسبيح وفضله جاء في رواية أخرى للحديث الذي معنا أن رسول الله ﷺ سئل: «أي الكلام أفضل؟ قال: ما اصطفى الله لملائكته أو عباده: سبحان الله وبحمده»[٢].

قال الإمام القرطبي: (قلت: هذا الحديث يعارضه قوله في حديث أبي هريرة المتقدم في فضل التهليل. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك[٣]. وقوله: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[٤]. وقد تقدم في حديث سمرة ابن جندب قوله ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»[٥].

فقد مضى هذا الحديث بأن الأربعة متساوية في الأفضلية والأحبية من غير مراعاة تقديم بعضها على بعض، ولا تأخيره، وأن التسبيح وحده لا ينفرد بالأفضلية، ولا التهليل وحده أيضًا ينفرد بها. وإذا ثبت ذلك فحيث أطلق أن أحد هذه الأذكار الأربعة أفضل الكلام أو أحبه، إنما يراد إذا انضمت إلى أخواتها الثلاث المذكورة في هذا الحديث. إما مجموعة في اللفظ، أو في القلب بالذكر؛ لأن اللفظ إذا دلَّ على واحد منهما بالمطابقة دلَّ على سائرها باللزوم. وبيان ذلك: أن معنى سبحان الله: البراءة له من كل النقائص، والتنزيه عما لا يليق بجلاله، ومن جملتها تنزيهه عن الشركاء، والأنداد وهذا معنى لا إله إلا الله. هذا مدلول اللفظ من جهة مطابقته، ولما وجب تنزيهه عن صفات النقص لزم اتصافه بصفاته الكمال، إذ لا واسطة بينهما، وهي المعبر عنها

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٤/٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٥٩.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ٢١٥/١، رقم ٩٠٨، وأخرجه الترمذي ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٧).

(٥) أخرجه مسلم، ٢١٣٧.

بالحمد لله. ثم لما تنزه عن صفات النقص، واتصف بصفات الكمال وجبت له العظمة والجلال.

وهو معنى: الله أكبر. فقد ظهر لك أن هذه الأربعة الأذكار متلازمة في المعنى، وأنها قد شملها لفظ الأحبية، كما جاء في الحديث. فمن نطق بجميعها فقد ذكر الله تعالى بأحب الكلام إلى الله، لفظًا ومعنى، ومن نطق بأحدها فقد ذكر الله ببعض أحب الكلام نطقًا، وبجميعها معنى من جهة اللزوم الذي ذكرناه. فتدبر هذه الطريقة، فإنها حسنة، وبها يرتفع التعارض المتوهم بين تلك الأحاديث -والله تعالى أعلم-. ولم أجد في كلام المشايخ ما يقنع، وقد استخرت الله فيما ذكرته[1].

وبالجملة فذكر الله على كل حال من أحب الأمور إلى الله، ولقد أخبر جل وعلا أن الذكر أكبر من كل شيء فقال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

قال ابن القيم: (وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أن ذكر الله أكبر من كل شيء، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره، فهو سر الطاعات وروحها.

الثاني: أن المعنى أنكم إذا ذكرتموه ذكركم، فكان ذكره لكم أكبر من ذكركم له فعلى هذا: المصدر مضاف إلى فاعل، وعلى الأول: مضاف إلى مذكور.

الثالث: أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه فاحشة ومنكر، بل إذا تمَّ الذكر محق كل خطيئة ومعصية. هذا ما ذكره المفسرون والرابع ما سمعته من شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: معنى الآية أن في الصلاة فائدتين عظيمتين: إحداهما: نهيًا عن الفحشاء والمنكر، والثانية: اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر)[3].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٩/٧، ٦٠.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٣) مدارج السالكين ٢٦٢/٣، ٢٦٣.

ومن عظم فضل ذكر الله نجده تعالى يختم به الأعمال الصالحة فقد ختم به الحج في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها، وقوله "كذكركم آباءكم" هو كقول الصبي أبه أمّه، يعني كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه، فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك)[2].

قال ابن القيم: (وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة، ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصل)[3].

وختم سبحانه وتعالى به الصلاة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]، وختم سبحانه وتعالى به صلاة الجمعة فقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5]. قال الطبري: (أي: واذكروا الله كثيرًا بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا فتدركوا طلباتكم عند ربكم، وتصلوا إلى الخلد في جنانه)[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦١.

(٣) بدائع التفسير، ابن القيم، جمع يسري السيد أحمد، ١/٣٨٩.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٢/٦٤٤.

الحديث رقم (١٤١٥)

١٤١٥- عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

الشرح الأدبي

الحديث يتميز بإيجاز القصر الذي يشتمل على المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، لأن يتكون من ثلاث جل لو أردنا أن نستخرج ما فيها من المعاني لسودنا الصحف الطوال ولما أتينا على معناها، فقوله الطهور صيغة مبالغة من الطهر إذا ما أطلقت أوحت بتعدي معنى الطهر من صاحبه إلى من حوله فكأنه فاض على من حوله، ثم إن الطهارة معنى لازم لكل عبادة من العبادات بوجه من الوجوه لذلك قيل: أن الإيمَان يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الْبَاطِنِ وَالْوُضُوءُ يُطَهِّرُ نَجَاسَةَ الظَّاهِرِ وَهَذَا إِنْ تَمَّ يُفِيد أَنَّ الْوُضُوء شَطْرُ الإيمَانِ وَالأَظْهَرُ الأَنْسَبُ أَنْ يُقَالَ أَرَادَ بِالإِيمَانِ الصَّلاة كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَى وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانكُمْ الْكَلام عَلَى تَقْدِيره مُضَاف أَيْ إِكْمَال الْوُضُوء شَطْر إِكْمَال الصَّلاة وَتَوْضِيحه أَنَّ إِكْمَال الصَّلاة بِإِكْمَالِ شَرَائِطهَا الْخَارِجَة عَنْهَا وَأَرْكَانهَا الدَّاخِلَة فِيهَا وَأَعْظَمُ الشَّرَائِط الْوُضُوء فَجُعِلَ إِكْمَالُهُ نِصْفَ إِكْمَال الصَّلاة وَيَحْتَمِل أَنَّ الْمُرَاد التَّرْغِيب فِي إِكْمَال الْوُضُوء وَتَعْظِيم ثَوَابه حَتَّى كَأَنَّهُ بَلَغَ إِلَى نِصْف ثَوَاب الإِيمَان، وقوله (وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ) كناية عن عظمة الثواب ومن المعلوم أن الكناية تحتمل الحقيقة بمعنى أن تتحول الأعمال إلى أجسام توضع في ميزان العبد حقيقة، وتملؤه وتثقل به، ويحتمل أن تكون معنوية مجازا عن عظمة الثواب، وبين هذا العبارة

---

(١) برقم (١/٢٢٣)، وتقدم برقم (٢٥)، أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١) بتمامه.

وسابقتها سجع بديع يحقق قبولا في النفس، وراحة في السمع، وتيسيرا في الحفظ، وفيها ترصيع يعمل في نفس اتجاه السجع، ويضبط توازن الإيقاع بين العبارتين وكأن الرسول ﷺ يريد منها أن تكون نشيد الصالحين تقربا لله بما يحقق رضاه، ويحقق الأجر العظيم للعبد، وقوله (وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الطباق بين السماء، والأرض يؤكد استغراق المكان بالملأ دليلا على عظمة الأجر وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: الْحَمْد رَاجِع إِلَى الثَّنَاء عَلَى اللَّه تَعَالَى بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ فَإِذَا حَمِدَ اللَّه تَعَالَى حَامِد مُسْتَحْضِر مَعْنَى الْحَمْد فِي قَلْبه امْتَلأ مِيزَانه مِنْ الْحَسَنَات فَإِذَا أَضَافَ إِلَى ذَلِكَ سُبْحَان اللَّه الَّذِي مَعْنَاهُ تَبْرِئَة اللَّه وَتَنْزِيهه عَنْ كُلّ مَا لا يَلِيق بِهِ مِنْ النَّقَائِص مَلأَتْ حَسَنَاته وَثَوَابهَا زِيَادَة عَلَى ذَلِكَ مَا بَيْن السماوات وَالأَرْض إِذْ الْمِيزَان مَمْلُوء بِثَوَابِ التَّحْمِيد وَذِكْر السماوات عَلَى جِهَة الاعْتِنَاء عَلَى الْعَادَة الْعَرَبِيَّة. وَالْمُرَاد أَنَّ الثَّوَاب عَلَى ذَلِكَ كَثِير جِدًّا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَجْسَامًا لَمَلا مَا بَيْنهمَا[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر حاشية السندي على سنن النسائي الحديث (٢٣٦٤).

(٢) ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٥).

الحديث رقم (١٤١٦)

١٤١٦- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ أعْرَابيٌّ إلَى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وَ[1] سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ)) قَالَ: فهؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

يقوم المعنى في الحديث على الأسلوب الحواري الذي ربىَّ الرسول ﷺ عليه المسلمين في الاستفسار عن أمور دينهم وقوله (جاء أعرابي إلى رسول ﷺ) التعبير بالمجيء يفيد القصد إلى الرسول ﷺ لغرض السؤال، وكون السائل الأعرابي يشير إلى بعد المسافة التي قطعها ليأتي للنبي ﷺ مما يشير إلى حرصه على العلم والعمل الذي يقربه من الله تعالى، ويدل على ذلك قوله (علمني كلاما. .) وتخصيصه السؤال بالكلام يشير إلى أنه يريد أن يتعلم ذكرا لله يتقرب به إليه يناسب طبيعة عمل أهل البادية في الرعي الذي يستغرق معظم اليوم، والذكر لا يعطله عنه، وقد أجابه الرسول ﷺ بما يريد (قُلْ...) الأمر بالقول توجيه لما يحقق الغاية والصيغة التي علمه إياها اشتملت على جملة من الفضائل تجعلها من أعظم الأذكار ثوابا منها: أنها اشتملت على كلمة التوحيد (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) وأكدها بنفي ضدها لأن القوم كانوا حديثي عهد بتعدد الآلهة (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) كما اشتملت على تكبير الله، وتوكيده بقوله كبيرا

---

(١) عند مسلم بدون الواو، والزيادة من المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٢٦٩٦/٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٠٦).

يستغرق أركان النفس حتى لا يرى في الكون شاغلا عنه يشغله عن هذا الكبير كما تضمنت الثناء على الله على ما بين يديه من نعمه، وتنزيهه عن كل نقص، مع الإقرار بأنه صاحب القدرة، والتصرف في الكون فينطلق هذا الأعرابي ما ينطلق في صحرائه يرى الجبل فيرى قدرة الله فيه، ويرى سعة الصحراء فيرى فيها بسط سلطانه، ويرى في ارتفاع سمائه علوه وقهره، وهذا الدعاء من أكثر الأدعية التي احتوت على الأجر العظيم الذي أخبر عنه في أحاديث أخرى.

المضامين الدعوية

أولاً: من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه.

أولاً - من حقوق المدعو: تعلم الأدعية المشروعة وسؤال أهل العلم:

حيث جاء في الحديث: "جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ.."، ولاشك أن من أهم حقوق المدعو تعلم الأدعية المشروعة فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين[1]"، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ومعلم أو متعلم"[2]. وهذا يدل على فضل التعلم أي سؤال أهل العلم فهذا ما أرشدت إليه نصوص القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]، قال السعدي: "وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم

---

(١) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٢٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٩١).

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك[١].

ثانيًا- من واجبات الداعية: إرشاد المدعو إلى ما ينفعه:

حيث جاء في الحديث: "قال: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له..." وقوله: قل اللهم اغفر لي وارحمني..."، والداعية الناجح من أهم واجباته أن يرشد المدعوين إلى ما ينفعهم ويدلهم عليه لأنه بهذا يتضح حرصه على المدعوين وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]، وقال الرسول الكريم في فضل الإرشاد إلى الخير: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"، أو قال عامله"[٣].

فعلى الداعي أن لا يبخل بتعليم ما يحسن، ولا يمتنع من إفادة ما يعلم، فإن البخل به ظلم ولؤم والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ للمرشدين البخل بما منحوه جودًا من غير بخل وأوتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما لو بذلوه لزاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى؟ ولو استن بذلك من تقدمهم ما وصل العلم إليهم وانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٤]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٨.

(٢) سورة التوبة، آية : ١٢٨.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠.

نزلت في أحبار اليهود، والحكم عام كما تدل عليه الأخبار، والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصدًا مع مساس الحاجة إليه، وتحقق الداعي إلى إظهاره. والبينات الواضحة الآيات الدالة على الحق، ومن ذلك ما أنزلناه على موسى وعيسى في أمر محمد صلوات الله عليهم أجمعين، والهدى كل ما يهدى إلى وجوب اتباعه ﷺ والإيمان به، وهى الآيات الشاهدة على صدقه عليه الصلاة والسلام، والعطف باعتبار التغاير في المفهوم، ويلعنهم الله يبعدهم عن رحمته، ويذيقهم أليهم نقمته، ويلعنهم اللاعنون يدعو عليه بالإبعاد عن رحمة الله كل من يتأتى منه اللعن من الملائكة والثقلين، والآية كما ترى تدل على وجوب إظهار علم الشريعة وحرمة كتمانه.

وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. قال بعض الحكماء: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وفي منثور الحكم: من كتم علمًا فكأنه جاهله.

ثم له بالتعليم نفعان: أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله تعالى، والنفع الثاني: زيادة العلم وإتقان الحفظ فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا لما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يُخمدها أن لا تجد حطبًا. كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه فإياك والبخل بما تعلم. وقال بعض العلماء: علِّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذن أنت قد علمت ما جهلت. وحفظت ما علمت. وبالجملة فنشر العلم أعظم للأجر وأرفع للذكر وأرسخ للمعلوم[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على ما ينفعه من عمل الخير والدعاء:

حيث جاء في الحديث:"علمني كلامًا أقوله.." وقوله: "فهؤلاء لربي فما لي؟، وهذا يبين أن من آداب المدعو أن يحرص على ما ينفعه ويتحراه ويتبعه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ ١٠٦، ١٠٧.

أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[١]، قال الإمام القرطبي: قال علماؤنا: "أعلم ﷺ. أن من اتبع القرآن ومواعظه حالة الفترة، واقتضى العلم والسنن عند ظهور البدع لا يقصر حاله عن حال الصديقين، ولا تنزل درجته عن درجات الصحابة والتابعين"[٢].

ولقد كان من هدى الصحابة رضي الله عنهم الحرص على ما ينفعهم من عمل الخير، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «سألتُ النَّبيَّ ﷺ أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ وجهادٌ في سبيلهِ. قلتُ: فأيُّ الرِّقابِ أفضلُ؟ قال: أغلاها ثمنًا، وأنفسُها عندَ أهلِها. قلتُ: فإنْ لم أفعلْ؟ قال: تُعِينُ ضائعًا، أو تَصنَعُ لأخرَقَ. قال: فإن لم أفعلْ؟ قال: تَدَعُ الناسَ منَ الشرِّ، فإنَّها صدَقةٌ تَصدَّقُ بها على نفسِك»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه قال: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلاَةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْضَلُ الصَّلاَةِ، بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلاَةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ. وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ»[٤].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله سبحانه:

حيث جاء في الحديث: «قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا...». وذكر الله تعالى من أفضل الأمور والأحوال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٦]، والواجب على المسلم ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهارًا وفي كل الأوقات إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة، والذين يفعلون هذا هم المؤمنون المتقون إذ الرحمن

---

(١) سورة الأعراف، آية : ٣.

(٢) التذكار في أفضل الأذكار، الإمام القرطبي، ص٧٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٥٦.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

يصلي عليهم وملائكته كذلك[١].

ولقد حذر الله تعالى من نسيان ذكره، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢]. وبين الله تعالى أن ذكره أكبر من كل شيء قال تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[٣]. قال الإمام ابن القيم: (والذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، والذكر هو السبب الواصل والعلاقة التي بينهم وبين علام الغيوب به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصائب إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم وهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون. قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وفي قراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، وقال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان. والذكر هو روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه)[٤].

قال القاضي عياض: (والذكر ذكران: ذكر الله بالقلب: وهو الذكر الخفي، وذكر القلب - أيضًا- عند أوامره ونواهيه. وذكر باللسان: كما جاء عن عمر بن الخطاب، فذكره بالقلب، وهو الذكر الخفي وهو أرفع الأذكار، الفكرة في عظمة الله وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في أرضه وسماواته، وبعده ذكره بالقلب عند أوامره ونواهيه، فينتهي عما نهى عنه، ويمتثل ما أمر به، ويتوقف عما أشكل عليه. وذكره باللسان مجردًا هو أضعف هذه الأذكار الثلاث، لكن له فضل عظيم، كما جاء في الآثار: لكل فضل بقدر مرتبته.

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر الجزائري، ١٧١.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٤) مدارج السالكين ٢٥٩/٣، ٢٦٠.

وقد ذكر أبو جعفر الطبري وغيره اختلاف السلف: أيهما أفضل الذكر باللسان أو بالقلب؟ والخلاف عندنا إنما يتصور في تحديد الذكر بالقلب من التسبيح والتهليل وشبهه من أذكار اللسان إذا لم ينطق بها اللسان وعليه يدل كلامهم، لأنهم مختلفون في الذكر الخفي للذي ذكرناه أولاً من الفكر وإحضار دلائل المعارف والعظمة، فتلك لا يتلونها ذكر اللسان، فكيف يتفاضل معها، وإنما الخلاف فيما ذكرناه، وكل ذلك مع حضور الثلاث بذكر اللسان، فأما والقلب لاهٍ فلا.

فمن رأى ذكر القلب أفضل قال: لأن عمل السر أفضل. ومن قال: ذكر اللسان أفضل قال: لأن فيه زيادة أعمال الجوارح على عمل ذلك بالقلب، ففيه زيادة عمل منه تقتضي زيادة أجر، ولذلك اختلفت في ذكر القلب، هل تكتبه الملائكة ويعمل؟ فقيل ذلك وأن الله يجعل لها على ذلك علامة، وقيل: إنه لا يكتب لأنهم لا يطلعون عليه)[1].

وما من شك في أن ذكر الله من أجَلِّ الأمور في حياة المسلم وأنفعها له، إذ إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

بالذكر تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان، لا حد لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا، مفيقًا وراقدًا قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2].

قلوب المحبين لا تطمئن إلا بذكره، وأرواح المشتاقين لا تسكن إلا برؤيته، قال ذو

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٨٩/٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته. قال ابن عمر: أخبرن أهل الكتاب أن هذه الأمة تُحبُّ الذكر كما تُحبُّ الحمامةُ وكرها، ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمئها.

الذكر دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، والصلاة ذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[2]، والحج شرع للذكر: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾[3].

قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين كلّموا الله كثيرًا، وكلموا الناس قليلاً، قالوا: كيف نكلم الله كثيرًا؟ قال: اختلوا بمناجاته، اخلوا بدُعائه.

قيل لمحمد بن النضر: أما تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحشُ وهو يقول: أنا جليسُ من ذكرني؟

كتمت اسم الحبيب من العباد ... ورددت الصبابة في فؤادي

فواشوقًا إلى بلد خلي ... لعلي باسم من أهوى أنادي

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء، ولا يوازيه شيء[4].

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٢) سورة طه، آية: ١٤.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٤) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣٣٢، ٣٣٣.

الحديث رقم (١٤١٧)

١٤١٧- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: ((اللَّهُمَّ أنتَ السَّلامُ، ومِنكَ السَّلامُ، تَبارَكْتَ يا ذا الجَلالِ والإكْرامِ)) قيلَ للأوزاعيِّ -(وهُوَ أحَدُ رواة الحديث)[1]-: كَيْفَ الاستِغْفارُ؟ قالَ: تقول: أستَغفِرُ الله، أستَغفِرُ الله. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٩).

غريب الألفاظ:

إذا انصرف من صلاته: المراد بالانصراف السلام[3].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق قررت عن طريق التوجيه المباشر، والحوار الهادف، والتقرير النبوي بعض أذكار الرسول ﷺ التي رغب في أن يجعلها المؤمن في ورده قربة دون كلفة من ربه، وفي هذا الحديث يقرر بعض الأذكار عن طريق فعل الرسول ﷺ حيث تتلقاها وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان، ولذلك أشار الراوي ثوبان رضي الله عنه إلى أنها عادته بعد كل صلاة وقد دل على ذلك بالتعبير بفعل الكينونة الماضي، وأكدها بأسلوب الشرط الذي يربط الانصراف من الصلاة بالاستغفار، وقول هذا الدعاء في قوله: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثاً) والاستغفار دبر الأعمال الصالحة بمثابة اعتذار عما وقع فيها من التقصير، حتى، وإن اجتهد العبد في تمامها، وأتمها، فإنها أقل من أن تصلح لتقدم لملك الملوك، وقوله (اللَّهُمَّ

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٥٩١/١٣٥). وسيكرره المؤلف برقم (١٨٨٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

أنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ) العبارة تفيض بالخضوع، والإجلال، والتعظيم، كما أنها تفيض بمعاني الأمن، والسلامة والرحمة المنبعثة من اسم الله السلام الذي هو منبع كل سلام، وفي العبارة سجع بديع متناسق مع المعنى مع انسجام في العبارات يجعل العبارة سهلة الحفظ، عذبة النطق مقبولة في النفس مهما تكررت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته..."، وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة حيث يخبر المدعو بالأمور والأحكام الشرعية وقد أمر الله بالإخبار والبلاغ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]. "فهذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ، بأعظم الأوامر وأجلها وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ، من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلّغ ﷺ، أكمل تبليغ ودعا، وأنذر وبشر ويسر وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "كان رسول الله ﷺ. إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ. تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ» وهذا

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٢٠١.

بيان لهدى النبي ﷺ. وما كان عليه. ولقد كان من هدى النبي ﷺ ذكر الله تعالى بعد الصلاة.

قال النووي: (وأما الذكر بعد الصلاة ففيه حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ بالتكبير. وفي رواية: أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ وأنه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته»[1].

هذا دليل لما قاله بعض السلف أنه يستحب رفع الصوت بالتكبير والذكر عقب المكتوبة وممن استحبه من المتأخرين ابن حزم الظاهري، ونقل ابن بطال وآخرون أن أصحاب المذاهب المتبوعة وغيرهم متفقون على عدم استحباب رفع الصوت بالذكر والتكبير، وحمل الشافعي هذا الحديث على أنه جهر وقتًا يسيرًا حتى يعلمهم صفة الذكر لا أنهم جهروا دائمًا قال: فاختار للإمام والمأموم أن يذكر الله تعالى بعد الفراغ من الصلاة ويخفيان ذلك إلا أن يكون إمامًا يريد أن يتعلم منه فيجهر حتى يعلم أنه قد تعلم منه ثم يسر وحمل الحديث على هذا)[2].

ثم قال النووي في موطن آخر:

(وقوله: "إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا"، المراد بالانصراف السلام)[3].

ولقد كان من هدى النبي ﷺ بعد الصلاة ألا يطيل الجلوس في مكانه الذي صلى فيه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لَمْ يَقْعُدْ. إِلاَّ مِقْدَارَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[4].

قال الإمام القرطبي: (قول عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد إلا

---

(١) أخرجه مسلم ٥٨٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٣٥.

(٣) المرجع السابق نفسه ٤٣٧.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٢.

بمقدار ما يقول: اللهم أنت السلام" الحديث) دليل لمالك: على كراهيته للإمام المقام في موضعه الذي صلى فيه بعد سلامه خلافًا لمن أجاز ذلك، والصحيح: الكراهة لهذا الحديث، ولما رواه البخاري من حديث أم سلمة: «أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا سلَّمَ يَمكُثُ في مكانهِ يَسيرًا. قال ابنُ شِهابٍ: فنرى ـ واللهُ أعلمُ ـ لكي يَنفُذَ مَن يَنصرِفُ مِنَ النِّساءِ» ووجه التمسك بذلك أنهم اعتذروا عن المقام اليسير الذي صدر عنه عليه الصلاة والسلام. وبينوا وجهه، فدل ذلك: على أن الإسراع بالقيام هو الأصل والمشروع، وأما القعود فإنما كان منه ليستوفى من الذكر ما يليق بالسلام الذي انفصل به من الصلاة، ولينصرف النساء. وقد روى البخاري أيضًا عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: ((أنه ﷺ كان إذا صلى أقبل بوجهه))[1]. وهذا يدل على أن إقباله على الناس كان متصلاً بفراغه، ولم يكن يقعد. وقد روى أبو أحمد بن عدي ما هو أنص من هذا كله عن أنس قال: صليت مع رسول الله ﷺ فكان ساعة يسلم يقوم، ثم صليت مع أبي بكر فكان إذا سلم وثب كأنه يقوم عن رضفه[2]. وهذا الحديث وإن لم يكن في الصحة مثل ما تقدم، فهو عاضد للصحيح، ومبين لمضمونه. وإذا كره له القعود في موضع صلاته، فأحرى وأولى أن تكره له الصلاة فيه. وقد روى أبو داود عن المغيرة بن شعبة، قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُصَلِّي الْإِمَامُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ حَتَّى يَتَحَوَّلَ»[3]. ويعتضد هذا من جهة المعنى، بأن ذلك الموضع إنما استحقه الإمام للصلاة التي يقتدى به فيها، فإذا فرغت ساوى الناس، وزال حكم الاختصاص. والله أعلم.

و(قوله: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"، السلام الأول: اسم من أسماء الله تعالى. كما قال تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾[4]، والسلام الثاني: السلامة، كما قال

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٨٦.

(٢) أخرجه بن عدي في الكامل ١٥١٦/٤، والرضفة: الحجر المحمي على النار، انظر: النهاية لابن الأثير، ٣٦١.

(٣) أخرجه أبو داود، ٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٥٧٦).

(٤) سورة الحشر، آية: ٢٣.

تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[١]. ومعنى ذلك: أن السلامة من المعاطب والمهالك إنما تحصل لمن سلمه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[٢].

(وقوله: "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" تباركت: تفاعلت، من البركة، وهي: الكثرة والنماء، ومعناه: تعاظمت:؛ إذ كثرت صفات جلالك وكمالك. و"ذا الجلال" ذا العظمة والسلطان. وهو على حذف حرف النداء. تقديره: يا ذا الجلال. و "الإكرام": الإحسان وإفاضة النعم)[٣].

وهذا واجب الدعاة إلى الله تعريف الناس بهدى النبي ﷺ. لأنه الأسوة والقدوة قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ. في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ. يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، فكأنه قال: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٥])[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار والاستزادة منه:

حيث جاء في الحديث: ((كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا))، ومما لا شك فيه أن الاستغفار مما أمر الله به في كتابه، فقال الله على لسان

---

(١) سورة الواقعة، آية: ٩١.

(٢) سورة يونس، آية: ١٠٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢١١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١

(٦) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٩١.

نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[١]. قال ابن علان: (وفي قوله استغفر الله ثلاثًا " إيماء إلى أنه ينبغي عدم النظر لما يأتي به العبد من الطاعة، فذلك أقرب للقبول، والتكرار للمبالغة في رؤية النقص فيما جاء به وأنه لشدته محتاج لتتابع الاستغفار عليه ليذهب بعضه ومعنى الاستغفار أى أسأله المغفرة، وحذف المتعلق ليعم كل ذنب وتكراره مرتين للتأكيد وإيماء إلى طلب الإكثار منه ولا يقتصر فيه على مسماه)[٢].

ولقد علم النبي ﷺ أمته سيد الاستغفار فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سيدُ الاستغفارِ أن يقولَ: اللهمَّ أنتَ ربِّي لاإلهَ إلا أنت، خلَقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِكَ ووَعدِكَ مااستطعتُ، أعوذُ بك من شر مَا صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بذنبي، فاغفِرْ لي، فإنه لايَغفرُ الذنوبَ إلا أنت. قال: ومن قالها من النهارِ مُوقِنًا بها فماتَ من يومهِ قبل أن يمسي فهو من أهلِ الجَنة، ومن قالها من الليلِ وهو موقِنٌ بها فماتَ قبلَ أن يصبحَ فهو من أهل الجنة»[٣]. وفي فضل الاستغفار قال ﷺ: «مَنْ قالَ أسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِن كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[٤]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على الله مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه)[٥].

وقال الفيروز آبادي: (والغفر: الستر. اللهم غفرًا. والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. وقد يقال: غفر له إذا تجاوز عنه في الظاهر وإن لم

---

(١) سورة نوح، آية: ١٠.

(٢) دليل الفالحين ١٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٤) أخرجه أبو داود ١٥١٧ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٣).

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٣٠٢/٢.

يتجاوز في الباطن، نحو: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[1]. والاستغفار: طلب المغفرة قولاً وفعلاً. وقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[2]، لم يؤمروا أن يسألوه ذلك باللسان فقط، بل به وبالفعل، فبدونه قول الكاذبين. وقوله ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾[3]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[4]، وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[5]، فيه من تأميل الراجين، وتأنيس المذنبين ما لا يخفى.

كُلُّ الذُّنوبِ فإنَّ الله يغفِرها ... إن شَيَّعَ[6] المَرءَ إخلاصٌ وإيمانُ
وكُلُّ كَسْرٍ فإنَّ الله يَجبُرُهُ ... وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّينِ جُبْرانُ

واعلم أن كل أحد - من عهد آدم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة - من نبي ووليٍّ، ومؤمن موقن وصادق، وفاسق، وكافر ونافر، ومخلص، إلا وهو ينتظر بحفه المغفرة.

ثم إن الله تعالى نبه على أن المشرك غير أهل للمغفرة فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[7]، ثم أمر الله نبيه ﷺ بالعفو والاستغفار، للأخيار والأبرار، فقال جل شأنه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[8]. وحملة العرش يتوسلون إلى الله بطلب المغفرة للمؤمنين من عباده، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ

---

(١) سورة الجاثية، آية: ١٤.
(٢) سورة نوح، آية: ١٠.
(٣) سورة طه، آية: ٨٢.
(٤) سورة الزمر، آية: ٥٣.
(٥) سورة غافر، آية: ٣.
(٦) شَيَّع: قوى وشجع.
(٧) سورة النساء، آية: ٤٨.
(٨) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[١]. وتضرع أهل الإيمان وانتهاؤهم إلى الرحمان في طلب الغفران، قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٢]. وبشر عباده بأعظم البشرى بأنه سبحانه ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[٣]، وقال جل شأنه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٤][٥].

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٣) سورة المدثر، آية: ٥٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٩.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ٤/١٣٦-١٣٩.

الحديث رقم (١٤١٨)

١٤١٨- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

ولا ينفع ذا الجدِّ: الجد بمعنى الحظ والسعادة والغنى[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يسوق ذكرا ينضم إلى سابقيه في كونه واقعا بعد الفراغ من الصلاة، ومتكررا منه، وقد دل على ذلك بالفعل الماضي (كان) مع أسلوب الشرط الذي يربط فراغه من الصلاة بقول هذا الدعاء (إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ وَسَلَّمَ، قَالَ) والدعاء الذي تضمنه الحديث يحتوي على توحيد لله تعالى، ونفي الشرك عنه، وهو أهم الأسس التي قررها الإسلام، وأكثر الرسول ﷺ من ترديدها في كثير من الأذكار حتى تختلط بلحم المؤمن، وعظمه، وتخامر نفسه مع الاعتراف بملكه، وقدرته، والثناء عليه، ثم تقرير قدرته على المنع، والعطاء عن طريق أسلوب المقابلة بين الصفات المتضادة (لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ) حيث قابل بين المنع، والعطاء، وبين العطاء، والمنع، وكل منهما يؤكد معنى الآخر كما أكد عن طريق الجناس أنه لا يغني عن غني غناه من الله شيئا في قوله: (ولا ينفع ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٠)، ومسلم (٥٩٣/١٣٧) ولفظهما سواء

(٢) النهاية في (ج د د).

والجد هُوَ بِمَعْنَى الْحَظّ وَالْبَخْت، وَمَعْنَاهُ لا يَنْفَع مَنْ رُزِقَ مَالاً وَوَلَدًا وَجَاهًا دُنْيَوِيًّا شَيْء مِنْ ذَلِكَ عِنْدك، وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى (يَوْم لا يَنْفَع مَال وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى اللَّه بِقَلْبٍ سَلِيم) (الشعراء ٨٨ : ٨٩)

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ. في الأذكار بعد الصلاة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً - من مهام الداعية: بيان هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلاة:

حيث جاء في الحديث: "أن رسول الله ﷺ. كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد..." وهذه من أولى مهام الداعية أن يبين هدى النبي ﷺ، في الأذكار بعد الصلوات حتى يلتزم بها المدعو، ويرددها ويقولها كما كان النبي ﷺ، يفعل ذلك، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في هذه الأحاديث الحض على الذكر في أدبار الصلوات وأن ذلك يوازي إنفاق المال في طاعة الله. سئل الأوزاعي هل الذكر بعد الصلاة أفضل أم تلاوة القرآن؟ فقال: ليس شيء يعدل القرآن، ولكن كان هدى السلف الذكر وفيها أن الذكر المذكور يلي الصلاة المكتوبة ولا يؤخر إلى أن يصلي الراتبة"[2].

وفي هذين الحديثين هدى النبي ﷺ في الحرص على الذكر والدعاء بعد الصلاة، قال الإمام القرطبي: (وقد اتفق سياق هذه الأحاديث والتي قبلها: على أن أدبار الصلوات أوقات فاضلة للدعاء والأذكار، فيرتجى فيها القبول، ويبلغ ببركة التفرغ لذلك إلى كل مأمول. وتسمى هذه الأذكار: معقبات؛ لأنها تقال عقيب الصلوات، كما قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "دبر كل صلاة"، أي: آخرها. ويقال: دبر بضم الدال.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤١٩).

(٢) فتح الباري ١٣٩/١١.

وحكى أبو عمر المطرز في "اليواقيت" دبر كل شيء بفتح الدال: آخر أوقات الشيء، الصلاة وغيرها. قال: وهذا هو المعروف في اللغة، قال: وأما الجارحة: فبالضم. وقال الداودي عن ابن الأعرابي: دبر الشيء، ودبره، بالوجهين: آخر أوقات الشيء، والديار جمعه، ودابر كل شيء: آخره أيضًا. وأما اجتهاد النبي ﷺ في الاستعاذة مما استعاذ في الدعاء بما دعا - وإن كان قد أمن قبل الاستعاذة، وأعطي قبل السؤال- فوفاء بحق العبودية، وقيام بوظيفة الشكر وبحق العبادة، كما قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»[1][2].

هذا وقد قال ابن القيم: (وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين، فلم يكن ذلك من هديه ﷺ أصلاً، ولا روى عنه بإسناد صحيح، ولا حسن. وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر، فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه، ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضًا من السنة بعدهما، والله أعلم. وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها، وأمر بها فيها، وهذا هو اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه، يناجيه ما دام في الصلاة، فإذا سلم منها، انقطعت تلك المناجاة، وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه، والإقبال عليه، ثم يسأله إذا انصرف عنه؟! ولا ريب أن عكس هذا الحال هو الأولى بالمصلي، إلا أن ها هنا نكتة لطيفة، وهو أن المصلي إذا فرغ من صلاته، وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالأذكار المشروعة عقيب الصلاة، استحب له أن يصلي على النبي ﷺ بعد ذلك، ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية، لا لكونه دبر الصلاة، فإن كل من ذكر الله، وحمده وأثنى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ استحب له الدعاء عقيب ذلك، كما في حديث فضالة بن عبيد: «إذا صلى أحدكم، فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء» قال الترمذي: حديث صحيح[3]، [4].

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٤٧، ومسلم ٢/٢١٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢١٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٧).

(٤) زاد المعاد ١/٢٥٧، ٢٥٨.

ويرى ابن حجر أن الدعاء بعد الصلاة مشروع حيث قال: (وقوله "باب الدعاء بعد الصلاة" أي المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكًا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبدالله بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا سَلَّمَ، لا يثبت إِلاَّ قَدْرَ مَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفى استمراره جالسًا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه "كان إذا صلى أقبل على أصحابه" فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، وما ادعاه ابن القيم من النفي مطلقًا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: ((يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك))[2]، وحديث أبي بكرة في قول: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ والفَقْرِ وعَذابِ القَبْرِ، كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة»[3]. وغير ذلك، فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعًا، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد أخرج الترمذي من حديث أبي أمامة، قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات[4]، وقال حسن، وأخرج الطبري من رواية جعفر بن محمد الصادق قال: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة"، وفهم كثير ممن لقيناه من الحنابلة أن مراد بن القيم نفى الدعاء بعد الصلاة مطلقًا، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه يفيد استمرار استقبال المصلى القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٣) أخرجه النسائي ١٣٤٧، وقال الألباني: صحيح الإسناد (صحيح سنن النسائي ١٢٧٦).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢).

الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ[١].

وقال ابن القيم في فضل اتباع هديه ﷺ: "وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدى النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه، وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر، ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما:

حيث جاء في الحديث: "أن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم قال ابن الزبير: "وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة مكتوبة" وهذا يدل على فضل عبدالله بن الزبير ومدى اتباعه لهدى النبي ﷺ، قال ابن عبدالبر: "هو عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه وكان أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة وفرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم: أن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم، قال علي بن زيد الجدعاني: كان عبدالله بن الزبير كثير الصلاة كثير الصيام شديد البأس كريم الجدات والأمهات والخالات، وكان رضي الله عنه شهمًا شرسًا ذا أنفة وكانت له لسانة وفصاحة وكان أطلس لا لحية له ولا شعر في وجهه"[٣].

وقال ابن حجر: (ولد عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما عام الهجرة وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدّث عنه بجملة من الأحاديث وهو أحد العبادلة، وأحد الشجعان من الصحابة وأحد من ولى الخلافة منهم. وروى أن الزبير قال لابنه عبدالله أنت أشبه الناس بأبي بكر وجاء عن ابن عباس أنه وصف ابن الزبير فقال: عفيف الإسلام قارئ القرآن أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه بنت الصديق وجدته صفية عمة رسول الله ﷺ"[٤].

---

(١) فتح الباري ١/١٣٧-١٣٨.

(٢) زاد المعاد ١/٦٩-٧٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣٩٩.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ٧٧٢.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث قال ابن الزبير:"وكان رسول الله ﷺ يهلل بهم دبر كل صلاة مكتوبة"، وهذا يبين مدى حرص الصحابة على التأسي برسول الله ﷺ. لأنه الدعوة والقدوة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾[1]، قال السعدي: "فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ. فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصراط المستقيم وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن ما معه من الإيمان والخوف من الله يحثه على التأسي بالرسول ﷺ "[2].

ومن صور حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «أَنَّهُ جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ فَقَبَّلَهُ فَقال: إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»[3]. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب لسعد رضي الله عنهما: «قَدْ شَكَوْكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي الصَّلاَةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَمُدُّ فِي الأُولَيَيْنِ وَأَحْذِفُ فِي الأُخْرَيَيْنِ، وَمَا آلُو مَا اقْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ، أَوْ ذَاكَ ظَنِّي بِكَ»[4].

قال ابن حجر: (كانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه إلى غيره اقتداءً بالنبي ﷺ)[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٦٠٩.

(٣) أخرجه البخاري، ١٥٩٧.

(٤) أخرجه البخاري، ٧٧٠.

(٥) فتح الباري، ٣٥١/١٣.

الحديث رقم (١٤١٩)

١٤١٩- وعن عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ، حِيْنَ يُسَلِّمُ: **((لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ))** قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن الزبير بن العوام: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: دبر الصلاة: ما بعد انتهائها[2].

يهلل بهن: يرفع صوته بهن[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقيه في بيان أذكار رسول الله دبر الصلوات ومقدمة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما تشير إلى أنه كان يواظب عليه دبر الصلوات اقتداءً برسول الله ﷺ، وهذا الاقتداء يشير إلى انتقال النور من جيل إلى جيل في متابعة لرسول الله ﷺ في فعله، وقوله، والدعاء متضمن لكلمة التوحيد في أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) ومؤكد بنفي الشرك عنه (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) فلفظ وحده توكيد لمعنى الألوهية السابق مؤكد بقوله لا شريك له وكثافة هذه المؤكدات، والإلحاح على تقرير المعنى يخلع من النفوس ما علق بها من التعلق بغير الله كما أن جريان هذه

---

(١) برقم (١٣٩/٥٩٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٣) النهاية في (هـ ل ل).

الصيغة على قلوب الناس في زماننا يلح على تصفية الإيمان من شوائب الشرك، والمعتقدات الخاطئة، والتعلق بغير الله من المخلوقين من الصالحين أو الطالحين، وتتذكر، وأنت تقرأ هذا الحديث حال جهلاء الأمة الذين يلتفون حول أضرحة الصالحين يتخذونهم أولياء من دون الله يدعونهم، ويذبحون لهم، وكأن هذا التأكيد على معنى الإخلاص ينادي بهؤلاء أن تنبهوا، وينادي علماء الأمة أن اتقوا الله فيهم وأيقظوهم من جهلهم، وأنقذوهم من شقائهم، وتلك العبارة ببنائها التركيبي تقرر ضرورة تخليص العقيدة من هذا الخلط المفسد للعمل الموبق لصاحبه، ولذلك نجده يكرر هذا المعنى في قوله (لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ) وينص صراحة على معنى الإخلاص في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك الظاهر، والشرك الخفي بالرياء في قوله: (وَلاَ نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ) كما تكررت هذه الكلمة في ختام الحديث عوداً على بدء كالإرصاد للمعنى في بدايته، بما يقرره في نهايته (لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ) وقوله ولو كره الكافرون إشارة إلى أن التوحيد الخالص له أعداء يقفون لأهله بالمرصاد هم جند الشيطان يدعون الناس إلى الغي لمصالح دنيوية.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٠)

١٤٢٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسُولَ اللهِ ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ[1]، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ[2]، (وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ)[3]. فَقَالَ: ((**ألاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**)) قالوا: بَلَى يَا رسول الله[4]، قَالَ: ((**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ**))[5].

قَالَ أَبُو صالح: (الراوي عن أبي هريرة، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ)[6] قَالَ: يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ واللهُ أكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ[7]. متفقٌ عَلَيْهِ.

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَراءُ المُهَاجِرِينَ إِلَى رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إخْوَانُنَا أهْلُ الأمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**ذَلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**))[8].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

---

(١) عند مسلم زيادة: (فقال: وما ذاك).

(٢) إلى هنا لفظ مسلم.

(٣) إلى هنا لفظ البخاري.

(٤) إلى هنا لفظ مسلم.

(٥) إلى هنا لفظ البخاري.

(٦) هذا التفسير من المؤلف رحمه الله.

(٧) إلى هنا لفظ البخاري.

(٨) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥/١٤٢). تقدم برقم (٥٧٣) أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

غريب الألفاظ:

الدرجات: جمع درجةٍ: المنزلة والمكانة عند الله تعالى[١].

الدُّثُور: جَمعُ: دَثرٍ: المالُ الكثير[٢].

الشرح الأدبي

الحديث يعرض لصورة من صور التنافس في الخير بين المؤمنين، ويقوم المعنى فيه على الحوار بين فقراء المهاجرين، وبين الرسول ﷺ وقولهم (: ذَهَبَ أهْلُ الدُّثُورِ بالدَّرَجَاتِ العُلَى) كناية عن تحصيلهم الأعمال الصالحة الكبيرة، والتعبير بالذهاب مبالغة في الحيازة كأنهم لم يبقوا لها أثرا، وقوله (أهل الدثور) كناية عن أهل الغنى، والجاه، وجمع الدرجات للتعظيم، ووصفها بالعلي مبالغة في العلو، وقول الرسول ﷺ (وَمَا ذَاك ؟) استفهام على حقيقته يضع على إثره الحل بعد الإحاطة بأبعاد المشكلة، وقولهم: (يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ) فيه جناس بين يُصَلُّونَ ونُصَلِّي، وبين يَصُومُونَ ونَصُومُ يؤكد المعنى، ويقرر التطابق في الفعل، والتساوي في العمل، وليس في هذا الجزء اعتراض والمفارقة في قوله (وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ) وفيه طباق سلب بين يَتَصَدَّقُونَ، وَلاَ نَتَصَدَّقُ، وَبين يَعْتِقُونَ وَلاَ نَعْتِقُ، لأنهم يملكون المال، والفقراء لا يملكون، وقول الرسول (أفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلاَ يَكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ مِنْكُمْ إلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) وهو استفهام عرض وتشويق، وترغيب يسيطر على العقل حتى يتقرر المعنى وقد جعل لهم فيه ما يبحثون عنه من إدراك السابق، وفوت اللاحق، والتفرد في المنزلة، وهو ما تسعى خلفه النفوس المؤمنة الطامحة وقوله (تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمِدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ مَرَّةً) يدل على فضل الذكر وعظمة ثوابه مع عدم الكلفة،

---

(١) النهاية في (د ر ج).

(٢) رياض الصلحين.

وقلة الجهد، وقولهم (سَمِعَ إخْوَانُنَا أهلُ الأمْوالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟) يشير إلى روح المنافسة في الخير السائدة في الجيل الطاهر والتي تشبه منافستنا اليوم، ولكن على الدنيا، وقول الرسول ﷺ (ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) يرد المسألة إلى أصلها، وهو توفيق الله، والإشارة (ذلك) للتعظيم، وإضافته لله تزيده تعظيماً مع التخصيص الذي يقرر أن مرد الأمر لمشيئة الله.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٧٣).

الحديث رقم (١٤٢١)

١٤٢١- وعنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وقال تَمَامَ المِئَةِ: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[2].

زبد البحر: رغوةُ مائه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جملة الأحاديث التي تناولت الذكر بعد انتهاء الصلاة خاصة وقد ورد في ثوب الشرط الذي يعطي الحكم اطراد يعم المصلين إلى يوم القيامة كما أنه يعرض الجزاء مرتبطا بالعمل دون أن يفرضه عليهم مما يشعر المخاطب بأنه طرف حر الاختيار؛ لأنه أدى الفرض الواجب عليه، وهو في هذا الذكر بالخيار، ولكن الجزاء الموضوع إزاء هذه التسبيحات، والتحميدات، والتكبيرات يجعل المصلي حديث العهد بلقاء ربه في صلاته يسارع في أداء هذه الأذكار تخلصا من خطاياه، وإمعانا في التقرب لله تعالى وقوله (من سبح الله...) وما عطف عليه من التحميد، والتكبير هو فعل الشرط، وقوله (في دبر كل صلاة) يحدد وقته، والتعبير بحرف الجر (في) الدال على

---

(١) برقم (٥٩٧/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٦٩).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٣) لسان العرب في (ر غ و).

الظرفية يؤكد التوقيت، ويضبطه بحيث يكون بعدها مباشرة؛ لأن الحرف يدل على الظرفية الدالة على التمكن في العقب، وقوله (ثلاثا وثلاثين) يحدد عدده بعد كل فعل من أفعال الذكر المحددة (التسبيح، والتحميد، والتكبير) وتمام المائة هي كلمة التوحيد المشفوعة بالحمد، والثناء، وجملة جواب الشرط (غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) والتعبير بالماضي مفيد للتحقق، وجمع الخطايا لتكثير المغفور، وجملة (وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ) جملة شرطية محذوفة الجواب لدلالة السابق عليه، أي: وَإِنْ كَانَتْ خطاياه مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ غُفِرَتْ وتشبيه الذنوب بزبد البحر ليقرر الكثرة، وخص الكثرة بزبد البحر لاشتهاره بها عند المخاطبين لبيان المقدار الذي يبلغه العفو، وهو يفيد المبالغة في مقدار الذنوب التي تدركها المغفرة، وهو كم من الذنوب يستبعد أن يبلغه مصلٍ ولذلك استخدم (إن) كأداة شرط دلالة على الشك في حصول هذا المقدار من الذنوب من أحد المصلين، ولأن كل صلاة يقرأ هذا الذكر بعدها تكفر ما سبقها فيستبعد حصول هذا القدر من الذنوب بين صلاتين، ومع ذلك لو حصل له هذا المقدار لغفر له.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة:

حيث جاء في الحديث: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثًا وثلاثين وكبر الله ثلاثًا وثلاثين..... غفرت خطاياه"، وقوله ﷺ: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة" ولا شك أن هذا يدل على فضل التسبيح والتحميد والتكبير دبر كل صلاة وهي جميعها من صور الذكر الذي يحبه الله ويرضى عن قائله، الذكر لغة:

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٤٢١ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٢).

مصدر ذكر الشيء يذكره ذكرًا وهو ما يجرى على اللسان والقلب، واصطلاحًا بمعنى ذكر العبد لربه عز وجل، سواء بالإخبار المجرد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته، ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه[1][2].

وقال النووي: (الذكر هو ما يجرى على اللسان والقلب من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه بما هو أهله. والإكثار منه واجب مأمور به ويذكر الله من يذكره والذاكر متفرد بالسبق حي على الحقيقة وفق لرأس الأعمال الصالحة واتخذ سبيل النجاة)[3].

وقد قرن الله تعالى الذكر بالجهاد، وأمر بذكره عند ملاقاة الأقران، ومكافحة الأعداء فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

قال القرطبي: (للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال: الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد. الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروا بألسنتكم؛ فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5]، وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتّقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس. الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢١٩/٢١، ٢٢٠.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ٣٨١/٨.

(٣) الأذكار المنتخب من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي، ص٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٠.

قلت: والأظهر أنه ذكر اللسان الموافق للجنان. قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخَّص لزكريا، يقول الله عز وجل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا﴾[1]، ولرخَّص للرجل يكون في الحرب، يقول الله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2])[3].

وقد أمر الله في مواضع من كتابه بالمداومة على ذكره. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[6]، وأمر الله بعدم طاعة من غفل قلبه عن ذكر الله قال سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[7]، وأخبر الله أن الذكر يورث ذكر الله تعالى للعبد، قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[8]، قال ابن القيم: "وذكر الله من أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك، والذكر يسير العبد، وهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٤١.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

(٧) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

وسقمه وفي حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل في ساقة الركب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديثين[٢] ومما لا شك فيه أن من أولى مهام الداعية أن يرشد المدعوين ويدلهم على الخير والهدى والصلاح لأنه بهذا يتضح حرصه عليهم وشفقته بهم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[٣]، وبين الرسول الكريم ﷺ ثواب من يدل ويرشد إلى الهدى والخير فقال: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله، أو قال عامله"[٤].

قال السيد سابق: (إن أسمى الغايات وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه، وبهذا تسمو إنسانيته، ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده الرحيم بخلقه.

ومن ثم فإن الله سبحانه يأمر بفعل الخيرات، والمسابقة إليها، فيقول سبحانه: ﴿وَلِكُلّٖ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾[٥].

أي أن غايات الناس مختلفة، وأهدافهم شتى، فمنهم من تتحكم فيه الشهوات البدنية، ومنهم من تتحكم فيه الشهوات النفسية، كالجاه والرئاسة، والعلو في الأرض

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، ضمن مجموعة الحديث النجدية، ٢/٣٠٤-٣١١.

(٢) رقم ١٤٢١، ١٤٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢-٥٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

بغير الحق، وهو ما يسمى عندهم بالكرامة والشرف.

أما الإسلام فإنه يجعل وجهة المسلم متجهة إلى فعل الخير والمسابقة إليه دائمًا. وقد أكثر الله سبحانه من الدعوة إلى الخير، وجعله أحد عناصر الفلاح والفوز، فقال الله سبحانه: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وأخبر أنه أوحى إلى أنبيائه ورسله فعل الخيرات فقال جل شأنه: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

ومدح المسارعين إليه، والحريصين عليه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3].

وجعل جزاءه الجنة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[4].

وروى ابن ماجه، عن سهل بن سعد: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هذَا الْخَيْرَ خَزَائِنُ. وَلِهَذه الْخَزَائِنِ مَفَاتِيحُ. فَطُوبَى لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، مِغْلاَقًا لِلشَّرِّ. وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، مِغْلاَقًا لِلْخَيْرِ»[5]. والله سبحانه يوازن بين مباهج الدنيا ومفاتنها، وبين المثل العليا والاتصاف بالمكارم، ويبين أن الفضائل أبقى أثرًا، وأعظم ذخرًا، وأجدر باهتمام الإنسان، وخير له في الدنيا والآخرة.

يقول الله سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[6]، والدلالة على الخير، وإرشاد الإنسان غيره إلى الحق، لا يقل أهمية

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٣٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤).

(٦) سورة الكهف، آية: ٤٦.

عن ممارسة الخير والنهوض به)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث الأول في قوله ﷺ: "غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"، وفي قوله ﷺ في الحديث الثاني: "معقبات لا يخيب قائلهن (أو فاعلهن) دبر كل صلاة مكتوبة: ..."، ولا شك أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو وتشجعه على الطاعة، وتحثه على المسارعة إلى الأعمال الصالحة. "والترغيب هو التشويق للعمل على فعل أو اعتقاد أو تصور وترك خلافه والترغيب يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتنابه، ويبرز أثر الترغيب بحسب درجة المنفعة التي سوف تحقق للملتزم والإنسان مفطور الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة"[٢]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٣].

---

(١) سورة إسلامنا، الآيتان: ١٣١، ١٣٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

الحديث رقم (١٤٢٢)

١٤٢٢- وعن كعب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه، عن رسولِ الله ﷺ، قَالَ: ((مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ (أَوْ فَاعِلُهُنَّ) دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ تَكْبِيرَةً)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

كعب بن عجرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٠٧).

غريب الألفاظ:

معقبات: تسبيحات تفعل أعقاب الصلاة، وسميت معقبات لأنها تفعل مرة بعد أخرى[2].

دبر كل صلاة: ما بعد انتهائها[3].

الشرح الأدبي

الحديث يرغب في الذكر بعد الصلاة يعتمد أسلوب التشويق في عرض المعنى ليضمن تمام إنصات المخاطب، وترقبه حتى يقع المعنى من نفسه موقعا لا ينساه بعده، وطريقة التشويق في هذا الحديث تقوم على ذكر لفظ مبهم موصوف بجملة تزيد التشويق إليه، ولا تكشف عن مضمونه فإذا بلغ المخاطبون من الترقب والاستشراف مبلغا معيناً كشف لهم سره، وقرر المعنى الذي أرصد له بدايةً فقد ذكر لفظ (معقبات) وهي نكرة موصوفة بما بعدها، والمعقبات إِسْم فَاعِل مِنْ التَّعْقِيب أَيْ أَذْكَار يُعَقِّب بَعْضهَا بَعْضًا أَوْ تُعَقِّب لِصَاحِبِهَا عَاقِبَة حَمِيدَة سُمِّيَتْ مُعَقِّبَات؛ لأنَّهَا تُعَاد مَرَّة بَعْد مَرَّة أَوْ لأنَّهَا تُقَال عَقِب الصَّلاة وَالْعَقِب مِنْ كُلّ شَيْء مَا جَاءَ عَقِب مَا قَبْله وقوله (لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ - أَوْ فَاعِلُهُنَّ) وهي جملة وصفت بها النكرة قبلها، ولم تزل إبهامها وزادت الشوق إلى معرفة المعقبات والعبارة كناية عن كثرة الثواب وحصوله لقائلها على

---

(١) برقم (٥٩٦/١٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٧٠).

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٤٠.

(٣) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

كل حال، وقوله (دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ) دبر كل شيء آخره وتخصيص المكتوبة يحددها بالصلوات الخمس المفروضة، وقوله (ثَلاثٌ وَثَلاثونَ تَسْبِيحَةً. وَثَلاثٌ وثَلاَثونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاَثونَ تَكْبِيرَة) تفصيل لما أجمل في لفظ المعقبات وهو المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث بهذا الأسلوب الذي يقرر المعنى بطريقة طريفة تضمن تلقيه بوعي، وفهم ثم تؤكده بذكره مرتين إجمالا، وتفصيلا، وعناية المتكلم بالمعنى الذي يخبر به تشير إلى أهميته، وقيمته التي توجب العناية به.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى الحكم التالي:

١-استحباب ذكر الله تعالى والدعاء عقيب الصلاة بهذه الأدعية والتعوذ بما استعاذ منه النبي ﷺ[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) حاشية العدوي ٢٨٤/١، المجموع شرح المهذب ٤٦٦/٣ وما بعدها، المغني ٣٢٧/١، سبل السلام ٢٩٣/١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٣)

١٤٢٣- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ[١] دُبُرَ الصَّلَواتِ بِهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُرَدَّ إلَى أرْذَلِ العُمُرِ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ)). رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

يتعوذ: يلجأ ويعتصم ويستجير[٣].

دبر الصلوات: ما بعد انتهائها[٤].

أرذل العمر: أي: آخره في حال الكبر والعجز والخَرِفَ[٥].

الشرح الأدبي

التعوذ هو طلب العوذ، واللفظ يوحي بمرهوب يخشى أو يتوقع وقوعه وتعوذ الرسول ﷺ نوع من عبادة الله بإظهار الذل، والضعف، والحاجة، وتعليم لأمته لأن هذه الأمور المستعاذ منها لها اتصال بالفطرة ولها تمكن في النفس وبعضها أمور تجري على الخلق بقدر الله، وهي أمور لا يعيذ الإنسان منها إلا ربه عز وجل، وقول الراوي كان يتعوذ يشير إلى العادة -غالبا- وهو ما يجعله سنة فعلية عنه ﷺ وقوله (دبر الصلوات) يحدد وقت هذه الذكر، والتعريف في الصلوات بال للعهد أي الصلوات

---

(١) عند البخاري زيادة: (بهنَّ).

(٢) برقم (٢٨٢٢)، و(٦٣٦٥)، و (٦٣٧٠)، و (٦٣٧٤)، و (٦٣٩٠) بنحوه.

(٣) النهاية في (ع و ذ).

(٤) معجم لغة الفقهاء ١٨٣.

(٥) النهاية في (ر ذ ل).

المعهودات وهن الصلوات الخمس المفروضة، وقوله (اللهم نداء، ودعاء ينطلق من قلب الخشوع بكامل الخضوع، وضمير المتكلم المسبوق بحرف التوكيد يشير إلى الإلحاح في الدعاء، وإظهار مزيد الضعف، والذل المحقق للرجاء، والجار، والمجرور (بك) تخصيص لله بالطلب والتعوذ من الجبن؛ لأنه يؤدي إلى عذاب الآخرة؛ لأنه يفر في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لمن تولى يوم الزحف، وربما يمنعه من القيام بفرائض الله أو يرتكب المحرمات خوفا على نفسه أو منصبه ولقد ابتليت الأمة بلاءً شديدا من قبل جبن أصحاب المناصب الذين يخافون على الكراسي، والمناصب، ويضيعون مصالح الناس، ويضرونهم في دينهم، ودنياهم، ويضيقون عليهم حماية لمصالح شخصية، والتعوذ من البخل لأنه يحمل على الظلم، والحرص على جمع المال من حله، وحرامه، ومنع حقوق الله، وحقوق الناس، وقوله (أن أرد) أي من الرد وأن مصدرية، (وأرذل العمر) كناية عن سن الشيخوخة، وما يعتري الإنسان فيها من الضعف عن أداء الفرائض، وعن خدمة نفسه فما يستطيع أن ينظف نفسه، فيكون كلاً على أهله ثقيلا بينهم يتمنون موته، فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم ، والتعبير بالرد يشير إلى مرحلة الطفولة التي كانت يعتمد فيها على غيره في كل حركته في الحياة يعني يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولة ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم، وقوله (وفتنة الدنيا) هو أن يبيع الآخرة بما يتعجله في الدنيا من حال، ومال، وقوله (فتنة القبر) عند سؤال الملائكة، وهو موقف لا ينجي منه إلا الله تعالى، وهو أول منازل الآخرة، والعياذ بالله -.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ.

ثانيًا: من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في التعوذ:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر كل صلاة بهؤلاء

الكلمات وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع.."، قال ابن كثير: "والاستعاذة هى الالتجاء إلى الله بصدق، والالتجاء بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره[1]

وقال ابن حجر: قال ابن بطال: وأما الاستعاذة من فتنة المحيا والممات فهذه كلمة جامعة لمعان كثيرة وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك، وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعًا عن أمته وتشريعًا لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية وأما التعوذ من فتنة القبر فالمراد سؤال الملكين وعذاب القبر، والتعوذ من فتنة النار هى سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[2]، وأما الاستعاذة من الجبن والبخل وغيره، فهى استعاذة مما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والاستعاذة من فتنة الدنيا، قد يراد بها فتنة الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا[3].

قال أبو العباس القرطبي: (وقوله: "اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب القبر"، الفتنة هنا: هي ضلال أهل النار المفضي بهم إلى عذاب النار. وفتنة القبر: هي الضلال عن صواب إجابة الملكين فيه، وهما: منكر ونكير -كما تقدم- وعذاب القبر: هو ضرب من لم يُوَفَّق للجواب بمطارق الحديد، وتعذيبه إلى يوم القيامة. وشر فتنة الغني: هي الحرص على الجمع للمال، وحبه حتى يكتسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه. وشر فتنة الفقر: يعني به: الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/١١٤.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) انظر: فتح الباري ١١ /١٨٠-١٨١

حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الأديان، ولا بأهل المروءات، حتى لا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي ركاكة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها. وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يدل على أن الغنى أفضل من الفقر، ولا أن الفقر أفضل من الغنى؛ لأن الغنى والفقر المذكورين هنا مذمومان باتفاق العقلاء.

والكسل المتعوذ منه هو التثاقل عن الطاعات، وعن السعي في تحصيل المصالح الدينية والدنيوية. والعجز المتعوذ منه: هو عدم القدرة على تلك الأمور، والهرم المتعوذ منه: هو المعبر عنه في الحديث الآخر: بأرذل العمر، وهو: ضعف القوى، واختلال الحواس والعقل الذي يعود الكبير بسببه إلى أسوأ من حال الصغير، وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۗ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

وقوله: "كان رسول الله ﷺ يتعوذ من سوء القضاء، ومن درك الشقاء" يُروى بفتح الراء وبإسكانها، فبالفتح: الاسم، وبالإسكان: المصدر، وهما متقاربان، والمتعوذ منه: أن يلحقه شقاء في الدنيا يُتعبه، ويثقله، وفي الآخرة: يعذبه. وجهد البلاء: يروى بفتح الجيم وضمها. قال ابن دريد: هما لغتان بمعنى واحد، وهو: التعب والمشقة، وقال غيره -وهو نفطويه- بالضم: وهو الوسع والطاقة، وبالفتح: المبالغة والغاية. وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال، وكثرة العيال. وشماتة الأعداء: هي ظفرهم به، أو فرحهم بما يلحقه من الضرر والمصائب. وقد جاء هذا الدعاء مسجعًا -كما ترى الآن- ذلك السجع لم يكن متكلفًا، وإنما يكره من ذلك ما كان متكلفًا -كما تقدم-، وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية، وبيانًا للمشروعية؛ ليُقْتدى بدعواته -ويُتعوَّذ بتعويذاته- والله أعلم)[2].

جاء في فتح الملهم: قوله: "ومن فتنة المحيا" الخ: قال أهل اللغة: الفتنة: الامتحان،

---

(١) سورة يس، آية: ٦٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٧/٣٣-٣٥.

والاختبار، قال عياض: (واستعمالها في العرف لكشف ما يكره). وتطلق على القتل والإحراق والنميمة وغير ذلك.

قال ابن دقيق العيد: (فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ بالله - أمر الخاتمة عند الموت).

قوله: "والممات" الخ: يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر. ولا يكون مع هذا الوجه متكررًا مع قوله: "عذاب القبر" لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب، وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا، وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، عن سفيان الثوري: "أن الميت إذا سئل: من ربك؟ تراءى له الشيطان، فيشير إلى نفسه: أني أنا ربك، فلهذا ورد سؤال التثبت له حين يُسئل" ثم أخرج بسند جيد إلى عمرو ابن مرة: "كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا: "اللهم أعذه من الشيطان".

قوله: "فتنة المسيح الدجال" الخ: المسيح بفتح الميم، وتخفيف المهملة المكسورة، وآخره حاء مهملة، يطلق على الدجال، وعلى عيسى بن مريم ﷺ. لكن إذا أريد الدجال قيد به. وقال أبو داود في السنن: المسيح مثقل: الدجال، ومخفف: عيسى، والمشهور الأول.

وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم وما تأخر.

وأجيب بأجوبة: أحدها: أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته، فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية، وإلزام خوف الله وإعظامه، والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع، فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة.

وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا إشكال فيه على الوجهين الأولين. وقيل على الثالث: يحتمل أن يكون ذلك قبل تحقق عدم إدراكه، قوله: "من المأثم" الخ: إما مصدر "أثم الرجل" أو ما فيه الإثم"، أو ما يوجب الإثم، قوله: "والمغرم" إلخ: أي: الدين يقال: غَرِم - بكسر الراء - أي": أدان. قيل: والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز، أو فيما يجوز ثم يعجز عن أدائه. ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين)[1].

ثانيًا- من واجبات المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه وتعوذه:

حيث جاء في الحديث: أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلوات بهؤلاء الكلمات، وقوله: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع"، ولقد كان من هدى النبي ﷺ أنه كان يحرص على التعوذ ويعلم أصحابه ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ».

قَالَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ: بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قَالَ لابْنِهِ: أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلاَتِكَ؟ فَقَالَ: لاَ. قَالَ: أَعِدْ صَلاَتَكَ. لأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عَنْ ثَلاَثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ، أَوْ كَمَا قَالَ[2].

قال النووي: (هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه وظاهر كلام طاوس: أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب ولعل طاوسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه والله أعلم. قال القاضي عياض تعالى: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه، والافتقار إليه، ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ١٧٢/٤، ١٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والله أعلم)[١].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ. وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ، بَعْدُ، يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[٢].

قال القرطبي: (قول اليهودية: "إنكم تفتنون في القبور"، أي: تعذبون. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٣]، أي: عذبوهم. وقد قدمنا: أن الفتنة تتصرف على وجوه، وأن أصلها: الاختبار.

وهذا الحديث وما في معناه يدل: على صحة اعتقاد أهل السنة في القبر، وأنه حق، ويرد على المبتدعة المخالفين في ذلك.

وارتياع النبي ﷺ عند إخبار اليهودية بعذاب القبر إنما هو على جهة استبعاد ذلك للمؤمن، إذ لم يكن أوحى إليه في ذلك شيء. ولذلك حققه على اليهود. فقال: "إنما تفتن يهود" على ما كان عنده من علم ذلك، ثم أخبر؛ أنه أوحى إليه بوقوع ذلك، وحينئذ تعوذ منه، ولما استعظم الأمر واستهوله أكثر الاستعاذة منه، وعلمها، وأمر بها، وبإيقاعها في الصلاة؛ ليكون أنجح في الإجابة، وأسعف في الطلبة؛ إذ الصلاة من أفضل القرب، وأرجى للإجابة، وخصوصًا بعد فراغها، ولذلك قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٤]. وفي هذا الحديث حجة على أبي حنيفة، حيث منع الدعاء في الصلاة إلا بألفاظ القرآن.

وقوله: "ومن فتنة المحيا والممات" أي: الحياة والموت، ويحتمل زمان ذلك؛ لأن ما كان

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٤٩، ومسلم ٥٨٤.

(٣) سورة البروج، آية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨.

معتل العين من الثلاثي فقد يأتي منه المصدر، والزمان، والمكان، بلفظ واحد. ويريد بذلك: محنة الدنيا وما بعدها. ويحتمل أن يريد بذلك: حالة الاحتضار، وحالة المساءلة في القبر، فكأنه لما استعاذ من فتنة هذين المقامين سأل التثبت فيهما. كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، والله أعلم.

وأمر طاوس ابنه بإعادة لما لم يتعوذ من تلك الأمور دليل: على أنه كان يعتقد وجوب التعوذ منها في الصلاة، وكأنه تمسك بظاهر الأمر بالتعوذ منها، وتأكد ذلك بتعليم النبي ﷺ إياها الناس، كما يُعلّمهم السورة من القرآن، وبدوام النبي ﷺ على ذلك، ويحتمل: أن يكون ذلك إنما أمره بالإعادة تغليظًا عليه؛ لئلا يتهاون بتلك الدعوات، فيتركها فيحرم فائدتها، وثوابها. والله تعالى أعلم.

والمأثم: ما يجرُّ إلى الذم والعقوبة. والمغرم: الغُرمُ. وقد نبه في الحديث على الضرر اللاحق من الغرم، والله أعلم[2].

والواجب على المدعو أن يتلمس هدي النبي ﷺ ويلتزمه لأنه الأسوة والقدوة في جميع الأمور قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، ومدح الله سبحانه الذين يتبعون هديه، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4]، وأمر باتباعه فقال جل شأنه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]، ومن هنا وجب على المدعو الاقتداء بسنة النبي ﷺ والتأسي به، قال النسفي: "قال الحسن: زعم أقوام على عهد

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٢٠٧-٢٠٩.

(٣) سورة آل عمران، آية : ٣١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله، فأراد أن يجعل لقولهم تصديقًا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله ﷺ فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل: محبة الله معرفته ودوام خشيته وقيل: هى اتباع النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به"[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث، ومما لا شك فيه أن أسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[٤].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ١٥٦-١٥٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٣) سورة الحج، آية: ٢٣.

(٤) سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

الحديث رقم (١٤٢٤)

١٤٢٤- وعن معاذ رضي الله عنه: أن رسُولَ اللهِ ﷺ، أخذ بيده، وقال: ((يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ)) فَقَالَ: ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

نرى دائما فعل الرسول ﷺ يسبق قوله، وإذا أمر بشيء كان أول من يفعله حرصاً منه على الخير، وإيجاداً للقدوة الصالحة للأمة في دروب الخير، وقول الرسول ﷺ (يا معاذ) نداء تنبيه، وتكريم، والقسم بالله توكيد لتعظيم ما بعده، وتنبيهاً إلى العناية به، والتوكيد بـ (إن) واللام الداخلة على الفعل المضارع الذي يعطي المعنى استمرارية، ويدل على دوام المحبة، وكثافة هذه المؤكدات تربي المهابة، والعناية والاهتمام بمضمون الخبر مع تمهيد النفوس له بما يدخله عليها دخول الخبر المأنوس، وفيه شرح لصدره ؛لأن الذي يخبره بأنه يحبه هو حبيب الله، والمؤمنين، وخير خلق الله ثم إن هذا الإحساس يبعثه على الاهتمام بما بعده من إرشادات، ونداؤه للمرة الثانية، وهو مقبل عليه مدرك لما يقول يدلل على محبته، وفيه مزيد تودد، وتكريم، والنهي في قوله: (لا تدعن) نهي عن ترك الذكر للتوجيه، والإرشاد، والتعبير بالدبر يفيد تعقيب الصلاة بالذكر مباشرة، وترتيب كلمات الدعاء بدأ بالذكر لأنه يؤدي إلى الشكر،

---

(١) برقم (١٥٢٢)، وكذا قال المؤلف في الخلاصة (١٥٤٨)، وتقدم برقم (٣٨٤). وصحّحه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (الإحسان ٢٠٢٠)، وقال الحاكم (١/٢٧٣): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٨٠). تنبيه: عزاه المؤلف في الموضع الأول إلى أبي داود والنسائي، واكتفى هنا بأبي داود فقط.

والذكر والشكر يؤديان إلى حسن العبادة، وقد تضمَّن عناصر إصلاح الصلاة، ودوامها، ومواصلة الذكر، وتصدَّره الدعاء بصيغة (اللهم) التي تملأ القلب خشوعاً، وخضوعاً، وتوحي بحالة من السكينة تحقق القبول.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٨٤).

الحديث رقم (١٤٢٥)

١٤٢٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليستعذ بالله: فَليلجَأْ إليه وليعتصم به[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى التعوذ من العذاب، والفتنة في مواقف كل الناس عرضة لها، ولا ينجو منها إلا من نجّاه الله، ويقوم المعنى على الأسلوب الخبري المبني على أسلوب الشرط الذي ربط التشهد بالأمر بالاستعاذة من الأمور المذكورة والذي ينطوي على تحذير من الأسباب التي تؤدي إليها في قوله (إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ) وذكر لفظ العدد أربع نكرة مبهمة من باب التشويق بأسلوب الإيضاح بعد الإبهام حيث أبهم الأربعة في هذه النكرة بعد أن أمرهم بالتعوذ منها ثم فصَّلها في الجمل بعدها، وهذا الأسلوب يحقق مع التشويق، والترقب يحقق التوكيد لذكره مرتين مجملا ثم مفصلا، وبداية الدعاء بالنداء بصيغة اللهم يستحضر الخضوع، والخشوع ويعلن التوجه، والقصد بالقلب إلى الرب ثم يزيد تهالكا في الذل، والخضوع بتقديم ضميره (إني) مؤكدا لتوكيد الضعف، والاضطرار المهيأ للإجابة المحقق للإغاثة، وبدأ بالاستعاذة من العذاب المضاف للنار، والتعبير بلفظ جهنم يوحي بالخوف، والرهبة؛ لأنها

---

(١) برقم (٥٨٨/١٢٨). وكذا أخرجه البخاري (١٣٧٧) ولفظه: (كان رسول الله ﷺ يدعو) ثمّ ذكره.

(٢) المعجم الوسيط في (ع و ذ).

علم على الهول؛ لأن ذكر النار فقط يستحضر في الذهن دفئها، وضياءها مع إحراقها، ولظاها، ولكن ذكر جهنم يجردها من كل خير، أو فائدة، ويخلصها للعذاب، وذكر لفظ القبر من الألفاظ الموحية بطبيعتها بالظلمة، والوحشة وغرائب الأهوال، والاستعاذة من الفتن، لأنها تؤدي إلى العذاب في القبر، أو في النار، أو في الاثنين - والعياذ بالله - والطباق بين المحيا، والممات يستغرق بالعوذ كل الفتن، وبين هذه الكلمات مراعاة نظير (جهنم - القبر - الفتن - المسيخ الدجال) لأنها تتفق جميعا في كونها من الغيب المنتظر، وفي كونها مرهوبة مخوفة - نعوذ بالله منها جميعا - فعلينا أن نحرص على هذا الدعاء الذي يجنبنا هذا الهول العظيم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الاستعاذة من هذه الأمور: ذهب الظاهرية وطاووس إلى وجوب الاستعاذة من هذه الأمور وبطلان صلاة من تركها[١].

وذهب جمهور الفقهاء إلى ندب واستحباب الاستعاذة من هذه الأمور وصحة صلاة من ترك الاستعاذة من هذه الأمور[٢].

٢-في الحديث دلالة على ثبوت عذاب القبر[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) مغني المحتاج ٢/٣٨٤، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٢) حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/٣٣٣، مغني المحتاج ١/٣٨٣، المغني ١/٣٢٠، سبل السلام ١/٣٦٦.

(٣) سبل السلام ١/٣٦٦.

(٤) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٤٢٦)

١٤٢٦- وعن عليٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وما أسرفت: من الإسراف وهو مجاوزة الحد، والمقصود هنا: الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقاب [أي: ارتكاب] الأوزار والآثام[2].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر بسنة فعلية عن النبي ﷺ دعاءه في آخر صلاته، وقول عليٍّ رضي الله عنه: (كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يَكُونُ. ...) يقرر أنها عادة متكررة في صلوات الرسول ﷺ يدل على ذلك قوله (كان رسول الله ﷺ) كما يقرر ذلك استخدام أسلوب الشرط الدال على التلازم بين قيامه للصلاة قبيل التسليم، وبين قول هذا الدعاء، وقوله (بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ) يحدد بدقة موضع الذكر، وقد قام المعنى في الدعاء الوارد في هذا الحديث على أسلوب المطابقة التي تستغرق كل ذنوب العبد، وتؤكد على إحاطة الله بذنوب عبده، وبكل خلقه، فقد قابل بين قوله قَدَّمْتُ، وأَخَّرْتُ التي تستغرق الزمان بالمغفرة، وبين أَسْرَرْتُ وأَعْلَنْتُ، ليستغرق الظاهر، والباطن وهو استغراق للمكان، لأن الذنب إما أن يقع في مكان ظاهر للعيان، أو في مكان خفي

---

(١) برقم (٧٧١/٢٠١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س ر ف).

عن الناس، والدعاء يحيط الاثنين بالمغفرة، كما طابق بين وصفه بالْمُقَدِّمُ، والمُؤَخِّرُ، ليشير إلى إحاطته بكل شيء ثم ختمه بكلمة التوحيد إعلانا لتفرده بكل شيء بما فيها المغفرة (لا إلهَ إلاَّ أنْتَ) أي يغفر الذنوب، ويقبل الأعمال.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء بعد التشهد قبل التسليم[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة والدعاء:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال" وكان رسول الله إذا قام إلى الصلاة يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: "اللهم اغفر..."، قال النووي: وقوله: "أنت المقدم وأنت المؤخر" معناه تقدم من شئت بطاعتك وغيرها، وتؤخر من شئت عن ذلك كما تقتضيه حكمتك، وتعز من تشاء وتذل من تشاء، وفي هذا الحديث استحباب دعاء الافتتاح بما في هذا الحديث إلا أن يكون إمامًا لقوم لا يؤثرون التطويل، وفيه استحباب الذكر في الركوع والسجود والاعتدال والدعاء قبل السلام[3]، والمسلم يجب أن يحرص على

---

(١) حاشية الجمل ١/٣٨٩-٣٩٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق مع المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٤٢٦).

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٢٦.

الاقتداء بالنبي ﷺ في جميع أموره، وخاصة في الدعاء والعبادة، فقد جعل الله الهداية في اتباعه وطاعته ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

قال القاسمي: "أى إنه ﷺ في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة إذ كان منها ثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور في شديدة، ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى وهو الرفيع الشأن كان غيره أجدر إن كان ممن يتبع بإحسان ويرجو رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته"[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفس المدعو من خلال الترغيب في العبادة والدعاء والذكر، "والترغيب هو طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه، ولما كان الإنسان مجبولاً على حب ما ينفعه وتقر به عينه، وتطمئن به نفسه وينفر من كل ما يخيفه ويفزعه كان لأسلوب الترغيب والترهيب أهمية قصوى في الدعوة إلى الله وأصح الطريق ممهدًا بعض الشيء أمام الداعية لاستثمار هذه الفرصة لدى المدعو وتخوله بها"[4].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على جوامع الدعاء والتضرع إلى الله تعالى:

يتضح هذا من سياق الحديث ولا شك " أنه بالدعاء تكبر النفس وتشرف وتعلو الهمة وتتسامى، ذلك أن الداعي يأوى إلى ركن شديد ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من

---

(١) سورة النور، آية: ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) محاسن التأويل ٢٣٦/١٣.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ١٩٣.

رقهم ويسلم من منتهم، وبالدعاء يسلم من ذلك كله[١]، والمدعو يجب أن يحرص على جوامع الدعاء كما في هذا الحديث وكما جاء عن نبي الله يوسف، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾"[٢]. قال الإمام ابن القيم: "وهذه دعوة جامعة جمعت الإقرار بالتوحيد والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غيره سبحانه، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء[٣]، ولقد ذكر القرآن الكريم نماذج من تضرع الأنبياء عليهم السلام فمن دعاء أيوب عليه السلام: "﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[٤]، ومن دعاء يونس عليه السلام وتضرعه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

قال ابن مفلح: (فالعارف -يعني الذي يعلم حق الله عليه- يجتهد في تحصيل أسباب الإجابة من الزمان والمكان وغير ذلك، ولا يمل ولا يسأم، ويجتهد في معاملته بينه وبين ربه عز وجل في غير وقت الشدة فإنه أنجح فالواجب النظر في الأمور، فإن عدم الإجابة فليعلم أن ذلك إما لعدم بعض المقتضى أو لوجود مانع؛ فيتهم نفسه لا غيرها، وينظر في حال سيد الخلائق وأكرمهم على الله عز وجل، كيف كان اجتهاده في وقعة بدر وغيرها، ويثق بوعد ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[٦]، وليعلم أن كل شيء عنده بأجل مسمى)[٧].

---

(١) الدعاء مفهومه وأحكامه، محمد بن إبراهيم الحمد ص ١٩.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠١.

(٣) الفوائد ٢٨٥.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٣.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٧) الآداب الشرعية ١/١٤٩.

قال الغزالي تعالى: (من آداب الدعاء:

١- أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل.

٢- أن يغتنم الأحوال الشريفة كحال الزحف، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

٣- أن يدعو مستقبل القبلة، مع خفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأن لا يتكلف السجع في الدعاء فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه.

٤- الإخلاص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

٥- أن يُلح في الدعاء ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له أن لا يستبطأ الإجابة.

٦- أن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ ثم يبدأ بالسؤال.

٧- التوبة ورد المظالم والإقبال على الله عز وجل بكُنْه الهمة، وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة وتحري أكل الحلال)[1].

وأما عن فائدة الدعاء فيقول:

(فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾[2]، وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر، فيقلل إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/٥٥١، ٥٥٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٧١.

يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ «الدعاء هو العبادة»[1].

والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2])[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٣٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٦٨٥).

(٢) سورة العلق، الآيتان: ٦،٧.

(٣) إحياء علوم الدين ٥٩٢/٢، ٥٩٣.

الحديث رقم (١٤٢٧)

١٤٢٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ يشير إلى تحقق الفعل من ناحية، و يشير إلى كثرة إتيانه للفعل من ناحية أخرى، وهو ما يؤكده قولها (يكثر) الذي تشير إلى تعدد الذكر أكثر من مرة في اليوم، وعدة مرات في كل صلاة يدل على ذلك قولها في (في ركوعه، وسجوده)، وهما متكرران في كل ركعة، وفي كل صلاة، وهو ما يفسر تعبيرها بالكثرة، واستخدام (في) الظرفية تشير إلى تمكن الذكر في الوقت المحدد، وتخصيص هذا الدعاء بالصلاة؛ لأنها أفضل من غيرها، وتخصيصه في الركوع، والسجود لما فيهما من زيادة خشوع، وتواضع ليست في غيرهما، وقوله (سبحانك) منصوب على المصدر وحذف فعله وهو أسبح ونحوه لازم وهو علم للتسبيح ومعناه التنزيه عن النقائص، قوله (وبحمدك) أي: وسبحت بحمدك أي بتوفيقك، وهدايتك لا بحولي، وقوتي، والواو فيه إما للحال، وإما لعطف الجملة على الجملة سواء قلنا إضافة الحمد إلى الفاعل، والمراد من الحمد لازمه مجازا وهو ما يوجب الحمد من التوفيق، والهداية، أو إلى المفعول، ويكون معناه وسبحت ملتبسا بحمدي لك، وقوله (اللهم اغفر لي) هو نداء بغرض الدعاء أي يا الله اغفر لي، وإنما قال ذلك النبي ﷺ، وإن كان غفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر لبيان الافتقار إلى الله والإذعان له، وإظهار العبودية، والشكر، وطلب الدوام، أو الاستغفار عن ترك الأولى، أو التقصير في

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧)، ومسلم (٢١٧/٤٨٤) ولفظهما سواء.

بلوغ حق عبادته مع أن نفس الدعاء هو عبادة، وهذا من رسول الله ﷺ عمل بما أمر به من التسبيح والاستغفار على أحسن الوجوه، والله تعالى أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

خامسًا: من صفات الداعية: التواضع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان هدى النبي ﷺ في دعائه في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك..." وفي الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده" "كان يقول في سجوده...."، قال النووي: "لقد كان النبي ﷺ يعمل ما أمر به في قول الله عز وجل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[2]، فكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفى ما أمر به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة أفضل من غيرها، فكان يختارها لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل ومعنى التسبيح: التنزيه فسبحان الله معناه: براءة وتنزيهًا له من كل نقص وصفة للمحدث، وقوله "وبحمدك"، أى وبحمدك سبحتك ومعناه: بتوفيقك لي وهدايتك وفضلك عليَّ سبحتك لا بحولي وقوتي، ففيه شكر الله تعالى على هذه النعمة والاعتراف بها والتفويض إلى الله تعالى وأن كل الأفعال له سبحانه وتعالى[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٢٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١).

(٢) سورة النصر، آية : ٣.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣٨٧.

قال القاضي عياض: (وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء": القرب ها هنا من الله معناه: من رحمة ربه وفضله، ولذلك حضه على السؤال والطلب.

وقوله في الحديث: "سبحانك" قال أهل العربية: هو نصب على المصدر، سبحت الله تسبيحًا وسبحانًا، ومعناه: براءة وتنزيهًا لك، ويقال: إن التسبيح مأخوذ من قولهم: سبح الرجل في الأرض إذا ذهب فيها، ومنه قيل للفرس الجواد: سابح، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1]، فكأن التسبيح على هذا المعنى بمعنى التعجب، من المبالغة في الجلال والعظمة والبعد عن النقائص.

وقد يكون على هذا جمع سباح، كحساب وحسبان، يقال: سبح يسبح سبحًا وسباحًا، أو جمع سبيح للمبالغة من التسبيح، مثل خبير وعليم، ويجمع سبحان كقضيب وقضبان، وقال المازني: معنى "سبحانك": سبحتك، "قالوا: وقوله: "وبحمدك": أي بحمدك سبحتك ومعنى هذا: أي: بفضلك وهدايتك لذلك التي توجب حمدك سبحتك واستعملتني "لذلك لا بحولي وقوتي".

وقوله: "سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن"، جاء مفسرًا في الحديث الآخر فيما أمر به من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[2]. وفيه حجة لمن أجاز الدعاء في الركوع، وقوله: "اغفر لي ذنبي كله دقه وجلّه، أي صغيره وكبيره")[3].

وقال القرطبي: (وقوله: سبوح قدوس رب الملائكة والروح" يقال: سبوح قدوس بضم السين والقاف وفتحها، مرفوعان على خبر المبتدأ المضمر، تقديره: أنت سبوح قدوس، وقد قيلا بالنصب فيهما على إضمار فعل، أي: أُعَظِّم، أو أذكر، أو أعبد، وعُدِلا عن التسبيح، والتقديس للمبالغة، وقد تقدم معنى: سبحان، وأما القدوس فهو من القدس،

---

(١) سورة يس، آية: ٤٠.

(٢) سورة النصر، آية: ٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢/٣٩٨، ٣٩٩.

وهي الطهارة، ومنه: بيت المقدس، أي: المطهر. ورب الملائكة: أي: مالكهم، وخالقهم، ورازقهم، أي: مُصلح أحوالهم، وقد تقدم الكلام في الملائكة. والروح هنا: جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[1]، وخصه بالذكر وإن كان من الملائكة تشريفًا وتخصيصًا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[2]. فخصهما بالذكر تشريفًا لهما.

وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" هذا قرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة والمساحة؛ إذ هو منزه عن المكان والزمان)[3].

وأما عن السبب في تخصيص الركوع بالتعظيم والسجود بالدعاء والقيام في الصلاة بقراءة القرآن فيقول صاحب فتح الملهم: (قيل: كأن حكمته أن أفضل أركان الصلاة: القيام، وأفضل الأذكار: القرآن، فجعل الأفضل للأفضل، ونهى عن جعله في غيره، لئلا يوهم استواءه مع بقية الأذكار. وقيل: خصت القراءة بالقيام أو القعود عند العجز عنه، لأنهما من الأفعال العادية، ويتمحضان للعبادة، بخلاف الركوع والسجود، لأنهما بذواتهما يخالفان العادة، ويدلان عل الخضوع والعبادة. ويمكن أن يقال: إن الركوع والسجود حالان دالان على الذل، ويناسبهما الدعاء والتسبيح، فنهى عن القراءة فيهما تعظيمًا للقرآن الكريم، وتكريمًا لقارئه القائم مقام الكليم، والله بكل شيء عليم.

ولما كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع، وكذلك السجود، ولم تنبغ هذه الصفة أن تكون لله تعالى قال النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله تعالى في قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، "اجعلوها في ركوعكم" وفي قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[5]،

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ١٩٣، ١٩٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٠، ٩١.

(٤) سورة الواقعة، آية: ٧٤.

(٥) سورة الأعلى، آية: ١.

اجعلوها في سجودكم يقول: نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع فإن الخضوع، إنما هو لله، لا بالله فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع.

وقوله: "فعظموا فيه الرب" إلخ: أي: سبحوه، ونزهوه، ومجدوه.

واستحب الشافعي وغيره من العلماء أن يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، ويكرر كل واحدة منهما ثلاث مرات، ويضم إليه ما جاء في حديث علي رضي الله عنه ذكره مسلم بعد هذا: "اللهم لك ركعت، اللهم لك سجدت..." إلى آخره، وإنما يستحب الجمع بينهما لغير الإمام، وللإمام الذي يعلم أن المأمومين يؤثرون التطويل، فإن شك لم يزد على التسبيح، قوله: "فاجتهدوا في الدعاء" إلخ: أي: بالغوا في الدعاء حقيقة، وهو ظاهر، أو حكمًا كما في "سبحان ربي الأعلى".

وقال بعضهم ادعوا بعد قول"سبحان ربي الأعلى" فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح.

قوله: "فقمن" إلخ: بفتح القاف وفتح الميم وكسرها، لغتان مشهورتان، فمن فتح فهو عنده مصدر لا يثنى ولا يجمع، ومن كسر فهو وصف يثنى ويجمع، وفي لغة ثالثة: قمين، بزيادة ياء وفتح القاف وكسر الميم، ومعناه: حقيق، وجدير.

قوله: "أن يستجاب لكم" إلخ: لأن السجود أقرب ما يكون العبد فيه إلى ربه، فيكون الدعاء في تلك الحالة أقرب إلى الإجابة.

قال الحافظ: (والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤاله، واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه)[1].

وقال ابن علان: "والمراد تعظيم الرب سبحانه وتعالى في الركوع بأي لفظ كان، ولكن الأفضل أن يجمع بين الأذكار الواردة فيه إن مكن من ذلك بحيث لا يشق على غيره فإن أراد الاقتصار فليقتصر على التسبيح، ويستحب إذا اقتصر على البعض أن يفعل في بعض الأوقات بعضًا آخر، وهكذا حتى يكون فاعلاً لجميعها وكذا ينبغي في

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٣/٤٥٨-٤٥٩.

أذكار جميع الأبواب[١].

والواجب على المسلم أن يتبع هدى النبي ﷺ في هذه الأذكار فيكثر منها ويلتزم بها في الركوع والسجود، قال ابن القيم: "وبحسب متابعة الرسول ﷺ تكون العزة، والكفاية والنصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفرح والنجاة، فالله ﷻ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفته الذلة والصغار، والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء في السجود:

حيث جاء في الحديث: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، وقوله: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء"، قال النووي: "ومعنى: قمن" بفتح القاف وفتح الميم وكسرها أى حقيق وجدير وفيه الحث على الدعاء في السجود فيستحب أن يجمع في سجوده بين الدعاء والتسبيح، وقوله: "أقرب ما يكون" أى أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله وفيه دليل لمن يقول: "إن السجود أفضل من القيام وسائر أركان الصلاة"[٣]. وقال ابن عثيمين: "والعبد يكون أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد لأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام، ويضع أعلى ما في جسده حذاء أدنى ما في جسده، يعني أن وجهه أعلى ما جسده، وقدميه أدنى ما في جسده فيضمهما في مستوى واحد تواضعًا لله عز وجل، وقد أمر النبي ﷺ بالإكثار من الدعاء في حال السجود فيجتمع في ذلك الهيئة والمقال تواضعًا لله عز وجل، وأما في قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»، فهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه، لأن الدعاء عبادة فكل ماكرره الإنسان ازداد عبادة لله عز وجل، ثم إنه في تكراره هذا

---

(١) دليل الفالحين ١٤٩٢

(٢) زاد المعاد ٣٧/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٨٥-٣٨٦.

يستحضر الذنوب كلها، السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه، وكذلك دقه وجله، وهذا هو الحكمة في أن النبي ﷺ فصل بعد الإجمال فينبغي على الإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ لأنها أجمع الدعاء، وأنفع الدعاء[١].

وقال ابن القيم: "وأمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: "إنه قمن أن يستجاب لكم، ويحمل هذا الحديث على أن الدعاء نوعان" دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين والاستجابة نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله، واستجابة دعاء المثنى بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢]، والصحيح أنه يعم النوعين.

والسجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها، وبأن الساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد، فلهذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة، والسجود هو سر العبودية، فإن العبودية هي الذل والخضوع، يقال طريق معبد: أي: ذللته الأقدام، ووطأته، وأذل ما يكون العبد وأخضع إذا كان ساجدًا[٣]، وإذا كان السجود بهذا الفضل فواجب المسلم أن يجتهد في الإكثار من الدعاء لله فيه وقد قال رسول الله ﷺ لربيعة بن كعب الأسلمي وقد سأله مرافقته في الجنة: "أعني على نفسك بكثرة السجود"[٤].

وإذا كان الدعاء في السجود له هذا الفضل فهل يلزم من هذا أفضليته على القيام؟ وقد قال النبي ﷺ في الحديث عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، قال: «لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ. أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥١٩/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) زاد المعاد ٢٣٤/١-٢٣٦.

(٤) أخرجه مسلم، ٤٨٩.

عَنْ ذٰلِكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ الله بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» قَالَ مَعْدَانُ: ثُمَّ لَقِيتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ لِي ثَوْبَانُ»[1].

قال القرطبي: (قوله في حديث ثوبان وقد سئل عن أحب الأعمال إلى الله؟ فقال: "عليك بكثرة السجود" الحديث دليل على أن كثرة السجود أفضل من طول القيام، وهي مسألة اختلف العلماء فيها: فذهبت طائفة إلى ظاهر هذا الحديث، وذهبت طائفة أخرى إلى أن طول القيام أفضل؛ متمسكين بقوله ﷺ: ((أفضل الصلاة طول القنوت))[2]. وفسروا القنوت بالقيام كما قال تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾[3]، ذكر هذه المسألة والخلاف فيها الترمذي، والصحيح من فعل النبي ﷺ: أنه كان يطول في قيام صلاة الليل، وداوم على ذلك إلى حين موته، فدلَّ على أن طول القيام أفضل. ويحتمل أن يقال: إن ذلك يرجع إلى حال المصلي. فربَّ مصلٍ يحصل له في حال القيام من الحضور والتدبر والخشوع ما لا يحصل له في السجود، ورب مصل يحصل له في السجود من ذلك ما لا يحصل له في القيام، فيكون الأفضل في هذه الحال التي حصل له فيها ذلك المعنى؛ الذي هو روح الصلاة.

وأما ما جاء عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ. فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذٰلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[4].

فقوله في حديث ربيعة: "أو غير ذلك" رويناه بإسكان الواو من أو، ونصب "غير" أي: أو سل غير ذلك، كأنه حضه على سؤال شيء آخر غير مرافقته؛ لأنه فهم منه أن يطلب المساواة معه في درجته، وذلك مما لا ينبغي لغيره، فلما قال الرجل: هو ذلك، قال له:

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٧٥٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٩.

"أعني على نفسك بكثرة السجود"، أي: الصلاة؛ ليزداد من القرب ورفعة الدرجات؛ حتى يقرب من منزلته وإن لم يساوه فيها. ولا يعترض هذا بقول النبي ﷺ فيما رواه حذيفة ليلة الأحزاب: ((ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة))، لأن هذا مثل قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم...﴾[1]، لأن هذه المعية هي النجاة من النار، والفوز بالجنة، إلا أن أهل الجنة على مراتبهم ومنازلهم بحسب أعمالهم وأحوالهم، وقد دل على هذا أيضًا قوله ﷺ: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب»[2])[3].

وجاء في فتح الملهم: (قيل: إن الصيغة الدالة على التفضيل إنما وردت في فضل طول القيام، ولا يلزم من فضل الركوع والسجود أفضليتهما على طول القيام. وكذلك أيضًا لا يلزم من كون العبد أقرب إلى ربه حال سجوده أفضليته على القيام، لأن ذلك إنما هو باعتبار إجابة الدعاء.

وأقربية الشيء من وجه لا تستلزم أفضليته من كل الوجوه، كما أن العبيد والمملوكين الذين يخدمون الملوك ويحضرون بين أيديهم ليلاً ونهارًا يحصل لهم نوع من قربهم ما لا يحصل للولاة والوزراء الذين يفضلونهم في مراتب الشرف ومنازل العلو بما لا يقاس، ولهؤلاء أقربية أخرى معنوية رتبية ليس لأقربيته الأولين مقدار بالنسبة إليها، وقس على هذا ألوان القرب مع الله سبحانه وتعالى، فالعبد في سجوده له لون من القرب الإلهي ليس هو في سائر أركان الصلاة، وفي قيامه ومناجاته مع الله لون آخر يفضل اللون الأول، فالمراد في حديث الباب: الأقربية من حيث بعض ألوانه، والله أعلم.

قوله: "من ربه" إلخ: أي من رحمة ربه وفضله.

قوله: "وهو ساجد" إلخ: أي: أقرب حالاته من الرحمة حال كونه ساجدًا، وإنما كان في السجود أقرب من سائر أحوال الصلاة وغيرها لأن العبد بقدر ما يبعد عن نفسه يقرب من ربه، والسجود غاية التواضع وترك التكبر وكسر النفس، لأنها

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٨٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٤٣).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٢-٩٤.

لا تأمر الرجل بالمذلة ولا ترضى بها ولا بالتواضع، بل بخلاف ذلك، فإذا سجد فقد خالف نفسه وبعد عنها، فإذا بعد عنها فقد قرب من ربه.

قوله: "فأكثروا الدعاء" إلخ: أي: في السجود، لأنه حالة قرب، كما تقدم، وحالة القرب مقبول دعاؤها، لأن السيد يحب عبده الذي يطيعه ويتواضع له ويقبل منه: ما يقوله وما يسأله.

قوله: "ذنبي كله" إلخ: كله للتأكيد، وما بعده تفصيل لأنواعه، أو بيانه. وقوله: "دقه" إلخ: بكسر الدال، أي: دقيقه وصغيره.

قوله: "وجله" إلخ: بكسر الجيم، وقد تضم، أي جليله وكبيره، قيل: إنما قدم الدق على الجل لأن السائل يتصاعد في مسألته، أي يترقى، ولأن الكبائر تنشأ غالبًا من الإصرار على الصغائر وعدم المبالاة بها، فكأنها وسائل إلى الكبائر، ومن حق الوسيلة أن تقدم إثباتًا ورفعًا.

قوله: "أوله وآخره" إلخ: المقصود الإحاطة.

قوله: "وعلانيته وسره" إلخ: أي: عند غيره تعالى، وإلا فهما سواء عنده تعالى، يعلم السر وأخفى[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر والترغيب:

١- الأمر: حيث جاء في الحديث: "فعظموا فيه الرب"، "فاستهدوا"، "فأكثروا"، ومما لا شك فيه أن أسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به وضرورة تنفيذه والاستجابة له وقد أمر الله بهذا في القرآن فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2]، ومن صور استعمال القرآن الكريم، لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3]، وقوله جل شأنه: ﴿وَأَقِيمُوا

---

(١) فتح الملهم، شبير أحمد العثماني، ٣/٤٦٣-٤٦٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[١].

٢- الترغيب: ويتضح هذا من سياق الأحاديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين بالإيجاب حيث تقبل نفوسهم على الطاعة لما ينتظرون من الأجر والثواب، "والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة"[٢]، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[٣].

رابعًا - من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث: "فأكثروا الدعاء"، وقوله: "وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم"، والداعية مهمته الأولى دلالة الناس على الخير وإرشادهم إلى ما ينفعهم ذلك لأن الأصل فيه دائمًا الحرص على مصلحة المدعوين وهكذا كان رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٤]، ولا زال الناس يحتاجون إلى من يدلهم على الخير ويرشدهم "فالأنبياء هم المعلمون، وبالتعليم يتم نظام العالم، والعلم الذي جاء به الأنبياء هو العلم الكاشف عن حقيقة الطريق المستقيم الموصل إلى دار السعادة" [٥]، وقد قال الرسول الكريم في فضل من يرشد إلى الخير من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من دل على خير فله مثل

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة التوبة، آية : ١٢٨.

(٥) الدعوة والدعاة، على سرور الزنكلوني، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م. ص٣٤.

أجر فاعله. أو قال عامله"[١].

خامسًا - من صفات الداعية: التواضع:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث كان النبي ﷺ يكثر من الدعاء بالمغفرة ويكثر من الدعاء في السجود وفي هذا تواضع لله عز وجل، ومن أهم صفات الداعية أن يتواضع لله وللخلق حتى يكتب الله له القبول بين الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه"[٤]. قال النووي:(فيه وجهان "أحدهما: يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا)[٥].

والتواضع من أهم الصفات في حق الدعاة إلى الله تعالى: "إن التواضع يمكن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير والرئيس والمرؤوس، والغني والفقير، ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع ومن التواضع طيب الحديث والتبسم في وجه الناس، والرفق بهم، وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم وتهدئة روعهم إذا فزعوا، ولقد كان نبي الرحمة ﷺ وهو قدوة الدعاة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبته[٦].

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) سورة آل عمران، آية : ١٥٩.

(٣) سورة الحجر، آية : ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٥٤٦.

(٦) صفات الداعية، د. حمد العمار ص ٥٧.

الحديث رقم (١٤٢٨)

١٤٢٨- وعنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يقولُ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سُبُّوح: مُنَزَّه من الشريك وكل ما لا يليق بالألوهية[2].

قدوس: المطهر من كل ما لا يليق بالخالق. وقيل: المبارك[3].

الشرح الأدبي

الحديث كسابقه يتناول ذكر الرسول ﷺ في السجود، والركوع، وهما من المواضع التي تدل على الذل، والخضوع بدلالة الحال مع ما تتضمن من الذل، والخضوع من دلالة المقال، وقوله (سبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ) قيل: سبوح من صفات الله. وقال ابن فارس والزبيدي وغيرهما: سبوح هو الله عز و جل والمراد المسبح والمقدس فكأنه يقول مسبح مقدس. ومعنى سبوح المبرأ من النقائص، والشريك، وكل ما لا يليق بالإلهية. وقدوس المطهر من كل ما لا يليق بالخالق، وفي العبارة إيجاز بالحذف لأنهما خبران مبتدؤهما محذوف تقديره ركوعي، وسجودي لمن هو سبوح قدوس، والقدوس صيغة مبالغة من القدس، وقال الهروي: قيل القدوس المبارك، وقوله (رب الملائكة والروح) هو من صور الإطناب بعطف الخاص على العام عناية به، واهتماما؛ لأن الروح من الملائكة، وهو ملك عظيم يكون إذا وقف كجميع الملائكة. وقيل

---

(١) برقم (٢٢٣/٤٨٧).

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٨٨، النهاية في (س ب ح).

(٣) المرجع السابق ٣٨٨.

يحتمل أن يكون جبريل، وقيل خلق لا تراهم الملائكة كنسبة الملائكة إلينا، والفرق بين التسبيح، والتقديس أن التسبيح للأسماء، والتقديس للآلاء، وكلاهما يؤدي إلى العظمة، وهي عبارة عميقة الدلالة من جوامع الكلم تسبح بالعبد في ربوع الملكوت يرى بها عظمة ربه المسبح المقدس[1].

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى الحكم التالي:

استحباب الدعاء في الركوع والسجود بهذا الدعاء وبهذا الذكر[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) ينظر شرح الحديث في نيل الأوطار للشوكاني حديث (٣)

(٢) حاشية الجمل ٣٦٤/١، ٣٧٨، المغني ٣٠٧/١، سبل السلام ٣٣٩/١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٢٩)

١٤٢٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

قَمِن: حقيق وجدير[2].

الشرح الأدبي

الحديث يتناول ذكر الركوع، والسجود، وهما موطنا القرب من الله تعالى، وهما من نقاط التحول في استغراق العبد مع ربه بشدة قربه، وبعده عن الدنيا بتقليل الجهات التي يقع عليها نظره وقصره على موضع السجود قصرا عمليا، وقد فصل الرسول ﷺ الذكر للمصلي فيهما، بقوله (فَأمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ - عز وجل -) وأما تفصيلية تؤكد، وتفصل ما بعدها، وقوله (فعظموا) أمر نصح، وإرشاد لما تتم به الصلاة، والتعظيم باللسان، وبالقلب، وهو الذي يحقق غرض الخضوع، والذلة، والتعبير بلفظ الرب دون لفظ الجلالة ا(الله) لأن لفظ الرب يذكر العبد بما تستلزمه الربوبية من رعاية، وحفظ، وتربية مما يستلزم من العبد تعظيمه باستشعار باطني يوافق النطق الظاهر، وقوله (وَأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ) أما تفصيلية تؤكد من بعدها وقوله (فاجتهدوا) أي ابذلوا الجهد وهو استجماع القلب على الله عند الدعاء، وتفريغ القلب من الدنيا بل إن عليه أن يفرغ نفسه من هموم الدنيا قبل الدخول في الصلاة بأن يخلعها مع نعليه، قبل دخول المسجد لأن العبد إذا كبَّر عند تكبيرة الإحرام؛ فإنه يعلن

---

(١) برقم (٤٧٩/٢٠٧).

(٢) اللسان في (ق م ن).

أن الله الذي هو مقبل عليه أكبر من كل ما يشغله من أمور الدنيا، وقوله: (فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ) أي حقيق وجدير أن يستجاب لكم وهو ترغيب لهم وحث على كثرة الدعاء في هذا الموطن الفاضل.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان من طلب خير الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة[١].

٢-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذه الأدعية المأثورة[٢].

٣-الحث على الدعاء في السجود[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) سبل السلام ٣٣٨/١.

(٢) حاشية الجمل ٣٧٨/١، المغني ٣٠٧/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٠٠/٤.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٠)

١٤٣٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((اقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث نصا معنى أشار إليه سابقه، وهو قرب العبد من ربه في هذا الموطن، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٤٨٢/٢١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٥٥١). وسيكرره المؤلف برقم (١٥٠٠).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣١)

١٤٣١- وعنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ في سجودِهِ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ: دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

دقه: قليله وصغيره[2].

جله: كثيره وكبيره[3].

الشرح الأدبي

السجود موطن القرب، ومتنزل الرحمة، والدعاء فيه أقرب ما يكون للإجابة وقوله (اللهم) نداء وتضرع بهذه الصيغة ذات الخصوصية في الدعاء مع أنه قريب منه إعلانا لتوجهه بقلبه ووجدانه إلى ربه بنداء يستغرق أركان النفس فيخشع معها العظم واللحم وكل البدن وهو استغراق شامل وتهالك في الدعاء وقوله (اغفر لي) أمر قصد به الدعاء، والمغفرة هي ستر الذنوب، وطلب الرسول ﷺ للمغفرة مع أنه بلا ذنب من باب تعبد الله بموجب اسمه الغفار، مع ما فيه من تواضع وخضوع وإظهار للذلة، والافتقار، بالإضافة إلى أن الاستغفار في حد ذاته عبادة ثم استغرق بالدعاء بالمغفرة جميع الذنوب إجمالا عن طريق لفظ الشمول (كل) المضاف للضمير العائد على الذنوب، وهو إجمال تلاه تفصيل يؤكده، ويدل على حرصه على تحقق المغفرة وجاء هذا التفصيل المؤكد لما سبقه في أسلوب المطابقة بين الصفات لشمول جميع الذنوب بالمغفرة في جميع الأحوال

---

(١) برقم (٤٨٣/٢١٦).

(٢) النهاية في (د ق ق)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

(٣) النهاية في (ج ل ل)، وشرح صحيح مسلم ٣٨٦.

فقد طابق بين قوله (دقه، وجله)حتى يستوعب كبير الذنب وصغيره، وهو تعليم لنا؛ لأنه ﷺ معصوم عن الصغائر، والكبائر، وطابق بين قوله، أوله، وآخره ليستوعب الذنوب في الزمن ما مضى، وما هو حاضر، وما يستقبل؛ لأن الإنسان لا يعلم آخر ذنوبه، وطابق بين العلانية، والسر حتى يستغرق الذنب في المكان فلا يقع ذنب، في زمان، ولا مكان إلا شملته المغفرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٤٢٧).

الحديث رقم (١٤٣٢)

١٤٣٢- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: افْتَقَدْتُ النَّبيَّ ﷺ، ذَاتَ لَيْلَةٍ[١]، فَتَحَسَّسْتُ، فإذا هُوَ راكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ، يقولُ: ((سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت))[٢].

وفي رواية: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ في المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)). رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

افتقدت النبي: أي: لم أجده[٤].

فتحسَّست: تطلبته ﷺ وسألت عنه[٥].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على حدث من بيوت النبي ﷺ ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتضمن تقرير ذكر من أذكار الرسول ﷺ في الصلاة، وقولها (افتقدت النبي ﷺ) التعبير بالفقد يشعر بعزيز غاب وهو ما يصور حالها مع الرسول ﷺ محبة، ورحمة ومعناه أنها لم تجده بجوارها في فراشه، وقولها (فتحسست) يشير إلى الحنو؛ لأن التحسس لمسة حانية باليد تبحث عن قريب في المكان، وقوله (فإذا هُوَ راكِعٌ - أَوْ سَاجِدٌ) أي أنه كان في الصلاة، وهو التوقيت الذي تؤقت للحدث به، وهو الدعاء

---

(١) عند مسلم زيادة: (فظننتُ أنَّه ذهب إلى بعض أهله).

(٢) برقم (٢٢١/٤٨٥).

(٣) برقم (٢٢٢/٤٨٦).

(٤) النهاية في (ف ق د).

(٥) اللسان والوسيط في (ح س س).

المخصوص، وهو قوله (سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لاَ إلهَ إلاَّ أنت) قد يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّه يُسَبِّحُ بِنَفْسِ الْحَمْدِ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ الْحَمْدُ مِنْ مَعْنَى التَّسْبِيحِ، الَّذِي هُوَ التَّنْزِيهُ، لاقْتِضَاءِ الْحَمْدِ نِسْبَةَ الإفْعَالِ الْمَحْمُودِ عَلَيْهَا إلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، وَفِي ذَلِكَ نَفْيُ الشَّرِكَةِ ، وقد يَكُونَ الْمُرَادُ: فَسَبِّحْ مُتَلَبِّسًا بِالْحَمْدِ، فَتَكُونُ الْبَاءُ دَالَّةً عَلَى الْحَالِ وَهَذَا يَتَرَجَّحُ، لانَّ النَّبِيَّ قَدْ سَبَّحَ وَحَمَدَ بِقَوْلِهِ "سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ "وَعَلَى مُقْتَضَى الْوَجْهِ الإوَّلِ: يُكْتَفَى بِالْحَمْدِ فَقَطْ، وَكَأَنَّ تَسْبِيحَ الرَّسُولِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ دَلِيلٌ عَلَى تَرْجِيحِ الْمَعْنَى الثَّانِي، وَقَوْلُهُ "وَبِحَمْدِكَ "قِيلَ مَعْنَاهُ: وَبِحَمْدِكَ سَبَّحْتُ، وَهَذَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ حَذْفٌ، أَيْ بِسَبَبِ حَمْدِ اللَّهِ سَبَّحْتُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالسَّبَبِ هَهُنَا: التَّوْفِيقَ وَالإعَانَةَ عَلَى التَّسْبِيحِ، وَاعْتِقَادَ مَعْنَاهُ، وقوله في الرواية الأخرى (اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) يقوم الدعاء على الطباق والمعنى يدور على التعوذ، وهو مقام مختلف في الإحساس عن موقف الثناء السابق، وقد طابق بين قوله: (رِضَاكَ وبين سَخَطِكَ، في عياذ من الثاني بالأول، وبين معَافَاة، والعُقُوبة، في إشارة إلى طلاقة القدرة بين العقاب أو العفو، كما يقرر أنه الملجأ والملاذ (وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ)إذا أحتاج العبد بعد الوقوع في الذنب إلى من يجيره من عقابه فليس له غيره، ثم ضمنه الاعتراف بالتقصير في شكره مهما جد في ذلك.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١- حكم نقض الوضوء بلمس المرأة: ذهب الشافعية والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء مطلقًا[1] وروي ذلك عن ابن مسعود، وابن عمر، والزهري، وزيد بن أسلم، ومحكول، ويحيى الأنصاري وربيعة والأوزاعي، وسعيد بن عبدالعزيز[2].

---

(١) مغني المحتاج ١/١٤٤-١٤٥، حاشية الجمل ١/٦٩-٧٠، المغني ١/١٢٤.

(٢) المغني ١/١٢٤.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[١] أي لمستم حيث قرئ به فعطف اللمس على المجيء من الغائط ورتب عليهما الأمر بالتيمم عند فقد الماء فدل على أنه حدث كالمجيء من الغائط لا جامعتم لأنه خلاف الظاهر إذ اللمس لا يختص بالجماع[٢].

ويناقش هذا بأن المراد باللمس في الآية الجماع كما قال ابن عباس وهو ترجمان القرآن[٣].

وذهب الحنفية، والحنابلة في رواية إلى أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء مطلقًا وروي ذلك عن علي، وابن عباس، وعطاء، وطاووس، والحسن، ومسروق[٤]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن هذه الحادثة، فقالت: كان رسول الله ﷺ يقبل بعض نسائه ثم يخرج للصلاة ولا يتوضأ، ولأن اللمس ليس بحدث ولا سبب لوجود الحدث فأشبه مس الرجل الرجل والمرأة المرأة[٥].

وذهب المالكية، والحنابلة في المشهور إلى أن لمس المرأة ينقض الوضوء إذا كان بشهوة، ولا ينقض إن لم يكن بشهوة، وهذا قول علقمة، وأبي عبيدة والنخعي، والحكم، وحماد، والثوري، وإسحاق، والشعبي[٦]. واستدلوا على ذلك بأنه لمس بغير شهوة لم ينقض كلمس ذوات المحارم يحققه أن اللمس ليس بحدث في نفسه وإنما لأنه يفضي إلى خروج المذي أو المني فاعتبرت الحالة التي تفضي إلى الحدث فيها وهي حالة الشهوة[٧].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٢) مغني المحتاج ١/١٤٤.

(٣) بدائع الصنائع ١/٣٠.

(٤) بدائع الصنائع ١/٣٠، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق ١/١٢، المغني ١/١٢٣-١٢٤.

(٥) بدائع الصنائع ١/٣٠.

(٦) مواهب الجليل ١/٢٩٦، حاشية الصاوي والشرح الصغير ١/١٤٢-١٤٣، المغني ١/١٢٣-١٢٤، شرح منتهى الإرادات ١/٧٣.

(٧) المغني ١/١٢٤-١٢٥.

والراجح هو رأي المالكية، والحنابلة.

٢-حكم نصب القدمين في السجود: اتفق الفقهاء على استحباب نصب القدمين في السجود، وأن يكون السجود على أطراف أصابع رجليه ويثنيهما إلى القلة ويسجد على صور قدميه[١].

٣-يستحب للمصلي أن يدعو في سجوده بهذا الدعاء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود:

حيث جاء في الحديث: "افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فتحسست فإذا هو راكع أو ساجد يقول: "سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت" "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك..." ومما لا شك فيه أن هذا يدل على حرص النبي ﷺ على ذكر الله والدعاء في الركوع والسجود، قال الإمام النووي "وقوله: " لا أحصى ثناء عليك" أى لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل: لا أحيط به وقال مالك معناه: لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك، وقوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" إعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء، وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى الله ﷻ المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وكما

---

(١) بدائع الصنائع ١/١٠٥، حاشية رد المحتار ١/٤٤٧، حاشية العدوى ١/٢٧٠، الفواكه الدواني ١/١٨٢، أسنى المطالب ١/١٦٠، حاشية الجمل ١/٣٧٦، المغني ١/٣٠٦، كشاف القناع ١/٣٥٠-٣٥١.

(٢) حاشية الجمل ١/٣٧٨-٣٧٩.

أنه لانهاية لصفاته لانهاية للثناء عليه لأن الثناء تابع للمثنى عليه، وكل ثناء أثنى به عليه وإن كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكبر وأكثر وفضله وإحسانه أوسع وأسبغ"[١].

هذا وقد تواترت الكثير من أحاديث النبي ﷺ التي تبين مدى حرصه على الدعاء والذكر في الركوع والسجود فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"[٢]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في سجوده "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"[٣].

قال القرطبي: (وقوله: "لا أحصي ثناء عليك" أي: لا أطيقه. أي: لا أنتهي إلى غايته، ولا أحيط بمعرفته؛ كما قال ﷺ مخبرًا عن حاله في المقام المحمود حين يخر تحت العرش للسجود قال: «فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لاَ أَقْدِرُ عَلَيْهَا إلا أنَ يُلْهِمُنِيهَا اللهُ»[٤]. وروى عن مالك: لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء عليك، وإن اجتهدت في ذلك. والأول أولى لما ذكرناه. ولما جاء في نص الحديث نفسه: "أنت كما أثنيت على نفسك"، ومعنى ذلك اعتراف بالعجز عن أداء وفهم ما يريده الله من الثناء على نفسه، وبيان صمديته، وقدوسيته، وعظمته، وكبريائه، وجبروته ما لا يُنتهي إلى عدِّه، ولا يوصل إلى حدِّه، ولا يحصِّله عقل، ولا يحيط به فكر، وعند الانتهاء إلى هذا المقام انتهت معرفة الأنام؛ ولذلك قال الصديق الأكبر: العجز عن درك الإدراك إدراك. وقال بعض العارفين في تسبيحه: سبحان من رضي في معرفته بالعجز عن معرفته)[٥].

قال الطيبي: (قوله: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك"،

---

(١) شرح صحيح مسلم ٣٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٧٩٤، ومسلم ٤٨٤ واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤١٠، ومسلم ١٩٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢/٩٠.

وفي رواية أخرى بدأ بالمعافاة ثم ثنى بالرضا، وإنما ابتدأ بالمعافاة من العقوبة لأنها من صفات الأفعال كالإماتة، والإحياء، والرضى، والسخط من صفات الذات، وصفات الأفعال أدنى رتبة من صفات الذات، فبدأ بالأدنى مترقيًا إلى الأعلى، ثم لما ازداد يقينًا وارتقى ترك الصفات، وقصر نظره على الذات فقال: "أعوذ بك منك". ثم لما ازداد قربًا استحى من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء، فقال: "لا أحصى ثناء عليك"، ثم علم أن ذلك قصور فقال: "أنت كما أثنيت على نفسك"، وأما على الرواية الأولى فإنما قدم الاستعاذة بالرضى من السخط، لأن المعافاة من العقوبة يحصل بحصول الرضاء، وإنما ذكره لأن دلالة الأول عليها دلالة تضمن، فأراد أن يدل عليها دلالة مطابقة، فكنى عنها أولاً، ثم صرح بها ثانيًا، ولأن الرضى قد يعاقب للمصلحة، ولإستيفاء حق الغير.

وقوله: "لا أحصى ثناء عليك": أي لا أطيق أن أثنى عليك كما تستحقه وتحبه، بل أنا قاصر عن أن يبلغ ثنائي قدر استحقاقك، "أنت كما أثنيت على نفسك" كقولك سبحانك: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٦ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، وما أشبه ذلك من الآيات التي حمدت نفسك فيها.

أقول: أصل الإحصاء العد بالحصى، والإحصاء التحصيل بالعدد، يقال: أحصيت كذا من لفظ الحصى، واستعمال ذلك فيه من حيث أنهم كانوا يعتمدون عليها بالعد، كاعتمادنا فيه على الأصابع؛ فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا»[2]. أي: لن تحصوا ذلك، ووجه تعذر إحصائه وتحصيله هو أن الحق واحد، والباطل كثير، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالمرمى من الهدف، فإصابة ذلك شديدة.

أقول: وإذا علم ذلك فنقول: إن "ما" في قوله: "كما أثنيت" يجوز أن يكون

---

(١) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤).

موصوفة، وأن يكون موصولة، كقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾[١]، أي: الحكيم الباهر الحكمة سوَّى هذه النفس العجيبة الشأن، والكاف بمعنى مثل، كالمثل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[٢]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[٣]، والمراد أي: أنت الذات التي لها صفات الجلال والإكرام، ولها العلم الشامل والقدرة الكاملة، يعلم بالعلم الشامل صفات جلالك وإكرامك، وتقدر بقدرتك الكاملة أن تحصى ثناء نفسك، فنفى في قوله: "لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" القدرة والعلم عن نفسه، عجزًا واعترافًا بالقصور، وأثبتهما في قوله: "أنت كما أثنيت على نفسك" لله عز وجل إعظامًا وإجلالاً، وذلك أن صفات الجلال والإكرام لا نهاية لها، فلا يدركها ولا يطاق إلا بعلم وقدرة لا نهاية لهما. وهذا الثناء يجوز أن يكون بالقول، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[٤]، وبالفعل كما في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[٥]، قالوا: ما أثنى الله على نفسه تعالى فهو في الحقيقة إظهار فعله، محمدة لنفسه من بث آلائه، وإظهار نعمائه، بمحكات أفعاله، والله أعلم)[٦].

جاء في فتح الملهم: (وقوله "لا أحصي ثناءً عليك" أي لا أطيق أن أعدّ وأحصر فردًا من أفراد الثناء الواجب لك عليّ في كل لحظة وذرة، إذ لا تخلو لمحة قط من وصول إحسان منك إليّ، وكل ذرّة من تلك الذرات لو أردت أحصي ما في طيّها من النعم

---

(١) سورة الشمس، آية: ٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٣٧.

(٤) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٤.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢/٣٤٠، ٣٤١.

لعجزت، لكثرتها جدًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[١] فأنا العاجز عن قيام شكرك، فأسألك رضاك وعفوك.

قوله: "على نفسك" إلخ: أي: على ذاتك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢])[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاقتداء بالنبي ﷺ في الدعاء في الركوع والسجود:

يتضح هذا من سياق الحديث ومما هو معلوم أن الرسول ﷺ هو الأسوة والقدوة لنا جميعًا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وإذا كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله في ركوعه وسجوده ويتطلع إلى مرضاته والثناء عليه فواجب المسلم أن يكون كذلك، قال النووي: "ومعنى استعاذته ﷺ الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"، وقال الخطابي: "وفي استعاذته ﷺ وسؤاله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته معنى لطيف حيث إن الرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله ﷻ استعاذ منه لاغير" ومعناه: الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه[٥]، هذا وقد جعل الله في طاعته واتباعه ﷺ الهداية والفلاح قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[٧].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٢) سورة الجاثية، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٣/٤٦٩-٤٧٠.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) شرح صحيح مسلم ٣٨٨.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٧) سورة النور، آية: ٥٤.

والواجب على المسلم الاقتداء بالرسول ﷺ في المحافظة على الأذكار والأدعية، قال ابن القيم: (فإذا فرغ من صلاة الصبح أقبل بكليته على ذكر الله، والتوجه إليه بالأذكار التي شرعت أول النهار؛ فيجعلها وردًا له لا يخل بها أبدًا، ثم يزيد عليها ما شاءَ من الأذكار الفاضلة أو قراءة القرآن حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فإن شاءَ ركع ركعتى الضحى وزاد ما شاءَ، وإن شاءَ قام من غير ركوع ثم يذهب متضرعًا إلى ربه سائلاً له أن يكون ضامنًا عليه متصرفًا فى مرضاته بقية يومه، فلا ينقلب إلا فى شيء يظهر له فيه مرضاة ربه، وإن كان من الأفعال العادية الطبيعية قَلَبَه عبادة بالنية، وقصد الاستعانة به على مرضاة الرب.

وبالجملة فيقف عند أول الداعى إلى فعله، فيفتش ويستخرج منه منفذًا ومسلكًا يسلك به فينقلب فى حقه عبادة وقربة، وشتان كم بين هذا وبين من إذا عرض له أمر من أوامر الرب لا بد له من فعله وفتش فيه على مرادٍ لنفسه وغرضٍ لطبعه، ففعل لأجل ذلك، وجعل الأمر طريقًا له ومنفذًا لمقصده، فسبحان من فاوت بين النفوس إلى هذا الحدّ والغاية، فهذا عباداته عادات، والأول عاداته عبادات.

فإذا جاءَ فرض الظهر بادر إليه مكملاً له ناصحًا فيه لمعبوده كنصح المحب الصادق المحبة لمحبوبه الذى قد طلب منه أن يعمل له شيئًا ما، فهو لا يبقى مجهودًا، بل يبذل مقدوره كله فى تحسينه وتزيينه وإصلاحه وإكماله ليقع موقعًا من محبوبه فينال به رضاه عنه وقربه منه.

أفلا يستحى العبد من ربه ومولاه ومعبوده أن لا يكون فى عمله هكذا، وهو يرى المحبين فى أشغال محبوبيهم من الخلق كيف يجتهدون فى إيقاعها على أحسن وجه وأكمله، بل هو يجد من نفسه ذلك مع من يحبه من الخلق، فلا أقل من أن يكون مع ربه بهذه المنزلة، ومن أنصف نفسه وعرف أعماله استحى من الله أن يواجهه بعمله أو يرضاه لربه وهو يعلم من نفسه أنه لو عمل لمحبوب له من الناس لبذل فيه نصحه ولم يدع من حسنه شيئًا إلا فعله.

وبالجملة فهذا حال هذا العبد مع ربه فى جميع أعماله، فهو يعلم أنه لا يوفى هذا

المقام حقه، فهو أبدًا يستغفر الله عقيب كل عمل وكان النبى ﷺ إذا سلم من الصلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١]. قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢])[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يؤخذ هذا من سياق الحديث وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في طاعة الله، والحرص على مرضاته: "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخفيه الترهيب، ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي والمطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٤].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾[٥]، وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٨٦.

(٥) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

(٦) سورة المطففين، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

الحديث رقم (١٤٣٣)

١٤٣٣- وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ، فَقَالَ: ((أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ؟)) فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: ((يُسَبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ ألْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ ألفُ خَطِيئَةٍ)). رواه مسلم[1].

قَالَ الحُمَيْدِيُّ[2]: كذا هُوَ في كتاب مسلم: ((أَوْ يُحَطُّ)).

قَالَ البَرْقاني: ورواه شُعْبَةُ وأبو عَوَانَة، وَيَحْيَى القَطَّانُ، عن موسى الَّذي رواه مسلم من جهتِهِ فقالوا: (ويحط) بغير ألِفٍ[3].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

ترجمة الراوي:

يُحَطُّ: يُسقط ويُمحى[4].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في الذكر، وهو أيسر الأبواب لكسب الحسنات الكثيرة التي بها يكون العبد من أغنياء الآخرة الذين ليس لهم عملة إلا الحسنة لأن التعامل في الآخرة يكون بالحسنة، أو السيئة، وأسلوب الحديث يقوم على الاستفهام التشويقي بالأمر المحبب، وهو كسب ألف حسنة، لاسيما أن المخاطبين هم الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على تحصيل الحسنات (أيعجزُ أحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ في كلِّ يومٍ ألْفَ حَسَنَةٍ؟) أي لا يعجز أحدكم أن يكسب ألف حسنة، والاستفهام الذي

---

(١) برقم (٢٦٩٨/٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٩).

(٢) الجمع بين الصحيحين (١٩٩/١).

(٣) بنصه في الترغيب للمنذري (٤٠٦/٢).

(٤) النهاية في (ح ط ط).

صدر من السائل كان صدى لاستفهام الرسول ﷺ (كَيْفَ يَكْسِبُ أَلفَ حَسَنَةٍ ؟) وهذه الاستفهامة بذكر الأجر نصا فيها تعكس لهفته على ما يوصله إليها، وهو أسلوب راقٍ من النبي ﷺ في التمكين للمعنى في وجدان المخاطبين، وقوله في إجابته (يسبِّحُ مِئَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ) والمقابلة بين الكتابة، والحط تؤكد حصول أحد الأجرين، كما أن التعبير بالكتابة يوحي بالثبات، والتحقق، والتعبير بالحط يوحي بزوال ثقل عن حامله، و(أو) معناها التنويع بمعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه خطيئة، وإن كانت عليه فيحط بعض، ويكتب بعض، ويمكن أن تكون، أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما، وفضل الله أوسع من ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب.

ثانيًا: من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار والاستجواب:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف سنة"، وأسلوب الحوار والاستجواب من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو وتحرك فكره وعقله، وتخلق فيه روح المشاركة والحوار، "ولقد كان النبي ﷺ يكثر من الأساليب الحوارية والاستجوابية مع أصحابه ومع من يلتقي بهم حين كان يدعوهم إلى الله ويربيهم التربية المثلى وما ذلك إلا يثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويذهب مللهم وسآمتهم، ويصب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"[1].

---

(١) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٧.

ثانيًا- من حكمة الداعية: إثارة التنافس في نفوس المدعوين لكسب الحسنات:

حيث جاء في الحديث: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة"، والداعية الحكيم الموفق هو الذي يستطيع أن يخلق روح التنافس في نفوس المدعوين لتكون عندهم همة عالية نحو الطاعة وهذا ما علمنا الله إياه من الحث على المسارعة والمسابقة إلى الخيرات للفوز بالجنة والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[1]. وقال جل شأنه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[2]. ومدح الله سبحانه أنبياءه فقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗا﴾[3]. وحث الله على التنافس لنيل الجنة فقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾[4].

قال السعدي: "وفي ذلك النعيم المقيم الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله فليتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاحمت للوصول إليه فحول الرجال"[5]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: "وعلو الهمة مندوب إليه في العبادة والاستقامة ولقد فقه سلفنا الصالح عن الله أمره وتدبروا في حقيقة الدنيا فاستوحشوا من فتنتها وتجافت جنوبهم عن مضاجعها، وارتفعت همتهم عن سفاسفها، فلا تراهم إلا صوامين قوامين وقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشيد بعلو همتهم في التوبة والاستقامة، وقوة عزيمتهم في العبادة والإخبات"[6].

قال العز بن عبدالسلام: (التنافس في الطاعات: طلب أنفسها وأفضلها. ومن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٨٤٧.

(٦) موسوعة نضرة النعيم ٢٩٨٩/٧.

المأمورات الباطنة للعبد طلب الحرص على طاعة الله فالحرص يشرف بشرف المحروص عليه، ومراتبه في الشرف مبنية على مراتبه، فالحرص على المعرفة والإيمان أفضل من كل حرص لأنه وسيلة إلى أفضل الأعمال وأشرفها، ومن المأمورات الباطنة للعبد الحزن على فوات الطاعات. قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[1]، فالحزن على فوت الطاعة من ثمرة حبها، والاهتمام بها لأن المرء لا يحزن إلا على ما عزَّ عليه)[2].

ولا يخفى أن نجاح الداعية يتوقف على مدى تأثيره في نفوس المدعوين وإثارة روح الإقبال على الطاعة مما يكون له أثره الحميد على الفرد والمجتمع.

"يترتب على وجود مبدأ التسابق في الخيرات في الحياة الإسلامية الكثير من المصالح الدنيوية والأخروية للفرد والمجتمع، في وقت واحد.

١- سترتفع المعاصي من المجتمع، فالكل يتسابق في فعل الخير، والكل يبحث عن خير، يرتفع به عن الآخرين، ومن باب أولى فالكل يعمل على البعد عن الخطايا، والذنوب.

وهذه الفائدة لا يستهان بها، فكون المعاصي ارتفعت من المجتمع يعني أن الخيرات تواجدت في كل مكان، وهذا أمر يريد منا الإسلام أن نصل إليه.

٢- أن بالتسابق في الخيرات سيشعر كل فرد أنه مسئول عن إصلاح شأنه، والتحلي بمكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، وأنه مطالب بالتخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل.

وهذا يعني صلاح الفرد، وفي صلاح كل فرد ونقائه، صلاح كل المجتمع وطهارته من كل خبيث.

٣- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني شيوع المحبة بين أبناء المجتمع، وهذا مما يساعد على استقرار المجتمع، وأمنه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩٢.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٦٥-٦٧.

٤- التسابق في الخيرات، سيجعل من كل فرد يعمل على إجادة عمله، والتفنن فيه، مما يساعد على زيادة الإنتاج، فيحيا المجتمع حياة سعيدة، وعيشة هنيئة.

٥- التسابق في الخيرات سيجعل من أبناء المجتمع متراحمين، لأن كل منهم يتسابق في كسب ود أخيه ومحبته، والعمل على سروره، وبهجته.

وإذا تراحم أبناء المجتمع شاعت بين أفراده المحبة والسرور، وارتفعت البغضاء والخصام، وعاش الجميع يعمل الخير ويتسابق عليه.

٦- التسابق في الخيرات سيحرك همم أفراد المجتمع للعمل للآخرة، والبعد عن ما يجلب الخسارة، فيشعر المرء بمعنى التسابق في الخيرات الباقية، لا الخيرات الفانية.

٧- ظهور عنصر التسابق في الخيرات في حياة كل مسلم يعني التخلي عن الحقد والحسد، والبعد عن البغضاء والشحناء.

وفي كل ذلك خلاص المجتمع من آفات عظيمة، وأمراض سقيمة.

٨- أن المجتمع ستأتي عليه اللحظة التي يشعر فيها أنه يستطيع أن يكون على قلب رجل واحد، وهذا من المعاني الطيبة التي تراد في الإسلام.

٩- أن التسابق في الخيرات سيجعل من السهل على المسلمين الذين اجتمعوا من قبل في الخيرات أن يقفوا صفًا واحدًا أمام كل محنة وبلاء.

١٠- سيخلوا المجتمع من البطالين، والعاطلين بعد أن وجد كل منهم طريقه السليم، وعمله الدائم الذي لا يفارقه سواء كان يعمل أولاً، صحيحًا أو مريضًا، فالتسابق في الخيرات قد فتح أمام الكل آفاق أوسع، وأشمل لمعنى كلمة الحياة[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "كيف يكسب ألف حسنة"، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وتشجعه على السؤال والاستفسار، وقد أمر الله تعالى بالسؤال فقال سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

---

(١) المسابقة إلى الخيرات، مجدي فتحي السيد، ١٩، ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

"وعلى حامل الرسالة الدعوية أن يعقد مجالس للسؤال والجواب، أو أن يجعل في آخر درسه حصة من الزمن للسؤال والجواب، وأن يستثمر هذه الوسيلة المؤثرة النافعة من وسائل الأداء البياني للقيام ببعض واجبات وظيفته التي يضطلع بأعبائها، وعليه أن يكون حكيمًا، كثير العلم بما يتصدر للإجابة عليه، حاضر الذهن يقظًا، حسن التصرف، واسع الصدر حليمًا، محترمًا لأسئلة السائلين ولو كانت ضحلة وساذجة، وفي هذه الحالة يتلطف بالسائل ولا يشعره بما يجرح مشاعره، وعليه أن يكون قادرًا على البيان المفهم بأسلوب حسن، وإذا لم تحضره الإجابة الصحيحة على السؤال فلا يجوز له أن يجيب بغير علم، وليحذر أشد الحذر من ذلك فإن أجاب بغير علم عرّض نفسه للسقوط من الاعتبار والاحترام والتقدير بين الناس، وعرّض نفسه لسخط الله وغضبه"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل التسبيح:

حيث جاء في الحديث: "يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة"، قال المباركفوري: "ويحصل الإنسان على ألف حسنة من مائة تسبيحة لأن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها، وهو أقل المضاعفة الموعودة في القرآن، قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[٢]، وفي قوله "وتحط" قال القاري: "كأن المعنى أن من قالها يكتب له ألف حسنة إن لم يكن عليه فيحط بعض ويكتسب بعض ويمكن أن تكون أو بمعنى الواو أو بمعنى بل فحينئذ يجمع له بينهما وفضل الله أوسع من ذلك"[٣].

قال ابن حجر: (التسبيح يعني قول سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عمّا لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل. ويطلق التسبيح ويراد به جميع ألفاظ الذكر، وجماع معناه)[٤].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/ ٦٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/ ٢٤٦٥.

(٤) فتح الباري ١١/ ٢١٠.

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَالْحَمْدُ للّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَاللّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»(١).

ومن فوائد التسبيح أنه يصل المؤمن بربه، ويعمق الإيمان في القلب بالاستحضار الدائم لعظمة الله، ووسيلة قربى إلى الله واستزادة من فيض عطائه، ووسيلة الفقراء في إدراك درجات ثواب الأغنياء، وصدقة على جوارح الإنسان، ومن الوسائل العالية في تحصيل الثواب، والتحلي به يؤدي إلى الجنة والرضوان وفيه كسب لحب الله ومرضاته، ويبقى اللسان رطبًا بذكر الله(٢).

وقال الفيروز آبادى: (والتسبيح: تنزيه الله تعالى، وأصله المَرّ السّريع في العبادة. وجُعل ذلك في فعل الخير، كما جُعل الإبعاد في الشرّ، فقيل: أبعده الله. وجُعل التسبيح عامًا في العبادات، قولاً كان أو فعلاً أو نية. وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾(٣).

وقوله تعالى: "تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن" ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾(٤). وذلك يقتضي أن يكون سجودًا على الحقيقة، وتسبيحًا له على وجهٍ لا نفقهه، بدلالة قوله: "ولكن لا تفقهون"، ودلالة قوله: "ومن فيهن" بعد ذكر السماوات والأرض. ولا يصح أن يكون تقديره: يسبح له من في السماوات، ويسبح له من في الأرض، لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره، ثم يعطف عليه بقوله: "ومن فيهن".

والأشياء تسبح وتسجد، بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف أن السماوات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير، من حيث إن أحوالها تدل على حكمة

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١٠٠٣/٣.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

الله تعالى، وإنما الخلاف في السماوات والأرض هل تسبح باختيار، والآية تقتضي ذلك.

وسبحان الله أي تنزيهًا لله من الصاحبة والولد. وهي معرفة ونصبها على المصدر، أي أبرىء الله من السوء براءة، أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته. وسبحان من كذا: تعجب منه. وأنت أعلم بما في سبحانك، أي: بما في نفسك. وسبح تسبيحًا: قال: سبحان الله. وسبوح قدوس - وقد يفتح أولهما- من صفات الله تعالى؛ لأنه يسبح ويقدس.

وتسبيح نبينا محمد ﷺ: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ، مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ. وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1].

وقد ذكر الله تعالى (سبحان) في القرآن في خمسة وعشرين موضعًا، في ضمن كل واحد منها إثبات صفة المدح، ونفي صفة من صفات الذم[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٩٣، ومسلم ٢٦٩١.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/١٧٢-١٧٦ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٤)

١٤٣٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

من براعة الرسول ﷺ أنه ذكر لفظا واحدا دل على الحدث، وأعطاه اطرادا عبر الزمان، والمكان دون أن يذكر قيودا تنص على ذلك في قوله (يصبح) فلفظ يصبح معناه يدرك الصباح، وصيغة الماضي تعطي الفعل تجددا، واستمرارا ينسحب على كل صباح فهو حكم مستمر في كل يوم إلى يوم القيامة وقوله: (عَلَى كُلِّ سلامي مِنْ أَحَدكُمْ صَدَقَةٌ) لفظ الشمول كل يحتوي كل عظمة في جسد الإنسان، ولفظ أحدكم يشمل الجميع بالحكم، ومن الملاحظ أنه كرر لفظ الصدقة في الحديث مع كل خصلة ذكرها من خصال الخير تنبيها على الاستقلالية بحكم الصدقة لكل واحدة منهما بالإضافة إلى أنها مركز الحديث الذي يريد أن يقرره تكثيرا لأبواب الخيرات التي يستطيع كل إنسان خلالها أن يتصدق عن جسده، ثم إن الترغيب بتصدق الإنسان عن أعضاء بدنه يجعله أخف إلى هذه الطاعات لعلمه أنه يحفظ لحمه، وعظمه، وقوله (وَيُجْزِىء مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِن الضُّحَى) أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان؛ فإن الصلاة عمل لجميع أعضاء الجسد، فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته، وقوله (رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا) في العبارة جناس يؤكد

---

(١) برقم (٨٤/٧٢٠)، وتقدم برقم (١١٨)، و (١١٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

المعنى، والتعبير عن الصلاة بالركوع من المجاز بالتعبير عن الكل بالجزء إشارة إلى شرفه بالإضافة إلى أن الركوع يوحي بالخضوع، والاستسلام، ويبين قيمة هذه النافلة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٨، ١١٤٢).

الحديث رقم (١٤٣٥)

١٤٣٥- وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ في مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: ((مَا زِلْتِ عَلَى الحالِ الَّتي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟)) قالت: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: ((سُبْحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

وفي رواية الترمذيِّ[3]: ((ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ)).

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٤٧٩).

غريب الألفاظ:

بكرة: البكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس[4].

مسجدها: موضع صلاتها[5].

---

(١) برقم (٢٧٢٦/٧٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٢٩).

(٢) لمسلم بعد حديث رقم (٢٧٢٦/٧٩، بدون رقم). أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٣) برقم (٣٥٥٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٨٤).

(٤) المعجم الوسيط في (ب ك ر).

(٥) اللسان في (س ج د).

أضحى: دخل في وقت الضحى[١].

لوزنتهُنَّ: لفاقتهُنَّ في الوزن[٢].

مِدادَ كلماتِه: مثل عدَدِها وكثرتها؛ وقيل: قَدْرَ ما يُوازيها في الكثرة عِيارَ كيلٍ أَو وزن أَو عَدَد أَو ما أَشبهه من وجوه الحصر والتقدير؛ قال ابن الأَثير: وهذا تمثيل يراد به التقدير لأَن الكلام لا يدخل في الكيل والوزن وإِنما يدخل في العدد[٣].

الشرح الأدبي

الحديث من باب الترغيب في التسبيح، والتهليل، والتكبير، والتحميد، ويحكى بأحداثه مدى حرص الثلة الطاهرة من أصحاب النبي ﷺ على كل خير أخروي مهما كان بسيطا كحرصنا اليوم على كل خير دنيوي، مهما كان بسيطا، فأم المؤمنين جويرية بنت الحارث ظلت على حالة الذكر لله حتى أضحت، وعاد النبي ﷺ فوجدها على حالها، فسألها إيناسا لها، وتلطفا بها، وتمهيدا لتعليمها المزيد لما وجد عندها من شدة الحرص على ما يقربها من الله تعالى: (ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها؟) ثم يُلقى على سمعها جملا من التشويق تبعث في نفسها الطامحة علامات الترقب، وتبلغ بدرجة الانتباه لديها منتهاها (لقد قلت بعدك كلمات - ثلاث مرات - لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن - سبحان الله، وبحمده، عدد خلقه، ورضي نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) وأي شيء يساوى عدد خلق الله؟ أو يبلغ رضى نفسه، أو يزن عرشه، أو يبلغ مداد كلماته، قال النووي: قوله: (مداد كلماته) قال: العلماء: واستعماله هنا مجاز؛ لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد، ولا غيره، والمراد: المبالغة به في الكثرة؛ لأنه ذكر أولا ما يحصر العدد الكثير من خلق الله، ثم زنة عرشه، ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك، إنها كنوز هي نفسها مثال لبساطة العمل في انبساط

---

(١) النهاية في (ض ح ى)، ودليل الفالحين ١٤٩٦.

(٢) الوسيط في (و ز ن).

(٣) النهاية واللسان في (م د د).

لثواب غير محدود للأجر، وعلى الجملة: فإن باب الذكر من أيسر الأبواب مؤنة؛ وأعظمها ثواباً.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

الحديث دليل على فضل هذه الكلمات، وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها.

أولاً - من ميادين الدعوة: المسجد:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، مما لا شك فيه أن المسجد من أهم ميادين الدعوة لأنه مكان العبادة اليومية والصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3]، وحرص الرسول ﷺ على بناء المساجد فعند وصوله المدينة المنورة مهاجرًا كان أول عمل قام به بناء مسجد قباء وما إن حطت رحاله داخل المدينة إلا وبدأ في إقامة مسجده الشريف بل وشارك ﷺ مشاركة فعلية في بناء المساجد.

قال د. البوطي: "فقد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة

---

(١) سبل السلام ٣٧٢/٤.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين، الأنصار والمهاجرين الذي جمعتهم المدينة المنورة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر: بناء المسجد.

ولا غرو ولا عجب، فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما كان يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه. وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه.

إن من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين. ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد، فما لم يتلاق المسلمون يوميًا، على مرات متعددة في بيت من بيوت الله، وقد تساقطت مما بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار، لا يمكن لروح التآلف والتآخي أن تؤلف بينهم.

إن من نظام الإسلام وآدابه، أن تشيع روح المساواة والعدل فيما بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم. ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن يتم ما لم يتلاق المسلمون كل يوم صفًا واحدًا بين يدي الله عز وجل، وقد وقفوا على صعيد مشترك من العبودية له، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد جلّ جلاله، ومهما انصرف كل مسلم إلى بيته يعبد الله ويركع له ويسجد دون وجود ظاهرة الاشتراك والاجتماع في العبادة، فإن معنى العدالة والمساواة لن يتغلب في المجتمع على معاني الأثرة والتعالي والأنانية.

وإن من نظام الإسلام وآدابه، أن ينصهر أشتات المسلمين في بوتقة من الوحدة الراسخة يجمعهم عليها حبل الله الذي هو حكمه وشرعه، ولكن ما لم تقم في أنحاء المجتمع مساجد يجتمع فيها المسلمون على تعلم حكم الله وشريعته ليتمسكوا بهما عن معرفة وعلم، فإن وحدتهم تؤول إلى شتات، وسرعان ما تفرقهم عن بعضهم الشهوات والأهواء.

فمن أجل تحقيق هذه المعاني كلها في مجتمع المسلمين ودولتهم الجديدة، أسرع رسول الله ﷺ قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد"[1].

---

(١) فقه السيرة ٢١٣ - ٢١٤.

ومن خلال هذا يتضح أن المسجد ميدان هام من ميادين الدعوة، "إن المسجد مكان عبادة وهداية وعلم وخير وصلاح والعبد فيه بين أمرين: إما قيامه بفريضة مكتوبة عليه وما يتبعها من نوافل، أو علم يستفيد منه في دنياه وأخراه، ومن المسجد تحصل منافع كثيرة لدعوة الإسلام من خلال الحصول على العلم وطلبه، وتحقيق الإخاء والمحبة من خلال التقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الواحد، والبلاغ عن الدين لمن يأتي إلى المسجد وتعليم القرآن والحديث وإعداد الدعاة الذين يحملون الدعوة لناس كافة"[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "وأما بناء المساجد وعمارتها ووظائفها فإنه يجب بناء المساجد في الأمصار والقرى والمحال -جمع محلة- ونحوها حسب الحاجة وهو من فروض الكفاية.

والمساجد هي أحب البقاع إلى الله تعالى في الأرض وهي بيوته التي يوحّد فيها ويعبد، يقول سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[٢].

قال ابن كثير: "أي أمر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها. كما قال ابن عباس: نهى الله سبحانه عن اللغو فيها، وقال قتادة: هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببنائها و عمارتها ورفعها وتطهيرها. وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: مكتوب في التوراة ألا إن بيوتي في الأرض المساجد وإنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر"[٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها؛ فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ))[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِالْمَسَاجِدِ أَنْ تُبْنَى فِي الدُّورِ،

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ١٩٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٩٣/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٠، ومسلم ٥٣٣.

وَأَنْ تُطَهَّرَ وَتُطَيَّبَ))[١].

وقد بنيت المساجد لذكر الله والصلاة فيها كما قال النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: ((إنَّ هذهِ المساجِدَ لا تَصلُحُ لشيءٍ من هذا البولِ ولا القَذَرِ، إنَّما هِيَ لِذكْرِ الله تَعَالَى والصلاةِ وقراءَةِ القرآنِ))[٢]. فهي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه [٣].

وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٤].

ولذا يستحب لزومها والجلوس فيها لما في ذلك من إحياء البقعة وانتظار الصلاة، وفعلها في أوقاتها على أكمل الأحوال"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والثناء عليه سبحانه:

حيث جاء في الحديث: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)، وهذا ذكر له وثناء عليه سبحانه وفي هذا فضل كبير وأجر عظيم.

قال النووي: "والمراد بـ (مداد كلماته) مثلها في العدد، وقيل: مثلها في أن لا تنفد، وقيل: في الثواب، قال العلماء: واستعمله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره والمراد: المبالغة به في الكثرة لأنه ذكر أولاً ما يحصره العد الكثير من عدد

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٥٥، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري ٢١٩، ومسلم ٢٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٩٣/٣.

(٤) سورة النور، الآيات: ٣٦ - ٣٨.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٩٥/٣٧ - ١٩٦.

الخلق ثم زنة العرش ثم ارتقى إلى ما هو أعظم من ذلك وعبر عنه بهذا أي ما لا يحصيه عد، كما لا تحصى كلمات الله"[١].

وقال المباركفوري: "والحديث دليل على فضل هذه الكلمات وأن قائلها يدرك فضيلة تكرار القول بالعدد المذكور ولا يتجه أن يقال: إن مشقة من قال هكذا أخف من مشقة من كرر لفظ الذكر حتى يبلغ إلى مثل ذلك العدد، فإن هذا باب منحه رسول الله ﷺ لعباد الله وأرشدهم ودلهم عليه تخفيفًا لهم وتكثيرًا لأجورهم من دون تعب ولا نصب"[٢]، وقال تعالى في فضل الذاكرين: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

هذا والواجب على المسلم أن يكثر من ذكر الله تعالى، "ولقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله في جميع أحواله، ولقد زخرت كتب السنة بمئات الأحاديث الماتعة، والأذكار الرائعة، وأضحى أريجها يفوح عطرًا وينفث شذى، تغمر به النفوس، وتزكو به القلوب، وتعطر به المجالس.

ولقد زرع ﷺ في نفوس أصحابه رضي الله عنهم أهمية الذكر وعلو درجته وبديع منزلته، وأكد لهم ذلك بقوله وفعله، فكان أعظم الناس ذكرًا، وأشدهم دعاء، وأكثرهم ثناء، فسار الصالحون على نهجه، واقتفى العُباد أثره، فأثمر الذكر في حياتهم، وارتفعت به درجاتهم، وعظمت مكانتهم.

لقد كان كثير من العباد بمجرد أن يسمع أحدهم ذكر خالقه يرتجف خوفًا ويطرب شوقًا لسماع الحبيب:

وَداعٍ دَعَا إذْ نَحْنُ بالخَيْفِ مِنْ مِنىً ... فَهَيَّجَ أطْرابَ الفُؤادِ ولَمْ يَدْرِ

دَعَا باسْمِ لَيْلَى غَيْرِها فكأنَّما ... أطَارَ بِلَيْلَى طائِرًا كانَ في صَدْري

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٦٠١.

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٠٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

وقال الربيع بن أنس عن بعض أصحابه: علامةُ حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره.

وقال فتح الموصلي: المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين.

وقال ذو النون: من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه.

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل إلا أفاد منه حب الله، وكان بعض السلف يقول في مناجاته: إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك.

وأما فلسفة الذكر: فليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصر على الذنوب، وإنما الذاكر من إذا هم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. وقال بعض السلف: ليس الذاكر من هَمْهَمَ بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقًا ولم يعط إلا حقًا.

يا طول حزن الغافلينا ... عن ذكر رب العالمينا
يا هضمهم يومًا يرون ... ثواب ذكر الذاكرينا
ستطول حسرتهم لما ... كانوا به متشاغلينا
يتحسرون على فوات ... من فعال الطائعينا
يا حسرة يصلون ... جمرتها خزايا نادمينا [1]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها:

حيث جاء في الحديث: (أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها)، قال ابن عبدالبر: "هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ، زوج النبي ﷺ سباها رسول الله ﷺ يوم المريسيع وهو غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها وكانت امرأة جميلة، وكان اسمها برة فغير رسول الله ﷺ اسمها وسماها جويرية"[2].

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٣٤ - ٣٤٣ بتصرف.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٨٠.

وقال ابن الجوزي: "تزوج رسول الله ﷺ جويرية وهي بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين، وفي رواية ست وخمسين وهي بنت خمس وستين"[١].

وقال ابن حجر: "ولما تزوجها رسول الله ﷺ قال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، قالت عائشة رضي الله عنها: "فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها، وروت جويرية عن النبي ﷺ أحاديث"[٢].

قال محب الدين الطبري: "تزوجها النبي ﷺ، وكانت قبله تحت مُشافع بن صفوان -المصطلقي- وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس -الأنصاري- في غزاة بني المصطلق، فكاتبها. وعن ابن شهاب قال: سبى رسول الله ﷺ جويرية يوم "المريسيع" فحجبها وقسم لها. قال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة. قال غيره: وهي ابنة عشرين سنة[٣].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، أو ابنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً مَلاَّحَةً تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ))[٤].

ولقد كانت رضي الله عنها أصغر سنًا من رسول الله ﷺ، وُلِدت جويرية في السنة التاسعة قبل الهجرة (٦١٠م) فهي أصغر سنًا من رسول الله ﷺ بأربع وأربعين سنة.

تزوجت جويرية في سن مبكرة من عمرها، وهي في منتصف العقد الثاني من عمرها، وكان زواجها من مسافع بن صفوان أحد فتيان خُزاعة.

وبعد أن سبيت في غزوة بني المصطلق وتزوجها رسول الله ﷺ عاش رسول

---

(١) صفة الصفوة ١/٣٦٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ص ١٦٦٠.

(٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، الإمام محب الدين الطبري، اعتناء وتعليق عبدالمجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ١٣٥-١٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩٣١، وحسنه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٧).

الله ﷺ مع جويرية رضي الله عنها خمس سنوات، ثم انتقل من الحياة الدنيا إلى الآخرة في السنة الحادية عشرة من الهجرة. وعاشت هي بعده راضية مرضية مُنعمة عند الجميع مدة خمس أربعين سنة إذ توفيت سنة ست وخمسين من الهجرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في المدينة المنورة، وصلّى عليها أمير المدينة يومذاك مران بن الحكم.

وروى الحديث عن أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وعبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وجابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري، وروى عنها من بعدهم: كريب مولى عبدالله بن عباس، ومجاهد، والطفيل ابن أخيها، وأبو أيوب يحيى بن مالك الأزدي"[1].

---

(١) انظر: أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-، محمود شاكر، ط١ المكتب الإسلامي، ص ١٨١-١٩٠ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٣٦)

١٤٣٦- وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ ، عن النبيّ ﷺ ، قَالَ: ((مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ)). رواه البخاري[1].

ورواه مسلمٌ[2] فَقَالَ: ((مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

بينت الأحاديث السابقة فضل الذكر، ورغبت فيه، وأشارت إلى عظمة الأجر الذي يترتب عليه مع قلة الكلفة، وهذا الحديث يقرر أثر الذكر على قلب الإنسان، ويقوم المعنى على أسلوب التشبيه الذي يشبه الذاكر لربه بالحي، والذي لا يذكره بالميت، وحاصل الصورتين تشبيه الذكر بالروح، لأنها الفارقة بين الحي، والميت، وبها كل حركة الحي مما يشير إلى أهمية الذكر في حركة القلب، والذي يحرك بدوره الجوارح في طاعة الله ، وتشبيه الذاكر بالحي يشير إلى النفع، والنصرة، والإفادة بعكس الميت الذي لا يفيد ولا ينفع بل لا يزيده البقاء إلا نتنا، وإيذاءً لمن حوله كما أنه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه عادية عادٍ، وفائدة التشبيه بالميت، والحي الترغيب في الذكر، والترهيب، والتنفير من تركه، وفي الرواية الثانية تشبيه للبيت الذي يذكر الله فيه، والذي لا يذكر فيه بالحي، والميت (مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ)، والبيت لا يوصف بالحياة، والموت حقيقة، والذي يوصف بهما هو الساكن فيكون هذا من قبيل المجاز بذكر المحل، وإرادة

---

(١) برقم (٦٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

(٢) برقم (٧٧٩/٢١١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٣).

الحال ، ووجه الشبه بين الذاكر، والحي الاعتداد به والنفع، والنصرة، ونحوها، وبين تارك الذكر، والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن، وهو تنفير من عدم ذكر الله في البيوت؛ لأن الذكر يطرد عنها الشيطان، وتعمها السكينة من الملائكة الطوافون الذي يلتمسون حلق الذكر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: ضرب المثل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: ضرب المثل:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال الطيبي: "وأما قوله: (مثل الذي يذكر ربه) شبه الذاكر بالحي الذي تزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، وبالتصرف التام فيما يريد، وباطنه منوّر بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مزين ظاهره بنور العمل والطاعة، وباطنه بنور العلم والمعرفة، فعليه مستقر في حظيرة القدس، وسره في مخدع الوصل، وغير الذاكر عاطل ظاهره، وباطل باطنه"[1].

وأسلوب ضرب المثل من أساليب الدعوة التي تقرب المعنى إلى المدعو، "ومن أغراض ضرب المثل تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل، والإقناع بفكرة من الأفكار، والترغيب بالتزيين والتحسين أو التنفير بكشف جوانب القبح، ومن أغراضه أيضًا شحذ ذهن المخاطب وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكر"[2].

وأسلوب ضرب المثل يقنع المدعو فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٢٢/٤.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١١٩ - ١٢٠.

الحسية، "إن ضرب المثل يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم وهو يحرك العواطف والوجدان فيحرك الوجدان الإرادة ويدفعها إلى عمل الخيرات واجتناب المنكرات، وبهذا تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات"[١].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب ضرب المثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى والحذر من الغفلة عن ذكره:

حيث جاء في الحديث: (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)، قال ابن حجر: "والمراد بالذكر هنا: الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها والذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضاره لمعناه، ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل.

فإن انضاف إلى ذلك استحضار معني الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائض عنه ازداد كمالاً فإن وقع ذلك في عمل صالح مهمًا فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالاً، فإن صحح التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقد وقع في رواية مثل البيت، وإطلاق الحي والميت في وصف البيت إنما يراد به ساكن البيت فشبه الذاكر بالحي الذي ظاهره متزين بنور الحياة وباطنه بنور المعرفة وغير الذاكر بالبيت الذي ظاهره عاطل وباطنه باطل، وقيل: موقع التشبيه بالحي والميت لما في الحي من النفع لمن يواليه والضر لمن يعاديه وليس ذلك في الميت"[٣].

وقال ابن علان: "وفي التعبير بقوله: (يذكر ربه)، بعث على الذكر والرمز إلى الذم لمن تركه"[٤]، قال العيني: "وجه التشبيه بين الذاكر والحي الاعتداد به والنفع أو

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٣.

(٣) فتح الباري ٢١٢/١١ – ٢١٤ بتصرف.

(٤) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٤٩٧.

النصرة ونحوها وبين تارك الذكر والميت التعطيل في الظاهر والبطلان في الباطن"[١].

قال ابن القيم: "في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة فيكون صاحبه غنيًا بلا مال، عزيزًا بلا عشيرة، مهيبًا بلا سلطان، فإذا كان غافلاً عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه، حقير مع كثرة عشيرته، والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائمًا فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر، فإن الغفلة نوم ثقيل"[٢].

وقال ابن القيم أيضًا: "والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت القلوب التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به من قطع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب...، به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلهم البلاء فإليه مجلؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون..، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلال، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقه، وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضًا من كل شيء، به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٣/٢٧.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ضمن مجموعة الرسائل النجدية ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

الصماء، واليد الشلاء"[١].

وقلب المؤمن العامر بذكر الله هو قلب فيه من نور الله ما يباعد بينه وبين المعاصي، قال أبو الفرج بن الجوزي في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ...﴾[٢]، قال: "مثل ضربه الله المولى البصير السميع لقلب العبد المؤمن المطيع، وما أودعه من الإيمان، والمعرفة في القرآن من نور الملك الرحمن، فقال خالق الطول والعرض، الذي عبد بالنوافل والفرض: (الله نور السماوات والأرض)، أي بنوره جل جلاله يهتدي من في السماوات والأرض.

ثم قال تبارك وتعالى: (مثل نوره) يعني النور الذي جعل في قلب المؤمن، وهذا قول جمهور المفسرين (كمشكاة) يعني قلب المؤمن، والمشكاة هي الكوة غير نافذة، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج لا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج، فإذا كان المصباح في زجاجة صافية في كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجد له منفذًا فتكون الكوة أكثر نورًا مما لو كانت نافذة، وهذه مبالغة من الله في وصف قلب المؤمن.

ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروبا مختلفة فإذا كانت أنوار المعرفة والإيمان في قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة في خلق السماوات والأرض وفي عظمة الله تبارك وتعالى، فإذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والأحكام، ويتجنب الفواحش والآثام، من كثرة النور الذي جعله في قلبه الملك العلام. فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله في كتابه العزيز. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

ثم نعتهم المولى بالتذكير والتفكير فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

---

(١) مدارج السالكين ٢٥٨/٣ – ٢٦٠ بتصرف.

(٢) سورة النور، آية: ٣٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ رَبَّنَا وَٱلْأَرْضِ مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]، فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدي إنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه. فاستعملوا قلوبهم بالفكرة، وجالت أبصارهم في مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئًا من المنكرات، ولا يضيع شيئًا من الطاعات"[2].

ويتضح من خلال ما سبق فضل ذكر الله وأن العبد يثاب عليه بالأجر العظيم، والثواب الكبير، وإذا ما كان الذكر سهلاً على اللسان غير مجهد للأبدان فالواجب على العبد أن يستحضر عظمة وجلال الله حين ذكره فلا يكون قلبه - مع ذكر لسانه - غافل ساهٍ لاهٍ.

قال أبو حامد الغزالي: "فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان، وقلة التعب فيه، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟ فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة.

والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة، أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى. وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضًا قليل الجدوى.

بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية، وللذكر أوّل وآخر؛ فأوّله يوجب الأنس والحب لله وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الأنس والحب.

فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

ذكر الله عز وجل. فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور. ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في العادات أن تذكر غائبًا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر، ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أوّلاً صار مضطرًا إلى كثرة الذكر آخرًا بحيث لا يصبر عنه.

فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره. ومن أكثر ذكر شيء -وإن كان تكلفًا- أحبه. فكذلك أوّل الذكر متكلف إلى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخرًا فيصير الموجب موجبًا والثمر مثمرًا. وهذا معنى قول بعضهم. كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب. ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا. فكيف يستبعد هذا؟ وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أوّلاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقًا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف. هي النفس ما عوّدتها تتعوّد.

أي: ما كلفتها أوّلاً يصير لها طبعًا آخرًا. ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل. فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل، ولا يبقى بعد الموت عائق؛ فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعًا فيه عما به أنسه. وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء. وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل؟ فإنه لم يعدم عدمًا يمنع الذكر بل عدمًا من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت.

ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة، لأن المطلوب الخاتمة ونعني

بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره. فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقًا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال. فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته، وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى.

ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة. فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه. فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ويتمنى الرجوع إلى الدنيا. وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه. فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة" [١].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ويتضح هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة التي تحبب المدعو في الطاعة والاستقامة.

قال ابن رجب: "لقد كانت مجالس النبي ﷺ مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب فكانت تلك المجالس توجب لأصحابه رضي الله عنهم رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ورقة القلوب تنشأ عن الذكر فإن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب الغفلة عنه"[٢].

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٥٤٧ - ٥٤٩ بتصرف.

(٢) لطائف المعارف ص ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٤٣٧)

١٤٣٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((يقول الله تَعَالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي فِي ملأٍ ذَكرتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الملأ الأولى: أشراف الناس ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرجع إلى قولهم، والملأ الثانية: الملائكة المقرون[2].

الشرح الأدبي

قول الصحابي: (أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ) ارتقاء من مستوى الكلام العادي إلى المستوى الكلام النبوي، وهي نقلة كبيرة في المعاني، والأساليب، وقول الرسول ﷺ: (يقول الله تعالى) ارتقاء من مستوى الكلام البشري إلى مستوى الكلام الإلهي، وهي نقلة عظمى في المعاني ؛لأن لفظ الحديث القدسي من الرسول، ومعناه من الله، وقوله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) ترغيب في حسن الظن بالله؛ لأنه سيعامله بمقتضى ظنه فيه، وإضافة العبد إليه تشريف للعبد، ووصفه بالعبودية فيه مزيد تشريف، وقوله (وأَنا معه إذا ذكرني) يشير إلى أن الذاكر لله في معيته، وأكرم بها من معية! -مما يعني أنه في تمام الأمان، لا يقربه شيطان، وقوله (فإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) أسلوب شرط يربط ذكر الله للعبد بذكر العبد لله فعلا، وهيئة وأسلوب الشرط هنا له بعد نفسي لأن يجعل يشعر العبد بأن ذكره عند الله مرتبط به هو، وبفعله ويلمح له بأنه إن نسي ذكر الله ينساه الله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٥/٢). أورده المنذري في ترغيبه (٢١٩٦) بتمامه.

(٢) النابة في (م ل أ).

من رحمته، وقوله (وإنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ) وهي جملة شرط ثانية تؤكد ربط ذكر لله للعبد في الملأ الأعلى بذكر العبد لله في ملأ في الأرض، وهو ما يرغب العبد في ذكر الله على حال حتى يحظى بمعية الله، وفضله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على إحسان الظن بالله تعالى:

إن حسن الظن بالله تعالى طريق موصل إلى الجنة ومرضاة الله واستحقاق ثوابه، إذ أن حسن الظن بالله دليل وبرهان على كمال الإيمان وحسن الإسلام وهو برهان على سلامة القلب وطهارة النفس. إذ أن حسن الظن بالله لا يأتي إلا عن معرفة قدر الله تعالى ومدى مغفرته ورحمته[1]، وقد ورد في الحديث بيان ما لحسن الظن بالله تعالى من فضل وعطاء، فقال الله تعالى في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي"، قال ابن حجر: أى قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به، وقال الكرماني: وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وكأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد، وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه، بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء، وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر، وقال القرطبي في المفهم: قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده"[2].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٢) فتح الباري ٣٩٧/٣.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة التي ترشد وتدعو إلى إحسان الظن بالله تعالى منها ما روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»[١].

وعن حيان بن أبي النضر قال: «دخلت مع واثلة بن الأسقع على أبي الأسود الجرشي في مرضه الذي مات فيه فسلم عليه وجلس قال: فأخذ أبو الأسود يمين واثلة فمسح بها على عينيه ووجهه لبيعته بها رسول الله ﷺ فقال له واثلة: واحدة أسألك عنها قال: وما هي؟ قال: كيف ظنك بربك؟ قال: فقال أبو الأسود: وأشار برأسه أي حسن، قال واثلة: أبشر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»[٢].

وإحسان الظن بالله دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام، وبرهان على سلامة القلب وطهارة النفسي ولا يأتي إلا عن معرفة قدر الله ومدى مغفرته ورحمته وهو طريق موصل إلى الجنة"[٣]، ولله در أحمد بن العباس النمري، حين قال:

وإني لأرجو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع[٤]

لقد غرس الإسلام في نفس المؤمن حسن الظن بالله تعالى، بل إن الرسول ﷺ ليأمر المسلم وهو يدعو ربه أن يعزم في الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ. اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ. فَإِنَّ اللَّهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ » وفي لفظ «وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المسألة وَلْيُعظِمِ الرَّغْبَةَ، فإنَّ اللَّهَ لا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أعْطاهُ))[٥].

ولقد كان ﷺ يعظم في نفس الصحابة رضي الله عنهم جانب حسن الظن بالله تعالى مبينًا

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٧٧.

(٢) أخرجه أحمد ٤٩١/٣، رقم ١٦٠١٦، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٣٩٨/٢٥، والدارمي ٢٧٣١، وصححه الألباني (صحيح الجامع ٤٣١٦).

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٦٠٨/٥.

(٤) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٠٠.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٣٩، ومسلم ٢٦٧٩ واللفظ له.

لهم أن الله تعالى أرحم بخلقه من الأم بولدها، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَدِمَ على النبيّ ﷺ سَبيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثَديَها تَسقي، إذا وَجدَت صَبيًّا في السبي أَخَذَته فألصَقَتْه ببَطنها وأرضَعَتْه. فقال لنا النبيُّ ﷺ: أتُرَونَ هذهِ طارحةً وَلدَها في النار؟ قلنا: لا، وهي تَقدر على أن لا تَطرَحهُ. فقال: اللّهُ أرحمُ بعباده من هذهِ بولَدِها»[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

لقد جاءت النصوص الكثيرة المبينة لفضل ذكر الله تعالى وبيان أن فضل ذكر الله وعطاء الله للذاكر من جنس عمله وعلى قدر نيته.

إن الإنسان إذا ذكر الله تعالى في نفسه ذكره الله في نفسه وإن ذكره في ملأ ذكره الله في ملأ خير من ذلك الملأ، يعني إذا ذكرت ربك في نفسك إما أن تنطق بلسانك سرًا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك؛ فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملأ أي: عند جماعة، فإن الله تعالى يذكرك في ملأ خير منهم، أي في ملأ من الملائكة يذكرك عندهم ويعلي ذكرك ويثنى عليك جل وعلا. ففي هذا دليل على فضيلة الذكر، وأن الإنسان إذا ذكر الله عند ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه؟ إلا أن يخاف الإنسان على نفسه الرياء، فإن خاف الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول: إذا ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فلا أذكر الله. فليدع هذه الوساوس ويذكر الله تعالى عند الناس وفي نفسه حتى يذكره الله عز وجل كما ذكر رَبَّه[2].

وجاء ذلك في الحديث في قوله عز وجل: وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم" أى إن ذكرني بالتنزيه والتقديس ذكرته بالثواب والرحمة، وقال ابن أبي جمرة: "يحتمل أن يكون

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩ واللفظ له، ومسلم ٢٧٥٤.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٢٣.

مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[١]، قال الحسن البصري أى: اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله: "أنا عند ظن عبدي بي": قيل: معناه: بالغفران له إذا استغفرني والقبول إذا أناب إلي والإجابة إذا دعاني، والكفاية إذا استكفاني، لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوى يقينه. قال القابسي: يحتمل أن يكون تحذيرًا مما يجري في نفس العبد، مثل قوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُ﴾[٤]. وقال الخطابي في قوله: "لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله" يعني: في حسن عمله، فمن حسن عمله حسن ظنه، ومن ساء عمله ساء ظنه، وقد يكون من الرجاء وتأميل العفو[٥].

ويبين ابن القيم فضل الذكر ومنزلته وأهميته، فيقول: والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم التي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم التي متى فارقهم انتكست منه القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب:

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانًا فننتكس[٦]

ثالثًا - من آداب المدعو: الإكثار من ذكر الله تعالى والمداومة عليه:

جاء في الحديث بيان فضل ذكر الله وأنه سبب لمعية الله للعبد وذكره له، يقول

---

(١) سورة البقرة، آية : ١٥٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٦٥/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٥) إكمال المعلم ١٧٢/٨.

(٦) مدارج السالكين ٤٥١/٢.

الله تعالى: "وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم"، وفي ذلك حث وترغيب في الإكثار من ذكر الله تعالى، وقد جاءت الآيات والأحاديث في الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴾[1].

أى اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد (ذكرًا كثيرًا) أي يعم الأوقات والأحوال. في الليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغني والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال "وسبحوه بكرة وأصيلا" أي في أول النهار وآخره، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل. لأن ذكره وتسبيحه، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال[2].

والتسبيح من جملة الذكر. وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة، ليتبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته، عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال. ومثال فضله على غيره من الأذكار، فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي، والطهر من أرجاس المآثم، على سائر أوصافه، من كثرة الصلاة والصيام، والتوفر على الطاعات كلها. ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره، تكثير الطاعات والإقبال على العبادات. فإن كل طاعة وكل خير، من جملة الذكر. ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا. وهي الصلاة في جميع أوقاتها. لفضل الصلاة على غيرها[3].

ومدح الله عباده المؤمنين، بقوله: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[4]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١-٤٢.

(٢) محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٨/١٣/٢٧٨.

(٣) الكشاف، الإمام الزمخشري، ٨٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

يَعْذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على تركه، فقال: ﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[1]، بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال[2].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، ترغيبًا في إحسان الظن بالله، وترغيبًا في ذكره تعالى، وبيان أن ذلك سبب لمحبة وذكر الله تعالى لعبده، ويقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه". وفي ذلك ترغيب في الذكر أيما ترغيب، إن ذكر الله تعالى أفضل أحوال العبد، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[3]، وهو سبب من أسباب طمأنينة القلوب وإثلاج الصدور، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[4].

وإن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وكذلك بما يصيب المدعوين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم[5]، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[6].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٣٣/٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٥) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧، ٤٣٨.

(٦) سورة النور، آية: ٥٥.

فالترغيب من أوفق الأساليب الدعوية لما جبلت عليه النفس البشرية من حب ورغبة في السعادة وصلاح الأمر ودفع للإنسان إلى طلب أسباب النجاة والتمسك بها، قال ابن القيم: قال صاحب المنازل أبو إسماعيل الهرويّ: الرغبة هي من الرجاء بالحقيقة لأن الرجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، والرغبة سلوك على التحقيق، أي الرغبة تتولد من الرجاء لكنه طمع، وهي سلوك وطلب[1].

(١) مدارج السالكين ٢/٥٨.

الحديث رقم (١٤٣٨)

١٤٣٨- وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((سَبَقَ المُفَرِّدُونَ)) قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ؟ يَا رسولَ الله قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتِ)). رواه مسلم[1].

وَرُوي: (المُفَرِّدُونَ) بتشديد الراء وتخفيفها والمشهُورُ الَّذي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْديدُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول سبق الذاكرين لله لغيرهم من الغافلين ترغيبا في اللحاق بركبهم، ويقوم المعنى في الحديث على سؤال، وجواب، والحق أن مبعث السؤال هو أسلوب النبي ﷺ التعليمي الراقي الذي يلقى على أسماعهم اللفظ الغريب غير المفهوم لديهم فيستخرج به أسئلتهم، ويجيب عنها. - ولكن بعد أن يثير فضولهم ويجذب انتباههم ويضمن إصغائهم حتى إذا ما ألقى الخبر ألقاه، وقد مهد له تربة أفئدتهم؛ فينبت فيها، ويثمر، وهذه إحدى وسائل التشويق في حديثه الشريف.، وقوله (سبق المفردون)، وأصل المفردين الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقولهم: (وما المفردون) قال البيضاوي: ولما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لأنهم أرادوا تفسير اللفظ وبيان ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به، وتعريف أشخاصهم فعدل في الجواب عن بيان اللفظ إلى حقيقة ما يقتضيه توقيفا للسائل بالبيان المعنوي على المعنى اللغوي إيجازا فاكتفى فيه بالإشارة المعنوية إلى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية، وقوله (الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيراً والذَّاكِرَاتِ) وفيه إيجاز بالحذف أي هم الذاكرون. .. والتقييد بالكثرة إلى أن الذي يستحق هذه الصفة هو من أكثر من الذكر، وداوم عليه.

---

(١) برقم (٢٦٧٦/٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢١٦) بتمامه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: ثواب ومنزلة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ: «سَبَقَ المُفَرِّدون، قالوا: وَما المُفَرِّدونَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: ((الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا والذَّاكِرَاتُ))، قال النووي: وأصل المفردون الذين هلك أقرانهم وانفردوا عنهم فبقوا يذكرون الله تعالى، وقال ابن الأعرابي، يقال: فرد الرجل إذا تفقه واعتزل وخلا بمراعاة الأمر والنهى، وقد فسرهم رسول الله ﷺ. في الحديث بالذاكرين الله كثيرا والذاكرات"[١]، فسبقوا إلى مرضاة المولى والدرجات العلى والشهود الأكمل والحال الأفضل[٢]، وبين الحق تبارك وتعالى أن ذكر الله من صفات عبادة المؤمنين وأنها من الصفات التي يجزى عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٣]، قال مجاهد: لا يكون ذاكرًا لله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا[٤]، أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيما أى هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجرًا

---

(١) شرح صحيح مسلم، ص ١٥٨٤.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج٧/١٤/١٨٦.

عظيما وهو الجنة[١].

إن ذكر الله تعالى يولد الطمأنينة في القلب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[٢]. وسبب لذكر الله للإنسان، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[٣].

وبين الله تبارك وتعالى أن الذكر سبب للنجاة من الضيق والشدة، وذكر مثلاً لذلك بما حدث ليونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[٤].

وجعله الله عز وجل من أسباب النصر والفلاح عند اللقاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٥].

وجاء في السنة النبوية أن أهل الذكر من أهل السبق، كما جاء في الحديث: "سبق المفردون، قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات".

وبين النبي ﷺ أن ذكر الله يجلب الملائكة والرحمة والسكينة روي عن الأغر أبي مسلم، قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[٦][٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦/٤٢١.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٠.

(٧) انظر: رياض الدعاة والمصلحين، بهاء الدين عقيل، د. عبدالعزيز مصطفى، ٢٩٧-٣٠٢.

إن ذكر الله له من الفضائل والثواب ما لا ينكره أحد، وبالجملة فإن ذكر الله سبب للفلاح وتركه سبيل الخسران، بل إن الله سبحانه ليعلق الفلاح على استدامة ذكره وكثرته، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]. وأخبر سبحانه بخسران من غفل عن ذكره ولهى عنه بغيره، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث في قوله "قالوا وما المفردون يارسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات"، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية التي لها قيمة تأثيرية عظيمة وذلك لعدة أسباب منها:

أ- أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على الفهم، فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه.

ب- أن طارحي الأسئلة إذا كانوا لا يعانون من مشكلة ولكن يريدون اكتساب معرفة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك.

فيجب على الدعاة أن يستثمروا هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن لما في ذلك من فائدة ونفع ونشر للمعرفة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[3].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: حث المدعوين وترغيبهم في الإكثار من ذكر الله تعالى:

إن من الأهداف الرئيسة للدعوة حث المدعوين وترغيبهم من الإكثار من ذكر الله

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٢) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ١/٥٨-٦٢.

تعالى، وذلك ببيان فضله وأثره، كما جاء في الحديث من بيان أنه سبب لمحبة وذكر الله له، " وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" إضافة إلى ما في الذكر من ارتباط العبد بربه ومراقبته وقربه من الله تعالى، ويورث الهيبة والإجلال لله تعالى فيبتعد عن المعاصي والآثام، وقد ذكر ابن القيم ثمان وسبعين فائدة، منها أنه يطرد الشيطان ويقمعه، ويرضى الرحمن عز وجل وأنه يزيل الهم والغم عن القلب ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط وينور الوجه والقلب ويجلب الرزق إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[1].

وقد وردت هذه المعاني في كثير من آيات القرآن، وبيان أن أهل الذكر هم أهل الانتفاع بآيات الله وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[2][3].

ومما يدل على أهمية الذكر أن الله سبحانه قرنه بكل عبادة ورغب فيه بعد الفراغ من كل عبادة كالصلاة والحج وغيرهما، فعن الصلاة قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[4]. وعن الحج قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[5].

بين ابن القيم أهمية الذكر وأنه لا يقتصر عند مجرد تحريك اللسان بل إنه ليمتد ليشمل جميع جوانب الحياة وكل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال فيقول،

---

(١) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، الإمام ابن القيم، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام، السعودية ط١، ١٩٨٩، ص ٨٣-١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٤٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٠٠.

ومنزلة الذكر هي: منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل؛ والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا، به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته[1].

قال ابن حجر: والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وهي "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر" وما يلتحق بها من الحوقلة والبسملة والحسبلة والاستغفار ونحو ذلك

---

(١) مدارج السالكين، ٣/٤٤٠، ٤٤١.

والدعاء بخيري الدنيا والآخرة، ويطلق ذكر الله أيضا ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة، ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالا، فإن صحَّ التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازي: المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة على التسبيح والتحميد والتمجيد، والذكر بالقلب التفكر في أدلة الذات والصفات وفي أدلة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطلع على أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله، والذكر بالجوارح هو أن تصير مستغرقة في الطاعات، ومن ثم سمى الله الصلاة ذكرا فقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]. ونقل عن بعض العارفين قال: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء[2].

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٢) فتح الباري ٢١٢/١١، ٢١٣.

الحديث رقم (١٤٣٩)

١٤٣٩- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ، يقولُ: ((**أفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وتوحيده، وحده وسخر لهم الكون كله يعينهم على أداء المهمة، وهو معهم مسبح لله على وجه يعلمه الله، وعبارة التوحيد هي بوابة الدخول في الإسلام لأنها تحقق غرض العبودية الذي خلق من أجله الخلق، فقوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) هي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله - سبحانه وتعالى - قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، ، وهذا ما أكده هذا الحديث بأسلوب التفضيل بأفعل مع دلالة الكلمة على الأفضلية بمدلولها مع صيغتها، وإضافتها للذكر تعطيها بعدا إيحائيا يرتقي بها قمة الكلم الطيب، والباقيات الصالحات من الكلمات لما تضمنت من معانٍ.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله.

---

(١) برقم (٣٣٨٣). وقال: حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٤٦)، وقال الحاكم (٥٠٣/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٥٨).

ثالثًا: من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأفضل أنواع ذكر الله تعالى:

إنَّ من أهم صفات الداعية الواجب التحلي والاتصاف بها التبيين والتوضيح، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، [2]، ومن ذلك الإيضاح الواجب ما جاء في الحديث من البيان والإيضاح لأفضل أنواع الذكر في قوله ﷺ " أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إن البيان والإيضاح أهم المؤهلات اللازمة للداعية، التي تؤهله للقدرة على الدعوة والقدرة تشمل البيان باللسان والشجاعة النفسية الأدبية، إذ كثير من الناس يعوزهم البيان وتنقصهم الجرأة[3].

إن البيان والإيضاح وإقناع المدعوين بما يلقيه الداعية على المدعوين من الأهمية بمكان.

إن القيام بأعباء الدعوة من البيان والإيضاح والإقناع وما شاكل ذلك يستلزم أن يكون عند الداعية من قوة البيان وفصاحة اللسان ما يمكنه القيام بدعوته خير قيام وإلا كان النفع بعيدًا فإن مدار الأمر على البيان والتبيين والإفهام والتفهيم، وكلما كان اللسان أبين كان أقوى وأجمل. كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد وأكمل. وقد سألها موسى عليه السلام ربه حين بعثه إلى فرعون بإبلاغ رسالته والإبانة عن حجته والإفصاح عن أدلته. فقال حين ذكر العقدة التي كانت في لسانه، والحُبسة التي كانت في بيانه ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾[4]. الحُبسة بالضم تعذر

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٨.

(٣) مرشد الدعاة، الشيخ، محمد نمر الخطيب، ٧٩، ٨٠.

(٤) سورة طه، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

الكلام عند إرادته. وقال: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[١]، وقال: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾[٢]، رغبة منه عليه السلام في غاية الإفصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة. لتكون الأعناق إليه أميل. والعقول عنه أفهم. والنفوس إليه أسرع. فإن خصمه فرعون كان مشاغبًا سبابًا مذهب كل جاحد معاند. وشأن كل مختال مكايد، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[٣]. أي ضعيف حقير لا يكاد يبين الكلام. قال افتراءً عليه وتنقيصًا له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام؛ من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٤].

وذكر الله عز وجل عظيم منته في تعلم البيان. وجميل نعمته في تقويم اللسان. فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٥]. أي مكنه من التعبير عما في ضميره لإفهام الغير، كما مكنه من فهم بيان غيره، وضرب لنا مثلاً لعي اللسان ورداءة البيان حيث شبه أهله بالنساء والولدان فقال: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٦].

أي: أو جعلوا له تعالى من شأنُهُ أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى أمره بنفسه وهو مع هذا القصور في الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه إنسان في العادة غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه لقبح ما يحدث عن العي

---

(١) سورة القصص، آية: ٣٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٣.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٥٢.

(٤) سورة طه، آية: ٣٦.

(٥) سورة الرحمن، الآيات: ١-٤.

(٦) سورة الزخرف، آية: ١٨.

من اختلال الحجة، وعن الحصر من فوت درك الحاجة، وأصل البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى. والعي صد البيان والحصر كالفرح ضيق الصدر عند النطق؛ وبالجملة فقوة البيان وفصاحة اللسان من جلائل نعم الله تعالى على الداعي، بهما يملك القلوب، وبهما يؤثر في الأرواح[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا إله إلا الله:

جاء في صريح الحديث أن لا إله إلا الله أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" لأنها كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله شيء، وهي الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنها أجمع للقلب مع الله وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس وتصفية للباطن وتنقية للخاطر من حديث النفس وأطرد للشيطان[2]، لذا كانت "لا إله إلا الله من أحب الكلمات إلى الله تعالى"، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أحب الكلام إلى الله أربع: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت"[3].

إن أفضل الكلمات كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" إذ أن هذه الصيغة جامعة بين النفي والإثبات ليدل على حصر الإلهية لله تعالى، فإن الجمع بين النفي والإثبات أبلغ صيغ الحصر، وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشريفة في إثبات التوحيد لله تعالى من غير نظر إلى واسطة بين النفي والإثبات ولا انضمام لفظ آخر.

إن كلمة "لا إله إلا الله" أبلغ الألفاظ في إثبات الوحدانية لله تعالى ونفيها عمن سواه.

وقد ذكر العلماء كثيرًا من الخصائص واللطائف لكلمة "لا إله إلا الله" منها:

أ- أنه بدأ فيها بالنفي، وأهل المعاني يقولون في ذلك إنما بدأ بالنفي لأن النفي تفريغ القلب فإذا كان خاليًا كان أقرب إلى ارتسام التوحيد فيه، وإشراق نور الله تعالى عليه.

---

(١) هداية المرشدين، علي محفوظ ٩٧، ٩٨.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢١٣٧.

ب- أن قول لا إله إلا الله فيه خاصيتان:

إحداهما: أن جميع حروفها جوفية ليس فيها من الحروف الشفهية للإشارة إلى الإتيان بها من خالص جوفه وهو القلب لا من الشفتين.

الثانية: أنه ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى.

وفي ذلك أيضًا إشارة إلى من قالها بحق وعمل بمقتضاها وداوم عليها لا يبقى على قلبه نقطة من سواد الكفر والذنوب. قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1][2].

ثالثًا- من آداب المدعو: الإكثار من قول لا إله إلا الله:

من آداب المدعو ملازمته والإكثار من ذكر الله تعالى، امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]، وأفضله لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث: "أفضل الذكر لا إله إلا الله" وهى خير الأقوال، كما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ. قال: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[4]، قال الطيبي: قال بعض المحققين إنما جعل التهليل أفضل الذكر، لأن لها تأثيرًا على الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هى معبودات في باطن الذكر، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[5]، فيفيد نفى عموم الإلهية بقوله "لا إله" ويثبت الواحد بقوله: "إلا الله" ويعود الذكر من ظاهر لسانه إلى باطن قالبه فيتمكن فيه ويستولى على جوارحه، وجد حلاوة هذا من ذاق"[6].

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) انظر: معنى لا إله إلا الله، الإمام بدر الدين الزركشي، ص: ٨٨-٩٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٤) أخرجه الترمذي، ٣٥٨٥، وحسنه الألباني (الصحيحة، ١٥٠٣، وصحيح سنن الترمذي، ٢٨٣٧).

(٥) سورة الجاثية، آية: ٢٣.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٧٩/٥.

لذا ينبغي على الذاكر استحضار معاني الذكر ومرامى ألفاظه، قال ابن القيم وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده[1].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي عن فضل قول "لا إله إلا الله": وأما التهليل وحده فإنه يصل إلى الله من غير حجاب بينه وبينه، وخرّج الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما قال عبد: "لا إله إلا الله" مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء، حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر[2].

وقال أبو أمامة: ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش وورد أنه لا يعد لها شيء في الميزان كما جاء في حديث البطاقة، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي، عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فينشرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وتسْعِينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لاَظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَارَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ شَيْءٌ مَعَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»[3].

وروى أيضًا عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل من أهل البادية عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال: ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال: يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ويرفع كل راع ابن راع قال: فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته وقال: ألا أرى عليك لباس من لا

---

(١) الفوائد ٢٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٢٧).

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢١٣، رقم ٦٩٩٤، وقال محققو المسند إسناده قوي ١١/٥٧١.

يعقل؟، ثم قال: إن نبي الله نوحًا ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن، لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق وأنهاك عن الشرك والكبر، قال: قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا، قال: هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: لا، قال: الكبر هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها؟ قال: لا، قال: أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: لا، قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمص الناس»[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث، حيث رغب النبي ﷺ في قول "لا إله إلا الله" بتصريحه أنه أفضل الأذكار، فقال ﷺ: "أفضل الذكر لا إله إلا الله".

إنها كلمة إن قالها الإنسان بصدق ويقين رزق الجنة ونجي من النار فقد بشر رسول الله ﷺ من قالها موقنًا بالجنة وتحريم الله له على النار.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ. حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّار. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّهِ. قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتَ هذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ:

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٠/٢، رقم ٦٥٨٣، وقال محققو المسند إسناده صحيح ١٥١/١١.

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ (وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعْلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! فَقُلْتُ: هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لإِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ. فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لإِسْتِي. قَالَ: ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: فَخَلِّهِمْ»[1].

وروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ النبيَّ ﷺ ـ ومُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ـ قال: يا مُعاذُ بنَ جَبَلٍ. قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيكَ. قال: يا مُعاذُ. قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللّهِ وسَعدَيك (ثلاثًا). قال: ما مِنْ أَحَدٍ يَشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّهُ وأن محمدًا رسولُ اللّهِ، صِدْقًا مِن قَلبِه إلاّ حرَّمهُ اللّهُ عَلَى النَّار. قال: يا رسولَ اللّهِ أفَلا أُخبرُ بهِ النّاسَ فيَستَبْشِروا؟ قال: إذًا يَتَّكِلوا. وأَخبرَ بها مُعاذٌ عندَ مَوتِه تَأثُّمًا»[2].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوة نفعًا وأشدها أثرًا لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في العبادة والعمل الصالح مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب وعدم إهماله من قِبَل الداعي المسلم[3].

ومما يدل على أهمية الترغيب في الدعوة إلى الله أن ما جاء به الشرع الحنيف كله

---

(١) أخرجه مسلم ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

-بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[1]، وقد وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2].

(١) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٦.

الحديث رقم (١٤٤٠)

١٤٤٠- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ قَالَ: ((**لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن بُسْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٨).

غريب الألفاظ:

شرائع الإسلام: جمع شريعة: ما شرع الله تعالى وأظهر لعباده من الفرائض والسنن[2].

أتشبث: أتعلق به وألزمه[3].

رطبًا من ذكر الله: طريًا مشتغلاً قريب العهد منه وهو كناية عن المداومة على الذكر[4].

الشرح الأدبي

تنكير السائل لعدم تعلق غرض بتعريفه وقوله (إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ) هو خبر أريد به لازم فائدته، وهو التمهيد لما يريد أن يرتبه عليه من طلب، وشرائع الإسلام أحكامه، وقوله (فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ) الأمر لطلب الاسترشاد، وتنكير شيء للتقليل أي شيء قليل، لأنه عجز عن الكثير، وجاء يشتكي منها قال الطيبي التنكير في (بشيء) للتقليل المتضمن لمعنى التعظيم كقوله تعالى (ورضوان من الله

---

(١) برقم (٣٣٧٥). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨١٤)، وقال الحاكم (١/٤٩٥): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٠).

(٢) القاموس المحيط في (ش ر ع)، وتحفة الأحوذي ٢/٢٤٢٣.

(٣) الوسيط في (ش ب ث).

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، (٢/٢٤٢٣).

أكبر) ومعناه أخبرني بشيء يسير مستجلب لثواب كثير، وقوله (أتشبث به) أي أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه، ويوحي بحرص الرجل على تعلم شيء يمكنه إتقانه، وقول الرسول ﷺ (لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله) كناية عن دوام ذكر الله تعالى، والتعبير بالفعل الدال على الاستمرارية بصيغته، ودلالته (لا يزال) يقرر التواصل مع الذكر والاستمرار عليه، ودلالة الفعل المضارع تشير إلى التجدد كلما قطعه عن الذكر قاطع، وهو حال المؤمنين مع ربهم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران١٩١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى.

ثانيًا: من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال.

ثالثًا: من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التمسك بشرع الله تعالى:

جاء في الحديث ما يدل على وجوب التشبث بشرع الله تعالى، فعن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ، «يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ» أى أتعلق به وأستمسك، ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه[1]، فإن التمسك بالإسلام وشرائعه فيه صلاح المجتمع الإسلامي، بل صلاح المجتمع الإنساني كله لا يتحقق إلا بالإسلام[2]، الذي فيه صلاح للمجتمعات وحياة الناس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/٢٤٢٣.

(٢) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، د. عمر سليمان عبدالله الأشقر، ص١٩.

ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١] ففي الآية: "تنبيه على أن دعاءه إياهم لا يكون إلا إلى ما فيه خير لهم وإحياء لأنفسهم، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة وإصلاح الفرد والمجتمع وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة فالشجاعة حياة للنفس، والاستقلال حياة والحرية حياة واستقامة أحوال العيش حياة"[٢].

ثانيًا- من حقوق المدعو: السؤال عما يتمسك به من فضائل الأعمال:

قد جاءت الدلالة على ذلك في سؤال الرجل للنبي ﷺ. إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به، قال "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله" والمعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني عنها غيرها فالفرائض لابد منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها فالذكر قد يسد ما يحصل به الخلل[٣]، لذا ينبغي على المدعو السؤال عن شيء من النوافل يلائم إمكاناته الجسدية والمادية يتشبث به ويحافظ عليه، ليزداد المؤمن بها قربًا من الله وعلو منزلته عنده، وليجبر النقص أو الخلل الذي قد يحدث في أدائه للفرائض، قال ابن رجب الحنبلي: "درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب محبة الله[٤].

ثالثًا- من واجبات الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ذكر الله تعالى:

إن وظيفة الأنبياء والمرسلين ومَنْ على سَنَنهم من العلماء العاملين والهداة المرشدين إرشاد الناس ودلالتهم على كل خير، فإنما بعثوا لهداية العالم وسن طريق السعادة للناس في الدارين[٥]، ومن ذلك الدلالة على ذكر الله تعالى، وليكن في ذلك القدوة

---

(١) سورة الأنفال، آية:٢٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٤/٩/٣١٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٢٤.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/٣٣٧.

(٥) هداية المرشدين، علي محفوظ، ص ٧٢.

الحسنة في رسول الله ﷺ. الذي لم يجد فرصة للحث على ذكر الله إلا اغتنمها، كما جاء في الحديث من سؤال الرجل عن شيء يتشبث به، فقال له ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله".

ودلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما فيه الخير وإيقافهم عليه، وتلك وظيفة الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[1]. قال أبو عبدالله القرطبي في تفسير الآية: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: المعنى: بلِّغ جميع ما أنزل إليك من ربك، فإن كتمت شيئًا منه فما بلغت رسالته، وهذا تأديب للنبي ﷺ وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئًا من أمر شريعته، وقد علم الله تعالى من أمر نبيه أن لا يكتم شيئًا من وحيه"[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى:

لقد جاء الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3]، وجاء في الحديث الإشارة إلى الحرص والمداومة على ذكر الله تعالى، فقال ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"، قال الطيبي: رطوبة اللسان عبارة عن سهولة جريانه، كما أن يبسه عبارة عن ضده، ثم إن جريان اللسان حينئذ عبارة عن مداومة الذكر[4]، فإن مداومة الذكر حياة حقيقية للإنسان، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "مثل الحي والميت"[5]، ومن فوائد ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[6]، ولو

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، مج٣/٦/٢٤٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٤/٣٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا[١].

إن دوام ذكر الله تعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده وأن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق[٢].

وإن مداومة ذكر الله تعالى تؤهل صاحبها إلى الانتفاع بآيات الله، وكمال العقل وحسن التدبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٣].

لقد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره كذلك قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤]. وأهل ذكر الله تعالى هم أهل السبق والفوز، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول ﷺ مر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا ومن المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[٥]. ولقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس ذكرًا فكان يذكر الله على جميع أحواله، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»[٦].

إن كثرة ذكر الإنسان لربه علامة على محبته لربه، قال الربيع بن أنس: عن بعض أصحابه علامة حب الله كثرة ذكره فإنك لن تحب شيئا إلا أكثر ذكره.

---

(١) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ٨٣، وقد ذكر ابن القيم في الكتاب ثماني وسبعين فائدة لذكر الله تعالى انظر ص ٨٢-١٥٣، صحيح الوابل الصيب، تحقيق: سليم بن عيد هلالي، مكتبة ابن الجوزي، الدمام.

(٢) انظر: مدارج السالكين، الوابل الصيب، لابن القيم، ٨٥، ٨٦.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٦٧٦.

(٦) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

قال إبراهيم الجنيد كان يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان وكلما ولع المرء بذكر الله إلا أفاد منه حب الله وكان بعض السلف يقول في مناجاته إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبك من مناجاتك وذكرك.

وقال أبو جعفر المحولي ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه ولا يسأم من خدمته وقد ذكرنا قول عائشة كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والمعنى في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه وشئونه كلها.

إن المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه فلو كلف أن ينسي تذكره لما قدر ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر.

كيف ينسي المحب ذكر حبيبه اسمه في فؤاده مكتوب

لقد كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول أحد أحد فإذا قالوا له قل واللات والعزى قال لا أحسنه.

يراد من القلب نسيانكم وتأبي الطباع على الناقل

فكلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه، الله، الله، ولهذا يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس وتصير لا إله إلا الله لهم كالماء البارد لأهل الدنيا كان الثوري ينشد.

لا لأني أنساك أكثر ذكراك لكن بذاك يجري لساني[1]

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٥١٤/٢-٥٢٤.

الحديث رقم (١٤٤١)

١٤٤١- وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قَالَ: ((من قَالَ: سُبْحان الله[1] وبحمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ)). رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرغب في تسبيح الله، وتحميده جاء في أسلوب الشرط الذي يرغب في العمل عن طريق ربطه بالجواب، وترك العاقل لكي يختار فعلا بعاقبته، ولذلك عبر بأداة الشرط (من) التي تنادي من له عقل باغتنام هذا الجزاء بالتزام التسبيح، والتحميد، وهذا الحديث يربط غرس نخلة في الجنة بقول هذه العبارة اليسيرة، واختيار النخلة التي تشبه المؤمن الذاكر في طيب كلامه بطيب ثمرها؛ لأنها كلها منافع بكل جزء فيها، وليس هذا لشجرة غيرها مع طيب ثمرها، وكثرة جناها، وصلاحيته لأن يكون طعاما، أو فاكهة، وسهولة نقله، وقلة تلفه، وغيرها كثير، مما يشير إلى عظمة العبارة الموجدة لها، وهي قوله (سُبْحان الله وبحمدِهِ) فهي مثلها في العطاء من المعاني الدالة على التقديس، والتنزيه المتضمن نفي الشريك، والمثيل، وتأكيد الوحدانية، مع الثناء، والحمد المتضمن الاعتراف بكل النعم، وغيرها من المعاني التي يصعب استقصائها فجدير بقارئها أن يتخذها وردا له يزرع بها بستانا في الجنة كل يوم يصير له به ملكا في الجنة، لا بد يوم أن يبلغه، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

---

(١) عنده زيادة: (سبحان الله العظيم).

(٢) برقم (٣٤٦٤) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، و(٣٤٦٥) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٢٧)، وقال الحاكم (٥٠١/١): هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٨٤).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على قول سبحان الله وبحمده:

إن ذكر الله تعالى أسهل الأعمال وأكثرها ثوابًا وصاحبه أشد قربًا من الله تبارك وتعالى، ولقد جاءت النصوص آمرة ومرشدة بالتسبيح، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾[1]، وفي هذه الآية يأمر الله عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وأصناف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب[2].

وأصل التسبيح التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص[3]، ومن ألفاظ التسبيح المستحبة والتي حث عليها النبي ﷺ، سبحان الله وبحمده كما جاء في الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" ولا ريب أن التسبيح يعد من الأصول المهمة والأسس المتينة التي ينبنى عليها المعتقد، من إبعاد صفات النقص من أن تضاف إلى الله، وتنزيه الرب سبحانه عن السوء وعما لا يليق به[4].

وتسبيح الله دليل على إيمان الإنسان وفقهه، قال ابن رجب الحنبلي وكان الحسن البصري كثيرًا ما يقول إذا لم يحدث ولم يكن له شغل: سبحان الله العظيم، فذكر ذلك لبعض فقهاء مكة، فقال: إن صاحبكم لفقيه[5].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١-٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦/٤٣١.

(٣) النهاية في (س ب ح).

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرازق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الأول والثاني، ١٩٥.

(٥) جامع العلوم والحكم ١/٣٨٨.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول سبحان الله وبحمده:

لقد صرح النبي ﷺ. في الحديث بفضل قول سبحان الله وبحمده وثواب ذلك، فقال ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة" أى المعدة لقائلها، وخصت النخلة لكثرة منفعتها وطيب ثمرتها، ولذلك ضرب الله تعالى مثل المؤمن وإيمانه بها وثمرتها في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1].

فقوله كلمة طيبة يراد بها كلمة التوحيد، كشجرة طيبة وهى النخلة[2]، كما جاء في حديث آخر بيان أن هذه الصيغة حبيبة إلى الله تبارك وتعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ. «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلى الرَّحمن سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيم»[3]. فهذا من جملة الأحاديث الواردة في التسبيح والدالة على عظيم فضله وثوابه عند الله، وفي أكثر هذه الأحاديث قرن مع التسبيح حمد الله تعالى، وذلك لأن التسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب، والتحميد فيه إثبات المحامد كلها لله عز وجل والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا لكن ورد مقرونًا بما يدل على إثبات الكمال فتارة يقرن بالحمد كما في قوله: "سبحان الله وبحمده" وتارة يقرن باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال، كقوله سبحان الله العظيم، وقوله سبحان ربي الأعلى، ونحو ذلك[4].

إن فضل التسبيح يظهر في كونه تنزيهًا لله تعالى عملاً يليق به.

قال ابن حجر: التسبيح يعني قوله سبحان الله ومعناه: تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل، ويطلق التسبيح ويراد

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٤.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٦٦/٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٤٠٦، ومسلم، ٢٦٩٤.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢٠٤/٢.

به جميع ألفاظ الذكر وجماع معناه[١].

وقال الجرجاني: التسبيح تنزيه الحق عن نقائص الإمكان والحدوث[٢].

إن الكون كله وجميع ما خلقه الله يسبح الله تعالى، كما جاء في صريح قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٣]. أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغتكم، وهذا عام في الحيوانات والنبات والجماد وهذا أشهر القولين[٤].

وقال القاسمي: وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٥]. أي تنزه الله وتقدسه وتجلّه السماوات والأرض ومن فيهن من المخلوقات عما يصفه به المشركون، وتشهد جميعها له بالوحدانية في إلوهيته وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[٦][٧].

فما من شيء إلا يسبح بحمد ربه بلسان الحال ولسان المقال "ولكن لا تفقهون تسبيحهم" لأنها على غير لغتكم، بل يحيط بها علام الغيوب[٨].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث جليًا بينا، حيث رغب النبي ﷺ في تسبيح الله،

---

(١) فتح الباري ١١/٢١٠.

(٢) التعريفات ٥٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٧٩.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٦) سورة مريم، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٧) محاسن التأويل، مج٦/١٠/٢٣٢.

(٨) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٤١.

فقال ﷺ: "من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة"، أى نخلة على كل مرة[١]، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية النافعة، "ولقد حفلت آي الذكر الحكيم والأحاديث الشريفة بالترغيب فيما عند الله من ثواب ونعيم، ترغيبًا للمؤمنين وحثا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[٢]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها، وكان من عباد الله المتقين المحسنين المنيبين الذين ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[٣]"[٤]. أى خوفًا من وبال عقابه وطمعًا في جزيل ثوابه[٥]، "فهم يجمعون بين الوصفين، الخوف والرجاء فهم يعبدون الله وحالهم الخوف من أن ترد أعمالهم والطمع في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه"[٦].

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٤٩٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم، ٢١٢٧/٦..

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٣/٦.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٠٣.

الحديث رقم (١٤٤٢)

١٤٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لَقِيْتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرِىءْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلاَمَ، وَأَخْبِرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وأنَّهَا قِيعَانٌ وأنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ، واللهُ أكْبَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

قيعان: جمع قاع وهو المكان المستوي الواسع في وطأةٍ من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته[2].

غراسها: الغِراسُ: ما يغرس من شجر ونحوه[3].

الشرح الأدبي

لقاء النبي ﷺ بإبراهيم عليه السلام لقاء حبيب لحبيب، وأخ لأخ، وقوله (ليلة أسري بي) يشير إلى زمان اللقاء، وأنه ليس لقاءً في رؤية منامية، وبناء الفعل (أسري) للمفعول فيه إشارة إلى أن ما حدث في هذه الليلة ليس بقدرة جسدية أو عقلية للرسول ﷺ، وإنما هي قدرة الله الذي حمله، ولذلك من الجهل اللغوي، والعجز الفكري أن يتعجب متعجب من كيفية قطع الرسول ﷺ لهذه المسافة في ليلة في زمن أسرع، وسيلة نقل

---

(١) برقم (٣٤٦٢). وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١/١٠٢): حسّنه لشواهده، ومن ثمَّ قيّد الغرابة، وإلا فعبد الرحمن بن إسحاق ضعّفوه، وهو أبو شيبة الواسطي، وله شاهد أخرجه أحمد (٢٣٥٥٢)، قال الحافظ ابن حجر: هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٩٤).

(٢) النهاية في (ق ي ع).

(٣) الوسيط في (غ ر س).

فيه هي الإبل، والخيل -كما أسلفنا الذكر-، وقول إبراهيم عليه السلام (يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ) نداء تودد ومحبة، وقوله (أقرىء) يشير إلى محبته للرسول ﷺ، وأمته، يدل على ذلك تحيته، لأمة لم يرها، وحرصه على نفعها بالخبر الذي نقله عن حال الجنة، وغراسها، ووصفه لها في قوله (وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ) وهو أمر أراد به التكريم للرسول ﷺ ولأمته، والترغيب في ذكر الله الموصل للجنة، لذلك وصف الجنة بما يداعب النفس، ويشغل الوجدان بما يحقق الغرض، ويدفع للعمل الذي هو الذكر الوارد في وصية أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، والتي تضمنت تنزيه الله - تعالى، والثناء عليه، وتوحيده، ثم تكبيره، وهو من الأحاديث الجامعة لجملة من الأذكار التي تحقق الأجر العظيم، والتي ينبغي لكل من يقرأها أن يضعها من نفسه المنزلة التي تغيب عنها شمس فكره حتى يلقى بها جزاءه عند ربه.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: الإسراء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ، نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: الإسراء:

وردت الإشارة إلى الإسراء في الحديث في قوله ﷺ، لقيت إبراهيم ﷺ، ليلة أسرى بي، وكان الإسراء في السنة العاشرة من سني البعثة النبوية، وكان مكافئة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ، من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، لقد كان الإسراء بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة رضي الله عنها، إنه كان بعد إعراض وصدود ثقيف وما

ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها، بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه، فرفعه إليه وقربه وأدناه، وخلع عليه من حلل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لاقاه من حزن وألم ونَصَبٍ وتعب، وما قد يلاقيه في سبيل إبلاغ رسالته ونشر دعوته ﷺ[١].

ومعجزة الإسراء حادثة ثابتة بنص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فلقد نص الكتاب العزيز على أن معجزة الإسراء قد تمت ليلاً حين تم انتقال الرسول ﷺ من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف بأرض فلسطين[٢]، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

إن من الآيات البينات والمعجزات الخارقات إسراء الله بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلى بهم إمامًا، ومن هناك عرج به إلى السماوات العلا، وهناك رأى من آيات ربه الكبرى، رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، وصعد به إلى سدرة المنتهى، وجاوز السبع الطباق وكلمه الرحمن وقربه: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[٤].

وقد استعظمت قريش الإسراء برسول الله ﷺ فقد كانت القوافل تمضي الأسابيع في الذهاب إلى بيت المقدس والعودة منها، فكيف يتسنى لرجل أن يمضي ويعود في جزء من ليلة! ذلك عجيب، وهو حقًا عجيب، ولكن العجب يتلاشى إذا علمنا

---

(١) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، ١٠٧.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ١/٢٤٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١.

(٤) سورة النجم، الآيات: ١٢-١٨.

أن الذي أسرى به هو الله تعالى، والله على كل شيء قدير[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: لقاء النبي ﷺ نبي الله إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى به:

جاء بالتصريح بذلك في قول رسول الله ﷺ: "لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أسرى بي" قال ابن علان: لا مانع من رؤية له على ما كان عليه حال حياته، لأن الأنبياء أحياء والأرض لا تأكل أجسادهم، فلا حاجة لجعل اللقاء بالروح لأن في الحديث مضافًا مقدرًا[٢]. وقد ورد التصريح بذلك في أكثر من رواية ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أتيت البراق... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ. مسندًا ظهره إلى البيت المعمور..."[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل وثواب ذكر الله تعالى:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث وذلك في قول إبراهيم عليه السلام: "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" والمعنى أعلمهم بأن هذه الكلمات ونحوها سبب لدخول قائلها الجنة ولكثرة "أشجار" منزله فيها، لأن كلما كررها نبت له أشجار بعددها[٤]، وأن الله سبحانه بفضله أوجد في الجنة أشجارًا وقصورًا على حسب أعمال العاملين، لكن لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ثم إن الله تعالى لما يسره لما خلق له من العمل لينال به ذلك الصواب، جعله كالغارس لتلك الأشجار[٥]، وتلك من فوائد ذكر الله تعالى، فهو غراس الجنة، وأن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي للسائلين، إلى غير ذلك من الفوائد والثمرات[٦].

---

(١) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٣٤.

(٢) دليل الفالحين ١٥٠٢.

(٣) أخرجه مسلم ١٦٢.

(٤) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢٤٦٤/٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ٨٦/٥.

(٦) ذكر الإمام ابن القيم ثماني وسبعين فائدة للذكر، في كتابه القيم: "الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ص٨٢-١٥٣.

إن ذكر الله تبارك وتعالى من أفضل الأعمال وأعظمها أجرًا وأسهلها على العبد، وقد حث الله تبارك وتعالى على ذكره والإكثار منه، وذكر الله لا يقتصر على مجرد تحريك اللسان به وإنما هو أوسع من ذلك بكثير فيشمل أعمال القلب واللسان والجوارح.

قال ابن عثيمين:" وليُعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح، أما القلب فهو التفكر، وذكر الله تعالى بالقلب: أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر: ويشمل كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل والتسبيح والتكبير، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة السنة، وقراءة العلم، كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر لله عز وجل.

وأما الأفعال: ذكر الله بالجوارح، فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود، وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾[1]. فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى ذكرًا كثيرًا في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان، ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً﴾. أى قولوا: سبحان الله في البكور والأصيل، يعني: في أول النهار وآخر النهار، ويحتمل أن يراد بالنهار كله وفي الليل كله، وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2]. وهذا ذكره الله عز وجل في سياق لقاء العدو، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٤٥.

فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح، والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب، وقال الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]. قيل: المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر، وقيل: المعنى ذكر الله عمومًا أكبر، وهو أن الإنسان إذا صلى كان ذلك سببًا لحياة قلبه وذكره لله عز وجل كثيرًا، وقال تعالى في وصف الخلق من عباده: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[3]. والآيات في هذا كثيرة كلها تدل على فضيلة الذكر والحث عليه، وقد أثنى الله تعالى على الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، وبين أنهم هم أصحاب العقول، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]. فالمهم أن نحث أنفسنا وإياكم على إدامة ذكر الله، وهو لا يكلف اللسان شيئا، واللسان لا يعجز ولا يتعب، بل يبقى دائمًا: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ليس فيه تعب فهو سهل ولله الحمد

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٤٥.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩١، ١٩٠.

وأجره عظيم. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات إنه على كل شيء قدير[١].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينا بالترغيب في كلمات من الذكر في كونها غراس الجنة "وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله" فهذه الكلمات سبب لدخول قائلها الجنة، وكثرة أشجار منزله فيها، لأنه كلما كررها نبتت له أشجار بعددها[٢].

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية الناجحة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[٣]، وحثه على الطاعات وتحمل مشاق العبادات رغبة فيما عند الله، وأسلوب الترغيب من أعظم الأساليب ملائمة للنفس البشرية، لما جبلت عليه من رغبتها فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: التوحيد هو الأصل الذي جاء به جميع الرسل عليهم السلام:

يتضح هذا في وصية إبراهيم عليه السلام التي أمر رسول الله ﷺ، أن ينقلها إلى أمته، "وأخبرهم أن: الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر". وهذا إن دل فإنما يدل على أن توحيد الله هو دين الله الذي بعث به رسله من الأزل إلى الأبد، وأن المتتبع للدعوة والناظر في سيرة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليرى اتفاق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على الدعوة إلى الملة الواحدة القائمة على توحيد الله عز وجل ومحاربة الكفر والشرك والأمر بالطاعات والنهى عن المحرمات، فكلهم يدعون إلى الله عز وجل،

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ج٢/١٥٠٤، ١٥٠٥.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٥٠٢.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحديث، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

ويرمون في دعوتهم عن قوس واحدة[١]، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾[٢]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٤]. فما من نبي إلا دعا قومه إلى عبادة الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾[٦]، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين.

وتلك هى الغاية التي من أجلها وُجد الخلق، قال ابن رجب الحنبلي: إن الله خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه[٧]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[٨].

إن عقيدة التوحيد وجدت كاملة منذ اللحظة الأولى، لأنها ليست نابعة من أفكار البشرية كما يرى أصحاب مذهب التطور. وإنما هى فطرة الله التي فطر عباده عليها، فقد خلقهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأضلتهم، هذا ما يقرره القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعليه التصور الإسلامي، فقد أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام إلى الأرض ليقوم فيها بالخلافة التي اختاره الله للقيام بها، بعد أن تلقى كلمات من ربه فتاب عليه وأخذ عليه العهد والميثاق أن يتبع ما يأتيه من هدى الله، وأن لا يتبع الشيطان

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمود أبو الفتح البيانوني، ٧٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٦٥.

(٦) سورة هود، آية: ٦٢.

(٧) التخويف من النار ٦، ٧.

(٨) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

فيضله عن سبيله. قال تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

وما من شك أن آدم عليه السلام علّم بنيه الإسلام، وهو عقيدة التوحيد جيلاً بعد جيل، وأن الإسلام كان أول عقيدة عرفتها البشرية في الأرض، ثم انحرفت عن منهج الله وهديه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ....﴾[2]. أي كان الناس أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

يوضح ذلك قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3]. فحين اختلفوا أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، يبشرون من أطاع الله بجزيل الثواب وكريم المآب، وينذرون من عصى الله فكفر به بشدة العقاب وسوء الحساب والخلود في النار.

فكان أول رسول إلى الناس بعد اختلافهم نوح عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله وحده، كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[4].

وقوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[5]. وقد ردوا عليه دعوته متمسكين

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة يونس آية: ١٩.

(٤) سورة نوح، الآيتان: ٢، ٣.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

بعبادة آلهتهم التي اتخذوها من دون الله: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[١].

فنوح عليه السلام أرسل لإعادة الناس إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

ويقول رسول الهدى ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفِطرةِ، فأبَواهُ يُهوِّدانهِ أو يُنصِّرانِه أو يُمجِّسانِه»[٣]. وقوله ﷺ: قال الله تعالى: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ. وَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[٤].

وهنا نقول كذب علماء الأديان المقارنة القائلين بتطور العقيدة، من التعدد إلى الانتخاب ثم التوحيد[٥]. وإنما كانت البشرية على دين الإسلام وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها حتى اجتالتهم شياطين الجن والإنس، فأشركوا بالله خالقهم وعبدوا معه غيره، فأرسل الله إليهم الرسل ليعيدوهم إلى الطريق السوي قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٦].

وقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بأنواع من الأساليب الواضحة المتصلة بحياة الناس ومشاعرهم، وبين لهم أن كثيرًا من أعمالهم التي يتوجهون بها لغير الله هي حق لله لا يجوز صرفها لغيره، حتى استقاموا على أمر الله واتبعوا رسوله الذي تركهم على المحجة البيضاء، ثم اختلط هذا الأمر بعد ذلك على كثير من الناس لا سيما في العصور المتأخرة فخلطوا بين ما هو حق خالص لله لا يجوز صرفه لغيره، وبين أمور من هذا الباب ظنوا أنها من الأمور التي يجيزها الشرع[٧].

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٥٨، ١٣٥٩، ومسلم ٢٤.

(٤) أخرجه مسلم ٦٣.

(٥) انظر: كتاب الدين، د. محمد عبدالله دراز، ١١١-١١٩.

(٦) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٧) انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، ص١١٧-١٢٠.

الحديث رقم (١٤٤٣)

١٤٤٣- وعن أبي الدرداء ﷺ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**الا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أن تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟**)) قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ((**ذِكر الله تَعَالَى**)). رواه الترمذيُّ[1]، قَالَ الحاكم أَبُو عبد الله[2]: (إسناده صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

أزكاها: أطهرها وأنماها وأكثرها بركة[3].

مليككم: المليك: صاحب الملك. ومليك الخلق: ربهم ومالكهم[4].

أرفعها: أشرفها وأعلاها قدرًا[5].

الشرح الأدبي

ألا في قول الرسول ﷺ: (ألا أنبئكم) جاءت للعرض بدليل دخولها على الجملة الفعلية. واكتسب الأسلوب تشويقه من بقية السياق حيث تلي (ألا) بالفعل (أنبئكم) الذي يدعم التشويق بصيغته، كما يصعده بمتعلقاته، والنبأ يشير إلى الخبر العظيم واستعمال هذه الأداة -في الأغلب مع هذا الفعل وأمثاله- كـ (أخبركم، أعلمكم، وأدلكم) تمهيد لشيء. خطير. ثم بدأ في رفع درجة التشويق شيئا فشيئا؛ فقال (بِخَيْرِ

---

(١) برقم (٣٣٧٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٠٤).

(٢) المستدرك (١/٤٩٦).

(٣)النهاية في (ز ك و).

(٤) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٥) القاموس المحيط في (ر ف ع).

أَعْمَالِكُمْ، وَأَزكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ...) فصعد التشويق بعبارات أثارت فضول النفوس المجبولة على حب الخيرات، وزادها حرصا بأفعل التفضيل متصدرة كل عبارة (خير أعمالكم، خير لكم. أزكاها، أرفعها) كل ذلك بعد أداة (العرض) (ألا) يليها الفعل (أنبأ) الذي يتصدر الأمر العظيم، والخبر الصادق، (وفائدة السؤال والجواب أن يكون الكلام أوقع في النفس بحكم الإبهام والتبيين' ولعل الذي دفع الرسول ﷺ إلى كل هذه الإثارة للخبر، والتشويق إليه وبعث الاهتمام، والترقب له هو: غفلة الناس عن هذا العمل مع أهميته، وشدة حاجة الإنسان إليه مع يسره، وخفة مؤنته، وقدرة جميع الناس على القيام به وكونه عبادة قلبية لا يتعلق بها العجب، ولا الرياء، وملازمة الإنسان له على كل حال مما يثمر اتصال الإنسان الدائم بربه، وبقائه في حضرته، هذا ما جعل الرسول ﷺ يؤكد ويشوق بهذا الإلحاح الشديد على فضل الذكر والتنبيه له؛ ليصرف أعنة القلوب إلى مواطن الفلاح، ومعارج النجاح[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم..)، أي: أخبركم[2]، وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع، والتشريف للمخاطب به[3]، وهذا ما يعرف بالاستفهام

---

(١) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب، والترهيب للحافظ المنذري، د. ناصر راضي الزهري ص ٢٠٠.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

(٣) تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، ص ١٣١٨.

التمهيدي، وقد ورد ذلك كثيرًا في آيات القرآن مثل قوله تعالى: (هل أتاك حديث موسى)، (هل أتاك حديث الغاشية)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة لما له من تأثير في إيجاد الاستعداد الفكري والنفسي عند المدعوين لمعرفة الإجابة على تلك الأسئلة والاستفهامات المطروحة عليهم، كما أن الاستفهام استخدام السؤال والجواب له بالغ الأثر في نشر الدعوة وتثبيتها وتناقلها بين الناس[١].

ثانيًا - من صفات الداعية: البيان وإرشاد المدعوين إلى خير الأعمال وأزكاها:

إن من أهم صفات الداعية الملازمة له الممزوجة في شخصيته البيان والتوضيح، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[٣]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[٤]، ومن ذلك ما جاء في الحديث من بيان خير الأعمال وأزكاها، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم؟..)، قال: ذكر الله تعالى: فإن الإنسان بعلمه بخير الأعمال يحصل بها على كثير من الأجر دونما شرط للنَصَب والتعب، قال العز بن عبدالسلام في قواعده: "هذا الحديث يدل على أن الثواب لا يترتب على قدر النصب في جميع العبادات، بل قد يأجر الله تعالى على قليل العمل أكثر مما يأجر على كثيره، فإذًا ترتب الثواب على تفاوت الرتب في الشرف"[٥].

إن بيان الداعية الدين وتوضيح أحكامه للناس وإرشادهم إلى ما فيه من نور وهدى ودلالتهم على فعل الخير له من الأجر والمثوبة عظيمهما ومن أوجه ذلك الثواب أن الداعية

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٦٢٠٠٨/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦، ٢٧.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان، ١٥٠٣.

يأخذ مثل أجر العامل، فإن الدال على الخير كفاعله، روي عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: مَا عِنْدِي فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[1].

كذلك من أوجه الثواب أن ما يعطيه الله على هدايته للناس ودلالتهم على الخير أفضل من نفيس الأموال فروي عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: ((لأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللّهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ)) قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: ((أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟)) فَقَالُوا: هُوَ، يَا رَسُولَ اللّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ: ((انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ. حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِيهِ. فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ))[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

جاء في صريح الحديث بيان فضل ذكر الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم - أي: أنماها وأنقاها - وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم.

قال المباركفوري: "والمعنى: ألا أنبئكم بما هو خير لكم من بذل أموالكم وأنفسكم في سبيل الله"[3]، قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى، وقد وردت النصوص الكثيرة التي أمر الله سبحانه فيها بأن يذكروه ذكرًا كثيرًا ومدح من ذكره

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦ واللفظ له.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/٢٤٢٤.

كثيرًا[١]، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾[٢]، وبيّن أنه سبب للمغفرة والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾[٣]، وأنه سبب للفلاح، فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤].

وأخبر سبحانه عن خسران من لهى عنه بغيره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٥]، وجعل سبحانه ذكره لهم جزاءً لذكرهم له كما في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[٦][٧].

إن ذكر الله تبارك وتعالى له من الفضل ما لا ينكر، ومن الثواب ما لا يعلم حده ومنتهاه إلا الذي أعطاه سبحانه وتعالى وله من الفوائد الكثير.

قال ابن القيم: "في الذكر أكثر من مائة فائدة منها:

(١) أنه يطرد الشيطان ويقمعه.

(٢) أنه يرضي الرحمن عز وجل.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٤) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

(٣) أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

(٤) أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

(٥) أنه يقوي القلب والبدن.

(٦) أنه ينور الوجه والقلب.

(٧) أنه يجلب الرزق.

(٨) أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

(٩) أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة.

(١٠) أنه يورثه المراقبة حتى يُدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

(١١) أنه يورث الإنابة، وهو الرجوع إلى الله عز وجل.

(١٢) أنه يورث القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه.

(١٣) أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

(١٤) أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، بخلاف الغافل؛ فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه.

(١٥) أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: (فاذكروني أذكركم). ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا.

(١٦) أنه يورثه حياة القلب.

(١٧) أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

(١٨) أنه يورثه جلاء القلب من صدئه.

(١٩) أنه يحط الخطايا ويذهبها.

(٢٠) أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى.

(٢١) من ذكر الله تعالى ذكره ربه، ولذكر الله أكبر. قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ

أَذْكُرْكُمْ﴾[1].

(٢٢) أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

(٢٣) أنه ينجي من عذاب الله تعالى.

(٢٤) أنه سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحلقات الذكر.

(٢٥) أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

(٢٦) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

(٢٧) أنه يسعد الذاكر بذكره ويُسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان.

(٢٨) أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

(٢٩) أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه، وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.

(٣٠) أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

(٣١) أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها.

(٣٢) أنه غراس الجنة.

(٣٣) أن العطاء والفضل الذي رُتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

(٣٤) أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده.

(٣٥) أن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونور له في معاده، يسعى بين يديه على الصراط.

(٣٦) لما كان الذكر متيسرًا للعبد في جميع الأوقات والأحوال فإن الذاكر وهو مستلق على فراشه يسبق -في الفضل والخير- القائم الغافل.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٣٧) الذكر يفتح باب الدخول إلى الله عز وجل، فإذا فُتح الباب ووجد الذاكر ربه فقد وجد كل شيء.

(٣٨) في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبتة إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة، واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويفني الفاقة.

(٣٩) أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها وانفراطها له والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته، ويُفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه. ويُفرق أيضًا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل. ويُفرق أيضًا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان.

(٤٠) أن الذكر يُنبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته.

(٤١) أن الذكر شجرة تُثمر المعارف والأحوال التي شمّر إليها السالكون.

(٤٢) أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق.

(٤٣) أن الذكر يعدل حتى عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل والضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

(٤٤) أن الذكر رأس الشكر، فما شكر الله تعالى من لم يذكره.

(٤٥) أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكر الله[1].

---

(١) انظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٢٠٠ وما بعدها.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث واضحًا بينًا، في ترغيبه ﷺ في ذكر الله ببيان أنه خير الأعمال وأحبها إلى الله، فقال ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، قالوا: بلى، قال: ذكر الله)، والترغيب من أهم الأساليب الدعوية، وأجداها نفعًا، وهو من الأمور المحببة إلى النفس، فتميل بطبعها إلى موافقة من أحبته، فيكون له أثره في استجابة المدعوين، وهذا مما يسبب نجاح الدعوة، والقرآن الكريم والسنة النبوية يكثر فيهما تطبيق هذا الأسلوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي))، وفي رواية: ((سبَقَتْ غَضَبِي))[2].

وأسلوب الترغيب أوفق الأساليب الدعوية للنفس البشرية، إذ أن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله -بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ- لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

(٢) أخرجه البخاري٧٤٢٢، ومسلم ٢٧٥١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

الحديث رقم (١٤٤٤)

١٤٤٤- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: ((١) أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أفْضَلُ -)) فَقَالَ(٢): ((سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحَانَ الله عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ، والله أكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ؛ (وَلاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ) (٣)، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ مِثْلَ ذَلِكَ)). رواه الترمذيُّ(٤)، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

الشرح الأدبي

الحديث ينقل صورة من صور حرص الصحابة -رضوان الله عليهم - على الباقيات الصالحات وحال هذه المرأة ينبيء ببعض ما كانت تنشغل به النساء في البيوت في عصر الراشدين، والراشدات، ويصور بالجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام ثباتهم على الطاعة، ولزومهم للباقي، وبالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث تجدد الذكر كلما قطعه قاطع في قوله (أنَّه دخل مَعَ رسُولِ الله ﷺ، عَلَى امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً - أَوْ حَصَىً - تُسَبِّحُ بِهِ) فجملة (وَبَيْنَ يَدَيْها نَوىً) تشير إلى ما شغلها وما عكفت عليه، وجملة (تسبح به) تشير إلى تجدد الذكر والانقطاع عليه، وقول الرسول ﷺ (أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أفْضَلُ ؟) استفهام عرض، وتشويق وتعليم لما رآه من

---

(١) عند الترمذي زيادة: (ألا)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) (فقال) لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود.

(٣) هذه الزيادة لا توجد عند الترمذي، وهي عند أبي داود، والمنذري.

(٤) برقم (٣٥٦٨) بدون الزيادات. واللفظ لأبي داود (١٥٠٠). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٣٧)، وقال الحاكم (٥٤٧/١): بإسناد أصحّ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٣٣٠).

استعدادها، وحرصها على ما يرضي الله تعالى، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ) هذا الدعاء مجمع للخيرات، والفضائل عوضها عن عد الحصى القليل بعد ما لا يحصى إجمالا لما يحقق الثواب مع قلة الألفاظ، وهو من رحمته بها، وحرصه على تحقيق الثواب لها كما تريد، وأضعاف أضعاف ما تريد، وتكرار لفظ (سبحان) لأنه المعنى المقصود من ذكر الأعداد، وهو تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وقوله (وسُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هو خَالِقٌ) قال الطيبي أي ما هو خالق له من الأزل إلى الأبد والمراد الاستمرار فهو إجمال بعد التفصيل؛ لأن اسم الفاعل إذا أسند إلى الله تعالى يفيد الاستمرار من بدء الخالق إلى الأبد كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان، وقوله (والله أكبر مثل ذلك)، والمشار إليه جميع ما ذكر فيكون التقدير الله أكبره عدد ما خلق في السماء والله أكبر عدد ما خلق في الأرض والله أكبر عدد ما بين ذلك والله أكبر ما هو خالق والحمد لله مثل ذلك أي على هذا المنوال ولا إله إلا الله مثل ذلك أي على هذا الحال ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك أي كذلك، والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

حكم التسبيح بالنوى والحصى: يجوز عند التسبيح بالنوى والحصى وكذا المسبحة لعدم الفارق لتقريره ﷺ للمرأة على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا ينافي الجواز[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من مهام الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى.

---

(١) حاشية رد المحتار ١/٦٥٠-٦٥١، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٩/٨٠.

أولاً - من أصناف المدعوين: النساء:

أشير إلى ذلك في الحديث، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، والنساء صنف لا يستهان به، فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1]، وهي تحظى بدور كبير واحترام عالٍ في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجل، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلا بد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهنَّ راعيات الأطفال، وهنَّ المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها[2].

لقد حظيت النساء بدعوة النبي ﷺ ولهذا شواهد كثيرة، ومنها: ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: ((يا نساءَ المسلماتِ، لا تَحقِرَنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسِنَ شاةٍ [3]))[4].

والمراد بالحديث -كما قال ابن حجر-: "لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئًا، ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب"[5].

وقال أيضًا: ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت. فيتساوى في ذلك الغني والفقير"[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٥٧.

(٣) فرسن شاة: بكسر الفاء وسكون الراء وكسر السين ثم النون: حافر الشاة، فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠١٧، واللفظ له، ومسلم ١٠٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/٤٤٥.

(٦) فتح الباري ١٠/٤٤٥.

وأما حكمة تخصيصهن بهذا التوجيه النبوي الكريم ﷺ فقال عنها ابن حجر: "وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منها"[١].

ب- نهي النساء عن رفع الرؤوس قبل الرجال: روى الإمام أحمد عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا تَرْفَعْ رَأْسَها حَتَّى يَرْفَعَ الرِّجَالُ رُؤُوسَهُمْ)) قالت: وذلك أن أُزرهم كانت قصيرة، مخافة أن تتكشف عوراتهم إذا سجدوا[٢].

وواضح في الحديث أنه ﷺ قام بتوجيه النساء المسلمات بأن يمتنعن من رفع رؤوسهن في الصلاة قبل الرجال.

ج- موعظة النساء يوم العيد: أخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قامَ النبيُّ ﷺ يومَ الْفِطرِ فصلَّى، فبدأَ بالصلاةِ ثمَّ خَطبَ. فلما فرَغَ نَزَلَ فأَتى النساءَ فذكَّرهنَّ. الحديث[٣].

وقد ترجم البخاري عليه بقوله: "باب موعظة الإمام النساء يوم العيد".

وأخرج البخاري نحو هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، وترجم عليه بقوله: "باب عظة الإمام النساء وتعليمهن".

فخلاصة الكلام: كان النبي الكريم ﷺ يقوم بدعوة النساء[٤].

ثانيًا- من آداب الداعي: إرشاد المدعوين إلى أفضل أنواع الذكر:

إن الوظيفة الرئيسة للداعية: هي إرشاد المدعوين وحثهم على الخير وتحذيرهم من الشر، وتلك هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سننهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين[٥].

والوعظ والإرشاد وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، وتأتي أهمية الوعظ

---

(١) المرجع السابق ١٠/٤٤٥.

(٢) أخرجه أحمد ٦/٣٤٩، رقم ٢٦٩٥١، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره أحمد ٤٤/٥١٤.

(٣) أخرجه البخاري، جزء من حديث رقم ٩٧٨، واللفظ له، ومسلم جزء من حديث رقم ٨٨٥.

(٤) انظر: ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي ص ١٥١ - ١٥٣.

(٥) انظر: هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

والإرشاد في أن الناس تصيبهم غفلة ونسيان فينغمسون في الدنيا وينسون الآخرة والعمل لها، وهنا تأتي مهمة الواعظ في تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وربطهم بربهم من جديد[1].

ومن ألوان الخير الذي يرشد إليها الداعية: إرشاد مدعويه إلى أفضل الذكر وكما جاء في الحديث: (ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟ فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك)، فإن الدلالة على أفضل أنواع الذكر حث عليها وإرشاد إلى ما هو أفضل وأعظم أجرًا، وطاعة لله وذكره، فذلك من حق تقاته، ودلالة على قوة معرفة العبد بالله تعالى، قال ابن رجب الحنبلي: "كلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله، ولهذا يُلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس، وتصير (لا إله إلا الله)، لهم كالماء البارد أهل الدنيا، كان الثوري ينشد:

لا لأني أنساك أكثر ذكرا ... ك ولكن بذاك يجري لساني[2]

ثالثًا- من آداب المدعو: الاقتداء بأصحاب رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى:

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم الأنموذج التطبيقي والمثل الحي الأمثل في الاقتداء برسول الله ﷺ وذلك لم يكن مقتصرًا فيهم على شريحة دون أخرى وإنما كان نمطًا عامًا وأسلوب حياة، يعم الجميع الرجال والنساء، الكبار والصغار كما جاء في الحديث من تسبيح تلك الصحابية الفاضلة رضي الله عنها، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ عل امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به، لذا ينبغي على المسلم الاقتداء بصحابة رسول الله ﷺ في ذكر الله تعالى والإكثار من ذلك.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات، حسني أدهم جرار، ط١، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ١٧٤.

(٢) انظر: هداية المرشدين، علي محفوظ ص ٧٢.

قال ابن القيم: "الذكر هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون وفيها يتجرون وإليها دائمًا يترددون، زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء، واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته"[١]، والذكر حياة القلب، قال رسول الله ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[٢]، وهذه إشارة إلى أن الذكر من أعظم أسباب حياة القلوب، قال ابن تيمية: "الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا خرج من الماء؟"[٣].

وقد أمر الله تعالى بالذكر في كثير من آيات القرآن، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾[٤]، ونهى عن ضده من الغفلة والنيسان كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٥][٦].

إن الذكر قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقوة الأبدان، وحبيب الرحمن، إنه درع المؤمن، وسلاح المسلم، وقوة الموحد، ورفعة العابد، وطيب النفوس، وجلاء الهموم، وذهاب الغموم.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... فنترك الذكر أحيانًا فننتكس

به تكشف الكربات، وتعظم القربات، وتعلو الدرجات، وتدفع الآفات، وتجلب البركات، وتجلى الظلمات، ملجؤ في النوازل، ومفزع في المخاطر، وملاذٌ في الشدائد، إنه عبودية للقلب واللسان لا حدّ لها ولا وقت، ولا عذر لمن تركها، فهو سمة المؤمن في كل أحواله قائمًا وقاعدًا مفيقًا وراقدًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٢٣ - ٤٢٤، صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٣ - ١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٥٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٠٥.

(٦) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤٤٢.

ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١].

الذكر.. دليل على الولاية، وبرهان على الحب، وغراس للجنة، وضمان للمغفرة، يجلو صدأ القلوب، ويزيح غشاوة الأبصار، ويفتح آفاق الأذهان، ويزيل وقر الأسماع، وبكم الألسن. يزين الله به ألسنة الذاكرين كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء. إن الدين كله لإقامة ذكر الله، فالقرآن ذكر: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾[٢]، والصلاة ذكر: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[٣]، والحج شرع للذكر: ﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾[٤].

إن الذكر لا يقوم مقامه شيء، ولا يعدله شيء ولا يوازيه شيء"[٥].

به يسبق أصحابه، ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ. فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ. فَقَالَ: ((سِيرُوا. هَذَا جُمْدَانُ. سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ)) قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ))[٦].

وعن أبي عبدالله بن بسر رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يا رَسُولَ الله إنَّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قالَ: ((لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله))[٧].

---

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٣) سورة طه، آية: ١٤.

(٤) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٥) انظر: كتاب (الله) أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٧) أخرجه الترمذي ٣٣٧٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٦٨٧).

الحديث رقم (١٤٤٥)

١٤٤٥- وعن أَبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((الا ادُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟)) فقلت: بلى يَا رسولَ الله قَالَ: ((لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

الحديث ترغيب بليغ في الذكر بصيغة (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ) وقول أبي موسى رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) يشير إلى اعتزازه، وسروره بما خصه به رسول الله من إخباره بهذا الكنز؛ لأنه صار كنزا له - وإن كان كنزا لكل من قال به - ولكن الأمر مختلف بالنسبة له؛ لأنه هو الذي أخبر به عن الرسول ﷺ فهو الذي دل على هذا الخير، فله أجر من عمل به إلى يوم القيامة، أرأيت كيف صار كنزا له ؟ ولذلك نجده في بناء العبارة يقدم الجار والمجرور (لي) على الفاعل لإفادة الاختصاص أي اختصني بهذا القول دون غيري، ثم إن صيغة الماضي (قال) تدل على الثبات، والتحقق، وقول الرسول ﷺ (ألا أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟) استفهام عرض وتشويق أما العرض فيفهم من أداة العرض (ألا) وأما التشويق فيفهم من قوله (أدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟) لأن الدلالة هداية إلى الخير، والتعبير بالكنز يوحي بخير كثير ليس فيه جهد كبير مع غلوه، وارتفاع قيمته وقوله (من كنوز) يشير إلى الكثرة وإضافة الكنوز إلى الجنة تعطيها أبعادا إيحائية تتخطى به حدود الكنوز المعروفة في الدنيا، لأن كل ما يتصل بالجنة ينصبغ بصبغة الخلود، وهي أهم صفات النعيم التي تمنع تنغيصه بفكرة زواله لاسيما مع عظمته التي تجعل فكرة التخلي عنه، وفقدانه من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٩)، ومسلم (٢٧٠٤/٤٤) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه من حديث أبي ذر (٢٣٥٠)، ومعاذ بن جبل (٢٣٤٧).

أكبر المنغصات ثم إن اتصاله بالجنة يجعل العقل يذهب في تخيله كل مذهب مع اعتقاده بأنه فوق ما تصور، وقول أبي موسى - رضي الله عنه- (بلى يا رسول الله) إجابة متوقعة مفعمة بالشوق لما تفضي عنه مما يتعلق بالكنز، وقول الرسول ﷺ (لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ) يحمل تفويضا لله في التصرف، والملك والقوة يتضمن اعترافا بصفات كماله ونعوت جلاله يتهالك المؤمن معها في إحساسه بذله، وضعفه مع مطالعة قدرة الله، في بسط سلطانه، وقهره، وتضؤل كل قدرة بجانب قدرته إلى درجة الخفاء، والعدم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله.

أولاً - من أساليب الدعوة: الاستفهام:

ورد أسلوب الاستفهام في الحديث في قوله ﷺ: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة)، وأسلوب الاستفهام من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من لفت نظر المدعوين إلى ما يريد الداعية إبلاغهم به، وتقرير حقيقة من حقائق الدعوة، وقد ورد هذا الأسلوب في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[3]، قال النسفي: "وهذا استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع،

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة الصف، آية: ١٠.

(٣) سورة النازعات، آية: ١٥.

والتشريف للمخاطب به"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على المدعوين ودلالتهم على الخير:

إن ما جاء في الحديث من دلالته ﷺ على كنز من كنوز الجنة: (ألا أدلك على كَنزٍ من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله)، دلالة قوية على ما ينبغي أن يكون عليه أتباعه الدعاة إلى هديه من حرص على المدعوين ودلالتهم على الخير، فذلك شأن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن على سَنَنِهم من العلماء العاملين والهداة الراشدين، والعظماء والمجاهدين[٢].

فإن دلالة المدعوين على الخير والحرص على منفعتهم تتبوأ في حياة الداعية المكانة السامقة باعتبارها رسالته التي من أجلها وُجِد وفي سبيلها يتحرك، ولولاها لم تكن دعوة ولا داعية، وعد تعليم الناس العلم وتوجيههم، أفضل من الصلاة النافلة باعتبار نفعها يقتصر على صاحبها ونفع العلم له ولغيره، من أجل ذلك حرصت تعاليم الإسلام على ضرورة القيام بالدعوة إلى الله تعالى والأخذ بيد الناس نحو المنهج الأقوم والسبيل الأرشد[٣]، يقول تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٤]، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((فو اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بكَ رجُلاً واحدًا خيرٌ لكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

قال النووي: "(فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن تكون لك حمر النعم)، هي الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وهذا التشبيه لأمور الآخرة بإعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الإفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو

---

(١) تفسير النسفي ص ١٣١٨.

(٢) هداية المرشدين، الشيخ علي محفوظ ص ٧٢.

(٣) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى، د. طلعت محمد عفيفي سالم ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٦.

تصورت"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله:

جاء في الحديث التصريح ببيان فضل قول: (لا حول ولا وقوة إلا بالله)، بأنه كنز من كنوز الجنة، فعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله).

قال القاضي عياض: "وقوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قل: لا حول ولا وقوة إلا بالله العلي العظيم)، هذه كلمة استسلام وتفويض واعتراف بالعجز، وأن العبد لا يملك مع الله شيئًا، ولا يملك من دونه كما قال أهل اللغة: معناه: لا حول، لا حيلة، يقال: ما للرجل حيلة ولا حول ولا احتيال ولا محالة ولا محال ولا محتال، وقيل: الحول: الحركة، أي لا حركة، ولا استطاعة إلا بالله. قال ابن مسعود ﷺ: معناه: لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله. ومعنى (كنز الجنة): أي: أجر مدخر وثواب مخبأ ظاهره لقائلها، وقيل: بل لمن اتصف بذلك، وتبرأ من حوله وقوته، وفوض أمره إلى الله تعالى، ولمن قالها عن صدق نيته وتحقيق ضميره"[٢].

وقال ابن حجر: "سميت هذه الكلمة كنزًا لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته عن أعين الناس"[٣]، وقال النووي: "قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره ولا رادَّ لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنى الكنز هنا: أنه ثوابٌ مدخر في الجنة وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم"[٤]، وهي من الباقيات الصالحات، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٥].

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٤٧١.

(٢) إكمال المعلم ٢٠٠/٧.

(٣) فتح الباري ١٩٢/١١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٣.

(٥) سورة الكهف، آية: ٤٦.

وقال محمد تقي العثماني: "قوله: (ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟) سمى النبي ﷺ الحوقلة كنزًا من كنوز الجنة، لأنها كلمة استسلام وتفويض واعتراف بأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، وليس له حيلة في دفع شرّ ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: معناه: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله تعالى، ولا قوة على الطاعة إلا بعون الله تعالى، حكاه الأبي عن القاضي عياض.

والحول: الطاقة، وقيل: معناه: لا يحول العبد عن معصية الله إلا بتوفيق الله ومعنى كون هذه الكلمة من كنوز الجنة أن قولها يحصل ثوابًا نفيسًا يدخر لصاحبه في الجنة"[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ))، قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((التَّكْبِيرُ، والتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللَّهِ))[2].

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]: "كثيرًا من الأقوال في بيان أن الحوقلة من الباقيات الصالحات، منها ما قاله محمد بن عجلان، عن عمارة قال: سألني سعيد بن المسيب عن (الباقيات الصالحات) فقلت: الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله"[4].

وقد جاءت النصوص الكثيرة في بيان فضل قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) منها ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن تَعارَّ منَ الليلِ فقال: لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير. الحمدُ

---

(١) تكملة فتح الملهم ١١/٤٣٥، ٤٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٢٧٥، رقم ١٧١٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن لغيره ١٨/٢٤١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢.

للّهِ وسبحان الله ولا إلهَ إلا اللّهُ واللّهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللّهِ. ثم قال: اللهمَّ اغفِرْ لي - أو دَعا - استُجيبَ لهُ. فإنْ توضَّأَ قبلَتْ صلاتُه))[1].

والحوقلة يراد بها إظهار الفقر إلى الله تعالى بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، وهو حقيقة، وقيل المعنى: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بمعونة[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، قال: "لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ١١٥٤.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٣٩٨/٤.

(٣) الدر المنثور، السيوطي ٣٩٣/١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الروحية:

إن وشيجة ارتباط المتربي بالله تعالى، من أعظم دعائم التربية في ثبات النفس وحفظها من شواغل الدنيا وزوالقها، وذكر الله من أعظم هذه الوشائج الروحية التي يناط بالمربين والمعلمين إقامتها ورعايتها في نفوس المتعلمين، وهذا ما بينته أحاديث الباب.

"وقد حرص الإسلام على ربط قلوب أتباعه بالله عز وجل، فشرع لهم العبادات من صوم وصلاة وحج وزكاة، منها ما يتكرر في اليوم مرارًا، ومنها ما يتكرر كل عام، ومنه ما تجزئ منه مرة في العمر.

ولكن الذكر يتصل في كل أحيان الإنسان وأحواله، ويطيقه الكبير والصغير والصحيح والمريض، وهو يكفل دوام الصلة القلبية بالله عز وجل، ويمنع قساوة القلب، ويزيل ما يعتريه من الغفلة، ويغسل عنه الران، ويملؤه بحب الله ورسوله وحب الإيمان، ويرغبه في التقرب إلى الله بشتى الطاعات.

كما أن تنوع الأذكار حسب المناسبات والأحوال يولد الترابط بين المؤمن وما حوله من أشياء وأحداث، فتكون سببًا في تذكيره بعظمة الخالق وقدرته وحوله وقوته، وقد وصفت عائشة رضي الله عنها دوام ذكر رسول الله ﷺ لله تعالى، فقالت: «كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1]. أي في حال قيامه ومشيه وقعوده واضطجاعه، وسواء كان على طهارة أو لم يكن.

وقد اقتدى به أصحابه والتابعون، ومن بعدهم من أجيال الصالحين، فكان بلال رضي الله عنه يذكر الله، والمشركون يعذبونه بالرمضاء، يقول: أحد أحد، وكان الحسن البصري يقضي وقت فراغه بالذكر، يقول: سبحان الله العظيم، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم، ٣٧٣.

كان عامة كلام محمد بن سيرين: «سُبْحَانَ اللّه وَبِحَمْدِهِ. سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ»[١][٢].

"وكان من الأمور التي تساعد دعاة التربية والتوجيه على غرس ذكر الله في قلوب المتعلمين، هو اصطحابهم لمجالس الذكر: كالمحاضرات، والندوات التي تعقد في المساجد وغيرها؛ فهي ما يثري الولد بالمعلومات، ويمده بالخير، ويعده لمواجهة الحياة، ويجيب على أسئلته التي تتردد في ذهنه، كما أنها تغذيه بالإيمان، وتربط على قلبه، وتربيه على أدب الاستماع"[٣].

ثانيًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن من أبرز معالم التربية الإسلامية، والتي تراءت في أحاديث الباب هي التربية بالترغيب والترهيب، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله بعظيم الثواب، وجزيل الأجر، كما ورد في مجمل الأحاديث، ورهب ﷺ في هجر الذكر وتركه بقوله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ، وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ اللَّهَ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ». وقوله ﷺ: «مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ».

والتربية بالترغيب والترهيب، من أعظم الأساليب التربوية التي تتماشى مع الطبيعة البشرية، والتي لا يستغنى عنها المربي في كل زمان ومكان إذا لا يمكن أن تجدي التربية، وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه. فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة. مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر. والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي، وتحض المعلمين والمربين على استخدامه بقدر ما يناسبه[٤].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٥١٦، ٥١٧.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ٨٧-٨٩.

(٣) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم محمد، ١٥٠.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

ثالثًا- التربية بالتلقين والتعويد:

نقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية، ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد، وقد ورد التلقين كأسلوب تربوي في أحاديث الباب من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ «قُلْ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.....الحديث»، وقوله ﷺ لأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها: «ألاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقولِينَهَا: سُبْحَان الله عَدَدَ خَلْقِهِ... الحديث»، وقوله ﷺ عندما دخل على امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ فَقَال: «أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هذَا أَوْ أَفْضَلُ؟ فقَال: سُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في السَّمَاءِ... الحديث».

أما التعويد كجانب عملي في التكوين والإعداد فقد ورد في حديث الباب من قوله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ اللّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ اللّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ ... الحديث».

والتلقين والتعويد من مناهج التربية الإسلامية في إصلاح وتوجيه النشء المسلم، والتي يجدر بأهل التربية انتهاجها في بناء وإصلاح النفس.

"ولما كانت قابلية وفطرة النشء منذ صغره في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى... كان لزامًا على المربين من آباء وأمهات ومعلمين... أن يركزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة، وفي ذلك قال الإمام الغزالي: "والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن النبي ﷺ أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لقوله ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»[1]. وهذا هو الجانب النظري.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، ٤٦٦).

أما الجانب العملي فهو تعليم الولد أحكامها، وعدد ركعاتها، وكيفيتها، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة، وأدائها في المسجد بجماعة.. حتى تصبح الصلاة في حقه خلقًا وعادة.

فعلى المربين أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل، ويعطوا لتربية أولادهم حقها في التلقين والتعويد، والتأديب والتهذيب... فإذا فعلوا ذلك.. يكونون قد اضطلعوا بمسؤولياتهم وقاموا بواجباتهم، وبرّؤوا ذمتهم أمام الله، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام، ورسخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن، والمجتمع المسلم، والأمة الصالحة....، وما ذلك على الله بعزيز"[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٦٧٨-٦٨٣.

٢٤٥- باب ذكر الله تَعَالَى قائمًا أَوْ قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلاَّ القرآن فلاَ يحل لجنب وَلاَ حائض

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

الحديث رقم (١٤٤٦)

١٤٤٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتناول في إجمال حال الرسول ﷺ مع ذكر الله ترويه الحبيبة المقربة إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لأنها أكثر الناس ملازمة له بحكم علاقتها كزوجة من ناحية، ولكونها الأحب من ناحية أخرى، وإن كان يعدل بين أزواجه في المبيت، وقد كانت أكثر زوجاته نقلا عنه وقد اختصت بنقل دقائق حياته التي لا تطلع بها إلا من كانت لها هذه الصفة من القرب منه، وقولها (كان رسول ﷺ) يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، وفي هذا الحديث تشير كان إلى العادة حتما، وعلى الدوام، لأنها تقرر اتصال ذكر الرسول ﷺ في كل حين حتى، وإن نام فإن عينه تنام، وقلبه لا ينام، لأنه على اتصال دائم بالله تعالى وقول أم المؤمنين (يذكر الله على كل أحيانه) الفعل المضارع الذي يفيد التجدد، والحدوث لا يعني انقطاعه عن الذكر ثم تجديده، وإنما يشير التجدد إلى الانتقال من نوع من أنواع الذكر إلى نوع آخر

---

(١) برقم (٣٧٣/١١٧)، وأورده البخاري عقب الحديث رقم (٦٣٣، كتاب الأذان، باب ١٩) معلقًا.

كانتقاله من الذكر بالصلاة إلى الذكر بقراءة القرآن أو إلى الذكر بصيغة من الصيغ التي سبقت في أحاديث الباب فهو متقلب في أنواع الذكر لا يخلو عنها من واحد، وهو ما صوَّرته أم المؤمنين بالمضارع (يذكر) ويؤكد ذلك لفظ الشمول (كل) الدال على الشمول، والمضاف إلى الظرف المجموع (أحيان) المضاف إلى الضمير العائد على الرسول ﷺ تأكيدا على هذا الدوام في الذكر وعدم الانقطاع عنه، فعلى وفود المقتدين به في كل زمان، ومكان أن يتمثلوا حاله بدوام الاتصال بالله على قدر الطاقة فهو الفلاح المبين، فما ترك هذا العمل من تركه لمشقته، وكلفته فإنه أيسر الأعمال، وإنما الموفق من وفقه الله تعالى-.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مداومة النبي ﷺ ذكر الله في كل أحيانه:

جاء ذلك في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، قال ابن عثيمين: "أي على كل الأزمان، في كل زمن يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، ففي هذا دليل على أنه ينبغي لك أن تكثر من ذكر الله في كل حال"[1]، ولقد نقل الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أذكارًا متنوعة، في أوقات مطولة ما يدل على ذكره ﷺ لربه في غالب أحيانه، من ذلك ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنّا معَ النبيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ من عُسفانَ ...، فلما أشرَفنا على المدينةِ، قال: ((آيبونَ، تائبونَ، عابدونَ لربنا حامِدون. فلم يَزَلْ يقول ذلكَ حتّى دَخَل

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٢٧.

المدينة))[١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبيُّ ﷺ صلاةً بعدَ أن نزلت عليه (إذا جاءَ نصرُ الله والفتحُ) إلا يقول فيها: ((سبحانك ربَّنا وبحمْدك، اللّهُم اغفرْ لي))[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ))[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاقتداء بالنبي ﷺ في المداومة على ذكر الله في كل وقت:

لقد أرشدنا تعالى إلى الاقتداء برسول الله ﷺ واتباع سننه، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤]، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٥]، ومنها مداومته ﷺ على الذكر، كما جاء في قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، فكان ﷺ يذكر الله تعالى متطهرًا ومحدثًا وقائمًا وقاعدًا ومضطجعًا وماشيًا اللهم إلا ما استثنى بكراهة الذكر عليه من جلوس على البول والغائط، وفي حالة الجماع وغير ذلك[٦]، فإن الإكثار من الذكر من الآداب التي تنبغي للذكر، فالإكثار من الذكر والإخلاص وحضور القلب وتواطؤ القلب واللسان عليه من آدابه[٧].

قال ابن القيم: "وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكر معانيه ومقاصده"[٨].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٨٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩١/٦.

(٦) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٣٣٤.

(٧) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠٠.

(٨) الوابل الصيب ص ٢٦٠.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا﴾[١]، وإن الإقتداء برسول الله ﷺ في ذلك لمن الآداب الدعوية التي تعين على الإكثار من ذكر الله تبارك وتعالى.

قال القاضي عياض: "وقوله: (كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه)، دليل أنه لا يمنع من على غير طهارة من ذكر الله تعالى"[٢].

إلا أن الأولى والأفضل أن يكون الذاكر لله تعالى على أفضل الأحوال وأكمل الصفات.

قال النووي: "ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالسًا في موضع استقبل القبلة وجلس متذللاً متخشعًا بسكينة ووقار مطرقًا رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك - أي ترك الذاكر ذلك - بغير عذر كان تاركًا للأفضل، وينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خاليًا نظيفًا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور، ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع الشريفة، وقد جاء عن أبي ميسرة رضي الله عنه قال: «لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب»، وينبغي للذاكر أيضًا أن يكون فمه نظيفًا، فإن كان فيه تغيُّرٌ أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسة أزالها بالماء، فإن ذكر ولم يفعل فهو مكروه، وليس بحرام، وهو محبوب في جميع الأحوال، إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها منها: عند الجلوس على قضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة لأن عليه الاشتغال بالقراءة، وفي حالة النعاس وغيره"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في الإكثار من ذكر الله تعالى ببيان أن ذلك كان حال النبي ﷺ، فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله في كل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤١.

(٢) إكمال المعلم ٢/٢٢٧.

(٣) الأذكار، النووي ص ١٧ - ١٨.

أحيانه، وأسلوب الترغيب من الأساليب المجدية في الدعوة، لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفعل الطاعات والحث عليها، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[1].

ولقد حفلت آيُ الذكر الحكيم بالآيات المرغبة في عمل الخير بالجنة وما فيها من أجر عظيم وثواب جزيل، منها قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

كما وردت الأحاديث الكثيرة أيضًا في الترغيب فيما عند الله، ومنها ما ري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ. ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ. ثُمَّ قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ. وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ. رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ. لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ. آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ. وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلاَمِكَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ)). قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. قَالَ: ((قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ))[3].

إن أسلوب الترغيب من أجدى الأساليب الدعوية وأعظمها نفعًا، ولا أدلّ على ذلك من أن الإسلام هذا الدين العظيم، والنهج الأكمل يربي الناس على الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، فكما أن هنالك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس، ويهز الأفئدة، ويرهب القلوب، فإن هنالك من آيات الترغيب وأحاديث الرجاء

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٧، ومسلم ٢٧١٠ واللفظ له.

ما يطمئن النفس، ويسلي القلب ويؤنس الخاطر، ويبعث على الأمل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[4].

إن الواجب على العالم في علمه، والمربي في تربيته، والواعظ في وعظه أن يجمع بين الأمرين، ويقرن بين الحسنيين، ويمزج بين الغرضين، فليس التخويف بمفرده سبيل للعلاج، وأداة للتقويم، وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل، والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب، ونصوص الرجاء أكثر عددًا وأجمل موقعًا، وألذ سماعًا، وأطرب استمتاعًا.

والرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة، ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل، مقرونًا بالطاعة، ممزوجًا بالعطاء، فليس معنى الرجاء أن ينغمس المرء في الذنوب، ويتقاعس عن الطاعة، ويتنكر للعبادة، ويفرط في الحقوق، ويضيع الواجبات، ثم يرجو النجاة من النار والفوز بالجنة، بل هو يعمل ويرجو، ويجتهد ويطمع، ويبذل ويرغب، وهو معترف بتقصيره مقرٌّ بذنوبه، مؤمل في نيل غفران ربه.

وإذا تأملت الآيات القرآنية أدركت هذه الحقيقة وآمنت بهذا المبدأ:

انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٤) سورة القارعة، الآيات: ٦ - ٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2][3].

---

(١) سورة فاطر، الآيتين: ٢٩ - ٣٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٩.

(٣) انظر: كتاب الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٦٦٤ - ٦٦٥.

الحديث رقم (١٤٤٧)

١٤٤٧- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

من عظمة الإسلام أنه أحاط المسلم برعايته، وعنايته حتى قبل أن يخلق يوم كان ماءً في ظهر أبيه يرعى انتقاله في سلامة من الشيطان إلى بطن أمه ليكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يتم مراحل حياته في أطوار نموه محفوظا من عدوه في عالم الغيب بالاستعانة بالله، وحفظه، وقد جاء حديث الرسول ﷺ لينبه على فكرة لا تخطر على قلب إنسان، ولا يتحدث بها إلا نبي، وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط لربط قول الدعاء المذكور في التوقيت المحدد وقت إتيان الأهل بتحقق الحفظ من ضرر الشيطان لما قدر بينهما من الولد، وقوله يعلق امتناع الضرر على تحقق القول، ولفظ (أحدكم) يفيد تعميم هذا الحكم وقوله (إذا أتى أهله) كناية عن الجماعة، والمقصود بالأهل الزوجة خاصة، وهو مشهور في تعبير العربي وقوله (بسم الله) أي ابتدأ باسم الله، وتتضمن الاعتراف بالنعمة التي أنعمها على العبد برزقه لذة من حلال ومتعة مع أجر، في الآخرة، ورجاء فضل في الدنيا بالرزق بالولد، وقوله (اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا) هو حماية لهذا المولود من الشيطان، ومنع للشيطان من مشاركة الإنسان في جماعه، فإذا كان المؤمن يغار من أن يشاركه حلاله، - ولو بأقل القليل - أي إنسان، فكيف يرضى بأن يشاركه زوجه، وولده شيطان، والعياذ بالله، وَقَوْلُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤١) واللفظ له، ومسلم (١٤٣٤/١١٦).

عَلَيْهِ السَّلَامُ " لَمْ يَضُرَّهُ " يُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ عَامًّا يَدْخُلُ تَحْتَهُ الضَّرَرُ الدِّينِيُّ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُؤْخَذَ خَاصًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الضَّرَرِ الْبَدَنِيِّ بِمَعْنَى أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَبَّطُهُ، وَلَا يُدَاخِلُهُ بِمَا يَضُرُّ عَقْلَهُ أَوْ بَدَنَهُ وَهَذَا أَقْرَبُ وهذه الجملة هي جواب الشرط تقضي بتحقق الحماية في عالم غيبي لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيه بحماية إلا بهذا الدعاء، والله خير حافظا، وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل أن يأتي الرجل أهله.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى قبل أن يأتي الرجل أهله:

إن ذكر الله تعالى مستحب في جميع الأوقات والأحوال، ومن ذلك ذكر الله تعالى قبيل الجماع فإن في ذلك سبب لتحصيل البركة في المولود وصلاحه، وأن ترك الذكر يكون سببًا في سيطرة الشيطان عليه[1]، وهذا ما ورد في قوله ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره).

قال النووي: "قال القاضي: قيل: المراد: بأنه لا يضره أنه لا يصرعه شيطان، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته بخلاف غيره، قال: ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والوسوسة والإغواء، هذا كلام القاضي"[2].

وقال القرطبي: "وقوله: (لو أن أحدهم إذا أتى أهله...) قيل: معنى لم يضره: لم يصرعه الشيطان وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته، ومقصود هذا الحديث والله تعالى أعلم أن الولد الذي يقال له ذلك يُحفظ من إضلال الشيطان وإغوائه، ولا يكون للشيطان عليه سلطان، لأنه يكون من جملة العباد المحفوظين، المذكورين في قوله

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٦٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ٨٩٧.

تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[١]، وذلك ببركة نية الأبوين الصالحين، وبركة اسم الله تعالى، والتعوذ به، والالتجاء إليه. وكأن هذا شوب من قول أم مريم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢]، ولا يُفهم من هذا نفي وسوسته، وتشعيثه، وصرعه. فقد يكون كل ذلك، ويحفظ الله ذلك الولد من ضرره في: قلبه، وعاقبة أمره. والله تعالى أعلم[٣].

وقال ابن علان: "لم يضره: أي: الشيطان، وحذف المعمول ليعم، والمراد: أن الضرر الناشئ من تسلط الشياطين كالصرع وإلقاء الوسوسة في الصدر يندفع بقوله هذا عند إرادة الجماع"[٤].

فإن لجوء الإنسان إلى ربه في هذه الحال واستعاذته به من الشيطان من أن يضره أو يضر أهله أو يضر ما يقدره الله له من ولدٍ من الأمور المستحبة التي تجعل الإنسان في حصن حصين من الشيطان، فالاستعاذة صمام أمن في الحياة وُجّنة من كل خطر وتجنب الإنسان الضرر سواء كان حسيًا أو نفسيًا[٥].

والحكمة في ذلك أن الشيطان له مشاركة في الأموال والأولاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[٦].

قال ابن كثير: قال ابن جرير: وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله ووأده وغير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخصص بقوله

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٦.

(٣) المفهم ١٥٩/٤ - ١٦٠.

(٤) دليل الفالحين ص ١٥٠٦.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢٢٦/٢.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٦٤.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَٰلِ وَالأَوْلَٰدِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصي الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة.

وهذا الذي قاله مُتَّجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال: ((يقول الله عز وجل: إنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ. فجاءتهم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ. وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ))[1] وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((لو أنَّ أحدَهم إذا أرادَ أن يأتيَ أهلهُ قال: باسم اللّه، اللهمَّ جنِّبْنا الشيطان وجنِّب الشيطان ما رزَقتنا، فإنه إن يُقدَّرْ بينهما ولدٌ في ذلك لم يضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا))[2]"[3]. فإذا دعا المسلم بهذه الدعوة سلم من هذه المشاركة ووُقي من شره"[4].

وتتجلى أهمية الاتباع للهدي النبوي في ذلك في الامتثال والاتباع لهدي النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[6]، وذكر الله عند إتيان الرجل أهله من أكبر الأسباب في وقاية الولد من الشيطان، كما جاء في الحديث: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

فما أروع هذا التوجيه النبوي الذي يدعو إلى البدء بذكر الله عند هذه الحال للإعلان عن هدفها السامي وطهارتها بخلاف نظرية بعض الأديان الأخرى التي تعتبر

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١، ومسلم ١٤٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥/٩٤ - ٩٥.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر القسمان الثالث والرابع ص ٣٠٢.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

هذه العملية قذارة ولوثة مما هو يصطدم مع الفطرة السليمة [١]، فما أجمل تعاليم الإسلام إذ تصبغ كل شيء في الحياة بذكر الله تعالى واستحضاره، إضافة إلى ما في ذكر الله تعالى من اعتراف بنعمه المتوالية، وآلائه المتتالية، وشكر له على تفضله وإنعامه وجوده وإحسانه، وفيه لجوء إليه وحده، واعتماد عليه دون ما سواه بالتعوذ به سبحانه من نزغات الشيطان[٢]، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد، وهو أصل كل مقام وقاعدته التي يبنى ذلك المقام عليها، كما بني الحائط على أُسَّه، وكما يقوم السقف على حائطه[٣].

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد ذلك في الحديث في الترغيب في ذكر الله إذا أتى الرجل أهله ببيان أن ذلك وقاية من ضرر الشيطان للولد، فقال ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره).

وفي ذلك ترغيب للمسلم أنه ينبغي عليه الإكثار من ذكر الله في كل حال، ومن ذلك عند إتيان الرجل أهله"[٤].

إن أسلوب الترغيب من أنفع الأساليب الدعوية وأجداها وذلك لملائمته لطبيعة النفس التي لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها، وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ - لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه [٥].

والترغيب له بالغ الأثر في غرس الطموح وعلو الهمة في قلب المؤمن وتطلعه دائمًا إلى الأفضل والأحسن وإحراز الخير ولا سيما الذي رغب فيه الشرع ودعا إليه الإسلام.

---

(١) تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، ط/٦ دار الفكر للنشر والتوزيع: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٢٥.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، القسمان الثالث والرابع ص ٨.

(٣) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ص ١٣٢.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٥٢٧/٢.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الانشغال بذكر الله:

إن منهج التربية الإسلامية يَرقُبُ في المسلم أن يكونَ ذا يقظة دائمة، فلا تختلجه وهده في أخلاقه، ولا تعتريه سقطه في سلوكه وآدابه، فهو منهج رفيع ينشد الكمال في تربية أبنائه، وحتى يتسنى تحقق ذلك رغم ما تعتريه الدنيا من فتن وشواغل، فقد أوجب هذا المنهج التربوي الفريد عدم الغفلة عن ذكر الله؛ "لما فيه من إنقاذ النفس من آلامها وأتعابها واضطرابها"[1].

وهذه ما جسده المربي الأول محمد ﷺ في حديث الباب من قول عائشة رضي الله عنها: «كانَ رسول الله ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ».

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الانشغال بذكر الله في نفوس المتعلمين كان عليهم ما يلي:

١ - مطالعة القلوب لأسمائه تعالى وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبها في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله انشغل بذكره في كل حالة"[2].

٢ - تعاهد المتعلمين والمتربين بسيرة السلف الصالح في انشغالهم بذكر الله.

يقول أبو بكر الكتاني:

إنه قد جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى - أيام المواسم - فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا. فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرقت قلبه أنوار هيبته، وصفا شربه من كأس وُدِّه، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك

---

(١) لا تحزن، د. عائض القرني، ص٣٥ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٤٤٩/٣.

فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين"[١].

٣ - مراعاة التدرج في غرس الانشغال بذكر الله في قلوب المتعلمين، فلا يُكلف المتربي من أول وهلة بضرورة بلوغه الكمال في ذلك، بل التدرج أبلغ في الثبات وأقوى على المداومة.

ثانيًا: التربية على التحرز من الشيطان:

لقد ناصب الشيطان العداء لبني آدم، ولذا فإن النبي ﷺ حرص على تربية المؤمنين على التحرز من الشيطان، وذلك من خلال ذكر الله والاستعاذة بالله منه، وأوجب ما يكون به التحرز من الشيطان هو ذكر الله تعالى. وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب في قوله ﷺ: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره".

وهذا ما بينه ابن القيم في قوله:

فلو لم يكن في الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة - أي التحرز من الشيطان - لكان حقيقًا بالعبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى وأن لا يزال لهجًا بذكره، فإنه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة، فهو يرصده فإذا غفل وثب عليه وافترسه. وإذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر وانقمع حتى يكون كالوصع وكالذباب، ولهذا سمي "الوسواس الخناس" أي: يوسوس في الصدور، فإذا ذكر الله تعالى خنس أي: كف وانقبض، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله تعالى خنس[٢].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق، ٣/٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢٩٥.

٢٤٦- باب مَا يقوله عِنْدَ نومه واستيقاظه

الحديث رقم (١٤٤٨)

١٤٤٨- عن حُذَيفَةَ، وأبي ذرٍ رضي الله عنهما، قالا: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ)) وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

النشور: الحياة بعد الموت، يقال نشر الميت ينشر نشوراً إذا عاش بعد الموت وأنشره الله أي أحياه[2].

الشرح الأدبي

يروي هذا الحديث صحابيان جليلان هما حذيفة، وأبو ذر - رضي الله عنهما - وهو ما يزيد الخبر الذي يرويانه توكيدا وقولهما (كان رسول الله ﷺ) يشير إلى أنها العادة الغالبة عند نومه أن يدعو بهذا الدعاء ويؤكده أسلوب الشرط في قوله (إِذَا أوَى إِلَى فِرَاشِهِ) والعبارة كناية عن إرادة النوم، والتهيؤ له وجملة الشرط قول هذا الدعاء (بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأموتُ) أي لا أنفك عن اسمك في حياتي ومماتي وهو إشارة إلى مقام

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٢، و٦٣١٤) من حديث حذيفة. والسياق للحميدي في جمعه (٢٨٥/١، رقم ٤٠٤): حيث قال: عن ربعي بن حراش، قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه، قال: (باسمك اللهمّ أحيا وأموت). وإذا أصبح. وفي رواية: إذا استيقظ قال: (الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور). وهذا لفظ حديث أبي حذيفة وتقدم برقم ٨١٧، وسيكرره المؤلف برقم (١٤٦٨)، الشطر الأول منه فقط.

(٢) النهاية في (ن ش ر).

التوحيد وقيل الاسم مفخم من قبيل سبح اسم ربك يعني أنت تحييني، وتميتني أراد به النوم، واليقظة فنبه على إثبات البعث بعد الموت، والتعبير بالإحياء، والإماتة عن النوم، واليقظة له بُعد نفسي وهو مقبل على النوم يشعره بالموت الأكبر لأنه في النوم يفارق روحه، ويغيب عن دنياه إلى عالم آخر ليس له فيه حول ولا قوة، وهو ما يشيبه في كثير من الوجوه حال الموت، وهذا الشعور يقرب له فكرة الموت، والبعث عن تجربة تقربه من اليقين مع بعثه على الاستعداد بصالح العمل، والاستغفار قبل كل نومة ينامها لا يدري إن كانت ستعاد إليه روحه أم لا، وقوله (وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ :((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بعْدَ مَا أماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ) أسلوب شرط آخر يشير إلى عادته في الدعاء عند اليقظة، وقد بدأ بالحمد المنبيء عن النعمة برد الروح والطباق بين الإحياء والإماتة يقرر الحمد على نعمته المستغرقة للحالتين، وقوله، (وإليه النشور) تكميل بلاغي قرر معنى يضاف إلى ما سبق وهو أن المرجع إليه عند البعث، وهو تسليم للقلب والروح لله خضوعا وذلا يحقق راحة نفسية تقابل تسليم الجسد خلودا إلى الراحة بما يحقق للمؤمن التوازن المعين على تحقيق الغاية بعد.

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف في بعض ألفاظ الحديث المشار إليه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتأمل:

إن من حكمة الله تعالى، أن جعل للإنسان في حياته أمورًا تشابه ما يحدث له في آخرته؛ ليكون دائم التذكر والاتصال بالله خوفًا ووجلاً وترقبًا للقائه تعالى، ولعل أبلغ ما جعله الحق في ذلك هو نوم الإنسان واستيقاظه، ففي النوم تذكر للموت، وفي الاستيقاظ تشبه بالنشور، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله ﷺ: إذا أوى إلى فِراشِهِ قالَ: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وأحْيا» وإذا اسْتَيْقَظَ قالَ: «الحَمْدُ للَّهِ الَّذي أحيانا بَعْدَما أماتَنا وإليهِ النُّشُورُ».

فيجب على المتربي والمتعلم "أن يتأمل ويتذكر عند نومه أنه نوع وفاه، وأن استيقاظه هو نوع بعث، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[1]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[2].

قال لقمان لابنه: يابني إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام كذلك تموت؛ وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد موتك فكذلك تبعث بعد موتك، وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن، واستقبل القبلة بوجهك، فإنها هي وفاة.

لذا يجب على المتربي والمتعلم أن يفتش عن ثلاثة عند نومه:

١- على ماذا ينام.

٢- ما الغالب عليه!! هل حب الله تعالى وحب لقائه أم حب الدنيا.

٣- ليتحقق أنه يتوفى على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفى عليه فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب"[3].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي، ٦٢٢/٢ باختصار.

ثانيًا- التربية على شكر الله تعالى:

إن أعظم الناس شكرًا لله محمد بن عبدالله ﷺ، فهو إمام الشاكرين وسيد العابدين، لقد امتزج الشكر بأنفاسه، وسار في عروقه، ورسخ في وجدانه، وهذا ما ترائى في حديث الباب من قول حذيفة وأبي ذر رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ.. إِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

ومن أعظم البلايا التي تصيب المرء، عدم استشعاره نعم الله تعالى عليه، وفي ذلك قال الشاعر:

وَمِنَ الرزِيَّةِ أَنَّ شُكْرِي صَامِتٌ ... عَمَّا فَعَلْتَ وَأَنَّ بِرَّكَ نَاطِقُ

أَأَرَى الصَّنِيعةَ منكَ ثُمَّ أُسِرُّها ... إني إذًا لنِدَى الكِرامِ لَسَارِقُ

والمرء إن نظر في نفسه وحاله ومن حوله، تربى على شكر الله جلَّ وعلا، فالله هو الذي خلقك -أيها المتربى-، وهو الذي رزقك، وهو الذي هداك للإيمان، وجمّلك بالإسلام، وأعانك على ذكره، ووفقك لشكره، فكل الفضل والمن والثناء والحمد والشكر له جل وعلا، ولكن مع ذلك فمن تمام نعمته، وعظيم بره، ووافر كرمه، ولطيف جوده، أن ينعم عليك ثم يوزعك شكر النعمة، ويوفقك إلى الثناء عليها، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك له، ويجعله سببًا لتوالي نعمه عليك، واتصالها إليك، ويمن عليك بالزيادة في الدنيا، والمغفرة في الآخرة، فهو يحب منك الشكر، ويرضاه لك، ويثيبك عليه، ومنفعته لك، وثمرته لك ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾[1][2].

لذا وجب على المتربي والمتعلم أن يعي عظيم شكر الله، بعدم الغفلة عن حمده تعالى، والثناء على جميل إحسانه، وعظيم امتنانه سبحانه.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٦٢٢.

٢٤٧- باب فضل حِلَقِ الذكر

والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف: ٢٨].

الحديث رقم (١٤٤٩)

١٤٤٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ عز وجل، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أعْلَمُ[1] -: مَا يقولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: يقولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا[2]، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيقُولُ: فماذا يَسْأَلونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْها؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فَكيفَ لَوْ[3] رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً، وأشدَّ لَهَا طَلَباً، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ[4] مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأَوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)). متفق عَلَيْهِ[5].

---

(١) عند البخاري زيادة: (منهم).

(٢) عند البخاري زيادة: (وتحميدًا) وليست عند المنذري فتبعه عليها المؤلف.

(٣) عند البخاري زيادة: (أنهم). وهي ليست عند المنذري.

(٤) (يتعوذون) لا توجد عند البخاري، وهي عند المنذري.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٠٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

وفي رواية لمسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إن للهِ مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً فُضُلاً يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِساً فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا، فإذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمْ اللهُ ﷻ - وَهُوَ أَعْلَمُ[٢] -: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أَيْ رَبِّ. قَالَ: فكيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالوا: ويستجيرونكَ. قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَاري؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغْفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَومُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يلتمسون أهل الذكر: يطلبونهم[٣].

هلموا: تعالوا، وأصلها من ها التنبيه، ومن: لُمّ أي: ضم نفسك إلينا[٤].

فيحفونهم بأجنحتهم: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[٥].

يمجدونك: يحمدونك ويعظمونك ويشرفونك[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٨٩/٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٢٦).

(٢) عند مسلم زيادة: (بهم).

(٣) النهاية في (ل م س).

(٤) القاموس المحيط في (هـ ل م).

(٥) فتح الباري (٢١٥/١١).

(٦) النهاية في (م ج د).

يتعوذون: يستجيرون ويعتصمون ويلجأون[١].

ملائكة سيارة: ملائكة سياحون في الأرض[٢].

فُضْلاً: زيادة عن الملائكة المرتبين مع الخلائق[٣].

عرجوا: صعدوا[٤].

ويهللونك: يوحدونك، يقال: هَلَّلَ الرجل قال: لا إله إلا الله[٥].

ويستجيرونك: يطلبون الجوار أي الأمان[٦].

الشرح الأدبي

الحديث من باب ما ورد في باب الترغيب في حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى جاء في حوار علوي بين الله والملائكة يقوم على السؤال، والجواب ومن المعلوم البين أن الاستفهام الصادر عن الله لا يقصد به حقيقته، وهي طلب الفهم لإحاطة الله بدقائق الكون، وإنما يقصد منه معاني بلاغية بحسب ما يقتضيه المقام وقوله تعالى، (ما يقول عبادي...؟) وقوله: (وهل رأوني ؟...) وقوله: (... وكيف لو رأوني؟...) هو استفهام إشادة، وتنويه بفضل الذاكرين من بني آدم، وتنبيه للملائكة إلى هذا الفضل وتلك المنزلة لأنهم ظنوا أنهم يفسدون في الأرض، ويسفكون الدماء، وأنهم هم الملائكة الذين يسبحون، ويقدسون، فلقد نبههم إلى خطأ ما اعتقدوا، وصدق الله فيما أخبر، وأن بني آدم يسبحونه، ولم يروه، فأشار إلى هذا بقوله :(وهل رأوني؟...) فإذا أجابوه بالنفي قال (فكيف لو رأوني؟...) والملائكة يسبحون الله، ويقدسونه عن علم يقين بخلاف إيمان بني آدم الصادر على غيب، وهكذا يكرر هذا الاستفهام زيادة في التنبيه، والتأكيد على فضل الذاكرين فيسألهم (فما يسألونني؟...)

---

(١) النهاية في (ع و ذ).

(٢) شرح مسلم، النووي (١٥٨٨).

(٣) النهاية في (ف ض ل).

(٤) النهاية في (ع ر ج).

(٥) المعجم الوسيط في (هـ ل ل).

(٦) ينظر شرح مسلم، النووي (١٥٨٩).

فيجيبون (الجنة) فيسألهم (وهل رأوها؟...) وهكذا يكرر الاستفهام التقريري للملائكة تأكيدا على أن إيمان بني آدم وكلفهم بذكر الله مع أنهم لم يروه، ولم يرو جنته ليطمعوا فيها، ولم يروا ناره ليخافوا منها، ولكنه كان إيمان، وحب لله عن غيب، قال القسطلاني في شرح الحديث: (والحكمة في سؤال الله الملائكة عن العباد بيان فضل بني آدم للملائكة الذين قالوا ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[1] أي: (فهم الآن يشهدون لبني آدم أنهم أيضاً يسبحون الله، ويمجدونه عن غيب مع وجود الشهوات عندهم، وخلو الملائكة عن الشهوات والصوارف فيكون ذلك اعترافا منهم بفضل بني آدم...)[2] اعترافا ممثل في هؤلاء الذاكرين، وفي هذا تنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة، وحضورها وتكريم لأهلها، ولمن حولهم ببركتهم حيث أنعم عليهم بفيض غامر من المغفرة أحاط بهم في قوله (فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم) ، وفاض على من حولهم ، وهو ما قرره خلال الحوار بين الملك وبين ربه: (يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) وهو ما يشير إلى مدى الحفاوة بالذاكرين، ويرغب غيرهم في الانضمام إليهم ومشاركتهم في هذا الفضل العظيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠

(٢) انظر الأحاديث القدسية جـ ١ صـ ١٧: ١٨.

سادساً: من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته.

سابعاً: من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق) والتوكيد من الأساليب الدعوية النافعة المقوية للدعوة، كما قال السيوطي: "إن التوكيد الغرض منه تقوية الكلام وإثبات صحته"[1]، وذلك ما يجعل الدعوة تقع في قلب المدعو موقع القبول والتسليم.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التوكيد كثيراً في تقرير قضاياه، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حضور الملائكة مجالس الذكر:

إن مجالس ذكر الله تعالى تجلب رحمات الله وتستهوي ملائكته، فهم يلتمسونها ويحفون بها، إن مجالس الذكر مجالس الملائكة كما أن مجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة، وقد ورد في صريح الحديث التماس مجالس الذكر ومناداة بعضهم بعضاً لحضورها وشهودها فقال ﷺ: (إن لله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا)، وفي رواية مسلم: (فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر

---

(١) انظر: الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عبدالرءوف سعد، ط/١ مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٩٨٩م، ٣١٤/١.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٩.

قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم) أي يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين[١]، ويحدقون بهم ويستديرون حولهم[٢].

وجاء هذا المعنى في أحاديث كثيرة منها ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال: ((لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))[٣].

وقد عدّ ابن القيم ذلك من فوائد الذكر، فقال في فائدة الذكر الثانية والخمسون: "إن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم إلا مجلس يذكر الله تعالى.

كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن لله ملائكة يَطوفون في الطرُقِ يَلتمِسونَ أهلَ الذكر، فإذا وَجَدوا قوماً يذكرون الله تَنادَوا هَلمُّوا إلى حاجَتِكم، قال: فيَحفُّونهم بأجنِحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم عز وجل - وهوَ أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: تقول: يُسبّحونك ويُكبرونك ويَحمدونك ويُمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لاوالله مارأَوك. قال: فيقول: كيفَ لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأَوكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً، وأشدَّ لك تمجيداً، وأكثر لك تَسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنَّة. قال: يقول: وهل رأَوها؟ قال: يقولون: لا واللهِ يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيفَ لو أنهم رأَوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوَّذُون؟ قال: يقولون: منَ النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فِراراً، وأشدَّ لها مخافة. قال: فيقول: فأُشهِدُكم أني قد غَفرتُ لهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٩.

(٣) اخرجه مسلم ٢٧٠٠.

قال: يقول مَلَكٌ من الملائكة فيهم: فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلَساء لا يَشقى جَليسهم))[١].

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم. فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾[٢]، فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤوم أين حل. فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين وكل مضاف إلى شكله وأشباهه وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه"[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

يتجلى هذا الأسلوب في الحديث فيما دار بين الله والملائكة من حوار: (فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا الله ما رأوك، قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة... قال فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، والحوار من أساليب الدعوة النافعة، وتتجلى قيمته في تأثيره في بناء مفهوم أو غرس قيمة، أو تأثير في النفس حثها على الاستجابة، ومن أشكال الحوار، حوار السؤال والجواب[٤].

ومنه ما جاء في الحديث من حوار بين الله وملائكته على هيئة سؤال وجواب، وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ واللفظ له، ومسلم ٢٦٨٩.

(٢) سورة مريم، آية: ٣١.

(٣) الوابل الصيب، ضمن مجموعة كتب الحديث ٣٤٥/٢.

(٤) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص ٤٧، ص ٨١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

إن الحوار العنصر الأساس للعلاقات الاجتماعية الإنسانية، ومنذ خلق الله تعالى آدم فإن كل العلاقات البشرية النافعة منها وغير النافعة ابتدأت بمرحلة الحوار، وبالتالي فإن الحضارات الإنسانية المترتبة على هذه العلاقات، إنما هي نتائج طبيعية للحوار الإنساني المعبر عن التفاعل والفكر المتبادل لبني آدم عليهم السلام.

ولا شك أن أرقى أنواع الحوار هو حوار الدعوة إلى الله تعالى، ذلك هو حوار الرسل وأتباعهم، لفطرة الإنسان، ليجلو عنها ما ران وغبر ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[1].

ومن جنس هذا الحوار: حوار الدعاة بينهم، للقيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، ولكي يكون هذا الحوار متجانساً في رقيّه مع مقصوده، ولكي يحقق التفاعل اللازم؛ لتكامل عناصر القوة والخير في الوجود الإسلامي، فلا بد من فهم واستيعاب الضوابط الشرعية التي تحقق هذا المقصد العظيم، ومن مقاصد الحوار:

أ/ قصد نفع الآخرين للتفاعل مع الرأي المقابل: وهذا هو المشروع الذي يكتمل فيه الخير ويزدهر.

والمقصود بالتفاعل هنا هو: مراجعة محاور الرأي، أو الاجتهاد المعروض من قبله بالنظر والاعتبار إلى ما يعقب عليه الآخرون من معارضة أو تقييد أو نحو ذلك، مما يقتضي التعديل، والصيرورة إلى حقيقة ما تقتضيه هذه التعقيبات من تعديل أو الإجابة عليها، وإثبات عدم اقتضائها لذلك التعديل.

إن هذا التفاعل هو من أعظم أسباب رقي المعرفة والأخلاق، كما أن فيه تحقيق معنى الأخوة والتناصح، وتحقيق قوله ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ))[2].

وفي هذا التفاعل يتحقق معنى الجماعة، وما فيها من الرحمة: في التناصح

---

(١) الكهف، الآيتان: ٣٧ - ٣٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١٠).

والتسديد، وما فيها من القوة: في إضافة الصواب إلى الصواب، وفي تحويل الخطأ إلى صواب.

ب/ قصد نفع الآخرين بلا تفاعل مع الرأي المقابل: فهذا يريد أن يلقي كلمته ويمضي، وهذا لا شك فيه قصور مع ما قد يكون فيه من النفع، بغض النظر عن مستوى هذه المحاور، فقد كان رسول الله ﷺ يتفاعل في حواره مع أبسط الناس:

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ مِنْ أهلِ نَجْدٍ ثائرَ الرأْسِ يُسمعُ دَوِيُّ صَوتِه ولا يُفْقَهُ ما يقولُ، حتى دَنا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عنِ الإسلام، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: ((خَمسُ صلَواتٍ في الْيَوْمِ والليلةِ. فقال: هَل عَلَيَّ غَيْرُها؟ قال: لا، إلاّ أنْ تَطَوَّعَ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: وَصِيامُ رَمَضانَ. قالَ: هلْ عَلَيَّ غَيرُهُ؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال وَذَكرَ له رسولُ اللّهِ ﷺ الزَّكاةَ، قال هلْ عَلَيَّ غَيرُها؟ قال: لا، إلاّ أن تَطَوَّعَ. قال فأدْبرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يقولُ: وَاللّهِ لا أزِيدُ عَلَى هذا ولا أنقُصُ. قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أفْلَحَ إنْ صَدَقَ))[1].

فمن لا يتفاعل فإنه يسور عقله وأخلاقه بسور يمنعه التصحيح إن كان مخطئاً، ويمنعه الارتقاء والإبداع فيما عنده من الخير، ثم يمنعه معرفة حقيقة قدره فيوقعه ذلك في أخطاء أخرى[2].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل سؤال الله تعالى الجنة والاستعاذة به من النار:

لقد جاءت النصوص متضافرة على أهمية سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار، وذكر أن ذلك من صفات المؤمنين، كما هو واضح في الحديث، (قال: فيقول: فما يسألون؟، قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: يتعوذون من النار، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها، فيقول:

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦، ومسلم ١١.

(٢) انظر: افتتاحية مجلة الحكمة، العدد: الثامن ص ١١ - ١٣.

فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم).

وذكر القرآن استعاذة أهل الإيمان من النار وسؤالهم الجنة وإجابة الله لهم بذلك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1].

وقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم سؤال الله الخير، والجنة والاستعاذة من النار[2]، من ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ علمها هذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ، قَضَيْتَهُ لِي، خَيْراً))[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩١ - ١٩٥.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/٢٠٣.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٠٢، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٤٥١).

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات:

إن فضل الله تعالى على ذاكريه عظيم لا يدانيه فضل ولا يجاوزه عطاء، وفي الحديث إشارة إلى بعض أشكال هذا الفضل والتي منها:

أ/ مباهاة الله بهم الملائكة وذلك في سؤاله لهم عن أحوال عباده الذاكرين، فيسألهم ربهم وهو أعلم ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.

قال ابن حجر: "وقيل إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1]، فكأنه قيل لهم: انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس مع ما سلط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان، وكيف عالجوا ذلك؟ وضاهوكم في التسبيح والتقديس، وقيل: إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة، لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ووجود الصوارف وصدوره في عالم الغيب، بخلاف الملائكة في ذلك كله"[2].

"وقد جاء التصريح في بعض الأحاديث بمباهاة الله الملائكة بذاكريه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد... وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ((مَا أَجْلَسَكُمْ؟)) قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟)) قَالُوا: وَاللّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ))[3]. أي: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"[4].

ب/ مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) فتح الباري ٢١٧/١١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

جاء ذلك في قوله: (فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، فيقول: وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

جاء في القرآن أن الذكر من بين الأعمال التي يثيب الله عليها بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً وهو الجنة[2].

سادساً- من صفات الداعية: تبشير أهل الذكر بمغفرة الله تعالى ورحمته:

أشير إلى ذلك في الحديث من التبشير للذاكرين بالمغفرة لذنوبهم بل ولمن جالسهم ولو لغير الذكر، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم، لذا ينبغي على الداعية ألا يهمل في دعوته جانب التبشير، فإن التبشير من الأهمية بمكان، ففيه انشراح الصدر وسعادة القلب واستقرار النفس، وراحة البال، ومن بواعث حب المبشَّر لمن يبشره، واستئناسه به[3]، مما يعود بالنفع على الداعي ودعوته.

وقد كان التبشير أحد الركائز الرئيسة في دعوته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[4]، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٥.

بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة في الآية على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[١].

لقد بعث الله النبيين عليهم السلام لهداية الناس وجعل منهجهم في الدعوة إليه التبشير والإنذار، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾[٨].

والآيات في ذلك غير ما ذكر كثيرة، وعن عطاء بنِ يَسارٍ قال: لَقِيتُ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: ((أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التَّوراة، قال: أجَل، والله إنَّه لَموصوفٌ في التوراةِ ببعضِ صفتهِ في القرآن: يا أيُّها النبيُّ إنّا أرسلناكَ شاهِداً ومبَشِّراً ونَذيراً وحِرْزاً للأميّين، أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُك المتوكلَ، ليس بفَظٍّ ولاغليظٍ ولاسَخّابٍ في الأسواقِ، ولايدفعُ بالسَّيِّئةِ السيِّئةَ، ولكن يَعفو ويَغفِرُ، ولن يَقبضَهُ الله حتّى يُقيمَ بهِ الملَّةَ العَوجاءَ بأنَ يقولوا: لا إلهَ إلاّ اللهُ ويُفتحُ بها أعيُنٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غُلْف)).

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/٢٢/٥٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٤) سورة الإسراء، آية: ١٠٥.

(٥) سورة فاطر، آية: ٢٤.

(٦) سورة هود، آية: ٢.

(٧) سورة مريم، آية: ٧٩.

(٨) سورة الأحقاف، آية: ١٢.

تابَعَهُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي سَلَمَةَ عن هِلال عن عطاء عن ابن سَلامٍ[١].

سابعاً- من آداب المدعو: الحرص على مجالسة أهل الطاعة والصلاح:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في شمول مغفرة الله للذاكرين ومن جالسهم، قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، (قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم)، لذا ينبغي على المسلم الحرص على مجالسة أهل الخير والصلاح واتخاذهم القدوة، فإن من آداب الذاكر: اتخاذ القدوة الصالحة المؤمنة الذاكرة لله تعالى، الذين يذكرون الله تعالى ويعينون على ذكره ويذكرّون المسلم بمولاه[٢]، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[٣].

ولله در القائل:

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً ... أهدوك من نورهم ما يتحف الساري

تروى وتشبع من سيماء طلعتهم ... بوصفهم ذكروك الواحد الباري

والجليس السعيد من إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرت، والسيئ المفلس من إذا ذكرك الله لم يعنك، وإذا سهوت لم يذكرك[٤].

ثامناً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً بيناً، حيث رغب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى بما ورد في الحديث من مباهاة الله لملائكته بذكر الذاكرين له، وبمغفرته سبحانه وتعالى لهم ولمن جالسهم، (قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم).

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٥.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٠١.

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٨.

(٤) الآداب النبوية التربوية، صالح بن علي أبو عراد ص ٣٨.

وأسلوب الترغيب من الأساليب الرئيسة في الدعوة التي لا غنى للداعية عنها، لما فيها من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والعمل الصالح من مثل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1]، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله، وعدم إهماله من قبل الداعية المسلم[2].

إن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله، وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والآجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه بتجنب ما يسخط الله عز وجل، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته، كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله سبحانه من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب، كذلك حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه[3].

ينقل ابن كثير بسنده عن عبدالله بن حكيم قال: "خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وتثنوا عليه بما هو أهله وتخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[4][5].

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) انظر: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، د. عبدالوهاب الديلمي ١/٥٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/١٩٣.

الحديث رقم (١٤٥٠)

١٤٥٠- وعنه وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنهما، قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ عز وجل إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وغشيتهم الرحمة: عَلَتْهم الرحمة[2].

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى عطايا الله تعالى للذاكرين، وحفاوته بهم، وحفاوة ملائكته، وقد جاء في أسلوب القصر الذي استوعب الحديث حيث قصر معنى جلوس القوم على الهيئة الموصوفة بغرض الذكر لله - عز وجل - على تنزل الملائكة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، ونزول السكينة مع ذكر الله لهم في الملأ الأعلى، وتنكير كلمة (قوم) للتعميم لأنها نكرة في سياق النفي، وبين بيت، وألفاظ الحديث تفيض بسيل من المعاني الغامرة بأنواع الفيوضات الإلهية منها الفعال (يذكرون - حفتهم - غشيتهم - نزلت - ذكرهم) ، والأفعال تصور الحركة الدائمة الدؤوبة لهؤلاء في الذكر وللملائكة بأنواع الإتحاف من ربهم ومن السماء التي اشتملها الحديث والتي تقرر هذا الفيض (الله - الملائكة - الرحمة) مما يشيع الطمأنينة، والخشوع، والسكينة، وقوله (نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ) كناية عن طمأنينة القلب، والشعور برضا الرب، وقوله (وَغَشِيَتْهُمُ

---

(١) برقم (٢٧٠٠/٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٣٨).

(٢) النهاية في (غ ش ي).

الرَّحْمَةُ) التعبير بالفعل غشي يدل على الإحاطة من كل جانب، وقوله: (وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ) كناية عن الحفاوة بهم، والرضا بفعلهم، والتعبير بالحفيف يشير إلى المرور في رقة والالتفاف في خفة تتميز بها حركة الملك المكلف بالحفيف وقولهم (وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ) وهذا منتهى التكريم لعبد أن يذكره الله تعالى في الملأ الأعلى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل ذكر الله تعالى:

إن ذكر الله تعالى من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأكثرها ثواباً فهو سبب لنزول الرحمة والسكينة، كما جاء في الحديث: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

قال النووي: "وفي هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد وهو مذهبنا - أي مذهب الشافعية - ومذهب الجمهور، ويلحق بالمسجد في تحصيل هذه الفضيلة الاجتماع في مدرسة ورباط ونحوهما إن شاء الله تعالى، فإن الحديث جاء مطلقاً دون تقييد لمسجد وغيره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل...)، أما الأحاديث التي جاءت بتقييد الذكر في المساجد فإنها خرجت مخرج الغالب"[1]، وذلك مثل قوله ﷺ: ((وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[2].

قال ابن القيم مبيناً فضل الذكر وعلو منزلته: "والذكر منزلة القوم الكبرى التي

---

(١) انظر: شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

منها يتزودون وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون، وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته، قال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق، والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه[1]، وإن ذكر الله يشعر المؤمن دائماً بمعية الله، ويجعله في أنس دائم بربه ونعيم موصول بقربه، يحس أبداً بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاقرين، ينشد ما قاله العبد الصالح يناجي ربه:

إن قلبـــــاً أنـــــت ســـــاكنه ... غـــــير محتـــــاج إلى الـــــسرج
وجهـــــك المـــــأمول حجتنـــــا ... يـــــوم يـــــأتي النـــــاس بـــــالحجج[2]

وكفى بذكر الله فضلاً ذكره لمن يذكره، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3].

إضافة إلى ثناء الله على الذاكرين وما أعده الله لهم من كريم الأجر وجزيل الثواب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[4].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/٢٥٨ - ٢٦٠.

(٢) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص ١٠١ - ١٠٢، تاريخ دمشق قافية الجيم ٦٦/٧٧، المدهش لابن الجوزي ١/٢١٥، والأبيات للشاعر: عبدالصمد ابن المعذل.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جزاء الله تعالى لأهل ذكره سبحانه:

جاء في الحديث جانباً من جوانب عطاء الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة)، أي: طافوا وداروا حولهم يحدقون بهم تشريفاً لهم وتنويهاً لما هم فيه من الذكر، (وغشيتهم الرحمة)، أي: آثارها من الفيض والفضل[1]، (ونزلت عليهم السكينة)، أي: الطمأنينة والوقار[2].

وقال ابن علان: "قال التوربشتي: هي الحالة التي يطمئن بها القلب فيسكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب، وقيل: هي ملكة تسكن قلب المؤمن وتؤمنه"[3].

(وذكرهم الله فيمن عنده)، ففي مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة، وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، فربما رُحم معهم من جلس إليهم وإن كان مذنباً، وربما بكى فيهم باكٍ من خشية الله فوُهِب أهلَ المجلس كلُّهم له، وهي رياض الجنة[4].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا))، قالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[5].

والرياض: جمع الروضة، وهي: أرض مخضرة بأنواع النبات، وجعلت حلق الذكر رياضاً للجنة، بناء على أن العبادة سبب للحصول في رياض الجنة.

قال الطيبي: "اعلم أنه كما يستحب الذكر، يستحب الجلوس في حِلَق أهله، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك، والذكر قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان والأفضل منهما ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل. وينبغي أن لا يترك الذكر باللسان مع القلب بالإخلاص خوفاً من أن يظن به الرياء. وقد نقل عن

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩١.

(٣) دليل الفالحين ص ١٥١٢.

(٤) لطائف المعارف ص ٤٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٧).

الفضيل ترك العمل لأجل الناس رياء. وقال: لو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والإحتراز عن طرق ظنونهم الباطلة لا نسد عليه أكثر أبواب الخير، وأضاع على نفسه شيئاً عظيماً من مهمات الدين، وليس هذا من وظيفة العارفين. وأن يكون على أكمل الصفات بأن يكون جالساً مستقبل القبلة، متخشعاً مع سكينة ووقار، مطرقاً رأسه، وأن يكون الموضع خالياً نظيفا، فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور.

وينبغي أن يدوم على الذكر إلا زمان قضاء الحاجة، والجماع، وسماع الخطبة في الجمعة وغيرها، وفي القيام للصلاة، وفي حالة النعاس، ولا يكره في الطريق، ولا في الحمام. وينبغي أن يحضره قلبه؛ لأنه هو المقصود في الذكر فيتحرى في تحصيله، ويتدبر ما يذكره. والمذهب الصحيح أن أولى الأذكار قول: لا إله إلا الله، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة. وإذا اعترضت للذاكر أحوال يستحب له قطع الذكر، ثم الإعادة بعد زوالها، منها رد تسليم الداخل عليه، وتشميت العاطس، وجواب المؤذن في الأذان والإقامة، ورفع المنكر والإرشاد إلى المعروف عند رؤيتهما، وإجابة المسترشد، وما أشبه ذلك كله في الأذكار"[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء في الحديث الترغيب في ذكر الله ومجالسه ببيان أنه سبب لنزول الرحمة والسكينة وحف الملائكة فضلاً عن العطاء الأعظم وهو ذكر الله لأهل ذكره، فقال ﷺ: (لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده).

إن أسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وحثه على الطاعة والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها[2].

كذلك سنة رسول الله ﷺ؛ فلقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٣٦/٤ - ٣٣٧.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه العزيز أن يذكر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]"[2].

ولأهمية الترغيب وقوة تأثيره في النفوس قدم الله في الآية التبشير على الإنذار فقال: (مبشراً ونذيراً)، قال الطاهر بن عاشور: "وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين ولكثرة عدد المؤمنين من أمته، والمبشر: المخبر بالبشرى والبشارة وهي الحادث المسر لمن يخبر به والوعد بالعطية، والنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم.

وقد تضمن هذا الوصف ما اشتملت عليه الشريعة من الدعاء إلى الخير من الأوامر وهو قسم الامتثال من قسمي التقوى، فإن التقوى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات، والمأمورات متضمنة المصالح فهي مقتضية بشارة فاعليها بحسن الحال في العاجل والآجل"[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآيتان ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥.

(٣) التحرير والتنوير مج٩/٢٢/٥٣.

الحديث رقم (١٤٥١)

١٤٥١- وعن أبي واقدٍ الحارث بن عوف رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ، فأقْبَلَ اثْنَانِ إلَى رسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَى رسولِ الله ﷺ. فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ، قَالَ: ((**الاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ: أمَّا أحَدُهُمْ فَأوَى إلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ، فَأعْرَضَ، فَأعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**)). متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

الحارث بن عوف: وهو أبي واقد الليثي.

له صحبة برسول الله ﷺ.

وقد شهد بدراً، وقيل إنه لم يشهدها، وكان قديم الإسلام، وكان معه لواء بني ليث، وحمزة، وسعد بن بكر يوم الفتح، وقد شهد اليرموك بالشام، وقد روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر وعمر وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم ويعدُّ من أهل المدينة، وكان قد خرج إلى مكة فجاور بها سنة، ومات بها، ودفن في مقابر المهاجرين، وتوفي سنة ٦٨هـ وهو ابن ٧٥ سنة وقيل ٨٥ سنة[2].

غريب الألفاظ:

فُرجَة: ثغْرةٌ بين الصفِّ[3].

نفر: اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦/٢٦) ولفظهما سواء.

(٢) الإصابة (١٥٧٨-١٥٧٩)، الاستيعاب (٨٦٥)، سير أعلام النبلاء (١٣٥٣/١)، تهذيب التهذيب (٦٠٤/٤)، تهذيب الكمال (٤٥٤/٨)، أسد الغابة (٣١٩/٦-٣٢٠).

(٣) النهاية في (ف ر ج).

ولا واحد له من لفظه[1].

الشرح الأدبي

الحديث يحكي نموذجا واقعا يصور حال الناس في تعاطيهم لذكر الله تعالى، منقولا عن قصة وقعت في أفضل المجالس، وهو مجلس الذكر، وفي أفضل مجالس الذكر مع رسول الله ﷺ والقصة شخصياتها ثلاثة مع رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد وهو ما صوره الصحابي بقوله (بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعَهُ، إذْ أقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ) وقوله، والناس معه يشير إلى أنه حدث مشهود ومجلس علم وذكر قائم، وقوله (فأقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ) يشير إلى التباين في المواقف بين الرغبة في الخير العميم، أو الإعراض عنه جهلا، وتكاسلا أو تكالبا على الدنيا، وهو ما قسم الثلاثة إلى قسمين واحد أعرض، واثنين وقفا، وقد وصف تصرفهم وتعاملهم مع الموقف في قوله (فأمَّا أحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِباً) فما كان لرسول ﷺ أن يدع الموقف يمر دون أن يستثمر الحدث في التعليم، والإرشاد إلى أبواب الخير فجاء استفهامه تنبيها للحدث، وتشويقا للنتيجة المترتبة عليه (ألاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ) وهو إجمال في العدد ثلاثة يتلوه تفصيل لحالهم يحقق التشويق، ويحقق التوكيد ثم فصل حالهم بقوله (أمَّا أَحَدُهُمْ فَأوَى إِلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ. وَأمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَى فَاسْتَحْيَى اللهُ مِنْهُ، وأمّا الآخَرُ، فَأعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ) وفي العبارة جناس بين قوله فَأوَى، وقوله: فآوَاهُ، وبين قوله فاسْتَحْيَى وبين قوله فَاسْتَحْيَى، وأيضا بين قوله فَأعْرَضَ، فَأَعْرَضَ، وهذا الجناس بين هذه الكلمات يؤكد المعنى من جهة، ويقرر أن الجزاء من جنس العمل من جهة أخرى، ونسبة الإيواء، والاستحياء، والإعراض لله في مقابلة فعل الثلاثة لهذه الأفعال إشارة إلى قوة الأثر المترتب على الفعل لأن إيواء الله لها أبعادا تفارق ما في علمنا، وكذلك إعراضه، كما يوحي بأن الإنسان هو الذي يقرر نتيجته بالمقدمة التي سبقتها، والقصة تقرر عظمة مجالس الذاكرين التي تستلزم إيواء الله لأهلها، وحياءه منهم الذي يستلزم مغفرته لهم.

---

(١) النهاية في (ن ف ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى.

ثالثاً: من آداب الداعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها.

رابعاً: من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم.

خامساً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً -من موضوعات الدعوة: فضل الجلوس في مجالس العلم:

إن مجالس العلم وذكر الله تعالى رياض من رياض الجنة، كما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فارْتَعُوا))، قالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قالَ: ((حِلَقُ الذِّكْرِ))[1]، والحديث ينقل لنا صورة من صور مجالس العلم والذكر التي كان يعقدها رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، فعن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر.

وقد وردت الإشارة في القرآن إلى فضل مجالس العلم، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2]، قال سفيان والضحاك في هذه الآية: "يعني: مجلسهم يتفقهون"[3].

فالتفقه في الدين والعلم هادٍ لصاحبه، وهو تركة الأنبياء عليهم السلام وتراثهم، وأهله عصبتهم وورّاثهم وهو حياة القلب ونور البصائر وشفاء الصدور، وبالعلم تعرف الشرائع والأحكام ويتميز الحلال والحرام، وغير ذلك[4].

وقال أبو بكر الآجري: "العلماء في كل حال لهم فضل عظيم في خروجهم لطلب

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥١٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي).

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٩.

(٣) كتاب الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ٩٦/١.

(٤) مدارج السالكين، ابن القيم ٤٦٩/٢.

العلم وفي مجالستهم فيه فضل، وفي مذاكرة بعضهم لبعض لهم فيه فضل، وفيم تعلموا العلم لهم فيه فضل، وفيمن علموه العلم لهم فيه فضل، فقد جمع الله للعلماء الخير من جهات كثيرة نفعنا الله وإياهم بالعلم"[١].

إن العلماء تحملوا على عاتقهم تعليم الأمة وتفقيهها استجابة لمراد الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢].

إن المعرفة والعلم في مفهوم الإسلام وصريح السنة النبوية؛ أمانة يسأل عنها الفرد وتستنطق لها الجماعة، وليست القضية سلعة للاحتكار ولا وسيلة للسيطرة وأداة للبغي والعدوان والتغلب؛ بل هي مسؤولية تؤدى ورسالة تبلغ من جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، تنمو مع الأيام، وتكثر خيراً ونفعاً مع الأعوام.

وقد وقف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، والتف الناس حوله منصتين متعلمين فذكر وعلّم وأرشد، وقال لهم بعد ذلك: ((لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ))[٣].

لقد وقف في حجة الوداع في العام العاشر للهجرة، وجاءه العرب من كل مكان وأحاطوا به صلوات الله وسلامه عليه وأصاخوا للخطبة وأصاخ معهم الزمن، فعلّم وفهّم، وسدّد وقوّم، ثم قال: (ألا لِيُبْلِغِ الشاهِدُ الغائبَ).

وجاءه وفد عبدالقيس من البحرين، فقالوا: يا رسول الله، إنا نأتيك من شقة بعيدة بيننا وبينك هذا الحي من مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمُرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع... وقال لهم: ((احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مِنْ وَرَائِكُمْ))[٤].

---

(١) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن حسين الآجري، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، الإسماعيلية، مصر بدون تاريخ، ص ٤١.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٣.

وقوله ﷺ (احفظوه)، وفي رواة: (احفظوهن وأخبروهن من وراءكم)، فيه دليل على الأمر بحفظ العلم، والوصية عليه والحض على حمله وشد الرحلة في سبيله، ونشره وتبيينه لمن لم يحضره، وكذلك عملهم هذا دليل على النيابة في العلم.

إن الذين يقومون بمهمة البلاغ للأجيال وأداء الأمانة للآتين، هم جمال الأمة، وأنوارها المضيئة، ومشاعلها المتقدة، فإذا كثروا استنارت جنبات المجتمع، وعمّه الهناء والضياء، وإن ندروا وانقرضوا أظلمت حياة الأمة، وتردّت في وهاد وأودية سحيقة[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل الحياء من الله تعالى:

وردت الإشارة إلى فضل الحياء في الحديث: (وأما الآخر فجلس خلفهم)، أي: خلف أهل الحلقة[٢]، وذكر النبي ﷺ الدافع لهذا الصحابي وجزاء الله له، فقال ﷺ: (وأما الآخر فاستحيا)، أي: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي ﷺ وممن حضر، قاله القاضي عياض، وقيل: المعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث، فاستحيا الله منه، أي رحمه ولم يعاقبه[٣].

والحياء أفضل الأخلاق، ولا أدلّ على ذلك من كونه من الإيمان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ على رجُلٍ منَ الأنصارِ - وهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحياء - فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: ((دَعْهُ، فإِنَّ الحَياءَ مِنَ الإيمان))[٤]. وذلك أن المستحي ينقطع بالحياء عن المعاصي، فصار كالإيمان الذي يقطع عنها ويحول بين المؤمن وبينها[٥]، وقال ابن الأثير: "وإنما جعله بعض الإيمان لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان"[٦]، فالحياء من خصال الإيمان وحسن الإسلام، وينتج عنه إقبال العبد على الطاعة وهجر المعصية

---

(١) أسس العلم وضوابطه في السنةالنبوية، د. فاروق حمادة، ط/ دار طيبة، الرياض: ١٤١٧هـ، ص ٥١، ٥٢.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٩/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٨، ومسلم ٥٩.

(٥) لسان العرب في (ح ي ي).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ص ٢٠٦.

خجلاً من الله سبحانه وتعالى، كما أن الحياء دليل على كرم السجية وطيب المنبت[١].

قال الماوردي: "سمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاءة وكفى بالحياء خيراً أن يكون على الخير دليلاً، وكفى بالقحة والبذاءة شراً أن يكونا إلى الشر سبيلاً، وقال بعض الحكماء: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه، وقال بعض البلغاء: حياء الوجه بحيائه، كما أن حياء الغرس بمائه"[٢]، وقال صالح بن عبدالقدوس:

إذا قَلَّ ماءُ الوَجْهِ قَلَّ حياؤه ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قَلَّ ماؤه

حياءك فاحفظه عليك وإنما ... يدل على فعل الكريم حياؤه

وجاء في الخبر: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئتّ وليس هذا القول إغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء حيث ورد في أصول الفقه أن من لم يستح دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستح المرء فإن الحياء يردعه".

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئاً عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ))[٣].

فالتخلق بالحياء فيه خير للفرد والمجتمع حيث يحض على فعل الحسن وترك القبيح، هذا عن الحياء الشرعي، وأما الحياء الذي ينشأ عنه إخلال بالحقوق والخوف من مواجهة من يرتكب المنكرات فليس شرعياً، بل عجز وخور وإن سمي حياء لمشابهته للحياء الشرعي في الصورة الخارجية[٤].

والحياء أنواع:

أ/ الحياء من الله تعالى بالامتثال لأوامره تعالى والكف عن زواجره، وذلك لأن

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١٨١٤/٥.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) أخرجه مسلم ١٥٦٨.

(٤) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم عيد الهلالي ١٠/٢.

الحياء من الإيمان بوصف أنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنعه الإيمان ذاته، يقول رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم: ((اسْتَحْيُوا مِنْ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ)). قالوا: إنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالحمدُ للهِ، قَالَ: «لَيْسَ هذا وإنما الحياء: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ، وَمَا وَعَى وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ المَوْتَ وَالبِلَى))[1].

ب/ الحياء من الناس بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح وهو من كمال المروءة وحب الثناء، وقد وردت الأحاديث كثيرة في هذا المعنى، منها:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ...))[2].

ج/ الحياء من النفس وذلك بالعفة وصيانة الخلوات، وهو من الفضيلة وحسن السريرة، يقول الله تعالى موضحاً أنه مطلع على كل صغيرة وكبيرة في النفس: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[3]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[4]، ويقول جل جلاله: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[5].

وبكمال الحياء طبقاً لما سبق فقد كملت أسباب الخير والسعادة[6].

ثالثاً - من آداب الدعية: البيان والتفصيل للأمور التي تغيب عن المدعو وتنبيهه عليها:

إن من الوظائف الرئيسة للدعاة بيان الأمور وتوضيحها للمدعوين، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[7]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٣٥٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

(٢) أخرجه البخاري ٩٧، ومسلم ٩٨٧.

(٣) سورة غافر، آية: ١٩.

(٤) سورة ق، آية: ١٦.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) انظر: الأخلاق في الشريعة الإسلامية، د. أحمد عليان ص ٢١١ - ٢١٤.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٦.

وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١]، ومن ذلك بيان وتفصيل الأمور التي تغيب عن المدعوين وتنبيههم عليها، ومثال ذلك ما جاء في الحديث من بيانه ﷺ لحال النفر الثلاثة ونتائج أحوالهم، قال: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه).

وفي ذلك بيان الإقبال على الله سبحانه والاستحياء منه وثمرتهما وبيان الإعراض عن الله وعاقبته، وفي ذلك البيان دعوة للمدعوين لأخذ الحيطة والحذر، ومن أجل ذلك كانت الدعوة للعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٢]، أي: ليتعلموا العلم الشرعي ويعلموا معانيه ويفقهوا أسراره وليعلموا غيرهم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم[٣].

رابعاً- من آداب المدعو: الحذر من الإعراض عن مجالس العلم:

وردت الإشارة في الحديث إلى العاقبة الوخيمة للإعراض عن العلم ومجالسه، فقال ﷺ عن ذلك الذي أعرض عن مجلس علمه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله عنه، قال ابن حجر: "أي: سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضاً لا لعذر، هذا إن كان مسلماً، ويحتمل أن يكون منافقاً واطلع النبي ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ (فأعرض الله عنه)، إخبار أو دعاء"[٤].

وقال ابن علان: "وفيه ذم الإعراض عن مجلس العلم بغير عذر، وأن من أعرض كذلك فقد تعرض لسخط الله فإنه أخبر بأن الله أعرض عنه"[٥].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٣١٢.

(٤) فتح الباري ١٨٩/١ - ١٩٠.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان ص ١٥١٣.

وقد ذم الله الإعراض عن الهدي والحق وبيّن أن ذلك سبب للشقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[2].

"أي: أعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره، وقوله: (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أي: وإنما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا، فتلك غاية من لا خير فيه والإعراض عن منهج الله وعن العلم الذي يوصل إليه ويدل عليه دليل نقص الإيمان سفاهة الأحلام، ودليل الكبر والحسد، وهما الدافعان إليه في العادة"[3][4].

خامساً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جاء أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث في معرض بيان رسول الله ﷺ أحوال النفر الثلاثة وتفاوت جزائهم، فرغب النبي ﷺ في الإقبال على الله والاستحياء منه ببيان أن ذلك سبب لإقبال الله على العبد ورحمته به، ورهّب من الإعراض عن الله ببيان أن ذلك سبب لسخط الله وانتقامه، فقال ﷺ: (ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟، أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعاً وأنفذها إلى القلوب، ولقد كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٢٩ - ٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٦٤/٧.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٣٩٢٦/٩.

وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكر ويعظ ويقصُّ، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر، وسماه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب، فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رضي الله عنهم رقة القلوب، الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة[2].

والترغيب والترهيب هما ركنا الموعظة الحسنة التي هي أبرز وسائل الدعوة، وقد أمر الله تعالى بهما في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، قال ابن القيم: "والموعظة الحسنة: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[5]، قال السعدي: "أي: وأنزلنا إليكم موعظة للمتقين من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب، يتعظ بها المتقون فيكفون عما يكره الله إلى ما يحبه الله"[6].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥ - ٤٦.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) التفسير القيم ص ٣٤٤.

(٥) سورة النور، آية: ٣٤.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٧.

الحديث رقم (١٤٥٢)

١٤٥٢- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ: خرج معاوية رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. قَالَ: آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذاك؟ قالوا[1]: مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أما إنِّي لَمْ استَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسولِ الله ﷺ أقَلَّ عَنْهُ حَديثاً مِنِّي: إنَّ رسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: ((مَا أجْلَسَكُمْ؟)) قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسْلاَمِ؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: ((آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذَاكَ؟)) قالوا: واللهِ مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ. قَالَ: ((أمَا إنِّي لَمْ أسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أتَانِي جِبرِيلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

حلقة: الحلقة كل شيء استدار، ويقصدون بها هنا مجلس العلم والذكر[3].

تهمة: وهماً وظناً[4].

مَنَّ: أنعم وأعطى من المَنّ: أي العطاء لا من المِنَّة وكثيراً ما يرد المن في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه[5].

يباهي: يفاخر[6].

---

(١) عند مسلم زيادة: (والله).

(٢) برقم (٢٧٠١/٤٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٢٧) بدون ذكر القصة.

(٣) الوسيط في (ح ل ق).

(٤) النهاية في (ف ر ج).

(٥) النهاية في (م ن ن).

(٦) النهاية في (ب هـ و).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبين انتقال النور من جيل جيل في سلسلة الأطهار ويروي الحديث أبو سعيد رضي الله عنه عن معاوية رضي الله عنه الذي يمثل أحد أطراف الحوار في الجيل الثاني من الذاكرين في الحديث، وقد صدر استفهامه متابعة للرسول ﷺ في سؤاله لأصحابه (مَا أجْلَسَكُمْ ؟) وهو استفهام يرصد به لما يريد أن يقرر من فضائل الذاكرين وقوله (آللهِ مَا أجْلَسَكُمْ إلاَّ ذاك) تقرير، وتوكيد، للمعنى الذي قرروه بجلوسهم للذكر لا لغيره مع ما يوحي به من تعظيم لحالهم، وقول معاوية رضي الله عنه (أما إنِّي لَمْ استَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ) قال الطيبي رحمه الله أي فأردت أن أتحقق ما هو السبب في ذلك فالتحليف لمزيد التقرير والتأكيد لا لتهمة كما هو الأصل في وضع التحليف فإن من لا يُتَّهم لا يُحلَّف، وقد قص معاوية رضي الله عنه ما كان من الجيل الأول للذاكرين مع رسول الله، وقد خرج عليهم فسألهم (مَا أجْلَسَكُمْ ؟) تقريرا للصحابة بما هم عليه ليرتب عليه ما يرصد له من تقرير فضل الذاكرين، وتأمل إجابة الجيل الأول، وشدة إحساسهم بنعمة الإسلام وتقديرهم للنعمة في قولهم (جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا للإسْلاَمِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا) بينما أجاب الجيل الثاني بقوله (جلسنا نذكر الله) وفرق بين الذكر مع عمق الإحساس بالنعمة، والذكر المجرد ثم تأمل إحساسهم العميق الدقيق المرهف بطريقة التعبير وموازنة الرد للسؤال توكيدا، وتقريرا حيث أجابوا بقولهم (واللهِ مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ) حيث ردوا بما يتساوق مع صيغة السؤال المؤكدة بالقسم فردوا بنفس درجة التوكيد، وفي الجيل الثاني ردوا دون توكيد (مَا أجْلَسَنَا إلاَّ ذَاكَ)، وقول الرسول ﷺ في نهاية الحديث (ولكِنَّهُ أتَانِي جِبرِيلُ فَأخْبَرَنِي أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) استدراك لبيان سبب التحليف مع تقرير المعنى الذي أرصد له من بداية الحديث، والذي اقتدى به معاوية بنفس الصيغة، وقرر هذا المعنى متابعة لرسول الله ﷺ الذي قرر تلك الصورة (أنَّ الله يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةَ) وهي كناية عن حفاوة الله بهم وعظم منزلتهم، ورضاه عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل معاوية رضي الله عنه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذكر الله تعالى.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعاً: من أساليب الدعوة: القسم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة.

سادساً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تبشير أهل الذكر.

سابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل معاوية رضي الله عنه:

جاءت الإشارة في الحديث إلى فضل معاوية رضي الله عنه وذلك في قوله رضي الله عنه: (وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل عنه حديثاً مني)، قال ابن علان: (قوله: "وما كان أحد بمنزلتي"، أي: بمكانتي وقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لكون أخته أم حبيبة، أم المؤمنين، ولتألف النبي صلى الله عليه وسلم له لما علم فيه من السر الإلهي المصون)[1].

فكان رضي الله عنه من الصحابة الأجلاء، قال أبو نعيم: "كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليماً وقوراً"[2]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يثق به، ويعده من الفقهاء، وقال: ما رأيت رجلاً هو أخلق للملك من معاوية، لم يكن بالضيّق الحصر"[3].

ومما يدل على فقه معاوية رضي الله عنه في الحديث واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في كلامه، قال معاوية رضي الله عنه لمن خرج عليهم في المسجد: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله، قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟)، قال الأبي: "أما استحلاف معاوية لهم

---

(١) دليل الفالحين ١٥١٤.

(٢) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١٧٩٩/٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر، ابن منظور ٤٠٠/٢٤ - ٤٠١.

فهو اتباع لرسول الله ﷺ"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على ذكر الله تعالى:

كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص الناس على الخير، ومنه ذكر الله تعالى، والحديث ينقل لنا صورة من صور حرصهم واجتماعهم على ذكر الله تعالى وذلك في حياة الرسول ﷺ، (إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا)، وكذلك كان على العهد بعد مماته، خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد، وذلك امتثالاً منهم لأوامر الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾[٢].

أي: اذكروا الله بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ذكراً كثيراً يعم الأوقات والأحوال، ذكراً كثيراً بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية، وعلى كل حال وسبحوه في أول النهار وآخره ليسري أثر التسبيح فيهما بغية النهار والليل لأن ذكره وتسبيحه يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال"[٣].

ولما علموه من فضل الذكر وما وعد الله عليه من المغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[٤]، أي: هيأ لهم منه لذنوبهم مغفرة وأجراً عظيماً، وهو الجنة[٥].

لقد جعل النبي ﷺ الفرق بين الذاكر لربه وغير الذاكر كذاك الفارق بين

---

(١) إكمال إكمال المعلم، نقلاً عن كتاب: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ٤٣٢/١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ - ٤٢.

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي مج ٢٧٨/١٣/٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢١/٦.

الحي والميت، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلَ الذي يَذكرُ ربَّه والذي لا يَذْكرُ ربه مَثَلُ الحي والميِّت))[١].

إن الذي لا يذكر الله تعالى مثل الإنسان الميت، والذي يذكره مثل الإنسان الحي، لأن الذكر فيه حياة للقلوب والأرواح فهو غذاؤها تحيا به وتموت بانقطاعه عنه وفي ذلك تحذير من الغفلة ونسيان الله تعالى الذي يميت القلب والروح وحث على فضل الذكر لأنه حياة للقلوب والأرواح[٢].

ثالثاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد استعمال هذا الأسلوب في الحديث في سؤال رسول الله ﷺ الصحابة رضي الله عنهم وجوابهم عليه، فقال: (ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا..)، وأسلوب طرح الأسئلة والإجابة عليها من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لما توجده عند المدعوين من الاستعداد الفكري والنفسي لمعرفة الإجابات على تلك الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جداً لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك[٣].

ولقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام بكثرة في دعوة الناس وتوجيههم وإعدادهم إعداداً إسلامياً صحيحاً.

وأسلوب الاستفهام يدفع بالمدعو إلى المشاركة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبياً أو مصدقاً لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة، وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريراً فمعنى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠٧، ومسلم ٧٧٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني ص ٤٢٥ بتصرف.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[١].

إن أسلوب الاستفهام والمناقشة، يساعد على التوضيح والتفهيم ويستخدم كوسيلة إيضاح للعقيدة وأحكامها، بعرضها عرضاً بسيطاً وسهلاً خالياً من التعقد والتكلف ويميط اللثام عن المعنى السامي للعبادة[٢].

ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما استخدمه النبي ﷺ من استفهام ومحاورة مع معاذ بن جبل رضي الله عنه فروي عنه أنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ. ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْلِ. فقال: ((يا معاذ بن جبل)) قلت: لبيك رسول اللّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هل تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ)) قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ))[٣].

وذكر ابن حجر من الفوائد المستفادة من هذا الحديث تكرار الحديث وتأكيده وتفهيمه، واستفسار الشيخ تلميذه عن الحكم ليختبر ما عنده ويبين له ما يشكل عليه[٤].

إن الرسول ﷺ لم يستخدم مع معاذ رضي الله عنه الخطاب الإخباري، إنما استخدم معه الحوار الخطابي التنبيهي أو الإيضاحي، الذي يحرك الوجدان ويهذب السلوك وينبه إلى أمر عظيم. ومثل هذا يقول الرسول ﷺ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟)) قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني بركة ص ١٧٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني ص ٤٤٨.

(٣) فتح الباري ١٠/٤٨٧.

(٤) المرجع السابق ١١/٤١٢.

أَعْلَمُ. قَالَ: ((ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ)) قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: ((إِن كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ))[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد أسلوب القسم في الحديث في قوله ﷺ: (آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ أما إني لم استحلفكم تهمة لكم...)، والقسم أسلوب دعوي يرد استعماله تأكيداً لخبر، أو تعظيماً لشيء أو جمعاً للانتباه حول غاية، وقد أحس العرب بأهدافه ومراميه فاستعملوه في كلامهم، وجعلوه دليلاً على إثبات الحق، قال زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء[2]

وقد حفل القرآن بالقسم في كثير من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[4].

ولقد جمع بعض العلماء أقسام القرآن وأفردوها بالشرح والتفصيل ومن ذلك كتاب: (التبيان في أقسام القرآن، للإمام ابن القيم)، وذكر في مقدمته لهذا الكتاب أن من أهداف إيراد القسم والإتيان به التوكيد والتحقيق[5].

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل الذكر ومباهاة الله تعالى بهم الملائكة:

ورد ذلك في قوله ﷺ لمن خرج عليهم وهم يذكرون الله تعالى، "ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٠٠١.

(٢) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. احمد أحمد غلوش ص ٣٢٩، والبيت لزهير بن أبي سلمى - العصر الجاهلي - قافية الهمزة البحر الوافر التام، انظر: لسان العرب ٢٢٦/٥، والعقد الفريد ٢٤٦/٥.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٥) انظر: التبيان في أقسام القرآن ص ١٥.

قال القاضي عياض: "وقوله في أهل الذكر: (إن الله يباهي بكم الملائكة)، أي: يظهر للملائكة فضلهم ويريهم حسن عملهم ويثني عليهم عندهم، وأصل البهاء الحسن والجمال"[١].

قال النووي: "معناه: يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم"[٢].

قال ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث: "ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله"[٣]، فإن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخذ العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة[٤].

وقد وصف الله عباده الذاكرين بكامل الصفات والتي منها ملكة العقل والتفكير في ملكوت الله والانتفاع بآياته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥].

سادساً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ في تبشير أهل الذكر:

جاء ذلك واضحاً فيما قام به معاوية رضي الله عنه من تبشير أهل الذكر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم)، وساق لهم ما سمعه من رسول الله ﷺ من تبشير لأهل الذكر، فقال: (إن رسول الله ﷺ

---

(١) إكمال المعلم ١٩٦/٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم ٢٦٧/٣.

(٤) صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب ص ٨٤.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

خرج على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنّ به علينا، قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك، أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم ملائكته).

وذلك بيان لمدى أهمية وقيمة البشارة، فهي سبب لاستقرار النفس وراحة البال وجلب الطمأنينة وسكون النفس ورفع الروح المعنوية، فضلاً عن أن لها أثرًا طيبًا في تحبيب المبشَّر لمن يبشره واستئناسه به[1].

ولذا كان التبشير صفة لرسول الله ﷺ ومنهجاً في تبليغ دعوته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، فالنبي ﷺ مبشر لأهل الإيمان والمطيعين بمراتب فوزهم، وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي ﷺ غلب عليه التبشير لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته[3].

سابعاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث ظاهراً جلياً، وذلك في ترغيب النبي ﷺ في الذكر بمباهاة الله ملائكته بذاكريه، (ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة).

والترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، وذلك لملائمته لما جبلت عليه النفس البشرية، فالنفس البشرية لها خاصيتها التي فطرها الله عليها، والنوازع التي جبل عليها البشر من أهم ما تجب معرفته لمن يريد التعامل مع تلك النفس، وهذه النفس تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٨١١/٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج٩/٥٣/٢٢.

سلوكهم[١]، واستخدم القرآن أسلوب الترغيب في كثير من آياته، من ذلك ما جاء في مجال الذكر مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٣].

قيل في تفسيرها:

أ/ فاذكروني أذكركم بإعطاء الآلاء والنعماء، لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٤].

ب/ فاذكروني بالإحسان أذكركم بالرحمة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

ج/ فاذكروني بالاستغفار أذكركم بالغفران، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٦].

د/ فاذكروني بالصبر أذكركم بأوفى الأجر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٧].

هـ/ فاذكروني بالتوكل أذكركم بالكفاية، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[٨].

---

(١) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

(٦) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٧) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٨) سورة الطلاق، آية: ٣.

و/ فاذكروني بالمجاهدة أذكركم بالهداية، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾[1].

ز/ فاذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2][3].

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب، آية:٧١.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي مج١/٢/١٧١ - ١٧٢، وانظر: كتاب: "الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العقيدة الصحيحة:

إن التربية على العقيدة الإسلامية وغرسها في نفوس المتعلمين، من أهم الأسس التربوية التي يربي عليها النشء المسلم، والعقيدة الإسلامية التي يجب على المربين تعميقها في نفوس الأفراد والجماعات هي: الإيمان الجازم بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر: خيره وشره، وبكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من أصول الدين وأموره وأخباره وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعة والتحكيم والاتباع[1].

وقد ورد في مُجمل أحاديث الباب ما يشير إلى أهمية وضرورة التربية العقائدية في نفوس المتعلمين كالإيمان بالله تعالى وملائكته، وما في اليوم الآخر من الجنة والنار، وذلك في قوله ﷺ: "إن لله تعالى ملائكة"، وقوله ﷺ: عن رب العزة: «فَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، ... قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ».

"وتربية العقيدة الإسلامية في نفوس المتعلمين والمتربين من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى، واستشعار عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون عبدًا لشهواته، ولا أسيرًا لأطماعه وأهوائه.... بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله، وكما أوحى إلى رسوله ﷺ... دون تردد أو حرج، وشعاره في هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2].

وميزانه في ذلك... ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[3][4].

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٦٥/١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٦٧٢/٢، ٦٧٣.

وحتى يتسنى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء المسلم وتربيتهم عليها يجب ما يلي:

١ - تعليم النشء لعقيدة أهل السنة والجماعة، وخصائص تلك العقيدة، وأنواع التوحيد وأقسامه، وفضائله.

٢ - تعليم النشء أركان الإسلام والسنة وأسس العقيدة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر: خيره وشره.

٣ - تحذير النشء من نواقض الإسلام التي بها يخرج المسلم من الملة.

٤ - الإجابة على التساؤلات والاستفسارات التي قد يتعرض لها المتعلمون صغيرهم أو كبيرهم في مسائل العقيدة، على أن تكون الإجابة من المعلمين شافية كافية صحيحة صريحة بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1].

ثانيًا: التربية الروحية:

إن النفس البشرية بطبيعتها تضعف ويصيبها الفتور والتقصير، لكن المسلم حين يرى ما عليه إخوانه من الصلاح والتوفيق يزداد همة ونشاطًا للعمل والاجتهاد فيه؛ لذا كان الاجتماع المشروع على العبادة، كالاجتماع على الذكر - كما ورد في نص أحاديث الباب - من أعظم طرق التربية الروحية من خلال الوعظ والتذكير في نفوس المتعلمين[2].

حيث التفكر في نعم الله تعالى وآلائه وعظيم فضله وإحسانه مما يستتبع حمده تعالى وتمجيده وتسبيحه وتكبيره، فيعلو بذلك الإيمان في القلوب ويعظم أثره في النفوس.

ثالثًا: التربية بالإثارة الوجدانية:

إن تحريك العاطفة الإنسانية عند المتربي والمتعلم بالإثارة الوجدانية وبتحريك كوامن الرغبة والرهبة، لمن أهم الطرق التربوية في تحقيق الغايات التربوية أو العلمية،

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ٦٣/١، ٦٤.

(٢) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد عبدالله الدويش، ٤٦، ٤٧.

وهذا ما ترائى من مجمل الأحاديث؛ حيث استجاشة الهمم وإثارة الوجدان لتربية الأنفس على ذكر الله، كما في قوله ﷺ عن رب العزة لملائكته: «هَلْ رَآوْنِي فَيَقُولُونَ لا وَاللهِ ما رَآوْكَ فَيَقُولُ كَيْفَ لوْ رَآوْنِي فيَقولونَ لوْ رَآوْكَ كانُوا أشَدَّ لَكَ عِبادَةً وأشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا». وأيضًا في قوله ﷺ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ. وَلكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلاَئِكَةَ».

وقد استمر هذا الأسلوب التربوي الفريد في إثارة الواجدان للترغيب في الجنة والترهيب من النار، كما في حديث الباب من قوله تعالى لملائكته: «فَماذا يَسْأَلُونِي فيَقولونَ يَسأَلُونكَ الجَنَّةَ فيَقولُ وهَلْ رَأَوْها فيقُولونَ لا وَاللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها فيقُولُ فَكَيْفَ لوْ أنَّهُمْ رَأَوْها فَيَقُولونَ لوْ أنَّهُمْ رأوْها كانُوا أشَدَّ عَلَيْها حِرْصًا وأشَدَّ لها طَلَبًا وأعْظَمَ فِيها رَغْبَةً قال فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ فَيقولونَ مِنَ النّارِ فَيقولُ اللهُ هَلْ رَأَوْها فَيَقولونَ لا وَاللهِ يا ربِّ ما رَأَوْها فيقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْها فَيَقولونَ لوْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنها فِرارًا وأشَدَّ لها مَخافَةً».

"فإثارة الوجدان إذًا طريق تربوي إلى غاية تربوية أو علمية، وليست هدفًا تربويًا مستقلاً بذاته.

ولهذه الوسيلة التربوية أخطارها الجسيمة إذا أسيء استعمالها، كما أن لها فوائدها العظيمة إذا أحسن استعمالها.

ويتلخص المنهج التربوي الإسلامي في استخدام هذه الوسيلة، لمراعاة الأمور التالية:

١ - أن لا تكون بديلاً عن حركة العقل وحكمه بل عونًا على حركته ونشاطه ثم عونًا له لإخضاع النفس لحكمه"[1].

"ولإيضاح ذلك نقول: إن المربي أو المعلم عليه أن يثير عقل المتعلم أولاً إلى معرفة الحقيقة بالأدلة العلمية والعقلية المختلفة، ثم يثير كوامن الوجدان في النفس، كي تقضي على معوقاتها التي قد تقطع سبيل العقل إليها. فيثير فيها دواعي الرهبة والرغبة

---

(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، سورية، ص٦٤.

وأسباب المحبة، طبق ميزان دقيق من الاتساق. وهذا ما بينه القرآن الكريم في نصوصه والتي منها قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾[1].

فالشطر الأول من النص تنبيه للعقل إلى دلائل وجود الخالق عز وجل ودفع له إلى الإيمان به. والشطر الثاني إثارة للنفس عن طريق كوامن الرغبة والرهبة، أن تتفاعل مع فهم العقل وحكمه فلا تنفصل عنه ولا تتمرد عليه.

٢ - أن يعتمد سبيلُ التربية بالإثارة الوجدانية قدر الإمكان على التصوير والتخيل، لا على المحاكمة العقلية والنسيج المنطقي، فإن فاعلية الوجدان تضمحل في غمار التأمل الفكري والمحاكمة العقلية.

٣ - أن يعتمد المربي على مزيج متكافئ من العناصر الوجدانية المؤثرة، بدلاً من أن يركز على عنصر واحد منها، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ذكر عناصر مرغبة في ذكر الله "كالجنة"، و "والمغفرة" لمن جالس قومًا يذكرون الله، وذكر عناصر وجدانية مرهبة كذكر "النار".

ولإيضاح ذلك نقول:

إن منابع العواطف في الإنسان تنحصر في الأصول الثلاثة التالية:

١ - عواطف دافعة: كالفرح، والأمل، والرغبة.

٢ - عواطف رادعة: كالخوف، والرهبة، والإشفاق.

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٤٢.

٣ - عواطف ممجدة: كالإعجاب، والحب، والتقديس.

وإذا تأملت في مختلف المشاعر الوجدانية في حياة الإنسان، أدركت أنه ما من معنى عاطفي إلا ويعود نسبه إلى واحد من هذه الأصول الثلاثة. وهي وحدها عمدة المربي عندما يعتمد في عمله التربوي على الإثارة الوجدانية....، فسوق المربي لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه. ودفعه بعامل الفرح أو الرغبة وحده سبب خطير لإفساده، وملء إحساسه بمشاعر التقديس والإعجاب وحدها دون أن يستغل ذلك لتوجيه يعتمد على شيء من الترغيب والترهيب، لا يحرك فيه ساكنًا ولا يغير منه اعوجاجًا. وإنما يصلح سبيل التربية إذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها. وما فسدت المعالجات التربوية، ولا تخلفت عن إعطاء ثمارها المرجوّة على الأغلب إلا لفقد هذا المزيج المعتدل[1].

❁ ❁ ❁

(١) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٦٥، ٨٢، ٨٣، ٨٥.

٢٤٨- باب الذكر عِنْدَ الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥] قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: (الآصَالُ): جَمْعُ أصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ. وقال تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه: ١٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَبْكَارِ﴾[غافر: ٥٥]، قَالَ أهلُ اللُّغَةِ (العَشِيُّ): مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا. وقال تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦- ٣٧]. وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾[ص: ١٨].

الحديث رقم (١٤٥٣)

١٤٥٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **((مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِئَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلاَّ أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ))**. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر في أسلوب خبري قيمة التسبيح في الصباح، والمساء وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[طه: ١٣٠] والطباق بين يصبح،

---

(١) برقم (٢٦٩٢/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٤).

ويمسي يستوعب أطراف النهار، ويبدأ اليوم بالتسبيح، ويختمه بالتسبيح، وصيغة الفعل المضارع (يصبح، ويمسي) تعطي الفعل تجددا يطرد باطراد الأيام وتفتح باب الفضل كل مطلع شمس، ومغيبها، وقوله (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) أي أنزه الله عن كل نقص، وهذا التنزيه يقرر ضمنا وصفه بصفات الجلال، ونعوت الكمال، وقوله وبحمده أي مع حمده أي أنزهه، وأثني عليه، وقوله (لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ) أسلوب قصر بالنفي والاستثناء يقصر المثلية في الإتيان على من فعل مثل فعله لا من أتى بغيره من الأعمال، والعبارة كلها تقرر عظمة الثواب الذي فاق به غيره، وتقييده بيوم القيامة يؤكد هذه العظمة، ويزيدها تأكيدا بالاستثناء في قوله (إلاَّ أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ) لأنه لم يقدم عليه عملا غيره بل قدم عليه ما هو من جنسه مما ساواه أو زاد عليه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في الحديث الأول في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به...).

وفي الحديث الثاني: قوله ﷺ: "إذا أصبح: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا وبك نحيا...".

وهذا يدل على فضل أذكار الصباح والمساء. وهما طرفا النهار، فالصباح مابين طلوع الصبح وطلوع الشمس، والمساء ما بين العصر والغروب[1].

وفضل أذكار الصباح لأن ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس، وقت شريف ويدل

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم ضمن مجموعة الحديث، ٢/٣٧٣.

على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذ قال: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١]، وتمدحه به إذ قال: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[٣]، وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾[٤]، وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس، وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[٥]، وهو وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدئ بذكر الله تعالى[٦].

والمساء: هو الطرف الثاني وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[٧]. وقال الحسن: "كانوا أشد تعظيمًا للعشي منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة[٨].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إثارة التنافس في فعل الطاعات:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده، مائة مرة لم يأت أحدٌ يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد".

ففي ذلك إثارة للتنافس على ذكر الله حيث ذكر رسول الله ﷺ أن من يقول سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لا يعدله أحدٌ يوم القيامة إلا من قال مثله أو زاد.

---

(١) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(٣) سورة الفلق، آية: ١.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٦.

(٥) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٦) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٥٩٩، ٦٠٠.

(٧) سورة الروم، آية : ١٧.

(٨) انظر: إحياء علوم الغزالي٢/٦١٤.

وإثارة التنافس على ذكر الله من أهداف الدعوة إلى الله، لأن الهدف من الذكر أن يظل المؤمن على صلة قوية بالله في كل حال، وذلك لأن الذكر منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون.

والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الآفات ويستكشفون الكربات وتهون عليهم به المصيبات إذا أظلمهم البلاء فإليه ملجؤهم وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفي كل جارحة من الجوارح، عبودية مؤقتة و الذكر عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال: قياما وقعودا وعلى جنوبهم فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها، فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

وهو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا: ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقا وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه: نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوض من كل شيء.

به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين فاللسان الغافل: كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشلاء، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

وقال الحسن البصري: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن فإن وجدتم – وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد لا روح فيه[1].

وإثارة التنافس في فعل الطاعات من الأشياء التي أثنى عليها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾[2]، قال السعدي: أي: يبادرون إليها ويقضونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها، على الوجه اللائق، الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها[3].

ثالثًا – من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح: "اللهم بك أصبحنا ..."، وإذا أمسى قال: "اللهم بك أمسينا ..." الحديث.

والنبي ﷺ أكمل الخلق ذكرًا لله عز وجل، فكان يذكر الله في كل حياته، وعلى جميع أحواله، فكلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه وتشريعه ذكرًا منه لله سبحانه، وكان إخباره عن ربه في أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ذكرًا منه لربه، وكان حمده لربه، وتسبيحه وتمجيده له، وثناؤه عليه، وسؤاله له، ودعاؤه إياه، وخوفه منه، ورجاؤه إياه، ذكرًا منه لربه فصلوات الله وسلامه عليه[4].

فقد كان رسول الله ﷺ يذكر ربه في كل وقت ومن هذه الأوقات الصباح والمساء، وقد ورد عنه ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين حرصه على أذكار الصباح المساء منها:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا

---

(١) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢٥٨/٣-٢٦٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٤٧٩.

(٤) مختصر الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم التويجري، ط، بيت الأفكار الدولية، ص ٣٥٧.

وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ. والْحَمْدُ لِلَّهِ. لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ». قَالَ: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ. رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذٰلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»[1].

وقال ﷺ: «لأن أذكر الله تعالى من طلوع الشمس أُكبِّر وأُهلِّل وأُسبِّح أحب إلي من أن أعتق أربعًا من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل»[2].

وعن جابر بن سمرة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»[3].

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٢٣.

(٢) أخرجه أحمد، ٢٥٤/٥، رقم ٢٢١٨٥، وقال محققو المسند حسن لغيره ٥٢٢/٣٦.

(٣) أخرجه مسلم، ٦٧٠.

الحديث رقم (١٤٥٤)

١٤٥٤- وعنه، قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَى النبيّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قَالَ: ((أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ تَضُرُّك)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقرب: دُوَيْبة من العنكبيات ذات سم تلسع[2].

البارحة: أقرب ليلة مضت[3].

بكلمات الله التامات: الكاملات التي لا يدخلها نقص ولا عيب، وقيل النافعة الشافية، وقيل المراد بالكلمات هنا القرآن[4].

الشرح الأدبي

الحديث يروي قصة عملية تبين قيمة الذكر في حماية الفرد من هوام الأرض ومن الشياطين وقول الرجل: (مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ !) ما استفهامية أي: أي شيء لقيت ؟ للتهويل، والتفخيم أي: لقيت وجعا شديدا، أو للتعجب أي أمرا عظيما، أو موصولة والخبر محذوف أي الذي لقيته لم أصفه لشدته، والمعنى لقيت شدة عظيمة من عقرب لدغتني البارحة أي: الليلة الماضية، وقول النبي ﷺ (أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ) أما للتنبيه، ولو شرطية، وفعل الشرط قوله (قلت حين أمسيت أعوذ. ...) وجملة الجواب (لم تضرك) فقد علق عدم الضر من العقرب بقول هذا الدعاء، ووصف

---

(١) برقم (٢٧٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٣).

(٢) الوسيط في (ع ق ر ب).

(٣) الوسيط في (ب ر ح).

(٤) شرح مسلم، النووي (١٥٩٥).

الكلمات بالتامات إشارة تعظيم تؤكد وفاءهن بما يراد من هن لأن كلام الله كله تام والحديث يشير إلى أن هذا الدعاء يحقق الله به الحفظ .

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها :

١-حكم التعوذ بهذه الكلمات: استحباب التعوذ من كل ما يخافه الإنسان بمكان أو ينام فيه فإنه لا يضره شيء[١].

٢-حكم الدعاء بهذا الدعاء: من السنة الدعاء بهذه الأدعية في الصباح والمساء[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي الإنسان:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لمن لدغته عقرب: (أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضرك).

وقد ورد عن الرسول ﷺ الكثير من الأحاديث التي يستعيذ فيها بالله مما يؤذي، ويحث المسلمين على الاستعاذة منها، قال العلماء: استعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشرعه أيضًا تعليمًا لأمته[٣].

ومن الأحاديث التي تحث المسلمين على الاستعاذة مما يضر:

عن خولة بنت حكيم السلمية، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ

---

(١) حاشية العدوي ٢/٤٨٣.

(٢) حاشية العدوي ٢/٤٧٩.

(٣) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٢/٢٦٥.

مَنْزِلِهِ» وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»(١).

قال القرطبي: (قوله: "إذا نزل أحدكم منزلاً، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" قيل معناه: الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص، ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه الشافية الكافية. وقيل: الكلمات -هنا- هي: القرآن؛ فإن الله تعالى قد أخبر عنه بأنه هدى وشفاء، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يُدفع به الأذى، ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى، والتجاء إليه، كان ذلك من باب المندوب إليه، المرغب فيه. وعلى هذا فحق المتعوذ بالله تعالى، وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه، ومغفرة ذنبه.

وقوله: "فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه" هذا خبر صحيح، وقول صادق علمنا صدقه دليلاً وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلاً، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات، فقلت لنفسي - ذامًا لها وموبخًا- ما قاله ﷺ للرجل الملدوغ: "أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم تضرك)(٢).

وحث النبي ﷺ المسلمين على الاستعاذة بالله مما قد يؤذي إنما هو حرص منه على حماية المسلمين مما قد يؤذيهم وهذا لاغرو فيه فهو الحريص على الخير لأمته دائمًا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، قال السعدي: "حريص عليكم" فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٧٠٨.

(٢) المفهم، ٣٦/٧، ٣٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على الاستعاذة بالله:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فإن الإنسان يقول إذا أصبح وأمسى "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق" فهذا لجوء إلى الله سبحانه وتعالى واعتصام به من شر ماخلق، فإذا قلته ثلاث مرات في الصباح والمساء، فإنه لا يضرك شيء[٢]. والحرص على الاستعاذة بالله تعالى بما ورد عنه ﷺ من أدعية فيه تأسي به ﷺ والتأسي به معناه المتابعة لرسول الله ﷺ في كل دقيق وجليل من أمور الدين، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٣]، فاتباع هدى النبي ﷺ ومنهجه وطريقته، هو سبيل النجاة من كل شر، والفوز بكل خير وبر[٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث والأدعية التي يستعيذ فيها بالله وكذلك يأمر فيها المسلمين بالاستعاذة بالله منها: عن فروة بن نوفل الأشجعي سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ اللَّهَ. قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[٦].

وعنها رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٣١٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٣٥/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية : ٣٦.

(٤) انظر صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ص ٥٨-٥٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٧١٦.

مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»[2].

قال النووي: (قال القاضي عياض: ودعاء النبي ﷺ واستعاذته من هذه الأمور التي قد عوفي منها وعصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه)[3].

فالاستعاذة بالله فوائدها كثيرة فمن استعاذ بالله واعتصم به أعاذه الله، فينبغي على المسلم الحرص على الاستعاذة بالله بما ورد عنه ﷺ من أدعية.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٣٧.

الحديث رقم (١٤٥٥)

١٤٥٥- وعنه، عن النبيّ ﷺ، أنَّه كَانَ يقولُ إِذَا أصْبَحَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ أصْبَحْنَا، وَبِكَ أمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ)). وإذا أمسَى قَالَ: ((اللَّهُمَّ بِكَ أمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ. وَإِلَيْكَ النُّشُورُ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يشير إلى ذكر من الأذكار التي اعتادها الرسول ﷺ في الصباح، والمساء، دل على ذلك قول الراوي (كان يقول) لأن فعل الكينونة الماضي يشير إلى العادة غالبا والفعل المضارع (يقول) يدل على تجدد الفعل صباح مساء، كما يؤكده أسلوب الشرط في قوله (إذا أصبح) وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور تقدير: يقول اللهم بك. ..)، وأسلوب الشرط يربط الإمساء، والإصباح بقول هذه الكلمات، وبداية الدعاء بصيغة النداء اللهم توجه لله بقلب مخلص خاشع لله تعالى، والمقابلة بين أصبحنا، وأمسينا تؤكد المعنى وتشير إلى أنه المتصرف فيهما يقلّب الزمان بالإنسان، وكل نعمة فيهما هي من عطائه، والطباق بين نحيا، ونموت يشير إلى طلاقة قدرته في القبض، والإرسال، وهذا المعنى يوحي بالخضوع، والذل له، والإقرار بكامل التصرف، والدعاء صيغة مزدوجة للصباح، والمساء.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٨) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٤). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٥٠): هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، والحديث تقدم برقم (٨١٧).

تنبيه: لو اقتصر المؤلف على أبي داود لكان أحسن، لأن في رواية الترمذي بلفظ الأمر: (فليقل) قال ابن حجر في النتائج (٢/٣٥٠): وأما الترمذي وابن ماجه فأخرجاه من وجهين آخرين، عن سهيل، ووقع عندهما بصيغة الأمر: (إذا أصبح أحدكم، فليقل) وفي سند كلٍّ منهما مقال.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٥٦)

١٤٥٦- وعنه: أنَّ أَبَا بكرٍ الصديق ﷺ قَالَ: يَا رسول الله مُرْني بِكَلِمَاتٍ أقُولُهُنَّ إِذَا أصْبَحْتُ وإذا أمْسَيْتُ، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاواتِ والأرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلاَّ أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ)) قَالَ: ((قُلْهَا إِذَا أصْبَحْتَ، وإذَا أمْسَيْتَ، وإذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فاطر: خالق ومبدع[2].

ومليكه: المليك بمعنى: صاحب الملك[3].

شِرْكه: أي: ما يدعو إليه ويوسوس به ويروى بفتح الشين والراء أي: حبائله ومصايده. واحدها: شَرَكَة[4].

الشرح الأدبي

في هذا الحديث خصيصة، وهي أن راويه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وهو صاحب رسول الله، وحبيبه، وبالإضافة إلى كونه الراوي فهو أحد طرفي الحوار وقوله للرسول ﷺ (مرني بكلمات) الأمر استرشاد، وتعليم وتنكير الكلمات للتعظيم أي

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٢)، وقال الحاكم (٥١٣/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٦٣/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ.

(٢) النهاية في (ف ط ر).

(٣) المعجم الوسيط في (م ل ك).

(٤) النهاية في (ش ر ك).

كلمات خفيفات في العمل كثيرات في الثواب، وهو حال الأذكار كلها أجر عظيم لا يحتاج إلى مشقة، ولا كلفة، وقوله (إِذَا أَصْبَحْتُ وإذا أَمْسَيْتُ) أسلوب شرط محذوف الجزاء لدلالة السابق عليه تقديره أقولهن، وصياغة المعنى في ثوب الشرط يشير إلى رغبته في اعتيادهن، والطباق بين أمسيت، وأصبحت يشير إلى استيعاب طرفي النهار حيث يعمرهما بذكر الله وكأنه يريد أن يعمل بقول الله تعالى (... وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى }(طه١٣٠) وقول الرسول (قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ. ..) أمر توجيه، وإرشاد لما أراد، وتوجيه الرسول ﷺ لخليفته بهذا الدعاء يفتح أفاق عقله على مظاهر عظمة الله في خلقه للسماوات، والأرض، وربوبيته لجميع المخلوقات مما يشير إلى سعة علمه، وقدرته، وإحاطته، مع توحيده، والاستعاذة به من شر نفسه، والشيطان، لأنهما العدو الملازم للإنسان حتى الموت ولذلك استعاذ بالله من نفسه ومن الشيطان، (وشركه) أي ما يدعو إليه من الإشراك بالله، ويروى بفتحتين أي مصائده وحبائله التي يفتتن بها الناس.

فقه الحديث

يشير الحديثان إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الدعاء عند النوم: يستحب الدعاء بهذا الدعاء وغيره عند إرادة النوم[1].

٢-حكم الوضوء عند النوم: اتفق الفقهاء على استحباب الوضوء عند النوم رجاء أن يموت الإنسان في ليلته فيموت على طهارة[2].

حكم نفض الفراش قبل النوم: يستحب نفض الفراش قبل أن يدخل فيه لئلا يدخل فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، وينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا

---

(١) حاشية العدوي ٢/٤٨٠-٤٨١، مطالب أولي النهى ١/٦٣، كشاف القناع ١/٧٨، شرح صحيح مسلم ١٧/٣٣.

(٢) حاشية رد المحتار ١/٨٩، حاشية الصاوي ١/٢٨، المجموع شرح المهذب ١/٤٩٧، الفروع ١/١٤٠، شرح صحيح مسلم ١٧/٣٢، فتح الباري ١١/١٢٩.

يحصل في يده مكروه إن كان هناك[١].

٤-حكم النوم على الشق الأيمن: يستحب النوم على الشق الأيمن لأن النبي ﷺ كان يحب التيامن، ولأنه أسرع إلى الانتباه[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال النبي ﷺ عن كلمات يقولهن إذا أصبح وإذا أمسى:

يظهر ذلك في قول أبي بكر رضي الله عنه: "يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت". وهذا يدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على التعلم من رسول الله ﷺ واهتمامه بتعلم العلم النافع ومعرفة المسائل الشرعية وحكمها من رسول الله ﷺ، وقد ورد الكثير من الأحاديث التي تدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على سؤال رسول الله ﷺ في أمور تخصه وعن الأدعية التي يدعو بها منها:

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: "إنك لست تصنع ذلك خيلاء"[٤]. ومنها قول أبي بكر رضي الله عنه

---

(١) مطالب أولي النهى ٦٣/١، كشاف القناع ٧٨/١، شرح صحيح مسلم ٣٨/١٧.

(٢) مطالب أولي النهى ٦٣/١، كشاف القناع ٧٨/١، شرح صحيح مسلم ٣٣/١٧، فتح الباري ١٢٩/١١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٥٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٥٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٦٦٥.

لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا، "وقال قتيبة: كثيرًا" ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم[1].

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنَفٍ؟ قَالَ: بَلْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: فَفِيمَ الْعَمَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[2].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في تعليم رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه للكلمات التي يقولها في الصباح والمساء وعند أخذ مضجعه..

في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال: "أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله ... إلخ الحديث"، وفي ذلك تعليم منه ﷺ لأمته لما يقولونه في الصباح والمساء، والتعليم من وسائل الدعوة المهمة، وذلك لأن حاجة البشر إلى العلم الكثير كحاجة الأرض المجدبة إلى الغيث الهاطل، فلابد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والإيقاظ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه إلى الخلق[3].

فعلى الدعاة إلى الله أن يعلموا الناس أحكام الإسلام ويعرفوهم بحدود الله[4].

وكذلك الذكر والدعاء بما ورد عن رسول الله ﷺ من أدعية وأذكار.

ثالثًا- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل:

يظهر ذلك في سؤال أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ فينبغي على المدعو أن يرجع في سؤاله إلى أهل العلم والفضل، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5]،

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٦/١، رقم ١٩، وقال محققو المسند حسن لغيره.

(٣) انظر: مع الله، محمد الغزالي، ٣٠٣.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٤٣.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٣.

قال السعدي: فإن الله أمر من لا يعلم بالرجوع إلى أهل العلم في جميع الحوادث، وفي ضمنه، تعديل لأهل العلم، وتزكيه لهم، حيث أمر بسؤالهم.... وأفضل أهل الذكر أهل القرآن العظيم، فإنهم أهل الذكر على الحقيقة[١]، وسؤال أهل العلم فيه شفاء العِيِّ.

فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أصَابَ رَجُلاً جُرْحٌ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ ثُمَّ احْتَلَمَ، فأُمِرَ بالاغْتِسَالِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رسولَ الله ﷺ، فقال: قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ الله، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»[٢].

قال العظيم آبادي: والمعنى: إن الجهل داء وشفاؤها السؤال والتعلم[٣].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الاقتداء بالنبي ﷺ في أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تعليمه ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لأذكار الصباح والمساء.

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ لأذكار الصباح والمساء.

ونحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٤]، قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، وأحواله، لهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ، "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"، أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله[٥].

فطاعة رسول الله والاقتداء به سبب الهداية، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[٦]، أي: إلى الصراط المستقيم، قولاً، وعملاً، فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داوود ٣٢٦).

(٣) عون المعبود ١٨٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٩١/٦.

(٦) سورة النور، آية: ٥٤.

وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال[١].

وقد أرشد الله عباده إلى ذكره في الصباح والمساء فقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[٢]، قال ابن كثير: هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعْ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي. اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وعن يميني وَعن شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[٤].

هذه الأدعية الكريمات كان ﷺ لا يدعها صباحًا ولا مساءً لتكون حصنًا من الآفات، وحذرًا من الشرور وأمانًا من المكاره فعلى المسلم أن يلازمها ولا يدعها اقتداء بنبيه ﷺ، وحفظًا لنفسه من الشرور وأسبابها[٥].

فينبغي على المدعو أن يحرص على الاقتداء برسول الله ﷺ في كل ما جاء عنه من أدعية وأذكار حتى يُحصّل فضلها وبركتها، فإن كل ما ورد عنه ﷺ خير وكل ما جاء به ﷺ نافع فينبغي علينا التمسك بهديه في الأذكار والدعاء في الصباح والمساء.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٥٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٠٧/٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٥٠٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٢٣٩).

(٥) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ٤٣٢/٦.

الحديث رقم (١٤٥٧)

١٤٥٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَانَ نبيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: ((أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلْكُ للهِ، والحَمْدُ للهِ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ)) قَالَ (الراوي)[1]: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: ((لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ))، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أيضًا ((أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ للهِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يعرض سنة عملية من سنن الذكر التي اعتاد الرسول ﷺ قولها حين يصبح، وحين يمسي، يدل على ذلك البناء التركيبي لعبارة الراوي وهو ابن مسعود رضي الله عنه فقوله (كَانَ نبيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ) فهذا التركيب يشير إلى أنه عادة متكررة في كل صباح، ومساء من حيث أنه استخدم (كان) وهي تشير إلى العادة غالبا ثم إنه صاغ المعنى في أسلوب الشرط، ومن خصائصه أن يربط حدثا بحدث وجودا، وانتفاءً فقد ربط الإمساء بقول الدعاء المذكور في جملة الشرط الأولى، وكذا فعل في ربطه في جملة الشرط الثانية فربط كل وقت بالذكر المناسب له، وقد تضمن هذا الدعاء عدة عناصر تضمن للعبد سعادة الدنيا، والآخرة دون جهد أو كلفة منها الاعتراف بالفضل، والملك لله، والذي صوره الجناس في قوله (أَمْسَيْنَا وأَمْسَى المُلْكُ للهِ) كما تضمن الدعاء الثناء على الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، والذي جاء في أسلوب

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٢٧٢٣/٧٥).

القصر بتعريف الطرفين قصرا للمعنى على الله وحده في قوله (والحمد لله) وأسلوب القصر بالنفي والاستثناء في قوله (لا إلهَ إلاَّ اللهُ) وقد أكد هذا الإقرار بالوحدانية بنفي الشريك في قوله (وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ) ، وقول الراوي) أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ) رأى هنا ظنية تفيد الشك وعدم الجزم وقول الرسول ﷺ (رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وخير ما بعدها) نداء حذفت منه أداته استشعار ا لقرب لم يحتج معه إلى مد صوته بها ، والمقابلة بينها ، وبين جملة (وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا) يؤكد المعنى، ويشير إلى أنه المتصرف بتحقيق الخير، ودفع الضر الكائن في الزمان المعلوم في الحاضر للعبد ، والمجهول فيما يستقبل كما تضمن الدعاء الاستعاذة من مجموعة من المفردات التي تترتب عليها نقلات نوعية في الشر المحدق بالعبد وهي (الكسل - سوء الكبر) وهما يشيران إلى توقف الحركة التي عليها قوام التقدم في اتجاه الدنيا ، والآخرة ومنها الاستعاذة من سوء المصير في الحياة الوسيطة في البرزخ المتمثل في (عذاب القبر) أو في المصير النهائي المتمثل في (عذاب النار) وقدم الاستعاذة من النار على الاستعاذة من عذاب القبر مع أنه أسبق في الترتيب الزمني لأن عذاب القبر مؤقت، وهو الأهون ، وعذاب الآخرة هو الدائم العظيم، فهو تقديم للأهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٥٨)

١٤٥٨- وعن عبد الله بن خُبَيْب -بضم الخاء المعجمة- رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسولُ الله ﷺ: ((اقْرَأْ[1]: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن خبيب: وهو عبدالله بن خُبَيْب - مُصغَّر - الجُهني، حليف للأنصار، وعداده في أهل المدينة له ولأبيه صحبة، روى عن النبي ﷺ وروى عنه ابناه عبدالله ومعاذ، وروى له البخاري في الأدب، كما روى له الأربعة[3].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار الراوي بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم يعتزون بما يختصهم به رسول الله ﷺ، وحُقَّ لهم، وقول الرسول ﷺ له (اقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ) أمر نصح، وإرشاد وتوجيه إلى فضيلة ذات خصوصية في عظمة الثواب، والطباق بين قوله تمسي، وتصبح يقرر أنها تختص بطرفي النهار ذكرا يبدأ به اليوم، ويختمه، والبدايات، والنهايات له خصوصية في الأعمال تشعر المؤمن الذي قرأها بالسلام النفسي، والسكينة لأنه صار محفوظا من قوة لا تخترق، وقوله ثلاث مرات هو العدد

---

(١) (اقرأ) لا توجد عندهما.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) واللفظ له، والترمذي (٣٥٧٥). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٤٥/٢): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٤٨).

(٣) الاستيعاب (٣٩٥)، أسد الغابة (٢٢٤/٣)، الإصابة ٧٦٦)، تهذيب الكمال (١١٩/٤، ١٢٠)، تهذيب التهذيب (٣٢٦/٢)، السندي (٣٣٥/٣٧).

المحدد المقصود في الذكر، وقوله (تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) هو جواب الأمر ونسبة الكفاية لهذا القول من نسبة الفعل لسببه على سبيل المجاز مبالغة في الكفاية، والمعنى يكفيك الله بسببها، وقوله من كل شيء استغراق لجميع ألوان المخوفات، والشرور التي يمكن أن تطرأ للعبد، فهي حرز وحصن له من الله تعالى، وما أكثر الشرور التي تحدق بالإنسان، ويحتاج إلى حصن منها!!.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

ثالثًا: من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ علي تعليم الناس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله أحد: والمعوذتين...".

وذلك لفضل هذه السور وخيرها الكثير حرص رسول الله ﷺ على تعليم الناس ما ينفعهم، وما فيه خيرهم فهو رسول الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]، وقال أيضًا: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال القاسمي قوله: "حريص عليكم" أى: على هدايتكم، كى لا يخرج أحد

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

منكم عن اتباعه، والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به "بالمؤمنين رءوف"، إذ يدعوهم لما ينجيهم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي، لفرط رأفته "رحيم" إذ يفيض عليهم العلوم والمعارف والكمالات المقربة بالتعليم والترغيب فيها برحمته[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "اقرأ: قل هوْ الله أحد، والمعوذتين، حين تمسى وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء"، وهذا يدل على فضل سورة الإخلاص والمعوذتين، أما السورة الأولى فهي: سورة الإخلاص "قل هو الله أحد" التي أخلصها الله تعالى لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا ويتعلق بنفسه جلا وعلا، وليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، بل كلها مخلصة لله عز وجل، فهي مخلَصة مخلِصة تخلص قارئها من الشرك[٢]. وقد بين رسول الله ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، فقال: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟" قال: "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن[٣].

وأما "قل أعوذ برب الفلق" و "قل أعوذ برب الناس" فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل، فأحل الله عنه السحر[٤]. وقال رسول الله ﷺ: "أنزل أو أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط: المعوذتين"[٥]. وقال ﷺ: "... فما تعوذ متعوذ بمثلهما"[٦].

تستعيذ "برب الفلق" فالفلق فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى جلا وعلا، "من شر ما خلق" كل ما خلق، "ومن شر غاسق إذا وقب" يعني الليل إذا دخل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب "ومن شر

---

(١) محاسن التأويل مج٥/٨/٣٦٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٣٧.

(٣) أخرجه مسلم ٨١١.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/٥٣٨، وقد عزاه ابن كثير للثعلبي، في الكشف والبيان.

(٥) أخرجه مسلم ٨١٤.

(٦) أخرجه أبو داود ١٤٦٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٢٩٩).

النفاثات في العقد" أي: الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله "ومن شر حاسد إذا حسد" هو العائن يؤثر، فأمرت أن تستعيذ "برب الفلق" جل وعلا ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاث "ومن شر غاسق إذا وقب" الليل، لأن البلاء يكون فيه خفيًا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما "قل أعوذ برب الناس": فهي السورة الأخرى أيضًا التي بها الاستعادة بالله عز وجل "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس" فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا "ملك الناس، إله الناس" أي: معبودهم الذي يعبد بحق، فلا معبود يحق إلا الله عز وجل "من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس"، هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم، الدنيا اسم على مسمى، دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد لا يوجد نظيره فيما سبق، النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، لكن كثرت في الناس الآن كثرة الوساوس والأمراض النفسية، والبلاء، حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛ لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنست الآخرة، كما قال النبي ﷺ: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»[1]. والله عز وجل إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جوانب أخرى، والشاعر الجاهلي يقول:

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ٤٠١٥، ٦٤٢٥، ومسلم ٢٩٦١.

فَيَـــوْمٌ عَلَيْنَـــا وَيَـــوْمٌ لَنَـــا ... وَيَـــوْمٌ نُـــسَاءُ وَيَـــوْمٌ نُـــسَرُّ[١]

فالحاصل: أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانًا في أصول الدين، وفي ذات الرب، وفي القرآن، وفي الرسول، حتى يوسوس الإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، وسواس أيضًا في الطهارة، بعض الناس يصاب بالوسواس، والعياذ بالله، يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق يبقى خمس ساعات، نسأل الله العافية.

وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام، حتى إن بعضهم يقول: إني ما أستطيع أن أصلي إطلاقًا. فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة، يقع الوسواس في معاملة الأهل، حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه، فيأكل من المطاعم، وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول: يا أم فلان (زوجته) فيقول له الشيطان: طلقها وينكد عليه الحال، حتى إن بعضهم إذا فتح المصحف ليقرأ كلما قلب ورقة خيل له الشيطان أنه قال لامرأته طالق فترك قراءة القرآن، فالوساوس عظيمة لكن طردها سهل جدًا بينه النبي ﷺ الذي أعطاه الله جوامع الكلم وفواتح الكلم، وخواتم الكلم، حين شكي إليه هذا الأمر فقال ﷺ: «إذا وجد أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته»[٢]. كلمتان، يستعذ بالله، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجئ إلى الله حقًا، لا مفر له من الله إلا إليه، ولينته: أي يعرض عن هذا، يعرض إطلاقًا إذا استعمل هذا وإن كان سوف يكبس على نفسه وسوف يتعلم وسوف يتعذب، لكن هذا في أول الأمر، ثم بعد ذلك يزول بالكلية؛ لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، قال: ((فليستعذ بالله)) ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

---

(١) نفح الطيب ١٨٨/٣، العقد الفريد ٧٤/٣، قافية الراء.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦، ومسلم ١٣٤، بلفظ (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته).

هذه الجمل الثلاث، الآيات الثلاث، يمكن أن يقال: إنها استوعبت أقسام التوحيد ﴿برب الناس﴾ توحيد الربوبية ﴿ملك الناس﴾ الأسماء والصفات؛ لأن الملك لا يستحق أن يكون ملكًا إلا بتمام أسمائه وصفاته ﴿إله الناس﴾ الألوهية ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ قال العلماء: ﴿الخناس﴾ هو الذي يخنس عند ذكر الله. ولهذا جاء في الحديث: ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان))[1]، الغيلان: هي الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، ولاسيما في الأسفار الأولى على الإبل، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين تتلون بألوان، مثل: أسد، ذئب، ضبع، شياطين، جن ((إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان)) يعني قولوا: "الله أكبر" فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله عز وجل ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ يعني هذا الوسواس يكون من الجِنَّة ويكون من الناس، الجِنَّة هي الجن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور والناس أيضًا شياطين بني آدم وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[2].

كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون، هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة أو غير ذلك، المهم عندهم وساوس، شياطين الإنس احذرهم، احذر شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة[3].

ثالثًا- من آداب المدعو: الحرص على اتباع هدى النبي ﷺ في قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ لعبدالله بن خبيب رضي الله عنه: "اقرأ: قل هو الله

---

(١) جزء من حديث أخرجه أحمد ٣٨٢/٣، رقم ١٥٠٩١ وقال محققو المسند: صحيح لغيره دون قصة الغيلان ٣١٥/٢٣.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٣١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٣٨/٢، ١٥٣٩.

أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح، ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

قال ابن عثيمين: المهم أن هذه السور ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء، لأمر النبي ﷺ بها[1]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[2]. قال ابن كثير: أى: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهي عن شر[3].

وفي أمره ﷺ بقراءة الإخلاص والمعوذتين خير كثير فينبغي على المسلم الحرص على هذا الخير بقراءة هذه السور ثلاث مرات في الصباح وثلاث مرات في المساء.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٣٩/٢.

(٢) سورة الحشر، آية : ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٦٧/٨.

الحديث رقم (١٤٥٩)

١٤٥٩- وعن عثمان بن عفان ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إِلاَّ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

عثمان بن عفان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١٨).

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على أسلوب القصر الذي يستوعب جمله من بدايته إلى نهايته، والذي يقصر قائل الدعاء المذكور صباحا، ومساء على عدم إصابته بضر أي أنه يحقق له الحماية المطلقة من كل الشرور، وقد بدأ الحديث بأسلوب النفي مع الاستغراق، والعموم في قوله (مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ) فالعموم مستفاد من النكرة (عبد) الواقعة في سياق النفي، والاستغراق أفادته (من) قبلها، والحدث هو (يقول) ولفظ المضاف للصباح، والمساء (كل) يعطي الحدث اطرادا على الزمان يضمن حماية لا تنقطع، واتصال الصباح باليوم، والمساء بالليلة توكيد لهذا الاتصال يؤكد عدم انقطاع سبب الحماية وقوله (بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ) استعانة بالاسم المخصوص من أسماء الله بمنع الضر الآتي من جهة السماء أو من جهة الأرض تستوعب المكان، وقوله (وهو السميع العليم) تذييل بلاغي يفيد الإحاطة بكل أنواع الضر ومصادرها علما مع قدرته على منعها عن العبد، وهو السميع المجيب للعبد إذ استعاذ به بمثل هذه الدعوات، وغيرها من صيغ الاستعاذة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٥٢)، وقال الحاكم (١/٥١٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٦٧): هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٩٥٦).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لما يقوله العبد من أذكار الصباح والمساء:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض والسماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات، إلا لم يضره شيء". قال ابن عثيمين: وهذه الكلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم" لأن الله سبحانه وتعالى بيده ملكوت السموات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء لا يضر معه. وقوله: "وهو السميع العليم" فالسميع من أسماء الله والعليم من أسماء الله، فالسميع من أسماء الله وله معنيان:

الأول: السمع الذي هو إدراك كل صوت، فالله تعالى لا يخفى عليه شيء، كل صوت يسمعه مهما بعد ومهما ضعف لما أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1]، قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ، وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها أو ما أسمع ما تقول[2].

الثاني: السميع: أنه سميع الدعاء، أي: مجيب الدعاء، كما قال إبراهيم ﷺ: "إن ربي لسميع الدعاء، أي: مجيبه فهو جل وعلا يجيب دعاء المضطر وإن كان كافرًا".

ولهذا يجيب الله عز وجل، دعاء المضطرين في البحر، إذا غشيهم موج كالظل دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم، ويجيب جل وعلا دعوة المظلوم قال النبي ﷺ: «اتَّقِ

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم ١٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ١٥٥).

دَعوةَ المظلومِ، فإنها ليسَ بينَها وبينَ اللهِ حِجاب»[١].

وأما العليم: فهو من أسمائه أيضًا، وعلم الله تعالى علم واسع محيط بكل شيء، قال تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[٢].

فالله عنده مفاتيح الغيب، ما تسقط من ورقة من شجرة إلا يعلمها، ولو كانت صغيرة فالله يعلمها، وإذا كان يعلم الساقط فهو جل وعلا، يعلم الحادث الذي يخلقه، فكل شيء الله به عليم[٣].

فهذا الدعاء يتضمن معاني سامية وألفاظًا عظيمة وفوائد جليلة فلذلك علمه رسول الله ﷺ أمته.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".

وفي ذلك ترغيب منه ﷺ وحث على قول هذا الدعاء لما فيه من خير. والنفس البشرية مطبوعة على حب الخير فإذا دعا الداعية المدعوين إلى دعوته وبين لهم ما يعود عليهم من خير ليقبلوا هذه الدعوة، حرصوا على الامتثال لها.

فعلى الداعية أن يكثر من المرغبات في الطاعات كالإيمان بالله والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[٤]. وقد ورد ذلك في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٤٤٨، ومسلم، ١٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٠-١٥٤١.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٤٤١.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اليقظة الإيمانية الدائمة:

إن الغفلة داء موبق للنفس يوردها موارد التهلكة، فالحيوان يسير في حياته، وفق ما فطر عليه لا يحيد ولا ينحرف، وقد مُيز الإنسان بإرادته ووعيه ويقظته، فإذا غفل وتداعي وعطل إرادته، وعاش أسير أهوائه وشهواته هبط، دون مستوى الحيوان.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[1].

وفي الذكر عند الصباح والمساء علاج لهذه الغفلة وتربية على اليقظة الدائمة، فقد ربي الرسول ﷺ المؤمن على دوام اليقظة حتى لا يغفل عن نفسه، ولا عن مقاومة هواه، فحض على الذكر، وحث عليه صباح مساء - كما ورد في أحاديث الباب - ، وكان النبي ﷺ حريصًا على أن تكون حياته ذكرًا متصلاً، حريصًا على أن يربى أصحابه على ذلك، وليس الذكر ترديد اللسان لاسم من أسماء الله آلاف المرات؛ إنما الذكر هو يقظة النفس الدائمة، وتطلعها المستمر إلى الله والتفكير في نعمه وآلائه، والاستعانة به على كل أمر من أمور الدنيا والآخرة؛ لذا كان الذكر الدائم صباح مساء يجعل المؤمن دائم الصلة بربه، مرهف الحس بعيدًا عن الغفلة والهوى[2]، وهذا ما يجدر بأهل التربية والتعليم غرسه في نفوس المتعلمين.

ثانيًا: التربية بالثواب وعظم الأجر:

إن النفس الإنسانية يشجعها الثواب ويجعلها تسخو في البذل والعطاء، وهذا ما ترائي جليًا في مجمل أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في ذكر الله تعالى صباح

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٧، ٢٤٩.

مساء بعظيم الثواب، والأجر من الله؛ لذا كان الثواب معلمًا بارزًا في التربية الإسلامية، بل وفي كل أنواع التربية، فالثواب على الأمور المحمودة من الأقوال والأفعال والتصرفات، إزاء المواقف المختلفة مما ينبغي أن يعتني به المربي، لكن مع وصول الصبي إلى هذه المرحلة يكون من المهم ربط ذلك برضا الله تعالى ومحبته وثنائه على العبد وشكره لصنيعه، حتى لا يتحول الثواب إلى مجرد مكافأة دنيوية مادية، فيضعف الارتباط بالله تعالى، ويكون ذلك مدخلاً لإفساد النية الصالحة التي هي شرط في قبول الأعمال، وإن كان هذا لا يمنع من الثواب المادي في بعض الأحيان؛ لذا كان على دعاة التربية والتوجيه غرس المحافظة على ذكر الله[1] صباحًا ومساء في قلوب المتعلمين بإظهار عظم الثواب وجزيل الأجر من الله.

❁ ❁ ❁

(١) نحو تربية إسلامية راشدة من الطفولة حتى البلوغ، محمد شاكر الشريف، ص٩٢.

٢٤٩- باب مَا يقوله عِنْدَ النوم

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠ - ١٩١] الآيات.

الحديث رقم (١٤٦٠)

١٤٦٠- وعن حُذَيْفَةَ، وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللّه ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِراشِهِ، قَالَ: ((بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ)). رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي والمضامين الدعوية[٢]

---

(١) برقم (٦٣٢٥) من حديث أبي ذر، وبرقم (٦٣١٤) من حديث حذيفة. ولفظهما: (اللهم باسمك أموت وأحيا). والسياق للحميدي في جمعه (٢٨٥/١، رقم ٤٠٤). أورد المؤلف هنا شطر الحديث الذي تقدم برقم (١٤٤٨) وقد تقدم كاملاً برقم ٨١٧..

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٨١٧) مع اختلاف ألفاظ الحديث المشار إليه.

الحديث رقم (١٤٦١)

١٤٦١- وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما: ((إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا - أَوْ إِذَا[1] أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا - فَكَبِّرَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، واحْمِدا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ))[2].

وفي روايةٍ[3]: التَّسْبيحُ أرْبعًا وثلاثينَ.

وفي روايةٍ[4]: التَّكْبيرُ أرْبعًا وَثَلاثينَ. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

وإذا أويتما إلى فراشكما: أويتما من أوى: سكن ونزل والمعنى دخل في فراشه وانزوى فيه[5].

إذا أخذتما مضاجعكما: إذا أردتما النوم في مضجعكما[6].

الشرح الأدبي

الحديث الذي يرويه علي رضي الله عنه فيه تعليم من الرسول ﷺ لهما ذكرا من أذكار النوم، وقوله (قَالَ لَهُ ولِفَاطِمَةَ رضي الله عنهما) يشير إلى اختصاصهما بالخبر معرفة لا في العمل به دون الناس، وكون الخطاب لهاتين الشخصيتين المقربتين من قلب النبي ﷺ يجعل الدعاء الموصى به له خصوصية في الفضل، وقول الرسول ﷺ (إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى

---

(١) (إذا) لا توجد عند البخاري.

(٢) أخرجه البخاري (٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٣) أخرجها البخاري عقب الحديث (٦٣١٨) من رواية ابن سيرين

(٤) أخرجها البخاري (٣١١٣)، و(٣٧٠٥)، و(٥٣٦١)، و(٥٣٦٢، ومسلم (٢٧٢٧/٨٠).

(٥) الوسيط في (أ و ي)، ودليل الفالحين (١٥٠٦).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥٩٦).

فِرَاشِكُمَا) أسلوب شرط يربط التهيؤ للنوم بالأمر بالتكبير، والتسبيح، والتحميد، وبذلك تكون آخر ما يقولان فيختم لهما بختام خير من الحسنات، وقوله (فكبرا - وسبحا - وحمّدا) هي أوامر توجيه، ونصح لما فيه الراحة النفسية، والأخروية، والتعبير بالإيواء يشير إلى السكن، والطمأنينة، والراحة، وذكر العدد (ثَلاَثاً وَثَلاثِينَ) وتكراره مع كل لون من ألوان الذكر ينص على قصد العدد المذكور دون نقصان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع.

أولاً - من موضوعات الدعوة: وصية النبي ﷺ لعلي وفاطمة رضي الله عنهما بالتكبير والتسبيح والتحميد.

ويظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "إذا أويتما إلى فراشكما -أو إذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثًا وثلاثين وسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين" الحديث.

وكانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ اشتكت إليه ما تجده من الرحي "أداة طحن الحب" وطلبت من أبيها خادمًا، فقال ﷺ: "ألا أدلكما على ما هو خير من الخادم". ثم أرشدهما إلى هذا، أنهما إذا أويا إلى فراشهما وأخذا مضجعيهما، يسبحان ثلاثًا وثلاثين، ويحمدان ثلاثًا وثلاثين، ويكبران أربعًا وثلاثين، فهذه مائة مرة، فإن هذه مما يعين في الحاجات، ويجعل الإنسان ينام على ذكر الله[2].

قال القاضي عياض: ظاهره أن النبي ﷺ أعلمهم أن عمل الآخرة على كل حال

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٢، ١٤٦٣).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٥٤٢/٢.

أفضل من أمور الدنيا، وهذا ما لاشك فيه، وإنما قصد النبي ﷺ هذا لما لم يمكنه الخادم التي سألت، ... تم علمهما - إذا فاتهما ما طلباه - ذكرًا يحصل لهما به أجر أفضل مما سألاه[1].

والتسبيح والتحميد والتكبير من أفضل الأذكار، قال رسول الله ﷺ "لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس"[2]، من أجل ذلك وصى علي وفاطمة رضي الله عنهما بهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية نفض الفراش عند النوم وذكر الله تعالى:

يظهر ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه ...الخ". الحديث.

قال القرطبي: "وقوله: ((فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه)) داخلة الإزار: هي ما يلي الجسد من طرفي الإزار.

قلت: هذا الحديث يتضمن الإرشاد إلى مصلحتين: إحداهما معلومة ظاهرة وهي: أن الإنسان إذا قام عن فراشه لا يدري ما دب عليه بعده من الحيوانات ذوات السموم، فينبغي له إذا أراد أن ينام عليه أن يتفقده، ويمسحه، لإمكان أن يكون فيه شيء يخفي من رطوبة أو غيرها، فهذه مصلحة ظاهرة، وأما اختصاص هذا النفض بداخلة الإزار لم تظهر لنا، بل: إنما ظهرت تلك للنبي ﷺ بنور النبوة، وإنما الذي علينا نحن الامتثال. ويقع لي: أن النبي ﷺ علم فيه خاصية طبية تنفع من ضرر بعض الحيوانات كما قد أمر بذلك في حق العائن. والله تعالى أعلم. ويدل على ذلك ما زاده الترمذي في هذا الحديث: ((فليأخذ صنفة إزاره، فلينفض بها فراشه ثلاثًا))[3]، فحذا بها حذو تكرار الرُّقى.

---

(١) إكمال المعلم ٨/٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٤٠١، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٧٠٧).

وقوله: ((لك وضعت جنبي، وبك أرفعه)) كذا صح: لك وضعت، باللام، لا بالباء، وبك أرفعه: روي بالباء وباللام، فالباء للاستعانة. أي: بك أستعين على وضع جنبي ورفعه. فاللام يحتمل أن يكون معناه: لك تقربت بذلك. فإن نومه إنما كان ليستجم به لما عليه من الوظائف؛ ولأنه كان يوحي إليه في نومه، ولأنه كان يقتدى به، فصار نومه عبادة، وأما يقظته. فلا تخفى أنها كانت كلها عبادة، ويحتمل أن يكون معناه لك وضعت جنبي لتحفظه، ولك رفعته لترحمه"[١].

قال النووي: ومعناه: أنه يستحب أن ينفض فراشه قبل أن يدخل فيه لئلا يكون فيه حية أو عقرب أو غيرهما من المؤذيات، ولينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا يحصل في يده مكروه إن كان هناك[٢].

وليقل: "باسمك اللهم وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"، وذلك أن الإنسان إذا نام فإن الله يقبض روحه كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[٣]، ولكن قبض الروح في المنام ليس كقبضها في الموت، إلا أنه نوع من القبض، ولهذا يفقد الإنسان وعيه ولا يحس بمن حوله، فلهذا سماه الله تعالى وفاة، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[٤]، فينبغي للإنسان أن يقول هذا الذكر[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ عند أخذ المضجع:

يظهر ذلك في قول عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ، كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده.

---

(١) المفهم، ٧/٤٣-٤٤.

(٢) شرح مسلم، ص١٥٩٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦٠.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٤٣.

وفي الرواية الثانية: ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: "قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده..."، قال ابن عثيمين: "فينبغي للإنسان إذا أخذ مضجعه أن يفعل ذلك ينفخ في يديه مجموعتين ويقرأ فيهما: "قل هو الله أحد"، "قل أعوذ برب الفلق"، "قل أعوذ برب الناس"، ثلاث مرات، ويمسح رأسه ووجهه وصدره وبطنه وفخذيه وساقيه وكل ما يستطيع من جسده[1].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأدعية والأذكار عند أخذ المضجع.

فمن آداب المدعو أن يقتدي برسول الله ﷺ عند أخذه مضجعه حتى تناله بركة هذه الأدعية والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ.

قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

قال د. محمد محمود حجازي: "لقد كان لكم أسوة حسنة في النبي ﷺ لمن كان يرجو ثواب الله ويخاف عقابه يوم القيامة، وذكر الله كثيرًا حبًا في ذكره وأملاً في ثوابه، وهذا.... إرشاد للناس أجمعين حيث يجب عليهم أن يأتموا بالنبي ﷺ في كل شيء، فهو المثل الأعلى المثل الكامل ﷺ"[3].

---

(١) شرح رياض الصالحين٢/١٥٤٤.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) التفسير الواضح، مج٢/٢١/٨١.

الحديث رقم (١٤٦٢)

١٤٦٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا، فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٢).

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بداخلة إزاره: طُرفه وحاشيته من داخل[2]، والإزارُ: ثوبٌ يُحيط بالنصف الأسفل من الجسد[3].

ما خلفت عليه: ما صار بعده خلفًا وبدلاً إذا غاب[4].

إن أمسكت نفسي: كناية عن الموت[5].

أرسلتها: كناية عن استمرار الحياة والبقاء[6].

الشرح الأدبي

يدور المعنى في الحديث حول بيان أذكار النوم، وهي اللحظة التي يسلم الإنسان فيها روحه لربه في لحظة لا يملك فيها حولا ولا قوة فيتركها في يد خالقها يحفظها، ويردها مع تمام التفويض لله تعالى قال العلماء وحكمة الذكر والدعاء عند النوم

---

(١) اخرجه البخاري (٦٣٢٠) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٤/٦٤).

(٢) النهاية في (د خ ل)

(٣) الوسيط في (أ ز ر)، ودليل الفالحين ١٥٠٦.

(٤) فتح الباري (١٣١/١١).

(٥) فتح الباري (١٣١/١١).

(٦) انظر فتح الباري (١٣١/١١).

واليقظة أن تكون خاتمة أعماله على الطاعة وأول أفعاله على الطاعة، والمعنى يقوم على أسلوب الشرط الذي يربط تلك العادة بنفض الفراش (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ) وجواب الشرط هو الأمر بالنفض وهو التحريك وقوله (بداخلة إزاره) الباء للاستعانة أي: بطرف ردائه، وقيد النفض بإزاره، لأن الغالب في العرب أنه لم يكن لهم ثوب غير ما هو عليهم من إزار ورداء، وقيده بداخل الإزار، ليبقى الخارج نظيفا، ولأن هذا أيسر، ولكشف العورة أقل، وأستر وإنما قال هذا، لأن عادة العرب ترك الفراش في موضعه ليلا، ونهارا، ولذلك علله بقوله (فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ) وفيه تحذير من عواقب المخالفة بالتعرض لما يعقبه، وفي قوله في الدعاء (وضعت - وأرفعه) طباق يؤكد المعنى ويفوض الأمر في الحالين لله تعالى وبين قوله أمسكتها، واحفظها طباق يؤكد ملكه التصرف في روح العبد، وفي الحديث تناسب بين الإمساك، والرحمة، وبين الإرسال والحفظ، وقوله (بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) قيد يفيد تخصيص نوعية الحفظ بما يضمن حسن الحال، والمآل، وهو حال الصالحين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٦٣)

١٤٦٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، كَانَ إذَا أخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عَلَيْهِ[١].

وفي رواية لهما[٢]: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَى إلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فيهما: ((قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)) ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا استَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَى رَأسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نفث في يديه: النفث: نفخ لطيف بلا ريق[٣].

المعوذات: المراد بالمعوذات الإخلاص، والفلق، والناس[٤].

الشرح الأدبي

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حالا من أحوال النبي ﷺ في الذكر الذي يتلوه عند نومه، وهي حال لا يعرفها إلا آل بيته، وقولها (أن رسول ﷺ كان) يشير استخدام كان إلى العادة - غالبا -، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط بين أخذ المضجع، وبين النفث في اليدين، وما عطف عليه وقوله (أخَذَ مَضْجَعَهُ) كناية عن التهيؤ للنوم، وقوله (نَفَثَ في يَدَيْهِ وقرأ بالمعوذات) قيل:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٩) أورده الحميدي في جمعه (٨٥/٤، رقم ٣١٩٧) في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠١٧). أورده الحميدي في جمعه في المتفق عليه، ولكن مسلمًا لم يروه بهذا اللفظ.

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٠٢.

(٤) فتح الباري (١٢٩/١١).

الْوَاو لَا تَدُلّ عَلَى التَّرْتِيب فَلَا يُنَافِي تَقْدِيم الْقِرَاءَة عَلَى النَّفْث كَمَا هُوَ الْمُعْتَاد، وَيُحْتَمَل أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُخَالِف الْعَادَة الَّتِي بَيْن النَّاس بتقديم القراءة على النفث، والمعوذات هي ما يستعاذ بها، والمقصود بها -كما فصَّلت الرواية الثانية- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وقوله (وَمَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ) يشير إلى الإحاطة بالحفظ المانع لأنواع الشرور التي يتوقعها الإنسان مما يعلمه، ويراه، ومما لا يراه كالشيطان، والجن، وهذا الذكر مع تضمنه للحفظ فهو عبادة، وقربى لله وصالح يختم به.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع المضامين الدعوية الحديث رقم (١٤٦١).

الحديث رقم (١٤٦٤)

١٤٦٤- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، (ووجهت وجهي إليك)[1]، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة[2] إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

البراء بن عازب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٠).

غريب الألفاظ:

ألجأتُ ظهري: أسندته[4]، والمراد: توكلتُ عليك.

الفِطرةُ: الحالةُ الأولى التي خُلق الخلق عليها، وهي التوحيد والإسلام[5].

الشرح الأدبي

الحديث السابق كان يدور حول السنة الفعلية للرسول ﷺ، والتي نقلتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن فعل النبي ﷺ عند النوم من الذكر، وهذا الحديث يشير إلى توجيه نبوي لفعل المؤمن عند النوم، وكأنه يهيِّئه لعبادة وليس لنوم فيحتسب نومته كما يحتسب قومته، وقد قام المعنى على الشرط الذي يربط إرادة النوم بالأمر

---

(١) قوله: (وجهت وجهي إليك) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٣١٣)، وكذا عند مسلم برقم (٢٧١٠/٥٧).

(٢) لفظ البخاري في هذه الرواية: (رهبة ورغبة)، والمثبت عنده برقم (٦٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣١١) واللفظ له، ومسلم (٢٧١٠)، وتقدم برقم (٨٠) الشطر الأول منه، ثم قال: وذكر نحوه. أورده المنذري في ترغيبه (٨٧٣).

(٤) اللسان والوسيط في (ل ج أ).

(٥) النهاية في (ف ط ر).

بالوضوء، والتشبيه البليغ في قوله (فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلاَةِ) يقرر أنه وضوءاً شرعيا لا لمجرد النظافة مع استحضار حالة الخشوع، والسكينة التي تسبق الصلاة لأنه يوشك أن يفارق روحه، ولا يدري إن كانت سترد إليه أم لا، ويؤيده هذه الحال الدعاء بعدها في قوله (اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلْجَأتُ ظَهرِي إِلَيْكَ) بما يشير إلى كامل التفويض وتأمل ما تفيض بها ألفاظ الدعاء من تمام الخضوع (أسلمت - وجهت - فوضت - ألجأت) مع التناسب بين الألفاظ، والمعاني، ومراعاة النظير في الجمع بين هذه المعاني، وقَوْله (رَغْبَة وَرَهْبَة) عِلَّة لِكُلٍّ مِنْ الْمَذْكُورَات، (وَإِلَيْك) مُتَعَلِّق بِالرَّغْبَةِ وَمُتَعَلِّق الرَّهْبَة مَحْذُوف أَيْ مِنْك، وقوله (لا مَلْجَأ وَلا مَنْجَا إلاَّ إِلَيْك) الْمَلْجَأ مَهْمُوز وَالْمَنْجَا مَقْصُور وَلَكِنْ قَدْ يُهْمَز لِلازْدِوَاجِ وَقَدْ يُجْعَل الأَوَّل مَقْصُورًا لَهُ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ أَصْل الْكَلِمَة، أَيْ: لا مَهْرَب وَلا مَلاذ وَلا خَلاص عَنْ عُقُوبَتك إلاَّ بِرَحْمَتِك، وقوله (آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذي أنْزَلْتَ. ..) تجديد للإيمان كل ليلة يستلزم تصفية العمل، وتدارك النقص وتحقيق المتابعة، وقوله (فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ) جملة الجواب التي تشير إلى أنه بهذا الدعاء صار إلي الإيمان الكامل الذي ارتضاه الله لخلقه وفطرهم عليه، وقوله (وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ) تتميم بلاغي يجعله يختم أعماله بصالح.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح إحدى روايات الحديث رقم (٨٠).

الحديث رقم (١٤٦٥)

١٤٦٥- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: ((الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

كفانا: أغنانا[2].

آوانا: ردّنا إلى مأوًى ولم يجعلنا منتشرين كالبهائم[3].

مُؤوي: راحم وعاطف[4].

الشرح الأدبي

لفظ الإيواء يدل على السكون والراحة، والاستقرار، وبتعلقه بالفراش يشير إلى الدخول فيه، والتهيؤ للنوم، والتعبير بكان يشير إلى تكرار الحدث، واعتياده ويقويه استخدام الشرط الذي يدل على الاطراد والتلازم بين النوم، وبين قول الدعاء المذكور، والدعاء يتضمن حمد الله على نعمه، والتي عد منها (أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا) ووصلها جميعا بضمير الجماعة دلالة على عموم الخير وعظيم الفضل، وتخصيص النعم المذكورة لأنها جملة النعم التي لابد منها لتمام متاع العبد، ونقص واحد منها ينغص بقية النعم، وقوله (فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ) تبصير للنفس بنعم الله التي حرم منها كثير من خلقه، ومعناه أن كثيرا من خلق الله لا يكفيهم الله شر الأشرار، ولا يجعل لهم مسكنا بل تركهم يتأذون في الصحارى بالبرد، والحر وقيل: معناه كم من

---

(١) برقم (٢٧١٥/٦٥).

(٢) الوسيط في (ك ف ا)، دليل الفالحين ١٥٠٦.

(٣) النهاية في (أ و ى).

(٤) النهاية في (ك ف ي).

منعم عليه لم يعرف قدر نعمة الله فكفر بها، وهو ما يستلزم مزيد الحمد مع استشعار النعمة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان.

ثانيًا: من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان:

يظهر ذلك في قول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ، كان إذا أوى إلى فراشه قال: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كَافِيَ له ولا مُؤْوِي".

قال القرطبي: "وقوله: (فكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي) أي: كثير من الناس ممن أراد الله إهلاكه فلم يطعمه ولم يسقه، ولم يكسه؛ إما لأنه أعدم هذه الأمور في حقه، وإما لأنه لم يقدره على الانتفاع بها حتى هلك، هذا ظاهره، ويحتمل أن يكون معناه، فكم من أهل الجهل والكفر بالله تعالى من لا يعرف أن له إلها يطعمه ويسقيه، ويؤويه، ولا يقر بذلك، فصار الإله في حقه وفي اعتقاده كأنه معدوم"[1].

أما المؤمن فهو دائماً يعرف نعم الله عليه ويعلم أنها لا تعد ولا تحصى، ويستشعر بها وهذا ما ينبغي أن يكون عليه كل إنسان لأن استشعار نعمة الله تعالى على الإنسان تجعله راضيًا عن نفسه، أعنى عن وجوده ومكانه في الكون، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله.

وهو راض عن ربه، لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، ووسع كل شيء رحمة، لم يخلق شيئًا لهوًا، ولم يترك شيئًا سدى، له الملك، وله الحمد، نعمه عليه لا تُعدُّ، وفضله عليه لا يُحدُّ، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائمًا هذا الثناء الذي ردده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿ ٱلَّذِى

---

(١) المفهم ٤٥/٧.

خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[1]، [2].

ثانيًا - من آداب المدعو: حمد الله تعالى، وشكره على نعمه وآلائه:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي".

قال الطيبي: فالمعنى أن نحمد الله تعالى على أن عرفنا نعمته، ووفقنا لأداء شكرها، فكم من منعم عليه لم يعرفها فكفر بها، وكذلك الله مولى الخلق كلهم بمعنى أنه ربهم، ومالكهم، لكنه ناصر المؤمنين، ومحب لهم، فالفاء في "فكم" لتعليل الحمد[3].

قال النووي: "آوانا" هنا رحمنا[4]. فقوله: "كم ممن لا مؤوى له" أي لا راحم ولا عاطف عليه[5].

قال ابن عثيمين: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي» يحمد الله عز وجل الذي أطعمه وسقاه، فلولا أن الله عز وجل يسر لك هذا الطعام وهذا الشراب ما أكلت ولا شربت، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾[6]، فتحمد الله الذي أطعمك وسقاك ((الحمد لله

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨٢.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١١٠-١١١

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥٩٦.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٤١/٥.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣-٧٠.

الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا)) كفانا يعني: يسَّر لنا الأمور وكفانا المؤونة، وآوانا أي: جعل لنا مأوى نأوي إليه، فكم من إنسان لا كافي له ولا مَأوَى، أو ولا مُؤْوِي، فينبغي لك إذا أتيت مضجعك أن تقول هذا الذكر[1].

قال ابن القيم (قال الهروي: الشكر: اسم لمعرفة النعمة. لأنها السبيل إلى معرفة المنعم، ولهذا سمى الله تعالى الإسلام والإيمان في القرآن: شكرًا فمعرفة النعمة: ركن من أركان الشكر، لأنها جملة الشكر والاعتراف بنعمة المنعم، والثناء عليه بها والخضوع له ومحبته، والعمل بما يرضيه فيها. وقوله: "لأنها السبيل إلى معرفة المنعم". يعني أنه إذا عرف النعمة توصل إلى معرفة المنعم بها. وهذا من جهة معرفة كونها نعمة، لا من أى جهة عرفها بها، ومتى عرف المنعم أحبه، وجد في طلبه، فمن عرف الله أحبه لا محالة، ومن عرف الدنيا أبغضها لا محالة.

وعلى هذا: يكون قوله: "الشكر اسم لمعرفة النعمة"، مستلزمًا لمعرفة المنعم، ومعرفته تستلزم محبته، ومحبته تستلزم شكره[2]، وحمد العبد ربه وشكره على نعمه يزيد النعمة. قال تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[3]، فينبغي على المدعو أن يعلم نعم الله عليه التي لا تعد ولا تحصى وأن يحمده ويشكره عليها.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٤٤/٢.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٥٨١/٢.

(٣) سورة إبراهيم، آية : ٧.

الحديث رقم (١٤٦٦)

١٤٦٦- وعن حذيفة ﷺ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ورواه أَبُو داود[2]؛ من رواية حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عنها، وفيهِ أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة أشارت إلى جملة من أذكار الرسول ﷺ التي كان يحافظ عليها عند النوم، وتنوع هذه الأذكار فيه تيسير على الناس حتى يقول كل واحد منهم ما يستطيع حفظه، وما يناسب حاله، وهو أيضا من فتح باب الخير لأصحاب العزائم الذين يطمحون إلى الثواب الجزيل، والذين يعملون بكل هذه الأذكار، وهي في جملتها لا تستغرق طويل زمن، وهذا الحديث يشير إلى هيئة نوم رسول الله ﷺ مع تضمنه للدعاء المرافق لحالة النوم وكما قلنا سابقا - أن استخدام كان، وأسلوب الشرط يشير إلى الاعتياد، والمواظبة على الفعل (كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ) وأسلوب الشرط يربط إرادة النوم بوضع اليد اليمنى تحت الخد وقول الدعاء المذكور، وهو من عادته في التيمن ﷺ في كل شيء، والنوم على الشق الأيمن، والنوم عليه أسرع إلى الانتباه لعدم استقرار القلب حالتئذ فإنه بالجانب الأيسر فيتعلق، ولا يستغرق في النوم بخلاف النوم على الأيسر، لأن القلب لاستراحته

---

(١) برقم (٣٣٩٨). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٥٠): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) برقم (٥٠٤٥). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/١١٥): وأخرجه أيضًا النسائي (الكبرى ١٠٥٣٠): وسنده صحيحٌ.

يستغرق فيبطئ الانتباه والنوم عليه وإن كان أهنأ لكن إكثاره يضر القلب لميل الأعضاء إليه، وقوله (اللَّهُمَّ قِني عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ) دعاء فيه توجه بكامل التضرع والخشوع جسَّدته صيغة (اللهم) تبعه أسلوب الأمر الدعائي (قني) والتعبير بالوقاية يوحي بالحماية، والمنع، والحفظ من الأسباب الموصلة للهلاك من الذنوب، وغيرها، وتخصيص الوقاية بيوم البعث لشدة هوله وحاجة الناس لمن يدفع عنهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على بيان أحوال النبي ﷺ في رقوده:

يتضح ذلك في قول حذيفة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

وقد ورد الكثير من الروايات عن الصحابة رضي الله عنهم تبين حال النبي ﷺ في رقوده وما يقوله من أذكار وهذا يدل على حرصهم عن بيان أحواله ﷺ في رقوده لأمته، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بالتبليغ عنه فقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[1].

قال ابن حجر: "وقال في الحديث: (ولو آية)، أي: واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قَلّ ليتصل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ"[2].

قال المباركفوري: "أي: ولو كان المُبَلَّغ آية قال في اللمعات: الظاهر أن المراد آية القرآن، أي: ولو كانت قصيرة من القرآن، والقرآن مبلغ عن رسول الله ﷺ لأنه الجائي به من عند الله ويفهم منه تبليغ الحديث بالطريق الأولى فإن القرآن مع انتشاره وكثرة حملته وتكفل الله بحفظه لَمّا أُمِرْنا بتبليغه فالحديث أولى"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٢) فتح الباري ٥٧٥/٦.

(٣) تحفة الأحوذي ٢٠٣١/٢.

إن الصحابة رضي الله عنهم صحبوا رسول الله ﷺ وأحبوه، ومن تمام محبة النبي ﷺ وتعظيمه: الحرص على نشر السنة وتبليغها، وقد ثبت عنه أنه قال في أحاديث كثيرة: ((فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[1]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مثل ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلمِ، كَمثَلِ الغَيثِ الكثيرِ أصابَ أرضًا، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأسًا ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرْسِلْت به))[2].

فامتدح ﷺ من كان له قلب حافظ للعلم فنشره بين الناس فانتفعوا به، وهذه هي المرتبة الثانية -المشار إليها في الحديث-، فأما من أوتي فهمًا ثاقبًا مع حفظه للعلم فانتفع أولاً ونفع ثانيًا فهو لا شك أكمل وأفضل، وهذه هي المرتبة الأولى.

والحرص على نشر السنة، وتبليغها وتعليمها للناس، باب عظيم من أبواب محبة النبي ﷺ وتعظيمه؛ لأن في ذلك سعيًا لإعلاء سنته، ونشر هديه بين الناس. ومن مقتضيات ذلك: الحرص على إماتة البدع والضلالات المخالفة لأمره وهديه، ولا شك بأن الابتداع في دينه من خوارم المحبة الصادقة، ولهذا قال النبي ﷺ: ((مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ فيهِ فهوَ رَدٌّ))[3].

ومن تلبيس الشيطان على بعض الجهلة وأهل الأهواء، أنهم يزعمون أن الابتداع في دين النبي ﷺ من تمام المحبة له، وهذا جهل عظيم، فالمحبة تقتضي التسليم للمحبوب، وتتبع آثاره، والوقوف عند أمره ونهيه، والحرص على عدم النقص أو الزيادة في دينه.

ولهذا تجد أن المبتدع لا يحب نشر السنة النبوية، ويسعى لكتمانها، قال ابن تيمية:

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩

(٢) أخرجه البخاري ٧٩، ومسلم ٢٢٨٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧.

"من المعلوم أنه لا تجد أحدًا ممن يَرَدُّ نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يَرِدْ، ولو أمكنه كشطُ الحديث من قلبه ما تردد. وقيل عن بعض رؤوس الجهمية - إما بشر المريسي أو غيره -: أنه قال: ليس شيء أنقص لقولنا من القرآن، فأقروا به في الظاهر، ثم حرفوه بالتأويل. ويقال إنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل.

ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية، بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه، خلافًا لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه"[1].

تلك أمارات حب النبي ﷺ وتعظيمه، تُقاس بها درجة التعظيم وتفحص بها حرارة المحبة، نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين أجمعين على التزامها ما حيينا[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك).

إن تواضع النبي ﷺ وخضوعه لله تعالى ظاهر في دعائه لله عز وجل، ومما يؤكد على ذلك أنه كان يدعو بهذا الدعاء: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي. وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي. وَخَطَئِي وعَمْدِي. وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[3].

قال النووي: "قوله ﷺ: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي)، إلى قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: أنا متصف بهذه الأشياء اغفرها لي، قيل: قال تواضعًا وعد على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو وقيل: ما كان قبل

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥/٢١٧ - ٢١٨.

(٢) محبة النبي ﷺ وتعظيمه، عبداللطيف بن محمد الحسن، بحث ضمن بحوث كتاب حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال ص ٨٨ - ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٩٨، ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا لأن الدعاء عبادة"[١].

وقال المحاسبي: "الملائكة والأنبياء أشد خوفًا ممن دونهم، وخوفهم إجلال وإعظام واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض: يحتمل أن يكون قوله: (اغفر لي خطيئتي)، وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت)، على سبيل التواضع والخضوع والشكر لربه لما علم أنه قد غفر له، وقيل: قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية ليقتدى به في ذلك"[٢].

ولقد كان محمد ﷺ أعرف الناس بالله وأخشاهم لله، وأتقاهم لله، قام حتى تفطرت قدماه إجلالاً وشكرًا لمولاه، ولقد عظمت الأحاديث وكثرت الآثار والأخبار التي رويت عن النبي ﷺ مما يحمل في طياته التعظيم والإجلال للواحد المتعال"[٣].

وللكلام الإنساني درجة حرارة معينة يموت دونها فلا يترك أثرًا، ولا يبلغ هدفًا، وعندما يذكر محمد ﷺ ربه راغبًا أو راهبًا يشتد النبض في الكلمات المناسبة، وتحتد العاطفة في المشاعر الحارة فلا يملك قارئ أو سامع إلا أن يخشع، ويستكين لله رب العالمين، وذلك واضح بيّن في مئات الأحاديث المروية عنه ﷺ، ولا سيما في الأذكار والأدعية، ومن ذلك قوله ﷺ في الحديث: ((اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ. وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ. وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي. أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ. وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ))[٤].

وقوله إذا خرج من بيته: ((بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ))[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم ص ١٥٩٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٢/١١.

(٣) انظر: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/٢ مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

(٤) أخرجه البخاري ٧٣٨٣، ومسلم ٢٧١٧ واللفظ له.

(٥) أخرجه النسائي ٥٤٨٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن النسائي ٥٠٦١)

وقولـه إذا أوى إلى فراشـه: ((اللَّهُـمَّ أَسْلمتُ نفسي إليـكَ، ووجَّهـتُ وجهـي إليـكَ، وفوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، والجأْتُ ظهري إِلَيْكَ، رغبـةً ورهْبَـةً إِليـكَ، لا ملجـأَ ولا منجـى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمنتُ بِكتابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَ، ونَبيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ))[1].

إلى غير ذلك من هذه الكلمات والعبارات والأذكار والدعوات التي تصل المرء بربه، وتعمر بذكر الله وقته، وتحيي فؤاده، وتجلي بصيرته، وتزرع في قلب المؤمن الأنس بالله والمهابة والخشية من الله[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٥.

(٢) انظر: "الله" أهل الثناء والمجد ص ٢٤٩ - ٢٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على ذكر الله عند النوم:

إن تحصين النشء المسلم بالأذكار الشرعية عند النوم، من أهم ما يجدر بدعاة التربية والتوجيه غرسه في بناء نفوس المتعلمين والمتربين، وهذا ما ترائى جليًا في مجمل أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: باسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ. وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ...إلخ».

"وغرس الأذكار الشرعية في نفوس المتعلمين، يكون بإلقائها إليهم إن كانوا صغارًا، وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين، وتبيين فضلها، وتعويدهم على الاستمرار عليها"[(١)].

"وعلى المربي أن يعلم أن الغاية من ذلك، هي استحضار عظمة الله سبحانه على الدوام، فإن تحقق ذلك اجتهد في تربية أبنائه وطلابه على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في القلوب، ليخشوه في السر والجهر، والمتقلب والمثوي، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة... وفي كل مكان... ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال: "﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[(٢)]".

ولا شك أن المتربي إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ مُخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا.. فلا يقع في معصية، ولا يرتكب فاحشة، ولا يعمل ذنبًا... وهذا... والله - غاية الصلاح والتقوى في المتربي[(٣)].

وذلك فضلاً عن أن ذكر الله يجعل المتربي في أنس دائم بربه، ونعيم موصول

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ١٣٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٨٢٨/٢.

بقربه، يحسُّ أبدًا بالنور يغمر قلبه، ولو أنه في ظلمة الليل البهيم، ويشعر بالأنس يملأ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاشرين ينشد ما قاله العبد الصالح:

إنَّ قلبًا أنتَ ساكِنُهُ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى السُّرُجِ
وَجْهُكَ المأمولُ حجّتنا يوم يأتي الناس بالحُجَجِ [1]

ثانيًا- التربية على تذكر الموت:

لقد عدَّ الشارع الحكيم النوم وفاة وموتًا، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[2]، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "باسمك اللهم أحيا وأموت"، وذلك إذا أوى ﷺ إلى فراشه وفي ذلك تربية للنفس على تذكر الموت، الذي يكون به صلاح حال المتربي، وعدم غفلته عن خالقه، وقصر أمله، وإخلاصه في عمله.

لذا وجب غرس ذكر الموت في نفس المتربي، وبيان "أن الموت مصرعه والتراب مضجعه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، فيستعد له بصالح الأعمال، وجميل الفعال، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب [3]، وكان من ذلك قول النبي ﷺ - في حديث الباب - إذا أوى إلى فراشه: "باسمك اللهم أحيا وأموت".

ثالثًا- التربية بالترغيب:

لقد استخدم النبي ﷺ الترغيب كوسيلة من وسائل التربية في حديث الباب من قوله ﷺ: "... فإن مت، مت على الفطرة"، ترغيبًا منه ﷺ في الحفاظ على ذكر الله عند النوم، والترغيب كوسيلة تربوية "هو القوة المحرضة" الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير"[4].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٠١، ١٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٠.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٢٨٤٦/٦.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠.

وقد أفرد علماء التربية نماذج تعين المربي على التربية بالترغيب، منها ما يلي:

١ - الكلمة الطيبة التي تحمل معاني التشجيع والتحفيز.

٢ - الجائزة العينية.

٣ - المدح والثناء أمام الآخرين.

٤ - المناداة للمتربي بأحب الأسماء إليه.

٥ - قبول آرائه واقتراحاته ومناقشاتها[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢١٩-٢٢٢.

١٦- كتَاب الدَعَوات

٢٥٠- باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠]، وقال تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥].

وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]، وقال تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[النمل: ٦٢].

الحديث رقم (١٤٦٧)

١٤٦٧- وعن النعمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

الشرح الأدبي

الدعاء يقوم على علاقة قلبية بين العبد، وربه وهو ما يجعل له خصوصية على العبادات التي تقوم على الحركات الظاهرة مع عمل القلب لأن ظهورها قد يوقع في العجب، أو الرياء أما الدعاء فهو في القلب لا يطلع عليه إلا الله، بالإضافة إلى أن الدعاء يتضمن اعترافا من العبد بضعفه، وذلته وفقره إلى ربه، مع اعترافه بقوة الله، وعزه، وغناه فهو محض العبادة، وخالصها، وهو ما أشار إليه الحديث في العبارة الموجزة البليغة التي وردت في ألفاظ قليلة بمعان كثيرة في قوله (الدعاء هو العبادة) وقد ورد في

---

(١) أخرجه أبوداود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) واللفظ له. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٩٠)، وقال الحاكم (١/٤٩٠): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢١).

أسلوب القصر الذي يحصر العبادة في الدعاء، وقصر حقيقي على سبيل المبالغة، لأنه تضمن نفيا عاما بأن كل ما عدا الدعاء لا يعتد به بجواره بإثباته أن الدعاء هو كل العبادة، وهو مبالغة في بيان فضل الدعاء، وتوسيط ضمير الفصل (هو) يؤكد المعنى ويرفع طبقة الكلام في طبقات الفخامة، والقوة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل الدعاء:

وهذا واضح من الحديث، والحديث فيه زيادة: ثم قرأ هذه الآية: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]،[2]. وأخرجه الترمذي عن أنس بلفظ "الدعاء مخ العبادة"[3]. وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء"[4].

قال الطيبي: قوله: "الدعاء هو العبادة" أتى بضمير الفصل، والخبر المعرف باللام، ليدل على الحصر، وأن العبادة ليست غير الدعاء، قال القاضي البيضاوي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية، التي يستأهل أن يسمى عبادة، من حيث إنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى معرض عما سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه. استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه مأمور به، إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة. وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط. والمسبَّب على السبب. وما كان كذلك، كان أتم العبادات وأكملها. ويقرب منه الرواية الأخرى، فإن مخ الشيء خالصه. قال

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) انظر: صحيح ابن حبان، ٣/٨٩٠، وانظر: تخريج المحقق له.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي ٣٣٧٠، وابن ماجه ٣٨٢٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٨٧).

الراغب[١]: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال. وأقول: يمكن أن يحمل العبادة على المعنى اللغوي، أى الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والافتقار والاستكانة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢]، الجملتان واردتان على الحصر، وما شرعت العبادات إلا لخضوع الباري وإظهار الافتقار إليه، وينصر هذا التأويل ما بعد الآية المتلوة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٣]، حيث عبر عن عدم الافتقار والتذلل بالاستكبار، ووضع "عبادتي" موضع دعائي. وجعل جزاء ذلك الاستكبار: الصغار والهوان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: "ليس شيء أكرَم على الله من الدعاء"، "أكرم" نصب خبر "ليس". فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾[٤]، قلت: كل شيء يشرف في بابه، فإنه يوصف بالكرم، قال الله تعالى ﴿أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٥]، وإنما كان أكرم الناس أتقاهم لأن الكرم من الأفعال المحمودة، وأكرمها ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرف الوجوه ما يقصد به وجه الله. فمن قصد ذلك بمحاسن أفعاله فهو التقي. فإذن أكرم الناس أتقاهم، وعلى هذا حكم الدعاء لأنه مخ العبادة كما مرّ[٦].

قال حسين المغربي: "إنما كان الدعاء مخ العبادة لأمرين:

---

(١) المفردات، ٣١٩.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) سورة الشعراء، آية: ٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٣٠٥-٣٠٦.

أحدهما: أنه امتثال أمر الله حيث قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾[١]. فهو محض العبادة وخالصها.

الثاني: إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عمن سواه ودعاه لحاجته وحده، وهذا هو أصل العبادة، لأن الغرض من العبادة الثواب عليها، وهو المطلوب بالدعاء، وهذا عند كل من تكمل له المعرفة، ومن كملت له المعرفة فالعبادة عنده إنما هي لمجرد التعظيم والامتثال، والله أعلم"[٢].

وقال عبدالله البسام: "قال ابن تيمية: "الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة. وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.. قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾[٣]. وقال: ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾[٤]. وأمثال هذا في القرآن كثير في دعاء المسألة. وهو يتضمن دعاء العبادة "أي: عبادة الله وحده وإخلاص العبادة له وعدم الإشراك في عبادته"؛ لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك ذاكر الله والتالي لكتابه فهو طالب من الله في المعنى"[٥].

وقال ابن تيمية: "إذا دعا الداعي الله سبحانه – فقد يحصل له بالدعاء من معرفة الله ومحبته والثناء عليه والعبودية له والافتقار إليه ما هو أفضل وأنفع من مطلوبه ذلك، كما قال بعض السلف: يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة أكثرت فيها قرع باب سيدك. وقال بعضهم: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فادعوه، فيفتح لي من باب معرفته ما أحب معه ألا يُعَجِّل لي قضاءها لئلا ينصرف قلبي عن الدعاء"[٦].

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) البدر التمام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام: القاضي حسين محمد المغربي، ١١١٩هـ، تحقيق الدكتورمحمد شحود خرفان، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٥هـ، ٣٧٦/٥.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) توضيح الأحكام، ٤١٩/٦. وهو تلخيص لكلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ١٠/٨-١٢، ط العبيكان، ١٠/١٥-١٥ ط ابن قاسم.

(٦) مجموع الفتاوى، ٥٨٢/١١، ط العبيكان، ٣٨٥/٢٢ ط ابن قاسم.

وقال ابن عثيمين: "إن الدعاء هو العبادة، ووجه ذلك من النظر أن الإنسان إذا دعا ربه، فقد اعترف لله عز وجل بالكمال وإجابة الدعاء، وأنه على كل شيء قدير. وأن العطاء أحب إليه من المنع، ثم لم يلجأ إلى غيره، لم يدع غير الله، لا ملكًا ولا نبيًا ولا وليًا ولا قريبًا ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة، وبذلك تعرف أنك إذا دعوت الله أُثبت على هذا الدعاء سواء استجيب لك أم لا، لأنك تعبدت لله عز وجل وعبدت الله فإذا قلت يارب اغفر لي، يارب ارحمني، يارب ارزقني، يارب اهدني،. فهذه عبادة تقربك إلى الله عز وجل ويكتب الله لك بها ثوابًا عنده يوم القيامة"[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب:

لقد رغب النبي ﷺ في الدعاء بأن أخبر أنه هو العبادة، وفي هذا ترغيب ما بعده ترغيب، وحث ما بعده حث للمدعوين على الدعاء والتزامه والعمل به في كل أوقاتهم وشؤونهم، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ١٥٤٨/٢.

(٢) سورة الذاريات، آية : ٥٦.

الحديث رقم (١٤٦٨)

١٤٦٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد جيد.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الجوامع من الدعاء: هي التي تجمع الأغراض الصّالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة، وقيل: هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا[2].

الشرح الأدبي

تشير أم المؤمنين عائشة إلى عادته في الاختيار بين ما يدعو به فيختار الأدعية الجامعة ن وقد جاء في أسلوب خيري غرضه الإرشاد إلى سنة البني ﷺ وقولها: (من الدعاء) وهو ما جمع مع الوجازة خير الدنيا والآخرة نحو (ربنا آتنا في الدنيا حسنة) الآية أو هو ما يجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو ما يجمع الثناء على الله وآداب المسألة والفضل للمتقدم (ويدع) أن يترك (ما سوى ذلك) من الأدعية إشارة إلى معنى ما يراد به من الجوامع فيختلف معنى السوى بحسب اختلاف تفسير الجوامع فعلى الأول ينزل ذلك على غالب الأحوال لا كلها فقد قال المنذري: كان يجمع في الدعاء تارة ويفصل أخرى[3].

---

(١) برقم (١٤٨٢). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٨٦٧)، وقال الحاكم (١/٥٣٩): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ج م ع).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: عبد الرؤوف المناوي الحديث (٧٠٣٩).

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: استحباب الجوامع من الدعاء:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ومن فعله ﷺ كما في حديث أنس رضي الله عنه.

قال الطيبي: "قوله: (الجوامع من الدعاء) قال ابن الأثير في النهاية: هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة، أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[٢].

قال المظهر: "هي ما كان لفظه قليلاً ومعناه كثيرًا، جمع فيه خير الدنيا والآخرة، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾[٣]"[٤].

ونقل العظيم آبادي القول بأنه: "نحو اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[٥]، وكذا: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى[٦] ونحو سؤال الفلاح والنجاح (ويدع) أي: يترك (ما سوى ذلك)، أي: مما لا يكون جامعًا بأن يكون خالصًا بطلب أمور جزئية، كارزقني زوجة حسنة، فإن الأولى والأحرى منه ارزقني

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٦٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٦٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث في (ج م ع).

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٠١.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ٢١٣/٤ - ٢١٤.

(٥) هو من دعاء النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي..." أخرجه أبو داود، ٥٠٧٤، وابن ماجه، ٣٨٧١ وابن حبان، ٩٦١ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وانظر تخريجه بتوسع في صحيح ابن حبان والحديث صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣١٢١).

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٢١، مرفوعًا.

الراحة في الدنيا والآخرة فإنه يعمها وغيرها"[١].

وقال ابن عثيمين: "حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك، يعني: أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة، ويدع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلاً إذ أراد أن يدعو الإنسان ربه أن يدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة، ولا يحتاج إلى أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا، لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها، فيكون هذا التفصيل كالحاصل لها، فإذا دعا دعاءً عامًا كان هذا أشمل وأجمل ...

ومن أجمع ما يكون من الدعاء حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول في دعائه: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) فإن هذا الدعاء أجمع الدعاء: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة" يشمل كل حسنات الدنيا من زوجة صالحة ومركب مريح وسكن مطمئن وغير ذلك، وفي الآخرة حسنة، كذلك يشمل حسنة الآخرة كلها، من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين والمرور على الصراط بسهولة والشرب من حوض الرسول ﷺ ودخول الجنة إلى غير ذلك من حسنات الآخرة، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية. بل هو أجمعها. لأنه شامل. وكان أنس رضي الله عنه يدعو بذلك، وإذا دعا بشيء آخر دعا بذلك أيضًا. يعني كأنه رضي الله عنه لا يدعه أبدًا إذا دعا، وهذا يدل على فضيلة هذا الدعاء وأنه ينبغي للإنسان أن يدعو به، ولهذا كان الرسول ﷺ يختم به أشواط الطواف، يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٢]، في آخر كل شوط والله أعلم"[٣].

وقال القاضي عياض: عن إكثار النبي ﷺ من الدعاء بهذه الآية، قال: "هذا

---

(١) عون المعبود ٦٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود ١٨٩٢، من حديث عبدالله بن السائب رضي الله عنه وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٦٦٦).

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٤٩.

لجمعها معاني الدعاء كله، من أمر الدنيا والآخرة، والحسنة هنا عندهم النعمة، فسأله نعم الدنيا والآخرة، والوقاية من عذاب النار"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "لأنها من الدعوات الجوامع التي تتضمن خير الدنيا والآخرة، وذلك أن حسنة نكرة في سياق الطلب فكانت عامة، فكأنه يقول: أعطني كل حالة حسنة في الدنيا والآخرة"[٢].

وقال عبدالله البسام: "هذا الدعاء من أجمع الأدعية وأشملها وأكملها، ومن أنفع الأدعية وأجلها وأحسنها، ذلك أنه جمع خيري الدنيا والآخرة، والوقاية من الشر وأسبابه، فشمل من حسنة الدنيا سؤال كل مطلوب ومرغوب من حصول العلوم النافعة والأعمال الصالحة، والعافية من الأمراض والأسقام والسلامة من المشاكل والأزمات والنكبات، والتوفيق بالزوجة الصالحة التي تعجبه إن نظر إليها، وترضيه إن حضر عندها، وتحفظه في نفسها وولده وماله إن غاب عنها، وحصول الأولاد البررة الصلحاء الذين بهم تقر العين وترضى النفس ويسر القلب، وحصول الأمن في الأوطان والاستقرار في البيوت والدور.

وحصول الرضا والقناعة بما قسم الله تعالى وأعطى الحياة السعيدة والمعيشة الهنية الرغيدة.

أما حسنة الآخرة فهي النعمة الكبرى، والسعادة العظمى والحياة الباقية والنعيم المقيم، وأعلاها رضا الرب ودخول جنته التي فيها النظر إلى وجهه الكريم، والحظوة بيوم المزيد وما في الجنة من نعيم لا يفنى وشباب لا يبلى وحياة سعيدة لا تنتهي، وتمتع دائم بملاذ لا تنقطع مما لا يدور في الخيال، ولا يحيط به البال، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون، مما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال بشر.

أما الوقاية من عذاب النار فإنها كمال النعيم وتمام الأنس، والحصول على الأمن

---

(١) إكمال المعلم ٨/١٩٠.

(٢) المفهم ٧/٣٠.

وزوال الهم والغم وذهاب الخوف والكرب، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة ﷺ على الاقتداء بالنبي ﷺ في دعائه:

هذا واضح من فعل أنس رضي الله عنه فقد كان إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه [٢]، وهذا ما فعله أيضًا عندما كان يطلب منه الدعاء، فعن ثابت البناني أنهم قالوا لأنس بن مالك رضي الله عنه: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. قَالُوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. قالوا: زِدْنَا، فَأَعَادَهَا. فَقَالُوا: زِدْنَا، فقالَ: مَا تُرِيدُونَ؟ سَأَلْتُ لَكُمْ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. قَالَ أَنسٌ رضي الله عنه: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٣].

كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ: ((هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟)) قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ))[٤].

قال ابن كثير: "جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت

---

(١) توضيح الأحكام، ٤٤٢/٦، ٤٤٣.

(٢) صحيح مسلم ٢٦ - ٢٦٩٠.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣٣٩٧، وابن حبان ٩٣٨، وقال محققه: إسناده صحيح، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي ٤٤٩/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا. أما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك: دخول الجنة، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة. وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام"[١].

وعن أبي نعامة عن ابن لسعد أنه قال: سَمِعَنِي أبي وَأَنا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَسَلَاسِلِها وَأَغْلَالِهَا وَكَذَا وَكَذا، فَقَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعاءِ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَما فِيهَا، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَما فِيهَا منَ الشَّرِّ))[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل أنس بن مالك رضي الله عنه:

قال الذهبي عنه: " المفتي، المقرئ، المحدِّث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر الصحابة موتًا، روى عن النبي ﷺ علمًا جمًّا...، وكان أنس رضي الله عنه يقول: ((قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرٍ. وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عِشْرِينَ. وَكُنَّ أُمَّهَاتِي يَحُثُّنَنِي عَلَى خِدْمَتِهِ ﷺ))(٣)، فصحب أنس رضي الله عنه نبيه ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر وإلى أن مات وغزا معه غير مرة وبايع تحت الشجرة.

قال الأعمش: "كتب أنس رضي الله عنه إلى عبدالملك بن مروان - يعني لما آذاه الحجاج - إني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه.

قال المثنى بن سعيد: سمعت أنسًا يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي ثم يبكي، مات سنة ٩٣هـ مسنده ٢٢٨٦ حديثا"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥٥٨/١.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ١٣١٣).

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٢٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣ - ٤٠٦ ومراجعه ومصادره.

الحديث رقم (١٤٦٩)

١٤٦٩- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) متفقٌ عَلَيْهِ[1].

زاد مسلم في روايتهِ قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أرادَ أنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما قيل في الدعاء السابق يقال في هذا الحديث لن الموقف واحد، وهو موقف التذلل، والدعاء فهي انسب الصيغ لموقف التهالك في التضرع، والتذلل المحقق لإجابة الدعاء ثم إنه دعاء جامع موجز (فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ووجه اجتماع الخير فيه أنه طلب عموم حسنة الدنيا عن طريق تنكير لفظ حسنة والتنكير هو انعدام التخصيص مما يعني العموم كما ان التنكير يفيد التعظيم أي آتنا حسنة عظيمة من شأنها أن تحقق غرض الحياة في كل مناحيها، وحسنها يقتضي عدم طغيانها على الآخرة لأن ما يطغى على الآخرة من متاع الدنيا لا يكون حسنا، وكذلك الوجه في حسنة الآخرة، وقيل حسنة الدنيا إتباع الهدى وحسنة الآخرة مرافقة الرفيق الأعلي، وعذاب النار حجاب المولى لعله كان يكثر هذا الدعاء، لأنه من الجوامع التي تحوز جميع الخيرات الدنيوية والأخروية وبيانه أنه كرر الحسنة ونكرها وقد تقرر في علم المعاني أن النكرة إذا أعيدت كانت غير الأولى فالمطلوب في الأولى الحسنات الدنيوية من الاستقامة، والتوفيق، والوسائل إلى اكتساب الطاعات والمبرات بحيث تكون مقبولة عند الله وفي الثانية ما يترتب عليها من الثواب والرضوان في العقبى وفي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٨٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦/٢٦٩٠). أورده المنذري في ترغيبه (٥٣٤٦) وعزاه إلى البخاري وحده.

تفسير الآية أقوال كثيرة كلها ترجع إلى المعنى الأعم منها قول بعضهم في الدنيا حسنة أي الطاعة والقناعة أو العافية وفي الآخرة حسنة أي تخفيف الحساب ورفع العذاب ودخول الجنة وحصول الرؤية ولعل الاكتفاء في طلب الحفظ بعذاب النار إيماء إلى أن ما عداه أمر سهل بل يكون سببا لمحو السيئات أو لرفع الدرجات فكأنه قال وقنا كل سيئة في الدنيا بخلاف الحسنة الشاملة في الدنيا والعقبى عبر عن السيئة بقوله عذاب النار والمراد سيئة يترتب عليها عذاب النار احترازا من سيئة تمحوها التوبة أو الشفاعة أو المغفرة والله تعالى أعلم وقال الطيبي قوله وقنا عذاب النار تتميم أي إن صدر منا ما يوجبه من التقصير والعصيان فاعف عنا وقنا عذاب النار، والله أعلم [1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر شرح مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: الملا على القاري.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٤٧٠)

١٤٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى، والتُّقَى، والعَفَافَ، والغِنَى)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

التُّقى: جمع تُقاةٍ: وهي الخشية والخوف[2].

العفاف: الكفُّ عما لا يحلُّ ولا يجمُل من قول أو فعل[3].

الشرح الأدبي

لفظ (اللهم) مختص بنداء الله، وله خصوصية في الدعاء، لأنه مجمع الأسماء الحسنى (والنداء بصيغة (اللهم) نداء تفخيم وتعظيم، وأصل الأسلوب يا الله حذفت أداة النداء، وعوض عنها الميم في آخر لفظ الجلالة وقيل: زيدت الميم للتعظيم، والتفخيم فالسائل إذا قال: (اللهم إني أسألك) كأنه قال: (أدعو الله الذي له الأسماء الحسني والصفات العلى، بأسمائه وصفاته فأتي بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم إيذانا بسؤاله تعالى بأسمائه كلها، والداعي مندوب إلى أن يسأل الله تعالى بأسمائه، وصفاته كما في الاسم الأعظم...) قال الحسن البصري (اللهم) مجمع الدعاء، وقال النضر بن شميل من قال (اللهم) فقد دعا الله بجميع أسمائه)[4] ثم إنه أكد هذا المعنى بإن إلحاحا في الطلب والمفردات المطلوبة في الدعاء مفردات ثرية ذات دلالة واسعة (الهُدَى، والتُّقَى،

---

(١) برقم (٢٧٢١/٧٢)، وتقدم برقم (٧١).

(٢) اللسان والوسيط في (و ق ى).

(٣) الوسيط في (ع ف ف).

(٤) ينظر دراسة الأساليب الإنشائية في صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ص ٣٢٨، د. ناصر راضي الزهري، رسالة مخطوطة في كلية اللغة العربية جامعة الزهر بأسيوط.

والعَفَافَ، والغِنَى) فالهدى يوحي بالضياء، والرشاد، والتوفيق المؤذن بالفلاح الدنيوي، والأخروي، والتقى حذر يمنع من الإقدام على ما يوقع في المحذور ويوجب العقوبة، وعلى الجملة فهو معنى يمنع جميع المحذورات، والعفاف إحساس قلبي بكف الباطن عن مجرد الرغبة في الحرام أو ما فيه انتقاص لعزة النفس المؤمنة المنبعثة من توكلها على الله، والغنى يتضمن معاني الصفات السابقة بالإضافة إلى وجود ما يحتاج إليه مما لا غنى له عنه فلا يضطر للسؤال، مع شعور داخلي بالنعم يبعثه على الرضا.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧١).

الحديث رقم (١٤٧١)

١٤٧١- وعن طارق بن أَشْيَمَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهؤلاءِ الكَلِمَاتِ: ((**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**)). رواه مسلم[1].

وفي رواية له[2] عن طارق: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول اللهِ، كَيْفَ أقُولُ حِيْنَ أسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي، فإنَّ هؤلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**)).

ترجمة الراوي:

طارق بن أَشْيَم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩١).

غريب الألفاظ:

أسأل ربي: من السؤال بمعنى الطلب والرجاء[3].

الشرح الأدبي

يشير استخدام كان إلى العادة -غالبا-، ويؤكد ذلك صياغة المعنى في ثوب الشرط الدال على اطراد الفعل حيث ربط إسلام العبد بتعليم الرسول ﷺ له الصلاة وهذا الدعاء، وهو ما يدل على أهمية هذا الدعاء الجامع اليسير الذي لا يحتاج معه حديث الإسلام إلى عناء في حفظه، وفهمه، وهو في ذات الوقت يربطه بربه في علاقة يشعر فيها بحاجته إليه، وهذا الدعاء الجامع الموجز مناسب لهذا المقام، وقوله (ثم أمره أن يدعو) يشير الربط بثم إلى وقت قطعه في تعليمه الصلاة، وتمكينها في نفسه، قبل تعليمه هذا الدعاء الجامع، وبناء عبارة الدعاء بهذه الكيفية أنسب لحال حديث

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥/٢٦٩٧).

(٢) برقم (٣٦/٢٦٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٥).

(٣) النهاية في (س أ ل).

الإسلام فقوله (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي) مع سهولته، ووجازته تضمن من المعاني طلب المغفرة، وهي التخلص من سيئات الشرك، وطلب الرحمة وهي ما يحتاجه الإنسان في كل أموره، والهداية تتضمن الرشاد في ما يستقبل من حياته، والعافية هي السلامة من كل شر من نفسه أو من غيره، ثم ختمها له بما يرغبه فيها، ويزيده تمسكا بها وهو طلب الرزق، والنفس كلفة بما يجلب لها عاجل الخير، وبذلك تكون هذه الصيغة جامعة لخير الدنيا، والآخرة، ولذلك قال في الرواية الثانية (فإنَّ هؤلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ) وقد أكد الجملة بما يحقق مضمون الخبر، واستخدم الإشارة تعظيما لهذه الكلمات، والتعبير بالجمع يفيد الترغيب لدلالته على كثرة الخير، والجار، والمجرور المؤذن بالاختصاص، والطباق بين، قوله دُنْيَاكَ وبين قوله وَآخِرَتَكَ يؤكد معنى شمول خيرها للدارين.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول الصحابي: كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات، وفي رواية عند مسلم: كان رسول الله ﷺ يعلّم من أسلم يقول: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1].

ولذا كان التعليم من نهج النبي ﷺ في تبليغ الدعوة، وعلى الداعية الناجح أن يقتدي به في ذلك، فيعلّم المدعوين ما يجهلونه، يقول الشيخ محمد الغزالي عن أهمية التعليم: "الاهتداء إلى الحق نعمة جزيلة وانشراح الصدر به خير غزير، وأول ما يجب على أصحاب الحق -وقد عرفوه- أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه وأن يعرفوا الجاهلين

---

(١) أخرجه مسلم ٣٤ - ٢٦٩٧.

به، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشعاع الشمس شائعًا كأمواج الهواء، ذاك ما يفرضه الحق على أصحابه ألا يجعلوه عليهم حكرًا وألا يحرموا من نفعه أحدًا، وألا يدعوا نفسًا تعيش بعيدة عن هداه، وليس ذلك -بداهة- عن طريق القسر، بل عن طريق لفت الأنظار وإيضاح الخفي وشرح المبهم"[1].

ولا شك أن التعليم من وسائل الدعوة الفعالة، التي قد تكون أنسب ما تكون عند بداية إقبال المدعو على الدعوة، فيأتي التعليم لترسيخ مبادئ الدعوة وشعائرها في نفوس المدعوين، وكذلك عندما يريد الداعية أن يثبت أمرًا من أمور الدعوة في أفئدة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الصلاة:

هذا واضح من كون النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم - يعلّمه الصلاة. قال ابن عثيمين: "لأن الصلاة هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، وأعظم أركانه بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، الصلاة، فكان النبي ﷺ يعلّم الرجل إذا أسلم كيف يصلي"[2].

وقال د. صالح الفوزان: "الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين وقد شرعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، وقد تضمنت هذه الصلاة كثيرًا من أنواع العبادة، من ذكر لله، وتلاوة لكتابه، وقيام بين يدي الله، وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتكبير، وهي رأس العبادات البدنية ولم تخل منها شريعة رسول من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وقد فرضها الله على نبيه محمد ﷺ خاتم الرسل ليلة الإسراء والمعراج في السماء بخلاف سائر الشرائع، فدلّ ذلك على عظمتها وتأكد وجوبها ومكانتها عند الله، وقد جاء في فضلها ووجوبها على الأعيان أحاديث كثيرة، وفرضيتها معلومة من دين الإسلام بالضرورة، فمن جحدها فقد ارتد عن دين الإسلام،

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي ص ٣٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٥٥١/٢.

يستتاب فإن تاب وإلا قتل بإجماع المسلمين"[١].

وقال عبدالله البسام: "والصلوات الخمس أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأفضل الأعمال بعدهما لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها، ولجمعها ما تفرق من العبودية، وتضمنها أقسامها وأنواعها، فهي تكبير الله وتحميده تعالى، والثناء عليه وتهليله وحمده، وتنزيهه وتقديسه، وتلاوة كتابه، والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وعلى آله، ودعاء للحاضرين وجميع عباد الله الصالحين، وهي قيام وركوع وسجود وجلوس، وخفض ورفع، فكل عضو في البدن، وكل مفصل فيه له من هذه العبادة حظه، ورأس ذلك كله القلب الحاضر.

فرضها الله تعالى على عباده ليذكرهم بحقه، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلقونه من مشاق هذه الحياة الدنيا.

والمجتمع الإنساني بحاجة إلى قوة إيمان ترفع نفسية أفراده على وجه الاستمرار إلى المثل العليا لئلا ترتبط الأفراد بالحاجات المادية والمصالح الشخصية، مما يؤدي إلى الفساد في الأرض.

إن الإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها، ظهرت فيه مظاهر الاكتئاب، فالصلاة طمأنينة في القلب عند المصائب، وراحة للضمير عند النوائب.

قال تعالى: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[٢]. وهي زاجرة عن المنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٣]. ومكفرة للسيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٤].

فالصلاة رأس القربات، وغرة الطاعات، لما فيها من تحقيق المناجاة ورافعة

---

(١) الملخص الفقهي ٩٣/١ - ٩٤ ط دار العاصمة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٤.

الدرجات"[١].

ثالثًا- من مهام الداعية: دلالة المدعو على الدعاء بجوامع الدعاء:

هذا واضح من قول النبي ﷺ للرجل: قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك.

وعن سعد بن أبي وقاص قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[٢].

قال ابن عثيمين: "(اللهم اغفر لي)، يعني الذنوب، والكافر إذا أسلم غفر الله له ذنوبه، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٣]، ولكن مع ذلك فطلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام فيكون من كل مسلم؛ لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب، كما جاء في الحديث: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٤].

"وارحمني": يعني: أسبغ عليّ رحمتك، ففيه طلب المغفرة، والمغفرة النجاة من السيئات والآثام والعقوبات، وفيه طلب الرحمة، والرحمة: حصول المطلوبات، لأن الإنسان لا يتم له الأمر إلا إذا نجا من المكروب وفاز بالمطلوب

"واهدني": الهداية هداية علم وبيان وهداية توفيق ورشد.

"وعافني وارزقني": عافني أي: من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾[٥]، ومرض جسمي في الأعضاء والبدن،

---

(١) توضيح الأحكام ٣٧٢/١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٢٨).

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠.

وإذا سألت الله العافية فالمراد من هذا ومن هذا، ومرض القلب أعظم من مرض البدن، لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله صار رفعة في درجاته وتكفيرًا لسيئاته والنهاية فيه الموت، والموت مآب كل حي ولا بد منه.

لكن مرض القلب - والعياذ بالله - فيه فساد الدنيا والآخرة إذا مرض القلب بالشك أو الشرك أو النفاق أو كراهة ما أنزل الله أو بغض أولياء الله أو ما أشبه ذلك، فقد خسر الإنسان دنياه وآخرته، ولهذا ينبغي لك إن سألت الله العافية أن تستحضر أنك تسأل الله العافية من مرض القلب والبدن، مرض القلب الذي مداره على شك أو شرك أو شهوة.

وكذلك اللفظ الآخر الذي ذكره المؤلف -أي: النووي- أن النبي ﷺ سأله رجل عما ينفعه وما يحتاجه؟ فأمره أن يدعو بهذا الدعاء: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني، فينبغي للإنسان أن يحرص على هذا الدعاء الذي علمه النبي ﷺ أمته، والذي يبادر بتعليمه من أسلم، (ارزقني) يعني الرزق الذي يقوم به البدن من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك. والرزق الذي يقوم به القلب وهو العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا. فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب والدين، والإنسان إذا قال (ارزقني) فهو يسأل الله هذا وهذا، والله الموفق"[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٥١.

الحديث رقم (١٤٧٢)

١٤٧٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنَا عَلَى طَاعَتِكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

صَرّف: وجَّه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يدور حول معنى جامع من معان الدعاء التي تعد من جوامع كلمه ﷺ لأن القلب هو ملك الجوارح المصرف لها، وهي منقادة إليه، والله تعالى مالك القلوب يصرفها كيف يشاء، والدعاء بصيغة اللهم يناسب المعنى المطلوب في الدعاء لأنه دعاء بالقلب لإصلاح القلب في خشوع، وتضرع، والجناس بين (مصرف، ويصرف) يؤكد المعنى ويشير إلى العلاقة بين الاسم ومسماه والذي يوجب عل العبد أن يسأل النعمة ممن يملكها مع إقراره ضمنا بها لله تعالى والجناس بين القلوب، وقلوبنا يشعر العبد بملك الله لجميع القلوب بمعنى أن يستطيع أن يصرف قلوب العباد لمحبة هذا العبد، أو لبغضه، لنفعه أو لضره، كما انه يصرف قلبه لما فيه طاعة الله، وفوز العبد، أو لما فيه معصية الله، وهلاك العبد، وتصريف القلب للطاعة تحبيبها إليه، وشغله بها ثم إن التعبير بالتصريف يشير إلى تمام الملك، والسيطرة، والقدرة الموجهة لكل ذرة في الكون ثم إنه دعا بصيغ الجمع وهو أمر يندب الداعي إليه لكي يشفع لعاصيهم إذا جاء في رفقة صالحهم، والله كريم يكرم الصالحين، ويكرم بهم غيرهم كما مر في قوله (هؤلاء القوم لا يشقى بهم جليسهم).

---

(١) برقم (٢٦٥٤/١٧).

(٢) الوسيط في (ص ر ف).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله تثبيت القلوب وتصريفها على طاعته:

الحديث في صحيح مسلم لفظه: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن قلوب بني آدم كله بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء)، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم مصرف القلوب، صرّف قلوبنا على طاعتك).

وقال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَلْبٍ إِلاَّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ. إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ: يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ))[1].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ((أكثر ما كان النبيُّ ﷺ يَحلف: لا ومقلِّبِ القلوب))[2]، وقد بوّب البخاري على هذا الحديث من كتاب التوحيد باب مقلب القلوب وقول الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾[3]، قال ابن حجر: "قال الراغب: تقليب الشيء: تغييره من حال إلى حال، والتقليب التصرف، وتقليب الله القلوب والبصائر صرفها من رأي إلى رأي"[4]. فمعنى الحديث: أن الله يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها ولا تفوته إرادة، وقال البيضاوي: "في نسبة تقلب القلوب إلى الله إشعار بأنه يتولى قلوب عباده ولا يكله إلى أحد من خلقه، وفي دعائه ﷺ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، إشارة إلى شمول ذلك للعباد حتى الأنبياء عليهم السلام ورفع توهم من يتوهم أنهم يستثنون من ذلك، وخص نفسه بالذكر إعلامًا بأن نفسه الزكية

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري ٧٣٩١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) المفردات ٤١١.

إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه، فافتقار غيرها ممن هو دونه أحق بذلك"[١].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن أحوال القلوب منتقلة غير ثابتة ولا دائمة، فحق العاقل أن يحذر على قلبه من قلبه، ويفزع إلى ربه في حفظه"[٢].

"ولهذا ينبغي على لإنسان -كما يقول ابن عثيمين رحمه الله- أن يسأل الله دائما أن يثبته وأن يصرف قلبه على طاعته ... وقوله: "صرف قلوبنا على طاعتك"، قد يتبادر إلى الذهن أن الأولى أن يقال: (إلى طاعتك)، لكن قوله: (على طاعتك)، أبلغ، يعني قلّب القلب على الطاعة فلا ينقلب على معصية الله، لأن القلب إذا تقلب على الطاعة صار ينتقل من طاعة إلى أخرى، من صلاة إلى ذكر إلى صدقة إلى صيام إلى علم إلى غير ذلك من طاعة الله، فينبغي لنا أن ندعو بهذا الدعاء: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)"[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية القلب في الطاعة:

وهذا يتضح في قوله ﷺ: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)، قال ابن عثيمين: "إنما خص القلب، لأن القلب إذا صلح، صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله"[٤].

وقال العز بن عبدالسلام: "القلوب مصدر كل خير وشر"[٥]، وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ. وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))[٦].

---

(١) فتح الباري ٣/٣٣٧.

(٢) المفهم ٦/٦٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٢.

(٤) السابق ٢/١٥٥٢.

(٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ص ٥٨.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

وفي رواية: ((التَّقْوَىٰ هٰهُنَا)). وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[١].

قال النووي: "معناها: أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، إنما تحصل بما يقع في القلوب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته"[٢].

وقال النبي ﷺ: ((أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ))[٣].

قال ابن حجر: "وخصّ القلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب والحث على صلاحه"[٤].

وقال النووي: "وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد"[٥].

وقال ابن رجب الحنبلي: "إن صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإذا كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدا قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب.

ولهذا يقال: القلب مَلِكُ الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده، وهم مع هذا جنود طائعون له منبعثون في طاعته، وتنفيذ أوامره، لا يخالفونه في شيء من ذلك، فإن كان الملك

---

(١) أخرجه مسلم ٣٢ - ٢٥٦٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٢/١٦/٨ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٤) فتح الباري، ١٥٦/١ ط/ الريان.

(٥) شرح صحيح مسلم، ٢٩/١١/٦ ط/ دار عالم الكتب.

صالحا كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسدا كانت جنوده بهذه المشابهة فاسدة، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه "اللهم إني أسألك قلبا سليما"[2] فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد منه.

وفي مسند أحمد عن أنس عن النبي ﷺ قال: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه"[3].

والمراد باستقامة إيمانه: استقامة أعمال جوارحه، فإن أعمال جوارحه لا تستقيم إلا باستقامة القلب، ومعني استقامة القلب: أن يكون ممتلئا من محبة الله تعالى ومحبة طاعته وكراهة معصيته.

وقال الحسن لرجل: دَاوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم: يعني أن مرادَه منهم ومطلوبَه صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه وتمتلئ من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قول لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو إله واحد لا شريك له، ولو كان في السموات والأرض إله يُؤْلَه سوى الله لفسدت بذلك السموات والأرض كما قال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨، ٨٩.

(٢) أخرجه أحمد، ١٧١١٤/٢٨، ١٧١٣٣، والترمذي، ٣٤٠٧، والنسائي، ٥٤/٣، ١٣٠٥، عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ كان يقول في صلاته: "اللهم إني أسالك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسالك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسالك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسالك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم"، وقال محققو المسند: حديث حسن بطرقه.

(٣) أخرجه أحمد ٣٤٣/٢٠، ١٣٠٤٨، وتمامه: "ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف.

لَفَسَدَتَا﴾[1].

فعلم بذلك أنه لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معًا حتى تكون حركات قلوب أهله كلها لله وحركات الجسد تابعة لحركات القلب وإرادته، فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح وصلحت حركات الجسد كله، وإن كانت حركة القلب، وإرادته لغير الله فسد، وفسدت حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم، ١/ ٢١٠-٢١٢.

الحديث رقم (١٤٧٣)

١٤٧٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢] قَالَ سفيان: أَشُكُّ أنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

جهد البلاء: الحالة الشاقة[٣].

الدرك: الإدراك واللحاق[٤].

الشقاء: الهلاك ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك[٥].

سوء القضاء: يكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، فهو عام في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد والمراد بالقضاء هنا المقضي لأن حكم الله كله حسن لا سوء فيه[٦].

شماتة الأعداء: الشماتة: فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[٧].

الشرح الأدبي

تعميم الخطاب في الأمر بالتعوذ يشير إلى أهميته، بحيث لا يختص بأحد دون أحد،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٠٧/٥٣).

(٢) أخرجها البخاري عقب الحديث (رقم ٦٣٤٧)، ومسلم عقب الحديث الذي تقدم، واللفظ له.

(٣) النهاية في (ج هـ د).

(٤) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٥) فتح الباري ١٥٢/١١.

(٦) فتح الباري ٢٥٣/١١.

(٧) النهاية في (ش م ت).

وتعلق العوذ بالله يعطيه بُعدا يشعر بالطمأنينة والأمن لقدرته على تحقيق العوذ، وصرف المستعاذ منه، لأنه لا يصح التعوذ إلا بمن قدر على إزالة ما استعيذ به منه، وفي العبارة تناسب في ترتيب المعاني وهي عبارة جامعة، لأن المكروه إما أن يلاحظ من جهة المبدأ وهو سوء القضاء، أو من وجهة المعاد، وهو درك الشقاء إذ شقاوة الآخرة هي الشقاء الحقيقي، أو من جهة المعاش، وذلك إما من جهة غيره، وهو شماتة الأعداء أو من جهة نفسه، وهو جهد البلاء، وفيها تناسب في المعاني، والألفاظ من حيث جعله الجهد للبلاء، والدرك للشقاء، والسوء للقضاء، والشماتة للأعداء، وفي العبارة حسن تقسيم في تتبع المستعاذ منه في الدنيا، والآخرة، وفيها سجع بديع يحقق لها قبول النفس، وسهولة الحفظ وخفة في السمع تحقق الإنصات، وفيها ازدواج بين جملها أعطاها إيقاعا خاصا يجعلها متناسقة متوازنة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة.

ثالثًا: من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضح من قوله ﷺ: (تعوذوا بالله من جهد البلاء ودَرَك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء)، وهذا الأمر فيه شفقة من النبي ﷺ على أمته، وحث لهم على الاستعاذة من هذه الأشياء لعظم خطرها، وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من هذه الأمور فلفظ مسلم: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ جُهْدِ الْبَلاَءِ))[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ من هذه الأشياء"[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣ - ٢٧٠٦.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٤٠٩/٦.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل مكروه في الدنيا والآخرة:

قال ابن حجر: "إن كل أمر يكره يلاحظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو دَرَك الشقاء، لأن شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي، وجهة المعاش وهو جهد البلاء، وأما شماتة الأعداء فتقع لكل من وقع له كل من الخصال الثلاثة، وقال ابن بطال وغيره: "جهد البلاء كل ما أصاب المرء من شدة ومشقة وما لا طاقة له بحمله ولا يقدر على دفعه"[1].

وقال ابن عثيمين: "جهد البلاء أي من البلاء الذي يبلو الجهد أي: الطاقة، والبلاء نوعان: بلاء جسمي كالأمراض، وبلاء ذكري معنوي بأن يبتلى الإنسان بمن يتسلط عليه بلسانه، فينشر معايبه ويخفي محاسنه وما أشبه ذلك، هذا من البلاء الذي يشق على الإنسان، وربما يكون مشقة هذا على الإنسان أبلغ من مشقة جهد البدن، فيتعوذ الإنسان بالله من جهد البلاء، أما البلاء البدني فأمره ظاهر، أمراض في الأعضاء أوجاع في البطن، في الصدر، في الرأس، في الرقبة في أي مكان، هذا من البلاء وربما يكون أيضًا من البلاء قسم ثالث وهو ما يبتلى الله به العبد من المصائب العظيمة الكبيرة، فمن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، نجد إيمانًا مثلاً متزعزعًا، أدنى شبهة تَرِدُ عليه تصرفه عن الحق، تجده لا يصبر، أدنى بلاء يصيبه يصرفه عن الحق فيتسخط على قضاء الله وقدره، وربما يقع في قلبه أشياء لا تليق بالله عز وجل من أجل هذا البلاء.

"ومن درك الشقاء"، أي: ومن أن يدركك الشقاء، والشقاء ضد السعادة، السعادة سببها العمل الصالح، والشقاء سببه العمل السيئ، فإذا استعذت بالله من درك الشقاء فهذا يتضمن الدعاء بألا تعمل عمل الأشقياء.

(ومن سوء القضاء)، سوء القضاء يحتمل معنيين: المعنى الأول: أن أقضي قضاء سيئًا، والمعنى الثاني: أن الله يقضي على الإنسان قضاء يسوءه، القضاء يعني الحكم،

---

(١) فتح الباري، ١١/١٤٩ ط السلفية.

فالإنسان ربما يحكم بالهوى، ويتعجل الأمور ولا يتأنى ويضطرب، هذا سوء قضاء، كذلك القضاء من الله، قد يقضي الله عز وجل على الإنسان قضاء يسوؤه ويحزنه، فتستعيذ بالله عز وجل من سوء القضاء.

(ومن شماتة الأعداء)، الأعداء جمع عدو، وقد ذكر الفقهاء ضابطًا للعدو فقالوا: من سره ما ساء في شخص أو غمه فرحه فهو عدوه، كل إنسان يسره ما ساءك أو يغمه فرحك فهو عدو لك.

وشماتة الأعداء أن الأعداء يفرحون عليك يفرحون بما أصابك، والعدو لا شك أنه يفرح في كل ما أصاب الإنسان من بلاء، ويحزن في كل ما أصابه من خير، فأنت تستعيذ بالله عز وجل من شماتة الأعداء، فأمرنا الرسول ﷺ أن نتعوذ بالله من هذه الأمور الأربعة، فينبغي للإنسان أن يمتثل أمر الرسول ﷺ وأن يستعيذ بالله منها لعل الله أن يستجيب له، والله الموفق"[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ أمر بالتعوذ في هذه الأشياء:

- وجهد البلاء: شدته، وقل ما يعرض البلاء لمؤمن إلا ويكفر حوبًا[2] أو يرفع درجة، فإذا اشتد خيف منه، فلذلك استعاذ رسول الله ﷺ منه[3].

- ودَرَك الشقاء: هو لحوق الشقاء.

- وسوء القضاء، ضد حسن القضاء، فيجوز أن يكون المراد به الجور في الحكم، وأن يحكم الحاكم بأحكام زائغة عن الحق، فيكون على معنى قول من قال: والقضاء خطر؛ أي والحكم خطر.

- وأما شماتة الأعداء، فإن أعدى الأعداء إبليس، ولا شماتة له أعظم من دخول الإنسان النار، وأن ينصرف من بين يدي ربه، وقد يئس من رحمته، فهذا هو أقطع

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٢ - ١٥٥٣.

(٢) الحوب: الإثم والذنب. انظر: المصباح المنير ١٨٧.

(٣) قال القرطبي في المفهم، ٧/٣٥: المتعوذ منه أن يلحقه شقاء في الدنيا يتعبه ويثقله. وفي الآخرة: يعذبه... وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جهد البلاء: قلة المال وكثرة العيال.

الشماتة، وما دون هذا من شماتة الأعداء أهل الدنيا؛ فإنه صعب مؤلم كنكاء القرح بالقرح[١]، والله يعيذنا من ذلك في الدنيا والآخرة بكرمه وجوده)[٢].

ثالثًا- من آداب الداعية والمدعو: الافتقار إلى الله والتذلل له:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ بالاستعاذة بالله من هذه الأمور. قال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: فيه مشروعية الاستعاذة، ولا يعارض ذلك كون ما سبق في القدر لا يرد، لاحتمال أن يكون مما قضى، فقد يقضي على المرء مثلاً بالبلاء ويقضي أنه إن دعا كشف، فالقضاء محتمل للدافع والمدفوع، وفائدة الاستعاذة والدعاء إظهار العبد فاقته لربه وتضرعه إليه"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "وإنما دعا النبي ﷺ بهذه الدعوات، وتعوذ بهذه التعوذات إظهارًا للعبودية وبيانًا للمشروعية، ليقتدي بدعواته ويتعوذ بتعويذاته"[٤].

و"الدعاء عبادة وله أثر بالغ وفائدة عظيمة، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق عز وجل بالدعاء ولم يرغب النبي ﷺ فيه، فكم رفعت محنة بالدعاء، وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية استجابها الله تعالى بمنّه وفضله وكرمه، وكان من جملة أسباب النصر في بدر دعاء النبي ﷺ، والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي، ولرفع الدرجات ولجلب الخير، ودفع الشر، ومن ترك الدعاء فقد سدّ على نفسه أبوابًا كثيرة من الخير، وقال الغزالي: فإن قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟.

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهام، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان.

---

(١) نكأت القرحة إذا قشرتها، ونكأت في العدو، إذا قتلت وأثخنت، انظر: المصباح المنير، ٧٦٧.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤٠٩/٦.

(٣) فتح الباري ١٤٩/١١ ط السلفية.

(٤) المفهم ٣٥/٧.

وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى ألا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[1]، كما أنه ليس من شرطه ألا يسقي الأرض بعد بث البذر، فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر، والذي قدر الخير قدره بسبب، والذي قدر الشر قدر لرفعه سببًا، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته، ثم في الدعاء من الفائدة أنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ: ((الدُعَاء مُخُّ العِبَادَةِ))[2].

والغالب على الخلق ألا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة، فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة، فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل، ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور، فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى"[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٧١، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن الترمذي، ٦٦٩)، والحديث صحيح بلفظ "الدعاء هو العبادة"، أخرجه أبو داود ١٤٧٩، والترمذي ٣٣٧٢، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٢).

(٣) إحياء علوم الدين ٥٩٢/١ - ٥٩٣، والموسوعة الفقهية ٢٥٩/٢٠ - ٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٧٤)

١٤٧٤- وعنه، قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ اصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أمْرِي، وأصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وأصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عصمة أمري: العصمة: المنعة والحفظ وعصمة أمري: ما أعتصم به في جميع أموري[2].

معاشي: المعاش: ما يعاش به أو فيه، وما تكون به الحياة من مطعم ومشرب ونحوه[3].

معادي: ما أعود وأصير إليه يوم القيامة[4].

الشرح الأدبي

معنى الحديث يدور حول الدعاء بشمول خيري الدنيا، والآخرة وقد قام على عدة ألوان بلاغية منها الطباق بين ديني الذي يعني الآخرة، وبين دنياي ليقرر عمومها بالإصلاح، وقوله (عصمة أمري) أي ما يعتصم به، العصمة المنع والحفظ، وقيل معناه أن الدين حافظ جميع أموري فإن من فسد دينه فسد جميع أموره وخاب وخسر في غيبته وحضوره وحزنه وسروره، وكذلك الطباق بين معاشي، ومعادي ليشمل حركة الإنسان في الدنيا رقيا في عمل الدنيا، والآخرة، وضبطا له وفق الصلاح الذي فطر الله الناس

---

(١) برقم (٧١/٢٧٢٠).

(٢) النهاية في (ع ص م)، ودليل الفالحين ١٥٣١.

(٣) القاموس المحيط في (ع ي ش).

(٤) النهاية في (ع و د).

عليه، والذي يسري مع ما جاء به الرسول ﷺ كما قابل بين قوله (وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ) وبين قوله، (وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) ليحدد الحياة التي يريدها في طاعة الله لا تتخلف عنها حتى يدركها الموت الذي يمنع انحرافها عن طريق الله، لأن الموت أيسر على المؤمن من حياة على معصية تسلم إلى النار، ولذلك عبر بلفظ راحة الذي يوحي بالخلاص من مقابله وهو التعب، والعناء من شرور الدنيا بكل أشكالها لاسيما ما يسلم إلى عذاب الآخرة، والمتأمل لتكرار كلمة (أصلح) في الحديث يدرك أنها المعنى الذي يقرره الدعاء، ويسعى لتحقيقه لأن مفهومه المرجو يضبط حركة العبد في الدنيا بما يتناغم مع الآخرة بحيث ينتقل من صلاح في الدنيا يترتب عليه صلاح في الآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء.

ثانيًا: من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحرص على جوامع الدعاء:

هذا واضح من الحديث، فقد دعا النبي ﷺ بصلاح الدين، وصلاح الدنيا، وصلاح الآخرة، والزيادة من كل خير في الدنيا وجعل الموت راحة من كل شر، فقد جمع ﷺ بين خيري الدنيا والآخرة.

قال الطيبي: "قوله: (عصمة أمري)، هو من قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، أي: بعهد الله، وهو الدين، وإصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه، وأنه يكون حلالاً ومعينًا على الطاعة، وإصلاح المعاد: اللطف والتوفيق على طاعة الله وعبادته، وطلب الراحة بالموت إشارة إلى قوله ﷺ: ((وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

غَيْرَ مَفْتُونٍ))[١].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك[٢]، قال ابن الأثير: "هي التي تجمع الأغراض الصالحة والمقاصد الصحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسألة"[٣]. وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يشمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ"[٤].

ثانيًا- من فقه الداعية: مراعاة الأولويات في الدعاء:

وذلك اقتداءً بالنبي ﷺ، فقد بدأ بالدعاء بإصلاح الدين الذي هو عصمة الأمر، ثم ثنّاه بالدعاء بإصلاح الدنيا التي هي معاش الإنسان، يعمل فيها لآخرته وهي طريقه إليها، فبصلاح الدين والدنيا تتصلح الآخرة بإذن الله، والتي هي معاده وقراره وحياته الحقّة، ولا سبيل إلى صلاح الآخرة إلا بصلاح الدين والدنيا ولهذا بدأ بهما النبي ﷺ.

ثم إن الإنسان في الحياة الدنيا معرض للخير والشر؛ فالإنسان في الخير يزداد وفي الشر يتعرض للنقصان والفتنة، لذا دعا النبي ﷺ أن تكون حياته طريقًا للزيادة من كل خير يعود عليه في دينه ودنياه، وإلا كان الموت راحة من كل شر وأذى يلحق بالدين والدنيا، فدعا النبي ﷺ بالزيادة في الخير في الحياة، كما دعا بأن الموت يكون راحة من الشر والأذى.

والمتدبر في هذا الدعاء يجد الأولويات في الدعاء: فالدعاء بصلاح الدين ثم بصلاح الدنيا ثم بصلاح الآخرة ثم الزيادة من كل خير في الحياة، وجعل الموت خلاصًا من الشر والفتنة.

قال ابن هبيرة: (هذا الحديث يشتمل على دعاء شامل، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٨٠).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١٦٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح ٨١/٨.

فأما قوله: "أصلح لي ديني" فإنه بدأ بالأهم، وهو الدين، ثم وصفه بأنه عصمة الأمر في الدنيا من الهلكة، وفي الآخرة من النار.

ثم ذكر بعد ذلك الدنيا فقال: "وأصلح لي دنياي"، والدنيا صفة لموصوف محذوف، والمحذوف هو الحياة، فإذا قلت الدنيا؛ فمعناه الحياة الدنيا؛ فلما أضافها ﷺ فقال: "دنياي" أضاف الصفة إليه ﷺ.

ثم ذكر العذر في سؤاله إصلاحها؛ بأن قال: "التي فيها معاشي" يعني التي أعيش فيها لأعبدك، ومن المعاش الكسب والسعي في الأرض لاستجلاب الرزق وذلك قد يكون عبادة لله عز وجل، ثم عقب ذلك بأن قال: "وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي" فرتب ﷺ الآخرة بعد الدنيا من حيث إنها بعدها زمانًا ووقتًا، ثم ذكرها ﷺ ليكون ذكره لها إيمانًا بها وإقرارًا بالمعاد إليها، ثم طلب ﷺ ليكون ذكره بعد ذلك كله، أن يجعل الله سبحانه وتعالى الحياة زيادة له في كل خير؛ لأن الحياة إنما يقصد بها المؤمنون أن يزدادوا من الخير عند ربهم جل جلاله.

ثم قال: "واجعل الموت راحة لي من كل شر" فأراد ﷺ أن يجعل الموت راحة له من كل شر، لا من عبادة الله سبحانه وخدمته، فإن العبادة خير"[1].

ويمكن أن يستأنس في هذا المقام بدعاء النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى))[2].

فقد بدأ ﷺ بسؤال (الهدى والتقى)، وهما يتناولان - كما يقول الطيبي: "كل ما ينبغي أن يهتدي إليه من أمر المعاش والمعاد ومكارم الأخلاق، وكل ما يجب أن يتقى من الشرك والمعاصي ورذائل الأخلاق"[3]، ثم ثنّى ﷺ بطلب العفاف والغنى ولا شكّ أنهما يأتيان بعد الهدى والتقى، وهما دونهما في المنزلة والدرجة، فلا ينفعان إذا لم يكن هناك هدى وتقى، فقد قال النووي: "العفاف: التنزه عما لا يباح والكف عنه،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨/٨١، ٨٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٢١.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢٠١.

والغنى هنا غنى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على سؤال الله إصلاح الدين وخيري الدنيا والآخرة:

فقد "بدأ النبي ﷺ بالدين، الذي به يعتصم الإنسان من الشر ويعتصم من الأعداء، لأنه كلما صلح الدين اعتصم به من كل شر، وصلاح الدين يكون بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، فمن أشرك بالله فدينه غير صالح، من صلّى رياءً أو تصدق رياء أو صام رياء أو قرأ القرآن رياء أو ذكر الله رياءً أو طلب العلم رياءً، فكل هذا عمله غير صالح والعياذ بالله.

وقوله: (هو عصمة أمري)، يعني الذي أعتصم به من الشر والفتن وغير ذلك، (وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي)، الدنيا معاش تقيم فيه أو تسكن فيها إلى أن تموت، ولكنها ليست دار قرار، وأين الذين استقروا فيها؟ أين الملوك وأبناء الملوك؟ أين الأغنياء؟ أين الأثرياء؟ أين الفقراء؟ أين الأسياد؟ كلهم ذهبوا فصاروا أحاديث، وأنت في يوم من الأيام ستكون أحاديث، فالدنيا معاش فقط وليست قرارًا، ولكنها إن وفق الإنسان فيها إلى العمل الصالح وجعلها منفعة للآخرة، فيا حبذا، وإن كانت الأخرى وصار يعمل للدنيا لا للآخرة خسر الدنيا والآخرة والعياذ بالله، ولهذا قال (التي فيها معاشي)، فقط معاش يعيش الإنسان ثم يتركها.

(وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)، الآخرة هي التي إليها المعاد، ولا مفر منها... المهم أن كل إنسان معاده إلى الآخرة، ولهذا قال "أصلح لي آخرتي التي فيها معادي"، وصلاح الآخرة أن الله تعالى ينجيك من عذاب النار ويدخلك الجنة.

(واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الإنسان إذا وفق في هذه الحياة وصار يزداد خيرًا كل يوم يكتسب عملاً صالحًا ويحس بذلك بنفسه وتجده يفرح إذا عمل عملاً صالحًا ويقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٤٣ ط/ دار عالم الكتب.

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[١]، كل يوم يزداد يصلي، يسبح، يقرأ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يلقى أخاه بوجه طلق إلى آخره، خيرات كثيرة فكلما ازداد الإنسان في حياته خيرًا كانت حياته خيرًا.

(واجعل الموت راحة لي من كل شر)، الموت فَقْدُ الحياة، لكن دعا النبي ﷺ أن يجعل الله الموت له راحة من كل شر؛ لأن الإنسان لا يدري ما يصيبه في هذه الدنيا، قد يبقى في الدنيا طويلاً لكنه ينتكس والعياذ بالله، يفسد دينه، قد يبقى في الدنيا وتحدث فتن عظيمة يتعب فيها، يقول: ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، يجد فتنًا عظيمة لكن قد يكون الموت الذي عجّله الله له راحة من كل شر.

ولهذا كان الرسول ﷺ يدعو بهذا الدعاء: (واجعل الموت راحة لي من كل شر)، فعليك يا أخي المسلم بهذا الدعاء: (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر)[٢].

قال عبدالله البسام: "وخلاصة آخر هذا الدعاء اجعل عمري مصروفًا فيما تحب وجنبني ما تكره"[٣].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٥٥ - ١٥٥٦.

(٣) توضيح الأحكام، ٦/٤٤٥.

الحديث رقم (١٤٧٥)

١٤٧٥- وعن علي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وسَدِّدْنِي))[١].

وفي رواية: ((اللَّهمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

سددني: وفقني واجعلني منتصبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور[٣].

الهدى: الرشاد والدلالة، يقال هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق وإلى الطريق هداية، أي: عرفته[٤].

السداد: الاستقامة، وهو القصد في الأمر والعدل فيه[٥].

الشرح الأدبي

عندما يقول الراوي رضي الله عنه (قال لي رسول الله ﷺ) فيعمد إلى الجار، والمجرور (لي) فيقدمه على فاعل القول (رسول الله ﷺ) فإنه يقرر اختصاصه بهذا القول، وانفراده بسماعه، وليس انفراده بالعمل به دون غيره، وإخبار علي رضي الله عنه بهذا الاختصاص يوحي باعتزازه به، وقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم يعتزون بما

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥/٧٨).

(٢) بعد حديث (٢٧٢٥/٧٨، بدون رقم). وزاد بعدهما: (واذكر بالهدى هدايتك الطريق والسّداد، سداد السّهم).

(٣) شرح مسلم، النووي ١٦٠٠.

(٤) النهاية في (هـ د ى).

(٥) النهاية في (س د د)، شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٠٠.

يختصهم به رسول الله ﷺ، وحُقَّ لهم لاسيما إن كان حبيبا محببا للرسول ﷺ له فضل رفقة، وملازمة له ﷺ كعلي رضي الله عنه الذي تربى ونشأ معه والدعاء الذي علمه إياه دعاء من جوامع الكلام بليغ شديد الإيجاز يناسب عليا رضي الله عنه من حيث فصاحته، ومن حيث حالته العامة، وقوله (اللهم) لفظ له خصوصية، وشمول في نداء الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله (اهدني) لفظ جامع لعموم النور الذي تستضيء به أركان البصيرة، والبصر فلا يقع منها إلا على صواب في الاختيار، وتوفيق في العمل، وقوله (وسددني) أمر قصد به الدعاء بتصويب الخطأ يستلزم حسن الاختيار الذي قاده إليه فعل الهداية، فالأمر الأول لطلب الهداية إلى الأصلح، والأمر الثاني لطلب الاستمرار عليه، والسداد أي الصواب في أثناء هذا العمل بما يضمن استمرار أثر النور حتى تمام العمل، وقبوله، لأن قبوله هو تمام السداد فيه ولذلك وردت الرواية الثانية في صيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبات، والدوام (اللَّهمَّ إنِّي أسْألُكَ الهُدَى والسَّدَادَ) لأن الاسم لا يرتبط بالزمن كالفعل الذي ورد في الرواية الأولى، وقد صدر السؤال فيها مؤكدا إلحاحا في الدعاء وتأكيدا للفاقة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما.

أولاً - من أساليب الدعوة: الأمر:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قل: اللهم اهدني وسددني، وفي الرواية الأخرى: قل: اللهم إني اسألك الهدى والسداد.

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد".

ومن هذا القبيل ما رواه سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله، قال: قل: ((: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ : ((قُل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[1].

وهذا الأمر إنما لدلالة المدعو على ما ينفعه من الدعاء في الدنيا والآخرة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بالسداد والهداية:

هذا واضحٌ من أمر النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه بأن يدعو قائلاً: (اللهم اهدني وسددني)، والحديث في مسلم لفظه: (قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدي هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم)، وكذلك الشأن في الرواية الثانية.

قال النووي: "أما السَّداد هنا بفتح السين، وسداد السهم تقويمه ومعنى: سددني: وفقني واجعلني مصيبًا في جميع أموري مستقيمًا، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا فهو الرشاد ويذكر ويؤنث، ومعنى "اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم"، أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدّد السهم يحرص على تقويمه ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد عمله وتقويمه ولزومه السنة، وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد والهدى لئلا ينساه"[2].

قال الطيبي: "قال القاضي البيضاوي: أمره بأن يسأل الله تعالى الهداية والسداد، وأن يكون في ذكره مخطرًا بباله أن المطلوب هداية كهداية من ركب متن الطريق، وأخذ في المنهج المستقيم، وسداد يشبه سداد السهم نحو الغرض والمعنى: أن يكون في سؤاله طالبًا غاية الهدى، ونهاية السداد. أقول: وفيه معنى قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[3]، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[4]، أي: هداية لا أميل بها إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٦/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

(٣) سورة هود، آية: ١١٢.

(٤) سورة الفاتحة، آية: ٦.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٢٠١/٥ - ٢٠٢.

قال أبو العباس القرطبي: "هذا الأمر منه ﷺ يدل على أن الذي ينبغي له أن يهتم بدعائه فيستحضر معاني دعواته في قلبه، ويبالغ في ذكرها بلفظه بضرب من الأمثال، وتأكيد الأقوال، فإذا قال: اهدني الصراط المستقيم، وسددني سداد السهم الصائب كان أبلغ وأهم من قوله: اهدني وسددني فقط وهذا واضح"[١].

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بالثبات على الهدى والسداد والزيادة منهما:

وهذا واضحٌ من قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (قل: اللهم اهدني وسددني)، وفي الرواية الأخرى: (اللهم إني أسألك الهدى والسداد)، قال ابن حبان: "كل ما في هذه الأخبار (اللهم اهدني) (اللهم إني أسألك الهدى)، وما يشبهها من الألفاظ إنما أريد به الثبات على الهدى والزيادة فيه، إذ محال أن يؤمن المؤمن بسؤال الزيادة وقد هداه الله قبل ذلك"[٢].

وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ حضه على سؤال الهدى والسداد، وأنه ذكر له ما يجمع له في ذكره إياه بين حفظ النطق ومعرفة المعنى، فإنه قال: "أذكر بالهدى هدايتك الطريق" وذلك أن السلوك إلى الحق على سبيل السنة يشابهه سلوك الطريق إلى المقصد في الطريق المعروفة، فمتى مال عن الطريق يمينًا أو يسارًا فقد جانب الهداية، والسداد هو التصويب، وسداد السهم التصويب وأن يريد به التنصيص والتحقيق، وأن لا تزيله الأهواء"[٣].

ويقول ابن القيم عن الزيادة في الهدى: "قال: تكرر في القرآن جعل الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال، فيقوم بالقلب والجوارح أعمال تقتضي الهدى اقتضاء السبب لمسببه والمؤثر لأثره، وكذلك الضلال، فأعمال البر تثمر الهدى، وكلما ازداد منها ازداد هدىً، وأعمال الفجور بالضد، وذلك أن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال

---

(١) المفهم ٥٣/٧، ٥٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٢٧/٣.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٨٧/١.

والشقاء، وأيضًا فإنه البَرُّ ويحب أهل البر، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر، ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم منه بحسب ما اتصفوا به من الفجور فمن الأصل الأول قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، وهذا يتضمن أمرين:

أحدهما: أنه يهدي به من اتقى مساخطه قبل نزول الكتاب، فإن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم قد استقر عندهم أن الله سبحانه يكره الظلم، والفواحش والفساد في الأرض، ويمقت فاعل ذلك، ويحب العدل والإحسان والجود والصدق والإصلاح في الأرض ويحب فاعل ذلك، فلما نزل الكتاب أثاب سبحانه أهل البر بأن وفقهم للإيمان به جزاء لهم على برهم وطاعتهم، وخذل أهل الفجور والفحش والظلم بأن حال بينهم وبين الاهتداء به.

والأمر الثاني: أن العبد إذا آمن بالكتاب واهتدى به مجملاً وقبل أوامره وصدق بأخباره - كان ذلك سببًا لهداية أخرى تحصل له على التفصيل فإن الهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد منها ما بلغ، ففوق هدايته هداية أخرى، وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى غير غاية.

فكلما اتقى العبد ربه إلى هداية أخرى، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى، وكلما فوّت حظًا من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه، فكلما اتقى زاد هداه، وكلما اهتدى زادت تقواه"[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) الفوائد ص ١٨٨ - ١٩٠.

الحديث رقم (١٤٧٦)

١٤٧٦- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ))[1].

وفي رواية[2]: ((وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)). رواه مسلم.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الهرم: الكبر والضعف، والمقصود به صيرورة الرجل خرفًا من كبر السن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[3].

ضَلع الدين: أصل الضَلَع: الاعوجاج، والمراد به هنا: ثقل الدَيْن وشدته وذلك حيث لا يجد مَنْ عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة[4].

غلبة الرجال: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا[5].

الفِتنةُ: الامتحان والاختبار[6].

الشرح الأدبي

جميع أحاديث الاستعاذة التي مرت في الباب تدل آثارها على أنه ينبغي سؤال الله

---

(١) (٢٧٠٦/٥٠)، وأخرجه أيضًا البخاري (٦٣٦٧) أخرجه من حديث سليمان التيمي، عن أنس. **تنبيه:** تبع المؤلفُ فيه المنذريَّ في ترغيبه (٣٨٣٠) حيث عزاه إلى مسلم، وزاد: وغيره. وأورده الحميدي في جمعه (٥٣٦/٢، رقم ١٩٠٠) في المتفق عليه.

(٢) أخرجها البخاري (٢٨٩٣)، و (٦٣٦٣) ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ.

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) فتح الباري ١٧٨/١١.

(٥) فتح الباري ١٧٨/١١.

(٦) النهاية في (ف ت ن).

والرغبة إليه في كل ما ينزل بالمرء من حاجاته، وأن يعيّن كل ما يدعو فيه، ففي ذلك إطالةُ الرغبة إلى الله تعالى، والتضرع إليه، وذلك طاعة الله تعالى، وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنّ ذلك لأمته، ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله - تعالى -، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء لها، وفي قوله (من فتنة المحيى) طباق يؤكد استيعاب الدارين بالاستعاذة المحيي والممات مصدران ميميان بمعنى الحياة والموت وفتنة المحيى أن يفتتن بالدنيا ويشتغل بها عن الآخرة وفتنة الممات أن يخاف عليه من سوء الخاتمة عند الموت وعذاب القبر مما يعرض له عند مساءلة الملكين ومشاهدة أعماله السيئة في أقبح الصور أعاذنا الله منه بمنه وكرمه.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال.

أولاً - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على ما يدعون به:

وهذا واضح من دعائه ﷺ في هذا الحديث.

قال ابن حجر: "وقد استشكل دعاؤه ﷺ بما ذكر مع أنه معصوم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأجيب بأجوبة: أحدها أنه قصد التعليم لأمته، ثانيها: أن المراد السؤال منه لأمته فيكون المعنى هنا: أعوذ بك لأمتي، ثالثها: سلوك طريق التواضع وإظهار العبودية وإلزام خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وامتثال أمره في الرغبة إليه، ولا يمتنع تكرار الطلب مع تحقق الإجابة، لأن ذلك يحصل الحسنات ويرفع الدرجات. وفيه تحريض لأمته على ملازمة ذلك، لأنه إذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة"[1].

ومن هذا القبيل ما روته عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ)) قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ. وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[3].

ثانيًا- من آداب الداعية والمدعو: الاستعاذة بالله من كل ما يجعلهما مقصرين في عبادة الله تعالى:

وهذا واضح من الحديث في قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢/٣١٩ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٣) أخرجه مسلم ٥٩٠.

والجبن والهرم والبخل)، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث في صحيحه، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله عز وجل من الكسل في الطاعات والهرم القاطع عنها[١].

قال النووي: "وأما الكسل فهو عدم انبعاث النفس لخير وقلّة الرغبة مع إمكانه[٢]، وأما العجز فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر كما جاء في الرواية التي بعدها[٣]، وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، وأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له، قال العلماء: واستعاذته ﷺ من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله، وشَرَعه أيضًا تعليمًا، وفي هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها"[٤].

(في هذا الحديث من الفقه شرف هذه الكلمات، والحض على تعلمهن فإنهن عوذ؛ إلا أنه يفصحن عن معان إذا فكر فيها المؤمن تعوذ من كل شيء من ذلك. فأول ذلك البخل، وحده منع الحق الذي فرضه الله تعالى في الأموال، وهو الزكاة، فإذا أخرج الرجل زكاة ماله لم يسم بخيلاً، إلا أن البخل قد يعرض في غير المال، مثل أن يبخل الرجل بالسلام الكامل أو بالبشر في وجه أخيه أو بالخبر الطيب الذي يسر قلبه به ونحو ذلك، وإن من أبخل البخل وأفظعه أن يبخل الرجل على أخيه المسلم بفضل ربه

---

(١) صحيح ابن حبان ٢٨٩/٣، رقم ١٠٠٩.

(٢) قال ابن هبيرة: إنما استعاذ من الكسل لأنه من أهم ما أستعيذ منه، إذ هو سبب للتواني في الطاعات. الإفصاح عن معاني الصحاح، ١١٣/٢. وانظر: المفهم للقرطبي، ٣٤/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٠٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٠/١٧/٩ ط/ دار عالم الكتب.

سبحانه، فيحسده أو يبخل عليه بمال غيره إذا رزقه الله منه، وإن من قبيح البخل البخل بالعلم مع علم العالم ان علمه يزكو على الإنفاق.

وأما الجبن: فإن شعبه متفرقة، وإن من أفظعه ان يجبن عن معاملة الله في تصديق وعوده، ثم تقديم العوائد على مقتضيات شرعه.

وأما أرذل العمر: فحالة يتناهى فيها الضعف لعلو السن وتكاثف العجز فيعود الإنسان كَلاًّ على الناس وثقلاً على غيره، ويعجز عن عبادة الله عز وجل وتحمل أعباء حوائج الناس، وقد يكون أرذل العمر زمان البطالة وأخلاق الصبيان)[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من فتنة المحيا والممات وعذاب القبر:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب، وفتنة المحيا ما يتعرض له الإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأشدها وأعظمها - والعياذ بالله تعالى - أمر الخاتمة عند الموت؛ وفتنة الممات، يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إلى الموت لقربها منه، وتكون فتنة المحيا - على هذا - ما يقع قبل ذلك في مدة حياة الإنسان وتصرفه في الدنيا، فإن ما قارب شيئًا يعطي حكمه، فحالة الموت تُشَبّه بالموت، ولا تعد من الدنيا، ويجوز أن يكون المراد بفتنة الممات: فتنة القبر كما صحّ في حديث أسماء: ((أنَّكم تُفْتَنُونَ في قُبورِكمْ مِثْلَ أو قريبًا مِنْ فِتنةِ المسيحِ الدَّجَّال))[2]، ولا يكون على هذا متكررًا مع قوله: (من عذاب القبر)، لأن العذاب مرتب على الفتنة، والسبب غير المسبب ولا يقال: إن المقصود زوال عذاب القبر، لأن الفتنة نفسها أمر عظيم وهول شديد يستعاذ بالله من شرّه"[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: ((اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣٤١/١.

(٢) أخرجه البخاري ٨٦، ومسلم ٩٠٥.

(٣) إحكام الإحكام ص ١٦٦ - ١٦٧، وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني٣١٩/٢.

عذابِ القَبرِ، ومِن عذابِ النارِ، ومن فِتنةِ المَحيا والمَماتِ، ومن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّالِ))[١]، وفي لفظ لمسلم: ((إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ. فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ. وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٢]، قال ابن دقيق العيد: "والحديث الذي ذكره عن مسلم فيه زيادة كون الدعوات مأمورًا بها بعد التشهد وقد ظهرت العناية بالدعاء بهذه الأمور، حيث أمرنا به في كل صلاة وهي حقيقة بذلك، لعظم الأمر فيها، وشدة البلاء في وقوعها، ولأن أكثرها - أو كلها - أمور إيمانية غيبية، فتكررها على الأنفس يجعلها ملكة لها، وفي لفظ مسلم أيضًا فائدة أخرى: وهي تعليم الاستعاذة وصيغتها فإنه يمكن التعبير عنها بغير هذا اللفظ، ولو عبّر بغيره لحصل المقصود وامتثل الأمر، ولكن الأولى قول ما أمر به الرسول ﷺ"[٣].

وقال ابن حجر: "وقيل: أراد بفتنة المحيا الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص، لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدجال داخلة تحت فتنة المحيا"[٤].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من ثقل الدين وغلبة الرجال:

الحديث ساقه البخاري في كتاب الدعوات مطولاً، تحت باب: التعوذ من غلبة الرجال، وفيه قول أنس رضي الله عنه: فكُنت أَخدم رسولَ الله ﷺ كلما نَزَلَ فكنتُ أسمعه يُكثرُ أن يقول: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَن، والعجزِ والكَسَل، والبُخْل والجُبن، وَضَلَع الدَّين وغلبةِ الرِّجال))[٥].

قال ابن حجر: "قوله: (وضَلَع الدين)، أصل الضَلَع -وهو بفتح المعجمة واللام- الاعوجاج، فقال: ضلع -بفتح اللام- يضلع أي مال. والمراد هنا ثقل الدين وشدته وذلك

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٧٧، ومسلم ٥٨٨.

(٢) أخرجه مسلم ١٣٠ - ٥٨٨.

(٣) إحكام الأحكام ١٦٧.

(٤) فتح الباري ٣١٩/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

حيث لا يجد من عليه الدين وفاءً ولاسيما مع المطالبة، وقال بعض السلف: ما دخل همُ الدَيْنِ قلبًا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه، قوله: (وغلبة الرجال)، أي: شدة تسلطهم كاستيلاء الرعاع هرجًا ومرجًا"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "استعاذ من أن يغلبه الرجال، لما في ذلك من الوهن في النفس والمعاش"[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وَأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وَأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ. اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِنَ المأْثمِ وَالمَغْرَمِ. فقال له قائلٌ: ما أكثرَ ما تَستعيذُ منَ المغرَمِ؟ فقال: إنَّ الرجلَ إذا غَرِمَ حَدَّثَ فكذَب، ووَعدَ فأَخْلَفَ»[٣].

وقال ابن حجر: "المغرم: أي الدين والمراد به ما يستدان فيما لا يجوز ثم يعجز عن أدائه، ويحتمل أن يراد به ما هو أعم من ذلك، وقد استعاذ ﷺ من غلبة الدين"[٤].

وقال عبدالله البسام: "الدين إذا غلب يسبب الهم والغم، ويكون صاحبه في قلق وتعب بدني وقلبي وفكري، وهذا هو ما استعاذ منه، لأن حقوق الآدميين مبنية على الشح، ولذا استعاذ النبي ﷺ من المغرم وهو الدين، وقال ﷺ مبينًا آثار الدين السيئة وعواقبه الوخيمة، (إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف)"[٥].

وقال ابن القيم: "جمع النبي ﷺ بين المأثم والمغرم، فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا"[٦].

---

(١) فتح الباري ١٢/١٧٤ ط/ السلفية.

(٢) المرجع السابق ١٢/١٧٨ ط/ السلفية.

(٣) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٩.

(٤) فتح الباري ٢/٣١٩، ط السلفية.

(٥) توضيح الأحكام ٦/٤٣٥.

(٦) الفوائد ٩١.

الحديث رقم (١٤٧٧)

١٤٧٧- وعن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه : أنَّه قَالَ لرسُولِ الله ﷺ : عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ[2]: ((وفي بيتي)) وَرُوِيَ: ((ظلمًا كثيرًا)) ورُوِي: ((كبيرًا)) [3] بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أنْ يجمع بينهما فيقال: كثيرًا كبيرًا.

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

الشرح الأدبي

تكرار مثل هذا السؤال من أبي بكر رضي الله عنه كما ورد سابقا يدل على شدة حرصه على الخير، وقوله (علمني) طلب استرشاد وتعليم يؤكد ذلك، وقول الرسول ﷺ (قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي) توجيه إلى ما فيه الكمال، لأَنَّ الإِنْسَان لا يَعْرَى عَنْ تَقْصِير وَلَوْ كَانَ صِدِّيقًا وقيل: بَلْ فِيهِ أَنَّ الإِنْسَان كَثِير التَّقْصِير وَإِنْ كَانَ صِدِّيقًا لأَنَّ النِّعَم عَلَيْهِ غَيْر مُتَنَاهِيَة وَقُوَّته لا تُطِيق بِأَدَاءِ أَقَلّ قَلِيل مِنْ شُكْرهَا بَلْ شُكْره مِنْ جُمْلَة النِّعَم أَيْضًا فَيَحْتَاج إِلَى شُكْر هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فَمَا بَقِيَ لَهُ إِلاَّ الْعَجْز وَالاعْتِرَاف بِالتَّقْصِيرِ الْكَثِير، وقوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت) جملة معترضة بين قوله (ظلمت نفسي ظلما كثيرا) وبين قوله (فاغفر لي مغفرة) وفائدة هذه الجملة الإشارة إلى الإقرار بأن الله هو الذي يغفر الذنوب وليس ذلك لغيره وفي الحقيقة هو إقرار أيضا بالوحدانية، لأن مَنْ صفته غفران الذنوب هو الموصوف بالوحدانية، والتنوين في قوله (مغفرة) يدل على التعظيم أي أنه غفران لا يكتنه كنهه، وقوله (من عندك) إشارة إلى مزيد ذلك

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٦)، ومسلم (٢٧٠٥/٤٨) ولفظهما سواء.

(٢) أخرجها مسلم عقب الحديث رقم (٥٨٩/٤٩، بدون رقم).

(٣) قال مسلم في روايته: (وقال قتيبة: كثيرًا، ولفظ ليث: (كبيرًا).

التعظيم، لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف الواصفين وقال ابن الجوزي: هو طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من جهة العبد من عمل صالح وغيره وحاصله هب لي المغفرة وإن لم أكن أهلا لها بعملي وكمل الكلام وختمه بقوله (وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) وفي هاتين الصفتين مقابلة حسنة، لأن قوله (الغفور) مقابل لقوله اغفر لي وقوله (الرحيم) مقابل لقوله ارحمني، وفيه لف ونشر مرتب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: سؤال المدعو التعليم من العالم:

هذا واضحٌ من قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: (علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي).

قال أبو العباس القرطبي: "إنما خص الصلاة، لأنها بالإجابة أجدر، وقد قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[1]"[2].

وقال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد أيضًا استحباب طلب التعليم من العالم، خصوصًا في الدعوات المطلوب فيها جوامع الكلم"[3].

ومن هذا القبيل ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله: قال: ((قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٢) المفهم ٧/٧٢.

(٣) فتح الباري ٢/٣٢٠ ط السلفية.

(٤) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

ومن ذلك ما رواه طارق بن أشيم ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: ((قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي)) وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلاَّ الإِبْهَامَ ((فَإِنَّ هؤُلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ))[1].

ثانيًا - من وسائل الدعوة: التعليم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرا ...)، جوابا على قول أبي بكر ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي.

وقد كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه الدعاء، كما قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: كان النبي ﷺ يعلّمنا هؤلاء الكلمات كما تعلّم الكتابة: ((اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

ومن ذلك حديث الدعاء عند الاستخارة[3]، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن))[4].

قال ابن حجر: "وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم"[5].

وقال ابن أبي العز: "والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار"[6].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: التضرع والتذلل عند الدعاء بطلب المغفرة والرحمة:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم).

---

(١) أخرجه مسلم ٣٦ - ٢٦٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

(٣) كما بوّب على ذلك البخاري في صحيحه الحديث رقم ٦٣٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ١١٦٢، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠.

(٥) فتح الباري ١١/١٨٧ ط السلفية.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٧٦.

قال ابن حجر: "قوله: (ظلمت نفسي)، أي: بملابسة ما يستوجب العقوبة أو ينقص الحظ، وفيه أن الإنسان لا يعرى عن تقصير ولو كان صدّيقًا، قوله (ولا يغفر الذنوب إلا أنت)، فيه إقرار بالوحدانية واستجلاب للمغفرة، وهو كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، فأثنى على المستغفرين، وفي ضمن ثنائه عليهم بالاستغفار لوح بالأمر به كما قيل: إن كل شيء أثنى الله على فاعله فهو آمر به، وكل شيء ذمّ فاعله فهو ناهٍ عنه، قوله: (مغفرة من عندك)، قال الطيبي: "دلّ التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى مريدًا لذلك العظم، لأن الذي يكون من عند الله لا يحيط به وصف كما في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا﴾[2]"[3]. وقال ابن دقيق العيد: (يحتمل وجهين: أحدهما: الإشارة إلى التوحيد المذكور كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت فافعله لي أنت، والثاني: - وهو أحسن - أنه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره فهي رحمة من عنده بهذا التفسير ليس للعبد فيها سبب وهذا تبرؤ من الأسباب والإدلال بالأعمال والاعتقاد في كونها موجبة للثواب وجوبًا عقليًا)[4].

وبهذا جزم ابن الجوزي فقال: "المعنى: هب لي المغفرة تفضلاً وإن لم أكن لها أهلاً بعملي، قوله: (إنك أنت الغفور الرحيم)، هما صفتان ذكرتا ختمًا للكلام على جهة المقابلة لما تقدم، فالغفور مقابل لقوله: (اغفر لي)، والرحيم مقابل لقوله: (ارحمني)، وهي مقابلة مرتبة"[5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢/٣٧٣.

(٤) إحكام الأحكام ١٦٨.

(٥) فتح الباري، ٢/٣٢٠ ط/ السلفية، وانظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٥٥٧.

وقال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه: أن الدعاء في الصلاة جائز؛ لقول أبي بكر رضي الله عنه: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي؛ ولم ينكر عليه.

وفيه أيضًا أنه لا يدعى في الصلاة إلا بما ورد في الأخبار، لأن أبا بكر رضي الله عنه لم يستجز أن يدعو في الصلاة إلا بما يتلقنه من رسول الله ﷺ، فأما غير الصلاة فيدعو فيها بما يشاء[1].

وفيه من الفقه أيضًا أن الدعاء على الإطلاق ينبغي أن يتوخى به النطق المأثور عن رسول الله ﷺ، وأن لا تواجه عظم الرب سبحانه إلا بالآداب النبوية المؤيدة بالعصمة.

وفيه أيضًا من الفقه أنه قال: "قل اللهم" وهذا الاسم، هو الاسم الأعظم من حيث إنه الأشهر والأظهر، ولذلك يقال: السواد الأعظم، أي الأشهر الأظهر، ولهذا الاسم خصائص منها لحوق هذه الميم في النداء به، وليس في الأسماء كلها ما تلحقه هذه الميم في النداء غيره.

وفي العربية إنها عوض من حرف النداء، إلا أنه قد جاء في الشعر الجمع بينها وبين حرف النداء للضرورة. ومن خصائصه أيضًا لحوق تاء القسم به، وانه المراد بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. أي هذا الاسم هو قولنا "الله نور السماوات والأرض"، فله يتراحم المتراحمون، وبخوفه يكف الظالمون، ويهدَّد المسرفون، ويأمل الخلف المتصدقون.

وقوله: "إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فيه من الفقه: أن رسول الله ﷺ أصل له هذا الحديث تأصيلاً عامًا شاملاً لكل دعاء، وبيان ذلك أن الطلب من الله سبحانه وتعالى يناسبه ويلائمه الافتقار إليه، والحاجة، والمسكنة، كما يباينه وينافيه الإدلال والتغاني في الركون إلى نوع عبادة أو طاعة؛ فإذا اعترف الطالب لله عزوجل بأنه قد أتى

---

(١) لكن القرطبي المالكي قال: وقد قدمنا أنه يجوز أن يدعى في الصلاة بكل دعاء كان بألفاظ القرآن أو بألفاظ السنة أو غيرها خلاف لمن منع ذلك إذا كان بألفاظ الناس وهو أحمد بن حنبل وأبو حنيفة، المفهم ٣٣/٧.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥ .

ما مقتضاه الفقر والحاجة إلى فضله وعفوه، استهدف لعطائه ونزول شآبيب رحمته.

وقال له: قل: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".

يعني ﷺ: أنك إذا تطهرت من ظلم نفسك، وغفر لك ورحمك، كانت هذه مقدمات بين يدي طلبك، فحسن حينئذ منك الطلب، ولم يصادف العطاء حاجزًا من ظلم يمنع نيل العهد الذي ذكره سبحانه في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. ولا ذنب لم يمح بعد فيكون الاشتغال بمحوه عند المؤمن أهم من الطلب لغيره، فكأنه ﷺ يقول له: فإذا دعوت بهذا الدعاء انتفت الحواجز بينك وبين العطاء، فاطلب حينئذ ما شئت، وادع بما أردت.

ثم فيه أيضًا أنه قال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا" فجاء بذكر الظلم على أسلوب النكرة، ولم يعرفه بالألف واللام، فكان ينصرف إلى الظلم الذي هو الشرك، فلما أسند المغفرة إلى الله عز وجل قال: "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" فجمعها بالألف واللام فقال: "الذنوب" والمراد بها الذنوب المعروفة المشهورة. ثم قوله: "فاغفر لي مغفرة من عندك" المعنى أنها لا تكون بسبب من عندي فتفنى وتنقضي؛ لأنه كل ما يكون مطلعه من فانٍ فإنه يفنى ويضمحل، إنما المراد أن تكون المغفرة من الله الباقي فتبقى. ثم قال بعد ذلك "وارحمني" إذ الغَفْر في وضع اللغة: الستر والتغطية، فقد يغطى الشيء ولا تعقبه الرحمة، وقد يستر الأمر ولا يمحوه الصفح. فلما قال: فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، كان طلبًا لمحو السيئة وتطييب أثرها.

ثم قال: "إنك أنت الغفور الرحيم" فقوله "إنك" الكاف في خطاب الله تعالى والتاء أيضًا في أماكن إسناد النعم إليه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2]. فلما جاء إلى ذكر الغضب قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وإلى الضلالة قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. وقال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

"إنك" بالكاف ثم ألحقها بقوله: "أنت"، وهو عماد عند الكوفيين.

وفيه فائدة فوق قولنا: "إنك أنت الغفور الرحيم" لأن المعنى بقوله: إنك أنت الغفور الرحيم، أنه تعين لهذا المعنى، أنه ليس لغيرك، فكأنه قال: لا غفور ولا رحيم على الحقيقة غيرك"[1].

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ١/٥٠-٥٢. وانظر المفهم للقرطبي، ٧/٣٢، ٣٣.

الحديث رقم (١٤٧٨)

١٤٧٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: أنَّه كَانَ يدْعُو بهذا الدُّعَاء: ((اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أخَّرْتُ، وَمَا أسْرَرْتُ وَمَا أعْلَنْتُ، وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أنْتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، وأنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

ابو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

دعاؤه ﷺ (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أمْرِي، وَمَا أنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي) طلب للمغفرة على وجه ملازمة الخضوع لله تعالى، واستصحاب حال العبودية والاعتراف بالتقصير شكرًا لما أولاه ربه تعالى مما لا سبيل له إلى مكافأة بعمل، فكما كان يصلى ﷺ حتى ترم قدماه، فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: « أفلا أكون عبدًا شكورًا ». فكان اجتهاده في الدعاء، والاعتراف بالذل والتقصير، والإعواز والافتقار إلى الله تعالى شكرًا لربه، كما كان اجتهاده في الصلاة حتى ترم قدماه شكرًا لربه، إذ الدعاء لله تعالى من أعظم العبادة له، وليسُنّ ذلك لأمته ﷺ فيستشعروا الخوف، والحذر ولا يركنوا إلى الأمن، وإن كثرت أعمالهم وعبادتهم لله تعالى، وقوله (اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي) فيه طباق يستغرق حالتي الإنسان بين الجد والهزل بالمغفرة، وبين قوله: (وَخَطَئِي) و(عَمْدِي) طباق يستغرق بالمغفرة حالتي العلم والجهل، وعطف العمد على الخطأ إما عطف الخاص على العام باعتبار أن الخطيئة أعم من التعمد أو من عطف أحد المتقابلين على الآخر بأن يحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، و(٦٣٩٩)، ومسلم (٢٧١٩/٧٠) واللفظ له.

الخطيئة على ما وقع على سبيل الخطأ وقوله: (وكل ذلك عندي) إيغال في بيان الاعتراف، والذل ومعناه: ممكن أي موجود أي أنا متصف بهذه الأمور فاغفرها لي قاله تواضعا أو أراد ما وقع سهوا أو ما قبل النبوة أو محض مجرد تعليم لأمته، وقوله :(اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت) طباق يستغرق الزمان بمغفرة ما وقع فيه (وما أسررت، وما أعلنت) طباق يستوعب المكان بمغفرة ما فيه أي ما أظهرت أو ما حدثت به نفسي، وما تحرك به لساني قاله تواضعا وإجلالا لله تعالى أو تعليما لأمته (أنت المقدم) أي بعض العباد إليك بتوفيق الطاعة أو أنت المقدم لي بالبعث في الآخرة (وأنت المؤخر) بخذلان بعضهم عن التوفيق فتؤخره عنك أو أنت المؤخر لي بالبعث في الدنيا أو أنت الرافع والخافض أو المعز والمذل (وأنت على كل شيء قدير) تذييل يؤكد ما سبق أي أنت الفعال لكل ما تشاء.

غريب الألفاظ:

وإسرافي: من الإسراف ويطلق على الإسراف والتبذير في النفقة لغير حاجة، أو في غير طاعة الله، والغالب على ذكر الإسراف في الحديث النبوي: الإكثار من الذنوب والخطايا[1].

جِدي: الجدُّ: الاجتهاد في الأمر، وهو ضد الهزل[2].

هزلي: لعبي[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء.

---

(١) النهاية في (س ر ف)، وفتح الباري ٢٠١/١١.

(٢) القاموس المحيط في (ج د د).

(٣) النهاية في (هـ ز ل).

أولاً - من موضوعات الدعوة: إجلال النبي ﷺ ربه سبحانه وتعظيمه في الدعاء:

هذا واضح من هذا الدعاء، وقوله في آخره: (أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام منَ الليل يتهجَّدُ قال: ((اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ لكَ مُلكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أَنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ وَمَنْ فِيهنّ، ولكَ الحمدُ أنتَ ملكُ السماواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أَنتَ الحقُّ، ووَعدُكَ الحقُّ، ولِقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنبيُّونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ. اللّهمَّ لكَ أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليكَ تَوكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ وإليكَ حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسرَرتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّمُ وأنتَ المؤخِّرُ لا إلهَ إلاَّ أنت أو لا إله غيرُك))[1].

قال ابن حجر: "قوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه، أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل. والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا"[2].

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ. لَبَّيْكَ. وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ. وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ. أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ.

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٢٠، ومسلم ٧٦٩.

(٢) فتح الباري ٥/٣ ط/ السلفية.

تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. وَإِذَا رَكَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي. وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي. وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ)). وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: ((اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ. وَبِكَ آمَنْتُ. وَلَكَ أَسْلَمْتُ. سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ. تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[1].

وقال ابن حجر عن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداءً به ﷺ"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التفصيل في مقام الدعاء:

وهذا واضحٌ من الحديث، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله جلّ وعلا التفضل عليه بمغفرة أنواع ذنوبه[3]، وبوّب عليه كذلك: ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الرب جل وعلا المغفرة لذنوبه وإن كان في لفظه استقصاء[4]، وقال ابن عثيمين: "إن النبي ﷺ سأل الله تعالى أن يغفر له ما قدم وما أخر، فقال: (اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني)، وهذا يغني عنه كلمة واحدة: (اللهم اغفر لي ذنبي كله)، لكن التفصيل في مقام الدعاء أمر مطلوب، لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل، مما أسرّ وأعلن وما علم وما لم يعلم، ولأنه كلما تمادى في سؤال الله عز وجل ازداد تعلقًا بالله

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) فتح الباري ٥/٣ ط/ السلفية.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٣٤/٣، الحديث ٩٥٤.

(٤) المرجع السابق ٢٣٧/٣، الحديث ٩٥٧.

تعالى وخوفًا منه ورجاءً فلذلك كان النبي ﷺ يفصل فيما يسأل ربه عز وجل من مغفرة الذنوب وغير ذلك"[١].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التذللّ والتضرع إلى الله سبحانه في الدعاء:

هذا واضح من الحديث، قال ابن حجر: "(رب اغفر لي خطيئتي)[٢]: الخطيئة الذنب، قوله (وجهلي): الجهل ضد العلم، قوله: (وإسرافي في أمري كله): الإسراف مجاوزة الحدّ في كل شيء، قال الكرماني: يحتمل أن يتعلق بالإسراف فقط، ويحتمل أن يتعلق بجميع ما ذكره، قوله: (اغفر لي خطاياي وعمدي)، وقع في رواية الكشميهني في طريق إسرائيل (خطئي)، وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد بالسند الذي في الصحيح هو المناسب لذكر العمد، ولكن جمهور الرواة على الأول، والخطايا: جمع خطيئة، وعطف العمد عليها من عطف الخاص على العام، فإن الخطيئة أعمّ من أن تكون عن خطأ وعن عمد، أو هو من عطف أحد العامين على الآخر، قوله: (وجهلي وجدي)، وقع في مسلم (اغفر لي هزلي وجدي)، وهو أنسب والجد - بكسر الجيم - ضد الهزل قوله: (وكل ذلك عندي)، أي: موجود أو ممكن"[٣].

وقال النووي: "قيل: قاله تواضعًا، وعدّ على نفسه فوات الكمال ذنوبًا، وقيل: أراد ما كان عن سهو، وقيل: ما كان قبل النبوة، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فدعا بهذا وغيره تواضعًا، لأن الدعاء عبادة.. قوله ﷺ: (أنت المقدم وأنت المؤخر)، يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه، ويؤخر من يشاء عن ذلك لخذلانه"[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٥٨/٢ - ١٥٥٩.

(٢) هذه رواية عند البخاري ٦٣٩٨.

(٣) فتح الباري ١٩٨/١١ ط السلفية.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٢/١٧/٩ - ٤٣. ط دار عالم الكتب، وقال القرطبي: أي المقدم لمن شئت بالتوبة والولاية والطاعة، والمؤخر لمن شئت بضد ذلك. والأولى: أنه تعالى مقدِّمُ كل مُقَدَّمٍ في الدنيا والآخرة. ومؤخِّرُ كل مؤخَّرٍ، والمبدىء والمعيد، والقابض والباسط والخافض والرافع والضار والنافع، فهذه الأسماء لا تقال إلا مزدوجة، كما جاءت في الكتاب والسنة. المفهم، ٤٨/٧.

قال ابن حجر: "قال الطبري: بعد أن استشكل صدور هذا الدعاء من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] ما حاصله: أنه ﷺ امتثل ما أمره الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرةَ إذا جاء نصر الله والفتحَ، قال: وزعم قوم أن استغفاره عما يقع بطريق السهو والغفلة أو بطريق الاجتهاد، مما لا يصادف ما في نفس الأمر، وتعقب بأنه لو كان كذلك للزم منه أن الأنبياء يؤاخذون بمثل ذلك فيكونون أشد حالا من أممهم، وأجيب بالتزامه، قال المحاسبي: الملائكة والأنبياء أشد لله خوفا ممن دونهم، وخوفهم خوف إجلال وإعظام، واستغفارهم من التقصير لا من الذنب المحقق، وقال عياض[2]: يحتمل أن يكون قوله (اغفر لي خطيئتي) وقوله: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت) على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه، لما علم أنه قد غفر له، وقيل هو محمول على ما صدر من غفلة أو سهو، وقيل على ما مضى قبل النبوة، وقال قوم وقوع الصغيرة جائز منهم فيكون الاستغفار من ذلك، وقال القرطبي: في (المفهم)[3] وقوع الخطيئة من الأنبياء عليهم السلام جائز لأنهم مكلفون فيخافون وقوع ذلك ويتعوذون منه، وقيل قاله على سبيل التواضع والخضوع لحق الربوبية، ليقتدي به في ذلك"[4].

وقال ابن القيم: "لله سبحانه على عبده أمر أمره به، وقضاء يقضيه عليه، ونعمة ينعم بها عليه، فلا ينفك من هذه الثلاثة. والقضاء نوعان: إما مصائب، وإما معايب. وله عليه عبودية في هذه المراتب كلها. فأحب الخلق إليه من عرف عبوديته في هذه المراتب ووفاها حقها، فهذا أقرب الخلق إليه. وأبعدهم منه من جهل عبوديته في هذه المراتب، فعطلها علمًا وعملاً.

فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصًا واقتداءً برسول الله ﷺ. وفي النهي اجتنابه خوفًا منه وإجلالاً ومحبة.

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢.

(٢) إكمال المعلم ٢١٤/٨.

(٣) المفهم ٤٨/٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٩٨/١١، ط/ السلفية.

وعبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها، وهو أعلى منه. ثم الشكر عليها، وهو أعلى من الرضا. وهذا إنما يتأتى منه إذا تمكن حبه من قلبه علم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة.

وعبوديته في قضاء المعايب المبادرة إلى التوبة منها والتنصل، والوقوف في مقام الاعتذار والانكسار، عالمًا بأنه لا يرفعها عنه إلا هو، ولا بقية شرها سواه، وأنها إن استمرت أبعدته من قربه وطردته من بابه؛ فيراها من الضر الذي لا يكشفه غيره، حتى إنه ليراها أعظم من ضر البدن. فهو عائذ برضاه من سخطه، وبعفوه من عقوبته، وبه منه مستجير، وملتجئ منه إليه، يعلم أنه إذا تخلى عنه وخلى بينه وبين نفسه فعنده أمثالها وشر منها، وأنه لا سبيل له إلى الإقلاع والتوبة إلا بتوفيقه وإعانته، وأن ذلك بيده سبحانه، لا بيد العبد؛ فهو أعجز وأضعف وأقل من أن يوفق نفسه أو يأتي بمرضاة سيده بدون إذنه ومشيئته وإعانته، فهو ملتجئ إليه متضرع ذليل مسكين، ملق نفسه بين يديه، طريح ببابه، مستخذٍ له، أذل شيء وأكسره له، وأفقره وأحوجه إليه، وأرغبه فيه، وأحبه له، بدنه متصرف في أشغاله، وقلبه ساجد بين يديه، يعلم يقينًا أنه لا خير فيه ولا له ولا به ولا منه، وأن الخير كله لله وفي يديه وبه ومنه؛ فهو ولي نعمته، ومبتدئه بها من غير استحقاق، ومجريها عليه مع تمقته إليه بإعراضه وغفلته ومعصيته.

فحظه سبحانه: الحمد والشكر والثناء، وحظ العبد الذم والنقص والعيب. قد استأثر بالمحامد والمدح والثناء، وولى العبد الملامة والنقائص والعيوب؛ فالحمد كله له، والخير كله في يديه، والفضل كله له، والثناء كله له، والمنة كلها له، فمنه الإحسان، ومن العبد الإساءة، ومنه التودد إلى العبد بنعمه، ومن العبد التبغض إليه بمعاصيه، ومنه النصح لعبده، ومن العبد الغش له في معاملته"[1].

---

(١) الفوائد ١٦٥، ١٦٦.

الحديث رقم (١٤٧٩)

١٤٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومنْ شَرِّ مَا لَمْ أعْمَلْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث ترويه أم المؤمنين عائشة، والأحاديث التي ترويها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها - لها فضل توكيد لشدة قربها من الرسول ﷺ بحيث تحيط بدقائقه، وقوله (كَانَ يقول في دُعَائِهِ) في التعبير بفعل الكينونة الماضي تحقيق للفعل وثبوت له، وفيه دلالة على اعتياده - غالبا - وقوله (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت) أي فعلت قال الطيبي أي من شر عمل يحتاج فيه إلى العفو، والغفران (ومن شر ما لم أعمل) استعاذ من شر أن يعمل في المستقبل مالا يرضاه بأن يحفظه منه، أومن شر أن يصبر معجبا بنفسه في ترك القبائح، فإنه يجب أن يرى ذلك من فضل ربه، أو لئلا يصيبه شر عمل غيره قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) (الأنفال ٢٥) ويحتمل أنه استعاذ من أن يكون ممن يحب أن يحمده بما لم يفعل، وبين قوله عَمِلْتُ، وقوله ما لم أعمل طباق سلب يؤكد إحاطة الاستعاذة بمختلف الأعمال إحاطة لا يترتب عليها تبعة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي.

---

(١) برقم (٢٧١٦/٦٦).

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من شر ما عمل الإنسان ومن شر ما لم يعمل:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل)، قال النووي: "(أعمل) قالوا: معناه: من شر ما اكتسبته مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا أو يقتضي في الآخرة، وإن لم أكن قصدته، ويحتمل أن المراد تعليم الأمة الدعاء"[١]، وقال السندي: "أي من شر ما فعلت من السيئات وما تركت من الحسنات، أو من شر كل شيء مما تعلق به كسبي"[٢]، وقال القرطبي: "نبّه في هذا على معنى زائد، وهو أنه قد يعمل الإنسان العمل لا يقصد به إلا الخير، ويكون في باطن أمره شر لا يعلمه، فاستعاذ منه، ويؤيد هذا أنه قد روى في غير كتاب مسلم: "من شر ما علمت، وما لم أعلم، ويحتمل أن يريد به ما عمل غيره، فيما يظن أنه يقتدي به فيه"[٣].

فالإنسان تقع منه الذنوب والمعاصي، وكذلك يترك بعض الحسنات، وكل ذلك تقصير في حق الله يستعيذ العبد بالله أن يعاقبه بذلك، وذلك لأن حال الإنسان مقارفة الذنب وفعل المعصية وقد قال النبي ﷺ: ((كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاء، وَخيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ))[٤].

والاستعاذة دعاء إلى الله عز وجل، والدعاء من توفيق الله، وفي ذلك يقول ابن القيم: "أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك. وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك. وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شرّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٩/١٧/٤٠، ط/ دار عالم الكتب. وانظر إكمال المعلم، للقاضي عياض، ٨/٢١٣.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٨/٦٧٥.

(٣) المفهم ٧/٤٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٤٩٩، وابن ماجه ٤٢٥١، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٤٢٨).

فإذا كان كل خير، فأصله التوفيق، وهو بيدالله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجوء والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح الله له، ومتى أضلّه عن المفتاح بقى باب الخير مرتجا[1] دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه).

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته فالمعونة من الله تنزل على العبد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حساب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به وهو العليم الحكيم، وما أتى من أتى إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه إلا بقيامه بالشكر، وصدق الافتقار والدعاء، وملاك ذلك الصبر، فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس فلا بقاء للجسد)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من الوقوع في الذنوب والمعاصي:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (ومن شر ما لم أعمل)، والدليل على ذلك أن ابن حبان قد بوّب على هذا الحديث في صحيحه: ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جلّ وعلا من المناقشة على جناياته في العقبى والوقوع في أمثالها في الدنيا[3]، فإنه يغلب على الظن أن ابن حبان فهم من الحديث من ضمن ما فهم، التعوذ من الوقوع في الذنوب والمعاصي مستقبلاً.

ثم وجدت الطيبي نقل عن الأشرف قوله: "قيل: استعاذ من أن يعمل في مستقبل الزمان ما لا يرضاه الله، فإنه لا مأمن لأحد من مكر الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا

---

(١) أي: مغلقًا. المصباح المنير، ٢٥٩.

(٢) الفوائد، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/٣٠٥ رقم ١٠٣١.

ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١]، وقيل: من أن يصير معجبًا بنفسه في ترك القبائح وسأله أن يرى ذلك من فضل ربه"[٢].

وعلى العموم فإنه كان من دعاء النبي ﷺ: ((وإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ))[٣]، وكذلك من دعائه ﷺ: ((اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإيمَانَ وزَيِّنْهُ في قُلُوبِنَا، وكَرِّهْ إِلَيْنَا الكُفْرَ والفُسُوقَ والعِصْيَانَ، واجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وأَلْحِقْنَا بالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا ولا مَفْتُونِينَ))[٤]، ولا شكّ أن هذا الدعاء طلبٌ للحماية من الوقوع في الذنوب والتعرض لها، أو عدم المؤاخذة بالوقوع فيها.

ويتضمن هذا الدعاء إشارة إلى العبد أن يحبس نفسه عن المعاصي، لما في ذلك من نيل الدرجات العلا، وفي ذلك يقول ابن القيم: "طالب الله والدار الآخرة لا يستقيم له سيره وطلبه إلا بحبسين: حبس قلبه في طلبه ومطلوبه، وحبسه عن الالتفات إلى غيره، وحبس لسانه عما لا يفيد وحبسه على ذكر الله وما يزيد في إيمانه ومعرفته، وحبس جوارحه عن المعاصي والشهوات وحبسها على الواجبات والمندوبات، فلا يفارق الحبس حتى يلقى ربه، فيخلصه من السجن إلى أوسع فضاء وأطيبه، ومتى لم يصبر على هذين الحبسين وفرّ منهما إلى فضاء الشهوات، أعقبه ذلك الحبس الفظيع عند خروجه من الدنيا، فكل خارج من الدنيا إما متخلص من الحبس، وإما ذاهب إلى الحبس"[٥].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٩٩.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٢٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٥٨٠).

(٤) أخرجه أحمد ٤٢٤/٣، رقم ١٥٤٩٢، عن عبدالله الزرقي، وقال محققو المسند: رجاله ثقات ٢٤٦/٢٤ - ٢٤٧.

(٥) الفوائد ٨٣.

الحديث رقم (١٤٨٠)

١٤٨٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فجاءة: الفجاءة: البغتة[2].

نقمتك: النقمة: المكافأة بالعقوبة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشتمل على دعاء لحفظ النعم على من أنعم الله عليه بنعمة فيشمل جميع المسلمين فما منهم من أحد ليس لديه نعمة من الله، وقوله (اللهم إني) توجه لله بكامل الخضوع في اللفظ الدال على كمال الخضوع في القلب مع تهالك في الدعاء دل عليه توكيد العوذ، ووصل النعمة بكاف الخطاب يتضمن اعترافا بنسبتها إليها، وقوله من (زوال نعمتك) أي مفارقة النعمة، وقوله (وتحول عافيتك) أي انتقالها من السمع والبصر وسائر الأعضاء، والفرق بين الزوال، والتحول أن الزوال يقال في شيء كان ثابتا في شيء ثم فارقه والتحول تغير الشيء وانفصاله عن غيره فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل وتحول العافية إبدال الصحة بالمرض والغني بالفقر، وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، والداهية (وفجاءة نقمتك) بمعنى البغتة والنقمة المكافأة بالعقوبة والانتقام بالغضب والعذاب، وخصها بالذكر لأنها أشد

---

(١) برقم (٢٧٣٩/٩٦).

(٢) النهاية في (ف ج أ).

(٣) القاموس المحيط في (ن ق م).

(وجميع سخطك) هو من ذكر العام بعد الخاص استدراكا لشمول ما يوقع في هذا السخط أي ما يؤدي إليه أو جميع آثار غضبك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من زوال نعمته وتحول عافيته:

هذا واضح من دعاء النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك)، قال الطيبي: "قوله: "وتحول عافيتك"، قال المظهر: أي: من تبدل ما رزقتني من العافية إلى البلاء، فإن قلت: ما الفرق بين الزوال والتحويل؟ قلت: الزوال يقال في شيء كان ثابتًا في شيء ثم فارقه، والتحويل: تغيير الشيء وانفصاله عن غيره.. وحوّلت الشيء فتحوّل غيرتهُ إما بالذات وإما بالحكم، فمعنى زوال النعمة ذهابها من غير بدل، وتحويل العافية إبدال الصحة بالمرض، والسلامة بالبلاء"[1].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الداعي إذا دعى الله عز وجل واستعاذه من زوال نعمته؛ فإنما في ضمن دعائه أن يستعيذ بالله من أن يغير ما بنفسه؛ لأن القرآن نزل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2]. فيستعيذ من أن يغير ما بنفسه لئلا يزيل الله عز وجل ما أنعم به عليه.

وقوله: "وتحول عافيتك": أي: أنك قد عودتني منك العافية، فلا تحولني إلى البلاء، ويكون في ضمن هذا أن من العافية التي يعافي الله بها عبده أن يسامحه ويساهله ولا يناقشه؛ وقد عود الله عبده ذلك فإذا أَمَرّ وقت عبده في عافية منه، فإنما ذلك عن مساهلة الله وسماحته لا عن براءة العبد وسلامته، فإذا استعاذ العبد من أن يحول عنه

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٩/٥.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١ .

ما عوده إياه من هذه العافية؛ فقد احتظى بحظار من فضله عن سخطه"[١].

وقال عبدالله البسام: " قوله:" اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك" الأمور كلها بيد الله تعالى، فهو المعطي وهو المانع لا راد لأمره، فالاستعاذة والاعتصام من زوال النعم هي في موضعها وواقعة موقعها، فهو يسأل معطيها أن لا يزيلها، وزوال النعم يكون غالبًا بسبب الذنوب، فهو يسأل ضمنًا العصمة من الذنوب التي هي سبب زوال النعم. قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[٢].

قوله: "وتحول عافيتك" فيه الاستعاذة بالله تعالى من أن ينقل العافية منه إلى غيرها، ويسأله بقاءها سابغة عليه، وهي تشمل العافية في الدين والبدن والوطن والأهل والمال، بأن تبقى سالمة مما يطرأ عليها فيزيلها أو يهلكها أو يذهبها"[٣].

ومن الأمثلة التاريخية لزوال نعمة الله وعافيته عن الظالمين، ما حدث لقوم سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٤].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لكل صبّار شكور)، أي: إن في هذا الذي حلّ بهؤلاء من النقمة والعذاب، وتبديل النعمة وتحويل العافية، عقوبة على ما

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٢/٤، ٢٧٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٣) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٤) سورة سبأ، الآيات ١٥ - ١٩.

ارتكبوه من الكفر والآثام، لعبرة ودلالة لكل عبد صبّار على المصائب شكور على النعم"[١].

وقال الطاهر بن عاشور: "إن في هذه القصة عدة آيات وعبر، فحلة مساكنهم آية على قدرة الله ورحمته وإنعامه، وفيه آية على أنه الواحد المتصرف، وفي إرسال سير العرم عليها آية على انفراده وحده بالتصرف، وعلى أنه المنتقم وعلى أنه واحد، فلذلك عاقبهم على الشرك، وفي انعكاس حالهم من الرفاهة إلى الشظف آية على تقلب الأحوال، وتغير العالم وآية على صفات الأحوال لله تعالى من خلق ورزق وإحياء وإماتة، وفي ذلك آية من عدم الاطمئنان لدوام الحال في الخير والشر، وفيما كان من عمران إقليمهم واتساع قراهم إلى بلاد الشام آية على مبلغ العمران وعظم السلطان من آيات التصرفات، وآية أن الأمن أساس العمران، وفي تمنيهم زوال ذلك آية على ما قد تبلغه العقول من الانحطاط المفضي إلى اختلال أمور الأمة، وذهاب عظمتها، وفيما صاروا إليه من التروح عن الأوطان والتشتت في الأرض، آية على ما يلجئ الاضطرار إليه الناس من ارتكاب الأخطار والمكاره"[٢].

ثانيا- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من فجاءة نقمته:

هذا واضح من لفظ الحديث "وفجاءة نقمتك" قال ابن هبيرة: "إن النعمة إذا جاءت فجأة بغتةً لم يكن هناك زمان يستدرك فيه، ولا وقت لإعتاب"[٣].

وقال عبدالله البسام: "الفجأة هي البغتة التي تأخذ الإنسان من حيث لا يكون عنده سابق إنذار وإخطار وتحذير فيؤخذ من مأمنه حينما تفجأه النقمة ويبغته العذاب، ولات حين مناص ولا مفرّ"[٤]، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥١٢/٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٠/٢٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٤) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[١].

قال القاسمي: "(أفأمنوا مكر الله)، وهو أخذه العبد من حيث لا يحتسب، "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، أي: لا يأمن أحدٌ أخذه تعالى العبد من حيث لا يشعر مع كثرة ما رأى من أخذه العباد من حيث لا يحتسبون إلا القوم الذين خسروا عقولهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها، والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات، فصاروا خاسرين إنسانيتهم، بل أخس من البهائم، وفي قوله تعالى: (أفأمنوا مكر الله)، تكرير للنكير في قوله: (أفأمن أهل القرى)، لزيادة التقرير"[٢].

قال الحسن البصري: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[٣].

وقال الطاهر بن عاشور: "وتقييد التعجيب من أمنهم مجيء البأس بوقتي البيات والضحى من بين سائر الأوقات، وبحالي النوم واللعب، من بين سائر الأحوال، لأن الوقتين أجدر بأن يحذر حلول العذاب فيهما، لأنهما وقتان للدعة، فالبيات للنوم بعد الفراغ من الشغل، والضحى للعب قبل استقبال الشغل، فكان شأن أولي النهى المعرضين عن دعوة رسل الله أن لا يأمنوا عذابه، بخاصة في هذين الوقتين والحالين، وفي هذا التعجيب تعريض بالمشركين المكذبين للنبي ﷺ أن يحلّ بهم ما حلّ بالأمم الماضية، فكان ذكر البيات ووقت اللعب أشد مناسبة بالمعنى التعريضي، تهديدًا لهم بأن يصيبهم العذاب بأفظع أحواله، إذ يكون حلوله بهم في ساعة دعتهم وساعة لهوهم نكاية بهم"[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من سخط الله:

قد كان النبي ﷺ يستعيذ من سخط الله، كما جاء في الحديث "وجميع

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

(٢) محاسن التأويل ٢٢٢/٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٥١/٣.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٣/٩.

سخطك". قال ابن هبيرة: "وأما قوله: "وجميع سخطك" ففي ذلك أنه لما كان في تعديد مساخط الله سبحانه نوع ترويع تستجدي له قلوب المؤمنين لإعتاب أجمل ﷺ ذلك، وعدل عن تفصيله إلى قوله عليه السلام: "وجميع سخطك".

ثم من حسن الترتيب، وبديع التصريف أن بدأ في الاستعاذة من تحول العافية، لأنه من لطف الله تعالى به إدامة العافية عليه، وقد حرس خصاله من الالتفات ثم أتبع ذلك بالتعوذ من فجاءة النقمة، وهي أن يفجأ بالنقمة من قبل منذرات تنذر ومؤذنات تؤذن وتشعر، فتسبق الاستغفار وتعجل عن الإعتاب؛ ثم أتبع ذلك بالتعميم من الاستعاذة من جميع سخطه أعاذنا الله سبحانه من ذلك وإياكم"[1].

وقال عبدالله البسام: "قوله: "وجميع سخطك" تعميم بعد تخصيص، فهو يستعيذ بالله تعالى، ويعتصم من جميع الشرور والأمور التي توجب سخط الله تعالى، والذي يسخطه جل وعلا على عباده هو عموم المعاصي والذنوب من انتهاك المحرمات أو ترك الواجبات والله اعلم"[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ))[3].

قال النووي: "قال الخطابي: في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه"[4].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٢٧٣/٤.

(٢) توضيح الأحكام ٤٣٥/٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢١٢/٤/٢.

وكان من دعاء النبي ﷺ لما دعا أهل الطائف إلى الإسلام فلم يجيبوه: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانًا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو تحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك))[1].

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٣٩/٤، وعزاه لابن عساكر في تاريخ دمشق.

الحديث رقم (١٤٨١)

١٤٨١- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ، يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ[1]، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّها أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لَهَا)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

الهَرَم: الكبر والضعف، والمراد به: صيرورة الرجل خَرِفًا من كبر سن بحيث لا يميز بين الأمور المعتدلة المحسوسة والمعقولة[3].

زكّها: طهرها[4].

أنت خير من زكاها: لفظة خير ليست للتفضيل، بل المعنى لا مُزكي لها إلا أنت[5].

وليها: ناصرها والقائم بها[6].

مولاها: المولى في اللغة بمعان عدة، ومولاها هنا بمعنى: ربها ومالكها وناصرها والمنعم عليها[7].

الشرح الأدبي

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من كل ذلك، ويعينه باسمه، وإن كان الله قد عصمه من كل شر، ليلزم نفسه خوف الله تعالى، وإعظامه، وليسُنّ ذلك لأمته،

---

(١) عند مسلم زيادة: (الجبن).

(٢) برقم (٢٧٢٢/٧٣).

(٣) النهاية في (هـ ر م)، دليل الفالحين ١٥٣٢.

(٤) النهاية في (ز ك و)، شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٥) شرح مسلم، النووي ١٥٩٩.

(٦) النهاية في (د ل ي).

(٧) القاموس المحيط في (و ل ي).

ويعلمهم كيف الاستعاذة من كل شيء فإنها تحقق جملة من الفوائد منها: أنها عبادة محبوبة لله -تعالى-، ومنها: أن يستشعر العبد الافتقار إلى ربه في كل أمر وإن دق ولا يستحي من سؤاله ذلك، ومنها: أنها تحقق للعبد الأمن مما يخشاه، ومنها: أنها تحقق له الأمن النفسي بالشعور بالطمأنينة وهذا الحديث يؤكد هذا المعنى، ويفصِّل في طلب العوذ أمورا لها فضل تأثير على العبد، والجمع بين (العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ) فيه مراعاة نظير لأنه جمع أمورا تعوق حركة السير في مصالح الدنيا، والآخرة، فالعجز فقدان القدرة التي تمنع التمام، (والكسل) هو ضعف الهمة وإيثار الراحة للبدن على التعب وإنما استعيذ منه لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة، وقوله، (والجبن) لأنه قد يؤدي إلى ترك الحق، أو إحقاق الباطل خوفا على مكسب دنيوي، وما أكثره في زماننا ! وقد ابتلي الناس منه بلاء شديدا من منافقي العصور الذين يحرصون على مصالح شخصية، ويضيعون دين الناس، ودنياهم (والهرم) ضد الشباب، وهو: كبر السن الذي يؤدي إلى تماوت الأعضاء وتساقط القوى وإنما استعاذ منه لكونه من الأدواء التي لا دواء، وقوله: (اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَ) هذا العبارة، وغيرها من الأدعية المسجوعة دليل لما قاله العلماء أن السجع المذموم في الدعاء هو المتكلف فإنه يذهب الخشوع، والخضوع، والإخلاص، ويلهى عن الضراعة، والافتقار، وفراغ القلب فأما ما حصل بلا تكلف، ولا إعمال فكر لكمال الفصاحة ونحو ذلك، أو كان محفوظا فلا بأس به بل هو حسن، ومعنى وبين قوله(زكها، وزكاها) جناس يؤكد المعنى، ويقويه وكذلك بين قوله: (وليها، ومولاها) يؤكد الصلة الوثيقة بين نفس المؤمن وبارئها وأنه المتصرف فيها بما يصلحها، وقوله: (نفس لا تشبع) استعاذة من الحرص، والطمع، والشره وتعلق النفس بالآمال البعيدة، ومعنى زكها طهرها ولفظة خير ليست للتفضيل بل معناه لا مزكي لها إلا أنت كما قال أنت وليها، وقوله (ومن دعوة لا يستجاب لها) كناية عن رد صاحبها، وكونه على خلاف ما يحقق له الاستجابة لأن دعوة المؤمن إما أن تستجاب في الدنيا أو تدخر للآخرة أو يدفع عنه من البلاء بمثلها فهي لا تضيع أبداً.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر.

ثالثًا: من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من كل ما يؤدي إلى التقصير في العبادة:

هذا واضحٌ من استعاذة النبي ﷺ بالله من العجز والكسل والبخل والهرم، وفي حديث أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ))[1]، فلا شك أن كل هذه العلل تؤدي بالإنسان إلى أن يقصر في عبادة ربه، فاستعاذ منها النبي ﷺ، وذلك لأن "العجز: عدم القدرة على فعل الخير، وقيل: هو ترك ما يجب فعله والتسويف به، وكلاهما تستحب الإعاذة منه، أما استعاذته ﷺ من الهرم، فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر ... وسبب ذلك ما فيه من الخرف واختلال العقل والحواس والضبط والفهم وتشويه بعض المناظر والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها، وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر، والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد[2]، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له"[3]. أي: أنّ هذه الأشياء

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) قال الشوكاني: الجُبْن: المهابة للأشياء والتأخر عن فعلها، وإنما تعوذ منه ﷺ لأنه يؤدي إلى عدم الوفاء بفرض الجهاد والصدع بالحق وإنكار المنكر، ويجر إلى الإخلال بكثير من الواجبات. نيل الأوطار، ٤٣٩، ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٣٠، ط/ دار عالم الكتب.

معوقات عن عبادة الله سبحانه وتعالى، فاستعاذ منها النبي ﷺ، فما أجدر بالمدعو أن يستعيذ منها.

قال ابن القيم: "أصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر، والمهانة، والدناءة. وأصل الأخلاق المحمودة كلها: الخشوع، وعلو الهمة.

فالفخر، والبطر، والأشر، والعجب، والحسد والبغي، والخيلاء، والظلم، والقسوة، والتجبر، والإعراض، وإباء قبول النصيحة، والاستئثار، وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب، والخسة، والخيانة، والرياء، والمكر، والخديعة، والطمع، والفزع، والجبن، والبخل، والعجز، والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك؛ فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وأما الأخلاق الفاضلة: كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة، والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والإخلاص، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، ولامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك؛ فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة.

والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق.

وأما النار: فطبعها العلو والإفساد، ثم تخمد، فتصير أحقر شيء وأذله، وكذلك المخلوق منها. فهي دائمًا بين العلو إذا هاجت واضطربت، وبين الخسة والدناءة إذا خمدت وسكنت. والأخلاق المذمومة تابعة للنار والمخلوق منها، والأخلاق الفاضلة تابعة للأرض والمخلوق منه، فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه، اتصف بكل خلق رذيل)[1].

---

(١) الفوائد ٢١٠، ٢١١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من عذاب القبر:

لقد كان النبي ﷺ يستعيذ من عذاب القبر، فقال: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر". وكان النبي ﷺ يقول -كما في حديث أنس رضي الله عنه-: ((وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[1]، قال ابن دقيق العيد: "في الحديث إثبات عذاب القبر، وهو متكرر مستفيض في الروايات عن رسول الله ﷺ والإيمان به واجب"[2]، وقال القرطبي: "والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا أخرجها الأثبات الثقات"[3].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن يهوديةً دخلتْ عليها فذَكرَتْ عذابَ القبرِ فقالت لها؛ أعاذَكِ اللهُ مِن عذابِ القبرِ. فسألَتْ عائشةُ رسولَ اللهِ ﷺ عن عذابِ القبرِ فقال: ((نَعَمْ، عذابُ القبرِ)). قالت عائشةُ رضي الله عنها: فما رأيت رسولَ اللهِ بعدُ صلَّى صلاةً إلاّ تَعَوَّذَ مِن عَذابِ القبرِ[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُه ـ وإنّه ليَسمَعُ قرعَ نِعالهم ـ أَتاهُ مَلَكانِ فيُقعدانِه فيقولانِ: ماكنتَ تَقولُ في هذا الرجُلِ؟ لمحمدٍ ﷺ. فأمّا المؤمِنُ فيقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ اللهِ ورسولهُ. فيقال له: انظُرْ إلى مَقْعَدِك مِنَ النّارِ، قد أبدَلَكَ اللهُ بهِ مَقعدًا منَ الجنةِ، فيراهُما جميعًا، وأمّا المنافِقُ والكافرُ فيقالُ لهُ: ماكنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُ الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تَلَيتَ. ويُضرَبُ بمطَارِقَ من حديدٍ ضَربةً، فيَصيحُ صيحةً يَسمعُها مَن يَليهِ غيرَ الثَّقلَينِ))[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ٦٣٦٧، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) إحكام الأحكام ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ص ١٤٢. وهو تلميذ أبو العباس القرطبي صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٢، ومسلم ٩٠٣، واللفظ للبخاري.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٧٤، ومسلم ٢٧٨٠، واللفظ للبخاري.

ثالثًا- من آداب المدعو: الدعاء بتزكية النفس:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها)، قال النووي: "معنى زكها: طهرها، ولفظة (خير)، ليست للتفضيل، بل معناه: لا مزكي لها إلا أنت، كما قال: (أنت وليها)"[1].

وقال الطيبي: "قوله: (اللهم آت نفسي ...) ينبغي أن يفسر التقوى بما يقابل الفجور في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، وهي الاحتراز عن متابعة الهوى، وارتكاب الفجور والفواحش؛ لأن الحديث كالتفسير والبيان للآية، فدلّ قوله (آت)، على أن الإلهام في الآية هو خلق الداعية الباعثة على الاجتناب عن المذكورات ...، وقوله: (أنت وليها ومولاها)، استئناف على بيان الموجب، وأن إيتاء التقوى وتحصيل التزكية فيها إنما كان لأنه هو متولي أمرها وربها ومالكها، فالتزكية إن حملت على تطهير النفس عن الأفعال والأقوال والأخلاق الذميمة، كانت بالنسبة إلى التقوى مظاهر ما كان ممكنًا في الباطن وإن حملت على الإنماء والإعلاء بالتقوى كان تحلية بعد التخلية، لأن المتقى شرعًا من اجتنب النواهي وأتى بالأوامر"[3].

وقال ابن القيم: "إن العبد إذ زكى نفسه ودسّاها فإنما يزكيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه"[4].

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الاستعاذة من العلم غير النافع ومن القلب غير الخاشع ومن النفس التي لا تشبع ومن الدعوة التي لا تستجاب:

هذا واضح من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

قال الطيبي: "قوله: "من علم لا ينفع"، قال المظهر: أي: علم لا أعمل به ولا أعلمه

---

(١) شرح صحيح مسلم، ٤٥/١٧/٩، ط/ دار عالم الكتب.

(٢) سورة الشمس، آية: ٨.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥.

(٤) التبيان في أقسام القرآن، ٣٣.

يبدل أخلاقي وأقوالي وأفعالي، أو علم لا يحتاج إليه الدين ولا في تعلمه إذن شرعي"[١].

وقال الغزالي عن القلب وأهميته: "شرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عدته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمال المالك للعبد، واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله، إذا سلم من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذ صار مستغرقًا بغير الله، وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاقب، وهو الذي يسعد بالقرب من الله فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه، وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستتاره تظهر محاسن الظاهر ومساويه إذ كل إناء ينضح بما فيه"[٢].

وقال النووي: "معنى "نفس لا تشبع": استعاذ من الحرص والطمع والشره وتعلق النفوس بالآمال البعيدة"[٣]، وقال التوربشتي - كما نقل عنه الطيبي - "فيه وجهان: أحدهما أنها لا تقنع بما آتاها، ولا تفتر عن الجمع حرصًا، والآخر أن يراد به النهمة وكثرة المال"[٤].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الدعاء الذي لا يسمع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِن قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ))[٥].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٨/٥ - ١٨٩.

(٢) إحياء علوم الدين ١٣٤٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٤/١٧/٩ - ٤٥.

(٤) شرح الطيبي عل المشكاة ١٨٩/٥.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٦٩).

قال ابن الأثير عن دعاء لا يسمع: "أي: لا يستجاب ولا يعتد به، فكأنه غير مسموع"[١]، قال الطيبي: "يقال: اسمع دعائي، أي: أجب لأن غرض السامع الإجابة والقبول، اعلم أن في كل من القرائن الأربع ما يشعر بأن وجوده مبني على غايته وأن الغرض منه تلك الغاية، وذلك أن تحصيل العلوم إنما هو للانتفاع بها، فإذا لم ينتفع لا يخلص منه كفافًا، بل يكون وبالاً، ولذلك استعاذ منه، وأن القلب إنما خلق لأن يتخشع لبارئه، وينشرح لذلك الصدر، ويقذف النور فيه، فإن لم يكن كذلك كان قاسيًا فيجب أن يستعاذ منه، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾[٢]، وأن النفس إنما تعتد بها إذا تجافت عن دار الغرور، وأنابت إلى دار الخلود، والنفس إذا كانت منهومة لا تشبع، حريصة على الدنيا، كانت أعدى عدو المرء، فأول شيء يستعاذ منه هي، وعدم استجابة الدعاء دليل على أن الداعي لم ينتفع بعلمه ولم يخشع قلبه، ولم تشبع نفسه"[٣].

وقال ابن القيم: "عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفع منه، فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والأنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لا تتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام برّ وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خدمته إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك، وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة: إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل، والصلاح في اتباع الهدى والاستعداد للقاء"[٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٤٤٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٩١/٥.

(٤) الفوائد ١٦٤ - ١٦٥.

الحديث رقم (١٤٨٢)

١٤٨٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((**اللَّهُمَّ لَكَ أسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أعْلَنْتُ، أنتَ المُقَدِّمُ، وأنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلاَّ أنْتَ**)) [(١)].

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ[(٢)]: ((**وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ**)) متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

أَنَبْتُ: أقبلتُ ورجعتُ إليك بالتوبة [(٣)].

خاصمت: نازعت [(٤)]، والمراد: خاصمت ثقة في نصرك ومؤازرتك لي.

الشرح الأدبي

قامت جمل الحديث الست الأولى على أسلوب القصر بطريق التقديم الذي يخلص أعمال العبد لله، وينفيها عن من سواه وفيه إثبات ملفوظ، ونفي ملحوظ مما يؤكد المعنى (اللهم لك أسلمت وبك آمنت) أي لك انقدت وبك صدقت. قال النووي: فيه إشارة إلى الفرق بين الإسلام والإيمان (وعليك توكلت) أسلوب قصر أي عليك لا على غيرك اعتمدت في تفويض أموري (وإليك أنبت) هو أيضا على القصر على الله وحده أي رجعت وأقبلت بهمتي (وبك خاصمت) أسلوب قصر لقصر الخصومة بالله ومن أجله أي بك أحتج، وأدفع، وأخاصم (وإلَيْكَ حَاكَمْتُ) قصر للمحاكمة بكونها إلى الله لا إلى غيره

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم (٧٦٩/١٩٩).

(٢) قال البخاري عقب الحديث: قال سُفيان: وزاد عبد الكريم أبو أميّة: (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

(٣) النهاية في (ن و ب).

(٤) الوسيط في (خ ص م).

والمعنى في بقية الحديث يقوم على الطباق بين الصفات التي تؤكد إحاطة كل ذنوب العبد بطلب مغفرة الله - تعالى - وإحاطة الله بكل شيء، (فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنتَ الْمُقَدِّمُ، وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ) فقد طابق بين قدمت، وأخرت لاستغراق طلب المغفرة للزمان بما وقع فيه، كما طابق بين أسررت، وأعلنت لإحاطة طلب المغفرة بما كان في العلن، وما كان في النفس، وبين المقدم، والمؤخر إشارة إلى إحاطة الله بمقادير العباد، وكمال تصرفه فيهم، والجملة الأخيرة تقرر الوحدانية الخالصة بإفراده الله بالألوهية، عن طريق أسلوب القصر الحقيقي التحقيقي تنقية للعقيدة، وصقلا للقلب.

المضامين الدعوية [1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بغفران الذنوب:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت).

وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[2].

وفي حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ. وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ. وَمَا أَسْرَفْتُ. وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ. لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سبق شرح المضامين الدعوية في هذا الحديث في الحديث رقم (٧٦)، وذُكر هنا شرح الزيادة الواردة في رواية الحديث المذكورة هنا.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٩، ومسلم ٢٧١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "ومعنى سؤاله ﷺ مع أنه مغفور له أنه يسأل ذلك تواضعًا وخضوعًا وإشفاقًا وإجلالاً، وليقتدى به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين"[1].

وقال ابن حجر: "وقوله: (فاغفر لي)، قال ذلك مع كونه مغفورًا له، إما على سبيل التواضع والهضم لنفسه وإجلالاً وتعظيمًا لربه أو على سبيل التعليم لأمته لتقتدي به، كذا قيل: والأولى أنه لمجموع ذلك، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا ... وفيه "اي في الحديث" زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته على الذكر والدعاء والثناء على ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ"[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: استحباب تقديم الثناء على الله في الدعاء:

هذا واضح في الحديث، وقال ابن حجر: "وفيه استحباب تقديم الثناء على المسألة عند كل مطلوب، اقتداء به ﷺ"[3].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن الإسلام درجة أولى والإيمان مقام وراء ذلك، لأنه ﷺ قال: "لك أسلمت" ثم أتبعه بقوله: "وبك آمنت"، فلما بدأ بالإسلام ثم ثنى بالإيمان لم يبق حينئذ إلا تبين ثمرة الإيمان، وهو التوكل على الله. فقال: "وعليك توكلت" ثم لما لم يخل بسر ما يقتضي الإنابة مع ذلك كله، قال بعده: "وإليك أنبت"، ثم لما استقر ذلك كله جاء بالحب في الله والبغض في الله فقال: "وبك خاصمت" وهذا أبلغ من قوله: "وفيك خاصمت" لأن ذلك يتضمن نوع تزكية للنفس، ودعوى قوله: "وبك خاصمت" يتضمن صدق التوكل، والمعنى: أنت مستندي وتفويض الانتصار بالله تعالى، وأنه خاصم في الله بدليل أنه لا ينتصر بالله إلا فيما يخاصم به فيه"[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥٦/٦/٣ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) فتح الباري، ٥/٣ ط/ السلفية.

(٣) المرجع السابق ٥/٣ ط/ السلفية.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ٨٤/٤.

قال ابن القيم: "وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجابًا، فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في المشاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته، فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، وقول ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، وقول أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3].

وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال ﷺ: ((قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا - وأَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))[4]، فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية"[5].

---

(١) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٢٦، ٨٣٤، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٦٩ - ٣٧٠.

الحديث رقم (١٤٨٣)

١٤٨٣- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيّ ﷺ كَانَ يدعو بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح)؛ وهذا لفظ أَبي داود.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » فالفتنة تتصرف على وجوه: أحدها: وهو الأليق في هذا المكان هي التصفية والتهذيب، يقال: هذا ذهب مفتون إذا دخل النار فنفي عنه الخبث، ويقال للصائغ: الفاتن، لأنه يفتن الذهب والفضة، أي يصفيهما بالنار، ويزيل الخبث عنهما، كذا قال أهل اللغة. ومن ذلك قول الله تعالى (ولقد فتنا سليمان) (٣٤)، معناه هذبناه وصفيناه من الأوصاف الذميمة، وكذلك قوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) (٢٤)، أي: علم أنا هذبناه، وأدبناه، ونبهناه، فيجوز أن يكون معنى قوله ﷺ: « أعوذ بك من فتنة النار » أي: أن يكون تصفيتي وتهذيبي بالنار وتأديبي بها، وذلك أن الخطايا والذنوب يكفرها الله بالمحن والبلايا في الدنيا، وبالمصائب والأمراض، قال النبي ﷺ: « لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض ما له من ذنب » وتكون الكفارة والتمحيص بعد الموت في القبر، وفي أهوال القيامة، ويكون بالعفو والتجاوز فضلا من الله، ويكون شفاعة الأنبياء والأولياء، فإن لم يكن بهذه الأسباب فبإدخال النار، فكأنه قال: أعوذ بك من أن تكون فتنتي وتمحيصي من خطاياي وكفارة ذنوبي تصفيتي منها بالنار، ولكن بعفوك وفضلك وكرمك إما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٤٣) واللفظ له، والترمذي (٣٤٩٥). وأخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (١٢٩/٥٨٩) بلفظ أتمَّ منه.

توفيقا للتوبة منها في الدنيا، أو التجاوز عنها في الآخرة، يدل على ذلك ما جاء في حديث آخر: « أذقني برد عفوك ». ومعنى قوله ﷺ: « وعذاب النار » أي: أعوذ بك من أن تعاقبني بها، وتعذبني بالنار، وفائدة الدعاء هو الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه أمر بذلك، وندب إليه وليست حالة في الطاعات أشرف من حال الدعاء، لأن الإنسان ربما يشغل قلبه في جميع العبادات في الصلاة والصوم وغيرها، فأما في حالة الدعاء، فيلزم جوارحه، ويضطر إليه، فأي حالة أحسن من هذا. قال: فكان دعاء رسول الله ﷺ لأجل الاضطرار، وإظهار العبودية، لأنه علم أنه كان مغفورا له كل ذنب، وقوله (وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ) فيه طباق يقرر المعنى ويؤكده ويشير إلى أن في الحالين يكمن الشر إذا تجاوزا حدهما فدفعا العبد إلى معصية الله، ولذلك استعاذ من شرهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار.

ثانيًا من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ من فتنة النار وعذاب النار:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار)، قال القرطبي: "الفتنة هنا هي ضلال أهل النار المفضى بهم إلى عذاب النار"[1]. وقال ابن حجر: "هي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[2]"[3].

والآيات في سورة الملك: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ

---

(١) المفهم ٣٣/٧.

(٢) سورة الملك، آية: ٨.

(٣) فتح الباري ١٧٧/١١ ط/ السلفية.

يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1].

جاء في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ما ملخصه: "مثلث حالة فورانها - أي النار - وتصاعد ألسنة لهيبها ورطمها ما فيها والتهام من يلقون إليها، بحال مغتاظ شديد الغيظ لا يترك شيئًا مما غاظه إلا سلّط عليه ما يستطيع من الإضرار، وخزنة النار: الملائكة الموكل إليهم أمر جهنم وهو جمع خازن للموكل بالحفظ، والاستفهام في (ألم يأتكم نذير)، للتوبيخ والتنديم ليزيدهم حسرة ... وكان جوابهم - أي أهل النار - جواب المتحسر المتندم، فابتدأوا الجواب دفعة بحرف (بلى)، المفيد نقيض النفي في الاستفهام فهو مفيد معنى: جاءنا نذير وهو من تكرير الكلام عند التحسر مع زيادة التحقيق بـ (قد)، وذلك التأكيد هو مناط الندامة والاعتراف بالخطأ... وإنما هذا قول قالوه في مجامعهم في النار تحسرًا وتندمًا ... وذكروا ما يدل عل انتفاء السمع عنهم في الدنيا وهم يريدون سمعًا خاصًا وعقلاً خاصًا، فانتفاء السمع والعقل بإعراضهم عن تلقي دعوة الرسل عليهم السلام ... وانتفاء العقل بترك التدبر في آيات الرسل ودلائل صدقهم فيما يدعون إليه، ولا شك أن أقل الناس عقلاً المشركون؛ لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاتهم لغير معارض يعارضه في دينهم، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات، ولا على ما يخالف عملاً من الأعمال، فكان حكم العقل قاضيًا بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه الرسل من الإنذار للامتثال، إذ لا معارض له في دينهم لولا الإلف والتكبر.

قوله: (فاعترفوا بذنبهم فسحقًا لأصحاب السعير)، التقدير: قالوا ذلك إذ تبين أنهم اعترفوا هنالك بذنبهم، فهم محقوقون بما هم فيه من العذاب، والسحق: اسم مصدر معناه: البعد، وهو هنا نائب عن الإسحاق، لأنه دعاء بالإبعاد فهو مفعول مطلق نائب عن فعله، أي أسحقهم الله إسحاقًا، ويجوز أن يراد من هذا الدعاء التعجب من حالهم كما

---

(١) سورة الملك، الآيات: ٦ - ١١.

يقال: قاتله الله وويل له، في مقام التعجب ...، وهم جديرون بالدعاء عليهم بالإبعاد أو جديرون بالتعجب من بُعْدهم عن الحق أو عن رحمة الله تعالى، ويحتمل أيضًا أنه يقال لهم يوم الحساب عقب اعترافهم، تنديمًا يزيدهم ألمًا في نفوسهم فوق ألم الحريق في جلودهم"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ من شرّ الغنى والفقر:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار ومن شر الغنى والفقر)، قال النووي: "وأما استعاذته ﷺ من فتنة الغنى وفتنة الفقر، فلأنهما حالتان تُخْشَى الفتنة فيهما بالتسخط وقلة الصبر، والوقوع في حرام أو شبهة للحاجة، ويخاف في الغنى من الأشر والبطر والبخل بحقوق المال أو إنفاقه في إسراف وفي باطل وفي مفاخر"[٢].

وقال الطيبي: "قال البيضاوي: فتنة الغنى البطر والطغيان والتفاخر به، وصرف المال في المعاصي وما أشبه ذلك. وفتنة الفقر الحسد على الأغنياء والطمع في أموالهم والتذلل لهم بما يتدنس به عرضه وينثلم به دينه، وعدم الرضا على ما قسم الله إلى غير ذلك مما لا يحمد عاقبته". أقول (القائل الطيبي): الفتنة إن فسرت بالمحنة والمصيبة، فشرها أن لا يصبر الرجل على لأوائها[٣] يجزع منها، وإن فسرت بالامتحان والاختبار، فشرها أن لا يحمد في السراء، ولا يصبر في الضراء"[٤].

وقال ابن حجر: "والتقييد في الغنى والفقر بالشر لأن كلاً منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد في الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قلّ أم كثر، قال الغزالي[٥]: فتنةُ الغِنَى الحرصُ على جمع المال وحبه حتى يكسبه من غير حلّه، ويمنعه

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٢٩ - ٢٨ بتصرف كبير.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٩/١٧/٩ - ٣٠.

(٣) اللأواء: الشدة والضر، القاموس المحيط في (ل و ى).

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٧/٥.

(٥) كذا في المطبوع من فتح الباري، ولكن هذا الكلام هو كلام القرطبي في المفهم، ٣٣/٧، ويغلب على الظن أن الصواب: القرطبي.

من واجبات إنفاقه وحقوقه، وفتنة الفقر يراد بها الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدين والمروءة ولا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب ولا في أي حالة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده مُلْك الدنيا بحذافيرها"[1].

ويمكن أن يستأنس هنا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه - وإن كان ضعيفًا - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تُنْظَرُونَ إِلاَّ إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ أَوْ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ؟ فالسَّاعةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))[2].

والفقر المُنْسِي هو ما يجعل صاحبه مدهوشًا، ينسيه الطاعة من الجوع والعرى والتردد في طلب القوت، والغنى المطغى هو الموقع في الطغيان[3].

---

(١) فتح الباري ١١/١٧٧ ط/ السلفية.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٣٠٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي، ٤٠٠).

(٣) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢/١٨٤٤.

الحديث رقم (١٤٨٤)

١٤٨٤- وعن زياد بن عِلاَقَةَ عن عمه، وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النبيّ ﷺ يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأخْلاَقِ، وَالأعْمَالِ، والأهْواءِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

قطبة بن مالك: هو قطبة بن مالك التَّغْلبي الذُّبياني عم زياد بن عِلاقة الراوي عنه.

كان يسأل النبي ﷺ عما لا يعلم من القرآن، قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ فقرأ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾[2] حتى قرأ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾[3] فجعلت أُرددها ولا أدري ما قال[4].

وفي رواية فجعلت أقول له: ما بُسُوقها؟ فقال: طولها[5].

نزل العراق وسكن الكوفة[6].

غريب الألفاظ:

منكرات الأخلاق: وهو مبني على غلبة العرف في أنها غير محمودة، فما وافق الهدي والشرع فمعروفة مقبولة وما خالفها فمنكرة كالعجب والكبر وغيرها وكلمة منكرات مشتقة من المنكر وهو كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه أو يقبحه الشرع أو يحرمه أو يكرهه[7].

---

(١) برقم (٣٥٩١). وصحَّحه ابن حبان (الإحسان ٩٦٠)، وقال الحاكم (٥٣٢/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة ق، الآية: ١.

(٣) سورة ق، الآية: ١٠.

(٤) أخرجه مسلم (١٦٥-٤٥٧).

(٥) أخرجه الحاكم (٤٦٤/٢) وصححه.

(٦) الطبقات (٣٦/٦) والاستيعاب ٦١٩، وأسد الغابة (٣٨٨/٤) والإصابة ١٠٨٠، وتهذيب الكمال (١٢٣/٦)، والتهذيب (٤٤١/٣).

(٧) المعجم الوسيط في (ن ك ر)، ودليل الفالحين ١٥٣٨.

الأهواء: جمع هوى وهو ميل النفس إلى الشهوة، وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية[1].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق) كالحقد والبخل والحسد والجبن ونحوها ولا مانع من إرادة السبب والمسبب معا كالحقد وما ينتج عنه من الإيذاء للناس، والرغبة في الانتقام، والبخل ومن ينتج عنه من الظلم، ومنع حق الله، والناس في المال، والحسد وما ينتج عنه من تمني زوال النعم، والاعتراض على حكم الله، والجبن وما يدعو إليه من كتمان الحق، والفرار من الزحف، وغيره لأن المسبب قد يحصل فيعفى عنه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وهذا مقول على منهج التعليم لغيره (والأعمال) الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب خمر وسرقة ونحوها. قال بعض حكماء الإسلام: وهذه المنكرات منها ما لا ينفك منه غير المعصوم في متقلبه ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا عليها متعارفا وذِكْرُ هذا مع عصمته تعليم لأمته كما سبق (و) منكرات (الأهواء) وهي الزيغ والانهماك في الشهوات جمع هوى مقصور هوى النفس وهو ميلها إلى المستلذات والمستحسنات عندها لأنه يشغل عن الطاعة ويؤدي إلى الأشر والبطر (والأدواء) من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء، ونحوها فهذه كلها بوائق الدهر فيقول أعوذ بك من بوائق الدهر. قال الطيبي: والإضافة إلى القرينتين الأوليين من إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الراغب: والإنكار ضد العرفان والمنكر كل فعل يتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ويحكم بقبحه الشرع. وقال زين العرب منكر الخلق ما لم يعرف حسنه من جهة الشرع قال الحكيم: إنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك منها في متقلبه ليلا ونهارا وبها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكرا غير متعارف فيما بينهم فذاك الذي يشار إليه في بالأصابع في ذلك الأمر ومنه يعظم الوبال، وعطف العمل على الخلق والهوى... من

---

(١) المفردات ٥٤٨.

باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء:

هذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء)، قال المباركفوري: "المنكر ما لا يعرف حسنه من جهة الشرع، أو ما عرف قبحه من جهته والمراد بالأخلاق: الأعمال الباطنة، والأعمال، أي: الأفعال الظاهرة، والأهواء جمع الهوى مصدر هواه إذا أحبّه ثم سمى بالهوى المشتهى محمودًا كان أو مذمومًا ثم غلب على غير المحمود. كذا في (المغرب)"[٢]، وقال ابن عثيمين: "الإنسان له أهواء ومن الناس من يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ومنهم من يكون هواه تبعًا لنفسه وما تهواه"[٣].

ويقول الغزالي موضحًا بعض منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء: "اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث إنه في نفسه أمر رباني، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[٤]، فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصص

---

(١) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرؤوف المناوي حديث (١٤٧٢).

(٢) تحفة الأحوذي ٢/٢٥٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور، ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل، والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الإنسان حرص على ذلك، ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية، فصار شريرًا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين، وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة"[1].

ثم قال: "أما طاعة الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها، وأما طاعة الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها.

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وأمثالها.

ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقرّ في القلب من الصفات الربانية: العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن طاعة الشهوة والغضب ولانتشر إليه صفات شريفة، مثل: العفة والقناعة والهدوء، والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو

---

(١) إحياء علوم الدين ١٣٦٢/٣.

والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها"[١].

وقال ابن القيم: "أصول المعاصي كلها، كبارها وصغارها، ثلاثة: تعلق القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية. وهي الشرك، والظلم، والفواحش. فغاية التعليق بغير الله شرك وأن يدعى معه إله آخر. وغاية طاعة القوة الغضبية القتل. وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا.

ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٢].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلى بعض؛ فالشرك يدعو إلى الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٣]. فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا.

وكذلك الظلم يدعو إلى الشرك والفاحشة، فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد. فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك؛ ولهذا يجمع سبحانه بينهما. أما الأول، ففي قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[٤]. وأما الثاني، فكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

والفاحشة تدعو إلى الشرك والظلم، ولاسيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان. وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك في قوله: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/١٣٦٣ - ١٣٦٤ بتصرف يسير.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٨ .

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٨ .

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٣ .

(٦) سورة النور، الآية: ٣ .

فهذه الثلاثة يجر بعضها إلى بعض، ويأمر بعضها ببعض. ولهذا كلما كان القلب أضعف توحيدًا وأعظم شركًا كان أكثر فاحشة وأعظم تعلقًا بالصور وعشقًا لها. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1]. فأخبر أن ما عنده خير لمن آمن به وتوكل عليه، وهذا هو التوحيد. ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾. فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية. ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾. فهذا مخالفة القوة الغضبية، فجمع بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله"[2].

ثانيًا - من أهداف الدعوة: نشر مكارم الأخلاق:

فإنّ تَعَوُّذَ النبي ﷺ من منكرات الأخلاق والأفعال والأهواء في قوله: "اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق" يلزم عنه الدعاء بالتحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها، عن طريق مفهوم المخالفة.

وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ. لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ. ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا. إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ. لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ. وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا. لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ))[3].

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٣٦، ٣٧ .

(٢) الفوائد ١٢٢، ١٢٣.

(٣) أخرجه مسلم ٧٧١.

قال النووي: "قوله: (اهدني لأحسن الأخلاق)، أي: ارشدني لصوابها ووفقني للتخلق به، قوله: (واصرف عني سيئها)، أي: قبيحها"[١].

وقال النبي ﷺ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ))[٢].

قال ابن عبدالبر: "ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتممه ﷺ، وقد قال العلماء: إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾"[٣][٤].

كما قال النبي ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ. وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٥].

قال ابن حجر الهيتمي: "هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ بل من أوجزها، إذ البر كلمة جامعة لجميع أفعال الخير وخصال المعروف، والإثم كلمة جامعة لجميع أفعال الشر، والقبائح كبيرها وصغيرها، ولهذا السبب قابل النبي ﷺ بينهما وجعلهما ضدين"[٦].

"ويرشد الحديث إلى التخلق بمكارم الأخلاق، لأن حسن الخلق من أعظم خصال البر"[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦٠/٦/٣ ط/ دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه أحمد ٣٨١/٢، رقم ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال محققو المسند: صحيح، وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٥١٢/١٤ - ٥١٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٤) التمهيد ٣٧/٢٢، المطبوع مع موسوعة شروح الموطأ.

(٥) أخرجه مسلم، ٢٥٥٣.

(٦) نقلًا عن الوافي في شرح الأربعين النووية، د.مصطفى البغا، ومحيى الدين مستو. مكتبة دار التراث المدينة المنورة، ط٧، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٢٠٤.

(٧) الوافي في شرح الأربعين النووية، ٢٠٩.

الحديث رقم (١٤٨٥)

١٤٨٥- وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ ﷺ قَالَ: قلتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي)). رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

شَكَل بن حُمَيْد: هو شَكَلُ بن حُمَيْد العبسي، من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، قال ابن السَّكن: هو من رهط حذيفة بن اليمان، وعداده في أهل الكوفة، روى عن النبي ﷺ ولم يرو عنه غير ابنه شُتَيْر، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي والنسائي، حديثًا واحدًا، وهو حديث الاستعاذة[2].

الشرح الأدبي

قول الراوي (علمني دعاءً) استرشاد يدل على حرصه على خير سهل المنال، وقول الرسول ﷺ للرجل (قل) أمر إرشاد وتوجيه لما يحقق الغاية ويشجع على الطاعة، وقوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني) وفي العبارة مراعاة نظير وهي الجمع بين الشيء، وما يناسبه حيث جمع بين الجوارح (السمع - البصر - اللسان - القلب - المني) وشر اللسان أي نطقي فإن أكثر الخطايا منه وهو الذي يورد المرء في المهالك وخص هذه الجوارح لما أنها مناط الشهوة ومثار اللذة (ومن شر قلبي) يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا والرهبة من الخلق وخوف فوت الرزق والأمراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلب رفعة وغير ذلك (ومن شر منيي) كناية عن الشهوة الحرام، وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢). ولفظهما سواء. وقال الحاكم (٥٣٣/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) الاستيعاب (٣٣٧)، أسد الغابة (٦٣٧/٢، ٦٣٨)، الإصابة (٥٨٨)، تهذيب الكمال (٤٠٥/٣)، تهذيب التهذيب (١٧٩/٢)، السندي (٣٠٤/٢٤).

أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة من شره، وخص هذه الأشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه كما تقرر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي ﷺ الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على أن يعلمهم النبي ﷺ الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابي: شكل بن حُميد رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله علمني دعاء، وفي سنن الترمذي والنسائي: يا رسول الله علّمني تعوذًا أتعوذ به. والتعوذ من الدعاء.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: علّمني دُعاءً أَدعو بهِ في صلاتي قال قُل: ((اللّهمَّ إِني ظَلَمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يَغفِرُ الذُّنوبَ إلاّ أنتَ، فاغفِرْ لي مَغفِرةً من عِندكَ، وارحمني إِنك أَنتَ الغفور الرَّحيم))[1].

ومن ذلك أيضًا ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ. فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلاَمًا أَقُولُهُ. قَالَ: ((قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ للّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)). قَالَ: فَهَؤُلاَءِ لِرَبِّي. فَمَا لِي؟ قَالَ: ((قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))[2].

قال ابن القيم: "الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاثة مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٨، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٦.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه... ومن أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء"[١].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة - التعوذ بالله من شر السمع والبصر واللسان والقلب والوقوع في الزنا أو في مقدماته:

وهذا واضحٌ من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيِّي): يعني فرجه.

قال المباركفوري: "قوله: (اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي) أي: حتى لا أسمع ما تكرهه (ومن شر بصري)، أي: حتى لا أرى شيئًا لا ترضاه، (ومن شر لساني)، أي: حتى لا أتكلم بما لا يعنيني (ومن شر قلبي)، أي: حتى لا أعتقد اعتقادًا فاسدًا ولا يكون فيه نحو أحدٍ حقد وحسد وتصميم فعل مذموم أبدًا، (ومن شر منيي)، وهو أن يغلب عليه حتى يقع في الزنا أو مقدماته (يعني فرجه)، هذا تفسير من بعض الرواة لقوله (منيي) أي يريد شر فرجه"[٢]، وقال العظيم آبادي: "وقيل هو جمع المنية بفتح الميم أي: من شر الموت، أي قبض روحه على عمل قبيح"[٣].

وقد قال الله تعالى محذرًا من استعمال السمع والبصر والفؤاد في غير الخير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[٤].

قال ابن كثير: "قوله: (كل أولئك)، أي: هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسؤولا) أي: سيسأل العبد عنها يوم القيامة، وتسأل عنه وعما عمل فيها"[٥]. وقال الطاهر

---

(١) الداء والدواء ١٠-١٢.

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٣٤٧٧/٢.

(٣) عون المعبود ص ٦٩٧.

(٤) سورة الإسراء، ٣٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧٥/٥.

ابن عاشور: "القَفْو: الإتباع، يقال: يقفوه إذا أتبعه. والمراد: بـ (ما ليس لك به علم)، الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به، ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة منها خلة من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس، فكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهن ويليطون[1] بعض الأولاد بغير آبائهم، بهتانًا، أو سوء ظن، إذا رأوا بعدًا في الشبه بين الابن وأبيه أو رأوا شبهه برجل آخر من الحي أو رأوا لونًا مخالفًا للون الأب أو الأم، تخرصًا وجهلاً بأسباب التشكل ... ومنها القذف بالزنا وغيره من المساوي بدون مشاهدة، وربما رموا الجيرة من الرجال والنساء بذلك، وكذلك كان عملهم إذا غاب زوج المرأة لم يلبثوا أن يلصقوا بها تهمة ببعض جيرتها ... ومنها تجنب الكذب.

قال قتادة: "لا تقف: لا تقل: رأيت ولم تر، ولا: سمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، ومنها: شهادة الزور وشملها هذا النهي وبذلك فسّر محمد بن الحنيفة وجماعة. وما يشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا، فموقع الجملة موقع تعليل، أي: أنك أيها الإنسان تسأل عما تسنده إلى سمعك وبصرك وعقلك، وهذا أدب خلقي عظيم وهو أيضًا جليل يعلم الأمة التفرقة بين مراتب الخواطر العقلية بحيث لا يختلط عندها المعلوم والمظنون والموهوم، ثم هو أيضًا إصلاح اجتماعي جليل يجنب الأمة الوقوع والإيقاع في الأضرار والمهالك من جراء الاستناد إلى أدلة موهومة"[2].

---

(١) يقال: لاط القاضي فلانًا بفلان: ألحقه به ونسبه إليه. المعجم الوسيط ٨٤٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٥/١٠٠ - ١٠١ بتصرف.

الحديث رقم (١٤٨٦)

١٤٨٦- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّيءِ الأسْقَامِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيحٍ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البَرَص: بياض يظهر في ظاهر الجسد لعلّة[2].

الجُذَام: علة تتآكل منها الأعضاء وتسقط[3].

الأسقام: جمع سُقم: الأمراض[4].

الشرح الأدبي

أشرنا سابقا إلى أن الرسول ﷺ استعاذ بالله تعالى من جملة الشرور كما استعاذ من شرور بعينها لها فضل ضرر عن غيرها مما يفسد إحدى الحياتين أو يفسدهما معا ومنها جملة الأمراض التي وردت في استعاذته في هذا الحديث، وهذه الأمراض تتميز بأنها صعبة العلاج منفرة يصير بعضها كالوباء يؤذي الناس، ولذلك بدأ الدعاء بصيغة اللهم التي تؤذن بشدة الخضوع، والذل، والفاقة، وتختص بنداء اسم الله فهي إعلان للتوجه إليه خاصة ثم تلاها بالتوكيد الدال على شدة الإلحاح وأولها: (البرص) وهو بياض يحدث في الأعضاء (والجنون) أي زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات (والجذام) علة يذهب معها شعور الأعضاء، وتؤدي إلى تآكلها وتقرحها (وسيىء الأسقام) كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص، قال الطيبي وإنما لم يتعوذ

---

(١) برقم (١٥٥٤). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠١٧).

(٢) القاموس المحيط، المعجم الوسيط في (ب ر ص).

(٣) المعجم الوسيط في (ج ذ م).

(٤) النهاية في (س ق م).

من الأسقام مطلقا فإن بعضها مما يخف مؤنته وتكثر مثوبته عند الصبر عليه مع عدم إزمانه كالحمى والصداع والرمد وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفر منها الحميم ويقل دونها المؤانس والمداوي مع ما يورث من الشين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة.

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

وهذا واضح من الحديث: (اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام).

قال العظيم آبادي: "البرص: بياض يحدث في الأعضاء، والجنون، أي: زوال العقل الذي هو منشأ الخيرات"[1]. "والجذام علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط"[2].

وقال ابن عثيمين: "الجذام هو مرض يصيب الإنسان في أطرافه أحيانًا والعياذ بالله، إذ بدأ بالطرف يتآكل حتى يقضي على البدن كله، ولهذا قال العلماء: إنه لا يجوز أن يخالط الجذماء الناس وإنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص، وهو ما يعرف الآن عند الناس بالحُجْر الصحي؛ لأن هذا - والعياذ بالله - الجذام من أشد الأمراض عدوىً، نسأل الله العافية، قالوا: يجب على ولي الأمر أن يجعل الجذماء المصابين بمرض الجذام في مكان خاص كي لا يختلطوا بالناس"[3].

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) المعجم الوسيط ١١٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

وقال العظيم آبادي: "وسيئ الأسقام كالسل والاستسقاء والمرض المزمن الطويل وهو تعميم بعد تخصيص"[١].

وقال ابن عثيمين: "ويشمل هذا كل الأمراض السيئة ومنها ما يعرف الآن بالسرطان"[٢].

ثانيًا - من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ في الاستعاذة بالله من البرص والجنون والجذام والأسقام السيئة:

قال ابن عثيمين: "فمثل هذه الأحاديث ينبغي للإنسان أن يحرص عليها وأن يقتدي بالنبي ﷺ"[٣]، وقال الطيبي: "قال التوربشتي: لم يستعذ بالله من سائر الأسقام، لأن منها إذا تحامل الإنسان فيه على نفسه بالصبر خفت مؤونته وعظمت مثوبته، كالحمى والصداع والرمد، وإنما استعاذ من السقم المزمن فينتهي بصاحبه إلى حالة يفرّ منها الحميم ويقلّ دونها المؤانس والمداوي، مع ما يورث من الشين، فمنها الجنون الذي يزيل العقل فلا يأمن صاحبه القتل ومنها البرص والجذام وهما العلتان المزمنتان مع ما فيهما من القذاة والبشاعة وتغيير الصورة، وقد اتفقوا على أنهما معديان إلى الغير"[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: عَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلا قَدْ صَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فقَالَ: ((مَا كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُ؟)) قالَ: كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبَنِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: ((سُبْحَانَ اللَّهِ، لا تَسْتَطِيعُهُ، أَوْ لا تُطِيقُهُ. قُلِ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))[٥].

قال النووي: "وفي هذا الحديث النهي عن الدعاء بتعجيل العقوبة وكراهة تمني البلاء؛ لئلا يتضجر منه ويسخط وربما شكا"[٦].

---

(١) عون المعبود ٦٩٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٠.

(٣) السابق ٢/١٥٦٠.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٤.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/١٤ - ١٥ ط/ دار عالم الكتب.

وعلى هذا فإن المسلم يلجأ إلى الله ويستعيذ به من الأمراض المزمنة وغيرها من الأمراض الخطيرة المهلكة، التي تحرم الإنسان من القوة والعافية وتصيبه بأضرار كبيرة جدًا في صحته وبدنه، مما قد يدفع بعض الناس إلى الضجر والسخط وربما إلى أشد من ذلك وأخطر، وخاصة في زمننا هذا الذي أصبحت فيه تكاليف العلاج لهذه الأمراض باهظة جدًا يعجز كثير من المرضى عن تحملها. والمقصود أن المسلم يدعو الله ويسأله العافية في الدين والدنيا.

الحديث رقم (١٤٨٧)

١٤٨٧- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول: ((**اللّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وأعوذُ بكَ منَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الحديث:

الضَجِيع: المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، والمراد: المُلازم[2].

البِطَانة: تطلق في الأصل على بِطَانة الثوب ثم استعير لمن يخصه الإنسان بالاطلاع على باطن أمره[3].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل الماضي (كان) يشير إلى تكرار الفعل مما يجعل الدعاء سنة فعلية يلتزمها الصالحون في كل العصور (اللهم إني أعوذ بك من الجوع) عبر بالمسبب وأراد السبب على سبيل المجاز أي الألم الذي ينال الجائع من خلو المعدة من الغذاء ويؤدي تارة إلى المرض، وتارة إلى الموت (فإنه بئس الضجيع) كناية عن الملازمة أي المضاجع وهو ما يلازم صاحبه في المضجع، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات كالسجود والركوع، وقال الطيبي رحمه الله الجوع يضعف القوى ويشوش الدماغ فيثير أفكارا رديئة وخيالات فاسدة فيخل بوظائف العبادات والمراقبات ولذلك خص بالضجيع الذي يلازمه ليلا ومن ثم حرم الوصال، وقد يستدل بهذا الحديث لما قيل من

---

(١) برقم (١٥٤٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٢٩). وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٨٨): هذا حديثٌ حسنٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١٨).

(٢) الوسيط في (ض ج ع).

(٣) النهاية في (ب ط ن).

أن الجوع المجرد لا ثواب فيه (وأعوذ بك الخيانة) وهي ضد الأمانة، قال الطيبي هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية (فإنها بئست البطانة) أي الخصلة الباطنة هي ضد الظهارة وأصلها في الثوب فاستعير لما يستبطنه الإنسان من أمره ويجعله بطانة حاله، وبطانة الشيء أهله أو خاصته مستعارة من بطانة الثوب وفيها دلالة على شدة القرب المؤثر في صاحبه سلبا، أو إيجابا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الجوع:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع)، قال الطيبي: "قال القضاعي: الجوع: الألم الذي يكون من خلو المعدة، والضجيع، استعاذ منه لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة، ويضعف البدن عن القيام بوظائف الطاعات، أقول: -أي الطيبي-: خصّ الضجيع بالجوع؛ لينبه عل أن المراد بالجوع الذي يلازمه ليلاً ونهارًا، ومن ثم حرّم الوصال، ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات، لاسيما بقيام التهجد"[1].

وقال السندي: "ضَجيعك -بفتح فكسر- من ينام في فراشك، أي بئس الصاحب الجوع الذي يمنعك من وظائف العبادات، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة"[2].

ولشدة أمر الجوع امتن الله تعالى على قريش بأنه سبحانه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[3].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٩٣/٥.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٦٥٦/٨.

(٣) سورة قريش، آية: ٤.

قال الطاهر بن عاشور: "و(مِنْ) الداخلة على (جوع)، وعلى (خوف)، معناها البدلية، أي: أطعمهم بدلاً من الجوع وآمنهم بدلاً من الخوف، ومعنى البدلية: هو أن حالة بلادهم تقتضي أن يكون أهلها في جوع فإطعامهم بدل من الجوع الذي تقتضيه البلاد، وأن حالتهم في قلة العدد وكونهم أهل حضر وليسوا أهل بأس ولا فروسية ولا شكة سلاح، تقتضي أن يكونوا معرضين لغارات القبائل، فجعل الله لهم الأمن في الحرم عوضًا عن الخوف الذي تقتضيه قلتهم"[1].

وقد أمر رسول الله ﷺ بإطعام الجائع، فقال ﷺ: ((فُكُّوا العانيَ - يعني الأسيرَ- وأطعِموا الجائعَ، وعُودوا المريض))[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التعوذ بالله من الخيانة:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: (وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).

قال الطيبي: "قال البيضاوي: الخيانة نقيض الأمانة، والبطانة ضد الظهارة، وأصلها في الثوب، فاتسع فيما يستبطن الرجل من أمره، فيجعله بطانة حاله، أقول -أي الطيبي - : وخص البطانة بالخيانة لأنها ليست كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله، لكن يجري سريانه إلى الغير مجرى الظهارة"[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكرُه للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه ﷺ: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله (لا تخونوا الله)، وخيانتهم الله ورسوله كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمان في الظاهر والنصيحة وهو يستسر

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٥٦١.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٤٦.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٣.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

الكفر والغشّ لهم في الباطن، يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفي عنهم من خبرهم"[١].

وقد عدّ رسول الله ﷺ خيانة الأمانة من صفات المنافقين، فقال ﷺ: ((آيةُ المُنافِق ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خان))[٢].

وقال ﷺ أيضًا: ((أربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالصًا، وَمَنْ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنهنَّ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفاقِ حتى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ))[٣].

قال الراغب: "الخيانة والنفاق واحدٌ إلا أن الخيانة تقال اعتبارًا بالعهد والأمانة، والنفاق يقال اعتبارًا بالدين ثم يتداخلان، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السرّ، ونقيض الخيانة: الأمانة"[٤].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "وقد عدّ الذهبي وابن حجر الهيتمي الخيانة من الكبائر، ثم قال: الخيانة قبيحة في كل شيء، لكن بعضها أشد وأقبح من بعض، إذ من خانك في فلسٍ ليس كمن خانك في أهلك"[٥].

---

(١) جامع البيان، ١١/١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨.

(٤) المفردات في غريب القرآن، ص ١٦٣.

(٥) الموسوعة الفقهية، ٢٠/١٨٦ ومراجعها ومصادرها.

الحديث رقم (١٤٨٨)

١٤٨٨- وعن عليّ ﷺ: أنَّ مُكَاتبًا جاءهُ فقَالَ: إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي، قَالَ: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهنَّ رسُولُ الله ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: ((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

مكاتبًا: من الكتابة، والمكاتبة هي: أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه مُنَجَّمًا -أي مفرقًا على أقساط- فإذا أداه صار حرًّا، وسميت كتابة لأن العبد يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ويكتب مولاه له عليه العتق[2].

كتابتي: من الكتابة: المال الذي كاتب به السيد عبده[3].

أدَّاه: قضاه[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يروي ذكرا ورد في قصة تقوم على حوار بين أحد العبيد وبين علي ﷺ في حوار من سؤال، وجواب قدم له بمقدمة بنى عليها طلبه: (إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي) وقد أكد خبره بإن واسمية الجملة حملا له على الاقتناع بمضمونه، وقوله (ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله) يحتمل أن تكون ألا للتنبيه، وأن تكون

---

(١) برقم (٣٥٦٣). وقال الحاكم (٥٣٨/١): هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧١٤).

(٢) النهاية في (ك ت ب).

(٣) الوسيط في (ك ت ب).

(٤) اللسان والوسيط في (أ د ى).

الهمزة للاستفهام ولا للنفي وسقط الجواب ببلي اختصارا أو إشارة إلى أنه لا يحتاج إليه لأن من المعلوم أنه هو المراد، وغرض الاستفهام العرض والتشويق، والمعنى ألا أخبرك بكلمات أو بفضيلة دعوات، وبين قوله (أعلمك، وعلمنيهن) جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى تواصل النور من جيل إلى جيل تضيء به مشكلات العصور، وقوله: (أنه لو كان عليك مثل جبل دينا) استخدم ضمير الشأن للإيذان بتعظيم الأمر وتفخيمه وجملة الشرط بعده تفترض المستحيل مبالغة في بيان أثر هذا الدعاء على دين العبد، والتعبير بالجار، والمجرور (عليك) يوحي بثقل الحمل، وتنكير لفظ (دينا) للتعظيم أي دينا عظيما لأنه شبهه بالجبل، والتعبير بالماضي (أداه) يفيد تحقق القضاء عنه قال الطيبي اكتفي بالتعليم إما لأنه لم يكن عنده مال يعطيه فرده أحسن رد عملا، وإما لأن الأولى بحاله ذلك، وقوله (اللهم) اكفني أمر من كفى يكفي بحلالك عن حرامك أي متجاوزا أو مستغنيا عنه وأغنني بفضلك عمن سواك، وبين قوله حلالك، وبين حرامك طباق يؤكد المعنى، ويقويه ويؤكد على توفر البديل الصالح.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات.

ثانيًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه.

أولاً- من آداب المدعو: طلب رأي أهل العلم ومشاورتهم فيما يعرض له من مشكلات:

هذا واضح من مجيء المكاتِب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقوله له: "إني عجزت عن كتابتي فأعنِّي". وذلك لأن أهل العلم عندهم من العلم ما يمكنهم من إرشاد المدعو إلى ما ينفعه. ومن هذا القبيل ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إنَّ فاطمةَ عليها السلامُ شكت ما تَلقى في يدِها من الرَّحى فأتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم تسألهُ خادِمًا، فلم تجِدْه، فذكرَت ذلكَ لعائشة، فلما جاءَ أخبرَته، قال: فجاءَنا وقد أخَذْنا مَضاجِعَنا، فذهبْتُ

أقومُ، فقال: مكانكِ، فجلسَ بينَنا حتى وجدتُ بردَ قدَمَيهِ على صدري، فقال: ألا أدُلكما على ما هو خيرٌ لكما من خادم؟ إذا أوَيتما إلى فِراشِكما -أو أخَذتما مَضاجعَكما- فكبرا أربعًا وثلاثين، وسَبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدَا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث منقبة ظاهرة لعلي وفاطمة عليهما السلام وفيه بيان إظهار غاية التعطف والشفقة على البنت والصهر، ونهاية الاتحاد برفع الحشمة والحجاب حيث لم يزعجهما عن مكانهما، فتركهما على حالة اضطجاعهما وبالغ حتى أدخل رجله بينهما، ومكث بينهما حتى علمهما ما هو الأولى بحالهما من الذكر عوضًا عما طلباه من الخادم، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يطلب إيذانًا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد والصبر على مشاق الدنيا والتجافي عن دار الغرور... وفيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك، كذا أفاده ابن تيمية، وفيه نظر ولا يتعين رفع التعب بل يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب)[2].

ثانيًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين وإرشادهم إلى ما يعينهم على ما يعرض لهم من مشكلات:

وهذا واضح من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه للمكاتب: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل دينًا أداه الله عنك؟ قل: "اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

وهذا كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أما مع سلمان الفارسي فقد كان عبدًا لبعض يهود المدينة وقد أسلم فشغله ((الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣١٨، ومسلم ٢٧٢٧.

(٢) فتح الباري ١١/١٢٤-١٢٥.

نخلة أحييها له بالفقير[١] وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين وَدِيّة[٢]، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، يعني الرجل بقدر ما عنده، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان فَفَقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي، ففقرت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته، فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب له الودي ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل وبقي علي المال، فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، فقال: خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان، فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله عزَّ وجلَّ سيؤدي بها عنك، قال: فأخذتها، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد))[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: دعاء الله بالكفاية بالحلال عن الحرام والإغناء بفضله عما سواه:

هذا واضح من قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمن سواك".

قال الطيبي: (طلب المكاتب المال فعلمه رضي الله عنه الدعاء، إما لأنه لم يكن عنده شيء من المال ليعينه فرد أحسن رد عملاً بقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾[٤] أو أرشده إلى أن الأولى والأصلح له أن يستعين بالله لأدائها، ولا يتكل

---

(١) الفقير: هي الحفرة التي تحفر لغرس النخل. حاشية السندي على مسند أحمد ١٤٨/٣٩.

(٢) الودية جمعها الوَدِيُّ: صغار الفسيل، والفسيل واحدته فسيلة وهي النخلة الصغيرة. الوسيط ٦٨٩، ١٠٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٤٤٢/٥ - ٤٤٣، رقم ٢٣٧٣٧، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٤٧/٣٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

على الغير، وينصر هذا الوجه قوله: "وأغنني بفضلك عمن سواك")[١].

وذلك أن أكل الحرام يدل على سوء حال العبد، يقول ابن القيم: (ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين: إحداهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه. ولكن تغلب شهوتُه صبره وهواه عقله. فالأول من ضعف علمه والثاني من ضعف عقله وبصيرته)[٢].

كما أن أكل الحرام يمنع من استجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلاَّ الطَّيِّبَ، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسلينَ، قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٣] وقالَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[٤] ثم ذَكَرَ الرجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السماءِ يا ربِّ يا ربِّ، ومَطْعَمُهُ حَرَامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وقَدْ غُذِيَ بالحَرَامِ، فأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ))[٥].

قال ابن رجب الحنبلي: (المؤمن كله طيب: قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الإيمان، وظهر على لسانه من الذكر، وعلى جوارحه من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان وداخلة في اسمه، فهذه الطيبات كلها يقبلها الله عز وجل. ومن أعظم ما يحصل به، طيبة الأعمال للمؤمن، طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله... والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح فما دام الأكل حلالاً فالعمل الصالح

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٢/٥.

(٢) الفوائد ٧٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٥) أخرجه مسلم ١٠١٥.

مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولاً؟ وما ذكره بعد ذلك من الدعاء وأنه كيف يتقبل مع الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال مع التغذية بالحرام)[1].

(١) جامع العلوم والحكم ١/٢٦٠.

الحديث رقم (١٤٨٩)

١٤٨٩- وعن عِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما: أنَّ النبيّ ﷺ عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: ((اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

ألهمني: ألهم من الإلهام وهو: أن يلقي الله في النفس أمرًا يبعثه على الفعل أو الترك[2].

رشدي: من الرشد: الهدى والاستقامة على طرق الحق مع تصلب فيه[3].

وأعذني: أجرني واحفظني من شرها[4].

الشرح الأدبي

يروي الحديث عِمْرَان بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما مؤكدا بأكثر من مؤكد تعظيما للخبر، وتعظيما لمن يروي عنه، وكونه ناقلا عن أبيه يزيد الخبر توكيدا وقوله (عَلَّمَ أبَاهُ حُصَيْناً كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما) فيه أسلوب توشيع بذكر المثنى مجملا ثم تفصيله في الدعاء في قوله (اللَّهُمَّ ألْهِمْني رُشْدي، وأعِذْني مِنْ شَرِّ نَفْسي) توجه لله تعالى بصيغة ذات خصوصية في نداء الله وقوله (ألهمني) أي وفقني لما فيه الصلح، والتعبير بالإلهام فيه إرشاد في سر وخفاء وتوجيه بشرح الصدر، وإضافة الرشد إلى ضمير المتكلم فيه

---

(١) برقم (٣٤٨٣). وصحّحه ابن حبان (٨٩٩). وقال الحاكم (١/٥١٠): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ل هـ م).

(٣) النهاية ٣٥٩٢، القاموس المحيط في (ر ش د).

(٤) النهاية في (ع و ذ).

إشارة إلى أن الرشاد مركوز في الفطر بربوبية الله التي تستلزم طاعة، وإتباع منهجه، ولكن النفوس قد يعرض لها من الأهواء الفاسدة ما يصرفها عن هذه الفطرة النقية، وقوله (وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي) أي أجرني، واحفظني من شرها، فإنها منبع الفساد، وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء.

أولاً- من مهام الداعية: تعليم المدعوين الدعاء:

هذا واضح من قول عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما.

وقد وردت أحاديث أخرى في قيام النبي ﷺ بتعليم صحابته الكرام رضوان الله عليهم الدعاء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((إنَّ رَسُولَ اللّهِ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ هذَا الدُّعَاءَ، كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرآنِ، يَقُولُ: قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ((كان النبي ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّمُ الكِتابة: اللهمَّ إني أعوذُ بك منَ البُخلِ، وأعوذ بكَ منَ الجبن، وأعوذ بك من أن نُرَدَّ إلى أرذلِ العُمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدُّنيا وعذابِ القبر))[2].

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٣٩٠.

ومنها تعليم النبي ﷺ صحابته دعاء الاستخارة قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((كان النبيُّ ﷺ يُعلِّمنا الاستِخارةَ في الأمور كلِّها كالسُّورةِ منَ القرآن...)) الحديث[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث شفقة النبي ﷺ على أمته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم)[2].

أما الداعية في هذا العصر فإنه يعلم المدعوين الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ أو أرشد إلى الدعاء به، وذلك لأن الدعاء سلاح المؤمن يلجأ به إلى الله عز وجل مُظهرًا فقره وذله إليه سبحانه وراجيًا منه أن يُعينه ويوفقه ويسدّده ويلهمه طريق الخير والرشاد، فالعبد لا يملك من أمره شيئًا وإنما الأمر كله لله جل وعلا.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بطلب الاهتداء إلى الصلاح والتعوذ من شر النفس:

هذا واضح من الحديث "أن النبي ﷺ علّم أباه حصينًا كلمتين يدعو بهما: "اللهم ألهمني رُشْدي وأعذني من شرِّ نفسي"، والحديث في سنن الترمذي لفظه: ((قالَ النبيُّ لأَبي: يا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ اليَوْمَ إلهًا؟ قالَ: أَبي: سَبْعَةً: سِتَّةً في الأَرْضِ، وَوَاحِدًا في السَّمَاءِ، قالَ: فأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قالَ الَّذي في السَّمَاءِ، قالَ يا حصينُ أما إنك لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، قالَ: فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قالَ يا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي الكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فقالَ قُل اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))[3].

ولفظه عن عمران بن الحصين أو غيره: ((أن حُصينا -أو حَصينا- أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، لعبد المطلب كان خيرًا لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام، وأنت تنحرهم. فقال له النبيّ ﷺ ما شاء الله أن يقول، فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أَرْشد أمري! قال: فانطلق فأسلم الرجل ثم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٢.

(٢) فتح الباري ١١/١٨٧، ط السلفية.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤، رقم ١٩٩٩٢، وقال محققو المسند: صحيح على شرط الشيخين ٣٣/١٩٧.

جاء، فقال: إني أتيتك فقلت لي: قل: اللهم قني شر نفسي واعزم لي علي أرشد أمري، فما أقول الآن؟ قال: قل: اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت))[1].

قال الطيبي: (قوله "أما إنك لو أسلمت" هذا من باب إرخاء العنان والكلام المنصف، لأن من حق الظاهر بعد إقراره أن يقال له: أسلم ولا تعاند، وأما الإشارة إلى الاستعاذة من شر النفس فإيذان بأن اتخاذ تلك الآلهة ليست إلا هوى النفس الأمارة بالسوء، وأن المرشد إلى الطريق المستقيم، والدين القويم هو الله تعالى)[2].

وقال المباركفوري: ("كلمتين": أي دعوتين "تنفعانك" أي في الدارين "اللهم ألهمني رشدي" أي وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح "وأعذني من شر نفسي" أي أجرني واحفظني من شرها فإنها منبع الفساد)[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[4].

وقال عمران بن الحصين رضي الله عنه: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: لاَ. بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ. وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ ۝٨ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾))[5].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٤٤، رقم ١٩٩٩٢ وهو في السنن الكبرى للنسائي ١٠٧٦٤، ١٠٧٦٥. وانظر: تخريجه بتوسع في تخريج مسند أحمد ٣٣/١٩٧.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٥/١٩٧.

(٣) تحفة الأحوذي، ٢/٢٤٧٣.

(٤) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

(٥) أخرجه مسلم ٢٦٥٠.

قال ابن القيم: (وفي هذا ما يبيّن أن الأمر كله له سبحانه فإنه هو خالق النفس وملهمها الفجور والتقوى، وهو مزكيها ومدسيها، فليس للعبد في الأمر شيء. ولا هو مالك من أمر نفسه شيئًا)[1].

وقال ابن القيم كذلك: (أصل الخير كله - بتوفيق الله ومشيئته - شرف النفس ونبلها وكبرها. وأصل الشر خستها ودناءتها وصغرها. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[2] أي أفلح من كبّرها وكثّرها ونمّاها بطاعة الله وخاب من صغّرها وحقّرها بمعاصي الله. فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها وأفضلها وأحمدها عاقبة، والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار، فالنفس البشرية العلية لا ترضى بالظلم ولا بالفواحش ولا بالسرقة والخيانة. لأنها أكبر من ذلك وأجل. والنفس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك. فكل نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها وهذا معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[3] أي على ما يشاكله ويناسبه فهو يعمل على طريقته التي تناسب أخلاقه وطبيعته، وكل إنسان يجري على طريقته ومذهبه وعاداته التي ألفها وجبل عليها، فالفاجر يعمل بما يشبه طريقته من مقابلة النعم بالمعاصي والإعراض عن المنعم، والمؤمن يعمل بما يشاكله من شكر المنعم ومحبته والثناء عليه، والتودد إليه والحياء منه والمراقبة له، وتعظيمه وإجلاله)[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الدعاء بجوامع الدعاء:

قال المباركفوري: (وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لأن طلب إلهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال، والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة في

---

(١) بدائع التفسير ٥/٢٢٩.

(٢) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٨٤.

(٤) الفوائد، ص ٢٥٤.

غالب معاصي الله سبحانه، فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء)[١].

وقد كان النبي ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء كما أخبرت بذلك عائشة[٢]. ومن جوامع دعاء النبي ﷺ ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: ((اللهم إني أعوذُ بك من الهم والحزَنِ، والعجْزِ والكسَلِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضَلَع الدينِ، وغَلَبةِ الرجال))[٣].

قال ابن حجر: (قال الكرماني: هذا الدعاء من جوامع الكلم، لأن أنواع الرذائل ثلاثة: نفسانية وبدنية وخارجية، فالأولى بحسب القوة للإنسان وهي ثلاثة: العقلية والغضبية والشهوانية، فالهم والحزن يتعلق بالعقلية والجبن بالغضبية والبخل بالشهوانية والعجز والكسل بالبدنية. والثاني يكون عند سلامة الأعضاء وتمام الآلات والقوى. والأول عند نقصان عضو ونحوه. والضَلَع والغلبة بالخارجية فالأول مالي والثاني جاهي، والدعاء مشتمل على جميع ذلك)[٤].

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٧٣.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣١٥).

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٦٣.

(٤) فتح الباري ١١/١٧٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٤٩٠)

١٤٩٠- وعن أَبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله عَلِّمْني شَيْئًا أسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ: ((**سَلوا الله العَافِيَةَ**)) فَمَكَثْتُ أيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أسْأَلُهُ الله تَعَالَى، قَالَ لي: ((**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا الله العَافِيَةَ في الدُّنيَا والآخِرَةِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

العباس بن عبد المطلب: هو العباس بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قُصَيٍّ بن كِلاب بن مُرَّة، من ولد عدنان، من نسل خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وهو عم رسول الله ﷺ ومن أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجَدُّ الخلفاء العباسيين، وُلِدَ قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث سنين، ضاع وهو صغير فنذرت أمه إن وجدته أن تكسو البيت الحرير، فوجدته فكست البيت الحرير، فهو ابن أول من كست البيت الحرير، وكان أسنَّ من النبي ﷺ بثلاث سنين، كان يكني بأبي الفضل أكبر أولاده، له صحبة ورواية، فله في كتب الحديث (٣٥) حديثًا.

وكان العباس رضي الله عنه في الجاهلية رئيسًا في قريش وإليه كانت السقاية، وعمارة المسجد الحرام، بمعنى أنه كان لا يدع أحدًا يسُبُّ في المسجد الحرام، ولا يقول هُجرًا، لا يستطيعون لذلك امتناعًا، لأن قريشًا كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا على ذلك فكانوا له أعوانًا، كما كان جوادًا، مُطعمًا، وصولاً للرحِم، وكان يمنع الجار، ويبذل المال، ويعطى في النوائب، قال الزبير بن بكّار: كان للعباس ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم ومِقْطرة لجاهلهم، كما كان مولعًا بإعتاق العبيد، كارهًا للرق، اشترى ٧٠ عبدًا وأعتقهم، وكان ممن يكتم إيمانه وهو بمكة فَرَقًا من أن يَثِبَ عليهم أبو لهب وقريش كما أوثقت بنو مخزوم سلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة وغيرهما، خرج في

---

(١) برقم (٣٥١٤). وأورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦٦) من رواية ابن أبي الدنيا، والحاكم مختصرًا. وقال الحاكم (١/٥٢٩): هذا حديث صحيحٌ على شرط البخاري، وقد روي بلفظ آخر.

بدر مع المشركين كرها، ووقع في الأسر وفدى نفسه، ثم لما رجع إلى مكة أسلم كل من شهد بدرًا من المشركين من بني هاشم ثم أقبلوا إلى المدينة مهاجرين.

أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وكان قد قدم هو ونوفل بن الحارث إلى المدينة مهاجرين، فآخى رسول الله ﷺ بينهما، شهد العباس حنينا والطائف وتبوك وكان أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أردفه النبي ﷺ في حجته، وكان رسول الله ﷺ يثق به في الأمر كله، وكان العباس أكثر الناس نصرة لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، حضر مع النبي ﷺ يشترط له على الأنصار، ويؤكد له البيعة عليهم، وفي غزوة حنين ثبت مع رسول الله ﷺ لما انهزم الناس وكان رجلاً جهوري الصوت فعن العباس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ حنينًا فلقد رأيت النبي ﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه وهو على بغلة شهباء أو بيضاء فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين... وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ ... فقال رسول الله ﷺ: يا عباس ناد: يا أصحاب السَّمُرة...[1] [2].

وقوّى الإسلام من خصال الخير ومكارم الأخلاق فيه، فازداد كرمًا وحسنًا في الرأي وكان ذا دعوة مستجابة، أثنى رسول الله ﷺ عليه فقال: ((هذا العباس بن عبدالمطلب أجود قريش وأوصلها))[3].

وكان إذا قحط أهل المدينة استُسقِي بالعباس فعن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب كان إذا قحِطُوا استَسْقَى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتَسْقِينَا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسْقَون[4].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٢٩٦) حديث رقم ١٧٧٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) السمرة: هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية، النهاية في (س م ر).

(٣) أخرجه أحمد ١/٢٠٧، رقم (١٦١٠) وقال محققو المسند إسناده حسن ٣/١٦١.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم (٣٧١٠).

في عهد عمر لما أراد أن يوسع مسجد النبي ﷺ، وكانت دار العباس ملاصقة للمسجد، تصدق بها ليوسع المسجد، وخط له عمر ولأهله دارًا غيرها وبناها من بيت مال المسلمين، عَمِيَ في آخر زمانه فصبر، وكانت وفاته بالمدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب أو رمضان سنة ٣٢ قبل مقتل عثمان بسنتين، وقيل سنة (٣٣) شهد عثمان غسله وصلى عليه، ودفن بالبقيع، وهو ابن (٨٨) وقيل (٨٩) سنة، أدرك في الإسلام ٣٢ سنة، وفي الجاهلية (٥٦) سنة[1].

غريب الألفاظ:

أسأله: أطلبه[2].

العافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي الصحة التامة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وهو عبارة عن جملة قصيرة شديدة الإيجاز عميقة الدلالة استوعبت خير الدنيا، والآخرة وقد وردت في حوار بين الفضل العباس بن عبد المطلب، وبين رسول ﷺ في طلب استرشاد وتعليم من أبي الفضل العباس، وتنكير لفظ (شيئا) للتعظيم لأنه يريد شيئا يسيرا قوليا يسأل الله به ليس فيه كلفة مع عظم الأجر فقال (سلوا الله العافية) ومن الملاحظ أن السائل مفرد والأمر متصل بواو الجماعة المؤذنة بخطاب الجمع دلالة على أهمية الخبر، وأنه لعظمه لم يختص بشخص دون غيره، وسؤال الله له خصوصيات منها أنه عز وسؤال غيره ذل، ومنها: أنه محقق لأنه قادر يحب أن يُسئل وغيره يكره أن يسئل، ومنها أنه محض العبادة وخالصها، وسؤال العافية يتضمن السلامة، وعدم تقييدها بشيء يجعلها عافية عامة تستلزم السلامة من كل شر دنيوي، وأخروي، وتتميز هذه العبارة بإيجازها وعمق معناها،

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٥-٣٤)، الاستيعاب (٥٥٦-٥٥٨)، أسد الغابة (٣/١٦٣-١٦٦)، الإصابة (٦٨٠، ٦٨١)، سير أعلام النبلاء (٢/٧٨-١٠٣)، تهذيب الكمال (٤/٧٠-٧٢)، تهذيب التهذيب (٢/٢٩١)، الأعلام (٣/٢٦٢)، موسوعة عظماء حول الرسول (٢/١١٤٣-١١٥٣).

(٢) النهاية في (س أ ل)، تحفة الأحوذي ٢/٢٤٨٨.

(٣) النهاية والوسيط في (ع ف و).

وسهولة حفظها، وتناقلها، وشمولها لكل خير لأنها تتضمن نفي كل شر، وكل شر تنفيه، تثبت ضده ضمنا، وتكرار السؤال من الفضل يشير إلى أنه أراد ما هو أكثر من هذه الدعوة الموجزة ((يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول اللهِ، سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ) وتكرار النداء فيه تنبيه، وتكريم بنسبته إلى رسول الله، وتكرار الدعاء تقرير فوق تقرير لعظمة محتواه، وإشارة إلى أنه كافٍ له مناسب لحاله، وحال كل داع لا يسعه الوقت أو لا يسعه الجهد أو العقل لوجازته، وشموله لأطراف الخير.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي ﷺ ما يدعون به.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

هذا واضح من إعادة العباس سؤال الرسول ﷺ مرتين أن يعلمه شيئًا يدعو به الله، وفي المرّة الثانية قال له رسول الله ﷺ: يا عباس يا عم رسول الله. قال الذهبي عنه: (عم رسول الله ﷺ لم يزل مشفقًا على النبي ﷺ محبًا له صابرًا على الأذى ولما يسلم بعد، بحيث إنه ليلة العقبة عرف، وقام مع ابن أخيه في الليل وتوثق له من السبعين [من الأنصار] ثم خرج إلى بدر مع قومه مكرهًا فأسر فأبدى لهم أنه كان أسلم ثم رجع إلى مكة، فما أدري لماذا أقام بها، ثم لا ذكر له يوم أحد، ولا يوم الخندق، ولا خرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئًا فيما علمت. ثم جاء إلى النبي ﷺ مهاجرًا قبيل فتح مكة... كان من أطول الرجال وأحسنهم صورة وأبهاهم وأجهرهم صوتًا مع الحلم الوافر والسؤدد... وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب... وثبت أن العباس كان يوم حنين وقت الهزيمة آخذا بلجام بغلة النبي ﷺ وثبت معه حتى نزل النصر[1].

وثبت من حديث أنس: أن عمر استسقى فقال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٥.

نبيك توسلنا به، وإنا نستسقي إليك بعم نبيك العباس[١].

ابن أبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يجلّ أحدًا ما يجلّ العباس أو يكرم العباس. إسناده صالح.

وورد أن عمر عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس فقلعه، فقال له أشهد أن رسول الله ﷺ هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر: لتصعدن على ظهري ولتضعنه موضعه[٢]. وقد عاش ثمانيًا وثمانين سنة ومات سنة اثنتين وثلاثين، فصلّى عليه عثمان ودفن بالبقيع)[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يعلمهم النبي ﷺ ما يدعون به:

هذا واضح من قول العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ: "يا رسول الله علمني شيئًا أسأله الله تعالى"، فهذا يدل على أن الصحابة كانوا حريصين على أن يتعلموا الدعاء من النبي ﷺ، حتى يتبعوه ويلتزموه. وذلك اقتداء بالنبي فيما فعله واتباعًا لما أرشد إليه. يقول بكر بن عبدالله أبو زيد عن قواعد التعبد بالذكر والدعاء: (القاعدة الثانية: قاعدة التأسي والاقتداء في الدعاء: فالدعاء الواجب أو المستحب هو الدعاء المشروع إذ الاستحباب حكم لا يتلقى إلا من الشارع فما لم يشرعه لا يكون مستحبًا، بل يكون شرع من الدين ما لم يأذن به الله، فإن الدعاء من أعظم الدين[٤].

وإذا علمت ذلك وعلمت شروط الدعاء وآدابه وتلمس أوقاته، فاعلم أن ملاك ذلك هو: "١- الإخلاص ٢- والمتابعة" متأسيًا بالنبي ﷺ في الدعاء مطلقًا بالوارد أو من جنس الوارد، مما لا يأباه الشرع. لكن ما ورد بنص الشرع خيرٌ من اختيار العبد. وكذلك في دائرة قاعدة التعبد العظيمة. وهي "أن الأصل في الدعاء التحريم إلا ما دلّ

---

(١) أخرجه البخاري ١٠١٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢١٠/١، رقم ١٧٩٠، وقال محققو المسند: حسن ٣٠٨/٣، ٣٠٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧٨/٢-١٠٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ٦٣٣/١١، ط العبيكان، ٤٧٥/٢٢ ط ابن قاسم.

الدليل على جوازه"[١] وهي التي صاغها الأئمة بقولهم "وقف العبادة على النص ومورده في جهات التعبد الست" وهي: السبب والجنس والمقدار والكيفية والزمان والمكان. فإن اختلت واحدة من هذه الجهات كان في الدعاء غلط أو اعتداء والله سبحانه يقول: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٢])[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله العافية في الدنيا والآخرة:

هذا واضح من أمره ﷺ العباس مرتين بأن يسأل الله العافية، وقد روي حديثٌ في هذا المعنى. وقد يستأنس به في هذا المقام، فعن أنس بن مالك: ((أَنَّ رَجُلاً جاءَ إلى النبيِّ فقالَ يَا رَسُولَ اللهِ أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ قالَ: سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمِ الثَّانِي فقَالَ يا رَسُولَ اللهِ أيُّ الدُّعَاءِ أفْضَلُ؟ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ في اليَوْمَ الثَّالِثِ فقالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: فإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ في الدُّنْيَا وأُعْطِيتَهَا في الآخِرَةِ فَقَدْ أفْلَحْتَ))[٤].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، فإنه ما أوتي عبدٌ بعد يقين خيرًا من معافاة))[٥]. (فالشر الماضي يزول بالعفو، والحاضر بالعافية، والمستقبل بالمعافاة، لتضمنها دوام العافية، فهو من أجمع الدعاء)[٦].

وقال ابن الأثير: (العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا وهي الصحة وضد المرض والمعافاة هي أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك أي يغنيك عنهم ويغنيهم عنك. ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم. وقيل: هي مفاعلة من العفو، وهي أن يعفو عن الناس

---

(١) الفروق للقرافي ٤/٤٠٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٣) تصحيح الدعاء: بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٤١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥١٢، وابن ماجه ٣٨٤٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٨).

(٥) أخرجه أحمد ١/٣، رقم ٥، واللفظ له. وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١/١٨٤، والنسائي في السنن الكبرى ٩/١٠٦٥١.

(٦) الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي. وحاشية ابن قاسم عليه ٣/٤٧١. وانظر: توضيح الأحكام للشيخ البسام ٣/٢٤٠.

ويعفو هم عنه)[١].

وقال الفيروزآبادي: (العافية: دفاع الله عن العبد، عافاه الله تعالى من المكروه عفاءً ومعافاة وعافية: وهب له العافية من العلل والبلاء. والمعافاة: أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك)[٢].

وقال المباركفوري: (في الحديث التصريح بأن الدعاء بالعافية أفضل الدعاء، ولا سيما بعد تكريره للسائل في ثلاثة أيام، حين أتاه للسؤال عن أفضل الدعاء، فأفاد هذا أن الدعاء بالعافية أفضل من غيره من الأدعية، ثم في قوله "فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت" دليل ظاهر واضح بأن الدعاء بالعافية يشمل أمور الدنيا والآخرة، لأنه قال هذه المقالة بعد أن قال له "سل ربك العافية" ثلاث مرات. فكان ذلك كالبيان لعموم بركة هذه الدعوة بالعافية لمصالح الدنيا والآخرة. ثم رتب على ذلك الفلاح الذي هو المقصد الأسنى والمطلوب الأكبر... وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأن يعلمه شيئًا يسأل الله به، دليل جلي بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية ولا يقوم مقامه شيء من الكلام الذي يدعى به ذو الجلال والإكرام. وقد تقدم تحقيق معنى العافية أنها دفاع الله عن العبد. فالداعي قد سأل ربه دفاعه عن كل ما ينوبه. وقد كان رسول الله ﷺ ينزل عمه العباس منزلة أبيه ويرى له من الحق ما يرى الولد لوالده، ففي تخصيصه بهذا الدعاء وقصره على مجرد الدعاء بالعافية، تحريك لهمم الراغبين على ملازمته، وأن يجعلوه من أعظم ما يتوسلون به إلى ربهم -سبحانه وتعالى- ويستدفعون به في كل ما يهمهم. ثم كلمه ﷺ بقوله: "سل الله العافية في الدنيا والآخرة" فكان هذا الدعاء من هذه الحيثية قد صار عدة لدفع كل ضر وجلب كل خير. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا، قال الجزري في عدة الحصن الحصين: (لقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنى من خمسين طريقًا)[٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ص ٦٢٧.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٣١٣.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/٢٤٨٨-٢٤٨٩.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((لم يكن رسول الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنيايَ وأهْلي ومالي. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي))[1].

قال الصنعاني: (العافية في الدين السلامة من المعاصي والابتداع، وترك ما يجب والتساهل في الطاعات. وفي الدنيا السلامة من شرورها ومصائبها. وفي الأهل السلامة من سوء العشرة والأمراض والأسقام وشغلهم بطلب التوسع في الحطام. وفي المال السلامة من الآفات التي تحدث فيه)[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٨٧١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١٢١).

(٢) سبل السلام، ص ١٠٠١، ط بيت الأفكار الدولية.

الحديث رقم (١٤٩١)

١٤٩١- وعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمة رضي الله عنها، يَا أمَّ المؤمِنِينَ، مَا كَانَ أكثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ﷺ، إذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قالت: كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ: ((**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

مقلب القلوب: مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية، وتارة إلى الحضرة وتارة إلى الغفلة[2].

الشرح الأدبي

قول أمِّ المؤمِنِينَ رضي الله عنها (كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ) يدل على أهمية هذا الدعاء، وقيمته يدل على ذلك استخدام أفعل التفضيل (أكثر) وقبلها كان الدالة على التحقق، والتكرار، وقوله (مقلب القلوب) جناس يؤكد المعنى، ويقرر أن الله هو المالك لحركة القلب، وبين قوله مقلب، وثبت طباق يشير إلى ان محرك هذه القلوب هو وحده القادر على تثبيتها وتسميته بالقلب يوحي بكثرة التقلب، وعدم الاستقرار الأمر الذي يستلزم وجود مثبت، وقال الأصمعي وفي البطن: الفؤاد، وهو: القلب سمي به لتقلبه في الأمور، وقيل، لأنه خالص ما في البدن إذ خالص كل شيء قلبه، وأصله مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا إذا رددته علي بدايته وقلبت الإناء رددته على وجهه وقلبت الرجل عن رأيه وعن طريقه إذا صرفته عنه ثم نقل وسمي به هذا العضو الشريف لسرعة الخواطر فيه وترددها عليه وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال:

---

(١) برقم (٣٥٢٢). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (١٣/٣): هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) النهاية في (ق ل ب)، تحفة الأحوذي ١٧٤٦/٢.

ما سمي القلب إلا من تقلبه فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال القرطبي ثم إن العرب لما نقلته لهذا العضو التزمت فيه التفخيم في قافه للفرق بينه وبين أصله وقد قال بعضهم ليحذر اللبيب من سرعة انقلاب قلبه إذ ليس بين القلب والقلب إلا التفخيم وما يعقلها إلا كل ذي فهم مستقيم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص التابعين على السؤال عن أحوال النبي ﷺ في الدعاء:

هذا واضح من سؤال شهر بن حوشب أم سلمة رضي الله عنها، وشهر هذا من التابعين توفي ١١٢هـ[1]، والتابعون قد صحبوا الصحابة الذين صحبوا النبي ﷺ وعرفوا أحواله وأموره، فحرص التابعون على ملازمة الصحابة رضوان الله عليهم ليعلموا هذه الأحوال وتلك الأمور ليقتدوا به ﷺ وينقلوها إلى من بعدهم، وكان هذا الطريق هو الذي ضمن لنا وصول سنة النبي ﷺ وسيرته إلينا، فكان كل جيل حريصًا على تعلم سيرته ﷺ وسنته، وفي الوقت نفسه كان حريصًا على تعليمها لمن بعدهم. وكان هذا منهجًا فريدًا تميز به المسلمون عن غيرهم من الأمم السابقة فحفظت -وما تزال- الأجيال المتعاقبة سنته ﷺ وسيرته، لأن ذلك من الذكر الذي تعهد الله بحفظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[2].

ومن قبيل حرص التابعين على معرفة أحوال النبي ﷺ في الدعاء ما رواه مسلم بإسناده عن عبدالعزيز بن صهيب قال سأل قتادة لوهو ابن دعامة السدوسي من أعلام

---

(١) كما في تقريب التهذيب ٣٥٥/١.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩.

التابعين[١] سأل قتادة أنسًا [أي ابن مالك]: ((أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ أَكْثَرَ؟ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»))[٢].

وقال أبو عبدالله الحاكم النيسابوري: (خير الناس قرنًا بعد الصحابة من شافه أصحاب رسول الله ﷺ، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل رضي الله عنهم أجمعين)[٣].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الدعاء بتثبيت القلب على الدين القويم:

هذا واضح من قول أم سلمة عن النبي ﷺ: ((كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ. قالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله ما أَكْثَرِ دُعَاكَ يَا مُقَلِّبَ القُلُوب ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ أَشَاءَ أَزَاغَ))[٤].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان رَسولُ الله يُكْثِرُ أنْ يقولَ: يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي على دينكَ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَم، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا كَيْفَ شَاءَ))[٥].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمنِ. كَقَلْبٍ وَاحِدٍ. يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ))[٦].

قال المباكفوري: ("يا مقلب القلوب" أي مصرفها تارة إلى الطاعة وتارة إلى المعصية وتارة إلى الغفلة "ثبت قلبي على دينك" أي اجعله ثابتًا على دينك غير مائل عن الدين

---

(١) انظر: تقريب التهذيب ١٢٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٩٠، والبخاري ٦٣٨٩ بنحوه.

(٣) معرفة علوم الحديث، ص ٢١٣

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٢٢.

(٥) أخرجه الترمذي ٢١٤٠، وابن ماجه ٣٨٣٤، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٩٢).

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٥٤.

القويم والصراط المستقيم، فقلت: "يا نبي الله آمنا بك" أي بنبوتك ورسالتك "فهل تخاف علينا" يعني أن قولك هذا ليس لنفسك، لأنك في عصمة من الخطأ والزلة، خصوصًا من تقلب القلب عن الدين والملة، وإنما المراد تعليم الأمة، فهل تخاف علينا من زوال نعمة الإيمان أو الانتقال من الكمال إلى النقصان؟ "قال نعم" يعني أخاف عليكم "يقلبها" أي القلوب "كيف يشاء" مفعول مطلق. أي تقليبًا يريده، أو حال، من الضمير المنصوب أي يقلبها على أي صفة شاء)[1].

وقد قال الله تعالى عن دعاء أولي الألباب: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[2] قال ابن كثير: (ثم قال تعالى عنهم مخبرًا أنهم دعوا ربهم قائلين: "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا" أي: لا تُمِلْها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم "وهب لنا من لدنك" أي من عندك "رحمة" تثبت بها قلوبنا وتجمع شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا "إنك أنت الوهاب")[3].

وقال الطاهر بن عاشور عن الآية: (هذا دعاء علّمه النبي ﷺ، تعليمًا للأمة: لأن الموقع المحكي موقع عبرة، ومثار لهواجس الخوف من سوء المصير إلى حال الذين في قلوبهم زيغ، فما هم إلا من عقلاء البشر، لا تفاوت بينهم وبين الراسخين في الإنسانية، ولا في سلامة العقول والمشاعر، فما كان ضلالهم إلا من حرمانهم التوفيق، واللطف، ووسائل الاهتداء.

وقد علم من تعقيب قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[4] الآيات بقوله "ربنا لا تزغ قلوبنا" أن من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكمًا ومنه متشابهًا، إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها: تحذيرًا لها من الوقوع في الضلال،

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/١٧٤٦.

(٢) سورة آل عمران، ٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/١٣.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٧.

الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيرًا للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة مثل ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان، بعد وفاة الرسول ﷺ، لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم، ولذلك كان أبوبكر يدعو بهذه الآية في صلاته مدة ارتداد من ارتد من العرب، ففي الموطأ، عن الصنابجي: أنه قال: قدمت المدينة في خلافة أبي بكر الصديق فصليت وراءه المغرب فقام في الثالثة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية: "ربنا لا تزغ قلوبنا" الآية[1].

فزيغ القلب يتسبب عن عوارض تعرض للعقل: من خلل في ذاته، أو دواع من الخلطة أو الشهوة، أو ضعف الإرادة، تحول بالنفس عن الفضائل المتحلية بها إلى رذائل كانت تهجس بالنفس فتذودها النفس عنها بما استقر في النفس من تعاليم الخير المسماة بالهدى، ولا يدري المؤمن، ولا العاقل، ولا الحكيم، ولا المهذب: أية ساعة تحل فيها به أسباب الشقاء، وكذلك لا يدري الشقي، ولا المنهمك، الأفن[2]: أية ساعة تحف فيها به أسباب الإقلاع عما هو متلبس به من تغير خَلْق، أو خُلُق، أو تبدل خليط، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ﴾[3] ولذا كان دأب القرآن قرن الثناء بالتحذير، والبشارة بالإنذار.

وقوله "بعد إذ هديتنا" تحقيق للدعوة على سبيل التلطف؛ إذ أسندوا الهدى إلى الله تعالى، فكان ذلك كرمًا منه، ولا يرجع الكريم في عطيته، وقد استعاذ النبي ﷺ من السلب بعد العطاء[4].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ١٧١، موسوعة شروح الموطأ ٢١٩/٤.

(٢) أفن: نقص عقله. الوسيط ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم ١٣٤٣، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.

وهناك رواية بلفظ: "الحور بعد الكور". ومعناهما: الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، مج٥/ج١١٨/٩، ط دار عالم الكتب.

وقوله "وهب لنا من لدنك رحمة" طلبوا أثر الدوام على الهدى وهو الرحمة، في الدنيا والآخرة، ومنع دواعي الزيغ والشر. وجعلت الرحمة من عند الله لأن تيسير أسبابها، وتكوين مهيئاتها، بتقدير الله؛ إذ لو شاء الله لكان الإنسان معرضًا لنزول المصائب والشرور في كل لمحة؛ فإنه محفوف بموجودات كثيرة، حية وغير حية، هو في اتقائها في غاية الضعف، لولا لطف الله به إيقاظ عقله لاتقاء الحوادث، وبإرشاده لاجتناب أفعال الشرور المهلكة، وبإلهامه إلى ما فيه نفعه، وبجعل تلك القوى الغالبة له قوى عمياء لا تهتدي سبيلاً إلى قصده، ولا تصادفه إلا على سبيل الندور ولهذا قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1] ومن أجلى مظاهر اللطف أحوال الاضطرار والالتجاء وقد كنت قلت كلمة "اللطف عند الاضطرار").

(١) سورة الشورى، آية: ١٩.

الحديث رقم (١٤٩٢)

١٤٩٢- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ عليه السلام: اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وأهْلِي، وَمِنَ الماءِ البارِدِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

الشرح الأدبي

الحديث يقرر دعاءً لنبي الله داود عليه السلام كان يدعوا به يدور حول معنى يفيض بالمشاعر الخاصة بين العبد الصالح، وربه وهي مشاعر المحبة، والمودة الداعية إلى التزام ما يحبه، وتجنب ما يبغضه وإذا تأملنا ألفاظ الحديث أدركنا هذا المعنى حيث تكررت مادة المحبة ست مرات في صورة المصدر الدال على التحقق المتجرد من الزمن المقرر للثبوت، والمضارع الدال على التجدد، وأفعل التفضيل المؤذنة بالتفاضل، والمقررة للأفضلية (حبك - يحبك - أحب) فهو مستغرق في دروب المحبة الموصلة إلى الزلفى مع تتبع كل ما يتصل بها، ويعين عليها، وهذا الدعاء يجمع كل خير، فإن الأفعال الاختيارية من العباد إنما تنشأ عن محبة وإرادة، فإن كانت محبة الله ثابتة في قلب العبد نشأت عنها حركات الجوارح فكانت بحسب ما يحبه الله ويرتضيه، فأحب ما يحبه الله عز وجل من الأعمال والأقوال كلها، ففعل حينئذ الخيرات كلها وترك المنكرات كلها، وأحب من يحبه الله من خلقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام.

---

(١) برقم (٣٤٩٠). قال الحاكم (٢/٤٣٣): صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته، ومحبة من يحبه، والتوفيق إلى العمل الذي يبلّغ إلى حبه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل نبي الله داود عليه السلام:

هذا واضحٌ من إخبار النبي ﷺ عن دعاء داود عليه السلام، وفي آخر الحديث: ((وَكَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ يُحَدِّثُ عَنْهُ قَالَ كَانَ أَعْبَدَ البَشَرِ))[1].

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال عنه: ((إنه كان أعبد الناس))[2].

قال الطيبي: (يحتمل أن يراد به في عصره وزمانه، وأن يراد أنه كان أشكر الناس قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾[3] أي بالغ في شكري وابذل وسعك فيه)[4].

قال ابن كثير: (صار الملك إلى داود عليه السلام، وجمع له بين الملك والنبوة بين خيري الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط والنبوة في سبط آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا... وقد ثبت في الحديث الصحيح: ((إنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن نبيَّ الله داودَ كانَ يَأْكُلُ من كَسْبِ يَدِهِ))[5].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[6] قال ابن عباس ومجاهد: الأيْد: القوة في الطاعة. يعني: كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح. قال قتادة: أعطي قوة في العبادة وفقهًا في الإسلام... وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ((أحبُّ الصلاة إلى الله صلاةُ داود، وأحب الصيام

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٩٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٢-١١٥٩.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٥/٢١٠-٢١١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٧٢ بلفظ ((ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)).

(٦) سورة ص، آية: ١٧-٢٠.

إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ولا يفرّ إذا لاقى))[١]. وقوله "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق، والطير محشورة كل له أوّاب، كما قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾[٢] أي: سبحي معه قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية: "إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" أي عند آخر النهار وأوله، وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدًا، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه، يقف الطير في الهواء يرجّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيًا صلوات الله وسلامه عليه. وقد كان مع هذا الصوت الرخيم، سريع القراءة لكتابه الزبور، كما أخرج أحمد بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((خُفِّفتْ على دَاودَ عليه السلام القراءَةُ، وَكانَ يأمُرُ بدابَّتِهِ فَتُسْرَجُ وَكَانَ يَقْرأ القرآن قَبْلَ أن تُسْرَجَ دابَّتُهُ. وَكَانَ لا يأكُلُ إلا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ))[٣].

وأخرجه البخاري بلفظ: ((خُفِّفَ على داودَ عليه السلام القرآنُ، فكان يأمرُ بدوابِّهِ فتُسرَجُ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أن تُسرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكلُ إلا من عملِ يدِهِ))[٤].

والمراد بالقرآن ههنا الزبور الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه، وذكر دوابه أشبه أن يكون محفوظًا فإنه كان ملكًا له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب. وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه. وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[٥] والزبور كتاب مشهور قوله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن

---

(١) أخرجه البخاري ١١٣١، ٣٤١٩، ٣٤٢٠، ومسلم ١١٥٩.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣١٤/٢، رقم ٨١٦٠، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٩٧/١٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤١٧.

(٥) سورة النساء، آية: ١٦٣.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[1] هـذا خطاب من الله تعالى مع داود، والمراد: ولاة الأمور وحكام الناس، وأمرهم بالعدل واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك وحكم بغير ذلك، وقد كان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الزمان، في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات، حتى إنه كان لا تمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهارًا، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[2])[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله محبته ومحبة من يحبه والتوفيق إلى العمل الذي يبلغ إلى حبه:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "كان من دعاء داود عليه السلام: اللهم إني أسألك حبَّك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد".

وعن عبدالله بن يزيد الخطمي الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: ((اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ. اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ. اللَّهُمَّ ومَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ قوة لِي فيمَا تُحِبُّ))[4].

قال المباركفوري: (إنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه)[5].

ويقول ابن القيم عن أهمية منزلة المحبة للعبد: (لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع

---

(١) سورة ص، آية: ٢٦.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) البداية والنهاية، ٢/٣٠٠-٣١٤ بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٩١ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٦٩٢).

(٥) تحفة الأحوذي ٢/٣٤٧٦.

مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص. بل هي نفس الإسلام. فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هي حقيقةُ شهادةِ أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يألهه العبادُ حبًا وذلاً وخوفًا ورجاءً وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له. وأصل التأله التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب. يقال: عبّده الحب وتَيّمْه إذا ملكه وذلّله لمحبوبه. فالمحبة حقيقة العبودية، وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء؟ وهل الصبر في الحقيقة إلا صبر المحبين؟ فإنه إنما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه. وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين، فإنهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته.

وكذلك الحياء في الحقيقة إنما هو حياء المحبين، فإنه يتولد من بين الحب والتعظيم، وأما ما لا يكون عن محبة فذلك خوف محض، وكذلك مقام الفقر فإنه في الحقيقة فقر الأرواح إلى محبوبها وهو أعلى أنواع الفقر، فإنه لا فقر أتم من فقر القلب إلى من يحبه. لاسيما إذا وحده في الحب، ولم يجد منه عوضًا سواه، هذه حقيقة الفقر عند العارفين. وكذلك الغنى هو غنى القلب بحصول محبوبه وكذلك الشوق إلى الله تعالى ولقائه، فإنه لبُّ المحبة وسرّها)[1].

---

(١) مدارج السالكين ٣/٤٦٢ -٤٦٤.

الحديث رقم (١٤٩٣)

١٤٩٣- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((ألِظُّوا بـ (يَاذا الجَلاَلِ والإكْرامِ))). رواه الترمذي[١]. ورواه النسائيُّ[٢] من رواية ربيعة بن عامِرٍ الصحابي، قَالَ الحاكم[٣]: (حديث صحيح الإسناد).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ألِظّوا: الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها[٤].

الشرح الأدبي

الحديث حمل عبارة لا يعلم كنهها إلا الله تعالى لذلك دعا الرسول ﷺ إلى التزامها، وهي قوله: (ألظوا بياذا الجلال والإكرام) أمر بمعنى الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها فالمراد دوموا على قولكم ذلك في دعائكم واجعلوه على لسانكم دائما لئلا تركنوا أو تطمئنوا لغيره قال الزمخشري: ألظ وألب وألج أخوات في معنى اللزوم والدوام وتشعر في تكوين حروف الكلمة شيئا من معناها فهي في أثناء النطق تثقل على اللسان وتجسم، فالكسر في اللام، والتشديد في الظاء التي تشعر بالثقل في تحريكها للسان خروجا ناحية الشفتين مع استدارتهما وكأنها تأبى أن تفارق وهو ما يتصل بمدلولها من عدم مفارقة هذا الذكر الشريف، ومعنى (ذا الجلال) استحقاقه وصف

---

(١) برقم (٣٥٢٥). قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ وليس بمحفوظ، وإنما يُروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن النبي ﷺ، وهذا أصحُّ. ومؤمل غلط فيه، فقال: عن حماد، عن حميد، عن أنس، ولا يتابع عليه.

(٢) في الكبرى (٧٦٦٩، و١١٤٩٩).

(٣) المستدرك (٤٩٨/١).

(٤) النهاية في (ل ظ ظ)، ورياض الصالحين، النووي ٥٠٩.

العظمة ونعت الرفعة عزا وتكبرا عن نعت الموجودات فجلاله صفة استحقها لذاته، والإكرام أخص من الإنعام إذ الإنعام قد يكون على غير المكرم كالعاصي، والإكرام لمن يحبه ويعزه ومنه سمي ما أكرم الله به أولياءه مما يخرج عن العادة كرامات فندب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإكثار من قولك (يا ذا الجلال) في الدعاء ليستشعر القلب من دوام ذكر اللسان، ويقر في السر تعظيم الله، وهيبته، ويمتلىء الصدر بمراقبة جلاله فيكرمه في الدنيا، والآخرة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك.

ثانيًا: من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الإكثار من قول "يا ذا الجلال والإكرام" في الدعاء وملازمة ذلك:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "ألظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام" قال ابن الأثير: (أي ألزموه وأثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم)[1].

وقال ابن القيم: (يعني تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها)[2] وقال ابن كثير: (هو المداومة واللزوم والإلحاح)[3]. وقال ابن عباس: (﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[4]: ذو الكبرياء والعظمة)[5].

وقد أثنى رسول الله ﷺ على من ضمن دعاءه الثناء على الله بـ"ياذا الجلال والإكرام". فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا فِي

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ص ٨٣٦.

(٢) الداء والدواء ص ١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥١١/٧.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٩٤/٧، والدر المنثور ١١٨/١٤.

الْحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ سَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلهَ إِلا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوم، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ: أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى))[1].

كما كان النبي ﷺ يثني على ربه بهذا الثناء بعد أن ينصرف من صلاته، فعن ثوبان قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، إِذَا انْصَرَفَ من صلاته، اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا. وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ. تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ))[2].

قال النووي: (المراد بالانصراف: السلام)[3]. وقال الصنعاني: (والمراد بقوله: "يا ذا الجلال والإكرام" يا ذا الغنى المطلق والفضل التام، وقيل الذي عنده الجلال والإكرام لعباده المخلصين وهو من عظائم صفاته تعالى)[4].

عن معاذ بن جبل قال: ((سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، قال: قد استجيب لك فسل))[5].

ويبين ابن القيم أن الثناء على الله دعاء له، يقول: (إن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه فهو ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاءً، لتضمنه الطلب كما قال النبي ﷺ: ((أفضل الدعاء الحمد لله))[6]، فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض، لأن الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب للمحبوب، فالحامد طالب لمحبوبه فهو أحق أن يسمى داعيًا

---

(١) أخرجه أبو داود ١٤٩٥، والنسائي ١٣٠٠، وابن ماجه ٣٨٥٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣١١٢).

(٢) أخرجه مسلم ٥٩١.

(٣) شرح مسلم مج ٣/ج٥/٩٢، ط دار عالم الكتب.

(٤) سبل السلام ٢٢٥، ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٦) شرح ديوان المتنبي ١: ١٩٨/١، والأغاني ٣٤٤/٨ قافية الهمزة.

من السائل الطالب من ربه حاجة ما، فتأمل هذا الموضع ولا تحتاج إلى ما قيل إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض كما قال أمية بن أبي الصلت:

أأذكر حاجتي أمْ قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضه الثناء[1]

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها، فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه، والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه)[2].

ثانيا - من آداب الداعية والمدعو: الثناء على الله تعالى:

وهذا واضح من أمر النبي ﷺ: "ألظُّوا بياذا الجلال والإكرام"، وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[3] قال ابن كثير: (وهو أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد ويشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى)[4].

وقال الطاهر بن عاشور: (والمعنى: وصفه تعالى بكمال البركة، والبركة: الخير العظيم والنفع، وقد تطلق على علو الشأن. والجلال العظمة وهو جامع لصفات الكمال اللائقة به تعالى، والإكرام إسداء النعمة والخير، فهو إذن حقيق بالثناء والشكر)[5].

وقال ابن القيم: (وأصح القولين في ذلك: أن الجلال هو التعظيم والإكرام هو الحب، وهو سر قول العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، وقال ﷺ: ((أَلِظُّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ والإِكْرَامِ))[6] أي الزموها والْهَجُوا بها)[7].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٢٧ وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٧٠٦).

(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم ٧٥١هـ، دار الفكر وهي طبعة مصورة، ٣/٩-١٠.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٥١٠.

(٥) التحرير والتنوير ٢٧/٢٧٦-٢٧٨.

(٦) أخرجه أحمد ٤/١٧٧، رقم ١٧٥٩٦ من حديث ربيعة بن عامر، قال محققوه: إسناده صحيح ٢٨/١٣٨.

(٧) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم الجوزية، ص ٢٩٦-٢٩٧.

وقد كان النبي ﷺ يرشد الصحابة رضوان الله عليهم إلى الثناء على الله في دعائهم، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: ((بَيْنَا رَسُولُ اللهِ قاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فقالَ اللّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي فقالَ رسولُ اللهِ عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ، قالَ ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللهَ وصَلَّى عَلَى النبيِّ فقَالَ لَهُ النَّبيُّ: أَيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ))[1].

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله. وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله. فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء. وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية. وأنت ترى في المُشَاهد - ولله المثل الأعلى - أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته. فإذا قال له: جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغًا لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء: أعطني كذا وكذا. فإذا عرفت هذا فتأمل قوَل موسى عليه السلام في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[2] وقوَل ذي النون عليه السلام في دعائه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] وقوَل أبينا آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4] وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٦ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٥).

(٢) سورة القصص، آية: ٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: ((قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم))[1] فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر، بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده، وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا. فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٢٣، ومسلم ٢٧٠٦.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢/٣٦٩.

الحديث رقم (١٤٩٤)

١٤٩٤- وعن أبي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ، بدُعاءٍ كَثيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا؛ قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: ((الا ادُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تقول: اللَّهُمَّ إنِّي اسَالُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ؛ واعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وانتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

ابو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

البلاغ: ما يُتَبَلغ ويُتَوَصّل به إلى الشيء المطلوب، وبمعنى الكفاية ومعنى عليك البلاغ: لا بلاغ اليوم إلا بك تبلغني إلى المطلوب من خير الدنيا والآخرة[2].

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (الا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ ؟) استفهام للعرض والتشويق، والتنبيه لعظمة ما سيلقي على مسامعهم فأراد أن يهيئهم لتلقي المعنى، والتعبير بلفظ الجمع يزيد الشوق لهذا الجامع، لأنهم حريصون على تحصيل أجر الدعوات التي لم يستطيعوا حفظها، والتي عبروا عن كثرتها في صورة الجناس المؤكد للمعنى في قولهم (دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ) كما عبروا عن فواته، وحزنهم على فواته بقولهم (لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً) كما أن لفظ الشمول (كل) المضاف إلى الضمير العائد على ما فاتهم يجعلهم أكثر حرصا عليه رغبة في تداركه، وقوله (اللَّهُمَّ إنِّي أسَالُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ) شمول لكل ما دعا به الخبير، وعجزوا عن الدعاء به ثم

---

(١) برقم (٣٥٢١). إسناده ضعيف، فيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جدًا.

(٢) النهاية في (ب ل غ)، تحفة الأحوذي ٢/٢٤٩١، دليل الفالحين ١٥٤٤.

إن لدعائه خصوصية في تحقق الاستجابة التي تحقق كل خير، ثم قابلها بضدها بما يحقق الاستعاذة من عموم الشرور التي يعلمها بالوحي، وبغيره، والتي لا سبيل لهم إلى معرفتها للحذر منها في قوله: (وأعوذُ بكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ - ﷺ)، ثم قرر تفويض الأمر لله تعالى المحقق للإعانة، والموصل للخير والمجير من الشرور، في قوله (وأنتَ المُسْتَعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاَغُ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) وقد سبق أن قوله (وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهِ) كنز من كنوز الجنة، فهو دعاء جامع مانع، جامع لكل خير مانع من كل شر مع إيجازه، ويسره، والسعيد من اغتنم العمل بهذه الأدعية فهي كنوز لا كلفة في تحصيلها.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه.

ثانيًا: من آداب الداعية: التيسير على المدعوين.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء.

أولاً - من آداب المدعو: السؤال عما فاته من الخير لاستدراكه:

هذا واضح من قول أبي أمامة رضي الله عنه: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. قلنا: يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئًا. فقد سأل أبو أمامة النبي ﷺ عما فاته من الدعاء بسبب عدم حفظه، وذلك ليستدرك هذا الخير، ولا يجعله يفوت من بين يديه. وهكذا حال المدعو دائمًا يستدرك ما فاته من الخير بأي سبب من الأسباب، وذلك عن طريق سؤال الداعية، ليدله على طريق تحصيل ما فاته.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبوذر رضي الله عنه قال: ((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ!، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ قَالَ قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَعْلاَهَا ثَمَنا» قَالَ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[1] قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ

(١) الأخرق: الذي لا يتقن ما يحاول فعله، رياض الصالحين ٩٨.

النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))[١].

فهذا أبو ذر رضي الله عنه يسأل النبي ﷺ عن طريق تحصيل الخير إن عرض له ما يمنعه من إتيان الأفضل من الأعمال بسبب العجز والانشغال ونحوه. بدليل قوله "أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟" فهو يشعر - كما يقول ابن حجر - بأن قوله للعجز عن ذلك لا كسلاً مثلاً. قوله "تدع الناس من الشر" فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه حتى يؤجر عليه ويعاقب غير أن الثواب لا يحصل مع الكف إلا مع النية والقصد لا مع الغفلة والذهول قاله القرطبي ملخصًا[٢]. وفي الحديث حسن المراجعة في السؤال وصبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به)[٣].

ثانيًا - من آداب الداعية: التيسير على المدعوين:

هذا واضح من قول النبي ﷺ لأبي أمامة رضي الله عنه لما قال له: يا رسول الله دعوت بدعاء لم نحفظ منه شيئًا فقال ﷺ: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك..." الحديث.

فقد دله ﷺ على ما يجمع الدعوات السابقة التي لم يحفظها، ولاشك أن هذا تيسير على المدعو، فمن المحتمل أن يعيد النبي ﷺ هذه الدعوات حتى يحفظها الصحابة، لكن هذا قد يشق عليهم، وخاصة أنها دعوات كثيرة، فيسّر النبي ﷺ هذا الأمر بأن دلهم على جماع هذه الدعوات كلها، وهو كلام يسير يسهل حفظه عليهم، وهكذا شأن الداعية مع المدعوين أن ييسر عليهم إن كان هناك سبب مشروع للتيسير.

ولعل من هذا القبيل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: ((يا رسول الله إني أسمع منك حديثًا كثيرًا، أنساه؟ قال: ابسط رداءك. فبسطه. قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته؛ فما نسيت شيئًا بعده))[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٢) المفهم ٢٧٨/١.

(٣) فتح الباري ١٤٩/٥، ط السلفية.

(٤) أخرجه البخاري ١١٩، ومسلم ٢٤٩٢.

قال ابن حجر: (في هذا الحديث فضيلة ظاهرة لأبي هريرة، ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لأن النسيان من لوازم الإنسان، وقد اعترف أبو هريرة بأنه كان يكثر منه [أي النسيان] ثم تخلف عنه ببركة النبي ﷺ)[1].

ثالثًا - من مهام الداعية: دلالة المدعوين على جوامع الدعاء:

لقد قال النبي ﷺ: "ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ وأنت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله" قال المباركفوري: (قال الشوكاني: ولا شيء أجمع ولا أنفع من هذا الدعاء، فإن رسول الله ﷺ قد صح عنه من الأدعية الكثير الطيب، وصح عنه التعوذ مما ينبغي التعوذ منه الكثير الطيب، حتى لم يبق خير في الدنيا والآخرة إلا قد سأله من ربه. ولم يبق شر في الدنيا والآخرة إلا وقد استعاذ ربه منه. فمن سأل الله عز وجل من خير ما سأله منه نبيه ﷺ واستعاذ من شر ما استعاذ منه نبيه ﷺ، فقد جاء في دعائه بما لا يحتاج بعد إلى غيره، وسأل الخير على اختلاف أنواعه، واستعاذ من الشر على اختلاف أنواعه، وحظي بالعمل بإرشاده ﷺ إلى هذا القول الجامع والدعاء النافع)[2].

قال الخطابي: (وليتخير لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها وأجمعها للمعاني، لأنه مناجاة العبد لسيّد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير)[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ عَلَّمَهَا هذَا الدُّعَاءَ: ((اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ بك به عبدك ونبيك. اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ أو عمل،

---

(١) فتح الباري ١/ ٢٦٠، ط الريان.

(٢) تحفة الأحوذي ٢/ ٢٤٩١.

(٣) شأن الدعاء ص ١٥، نقلًا عن الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٤٦.

وأسألك أن تجعل كل قضاءٍ قضيته لي خيرًا))[١].

قال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث:

١ - النبي ﷺ علم عائشة رضي الله عنها هذا الدعاء الجامع[٢]، فكان ينبغي للمسلم أن يعلمه أهله وأولاده وأهل بيته، ومن يتصل به، يعلمهم الخير بما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم.

٢ - ففي الحديث سؤال الله تعالى الخير الذي يشمل منافع الدنيا والآخرة، مما لا يعد ولا يحصى، العاجل منها والآجل، والمتأخر المعلوم منها للداعي والمجهول له، مما لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ - كما يستعيذه ويلتجئ من شرور الدنيا والآخرة العاجل الحاضر منها والآجل المتأخر، مما علم به الداعي وما جهل.

٤ - ثم عمم السؤال من نوع آخر، وهو أن الداعي يسأل الله تعالى من خير ما سأله رسول الله ﷺ.

ويستعيذ مما استعاذ منه رسول الله ﷺ الذي علم مما عند الله من الخير والشر أكثر مما نعلم، فسأل أفضل سؤال، واستعاذ بربه من أسوأ معاذ، فنحن به مقتدون في الرغبة بالخير والبعد عن الشر.

٥ - ثم سأل العبد من ربه الجنة وهي غاية المطلوب، وسأل الوسيلة إليها من الأقوال الطيبة والأعمال الصالحة.

٦ - ثم سأل الله تعالى العبد أن يجعل كل قضاء قضاه أن يكون خيرًا، ولو ظاهره ومظهره الشر، إلا أنه في حقيقة الأمر هو خير.

فإن تدابير الله تعالى كلها وفق الحكمة والمصلحة.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ

---

(١) أخرجه أحمد ١٣٤/٦، رقم ٢٥٠١٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤٧٤/٤١.

(٢) ساقه ابن ماجه في كتاب الدعاء من سننه تحت باب الجوامع من الدعاء ٣٨٤٦، كما بوّب عليه ابن حبان في صحيحه ١٥٠/٣: ذكر الأمر للمرء أن يسأل ربّه جل وعلا جوامع الخير ويتعوذ به من جوامع الشر.

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

٧ - فهذه الأدعية الشريفة علمها النبي ﷺ عائشة وفي تعليمها تعليم لأمته التي نصحها وبرها وأحسن إليها، وهي من أنفع الأدعية وأجمعها لخيري الدنيا والآخرة)[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

(٢) توضيح الأحكام ٤٥٢/٦.

الحديث رقم (١٤٩٥)

١٤٩٥- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ)). رواه الحاكم أَبُو عبد الله [1]، وقال: (حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

موجبات: موجبات جمع موجبة وهي من الحسنات التي توجب الجنة [2].

وعزائم: جمع عزيمة وهي ما وكّدت رأيك وعزمك عليه ووفيت بعهد الله فيه، وبمعنى الفريضة والواجب [3].

إثم: الإثم: الذنب وعمل ما لا يحل [4].

الغنيمة: بمعنى الفيء وبمعنى الفوز بالشيء بلا مشقة [5].

البِّر: الخير والاتساع في الإحسان والطاعة [6].

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه (كان من دعاء النبي ﷺ) يشير إلى كثرة دعائه ﷺ لأن (من) للتبعيض، وكثرة دعائه مع أنه معصوم من الخطأ موعود بالجنة، صاحب المنزلة

---

(١) (٥٢٥/١).

(٢) النهاية، المعجم الوسيط في (و ج ب)، دليل الفالحين ١٥٤٤.

(٣) النهاية في (ع ز م).

(٤) القاموس المحيط في (ب ر ر).

(٥) القاموس المحيط في (غ ن م).

(٦) القاموس المحيط في (ب ر ر).

المتفردة التي لا يشركه فيها أحد عند ربه دليل على كمال عبوديته التي تستلزم دوام الافتقار، والتذلل شكرا لله على نعمه، والنداء بصيغة (اللهم) له طبيعة خاصة يجد فيها القلب صوتا يهدهد حيرته، ويشفي غلته، ويزيده خضوعا، وخشوعا، ويقول علماء اللغة: الميم في (اللهم) بدل (يا) النداء في (يا الله) فتحذف ياء النداء في الأول، ويعوض عنها بميم في الأخير، وقيل: جعلت هذه الميم علامة على الجمع كأنه بهذا اللفظ يقول إني أدعوا الله بجميع أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله: (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك) جمع موجبة وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الرحمة أي مقتضياتها بوعدك فإنه لا يجوز الخلف فيه وإلا فالحق لا يجب عليه شيء وجمع الموجبة تكثير للخيرات، ورغبة في الاستزادة من أسباب الرحمة، وقوله: (وعزائم مغفرتك) أي مؤكداتها أو موجباتها جمع عزيمة يعني أسألك أعمالا بعزم تهب بها مغفرتك قال الراغب: العزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر (والسلامة من كل إثم) يوجب عقابا أو عتابا أو نقص درجة أو غير ذلك قال ولفظ السلامة يوحي بالراحة، والسكون، والطمأنينة (والغنيمة من كل بر) والبر: الطاعة والخير (والفوز بالجنة والنجاة من النار) سبق أنه وإن كان محكوما له بالفوز والنجاة لكنه قصد التشريع لأمته والتعليم لهم وفيه طباق بين الجنة، والنار يؤكد المعنى، ويوضح العاقبتين المطلوبة بالدعاء، والمستعاذ منها، وفي الحديث تناسب في الألفاظ، والمعاني فالموجب للرحمة، والعزيمة للمغفرة لأنه لا بد منه للمؤمن، والغنيمة للبر بالإضافة إلى ما تشير إليه كلمة الغنيمة من خير يداعب النفس، وكلمة البر التي تخصصها بنافع الخيرات في الدنيا، والآخرة، ثم كلمة الفوز التي تهدهد الخاطر بمرغوب يرتجى، وكلمة النجاة التي تريح النفس وتوحي بمرهوب يتقى وقد جعل الفوز في جانب الجنة، والنجاة بجانب النار بما يضمن تحقق محبوبين هما حصول الجنة، والخلوص من هول النار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال الله موجبات رحمته وعزائم مغفرته:

هذا واضح من قوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك"، قال ابن علان: "موجبات رحمتك" أى ما يوجبها مما رتبتها عليه من الأعمال، بوعد الصادق، كقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وعزائم مغفرتك. أى موجبات غفرانك. قال المصنف: جمع عزيمة وهى ما عزم الله على العباد أن يعطوه ليغفر لهم، قال ابن الجزري: قيل: وصوابه أن يطيعوه. قلت: ويمكن رد الأول إليه. أى يعطوه من الطاعة"[2].

ونقل الطيبي عن ابن الأثير: "موجبات رحمتك هي: جمع موجبة، وهي الكلمة التي أوجبت لقائلها الجنة وحققتها [وهي: لا إله إلا الله] وعزائم مغفرتك: "أى أسألك أعمالاً يتعزم ويتأكد بها إلى مغفرتك"[3].

قال ابن القيم: "وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هما العلم والإيمان والقرآن، وهما اتباع الرسول، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده، فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته مع

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٦-١٥٧.

(٢) دليل الفالحين، ص ١٥٤٤-١٥٤٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة، ١٨٢/٣. وانظر: النهاية في غريب الحديث، ص٩٥٩.

الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة. والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق مع الضلال والحيرة، ومثل هذا بمسافرين : أحدهما قد اهتدى لطريق مقصده، فسار آمنًا مطمئنًا والآخر قد ضلّ الطريق فلم يدر أين يتوجه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[1]، فالرحمة التي تحصل لمن حصل له الهدى هى بحسب هداه. فكلما كان نصيبه من الهدى أتم كان حظه من الرحمة أوفر، وهذه هى الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين، وهى غير الرحمة العامة بالبَرّ والفاجر.

وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[2].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "نعم العدلان ونعمت العلاوة"[3]، فبالهدى خلصوا من الضلال، وبالرحمة نجوا من الشقاء والعذاب، وبالصلاة نالوا منزلة القرب والكرامة، والضالون حصل لهم ضد هذه الثلاثة: الضلال عن طريق السعادة، والوقوع في ضد الرحمة من الألم والعذاب، والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة"[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: سؤال الله السلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر" قال ابن علان: "السلامة من كل إثم": أى

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٧.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير ٢٣٣، والحاكم ٢/٢٧٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٩٦٨٨، وانظر: الدر المنثور ٢/٧٤.

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، ٧٥١هـ، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار العدل بالإسكندرية، د. ت، ٢/١٧٢-١٧٣.

معصية، "والغنيمة" أى الإكثار، "من كل بر" أى طاعة[1]. قال ابن القيم عن خطورة الذنوب: "إن الذنوب والمعاصي تضر ولابد وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي. فما الذي أخرج الأبوين من الجنة دارِ اللذة والنعيمِ والبهجةِ والسرورِ إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه، فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدّل بالقرب بعدًا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحًا وبالجنة نارًا تلظى وبالإيمان كفرًا، وبموالاة الولي الحميد أعظم عداوة ومشاقة وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفحش، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان". فهان على الله غاية الهوان، وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوّادًا لكل فاسق ومجرم، رضى لنفسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض، كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة، حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميرًا؟[2].

ثم قال: "وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا

---

(١) دليل الفالحين ١٥٤٥.

(٢) الداء والدواء ٦٥-٦٧.

والآخرة ما لا يعلمه إلا الله ... فمنها حرمان الطاعة، فلو لم يكن عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله ويقطع طريق طاعة أخرى، فينقطع عليه بالذنب طريق ثالثة، ثم رابعة وهلم جرا، فتنقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحد منها خير له من الدنيا وما عليها، وهذا كرجل أكل أكلةً أوجبت له مرضةً طويلة منعته من عدة أكلات أطيب منها"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سؤال الله دخول الجنة والنجاة من النار:

وهذا واضح من ختام الحديث: "والفوز بالجنة والنجاة من النار"، قال ابن علان: "وفي ختم المصنف (أى النووي) بهذا الدعاء إيماء إلى أن المطلوب من الأدعية كغيرها من الأعمال، وهو بعد أداء العبودية لحق الربوبية طلب النجاة من النار ودخول الجنة". قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾[2]"[3].

قال القاسمي: "قال الرازي: بيّن تعالى أن تمام الأجر والثواب لا يصل إلى المكلف إلا يوم القيامة، لأن كل منفعة تصل إلى المكلف في الدنيا، فهى مكدرة بالغموم والهموم، وبخوف الانقطاع والزوال والأجر التام، والثواب الكامل إنما يصل إلى المكلف يوم القيامة، لأن هناك يحصل السرور بلا غم، والأمن بلا خوف، واللذة بلا ألم، والسعادة بلا خوف الانقطاع. وكذا القول في العقاب، فإنه لا يحصل في الدنيا ألم خالص عن شوائب اللذة. بل يمتزج به راحات وتخفيفات، وإنما الألم التام الخالص الباقي هو الذي يكون يوم القيامة، نعوذ بالله منه، فمن زحزح أى "أبعد" عن النار، التي هي مجمع الآفات والشرور وأدخل الجنة الجامعة للذات والسرور فقد فاز، أى حصل الفوز العظيم وهو الظفر بالبغية أى النجاة من سخط الله والعذاب السرمد، ونيل

---

(١) الداء والدواء ٨٥-٨٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) دليل الفالحين ١٥٤٥.

رضوان الله والنعيم المخلد"[١].

قال ابن رجب الحنبلي: "ومن أهم ما يسأل العبد ربَّه مغفرة ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار، وقد قال النبي ﷺ: «حَوْلَها نُدَنْدِنُ»[٢]. يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار. قال أبو مسلم الخوْلاني: ما عرضت لي دعوة فذكرت النار إلا صرفتها إلى الاستعاذة منها"[٣].

---

(١) محاسن التأويل ٤/٣١٤-٣١٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٩١٠، ٣٨٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٧٤٢، ٣١٠٣). وقال ابن الأثير: "الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ولا يفهم، وهو أوقع من الهينمة قليلًا، والضمير في حولهما للجنة والنار، أي حولهما ندندن وفي طلبهما. النهاية في غريب الحديث في (د ن د ن).

(٣) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالعبادات:

"إن العبادات هي الصلة المباشرة بين العبد وربه، وتربية على الإحساس بقرب الله وحبه"[١]، وهي من أجل الأسس التي يجدر بأهل التربية غرسها وتنميتها بالنشء المسلم، صغيرهم وكبيرهم، وكان الدعاء من أجل وأعظم العبادات التي تراءت من أحاديث الباب، والتي منها قوله ﷺ: "الدعاء هو العبادة".

فالتربية على الدعاء باب عظيم، إذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات، وانهالت عليه البركات، فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق، ورغب بالتخلي من مساوئ الأخلاق، فليلجأ إلى ربه، وليرفع إليه أكف الضراعة، ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه[٢].

والدعاء أثر تربوي جليل، فهو ثمرة المعرفة، والإيمان بمنهج القرآن وفكرته عن الكون، وشعور عميق بالعبودية والفقر والحاجة إلى الله، وضمان للنفس من الغفلة والطغيان؛ والدعاء سبيل القوة الحقة، فلا يقضي على النفس ويوردها موارد التهلكة كإحساسها بالضياع وفقدان السند المعين واليد الحانية، إنه إحساس يأتي على كل ما فيها من قوة وثقة وعزيمة على السير إلى نهاية الطريق، وهو سر ما تعانيه المجتمعات الملحدة من كثرة حوادث الانتحار وضحايا القلق والصرع والجنون، رغم ما تنعم به من متعة وراحة مادية في الحياة. وفي إحساس المؤمن بحفظ الله ورعايته، وأنه يستمع إليه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج؛ إحساس يملأ النفس سكينة وراحة، ويخلق فيها القوة الحقة والعزم والثقة.

لذا أقام المنهج التربوي الإسلامي من الدعاء دليلاً على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها؛ لذا كان من مهام دعاة التربية والتوجيه الحث على الدعاء

---

(١) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢٥٤.

(٢) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد بن إبراهيم الحمد، ٥٠٩، ٥١٠.

وملازمته منهجًا تربويًا في حياة المتربي والمتعلم.

وكان من العبادات الجليلة التي تُبنى عليها أصول التربية الإسلامية والتي تراءت من أحاديث الباب، الصلاة، وهذا ما أكده النبي ﷺ في حديث الباب من قول: طارق ابن أشيم رضي الله عنه: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة.....إلخ" وللصلاة آثار تربوية منها:

١- أن الصلاة تربية عقائدية وتربية عملية حيث الالتزام بالعمل الصالح، ولهذا فالتربية الإسلامية تستغل هذه الطريقة في تحقيق أهدافها فتعمل منذ البداية على تعويد الإنسان على أدائها سواء بالتقليد أو الإقناع أو الإجبار عليها.

٢- الصلاة تربي الإنسان خلقًا وروحًا، فهي تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على الوقت، والتعود على النظافة وطهارة الملبس.

٣- الصلاة تحفظ طاقات المسلم وتوجهها الوجهة الخيرة بدلاً من إهدارها في أشياء ضارة فهي عندما يحافظ عليها المسلم، تتجه به إلى الاستقامة وترك الملذات السيئة التي تجر الفرد التارك للصلاة، وذلك لأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، فحين يتجه الفرد لفعل الذنب يتذكر موعد وقوفه أمام الله في موعد الصلاة القادم فيترك هذا الفعل.

٤- الصلاة تربي في نفس الإنسان صفات حسنة كالتواضع إذ يقف في الصلاة مثله كمثل أي إنسان، ويؤدها مثله، ويجعل بينه وبين الآخرين علاقة طيبة ويعطف على المحتاجين" [1].

لذلك كانت الصلاة معلمًا من معالم تأسيس وتربية النشء المسلم على العبادة والصلة بالله.

ثانيًا- التربية على الهمة العالية:

إن من الأهداف التربوية التي تتضمنها أحاديث الباب، والتي يُناط بدعاة التربية والتوجيه الاهتمام بها، وغرسها في نفوس المتعلمين والمتربين، الهمة العالية، حيث وردت التربية على ذلك في حديث الباب من قوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل...إلخ".

---

(١) التربية الإسلامية مصادرها وتطبيقاتها، د. عماد محمد محمد عطية، ٨٠، ٨١.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد [١].

فإذا غرست الهمة العالية في نفوس المتربين، ارتحلت بهم في دروب الفضائل، وصعدت بهم في درجات المعالي، ومن سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، وجلالة المقصود، وسمو الهدف، وعظمة الغاية، فالهمة هي مركز السالب والموجب في شخصية المتربي، والرقيب على جوارحه، وهي الوقود الحسي والطاقة الملتهبة، التي تمد صاحبها بالوثوب إلى المعالي والمسابقة إلى المحامد، وكبر الهمة يجلب خيرًا غير مجذوذ، فيرقي المتربي إلى درجات الكمال، فيُجري في عروقه دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل. فلا يُرى إلا واقفًا على أبواب الفضل، باسطًا يديه لمهمات الأمور، ينافس الرواد في الفضائل ويزاحم السادة في المزايا.

ولله درُّ القائل:

هِمَمٌ كأن الشمس تخطب ودَّها ... والبدر يرسم في سَناها أحْرُفَا
فالله الله في الاهتمام بالهمة ... وسَلِّ سيفها في غمرات الحياة
هو الجِدُّ حتى تَفضُلَ العينُ أختها ... وحتى يكون اليوم لليومِ سيِّدا [٢]

ثالثًا: التربية على ملازمة التوبة:

إن التوبة هي حقيقة دين الإسلام والدين كله داخل في مسمى التوبة، وبهذا استحق التائب أن يكون حبيب الله. فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين [٣].

لذا كانت التربية على ملازمة التوبة من الخلال العظيمة التي يجب أن يربى عليها النشء المسلم، وهذا ما ترائى من أحاديث الباب في قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من

---

(١) رسائل التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٥١٢، ٥١٣.

(٢) لا تحزن، د. عائض القرني، ٣٧٢-٣٧٤ بتصرف يسير.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، ٣٠٦/١.

عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» وقوله ﷺ: "اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي...إلخ"، وقوله ﷺ: "اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك...إلخ".

وقد بين ابن تيمية: "أن الذنوب تنقص الإيمان، فإذا تاب العبد أحبه الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة، قال بعض السلف: "كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة" فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: "إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينيه فيعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه فيستغفر الله ويتوب إليه منها" [1].

ومن المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فمتى ما صحت التوبة في الابتداء صحت في الانتهاء، وصارت النفس تضيء بالهمة، وتتوقد إلى أن تصل إلى درجة المراغمة التي حباها الله لكثير من التائبين،والمفرطين ممن كانوا بالأمس حزبًا للشيطان وأتباعه، وهذه الدرجة لا تُعطي إلا لمن جد في الاستقامة والدعوة إلى الله والقيام له بأمره لأنه لا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [2].

لذلك من تعبد الله بمراغمة الشيطان والنفس عظم شأنه عند مولاه ورفع به الدرجات وحط عنه السيئات وأحسن له العاقبة وحسن مآب، وصاحب هذا المقام معاشر الشباب، إذا نظر إلى الشيطان ولاحظه في الذنب راغمه بالتوبة النصوح، فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى من لذة البكاء من خشية الله على ما بَدَر منه، في أيامه الأولى فيأبى عندها إلا المراغمة وعبوديتها [3].

❁ ❁ ❁

---

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/٤٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٣) تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم، عبدالمنعم العزي، ١٤٤، ١٤٥ بتصرف، نقلاً عن الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح أحمد يوسف الأنصاري، ص٧٠، ٧١.

٢٥١- باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ جَاءوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإِيمَانِ﴾[الحشر:١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿واسْتَغْفِرْ لِذنْبِكَ وَلِلْمُؤمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقال تَعَالَى إخْبَارًا عَن إبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤١].

الحديث رقم (١٤٩٦)

١٤٩٦- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

بظهر الغيب: في غيبة المدعو له وفي سره لأنه أبلغ في الإخلاص[2].

الشرح الأدبي

يدور الحديث حول معنى عظيم في بناء المشاعر الإنسانية التي تحدد العلاقات البينية بين أفراد المؤمنين بضبط حركة القلب، وتوجيهها لما فيه التحابب، المؤذن بالتكافل، والتعاون المبني على باطن نقي سليم لا ينافق، ولا يرائي، وإنما يتحرك بظاهر يوافق باطنا تقربا لله فينزل أخاه منزلة نفسه ليس فقط في تمني الخير له بل في الإيجابية في تحقيق هذا الخير عن طريق الدعاء بينه، وبين ربه، وهو من أعظم دلائل الإخلاص في القربى لله، والعلاقة الصادقة مع أخيه، ولذلك قرر هذا الحديث أن

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٦).

(٢) شرح مسلم، النووي ١٦٠٣.

الجزاء من جنس العمل ترغيبا في هذا الخلق النبيل الداعم لأسمى المشاعر الإنسانية وقد ورد المعنى في أسلوب القصر المؤكد للمعنى المستغرق للجنس تعميما للحكم في قوله (مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ) حيث قصر الدعاء بظاهر الغيب على رد الملك بالمثلية، ثم إنه قابل دعاء بشر لبشر بدعاء ملك لبشر ترغيبا في إتيان هذا العمل الذي يدل على السمو النفسي، والتقارب الوجداني، والإخلاص لله، ولفظ الأخوة مقصود به أخوة الإسلام، والتعبير بلفظ الأخوة تذكير برابطة الرحم التي تستلزم الرحمة، والمودة، والرعاية، التعبير بالظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه فدعوته مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة، وقوله (ولك بمثل) فيه التفات أي: استجاب الله دعاءك في حق أخيك، ولك بمثل أي مثل ما دعوت له من الخير.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء بظهر الغيب:

هذا واضح من الحديثين، أو الروايتين، "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل"، و"دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل".

وقال القرطبي: "إنما خص حالة الغيبة بالذكر لبعدها عن الرياء، والأغراض المفسدة أو المنقصة، فإنه في حال الغيبة يتمحض الإخلاص ويصحّ قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله ﷺ بأن له مثل ما دعا به لأخيه"[2].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٤٩٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٤٩٧).

(٢) المفهم ٦١/٧.

وقال النووي: "قوله ﷺ "بظهر الغيب" معناه في غيبة المدعو له وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص ... وفي هذا فضل الدعاء لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا لجملة المسلمين فالظاهر حصولها أيضًا، وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[١].

وقال ابن عثيمين: "الدعاء للمؤمنين بظهر الغيب من طرق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن سبيل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ومن ذلك أننا نحن كلنا يقول ندعو لإخواننا في صلاتنا بظهر الغيب، كلنا يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وهذا دعاء. وقد قال النبي ﷺ: "إنكم إذا قلتم ذلك، فإنكم قد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض"[٢]، إذن إذا قلت: "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا دعاء لإخوانك بظهر الغيب"[٣].

جاء في كتاب الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه عند ذكر آداب الدعاء: "الأدب العشرون: أن يدعو لإخوانه المؤمنين، فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٤]، وذكر عن نوح عليه السلام قوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥]، وقال عليه الصلاة والسلام: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة"[٦].

ويحسن أن يُخص بالدعاء - الوالدان والعلماء والصالحون والعبّاد ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم ... ويحسن به -أيضًا- أن يدعو

---

(١) شرح صحيح مسلم، مج٩/١٧/٥١-٥٢ ط، دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه البخاري ٨٣١، ومسلم ٤٠٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٤.

(٤) سورة محمد، آية: ١٩.

(٥) سورة نوح، آية: ٢٨.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير، كما في مجمع الزوائد ١٠/٢١٠، وقال الهيثمي: إسناده جيد

للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين وراحة للمستضعفين والمظلومين"(١).

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾(٢). قال ابن كثير: "التابعون لهم بإحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية"(٣).

وقال القاسمي: "قال الشهاب: "والمراد بدعاء اللاحق للسابق، والخلف للسلف، أنهم متبعون لهم أو هو تعليم لهم بأن يدعوا لمن قبلهم ويذكروهم بالخير اهـ ... ثم بين تعالى حال من يجيء بعدهم بأنه يثنى على من سبقه، ويدعو له ابتهاجًا بما أتوا واغتباطًا بما عملوا، لأنهم بين مهاجر عن أهله وأمواله محبة في الله ورسوله وبين محب لمن هاجر مكرم له، بل مؤثر إياه، مما أشفّ عن قوة الإيمان والإخلاص في تدعيم روابط الإيقان"(٤).

وقال الطاهر بن عاشور: "أى سألوا الله أن يطهر نفوسهم من الغل والحسد للمؤمنين السابقين، على ما أعطوه من فضيلة صحبة النبي ﷺ وما فضل به بعضهم من الهجرة وبعضهم من النصرة، فبين الله للذين جاءوا من بعدهم ما يكسبهم فضيلة ليست للمهاجرين والأنصار، وهى فضيلة الدعاء لهم بالمغفرة وانطواء ضمائرهم على محبتهم وانتفاء البغض لهم، والمراد أنهم يضمرون ما يدعون الله به لهم في نفوسهم ويرضوا أنفسهم عليه، وقد دلت الآية على أن حقًا على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير، وأن حقًا عليهم محبة المهاجرين والأنصار، وتعظيمهم"(٥).

---

(١) الدعاء: مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه. محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٤٦-٤٧.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/٧٢-٧٣.

(٤) محاسن التأويل مج ٩/١٦/ ١٠٤-١٠٥.

(٥) التحرير والتنوير مج ١١/٢٨/٩٧.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: إشاعة المحبة بين المدعوين:

وهذا واضح من بيان فضل الدعاء بظهر الغيب، فإن هذا يدفع المدعوين إلى أن يدعو بعضهم لبعض بظهر الغيب، وهذا المسلك ينفي ما قد يكون في قلوب بعضهم من غل أو حسد أو إحن الأحقاد تجاه بعضهم الآخر، ومن ثم يؤدي إلى انتشار المحبة بينهم.

قال القرطبي: "المسلم هنا هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، الذي يحب للناس ما يحب لنفسه؛ لأن هذا هو الذي يحمله حاله وشفقته على أخيه المسلم أن يدعو له بظهر الغيب، أي في حال غيبته عنه"[١].

قال ابن عثيمين: "إن الدعاء بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٢]، فإذا دعوت لأخيك بظهر الغيب بدون وصية منه كان هذا دليلاً على محبتك إياه، وأنك تحب له من الخير ما تحب لنفسك"[٣]، وقد أخرج ابن حبان حديث أنس في رواية عنده "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"[٤]، وقد بوب البخاري على حديث أنس: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٥]، قال ابن حجر: "قوله" ما يحب لنفسه"، أى من الخير، ... والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيوية والأخروية، وتخرج المنهيات، لأن اسم الخير لا يتناولها والمحبة إرادة ما يعتقده خيرًا.

قال النووي[٦]: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال، وإما لإحسانه كجلب نفع أو دفع ضرر. انتهى ملخصًا. والمراد أيضًا أن يحب أن يحصل لأخيه نظير ما يحصل له، لا عينه

---

(١) المفهم ٦١/٧

(٢) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٥٦٣/٢.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢٣٥.

(٥) صحيح البخاري، الحديث ١٣.

(٦) شرح صحيح مسلم مج١/١٣/٢، ط دار الكتب العلمية.

سواء كان في الأمور المحسوسة أو المعنوية، وليس المراد أن يحصل لأخيه ما حصل له لا مع سلبه عنه ولا مع بقائه بعينه له، إذ قيام الجوهر أو العرض بمحلين محال. وقال أبو الزناد بن سراج: ظاهر هذا الحديث طلب المساواة وحقيقته تستلزم التفضيل، لأن كل أحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثله فقد دخل في جملة المفضولين. قلت (القائل ابن حجر): أقر القاضي عياض هذا[1]، وفيه نظر، إذ المراد الزجر عن هذه الإرادة. لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يحب أن يكون أفضل من غيره. فهو مستلزم للمساواة، ويستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2]، ولا يتم ذلك إلا بترك الحسد والغل والحقد والغش وكلها خصال مذمومة.

(فائدة) قال الكرماني: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره لأن حب الشيء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء)[3].

وقد ضرب السلف المثال الرائع لحب الأخ لأخيه في الدعاء بظهر الغيب، فقد كان بعضهم "إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[4].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى"[5].

---

(١) إكمال المعلم ٢٨٢/١.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) فتح الباري ٧٤/١ ط الريان.

(٤) شرح صحيح مسلم، مج ٩/ج٥٢/١٧، ط دار عالم الكتب.

(٥) إحياء علوم الدين ٩٨٠/٢-٩٨١.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: سلامة الصدور من الشحناء:

هذا مستفاد من الحديث، فإن دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يدل على سلامة الصدر من الشحناء، وهذا من أفضل الأعمال، قال ابن رجب الحنبلي: "أفضل الأعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها، "وأفضلها السلامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطعن على سلف الأمة، وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، (أى خلو الصدر من الطعن على سلف الأمة). ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنهم يقولون: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

عن أنس أن النبي ﷺ قال لأصحابه ثلاثة أيام: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة "فيطلع رجل واحد. فاستضافه عبدالله بن عمرو، فقام عنده ثلاثًا لينظر عمله، فلم ير له في بيته كبير عمل، فأخبره بالحال، فقال له: هو ما ترى إلا أني أَبِيتُ وليس في قلبي شيء على أحد من المسلمين، فقال عبدالله: بهذا بلغ ما بلغ[2].

وفي سنن ابن ماجه عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "قيل يا رسول الله ﷺ أى الناس أفضل؟، قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقى النقي الذي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد" [3].

قال بعض السلف: أفضل الأعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للأمة وبهذه الخصال بلغ من بلغ، لا بكثرة الاجتهاد في الصوم والصلاة"[4].

وقال ابن تيمية عن فائدة الدعاء للغير: "فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٦/٣، رقم ١٢٦٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٢٤/٢٠، ١٢٥..

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩٧).

(٤) لطائف المعارف ٢٦٦-٢٦٧.

وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك كان: هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى؛ فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لاسيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1]. فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2].

فذكر - سبحانه - استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك مما أمر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات"[3].

لذا كان إقدام المسلم على الدعاء لنفسه ولإخوانه بالمغفرة ونحو ذلك دليلاً على سلامة صدره نحوهم، أو على الأقل تحمله لما يلحقه من الأذى منهم، دون ان يظهر ذلك في تعامله معهم، وهذا وإن كان أقل درجة من سلامة الصدر إلا أنه يشترك معها في النتيجة والأثر، وهو السلامة في التعامل مع غيره من إخوانه.

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

والترغيب في هذا الحديث ناشئ من بيان نتيجة الدعوة للأخ بظهر الغيب، يتضح هذا بأن من فعل ذلك فإن دعوته مستجابة كما أن الملك يقول: ولك بمثل، ومن الملاحظ أن الترغيب في الرواية الأولى جاء مصوغًا في أسلوب القصر "ما- إلا" كما أن الترغيب في الرواية الثانية جاء في صيغة الإخبار. وتفسير ذلك أن القصر جاء ليقرر أن هذا الفضل لاحق بمن يدعو لأخيه بظهر الغيب لا محالة. كما جاء الإخبار في الرواية الثانية ليقرر حقيقة مسلم بها لا تقبل أدنى شك، لأن الذي أخبر بذلك هو الصادق المصدوق ﷺ.

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠١/١، ط العبيكان، ١٣٣/١، ط ابن قاسم.

يقول القرطبي مبينًا أسلوب الترغيب: "إن الإنسان إذا دعا لإخوانه المسلمين حيث كانوا، وصدق الله في دعائه، وأخلص فيه في حال الغيبة عنهم أو عن بعضهم. قال الملك له ذلك القول. بل قد يكون ثوابه أعظم، لأنه دعا بالخير وقصده للإسلام ولكل المسلمين"[1].

(١) المفهم ٦٢/٧.

الحديث رقم (١٤٩٧)

١٤٩٧- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يقول: ((دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

ملك موكل: أي موكل مسند إليه الإتيان بما يأتي عنه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث كسابقه في الترغيب في الدعاء بظاهر الغيب بين المؤمنين بتقرير استجابة دعوة الداعي لأخيه بظهر الغيب وللداعي بمثله مما يربط هذا النفع العام بالمنفعة الشخصية التي تزيد النفس التي جبلت على حب الخير حرصا على تحصيل هذا الأجر، وقول رسول الله ﷺ (دعوة المرء المسلم) أي الشخص الشامل للرجل والمرأة (لأخيه) أي أخوة الإسلام، والتعبير بالأخوة لزيادة الترغيب في الدعاء بتذكيره بموجبات الأخوة التي تعني صلة الرحم، وقوله (بظهر الغيب) ذكر الظهر للتأكيد أي في غيبة المدعو له عنه وإن كان حاضرا معه بأن دعا له بقلبه حينئذ أو بلسانه ولم يسمعه مستجابة لخلوص دعائه من الرياء والسمعة قال الطيبي موضع بظهر الغيب نصب على الحال من المضاف إليه لأن الدعوة مصدر أضيف إلى فاعله ويجوز أن يكون ظرفا للمصدر وقوله مستجابة خبر لها وقوله: (عند رأسه) أي الداعي (ملك) جملة مستأنفة مبينة للاستجابة ولفظ الملك من الألفاظ التي تبعث الطمأنينة في النفس (موكل) أي بالدعاء له عند دعائه لأخيه كلما دعا لأخيه بخير، أو دفع شر قال الملك الموكل به

---

(١) برقم (٢٧٣٢/٨٨).

(٢) دليل الفالحين ١٥٤٦.

آمين أي استجب له يا رب دعاءه لأخيه وكلمة (موكل) توحي بالتكليف الدال على تشريف العبد الداعي لإخوانه، ولفظ (آمين) اسم فعل أمر بمعنى استجب وللفظ يوحي بفيض من الرحمة التي تبعث الطمأنينة القلبية، والراحة النفسية فقوله (ولك بمثل) فيه التفات، أي استجاب الله دعاءك في حق أخيك ولك بمثل أي: ولك مشابه هذا الدعاء وتقديم الجار والمجرور (لك) يفيد الاختصاص أو الاهتمام، قيل كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة ليدعو له الملك بمثلها فيكون أعون للاستجابة، فعلى المؤمن أن يبدأ بنفسه ويدعو لإخوانه من المؤمنين الأحياء، والأموات لعلى الله ينفع بعضهم بدعاء بعض.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوجدانية:

إن تربية الشعور وتنمية الإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، من أعظم الأهداف التربوية، والتي نوه عليها المنهج الإسلامي في تربية النشء المسلم.

فالمسلم مرهف الحس لشأن أخيه، يفرح لفرحه، ويتأثر لترحه، يساعده إن ألم به مكروه، ويسانده إن اعتلته حاجة، أو أعوزته فاقة، راسمًا بفعله ذلك أرقى وأبلغ تصور لروابط الحب والصلة في ميزان الله!!!.

والدعاء بظهر الغيب من أعظم وأوكد ما يبرهن على عظم تربية الشعور والإحساس لدى أفراد الجماعة المؤمنة، مما يكسبها في ذلك وحدة روحية، ومشاركة وجدانية، تنعكس على توثيق الروابط وحفظ المودات بين أفرادها؛ فتحصل في ذلك غاية قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[1]. أي: دعا بعضه بعضًا إلى المشاركة في ذلك[2].

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الدعاء بظهر الغيب -كهدف تربوي- في حفظ البناء الروحي والوجداني لأبناء الأمة الإسلامية، كان عليهم ما يلي:

١- الترغيب ببيان عظم الأجر من الله تعالى في ذلك، وهذا ما أوضحه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل".

٢- استجاشة العواطف الإيمانية لدى المتربي والمتعلم بإبراز أهمية دوره الديني في إعانة أفراد أمته ممن يحتاجون إلى -دعائه بظهر الغيب- كإخوانه في فلسطين والعراق ... إلخ.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٥.

٣ - التوصية والتذكير والمتابعة للمتربي والمتعلم في القيام بذلك.

ثانيًا- التربية بالترغيب:

إن من أبرز الأساليب التربوية التي وردت في حديثي الباب، الترغيب في الدعاء بظهر الغيب، حيث استجابة الدعاء وفوز الداعي بمثل دعوته.

والترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيِّرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، وذلك رحمة من الله لعباده، والترغيب هو القوة المحرضة الدافعة لفعل الخير، ووظيفته دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير، وهذا ما استخدمه النبي ﷺ من تحريض على السعي الحثيث، وتكوين القناعة في الأنفس المصحوبة بإرادة التنفيذ حول الدعاء بظهر الغيب[1].

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٢٠، ٢٢١ باختصار.

٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء

الحديث رقم (١٤٩٨)

١٤٩٨- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا، فَقَدْ أبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

أبلغ في الثناء: الثناء: المدح، وكلمة أبلغ من بالغ بمعنى لم يقصر والمعنى بالغ في أداء شكره[2].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يبدأ بالاسم الموصول الذي يدل بصلته على صاحب الصفة المذكورة في أي زمان، ومكان، وبذلك يأخذ الحكم عموما وشمولا لكل من وافقت صفته هذه الصفة، وبناء الفعل (صُنع) للمفعول يؤكد عموم الحكم، ولفظ المعروف علم على فعل الخير للغير خاصة، وهو على ذلك ضد المنكر، وهو في معناه العام يقابل المجهول دلالة على إقراره بين الناس، وعدم إنكاره، وقوله (فقال لفاعله) مترتب على ما قبله بالفاء التي تقتضي الترتيب والتعقيب إشارة إلى سرعة الرد الجميل الدال على التفاعل البناء، وقوله (جزاك الله خيرا) جملة خبرية لفظا إنشائية معنى أي قضى لك خيرا وأثابك عليه: يعني أطلب من الله أن يفعل ذلك بك وصياغتها في صورة الخبر

---

(١) برقم (٢٠٣٥). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ جيّدٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٤١٣)، وقال الحافظ في نتائج الأفكار (ق٢/٣٢١): هذا حديث صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (١٤١١).

(٢) القاموس المحيط، والمعجم الوسيط في (ب ل غ)، وتحفة الأحوذي ٢/١٦٧٩.

تأكيدا، وتفاؤلا بتحققها وكأنها صارت واقعا محققا، وهو يخبر عنه، وتنكير لفظ (خيرا) للتعظيم أي جزاك الله خيرا عظيما، وكل جزاء من الله على الخير عظيم (فقد أبلغ في الثناء) أي بالغ فيه، وبذل جهده في مكافاته عليه بذكره بالجميل وطلبه له من الله تعالى الأجر الجزيل فإن ضم لذلك معروفا من جنس المفعول معه كان أكمل، وهذا ما يقتضيه هذا الخبر لكن يأتي في آخر ما يصرح بأن الاكتفاء بالدعاء إنما هو عند العجز عن مكافأته بمثل ما فعل معه من المعروف.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الثناء على صانع المعروف:

هذا واضح من قول النبي ﷺ "من صُنِع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء"، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء"[1]. وقال عمر بن الخطاب: "لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه جزاك الله خيرًا. لأكثر منها بعضكم لبعض"[2].

وقد بوب ابن حبان على حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما: ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء للمُسدي إليه المعروف عند عدم القدرة على الجزاء، يكون مبالغًا في ثوابه[3].

وقال الصنعاني: "المعروف الإحسان، والمراد من أحسن إليه إنسان بأي إحسان فكافأه بهذا القول فقد بلغ في الثناء عليه مبلغًا عظيمًا ولا يدل على أنه قد كافأه على إحسانه بل دلّ على أنه ينبغي الثناء على المحسن"[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، ٧٠/٩، والبزار ١٩٤٤، وقال محقق صحيح ابن حبان، ٢٠٣/٨: وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو وإن كان ضعيفًا، يصلح للشواهد.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، ٧٠/٩، رقم ٦٥٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٢٠٢/٨، الحديث ٣٤١٣.

(٤) سبل السلام ٨٨٤، ط بيت الأفكار الدولية.

وقال المباركفوري: "قوله : "فقال لفاعله": أى بعد عجزه عن إثابته أو مطلقًا "جزاك الله خيرًا" أى خير الجزاء، أو أعطاك خيرًا من خَيْرىْ الدنيا والآخرة (فقد أبلغ الثناء) أى بالغ في أداء شكره"[1]، وعلل الطيبي ذلك بأنه : "اعترف بالتقصير وأنه ممن عجز عن جزائه وثنائه، ففوض جزاءه إلى الله ليجزيه الجزاء الأوفى"[2].

وقال ابن عثيمين موضحًا اختلاف نوع المكافأة باختلاف الأحوال، قال: "إذا صنع إليك إنسان معروفًا بمال أو مساعدة أو علم أو جاه أو غير ذلك، فإن النبي ﷺ أمر أن تكافئ صانع المعروف فقال: "من صنع إليكم معروفًا فكافئوه"[3]. والمكافأة تكون بحسب الحال، من الناس من تكون مكافأته أن تدعو له ولا يرضى أن تكافئه بمال. فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئًا فأعطيته مثل ما أهدى إليك رأى في ذلك قصورًا في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له. "فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه". ومن ذلك أن تقول له (جزاك الله خيرًا) إذا أعطاك شيئًا أو نفعك بشيء فقل له (جزاك الله خيرًا)، فقد أبلغت الثناء، وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيرًا كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة"[4].

قال عبدالله البسام: "فاعل المعروف ابتداء له فضل ومنة على المسدي إليه ذلك المعروف، سواء أكان معروفًا ماديًا أو معنويًا.

لأن الابتداء بالإحسان يدل على نفس كريمة لصاحبه، ومحبة للخير والإحسان، فمن حسن الأدب وكمال المروءة، وطيب المقابلة أن يكافئه المحسن إليه على إحسانه ومعروفه، وأن لا يهمله ويتركه، فإنه من الجفاء وبلادة الطبع.

---

(١) تحفة الأحوذي ١٦٧٩/٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٨٥/٦.

(٣) أخرجه أبو داود١٦٧٢ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه" فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، وقد صححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٦٨).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٥/٢.

فإذا لم يجد المحسن إليه من الأشياء المادية ما يكافئ بها المحسن، فليدع له وليشكره، ومن أفضل ألفاظ الدعاء والشكر، قوله: "جزاك الله خيرًا" فإن هذا أبلغ الثناء. ذلك أن الجزاء إذا كان من الله تعالى كان عظيمًا، فإن جزاء الله وعطاءه لا نهاية له، ولفظ "الخير" كلمة طيبة تشمل خيرى الدنيا والآخرة"[١].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: نشر فضيلة الشكر بين المدعوين:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن من قال لمن صنع له معروفًا جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء عليه، ولا شك أن هذا حث للمدعوين على شكر صانعي المعروف، بالفعل والقول، ومما يؤكد هذا الهدف أن النبي ﷺ جعل من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فقال ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[٢].

قال الطيبي: قال البيضاوي: "هذا إما لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤديًا شكر أنعمه.

أو لأن من أخل بشكر من أسدى إليه نعمة من الناس -مع ما يرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء وتأذيه بالإعراض والكفران- كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران"[٣]. وهو الله سبحانه وتعالى فلا يضره كفر به ولا ينفعه شكر له، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا.

وهذا النبي ﷺ يرشد المهاجرين إلى طريق مكافأة الأنصار الذين أحسنوا مواساة المهاجرين بأموالهم وأنفسهم، وذلك عن طريق الثناء عليهم والدعاء لهم، عن أنس بن مالك قال: «لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ

---

(١) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٥٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٢).

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٦/١٨٥-١٨٦.

كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَأ[١]، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: الاَ. مَا دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[٢].

قال الطيبي: "قوله (الأجر كله)، يعني إذ حملوا المشقة والتعب على أنفسهم وأشركونا في الراحة والمهنأ فقد أحرزوا المثوبات فكيف نجازيهم؟ وأجاب: (لا): أى ليس الأمر كما زعمتم، فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرًا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم[٣].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: يا رسول الله: لقد سمعت فلانًا وفلانًا يحسنان الثناء يذكران أنك أعطيتهما دينارين، قال: فقال النبي ﷺ لكن والله فلانًا ما هو كذلك، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة. فما يقول ذاك. أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها. يعني: تكون تحت إبطه، يعني نارًا. قال عمر: يا رسول الله لم تعطيها إياهم؟ قال: «فما أصنع؟ يأبون إلا ذاك ويأبى الله لي البخل»[٤].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن ترك ثناء المرء على أخيه المسلم إذا أولاه شيئًا من المعروف[٥]، وذكر الإخبار عما يجب على المرء من الشكر لمن أسدى إليه نعمة[٦].

وقال عبدالله البسام: "وإذا كان مكافأة المخلوق المحسن مستحبة وجميلة، وهو ليس له من المعروف والإحسان إلا أنه سبب، وإنما المعطي هو الله تعالى، فكيف يكون وجوب شكر المنعم الأول، وصاحب النعم العظمى والهبات الكبرى، الذي لا ينقطع مدده ولا يتوقف إحسانه.

---

(١) المهنأ هو ما يقوم بكفاية الرجل وإصلاح معاشه، يريد به ما أشركوهم فيه من زروعهم وثمارهم، كما في شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤٨٧. وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٢٠).

(٣) شرح الطيبي ١٨٦/٦.

(٤) أخرجه أحمد ٤/٣، رقم ١١٠٠٤، وقال محققو المسند إسناده صحيح ٤٠/١٧.

(٥) الحديث ٣٤١٢.

(٦) الحديث ٣٤١٤.

فالواجب أن يكون دائم الشكر لله تعالى على إحسانه وامتنانه، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]. والمراد هنا كفر النعم وجحدها بعدم أداء الشكر فيها اعتقادًا وقولاً وعملاً"[2].

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٢) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

الحديث رقم (١٤٩٩)

١٤٩٩- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَلاَ تَدعُوا عَلَى أوْلادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أموَالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسألُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ساعة: والساعة في الأصل تطلق بمعنيين أحدهما: أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزء هي مجموع اليوم والليلة، ثانيهما: جزء من أجزاء الوقت والحين وإن قل[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يحذر، وينهى عن الدعاء على الأولاد، والأموال لأن الدعاء سيف قد يمضيه الله على الرقاب لو وافق ساعة إجابة فيكون ضرره على صاحبه وما يتعلق به من أولاده، وماله، ولذلك جاء نهي الرسول ﷺ في هذا الحديث متصدرا، وقد تكرر النهي بـ(لا تَدْعُوا) مع كل واحد من المنهي عن الدعاء عليهم دلالة على استقلال النهي بالحكم في كل واحد، وقد بدأ بالنهي في قوله (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ) وبدأ بالنهي عن الدعاء على النفس؛ لأنها أخص ما للإنسان تحذيرا مما يعرض للضرر المباشر، واتصال الفعل (تدعوا) بواو الجماعة، واتصال النفس بكاف الخطاب، وميم الجمع تعميم للخطاب يشير إلى عظمة الأمر، وأنه من الأهمية بحيث لا يختص بشخص دون شخص وقوله: (وَلاَ تَدعُوا عَلَى أوْلادِكُمْ) لأنه الهم بعد النفس،

---

(١) برقم (٣٠٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٦١).

(٢) النهاية، والمعجم الوسيط في (س و ع).

والضر الذي يلق بهم يتأثر به والديهم، وقوله (وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَموَالِكُمْ) النهي يشمل الدعاء على كل ألوان الأموال من الدواب، وغيرها، وقوله (لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ) تحذير من توافق الدعاء مع وقت استجابة يترتب عليه تحققها فيضر بها نفسها أو أهله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال.

ثانيًا: من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهى عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال:

هذا واضح من الحديث: "لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجب لكم".

قال الطيبي: "أى لا تدعوا على أنفسكم ولا أولادكم كى لا توافقوا ساعة الإجابة فتندموا"[1].

وقال ابن عثيمين: "لأنه ربما يصادف ساعة إجابة فتجاب، وهذا يقع كثيرًا عند الغضب إذا غضب الإنسان ربما يدعو على نفسه وربما يدعو على ولده، ويقول: قاتلك الله، قتلك الله.. وما أشبه ذلك حتى إن بعضهم يدعو على ولده باللعنة، ونسأل الله العافية. وكذلك نجد بعضهم يدعو على أهله، على زوجته على أخته، ربما دعا على أمه والعياذ بالله مع الغضب. وكذلك أيضًا يدعو على ماله، يقول مثلاً على سيارة اختلفوا عليها: الله لا يبارك في هذه السيارة، أو في هذه الدار، أو هذا الفراش، وما أشبه ذلك. كل ذلك نهى النبي ﷺ أن ندعو عليه، لأنه ربما صادف ساعة إجابة، فإذا صادف ساعة إجابة فإنه يستجاب. لو قلت لولدك: تعال لماذا فعلت كذا؟ الله لا يوفقك، الله لا يربحك، الله لا يصلحك، فتصادف ساعة إجابة، كل هذا حرام

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٤/٣٠٥.

لا يجوز، لأنه ربما صادف ساعة إجابة. كذلك المال: المال الذي يتعاكس عليك، السيارة أو الشغل في البيت، أو غير ذلك لا تدعُ عليه. لكن قل: اللهم يسر الأمر، اللهم سهل حتى يحصل التسهيل والتيسير"[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[٢].

"أي ويدع المرء المتضجر على نفسه وولده، مثل دعائه بالخير لنفسه وولده، وهذا من عجلة الإنسان أن يسأل الشر كما يسأل الخير، وهذا من الاعتداء في الدعاء"[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"، فضجّ ناس من أهله، فقال: «لا تَدْعُوَ على أَنْفُسِكُمْ إلاَّ بِخَيْرٍ، فإنَّ الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى ما تقولونَ»، ثم قالَ: «اللهمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ واخْلُفْهُ في عَقِبِهِ في الغابرينَ واغْفِرْ لَنَا ولهُ يا ربَّ العالمينَ، اللهمَّ افْسِحْ لَهُ في قَبْرِهِ ونَوِّرْ لَهُ فيهِ»[٤].

قال عبدالله البسام: "لعل بعض آل أبي سلمة أتوا عند وفاته وفعلوا ما اعتادوا أن يفعلوه في الجاهلية من قولهم: واويلاه واثبوراه، ونحوه، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير"[٥].

وقال بكر بن عبدالله أبو زيد: "ودعاء الكفار على المسلمين ظلم واعتداء فلا يستجاب. ولهذا قال البخاري في صحيحه: باب قول النبي ﷺ: يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا" وساق حديث عائشة رضي الله عنها أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، قال: وعليكم. فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: مهلاً ياعائشة. عليك بالرفق وإياك العنف، أو الفحش، قالت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلتُ؟ رددت عليهم فيستجاب

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٦٥.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١١.

(٣) تصحيح الدعاء، بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٦٣.

(٤) أخرجه مسلم، ٩٢٠.

(٥) توضيح الأحكام ٢/٤٨٠.

لي فيهم ولا يستجاب لهم فيّ"[١].

قال الحافظ ابن حجر في شرح الترجمة المذكورة[٢]: "أى لأنا ندعو عليهم بالحق وهم يدعون علينا بالظلم" انتهى، وقال: ويستفاد منه: أن الداعي إذا كان ظالمًا على من دعا عليه لا يستجاب دعاؤه، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾[٣]، انتهى"[٤].

ثانيًا - من آداب المدعو: الرفق بالنفس والأولاد والأموال:

هذا واضح من الحديث، والحديث فيه قصة لعلها تزيد الأمر وضوحًا، قال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: سرنا مع رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ بَطْنِ بُواطٍ وهو يطلب المجدي بن عمرو الجُهَنيّ وكان الناضح[٥] يَعْقُبه[٦] منا، الخمسة والستة والسبعة، فدارت عُقبة رجلٍ من الأنصار على ناضح له[٧] فأناخه فركبه، ثم بعثه فتلدّن عليه[٨] بعض التلدن؛ فقال له: شَأ[٩]؛ لعنك الله فقال رسول الله ﷺ: «مَن هذا اللاعنُ بعيره»؟ قال: أنا يا رسول الله؛ قال: «أنزل عنه فلا تصحبنا بملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»[١٠].

ففي هذا النهى من النبي ﷺ إرشاد لأن يرفق المدعو بنفسه وأولاده وماله، فلا

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٠١، ومسلم ٢١٦٥، واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري ١١/٢٠٠، ط السلفية.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٤.

(٤) تصحيح الدعاء ٦٤.

(٥) الناضح: الدابة يستقي عليها. الوسيط ٩٢٨.

(٦) أى يتعاقبونه في الركوب واحدًا بعد واحد، النهاية في غريب الحديث، ٦٢٨.

(٧) يقال: دارت عقبة فلان، أى جاءت نوبته ووقت ركوبه. النهاية ٦٢٨.

(٨) أى: تلكأ وتمكث ولم ينبعث. النهاية ٨٣٣.

(٩) كلمة زجر للبعير. انظر: شرح صحيح مسلم، مج٩/١٨/١٣٣، ط دار عالم الكتب.

(١٠) أخرجه مسلم ٣٠٠٩.

يتعجل ويدفعه الغضب إلى الدعاء عليهم. بل عليه أن يتحلى بالحلم والأناة والرفق، فلا يدعو إلا بالخير والتيسير، وليقل: "اللهم يسر الأمر، اللهم سهل"[١] وليدعُ بالهداية والرشاد لنفسه وأولاده.

ولعل من هذا القبيل، ما رواه أنس بن مالك: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ لاَ تُطِيقُهُ ـ أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلاَ قُلْتَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُ. فَشَفَاهُ"[٢].

قال النووي: "في الحديث كراهة تمنى البلاء، لئلا يتضجر منه ويسخطه وربما شكا"[٣]. فكان هذا التوجيه النبوي الشريف لأجل أن يرفق المدعوون بأنفسهم فلا يتعجلوا العقوبة في الدنيا.

ولعل أيضًا من قبيل رفق المدعو بنفسه، نَهْيُ النبي ﷺ عن تمني الموت بسبب الضر الدنيوي الذي ينزل بالنفس، لأن في هذا حرمانًا للنفس من خير كثير وإن بدا للمدعو عكس هذا الأمر. قال النبي ﷺ: "لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد متمنيًا للموت. فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي"[٤]، قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي في شرحه لهذا الحديث: "هذا نهى عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض أو فقر أو خوف أو وقوع في شدة ومهلكه أو نحوها من الأشياء، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد منها:

أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر والقيام بوظيفته والتضجر ينافي ذلك.

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين ١٥٦٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٨٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، مج ١٥/١٧/٩، ط دار عالم الكتب.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٥١، ومسلم ٢٦٨٠.

ومنها أنه يضعف النفس ويحدث الخور والكسل ويوقع في اليأس. والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور والسعى في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها والسعى النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق، فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت، فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيام بها. وبقية عمر المؤمن لا قيمة له. فكيف يتمنى انقطاع عمل، الذرة منه خير من الدنيا وما عليها؟!

وخص من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه، فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: النهي مع التعليل:

لقد علل النبي ﷺ نهيه عن الدعاء على النفس أو الأولاد أو الأموال، بأن ذلك الدعاء قد يوافق ساعة استجابة من الله عز وجل، فيستجيب سبحانه وتعالى الدعاء؛ فيندم الإنسان بعد ذلك أشد الندم، لكونه استجاب (أي الإنسان) لغضبه، فدعا بما هو في الحقيقة ضرر له، فإن الضرر اللاحق بالولد أو المال كالضرر يلحق بالنفس، كلاهما يصيب المرء بالأذى والتضجر والتسخط فضلاً عن الندم والحسرة.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص٢٥١-٢٥٢، شرح الحديث رقم ٧٧ نقلًا عن الدعاء مفهومه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٠-٧١.

الحديث رقم (١٥٠٠)

١٥٠٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يقرر هذا الحديث أن العبد في تقلبه في حياته بين قرب من ربه بطاعة، وبعده عنه بمعصية، ويقرر أن ساعات القرب لا تتساوى في القرب فبعضها أقرب من بعض ويشير إلى أن أقرب هذه المواطن هو موطن السجود الممثل لقمة الذل لله في الظاهر على الهيئة، وفي الباطن بالخضوع، والخشوع، وألفاظ الحديث على قصره تفيض بتلك العلاقة الحنونة بين العبد وربه في لحظة القرب تفيض نفسه بما يخالجها من أمنيات، ويبثه ما تجد نفسه من هموم، وأحزان، غير أن هذا الحديث يتميز عن سابقه بتصديره بصيغة التفضيل (أقرب) ومن طبيعة أفعل التفضيل أنها تشير إلى اشتراك شيئين في أصل المعنى وتفوق أحدهما على الآخر، ومعناه أن العبد الصالح في كل أوقاته قريب من ربه، وأنه في هذا الموضع أقرب وتعريف العبد باللام إشارة إلى كمال الصفة فيه أي الكامل العبودية لله، وإضافة الرب للضمير العائد على العبد فيه تشريف للعبد وقوله (وهو ساجد) جملة حالية تفيد الثبوت، والدوام أي أنه في أكثر اللحظات قربا ما دام ساجدا لله، وقوله (فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) الفاء للتعليل والأمر نصح، وإرشاد وحث وترغيب على استثمار فرصة القرب بكثرة الدعاء لأن الدعاء يحقق غرض العبد في الدنيا، والآخرة؛ لأنه يتضمن خضوعا، وتذللا لله، وافتقارا، واعترافا بالذل، والحاجة، كما أنها تحقق مصلحة العبد بقضاء حاجته، وتفريغ همومه بين يدي ربه.

---

(١) برقم (٤٨٢/٢١٥)، وتقدم برقم (١٤٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٢).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل السجود لله:

هذا واضح من قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"، فدل ذلك على فضل السجود، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه ما يدل على استحباب الدعاء في السجود، وفيه ما يدل على أن قرب العبد من ربه، إنما هو عند انتهائه في التواضع إلى غاية وسعه، فإن حالة سجود العبد هي غاية ما يناله وسعه من الخضوع بين يدي ربه"[1]. وقال ابن القيم: "أما القرب فلا يقع في القرآن إلا خاصًا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة:

فالأول: كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[2].

والثاني: قوله ﷺ: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"[3]، و"أقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل"[4]. فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون صمًا ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[5].

فهذا قرب خاص بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ٧٢/٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٢.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٩٢، ومسلم ٢٧٠٤.

الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًا من محبوب بينه وبينه مفاوز تنقطع فيها أعناق المطى، ويجده أقرب إليه من جليسه. كما قيل:

ألا رب من يدنو ويزعم أنه يحبك والنائي أحب وأقرب

وأهل السنة أولياء رسول الله، وورثته، وأحباؤه، الذين هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها: يجدون نفوسهم أقرب إليه وهم في الأقطار النائية عنه من بعض جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من بعض جيرانها ومن حولها. هذا مع عدم تأتي القرب منها فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء وهو مستو على عرشه؟. وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة معطل بعيد من الله خلى من محبته ومعرفته.

والقصد: أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حبا ازداد قربا فالمحبة بين قربين: قرب قبلها وقرب بعدها وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها ودعت إليها، ودلت عليها، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها"[1].

وقال ابن القيم: كذلك في معرض ذكره لمذهب طائفة من العلماء في ترجيح أن التائب إلى الله توبة نصوحًا أفضل من المطيع الذي لم يعصه، قال:

"الوجه الثالث: أن عبودية التوبة فيها من الذل والانكسار والخضوع والتملق لله والتذلل له ما هو أحب إليه من كثير من الأعمال الظاهرة وإن زادت في القدر والكمية على عبودية التوبة فإن الذل والانكسار روح العبودية ومخها ولبها يوضحه:

الوجه الرابع: أن حصول مراتب الذل والانكسار للتائب أكمل منها لغيره، فإنه قد شارك من لم يذنب في ذل الفقر والعبودية والمحبة، وامتاز عنه بانكسار قلبه بالمعصية والله سبحانه أقرب ما يكون الى عبده عند ذله وانكسار قلبه كما في الأثر الإسرائيلي "يا رب أين أجدك" قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي"[2] ولأجل هذا كان

---

(١) مدارج السالكين ٢/٦١٣-٦١٤.

(٢) كتاب الزهد لأحمد بن حنبل، ٧٥.

أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، لأنه مقام ذل وانكسار بين يدي ربه"[١].

وقد ورد في فضل السجود لله أحاديث منها:

«إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدة فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي فيقول: يا ويله أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنةُ، وأُمرت بالسجود فأبَيت فلي النار»[٢].

وقال ربيعة بن كعب رضي الله عنه: قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته. فقال لي: سل. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: أو غير ذلك؟ قلت هو ذاك. قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود"[٣].

وقال النبي ﷺ: "عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة"[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[٥]، قال النووي: "إن السجود غاية التواضع والعبودية لله، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن"[٦].

وقال الطيبي: "فلا يزال العبد يترقى بالمداومة على السجود درجة فدرجة حتى يفوز بالقدح المعلى من القرب إلى الله سبحانه وتعالى"[٧].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الإكثار من الدعاء في السجود:

هذا واضح من الحديث: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء" قال النووي: "فيه الحث على الدعاء في السجود"[٨].

---

(١) مدارج السالكين ٥٢٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ٨١.

(٣) أخرجه مسلم ٤٨٩.

(٤) أخرجه مسلم ٤٨٨.

(٥) سورة العلق، آية: ١٩.

(٦) شرح صحيح مسلم، مج٢/٤/٢١٤ ط دار عالم الكتب.

(٧) شرح الطيبي على المشكاه ٣٤٤/٢.

(٨) شرح صحيح مسلم مج٢/٤/٢٠٨.

قال ابن حجر: "الأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل على تكثير الطلب لكل حاجة. كما جاء في حديث أنس: «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله» أخرجه الترمذي[١]. ويشمل التكرار للسؤال الواحد والاستجابة تشمل استجابة الداعي بإعطاء سؤله واستجابة المثنى بتعظيم ثوابه"[٢].

وقد قال ﷺ: « أَلاَ وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، وَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ. فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[٣].

قال الصنعاني: "الحديث دليل على مشروعية الدعاء حال السجود بأي دعاء كان، من طلب خيرى الدنيا والآخرة والاستعاذة من شرهما وأنه محل الإجابة"[٤]، قال القرطبي المفسر: "قال علماؤنا: وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذلة، ولله غاية العزة، وله العزة التي لا مقدار لها، فكلما بعدت من صفته قربت من جنته، ودنوت من جواره في داره"[٥].

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ في دعائه في سجوده، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"[٦].

قال عبدالله البسام: "الذكر في غاية المناسبة طافية من التذلل والتضرع لله تعالى، وتنزيهه تعالى عن النقائص والعيوب وإثبات المحامد له، ثم بعد هذا كله سؤاله المغفرة، هذا والعبد في غاية الذل والخضوع لله تعالى راكعًا وساجدًا"[٧].

---

(١) سيأتي تخريجه قريبًا، وهو حديث ضعيف.

(٢) فتح الباري ٢/٣٥٠، ط الريان.

(٣) أخرجه مسلم ٤٧٩.

(٤) سبل السلام ٢٠٣ ط بيت الأفكار الدولية.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، مج١٠/٢٠/١٢٨.

(٦) أخرجه البخاري ٨١٧، ومسلم ٤٨٤.

(٧) توضيح الأحكام ٢/٦٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: "اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره"(١).

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ. وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ. وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ. لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ. أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٢).

شرح ابن عثيمين: "أقرب ما يكون الإنسان من ربه وهو ساجدٌ، وذلك لأنه في السجود كمال الخضوع لله عز وجل. لأنك تضع أشرف أعضائك وأعلى أعضائك تضعها في الأسفل في موضع الأقدام تعظيمًا للرب عز وجل فيأبى الله تعالى إلا أن يقرب منك في هذا الحال، وأنت تقرب من ربك، فأكثروا من الدعاء وأنتم سجود في الفرائض والنوافل، أكثر من الدعاء في أمور الدنيا وأمور الآخرة، كله خير، حتى لو كنت تدعو الله في أمور الدنيا وأنت ساجد فهو خير، لأن الدعاء نفسه عبادة، لو قلت: اللهم كثر مالي، اللهم هيئ لي سكنًا جميلاً، اللهم هيئ لي سيارة مريحة، وما أشبه ذلك فلا بأس به. ولو كان في الفريضة اللهم اغفر لي ولوالدى. لأن الدعاء عبادة، فأى شيء تدعو به الله فإنه عبادة، أى شيء، حتى جاء في الحديث: "ليسأل أحدكم ربه حتى شراك نعله"(٣)، شراك النعل: شيء زهيد ولكن تسأل الله كل شيء، لأن كل شيء تسأله الله فهو عبادة لك، ثم اعلم أنك إذا سألت الله فإنك رابح في كل حال، لأنه إما أن يعطيك ما تسأل أو يصرف عنك من السوء ما هو أعظم، أو يدخر ذلك لك عنده يوم القيامة أجرًا، فمن دعا الله تعالى فإنه لا يخيب"(٤).

---

(١) أخرجه مسلم ٤٨٣.

(٢) أخرجه مسلم ٤٨٦.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٦٠٤/م٨، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ» وضعفه الترمذي كما ضعفه الألباني، والشسع: سير يمسك النعل بأصابع القدم. والشراك: سير النعل على ظهر القدم. المعجم الوسيط، ٤٨٠، ٤٨١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٦٦/٢.

الحديث رقم (١٥٠١)

١٥٠١- وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعَوتُ رَبِّي، فَلَمْ يستَجب لِي)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي روايةٍ لمسلمٍ[٢]: ((لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ، أَوْ قَطيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)) قيل: يَا رسولَ اللهِ مَا الاستعجال؟ قَالَ: ((يقول: قَدْ دَعوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أرَ يستَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ما لم يعجل: ما لم يستعجل الإجابة[٣].

فيستحسر: يمل وينقطع[٤].

الشرح الأدبي

في الحديث براعة استهلال من حيث البداية بلفظ البشارة، (يستجاب) وبناء الفعل للمفعول للعلم به وهو الله تعالى، لفظ (يستجاب) يوحي بتحقق الطلب وبلوغ الأرب، وهو من هوى النفس، وطبيعتها يحقق الترقب، والتشويق لما بعده، وقوله (لأحدكم) أي كل واحد منكم إذ اسم الجنس المضاف يفيد العموم على الأصح قوله (ما لم يعجل) المعنى أنه يسأم ويترك الدعاء فيكون كالمان بدعائه أو إنه يأتي من الدعاء بما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقوله (يقول: قَدْ دَعوْتُ) حكاية قول الداعي بيان لموضع الخطأ، وتوكيد الفعل بقد مع

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥/٩٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٢) برقم (٢٧٣٥/٩١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٦).

(٣) ينظر فتح الباري، ١٩٧/٨.

(٤) النهاية في (ح س ر)، شرح مسلم، النووي ١٦٠٤.

صياغته في الماضي يوحي بيأسه لعدم تحقق الإجابة مع سبق تحقق الدعاء وهو ما يوحي بعدم جدوى عمله -في نظره- وقوله (فلم يستجب لي) وهو إما استبطاء، أو إظهار يأس، وكلاهما مذموم أما الأول فلأن الإجابة لها وقت معين كما ورد أن بين دعاء موسى وهارون على فرعون، وبين الإجابة أربعين سنة، وأما القنوط فلا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون مع أن الإجابة على أنواع منها تحصيل عين المطلوب في الوقت المطلوب، ومنها ادخاره ليوم يكون أحوج إلى ثوابه، ومنها وجوده في وقت آخر لحكمة اقتضت تأخيره، ومنها دفع شر بدله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم.

ثالثًا: من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: عدم الاستعجال في إجابة الدعاء:

هذا واضح من الحديث: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي" وكذلك الرواية التي عند مسلم، قال النووي: "فيه أنه ينبغي إدامة الدعاء ولا يستبطئ الإجابة"[1].

وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن استعجال المرء إجابة دعائه إذا دعا[2]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: المعنى أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمانّ بدعائه، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء، وقد وقع في رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي هريرة عند مسلم والترمذي[3]: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل. قيل: وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر

---

(١) شرح صحيح مسلم مج٩/١٧/٥٤، ط دار عالم الكتب.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/٢٥٦، ٩٧٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء". ومعنى قوله "يستحسر"، وهو بمهملات، ينقطع. وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أنه يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة لما في ذلك من الانقياد والاستسلام، وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة[1]. قال الداودي: يخشى على من خالف وقال: قد دعوت فلم يستجب لي أن يحرم الإجابة، وما قام مقالها من الادخار والتكفير انتهى"[2].

قال أبو العباس القرطبي: (والقائل: قد دعوت، فلم أر يستجاب لي، ويترك -قانطًا- من رحمة الله، وفي صورة الممتن بدعائه على ربه، ثم إنه جاهل بالإجابة، فإنه يظنها إسعافه في عين ما طلب، فقد يعلم الله تعالى: أن في عين ما طلب مفسدة، فيصرفه عنها، فتكون إجابته في الصرف، وقد يعلم الله أن تأخيره إلى وقت آخر أصلح للداعي، وقد يؤخره؛ لأنه سبحانه يحب استماع دعائه، ودوام تضرعه، فتكثر أجوره حتى يكون ذلك أعظم وأفضل من عين المدعو به لو قضى له، وقد قال ﷺ: «مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إلاَّ كَانَ بَيْنَ إحْدَى ثَلاَثٍ، إمَّا أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ، وَإمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ»[3]. ثم بعد هذا كله فإجابة الدعاء -وإن وردت في مواضع من الشرع مطلقة- فهي مقيدة بمشيئته، كما قال تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[4])[5].

وقد اعتبر ابن القيم استعجال الاستجابة من الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه، فقال: "ومن الآفات التي تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء وهو بمنزلة من بذر بذرًا أو غرس غرسًا، فجعل

---

(١) نقل ابن القيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: إني لا أحمل همّ الإجابة، ولكن همّ الدعاء. فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه، الداء والدواء ٢٤.

(٢) فتح الباري ١١/١٤١، ط السلفية.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٧٣، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٨٢٧).

(٤) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٥) المفهم ٧/٦٣

يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله"[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: عدم الدعاء بالإثم أو قطيعة الرحم:

وذلك لأن الدعاء بإثم أو قطيعة رحم يمنع من استجابة الدعاء، ودليل ذلك قوله ﷺ: "لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم".

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: إشعار العبد بأن الله سبحانه يجيب كل داع على الإطلاق؛ إلا أنه قد يكون سوء اختيار الداعي ما لا يرضى الله، لفضله أن يجعله تبعًا لسوء ذلك الاختيار، فيكون إما أن يدعو بإثم قد شرع الله فيما أوجب على عبده ألا يأتيه، فكيف يصلح لعبد أن يسأل الله سبحانه أن يُؤْتِيَه ما هو نهي عنه؛ أو يكون قد أداه سوء اختياره إلى طلب الأدنى بدلاً من الذي هو خير؛ فيكون من نظر الله له ان لا يسرع إجابته، أو يكون قد دعا عبد على عبد، وقد دعا ذلك المدعو عليه على الداعي عليه، فترتفع الدعوتان إلى الله عز وجل فيتعارض السؤالان، فيكون من جود الله سبحانه وفضله ألا يرد هذا ولا هذا؛ ولكن يترفق بهما معًا إلى أمد: إما بأن يصلح بينهما أو يؤخرهما ليصطلحا، فترديد الخصوم يفضي إلى صلحهم، أو يكون حين دعا الداعيان أحدهما أرحم وأرفق بالآخر، فيسرع إجابة الأرفق والأرحم نظرًا منه سبحانه لهما كليهما؛ أو يدعو والد على ولده في غيظة أو ضجره، فيؤخر الله إجابته عالمًا سبحانه من الوالد أنه سيشكر بعد قليل ترك الإجابة.

فإذا غفل الداعي عن حكمة الله تعالى التي هذه الوجوه التي ذكرناها بعضها وجزء منها، فنسب تأخير الدعاء إلى ما يناسب سوء اختياره ولا يناسب جود الله وحكمته، فطفق يقول لنفسه أو لغيره: دعوت فلم يستجب لي، مثريًا[٢] بذلك لجهله"[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: "إن إجابة الدعاء لابد لها من شروط في الداعي، وفي الدعاء، وفي الشيء المدعو به، فمن شرط الداعي بأن يكون عالمًا بأنه لا قادر على

---

(١) الداء والدواء ١٣.

(٢) المثرب: القليل العطاء، وبالتشديد: المخلّط المفسد، القاموس المحيط، ٦٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٢٤٥، ٢٤٦.

حاجته إلا الله تعالى، وأن الوسائط في قبضته، ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة، وحضور قلب، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، كما قدمناه، وألا يحل من الدعاء فيتركه ويقول: قد دعوت فلم يستجب لي كما قال في الحديث.

ومن شروط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا، كما قال: ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في قطيعة الرحم جميع حقوق المسلمين، ومظالمهم. وقد بينا أن الرحم ضربان: رحم الإسلام، ورحم القرابة"[١].

"ومثل الدعاء بالإثم: كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنًا للخمر أو أن يميته الله كافرًا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور. الدعاء بقطيعة الرحم. كأن يقول: اللهم فرق بين فلان وأمه أو أقاربه أو زوجته أو يقول: "اللهم فرق شمل المسلمين وخالف بين كلمتهم"[٢]، ولا شك أن الدعاء بمثل هذه الأشياء نوع من أنواع الإثم، "فلا يستجاب له لأن الدعاء بالإثم ظلم، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٣]"[٤]، ومن ناحية أخرى، فإنه لكي "يكون الدعاء مقبولاً عند الله - فلابد أن يكون في الخير بعيدًا عن الإثم وقطيعة الرحم"[٥].

ثالثًا - من آداب المدعو: المداومة على الدعاء وعدم تركه:

وهذا واضح من الحديث: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي. فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ». قال النووي: "قال أهل اللغة يقال: حسر واستحسر إذا أعيا وانقطع عن الشيء، والمراد هنا أنه ينقطع عن الدعاء"[٦]. قال

---

(١) المفهم ٢/٦١، ٦٢.

(٢) الدعاء "مفهومه وأحكامه وأخطاء تقع فيه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٧٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٢١، ١٣٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٨.

(٥) الدعاء مفهومه ... ٣١.

(٦) شرح صحيح مسلم مج ٩/١٧/٥٤، ط دار عالم الكتب.

الطيبي: "قال المظهر: من كان ملاله من الدعاء لا يقبل دعاؤه؛ لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة، أو لم تحصل، فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها؛ فإن لكل شيء وقتًا. وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا. ليعطي عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليلح، ويبالغ فيها، فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء"[1].

قال القرطبي: "وفائدة هذا: استدامة الدعاء، وترك اليأس من الإجابة، ودوام رجائهما، واستدامة الإلحاح في الدعاء؛ فإن الله يحث الملحين عليه في الدعاء، وكيف لا؟ والدعاء مخ العبادة وخلاصة العبودية"[2].

وقال ابن حجر: "قال ابن الجوزي: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض"[3].

قال بكر بن عبدالله أبو زيد: "الاستحسار: ترك الدعاء تعبًا وملالاً، قال الله تعالى في مدح ملائكته: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[4]". لا يستحسرون: أى لا يتعبون. وذكر الزبيدي في تاج العروس[5]: وفي الحديث: ادعوا الله ولا تستحسروا، أى لا تملوا..انتهى. والأحاديث في النهى عن استبطاء الإجابة دالة على النهى عن الاستحسار"[6].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣٠٤/٤.

(٢) المفهم ٦٣/٦.

(٣) فتح الباري ١٤١/١١، ط السلفية.

(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.

(٥) تاج العروس ١٢/١١.

(٦) تصحيح الدعاء ٦٧.

الحديث رقم (١٥٠٢)

١٥٠٢- وعن أَبي أمامة ﷺ قَالَ: قيل لِرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: ((جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو أُمامة الباهليُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧٣).

غريب الألفاظ:

جوف الليل الآخر: أي ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل[2].

دبر الصلوات المكتوبات: بعد الصلوات الواجبات المفروضات[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (قيل) تجاوز عن ذكر الفاعل للجهل به أو لعدم تعلق غرض بذكره وقول السائل (أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟) استفهام على حقيقته يوحي بنفس طامحة إلى ذروة العمل والمعالي لها في كل زمان رجالها، وقوله (أسمع) أفعل تفضيل يشير إلى قمة أوقات الاستجابة والقبول، وقوله (أي الدعاء أسمع؟) أي أقرب إلى أن يسمعه الله أي يقبله قال

---

(١) برقم (٣٤٩٩). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٧): وفيما قاله نظر. لأن له عللًا. إحداهما: الانقطاع، قال العباس الدوري في تاريخه (٢/٣٤٨) عن يحيى بن معين: لم يسمع عبد الرحمن بن سابط من أبي أمامة. ثانيتها: عنعنة ابن جُريج. ثالثتها: الشذوذ، فإنه قد جاء عن خمسة من أصحاب أبي أمامة أصل هذا الحديث من رواية أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة، واقتصروا كلهم على الشقّ الأول. أخرجه النسائي في الكبرى (٥٨٥٦)، والطبراني في الدعاء (١٢٨) ولفظه: ((قلتُ: يا رسول الله هل من ساعة أقرب من الأخرى – يعني: الإجابة؟- وهل من ساعة ينبغي ذكرها؟ قال: نعم. إنَّ أقرب ما يكون العبد من الدعاء جوف الليل الآخر، فإن استطعتَ أن تكونَ ممّن يذكر الله تلك الساعة، فافعل)). قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٢٤٨): هذا حديث صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٥٥).

(٢) النهاية في (ج و ف).

(٣) المعجم الوسيط في (د ب ر)، و (و ج ب).

الطيبي أي أرجى للإجابة لأن المسموع على الحقيقة ما يقترن بالقبول ولا بد من مقدر إما في السؤال أي أوقات الدعاء أقرب إلى الإجابة ؟ وإما في الجواب أي دعاؤه في جوف الليل، وقوله (وَدُبُرَ الصَّلَواتِ المَكْتُوباتِ) وال في الصلوات للعهد أي المعهودات، والتي أكدها بقوله (المكتوبات) أي الخمس صلوات المفروضات، والتعبير بالكتابة يفيد شدة الإلزام والفرض ودبر كل شيء عقبه، وآخره وهو موطن إجابة يمثل منحة، وتكريما للمصلين يتكرر خمس مرات بتكرار الصلوات الخمس بحيث لا يبقي لمصل حاجة إلا قضيت.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة.

أولاً - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

فالحديث مداره على السؤال من قبل المدعوين، والجواب من الرسول ﷺ، فإن المدعو ما دام مشغولاً بالطاعة والإقبال على ربه، فإنه يعنّ له في خاطره أسئلة يحتاج إلى الجواب عليها من قبل الداعية، الذي يكون عنده العلم الصحيح، فيرشد المدعو ويدله على طريق الخير، وهنا جال في خاطر بعض الصحابة -وهو من المدعوين وساداتهم- سؤال عن أفضل الساعات لإجابة الدعاء، فهو يريد أن يتحرى هذا الوقت حتى يكون دعاؤه أشد استجابة وأرجى قبولاً من الله. فأرشده النبي ﷺ إلى وقتين: الدعاء في جوف الليل الآخر، والدعاء أدبار الصلوات المكتوبة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الدعاء في جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبة:

هذا واضح من سؤال الصحابي: "أي الدعاء أسمع؟ "أى أوفق لاستماع الدعاء فيه وأولى بالاستجابة"[1]. وقال الطيبي: "قال التوربشتي: أى أرجى للإجابة، فالسمع هو الذي

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤٤٥.

يرد بمعنى الإجابة مجازًا، لأن القول المسموع على الحقيقة هو ما يقترن بالقبول من السامع"[١].

أما "جوف الليل الآخر: وهو آخر الليل"[٢]، فقد ورد في فضله أحاديث نبوية منها: قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[٣].

وقال ﷺ كذلك: "أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن"[٤].

قال الطيبي: في قوله: (فإن استطعت) إشارة إلى تعظيم شأن الأمر وتفخيمه، وفوز من يستعد له، ومن ثم قال: "أن تكون ممن يذكر الله"، أي تنخرط في زمرة الذاكرين لله، ويكون لك مساهمة فيهم، وهو أبلغ من أنه لو قيل: إن استطعت أن تكون ذاكرًا"[٥].

وقال ابن بطال - كما نقل ابن حجر عنه- في بيان فضل الدعاء في آخر الليل: "هو وقت شريف خصه الله بالتنزيل فيه، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم، وإعطاء سؤالهم وغفران ذنوبهم. وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ له، ومفارقة اللذة والدعة صعب، لاسيما أهل الرفاهية وفي زمن البرد، وكذا أهل التعب ولاسيما في قصر الليل، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا وعلقها، ليستشعر العبد الجد والإخلاص لربه"[٦].

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٣/١٣٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٥٦٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٢١، ومسلم ٧٥٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٥٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨٣٣).

(٥) شرح الطيبي ٣/١٢٩.

(٦) فتح الباري ١١/١٢٩. ط السلفية.

أما الدعاء دبر الصلوات المكتوبة، فقد أوصى النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه بالدعاء دبر كل صلاة، فعن معاذ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك. فقال: أوصيك يامعاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة، تقول اللهم أعِنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[١].

"هذا وقد اختلف في قوله دبر كل صلاة هل هو قبل السلام أو بعده"[٢].

قال ابن القيم: "ودبر الصلاة يحتمل قبل السلام، وبعده، وكان شيخنا - يعني ابن تيمية- يرجح أن يكون قبل السلام[٣] فراجعته فيه، فقال: دبر كل شيء منه كدبر الحيوان"[٤].

وقال ابن عثيمين: "أدبار الصلوات يعني أواخرها، وهذا قد أرشد إليه النبي ﷺ حين ذكر التشهد، ثم قال بعد ذلك، "ثم ليتخير من الدعاء ما يشاء"[٥]، وليس المراد بأدبار الصلوات هى ما بعد السلام، لأن ما بعد السلام في الصلوات هو ليس محل دعاء إنما هو محل ذكر، لقول لله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾[٦]، ولكن المراد بأدبار الصلوات المكتوبة أواخرها"[٧].

لكن البخاري ترجم في كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة[٨]. فقال ابن حجر: قوله: "باب الدعاء بعد الصلاة" أي: المكتوبة، وفي هذه الترجمة رد على من زعم أن الدعاء بعد الصلاة لا يشرع، متمسكا بالحديث الذي أخرجه مسلم من رواية عبد

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥٢٢، والنسائي ٣٠٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٧).

(٢) الدعاء مفهومه ... ٤.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١١/٦٤٥-٦٥٢ ط العبيكان، ٢٢/٤٩٢-٥٠٥ ط ابن قاسم.

(٤) زاد المعاد ١/٣٠٥.

(٥) أخرجه البخاري ٨٣٥، ومسلم ٤٠٢.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٧) شرح رياض الصالحين ٢/١٥٦٨.

(٨) الحديثان، ٦٣٢٩، ٦٣٣٠.

الله بن الحارث عن عائشة كان النبي ﷺ "إذا سَلّم لا يَثْبُت إلا قدر ما يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[١]، والجواب أن المراد بالنفي المذكور نفي استمراره جالسا على هيئته قبل السلام إلا بقدر أن يقول ما ذكر، فقد ثبت أنه " كان إذا صلى أقبل على أصحابه "[٢]، فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على أنه كان يقوله بعد أن يقبل بوجهه على أصحابه، قال ابن القيم في "الهدي النبوي"[٣]: وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء الإمام والمنفرد والمأموم فلم يكن ذلك من هدى النبي ﷺ أصلا، ولا روي عنه بإسناد صحيح ولا حسن، وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر، ولم يفعله النبي ﷺ ولا الخلفاء بعده ولا أرشد إليه أمته، وإنما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما، قال: وعامة الأدعية المتعلقة بالصلاة إنما فعلها فيها وأمر بها فيها، قال، وهذا اللائق بحال المصلي، فإنه مقبل على ربه مناجيه، فإذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه، فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل إذا انصرف عنه ثم قال: لكن الأذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها أن يصلي على النبي ﷺ بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء، ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر لا لكونه دبر المكتوبة، قلت "القائل ابن حجر": وما ادعاه من النفي مطلقا مردود، فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له " يا معاذ إني والله لأحبك، فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٤].

وحديث أبي بكرة في قول "اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر،

---

(١) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٨٤٥، ومسلم، ٢٢٧٥. واللفظ للبخاري.

(٣) زاد المعاد ٢٥٧/١.

(٤) أخرجه أبو داود، ١٥٢٢ والنسائي، ١٣٠٣، وابن خزيمة، ٧٥١، وابن حبان، ٢٠٢٠، ٢٠٢١، والحاكم ٢٧٣/١. وانظر تخريجه في صحيح ابن حبان.

كان النبي ﷺ يدعو بهن دبر كل صلاة"[١]، وحديث سعد الآتي في " باب التعوذ من البخل " قريبا، فإن في بعض طرقه المطلوب[٢]، وحديث زيد بن أرقم "سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر كل صلاة: اللهم ربنا ورب كل شيء" الحديث أخرجه أبو داود والنسائي[٣]، وحديث صهيب رفعه " كان يقول إذا انصرف من الصلاة: اللهم أصلح لي ديني " الحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان[٤] وغير ذلك.

فإن قيل: المراد بدبر كل صلاة قرب آخرها وهو التشهد، قلنا قد ورد الأمر بالذكر دبر كل صلاة، والمراد به بعد السلام إجماعا، فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه، وقد قيل: "يا رسول الله أي الدعاء أسمع قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات"[٥]، قال ﷺ: "الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة " وفهم كثير من الحنابلة أن مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا، وليس كذلك فإن حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وإيراده بعد السلام، وأما إذا انتقل بوجهه أو قدم الأذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الإتيان بالدعاء حينئذ"[٦].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٦/٥، ٣٩/٥، رقم ٢٠٣٨١، ٢٠٤٠٩، وقال محققو المسند إسناده قوي على شرط مسلم أ. هـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ١٧/٣٤، ٥٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٨٢٢، ٦٣٧٠.

(٣) أخرجه أحمد ٣٦٩/٤، رقم ١٩٢٩٣، وقال محققو المسند إسناده ضعيف أهـ. وانظر تخريجه بتوسع في مسند أحمد ٣٨/٣٢.

(٤) أخرجه النسائي ٧٣/٣، وابن خزيمة ٧٤٥، وابن حبان ٢٠٢٦، وضعفه الألباني، (ضعيف سنن النسائي ٧٣).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٢) وهو حديث الباب.

(٦) فتح الباري ١٣٣/١١، ١٣٤، ط السلفية.

الحديث رقم (١٥٠٣)

١٥٠٣- وعن عُبَادَةَ بنِ الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللهُ إِيَّاها، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ))، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَومِ: إِذًا نُكْثِرُ قَالَ: ((اللهُ أَكْثَرُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ورواه الحاكم[2] من روايةِ أَبي سعيدٍ، وزاد فيهِ: ((أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مثْلَها)).

ترجمة الراوي:

عبادة بن الصامت: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٨٦).

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول فوائد الدعاء، وأنه لا تضيع لداع عند الله دعوة أبدا، وقوله (مَا عَلَى الأَرْضِ) استغراق للمكان يستوعبه كله، وفيه إشارة إلى عالمية الرسالة المحمدية التي سيعم نورها ربوع الأرض، وتنكير لفظ (مسلم) يفيد عموم المسلمين، ويتضمن حرمان غيرهم من هذا الفضل، وقد جاء في أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء الذي يقصر دعوة الداعي المسلم على الإجابة لا تتعداها إلى الحرمان، وبين قوله أتاه، وصرف طباق يؤكد المعنى، ويشير إلى أن العبد دائر بين استجابة دعائه، وبين صرف الضر عنه، وبناءً عليه فإن أكثر الناس دعاءً أكثرهم سعادة في الدنيا، والآخرة لأن كثرة الدعاء تحقق لهم ما يتمنون، وتصرف عنهم البلاء والمصائب، كما تمهد لهم أخراهم كما مهَّدت لهم دنياهم، وقوله (مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) احتراس عن

---

(١) برقم (٣٥٧٣). وقال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ غريبٌ. وقال الحافظ في الفتح (٩٦/١١): حديثٌ صحيحٌ. أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٢٥).

(٢) (٤٩٣/١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه.. تنبيه: هذا الحديث عزاه المنذري في ترغيبه (٤٧٤/٢) إلى الترمذي والحاكم، وقال: كلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان. فانتبه لهذا الخطأ الإمام النووي رحمه الله، ولأجل ذلك قال: ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد.

الدعاء بما فيه إثم، أو ما يتسبب في قطيعة الرحم، لأن الدعاء بر يجب أن يصرف في بر لا في إثم.

الشرح الأدبي

إن الدعاء مخ العبادة، والمصطفى ﷺ في هذا الحديث يرغب كل مسلم في أن يكون على صلة بربه عز وجل، قولاً وعملاً، والدعاء الصادر من قلب نابض بالإيمان، متعلق بمحبة الله عز وجل، تفتح له أبواب السماء، ويستجيب له الرحيم الرحمن، الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء.

والحديث الشريف حين نتأمل أسلوبه الرصين، وبيانه العذب الجميل نجده مُفعمًا بالظواهر الأسلوبية التي تقرب المعنى، وترغب كل مسلم في الإقبال على الدعاء، وهو متسلح باليقين والرجاء، ويبدأ الحديث بأسلوب القصر في الجملة الأولى، عن طريق النفي والاستثناء، وهو يدل على الحصر والاستقصاء، ويُطمئن كل مسلم على إجابة الدعاء أو صرف السوء، أو ادخار الأجر عند الله عز وجل، وتأمل هذا الترغيب الجميل في بداية الحديث "ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها ... الحديث".

وقوله: "على الأرض" يفيد العموم والشمول، والمراد: كل مكان على وجه المعمورة في أي زمن، وفي أي مكان يكون الدعاء، وتكون الإجابة، وتنكير كلمة (مسلم) للتعميم والشيوع، وعدم تحديد هذا المسلم بشخص أو مكان، أو زمان، أو عنصر، أو قبيلة، وإنما: الصفة مجردة من أي تحديد إلا أن يكون مسلمًا: مصدقًا بالجنان، مقرًا باللسان، عاملاً بالأركان.

وكذلك تنكير كلمة "دعوة"، وتنوينها لدلالة الشيوع كما قال العلماء: ليشمل الدعاء بالجليل والحقير، وبالقليل والكثير؛ وقوله: "آتاه الله إياها" يفيد الإعطاء وذلك لمزيد من اليقين والاطمئنان، وهذا التعبير أبلغ من قوله مثلاً إلا أجابه أو استجاب له، ولذلك تكرر لفظ الجلالة، والضمير العائد على الدعوة جاء بارزًا منفصلاً "إياها"، لمزيد من التأكيد على استجابة الله للدعاء وتحقيق الرجاء، و"أو" للتنويع، حتى

لا ييأس المسلم الذي لا يتحقق رجاؤه المباشر القريب الذي حدده، وإنما يتمثل كرم الله تعالى وعطائه في صرف السوء عن العبد، والسوء كلمة تشع بكثير من الدلالات: فهي اسم من ساء وتدل على كل آفة تصيب الإنسان، وقيل السوء هو، البَرَص، ومن معاني: السوء، الهزيمة والشر والرَّدى والفساد، والله تعالى يصرف عن المسلم كل هذا مكافأة على الدعاء.

ويتسم الحديث بصيغة الحوار الترغيبي بين رسول الله ﷺ وبعض الصحابة الذين اطمأنوا ورغبوا في المزيد من الدعاء في قول أحدهم: إذًا نكثر، فقال رسول الله ﷺ: (الله أكثر)، وأسلوب التفصيل هنا له دلالته في إشاعة الاطمئنان واليقين في قلب كل مسلم يدعو الله عز وجل، في أن الله تعالى أكثر عطاء ونوالاً مما يطلبون ويسألون.

وبلاغة الحذف من سمات الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: ويتجلى ذلك في سياق تحديد آداب الدعاء: فالمسلم لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، والجملة تتضمن معنى الشرط، وجواب الشرط محذوف لأنه لا يُستَحبُّ ذكرُه، وهو عدم إجابة الدعاء والتقدير: فإذا دعا بإثم أو قطيعة رحم فلا يستجاب له، وفي قوله: إذًا نكثر، حذف لأن تقدير الجملة - كما يقول صاحب دليل الفالحين، إذا كانت الدعوة بما عدا ما ذكر مجابة نكثر من سؤال خيري الدارين، وتأتي إجابة رسول الله مُتشحةً بالإيجاز والبلاغة في قوله ﷺ: الله أكثر، والمحذوف يفتح آفاقًا من الرجاء والعطاء، حتى يطمئن كل مسلم أوَّاب وهو يدعو العزيز الوهاب.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء.

ثانيًا: من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده.

رابعًا: من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فوائد الدعاء:

هذا واضح من الحديث: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاَّ آتَاهُ اللهُ

إيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ» والحديث رواه أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها. قَالُوا: إذًا نُكْثِرُ. قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ»[1].

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «دعاء المسلم بين إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته التي سأل، أو يرفع بها درجة، أو يحط بها عنه خطيئة ما لم يدع بقطيعة رحم أو مأثم، أو يستعجل»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما من عبد يدعو الله بدعوة فتذهب حتى يعجل له في الدنيا أو تدخر له في الآخرة إذا هو لم يعجل أو يقنط. قال عروة بن الزبير: يا أمتاه وكيف عجلته وقنوطه؟ قالت: يقول: قد سألتُ فلم أعط، ودعوتُ فلم أُجَبْ»[3].

وقال ابن عباس: "كل عبد دعا استجيب له، فإن كان الذي يدعو به رزقًا له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقًا له في الدنيا ذخر له"[4].

قال السندي: "قوله إحدى ثلاث"، لعل هذا هو المراد بنحو قوله: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[5]. وقوله: ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[6]. وعلى هذا لا ينبغي للعبد أن يقول: دعوت فلم يُسْتَجَبْ لي[7].

قال ابن حجر: "إن كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا

---

(١) أخرجه أحمد ١٨/٣، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد ٣٠٤/٧، موسوعة شروح الموطأ.

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد، ٣٠٦/٧.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج١/ج٢/٣١٠.

(٥) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد ٢١٥/١٧.

به وتارة بعوضه"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "وإن دعوة المؤمن لا ترد، وأنها إما أن تعجل له الإجابة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها، وإما أن يدخر له في الآخرة خير مما سأل،... وإلى ذلك أشار ابن الجوزي بقوله: اعلم أن دعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة أو يعوض بما هو أولى له عاجلا أو آجلا، فينبغي للمؤمن أن لا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم واستقبال القبلة"[٢].

قال ابن القيم: "ليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ولا أبلغ في حصول المطلوب، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه، كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه، ، وكان أعظم جنده به، وكان يقول لأصحابه: "لستم تنصرون بكثرةٍ وإنما تنصرون من السماء"، وكان يقول: "إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا ألهمتم الدعاء، فإن الإجابة معه"... فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[٤]"[٥].

وقال ابن هبيرة عن ادخار إجابة الدعاء ليوم القيامة: "قد أخبرنا سبحانه أنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فحينئذ يصرف الإجابة من الدنيا إلى الآخرة، ويجيبه في دعوات معدودة لأوقات معلومة أحوج ما كان لأنفع ما تكون بأن يقال له: دعوت في وقت كذا بكذا فمنع من إجابتك كذا وادخر لك إلى اليوم فاطلب كذا. فيودُّ كل من أجيب إلى الدعاء في الدنيا أنه لم يكن أجيب، لما يرى من ربح من أخرت إجابته"[٦].

---

(١) فتح الباري ١١/٩٥-٩٦ ط السلفية.

(٢) فتح الباري ١١/١٤١.

(٣) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٥) الداء والدواء ٢٣-٢٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح ٦/٢٤٦، ٢٤٧.

لكن الإمام القرطبي المفسر: يذكر أن في إجابة الدعاء أقوالاً، فيقول: فإن قيل: فما للدّاعي قد يدعو فلا يُجَاب؟ فالجواب أن يُعلم أن قوله الحق في الآيتين «أجيب» «أستَجِبْ» لا يقتضي الاستجابة مطلقًا لكل داعٍ على التفصيل، ولا بكلّ مطلوب على التفصيل، فقد قال ربُّنا تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[1]، وكل مُصِرٍّ على كبيرة عالمٍ بها أو جاهلٍ فهو مُعْتدٍ، وقد أخبر أنه لا يحب المعتدين فكيف يستجيب له؟

وأنواع الاعتداء كثيرة؛ يأتي بيانها هنا وفي «الأعراف» إن شاء الله تعالى[2].

وقال بعض العلماء: أجيب إن شئتُ؛ كما قال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾[3]، فيكون هذا من باب المطلق والمقيّد. وقد دعا النبيّ ﷺ في ثلاثٍ فأُعْطِيَ اثنتين ومُنع واحدة، على ما يأتي بيانه في «الأنعام» إن شاء الله تعالى[4].

وقيل: إنما مقصود هذا الإخبار تعريف جميع المؤمنين أن هذا وصف ربهم سبحانه أنه يجيب دعاء الداعين في الجملة، وأنه قريب من العبد يسمع دعاءه ويعلم اضطراره فيجيبه بما شاء وكيف شاء ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ﴾[5]، الآية.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٢) قال القرطبي: والاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح، ومنها أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي أو يدعو في محال، ونحو هذا من الشطط. ومنها أن يدعو طالبًا معصية وغير ذلك. ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة فيتخير ألفاظ مقفرة وكلمات مسجعة قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه الصلاة والسلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء. الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٨/٩: ط مؤسسة الرسالة.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤١.

(٤) عند آية ٦٥ من سورة الأنعام، وقد ساق حديث خباب بن الأرت مرفوعًا "إني سألت الله ثلاثًا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها" أخرجه أحمد ٢١٠٥٣/٣٤، والترمذي ٢١٧٥، والنسائي ٢١٦/٣، ٢١٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٥.

وقد يجيب السيّدُ عبدَه والوالدُ ولدَه ثم لا يعطيه سُؤْله. فالإجابة كانت حاصلة لا محالَة عند وجود الدعوة؛ لأنّ أُجيبُ وأَستَجبْ خبر لا يُنسخ فيصير المخبر كذابًا. يدلّ على هذا التأويل ما روَى ابن عمر عن النبيّ ﷺ قال: «من فُتح له في الدعاء فُتحت له أبواب الإجابة»[1].

وأوحى الله تعالى إلى داود: أنْ قل للظلمة من عبادي لا يدعوني فإني أوْجبت على نفسي أن أجيب من دعاني وإني إذا أجبت الظلمة لعنتهم[2].

وقال قوم: إن الله يجيب كلّ الدعاء؛ فإمّا أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإمّا أن يكفّر عنه، وإمّا أن يدّخر له في الآخرة؛ لما رواه أبو سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رَحِم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إمّا أن يُعجّل له دعوته وإمّا أن يدّخر له وإمّا أن يكفّ عنه من السوء بمثلها». قالوا: إذن نُكثر؟ قال: «الله أكثر»[3].

قلت - أبو العباس القرطبي - وحديث أبي سعيد الْخُدْرِيّ وإن كان إذنًا بالإجابة في إحدى ثلاث فقد دلّك على صحة ما تقدّم من اجتناب الابتداء المانع من الإجابة حيث قال فيه: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم» وزاد مسلم: «ما لم يَستعجل». رواه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رَحِم ما لم يَستعجِل قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال يقول قد دَعوتُ وقد دَعوتُ فلم أر يستجيب لي فَيَسْتَحْسِر عند ذلك ويَدَعُ الدعاء»[4].

وروى البخاريّ ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٥٤٨، وضعفه الترمذي

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٥٥٨/١١، ٢٠١/١٣، وأحمد في الزهد ص٩٢، وهناد في الزهد، ٧٨٧، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧٤٨٣ من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، نقلًا عن تحقيق تفسير القرطبي، ١٨٠/٣، مؤسسة الرسالة.

(٣) أخرجه أحمد ١٨/٣ رقم ١١١٣٣، وقال محققو المسند: إسناده جيد ٢١٣/١٧ - ٢١٤.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٥.

«يُستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل يقول دَعوتُ فلم يُستجب لي»[١].

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: يحتمل قوله «يُستجاب لأحدكم» الإخبار عن (وجوب) وقوع الإجابة، والإخبار عن جواز وقوعها؛ فإذا كان بمعنى الإخبار عن الوجوب والوقوع فإن الإجابة تكون بمعنى الثلاثة الأشياء المتقدّمة. فإذا قال: قد دعوت فلم يُستجب لي، بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الأشياء وعَرِيَ الدعاء من جميعها. وإن كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصّةً، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوتُ فلم يُستجب لي؛ لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسّخط.

قال أبو العباس القرطبي: ويمنع من إجابة الدعاء أيضًا أكل الحرام وما كان في معناه؛ قال ﷺ: «الرجل يُطيل السّفَر أشْعَثَ أغْبَر يمدّ يديه إلى السماء يا رَبّ يا رَبّ ومَطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك»[٢] وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء مَن هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بدّ لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به. فمن شَرْط الداعي أن يكون عالمًا بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخّرة بتسخيره، وأن يدعو بنيّة صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ، وأن يكون مجتنبًا لأكل الحرام، وألا يملّ من الدعاء. ومن شَرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعًا؛ كما قال: «ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعةِ رَحِم» فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرَّحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم[٣].

وقال سهل بن عبد اللّه التُّسْتَرِيّ: شروط الدعاء سبعة: أوّلها التضرّع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.

وقال ابن عطاء: إن للدّعاء أركانًا وأجنحة وأسبابًا وأوقاتًا؛ فإن وافق أركانه قَوِيَ،

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٤٠، ومسلم ٢٧٣٥، وأبو داود١٤٨٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٣) انظر: المفهم أبو العباس القرطبي، ٦٢/٧، ٦٣.

وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقيل: شرائطه أربع: أوّلها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يَحِلّ، وحفظ البطن من الحرام.

وقد قيل: إنّ مِن شَرْط الدعاء أن يكون سليمًا من اللّحن؛ كما أنشد بعضهم:

ينادي ربَّه باللّحن لَيْثٌ ... كذلك إذا دعاه لا يجاب[1]

وقيل لإبراهيم بن أدْهم: ما بالنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتّبعوا سُنّته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نِعم الله فلم تؤدّوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدّوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "إن الدعاء سبب مقتض لنيل المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره، وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر: من هذا الباب. وكثيرًا ما تجد أدعية دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك، فأجيبت دعوته، فيظن ان السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

---

(١) المستظرف: قافية الباء ٢/٥٣٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣/١٧٩-١٨٣، ط مؤسسة الرسالة.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعًا في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف في حصول المطلوب، فكان غالطًا.

وكذا قد يدعو باضطرار عند قبر، فيجاب، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إل الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقي بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا، والساعد ساعدًا قويًا، والمحل قابلاً، والمانع مفقودا: حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير"[١].

ثانيًا - من آداب المدعو: الإكثار من الدعاء:

هذا واضح من قول الصحابة لما علموا بفضل الدعاء: "ما على مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم"، فقال: رجل من القوم: إذًا نكثر" وفي حديث أبي سعيد الخدري: قالوا: "إذًا نكثر"[٢].

قال المباركفوري: "أى إذا كان الدعاء لا يرد منه شيء ولا يخيب الداعي في شيء منه نكثر من الدعاء لعظيم فوائده"[٣]. وهكذا حال المدعو دائمًا يلزم الدعاء ويكثر منه، وقد قال الله عن أنبيائه عليهم السلام وهم قدوة المدعوين، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾"[٤]. وقال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٥].

وقال ابن القيم :"من أنفع الأدوية الإلحاح في الدعاء، وقد روى ابن ماجة في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"[٦]. وفي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٨٣، ٦٨٤.

(٢) أخرجه أحمد ٣/١٨، رقم ١١١٣٣، وقال محققوه: إسناده جيد ١٧/٢١٣ - ٢١٤.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/٣٥١٤.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٥.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٨٢٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه، ٣٠٨٥).

صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبي ﷺ: " لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد"[١].

وذكر الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب الملحين في الدعاء"[٢].

وفي كتاب الزهد[٣] للإمام أحمد عن قتادة قال: قال مورق: ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة فهو يدعو: يارب يارب، لعل الله عز وجل أن ينجيه[٤].

وقال القرطبي: "الدعاء حسن كيفما تيسر وهو المطلوب من الإنسان لإظهار مَوْضع الفقر والحاجة إلى الله عزوجل، والتذلل له والخضوع"[٥].

وقال ابن أبي العز الحنفي: "قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ: أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يُدْعى. الثاني: الغني، فإن الفقير لا يدعي. الثالث: السمع فإن الأصم لا يدعى. الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى، الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى. السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى"[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله العظيم على عباده:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "الله أكثر"، قال السندي: "أى فضله وعطاؤه أكثر من دعائكم"[٧] وقال الطيبي: "أى أكثر إجابة من دعائكم". المعنى: إن إجابة الله تعالى في بابها أكثر وأبلغ من دعائكم في بابه"[٨]، وقال المباركفوري: "وقيل : إن معناه فضل

---

(١) أخرجه ابن حبان ٨٧١، والحاكم في المستدرك ٤٩٣/١، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء ٢٠، والعقيلي في الضعفاء، ٤٥٢/٤، وابن عدى في الكامل، ٢٦٢١/٧. وقال ابن حجر في التلخيص الحبير، ٩٥/٢: تفرد به يوسف بن السفر عن الأوزاعي وهو متروك وكان بقية ربما دلسه.

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل، ٢٧٣/٢، وأبو نعيم في الحلية، ٢٣٥/٢.

(٤) الداء والدواء، ص١٢-١٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٧/٩.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية، ٦٧٨/٢.

(٧) حاشية السندي على مسند أحمد، ٢١٥/١٧.

(٨) شرح الطيبي على المشكاه ٣١٩/٤.

الله أكثر أى ما يعطيه من فضله وسعة كرمه أكثر مما يعطيكم في مقابلة دعائكم، وقيل: الله أغلب في الكثرة فلا تعجزونه في الاستكثار، فإن خزائنه لا تنفد وعطاياه لا تفنى، وقيل الله أكثر ثوابًا وعطاءً مما في نفوسكم فأكثروا ما شئتم فإنه تعالى يقابل أدعيتكم بما هو أكثر منها وأجل"[1]، وقد بلغ من فضل الله أن العبد المسلم إذا دعا لأخيه بظهر الغيب، قال له الملك الموكل: آمين ولك بمثل، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول: دعوة المرء المسلم بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل"[2].

ولذلك "كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها"[3].

رابعًا- من بلاغة الداعية: المشاكلة لألفاظ المدعوين:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ "الله أكثر" لما قال له بعض الصحابة "إذًا نكثر". قال الطيبي: "إنما جيء "أكثر" بالثاء المثلثة مشاكلة لقوله "نكثر"[4].

وتفسير ذلك أن النبي ﷺ قال: "الله أكثر" ليشاكل قول المدعو "نكثر" حتى يبين له أن ما خطر بباله مما يتعلق باستجابة الله للدعاء، يقصر عما عند الله من ذلك، فما عند الله أكثر مما يظنه العبد أو يخطر بباله، ولاشك أن هذه المشاكلة أفادت شيئين:

الأول: تعظيم الله وإجلاله وتقديسه. والآخر: تبشير الداعين بعظيم استجابة الله لدعائهم. ومن ثم يزدادون في الدعاء ويكثرون منه.

والخلاصة أن قوله ﷺ: "الله أكثر" أبلغ وأنسب من قول آخر مثل "الله يستجيب لمن دعاه" أو نحو ذلك.

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٥١٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٣٣

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي مج٩/١٧/٥٢. ط دار عالم الكتب.

(٤) شرح الطيبي ٤/٣١٩.

الحديث رقم (١٥٠٤)

١٥٠٤- وعن ابنِ عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ عِنْدَ الكَرْبِ: ((لا إلهَ إلاَّ اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الكرب: الحزن يأخذ بالنفس[2].

الشرح الأدبي

قوله (كان يدعو عند الكرب) يدل استخدام (كان) على أنه من عادته عند الكرب، والظرف (عند) يؤكد اعتياد هذا الدعاء وقت الكرب أي عند حلول الكرب، وقوله (لا إله إلا الله العظيم الحليم) اشتمل هذا على كلمة التوحيد في قوله (لاَ إلهَ إلاَّ الله) وهي أعظم ما يقال لاحتوائها على توحيد الله، وإفراده بالألوهية دون سواه، تحقق هذا المعنى بأسلوب القصر لصفة الألوهية على ذات الله – سبحانه وتعالى – قصراً حقيقياً تحقيقياً؛ لأن الألوهية منفية عن الجميع، وثابتة لله وحده حقيقة، وحكماً، ومطابقة للواقع، زاد العبارة تركيزاً معنى إثبات الألوهية لله وحده، ونفيها عن كل ما سواه مجيء القصر بطرق النفي والاستثناء، وهو أقوى طرق القصر تأكيداً لما فيه من نص على المنفي، والمثبت، ولذلك يستخدم عند الإنكار، أو عند الشك أو تعظيما للمعنى، ويمكن أن تنزل نفس المكروب منزلة المنكر، أو المتردد ولو كان متيقنا لطمأنت نفسه ثقة فيمن هذه صفته، والرسول ﷺ يعلم أمته حسن القول في

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠/٨٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٢٥).

(٢) القاموس المحيط في (ع ر ب).

الشدة، والرخاء، وقد اشتمل هذا الدعاء صفات الجلال، وعلى العظمة التي تدل على القدرة العظيمة إذ العاجز لا يكون عظيما وعلى الحلم الذي يدل على العلم إذ الجاهل بالشيء لا يتصور منه الحلم وهما أصل الصفات الوجودية الحقيقية المسماة بالأوصاف الإكرامية وتخصيص (الحليم) بالذكر؛ لأن كرب المؤمن غالبا إنما هو على نوع تقصير في الطاعات، أو غفلة في الحالات، وهذا يشعر برجاء العفو المقلل للحزن، وقوله (لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ) تخصيص العرش بالذكر لأنه أعظم أجسام العالم فيدخل الجميع تحته دخول الأدنى تحت الأعلى ثم لفظ العظيم صفة للعرش بالجر وقيل أنه برفع العظيم على أنه نعت للرب، وقوله (رب السموات والأرض) خصهما بالذكر لأنهما من أعظم المشاهدات ومعنى (الرب) في اللغة يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربى والمتمم والمنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى وإذا أطلق على غيره أضيف فيقال رب كذا، وقوله (رب العرش العظيم) ذا أيضا يشتمل على التوحيد والربوبية وعظمة العرش وجه الأول قد ذكرناه ووجه ذكر الثاني أعني لفظ الرب من بين سائر الأسماء الحسنى هو كونه مناسبا لكشف الكرب الذي هو مقتضى التربية.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء.

أولاً - من موضوعات الدعوة: اللجوء إلى الله عند الكرب:

وهذا واضح من الحديث: "أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب..." قال ابن حجر: (الكرب: هو ما يدهم المرء مما يأخذ فيغمّه ويحزنه"[1] وقال ابن حجر كذلك: (قوله "كان يدعو عند الكرب" أي عند حلول الكرب، وعند مسلم[2] من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة "كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب"، وله من رواية[3] يوسف

---

(١) فتح الباري ١١/١٤٥، ط السلفية.

(٢) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

(٣) بعد الرواية ٨٣-٢٧٣٠.

ابن عبدالله بن الحارث عن أبي العالية "كان إذا حزبه أمر" -وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة- أي هجم عليه أو غلبه، وفي حديث عليّ عند النسائي وصححه الحاكم[1] ((لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدة أن أقولها))[2].

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه أن الكرب والغم لا يزيله إلا الله، وهذه الكلمات إذا قالها عبد مؤمن عند مخافته؛ آمنه الله عز وجل من المخوف، فإذا قالها عند الخوف فقد عَزَل ذلك الشيء المخوف من رتبة أن يخاف لقوله: "لا إله إلا الله" ففي ضمن هذه أن لا يخاف غيره، وأن من يؤمن بهذه الشهادة فمن ضرورة الإيمان بها أن لا يخاف سوى الله عز و جل؛ لأن من عداه قاصر أن يفعل شيئًا ما إلا بتسليط من لا إله إلا هو، فيكون الخوف والرجاء معنيين لمن لا يفعل شيء في الوجود إلا عن إذن منه أو إقدار لفاعله على فعله.

ثم أتبعها "بالتعظيم"، وكان هذا النطق تاليًا لما تقدم من التوحيد مشعرًا كل سامع بالعظمة التي لا يقوم لها شيء بحيث صغرت الخلائق والموجودات كلها، والسموات والأرض عند ذكر هذه العظمة بحيث لم يبق لناطق جرأة على قول إلا بعد أن يتبع هذا النطق بقوله: "الحليم".

فهذا كله بقوله لنفسه إن عظمته التي لا يقوم لها شيء لا يوازيها إلا حلمه تعالى وجل جلاله، ويقتضي اتباع العظمة بذكر الحلم أيضًا أن الناطق بهذا القول يتخوف أن يكون قد عصى الله سبحانه وأغضبه لما خطر في قلبه خوف لغيره، فخاف من سخطه فأتبع ذلك بما تداركه بقوله: "وهو العظيم الحليم".

وفيه أيضًا أن المتجرئ عليك الذي أخافك إنما تجرأ عليك بحكم الله سبحانه لا أنه قدر أن يفعل ذلك مراغمة. وقدكنت عند عودتي من الحج سبقت أنا وإخوتي الناس

---

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦/١، رقم ٧٠١، والنسائي في الكبرى ٧٦٢٦، والحاكم ٥٠٨/١، وانظر تتمة تخريجه في المسند، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٧٦٢.

(٢) فتح الباري ١٤٦/١١، ط السلفية.

في القفول فوصلنا إلى المعبر المعروف بصرصر[١] وعليه خيمة مضروبة لجماعة من المكاسين[٢] فحبسونا هناك من وقت ضحوة إلى بين صلاتي الظهر والعصر على شوقنا إلى أهلينا، وكوننا قد سبقنا الحاج مؤذنين بوصولهم ومخبرين بسلامتهم، فكان أصحاب المكس يتحيرون علينا غير مبالين بشيء من ذلك، وكنت أنا في أثناء ذلك أعجب من حلم الله عز وجل عنهم، وأقول من كلامي ما معناه: اللهم لا تعدم خلقك حلمك.

فأما ذكر العرش؛ فلأنه أكبر المخلوقات وأعلاها، وكل مخلوق تحته ودونه، فإذا آمنت بأن الله رب العرش العظيم، فإن العرش قد اشتمل على جميع المخلوقات، فلما ذكر التوحيد والعظمة والحلم والعرش العظيم نزل إلى ذكر السموات والأرض، فأقر بأنه خالقهما، ثم عاد فصعد إلى أعلى المخلوقات، فقال: "رب العرش الكريم"، ولما وصف العرش بالعظم وصفه بالكرم، وليس كل عظيم كريمًا فجمع له الوصفين؛ أي أنه عظيم الخلقة، وهو كريم على خالقه؛ وذلك لأنه ذكر الكون من جهته بقوله: "رب العرش العظيم"، ثم ذكر بعد ذلك "رب السماوات والأرض" أي رب التحت والفوق، ثم أعاد بعد ذلك فكرر ذكر العرش، وأنه كريم، وإذا قال هذه الكلمات موقن بها زال كربه، وأي كرب يبقى مع هذه الكلمات العزيزة)[٣].

ويقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٤].

وقد ضرب الأنبياء خير المثل في اللجوء إلى الله في كل حال، ومنها حال الكرب والهم، قال النبي ﷺ: ((دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥] فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٤٢٤: الصَّرْصَر: قريتان ببغداد، عليا وسفلى، وهي أعظمهما.

(٢) جاء في النهاية في غريب الحديث ٨٧٨: المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ٣/٨٥-٨٧.

(٤) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ))[١].

قال ابن القيم وهو يعدد "فوائد ذكر الله": (التاسعة والخمسون): أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعبٍ إلا هان، ولا على عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم، يوضحه.

(الستون): أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تمجيد الله والثناء عليه في الدعاء:

وهذا واضح من قوله ﷺ: "لا إله إلا الله العظيم الحليم لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض ورب العرش الكريم".

قال ابن حجر: (قال العلماء: الحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة والعظيم الذي لا شيء يعظم عليه، والكريم المعطي فضلاً... قال الطيبي[٣]: صدر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى الربوبية[٤]، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما أصل الأوصاف الإكرامية)[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٢/٣٤٩-٣٥٠.

(٣) لم نعثر على كلام الطيبي في مظانه من شرحه على مشكاة المصابيح وقد يكون ذكره معنى وليس لفظًا فهذه من طرق الحكاية عن العملاء ٥/١٦١.

(٤) في المطبوع من فتح الباري، التربية، والغالب على الظن أنه تحريف وما أثبتناه الصواب والله أعلم.

(٥) فتح الباري ١١/١٤٦، ط السلفية.

وقال النووي عن حديث ابن عباس: (وهو حديث جليل ينبغي الاعتناء به، والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، قال الطبري: كان السلف يدعو به، ويسمونه دعاء الكرب)[1]. وقال القرطبي: (فإن قيل: كيف يسمى هذا دعاء، وليس فيه من معنى الدعاء شيءٌ، وإنما هو تعظيم لله تعالى، وثناء عليه؟ فالجواب: إن هذا يسمَّى دعاءً لوجهين:

أحدهما: أنه يُستفتح به الدعاء، ومن بعده يدعو. وقد ورد في بعض طرقه: "ثم يدعو".

وثانيهما: أن ابن عيينة قال - وقد سئل عن هذا-: أما علمت أن الله تعالى يقول: ((إذا شغل عبدي ثناؤه عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين؟))[2].

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يومًا كفاه من تعرضك الثناء[3]

قلت: [القائل القرطبي]: وهذا الكلام حسن، وتتميمه أن ذلك إنما كان لنكتتين:

إحداهما: كرم المثني عليه، فإنه إذا اكتفى بالثناء عن السؤال دل ذلك على سهولة البذل عليه، والمبالغة في كرم الحق.

وثانيهما: أن المثني لما آثر الثناء الذي هو حقُّ المثني عليه على حقِّ نفسه؛ الذي هو حاجته، بُودر إلى قضاء حاجته من غير إحواج إلى إظهار مذلّة السؤال مجازاة له على ذلك الإيثار، والله تعالى أعلم. ومما قد جاء منصوصًا عليه، وسُمِّي دعاءً؛ وإن لم يكن فيه دعاء ولا طلب؛ ما أخرجه النسائي من حديث سعد بن أبي وقاص. قال: قال رسول الله ﷺ: ((دعوةُ ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت، سبحانك إني كنت من الظالمين؛ فإنه لن يدعو بها مسلم في شيء إلا أستجيب له))[4].

---

(١) شرح مسلم ج٩/ج١٧/٤٩، ط دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٩٢٦ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب عز وجل: (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) وضعفه الألباني (ضعيف سنن الترمذي ٥٦٢).

(٣) تاريخ دمشق، قافية الهمزة ٩/٢٧٤.

(٤) المفهم ٧/٥٦-٥٧.

وقال ابن حجر: (قال [أي سفيان بن عيينة] وقال أمية بن أبي الصلت في مدح عبدالله ابن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حباؤك إن شيمتك الحباء[1]

إذا أثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضك الثناء[2]

قال سفيان: فهذا مخلوق حين نُسب إلى الكرم اكتفى بالثناء عن السؤال، فكيف بالخالق؟ قلت: ويؤيد الاحتمال الثاني حديث سعد بن أبي وقاص رفعه: (دعوة ذي النون إذا دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يَدْعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله تعالى له)[3] وفي لفظ: "فقال رجل: أكانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: ألا تسمع قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4])[5].

قال ابن القيم: (الدعاء الذي تقدمه الذكرُ والثناءُ أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بماله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرّض بل صرّح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته. فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسؤول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعًا وأتم معرفة وعبودية)[6].

---

(١) في المطبوع من فتح الباري ١٤٧/١١، والبداية والنهاية ٢٩٦/٣. حياؤك، والحياء بالياء [المثناة التحتانية]، لكن في مجموع الفتاوى "حباؤك والحباء" بالباء [الموحدة التحتانية]. وقد أثبتنا ما في مجموع الفتاوى لكونه أنسب في المعنى. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣١٠/٥، ط العبيكان، ٢٤٥/١٠ ط ابن قاسم.

(٢) السيرة الحلبية ٢١١/١ قافية الهمزة.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٥٠٥، والنسائي في الكبرى ١٠٤١٧، والحاكم ٥٠٥١١، ٣٨٢/٢-٣٨٣، وأخرجه أحمد ١٤٦٢/٣. وانظر تتمة التخريج هناك. والحديث صححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٨٥).

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٨.

(٥) فتح الباري ١٤٧/١١، ط السلفية.

(٦) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ٣٦٩/٢. وانظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٠٦/٥-٣١٦ ط/ العبيكان، ٢٣٧/١٠-٢٥٤ ط/ ابن قاسم، ٥٧٧/١١-٥٨٣ ط/ العبيكان، ٣٧٦/٢٢-٣٨٨ ط/ ابن قاسم.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على مكافأة المحسن:

إن تربية الأنفس عل إسداء المعروف، ومكافأة الجميل بمثله، لمن أبرز ما يرسخ في النفس قيمة الوفاء، كأساس تربوي يعظم معه إرهاف الحس في الشعور بقيمة فضل المحسن، وهذا ما أرسى دعائمه المربي الأول محمد ﷺ وربى أصحابه رضي الله عنهم على ذلك.

ومن الشواهد في حديث الباب قوله: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ معروفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ».

"فمكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكرًا لله حتى يكون معترفًا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»[1].

والشكر اللساني - كما ورد في نص الحديث - من طرق التربية على مكافأة المحسن، لكيلا يتعلم المتربي الكفران والجحود، ولئلا يتخلق بنكران الجميل ونسيان المعروف، وحتى لا تموت فيه المروءة[2]، لذا فتربية الشعور على مكافأة المحسن من أهم ما يجب على دعاة التربية والتوجيه غرسه وترسيخه في نفوس المتربين والمتعلمين.

ثانيًا- أثر الدعاء في تربية النفس:

إن الدعاء دليل على أصالة فطرة التعبد في النفس، فما من إنسان يمسه الضر وتضيق به السبل إلا ويلجأ إلى القوة المعينة التي فطر على دعوتها والتضرع إليها[3]، وقد استفاضت أحاديث الباب في الأمر بالدعاء والترغيب فيه لعظيم أثره التربوي في النفس، حيث هو - أي: الدعاء- علاج نفسي لكثير من أمراض النفس، فالإنسان بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يُفضى بدخيلة نفسه إلى صديق حميم يخفف عنه بعض ما

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٨١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٠٢٦).

(٢) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمد محمود الخزندار، ٤٩٥، ٤٩٦، بتصرف يسير.

(٣) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ٢١٨، ٢١٩.

يشعر به من الهم والحزن، وقد أجمع الأطباء النفسيون على أن علاج التوتر العصبي والآلام النفسية إنما يتوقف إلى حد كبير على الإفضاء بسبب التوتر ومنشأ القلق إلى صديق مخلص، لأن كتمانه مما يزيد في المرض.

فإذا أفضى الإنسان المحزون إلى ربه ما يعانيه، وطلب منه ما يبتغيه فإنه يشعر بطمأنينة ونفحة روحية تنشله مما هو فيه من الهم والضيق، وذلك لأن الإيمان يقتضي الاعتقاد التام بأن الله قريب منه مجيب دعوته كما أخبر بذلك القرآن ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1][2].

وللدعاء أثر عظيم في تربية النشء المسلم، حيث يخاطب به الوالدان، لتحقيق الالتزام به، وتحيّن لحظات الإجابة التي بينها رسول الله ﷺ، كما في أحاديث الباب من قول أبي أمامة رضي الله عنه: «قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ». وقوله ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».

إذ دعاء الوالدين مستجاب عند الله تعالى، فبالدعاء تزداد شحنة العاطفة وقودًا، وتتمكن الرحمة والرأفة من قلبي الوالدين، فيتضرعان إلى الله تعالى، ويبتهلان إليه في إصلاح الطفل ومستقبله... وهذه سنة الأنبياء والمرسلين.

لهذا نجد خطورة من يدعو على ولده، فهذا عمل خطير جدًا، ومهما قلنا عن خطورته فهو أكثر، لما فيه من دمار النشء المسلم، ومن دمار للأبوين كذلك.

وقد نهى الرسول ﷺ الآباء والأمهات أن يدعوا على أولادهن لأن هذا مناف للخُلُق الإسلامي، ويخالف التربية النبوية، ويبتعد عن منهج النبوة في دعوة الناس إلى الإسلام، وهذا ما بينه النبي ﷺ في حديث الباب من قوله: «لاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٢) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ١٩٩، ٢٠٠.

عَلَىٰ أَوْلَادِكُمْ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيب لَكُمْ».

وقد ذكر الغزالي "أنه جاء رجل إلى عبدالله بن المبارك يشكو له عقوق ولده، فقال له: هل دعوت عليه؟ فقال: بلى. فقال عبدالله بن المبارك: أنت أفسدته"(١).

فبدلاً من أن يكون المربي سببًا في إفساد الطفل أو النشء المسلم بالدعاء عليه، فليكن سببًا في صلاحه بالدعاء له(٢).

ثالثًا- التربية بالترغيب والترهيب:

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرغبة في كل ما فيه منفعته، والرهبة من كل ما يضره به من ألم وشقاء وسوء مصير(٣).

والترغيب هو أسلوب تربوي يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر(٤)، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من ترغيب النبي ﷺ في الدعاء بقوله: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إلاّ آتَاهُ اللهُ إيَّاهَا....إلخ».

أما الترهيب فهو أسلوب تربوي يقوم على الوعيد والتهديد بعقوبة تترتب على الإخلال بأوامر الله ورسوله، وهذا ما بينه النبي ﷺ في أحاديث الباب من ترهيبه من الاستعجال في الدعاء أو اشتماله على إثم أو قطيعة رحم، وذلك في قوله ﷺ: «لاَ يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ. مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»..إلخ.

ويمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بميزات صادرة عن الطبيعة الربانية المواتية لفطرة الإنسان، والتي من أهمها:

١- يعتمد الترغيب والترهيب القرآني والنبوي على الإقناع والبرهان فليس من آية فيها ترغيب أو ترهيب بأمر من أمور الآخرة إلا ولها علاقة أو فيها إشارة، من قريب أو بعيد، إلى الإيمان بالله واليوم الآخر على الغالب، أو فيها توجيه خطاب إلى المؤمنين.

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢/٢١٧.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، عبدالباسط محمد السيد، ٨٥، ٨٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣٠، بتصرف.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣، ٣٩٤.

وهذا معناه تربويًا أن نبدأ بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين، ليتسنى لنا أن نرغبهم بالجنة أو نرهبهم من عذاب الله، وليكون لهذا الترغيب والترهيب ثمرة عملية سلوكية.

٢ - يكون الترغيب والترهيب القرآني والنبوي مصحوبًا بتصور فني رائع، لنعيم الجنة أو لعذاب جهنم، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس، لذلك يجب على المربي أن يستخدم الصور والمعاني القرآنية والنبوية في عرضه لعقاب الله وثوابه، وتقريبها إلى أفهام الناشئين كتصوير مواقف القيامة بالصور القرآنية مدعومة بالتفاصيل النبوية كقصة الشفاعة...، وعلى المربي هنا ألا يتقيد بنصوص المنهج وحدها بل يجب اقتباس تفاصيل من كتب الحديث وغيرها[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣١، ٢٣٢.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٤٠٩)	٥
١٥-كتاب الأذكار	١٠
٢٤٤-باب النهي عن المنّ بالعطية ونحوها	١٠
الحديث رقم (١٤١٠)	١٠
الحديث رقم (١٤١١)	١٨
الحديث رقم (١٤١٢)	١٩
الحديث رقم (١٤١٣)	٢٨
الحديث رقم (١٤١٤)	٣٠
الحديث رقم (١٤١٥)	٣٧
الحديث رقم (١٤١٦)	٣٩
الحديث رقم (١٤١٧)	٤٧
الحديث رقم (١٤١٨)	٥٥
الحديث رقم (١٤١٩)	٦١
الحديث رقم (١٤٢٠)	٦٣
الحديث رقم (١٤٢١)	٦٦
الحديث رقم (١٤٢٢)	٧٣
الحديث رقم (١٤٢٣)	٧٥
الحديث رقم (١٤٢٤)	٨٤
الحديث رقم (١٤٢٥)	٨٦
الحديث رقم (١٤٢٦)	٨٨
الحديث رقم (١٤٢٧)	٩٤
الحديث رقم (١٤٢٨)	١٠٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٤٢٩)	١٠٨
الحديث رقم (١٤٣٠)	١١٠
الحديث رقم (١٤٣١)	١١١
الحديث رقم (١٤٣٢)	١١٣
الحديث رقم (١٤٣٣)	١٢٣
الحديث رقم (١٤٣٤)	١٣١
الحديث رقم (١٤٣٥)	١٣٣
الحديث رقم (١٤٣٦)	١٤٣
الحديث رقم (١٤٣٧)	١٥١
الحديث رقم (١٤٣٨)	١٥٩
الحديث رقم (١٤٣٩)	١٦٦
الحديث رقم (١٤٤٠)	١٧٥
الحديث رقم (١٤٤١)	١٨١
الحديث رقم (١٤٤٢)	١٨٦
الحديث رقم (١٤٤٣)	١٩٦
الحديث رقم (١٤٤٤)	٢٠٥
الحديث رقم (١٤٤٥)	٢١٢
٢٤٥-باب ذكر الله تعالى قائمًا أو قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض	٢٢٢
الحديث رقم (١٤٤٦)	٢٢٢
الحديث رقم (١٤٤٧)	٢٢٩
٢٤٦-باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه	٢٣٦
الحديث رقم (١٤٤٨)	٢٣٦
٢٤٧-باب فضل حِلَق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر	٢٤٠
الحديث رقم (١٤٤٩)	٢٤٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٤٥٠)	٢٥٥
الحديث رقم (١٤٥١)	٢٦١
الحديث رقم (١٤٥٢)	٢٧١
٢٤٨-باب الذكر عند الصباح والمساء	٢٨٧
الحديث رقم (١٤٥٣)	٢٨٧
الحديث رقم (١٤٥٤)	٢٩٣
الحديث رقم (١٤٥٥)	٢٩٨
الحديث رقم (١٤٥٦)	٢٩٩
الحديث رقم (١٤٥٧)	٣٠٥
الحديث رقم (١٤٥٨)	٣٠٧
الحديث رقم (١٤٥٩)	٣١٤
٢٤٩-باب ما يقوله عند النوم	٣١٩
الحديث رقم (١٤٦٠)	٣١٩
الحديث رقم (١٤٦١)	٣٢٠
الحديث رقم (١٤٦٢)	٣٢٥
الحديث رقم (١٤٦٣)	٣٢٧
الحديث رقم (١٤٦٤)	٣٢٩
الحديث رقم (١٤٦٥)	٣٣١
الحديث رقم (١٤٦٦)	٣٣٥
١٦-كتاب الدعوات	٣٤٤
٢٥٠-باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ	٣٤٤
الحديث رقم (١٤٦٧)	٣٤٤
الحديث رقم (١٤٦٨)	٢٤٩
الحديث رقم (١٤٦٩)	٣٥٥
الحديث رقم (١٤٧٠)	٣٥٧

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٤٧١)	٣٥٩
الحديث رقم (١٤٧٢)	٣٦٥
الحديث رقم (١٤٧٣)	٣٧١
الحديث رقم (١٤٧٤)	٣٧٧
الحديث رقم (١٤٧٥)	٣٨٣
الحديث رقم (١٤٧٦)	٣٨٨
الحديث رقم (١٤٧٧)	٣٩٥
الحديث رقم (١٤٧٨)	٤٠٢
الحديث رقم (١٤٧٩)	٤٠٩
الحديث رقم (١٤٨٠)	٤١٣
الحديث رقم (١٤٨١)	٤٢٠
الحديث رقم (١٤٨٢)	٤٢٨
الحديث رقم (١٤٨٣)	٤٣٢
الحديث رقم (١٤٨٤)	٤٣٧
الحديث رقم (١٤٨٥)	٤٤٤
الحديث رقم (١٤٨٦)	٤٤٨
الحديث رقم (١٤٨٧)	٤٥٢
الحديث رقم (١٤٨٨)	٤٥٦
الحديث رقم (١٤٨٩)	٤٦٢
الحديث رقم (١٤٩٠)	٤٦٨
الحديث رقم (١٤٩١)	٤٧٦
الحديث رقم (١٤٩٢)	٤٨٢
الحديث رقم (١٤٩٣)	٤٨٧
الحديث رقم (١٤٩٤)	٤٩٣
الحديث رقم (١٤٩٥)	٤٩٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٥١-باب فضل الدعاء بظهر الغيب	٥١٠
الحديث رقم (١٤٩٦)	٥١٠
الحديث رقم (١٤٩٧)	٥١٩
٢٥٢-باب في مسائل من الدعاء	٥٢٣
الحديث رقم (١٤٩٨)	٥٢٣
الحديث رقم (١٤٩٩)	٥٢٩
الحديث رقم (١٥٠٠)	٥٣٥
الحديث رقم (١٥٠١)	٥٤١
الحديث رقم (١٥٠٢)	٥٤٧
الحديث رقم (١٥٠٣)	٥٥٣
الحديث رقم (١٥٠٤)	٥٦٥
فهرس المحتويات	٥٧٧

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثامن عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٨

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٢٧ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-١٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٨)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٠-١٢-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٨)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٢٥٣- باب كرامات الأولياء وفضلهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ألا إنَّ أوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يحزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[يونس: ٦٢- ٦٤]، وقال تَعَالَى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فكُلِي وَاشْرَبِي﴾[مريم: ٢٥، ٢٦]، وقال تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قالت هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[آل عمران: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾[الكهف: ١٦-١٧].

الحديث رقم (١٥٠٥)

١٥٠٥- وعن أَبي محمد عبد الرحمن بن أَبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما: أنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: ((**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ**)) أَوْ كما قَالَ، وأنَّ أَبَا بكرٍ رضي الله عنه جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وانْطَلَقَ النبيّ ﷺ بعَشَرَةٍ[1]، وأنَّ أَبَا بَكرٍ تَعَشَّى عِنْدَ النبيّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّى صَلَّى[2] العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ[3]، فجاءَ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ. قالت[4] امْرَأَتُهُ: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ[5]؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قالت: أَبَوْا حَتَّى

---

(١) عند مسلم زيادة: (وأبوبكر بثلاثة، قال: فهو وأنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر) وكذا عند البخاري.

(٢) لفظهما: (صليت).

(٣) عند مسلم زيادة: (فلبث حتّى نعس رسول الله ﷺ)، وكذا عند البخاري، لكن لفظه: (تعشى) بدل: (نعس).

(٤) عندهما زيادة: (له).

(٥) عندهما زيادة: (أو قالت: ضيفك).

تَجِيءَ وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ[١]، قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، فَجَدَّعَ وَسَبَّ، وقالَ: كُلُوا لاَ هَنِيئًا وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا، قَالَ: وايْمُ اللهِ مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إلا رَبَا مِنْ أَسْفَلِها أكثرَ منها حتى شبعوا، وصارتْ أكثرَ مما كانتْ قبلَ ذلكَ، فنظرَ إليها أبو بكرٍ[٢] فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فراسٍ ما هذا؟ قالت: لا وقُرَّةِ عيني لهي الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مراتٍ[٣]! فأكل منها أبو بكرٍ وقال: إنَّما كانَ ذلكَ من الشيطانِ، يعني: يمينَهُ. ثم أكلَ منها لقمةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَصْبَحَتْ عِنْدَهُ. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَى الأَجَلُ، فَتَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أعلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ، فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ[٤].

وَفِي رِوَايَةٍ[٥]: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَت المَرْأَةُ لا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ. - أَو الأَضْيَافُ- أنْ لاَ يَطْعَمُهُ أَوْ يَطْعَمُوهُ حَتَّى يَطْعَمَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ[٦]: هذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ! فَدَعَا بالطَّعَامِ فَأَكَلَ وأكَلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إلاَّ رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ[٧]: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمنِ: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَافْرُغْ مِنْ قِرَاهُم قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمانِ، فَأَتَاهُمْ بِمَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا؛ فقالوا: أين رَبُّ مَنْزِلِنا؟ قَالَ: اطْعَمُوا، قالوا: مَا نحنُ بِآكِلِينَ حَتَّى يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا، قَالَ: اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا، لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ فَأَبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ

---

(١) عند مسلم زيادة: (فغلبوهم)، وعند البخاري: (فأبوا).

(٢) عندهما زيادة: (فإذا هي كما هي أو أكثر).

(٣) هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: (مرات).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٢)، ومسلم (٢٠٥٧/١٧٦).

(٥) أخرجها البخاري (٦١٤١).

(٦) عند البخاري زيادة: (كان).

(٧) أخرجه البخاري (٦١٤٠) واللفظ له، ومسلم (٢٠٧٥/١٧٧).

الرَّحمنِ، فَسَكَتُّ: ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الرَّحْمنِ، فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ أقْسَمْتُ عَلَيْكَ إنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لَمَا جِئْتَ ! فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أضْيَافَكَ، فقالُوا: صَدَقَ، أتَانَا بِهِ، فَقَالَ: إنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي واللهِ لا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الآخَرُونَ: واللهِ لا نَطْعَمُهُ حَتَّى تَطْعَمَهُ فَقَالَ[1]: وَيْلَكُمْ مَا لَكُمْ لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، الأُولَى مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن أبي بكر: وهو عبدالرحمن بن أبي بكر (واسمه عبدالله) بن أبي قُحافة (واسمه عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة القرشي التيمي، ويقال كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة أو عبدالعزى، فسماه النبي ﷺ عبدالرحمن، وكان يكنى بأبي محمد، ويقال: أبو عبدالله، ويقال: أبو عثمان المدني، وهو شقيق عائشة -أم المؤمنين فأمهما واحدة، وهي أم رومان بنت الحارث بن غنيم الكنانية، له صحبة ورواية، فله أحاديث نحو الثمانية، اتفق الشيخان على ثلاثة، وروى له كبار التابعين، شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة قبل فتح مكة، وكان أسن ولد أبي بكر، وهو الذي أمره النبي ﷺ في حجة الوداع أن يُعَمِّرَ أخته عائشة من التنعيم.

وكان رضي الله عنه من أشجع رجال قريش، وأرماهم بسهم، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد، وهو الذي قتل مُحَكِّمَ اليمامة، رماه بسهم في نحره فقتله، وكان مُحكِّم اليمامة في ثُلْمة في الحصن فلما قُتِل دخل المسلمون منها، وشهد غزو إفريقية، وحضر موقعة الجمل مع أخته عائشة، ودخل مصر، وكان شاعرًا وكان امرأً صالحًا من أصدق الناس، قال الزبير بن بكار: وكان امرأً صالحًا وكانت فيه دُعابة، وعن ابن المسيّب قال عن عبدالرحمن بن أبي بكر: لم تُجَرَّب عليه كِذْبة قط، ولا يُعرف في الصحابة أربعةٌ وِلاءٌ -أي متوالين- أب وبنوة بعده كل منهم ابن الذي قبله أسلموا

---

(١) عند هما زيادة: (لم أرَ في الشرّ كالليلة).

وصحبوا النبي ﷺ إلا أبو قُحافة وابنه أبوبكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابنه محمد بن عبدالرحمن أبو عتيق.

توفي عبدالرحمن بالحَبَشِيِّ، والحَبَشِيُّ على اثني عشر ميلاً من مكة فَحُمل فدفن بمكة، ولما اتصل خبر موته بأخته عائشة أم المؤمنين ظعنت من المدينة حاجّة حتى وقفت على قبره، فبكت وتمثلت بقول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حِقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماعٍ لم نبت ليلة معًا[1]

وقال الحافظ أبو نعيم توفي بمكة في نومة نامها في إمرة معاوية، وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب قلت: وقال العسكري هو أول من مات من أهل الإسلام فجأة، وقال أبو زُرْعة الدمشقي تُوفي بعد مُنصَرف معاوية من المدينة في قَدْمَتِه التي قدم فيها لأخذ البيعة من عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر، ثم توفيت عائشة بعد ذلك بيسير سنة ٥٩ هجرية، أما عن سنة وفاته فقيل (٥٣)، أو (٥٤)، أو (٥٥)، أو (٥٦)، أو (٥٩)[2].

غريب الألفاظ:

أصحاب الصُفّة: الصفة مكان مظلل في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة إبّان العصر النبوي بعد الهجرة، يأوي إليه فقراءُ المهاجرين ينامون فيه[3].

ما حبسك: ما منعك[4].

وقد عرضوا عليهم: أي أن آل أبي بكر -الأهل والخدم- عرضوا على

---

(١) البداية والنهاية ٨/٨٩، والمنتظم ٢/٥٥، والكامل في التاريخ ٢/٢١٨، من شعر متمم بن نويرة في أخيه مالك.

(٢) الاستيعاب ٤٤٦، ٤٤٧، أسد الغابة ٣/٤٦٢-٤٦٤، الإصابة (٦٨٩)، سير أعلام النبلاء (٢/٤٧١-٤٧٣)، تهذيب الكمال (٤/٣٣٧-٣٧٩)، تهذيب التهذيب (٢/٤٩٢)، الأعلام (٣/٣١١، ٣١٢)، موسوعة عظماء حول الرسول (٢/١٢٨٨-١٢٩٠).

(٣) أطلس الحديث النبوي، ٢٣٧.

(٤) القاموس المحيط في (ح ب س).

الأضياف العشاء[١].

الغُنْثُر: الغبي الجاهل[٢].

فجدّع: دعا عليه بالجَدْع وهو: قطع الأذن والأنف أو الشفة، وقيل المراد السب[٣].

ربا: زاد وارتفع[٤].

من أسفلها: الموضع الذي أخذت منه[٥].

وقرة عيني: قرة العين يكنى بها عن المسرة، ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه، يقال ذلك لأن عينه قرت، أي سكنت حركتها من التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء آخر فكأنه مأخوذ من القرار، وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع إلى هذا، وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البَرَد أي أن عينيه باردة لسروره، ولهذا قيل دمعة الحزن حارة[٦].

فمضى الأصل: انقضى الوقت الذي تواعدوا إليه[٧].

دونك أضيافك: دون: اسم فعل بمعنى خذ وتوصل بالكاف[٨]، والمعنى خذ أضيافك وقم بحقهم.

القِرى: الضيافةُ والإكرام[٩].

يجد عليَّ: يغضب[١٠].

---

(١) ينظر فتح الباري ٦٩١/٦.

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

(٣) فتح الباري ٦٩١/٦، رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

(٤) النهاية في (ر ب و)، فتح الباري ٦٩٢/٦.

(٥) فتح الباري ٦٩٢/٦.

(٦) فتح الباري ٦٩٢/٦، ٦٩٣.

(٧) النهاية في (أ ص ل)، دليل الفالحين ١٥٥٦.

(٨) المعجم الوسيط في (د و ن).

(٩) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٠٣.

(١٠) رياض الصالحين، النووي ٥١٤.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يفتتح به الإمام النووي: باب كرامات الأولياء وفضلهم، والكرامات -كما قال صاحب دليل الفالحين-: جمع كرامة، وهى إحدى الخوارق للعادات؛ والخوارق خمس: وهي: إرهاص، ومعجزة، وكرامة، ومعونة، ومهونة أو استدراج والمعجزات من خصائص الأنبياء، لأنها: من خوارق العادات المقرونة بالتحدي الواقع على طبق ما ادعاه النبي ﷺ مع الأمن من المعارضة فيه.

والكرامة من صفات أولياء الله تعالى، والأولياء جمع ولي: وهو المؤمن المطيع لمولاه، وولي على وزن فعيل بمعنى فاعل، لأن العبد الولي وَالَى اللهَ باتباع مرضاته، أو هو على وزن فعيل، بمعنى مفعول: لأن الله تعالى والاه، وهو يتولى الصالحين.

وفي ظل هذا التفسير لمعنى الكرامة، ومعنى الولي نستبطن أسرار الجمال التعبيري في هذا الحديث الشريف، الذي يرشد إلى إضفاء صفة الكرامة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأنه من أولياء الله تعالى، وكذلك عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، والشاهد على ذلك: أن الطعام لم ينقص رغم تعدد الآكلين، بل زاد وربا، وأصبحت القصعة أكثرَ منها قبل أن يأكلوا ... كما قالت "أم رومان" زوجة أبي بكر الصديق: وهى التي خاطبها بقوله: يا أخت بني فراس، ما هذا؟.

والحديث قصة واقعية حقيقية، لإثبات كرامات الأولياء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويقولون ويفعلون، ولا يدعون الولاية، ولا يخصون أنفسهم بشيء، ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذه القصة:

أ-الإخبار عن وقائع القصة عن طريق التأكيد حيث تكررت "أن" المؤكدة أربع مرات في بداية الحديث مرة في الحديث عن أصحاب الصُّفَّة الذين ظهرت الكرامة في إطعامهم، (إن أصحاب الصفة). ومرة في الحديث عن النبي ﷺ: وهو يوصي بإطعام الفقراء، وفي وصيته إيحاء بالكرامة والزيادة والبركة، حيث قال الراوي: "وأن النبي ﷺ قال مرة..." وفي الموضع الثالث يسوق خبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول: "وأن أبا بكر جاء بثلاثة"، ثم يجيء التأكيد في موضع رابع ليؤكد صفة الكرامة

وأنها نابعة من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ومحبتهما حيث يقول الراوي في سياق سرد أحداث هذه القصة، "وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ".

ب- تكرار أسلوب الشرط مرتين للتأكيد على الإنفاق وإطعام الفقراء: لأن الإنفاق هو السبيل للنماء والخير والبركة، فما نقص مال من صدقة، حيث يقول رسول الله ﷺ: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس». وأسلوب الشرط يرشد إلى الجزاء الحسن في هذا السياق: حيث الطاعة والبركة والكرامة.

ج-الحوار بين أبي بكر وامرأته، وبين أبي بكر والضيوف: حول هذه الظاهرة العجيبة التي تثبت الكرامة، حيث حدث أمر خارق للعادة وهو زيادة الطعام وعدم نقصه رغم كثرة الآكلين: (قال في أسلوب القسم ليؤكد صدق الخبر، ووقوع الكرامة، "وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا"، وهذه الكرامة هى ثمرة الاستجابة لدعوة رسول الله ﷺ في بداية الحديث، إلى إطعام أهل الصُّفَّة، وقد طعموا وشبعوا، وصارت القصعة أكثر مما كانت قبل ذلك، وتؤكد أم رومان رضي الله عنها هذه الكثرة... فتقول مؤكدة الخبر المصحوب بالبهجة والبشارة، "لا وقرة عيني: لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات" وتتضاعف الكرامة: فيأكل أبو بكر من هذا الطعام المبارك، ويحمل القصعة إلى رسول الله: فيأكل منها المصطفى ﷺ ومن معه من الناس، ويقول الراوي: الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون، وقيل في الحديث، ما يقع من لطف الله تعالى بأوليائه، وذلك أن خاطر أبي بكر تَشَوَّشَ، وكذا ولده وأهله وضيفه بسبب امتناعهم من الأكل، وتكدر خاطر أبي بكر رضي الله عنه من ذلك حتى احتاج إلى ما تقدم من الحرج بالحلف والحنث ولغير ذلك فرفعه بالكرامة التي أبداها، فانقلب ذلك الكد صفاء، والتكدر سرورًا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1]، اللهم اجعلنا من أوليائك وأصفيائك.

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢-٦٤ .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل الصفة.

ثانيًا: من صفات الداعية: الكرم والمواساة.

ثالثًا: من صفات الداعية: الكرم والسخاء.

رابعًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب... والقسم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أبي بكر الصديق في تكثير الطعام.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل الصفة:

قد كان أهل الصفة من أكابر الصحابة رضي الله عنهم ورعًا وتوكلاً على الله عز وجل وملازمة لخدمة الله ورسوله ﷺ اختار الله تعالى لهم ما اختاره لنبيه ﷺ، من المسكنة والفقر والتضرع لعبادة الله عز وجل وترك الدنيا لأهلها[١].

"وكان النبي ﷺ يتعهد أهل الصفة بنفسه، فيزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم"[٢]. كما كان يكثر مجالستهم ويرشدهم ويواسيهم ويذكرهم ويقص عليهم ويوجههم إلى قراءة القرآن الكريم ومدارسته وذكر الله والتطلع إلى الآخرة ويشجعهم على احتقار الدنيا وعدم تمني الحصول على متاعها"[٣]، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها[٤]، وكثيرًا ما كان يدعوهم إلى تناول الطعام في بيته"[٥].

وهذا ما ورد جليًا في نص الحديث من قول الراوي "إن أصحاب الصفة كانوا أناسًا فقراء وأن النبي ﷺ قال مرة: "من كان عنده طعام اثنين، فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة، فليذهب بخامس بسادس" أو كما قال: وأن أبا بكر رضي الله عنه، جاء

---

(١) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ٥٥٣/٣.

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ٣٧٥/١.

(٣) المرجع السابق ٣٤٠/١، ٣٤١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٤٦، ٦٤٥٢.

(٥) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، ٢٦٦/١.

بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة".

"وقد كان منشأ وجود أهل الصفة رضي الله عنهم، هو ما أعقب هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة المنورة، من ظهور مشكلة تتعلق بمعيشة المهاجرين، الذين تركوا بيوتهم وأموالهم ومتاعهم بمكة فرارًا بدينهم من طغيان المشركين.

ولا شك أن بعض المهاجرين لم يستطيعوا العمل حال قدومهم إلى المدينة، لأن الطابع الزراعي يغلب على اقتصاد المدينة، وليست للمهاجرين خبرة زراعية فمجتمع مكة تجاري، كما أنهم لا يملكون أرضًا زراعية في المدينة وليست لديهم رءوس أموال فقد تركوا أموالهم بمكة. وقد وضع الأنصار إمكانياتهم في خدمة المهاجرين لكن بعض المهاجرين بقى محتاجًا إلى المأوى.

واستمر تدفق المهاجرين إلى المدينة خاصة قبل موقعة الخندق، حيث كان الكثير منهم يستقرون في المدينة كما طرقت الوفود الكثيرة المدينة، ومنهم من لم يكن على معرفة بأحد من أهل المدينة، فكان هؤلاء الغرباء بحاجة إلى مأوى دائم أو مدة إقامتهم.

ولا شك أن النبي ﷺ فكر في إيجاد المأوى للفقراء المقيمين والوفود الطارقين.

وحانت الفرصة عندما تم تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، وذلك بعد ستة عشر شهرًا من هجرته ﷺ إلى المدينة، حيث بقي حائط القبلة الأولى في مؤخرة المسجد النبوي، فأمر النبي ﷺ به فظلل أو سقف وأطلق عليه اسم الصفة أو الظلة، ولم يكن لها ما يستر جوانبها"[1].

"وقد انقطع أهل الصفة للعلم والعبادة، فكانوا في خلوتهم يصلون ويقرأون القرآن ويتدارسون آياته ويذكرون الله تعالى، واشتهر بعضهم بالعلم وحفظ الحديث عن النبي ﷺ مثل أبي هريرة رضي الله عنه الذي عرف بكثرة تحديثه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي اهتم بأحاديث الفتن.

لكن انقطاع الصفة للعلم والعبادة لم يعزلهم عن المشاركة في أحداث المجتمع والإسهام في الجهاد، بل كان منهم الشهداء ببدر مثل صفوان بن بيضاء، وخريم بن

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة ومصادرها، د. أكرم ضياء العمري، ١/٢٥٧، ٢٥٨.

فاتك الأسدي وخبيب بن يساف وسالم بن عمير وحارثة بن النعمان الأنصاري، ومنهم من استشهد بأُحد مثل حنظلة الغسيل، ومنهم من شهد الحديبية مثل جرهد بن خويلد وأبو سريحة الغفاري، ومنهم من استشهد بخيبر مثل ثقف بن عمرو، ومنهم من استشهد بتبوك مثل عبدالله ذو البجادين، ومنهم من استشهد باليمامة مثل سالم مولى أبي حذيفة وزيد بن الخطاب، نعم هكذا كانوا رهبانًا في الليل فرسانًا في النهار"[١].

ثانيًا- من صفات الداعية: الإيثار والمواساة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس"، قال النووي: "في الحديث فضيلة الإيثار والمواساة، وأنه إذا حضر ضِيفَانٌ كثيرون فينبغي للجماعة أن يتوزعوهم، ويأخذ كل واحد منهم ما يحتمله، وأنه ينبغي لكبير القوم أن يأمر أصحابه بذلك ويأخذ هو من يمكنه"[٢]، والإيثار هو: "تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة"[٣].

أما المواساة للمؤمنين فأنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن والخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة؛ فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له. ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا : ماهذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرت الفقراء وبردهم وليس لي ما أواسيهم فأحببت أن أواسيهم في بردهم"[٤]. فالمواساة والإيثار من أهم

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢٦٣/١، ٢٦٤

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٦/١٨.

(٤) الفوائد، ابن القيم، ٢٤٦، ٢٤٧.

الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها الداعية لما لهما من أثر عظيم في تأليف قلوب المدعوين وحملهم على قبول دعوته..

ثالثًا- من صفات الداعية: الكرم والسخاء:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: " وأن أبا بكر رضي الله عنه، جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة"، قال النووي: "هذا مبين لما كان عليه النبي ﷺ من الأخذ بأفضل الأمور والسبق إلى السخاء والجود، فإن عيال النبي ﷺ كانوا قريبًا من عدد ضيفانه هذه الليلة فأتى بنصف طعامه أو نحوه، وأتى أبو بكر رضي الله عنه بثلث طعامه أو أكثر، وأتى الباقون بدون ذلك"[1]، "وإن صفة الكرم والسخاء من الصفات التي لها أثر فعال في اجتذاب القلوب النافرة وتأليف النفوس المتباعدة،

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ ... وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا سَخَاؤُهُ

تَغَطَّ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِي ... أَرَى كُلَّ عَيْبٍ فَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ

وقد بلغ رسول الله ﷺ المنتهى في الكرم والجود: "فعن جبير بن مطعم قال: بينما أسير مع رسول الله ﷺ، ومعه الناس مقفلة من حنين، فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروا إلى سمرة -اسم شجرة- فخطفت رداءه فوقف النبي ﷺ فقال: "أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا"[2]، فإذا اتصف الداعية بهذه الصفة باذلاً من ماله ما استطاع مستعينًا بأهل الخير والبذل كان حريًا بالنجاح والتوفيق وقبول الناس له وتأثيره في نفوسهم واستمالة قلوبهم إليه"[3].

رابعًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب... والقسم:

قد ورد السؤال والجواب كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول الراوي:

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٠٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٨٢١.

(٣) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، ط١، دار القاسم، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٧٠.

"قالت امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أَبَوْا حتى تجيء"، وأيضًا من قول أبي بكر رضي الله عنه لامرأته. "يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني، فهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات"، وكذلك في قول الراوي: "فقالوا: أين رب المنزل؟ قال: اطعموا، وقوله: "فقال: ما صنعتم؟ فأخبروه" وأخيرًا في قول أبي بكر رضي الله عنه، "ويلكم مالكم لاتقبلون عنا قِرَاكم؟ هاتِ طعامَك فجاء به" والسؤال والجواب من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم فضلاً عن كونه أمرًا مهمًا جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك فيجب على حامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن"[١].

أما القسم كأسلوب من أساليب الدعوة فقد ورد في الحديث من قول أبي بكر رضي الله عنه: "والله لا أطعمه أبدًا" وأيضًا في قول الراوي: "فقال: " أي أبو بكر رضي الله عنه إنما انتظرتموني والله لا أطعمه الليلة. فقال الآخرون: والله لا نطعمه حتى تطعمه"، "والقسم هو الحلف واليمين"[٢]، (وهو من الأساليب الدعوية التي يستعين بها الداعية لتأكيد خبر أو تعظيم شيء، أو جمع الانتباه حول غاية، فضلاً عن دوره في صناعة التأثير النفسي والعاطفي بواسطة المقسم به، والمقسم عليه وبهما معًا. الأمر الذي يجعل المدعو يتعلق بالدعوة ويؤمن بها)[٣].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أبي بكر الصديق في تكثير الطعام:

عندما أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم، اختصه برجال لم تشهد البشرية مثلهم، أقاموا الملة ونصروا السنة، وكان من خيرهم وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه، فهو أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من الرجال، وأول الخلفاء الراشدين، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده، صحب النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حنبكة، ٥٩/٢.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٣٨١/٢، مادة أقسم.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ٣٢٩-٣٤٣.

وسبق إلى الإيمان، فكان أول القوم إسلامًا وأكملهم إيمانًا، وأعظمهم عناءً، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وخلقًا وسمتًا وفعلاً"[١].

قال ابن عثيمين: (فهو رضي الله عنه أفضل الصديقين منذ خلق الله آدم إلى أن يرث الله الأرض من عليها)[٢].

وقد بين الحق تبارك وتعالى عظيم فضله رضي الله عنه وكرامته له في تكثير الطعام بين يديه، وهذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: "قال: وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثرُ منها، حتى تشبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات"، وفي الرواية: "إنها الآن لأكثر منها قبل أن نأكل"، قال النووي: (هذا الحديث فيه كرامة ظاهرة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه إثبات كرامات الأولياء)[٣]، وقال ابن حجر: (والحاصل أن الله أكرم أبا بكر رضي الله عنه فأزال ما حصل له من حرج، فعاد مسرورًا، وانفك الشيطان مدحورًا. واستعمل الصديق مكارم الأخلاق فحَنَثَ نَفْسَه زيادة في إكرام ضيفانه ليحصل مقصوده من أكلهم)[٤]، وقد وقع في رواية الجرير عن مسلم أنه رضي الله عنه لما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: "يَا رَسُولَ اللّهِ بَرُّوا وَحَنِثْتُ. قَالَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: ((بَلْ أَنْتَ أَبَرُّهُمْ وَأَخْيَرُهُمْ))[٥]. قال النووي: (أي أكثرهم طاعة، وخير منهم، لأنك حنثت في يمينك حنثًا مندوبًا إليه محثوثًا عليه، فأنت أفضل منهم)[٦]. وفي ذلك بيان على فضله رضي الله عنه وكرامة الله له".

---

(١) الإصابة ٨٠٤، ٨٠٥، سير أعلام النبلاء ٣١٥/١-٣٣٠، عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك، ٢٦٥/١-٢٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٥٧٦/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣٠٣.

(٤) فتح الباري ٦٩٣/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٠٥٧.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٣٠٤.

الحديث رقم (١٥٠٦)

١٥٠٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لَقَدْ كَانَ فيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ (نَاسٌ)[١] مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ)). رواه البخاريُّ[٢].

ورواه مسلم من رواية عائشة[٣]. وفي روايتهما[٤] قَالَ ابن وهب: ((مُحَدَّثُونَ)) أيْ مُلْهَمُونَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

المحدثون: المُلْهَمُون: والمُلْهَم هو الذي يُلقى في نفسه الشيء فيُخبِرُ به حَدْسًا وفِراسة، وهو نوع يَخْتَصُّ به الله عز وجل من يشاء من عباده الذين اصطفَى، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كأنهم حدثوا بشيء فقالوا.

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثاني في باب كرامات الأولياء وفضلهم، والكرامات جمع كرامة، وهي إحدى الخوارق للعادات: وهي كما قال العلماء خمس: إرهاص، ومعجزة، وكرامة، ومعونة، ومهونة، فالإرهاص: الخارق للعادة المتقدم على تحدي النبي ودعواه النبوة، والمعجزة: الخارق للعادة المقرون بالتحدي الواقع على طِبق ما ادَّعاه مع سلامة الأمر من المعارضة فيه، والكرامة: الخارق للعادة لا على سبيل التحدي،

---

(١) (ناس) لا توجد عند البخاري. وهذه الزيادة عند الحميدي في جمعه (٣/٨١، رقم ٢٢٦١)، وبهذه الزيادة رواها أحمد في فضائل الصحابة (٥٣٠) بإسناد حسن.

(٢) برقم (٣٤٦٩).

(٣) برقم (٢٣/٢٣٩٨).

(٤) بل في رواية مسلم، عقب الحديث رقم (٢٣/٢٣٩٨)، ولم يروها البخاري.

والمعونة: خارق للعادة يبدو على يد بعض المؤمنين كإنقاذ من مهلكة، وتخليص من ورطة بوجه خارق للعادة، والمهونة خارق للعادة على خلاف دعوى المتحدي كما وقع لمسيلمة الكذاب أنه تفل في بئر ليكثر ماؤها فغار[1].

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث النبوي الشريف الذي يوضح ما منَّ الله به على الفاروق عمر رضي الله عنه من فراسة وفطانة وكرامة ومعونة وولاية: تؤيدها الأحداث، وتؤكدها الوقائع. وتبرهن عليها شهادة رسول الله ﷺ في هذا الحديث الذي تضمن جملتين، واللتين تشعان بهذا المضمون الصادق المنبئ عن فضل عمر رضي الله عنه وقيمته في الإسلام، والجملة الأولى إخبارية مُصَدَّرة بالتأكيد حيث جاء قوله: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون": واقتران "قد" باللام يشعر بالقسم: والتقدير والله لقد كان قبلكم: وذلك للتأكيد على صدق الخبر وأهميته.

ولنتأمل ما تضمنته كلمة "محدثون": من دلالات، وما تفيض به من إشعاعات، فالمحدَّثون جمع: مُحدَّث: بفتح الدال وتشديدها: وهو المُلْهَم، وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله: وكان عمر رضي الله عنه مُحَدّثًا أي صادق الحدْث، كأنما حدث بما ظن، والحدس: بالسين هو: الفراسة، وقيل: المحدث: هو الرجل الصادق الظن: وهو مَنْ أُلْقِي في رُوعِه شيء من قِبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره، وقيل: هو من يجري الصواب على لسانه من غير قصد.

وهذه الشمائل والخصائص كانت من مميزات شخصية عمر رضي الله عنه، ولذلك قال رسول الله ﷺ في الجملة الثانية من الحديث: "فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر"، والجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، "وإن" هنا ليست للشك: ولكنها على سبيل الفرض والتقدير، وهذا من أدلة الإثبات لا النفي، ويؤيد ذلك المعنى ما أخرجه الترمذي بسنده عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه))[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص١٥٥٩، ١٥٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي، ٣٦٨٢، وابن ماجه، ١٠٨، وصححه الألباني، انظر: (صحيح سنن الترمذي، ٢٩٠٨).

وجواب الشرط جاء مؤكدًا بـ"إن" لبيان صدق هذا الخبر، وتوضيح أفضلية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحذفت صفةُ أحدٌ والتقدير: أحد محدث: أو أحد مثل الأناس المحدثين وهم الأنبياء الملهمون. فإنه عمر رضي الله عنه، وكفاه هذا شرفًا وفخرًا... وكرامة ومعرفة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحديث.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: منقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التحديث.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التبشير.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحديث:

هذا ما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون"، قال النووي: (واختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال: ابن وهب ملهمون وقيل: مصيبون وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا وقيل: تكلمهم الملائكة وجاء في رواية: متكلمون وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم وفيه إثبات كرامات الأولياء)[1]. وقال ابن حجر: (وقوله صلى الله عليه وسلم: "محدَّثون" بفتح الدال جمع محدث، واختلف في تأويله فقيل: ملهم، قاله الأكثر. قالوا: المحدث بالفتح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقى في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به ...، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل مكلم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة)[2].

وقال ابن هبيرة: (ومعنى قول ابن وهب: ملهمون، أن الله يلهمهم الصواب، وهذا تفسير حسن. وكان أبو عبدالله محمد بن يحيى يقول: المحدثون: هم الذين يمكنهم الصبر على حديث الناس، وعلى اختلاف أمورهم وضروب إراداتهم، فيكلمون العلماء بلسان العلم، والعامة بما يصلحهم، ونحو ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٦٦.

(٢) فتح الباري ٦٢/٧.

والذي أراه أنا في هذا مع كون الوجهين محتملين أن الله سبحانه يكلم عبده، إما على لسان آدمي أو غيره، ولقد كنت مرة مستلقيًا أسأل الله عز وجل حاجة في صدري في الليل، فسمعت جوابها بأذني يعدني نجازها إلى ميقات، فكان كما وُعِدت، وإني سمعت القول بما صيغته: إنه ليس في هذا الشهر، ولكن في الشهر الآخر، فكان كما سمعت ولم يعلم ما في نفسي لا ملك ولا شيطان، إنما يعلمه الله عز وجل وحده[1].

وبين ابن القيم: (أن التحديث أخص من الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان. فأما التحديث: فالنبي ﷺ قال فيه: "إن يكن في هذه الأمة أحد فعمر" يعني من المحدثين. فالتحديث إلهام خاص وهو الوحي إلى غير الأنبياء إما من المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾[3]، وإما من غير المكلفين، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[4]. فهذا كله وحي إلهام"[5].

وقال ابن القيم: "إن مرتبة التحديث من مراتب الهداية وهي دون مرتبة الوحي الخاص، وتكون دون مرتبة الصديقين، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما قال النبي ﷺ "إنه كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب".

وسمعت ابن تيمية يقول: جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا، وعلق وجودهم في هذه الأمة بإن الشرطية، مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم، قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة

---

(١) الإفصاح، ٢٠١/٦ بتصرف.

(٢) سورة القصص، آية: ٧.

(٣) سورة المائدة، آية: ١١١.

(٤) سورة النحل، آية: ٦٨.

(٥) مدارج السالكين ١١٠/١.

عنهم بكمال نبيها ورسالته، فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدّث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها.

والمحدَّث هو الذي يحدَّث في سره وقلبه بالشيء فيكون كما يُحَدّث به.

قال شيخنا: والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صديقيته. ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف فإنه قد سلّم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عما منه[1].

قال: وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول، فإن وافقه قَبِلَه وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث.

قال: وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالاتِ والجهالاتِ، حدثني قلبي عن ربي فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال حدثني قلبي عن ربي، كان مسندًا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب، قال: ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوَّه به يوما من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يومًا (هذا ما أرى الله أمير المؤمنين، عمر بن الخطاب فقال: لا. امحه واكتب: هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمن عمر، والله ورسوله منه برىء) وقال في الكلالة (أقول فيها برأيى فإن يكن صوابًا فمن الله. وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان) فهذا قول المحدَّث بشهادة الرسول وأنت ترى الاتحادي والحلولي والإباحي الشطاح، والسماعي مجاهر بالقِحَة والفرية. يقول: حدثني قلبي عن ربي، فانظر إلى ما بين القائِلَيْن والمرتبَتيْن والقَوْلَيْن والحالين. وأعط كل ذي حق حقه، ولا تجعل الزغل الخالص شيئًا واحدًا"[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: منقبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التحديث:

لقد كان التحديث بما يوافق الحق من أجلّ مناقب عمر رضي الله عنه وفضائله، وهذا ما

---

(١) قال محقق المدارج عبدالعزيز الجليل: إن المقصود: فاستغنى بكمال صديقته ومتابعته للرسول ﷺ عن الذي يأتي من التحديث، مدارج السالكين، ١/١٠٢)

(٢) مدارج السالكين ١/١٠١-١٠٣.

أكده نص الحديث في قوله ﷺ : "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر"، قال ابن عثيمين رحمه الله : "يعني: ملهمون للصواب، يقولون قولاً فيكون موافقًا للحق وهذا من كرامة الله للعبد أن الإنسان إذا قال قولاً، أو أفتى بفتوى، أو حكم بحكم، تبين له بعد ذلك أنه مطابق للحق، فعمر رضي الله عنه من أشد الناس توفيقًا للحق"[1]، وهذا ما أكده ابن عمر رضي الله عنه في قوله: "ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط: إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن"[2]، "وعن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه : "وافقت ربي في ثلاث: فقلت يارسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"، وآية الحجاب، قلت يارسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية"[3].

قال ابن حجر: (في قوله: "وافقت ربي في ثلاث" أى وقائع، والمعنى وافقني ربي فأنزل القرآن على وفق ما رأيت، لكن لرعاية الأدب، أسند الموافقة إلى نفسه وأشار به إلى حدوث رأيه وقدم الحكم، وليس في تخصيص العدد بالثلاث ما ينفي الزيادة عليها، لأنه حصلت له الموافقة في أشياء غير هذه من مشهورها، "قصة أساري بدر"، "وقصة الصلاة على المنافقين"، وهما في الصحيح...)[4].

وفي بيان ذلك قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : ((فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَىٰ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلاَءِ الأُسَارَىٰ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً، فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا تَرَىٰ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! قُلْتُ: لاَ. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٧٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٨٦٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٢.

(٤) فتح الباري ٦٠٢/١.

اللهِ! مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلاَنٍ (نَسِيبًا لِعُمَرَ) فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَإِنَّ هؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ. لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ (شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ اللهِ) وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[1]، فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ))[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله: فَضَلَ النَّاسَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، بِأَرْبَعٍ: ثم ذكر من ذلك – قول: "بِذِكْرِ الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، أَمَرَ بِقَتْلِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]"[4].

وفي بيان موافقته رضي الله عنه لما نزل من القرآن في منع الصلاة على المنافقين قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((لما توفي عبدالله بن أبيّ بن سلول جاء ابنهُ عبدالله بنُ عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما خيّرني الله وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾[5]، وسأزيد على السبعين)). قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧-٦٩.

(٢) أخرجه مسلم، ١٧٦٣. جزء من حديث مطول.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٨.

(٤) أخرجه أحمد ٤٥٦/١ رقم ٤٣٦٢، وقال محققو المسند، حسن لغيره ٣٧٢/٧.

(٥) سورة التوبة، آية: ٨٠.

الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1]))[2].

قال النووي: (وجاءت موافقته في تحريم الخمر فهذه ست وليس في لفظه ما ينفي زيادة الموافقة والله أعلم)[3].

وقال ابن حجر: (وهذا دال على كثرة موافقته، وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر لكن ذلك بحسب المنقول)[4].

وفي ذلك بيان على عظيم فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنقبته في التحديث.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التبشير:

هذا ما ورد في الحديث من تبشيره ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه من المحدّثين: (والبشارة: هى كل خبرٍ صدقٍ تتغير به بشرةُ الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب)[5]، (وقد وردت البشارة في القرآن على اثني عشر وجهًا لاثني عشر قومًا باثني عشرة كرامة، منها بشارة المستقيمين بثبات الولاية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[6]، [7]، وقد أُمِر النبي ﷺ بالبشارة، "فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذًا إلى اليمن، فقال: يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا)[8]، والبشارة من الأساليب الدعوية التي تبعث في نفس المدعو البهجة وتجلب إليه الطمأنينة فيحمله ذلك على حب الأمر المدعو إليه وسرعة الامتثال له.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري، ١٢٦٩، ٤٦٧٠، ٤٦٧٢، ٥٧٩٦، ومسلم، ٢٤٠٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤٦٦.

(٤) فتح الباري ٦٠٢/١.

(٥) التعريفات، الجرجاني، ٧١.

(٦) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٧) موسوعة نضرة النعيم ٧٨٠/٣.

(٨) أخرجه البخاري ٣٠٣٨، ومسلم ١٧٣٣.

الحديث رقم (١٥٠٧)

١٥٠٧- وعن جابر بنِ سُمْرَةَ رضي الله عنهما، قَالَ: شَكَا أهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا (يعني: ابنَ أبي وقاص رضي الله عنه)[١]، إلَى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعَزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوا حَتَّى ذَكَرُوا أنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إسْحَاقَ، إنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعَمُونَ أنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أنا واللهِ فَإنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رسولِ الله ﷺ، لا أُخْرِمُ عَنْها، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ.

قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إسْحَاقَ، وأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً - أَوْ رِجَالاً - إلَى الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أمَا إذْ نَشَدْتَنَا فَإنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ وَلاَ يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أمَا وَاللهِ لأَدْعُونَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً، وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قَالَ عَبْدُ الملكِ (بن عُمَيْرٍ الراوي عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ)[٢]: فَأنا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وإنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. متفق عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

جابر بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٨).

غريب الألفاظ:

لا أخرم عنها: لا أنقص منها[٤].

---

(١) هذه الزيادة من المؤلف.

(٢) هذه الزيادة من المؤلف.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٥) واللفظ له، ومسلم (٤٥٣/١٥٨) مختصرًا.

(٤) فتح الباري ٢/٢٧٨.

صلاتي العشاء: الظهر والعصر، وقيل المغرب والعشاء[١].

فأركد في الأولين: أطول القراءة في الركعتين الأوليين، أو أن المراد بالتطويل ما هو أعم من القراءة كالركوع والسجود[٢].

معروفًا: المعروف: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع والمعروف بمعنى النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم[٣].

نشدتنا: سألتنا وأقسمت علينا[٤].

السَّرِيَّةُ: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو وجمعها السرايا[٥].

السوية: العدل والنصفة[٦].

السمعة: ما نُوِّه بذكره ليُرى ويسمع[٧].

فيغمزهنَّ: من الغمز ومن معانيه الإشارة كالرمز بالعين، أو الحاجب أو اليد[٨].

الشرح الأدبي

هذا الحديث تموج معانيه بكرامة: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وفضله، واستجابة الله تعالى لدعوته: حيث تحققت كل الدعوات التي دعا بها على الرجل إن كان كاذبًا في التهم التي وجهها إلى سعد رضي الله عنه.

ويبدأ الحديث بحوار بين عمر بن الخطاب وسعد بين أبي وقاص رضي الله عنهما حول حقيقة التهم التي وجهها أهل الكوفة إليه، والحوار يتضمن عدة ظواهر أسلوبية تنبئ عن

---

(١) انظر: فتح الباري ٢/٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٢/٢٧٩.

(٣) انظر: النهاية في (ع ر ف).

(٤) انظر: النهاية في (ن ش د).

(٥) النهاية في (س ر ي)، فتح الباري ٢/٢٨٠.

(٦) المعجم الوسيط في (س و ي).

(٧) القاموس المحيط في (س م ع).

(٨) ينظر النهاية في (غ م ز).

كياسة ابن الخطاب، وحدْسه وفراسته في الوصول إلى الحقيقة، ومن هذه الظواهر الأسلوبية:

أ- النداء في قول عمر رضي الله عنه: يا أبا إسحاق: وهو للملاطفة: وعدم الغلظة، وعدم تصديق الاتهام بأنه لا يحسن أن يصلي.

ب- التأكيد المشوب بالشك في صيغة الخبر المسوق لسعد، وجاء التأكيد مرتين حيث قال عمر رضي الله عنه: إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فالتأكيد في بداية الجملة بـ"إن"، وفي وسطها بـ"أن"، ولكن هذا التأكيد لا يدل على صدق الخبر، لأن اختيار الفعل "يزعمون"، يوحي بأن عمر رضي الله عنه غير مصدق لما يقولون: ولم يقل: إن هؤلاء: يقولون: ولكن قال: يزعمون وقوله: هؤلاء: يشعر بعدم الاهتمام: ولم يقل: أهل الكوفة: لأن الذين ادعوا ذلك قلة قليلة وهم بنو عبس أو رجل منهم وهو أسامة بن قتادة.

ج- إجابة سعد: تتضمن تفصيل القول وتوضيح المشكلة، وبيان الحقيقة: فالتفصيل يتضح في قوله: "أما" وهي تتضمن الشرط والتفصيل والتأكيد، وقوله: "أنا"، يحدد المسؤولية، ويوحي بنفي التهمة، ثم القسم والتأكيد في قوله: "أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم" ليصبح الأمر أكثر صدقًا ووضوحًا، ولذلك أيده عمر وقال: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، واسم الإشارة هنا للبعيد يوحي بالتقدير والمكانة الرفيعة، والنداء فيه إعلاء من شأن: سعد، ونفي التهمة عنه.

ولنتأمل المشهد الثاني من مشاهد هذا الحديث الواقعي الذي يحكي عدْل عمر، وتقصِّيه للحقيقة، حيث أرسل من يسأل أهل الكوفة ليزداد اقتناع الناس بصواب موقف سعد بن أبي وقاص، وجاء في سياق هذا المشهد هذه الظواهر الأسلوبية:

أ- أسلوب القصر في قوله: فلم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، "ويثنون معروفًا": وهذا الأسلوب يؤكد صواب موقف عمر، وصدق كلام ابن أبي وقاص.

ب- ادعاء أسامة بن قتادة، وإنكاره لفضل سعد صِيغَ في ثلاث جمل متوازية تتسم بالسجع والقصر، والإيقاع السريع، وقد بدأها بالتأكيد: ولكنها تُهَمٌ غير صحيحة، وبرغم ذلك ساقها في قالب إيقاعي، وتأثير صوتي حتى يضمن تصديق رسل الخليفة،

ولكنهم لم يصدقوه، وموقف سعد من هذه التهم يظهر كرامته وولايته حيث جاء في صيغة هذا الدعاء الصادق: "اللهم" وبدأ بالنداء، وبجملة الشرط، واسم الإشارة هذا لتحديد كذب هذا العبد، وجواب الشروط جاء في ثلاث جمل قصيرة ذات إيقاع صوتي مؤثر وسجع بليغ غير متكلف: فأطل عمره، وأطل فقره، وقد حدث ذلك ولقي الكاذب جزاءه حسرةً وندمًا.

فقه الحديث

١- حكم الغصب: اتفق الفقهاء على تحريم الغصب وتغليظ عقوبته[١].

٢- حكم غصب الأرض: ذهب جمهور الفقهاء المالكية، والشافعية، والحنابلة وأبو يوسف في قول، ومحمد بن الحنفية إلى القول بإمكان غصب الأرض[٢]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب، وبأن ما ضمن في البيع وجب ضمانه في الغصب كالمنقول، ولأن الأرض يمكن الاستيلاء عليها على وجه يحول بينها وبين مالكها[٣].

وذهب أبو حنيفة وأبو محمد وأبو يوسف في قول إلى عدم إمكان غصب الأرض لأن من شروط الغصب أن يكون المغصوب منقولاً، والأرض ليست منقولاً[٤].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لأن العبرة في الغصب هو عدم تمكين المالك من الانتفاع بملكه وهو متحقق في العقار والمنقول.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.

---

(١) بدائع الصنائع ١٤٨/٧، مواهب الجليل ٢٧٣/٥، مغني المحتاج ٣٣٤/٣-٣٣٥، المغني ١٣٩/٥، شرح صحيح مسلم ٤٩/١١.

(٢) بداية المجتهد ٢٥٨/٢، مغني المحتاج ٣٥٨/٣، المغني ١٤٠/٥، بدائع الصنائع ١٤٥/٧-١٤٦، شرح صحيح مسلم ٤٩/١١.

(٣) المغني ١٤١/٥.

(٤) بدائع الصنائع ١٤٥/٧-١٤٦.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: مراعاة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للعدل والإنصاف في الدعاء على من أغضبه وافترى عليه.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: كرامة الله تعالى لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إجابة الدعاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الحوار:

قد ورد الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول الراوي "فقال -أي عمر بن الخطاب رضي الله عنه-: "يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، فقال: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أخرم عنها".

(والحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب)[1].

(وقد دعا الإسلام إلى الحوار لا بين المسلمين فقط، بل دعا للحوار بينهم وبين غيرهم من الأجناس الأخرى، وحثهم على آداب الحوار، هذا الأمر أحد العوامل المهمة في انتشار الإسلام سواء في بداية عهده بل حتى في عصرنا الحاضر. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2])[3].

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي، في أصول الحوار، الرياض: الندوة العالمية، ١٤١٥هـ، ص١١.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٣) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، ص٣.

(والحوار المثمر يتم وفق أصول حتى يعطي الفائدة المنشودة منه، ومن هذه الأصول ضبط النفس، والاتفاق على أصول ثابتة يمكن الرجوع إليها والتزام القول الحسن وحسن الاستماع، وتجنب المقاطعة، وإشعار المحاور بالمحبة رغم الخلاف وعدم السخرية وإنهاء الحوار بأدب ولباقة)[١].

ومن هنا كان الحوار "هو القوى الكبرى في فن العلاقات الإنسانية... إنه المنهج الوحيد الذي تتحقق به المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطر السليمة من ناحية، وللتعاليم المنحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار الذي يستنير بهذه الفطرة السليمة، فلا تعود هناك أى حاجة إلى أساليب التخويف، والضغط المادي، والإثارة الوقتية التي تحدث أثارًا عابرة في النفوس، تذهب بذهاب العصر الذي ظهرت فيه"[٢]. فعلى الداعية أن يحرص على الأخذ بأسلوب الحوار لما له من وقع في نفوس المدعوين فضلاً عن إقناعهم. وفي ذلك عظيم الفائدة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة:

قد ورد ذلك في الحديث، من عزل عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص، وتولية عمارًا رضي الله عنهما بعد أن شكى أهل الكوفة سعدًا، قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز عزل الإمام بعض عماله إذا اشْتُكِيَ إليه وإن لم يثبت عليه شيء إذا اقتضت ذلك المصلحة، قال مالك: قد عزل عمر سعدًا وهو أعدل من يأتي بعده إلى يوم القيامة ... والذي يظهر أن عمر عزله حسمًا لمادة الفتنة...، وقيل عزله إيثارًا لقربه منه لكونه من أهل الشورى، وقيل؛ لأن مذهب عمر أنه لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين)[٣]. وقال

---

(١) انظر: المرجع السابق بتوسع ١٦٠-١٩٠.

(٢) عن مقال "السياسة الإعلامية في القرآن بين التاريخ والمعاصرة" للأستاذ محمد رمضان لاوند في كتاب (الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية)، ص ٢٤٢.، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٣٩٩هـ، نقلًا عن الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ص ١١٥.

(٣) فتح الباري ٢/٢٨١.

الزرقا: (في أن التصرف على الرعية منوط بالمصلحة، أي: إن نفاذ تصرف الراعي على الرعية ولزومه عليهم شاءوا أو أَبَوْا معلقٌ، ومتوقف على وجود الثمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية، فإن تضمن منفعة ما وجب عليهم تنفيذه، وإلا رد؛ لأن الراعي ناظر، وتصرفه حينئذ متردد بين الضرر والعبث، وكلاهما ليس من النظر في شيء)[1]، وفي ذلك بيان على أن تصرف الإمام في الرعية منوط بالمصلحة وهذا ما أظهره ابن حجر عن مالك.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

هذا ما يستفاد من نص الحديث وسياقه وفي بيان عظيم فضله رضي الله عنه ومكانته، قال عبدالله بن شداد "سمعت عليا يقول: ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لأحد، غير سعد بن مالك، فإنه جعل يقول له: يوم أحد ((ارْمِ. فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي))[2]، وعن قيس قال: ((سمعت سعدًا رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعيرُ أو الشاةُ، ما له خلط ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام؟ لقد خِبْتُ إذًا وضل عملي. وكانوا وشوا به إلى عمر، قالوا: لا يحسن يصلي))[3]. وقال سعيد بن المسيب. "سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام"[4]، وأما ما ورد في الحديث من عزل عمر رضي الله عنه له لم يكن ليقدح في فضله رضي الله عنه ومكانته، وهذا ما بينه عمر رضي الله عنه حين وفاته، فقال: "ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر، - أي الخلافة- من هؤلاء النفر، أو الرهط، الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا و عبدالرحمن، وقال: يُشْهَدُكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت

---

(١) شرح القواعد الفقهية، أحمد بن محمد الزرقا، ط٢، دار القلم -دمشق، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ٣٠٩، والأشباه والنظائر للسيوطي، ص ١٢٢.

(٢) أخرجه مسلم ٢٤١١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٢٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٢٧.

الإمرة سعدًا فهو ذاك، إلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة"[١]. وهذا ما بينه ابن حجر في " قول مالك: قد عزل عمر سعدًا وهو أعدل من يأتي بعده إلى يوم القيامة... والذي يظهر أن عمر عزله حسمًا لماده الفتنة...، وقيل عزله إيثارًا لقربه منه لكونه من أهل الشورى، وقيل لأن مذهب عمر لا يستمر بالعامل أكثر من أربع سنين"[٢]، وفي ذلك بيان على عظيم فضل ومكانة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون:

هذا ما ورد في الحديث من تثبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ورد من شكاية أهل الكوفة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وذلك بإرساله رجالاً إلى أهل الكوفة يسألونهم عن سعد وسيرته، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالحرص على التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[٣]، قال ابن كثير: (يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله، فيكون -في نفس الأمر- كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين)[٤]، وقال ابن القيم "والنبأ" هو خبر الغائب عن المخبر إذا كان له شأن و "التبين" طلب بيان حقيقته والإحاطة بها علمًا"[٥]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله في التثبت والتحقق في الأمور التي يتهم فيها المسلمون.

خامسًا- من موضوعات المدعو: حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول سعد رضي الله عنه "أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

(٢) فتح الباري ٢/٢٨١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٣٧٠.

(٥) مدارج السالكين ١/٦٢٧.

صلاة رسول الله ﷺ، لا أخرم عنها، أصلي صلاتي العشاء، فأركد في الأوليين، وأخفف في الآخريين، قال ابن حجر في قوله: "ما أخرم" أى لا أنقص"[١]، وقال النووي: (في قوله "إني لأركد بهم في الأوليين" يعني أطولهما وأديمهما وأمدهما"، وقوله: وأخفف في الآخريين"، وفي رواية مسلم: "وأحذف في الآخريين"[٢]، يعني أقصرهما عن الأوليين لا أنه يخله بالقراءة ويحذفها كلها)[٣].

قال ابن القيم: "وكان هدية ﷺ الراتب في ذلك إطالة الركعتين الأوليين من الرباعية على الأخريين، وإطالة الأولى من الأوليين على الثانية، ولهذا قال سعد لعمر: أما أنا فأطيل في الأوليين، وأحذف في الآخريين، ولا آلُو أن أقتدي بصلاة رسول الله ﷺ"[٤].

وفي ذكر التثنية في قوله أصلي صلاتي العشاء، قال ابن حجر: "والمراد بهما الظهر والعصر ولا يبعد أن تقع التثنية في الممدود ويراد بهما المغرب والعشاء، ولكن يعكر عليه قوله للآخريين لأن المغرب إنما لها أخرى واحدة والله أعلم، وأبدى الكرماني لتخصيص العشاء بالذكر حكمة، وهو أنه لما أتقن فعل هذه الصلاة التي وقتها الاستراحة كان ذلك في غيرها بطريق الأولى وهو حسن، ويقال مثله في الظهر والعصر لأنهما وقت الاشتغال بالقائلة والمعاش. والأولى أن يقال: لعل شكواهم كانت في هاتين الصلاتين خاصة فلذلك خصها بالذكر"[٥]. وفي ذلك بيان على حرص الصحابة رضي الله عنهم على اتباع هدي النبي ﷺ في الصلاة.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: مراعاة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه للعدل والإنصاف في الدعاء على من أغضبه وافترى عليه:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: "فقام رجل منهم، يقال له: أسامة بن قتادة

---

(١) فتح الباري ٢/٢٧٨.

(٢) أخرجه مسلم ٤٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٥٣.

(٤) زاد المعاد ١/٢٥٠.

(٥) فتح الباري ٢/٢٧٨-٢٧٩.

يكنى "أبا سعدة"، فقال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسَّرِيَّة، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء، وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن"، قال ابن حجر: (قوله "لا يسير بالسرية" الباء للمصاحبة والسرية بفتح المهملة وكسر الراء المخففة قطعة من الجيش، ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أي لا يسير بالطريقة السرية أي العادلة، والأول أولى لقوله بعد ذلك "ولا يعدل". والأصل عدم التكرار، والتأسيس أولى من التأكيد. ويؤيده رواية جرير وسفيان بلفظ "ولا ينفر في السرية)[1]. وفي بيان عدل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وإنصافه في الدعاء على من أغضبه، قال ابن حجر في قوله: " (لأدعون بثلاث) أي عليك، والحكمة في ذلك أنه نفى عنه الفضائل الثلاث وهي الشجاعة حيث قال "لا ينفر" والعفة حيث قال "لا يقسم" والحكمة حيث قال " لا يعدل " فهذه الثلاثة تتعلق بالنفس والمال والدين، فقابلها بمثلها: فطول العمر يتعلق بالنفس، وطول الفقر يتعلق بالمال، والوقوع في الفتن يتعلق بالدين، ولما كان في الاثنتين الأوليين ما يمكن الاعتذار عنه دون الثالثة قابلهما بأمرين دنيويين والثالثة بأمر ديني، وبيان ذلك أن قوله " لا ينفر بالسرية " يمكن أن يكون حقًا لكن رأى المصلحة في إقامته ليرتب مصالح من يغزو ومن يقيم، أو كان له عذر كما وقع وهو في القادسية وقوله " لا يقسم بالسوية " يمكن أن يكون حقًا فإن للإمام تفضيل أهل الغناء "أى أهل النفع والكفاية"[2] في الحرب، والقيام بالمصالح، وقوله "لا يعدل في القضية " هو أشدها لأنه سلب عنه العدل مطلقا وذلك قدح في الدين، ومن أعجب العجب أن سعدا مع كون هذا الرجل واجهه بهذا وأغضبه، حتى دعا عليه في حال غضبه، راعى العدل والإنصاف في الدعاء عليه، إذ علقه بشرط أن يكون كاذبا، وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيوي"[3].

---

(١) فتح الباري ٢/٢٨٠.

(٢) المعجم الوسيط ٦٦٥.

(٣) فتح الباري ٢/٢٨٠.

وهذا ما أمر الحق تبارك وتعالى به، فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]. قال ابن كثير: (أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا؛ ولهذا قال: "اعدلوا هو أقرب للتقوى" أى: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه)[2].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: كرامة الله تعالى لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في إجابة الدعاء:

هذا ما ورد في الحديث من قول سعد رضي الله عنه: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء، وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن. قال الراوي: وكان بعد ذلك إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. قال عبدالملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن"، وقد كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مستجاب الدعوة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك"[3]. قال ابن عثيمين: (فأجاب الله دعاءه، فكان هذا الرجل طويل العمر حتى إن حاجبيه سقطت على عينيه من الكبر، وكان فقيرًا، وعرض للفتن، حتى وهو في هذه الحال وهو كبير إلى هذا الحد كان يتعرض للجواري...، وكان يقول: شيخ مفتون كبير أصابتني دعوة سعد، فهذه من الكرامات التي أكرم الله بها سعد بن أبي وقاص)[4].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٢/٣.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٧٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٠).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٨٢/٢.

الحديث رقم (١٥٠٨)

١٥٠٨- وعن عروة بن الزبير: أنَّ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ رضي الله عنه، خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ[١] إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ!؟ قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ((**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ**)) فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا، فَقَالَ سعيد: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. متفق عَلَيْهِ[٢].

وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ[٣] عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ بِمَعْنَاهُ، وأنه رآها عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تقولُ: أصابَتْنِي دَعْوَةُ سَعيدٍ، وأنَّها مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ الَّتي خَاصَمَتْهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، وكانتْ قَبْرَها.

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٥٨).

غريب الألفاظ:

شبرًا: وهو ما بين رأس الخنصر والإبهام من كف مفتوح[٤].

طوقه إلى سبع أرضين: أي يخسف الله به الأرض فتصير البقعة المغصوبة منها في عنقه كالطوق[٥].

---

(١) عند مسلم: (أُويس) بدل: (أوس) قال ابن علان في دليل الفالحين (٣٢٢/٤): (أوس) بفتح، فسكون آخره سين مهملة، ورأيتُه بخط الحافظ ابن سيّد الناس في مؤلفه: (المقامات العليّة): أُوَيْس بالتصغير. وسماها الحافظ ابن حجر في الفتح (٢٩٥/٦) مرة: (أروى بنت أنيس)، وفي (١٠٤/٥) مرّة أخرى: أروى بنت أويس.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٣٨/١٦١٠) واللفظ له.

(٣) برقم (١٣٨/١٦١٠).

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء ٢٢٨.

(٥) النهاية ٥٧٠.

البَيِّنَةُ: الحجة الواضحةُ[١].

تلتمس الجدُرَ: تدور حول الجُدُر -جمع جدار- وتمسكها[٢].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء في هذا الحديث الشريف نجده يموج بكثير من الظواهر الأسلوبية والفنية، والحديث في صياغته الكلية، محاورة أو مخاصمة بين سعيد بن زيد وأروى بنت أوس، حيث خاصمته إلى مروان بن الحكم، الخليفة الأموي، في العهد الثاني للدولة الأموية، وكانت الشكوى إليه وهو أمير على المدينة المنورة، ولنتأمل قول الراوي: "خاصمته" وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقوله: "خاصمته" يفيد بأنها هي التي بدأت بالخصومة، وقوله: "وادَّعت" يوحي بعدم صدق دعواها، ولكنها أكدت هذه الدعوى الكاذبة في قول الراوي حكاية عنها أنه أخذ شيئًا من أرضها، ويأتي رد سعيد نافيًا هذه الدعوى، ولكن ليس في صيغة النفي المباشر، حيث صاغ قوله في أسلوب الاستفهام الإنكاري الذي يستبعد حصول هذا الفعل منه، حيث قال: "أنا آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ"، وفي الحديث بلاغة الحذف للإيجاز، حيث حذف معمول "سمعت"، وقيل: أبهمه للتشوق إليه فيسأل عنه فيذكره عن طلب فيكون أقر عند السامع، ولذلك سأله الأمير مروان بن الحكم، مبتدئًا الحوار المقنع الجميل: "ماذا سمعت من رسول الله ﷺ" وهذا استفهام حقيقي للوصول إلى الحقيقة، والوصول إلى الحكم الصائب في الفصل بين المتخاصمين.

ويصاغ قول رسول الله ﷺ في صيغة، الشرط والجواب، للإفادة بأنه لابد من الثواب أو العقاب على كل ما يقدمه الإنسان من خير أو شر، وجاء حديث رسول الله ﷺ مناسبًا للمقام، وبرهانًا على صدق كلام سعيد بن زيد رضي الله عنه، وكذب دعوى أروى بنت أوس، ولنتأمل هذا البيان النبوي الكريم، "من أخذ شبرًا من الأرض

---

(١) الوسيط في (ب ي ن).

(٢) مرقاة المفاتيح ١٠/٢٩٣.

ظلمًا طوقه إلى سبع أرضين"، وقوله: "شبرًا من الأرض" كناية عن منتهى القلة في المأخوذ، وقوله: "ظلمًا"، يحتمل أن يكون حالاً، أي حال كونه ظالمًا، ويمكن أن يكون تمييزًا أي بجهة الظلم.

وبناء الفعل للمفعول، في قوله: طوّقه: للعلم بالفاعل وهو الله سبحانه وتعالى.

ويتوج الحوار ببراءة سعيد بن زيد رضي الله عنه حيث قال له مروان، لا أسألك بينة بعد هذا؟؟.

وصيغة الدعاء التي توجه بها سعيد بن زيد رضي الله عنه مناجيًا ربه، وشاكيًا إليه أمر هذه المرأة، أظهرت كرامته وولايته، حيث استجاب الله تعالى لدعائه، حين نادى ربه: "اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها"، وقيل: أتى بـ"إن" الشرطية وهي للشك، مع أنه يعرف أنها كاذبة، لاحتمال صدقها في نفس الأمر بأن دخل بعض أرضها في أرضه غفلة أو فعله بعض الخدم من غير علم به.

ودعا عليها بالعمى وقتلها في أرضها، واستجاب الله تعالى له كرامةً ومعونة، وفضلاً وإنصافًا لأنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمسك بالتوجيه النبوي الراشد، فما ماتت المرأة حتى ذهب بصرها، وقالت معترفة بذنبها: "أصابتني دعوة سعيد، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت"، ولذلك صارت حكايتها مثلاً من أمثال العرب: فيقولون إذا دَعُوا: كعمى أروى، وكان أهل المدينة يقولون: عماه الله تعالى كعمى أروى، يريدون هذه القصة الواقعية، التي تبين كرامة أولياء الله تعالى وأحباب رسوله صلى الله عليه وسلم، وتحدد العقاب الذي يلحق بكل من يتهم المسلمين ويتجنى عليهم ويجحد فضلهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الادعاء والافتراء على المؤمنين.

ثانيًا: من مصادر الدعوة: السنة النبوية.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الظلم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة سعيد بن زيد رضي الله عنه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الادعاء والافتراء على المؤمنين:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول الراوي إن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه خاصمته أروى بنت أوس إلى مروان بن الحكم، وادعت أنه أخذ شيئًا من أرضها. "والافتراء: هو العظيم من الكذب، ومعنى افترى: افتعل واختلق ما لا يصح أن يكون، وهذا أعم مما لا يجوز أن يقال ومالا يجوز أن يفعل. وإذا كان بحضرة المقول فيه: سمى بهتانًا"[1]. وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: الافتراء الكذب العظيم الذي يتعجب منه)[2]، وقد توعد الحق تبارك وتعالى لمن انتهج ذلك فقال: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[3]، وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم الافتراء ورهب منه، وأمر بالبعد عنه، "فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وكان شهد بدرًا- وهو أحد النقباء ليلة العقبة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه"، فبايعناه على ذلك)[4].

قال ابن حجر: (في قوله صلى الله عليه وسلم، "ولا تأتوا ببهتان"، "البهتان الكذب الذي يبهت سامعه، وخص الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما...، ويحتمل أن يكون المراد بما بين الأيدي والأرجل، القلب، لأنه هو الذي يترجم اللسان عنه، فلذلك نسب إليه الافتراء، كأن المعنى: لا ترموا أحدًا بكذب تزوّرُونه في أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم)[5].

---

(١) الكليات، للكفوي، ١٥٤.

(٢) فتح الباري ٤٤٩/١٢.

(٣) سورة طه، آية: ٦١.

(٤) أخرجه البخاري ١٨، ومسلم ١٧٠٩.

(٥) فتح الباري ٨٣/١.

ثانيًا- من مصادر الدعوة: السنة النبوية:

هذا ما يستفاد من الحديث من قول سعيد بن زيد رضي الله عنه: "أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: -أى مروان- وما سمعت من رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ... إلخ"، (والسنة النبوية هى كل ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلقية أو خُلقية. وهى المصدر الثاني للداعية بعد القرآن الكريم وهى شارحة القرآن ومبينة له، ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن، وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله، في آلاء الكون، وسنن الاجتماع، وعلل النفوس، ومشكلات الحياة، وضروب الإصلاح، وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب والتحذير من الظلم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه إلى سبع أرضين"، وفي رواية قال ﷺ: من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا، طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين"[2]، قال النووي: (قال القاضي:... وأما التطويق المذكور في الحديث فقالوا: يحتمل أن معناه أنه يحمل مثله من سبع أرضين ويكلف إطاقه ذلك، ويحتمل أن يكون يجعل له كالطوق في عنقه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[3]، وقيل معناه: أنه يطوق إثم ذلك ويلزمه كلزوم الطوق بعنقه، وعلى تقدير التطويق في عنقه، يطول الله تعالى عنقه، كما جاء في غلظ جلد الكافر، وعظم ضرسه، وفي هذه الأحاديث تحريم الظلم وتحريم الغصب وتغليظ عقوبته)[4].

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٥٢، مسلم ١٦١٠.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٠٢١-١٠٢٢.

وقد حذر ورّهب النبي ﷺ من الظلم، وغَصْب الأرض ونحو ذلك، فقال: ((الظلم ظلمات يوم القيامة))[١]، وبين ﷺ أن للمظلوم في ذلك دعوة لا ترد، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى المين، فقال: ((اتق دعوة المظلوم، فإنها ليست بينها وبين الله حجاب))[٢]. وقد حث النبي ﷺ على التحلل من الظلم ونحوه في الدنيا قبل الآخرة فقال: ((مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ))[٣].

قال ابن حجر: (وقوله ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه" اللام في قوله "له" بمعنى على، أي من كانت عليه مظلمة لأخيه، وقوله ﷺ: "من عرضه أو شيء" أي من الأشياء، وهو عطف العام على الخاص، فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوها، وقوله ﷺ: "قبل أن لا يكون دينار ولا درهم" يوم القيامة.

وقوله ﷺ: (أخذ من سيئات صاحبه) أي صاحب المظلمة (فحمل عليه) أي على الظالم، وفي رواية مالك "فطرحت عليه"، وهذا الحديث قد أخرج مسلم معناه من وجه آخر، وهو أوضح سياقا من هذا ولفظه: "المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وسفك دم هذا وأكل مال هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه وطرح في النار)[٤]، ولا تعارض بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥]، لأنه إنما يعاقب بسبب فعله وظلمه، ولم يعاقب بغير جناية منه بل بجنايته، فقوبلت الحسنات بالسيئات على ما اقتضاه عدل الله تعالى في عباده[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ٦٥٧٩.

(٥) سورة الزمر، آية: ٧.

(٦) فتح الباري ١٢٢/٥.

فعلى المرء أن يجتنب المظالم، وأن يسعى في ردها إلى أصحابها، حتى يتسنى له النجاة يوم القيامة، من ظلم مظلمته وسوء غائلته.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة سعيد بن زيد رضي الله عنه:

الكرامة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد ولي[1]. وهذا ما ظهر في الحديث من قول سعيد رضي الله عنه: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، قال الراوي: فما ماتت حتى ذهب بصرُها، وبينما هى تمشي في أرضها إذا وقعت في حفرة فماتت، وفي رواية مسلم قال الراويك وأنه رآها عمياء تلتمس الجُدُر تقول: أصابتني دعوة سعيد، وإنها مرت على بئر في الدار التي خاصمَتْه فيها، فوقعت فيها، وكانت قبرها.

"وسعيد بن زيد رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه"[2]، وهو القائل رضي الله عنه: ((أَشْهَدُ عَلَى التِّسْعَةِ أَنَّهُمْ فِي الجنَّةِ وَلَوْ شَهِدْتُ عَلَى العَاشِرِ لَمْ آثَمْ. قِيلَ وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِحِرَاءَ فقالَ اثْبُتْ حِرَاءُ فإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إلاَّ نَبِيٌّ أَوْ صدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، قِيلَ وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعلِيٌّ وَطَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وَسعْدٌ وَعبْدُ الرَّحْمنِ بنُ عَوْفٍ، قِيلَ فَمَنِ العَاشِرُ قالَ أَنَا))[3]. وقد أجاب الله تعالى دعائه كرامة له في قوله من الحديث: "اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واقتلها في أرضها" قال ابن عثيمين: (فما كان لهذه المرأة إلا أن أعماها الله عز وجل قبل أن تموت، وبينما هى تمشي في أرضها ذات يوم إذ سقطت في بئر فماتت، فكانت البئر قبرها، في نفس الأرض التي كانت تخاصم سعيد بن زيد رضي الله عنه فيها، وهذا من كرامة الله عز وجل لسعيد بن زيد أن الله أجاب دعوته وشاهدها حيًا قبل أن يموت)[4].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ٣٦١/١، ط مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢٤/١

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٥٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٥).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين ١٥٨٤/٢.

الحديث رقم (١٥٠٩)

١٥٠٩- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دعَانِي أَبِي من اللَّيلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إلاَّ مَقْتُولاً في أوْلِ مَنْ يُقْتَلُ من أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ، وإنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رسول الله ﷺ، وإنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ في قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أنْ أتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أشْهُرٍ، فإذا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذنِهِ (فَجَعَلْتُهُ في قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ)[1]. رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أُحُد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي وقعت ٣هـ[3].

ما أراني: بضم الهمزة بمعنى الظن[4].

على حِدةٍ: بمفردي، والحدة بمعنى التوحد[5].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث صفحة مشرقة ناصعة من سجل الشهداء المُفْعَم بالبطولات والكرامات، والمفاخر والانتصارات، وهذه الصفحة يروي أحداثها الصحابي الجليل جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، حيث يحكي عن أبيه قصته هذه الكرامة الحقيقية التي مَنَّ الله تعالى عليه بها في غزوة أحد، وهذه القصة تتماوج أحداثها، وتتألق مشاهدها،

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم (١٣٥٢).

(٢) برقم (١٣٥١).

(٣) أطلس الحديث النبوي ٢٣، أطلس السيرة النبوية ١١٩، معجم لغة الفقهاء ٤٢٠.

(٤) فتح الباري ٢٥٦/٣.

(٥) انظر: القاموس المحيط في (و ح د).

وتفيض بكثير من جماليات الأسلوب، وأسرار التعبير، ولنتأمل قوله: "دعاني أبي من الليل"، والمراد في الليل أو في جزء من الليل لأن "من" إما أن تكون بمعنى في أو تكون للتبعيض؛ وأسلوب القصر في قوله: "ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل": يكشف عن النية الصادقة والرغبة في الاستشهاد، والإقدام على القتال والدفاع عن الإسلام.

وقد تحقق لعبدالله رضي الله عنه ما أراد: وصدق حدْسُه، فكان أول قتيل، وفي قوله: "من أصحاب رسول الله ﷺ"، بيان بعد الإبهام في قوله: "في أول من يقتل"، وهذا البيان يوحي بأن هذا الشهيد يشعر بالشرف في استشهاده مع أصحاب رسول الله ﷺ الذين يدافعون عن راية الإسلام، ويوحي كذلك بأنه يبعد عن نفسه أي شبهة تلحقه بالفريق الآخر من المشركين والمنافقين.

ولنتأمل ما يوحي به أسلوب القصر من شدة المحبة لرسول الله ﷺ قبل محبة الابن، وهذه المحبة هي التي تدفعه إلى التضحية والاستشهاد في سبيل الله تعالى؛ حيث قال لابنه: وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غيَر نَفْسِ رسول الله ﷺ، والقصر هنا طريقه النفي، "لا" والاستثناء "غير".

وتكرار التأكيد، في قوله: "وإني لا أترك"، و"إن عليّ دَينًا"، يرشد إلى حرص هذا الصحابي الشهيد على تأكيد محبته لرسول الله ﷺ، وحرصه كذلك على أن يموت وليس عليه دين لأحد، وأن يستوصي ابنه بأخواته خيرًا، وهذه الوصية التي تكرر فيها فعل الأمر مرتين، "فاقض واستوص بأخواتك خيرًا"، توحي بأن الرجل مُقدم على الاستشهاد وفي شجاعة وحب للإسلام، وشوق للقاء الله عز وجل، حيث الجزاء الأوفى.

والعطف بـ"الفاء" في قوله: "فأصبحنا فكان أول قتيل": يدل على سرعة الحركة، وسرعة المبادرة إلى القتال، والاستشهاد، وتتحقق الكرامة، ويتجلى الفضل، وتصدق النية.

والعطف بـ"ثم" في قوله: "ثم لم تطب نفسي" يوحي باتساع المدة الزمنية، حيث مرت ستةُ أشهر، وظهرت كرامة أخرى، وهي أن جسده وجد كيوم وضع في القبر غير أذنه، والعطف بالفاء في قوله: "فاستخرجته، فإذا هو، فجعلته في قبره يدل على تتابع

الأحداث، والإسراع في نقل جثمان الشهيد ودفنه عملاً بالسنة النبوية الشريفة، واتباعًا لتعاليم الإسلام في وجوب الإسراع في دفن الميت، والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وهو فرحون بما أتاهم الله تعالى من فضله.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة أحد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عبدالله، والد جابر رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة في سبيل الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: أهمية قضاء الدَيْن عن الميت والشهيد.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة أحد:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: لما حضَرْت أحدٌ دعاني أبي من الليل، "وقد كانت وقعة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، وكان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر، ورجع فَفَلُهُم إلى مكة قال أبناء من قتل، ورؤساء من بقى: يا معشر قريش، إن محمدًا قد وَتَرَكم، وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا، وخرجت قريش بحدّها وحديدها وأحابيشها في قريب من ثلاثة الآف، حتى نزلوا قريبًا من أحد تلقاء المدينة"[1]، "واستشار رسول الله ﷺ الناس، أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة؟ فأشار عبدالله بن أبيّ بالمُقَام بالمدينة، وأشار آخرون من الصحابة رضي الله عنهم ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم فنزل رسول الله ﷺ على رأيهم، وسار ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كان "بالشوط"[2] رجع عبدالله بن أبي في ثلث الجيش مغضبًا لكونه لم يُرْجَع إلى قوله، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه، والرماه

---

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، (٣/٢٤، ٢٣).

(٢) وهو اسم حائط من بساتين المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٤٩٥.

يومئذ خمسون رجلاً"[١]، فقال لهم رسول الله ﷺ: ((انضحوا الخيل عنا ولا نؤتين من قبلكم والزموا مكانكم، إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم))[٢]. فلاح النصر للمسلمين وتخلف الرماة عن أمر النبي ﷺ، فانتهز خالد بن الوليد رضي الله عنه - قبل إسلامه - الموقف، وحقق التفافًا جعل المسلمين في موقف حرج، واستشهد حمزة، ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. وقد استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون شهيدًا"، ولكن على الرغم من الانتصار العسكري لقريش إلا أنها لم تستطع استئصال المسلمين، ولم يتحقق لها فتح طريق تجارة مكة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عبدالله، والد جابر رضي الله عنهما:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: لما حضرت أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ...، فكان أول قتيل؛ ودفنت معه آخر في قبره ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه، فجعلته في قبر على حدة، قال ابن حجر: في بيان قوله ﷺ: "ما أُراني" "بضم الهمزة"، بمعنى الظن، "وذكر الحاكم في المستدرك" عن الواقدي أن سبب ظنه ذلك منام رآه أنه رأى مبشر بن عبدالمنذر -وكان ممن استشهد ببدر- يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام، فقصها على النبي ﷺ فقال: هذه الشهادة"[٣]...)[٤]، وقال ابن حجر: (وفي الحديث كرامة لعبد الله رضي الله عنه وذلك بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها)[٥]، وقال ابن عثيمين: (وفي الحديث كرامة لأبي جابر وهو عبدالله بن حرام أنه رضي الله عنه صدق الله رؤياه، فصار أول قتيل في أحد، دفن ولم تأكل الأرض منه شيئًا إلا يسيرًا، وقد مضى عليه ستة أشهر وهذا من كراماته، واعلم أن الإنسان إذا

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٣٨/٥.

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام، ٢٩/٣، بدون إسناد.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٤٩٦٨، قال محقق المستدرك: قال الذهبي: بإسناده مظلم، انتهى.

(٤) فتح الباري ٢٥٦/٣.

(٥) انظر: فتح الباري ٢٥٨/٣.

دفن فإن الأرض تأكله "لا يبقى إلا عَجَبُ الذنب)[١]، قال النووي أي: (العظيم اللطيف في أسفل الصلب وهو: رأس العصعص... وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو: الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه)[٢]. (إلا الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فإن الأرض لا تأكلهم، كما قال النبي ﷺ: "... إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[٣]، أما غير الأنبياء، فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع الله الأرض أن تأكل أحدًا كرامة له)[٤]، وهذا ما كان لعبدالله بن حرام رضي الله عنه.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حرص أصحاب رسول الله ﷺ على الشهادة في سبيل الله:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. "لما حَضَرَتْ أحدٌ دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ"، قال ابن حجر نقلاً عن ابن التين في قوله " ما أُرَاني"[٥] إنما قال ذلك بناء على ما كان عزم عليه، وفي ذلك بيان على حرصه رضي الله عنه على الشهادة في سبيل الله، وقد كان ذلك نهجًا وطريقًا لأصحاب رسول الله ﷺ، وليس أدل على ذلك من حرصهم رضي الله عنهم على الشهادة في نَهَاوند، فبعد أن أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيش المسلمين إلى نهاوند وقد أمّرَ عليهم النعمان بن مُقرِّن المزني، أرسل إليهم بنذاذقان العلج - وهو رأس فارس وقائدهم والعلج هو الرجل من كفار العجم- أن أرسلوا إلينا يامعشر العرب رجلاً منكم نكلمه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، فأغلظ له بنذاذقان القول، فقال له المغيرة رضي الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "واللَّهِ ما أَخْطَأْتَ مِنْ صِفَتِنا ونَعْتِنا شيئًا، إنْ كُنَّا لأَبْعَدَ الناسِ دارًا، وأَشَدَّ الناسِ جُوعًا، وأعظمَ الناسِ شَقاءً، وأبعدَ الناس مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، حتى بَعَثَ اللَّهُ إلينا رسولا، فَوَعَدَنا النَّصْرَ في الدُّنْيَا والجَنَّةَ في الآخرةِ، فَلَمْ نَزَلْ نتعرفُ من رَبِّنَا مُذْ جَاءَنا رسولُه، الفَلْجَ

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٥٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٧٠٦.

(٣) ابن ماجه ١٠٨٥، صححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه٨٨٩).

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٨٥/٢، ١٥٨٦.

(٥) فتح الباري ٢٥٦/٣.

- أي: الظفر والفوز- والنصرَ حتى أتيناكُمْ، وإنَّا واللهِ نَرَى لكُمْ مُلْكًا وعَيْشًا، لا نَرْجِعُ إلى ذلِكَ الشقاءِ أَبَدًا، حتى نَغْلِبَكُمْ على ما في أَيْدِيكُمْ أو نُقْتَلَ في أَرْضِكُمْ"، وبعد أن تجيش جيش الإسلام عابرًا إلى نهاوند قال النعمان: اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وأهله، وذل الكفر وأهله، ثم اختم لي على إثر ذلك بالشهادة، وقد استجاب الله للنعمان ففتحت نهاوند، واستشهد النعمان، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبكى واسترجع وقال: لمن أخبره بذلك. ومن ويحك؟ فقال: فلان وفلان وفلان، حتى عد ناسًا، ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين: لا تعرفهم - يقصد بذلك من كتب الله لهم الشهادة- فقال عمر رضوان الله عليه وهو يبكي: لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر لكن الله يعرفهم [1]، وفي ذلك بيان عظيم على حرص الصحابة رضي الله عنهم على بذل أنفسهم في سبيل الله وطلبهم للشهادة.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: أهمية قضاء الدين عن الميت والشهيد:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول عبدالله لابنه جابر رضي الله عنهما: وإنّ على دينًا فاقضِ، وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية وضرورة قضاء الدين عن الميت والشهيد، فقال: "القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدَيْن"[2]، وعن أبي قتادة، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله! أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَيْن، فإن جبريل عليه السلام، قال لي ذلك"[3]، قال النووي في قوله صلى الله عليه وسلم "إلا الدين" "ففيه تنبيه على جميع حقوق الآدميين وأن الجهاد والشهادة وغيرهما من أعمال البر لا يكفر حقوق الآدميين، وإنما يكفر حقوق الله"[4].

---

(١) انظر: صحيح ابن حبان ٤٧٥٦، وقال محققو الصحيح إسناده قوي.

(٢) أخرجه مسلم ١٨٨٦.

(٣) أخرجه مسلم 5188.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢١١.

الحديث رقم (١٥١٠)

١٥١٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلين مِنْ أصحاب النَّبيِّ ﷺ، خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ، في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ[1].

رواهُ البُخاريُّ مِنْ طُرُقٍ[2]؛ وفي بَعْضِهَا[3]: أنَّ الرَّجُلَيْنِ أُسَيْدُ بنُ حُضير، وَعَبّادُ بنُ بِشْرٍ رضي الله عنهما[4].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يقول رسول الله ﷺ: "أصحابي كالنجوم" في الهداية، بأيهم اقتديتم اهتديتم، وهذا الحديث الشريف برهان ساطع، ودليل قاطع على أفضلية الصحابة الأخيار، الكرام الأطهار، فنورهم يسعى بين أيديهم، وكما أضاء الله تعالى قلوبهم بأنوار الإيمان، أضاء لهم ظلمات الليل ببصيرة العرفان، وعطاء الرحيم الرحمان، وبفضل حبهم للمصطفى العدنان ﷺ.

والحديث يبدأ بتأكيد خبر هذه الكرامة، وذلك الفضل الكبير، حيث يؤكد أنس روايته في قوله: "أن رجلين"، والرجلان هما أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، ولم يحدد في هذه الرواية لتعميم الفضل، وللإيحاء بأن أي رجلين من صحابة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥).

(٢) أرقامها: (٤٦٥)، و (٣٦٣٩)، و (٣٨٠٥).

(٣) قال البخاري عقب الحديث رقم (٣٨٠٥): وقال معمر، عن ثابت، عن أنس، إنَّ أسيد بن حُضير ورجلًا من الأنصار. وقال حمّاد: أخبرنا ثابت، عن أنس: كان أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر عند النبي ﷺ.

(٤) بل أكّد أنهما أسيد بن حُضير وعبّاد بن بشر، حيث ترجم للحديث بقوله: (باب: منقبة أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر).

سينعمان بهذا الفضل، وذلك التكريم لأنهم كلهم، كالنجوم في الهداية، ولذلك زاد الأمر تأكيدًا بهذا البيان الذي حدد نوعية الرجلين، فهما من أصحاب النبي ﷺ، والأمر يزداد تأكيدًا، وفضلاً حين يحدد الراوي أنهما اكتسبا ذلك النور الحسي الذي أضاء لهما ظلمات الليل، وكأن في يد كل منهما مصباح، هذا النور اكتسباه لأنهما صحابيان، ولأنهما خرجا من عند النبي ﷺ، وتحديد الوقت الذي خرجا فيه، وطبيعته وهو في ليلة مظلمة يوحي بشدة إكرام الله تعالى لهذين الرجلين، وإسناد الإظلام إلى الليلة مجاز عقلي، لأن الليلة ذات ظلمة، وهي لا تظلم بنفسها، وجملة "ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما"، في موقع الحال، فهي تصور هذين الصحابين حالة خروجهما من عند رسول الله ﷺ، والظلام دامس، ولكن الله تعالى أكرمهما بأن جعل النور يشع بين أيديهما.

وتكتمل مشاهد هذه القصة حينما يفترقان، لم ينقطع النور، ولم يستأثر به أحدهما دون الآخر.

ولكن صار مع كل واحد منهما مثل المصباح، والتعبير بقوله: "مع كل واحد منهما" يفيد التحديد والتخصيص، وقوله: "واحد"، أي مصباح، إشارة إلى أن هذا النور من كرم الله تعالى، وعطائه، وفيوضاته، فالله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والتعبير بقوله: "حتى أتى أهله"، يفيد الغائية. ويوحي بطول المسافة واتساع المساحة الزمنية، وفيه كذلك كناية عن السلامة والوصول والأمن والأمان، وبأن هذا النور الإلهي كان من أسباب حفظهما من شرور الظلام، وقِطَع الليل المظلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد كأسلوب دعوي في الحديث من قول أنس رضي الله عنه مؤكدًا كرامة

اثنين من أصحاب النبي ﷺ في خروجهم من عنده ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، والتوكيد من الأساليب الدعوية الهامة التي تعين الداعية على تقوية كلامه وإثبات ما يدعو إليه في أذهان المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما:

هذا ما ورد في نص الحديث من قول أنس رضي الله عنه: إن رجلين من أصحاب النبي ﷺ، خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما... إلخ"

وفي رواية: أن الرجلين أسيد بن حضير وعباد بن بشر. قال ابن عثيمين: "...، وهو حديث الرجلين أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما، كانا عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، وكان في ذات الوقت ليس في الأسواق أنوار، بل ولا في البيوت مصابيح، فخرجا من عند النبي ﷺ في تلك الليلة، الليلة المظلمة، فجعل الله تعالى بين أيديهما مثل المصابيح...، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما، ولكن الله تعالى خلق نورًا يسعى بين أيديهما، حتى تفرقا وتفرق النور مع كل واحد منهم، حتى بلغا بيوتهما، وهذا كرامة الله عز وجل لهما"[1]، "والكرامة: الاسم من كَرُم، والجمع كرامات، وهى ما يكرم الرب تبارك وتعالى به عباده من أنواع الإفضالات، وهى عامة وخاصة. فالعامة هى ما كرَّم الله به بني آدم، وفضلهم به على غيرهم من هذه المخلوقات الأرضية، ومن ذلك اعتدال القامة، والخلق في أحسن تقويم، والعقل والمنطق، وتدبير المعاش وإصلاحه،... قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2]، والخاصة وهى أفضلهما: ما يكرم الله تعالى به بعض عباده من هدايتهم إلى الإيمان، وتوفيقهم إلى طاعته تعالى بفعل المأمورات، وترك المنهيات فهذه الاستقامة على الإيمان والطاعة من أعظم الكرامات...، وأخص من هذه الكرامات، كرامة الإيمان والاستقامة، ما يكرم الله

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٥٨٦.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

تعالى به بعض عباده زيادة على الإيمان والتقوى، من الورع والتقلل من المباحات والإكثار من نوافل العبادات من صلاة، وصدقات، ورباط، وجهاد، وصيام، وحج، وهؤلاء هم الموصوفون بالمقربين والسابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[1]...، فهؤلاء في أعلى مرتبة من مراتب الولاية، إذا يعرفون باستقامتهم، واستجابة ربهم لهم فيما يسألونه ويطلبون، فلو سألوه زوال جبل لزال، ولو أقسموا عليه تعالى لأبرهم، وهم الذين يظهر الله تعالى على أيديهم ببركة دعائهم خوارق العادات"[2]. وهذا ما ظهر في الحديث من كرامة الله تعالى لأسيد بن حضير، وعباد بن شبر رضي الله عنهما، من جعل بين أيديهما مثل المصابيح.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن مبنى الكرامات على الإيمان والتقوى:

هذا ما يستفاد من الحديث في ذكر صحابيين جليلين، هما أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما، فأما أسيد بن حضير رضي الله عنه فقد حظى بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "نعم الرجل أسيد بن حضير"[3]،

"وكان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن"[4]، وقد قرأ من القرآن ليلة فإذا مثلُ الظُلّة فيها أمثال المصابيح، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، قال له: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحَتْ ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم"[5]، وأما عباد بن بشر فقد فاز بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم اغفر له"[6]، "وهو الذي قالت فيه عائشة رضي الله عنها ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً، كلهم من بني عبد الأشهل، سعد بن

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ١٠-١٤.

(٢) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ١٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٧٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٩٥٩).

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٣٤١/١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠١٨.

(٦) أخرجه البخاري ٢٦٥٥.

معاذ، وعباد بن بشر، وأسيد بن حضير"[١]. "فكرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله"[٢]، وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: "إن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا"[٣].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في المغازي كما في الإصابة، ٧٦/١ ط الزيني، ومن طريقه الحاكم في المستدرك ٢٢٩/٣، وإسناده حسن فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبه تدليسه.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، مطبعة معارف لاهور، باكستان، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ١٧٠.

(٣) فتح الباري ٤٤٣/٧.

الحديث رقم (١٥١١)

١٥١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بعث رسول الله ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّة، وأمَّرَ عَلَيْهَا[١] عاصِمَ بنَ ثابتٍ الأنْصَارِيَّ رضي الله عنه، فانطلقوا حَتَّى إذَا كَانُوا بالهَدْأةِ[٢]؛ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ؛ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْل يُقالُ لَهُمْ: بَنُو لحيانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ[٣] بقَرِيبٍ مِنْ مِئَةِ[٤] رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ[٥]، فَلَمَّا أحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وأصْحَابُهُ، لَجَأُوا إلَى مَوْضِعٍ[٦]، فَأَحاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا: انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأيْدِيكُمْ وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ أنْ لا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أحَدًا. فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أيُّهَا القَوْمُ، أمَّا أنا، فَلاَ أنْزِلُ عَلَى ذِمَّةِ كَافِرٍ: اللَّهُمَّ أخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ، فَرَمُوهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا[٧]، وَنَزَلَ إلَيْهِمْ ثَلاثَةُ نَفَرٍ عَلَى العَهْدِ والمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أطْلَقُوا أوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أوَّلُ الغَدْرِ واللهِ لا أصْحَبُكُمْ إنَّ لِي بِهؤُلاءِ أُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرُّوهُ[٨] وعَالَجُوهُ، فأبى أنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وزَيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّى بَاعُوهُما بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ؛ فابْتَاعَ بَنُو الحارِثِ بن عامِرِ بنِ نَوْفَلِ بنِ عبدِ مَنَافٍ خُبيبًا، وكان خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ. فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أسيرًا حَتَّى أجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أتَاهُ، فَوَجَدَتهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالموسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ. فَقَالَ: أتَخْشَيْنَ أن أقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لأفْعَلَ ذَلِكَ! قالت: واللهِ مَا رَأيْتُ أسيرًا خَيرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فواللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَومًا يَأكُلُ

---

(١) لفظ البخاري: (عليهم).

(٢) عند البخاري زيادة: (وهو). وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه.

(٣) إلى هنا لفظ البخاري برقم (٣٠٤٥).

(٤) في رواية شعيب برقم (٣٠٤٥): (مئتي).

(٥) عند البخاري زيادة: (حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزل نزلوه، فقال: تمر يثرب).

(٦) في رواية شعيب: (إلى فدفد).

(٧) في رواية شعيب: (في سبعة).

(٨) لفظ البخاري في هذه الرواية: (فجرروه).

قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وإنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا. فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: واللهِ لَوْلاَ أنْ تَحْسَبُوا أنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ: اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بِدَدًا، وَلاَ تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا. وقال:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإلَهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[1]

[2] وكان خُبَيبٌ هُوَ الذي سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلاَةَ. وأخْبَرَ -يعني: النبيَّ ﷺ- أصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى عَاصِمِ بنِ ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أنَّهُ قُتِلَ أن يُؤْتَوا بِشَيءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وكَانَ قَتَلَ رَجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا أنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. رواه البخاريُّ[3].

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ سَبَقَتْ في مَوَاضِعِها مِنْ هَذَا الكِتَابِ.

مِنْهَا: حديثُ الغُلامِ الَّذي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ[4].

ومنها: حَديثُ جُرَيْجٍ[5].

وحديثُ أصْحابِ الغَارِ الذين أطْبَقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ[6].

وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذي سَمِعَ صَوْتًا في السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ[7].

وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَالدلائِل في البابِ كثيرةٌ مشهُورةٌ، وباللهِ التَّوفيقِ.

---

(١) الإصابة ١٢٦٣/٢، وحلية الأولياء ١١٣/١، والمنتظم ٢٠٢/٣.

(٢) عند البخاري زيادة: (ثمّ قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله).

(٣) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٢٥٣/٣، رقم ٢٥٥٤).

(٤) تقدم برقم (٣٠).

(٥) تقدم برقم (٢٥٩).

(٦) تقدم برقم (١٢).

(٧) تقدم برقم (٥٦١).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رهط: الرهط من الرجال ما دون العشرة وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه[١].

سَرِيّة: السرِيّة: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو[٢].

عُسفان: موضع بين الجحفة ومكة المكرمة[٣].

الهدأة: محل بين مكة وعسفان[٤].

نفروا لهم: خرجوا لقتالهم[٥].

فاقتصوا: تتبعوا آثارهم[٦].

آثارهم: الآثار جمع أثر وهو بمعنى العلامة، من أثر المشي على الأرض[٧].

فأعطوا بأيديكم: كناية عن الدخول في الطاعة[٨].

الذمة: العهد والأمان والضمان[٩].

أوتار قسيهم: جمع وَتَر وهو معلّق القوس[١٠].

وعالجوه: صارعوه[١١].

---

(١) النهاية في (ر هـ ط).

(٢) النهاية في (س ر ي).

(٣) ينظر: أطلس الحديث النبوي ٢٦٩.

(٤) ينظر دليل الفالحين ١٥٦٧.

(٥) النهاية في (ن ف ر).

(٦) النهاية في (ق ص ص).

(٧) النهاية والوسيط في (أ ث ر).

(٨) دليل الفالحين ١٥٦٧.

(٩) النهاية في (ع ل ج).

(١٠) المعجم الوسيط في (و ت ر).

(١١) النهاية في (ع ل ج).

بدر: غزوة بدر، هي الغزوة التي كانت بين المسلمين وقريش في رمضان ٢هـ[١].

يستحد: من الاستحداد وهو حلق العانة بالحديد[٢].

فدرجُ بنَيٌّ لها: مشى مشية الصاعد في الدَّرَج، بُنَيّ: ولد صغير تصغير ابن[٣].

قطفًا: عنقودًا، وهو اسم لكل ما يقطف[٤].

لموثق بالحديد: مأسور مشدود في الحديد[٥].

جَزَع: الجَزَع: الحزن والخوف[٦].

واقتلهم بددًا: جمع بِدَّةٍ، وهي النصيب، ومعناه اقتلهم حصصًا منقسمة لكل واحد منهم نصيب، ومن فتح الباءَ قال: معناه: متفرقين في القتل واحدًا بعد واحد من التبديد[٧].

مصرعى: موتى[٨].

أوصال: أعضاء جمع وِصل[٩].

شِلْو: الشِلْو: القطعة من اللحم[١٠].

ممزع: مقطع[١١].

الظُّلَّةُ: السحاب[١٢].

---

(١) أطلس الحديث النبوي ٦٥.

(٢) النهاية في (ح د د).

(٣) انظر القاموس المحيط في (د ر ج)، المعجم الوسيط في (ب ن و).

(٤) النهاية في (ق ط ف).

(٥) النهاية في (و ث ق).

(٦) النهاية في (ج ز ع).

(٧) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

(٨) دليل الفالحين ١٥٦٩.

(٩) النهاية في (و ص ل).

(١٠) النهاية في (ش ل و).

(١١) النهاية في (م ز ع) .

(١٢) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

الدَّبر: النحل[١].

قُتِل صبرًا: أصل الصبر الحبس، والقتل صبرًا: أن يُمْسَك ويُحْبس شيءٌ من ذوات الأرواح حيًا ثم يرمي بشيء حتى يموت والمعنى أنهم حبسوه حتى قتلوه[٢].

الشرح الأدبي

ما أعظم المشاهد الجليلة التي سطرها صحابة رسول الله ﷺ، وما أجمل وقائع السيرة النبوية العطرة التي تحفل بجلائل الأعمال، ونوادر المواقف، وأجلَّ العظات والعبر.

وهذا الحديث فصل واقعي مجيد من فصول تاريخ الدعوة الإسلامية، وقد جرت أحداثه في السنة الثالثة من الهجرة النبوية الشريفة، حيث قَدِم وفدٌ من قبائلَ عضل والقارة[٣] على رسول الله ﷺ يذكر أن أخبار الإسلام قد وصلتهم، وأنهم بحاجة إلى من يعلمهم شؤون هذا الدين، فبعث الرسول ﷺ نفرًا من أصحابه، وفيهم هذا الرهط، والرهط معناه، الجمع، وقال ثعلب: الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معناهم الجمع وهو للرجال دون النساء.

وهذه القصة الواقعية تموج بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية، وتحتشد جوانبها بعناصر القصة ففيها.. الأمكنة، والشخصيات، والأحداث، والحوار، والحبكة والعقدة. والحل أو لحظة التنوير، وهي تتوج بإظهار كرامة الصحابة وبيان فضلهم، لأنهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فالذي بعثهم هو رسول الله ﷺ، وهو الذي أَمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث القصص الواقعي التاريخي:

أ- الحوار بين وفد المسلمين "السرية" وبني لحيان من هذيل، وهذا الحوار يكشف عن صدق المسلمين[٤] وعن غدر الكفار الذين أعطوا المسلمين العهد والميثاق بأن لا يقتلوا منهم أحدًا، ولكنهم غدروا بهم وقتلوهم، وباعوا بعضهم في مكة.

---

(١) رياض الصالحين، النووي ٥١٨.

(٢)النهاية، ومختار الصحاح، والمعجم الوسيط في (ص ب ر)، و(ق ت ل).

(٣) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٢٥٣/٣، رقم ٢٥٥٤)..

(٤) برقم (٣٩٨٩) وبرقم (٣٠٨٦)، انظر: الجمع للحميدي (٢٥٣/٣، رقم ٢٥٥٤)..

ب- النداء والتأكيد في موقف عاصم ورفضه الإذعان للكفار، في قوله: "أيها القوم: أما أنا فلا أنزل على ذمة كافر"، وحذف حرف النداء لأن المقام مقام الإيجاز والاختصار والتحذير، وهو أميرهم، وقد تضمن كلام عاصم الشرط، والتأكيد من خلال هذا الأسلوب الشرطي، "وأما" للتفصيل والتوضيح.

ج- قولهم: "فأعطوا بأيديكم"، يتضمن الكناية عن الدخول في الطاعة، والباء مزيدة للتأكيد.

د- الدعاء الصادق المستجاب، حين دعا عاصم ربه، اللهم "أخبر عنا نبيك"، أي بالوحي إليه، وقد عرف رسول الله ﷺ خبر هؤلاء الصحابة، وذلك من معجزاته ﷺ ومن كرامات عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

ه- العطف بالفاء في قوله: "فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا" يجسد غدر الكفار، وإسراعهم في القتل ونكث العهد، ويزداد الغدر حين استمكنوا منهم، وقتلوا الرجل الثالث، وباعوا خبيبًا وزيدًا بمكة.

و- العُقْدة: تتجلى في أحداث القصة، حيث المفارقة التي أفزعت الأم وهبت مذعورة حين رأت طفلها يجلس على فخذ خبيب رضي الله عنه وفي يده الموسى التي استعارها ليستحدَّ بها، وظنت المرأة أن خبيبًا سيقتل الطفل وينتقم لنفسه، ولكنها وقفت مندهشة حينما رأت خبيبًا يلاطف ابنها كأنه أب شفوق. وقال لها في صيغة الاستفهام الإنكاري، "أتخشين أن أقتله: ما كنت لأفعل ذلك".

ز- تكرار القسم والتأكيد في شهادة الأم لخبيب بعد موقفه الإيماني من الطفل: حيث أقرت بكرامة خبيب وولايته تقول: "والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من العنب، وأنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، ودعاء خبيب على المشركين استجابه الله تعالى وهزمهم، وكذلك حمى عاصم منهم، وبعث له مثل الظلة من النحل، حتى لا يمثلوا بجثته؟!!!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحكمة من بعث السرايا ودورها في الجهاد في سبيل الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية أخذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحرص على سنن الفطرة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الإسلام في عدم الغدر أو قتل الأولاد.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة خبيب بن عدى رضي الله عنه.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عاصم بن ثابت رضي الله عنه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحكمة من بعث السرايا ودورها في الجهاد في سبيل الله:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشرة رهط عينًا سرية، والسرية في النهاية "هى طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة تبعث إلى العدو، وجمعها السرايا، سموًا بذلك لأنهم خلاصة العسكر وخيارهم، من الشيء السري النفيس، وقيل: سُموا بذلك لأنهم ينفذون سرًا وخفية"[1]، والحكمة من إرسال السرايا وتوجيهها يكمن في قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[2]، "فبعد أن استقر أمر المسلمين أخذوا يرسلون سراياهم المسلحة تجوس خلال الصحراء المجاورة، وتخترق طريق القوافل المارة بين مكة والشام، وتستطلع أحوال القبائل الضاربة هنا وهناك، وكان الهدف من ذلك إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسملين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم. ذلك الضعف الذي مكّن قريشًا في مكة، من مصادرة عقائدهم وحرياتهم واغتصاب دورهم، وأموالهم، ومن حق المسلمين أن يعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها، فإن المتربص بالإسلام في المدينة كثر، ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده"[3]. فكان للسرايا دور عظيم في الجهاد في سبيل الله.

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤٢٧.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٣) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٢١٢-٢١٣.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية أخذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي "فأحاط بهم القوم، فقالوا: انزلوا، فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت أيها القوم أما أنا، فلا أنزل على ذمة كافر"، قال ابن عثيمين: (أي لا أنزل على عهد كافر؛ لأن الكافر قد خان الله عز وجل، ومن خان الله خان عباد الله)[1].

"وقد وقع في رواية ابن إسحاق رضي الله عنه أن عاصم رضي الله عنه أخذ ينشد قائلاً:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلٌ ... وَالقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ

تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا المَعَابِلُ ... المَوْتُ حَقٌّ وَالحَيَاةُ بَاطِلُ

وَكُلُّ مَا حَمَّ الإِلَهُ نَازِلٌ ... بِالمَرْءِ وَالمَرْءُ إِلَيْهِ آيِلُ[2]

إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِي هَابِلُ[3]

هابل: أي: فاقد: يقال: "هبلَتْه أمه. إذًا فقدته"[4].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمان ولا يمكن من نفسه ولو قتل، أنفة من أن يجري عليه حكم كافر، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة فإذا أراد الأخذ بالرخصة له أن يستأمن)[5].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى المؤمنين باتخاذ الحيطة والحذر وعدم الأمن لمكر الأعداء من الكفار فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[6]، قال السعدي: (يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٥٨٩/٢.

(٢) البداية والنهاية ٦٤/٤، والبدء والتاريخ ٢١٠/٤، والأبيات لعاصم ابن ثابت.

(٣) سيرة ابن هشام ١٢٤/٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٩٩٨.

(٥) فتح الباري ٤٤٤/٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٧١.

الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم، ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمى والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم والنفير في سبيل الله)[١]، ثم بين الحق تبارك وتعالى الحكمة من اتخاذ الحيطة والحذر فقال: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحرص على سنن الفطرة:

وهذا ما أشار إليه الحديث من حرص خبيب رضي الله عنه على الاستحداد، وقد ورد ذلك في قول الراوي: "فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته. "قال ابن حجر: (في قول "ليستحد بها" أى يحلق عانته)[٣]، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الحرص على سنن الفطرة فقال: "الفطرة خمس - أو خمس من الفطرة- الختان والاستحداد ونتف الإبط، وتقليم الأظافر وقص الشارب"[٤]، قال ابن حجر: (ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع. منها تحسين الهيئة، وتنظيف البدن جملة وتفصيلاً، والاحتياط للطهارتين، والإحسان إلى المخالط والمقارن، بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة، ومخالفة شعار الكفار أو المجوس واليهود والنصارى وعبَّاد الأوثان، وامتثال أمر الشارع، والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾[٥]، لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك، وكأنه قيل قد حسنّتُ صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها، أو حافظوا على ما يستمر به حسنها وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٥٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٣) فتح الباري ٤٤٢/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٨٩.

(٥) سورة غافر، آية: ٦٤.

قوله، ويحمد رأيه، والعكس بالعكس. وأما شرح الفطرة فقال الخطابي: ذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بالفطرة هنا السنة، وكذا قال غيره، قالوا والمعنى أنها من سنن الأنبياء. وقالت طائفة المعنى بالفطرة الدين)[1]، فعلى المدعو أن يحرص على سنن الفطرة لما في ذلك من فضل عظيم.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أخلاق الإسلام في عدم الغدر أو قتل الأولاد:

هذا ما أظهره خبيب رضي الله عنه في الحديث من قول الراوي: " فدرَجَ بُنَيٌّ لها وهي غافلةٌ حتى أتاهُ، فوجَدَتهُ مُجلسَهُ على فخذِهِ والموسى بيدِه، ففزِعتُ فَزعةً عرَفَها خُبيب. فقال: أتخشَينَ أن أقتلَه؟ ما كنتُ لأفعلَ ذلك. قالت: واللهِ مارأيتُ أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبَيب"، "وهذا ما أمر الله به النبي ﷺ، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاه فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيدًا"[2]، قال النووي: (في قوله ﷺ: "ولا تغدروا" بكسر الدال، والوليد الصبي، وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر وتحريم الغلول وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا وكراهة المثلة)[3]. وقال ابن حجر: (في حديث أبي هريرة: وفيه الوفاء للمشركين بالعهد والتورع عن قتل أولادهم)[4]. وما ذلك إلا لكمال وعظم خلق الإسلام.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة خبيب بن عدى رضي الله عنه:

قد أشار الحديث إلى ذلك من قول الراوي: "قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا"، قال ابن حجر: (القطف

---

(١) فتح الباري ٣٥١/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٣١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١١٦.

(٤) فتح الباري ٤٤٤/٧.

بكسر القاف العنقود)[١]، وفي رواية ابن إسحاق: "وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل"[٢]، قال ابن عثيمين: (قد هيأ الله سبحانه وتعالى له هذا العنب وهو أسير لا يملك لنفسه شيئًا لا يستطيع أن يخرج إلى السوق يشتري أو يطعم، تحت رحمة هؤلاء ...، وهذا كقصة مريم رضي الله عنها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣]. فهذه من كرامة الله تعالى لخبيب رضي الله عنه)[٤]، وقد ذكر ابن حجر في الإصابة: (عن ابن أبي شيبة، وعن أبي يوسف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل المقداد والزبير في إنزال خبيب عن خشبته، فوصلا إلى التنعيم، فوجدا حوله أربعين رجلا نشاوى، فأنزلاه فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فنذر بهم المشركون، فلما لحقوهم قذفه الزبير فابتلعته الأرض فسمي: بليع الأرض أ. هـ، وذكر أيضًا أن خبيبا لما قتل جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مستقبل القبلة فأداروه مرارا ثم عجزوا فتركوه، وفي ذلك بيان على كرامة الله تعالى لخبيب رضي الله عنه وعظيم فضله)[٥].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل وكرامة عاصم بن ثابت رضي الله عنه:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي " وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قتل أن يأتوا بشيء منه يعرف، وكان قتل رجلاً من عظمائهم، فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئًا، ووقع عند ابن إسحاق "إن عاصمًا لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه؛ ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد؛ لئن قدرت على رأس

---

(١) فتح الباري ٤٤٢/٧.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٧/٣

(٣) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٥٩٠/٢.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ٣٣٦.

عاصم لتشربن في قحفه الخمر -"وقحف الرأس: هو الذي فوق الدماغ. وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل-"[١].

فمنعته الدبر"[٢]، قال ابن حجر: في قوله: مثل الظلة من الدبر" "الظلة بضم المعجمة السحابة، والدبر بفتح المهملة وسكون الموحدة الزنابير، وقيل ذكور النحل، وقوله: "فحمته" أى منعته منهم"[٣]، وقال ابن إسحاق: (فلما حالت بينهم وبينه، قالوا: دعوه حتى يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصمًا فذهب به، وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدًا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا؛ تنجسًا، فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته)[٤].

قال ابن حجر: (وفي الحديث: إثبات كرامة الأولياء.، وفيه استجابة دعاء المسلم وإكرامه حيًا وميتًا ...، وإنما استجاب الله له في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه)[٥]، وفي ذلك بيان على كرامة الله تعالى لعاصم بن ثابت رضي الله عنه وعظيم فضله.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٧٣٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٥/٣.

(٣) فتح الباري ٤٤٤/٧.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٥/٣-١٢٦.

(٥) فتح الباري ٤٤٤/٧-٤٤٥.

الحديث رقم (١٥١٢)

١٥١٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: مَا سَمِعْتُ عمر رضي الله عنه يقولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا، إلاَّ كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الفاروق عمر -كما يقول العقاد- كانت له فطنة الرجل العليم بنقائض الأخلاق، وخبايا النفوس، ولم يحكم عليها قط كأنه ينظر إليها من جانب واحد، أو يطبعها في تفكيره بطابع واحد، بل علم الدنيا، وعلم كيف يتقلب الإنسان، وراح في علمه هذا يراقب الناس مراقبة الحذور، وكانت له في استيحاء الخفايا قدرة تقرب من الإلهام أو من مكاشفة الغيب، لولا أنها تستند إلى التقدير الصحيح والظن المدعوم بالخبرة[٢].

وهذا التصور لشخصية عمر ليست إطراءً من العقاد تدفع إليه المبالغة والتحيز والتعصب، ولكنه حقيقة واقعة تؤيدها الحوادث التاريخية، والمواقف العمرية المأثورة، ويكفي عمر بن الخطاب شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له، وقوله مشيدًا بحدْسه وفطنته، وقوة حجته وقدرته على استقراء الأحداث، واستخلاص الحقائق المطوية في تراكمات الزمن.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[٣]، ويقول -عليه الصلاة والسلام- عمر معي، وأنا معه، والحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان[٤].

وفي ضوء هذه الصورة المتألقة بالفطنة والإلهام: للفاروق عمر الحاكم العادل

---

(١) برقم (٣٨٦٦).

(٢) انظر: عبقرية عمر، عباس محمود العقاد.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٦٨٢، من حديث عبدالله بن عمر، والحديث صححه الألباني، انظر(صحيح سنن الترمذي، ٢٩٠٨).

(٤) الطبراني ٢٨١/١٨، مجمع الزوائد ٢٦/٩.

الإمام، نقرأ دلالات هذا الحديث الشريف، ونتأمل جماليات الأسلوب فيه.

فالحديث يتكون من جملة واحدة صيغت في أسلوب القصر عن طريق النفي بما والاستثناء بإلا، والقصر هنا غايته التأكيد على دلالة المضمون في الحديث... وترسيخ حقيقة فطنة عمر وقوة حدْسه في أذهان الناس، وتحقق كل ما كان يتوقعه أو يذهب إليه من آراء، والراوي هو عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فهو ليس بعيدًا عن مشاهدة أبيه، وسماعه، ومعايشته في كل لحظة، وهذا أكبر دليل على قوة هذه الخصلة التي صورها الشاعر العربي في قوله:

الألمعي الذي يظن بك الظن ... كأن قد رأى وقد سمعا[1]

وقوله: "لشيء قط"، يجعل هذا الأمر أكثر ثباتًا في الأذهان، و"قط" توحى بالاستقصاء، وقوله: "شيء": يفيد العموم والشمول حيث يشمل كل أمور الحياة المتشعبة والمتنوعة.

والتأكيد في قوله: "إني لأظنه"... ينفي أي شبهة يدعيها المغرضون حول شهادة ابن عمر لأبيه واللام في "لأظنه"، تؤكد المعنى وتشعر بالقسم وتجعل من الظن هنا مرحلة من مراحل اليقين، وليس تخمينًا أو افتراضًا يفتقد البرهان الساطع والدليل القاطع، وقوله: "إلا كان كما يظن" يجعل من الظن حقيقة، ومن الحدْس واقعًا.

وموافقات عمر للقرآن والسنة كثيرة، وكذلك مراجعاته ومناقشاته فيما يرد من أحكام لا تنجلي مآتيها ومراميها، فهو كما قالت عائلة بنت زيد في رثائه:

رؤوف على الأدنى غليظ على العدى ... أخي ثقة في النائبات منيب[2]

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٤١٧، والكامل في الأدب ٢/٢٢٠، والحماسة البصرية ١/٣٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٥٧٥، والكامل في التاريخ ٢/٤٥٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقائدية:

إن من أصول التربية الإسلامية التي يجب تربية النشء المسلم عليها، التربية العقائدية حيث يجب بيان العقيدة الصحيحة التي يؤمن بها المسلم ومما يرتبط بهذه العقيدة ما يتعلق بكرامة الأولياء، مما ورد في مجمل أحاديث الباب، حيث دلت على كمال قدرة الله تعالى ونفوذ مشيئته، لما يجريه تعالى من خوارق العادات على أيدي أوليائه المتبعين لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم[1].

ولكن تربية النشء المسلم على الاعتقاد بكرامة الأولياء يجب أن تكون واضحة لا يكتنفها أي نوع من الغموض، أو تلك الخرافات والأباطيل التي يعتقدها العامة والدهماء من الناس، لذا ينبغي أن يعني القائمون على التربية بأهمية التركيز على ما يلي:

١- بيان حقيقة أولياء الرحمن حيث بين سبحانه ذلك في كتابه الكريم في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

٢- بيان أن الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، والولي لله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه، ويأمر به وينهى عنه، فمن ادعى في نفسه ولاية الله ومحبته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله[3].

٣- التأكيد على أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وبحسب إيمان العبد تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيمانًا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس

---

(١) الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ١٨٢/١.

(٢) سورة يونس، آيات: ٦٢-٦٤.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ٧، ٩.

متفاضلون في ولاية الله عز وجل، بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[1][2].

٤- ضرورة تصحيح الأفهام الخاطئة في عقول عامة المسلمين من المتربين والمتعلمين والتي منها أنه ليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحًا، ولا يحلق شعره أو تقصيره أو ظفره، إذا كان مباحًا، كما قيل: كم من صدّيق في قباء، وكم من زنديق في عباء.

وكذلك ضرورة تصحيح أن يكون المجنون وليًا لله، فإن كان لا يصح منه إيمان ولا تقوى، وقد رفع القلم عنه، فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء، فكيف نُثبت أنه وليًا لله!!!!، فالعاقل هو من يثبت للمجنون حاجته إلى علاج واستشفاء، أما الاحتجاج بأن للمجنون مكاشفة، أو نوعًا من تصرف، مثل أن يُرى أنه قد أشار إلى واحد، فمات أو صرع، فهذا الاحتجاج مردود بأن للكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان والسحرة وعباد المشركين، وأهل الكتاب، فلا يجوز لأحد من المتربين والمتعلمين الاستدلال بمجرد ذلك على كون الشخص وليًا لله[3].

ثانيًا: التربية على الإحسان الفردي:

هذا ما يجب غرسه كقيمة تربوية في نفس النشء المسلم، ومن شواهد ذلك في

---

(١) سورة التوبة، آيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) الفرقان، ابن تيمية، ٢٤.

(٣) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ٤٣، ٤٤، ٤٦ بتصرف.

أحاديث الباب قوله ﷺ: ((مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ، وقَالَ راوي الحديث: وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وَانْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَشَرَةٍ، ...إلخ)).

"وفي ذلك تربية إسلامية على تكوين النفس الخيرة، المعطية الباذلة، النفس التي تعطي أكثر مما تطلب، وتنفق أكثر مما يجب عليها، بل تعطي بغير طلب ولا سؤال، وتنفق في السراء والضراء، بالليل والنهار، سرًا وعلانية، فيكون صاحبها بذلك محبًا للناس مما يحب لنفسه، بل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة، وهو بذلك يعد المال وسيلة لا غية، وسيلة للإنفاق والبر بالناس، فيفيض قلبه بالخير فيضًا، ويبسط يده بالعطاء بسطًا، ابتغاء رضاء الله ومثوبته، لا حبًا في جاه، ولا طلبًا لسمعة أو شهرة، ولا خشية من عقوبة سلطان"[1].

وبذلك يغرس الإحسان في النفس غرسًا، وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه تربية النشء على الإحسان كخلق يقيم مبدأ التكافل الاجتماعي، وجب عليهم ما يلي:

١ - بيان ما ورد في آيات القرآن العظيم، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ من ترغيب وترهيب في البذل والإنفاق، والتحذير من الشح والبخل بأروع الصور الفنية، وأبلغ الأساليب الأدبية، التي يذيب وعيدها القلوب الجامدة، ويحرك وعدها الأيدي الممسكة، فتفيض بالخير، وتنبسط بالعطاء[2].

٢ - بيان حال السلف الصالح في إحسانهم الفردي وتكافلهم الاجتماعي: "كما حكى عن الإمام الليث بن سعد أن أمواله كانت تدر عليه كل يوم نحو ألف دينار ومع هذا حكوا أنه لم تكن تجب عليه فيها زكاة؛ لأنه لم يكن يدعها حتى يحول عليها الحول بل يتصدق بكل ما جاءه من مال، وينفقه في سبيل الله، قالوا: وكان الليث لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينًا. وحكي أن امرأة سألته شيئًا من عسل، فأمر لها بزق منه، فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا. فقال: إنها

---

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ١٤٢ بتصرف يسير.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٤٣.

سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا"[١]، وبذلك يرسخ مفهوم الإحسان الفردي كقيمة تربوية في نفوس النشء المسلم، وتزكوا بذلك أخلاقهم.

ثالثًا- التربية بالاستفهام والسؤال:

إن المتربي والمتعلم في حاجة ماسة إلى معرفة كل ما غاب عنه وخفي، حتى يكمل له علمه، ويسد عليه جهله، وليس أنفع في ذلك ولا أجدى من استفهامٍ وسؤالٍ لعالم، يكشف ظلمة جاهل، ويسكن حيرة سائل.

ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، استفهام زوجة الصديق رضي الله عنها بقولها: ((... ما حبسك عن أضيافك؟))، وكذلك استفهام الصديق رضي الله عنه بقوله: ((...أو ما عشيتم؟))، وقوله رضي الله عنه: ((... يا أخت بني فراس ما هذا؟)).

لذا وجب على كل متربي ومتعلم أن يسأل ويستفهم عن كل ما غاب عنه وخفي، حتى يكون على علم وبينة.

رابعًا- التربية الجهادية:

إن من أبرز ما يجب أن يتربى عليه النشء المسلم، والذي ترائى من أحاديث الباب، التربية الجهادية، حيث قوله جابر بن عبدالله بن حرام رضي الله عنهما: ((لمّا حَضرَ أُحُدٌ دعاني أبي مِنَ الليلِ فقال: ما أُراني إلاّ مَقتولاً في أوّلِ مَن يُقتل مِن أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.....))، وقول ضبيب رضي الله عنه:

فَلَسْتُ أبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... علَى أيِّ جَنْبٍ كانَ للهِ مَصْرَعِي

وذلِكَ في ذَاتِ الإلهِ وإنْ يَشأ ... يُبَارِكُ علَى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فتربية النفوس على الجهاد مما تشرف به الهمة، ويُرفع به الذل عن الأمة، وبه يحق الحق، ويرفع الظلم، وتصحو الأمة من رقدتها، وتنهض من كبوتها، وتستعيد أمجادها، وتصبح مهيبة الجانب موفورة الكرامة.

وهذا مما يؤكد أهمية تنمية روح الجهاد في نفوس النشء المسلم والتنفير من

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٤١/١.

الركون إلى الدنيا وشهواتها، والترغيب في التضحية وبذل الأنفس والأموال ابتغاء مرضاة الله، وتعويد النشء المسلم وترويضه على التجلد والصبر والاخشوشان[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٢/٢٨٢-٢٨٤.

١٧- كتاب الأمور المنهي عنها

٢٥٤- باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨].

اعْلَمْ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إِلاَّ كَلاَمًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإِمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ فِي العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

الحديث رقم (١٥١٣)

١٥١٣- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: ((**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

وهذا الحديث صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إِلاَّ إِذَا كَانَ الكَلاَمُ خَيرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَى شَكَّ فِي ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلاَ يَتَكَلَّم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

حيث نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد أنه يتكون من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧/٧٤) ولفظهما سواء، وقد تقدم برقمي ٣١٤، و٧٠٦. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٩٤) بتمامه.

جملة لغوية واحدة، ولكنها تنطوي على كثير من الدلالات، وتتوهج بعديد من التوجيهات والإرشادات... وهذه الجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، فالشرط مقدمة تمهد للجواب... وتستند إليه: لأنه لا نتيجة بدون مقدمة، والنتيجة لابد أن تنبثق من خلال إرهاصات المقدمة ومعالمها.

وأداة الشرط: "مَنْ" وهي للعاقل، وفي ذلك إيحاء وإرشاد بأن المؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، لابد أن يتمتع بقوة عقلية متزنة، وإرادة إيمانية قوية، وسلوك قولي وفعلي إيجابي مؤثر، وجملة فعل الشرط تتضمن فعلين أحدهما ماضي وهو "كان"، والآخر: مضارع وهو "يؤمن"، ولا تناقض بين دلالة الفعلين، فدلالة الفعل "يؤمن"، الاستمرار وعدم انقطاع تيار الإيمان عن قلب المؤمن، والفعل كان يفيد ثبات هذا اليقين المستمر، وذلك الإيمان المتوهج، ولذلك جمع فعل الشرط بين الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، فالإيمان بالله: هو اليقين بوجود الله تعالى في حياة الإنسان، وأنه كل متعلقات المؤمن وكل الخلق أجمعين بحول الله تعالى وقدرته.

وأما اليوم الآخر: أي يوم القيامة فهو أمر مستقبلي، وخصه بالذكر لأن الإيمان به يستلزم التصديق بما فيه من ثواب وعقاب، وذلك مستلزم للإيمان لكل ما يجب الإيمان له من ضرورة الحياة.

وجواب الشرط يتضمن لام الأمر في قوله: "فليقل خيرًا"، وهي تجعل من قول الخير أمرًا واجب التنفيذ: والكلام الخير هو الذي ظهرت مصلحته، وكلمة "خيرًا"، من الكلمات المشحونة بطاقات الإيجاز، فهي تتسع لكثير من الدلالات والتصورات، فكل ما تصدر عن الإنسان من أقوال نافعة للناس، نابعة من تعاليم الإسلام، وقواعد الشرع يُعدُّ خيرًا، ولذلك تكررت اللام مرة أخرى في الفعل المعطوف على"فليقل"، وهو "أو ليصمت"، والصمت واجب شرعًا إذا فقد الكلام خيريته، وشابَهُ عدمُ النفع، أو حكمته اللامبالاة، وسيطرت عليه نزعة التحرر من قواعد التعاليم الإسلامية، وضوابط التفكير الإسلامي، ومعايير الكلمة الجميلة التي يحترمها الإسلام.

المضامين الدعوية [1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الجزء الأخير من الحديث رقم (٣١٤).

الحديث رقم (١٥١٤)

١٥١٤- وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ أَيُّ المُسْلِمِينَ أفْضَلُ؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يقدم في صيغة السؤال والجواب، وهذه الطريقة الحوارية إحدى وسائل الإقناع التي كثيرًا ما تجيء الأحاديث على نهجها حتى يتعلم الصحابة ومَنْ بعدهم من المسلمين، والحوار هنا بين الراوي الأعلى أبي موسى ورسول الله ﷺ، ويبدأ بأداة الاستفهام "أي" مضافة إلى المسلمين، وفي ذلك تشويق للسامع، وبيان لأهمية المسلم الذي يفضله ربه، ومجيء المسلمين في صيغة الجمع يفصح عن الأفضلية في أي زمان ومكان، وليست الأفضلية مقيدة بزمن الرسالة أو غيره، وقوله: "أفضل": أفعل تفضيل فكل المسلمين فضلاء لانتمائهم إلى الدين الحنيف، ولكن منهم الفاضل، ومنهم الأفضل، أي الأكثر فضلاً، والفضل هو الزيادة والشرف، وقولهم: أفضل في الحسب: إذا حاز الشرف وإجابة رسول الله ﷺ تتضمن إيجازًا وهو من بلاغة الحذف، حيث أجاب: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"، والتقدير: أفضل المسلمين: من سلم المسلمون... إلخ.

والمشاكلة بين قوله: "سلم"، وقوله: "المسلمون"، تفيد التقارب بين مدلول اللفظين، فمادة سلم، هي: الجذر اللغُوَي: للفظ "المسلمون"، وفي كتاب أساس البلاغة ربطٌ دلاليٌّ بين جَذْر الفعل، وبين دلالاته ومعانيه، فقوله: "سلم"، أي سلم من البلاء سلامة وسلامًا؛ وسلم من المرض، أي برئ، ويقولون: سَالَمْت العدو مسالمة، ويقولون: فلان سِلْمٌ لفلان وحرب له.

---

(١) أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢/٦٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٠٠).

وكل هذه الدلالات تتآزر في إضاءة المعاني التي يموج بها الحديث الشريف، حيث لا يكون المسلم سبّابًا ولا شتامًا ولا لعانًا، ولا مغتابًا ، ولا نمامًا، ولا كذوبًا، وينجو المسلمون من كل آفات اللسان، وكذلك من كل أذى يلحق بهم باليد أو بغيرها.. ويندرج في إطار السلامة من اللسان واليد ما لا يحصى من السلوكيات التي يرفضها الإسلام، وتأباها طبيعة المسلم الذي يتسم بالأفضلية، وقيل: خص اللسان واليد بالذكر لغلبة صدور الأمر عنهما، فالقول باللسان، والفعل باليد، وإلا فيكون بغيرهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: سلامة المسلمين من لسان المسلم ويده.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: سلامة المجتمع وتحقيق الأخوة.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "قلت يارسول الله: أى المسلمين أفضل؟"وما لاشك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح أذهان المدعوين، وتعرفهم بأحكام الإسلام، قال الشيخ عبدالرحمن الميداني: "وللسؤال والجواب قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين، ذلك أن من طبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على فهم أسئلتهم فهمًا دقيقًا فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه[1]. وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب، قوله

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، ٢/٥٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[2]، فعلى الداعية، حامل رسالة الدعوة، استخدام هذا الأسلوب وتنمية القدرة لديه للإجابة على أسئلة المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: سلامة المسلمين من لسان المسلم ويده:

حيث جاء في الحديث: "من سلم المسلمون من لسانه ويده"، قال النووي: (ومعناه: من لم يُؤْذ مسلمًا بقول ولا فعل، وخص اليد بالذكر لأن معظم الأفعال بها، والمراد المسلم الكامل، وليس المراد نفى أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، وكمال الإسلام متعلق بخصال أُخر كثيرة، وإنما خص ما ذكر لما ذكرناه من الحاجة الخاصة)[3].

ومما يبين حرص الرسول ﷺ على سلامة الجماعة المؤمنة ما جاء عن عبدالله بن عمرو: ((أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ : أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»))[4].

قال القاضي عياض: (وقوله ﷺ للسائل: "أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»"، معناه: أي خصال الإسلام خير، وهذا حض منه ﷺ على تأليف قلوب المؤمنين، وأن أفضل خلقهم الإسلامية ألفة بعضهم بعضًا، وتحببهم وتوادهم، واستجلاب ما يؤكد ذلك بينهم بالقول والفعل، وقد حض ﷺ على التحابب والتودد وعلى أسبابهما من التهادي، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، ونهي عن أضدادها من التقاطع، والتدابر، والتجسس، والتحسس، والنميمة، وذي الوجهين.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢٠.

(٤) أخرجه مسلم ٣٩.

والألفة أحد فرائض الدين وأركان الشريعة ونظام شمل الإسلام. وفي بذل السلام لمن عرفت ولمن لم تعرف إخلاص العمل فيه لله تعالى لا مصانعة ولا ملقًا، لمن تعرف دون من لا تعرف، وجاء في الحديث: "إن السلام آخر الزمان يكون معرفة"، وفيه مع ذلك استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة، من لفظ السلام ومن قوله: ((افشوا السلام بينكم)). وقوله: ((تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)): أي تسلم. قال أبو حاتم: تقول: اقرأ عليه السلام وأقرئه الكتاب ولا تقول: أقرأه السلام إلا في لغة سوء، إلا أن يكون مكتوبًا فتقول: أقرأه السلام، أي جعله يقرأه.

وقوله: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)): أي الكامل الإسلام والجامع لخصاله من لم يؤذ مسلمًا بقول ولا فعل. إذ أكثر الأفعال بالأيدي، فأضيفت عامتها إليها.

وهذا من جامع كلامه، وفصيحه، ومحاسنه، ولا يفهم من هذا أن من ليس بهذه الصفة ليس بمسلم. وهو كما يقال: المال الإبل، والناس العرب، على التفضيل لا على الحصر، وجوابه بعد هذا بأن هذا أفضل الإسلام، وقد تقدم في الحديث الآخر جواب آخر دل أنه ﷺ أجاب كل واحد من السائلين بمارآه أنفع له، وأخص به، وقد يكون ظهر من أحدهما كبر وإمساك وانقباض عن الناس، فأجابه بما في الحديث الأول من إطعام الطعام وإفشاء السلام، وظهر من الآخر قلة مراعاة ليده ولسانه فأجابه بالجواب الآخر، أو يكون ﷺ تخوف عليهما ذلك، أو كانت الحاجة في وقت سؤال كل واحد منهما للعامة أمس بما جاوب به)[1].

وقال القرطبي: (وقوله: أي المسلمين خير؟ فقال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده" هذا السؤال غير السؤال الأول وإن اتحد لفظهما بدليل افتراق الجواب، وكأنه - عليه الصلاة والسلام - فهم عن هذا السؤال إنما سأل عن أحق المسلمين باسم الخيرية وبالأفضلية. وفهم عن الأول أنه سأل عن أحق خصال الإسلام بالأفضلية؛ فأجاب كلاً منهما بما يليق بسؤاله -والله تعالى أعلم- وهذا أولى من أن تقول: الخبران واحد، وإنما

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٢٧٦/١، ٢٧٧.

بعض الرواة تسامح؛ لأن هذا التقدير يرفع الثقة بأخبار الأئمة الحفاظ العدول مع وجود مندوحة عن ذلك.

وقوله: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" أي: من كانت هذه حاله كان أحق بهذا الاسم وأمكنهم فيه، ويبين ذلك: أنه لا ينتهي الإنسان إلى هذا حتى يتمكن خوف عقاب الله تعالى من قلبه ورجاء ثوابه، فَيُكْسِبه ذلك ورعًا يحمله على ضبط لسانه ويده، فلا يتكلم إلا بما يعنيه، ولا يفعل إلا ما يسلم فيه، ومن كان كذلك فهو المسلم الكامل، والمتقي الفاضل. ويقرب من هذا المعنى بل يزيد عليه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكُمْ حتى يُحِبَّ لأَخِيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1]. إذ معناه: أنه لا يتم إيمان أحد الإيمانَ التام الكامل حتى يضم إلى سلامة الناس منه إرادته الخير لهم، والنصح لجميعهم، فيما يحاوله معهم، ويستفاد من الحديث الأول: أن الأصل في الحقوق النفسية والمالية المنع، فلا يحل شيء منها إلا بوجه شرعي، والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم)[2].

جاء في فتح الملهم: قوله: "قال: من سلم المسلمون من لسانه" الخ: أي: بالشتم، واللعن، والغيبة، والبهتان، والنميمة، والسعي إلى السلطان، وغير ذلك، حتى قيل: أول بدعة ظهرت قول الناس: الطريق الطريق.

قوله: "ويده"... إلخ: بالضرب، والقتل، والهدم، والدفع، والكتابة بالباطل، ونحوها. وخصا لأن أكثر الأذى بهما، أو أريد بهما التمثيل، وقدم اللسان لأن الإيذاء به أكثر وأسهل، ولأنه أشد نكاية، كما قال:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان[3]

ولأنه يعم الأحياء والأموات، وابتلى بهما الخاص والعام، خصوصًا في هذه الأيام. وعبر بالسلامة من اللسان دون القول، ليشمل إخراج اللسان استهزاء بغيره، وقيل: كنى

---

(١) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٢٣/١، ٢٢٤.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى، قافية النون ٦٢/١٠.

باليد عن سائر الجوارح، لأن سلطنة الأفعال إنما تظهر بها، إذ بها البطش، والقطع، والوصل، والمنع، والأخذ، فقيل في كل عمل: هذا ما عملته أيديهم، وإن لم يكن وقوعه بها.

ثم الحد والتعزيز وتأديب الأطفال والدفع لنحو الصيال ونحوها فهي: استصلاح وطلب للسلامة، أو مستثنى شرعًا، أو لا يطلق عليه الأذى عرفًا.

قوله: "المسلم من سلم المسلمون" إلخ: أي: المسلم الكامل، كما يقال: زيد: الرجل، أي: الكامل في الرجولية، ويقال: المال: الإبل، والناس: العرب، على التفصيل، لا على الحصر، والمراد: أن المسلم الكامل: من سلم المسلمون من لسانه ويده، مع مراعاة باقي الأركان والآداب.

والمراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه، لأنه إذا أحسن معاملة إخوانه "من حيث كونهم إخوانه في الإسلام" فأولى أن يحسن معاملة ربه من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى.

وذِكْر "المسلمين" ههنا خرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا، ولأن الكفار بصدد أن يقاتلوا وإن كان فيهم من يجب الكف عنهم[1].

وقال ابن حجر: "قال الخطابي: المراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله تعالى، أداء حقوق المسلمين، انتهى. ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يبين علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه، وهى سلامة المسلمين من لسانه ويده وذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب، لأن محافظة المسلم على كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيدًا والإتيان بجمع التذكير للتغليب فإن المسلمات يدخلن في ذلك، وخص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس، وهكذا اليد لأن أكثر الأفعال بها، وفي التعبير باللسان دون القول نكتة، فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء، وفي ذكر اليد دون

---

(١) فتح الملهم، الشيخ/شبير أحمد العثماني، ١/٥٧٩، ٥٨٠.

غيرها من الجوارح نكتة، فيدخل فيها اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير بغير حق"[١]. وقال ابن علان: "وقوله: "أى المسلمين أفضل" أى أكثر ثوابًا وأعلى مقامًا والمراد من الحديث من سلم الناس من أذاه، والفعل الخارج على الغالب لامفهوم له، فأفضل المسلمين من لم يصدر منه أذى لأحد منهم"[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: سلامة المجتمع وتحقيق الأخوة:

يتضح هذا من سياق الحديث، فإن المسلم الذي يرفع أذاه عن إخوانه إنما يساهم في تحقيق السلام، والأمن، والأخوة في داخل المجتمع المسلم، وهذا يبين أن من أهم أهداف الدعوة تحقيق الأخوة لسلامة المجتمع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣]، وقال الرسول الكريم ﷺ: "وكونوا عباد الله إخوانًا"[٤]، وهذا يجعل الدين عبادة وسلوكًا ومعاملة بين الناس.

قال الشيخ محمد الغزالي: (في المجتمع المتحاب بروح الله الملتقي على شعائر الإسلام، يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب، وربما ربت رابطة الإيمان على رابطة الدم، والحق أن أواصر الأخوة في الله هي التي جمعت أبناء الإسلام أول مرة، وأقامت دولته، ورفعت رايته، وعليها اعتمد رسول الله ﷺ في تأسيس أمة صابرت هجمات الوثنية الحاقدة وسائر الخصوم المتربصين، ثم خرجت بعد صراع طويل وهي رفيعة العماد وطيدة الأركان، على حين ذاب أعداؤها وهلكوا، لقد كانت المدينة التي احتضنت الإسلام ومجدت كلمته تقيم العلاقات بين القاطنين والوافدين على التباذل في ذات الله، والإيثار عن سماحة رائعة، والمساواة بين الأنساب والأجناس، وتبادل الاحترام والحب وإشاعة الفضل وتقديس الحق، وإسداء المعروف عن رغبة فيه لا عن تكليف به، وهذه علائم الإخاء الصحيح، إخاء العقيدة الخالصة لوجه الله، لا إخاء المنافع الزائلة،

---

(١) فتح الباري، ٦٩/١، ٧٠.

(٢) دليل الفالحين، ١٥٧٤.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٦٦، ومسلم ٢٥٦٣ واللفظ له.

ولا إخاء الغايات الدنيا[١].

إن الرسول الكريم ﷺ بهذا التوجيه يريد أن تتكاتف الجماعة المسلمة في إيجاد المجتمع الظاهر الذي تراعى فيه المشاعر وتقدر فيه الصلات وتحترم فيه الحرمات.

(إن النبي ﷺ بهذا التوجيه الواقعي الفعال يحب أن يقيم مجتمعًا إسلاميًا له حرمته، وله نظمه وإجراءاته، وهو عالم له آدابه النفسية في مشاعره تجاه بعضهم البعض، وله آدابه السلوكية مع الآخرين. وهذه الروابط تزداد قوة ومتانة بإطعام الطعام، وإفشاء السلام. وقوله: "من سلم المسلمون" أي: والمسلمات إما تغليبًا وإما تبعًا، والمرأة المسلمة مطالبة أيضًا باتخاذ وسيلة إطعام الطعام وإفشاء السلام. وهناك رواية أخرى توسع دائرة المجتمع الإسلامي، فعن أنس رضي الله عنه: «مَنْ صَلَّى صَلاتَنا، واسْتَقبَلَ قِبلتَنا، وأَكلَ ذَبيحتَنا، فذلكَ المُسلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللهِ وذمة رسولِهِ، فلا تَخفِروا اللهَ في ذِمَّتِه»[٢]. ولذلك قال العلماء: إنه يلحق بالمسلمين أيضًا أهل الذمة حكمًا في حسن معاملتهم.

وهو ﷺ يريد بذلك أن يقيم مجتمعًا نظيف المشاعر، مكفول الحرمات مصون الغيبة والحضرة، لا يؤخذ فيه أحد بظنه، ولا تتبع فيه العورات، ولا يتعرض فيه أمن الناس وكراماتهم وحرياتهم لأدنى مساس، وهو مجتمع له فكرته السامية عن وحدة الإنسانية المختلفة بشريعة الأجناس المتعددة الشعوب، له ميزانه الواحد الذي يقوم به الجميع معتقداً أنه ميزان شريعة الله المبرأة من شوائب الهوى وأنه ميزان الأخوة. والحديث بهذا المفهوم يرسم معالم المجتمع، الرفيع، الكريم، النظيف، ويحدد معالم الإيمان، الذي باسمه دعا إلى إقامة ذلك المجتمع، وفي مثل هذا الجو يطالب المسلم بأن يعيش مع الجماعة، يعمل ويبني ويتآخى، وإذا تطلب الأمر فيتحمل بعض ما يكره ويتغاضى عن بعض مالا يستطيع مقاومته، ويتدرب ألا يتلفظ بكلمة جارحة، ولا يؤذي أحدًا بلسانه؛ لأن المسلم مرهف الحس.

---

(١) خلق المسلم ١٧٠، ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٩١.

وبهذا الشعور المتبادل، والأخوة الحية، تكون للجماعة المسلمة، قوة قادرة على مواجهة الأعداء، وكبح جماحهم، ويترتب على هذا التآني والحذر، أن يكون الحب والسلام والتعاون والوئام والتراحم والتناصح هو الأصل في البيئة الإسلامية، وأن يكون الخلاف والنزاع هو الاستثناء الذي يجب أن يعالج وأن يرد إلى الأصل فور وقوعه. وهذا معنى قوله ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجَرَ ما نَهى اللّهُ عنه».

ومن فوائد هذا الحديث:

أن الإسلام الحقيقي لا يتم للمسلم إلا بالقيام بحقوق الله وحقوق المسلمين، وبأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وتمامه بكف أذاه عنهم وسلامتهم من شر لسانه وبطش يده. وأن المؤمن الحقيقي هو الذي تمكن الإيمانُ من قلبه، ودفعه إلى رعاية مصالح المسلمين وحافظ على أمانتهم ودمائهم. ويشير إلى وجوب تجنب إيذاء المسلمين بشتى صوره باللسان وبالقلم وبالسنان. وأن الإيمان يدفع المؤمن لأن يؤمن على أموال المسلمين وأعراضهم ودمائهم. وأن إيذاء المسلمين ومن لا يأمنه الناس لا إيمان له.، وأن الهجرة نوعان: ترك الوطن الأصلي إلى مكان آخر وهي خاصة، وهجرة عامة هي ترك ما نهى الله عنه.

ومن هذا الحديث يتضح أن المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله[1].

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ٨٦-٨٨ بتصرف.

الحديث رقم (١٥١٥)

١٥١٥- وعن سهل بن سعد، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

لحييه: هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث نجده يتكون من جملة واحدة، ولكنها تتسم بالإيجاز، والإيحاء، حيث تشع وتتوهج بالمعاني والدلالات الاجتماعية، التي تصلح ما بين الناس من علاقات، وهي كذلك تتوَّج حياة المسلم بالفوز بالجنة في الآخرة.

والحديث يبدأ باسم الموصول "مَنْ" وهو للعاقل وبمعنى الذي، وهو ينطبق على أي مسلم في كل زمان ومكان يتسم بهذا السلوك الإسلامي الذي حدده رسول الله ﷺ وهو أن يضمن ما بين لحييه وما بين رجليه.

وقوله: "ما بين لحييه" كناية عن اللسان، واللحيان: هما: العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان علوًا وسفلاً، وقد أبرزه في صورة التمثيل ليكون التأكيد فيه بليغًا.

وقوله "ما بين لحييه" فيه إشارة كذلك إلى أن اللسان وما يجاوره وما يعلوه، من أجزاء الفم من الحلق: والفم والأسنان، وغيرها هي محل مخارج الحروف التي يتكون منها الكلام، فحروف الحلق، ستة، والحروف التي تخرج من جانبي اللسان وأطرافه،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٤)، ولم يروه مسلم. وأورده الحميدي في جمعه (١/٥٥٧، رقم ٩٢٨) في أفراد البخاري. أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٥٧) وعزاه إلى البخاري والترمذي.

(٢) فتح الباري: ١١/٣١٦.

وما يحيط به: ثمانية عشر حرفًا كما قال علماء اللغة، ومن الفم، ومن الشفتين تخرج الحروف الأربعة الأخرى، فإذا التزم الإنسان بحفظ اللسان من القول الزائف والباطل، فقد فاز بالجنة، وقوله: "يضمن لي" إشارة إلى ضرورة التزام المسلم بالأقوال التي لا تتعارض مع كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله ﷺ، وقوله: "وما بين رجليه"، كناية عن الفرج، والضمان معناه: أن لا يرتكب الإنسان الحرام عن طريق الفرج، فلا يزني، ولا يرتكب كل ما يغضب الله في هذا الإطار الذي يفسد العلاقات، ويشوه الأنساب، ويدنس الأعراض.

وقوله: "أضمن له الجنة"، يمكن أن يكون جوابًا للشرط المقدر لكونه في جواب الطلب وقصد به الجزاء، لأن وعد الرسول ﷺ بالجنة وضمانها لكل من حافظ على مابين لحييه، وما بين رجليه شهوة القول، وشهوة الفرج، وبينهما شهوة البطن، وإذا حافظ الإنسان على أقواله، وتغلب على غرائزه وشهواته الجسدية، فإنه كذلك لابد أن يحافظ على مطعمه ومشربه، فلا يكون إلا حلالاً، ولا يكون مصدره إلا طيبًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على حفظ اللسان والفرج.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على المسلم وإعانته على العفاف.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

جاء في الحديث: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"، "من وقاه الله شر ما بين لحييه..."، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو، وتشده إلى ما يقول الداعية، وتبين له وجه الربط بين الشرط والجزاء، وارتباط الثواب بالعمل، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ

أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[١]، وقوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على حفظ اللسان والفرج:

حيث جاء في الحديث: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة"، وقوله: "من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة"، ولاشك أن في هذا حث على حفظ اللسان والفرج، قال الطيبي: والمعنى من يضمن لي لسانه أى شر لسانه وبوادره، وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره مما يوجب الكفر والفسوق، وفرجه بأن يصونه من الحرام أضمن له دخول الجنة، وقد أكد الوعد تأكيدًا بليغًا فأبرزه في صورة التمثيل"[٣]، وقال ابن حجر: والضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فأطلق الضمان وأراد لازمه، وهو أداء الحق الذي عليه، فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال، كفه عن الحرام يضمن له الجنة، وحمل الحديث على أن النطق باللسان أصل في حصول كل مطلوب فإذا لم ينطق به إلا في خير سلم، وقال ابن بطال: دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، فمن وقى شرهما وقى أعظم الشر"[٤]، قال الإمام أبو الحسن الماوردي: "قال عمر بن عبدالعزيز: من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه، وقال بعض الحكماء عقل المرء مخبوء تحت لسانه، وقال بعض البلغاء: احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك أو يتلف نفسك"[٥].

وفي خطورة فضول النظر والكلام قال ابن القيم: (إن فضول النظر من مقدمات حفظ الفرج لأنه يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٩.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩٨/٩.

(٤) فتح الباري ٣١٥/١١ -٣١٦.

(٥) أدب الدنيا والدين ٢٦٧.

به والفكرة في الظفر به، فمبدأ الفتنة من فضول النظر.

فالحوادث العظام إنما كلها من فضول النظر فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة كما قال الشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنْ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلا قَوْسٍ وَلا وَتَرِ

وقال آخر:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لِقَلْبِكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ الْمَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذِي لا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ[1]

والمقصود: أن فضول النظر أصل البلاء.

إنه يفتح للعبد أبوابًا من الشر، كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[2].

وأكثر المعاصي إنما تولدها من فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يملان ولا يسئمان، بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة للطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات، وكان السلف يحذرون من فضول النظر كما يحذرون من فضول الكلام، وكانوا يقولون: ما شيء أحوج إلى طول السجن من اللسان[3].

ومن الآيات التي تأمر بحفظ الفرج عن طريق النظر قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ إلى قوله

---

(١) الحماسة البصرية ١٢١/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف ٨٤/٢.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢١١٠).

(٣) طب القلوب، جمع وترتيب صالح أحمد الشامي، ص ٦٢، ٦٣.

تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

قال السعدي: (فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش، وزكت أعماله، بسبب ترك المحرم الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، ومن غض بصره أنار الله بصيرته.

ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته، مع دواعي الشهوة، كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سماه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما أوقعاه في بلايا ومحن)[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[٤]، وقال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٦].

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٥١٥.

(٣) سورة المعارج، الآيات: ٢٩-٣٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٣١.

(٥) سورة المؤمنون، الآيات: ١-٧.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

حيث جاء في الحديث: "أضمن له الجنة" وقوله "دخل الجنة"، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في الطاعة وتحثه عليها، "والترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر، سواء ما كان فيهما من عاجل وما كان من آجل ومن هنا تحرص النفوس الموفقة على وعى هداية القرآن وهدى الرسول ﷺ"[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على الإنسان وإعانته على العفاف:

حيث جاء في الحديث: "من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة"، وهذا يبين فضل وقاية الله للإنسان، قال المباركفوري: "أراد في الحديث وقايته من شر لسانه وفرجه، ومعنى "دخل الجنة" أى بغير عذاب أو مع السابقين"[٢]. وهذا يؤكد أن الجزاء من جنس العمل فمن أنعم الله عليه بالوقاية دخل الجنة، ونظير هذا ما جاء في الحديث "احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ الله تجِدْهُ تجَاهَكَ"[٣].

قال ابن رجب: (ومن أعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل: اللسان والفرج، فمن حفظ حدود الله، وراعى حقوقه حفظه الله فإن الجزاء من جنس العمل وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: أحدهما: حفظ له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كِبَره وضعف قوته، ومتعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله، قال بعض السلف: من اتقَى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه. الثاني: وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان)[٤].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، ٣٠٨/١.

(٢) تحفة الأحوذي ١٨٩٥/٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٣).

(٤) جامع العلوم والحكم، ٤٦٥/١-٤٦٨ بتصرف.

ومن الأمثلة التي تبين حفظ الله لعبده ما جاء في قصة يوسف عليه السلام لتكون قدوة لغيره من الشباب، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾[1].

قال ابن القيم: (وقد ذكر الله جل جلاله عن يوسف الصديق عليه السلام من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه عليه السلام كان شابًا، والشباب مركز الشهوة، وكان عَزَبًا ليس عنده ما يعوضه، وكان غريبًا عن أهله ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب زال هذا المانع، وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليس كذلك، وكانت هي المطالبة فيزول بذلك كلفة تعرض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي تزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي تناله العيون، وزادت مع تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بغتة، وأتته بالرغبة والرهبة، ومع هذا كله فعف لله ولم يطعها، وقدم حق الله وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتلي به سواه لم يعلم كيف كانت تكون حاله)[2].

وما من شك أن من أعظم نعم الله على العبد إعانته على حفظ فرجه ولسانه.

"كم يرتاح الإنسان نفسيًا ويطمئن قلبه إذا ما وقع بصره فجأة على ما يثير كوامن الغريزة فيصرف الإنسان بصره ابتغاء مرضاة الله، إن الذي يصرف بصره عن كل منظر محرم من صورة فاتنة أو امرأة متبرجة، أو منظر لا يليق أن ينظر إليه، يجد حلاوة الإيمان حقيقية ويشعر بها في قلبه، ويعتز بدينه الذي رفعه هذه الرفعة ونزهه هذه

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٢٣-٣٣.

(٢) روضة المحبين ٢٧٣.

النزاهة، وجعله طاهرًا، باطنًا وظاهرًا.

إن العبد المسلم النظيف الحيي العفيف، تجده في منعة من ربه، يصرف الله عز وجل عنه البلاء صغيره وكبيره، ويقيه مواطن الهلاك أيًا كانت، ويحفظه من الشائعات والشبه التي يتلوث بها الفساق. وتجده في منعه من الناس، فلا يقذفه إنسان، ولا يتهمه آخر، ويستأمنه القاصي والداني على أي شيء فهو في الدنيا من أشرف الناس، وفي الآخرة -إن شاء الله- في أعلى الدرجات"[1].

(١) والذين هم لفروجهم حافظون، خميس السعيد محمد، ٦٥.

الحديث رقم (١٥١٦)

١٥١٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: ((إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بهَا إِلَى النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يتبين: يفكر أنها خير أم لا[2].

يزل: يسقط[3].

الشرح الأدبي

إن الكلمة الطيبة في الإسلام: أصلها ثابت وفرعها في السماء، وهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أما الكلمة الخبيثة فهي كشجرة خبيثة، وهي لا نفع لها، ولا ديمومة لظلالها.. فهي كما قال تعالى محددًا مصير الكلمة الخبيثة، ﴿ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾[4]، وفي ضوء هذا المنظور نقرأ هذا الحديث الذي يكشف عن مصير الكلام الفاسد، وعن مصير صاحبه، وفي بداية الحديث يؤكد أبو هريرة قوله: ويقنع كل قارئ وكل مسلم، بقوله: إنه سمع النبي ﷺ، ولم يقل: قال النبي، ولكن أكد الكلام بـ"أن"، وأنه حفظ هذا الكلام سماعًا ومباشرة من النبي ﷺ، ويتكرر التأكيد مرة أخرى في قول النبي ﷺ: "إن العبد ليتكلم بالكلمة"، ومجيء اللام في الفعل "يتكلم": يشعر بالقسم، وذلك لأهمية الأمر، والحرص على ترسيخه وتوصيله للانتباه واتخاذ الحذر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧) واللفظ له، ومسلم (٢٩٨٨/٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٣٦).

(٢) رياض الصالحين، ٥٢٠.

(٣) فتح الباري، ٣١٧/١١.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٢٦.

وقوله: "العبد" ولم يقل المسلم، للإشعار بأن الكلام فطرة إنسانية، وبأن الخلق جميعًا هم عبيد الله، وما ربك بظلام للعبيد، وبأن أضرار الكلام الخبيث تفتك بالمجتمعات، وتُمزِّق الأواصر، وقوله: "الكلمة"، يراد بها: كل من معنييها اللغويين: أي: القول المفرد، والجملة المفيدة من استعمال المشترك اللفظي في معنييه جملة.

فالكلمة: يراد بها الكلمة الواحدة، أو مجموع الكلام الذي يخرج من الإنسان في غير وعي أو روية ويحمل الشرور والمفاسد، وقد يؤدي إلى الكفر أو الوقيعة بين الناس، أو التجديف في أمور الدين.

وهذا هو ما يشع به قوله: "ما يتبين فيها": أي لا يفكر أنها خير أم لا.

وصيغة المضارع في قوله: "ليتكلم"، "وما يتبين"، يفيد استمرار هذا الصنف من الناس على هذه الطريقة في إرسال الكلام، وعدم التفكر والتدبير في عواقبه.

وقوله: "يزل بها إلى النار": أي بسببها: فالباء للسببية، والجملة تتضمن إيجازًا بالحذف، فهي إجابة عن سؤال مقدر: كأن قائلاً قال: ماذا يناله بها: فقيل: يزل بها، والزلل: معناه السقوط، وهو تصوير للعذاب وكيفية الانحدار إلى الهاوية.

وكأنه يسقط من جبل عالٍ إلى سَفْحٍ منحدر، بل إلى نار لا تبقى ولا تذر.

وقوله: "أبعد من المشرق والمغرب"، كناية عن بعد المسافة وبشاعة السقوط، وهول العذاب: ولا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصمت وحفظ اللسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الكلمة في الإسلام.

رابعًا: من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٥١٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥١٧، ١٥١٨).

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترغيب والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث: "إن العبد ليتكلم بالكلمة"، "إن الرجل ليتكلم" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي لها أثر في الدعوة إلى الله، حيث تبين للمدعو مدى قناعة الداعية بما يقول، وتأكيده لكلامه دلالة على صدقه فيه، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2].

٢-الترغيب والترهيب: حيث جاء في الحديث: "يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" وقوله: "يرفعه الله بها درجات"، وقوله:"يهوى بها في جهنم"، ولاشك أن أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية النافعة، حيث يخاطب عواطف الإنسان ومشاعره، للحث على فعل الطاعات وترك المنكرات، جاء في موسوعة "نضرة النعيم": والترغيب مصدر. قولهم: رغبة في الشيء، أى أوجد فيه الرغبة ويكون ذلك بتحسينه وتزيينه، لأن النفس لا ترغب إلا فيما فيه سعادتها وصلاح أمرها وما جاء به الشرع الحنيف كله - بعد الإقرار بالوحدانية، وصدق الرسول ﷺ- لا يعدوا أن يكون ترغيبًا في الخيرات، وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى والرهبة من عقابه"[3]. قال ابن الأثير: "قالوا لعمر رضي الله عنه عند موته: جزاك الله خيرًا فعلت وفعلت، فقال: راغب وراهب. والمراد راغب فيما عند الله وراهب من عذابه"[4]، إن الداعية الناجح هو الذي يستطيع الموازنة بين الترغيب والترهيب ويستخدم كلا في موضعه، "إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٢٧.

(٤) النهاية ٣٦٤.

ومنها ما يخفيه الترهيب ولهذا جاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بالأسلوبين والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصمت وحفظ اللسان:

حيث جاء في الحديث: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"، قال أبو البقاء الكفوي: الصمت: إمساك عن قول الباطل دون الحق"[٣]. وقال الإمام الماوردي: "اعلم أن الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر، ويخبر بمكنونات السرائر، لا يمكن استرجاع بوادره، ولا يقدر على رد شوارده، فحق على العاقل أن يحترز من زلته بالإمساك عنه أو بالإقلال منه"[٤]. وفي الصمت جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"[٥].

قال القرطبي: (وقوله: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها" أي: من الإثم والعقاب، وذلك لجهله بذلك، أو لترك التثبت، أو للتساهل. وفي غير كتاب مسلم: «أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقى لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا»[٦]. وفيه من الفقه: وجوب التثبت عند الأقوال والأفعال، وتحريم التساهل في شيء من الصغائر، وملازمة الخوف، والحذر عند كل قول وفعل، والبحث عما مضى من

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٣٠-٣١.

(٣) الكليات ٥٠٧.

(٤) أدب الدنيا والدين ٢٦٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١٨، ومسلم ٤٧.

(٦) أخرجه البخاري ٦٤٧٨.

الأقوال والأفعال، واستحضار ما مضى من ذلك، وتذكره من أول زمان تكليفه؛ لإمكان أن يكون صدر من المكلف شيء لم يتثبته يستحق به هذا الوعيد الشديد، فإذا تذكر واستعان بالله، فإن ذكر شيئًا من ذلك تاب منه، واستغفر، وإن لم يتذكر وجب عليه أن يتوب جملة بجملة، عما عَلِم وعما لم يعلم، فمن فعل ذلك وصدقت نيته قبلت بفضل الله تعالى توبته.

وقوله: "من سخط الله" أي: مما يسخط الله، وذلك بأن يكون كذبة، أو غيبة، أو نميمة، أو بهتانًا، أو بخسًا، أو باطلاً يضحك به الناس، كما قد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل للذي يتكلم بالكلمة من الكذب ليضحك الناس، ويل له، ويل له»[(١)(٢)].

قال الإمام الغزالي: "قيل لعيسى عليه السلام: "دُلَّنا على عمل ندخل به الجنة، قال: لا تنطقوا أبدًا، قالوا: لا تستطيع ذلك، فقال: لا تنطقوا إلا بخير". وقال سليمان بن داود عليهما السلام: "إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب"[(٣)]، وقال الإمام ابن حجر: "وقوله في الحديث "ما يتبين ما فيها"، أى لا يتطلب معناها، أى لا يثبتها بفكره ولا يتأملها حتى يثبت فيها فلا يقولها إلا إن ظهرت المصلحة في القول. وقال العز بن عبدالسلام: هى "الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها"، قال: "فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه"[(٤)].

وجاء في فتح الملهم: "قوله: (ليتكلم بالكلمة) أي: الكلام المشتمل على ما يفهم. وقد تطلق الكلمة على الكلام سواء طال أو قصر، كما يقال: كلمة الشهادة، وكما يقال للخُطْبة: كلمة فلان.

ويحتمل أن يكون المراد أنه يتكلم بكلام دون تحقيق وتثبت، فينسب إلى رجل قولاً أو فعلاً بدون أن يتحقق من صحة النسبة إليه.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٨٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧٥).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٦١٦.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/١٢٠.

(٤) فتح الباري ١١/٣١٧.

قوله: (ينزل بها) وفي رواية البخاري: (يزلّ بها) ومعناهما قريب.

قوله: (أبعد ما بين المشرق والمغرب) يعني: ينزل بها إلى أعماق جهنم بقدر أبعد مسافة ما بين المشرق والمغرب. وزاد ابن بطال: "بالبغي أو بالسعي على المسلم، فتكون سببًا لهلاكه، وإن لم يُرِد القائلُ ذلك، لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها"، ونقل عن ابن وهب أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين. وقال القاضي عياض: "يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث، وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون، أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وإن لم يعتقد ذلك.

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على الصمت والحذر من آفات اللسان"[1].

وقال ابن عثيمين: "والمراد أن الإنسان يتكلم بالكلمة لا يتبين ولا يتثبت ولا يدرس معناها، ولا يدرس ماذا توصل إليه يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب ومسافة ما بين المشرق والمغرب بعيدة جدًا نصف الكرة الأرضية. وهذا يدل على وجوب التأكد مما تتكلم به سواء نقلته إلى غيرك أو نقلته عن غيرك"[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الكلمة في الإسلام:

حيث جاء في الحديث: "إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللهِ ما يُلقي لها بالاً يرفَعُه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من سَخَط اللّه لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم". ومما لاشك فيه أن الكلمة في الإسلام مسئولة، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[3]، قال النسفي: ومعنى قوله: "ما يلفظ من قول"أى ما يتكلم به وما يرمي من فيه إلا لديه، رقيب حافظ، وعتيد حاضر، ثم قيل: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه، وقيل: لا يكتبان إلا ما فيه أجر أو وزر، وقيل: إن الملكين لا

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ محمد تقي العثماني، ١٢/٢٧٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، ٢/١٦٠٠.

(٣) سورة ق، آية: ١٨.

يجتنبانه: إلا عند الغائط والجماع"[١]. وقال الإمام ابن كثير: "أى ما يتكلم بكلمة إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركه"، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٢]. وقال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت، ذهبت جئت، رأيت، حتى إذا كان يومُ الخميس، عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره. وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات"[٣].

وقال النووي: (ومعنى الحديث أنه لا يتدبر الكلمة، ويفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها، وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة، وكالكلمة تقذف، أو معناه: كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك، وهذا كله حث على حفظ اللسان، وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك)[٤].

وقال ابن حجر: (وقوله: "لا يلقي لها بالاً" أي لا يتأملها بخاطره ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[٥]، وقوله في الحديث "يهوى" قال عياض: المعنى ينزل فيها ساقطا، وقد جاء بلفظ "ينزل بها في النار" لأن درجات النار إلى أسفل، فهو نزول سقوط، وقيل أهوى من قريب وهوى من بعيد"[٦]. وقال الماوردي: قال بعض الأدباء: "سَعِدَ مَنْ لسانهُ صَمُوت

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل١١٦١.

(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٠-١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٩٨/٧-٣٩٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧١٧.

(٥) سورة النور، آية: ١٥.

(٦) فتح الباري ٣١٨/١١.

وكلامه قوت، وقال بعض الفصحاء: اعقل لسانك إلا عن حق توضحه، أو باطل تدحضه، أو حكمة تنشرها، أو نعمة تذكرها وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة في الكلام، ويقول: إذا جالست الجهال فأنصت لهم، وإذا جالست العلماء فأنصت لهم، فإن في إنصاتك للجهال زيادة في الحلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم. وقال أبو تمام الطائي:

ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من تبع الفؤاد[1]

قال أبو بكر العربي: ومحل الكلام والعلم القلب، وأن هذه العبارات الدائرة على الألسن بتقطيع الحروف والأصوات دليل عليه، شرف الله تعالى به الآدمي، كما قال سبحانه مخبرًا عن هذه المنة: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[2]، ثم لما خلقه من حمأ مسنون، وكتب عليه إساءة الأقوال كما كتب عليه إساءة الأفعال، بين معاقد الجواز في القول، كما بيّن مراتبه في الفعل، وجعل محل الدليل على الكلام على الاختصاص للسان، وجعل سائر الجوارح تدل عليه بالإشارة، وعلى عظيم شرف اللسان سلط الله سبحانه الآفات، ففيه خصلة واحدة، وهي الصدق، وفيه نيف على عشرين آفة، شرها الكذب"[3].

رابعًا- من واجبات الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث إن من أهم واجبات الداعية أن يبين للمدعوين الحقائق ويرشدهم إلى ما ينفعهم، وقد بين الله تعالى: أن من وظيفة النبي ﷺ البيان للناس، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، قال السعدي: "والمراد بالذكر القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه

---

(١) أدب الدنيا والدين، ٢٦٥-٢٦٧، والأبيات لأبي تمام، البحر: وافر تام.

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: ٣-٤.

(٣) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٣٥٩ بتصرف.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

العباد من أمور دينهم ودنياهم الظاهرة والباطنة، والبيان للناس شامل لتبين ألفاظه وتبين معانيه[١]. "هذا وواجب الدعاة إلى الله الحرص على بيان الحقائق للمدعوين وتبليغها، قال ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"[٢].

قال محمد الشيخ الخضر حسين: "والدعوة نوعان:

دعوة يقصد بها إنقاذ الناس من ضلالة أو شر واقع.

ودعوة يقصد بها تحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع في بأسه.

أما الأولى: فيحتم القيام بها لأول وقت ممكن، ويُلوِّح إلى هذا الواجب قوله تعالى ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٣]، فقوله: "من أقصى المدينة" إظهار لعناية هذا الداعي وشدة رغبته في الإصلاح، حيث لم يثبطه بعدُ المسافة عن السعي إليه والوفاء بحقه؛ وقوله: "يسعى"؛ تذكرة لدعاة الإصلاح وإيقاظ لهممهم؛ كي ينفقوا في هذه الغاية وسعهم، ويسارعوا إلى النصيحة جهدهم، لأن السعي في لسان العرب[٤] بمعنى العَدْو، والمشي بسرعة.

وأما النوع الثاني من الدعوة، فإن كان مما ينشأ عن تأخيره حرج، التحق بالأمر الواقع، ووجبت المبادرة إلى الدعوة حسب الطاقة، وإن كان بينك وبين وقوعه فسحة، جاز إرجاؤها إلى زمن الحاجة.

وما يقوله بعض أهل العلم، من جواز السكوت عن العلم إلى أن يسأل عنه، إنما يحمل على هذا النوع، الذي لم يدع الحال إلى معرفته في الوقت الحاضر.

حكى القاضي عياض في كتاب "المدارك": أن سحنون وصاحبيه عون بن يوسف وابن رشيد دخلوا على أسد بن الفرات، فسألهم عن مسألة؟ فابتدر لجوابه صاحبا سحنون، وسكت سحنون، فلما خرجوا قال له صاحباه: لِمَ لَمْ تتكلم؟ فقال سحنون:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣٩٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٣) سورة يس، آية: ٢٠.

(٤) انظر: لسان العرب ١٥١/٢، والقاموس المحيط، ١٠، ١٧٧، وتاج العروس، ص١٦٧٠.

ظهر لي أن جوابكم خطأ، وبين لهما ذلك، فقالا: لِمَ لَمْ تتكلم بهذا عنده، فقال: خشيت أن ندخل عليه ونحن أصدقاء ونخرج ونحن أعداء.

قال القاضي عياض: وسكت سحنون حين علم أن القضية لا يفوت أمرها، ولو علم ذلك لبادر بما ظهر له[1].

---

(١) الدعوة إلى الإصلاح ٣٧-٣٩.

الحديث رقم (١٥١٧)

١٥١٧- وعنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: ((إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا[1] يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلَمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لا يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يلقى لها بالاً: لا يتأملها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها، ولا يظن أنها تؤثر شيئًا[3].

الشرح الأدبي

إن إمساك اللسان من مفاتيح النجاة، وحصائد الألسن من المهلكات إذا لم يَكُفَّ الإنسان لسانه، ويحكم بيانه، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا البيان النبوي العميق الدقيق، نجد الحديث الشريف يعقد مقابلة ترغيبية وترهيبية بين حالتي الإنسان، وهو يتفوه بالكلام، حالة الفوز برضوان العزيز الغفار، وحالة الخسران حيث يبوء العبد بسخط من الواحد القهار، لأنه لم يمسك عليه لسانه، ولم يعرف كيف يتخير كلماته، ولم يدرك عواقب حركاته وسكناته، ولم يتأمل مباني كلامه ودلالاته.

والحديث في صياغته المتوازنة يفصح عن ضرورة التوازن في شخصية المسلم، ومعيار التوازن هو الكلام الطيب، النابع من تعاليم القرآن الكريم وسنة المصطفى المختار ﷺ.

---

(١) لفظ البخاري: (لا)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٦٤٧٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٣٧). تنبيه: الحديث أخرجه مسلم (٢٩٨٨/٤٩) مختصرًا، ولم يشر إليه.

(٣) فتح الباري، ٣١٨/١١.

وسمة التوازن في الحديث تتجلى في صياغته المتقنة المتعادلة المتوازنة، فهو يتكون من جملتين متناسقتين في المبني، متضادين في المعنى، والجملتان يتكون كل منهما من إنَّ واسمها وخبرها.

ويبدأ الحديث بالتأكيد لأهمية القضية التي يحدد أبعادها، وهي معيار الكلمة الطيبة وثمرتها، ومعيار الكلمة الخبيثة وثمرتها، ونتيجتها المهلكة، والاسم متحد في كلتا الجملتين، "إن العبد ليتكلم بالكلمة"، ولكن شتان بين الكلمة في كل موقف، فالكلمة في موقف الفوز، "من رضوان الله تعالى"، أي صادرة من قلب مؤمن صادق سابح في محبة الله تعالى ورضوانه؛ وقوله: "العبد"، يوحي بأن الإنسان مهما علا شأنه فهو من عبيد الله وعباده، والتعبير بالمضارع في قوله: "ليتكلم" يشعر بالقسم لوجود اللام بعد التأكيد، وكذلك يوحي باستمرار هذا السلوك الحياتي، وقوله: "لا يلقى لها بالا"، أي تصدر منه الكلمة أو الكلمات على البديهة والارتجال بمنأى عن القصد والاستعداد، لأنه فطر على الكلم الطيب وتَعوَّد على المنطق الإسلامي السديد الرشيد، وخبر "إن" هو تمام الجملة، وهو تاج الفوز، وثمرة الرضوان: في قوله: "يرفعه الله بها درجات"، في الجنة، وفي الحياة الدنيا.

وأما الجملة الثانية: فهي على النقيض من دلالة الجملة الأولى، ولكنها تماثلها في صياغتها ومبناها، ولنتأمل الطباق بين قوله: "من رضوان الله" في الموقف الأول، وقوله: "من سخط الله" في الموقف الثاني، وكذلك الطباق بين ثمرتي الموقفين: ولنتأمل مصير كل من صاحب الكلمتين: ففي الأولى: "يرفعه الله بها درجات"، وفي الثانية: "يهوي بها في جهنم"، ولم تُذْكر الجنة في الموقف الأول ترفعًا عن جعل الجنة في موقف موازٍ لجهنم، لأن الجنة من رضوان الله تعالى، وجهنم من سخط الله تعالى وهي مصير المغضوب عليهم والضالين، جعلنا الله من الذين يرفعهم الله درجات حتى يكون مكانهم الفردوس الأعلى من الجنة.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٥١٨)

١٥١٨- وعن أَبي عبد الرحمن بلالِ بن الحارثِ المُزَنِيِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إلَى يَومِ يَلْقَاهُ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا كَانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ)). رواه مالكٌ في المُوَطَّأ، والترمذيُّ[1]، وقال: (حديثٌ حسنٌ صحيحٌ).

ترجمة الراوي:

بلال بن الحارث المزني: هو أبو عبدالرحمن المَدَنيُّ، صحابي، شجاع، من أهل البادية بالمدينة، أسلم سنة (٥) من الهجرة، وكان أول من قَدِم من مُزَينة على النبي ﷺ وكان ذلك في رجب سنة إسلامه.

وقد أقطعه النبي ﷺ العقيق وكتب له كتابًا كان نصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى محمد رسول الله ﷺ بلال بن الحارث أعطاهُ معادنَ القبيلة غوريَّها وَجَلْسِيَّها غَشَيَةَ وذات النُّصُبِ وَحَيثُ صَلُحَ الزَّرْعُ مِنْ قُدس إن كان صادقًا))[2].

وكان يسكن موضعًا وراء المدينة يعرف بالأشعر، ثم تحول إلى البصرة وكان حاملاً للواء مزينة يوم الفتح، وقد شهد غزو إفريقية مع عبدالله بن سعد بن أبي سرح وكان يحمل لواء مُزَينة يومئذ، ومعه أربعمائة مقاتل.

وروى عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وابن مسعود رضي الله عنه وتوفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة ٦٠هـ وهو ابن ٨٠ عامًا[3].

---

(١) الموطأ (٢/٩٨٥، رقم٥)، والترمذي (٢٣١٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٢٨٠)، وقال الحاكم (١/٤٥): هذا حديثٌ صحيحٌ وقد احتجَّ مسلم بمحمد بن عمرو، وقد أقام إسناده عنه سعيد بن عامر كما أوردته عاليًا، هكذا رواه سفيان الثوري، وإسماعيل بن جعفر، وعبد العزيز الدراوردي، ومحمد بن بشر العبدي وغيرهم. **تنبيه:** هذا الحديث عزاه المنذري في ترغيبه (٣/٥١٨) إلى البخاري، ولم يروه البخاري عن بلال بن الحارث.

(٢) المعجم الكبير، الطبري، رقم ١١٤١، (١/٣٧٠).

(٣) الاستيعاب (٨٣)، أسد الغابة (١/٤١٣-٤١٤)، الإصابة (١٣٨)، تهذيب الكمال (١/٣٨٧-٣٨٨)، تهذيب التهذيب (١/٢٥٣)، الأعلام للزركلي (٢/٧٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتموج داخل دائرة القبول والرفض، قبول الكلم الطيب ورفض الكلم الخبيث، ويتضمن الحديث أسرارًا أسلوبية، وظواهر فنية: منها:

أ- التأكيد: وقد تكرر ثلاث مرات في الحديث حيث ورد على لسان الراوي في صدر الحديث لشحذ الأذهان لأهمية الأمر، وضرورة الإصغاء إلى بيان المصطفى ﷺ، وورد التأكيد بإن في بداية الجملة الأولى: "إن الرجل"، وكذلك، ورد في بداية الجملة الثانية: "وإن الرجل ..."، لأن الموقفين على طرفي نقيض... أحدهما غايته الفوز بالدرجات العلى، والآخر غايته الخسران المبين، ولذلك جاء التأكيد متوافقًا مع المقام، وفيه مراعاة للمخاطَب الغافل عن العاقبة الحسنة أو السيئة.

ب- تكرار التوكيد، وكثير من الجمل، تكرارًا لفظيًا في جملتي الحديث، للإيحاء بالمزاوجة والمشاكلة الظاهرية، ولكن الدلالة تختلف، والثمرة تتنوع حسب ما يقدمه العبد من عمل وسلوكيات وكلمات، وقد تكرر قوله: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة"، مرتين، لأن مصدر الكلام هو اللسان. والكلام إما أن يكون طيبًا، أو خبيثًا، وكذلك تكرر قوله ﷺ: "ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت" أي الترقي في الفضل، في موقف الرضوان، وفي التردي إلى الدرك الأسفل في موقف السخط والخسران!!!.

والسياق هو الذي يحدد دلالة هذه الكلمة، ففي الموقف الأول: هي كلمة "الرضا"، وقد بلغت من الفوز مبلغًا عظيمًا، وفي الموقف الثاني: هي الكلمة التي باء صاحبها بسخط من الله تعالى، وقد بلغت من الخسران مبلغًا عظيمًا.

وقد تكرر قوله ﷺ "إلى يوم يلقاه" ولكن اليوم شاسع بين لقاء الله تعالى في كل من الموقفين، فالمعنى في الموقف الأول: أي: يوفقه لما يرضى عنه من الطاعات، ويثيبه عليها إلى يوم موته أو يوم القيامة، فيلقى الله مطيعًا، ولكن المفارقة تتجلى في قوله: "يكتب الله له بها رضوانه"، وقوله: "يكتب الله له بها سخطه"، فالتعبير بفعل الكتابة واحد، والمراد هنا الفرض والتقدير والقضاء المحكم، ولكن الله تعالى

يكتب الرضوان للطائعين المتكلمين بالحسنى، ويكتب الخسران للعاصين الذين يجهرون بالسوء من القول.

والحديث في ظل هذا التكرار لا ضعف فيه ولا إسهاب، ولا حشو ولا إغراب، وإنما أسلوبه محكم البنيان، مصقول العبارة، جزل التركيب، نظمه رائق قشيب، ومعناه فائق عجيب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٥١٦).

الحديث رقم (١٥١٩)

١٥١٩- وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله حدِّثني بأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ: ((قلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ)) قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: ((هَذَا)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سفيان بن عبدالله الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٥).

غريب الألفاظ:

أعتصم به: أستمسك به[2].

الشرح الأدبي

ما أبلغ هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وسفيان بن عبدالله رضي الله عنه!! وما أصدقه!! وما أوجزه، فآفاقه الدلالية تتسع وتمتد لتشمل كل جوانب الحياة التي يتغياها المسلم في ظل معالم التصور الإسلامي، ومحاور شخصية المسلم؛ ويبدأ الحوار بإخبار الراوي عن بداية موضوع هذه المحاورة، حيث يقر على نفسه بأنه قال: وساق الخبر مجردًا من التأكيد، لأنه القائل وهو المقر بذلك، والقول مسند إلى الضمير المتصل "تاء الفاعل" وهي للمتكلم، "قلت"، فلا انفصال بين الفعل والفاعل، ولا بين القول والقائل؛ والنداء في قوله: "يا رسول الله"، للتعظيم والإجلال، وتقديم لفظ "رسول الله" المقترن بياء النداء على الفعل "حدثني"، لمزيد من التقدير والمحبة، ولأن رسول الله ﷺ هو مصدر الحديث الناصح، وهو لا ينطق عن الهوى، ولأنه لا يطلب الهدي من غير رسول الله ﷺ في عصر البعثة فهو المبلغ عن ربه.

---

(١) برقم (٢٤١٠). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٦٩٨)، وقال الحاكم (٣١٣/٤): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٢١٦). تنبيه: الحديث أخرجه مسلم (٣٨/٦٢) بلفظ: (قلتُ: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا، لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: قل: آمنتُ بالله ثم استقم).

(٢) النهاية في (ع ص م).

والأمر في قوله: "حدثني"، للإشعار بمزيد من النصح، ولمزيد من الشعور بالأنس، لأن الحديث فيه ملاطفة، وفيه زيادة في القرب والمحبة، والرغبة في المعرفة والاسترشاد.

وقوله: "بأمر أعتصم به": أبلغ من قوله: بقول: لأن الأمر أعم وأشمل، والتعبير بقوله: "أعتصم به" يوحي بأن الإنسان في خطر دائم، وهو في مهب الريح، والشرور تتربص به، ولا منجاة له إلا بالطاعة والتوحيد والاستقامة، وما أبلغ نصيحة رسول الله ﷺ وما أوجزها حيث قدم له معيار النجاة في جملتين، وهما "قل ربي الله ثم استقم"، أي لابد أن تقر بالتوحيد، وتقر بالربوبية والإلهية، وهو إقرار ينبع من الجنان قبل الإقرار باللسان: لأن الإيمان: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

ولذلك نجد العطف بـ"ثم"، يعطي دلالة التأني واليقين، والتأمل.. فالاستقامة أفق سلوكي تتضوأ في أفلاكه كل مدارات الحياة؛ وسلامة المعتقد مع صدق اللسان، مع صلاح العمل يحتاج إلى مجاهدة ومكابدة، وتختم المحاورة بسؤال حقيقي يريد به السائل أن يأمن على نفسه من فتنة القول والفعل؛ وصيغة التفضيل مع تكرار مادة الخوف في قوله: "ما أخوف ما تخاف علي": يدل على حرص ذلك الصحابي على الاعتصام الكامل بالمعتقد الصحيح والعمل الصالح؛ وتأتي إجابة رسول الله ﷺ في حركة تصويرية مرئية لتأكيد النصيحة، وتعميق الدلالة، والحرص على الإقناع، حيث أخذ بلسان نفسه، ثم قال: "هذا"، وفي هذه الإشارة الحركية إيجاز بليغ وإقناع سديد، والتقدير: أخوف ما أخاف عليك، وعلى كل مسلم، هذا أي اللسان.

وقيل لأن اللسان سهل الحراك، وفي حراكه أنواع الهلاك إلا إذا قيد بقيود الشريعة وحبس عليها[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله والاستقامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة اللسان على الإنسان.

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ١٥٧٧.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به ..."، وقوله: "يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ؟" ومما لاشك فيه أن أسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفيد المدعوين، وتشجعهم على الحوار والاستجواب، "ومن أبرز أساليب النبي ﷺ في التعليم الحوار والمساءلة لإثارة انتباه السامعين، وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، ليكون جواب النبي ﷺ إذا لم يستطيعوا الإجابة أقرب إلى نفوسهم وأفهامهم وأوقع في قلوبهم"[١]. وقال الشيخ الميداني: (إن مجالس السؤال والجواب مجالس مفيدة ونافعة في نشر المعرفة وتثبيتها، وتناقلها بين الناس، بشرط أن تكون الإجابات واضحات جليات مفصلات لا غموض فيها ولا التباس، وبشرط أن يكون المجيب على علم مؤكد بالجواب الصحيح)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله والاستقامة:

حيث جاء في الحديث: "قل ربى الله ثم استقم"، قال المباركفوري: وقوله في الحديث: اعتصم به" أى أستمسك به، وقوله: "قل ربى الله ثم استقم" هو لفظ جامع لجميع الأوامر والنواهي، فإنه لو ترك أمرًا أو فعل منهيًا فقد عدل عن الطرق المستقيمة حتى يتوب، فإن من رضى بالله ربًا يؤدي مقتضيات الربوبية ويحقق مراضيه ويشكر نعماءه"[٣]. وقد أمر الله نبيه بالاستقامة فقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٤].

قال الطيبي: قال الفخر الرازي: استقامة المأمور صعب شديد؛ فإنها تشتمل على العقائد والأعمال والأخلاق. والاستقامة في العقائد أن يجتنب التشبيه والتعطيل، وفي الأعمال أن يحترز عن التغيير والتبديل، وفي الأخلاق أن يبعد عن طرفى الإفراط والتفريط"[٥].

---

(١) الحوار: آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٨.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى، ٦٢/٢٠.

(٣) تحفة الأحوذي ١٨٩٥/٢.

(٤) سورة هود، آية: ١١٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٣٥/١.

ونظير هذا الحديث قوله تعالى في فضل الإيمان بالله والاستقامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1]، قال ابن كثير: قال الزهري: تلا عمر هذه الآية على المنبر ثم قال: استقاموا -والله- لله بطاعته، ولم يَرُوغُوا رَوَغَان الثعالب، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس "قالوا ربنا الله ثم استقاموا" على السواء فرائضه. وكذا قال قتادة، قال: وكان الحسن يقول: اللهم أنت ربنا، فارزقنا الاستقامة. وقال أبو العالية: "ثم استقاموا" أخلصوا له العمل والدين"[2]. إن تعاليم الإسلام تحث على الإيمان والاستقامة على منهج الله وأمر الله سبحانه.

"تعتبر هذه الآيات الكريمات في هذا السياق أشمل منهج إسلامي: اعتقادًا، وقولاً، وعملاً واستقامة، مصحوبًا بالنتائج الحميدة المثلى، عاجلاً وآجلاً.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ...﴾[3] الآية، لما أطنب المولى في الوعيد قبلها، أردفه بهذا الوعد الشريف، ويعني بالوعيد الشديد قبلها من بداية قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾[4]، ثم بين موقفهم من القرآن بقوله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٧٦/٧.

(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٤) سورة فصلت، الآيات: ١٩-٢٤.

تَغْلِبُونَ﴾ وأعاد الوعيد مرة أخرى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾[1].

وبعد هذا العرض من شدة الوعيد على سوء أعمال الكفار، جاء السياق بأحسن البشري في العاجل والآجل لعباد الله المؤمنين: "الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا" فهو بمثابة مقارنة بين الفريقين، ويهمني في هذا السياق بيان منهج الفريق الفائز بالسعادة والبشرى، السائرين على منهج الاستقامة، وحقيقة الاستقامة هنا كما جاء عن الخلفاء الراشدين الأربعة، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قالوا ربنا الله ثم استقاموا، أي: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله. وعن علي وعثمان مثل ذلك. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر وهو يخطب: استقاموا والله على الطريقة لطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب.

فأجمل معنى الاستقامة إلى الله، وقد فصلها الفخر الرازي بقوله: ليس المراد منه القول باللسان فقط، لأن ذلك لا يفيد الاستقامة، يعني قولهم: "ربنا الله" لأنه سبحانه أعقب القول: "ربنا الله". بالاستقامة، ففيه الدلالة على أن ذلك القول مقرون باليقين التام، وتكون الاستقامة في الدين والتوحيد، وفي الأعمال الصالحة.

أما الاستقامة في التوحيد: فإن من علم أن لهذا الكون صانعًا. أن لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل؛ ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه، بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل، وكذلك يبقى مستقيمًا على الخط الفاصل بين الجبر والقدر، وفي الرجاء والقنوط، لا يفرط في الرجاء ويُسَوِّف العمل، ولا يفرط في القنوط فييأس من رحمة الله، أي يدعو ربه رغبًا ورهبًا.

وكذلك في الأعمال: لا يفرط في حمل نفسه على العزائم وما يشق عليها، ولا يفرط في تتبع الرخص، وقد وقع البيان لهذا الخط من الاستقامة في الأعمال قوله صلى الله عليه وسلم: «أكلَفوا من الأعمال ما تُطيقون»[2]. وقوله: «إنَّ الْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٢٦-٢٨.

(٢) أخرجه مسلم، ١١٠٣.

وَلا ظَهْرًا أَبْقَى». وقال ردًا على النفر الثلاثة الذين قال أحدهم سأصوم فلا أفطر، وقال الآخر سأقوم الليل ولا أنام، وثالثهم قال: لن أتزوج النساء. فغضب لذلك ﷺ وقال: ((أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1]. وجاء عنه ﷺ: أن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به. قال ﷺ: ((قل آمنت بالله ثم استقم)) قلت: يارسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: "هذا"[2].

ولعل أوضح مناهج الاستقامة ما جاء عمليًا في شخصية رسول الله ﷺ في قوله تعالى عنه: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، فقد شمل مجالات التكليف كلها، من معتقدات وأقوال وأعمال، في الحياة والممات، أما ما أعده الله تعالى لأهل هذه الاستقامة، فهو كذلك من الشمول ما وسع أمر الدنيا وأمور الآخرة، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[4]. قال قتادة: لأوسعنا عليهم من الدنيا. قال ابن كثير: وهذا نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[5]. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[6]. وفي هذا

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠٦٣، واللفظ له، ومسلم، ١٤٠١.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٤١٠ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٩٦٥).

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ١٦١-١٦٣.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ١٦-١٧.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٦.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٩٦.

الإنعام سعادة الدنيا ورغد العيش، أما من جانب أمور الآخرة فقد جاء مجملاً ثم مفصلاً، فالمجمل في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

وأما التفصيل ففي هذا السياق في قوله تعالى: "تتنزل عليهم الملائكة" أي: عند آخر لحظة من الدنيا وأول لحظات الآخرة بهذه البشرى السعيدة "ألا تخافوا" أي: مما أمامكم. "ولا تحزنوا" أي: عما وراءكم. "وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" ثم يؤنسونهم بالولاية والمحبة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[2]. ما أحسنها بشرى! وما أحوجنا إليها![3].

قال الإمام ابن القيم: (ومن منازل "إياك نعبد وإياك نستعين" منزلة "الاستقامة".

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[4]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾[5]. وقال لرسول الله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣-١٤.

(٢) سورة فصلت، الآيتان: ٣١-٣٢.

(٣) آيات الهداية والاستقامة، الشيخ عطية محمد سالم، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط أولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٢/٦٢-٦٤.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٥) سورة الأحقاف، الآيتان: ١٣-١٤.

وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

فبين أن الاستقامة ضد الطغيان؛ وهو مجاوزة الحدود في كل شيء. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[٣].

سئل صِدّيق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة؟ فقال: "أن لا تشرك بالله شيئًا". يريد الاستقامة على محض التوحيد. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب".

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه "استقاموا: أخلصوا العمل لله".

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنهما "استقاموا: أدوا الفرائض".

وقال الحسن "استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته".

وقال مجاهد "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله".

وسمعت ابن تيمية يقول: "استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة.

وفيه عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمُ الصَّلاَةَ. وَلاَ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلاَّ مُؤْمِنٌ»[٤].

والمطلوب من العبد الاستقامة؛ وهي السداد؛ فإن لم يقدر عليها فالمقاربة. فإن نزل عنها فالتفريط والإضاعة، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قَارِبُوا وَسَدِّدُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ» قَالُوا: يَا

---

(١) سورة هود، آية: ١١٢.

(٢) سورة فصلت، آية: ٦.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ١٦-١٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٢٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٤)

رَسُولَ اللّهِ وَلاَ أَنْتَ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[١].

فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة؛ وهي السداد والإصابة في النيات والأقوال والأعمال.

وأخبر في حديث ثوبان: أنهم لا يطيقونها؛ فنقلهم إلى المقاربة، وهي أن يقربوا من الاستقامة بحسب طاقتهم، كالذي يرمي إلى الغرض؛ فإن لم يصبه يقاربه. ومع هذا فأخبرهم أن الاستقامة والمقاربة لا تنجي يوم القيامة؛ فلا يركن أحد إلى عمله، ولا يعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة الله وعفوه وفضله.

فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين؛ وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد.

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات. فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله.

قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة، لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك الاستقامة.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية- قدس الله تعالى روحه، يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة اللسان على الإنسان:

حيث جاء في الحديث : "يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا" ومما لا شك فيه أن اللسان هو مورد الخطورة للإنسان، قال الإمام الغزالي: "كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فمه يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان. وقال الحسن: ما عقل

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩، ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/٣٣٦-٣٣٩.

دينه من لم يحفظ لسانه"[١]، وقال الحسن بن هانئ:

مُـــت بـــداءِ الـــصمت خيـــرٌ لـــكَ مِـــنْ داءِ الكـــلام
إنمـــا العاقِـــلُ مـــن ألـــجم فـــاهُ بلجـــام[٢]

قال الشيخ محمد الغزالي: "نعمة البيان من أجلِّ النعم التي أسبغها الله على الإنسان، وكرمه بها على سائر الخلق، وإن أكثر الناس لا ينقطع لهم كلام، ولا تهدأ لألسنتهم حركة فإذا ذهبت تحصى ما قالوا وجدت جله اللغو الضائع، أو الهذر الضار، وما لهذا ركب الله الألسنة في الأفواه، ولا بهذا تقدر الموهبة المستفادة، وقد عنى الإسلام عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى حقيقة عقله وطبيعة خلقه، ولأن طرائق الحديث في جماعة ما تحكم على مستواها العام ومدى تغلغل الفضيلة في بيئتها، وإن المسلم لا يستطيع هذا إلا إذا ملك لسانه، وسيطر على زمامه بقوة، فكبحه حيث يجب الصمت، وضبطه حين يريد المقال أما الذين تقودهم ألسنتهم فإنما تقودهم إلى مصارعهم"[٣].

إن اللسان خطره عظيم على الإنسان، عندما يجعله يتحدث فيما لا يعنيه، "وذلك لأنه تضييع للوقت الذي هو رأس مال المسلم، فقد كان بإمكانه أن يستغله في ذكر الله عز وجل فينال به الأجر الكثير، فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة وتضييع الأجر.

ولذلك جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٤].

وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: خمس لَهُنّ أحب إلي من الدهم[٥] الموقوفة:

---

(١) إحياء علوم الدين ١٢٠/٣.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٨/١، والأبيات في تاريخ دمشق ٤٥١/١٣.

(٣) خلق مسلم ٧٧، ٧٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٥) الدهم: نوع جيد من أنواع الإبل.

١- لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر.

٢- لا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعًا، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت.

٣- ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك.

٤- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به.

٥- واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالاحترام.

وقيل للقمان الحكيم ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني.

وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

والسؤال عن المعاصي وعن كل ما يخفيه المسلم ويستحي منه فلا تسأل عنه، وكذلك إذا قابلت أخاك في الطريق وسألته أين كنت؟ فربما يمنعه مانع من الجواب فإن ذكره تأذى، وإن لم يصدق وقع في الكذب، وكنت في ذلك السبب.

فيجب عليك أن تتجنب الكلام فيما لا يعنيك واعلم أن ذلك صعب على النفس.

يقول مورق العجلي: أَمُرّ أَنَا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه، قالوا: ما هو؟ قال: السكوت عما لا يعنيك ولكن ما العلاج لمن ابتلى بذلك؟.

قلت: ويستعين على ذلك بالتفكر في معنى الكلمة قبل النطق فإن كانت لمصلحة أطلقها وإلا أمسكها[1].

---

(١) حفظ اللسان، وحيد عبدالسلام بالي، ص ٨-١٠.

الحديث رقم (١٥٢٠)

١٥٢٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإنَّ أبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي)). رواه الترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفتح أفق النجاة أمام المسلم الذي اعتصم بالطاعة، ولجأ إلى ربه، وكف لسانه، ولذلك يبدأ الحديث بأسلوب النهي في خطاب موجهًا لجماعة المسلمين في كل زمان، وكل مكان، "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله"، والذكر كلمة جامعة مانعة: والمراد منه: ما يشمل الدعاء، وأشرف الذكر: القرآن، فكل قول لابد أن يعمر بذكر الله عز وجل، كما قال الرافعي: ألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه.

والجملة الثانية: تعليل للنهي في الجملة الأولى على سبيل الاستئناف البياني، والفاء للإفصاح والتعليل.

ولنتأمل تَكْرَار التأكيد في بداية الجملتين الثانية والثالثة: حيث قال: "فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة القلب"، وبلاغة التعبير تتجلى في إسناد القسوة إلى

---

(١) برقم (٢٤١١). وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٤/٦٤٠): سكت عنه عبدالحق، وهو حديث يدورُ على إبراهيم بن عبد الله بن حاطب، يرويه عن عبد الله بن دينار، وإبراهيم المذكور مدنيٌّ، روى عنه القعنبيّ، وعلي بن حفص وغيرهما، ومع ذلك لا تعرف حاله. وقال الذهبي في الميزان (١/٤١): مدني مُقلٌّ ما علمتُ فيه جرحًا. وذكر من غرائبه هذا الحديث. أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٤٢).

كثرة الكلام بغير الذكر، وهو من الإسناد للسبب، لأن كثرة الكلام اللاهي العابث يؤدي إلى قسوة القلب.

وفي الكلام بلاغة أخرى وهي طريقة اختيار الكلمة المشعة بالدلالات المتعددة، فقد تكرر في الحديث قوله: "قسوة القلب"، و"القلب القاسي"، حيث أسندت القسوة إلى كثرة الكلام ثم وصف القلب بالقاسي، ومادة: قسا، توحي بكل أمراض القلب، فهي تعني: الخشونة والرداءة والظلمة والزيف، والقحط، والجدب، وعدم الإنبات، وعدم الإثمار، والقلب القاسي الذي لا ينشغل بذكر الله تعالى تفتك به كل هذه الآفات والعلل فهو قلب سقيم، وصاحبه أبعد الناس من الله تعالى.

قال الزمخشري في أساس البلاغة: في مادة: "قسو"، حجر قاس: أي: صلب، وهو أقسى من الصخر، ومن المجاز قولهم: قسا قلبه علي، وفيه قسوة وقساوة: أي مثل الصخر يخلو من الشعور النبيل والعاطفة الرقيقة، ويقولون، قاسيت الأمر: أي عالجت شدته، ودرهم قسى، لأن ما خلص فضة فيه لين، والدرهم الردئ: قاسٍ صلب، ويقولون: هذا كلام قسي: أي كلام زائف وبهرج، ويوم قسي وليل قسي: أي شديد من برد أو شدة ظلمته أو شر؛ ويقولون: قسا ليلنًا أي: أظلم؛ وعام قسي أي: قحط، وأرض قاسية: أي: لا تنبت شيئًا.

فتأمل دلالة القسوة، في ظل هذه المعاني المتعددة التي تتجمع في قلب القاسي، فما أعظم بلاغة رسول الله ﷺ في اختيار الكلمات المشعة بالدلالات الكاشفات عن المعاني الباهرات، ولنتأمل في ظل الدلالات السابقة هذا البيان النبوي البليغ، وأن أبعد الناس من الله تعالى: القلب القاسي.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة الكلام بغير ذكر الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة قسوة القلب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي، والترهيب:

١- النهي: حيث جاء في الحديث: "لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله" وأسلوب النهى من أساليب الدعوة التي يجب أن يستخدمها الدعاة إلى الله في دعوتهم حيث تشعر المدعو بخطورة المنهي عنه وضرورة اجتنابه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (١)، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النهى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ (٢)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾(٣)، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ (٤).

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث: "فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي"، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة التي تخيف المدعو وترهبه من الوقوع في محظور شرعي، والنفس بفطرتها تخاف من الوعيد "والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة"(٥). وقال الشيخ محمد الغزالي: "وكما تقاد النفس عن طريق الرغبة تقاد عن طريق الرهبة، فتكف عن الرزيلة وَجَلاً مما يعقبها من منغصات، أو تندفع إلى الفضيلة خوفًا من مغبة التراخي والتفريط. والله سبحانه وتعالى قوي متين وعزيز ذو انتقام، وديَّان لا يموت والتخويف به حق وأثر الخوف منه بعيد المدى ولذلك قال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٥) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الجنة"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطورة الكلام بغير ذكر الله:

حيث جاء في الحديث: "فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب"، قال الطيبي: "والمراد أنه سبب لقسوة القلب، وهى عبارة عن عدم قبول ذكر الله، والخوف والرجاء، وغير ذلك من الخصال الحميدة، وعدم هذه الخلال يبعد الناس من الله"[٢].

وقال المباركفوري: "فيه إشارة إلى أن بعض الكلام مباح وهو ما يعنيه والمراد بقساوة القلب: النبو عن سماع الحق، والميل إلى مخالطة الخلق، وقلة الخشية وعدم الخشوع والبكاء، وكثرة الغفلة عن دار البقاء"[٣]. وهذا وقد وصف الله المؤمنين بأنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[٤]، وبين أن من صفات عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[٥]، وقال ابن مفلح: روى الخلال عن عطاء قال: كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام - كل كلام تنطق به - ما عدا كتاب الله أن تقرأه، أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك بما لابد لك منه[٦].

ولخطورة الكلام بغير ذكر الله تعالى بوّب الإمام مالك في موطئه باب سمَّاه: ما يكره من الكلام بغير ذكر الله.

قال أبو بكر العربي: "وأما الكلام بغير ذكر الله تعالى: فإن مالكًا رحمة الله عليه، عقده عقدًا بديعًا؛ وذلك أن اللسان عبدالله، فلا ينبغي أن يذكر سواه، فيكون خدمةَ عبدٍ لغير مولاه، وهذا هو أصل الدين، والذي عليه كافة المسلمين، وعلى العبد

---

(١) مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، ٣١٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٣٩/٤.

(٣) تحفة الأحوذي ١٨٩٥/٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٣.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

(٦) الآداب الشرعية ٦٢/١.

أن يذكر ربه، كان مطيعًا له أو عاصيًا، وإن الله تعالى جوز للعبد لحاجة النفس أن يتكلم في معاشه ورياشه[١] بغير ذكر ربه.

وقد قال عيسى عليه السلام: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم[٢]. ولذلك قال مالك في حديث النبي ﷺ: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا»[٣]. إنه مكروه؛ لأنه يخدع الناس خدعة الساحر. هذا هو رأيه فيه، وعليه تدل ترجمة الباب الذي أدخله عليه. وقال غيره من العلماء: إنما أراد به مدح الكلام؛ لأنه أثنى وذم، وكان الكل صدقًا، وصرفه بمقدار الحاجة، فصار أمرًا بديعًا، فأثنى عليه النبي ﷺ، ولا سيما وكان من حاجة المتكلم في الإعراب عن نفسه. والذي ذهب إليه مالك أصح، والدليل عليه ما تفطن له مالك، من أن المرء إذا اتخذ هذا عادة لم يأمن أن يسقط، ولذلك أدخل بعده كلام عيسى: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، إلى آخره. وأما حديث عائشة: «ألا تريحون الكُتَّاب؟»[٤]. فليس عليهم تعب؛ لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم عباد مكرمون، لا يستحسرون ولا يفترون، ولكنها أخذت ذلك من قول النبي ﷺ للحولاء: «إن الله لا يمل وأنتم تملون»[٥]. فضرب لقطع الأجر مثلاً؛ الملل الذي يقطع به العبد العمل، فكذلك قالت: ألا تقطعون كلامكم حتى تقطع الملائكة عملها؟ وكذلك روي أن اليهود قالت: إن الله خلق الخلق في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، فأنزل الله تعالى تكذيبًا لهم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[٦].

فإن كانت اليهود قد وجدت هذه اللفظة في التوراة، فذلك جائز، ولكنها أخطأت في حملها على ظاهرها، فقد جاء في القرآن أمثالها، ولكن من حملها على ظاهرها كان أخا اليهود. وقد مرّ مالك بن دينار على قوم يتحدثون فيكثرون فقال لهم: لو اشتريتم

---

(١) الرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس، انظر: لسان العرب مادة [ر-ي-ش].

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ١٩٢٠.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، ١٩١٩.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ ١٩٢١.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٢٥٨.

(٦) سورة ق، آية: ٣٨.

الرَقّ[١] والمداد من دراهمكم للكتبة، لكان كلامكم أقل. سمعت أبا سعيد بالمسجد الأقصى يقول: سمعت الإمام أبا القاسم القشيري بنيسابور يقول: قال الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٢]. وكان قادرًا على أن يخلقها في لحظة، ولكن أراد أن يعلم الناس ترك العجلة مع القدرة[٣].

وقال ابن عبدالبر: وعن مالك أنه بلغه أن عيسى بن مريم كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد، فإنما الناس مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية[٤].

قال أبو عمر: هذا عندي أفضل كلام قيل في معناه، أو من أفضل كلام قيل؛ أجمعه للخير وأدله عليه، ولقد أحسن القائل:

ارْحَمِ النّاسَ جَميعًا ... فَهُمُ أبْناءُ جِنْسِكْ
ابْغِ للنّاسِ مِنَ الخَيْـ ... ـرِ كمَا تَبغي لنَفْسِكْ

وعن آدم بن علي قال: سمعت أخا بلال مؤذن النبي ﷺ يقول: الناس ثلاثة: فسالم، وغانم، وظالم لنفسه. قال: فالسالم الساكت، والغانم الذي يأمر بالخير وينهي عن المنكر، والظالم لنفسه الناطق بالخنا والمعين على الظلم.

وقال أبو بكر: عن بكر بن ماعز، قال: كان الربيع بن خثيم يقول: لا خير في الكلام إلا في تسع: تهليل الله، وتسبيح الله، وتكبير الله، وتحميد الله، وسؤالك الخير، وتعوذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءتك القرآن.

وروينا عن سيبويه أنه قال: رأيت الخليل بن أحمد في المنام، فقال لي: أرأيت ما كنا فيه، فإني لم انتفع بشيء منه، إنما انتفعت بقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا

---

(١) الرق: ما يكتب فيه وهو جلد رقيق، انظر لسان العرب (ر-ق-ق)

(٢) سورة ق، آية: ٣٨.

(٣) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٤٠٦-٤١٠ بتصرف.

(٤) أخرجه مالك بن الموطأ ١٩٢٠.

الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وقول بالحق.

وعن مالك، أنه بلغه أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت ترسل إلى أهلها بعد العتمة فتقول: ألا تريحون الكُتَّاب؟.

قال أبو عمر: الكُتَّاب هاهنا: الكرام الكاتبون، وهم الحفظة الرقباء، قال الله عز وجل: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]. فكأن عائشة رضي الله عنها ذهبت إلى أن النوم راحة للحفظة؛ لأنه لا يُكْتَب على النائم شيءٌ، وكره ﷺ السمر بعد العشاء إلا لمصل أو مسافر، وكان عمر بن الخطاب يشدد في ذلك وقال مجاهد: لا يجوز السمر بعد العشاء إلا لمصل أو مسافر أو مذاكر بعلم[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة قسوة القلب:

حيث جاء في الحديث: "إن أبعد الناس من الله القلب القاسي" فقد أخبر النبي ﷺ أن صاحب القلب القاسي أبعد الناس من الله، وبين الله أن قسوة القلب من صفات اليهود ونهانا عن التشبه بهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[3]، قال ابن كثير: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أى تلين عند الذكر والموعظة، وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيع، وقد نهى الله المؤمنين عن التشبه بأهل الكتاب عندما قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد"[4].

وذم الله اليهود على قسوة قلوبهم فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾[5]. وتوعد الله قساة القلوب التي لا تلين لذكر الله فقال:

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) الاستذكار، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٤٢١-٤٢٣.

(٣) سورة الحديد، آية: ١٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/١٩-٢٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ٧٤.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١]. وبين الله مصير الأمم السابقة عندما قست قلوبها قال ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢]. قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم[٣].

جاء في موسوعة نضرة النعيم: "ومن مضار القسوة أنها تذهب اللين والرحمة والخشوع من القلب، وصاحب القلب القاسي بعيد من الله بعيد من الناس، والقسوة تزيل النعم وتحل النقم، وفي الفظاظة وغلظ القلب مع المسلمين ما يؤدي إلى تفرق كلمتهم وطمع العدو فيهم، والفظاظة والغلظة تؤديان -خاصة في مجال الدعوة إلى الله- إلى انصراف الناس عن الداعية ونفورهم منه"[٤].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله القرطبي، ١٦١/١٥.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٥٣٢٨/١١.

الحديث رقم (١٥٢١)

١٥٢١ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لحييه: هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان[2].

الشرح الأدبي

الوقاية توحي بالحفظ، والمنع، والحماية، ونسبتها لله تعالى تعطيها مع توكيدها أبعادا إيحائية تشمل الدنيا، ومواقف الآخرة، وقوله (ما بين لحييه) كناية عن اللسان، أي الذي بين الشارب، واللحية الفم، واللسان، وتكرار لفظ (شر) للدلالة على استقلالية الحكم في كل واحد منهما وقوله (وما بين رجليه) كناية عن الفرج فلا يستعمله في معصية الله فيما لا يحل له وقوله دخل تفيد التحقق، والجنة من الألفاظ الموحية بطبيعتها بالمتاع الحسي، والمعنوي، والنعيم الأبدي الذي يذهب فيه العقل كل مذهب، وفي الحديث دعوة إلى كف الجوارح عن إيذاء الناس.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٤٠٩) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٠٣)، وقال الحاكم (٣٥٧/٤): صحيح الإسناد. أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٥٨، و ٤٢٠٨).

(٢) فتح الباري، ٣١٦/١١.

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (١٥١٥).

الحديث رقم (١٥٢٢)

١٥٢٢ - وعن عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ اللهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: ((اَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٥١).

غريب الألفاظ:

وليسعك بَيْتُك: أي: تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من وصايا رسول الله ﷺ الجامعة التي تفيء النفوس إلى ظلالها من هجير الصراع النفسي، والقلق الذاتي، والتنافر الاجتماعي.

والحديث: سؤال وجواب، وهذه من الصيغ المألوفة في الحديث النبوي، وهي صيغة إقناعية ثمرتها التعليم والإرشاد، والهدي والسداد

ويبدأ الحديث بالنداء، والمنادي هو رسول الله ﷺ، وكان السياق يقتضي أن يبدأ السائل بالمسؤول عنه وهو النجاة، ولكنه عدل عن ذلك وقدم نداء لرسول الله ﷺ تعظيمًا وتوقيرًا، ولأن السؤال عن مثل هذه الأمور لا يكون إلا لرسول الله ﷺ، لأنه لا ينطق عن الهوى، وهو المبلغ عن ربه.

وفي قوله: (ما النجاة؟) إيجاز بالحذف: لأن السؤال عن الأسباب المحصلة للنجاة، والسؤال عن النجاة يوحي بأن الإنسان وهو يخوض غمار الحياة في خطر دائم، ومعرض للهلاك.

---

(١) برقم (٢٤٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٣٨).

(٢) تحفة الأحوذي، ٢/١٨٩٤.

وإجابة رسول الله ﷺ جاءت في ثلاث جمل، "أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك" وكلها جاءت في نسق لغوي واحد "صيغة الأمر"، وهي متناسقة التركيب، منسجمة الإيقاع، ومتسقة البناء، وكلها تختم بكاف الخطاب: لسانك.. بيتك.. خطيئتك، وكأن هذا التوازن البنائي صورة لتوازن السلوك الاجتماعي، وصورة لاتزان شخصية المسلم، واستواء نفسيته، وقوله: (أمسك عليك لسانك) فيه عدول عن الظاهر المألوف إلى غيره فالظاهر كما قال صاحب دليل الفالحين أن يقال: حفظ اللسان: فأخرجه على سبيل الأمر المقتضى للتحقيق مزيدًا للتقرير، وقيل الحديث من أسلوب الحكيم، فإن السؤال عن حقيقة النجاة، والجواب بسببها لأنه أهم، والأمر في: (وليسعك بيتك) للبيت: وفي الحقيقة لصاحبه: أي: اشتغل بما هو سبب لزومه، وهو طاعة الله تعالى والاعتزال عن الأغيار.

وقوله: "وابك على خطيئتك": فيه أمر، والأمر للوجوب، والتعدية بـ"على: تضمن الفعل: "ابك"، معنى الندامة، أي: اندم على خطيئتك، والفعل أخطأ يفيد معنى دقيقًا وهو: تعمد الذنب، ومن دلالة الخطأ: الغليان والفوران حيث يقولون: خطأت القدر بزبدها عند الغليان أي قذفت به، والخطأ يعني المخل والجدب، حيث يقول العرب: أخطأ المطرُ الأرض أي لم يصبها، ويقولون: استخطأت الناقة أي لم تحمل سنتها.

وهذه الدلالات اللغوية تتجمع لتشكل صورة منفرة لمرتكب الخطيئة وتجعله إذا أراد النجاة أن يبكي، وأن يندم، وأن يتوب إلى الله تعالى، حتى ينجو من المحل والجدب، والغضب والعصيان، والهلاك والخسران، ويفيء إلى ظلال السكينة والإيمان.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عما ينفعه.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان طرق النجاة.

رابعًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً- من واجبات المدعو: السؤال والاستفسار عما ينفعه:

حيث جاء في الحديث: "قلت يارسول الله ما النجاة؟" ومما لا شك فيه أن من أهم واجبات المدعو السؤال والاستفسار عما ينفعه وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١]، قال السعدي: "وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل العلم والدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها، أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك"[٢]. هذا وقد استنكر الرسول ﷺ على من لم يسأل عند جهله ففي قصة المجروح الذي اغتسل فمات قال ﷺ، قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العِيِّ السؤال"[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

حيث جاء في الحديث: "أمسك عليك لسانك" وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بأهمية المأمور به، وضرورة تنفيذه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[٤]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الأمر قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٥]، وقوله جل شأنه: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[٦].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٤٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٤) سورة الحشر، آية: ٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٦) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان طرق النجاة:

حيث جاء في الحديث: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».

قال الطيبي: "وقوله أمسك عليك لسانك" أي لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك وعن بعضهم، اجعل لسانك مملوكًا لك فيما عليك وَبَالُه وَتَبِعتُه، وأمسكه عما يضرك وأطلقه فيما ينفعك، ومن النجاة أن يتعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار، وضمن "بكى" معنى الندامة، وعداه بـ "على" أى أندم على خطيئتك باكيًا"[1]. هذا وقد جعل النبي ﷺ إمساك اللسان عن الكلام أول طريق النجاة، وقد جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال "من صمت نجا"[2].

وقال بعضهم:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثُعْبَانُ

كَمْ فِي المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشُّجْعَانُ[3]

والواجب على المسلم حفظ اللسان عن فضول الكلام.

وهو الزيادة التي لا فائدة من ورائها فإذا أدى مقصوده بكلمة: فذكر كلمتين، فالثانية فضول.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[4].

وعن ركب المصري مرفوعًا: "طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله".

وقال ابن مسعود: أنذركم فضول كلامكم، حسب امرئ من الكلام ما بلغ به حاجته.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١١٢/٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٥٠١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣١).

(٣) الأذكار للنووي، ٢٩٨، والأبيات للإمام الشافعي، البحر: كامل تام، المستظرف ١٨٦/١.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

وقال مجاهد: إن الكلام ليكتب، حتى إن الرجل ليسكت ابنه فيقول له: سأشتري لك كذا وكذا فيكتب كذابًا.

وقال إبراهيم التيمي: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر، فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا.

وقد قيل:

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقت فإنما ... يبدي عيوبَ ذوي العقولِ المنطق[1]

وقيل أيضًا:

خَيْرُ الكلامِ قَليلُ ... على كَثيرٍ دَليلُ

والعِيُّ مَعنى قَصيرٌ ... حَويه لفظٌ طَويلُ

وفي الكَلام فضُول ... وفيه قَال وقيلُ[2]

وقوله ﷺ "وليسعك بيتك" فقد أرشد ﷺ إلى إحدى طرق النجاة، وهو أن يبتعد الإنسان عن مخالطة الناس إذا كان في ذلك ضرر له في دينه، وإشغال له عن عبادة ربه وتسبب المخالطة في وقوعه في الفتن والمعاصي.

قال ابن قدامة: "وفوائد العزلة ست:

الأولى: الفراغ للعبادة، والاستئناس بمناجاة الله سبحانه، فإن ذلك يستدعي فراغًا، ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إلى ذلك خصوصًا في البداية.

قيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بهم الزهد والخلوة؟ قال: إلى الأنس بالله.

وقال أويس القرني ﷺ: ما كنت أرى أن أحدًا يعرف ربه فيأنس بغيره. واعلم أن من تيسر له بدوام الذكر الأنس بالله، أو بدوام الفكر تحقيق معرفة الله، فالتجرد لذلك أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة.

الفائدة الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض لها الإنسان غالبًا

---

(١) الأبيات لصالح بن عبدالقدوس، تاريخ دمشق ٢٣/٣٥٠، وفيات الأعيان ٢/٤٩٣.

(٢) حفظ اللسان، وحيد عبدالسلام بالي، ١١، والأبيات في معجم الأدباء ١/٣٠٦، والعقد الفريد ٢/١١٤.

بالمخالطة، وهي أربعة: الغيبة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرياء، ومسارقة الطبع من أخلاقهم الرديئة.

الفائدة الثالثة: الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين عن الخوض فيها، فإنه قلما تخلو البلاد من العصبية والخصومات، والمعتزل عنهم سليم.

وقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ذكر الفتن، ووصفها وقال: ((إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم، وخفت أماناتهم، فكانوا هكذا)) وشبك بين أصابعه، فقلت: ما تأمرني؟ فقال" ((الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر الخاصة، ودع أمر العامة)).

وقد روي غير ذلك من الأحاديث في معناه.

الفائدة الرابعة: الخلاص من شر الناس، فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة، ومرة بالنميمة ومرة بسوء الظن، ومرة بالتهمة، ومرة بالأطماع الكاذبة، ومن خالط الناس لم ينفك من حاسد وعدو، وغير ذلك من أنواع الشر التي يلقاها الإنسان من معارفه، وفي العزلة خلاص من ذلك، كما قال بعضهم:

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ... فَلا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصِّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ ... يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوِ الشَّرَابِ[1]

وقال عمر رضي الله عنه: في العزلة راحة من خلطاء السوء.

وقال إبراهيم بن أدهم: لا تتعرف إلى من لا تعرف، وأنكر من تعرف. وقال رجل لأخيه: أصحبك إلى الحج؟ فقال: دعنا نعش في ستر الله، فإنا نخاف أن يرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه، وهذه فائدة أخرى في العزلة، وهي بقاء الستر على الدين والمروءة وسائر العورات.

الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك، وطمعك عنهم.

أما طمعهم، فإن رضاهم غاية لا تدرك، فالمنقطع عنهم قاطع لطمعهم في حضور ولائمهم وإملاكاتهم، وغير ذلك.

---

(١) البداية والنهاية، قافية الباء ٧٤/١١، والأبيات لابن الرومي، بحر: وافر تام.

وقد قيل: من عم الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم.

وأما انقطاع طمعك: فإن من نظر إلى زهرة الدنيا تحرك حرصه، وانبعث بقوة الحرص طمعه، ولا يرى إلا الخيبة في أكثر المطامع فيتأذى.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1].

الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاساة أخلاقهم، وإذا تأذى الإنسان بالثقلاء لم يلبث أن يغتابهم، فإن آذوه بالقدح فيه كافأهم، فانجر الأمر إلى فساد الدين، وفي العزلة سلامة من ذلك"[2].

وذَكَر فوائدَ المخالطةِ وتَرْك العزلة فقال:

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة. ومن فوائد المخالطة:

"التعلم والتعليم والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة هذه الأحوال، والاعتبار بها، فهذه فوائد الخلطة"[3].

ثم بين الضابط في المسألة والراجح فيها فقال:

فإذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها، تحققت أن الحاكم عليها مطلقًا بالتفصيل نفيًا وإثباتًا خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مخالطته، وإلى الفائت بسبب مخالطته من الفوائد، ويقاس الفائت بالحاصل، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل.

فقد قال الشافعي: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة

---

(١) سورة طه، آية: ١٣١.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١١٩-١٢٢

(٣) المرجع السابق نفسه ١٢٢، ١٢٣.

للسوء، فكن بين القبض والبسط، ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر، وإنما هو إخبار عن حاله، فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال.

فإن قيل: فما آداب العزلة؟، قلنا: ينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كفَّ شره عن الناس، ثم طلب السلامة من شر الأشرار، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين، ثم تجريد الهمة لعبادة الله تعالى أبدًا، فهذه آداب بينة.

ثم ليكن في خلوته مواظبًا على العلم والعمل، والذكر والفكر، فيجتني ثمرة العزلة، وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيادة ليصفوا وقته، وليكف عن أخبارهم، وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد وما الناس مشغولون به، فإن جميع ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة، فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في الأرض، وليقنع باليسير من المعيشة، وإلا اضطره التوسع إلى مخالطة الناس.

وليكن صبورًا على ما يلقاه من أذى الناس، ولا يصغى إلى الثناء عليه بالعزلة، ولا القدح فيه بترك الخلطة، فإن ذلك يؤثر في القلب فيقف عن السير في طريق الآخرة.

وليكن له جليس صالح يستريح إليه ساعة عند كد المواظبة، ففي ذلك عون على بقية الساعات، ولا يتم الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا، ولا ينقطع طمعه إلا بقصر أمله، فيقدر أنه إذا أصبح لا يمسى، وإذا أمسى لا يصبح، فيسهل عليه صبر يوم.

وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر متى ضاق عليه قلبه من الوحدة، وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به، لم يطق وحشة الوحدة بعد الموت، وأن من أنس بذكر الله ومعرفته لم يزل الموت أنسه، لأن الموت لا يهدم محل الأنس والمعرفة، كما قال الله تعالى في حق الشهداء: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1]. وكل متجرد لله في جهاد نفسه، فهو شهيد، كما ورد عن بعض الصحابة أنه قال: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر"[2].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٦٩.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٢٥، ١٢٦.

وذكر الإمام ابن القيم الضابط في أمر الخلطة من عدمها باعتبار أن لزوم البيت سبيل النجاة فقال: "والضابط النافع في أمر الخلطة: أن يخالط الناس في الخير -كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة- ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات. فإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في الشر، ولم يمكنه اعتزالهم: فالحذر الحذر أن يوافقهم. وليصبر على أذاهم، فإنهم لابد أن يؤذوه إن لم يكن له قوة ولا ناصر. ولكن أذى يعقبه عز ومحبة له وتعظيم، وثناء عليه منهم ومن المؤمنين ومن رب العالمين. وموافقتهم يعقبها ذل وبغض له، ومقت، وذم منهم ومن المؤمنين، ومن رب العالمين.

فالصبر على أذاهم خير وأحسن عاقبة، وأحمد مآلاً، وإن دعت الحاجة إلى خلطتهم في فضول المباحات. فليجتهد أن يقلب ذلك المجلس طاعة لله، إن أمكنه، ويشجع نفسه ويقوي قلبه، ولا يلتفت إلى الوارد الشيطاني القاطع له عن ذلك، وبأن هذا رياء ومحبة لإظهار علمك وحالك، ونحو ذلك، فليحاربه، وليستعن بالله، ويؤثر فيهم من الخير ما أمكنه.

فإن أعجزته المقادير عن ذلك، فَلْيَسُلّ قلبه من بينهم كسلّ الشعرة من العجين، وليكن فيهم حاضرًا غائبًا، قريبًا بعيدًا، نائمًا يقظانًا. ينظر إليهم ولا يبصرهم، ويسمع كلامهم ولا يعيه، لأنه قد أخذ قلبه من بينهم، ورقى به إلى الملأ الأعلى، يسبح حول العرش مع الأرواح العلوية الزكية. وما أصعب هذا وأشقه على النفوس، وإنه ليسير على من يسره الله عليه. فبين العبد وبينه أن يصدق الله تبارك وتعالى، ويديم اللجوء إليه، ويلقي نفسه على بابه طريحًا ذليلاً، ولا يعين على هذا إلا محبة صادقة، والذكر الدائم بالقلب واللسان، وتجنب المفسدات الأربع الباقية الآتي ذكرها. ولا ينال هذا إلا بعدة صالحة ومادة قوة من الله عز وجل، وعزيمة صادقة، وفراغ من التعلق بغير الله تعالى، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة)[1].

وقال أيضًا: (والناس في مخالطتها أربعة أقسام:

أحدها: مَنْ مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه

---

(١) طب القلوب، جمع وترتيب صالح أحمد الشامي، ص ٥٥، ٥٦.

ترك الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كله.

القسم الثاني: مَنْ مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض، فما دمت صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها، فإذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من القسم الثالث.

القسم الثالث: وهم من خالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه، فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن، وهو من لا تربح عليه في دين ولا دنيا، ومع ذلك فلابد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما، فهذا إذا تمكنت مخالطته واتصلت فهي مرض الموت المخوف.

ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربًا فإذا فارقك سكن الألم.

ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل، المبغض العقل، الذي لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها في منزلتها، بل إن تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين، مع إعجابه بكلامه وفرحه به، فهو يحدث من فيه كلما تحدث[1]، ويظن أنه مسك يطيب به المجلس، وإن سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة، التي لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض.

ويذكر عن الشافعي أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقيل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر.

ورأيت يومًا عند شيخنا قدس الله روحه رجلاً من هذا الضرب، والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إلي وقال: مجالسة الثقيل حمى الربع، ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة أو كما قال.

---

(١) أي لا يفكر في الكلام ولا يزنه بعقله.

وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضية ولازمة. ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته، فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا.

القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله ومخالطته بمنزلة آكل السم، فإن اتفق لآكله ترياق وإلا فأحسن الله فيه العزاء، وما أكثر هذا الضرب في الناس لا كثّرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله ﷺ، الداعون إلى خلافها، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا، فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا.

إن جردت التوحيد بينهم قالوا: تنقصت جناب الأولياء والصالحين. وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا: أهدرت الأئمة المتبوعين. وإن وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلو ولا تقصير، قالوا: أنت من المشبهين.

وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف، ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر، قالوا: أنت من المفتنين.

وإن اتبعت السنة، وتركت ما خالفها قالوا: أنت من أهل البدع المضلين. وإن انقطعت إلى الله تعالى، وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا: أنت من الملبسين.

وإن تركت ما أنت عليه، واتبعت أهواءهم، فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين.

فالحزم كل الحزم التماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم، وأن لا تشتغل بإعتابهم ولا باستعتابهم، ولا تبالي بذمهم ولا بغضهم، فإنه عين كمالك كما قال:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهْيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلُ[1]

وقوله ﷺ في الحديث: "وابك على خطيئتك" فهو بيان للطريق الثالث من طرق النجاة أن يتذكر الإنسان معصيته، ويراجع نفسه ويندم على ما فعل وقصر وتجاوز في حق الله.

---

(١) بدائع الفوائد ٢/٢٧٤، ٢٧٥، البداية والنهاية ١١/٢٥٨، والبيت مما استحسنه ابن الجوزي من شعر المتنبي.

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزي: "ينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل.

وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا فعفا[1] كل كثيف من الذنوب، وإذا شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر.

ولقد رأيت أقوامًا من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي الباطنة والظاهرة، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا، فقلعت أصولهم، ونقض ما بنوا من قواعد أحكموا لذراريهم.

وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا جانب الحق عز وجل، وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجرى من شر، فمالت سفينة ظنونهم، فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم.

ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق عز وجل، إليه في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين، لا حلوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقائهم.

فالله الله في مراقبة الحق عز وجل؛ فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة، وجزاؤه مرصد للمخطئ، ولو بعد حين.

وربما ظن أنه العفو، وإنما هو إمهال، وللذنوب عواقب سيئة.

فالله الله، الخلوات الخلوات، البواطن البواطن، النيات النيات؛ فإن عليكم من الله عينًا ناظرة.

وإياكم والاغترار بحلمه وكرمه، فكم قد استدرج. وكونوا على مراقبة الخطايا مجتهدين في محوها.

وما شيء ينفع كالتضرع مع الحمية عن الخطايا، فلعله[2]...

وهذا فصل إذا تأمله المعامل لله تعالى نفعه.

---

(١) عفا الأولى من العفو، وهو الصفح والمغفرة، والثانية من التعفية وهي المحو والإزالة.

(٢) يعني لعله ينفع إن شاء الله.

ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى: قدرت على لذة وليست بكبيرة فنازعتني نفسي إليها، اعتمادًا على صغرها، وعظم فضل الله تعالى وكرمه، فقلت لنفسي: إن غلبت هذه فأنتِ أنتِ، وإذا أتيتِ هذه فمن أنت؟.

وذكَّرتُها حالة أقوام كانوا يفسحون لأنفسهم في مسامحة؛ كيف انطوت أذكارهم، وتمكن الإعراض عنهم.

فارعوت[1]، ورجعت عما همَّت به[2].

وقال ابن القيم: "ومن علامات صحة القلب: أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى ينيب إلى الله تعالى ويخبت إليه، ويتعلق به تعلق المحب المضطر إلى محبوبه، الذي لا حياة له، ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا برضاه وقربه والأنس به، فبه يطمئن، وإليه يسكن، وإليه يأوى، وبه يفرح، وعليه يتوكل، وبه يثق، وإياه يرجو، وله يخاف.

فذكره قوته، وغذاؤه ومحبته، والشوق إليه حياته ونعيمه ولذاته وسروره، والالتفات إلى غيره والتعلق بسواه داؤه، والرجوع إليه دواؤه.

فإذا حصل له ربه سكن إليه واطمأن به، وزال ذلك الاضطراب والقلق، وانسدت تلك الفاقة.

فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوى الله أبدًا.

وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه.

وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له، وعبادته وحده.

فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده، فحينئذ يباشر روح الحياة، ويذوق طعمها، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خلق الخلق، ولأجله خلقت الجنة والنار، وله أرسلت الرسل ونزلت الكتب، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاء وكفى بفوته حسرة وعقوبة.

---

(١) ارعوت: كفت وامتنعت.

(٢) صيد الخاطر ٢٠٤، ٢٠٥.

قال بعض العارفين: مساكين أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها؛ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه، والتنعيم بذكره وطاعته.

وقال آخر: إنه ليمر بي أوقات فيها - أي الدنيا -: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

وقال آخر: والله ما طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته، ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته.

وقال أبو الحسين الوراق: حياة القلب في ذكر الحي الذي لا يموت، والعيش الهني: الحياة مع الله تعالى لا غير.

ولهذا كان الفوت عند العارفين بالله أشد عليهم من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق، فكم بين الانقطاعين؟.

وقال آخر: من قرت عينه بالله تعالى قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تقطع قلبه على الدنيا حسرات.

وقال يحيى بن معاذ: من سُرّ بخدمة الله سرت الأشياء كلُها بخدمته، ومن قرت عينه بالله قرت عيون كل أحد بالنظر إليه.

ومن علامات صحة القلب: ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر.

ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده، وجد لفواته ألمًا أعظم من تأمل الحريص بفوات ماله وفقده.

ومن علامات صحته: أنه يشتاق إلى الخدمة، كما يشتاق الجائع إلى الطعام والشراب.

ومن علامات صحته: أنه إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، واشتد عليه خروجه منها، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرت عينه وسرور قلبه.

ومن علامات صحته: أن يكون همه واحدًا، وأن يكون في الله.

ومن علامات صحته: أن يكون أشح بوقته أن يذهب ضائعًا من أشد الناس شحًا بما له ومنعًا.

ومنها: أن يكون اهتمامه بتصحيح العمل أعظم منه بالعمل، فيحرص على الإخلاص فيه والنصيحة والمتابعة والإحسان، ويشهد مع ذلك منة الله فيه وتقصيره في حق الله.

فهذه ستة مشاهد لا يشهدها إلا القلب الحي السليم[١].

رابعًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث إن من مهام الداعية أن يرشد الناس ويدلهم على الخير ويجيب على تساؤلاتهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢]، وبين الرسول الكريم ﷺ أن من يدل على خير له أجر وثواب ففي الحديث "من دل على خير فله مثل أجر فاعله أو قال عامله"[٣]. وإلى هذا يجب أن ينطق الدعاة ويحرصوا على دلالة الناس وإرشادهم إلى الخير.

قال الإمام النووي: (وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات لاسيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء)[٤].

---

(١) طب القلوب ٤٨-٥٠ بتصرف.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢١٥.

الحديث رقم (١٥٢٣)

١٥٢٣ - وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا أصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإنَّ الأعْضَاءَ كُلَّهَا تَكْفُرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإنَّما نَحنُ بِكَ؛ فَإنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)). رواه الترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تكفر اللسان: أي: تذل وتخضع له[2]. ويراد بها هنا: أنها تنكر عليه كل كلمة غير مشروعة، لأنها تجر على الأعضاء الأذى في الدنيا والهلاك في الآخرة.

وإن اعوججت اعوججنا: أي: ملت عن طريق الهدى ملنا عنه اقتداء بك[3].

الشرح الأدبي

إن اللسان زمام الإنسان - كما قال العاقولي- فإذا أطلقه لزم منه ما لا يرضي صاحبه شاء أو أبى، وإمساك اللسان وحفظه من أسباب النجاة.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يصور الصراع بين اللسان وأعضاء الجسد كلها.. نجد الحديث مُفْعَمًا بأساليب عدة منها الشرط والقصر والأمر والتأكيد، وهو كذلك يتضمّن أسلوب التشويق والإقناع.. عن طريق التصوير والتشخيص.

ويبدأ الحديث بأسلوب الشرط، وأداة الشرط "إذا" في صدر الحديث: "إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان"، وقوله "أصبح" فعل الشرط، وذلك يوحي

---

(١) برقم (٢٤٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٢٨).

(٢) رياض الصالحين، ٥٢٢.

(٣) تحفة الأحوذي، ٢/١٨٩٤.

بأن هذا شأن يومي؛ فكل صباح تتوجه جميع الأعضاء إلى اللسان بهذا الاتهام، وتناشده أن يتقي الله تعالى وأن يستقيم.

وهذه المناشدة يقينية وحقيقية في كل يوم لأن أداة الشرط "إذا" تدل على التحقق والوقوع، وقوله: "ابن آدم"، يوحي بأن الناس جميعًا مطالبون بالإسلام، وبإقامة الحجة على اللسان، ولا بد أن يقر بالتوحيد، وأن ينطق بالشهادتين، وجواب الشرط: مُحصَّن بالتوكيد "فإن الأعضاء كلها" التوكيد "بإن" وبلفظ "كلها" وفي ذلك إشارة إلى الصراع بين فطرة الإنسان الخالصة، وبين ما يلوث هذه الفطرة من آفات اللسان، ورذائل الحياة، وفي قوله تكفر اللسان تصوير وتشخيص، فالتكفير هنا كناية عن تنزيل الأعضاء اللسان إذا أخطأ منزلة الكافر النعم، أو الخارج عن الإسلام إلى الكفر مبالغة فهي تكفره بهذا الاعتبار وبلسان الحال.

ولذلك جاء البيان بعد ذلك في صيغة الأمر حيث تقول الأعضاء للسان: "اتق الله"، وهذه الجملة متصلة بما قبلها كمال الاتصال عن طريق عدم ذكر أي رابط أو فاصل فهي: بدل مما قبلها أو بيان له.

وأسلوب القصر في قوله: "فإنما نحن بك". ينبئ عن الترابط الكامل بين اللسان وجميع أعضاء الجسد لأنه المعبر عن الرغبات والأهواء، وهو المفصح عن الأمنيات والاعتقادات والآراء.

ويختم الحديث بعد القصر والتأكيد بجملتين شرطيتين: تفصحان عن الترابط الوثيق بين صلاح اللسان وصلاح الإنسان كله واستقامة أعضائه، وتعللان كذلك لهذا الترابط، والجملة الأولى تفصح عن العلاقة بين استقامة اللسان واستقامة الأعضاء، والقوام هو العدل والاعتدال، وبدأ بالاستقامة لأنها الثمرة المرجوة، والطريق المبتغى.

والجملة الثانية الشرطية تربط بين اعوجاج الأعضاء واعوجاج اللسان، والتضعيف في فعل الشرط وكذلك في جواب الشرط، والنقل الصوتي الذي يحدثه تكرار حرف الجيم المسبوق بحرف العين، وهي من أقصى الحلق، وتكرار هذا الثقل في الجواب والشرط يجسد ثقل المعصية، وفداحة الانحراف عن طريق الإيمان، وتعاليم الرحمن.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على حفظ اللسان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطر اللسان على الأعضاء.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: "إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء..." وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة الهامة التي تبين وتلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة جواب الشرط، وتبين له من وجه آخر مدى ارتباط الشرط بالجزاء، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط، قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [1]، وقوله سبحانه: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على حفظ اللسان:

يتضح هذا من الحديث: "فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان"، ولا شك أن المسلم مطالب بالمحافظة على لسانه حتى لا يورده المهاوى والمهالك، قال الإمام الماوردي: "ومن شروط الكلام، أن يكون لداعٍ يدعو إليه إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر ذلك أن مالا داعي له هذيان، وما لا سبب له هجر، ومن سامح نفسه في الكلام إذا عَنَّ، ولم يراع صحة دواعيه وإصابة معانيه، كان قوله مرذولا، ورأيه مغلولا، ومن شروطه أن يقتصر منه على قدر حاجته فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية، ولا لقدره نهاية، وما لم يكن من الكلام محضورًا كان إما حصرًا إن قَصّر، أو هذرًا إن كَثّر، ومن شروطه اختيار اللفظ الذي يتكلم به لأن اللسان عنوان

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النصر، الآيات: ١-٣.

الإنسان يترجم عن مجهوله، ويبرهن عن محصوله، فيلزم أن يكون بتهذيب ألفاظه حريًا، وبتقويم لسانه مليًا"[١]. وكان ﷺ يحفظ لسانه من اللغو فإن عبدالله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة..."[٢].

قال الإمام القاسمي: اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة منه إلا بالنطق بالخير. فقد قال معاذ بن جبل قلت يارسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: ياابن جبل: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[٣].

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: يالسان قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم. وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»[٤].

فمن آفات اللسان، الكلام فيما لا يعني، اعلم أن رأس مال العبد أوقاته: فمهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابًا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله، ولهذا قال النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ»[٥]. وسببه الباعث عليه هو الحرص على معرفة ما لا حاجة إليه أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها. وعلاج ذلك كله أن أنفاسه رأس ماله، وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص بها الخيرات الحسان. فإهماله ذلك وتضييعه خسران مبين.

ومن آفات اللسان: فضول الكلام.

وهو أيضًا مذموم، وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني، والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر، ويمكنه أن يجسمه ويكرره مهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فإن ذكر كلمتين فالثانية فضول، أي فضل عن الحاجة وهو أيضًا مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر. واعلم أن

---

(١) أدب الدنيا والدين٢٦٧-٢٦٨.

(٢) أخرجه النسائي ١٤١٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي١٣٤١).

(٣) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

فضول الكلام لا ينحصر، بل المهم محصور في كتاب الله تعالى: قال الله عزوجل: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1].

ولقد قلب الناس الأمر فأمسكوا فضل المال، وأطلقوا فضل اللسان. قال عطاء: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو تنطق لحاجتك في معيشتك التي لابد لك منها. أتتكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين. عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد؟! أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره، كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. وقال ابن عمر: إن أحق ما طهر الرجل لسانه. وفي الأثر: ما أوتى رجل شرًا من فضل لسانه.

ومن آفات اللسان: الخوض في الباطل: وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق، وتكبر الجبابرة ومراسمهم المذمومة، وأحوالهم المكروهة، فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه، وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل. وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[2]. وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[3]. وعنه ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة»[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤٥.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٠.

(٤) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين ٢١٨-٢٢٠.

قال عائض القرني أمسك عليك لسانك: كررت هذا المعنى كثيرًا لأنني رأيت في حياتي أن اللسان أضر شيء على الإنسان، فكم من رجل حبس في كلمة وآخر جلد لأجل عبارة، وثالث فقد رأسه وسال دمه من أجل جملة، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فيكفيك حديث معاذ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» فاحذر لسانك! ولا تتكلم إلا بخير ولا تتعرض لأذية سلطان أو عالم أو داعية أو أي مسلم فإنك سوف تدفع الثمن إما هنا وإما هناك يوم العرض الأكبر، وتفكر في كلامك قبل أن تنطق به، فإنه إذا خرج منك لن تستطيع إرجاعه أو إصلاحه، واجعل الناس لك لا عليك، وقد كثر الغش وانتشر الحسد، وزاد الطمع، فأنقذ نفسك من رق كلمة غير نافعة، قد تكون سبب كدرك العاجل وعذابك الآجل وانظر لأحمد بن حنبل مع تقواه وورعه ونسكه، كان إذا جلس مجلسًا قال: اللهم سلِّم سلِّم. فاطلب ربك السلامة، فإن الهالكين أكثر من الناجين"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان خطر اللسان على الأعضاء:

حيث جاء في الحديث: " فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا"، قال المباركفوري: "إذا دخل الصباح فإن الأعضاء تتذلل وتتواضع للسان وتقول له حقيقة أو بلسان الحال: اتق الله فينا، أى خفه في حفظ حقوقنا فإنما نحن نتعلق ونستقيم ونعوج بك فإذا اعتدلت اعتدلنا تبعًا لك، وإن اعوججت أى ملت عن طريق الهدى ملنا عنه اقتداء بك"[2]. وقال الطيبي: "ولا يتعارض هذا الحديث مع ما جاء من ارتباط الأعضاء بالقلب فإن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم كما في قولك: شفى الطبيب المريض. قال الميداني في قوله: " المرء بأصغريه" يعني بهما القلب واللسان أى تقوم معانيه بهما ويكمل بهما".

---

(١) هكذا حدثنا الزمان ٨٧، ٨٨.

(٢) تحفة الأحوذي ٢/١٨٩٤.

وأنشد لزهير:

وكَمْ ترَى من صامتٍ لك مُعجِبٍ زِيادَتُهُ أوْ نَقصُهُ في التّكلّمِ

لِسانُ الفَتى نِصفٌ ونِصفٌ فؤادُهُ فلَمْ يَبقَ إلاّ صُورَةُ اللّحمِ[1]

قال ابن القيم: "وقد أودع الله اللسان في الفم الذي هو أحد الآيات الدالة عليه وجعله ترجمانًا لتلك الأعضاء مبينًا له مؤديًا عنه، ولما كان اللسان أشرف الأعضاء بعد القلب، ومنزلته منه منزلة ترجمانه، ووزيره ضرب عليه سرادق تستره وتصونه"[2].

قال الشيخ الحسيني هاشم: (وفي الحديث أن الأعضاء تتأثر بخطأ العضو، وفيه إشارة إلى أن الفاسد لا يقتصر فساده على نفسه بل يضر إخوانه وعليهم ردعه ومقاومته وتوجيهه)[3].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/١١٢-١١٣، والأبيات في البيان والتبيين للجاحظ ١/١٠٢، وفوات الوفيات ١/٤١٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ١/١٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧١٥.

الحديث رقم (١٥٢٤)

١٥٢٤ - وعن مُعَاذٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: ((لَقَدْ سَأَلْتَ[1] عَنْ عَظِيمٍ، وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ)) ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ)) ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٦ - ١٧] ثُمَّ قَالَ: ((أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ)) قُلْتُ: بَلَى يَا رسولَ اللهِ، قَالَ: ((رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ الجِهادُ)) ثُمَّ قَالَ: ((أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟)) قُلْتُ: بَلَى يَا رَسولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسانِهِ وقال: ((كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)) قُلْتُ: يَا رسولَ الله وإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ((ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[2]! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ[3] إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)). رواه الترمذيُّ[4]، وقال: (حديث حسن صحيح)، وَقَدْ سبق شرحه في باب قبل هَذَا[5].

ترجمة الراوي:

معاذ بن جبل: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

جُنة: الجُنَّةُ: الوقاية، أي: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات[6].

---

(١) لفظ الترمذي: (سألتني).

(٢) عند الترمذي زيادة: (يا معاذ).

(٣) عند الترمذي زيادة: (أو على مناخرهم).

(٤) برقم (٢٦١٦). قال الحاكم (٤١٣/٢): هذا حديثٌ صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٢٠).

(٥) لم يكرر المؤلف هذا الحديث في غير هذا الموضع، وأورده في الأذكار (ص: ٥٨٤) وشرح فيه بعض الكلمات.

(٦) النهاية في (ج ن ن).

جوف الليل: ثلثه الآخِرُ[١].

تتجافى: تتباعد[٢].

المضاجع: المفارش والمراقد[٣].

وذروة سنامه: أعلاه[٤].

بملاك ذلك كله: المِلاكُ: قِوامُ الشيء ونظامه وما يعتمد عليه[٥].

ثكلتك أمك: أي: فقدتك. وهو دعاء على ظاهره، ولا يراد وقوعه، بل هو تأديب وتنبيه من الغفلة وتعجيب وتعظيم للأمر[٦].

حصائد ألسنتهم: أي: ما يقتطعونه من الكلام الذي لا خير فيه، واحدتها حصيدة، تشبيهًا بما يحصد من الزرع وتشبيهًا للسان وما يقتطعه من القول بحد المنجل الذي يحصد به[٧].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من وصايا رسول الله ﷺ الجامعات، ومن توجيهاته المشرقات، وإرشاداته النيرات، والحديث جامع لكل أمور الدين، وهو من جوامع كلمه ﷺ.

وهذه المحاورة الجامعة المانعة بين رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل رضي الله عنه تموج بالأساليب البديعة والتراكيب المفصحة عما يستكن في خبايا نظمها من دلالات وتوجيهات، وتبدأ المحاورة بسؤال من معاذ رضي الله عنه ورد في صيغة الأمر، ولكنه أمر متلبس بالرجاء، وهذه البداية تتضمن طباقًا بين موقفين: موقف النجاة في قوله:

---

(١) النهاية في (ج و ف).

(٢) النهاية في (ج ف و).

(٣) اللسان والوسيط في (ض ج ع).

(٤) الوسيط في (ذ ر و) و (س ن م).

(٥) النهاية في (م ل ك).

(٦) النهاية في (ث ك ل).

(٧) النهاية في (ح ص د).

"يدخلني الجنة"، وموقف الخسران في قوله: "يباعدني من النار"، والتضاد الدلالي يكمن في قوله: "يدخلني، ، ويباعدني"، وبين: "الجنة والنار"، وقدّم موقف النجاة على موقف الخذلان لمزيد من الرغبة في الطاعة ومعرفة طرقها وشعائرها، وصيغة المفاعلة في قوله: "يباعدني" للمبالغة في البعد، فقوله: "يباعدني" أبلغ من يبعدني.

وتكون الوصية من أربعة أقسام، وبدأ بالأركان في القسم الأول: لأنها فرائض لا يقوم الإسلام إلا بها.

وتبدأ إجابة رسول الله ﷺ بالتأكيد الذي يُشعر بالقسم في قوله: "لقد سألت عن عظيم"، والتقدير: والله لقد سألت عن عظيم، والتنوين في قوله: "عظيم" للتعظيم، والتأكيد في قوله: "وإنه ليسير": فيه ترغيب للإقبال على ميادين الطاعة، وفي هذه الجملة المرغبة طباق بين قوله: عظيم ويسير، فعظيم تعطي دلالة الشدة والثقل، والمسؤولية، وبدأ رسول الله ﷺ بأركان الإسلام، وقد ساقها مجردة من التوكيد لأن معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يشك في ضرورة ووجوب الإقرار والعمل بأركان الإسلام، فهو مصدق للخبر لا يَشُكُّ ولا يُنْكِر؛ ولنتأمل صيغة المضارع ودلالتها في بيان رسول الله ﷺ البليغ الموجز "تعبد الله، تقيم الصلاة، تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت". وهذه الصياغة تفيد وجوب الاستمرار في هذه العبادات،وتواصل الطاعة وعدم انقطاعها.

وفي القسم الثاني من الوصية يزداد الترغيب عن طريق التصوير البياني.. وبعض الأساليب الدالة على ترسيخ المعاني: لأن الوصايا هنا توضح ثمرة العمل بالأركان والإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وما أرق هذا الاستفتاح، وما أجمله حيث يبدأ بالاستفهام الترغيبي وأداة الاستفتاح : "ألا أدلك على أبواب الخير"، وكأن الخير مدائن تتعدد أبوابها وعلى كل متجه إليها أن يعرف ما هية هذه الأبواب المُشْرَعة، وقد شبه الرسول ﷺ الصوم بأنه جُنَّةٌ أي درع يقي به الإنسان نفسه من النار.. فهو مصدر للقوة والحماية، وليس سببًا في الضعف كما يتوهم الأدعياء والجهلاء، وما أبلغ تصوير الرسول ﷺ للصدقة بالماء العذب الفرات الذي ينهمر على النار فيطفئها فهي تطفئ

الخطايا المشتعلة في النفس وهي تطفئ الأحقاد بين الناس، وتزرع السكينة والتراحم فيما بينهم.

ويتكرر أسلوب الترغيب بعد ذلك مرتين في قوله: "ألا أخبرك برأس الأمر"، و: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله"، وما أصدق هذا التصوير الأدبي وما أبلغه حيث صُور الدين بالكائن الحي، والخيمة الكبرى أو البناء الضخم، والبعير القوي: وكلها تشبيهات وصور منتزعة من البيئة المشاهدة، فرأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد، واللسان هو الطريق لترجمة ذلك كله، فحصائد الألسن هي الطريق إلى الهلاك، والنجاة تتمثل في إمساك اللسان، وترطيبه بذكر الله، والإقرار بالتوحيد، والاعتراف بأفضال الله تعالى ونعمه التي لا تحصى.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه.

ثانيًا: من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه.

ثالثًا: من مهام الداعية: البيان والتفصيل للأمور العظيمة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تعالى والمحافظة على أركان الإسلام.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التشويق.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصوم والصدقة وصلاة الليل.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطورة اللسان والأمر بحفظه.

ثامنًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل معاذ بن جبل رضي الله عنه:

حيث جاء عن معاذ رضي الله عنه: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار؟ قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه" ولاشك أن لمعاذ بن جبل رضي الله عنه فضلاً عظيمًا ومنزلة عالية، قال ابن عبدالبر: (هو معاذ بن جبل ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخرزجي، يكنى أبا عبدالرحمن قال الواقدي: كان

معاذ بن جبل طوالاً حسن الشعر عظيم العينين أبيض براق الثنايا، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود، قال الواقدي: هذا ما اختلاف فيه عندنا. شهد العقبة وبدرًا والمشاهد كلها، وبعثه رسول الله ﷺ قاضيًا إلى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم، وجعل إليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن)[1].

وقال أبو الفرج بن الجوزي: " عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماء. وعن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم وأنت حى قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف، اللهم اجعل لي عندك هُدىً ترده إلىَّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. وعن شهر بن حوشب قال: كان أصحاب محمد ﷺ إذا تحدثوا وفيهم معاذ رضي الله عنه نظروا إليه هيبة له"[2].

وقال ابن حجر: "هو الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، قال كعب بن مالك: كان شابًا جميلاً سمحًا من خير شباب قومه، وقال الشعبي عن مسروق: كنا عند ابن مسعود فقرأ إن معاذًا كان أمة قانتًا لله، فقال: فروة بن نوفل: نسيت؛ فقال: ما نسيت إنا كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام، وقال عمر رضي الله عنه - عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ولولا معاذ لهلك عمر... وكانت وفاته رضي الله عنه بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة وعاش أربعًا وثلاثين سنة"[3]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل"[4].

ثانيًا- من واجبات المدعو: السؤال عما ينفعه:

حيث جاء في الحديث: "أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار"، ومما

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦٥٠ – ٦٥١.

(٢) صفة الصفوة ١/٢٢١-٢٢٢.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ١٢٥٢-١٢٥٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٧٩٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي٢٩٨١).

لاشك أن من أهم واجبات المدعو السؤال عما ينفعه ويفيده قال الطيبي: "أى سألتني عن شيء عظيم مشكل متعسر الجواب ولكنه سهل على من يسره الله تعالى عليه لأن معرفة العمل الذي يدخل الرجل الجنة من علم الغيب، وعلم الغيب لا يعلمه أحد إلا الله، ومن علّمه الله تعالى"[١]. هذا وقد أمر الله المسلم أن يسأل عندما يجهل أمرًا من الأمور، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

قال السعدي: "وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين - أصوله وفروعه - إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها ففيه الأمر بالتعلم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم، نهى عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهى له أن يتصدى لذلك"[٣].

ثالثًا- من مهام الداعية: البيان والتفصيل للأمور العظيمة:

حيث جاء في الحديث: "تعبد الله ولا تشرك به شيئًا... ألا أدلك على أبواب الخير..." ومما هو معلوم أن من أولى مهام الداعية البيان والتفصيل للمدعوين الأمور العظيمة التي يحتاجونها، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٤]، وقال جل شأنه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥]، قال ابن عاشور: "والتبيين: هو إيضاح المعنى وإسناد التبيين إلى النبي ﷺ باعتبار أنه المبلغ للناس هذا البيان، والمراد بالتبيين على هذا، تبيين ما في القرآن من المعاني، فمن حكم إنزال القرآن أن يبينه النبي ﷺ فتحصل فوائد

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ١٦٥/١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ٤٦٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٥) سورة النحل، آية: ٤٤.

العلم والبيان"[١]. وفي أهمية البيان والتفصيل للعلم وعدم منعه يقول الإمام الماوردي: " ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم، وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودًا من غير بخل، وأتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما أن بذلوه، زاد ونما، وإن كتموه، تناقص ووهى، ولو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم إليهم، ولانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً"[٢].

رابعًا- من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تعالى والمحافظة على أركان الإسلام:

حيث جاء في الحديث: "تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت"، ومما هو معلوم أن من أهم أهداف الدعوة أن يستقيم الناس على عبادة الله عز وجل، ويمتثلوا أركان الإسلام فإن الغاية من خلق العباد هي العبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، قال ابن كثير: "إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: "إلا ليعبدون" أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعًا أو كرهًا، وقال الربيع بن أنس : أى: إلا للعبادة. وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون"[٤]. وقال الإمام الراغب: "والعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٥]، والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير وهى للإنسان والحيوان والنبات، وعبادة بالاختيار وهى لذوي النطق وهى المأمور بها في نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ... ﴾[٦]، والناس كلهم عباد لله بل الأشياء

---

(١) التحرير والتنوير مج٦/١٤/١٦٤.

(٢) أدب الدنيا والدين ٨٧.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/٤٢٥.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١.

كلها، كذلك[1].

قال السيد سابق: إن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة، مظهر من مظاهر عقيدته، فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام. وإذا فسدت فسد واعوجّ. ومن ثم كانت عقيدة التوحيد، والإيمان ضرورة، لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته، ويحقق إنسانيته.

ولقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة أول شيء قام به رسول الله ﷺ لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة. ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية، يسمو بها عن الماديات الوضيعة، ويوجهها دائمًا وجهة الخير والنبل، والنزاهة والشرف.

وإذا سيطرت هذه العقيدة أثمرت الفضائل الإنسانية العليا، من الشجاعة والكرم، والسماحة والطمأنينة، والإيثار والتضحية.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

فالإيمان مثله مثل الشجرة المثمرة التي لا ينقطع ثمرها؛ فهي تؤتي أكلها كل حين في صيف أو شتاء، أو ليل أو نهار، والمؤمن كذلك، لا يزال يرفع له عمل صالح، في كل وقت وحين.

يقول الفيلسوف ابن سينا:

العارف شجاع.

وكيف لا؟ وهو بممزل عن تقيّة[3] الموت.

وجواد.

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٣١٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٣) لا يتخذ الوقاية من الموت.

وكيف لا؟ وهو بمعزل عن محبة الباطل.

وصفّاح.

وكيف لا؟ ونفسه أكبر من أن تجرحها زلّة بشر.

ونسّاء للأحقاد.

وكيف لا؟ وفكره مشغول بالحق.

ولهذا كثر في القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح، لأنه ثمرة من ثماره، وأثر من آثاره[١].

خامسًا- من أساليب الدعوة: التشويق:

حيث جاء في الحديث: "ألا أدلك على أبواب الخير"، "ألا أخبرك برأس الأمر"، "ألا أخبرك بملاك ذلك كله"، وأسلوب التشويق من أساليب الدعوة التي تشد المدعو وتلفت انتباهه، ومن هنا كان على الدعاة إلى الله مراعاة التشويق في عرض الدعوة ليشجع المدعوين على الإقبال عليها، قال العلامة: محمد الخضر حسين: "العمل على إنقاذ النفوس من وادي الغواية، والإقبال بها على مطالع السعادة مسلك وعر لا يمر فيه على استقامة إلا من بلغ في صناعة البيان أمدًا قاصيًا. فلا يكفي في الدعوة أن يكون في يد القائم بها حجة أو موعظة يلقيها في أى صورة شاء فإن المخاطبين يختلفون ذوقًا وثقافة اختلاف الزمن والبيئة، ومن اللائق أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها أو ثقافتها"[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصوم والصدقة وصلاة الليل:

حيث جاء في الحديث: "الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل"، ومما لاشك فيه فضل هذه الأمور والثواب الجزيل عليها، قال الطيبي:

"جعل هذه الأشياء أبواب الخير لأن الصوم شديد على النفس وكذا إخراج المال في

---

(١) إسلامنا، ٢٧.

(٢) الدعوة إلى الإصلاح ٧١.

الصدقة، وكذا الصلاة في جوف الليل فمن اعتادها يسهل عليه كل خير ويأتي منه كل خير لأن المشقة في دخول الدار يكون بفتح الباب المغلق. وجعل الصوم جنة من النار لأن في الجوع سَدّ مجاري الشيطان فإذا سد مجاريه لم يدخل فيه، فلم يكن مسببًا للعصيان الذي هو سبب لدخول النار، والصوم جنة لأنه يقمع الهوى والشهوة، والصدقة تذهب الخطيئة الحاصلة والصلاة في جوف الليل تفيد الإدخال في الجنة، لأن قرة العين كناية عن السرور والفوز التام، وهو مباعدة النار ودخول الجنة"[1]. وقال المباركفوري: "والصوم جنة أى وقاية مانع من النار أو من المعاصي بكسر الشهوة وضعف القوة، والصدقة تذهب الخطيئة وتمحوها وتمحو أثرها أي إذا كانت متعلقة بحق الله تعالى، وإذا كانت من حقوق العباد فتدفع تلك الحسنة إلى خصمه عوضًا عن مظلمته. وأما صلاة الرجل من جوف الليل فالمعنى أنها تطفئ الخطيئة أو هى من أبواب الخير والأول أظهر. وهو شعار الصالحين"[2]. ويكفي قول الله في حق المصلين بالليل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

إن قيام الليل يورث العبد محبة الله.

"إن أصحاب الليل هم بلاشك من أهل المحبة. بل هم من أشرف أهل المحبة، لأن قيامهم في الليل بين يدي الله تعالى يجمع لهم جل أسباب المحبة.

- فهم لا يقرءون القرآن فحسب، بل يقومون به متدبرين خاشعين.
- وهم في قيامهم يتقربون بأقرب النوافل إلى الله.
- وهم في تجافيهم عن المضاجع لذكر الله بالليل، أحرى أن يكونوا ذاكرين له في النهار.
- ومجافاتهم تلك دالة على إيثارهم لمحاب الله على محاب أنفسهم.
- وهم في قيامهم يطالعون بقلوبهم أسماء الله وصفاته ويتقلبون في رياضها.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١/١٦٥-١٦٦.

(٢) تحفة الأحوذي، ٢/٢٠٠٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

- وهم يتفكرون أثناء تلاوتهم في آلاء الله، وآيات بره، وإحسانه، وإنعامه على سائر الخليقة.

- ثم إنهم لا يقومون هذا المقام بين يدي الله تعالى في جوف الليل والناس حولهم يُغطّون، إلا وهم منكسرون بقلوبهم له سبحانه.

- وتوفيقهم لهذا القيام؛ توفيق للخلوة بربهم وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه.

فأهل القيام بذلك قد ذهبوا بنحو ثلاثة أرباع أسباب المحبة.

ولهذا فلا عجب أن يتنزل أمين السماء جبريل عليه السلام على أمين الأرض محمد ﷺ ويقول له: «وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ ... اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»[1]. وإنما كان قيام الليل شرفًا لأصحابه، لأنهم يستشرفون به - وهو أشق الطاعات - رضا الله في أشد الساعات، ولهذا فهم يقلدون أوسمة الشرف الإلهي نورًا في القلوب ونورًا في الوجوه ونورًا في الحياة ونورًا في الممات، جزاء طول قيامهم لله في الظلمات.

يقول الحسن البصري "لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف الليل"، فقيل له: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: "لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره". وقال أبو سليمان الداراني "أهل الليل في ليلتهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا".

وقال الضحاك: "أدركت قومًا يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة".

فإذا كان هذا شأن القيام ومنزلة القوامين، فلينهض المقصرون والكسالى والمخلطون -مثلنا- للحاق بركب الشرف الذي سلكوه، قبل أن ينقطع الطريق وتغلق الأبواب.

ومع شدة هذه العبادة، فإن لها من رحمة الله- ميسرات تذللها، ووصفات تسهلها

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٦١/١، والحاكم ٢٣٢٤/٤، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه، انظر السلسلة الصحيحة، حديث رقم ٨٣١، ص ٥٠٥/٢.

على النفس الخالدة إلى الراحة الموقوتة العاجلة، والغافلة عن الراحة الأبدية الآجلة.

فإذا أراد أحدنا اللحاق بقافلة المحبوبين من الله فليَعْجَل إلى مرضاته، وليجعل إخلاص النية وصلاحها أولى خطواته، وليستعن بالله على ذلك[1].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان خطورة اللسان والأمر بحفظه:

حيث جاء في الحديث: "أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ". ولا شك أن هذا يدل على خطورة اللسان وكيف أنه سبب في دخول النار والعياذ بالله، قال الطيبي: "والمعنى لا يكب الناس في النار شيء من الأشياء إلا حصائد ألسنتهم من الكلام القبيح مثل الكفر والقذف والشتم والغيبة والبهتان، وهذا الحكم وارد على الأغلب والأكثر لأنك إذا جربت وفكرت لم تجد أحدًا حفظ لسانه عن السوء، ولا يصدر منه شيء يوجب دخول النار إلا نادرًا"[2].

وقال ابن علان: (واستبعد معاذ رضي الله عنه المؤاخذة به لسهولة مزاولته وسرعة حصوله وقوله: "هل يكب الناس" أى يقلبهم في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم، وتقدير الكلام: أو تسأل عن هذا مع ظهوره وأنت الفقيه الألمعي؟ ولذا عقبه بالاستفهام الإنكاري أى ما يكبهم فيها إلا ما يتكلمون به)[3].

وقال ابن عثيمين: (وقوله: "ثكلتك أمك يامعاذ"، وهذه كلمة يقصد بها تعظيم الأمر فيجب على المسلم أن يحذر حصائد اللسان ويحفظه، ومن حفظه أن يحفظ عن الكذب والغش وقول الزور والنميمة والغيبة وكل قول يبعده من الله تعالى، ويوجب عليه العذاب. فإنه يجب أن يتنزه منه)[4].

---

(١) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها الإمام ابن القيم، عبدالعزيز مصطفى، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٦٩/١.

(٣) دليل الفالحين ١٥٨٠.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٦٠٣/٢.

ثامنًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ويتضح هذا من سياق الحديث: ومما لاشك فيه أن أسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة التي لها دور رئيس في الدعوة إلى الله وحث المدعوين على الطاعة"، والترغيب هو كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والترهيب كل ما يخيف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[1]، فيجب على الدعاة إلى الله الموازنة بين الأسلوبين في الدعوة واستخدام كل في موضعه.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

الحديث رقم (١٥٢٥)

١٥٢٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟)) قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعلَمُ، قَالَ: ((ذِكْرُكَ أخَاكَ بِما يَكْرَهُ)) قِيلَ: أفَرَأيْتَ إنْ كَانَ فِي أخِي مَا أقُولُ؟ قَالَ: ((إنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ (مَا تَقُولُ)[1] فَقَدْ بَهَتَّهُ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

بهته: كذبت وافتريت عليه[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث محاورة بليغة موجزة بين رسول الله ﷺ والصحابة الأخيار رضي الله عنهم وغرضها التعليم والإرشاد إلى السلوك الاجتماعي القويم، ومعرفة أبعاد العلاقة الحسنة بين أفراد الأمة وطوائفها فهم عباد الله تعالى، وهم إخوان في الدين والحياة.

ويبدأ الحديث بسؤال توجيهي من رسول الله ﷺ إلى صحابته حتى يلفت انتباههم، ويسترعي أسماعهم وأنظارهم، ويدعوهم لمزيد من الإصغاء، وإجابة السؤال لم تكن بالنفي، ولكنها تضمنت تسليم الأمر لله تعالى ولرسوله ﷺ، فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقيل: ردُّوا العلم إليهما عملاً بالأدب ووقوفًا عند حد العلم.

ويأتي توضيح رسول الله ﷺ في أسلوب خبري خالٍ من التوكيد: لأن الصحابة رضي الله عنهم لا ينكرون كلام النبي ﷺ ولا يشكون في صدقه، فهم قالوا: الله

---

(١) هذه الزيادة ليست عند مسلم، وإنما عند أبي داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤) نقله المؤلف عن المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٢٥٨٩/٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٨٩).

(٣) النهاية في (ب هـ ت).

ورسوله أعلم، فالأسلوب هنا مطابق لمقتضى الحال، حيث قال موضحًا مفهوم الغيبة: "ذكرك أخاك بما يكره"، وهذه الجملة الاسمية تفصح اسميتُها عن ثبات هذه الدلالة في كل زمان ومكان، وقوله: "أخاك" يوحي بالتأنيب والتقريع، فكيف يذكر الإنسان أخاه بما يكره، والأخوة هنا: أخوة الدين، فالمسلم أخو المسلم، "أيحب أحدكم أكل لحم أخيه ميتا؟".

والسؤال الذي وجهه بعض الصحابة إلى رسول الله ﷺ يتضمن الرغبة في معرفة الحكم الصحيح حيث قال: أو قيل له: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ وجواب الشرط محذوف: تقديره: فهو غيبة، وتوضيح رسول الله ﷺ يتضمن جملتين شرطيتين لأن القضية بها مقدمات ونتائج.

والجملة الأولى تؤكد رفض الرسول ﷺ للغيبة حتى لو كان في الإنسان هذه الخصال المعيبة.

والجملة الثانية: تضاعف من رفض الخوض في سير الناس بالباطل "وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته": أي افتريت عليه الكذب، وأداة الشرط في الجمل الثلاث: "إن" وهي بدلالتها الاحتمالية تفيد عدم اليقين، وتفيد بأن الغيبة أمر غير مرغوب فيه، ولذلك جاءت الجملة الأولى في كلام رسول الله ﷺ بدلالة الغيبة، والتعبير بـ"إن" يوحي بالتشكيك في هذا الأمر: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته"، والجملة الثانية كذلك تفيد وتعطي دلالة البهتان وهو الكذب والافتراء، والغيبة مرفوضة والبهتان مرفوض، لأن الإسلام يحرص على صون اللسان من آفات الكذب والسب والشتم، حفاظًا على روابط الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الغيبة: اتفق الفقهاء على حرمة الغيبة، وأنها كبيرة من الكبائر[1].

---

(١) مجمع الأنهر ٥٥٢/٢، الفواكه الدواني ٢٨٩/٢، الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٣/٢، مطالب أولي النهى ٤٠٢/٢، شرح صحيح مسلم ١٤٢/١٦.

٢- أن الغيبة كما تكون باللسان تكون أيضًا بالفعل، وبالتعريض، وبالكتابة والحركة، وبالرمز، وبغمز العين، وكل ما يفهم منه المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام[١].

٣- أن غير المؤمن ممن ليس بأخ كاليهودي والنصراني وسائر أهل الملل تجوز غيبته[٢].

٤- بيان توكيد غلظ تحريم الأموال، والدماء، والأعراض، والتحذير من ذلك[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من واجبات الداعية: بيان حقائق الأمور للمدعوين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر الغيبة على الإنسان والمجتمع.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: أتدرون ما الغيبة؟ "أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟" وأسلوب السؤال والجواب، من أساليب الدعوة النافعة "وعلى الدعاة إلى الله أن يعقدوا مجالس السؤال والجواب ذلك لأن حاضري هذه المجالس تثير الأسئلة المطروحة انتباههم إذ يشعرون بأن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وهي تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب من المتصدر للجواب، العالم بأجوبة الأسئلة المطروحة"[٤].

ولقد كان النبي ﷺ يهتم بإثارة الأسئلة في نفوس المدعوين، لتتطلع نفوسهم إلى

---

(١) مجمع الأنهر ٢/٥٥٢.

(٢) سبل السلام ٤/٣٣٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١/١٦٩.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٩.

معرفة الجواب، "وأسلوب الحوار والاستجواب كان ينتهجه النبي ﷺ مع من يلتقي بهم ويدعوهم ليثير انتباههم ويحرك فطنتهم وذكاءهم، ويُذْهب مَلَلَهم وسآمتهم ويصيب في مشاعر أحاسيسهم معين المعرفة وسلسبيل الهدى"(١).

ثانيًا- من واجبات الداعية: بيان حقائق الأمور للمدعوين:

حيث جاء في الحديث: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته"، إن من أهم واجبات الداعية بيان الحقائق للمدعوين حتى لا يلتبس عليهم الأمر، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، قال المباركفوري: "وقوله: إن كان فيه ما تقول" أى من العيب، ولا معنى للغيبة إلا هذا، وهو أن تكون المنقصة فيه، وقوله "وإن لم يكن فيه ما تقول"، بتاء الخطاب أى قلت عليه البهتان، وهو كذب عظيم، يبهت فيه من يقال في حقه"(٣). ففي هذا الحديث فرق النبي ﷺ للمدعو بين الغيبة والبهتان، وهذا ما يجب أن يفطن إليه الدعاة من تبيين الحقائق للمدعوين.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطر الغيبة على الإنسان والمجتمع:

يتضح هذا من سياق الحديث: "وقد نهى الله عن الغيبة، فقال: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤). قال أبو حامد الغزالي: "قال الحسن: ذِكْرُ الغيرِ ثلاثة: الغيبةُ والبهتانُ والإفكُ وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك، وذكر ابن سيرين رجلاً فقال: ذلك الرجل الأسود ثم قال: استغفر الله، إني أراني قد اغتبته. وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعى فوضع يده على

---

(١) صفات الداعية، د. حمد العمار، ٩٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تحفة الأحوذي ٢/١٦٣١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٢.

عينه ولم يقل الأعور"[١].

وقال النووي: (والغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس، حتى لم يسلم منها إلا القليل من الناس، والغيبة هى ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خُلقه أو خَلْقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو مملوكه أو ثوبه أو مشيته وحركته وبشاشته وخلاعته وعبوسه وطلاقته أو غير ذلك مما يتعلق به)[٢].

قال الشيخ السيد سابق: (إن ذكر الغير بالنقص، والتماس عيوبه فضلاً عن كونه يؤلم الإنسان ويخدش كرامته، فإنه كثيرًا ما يثير الفتن، ويقطع الروابط، ويمزق الصلات، وينسى المرء عيوب نفسه، ومن ثمَّ فإن الإسلام اعتبر هذا التنقيص والتحقير كأكل لحم الأخ الميت لينفر منه، فكما أن النفس تشمئز من أكل لحم الأخ بعد موته، وتنفر منه فكذلك يجب النفور والاشمئزاز من الغيبة. والنهي عن الغيبة ليس مقصورًا على الذكر باللسان فقط، بل هو شامل لكل ما يفيد معنى التحقير سواء كان بالإشارة أم بالتلميح. قال عمر بن عبدالعزيز: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم، ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس. إن كرامة الإنسان وصيانة الأمة، يجب أن يظلا بعيدين عن عبث العابثين، وليس ثمة سبب من الأسباب يبيح التفريط في أية ناحية من هاتين الناحيتين)[٣].

قال القاضي أبو بكر العربي: "وأما الباب الرابع: في الغيبة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[٤]. معناه: يذكره بما فيه مما يكره، فإن ذَكَرَه بغير ما فيه فهو البهتان، حرم الله تعالى ذلك؛ لأنه تناول الأعراض، وكما حرم على الناس تناول أموال الناس ودمائهم بغير حق، كذلك حرم عليهم تناول أعراضهم بغير حق، ولا

---

(١) إحياء علوم الدين ١٦٠٧/٣.

(٢) الأذكار ٣٧٤.

(٣) إسلامنا ٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٢.

فرق بين الأحوال الثلاثة، وقد حَفَّ الله تعالى الدماء بالقصاص، وحَفَّ الأموال بالقطع، وحف الأعراض بالحد، كل ذلك حجب لا يَحِل اختراقها، فمن اخترقها بالأدنى أدب، ومن اخترقها بالأقصى حد، ترتيب حكيم للمصلحة، وتدبير عزيز له القهر والغلبة، أخبرنا أبو سعد الزنجاني قال: قال لنا أبو القاسم القشيري: قال الله عز وجل في الغيبة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[1]. فذكر وجوها؛ أولها وأولاها تنزيل الغائب منزلة الميت؛ لأن الحاضر ينتصر لنفسه إذا سمع عرضه، والغائب لا ناصر له من نفسه كالميت[2].

جاء في موسوعة فقه القلوب:

والغيبة: ذكرك أخاك الغائب بما يكره.

والغيبة محرمة، والمستمع للغيبة شريك فيها إلا أن ينكر بلسانه، فإن خاف فبقلبه، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك.

وعلاج الغيبة: أن يعلم المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته، وأن حسناته تنقل إلى من اغتابه، وإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وإذا عرضت له الغيبة تفكر في عيوب نفسه، واشتغل بإصلاحها، فيستحي أن يعيب وهو معيب.

وإن ظن أنه سليم من العيوب فليشكر ربه، ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة، وكما لا يرضي نفسه بغيبة غيره له، فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه. وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظن بالتجسس، وذلك منهي عنه؛ لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، وهو محرم كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

---

(١) الآية السابقة نفسها.

(٢) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ ٢٣/ ٤٢٤، ٤٢٥.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٢.

أما كفار الغيبة:

فالمغتاب قد جنى جنايتين:

إحداهما: جناية على حق الله تعالى حيث فعل ما نهاه الله عنه، فكفارة ذلك التوبة والندم.

الثانية: جناية على عرض المخلوق، فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه واستحله، وأظهر له الندم على فعله.

وإن كانت الغيبة لم تبلغ الرجل، أو مات، جعل مكان استحلاله الاستغفار له، والدعاء له، والثناء عليه، ولا يخبره بما لا يعلمه إن كان حياً؛ لئلا يوغر صدره.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَحَدٍ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[1]، [2].

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٤٤٩.

(٢) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ص٣١٤٥/٤، ٣١٤٦.

الحديث رقم (١٥٢٦)

١٥٢٦- وعن أَبي بَكْرة رضي الله عنه : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى في حَجَّةِ الوَدَاعِ: ((إنَّ دِماءكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وأعْرَاضَكُمْ،(حَرَامٌ عَلَيْكُمْ) [1] كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، في شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، الا هَلْ بَلَّغْتُ)) متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

الشرح الأدبي

إن خطبة حجة الوداع تعد دستورًا - لكل مسلم - يضيء الطريق، وينير القلوب، ويشحذ العقول؛ وينقذ المجتمعات من ظلام الشرك والصراعات التي تفتك بكل القيم الإنسانية الجميلة، وحين ألقى الرسول ﷺ خطبته أنصتت الدنيا لتسمع قوله، وأنصت الحجر والقفر والمدر إلى الكلمة المودِّعة، ينطق بها فم رسول الله ﷺ بعد أن أَنِسَت وسعدت به الدنيا كلها ثلاثة وستين عاما، وها هو الآن يلخص المبادئ التي جاء بها وجاهد في سبيلها في كلمات جامعة،وبنود معدودة، يلقي بها إلى سمع العالم.

وهذا الحديث قبس من هذه الخطبة المباركة،وقد ورد في صدر الحديث تحديد زمن الخطبة ومكانها ومناسبتها، فهي في يوم النحر في العام العاشر من الهجرة،ومكان الخطبة: "منى"، وفي بعض الروايات أن الخطبة كانت في يوم عرفة وسميت: حجة الإسلام، أو: حجة رسول الله ﷺ،وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الجزء من الخطبة نجده يشع بكثير من الدلالات من خلال نظم الكلمات، وتنوع الأساليب، ودقة التراكيب، فالمباني تفصح عن المعاني.

---

(١) قوله: (حرام عليكم) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١٠٥) بلفظ: (عليكم حرام) وكذا عند مسلم. والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٣) واللفظ له، ومسلم (١٦٧٩/٣٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٥٩).

ويبدأ الحديث بالتأكيد في كلام الراوي الذي يروي كلام أبي بكر رضي الله عنه في صيغة مؤكدة، "أن رسول الله ﷺ قال" فالخبر مؤكد، ولا مجال للإنكار أو للتشكك في الرواية، وكلام رسول الله ﷺ يبدأ كذلك بالتأكيد بإن: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم" وهذا التأكيد يوجب الإيمان بهذا الحكم، وعدم التعدي على الأنفس والأموال والأعراض، والترتيب في الجملة ليس تعاقبيًا، لأنّ الواو لمطلق الجمع. ولكنَّ تقديم الدماء يفيد بأن الحفاظ على الأنفس وعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، هو الطريق إلى الحفاظ على الأموال والأعراض، ويأتي خبر "إن" بعد ذلك وهو: "حرام عليكم"، ليجمع الكل في دائرة واحدة وهي حرمة الدماء، وحرمة الأموال، وحرمة الأعراض.

والتكرار من وسائل تأكيد المعاني في هذا الحديث، وهو من سمات الأداء الأسلوبي في الخطابة، لأنه من أقوى وسائل التأثير والإفادة، والإمتاع والإقناع، وتكرار لفظ "هذا" يؤكد هذه الحرمة التي شبهها الرسول ﷺ بحرمة يوم الحج الأكبر، وحرمة شهر ذي الحجة، وحرمة البلد الحرام، وهذه الموازنة تذكر المسلم دائمًا في كل عصر بما قدمه رسول الله ﷺ والذين معه من جهاد وبلاء، وعناء وفداء، في سبيل الدعوة الإسلامية، وحماية البيت الحرام، وكل ديار الإسلام؛ وتكرار كاف الخطاب الدالة على الجمع سبع مرات.. له تأثيره الصوتي والإيقاعي، حيث ينفذ الكلام إلى القلوب قبل الأسماع، وكل من يسمعه يحفظه ويعيه، وختام الحديث فيه استفهام وحض على الإصغاء والتنفيذ، وفيه حث على الاستجابة والذي لا يستجيب لا يلومن إلا نفسه "ألا هل بلغت اللهم فاشهد".

المضامين الدعوية [1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢١٣).

الحديث رقم (١٥٢٧)

١٥٢٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قُلْتُ للنبيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا. (قَالَ بعضُ الرواةِ[١]: تَعْنِي قَصيرَةً، فقالَ: ((لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!)) قالت: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْسَانًا فَقَالَ: ((مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْسانًا وإنَّ لِي كَذَا وَكَذَا)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[٢]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

حسبك: كافيك[٣].

مزجت: خلطت[٤].

لمزجته: لخالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها[٥].

الشرح الأدبي

يدور المعنى حول بيان خطر الغيبة، والترهيب منها، وهو بيان عملي في حوار بين أم المؤمنين رضي الله عنها وبين الرسول ﷺ وقد بدأ الحوار بقول عائشة (حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذَا وكَذَا) كناية عن ما ذكرت فيها من قصرها، وقول الرسول ﷺ (لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!) صدور المعنى في ثوب الشرط بـ(لو) يفيد تعليق مزج البحر على مزج الكلمة المقولة في صاحبتها دلالة على عظم خطرها، وبين قوله مزجت،

---

(١) لفظ أبي داود: (قال غير مسدد). والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢)، وقد تقدم مطولًا برقم ٢١٣. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٦٧).

(٣) المعجم الوسيط في (ح س ب).

(٤) اللسان في (م ز ج).

(٥) رياض الصالحين ٥٢٣.

ومزجته جناس يؤكد المعنى ويقرر تحقق الأثر المعلق بالفعل الأول وتخصيص ماء البحر للتكثير مبالغة في بيان الأثر، وقولها (: وَحَكَيْتُ لَهُ إنْسَاناً) كناية عن ذكره بعيب (مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنْساناً وإنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) أسلوب نفي لذكر عيوب الناس مهما كان المقابل - هذا إن لم يكن هناك غرض شرعي يستلزم الغيبة - أي لا أحب أن أذكر أحد، وقوله (وإن لي كذا، وكذا) كناية عن المقابل المذكور لحكاية فلان، والحديث تحذير بليغ من خطر الغيبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التحذير من خطر الغيبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مسئولية الإنسان عما يتكلم به.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التحذير من خطر الغيبة:

يتضح هذا من سياق الحديث: ومما لاشك فيه أن الغيبة خطرها عظيم. قال النووي: "وقوله "مزجته" أى خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدَّة نتنها وقبحها، وهذا الحديث من أعظمِ الزواجر عن الغيبة أو أعظمُها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث يبلغ في الذمِّ لها هذا المبلغ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[1]، نسأل الله الكريم لطفه والعافية من كل مكروه، والغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها وروينا عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه، أنه دعى إلى وليمة فحضر، فذكروا رجلاً لم يأتهم، فقالوا: "إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلت هذا بنفسي حيث حضرت موضعًا يغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وما أنشدوه في هذا:

وَسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهْ

فَإِنَّكَ عِنْدَ سَمَاعِ القَبِيحِ ... شَرِيكٌ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ[2]

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.

(٢) الأذكار ٣٧٧-٣٧٨، والأبيات في: معجم الأدباء، قافية الهاء ٢٠٠/٣، والمستظرف ١٩٠١/٢، ومحاضرات الأدباء ٩٧/١.

قال ابن كثير: (والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها سبحانه وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، فكما تكرهون هذا طبعًا فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها"[١]. وقال الإمام الغزالي: "قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس، فإنه داء. وقال الحسن البصري: (والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد)[٢].

(والغيبة حرام باتفاق الفقهاء، وذهب بعض المفسرين والفقهاء إلى أنها من الكبائر ونص الشافعية على أن الغيبة إن كانت في أهل العلم وحملة القرآن الكريم فهي كبيرة وإلا فصغيرة)[٣].

والإنسان الذي يغتاب الناس ضعيف النفس مرذول الخلق.

"والغيبة لا تصدر إلا من نفس ضعيفة وضيعة دنيئة.

والغيبة هي -كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»[٤].

والمغتاب يريد التسلق على أكتاف الآخرين، وذلك بالحط من أقدارهم، وتزهيد الناس بهم.

وما علم هذا المغتاب أن الرافع الخافض هو الله عز وجل، وأن بصنيعه يهدي حسناته - وهي أعز ما يملك - لمن يقع في عرضه.

فأين هذا المغتاب من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٠/٧.

(٢) إحياء علوم الدين ١٥٢/٣.

(٣) الموسوعة الفقهية ٣١/ ٣٣٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٨٩.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٢.

بل أين هو من أهل الجاهلية التي كان أشرافها يتمدحون بترك الغيبة.

قال المثقب العبدي:

لا تَرانـــي راتِعًـــا في مَجلِـــسٍ ... في لحـومِ النـاسِ كالسَّبعِ الضَّرِمْ[1]

والغيبة لا تقتصر على اللسان فحسب، بل قد تكون بالإشارة بالعين، أو اليد، أو نحو ذلك.

أما أسبابها فكثيرة، منها التشفي من الآخرين، ومجاملة الأقران والرفقاء، والحسد، وكثرة الفراغ، والتقرب لدى أصحاب الأعمال والمسؤولين عن طريق ذم العاملين.

ومن أسبابها الإعجاب بالنفس، والغفلة عن التفكر في عيوبها.

وأعظم أسبابها قلة الخوف من الله سبحانه وتعالى"[2].

هذا وقد أفاض الإمام الغزالي في الإحياء في بيان الأسباب الباعثة على الغيبة فعدّد لذلك أحد عشر سببًا، ذكر أن ثمانية من تلك الأسباب تطرد في حق العامة، وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة.

أما الثمانية التي تطرد في حق العامة فهي:

الأول: أن يشفي الغيظ.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام.

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة، فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته.

الرابع: أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره.

السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه، فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزكية الوقت بالضحك، فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة.

---

(١) خزانة الأدب، البغدادي، قافية الميم ٨٩/١١، المفضليات، قافية الميم ٢٩٤/١.

(٢) سوء الخلق مظاهره – أسبابه – علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص١٩، ٢٠.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقارًا للغير، فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضًا في الغيبة.

وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة، فهي أغمضها وأدقها، وهي:

الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين، فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان، فإنه قد يكون به صادقًا ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه، فصار به مغتابًا وآثمًا من حيث لا يدري.

الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به غيره فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره فيصير بذلك مغتابًا فيكون غمه ورحمته خيرًا، وكذا تعجبه ولكن ساقه الشيطان إلى شر من حيث لا يدري، وهو ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره، أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء.

فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام، فإنهم يظنون أنّ التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى. كان عذرًا في ذكر الاسم وهو خطأ، بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا ترخص الغيبة في سواها"[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مسئولية الإنسان عما يتكلم به:

حيث جاء في الحديث: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته"، وهذا يدل على مسئولية الإنسان عما يتكلم به، قال النووي: "وعن أبي علي الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: "من عدَّ كلامه من عمله قلَّ كلامه فيما لا يعنيه". وقال الشافعي: (لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك، ولم تملكها، وعن عبدالله بن مسعود قال: "ما من شيء أحق بالسجن من اللسان، وقال غيره: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك، ومما أنشدوه في هذا الباب:

---

(١) إحياء علوم الدين ١٤٣/٣-١٤٥، والأبيات للإمام الشافعي في الديوان، قافية النون، البحر: كامل تام.

احْفَظْ لِسَانَكَ أيُّهَا الإنْسَانُ لا يَلْدَغَنَّكَ إنَّهُ ثُعْبَانُ
كم في المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ كانَتْ تَهَابُ لقاءهُ الشُّجْعَانُ[1]

وفي خطورة الكلام ومسئولية كل إنسان عما يتكلم به قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَسْكُتْ»[2].

قال ابن عبدالبر: "وهذا وما كان مثله إنما معناه نقصان الإيمان وعدم كماله لا الكفر، وأما في خطورة الغيبة فعن ابن لهيعة قال: أخبرني سليمان بن كيسان قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال: كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه؟ فإن قالوا: إنه ينتقصهم وينال منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون وإن قالوا: إنه يذكر منهم جميلاً وخيرًا ويحسن الثناء عليهم، قال: هو كما تقولون، إن شاء الله.

قال أبو عمر: يكفي في ذم الغيبة قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾[3].

وقال الشاعر:

احذر الغيبة فهي الـ فسق لا رخصة فيه
إنما المغتاب كالآ كل من لحم أخيه

وعن محمد بن سيرين قال: ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.

وعن الحسن البصري أنه سأله رجل فقال: يا أبا سعيد، اغتبتُ فلانًا وأنا أريد أن أستحله؟ فقال: لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته!.

---

(١) الأذكار ٣٧٣-٣٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠١٩، ومسلم ٤٨.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٢.

وعن قتيبة بن مسلم أنه سمع رجلاً يغتاب آخر فقال: أمسك عليك، فوالله لقد مضغت مُضغَة طالما لفظها الكرام.

وعن عتبة بن أبي سفيان أنه قال لابنه عمرو: إياك واستماع الغيبة، نزه سمعك عن الخنا كما تنزه لسانك عن البذا، فإن المستمع شريك القائل وإنما نظر إلى أخبث ما يكون في وعائه فألقاها في وعائك، ولقد أحسن القائل:

تحرَّ من الطرق أوساطها ... وعَدِّ عن الموضع المُشْتَبِه

وسمعك صُن عن سماع القبيـ ... ـح كصون اللسان عن القول به

فإنك عند استماع القبيـ ... ـح شريك لقائله فانتبه[1]

وهذا مأخوذ من قول كعب بن زهير، والله أعلم:

فالسامع الذم شريك له ... ومطعم المأكول كالآكل[2]

وكان أبو حازم يقول: أربح التجارة ذكر الله وأخسر التجارة ذكر الناس يعني بالشر:

وهذا باب يحتمل أن يفرد له كتاب وقد أكثر العلماء والحكماء من ذم الغيبة والمغتاب وذم النميمة وجاء عنهم في ذلك من نظم الكلام ونثره ما يطول ذكره ومن وفق كفاه من الحكمة يسيرها إذا استعملها.

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول القائل:

إن شرّ الناس من يكثر لي ... حين يلقاني وإن غبتُ شتم

ويُحَيّيني إذا لاقيته ... وإذا يخلو له لحمي كدم

وكلامٌ سيءٌ قد وُقرت ... منه أذناي وما بي من صمم

---

(١) معجم الأدباء، قافية الهاء ٢٠٠/٣، والمستظرف ٩٠/١، ومحاضرات الأدباء ٩٧/١ مع تعديل في بعض الكلمات.

(٢) خزانة الأدب، البغدادي، قافية اللام ١٥٥/٩.

لا يرانـــي راتعًـــا في مجلـــس في لحـوم النـاس كالـسبع الـضرم[١]

وعن المغيرة بن مسلم عن يحيى البكاء قال: كنت عند ابن عمر فجاءه رجل فوقع في الحجاج وشتمه فقال ابن عمر: أرأيت لو كان شاهدًا أكنت تقول هذا؟ فقال: لا فقال: كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

"ويتضح من سياق الحديث، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفوس المدعوين، وحثهم على ترك المحظورات الشرعية، "والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله والترهيب يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة"[٣].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٥].

---

(١) خزانة الأدب، البغدادي، قافية الميم ٨٩/١١ مع تبديل في بعض الكلمات وترتيب الأبيات.

(٢) التمهيد، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٤٢٨/٢٣-٤٣١.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) سورة النبأ، الآيتان: ٢١-٢٢.

(٥) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤-٧٥.

الحديث رقم (١٥٢٨)

١٥٢٨ - وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ)). رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يخمشون: يخدشون[2].

يأكلون لحوم الناس: يغتابونهم[3].

يقعون في أعراضهم: يسبُّونهم[4].

الشرح الأدبي

قوله (لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ) العروج معناه الحركة صعودا جهة السماء، وبناء الفعل للمفعول يشير إلى أنه لم يعرج بنفسه أي أنه ليس من فعل النبي ﷺ وإنما من فعل الله تعالى بواسطة ملائكته فليس من عجب أن يصعد السماء بهذه الصفة، وليس لمعترض أن يعترض جهلا بكيف؟ والجار والمجرور (بي) يؤكد هذا، وأنه ليس من فعله وإنما من تصرف القادر الذي لا يعجزه شيء، وقوله (مررت) نسب المرور لنفسه؛ لأنه فعله بينما العروج لغيره (لَهُمْ أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ) صورة من الهول المرتقب، والتعبير بالخمش يصور شدة الأثر،

---

(١) برقم (٤٨٧٨) إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٧٩).

(٢) النهاية والمصباح المنير في (خ م ش).

(٣) عون المعبود ٢١٠٥.

(٤) المصباح المنير في (و ق ع).

وتخصيص الوجه والصدر لأنهم مجمع محاسن الإنسان، وخمشه أشد شناعة من غيره، وقال الطيبي لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين إشعارا بأنهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة)، وسؤال الرسول ﷺ (مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟) استفهام يحمل مع طلب المعرفة تعجبا من حالهم لأنهم هم الذين يباشرون أنفسهم بالتعذيب، وكأنه يقول لهذا الذي يقع في أعراض الناس أنك بما تقول تعذب نفسك بنفسك، وقوله (هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ !) والإشارة لتميزهم أكمل تمييز مع ما تحمله من ذمهم، والتعبير بأكل لحوم الناس استعارة لانتهاك أراضهم، واغتيابهم وذكر عيوبهم وما يذم فيهم، وفائدتها التنفير من الفعل الذي تأباه الطباع، وقوله (ويقعون في أعراضهم) التعبير بالوقوع يوحي بشدة أثر أقوالهم في الناس وأكده بالتعبير بحرف الجر (في) التي تدل على الانغماس في هذه الأعراض، وفيه ترهيب بليغ بالمشهد المحكي من الوقوع في أعراض الناس.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: معراج النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة الغيبة وعقوبة فاعلها.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من تاريخ الدعوة: معراج النبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث: "لما عرج بي مررت بقوم" ومما لا شك فيه أن معراج النبي ﷺ حدث هام في تاريخ الدعوة الإسلامية، "ولقد كان المعراج بالنبي ﷺ في السنة العاشرة من سنى البعثة النبوية، كان مكافأة ربانية على ما لاقاه الحبيب ﷺ من أتراح وآلام وأحزان، إذ كان بعد حصار دام ثلاث سنوات في شعب أبي طالب، وما لاقى أثناءه من جوع وحرمان، إنه كان بعد فقد الناصر الحميم، وفقد خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، إنه كان بعد خيبة الأمل في ثقيف، وما ناله من سفهائها وصبيانها وعبيدها"[1].

---

(١) هذا الحبيب، أبوبكر جابر الجزائري، ١٠٧.

وقال البوطي: (لقد عانى رسول الله ﷺ ألوانًا كثيرة من المحن التي لاقاها من قريش، فجاءت ضيافة الإسراء والمعراج من بعد ذلك تكريمًا من الله تعالى له، وتجديدًا لعزيمته وثباته، ثم جاءت دليلاً على أن هذا الذي يلاقيه ﷺ من قومه ليس بسبب أن الله قد تخلى عنه، أو أنه قد غضب عليه،وإنما هى سنة الله مع محبيه ومحبوبيه، وهى سنة الدعوة الإسلامية في كل عصر وزمن)[١]، وقال الشيخ محمد الغزالي: (إن جهاد الدعوة الذي حمله محمد ﷺ على كواهله عرّضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء، ومزق شمل أتباعه فما ذاقوا، مذ آمنوا به، راحة الركون إلى الأهل والمال فمن تطمين الله له، ومن نعمائه عليه أن يهيء له هذه الرحلة السماوية لتمس فؤاده المُعَنَّى ببرد الراحة، وليشعر أنه بعين الله، مذ قام يوحده ويعبده، ويعلم البشر توحيده وعبادته، إن الإسراء والمعراج يقعان قريبًا من منتصف الرسالة التي مكث ثلاثة وعشرين عامًا، وبذلك كانا علاجًا مسح متاعب الماضي، ووضع بذور النجاح للمستقبل)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطورة الغيبة وعقوبة فاعلها:

حيث جاء في الحديث: "مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يَخْمِشُون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم". قال الطيبي: (ومعنى يخمشون أى يخدشون، ولما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات، جعلهما جزاء من يغتاب ويفرى من أعراض المسلمين، إشعارًا بأنهما ليسا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأسوء صورة)[٣].

ولا شك أن هذا الحديث يبين عقوبة الغيبة، قال ابن مفلح: "قال عدى بن حاتم: الغيبة مرعى اللئام، وقال أبو عاصم النبيل: لا يذكر في الناس ما يكرهونه إلا سفلة لا دين لهم"[٤].

---

(١) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ١٦٦.

(٢) فقه السيرة ١٣٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٨/٩.

(٤) الآداب الشرعية ٣١/١.

فإذا كانت الغيبة بهذه الخطورة فالواجب على العاقل أن يخزن لسانه عن الوقوع فيها.

قال ابن عبدالبر: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه! غفر الله لك. فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

قال أبو عمر: إذا كان أبو بكر، وموضعه من الدين والفضل والسابقة أعلى المواضع، يخاف من لسانه، ويقول إنه يورده موارد يخشى منها على نفسه، فما ظنك بغيره؟!، وعلى قدر علم الإنسان يكون خوفه ووجله وإشفاقه؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[1]. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2].

روينا عن ابن مسعود أنه قال: ((المؤمن يرى كأنه جالس تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، فتندق عنقه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فصرفه بيده))[3].

وقال عبدالله بن مسعود: أكثر الناس ذنوبًا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل.

وروينا عن سلمان الفارسي، وعبدالله بن مسعود أنهما قالا: ما شيء أحق بطول سجن من لسان.

ولقد أحسن امرؤ القيس في قوله:

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليه لِسَانَهُ ... فليس على شَيءٍ سِواهُ بخَزَّانِ[4]

وقال آخر:

رأيتُ اللسانَ على أهله ... إذا ساسه الجهلُ لَيْثًا مغيرا

وقال منصور الفقيه:

خَرِسٌ إذا نطقوا وإن ... قالوا عَيِي أو جبانُ

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٤٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٣٠٨.

(٤) خزانة الأدب، البغدادي، قافية النون ٥٥١/٨، البحر: طويل. الشاعر امرئ القيس.

فـــــالعيِ لـــــيس بقاتـــــل ولربمـــــا قتـــــل اللـــــسان[١]

والغيبة خطر على دين المسلم.

قال الحسن البصري: والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد.

وقال الحسن أيضًا: يا ابن آدم لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا.

وقال عمر ﷺ: عليكم بذكر الله فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

وروى عن الحسن البصري أن رجلاً قال له: إن فلانًا قد اغتابك فبعث إليه الحسن رطبًا على طبق وقال: قد بلغني أنك أهديت إليّ من حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

وقال بشار بن برد:

خَيْـــرُ إِخْوَانِـــكَ المُـــشَارِكُ في المُـــرِّ وأيْـــنَ الـــشَّرِيكُ في المـــر أَيْنَـــا
الـــذي إن شـــهدْتَ سَـــرَّكَ في الحـــيّ وإنْ غبْـــتَ كـــانَ أذْنًـــا وعيْنَـــا
مِثْـــلَ حُـــرّ اليـــاقوت إنْ مَـــسَّه النَّـــارُ جَـــلاه الـــبلاَءُ فـــازداد زَيْنـــا
أنـــتَ في معـــشر إذا غبـــت عـــنهم بـــدَّلُوا كـــلَّ مـــا يَزِينُـــكَ شَـــيْنا
وإذا مـــا رأَوْكَ قـــالوا جميعًـــا أنـــتَ مـــن أَكـــرَم البرايـــا علينـــا
مـــا أَرى للأَنـــامِ وُدًّا صـــحيحًا صـــار ود الأَنـــام زُورًا وقينـــا[٢]

ولما كانت الغيبة بهذه الخطورة فالواجب أن يتوب المسلم عنها، ويكفر عما بدر منه، ويعاهد الله عز وجل أن لا يكون من المغتابين، ويحسن توبته بألا يعاود الكرة إليها أبدًا.

جاء في الموسوعة الفقهية: وكلُّ من ارتكب معصية، لزمه المبادرةُ إلى التوبة

---

(١) الاستذكار، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٣/٤٥٠-٤٥٣.

(٢) انظر: حفظ اللسان، الشيخ وحيد عبدالسلام بالي، ص٣٧-٤٧ بتصرف، والأبيات لبشار بن برد، قافية النون، البحر: خفيف تام.

منها، والتوبةُ من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاثة أشياء: أن يُقْلِعَ عن المعصية في الحال، وأن يندَم على فعلها، وأن يَعْزِمَ ألاَّ يعود إليها.

والتوبةُ من حقوق الآدميين يشترط فيها هذه الثلاثة، ورابعٌ: وهو ردُّ الظُّلامة إلى صاحبها، أو طلبُ عفوه عنها والإبراء منها، فيجب على المغتاب التوبةُ بهذه الأمور الأربعة، لأن الغيبَةَ حقُّ آدميَ، ولا بد من استحلاله ممن اغتابه.

وقد ذكر الشافعية وجهين في كونه هل يكفيه أن يقول: قد اغتبتك فاجعلني في حل، أو لابد أن يبين له ما اغتاب به؟

أحدهما: يشترط بيانه، فإن أبرأه من غير بيانه، لم يصحّ، كما لو أبرأه عن مال مجهول.

والثاني: لا يشترط، لأن هذا مما يتسامح فيه، فلا يشترط علمه، بخلاف المال، والأول أظهر، لأن الإنسان قد يسمح بالعفو عن غيبة دون غيبة، فإن كان صاحب الغيبة ميتًا أو غائبًا فقد تعذَّر تحصيل البراءة منها، لكن قال العلماء: ينبغي أن يكثر من الاستغفار له، والدعاء ويكثر من الحسنات. وهو قول الحسن في الاقتصار على الاستغفار دون الاستحلال.

وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك: أن تثني عليه وتدعو له بخير. وصحح الغزالي قول عطاء في جواب من سأله عن التوبة من الغيبة قال: أن تمشي إلى صاحبك فتقول له: كذبتُ فيما قلت وظلمتُك وأسأت، فإن شئت أخذت بحقك وإن شئت عفوت.

وأما قول القائل: العرض لا عوض له، فلا يجب الاستحلال منه، بخلاف المال، كلام ضعيف، إذ قد وجب في العرض حدّ القذف وتثبت المطالبة به. بل في الحديث الصحيح ما جاء أنه ﷺ قال: «مَن كانت لهُ مَظلمةٌ لأخيهِ مِن عِرضِه أو شيءٍ فليَتحلَّلْهُ منهُ اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهمٌ، إن كانَ لهُ عملٌ صالِحٌ أُخِذَ منهُ بقدْرِ مَظلمتِه، وإن لم تكنْ لهُ حَسناتٌ أُخِذَ من سيِّئات صاحبه فحُمِلَ عليه»[1]، وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل: قد اغتبتيها فاستحليها. فإذن لا بد

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٤٩.

من الاستحلال إن قدر عليه، فإن كان غائبًا أو ميتًا فينبغي أن يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات.

وذكر النووي في الأذكار: أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئ المغتاب منها، ولا يجب عليه ذلك، لأنه تبرع وإسقاط حق، فكان إلى خيرته، ولكن يستحب له استحبابًا مؤكدًا ليخلص أخاه المسلم من وبال هذه المعصية، ويفوز هو بعظيم ثواب الله تعالى في العفو ومحبة الله سبحانه وتعالى، وقال: إن الصواب هو الحث على الإبراء من الغيبة[1].

ولقد جعل رسول الله ﷺ الشخص المغتاب خيرًا من الذي اغتاب ووقع في الغيبة، فعن أبي الطفيل عامر بن واثلة: «أن رجلاً مر على قوم، فسلم عليهم، فردوا عليه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: والله إني لأبغض هذا في الله، فقال أهل المجلس: بئس والله ما قلت، أما والله لننبئنه، قم يا فلان - رجلاً منهم - فأَخْبره، قال: فأدركه رسولهم فأخبره بما قال، فانصرف الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مررت بمجلس من المسلمين فيهم فلان، فسلمت عليهم، فردوا السلام، فلما جاوزتهم أدركني رجل منهم، فأخبرني أن فلانًا قال: والله إني لأبغض هذا الرجل في الله، فادْعُه، فسله عَلامَ يبغضني؟ فدعاه رسول الله ﷺ، فسأله عما أخبره الرجل، فاعترف بذلك، وقال: قد قلت له ذلك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ فلم تبغضه؟ قال: أنا جاره وأنا به خابر، والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه الصلاة المكتوبة التي يصليها البر والفاجر، قال الرجل: سله يا رسول الله هل رآني قط أخّرتها عن وقتها؟ أو أسأت الوضوء لها؟ أو أسأت الركوع والسجود فيها؟ فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته يصوم قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، قال: يا رسول الله، هل رآني قط أفطرت فيه؟ أو انتقصت من حقه شيئًا؟ فسأله رسول الله ﷺ، فقال: لا، ثم قال: والله ما رأيته يعطي سائلاً قط، ولا رأيته ينفق من ماله شيئًا في شيء من سبيل الله بخير، إلا هذه الصدقة التي يؤديها البر

---

(١) الموسوعة الفقهية ٣١/٣٣٧-٣٣٩، وانظر: الأذكار للنووي، ٣٠٨-٣٠٩.

والفاجر، قال: فسله يا رسول الله، هل كتمت من الزكاة شيئًا قط؟ أو ماكست فيها طالبها؟ قال: فسأله رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا، فقال له رسول الله ﷺ: قم، إن أدري لعله خير منك»[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يتضح هذا من سياق الحديث وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين، "والترهيب أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها. ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن"[2].

ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا...﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٥٥/٥، حديث رقم ٢٣٨٠٣. وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لإرساله - لكن صحح إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ص١٤٥/٣ بهامش الإحياء.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، ٢٣٢//١.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٦.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤-٧٥.

الحديث رقم (١٥٢٩)

١٥٢٩ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

العِرْضُ: جانبُ الإنسان الذي يصونُه من نفسه وحسبه، ويُحامي عنه أن يُنْتَقَص ويُعابَ[2].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بلافتة قصيرة تعجل بالحكم الذي يريد ترسيخه من حرمة دم المسلم، وعرضه، ودينه وتقرير حقوق الأخوة بين المسلمين وهو تفصيل بعده إجمال ففي قوله: (كل المسلم على المسلم حرام) وال في المسلم للعهد أي المعهود وهو ما يعطي الحكم عموما، وفي العبارة إجمال فصَّله بقوله: (دمه، وعرضه، وماله) وهو من وسائل التشويق والإثارة مع ما يحققه من تأكيد المعنى، وتثبيته بذكره مجملاً ثم تفصيله، والأمور الذي قرر حفظها هي تقريبا كل ما للإنسان، وقد جعل كل المسلمين مطالبين بحفظ دم الفرد، وعرضه، ودينه، كما جعل كل فرد حارسا أمينا على دم أخيه، وعرضه، ودينه وهو من ذكاء النبي ﷺ في حفظ الأمة.

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٢٥٦٤/٣٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٩٥).

(٢) النهاية في (ع ر ض).

(٣) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٢١٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على حفظ اللسان:

إن تربية الإنسان على حفظ لسانه من أهم ما يجب الاعتناء به، حيث أعلى الشرع منزلة حفظ اللسان، ويكفي في ذلك ما أشارت إليه أحاديث الباب، من ارتباط حفظ اللسان بالإيمان، وذلك في قوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»، وكذلك في جعل حفظ اللسان سببًا لدخول الجنان والبعد عن النيران، كما في قوله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ...إلخ»، وقوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة...إلخ».

والتربية على حفظ اللسان تحتاج إلى ترويض ومجاهدة للنفس، وتعويد لها على المنطق الحسن، واختيار الألفاظ الطيبة والبعد عن الفحش، وهذا مما يشق ويحتاج لمجاهدة، قال ابن القيم: "ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويتورع من استناده إلى وسادة حرير لحظة واحدة ويطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكه في أعراض الخلق، وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله مالا يعلم وكثير ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر، ومثل رأس الإبرة من النجاسة، لا يبالي بارتكاب الحرام"[1].

"لذا وجب على القائمين على التربية والتوجيه تربية الأنفس على حفظ اللسان والبعد عن الألفاظ المحرمة شرعًا، سواء كانت متعلقة بحق الله، أم بحق المخلوق كالسب والشتم والسخرية والغيبة...إلخ"[2].

ثانيًا- التربية بالترغيب والترهيب:

إن من جملة الأساليب التربوية، التي تراءت في أحاديث الباب، أسلوب التربية بالترغيب والترهيب، حيث الترغيب في حفظ اللسان وصونه، والترهيب من مخالفة ذلك

---

(١) عدة الصابرين، ص٧٠.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش، ١٥٥، ١٥٦ بتصرف.

بإطلاقه فيما خالف شرعًا أو تجاوز حدًا.

"والترغيب كأسلوب تربوي يقوم على وعد بتحقيق منفعة، مقابل الالتزام بأداء أمر، أو اجتناب نهي[١]، وذلك كما ورد في حديث الباب من الترغيب في الجنة لمن حفظ لسانه، وذلك في قوله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».

أما "الترهيب فيقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به، أو نُهي عنه"[٢]، وذلك كقوله ﷺ مرهبًا من إطلاق اللسان فيما لا حل له - «.... وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

والتربية بالترغيب والترهيب من الأساليب التربوية المهمة التي يُبنى عليها إعداد نفس المتربي للاستجابة، والالتزام بأوامر الشرع، "فالإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم، وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه، من خلال الترغيب والترهيب"[٣].

ثالثًا- التربية بالسؤال:

إن كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة، وبالتالي فإن معارفه محدودة ولن يحيط بكل شيء. ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة. ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل. ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال. وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال، كما أن فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين، خاصة إذا كان المسؤول من أهل الخبرة والاختصاص. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٤][٥]، وهذا ما ترائى جليًا في أحاديث الباب من سؤال معاذ

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٢) المرجع السابق، ٣٩٣.

(٣) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، محمد الصيد الزنتاني، ٦٤٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٤٣، سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٥) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ١٢٤.

رضي الله عنه للنبي ﷺ في قوله: «يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عنِ النَّارِ؟..إلخ».

وفي ذلك يقول أمية بن الصلت:

لا يذهبنَّ بك التفريط منتظرًا ... طول الأناة ولا يطمع بك العَجَلُ

فقد يزيد السؤال المرءَ تجربةً ... ويستريح إلى الأخبار من يسلُ

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بصرُ

فاستخبرِ الناس عمَّا أنت جاهلُهُ ... إذا عَمِيتَ فقد يجلو العمى الخبرُ[1]

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل التردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه سواء في القريب العاجل أو في البعيد الآجل. ويذكر عبدالحميد الهاشمي أن "سكوت الإنسان على جهله قد يكلفه غير قليل من تجارب فاشلة، ومن آلام ومتاعب، لأنه لو عرف الإجابة الموفقة لضمن لنفسه العمل السليم أو السلوك الصائب لاسيما في أمور تتصل بالمحاولة والخطأ والتجريب"[2][3].

والتربية بالسؤال لا تكون دائمًا من المتعلم أو المتربي للمعلم، بل قد تكون من العالم على أسماع المتربي، كما في قوله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ...إلخ».

وفي ذلك تعظم الفائدة، وتتضح الفكرة، وتتضح المعرفة في أذهان المتعلمين والمتربين.

رابعًا: التربية العقائدية:

إن التربية الإسلامية تقوم على أصول واضحة تتمثل في العقيدة الإسلامية، حيث

---

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت: جمع وتحقيق ودراسة عبدالحفيظ السهلي، ط٢، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٣٩٤هـ، ص٤٣٦.

(٢) الرسول العربي المربي، ص٢٣٣، نقلًا عن التربية الذاتية، من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ١٢٤.

(٣) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٥.

الأسس التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها تصرفاته وسلوكه، وتطلق العقائد الإسلامية على أركان الإيمان وما يتفرع عنها والبعد عن شبهات الشرك.

وهذا ما أشار إليه حديث الباب في قوله ﷺ: - بعد سؤال معاذ رضي الله عنه له عما يدخله الجنة ويباعده من النار - «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ تعَالى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، ...إلخ».

وعقيدة التوحيد والإيمان بالله لها عظيم الأثر التربوي في حياة المسلم، وتتضح فيما يلي:

١ - تحرير الإنسان من الذل والمهانة لمغريات الحياة، فلا يستعبده جاه ولا مال، ولا يذل للطواغيت.

٢ - تحرير الإنسان من العبودية إلا لله. فلا يخضع أو يستسلم بالعبادة لأي من بني البشر أو كائن آخر أو جماد.

٣ - تربية عقل الإنسان على سعة الأفق والتأمل والرغبة في الاطلاع على أسرار الكون، وذلك للاستدلال على قدرة الله في خلقه ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1].

٤ - توفير الاستقرار النفسي والراحة النفسية للإنسان فيما يتعلق بتساؤله دائمًا عن القوة التي هي أكبر منه تسيطر عليه وعلى الحياة من حوله، فهو يفزع إليها عند الحاجة ويطمئن بوجودها.

٥ - تربية المؤمن على النفس الموحدة لله، وقد شبه الله تعالى النفس الموحدة لربها بالعبد الذي يملكه رجل واحد، فكل تصرفات هذا العبد تأتي حسب رغبة سيده، وبهذا تهدأ نفسه، وتستقيم حياته، وتكون تصرفاته بنسق واحد خاليًا من الصراعات والاعتراضات، أما العبد الذي يملكه أكثر من فرد فإن تصرفاته تكون حائرة بينهم بسبب اختلافهم وتناقضاتهم، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

---

(١) سورة الغاشية، الآية: ١٧.

لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1][2].

خامسًا: التربية الروحية:

إن العبادات تربية عملية وثمرة الامتثال لأوامر الله تعالى، وتهذيب للنفس وتزكية لها وإشباع للروح، ومن شواهد ذلك في حديث الباب ما ورد في قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «....وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ،.... وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ،....إلخ».

فالصلاة، هي المرتكز الأساسي للروح في صلتها بالله وهي محور إحياء معاني الإيمان للإنسان، "ففي الصلاة يتذكر الإنسان ربه، من مبدأ الصلاة وحتى منتهاها، والصلاة تربي الإنسان روحيًا وخلقيًا، إذ تربط بين الإنسان وخالقه، وتعلم الإنسان الطاعة والشكر لله، كما أنها تقوي إرادة الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد"[3].

والصوم له مقصود عظيم في تربية الأنفس:

"حيث حبس النفس عن الشهوات وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدَّتها وسورتها ويذكرها بما للأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرُّها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها، وكل قوة عن جماحه، وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين"[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) التربية الإسلامية "مصادرها وتطبيقاتها"، د. عماد محمد محمد عطية، ٦٥-٦٧باختصار.

(٣) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، د. محمد فاضل الجمالي، ط١، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠م، ص١٠٥.

(٤) زاد المعاد، ابن القيم، ١٥٢/١.

أما الزكاة "فبها تطهر نفوس الأفراد من الذنوب، ومن أرجاس البخل والدناءة والقسوة والأثرة والطمع وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والعدوان والفتن والحروب، وتزكي أنفسهم أن تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية حتى تكون بها أهلاً للسعادة الدنيوية والأخروية"[١].

والمؤمن في تربيته يحتاج - بعد صلاته التي يصليها، وبعد شهر رمضان الذي يصومه كل عام، وبعد الزكاة التي يقوم بها إذا أتم النصاب وحال الحول - إلى أن يشهد موسمًا هو ربيع الحب والحنان، وملتقى المحبين والمخلصين، ومشهد العشاق والهائمين ألا وهو الحج.

وفيه يتربى المؤمن على أن يروي ظمأ روحه، ويقضي حاجة حنانه، ويكسر ثورة نفسه، ويثور على وثنية" عاداته ومألوفه.

فالحج بمناسكه وأركانه وأعماله، كله تمرين وتمثيل للإطاعة المطلقة، وامتثال للأمر المجرد، وسعي وراء الأمر، وتلبية وإجابة للطلب[٢].

فالقصد من الحج تربية النفس على الانقياد للأمر إظهارًا للرق والعبودية، وانتهاضًا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه[٣].

وذلك فضلاً عن تربية الأنفس على الاقتصار على الضروريات من الحياة، والتجرد لله في جميع الحركات والسكنات[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٣٤٣.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٢٤٣، ٢٤٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٤٦.

(٤) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٣٤٣.

٢٥٥- باب تحريم سماع الغيبة

وأمر من سمع غيبةً مُحرَّمةً بردِّها والإنكار على قائلها فإنْ عجز أو لَمْ يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[القصص: ٥٥]، وقال تَعَالَى: ﴿والَّذينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَومِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

الحديث رقم (١٥٣٠)

١٥٣٠- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَومَ القيَامَةِ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٢).

غريب الألفاظ:

ردّ عن عرض أخيه: أي: منع غيبة عن أخيه، والعِرْضُ: جانبُ الإنسان الذي يصونُه من نفسه وحسبه، ويُحامى عنه أن يُنْتَقَص ويُعابَ[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول معنى الذَّب عن المسلم، والدفع عنه في غيابه وهو ما يصوب خطأ المغتاب أو السَّاب أو القاذف وقد صاغ المعنى في ثوب الشرط الذي يحيط المعنى بمزاياه وخصائصه حيث يعطيه اطرادا مع الزمان المكان ويربط الجزاء بالشرط،

---

(١) برقم (١٩٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٩٤).

(٢) النهاية في (ع ر ض).

ويشعر المخاطب بأنه حر الاختيار في الرد عن أخيه، أو عدم الرد، ولكن ربط الجزاء به تشجيعا، وترغيبا على إتيان الفعل فقد ربط رد المسلم عن عرض أخيه برد الله النار عن وجهه يوم القيامة، والتعبير بالرد يوحي بتقدم فعل أو قول فيه انتهاك لعرضه، والتعبير بالأخ وإضافته إلى الضمير يشعر برابطة الرحم التي تستلزم المودة، والرحمة، والنصرة، وإن كان المراد أخوة الإسلام، ونسبة الرد في الجزاء لله توكيد للتحقق كما أكدته صيغة الماضي وتخصيص الوجه بالذكر لأن العذاب فيه أنكى، وأكثر مهانة وهو أول ما يحاول الإنسان حمايته عند الخطر، وتعلق الرد بالنار يزيد الرغبة في العمل الموجب للرد وتقييد الرد بيوم القيامة يصعِّد الرغبة في الرد عن أعراض المسلمين رغبة في النجاة من هول اليوم.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- فضيلة رد غيبة المسلم الذي ليس بمتهتك في الباطل وأن هذا من مهمات الآداب وحقوق الإسلام[١].

٢-التنبيه على من يظن به الفساد في الدين عند الإمام على جهة النصيحة ولا يعد ذلك غيبة، وأن على الإمام أن يتثبت من ذلك ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل[٢].

٣- لا يخلد في النار من مات على التوحيد[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الدفاع عن عرض المسلم في غيبته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: ثواب الدفاع عن عرض المسلم.

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨٩/٧، فتح الباري ٥٤/٨، سبل السلام ٣٥٧/٤.

(٢) فتح الباري ٦٥٢/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦١/١٥، فتح الباري ٦٥٢/١.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

إن الترغيب في فعل الخير والتحلي بالفضائل من أساليب الدعوة التي تحدو بالمدعوين وتدفعهم دائمًا إلى عمل الخير وخير العمل، وقد جاء الترغيب في الحديث "رد ودفاع المسلم عن عرض أخيه برد الله النار عن وجهه يوم القيامة، فقال ﷺ: "من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والحث على طاعة الله تعالى[1]، خاصة وأن أسلوب الترغيب والترهيب من أوفق الأساليب للنفس البشرية، وذلك أن النفس البشرية تعيش بين شد ولين وقبض وبسط، والترغيب والترهيب من أقوى المؤثرات في هذا المخلوق العجيب، والوعد والوعيد عاملان حاسمان في استقامة البشر وتقويم سلوكهم[2]، وآيات القرآن حافلة بأسلوب الترغيب، منها قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

إن من عظمة دين الإسلام وكمال نهجه أنه يربي الناس على الرغبة والرهبة، والخوف والرجاء، فكما أن هنالك من آيات الترهيب وأحاديث التخويف ما يزلزل النفوس، ويهز الأفئدة، ويرهب النفس، فهناك من آيات الترغيب ما يسلي القلب، ويؤنس الخاطر، ويبعث على الأمل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٢) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ٥٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٥) سورة الحجر، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾[٢].

إن من الواجب على العالم في علمه، والداعي في دعوته، والواعظ في وعظه والمربي في تربيته، أن يجمع بين الأمرين، ويقرن بين الحسنيين، ويمزج بين الغرضين، فليس التخويف بمفرده سبيلاً للعلاج، وأداة للتقويم، وطريقة للدعوة، بل قد يكون الرجاء أجمل، والترغيب أوقع، وإن المتأمل لكتاب الله تعالى ولسنة نبيه ﷺ يجد جانب الترغيب، ونصوص الرجاء أكثرَ عددًا وأجمل موقعًا، وألذ سماعًا، وأطرب استمتاعًا.

إن الرجاء ليس له قيمة ولا تبدو له فائدة، ولا تنال منه ثمرة إن لم يكن مصحوبًا بالعمل، مقرونًا بالطاعة، ممزوجًا بالعطاء، فليس معنى الرجاء أن ينغمس المرء في الذنوب، ويتقاعس عن الطاعة، ويتنكر للعبادة، ويفرط في الحقوق، ويضيع الواجبات، ثم يرجو النجاة من النار والفوز بالجنة، بل هو يعمل ويرجو، ويجتهد ويطمع، ويبذل ويرغب، وهو معترف بتقصيره مقر بذنوبه، مؤمل في نيل غفران ربه[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الدفاع عن عرض المسلم في غيبته:

إن من أعظم الأسباب أثرًا في جلب محبة المسلم لأخيه المسلم الذَّب والدفاع عنه في غيبته إذا قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك تقصير في حق الأخوة[٤].

وقد وردت النصوص الجمة في حض المسلم على الرد والدفاع عن عرض أخيه إذا تعرض لسوء أو أذى، ومن ذلك ما روى عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ أُرَاهُ قال بَعَثَ الله مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ

---

(١) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٢) سورة القارعة، الآيات: ٦-٩.

(٣) انظر: كتاب: "الله أهل الثناء والمجد"، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٦٦٤، ٦٦٥.

(٤) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز، ٣٧٦.

الْقِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ))[١].

وكذلك ما جاء من قوله ﷺ "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"، أى من منع غيبةً عن أخيه صرف الله عن وجه الرادِّ نار جهنم، قال المناوى أى عن ذاته العذاب، وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان[٢]، والحث على الدفاع عن أعراض الغير من حقوق الإخاء الذي هو أوثق الروابط، فالإخوة رباط تزول أمامها جميع الفوارق، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٣]. وهذه الأخوة والمؤاخاة في الله سبحانه، وقد جعل الإسلام هذا النوع من الأخوة فوق كل أخوة، وجعله من كمال الإيمان، حيث جعله رابطة قوية بين المسلم وأخيه المسلم، ومن كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ومن ذلك أن يرد عن عرضه إذا انتهك أمامه[٤]، وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقًا، فليس هو إخاءً عقيمًا لا ثمرة له في الواقع ولا أثر له في الحياة العملية، فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه، وأن يعني بشأنه، والدفاع عنه، والذياد عن حياضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره وإعداده لمستقبل أعز وأكرم، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٥]، ومن حق المسلم على المسلم أن يحفظ عرضه، ويصون حرمته، في حضوره أو غيبته، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[٦].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: ثواب الدفاع عن عرض المسلم:

بين الحق تبارك وتعالى أن جزاء العمل من جنسه، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٨٦).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١٦٢٨/٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١١٦/٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٦) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٨١-١٨٢.

إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾[٢]، فإن ذلك هو الجزاء الحق ومقتضى الحكمة والعدل[٣]. والحديث فيه بيان لصورة من ذلك في بيان ثواب الدفاع عن عرض المسلم، فقال ﷺ "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"، وذلك لأنه رد مريد الغيبة عن عذابها لو فعلها، فجوزى بردها عنه في الآخرة، ورد عن المغتاب ما يلقاه مما رمى به من اغتابه، فردها - أي النار - الله عنها[٤].

وجاء من حديث سهل بن معاذ بن جبل عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ أُرَاهُ قال بَعَثَ الله مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ الله عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قالَ))[٥].

قال العظيم آبادى في شرح الحديث: "من حمى مؤمنًا" أي: حرس وحفظ مؤمنًا في عرضه من منافق يغتابه بعث الله ملكًا يحمي لحم حامي المؤمن، ومن رمى مسلمًا أي قذفه بشيء من العيوب يريد عيبه به، أوقفه الله يوم القيامة على جسر جهنم حتى يخرج مما قال، أي من عهدته، والمعنى حتى ينقي من ذنبه ذلك، بإرضاء خصمه أو بشفاعته أو بتعذيبه بقدر ذنبه[٦].

قال النووي: اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر[٧].

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٢) سورة النبأ، آية: ٢٦.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج١١/٢٧/٢٧١.

(٤) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٥٨٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٨٨٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٨٦).

(٦) انظر: عون المعبود ٢١٠٧.

(٧) الأذكار ٣٠٤.

الحديث رقم (١٥٣١)

١٥٣١- وعن عِتبَانَ بنِ مَالكٍ رضي الله عنه، في حديثه الطويل المشهور الَّذي تقدَّمَ في بابِ الرَّجاء[1] قَالَ: قام النبيّ ﷺ يُصلِّي فقَالَ: ((أيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ؟)) فَقَالَ رَجُلٌ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ولا رَسُولهُ، فَقَالَ النبيّ ﷺ: ((لاَ تَقُلْ ذَلِكَ ألاَ تَراهُ قَدْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ يُريدُ بذَلكَ وَجْهَ اللهِ! وإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ يَبْتَغي بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ)). متفق عَلَيْهِ[2].

(وَعِتْبان) بكسر العين عَلَى المشهور وحُكِيَ ضَمُّها وبعدها تاءٌ مثناة مِن فوق ثُمَّ باءٌ موحدة. و(الدُّخْشُم) بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

ترجمة الراوي:

عِتبان بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١٧).

الشرح الأدبي

الحديث يحكي قصة عملية للرد عن المسلم ونصرته في غيبته، وقول الرسول ﷺ (أيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ؟) سؤال تفقد للمسلمين عند الصلاة يدل على حرص الرسول ﷺ على أصحابه، حتى يعود المريض ويعين الضعيف، ويعطي الفقير، ويصلي على الميت، وتنكير (رجل) لعدم تعلق غرض بذكره، أو من باب الستر على المخطيء وقول الرجل (ذَلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ولا رَسُولهُ) هو موضع الخطأ، واسم الإشارة (ذلك) للذم وقول الرسول ﷺ (لاَ تَقُلْ ذَلِكَ) نهي يقتضي أنه أتى مخالفة شرعية (ألاَ تَراهُ قَدْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ يُريدُ بذَلكَ وَجْهَ اللهِ ؟) استفهام تقريري أي أنه قالها، وقوله (يريد بذلك وجه الله) يفيد نفي النفاق عنه، ويثبت له الإخلاص، وقوله (وإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ يَبْتَغي بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ) خبر مؤكد

---

(١) باب (٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥) واللفظ له، ومسلم (٥٤/٣٣)، وتقدم برقم (٤١٧).

بمؤكدات متعددة منها (إن) واسمية الجملة، وحرف التحقيق (قد) والفعل الماضي المفيد للتحقيق تعظيما للخبر، وتنبيها إليه والخبر يقرر نجاة الموحد المخلص.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٤١٧).

الحديث رقم (١٥٣٢)

١٥٣٢- وعن كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصةِ تَوْبَتِهِ وَقَدْ سبق في باب التَّوبةِ. قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ جالِسٌ في القَومِ بِتَبُوكَ: ((مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالكٍ؟)) فَقَالَ رَجلٌ مِنْ بَنِي سَلمَةَ: يَا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إلاَّ خَيْرًا، فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ. متفقٌ عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

كعب بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

غريب الألفاظ:

حبَسَه: منعه[2].

بُراده: ثنى بُرْدٍ: ضربٌ من الثياب[3].

عطفاه: جانباه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه[4].

الشرح الأدبي

قول النبي ﷺ (مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالكٍ ؟) هو من تفقد أصحابه عن الغزوات، لذلك سأل عن فعله، ولم يسأل عن مكانه، وقول الرجل: (حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ) أي جانبيه وقوله (حبسه برداه) مجاز مرسل بنسبة الفعل لسببه مبالغة في درجة الانشغال، والعبارة كناية عن انشغاله بالزينة، وللباس عن الجهاد، وهو موضع الخطأ ؛

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩/٥٣) واللفظ له، وتقدم برقم (٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣١٠).

(٢) الوسيط في (ح ب س).

(٣) الوسيط في (ح ب س).

(٤) رياض الصالحين.

لأنه فيه غمز، ولمز لكعب بن مالك ﷺ ، وقول معاذ بن جبل ﷺ (بِئْسَ مَا قُلْتَ) رد على الرجل بأسلوب إنشائي غير طلبي يفيد الذم لقوله، وهو أدب من معاذ ﷺ لأنه ذم القول دون أن يذم صاحبه مباشرة، ثم زكّى كعب بن مالك ﷺ بقوله (والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إلاَّ خَيْراً) وقد أكد الجملة بعدة مؤكدات تصدرها القسم الذي يوحي بالثقة فيما يقول، تلاه النداء الذي يقصد به مزيد التنبيه والإقبال عليه مع ما يحمل من التكريم ثم أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء المناسب لمقام الإنكار حيث قصر علمه عنه على الخير لا يتعداه لغيره، وسكوت الرسول ﷺ وعدم رد قوله يقرر صدقه، ونهاية القصة، ونزول القرآن فيه، وفي من معه دليل على ذلك.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على رد الغيبة وعدم سماعها:

من أهداف التربية الإسلامية، تهذيب الأخلاق والارتقاء بالسلوك، ومن ذلك التربية على عفة اللسان عن الخوض في الحديث عن الآخرين، والحث على رد غيبة المسلم، وعدم السكوت على ذلك لأنه يمثل انتهاكًا صارخًا لحرمة المسلم، وإن التربية الإسلامية تعمل على تنمية شعور الغيرة المحمودة والتي من مظاهرها رد غيبة المسلم والنبي ﷺ قال في توجيهاته التربوية: «مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، فهذه تربية نبوية صريحة من الرسول ﷺ توجه إلى أهمية وضرورة رد غيبة المسلم وعدم سماع الغيبة وردها وزجر قائلها، ويعلمنا النبي ﷺ أن من لم يستطع رد الغيبة عليه أن يفارق المجلس، وإن رد الغيبة له آثار إيجابية منها: البعد عن الوقوع في الحرام، مراعاة حقوق وحرمات المسلمين، وكذلك صيانة روح المحبة والمودة بين المسلمين، ومن الشواهد على أهمية رد الغيبة من أحاديث الباب: قول معاذ عندما سمع الغيبة قال: «بئس ما قلت...»، لذا وجب على القائمين على التربية والتوجيه غرس القيم الإيجابية التي تعمل على رد الغيبة وتربية الجيل على أن الله يوم القيامة يبدل حسنات من قام بالغيبة بسيئات من اغتابه، ويعرفهم بأن الله شبه من يغتاب بأنه: ﴿يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾[1].

ومن الأهداف التربوية في هذا المضمون: احترام الآخرين، وذلك لأن الإسلام يهدف إلى بناء مجتمع متماسك يعتز فيه بكرامته وحريته، وينسب علاقاته مع الآخرين على أساس الاحترام المتبادل والثقة الكاملة، وبذلك يطمئن الإنسان على نفسه وعرضه وماله، ومن هنا حرم رسول الله ﷺ كل ما يؤدي إلى سلبية الإنسان، ودعا إلى كل ما يقوي الصلات الاجتماعية ويوثق عرى المحبة والتعاون بين الناس، والتي منها "رد

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

الغيبة"، والقاعدة العامة في العلاقات الاجتماعية هي صيانة حرمة وعرض المسلم والتي منها الغيبة، ولن يتأتى هذا الأمر في السلوك الإسلامي التربوي إلا بالتربية على الوازع الديني الذي يعد في ضوابط السلوك[1].

ثانيًا: التربية بالترغيب:

التربية بالترغيب تؤثر في النفوس تأثيرًا إيجابيًا، ومن الشواهد على ذلك من أحاديث الباب قول النبي ﷺ: «لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا اللّه يريد بذلك وجه اللّه، وإن اللّه قد حرم على النار من قال لا إله إلا اللّه يبتغي بذلك وجه اللّه».

وقد أراد النبي ﷺ الترغيب في الإيمان ومراقبة الله والتحلي بالقيم الإسلامية "كرد الغيبة"، وذلك لأن الرسول ﷺ يعلم أن الإنسان مفطور على حب كل ما يُدخل عليه الراحة والسرور، لذا كان للترغيب تأثيرٌ كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب بالجنة، مما حمل قلب الإنسان نحو الخير وتوجيهه لذلك الخير، والرسول ﷺ أراد من هذا النموذج التربوي تعليم المسلم جلب الخير لنفسه وكره الشر والشقاء، كل هذا يدفع بالإنسان للاستجابة بالمؤثرات الترغيبية، وبهذا يكون الإنسان قد أعد لنفسه وقاية، من المخالفة، من هنا نخلص إلى أن النبي ﷺ أراد من هذا الهدي النبوي إعانة الإنسان على تحديد أهدافه وسلوكه ومشاعره وأفكاره[2].

---

(١) المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ٤٢٢، ٤٢٣، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم نهاد العمري، ٢١١، القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع علي مانع، ص٤٢٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٣. التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبدالرحمن، ص٥٩، ط الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٢٥٦- باب ما يباح من الغيبة[1]

اعلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إلاَّ بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أسْبَابٍ:

الأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلاَيَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَى إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلاَنٌ بكذا.

الثَّاني: الاسْتِعانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازْجُرْهُ عَنْهُ ونحو ذَلِكَ ويكونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إزالَةِ المُنْكَرِ، فَإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصِيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأحْوطَ والأفضَلَ أنْ يقول: مَا تقولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أمْرِهِ كذا؟ فَإنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيِينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ[2] إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

الرَّابعُ: تَحْذِيرُ المُسْلِمينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ وذلكَ جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلِمينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوَرِ أنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصيحَةِ.

ومنها: إذَا رأى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغْلَطُ

---

(١) انظر: الأذكار ٣٨٠-٣٨٢ ط مكتبة الصفا.

(٢) سيأتي برقم (١٥٣٧).

فِيهِ. وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيُتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بهَا عَلَى وَجْهِها: إمَّا بأنْ لا يكونَ صَالِحًا لَهَا، وإما بأنْ يكونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغَفَّلاً، وَنَحوَ ذَلِكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايةٌ عامَّةٌ لِيُزيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حالِهِ، وَلاَ يَغْتَرَّ بِهِ، وأنْ يَسْعَى فِي أنْ يَحُثَّهُ عَلَى الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

الخامِسُ: أنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ كالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إلاَّ أنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخَرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السَّادِسُ: التعريفُ، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأَعْمَشِ، والأعرَجِ، والأَصَمِّ، والأعْمى، والأحْوَلِ، وغَيْرِهِمْ جاز تَعْرِيفُهُمْ بذلِكَ، وَيَحْرُمُ إطْلاقُهُ عَلَى جِهَةِ التَّنْقصِ، ولو أمكَنَ تَعْرِيفُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أَوْلَى، فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثَرُها مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلائِلُهَا مِنَ الأحاديثِ الصَّحيحَةِ مشهورَةٌ. فمن ذَلِكَ:

الحديث رقم (١٥٣٣)

١٥٣٣- عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلاً اسْتَأذَنَ عَلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: ((ائْذَنُوا لَهُ، بِئسَ أخُو العَشِيرَةِ؟)). متفق عَلَيْهِ[1].

احتَجَّ بِهِ البخاري في جوازِ غيبَة أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيب.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث بطريقة عملية أن ذكر مساوئ بعض الناس لغرض شرعي لا تعد غيبة وأنه قد يكون من الضروري مدارة بعض الناس اتقاء شرهم وسداً لباب الفتن مع التحذير من الفحش، والتفحش، وقد استخدم لبيان هذه المعاني عدة أساليب بلاغية منها: بداية الحديث بأسلوب الأمر في قوله: (ائذنوا له. ..) اتقاءً لشر هذا المستأذن بالدخول، وقوله: (بئس أخو العشيرة) أسلوب إنشائي غير طلبي قصد به الذم، وقد فصل جملة (بئس أخو العشيرة) عن جملة (ائذنوا له) لكمال الانقطاع بين الجملتين لأن الأولى إنشائية طلبية لفظاً، ومعنى، والثانية غير طلبية ؛ لأن نعم وبئس من أساليب الإنشاء غير الطلبي، وقوله: (أخو العشيرة) والعشير المعاشر الذي أمره معك واحد والعشيرة الجماعة والقبيلة والعشيرة الأدنى إلى الرجل من أهله وهم ولد أبيه وجده أي إخوته وبنيهم وأعمامه وبنيهم، وإضافة الأخ للعشيرة يفيد علما لرسول ﷺ به وبما يتعلق بأخلاقه، ومن الجدير بالذكر أن هناك فرقاً بين المداراة والمداهنة وهو أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا أو هما معاً وهي مباحة وربما استحب، والمداهنة ترك الدين لصلاح الدنيا والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معهم حسن عشرة فيزول بهذا التقرير الإشكال[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥٩١/٧٣).

(٢) ينظر: فتح الباري / جـ١٦ / صـ٣٣١.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم غيبة الكافر والفاسق والمنافق وأمثالهم: اتفق الفقهاء على جواز غيبة الكافر، والفاسق، والمنافق وأهل والبدع وذوي الولايات الباطلة، ومن يجاهر بمعصيته وأن ذلك مستثنى من الغيبة المحرمة[١].

٢-حكم ذكر عيوب الخاطب: اتفق الفقهاء على جواز ذكر الخاطب بما فيه من العيوب التي يكرهها إذا كان ذلك للنصيحة ولا يكون حينئذ غيبة محرمة[٢]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم ١٥٣٥، ويقول ﷺ "المستشار مؤتمن" وقوله ﷺ "الدين النصيحة".

٣-حكم التعريض لخِطْبة المعتدة البائن: اتفق الفقهاء على القول بجواز التعريض لخِطْبة المعتدة البائن[٣]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾[٤].

٤-حكم الخِطْبة على خِطْبة الغير إذا لم يحصل للأول إجابة: تجوز الخِطْبة على خِطْبة الغير إذا لم يحصل للأول إجابة[٥].

٥-حكم النفقة على الزوجة من زوجها، ونفقة الأولاد الصغار على أبيهم: اتفق

---

(١) مجمع الأنهر ٥٥٢/٢، بريقة محمودية ١٨٧/٣-١٨٨، الفواكه الدواني ٢٧٠/٢-٢٨٠، الزواجر عن افتراق الكبائر ٢٣/٢-٢٤، مطالب أولي النهى ٤٠٢/٢، شرح صحيح مسلم ١٤٢/٢٦-١٤٣، فتح الباري ٥٤٨/١٠، ٥٦٩، سبل السلام ٣٣٣/٤-٣٣٤.

(٢) مجمع الأنهر ٥٥٢/٢، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٢٢٠/٢، مغني المحتاج ٢٢٢/٤، مطالب أولي النهى ١١/٥، شرح صحيح مسلم ١٠٧/١٠، شرح صحيح مسلم ١٤٢/١٦.

(٣) حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٢١٩/٢، مغني المحتاج ٢١٩/٤، كشاف القناع ١٨/٥، أحكام القرآن للجصاص ٥٧٥/١-٥٧٦، شرح صحيح مسلم ١٠٧/١٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٥) حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٢٢٠/٢، مغني المحتاج ٢٢٢/٤-٢٢٣، مطالب أولي النهى ١١/٥، شرح صحيح مسلم ١٠٧/١٠.

الفقهاء على وجوب نفقة الزوجة على زوجها، ونفقة الأولاد الصغار على أبيهم[١]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[٢] والأمر بالإسكان أمر بالإنفاق لأنها لا تصل إلى النفقة إلا بالخروج والاكتساب[٣]. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٤] أوجب أجر رضاع الولد على أبيه[٥].

٦-مقدار النفقة: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعي في القديم، والحنابلة إلى أن النفقة مقدرة بالكفاية[٦]. واستدلوا على ذلك بحديث الباب رقم ١٥٣٧، وبقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٧] حيث أمر الله تعالى بالنفقة مطلقًا عن التقدير، فمن قدر فقد خالف النص، ولأن الله تعالى أوجبها باسم الرزق، ورزق الإنسان كفايته في العرف والعادة كرزق القاضي والمضارب[٨].

وذهب الشافعي في الجديد إلى أن نفقة الزوجة مقدرة الأمداد، ونفقة القريب مقدرة بالكفاية[٩]. واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[١٠].

ويناقش هذا: بأنه لا حجة له في الآية لأن فيها أمر الذي عنده السعة بالإنفاق على قدر السعة مطلقًا عن التقدير بالوزن فكان التقدير به تقييدًا لمطلق الآية، فلا يجوز إلا

---

(١) بدائع الصنائع ١٥/٤، ٣٠، حاشية الدسوقي والشرح الكبير ٥٠٨/٢، ٥٢٢، مغني المحتاج ١٥١/٥، ١٨٣، المغني ١٥٦/٨، ١٦٨، ١٦٩، شرح صحيح مسلم ٧/١٢، فتح الباري ٦١٣/٩.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٦.

(٣) بدائع الصنائع ١٥/٤.

(٤) سورة الطلاق، آية: ٦.

(٥) المغني ١٦٩/٨.

(٦) بدائع الصنائع ٢٣/٤، حاشية الدسوقي ٢٠٩/٢، مغني المحتاج ١٥٢/٥، ١٨٦، المغني ١٥٦/٨.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٨) بدائع الصنائع ٢٣/٤.

(٩) مغني المحتاج ١٥٢/٥، ١٨٦، شرح صحيح مسلم ٧/١٢.

(١٠) سورة الطلاق، آية: ٧.

بدليل[١].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء القائل بأن النفقة تقدر بالكفاية.

٦-هل تقدر النفقة باعتبار حال الزوجين أم باعتبار حال أحدهما: ذهب الحنابلة، والحنفية، وبعض الشافعية إلى أن النفقة تقدر باعتبار سعة الزوج وحال الزوجة أي باعتبار حالهما معًا[٢]. واستدلوا على ذلك بأن في اعتبار حالهما في تقدير النفقة نظرًا من الجانبين، فكان أولى من اعتبار حال أحدهما[٣].

وذهب الحنفية في الصحيح، والشافعية إلى أن النفقة تقدر باعتبار حال الزوج في يساره، وإعساره[٤]. واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[٥] وهذا نص في الباب[٦].

والراجح هو رأي المالكية والحنابلة، لأن في هذا الرأي رعاية لكلا الجانبين فيكون أولى[٧].

٧-حكم القضاء على الغائب: ذهب جمهور الفقهاء المالكية، والشافعية، والحنابلة، وابن شبرمة والأوزاعي، والليث، وسوار، وأبو عبيد، وإسحاق، وابن المنذر إلى القول بجواز القضاء على الغائب في حقوق الآدميين إذا صح الحق على الغائب[٨]. واستدلوا بحديث الباب رقم ١٥٣٥ حيث قضى النبي ﷺ لامرأة أبي سفيان بالنفقة ولم يكن زوجها حاضرًا، ولأن الحاضر له بينة مسموعة عادلة فجاز الحكم بها[٩].

---

(١) بدائع الصنائع ٣٤/٤.

(٢) حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٧٣٢/٢، المغني ١٥٦/٨، بدائع الصنائع ٢٤/٤.

(٣) بدائع الصنائع ٢٤/٤.

(٤) بدائع الصنائع ٢٤/٤، المغني ١٥٢/٥.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٦) بدائع الصنائع ٢٤/٤.

(٧) المغني ١٥٦/٨.

(٨) حاشية الصاوي ٢٣١/٤، مغني المحتاج ٢٠٨/٦، المغني ١٣٨/١٠، شرح صحيح مسلم ٨/١٢، فتح الباري ٦١٥/٩.

(٩) المغني ١٣٨/١٠.

وذهب الحنفية، وشريح، وابن أبي ليلى، والثوري، والقاسم، والشعبي إلى القول بعدم جواز القضاء على الغائب[١]. واستدلوا على ذلك بما روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: ((إِذَا تَقَاضَىٰ إِلَيْكَ رَجُلَانِ فَلَا تَقْضِ لِلأَوَّلِ حَتَّى تَسْمَعَ كَلَامَ الآخَرِ فإنك لا تَدْرِي بما تَقْضِي)).

ويناقش هذا: بأنا نقول بالحديث، وذلك إذا تقاضى إليه رجلان وهذا يقتضي أن يكونا حاضرين، ويفارق الحاضر الغائب فإن البينة لا تسمع على حاضر إلا بحضرته والغائب بخلافه[٢].

٨-اعتماد العرف في الأمور التي ليس فيها تحديد شرعي[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستئذان عند الدخول.

ثانيًا: من آداب الداعية: بيان حقائق بعض الناس بوصفهمبما يوجب الحذر منهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إذن النبي ﷺ للرجل السيئ بالدخول عليه.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستئذان عند الدخول:

لقد أدبنا الله بالآداب الاجتماعية الإسلامية ذات الذوق الرفيع، ومنها أدب الاستئذان، وقد وردت الإشارة إليه في الحديث في فعل ذلك الرجل، "فعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال إئذنوا له"، فالاستئذان من الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده المؤمنين، أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده[٤]، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ

---

(١) بدائع الصنائع ٨/٧، المغني ١٣٨/١٠.

(٢) المغني ١٣٨/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٨/١٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٣٦/٦.

﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾[1]، إن هذه الآية ذكرت أدبًا من الآداب الاجتماعية وأساسًا من أسس الآداب والمدنية الإنسانية، فنادى المؤمنين بأكمل الأوصاف وأحب الألقاب إليهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا" أى: يا أيها الذين اتصفتم بالإيمان اعلموا أنه يدعوكم إلى الفضيلة والآداب، ويرشدكم إلى أنكم لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم، أي ليس لكم فيها حق السكنى والمنفعة "وإن كانت ملكًا لكم، لا تدخلوا حتى تستأنسوا وتستأذنوا، ولاشك أن الإذن يذهب الوحشة، ولذا سمي الإذن أنسًا، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[2].

والاستئذان يكون بقرع الباب، أو النداء لمن في البيت، أو التسبيح والتحميد أو صريح الاستئذان وغير ذلك.

ومنع الدخول قبل الاستئذان عام في الرجال والنساء، مع المحارم وغير المحارم، إذ كل إنسان له حالات لا يحب أن يطلع عليها أحد، ولو كان والدًا أو ولدًا، ولقد قال رجل للنبي ﷺ: أأستأذن يارسول الله على أمي؟ قالَ: «نعم»، قالَ: ليس لها خادمٌ غيري، «أأستأذن عليها؟» قالَ: «أتحبُّ أن تَراها عريانةً» قالَ الرجل: لاَ. قال: «فاستأذن عليها».

حتى تستأنسوا، وتسلموا على أهلها أي على من فيها، وظاهر الآية أن الاستئذان يحصل ثم السلام، وبعضهم يرى العكس، والبعض يرى أنه إذا رأى أحدًا في الدار سلم أولاً ثم استأذن: فإن لم ير استأذن أولاً.

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧-٢٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢٨.

"ذلكم خير لكم" وأفضل، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للسر، وأدعى إلى احترام البيوت والحرمات، ولا تظنوا أن في الاستئذان مذلة، بل هو خير لكم وأزكى، "لعلكم تذكرون" ذلك فتعملوا بمقتضاه.

ولا مانع من جعل حجرات الموظفين كالبيوت يحسن الاستئذان عند دخولها فلربما كان الموظف في شغل شاغل، أو عنده شخص في مصلحة لا يحب أن يطلع عليها أحد، وهذا بلا شك أحفظ للوقت، وأدعى إلى العمل والجد.

فإن لم تجدوا فيها أحدًا من ساكنيها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم، وهذا تعبير دقيق يشير إلى معنى أدق، فربما كان في البيت صاحبه، ولم يَرُدّ عليك ولم يأذن لك فيصدق على المستأذن أنه لم يجد أحدًا في البيت.

"وإن قيل لكم ارجعوا"، ولا تدخلوا، فارجعوا وامتثلوا أمر صاحب البيت فهذا حقه وهو حر فيه، والرجوع أزكى وأطهر، والله بما تعملون عليم ومحيط.

وقد يكون في البيت ما يدعو إلى الدخول بلا إذن، كحريق أو حادث أو استغاثة مثلاً وهنا تدخل بلا إذن. ولا حرج عليك.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ كالحوانيت ومحال البيع والشراء، وقد روى أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال: يا رسول الله فكيف يعمل تجار قريش الذين يختلفون من مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق فكيف يستأذنون ويسلمون؟ وليس فيها سكان؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية.

والمعنى أن البيوت العامة كالمقاهي والبيوت التجارية ما دامت مفتوحة فلا استئذان في دخولها.

وهل بيت الإنسان الخاص، الذي فيه أهل بيته يستأذن أم يكفي السلام فقط والإشعار بالحضور بأي شيء؟ الظاهر أن هذا يكفي.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾، فإن إباحة الدخول في الأماكن العامة

لغرض، أو في البيوت الخاصة مثلاً، قد يتخذه بعض الناس لغرض آخر سيئ، فجاء قوله تعالى: والله يعلم ما تبدون وما تكتمون، ليذكرهم بأن الله يعلم، وأنتم لا تعلمون وهو يعلم السر وأخفى.

ومن الآداب أنك عند زيارتك لإنسان، ووجدت الباب مفتوحًا، أن تقف بحيث لا تطلع على شيء في البيت، فقد روي «أن رجلاً اطلعَ من جُحرٍ في دارِ النبيِّ ﷺ -والنبيُّ ﷺ يَحُكُّ رأسَهُ بالمدرَى- فقال: لو علمتُ أنك تَنظرُ لطعَنتُ بها في عينك، إنَّمَا جُعلَ الإذنُ من قِبل الأبصار»[1][2].

ولقد كان ﷺ يعلم أصحابه الاستئذان، روى أبو داود في سننه بسنده عن ربعى قال: حدثنا رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت، فقال ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له: قل: السلام عليكم، أأدخل؟، فسمعه الرجل، فقال: السلام عليكم، أأدخل؟، فأذن له النبي ﷺ فدخل"[3]. وبذلك بين الإسلام أحكام التزاور، وآداب الاستئذان، وتحديد ما يحصل المقصود منه كيلا يكون الناس مختلفين في كيفيته، على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه والمفيد[4].

ثانيًا- من آداب الداعية: بيان حقائق بعض الناس بوصفهم بما يوجب الحذر منهم:

إن البيان والتبيين من الآداب الملازمة للداعية، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وبيان الحقائق، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[5]، [6]. ومن ذلك بيان حقائق الناس تحذيرًا منهم، كما جاء في الحديث عن

---

(١) أخرجه البخاري ٥٩٢٤ واللفظ له، ومسلم ٢١٥٦، بلفظ "من أجل البصر".

(٢) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج٢/ج٢٢/٦٠-٦٢.

(٣) أخرجه أبي داود ٥١٧٧، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨١٨).

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، مج٨/ج١٨/١٩٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٦) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال ائذنوا له، بئس أخو العشيرة"، وفي رواية البخاري: "أئذنوا له بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، قلت يا رسول الله: قُلْتَ الذي قُلْتَ ثم أَلَنْتَ له الكلام، قال: أى عائشة، إن شر الناس من تركه الناس، أو ودعه، اتقاء فحشه"[1]، قال ابن حجر: قال العلماء: تباح الغيبة في كل غرض صحيح شرعًا حيث يتعين طريقًا إلى الوصول إليه بها، كالتظلم والاستعانة على تغيير المنكر والاستفادة والمحاكمة والتحذير من الشر وغير ذلك[2]، قال النووي في شرح الحديث "أراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله"[3].

ومثل ذلك لا يدخل في إطار الغيبة، بل إنه من الصور المباحة وقد ذكر العلماء ستة أسباب لإباحة الغيبة، وقد ذكرها الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين، فقال:

اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا. قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[4].

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا فهل له ذلك، وما طريقي في الخلاص منه وتحصيل حقي ودفع الظلم ونحو ذلك؟ فهذا جائز

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٥٤.

(٢) فتح الباري ١٠/٤٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥٤٧.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤٨.

للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز إن شاء الله تعالى.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه؛ منها جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة. ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك أو مجاورته، ويجب على المشاوَر أن لا يخفي حاله بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة. ومنها إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يُغلط فيه، وقد يحمل المتكلم بذلك الحسد ويلبِّس الشيطان عليه ذلك ويخيل إليه أنه نصيحة فليُتَفطن لذلك. ومنها أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها، إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا أو مغفلاً ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس وأخذ المكس وجباية الأموال ظلمًا وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. فهذه ستة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه. ودلائلها من الأحاديث الصحيحة المشهورة[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إذن النبي ﷺ للرجل السيئ بالدخول عليه:

إن من أسباب انتشار الدعوة وإقبال الناس عليها انتهاج الداعية تأليف القلوب وقد

---

(١) رياض الصالحين، الإمام النووي، ٥٢٥-٥٢٧.

اهتم الإسلام بذلك لدرجة أن خصص سهمًا من الزكاة وجعل تأليف القلوب مصرفًا له، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾[1].

ومن تأليف القلوب إلانة القول وحسن المعاشرة، ومن ذلك ما جاء في الحديث من إذن الرسول ﷺ لذلك الرجل مع ما فيه من سوء، "فعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: "ائذنوا له". قال النووي: قال القاضي: "وإنما ألان له القول تألفًا له ولأمثاله على الإسلام. أ.هـ، وفي هذا الحديث مداراة من يتقي فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن فسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه، والنبي ﷺ لم يمدحه ولا ذكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه، إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام[2]، وذلك من أهداف الإسلام، فإنما جاء الإسلام ليجمع القلب، ويضم الصف إلى الصف، مستهدفًا إقامة كيان موحد منفيًا عوامل الفرقة والضعف، وأسباب الفشل والهزيمة، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية والمقاصد النبيلة والأهداف الصالحة التي جاءت بها رسالة الإسلام العظمى[3].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٤٧.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٨١.

الحديث رقم (١٥٣٤)

١٥٣٤- وعنها، قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَا أظُنُّ فُلانًا وفُلانًا يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا)). رواه البخاري[1].

قَالَ: قَالَ اللَّيْثُ بن سعدٍ (أحَدُ رُواة هَذَا الحديثِ)[2]: هذانِ الرجلانِ كانا من المنافِقِينَ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: سبق ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

قد يكون من الضروري بيان حال بعض الناس بذكر عيوبهم، واغتيابهم كالمنافقين، ومن يترتب على ستر حالهم ضرر للناس، وهذا الحديث يبين بطريقة عملية أمثال هؤلاء، ويبين حالهم للناس حتى يتقي الناس شرورهم، وقوله: (مَا أظُنُّ فُلاناً وفُلاناً يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا) أسلوب نفي يشير إلى جهلهم بأمور الدين، والظن هنا بمعنى الاعتقاد، وقوله (فلانا فلانا) كناية عن الرجلين، ونفي العرفان يشير إلى جهلهما أو نفاقهما، ونسبة الدين لضمير المتكلم العائد على الرسول ﷺ (ديننا) يشير إلى أنه لم يعتبر الإسلام دينا لهما فلم يقل من دينهم، و قَالَ اللَّيْثُ بن سعدٍ أحَدُ رُواة هَذَا الحديثِ: هذانِ الرجلانِ كانا من المنافِقِينَ.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: بيان حقائق المنافقين وأهل الباطل للحذر منهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ترخيص الإسلام في غيبة المنافقين، والمخادعين للحذر منهم.

أولاً- من واجبات الداعية: بيان حقائق المنافقين وأهل الباطل للحذر منهم:

لقد جاء في الحديث بيان رسول الله ﷺ عن حقائق بعض المنافقين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا

---

(١) برقم (٦٠٦٧).

(٢) هذه الزيادة من المؤلف.

شيئًا"، قال ابن حجر، مثل هذا الذي وقع في الحديث ليس من الظن المنهي عنه، لأنه في مقام التحذير من مثل ما كان حاله كحال الرجلين، والنهى إنما هو عن الظن السوء بالمسلم السالم في دينه وعرضه، وقد قال ابن عمر: إنا كنا إذا فقدنا الرجل في عشاء الآخرة أسأنا به الظن، ومعناه أنه لا يغيب إلا لأمر سيء إما في بدنه وإما في دينه[1]، وإنما كان من آداب الداعية بيان حقائق المنافقين لأجل أن يحذر الناس فسادهم فلا يغتروا بهم، فكم من إنسان طليق اللسان فصيح البيان إذا رأيته يعجبك جسمه وإن يقل تسمع لقوله، ولكنه لا خير فيه، فالواجب بيان حاله[2]، فمن أشر الناس على الإسلام والمسلمين، المنافقون فهم ينتحلون نِحَلاً شتى، ويدعون أنهم مسلمون، ويسعون بكل شر لأذية المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، ويَدَّعون كذلك أنهم ما فعلوا، ويحرصون بشتى المعاذير[3].

ولقد اهتم القرآن بشأن المنافقين وبيان حقائقهم وإظهار خطاياهم ليَحْذَرْهم المؤمنون، وأنزل الله سورة كاملة باسمهم وهي سورة المنافقون، وفي أول سورة البقرة تحدث القرآن عن المؤمنين في ثلاث آيات، والكفار في آيتين، أما المنافقون فقد استغرق الحديث عنهم ثلاث عشرة آية، وذلك لبيان مدى خطورتهم.

"إن من يتتبع تاريخ الإصلاح في كل أمة من الأمم يجد فيها المؤمنين والكافرين والمنافقين، ويجد أن المنافقين هم أضر عليها من أعدائها الكافرين، ومن أجل ذلك أطال القرآن في صفاتهم، وأكثر من ذكر فضائحهم ليحذرنا من التخلق بخلقهم، ويباعد بيننا وبين الانتساب إليهم، فهم عدو الأمة اللدود وداؤها العضال، وهم طريق نكبتها، وسبب استبعاد العدو لها وشقائها في هذه الحياة[4].

إن المنافقين دائمًا في كل أمة لا يُؤمن جانبهم، والنفاق لا تنكر مضاره ولا يستهان

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٠١.

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ٢/١٦١٠.

(٣) دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٨٨.

(٤) انظر: دعوة الرسل إلى الله تعالى، الشيخ محمد أحمد العدوي، ٤٧٠.

بها، فالنفاق والمنافقون سوس ينخر في عظام الأمم، وثغر تؤتى من جانبها.

إن مضار النفاق على صاحبه كثيرة منها:

أ- المنافق لا يقبل الله منه عملاً صالحًا.

ب- المنافق مريض القلب يفرح إذا أصاب المسلمين ضر، ويحزن إذا انتصروا، ويتربص بهم الدوائر.

ج- المنافقون بخلاء، ولكن ينفقون أموالهم رئاء الناس.

د- المنافق ضال باعتقاده وعلمه وعمله.

هـ- المنافقون والمراءون يتعذبون بأموالهم في الدنيا والآخرة.

و- الشدائد والمحن سرعان ما تظهر المنافق على حقيقته.

ز- المنافقون يلتمسون أدنى الأعذار للقعود عن الجهاد.

ح- المنافقون في كل مكان وزمان إخوة للكافرين والمشركين والملحدين يشدون أزر بعضهم.

ط- النفاق والرياء يوردان أصحابهما المهالك في الدنيا، وغضب الله وأليم عقابه في الآخرة.

ي- وهو محبط للأعمال مهما كثرت[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: ترخيص الإسلام في غيبة المنافقين، والمخادعين للحذر منهم:

جاء في الحديث ما يدل على ذلك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما أظن فلانًا وفلانًا يعرفان من ديننا شيئًا"، وقد ذكر العلماء ستة أسباب شرعية لجواز الغيبة، منها تحذير المسلمين من الشر وغير ذلك، قال النووي: اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أسباب: منها: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم، وذلك من وجوه منها: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب،

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم ١١/٥٦٣٠.

إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه[١]، فأظهر تلك الأسباب وأولاها بالبيان النفاق، وذلك أن حركة النفاق أخطر حركة على الإسلام فهو جاسوسية تعايش المسلمين في المساجد وفي الحروب وفي الأسواق وفي دور العلم وفي المنازل[٢]، ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق، كما أنزل سورة براءة فيهم، وسورة المنافقون، وذكرهم في سورة النور، وغيرها من السور تعريفًا لأحوالهم لتجتنب، ويجتنب من تلبس بها أيضًا[٣]، من تلك النصوص قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝ ﴾[٤]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥].

إن النفاق هو داء الجماعات في السلم وفي الحرب، فالمنافقون في الحرب يخذلون، ويبثون روح التردد، والتشكيك في الدعوة، والدعوة إلى الأثرة، والجهاد إيثار، وإلى الحرص، والجهاد فداء، وإلى مُتَع الدنيا، والجهاد رهبانية إيجابية، يدفع إلى الحياة العاملة المكافحة.

أما في السلم، فإنهم يشككون في تصرفات الأبرار المخلصين، ليوهموا الناس، أن كل الناس مثلهم، ليس فيهم أخيار منزهون، وأبرار متقون.

فهم يلمزون كل عمل صالح، ويوهنونه، ويثيرون الريب، وإن اتقاءهم بعدم السماع

---

(١) انظر: رياض الصالحين، النووي، ص٥٢٥-٥٢٧، الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ضبط: أحمد الشامي، ص٣٨٣-٣٨٤، وانظر ص وما بعدها من هذا المجلد.

(٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، د. رءوف شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ص ٣٢٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٧٣/١.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٨-١٠.

(٥) سورة النساء، آية: ١٤٢.

لهم، فهم أثاروا القول حول الصدقات التي يوزعها النبي ﷺ، ويقول سبحانه في ذلك: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[1].

وقد بين الله تعالى للأمة كلها مصارف الصدقات، حتى لا يماري منافق وليطمئن كل مؤمن، وقد وزعها سبحانه توزيعًا فيه التكافل الاجتماعي الكامل.

والمنافقون يؤذون النبي ﷺ، ويؤذون كل داعية للخير، لأنهم والخير نقيضان، إذا كشف أمرهم لا يقولون: كشف الله تعالى سرهم، بل يقولون: إن النبي ﷺ، يسمع أخبارهم، ويتعرف أسرارهم، وأن له من يسعى عليهم، ويقول سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

والمنافق دائمًا كثير الحلف بالله لضعفه النفسي، إذ النفاق منشؤه ضعف النفس لا مجرد إرادة النفع، فهو يحلف لستر موقفه، ولأنه مهين يريد رضا من ينافق معهم، ويخشى أن ينفضح سره، ويعرف أمره.

وإنهم مع كفرهم، وعدم إذعانهم للحق لفرط ضعفهم؛ يخشون أن تنزل سورة تكشف حالهم.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[3].

ومع هذا الهلع من أن يكشف سترهم يحادُّون الله ورسوله، ويستهزئون بآيات الله تعالى، ويتخذونها في مجامعهم هزؤا وسخرية.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦١.

(٣) سورة التوبة، آية: ٦٤.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾(١).

والمنافقون أشرار قد استمكن الشر في نفوسهم، لأن الكتمان تفرخ فيه الرذائل، والضوء يكشفها، ولأن محاولتهم ستر أحوالهم، يوقعهم في رذائل مترادفة رذيلة بعد رذيلة وكل واحدة تجر أختها، حتى يستمرئوا الشر، ويكون دينهم، ويختم الله على قلوبهم فلا يصل إليه خير، ولا ينضح منه ومن اللسان الا الشر، ولذلك قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

وقد بين سبحانه وتعالى عقابهم، وأنه عقاب الذين من قبلهم، وكانوا أشد قوة، واستمتعوا بالشر، ونالوا من الدنيا، وخاضوا في أهل الإيمان مثل الذين خاضوا.

ويضرب الله تعالى الأمثال من قوم نوح، وعاد وثمود، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، والمؤتفكة، فإن هؤلاء كفروا برسلهم، وكان النفاق والمنافقون من ورائهم، والنفاق غذاء الجحود، إذ يدفع الجاهلين إلى الكفر والعناد.

وفي مقابل ما توعد الله به المنافقين كان وعد الله تعالى للمؤمنين.

وإذا كان النفاق يفعل في الجماعات ذلك الفعل، فإن جهاده يكون في مرتبة جهاد الكفر، بل يكون قبل جهاد الكفر، وذلك لأن الكفر لا يستغلظ سوقه إلا بالنفاق، والمنافقون هم الذين يفسدون العقول فيصورون الحسن قبيحًا، والقبيح حسنًا، ولهذا أمر الله تعالى نبيه الكريم، وأمته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٣).

ويبين سبحانه وتعالى ما يفعله المنافقون في الجماعات الإسلامية، ووجوب جهادهم،

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٣

وذلك الجهاد يكون بألا يسمع لقولهم،ولو كانوا يحلفون، فذلك دأبهم يقولون وينكرون ما يقولون، ويحلفون أنهم ما قالوا، ومن جهادهم ألا يخوضوا في خوضهم، ومن جهادهم ألا يمكنهم من الجماعات الإسلامية.

وقد ذكر سبحانه أمارات النفاق أو بعضَها، وأولُها الكذب، وثانيها نقض العهد، والشح على الخير، ويقول:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[1].

أي إنهم في نفاق مستمر، نافقوا عندما أعطوا العهد، ولما اختلفوا زاد نفاقهم بسبب أنهم يكذبون، ويكذبون على الله سبحانه وتعالى، وهو يعلم سرهم وما يتجاوبون به بينهم، وإن المرء إذا سار في الشر أوغل فيه، وكلما سار زاد فسادًا.

وإنهم لا يكتفون بأن يشحوا على الخير، بل يتجاوزون ذلك إلى أن يلمزوا في القول موهنين شأن الذين يتصدقون الصدقات المفروضة، ويتطوعون بأكثر مما فرض، وهكذا يكون أهل الخير فريسة، أهل النفاق يصغرون أعمالهم، ويهجنون ما يكون منهم، ويستضحكون من أعمالهم، ولكن: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2][3].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٢) سورة التوبة، آية: ٨٢.

(٣) خاتم النبيين ﷺ، محمد أبو زهرة، ٢/١٤٣٨-١٤٤١.

الحديث رقم (١٥٣٥)

١٥٣٥- وعن فاطمة بنتِ قيسٍ رضي الله عنها ، قالت: أتيت النبيَّ ﷺ ، فقلتُ: إنَّ أَبَا الجَهْم وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ : ((**أمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ، وأمَّا أَبُو الجَهْمِ، فَلاَ يَضَعُ العَصَا**[1] **عَنْ عَاتِقِهِ**)) متفق عَلَيْهِ[2].

وفي رواية لمسلم[3]: ((**وَأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**)) وَهُوَ تفسير لرواية: ((**لا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**)) وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ.

ترجمة الراوي:

فاطمة بنت قيس: هي فاطمة بنت قيس بن خالد بن وهب القرشية الفهرية، أخت الضحاك بن قيس الصحابي وكان أميرًا لمعاوية، وكانت فاطمة أكبر منه بعشر سنين.

أسلمت بمكة، وهاجرت، فكانت من المهاجرات الأول[4] وكانت ذات جمال وعقل وكمال ونُبْل. كانت متزوجة من أبي عمر بن حفص المخزومي فطلقها، فجعلت أمرها إلى النبي ﷺ فأمرها أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم الفهري. ثم جاءت تخبره أن معاوية وأبا الجهم خطباها، فقال لها كما هو في الحديث المذكور، ثم أمرها أن تنكح أسامة بن زيد فقال لها: ((انكحي أسامة بن زيد))[5]. ولكونها حسيبة نسيبة كرهت وكره أهلها ذلك. فقال لها رسول الله ﷺ ناصحًا: ((طاعة الله وطاعة رسوله خير لك))[6] فأطاعت، وقالت لأهلها: لا أنكح إلا الذي دعاني إليه رسول الله ﷺ[7].

---

(١) لفظ مسلم: (عصاه).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٨٠/٣٦) ولفظه بتقديم معاوية على أبي جهم. وهو من أفراد مسلم ولم يخرجه البخاري كما في الجمع للحميدي (٢٨٠/٤، رقم ٣٥٣٥).

(٣) (١٤٨٠/٤٧) ولفظه: (وأما أبو جهم فرجل ضرّاب للنساء).

(٤) صحيح مسلم (١١٩-٢٩٤٢).

(٥) أخرجه مسلم (٣٦-١٤٨٠).

(٦) أخرجه (٤٧-١٤٨٠).

(٧) أخرجه أحمد ٤٣٢/٦ رقم ٢٧٧٣٣، وقال محققوه: حديث صحيح ١٢٦/٤٥.

فنكحته فقالت: فجعل الله فيه خيرًا واغتبطت به[١]. وقالت: فشرفني الله بأبي زيد وكرَّمني الله بأبي زيد[٢] [كنية أسامة] وفي طلاقها ونكاحها بعدُ سنن كثيرة مستعملة كما قال ابن عبدالبر، وهي التي انفردت برواية قصة الجسّاسة المطولة[٣] [وهي التي تتجسس الأخبار للدجال].

وقد اجتمع أهل الشورى في بيتها لما قتل عمر بن الخطاب، يختارون خليفة للمسلمين.

توفيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان[٤].

غريب الألفاظ:

الصعلوك: الفقير[٥].

فلا يضع العصا عن عاتقه: العاتق: هو ما بين العنق والمنكب والمراد هنا: كثير الأسفار أو كثير الضرب للنساء وهذا أصح[٦].

الشرح الأدبي

من الأمور التي تبيح للإنسان غيبة إنسان المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجبُ عَلَى المُشَاوَرِ أنْ لا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصيحَةِ، وهو ما يوضحه هذا الحديث توضيحا عمليا خلال فعل الرسول ﷺ، في رده على سؤال فاطمة بنتِ قيسٍ رضي الله عنها - (إنَّ أَبَا الجَهْمِ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟) استفهام غرضه الاسترشاد، والمشاورة فرد عليها بقوله (أمَّا مُعَاوِيَةُ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦-١٤٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٤٩-١٤٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (١١٩-٢٩٤٢).

(٤) الطبقات (٢٧٣/٨) والاستيعاب ٩٢٩، وأسد الغابة (٢٢٤/٧)، والإصابة ١٧٤٦، والسير (٣١٩/٢)، وتهذيب الكمال (٥٦٣/٨)، والتهذيب (٦٨٥/٤).

(٥) اللسان في (ص ع ل ك).

(٦) انظر: شرح مسلم ٩٣٧.

فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ) وأما تفصيلية لبيان حال كل منهما بما فيه والصعلوك الفقير، وقوله بعده (لا مال له) توكيد معنوي أو بيان لقوله صعلوك ولذلك فصلت عنها ولم تعطف عليها بالواو لأن العطف يقتضي المغايرة، وهما كالشيء الواحد لكمال الاتصال بين الجملتين، وقوله (وأمَّا أَبُو الجَهْمِ، فَلاَ يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ) كناية عن ضربه للنساء، ويؤكده رواية مسلم (وَأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّساءِ) وضراب صيغة مبالغة من الضرب وهو ما تشق معه الحياة، وَهُوَ تفسير لرواية :(لا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ) وقيل كناية عن كثرة أسفاره كما تقول لا يضع رحله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية سؤال أهل العلم والفضل واستشارتهم في بعض الأمور.

ثانيًا: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح وعدم المجاملة في الحق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية سؤال أهل العلم والفضل واستشارتهم في بعض الأمور:

إن المسلم ينبغي عليه السؤال والاستيضاح عما يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات وأمور المعاملات وطرق الخير وأبواب البر، وما يلحق بها من الأمور حتى يكون على بصيرة من أمره، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى رسول الله ﷺ في كل ما يعنُّ لهم[2]، حتى في اختيار الأزواج، كما جاء في الحديث: "عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ قلت: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني؛ فقال رسول الله ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا على عاتقه"، وفي ذلك دليل على أهمية الاستشارة خاصة في القضايا المصيرية كالزواج وغيره، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[3]، ووصف الله المؤمنين

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص١٧، ١٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

بالشورى وانتهاجهم لها في حياتهم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١]، أي: أنهم لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه، وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم وصدق تآخيهم في إيمانهم وتحابهم في الله تعالى[٢].

والشورى إنما تكون في كل أمر لم يرد فيه نص، قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وأما ما ورد فيه نص فلا رأي فيه، قال تعالى آمرًا نبيه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٣]. وامتدح المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٤].

إن الحق سبحانه يعلم أن القرار المصيري تتحمل تبعته الأمم، وأحيانًا لا يتحمل أولوا الأمر من آثار القرارات شيئًا، ولذلك أوجب الإسلام مشورة أهل الحل والعقد، في كل أمر يتعلق به مستقبل الأمة، تبصرة للحاكم، وحدًا من غلوائه وسلطانه، وحتى لا يتحول إلى مستبد يقول ما قاله غيره ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[٥].

وقد وضع الإسلام آدابًا لذلك، فلا يجوز إبداء الرأي فيما يجهل الإنسان، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٦]. ولا إبداء الرأي بهدف التضليل أو الغش، ولا فيما ورد فيه نص بالحل والحرمة في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٧] مع وجوب النصح لأولي الأمر، وفي

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٢) محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٨/١٤/٣١٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٥) سورة القصص، آية: ٣٨.

(٦) سورة الإسراء آية: ٣٦.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

الحديث عن تميم الداري أن رسول الله ﷺ قال: ((الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1][2].

ولقد كان رسول الله ﷺ في حياته وإدارته للأمور وشئون الحياة مثالاً حيًا للشورى وحياته ﷺ مليئة بالنماذج العملية والتطبيقية لمبدأ الشورى، من ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه: « أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ شَاوَرَ، حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا. قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلاَمٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ. فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ؟ فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ. وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، ضَرَبُوهُ. فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ. فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ. وَلَكِنْ هذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ. قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ». قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ : «هَذَا مَصْرَعُ فُلاَنٍ» قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ، هَهُنَا وَهَهُنَا. قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ، عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ »[3].

كذلك سار على نهجه ﷺ الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من سلفنا الصالح، فعن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، وإن علمه من سنة رسول الله ﷺ قضى به، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

(٢) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ص١٥٠، ١٥١.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٧٩.

وعلماءهم واستشارهم »[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الرجال ثلاثة: رجل يَرِدُ عليه الأمور فيسددها برأيه ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدًا ولا يطيع مرشدًا»[٢].

وقال علي رضي الله عنه نعم المؤازرة المشاروة، وبئس الاستعداد الاستبداد[٣].

قال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحًا بركة، لا يضل معهما رأى، ولا يفقد معهما حزم[٤].

إن في رجوع فاطمة بنت قيس لرسول الله ﷺ لاستشارته في اختيارها للزواج يعطينا الدلالة على أنه لا ينبغي أن يرجع بالأمر والشورى إلا لأهل الفضل، والخبرة ومن توافرت فيهم شروط الاستشارة والنصح، قال الإمام الماوردي:

وقد اشترطوا لأهلية المستشار شروطًا خمسة:

أ- عقل كامل مع تجربة سالفة، قال أبو الأسود الدؤلى:

وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ... وما كلّ مؤتٍ نصحه بلبيب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحدًا ... فحقٌ له من طاعة بنصيب[٥]

ب- أن يكون ذا دين وتقى، فقد ورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما، من أراد أمرًا فشاور فيه امرأً مسلمًا وفّقه الله لأرشد أموره.

ج- أن يكون ناصحًا ودودًا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأى.

د- أن يكون سليم الفكر من هم قاطع، وغم شاغل، فإن من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣/٣٥٤.

(٢) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٦٠.

(٣) المرجع السابق ٢٦١.

(٤) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٦٠.

(٥) السحر الحلال، قافية الألف ١/٢٥.

هـ- ألا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه، ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جاذبة والهوى صاد، والرأى إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد"[١].

واستشارة أهل العلم والخبرة من دلائل الفطنة، وقد أمر الله رسوله بالشورى لتقتدي به أمته، قال القرطبي، قال الحسن البصري والضحاك ما أمر الله تعالى نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته من بعده، ولله در القائل:

شَاوِر صديقَكَ في الخفي المُشْكل ... واقبَل نصيحَةَ ناصِح مُتَفضِّلِ

فاللهُ قد أَوْصَى بذاكَ نَبيَّهُ ... في قوله: شاوِرْهُمُ وتَوكَّلِ[٢]

ولقد كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يعمدون إلى أهل العلم والدراية والفقه والفطنة والقدرة على استنباط الأحكام، وإنهاء القضايا وحل المعضلات، ومن أمثلة ذلك ما كان يفعله من إدناء القراء والعلماء منه ومشاورتهم، ومن أدلة ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدمَ عيينة بن حصنِ بن حذَيفةَ بن بدر فنزلَ على ابن أخيه الحرِّ بن قيس بن حصن ـ وكان من النفر الذين يُدْنيهم عمرُ، وكان القراء أصحابَ مجلس عمرَ ومشاورَته كهولاً كانوا أو شُبانًا ـ فقال عيينة لابن أخيهِ: يا ابنَ أخي هل لكَ وجهٌ عندَ هذا الأمير فاستأذن لي عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباسٍ فاستأذنَ الحر لعيينة، فلما دخل قال: يا ابنَ الخطاب، واللّه ما تعطينا الجزْل، وما تحكمُ بيننا بالعدل. فغضبَ عمرُ حتى همَّ بأن يقع به، فقال الْحرُّ: يا أَميرَ المؤمنين، إنَّ اللّه تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[٣] وإنَّ هذا من الجاهلين. فواللّه ما جاوزَها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عندَ كتاب اللّه»[٤].

---

(١) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٦٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، مج٢/٤/١٥٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٤) أخرجه البخاري، ٤٦٤٢.

ثانيًا- من واجبات الداعية: البيان والإيضاح وعدم المجاملة في الحق:

إن من أهم واجبات الداعية البيان وتوضيح الحقائق للناس ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[1]، دونما مجاملة أو خشية من أحد، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2]، ففي هذه الآية يمدح تعالى: "الذين يبلغون رسالات الله" أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها، "ويخشونه" أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، "وكفى بالله حسيبا" أي: وكفى بالله ناصرًا ومعينًا. وسيد الناس في هذا المقام – بل وفي كل مقام-محمد رسول الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فقد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو، صلوات الله عليه، فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم، ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[3]، ثم ورث مقام البلاغ عنه أمته من بعده، فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه، بلغوا عنه كما أمرهم به في جميع أقواله وأفعاله وأحواله، في ليله ونهاره، وحضره وسفره، وسره وعلانيته، فرضى الله عنهم وأرضاهم، ثم ورثه كل خلف عن سلفهم إلى زماننا هذا، فبنورهم يقتدى المهتدون، وعلى منهجهم يسلك الموفقون. فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم[4].

والحديث يضرب لنا أنموذجًا تطبيقيًا ومثلاً حيًا لما ينبغي أن يكون عليه الداعية" فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت إن أبا جهم ومعاوية بن أبي سفيان خطباني، فقال رسول الله ﷺ أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه"، قال النووي: وفيه دليل على جواز ذكر الإنسان بما فيه عند المشاورة، وطلب النصيحة، ولا يكون هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٢٧/٦.

الواجبة[١]، وقال ابن عثيمين: (ففي هذا دليل على أن الإنسان إذا جاءك يستشيرك في شخص فذكرت عيوبه فلا بأس، لأن هذا من باب النصيحة، وليس من باب الفضيحة، وفرق بين من يغتاب الناس ليظهر مساوئهم ويكشف عوراتهم، وبين إنسان يتكلم بالنصيحة)[٢]، لذا ينبغي ألا يستشار إلا من عرف بالأمانة والإخلاص والعلم[٣]، والقوة في الحق.

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩٣٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦١١/٢.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٢٤٤٠/٦.

الحديث رقم (١٥٣٦)

١٥٣٦- وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قَالَ: خرجنا مَعَ رسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ أصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عبدُ اللهِ بن أُبَيّ لأصحابه: لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا[١]، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَأَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بذلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عبد الله بن أُبَيٍّ[٢]، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعلَ، فقالوا[٣]: كَذَبَ زيدٌ رَسُولَ الله ﷺ، فَوَقَعَ في نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أنْزلَ اللهُ تَعَالَى تَصْدِيقِي: ﴿ إِذَا جَاءكَ المُنَافِقُونَ ﴾ ثُمَّ دعاهُمُ النبيّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. متفق عَلَيْهِ[٤].

ترجمة الراوي:

زيد بن أرقم: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٤٦).

غريب الألفاظ:

حتى ينفضوا: حتى يتفرقوا[٥].

فاجتهد يمينه: أي: بذل ما وسعه في الحلف[٦].

فلووا رؤوسهم: أمالوا رؤوسهم من جانب إلى جانب وهو مثل لترك المكارم أو الرّوَغان عن المعروف وإيلاء الجميل[٧].

الشرح الأدبي

الشدائد تبين معادن الناس، وتميز منافقهم من مخلصهم، وهذا الحديث يحكي

---

(١) عندهما زيادة: (من حوله).

(٢) عندهما زيادة: (فسأله).

(٣) لفظ مسلم: (قال).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٠٣)، ومسلم (٢٧٧٢/١) واللفظ له.

(٥) القاموس المحيط في (ف ض ض).

(٦) الوسيط في (ج هـ د).

(٧) النهاية في (ل و ى).

موقفا من مواقف الشدة الكثيرة التي مرت بالمؤمنين، ومحّصتهم، وخلّصتهم مما اختلط بهم من زخم المنافقين، وقول الراوي (خرجنا مَعَ رسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ أصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ) التعبير بالخروج يفيد مفارقة الموطن الذي هو مظنة الأمن، وكفاية الحاجة، واتصال الفعل بضمير الجماعة يشير إلى أنهم كثيرون، ويؤكده لفظ الناس، والتعبير بالإصابة يدل على التحقق بدلالة الفعل، وبصياغته في الماضي كما أن التعبير بالإصابة يشير إلى شدة الأثر، والتعبير بالشدة يقرر صعوبة هذا الأثر، وقول المنافق عبد الله بن أبي (لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رسولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ) فيه نهي عن التعاون في وقت الشدة رغبة في تفريق الناس عن رسول الله، وقد بيَّن الغاية بقوله (حتى ينفضوا) والطباق بين الأعز، والأزل يبين المفارقة في القلب المنكوس الذي يظهر عكس ما يبطن، والأعين السقيمة التي رأت العز ذلا، ورأت الذل عزا، ،وقول زيد بن أرقم (فَأَخْبَرْتُهُ بذلِكَ) يشير إلى أنه لم ينهه عن الغيبة في هذا الموطن بدليل قوله (فَأَرْسَلَ إِلَى عبدِ الله بن أُبَيٍّ) ولكن المنافق كذاب معتاد (فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعَلَ) وهذا حال المنافقين في كل زمان يخدعون الناس، ويلبسون عليهم أمرهم وقوله (فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رَسُولَ الله ﷺ) اتصال واو الجماعة بفعل القول يشير إلى أن تكذيبه غلب علب اعتقاد الناس، وأن خداعه تمكن منهم وكون الكذب على رسول الله ﷺ يزيد الأمر شدة عليه مما أحزن زيد (فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ) والتعبير بالوقوع يوحي بقوة الأثر وامتلأ القلب بالحزن من اعتقادهم كذبه حتى جاءه الفرج من عند الله في سورة تفضح كيد المنافقين وتؤكد صدقه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم -على مصاحبة النبي ﷺ- في السفر وتحملهم للشدائد.

ثانيًا: من أصناف المدعوين: المنافقون.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: موقف المنافقين من الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتحريضهم على عدم الإنفاق.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: تكذيب المنافقين للمؤمنين وتبرئة الله تعالى للمؤمنين وكشف حقيقة المنافقين.

خامسًا: من مهام الداعية: التبين والتحقق.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم -على مصاحبة النبي ﷺ- في السفر وتحملهم للشدائد:

ورد في الحديث ما يدل على ذلك، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، في سفر أصاب الناس فيه شدة" يدفعهم إلى ذلك حبهم لنصرة الإسلام وحبهم لرسول الله ﷺ، وسيرة الصحابة رضي الله عنهم، حافلة بالأدلة والشواهد على مدى تحمل الصحابة الشدائد مع رسول الله ﷺ من ذلك ما روى عن قيس قال: سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: "إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزوا مع النبي ﷺ، ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة"[1]، وذلك من دلائل محبة رسول الله ﷺ، وقد ذكر الله السفر والجهاد مقرونًا بحبه سبحانه وحب رسوله ﷺ دليل على أنه أظهر العلامات على ذلك الحب، لأنه هو المحك الذي يتجلى فيه صدق هذا الحب وإيثاره على غيره من المحاب التي ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]، [3].

ثانيًا- من أصناف المدعوين: المنافقون:

أشير إلى ذلك الصنف في حديث: "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٢٨.

(٢) سورة التوبة، آية: ٢٤.

(٣) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٠/٢٤٢.

من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ..."، والمنافقون لهم من الخطورة ما لا يخفى على أحد، فهذا الصنف من البشر لهم نفسيات معقدة ومتعفنة، يتولد منها أدواء وعلل خطيرة وكثيرة، تحتاج إلى وقفات وعلاج، فهم ينتحلون نحلا شتى، ويدعون أنهم مسلمون ويسعون بكل شر لأذية المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، ويدعون كذلك أنهم ما فعلوا ويعتذرون بشتى المعاذير[1]. لذا حرص القرآن على إظهار مساويهم وكشف خباياهم وما يكنونه من شر وضرر وما تنطوي عليه قلوبهم من مرض، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[2]، وهم مخادعون مراءون متكاسلون عن العبادة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

إن النفاق هو داء الجماعات في السلم وفي الحرب، فالمنافقون في الحرب يخذلون، ويبثون روح التردد، والتشكيك في الدعوة، والدعوة إلى الأثرة، والجهاد إيثار، وإلى الحرص، والجهاد فداء، وإلى متع الدنيا، والجهاد رهبانية إيجابية، يدفع إلى الحياة العاملة المكافحة.

أما في السلم، فإنهم يشككون في تصرفات الأبرار المخلصين، ليوهموا الناس، أن كل الناس مثلهم، ليس فيهم أخيار منزهون، وأبرار متقون.

فهم يلمزون كل عمل صالح، ويوهنونه، ويثيرون الريب، وإن اتقاءهم بعدم السماع لهم فهم أثاروا القول حول الصدقات التي يوزعها النبي ﷺ، ويقول سبحانه في ذلك: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) انظر: دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي، ص ٨٨-٩٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠.

(٣) سورة النساء، آية: ١٤٢.

رَٰغِبُونَ﴾[١].

إن المنافقين أشرار قد استمكن الشر في نفوسهم، لأن الكتمان تفرخ فيه الرذائل، والضوء يكشفها، ولأن محاولتهم ستر أحوالهم، يوقعهم في رذائل مترادفة رذيلة بعد رذيلة وكل واحدة تجر أختها، حتى يستمرئوا الشر، ويكون دينهم، ويختم الله على قلوبهم فلا يصل إليه خير، ولا ينضح منه ومن اللسان إلا الشر، ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٢][٣].

وغير ذلك من الصفات المنكرة، لذا كانت عناية القرآن والسنة بكشفهم[٤]، وإظهار خلالهم للمسلمين حتى يأخذوا الحيطة والحذر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: موقف المنافقين من الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وتحريضهم على عدم الإنفاق:

قال عبدالرحمن الميداني: إن المنافقين صنيعة اليهود ليجعلوهم جيشًا داخليًا معاديا للإسلام والمسلمين، ويغزوهم بعوامل النفاق ليخذلوا عن الرسول ﷺ وقت الأزمات[٦]، والحديث يسجل موقفًا من مواقف هؤلاء اللئام، "فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبدالله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُ منها

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٣) خاتم النبيين، الشيخ محمد أبو زهرة، ١٤٣٨/٢، ١٤٣٩.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٦٦-٧٠.

(٥) سورة النساء، آية: ٧١.

(٦) انظر: مكايد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ص ٩٣-٩٤.

الأذل"، وقد سجل القرآن تلك المواقف ليجعلها المسلمون نصب أعينهم، يعرفون بها من والاهم ممن عاداهم، ومحبيهم من مبغضهم، قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾[1]، وذلك لإبعادهم عن تلقي الهدى النبوي، وعن أن يتقوى بهم المسلمون، ولتفرقهم بغية إضعاف قوى المسلمين، وبين الله سبحانه أن المنافقين لا يدركون دقائق المدركات وخفاياها[2]، فقال: ﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[3]، ألا ما أجدر بالمسلمين أن يأخذوا حذرهم ويحتاطون من أولئك الذين يسعون بكل شر لأذية المسلمين، وتشكيكهم في دينهم، متظاهرين مدعين حرصهم على مصلحة الإسلام والمسلمين[4].

وإن من يتتبع تاريخ الإصلاح في كل أمة من الأمم يجد فيها المؤمنين والكافرين والمنافقين، ويجد أن المنافقين هم أضر عليها من أعدائها الكافرين.

ومن أجل ذلك أطال القرآن في صفاتهم، وأكثر من ذكر فضائحهم ليحذرنا من التخلق بخلقهم، ويباعد بيننا وبين الانتساب إليهم، فالنفاق والمنافقون هم عدو الأمة اللدود، وداؤها العضال، وهم طريق نكبتها وسبب استعباد العدو لها وشقائها في هذه الحياة[5].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: تكذيب المنافقين للمؤمنين وتبرئة الله تعالى للمؤمنين وكشف حقيقة المنافقين:

لقد عنى القرآن بكشف حقائق المنافقين وأخلاقهم التي ينتهجونها مع المسلمين والتي منها أنهم يتهمون المؤمنين بالسفه، والأخلاق الذميمة كالكذب وغيره[6]، قال

---

(١) سورة المنافقون، آية: ٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، سماحة الإمام الطاهر بن عاشور، مج١١/ج٢٨/ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٣) سورة المنافقون، آية: ٧.

(٤) دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي وسبل علاجها، عبدالرحمن بن يوسف بن عيسى الملاحي، ص ٨٨.

(٥) دعوة الرسل، محمد أحمد العدوي، ٤٧٠.

(٦) انظر: فقه الدعوة: د. بسام العموش، ص ٦٦-٧٠.

تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، والحديث يسجل موقفًا عمليًا لذلك، قال زيد بن أرقم: "فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبدالله بن أبي، فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوه شدة، حتى أنزل الله تعالى على نبيه تصديقي: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾[2]، ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلوَّوْا رءوسهم"، قال النووي: وفي ذلك منقبة لزيد بن أرقم رضي الله عنه وفيه أنه لمن سمع أمرًا يتعلق بالإمام أو نحوه من كبار ولاة الأمور، ويخاف ضرره على المسلمين، أن يبلغه إياه ليتحرز منه[3].

خامسًا- من مهام الداعية: التبين والتحقق:

إن من أهم صفات المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة التبين والتحقق، ولقد أعطانا النبي ﷺ في ذلك الحديث، الأنموذج التطبيقي والمثل الحى لذلك، وذلك من إرساله إلى عبدالله بن أبى وسؤاله عما بلغه به عنه زيد بن أرقم: "فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبدالله بن أبى فاجتهد يمينه ما فعل"، وذلك امتثال لأمر الله بالتثبت قبل إصدار الأحكام واتخاذ القرارات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[4]، وسبب نزول الآية: ما روي عن الحارث بن ضرار الخزاعي، قال: « قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلى رسول الله ﷺ رسولاً، لإبان[5] كذا وكذا ليأتيك ما

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٣.

(٢) سورة المنافقون، آية: ١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٣٢.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٥) أي مطلع أو وقت كذا.

جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عزَّ وجلَّ ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتًا يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث، ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرَقَ فَرَجَع، فأتى رسول الله ﷺ وقال: يا رسولَ الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي؟ فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه، إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، ولمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلاّ حين احتبس عليَّ رسولُ رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عزَّ وجلَّ ورسوله، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ إلى هذا المكان ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1]»[2].

لتعرفوا الحق من الباطل، وتقفوا على حقائق الأمور قبل الوقوع في الأخطار[3]، والرسول ﷺ وما صدر منه في الحديث، من تثبت وإرساله إلى عبدالله بن أبى، يدلنا على مدى ما قد آتاه الله من براعة فائقة في سياسة الأمور، وتربية الناس، والتغلب على مشاكلهم[4]، وللداعي في ذلك السنن والعبرة والاتعاظ.

---

(١) سورة الحجرات، الآيات: ٦-٨.

(٢) أخرجه أحمد، ١٨٤٥٩، وقال محققو المسند حديث حسن (مسند الإمام أحمد، ٤٠٥/٣٠).

(٣) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، مج٣/ج٥٨/٢٦.

(٤) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٣٠٧.

الحديث رقم (١٥٣٧)

١٥٣٧- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قالت هِنْدُ امْرَأَةُ أَبي سفيَانَ للنَّبيِّ ﷺ: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِيني وولَدِي إلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ؟ قَالَ: ((خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

الحديث يتناول حالة اجتماعية بين هند امرأة أبي سفيان وبين زوجها تحكيها للرسول ﷺ بغرض بيان الحكم الشرعي، وقد تضمن حديثها غيبة لزوجها في أثناء خطابها للرسول ﷺ، ولم ينكر عليها صنيعها فهل تباح الغيبة في هذا الموطن ؟، وما سره ؟ هذا ما يعرضه هذا الحديث، وقولها (إنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ) وهو حكم مجمل ببخل زوجها تفصله بما بعده، وقد أكدت الكلام بأكثر من مؤكد حملا للمخاطب على الاقتناع بصدقها ووصفه بالشح وهو أشد البخل، وصياغته على فعيل وهي للمبالغة يؤكد شدة البخل والذي فسرته في أسلوب النفي في قولها (وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِيني وولَدِي) وقولها (إلاَّ مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ ؟) هو موضع الاستفتاء وسبب الغيبة بوصفه بالشح، والذي يكشف سببا من الأسباب التي تبيح الغيبة لأن النبي ﷺ أقرها بالسكوت عنه، وأباح لها أن تأخذ من مال زوجها بالمعروف في قوله (خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ) وقوله بالمعروف تكميل بلاغي وضع حدا للأخذ حتى لا يتخذ الحكم على إطلاقه وتستغله بعض النساء في سلب مال الزوج.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من الشح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة والأولاد.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٧١٤/٧).

ثالثًا: من آداب المدعو: الرجوع إلى أهل العلم والفضل.

رابعًا: من أهداف الدعوة: ضمان حق الكفاية للفرد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: التنفير من الشح:

إن الشح من ذميم الصفات التي نهى عنها الشرع، وتترفع عنها الفطر السوية، وكما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي"، والشح: حالة نفسية تقتضي منع الإنسان ما في يده أو في يد غيره[1]، بل وقد يصل بحال صاحبه إلى التطلع إلى ما حرم الله حفاظًا على ما يملك، قال ابن رجب الحنبلي: قال طائفة من العلماء: الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على أن يأخذ الأشياء من غير حلها ويمنعها من حقوقها، وحقيقته شره النفس إلى ما حرم الله ومنع منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أحل الله له[2]. وبيَّن الله تبارك وتعالى أن السلامة من الشح علامة الفلاح[3]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4]، وحذر النبي ﷺ من الشح في أحاديث بلغت حدًا في الكثرة، منها ما روى عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم[5]". فالشح من أسباب الهلاك فهو سبب من أسباب الظلم والبغي والعدوان وسفك الدماء كما أنه يجرئ على المعاصي وفعل السيئات، إضافة إلى ما يورثه من قطيعة الرحم وانفصام عرى المحبة وغير ذلك من الآفات والمضار"[6].

---

(١) الكليات، الإمام الكفوي، ٢٤٢.

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٦٩/١.

(٣) انظر: صحيح الوابل الصيب من الكلم الطيب، الإمام ابن القيم، ص ٥٠.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٦) انظر: موسوعة: نضرة النعيم ٤٦٩٤/١٠.

والشح من أشر الأمور إذا وجدت في إنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ»[١]. وهو من الصفات التي لا تتفق مع الإيمان فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدا وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدا»[٢]. والشح المذموم هو الذي يتعدى صاحبه الحلال إلى ما منع منه وهو مناف للإيمان، وقد قيل إنه رأس المعاصي كلها، أما من اقتصر على ما أبيح له فهو مؤمن[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل النفقة على الزوجة والأولاد:

إن من حقوق الزوجة والأولاد على الزوج والأب الفطرية التي صبغها الإسلام بصبغة دينية الإنفاق، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾[٥]، وجعل النبي ﷺ الأولوية في الإنفاق على من يعوله الإنسان فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((قال الله عز وجل «يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْهُ شَرٌّ لَكَ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»))[٦].

إن الإسلام ليعتبر الإنفاق على الزوجة والأهل من الصدقات التي يحصد ثوابها إن

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥١١ واللفظ له، وأحمد ٣٠٢/٢، ٣٢٠، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح ١٦٤/١٥، رقم ٧٩٩٧، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٣٠٦/٣) إسناده جيد، وصححه الشيخ الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٢).

(٢) أخرجه النسائي ٢٩٠٠، واللفظ له، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح (٢١٨/١٣) رقم ٧٤٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٢٩١٣).

(٣) شرح حديث "ماذئبان جائعان"، ابن رجب الحنبلي، ص٣١.

(٤) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٦) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

احتسب ذلك، فعن أبي مسعود البدري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً، وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»[١].

قال القرطبي: وقوله: إذا أنفق نفقه على أهله أي على زوجته وولده، ومعنى يحتسبها أي يقصد بها ثواب الله تعالى[٢].

وقال النووي: ومعناه إذا أراد بها وجه الله تعالى، فلا يدخل فيه من أنفقها ذاهلاً ولكن يدخل المحتسب وطريقه في الاحتساب أن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق على الزوجة، وأطفال أولاده، والمملوك، وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم، فينفق بنية أداء ما أمر به وقد أمر بالإحسان إليهم[٣].

إن نفقة الإنسان على أهله وأولاده قيام بما كلف من أعباء الرعاية نحوهم وإتيان بما هو مسئول عنه يوم القيامة، روي عن يونس عن الزهري قال: أخبرنا سالم بن عبدالله، عن ابن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّكم راعٍ، وَكلكم مَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ: الإمامُ راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، والرَّجُلُ راعٍ في أهلِهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدِهِ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ. قال: وَحَسِبتُ أَنْ قد قال: وَالرجلُ راعٍ في مالِ أَبيهِ وَمَسؤولٌ عن رعيَّتِهِ، وَكلُّكم راعٍ وَمَسؤولٌ عن رَعيَّتِهِ»[٤].

فقوله: "الرجل راع في أهله وقوله ﷺ "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٩، ومسلم ١٠٠٢.

(٢) المفهم ٣/٤٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦٣٩، ٦٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٩٣، ومسلم ١٨٢٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٨٥.

ومن هؤلاء المسئولين الرجلُ ورعايته لأهل بيته وأسرته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، فقد عنى الإسلام بالأسرة عناية خاصة، وجعل منها أساس المجتمع، وحتى يتحقق هدف الإسلام في بناء الأسرة على أساس متين، فقد وزع المسؤولية والأعمال توزيعًا جميلاً، ينتظم به شأن البيت من جهة، كما ينتظم به العمل خارجه من جهة أخرى، مع تحديد الواجبات والمسؤوليات على كل من الرجل والمرأة.

فالرجل راع على أهل بيته، فمن أوجب واجباته أن يسعى ويكد ينهض بالكسب، وما يحتاج إليه البيت من مال ونفقة[1]؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[2]. أي الرجل قيم على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، أي لأن الرجال أفضل من النساء، ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيمًا عليها كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[3] الآية. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني أمراء عليهن، أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله[4].

إن القيام بحقوق الزوجة والأولاد والإنفاق عليهم، له ثماره اليانعة، والنتائج العظيمة، التي ترجع للأهل والأولاد، وللوالد والمجتمع بأسره[5].

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. لقمان الأعظمي، ص٣٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ج٢/٢٠٥.

(٥) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح بن محمد بن فالح.

ثالثًا- من آداب المدعو: الرجوع إلى أهل العلم والفضل:

إن من آداب المدعو أن يسأل ويستوضح عما خفى أو أشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات وأمور المعاملات وغيرها، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1]، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم، يسألون رسول الله ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم في شئون الدين، بل في الكثير من شئون الدنيا[2]، ومن ذلك السؤال عن الإنفاق على الأهل والأولاد، وماذا يحق لهم لو بخل وشح عليهم عائلهم، كما نرى في الحديث في سؤال هند لرسول الله ﷺ: "قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح، وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم؟ قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"، أى من غير سرف ولا تقتير[3].

رابعًا- من أهداف الدعوة: ضمان حق الكفاية للفرد:

ذلك ما قرره النبي ﷺ في قوله لهند زوجة أبي سفيان "خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف"، قال النووي: في هذا الحديث فوائد منها: وجوب نفقة الزوجة، ومنها وجوب نفقة الأولاد الفقراء الصغار، ومنها أن النفقة مقدرة بالكفاية[4]، فإن من حق كل إنسان أن تهيأ له كفايته التامة من العيش بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة، من مأكل وملبس ومسكن وعلاج، وما يتصل بذلك مما يحتاج إليه الإنسان[5]، وذلك يقدر بقدر كفايتهم من القوت والملبس والمسكن وسائر الحاجات الضرورية التي لا يستغنى عنها الإنسان ليعيش، وتلك الكفاية ورعاية الأهل والأولاد،

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧-١٨.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ١٥٩٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ١١٠٢.

(٥) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٨.

تقي المجتمع من أن يتعرض للهزات التي تؤثر في كيانه، وتقيه شر التمرد عليه[١].

والنفقة على الأهل والعيال من أوجب النفقات على الإنسان، قال ابن علان: قال القرطبي: النفقة تعم الواجبات والمندوبات[٢]، ويستحق كل من سبق في استحقاق دعاء الملك "اللهم أعط منفقًا خلفا"[٣].

وضمان حق الفرد في الإسلام لا يقتصر على الزوجة والأولاد، وإنما هو حق كفله الإسلام لجميع أفراد المجتمع وأمر المجتمع بجميع شرائحه وفئاته أن يعملوا بهذا المبدأ على أرض الواقع ولا يقفوا عند مجرد اللافتات والشعارات.

إن من حق كل إنسان أن تهيأ له كفايته التامة من العيش بحيث تتوافر له الحاجات الأساسية للمعيشة، من مأكل وملبس ومسكن وعلاج وما يتصل بذلك مما يحتاج إليه الإنسان.

والواجب أن يكون للإنسان دخل كاف يحقق كفايته منه، عن طريق العمل المشروع، في زراعة أو تجارة أو صناعة، أو احتراف بحرفة نافعة للناس. سواء عمل الإنسان لنفسه أم لغيره بأجر يكافئ جهده.

فإذا لم يكن للإنسان دخل يكفيه، كان على أقاربه الموسرين أن يحملوه، لأنه جزء منهم، وهم جزء منه، وقد قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وإن لم يكن له أقارب موسرون، يستطيعون حمله، وجبت كفايته من الزكاة، التي فرضها الله على المسلمين، تؤخذ من أغنيائهم لترد على فقرائهم، فهي من الأمة وإليها.

ومن الجميل هنا: أن الزكاة لم تجب لتحقيق الكفاية فحسب للإنسان الفقير، بل لتحقيق تمام الكفاية له، ولمن يعول من أهل وأقربين، فالحد الأدنى المطلوب للفقير في

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ص٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٤٤٢، ومسلم ١٠١٠.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٧٥.

المجتمع الإسلامي، ليس هو حد الكفاف، ولا حد الكفاية، بل تمام الكفاية.

ولقد ذكر الفقهاء: أن كتب العلم من تمام الكفاية، وأن آلات الحرفة من تمام الكفاية.

بل اعتبروا الزواج لمن لا زوجة له من تمام الكفاية.

والمطلوب: تمام الكفاية له ولأسرته لمدة سنة كاملة.

بل ذهب الإمام الشافعي - وهو قول في بعض المذاهب الأخرى- إلى وجوب كفاية العمر للفقير، بحيث لا يحتاج إلى الزكاة مرة أخرى. وقد صح عن عمر قوله: "إذا أعطيتم فَأَغْنوا"، وقوله: "والله لأكررن عليهم الصدقة ولو راح على أحدهم مئة من الإبل". وهذا المقدار - مئة من الإبل- يساوي عشرين نصابًا من أنصبة الزكاة في الإبل.

وليست الزكاة هي الحق الوحيد في المال، بل هي الحق الدوري الثابت الذي وصل به الإسلام إلى أعلى درجات الإلزام، فاعتبر إيتاءها من أركان الإسلام الخمسة، وقرنها بالصلاة -عمود الدين- في عشرات المواضع من القرآن والحديث، وفرض أداءها طوعًا وبطيب نفس، وإلا أخذت كرهًا، ولو بقوة السلاح، حتى لا يضيع حق الفقير في تمام كفايته وكفاية أهله. ولا يجهل أحد حروب الخليفة الأول أبي بكر الصديق من أجل انتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء.

ومع هذا إذا لم تقم حصيلة الزكاة بتحقيق تمام الكفاية للفقراء والمساكين، وجب على أغنياء كل بلد أن يقوموا بكفاية فقرائهم، وإن لم يفعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم، ألزمهم السلطان بذلك باسم الشرع الذي أوجب التكافل بين المسلمين، واعتبرهم كالبنيان المرصوص، أو كالجسد الواحد، وليس بمؤمن من بات شبعانًا وجاره إلى جنبه جائع.

على أن دائرة هذا التكافل ليست مغلقة على المسلمين وحدهم، بل تشمل معهم من يعيش في ظل دولة الإسلام من أهل الذمة.

وقد رأينا عمر الفاروق يأمر خازن بيت المال أن يفرض ليهودي - رآه يسأل الناس- من بيت مال المسلمين ما يكفيه، وجعل ذلك قاعدة له ولأمثاله من أهل الكتاب،

وكتب بذلك عمر بن عبدالعزيز إلى بعض ولاته لينفذه.

كما أن عمر - وهو في طريقه إلى الشام - وجد جماعة مجذومين من النصارى، فأمر بإجراء القوت عليهم من الصدقات.

ثم إن موارد الدولة كلها يجب أن تكون في خدمة هذا الحق -حق الكفاية التامة - إذا لم تكف الزكوات وغيرها. وذلك بحكم مسئولية الدولة عن رعاياها[1].

---

(١) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٨٨-٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير، ومن الشواهد على ذلك في باب ما يباح من الغيبة، قول عائشة رضي الله عنها: «ائذنوا له، بئسَ أخو العشيرة؟»، وقوله ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلاَنًا وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا». وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر ... إذا جاءك المنافقون ...».

فهذه تربية بالتحذير من أهل السوء وذوي الأخلاق الرذيلة مع مداراتهم، حيث بيّن الرسول ﷺ في هذين الموقفين ما ينبغي أن يحذره المؤمن في مجال التعامل مع من لا خلاق لهم.

إن التحذير أسلوب تربوي توجيهي لتجنب المعاصي والبعد عن اقتراف ما نهى الله تعالى عنه، كما أن للتحذير أهمية في بيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه والنصيحة وغيرها، والرسول ﷺ لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه من خلاله الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية، حيث اعتمد التحذير كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين[1].

ثانيًا: التربية على استشارة أهل الفضل والعلم:

من أهداف التربية الإسلامية، الحث على استشارة أهل الفضل والعلم، والشواهد على ذلك في باب ما يباح من الغيبة، ما روي عن فاطمة بنت قيس، قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: «أَنَّ أَبَا جَهْمٍ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي ، فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فضراب للنساء» فهذا توجيه نبوي أراد النبي ﷺ من خلاله غرس قيمة استشارة أهل الفضل والعلم، ومن ثمرات الاستشارة في هذا الموطن أنها جاءت

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٥٠.

وقاية من الوقوع في ضرر الزواج ممن لا يناسب هذه المرأة من خلال بيان أسباب ذلك.

إن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع ما تكفل به من إرشاده، ووعد به من تأييده، فقال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1].

إن المشورة باب رحمة، ومفتاح بركة، لا يضل معها رأي، ولا يعقد معهما حزم: وقال ﷺ: «إسْتَرْشِدُوا العاقِلَ تَرْشُدُوا وَلا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا»[2].

قال الشاعر:

وأجب أخاك إذا استشارك ناصحًا ... وعلى أخيك نصيحة لا تردد[3]

ثالثًا: التربية على الصدق في النصيحة والتوجيه:

تهدف التربية الإسلامية إلى تربية النفوس على الصدق في القول والفعل والتوجيه، وقد عمل النبي ﷺ على ترسيخ تلك القيمة العظيمة في النفوس، وقد أراد النبي ﷺ أن يوضح أهمية الصدق في النصيحة وأنها لا تعد من الغيبة، إذا كانت لبيان واقع صحيح، أو تحذير من أمر خطير أو غير ذلك من الأسباب التي تباح فيها الغيبة، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: «إنَّ أَبَا جَهْمٍ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي، فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِه»، فهذا توجيه نبوي رائع ضُرب لنا المثل فيه في الصدق في التوجيه، لأنه إرشاد إلى مصلحة، والرسول ﷺ، علمنا في هذا الهدي وربانا على أنه يجوز ذكر الغائب بما فيه من العيوب التي يكرهها، إذا كان للنصيحة، ولا يكون حينئذ غيبة محرمة لأن من استشير لزمه القول بالحق، وأداء النصيحة، وليس ذلك في باب الغيبة لأنه لم يقصد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) مسند الشهاب لمحمد بن جعفر أبو عبدالله، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، تحقيق: محمد عيد الحمد السلفي.

(٣) أدب الدنيا والدين، ص٩٣.

بذلك لمزه ولاشفاء غيظه منه، فيجب على المسلم والمربي إذا سُئل عن شيء أن يبوح به ولا يكتمه[١].

رابعًا: التربية بالحوار:

من الأساليب التربوية التي حفلت بها التربية الإسلامية التربية بالحوار والرسول ﷺ كان حريصًا على تعليم الصحابة بطريق الحوار، من خلال ما يقومون بطرحه من أسئلة، ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح...»، فالرسول ﷺ بين لهند زوج أبي سفيان كيفية تعاملها في الجانب المالي مع زوجها أبي سفيان، حيث وضح ﷺ المقدار الذي ينبغي لها أخذه من مال زوجها، وهو على قدر كفايتها وأولادها، وهذا درس تربوي نبوي في معالجة مثل هذه المشكلات الاجتماعية والأسرية المتعلقة بمسألة الإنفاق والزوجة والأولاد، ليقتدى المعلمون والمربون بهذا الأسلوب في المشكلات الأسرية المتعلقة بهذا الجانب، ويحسن بالقائمين على أمور التوجيه والتربية الذين تعرض لهم مثل هذه المشكلات أن يفيدوا من العلاج النبوي بطريقة تربوية مناسبة تساعد على حل المشكلات حيث قال النبي ﷺ: لهند - زوج أبي سفيان:«خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف»، كما أن هذا الحوار اتسم بالتدرج حيث بدأ بالمناقشة حول الشح وحول الكفاءة في النفقة والرسول ﷺ أنس من هند رغبة في الحق فتابع السؤال معها، وبين لها الحقائق، وهذا مما امتاز به الحوار النبوي الصريح، والشاهد في الهدي النبوي التربوي أن هند ذكرت زوجها بما لا يعجبه، لكن كان على وجه الاستفتاء وسماع أحد المتخاصمين في حال غياب الآخر، حتى ولو كان هذا الوصف قبيحًا، من هنا نقول: إن أسلوب الحوار الذي دار في هذا الهدي أسلوب ناجح لما فيه من الاستجواب والإقناع[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ١/ ٤٢٠. أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٢٤٧.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٧. أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص١٦٨.

٢٥٧- باب تحريم النميمة

وهي نقل الكلام بَيْنَ الناس عَلَى جهة الإفساد

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[ن: ١١] وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨].

الحديث رقم (١٥٣٨)

١٥٣٨- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**)).متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

غريب الألفاظ:

نمام: النميمة: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم[٢].

الشرح الأدبي

الحديث قصير في غاية الإيجاز مع قمة الوفاء بالمعنى في لافتة قصيرة تعجل بالحكم، الذي يقضي بحرمة الجنة على النمام عن طريق (لا) النافية الداخلة على المضارع المستمر بدلالة النفي ن والنمام صيغة مبالغة تدل على كثرة إتيان الفعل الذي صيره فقيرا في الآخرة من الحسنات غنيا بالسيئات التي ألقيت عليه من الذين اغتابهم، فما له إلا النار، وعبارة الرسول ﷺ بهذا الإيجاز تحقق أبعاداً نفسية متعددة منها، المحافظة على نشاط النفس؛ لأن الكلام الموجز غير المخل المؤدي للغرض والموصل للمعنى بأقصر عبارة أدعى للمحافظة على نشاط نفس المتلقي في متابعته وإبعاد السأم

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥/١٦٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٥٠).

(٢) النهاية في (ن م م)، وشرح صحيح مسلم ١٦٠.

والملل عنها؛ ولذلك نجد البلاغيين يؤكدون على هذا البعد النفسي للإيجاز يقول أبو هلال العسكري: (للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال دعا إلى الاستثقال، وصار سبباً للملال. ..)[1] ومن مميزات هذه العبارة الموجزة التوسع في الدلالة الإيحائية: وهو من الأبعاد النفسية التي تفيدها ظاهرة الإيجاز، ويتثمل في فتح باب التخيل والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يخيل عقله مما ينسجم مع حاله، فيخيل إليه أن تلك النميمة ستكون سدا بينه، وبين الجنة، وقد يكون هذا النمام له عمل صالح كأن يكون مصليا ومزكيا وغيره، مع النميمة التي تقف به خارج باب الجنة في حسرة ليس له منها خلاص.

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم النميمة: أجمعت الأمة على أن النميمة محرمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله[2].

٢-الأحاديث تدل على عظيم ذنب النمام[3].

٣-حكم الاستتار والاستنزاه من البول: الحديث يفيد تحريم ملامسة البول وعدم التحرز منه بالاتفاق. وقد اختلف في إزالة النجاسة هل هي فرض أو لا؟ فقال مالك: إزالتها ليست بفرض وقال الشافعي: إزالتها فرض ما عدا ما يعفى عنه. وهو الراجح كما اختلفوا في عدم الاستتار هل هو من الكبائر أو من الصغائر على قولين: قيل من الكبائر، وقيل من الصغائر، والراجح أنه من الكبائر عند الله، وإن لم يكن بكبير

---

(١) الصناعتين لأبى هلال العسكرى، تحقيق: د. مفيد قميحة، ص٨٠.

(٢) جمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ٥٥٢/٢، الفواكه الدواني ٢٨٠/٢، الزواجر عن اقتراف الكبائر ٣٤/٢-٣٥، مطالب أولي النهى ٢٠٤/٢-٢٠٥، سبل السلام ٣٤٢/٤.

(٣) سبل السلام ٣٤٢/٤-٣٤٣.

في مشقة الاحتراز منه[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفى والترهيب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن النميمة وخطر الوقوع فيها.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي والترهيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا يدخل الجنة نمام". حيث نفى دخول النمام الجنة. وهو أسلوب نفى مقرون بالترهيب من النميمة، حيث بين رسول الله ﷺ أن النميمة تكون سببًا في عدم دخول الجنة، وهذا الأسلوب من الأساليب المؤثرة في المدعو، لأن الأخبار بعدم دخول النمام الجنة فيه ترهيب كبير يؤدي إلى زجر النفوس عن ذلك، "وأسلوب الترهيب يقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن النميمة وخطر الوقوع فيها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة نمام"، قال النووي: قال العلماء: النميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم[٣].

وقال الغزالي: ما ملخصه: ينبغي لمن حملت إليه نميمة أن لا يصدق من نمّ إليه، ولا يظن بمن نم عنه ما نقل ولا يبحث عن تحقيق ما ذكر له، وأن ينهاه ويقبح له فعله، وأن يبغضه إن لم ينزجر، وأن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فينم هو على النمام فيصير نمامًا[٤].

وقد استفاض النقل من الكتاب والسنة في التحذير من النميمة، ورتب على ذلك وعيدًا شديدًا. والنهي عنها معلوم لدى عامة المسلمين، ومع ذلك تجد أن كثيرًا من

---

(١) سبل السلام ١/١٧١-١٧٢.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٠.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٤٨٨، نقلًا عن الإحياء للغزالي، ٣/١٦٢٧.

الناس لا يتورع عن إطلاق لسانه في أعراض الناس ولحومهم ولكن هو تزيين الشيطان لهم، ليفرق جمعهم ويوغر صدور بعضهم على بعض، فالشريعة جاءت بجمع الكلمة، وتأليف القلوب، وإحسان الظن بالناس، وقول الحق وطيبه ... والشيطان يسعى إلى تفريق الكلمة، وتنفير القلوب بعضها من بعض، وسوء الظن بالناس وقول الباطل وخبيثه. فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[1].

قال النووي: ومعناه: أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن نحوها[2].

والنميمة إحدى بذور الشحناء والخصومات التي بين الناس، والشيطان أخبرنا عنه مولانا أنه عدو لنا، والعدو لا يريد لنا الخير -لاشك في ذلك- وأمرنا أن نعاديه ونحاربه ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

والنميمة من أسلحة إبليس وحزبه، في التفريق بين الناس، وشحن قلوب بعضهم على بعض، وهما من الأدواء التي تهلك الفرد وتفرق الجماعة، فتجعل الفرد من الناس على خطر من أن يناله ما أعده للنمام، وهي تنشئ القطيعة بين الأهل والأقارب وبين الناس[4].

قال الطيبي حكى: أن حكيمًا زاره أحد وأخبره عن غيره بخبر، فقال أبطلت زيارتي، ثم أتيتني بثلاث جنايات: بغضت إلى أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة[5].

فالنميمة من أخطر المفاسد بين الناس، وفي المجتمع، وذلك لأنها تؤدي إلى الجفاء والأحقاد والتقاطع بين الناس، فينبغي على المسلم حتى ينال رضا الله ويدخل جنته أن

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨١٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٤٨.

(٣) سورة فاطر، آية: ٦.

(٤) انظر: كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ص١١٩، ١٢٠.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٢/٩.

يبعد عن النميمة.

قال الشاعر:

تنح عن النميمة واجتنبها ... فإن النم يحبط كل أجرٌ

يثير أخو النميمة كل شر ... ويكشف للخلائق كل سِرٌ

ويقتل نفسه وسواه ظلما ... وليس النم من أفعال حُرٌ[1]

وقال القرطبي: وفيه دليل: على أن النميمة من الكبائر، وإنما كانت كذلك لما يترتب عليها من المفاسد والشرور[2].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم، ٥٦٧١/١١ نقلاً عن موارد الظمآن للشيخ عبدالعزيز السلمان، ٣٨٥/٣.

(٢) المفهم ٣٥٥/١.

الحديث رقم (١٥٣٩)

١٥٣٩- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فقَالَ: ((إنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! بَلَى (إنَّهُ كَبِيرٌ)[1]: أمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ)). متفق عَلَيْهِ[2]. وهذا لفظ إحدى روايات البخاري.

قَالَ العلماءُ معنى: ((وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)) أيْ: كَبِيرٍ فِي زَعْمِهِمَا. وقِيلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

لا يستتر من بوله: لا يتجنبه ويتحرز منه[3].

الشرح الأدبي

قول الراوي (أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ) يشير إلى مكان له خصوصية لاسيما عند الموعظة، و لفظ القبر من الألفاظ الموحية بطبيعتها بمعانٍ تنقبض لها النفوس لأنه يوحي بالوحشة، والظلمة، وغائب الأهوال، وقول الرسول ﷺ (إنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ) يقرر أنهما في العذاب، وهو خبر يمهد به لما بعده وهو بيان سبب العذاب تحذيرا من التلبث بمثله، وقوله (وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ! بلى إنه كبير) إثبات بعد نفي من عبقريته ﷺ في لفت انتباه المخاطب، وزيادة ترقبه مع تقرير معنى جديد، قِيلَ الْمَعْنَى لَيْسَ بِكَبِيرٍ فِي الصُّورَةِ ؛ لِأَنَّ تَعَاطِي ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الدَّنَاءَةِ وَالْحَقَارَةِ، وَهُوَ كَبِيرٌ فِي الذَّنْبِ، وَقِيلَ: لَيْسَ بِكَبِيرٍ فِي اعْتِقَادِهِمَا أَوْ فِي اعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِينَ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: " وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ " وَقِيلَ: لَيْسَ بِكَبِيرٍ فِي مَشَقَّةِ الِاحْتِرَازِ أَيْ

---

(١) هذه الزيادة ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٦٠٥٥): (إنه لكبير).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٨) واللفظ له، ومسلم (٢٩٢/١١١)، والسياق للمنذري في ترغيبه (٤١٥١).

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٩١.

كَانَ لا يَشُقّ عَلَيْهِمَا الِاحْتِرَاز مِنْ ذَلِكَ، وَقِيلَ لَيْسَ بِكَبِيرٍ بِمُجَرَّدِهِ، وَإِنَّمَا صَارَ كَبِيرًا بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَيْهِ، وَيُرْشِد إِلَى ذَلِكَ السِّيَاق فَإِنَّهُ وَصَفَ كُلًّا مِنْهُمَا بِمَا يَدُلّ عَلَى تَجَدُّد ذَلِكَ عَنْهُ وَاسْتِمْرَاره عَلَيْهِ لِلْإِتْيَانِ بِفِعْلِ الْمُضَارَعَة بَعْد كَانَ [1] وقوله (أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ) تفصيل بعد إجمال حيث ذكر مثنى في الكلام مجملا ثم تبعه بتفصيله يقرر خطر المشي بالنميمة، والتعبير بالمشي بها كناية عن ملازمتها وتحريها، وخطر عدم الاستتار الذي صوره المضارع الدال على الاستمرار، والتجدد، وهو تحذير، وترهيب من التلبث بهذين الذنبين اليسيرين في تجنبهما، وفي نظر الناس، العظيمين في عاقبتهما، وعقابهما.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عذاب القبر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر النميمة بين الناس وعدم التنزه عن البول.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعًا: من آداب المدعو: عدم الاستهانة بالذنوب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عذاب القبر:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، مر بقبرين فقال: "إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير ...".

والإيمان بنعيم القبر لأهل الطاعة وبعذاب القبر لمن كان مستحقًا له من أهل المعصية والفجور من أصول الإيمان التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة[2].

ودليل عذاب القبر من القرآن قول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

---

(١) ينظر حاشية السندي على سنن النسائي حديث ٣١

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص ٢٢١

ٱلْعَذَابِ﴾[١]، قال القرطبي: (الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر)[٢].

وقال ابن كثير: (وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور)[٣].

ودليل عذاب القبر من السنة حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر"[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطر النميمة بين الناس وعدم التنزه عن البول:

يظهر ذلك في قول رسول الله ﷺ : «إِنَّهُما لَيُعَذَّبانِ وَما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، بَلى إِنَّهُ كَبِيْرٌ: أمَّا أحدُهُما، فكان يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ، وأما الآخَرُ، فكان لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ».

قال النووي: قوله ﷺ : «وما يعذبان في كبير بل إنه كبير» فثبت بهاتين الزيادتين الصحيحتين أنه كبير، فيجب تأويل قوله ﷺ وما يعذبان في كبير. وقد ذكر العلماء فيه تأويلين: أحدهما أنه ليس بكبير في زعمهما. والثاني أنه ليس بكبير تركه عليهما. وحكى القاضي عياض تأويلاً ثالثًا أي ليس بأكبر الكبائر، قلت: فعلى هذا يكون المراد بهذا الزجر والتحذير لغيرهما أي لا يتوهم أحد أن التعذيب لا يكون إلا في أكبر الكبائر الموبقات، فإنه يكون في غيرها. وسبب كونهما كبيرين: أن عدم التنزه من البول يلزم منه بطلان الصلاة، فتركه كبيرة بلا شك والمشي بالنميمة والسعي بالفساد من أقبح القبائح، لاسيما مع قوله ﷺ : "كان يمشي" بلفظ كان للحالة المستمرة غالبًا والله أعلم»[٥].

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٤٥-٤٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، مج٨/١٥/٣١٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/١٤٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٨٦٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ٢٩٠.

وقال محمد عبدالعزيز الخولي: ينبئنا الرسول ﷺ أن من الذنوب ما يعده الإنسان صغيرًا، لا يبالي أن يقترفه، ولا يأبى ارتكابه ويظنه هين الشأن. وهو سيء المغبة مؤلم العاقبة وأن من ذلك عدم الاستتار وقت قضاء الحاجة، فتبدو للناس عورته كالحيوان البهيم. مع أن الله كرمه على سائر الخلق ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1]. ويفقد حياءه وتضيع كرامته ويصبح حقيرًا شأنه شأن الدواب. أَوْ ألاّ يحترز من البول فتصيبه النجاسة، وتتناثر على جسمه وملابسه فتلوثها وتجعله مستقذرًا في أعين الناس وتفسد صلاته وعبادته، ومن ذلك أيضًا. السعي بالنميمة ونقل الكلام بين الأصدقاء والخلان بقصد الإضرار بهم وإفساد صداقتهم ومودتهم، وكشف ما يكره كشفه من أمورهم سواء أكان ذلك بالقول أم بالكتابة، وسواء أكان المنقول من الأعمال أم من الأقوال ولذا كان خطبها جسيمًا وعاقبتها سيئة.

ولقد قال الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنةُ نمَّام»[2].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله تعالى، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبَرَاء العنت»[3].

وقال الحسن: من نم إليك نم عليك.

ومعنى هذا، أن النمام ينبغي أن يبغض، ولا يوثق بقوله ولا بصداقته. وكيف لا وهو لا ينفك عن الغدر والخيانة والإفساد بين الناس، وهذا من آفات اللسان التي يجب على المسلم أن يحذر منها ويأخذ نفسه ولسانه على الحق، ومحبة الناس والعمل لخيرهم والبعد عما يضرهم ويسيء إليهم[4].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٠.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥٩/٦ رقم ٢٧٥٩٩، وقال محققو المسند: حسن بشواهده ٥٧٥/٤٥.

(٤) انظر: الأدب النبوي ٢٥٢، ٢٥٣.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك من عموم الحديث، حيث رهّب ﷺ من المشى بالنميمة بين الناس وعدم الاستبراء من البول وجعلهما سببًا لعذاب القبر.

وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المؤثرة، ذلك لأن النفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب، لمن طغى وبغى وعاند وعصى. فإذا ما أحسن الداعية في عرض ما لديه من قول وإيراد ما عنده من استشهادات قرآنية وحديثية فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه، لأن الإنسان لا يتحمل تلك الزواجر مجرد سماع فكيف إذا كانت حقيقة، وكفى بالموت واعظًا، وهو من أعظم الزواجر والمرهبات والمنذرات والمخوفات، فإنه يأتي بلا استئذان. فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واستعد له بحب الله وحب رسوله، وطاعتهما حق الطاعة[1].

رابعًا- من آداب المدعو: عدم الاستهانة بالذنوب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وما يعذبان في كبير" قال ابن علان، قال العلماء معنى: "وما يعذبان في كبير أى: كبير في زعمهما"، أى: أنهما لاستخفافهما بأمور الديانة يريان ذلك غير كبير، "وقيل: كبير تركه عليهما"، وقد جاء أن المنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على أنفه فدفعه فاندفع، وأن المؤمن يراه كالجبل يخشى أن يقع عليه أولا يريان بتركه مشقة لخفة ذلك عندهما وهو عند الله كبير، أى: باعتبار ما عند الله وباعتبار إثمه وتبعته[2]، فينبغي على المدعو عدم الاستهانة بالذنوب.

فمحقرات الذنوب تجر الإنسان إلى التمادي وإلى الهلاك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنّ العَبْدَ إذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٥١٥.

(٢) دليل الفالحين ١٥٩٣.

نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فإذَا هو نَزَعَ واستَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُه وَإنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ وهُوَ الرَّانُ الذي ذَكَرَ الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]»[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه))[3].

إن البناء الشاهق، يبني لبنة لبنة، والمسافة الطويلة، تقطع مرحلة مرحلة، والشجرة الضخمة، تبرز رويدًا رويدًا، والرجل الفارع كان نطفة نمت قليلاً قليلاً، وهذه سنة من سنن الحياة، وقانون من الله، نبهنا رسول الله ﷺ إليه، وحذرنا من تجاهله، في تكوين شخصيتنا، وأسلوبنا في الحياة، فإن ملكة الخير تتكون رويداً رويدًا، وفعلاً فعلاً، فالكريم يتعود على إنفاق القليل، ثم يتدرج منه إلى الكثير، والعابد يتدرج في الخضوع، إلى أن يحظى بالقرب، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، والشجاع يدرب في موقعة بعد موقعة، ومعركة إثر معركة، حتى يشار إليه بالبنان، وترهبه الأعداء، فأعمال الخير يُعلِّمُها الإنسان ويعتادها ويتدرب عليها حتى تصير له سجية، وتصبح له عادة، وهذا قد يكون واضحًا في الحياة يعلمه الناس ويدريه المربون، وقد تعدى هذا إلى تعليم الحيوان وتعويده وتدريبه على أشياء ليست من طبعه، ولا من طبيعته، وما ذلك إلا بالتدريب والتدرج والصبر، وإذا كان هذا في الخير، فهو كذلك في الشر، وإذا كان هذا واضحًا في البر، فهو ظاهر في الإثم، كما بينه لنا رسول الله ﷺ في الحديث الشريف فإن الشرير لا يولد شريرًا. والمجرم لا يخرج من بطن أمه مجرمًا، يقول الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[4]، ((وَكُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ))[5]. وإنما يتحول هذا الإنسان رويدًا رويدًا، وشيئًا

---

(١) سورة المطففين، آية: ١٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٣٣٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦٥٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٣/١ رقم ٣٨١٨، وقال محققو المسند حسن لغيره ٣٦٨/٦.

(٤) سورة النحل، آية: ٧٨.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٥٩، ومسلم ٢٦٥٨.

فشيئًا، حتى يصير عاتيًا في إجرامه، مدمرًا في انحرافه، فمثلاً يبتدئ السارق بشيء قليل، ونذر يسير، ثم يتدرج من ذلك إلى الاحتراف، وقطع الطريق، وتهديد الممتلكات، والسفاح يبتدئ بغلظ القلب، وقتامة النفس، وإيذاء الخلق، ثم بجريمة واحدة، ثم يهون عليه الأمر ويسعد به، ويعده من مفاخره وكمال رجولته، وشارب الخمر ومدمن السكر، يعافه حتى الكأس الأولى والرشفة الأولى والزجاجة المتقدمة، ثم بعد ذلك، يشرب البرميل حتى الثمالة، وقد يستهين الإنسان بالإثم القليل ويهون في عينه، ولكنه في الحقيقة أول الطريق إلى الهاوية، ونقطة الانحدار الأولى إلى الجحيم، ومن هنا نعلم تحذير رسول الله ﷺ وقوله الذي لا ينطقه عن الهوى، «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»، أرأيت هذا القانون الذي أعطاه لنا رسول الله ﷺ، في يسر وبدون عسر ليحفظ المسلم من كل سوء، ويحميه من كل انحراف، وقد وضح لنا رسول الله ﷺ ذلك، وضرب لنا مثلاً لهذه المحقرات من الذنوب، كيف تهلك الإنسان وتمحقه، وهو يستهين بها، مثلها رسول الله ﷺ بأعواد من الحطب، تجمع من هنا وهناك، حتى تصير كومة تشعل حريقًا، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ ومُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ))[1].

ولا نقول إن هناك من لا يخطئ أو يقترف الدنايا، "فكل ابن آدم خطاء"، ولكن نقول إن هناك فرقًا بين من يخطئ ويتوب، ويقلع، ويحاسب نفسه، ويرجع إلى فطرته، ومن يخطئ ويتمادى، ويزين له فعله ويعاود إثمه، في غير ما تفكير، أو رجوع، أو ندم، أو توبة، فهذا هو من يحق عليه القول، ويعرض نفسه للهلكة والضياع. نسأل الله السلامة والتوفيق والسلام[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٣١/٥، رقم ٢٢٨٠٨، وقال محققو المسند: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين ٤٦٧/٣٧.

(٢) سلوك المسلم، د. توفيق الواعي، ص١١٥، ١١٦.

الحديث رقم (١٥٤٠)

١٥٤٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: ((**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

العَضْه: وروي (العِضهُ) وهي: الكذب والبهتان، وعلى الرواية الأولى: العَضْهُ مصدر يقال: عضه عضها، أي: رماه بالعَضْه[2].

القالة بين الناس: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكي للبعض عن البعض[3].

الشرح الأدبي

إذا نظرنا إلى أسلوب الرسول ﷺ نظرة تحليلية من بدايته نجد أنه صدر كلامه بالأداة (ألا) وهي من الحروف الهوامل، ولها مواضع منها: أن تأتي حرف استفتاح يبتدئ بها الكلام، كقول أبي العتاهية:

ألا من لمهموم الفؤاد حزينه ... إذا ابتز منه العزم ضعف يقينه

وإذ هو لا يدري لعل كتابه ... سيعطاه منشوراً بغير يمينه[4]

وفائدتها المعنوية. توكيد مضمون الجملة وكأنها مركبة من همزة الإنكار وحرف النفي، والإنكار نفي. ونفي النفي إثبات، وركب الحرفان لإفادة الإثبات والتحقيق فصارا بمعنى (أن) إلا أنهما لا يعملان.

---

(١) برقم (٢٦٠٦/١٠٢).

(٢) رياض الصالحين ٥٢٩.

(٣) النهاية في (ق و ل).

(٤) ديوان أبي العتاهية ط/ دار صادر.

وقد تدخل (ألا) على النداء، وقد تأتي للتحضيض، والعرض ومن مواضعها – أن تأتي للعرض فتختص بالدخول على الفعل، ولا شك في كونها إذن مركبة من همزة الإنكار، وحرف النفي، والفرق بين (ألا) التي للعرض و (ألا) الاستفتاحية أن الأخيرة تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية في حين تختص (ألا) التي للعرض بالدخول على الجملة الفعلية على الصحيح ومن مواضعها أن تكون تمنيا، وتنصب بعدها النكرة بلا تنوين كقولك: (ألا ماء بارداً)[1] وألا في قول الرسول ﷺ: (ألا أنبئكم) جاءت للعرض بدليل دخولها على الجملة الفعلية. واكتسب الأسلوب تشويقه من بقية السياق حيث تلى (ألا) بالفعل (أنبئكم) الذي يدعم التشويق بصيغته، كما يصعده بمتعلقاته، واستعمال هذه الأداة – في الأغلب مع هذا الفعل وأمثاله – كـ (أخبركم، أعلمكم، وأدلكم) تمهيد لشيء. خطير. ثم يبدأ في رفع درجة التشويق عن طريق اللفظ الغريب (ما العَضْهُ) الذي يصعِّد الترقب، وغرابة اللفظ تشير إلى غرابة العمل عن أخلاق المجتمع الفاضل، ولما توفر له القدر المطلوب من الترقب، والاستشراف لمعرفة المضمون قرر المعنى الذي يريده (هي النَّمِيمَةُ ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) حتى يكف كل واحد منهم لسانه، ويحذر هذا الخطر إذا أن خطر الغيبة أمر معروف عندهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال.

ثانيًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم ويفسد ذات بينهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والبهتان وأثر ذلك على المجتمع.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ألا أنبئكم ما العِضَه؟ هي النميمة، القالة بين الناس".

قال ابن عثيمين: (هذا من أساليب التعليم الجيدة، وهي أن يلقي المعلم السؤال على المخاطبين للتنبيه، حتى يستثير أفهامهم ويعطوا الكلام انتباهًا "ألا أنبئك ما العضة"

---

(١) ينظر مغنى اللبيب لابن هشام ١٩/١ وما بعدها.

والنبأ والخبر في اللغة العربية معناها واحد، والعِضَهُ، من القطع والتمزيق ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[1] يعني قطعًا وأجزاء يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، فما هي الأداة المفرقة للأمة الممزقة لهم، قال: هي النميمة أن ينقل الإنسان كلام الناس بعضهم في بعض، من أجل الإفساد بينهم، وهي من كبائر الذنوب.

وفي هذا: دليل على حسن تعليم النبي ﷺ، حيث يأتي بالأساليب التي يكون فيها انتباه المخاطب، ولا سيما إذا رأى الإنسان من المخاطب غفلة، فإنه ينبغي أن يأتي بالأسلوب الذي ينبهه؛ لأن المقصود من الخطاب هو الفهم والاستيعاب والحفظ، فيأتي الإنسان بالأساليب المفيدة في ذلك[2].

ثانيًا- من واجبات الداعية: تحذير المدعوين مما يضرهم ويفسد ذات بينهم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "ألا أنبئكم ما العِضَهُ؟ هي النميمة؛ القَالَةُ بين الناس" فقد حذر النبي ﷺ من النميمة وذلك لما توقعه بين الناس من العداوة والبغضاء فهي تضر بهم وتفسد ذات بينهم.

وعلى الداعية أن يحث المدعوين بلزوم ما حثهم عليه دينهم من المحبة والائتلاف وينهاهم عن التفرق والاختلاف، وأن عليهم عمل جميع الأسباب المقربة للقلوب والبعد عن العداوات والضغائن التي لا تكسب إلا شرًا، وأن يحذروا سماسرة الأعداء الذين يُلْقون بين المسلمين بذور العداوة والشقاق، ويدّعُون أنهم مسلمون، وإنما هو غل ونفاق. والداعية هو الذي يسعى في جمع كلمة المسلمين واتفاقهم، ويحذر غاية التحذير من تدابرهم وافتراقهم[3]، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾[4].

---

(١) سورة الحجر، آية: ٩١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦١٤/٢، ١٦١٥.

(٣) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي، ص ٥٩، ٦٠.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من الكذب والبهتان وأثر ذلك على المجتمع:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "ألا أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة؛ القالة بين الناس" قال النووي: (... ورُوي "العِضة" بكسر العين وفتح الضاد المعجمة على وزن العدة، وهي الكذب والبهتان...)[1].

وقد نهى المولى تبارك وتعالى عن طاعة الذي يمشي بين الناس بالكذب والنميمة فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[2] فنهى تعالى عن طاعة الهماز الطعّانِ، العيّابِ المغتابِ، الذي يمشى بين الناس بالوشاية، وبالإفساد، لأنه باعث الفتن وزارع الإحن، ومقطع الصلات، ومفرق الجماعات، يجعل الصديقيْن عدوَّيْن، والأخويْن أجنبيين، والزوْجَين متنافرين، والولد حربًا لأبيه، والأب ضدًا لبنيه، فهو غراب بين، ونذير شر، وحمال حطب، ومشعل لهب، فكانت طاعته حرامًا. ونهيه لزامًا، وقد أمرنا الله تعالى بالتثبت في خبره والتحري عن صدقه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[3]، بل إن كنت مؤمنًا كريمًا فلا تشغل نفسك بحديث الأنمّاء، ولا تضيع من وقتك في تسمع أخبار السفهاء. وظن الخير بإخوانك وأقربائك واتهم النمام الجهول؛ بل قبح له عمله، وبغض إليه نمّه، وقل له: لا تفسد بيني وبين إخواني، ولا تُبَغّض إلي أعواني، وخير لك أن تذكر ما يزيد الصلة متانة. وعرى الإخاء وثاقة، وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء، ينقل عنك إلى غيرك. فلا تجعله موضعًا لثقتك، واجعل وشايته دبر أذنك.

واعلم أن نقل الأنباء قد تكون فيه مصلحة شرعية، ومنفعة عمومية. كمن ينقل إلى شخص مكيدة يدبرها له الخصوم من قتل أو سرقة؛ وكمن يعرّف الأئمة والملوك سيرة الحكام الظالمين، والموظفين الخائنين، فهذا لا حرج فيه بل ذلك واجب، حقنًا

---

(١) رياض الصالحين، النووي، ص ٥٢٩.

(٢) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.

(٣) سورة الحجرات، آية:٦.

للدماء، والأموال، ونصحًا للرعية والولاة. والدين النصيحة.

وقد بين الرسول ﷺ أن الجنة لا يدخلها قتات، لأنها دار المتقين، وهذا من المجرمين، ما لم يكن له من الحسنات ما يمحو أثر السيئات، أو الغرض من العبارة التحذير من القت، والتنبيه إلى خطر النم؛ أو المراد: لا يدخلها أول الأمر. حتى يطهّر بالنار من خبث الوزر؛ ثم يدخلها طاهرًا طيبًا[1].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالحرمان:

من أساليب التربية الإسلامية "العقوبة" والتي منها الحرمان، وقد استعمل الرسول هذا الأسلوب في التربية ومن الشواهد على ذلك قوله: «لا يدخل الجنة نمام»، فهذا أسلوب نبوي ظهر فيه أن من يفعل ذلك يحرم من الجنة، وفي هذا الهدي النبوي فائدة كبيرة في التربية تساعد على ضبط النفس وعدم تجاوز الحدود حتى يكون ذلك رادعًا لمن يحاول أو يباشر هذا، تلك السلوكيات التي تكون سببًا في إفساد العلاقات بين الناس، ويجدر بالقائمين على أمور التربية أن يفيدوا من هذا الأسلوب التربوي، ولكن بالطريقة المناسبة والقدر المناسب، لأن المبالغة في استعمال الحرمان كأسلوب للتقويم، قد تؤدي إلى نتائج عكسية، ولأن التمادي فيه قد يؤدي إلى الانحراف السلوكي من أجل الإشباع مما جُرم منه كما انه لا يعمد لهذا الأسلوب إلا الذي أعيته الأساليب والوسائل التربوية الأخرى، كما أن التربية لا تتبع أسلوب الحرمان على الإطلاق، ولكن لأجل إحداث التغيير الإيجابي في السلوك، فإذا تحقق الهدف، فإن الحرمان يتحول إلى عطاء وجزاء وترغيب وتحفيز في تحيل الثواب.

ثانيًا: التوجيه غير المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية: التوجيه غير المباشر، وهذا الأسلوب من الأساليب المهمة في حياتنا، وذلك لأن الحياة لا تخلوا من المواقف والأحداث التي قد يحتاج المربي فيها إلى التوجيه غير المباشر لمناسبته، والرسول ﷺ في هذا الباب استخدم هذا الأسلوب التربوي ليدلل على أهميته في حقل التربية، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ».

إن النبي ﷺ استخدم هذا الحدث في بيان التوجيهات التربوية التي تعالج مواطن الخلل السلوكي في مثل هذه الأمور التي قد لا ينتبه إليها أو إلى أحدها كثير من الناس، مثل: النميمة التي استشرت في كثير من الأوساط الاجتماعية، أو عدم التنزه

عن البول، ومن ثم فقد أراد النبي ﷺ ألا يفوت هذا الحدث - مرور بقبرين - فقال: إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم بيّن ﷺ أسباب ذلك العذاب وفي هذا توجيه غير مباشر، وهو توجيه قوي يأخذ بتلابيب النفس لأبعادها عن هذا السلوك المشين غير المحمود العاقبة، والذي يؤدي إلى نوع من الفزع النفسي أن يواجه الإنسان هذه النهاية الأليمة في الحياة البرزخية، ومن ثم فإن المسلم يربأ بنفسه أن يأتي مثل هذه السلوكيات الخاطئة، وبالتالي يراجع نفسه ويصحح سلوكه، ويسعى إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والأنماط السلوكية الإيجابية.

ثالثا: التربية بالتشويق:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتشويق لما فيها من نزوع النفس إليه وشوقه إليه، والرسول ﷺ أراد التشويق إلى معرفة الآثار السيئة لتلك القيمة السلبية المتمثلة في النميمة، فقال في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم ما العضة...» فهذا نموذج تربوي استعمل فيه النبي ﷺ أسلوب التشويق باعتباره أسلوب من أساليب التربية النبوية لما فيه من جذب الانتباه إلى ما سيخبر به النبي ﷺ أصحابه، فالرسول ﷺ أخبر أصحابه عن النميمة، وأراد بذلك تشويقهم إلى معرفتها لأنه أراد أن يثير في نفوسهم أخبارها ومعرفتها مما سيكون له الأثر في عدم القيام بها لما فيها من ضرر شديد، وأراد النبي ﷺ أيضًا بيان أنه يجوز تبين أمر الفاحش والنمام ليحذره الناس، والرسول ﷺ أراد أن يبين أيضًا أن من ضروب الكذب التي تدل على أن صاحبها ذو نفسية مريضة لا هم له إلا رؤية الناس متعادين متخاصمين، وأن أكبر سلاح يحارب به النمام هو عدم الاستماع له، وهذا ما يأمرنا به الله سبحانه في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[1]. فالمشاء هو الذي تربى على المشي بنقل الكلام بين الناس، وهذا ما عبر عنه النبي ﷺ في حديثه "بالعِضَةُ" والرسول ﷺ: قال في حديث آخر بين فيه أنه أن صاحب النميمة لا يدخل الجنة، حيث قال: «لا يدخل

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.

الجنة نمام»، فهذا منهج نبوي نتعلم منه أيضًا أن الله قد أعد العذاب الشديد الذي يناله صاحب هذه العادة المتمثل في دخول النار، والذي تربى على هذا الخلق الذميم فإنه يصحبه "النفاق، والخداع، والكذب"، ومن هنا حذرت التربية الإسلامية النبوية من النميمة[1].

رابعًا- التربية بإثارة الاهتمام بخطر ما يستصغر:

من أهداف التربية الإسلامية إثارة الاهتمام بخطر ما يستصغر من الذنوب، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب تحريم النميمة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ...»، فهذا التوجيه النبوي التربوي يكشف لنا عن سلوكيات خطيرة يحتقرها بعض الناس ولا يلقى لها هما أو بالاً وفي نفس الوقت سببٌ في هلاكه، لأنه استصغر المعاصي والذنوب، والرسول ﷺ أثار الاهتمام بخطر ما يستصغر من الذنوب ولو أخذ الناس بهذا الاهتمام لجنب الأمة كثيرًا من الألم والمآسي، وأيضًا هذا التوجيه تنبه له الصحابة فكان له أثر كبير في اجتناب كثير من الصحابة الكرام، هذه الفتن التي تبدأ في دول الأمم صغيرة ثم بعد ذلك تصير كبيرة، من أجل هذا اهتم الله بالتنبيه إلى عظم الصغائر فقال: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[2]. فهذا توجيه من الله بعدم استصغار الذنوب واعتبارها هينة وصغيرة واللامبالاة بشأنها، فحرى بالمرء أن لا يقول بلسانه إلا ما يعلمه ويتحققه[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٢٢١، وروح الدين الإسلامي. عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٢٣٣.

(٢) سورة النور، الآية: ١٥.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٥٦.

٢٥٨- باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس

إلى ولاة الأمور إذا لم تدعُ إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢]. وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

الحديث رقم (١٥٤١)

١٥٤١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فإنِّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

يحرص الإسلام على نقاء الصدور وسلامة النية، وطهر الباطن، ونبل الغاية، وحسن التوكل على الله، وكثير من آيات القرآن، وأحاديث الرسول ﷺ، دعت إلى سلامة الصدر أو ما يؤدي إلى سلامة الصدر وهذا الحديث صورة عملية من صور تنقية الصدور، ومنع غائلتها وكف أسبابها فصدَّر الحديث بالنهي العام في قوله (لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئاً) وهو نهي عن التبليغ أي التوصيل، والإخبار، والإعلام، والتعميم يفهم من النكرة (أحد) التي وقعت في سياق النفي، كما أن تنكير (شيئا) يفيد التقليل فيعم إخباره بالصغيرة أو بالكبيرة، ثم علل لهذا النهي بما يحقق الإقناع

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠) واللفظ له، والترمذي (٣٨٩٦). قال الترمذي: هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه، وقد زيد في هذا الإسناد رجلٌ. ثمّ ساقه بالزيادة برقم (٣٨٩٧).

قلتُ: هذ الراوي الذي زيد في الإسناد الثاني، هو السّدي، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، والحديث بإسناديه ضعيف، فيه: زيد بن زائد أو: زائدة تفرد بالرواية عنه الوليد بن أبي هشام.

العقلي ببيان العلة بعد الإقناع القلبي بالإيمان بالله وطاعة رسوله ﷺ في قوله (فإنِّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ) وسلامة الصدر كناية عن خلو القلب مما يبغضه، والتعبير بالكناية يصور هذا الخبر المنقول بالسوء عن أصحابه كالمرض الذي يصيب الصدر، ويحدث له به الألم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أسالب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على عدم إبلاغه شيئًا مما قاله أصحابه.

ثالثًا: من صفات الداعية: سلامة الصدر.

رابعًا: من أهداف الدعوة: النهي عن كل ما يؤدي إلى الضغائن.

أولاً- من أسالب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا..." وهو نفي بمعنى النهي، أي لا يوصلني[1]. حيث نهى رسول الله ﷺ أصحابه عن تبليغه عن أحد شيئًا مما يكرهه أو يعود إليه بضرر[2].

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في النهي عما يخالف الدين أو الأخلاق أو عن الأشياء التي فيها ضرر.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم على عدم إبلاغه شيئًا مما قاله أصحابه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر".

قال ابن عثيمين: (وهذا من حكمة الرسول ﷺ، أنه لا أحد ينقل إليه كلام

---

(١) تحفة الأحوذي ٢/٢٦٤٧.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٥٩٤.

الناس، لكي لا يقع في قلبه شيء على هذا المتكلم، فيحب أن يخرج إليهم وهو سليم الصدر، ولهذا كثيرًا ما يكون الإنسان محبًا لشخص يقدره ويرى أنه رجل كريم ورجل سليم، ثم إذا نقل إليه شيء عن هذا الرجل كرهه ونفر منه وصار يبغضه)[١].

من أجل ذلك حث رسول الله ﷺ أصحابَه على عدم إبلاغه شيئًا مما قاله أصحابه مما يكره.

ثالثًا- من صفات الداعية: سلامةُ الصدر:

يستنبط هذا من عموم الحديث حيث نهى رسول الله ﷺ أصحابَه عن تبليغه شيئًا عن أحد، وذلك من أجل سلامة صدره.

وكان من دعائه ﷺ: ((وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي))[٢] أي: غشه وغله وحقده[٣].

وهذه منقبة وخلة عظيمة الشأن، قليل هم الذين يتحلون بها؛ لأنه عسير على النفس أن تتجرد من حظوظها، وتتنازل عن حقوقها لغيرها، هذا مع ما يقع من كثير من الناس من التعدي والظلم، فإذا قابل الناس وجهلهم وتعديهم بسلامة صدر، ولم يقابل إساءتهم باساءة، ولم يحقد عليهم، نال مرتبة عالية من الأخلاق الرفيعة والسجايا النبيلة[٤].

فينبغي على الداعية أن يتحلى بسلامة الصدر.

لأن الداعية الحق شخصية متميزة، فهو كالمنارة الهادية من بُعْدٍ لمن ضل أو حار، وهو كالظل الوارف لمن لفحه حر الشمس والمسير في الهجير، وبالتالي فهو نقطة تجمُّع بالنسبة للمدعوين، ولذا فإنه يحتاج إلى أن يتحلى برحابة الصدر وسماحة النفس ليستوعب الناس ويستميلهم للخير والحق[٥].

ولا مناص للداعية من مخالطة الناس، ولا مندوحة حينئذ من احتمال خطئهم،

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٦١٦/٢.

(٢) أخرجه الترمذي ٣٥٥١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٨١٦).

(٣) تحفة الأحوذي ٢٥٠٤/٢.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ص ٣٣٣.

(٥) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ١٠٠.

والصبر على أذاهم ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾[1].

وليس الاحتمال النفسي أدنى من الاحتمال البدني بل هو في الحقيقة أعظم وأثره أكبر، (وهو الصبر على مشتهيات النفس فإن كان صبرًا عن شهوة البطن سمي عفة، وإن كان الصبر في قتال سمي شجاعة، وإن كان في كظم غيظ سمي حلمًا، وإن كان في نائبة مضجرة سمي سعة صدر، وإن كان في إخفاء أمر سمي كتمان سر، وإن كان في فضول عيش سمي زهدًا، وإن كان صبرًا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة[2]، وكل ذلك مما تدعو طبيعة الدعوة أن يتحلى به الداعية.

والناس مشاربهم شتى، وسلوكياتهم متباينة، واحتياجاتهم كثيرة، واستفزازاتهم مثيرة، وهذا لابد أن يقابله الداعية بالاحتمال، لأن الاحتمال -كما قيل- قبر المعايب، وقد يكون الداعية لديه القدر الكافي من العلم، وعنده الموهبة الجيدة في التخطيط، ولكنه لا يملك القلب الرحيب الذي يشدإليه الأتباع، ولا النفس الصافية التي تقرب إليها الأرواح فينفض عنه الناس)[3]. لذا تتضح أهمية تحلي الداعية بصفة سلامة الصدر وسعته.

رابعًا- من أهداف الدعوة: النهي عن كل ما يؤدي إلى الضغائن:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث نهى رسول الله ﷺ عن تبليغه عن أحد ما يجعله يكرهه أو يتضايق منه.

ويكون المِخبُر سببًا في هذه الكراهية وهذا الضيق وإثارة الأحقاد والضغائن، ومن أهداف الدعوة أن تكون الشخصية الإسلامية فاتحة للخير مغلاقة للشر، فيجب أن يفيض من تلك الشخصية الإسلامية الخير تجاه العمل الإسلامي، فتبدأ بالحركة والدعوة وفتح أبواب الخير للناس، وغلق أبواب الشر، فإن الإسلام لا يقتصر على أن يجعل الإنسان صالحًا راشدًا في ذات نفسه، بل يجعله فوق ذلك مفتاحًا للخير مغلاقًا

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ص ١٠١، ١٠٢.

للشر[١]. كما ورد في الحديث النبوي: ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ. وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ. فَطُوبى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ. وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ))[٢].

فينبغي على المدعو أن يحرص على عدم النميمة والوقيعة بين الناس أو تبليغ ما يكون سببًا في العداوة حتى يكون مفتاحًا للخير مغلاقًا للشر.

فالنميمة وهي ذلك الكلام الذي من شأنه أن يثير الفتنة بين الناس، ويجعل نار العداوة قائمة بينهم، مما يجعل قلوبهم تملئ غضبًا وسخطًا تجاه بعضهم البعض، فهي من الأمراض الخطيرة والمستقبحة في هذه الحياة، وهي منتشرة بين الناس وشررها قد أصاب الجميع. فنرى مثلاً رجلاً ينقل كلمة قالها مرؤوس، فيبلغها إلى رئيسه مما يحصل بذلك ضرر على المرؤوس من فصلٍ عن عمله وما إلى ذلك، أو كلمة تتسبب في انفصال الزوجين، أو التفريق بين الأقارب وهكذا. وهذه العادة تأباها النفس الكريمة، وتخلو منها الشخصية الإسلامية، لأنها من أسوأ الخلال الذميمة، تدل على أن صاحبها يحمل نفسًا سقيمة وذو طبيعة لئيمة، يهوى إفشاء الأسرار والضرر بالآخرين، لأنه ربما أدت تلك النميمة التي مشى بها إلى سفك الدماء، وهي بسبب ذلك محرمة[٣].

---

(١) انظر: الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، الكويت، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢٣٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٤)..

(٣) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في باب النهي عن نقل الحديث قوله ﷺ: «لا يُبْلِغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُم وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». نهى النبي ﷺ أصحابه أن يقوم أحدهم بإبلاغ النبي ﷺ شيئًا عن أحد أصحابه لأنه لا يريد أن يتأثر بأي شيء مما يبلغه ليؤكد على أهمية الحفاظ على الصفاء والمودة من كل ما يكدرها بسبب نقل الكلام..، لذا ينبغي للمسلم العلم بأن السلامة لا يعدلها شيء. وعلى هذا فإذا استوت المصلحة وعدمها، في أي كلام، كان تركه أفضل، وهذا مظهر من مظاهر المسؤولية الشخصية في الإسلام فينبغي على المسلم أن لا ينطق إلا بالخير والإصلاح[1].

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[2].

"وينبغي عند إجراء عملية التوجيه المباشر في التربية مراعاة التدرج في النصح والإرشاد ثم إشعار محل التوجيه بالاهتمام، ثم مراعاة أن تكون النفس هادئة، أثناء هذا التوجيه"[3].

ثانيًا: من أهداف التربية الإسلامية: الحفاظ على سلامة الصدور:

من أهداف التربية الإسلامية: الحفاظ على سلامة الصدور من الكره والضغائن التي يمكن أن تكمن فيها بسبب ما يصلها من أخبار ومعلومات تفكر صفوها وتفسد ودها نحو الآخرين، بسبب نقل الكلام، لأن الإنسان يتأثر بما يسمع، خاصة إذا كان ذلك متعلقًا به وبرأي الآخرين فيه، ولا شك أن الهوى والحقد والحسد له دور كبير في مثل هذه الأمور، وكم من الود والحب قد فسد بسبب نقل الكلام، وليس ذلك فحسب

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف العبد، ص٢٦٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٦١٣٦، ص١٠٦٩، ومسلم، ٤٨، ص٥١.

(٣) أصول التربية، د. أمين أبولاوي، ص١٥٤، أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات، ص٨٣.

فكم من عداوات نشأت بسبب هذا الأمر، ولذا فإن النبي ﷺ أراد أن يربي أصحابه رضي الله عنهم على الالتزام بهذا الأدب الإسلامي الجم الذي يصون العلاقات من الانهيار، والذي يحفظ وينمي روح المودة والمحبة بين المسلمين، وقد جعل النبي ﷺ من نفسه نموذجًا لمن يتأثر بمثل هذا الأمر من نقل الكلام، فإذا كان رسول الله ﷺ وهو القدوة -إلا أنه بشر- يتأثر، فإن غيره من عامة المسلمين يتأثرون بشدة من هذا الفعل، ولذا عمل النبي ﷺ على وقاية المجتمع والأمة الإسلامية من الآثار الخطيرة لتلك الآفات الاجتماعية القاتلة التي تفسد الود وتقطع العلاقات بين الناس.

ولذا نهى النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، عن الوقوع في هذا الفعل من نقل الكلام، وأراد أن يربيهم على حفظ الأسرار كأسلوب في التنشئة لأنه يمثل صلاح الفرد المسلم في حالة ومستقبله وسلامة الأسرة وانطلاقها - لأن المسلم الذي يتعلم ويتعود كتم الأسرار ينشأ قوى الإرادة حيال اللسان فتنشأ عن ذلك الثقة الاجتماعية بين الناس بحفظ الأسرار، ولذلك ربى النبي ﷺ صحابته على ذلك فهذا هو عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما يضرب لنا المثل في كتم الأسرار - قال: «أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ، هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ»[1]. وكان من خير الصحابة أيضًا أنس خادم النبي ﷺ، فقد تأخر أنس في يوم على أمه فقالت ما أبطأك قلت بعثني رسول الله ﷺ في حاجة، قالت: ما هي؟ قلت إنها بسرّ، فقالت المؤمنة الواعية الزكية وهي بذلك تعطي درسًا للأمهات في تعليم الطفل حفظ الأسرار، قالت له: لا تخبرن سر رسول الله ﷺ أحدًا فهذه تربية اجتماعية من أنس وأمه للأمة الإسلامية لكي تربي على حفظ الأسرار وكتمها[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، ٢٤٢٩، ص١٠٦٩.

(٢) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٢٦٨، أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٦١، التربية الإسلامية، د. محمد جاد، ٧٩.

٢٥٩- باب ذمِّ ذِي الوَجْهَيْن

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ القَولِ وكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحيطًا﴾[النساء: ١٠٨].

الحديث رقم (١٥٤٢)

١٥٤٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ: خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ في هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ كَرَاهِيَةً لَهُ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

معادنَ: أصولاً مختلفة، والمعادن جمع معدن وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيسًا وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس[2].

فقُهوا: فهموا وعلموا[3].

الشرح الأدبي

تشبيه الرسول ﷺ لاختلاف طباع الناس بمعادن الأرض له عدة دلالات:

١- اختلاف طباع الناس، وصفاتهم الخُلقية، والنفسية يفهم هذا من تفاوت المعادن.

٢- الإشارة إلى تفاوت الناس في تقبلهم للإصلاح، فمنهم السهل، ومنهم من يحتاج إلى صبر، ومنهم من لا يقبل كما هو حال معادن الأرض (المشبه به) فمنها ما يسهل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩٣، ٣٤٩٤) واللفظ له، ومسلم (٢٥٢٦/١٩٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٤٧).

(٢) فتح الباري ٦١٢/٦.

(٣) النهاية في (ف ق هـ).

استخراجه ومنها ما يصعب استخراجه، ومنها ما يسهل تشكيله، ومنها ما يصعب تشكيله.

٣ – الإشارة إلى تفاوت الناس في كرم الأصل، وخسته يفهم ذلك من تفاوت المعادن في نفاستها فمنها الغالي كالذهب، والفضة، ومنها الرخيص كالحديد، والقصدير[١].

الإشارة إلى تفاوت الناس في قوة التحمل، والصبر على الأذى يفهم ذلك من تفاوت المعادن في صلابتها فالحديد يخالف النحاس كما يخالف الرصاص.

٤ - الإشارة إلى أن معرفة أصول الناس تحتاج إلى بحث في أحوالهم، وتدقيق في منابتهم حتى لا ينخدع الإنسان بالظاهر ويحكم خلاله على صفات الشخص، لأن كريم الخلال قد يعتريه في الظاهر ما يخفي كرم أصله من فقر أو خمول ذكر في الناس أو غيره كما يمكن لخسيس الأصل أن يعتريه في الظاهر ما يوهم بكرم الأصل وهو على غير ذلك يفهم ذلك من حال المعادن في الأرض التي لا يعرف خصائصها إلا بعد استخراجها من باطنها والكشف عنها قال بن حجر: وجه التشبيه أن المعدن لما كان إذا استخرج ظهر ما اختفى منه ولا تتغير صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفا في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين)[٢]، وقوله (تجدون خير الناس في هذا الشأن) كناية عن الخلافة أو الإمارة، وقوله (أشدهم) أفعل تفضيل أي فاق الجميع كراهية لهذا الشأن ؛ وقد صار خير جميع الناس بكراهته لذلك مع مساواته لهم في سائر الفضائل أو يراد من الناس الخلفاء أو الأمراء أو معناه من خيرهم، وقوله (وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا

---

(١) ينظر أثر البيئة في اتساع مدلول التشبيه النبوي د. ناصر راضي الزهري إبراهيم، بحث منشور في كلية الآداب جامعة سوهاج، العدد السادس والعشرين لسنة ٢٠٠٦م .

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٢٩/٦.

الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ) هو المنافق وهو الذي يمشي بين الطائفتين بوجهين يأتي لإحداهما بوجه ويأتي للأخرى بخلاف ذلك وفيه إشارة بلاغية إلى قوله الله تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء (النساء ٣٤١) قال المفسرون مذبذبين يعني المنافقين متحيرين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ولاهم مع الكفار ظاهرا وباطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشك فتارة يميل إلى هؤلاء وتارة يميل إلى هؤلاء[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بمعادن الناس وخيرها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التفقه في دين الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في المناصب وأمور الدنيا.

رابعًا: من آداب الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتحذيرهم من النميمة والإفساد بين الناس.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بمعادن الناس وخيرها:

يظهر هذا في قوله ﷺ: "تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام...".

قال ابن حجر: (قوله "تجدون الناس معادن" أي أصولاً مختلفة، والمعادن جمع معدن وهو الشيء المستقر في الأرض، فتارة يكون نفيسًا وتارة يكون خسيسًا، وكذلك الناس.

وقوله "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام" وجه التشبيه صفته فكذلك صفة الشرف لا تتغير في ذاتها بل من كان شريفًا في الجاهلية فهو بالنسبة إلى أهل الجاهلية رأس فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية،

---

(١) ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي، حديث: (٣٩٤٣).

والمراد بالخيار والشرف وغير ذلك من كان متصفًا بمحاسن الأخلاق كالكرم والعفة والحلم وغيرها. متوقيًا لمساويها كالبخل والفجور والظلم وغيرها)[١].

قال النووي: (والمعادن: الأصول وإذا كانت الأصول شريفة كانت الفروع كذلك غالبًا والفضيلة في الإسلام التقوى ولكن إذا انضم إليها شرف النسب ازدادت فضلاً)[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل التفقه في دين الله:

يظهر هذا في قوله ﷺ: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا...".

قال ابن حجر: (وأما قوله إذا فقهوا ففيه إشارة إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين، وعلى هذا فتنقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها: الأول شريف في الجاهلية أسلم وتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه. الثاني: شريف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم وتفقه، الثالث: شريف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه، ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ثم تفقه. الرابع: شريف في الجاهلية لم يسلم وتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه فأرفع الأقسام من شرف في الجاهلية ثم أسلم وتفقه، ويليه من كان مشروفًا ثم أسلم وتفقه، ويليه من كان شريفًا في الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه، ويليه من كان مشروفًا ثم أسلم ولم يتفقه وأما من لم يسلم فلا اعتبار به سواء كان شريفًا أو مشروفًا سواء تفقه أو لم يتفقه)[٣].

فالتفقه في الدين له أهمية كبرى وفضل عظيم في الإسلام، قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللّهُ بِهِ خَيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين))[٤] قال النووي: (فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى)[٥].

---

(١) فتح الباري ٦١٢/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٢٠.

(٣) فتح الباري ٦١٣/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٥) شرح مسلم، للنووي، ص ٦٥٦.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: فضل الزهد في المناصب وأمور الدنيا:

يظهر هذا في قوله ﷺ: "وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم كراهية له".

قال القرطبي: (وقوله ﷺ: "وتجدون من خير الناس في هذا الأمر أكرههم له" هكذا الرواية: "من خير الناس" وهي لبيان جنس الخيرية؛ كأنه قال: تجدون أكره الناس في هذا الأمر من خيارهم... ويعني بالأمر: الولايات، وإنما يكون من يكرهها من خير الناس، إذا كانت كراهتُه لها لعلة تعظيم حقوقها، وصعوبة العدل فيها، ولخوفه من مطالبة الله تعالى بالقيام بذلك كله، ولذلك قال فيها: ((نعمت المرضعة وبئست الفاطمة))[1]، وكفى بذلك قوله ﷺ: ((مَا مِنْ أَمِيْرِ عشرةٍ إلاَّ يُؤْتَى بهِ يومَ القيامةِ مَغْلُولاً، لا يَفُكُّه إلا العَدْلُ، أو يوبقه الجَوْرُ))[2])[3].

وقال ابن حجر: (قوله "ويجدون خير الناس في هذا الشأن" أي: الولاية والإمرة، وقوله "أشدهم له كراهية" أي أن الدخول في عهدة الإمرة مكروهة من جهة تحمل المشقة فيه، وإنما تشتد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين، لما فيه من صعوبةالعمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم، ولما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم به من حقوقه وحقوق عباده، ولا يخفى خيرية من خاف مقام ربه)[4].

وقد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الولاية، فعن عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((يا عبد الرحمن، لا تَسألِ الإمارة؛ فإنكَ إن أُعطيتَها عن مسألة وكِلتَ إليها، وإن أعطيتَها عن غير مسألة أُعِنتَ عليها))[5] فهذا الحديث يشير إلى وجوب التباعد عن طلب الرياسات ولو كان الطالب قادرًا على تحمل أعبائها، لأنها لا تخلو من عناء ومشقات[6].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤٣١/٢ رقم ٩٥٧٣، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣٥٢/١٥.

(٣) المفهم ٤٧٨/٦.

(٤) فتح الباري ٦١٣/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٧١٤٦، ومسلم ١٦٥٢.

(٦) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٩٩.

رابعًا- من آداب الداعية: بيان الحقائق للمدعوين وتحذيرهم من النميمة والإفساد بين الناس:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه".

قال ابن عثيمين: (وذا الوجهين هو الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، كما يفعل المنافقون ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1] وهذا يوجد في كثير من الناس والعياذ بالله، وهو شعبة من النفاق، وتجده يأتي إليك يتملق ويثني عليك وربما يغلو في ذلك الثناء، ولكنه إذا كان من أولئك عقرك وذمك وشتمك، وذكر فيك ما ليس فيك فهذا والعياذ بالله كما قال النبي ﷺ "تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، وهذا من كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ وصف فاعله بأنه شر الناس[2]، فينبغي على الداعية أن يبين للمدعوين حقيقة النميمة وخطورتها على المجتمع لما فيها من إفساد بين الناس.

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يستنبط هذا من عموم الحديث؛ حيث رغّب ﷺ في التفقه في الدين، وبين أنه سبب في التفاضل بين الناس، فقال "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا" ورغب في الزهد في المناصب وأمور الدنيا فقال: "وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم كراهية له".

ورهّب من النميمة والإفساد بين الناس فقال: "وتجدون شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه".

ويقصد بالترغيب: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.
ويقصد بالترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة به أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[3].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦١٧/٢.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٥٤٣)

١٥٤٣- وعن محمد بن زيد: أنَّ ناسًا قالوا لِجَدِّهِ عبد اللهِ بن عمر رضي الله عنهما: إنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِينِنَا[1] فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ. قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سلاطيننا: جمع سلطان. ملوكنا وحُكّامنا[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على الحوار بين عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبين بعض الناس يقرر خطر الكذب، وأنه مخالفة الظاهر للباطن وهو شعبة من النفاق الذي والذي جاء فيه الوعيد الشديد ثم إنه يوم القيامة يستلزم العذاب الأليم وقوله (إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلاَطِينِنَا) يشير ضمير الجماعة الذي تصدر الحديث إلى أنه فعل أكثر من واحد لأنهم أطراف الحديث الذي تحدثوا فيه بخلاف ما حدثوا السلاطين، والتعبير بالسلاطين يشير إلى أنه كان بعد الخلافة الراشدة، وقولهم (فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلاَفِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ) بيان لموضع الخطأ، والذي جسده الجار، والمجرور (بخلاف) الذي يصور التناقض النفسي بين ما يظهر، وما يبطن، وهو ما ينطوي على لون من الخداع، وعدم المناصحة لله تعالى، ولذلك جاء رد ابن عمر رضي الله عنهما (كنا نعد) بصيغة الجمع التي تؤكد الخبر وتوثقه لأنه فعل جماعة، وتنكير (نفاقا) للتحقير، و(عهد رسول الله ﷺ) يشير إلى الجيل المعلم لكل الأجيال، وهو جيل الصحابة.

---

(١) لفظ البخاري: (سلطاننا).

(٢) برقم (٧١٧٨).

(٣) الوسيط في (س ل ط ن).

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الصدق في كافة الأحوال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطورة النفاق.

أولاً- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل:

يظهر ذلك في قول محمد بن زيد: أن ناسًا قالوا لجده عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف مانتكلم إذا خرجنا من عندهم".

وسؤال المدعو لأهل العلم والفضل حتى يعلم ويتثبت عن حكم فعله لكي يستفيد من علم أهل العلم والفضل.

وقد أمر الله تعالى بالرجوع إلى أهل العلم عند عدم العلم فقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. وعن ابن مليكة: أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ))[2] فعلى المدعو الرجوع إلى أهل العلم والفضل في السؤال عما يجهل أو أشكل عليه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الصدق في كافة الأحوال:

يستنبط ذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما "كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ"، فإن الاستمساك بالصدق في كل شأن وتحريه في كل قضية، والمصير إليه في كل حكم، دعامة ركينة في خلق المسلم، وصبغة ثابتة في سلوكه. وكذلك فإن بناء المجتمع كان قائمًا على محاربة الظنون، ونبذ الإشاعات واطراح الريب، فإن الحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة[3].

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٠٣، ومسلم ٢٨٧٦.

(٣) انظر: خلق المسلم، الغزالي، ص ٣٥.

قال رسول الله ﷺ: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَالا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الكِذْبَ رِيبَةٌ))[١].

والصدق يصل بالإنسان إلى أعلى الدرجات ولذلك يقول ﷺ: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ. فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا))[٢].

والصدق من الأخلاق الأساسية التي يتفرع عنها غيرها، قال الحارث المحاسبي: (واعلم أن الصدق والإخلاص: أصل كل حال، فمن الصدق يتشعب الصبر، والقناعة، والزهد، والرضا والأنس. وعن الإخلاص يتشعب اليقين، والخوف. والمحبة والإجلال، والحياء، والتعظيم... فالصدق في ثلاثة أشياء لا تتم إلا به: صدق القلب بالإيمان تحقيقًا، وصدق النية في الأعمال، وصدق اللفظ في الكلام)[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: خطورة النفاق:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نعد هذا نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ" لمن سأله عن الكلام عند السلاطين بخلاف الكلام بعد الخروج من عندهم.

وذلك لأن من الناس من يظهر لجليسه الموافقة والمودة ويلقاه بالبشر والترحاب، فإذا ما توارى عنه سلقه بلسان حاد، وشتمه وأقذع في سبه وهذه الصفة من أحطّ الصفات وأخسها، وصاحبها من شر الناس، وأوضعهم[٤].

قال النبي ﷺ ((تجدونَ شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوَجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ))[٥].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويُطريه في المدحة

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٥).

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٣) رسالة المسترشدين ص ١٧٠ نقلًا عن هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٣٥.

(٤) انظر: سوء الخلق، الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٩٣، ومسلم ٢٥٢٦.

فقال: ((لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ، أَوْ قَطَعْتُمْ، ظَهْرَ الرَّجُلِ))[١].

فإذا كان المدح للتملق وإسناد الأعمال إلى غير أربابها فإنه مجلبة الطغيان وباعث النفاق والذلة، ومحي المهانة والحقارة، وموجب المقت والسحت والكذب؛ لأن المادح يضطر إلى الإفراط، وقوله غير الحق، وإلى إظهار ما لا يضمر للممدوح واعتقاده أنه كما يقول مادحه، وقد يكون فاسقًا أو ظالمًا وهذا غير جائز[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٦٠، ومسلم ٣٠٠١.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٥٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التعلم والتفقه في الدين:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على التعلم والتفقه في الدين، لأنه مما ينبغي أن يتربى عليه الشاب المسلم الاهتمام بالتعلم ومعرفة الفقه والرسول ﷺ أراد في هذا الباب إبراز فعل التفقه في الدين وأهميته، ففي حديث الباب قال ﷺ: «تَجِدونَ الناسَ مَعادِنَ: خِيارُهم في الجاهليةِ خِيارُهم في الإسلامِ إذا فَقِهوا»، فهذه تربية صريحة من النبي ﷺ بتعلم الأحكام للرعية، وإن أعلى مرتبة من مراتب الشرف بين الناس مرتبة من شرف بالتفقه في الدين كما أن النبي ﷺ، يربي في نفوس الصحابة معرفة المسائل الفقهية وأدلتها، ولذلك ربى عمر بن الخطاب على ذلك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا»، فهذه دعوة أيضًا إلى الفقه والنبي ﷺ عندما دعا إلى العلم والفقه في هذا الحديث لم يقيده بسن؛ كبار أو صغار بل أطلق العلم، ولذلك تعلم الصحابة وفقهوا أمور دينهم وهم كبار، وكذلك ربي الإمام أحمد بن حنبل طلابه على حب العلم وقال لهم: "حاجة الناس إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب فالطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس"، لذلك ينبغي على المربي أن يرغب في طلب العلم والفقه الشرعي، كما يرغب في اهميته كما يعلي من الهمم في طلب العلم، كما فعل النبي ﷺ وقال «إذا فقهوا»، لذلك يعد طلب الفقه من أفضل الأعمال بل هو في الجهاد في سبيل الله، ويكفي شرفًا كل من سلك مسلك الفقه والعلم أنه إرث الأنبياء، وليس هناك إرث أفضل منه.

ومن باب التربية على فضل العلم والتفقه في الدين لا بد أن يعلم المسلم أن من تربى على حب العلم فهو من القائمين على أمر الله، حتى تقوم الساعة، ومن في ذلك مساوية وهو يقول: من يرد به خيرًا يفقه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله[1].

---

(١) أخرجه البخاري، ١٥.

فهذه تربية صريحة على أن أهل العلم قائمون على أمر الله، وليعلم الذي سلك ذلك ويرى نفسه على العلم والتفقه في الدين أنه طريقه إلى الجنة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ»[1]، وليعلم الذي طلب التفقه في الدين أن الله يرفع أهل العلم في الآخرة والدنيا، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[2].

ولكن أنهِ إلى كل المربين والمرتبين على الفقه في الدين أن هناك أخطاء قد تحدث أثناء فترة التعلم والتفقه، وهي الحسد بين المتربين قد يقع لأنه ما من فقه إلا وقد وقع بين تلاميذه حسد لبعضهم البعض لأن الحسد في صفات اليهود قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[3]. ومن عواقب الحسد الإفتاء بغير علم لأنه يريد أن ينتصر، والكبر، والتعصب لمذهب معين، وسوء الظن فيبتغي على أى طالب علم أن يعرف موضوعه ويعرف مصطلحاته، وأسلوبه وأن يحرص على الكتب المهمة، ويعرف الأدلة، وذلك لكي لا يقع في حرج مع نفسه أو الناس، ولنا وقفة تربوية هامة وهي أن من تربى على الفقه بطريقة صحيحة فإنه يكون نافعًا في مجتمعة مع الناس غير مثقل عليهم[4].

ثانيًا: التربية بالوصف أو بالتقييم الذاتي:

إن مما تميزت به التربية الإسلامية التربية بالوصف ذو التقييم الذاتي، وهي أن تكسب الإنسان علمًا تفصيليًا بصفات الخير والشر والمعاني السامية والأعمال التي ترضى الله والأعمال التي لا ترضي الله، من هنا يحدث عنده ميزان حاضر يزن به نفسه

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٦٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٤) التربية على منهج أهل السنة، أحمد فريد، ١٠٤. التربية الإسلامية، إبراهيم الشافعي، ص٣٧، كتاب العلم، العثيمين، ص١٩، ٢٠.

ليحصل لديه تقويم ذاتي صحيح للوضع الذي هو فيه وهذه وسيلة تربوية من وسائل الرسول ﷺ التي لها علاقة بالمراقبة والمحاسبة: وظهرت هذه الوسيلة في أحاديث الباب التي تدل على ذم ذي الوجهين وعدم التشبه به: فقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ ...، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ». وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم ...»، فهذه نماذج تربوية أراد النبي ﷺ بيان ذم ذي الوجهين (المنافق) لأن النفاق مرض خبيث خطير، إذا ألم بأحد أفسد عليه آخرته وأحبط عمله لأنه صفة أخلاقية تتجمع حولها النفوس الضعيفة والعقول الشاذة من الناس، ولذلك حذر منه النبي ﷺ، لأنه أيضًا خطر اجتماعي كبير لأنه العدو الحقيقي الكامن داخل المعسكر المختبئ في الصف بل هو أخطر من العدو الخارجي الصريح، وتطرد لخطورة هذا المرض وحرصًا على نقاء قلوب المؤمنين وطهارة منه وضع الرسول ﷺ مواصفات للمنافقين أو لمن فيه خصلة من النفاق حتى يكون ميزانًا حاضرًا لكل من خشي على نفسه من هذا المرض الخطير، قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر»[1]. ولذلك استخف المنافق أن يكون من شرار الناس كما قال ﷺ في أحاديث الباب «إن شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[2].

من خلال هذه النماذج التربوية رأينا التركيز على الصفات التي اتصف بها الأشرار في أخلاقهم، وأشد ما حذر منه النبي ﷺ النفاق للرؤساء والأمراء وولاة الأمر، فإن الدنو منهم ومخالطتهم في شيء ينبغي أن يكون بحساب، وذلك لكي لا تتحدى وتفتن بالنفاق، ولقد ضرب لنا سفيان الثوري أروع الأمثلة التربوية في عدم الدنو من الأمراء والانغماس في كرمهم قال ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم، فيميل قلبي إليهم، من هنا اهتمت التربية الإسلامية على أن يكون سلوك الإنسان الظاهر المعبر

---

(١) أخرجه مسلم، ١/٢٧٨.

(٢) أخرجه البخاري، ٨٩١٩.

كالباطن المخفي لأن السلوك قد يتعرض لدوافع النفاق فالمسلم مطالب بأن يربي نفسه على تزكية النفس وتهذيبها وتطهيرها من نزعات الشر والإثم وإزالة حظ الشيطان منها وتنمية فطرة الخير فيها[1].

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية، العاني، ص٤٣٤، والوجيزة في أخلاق الإسلام، عبدالرحمن الميداني، ص٤٣.

٢٦٠- باب تحريم الكذب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: ٣٦]. وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨].

الحديث رقم (١٥٤٤)

١٥٤٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا[1]. وإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ[2] كَذَّابًا))** متفقٌ عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

البرُّ: الخير[4].

الفُجُور: الانبعاثُ في المعاصي والحرام[5].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ في هذا الحديث يثمن غالياً قيمة الصدق ويبين أثره في هداية العبد الصادق إلى الجنة، ويحذر من الكذب ويبين سوء عاقبة الكذاب قصداً إلى تقويمه، ولتحقيق هذه المعاني وتقريرها في أذهان المخاطبين استخدم عدة أساليب بلاغية تتسم بالإقناع العقلي والإمتاع النفسي منها:

---

(١) لفظ البخاري: (حتى يكون صديقًا).

(٢) قوله: (عند الله) لا يوجدُ عند مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧/١٠٣)، وتقدم برقم (٥٤).

(٤) النهاية في (ب ر ر).

(٥) النهاية في فجر.

البداية بأسلوب الإغراء في قوله (عليكم بالصدق. ..) فقوله (عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا) ترغيباً في التخلق بهذا الخلق الحسن الذي هو من أخلاق المؤمنين والبد بأسلوب الإغراء يجذب المخاطب ويملك عليه حواسه تشوقاً لما وراءه، وتطلعاً إلى سببه وانشغالاً بمضمون الجملة بعده، وهذا من شأنه أن يوفر للخبر درجة من الانتباه والاهتمام لمتابعة الخبر مما يمهد لتقريره في أنفس المخاطبين، أضف إلى ذلك تعليله ﷺ لسبب الإغراء وكشفه عن سره مما يزيد المخاطب استشرافاً وتعلقاً بالمخاطب حتى يتم حديثه، ثم أسلوب التوكيد في قوله: (فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة) المرتبط بما قبله بفاء التعليل خطاباً للعقول مع العلم بأن المقام لخالي الذهن وأن الصحابة لم يبد منهم إنكار أو شك أو حتى تردد في صدق الرسول ﷺ ولكنه نزلهم منزلة المترددين الشاكين، وأكد الكلام بـ (إن) مع اسمية الجملة لما رأى من تهاون الناس بتحري الصدق والغفلة عن فضله والجهل بعظيم أثره لذلك أكد الخبر بأكثر من مؤكد عناية به واهتماماً بشأنه ورغبة في نقل هذا الاهتمام بنفس الدرجة من المتكلم إلى المخاطب، وكذا في قوله: (وإن البر يهدي إلى الجنة. ..) فقد أكد الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة ليعلي من قيمة البر ويؤكد أنه الطريق الموصل للجنة ويشير إلى أهميته والتي تعود بدورها على أهمية الصدق لأنه المؤدي إليه، وبين قوله (الصدق، والبر، والجنة) تناسب في اللفظ لأنها ألفاظ يتصل بعضها ببعض وكل منها طريق إلى ما بعده. وبينهم تناسب في المعاني لاقتران بعضهم ببعض في الخيال، قوله: (الصدق يهدي إلى البر) والهداية هي الدلالة الموصلة إلى البغية ونسبة الهداية للصدق استعارة حيث شبه الصدق بإنسان يهدي وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الهداية على سبيل الاستعارة المكنية ونسبة الهداية للصدق استعارة تخييلية فكأن الصدق إذا امتلك القلب لا يعيش فيه وحده، وإنما يبحث له عن رفيق هو نعم الرفيق وهو البر، وقوله: (والبر يهدي إلى الجنة...) كذلك فيه استعارة مكنية، وقوله: (فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة) وصل بين الجملتين لاتفاقهما في الخبرية، واتحادهما في المسند مع اختلافهما في المعنى فبينهما ارتباط من جهة، واختلاف من جهة، ولذلك وصل بينهما، وهو ما يسمى بالتوسط بين

الكمالين، وكذلك جملة: (فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار). وقوله: (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق) عبر بفعل دال على الاستمرارية بدلالته ودال على التجدد والاستمرارية بصيغته المضارعية ما يضيفه الثاني من معنى البحث والتدقيق وصولاً إلى الصدق مما يؤكد إصرار هذا العبد وتمسكه بمبدئه في انتهاج الصدق وصبره على ما يمكن أن يلاقيه في سبيله وهذا مفهوم من لفظ (ما يزال) (ويتحرى)، وقوله: (حتى يكتب عند الله صديقاً) التعبير بالكتابة يفيد تأكيد الوجوب أي: يحكم له، والمراد: الإظهار للمخلوقين إما للملأ الأعلى، وإما أن يلقى ذلك في قلوب الناس، وألسنتهم، وإلا فحكم الله أزلي، والغرض، أنه يستحق وصف الصديقين وثوابهم.[1] وتقييد الفعل (يكتب) بالظرف (عند) وإضافته (لله) فيه تربية للمهابة وتعظيم للفعل وترغيب في الصدق وإشادة بالصادق. وقوله (وإياكم والكذب) بمعنى احذروا واجتنبوا وهو تأكيد للأمر بلزوم الصدق وقوله: (فإن الكذب يهدي إلى الفجور. ..) الفاء للتعليل لسبب التحذير من الكذب وهو كونه طريقاً موصلاً للفجور الذي هو الانبعاث في المعاصي وهو اسم جامع للشرور[2] ولعل تأكيد الجملة بأكثر من مؤكد يرجع إلى تساهل الناس في الكذب وجهلهم بخطره وما يمكن أن يبلغ بصاحبه، وقوله: (وإن الفجور يهدي إلى النار) يؤكد خطر الكذب ويبين عاقبته ترهيباً من التلبس به ويجعل الفجور قنطرة بين الكذب والنار توصل إليها، وبين قوله (الكذب والفجور والنار) تناسب في الألفاظ فكلها أسماء يؤدي بعضها إلى بعض وتقترن في الذهن، وقوله: (وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) أكد الجملة بثلاثة مؤكدات هي (إن) واسمية الجملة ولام التوكيد لتساهل الناس في أمر الكذب وأنه الطريق الموصل إلى سجل الأشقياء حيث يكتب العبد كذاباً، فنزل المخاطبين غير المنكرين منزلة المنكرين وأكد الجملة بعدة مؤكدات دفعاً لتساهل الناس ولما بدا عليهم من علامات هذا التساهل جهلاً بعاقبة الكذب

---

(١) عمدة القاري ١٥/٢٤١.

(٢) عمدة القاري ١٥/٢٤٠.

ومصير الكذاب. واستخدامه للفعل المفيد للاستمرارية (ما يزال) بصيغته ودلالته مع الفعل (يكذب) وإتباعه بفعل يدل على الاستمرارية والتجدد بصيغة (يتحرى) ويدل على البحث والتنقيب بمعناه يؤكد إصرار الكاذب واتخاذه الكذب عادة بل وبحثه عنه وكأنه صار متعته يُجِدُّ في طلبه، والأفعال المضارعة (ما يزال، يكذب، يتحرى) تصوِّر الكذاب في حركة دائمة دائبة بين الناس يخدعهم بكذبه ويشعل بينهم الفتن بأذاه. وما أروع المقابلة في هذا الحديث بين الخلق الحسن والتدرج معه إلى حسن عاقبته وبين الخلق الذميم والتدرج معه حتى يرى المخاطب سيء عاقبته فقد قابل بين قوله: (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة) وبين قوله: (وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار) فقد قابل ﷺ بين لفظ (عليكم) بمعنى التزموا إغراءً وبين لفظ (وإياكم) بمعنى اجتنبوا تحذيراً وترهيباً وبين لفظ (الصدق) وبين (الكذب) وبين لفظ (البر) ولفظ (الفجور) وبين لفظ (الجنة) ولفظ (النار)، وأيضاً قابل بين نموذجين أحدهما التزم الخلق الأول (الصدق) وتحراه والآخر التزم الخلق الثاني (الكذب) وتحراه وقابل بين عاقبتهما، وذلك في قوله: (وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) وقابله بالنموذج السيئ: (وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) وقد قابل بين لفظ (يصدق ويكذب) وبين (الصدق والكذب) وبين (صديق وكذاب).والمقابلة بين الخلق الحسن (الصدق والتزامه وعاقبته) وبين الخلق السيئ (الكذب التزامه وعاقبته) ثم المقابلة بين النموذج الحسن (الصادق المتحري للصدق وحسن عاقبته وبين النموذج السيئ (الكاذب المتحري للكذب وسوء عاقبته) يؤكد ويوضح ويشير إلى عدة دلالات: منها:

التأكيد على فضيلة الصدق وحسن عاقبته بوضعها إزاء رذيلة الكذب وعاقبتها لأن شرية الشر تؤكد وتظهر وتبني خيرية الخير بالمفهوم، فضلاً عن اقترانهما في الذهن، ومن الثابت في النفوس أن حسن الحسن يظهر قبح القبيح كما أن قبح القبيح يظهر حسن الحسن.

وضع النتيجتين المتقابلتين إزاء بعضهما (الجنة – والنار) يجعل المخاطب يفكر ألف

مرة قبل أن يكذب كذبة يستبدل بها الجنة بالنار كما يثمن غالياً فضيلة الصدق إذ جعل عاقبتها الجنة ويقرر خطر الكذب كرذيلة عاقبتها النار.

وضع البر بين الصدق وبين الجنة رسم وتحديد لطريق الصادق تترك طريقه واضحة المعالم عبوراً على قنطرة البر وهو جماع الخير ويبين العلاقة بين حسن الخلق ونتيجته ترغيباً في الصدق. كما أن وضع الفجور بين الكذب والنار إشارة إلى أن الفجور قنطرة يعبر منها جواد جامح في مضمار الكذب وطريق الغواية حتى يهوي به في النار.

وضع الصورتين المتقابلتين بإزاء بعضهما يحقق الإقناع العقلي الناشئ عن تمام العلم مع وضوح العاقبة لكلا السبيلين مع تحقيق الإمتاع النفسي الذي يحدثه التناظر بينهما.

وضع النموذج الحسن وتحريكه بالأفعال المضارعة (يصدق – يتحرى الصدق – يكتب) وهو يبحث ويفتش عن الصدق حتى يدرك غايته عند الله (صديقاً) بإزاء النموذج السيئ وتحريكه بالأفعال المضارعة (يكذب، ويتحرى الكذب – يكتب) وتصويره يبحث عن الكذب ويفتش عنه: يعطي المخاطبين صورة حية متحركة لكل صادق في حسن فعله وسلامة عاقبته وتستدعي في نفس كل مخاطب صورة صادق كان يعرفه فيتمثله ويثبت في وجدانه ويتقرر حسن الصدق في نفسه فيتخلق به. ويعطي المخاطبين – أيضاً صورة حية متحركة لنموذج سيء يبحث عن الكذب ويفتش عنه ويطلق لسانه الآثم حتى يدركه قدره القاصم ويسلمه لهمه الجاسم عند أبواب الجحيم.

أيضاً – وضع كلا الطريقين إزاء الآخر يترك لكل عاقل حرية الاختيار بعد تمام العلم واتضاح معالم الطريق وظهور العاقبة حتى إذا سار في أحدهما كان حقيقاً بما اختار من جنة أو نار. وبين المقابلتين تلميح بليغ وهو أن يشار إلى قصة أو غيره من غير ذكره وقول الرسول ﷺ (وإن البر يهدي إلى الجنة. .. وإن الفجور يهدي إلى النار) يلمح إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ❖ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[1] وهذا التلميح بالآيتين الكريمتين يؤكد قول الرسول ﷺ ويؤيده بقول الله تعالى.، والنص على ذكر

---

(١) سورة الانفطار:١٣: ١٤.

المسند إليه (البر) و(الفجور) مع إمكان الاستغناء عنه لتقدم ذكره بغرض زيادة الإيضاح والتقرير وجعله ملء الأسماع والأفهام حتى يكون أتم وضوحاً[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري ٣٧٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٥٤).

الحديث رقم (١٥٤٥)

١٥٤٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)). متفق عَلَيْهِ[1].

وَقَدْ سبق بيانه مَعَ حديث أَبي هريرة بنحوه في ((باب الوفاءِ بالعهدِ)) [2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

المنافق: الذي يظهر الإيمان ويخفى الكفر[3].

خصلة: شعبة وصفة[4].

فجر: مالَ عن الصِّدق وأعمال الخير[5].

المضامين الدعوية[6]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨/١٠٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٢٦).

(٢) برقم (٦٩٠) كما أنه سيأتي برقم ١٥٨٦.

(٣) النهاية في (ن ف ق).

(٤) النهاية واللسان في (خ ص ل).

(٥) النهاية في (ف ج ر).

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٩٠).

الحديث رقم (١٥٤٦)

١٥٤٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ[١]، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فِيهَا (الرُّوحَ)[٢] وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). رواه البخاري[٣].

(تَحَلَّم): أيْ قَالَ إنَّه حلم في نومه ورأى كذا وكذا، وَهُوَ كاذب. و(الآنك) بالمدّ وضم النون وتخفيف الكاف: وَهُوَ الرَّصَاصُ المذاب[٤].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

تحلم: أي: قال إنه حلم في نومه ورأى كذا وكذا؛ وهو كاذب[٥].

يعقد بين شعيرتين: أي: عذب حتى يفعل ذلك، فيجمع بين ما لم يمكن أن يعقد كما عقد بين ما سرده، واختلق من الرؤيا، ولم يكن يقدر أن يعقد بينهما[٦].

الآنك: الرصاص المذاب[٧].

الشرح الأدبي

إن من أخلاق المسلم ومقومات شخصيته: الصدق في القول والعمل، والالتزام بما أمره به ربه، والكف عما نهاه عنه، عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) عند البخاري زيادة: (أو يفرون منه) وليست عند المنذري.

(٢) قوله: (الروح) ليس عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٥٩٦٣)، وكذا عند المنذري.

(٣) برقم (٧٠٤٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٢٨).

(٤) الترغيب للمنذري (٣/٤٣١).

(٥) رياض الصالحين ٥٣١.

(٦) شرح الطيبي ٨/٢٧٧.

(٧) رياض الصالحين ٥٣١.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾[1].

وهذا الحديث، الذي يجسد بعض السلبيات التي يجب أن ينأى عنها كل مسلم، يتكون من ثلاث جمل لغوية صيغت كلها في شق واحد، ونظام لغوي متآلف حيث جاءت كلها في صيغة الشرط والجواب، وهذه الصيغة مناسبة للمقام، وملائمة لمقتضى الحال، لأن الجزاء من جنس العمل، فالجملة الأولى: "من تحلم بحلم، لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل"، والمراد: أنه يكذب ويدعي أنه رأى رؤيا وهو لم ير، وقُدِّم هذا الصنف؛ لأن الكذب في المنام كذب على الله عز وجل، وفعل الشرط "تحلم بحلم" يفيد التكلف، وذلك لزيادة التاء والتضعيف، ولم يقل من حلم بحلم، ووصف الحلم بقوله: لم يره، لإفادة تعمد الكذب، وللإشعار بمضاعفة العذاب؛ وجواب الشرط في هذه الجملة كناية عن العذاب، وليطول عذابه في النار، لأن عقده بين الشعيرتين غير ممكن، وقوله: "ولن يفعل"، يوحي بتحقق العذاب، ومكوث هذا الكاذب في النار بمقدار عجزه عن العقد بين الشعيرتين.

وأما الجملة الثانية: فهي كذلك في صيغة الشرط والجواب، والشرط هو قوله: "استمع إلى حديث قوم"، وحالهم أنهم له كارهون، والجواب هو الجزاء الذي يستحقه ذلك الذي يسترق السمع، ويهتك أسرار الناس، ويذيع ما يحرصون على كتمانه، والعقاب: هو أنه يُصَبُّ في أذنيه الآنُك: وهو الرصاص المذاب، لأن السمع استقبل كلامًا عن طريق التلصص، فعقابه أن يتحول الكلام في أذنيه يوم القيامة إلى رصاص مصهور وهو كالحميم الآني.

والجملة الثالثة شرطية كذلك، وهي تجسد العقوبة التي يستحقها كل من ينازع الخالق في قدرته، لأنه كما - قال العلماء - بصورته أدخل في الوجود صورة ليست بحقيقية، فالصورة الحقيقية هي التي فيها الروح، وقوله: "كُلف" جواب الشرط والتكليف مسؤولية واجبة التنفيذ والمصوِّر لا يقدر على نفخ الروح في الصورة لأن الروح

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

من أمر الله تعالى، ولذلك يستمر عذابه في النار، وقوله: "ليس بنافخ" يوحي بمزيد من العجز، ويوحي بمزيد من العذاب الذي يلحق بذلك المصوِّر.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لمن يفتري الكذب ويدعي أمورًا زورًا وبهتانًا.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الترهيب من التجسس على الناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الوعيد الشديد للمصورين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحذير النبي ﷺ لمن يفتري الكذب ويدعي أمورًا زورًا وبهتانًا:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ومن تحلم بحلم لم يره، كُلف أن يعقد شعيرتين ولن يفعل...".

قال ابن حجر: (وأما الكذب على المنام فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد من أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه إذ قد تكون شهادة في قتل أو حد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أن أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[1]، وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله لحديث ((إذا اقتربَ الزمان لم تكد رُؤيا المؤمن تَكذبُ، ورُؤيا المؤمن جزءٌ من ستةٍ وأَربعينَ جزءًا منَ النبوَّة، وماكان من النبوَّة فإنه لا يكذب))[2] وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى. وقوله "كلف أن يعقد بين شعيرتين" كناية عن التعذيب)[3].

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠١٧، والفتح ٤٢٢/١٢.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٤٤٧/١٢.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الترهيب من التجسس على الناس:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة" قال ابن أبي جمرة: (وقوله ﷺ "ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون" هل هذا الاستماع على العموم على أي وجه كان أو على الخصوص؟ الظاهر أنه على الخصوص، لأنه لو كان على العموم لكان الأكثر منه من تكليف ما لا يطاق ومولانا سبحانه قد من علينا ولم يكلفنا هذا الأمر في العلم بكراهية للسامع لو كنا نطلب بالعلم بحقيقة ذلك كان أيضًا بعضه من تكليف ما لا يطاق، وإنما كلفنا في العلم بذلك بحسب قرائن الحال التي تدل على كراهيتهم بسمعنا إلى حديثهم فالاستماع على وجه خاص وليس على عمومه، وذلك مثل قوم يتحدثون في منزلهم، فإن استمعت إلى حديثهم فقد دخلت تحت هذا الحد؛ لأنهم بقرينة حالهم وهو كونهم في منزلهم وقد أغلقوا دونك بابهم، فدل ذلك على أنهم إنما أرادوا أن ينفردوا بحديثهم، دونك ودون غيرك ممن خلف بابهم، وكذلك إذا تسارر شخص مع آخر ومع جماعة دونك فقد كرهوا أن يسمعوك حديثهم؛ فإن استمعت إليهم دخلت تحت هذا الحد ولذلك نهى ﷺ "أن يتناجى اثنان دون واحد" لما كان الواحد ممنوعًا أن يسمع إلى حديثهما منعًا أيضًا أن يتناجيا دونه فيقع عنده منهما توهم ويظن بهما فمنعا من ذلك بقوله ﷺ ((لا يتناجى اثنان دون واحد))[1] وأما إن كانوا يتحدثون أمامك جهرًا وإن كان في قلوبهم كراهية منك أن تسمع كلامهم فهذا لا يلزمك منه شيء ولا أنت مطلوب بأن تعلم كراهيتم لاستماعك حديثهم)[2].

فينبغي على المسلم اجتناب التجسس واستماع أحاديث الآخرين؛ فإن الأصل في المسلم الطهارة والعفة والبراءة والسلامة من كل شيء مشين. ولذا كان الأصل في الإسلام النهي عن التجسس بجميع صوره، وأشكاله، سواء كان تجسس الفرد على الفرد، أو الدولة على الفرد، أو الفرد على الدولة، أوالدولة على الدولة، لأن التجسس

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٩٠، ومسلم ٢١٨٤.

(٢) بهجة النفوس ٢٥١/٤، ٢٥٢.

فيه انتهاك لحرمة المسلم وكشف ستره وقد يسبب الحقد والبغض بين أفراد المجتمع المسلم، وهذا ما يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً. لذا فإن الإسلام حرم التجسس إلا في حالات مخصوصة.

ومن أدلة تحريم التجسس: يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

ففي هذه الآية: الخطاب العام للمؤمنين بنهيهم عن أمور كثيرة منها: التجسس: والتجسس لفظ عام يشمل جميع أنواع التجسس دون استثناء.

ومن الأحاديث ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث. ولاتحَسَّسوا ولا تجسَّسوا، ولا تحاسَدوا ولا تَباغَضوا))[2] فلفظ الحديث عام يشمل النهي عن جميع أنواع التجسس.

ولا شك أن التجسس من أسوأ الاعتداءات على المسلم، فهو يتضمن عدم احترام حقوق المسلمين وانتهاكًا لأعراضهم[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الوعيد الشديد للمصورين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "ومن صَوّرَ صورةً عُذّب وكُلّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ".

قال ابن حجر: (هو أمر تعجيز ويستفاد منه صفة تعذيب المصور، وهو أن يكلف نفخ الروح في الصورة التي صورها وهو لا يقدر على ذلك فيستمر تعذيبه)[4].

قال ابن أبي جمرة: (وقوله ﷺ "من صور صورة" هل هو على العموم في كل

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٦٤.

(٣) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود، ٢/٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) فتح الباري ١٠/٣٩٨.

صورة من الصور أو على الخصوص؟ اللفظ محتمل وقرينة الحال التي بعد تقتضي الخصوص وهي قوله ﷺ "كلف أن ينفخ فيها" فإنه لا ينفع في صورة من الصور إلا صورة لها روح فتخصص بهذه القرينة أنها كل صورة لها روح من أي أنواع المخلوقات كانت، وقد جاء معنى هذا، أظنه عن عبدالله بن عباس، حين سأله شخص كان يفعل هذا فقال له "صور ما شئت مما ليس له روح مثل الشجر والفواكه وشبههما" أو كما قال ﷺ)[1].

وقال ﷺ: ((أشد الناس عذابًا عند الله المصورون))[2]، قال النووي: (قوله: "إن أشد الناس عذابًا" هذا محمول على من صور الأصنام لتعبد، فله أشد عذاب، لأنه كافر. وقيل: هذا فيمن قصد المضاهاة بخلق الله واعتقد ذلك وهو أيضًا كافر، وعذابه أشد. ومن لم يقصدهما فهو فاسق لا يكفر كسائر المعاصي. وأما الشجر ونحوه مما لا روح فيه فلا يحرم صنعته ولا التكسب به)[3]. وهذا مذهب العلماء إلا مجاهد فإنه جعل الشجرة المثمرة من المكروه[4].

قال الطيبي: (قال الخطابي: المصور هو الذي يصور أشكال الحيوان فيحكيها بتخطيط لها وتشكيل، فأما النقّاش الذي يَنْقُش أشكال الشجر ويعمل التداوير والخواتيم ونحوها، فإني أرجو أن لا يدخل في هذا الوعيد، وإن كان جملة هذا الباب مكروهًا وداخلاً فيما يلهي، ويشغل بما لا يعنى. وإنما عظمت العقوبة في الصورة؛ لأنها تعبد من دون الله فالنظر إليها يفتن، وبعض النفوس نحوها تنزع)[5].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من تحلم بحلم لم يره، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك يوم القيامة،

---

(١) بهجة النفوس ١٥٢/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٥٠، ومسلم ٢١٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، ص ١٣٣٢، ١٣٣٣.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٧٦/٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٧٦/٨.

ومن صور صورة، عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ".

فقد اشتمل الحديث على الترهيب من الكذب على الرؤيا، والترهيب من الاستماع لحديث من لا يريد استماعه. والترهيب: من التصوير.

وبيّن ﷺ أن هذه الأعمال يعذب بها فاعلها يوم القيامة: ووجه المناسبة بينهم. قال ابن أبي جمرة: (ومناسبة الوعيد المذكور للكاذب في منامه وللمصور أن الرؤيا خلق من خلق الله، وهي صورة معنوية، فأدخل بكذبه صورة لم تقع كما أدخل المصور إلى الوجود صورة ليست بحقيقة، لأن الصورة الحقيقية هي التي فيها الروح، فكلف صاحب الصورة اللطيفة أمرًا لطيفًا وهو الاتصال المعبر عنه بالعقد بين الشعيرتين، وكلف صاحب الصورة الكثيفة أمرًا شديدًا، وهو أن يُتم ما خلقه بزعمه بنفخ الروح، ووقع وعيد كل منهما، بأنه يعذب حتى يفعل ما كلف به، وهو ليس بفاعل فهو كناية عن تعذيب كل منهما على الدوام، قال: والحكمة في هذا الوعيد الشديد أن الأول كذب على جنس النبوة، وأن الثاني نازع الخالق في قدرته، وقال في مستمع حديث من يكره استماعه: يدخل في من دخل منزله، وأغلق بابه، وتحدث مع غيره، فإن قرينة حاله تدل على أنه لا يريد للأجنبي أن يستمع حديثه، فمن يستمع إليه يدخل في هذا الوعيد، وهو كمن ينظر إليه من خلل الباب، فقد ورد الوعيد فيه، ولأنهم قالوا لو فقؤوا عينه لكانت هدرًا)[1].

وأسلوب الترهيب يقصد به كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله[2].

---

(١) بهجة النفوس ٤/٢٥١، وهذا ملخص فتح الباري، ابن حجر، ١٢/٤٤٧.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

الحديث رقم (١٥٤٧)

١٥٤٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ : ((أَفْرَى الفِرَى أنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا)). رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

أفرى الفِرى: أي: أعظم الكذبات، والفرى جمع فرية[2]، ومعناه: أن يقول: رأيت فيما لم يَرَه[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شناعة الافتراء والكذب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مسئولية الإنسان عن كلامه.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: شناعة الافتراء والكذب:

جاء ذلك في صريح قوله ﷺ: "أفرى الفرى أن يُرِيَ الرجل عينيه مالم تريا" قال ابن حجر: "أى أعظم الكذبات والفرى، قال ابن بطال: والفرية: الكذبة العظيمة التي يتعجب منها، أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا، أى أخبر عنهما بالرؤيا وهو كاذب، قال الإمام الطبري: وأما الكذب في المنام فإنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل أوحد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره، والكذب على الله أشد من

---

(١) برقم (٧٠٤٣).

(٢) فتح الباري ٤٤٩/١٢.

(٣) رياض الصالحين.

الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا الصالحة جزءٌ من ستة وأربعين جزءً من النبوة" [2]. وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبَل الله تعالى[3]، وكذلك يندرج تحت شناعة الكذب في اليقظة، قال ابن علان في قوله ﷺ: "أن يُرِيَ الرجلُ عينيه ما لم تريا"، ظاهره شمول اليقظة والنوم، ومقتضى إيراد المصنف ثم تفسيره شموله له"[4].

فالكذب على الله من أشد الكبائر، قال الإمام ابن حجر الهيتمي "وأفحش الكذب ما كان كذبًا على الله عز وجل أو رسوله ﷺ، وقد صرح العلماء بعدُّ هذين النوعين (الكذب على الله والكذب على الرسول ﷺ) من الكبائر، وذهب بعضهم إلى أن الكذب على الرسول ﷺ كفر، قال ابن حجر: ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك"[5].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مسئولية الإنسان عن كلامه:

لقد قرر الإسلام مسئولية الإنسان عن كل ما يتلفظ به لسانه، وذلك بيانًا لعظم مسئولية الكلمة وخطورتها، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[6]، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "ما يلفظ من قول..."، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت"، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأُقِّر منه ما كان فيه من خير

---

(١) سورة هود، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٩٨٣، ومسلم ٢٢٦٣.

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ج١٢/٤٤٧.

(٤) دليل الفالحين، ص ١٥٩٩.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ج١/١٢٤.

(٦) سورة ق، آية: ١٨.

أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1]، [2]، لذا ينبغي على المسلم أن يحفظ لسانه من الآفات، كالكلام فيما لا يعني، والكذب والغيبة وغير ذلك[3]، فربما كلمة أهوت بصاحبها في أسفل سافلين، وأوردته موارد التهلكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم"[4]، ومن ذلك الكذب في الرؤى كما جاء في الحديث "أفْرَى الفِرَى أن يُرِى الرجلُ عينَيْه ما لم تَرَيَا"، ولله در القائل:

احْفَظْ لِسَانَكَ أيُّها الإنْسَانُ ... لا يَلْدَغَنَّكَ إنَّهُ ثُعْبَانُ

كم في المَقَابِرِ مِنْ قَتِيلِ لِسَانِهِ ... كانَتْ تَهَابُ لقاءهُ الشُّجْعَانُ[5]

عجيب حقًا أمر هذا اللسان، تراه مع صغر حجمه فَيْصلا تعرف به ذات البشر، ويستبين منه عمق الرجال ودرجاتهم من الفنون والثقافة، ومكانتهم العقلية والفكرية، وتجاربهم في الحياة العامة، وحنكتهم وذكاؤهم... إلخ.

وكثيرًا ما أوقع اللسان أمة في الهلاك.. وكثيرًا ما قاد جيشًا إلى الهاوية، وكثيرًا ما أودى بحياة جمع من البشر... لسوء حركته... وتعذر إلجامه.

وعجيب حقًا أمر هؤلاء الذين يصابون بنكبات من جراء ألسنتهم، ولم يقدروا على إلجامه وإلزامه، فالإنسان مخلوق وهب العقل المحكم والأعضاء الفاعلة.. والمفروض أن هذه النكبات حافزة على إلزامه أن يلزم نفسه وهواه.. فيتحكم في كلماته.

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٣٩٩/٧.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ١٩٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٨، و مسلم ٢٩٨٨ مختصراً.

(٥) كتاب الأذكار، الإمام النووي، ٢٩٨، والأبيان للإمام الشافعي، البحر: الكامل التام، المستظرف ١٨٦/١.

وعجيب أن يصعد بشر بين البشر ويأخذ مكانه عندهم بلسانه فقط. فليس كل المشاهير وأصحاب الجاه والمكانة يمتلكون ثروة علمية أو مادية. ولكنك ترى بعضهم يمتلكون معرفة بآفات اللسان. فيزدادون حرصًا عليه. فيلزمونه أن يتحرك دون فائدة. فيظهر عليهم الكمال والاتزان البشري. فيصلون إلى مكانة بين البشر. فسبحان الله.

وللسان مكانة بين الأعضاء، فكما هو نقمة على صاحبه إن أساء استعماله. فهو نعمة كبرى ومنة عظمى[1].

قال أبو حامد الغزالي: اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جرمه، عظيم طاعته وجرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرف عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له، وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء، فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء. واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخي العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار، إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان، أو يذم، غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير، وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه. وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان[2].

---

(١) أمراض النفوس، إبراهيم محمد الجمل، ص٢٥، ٢٦.

(٢) إحياء علوم الدين ١٠٤/٣.

ألا فيعلم الإنسان ويستحضر دائمًا أن ما ينطق ويتلفظ به مسجل عليه محاسب به، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا بينًا، حيث رهب النبي ﷺ من الكذب خاصة في الرؤى ببيان أن ذلك من أعظم الكذب وأشده، فقال ﷺ "أفْرَى الفرى أن يُرِي الرجلُ عينيه ما لم تَرَيا"، وأسلوب الترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا وأشدها تأثيرًا في قلوب المدعوين، لما فيه من تخويف المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة، وهذا هو نهج رسل الله الكرام، كما بينه القرآن، وجاءت به السنة النبوية المطهرة[2]، وينتج عن أسلوب الترهيب رهبة تخالج شعور الإنسان وتدفع صاحبها إلى البعد عن كل ما يؤدي إلى غضب الله وعذابه، من أعمال في هذه الحياة الدنيا[3]، وآيات القرآن حافلة بأسلوب الترهيب ومن ذلك ما ورد في الترهيب من الكذب، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

آذان ألفت سماع المنكر، وأبصار استمرأت رؤية الباطل، وألسن استساغت اللغو والغيبة، وقلوب أقفرت من الخشية، وأجدبت من الخوف فاسودت وأظلمت، وقست وتحجرت، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، لم تعد تهزها الموعظة، أو تنفعها الذكرى، أو تفيدها العبرة، أو يحدوها الوعد، أو يرهبها الوعيد، إلا من رحم ربك.

﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢١٧٠.

(٤) سورة هود، آية: ١٨.

ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[١].

والآن لنرى كيف ترجمت تلك المعاني، وطبقت هاتيك القيم، ولمع ذلك الإحساس في سماء صفوة من الناس، عمرت بالخوف قلوبهم، وتبددت من الإشفاق نفوسهم، وطاشت خشية الهول عقولهم، قلوب وجلة، وأكباد محترقة، وأعين باكية، ودموع مسبلة، احترقت وجناتهم، وشحبت ألوانهم، ونحلت أجسامهم، وكادت تزهق لشدة الخوف أرواحهم. أضناهم السهر، وأفزعهم الخبر. خشوع وخضوع، نحيب ودموع، صلاة وصيام، وجهاد وقيام، يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ويصبحون شعثًا غبرًا صفرًا:

تتجافى عن الفراش من الخوف ... إذا الجاهلون باتوا نياما
بأنين وعبرة ونحيب ... ويبيتون سجدًا وقياما

ومع كل ذلك كانوا كأن النار لم تخلق إلا لهم، فأشفقوا من يوم الوقوف على الله، وخافوا من هول المقام بين يديه، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[٢][٣].

إن الرهبة إذا غرست في قلب المسلم فإنه يحال بينه وبين معاصي الله تبارك وتعالى ولقد مدح الله عباده المؤمنين وفي مقدمتهم أنبياؤه ورسله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[٤].

اللهم اجعلنا ممن خاف مقامك في الدنيا فأمنته يوم القيامة.

وما كثرت الذنوب وأظلمت القلوب إلا لقلة الخوف من علام الغيوب.

تحيط بنا العبر، وتكثر الحوادث، وتعظم الكوارث، وتفتن الأمم، وتحل النقم، والأنفس لاهية، والأفكار ساهية، وحبال التقوى واهية.

قلوب تحجرت، وأحاسيس تبلدت، وجوارح عطلت، لا قلب يخشع ولا نفس تشبع،

---

(١) سورة الأعلى، الآيات: ٩-١٣.

(٢) سورة الإنسان، آية: ١٠.

(٣) انظر: كتاب الله أهل الثناء والمجد، د/ناصر بن مسفر الزهراني، ص٦٤٧، ٦٤٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

ولا عين تدمع، ولا فؤاد يرجف، ولا لسان ينكر. إلا من رحم الله.

أتخمت البيوت بالمعاصي، وملأت العقول بالشبهات، وأترعت النفوس بالشهوات، تسمع المعصية وقل من ينكرها، ويشاهد المنكر وكأنه المعروف، ويؤكل الحرام وكأنه الحلال، يجالس صاحب المعصية، ويؤاكل ويشارب مرتكب الكبيرة دون حرج في النفس من فعله أو إنكار في القلب لسلوكه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[1].

(١) سورة المائدة، آية: ٧٨، ٧٩.

الحديث رقم (١٥٤٨)

١٥٤٨- وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ لأَصْحَابِهِ: ((هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟))[1] فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أنْ يَقُصَّ، وإنَّهُ قَالَ لنا[2] ذَات غَدَاةٍ: ((إنَّهُ أَتَانِيَ اللَّيْلَةَ آتِيَانِ[3]، وإنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وإنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَا هُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأخُذُهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأسُهُ كَما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُوْلَى!)).

قَالَ: ((قُلْتُ لهما: سُبْحانَ اللهِ! مَا هَذَان؟ قَالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأتِي أحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجانبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجانبُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المرَّةِ الأُوْلَى)).

قَالَ: ((قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هذانِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ)) فَأَحْسِبُ أنَّهُ[4] قَالَ: ((فإذا فِيهِ لَغَطٌ، وأصْوَاتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِساءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا.

قُلْتُ[5]: مَا هَؤلاءِ؟ قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

---

(١) هذا الذي أخرجه مسلم (٢٢٧٥/٢٣) في هذا الحديث، ولم يزد، وأخرجه البخاري بطوله، مقطعًا في مواضع عدّة.

(٢) (لنا) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية. وهي عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٣) عند البخاري زيادة: (وإنهما ابتعثاني).

(٤) عند البخاري زيادة: (كان).

(٥) عند البخاري زيادة: (لهما)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ)) حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: ((أَحْمَرُ مِثْلُ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كثيرةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ، مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ، فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا، فَيَنْطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ، فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا.

قُلْتُ لهُما: مَا هذانِ؟ قالاَ لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المرْأَةِ، أَوْ[1] كَأَكْرَهِ مَا أنتَ رَاءٍ رجُلاً مَرْأًى، فإذا هُوَ[2] عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا. قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَا؟ قالاَ لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ الرَّبِيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيِ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولاً فِي السَّماءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ.

قُلْتُ[3]: مَا هَذَا؟ وَمَا هؤلاءِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ.

فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَى دَوْحَةٍ[4] عَظِيمةٍ لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلاَ أَحْسَنَ! قالا لي: ارْقَ فِيهَا، فَارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا، فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاها، فَتَلَقَّانَا[5] رِجالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أنت راءٍ! وَشَطْرٌ مِنْهُمْ[6] كَأَقْبَحِ مَا أنتَ راءٍ! قالا لَهُمْ: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ، وَإِذَا هُوَ[7] نَهْرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كأنَّ ماءهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ)).

---

(١) (أو) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٢) (هو) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه.

(٣) عند البخاري زيادة: (لهما)، وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه، وتبع عليه المنذري والمؤلف.

(٤) لفظ البخاري: (روضة) في الموضعين، بدل: (دوحة) والمثبت من الجمع للحميدي، وتبع عليه المنذري والمؤلف، وهو لفظ أحمد في المسند (٢٠٠٩٤).

(٥) عند البخاري زيادة: (فيها). وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٦) (منهم) لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وهي عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٧) (هو) لا توجد عند البخاري، وهي عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المؤلف.

قَالَ: ((قالا لِي: هذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنْزِلُكَ، فسَمَا بَصَري صُعُدًا، فإذا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيضاءِ، قالا لي: هذاكَ مَنْزِلكَ؟ قلتُ لهما: باركَ اللهُ فيكُما، فذَراني فأدخُلَه. قالا لي[1]: أمَّا الآنَ فَلاَ، وأنتَ دَاخِلُهُ، قُلْتُ لَهُمَا: فَإنِّي[2] رَأيتُ مُنْذُ اللَّيْلَة عَجَبًا؟ فما هَذَا الَّذِي رأيتُ؟.

قالا لي: أمَا إنَّا سَنُخْبِرُكَ:

أَمَّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الَّذي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأسُهُ بالحَجَرِ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يَأخُذُ القُرآنَ فَيَرفُضُه، ويَنَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكتُوبَةِ.

وأمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرُهُ إلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إلَى قَفَاهُ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ.

وأمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُراةُ الَّذِينَ هُمْ[3] في مثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَإنَّهُمُ الزُّنَاةُ والزَّواني.

وأما الرجلُ الذي أتيتَ عَليهِ يَسْبَحُ في النهرِ، ويلقم الحجارةَ، فإنَّهُ آكلُ الربا.

وأمَّا الرَّجُلُ الكَريهُ المرآةِ، الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا، فإنَّهُ مالكٌ خازِنُ جَهَنَّمَ.

وأمَّا الرَّجُلُ الطَّويلُ الَّذِي في الرَّوْضَةِ، فإنَّهُ إبراهيم ﷺ.

وأمَّا الولدان الَّذِينَ حَوْلَهُ، فكلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَى الفِطْرَةِ)).

(وفي رواية البَرْقانِيِّ: ((وُلِدَ عَلَى الفِطْرَةِ)))[4].

فَقَالَ بعض المُسلمينَ: يَا رسولَ الله، وأولادُ المُشركينَ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((وأولادُ المشركينَ.

وأما القومُ الذينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبيحٌ، فإنَّهُمْ قَومٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا، تَجاوَزَ الله عنهم)). رواه البخاري[5].

---

(١) (لي) لا توجد عند البخاري.

(٢) عند البخاري زيادة: (قد)، وهي لا توجد الحميدي، تبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٣) (هم) لا توجد عند البخاري. وهي عند الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٤) هذه الزيادة نقلها المؤلف عن الحميدي في جمعه (١/ ٣٨٠، رقم ٦٠٩). ولم يوردها المنذري في ترغيبه.

(٥) برقم (٧٠٤٧). الجمع للحميدي (١/ ٣٧٧- ٣٨٠، رقم ٦٠٩). أورده المنذري في ترغيبه (٨٢٥).

وفي روايةٍ لَهُ[١]: ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي[٢] فأخْرَجَانِي إِلَى أرْضٍ مُقَدَّسَةٍ)) ثُمَّ ذَكَرَهُ وقال: ((فَانْطَلَقْنَا إِلَى نَقْبٍ مثلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وَأسْفَلُهُ واسِعٌ؛ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نارًا، فإذا ارْتَفَعَتِ[٣] ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادُوا[٤] أنْ يَخْرُجُوا، وَإِذَا خَمَدَتْ! رَجَعُوا فِيهَا، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عراةٌ)).

وفيها: ((حَتَّى أتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ)) (ولم يشكَّ)[٥] ((فِيهِ رَجُلٌ قائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهْرِ وعلى شطِّ النَّهرِ رجلٌ، وبينَ يديهِ حِجارةٌ، فأقبلَ الرجلُ الذي في النَّهرِ، فَإِذَا أرَادَ أنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ جَعَلَ[٦] يَرْمِي في فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كما كَانَ)).

وفيها: ((فَصَعِدَا بِي[٧] الشَّجَرَةَ، فَأدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أرَ قَطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، فيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ[٨])).

وفيها: ((الَّذِي رَأيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ (مَا رَأيْتَ)[٩] إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)).

وَفِيهَا: ((الَّذِي رَأيْتَهُ يُشْدَخُ رَأسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ

---

(١) برقم (١٣٨٦) من رواية جرير بن حازم.

(٢) عند البخاري زيادة: (وأخذا بيدي)، وهي لا توجد عند الحميدي، فتبعه عليه المؤلف.

(٣) لفظ البخاري: (اقترب)، وفي لفظ: (اقترت). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه. وتبعه عليه المنذري في ترغيبه (٣٥٢٦)، والمؤلف.

(٤) لفظ البخاري: (حتّى كاد أن يخرجوا)، وفي لفظ: (كادوا يخرجون). والمثبت لفظ الحميدي في جمعه، وتبعه عليه المنذري في ترغيبه، والمؤلف.

(٥) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري، وإنما هي من الحميدي كما في جمعه، ويريد بقوله هذا: أن في الرواية التي تقدمت: (حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم) وفي رواية جرير بن حازم، قال: (على نهر من دم) ولم يقل: (حسبت) ولأجل ذلك علّق الحميدي بقوله هذا: إن جرير بن حازم رواه بهذا اللفظ بلا شكٍّ.

(٦) (جعل) لا توجد عند البخاري، ولا عند الحميدي في جمعه.

(٧) عند البخاري زيادة: (في)، وهذا لفظ الحميدي في جمعه.

(٨) وزاد: (ونساء وصبيان)، وهذه الزيادة لم يوردها الحميدي في جمعه اختصارًا، وتبعه عليه المؤلف.

(٩) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وهو تفسير من النووي.

فِيهِ بالنَّهارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ[١].

والدَّارُ الأولَى الَّتي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤمِنِينَ، وأمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَداء، وأنا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكائيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأسِي، فإذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحابِ، قالا: ذاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أدْخُلُ مَنْزِلِي، قالا: إنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَهُ أتَيْتَ مَنْزِلَكَ)). رواه البخاريُّ.

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

غريب الألفاظ:

غَدَاة: ما بين الفجر وطلوع الشمس أي: صباحَ يوم[٢].

فَيَثْلغ رأسَه: يشدخه ويشقه[٣].

يتدهده: يتدحرج[٤].

الكَلُّوبُ: حديد مُعْوَجَّةُ الرأس[٥].

يشرشر: يُقَطِّعُ[٦].

شدقه: جانب فمه[٧].

التَّنُّور: الذي يخبز فيه[٨].

اللغط: صوت وضجة لا يفهم معناها[٩].

---

(١) هذه القطعة رواها البخاري أيضًا برقم (٦٠٩٦).

(٢) الوسيط في (غ د و).

(٣) رياض الصالحين ٥٣٤.

(٤) رياض الصالحين ٥٣٤.

(٥) النهاية في (ك ل ب).

(٦) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٧) انظر: فتح الباري ١٢/٤٦١.

(٨) النهاية في (ت ن ر).

(٩) النهاية في (ل غ ط).

ضَوْضَوا: أصاحوا[١].

فيَغْفَر له: يفتح[٢].

فيلقمه حجرًا: يرميه إياه[٣].

المرآة: المنظر[٤].

يحشها: يوقدها[٥].

روضةٍ معتمة: وافية النبات طويلته[٦].

نُور: زهر[٧].

دوحة: شجرة كبيرة[٨].

ارْقَ: اصعد[٩].

بلبن ذهب ولبن فضة: اللبن جمع لبِنَه، وأصلها ما يبنى به من طين[١٠].

نهر معترض: أي: يجري عرضًا[١١].

المحض: اللَّبَنُ[١٢].

فسما بصري: ارتفع[١٣].

---

(١) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٢) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٣) فتح الباري ١٢/٤٦٢.

(٤) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٥) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٦) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٧) فتح الباري ١٢/٤٦٣.

(٨) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٩) الوسيط في (ر ق ى).

(١٠) فتح الباري ١٢/٤٦٥، ٤٦٦.

(١١) فتح الباري ١٢/ ٤٦٤.

(١٢) رياض الصالحين ٥٣٥.

(١٣) رياض الصالحين ٥٣٥.

صُعُدًا: مرتفعًا[١].

الربابة: السحابة[٢].

الآفاق: جمع أفق، وهو الناحية[٣].

الفطرة: الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه[٤].

نقب: خرق[٥].

خمدت: سكن لهبها ولم يطفأ جمرها[٦].

يشدخ رأسه: شجه وجرحه[٧].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي تتعدد طرائقه، وتتنوع أساليبه التي يصل من خلالها إلى إقناع العقول، وإمتاع النفوس، وتهذيب الطباع، وتصفية القلوب.

والرمز هو وسيلة من وسائل الإقناع، والتأثير في هذا الحديث المطوّل الذي يسرد وقائع رؤيا صادقة من رؤى النبي ﷺ، ورؤى الأنبياء حق، وهي كفلق الصبح.

والتصوير الرمزي في هذا الحديث واضح لا غموض فيه، ولكن الصور غريبة مؤثرة تنزع إلى تصوير أدواء المجتمع وأمراض النفوس، وتوضح كذلك المصير المضيء الذي يؤول إليه الصالحون، بعد تفصيل مشاهد المصير المظلم الذي ينتهي إليه الفاسدون.

وفي صدر الحديث يتكرر التوكيد بإن "خمس مرات" للتنبيه على أهمية هذه الرؤيا النبوية حيث ترد هذه العبارات: إنه قال: إنه أتاني الليلة، وإنهما قالا،

---

(١) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٢) رياض الصالحين ٥٣٥.

(٣) الوسيط في (أ ف ق).

(٤) الوسيط في (ف ط ر).

(٥) الوسيط في (ن ق ب).

(٦) الوسيط في (خ م د).

(٧) الوسيط في (ش د خ).

وإني انطلقت، وإنا أتينا.

ومشاهدة هذه الرؤيا الرمزية تتضمن ثمانية رموز تضيء كثيرًا من جوانب الحياة المظلمة، وتكشف أحوال الفاسدين، وتتوعد بالعذاب طوائف المارقين، والتشويق يعد عنصرًا من عناصر التأثير في هذا الحديث لأن المصطفى ﷺ قدّم الصور الرامزة الغريبة أولاً. وعقب كل مشهد يتساءل ما هذان، ما هذان، ولكن تفسير الرموز جاء بعد سرد المشاهد كلها.. ثم قال رسول الله ﷺ مؤكدًا قوله: "فإني رأيت منذ الليلة عجبًا.. فما هذا الذي رأيت؟".

وتفسير المشاهد والرموز فيه إصلاح للنفوس، وإضاءة لكل دروب الخير والإصلاح في دنيا الناس.

ولنتأمل منظر ذلك الرجل المضطجع، الذي يَهْوي رجلٌ آخر بالصخرة عليه فيثلغ رأسه أي يشقها ثم تعود الرأس مرة أخرى صحيحة، ويعاود الرجل عمله عدة مرات، إنه لعذاب شديد، وتصوير رهيب لمن يهجر القرآن وينام عن الصلاة المكتوبة، ورفضُ القرآن بعد حفظه كبيرة عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه!! ولنتأمل مصير الكذاب وعقابه في الآخرة، ، إنه يصور في صورة الرجل الذي يعذب بشق شدقه ومنخره، وعينه إلى قفاه من الجانب الأيمن، ثم من الجانب الأيسر، ثم يعود صحيحًا.. ويتكرر التعذيب مرات ومرات.. ولأن الكاذب يدَّعي ما لا تقع عليه حواسه، ويخدع الناس.. فإن هذا هو مصيره وجزاؤه.

وما أبشع هذه الصورة التي يتجسد فيها مصير الزناة والزواني، فهم في قلب اللهيب ومسجونون في بناء مثل التنور يصيحون ويستغيثون، وهم عراة من رجال ونساء، ولا مغيث لهم لأنهم في دنياهم غرقوا في نهر المعاصي، وفي الآخرة مصيرهم الغرق في لهيب جهنم، وآكل الربا: ما أقبح مصيره، وما أبشع عذابه، إنه يسبح في نهر من الدم.. لأنه باستحلاله الربا امتص دماء الناس وأعمارهم وأرزاقهم، وهو لا يشبع في دنياه من الربا، وكذلك في الآخرة تتحول أموال الربا إلى حجارة تثقل بطنه، وهي حجارة من الدم واللهيب!!

وفي ختام سرد هذه المشاهد الكريهة تأتي صورة مالك خازن النار وهو على هيئة تناسب أهل جهنم، فالنار عنده يوقدها ويسعى حولها حتى تظل موقدة، وعلى هؤلاء العصاة مؤصدة، في عمدٍ ممددة. وتتوالى بعد ذلك المشاهد الإيجابية الترغيبية: صورة إبراهيم الخليل عليه السلام، وصورة أولاد المسلمين وأولاد المشركين، الذين ماتوا على الفطرة وقد ولدوا عليها، وصورة الذين تاب الله تعالى عليهم وسبحوا في نهر الطاعة والتوبة.

وما أروع ختام الحديث حيث "جنة عدن".. منزل رسول الله ﷺ قصر مثل السحابة البيضاء مستقر خاتم الأنبياء.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رؤية النبي ﷺ لبعض مشاهد القيامة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإعراض عن القرآن الكريم، والنوم عن الصلاة المكتوبة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الزنا.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الربا.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير والترهيب من الكذب والإشاعات.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: بيان المكانة العظيمة لنبي الله إبراهيم عليه السلام.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان المكانة العظيمة للرسول ﷺ.

عاشرًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

حادي عشر: من أهداف الدعوة الإسلامية: الحفاظ على الضرورات الخمس.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال:

ورد أسلوب السؤال في الحديث، "وذلك قول سمرة بن جندب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا" وأسلوب السؤال من

الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما لها من أثر في إيجاد الاستعداد الفكري والنفسي لدى المدعوين، لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية وحامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد[١] إلى أقصى حد ممكن، وقد حفلت آيات القرآن في كثير من المواطن بذكر السؤال والجواب، مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾[٢]. وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[٣].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

ورد أسلوب الحوار في الحديث فيما قصه النبي ﷺ من الرؤيا التي رآها وما دار بينه وبين الرجلين الذين أتياه في منامه" وإنهما قالا: انطلق وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع... الحديث" والحوار من الأساليب النافعة في الدعوة، والذي يعود على الدعوة بالمكاسب العظيمة، فالحوار يعني الانفتاح الواعي على الآخرين، والحوار ظاهرة اجتماعية، إذ هو من أفعال المشاركة والتواصل مع الآخرين[٤]، والقرآن الكريم يكثر فيه الاعتماد على المناقشة والحوار، وللقرآن في ذلك أسلوب رائع عجيب، فهو إذ يناقش ويحاور يثير النظر إلى الأدلة، ويعرض لها، ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة في تضاعيف الكلام، دون أي نص على هذه النتائج، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل"[٥].

ومن ذلك ما سجله القرآن من حوار دار بين الرسول ﷺ وبين قومه، قال تعالى:

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨-٦٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٣) سورة التين، آية: ٨.

(٤) فصول في التفكير الموضوعي، د. عبدالكريم بكار، ص ٢٧٦.

(٥) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، بدون تاريخ، ص٣٧-٣٨.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[1]، [2].

إن الحوار يعد العنصر الأساسي للعلاقات الاجتماعية الإنسانية. ومذ خلق الله تعالى آدم فإن كلا العلاقات البشرية، النافعة منها وغير النافعة، ابتدأت بمرحلة الحوار. وبالتالي فإن الحضارات الإنسانية المترتبة على هذه العلاقات، إنما هي نتائج طبيعية للحوار الإنساني المعبر عن التفاعل الفكري المتبادل لبني آدم عليه السلام.

ولا شك أن أرقى أنواع الحوار هو حوار الدعوة إلى الله تعالى، ذلك هو حوار الرسا وأتباعهم، لفطرة الإنسان، ليجلو عنها ما ران وغبر: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾[3].

ومن جنس هذا الحوار: حوار الدعاة بينهم، للقيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى[4].

إن الحوار ينبغي أن يقوم على التناصح وطلب الخير لا على تعميق الخلاف وترسيخه.

قال ابن تيمية محدثًا عن منهجه في الحوار وعن مدى سعة صدره: هذا وأنا في سعةِ صدرٍ لمن يخالفني، فإنه وإن تعدى حدود الله فيَّ بتكفير، أو تفسيق، أو افتراء، أو عصبية جاهلية، فأنا لا أتعدى حدود الله فيه، بل أضبط ما أقوله وأفعله بميزان العدل، وأجعله مؤتمًا بالكتاب الذي أنزله الله وجعله هدى للناس، حاكمًا فيما اختلفوا فيه، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨-١٠.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ٧٠.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

(٤) مقدمة مجلة الحكمة، العدد الثامن، شوال ١٤١٦هـ، ص١١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[2].

وذلك أنك ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾[4]، أ.هـ[5].

إن الحوار ليس كَحَلَبة مصارعة، وإنما هو مقدمة للتفاعل المعرفي بين المتحاورين، والهدف منه الوصول إلى الحقائق، وتمييزها عما يضارها وتنقيتها من الشوائب التي تكدر صفوها أو تعميها على أعين الناس.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رؤية النبي ﷺ لبعض مشاهد القيامة:

جاء في الحديث: التصريح باطلاع الله عز وجل لرسوله ﷺ في رؤياه على بعض مشاهد القيامة: "وإنا أتينا على رجل مَضْطجع. وإذا آخرُ قائم عليهِ بصخرةٍ، وإذا هو يَهوي بالصخرةِ لِرأسهِ فيَثْلغ رأسَهُ فيتدَهدَه الحجر....الحديث". وذلك أن معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة، وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه إلى نفسه الكريمة في غير ما آية في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا

---

(١) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٢٠.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٤٥/٣.

ٱللَّهُ ﴾[١]. وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضى من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريقة الوحى إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾[٢]، وقد اشتهر النبي ﷺ وانتشر أمره باطلاع الله له على المغيبات، فروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال : " قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ"[٣]،[٤]. قال القاضي عياض: وهذه المعجزة من جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر[٥].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإعراض عن القرآن الكريم، والنوم عن الصلاة المكتوبة:

جاء الترهيب في الحديث من نسيان القرآن الكريم، والتهاون في الصلاة المكتوبة باطلاع الله لنبيه ﷺ على عذاب من هذا فعله، واطلاع النبي ﷺ للأمة على هذا "وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ بها رأسه، فيتدهده الحجر ههنا، فيتبع الحجر يأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى..، فإنه الرجلُ يأخذُ القرآن فيرفضهُ وينامُ عن الصلاة المكتوبة"، قال ابن حجر: "قال ابن هبيرة: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه فلما رفض

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٤٢/١، ٥٤٤.

(٥) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، ٣٢٩/١.

أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب في أشرف أعضائه وهو الرأس[١]. ومن أهم ما دعا إليه القرآن الصلاة، فعذب عليهما لهذا العذاب المذكور، وقد رهب القرآن من الإعراض عنه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[٢]، وقال: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[٣].

قال ابن القيم: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها.

فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا دخل في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾[٤]. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض[٥].

كما رهب من ترك الصلاة والتهاون فيها، قال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[٦]، وقال: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟

---

(١) فتح الباري ١٢/٤٦٤.

(٢) سورة طه، الآيات: ٢٤-٢٦.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٣٠.

(٥) بدائع التفسير ٣/٢٩٢، ٢٩٣.

(٦) سورة الماعون، الآيتان: ٤-٥.

ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾[١].

قال القاسمي: "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة" وقرئ (الصلوات) بالجمع أي المتضمنة للسجود والأذكار، المستدعية للبكاء. وإذا أضاعوها، فهم لما سواها من الواجبات أضيع. لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد "واتبعوا الشهوات" أي فأتوا بما ينافي البكاء والأمور المرضية من الأخلاق والأعمال، من الانهماك في المعاصي التي هي بريد الكفر "فسوف يلقون غيا" أي شرًا. قال الزمخشري: كل شر عند العرب غي، وكل خير رشاد. قال المرقشي:

فمن يلق خيرًا يحمد الناس أمره ... من يغو لا يعدم على الغي لائما

أي من يفعل خيرًا، يحمد الناس أمره. ومن يفعل الشر لا يعدم اللوائم على فعله. وقيل: أراد الشاعر بالخير المال، وبالغي الفقر. أي ومن يفتقر. ومنه القائل:

والناسُ مَن يَلْقَ خيرًا قائلون لهما ... شَتْهي ولأمّ المخطئ الهَبَلُ

أي: الثكل، ويجوز أن يكون المعنى جزاء غي. كقوله تعالى "يلق أثامًا" أي شرًا وعقابًا. فأطلق عليه كما أطلق الغي على مجازاته المسببة عنه، مجازًا. أو (غيًا) ضلالاً عن طريق الجنة. فهو بمعناه المشهور[٢].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الزنا:

ورد ذلك في بيان عقوبته وعذابه "فانطلقنا فأتَينا على مثل التنُّور، قال: وأَحسِبُ أَنه كان يقول: فإِذا فيه لَغَطٌ وأَصواتٌ. قال: فاطلعْنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساء عراةٌ، وإِذا هم يأتيهم لَهَبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوا..." وأما الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، قال ابن حجر: مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يفضحوا لأن عادتهم أن يستتروا في الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة في إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى[٣]، وقد حذر

---

(١) سورة مريم، آية: ٥٩.

(٢) محاسن التأويل مج٧/١١/١٣٧.

(٣) فتح الباري ١٢/٤٦٦.

الله منه فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[١]. قال القرطبي: قال العلماء قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنى" أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، فإن معناه: لا تدنوا من الزنا[٢] وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك والقتل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾[٣]، وقد أجمع أهل الملل على تحريمه، فلم يحل في ملة قط، ولذا كان حده أشد الحدود، لأنه جناية على الأعراض والأنساب[٤].

لقد حرم الإسلام الزنا تحريمًا قطعيًا لا هوادة فيه قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾[٦].

وقال رسول الله ﷺ فيما رواه عنه سلمة بن قيس: «ألا إنما هن أربع: أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا»[٧].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ (قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ. وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»[٨].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن مج٥/١٠/٢٥٣.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٠.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٨٨٩٠، وقال محققو المسند إسناده صحيح، وصححه الألباني انظر: (صحيح الجامع، ٢٦٤٠)، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١٧٥٩).

(٨) أخرجه مسلم ١٠٧.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أيُّ الذَّنب أعظمُ؟ قال: أن تجعلَ لله ندًّا وهو خلَقَك. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: أن تقتلُ وَلدَك من أجل أن يَطعمَ معك. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: أن تُزاني حَليلةَ جارك»[1].

إذن فليخسأ دعاة العهر والدعارة إلى غير رجعة، فهذا هو ديننا الحنيف، وهذه هي القوانين الإلهية تجيء لدحض هذه الشُبه والافتراءات التي تنبجس من قلوب تقطر حقدًا وحسدًا وغيظًا على الإسلام وأهله، وهذه هي وصايا من لا ينطق عن الهوى، ينزهنا عن هذه البراثن المقيتة، فيا أدعياء الضلالة، إن الواقع خير شاهد على بطلان دعاويكم التحررية من كل شرف وفضيلة، فضلاً عن كتاب ربنا جل جلاله وعن سنة نبينا ﷺ فموتوا كمدًا مثلما ماتت مهاتراتكم كلما بزغ الحق ولاح.

إن الزنا لا يعدو أن يكون لذة من لذائذ الحياة الآثمة عند هؤلاء النفر ضعاف الإيمان، وساقطي الرجولة والشهامة.

فإن الزاني عندما ينزع عن لقيطته، ويهجر على خجل فراش عشيقته، يعاني ويلات هذه الفعلة القبيحة، فتصبح معشوقته أبغض الناس إلى قلبه، وينظر إلى نفسه نظرة ازدراء واحتقار، بل سفه وجنون! ويرى أنه أحقر خلق الله، وود لو قرض ما أوداه إلى هذا المصير بالمقاريض، ويصبح أسير الخوف والهلع من نظرات الناس أن يكونوا كشفوا أمره، وتفارقه فكرة الزواج خوفًا أن يكون ألم بعرضه ما ألم بعرض غيره، فيصبح أسير الوساوس والقلاقل الحياتية والنفسية فتفارقه الراحة، ويخلد في مستنقعه الآسن مرة أخرى.

مع أنه كان المفروض أن يكون هذا الشعور المخيف، والتأنيب الذريع بداية بصيص من الأمل يجلب له الوقوف عند هذا الحد من الانحلال، والتفكير في التوبة، ولكن جزاء السيئة سيئة أخرى مثلها، وهذه إحدى العواقب التي يتكردس بسببها صاحبها في بحار الجحيم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨١.

إن الزاني فاقد الرجولة والشهامة، والعزيمة والإرادة، منحط الأخلاق، عديم الحياء، جبان، غالبًا كان أو مغلوبًا، حقير، رئيسًا كان أو مرؤوسًا، محروم من الهيبة والوقار، وضيع الجانب عظيم العار، استحق المقت والسخط والعذاب، نزع من قلبه كل شفقة ورحمة فهو ذئب متلفع برداء الشرف والعرض والفضيلة بقدمه، وتجلبب بالذل والمهانة والخسة، حتى صار كالكلب الضاري المسعور، فإذا ما شبع وثمل وانهد، ذهب مطأطئ الرأس يجر قدميه كالخنزير المهين الدنيء الحقير.

والفرق بينه وبين الشريف الحي العفيف، جهاد ساعة!.

فاللهم احفظنا بحفظك، وثبتنا على طريقك حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا. اللهم آمين[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الربا:

ورد الترهيب من الربا ببيان عقوبته في الحديث: "فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجلٌ سابحٌ يَسبَح، وإذا على شَط النهر رجلٌ قد جَمَعَ عندَه حجارة كثيرةً، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحَ، ثمَّ يأتي ذلك الذي قد جمعَ عندهُ الحجارةَ فيفغرَ له فاهُ فيلقمُهُ حجرًا فينطلقُ فيسبَح ثمَّ يرجعُ إليه، كلما رَجَعَ إليه فغَرَ له فاهُ فألقمه حجرًا ... وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يَسبح في النهر ويُلقم الحجرَ فإنه آكِلُ الرِّبا"، قال ابن حجر: "قال ابن هبيرة إنما عوقب آكل الربا بسباحته في النهر الأحمر وإلقامه الحجارة لأن أصل الربا يجرى في الذهب والذهب أحمر، وأما إلقام الملك له الحجر فإنه إشارة إلى أنه لا يغني عنه شيئا وكذلك الربا فإن صاحبه يتخيل أن ماله يزداد والله من ورائه محقه"[2].

فالربا من الموبقات وأشد الذنوب والمعاصي، ذكر الإمام القرطبي في تفسيره ما قاله ابن بكير، قال: جاء رجل إلى مالك بن أنس، فقال: يا أبا عبد الله، إني رأيت رجلاً سكرانًا يتعاقر يريد أن يأخذ القمر؛ فقلت: امرأتي طالق إن كان يدخل جوف

---

(١) كتاب: "والذين هم لفروجهم حافظون" خميس بن السعيد محمد، ٨٩، ٩٠.

(٢) فتح الباري ٤٦٥/١٢.

ابن آدم أشرُّ من الخمر. فقال: ارجعْ حتى أنظر في مسألتك. فأتاه من الغد فقال له: ارجع حتى أنظر في مسألتك فأتاه من الغد فقال له: امرأتك طالق؛ إني تصفحت كتاب الله وسنّة نبيه فلم أر شيئًا أشرّ من الربا؛ لأن الله أذن فيه بالحرب[1]. قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[2]. وحكمة تحريم الربا أنه يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عوض، ويفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس إضافة إلى آثاره السلبية على اقتصاد البلاد عامة وآحاد الناس خاصة، لأنه يفضي إلى امتناع الناس من الاشتغال بالمكاسب، لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة الربا من تحصيل الدرهم الزائد، خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق[3].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: التحذير والترهيب من الكذب والإشاعات:

جاء التحذير من ذلك ببيان عقوبة إلقاء الكلمة، التي ليس لها مطابقة للواقع "فانطَلَقْنا فأتينا على رجل مستَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليهِ بكلوبٍ من حديد، وإذا هو يأتي أَحدَ شِقي وَجهِهِ فيُشرشِر شِدْقه إلى قَفاه، ومِنْخَره إلى قَفاه، وعَينَه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يَفرُغ من ذلك الجانب حتى يَصحَّ ذلك الجانب كما كان، ثمَّ يعودُ عليه فيفعل مثلَ ما فعلَ المرَّةَ الأولى ... وأما الرجل الذي أتيت عليه ليشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق"، وشرشرة تلك الأعضاء وشقها إنزال للعقوبة بمحل المعصية[4]. وقد تضافرت النصوص على تحريم الكذب وإشاعته بين الناس والحض على الصدق وتحريه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟

---

(١) الجامع لأحكام القرآن مج٢/٣/٣٦٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٩.

(٣) الموسوعة الفقهية ٢٢/٥٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١٢/٤٦١.

مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[١]، وقال ﷺ: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا"[٢]. وقد حرم الإسلام الكذب ونقل الإشاعات وترويجها بين الناس وبين أن كل ما يصدر عن الإنسان مسجل عليه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٣].

قال ابن كثير: أي ما يتكلم ابن آدم بكلمة إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٤].

قال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين، يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وإن أبى كتبها.

وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾[٥]، يا ابن آدم بُسطِت لك صحيفة ووكّل بك مَلَكَان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى يخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[٦]، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري، رقم ٦٠٩٤.

(٣) سورة ق، آية: ١٨.

(٤) سورة الانفطار، الآيات: ١٠-١٢.

(٥) سورة ق، آية: ١٧.

(٦) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣، ١٤.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى أنه ليكتب قوله: أكلتُ شربتُ ذهبتُ جئتُ رأيتُ، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[2]، وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاووس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يئن أحمد حتى مات[3].

ومعلوم أن الكذب ونقل الإشاعة وترويجها في المجتمع من أنواع الفحش والإثم والبغى التي حرمها الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، [5].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: بيان المكانة العظيمة لنبي الله إبراهيم عليه السلام:

وردت الإشارة إلى رفيع منزلة إبراهيم عليه السلام وعلو مكانته "فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ... وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام". قال ابن حجر: وإنما اختص إبراهيم لأنه أبو المسلمين، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[6]،

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٩٨/٧، ٣٩٩.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٥) الإشاعة وآثارها في المجتمع، دراسة وصفية تحليلية، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، مؤسسة جائزة المدينة المنورة الخيرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ١٦١.

(٦) سورة الحج، آية: ٧٨.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، [2]، كما أثنى الله على إبراهيم وأمر الله رسوله ﷺ بإتباعه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، أى ومن كماله وعظمته وصحة توحيده وطريقه، أنا أوحينا إليك ياخاتم الرسل وسيد الأنبياء، كما قال في سورة النعام: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4]، [5].

إن من يستعرض آيات القرآن التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام يتبين له مدى اهتمام القرآن بأمر إبراهيم عليه السلام، ويمكن القول: إن الصلة بين محمد وإبراهيم عليهما السلام من ناحية وبين دعوتيهما من ناحية ثانية قوية، ويؤكدُ ذلك أمران:

الأمر الأول: رابطة الدم، فإسماعيل من ولد إبراهيم ومن نسله محمد عليهم الصلاة والسلام.

الأمر الثاني: رابطة الدين، فمحمد ﷺ هو دعوة إبراهيم التي توجه بها إلى الله تعالى وهو يبني البيت الحرام ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[6] وجاء في الحديث عن أي أمامة رضي الله عنه

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٦٦/١٢.

(٣) سورة النحل، الآيات: ١٢٠-١٢٣.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦١١/٤-٦١٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٢٩.

قال: ((قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ قال دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام))[1] وقد اصطفى الله كلاً منهما بالنبوة والرسالة، وجعلهما من أولي العزم من الرسل، وأمر محمدًا ﷺ بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام، لعظيم الشبه بينهما، وهذا ما يجعلنا نلقي الضوء على بعض أوجه الشبه بين دعوتيهما، ومنها:

أ- مسمى الدعوة:

صرح القرآن بأن إبراهيم عليه السلام قد أتى بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2] وأنه كان حنيفًا مسلمًا، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]. وبمثل ذلك صرح القرآن في حق محمد ﷺ فهو على الدين الإسلامي ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[4] لأنه الدين الذي رضيه الله لنا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾[5] وأنه على ملة إبراهيم ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[6] وأنه أولى الناس بإبراهيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥٢/٥ رقم ٢٢٢٦١، وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره ٥٩٦/٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠-١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٦٧.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦١.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣.

(٦) سورة النحل، آية: ١٢٣.

(٧) سورة آل عمران، آية: ٦٨.

ب-اتحاد أصول الشرائع، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1][2].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: بيان المكانة العظيمة للرسول ﷺ:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله: "قال: قالا لي: هذه جنةُ عَدْنٍ وهذاكَ منزلك. قال: فسمَا بصَري صُعُدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبابةِ البيضاء. قال: قالا لي هذاكَ منزِلك، قال: قلت لهما: باركَ الله فيكما. ذَراني فأدخُله، قالا: أما الآن فلا، وأنتَ داخِله" أى قصر عاليًا مثل الربابة أى السحابة البيضاء، ويقال لكل سحابة منفردة دون السحاب ولو لم تكن بيضاء، وقال الخطابي: الربابة السحابة التي ركب بعضها على بعض[3]، ووصف القصر بالربابة، زيادة في الإظهار، وتسمية الجنة عدن يعني المدينة من عدن بالمكان إذا أقام به[4]. وذلك من الخصائص التي اختص بها رسول الله ﷺ ولم يعطها غيره، مما يدل على منزلته وعظيم قدره عند ربه تبارك وتعالى، إلى غير ذلك من الخصائص كالوسيلة والفضيلة والحوض، والكوثر، واللواء وغير ذلك[5]، ومن ذلك الوسيلة والفضيلة وهى أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا عبد واحد من عباد الله وهو رسولنا ﷺ[6]، وقال ابن كثير: الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة، وهى منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهى أقرب أمكنة الجنة إلى العرش[7].

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٢) انظر: دعوة الرسل، د. بكر زكي عوض، ٣٥٢-٣٥٥.

(٣) فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٤٦٤/١٢.

(٤) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦٠٤.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، ٤٦٩/١.

(٦) خصائص النبي ﷺ، المحب المكي، تعليق محمد السيد عفيفي، مكتبة المجد العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ٣٩٠/٢.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٥٥/٢.

عاشرًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

ورد أسلوب الترغيب والترهيب في الحديث ظاهرًا واضحًا، حيث جاء الترغيب في العمل الصالح في بيان جزاء الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، والترهيب من رفض القرآن والتكاسل عن أداء الصلاة المكتوبة والكذب والزنا والربا وغير ذلك، ببيان عاقبة هذه الأعمال السوء، وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما في الترغيب من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفي الترهيب تخويف المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، والملاحظ أن القرآن الكريم والسنة النبوية مملوآن بما يرغب الناس في قبول الدعوة والترهيب من رفضها[1]، فإن ما جاء به الشرع الحنيف كله بعد الإقرار بالوحدانية وصدق الرسول ﷺ لا يعدو أن يكون ترغيبًا في الخيرات وترهيبًا من المعاصي والموبقات، وثمرة ذلك حث المؤمن على الرغبة فيما عند الله تعالى، والرهبة من عقابه[2]، وذكر القرآن حال المؤمنين بين الرغبة والرهبة، وأنهما جناحا الإيمان ودفع المؤمن إلى الترقي والعلاء، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[3].

"تتجافى جنوبهم عن المضاجع" أي: ترتفع وتتنحى عن الفرش ومواضع النوم، وهم المتهجدون بالليل "يدعون ربهم" أي: داعين له "خوفًا" من عذابه "وطمعًا" في رحمته "ومما رزقناهم" أي: من المال "ينفقون" أي: في وجوه البر والحسنات[4].

حادي عشر- من أهداف الدعوة الإسلامية: الحفاظ على الضرورات الخمس:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة حفظ الكليات الخمس وهى حفظ النفس والدين

---

(١) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٢) موسوعة نضرة النعيم ٢١٢٧/٦.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) انظر: محاسن التأويل، الإمام القاسمي، مج٢١٥/١٣/٨.

والنسب والعقل والمال[١]، يقول الإمام الشاطبي : "وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة وفي الآخرة، فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين[٢]، ولذا جاء الحديث: "الترهيب من الكثير من المخالفات الشرعية التي تمس أصول تلك الضرورات، في مجال حفظ الدين جاء الترهيب من رفض القرآن والتكاسل عن الصلاة والتحذير من الكذب وإشاعته بين الناس، وفي مجال حفظ النسب جاء الترهيب من الزنا، وفي مجال حفظ المال جاء الترهيب من التعامل بالربا"، كما هو واضح في ثنايا الحديث "إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما قالا: انطلق وإني انطلقت معه وإنا أتينا على رجل مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة... الحديث"، والحفاظ على الضرورات الخمس من عناصر القوة في الإسلام، فإن الإسلام يحرص أشد الحرص على المحافظة على دين الناس وحقوقهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، كما يعني أشد العناية بصيانة حرياتهم وكراماتهم، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التي تحفظ هذه الحقوق، وتصونها جميعًا[٣]، ولقد أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان مع حرمة الدماء والأموال والدعوة إلى الحفاظ على الضرورات قاطبة، وقد أعلن النبي ﷺ ذلك في حجة الوداع، أمام الجموع المحتشدة في البلد الحرام، والشهر الحرام واليوم الحرام[٤]، "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا"[٥].

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠/٢٤.

(٢) الموافقات، الإمام الشاطبي، ٨/٢-٩.

(٣) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ١٤٧.

(٤) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٧.

(٥) أخرجه البخاري ١٧٣٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على غرس قيمة الصدق:

من أهداف التربية الإسلامية غرس قيمة الصدق في النفوس لأن الصدق من أعلىّ القيم الإسلامية شأنًا وأعزها مكانًا لأنه لا تجد فضيلة وخلقًا محمودًا إلا والصدق أساسه فيه، ولقد حرص النبي ﷺ على غرس هذه القيمة وهذه الفضيلة في نفوس الصحابة. ومن الشواهد على ذلك: في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ ...».

فهذا شاهد تربوي نبوي ساقه النبي ﷺ ليبين عظمة هذه القيمة ولما لا، فلقد لقب ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين فما جرب الناس عليه كذبًا ولا عرفوا عنه خيانة، ولقد وصفه أبو هريرة بالصادق المصدوق، فكان يقول: «... سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ»[1]. والصديقون هم قوم دون الأنبياء في الفضيلة، ولكن درجتهم ثاني درجة بعد النبيين؛ لأن منزلة الصدق من أعظم منازل القوم الذي نشأ منه جميع منازل السالكين وهو يعد من الطريق الأقوم الذي لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين وبه يتميز أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران.

ولقد ذكر الرسول ﷺ أن من علامات الصدق طمأنينة القلب.

ولذا قال ﷺ: «الصدق طمأنينة»[2]، ولقد أعد الله عز وجل لمن نشأ على الصدق وربي عليه جزاء ما بعده جزاء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٥٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٥٨١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٤٥).

ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1]، إلى جانب أن الله ييسر الأمور بالصدق فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾[2].

ونخلص من هذا الهدي النبوي تعلم تحري الصدق حتى يصير سجية لنا، وأن الأخلاق الفاضلة تكتسب بالتخلق والتحري، فإن النفس تتأثر بتعاطي أسباب الخير كالصدق[3].

"ومن آثار الصدق: ثبات القدم، وقوة القلب، ووضوح البيان، مما يوحي إلى السامع بالاطمئنان ... ومن علامات الكذب الذبذبة واللجلجة، والارتباك، والتناقض، مما يوقع السامع بالشك وعدم الارتياح، والصدق يدعو صاحبه للجرأة والشجاعة لأنه ثابت لا يتلون، ولأنه واثق لا يتردد"[4].

ثانيًا: الترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، وهو من الأساليب المؤثرة المستخدمة بقوة في التربية، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في هديه النبوي على أساس أنه من الأسس النفسية للتربية النبوية. وفي الباب شواهد تدل على الترغيب: قوله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر ...».

فهذا ترغيب من النبي ﷺ للصحابة في اقتفاء أثر الصدق والسير على ضربه، والرسول ﷺ رغب فيه لأنه من أعظم الفضائل المحمودة لأن من تربى على هذا الخلق يكون مؤثرًا في مجتمعه بأخلاقه وسلوكه، والرسول بدأ بالصدق ورغب فيه لأن الإنسان مفطور على الحق والصدق فكانت تربيته من هنا أمرًا ميسورًا، وعلى المربين

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٥-١٧.

(٢) سورة الليل، الآيات: ٥-٧.

(٣) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٥/٣، ٢٩، المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ص٢٦٨، موسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد متولي.

(٤) هذه أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص٤٣٥.

أن يستثمروا ذلك استثمارًا حسنًا كما استثمره الرسول ﷺ لأنه يعلم علم اليقين أن المجتمع الإنساني يحتاج إلى سيادة خلق الصدق، وذلك لأن العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد عليه، وذلك لأن الكلمة إن لم تكن معبرة تعبيرًا صادقًا عما في النفس فإننا لم نجد وسيلة أخرى كافية لهذا التعبير، ولولا ترغيب الرسول ﷺ في هذا الخلق لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس[1]، كما أنه ﷺ استخدم أسلوب الترهيب لعلمه بأنه أسلوب قائم على الإحساس بالألم والشقاء وسوء المصير، ومن شواهد ذلك من أحاديث الباب قوله ﷺ: «وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وقوله ﷺ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا» فَيَقُصُّ عَلَيْهِ من شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ... أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ: فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، ... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ هُمْ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ: فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا، وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمِرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا: فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ ...».

فهذه شواهد نبوية تدل على الترهيب من أمور منهي عنها شرعًا، ومن سوء المصير الذي يتبعها شرعًا، ولقد استخدم الرسول أسلوب الترهيب هنا، لأن في الترهيب وعيدًا وتهديدًا بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به أو هو التهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكون دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي، والترهيب يساعد على غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين

---

(١) الوجيزة في الأخلاق، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٢٢٤، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣٠.

ليتسنى لنا أن نذهبهم من عذاب الله، وليكون لهذا الترهيب ثمرة عملية سلوكية[١]، وأهم ما تميز به الترهيب أنه يؤثر تأثيرًا واضحًا في النفوس السوية فيحملها على الالتزام والسلوك الإيجابي.

ثالثًا: التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير والشاهد على ذلك في باب تحريم الكذب حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا... إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ...»، وقوله ﷺ: «وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ...».

فهذا أسلوب تحذيري من الكذب، وذلك التحذير من بعض الأفعال الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، وهذه التحذيرات قدمها الرسول ﷺ للوقاية من العذاب.

وترك هذه الرزيلة يجعل الإنسان يستبرئ لدينه وعرضه كما بينه ﷺ إن أثر الكذب في إفساد العلاقات بين الناس واضح وخطير لما يترتب عليه من ظن السوء والريبة والشك فتحصل الفرقة وعدم الوفاق، ودل الحديث أيضًا على أن من نشأ على خلق الكذب فإنه يعتاد السيئ من السلوك في حياته، عن طريق التدريب العملي المقترن بالإرادة الجازمة عن طريق الكذب والرسول ﷺ قرن خلق النفاق بخلق الكذب لأن المنافق يستطيع أن يتظاهر بالإسلام زورًا وكذبًا ليحميه النفاق من نقمة المسلمين[٢].

والتحذير أسلوب تربوي توجيهي يحذر من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه والتحذير له أهمية في بيان العقوبة المترتبة على عمل أو تركه، والرسول لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها التحذير كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب ينتظر المنحرفين فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين[٣].

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣٠.

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٢٢٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. الحازمي، ص٢٦٥، أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٥٨.

٢٦١- باب بيان مَا يجوز من الكذب

اعلَمْ: أنَّ الكَذِبَ وإنْ كَانَ أصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ في بَعْضِ الأحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أوْضَحْتُهَا في كتاب: ((الأذْكَارِ))[1]، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إلَى المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إلاَّ بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ. ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الكَذِبُ مُبَاحًا، وإنْ كَانَ وَاجِبًا، كَانَ الكَذِبُ وَاجِبًا. فإذا اخْتَفَى مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، أوْ أخذَ مَالِهِ وأخفى مالَه وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ، وَجَبَ الكَذِبُ بإخْفَائِه. وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالمٌ أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها. وَالأحْوَطُ في هَذَا كُلِّهِ أن يُوَرِّيَ. ومعْنَى التَّوْرِيَةِ: أنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحِيحًا لَيْسَ هُوَ كَاذِبًا بالنِّسْبَةِ إلَيْهِ، وإنْ كَانَ كَاذِبًا في ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إلَى مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ في هَذَا الحَالِ.

وَاسْتَدَلَ العُلَمَاءُ بِجَوَازِ الكَذِبِ في هَذَا الحَالِ بِحَديثِ: أُمِّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللهُ عنها، أنها سمعتْ رسُولَ الله ﷺ، يقول: ((**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أوْ يَقُولُ خَيْرًا**)). متفق عَلَيْهِ[2].

زاد مسلم[3] في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُومٍ: وَلَمْ أسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إلاَّ في ثَلاثٍ، (تَعْنِي: الحَرْبَ، والإصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَديثَ الرَّجُلِ امْرَأتَهُ، وَحديثَ المَرْأةِ زَوْجَهَا)[4].

---

(١) ص٤٢١-٤٢٣ ط مكتبة الصفا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٢) واللفظ له، ومسلم (٢٦٠٥/١٠١).

(٣) بعد حديث رقم (٢٦٠٥/١٠١ بحديث، بدون رقم).

(٤) قال مسلم بعد قوله: (إلا في ثلاث): بمثل ما جعله يونس من قول ابن شهاب. ولم يسق لفظه، وقوله: (تعني: الحرب، والإصلاح) إلخ، هذا الكلام للحميدي في جمعه، وزاد في آخره: أدرجه على ما قبله. وهذا من الأدلة الواضحة على اعتماد الإمام النووي على الجمع للحميدي.

٢٦٢- باب الحثّ عَلَى التثبت فيما يقوله ويحكيه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: ٣٦] وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَولٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨].

الحديث رقم (١٥٤٩)

١٥٤٩-وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ مَا سَمِعَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الصدق من أهم معالم شخصية المسلم، ومن أهم سمات حركته في الحياة، ويكفي في فضيلة الصدق أن الصدّيق مشتق منه، والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[2]، ولفظ الصدق يستعمل في معانٍ - كما قال الإمام الغزالي: (صدق في القول وفي النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق لأنه مبالغة في الصدق.

وحين نتأمل مضمون هذا الحديث وأسلوبه نجده ينعي على هؤلاء الذين لم يلتزموا بفضيلة الصدق مسلكهم، ويوضح قبح فعلهم لأنهم ينقلون الأخبار من غير روية ولا تثبت فيشيعون الفتنة بين الناس، وأسلوب الحديث يتسم بالإيجاز، ولكن هذا الإيجاز

---

(١) برقم (٥/٥) في المقدمة. قال الدارقطني في التتبع (٨): والصواب مرسلٌ، قاله معاذ، وغُندر، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤١.

يتضمن الوعيد الشديد، والمصير المهلك، وقول الرسول ﷺ: "كفى بالمرء إثمًا"، فيه من التهديد والوعيد الشديد ما لا تتحمله طاقة بشرية، ومعنى ذلك: كفاه ذلك كذبًا فإنه قد استكثر منه، وقوله: "بالمرء" فيه تأكيد لبشاعة وهول هذا السلوك الشائن، والباء الزائدة في قوله: "بالمرء"، هي أمارة ذلك التوكيد على رفض هذه الصفة الذميمة، وقوله: "كذبًا"، تمييز أو مفعول ثان.. وكلا الاحتمالين له أثره في توجيه المعنى، وتأكيد رفض رسول الله ﷺ للكذب وللكاذبين، وقال بالمرء، ولم يقل: بالمسلم، أو بالمؤمن، لأن المسلم الذي يلتزم بتعاليم دينه ليس من سماته الكذب، بل الكذب من أمارات المنافق.. ومن سمات المشركين والكفار.

والتعبير بالمضارع في قوله: "أن يحدث بكل ما سمع"، يوحي بأن هذا التحدث من غير تثبت ولا دليل هو طبيعة مستقرة، وخلق دائم لذلك الشخص الكذوب.

وقوله: "بكل ما سمع"، يرشد إلى أن هذا الرجل لا ينتقي ما يقول، ولا يمحص أقواله، ولا يوثق أخباره، وحُذف مفعول سمع.. حيث لم يقل: بكل ما سمعه، لإفادة الشيوع والعموم، وللدلالة على تسرع ذلك المتحدث الكاذب، وعدم غربلة الأقوال وتمحيصها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: خطورة تحدث الإنسان بكل ما يسمع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية التثبت والتبين في الأخبار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: بيان مسئولية الإنسان عما يتحدث به، والحث على التثبت في الأخبار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: خطورة تحدث الإنسان بكل ما يسمع:

لقد حذر الإسلام من التحدث بكل ما سمعه الإنسان، فإن ذلك سبيل إلى الوقوع في الإثم، وإلى ذلك أشار الحديث، فقال ﷺ: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع"،قال القاضي عياض: معناه: أن من حدث بكل ما سمع وفيه الحق والباطل والصدق والكذب نقل عنه هو أيضًا ما حدّث به من ذلك فكان من جملة من يروي

الكذب، وصار كاذبًا لروايته إياه وإن لم يتعمده ولا عرف أنه كذب[١].

قال النووي: "ومعنى الحديث الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كَذَب، لإخباره بما لم يكن"[٢]، وأن الإنسان محاسب على ذلك فما من قول يصدر عن الإنسان إلا وهو محاسب عليه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣]، فإن نقل كلمة دون تحرٍّ وتثبت قد يؤدي إلى التخريب وهدم الكيان والبنيان الاجتماعي، وصرف الناس عن عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض وعمل ما ينفع الناس إلا الاشتغال فيما لا ينفع[٤]، وقد جاءت آيات القرآن حاضّة على الصدق وقول الحق، واجتناب الباطل والكذب، وإثارة الإشاعات واختلافها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥].

وهذا أمر بالكون مع أهل الصدق، أي كونوا على مذهب الصادقين وسبيلهم[٦]، وجاء الأمر على سبيل المبالغة فقال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وذلك أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٧][٨].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية التثبت والتبين في الأخبار:

جاء في الحديث ضرورة التثبت في الأخبار وتبين صدقها من عدمه وعدم التحدث بكل ما سمع فإن ذلك لا يخلو من كذب، فقال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء كذبًا

---

(١) إكمال المعلم، ١/١٢٤، ١٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٨.

(٣) سورة ق، آية: ١٨.

(٤) الإشاعة وآثارها في المجتمع، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ١٦٠.

(٥) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج٤/٨/٢٨٨.

(٧) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٨) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٥/١١/٥٤.

أن يحدث بكل ما سمع" ولقد أمر الإسلام بالتثبت والتروي عند سماع الأقوال واتباع أحسن الأقوال والإعراض عن غيرها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[1]، قال القاضي ابن عطية الأندلسي في تفسيره للآية: "كلام عام في جميع الأقوال"، وإنما القصد الثناء على هؤلاء ببصائر هى لهم قوام في نظرهم، حتى أنهم إذا سمعوا قولاً ميزوه واتبعوا أحسنه"[2] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[4]، قال الشوكاني: في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "المراد من التبين التعرف والتفحص، ومن التثبت الأناة وعدم العجلة والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح ويظهر"[5]، فلا نقبل القول على علاته، بل ننظر فيه أحق هو أم غير حق[6].

قال ابن عثيمين: ينبغي على الإنسان أن يتثبت فيما ينقل ويتكلم به لاسيما في زمن الأهواء وكثرة القيل والقال والتحدث بما كان أو لم يكن، ثم استدل لذلك بالآيات والأحاديث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[7]. "ولا تقف" يعني لا تتبع ما ليس لك به علم ولا تتكلم إلا بما تعلم، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[8]. يعني إلا عنده "رقيب" أي مراقب يراقب ما تقول، "عتيد" حاضر فلا يغيب

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق، عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ٥٢٥/٤.

(٣) سورة القصص، آية: ٥٥.

(٤) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٥) فتح القدير، الإمام الشوكاني، ٦٠/٥.

(٦) الإشاعة وآثارها في المجتمع، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ١٦٩.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٨) سورة ق، آية: ١٨.

عنه، وهذا تحذير من أن يتكلم الإنسان بشيء لا يعلم عنه؛ لأنه بذلك آثم، ثم ذكر في ذلك أحاديث منها: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع" يعني أن الإنسان إذا صار يحدث بكل ما سمع من غير تثبت وتأن، فإنه يكون عرضة للكذب، وهذا هو الواقع ولهذا يجيء إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن، أو يأتي إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا فإذا بحثت وجدته لم يقل، وأعظم شيء أن يكون هذا فيما يتعلق بحكم الله وشريعته، بأن يكذب على الله، فيقول في القرآن برأيه، ويفسر القرآن بغير ما أراد الله، أو يكذب على النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ كذا. وهو كاذب، أو ينقل حديثًا يرى أنه كذب وهو لم يكذبه، ولكن يقول: قال فلان كذا وكذا عن رسول الله ﷺ وهو يرى أنه كذب؛ فإنه يكون أحد الكاذبين كما بين ذلك النبي ﷺ.

والحاصل: أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما يقول ويتثبت فيمن ينقل إليه الخبر، هل هو ثقة؟ أو غير ثقة كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]. ولاسيما إذا كثرت الأهواء وصار الناس يتخبطون ويكثرون القيل والقال بلا تثبت ولا بينة؛ فإنه يكون التثبت أشد وجوبًا؛ حتى لا يقع الإنسان في المهلكة. والله الموفق[2].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: بيان مسئولية الإنسان عما يتحدث به، والحث على التثبت في الأخبار:

إن غرس المسؤولية في نفوس المدعوين والاستشعار بها من الأهداف الرئيسة للدعوة، وذلك مما يحمله الحديث من معانٍ، فقال ﷺ: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع"، لذا كانت مسئولية الإنسان عن حفظ لسانه، وأن يصونه عن الكذب والغيبة والنميمة، وقول الزور، وغير ذلك مما نهى عنه الشارع الحكيم[3]، قال

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٣٣، ١٦٣٤.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٧/٢٦٣٤.

تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١]، لذا كان من الأخلاق الحميدة الصدق والتثبت في الأخبار والحقائق ولا سيما عند نقلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[٢].

قال ابن كثير في تفسير الآية: يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله، فيكون في نفس الأمر كاذبًا أو مخطئًا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق، وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال[٣].

وقد جاء سبب نزولها ما روي عن: أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي قال: «قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلى رسول الله ﷺ رسولاً لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول فلم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث في سخطة من الله عزَّ وجلَّ ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وَقّت لي وقتًا يرسل إليّ رسوله، ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخُلْف، ولا أرى حبس رسوله من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليَد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرَق فَرَجَع، فأتى رسولَ الله ﷺ وقال: يا رسولَ الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٠٨/٧.

قتلي؟ فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذا استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، ولمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدًا بالحقِ ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعتَ الزكاةَ وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلاّ حين احتبس عليَّ رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عزَّ وجلَّ ورسوله، قال: فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾، إلى هذا المكان ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1]»[2].

ومن الآيات الآمرة بالتثبت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[3].

في نزولها روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((مَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسولِ الله ﷺ وَمَعَهُ غَنَمٌ لَهُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، قَالُوا مَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ إلاَّ لِيَتَعَوَّذَ مِنْكُمْ، فَقَامُوا وَقَتَلُوهُ، وَأَخَذُوا غَنَمَهُ، فَأَتَوا بِهَا رَسُولَ الله ﷺ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾[4]))[5].

---

(١) سورة الحجرات، الآيات: ٨٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٧٩/٤ رقم ١٨٤٥٩، وقال محققو المسند، حديث حسن ٤٠٥/٣٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٩٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٤.

(٥) أخرجه البخاري ٤٥٩١.

قال السعدي: "وهذا الأدب من الآداب الواجب استعمالها فإن ترك التثبت فيه خطرٌ كبيرٌ ووقوعٌ في الإثم، قد يحصل تلف في النفوس والأموال وغيرهما[1]. والتثبت فيه من الفوائد ما لا يخفي من حفظ الأرواح وصيانة للدماء وحفظًا لحقوق الأفراد والجماعات ولا يجعلها عرضة للظن، ويقي المجتمع من مخاطر القرارات السريعة، غير المدروسة[2].

وقد جاءت آيات القرآن آمرة بالتثبت والتبين في جميع المجالات، ففي مجال العبادات قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[3]. وفي مجال الجهاد في سبيل الله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾[4]، إلى غير ذلك، وقد ذكر الله أنه بين لخلقه الحقائق حتى يكونوا على بينة من ربهم ولا يكون لهم حجة على الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[5].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٤٤.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٩٠٨/٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٤.

(٥) سورة النساء، آية: ١١٥.

الحديث رقم (١٥٥٠)

١٥٥٠- وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٥٨).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت في رواية الأحاديث عن النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكذب على رسول الله ﷺ.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الأمانة ومراعاة الدقة، والتحري في رواية الأحاديث النبوية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على التثبت في رواية الأحاديث عن النبي ﷺ:

إن الإسلام حرم الكذب، وأشد الكذب شناعة، الكذبُ على رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكاذبين"، قال ابن عثيمين: "وأعظم الكذب وأشنعه أن يكون فيما يتعلق بحكم الله وشريعته، بأن يكذب على الله، فيقول في القرآن برأيه، ويفسر القرآن بغير ما أراد، أو يكذب على النبي ﷺ يقول: قال النبي ﷺ كذا، وهو كاذب، أو ينقل حديثًا يرى أنه كذب وهو لم يكذبه، ولكن يقول: قال فلان كذا وكذا عن رسول الله ﷺ وهو يرى أنه كذب، فإنه يكون أحد الكاذبين، كما بين رسول الله ﷺ[2]، فالكذب على رسول الله ﷺ أشد أنواع الكذب، قال ابن حجر الهيتمي: "ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام، أو تحريم حلال كفر محض[3]".

---

(١) في المقدمة (٩/١) قبل حديث رقم (١) بدون رقم. وكذا من حديث المغيرة بن شعبة.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦٣٤/٢.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ضبط أحمد الشامي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ١٢٤/١، ١٢٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الكذب على رسول الله ﷺ:

لقد رهبّ النبي ﷺ من الكذب عليه، فقال ﷺ: "من حديث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"، "والكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء[1]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[2]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده في النار"[3].

قال القرطبي: (قوله ﷺ: "من حَدّث عني بحديث يَرَى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" قيدناه عن مشايخنا "يرى" مبنيًا للفاعل والمفعول، فيرى بالفتح بمعنى يعلم المتعدية لمفعولين وأن سدت مسدهما، وماضي يرى: رأي مهموزًا، وإنما تركت العرب همز المضارع لكثرة الاستعمال، وقد نطقوا به على الأصل مهموزًا في قولهم:

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصر ... ومن يتمنل العيش يرأ ويسمع[4]

وربما تركوا همز الماضي في قولهم:

صَاحِ هَلْ رَيْت، أَوْ سَمِعْتَ براعٍ ... رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَا في الحِلابِ؟[5]

ويحتمل ما في الحديث أن يكون بمعنى الرأي، فيكون ظنًا من قولهم: رأيت كذا: أي ظهر لي، وعليهما يكون المقصود بالذم في الحديث: المتعمد للكذب علمًا، أو ظنًا. وأما يُرى بالضم: فهو مبني لما لم يسم فاعله، ومعناها الظن وإن كان أصلها معدى بالهمزة من "رأى"، إلا أن استعماله في الظن أكثر وأشهر.

و(قوله: "فهو أحد الكاذبين"، رويناه بكسر الباء على الجمع فيكون معناه أنه أحد الكاذبين على رسول الله ﷺ الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى

---

(١) الكبائر، الإمام الذهبي، مؤسسة الريان للتوزيع والنشر، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ص ١٢٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٣) أخرجه البخاري ١١٠.

(٤) سر صناعة الأعراب ٧٧/١، وجمهرة اللغة ٢٣٥/١.

(٥) لسان العرب ٣٢٩/١، الفائق في غريب الحديث ٣٠٧/١.

ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[١]. لأن الكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله تعالى. ورويناه أيضًا بفتح الباء على التثنية، ويكون معناه: أن المحدث والمحدث بما يظنان، أو يعلمان كذبه كاذبان، هذا بما حَدّث، والآخر بما تَحَمّل من الكذب مع علمه، أو ظنه لذلك.

ويفيد الحديث التحذير عن أن يحدث أحد عن رسول الله ﷺ إلا بما تحقق صدقه علمًا أو ظنًا، إلا أن يحدث بذلك على جهة إظهار الكذب؛ فإنه لا يتناوله الحديث.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: ((اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[٢].

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ))[٣]. أي: يَدْخُلها، وماضيه: ولج، ومصدره: الولوج، ومنه قوله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[٤]. وصدر هذا الحديث نهي، وعجزه وعيد شديد، وهو عام في كل كاذب على رسول الله ﷺ، ومطلق في أنواع الكذب، ولما كان كذلك هاب قوم من السلف الحديث عن رسوله الله ﷺ كعمر، والزبير بن العوام، وأنس بن مالك، وابن هرمز رضي الله عنهم أجمعين، فإن هؤلاء سمعوا كثيرًا، وحدثوا قليلاً، كما صرح الزبير رضي الله عنه بذلك؛ لما قال له ابنه عبدالله رضي الله عنه: إنِّي لا أسْمَعُكَ تُحدِّثُ عنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ كما يُحدِّثُ فُلانٌ وفُلانٌ. قال: أما إنِّي لم أُفارِقْهُ، ولكن سَمعتهُ يقولُ: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيّ فلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار))[٥].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٣/١ رقم ٢٦٧٥، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤١٤/٤.

(٣) أخرجه مسلم ١٠.

(٤) سورة الحج، آية: ٦١.

(٥) أخرجه البخاري ١٠٧.

وقال أنس: إنه يمنعني أن أحدثكم حديثًا كثيرًا أن رسول الله ﷺ قال: ((من كذب عليّ ...))[١]. الحديث. ومنهم من سمع وسكت كعبد الملك بن إياس، وكأن هؤلاء تخوفوا من إكثار الحديث الوقوع في الكذب، والغلط، فقللوا، أو سكتوا، غير أن الجمهور خصصوا عموم هذا الحديث، وقيدوا مطلقه بالأحاديث التي ذكر فيها: متعمدًا، فإنه يفهم منها: أن ذلك الوعيد الشديد إنما يتوجه لمن تعمد الكذب على رسول الله ﷺ، وهذه الطريقة هي المرضية؛ فإنها تجمع بين مختلفات الأحاديث؛ إذ هي تخصيص العموم، وحمل المطلق على المقيد مع اتحاد الموجِب والموجَب، كما قررناه في الأصول. هذا مع أن القاعدة الشرعية القطعية تقتضي: أن المخطئ والناسي غير آثمين ولا مؤاخذين لاسيما بعد التحرز والحذر[٢].

قال النووي: وكما يحرم تعمد الكذب على رسول الله ﷺ فإنه يحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعًا، أو غلب على ظنه وضعه ولم يبين حال روايته ووضعه، فهو داخل في هذا الوعيد مندرج في جملة الكذابين على رسول الله ﷺ، ويدل عليه قوله ﷺ "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" ولهذا قال العلماء: ينبغي لمن أراد رواية الحديث أو ذكره أن ينظر، فإن كان صحيحًا أو حسنًا، قال: قال رسول الله ﷺ كذا أو فعله أو نحو ذلك من صيغ الجزم، وإن كان ضعيفًا فلا يصل، قال أو فعل أو أمر أو نهى، وشبه ذلك من صيغ الجزم، بل يقول روى عنه كذا أو جاء عنه كذا أو يروى أو يذكر أو يحكي، أو يقال أو بلغنا وما أشبهه"[٣]. ولذلك كان الصحابة والسلف الصالح أبعد ما يكون عن الكذب على رسول الله ﷺ، روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إذا حدَّثتُكم عن رسولِ الله ﷺ فلأنْ أخرَّ منَ السماءِ أحبُّ إليَّ من أن أكذبَ عليه، وإذا حدَّثتكم فيما بيني وبينكم فإنَّ الحرب خدْعة))[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٤

(٢) المفهم ١/١١١-١١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٦١١.

إن الكذب رذيلة محضة، وخصلة ذميمة، وهو من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب وأقبح الصفات، يقلب الموازين، ويمسخ الحقائق ويشوه وجه الجمال في كل شيء يداخله وينبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبه، ويجر به إلى الفجور والنفاق.

قال ﷺ: ((... وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ))[1].

وقال: ((أربعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كان مُنافِقًا خالصًا، وَمَنْ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنهنَّ كانتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفاقِ حتى يَدَعَها: إذا أؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ))[2].

ومن أشد أنواع الكذبِ وأشنعِه الكذبُ على الله تعالى أو الكذب على رسوله ﷺ لأنه افتراء في الدين، وتلاعب بشرائع الله لعباده، وتجرؤ عظيم على الناس. ولهذا أجمع العلماءُ على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، وأنه من الكبائر وأن من كذب عليه متعمدًا مستجيزًا لذلك فهو كافر.

قال ﷺ: ((إِنَّ كَذِبا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ. فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ))[3].

وقال: ((بلِّغوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتَبوَّأْ مَقعدهُ منَ النار))[4].

وهذا المعنى: وهو توعد من كذب على رسول الله ﷺ بالنار. ورد من طرق متواترة صرح بذلك غير واحد. ومن بشاعة هذه الجريمة وشناعتها أن بعض العلماء منهم الإمام أحمد ويحيى بن معين وأبو بكر الحميدي، أفتوا بأن من كذب على رسول الله ﷺ توبته مردودة ومن ثم لا تقبل روايته، إلا أن جماهير العلماء على خلاف قولهم.

بينما نجد أن من كذب على غير رسول الله ﷺ وإن كان ذلك إثمًا وفسقًا إلا أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٩١، ومسلم ٤.

توبته صحيحة بالإجماع[١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الأمانة ومراعاة الدقة، والتحري في رواية الأحاديث النبوية:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة، حفظ السنة النبوية وتحري الدقة في رواية الأحاديث النبوية، ولقد عرف الصحابة رضي الله عنهم منزلة السنة النبوية فتمسكوا بها، وتتبعوا آثار الرسول ﷺ، وأبو أن يخالفوها متى ثبتت عندهم، كما أبوا أن ينحرفوا عن شيء فارقهم عليه، واحتاطوا في رواية الحديث عنه ﷺ، خشية الوقوع في الخطأ، وخوفًا من أن يتسرب إلى السنة المطهرة الكذب أو التحريف، وهى المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره[٢]، فالإنسان ينبغي أن لا يتكلم إلا فيما أحاط به علمًا خاصة في نقل الرواية عن رسول الله ﷺ، قال مالك: (وينبغي للمرء أن لا يتكلم إلا فيما أحاط به خبرًا)[٣].

لقد كان سلفنا الصالح يبذلون جهدهم في تحري الصدق، والتثبيت فيما ينقلونه عن رسول الله ﷺ وينسبونه إليه، ومن دلائل ذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((كنتُ في مجلسٍ من مجالسِ الأنصار، إذ جاءَ أبو موسى كأنه مَذْعور، فقال: استأذنتُ على عمرَ ثلاثًا فلم يُؤْذَنْ لي فرجَعت، فقال: ما منعَك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثًا فلم يُؤْذنَ لي فرَجَعت، وقال رسولُ الله ﷺ: إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فلْيَرْجع. فقال: والله لتُقيمَنَّ عليه ببيِّنة. أمِنكم أحدٌ سمعَهُ من النبيِّ ﷺ؟ فقال أبيُّ ابن كعب: واللّهِ لا يقومُ معكَ إلا أصغَرُ القوم، فكنتُ أصغرَ القوم، فقمتُ معه فأخبرتُ عمرَ أن النبيَّ ﷺ قال ذلك))[٤].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ١/٥١٣، ٥١٤.

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب ٩٢.

(٣) انظر: معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ٢٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

لقد حذرنا النبي ﷺ من الكذب عليه أو الأخذ ممن لا يتحرون الصدق، وذلك ابتعادًا عن الزلل وأمنا من الفتن.

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ))، وفي رواية أخرى: ((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لاَ يُضِلُّونَكُمْ وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ))[1].

---

(١) أخرجه مسلم، ٦، ٧.

الحديث رقم (١٥٥١)

١٥٥١- وعن أسماء رضي الله عنها: أنَّ امْرأةً قالت: يَا رسولَ الله، إنَّ لِي ضَرَّةً فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذي يُعْطِيني؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((**المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

(**وَالمُتَشَبِّعُ**): هُوَ الَّذي يُظْهِرُ الشَّبَعَ وَلَيْسَ بِشَبْعَان. ومعناهُ هُنَا: أنْ يُظْهِرَ أنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَضيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلَةً. (**وَلابِسُ ثَوْبَي زُورٍ**) أيْ: ذي زُورٍ، وَهُوَ الَّذي يُزَوِّرُ عَلَى النَّاسِ، بِأنْ يَتَزَيَّى بِزِيِّ أهْلِ الزُّهْدِ أَو العِلْمِ أَو الثَّرْوَةِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ وَلَيْسَ هُوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ. وَقيلَ غَيرُ ذَلِكَ واللهُ أعْلَمُ.

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: سبقت ترجمتها في الحديث رقم (٣٢٥).

غريب الألفاظ:

ضَرّة: إحدى زوجتي الرجل أو إحدى زوجاته[2].

المتشبع: المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل[3].

كلابس ثوبي زور: أي كالرجل يلبس الثياب المشبهة لثياب الزهاد يوهم أنه منهم، ويظهر التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه منه[4].

الشرح الأدبي

الحديث يقوم على حوار بين امرأة من المسلمين وبين رأس الأمة، ورسولها في حوار يدل على تواضع الرسول ﷺ الجم، وحرصه على صلاح الأمة، كما يدل على أدب المرأة، وصلاحها لأنها لم تقدم على الفعل حتى تستشير الرسول ﷺ فتعمل بتوجيهه

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠/١٢٧).

(٢) المعجم الوسيط في (ض ر ر).

(٣) فتح الباري ٢٢٨/٩.

(٤) فتح الباري ٢٢٨/٩.

وسؤالها (إنَّ لِي ضَرَّةً فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذي يُعْطِيني؟) وظاهر السؤال يوحي برغبتها في تجاوز ما لها، ولذلك رد عليها الرسول ﷺ ردا صار قاعدة شرعية تنتفع بها كل الأمة، وترجع إليها، وهي من جوامع كلمه (المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) قوله (المتشبع) قيل: المتشبع المتزين بأكثر مما عنده يتكثر بذلك، ويتزين بالباطل كالمرأة تكون لها ضرة فتشبع عندها بما تدعيه من الحظوة عند زوجها بأكثر مما عنده لها تريد بذلك غيظ صاحبتها وإدخال الأذى عليها، وكذلك هذا في الرجل وقال النووي المتكثر بما ليس عنده مذموم مثل من لبس ثوبي زور وقيل هو من يلبس قميصا واحدا ويصل بكميه كمين آخرين فيظهر أن عليه قميصين وقال الزمخشري في (الفائق) المتشبه بالشبعان وليس به واستعير للتحلي بفضيلة لم يرزقها وشبه بلابس ثوبي زور أي ذي زور وهو الذي يزور على الناس بأن يتزيا بزي أهل الصلاح رياء وأضاف الثوبين إليه، لأنهما كانا ملبوسين لأجله وهو المسوغ للإضافة وأراد أن المتحلي كمن لبس ثوبين من الزور وقد ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، وقال الكرماني معناه المظهر للشبع وهو جائع كالمزور الكاذب الملتبس بالباطل وشبه الشبع بلبس الثوب بجامع أنهما يغشيان الشخص تشبيها تحقيقا أو تخييليا كما قرر السكاكي في قوله تعالى: "فأذاقها الله لباس الجوع والخوف" (النحل٢١١) قال وفائدة التشبيه المبالغة إشعارا بأن الإزار والرداء زور من رأسه إلى قدمه أو الإعلام بأن في التشبع حالتين مكروهتين فقدان ما تشبع به وإظهار الباطل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من آداب المدعو: الحرص على سؤال أهل العلم والفضل عما يشكل عليه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من تظاهر الإنسان بما ليس فيه.

رابعًا: من أهداف الدعوة: حث المدعوين على التزام الصدق في الأقوال والأفعال.

أولاً- من أصناف المدعوين: النساء:

وردت الإشارة إلى هذا الصنف في الحديث: "فعن أسماء رضي الله عنها أن امرأة قالت:

يارسول الله إن لي ضَرّةً فهل على جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟ ..." فقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1]، وهى تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهى وإن كانت غير رجل، إلا إنها أم الرجال، وأخت الرجال، وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هى عناية بالدعوة نفسها[2].

لقد حظيت النساء بدعوة النبي الكريم ﷺ. ولهذا شواهد كثيرة. ومنها ما يلي:

أ- نهي النساء عن احتقار الهدايا فيما بينهن:

روى الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا. وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ[3]»[4].

والمراد بالحديث كما قال الحافظ ابن حجر: لا تحقرن أن تهدي إلى جارتها شيئًا، ولو أنها تهدي لها ما لا ينتفع به في الغالب[5].

وقال أيضًا: ويحتمل أن يكون من باب النهي عن الشيء، أمر بضده، وهو كناية عن التحابب والتوادد، فكأنه قال: "لتوادد الجارة جارتها بهدية ولو حقرت". فيتساوى في ذلك الغني والفقير[6].

وأما حكمة تخصيصهن بهذا التوجيه النبوي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه،

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٧٣-٧٤.

(٣) "فِرْسِنَ شَاةٍ" بكسر الفاء وسكون الراء وكسر السين ثم النون: حافر الشاة، (انظر فتح الباري، ٤٤٥/١٠).

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له ٦٠١٧، ومسلم ١٠٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري ٤٤٥/١٠.

(٦) فتح الباري ٤٤٥/١٠.

فقال عنها الحافظ ابن حجر: وخص النهي بالنساء لأنهن موارد المودة والبغضاء، ولأنهن أسرع انفعالاً في كل منها[١].

ب- نهي النساء عن رفع الرؤوس قبل الرجال:

روى الإمام أحمد عن أسماء رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا تَرْفَعْ رَأْسَهَا حَتَّى يَرْفَعَ الرِّجَالُ رُؤُوسَهُمْ» قالت: وذلك أن أُزرهم كانت قصيرة، مخافة أن تنكشف عوراتهم إذا سجدوا[٢].

وواضح في الحديث أنه ﷺ قام بتوجيه النساء المسلمات بأن يمتنعن من رفع رؤوسهن في الصلاة قبل الرجال.

ج- موعظة النساء يوم العيد:

روى الشيخان عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قام النبي ﷺ يوم الفطر، فصلّى، فبدأ بالصلاة، ثم خطب. فلما فرغ، نزل فأتى النساء فذكّرهنّ. الحديث[٣].

وقد ترجم الإمام البخاري عليه بقوله: [باب موعظة الإمام النساء يوم العيد].

وروى الإمام البخاري نحو هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضًا، وترجم عليه بقوله: [باب عظة الإمام النساء وتعليمهن].

فخلاصة الكلام كان النبي الكريم ﷺ يقوم بدعوة النساء[٤].

ثانيًا- من آداب المدعو: الحرص على سؤال أهل العلم والفضل عما يشكل عليه:

ذلك واضح في سؤال المرأة للرسول ﷺ: "إن لي ضرة فهل على جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني؟..."، فإن من القواعد المنهجية الهامة التي ينبغي الحرص عليها سؤال أهل العلم عند استشكال الأمور، وعدم اتضاح الحقائق، وخفاء الأحكام وإرجاع الأمور إلى العلماء الربانيين الموثوق في دينهم وعقيدتهم وصلاحهم[٥]، قال تعالى:

---

(١) المرجع السابق ١٠/٤٤٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢٦٩٤١، وقال محققو المسند حديث صحيح لغيره (انظر: مسند أحمد، ٤٤/٥١٤).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٩٧٨، ومسلم ٨٨٥.

(٤) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي، ١٥١-١٥٣.

(٥) الإشاعة وآثارها في المجتمع، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ص ١٨٦.

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١]، فإن الأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يسألون رسول الله ﷺ، عن كل ما يعن لهم في شئون الدين، بل في الكثير من شئون الدنيا[٢].

إن في الرجوع إلى أهل العلم وسؤالهم صلاح العبادة، قال الحسن البصري: العامل على غير علم كالسالك على غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم، فإن قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من تظاهر الإنسان بما ليس فيه:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث، فقال ﷺ: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور".

قال القرطبي: (وقولها: "هل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟" سألته: هل يجوز لها أن تظهر لضَرّتها: أن زوجها قد مكنها، أو أعطاها من ماله أكثر مما تستحقه، أو أكثر مما أعطى لضرتها، افتخارًا عليها، وإيهامًا لها: أنها عنده أحظى منها، فأجابها ﷺ بما يقتضي المنع من ذلك، فقال: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور". وأصل التشبع: تَفعّل من الشبع، وهو الذي يظهر الشبع وليس بشبعان. وكثيرًا ما تأتي هذه الصيغة بمعنى التعاطي كالتكبر، والتصنع.

ويفهم من هذا الكلام: أن النبي ﷺ نهى المرأة عن أن تتظاهر وتتكاثر بما لم يعطها زوجها؛ لأنه شبه فعلها ذلك بما ينتهى عنه، وهو: أن يلبس الإنسان ثوبي زور. واختلف المتأولون؛ هل الثوبان محمولان على الحقيقة، أو على المجاز؟ على قولين:

فعلى الأول يكون معناه: أنه شبهها بمن أخذ ثوبين لغيره بغير إذنه، فلبسهما مظهرًا

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧-١٨.

(٣) جامع بيان العلم، لابن عبدالبر، ١/١٣٦.

أن له ثيابًا ليس مثلها للمظهر له. وقيل: بل شبهها بمن يلبس ثياب الزهاد، وليس بزاهد.

وعلى الوجه الثاني: قال الخطابي: إن ذكر الثوبين هنا كناية عن حاله ومذهبه. والعرب تكني بالثوب عن حال لابسه. والمعنى: أنه بمنزلة الكاذب القائل ما لم يكن. وقيل: هو الرجل في الحي تكون له هيئة، فإذا احتيج إليه في شهادة زور شهد بها؛ فلا يرد لأجل هيئته، وحسن ثوبه. فأضيفت شهادة الزور إلى ثوبه؛ إذ كان سببها.

قلت: وأي شيء من هذه الوجوه كان المقصود، فيحصل منه: أن تشبع المرأة على ضرتها بما لم يعطها زوجها محرم؛ لأنه شبه بمحرم، وإنما كان ذلك محرمًا؛ لأنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه، ورياء، وأذى للضرة من نسبة الزوج إلى أنه آثرها عليها، وهو لم يفعل، وكل ذلك محرم[1].

وجاءت "ثوبي" مثناة للإشارة إلى أن -كذب المتشبع بما لم يعط مثنى، لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره، بما لم يعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه، قال الداودي: في التثنية إشارة إلى أنه كالذي قال الزور مرتين مبالغة في التحذير من ذلك، ويحتمل أن تكون التثنية إشارة إلى أنه حصل بالتشبع حالتان مذمومتان: فقدان ما يتشبع به وإظهار الباطل[2]، قال ابن عثيمين: ويزداد إثم التقول إذا تشبع الإنسان بما لم يعط، كما في حديث المرأة أنها يكون لها ضرة يعني زوجة أخرى مع زوجها، فتقول إن زوجي أعطاني كذا وأعطاني كذا، وهي كاذبة، لكن تريد أن تراغم -تغيظ- ضرتها وتفسدها على زوجها، فهذا كما قال النبي ﷺ "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور" أى كذب[3].

فإن ذلك لون من ألوان الخداع والغش، وذلك من الأعمال التي تؤدي إلى تحطيم دعائم المجتمع المسلم[4].

---

(١) المفهم ٥/٤٥١، ٤٥٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٩/٢٢٨-٢٢٩.

(٣) شح رياض الصالحين ٢/١٦٣٤.

(٤) موسوعة نضرة النعيم ١٠/٤٤٧٦.

رابعًا- من أهداف الدعوة: حث المدعوين على التزام الصدق في الأقوال والأفعال:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة الدعوة إلى تجنب الكذب سواء كان على الآخرين أو على النفس والحض على التزام وانتهاج الصدق والحق في الأقوال والأفعال، كما جاء في الحديث "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"، قال النووي : قال العلماء: المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده يتكثر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور"[١]، لقد جاء في الحديث: الحث على عدم مخالفة الباطن الظاهر ما أمكن خاصة إذا ترتب على ذلك فساد، فإن من تظاهر بما ليس فيه كان من المزورين الكذابين، فلا يجوز لإنسان أن يتزين بغير زيه، بأن يتزين بزي أهل الزهد أو العلم أو الثروة ليغتر به الناس وليس هو بتلك الصفة[٢].

لذا كان ترهيب الإسلام من الكذب وحضه على الصدق وتحريه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٣]، وفي ذلك أمر من الله للمؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، الذين صدقوا الله في إسلامهم وإيمانهم وأقوالهم وأفعالهم، وذلك لحاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق وذلك أن شطرًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد على صدق الكلمة، ولولا الثقة بصدق الكلمة لتفككت معظم الروابط الاجتماعية بين الناس[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٧٣٠.

(٣) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٤) انظر: الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٢٢٢-٢٢٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الاجتماعية:

من أهداف التربية الإسلامية تحقيق التماسك في المجتمع، لأن الإسلام قد حرص على توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمجتمع، ولقد اهتم النبي ﷺ بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا، وذلك من خلال الترخيص والاستثناء للكذب في بعض المواطن التي تتحقق فيها المصلحة العامة، وذلك بالضوابط التي ذكرها النبي ﷺ، وليس من خلال الهوى والميول الشخصية.

قال ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا وَيَقُولُ خَيْرًا»، فهذا النموذج التربوي أراد النبي ﷺ تبيين الحقائق لكي لا يختلط الأمر بين الحق والباطل، والرسول ﷺ ما فعل ذلك إلا لتحقيق مصلحة اجتماعية تسود من خلالها الألفة والانسجام والاستقرار من جهة، وتبادل المصلحة من جهة ثانية، لأن الأصل في الكذب عدم الجواز ولكن الرسول ﷺ، أراد مصلحة هي أعظم مما في الكذب من مضرة أو دفعًا لضرر بين فريقين متخاصمين ثم لا يجد وسيلة للإصلاح بينها أنجح من أن يركب مركب الكذب فهو خير له، وإن أراد التوريه فهي أفضل، ثم أخذ هذا النموذج التربوي اتجاه اجتماعي وأسري آخر، وهو «حديثِ الرجلِ امْرَأَتَهُ، وحديثِ المرأةِ زَوْجَهَا»، وهذا النوع من الكذب المباح لأن به تشد أواصر الوفاق والمودة بينهما، فهذه حالة يتسامح فيها شيء من الكذب لتوثيق روابط الأسرة ولإضفاء الأضواء الشاعرية على مجالس الأنس والسمر والغزل بين الزوجين، ففي مثل هذه المجالس تحسين المبالغات وإن كانت كاذبة وتزداد معطيات المتعة والأنس والصفاء، وهذا ما يعمل الإسلام على تغذيته بين الزوجين، حتى تقوي الروابط بين الزوجين، ولا يفهم من ذلك الدعوة إلى التصنع والتكلف وعدم الواقعية وغير ذلك مما رفضه الإسلام لتنافيه مع الصدق ولكن الترخيص في الكذب استثناء وليس قاعدة، بهدف الحفاظ على تماسك الأسرة، وإذا كان الكذب محرمًا بصفة عامة إلا أنه يستثنى من ذلك ما رخص فيه النبي ﷺ لمصلحة اجتماعية، حيث توجد ظروف قد يكون فيها الكذب

أجدى من الصدق وأنفع للإنسانية، وهذا ما ذكرناه سلفًا[١].

ثانيًا: التربية بالتوجيه:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالتوجيه، وهي من الأساليب القائمة على اغتنام الفرص والأوقات المناسبة للتوجيه: والرسول ﷺ في حديث الباب أراد توجيه الصحابة على عدم التسرع في الحكم، وذلك من خلال قوله ﷺ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، ...».

إن الرسول ﷺ أراد أن يصحح الفهم، ويبين التصور الصحيح لهذا السلوك الذي يهدف إلى الإصلاح الاجتماعي، لأن الرسول ﷺ أراد أن يربي الصحابة على أن الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب، يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب.

إن هذا الكلام ليس على إطلاقه حتى لا يسوغ للبعض أن يتخذه ذريعة الكذب من وجهة نظره، وبالتالي تتدخل الأهواء والميول الشخصية، وتضيع الأمور كلاً. إن هذه المسألة ترتبط حرفيًا بالضوابط التي وضعها النبي ﷺ وهي المصلحة العامة ولبست المنافع المادية الشخصية، والرسول ﷺ أراد التوجيه الإيجابي الحسن الذي ذكره في حديثي الباب بيان ما يمكن اتباعه عند التعرض للكذب وعند التعرض لوحدة المجتمع لنه يرى النتائج أمامه ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية، والذي ظهر من الحديث[٢].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص٣٨، الوجيز في الأخلاق الإسلامية، ص٢٤٦، روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٢٣٢، المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، ص٤٠٧.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ص٢٧٨، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ص٢٥٥.

٢٦٣- باب بيان غلظ تحريم شهادة الزُّور

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿وَاجْتَنِبوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[الفرقان: ٧٢].

الحديث رقم (١٥٥٢)

١٥٥٢- وعن أَبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللّه ﷺ: ((**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ**[١]؟)) قُلْنَا: بَلَى يَا رسولَ اللّهِ. قَالَ: ((**الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**)) وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: ((**أَلاَ وَقَولُ الزُّورِ**)) فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّى قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

الكبائر: جمع كبيرة: الفَعْلَةُ القبيحةُ من الذنوب المنهيِّ عنها شَرْعًا، العظيم أثرها؛ كالقتل، والزنا، والفرار من الزحف وغير ذلك[٣].

عقوق الوالدين: عصيانهما وإيذاؤهما[٤].

الزور: الكذب والباطل والتهمة[٥].

الشرح الأدبي[٦]

المضامين الدعوية[٧]

---

(١) عندهما زيادة: (ثلاثًا).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٤) واللفظ له، ومسلم (٨٧)، وتقدم برقم (٣٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣٦١١).

(٣) النهاية في (ك ب ر).

(٤) النهاية في (ع ق ق).

(٥) النهاية في (ز و ر).

(٦) تقدم ذكره في شرح الحديث رقم (٣٣٧).

(٧) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٣٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتشويق:

من أساليب التربية الإسلامية "التشويق" وهو من الأساليب التي استخدمها رسول الله ﷺ في أحاديثه، والتي منها حديث الباب، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا بلى يا رسول الله، قال: ... »، ففي الحديث يشوق النبي ﷺ أصحابه إلى معرفة تلك الكبائر التي شدَّ النبي ﷺ انتباههم إلى التعرف عليها، حيث جعل النبي ﷺ النفوس تنزع إلى الشيء الذي سيذكره وجعل للصحابة رضي الله عنهم رغبة في معرفة هذا لأنه قال "ألا" ولم يذكر الأشياء مرة واحدة، فجعل من ذلك تطلع إلى معرفة هذا الشيء الذي سيذكره الرسول ﷺ، وبهذا يكون قد حرك القوة الداخلية في الإنسان، والموجِّهة لإرادته والدافعة له حتى ينمو عنده سلوكًا معينًا ألا وهو التشويق لمعرفة ما سيخبر به رسول الله ﷺ فتتربى عنده دوافع ذاتية تدفعه إلى الفضائل وتبعده عن الرذائل حتى يكون عالي الهمة لا يرضى أن يكون مقترفًا للمعاصي أو الكبائر.

والرسول ﷺ في هذا الحديث أراد أن يربي في النفس البشرية، أن تكون عليَّةً لا ترضى بالظلم والفواحش لأنها أكبر من ذلك، لذلك حرص في حديثه على إبراز دافع قوي يدفع عن الشر ويحفز للخير، وذلك من خلال إثارة حواس النفس كما في الحديث، فتظل النفس تتطلع إلى ما سيلقى إليها بشوق ولهفة لمعرفة هذه الكبائر العظام، فيتمنى من الله أن لا يقع فيها، وهذا مما يزيد الرغبة في عمل الخير وتجعله يجد ويحرص على العمل والجد والمثابرة[1].

ثانيًا: التربية بالتَّكْرار والتأكيد:

من أصول التربية الإسلامية التربية بالتَّكْرار والتأكيد لما فيه من إعادة الشيء

---

(١) التربية الذاتية في الكتاب والسنة، هشام علي أحمد، ص٧٤. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، ص٢٢٤. أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ص٢٩٧.

مرارًا، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في تربيته للصحابة، وفي حديث الباب ما يدل على التكرار، فقال ﷺ: ((ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ)). مما يبرز أهمية التكرار وأنه أسلوب مفيد للغاية في عملية التربية، لأن الرسول ﷺ كان يحرص أثناء تربيته للصحابة على تأكيد أشياء لها أهميتها، وفي الحديث يؤكد الرسول ﷺ على خطورة قول الزور وشهادة الزور، وذلك لما يترتب عليها من مفاسد كبيرة تؤثر على الفرد والمجتمع، وتفسد علاقة العبد بربه، ومن فوائد التكرار هنا الحفظ، فإن الرسول ﷺ حرص على أن يحفظ الصحابة رضي الله عنهم هذا التحذير وليجعل كل واحد من الصحابة رضي الله عنهم نصب عينيه هذا التحذير. والرسول ﷺ يعلم أهمية هذه الوسيلة في تثبيت المعنى في القلوب وفي النفوس لتشعر بخطورة هذا الأمر وبشاعته، وظل رسول الله ﷺ يكرر حتى قال الصحابة ليته سكت، فهو فعل ما أمكن استطاعه من التكرار، ليتأكد بما لا يدع مجالاً للشك، إن مثل هذه الأمور يجب اجتنابها والبعد عنها للخطر الكبير والإثم العظيم المترتب عليها[1].

ثالثًا: التربية الشمولية:

من خصائص التربية الإسلامية أنها تربية شمولية متكاملة في كل ما يحتاج إليه الإنسان في حياته ومعاده، ففي حديث الباب ما يدل على ذلك: «... قلنا: بلىٰ يا رسولَ الله. قال: الإشراك بالله، وعُقوق الوالِدَين. وكان متَّكِئًا فجلسَ فقال: ألا وقولُ الزُّور...»، فالرسول ﷺ ذكر أشياء في هذا الحديث تدل على أن التربية النبوية شاملة لجميع جوانب الشخصية من الناحية العقدية، والعبادية، والأسرية، والاجتماعية، فهي لم تقتصر في الحفاظ على جانب واحد فقط بل اهتمت بجميع الجوانب كما ذكرنا، وأثر هذا الاهتمام يتأتى في تنمية الروح وتغذية الجسم وتثقيف العقل وتكوين الأخلاق الحسنة، وغرس الفضيلة في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد على أساس من التقوى والتكافل والتعاون.

---

(١) انظر: التربية في السنة النبوية، أبولبابة حسين، ص٧٠، وآداب المتعلمين، د. أحمد عبدالله الباتلي، ص١٠١. وأساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٠٣.

والرسول ﷺ في تأسيسه للتربية الشمولية في أحاديثه وضع قاعدة هامة وعامة، وهي القاعدة الموضوعية لأنه لم يفصل بين "الدين والدنيا" بل شمل شؤون الحياة في الدنيا والآخرة، لأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة وإنساني، لأنه خاطب البشرية جمعًا، وفطريًا لأنه وقف ما بين مطالب الروح والجسد، ومكاني، لأنه صالح لكل زمان ومكان، ومن شموله إنه لم يغفل العلاقات الأسرية [الجيران]، وجميع جوانب الأخلاق، فما ترك الإسلام جانبًا من جوانب الحياة إلا وقد تناولتها الشريعة، وأوضحت لنا فيها الخير من الشر، والطاهر من الخبيث، والصحيح من الفاسد وبهذا الشمول الذي تتسم به الشريعة الإسلامية، فإنها في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[1][2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، أ.د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٣٥، ٧٥، وأصول التربية الإسلامية، أ. د. خالد الحازمي، ص ٤٦.

٢٦٤- باب تحريم لعن إنسان بعينه أَوْ دابة

الحديث رقم (١٥٥٣)

١٥٥٣- عن أَبي زيدٍ ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ رضي الله عنه، وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا (مُتَعَمِّدًا) [١]، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ،(وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ) [٢])) متفق عَلَيْهِ[٣].

ترجمة الراوي:

ثابت بن الضحاك: هو ابن خليفة بن ثعلبة الأنصاري. ولد سنة ثلاث من البعثة.

له صُحبة برسول الله ﷺ ورواية عنه.

وكان رديف النبي ﷺ يوم الخندق، ودليله إلى حمراء الأسد، وكان ممن بايع تحت الشجرة في بيعة الرضوان.

وقال البخاري والترمذي كما في الإصابة إنه شهد بدرًا، وقيل إنه لم يشهدها.

وبلغت أحاديثه عن النبي ﷺ ١٤ حديثًا. وتوفي سنة ٥٤هـ[٤].

غريب الألفاظ:

بملة: الملة: الدين[٥].

لعن المؤمن: سبُّه وشَتْمُه[٦].

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (١١٠/١٧٧).

(٢) هذه الزيادة عند مسلم بعد حديث (١١٠/١٧٦، بدون رقم)، والبخاري برقم (٦١٠٥) من حديث أبي قلابة.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠/١٧٦). والسياق للحميدي في جمعه (٥١٦/١، رقم ٨٤٢).

(٤) الإصابة (١٥٠)، الأعلام للزركلي (٩٨/٢)، الاستيعاب (١٠٣)، أسد الغابة (٤٤٦/١-٤٤٧)، تهذيب الكمال (٤٠٦/١)، تهذيب التهذيب (٢٦٥/١).

(٥) النهاية في (م ل ل).

(٦) النهاية في (ل ع ن).

الشرح الأدبي

ذكر ما يتعلق بالراوي من رؤية، أو سماع، أو صحبة للنبي ﷺ، أو حضور غزوة أو بيعة كقوله (وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ) من تعديل الراوي وتزكيته، وهو لون من ألوان توثيق الحديث ؛ لأنهم الثقات العدول الذين لا يبلغهم التجريح، والحديث يهدد في بدايته ويحذر في سياق الشرط من الحلف الكاذب بملة غير الإسلام بنسبته إلى تلك الملة الباطلة التي حلف بها (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ كاذِباً مُتَعَمِّداً، فَهُوَ كَما قَالَ) وهو يربط بين الحلف على ملة غير الإسلام بالقيد المذكور وبين الكون على ما قاله أي يصير إلى الملة التي حلف عليها، وهو يتضمن التحذير من الكذب في اليمين، ويتضمن التحذير من الحلف بملة غير الإسلام، والخطأ الثاني الذي يحذر منه الحديث في ثوب الشرط (وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ) حيث ربط بين قتل النفس بشيء، والعذاب به يوم القيامة، وبذلك يجعل أداة القتل في يد القاتل أداة تعذيبه يوم القيامة، مما يعني أنه ينتقل من هول إلى هول، وتقييدها بيوم القيامة يزيد الأمر هولا، ثم قرر قاعدة شرعية في قوله (وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ) وهو أسلوب نفي لتحمل الإنسان ما لا يطيق من النذر، (وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ) تشبيه للعن المسلم بقتله تعظيما لهذا الذنب يقتضي الحذر منه قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : قَالَ الْإِمَامُ - يَعْنِي الْمَازِرِيَّ - : الظَّاهِرُ مِنْ الْحَدِيثِ تَشْبِيهُهُ فِي الْإِثْمِ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ وَاقِعٌ ؛ لِأَنَّ اللَّعْنَةَ قَطْعٌ عَنْ الرَّحْمَةِ، وَالْمَوْتَ قَطْعٌ عَنْ التَّصَرُّفِ قَالَ الْقَاضِي، وَقِيلَ : لَعْنَتُهُ تَقْتَضِي قَصْدَهُ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْعَهُمْ مَنَافِعَهُ، وَتَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ بِهِ كَمَا لَوْ قَتَلَهُ، وَقِيلَ : لَعْنَتُهُ تَقْتَضِي قَطْعَ مَنَافِعِهِ الْأُخْرَوِيَّةِ عَنْهُ، وَبُعْدَهُ مِنْهَا بِإِجَابَةِ لَعْنَتِهِ فَهُوَ كَمَنْ قُتِلَ فِي الدُّنْيَا، وَقُطِعَتْ عَنْهُ مَنَافِعُهُ فِيهَا .

فقه الحديث

في هذا الحديث من الفقه ما يلي:

١-حكم لعن المسلم: لا خلاف بين الفقهاء في تحريم وتغليظ لعن المسلم[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم مج١/ج٢/١٠٧ ط دار الكتب العلمية.

٢-حكم لعن الكافر: لا يجوز لعن أعيان الكفار حيًا كان أو ميتًا، إلا من علمنا بالنص أنه مات كافرًا كأبي لهب وأبي جهل وشبههما، ويجوز لعن طائفتهم كقولك لعن الله الكفار، ولعن الله اليهود والنصارى[١].

٣-بيان غلظ تحريم قتل النفس، واليمين الفاجرة التي يقتطع بها مال غيره، والحلف بملة غير الإسلام كقوله هو يهودي أو نصراني إن كان كذا[٢].

٤-لا يصح النذر فيما لا يملك ولا يلزم بهذا النذر شيء[٣].

٥-حكم لعن البهائم: يحرم لعن البهائم[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أهل بيعة الرضوان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف على يمين بغير ملة الإسلام.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس البشرية والترهيب من إزهاقها.

رابعًا: من خصائص الدعوة: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أهل بيعة الرضوان:

وردت الإشارة إلى ذلك في بيان كون راوي الحديث من أهل بيعة الرضوان "فعن أبي زيد ثابت بن الضحاك الأنصاري ﷺ وهو من أهل بيعة الرضوان"، وبيعة الرضوان كانت بالحديبية سنة ست من الهجرة، وسببها أنه أشيع أن قريشًا قتلوا عثمان ﷺ، فبايع الصحابة رسول الله ﷺ على قتالهم والموت في سبيل الله[٥]، وقبل أن تتطور الأمور وتتأزم، عاد عثمان إلى معسكر المسلمين بعد بيعه الرضوان هذه مباشرة، وقد عرفت البيعة بذلك[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢٥/٢، وسبل السلام ٣٤١/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢٥/٢.

(٤) شرح منتهى الإرادات ٢٤٧/٣-٢٤٨، وكشاف القناع ٤٩٤/٥، وشرح صحيح مسلم ١٢٥/٢.

(٥) سيرة ابن هشام ٣٠٨/٣.

(٦) موسوعة نضرة النعيم ٣٣٧/١.

لقد خرج النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية من المدينة يريدون الحج ولم يريدوا قتالاً، ولما غاب عثمان رضي الله عنه في مكة، وشاعت القالة بأنه رضي الله تعالى عنه قد قتل، ولم يكن ذلك بعيد الاحتمال، أخذ أهبته للقتال لأن الاعتداء وقع بقتل الرسول، وهو رسول سلام، وهذا أمر منكر وقبيح في ذاته، وفوق ذلك يتضمن في ذاته رفض للسلام واعتداء على من أرسله، إذ الرسول لا يقتل، ولكن يرد إلى مأمنه، سواء رفضوا الرسالة أم قبلوها.

لا بد إذن من الأهبة، وما خرجوا للقتال، فلابد من أخذ البيعة به، لأن القتال برضا الجند، وتلك سنة نبوية في كل حروبه عليه الصلاة والسلام، فإنه يريد جندًا مختارًا يقدم بنفسه برضا واختيار، محتسبًا النية لله تعالى طالبًا ما عند الله.

لذلك أخذ البيعة على من معه، وكان يبايعهم على الموت، وعلى ألا يفروا من الميدان، لأن الرسول ﷺ قرر القتال، وقال: لا نبرح حتى نناجز القوم، لأنهم بقتلهم ذا النورين عثمان يكونون قد رفضوا السلام.

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فبايع رسول الله ﷺ كل من معه، ولم يتخلف عن البيعة أحد إلا واحد، وما كان ليلتفت إليه.

ولقد رضي الله عن أولئك الذين قبلوا أن يغيروا ملابس الإحرام ويلبسوا ملابس القتال، وقال الله تعالى فيهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ

بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[١]، وفي هذه الآيات يخبر الله عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة[٢]، زيادة على ذلك وهبهم سبحانه وتعالى من بعد ذلك مغانم كثيرة، وبين سبحانه وتعالى أن أول هذه المغانم أن يكف أيديهم عنكم، فكانت هذه غنيمة عاجلة، وكان هذا فتحًا مبينا.

ولقد قال رسول الله ﷺ لمن بايعه يومئذ "أنتم خير أهل الأرض"[٣]، وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: "لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها"[٤]، قال النووي: قال العلماء: "معناه لا يدخلها أحد منهم قطعًا، وإنما قال إن شاء الله للتبرك لا للشك"[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف على يمين بغير ملة الإسلام:

إن من أراد أن يسلم له الإيمان فليتق الله في الأيمان، وليبتعد عن الأيمان المخالفة لهدى رسول الله ﷺ، ومنها ما جاء الترهيب منها في الحديث، فقال ﷺ "من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا فهو كما قال".

قال القرطبي: وقوله: "من حلف على يمين بملة غير الإسلام"، اليمين هنا: يعني به المحلوف عليه، بدليل ذكره المحلوف به، وهو بملة غير الإسلام، ويجوز أن يقال: إن "على" صلة، وينتصب يمين على أنه مصدر ملاق في المعنى لا في اللفظ.

وقوله: "كاذبًا متعمدًا" يحتمل أن يريد به النبي ﷺ: من كان معتقدًا لتعظيم تلك الملة المغايرة لملة الإسلام، وحينئذ يكون كافرًا حقيقةً، فيبقى اللفظ على ظاهره. "وكاذبًا" منصوب على الحال، أي: في حال تعظيم تلك الملة التي حلف بها، فتكون هذه

---

(١) سورة الفتح، الآيات: ١٨-٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، ٣٣٩/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٩٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٤٩٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥١١.

الحال من الأحوال اللازمة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[١]. لأن من عظم ملة غير الإسلام كان كاذبًا في تعظيمه دائمًا في كل حال، وكل وقت، لا ينتقل عن ذلك، ولا يصلح أن يقال إنه يعني بكونه كاذبًا في المحلوف عليه؛ لأنه يستوي في ذمه كونه صادقًا أو كاذبًا إذا حلف بملة غير الإسلام؛ لأنه إنما ذمة الشرع من حيث إنه حلف بتلك الملة الباطلة معظمًا لها، على نحو ما تعظم به ملة الإسلام الحق، فلا فرق بين أن يكون صادقًا أو كاذبًا في المحلوف عليه، والله تعالى أعلم.

وأما إن كان الحالف بذلك غير معتقد لذلك فهو آثم، مرتكب كبيرة؛ إذ قد نسبه في قوله لمن يعظم تلك الملة ويعتقدها، فغلظ عليه الوعيد، بأن صيره كواحد منهم مبالغة في الردع والزجر، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[٢]. وهل تجب عليه كفارة أم لا؟ اختلف العلماء في ذلك، فروي عن ابن المبارك مما ورد مثل هذا: أن ذلك على طريقة التغليظ، ولا كفارة على من حلف بذلك وإن كان آثماً، وعليه الجمهور، وهو الصحيح، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من حلف باللات فليقل لا إله إلا الله»[٣]. ولم يوجب عليه أكثر من ذلك. ولو كانت الكفارة واجبة لبينها النبي ﷺ حينئذ، لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وقد ذهب بعض العراقيين إلى وجوب الكفارة عليه.

وقال ابن علان: قوله ﷺ من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا فهو كما قال: كأن قال: والله إن فعلت كذا فهو يهودي أو نصراني، فهو كما قال أى إذا أراد التدين بذلك والعزم عليه إن فعل ذلك فيصير كافرًا حالاً، لأن العزم على الكفر كفر، أما إذا أراد المبالغة في منع نفسه من ذلك، وألا يفعله البتة من غير عزم على ذلك المحلوف به البتة، فمعصية يستغفر الله منها[٤]، قال ابن عثيمين رحمه الله: وهذا يدل على

---

(١) سورة البقرة، آية: ٩١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٣١٢، ٣١٣.

(٤) دليل الفالحين ١٦١٣.

أن الحلف بملة غير الإسلام متعمدًا من كبائر الذنوب، فإن كان غير كاذب بأن كان صادقًا فإنه لا يلحقه هذا الوعيد، لكننا نقول إذا كنت حالفًا فاحلف بالله، كما قال الرسول ﷺ "من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت"[(١)(٢)].

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس البشرية والترهيب من إزهاقها

إن من أهداف الدعوة، الحفاظ على الضرورات الخمس، والتي منها الحفاظ على النفس، سواء كانت نفس الغير أم نفس الإنسان ذاته، ومن ذلك ما جاء في الحديث من ترهيب الإسلام من قتل الإنسان لنفسه، قال ﷺ "ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة"، فلقد حفظ الإسلام حق الحياة، وحماه بالتربية والتوجيه وبالتشريع والقضاء، وبكل المؤيدات النفسية والفكرية والاجتماعية، واعتبر الحياة هبة من الله لايجوز لأحد أن يسلبها غيره[(٣)]، فضلاً عن أنه لا يجوز له أن يسلبها نفسه، كما جاء في الحديث من الترهيب من قتل النفس، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة " ليكون الجزاء من جنس العمل[(٤)]، وقد تضافرت النصوص على تحريم قتل الإنسان لنفسه، وبيان أن ذلك من أسباب استحقاق النار، فعن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة[(٥)]، إذ أن المنتحر قاتل للنفس التي حرم الله تعالى قتلها، فكان من أهل النار[(٦)].

ويتحقق قتل الإنسان نفسه، أو ما يسمى الانتحار بوسائل مختلفة، ويتنوع بأنواع متعددة كالقتل.

فإذا كان إزهاق الشخص نفسه بإتيان فعل منهي عنه كاستعمال السيف أو الرمح أو البندقية أو أكل السم أو إلقاء نفسه من شاهق أو في النار ليحترق أو في الماء ليغرق

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٧٩، ومسلم ٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦٣٧/٢.

(٣) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٤.

(٤) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٣٦٤، ومسلم ١١٣.

(٦) موسوعة نضرة النعيم ٥٢٩٩/١١.

وغير ذلك من الوسائل، فهو انتحار بطريق الإيجاب.

وإذا كان الإزهاق بالامتناع عن الواجب، كالامتناع من الأكل والشرب وترك علاج الجرح الموثوق ببرئه بما فيه من خلاف سيأتي، أو عدم الحركة في الماء أو في النار أو عدم التخلص من السبع الذي يمكن النجاة منه، فهو انتحار بطريق السلب.

ويقسم الانتحار بحسب إرادة المنتحر إلى نوعين: الانتحار عمدًا والانتحار خطأ.

فإذا ارتكب الشخص عملاً حصل منه قتل نفسه، وأراد النتيجة الحاصلة من العمل، يعتبر القتل انتحارًا عمدًا. كرمي نفسه بقصد القتل مثلاً.

وإذا أراد صيدًا أو قتل العدو فأصاب نفسه، ومات، يعتبر انتحارًا خطأ.

ويمكن أن يحصل الانتحار بطريق يعتبر شبه العمد عند غير المالكية، كقتل الإنسان نفسه بما لا يقتل غالبًا، كالسوط والعصا.

وقد يكون الانتحار بسبب سلبي وذلك مثل:

الامتناع من المباح: من امتنع من المباح حتى مات كان قاتلاً نفسه، متلفًا لها عند جميع أهل العلم. لأن الأكل للغذاء والشراب لدفع العطش فرض بمقدار ما يدفع الهلاك، فإن ترك الأكل والشرب حتى هلك فقد انتحر، لأن فيه إلقاء النفس في التهلكة المنهي عنه في محكم التنزيل.

وإذا اضطر الإنسان للأكل أو الشرب من المحرم كالميتة والخنزير والخمر، حتى ظن الهلاك جوعًا، لزمه الأكل والشرب، فإذا امتنع حتى مات صار قاتلاً نفسه، بمنزلة من ترك أكل الخبز وشرب الماء في حال الإمكان، لأن تاركه ساع في إهلاك نفسه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]. وكذلك حكم الإكراه على أكل المحرم، فلا يباح للمكره الامتناع من أكل الميتة أو الدم أو لحم الخنزير في حالة الإكراه، لأن هذه الأشياء مما يباح عند الاضطرار لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[2]. والاستثناء من التحريم إباحة، وقد تحقق الاضطرار بالإكراه، ولو امتنع عنه

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١١٩.

حتى قتل يؤاخذ به ويعد منتحرًا، لأنه بالامتناع عنه صار ملقيًا نفسه في التهلكة.

أما عن الحكم التكليفي للانتحار، فإنه حرام بالاتفاق، ويعتبر من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1]. وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2]. وقد قرر الفقهاء أن المنتحر أعظم وزرًا من قاتل غيره، وهو فاسق وباع على نفسه، حتى قال بعضهم: لا يغسل ولا يصلى عليه كالبغاة، وقيل: لا تقبل توبته تغليظًا عليه.

كما أن ظاهر بعض الأحاديث يدل على خلوده في النار، منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَن تَرَدَّى من جبل فقتلَ نفسَه فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن تحسَّى سمًا فقتَلَ نفسه فسمُّهُ في يده يَتحساهُ في نارِ جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. ومن قتلَ نفسه بحَديدة فحديدتهُ في يده يَجأُ بها في بطنهِ في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»[3][4].

رابعًا: من خصائص الدعوة: التيسير على المدعوين ومراعاة أحوالهم

ورد في الحديث صورة من صور تيسير الإسلام على أتباعه في قوله ﷺ "ليس على رجل نذر فيما لا يملكه"[5]، أى لا يجب عليه الوفاء بنذر شيء لا يملكه، وذلك من مظاهر تيسير الإسلام على أتباعه، فإن المتتبع لما شرعه الله علينا يرى أن مظاهر رفع الحرج فيها واضحة جلية لا غموض فيها ولا خفاء، ذلك لأن الشريعة الإسلامية قد تميزت بعدم العنت والمشقة، ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[6]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[7]، وذلك مما يدل على أن

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٧٨، ومسلم ١٠٩.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية ٦/٢٨١-٢٨٤.

(٥) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٧) سورة الحج، آية: ٧٨.

رعاية التيسير والتخفيف مقصودة من الشارع الحكيم[١].

ولقد كانت وصية رسول الله ﷺ دائمًا للأمة ولاة وآحادًا بالتيسير والابتعاد عن التعسير، فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن ومعاذ بن جبل قال لهما: «يَسرا ولا تعسِّرا، وبَشِّرا ولا تنفِّرا، وتَطاوَعا»[٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وبشروا وَلاَ تُنَفِّرُوا»[٣].

---

(١) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ١٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦١٢٤، ومسلم ١٧٣٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦١٢٥.

الحديث رقم (١٥٥٤)

١٥٥٤- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((**لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ انْ يَكُونَ لَعَّانًا**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

لعانًا: الدعاء بالإبعاد من رحمة الله[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يتميز بالإيجاز وأسلوبه خبري يبدأ بنفي الانبغاء على الحالة المذكورة وهي نفي اجتماع الصديقية مع صفة اللعن، والتعبير بلفظ (صديق) يوحي بقمة محاسن الخلق التي يتصور العقل معها وجود كل صفة حسنة والتعبير بصيغة المبالغة (لعان) بصيغة التكثير ولم يقل لاعنا واللاعنون لأن هذا الذم في الحديث إنما هو لمن كثر منه اللعن لا لمرة ونحوها ولأنه يخرج منه أيضا اللعن المباح وهو الذي ورد الشرع به وهو لعنه الله على الظالمين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الواصلة والواشمة وشارب الخمر وآكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمصورين وغيرهم، وفي الحديث الزجر عن اللعن، وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة؛ لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه.

---

(١) برقم (٢٥٩٧/٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٩٩).

(٢) شرح مسلم ١٥٤٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب اللعن.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية تحلي المؤمن بالخلق الكريم والبعد عن اللعن.

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب اللعن

إن كثرة اللعن والإيذاء تنافي كمال التصديق وثبات الإيمان[1]، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة الناهية عن اللعن، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا"، قال القاضي عياض: (وذلك تعظيم لاثم اللعن وتجنبه، وأنه ليس من أخلاق المؤمنين والصديقين ولا الشهداء والشفعاء يوم القيامة، وأن من تخلق به فليس من هذه الطبقات العزيزة الرفيعة لأن اللعنة -وإن كان أصلها في اللغة الترك والإبعاد- فصار استعمالها في الدعاء والإبعاد من رحمة الله، وليس هذا خلق المؤمنين الذين وصفهم الله بالرحمة بينهم، والتعاون على البر، وأنهم كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضًا، وأن المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومثله قوله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2].

فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة، وهي البعد من رحمة الله، وهي بمثابة المقاطعة والعداوة ومحبة الشر أجمعه له، وهي ضد الشفاعة والشهادة المقتضية للإشفاق والرحمة وهي غاية ما يرده الكافر وغاية أصله وعاقبة أمره، فكيف يجوز لمسلم وقر الإيمان في قلبه أن يحبه لأخيه ويدعو عليه به[3].

قال النووي رحمه الله: "فيه الزجر عن اللعن، وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة، لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم، والتعاون على

---

(١) شرح رياض الصالحين د. الحسيني هاشم، ٧٣١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٩.

(٣) إكمال المعلم ٦٨/٨..

البر والتقوى وجعلهم كالبنيان المرصوص، يشد بعضهم بعضًا، وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهى الإبعاد من رحمة الله تعالى، فهو من نهاية المقاطعة والتدابر، وهذا غايه ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه"[١]، وجاء التعبير في الحديث بصيغة المبالغة، فقال: "لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا"، قال ابن علان: أى ليس شأنه ووصفه المبالغة بالإكثار منه، فأومأ إلى أنه إذا ندر منه ذلك حينًا فلا ينافي وصفه بالصديقية، لأن غلبة الحال قد تحمل عليه[٢].

وقد جاءت النصوص الجمة التي تحث على اجتناب اللعن، إذ أنه لون من ألوان الفحش التي حاربها الإسلام، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن يَهودَ أتَوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنَكُم الله وغضِبَ الله عليكم. قال: مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرِّفق، وإياكِ والعنفَ والفُحش. قالت: أولم تَسمع ما قالوا؟ قال: أَوَلم تسمعي ما قلتُ؟ ردَدتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ»[٣].

وبين ﷺ أن الفحش إذا اتصف به إنسان كان من أشر الناس، وذكر ابن حجر الهيتمي أن ملازمة الشر والفحش من الكبائر، مستدلاً بقوله ﷺ: « إنَّ شر الناس مَن تركه الناس - أو وَدَعهُ الناس - اتقاءَ فُحشهِ»[٤]. وبما روي عن الإمام أحمد بن حنبل من أن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وأن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا[٥].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية تحلي المؤمن بالخلق الكريم والبعد عن اللعن

لقد أولى الإسلام الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الكريمة رعاية كاملة مقطوعة النظير، "فالأخلاق الكريمة تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٤٩.

(٢) دليل الفالحين ١٦١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٠ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٥٤ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩١.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٥٢/١، ١٥٣.

وقدراته، وما سخر له في السماوات والأرض، وبما أنزل عليه من كتب، وما أرسل إليه من رسل، وبذا تتحقق كرامة الإنسان ويتهيأ لها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة[١]. ومن أهم هذه الأخلاق التمسك بأحسنها والبعد عن اللعن والفحش في الأقوال والأفعال، فقال ﷺ: "لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا"، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"[٢]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: "ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه"[٣].

ولله در القائل:

أُحِبُّ مكارِم الأخلاق جَهْدي وأَكْـره أن أَعيب وأن أُعابَا
وأَصْفَح عن سِباب النَّاس حِلْمًا وشرُّ الناس مَن يَهْوَى السِّبابا[٤]

وعن حُكْم اللعن وملازمته وهو أحد ألوان الفحش، ذكر ابن حجر الهيتمي أن ملازمة الشر والفحش من الكبائر، مستدلاً بما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: «استأذَنَ رجلٌ على رسولِ الله ﷺ، فقال: ائذَنوا له، بئسَ أخو العشيرة أو ابن العشيرة. فلما دَخلَ ألانَ له الكلام. قلت يا رسول الله قلتَ الذي قلتَ ثم أَلنتَ له الكلام. قال: أي عائشة، إنَّ شر الناس مَن تركه الناس ـ أو وَدَعهُ الناس ـ اتقاءَ فُحشهِ»[٥]. وبما روى عن أحمد بن حنبل من أن الفحش والتفحش ليس من الإسلام في شيء، وأن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا[٦].

ولقد جاءت النصوص الكثيرة في التحذير من اللعن والفحش، ومن ذلك ما روى عن

---

(١) القيم الحضارية في رسالة الإسلام، محمد فتحي عثمان، الدار السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ص٤٢.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٨٣٩، والحديث قال عنه محققو المسند حديث حسن، (مسند الإمام أحمد ٣٩١/٦).

(٣) أخرجه الترمذي ١٩٧٤، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله، (صحيح سنن الترمذي ١٦٠٧).

(٤) موسوعة نضرة النعيم ٥٢٣٥/١١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٥٤ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩١.

(٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٥٢/١، ١٥٣.

عائشة رضي الله عنها: «أن يَهودَ أتَوُا النبيَّ ﷺ فقالوا: السّامُ عليكم، فقالت عائشة: عليكم، ولعنَكُم الله وغضِبَ الله عليكم. قال: مهلاً يا عائشة، عليكِ بالرِّفق، وإياكِ والعنفَ والفُحش. قالت: أولم تَسمع ما قالوا؟ قال: أَوَلم تسمعي ما قلتُ؟ رددتُ عليهم، فيُستجابُ لي فيهم، ولا يُستجاب لهم فيَّ»[1].

وروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الظُّلْم ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ، وإيّاكُمْ والفُحْش، فإنّ الله لا يحبّ التَّفَحُّش، وإيّاكُمْ والشُّحَّ، فإنّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، أَمرَهُمْ بالقطيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بالبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بالفُجُورِ فَفَجَرُوا ... الحديث»[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَسْمًا. فَقُلْتُ: وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ لَغَيْرُ هؤُلاَءِ كَانَ أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ. قَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ أَوْ يُبَخِّلُونِي. فَلَسْتُ بِبَاخِلٍ»[3].

وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللّهِ. مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللّهِ، مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ... الحديث»[4].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[5].

إن للفحش واللعن وما شاكلهما من الأخلاق الذميمة مضارها التي لا تنكر، والتي لها آثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات، ومن هذه المضار:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٣٠ واللفظ له، ومسلم ٢٥٩٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٦٤٨٧، وقال محققو المسند إسناده صحيح، انظر: (مسند الإمام أحمد ٢٦/١١).

(٣) أخرجه مسلم ١٠٥٦.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٢٠، ومسلم ٢٧٦٠ واللفظ له.

(٥) أخرجه الإمام أحمد ٣٨٣٩، والحديث قال عنه محققو المسند حديث حسن، (مسند الإمام أحمد ٣٩١/٦).

أ- البعد من الله ومن الناس.

ب- إيجاب سخط الله وغضبه.

ج- استحقاق الوعيد في الآخرة.

د- معول هدم في المجتمع.

هـ- دليل على سوء الخاتمة[1].

(١) انظر موسوعة نضرة النعيم ٥٢٣٥/١١.

الحديث رقم (١٥٥٥)

١٥٥٥- وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**لاَ يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٧).

غريب الألفاظ:

اللعانون: اللعن: الدعاء بالإبعاد من رحمة الله[٢].

شفعاء: الشفاعة: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم وتكون في أمور الدنيا والآخرة[٣].

شهداء: من الشهادة بمعنى القتل في سبيل الله وقيل من الإشهاد على الأمم يوم القيامة[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من المشاهد الواقعية في سيرة المصطفى ﷺ، وهو مشهد يبوح بموقف رسول الله ﷺ من هذه الناقة التي لعنتها صاحبتها.

وفي الحديث السابق توضيح لمثل هذا الموقف، أو تفسير لبعض جوانبه، حيث ضجرت المرأة من علاج الناقة: فلعنتها، فقال رسول الله ﷺ: خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة.

وهذا الحديث يصاغ في سياق حكاية تتضمن حدثًا وبعض الشخصيات، وبعض المواقف، ويبدأ الحديث بداية قصصية في قول الراوي: بينما.. وهي تمهد لأحداث

---

(١) برقم (٢٥٩٨/٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٠١).

(٢) شرح مسلم ١٥٤٩.

(٣) النهاية ٤٨٤.

(٤) شرح مسلم ١٥٤٩.

ستتوالى بعد ذلك، والجارية من شخصيات هذه القصة.. وهي الشخصية المحورية لأنها هي التي لعنت الناقة، ولم يُحدد اسمها، ولا المكان الذي وقع به هذا الحدث.. لأن العبرة بما يتمخض عنه هذا الموقف من توجيه نبوي حكيم، ولم يُحدد الحديث من هؤلاء القوم أصحاب المتاع، وفي الحديث السابق حدّد المرأة فقال: امرأة من الأنصار.

وقول الراوي: وتضايق بهم الجبل، يوحي بأن ذلك سبب لعن الجارية للناقة، حيث يرشد ذلك التعبير أن الناقة زاحمت موكب النبي ﷺ أو تأخرت عنه، لأن قولها: "حَلّ" فيه زجر للناقة، وحث لها على الإسراع، وصيغة الدعاء في قول الجارية: اللهم ألعنها تدل على ضيق هذه الجارية بالناقة، وقول رسول الله ﷺ: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة، فيه نهي أن تصاحبهم تلك الناقة في سفرهم لأنها ملعونة، وقيل ليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ، وهذا النهي عن المصاحبة في قوله: "لا تصاحبنا"، يتضمن نهي هذه الجارية عن المصاحبة كذلك لأنها أخطأت حين لعنت ناقتها.. لأن رسول الله ﷺ نهى عن لعن إنسان بعينه أو دابته، واللعن هو الطرد من رحمة الله عز وجل.

ويقول الزمخشري في أسس البلاغة: (لعنه أهله، أي طردوه وأبعدوه، وهو لعين طريد، وقد لعن الله إبليس، أي طرده من الجنة وأبعده من جوار الملائكة.

فالحديث في مفهومه ينهى عن اللعن، ويقول رسول اله ﷺ: ((لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله ولا بِغَضَبِهِ ولا بالنَّارِ))[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان تنافي اللعن واعتياد الإنسان عليه مع قبول الشفاعة والشهادة يوم القيامة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: التسامي بالمدعوين عن الأخلاق السيئة.

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٠٦، والترمذي، ١٩٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي، ١٦٠٩).

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار

جاء أسلوب الإخبار في الحديث عن حال اللعانين يوم القيامة، ونفى الشفاعة والشهادة يومئذ، فقال ﷺ "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة"، وأسلوب الإخبار له الأثر الإيجابي في النفس، وتتعدد الصيغ الخبرية، وكلها تعرض بأسلوب جميل، فمرة تأتي بسياق الأمر ومرة بالنهى وأخرى بالنفي وغير ذلك[1]، ومن صيغ الإخبار، قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[2].

وجاء في الحديث الإخبار عن حال اللعانين يوم القيامة، وأنهم لا تنالهم ولا يستحقون الشفاعة يوم القيامة، ومثل تلك الأمور لا تدرك إلا بالإخبار "فما من ريب في أن معرفة أمور الغيب الحقيقي لا تنال بالعقول، بل يتوقف العلم بها على الوحي الإلهي، ومن ثمَّ كان مدار العلم بها عن طريق الإخبار، فنحن لا نعلم من الغيب الحقيقي إلا ما وصلنا منه إخبارًا من الله علام الغيب بواسطة النقل المعصوم عن رسول الله ﷺ وصفًا أو أثرًا، وأسلوب الإخبار الصحيح هو الذي يعتمد على تقديم الحقائق اليقينية، وعرضها على الناس بصورة تمكنهم من فهمها على وجهها الصحيح[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان تنافي اللعن واعتياد الإنسان عليه مع قبول الشفاعة والشهادة يوم القيامة

جاء التصريح بذلك في الحديث في قوله ﷺ "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة " قال الإمام النووي رحمه الله: قوله ﷺ: "لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة" فمعناه: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار، وقوله"ولا شهداء" فيه ثلاثة أقوال، أصحها وأشهرها: لا يكونون

---

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ٥٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٣) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ٢٠٩-٢١٥.

شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات، والثاني: لا يكونون شهداء في الدنيا: أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم، والثالث: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله"[١]، فعلى من يريد السلامة لدينه، ويحظى بالخير يوم القيامة، ولا يفوته شيء منه كالشفاعة والشهادة أن يحفظ لسانه، فكم للسان من زلات وكم فيها من الخطر، والحيطة والحذر تقتضيان من المرء أن يتيقظ وينتبه في حفظ لسانه، وألا يدع نفسه على هواها، فيقع فيما يلجئه إلى الاعتذار، وقد سئل رسول الله ﷺ: "أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٢]، "أفلا يطمح المؤمن أن يكون من ذوي الإسلام الأفضل، بأن يجعل سلاطة لسانه على أعداء الله، وحلو كلامه وحسن حديثه للمسلمين"[٣].

كما وصف الله جماعة المؤمنين بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥].

ثالثًا: من أهداف الدعوة: التسامي بالمدعوين عن الأخلاق السيئة

إن من أهداف الدعوة الرئيسة التسامي بالمدعوين عن الأخلاق السيئة، وحثهم على التحلي بمكارم الأخلاق وأحسنها، وإذا تصفحنا النصوص الشرعية نجد أنها توجه الاهتمام العظيم، والعناية الكبرى لقيمة حسن الخلق في الإسلام، وتذكر الخلق الحسن بتمجيد كبير، منها ما روى عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم"[٦]، ويقرر النبي ﷺ أن

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ١١.

(٣) انظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا محمود محمد الخزندار، ٤٢٨-٤٢٩.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٥) سورة المائدة، آية: ٥٤.

(٦) أخرجه الترمذي ١١٦٢، والحديث قال عنه الشيخ الألباني ﷺ حديث حسن صحيح، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٤).

أثقل الفضائل في ميزان المؤمن يوم القيامة الخلق الحسن والبعد عن الفحش، فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ: قال: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء"[1]، أى يبغض الذي يفعل الفحش ويقول الفحش، ويتكلم ببذئ الكلام، وهو رديئه وقبيحه الذي يتحدث عن العورات والرذائل وما ينبغي من الأشياء والأعمال ستره[2]، فإن الإنسان إذا حسنت أخلاقه، كثر مصافوه وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب، ولله در القائل:

إذا لم تتسع أخلاق قوم تضيق بهم فسيحات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق لبيبًا فليس اللب عن قدم الوِلاد[3]

أما إذا ساءت أخلاق الإنسان كثر معادوه، وجلب لنفسه ولمن حوله الشقاء والتعاسة، فعن أبي حازم رحمه الله قال: السيء الخلق أشقى الناس به، نفسه، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه فرقًا منه، وحتى إن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار، وحتى إن قطه ليفر منه[4].

فينبغي على كل إنسان أن يترفع عن سيء الأخلاق ومذمومها، ومن ابتلى بشيء من ذلك ينبغي أن يعمل جاهدًا على تغيير ما به من مذموم الأخلاق.

وهنا قد يرد سؤال مفاده هل يمكن تغيير الأخلاق أم لا؟

والجواب عن ذلك قد اختلف فيه، فهناك من يرى أن الأخلاق ثابتة في الإنسان لا يمكن أن تتغير؛ لأنها غرائز فُطِر عليها، وطبائع جبل على التحلي بها؛ فلا يمكنه تغييرها، ولا يتصور فكاكه عنها.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٠٢، والحديث قال عنه الشيخ الألباني رحمه الله حديث حسن صحيح، (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٥٤).

(٢) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، الشيخ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٥٣، ٥٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام الماوردي، ٢٣٦، ٢٣٧.

(٤) مساوئ الأخلاق ومذمومها، الخرائطي، ٢٦، وقال محققه أورده الذهبي في سير أعلام النلاء عن أبي حازم، ٦/٩٩.

وهناك من يرى أن تغيير الأخلاق وارد ممكن، فليس متعذرًا ولا مستحيلاً، خلافًا لمن رأى غير ذلك.

والرأي الثاني هو الصواب المقطوع فيه، ذلك أن الأخلاق على ضربين، فمنها ما هو غريزي فطري جبلي، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة، والممارسة، والرياضة، والمجاهدة.

ولو كانت الأخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا، والمواعظ، والتأديبات.

بل كيف ينكر هذا، وتغيير خلق الحيوان البهيم ممكن؟! إذ أن البازي ينقل من الاستيحاش إلى الأنس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك عن التخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد.

وكل ذلك تغيير في الأخلاق.

فإذا كان هذا هو الشأن مع الحيوان البهيم، فأجدر بالإنسان أن يتغير خلقه، ويتبدل طبعه إلى حد الاعتدال، وذلك إن أخذ برياضة نفسه، وسياستها وحملها على المكارم[1].

وهذا الأمر هو الذي تسنده أدلة الشرع والواقع.

أما أدلة الشرع فكثيرة جدًا، فهي تحث على التحلي بالفضائل، والتخلي من الرذائل.

ولو كان ذلك غير ممكن لما أمر به. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[2]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[3]، ففي هاتين الآيتين دليل على أن الأخلاق تتغير، وأن الطباع تتبدل؛ ذلك حسن الخلق من الفلاح، والفلاح ينال بالتزكية.

وقال النبي ﷺ: «إنَّما العلمُ بالتعلُّم، وإنما الحِلْمُ بالتحلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّ الخيرَ يُعْطَهُ،

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣/٥٥، ٥٦.

(٢) سورة الأعلى، آية: ١٤.

(٣) سورة الشمس، آية: ٩.

ومَنْ يَتَّقِ الشرَّ يُوقَهُ»[١].

ففي هذا الحديث دليل على أن الأخلاق قابلة للتغيير، ذلك أن الحلم من الأخلاق بل هو سيدها، وهو مع ذلك ينال ويكتسب بالتحلم، والمجاهدة، وحمل النفس على ذلك.

لعمرك إن الحلم زين لأهله وما الحلم إلا عادة وتحلم

أما دلالة الواقع فنرى، ونسمع أن أناسًا يتصفون بالشر، وسوء الخلق.

فإذا ما راض الواحد منهم نفسه، وساسها، وجاهدها، وأخذ بالأسباب المعينة على محاسن الأخلاق - تبدلت طباعه، وحسنت أخلاقه.

وخير دليل على ذلك ما كان من أمر الصحابة رضي الله عنهم قبل البعثة، فلقد كانوا كسائر كثير من العرب ممن يتصفون بالشدة، والقسوة، والغلظة.

فلما دخلوا في الإسلام، وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، رقت طباعهم، وحسنت أخلاقهم.

بل إنهم أصبحوا مثالاً يحتذى، ونهجًا يقتفي، في الإيثار، والسماحة، والكرم، والحلم، ونحو ذلك من مكارم الأخلاق.

وبعد أن تبين أن الأخلاق قابلة للتغيير نصل إلى بيت القصيد، ألا وهو علاج سوء الخلق، ذلك أن غالبية الناس لا يخفى عليهم سوء الخلق، ولا يجهلون شرره وقبحه، بل يعلمون ذلك ويتمنون الخلاص منه إن كانوا متصفين به.

وإنما الذي يحتاجه أغلب الناس هو كيفية التخلي من سوء الخلق، والتحلي بحسن الخلق[٢].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٢٧/٩، وقال الألباني: إسناده حسن أو قريب من الحسن، (انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٤٢).

(٢) انظر: سوء الخلق، مظاهره، أسبابه، علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ٧٥-٧٨.

الحديث رقم (١٥٥٦)

١٥٥٦- وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : ((**لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلاَ بِغَضَبِهِ، وَلاَ بِالنَّارِ**)) رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

سَمُرة بن جندب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦٢).

غريب الألفاظ:

لا تلاعنوا: لا يلعن بعضكم بعضًا[2].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابق التي دارت حول اللعن ، وقررت أن اللعن ليس من أخلاق الفضلاء أهل السبق في الآخرة من الصديقين ،والشهداء ،والشفعاء ، ونفت اتصافهم بهذه الصفات الأمر الذي يعني أن اللعان لا يكون وجيها عند الله ، وهذا الحديث جاء في صورة النهي العام الذي يشير إلى أهمية تجنب المنهي عنه وخطره الذي استلزم ألا يخص به أحد دون أحد (لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ ، وَلاَ بِغَضَبِهِ ، وَلاَ بِالنَّارِ) وبين تلاعنوا ،ولعنة جناس يؤكد المعنى ويقرر المنهي عنه وإضافة اللعنة إلى الله لأنها أشد خطر لأنها تعني الطرد من رحمة الله ،وليس هناك أشد من ذلك دعاءً على عبد ،والمفردات المنهي عنها تتفق في قسوتها وعظم أثرها فهي (لعنة الله – غضبه – النار) وإضافة اللعنة، والغضب الله مع عدم إضافة النار لأن اللعنة والغضب ترتبط في أثرها وشدتها بكونها من الله ، وعدم إضافة النار لما هو معلوم من أن النار يوم القيامة ناره ، وليشمل النهي نار الدنيا ،ونار الآخرة لأنها شديدة في الدنيا ، وهي أشد في الآخرة .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠٦)، والترمذي (١٩٧٦) ولفظهما سواء. وقال الحاكم (١/٤٨): صحيح الإسناد. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٠٤).

(٢) عون المعبود ٢١١٥.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن التلاعن بلعنة الله وغضبه والنار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قوله ﷺ"لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار"، وذلك نهى عن الدعاء على الآخرين بشيء من ذلك[1]، وأسلوب النهى من الأساليب الدعوية النافعة، لما فيه من بيان الأخطاء والمخالفات الشرعية للمدعو وحمله على الابتعاد عنها، وآيات القرآن وأحاديث السنة حافلة بأسلوب النهى وتحذير المدعوين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن التلاعن بلعنة الله وغضبه والنار

جاء في الحديث التحذير من التلاعن والدعاء على الآخرين فقال ﷺ: "لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار"، قال الإمام شرف الدين العظيم آبادى: قوله: "لا تلاعنوا" بحذف إحدى التائين "بلعنة الله" أي لا يلعن بعضكم بعضًا، فلا يقل أحد لمسلم معين عليك لعنة الله مثلاً "ولا بغضب الله" بأن يقول غضب الله عليك "ولا بالنار" بأن يقول أدخلك الله النار مثلاً" وهذا مختص بمعين، لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم كقوله: لعنة الله على الكافرين، أو بالأخص كقوله: لعنة الله على اليهود، أو على كافر معين مات على الكفر كفرعون وأبي جهل[3].

وقال ابن عثيمين رحمه الله يعني لا يلعن بعضكم بعضًا بلعنة الله، فيقول لصاحبه: لعنك الله ولا بغضبه فيقول غضب الله عليك، ولا بالنار، فيقول أدخلك الله النار، كل

---

(١) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٤.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) عون المعبود ٢١١٥.

هذا حذر منه النبي ﷺ، لأنه قد يقال لمن لا يستحقه[١]. والابتعاد عن تلك الأمور من أعاظم الأخلاق ومن كمال الإيمان وحسن الإسلام، فعن علقمة عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"[٢]، وذلك أن الاتصاف بمثل هذه الصفات الشائنة ليست من أخلاق المؤمنين، فضلاً عما فيها من اعتداء على حق الكرامة الذي كفله الإسلام للإنسان، "فلقد حرم الإسلام الإيذاء الأدبي للإنسان، حرم اللعن، والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، والسخرية والغيبة وسوء الظن بالناس، وأنزل الله في ذلك آيات تتلى في سورة الحجرات، وبذلك حمى نفس الإنسان من الإهانة[٣]، إن حماية الأعراض، وصيانة كرامات الناس، والمحافظة على حرماتهم، لها في الإسلام شأن، وأي شأن؟

وهي حقوق فرضها الإسلام، وجعلها دينًا يتعبد به، كما يتعبد بالصلاة، والذكر، والدعاء، ولتبقي سلوكًا عمليًا في واقع الحياة، ومظهرًا من مظاهر المجتمع النظيف، فضلاً عن أنها تحفظ كيانه، وتدعم أركانه، وتقيه من التصدع.

ولقد أوسع الإسلام القول، وأفاض في الوسائل التي من شأنها أن تحقق هذه الغاية، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[٤].

وقد تضمنت هاتان الآيتان:

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٤١.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٧، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله (صحيح سنن الترمذي ١٦١٠).

(٣) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٧.

(٤) سورة الحجرات، الآيتان: ١١، ١٢.

أ-النهي عن السخرية، وهي احتقار الغير، واستصغاره لغير سبب ظاهر، سواء أكان الاستصغار بالعبارة، أم بالإشارة، أم بأي طريقة مفهمة لمعنى التحقير.

وإنما نهى الله عن ذلك؛ لما فيه من الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم، ولأنه يجرح شعور المستهان به ويؤذيه.

فإذا كان المسخور منه بليد الشعور، لا يتأثر بما يلحقه من إهانات، فإن النفي في هذه الحالة لا يتناوله، بل يكون تحقيره ضربًا من المزاح الذي أحله الله.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانًا بها كانت على الناس أهوانًا

وفي الآية تعليل النهي بأن المستهزأ به قد يكون أزكى نفسًا، وأحسن عملاً، وأقرب إلى الله بما يقدمه من خير وبر، ولا يعلم بذلك المستهزئ، فيكون قد تعرض للظلم، بتحقير ما يستحق التعظيم.

روى مسلم وأحمد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ أَشْعَثَ[1] أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ»[2].

أي لو أقسم على الله وحلف على وقوع شيء أوقعه الله إكرامًا له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث في يمينه، وذلك لعظم منزلته عند الله تعالى، وإن كان حقيرًا عند الناس[3].

إن سخرية الرجال من الرجال، والنساء من النساء، إثم كبير، وشر لو لم يكن للإنسان غيره لأوبقه.

ب-النهي عن ذكر العيوب والنقائص: فإن الطعن في الأشخاص يحرج الصدور، ويؤرث العداوات.

ج-النهي عن أن يدعو أحد غيره بلقب يكرهه: ويطلق عليه لفظًا يسوءه أن يسمعه، بل الواجب أن يدعو أخاه المسلم بأحب الأسماء إليه، فإن إطلاق لفظ قبيح على من

---

(١) أشعث: الأشعث هو الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل، انظر شرح مسلم، النووي، ١٥٦٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٢٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٦٠.

اتصف بالإسلام غير كريم "بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان".

د-إن مخالفة هذه التعاليم، وعدم مراعاتها، ظلم يسخط الله ويغضبه، لأن ارتكاب أمثال هذه الحماقات يفرق الجماعة، والله يريد للمسلمين أن يتعاونوا على البر، ويتجمعوا على المصلحة، ويعيشوا في ظلال المحبة والمودة.

هـ-النهي عن الظن السيئ: وهو الحكم على الغير بأمر سيء من غير دليل. فالتهمة، والتخون للأهل والأقارب والناس، من غير اعتماد على أدلة صحيحة، إثم من الآثام، وهو أكذب الحديث.

و-النهي عن التجسس وتتبع العورات: لما فيه من اشتغال بما لا يفيد، وضياع للعمر في غير جدوى ولا مصلحة، ولأنه مثير للضغائن والأحقاد.

ز-النهي عن الغيبة والتحذير منها: إن ذكر الغير بالنقص، والتماس عيوبه، فضلاً عن كونه يؤلم الإنسان ويخدش كرامته؛ فإنه كثيرًا ما يثير الفتن، ويقطع الروابط، ويمزق الصلات، وينسى المرء عيوب نفسه، ومن ثم فإن الإسلام اعتبر هذا التنقيص والتحقير، كأكل لحم الأخ الميت، لينفر منه. فكما أن النفس تشمئز من أكل لحم الأخ بعد موته، وتنفر منه، فكذلك يجب النفور والاشمئزاز من الغيبة بقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[1][2].

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب

جاء الترهيب في الحديث من التلاعن، فقال ﷺ: "لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بالنار"، أى "لا يدع أحدكم على أحد بكل منها"، وذلك لعظم شأنها[3]. وأسلوب الترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا، فهو يغوص في النفس الإنسانية، ويخاطب

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) انظر: إسلامنا، الشيخ السيد سابق، ٢٧٧-٢٨٣.

(٣) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٤.

فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس، قطع فيها دابر الشهوات واللذات[١]، فالترهيب أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية، وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن[٢]، ولقد كثر ورود أسلوب الترهيب في آيات القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[٣]، وقال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾[٤].

والترهيب من أكبر الأسباب في الانتفاع بالعبر والمواعظ القرآنية والنبوية، لأن من طبع النفس النسيان والغفلة، لذلك فإن الترهيب يصبح نوعًا من التذكير بما آلت إليه النفس من ارتكاس ونكوص، ووقوع في الرذائل والآثام[٥]، لذا كان الترهيب من الأساليب الأولى التي بدأت بها الدعوة، فقد بدأ النبي ﷺ دعوته بالإنذار تنفيذًا لأمر ربه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾[٦]. ومعنى الإنذار إخبار فيه تخويف[٧].

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، ٧٣.

(٢) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، ٢٣٢/١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

(٥) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي، ٢٠٨.

(٦) سورة المدثر، الآيتان: ١، ٢.

(٧) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ٤٨٧.

الحديث رقم (١٥٥٧)

١٥٥٧- وعن ابن مسعود ﷺ ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ : ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيِّ)) رواه الترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٧).

غريب الألفاظ:

الطعان: عيابًا للناس[٢].

اللعان: من يدعو بالإبعاد من رحمة الله[٣].

البذيء: الذي لا حياء له، وهو الفحش في القول[٤].

الشرح الأدبي

ورد الحديث في صورة خبرية خالية المؤكدات تقرر نقاء أخلاق المؤمنين من الصفات القبيحة التي تؤذي غيرهم ،والمؤمن طهور القلب حسن العمل ،والقول وهي حقائق قائمة في أخلاق المؤمنين وقوله (ليس المؤمن بالطعان) أي الوقّاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة قال في الأساس : ومن المجاز طعن فيه وعليه وهو طعان في أعراض الناس ، وإنما سماه طعنا لأن سهام الكلام كسهام النصال حسا وجرح اللسان كجرح اليد وهو تصوير لقوة الأثر الذي يحدثه طعن الناس ويجسِّد خطره (ولا اللعان) أي الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة ربهم إما صريحا كأن يقول لعنة الله على فلان أو كناية كغضبه عليه أو أدخله النار ذكره الطيبي (ولا الفاحش

---

(١) برقم (١٩٧٧) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ. وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٩٢)، وقال الحاكم (١/١٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٨٧٣): إسناده صحيح. وسيكرره المؤلف برقم (١٧٤٤).

(٢) تحفة الأحوذي ٢/١٦٥٠.

(٣) شرح مسلم ١٥٤٩.

(٤) انظر: النهاية ٦٩.

) أي ذي الفحش في كلامه وفعاله (ولا البذي) أي الفاحش في منطقه وإن كان الكلام صدقا فهو نظيف القلب واللسان ،وكل الجوارح.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ذم الطعن واللعن والفحش والبذاءة والنهي عنه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث المؤمن على التحلي بالصفات الحميدة والتخلي عن الصفات الذميمة.

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الصفات التي تقدح في أخلاق المؤمن.

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي

ورد أسلوب النفي في قوله ﷺ: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، وأسلوب النفي من أبرز الأساليب الدعوية التي لها أكبر الأثر في نفوس المدعوين"[1]، لما فيها من إبراز الحقائق مجردة، ونفي وإبعاد ما يلصق بها أو يعرض عليها دونما أدنى صلة، وقد استخدم القرآن أسلوب النفي في عرض الدعوة في كثير من آياته، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2]. فهو سبحانه لا يعجزه شيء إذا أراد كونه في السماوات والأرض[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: ذم الطعن واللعن والفحش والبذاءة والنهي عنه:

جاءت الإشارة في الحديث بنفي تلك الصفات الشائنة عن المؤمنين، وأنها تناقض كمال الإيمان، فقال ﷺ "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، أى ليس المؤمن الكامل بالعياب للناس ولا اللعان، وليس بفاعل الفحش ولا قائله، ولا

---

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ٥٧.

(٢) سورة فاطر، آية: ٤٤.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، ٥٦٠/٦.

البذيء الذي لا حياء له[١].

لقد جاء الحديث ناهيًا عن بذيء القول وساقطه، وعن الفحش في القول واللعن وقول الخنا وغير ذلك من الأقوال الباطلة، والفحش في الكلام يأتي على معان:

فقد يأتي بمعنى السب والشتم وقول الخنا كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: «لم يَكنِ النبيُّ ﷺ فاحِشًا ولا مُتفحِّشًا، وكان يقول: «إنَّ من خياركم أحسنَكم أخلاقًا»[٢].

وقد يأتي بمعنى: التعدي في القول والجواب[٣]: كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ. فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ. يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ «وَعَلَيْكُمْ» قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ[٤]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَا عَائِشَةُ لاَ تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ «أَوَ لَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا؟ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[٥].

وبين رسول الله ﷺ أن اللعان لا يكون صديقًا، وهو محروم من الشفاعة والشهادة يوم القيامة، ومن لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت عليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا»[٦].

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة»[٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: «لا تلعن الريح فإنها مأمورة، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه»[٨].

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٢/١٦٥٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٥٩.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/٣٢٥.

(٤) الذام: العيب، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٢١٩، مادة ذام.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٢٤، ومسلم ٢١٦٥ واللفظ له.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٩٧.

(٧) أخرجه مسلم ٢٥٩٨ واللفظ له، وأحمد ٢٦٩٨١.

(٨) أخرجه الترمذي، ١٩٧٨، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله (صحيح سنن الترمذي، ١٦١٨).

قال النووي: فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة، لأن اللعنة في الدعاء يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم والتعاون على البر والتقوى وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه المسلم باللعنة وهي الإبعاد من رحمة الله تعالى فهو من نهاية المقاطعة والتدابر، وهذا غاية ما يوده المسلم للكافر ويدعو عليه، ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «لعن المؤمن كقتله»[1]. لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا، وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى[2].

إن مما سبق يتضح مدى نهي الإسلام عن الفحش من الكلام والبذيء من القول، وهذا يقتضي على المسلم أن يحفظ لسانه ويعتني به، فيجتنب القول الباطل، وقول الزور، والغيبة، والنميمة، والفاحش من القول، وجماع ذلك أن يصون لسانه عما حرم الله ورسوله ﷺ. وقد يتكلم المرء كلمة تُوبق دنياه وآخرته، وقد يقول كلمة يرفعه الله بها درجات ودرجات. ومصداق ذلك قوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق». وفي رواية مسلم وأحمد «أبعد ما بين المشرق والمغرب»[3].

وكما تكون الكلمة سببًا في السخط، تكون أيضًا سببًا في الرفعة والسعادة، قال ﷺ: « إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يرفَعُه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط اللّه لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[4]. وفي سؤال معاذ بن جبل رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، عن العمل الذي يدخل الجنة ويباعد من النار، ذكر له النبي ﷺ أركان الإسلام، وبعض أبواب الخير، ثم قال له: « أَلاَ

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠٤٧، ومسلم، ١١٠.

(٢) شرح مسلم، ٥٠٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٤٧٧ واللفظ له، ومسلم، ٢٩٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٨.

أُخْبِرُكَ بِمِلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا. فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[1].

بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد ضمن الرسول ﷺ الجنة لمن صان لسانه وفرجه، فقال ﷺ: «من يَضمَنْ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ وما بين رجليْه أضمَنْ له الجنَّة»[2]. فعلى المسلم أن يصون لسانه وفرجه عن محارم الله، طلبًا لمرضاته، ورغبة في نيل ثوابه، وهو يسير على من يسره الله عليه[3].

إن ملازمة الصفات القبيحة من اللعن والفحش وغيرها، من الكبائر، وأشار إلى ذلك الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله فقال: "إن ملازمة الشر والفحش من الكبائر، ومن الأدلة على ذلك وصف رسول الله ﷺ لمن تلك صفته بأنه شر الناس[4]، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له، بئس أخو العشيرة أو ابن العشيرة " فلما دخل ألان له الكلام، قلت يارسول الله: قلت الذي قلت ثم ألنت له الكلام، قال: أى عائشة، إن شر الناس من تركه الناس - أو ودعه الناس- اتقاء فحشه"[5]. أما المؤمن الكامل الإيمان فلسان حاله كما قال الشاعر:

أُحِبُّ مكارِمَ الأخلاقِ جَهْدِي ... وأَكْرَه أن أَعيبَ وأن أُعابَا
وأَصْفَحُ عن سِبابِ النَّاسِ حِلْمًا ... وشرُّ الناسِ مَن يَهْوَى السِّبابا[6]

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث المؤمن على التحلي بالصفات الحميدة والتخلي عن الصفات الذميمة

إن أسمى الغايات وأنبل المقاصد، أن يحرص الإنسان على الخير، ويسارع إليه،

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني رحمه الله (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).
(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٤.
(٣) انظر: كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ١١٤-١٣٠.
(٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر، الإمام ابن حجر الهيتمي، ١٥٢، ١٥٣.
(٥) أخرجه البخاري ٦٠٥٤، ومسلم ٢٥٩١.
(٦) موسوعة نضرة النعيم ٥٢٣٥/١١.

وبهذا تسمو إنسانيته ويتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الله البار بعباده، الرحيم بخلقه[1]، ومن هنا كان حث الإسلام للمؤمن على التحلي بكريم الأخلاق وحميد الصفات، وأن ينأى ويرتفع عن ذميم الأخلاق وشائن الصفات، وكان وصف النبي ﷺ للمؤمن الكامل الإيمان بقوله "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش، ولا البذيء". قال بعض المشايخ: حسن الأدب مع الله أن لا تتحرك جارحة من جوارحك في غير رضى الله عز وجل فأدب اللسان أن يكون رطبًا بذكر الله تعالى، وبذكر الإخوان بخير والدعاء لهم وبذل النصيحة والوعظ، ولا يكلمهم بما يكرهونه، ولا يغتاب ولا ينم ولا يشتم، ولا يخوض فيما لا يعنيه، وقيل خلق الله اللسان ترجمانًا للقلب، ومفتاحًا للخير والشر، وقيل إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك والزم الصمت، فإنه ستر للجاهل وزين للعاقل، وجماع ذلك كله أن يعامل الإنسان الخلق بما يحب أن يعامل به[2].

وبذلك أراد الإسلام أن يسمو بأخلاق أتباعه، ويرتفع بطباعهم ويهذب سلوكهم.

(إن من أجل الغايات التي تريد الرسالة الإسلامية تحقيقها، هي تلك الغاية الإنسانية السامية وهي: أن يكون للإنسان خلق كريم، وسلوك نظيف يليق بكرامة الإنسان، ويتفق مع ما خلق له من خلافة عن الله في الأرض. وهذه هي الغاية التي حاولها الفلاسفة والعلماء والمصلحون – عبر قرون مضت، ولم يبلغوا فيها شأوا، أو يصلوا إلى تحقيق هذا الأمل المنشود.

وعناية الإسلام، وحرصه على تحقيق هذه الغاية الخلقية النبيلة يقصد بها: إيجاد عناصر قوية، وأفراد صالحين؛ كي يستطيعوا أن يسهموا بقلوبهم، وعقولهم في ترقية الحياة، وإعلائها.

وليكونوا أهلاً لجوار الله، ورضوانه فيما وراء هذه الحياة.

---

(١) إسلامنا، الشيخ، السيد سابق، ١٣١.

(٢) انظر: تربيتنا الروحية، سعيد حوى، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٢٥٦-٢٥٧.

إن المثل الأعلى للأفراد: هو الشرف والنزاهة، والاستعلاء على الهوى والشهوة، وعرفان الحق والواجب، والاستمساك بأهداب الفضيلة، والاندماج في جوٍ روحي خالص بعيد عن نقائص المادة وشوائب الروح.

والمثل الأعلى للجماعة: هو التعاون، والإيثار، والتضحية، وإنكار الذات، والمحبة والمودة، والصدق، والإخلاص، والأمانة، والوفاء، والتسامح، وسلامة الصدر.

وتحقيق المثل الأعلى في جانبيه يثمر الحياة الطيبة، ويحقق المجادة، والسيادة والقيادة، والتمكين في الأرض[١].

رابعًا: من مهام الداعية: بيان الصفات التي تقدح في أخلاق المؤمن

إن من أهم صفات العالم وأجلها خشيته من الله وإشفاقه على الناس، ولقد كان سلفنا الصالح منذ عصر الصحابة والتابعين فمن بعدهم، تغلب في علمائهم هذه الصفات، فكانوا مبعث خير ومصابيح هداية وأدله طريق[٢]، لذا كان دأب العلماء في بيان الصفات القادحة في أخلاق العباد، والتي منها ما جاء في الحديث "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"، فإن مثل هذه الأمور تدل على نقص في الإيمان، وأنها تسلب عن المؤمن حقيقة الإيمان وكمال الإيمان، فلا يكون طعانًا يطعن الناس، بأنسابهم أو بأعراضهم، أو بشكلهم وهيئاتهم أو بآمالهم، ولا باللعان الذي ليس له هم إلا اللعنة، ولا بالفاحش الذي يفحش في كلامه بصراخ أو نحو ذلك، ولا بالبذيء الذي يعتدي على غيره، فالمؤمن مسالم ليس عنده فحش في قوله ولا فعله ولا غير ذلك[٣]، وإنما هو حسن الخلق، ممتثل لمثل قول الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٤]، ولقوله ﷺ: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[٥].

---

(١) عناصر القوة في الإسلام، الشيخ السيد سابق، ٤٤.

(٢) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي رحمه الله، ١٩٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٦٤١/٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٥) أخرجه الترمذي ١٩٨٧، والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله، (صحيح سنن الترمذي ١٤٨٩).

مبتعدًا كل البعد عن دنيء الأخلاق وخبيث الصفات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[1]. وقد حذرنا رسول الله ﷺ من الاتصاف بمذموم الأخلاق، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الظُّلْم ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامَةِ، وإيّاكُمْ والفُحْش، فإنّ الله لا يحبّ التَّفَحُّش، وإيّاكُمْ والشُّحَّ، فإنّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ... الحديث»[2].

(١) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الشيخ الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٤٨٩).

الحديث رقم (١٥٥٨)

١٥٥٨- وعن أَبي الدرداء ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((إنَّ العَبْدَ إذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعدَتِ اللَّعْنَةُ إلَى السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إلَى الأرْضِ، فَتُغْلَقُ أبْوابُهَا دُونَها، ثُمَّ تَأخُذُ يَمينًا وَشِمالاً، فَإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إلَى الَّذِي لُعِنَ، فإنْ كَانَ أهْلاً لِذلِكَ، وإلاَّ رَجَعَتْ إلَى قَائِلِهَا)). رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

أبو الدرداء: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧٧).

غريب الألفاظ:

دونها: أي عندها[2].

مساغًا: مدخلاً وطريقًا[3].

الشرح الأدبي

الأحاديث السابقة قررت قبح اللعن وأنه ليس من أخلاق الصالحين ولا الشهداء ،ولا الصديقين، والحديث السابق نزَّه أخلاق المؤمن عن هذا القول ، وقد سبق تقرير النهي عن اللعن ،وهذا الحديث ينفِّر من اللعنة عن طريق رصد حركتها في انتقالها من فم اللاعن إلى باب السماء ثم إلى الأرض والحديث خبري يبدأ بالتوكيد تنبيها على أهمية الخبر ،وخطره (إنَّ العَبْدَ إذَا لَعَنَ شَيْئاً ، صَعدَتِ اللَّعْنَةُ إلَى السَّماءِ ، فَتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا ، ثُمَّ تَهْبِطُ إلَى الأرْضِ) وقد تضمن شرطا يربط اللعن بالصعود ، وما عطف عليها إشارة إلى التلازم الدال على المصير المقرر بالشرط وهو انحصارها بين اللاعن، والملعون، وتنكير (شيئا) ليعم القليل والكثير وجملة الأفعال صورت حركة اللعنة خروجا من اللاعن إلى السماء ثم العودة لتلحق بأحد المتلاعنين (لعن – صعدت –

---

(١) برقم (٤٩٠٥). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٠/٤٦٧): إسناده جيد. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٠٧).

(٢) عون المعبود ٢١١٤.

(٣) عون المعبود ٢١١٥.

تغلق – تهبط – تأخذ – تجد – رجعت) ،وقوله (ثُمَّ تَأخُذُ يَميناً وَشِمالاً) كناية عن هيئة الحيرة ،وعدم وجود المستقر، وهو تمهيد لعودتها إلى المتسبب في اللعن إذا كان مستحقا للعن،وإلا عادت للاعن، والحديث يقرر أن مصير ومستقر اللعنة محصور بين اللاعن، والملعون، وهو ترهيب لكل منهما. الملعون لأنه تسبب فيها، واللاعن لأنه الفاعل.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: نبذ اللعن والحث على البعد عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من اللعن.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً: من موضوعات الدعوة: نبذ اللعن والحث على البعد عنه

لقد أمر النبي ﷺ في الحديث بنبذ الأخلاق السيئة والتي منها اللعن، فقال ﷺ "إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها" وذلك لقبحها وشناعتها، ولا يصعد عنها إلا الكلم الطيب والعمل الصالح[1]. ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمينًا وشمالاً، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لعن،فإن كان أهلاً لذلك وإلا رجعت إلى قائلها". وهذا وعيد شديد على من لعن مَنْ ليس أهلاً للعن، فإن اللعنة تتجول في السماء والأرض واليمين والشمال، ثم ترجع في النهاية إلى قائلها، إذا لم يكن الملعون أهلاً لها[2]، وذلك من دلائل سوء الخلق وهو خلق فاسد متصف بالشر، لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، ولا يتفق مع ما شرع الله أمرًا ونهيًا، وهو فعل منكر، وسلوك غير صالح، وهذا ناتج عن مرض القلب[3].

---

(١) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٦٤٢/٢.

(٣) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبدالله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص٥٨.

ولا خلاف أن اللعن منهي عنه، خاصة المسلم المصون، فلعنه حرام منهي عنه[١].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من اللعن

إن اللعن من سيء الأخلاق وأشنعها، الواجب الحذر منها، ومما يوجب الحذر منها أن اللعنة إذا لم تصادف أهلاً رجعت إلى صاحبها، كما جاء في الحديث « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدت اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَإِذَا لَم تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الذي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»، بل أن الإسلام ليمنع من لعن الحيوان والجماد، فروى عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة" قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد"[٢].

فالحذر الحذر من اللعن، فإن التلفظ والدعاء به على الغير قد يهوى بالإنسان إلى أسفل الدركات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضوانِ اللهِ لا يُلقي لها بالاً يرفَعُه اللهُ بها درجات، وإن العبدَ ليتكلمَ بالكلمة من سَخَط اللّه لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[٣]، لذا كان من الواجب على المسلم أن يكون واقفًا عند حدود الله تعالى، عاملاً في مرضاته متجنبًا مساخطه، فما أكثر عثرات اللسان حين يتكلم، وما أكثر مزالقه، ووقوعه في أخطاء في منتهى الخطورة على النفس وعلى المجتمع، ويكفي لمعرفة خطورة اللسان وما ينطق به، والآثار المترتبة على الحديث، قوله ﷺ "من ضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه أضمن له الجنة"[٤]، [٥].

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ٢٧٣/٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٠٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٤٧٨، ومسلم ٢٩٨٨.

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٧٤.

(٥) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد، ص٨٣.

إن اللعن والتلفظ بقبيح القول وبذيء الكلام إن نمّ فإنما ينم عن سوء خلق وجلافة طبع، وذلك نتاج جهل وظلم وغيرهما من الخلال المذمومة.

قال ابن القيم رحمه الله: ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب، فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً والنقص كمالا، والظلم يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها، والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه، ويتركب من بين كل خلقين من هذه الأخلاق: أخلاق مذمومة، وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس في الضعف وإفراطها في القوة.

فيتولد من إفراطها في الضعف: المهانة والبخل، والخسة واللؤم، والذل والحرص والشح، وسفساف الأمور، ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم والغضب، والحدة والفحش والطيش، ويتولد من تزوج أحد الخلقين بالآخر: أولاد غية كثيرون، فإن النفس قد تجمع قوة وضعفا، فيكون صاحبها أجبر الناس إذا قدر، وأذلهم إذا قُهِر، ظالم عنوف جبار، فإذا قهر صار أذل من امرأة: جبان عن القوي جريء على الضعيف.

فالأخلاق الذميمة: يولد بعضها بعضا، كما أن الأخلاق الحميدة: يولد بعضها بعضا[1].

أما التخلق بالأخلاق الحسنة فهي نتاج الإيمان، وحب الله تبارك وتعالى وخشيته، ويرى ابن تيمية في نظريته الخلقية أن مفهوم الأخلاق يرتبط بالإيمان، وما ينبثق عنه. ومن ثم يقوم هذا المفهوم عنده على عدة عناصر وهي:

---

(١) مدارج السالكين ٢/٣٢١، ٣٢٢.

أ- الإيمان بالله وحده خالقًا ورازقًا بيده المالك.

ب- معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة تقوم على أنه وحده سبحانه المستحق للعبادة.

ج- حب الله سبحانه وتعالى حبًا يستولي على مشاعر الإنسان، بحيث لا يكون ثمة محبوب مراد سواه سبحانه.

د- وهذا الحب يستلزم أن تتوحد إرادة الخالق والمخلوق في اتجاه واحد وهو تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى، والالتزام بتحقيق هذا الرضا في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة.

هـ- وهذا يستلزم من الإنسان سموًا في أخلاقه، وترفعًا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن المآرب في الدنيا.

و- ويأتي العمل بعد ذلك محققًا طريق بلوغ الكمال الإنساني.

والأمر كذلك إذا لم تتحقق هذه الشروط الموضوعية، فإن الناتج عن الإنسان يكون خلقًا سيئًا، لأنه تعبير عن الإيمان بالله وتعبير عن الرؤية الموضوعية للأشياء والحقائق. وعلى هذا يكون الخلق السئ فعلاً إنسانيًا لا ترتبط فيه الأفعال بالطاعة، أي أنه فعل تنفصل فيه الطاعة عن الأخلاق، ويصبح الفعل شكليًا أو مظهريًا. كما أنه فعل لا يدرك الغائية الخلقية، من حيث إنها تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والحياة الآخرة، الأمر الذي يجعل العمل الذي يقوم به الإنسان فاقدًا لقيمته الخلقية ودلالته الإنسانية، كما أن هذا الفعل فاقد للتمحيص والتدقيق اللازمين، كي يكون موافقًا لما أمر الله سبحانه وندب إليه في وقته الملائم والمناسب. وفي هذا الوضع يكون هذا العمل استجابة لاخلقية، وبذا يكون صاحبه متصفًا بسوء الخلق.

فالخلق السيئ خلق فاسد متصف بالشر، لا يتفق مع الواجبات الدينية والخلقية، ولا يتفق مع ما شرع الله أمرًا، ونهيًا، وهو فعل منكر، وسلوك غير صالح، وهذا ناتج عن مرض القلب[1].

---

(١) انظر: النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبدالله عفيفي، ٥٨-٦٠.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب

ورد أسلوب الترهيب من لعن الغير ببيان أن الملعون إذا لم يكن للّعنة بأهل رجعت إلى قائلها، فقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدت اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَإِذَا لَم تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الذي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قائِلِهَا». والترهيب من أجدى الأساليب الدعوية نفعًا وتأثيرًا في قلوب المدعوين وهو "أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق، خوفًا من العقاب وخوفًا من فقدان السلامة والأمن"[1]. والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، من ذلك قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2]، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم"[3].

إن الترهيب يورث في قلب المؤمن الخشية من الله، والوجل والرهبة من الله تبارك وتعالى، فذكر الله تعالى أن من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾[5].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، ٢٣٢/١.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٣-١٤.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢.

(٥) سورة المؤمنون، الآيتان: ٦٠، ٦١.

تقول عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدّقون وهم يخافون ألا يقبل منهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾».

الفخر في هذه الدنيا لذي هدف ... سام فلا بهرج فيه ولا خلل
الفخر فيها لقوم قدموا عملاً ... يرضى به الله ما زاغوا وما عدلوا
ساروا على منهج الإسلام في ثقة ... يحدوهم الحب للجنات والوجل

وقد أمر الله بالرهبة والخوف منه فقال تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[1]. ووصف المؤمنين بقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾[2].

قال الحسن البصري: "وهو الخوف الدائم في القلب".

اللهم اجعلنا ممن خاف مقامك في الدنيا فأمنته يوم القيامة.

وما كثرت الذنوب وأظلمت القلوب، إلا لقلة الخوف من علام الغيوب.

تحيط بنا العبر، وتكثر الحوادث، وتعظم الكوارث، وتفتن الأمم، وتحل النقم، والنفس لاهية، والأفكار ساهية، وحبال التقوى واهية.

قلوب تحجرت، وأحاسيس تبلدت، وجوارح عطلت، لا قلب يخشع ولا نفس تشبع، ولا عين تدمع، ولا فؤاد يرجف، ولا لسان يذكر... إلا من رحم الله.

أتخمت البيوت بالمعاصي، وملئت العقول بالشبهات، وأُترعت النفوس بالشهوات، تُسمع المعصية وقل من ينكرها، ويُشاهد المنكر وكأنه المعروف، ويُؤكل الحرام وكأنه الحلال، يُجالس صاحب المعصية، ويُؤاكل ويشارب مرتكب الكبيرة دون

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٩٠.

حرج في النفس من فعله أو إنكار في القلب لسلوكه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1].

آذان ألفت سماع المنكر، وأبصار استمرأت رؤية الباطل، وألسن استساغت اللغو والغيبة، وقلوب أقفرت من الخشية، وأجدبت من الخوف فاسودت وأظلمت، وقست وتحجرت، فهي كالحجارة أو أشد قسوة، لم تعد تهزها الموعظة، أو تنفعها الذكرى، أو تفيدها العبرة، أو يحدوها الوعد، أو يرهبها الوعيد، إلا من رحم ربك.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[2].

والآن لنرى كيف ترجمت تلك المعاني، وطبقت هاتيك القيم، ولمع ذلك الإحساس في سماء صفوة من الناس، عمرت بالخوف قلوبهم، وتبددت من الإشفاق نفوسهم، وطاشت خشية الهول عقولهم، قلوب وجلة، وأكباد محترقة، وأعين باكية، ودموع مسبلة، احترقت وجناتهم، وشحبت ألوانهم، ونحلت أجسامهم، وكادت تزهق لشدة الخوف أرواحهم، أضناهم السهر، وأفزعهم الخبر. خشوع وخضوع، نحيب ودموع، صلاة وصيام، وجهاد وقيام، يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، ويصبحون شعثًا غبرًا صفرًا:

تتجافى عن الفراش من الخوف ... إذا الجاهلون باتوا نياما
بأنين وعبرة ونحيب ... ويبيتون سجدًا وقياما

ومع كل ذلك كانوا كأن النار لم تخلق إلا لهم، فأشفقوا من يوم الوقوف على الله، وخافوا من هول المقام بين يديه، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[3][4].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة الأعلى، الآيات: ٩-١٣.

(٣) سورة الإنسان، آية: ١٠.

(٤) انظر: كتاب الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٦٤٦-٦٤٨.

الحديث رقم (١٥٥٩)

١٥٥٩- وعن عمران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما، قَالَ: بَيْنَمَا رسُولُ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أسْفَارِهِ، وَامْرأةٌ مِنَ الأنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقالَ: ((خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ)).

قَالَ عمْرانُ: فَكَأنِّي أرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أحَدٌ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣).

غريب الألفاظ:

فضجرت: ضاقت وتبرمت[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ يبين في هذا الحديث بطريقة عملية خطر اللعنة ،وأثرها خلال هذه القصة التي ساقها عمران بن الحصين رضي الله عنهما والتعبير بالظرف (بين) المضاف لـ(ما) والذي يوحي بالمفاجأة وقوله (عل ناقة فضجرت فلعنتها) يشير إلى أن اللعن كان لدابة، وليس لإنسان وتتابع الفاءات في الربط يشير إلى سرعة رد الفعل وعدم التريث ،وقول الرسول ﷺ (خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا ؛ فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ) الأمر بالأخذ للإرشاد والنصح، وقوله ،ودعوها أمر للنهي عن استعمالها يشتمل على تحذير أكدته الجملة التعليلية بعده (فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ) والتي تحقق الإقناع العقلي بضرورة تركها خوفا من أن تلحق اللعنة راكبها بعد الإقناع القلبي بضرورة اتباع الرسول ﷺ ، وقول الراوي(فَكَأنِّي أرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أحَدٌ) هو صدى النهي النبي ﷺ المعلل بتحقق لعنتها، وهو ما يبين خطر الفعل لاسيما على الإنسان .

---

(١) برقم (٢٥٩٥/٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٠٩).

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٥٣٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المنع والتحذير من لعن الحيوانات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء

وردت الإشارة إلى هذا الصنف في الحديثين، فعن عمران بن الحصين ﷺ، قال: "بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ. فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا"، وعن أبي برزة قال: "بينما جارية على ناقة عليها بعض متاع القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ وتضايق بهم الحيل فقالت حَلْ اللهم ألعنها فقال النبي ﷺ لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة". والنساء من أصناف المدعوين الذين لا يستهان بهم، فلقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[2]، فالمرأة جعلها الإسلام أهلاً للتكاليف الشرعية مثل الرجل، وهي بعد البلوغ مكلفة بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج، وليس لأحد - زوج أو غيره- منعها من أداء الفرائض، فجملة العقائد والعبادات والأخلاق والأحكام التي شرعها الله للإنسان يستوي في التكليف بها والجزاء عليها الذكر والأنثى[3]، يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[4].

والمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٥٥٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥٦٠).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٣) إعلام الموقعين، ابن القيم، ٢/٧٣.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٧.

زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل، إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، ومادام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هى عناية بالدعوة نفسها[1].

إن المرأة في الإسلام ليست كمًّا مهملاً، ولا يعتبرها كسقط المتاع كما ينظر إليها في الديانات والثقافات الأخرى.

إن النساء شقائق الرجال وهما من أصل واحد، وقد كرم الله الجميع بلا استثناء فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2]. فالمرأة كالرجل لها من الحقوق ماله وعليها من الواجبات ما عليه، ويمكن إجمال ما يتعلق بالمرأة من أحكام غالبًا فيما يلي:

أ-المرأة كإنسان لها حق الرعاية في طفولتها من تربية وتعليم وكفالة ونحو ذلك. وإذا رشدت كانت لها ذمتها المالية المستقلة، وصار لها حرية التعبير عن إرادتها، ولذلك لا تزوج بدون إذنها.

ب-والمرأة كأنثى، مطالبة بالمحافظة على مظاهر أنوثتها، فلها أن تتزين بزينة النساء، ويحرم عليها التشبه بالرجال. ومطالبة كذلك بالتستر وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب أو الخلوة بهم، ولذلك تقف في الصلاة متأخرة عن صفوف الرجال.

ج- والمرأة كمسلمة، مطالبة بكل التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده، مع الاختلاف عن الذكر في بعض هيئات العبادة.

د- والمرأة اختصها الله سبحانه وتعالى بالحيض والحمل والولادة، وترتب على ذلك بعض الأحكام الفقهية كالتخفيف عنها في العبادات في هذه الحالات.

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٧٣.

(٢) سورة يس، آية: ٢٠.

هـ- ولضعف المرأة في الخلقة والتكوين، فإنها لا تتولى من الأعمال ما يحتاج إلى بذل الجهد الجسدي والذهني كالإمارة والقضاء، ولم يفرض عليها الجهاد في الجملة، وكانت شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

و- ولأن المرأة أكثر حنانًا وشفقة من الرجل كان حقها في الحضانة مقدمًا على الرجل.

ز- والأصل أن يكون عمل المرأة هو رعاية بيتها وزوجها وأولادها، لذلك كانت نفقتها على زوجها ولو كانت غنية. وكان الرجل قوامًا عليها، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1][2].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: المنع والتحذير من لعن الحيوانات

جاء ذلك واضحًا في الحديث "بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت، أى ضجرت المرأة من علاج الناقة، وصعوبتها[3]، فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: خذوا ما عليها، ودعوها، فإنها ملعونة". وفي الرواية الأخرى "لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة".

قال القاضي عياض: وأمر النبي ﷺ في هذه الناقة بما أمر، من أخذ ما عليها وإعرائها من أداتها، لأنها لعنتها صاحبتها، لأمر أطلعه الله عليه فيها من لزوم اللعنة لها، أو لمعاقبة صاحبتها لنهيه قبل عن اللعن، فإن كان هذا وجهه، ففيه العقاب في المال ليزجر غيرها عن ذلك، وأصل اللعن الترك، وقيل البعد، كذا قال أهل اللغة، فلما دعت عليها باللعنة، وكانت غير مكلفة ممن تدركها لعنة العقاب، استعمل فيها معنى اللعنة اللغوية من الترك والإبعاد والخروج عن الملك، معاقبة لقائلها[4].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، ج٦/٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٥.

(٤) إكمال المعلم ٦/٦٨.

قال النووي: "إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها، ونهى غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة"[١]، وهذا من باب التعزير: تعزير هذه المرأة أن تلعن دابة لا تستحق اللعن، ولهذا قال: لا تصحبنا دابة ملعونة، لأن هذه المرأة لعنتها، والملعون لا ينبغي أن يستعمل، فلذلك نهى النبي ﷺ عنها وتركها[٢].

وقال الشيخ محمد تقي العثماني: قوله خذوا ما عليها أي انزعوا عن الناقة ما عليها من المتاع وأرسلوها لكي لا تصاحبنا في القافلة، وإنما قال ذلك زجرًا، لأنه كان سبق منه النهي عن اللعن، فعوقبت المرأة اللاعنة بإرسال ناقتها، كأنه ﷺ أدبها بأن الناقة إن كانت ملعونة فلتتركها، ولكن هذا النهي إنما كان عن مصاحبتها في الطريق فقط، ولم تزل على ملكها، فلم يحرم الاستمتاع بها في غير مصاحبته ﷺ، وقوله "ملعونة" أي لعنتها صاحبتها، لا أنها ملعونة من الله تعالى، لأنها غير مكلفة[٣].

لقد وردت في الحديث الدعوة البالغة إلى رحمة الحيوان والرفق به، فمجرد اللعن قد نهى عنه الإسلام، فما بالنا بالإيذاء الحسي للحيوان، لقد نهى عنه الإسلام أشد النهى، فعن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلى حديثًا لا أحدث به أحدًا من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ، وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه[٤] فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال لي يارسول الله، فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه[٥]. وفي ذلك وغيره دعوة إلى حسن التأديب والتوجيه إلى الصبر على

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٥٤٨.

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٦٤٢/٢.

(٣) تكملة فتح الملهم ٣١٢/١١.

(٤) ذفراه: مثنى ذفرى والذفرى من البعير مؤخر رأسه، وهو الموضع الذي يعرق من قفاه، عون المعبود، العظيم آبادي، ص ١١٠٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٥٤٩، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله (صحيح سنن أبي داود ٢٥٤٩)

الحيوان وآلات النقل والعمل وإحسان معاملتها[١].

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا. فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ» أى خذوا ما على الناقة من الرحل والحمل واتركوها فإنها مدعو عليها باللعنة[٢].

وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية المفيدة، وهو أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكأ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان[٣]، وقد ورد أسلوب الأمر في كثير من آيات القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[٤]، وقوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٥].

والأمر إذا كان من الله أو من الرسول ﷺ فتجب طاعته والعمل بمقتضاه، ويطاع سواهما في غير المعصية، لقول النبي ﷺ: «السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يُؤمرْ بمعصية»[٦]. فيطاع الأبوان وولي الأمر ونوابه في غير الحرام[٧].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٧٣٣.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ١٦١٥.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ٥٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٥) سورة النور، آية: ٣٠.

(٦) أخرجه البخاري ٢٢٢١، ومسلم ١٤٦٩.

(٧) انظر: الموسوعة الفقهية ٦/٢٤٥.

الحديث رقم (١٥٦٠)

١٥٦٠-وعن أَبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ. إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ. فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ)). رواه مسلم[1].

قَوْله: (حَلْ) بفتح الحاء المهملة وَإسكانِ اللاَّم: وَهِيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإبلِ.

وَاعلَمْ أنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَدْ يُسْتَشْكَلُ مَعْنَاهُ، وَلاَ إشْكَالَ فِيهِ، بَلِ المُرَادُ النَّهْيُ أنْ تُصَاحِبَهُمْ تِلْكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْبَةِ النبيِّ ﷺ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا سِوَاهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ جائِزٌ لا مَنْعَ مِنْهُ، إلاَّ مِنْ مُصَاحَبَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِهَا؛ لأنَّ هذِهِ التَّصَرُّفَاتِ كُلَّهَا كَانَتْ جَائِزَةً فَمُنِعَ بَعْض مِنْهَا، فَبَقِيَ البَاقِي عَلَى مَا كَانَ، واللهُ أعلم.

ترجمة الراوي:

أبو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤١٢).

غريب الألفاظ:

جارية: الجارية تطلق على الأمة وإن كانت عجوزًا وعلى الفتية من النساء[2].

متاع القوم: كلمة المتاع تطلق على كل ما ينتفع به من عروض الدنيا، قليلها وكثيرها[3].

حل: بفتح الحاء المهملة وإسكان اللام، وهي كلمة لزجر الإبل[4].

قال النووي: واعلم أن هذا الحديث قد يستشكل معناه ولا إشكال فيه، بل المراد: النهي أن تصاحبهم تلك الناقة، وليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ، بل كان ذلك وما سواه من التصرفات جائز لا منع منه، إلا من مصاحبة

---

(١) برقم (٢٥٩٦/٨٢).

(٢) ينظر: الوسيط ١١٩.

(٣) ينظر: النهاية ٨٥٥.

(٤) رياض الصالحين، النووي ٥٣٩.

النبي ﷺ بها، لأن هذه التصرفات كلها كانت جائزة فمنع بعض منها فبقي الباقي على ما كان، والله أعلم[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من المشاهد الواقعية في سيرة المصطفى ﷺ، وهو مشهد يبوح بموقف رسول الله ﷺ من هذه الناقة التي لعنتها صاحبتها.

وفي الحديث السابق توضيح لمثل هذا الموقف، أو تفسير لبعض جوانبه، حيث ضجرت المرأة من علاج الناقة: فلعنتها، فقال رسول الله ﷺ: خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة.

وهذا الحديث يصاغ في سياق حكاية تتضمن حدثًا وبعض الشخصيات، وبعض المواقف، ويبدأ الحديث بداية قصصية في قول الراوي: بينما.. وهي تمهد لأحداث ستتوالى بعد ذلك، والجارية من شخصيات هذه القصة.. وهي الشخصية المحورية لأنها هي التي لعنت الناقة، ولم يُحدد اسمها، ولا المكان الذي وقع به هذا الحدث.. لأن العبرة بما يتمخض عنه هذا الموقف من توجيه نبوي حكيم، ولم يُحدد الحديث من هؤلاء القوم أصحاب المتاع، وفي الحديث السابق حدّد المرأة فقال: امرأة من الأنصار.

وقول الراوي: وتضايق بهم الجبل، يوحي بأن ذلك سبب لعن الجارية للناقة، حيث يرشد ذلك التعبير أن الناقة زاحمت موكب النبي ﷺ أو تأخرت عنه، لأن قولها: "حَلْ" فيه زجر للناقة، وحث لها على الإسراع، وصيغة الدعاء في قول الجارية: اللهم العنها تدل على ضيق هذه الجارية بالناقة، وقول رسول الله ﷺ: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة، فيه نهي أن تصاحبهم تلك الناقة في سفرهم لأنها ملعونة، وقيل ليس فيه نهي عن بيعها وذبحها وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ، وهذا النهي عن المصاحبة في قوله: "لا تصاحبنا"، يتضمن نهي هذه الجارية عن المصاحبة كذلك، لأنها أخطأت حين لعنت ناقتها.. لأن رسول الله ﷺ نهى عن لعن إنسان بعينه أو دابته، واللعن هو الطرد من رحمة الله عز وجل.

---

(١) رياض الصالحين، النووي ٥٣٩.

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: (لعنه أهله، أي طردوه وأبعدوه، وهو لعين طريد، وقد لعن الله إبليس، أي طرده من الجنة وأبعده من جوار الملائكة.

فالحديث في مفهومه ينهى عن اللعن، ويقول رسول اله ﷺ: ((لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ الله ولا بِغَضَبِهِ ولا بالنَّارِ))[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه أبو داود، ٤٩٠٦، والترمذي، ١٩٧٦، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي، ١٦٠٩).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية العقدية:

من أصول التربية الإسلامية التي قامت عليها، العقيدةُ الصحيحةُ التي تعد الركيزة الأساسية في حياة المسلم، ومن هنا حرص النبي ﷺ على ترسيخها في النفوس من خلال التزام الإنسان بمقتضيات الإيمان التي تتمثل في عدد من السلوكيات والممارسات الشخصية، ومن جملتها مسألة الحلف على يمين بملة غير الإسلام كذبًا وعمدًا، مما يعد مخالفة خطيرة في جانب العقيدة، مما يحرم على المؤمن إتيان مثل هذه الأمور، ولذا فإن النبي ﷺ رهب من ذلك وبيّن خطورته، لأن المؤمن يجب أن يربي نفسه ويلزمها بما يتفق والعقيدة الصحيحة، فلا يحلف إلا بالله عز وجل لأن الإيمان الصحيح أساس متين لتربية ثابتة مضمونة النتائج، بعكس التربية التي لا تقوم على ترسيخ الإيمان، فإنها تربية عشوائية غير صحيحة[1]. ولذلك يقول ابن القيم: "فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن، ودفعت عنه الكثير من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة، ضعف حملها للبدن، وكانت الآفات إليه أسرع شيء، فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان"[2].

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام"[3].

لذلك كان من أهداف العقيدة الإسلامية ومقاصدها، وغاياتها النبيلة، تحريرُ العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من الإيمان الصحيح، لأن ذلك يؤدي إلى الضلال والإضلال.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص١٠٦.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ١٧٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٩/٤٠.

ثانيًا: التربية الخلقية:

من مبادئ التربية الإسلامية الاهتمام بالتربية الخلقية باعتبارها الركيزة الأساسية التي يقوم عليها أي نشاط إنساني، ولأهمية هذا الجانب في التربية الإسلامية: اهتمت به السنة النبوية، ففي أحاديث الباب ما يدل على التزام الأخلاق الزكية وترك الأخلاق البذيئة. قال ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ»، وقال ﷺ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ»، وقال: «ولاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»، وقال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّماءِ...»، فهذه نماذج تربوية من الباب تدل على عِظم قيمة الأخلاق ومدى الحاجة إلى التربية عليها، فالرسول نهى عن اللعن من قبل المسلمين بعضهم البعض؛ لأن اللعن معناه الإبعاد من رحمة الله، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمن الذي تربى على الأخلاق لأن من تخلق بهذه الصفة لا يكون فيه صفات خلقية جميلة، من هنا فإن الأخلاق تحظى في الإسلام بمكانة كبيرة ومرموقة فقد أشاد الإسلام بالخلق الحسن، ودعا إلى تربية المسلمين عليه وتنميته في نفوسهم، وقد أثنى الله على النبي ﷺ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فهذا هو النبي ﷺ يضرب لنا أروع الأمثلة في الخلق الحسن، وكل أخلاق النبي ﷺ تعتبر قدوة يجب على المسلمين الاحتذاء بها من أجل قيمة هذه الأخلاق في التربية الإسلامية حذر رسول الله ﷺ من اللعن، ولذلك اتفق المربون على أن التربية الأخلاقية تعتبر أصعب جانب في التربية عمومًا، ولعل صعوبة الأمر ترجع إلى أن التربية هنا تعتمد على تربية النفس، وتربية النفس أصعب من تربية الجسم، كما اتفق أهل التربية بعد مشاهدة أحاديث الرسول ﷺ، على أن التربية الخلقية ألزم تربية للحياة الإنسانية فحياة الجماعة ومدى نجاحها وسعادتها واستقرارها مرتبطة بحياتها الأخلاقية، فالمسلم ينبغي أن يربي نفسه على مكارم الأخلاق، ثم نماء المكرمات، بالممارسة والمران، وذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء[2].

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

(٢) تربية الأولاد والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد العك، ص١١١. رسائل في التربية والأخلاق، ص١١. تربية الأولاد في الإسلام، علوان، ٢/٦٤٠.

ثالثًا: التربية بالحرمان:

من أساليب التربية الإسلامية التربية بالحرمان لما له من نتائج كبيرة في عملية التربية، ولقد ظهر من الأحاديث النبوية استعمال هذا الأسلوب كثيرًا، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب، ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فهذا النموذج التربوي ظهر منه نمط الحرمان في التربية. حرمان الشفاعة يوم القيامة، حرمان قبول الشهادة يوم القيامة، وسبب حرمانهم الشفاعة والشهادة أنهم لعَّانون، والشفاعة والشهادة يلزمها خلق المروءة والأخلاق واللَّعانُ فيه شيء من خوارم المروءة في الدين أو الجرأة على عباد الله، لذلك استحق هذا الحرمان.

وهذا الأسلوب الذي ذكره النبي ﷺ في حديث الباب له نتائج تناولتها بعض الإجراءات العقابية المتنوعة مما نتج عنه بعض القواعد العامة في تعديل الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها عند المتعلمين، لذلك أبرزت التجارب الحديثة أن أحسن الأنظمة المنشودة هو منهج الشريعة الإسلامية لما فيه من أساليب عقوبية تعين على عملية التربية[1].

رابعًا: التربية بالترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الناجحة أسلوب الترهيب، ولقد استخدمه رسول الله ﷺ في أحاديث الباب: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صُعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ ...»، فهذا نموذج تربوي استخدم فيه رسول الله ﷺ أسلوب الترهيب من اللعن وان عاقبته عظيمة، فإن الله لا يقبله.

وهذا يعتبر وعد من الرسول ﷺ قد صاحبه تهديد وتحذير من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى مثل اللعن، والرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب التربوي الجيد لعلمه أنه لا يمكن الاستغناء عنه أثناء عملية التربية فاستخدمه

---

(١) علم النفس التربوي، عبدالمجيد نشواتي، ص٢٩٩. أساليب التربية، عبدالرحمن البابطين، ص٦١. أصول التربية الإسلامية، الحازمي، ص٦٤، ٤٠٤.

في هذا الموقف لأنه يحتاج إلى وعيد وتهديد بالعقوبة. ويجب على أهل التربية أن يتعلموا من رسول الله ﷺ هذا الأسلوب لكونه يساهم في التنشئة الصالحة للمسلم الذي يتصف بالسلوك القويم[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. عزب، ص٢٦٢. أساليب التربية الإسلامية، البابطين، ص٣١. أصول التربية الإسلامية، د. شحات، ص٨٤.

٢٦٥- باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود: ١٨]، وقال تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف: ٤٤].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ)) (١).

وَأَنَّهُ قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا)) (٢).

وأَنَّهُ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ(٣).

وأَنَّهُ قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ))(٤) أيْ حُدُودَهَا.

وأَنَّهُ قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ))(٥).

وأَنَّهُ قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ))(٦).

وَ((لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ))(٧).

وَأَنَّه قَالَ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَة والنَّاسِ أجْمَعِينَ))(٨).

وأَنَّه قَالَ: ((اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلاً، وَذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ: عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ))(٩).

وهذِهِ ثَلاَثُ قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ.

وأَنَّه قَالَ: ((لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ))(١٠).

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٢٢/١١٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧٢٥) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٢٣٨) من حديث أبي جُحيفة.

(٤) أخرجه مسلم ١٩٧٨/٤٣) من حديث علي.

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧/٧) من حديث أبي هريرة.

(٦) أخرجه مسلم ١٩٧٨/٤٣) من حديث علي بلفظ: (والده).

(٧) انظر قبله.

(٨) انظر قبله.

(٩) أخرجه مسلم (٦٧٥/٢٩٤) من حديث أبي هريرة بلفظ: (اللهم العن لحيان، ورعلًا، وذكوان، وعصية، عصت الله ورسوله).

(١٠) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩/١٩) من حديث عائشة.

وأنهُ ((لَعَنَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّساء والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاء بالرِّجالِ)) [١].

وَجَميعُ هذهِ الألفاظِ في الصحيح؛ بعضُها في صَحيحَيِّ البُخاري ومسلمٍ، وبعضها في أحَدِهِمَا، وإنما قصدت الاختِصَارَ بالإشارةِ إِلَيهمَا، وسأذكر معظمها في أبوابها من هَذَا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَى.

غريب الألفاظ:

لعن اللهُ: اللَّعنُ: الإبعاد من رحمته سبحانه وتعالى [٢].

الواصلة: التي تصل شَعرها بشعر آخر زُورٍ [٣].

المستوصلة: التي تأمر من يفعل بها ذلك [٤].

الرِّبا: الزيادة على أصل المال (المقترض) من غير عقد تبايع [٥].

المصورون: الذين يصنعون تماثيل مجسَّمة للأحياء [٦].

البَيْضة: الخُوذة [٧].

أحدث حدثًا: فعل أمرًا منكرًا ليس بمعتاد في السنة [٨].

آوى محدثًا: نصر جانيًا أو أجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتَّص منه [٩].

رعل وذكوان وعُصية: قبائل من بني سُليم [١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٥) من حديث عائشة.

(٢) النهاية في (ل ع ن).

(٣) النهاية في (ز و ر).

(٤) النهاية في (و ص ل).

(٥) النهاية في (ر ب و).

(٦) الوسيط في (ص و ر).

(٧) النهاية في (ب ي ض).

(٨) النهاية في (ح د ث).

(٩) النهاية في (ح د ث).

(١٠) اللسان في (ر ع ل) و (ذ ك و)

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الإيمانية:

إن من أبرز ما تركز عليه التربية الإسلامية: التربية الإيمانية، ولذلك كان من مهام النبي ﷺ ترسيخ هذه التربية في قلوب الصحابة رضي الله عنهم، ومن الشواهد على ذلك أحاديث الباب قوله ﷺ: «لعن الله الواصلة والمستوصلة.....»، وقال: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهين من النساء بالرجال».

لقد أراد النبي ﷺ تربية الصحابة على الحذر من إتيان أو فعل مثل هذه الأمور من التغيير في خلقة الله عز وجل لأن التغير في خلقة الله عز وجل مما يتنافى مع مقتضيات الإيمان بالله عز وجل، لذلك كان الأساس الإيماني من أهم الأسس التربوية التي ينبغي أن يركز عليها في عملية التنشئة، ومتطلباتها من معرفة المبادئ والقيم الإسلامية السليمة وما يجب البعد عنه من العادات والتقاليد التي تخالف ما أمر الله به، لأن الإيمان كلما كان قويًا راسخًا في القلب مؤثرًا في عمل الجوارح كانت الأعمال والأفعال ترجمة عملية قويه لهذا الإيمان.

ثانيًا: التربية الاقتصادية:

من أنواع التربية الإسلامية التربية الاقتصادية، ولقد حرص رسول الله على بيان الأسس التربوية الاقتصادية التي يجب التعامل من خلالها، وذلك عن طريق عدد من الأمور، ومنها ما ورد في أحد أحاديث الباب في قوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِبَا»، «ولعن السارق»، وإن دعاء النبي باللعنة على آكل الربا أو السارق الذي يسرق ما ليس له من ممتلكات الآخرين، يعد تنفيرًا شديدًا من إتيان هذه الأمور أو التعامل من خلالها، وذلك لأن النظام الاقتصادي في الإسلام يقوم على أسس العدالة والمساواة والتراحم والسعي في طلب الرزق والحرص على الشخصية المسلمة، ويقوم أيضًا على الحفاظ على الثروة التي بددها الربا والسرقة، والتعامل بهما، فقد محق الربا الثروة الاقتصادية، لأن المال الذي استخدم في الربا لو بقي مصونًا من العبث، لبقيت الشخصية المسلمة كريمة الحياة، من هنا حرم الله الربا، وأحل البيع لأن ظلم البائع للمشتري أو ظلم المشتري

للبائع يزرع الحقد ويزعزع الثقة ويدعو للفرقة.

وقد حرم الله ورسوله الربا والسرقة، لأنها زيادة من غير حق، فهو مال حرام لا يباركه الله، والذي تربى على أن المسلم أخو المسلم، يعينه إذا قدر، ولا يرده ردًا سيئًا إذا لم يقدر، حتى لا يضطر إلى ما لا يريد، مما لا يغضب الله، أو يذهب بالمروءة من تعامل بالربا والسرقة لا يفعل ذلك، والرسول ﷺ ربى الصحابة على الحفاظ على الثروة وتنميتها بالطرق المشروعة من أجل هذا لعن الله آكل الربا والسارق وحرم التعامل بهما، وحدد قواعد للكسب الطيب والمال الحلال، فحرم الربا والسرقة، وبتحريم الإسلام الربا والسرقة يكون قد حقّق الحفاظ على الموازنة بين أبناء المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي، فلا يستحق القوي الضعيف، بل يأخذ بيده ويعينه، ولا يحقر الغني الفقير بل يعطيه حقوقه من ماله[1].

ثالثًا: التربية العقدية:

من الأسس التي قامت التربية الإسلامية ببيانها: العقيدة الصحيحة، وما تقتضيه تلك العقيدة من إخلاص العبادة لله وصدق التوجه إليه، ومما يتنافى مع تلك العقيدة الذبح لغير الله، ولأجل أن يربي النبي ﷺ الصحابة والأمة من بعدهم على إخلاص العبادة لله، كان يؤكد دائمًا على وجوب التوجه الخالص لله تعالى في كافة الأعمال، ومما يؤكد ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

فهذه تربية عقدية صريحة على توحيد الله تعالى، وأن لا يتوجه إلا لله تعالى بعبادته (من صلاة، وذبح) الذي خلقه فسواه ورزقه وأغناه ومنحه القدرة على التفكير ليعرف ما ينفع وما يضر، ليعلن ويتربى ويربي على العبودية لله عز وجل، وهذه هي تربية

---

(١) التربية الإسلامية، د. محمد جاد، ٢٥١/١. التربية الاجتماعية، أكرم العمري، ص٣٠٣. أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، ص٢٠٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

الأنبياء جميعًا، وهي أن يتجه الناس لعبادة الله ويقروا بعبوديته، وبالتالي صنفت القلوب، وقامت حياتهم على التعاون فعاشوا آمنين مطمئنين.

إن العقيدة أساسٌ للسلوك، على أساس أنها تحكم سلوك وتصرفات الإنسان فلا تجعله يذبح لغير الله، ولا يصلي إلى قبر، وهذا يكون في السر والعلانية، لأن العقيدة تجعل لها في النفوس مهابة تتحكم في تصرفات الإنسان، وتجدر الإشارة هنا إلى أن من تربى على توحيد الله وكانت عقيدته ثابتة لا يُطْغى الجانب المادي على الجانب الروحي فلا يصبح عبدًا لشهواته وشيطانه لأن غاية الشيطان أن يجعله يلحد بربه بسبب العداوة القديمة بينهما منذ قصة أمره بالسجود للإنسان ورفضه وطرده من رغبته وتحرشه بالإنسان منذ هذه الآونة فيجعله يصلي لغير الله، ويذبح لغير الله[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد عزب، ص٨٦. التربية الإسلامية، د. محمد جاد، ص٤٢. أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات، ص٦٦.

٢٦٦- باب تحريم سب المسلم بغير حق

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا، فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨].

الحديث رقم (١٥٦١)

١٥٦١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ اللّه ﷺ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

سباب المسلم: سباب بكسر السين وتخفيف الموحدة، وهو أشد من السب، وهو أن يقول الرجل للرجل ما فيه وما ليس فيه، يريد بذلك عيبه وقيل: السباب هنا مثل القتال فيقتضي المفاعلة[2].

فسوق: الفسق في اللغة: الخروج، وفي الشرع الخروج عن طاعة الله ورسوله، وهو في عرف الشرع أشد من العصيان[3].

الشرح الأدبي

السباب من الأخطاء التي تمزق المجتمع وتشعل الفتن بين أفراده وتشحن النفوس وتهدر الأوقات وتقطع الأرحام، والرسول ﷺ حريص على سلامة ذات البين ومقاومة أسباب الشقاق لذلك قوَّم خطأ السب أو اللعن بكل أشكاله سواء كان سباباً للعامة أو للخدم أو للدابة أو للوالدين أو للعصر أو أي شكل من أشكال السباب وفي هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤/١١٦) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٩٣).

(٢) انظر: فتح الباري ١٣٨/١.

(٣) فتح الباري ١٣٨/١.

الحديث يقوِّم الرسول ﷺ خطأ سباب المسلم وقتاله مبيناً عظم هذا الجرم وأثره على دين المرء، لذلك استخدم عدة أساليب بلاغية منها:

البداية بأسلوب خبري، ومن شأن الأساليب الخبرية أن توحي بثقة المتكلم في حجته في إثبات صدق خبره، وعدم معارضته المتكلم أو تنزيلاً للمخاطبين المترددين أو المنكرين منزلة غير المترددين وغير المنكرين؛ فيأتي بخبره عارياً عن عوامل التوكيد في إشارة واضحة إلى أن الخبر أوضح من أن يحتاج إلى توكيد ، ولا يتأتى لعاقل إنكاره أو التردد فيه.فقوله: (سباب المسلم فسوق) خبر خال من المؤكدات دلالة على تمام وضوحه ولا ينكره منكر لما هو معلوم من تناف بين أخلاق الإسلام والسباب فالسابان خارجان بفعلهما عن أخلاق الإسلام والسباب يحتمل أن يكون على ظاهره من لفظه من التفاعل، ويحتمل أن يكون بمعنى السب، وهو الشتم، وهو نسبة الإنسان إلى عيب ما، وعلى الأول فحكم من بدا به منهما أن الوزر عليه حتى يعتدي الثاني[1]. وقوله: (سباب المسلم فسوق) تشبيه بليغ حذف منه وجه الشبه والأداة مبالغة في تقارب المشبه والمشبه به في الصفة. ووجه الشبه هو مجاوزة الحد في كل.، وقوله: (وقتاله كفر) تشبيه بليغ أيضاً – والمراد منه المبالغة في التحذير، ويقال: أطلق عليه الكفر لشبهه به، لأن قتال المسلم من شأن الكافر، ويقال: المراد به الفكر اللغوي، وهو الستر، لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه فلما قاتله كأنه كشف عنه هذا الستر ، وقوله: (سباب المسلم ...) عرَّف المسند إليه بالإضافة لأن التعريف بالإضافة هو أخصر طريق إلى إحضار المسند إليه في ذهن السامع إما لأنه أخصر طرق التعريف عند المتكلم وأخصر ما يحضر عند المخاطب لا أنه أخصر طرق التعريف ،وإضافة السباب للمسلم تعظيم للجرم وتصعيدا له إذ حق المسلم أعظم.، أضف إلى ذلك تعريف المضاف (المسلم) بـ (ال) التي للجنس لإفادة العموم والاستغراق.،والتعريف بالإضافة يأتي لمدلول اللفظ من الخارج وكذا التعريف باللام والنداء. مما يبين أن كون السباب فسوقاً لإضافته وتعلقه

---

(١) فتح الباري ١٦/٣٤٤.

بالمسلم.، وبين (السباب والقتال مناسبة لأن الأول منهما غالباً ما يكون سبباً للثاني أو مقدمة له والثاني غالباً ما يكون كالنتيجة للأول، ولذلك عطف الثاني على الأول بالواو لأن بينهما اتفاقاً في متعلقهما واختلافاً من حيث مخالفة الكفر للفسوق من بعض الوجوه فبينهما توسط بين الكمالين وبين: (الفسوق والكفر) مناسبة لأن الأول مقدمة للثاني ومؤدي إليه والثاني يكون غالباً نتيجة للتمادي في الأول[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التخلق بأخلاق الإسلام والبعد عن سباب المسلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على مراعاة حقوق الأخوة الإسلامية في التعامل مع المسلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من سباب المسلم وقتاله أو رميه بالفسق أو الكفر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية التخلق بأخلاق الإسلام والبعد عن سباب المسلم:

يظهر ذلك في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

وحديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك"[3].

فقد بين رسول الله ﷺ أن المسلم إذا سب أخاه المسلم، صار الساب فاسقًا، ومن قاتله فإنه يكفر، ونهى عن رمي المسلم أخاه المسلم بالفسق أو الكفر، فمن قال لأخيه يا فاسق أو يا كافر وهو ليس كذلك ردت عليه. وفي هذا دليل على أن هذا من كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ توعد هذا القائل أن يكون هو الذي يتصف بهذه الصفة[4].

---

(١) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري، ٢٢٨.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٥٦١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥٦٢).

(٣) البخاري برقم ٦٠٤٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٦٥٢/٢.

وفي ذلك حث على التخلق بأخلاق الإسلام الكريمة. فإن مكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار[1].

من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - الحث على الأخلاق الفاضلة، وجاء القرآن مشددًا على الاستمساك بها، لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم الأخروي، وأن الفضائل التي أمر بها الإسلام هي الفضائل الإنسانية الحقة، والتي لو عمل بها الناس لحصلوا على أعظم الخير لعالمهم المضطرب.

والرذائل وهي التي نهى عنها الإسلام، هي سبب الخصام والعداوة بين الناس، وهي التي لا يشك في ضررها أي مخلص يبتغي الخير للإنسانية[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحرص على مراعاة حقوق الأخوة الإسلامية في التعامل مع المسلم:

يستنبط هذا من عموم الحديثين[3]، حيث إن المسلم ينبغي عليه أن يحرص على مراعاة حقوق أخيه المسلم، فلا يؤذيه بقول أو فعل، قال رسول الله ﷺ: ((المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظلمُه ولا يُسلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان الله في حاجتهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسلمٍ كُربَةً فرَّجَ الله عنهُ كُربةً من كُرباتِ يومِ القيامةِ، ومَن سَتَرَ مُسلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القيامة))[4].

فإن أذية المسلم بالقول أو الفعل تكون سببًا في دخول النار، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص ٣٣.

(٢) انظر: الأخوة الإسلامية، د. عبد رب النبي علي أبو السعود، ص ٧٠.

(٣) الحديث رقم (١٥٦٠)، (١٥٦١).

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٢، ومسلم ٢٥٨٠.

بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَـٰذَا، وَقَذَفَ هَـٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـٰذَا، وَضَرَبَ هَـٰذَا. فَيُعْطَىٰ هَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))[1].

فينبغي على الداعية أن ينبه المدعوين إلى الحرص على مراعاة حقوق الأخوة الإسلامية في التعامل.

فقد جاءت في سنة رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة للحض على الأخوة وتأكيدها، وإقامتها على مبادئ الدين وغاياته. والمسلمون ارتبطت آمالهم وحياتهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله بالانتساب إليه، وحب الله يقتضي اتباع أوامره سبحانه، وتطبيق أحكامه، واجتناب ما نهى عنه، وحب الرسول ﷺ يقتضي اتباع سنته، والسير على منهاجه[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من سباب المسلم وقتاله أو رميه بالفسق أو الكفر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر".

وقوله ﷺ: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك" قال القاضي عياض: (وقوله: "سباب المسلم فسوق": أي خروج عن الطاعة وواجب الشرع، وبه سمي الفاسق فاسقًا لخروجه عن ثقاف[3] الإسلام وانسلاخه عن أعمال البر، يقال: فسَقَت الرُطَبةُ إذا خرجت من قشرها.

وقوله: "وقتاله كفر" أي قتاله من أجل إسلامه واستحلال ذلك منه كفر.

وقيل: ذلك من أفعال أهل الكفر، أو يكون كفر طاعة وكفر نعمة، وغمطهما بأن جعلهما الله مسلمين، وألف بين قلوبهما، ثم صار هو بعد يقاتله.

وقيل: كفر بحق المسلم وجحد له بالمعنى؛ لإظهاره إباحة ما أنزل الله من تحريم دمه

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٥٨١.

(٢) انظر: الأخوة الإسلامية، د. عبد رب النبي علي أبو السعود، ص ٣١، ٣٢.

(٣) يقصد بذلك: تعاليم الإسلام، النهاية، والوسيط في (ث ق ف).

وقتاله، وترك ما أمر به من محبته وإكرامه وصلته، فهو كفر بفعله وعمله لا بقوله واعتقاده.

وقد يكون القتال المشارَّةُ والمدافعة، كما قال في الحديث في المار بين يدي المصلي: "فليقاتله".

وكله منهي عنه، وفاعله جاحدٌ حق أخيه المسلم وحق الله فيه[١].

وقد ورد الترهيب من أذية المسلم في الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢].

قال ابن علان: (قوله تعالى:"والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا" من جناية أو استحقاق لأذى "فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا" فذكر فيها سائر أنواع الأذى القولية من غيبة ونميمة وسخرية به، والفعلية من ضرب وإهانة وغير ذلك)[٣].

ومن السنة قوله ﷺ ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))[٤]، وقال ﷺ: ((الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ))[٥]، وقال في حجة الوداع: ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ))[٦].

قال النووي: (المراد بهذا كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك)[٧].

فهل بعد هذه النصوص، وما فيها من وعيد وترهيب، يطيب لمسلم أن يطلق لسانه في عرض مسلم، أو يؤذيه بقول أو فعل؟[٨]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٢٢/١.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٦١٨.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٥) أخرجه البخاري ١٠، ومسلم ٤٠.

(٦) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٧) شرح صحيح مسلم ١٠٧٥.

(٨) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص ٢٠٩.

الحديث رقم (١٥٦٢)

١٥٦٢- وعن أَبي ذرٍ رضي الله عنه: أنهُ سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: ((لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ[١]، إلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ)). رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

الفِسْقُ: الترك لأمر الله والخروج عن الحق وأصله: فسقت الرطبة عن قشرها [٣].

الشرح الأدبي

يدور معنى الحديث حول إدراك الرمي بالفسق أو الكفر لأحد المترامين وقد ورد المعنى في ثوب القصر الذي يحصر الرمي بالفسوق أو الكفر في أحد المتسابين لا يتعداهما لغيرهما ، والتعبير بالرمي يشير إلى شدة الأثر وتنكير لفظ الرجل الأول،والثاني يفيد التعميم للحكم حتى يشمل كل متسابين تلحق السبة بأحدهما ،والتعبير بالفسوق يشير إلى مجاوزة الحد في أمر ما ،والكفر ضد الإيمان ،والتعبير بالارتداد يشير إلى العودة إلى المصدر وهو جزاء من جنس العمل ،والتعبير بحرف الجر (على) المضاف إلى الضمير العائد على الرامي يشير إلى إحاطته به ،واستعلائه عليه ، وقوله (إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ) أسلوب شرط محذوف الجواب دل عليه السابق أي إن لم يكن صاحبه كذلك ارتدت عليه .

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) لفظ البخاري: (بالفسوق، ولا يرميه بالكفر).

(٢) برقم (٦٠٤٥).

(٣) القاموس المحيط في (ف س ق).

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٥٦٣)

١٥٦٣- وعن أَبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((**المُتَسَابَّانِ**[١] **مَا قَالاَ فَعَلَى البَادِي (منهُما)**[٢] **حَتَّى يَعْتَدِي**[٣] **المَظْلُومُ**)). رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

المتسابان: اللذان يسب كل منهما الآخر[٥].

البادي: البادئ بالسَّبِّ؛ خُففت همزته[٦].

الشرح الأدبي

الحديث في معنى سابقه من جهة المعنى ورد في أسلوب خبري خال من المؤكدات دليل على أن المعنى مما لا يتأتى إنكاره وهو إدراك تبعة السب للساب وليس للمسبوب المظلوم حتى يرد فيتعادلان في الذنب أو يتسبب فيه ، وبداية الحديث بلفظ (المتسابان) على صيغة التفاعل تدل على المشاركة ،وقوله (ما قالا فعلى البادي منهما) والفاء إما لكون ما شرطية أو لأنها موصوله متضمنة للشرط (حتى يعتدى المظلوم) أي بأن يسبه أكثر ، وأفحش منه أما إذا اعتدى كان إثم ما اعتدى عليه والباقي على البادي .

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من البدء بالسب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية العدل في الغضب وعدم التجاوز.

---

(١) لفظ مسلم: (المستبّان).

(٢) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند الترمذي (١٩٨١)، وكذا عند المنذري في ترغيبه.

(٣) لفظ مسلم: (ما لم يعتد)، والمثبت لفظ أحمد في المسند (١٠٧٣)، وكذا عند المنذري.

(٤) برقم (٢٥٨٧/٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٩٢) والسياق له.

(٥) اللسان في (س ب ب).

(٦) النهاية في (ب د و).

ثالثًا: من آداب المدعو: الصبر والعفو والإعراض عن الجهالة والسباب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من البدء بالسب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "المتسابان[1] ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم".

قال القرطبي: (ومعنى الكلام: أن المبتدئ بالسبِّ هو المختص بإثم السبِّ؛ لأنه ظالم به، إذ هو مبتدئ من غير سب ولا استحقاق، والثاني منتصر فلا إثم عليه، ولا جُناح، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[2]، لكن السب المنتصر به - وإن كان مباحًا للمنتصر - فعليه إثمٌ من حيث هو سبٌّ، لكنه عائد إلى الجاني الأول؛ لأنه هو الذي أحوج المنتصر إليه وتسبب فيه، فيرجع إثمه عليه، ويسلمُ المنتصر من الإثم؛ لأنَّ الشرعَ قد رفعَ عنه الإثم والمؤاخذة، لكن ما لم يكن من المنتصر عدوان إلى ما لا يجوز له[3].

قال النووي: (معناه: أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار)[4].

وقال الطيبي: (معناه: إثم ما قالاه على البادئ إذا لم يعتد المظلوم)[5]. فهذا يدل على الترهيب والتحذير من البدء بسب المسلم لأخيه المسلم.

فهذا مسلك مذموم في الشرع والعقل، وهو سبب لحدوث أمور لا تحمد عقباها، فكم حصل بسببه من قتل وطلاق، وفساد لذات البين، ونحو ذلك مما ينتج عن البدء بالسب، لذلك رهّب منه رسول الله ﷺ.

---

(١) المتسابان: وردت في صحيح مسلم بلفظ المستبان، مسلم ٢٥٨٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤١.

(٣) المفهم ٥٦٦/٦، ٥٦٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٥٤٦.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٠/٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية العدل في الغضب وعدم التجاوز:

يستنبط ذلك من قوله ﷺ: "حتى يعتدي المظلوم"، قال القرطبي: (قال: "ما لم يعتد المظلوم" أي ما لم يجاوز ما سُبَّ به إلى غيره؛ إما بزيادة سب آخر أو بتكرار مثل ذلك السَّبِّ، وذلك أن المباح في الانتصار: أن يردَّ مثل ما قال الجاني، أو يقاربه؛ لأنه قصاص، فلو قال له: يا كلب -مثلاً- فالانتصار أن يرد عليه بقوله: بل هو الكلب، فلو كرر هذا اللفظ مرتين أو ثلاثًا لكان متعديًا، بالزائد على الواحدة، فله الأولى، وعليه إثم الثانية، وكذلك لو رد عليه بأفحش من الأولى، فيقول له: خنزير -مثلاً- كان كلُّ واحد منهما مأثومًا؛ لأن كلاً منهما جار على الآخر، وهذا كلُّه مقتضى قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[2]، وكلُّ ما ذكرناه من جواز الانتصار: إنما هو فيما إذا لم يكن القول كذبًا، أو بهتانًا، فلا يجوز أن يتكلَّم بذلك لا ابتداءً ولا قصاصًا، وكذلك لو كان قذفًا؛ فلو ردَّه كان كلُّ واحدٍ منهما قاذفًا للآخر، وكذلك لو سب المبتدئ أبا المسبوب، أو جده، لم يجز له أن يردَّ ذلك؛ لأنه سبٌّ لمن لم يجن عليه، فيكونُ الرد عدوانًا لا قصاصًا، قال بعضُ علمائنا: إنما يجوز الانتصار فيما إذا كان السب مما يجوز سب المرء به عند التأديب، كالأحمق، والجاهل، والظالم؛ لأنَّ أحدًا لا ينفكُّ عن بعض هذه الصفات إلا الأنبياء والأولياء، فهذا إذا كافأه بسبه فلا حجر عليه، ولا إثم، وبقي الإثم على الأول بابتدائه وتعرُّضه لذلك.

تنبيه: ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[3] أن الانتصار مباح، وعلى ذلك يدلُّ الحديث المذكور، لكنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾[4] مدح من الله تعالى للمنتصر، والمباح: لا يُمدح عليه، فاختلف العلماء في ذلك، فقال السُّدِّي: إنما مدح الله من انتصر ممن بغي عليه من غير زيادة على مقدار

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

(٢) سورة الشورى، آية: ٤٠.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤١.

(٤) سورة الشورى، آية: ٣٩.

ما فعل به، يعني: أنه إنما مُدح من حيث إنه اتقى الله في انتصاره؛ إذا أوقعه على الوجه المشروع، ولم يفعل ما كانت الجاهلية تفعلُ من الزيادة على الجناية. وقال غيره: إنما مدح الله من انتصر من الظالم الباغي المعلن بظلمه الذي يعمُّ ضررُه، فالانتقام منه أفضل، والانتصار عليه أولى[1].

قال النووي: (فيه جواز الانتصار ولا خلاف في جوازه)[2] وتظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة. فعلى المنتصر لنفسه في رد من سبه ألا يتعدى، فإذا تعدى فيكون عليهما، نعم إلا إذا تجاوز غاية الحد، فيكون إثم القولين عليه، قال البغوي: (من أربى الربا من سب سبتين بسبه)[3].

وتمام العدل أن يكون مع الصديق والعدو في الرضا والغضب قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[4]. قال ابن كثير: (لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقًا كان أو عدوًا، ولهذا قال: "اعدلوا هو أقرب للتقوى" أي: عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه)[5].

ثالثًا - من آداب المدعو: الصبر والعفو والإعراض عن الجهالة والسباب:

يستنبط هذا من عموم الحديث، فإذا جاز لمن سبه صاحبه أن يسبه بمثل ما سبه، فإن الصبر والعفو أفضل، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[6] وقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[7] وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ

---

(١) المفهم ٥٦٧/٦، ٥٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، ص ١٥٤٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٠/٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٦٢/٣.

(٦) سورة الشورى، آية: ٤٣.

(٧) سورة الشورى، آية: ٤٠.

أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾[٢] وقال ﷺ: ((مَا زاد اللّهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلا عِزًّا))[٣] ونحوه كثير. فعلى المدعو الصبر والعفو والإعراض عن الجهالة.

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٤] وعليه أيضًا الترفع عن السباب، فذلك من شرف النفس، وعلو الهمة، كما قالت الحكماء: (شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم)[٥].

---

(١) سورة النور، آية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٧.

(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٥٨٨

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٩٩.

(٥) انظر: سوء الخلق، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١٠٦.

الحديث رقم (١٥٦٤)

١٥٦٤- وعنه، قَالَ: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ، بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ قَالَ: ((اضربوهُ)) قَالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، والضَّارِبُ بِثَوْبِهِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: ((لا تَقُولُوا هَذَا[1]، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَان)). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

المضامين الدعوية[3]

(١) لفظ البخاري: (هكذا).

(٢) برقم (٦٧٧٧)، وتقدم برقم ٢٤٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٤٣).

الحديث رقم (١٥٦٥)

١٥٦٥- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: ((مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَى يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَومَ القِيَامَةِ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ كما قَالَ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الحد: العقوبة المقرونة بالذنب[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو ختام باب تحريم سبّ المسلم بغير حق، وهو يتضمن جملة خبرية في صدره، ثم جملة استثنائية في عجزه ونهايته، و"مَنْ" تتضمن معنى الشرط لأن الجملة بها مقدمة ولها نتيجة، والمقدمة تتمثل في قول رسول الله ﷺ: "من قذف مملوكه بالزِّنى.." والنتيجة: هي العقاب الذي ينتظر ذلك السابّ القاذف، يقام عليه الحد يوم القيامة، وكلمات الحديث تتسم بدقة الاختيار، وقوة الإيحاء، فقوله: "مملوكه" يوحي بأن القاذف هو السيد مالك هذا المملوك، ويرشد إلى أن هذا المملوك يعجز عن المطالبة بحقه من سيده ومالكه، ولكن هل يضيع حق هذا المملوك؟ لا.. فرسول الله ﷺ يضمن له حقه، حيث أخبر بأن هذا السيد يقام عليه الحد يوم القيامة، إظهارًا لكمال العدل، إذا كان العبد بريئًا، وبناء الفعل للمجهول فيه تقليل من شأن ذلك السيد، فهو في الآخرة مهان لا يستحق تحديد من سيقيم عليه الحد، فهو بإذن الله تعالى ومشيئته، والذين سيقومون بذلك هم ملائكة العذاب، وقوله: "الحد": تنبيه على أن إقامة الحدود واجبة.. ولو نجا إنسان من الحد في الدنيا فإنه سيقام عليه في الآخرة، والتعبير بقوله: "قذف" يؤكد على بشاعة هذا الجرم، وأنه من الكبائر، فكأن القاذف يرمي

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، ومسلم (٣٧/١٦٦٠) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٢١).

(٢) النهاية في (ح د د).

المقذوف بحجارة ملتهبة، فالقذف يؤدي إلى اشتعال نار الفتن، وتمزيق الأواصر، وتشويه الأعراض، ومما يؤيد ذلك قول العرب: قذف الحجر بالقذافة، وتقاذفوا بالحجارة، وجعل الله الشهاب قذيفة الشيطان، والاستثناء في ختام الحديث: يقيد الحكم، فالحدّ لا يقام على مالك العبد في الآخرة، إذا كان العبد كما قال مرتكبًا لجريمة الزنى.

وفي ذلك إيحاء بأن التنبيه على من يرتكب جريمة الزنى وكشف أمره، وفضح سلوكه، ليس قذفًا، ولكنه تقرير عن واقع، ولا بد أن يكون موثقًا بالأدلة والشواهد التي تقيم الحجة على مرتكب هذه الجريمة النكراء، ونسأل الله تعالى العصمة من الزلل والنجاة من النار.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم القذف: أجمع الفقهاء على حرمة القذف[١].

٢-الحكم لو قذف السيد عبده: أجمع الفقهاء[٢] على أن الحر إذا قذف عبدًا لم يجب عليه الحد، ودل هذا الحديث على ذلك، لأنه لو وجب على السيد أن يجلد في قذف عبده في الدنيا لذكره كما ذكره في الآخرة[٣].

كما أجمع الفقهاء على أنه إذا قذف العبد غيرُ مالكه أنه لا حد على قاذفه[٤].

٣-ما الحكم لو قذف الحر أم ولد؟ ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والشافعية، والحنابلة، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي إلى أنه لا حد عليه[٥]. واستدلوا على

---

(١) المغني ٧٦/٩.

(٢) إلا ما روي عن داود أنه قال: يجب الحد على قاذف العبد. المغني ٧٦/٩.

(٣) بدائع الصنائع ٤٠/٧، وحاشية الدسوقي والشرح الكبير ٣٢٥/٤-٣٢٦، ومواهب الجليل ٢٩٨/٦، ومغني المحتاج ٥٨/٥، والمغني ٧٦/٩، وفتح الباري ٢٢١/١٢، وسبل السلام ٣١/٤.

(٤) سبل السلام ٣١/٤.

(٥) بدائع الصنائع ٤٠/٧، ومغني المحتاج ٥٨/٥، والمغني ٧٦/٩، وبداية المجتهد ٣٦٢/٢، وفتح الباري ٢٢١/١٢، وسبل السلام ٣١/٤.

ذلك بأن من لا يحد قاذفه إذا لم يكن له ولد، لا يحد وإن كان له ولد كالمجنونة[١].

وذهب الإمام مالك وداود إلى أنه يجب عليه الحد بعد موت السيد وهذا قياس قول الشافعي[٢].

والراجح هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على البعد عن ظلم العبيد والخدم والعمال.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: حماية أعراض الناس.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قذف المملوك وبيان عاقبة ذلك يوم القيامة.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من قذف المؤمن.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على البعد عن ظلم العبيد والخدم والعمال:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من قذف مملوكه بالزنى يقام عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال".

فقد بيّن رسول الله ﷺ أن السيد إذا قذف عبده بالزنا أو اللواط أو ما أشبه من كلمات القذف. فإذا كان العبد مظلومًا، ولم يفعل شيئًا من ذلك كان ذلك ظلمًا من السيد لعبده. والظلم عقابه من الله شديد، قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ: ((لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ

---

(١) المغني ٧٩/٩.

(٢) بداية المجتهد ٣٦٢/٢، وفتح الباري ٢٢١/١٢، والمغني ٧٦/٩، وسبل السلام ٣١/٤.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

(٤) سورة هود، آية: ١٨.

الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ))[١] فالخدم والمماليك إخوان في الدين أو في الإنسانية، فينبغي معاملتهم معاملة كريمة، والبعد عن ظلمهم، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ فعن المعرور ابن سويد قال: ((رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ))[٢].

فبين الرسول ﷺ أن الخدم والمماليك إخوان في الدين أو في الإنسانية.

وكان الظاهر أن يقول: خولكم إخوانكم، ولكن قدم ما أصله التأخير اهتمامًا بالأخوة، وأنه لا ينبغي أن تنسيها الخدمة، وهل الخدمة إلا إعانة، فكيف تكون سببًا للتحقير والإهانة، إن الأخوة وحدها داعية إلى التبجيل والإكرام، فكيف إذا انضمت إليها الخدمة والمعونة والمساعدة؟ فينبغي على صاحب العمل الذي مكنه الله من هؤلاء الخدم، العناية بهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ﴾[٣] وقد نهى ﷺ عن تكليف الخدم من الأعمال ما يشق عليهم ويهد قوتهم أو يستفرغ جهدهم، بل التكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم. فالحديث إرشاد لأرباب البيوت أن يقفوا من الخدم موقف العدالة، ولا يتناسوا رابطة الأخوة، ولا تبادل المنافع، وفيه النهي عن سباب الخدم والتعرض لآبائهم وأمهاتهم بما يسؤوهم أو يحط من قدرهم[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٤٥، ومسلم ١٦٦١.

(٣) سورة النساء، آية: ٣٦.

(٤) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٧٥، ٧٦.

ثانيًا - من أهداف الدعوة: حماية أعراض الناس:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من قذف مملوكه بالزنى يقام عليه الحد يوم القيامة". فلقد شمل الإسلام أعراض الناس بأقوى حماية يمكن أن يختص بها حق من حقوق الإنسان. وتبدو حمايته هذه أوضح ما يكون في العقوبات القضائية الشديدة التي يوقعها في حالات الزنا وهتك العرض والقذف، كما تبدو في تحريمه الغيبة والنميمة والتجسس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، وما إلى ذلك من كل ما يمس عرض الإنسان وكرامته، وفي تحقيره لمقترفي هذه الآثام وتوعده إياهم بأشد عذاب يوم القيامة[1].

إن حماية الأعراض، وصيانة كرامات الناس، والمحافظة على حرماتهم، لها في الإسلام شأن، وأي شأن؟

وهي حقوق فرضها الإسلام، وجعلها دينًا يتعبد به، كما يتعبد بالصلاة، والذكر، والدعاء، ولتبقى سلوكًا عمليًا في واقع الحياة، ومظهرًا من مظاهر المجتمع النظيف، فضلاً عن أنها تحفظ كيانه، وتدعم أركانه، وتقيه من التصدع.

ولقد أوسع الإسلام القول، وأفاض في الوسائل التي من شأنها أن تحقق هذه الغاية، ونشير هنا إلى آيتين: يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[3].

وقد تضمنت هاتان الآيتان:

١-النهي عن السخرية، وهي احتقار الغير، واستصغاره لغير سبب ظاهر، سواء

---

(١) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د. علي عبدالواحد وافي، ص ٥٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٢.

كان الاستصغار بالعبارة، أم بالإشارة، أم بأي طريقة مفهمة لمعنى التحقير.

وإنما نهى الله عن ذلك؛ لما فيه من الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم، ولأنه يجرح شعور المستهان به ويؤذيه.

فإذا كان المسخور منه بليد الشعور، لا يتأثر بما يلحقه من إهانات، فإن النهي في هذه الحالة لا يتناوله، بل يكون تحقيره ضربًا من المزاح الذي أحله الله.

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانًا بها كانت على الناس أهونا

وفي الآية تعليل النهي بأن المستهزأ به قد يكون أزكى نفسًا، وأحسن عملاً، وأقرب إلى الله بما يقدمه من خير وبر، ولا يعلم بذلك المستهزىء، فيكون قد تعرض للظلم، بتحقير ما يستحق التعظيم.

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ))[1].

إن سخرية الرجال من الرجال، والنساء من النساء، إثم كبير، وشر لو لم يكن للإنسان غيره لأوبقه.

يقول الرسول ﷺ: ((بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ))[2].

٢-النهي عن ذكر العيوب والنقائص، فإن الطعن في الأشخاص يحرج الصدور، ويؤرث العداوات.

٣-النهي عن أن يدعو أحد غيره بلقب يكرهه: ويطلق عليه لفظًا يسوءه أن يسمعه، بل الواجب أن يدعو أخاه المسلم بأحب الأسماء إليه، فإن إطلاق لفظ قبيح على من اتصف بالإسلام غير كريم "بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان".

٤-إن مخالفة هذه التعاليم، وعدم مراعاتها، ظلم يسخط الله ويغضبه، لأن ارتكاب أمثال هذه الحماقات يفرق الجماعة، والله يريد للمسلمين أن يتعاونوا على البر، ويتجمعوا على المصلحة، ويعيشوا في ظلال المحبة والمودة.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٢٢، ٢٨٥٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

٥- النهي عن الظن السيء، وهو الحكم على الغير بأمر سيء من غير دليل. فالتهمة، والتخون للأهل والأقارب والناس، من غير اعتماد على أدلة صحيحة، إثم من الآثام، وهو أكذب الحديث..

يقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري وغيره، عن أبي هريرة ((إيّاكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذَبُ الْحديث))[1].

٦- النهي عن التجسس وتتبع العورات، لما فيه من اشتغال بما لا يفيد، وضياع للعمر في غير جدوى ولا مصلحة، ولأنه مثير للضغائن والأحقاد.

روى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي: أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه صعد المنبر، فنادى بصوت رفيع: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لاَتُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعُ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ))[2])[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من قذف المملوك وبيان عاقبة ذلك يوم القيامة:

يظهر ذلك من عموم الحديث، قال ابن عثيمين: (المملوك هو العبد الذي يملكه الإنسان، والمملوك كالسلعة يباع ويشترى ويوهب، ويرهن، ويوقف إلا أن أحكام الله عز و جل هو والحر على حد سواء في غير الأمور المالية. والسيد مالك للرقيق لعينه - يعني رقبته - ولمنافعه، فإذا قذف عبده بأن قال للعبد: يا زاني، أو لوطي، أو ما أشبه ذلك من كلمات القذف فإنه لن يحد في الدنيا لأنه سيد، والعبد مملوك لكن يقام الحد عليه في دارٍ عذابُها أشد -والعياذ بالله- وهي الدار الآخرة يقام عليه الحد يوم القيامة، وعلى ذلك فيكون قذف المملوك من كبائر الذنوب، لأنه رتب عليه عقوبة في الآخرة، وكل شيء رتب عليه عقوبة في الآخرة فإنه من كبائر الذنوب)[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٠٣٢ وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٥٥).

(٣) إسلامنا، السيد سابق، ص ٢٧٧-٢٨١.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٥٦.

وفي ذلك ترهيب من قذف المملوك لما يترتب عليه من عقاب يوم القيامة.

رابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من قذف المؤمن:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث رهّب رسول الله ﷺ من قذف المملوك وبيَّن أن من قذف عبده ولم يكن كما قال، فإن الله يقيم عليه الحد يوم القيامة. وقذف المؤمن بصفة عامة حرمه الله تعالى، وجعله من أكبر الكبائر، والأصل في تحريمه الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وأما السنة قوله ﷺ: ((اجتنِبوا السَّبعَ الموبقات. قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتْلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ؛ وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيم، والتَّولّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ))[3].

---

(١) سورة النور، آية: ٤.

(٢) سورة النور، آية: ٢٣.

(٣) أخرجه البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الخلقية:

من أنواع التربية الإسلامية: التربية الخلقية التي ركّز عليها النبي ﷺ وعمل على تعميقها في نفوس أصحابه رضي الله عنهم من خلال بيان عدد من الأمور التي يحتاج إليها المسلم في تعاملاته الحياتية مع إخوانه، وما يجب أن يترفع عنه من الألفاظ التي تخالف الشرع، وتتنافى مع القيم الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها، ومن الشواهد على ذلك من أحاديث باب تحريم سب المسلم بغير حق ما ورد في قوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ. وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وقال: «المتسَابَّان ما قالا فعلى البادئ ...»، وقال: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بالزنا يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...»، فهذه توجيهات تربوية نبوية ظهر منها أنه لا يليق بالمسلم أن يقذف ويسب أخاه المسلم والرسول ﷺ يرسي قواعد التربية الخلقية، بذلك ويعظم حق المسلم، ولذلك جعل عقوبة سبه الفسق، وهذا تهذيب للخلق وتربية للروح على الأهداف الرئيسة للتربية الإسلامية من أجل بناء الإنسان المتخلق بأخلاق الإسلام، الذي يربأ بنفسه عن السب والشتم، والرسول ما حث على الخلق إلا لعلمه أن حسن الخلق زينة للإنسان، ومن أسباب سعادته، وسوء خلقه، (من سب ولعن وقذف)، كما هو معنا في أحاديث الباب دليل على سوء خلقه وأنه لم يُرَبِّ التربية الإسلامية الحقة التي تدعو إلى الخلق الحسن، والرسول حرص على تربية الأخلاق أيضًا هنا لأنه حريص على ترابط المجتمع كما أن الأخلاق تدعوا إلى تطهير النفس.

إن اهتمام الرسول ﷺ بالتربية الأخلاقية والتنفير من السب، يؤكد على أهمية تخلق المسلم بالخلق الإسلامي والترفع عن كل ما يؤدي إلى النيل من المسلم بأي شكل أو صورة من الصور والتي منها: السب أو الرمي بالفسق أو الكفر، أو وصفه بأي وصف ينتقص منه، إن التربية الخلقية تعمل على تكوين روح الخير في الفرد، وتنمية الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية، وأهم ثمار التربية الخلقية أنها تقوم على أساس اعتقادي يربط بين الإيمان والسلوك الخلقي، وعلى أساس علمي لصلة القوانين الأخلاقية بالعلوم

الطبيعية والنفسية والاجتماعية، وعلى أساس إنساني يستند إلى الطبيعة الإنسانية وحرية الإرادة والشعور بالمسئولية الأخلاقية، وهذا ما أخذه أهل التربية من أحاديث الباب[1].

ثانيًا: التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية: التحذير، ولقد استخدم رسول الله ﷺ أسلوب التحذير في توجيهاته التربوية التي ترمى إلى البعد عن إتيان كل ما ينقص المؤمن، من خلال رميه بالتهم أو وصفه بالأوصاف التي لا تليق به، ومن شواهد ذلك من أحاديث الباب قوله ﷺ: «وَلاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفِسْقِ أَو الْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ.....»، فهذا توجيه تربوي يحذر من خلاله الرسول ﷺ أصحابه من السب بالفسق أو الكفر، وذلك لأن سب المؤمن يؤدي إلى غضب لله تعالى وعذابه، ويؤدي إلى إفساد العلاقات الاجتماعية، وفيه إعانة للشيطان على المسلم، كما يؤدي إلى نوع من العزلة الاجتماعية، ولذا حذر النبي ﷺ من هذه الأمور، وإمعانًا في التوجيه التربوي الذي يحمل المسلم على اجتناب هذا الأمر بين ﷺ أن من قام بالسب يوقع نفسه في دائرة العقوبة المترتبة على ذلك حيث حذر الرسول ﷺ من مغبة ذلك بقوله: « إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»، وهذا أسلوب توجيه تحذيري.

ولا شك أنه مرتبط بالسلوكيات الخاطئة التي قد يرتكبها المسلم في هذا السب، لأنه بمجرد إجراء هذه الألفاظ التي فيها سب يكون قد افتقد عددًا من قيم الخير وفضائل الأعمال، فهذا الحديث الذي معنا يستفاد منه تربويًا، أنه يعد بمثابة القوة الصادة لانحراف الإنسان عن الغاية الخلقية، إن ما قدمه الرسول ﷺ من تربية للأخلاق يعتبر تحذيرًا وتوجيهًا قدمه على هيئة نصائح وإرشادات لو أخذ بها المسلمون وأهل التربية لجنبت المسلم الكثير من الآلام، وهذا ما أراده النبي ﷺ، مع صحابته في تربيتهم على خلقٍ حميد لأنه عَلِم ﷺ أن عَلِم الأخلاق يأتي في مقدمة الوسائل التي يعني بها المربون لأنه المصباح الكاشف لمسالك الرشد، والتربية الناجمة لا غنى لها عن الأخلاق[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. شحات، ص٦٦. أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٥٩.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، ص٣٦٨، فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالله يوسف الأزدي.

ثالثًا: التربية بالعقوبة:

من أساليب التربية الإسلامية أسلوب التربية بالعقوبة، وهو أسلوب وضعه الشارع للردع عن ارتكاب ما نهى عنه. والرسول ﷺ استخدم هذا الأسلوب ففي أحاديث الباب ما يدل على ذلك: «أُتيَ النبيُّ ﷺ برجل قد شَرِبَ، قال: اضربوه. قال أبو هريرة رضي الله عنه: فمنّا الضاربُ بيدِهِ والضاربُ ...»، الرسول ﷺ في هذا الحديث أظهر أسلوب العقاب وأعتبره وسيلة من وسائل التأديب والتربية، وهذا في قوله «اضربوه» وهذه الوسيلة لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال لأن بعض البشر لا ينفع معه إلا العقاب والألم الذي يباشر بدنه، وهذا هو العقاب بالضرب والأذى الذي ذكره رسول الله ﷺ إيقاع الألم على جسد المضروب بعصا أو بالنعال، وهذه العقوبة أكدت التربية الإسلامية عليها في بعض الحدود «كشرب الخمر» وحد شرب الخمر له وضع خاص في التربية الإسلامية حيث استخدم الله عز وجل في تحريمه أروع أسلوب تربوي ألا وهو التدرج في التحريم لذلك كان له عناية خاصة في الشرع، لذلك كانت عقوبة شارب الخمر الضرب والإهانة -وقد عنى الفقه الإسلامي بهذا الأمر- لكن وضع أهل التربية قواعد لهذا الضرب:

١- أن لا يكون الضرب للتشفي، لأن ذلك يؤدي بالمؤدب إلى مجاوزة الحد.

٢- أن يكون الضرب غير مبرح.

٣- أن لا تكون أداة الضرب غليظة ولا رقيقة.

٤- أن لا يزيد الحد على الضرب - الضرب الزائد، أو بالسب والشتم كما حدث في الحديث عندما « قالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أخْزَاكَ الله» لأنه بهذه الزيادة يعين عليه الشيطان في ارتكاب الحد مرة أخرى، وهذا ما ذكره ﷺ.

٥- أن لا يضرب في أماكن قاتلة، فهذه هي الضوابط التربوية والشرعية التي يجب على المربي اتباعها عند تطبيق هذه العقوبة[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٢٠٧. أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين، ص٢٦٥، أساليب الدعوة والتربية في السنن النبوية، للعاني، ص٤٦٤.

٢٦٧- باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحةٍ شرعية

وَهِيَ التَّحْذِيرُ مِنَ الاقْتِدَاء بِهِ فِي بِدْعَتِهِ، وَفِسْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَفِيهِ الآيةُ والأحاديثُ السَّابِقَةُ فِي البَابِ قَبْلَهُ.

الحديث رقم (١٥٦٦)

١٥٦٦- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((**لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أفضوا: وصلوا وانتهى بهم الأمر[2].

الشرح الأدبي

الحديث يبد بأسلوب النهي (لا تسبوا الأموات) واتصال واو الجماعة بالفعل المنهي عنه يفيد عموم النهي لكل المسلمين في كل زمان ،ومكان ؛ لأن الميت لا يتسبب في إيذاء للحي ،وإن كان قد تسبب في إيذاء للحي قبل موته فإنه قد نال جزاءه الذي يستحقه ، وسب الأموات يعني شتمهم من السب ، وهو القطع ، وقيل من السبة ، وهي حلقة الدبر كأنها على القول الأول قطع المسبوب عن الخير ، والفضل ، وعلى الثاني كشف العورة وما ينبغي أن يستر ، وقوله (فَإِنَّهُمْ قَدْ أفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا) المعنى قد صاروا إلى جزاء ما قدموا فإن كانوا قد جوزوا بالشر فيكفي ما هم فيه وإن كانوا قد غفر لهم لم يضرهم السب.

---

(١) برقم (١٣٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٦٨) مع قصة في أوله عند ابن حبان، وعزاه أيضًا إلى البخاري، وقال: دون ذكر القصة.

(٢) المعجم الوسيط في (ف ض و).

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

حكم سب الأموات: دل الحديث على تحريم سب الأموات[1]. قال ابن حجر: (قال ابن بطال: سب الأموات يجري مجرى الغيبة، فإن كان أغلب أحوال المرء الخير -وقد تكون منه الفلتة- فالاغتياب له ممنوع، وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة له فكذلك الميت، ويحتمل أن يكون النهي على عمومه فيما بعد الدفن، والمباح ذكر الرجل بما فيه قبل الدفن، ليتعظ بذلك فساق الأحياء، فإذا صار إلى قبره أمسك عنه لإفضائه إلى ما قدم أ هـ.... وأصحّ ما قيل في ذلك إن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم للتحذير منهم والتنفير عنهم، وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتًا)[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن سب الأموات.

ثالثًا: من آداب المدعو: التخلق بأخلاق الإسلام.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تسبوا الأموات" حيث نهى ﷺ عن سب الأموات.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في نهي المدعوين عن ما يخالف أحكام الدين وأخلاق الإسلام، حتى يبين للمدعوين أهمية البعد عما نهى عنه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية البعد عن سب الأموات:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا".

قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ قال: "لا تسبوا الأموات" والأصل في النهي

---

(١) فتح الباري ٣١٧/٣، وسبل السلام ٢٠٥/٢، ونيل الأوطار ١٠٨/٤.

(٢) فتح الباري ٢٥٩.

التحريم، فلا نسب الأموات ثم علل وقال "فإنهم أفضوا إلى ما قدموا")[١].

قال الطيبي: (أي مضوا إلى جزاء ما قدموا من أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، والله تعالى هو المجازي، إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم، فما لكم وإياهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه؟ هذا يدل على أنه لا يجوز الخوض بلا فائدة، وإن كان للتحذير فلا بأس به)[٢].

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: سب الأموات يجرى مجرى الغيبة، فإن كان أغلب أحوال المرء الخير -وقد تكون منه الفلتة- وإن كان فاسقًا معلنًا فلا غيبة له، فكذلك الميت)[٣].

ظاهر الحديث يدل على منع وتحريم سب الأموات مطلقًا، سواء كان الميت مسلمًا أو كافرًا، أوكان مسلمًا فاسقًا أو صالحًا.

ولكن هذا العموم مخصوص -على أصح ما قيل- بأن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم للتحذير منهم، والتنفير عنهم، وعن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم، والضابط في ذلك جواز سبهم إذا كان لمصلحة شرعية للمسلمين. وعلل ﷺ النهي عن سبهم بأنهم أفضوا ووصلوا إلى جزاء ما قدّموا وعملوا من خير أو شر، والله هو المجازي، فلا فائدة في سبهم، فيحرم إلا لمصلحة شرعية أو ما خصّه الدليل من عموم هذا النهي.

والعلة الثانية في هذا النهي لئلا يتأذى الأحياء بسبهم، من أولادهم وأقاربهم ومن يلوذ بهم، إذ العلة الأولى في النهي عن سبهم أنهم أفضوا إلى ما قدموا، وهذا يدل على العموم إلا لمصلحة شرعية، فإن كان في سبهم أذية للأحياء فيكون محرمًا من جهتين، وإلا كان محرمًا من جهة واحدة.

قال ﷺ: ((لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ))[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٦٥٧.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣/٣٧٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٣/٣٠٤.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٨٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٤).

وقوله ﷺ "فتؤذوا الأحياء" لا يدل على جواز سب الأموات عند عدم تأذي الأحياء، كمن لا قرابة له، أو كانوا ولكن لا يبلغهم ذلك، لأن النهي عام إلا لمصلحة شرعية.

فقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياءً وأمواتًا، لابتناء أحكام الشرع على بيان حالهم.

قال الشوكاني: المتحرّي لدينه: في اشتغاله بعيوب نفسه ما يشغله عن نشر مثالب الأموات. وسب من لا يدري كيف حاله عند بارئ البريات. ولا ريب أن تمزيق عرض من قدم وجثا بين يدي من هو بما تكنّه الضمائر أعلم. مع عدم ما يحمل على ذلك من جرح أو نحوه: أحموقة لا تقع لمتيقظ، ولا يصاب بمثلها متدين، ونسأل الله السلامة بالحسنات، وأن يغفر لنا تفلتات اللسان والقلم، وأن يجنبنا سلوك هذه المسالك التي هي في الحقيقة من أعظم المهالك[1].

وينبه هنا إلى أمر عظيم وخطير جدًا، وهو ما يقع من بعض الجاهلين الذين يقعون في أئمة ديننا، ويطعنون فيما سلف من أئمة الإسلام، ويتكلمون في عقيدتهم ويضللونهم ويبدّعونهم، ونصبوا أنفسهم حكامًا على أولئك الجبال العظام من أئمة الإسلام الذين قيل فيهم: تجاوزوا القنطرة.

ومن أنت أيها الجاهل المفضّل بالنسبة إليهم، فارفق بنفسك، واعرف حرمة أئمة وعلماء الإسلام، ورحم الله امرءًا عرف قدره فوقف عنده[2].

فينبغي على المسلم الكف عن سب الأموات، قال رسول الله ﷺ: ((اُذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وكُفوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ))[3].

فينبغي للأحياء أن يقبلوا على أعمالهم، وأن يعدو أنفسهم ليوم معادهم وألا يتحدثوا

---

(١) نيل الأوطار ٧٤٦.

(٢) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ٢/٥٨٠، ٥٨١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٣٨٤ رقم ١٤٦١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرجه أبو داود ٤٩٠٠ والترمذي ١٠١٩ وضعفه الألباني.

عن الموتى إلا بما يعود بالنفع على حياتهم، فسب الموتى وتعديد سيئاتهم شغل لا جدوى منه ولا فائدة فيه، بل ربما كان فيه إيذاء للموتى وإيلام لأرواحهم، وربما أغضب الأحياء الذين لهم صلة قرابة أو صداقة بهم، وقد يكون في تلك الذكريات السيئة مثل سيء لمن كمنت في نفسه دواعي السوء. فيندفع إلى متابعتهم وتقليدهم. أما ذكر محاسن الموتى فلا بأس به، إذا كان بغير جزع ولا نياحة، فهو -زيادة على أنه تكريم لأرواح الموتى- يعقد صلة طيبة بين الأحياء، ويضع قدوة صالحة أمام أنظار العاملين[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: التخلق بأخلاق الإسلام:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تسبوا الأموات... الخ" الحديث.

حيث نهى عن سب الأموات، وذلك فيه التخلق بأخلاق الإسلام التي بينها الرسول الكريم في قوله: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ))[2] فينبغي على المدعو التخلق بأخلاق الإسلام مع جميع الناس، الأحياء والأموات، فلا يسب أحدًا، ولا يخرج من لسانه إلا كل خير، ذلك لأن الإسلام يهدف إلى بناء مجتمع متماسك، يعتز فيه الإنسان بكرامته وحريته، ويبني علاقاته مع الآخرين على أساس الاحترام المتبادل والثقة الكاملة، وبذلك يطمئن الإنسان على نفسه وعرضه وماله، ويمارس حياته بروح إيجابية كلها خير وعطاء وتفاعل اجتماعي متفائل، ومن هنا حرم الإسلام كل ما يؤدي إلى سلبية الإنسان وانكماشه وعزلته عن المجتمع، ودعا إلى كل ما يقوي الصلات الاجتماعية، ويوثق عري المحبة والتعاون بين الناس[3]، ودعا إلى التخلق بالأخلاق الكريمة.

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ط٣، مكتبة الفلاح، الكويت، ص ١٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٠).

(٣) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتحذير:

من أساليب التربية الإسلامية التحذير، ولقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في توجيه الصحابة رضي الله عنهم ومن التوجيهات في باب التحريم: سب الأموات بغير حق قوله ﷺ: «لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا» فهذا توجيه نبوي يرمي إلى التحذير من السب للأموات وأن حرمة الأموات كحرمة الأحياء، وهذا ما بينه النبي ﷺ في تهذيبه لسلوك المؤمن ونهيه عن سب الأموات الذي يعد انتهاكًا لحرمتهم، لأن سب الأموات يجلب غضب الله عز وجل، وعذابه، فهذا الأسلوب التربوي صريح في التحذير من سب الموتى، ولا يخفى على أهل التربية الجوانب التربوية في هذا الحديث من ردع للسلوكيات الخاطئة التي قد توجد عند بعض الأفراد، لأنه يوجد من يفعلها ويجترئ على فعلها بل وتكرارها ولا شك أن في ذلك فقد لقيم الخير والإيمان وفضائل الأعمال فكان لابد من تحذير فيه زجر شديد ووعيد مخيف يوقظ المجتري الجاني فيجعله بين خيارين لا ثالث لهما إما أن يتوب عن هذا السب وينتهي عن سب الأموات، وإما أن ينال غضب الله ومقت الله عز وجل، وليعلم الساب أنه لا فائدة من سبه لأن رسول الله ﷺ قال: «فإنهم أفضوا إلى ما قدموا إليه»[1].

وهذا التحذير الذي قدمه ﷺ يعتبر حماية من أفة اللسان "لأن اللسان خلقه الله تعالى لينتفع به الإنسان ويستعمله فيما ينفعه ولا يضره فإن أحسن استعماله جلب له الخير، فكم من مهلكات جلبها هذا اللسان الذي لم يأخذ بتحذيرات النبي ﷺ في السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، مع أنه لو أخذ بها لجنبته الكثير من المآسي، وبخطورة السب واللسان قال ابن حجر: في حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[2]، قال إن الحدث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد لأن اللسان يمكنه

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٣٣٠، مع تصرف.

(٢) أخرجه البخاري، ١٠، ١/٢٠، ٢١، ومسلم، ٦٥-٤١، ١/٦٥.

القول في الماضين (الأموات) والموجودين (الأحياء) فدل التشريع الإسلامي على خطورة الأذى من اللسان فلم يبق إلا تربية اللسان نفسه[١].

ثانيًا: التربية الخلقية:

من أصول التربية الإسلامية التربية الخلقية ولقد ربى رسول الله ﷺ الصحابة على هذه التربية ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب سب الأموات قوله: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا إليه» فهذا توجيه نبوي للصحابة رضي الله عنهم يركز فيه النبي ﷺ على تعميق الأخلاق الحسنة في نفوس أصحابه رضي الله عنهم من خلال بيان عدد من الأمور التي يحتاج إليها المسلم في تعاملاته الحياتية مع إخوانه وما يجب أن يترفع عنه من الألفاظ التي تخالف الشرع وتنافي القيم الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها.

وهذه الطريقة لها فائدة كبيرة في العملية التربوية لأن الأخلاق هي الترجمة الحية لما يستقر في قلب الإنسان وما يحمله من تقوى وإيمان وورع أو ضعف وهي جديرة بأن يتعرف الإنسان على حدودها فلا يقصد عنها ومعرفتها والتعرف على المحرمات السلوكية، فالأخلاق تعتبر وسيلة وقائية علاجية للشخصية المسلمة وتركيز الرسول ﷺ على الجانب الخلقي في تنشئة الصحابة، يعود بدوره إلى التربية البارزة في تكوين روح الخير في الفرد وتنمية الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية التي مصدرها الأساسي الأخلاق الحسنة[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) أصول التربية الإسلامية د. خالد الحازمي، ص١٦٤. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص٣٣٠. فتح الباري، ١/ ٧٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية د. شحاتة، ص٢٦٧. أصول التربية الإسلامية د. خالد الحازمي، ص٢١٠.

٢٦٨- باب النهي عن الإيذاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨].

الحديث رقم (١٥٦٧)

١٥٦٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

لفظ الإسلام ودلالته ،وتعاليمه تدور حول السلم ،والأمن في الدنيا ،والآخرة للجميع، وقوله (المسلم من سلم) يدل على الحصر لوقوع جزئي الجملة معرفتين ولكن هذا من قبيل قولهم زيد الرجل أي زيد الكامل في الرجولية فيكون التقدير المسلم الكامل من سلم إلى آخره وقال القاضي عياض وغيره المراد الكامل الإسلام والجامع لخصاله ما لم يؤذ مسلما بقول ولا فعل وهذا من جوامع كلامه ﷺ، وفصيحه، والمراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله أداء حقوق المسلمين والكف عن أعراضهم، ونفي اسم الشيء على معنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم، وكذا إثبات اسم الشيء على الشيء على معنى إثبات الكمال مستفيض في كلامهم ،وهذا وارد على سبيل المبالغة تعظيما لترك الإيذاء كما كان ترك الإيذاء هو نفس الإسلام الكامل وهو محصور فيه على سبيل الادعاء وتخصيص اليد بالذكر؛ لأن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٤) واللفظ له، ومسلم (٦٤/٤٠) الشطر الأول فقط. وقد تقدم برقم ٢١١، أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٠١).

أكثر الأعمال تقوم عليها، وخص اللسان؛ لأنه الجارحة الوحيدة التي تتخطى بالإيذاء حدود الزمان، والمكان كما أنه الجارحة الوحيدة التي تنال الميت، والحي، والقريب منها، والبعيد عنها، وتتناول القوي، والضعيف مع سهولة اقتراف الذنوب بها، وتعلق كثير من الكبائر بها كالشرك القولي، وشهادة الزور، والقذف ،والكذب، وغيرها، وفيه من أنواع البديع تجنيس الاشتقاق وهو أن يرجع اللفظان في الاشتقاق إلى أصل واحد بين قوله (سلم، والمسلمون) وهو يؤكد المعنى ويجذب السمع وييسر الحفظ ،وقوله (والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) وتفسيره ﷺ الهجرة التي هي فرض عين على كل مسلم بأنها هجرة الذنوب والمعاصي . وهذا الفرض لا يسقط عن كل مكلف في كل حال من أحواله ؛ فإن الله حرم على عباده انتهاك المحرمات، والإقدام على المعاصي . والهجرة الخاصة التي هي الانتقال من بلد الكفر أو البدع إلى بلد الإسلام والسنة، جزء من هذه الهجرة، وليست واجبة على كل أحد، وإنما تجب بوجود أسبابها المعروفة وفي العبارة جناس بين المهاجر، وهجر يؤكد المعنى، ويقرر المفهوم المستمر ليوم القيامة لمعنى الهجرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢١١).

الحديث رقم (١٥٦٨)

١٥٦٨- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)) رواه مسلم[1].

وَهُوَ بعض حديثٍ طويلٍ سبق في بابِ طاعَةِ وُلاَةِ الأمُورِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يُزَحْزَحَ: يُنَحَّى ويُبعّد[2].

منيته: موته[3].

الشرح الأدبي

لا شك أن من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وأن هذه غاية يسعى إليها جميع المؤمنين، فذكر النبي ﷺ في هذا الحديث لها سببين، ترجع إليهما جميع الشعب والفروع، الإيمان بالله واليوم الآخر، المتضمن للإيمان بالأصول التي ذكرها الله بقوله: { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ }(البقرة: ١٣٦). ومتضمن للعمل للآخرة والاستعداد لها؛ لأن الإيمان الصحيح يقتضي ذلك ويستلزمه، والإحسان إلى الناس، وأن يصل إليهم من القول والفعل والمال والمعاملة ما يحب أن يعاملوه به فهذا هو الميزان الصحيح للإحسان وللنصح، فكل أمر أشكل عليك مما تعامل به الناس، فانظر، هل تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة أم لا ؟ فإن كنت تحب ذلك، كنت محبا لهم ما تحب لنفسك، وإن كنت

---

(١) برقم (١٨٤٤/٤٦)، وتقدم برقم (٦٦٨).

(٢) النهاية في (ز ح ز ح).

(٣) اللسان في (م ن ى).

لا تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة، فقد ضيعت هذا الواجب العظيم[1] والحديث ورد في ثوب الشرط الذي يربط الزحزحة عن النار، ودخول الجنة بالاستمرار على الإيمان، وحسن معاملة الناس حتى الموت ،والتعبير بالزحزحة يوحي بمدى قرب الهلاك الذي نجوا منه، وقوله (فلتأته) أمر قصد به حثهم على الاستمرار، والدوام على الفعل حتى يلقوا ربهم وبين قوله ليأت وبين يوتى جناس يؤكد المعنى، ويشير إلى أن الجزاء من جنس العمل.

المضامين الدعوية[2]

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار / المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر السعدي حديث (٩٠).

(٢) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٦٦٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على حسن المعاملة:

من أنواع التربية الإسلامية التربية على حسن المعاملة التي ركز عليها النبي ﷺ، وعمل على تعميقها في نفوس الصحابة رضي الله عنهم من خلال بيان عدد من الأمور التي يحتاج إليها المسلم في تعاملاته الحياتية مع إخوانه، وما يجب أن يترفع عنه من الألفاظ التي تخالف الشرع وتنافي القيم الأخلاقية التي ينبغي الالتزام بها، ومن الشواهد على ذلك من أحاديث باب الإيذاء -باللسان واليد- ما ورد في قوله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ وَيَدِهِ، والمهاجِرُ مَن هَجرَ ما نَهى اللّهُ عنه». فهذه توجيهات تربوية نبوية ظهر منها أنه لا يليق بالمسلم " أن يكون فاحش اللسان سليط اليد، والرسول ﷺ حذر من الفحش فقال: «إياكم والفحش»[1].

والرسول كان سليم اللسان وربى أصحابه على التربية على حسن المعاملة وركز عليها فقال في حديث آخر بين فيه أن الإيمان لا يستقم إلا بسلامة اللسان: فقال: «لا يَسْتَقِيمُ إيمانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلاَ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حتى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ..»[2]، فهذا يؤكد على أهمية سلامة اللسان والحرص على ذلك والالتزام به، واجتناب الفحش وأول سبيل لسلامة اللسان التربية الصالحة والتنشئة على مكارم الأخلاق، عن طريق سلامة اللسان واليد، لأنه بسلامة اللسان واليد تحسن المعاملة، والحديث يؤكد على أهمية المعاملة الحسنة والترفع على كل ما يؤدي إلى عدم سلامة اللسان واليد، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[3].

"وسلوك المسلم وتعامله سواء أكان باللسان أو اليد ينبغي ألا يقوم إلا على منهج الله وأن الغاية من سلوكه القولي أو الفعلي اكتساب مرضاة الله، في التزامه بمكارم

---

(١) رواه أحمد ٢/١٦٠، رقم ٦٤٨٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١١/٢٦.

(٢) رواه أحمد ٣/١٩٨، رقم ١٣٠٤٨، وقال محققو المسند: ضعيف ٢٠/٣٤٣.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

الأخلاق القولية والفعلية التي أمر بها الإسلام، ورغب بفعلها مرضاة لله واجتنابه مساوئ الأخلاق التي نهى الإسلام عنها أو رغب في تركها مرضاة لله"[1].

ثانيًا: التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، وهو أسلوب تربوي وقائي يقوم على جانب التحذير من المخالفة مما يجعل له أهمية كبيرة في العملية التربوية. ولقد استخدمه ﷺ مع الصحابة رضي الله عنهم فقال ﷺ في حديث الباب: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ. وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»، فهذا توجيه تربوي هدفه الترغيب في أعمال الجنة والترهيب من أعمال النار.

إن أسلوب الترغيب والترهيب له أهمية في السنة النبوية لأنه يستجيش قلب إنسان نحو الخير، وتوجيهه لذلك، وتخوفه من الانحراف وتحذره من ذلك فيثاب المجيب على إصابته، ويعاقب المخطئ على خطئه.

وحتى يؤتي الترغيب والترهيب دوره التربوي فلابد من مراعاة العوامل الآتية:

١ - قوة الترغيب والترهيب لأنه على قدر قوة هذا السلوك يكون الخوف والرجاء.

٢ - مصدر الترغيب والترهيب، هذا السلوك لو ورد في الله ورسوله سيكون مصدر قوة من الردع، أقوى من المربي أو الوالد.

٣ - مراعاته لحاجات الناس. من أبرز عوامل نجاح الترغيب والترهيب. فلا بد أن يكون الترغيب على قدر مطالب المتربي، والترهيب يكون قويًا فإن كان أقل من مردوده، فلا يكون له تأثير عقلي[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص٥٩. أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٦٦. فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالله يوسف الأزدي، ص٧١.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، د. عماد عطية، ص١٣٠. أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٣٥.

٢٦٩- باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩].

الحديث رقم (١٥٦٩)

١٥٦٩- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبيّ ﷺ قَالَ: **((لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا (وَلاَ تَقَاطَعُوا)[1]، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ))** متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لا تدابروا: لا يُعط كل واحد منكم أخاه دُبره وقفاه فيُعرض عنه ويهجره[3].

الشرح الأدبي

الحديث ينهى عن مجموعة من الأخطاء القلبية التي تشتت المجتمع، وتشتت قلب المؤمن عن الاجتماع بربه، والرسول ﷺ يريد من المؤمن أن يكون نقي القلب طاهر النفس مشغولاً بطاعة الله لا بمشاحنة الناس لذلك جاء نهيه ﷺ عن مثل هذه الأخلاق الرديئة حفاظاً على حال الفرد والجماعة، وأولها قوله (ولا تباغضوا) نهيا

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده قبل حديث رقم (٢٥٥٩/٢٤، بدون رقم).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩/٢٣) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦٤)، وسيكرره المؤلف برقم (١٥٩٣) عن أنس أيضًا وعزاه إلى الصحيحين، وهو بلفظ الترمذي، وعندهما بنحوه، وقد تقدم بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٣٥)، وقد شرح هناك، فيحال عليه.

(٣) النهاية في (د ب ر).

يقوِّم خطأ التباغض، وهو تفاعل من البغض، وهو الكراهية التي تقطع الصلات، أيضاً ورد النهي في قوله: (ولا تحاسدوا) تقويماً لمرض نفسي خطير وتحصيناً للمؤمنين من شره؛لأن الحسد تمني زوال نعمة الغير ولا يصدر عن طهارة نفس أو سلامة قلب بل هو قرين نفس خبيثة وإنسان حقود، وقوله:(ولا تدابروا) والتدابر كناية عن صفة القطيعة والإعراض والهجران وأصل التدابر أن يعرض كل شخص عن أخيه بوجهه ويوليه ظهره فاستخدم للمتهاجرين وسمى الإعراض الذي هو لازم التدابر تدابراً كناية عن صفة الإعراض والهجر وفائدة الكناية أنه أثبتت الفعل بدليله وبينته وهي التدابر، وقوله (وكونوا عباد الله إخوانا) تتميم حيث أتبع الرسول ﷺ نواهيه بما يتمم معناها، ويضيف إليها فيما ورد في الجملة بعدها، فأكدت دلالة سابقتها وأفادت ضرورة التآخي بكل من يستوجبه هذا المعنى من اجتناب ما سبق النهي عنه من سيء الأخلاق والتخلق ما يجب وفاءً بحقوق الأخوة، وقوله : (وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ) والتعبير بالفعل المضارع المنفي بـ لا (لا يحل) اطراد للحكم مع اطراد الحياة يفيد التجدد والاستمرار كلما جد هجر جدت حرمة، وهذا أدعى لتدبر الهاجر.، وقوله (لمسلم) قيَّد الحكم بالمسلم تعريضاً بنفي الإسلام عن الهاجرين بنفي الإسلام عن المتصفين بتلك الصفة المحرمة على أهله، وتنكير كلمة (مسلم) لإفادة التعميم لأن استغراق المفرد أعم أنواع الاستغراق، وقد جاء المسند إليه مصدراً مؤولاً من الحرف المصدري والفعل المنصوب به، (أن يهجر) هي هجر، وكان من الممكن أن يكون مكانه المصدر الصريح فيقال: (هجر أخيه)؛ لأن صيغة المضارع باقية مع التأويل بالمصدر دالة في ذاتها على التجدد والحدوث، دالة على استحضار الصورة في الحال، ومعنى هذا أن يتصور المسلم كل فعل من الهجران يتجدد أمراً لا يحل.وقد جاء المفعول بلفظ مشع يضيء حوالك النفس وقت الخصومة ويكشف ظلام القلب ساعة الغضب (أخاه) والمقصود الأخوة في الصفة السابقة، صفة الإسلام التي تفضل في الرحمة والإشفاق أخوة الأصلاب؛ لأنها تجعل المؤمنين أعضاء جسد واحد يسهر ويحم جميعه بواحدٍ منها كما مر في الحديث قريباً.وقوله (فوق ثلاث ليال) اختبار العدد (ثلاث)

رعاية لحال النفس الغاضبة حتى تهدأ وتعود النفس اللوامة التي تراجع صاحبها، ولأن الهاجر غضبان والغضب يعمي العين يصم الأذن فاحتاج لفترة سكون[1] والتعبير بـ (ليال) دون أيام لأن الليالي أدعى لتوفير السكون والهدوء الذي يجعل النفوس تراجع أصحابها بعد سكون الغضب وهي السبيل للتخلص من التعب النفسي والجسدي المانع من سلامة التفكير وتدبر معاني السلوك الديني.، واستخدام الظرف (فوق) يصور الهاجر بعد هذا الحد (ثلاث ليال) متعالياً متكبراً تأخذه العزة بالإثم[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) ينظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية / صد ٣٣٥.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري٥٠.

(٣) تقدم ذكرها في شرح جزء من الحديث رقم (٢٣٥).

الحديث رقم (١٥٧٠)

١٥٧٠- وعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((تُفْتَحُ أبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ ويَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بينهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ فَيُقَالُ: انْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَينِ حَتَّى يَصْطَلِحَا[1]))

رواه مسلم[2].

وفي روايةٍ لَهُ[3]: ((تُعْرَضُ الأعْمالُ في كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وإثْنَيْنِ)) وذَكَرَ نَحْوَهُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شحناء: عداوة[4].

أنظروا: أمهلوا من الإنظار وهو التأخير والإمهال[5].

الشرح الأدبي

الحديث إلى يشير فضل يومي الاثنين، والخميس بما اختصا به من فتح أبواب الجنة، كما يحذر المتشاحنين بحرمانهم من هذا الفضل إن ظلوا على هجرهم، وقوله (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس) حقيقة؛ لأن الجنة مخلوقة الآن وفتح أبوابها ممكن أو هو بمعنى إزالة المانع، ورفع الحجب وبناء الفعل للمفعول للعلم بالفاعل (فيغفر فيهما لكل عبد لا يشرك بالله شيئا) أي ذنوبه الصغائر وتنكير (شيئا) يفيد العموم الذي يؤكد الشمول الذي أشار إليه لفظ (كل) المضاف للنكرة عبد، وقوله:

---

(١) عند مسلم ثلاث مرات.

(٢) برقم (٢٥٦٥/٣٥)، وسيأتي برقم (١٥٩٥) أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٧٦).

(٣) برقم (٢٥٦٥/٣٦).

(٤) النهاية في (ش ح ن).

(٥) النهاية (ن ظ ر).

(إلا رجل) فيه إيجاز بالحذف، وتقديره فلا يحرم أحد من الغفران إلا رجل، وقوله: (كانت بينه وبين أخيه شحناء) شحناء أي عداوة والتعبير بالشحن مبالغة في الامتلاء بالبغض لأخيه (فيقال) من قبل الله تعالى للملائكة الموكلين بكتابة من يغفر له (انظروا) أخروا، أو أمهلوا (هذين) أي لا تعطوا منها أنصباء هذين الرجلين المتعاديين (حتى) ترتفع العداوة بينهما و(يصطلحا) ولو بمراسلة عند البعد وتعليق المغفرة على الصلح ترغيب في الصلات، والسعي لإزالة أسباب البغض.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تعالى وإخلاص العبودية له سبحانه.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حث المؤمنين على إصلاح ذات بينهم والبعد عن الشحناء والخصومة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا..".

قال القاضي: قال الباجي: معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل، قال القاضي: ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن فتح أبوابها علامة لذلك[1]. وقال القرطبي: (وقد خصَّ الله تعالى هذين اليومين بفتح أبواب الجنة فيهما، وبمغفرة الله تعالى لعباده، وبأنهما تُعرض فيهما الأعمال على الله تعالى، كما جاء في الحديث. وهذه الذنوب التي تُغفر في هذين اليومين هي الصغائر. والله تعالى أعلم. كما جاء في قوله ﷺ: ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ. وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ. وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ.

---

(١) إكمال المعلم ٣٣/٨.

مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ. إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ))[1]، ومع ذلك فرحمة الله وسعت كل شيء، وفضله يعم كل ميت وحي.

وفتح أبواب الجنة في هذه اليومين محمول على ظاهره، ولا ضرورة تحوج إلى تأويله، ويكون فتحها تأهلاً، وانتظارًا من الخزنة لروح من يموت في ذينك اليومين ممن غفرت ذنوبه، أو يكون فتحها علامة للملائكة على أن الله تعالى غفر في ذينك اليومين للموحدين، والله تعالى أعلم. وهو حجة لأهل السنة على قولهم: إن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا، خلافًا للمبتدعة؛ الذين قالوا: إنهما لم تُخلقا بعد، وستخلقان. وعرض الأعمال المذكورة كما هو - والله تعالى أعلم - [2]. ففتح أبواب الجنة يومين في الأسبوع يدل على فضل الله تعالى على عباه المؤمنين وصفحه عنهم رحمة منه تعالى.

ثانيًا - من أهداف الدعوة: تعبيد الناس لله تعالى وإخلاص العبودية له سبحانه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا".

فهدف الدعوة إلى الله إفراد الله بالعبادة، وإخلاص العبودية له سبحانه، فلا يشرك معه في عبادته أحد، وهذا حقه تعالى على عباده، وبين هذا الحق رسول الله ﷺ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((بينا أنا رَدِيفُ النبي ﷺ ليس بيني وبينَه إلا آخرَةَ الرحل فقال: يا معاذُ، قلتُ: لبيكَ يا رسولَ اللّه وسعدَيك. ثم سارَ ساعةً، ثم قال: يا مُعاذ، قلتُ: لبيكَ رسول اللّهِ وسَعدَيكَ، ثم سارَ ساعة، ثم قال: يا معاذَ بن جَبل، قلتُ: لبيكَ رسولَ اللّه وسعدَيك. قال: هل تدري ما حق اللّهِ على عبادِه؟ قلتُ: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق اللّهِ على عبادِهِ أن يَعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئًا. ثم سار ساعة ثم قال: يا معاذَ بن جبل، قلت: لبيكَ رسول اللّه وسَعدَيك. قال: هل تدري ما حق العبادِ على اللّه إذا فعلوه؟ قلت: اللّه ورسوله أعلم. قال: حق العباد على اللّه أن لا يعذبَهم))[3].

فقد بيّن الرسول ﷺ أن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا:

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٢) المفهم ٥٣٩/٦، ٥٤٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٦٧، ومسلم ٣٠.

كلمة جامعة لم تترك من الدين صغيرة ولا كبيرة. فعبادته الخضوع له والتذلل. وذلك بطاعته فيما أمر ونهى، فنؤمن برسوله، ونصدق كتابه، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ونهذب نفوسنا ونصح أجسامنا بالصيام، ونحج البيت الحرام ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، ونحسن عشرة الناس، ونصدق في معاملتهم، ونخالقهم بخلق حسن، ونقف عند ما شرع الله، لانتعدى حدوده، ونجانب كل ما نهى عنه من الخبائث مما هو اعتداء على النفس أو المال أو العرض أو إضرار بالخلق، وأساس ذلك علم بكتاب الله، وبما احتواه، وهذا بتلاوته وتدبره ودراسته وتفهمه. أما توحيده وعدم الإشراك به فأن نعتقد أنه وحده صاحب الخلق والأمر. وأن من دونه لا يملك ضرًا ولانفعًا إلا ما شاء الله.

فإذا تحقق ذلك من العباد، أي إذا هم عبدوه حق عبادته وأخلصوا له الدين، وأسلموك الوجوه، وعمروا القلوب بتوحيده، وطهروها من دنس الإشراك فكان حقهم على الله ألا يعذبهم[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حث المؤمنين على إصلاح ذات بينهم والبعد عن الشحناء والخصومة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا" قال القرطبي: (ومقصود هذا الحديث التحذير من الإصرار على بغض المسلم ومقاطعته، وتحريم استدامة هجرته ومشاحنته، والأمر بمواصلته ومكارمته)[2]. فلا محيد عن وجود بعض الخصام والنزاع بين الإخوان، مما قد ينتج عنه بعض الشحناء والإحن بينهم، والموفق من الناس من جعله الله مصلحًا بين المتهاجرين أو المتخاصمين؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى. قال: صَلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ))[3].

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٨٤.

(٢) المفهم ٦/٥٤٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٥٠٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٣٧).

والشرع المطهر حريص على اجتماع الكلمة، وتوحيد الصفوف، وسلامة القلوب، وينهى عن الاختلاف والتباعد والمفارقة[١]. لذلك حث المؤمنين على إصلاح ذات بينهم، والبعد عن الشحناء والخصومة لما فيها من مضار ومساوئ.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢] وقال ﷺ: ((لا يحلُّ لرجلٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاث ليال، يَلتقيانِ فيُعرِض هذا ويُعرض هذا، وخيرُهما الذي يَبدأُ بالسلام))[٣] ويقول ﷺ: ((لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا، عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَهُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))[٤].

وفي الكتاب والسنة من الحث على هذا الأصل نصوص كثيرة تأمر بكل ما يقوي الألفة ويزيد في المحبة، ويدفع العداوة والبغضاء، وما ذاك إلا لما في الاجتماع والاتفاق من الخير الكثير، والثمرات الجليلة والبركة والقوة، ولما في ضده من ضد ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[٥] يعني تخبوا وتذهب روحكم الحقيقة ومعنويتكم النافعة، وقد جمع الله في هذه الآية الأمر بالسعي لتحصيل القوة المعنوية بالإيمان والثبات، والصبر والاجتماع وعدم التنازع والتفرق، أيها المسلمون: عليكم بلزوم ما حثكم عليه دينكم من المحبة والائتلاف، وإياكم والتفرق والاختلاف، عليكم بعمل جميع الأسباب المقربة للقلوب، وإياكم والعداوات والضغائن التي لا تكسب إلا شرًا، احذروا سماسرة الأعداء الذين يلقون بين المسلمين بذور العداوة والشقاق ويدعون أنهم مسلمون، وإنما هو غل ونفاق. المسلم هو الذي يسعى في جمع كلمة المسلمين

---

(١) كتاب الآداب، الشيخ فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ص ٣٤٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٧، ومسلم ٢٥٦٠.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٤٦.

واتفاقهم، ويحذر غاية التحذير من تدابرهم وافتراقهم، ما طمع الأعداء وتسلطوا إلا بسلاح الفرقة الفتاك، ولا استعمروا أقطاركم وسيطروا على مصالحكم إلا بعد ما انحلت معنويتكم التي هي الحصن الحصين، الواقية من الوقوع في الافتراق[1].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث رغّب رسول الله ﷺ في إفراد الله بالعبادة وعدم إشراك أحد في عبادته، وكذلك رغّب في ترك الخصومة والشحناء بين الناس، وبيّن أن ثواب ذلك، فتح أبواب الجنة لهم، وعفو الله عنهم، وصفحه، وإكرامهم بالثواب الجزيل.

وأسلوب الترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه. والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة[2].

---

(١) الرياض الناضرة، السعدي، ص ٥٨-٦٠.

(٢) انظر: مستلزمات الدعوة، علي بن صالح المرشد، ص ١٦٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اجتناب القيم السلبية:

من أهداف التربية الإسلامية اجتناب القيم السلبية التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على الصلات والعلاقات الاجتماعية، ولذا عنيت التربية الإسلامية بالنهي عن كل ما يؤثر على الروابط بين المسلمين، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر. قوله ﷺ: «لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا. وَكُونُوا. عِبَادَ اللّهِ إِخْوَانًا. وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ». فهذه توجيهات نبوية أراد النبي ﷺ تعميقها في نفوس الصحابة من خلال تعاملاتهم الحياتية مع الأخوة والهدف منها اجتناب القيم السلبية، التي يجب أن يترفع عنها الأصحاب لأنها تخالف الشرع والقيم، والإسلام يهدف إلى بناء مجتمع متماسك يعتز فيه الإنسان بعلاقته مع الآخرين على أساس الاحترام المتبادل والثقة الكاملة بين الأفراد، مما يجعله يمارس حياته بروح إيجابية ما يؤدي إلى سلبية الإنسان من حسد وقطيعة ودعا إلى ما يقوي العلاقات الاجتماعية ويوثق عرى المحبة[1].

ثانيًا: التربية بالتوجيه المباشر:

من أساليب التربية الإسلامية التوجيه المباشر، ومن الشواهد على ذلك في أحاديث باب النهي عن التباغض. قوله ﷺ وهو يوجه ويرشد أصحابه في حديث الباب قال: «...وكونوا عباد الله إخوانا....»، فهذا توجيه مباشر للصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ يحض فيه على الأخوة والتماسك، لأن تعاليم الإسلام تهدف إلى بناء مجتمع تقدم علاقات أفراده على المحبة والمودة والتآلف والرحمة والبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء التي تأتي من الهجر الطويل، ولقد أرسى النبي ﷺ دعائم الأخوة الحقة عندما أخى بيت المهاجرين والأنصار، فهذا عبدالرحمن بن عوف: أخى النبي ﷺ

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم العمري، ص٢٠٤.

بينه وبين سعد بن الربيع من الأنصار، فعرض سعد بن الربيع على عبدالرحمن بن عوف المال وعرض عليه الزواج من إحدى زوجاته فلم يرض، فهذا نموذج من الصحابة امتثلوا فيه لتوجيهاته ﷺ في قوله: «وَكُونُوا. عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» فضربوا أروع الأمثلة في الأخوة الحقة التي نأخذ منها العبرة والمثل، ولقد نهى الله تعالى عن كل ما من شانه أن يؤثر سلبًا أو يضعف الوحدة والتماسك بين المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]، فالله عز وجل رَبَّى وَوَجَّه في هذه الآية على كل ما يقوي الوحدة والتآلف[2].

ثالثًا: التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية الإسلامية الترغيب والترهيب، ولقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب في تربيته لأصحابه رضي الله عنهم نظرًا لشدة تأثيره في النفوس، ومن الشواهد التي تدل على الترغيب في أحاديث الباب قوله ﷺ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ. فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.....»، فهذا ترغيب في الجنة من خلال بيان الأيام التي تفتح فيها وتعرض هذه الأيام على الله فيها الأعمال، وهذا الأسلوب مناسب لتشجيع الإنسان وتحريك دوافعه تجاه الخير وتنشيطها لنيل ما أعده الله لعباده المؤمنين، وفائدة الترغيب أنه يكفل استقامة النشء على طريق الإيمان ويدلهم على ما يجب عليهم في هذا السبيل، وهذا مما تميزت به التربية الإسلامية، لأنها هي الأساس والعنصر الذي يقوم عليه الإصلاح في المجتمع.

ومن الأساليب المفيدة في مجال التربية: الترهيب لما له من تأثير مباشر على النفوس على اختلافها، لأن الإنسان السوي لا يرضى أن يعرض نفسه لعقاب الله، أو أن يكون سببًا في عدم الحصول على الثواب والمغفرة من الله تعالى.

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٢/١، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، العمري، ص٢٥٢، فتح الباري، ٢٧٠/٧.

قال ﷺ في حديث الباب: «... فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ. فَيُقَالُ: أَنْظُرُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

فهذا تصريح بالحرمان المؤقت من الجنة بسبب هذا الخصام والأمر في الحرمان لم يقف على ذلك بل الحرمان من المغفرة لأن الرسول ﷺ قال: «فَيغْفَرُ اللّه لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ»، والرسول ذكر الترهيب بعد الترغيب لعلمه أن الإنسان لديه القدرة على التمييز بين ما يضره وبين ما ينفعه، والرسول ذكر فائدة تربوية هنا كبيرة وهي: الاعتدال في استخدام الترغيب والترهيب وأن يوائم المربي بينهما فلا يغلب أحدهما على الآخر[1].

رابعًا: من أهداف التربية الإسلامية: إصلاح ذات البين:

من أهداف التربية الإسلامية إصلاح ذات البين، يستوحي ذلك من النواهي والأوامر الواردة في حديثي الباب: ومن الشواهد على ذلك في أحاديث الباب قوله ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ»، وقال: «فَيغْفَرُ اللّه لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئًا. إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظُرُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

فهذه توجيهات نبوية أراد النبي ﷺ منها تعميق وغرس فضيلة إصلاح ذات البين، بين الصحابة، لأن سلامة المجتمع من الخصومة والتقاطع تحقق توازنًا نفسيًا لدى الإنسان، وتعوده على حب الخير للمجتمع وتطلق عنان قوة الخير للنفس البشرية إلى أعلى قممها.

ولقد دعا الله عز وجل إلى عدم الخصام والقطعية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. وقال ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ: قالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللّه، قالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٩٣، أصول التربية الإسلامية، د. محمد عزب، ص٣٦٣، تربية الأبناء والبنات، خالد العك، ص١٨٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ»[١].

فهذه توجيهات من الله ورسوله تحث على كل ما يقوي الوحدة والتآلف بين المؤمنين وينهى عن الشقاق والهجر والفرقة، وهذا لن يحدث إلا بإزالة الشقاق والخصومة بين المسلمين[٢].

❁ ❁ ❁

(١) سنن أبي داود، ٤٩١٩، ٢١٨/٥، الترمذي في سننه، ٢٥٠٩، ٦٦٣/٤، وقال صحيح.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم العمري، ص٢٥٢، وتربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٢.

٢٧٠- باب تحريم الحسد

وَهُوَ تمني زوالُ النعمة عن صاحبها، سواءٌ كَانَتْ نعمة دينٍ أَوْ دنيا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[النساء: ٥٤] وفِيهِ حديثُ أنسٍ السابق في الباب قبلَهُ[1].

الحديث رقم (١٥٧١)

١٥٧١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: ((إيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإنَّ الحَسَدَ يَأكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ)) أَوْ قَالَ: ((العُشْبَ)). رواه أَبُو داود[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يحذر من الحسد الذي يضيع على الإنسان عمله، ويشعل قلبه، ويصرفه من شكر الله إلى الاعتراض على قضائه وقول الرسول ﷺ (إيَّاكُمْ وَالحَسَدَ) أسلوب تحذير ينبيء بخطر ينطوي عليه هذا الخلق الذميم، ويلزم المؤمن أن يتبرأ منه وأن يقاومه في نفسه برد الأمر لله تعالى في تصريف مقادير العباد، وقوله (فَإنَّ الحَسَدَ يَأكُلُ الحَسَنَاتِ) جملة تعليلية للتحذير تحمل على التسليم المبني على القناعة والتعبير بالفعل (يأكل) على سبيل الاستعارة بتشبيه الحسد بالمفترس الذي يأتي على ما يستطيع تصويرا لخطر الحسد على العمل الصالح، وقوله (كَمَا تَأكُلُ النَّارُ الحَطَبَ) تشبيه آخر مركب على الأول يشبه شدة إهلاك الحسد للحسنات بإهلاك النار للحطب وفيه إشارة إلى تمام الهلاك وسرعة الإبادة، وفي الحديث ترهيب بليغ من هذا الخلق الذميم كما يفهم منه خطر الإنسان الحسود الذي يعيش بين الناس بسيئات دون

---

(١) انظر الحديث (١٥٦٩).

(٢) برقم (٤٩٠٣)، وقال البخاري في التاريخ الكبير (٢٧٢/١): لا يصحُّ.

حسنات عذاب بلا رحمة أعاذنا الله من خلق الحسد، ومن كيد الحاسدين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على سلامة القلوب من الحسد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر الحسد على عمل الإنسان وحسناته.

رابعًا: من آداب الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً - من أساليب الدعوة: التحذير:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات...".

قال العظيم آبادي: (قوله ﷺ: "إياكم والحسد" أي: احذروا الحسد في مال أو جاه دنيوي، فإنه مذموم، بخلاف الغبطة في الأمر الأخروي "فإن الحسد يأكل الحسنات" أي يفني ويذهب طاعات الحاسد "كما تأكل النار الحطب" لأن الحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود ونحوه، فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود، فيزيد نعمة، على نعمة والحاسد حسرة على حسرة، فهو كما قال تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾[1])[2].

فأسلوب التحذير يستخدمه الداعية في تحذير المدعوين من الأشياء التي يترتب عليها الضرر لهم ولغيرهم.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على سلامة القلوب من الحسد:

هذا واضح من تحذير رسول الله ﷺ من الحسد، وذلك لأن هدف الدعوة إلى الله ألا يحسد الإنسان أخاه المسلم ويتمنى زوال ما لديه من النعم التي أنعم الله بها إليه أو إلى غيره، مالية كانت أو غيرها. فإن هذا ينافي خلق المؤمنين الذين يحبون لغيرهم ما

---

(١) سورة الحج، آية: ١١.

(٢) عون المعبود، ص ٢١١٣.

يحبون لأنفسهم، وقد نهى الله تعالى عن ذلك التمني بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1] وأمرنا بالتعوذ من شر الحاسد في قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2] والحسد مذموم وإن لم يقرن بسعي في سلب النعمة عن الغير[3].

فإذا خطر للإنسان فعليه أن يجاهده، حتى لا يمكن من نفسه، ويكون سببًا في ضرره وضرر غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[4].

فإن من أعظم نعم الله تبارك وتعالى، أن يعيش الإنسان سليم القلب مبرأ عن الحسد.

وبذلك يحيا الإنسان ناصع الصفحة، راضيًا عن الله وعن الحياة وعن العباد، ومستريح النفس من نزعات الحقد ومن نزوات الحسد.

فإن فساد القلب بالضغائن والحسد، داء خطير، ومرض عضال، وما أسرع أن يتسرب الإيمان من هذا القلب المريض.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[5].

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) سورة الفلق.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٣٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

(٥) سورة الحشر، آية: ٩.

تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

وعن عبدالله بن عمرو قيل: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ. قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لاَ إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ، وَلا غِلَّ، وَلا حَسَدَ))[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((لاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا. وَكُونُوا. عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ))[٣].

إن سلامة الصدر تفرض على المؤمن أن يتمنى الخير للناس، وإن عجز عن سوقه إليهم بيده، فإن ذلك من مكارم الأخلاق.

وسلامة الصدر فضيلة تجعل المسلم لا يضمر للناس حسدًا ولا غلاً، لأن صدره قد امتلأ حبًا وسلامة للآخرين.

ثم إن المسلم يجب أن يكون أوسع فكرًا، وأكرم عاطفة من الذين امتلأت قلوبهم حقدًا وحسدًا على غيرهم.

فإن الحسد حمل ثقيل يتعب حامله، ويحمله الجاهل في صدره فيُشقي به نفسه ويفسد به فكره، ويشغل به باله، ويقض به مضجعه، ويكثر به همه وغمه.

إن الإنسان الحاسد، يشبه من يحمل على ظهره شوكًا ملتهبًا حارًا، يكوي نفسه ويشقي حاله ويدمي ظهره.

لذلك أهاب الإسلام بالناس أن يبتعدوا عن هذا المنكر، وأن يسلكوا نهجًا أرقى وأهدأ.

إن لصاحب الصدر السليم من الحسد منزلة عالية في الدنيا والآخرة، وهذا ما رغب فيه الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أنس بن مالك قال: ((كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٢١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٦٤.

لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤيني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أن أحقر عمله، قلت يا عبد الله إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فاقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق))[1].

كما أن الإسلام حرم الحسد، وأمر الله رسوله ﷺ أن يستعيذ من شرور الحاسدين، لأن الحسد جمرة تتقد في الصدور، فتؤذي صاحبها وتؤذي الناس به.

والحسد من الرذائل الخلقية ذات النتائج النفسية والاجتماعية السيئة جدًا على الأفراد وعلى الجماعات، وهو داء فتاك إذا أصاب النفس الإنسانية أضناها وأشقاها، وجعلها مصدر أذى للآخرين، لذلك حث الإسلام على سلامة القلوب من الحسد[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: خطر الحسد على عمل الإنسان وحسناته:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٦/٣ رقم ١٢٦٩٧ وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٢٤/٢٠ - ١٢٥.

(٢) انظر: أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص، ص ١٠٥-١٠٧.

فالحسد خلق ذميم، ومسلك شائن، فهو مضر بالبدن والدين، ومن أعظم الأسباب الموجبة للفرقة والاختلاف[١].

قال بعض السلف: (الحسد أول ذنب عُصي الله به في السماء) يعني حسد إبليس آدم عليه السلام[٢].

والحسد من كبائر الذنوب ومن سمات اليهود -والعياذ بالله- كما قال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٤].

فالحسد اعتراض على قضاء الله وقدره. ولذا حذر النبي ﷺ منه وبين أنه يأكل الحسنات كما تأكل النار العشب، أو قال الحطب[٥].

والحسد من الرذائل الخلقية أيضًا، وهو من أقبح الخصال التي تصيب الإنسان وتنكد له عيشه، فإن الحسود الذي يتمنى الشقاء والنحس لغيره، يُشقي نفسه أيضًا بهذا الحسد، فهو بدلاً من أن يستمد السرور مما أوتي من خير، نراه يستمد العذاب من الخير الذي أوتيه سواه.

وعصرنا الحاضر يقوم فيه الحسد بدور خطير ذي أهمية بالغة، فالفقير يحسد الغني، والنساء يحسدن الرجال، والقبيحات يحسدن الجميلات، وهكذا مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء، فالحاسد خلقه اللؤم، ولذته الوشاية بين الناس والوقيعة والدس بينهم، فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوّه سمعته لأجل أن يحل محله، أو يجعل منه إنسانًا فاشلاً مثله، فالحسود إنسان فقد الثقة

---

(١) انظر: سوء الخلق مظاهره - أسبابه - علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٣٤، ٣٥.

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٩.

(٤) سورة النساء، آية: ٥٤.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٦٦٥.

بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته، لذلك نهى عنه الإسلام[١].

رابعًا - من آداب الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات..." فتحذير النبي ﷺ المسلمين من الحسد، وبيان أنه يأكل الحسنات، يدل على حرصه على مصلحتهم، وحرصه على بعدهم عما يضرهم.

وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية، لأن النصيحة ثمرة الإيمان، والإيمان يقتضي حب الخير للناس، والسعي بالقول والعمل قدر الاستطاعة، وبالتالي تتم الدعوة.

فحرص الداعية على خير المدعوين من شأنه أن يؤلف القلوب، ويجمع شتاتها ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية[٢].

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ٢٣٨.

(٢) انظر: النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ص ٢٢١، ٢٢٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على عدم الحسد:

"إن الحسد من أقبح الخصال التي يجدر بالقائمين على التربية والتوجيه تنقية نفس المتربي منها، والعمل على عدم تكوينها بين جنباته وفكره، والحسد هو ظاهرة اجتماعية خطيرة تؤدي حتمًا إلى أسوأ النتائج وأخطر الآثار"[1].

"فالحسود الذي يتمنى الشقاء والنحس لغيره يُشقي نفسه أيضًا بهذا الحسد، فهو بدلاً من أن يستمد السرور مما أوتي من خير نراه يستمد العذاب من الخير الذي أوتيه سواه.

وقد انتشر الحسد في هذا العصر بصورة بغيضة، فالفقير يحسد الغني، والنساء يحسدون الرجال، والقبيحات يحسدن الجميلات، وهكذا مما يجعل بعض الأمة يكره بعضها الآخر ويتمنون لهم الشقاء، فالحاسد خلقه اللؤم، ولذته الوشاية بين الناس والوقيعة والدس بينهم، فلا ينفك يدس للرجل الناجح حتى يشوه سمعته لأجل أن يحل محله، أو يجعل منه إنسانًا فاشلاً مثله، فالحسود إنسان فقد الثقة بنفسه واستشعر العجز عن تحقيق غاياته[2]، لذلك نهى النبي ﷺ -كما ورد في حديث الباب- عن الحسد وذلك في قوله: «إياكم والحسد...إلخ».

والحاسد من الناحية التربوية يستحق الرثاء والشفقة مما يلاقيه من ألم، فحرى بالقائمين على التربية والتوجيه أن يبينوا مخاطر الحسد وآفاته الخطيرة المتعلقة بالحاسد نفسه، حيث يؤدي الحسد إلى تلاشي الحسنات فضلاً عن العيشة الضنك التي يعيشها الحاسد بسبب حالة الغليان الداخلي والحسرة والمرارة التي يجدها في نفسه بسبب حسده[3].

وإذا نظرنا إلى علاج الحسد من بذور تكوينه في صورة النشء المسلم نقول: إنه قد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٤٢/١.

(٢) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ٢٣٨.

(٣) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ٢٣٨، ٢٣٩.

منهم الحسد، ولا يشعرون به، ولا يقعون فيه... لذا وجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة والتربية القويمة حتى لا يؤدي إلى مشاكل صعبة، ونتائج وخيمة، ومضاعفات نفسية أليمة.

والإسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمبادئ تربوية حكيمة لو أخذ المربون بأسبابها اليوم لنشأ الأولاد على التوادد، والإيثار، والمحبة، والصفاء.. ولأضمروا كل تعاون، وخير، وتعاطف... بالنسبة للآخرين.

وكان من أبرزها:

١ - إشعار الطفل بالمحبة:

وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعله، ويأمر أصحابه به، ويحضهم عليه، ويراقب تنفيذه هنا وهناك، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: تقبلونَ الصبيانَ فما نُقبّلهم، فقال النبيُّ ﷺ: أوَ أملك لك أن نَزعَ اللّهُ من قلبكَ الرحمة»[1].

٢ - تحقيق العدل بين الأولاد:

فمن المعروف بداهة أن المربين حين يسوون بين الأولاد في المعاملة، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم، بل يعيش الأبناء مع إخوتهم ومربيهم في تفاهم تام، ومحبة متبادلة، بل ترفرف على البيت أجنحة المودة، والإخلاص، والصفاء.....، فلا عجب أن نرى المعلم الأول، والمربي الأكبر صلوات الله وسلامه عليه، وهو يخص الآباء والمربين جميعًا على تحقيق مبدأ العدل بين الإخوة، بل كان ﷺ يستنكر كل الإنكار على الذين لا يحققون عدلاً ولا رحمة بين أولادهم، ولا يسوّون بينهم في القسمة والعطاء!!.

فعن النعمان بن البشير، أن أباه انطلق به إلى رسول الله ﷺ يحمله فقال يا رسول الله إني أشهدك أني قد نحلت النعمان كذا وكذا فقال أكل ولدك نحلت قال لا قال

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٩٩٨.

فأشهد غيري ثم قال أليس يسرك أن يكونوا في البر سواء قال بلى قال "فلا إذًا"[(١)(٢)].

وكان من أهم سُبل علاج الحسد في نفس الإنسان، "الإيمان والرضا بقضاء الله وقدره، وأخذ النفس باللوم وقهرها بالندم حتى يحب الخير لغيره، كما يحبه لنفسه، ومما يساعد على إزالة هذا المرض: ذكر الله الدائم والخشية من لقائه وحسابه، وهذا يجعل الإنسان يحرص على إنجاء نفسه من عقاب الله، فالاتصال الدائم بالله يملأ القلب بالنور، ويشرح الصدر بالخير ويخرج الإنسان من ظلمة الحسد إلى نور حب الخير لإخوانه المسلمين"[(٣)].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

"إن من الملاحظ أن طائفة من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة، ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخيرات وترك الشر، لكنهم إذا ملئت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا"[(٤)].

والرسول ﷺ الذي لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، ٩٢، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد، ٦٩).

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/٣٤٤-٣٤٦.

(٣) انظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام، الشيخ/حسن أيوب، ص٩١، نقلًا عن الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر عبدالله ناصر التركي، ٥٣٣.

(٤) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الشيخ/عبدالرحمن حبنكة، ٢٥٥، ٢٥٦.

(٥) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٥١.

٢٧١- باب النَّهي عن التجسُّس

والتَّسمُّع لكلام من يكره استماعه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾[الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[الأحزاب: ٥٨].

الحديث رقم (١٥٧٢)

١٥٧٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: **((إيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولا تحسَّسوا وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً))** [(١)].

((كَمَا أَمَرَكُمْ)) [(٢)].

((المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هاهُنَا التَّقْوَى هاهُنَا[(٣)])) وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ[(٤)] **((بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ))**[(٥)].

((إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أجْسَادِكُمْ، وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ))[(٦)].

((وأعْمَالِكُمْ)) [(٧)].

وَفِي رواية: **((لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْوَاناً))** [(٨)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٣/٢٨) واللفظ له، كلاهما من حديث مالك..

(٢) هذه الزيادة عند مسلم بعد حديث (٢٥٦٣/٣٠، بدون رقم).

(٣) عند مسلم مرّة واحدة.

(٤) عند مسلم زيادة: (ثلاث مرّات).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤/٣٢) من حديث أبي سعيد مولى عبد الله بن عامر بن كريز.

(٦) أخرجه مسلم (٢٥٦٤/٣٣) وزاد في آخره: (وأشار بأصبعه إلى صدره).

(٧) هذه الزيادة عند مسلم برقم (٢٥٦٤/٣٤).

(٨) أخرجها مسلم (٢٥٦٣/٣٠) من حديث الأعمش، عن أبي صالح.

وفي رواية: ((لاَ تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْواناً)) [١].

وَفِي رِواية: ((وَلاَ تَهَاجَرُوا[٢] وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ)) [٣]. رواه مسلم[٤] بكلّ هذهِ الروايات، وروى البخاريُّ أكْثَرَهَا[٥].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولا تحسَّسوا: التحسس الاستماع لحديث القوم[٦].

ولا تجسسوا: التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل: البحث عن العورات، وقيل التجسس أن يطلبه لغيره، والتحسس أن يطلبه لنفسه، وقيل التجسس والتحسس بمعنى واحد تطلب معرفة الأخبار[٧].

ولا تنافسوا: الرغبة في الشيء، وفي الانفراد به[٨].

لا تدابروا: لا يُعط كلُّ واحد منكم أخاه دُبره وقفاه فيُعرض عنه ويهجره[٩].

لا تناجشوا: من النجش، وهو الزيادة في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، ولكن ليغرر بغيره ليشتريها بالثمن المرتفع[١٠].

---

(١) أخرجها مسلم بعد حديث (٢٥٦٣/٣٠، بدون رقم) من حديث شعبة، عن الأعمش، وزاد في آخره: (كما أمركم الله).

(٢) عند مسلم زيادة: (ولا تدابروا، ولا تحسسوا) أسقطها المؤلف.

(٣) أخرجها مسلم (٢٥٦٣/٢٩) من حديث عبد العزيز، عن العلاء، وزاد في آخره: (وكونوا عبد الله إخوانا).

(٤) وانظر ما تقدم برقم ٢٣٥.

(٥) نقله المؤلف بهذه الصورة عن الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/٢٢٨ – ٢٣٠، رقم ٢٤٨٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٥١) أربع قطع منه.

(٦) النهاية في (ح س س).

(٧) النهاية في (ج س س).

(٨) النهاية في (ن ف س)، شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٣٧.

(٩) النهاية في (د ب ر).

(١٠) انظر: معجم لغة الفقهاء ٤٤٥.

لا تهاجروا: والمراد النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام، وفي رواية ولا تهجروا بمعنى: لا تتكلموا بالهُجْر، وهو الكلام القبيح[١].

لا يخذله: من الخذل وهو ترك الإغاثة والنصرة[٢].

لا يحقره: لا يستهين به ولا يستصغره[٣].

الشرح الأدبي

تناول الرسول ﷺ بالتقويم في هذا الحديث برواياته المختلفة عدة أخطاء من شأنها - إن تركت - أن تنزع الثقة بين أفراد المجتمع وتبعث الريبة وتنمي الحقد والحسد والكراهية مما يفتت أمن المجتمع ويوهن قوته التي تتمثل في قوة أفراد وتماسكهم وترابطهم، كذلك تناول بالبيان علاقة المسلم بأخيه، وواجبه نحوه وأن يكون عند حسن ظنه فلا يخذله ولا يتكبر عليه، أيضاً بين الحديث برواياته، وأكد حرمة المسلم وما يتعلق به، ثم تطرق إلى قضية الإخلاص وثمَّن غالياً نقاء السريرة ورفع قيمة التقوى حتى جعلها محل نظر الله في مقرها بالقلب لا بالظواهر، وقد استخدم لبيان هذه المعاني كثيراً من الألوان البلاغية في دقة وتناسق يشهدان بالعبقرية والتفرد منها:

١- بداية الحديث الأول بأسلوب التحذير حيث صدَّر بلفظ (إياكم) تعجيلاً بالإنذار، وإعلاناً لخطورة الخبر الأمر ولهذه اللفظة (إياك) ما ليس لغيرها من الإثارة والتنبيه واللفت والإيقاظ لما تعورف عليه في استعمالها في اللغة من كونها تتصدر الأمور الخطيرة والتي يتوقع من جهتها مكروه، والتعجيل بالإنذار المفهوم من هذه الصيغة مستفاد من بنائها على الإيجاز بحذف الفعل، والفاعل، لتكون علماً بذاتها على الخطر والمحذر منه هو الظن الذي علل له بقوله: (فإن الظن أكذب الحديث) حيث ربط

---

(١) شرح مسلم، النووي ١٥٧٣.

(٢) النهاية في (خ ذ ل).

(٣) المعجم الوسيط في (ح ق ر).

التحذير بما بعده بفاء السببية للإقناع ببيان العلة، فإذا علمنا أن بين الفاء والعلة حرف التوكيد (إن) رأينا جزماً بهذه العلة يقررها في الذهن وينفي عندها أي شك يمكن أن يحوم حولها، ولتأخذ طريقها في النفس دون عقبات أو اعتراضات[١].

٢- أساليب التوكيد ففي قوله: (فإن الظن أكذب الحديث) أكد الجملة بـ (إن) - كما ذكرنا سابقاً - مع اسمية الجملة ولعله تنزل المخاطبين منزلة المترددين لما رأي من استهانة الناس بخطر الظن؛ ولذلك نجد الرسول ﷺ يستخدم أفعل التفضيل (أكذب) مبالغة في ذم الظن الذي لا يعتمد على سند فإن قيل الكذب من صفات الأقوال، والظن عمل نفسي يجاب بأن المراد به هنا عدم مطابقته للواقع سواء كان قولاً أم فعلاً[٢].

١- أسلوب النهي وقد ورد في عدة مواضع تقويماً لأخطاء متفرقة لا ينبغي أن يتلبس بها المسلم ومنها قوله (ولا تجسسوا) والتجسس تعرف الشيء من طريق الجس أي الاختبار باليد، والتجسس تعرفه من طريق الحواس ثم استعملا في البحث عن العورات وعيوب الناس[٣] والرسول ﷺ يريد من المؤمن أن يكون نقي القلب طاهر النفس مشغولاً بطاعة الله لا بعورات الناس لذلك جاء نهيه ﷺ عن مثل هذه الأمور حفاظاً على حال الفرد، والجماعة، كماً ورد النهي في قوله: (ولا تحاسدوا) تقويماً لمرض نفسي خطير وتحصيناً للمؤمنين من شره لأن الحسد تمني زوال نعمة الغير ولا يصدر عن طهارة نفس أو سلامة قلب بل هو قرين نفس خبيثة وإنسان حقود، وقوله: (ولا تناجشوا) هو تفاعل من النجش قال أبو عبيدة: هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكن ليسمعه غيره فيزيد، والنجش في الحديث إذاعته، واستخراج الشيء والبحث عنه[٤]. وعلى ذلك فنهى الرسول ﷺ عن التناجش من باب تطهير المجتمع من

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ١٦٥.

(٢) انظر: عمدة القاري ١٥/ ٢١٨.

(٣) انظر: عمدة القاري ١٥ ٢١٨.

(٤) لسان العرب، لابن منظور ٦/ ٤٣٥٣، مادة "نجش".

كل ما من شأنه أن يحدث الشقاق والخصام المؤدى إلى القطيعة؛ لأن النجش بهذه المعاني لا يخلو من الخداع والمخاتلة، التي توغل الصدور وتنمى الكراهية بين المتناجشين، ومن ثم ورد نهي الرسول ﷺ عن هذا الفعل نهياً صريحاً معطوفاً على ما قبله وهو جملة:(ولا تحاسدوا) بالواو المؤذنة بالمغايرة مع تكرار حرف النهى(لا) مع جملة (ولا تناجشوا) إشارة إلى استقلالية كلٍ منهما بحكم النهي ولاختلاف الفعلين إذ الأول (الحسد) من أفعال القلوب، والثاني (التناجش) من أفعال الجوارح.، وهو بهذا النهي ينقى المجتمع المسلم من تبعات الخديعة إذا فسرنا التناجش بمعنى أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها خداعاً لغيره.، وورد في قوله: (ولا تباغضوا ولا تدابروا) والتدابر كناية عن صفة القطيعة والإعراض والهجران وأصل التدابر أن يعرض كل شخص عن أخيه بوجهه ويوليه ظهره فاستخدم للمتهاجرين وسمى الإعراض الذي هو لازم التدابر تدابراً كناية عن صفة الإعراض والهجر وفائدة الكناية أنه أثبتت الفعل بدليله وبينته وهي التدابر.

والمتأمل لهذه النواهي المتتابعة وسر عطفها بالواو على بعضها يجد أنها متصلة من عدة وجوه:

(أ) كونها مشتركة في صفة سوء الخلق ولا تجتمع إلا في موصوف سيئ الملكة.

(ب) كون كل صفة من هذه الصفات تؤدي إلى ما بعدها فالظن السيئ المنهي عنه ضمنياً بأسلوب التحذير يؤدي إلى التجسس والتجسس يؤدي إلى التحسس وكلاهما يؤدي إلى التباغض والتباغض يؤدي إلى التدابر الذي هو الهجر والإعراض والقطيعة التي يحاربها الرسول ﷺ بكل صورها.

(جـ) اتفاق هذه النواهي في الأسلوب وزمن الفعل الخاص (الماضي) علاوة على الاتفاق في المسند إليه مما حسَّن الوصل بينها.

(د) يفهم من النهي عن هذه الصفات السيئة الأمر بالتخلق بأضدادها فالرسول ﷺ إذ ينهى عن سوء الظن والتجسس والقطيعة بأمر ضمناً بحسن الظن وبناء الثقة والتواصل والتراحم.

٤- أسلوب الأمر وهو من الأساليب البلاغية التي استخدمها الرسول ﷺ لتقويم الأخطاء وقد ورد الأمر في قوله ﷺ (وكونوا عباد الله إخواناً) وأمر الرسول ﷺ بالكينونة أمر ندب واستحباب أي كونوا كأخوة النسب والغرض من هذا الأمر أن يكون الشعور بين المسلمين كالشعور بين أفراد الأسرة الواحدة يسعى كل فرد لتحقيق مصلحة أخيه ودفع الضر عنه.

تجد هذا الشعور الحنون متطابقاً عملياً في نسق وتركيب العبارة النبوية (وكونوا عباد الله إخواناً) فالأمر دعوة خير للترابط والاتحاد و(واو) الجماعة شاهدة بذلك ثم حذف أداة النداء من هذا النداء الحنون إيذاناً بالقرب وإمعاناً في التقرب لدرجة لا يحتاج معها لمد الصوت وكأنه إذ يحدث صحابته من حوله، وإخوانه من بعده - يحدث نفسه حباً وكرامة، ثم إن هذا النداء نداء تكريم وتشريف يدلك على ذلك إضافة العباد لله بعد التعبير بلفظ العباد دون لفظ العبيد والإضافة مع دلالتها على التكريم والتشريف تنادي بضرورة رعاية حق العبودية من اجتناب للنواهي وتنفيذ للأوامر كما أمر رسول المعبود.

٥- المجاز المرسل وقد ورد في إطار تقويم الخطأ ببيان مدى قبح الظن وذلك في قوله: (فإن الظن أكذب الحديث) فالظن وهو عمل سيء عبر عنه الرسول ﷺ بأنه أكذب الحديث والحديث قول فقد أطلق السبب وهو الظن وأراد المسبب وهو الحديث الكاذب الناتج عن سوء الظن على سبيل المجاز المرسل بعلاقة السببية.

٦- استخدام أسلوب النقي بياناً لأخلاق يجب أن يتبرأ منها المسلم وذلك في قوله: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره) وجاءت هذه الأفعال منفية على سبيل الإخبار بالنهي عن هذه الأفعال التي تنافي الأخوة وتأثر سلباً على العلاقات بين المسلمين لأنها من دواعي القطيعة والعداوة والبغضاء.

٧- أساليب الفصل والوصل وهي من الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ في تقرير المعاني التي أرادها في تقويم هذه الأخطاء على وجه ينبئ عن اتصال المعاني في نفسه وبثها إلى المخاطب بنفس الاتصال وفي حال الفصل بين الجمل قررت استقلالية

الحكم إشارة لأهمية الخبر وتنوع القضايا والأخطاء المتناولة بالتقويم واختلاف أساليبها تبعاً لذلك.

فقد وصل بين الجمل في قوله: (ولا تجسسوا، ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً) لوجود المناسبة التامة مع نوع من التغاير في المني عنه حقق المغايرة التي تقتضي العطف بالواو، وكذا في عطف الجمل في قوله (لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره)، أما الفصل فقد فصل جملة (المسلم أخو المسلم) عن التي قبلها وهي جملة (كونوا عباد الله إخوانا) فلأن بين الجملتين تبايناً تاماً لأن الأولى إنشائية لفظاً ومعنى، والثانية خبرية لفظاً ومعنى، وهو ما يسمى بكمال الانقطاع بلا إيهام.

أما الفصل بين جملة (بحسب امرئ من الشر أن يحقر) عن التي قبلها وهي قوله (ولا يحقره...) فلكمال الاتصال لأن الثانية نزلت من الأولى منزلة التوكيد المعنوي لأن جملة(بحسب امرئ. ..) في مضمونها النهي والتحذير عن احتقار المسلم لأخيه لكونه شراً عظيماً ومقتضى النفي في الجملة (ولا يحقره) كونه شراً أيضاً ولذلك نفاه الرسول ﷺ عن الأخلاق التي يجب أن يتصف بها المسلم وبذلك صارت كالتوكيد المعنوي لها أن يتصف بها المسلم وبذلك صارت كالتوكيد المعنوي لها مما اقتضى ترك العطف بالواو ولقوة الصلة المؤذنة بهذا الترك.

وفصل بين جملة (كل المسلم على المسلم حرام) عن الجملة (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه) لتنزيل الثانية من الأولى منزلة الجواب عن سؤال اقتضته الأولى؛ كأنه لما قال: (بحسب امرئ من الشر. ..) نتج سؤال مفاده: لماذا كان احتقار المسلم أخيه بهذه المثابة من الهلكة، فجاءت الثانية إجابة عليه، لأن كل المسلم على المسلم حرام) وهو ما يسمى بالفصل لشبه كمال الاتصال. (وتنزيل السؤال بفحواه منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة؛ إما لتنبيه السامع على موقع، أو لإغنائه أن يسأل، أو لئلا يسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامه بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو

تقدير السؤال)[1] وتقدير السؤال هنا لتنبيه السامع إلى خطر احتقار أخيه المسلم مع وفرة من إيجازه واستمرارية للكلام حتى بلوغ المعنى المقصود وتقريره.

وفصل بين جملة (كل المسلم على المسلم حرام) والتي بعدها وهي قوله: (دمه وماله وعرضه) لنزول الثانية منزلة البدل من المبدل منه من الأولى، وهي إحدى صور الفصل لكمال الاتصال، وفصل بين جملة: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم) والتي قبلها وهي جملة: (دمه وماله وعرضه) لفقدان الجهة الجامعة بينهما والتي تسوغ العطف وهو ما يسمى بالفصل لكمال الانقطاع، وهو نفس المسوغ لفصل جملة (التقوى ههنا) عن جملة (إن الله لا ينظر إلى صوركم)، أما فصل الجملتين المكررتين (التقوى ههنا) كل منهما عن التي قبلها فلنزول كل منهما من التي قبلها منزلة التوكيد اللفظي وهو إحدى صور الفصل لكمال الاتصال المؤذن بقوة الصلة.

٨- التتميم حيث أتبع الرسول ﷺ نواهيه بما يتمم معناها ويضيف إليها في قوله بعدها: (وكونوا عباد الله إخوانا) فأكدت دلالة سابقتها وأفادت ضرورة التآخي بكل من يستوجبه هذا المعنى من اجتناب ما سبق النهي عنه من سيء الأخلاق والتخلق ما يجب وفاءً بحقوق الأخوة.

٩- مراعاة النظير ويسمى التناسب والتوفيق وهو الجمع بين أمر وما يناسبه وقد ورد في الحديث مستدعى من المعنى ينتقل بين جزئياته انتقالاً يسيراً صعوداً في الموضوع والبيان كدرجات السلم. فهناك مراعاة النظير بين (الظن والتجسس والتحسس، والتحاسد والتدابر، والتباغض فهذه الأمور مع اقترانها في الذهن واندراجها في سلك الأخلاق السيئة الذي يجمعها جميعاً تعتبر كمقدمات لنتيجة هي القطيعة بين أفراد المجتمع المسلم ومن ثم نظمها الرسول ﷺ في سلك النهي جميعاً.

١٠- التفصيل بعد الإجمال ففي قوله: (المسلم أخو المسلم) إجمال فصَّله بقوله: (لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) وهو من وسائل التشويق والإثارة مع ما يحققه من تأكيد المعنى ويثبته بذكره مجملاً ثم تفصيله.

---

(١) مفتاح العلوم، للسكاكي ص ٢٥٢.

١١- ذكر الخاص بعد العام حيث ذكر في قوله (دمه، وماله، وعرضه) هذه الثلاثة خاصة فيما يتعلق بحرمات المسلم بعد أن حرَّم كل ما يتعلق به في قوله: (كل المسلم على المسلم حرام) عناية بهذه الأمور وتنبيهاً على عظم جرم انتهاكها.

١٢- حسن التقسيم في قوله: (دمه وماله وعرضه) بعد قوله: (كل المسلم على المسلم حرام) حيث استوفى أقسام المحرم ولم يترك منها شيئاً حيث أن أكثر ما يتعلق بالمسلم يندرج تحت هذه الأقسام.

١٣- المقابلة التي تؤكد المعنى وتقرره ففي قوله: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم) مقابلة لقوله: (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) حيث قابل بين الأجساد والقلوب وبين الصور والأعمال وهذه المقابلة تؤكد أن القلب الطاهر والعمل الخالص هما موضع نظر الرب ومنزل رحمته وأن الصور والهيئات دونها لا وزن لها.

وهذه المقابلة في إطار تقويم الخطأ يجعل كل مخاطب يبحث في نفسه ويحاول تطهير قلبه وإخلاص عمله لعله أن يحظى بنظر ربه.

١٤-الجناس وهو في قوله: (لا تجسسوا ،ولا تجسسوا وهو جناس ناقص حيث اختلفت اللفظتين في المعنى واتفقتا في أكثر حروفهما، وهذا الجناس في إطار تقويم الخطأ يحدث نوعاً من اجتذاب السمع والتنبيه مع تأكيد المعاني حيث أن السامع بادئ الأمر يظن أنه تكرار للكلمة نفسها وسرعان ما يتنبه إلى اختلافهما مما يثبت معنى الأولى ويؤكد الثانية، قال أبو موسى: (إنما استحسن لأن الكلمة الثانية لما كانت في صورة الكلمة الأولى توهم المخاطب أن القائل لم يزده بها فائدة فإذا رجع وأدرك معناها المغاير كان يكون قد حصل على الفائدة من غير أن يتوقعها، وجدها حيث لا يرجو وجودها وكانت كالنعمة المفاجئة. .. وهذه الحالة النفسية التي يحدثها الجناس عند من تخاطبه هي فائدته وهي وجه حسنه)[1].

١٥- السجع المطبوع (وهو موالاة الكلام على وزن واحد)[2] أو تواطؤ الفاصلتين من

---

(١) مدخل إلى كتابي عبد القاهر، د. محمد محمد أبو موسى ص ١٢١.

(٢) إعجاز القرآن، للقاضي: أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ت ٤٠٣هـ، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح ابن محمد بن عويضة ص ٤٨.

النثر على حرف واحد[١] وهو معنى قول السكاكي: (وورد في الحديث عفوياً خدمة للمعنى في قوله (ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا) حيث اتفقت الجمل الأربع في تواطؤ فواصلها وكذلك قوله (لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) وهو في إطار خدمة المعاني وتقويم الأخطاء يحقق الخفة على السمعة واللذة في النطق وتيسير الحفظ وسهولة نقله وتبليغه.

١٦- التكرار اللفظي لقوله (التقوى ههنا) وهذا التكرار مع ما سبق يؤكد المعنى ويقرره ويصعِّد الشعور به ويضمن له الثبوت والدوام والتكرار من وسائل التشويق والتنبيه إلى مواضع العناية والتأكيد على أن مركز صلاح الإنسان في قلبه حيث تستقر التقوى فترتفع به عن مستوى الشهوات، والشبهات وتطهر قلبه من أمراض النفس التي سبق ذكرها في الحديث وغيرها، ولا ننسى - إذ ننسى - دور الإشارة الحسية التي أكدت المعنى تأكيداً حسياً يدرك بالبصر المصاحب للقول المدرك بالسمع حيث أشار إلى صدره لحظة قوله: (التقوى ههنا) نضيف إلى ذلك الظرف المقيد للمكان المسبوق بهاء التنبيه متغلغلة بالتقوى في بواطن القلوب كتغلغل هاءات الرسول الست خارجة من أعماق صدره هاء إشارة وتنبيه وهاء ظرف خرجتا لفظاً من أقصى حلقه وخرجتا معنى من أعماق قلبه[٢].

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- اشتمل الحديث على أمور نهى عنها الشارع وهي الظن، والتحسس والتجسس والتنافس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر وغيرها[٣].

٢- في الحديث إخبار بتحريم الدماء، والأموال، والأعراض وهو معلوم من الشرع علماً قطعياً[٤].

---

(١) التبيان في علم المعاني والبيان والبديع للطيبي ص٥٠٢.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري، ٥٠.

(٣) انظر: سبل السلام ٩٧٢ – ٩٧٣ ط بيت الأفكار الدولية.

(٤) سبل السلام ٩٧٣ ط بيت الأفكار.

٣- حكم البيع على بيع الغير: أجمع الفقهاء[١] على تحريم البيع على بيع أخيه، والشراء على شرائه، والسوم على سومه فلو خالف فهو عاصٍ، ولكنهم اختلفوا في صحة العقد إذا وقع. فذهب جمهور الفقهاء الحنفية، ورواية للإمام مالك، والشافعية إلى صحة البيع، لأن النهي وارد على أمر خارج عن العقد[٢].

وذهب الإمام مالك في رواية[٣] والحنابلة وداود وأصحابه إلى بطلان البيع لأنه منهي عنه والنهي يقتضي الفساد[٤].

الراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سوء الظن.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التنافس في الدنيا.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التهاجر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: نشر التوادّ والتحاب بين المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: النهي عن سوء الظن:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"، قال

---

(١) بدائع الصنائع ٢٣٢/٥، الجوهرة النيرة ٢٠٦/١، المنتقى شرح الموطأ ١٠٠/٥-١٠١، بداية المجتهد ١٣٣/٢، مغني المحتاج ٣٩٠/٢-٣٩١، حاشية الجمل ٨٩/٣-٩٠، المغني ١٤٩/٤-١٥٠، مطالب أولي النهى ٥٥/٣، شرح صحيح مسلم ١٥٩/١٠.

(٢) بدائع الصنائع ٢٣٢/٥، الجوهرة النيرة ٢٠٦/١، المنتقى شرح الموطأ ١٠٠/٥، ١٠١، بداية المجتهد ١٣٣/٢، مغني المحتاج ٢٨٠/٢، حاشية الجمل ٨٥/٣.

(٣) أنكر ابن الماجشون ذلك في البيع وقال إنما قال ذلك مالك في النكاح، بداية المجتهد ١٣٣/٢.

(٤) بداية المجتهد ١٣٣/٢، المنتقى ١٠٠/٥، ١٠١، المغني ١٤٩/٤-١٥٠، مطالب أولي النهى ٥٥/٣.

(٥) تقدمت معظم روايات هذا الحديث في الأحاديث رقم (٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥) وفيه بعض الزيادات التي يمكن شرحها دعويًا على النحو الوارد في المضامين المذكورة بعاليه.

النووي: "المراد: النهي عن ظن السوء، قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس، فإن ذلك لا يملك، ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر. فإن هذا لا يكلف به كما في حديث "تجاوز الله تعالى عمّا تحدثت به الأمة ما لم تتكلم أو تعمد"[(١)(٢)].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محلّه، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً فليتجنب كثير منه احتياطاً. وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً"[(٤)(٥)].

وقال أبو عبدالله القرطبي: "قال علماؤنا: فالظن هنا وفي الآية هو التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا: "ولا تجسسوا"، وذلك أنه قد يقع له خاطر التهمة ابتداءً، فيريد أن يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه، ويتبصر ويتسمع ليحقق ما وقع له من تلك التهمة، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك[(٦)].

وإن شئت قلت: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عمّا سواها: أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر، كان حراماً واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأُونست منه الأمانة في الظاهر، فظّن الفساد به والخيانة محرّم، بخلاف من اشتهره الناس تبعاً في الريب والمجاهرة بالخبائث.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤ ومسلم ١٢٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إن الله تجاوز لأمتي عمّا وسوست أو حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم" هذا لفظ للبخاري.

(٢) شرح مسلم مج٨/ج١٦/١٢٠ ط دار عالم الكتب.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) ذكره ابن عبدالبر في التمهيد ٢٢/١٠٩ موسوعة شروح الموطأ.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٣/٥٥، ط دار عالم الكتب.

(٦) هذا كلام شيخه أبي العباس القرطبي في المفهم ٦/٥٣٤.

وعن النبي ﷺ: "إن الله حرّم من المسلم دمه وعرضه، وأن يظن به ظن السوء"[١].

وعن الحسن: كنا في زمنٍ الظَّنُ بالناسِ فيه حرام، وأنت اليوم اعمل واسكُت وظن في الناس ما شئت أهـ.

وللظن حالتان: حالة تعرف وتَقْوَى بوجه من وجوه الأدلة، فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبينة على غلبة الظن، كالقياس وخبر الواحد، وغير ذلك من قيم المتلفات وأرُوش الجنايات.

والحالة الثانية: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة، فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به، وهو المنهي عنه على ما قررناه آنفاً"[٢].

وقال عبدالله البسام: "الظن هو ما يخطر بالنفس من تجويز الأمور المحتملة للصحة والبطلان، فيحكم بهذا الظن الذي لم يُبْن على قرائن قوية وأمارات صحيحة، ويعتمد عليه ويجرى عليه أحكام الحقائق الواقعة، وهذا هو الذي حذر منه هذا الحديث الشريف - إياكم والظن - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٣]. قال المفسرون: هو أن يظن بأهل الخير سوءاً، فالظن القبيح عمن ظاهره الخير لا يجوز، وهو المراد بقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وإنما كان الظن أكذب الحديث لأن الكذب مخالفة الواقع من غير استناد إلى أمارة"[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه:

ذلك واضح من قوله ﷺ: "ولا تحسسوا ولا تجسسوا"، قال ابن كثير: "التجسس غالباً يطلق في الشر، ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالباً في الخير، كما

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٩٣٢ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك. ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه وأن نظن به إلا خيراً"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٢٤٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٣٩٦-٣٩٨، ط الرسالة.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .

(٤) توضيح الأحكام، ٦/٣١٨.

قال تعالى إخباراً عن يعقوب أنه قال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾[1]. وقد يستعمل كل منهما في الشر، كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا"[2].

وقال النووي: "قال بعض العلماء: التحسس بالحاء: الاستماع لحديث القوم، وبالجيم البحث عن العورات، وقيل بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور. وأكثر ما يقال في الشر والجاسوس: صاحب سرّ الشر. والناموس: صاحب سرّ الخير. وقيل بالجيم: أن تطلبه لغيرك. وبالحاء: أن تطلبه لنفسك. قاله ثعلب. وقيل: هما بمعنى وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال"[3]. وقال ابن عبدالبر: "هما لفظتان معناهما واحد، وهو البحث والتطلب لمعايب الناس ومساوئهم إذا غابت واستترت"[4].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[5]. قال أبو عبدالله القرطبي: "ومعنى الآية: خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عورات المسلمين، أي لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه حتى يطلع عليه بعد أن ستره الله"[6].

لذا فإن "التجسس على المسلمين في الأصل حرام منهي عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾؛ لأن فيه تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه"[7]. وقد قال ﷺ: "يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهم، فإنه من اتَّبَعَ عوراتِهم يَتَّبِع الله عَوْرَتَه، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"[8].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٥٨/١٣، ط دار عالم الكتب.

(٣) شرح صحيح مسلم مج٨/ج١٦/١٢٠-١٢١، ط دار عالم الكتب، وانظر تفسير القرطبي ٣٩٩/١٩.

(٤) التمهيد ١١٠/٢٢ موسوعة شروح الموطأ.

(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .

(٦) تفسير القرطبي ٣٩٩/١٩.

(٧) الموسوعة الفقهية ١٦٢/١٠.

(٨) أخرجه أبو داود ٤٨٨٠، وصححه الألباني، وصحيح سنن أبي داود ٤٠٨٣.

قال عبدالرحمن بن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت، بَابُه مجاف على قوم، لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شَرْب[1]، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم[2].

وقال أبو قلابة: حُدِّث عمر بن الخطاب أن أبا مِحْجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو مِحْجن: إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر وتركه[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التنافس في الدنيا:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ولا تنافسوا" قال النووي: "أما المنافسة والتنافس فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به، ونافسته منافسة: إذا رغبت فيما رغب فيه. وقيل: معنى الحديث: التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها"[4].

وقال ابن عبدالبر: "المراد التنافس في الدنيا، ومعناه: طلب الظهور فيها على أصحابها، والتكبر عليهم، ومنافستهم في رئاستهم، والبغي عليهم، وحسدهم على ما آتاهم الله منها. وأما التنافس والحسد على الخير وطرق البّر فليس من هذا في شيء"[5].

وإنما حذّر النبي ﷺ من التنافس في الدنيا لأنها قد تجر إلى الهلاك في الدين، فقال ﷺ: "فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم"[6].

---

(١) الشرْب بفتح الشين: القوم يشربون، القاموس المحيط في (ش ر ب).

(٢) أخرجه عبدالرزاق ١٨٩٤٣، والحاكم ٣٧٧/٤ والبيهقي ٣٣٣/٨، وصححه الحاكم.

(٣) أخرجه عبدالرزاق ١٨٩٤٤.

(٤) شرح مسلم مج١٢١/١٦/٨ ط دار عالم الكتب.

(٥) التمهيد ١١٢/٢٢ موسوعة شروح الموطأ.

(٦) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٢٩٦١.

قال ابن حجر: "فيه أن المنافسة في الدنيا قد تجر إلى هلاك الدين"[١].

وقال ابن حجر كذلك: "التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه.... والمال مرغوب فيه، فترتاح النفس لطلبه، فتمنع منه، فتقع العداوة المفضية إلى الهلاك"[٢].

وقال ﷺ: "تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض"[٣].

قال النووي: "قال العلماء: التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد"[٤].

وقال ابن حجر: "وفيه إشارة إلى أن كلّ خصلة من المذكورات مسبَّبة عن التي قبلها"[٥].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التهاجر:

ذلك واضح من قوله ﷺ: "ولا تهاجروا"

قال النووي: "قوله: "لا تهجَّرو" كذا هو في معظم النسخ، وفي بعضها "تهاجروا" وهما بمعنى، والمراد: النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام.

وقيل: يجوز أن يكون "لا تهاجروا" أي لا تتكلموا بالهُجْر بضم الهاء، وهو الكلام القبيح"[٦].

قلت: إذا كان المعنى النهي عن الهجرة ومقاطعة الكلام فسيأتي ذلك مفصلاً في باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور أو تظاهر بفسق أو نحو ذلك.

---

(١) فتح الباري ١٤٩٣/٢ ط بيت الأفكار شرح الحديث ٣١٥٨.

(٢) فتح الباري ٢٨١٧/٣ ط بيت الأفكار شرح الحديث ٦٤٢٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٦٢.

(٤) شرح مسلم مج٩/١٨/٩٢-٩٣ ط دار عالم الكتب.

(٥) فتح الباري ١٤٩٣/٢ ط بيت الأفكار الدولية، شرح الحديث ٣١٥٨.

(٦) شرح صحيح مسلم مج٩/ج١٨/١٢١ ط دار عالم الكتب.

وإمّا إذا كان المعنى النهي عن الكلام القبيح فقد تقدم في باب تحريم لعن إنسان بعينه أو دابّة، كما سيأتي في باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان.

خامساً- من موضوعات الدعوة: نشر التوادّ والتحاب بين المدعوين:

هذا واضح من الحديث برواياته، قال ابن عبدالبر: "لا يحلّ التباغض، لأن التباغض مفسدة للدين حالقة له، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بالتوادّ والتحابّ حتى قال: "تهادوا تحابوا"[1].

وروى مالك[2] عن يحيى بن سعد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: "ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال صلاح ذات البين، إياكم والبغضة فإنها هي الحالقة، وكذلك لا يحلّ التدابر، والتدابر الإعراض وترك الكلام والسلام ونحو هذا. وإنما قيل للإعراض: تدابر، لأن من أبغضته أعرضت عنه، ومن أعرضت عنه وليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك. ومن أحببته أقبلت عليه وواجهته لتسرّه ويسرّك، فمعنى تدابروا وتقاطعوا وتباغضوا معنى متداخل متقارب، كالمعنى الواحد في الندب إلى التواخي والتحابّ، فبذلك أمر رسول الله ﷺ في معنى هذا الحديث وغيره، وأمرُ رسول الله ﷺ على الوجوب، حتى يأتي دليل يخرجه إلى معنى الندب"[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وإسناده حسن قاله الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٣/٧٠.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ١٧٤١ موسوعة شروح الموطأ.

(٣) التمهيد ٢٢/٩٧-٩٨ موسوعة شروح الموطأ.

الحديث رقم (١٥٧٣)

١٥٧٣- وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: ((إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ: كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ)). حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

غريب الألفاظ:

عورات: جمع عورة، وهي كل ما يستحي منه الإنسان إذا ظهر[2].

الشرح الأدبي

قول معاوية رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يؤكد الخبر لأنه تلقّاه من فم الرسول ﷺ مباشرة دون واسطة، وقول الرسول ﷺ (إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ) أسلوب خبري مؤكد تعظيما له تلاه أسلوب الشرط الذي يربط تتبع عورات الناس بإفسادهم يوجد بوجوده، وينتفي بانتفائه، والتعبير بالتتبع يوحي بالتخفي، والتستر، والريبة، والعورات جمع عورة قال الطيبي العورة سوأة الإنسان وأصلها من العار وذلك كناية لما يلحق في ظهوره من عار المذمة ويستحى منه إذا ظهر ولذلك سمى النساء عورة ومن ذلك العوراء للكلمة القبيحة) وإضافة العورات للمسلمين تزيد التنفير من الفعل لأنهم أولى بالستر والحفظ من غيرهم وقوله (أفسدتهم) جواب الشرط أي أوقعتهم في الفساد (أو كدت) أي قاربت أن (تفسدهم) لوقوع بعضهم في بعض بنحو غيبة أو لحصول تهمة لا أصل لها أو هتك عرض ذوي الهيئات المأمور بإقالة عثراتهم وقد يترتب على التفتيش من المفاسد ما يربو على تلك المفسدة التي يراد إزالتها والحاصل أن الشارع ناظر إلى الستر مهما أمكن.

---

(١) برقم (٤٨٨٨). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٤٥٠).

(٢) النهاية في (ع و ر).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على عورات المسلمين ومراعاة حرمة مساكنهم وخصوصياتهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: البعد عن التجسس وبيان مضاره الاجتماعية.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم"، حيث أكد ﷺ على أن من يتبع عورات الناس يكون سبباً في إفسادهم. وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في تأكيد الحقائق للمدعوين، وضرورة امتثالهم لهذه الحقائق.

ثانياً - من أهداف الدعوة: الحفاظ على عورات المسلمين ومراعاة حرمة مساكنهم وخصوصياتهم:

يستنبط هذا من عموم الحديث، حيث بيّن رسول الله ﷺ أن تتبع عورات الناس يكون سبباً في إفسادهم، والشريعة الإسلامية دعت إلى الحفاظ على عورات المسلمين ومراعاة حرمة مساكنهم وخصوصياتهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

قال السعدي: يرشد الباري عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد: منها ما ذكره الرسول ﷺ حيث قال: "إنما الاستئذان من أجل البصر"[2]، فبسبب الإخلال به يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده[3]،

---

(١) سورة النور، آية: ٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود، ٥١٧٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٤٣١٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٥١٤.

وهذا يدل على الحرص على الحفاظ على حرمة مساكن المسلمين ومراعاة خصوصياتهم والمجتمع الذي يغلب عليه الطهر، لا يطفح فيه من الأخبار إلا ما كان طاهراً وعفيفاً، ويبقى المسر بالمعصية مستوراً بستر الله عليه، إلى أن يتوب، ويستره المؤمنون، لئلا يتجاسر على الجهر بها أو الإصرار عليها، وليكونوا عوناً له على الشيطان طالما أسر واستتر.

ومثلما استنكر رسول الله ﷺ حديث العاصي، الفاضح لنفسه، والكاشف لستر الله عنه، فقال: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه"[1]. فقد استقبح أيضاً شأن الفاضح لأخيه، لذلك وصف الله الذين يلوكون أعراض الناس بألسنتهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[2]، فتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.

يقابل هذا الوعيد بشارة الذين يكتمون عيوب إخوانهم، بستر الله لهم في الدنيا والآخرة"، كما جاء في الحديث الصحيح: ((وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))[3]،[4].

وهذه النصوص تؤكد هدف الدعوة الإسلامية في الحفاظ على عورات المسلمين، ومراعاة حرمة مساكنهم وخصوصياتهم.

ثالثاً - من موضوعات الدعوة: البعد عن التجسس وبيان مضاره الاجتماعية:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم". أي: أنك إذا بحثت عن معائبهم وجاهرتهم بذلك، فإنه يؤدي إلى قلة حيائهم

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٠٦٩.

(٢) سورة النور، آية: ١٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٤) هذه أخلاقنا: محمود محمد الخزندار، ٤٥١.

عنك، فيجترئون على ارتكاب أمثالها مجاهرة[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾[٢].

قال الطبري: وقوله: "ولا تجسسوا" يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة أخيه، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذُمُّوا، ما لا تعلمونه من سرائر[٣].

وقال ابن عاشور: والتجسس من المعاملة الخفية عن المتجسس عليه. ووجه النهي عنه أنه ضرب من الكيد والتطلع على العورات.

وقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه، فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف، بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة، وذلك من نكد العيش.

وذلك ثلم للأخوة الإسلامية، لأنه يبعث على إظهار التنكر، ثم إن اطلع المتجسس عليه على تجسس الآخر ساءه، فنشأ في نفسه كره له، وانثلمت الأخوة ثلمة أخرى كما وصفنا في حال المتجسس، ثم يبعث ذلك على انتقام كليهما من أخيه.

وإذ قد اعتبر النهي عن التجسس من فروع النهي عن الظن، فهو مقيد بالتجسس الذي هو إثم أو يفضي إلى الإثم، وإذا علم أنه يترتب عليه مفسدة عامة صار التجسس كبيرة. ومنه التجسس على المسلمين لمن يبتغي الضر بهم.

فالمنهي عنه هو التجسس الذي لا ينجر منه نفع للمسلمين أو دفع ضر عنهم، فلا يشمل التجسس على الأعداء، ولا تجسس الشرط على الجناة واللصوص[٤].

---

(١) عون المعبود ٢١٠٨.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٧٤/٢١.

(٤) التحرير والتنوير مج١٠/٢٦/٢٥٠.

وقال ﷺ: "يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عز وجل عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته"[١].

قال الطيبي: "ولا تتبعوا عوراتهم فيما يظن"، أي لا تجسسوا ما ستروا عنكم من الأفعال والأقوال، وما ستر الله عليهم، والمراد بقوله: "يتبع الله عورته"، كشف ستره.

فإن التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم، والقلب لا يقنع بالظن، ويطلب التحقيق، فيؤدي ذلك إلى هتك السر[٢].

وتتبع العورات والتجسس على الناس يؤدي إلى إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، وهذا منهي عنه وعقابه شديد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[٣].

لذا تتضح أهمية البعد عن التجسس لما له من مضار اجتماعية.

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٨٨٠، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٠٨٣).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢١٧/٩.

(٣) سورة النور، آية: ١٩.

الحديث رقم (١٥٧٤)

١٥٧٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلاَنٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْراً، فَقَالَ: إنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأخُذ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسنادٍ عَلَى شَرْطِ البخاري ومسلم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

التجسس: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ورد في صورة خبرية تسرد قصة رجل شرب الخمر، ووقع بجنايته وسط الأبرار الذين لا يتركون منكرا في مجتمع الأطهار يكون دعاية سيئة لغيره من الغافلين، وسبة في جبين الصالحين، فتصدوا له، وأتوا به لابن مسعود رضي الله عنه الذي ينفذ بعقل العالم، وقلب المؤمن إلى بواطن الأوامر، ويرى المقصد الأسمى للشرع في الستر على المذنب لعله يتوب، ويقلع، أما إذا افتضح بذنبه، وصار معروفا بهذا الذنب وشهد عليه المؤمنون دون تتبع عوقب بما قرره الشارع، وقول الراوي (هَذَا فُلاَنٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْراً) قولهم هذا فلان كناية عن اسم المذنب، والكناية عنه أفادت ستره وقوله (تقطر) يصور الفاعل متلبسا بجنايته، وقول ابن مسعود رضي الله عنه (إنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ) أي نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن تتبع أحوال الناس بغرض الإيقاع بهم، واتصال ضمير الجمع بالفعل تعميم للنهي ينبيء بأهميته، وقوله (ولكِنْ إنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأخُذ بِهِ) استدراك يقرر عدم ترك من ظهرت جنايته دون عقاب حتى لا يكون

---

(١) برقم (٤٨٩٠).

(٢) النهاية في (ج س س).

تشجيعا لغيره، وجرأة على حدود الله - تعالى - وقوله (نأخذ به) كناية عن إقامة الحد عليه، وعقابه بذنبه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البعد عن التجسس.

ثانياً: من آداب الداعية: مراعاة فقه إنكار المنكر.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على البعد عن التجسس:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود عندما أتى له برجل فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نهينا عن التجسس ..."الحديث.

وقد نهى القرآن عن التجسس، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا ﴾[1]، فقد نهى القرآن الكريم عن التجسس، والمراد المنع من تتبع عورات الناس والبحث عن مثالبهم بأي طريق. فنكتفي منهم بالظاهر، ونكل إلى الله أمر الباطن[2]. وكذلك نهى رسول الله ﷺ عن التجسس فقال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ. فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا، عِبَادَ اللّهِ إِخْوَاناً»[3].

فمن أجل النهي الوارد في الكتاب والسنة، كان الصحابة رضي الله عنهم حريصين على البعد عن التجسس، وإنما حكمهم يكون على الظاهر فقط.

فعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: "خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة، فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج، فانطلقنا نؤمه. فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط. فأخذ عمر بيدي، وقال: أتدري بيت من هذا؟. قلت: لا، فقال: هذا بيت

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٣٦.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٤٣، ومسلم ٢٥٦٣.

ربيعة ابن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[1] فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم.

وقال أبو قلابة: "حُدِّث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحابه في بيته، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس، فخرج عمر وتركه[2].

ثانياً - من آداب الداعية: مراعاة فقه إنكار المنكر:

يظهر ذلك في قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شيء، نأخذ به"، ويقصد بفقه الإنكار، الأحكام الشرعية المتعلقة بالنهى عن المنكر، والتي تبين ماهية المنكر شرعاً، وكيفية التعامل معه من قبل الأفراد، إذ أن هذا الأمر في غاية الأهمية والخطورة، لما يترتب عليه أحياناً من التحول من منكر إلى منكر أكبر منه"[3]. والمطلوب مراعاته من الداعية في إنكار المنكر، والذي يظهر في ذلك الحديث هو أن يكون ظاهراً بغير تجسس. وذلك لأن الإسلام جاء بالحكم على الظاهر، وترك السرائر إلى الله عز وجل، فلم يبح الإسلام عموماً كشف الناس عن أسرارهم حتى ولو كانت منكرات[4].

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[5].

وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي، مج٨/١٦/٣٣٣، وإحياء علوم الدين، الغزالي، ٢/١٠٠٦.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ١٥٩.

(٤) حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، د. حمد العمار، ١٤٥.

(٥) سورة الحجرات، آية: ١٢.

إخوانا"[١]. وقال ﷺ: "... فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته ..." [٢]، فعلى الداعية أن يراعي ضوابط إنكار المنكر التي حددها الشرع، حتى لا يقع في المحذور، ويتسبب في منكر أكبر من المنكر المراد إنكاره.

ولا بد أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارفاً بالحكم الشرعي لما يأمر به أو ينهى عنه، فإن جهل الحكم فعليه أن يتعلمه قبل أن يأمر أو ينهي لئلا يخالف حكم الشارع وهو لا يدري، وكذلك لابد أن يدرس الموقف ويعرف عواقبه قبل أن يقدم عليه، فإن الشريعة سمحاء، وإن الواجب يسقط عنه إذا كان فيه تلف نفسه أو هلاك أهله، فإذا غلب على ظنه أن يعود بالضرر على الآخرين، فإنه يجب عليه التوقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك لابد أن يقدر غلبة النفع واتعاظ المقابل عندما يأمره وينهاه، أما إذا غلب على ظنه وقوع الضرر، فإن الواجب يسقط عنه، وينتقل إلى مرحلة أدنى وهي الإنكار بالقلب[٣].

وقد وضح ابن تيمية قاعدة مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تتمثل في مراعاة المصالح والمفاسد من قبل الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فإن حصلت مصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر والنهي عليه، وإن كانت المفاسد أعظم من المصالح لم يجب عليه بل يحرم، أما إذا حصل التساوي والتكافؤ بين المعروف والمنكر؛ لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر؛ لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

وأما عند اختلاط المعروف بالمنكر فيدعو إلى المعروف دعوة مطلقة، وينهى عن المنكر نهيًا مطلقًا، هذا من جهة نوع المعروف ونوع المنكر، أما في الفاعل الواحد والطائفة الواحدة فيأمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها ويذم مذمومها، بحيث لا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أكبر منه[٤].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٤١.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د/ أكرم ضياء العمري، ص٢٩٣.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ١٢٩/٢٨، ١٣٠، وانظر: التربية الروحية، د. أكرم ضياء العمري، ٢٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الخلقية:

إن من أهم أهداف التربية الخلقية والتي يجدر بأهل التربية غرسها في نفوس المتعلمين، البعد عن التجسس وسوء الظن بالناس. وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا....إلخ».

"وقد ورد النهي عن التجسس والبحث عما استتر من أمور المؤمنين؛ لما في ذلك من التعرض لما لا يفيد ولا يعني المتجسس، وهذا لا يثمر إلا الضغينة"[1].

والعلاقة بين سوء الظن والتجسس وثيقة، فسوء الظن يكون من نفس مريضة لا ترى إلا العيوب والنقائص، وهي نفس تغفل عن عيوبها لتتحرى عيوب الآخرين، وتجدُّ في التفتيش عنها، وذلك بالتجسس على الآخرين للوقوف على نقائصهم لتكون هذه العيوب والنقائض أمارات وأدلة تبرهن على الظن السيئ بالناس، وعلى التقدير الزائف للذات.

وتتأكد أهمية غرس خلق البعد عن التجسس وسوء الظن في نفوس المتعلمين، عند معرفة أن التجسس وسوء الظن يشتركان في كونهما مظهرين يدلان على العجز عن التواصل الإيجابي الرشيد مع المجتمع، فالواحد منا قد يلمس فضولاً في نفسه لمعرفة أحوال الآخرين الذين يلتقي بهم في نطاق معاملاته اليومية، كزملاء العمل والجيران في الحي، وقد ينبع التجسس على هؤلاء من رغبة مخلصة في التواصل معهم، وحرص صادق على مشاركتهم أحوالهم.

وغنى عن البيان أن هذا مظهر سلبي للحياة الاجتماعية لا يليق بالعقلاء الذين يلجمون أنفسهم عن فضول الرغبة في معرفة أحوال الآخرين، ويتحلون بسلوك إيجابي، وهو التعامل مع الآخرين تعاملاً يهدف إلى تحقيق معاني الأخوة الصادقة، التي تجعل المرء في اطلاع على أحوال إخوانه بشكل عفوي تلقائي بعيد عن التجسس والفضول فيطمئن على سلامتهم

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ٢٣٥.

وحسن تدبيرهم معاشهم دون أن يفعل ما يشين نفسه أو يسوؤها[١].

ثانيًا: التربية على تعميق روح الأخوة الإسلامية:

إن من أجل ما يجب غرسه في نفوس المتربين، تعميق روح الأخوة الإسلامية حيث إنها الرابطة النفسية التي تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام... مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية، ووشائج الإيمان والتقوى... فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف إيجابية من التعاون، والإيثار، والرحمة، والعفو عند المقدرة ... واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكرامتهم... ولقد حث الإسلام على هذه الأخوة في الله، وبين مقتضياتها وملتزماتها[٢]، وهذا ما ورد جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «... الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَىٰ هَا هُنَا». وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: «بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمِ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ...إلخ».

"وفي ترسيخ معنى الأخوة الإسلامية، يستمد المؤمن قوته من إخوانه المؤمنين، فهو يشعر بأنهم له وهو لهم، يعينونه إذا شهد، ويحفظونه إذا غاب، ويواسونه عند الشدة، ويؤنسونه عند الوحشة، ويأخذون بيده إذا عثر، ويسندونه إذا خارت قواه، فهو حين يعمل يحسّ بمشاركتهم، وحين يجاهد يضرب بقوتهم، إذا حارب جيشًا من ألف مؤمن شعر كل فرد منهم أنه يقاتل بقوة ألف لا بشخصه وحده، وشعر أن هؤلاء الألف يعيشون في نفسه - كما يعيش هو في أنفسهم - حبًا لهم، وحرصًا عليهم، وضنًا بهم، فإذا ضربت الألف، في ألف كان المجموع المعنوي ألف ألف رجل في الحقيقة، وإن كانوا ألفًا واحدة في لغة الإحصاء والتعداد"[٣]، لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه غرس روح الأخوة الإسلامية في نفوس المتعلمين والمتربين.

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٧٥/٤، ٧٦.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٢/١.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٣١.

٢٧٢- باب النهي عن سوء الظنّ بالمسلمين من غير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢].

الحديث رقم (١٥٧٥)

١٥٧٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((**إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ**)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

الحديث يحذر من سوء الظن الذي يترتب عليه فساد ذات البين بين المسلمين، ويشغل القلوب، و ويشعل الصدور لذلك صدَّر الحديث بأسلوب التحذير بلفظ (إياكم) تعجيلاً بالإنذار، وإعلاناً لخطورة الخبر الأمر ولهذه اللفظة (إياك) ما ليس لغيرها من الإثارة والتنبيه واللفت والإيقاظ لما تعورف عليه في استعمالها في اللغة من كونها تتصدر الأمور الخطيرة والتي يتوقع من جهتها مكروه، والتعجيل بالإنذار المفهوم من هذه الصيغة مستفاد من بنائها على الإيجاز بحذف الفعل، والفاعل، لتكون علماً بذاتها على الخطر والمحذر منه هو الظن الذي علل له بقوله: (فإن الظن أكذب الحديث) حيث ربط التحذير بما بعده بفاء السببية للإقناع ببيان العلة، فإذا علمنا أن بين الفاء والعلة حرف التوكيد (إن) رأينا جزماً بهذه العلة يقررها في الذهن وينفي عندها أي شك يمكن أن يحوم حولها، ولتأخذ طريقها في النفس دون عقبات أو اعتراضات[2]. وقد

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣)، وهذا طرف من الحديث الذي تقدم برقم (١٥٧٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٥١).

(٢) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ص ١٦٥.

جاءت أساليب التوكيد في تناسق دقيق مع بقية الأساليب لتحقيق المعنى ففي قوله: (فإن الظن أكذب الحديث) أكد الجملة بـ (إن) - كما ذكرنا سابقاً - مع اسمية الجملة ولعله تنزل المخاطبين منزلة المترددين لما رأي من استهانة الناس بخطر الظن؛ ولذلك نجد الرسول ﷺ يستخدم أفعل التفضيل (أكذب) مبالغة في ذم الظن الذي لا يعتمد على سند فإن قيل الكذب من صفات الأقوال، والظن عمل نفسي يجاب بأن المراد به هنا عدم مطابقته للواقع سواء كان قولاً أم فعلاً[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: عمدة القاري ١٥/ ٢١٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٧٢)

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اجتناب سوء الظن:

إن سوء الظن مدعاة إلى تحقير المؤمنين، وإلى إيقاع الضرر بهم[1]؛ لذا وجب على القائمين على التربية والتوجيه تحذير المربين من سوء الظن امتثالاً لأمر النبي ﷺ كما ورد في حديث الباب من قوله: «إياكم والظن....إلخ».

فالمرء الذي رُبِّي تربية إسلامية سليمة يحسن الظن بالآخرين، وهذا الإحساس ملكة لا تكتسب إلا برقابة النفس، وإخضاعها لسلطان العقل والدين والتماس الأعذار للآخرين، وهذا لا يتم إلا إذا كان صدر المسلم سليمًا ونواياه حسنة تجاه الآخرين، أما سوء الظن فهو دليل على سوء التربية وسوء النية، ودغل القلوب وأحقادها، وحتى يحقق التحذير من سوء الظن غايته ومراده، وجب بيان ما يترتب على هذا الخلق المرذول من آثار سيئة.

وأول هذه الآثار المترتبة على سوء الظن: "وقوع الإنسان في إثم كبير، فظنه السيئ بالآخرين وليد ارتيابه بهم، واحتقاره لهم، وكفى بالمرء إثمًا إن يحقر أخاه الإنسان. ويضاف إلى ذلك أن الظنون الباطلة تجلب الشرور والأذى بمن يساء بهم الظن، فمن أساء الظن بأحد فقد وضعه موضع الاتهام والارتياب، وأفسد سمعته لدى الناس، وربما دفعهم ذلك إلى تحاشي التعامل معه...، وكان من هذه الآثار تورط صاحبها في رذائل وآفات سلوكية منها الكذب المحرم في القوانين والشرائع والأديان، وإن الارتياب في الناس وإدامة الظن السيئ بهم يؤديان إلى تصور الإنسان أوهامًا غير حقيقة، فإذا ما واجه الناس بالحق الذي يبدد الظنون، واستبان له خطؤه في حق الآخرين، اضطر إلى الاعتذار، واختلاق الحجج المسوغة لإقدامه على الظن السيئ، ومثل ذلك يخلق مناخًا صالحًا للكذب، فاعتياد الإنسان على الارتياب بالآخرين يدفعه إلى اعتياد الكذب عليهم"[2].

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ٢٣٥.

(٢) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٥/٤، ٦٨، ٦٩.

قال ابن حزم: "كثرة الريب تعلم صاحبها الكذب، لكثرة ضرورته إلى الاعتذار بالكذب، فيجترئ عليه ويستسهله"[١].

وكما يرتبط الظن السيئ بالكذب فإنه يرتبط كذلك بالغيبة، فمن زل في ظن سيئ بأخيه أطلق فيه لسانه، وظن نفسه خيرًا من المحيطين به. فاحتقرهم، حتى يبدو الأمر سلسلة من الرذائل يؤدي بعضها إلى بعض، مصدرها سوء الظن الذي يعد مدخلاً من مداخل الشيطان إلى القلب[٢].

"فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار، فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا شرًا. فمهما رأيت إنسانًا يسيء الظن بالناس طالبًا للعيوب فاعلم أنه خبيث الباطن وأن خبثه يترشح منه!، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق"[٣].

"لذا وجب على المربين الحث على اجتناب سوء الظن والبعد عن مسالكه، ومما يساعد على ذلك ذكر حال السلف في اجتنابهم لسوء الظن وتوصيتهم بذلك، فعن سعيد بن المسيب قال: "كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه"[٤].

ثانيًا: التربية بالتحذير:

لقد ورد هذا الأسلوب التربوي التوجيهي في الحديث من تحذير النبي ﷺ من سوء الظن، وذلك في قوله: «إيّاكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذَبُ الْحديث» والتحذير هو التحرز

---

(١) الأخلاق والسير، ٢٣٦.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٤/٧٠.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٣٦١٣.

(٤) شعب الإيمان، البيهقي، ٣/١٥٠

من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم، مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك، وأي ضرر يلحق المجتمع المسلم ويفت في عضده[1] من سوء الظن الذي يقطع أواصر الثقة والمحبة والألفة بين أفراده.

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٤٩، ٢٥٠.

٢٧٣- باب تحريم احتقار المسلمين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات: ١١] وقال تَعَالَى: ﴿وَيلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لمزَةٍ﴾[الهمزة: ١].

الحديث رقم (١٥٧٦)

١٥٧٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ)) رواه مسلم[1]، وَقَدْ سبق قريبًا بطوله.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يحقِر أخاه: يستهين به ويستصغره[2].

الشرح الأدبي

الحديث يدور حول رعاية مشاعر الناس وأحاسيسهم في التعامل فيما بينهم بأن ينظر المسلم لأخيه من خلال دينه نظرة المثلية في البشرية، والإسلام، وتكريم الله له، لا أن ينظر إليهم نظرة تعال وتكبر، وهو ما حذر منه بقوله (بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ) أي حسبه وكافيه من خلال الشر ورذائل الأخلاق احتقار أخيه المسلم، وهو يقتضي تعظيم جرم احتقار الناس فقوله (بحسب امرئ) مبتدأ والباء فيه زائدة

---

(١) برقم (٢٥٦٤/٣٢)، وتقدم برقم (١٥٧٢)، وانظر ما تقدم برقم ٢٣٤، ٢٣٥، أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٥١).

(٢) الوسيط في (ح ق ر).

وقوله (أن يحقر) خبره، والتعبير بلفظ (أخاه) إشارة إلى موجبات الأخوة من الرحمة، والمودة ورعاية المشاعر، ووصفه بالمسلم يزيد من تقبيح الفعل لأن تلك الرابطة لها حقوق يجب رعايتها، واختصاصه بالإسلام فيه مزيد تكريم بعد كونه من بني آدم فلا يجب احتقار من كرمه الله تكريما بعد تكريم وفيه تحذير عظيم من ذلك لأن الله تعالى لم يحقره إذ خلقه ورزقه ثم أحسن تقويم خلقه وسخر ما في السماوات وما في الأرض جميعاً لأجله وإن كان له ولغيره فله من ذلك حصة ثم إن الله سبحانه سماه مسلماً ومؤمناً وعبداً وبلغ من أمره إلى أن جعل الرسول منه إليه محمداً ﷺ فمن حقر مسلماً من المسلمين، فقد حقر ما عظم الله عز وجل وكافيه ذلك فإن من احتقار المسلم للمسلم أن لا يسلم عليه إذا مر ولا يرد عليه السلام إذا بدأ به، ومنها أن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يبعده من النار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٤، ٢٣٥، ١٥٧٢)

الحديث رقم (١٥٧٧)

١٥٧٧- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: ((**إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**)) رواه مسلم[1].

ومعنى: (**بَطَرُ الحَقِّ**) دَفْعُه، (**وغَمْطُهُمْ**): احْتِقَارُهُمْ[2]، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا في باب الكِبْرِ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

مثقال: مقدار[3].

الذَّرَّة: ما يُرى في الضوء إذا دخل النافذة في الحجرة المظلمة[4].

بَطَر الحقِّ: التَّكبُّر عن الحقِّ وعدم قبوله[5].

غَمْطُ الناس: الاستهانة بهم واستحقارهم[6].

الشرح الأدبي

استخدم الرسول ﷺ عدة أساليب بلاغية لبيان خطر الكبر، والفرق بين اتخاذ الزينة المباحة، وبين الكبر منها: بداية الحديث بأسلوب النفي في قوله ﷺ: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) حيث قدم المسند المنفي الذي يشكل الحكم على المسند إليه هنا، وكون هذا المسند فعلاً مضارعاً له أثره في تمكين الحكم، والتأثير به تأثيراً قوياً يلفت الذهن إلى خطورته، ولعل ذلك ما دعا إلى الاستفسار عنه،

---

(١) برقم (٩١/١٤٧)، وتقدم برقم (٦١٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٩٥).

(٢) نقلهما عن الترغيب للمنذري (٥٤١/٣).

(٣) النهاية في (ث ق ل).

(٤) النهاية في (ذ ر ر).

(٥) النهاية في (ب ط ر).

(٦) النهاية في (غ م ط).

ثم دفع إيهام ما قد يتصور من وجوه غير داخلة في معناه، ثم البلوغ في نهاية الأمر إلى وضع دلالة لغوية موضحة لدقائق هذا المعنى في أسلوب محدد، ثم جاءت أساليب التوكيد لتمهد النفس وتلفت الانتباه وتثير الاهتمام لتصحيح خطأ التصور وتحديد المفاهيم، وتعريفها كما جاء في الرد على السائل بقول الرسول ﷺ (إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس)، فقد أكدَّ الجملة بـ (إن) مع اسمية الجملة لدفع شك السامع، وتردده في فهم المعنى، وإجابته بأسلوب يتساوق مع أسلوبه حيث قال: (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً) فرد عليه ﷺ بنفس درجة التأكيد (إن الله جميل) تصحيحاً لتصوره الخاطئ بأن محبة الثوب الحسن والنعل الحسن من الكبر وبيَّن له أن الكبر ليس بالتجمل واتخاذ الزينة من الثياب، بل هو أمر نفسي يرجع إلى أحوال النفوس وصفات القلوب، فهو التكبر على الحق، فيزهو بأصله، أو بجنسه، أو يتيه بمنصبه، وجاهه، أو يصعِّر خده للناس بقوته وماله، أو يحتقر من سواه من خلق الله ممن لا يساوونه، أو غير ذلك من مظاهر الكبر[1]، وهذا ما بيَّنه بقوله: (الكبر بطر الحق، وغمط الناس) موضحاً ومحدداً لمفهوم الكبر، وقد فصّل هذه الجملة عن سابقتها وهي جملة: (إن الله جميل يحب الجمال)، لأن الثانية وقعت إجابة لسؤال مقدر نتج عن الأولى، فكأنه لما سمع قول الرسول ﷺ: (إن الله جميل يحب الجمال) سأل: فما الكبر إذن؟ فجاء قوله ﷺ (الكبر بطر الحق وغمط الناس)، وهو ما يسمى بشبه كمال الاتصال، وهذا النوع من الفصل يعطي النص حيوية، ويوثق الصلة بين المتكلم والمخاطب، ويشعر بالتواصل بينهما، والحديث في مجمله تحديد بليغ ودقيق لمفهوم الكبر، وبيان لشدة عقابه، وأنه يحرم صاحبه من كل خير بحرمانه من الجنة، وفيه عقاب لما يؤدي إليه الكبر من بطر الحق وغمط الناس مما يستجلب كراهية الناس لهذا المتكبر، الأمر الذي يحدث التصدع في وحدة المجتمع المسلم[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أحاديث نبوية شريفة، د. محمود فرج العقدة، ص٨٥.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء، د. ناصر راضي الزهري١٥٧.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦١٢).

الحديث رقم (١٥٧٨)

١٥٧٨- وعن جُندب بن عبدِ الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أنْ لا أغْفِرَ لِفُلانٍ! فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأحْبَطْتُ عَمَلَكَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جندب بن عبدالله البَجَليّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٣٢).

غريب الألفاظ:

يتألى: يحلف، وهو من الألِيّة: اليمين[2].

وأحبطت: أبطلت[3].

الشرح الأدبي

الحديث يقرر خطر الخوض في الغيبيات بالحكم على الناس بالنار أو بالجنة لأن هذه الأمور اختص الله بها نفسه، وقلوب العباد سريعة التقلب فلا يقطع إنسان بمصير إنسان، وقوله (قال رجل) يحتمل أنه من هذه الأمة، أو من غيرهم ويشير إلى أن الخطأ قولي (والله لا يغفر الله فلان) حكاية قسم الرجل تصور الخطأ بالجزم بمصير غيره مع جهله بما يخوض فيه، وتمهد لما بعده من الرد لأنه قاله استكثارا أو استكبارا لذنبه أو تعظيما لنفسه حين جنى عليه، وقول الله - تعالى - (من ذا الذي يتآلى علي ؟) استفهام إنكار وتوبيخ ومعنى يتآلى أي : يتحكم علي ويحلف باسمي أني لا أغفر، وإنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة أولا حكاية لصنيعه إلى غيره وإعراضا عنه، وقوله (فَإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ) أكد العبارة بعدة مؤكدات ليقابل بها إنكار هذا الجاهل، وقوله (وَأحْبَطْتُ عَمَلَكَ) أي أبطلت عملك أو أبطلت قسمك وجعلت حلفك كاذبا، والمقابلة بين غفرت،

---

(١) برقم (٢٦٢١/١٣٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٦٤) والسياق له.

(٢) النهاية في (أ ل ي).

(٣) النهاية في (ح ب ط).

وأحبطت تؤكد المعنى، وتقرر خلاف ما ظنه في حسن عمله، وسوء عمل صاحبه، وفيه بيان لخطر الكلمة، فانظر إلى هذا الرجل؛ تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، هلك كلّ عمله وسعيه؛ لأن إعجابه بنفسه، واحتقاره لأخيه، واستبعاده رحمة الله حمله على أن يقول هذه المقالة، فحصل بذلك أن أوبقت هذه الكلمة عمله.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية التواضع وعدم احتقار المسلمين والتألي على الله.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التأدب مع الله تعالى وعدم الجزم بأمور اختص الله تعالى بها.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: بيان سعة رحمة الله ومغفرته.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من الاغترار بالعمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية التواضع وعدم احتقار المسلمين والتألي على الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: قَالَ رَجُلٌ، وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللَّه عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». الحديث.

قال القرطبي: (وقول المتألي: والله لا يغفر الله لفلان) ظاهر في أنه قطع بأن الله تعالى لا يغفر لذلك الرجل، وكأنه حكم على الله، وحجر عليه. وهذه نتيجة الجهل بأحكام الإلهية، والإدلال على الله تعالى بما اعتقد أن له عنده من الكرامة، والحظ، والمكانة. وكذلك المذنب من الخسة والإهانة؛ فإن كان هذا المتألي مستحلاً لهذه الأمور فهو كافر، فيكون إحباط عمله لأجل الكفر، كما يحبط عمل الكفار، وأما إن لم يكن مستحلاً لذلك، وإنما غلب عليه الخوف، فحكم بإنفاذ الوعيد فليس بكافر، ولكنه مرتكب كبيرة، فإنه قانط من رحمة الله، فيكون إحباط عمله بمعنى: أن ما أوجبت له هذه الكبيرة من الإثم يربي على أجر أعماله الصالحة؛ فكأنه لم يبق له عمل صالح.

(وقوله: من ذا الذي يتلى عليَّ ألا أغفر لفلان) استفهام على جهة الإنكار والوعيد،

ويستفاد منه: تحريم الإدلال على الله تعالى، ووجوب التأدُّب معه في الأقوال، والأحوال، وأن حق العبد أن يعامل نفسه بأحكام العبودية، ومولاه بما يجب له من أحكام الإلهية والربوبية[1].

قال ابن عثيمين: وكان هذا الرجل عابدًا معجبًا بعمله محتقرًا لأخيه الذي رآه مفرطًا، فأقسم أن الله لا يغفر له، فقال الله عز وجل: "من ذا الذي يتألى على، والفضل يؤتيه من يشاء، إني غفرت له وأحبطت عملك"، أعوذ بالله، تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، أهلكته، لأنه قال ذلك معجبًا بنفسه محتقرًا لأخيه فأقسم أن الله لا يغفر له، فغفر الله لهذا الرجل، لأن معاصيه دون الشرك، أو لأن الله تعالى مَنَّ عليه فتاب، وأما الآخر فأحبط عمله؛ لأنه أعجب بعمله، والعياذ بالله، وتألى على ربه، وأقسم عليه أن لا يغفر لفلان، والله تعالى كامل السلطان لا يتألى عليه أحد[2]. قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار"[3].

قال الطيبي: والكبر هو الإعراض عن الحق وتحقير الناس، والتواضع هو الإذعان للحق وتوقير الناس... فالمعنى: من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى بالذل والهوان في الدنيا والآخرة[4].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على التأدب مع الله تعالى وعدم الجزم بأمور اختص الله تعالى بها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان...".

(وقوله: فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك) دليل على صحة مذهب أهل السنة: أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، وهو موجب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

(١) المفهم ٦/٦٠٧، ٦٠٨.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٧٢.

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٢٠، وابن ماجه ٤١٧٥ واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٦٦).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٩/٢٥٣.

يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١]. وأن لله تعالى أن يفعل في عبيده ما يريد من المغفرة والإحباط؛ إذ هو الفعال لما يريد، القادر على ما يشاء[٢].

فالغفران وعدمه لله تعالى لا يشاركه فيه أحد، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾[٤].

قال ابن كثير: أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فله الخلق والأمر مهما فعل فعدل، لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة، كما جاء في الحديث «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم»[٥]،[٦].

فينبغي على المسلم التأدب مع الله تعالى وعدم جزمه بأمور اختص الله بها.

ثالثًا - من أهداف الدعوة: بيان سعة رحمة الله ومغفرته:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فقال الله عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ".

فالرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق، صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت، فحيثمًا أشرق شعاع علمه المحيط بكل شيء، أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة، ولذلك كان من صلاة الملائكة له[٧]. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[٨].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) المفهم ٦/٦٠٨.

(٣) سورة الفتح، آية: ١٤.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ٢١.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٦٩٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٩٣٢).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٦/٢٧٠-٢٧١.

(٧) خلق المسلم، محمد الغزالي، ٢٠٣.

(٨) سورة غافر، آية: ٧.

فالله واسع المغفرة، رحيم بعباده، يغفر للمذنب، ويتجاوز عن المخطئ، رحمة ومغفرة منه، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: التحذير من الاغترار بالعمل:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت له، وأحبطت عملك"، قال ابن القيم: إعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل، يبتغي به مرضاة الله، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي مَنَّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته، ونظر قلبه، لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه، وغيبته عن شهود منَّة ربه وتوفيقه وإعانته. فإذا غاب عن تلك الملاحظة، وثبت النفس، وقامت في مقام الدعوى، فوقع العجب مفسد عليه القول والعمل، ... فلا شيء أفسد للأعمال من العجب ورؤية النفس... فمن رأى نفسه في العمل، ورآه بعين الكمال والرضا، لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرضا والمحبة. فالعارف يعمل العمل لوجهه مشاهدًا فيه منته وفضله وتوفيقه، معتذرًا منه إليه، مستحييًا منه إذا لم يوفه حقه.

والجاهل يعمل العمل لحظه وهواه، ناظرًا فيه إلى نفسه، يمن به على ربه راضيًا بعمله[2].

فالغرور هو أن يحتقر المرء كل من عداه، وأن يتطاول إلى ما ليس في قدرته، وأن يتدخل فيما ليس من شأنه، وأن يحكم على ما لم يُحِط به علمه.

حتى أن المغرور ليترفع عن الإصغاء إلى نصيحة، أو الاستماع لرأي، أو الخضوع لكبير، أو الإجلال لعالم.

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) انظر: الفوائد، ابن قيم الجوزيه، ٢٢٢-٢٢٣.

وهذا المرض تبتلى به الأمم الضعيفة، المنتقلة من طور الخمول إلى دور اليقظة، أو المتردية من شامخ العزة إلى درك الضعف والذلة.

وإنه لمرض يتفشى في أمتنا اليوم، وحسبك أن تستمتع إلى أحاديث الناس في المجتمعات العامة؛ لترى كيف يحمل كثير منهم مبضع الطبيب، يجرح به هذا، ويقطع به ذلك، وكيف ينطوي على غرور يجعل رأيه فوق الآراء، ونظره فوق الأنظار، وعلمه فوق كل علم.

وهو لا يفتأ في حديثه يصف الناس بالحماقة، وأهل العلم بالجهالة ونحو ذلك..

وحين تبتلى الأمة بهذه البلية فإنها تستعصى على نصح الناصحين، وتتحدر وهي تظن أنها في أعلى عليين، وتتراكم عليها المصائب، وهي تظن أنها أقوى من جميع أعدائها، تهزمهم بصرخة، وتردهم بإشارة، وتدفعهم عنها بالضجة، والثرثرة[1].

---

(١) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ٢٥٤، ٢٥٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الخُلُقية:

إن التربية الخُلُقية تعد من أهم ما عُني به الإسلام في عملية تربية النشء المسلم على عدم التهكم والازدراء والسخرية والاحتقار للآخرين، لما في ذلك من تمزيق لأواصر الأخوة الإسلامية، والتي أوجب الإسلام مراعاتها وحفظها في كل زمان ومكان.

حيث إن احتقار الآخرين داء خبيث، ينشأ عن جهالة سادرة، وغفلة شائنة؛ لذا أشار النبي ﷺ في حديث الباب إلى كون ذلك شرا ما بعده شر[1]، وذلك في قوله: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ الْمسْلِمَ»، بل إن لم يسارع المسلم إلى تطهير نفسه من ذلك، حال بينه وبين رضوان ربه عز وجل، فلا يدخل الجنة[2]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»...إلخ. فاحتقار الناس ضرب من الكبر، والكبر مهما قل مقداره يحرم صاحبه من دخول الجنة، ونيل ثواب الله عز وجل[3]؛ لذا كان من أهداف التربية الخلقية احترام الغير، وعدم تحقيرهم، لتأكيد وحدة الجماعة ونشر المودة بينها، والقضاء على أسباب الفرقة والعداوة، فلا استهزاء بأي فرد من الناس ذكرًا كان أم أنثى ولا تحقير له بالقول أو الإشارة باليد أو اللسان أو نحو ذلك لمجرد رؤيته رث الهيئة فقيرًا أو ذا عاهة، إذ ربما كان المستَهْزَأُ به خيرًا من المستهزئ فيكون هذا قد ظلم نفسه بتحقير من وقره الله، فضلاً عن أن المستَهْزَأُ به لن يرضى عن ذلك بل سوف يحمله الهزء على أن يفتش عن عيوب المستهزئ به ويذيعها، وإن لم يجد فيه ما يعيبه اختلق له معايب ونسبها إليه وألبسها ثوب الصدق فيتناقلها الناس، وفي ذلك ما فيه من الضرر بالمستهزئ نفسه.

فإذا علمنا ذلك كله أدركنا أن السخرية والاحتقار، باب توريث البغضاء في

---

(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ٢٥٨.

(٢) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٥٨.

(٣) المرجع السابق، ٢٥٩.

القلوب، وقطع روابط المودة بين الأفراد[١]؛ لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه غرس التربية الخلقية باحترام الغير، وعدم احتقاره وازدرائه في بناء النشء المسلم.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

بني هذا الأسلوب التربوي الإسلامي على ما فطر الله عليه الإنسان من الرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير[٢]، وهذا ما ترائى جليًا في أحاديث الباب من ترهيبه ﷺ من احتقار المسلمين، وذلك في قوله: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمسْلِمَ»، وقوله ﷺ: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، وإخباره ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى في الحديث القدسي قوله: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، فَإِنِي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية، ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٢٣٣، ٢٣٤ باختصار.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ٢٣٠.

(٣) المرجع السابق، ٢٣١.

٢٧٤- باب النهي عن إظهار الشماتة بِالمُسْلِم

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠] وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾[النور: ١٩].

الحديث رقم (١٥٧٩)

١٥٧٩- وعَن وَاثِلَةَ بن الأسقع رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول اللّه ﷺ: ((**لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفي الباب حديث أَبي هريرة السابق في باب التَّجسُّس: ((**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ ...**)).

ترجمة الراوي:

واثلة بن الأسقع: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨٤٤).

غريب الألفاظ:

الشماتة: فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[2].

ويبتليك: من البلاء المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها[3].

الشرح الأدبي

الحديث ينهى عن الشماتة في المسلمين لأنه يعلم المسلم أن يحب لأخيه، ما يحب لنفسه حتى يستكمل إيمانه ولا شك أن من يحب لأخيه ما يحب لنفسه يكره لأخيه ما يكره لنفسه، ولا يشمت فيه وقول الرسول ﷺ (لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ) أسلوب نهي عن إظهار الفرح بمصيبة غيرك لعداوة بينك، وبينه أو غيرها، وهو معنى الشماتة

---

(١) برقم (٢٥٠٦) وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ. قال الحافظ العلائي في النقد الصريح (ص: ٤٠): وهو حسنٌ كما قال الترمذي، لكنه غريبٌ، كما ذكر لتفرد القاسم به. أورده المنذري في ترغيبه (٣٦٣٤).

(٢) النهاية في (ش م ت).

(٣) المعجم الوسيط في (ب ل ي).

والتعبير بلفظ أخيك تذكير برابط الرحم التي تستلزم المودة والرحمة والمواساة في المحنة وليس الشماتة لأن بينه، وبين أخيه رحم الإسلام التي يجب أن توصل، وقوله (فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ) فيه عقوبة من جهتين الابتلاء بتلك البلية ثم إظهاره بين الناس وإن ستره على نفسه، والطباق بين يرحمه، ويبتليك يؤكد المعنى ويشير إلى سرعة تبدل الحال بعكسها نكاية في صاحب النفس اللئيمة التي فرحت في مصاب المسلم بدلا من أن تواسيه فاستحق ما حاق به، وفي الحديث سجع بديع يعطيه خفة في السمع، وقبولا في النفس، وثباتا في العقل.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الشماتة فيما يصيب الإنسان من أذى.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: خطر الشماتة على المسلم.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تظهر الشماتة لأخيك ..."

حيث نهى رسول الله ﷺ المسلم عن الشماتة في أخيه المسلم. وأسلوب النهى من أساليب الدعوة التي تستخدم في النهي عن الأشياء التي تخالف أحكام الإسلام وآدابه وأخلاقه، وهو أسلوب يكون تأثيره في نفوس المدعوين قويًا حيث يشعرهم بأهمية اجتناب ما نهوا عنه.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: اجتناب الشماتة فيما يصيب الإنسان من أذى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك". فنهى رسول الله ﷺ عن إظهار الشماتة بالفرح فيما يصيب المسلم من مصيبة، وذلك لأن المسلمين إخوة، فلا يصح أن يفرح المسلم في مصيبة أخيه المسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]، قال السعدي: هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أى

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

شخص كان في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لأنفسهم[١]، ولهذا قال النبي ﷺ آمرًا، بالأخوة الإيمانية "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره)[٢].

وقال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوًا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٣]. وقال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٤].

فالأخوة الإيمانية، والتراحم والتعاطف بين المسلمين، وإحساس بعضهم ببعض، وحبهم الخير لإخوانهم، يتنافى مع إظهار الشماتة والفرح في بلية أو مصيبة المسلم، فلذلك ينبغي على المسلم اجتناب الشماتة في أخيه المسلم.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: خطر الشماتة على المسلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك".

قال المباركفوري: (قوله: "لا تظهر الشماتة لأخيك"، الشماتة: الفرح ببلية من يعاديك أو من تعاديه (فيرحمه الله)، أى: فإنك إن فعلت ذلك يرحمه الله رغمًا لأنفك)[٥].

ولخطورة الشماتة ثبت عن رسول الله ﷺ، أمره بالاستعاذة منها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: "تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء[٦].

وكذلك استعاذ بالله منها ﷺ فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٧٤٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٣، ومسلم ٤٥.

(٥) تحفة الأحوذي ١٩٤٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري ٦٦١٦، ومسلم ٢٧٠٧.

كان يدعو: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ قَائِمًا وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ رَاقِدًا، وَلاَ تُشْمِتْ بِي عَدُوًّا وَلاَ حَاسِدًا ...»[1]. وقد حكى الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

قال أبو عبدالله القرطبي: (فلا تشمت بي الأعداء)، أي لا تسرهم، والشماتة: السرور بما يصيب أخاك من المصائب في الدين والدنيا. وهي محرمة منهي عنها، وفي الحديث عن النبي ﷺ: "لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك".

وقال الشاعر:

إذا ما الدّهرُ جَرَّ على أُناسٍ ... كَلاكِلَه أناخَ بآخرينا

فقل للشّامتين بنا أفيقوا ... سَيَلقَى الشامتون كما لَقِينا [3]

وقيل لأيوب عليه السلام أي شيء من بلائك كان أشد عليك؟ قال: شماتة الأعداء.

وقال عبدالله بن أبي عتبة:

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمُرُّ عَلَى الْفَتَى ... فتَهُونُ غَيْرَ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ

وقال ابن سيرين: عيرتُ رجلاً بالإفلاس فأفلست.

وقال آخر: عبتُ شخصًا قد ذهب بعض أسنانه، فذهبت أسناني، ونظرت إلى امرأة لا تحل لي، فنظر زوجتي من لا أريد[4].

فالشماتة من الأشياء التي تسبب الكراهية بين المسلمين، وعدم محبة الخير لبعضهم البعض، فهي من الأشياء الخطيرة على المسلم، وعلى المجتمع الإسلامي.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٢٥/١، رقم ١٩٦٧، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن مج ٢٩١/٧/٤.

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ٣٣٩/١، ٤٤٠، ٤٤١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالترهيب:

إن الترهيب هو العنصر التربوي الذي يمثل القوة الصَّادَّة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهي عنها الإسلام، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا[1].

وهذا ما ظهر جليًا في نص حديث الباب من ترهيبه ﷺ من إظهار الشماتة بالمسلم، وذلك في قوله: «لا تُظْهِرْ الشَّمَاتَةَ لأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ».

فالرسول ﷺ لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية، وكان الترهيب من أهم الأساليب التربوية التي استعملها النبي ﷺ - كما في حديث الباب - في تصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين ووضعهم على جادة الصواب[2]، لذا وجب مراعاة التربية بالترهيب عند النهي عن كل ما يخالف الشرع.

ثانيًا: التربية على غرس خلق الأخوة الإسلامية:

هذا ما ترائى جليًا من حديث الباب، حيث النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم، وإعلان الأخوة الإسلامية في أبهى معانيها، وأجمل صورها.

فمن حق المسلم على أخيه أن يكره مضرته، وأن يتبادر إلى دفعها، فإن مَسَّهُ ما يتأذى به شاركه الألم، وأحس معه بالحزن، أما أن يكون ميت العاطفة قليل الاكتراث، لأن المصيبة وقعت بعيدًا عنه فالأمر لا يعنيه. فهذا تصرف لئيم، وهو مبتوت

---

(١) أساليب الدعوة الإسلامية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٥١.

الصلة بمشاعر الأخوة الغامرة التي تمزج بين نفوس المسلمين فتجعل الرجل يتأوه للألم ينزل بأخيه. مصداق قول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[1][2].

وحدثوا أن جيشًا من المسلمين كان بينه وبين عدوه نهر فأمرهم القائد أن يخوضوه، ولبوا الأمر، وخاضوا النهر، والعدو يشهدهم من بعيد دهشًا مرتاعًا... وفي وسط النهر شهدهم العدو يغوصون في جوف الماء مرة واحدة كأنما غرقوا، ثم ظهروا فجأة... فسأل العدو ما شأنهم؟ فعرفوا أن رجلاً منهم سقط منه قَعْبُه -إناؤه- فصاح، قعبي.. قعبي... فغاصوا جميعًا يبحثون عن قعب أخيهم... فقال الأعداء في ذهول: إذا كانوا يصنعون مثل هذا في قعب سقط من أحدهم، فماذا يصنعون بنا إذا قتلنا بعضًا منهم؟؟ وفت ذلك في عضدهم، وكانت العاقبة التسليم للمؤمنين[3]، فبذلك تتربى الناشئة على خلق الأخوة الإسلامية، والذي يبني لأمة الإسلام عزها ومجدها.

---

(١) أخرجه البخاري، ٦١٢٢.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ١٦٦ بتصرف.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ٢٣١.

٢٧٥- باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨].

الحديث رقم (١٥٨٠)

١٥٨٠- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بهم كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النّياحة: البكاءُ على الميت بجزعٍ وعويل[2].

الشرح الأدبي

الحديث يحذر من بعض أعمال الجاهلية التي تدخل الإنسان بابا من الكفر، والحديث يقوم على أسلوب التوشيع وهو ذكر مثنى ثم تفصيله، وهو أسلوب يحقق التوكيد، و يحقق التشويق، وقوله (اثنتان) مثنى مبهم وصفه بجملة لم تزل إبهامه بل زادت الترقب لمعرفة هاتين الصفتين وقوله :(في النَّاسِ) يصعِّد الشوق لمعرفتهما لأن كل مخاطب يخاف أن يكونا فيه أو إحداهما وقوله (هُمَا بهم كُفْرٌ)، وقيل المراد بالكفر وجهان : أحدهما أن يكون كفر النعمة فإن من طعن في نسب غيره فقد كفر بنعمة الله عليه بسلامته من ذلك الطعن ومن ناح على ميت فقد كفر نعمة الله عليه إذ لم يكن هو الميت والثاني أن يكون المعنى أنهما من أفعال الكفار لا من خلال المسلمين.

---

(١) برقم (٦٧/١٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧٦).

(٢) الوسيط في (ن و ح).

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: شناعة الطعن في النسب والنياحة على الميت.

ثانيًا: من آداب المدعو: التأدب بآداب الإسلام وعدم الطعن في النسب والنياحة على الميت.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: شناعة الطعن في النسب والنياحة على الميت:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

قال القاضي عياض: وقوله: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت": أي من أعمال أهل الكفر وعادتهم وأخلاق الجاهلية، وهما خصلتان مذمومتان محرمتان في الشرع، وقد كان النبي ﷺ يأخذ على النساء في بيعتهن ألا ينحن، وقال: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"[1]، وكذلك نهى النبي ﷺ عن السخرية واللمز والنبز بالغيبة والقذف، وكل هذا من أعمال الجاهلية، وقال النبي ﷺ: "إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة[2] الجاهلية..."[3]، وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[4]، فعرف نعمته بالأنساب للتعارف والتواصل، فمن تسور على قطعها والغمض فيها، فقد كفر نعمة ربه وخالف مراده، وكذلك أمر تعالى بالصبر، وأثنى على الصابرين، ووعدهم رحمته وصلاته، ووصفهم بهدايته، وحتم الموت على عباده، فمن أبدى السخط والكراهة لقضاء ربه، وفعل ما نهاه عنه، فقد كفر نعمته فيما أعد للصابرين من ثوابه، وتشبه بمن كفر من الجاهلية[5].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٩٤، ومسلم ١٠٣.

(٢) العُبِّيَّةُ: الكبر والفخر. انظر: المعجم الوسيط مادة: عَبَّ.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٩٥٥، ٣٩٥٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣١٠٠، ٣١٠١).

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١/٣٢٦.

وقال القرطبي: (وقوله: "اثنتان في الناس هما بهم كفر" أي: من خصال أهل الكفر كما قال عليه الصلاة والسلام: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الطَّعْنُ فِي الأَحْسَابِ، وَالْفَخْرُ بِالأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»[1][2].

قال النووي: "وفيه أقوال، أصحها أن معناه هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية. والثاني: أنه يؤدي إلى الكفر. والثالث: أنه كفر النعمة والإحسان. والرابع: أن ذلك في المستحل. وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة، وجاء في كل منهما نصوص معروفة"[3]. منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[4].

قال ابن عاشور: "ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة. منها خلةٌ من خلال الجاهلية، وهي الطعن في أنساب الناس، فكانوا يرمون النساء برجال ليسوا بأزواجهن، ويليطون[5] بعض الأولاد بغير آبائهم بهتانًا، أو سوءَ ظن إذا رأوا بعدًا في الشبه بين الابن وأبيه، أو رأوا شَبَهه برجل آخر من الحي، أو رأوا لونًا مخالفًا للون الأب أو الأم، تخرصًا وجهلاً بأسباب التشكل، فإن النسل ينزع في الشبه وفي اللون إلى أصول من سلسلة الآباء أو الأمهات الأدنَيْن أو الأبعدين، وجهلا بالشبه الناشئ عن الرحم. وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت ولدًا أسودَ (يريد أن ينتفي منه) فقال له النبي ﷺ: «هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألوانهن؟ قال: حمر. قال: وهل فيها من جمل أورق؟ قال: نعم. قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعله عِرقٌ نزَعَه. فقال النبي ﷺ فلعل ابنك نزعه عِرق»[6]، فنهاه عن الانتفاء منه. فهذا كان شائعًا في مجتمعات الجاهلية فنهى الله

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣٤.

(٢) المفهم ١/٢٥٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣٩.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٥) يليطون: أي يلصقون ويلحقون. انظر: المعجم الوسيط، مادة: لاط.

(٦) أخرجه البخاري ٥٣٠٥، ومسلم ١٥٠٠.

المسلمين عن ذلك"[١].

ومما يدل على شناعة الطعن في الأنساب توعد الله بالويل للطاعنين، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[٢]، قال القاسمي: "أي: لكل من يطعن في أعراض الناس ويغتابهم"[٣].

وما يدل على شناعة النياحة على الميت، قوله ﷺ: "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه"[٤]. فالنياحة من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة، لأنها تسخط بقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب[٥].

ثانيًا - من آداب المدعو: التأدب بآداب الإسلام وعدم الطعن في النسب والنياحة على الميت:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث قال ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ». فهذان الفعلان من أفعال أهل الكفر وأهل الجاهلية التي نهى عنها الإسلام، ومن أجل ذلك ينبغي على المسلم أن يتأدب بآداب الإسلام، فإذا أصابته مصيبة من موت عزيز عليه صبر وطلب الخلف والصبر من الله، فيكون له الثواب، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[٦].

وقال ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له"[٧].

فليس من أخلاق الإسلام النياحة على الميت والطعن في الأنساب، قال ﷺ: «لَيْسَ

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور مج ١٥/٦/١٠٠.

(٢) سورة الهمزة، آية: ١.

(٣) محاسن التأويل مج ١٠/١٧/٢٥٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٩٢، ومسلم ٩٢٧.

(٥) انظر: فتح المجيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ٢٨٢؟.

(٦) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٧) أخرجه مسلم ٢٩٩٩.

المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ»[١].

فينبغي على المدعو التأدب بآداب الإسلام، والبعد عن النياحة على الميت والطعن في أنساب الناس.

ثالثًا - من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

حيث رهّب رسول الله ﷺ من الطعن في النسب والنياحة، لأنهما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية. وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة الفعالة، لأن فيه تخويفًا يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده المولى عز وجل من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي ١٩٧٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٠).

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان الهجاري، ٥١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالترهيب والعقاب:

إن أسلوب التربية بالترهيب والعقاب من أهم الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في كل زمان ومكان، حيث لا تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف المتربي أن هناك نتائج مؤلمة، وراء ما صدر منه من عمل معيب، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه، ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك المعيب، والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي، والأمثلة على ذلك يصعب حصرها[1]، وكان منها ما ترائى في حديث الباب من ترهيبه ﷺ من الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع، وذلك في قوله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

وعلى المربي أن يستخدم التربية الإسلامية بالترهيب والعقوبة، إذا لم يفلح الترغيب والثواب. "وحين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة"، ولا غير ذلك من أساليب تربوية..... ساعتها، لابد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور في مسارها الصحيح... والعلاج الحاسم هو العقوبة.

وحين استخدم الترهيب والعقوبة، فإنما يستخدمان بدرجات متفاوتة، لدرجات من الناس. فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل بما هو مُقَدَّمٌ عليه من انحراف. ومنهم لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح، ومنهم ما يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ. ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه. ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم[2].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٧، ونحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر، ٩٢، تربية الطفل في الإسلام، أحمد محمود الحمد، ١٢٧.

ثانيًا: التربية الاجتماعية:

إن من أهداف التربية الاجتماعية الواجب غرسها في نفوس النشء المسلم، الحفاظ على روابط المجتمع المسلم من أي توهين أو تفكيك؛ لذا وجب عدم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع؛ لما في ذلك من إضعاف للأسرة التي هي نواة المجتمع الإسلامي، وبالتالي تفكيك لروابط المجتمع الإسلامي، وليس هناك أمر أصعب على الأمم التي انتشرت فيها الإباحة، من أمر الشك في الأنساب، أو قبولها للطعن.

وليس أقسى على الإنسان، من أن يُطعن في نسبه، بأي طريق من الطرق، سواء وقع الطعن عليه هو، أم على أجداده وآبائه، أم على أولاده. فهذا إيذاء يندرج تحت إيذاء المسلم بصفة عامة[1].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[2].

لذا وجب على القائمين على التربية والتوجيه التحذير من الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع لما في ذلك من هدم للأمة، وتفريق لوحدتها وقضاء على ثوابتها الأسرية.

ثالثًا: التربية على آداب الحزن في الإسلام:

يجب على المتربين والمتعلمين أن يعلموا أن الأمة العظيمة تكون قوية في أفراحها، قوية في أحزانها، لا تضعفها المصائب، ولا تزعزعها النوائب كالجبال الراسيات لا تنال منها الأحداث إلا بمثل ما تنال من الجبال الرياحُ الشديدةُ.

لهذا كله رسم لنا الإسلام منهجًا تربويًا في النوازل ينبغي أن نتبع خطاه ولا نبتعد عنه قيد شعرة إذا كنا من ذوي الإيمان الصحيح والعزيمة القوية.

ولما كانت غالبية الناس تنسى نفسها عند المصائب وتخرج عن طورها في النائبات حتى تقع في شر عملها، وتضاعف من مصيبتها وتظهر بمظهر القلق المضطرب والنائح

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٨٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

الصارخ، جاءت السنة النبوية تربي أبناءها وجيل أمتها على التزام آداب الحزن ومنع ما استحكم من عادات جاهلية، والتي من أبرزها، النياحة على الميت[1]، لذا منعها الإسلام -كمنهج تربوي- وبين أنها من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية، وذلك في قوله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ» ثم ذكر ﷺ من ذلك: «وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه بيان أن النياحة على الموتى من التقاليد التي حاربها الإسلام، لما تحوي بين طياتها مظاهر من الغلو في إظهار الحزن والجزع[2]، والذي بدوره يؤدي إلى إظهار رفض ما قدره الله على العباد من ابتلاءات، وفي ذلك هلاك الإيمان وضياع الصبر اللذان يعينان المتربي على مواجهة مشكلات الحياة وتقلبات الزمان.

---

(١) نحو أسرة مسلمة، محمد مهدي الاستانبولي، ١٢٠ بتصرف يسير.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٩٠ بتصرف.

٢٧٦- باب النهي عن الغش والخداع

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٥٨].

الحديث رقم (١٥٨١)

١٥٨١- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**)). رواه مسلم[١].

وفي رواية لَهُ[٢]: أنَّ رسول الله ﷺ، مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: ((**مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**)) قَالَ: أصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رسول الله. قَالَ: ((**أفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ حَتَّى يرَاهُ النَّاسُ! مَنْ غشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**[٣])).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الصُّبْرَةَ: الكُومة المجتمعة من الطعام (البُرّ)[٤].

أصابته السماء: أي المطر، وسمي المطر سماءً لأنه ينزل من السماء[٥].

الشرح الأدبي

الحديث أسلوبه خبري يعلق الخروج عن الأمة المحمدية على حمل السلاح ضد المسلمين، وقوله (مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ) كناية عن قتال المسلمين، وقوله (فَلَيْسَ مِنَّا " قَدْ يَقْتَضِي ظَاهِرُهُ: الْخُرُوجَ عَنْ الْمُسْلِمِينَ؛ لِأَنَّهُ إذَا حَمَلَ " عَلَيْنَا " عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ: كَانَ

---

(١) برقم (١٠١/١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٢٥).

(٢) برقم (١٠٢/١٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٢٦).

(٣) لفظ مسلم: (منّي) والمثبت لفظ الترمذي (١٣١٥)، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه.

(٤) النهاية في (ص ب ر).

(٥) النهاية في (ص و ب).

قَوْلُهُ "فَلَيْسَ مِنَّا" كَذَلِكَ، وَقَدْ وَرَدَ مِثْلُ هَذَا فَاحْتَاجُوا إِلَى تَأْوِيلِهِ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا))، وَقِيلَ فِيهِ: لَيْسَ مِثْلَنَا، أَوْ لَيْسَ عَلَى طَرِيقَتِنَا، أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ، وفي الرواية الثانية جاء استفهام الرسول ﷺ (ما هذا يا صاحب الطعام؟) إنكارا وتوبيخا لتكاسل الرجل واستهانته بإظهار العيب الذي لحق بطعامه ظنا منه أنه شيء بسيط، لكن الرسول ﷺ كعادته في علاج أمته يقف بكل حسم أمام الخطأ مهما كانت بساطته حتى لا يكبر ويتفشى ويصير وباء، وهو بذلك يؤسس مبدأً عظيماً من مبادئ الإسلام، وهو الأمانة التي يجب أن يتعامل على أساسها كل مسلم فضلا عن كل مؤمن، ولذلك جاءت جملة الختام لافتة مدوية (من غشنا فليس منا) تصعيداً للإنكار وترهيباً وتهديداً بخروج الغاش من ربقة الإسلام ورفقة المؤمنين.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١-حكم الغش: أجمع الفقهاء على تحريم الغش شرعًا، وأن فاعله مذموم عقلاً، لما فيه من الإضرار بالغير[١].

٢-حكم حمل السلاح على المسلمين: مذهب أهل السنة والفقهاء أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ولم يستحله فهو عاصٍ ولا يكفر بذلك، فإن استحله كفر[٢].

وقال الصنعاني: (والحديث دليل على تحريم قتال المسلم والتشديد فيه، وأما قتال البغاة من أهل الإسلام فإنه خارج من عموم هذا الحديث بدليل خاص)[٣].

---

(١) التاج الإكليل ٣٤٤/٤، وتكملة المجموع للسبكي ٣١/١٢، سبل السلام ٩٦٨، نيل الأوطار ١٠٢٠، الموسوعة الفقهية ٢١٩/٣١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٨/٢.

(٣) سبل السلام ٧٦، وانظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٨٣ - ٣٨٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرمة حمل السلاح على المسلم والغش.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من واجبات الداعية: إنكار المنكر.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث: "من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا"، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة النافعة في الدعوة إلى الله، حيث يلفت انتباه المدعو ويشده إلى معرفة الجواب، ويبين له مدى ارتباط الشرط بالجواب، فالجزاء من جنس العمل، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط، قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرمة حمل السلاح على المسلم والغش:

يتضح هذا من الحديث: "من غشنا فليس منا"، وقوله: "من حمل علينا السلاح فليس منا"، وهذا يدل على حرمة حمل السلاح على المسلمين، والغش لهم، قال ابن حجر: "والمراد من حمل السلاح عليهم لقتالهم لما فيه من إدخال الرعب عليهم، لا من حمله لحراستهم مثلاً، فإنه يحمله لهم لا عليهم، وقوله: "فليس منا"، أى على طريقتنا، وأطلق اللفظ مع احتمال إرادة أنه ليس على الملة، للمبالغة في الزجر والتخويف"[3].

قال المازري: "لا حجة فيه لمن يقول: إن العاصي خرج من الإيمان، لأنه يحتمل أن يكون أراد من فعل ذلك مستحلاً له، أو ليس منا بمعنى ليس بمتبع هدينا ولا سنتنا،

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٩.

(٣) فتح الباري ١٢/٢٠٥.

كما يقول القائل لولده: لست مني إذا سلك غير أسلوبه"[١].

وقال القرطبي: "وقوله "من حمل علينا السلاح فليس منا" أي: من حمل علينا السلاح مقاتلاً كما في الرواية الأخرى: "من سلّ علينا السيف فليس منا"[٢]، ويعني بذلك النبي ﷺ نفسه وغيره من المسلمين، ولاشك في كفر من حارب النبي ﷺ وعلى هذا فيكون قوله عليه الصلاة والسلام "فليس منا" أي: ليس بمسلم بل هو كافر، وأما من حارب غيره من المسلمين متعمدًا مستحلاً من غير تأويل فهو أيضًا كافر كالأول، وأما من لم يكن كذلك، فهو صاحب كبيرة إن لم يكن متأولاً تأويلاً مسوّغًا.

ومذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من المسلمين بارتكاب كبيرة ما عدا الشرك، وعلى هذا فيحمل قوله عليه الصلاة والسلام "ليس منا" في حق مثل هذا على معنى: ليس على طريقتنا ولا على شريعتنا، إذ سنة المسلمين وشريعتهم التواصل والتراحم لا التقاطع والتقاتل، ويجرى هذا مجرى قوله عليه الصلاة والسلام "من غشنا فليس منا"، ونظائره، وتكون فائدته الردع والزجر عن الوقوع في مثل ذلك[٣].

وقال النووي: ومذهب أهل السنة والفقهاء هو أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حق ولا تأويل ولم يستحله فهو عاص ولا يكفر، فإن استحله كفر. فأما تأويل الحديث فقيل: هو محمول على المستحل بغير تأويل فيكفر ويخرج من الملة. وقيل: معناه ليس على سيرتنا الكاملة وهدينا، وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يكره قول من يفسره بليس على هدينا ويقول: بئس هذا القول، يعني بل يمسك عن تأويله ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر[٤].

وقال د. الحسيني هاشم: وحَمْل السلاح: كناية عن البغى والخروج عن جماعة المسلمين، ومعنى غشنا: أخفى الباطل بالحق، وفي الحديث التحذير من البغى والظلم

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٧٣/١.

(٢) أخرجه مسلم ٩٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢٩٩/١، ٣٠٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٥٨.

باستعمال القوة، وغش المسلمين والتحايل عليهم بغير حق[١].

وأما في التحذير من الغش كما جاء في الحديث فقد قال ابن علان: (ومن الغش خلط الجيد بالرديء ومزج اللبن بالماء، وترويج النقد الزغل، وقوله: "فليس منا" أي: ليس على هدينا ومن أهل طريقتنا، وفي الحديث ما يوجه إلى السلامة من الغش الذي هو أقبح الأوصاف القاطعة لرحم الإسلام الموجبة، لكون المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضًا، ومن قطع رحم الإسلام خشى عليه الخروج من عدادهم، كما ينشأ عن ذلك ما هو مقرر في شرعنا. والمراد بالغش هنا كتم عيب المبيع أو الثمن، والمراد بعيبه هنا، كل وصف يعلم من حال آخذه أنه لو اطلع عليه لم يأخذه بذلك الثمن الذي يريد بدله فيه)[٢].

وقال السعدي: "إن الصدق والأمانة في المعاملات سبب لحصول الرزق وبركته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٣]. فرتب على التقوى التي أساسها الصدق وأداء الأمانة في المعاملة التيسير والخروج من كل ما ضاق على الناس، وفتح أبواب الرزق، وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: ((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما))[٤].

وإنما كان الصدق والبيان، وأداء الأمانة في جميع المعاملات سببًا للبركة وتيسير أبواب الرزق لأمرين مهمين.

أحدهما: وعد الله ووعد رسوله والله لا يخلف الميعاد، أن من سلك الطرق التي أمر بها، وتجنب ما نهى عنه، بارك الله له في سعيه ورزقه من حيث لا يحتسب، وفتح له من خزائن جوده وكرمه مالا يناله الناس بسعيهم وجدهم وحذقهم، وهذا أمر رباني وجزاء إلهي مشاهد معلوم بالتجربة.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٤٢.

(٢) دليل الفالحين ١٦٣٣.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٠٧٩، ومسلم ١٥٣٢.

والثاني: أن من عامل الناس وعرفوا منه الصدق والنصح اطمأنوا إليه، وركنوا إلى معاملته، ورغبوا في الأخذ منه وإعطائه، لأن قلوبهم إليه مطمئنة، ونفوسهم إلى أمانته منقادة واثقة، وحاز الاعتبار والشرف اللذين عليهما أسست المعاملات النزيهة الطيبة، وبذلك مشت أسبابه مع الناس.

وكذلك عقد الشركات بين الشركاء، إذا بنيت على الصدق والأمانة، أفادت أهلها خيرًا كثيرًا، فإنه من كان الله معه أيده بعونه وتوفيقه وتسديده؛ وكانت حركاته مقرونة بالنجاح مع ما في اتفاق الشريكين على مصالحهما واجتماع رأيهما، وحصول التشاور الذي هو مدار الأعمال، مع ما يقترن بذلك من التعاون البدني والسعي المشترك من المنافع، ودفع ما يخشى ضرره، كل هذه الأمور أسباب ومفاتيح لحصول الرزق وبركته ونمائه.

وضد ذلك إذا بنيت المعاملات والشركات على الكذب، وعدم النصح، وحصول الغش والخيانة، فإن الله ينزع بركته ويحل المحق بدل ذلك، وتتأخر المعاملة؛ وتنحط بالخيانة والكذب، وهذا كله مشاهد مجرب[1].

ثالثًا - من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث: "ما هذا ياصاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفيد المدعو، حتى ينتج حوارًا بينه وبين الداعية، ويلفت انتباه المدعو، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[3].

رابعًا - من واجبات الداعية: إنكار المنكر:

حيث جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها"،

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ص٢١٦، ٢١٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

وقوله "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس"، وإنكار المنكر من أهم واجبات الداعية قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]، وذم الله بني إسرائيل لتركهم المنكر، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[2]، "وعلى الداعية عند إنكار المنكر، أن ينهي المدعو بالحكمة، ويعرفه أن ما هو عليه قولاً أو فعلاً منكر لا تقبله الشريعة، وأن يوضح للمدعو الأجر المترتب على ترك المنكر وأنه أجر عظيم، وأن يحذر المدعو من العقاب الأليم إذا استمر في منكره"[3].

قال د. عبدالكريم زيدان: "وإزالة المنكر قولاً وفعلاً، إزالة لما يمنع الخير أو الحق، فإن المنكر في الأرض يدفع من الحق بقدره أو أكثر، فكان زواله أو إزالته تيسيرًا لتحقيق الحق والخير بين الناس. ولابد من الفقه والعلم بما يراد إزالته من المنكر، وكذلك الرفق في إزالته، وتجب ملاحظة المصالح والمفاسد، وتزاحمهما قبل الإقدام على إزالة منكر بعينه، ليعرف الداعي ما يترتب عليه من أضرار أو منافع"[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨-٧٩.

(٣) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ١٦٩.

(٤) أصول الدعوة ٤٨٢، ٤٨٣.

الحديث رقم (١٥٨٢)

١٥٨٢- وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((لاَ تَنَاجَشُوا)) متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا تناجشوا: من النجش، وهو الزيادة في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، ولكن ليغرّر بغيره ليشتريها بالثمن المرتفع[٢].

الشرح الأدبي

هذا الحديث وسابقه يدور حول النهي عن النجش وقد ورد في الحديث الأول بنهي مباشر في أسلوب إنشائي في قوله: (ولا تناجشوا)، وفي الحديث الثاني جاء بأسلوب الخبر المنقول عن الرسول ﷺ (نهى رسول الله ﷺ عن النجش)، والتناجش: هو تفاعل من النجش قال أبو عبيدة: هو أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكن ليسمعه غيره فيزيد، والنجش في الحديث إذاعته، واستخراج الشيء والبحث عنه[٣]. وعلى ذلك فنهى الرسول ﷺ عن التناجش من باب تطهير المجتمع من كل ما من شأنه أن يحدث الشقاق والخصام المؤدى إلى القطيعة؛ لأن النجش بهذه المعانى لا يخلو من الخداع والمخاتلة، التي توغل الصدور وتنمى الكراهية بين المتناجشين، ومن ثم ورد نهي الرسول ﷺ عن هذا الفعل نهياً صريحاً مباشراً، واتصال الفعل المنهي عنه بواو الجماعة يفيد العموم دلالة على خطره و(التناجش) من أفعال الجوارح، والرسول ﷺ بهذا النهي ينقى المجتمع المسلم من تبعات الخديعة إذا فسرنا التناجش بمعنى أن يزيد الرجل ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها خداعاً لغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠)، ومسلم (١٤١٣/٥٢)، وهو جزء من حديث تقدم برقم ٢٣٥.

(٢) معجم لغة الفقهاء ٤٤٥.

(٣) لسان العرب، لابن منظور ٤٣٥٣/٦، مادة "نجش".

فقه الحديث

١- حكم النجش: لا خلاف بين الفقهاء في أن النجش حرام[١] إذا ترتب على حصوله زيادة أو نقص في ثمن السلعة عن قيمتها، وأن الناجش عاصٍ بفعله إذا قام به من تلقاء نفسه، أما إذا كان النجش باتفاقٍ بينه وبين أحد المتعاقدين، فإن الإثم يكون مشتركًا بينهما ولا يختص به الناجش وحده[٢].

٢- أثر النجش على العقد من حيث الصحة والفساد: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية في المشهور، والشافعية، والحنابلة في المذهب إلى القول بأن العقد مع النجش صحيح يثبت به الملك ويجب به الثمن[٣]. واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٤]. فهي تدل على مشروعية البيع بكل صوره، ولأن النهي عن النجش يعود إلى الناجش لا إلى العقد أو العاقدين، وهو خارج عن العقد فلم يؤثر في صحة العقد قياسًا على البيع وقت النداء[٥].

وذهب بعض المالكية والحنابلة في رواية وطائفة من أهل الحديث وبه قال عمر بن عبدالعزيز، إلى القول بأن العقد مع النجش باطل ولا يفيد الملك بل يجب فسخه[٦]. واستدلوا بأن بالنهي الوارد في أحاديث الباب يقتضي فساد العقد[٧].

---

(١) بدائع الصنائع ٢٣٣/٥، وتبيين الحقائق ٦٧/٤، والمعونة على مذهب عالم المدينة ٥٨/٢، وبلغة السالك ٣٤/٢، والحاوي الكبير ٣٤٣/٥، وروضة الطالبين ٤١٤/٣، والمبدع في شرح المقنع ٧٨/٤، والعدة في شرح العمدة ٢١٥.

(٢) حاشية الدسوقي والشرح الكبير ١٠٩/٤، و الأم ٩١/٣، وفتح الباري ٤٣٤/٤، وسبل السلام ٢٨/٣، ونيل الأوطار ١٦٦/٥.

(٣) بدائع الصنائع ٢٣٢/٥، بداية المجتهد ١٣٤/٢، الحاوي الكبير ٣٤٣/٥، المبدع في شرح المقنع ٧٨/٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٥) العناية على شرح الهداية ١٠٨/٥، والمهذب ٢٩١/١، والمغني ٢٧٨/٤، والمبدع في شرح المقنع ٧٨/٤.

(٦) المعونة ٥٨/٢، والمبدع في شرح المقنع ٨٠/٤، وتكملة المجموع ٨٧/١٢، وفتح الباري ٤٣٥/٤، وسبل السلام ٢٨/٣، ونيل الأوطار ١٦٦/٥.

(٧) المعونة ٥٨/٢، والمغني ٢٧٨/٤، والمبدع في شرح المقنع ٨٠/٤.

ويناقش هذا: بأن النهي في الأحاديث لا يقتضي فساد العقد قياسًا على البيع وقت النداء[١]، كما أن النهي في الحديث عائد إلى الناجش لا إلى العقد أو العاقد، والناجش خارج عن العقد فلم يؤثر في صحته[٢].

وذهب الحنابلة في رواية إلى القول ببطلان العقد إذا كان النجش بمواطأة البائع[٣]. واستدلوا على ذلك بأن البائع أحد ركني العقد، فارتكابه النهي يفسد البيع بخلاف الأجنبي[٤].

ويناقش هذا: بأن النهي عن النجش يعود إلى الناجش لا إلى العقد أو العاقدين، وهو خارج عن العقد فلم يؤثر في صحة العقد قياسًا على البيع وقت النداء[٥].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

٣-أثر النجش على العقد من حيث اللزوم وعدمه: ذهب الحنفية، والشافعية في الأصح، والحنابلة في رواية إلى القول بلزوم العقد وعدم ثبوت الخيار للمشتري[٦]. واستدلوا على ذلك بأن المشتري قد فرط في ترك التأمل حيث اشترى ما لا يعرف قيمته، ولم يرجع في ذلك إلى أهل الخبرة ممن يعرفون ثمن المبيع، فصح العقد منه ولزم[٧].

ويمكن أن يناقش هذا: بأن المشتري قد لا يستطيع الرجوع إلى أهل الخبرة إما لعدم توافر الوقت لديه أو لعدم معرفته بهم، أو لعدم تواجدهم في السوق حال إبرام العقد، كما أنه قد يكون تعاقد بناءً على تغرير الناجش فهو إذن غير مفرط، وفي ثبوت الخيار له مندوحة لدفع الضرر الواقع عليه دون إضرار بالبائع.

---

(١) المهذب للشيرازي ٢٩١/١.

(٢) العناية شرح الهداية ١٠٨/٥، المهذب ٢٩١/١، الأم ٩١/٣، المغني ٢٧٨/٤، المبدع في شرح المقنع ٧٨/٤.

(٣) المبدع في شرح المقنع ٨٠/٤، شرح الزركشي على مختصر الخرقي ٦٤٣/٣.

(٤) المبدع في شرح المقنع ٨٠/٤.

(٥) العناية على الهداية ١٠٨/٥، والمهذب ٢٩١/١، والمغني ٢٧٨/٤، والمبدع في شرح المقنع ٧٨/٤.

(٦) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر ١٠٠/٣، ١٠١، وحاشية الشلبي ٦٩/٤، ومغني المحتاج ٣٧/٢، روضة الطالبين ٤١٤/٣، والمبدع في شرح المقنع ٧٩/٤، ومطالب أولي النهى ١٠٠/٣.

(٧) المهذب ٢٩١/١، ومغني المحتاج ٣٧/٢، والمغني ٢٧٨/٤، والمبدع في شرح المقنع ٧٨/٤.

وذهب المالكية، والشافعية في مقابل الأصح، والحنابلة في المذهب إلى القول بعدم لزوم العقد وثبوت الخيار للمشتري[١]. واستدلوا على ذلك بأن الناجش دلس على العاقد فثبت له الخيار، كما لو دلس عليه بعيب[٢].

والراجح هو رأي المالكية ومن معهم، لأن هذا الرأي يتفق مع مبادئ العدالة التي تقضي برفع الظلم عن المظلوم، وذلك بثبوت الخيار للطرف المتضرر.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النجش.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النجش:

ذلك واضح من الحديثين: قال عبدالله البسام: "النجش معناه: أن يزيد الإنسان في السلعة لا لقصد شرائها، وإنما لقصد الإضرار بالمشتري برفع ثمنها عليه، أو لنفع البائع بزيادة الثمن له، وهو حرام، وإذا تحقق خُيِّر المشتري بين الإمساك ورد البيع، لما ناله من الخديعة والمكر وزيادة الثمن"[٤].

قال ابن قدامة: "النجش: أن يزيد في السلعة لا يريد شراءها ليقتدي به المستام، فيظن أنّه لم يزد فيها هذا القدر إلا وهي تساويه، فيغتر بذلك، فهذا حرام وخداع، قال البخاري: الناجش آكل ربا خائن، وهو خداع باطل لا يحلّ ... ولأن في ذلك تغريرًا بالمشتري وخديعة له، وقد قال النبي ﷺ: "الخديعة في النار"[٥].

---

(١) مواهب الجليل والتاج والإكليل على هامشه ٣٧٧/٤-٣٧٨، وحاشية الدسوقي ١١٠/٤، ومغني المحتاج ٣٧/٢، وروضة الطالبين ٤١٤/٣، والمبدع في شرح المقنع ٧٨/٤-٧٩، ومطالب أولي النهى ١٠٠/٣.

(٢) بداية المجتهد ١٣٤/٢، والمهذب ٢٩١/١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٥٨٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥٨٣)

(٤) توضيح الأحكام ٣٣١/٦ وانظر التعريفات للجرجاني، ص٢٩٥.

(٥) المغنى ٣٠٤/٦-٣٠٥.

وعبارة البخاري في صحيحه أنه بّوب في كتاب البيوع: باب النجش ومن قال: لا يجوز ذلك البيع[١] ثم قال: وقال ابن أبي أوفى: "الناجش آكل ربا خائن" وهو خداع باطل لا يحلّ. قال النبي ﷺ: "الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ".

وقال ابن حجر في شرح هذا: "قوله: "باب النجش" بفتح النون وسكون الجيم بعدها معجمة، وهو في اللغة: تنفير الصيد واستثارته من مكانه ليصاد، وفي الشرع: الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها. سمى بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع فيشتركان في الإثم، ويقع ذلك بغير علم البائع فيختص بذلك الناجش، وقد يختص به البائع، كمن يخبر بأنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك[٢] كما سيأتي من كلام الصحابي في هذا الباب. وقال ابن قتيبة: النجش: الختل والخديعة، ومنه قيل للصائد ناجش لأنه يختل الصيد ويحتال له. قوله: ومن قال: "لا يجوز ذلك البيع" كأنه يشير إلى ما أخرجه عبدالرزاق من طريق عمر بن عبدالعزيز: "إن عاملاً له باع سبيًا فقال له: لولا أني كنت أزيد فأنفقه لكان كاسدًا، فقال له عمر هذا نجش لا يحل، فبعث مناديًا ينادي: إن البيع مردود وإن البيع لا يحل، قال ابن بطال: أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله... قوله: وقال ابن أوفى: الناجش آكل ربا خائن هذا طرف من حديث أورده المصنف في الشهادات في " باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾[٣].

ثم ساق فيه من طريق السكسكي عن عبدالله بن أبي أوفى قال: أقام رجل سلعته فحلف بالله لقد أعطى فيها ما لم يعط فنزلت. قال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن، أورده من طريق يزيد بن هارون عن السكسكي[٤]. وقد أخرجه ابن أبي شيبة

---

(١) وأخرج تحته الحديث ٢١٤٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ عن النجش.

(٢) قال ابن قدامة: لو قال: أعطيت بهذه السلعة كذا وكذا، فصدقه المشتري واشتراها بذلك ثم بان كذبه فالبيع صحيح، وللمشتري الخيار أيضًا، لأنه في معنى النجش المغنى ٣٠٥/٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٧ .

(٤) أخرجه البخاري ٢٦٧٥، قال حدثني إسحاق أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام قال: حدثني إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي.

وسعيد بن منصور عن يزيد مقتصرين على الموقوف، وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن ابن أبي أوفى مرفوعًا لكن قال: "ملعون" بدل خائن أهـ. وأطلق ابن أبي أوفى على من أخبر بأكثر مما اشترى به أنه ناجش، لمشاركته لمن يزيد في السلعة وهو لا يريد أن يشتريها في غرور الغير، فاشتركا في الحكم لذلك وكونه آكل ربا بهذا التفسير، وكذلك يصح على التفسير الأول إن واطأه البائع على ذلك وجعل له عليه جعلاً فيشتركان جميعًا في الخيانة، وقد اتفق أكثر العلماء على تفسير النجش في الشرع بما تقدم، وقيد ابن عبدالبر وابن العربي وابن حزم التحريم بأن تكون الزيادة المذكورة فوق ثمن المثل، قال ابن العربي: فلو أن رجلاً رأى سلعة رجل تباع بدون قيمتها فزاد فيها لتنتهي إلى قيمتها لم يكن ناجشًا عاصيًا بل يؤجر على ذلك بنيته، وقد وافقه على ذلك بعض المتأخرين من الشافعية، وفيه نظر إذ لم تتعين النصيحة في أن يوهم أنه يريد الشراء وليس من غرضه، بل غرضه أن يزيد على من يريد الشراء أكثر مما يريد أن يشتري به، فللذي يريد النصيحة مندوحة عن ذلك، أن يعلم البائع بأن قيمة سلعتك أكثر من ذلك ثم هو باختياره بعد ذلك، ويحتمل أن لا يتعين عليه إعلامه بذلك حتى يسأله للحديث الآتي "دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه[1]. والله أعلم قوله: وهو خداع باطل لا يحل، هو من تفقه المصنف، وليس من تتمة كلام ابن أبي أوفى، وقد ذكرنا توجيه ما قاله المصنف قبل. قوله: قال النبي ﷺ: الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"، أما الحديث الثاني فسيأتي موصولاً من حديث عائشة في كتاب الصلح[2].

وأما حديث الخديعة في النار، فرويناه في "الكامل لابن عدي" من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المكر والخديعة في النار"

---

(١) أخرجه أحمد ٤١٩/٣، رقم ١٥٤٥٥ من حديث حكيم بن أبي يزيد قال حدثني أبي مرفوعًا: "دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه. وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره أهـ، وانظر تتمة تخريجه في ١٩٣/٢٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٧٥، ومسلم ١٧١٨ واللفظ لمسلم.

لكنت من أمكر الناس، وإسناده لا بأس به. وأخرجه الطبراني في "الصغير" من حديث ابن مسعود والحاكم في "المستدرك" من حديث أنس وإسحق بن راهويه في مسنده من حديث أبي هريرة وفي إسناد كل منهما مقال، لكن بمجموعهما يدل على أن للمتن أصلاً، وقد رواه ابن المبارك في "البر والصلة" عن عوف عن الحسن قال: "بلغني رسول الله ﷺ قال: فذكره[1]. قوله "عن النجش" تقدم أن المشهور أنه بفتح الجيم وحكى المطرزي فيه السكون"[2].

ومما هو جدير بالذكر أن مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي قد حرّم النجش وذلك في دورته الثامنة التي عقدت في بروناي دار السلام ١-٧ المحرم ١٤١٤هـ، ٢١-٢٧ يونيو ١٩٩٣م وقد أصدر قرارًا بذلك جاء فيه:

"النجش حرام، ومن صوره:

أ- أن يزيد في ثمن السلعة من لا يريد شراءها ليغري المشتري بالزيادة.

ب- أن يتظاهر من لا يريد الشراء بإعجابه بالسلعة وخبرته بها، ويمدحها ليغرّ المشتري فيرفع ثمنها.

ج- أن يدعي صاحب السلعة أو الوكيل أو السمسار ادعاءً كاذبًا أنه دُفِع فيها ثمن معين ليدلس على من يسوم.

د- ومن الصور الحديثة للنجش المحظورة شرعًا، اعتماد الوسائل السمعية والمرئية والمقروءة، التي تذكر أوصافًا رفيعة لا تمثل الحقيقة، أو ترفع الثمن لتغر المشتري وتحمله على التعاقد"[3].

---

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ٥٨٤/٤ من حديث قيس بن سعد رضي الله عنه والحاكم ٦٠٧/٤ من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه ابن حبان ٥٦٧ والطبراني في الكبير ١٠٢٣٤ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه البزار ١٠٣، كشف الأستار وابن عدي ١٦٣٤/٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أبو داود في المراسيل ١٦٥ عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً. وانظر حاشية المحققين على تفسير القرطبي ٣٩٩/١٧ ط الرسالة.

(٢) فتح الباري ٣٥٥/٤-٣٥٦ ط السلفية.

(٣) نقلًا عن توضيح الأحكام ٤٧٤/٤.

ثانيًا - من أساليب الدعوة: النهي:

ذلك في قوله ﷺ "لا تناجشوا"، أي لا تفعلوا النجش[1]. كما جاء النهي أيضًا عن طريق إخبار الصحابي عن نهي النبي ﷺ عن ذلك. وجاء النهي عن النجش ليحمي المعاملات بين المدعوين من الغش والخديعة والاحتيال، مما ينتج عنه العداوة والبغضاء وأكل الأموال بالباطل.

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ١١٨/٤٠، ومراجعها ومصادرها.

الحديث رقم (١٥٨٣)

١٥٨٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، نهى عن النَّجْشِ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

النجش: الزيادة في ثمن السلعة، ولا يريد شراءها ولكن ليغرر الآخرين فيشتروها بسعر مرتفع[٢].

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم واللفظ له (١٥١٦/١٣).

(٢) معجم لغة الفقهاء ٤٤٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق

الحديث رقم (١٥٨٤)

١٥٨٤- وعنه، قَالَ: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي البُيُوعِ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ)). متفق عَلَيْهِ[1].

(الخِلاَبَةُ) بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

لا خلابة: لاخداع[2].

الشرح الأدبي

الرسول ﷺ لا يسكت عن خطأ يراه أو يخبر عنه إلا قوَّمه وقصة هذا الرجل الذي يخدع في البيوع من هذه النوعية، وقول الرسول ﷺ (مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ) ومعنى لا خلابة لا خديعة أي لا تحل لك خديعتي أو لا يلزمني خديعتك وهو علامة صفاء تغرس الثقة بين المتبايعين بحيث لا يخدع أحدهما الآخر وتقوم المعاملة بينهما على الصدق فيبارك لهما.

فقه الحديث

١-حكم البيع بشرط الخيار: اتفق الفقهاء على جواز البيع بشرط الخيار[3].

٢-حكم ثبوت الخيار للمغبون: ذهب جمهور الفقهاء، الحنفية، والمالكية في الأصح، والشافعية في الأصح والحنابلة في قول ضعيف إلى القول بعدم ثبوت الخيار

---

(١) أخرجه البخاري (٢١١٧)، ومسلم (١٥٣٣/٤٨) واللفظ له.

(٢) النهاية في (خ ل ب).

(٣) العناية شرح الهداية ٢٩٨/٦، والاختيار ١٤/٢، والمنتقى شرح الموطأ ١٠٨/٥، المجموع شرح المهذب ٢٢٤/٧، والمغني ٢٢/٤، والفروع لابن مفلح ٩٩/٤، ومطالب أولي النهى ١٠٢/٣، وفتح الباري ٤١٤/٤.

للمشتري بالغبن[١]. وقالوا إن الحديث الوارد في الباب خاصٌ بحبّان بن منقذ، فلا يقاس عليه[٢].

وذهب المالكية في رواية، والحنابلة في الراجح إلى القول بإثبات الخيار للمغبون بشرط أن يبلغ الغبن ثلث القيمة، فإن كان دونه فلا يثبت له الخيار، واستدلوا بحديث الباب[٣].

وذهب ابن حزم إلى أن من قال حين يبيع أو يشتري لا خلابة فله الخيار مطلقًا سواء أكان مغبونًا أم لا، أما إذا قال لفظًا غير لا خلابة كما لو قال لا خديعة أو لا غش أو غيرهما فلا يثبت له الخيار[٤].

والراجح هو الرأي القائل بإثبات الخيار للمغبون غبنًا فاحشًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: استشارة الداعية.

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن الخداع في البيوع.

أولاً - من آداب المدعو: استشارة الداعية:

حيث جاء في الحديث: "ذكر رجل لرسول الله ﷺ أنه يخدع في البيوع؟" وهذا يدل على استشارته لرسول الله ﷺ عن أنه يخدع في البيوع، وقد قال الله لنبيه ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[٥]. قال الإمام ابن كثير:

---

(١) بدائع الصنائع ٢٢٦/٥، والاختيار ٣٦/٢، والمنتقى شرح الموطأ ١٠٨/٥، و المجموع شرح المهذب ٢٢٤/٧، والمغني ٢٢/٤، والفروع لابن مفلح ٩٩/٤، ومطالب أولي النهى ١٠٢/٣، فتح الباري ٤١٣/٤، وسبل السلام ٤٩/٢.

(٢) المغني ٢٢/٤.

(٣) المنتقى شرح الموطأ ١٠٨/٥، والمنتقى ٢٢/٤، والفروع ٩٩/٤، ومطالب أولي النهى ١٠٢/٣.

(٤) المحلى ٣١٦/٧-٣١٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

"كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطييبًا لقلوبهم ليكون فيما يفعلونه أنشط لهم"[١]. قال الإمام الماوردي:

"ومن الحزم لكل ذي لب، ألا يبرم أمرًا، ولا يمضي عزمًا، إلا بمشورة ذي الرأى الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور، فيسددها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأى، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدًا، ولا يطيع مرشدًا. وقال عمر بن عبدالعزيز: إن المشورة والمناظرة بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضل معهما رأى، ولا يفقد معهما حزم[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث: «مَنْ بَايَعْتَ فَقُلْ: لاَ خِلاَبَةَ» فأرشده النبي ﷺ إلى ما يفعله إزاء خداعه في البيع من الناس، وإرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم من أولى مهام الداعية، ذلك لأنهم يتوسمون فيه الخير دائمًا، ويثقون فيما يقول لهم، وقد بين النبي ﷺ ثواب من يرشد ويدل على الخير وعلى ما ينفع الناس، فعن ابن مسعود الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أُبْدِعَ[٣] بِي فَاحْمِلْنِي. فَقَالَ: «مَا عِنْدِي» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا أَدُلُّهُ عَلَى مَنْ يَحْمِلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ أو قَالَ عَامِلِه»[٤]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: "لا تخفي حاجة المجتمعات والأفراد إلى الإرشاد والتوجيه والدلالة، على الخير وأبوابه، وبهذا المعنى الواسع، فإن الإرشاد بمعنى الهداية والتعليم والوعظ، من الأمور المهمة في الحياة"[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: البعد عن الخداع في البيوع:

يتضح هذا من سياق الحديث، قال ابن حجر: وقوله "لا خلابة"، أى: لا خديعة،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٤٩/٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ٢٨٩.

(٣) أبُدِعَ بي: أي هلكت دابتي وهي مركوبي. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ٣٩/١٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ١٧٩/٢.

والمراد لا خديعة في الدين لأن الدين النصيحة، قال العلماء: لقنه النبي ﷺ هذا القول ليتلفظ به عند البيع، فيطلع به صاحبه على أنه ليس من ذوي البصائر في معرفة السلع ومقادير القيمة، فيرى له كما يرى لنفسه لما تقرر من حض المتبايعين على أداء النصيحة"[1]، وقال شرف الحق العظيم آبادى: "وكان الناس في ذلك أحقاء لا يغبنون أخاهم المسلم، وكانوا ينظرون له كما ينظرون لأنفسهم"[2]. ومن هنا وجب على الدعاة أن يوجهوا الناس إلى البعد عن الخداع في البيع والشراء وسائر التعاملات، لأن ذلك ليس من أخلاق أهل الإسلام".

قال المازري: ذكر قوله ﷺ للرجل الذي شكا إليه أنه يخدع في البيوع، فقال ﷺ: "من بايعت فقل لا خلابة".

قال: غبن المسترسل وهو المستسلم لبيعه ممنوع، وإذا وقع فله القيام ولا يلزمه الغبن، وإن لم يستسلم لبيعه وما كسبه وكان بصيرًا بالقيمة عارفًا بها فلا قيام له، لأنه يكون حينئذ كالواهب لما غبن فيه وإن كان غير بصير بالقيمة، فهذا موضع اختلاف الأئمة.

وقد تجاذبوا الاستدلال بالكتاب والسنة واستدلوا أجمعون بقوله عز وجل: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[3]. فقال من أثبت الخيار بالمغابنة، إن إمضاءها عليه أكل المال بالباطل، وقد نهت عنه هذه الآية.

وقال: من أمضى البيع عليه فإن ذلك عن تراض وقد استثنته هذه الآية.

وكذلك أيضًا تجاذبوا هذا الحديث، فقال بعضهم: فإنه ﷺ أثبت له الخيار في بعض طرق هذا الحديث؛ فذلك يدل على ما قلناه من إثبات الخيار للمغبون.

وقال: من أمضى عليه المغابنة لو كان له ذلك بمجرد الغبن ما افتقر إلى الشرط، وهو قوله: "لا خلابة". ورجح من أثبت الخيار مذهبه بما قدمناه في حديث النهي عن تلقي

---

(١) فتح الباري ٤/٣٩٦.

(٢) عون المعبود ١٤٩٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٩.

الركبان، لأنه ﷺ أثبت للجالب الخيار إذا جاء إلى السوق، قالوا: وليس ذلك إلا للغبن وقد تقدم كلامنا على هذا الحديث في موضعه، فإذا قلنا بإثبات الخيار بالمغابنة، فإنما ذلك فيما خرج عن المعتاد منها، الذي لا تكاد تسلم منه البياعات، وقد حده بعض أصحابنا بالثلث، لأن أكثر البياعات لا تسلم من الغبن اليسير، ولهذا انتصب التجار، وعليه يقع أكثر البياعات، وكأن المغبون على ذلك دخل.

وقد قال بعض الناس: في هذا الحديث دلالة على أن الكبير إذا سفه لا يحجر عليه. وقال بعضهم: هذا لا تعلق لهم فيه لأنه لا يجب الحجر على المغبون وانتزاع ماله من يده إذا كان ممسكًا له، ولكنه ينهي عن التجارة المؤدية لإضاعته.

وقوله: "كان الرجل إذا بايع يقول: "لا خيابه" أشار بعضهم إلى أنه كان ألثغ فلهذا غَيَّر الكلمة"[1].

قال القاضي عياض: (وهذا الرجل هو حبان بن منقذ بن عمرو الأنصاري، والد يحيى، وواسع بن حبان، شهد أحدًا، وقيل: بل هو منقذ أبوه، وكان قد أتى عليه مائة وثلاثون سنة، وكان شج في رأسه في بعض مغازيه مع النبي عليه السلام على بعض الحصون بحجر مأمومة، تغير منها لسانه وعقله، وذكر الدارقطني: أنه كان ضرير البصر، وروى أن النبي عليه السلام جعل له هذه الثلاث، وكان أكثر مبايعته بالدقيق، شهر فيها وتبين غبنه. وقد روى أيضًا أن النبي عليه السلام جعل له مع هذا خيار ثلاثة أيام فيما اشتراه، أو في كل سلعة ابتاعها.

وقد اختلف الناس في معنى هذا الحديث، فبعضهم جعله خاصًا لهذا الرجل وغيره، وأن المغابنة بين الناس ماضية وإن كثرت، وهو قول مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقيل: للمغبون الخيار لهذا الحديث إذا كثرت، وإليه ذهب البغداديون من المالكيين وحددوها بالثلاث، وصار الحديث عامًا متعديًا.

وقد اختلف الأصوليون في قضايا الغبن، هل تعدى أم تقصر إلا بدليل؟ وقد اختلف

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٥٠٨/١، ٥٠٩.

المذهب عندنا فيمن يخدع في البيوع، هل يضرب على يديه أم لا؟ وقال بعضهم: فيه حجة على إمضاء بيع من لا يحسن النظر لنفسه وشرائه ما لم يحجر عليه، وفي مذهبنا في ذلك وغيره اختلاف معلوم[1].

وإذا كان قد ثبت خيار الشرط من خلال هذا الحديث (فإن حكمة تشريع الخيار: هو تلافي النقص الحاصل بعد تخلف شريطة لزوم العقد. وذلك بعد أن تحققت شرائط الانعقاد والصحة والنفاذ، أي أن الخيارات الحكمية لتخفيف مغبة الإخلال بالعقد في البداية لعدم المعلومية التامة، أو لدخول اللبس والغبن ونحوه مما يؤدي إلى الإضرار بالعاقد، أو في النهاية كاختلال التنفيذ.

فالغاية من الخيارات الحكمية تمحيص الإرادتين، وتنقية عنصر التراضي من الشوائب، توصلاً إلى دفع الضرر عن العاقد.

والغرض من الخيارات هو التأمل في صلوح الشيء له وسد حاجته في الشراء، وذلك للترفيه عن المتعاقد لتحصيل مصلحة يحرص عليها. والتروي سبيله أمران: "المشورة" للوصول إلى الرأي الحميد، أو الاختبار وهو تبين خبر الشيء بالتجربة أو الاطلاع التام على كنهه، قال ابن رشد: "والخيار يكون لوجهين: لمشورة واختبار المبيع، أو لأحد الوجهين. ويقول بعدئذ: العلة في إجازة البيع على الخيار وحاجة الناس إلى المشورة فيه، أو الاختبار.

وهناك ثمرة عملية أخرى لتحديد الغرض من الخيار، تلك هي أن أمد الخيار -وهو عند المالكية ملحوظ فيه العرف والعادة- شديد الارتباط بالغرض من الخيار. فإذا كانت العلة في إجازة المبيع على الخيار حاجة الناس إلى المشورة فيه، أو الاختبار، فحده قدر ما يختبر فيه المبيع، ويرتأى فيه ويستشار على اختلاف أجناسه، وإسراع التغير إليه وإبطائه عنه.. فأمد الخيار في البيع إنما هو بقدر ما يحتاج إليه في الاختبار والارتياء، مع مراعاة إسراع التغير إلى المبيع وإبطائه عنه، خلافًا للشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله في قولهما: إنه لا يجوز الخيار في شيء من الأشياء فوق ثلاث[2].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٦٥/٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، ٤٦/٢٠، ٤٧.

الحديث رقم (١٥٨٥)

١٥٨٥- وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا)). رواهُ أَبُو داود[1].

(خَبب) بخاءٍ معجمة، ثُمَّ باءٍ موحدة مكررة: أيْ أفْسده وخدعه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

خبب: خدع، وأفسد[2].

الشرح الأدبي

الحديث خبري قصير خال من المؤكدات يسوق المعنى في هدوء، وثقة حتى يتم المعنى، والخب: الخداع، وهو الساعي بالفساد بين الناس رجل خب وامرأة خبة وقد تكسر خاءوه والمصدر بالكسر لا غير ومنه الحديث لا يدخل الجنة خب ولا خائن ومنه الحديث الآخر الفاجر خب لئيم ومنه الحديث من خبب امرأة أو مملوكا على مسلم فليس منا أي خدعه وأفسده كذا في النهاية والمجمع، وقوله: (من خبب زوجة امرئ) أي خدعها وأفسدها أو حسن إليها الطلاق ليتزوجها أو يزوجها لغيره أو غير ذلك (أو مملوكه) أي أو أمته أي أفسده عليه وقوله (فليس منا) نفي لكونه من المؤمنين يحرم به من رفقة الصالحين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة الإفساد بين الزوجين والخديعة.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: إصلاح ذات البين.

---

(١) برقم (٥١٧٠). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٨٨).

(٢) النهاية في (خ ب ب).

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث" من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة النافعة في إرشاد المدعوين، حيث يلفت انتباه المدعو ويشده إلى معرفة الجواب، ويبين مدى ارتباط الشرط بالجواب، فالجزاء من جنس العمل، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[2].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطورة الإفساد بين الزوجين والخديعة

حيث جاء في الحديث "من خبب زوجة امرئ أو مملوكة فليس منا" قال ابن الأثير: "والخب هو الخداع"، وهو الرجل الذي يسعى بين الناس بالفساد، وقوله في الحديث "خبب امرأة أو مملوكًا" أى خدعه وأفسده"[3].

وقال شرف الحق العظيم آبادي: وقوله: "من خبب زوجة امرئ : أي خدعها وأفسدها أو حسن إليها الطلاق ليتزوجها أو يزوجها لغيره أو غير ذلك " أو مملوكه"، أى أو أمته أى أفسده عليه بأن لاط أو زنى به، أو حسن إليه الإباق أو طلب البيع ونحو ذلك، وقوله "فليس منا" أى ليس من العاملين بأحكام شرعنا"[4].

وقال ابن علان: "ومعنى خبب أى: أفسدها عليه وأوقع بينهما الشقاق والتنافر فحملها على الخروج عن طاعته، والمراد بقوله "ليس منا" أى: ليس على هدينا لأن شأن المؤمن التعاون والتناصر وهذا بخلافه"[5].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٣) النهاية ٢٥١.

(٤) عون المعبود ٢٢٠١.

(٥) دليل الفالحين ١٦٣٤.

وقال د. الحسيني هاشم: "وفي الحديث التحذير من إفساد النساء والخدم والعبيد والعمال بإغرائهم وإفسادهم على من هم من أتباعه"[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: "والتخبيب مصدر خبّب ومعناه في اللغة إفساد الرجل عبدًا أو أمة لغيره أو صديقًا على صديقه، وتخبيب زوجة الغير خداعها وإفسادها أو تحسين الطلاق إليها ليتزوجها أو يزوجها غيره، والتخبيب لا يكون إلا في الشر وهو حرام، وأما عقوبة المخبب فلا خلاف بين الفقهاء في أن المعصية التي لاحد فيها ولا كفارة عقوبتها التعزير بما يراه الإمام مناسبًا، وفعل المخبب هذا لا يخرج عن كونه معصية لا حد فيها ولا كفارة"[٢].

ثالثًا - من أهداف الدعوة: إصلاح ذات البين:

إن الإسلام يدعو إلى الألفة والتجانس، والبعد عن العداوة والتباعد، ومن ثم حث أتباعه على ضرورة السعي بالإصلاح وترك الإفساد وما يؤدي إلى الخلاف والشقاق، ويتضح هذا من سياق الحديث، حيث حذر النبي ﷺ من يسعى بالتحريض والإفساد بين الزوجين أو بين العبد وسيده.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[٣]، "فنهى سبحانه وتعالى عن طاعة الهماز الطعان، العياب المغتاب، الذي يمشي بين الناس بالوشاية والإفساد، لأنه باعث الفتن، وزارع الإحن، ومقطع الصلات، ومفرق الجماعات، يجعل الصديقين عدوين، والأخوين أجنبيين، والزوجين متنافرين، والولد حربًا لأبيه، والأب ضدًا لبنيه، فهو غراب بين، ونذير شر، وحمال حطب، ومشعل لهب. فكانت طاعته حرامًا، ونهيه لزامًا. فإياك أن تأخذ قوله مسلمًا، وترتب عليه عداء وتخاصمًا؛ فإنه فاسق. وقد أمرنا الله تعالى بالتثبت في خبره والتحري عن صدقه، قال

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٤٢.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية ١١/١٨-٢٠.

(٣) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.

سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]، بل إن كنت مؤمنًا كريمًا فلا تشغل نفسك بحديث الأنمّاء، ولا تضيع من وقتك في تسمع أخبار السفهاء. وظن الخير بإخوانك وأقربائك، واتهم النمام الجهول؛ بل قبح له عمله وبغض إليه نمّه، وقل له لا تفسد بيني وبين إخواني، ولا تبغض إلى أعواني، وخير لك أن تذكر ما يزيد الصلة متانة، وعرا الإخاء وثاقة، وإن من ينقل عن غيرك إليك أحاديث السوء، ينقل عنك إلى غيرك، فلا تجعله موضعًا لثقتك، واجعل وشايته دبر أذنك.

واعلم أن نقل الأنباء قد تكون فيه مصلحة شرعية، ومنفعة عمومية. كمن ينقل إلى شخص مكيدة[2]، يدبرها له الخصوم من قتل أو سرقة؛ وكمن يعرف الأئمة والملوك سيرة الحكام الظالمين، والموظفين الخائنين، فهذا لا حرج فيه بل ذلك واجب، حقنًا للدماء[3]، والأموال، ونصحًا للرعية والولاة. والدين نصيحة.

وقد بين الرسول ﷺ أن الجنة لا يدخلها قتات، لأنها دار المتقين، وهذا من المجرمين، ما لم يكن له من الحسنات ما يمحو أثر السيئات، أو الغرض من العبارة التحذير من القت، والتنبيه إلى خطر النم؛ أو المراد: لا يدخلها أول الأمر. حتى يطهر بالنار من خبث الوزر؛ ثم يدخلها طاهرًا طيبًا[4].

والذي يسعى بالفساد بين الزوجين أو بين العبد وسيده، إنما هو يلجأ إلى الكذب لتحقيق ما يصبو إليه.

"والكذب من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٢٠.

(٢) مكيدة: خديعة

(٣) حقنًا للدماء: حقن دم فلان: منعه أن يسفك.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ١٣٢.

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»[1]. والكلام وسيلة إلى المقاصد.

فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعًا، فالكذب فيه حرام، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك القصد مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، كما أن عصمة دم المسلم واجبة.

فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب، ومهما كان لا يتم مقصود الحرب، أو إصلاح ذات البين إلا بكذب فالكذب مباح، إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن.

لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه، فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة، فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة.

قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذي يُصلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أو يَقُولُ خَيْرًا»[2].

والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء، ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[3].

والكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه، وهو من سيء الأخلاق: والكذب من صفات المنافقين كما قال النبي ﷺ: «آيةُ المُنافِق ثلاثٌ إذا حَدَّثَ كَذَب، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا أؤْتُمِنَ خان»[4].

والكذب ضربان: كذب في الأقوال، وكذب في الأفعال.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٩٢ واللفظ له، ومسلم ٢٦٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ١١٠، ومسلم ٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٣، ومسلم ٥٩.

فكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال، فقد يفعل الإنسان فعلاً يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة.

والكذب في الأقوال أكثر من الأفعال؛ لسهولته، والكذب كله شر، والكذب في الأقوال خطير، وربما كان الكذب في الأفعال أشد خطرًا وأقوى تأثيرًا من الكذب في الأقوال، كما حكى الله من أقوال وأفعال إخوة يوسف حين ألقوه في الجب: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ۝١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ۝١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1].

فجمعوا بين كذب القول... وكذب الفعل.

ورخص الشرع في الكذب في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل مع امرأته، وحديث المرأة مع زوجها، وذلك على طريق التورية والتعريض دون التصريح به، كما سئل النبي ﷺ ممن أنت؟ فقال: "من ماء؟".

فورى عن الإخبار بنسبه بأمر محتمل.

وكما سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه في طريق الهجرة عن الرسول ﷺ فقال: هاد يهديني السبيل، فظنوا أنه يعني هداية الطريق، وهو إنما يعني هداية سبيل الخير.

وأسباب الكذب ودواعيه كثيرة، ومنها:

جلب النفع، ودفع الضر، فيرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم فيرخص فيه لنفسه؛ طمعًا في حصول ما يريده به.

ومنها أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذبًا، وكلامه مستظرفًا، فلا يجد صدقًا يعذب، فيستحلي الكذب الذي يسهل اجتراره، وتطرب الآذان عند سماعه.

ومنها حب الترأس، وذلك أن الكاذب يرى له فضلاً على المخبر بما أعلمه، فهو

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ١٦-١٨.

يتشبه بالعالم الفاضل في ذلك.

ومنها أن يكون الكذب له عادة، ونفسه إليه منقادة، فهو يألف دواعي الكذب ويستملحه.

ومنها أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه، فيسميه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

وأول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده، ثم يسري إلى الجوارح فيفسد عليها أعمالها، ويعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله، فيستحكم عليه الفساد ثم يهلك.

والكذب داء لا يصلح منه جد ولا هزل، يمزق الأمم، ويقطع الأرحام، وتؤكل به الحقوق، وتنتهك الحرمات، ويهدي إلى الفجور، كما قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ. فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ. وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا. وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ. فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ. وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ. وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[1].

وقال ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكم بأكبَر الكبائِر (ثلاثًا)؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالِدَين ـ وجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال ـ: ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يُكَرِّرُها حتّى قلنا: لَيتَهُ سَكَتَ»[2][3].

إن الإسلام حينما يمنع الإفساد في هذه الدائرة الضيقة، وهي دائرة الزوجة والعبيد والخدم، فإنما ذلك من أجل إقامة الوحدة الإسلامية في صورتها الأوسع والأكمل.

"ولقد حرص الإسلام على أن يقيم علاقة الجماعة المسلمة على أساس تقوية الروابط، وإصلاح ذات البين، ليجعل من المسلمين أمة قوية يحسب حسابها، ويرهب

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٩٤، ومسلم ٢٦٠٧ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٢٦٥٤ واللفظ له، ومسلم ٨٧.

(٣) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجري، ٣١٣٨-٣١٤١.

جانبها. ويوم أن كان المسلمون ينفذون هذه التعاليم، ويقيمون علاقتهم على هذه القواعد كانت رابطتهم أقوى من أن تحل، ووحدتهم أعصى من أن ينال منها عدو.

فلما فقدوا هذا الإحساس، وخمد فيهم هذا الروح، بدأ الضعف يدب في صفوفهم، وأخذت الفرقة تعمل عملها فيهم، مما نجم عنه أن أصبحت بلادهم نهبًا للاستعمار، ومناطق نفوذ لمن لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.

وكان أن انقسم الوطن العربي، والعالم الإسلامي، أشلاء ممزقة، وأجزاء موزعة. وبدلاً من أن تكون الأخوة والوحدة هما الرباط القوي بين هذه الشعوب الكثيرة العدد، الواسعة الرقعة، الغنية بما وهبها الله من ثروات، فشت فيهم هذه الإقليمية المحدودة المفرقة، وما هي إلا نعرة من نعرات الجاهلية؛ ودعوة من دعوات العصبية التي حاربها الإسلام.

ولئن كان ذلك جائزًا بين الأمم الكافرة، التي لا تجد من الروابط الأدبية ما يجمع شتاتها، غير هذه الروابط المادية؛ فما يجوز ذلك بين شعوب تظللها كلمة التوحيد، ويقول كتابها: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]. ويقول نبيها: «وكونوا عباد الله إخوانا»[2].

ولقد أدرك قادة الإصلاح هذه المبادئ، وعرفوا آثارها في الحاضر والمستقبل، فرأوا أن عليهم واجبًا؛ وأن لهم رسالة؛ وأنهم مسئولون عن إيجاد كيان موحد؛ يقف كالطود في وجه الأعداء؛ ويصد غارات المعتدين والغرباء، فدعوا إلى الوحدة وإلى التكتل والتجمع، وإلى النضال المشترك ضد الصهيونية والاستعمار، وما هذه الدعوة إلا إحياء لهذه الحكمة النبوية: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[3].

والغاية التي استهدفها الإسلام من أجل إقامة هذا الكيان، هي ما ذكره الله في قوله من سورة الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ ﴾[4])[5].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

(٤) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٧٨.

(٥) عناصر القوة في الإسلام، الشيخ السيد سابق، ١٩٢-١٩٣

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الاجتماعية:

إن من أهداف التربية الاجتماعية السامقة، إيجاد الترابط بين المسلمين، لذا نهى الإسلام عن الغش في الأقوال والأفعال والسلوك، ليظل هناك ترابط وقوة بين المسلمين، بدلاً من إفساد الود والحب بسبب الآثار الجانبية الناتجة عن الغش، والخداع.

إن من أهم ما ينبغي أن يركز عليه القائمون على التوجيه والتربية اجتناب كافة وسائل وأساليب الغش في الحياة، والتحذير من العواقب الوخيمة لهذا الأمر، لأن ذلك يتنافى مع القيم والمبادئ الإسلامية، ويعد الغش من الصور السلبية في التعامل التي يجب على المسلم أن يربي نفسه على البعد عنها، واجتنابها والحذر من الوقوع فيها، ولذا أراد النبي ﷺ أن يعالج تلك الظاهرة الاجتماعية الخطيرة فأعلن التبرؤ ممن يقوم بغش المسلمين في قوله ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

ومن أجل إبعاد المسلمين عن كل ألوان الغش، نهى رسول الله ﷺ في حديث الباب عن النجش -في أن يزيد إنسان في البيع ليقع غيره فيه- وذلك في قوله ﷺ: «لا تناجشوا»، وقد أكد النبي ﷺ في أحاديث الباب على أهمية الترابط الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم، بل وحذر في ذلك أشد التحذير بالنسبة لمن يفسد زوجة إنسان عليه، أو يفسد عليه خادمه أو مملوكه، وذلك في قوله ﷺ: «من خبب زوجة امرئ....إلخ».

لذا ينبغي للقائمين على التربية والتوجيه أن يبرزوا منهج التربية الإسلامية في علاج ظاهرة الغش وأشكالها وصورها مما يؤدي إلى فقد الثقة بين المسلمين، وانتشار العداوة والبغضاء بينهم نتيجة تلك الممارسات الشاذة التي تنم عن عدم الالتزام بالمبادئ والقيم الإسلامية، وحالة الإفلاس الأخلاقي التي تنجم عنها هذه السلوكيات السلبية.

ثانيًا: التوجيه غير المباشر:

لقد أرسى النبي ﷺ معالم التربية الإسلامية، واستطاع أن يصوغ هذا المجتمع

الإسلامي المتلاحم المتماسك الذي يراقب الله تعالى في كافة الأمور والتي من جملتها المعاملات الجارية بين الناس والتي تتم بصور مختلفة، وإذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الغش في كافة صوره وأشكاله، لأن ذلك يؤدي في العاجل إلى الكسب الحرام الذي سرعان ما يمحق وتعقبه الخسارة والندامة، فإنه ﷺ يوجه بأسلوب غير مباشر إلى التعامل المبني على الوضوح والصدق والشفافية، وبذل الأسباب المشروعة لتحصل الرزق الحلال، والوصول إلى الغايات المحمودة بالوسائل المشروعة، لأن ذلك أدعى لمرضاة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ، وسبب لحصول البركة، لأن المسلم حينما يتأدب بهذا الآداب الإسلامية ويوطن نفسه على هذا النمط التربوي السوي، يعيش في سلام نفسي، وانسجام ومحبة مع نفسه وإخوانه وجيرانه ومجتمعه، وكل من يتعامل معه.

ولذا فإن النبي ﷺ يوجه بأسلوب غير مباشر إلى أهمية الصدق والوضوح في المعاملات وهذا لا يتأتى بالطبع إلا إذا ابتعد الإنسان ونأى بنفسه عن مظاهر الغش والخداع، ومن الشواهد العملية على ذلك في حديث الباب قوله ﷺ: «... مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» - وذَلكَ بعْد أنْ نَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً عنْدمَا وضَعها في طَعَام - قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

ثالثًا: التربية بالترهيب:

إن التربية بالترهيب من أبرز الأساليب التربوية تأثيرًا في النفوس، وهذا ما أكدته أحاديث الباب حيث رهّب النبي ﷺ من الغش والخداع، وذلك في قوله ﷺ: «... مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وقوله ﷺ: «من خبب زوجة امرئ.... فليس منا» والترهيب هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد، أو تصور، وهو يقوم على وعيد بعقوبة أو حرمان منفعة، إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهى عنه[1].

ومن الملاحظ في التربية بالترهيب ألا يلجأ إليها المربي إلا بعد أن يستنفذ وسائل الترغيب والثواب فهو آخر وسيلة للتربية إن لم تنفع الموعظة والتوجيه والإرشاد والملاطفة والاقتداء، فيكون العقاب بعد ذلك.

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

وللترهيب في العملية التربوية درجات تبدأ من الكف عن التشجيع "وهذه في ذاتها عقوبة لمن كان يتلقى التشجيع من قبل"، إلى الإعراض المؤقت وإعلان عدم الرضا، إلى العبوس والتقطيب والزجر بصوت غاضب إلى المخاصمة الطويلة والمقاطعة "أو التهديد بالمقاطعة" إلى الحرمان من الأشياء المحببة للمتربي "أو التهديد بالحرمان منها"، إلى التهديد بالإيذاء، إلى الضرب الخفيف إلى الضرب الموجع، وتلك أقصى درجات الترهيب والعقاب"[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢٢٤.

٢٧٧- باب تحريم الغدر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[الإسراء: ٣٤].

الحديث رقم (١٥٨٦)

١٥٨٦- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: **((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَها: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ))** متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

خَصْلة: شعبة وصفة[٢].

النفاق: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر[٣].

فَجَر: انبعث في الكذب والفسق والعصيان[٤].

الشرح الأدبي[٥]

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤) واللفظ له، ومسلم (٥٨)، وتقدم برقم (٦٩٠، ١٥٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٢٦).

(٢) النهاية في (خ ص ل).

(٣) النهاية في (ن ف ق).

(٤) النهاية في (ف ج ر)، وعمدة القاري ٦/١٣.

(٥) تقدم ذكره في شرح الحديث رقم (٦٩٠).

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٩٠).

الحديث رقم (١٥٨٧)

١٥٨٧- وعن ابن مسعود، وابن عمر، وأنس رضي الله عنهم قالوا: قَالَ النَّبيّ ﷺ: ((لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

لواء: اللواء في الأصل بمعنى الراية، والمعنى في الحديث علامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث والذي يليه يدور حول الترهيب من الغدر لأنه من الأخلاق الذميمة التي نهى عنها الإسلام، وهذا الحديث يشير إلى موقف من مواقف الخزي للغادر يوم القيامة، وقد تصدر الحديثين لفظ الشمول (كل) المتصل باللام، واللام للملكية، والاختصاص ولفظ الشمول يعطي الحكم اطرادا يشمل كل أفراد الأمة حتى تقوم الساعة تحذيرا من التلبث بهذا الذنب، والغادر هو الذي يعد، ولا يوفي، وقوله (لواء) قال أهل اللغة اللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب أو صاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعا له قالوا فمعنى لكل غادر لواء أي علامة يشهر بها في

---

(١) حديث ابن مسعود أخرجه البخاري (٣١٨٦)، ومسلم (١٢/١٧٣٦) واللفظ له.

وحديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١١/١٧٣٥). تنبيه: حديث ابن عمر أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١٧).

وحديث أنس، أخرجه البخاري (٣١٨٧)، ومسلم (١٤/١٧٣٧). تنبيه: حديث ابن مسعود، مع أنس أخرجه البخاري جمعًا، ومسلم مفرقًا.

(٢) النهاية في (ل و أ).

الناس؛ لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحافلة لغدرة الغادر لتشهيره بذلك وأما الغادر فهو الذي يواعد على أمر ولا يفي به) وقوله في الحديث الأول (يَوْمَ القِيَامَةِ) يشير إلى عظمة الهول لأن هذه أكبر فضيحة يمكن أن تلحق بخائب في الدنيا، أو الآخرة، لاجتماع كل الخلائق، واشتداد الحر وكثرة العرق، وبحث الجميع عن مخرج، وزاد في الحديث الثاني قوله (عند استه) وهو يبين شدة قربه منه لمزيد الإهانة له، والتشهير به، وهو عذاب معنوي يتبعه عذاب حسي، وقوله (بقدر غدرته) يربط درجة الذنب بجزائه حتى يعلم كل فرد أنه يستقل أو يستكثر من سبب فضيحته، وقوله (يُقَالُ : هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ) فيه مزيد تشهير به زيادة في إهانته بالصوت، والصورة، وقوله فلان بن فلان كناية عن ندائه باسمه، وقوله في الحديث الثاني (ألاَ وَلاَ غَادِرَ أعْظَمُ غَدْراً مِنْ أمِيرِ عَامَّةٍ) وألا للتنبيه والأسلوب بعدها أسلوب نفي لأن يكون هناك غدر أعظم من غدر الأمير لأنه يعظم به الخطب وتعم به البلوى، بالإضافة إلى أنه لا يحتاج إلى الخداع .

المضامين الدعوية[1]

أولاً : من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانيًا : من موضوعات الدعوة: التحذير من الغدر.

ثالثًا : من موضوعات الدعوة: تحذير الحاكم من الغدر برعيته.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يتضح هذا من سياق الحديثين حيث رهّب رسول الله ﷺ من الغدر؛ بأن لكل غادر لواء يوم القيامة يشتهر به ليدل على فضيحته وشناعة أمره. ومما لاشك فيه أن أسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو وترهبه من المخالفات الشرعية، "والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٥٨٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥٨٨).

وعذابه في الآخرة"[١]، هذا "وإن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن والسنة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس، كل حسب ما يناسبه، على أن يقدموا الترغيب، لأنه فعل إيجابي ومطلوب من المسلمين أن يكونوا إيجابيين"[٢].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من الغدر:

حيث جاء في الحديثين قوله في الأول: "لكل غادر لواء يوم القيامة" وقوله في الحديث الثاني: "لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة يرفع له بقدر غدره".

قال النووي: "الغادر هو الذي يواعد على أمر ولا يفي به، واللواء الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، أو صاحب دعوة الجيش، ويكون الناس تبعًا له، قالوا: فمعنى لكل غادر لواء، أى علامة يشتهر بها في الناس لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر لتشهيره بذلك"[٣].

وقال ابن حجر: "قال ابن المنير: كأن الغادر عومل بنقيض قصده، لأن عادة اللواء أن يكون على الرأس، فنصب عند السفل زيادة في فضيحته، لأن الأعين غالبًا تمتد إلى الألوية، فيكون ذلك سببًا لامتدادها إلى التي بدت له ذلك اليوم، فيزداد بها فضيحته"[٤].

وقال ابن علان: "وينشر له اللواء زيادة في فضيحته وشناعة أمره وشهرته بذلك في ذلك الملأ العام"[٥]. ولاشك أن كل هذا يبين خطورة الغدر وعدم الوفاء.

ومما يدل على تحريم الغدر ما جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١١٧.

(٤) فتح الباري ٣٢٨/٦.

(٥) دليل الفالحين ١٦٣٥.

الله ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ»(١).

قال القاضي عياض: وقوله: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، يقال: هذه غدرة فلان"، وفي بعض طرقه: "يعرف به"، وفي آخر"يرفع له عند استه". وفي آخر: "بقدر غدرته، ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة": أصل رفع اللواء للشهرة والعلامة، ولهذا قال: "لكل غادر لواء بقدر غدرته"، ولما كان الغدر مكتومًا ومستترًا به شهر به صاحبه، وكشف ستره لتتم فضيحته، ويتشنع ذلك معاقبة كما شهر امرؤ القيس في الآخرة بلواء الشعر، وبعد ذلك في الفخر والمجد شهرة نبينا ﷺ بلواء الحمد، واشتمل عليه عموم الحمد باسمه محمد وأحمد، فيكون من المبالغة في حمد فعاله وخصاله، ومن المبالغة في حمده هو نعم ربه وثناؤه عليه، كما قال: "فأحمده بمحامد" ثم يفتح عليه فيه من المحامد ما لم يعط غيره، ويبعثه ربه المقام المحمود كما وعده، يحمده فيه الأولون والآخرون، وسمى أمته الحامدين. وفي هذا كله دليل على قبح الغدر، والوعيد الشديد عليه، لاسيما في معاهدة العدو.

وقد رأى بعض أهل العلم الجهاد مع الولاة الظلمة، وإن جاروا ولم يقسموا الغنائم وغير ذلك؛ إذ لو ترك الجهاد معهم لتغلب العدو، إلا إذا كانوا يعدون ويجهزون لهذا الذي قدمناه - والله أعلم - ورأى بعضهم الجهاد معهم على كل حال، وأباه بعضهم على كل حال(٢).

وقال القرطبي: (قوله: "لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له" هذا منه ﷺ خطاب للعرب بنحو ما كانت تفعل؛ وذلك": أنهم يرفعون للوفاء راية بيضاء، وللغدر راية سوداء، ليشهروا به الوفيّ، فيعظموه، ويمدحوه، والغادر فيذموه، ويلوموه بغدره. وقد شاهدنا هذا فيهم عادة مستمرة إلى اليوم، فمقتضى هذا الحديث: أن الغادر يفعل به مثل ذلك؛ ليشهر بالخيانة والغدر، فيذمه أهل الموقف، ولا يبعد أن يكون الوفي بالعهد يرفع له

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣٩/٦.

لواء يعرف به وفاؤه وبره، فيمدحه أهل الموقف، كما يرفع لنبينا محمد ﷺ لواء الحمد فيحمده كل من في الموقف.

وقوله: "بقدر غدرته" يعني: أنه إن كانت غدرته كبيرة عظيمة رفع له لواء كبير، عظيم، مرتفع، حتى يعرفه بذلك من قرب منه ومن بعد.

وقوله: "عند استه" معناه - والله أعلم - : عند مقعده؛ أي: يلزم اللواء به، بحيث لا يقدر على مفارقته ليمر به الناس فيروه، ويعرفوه، فيزداد خجلاً، وفضيحة عند كل من مر به)[1].

إن المسلم الحق يعرف الوفاء، ولا يعرف الغدر، فإن الغدر ونقض العهود والمواثيق من شيم أهل النفاق والمنافقين.

"إن المؤمن صادق القول، وَفِيُّ العهد، ليس الغدر من شيمته، لأنه يخل بنظام الحياة، ويفسد على المرء تدبيره لمصلحته، وهو ضرب[2] من الكذب. والكذب رأس النفاق. وإضرار بمن عاهده. ولا ضرر ولا ضرار.

وقد بين الرسول ﷺ في هذا الحديث أن الغادر يشهر به على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حيث العالم كله مجتمع، فينصب له لواء، ويرفع له علم في الموقف بحيث تراه العيون. ويقال: هذه غدرة فلان بن فلان؛ تشنيعًا [3]عليه وتقبيحًا وتوبيخًا له وتعذيبًا؛ وتصور أنك في حفلة جامعة. وأنك بين يدي مليك؛ ثم نادى مناد هذا فلان المجرم؛ هذا الذي غدر، هذا الذي كذب؛ ألا تكاد تصعق[4] من هذه النسبة، إن كانت كاذبة فما بالك بها إن كانت صادقة؟ فإذا كان هذا الأثر في مجتمعاتنا الخاصة، فما بالك بالمحشر العام الذي لا يدع مخلوقًا -من يوم أن كان آدم عليه السلام إلى أن يورث الله الأرض ومن عليها- إلا ضمه ذلك الموقف، الذي يتجلى فيه رب العالمين ويحاسب كل إنسان

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٣/٥٢٠.

(٢) ضرب: صنف ونوع.

(٣) تشنيعًا: شنع فلانًا: عابه وفضحه.

(٤) تصعق: صعق الرجل: غُشي عليه وهلك.

على الصغير والكبير؛ لاشك أن العذاب مبرح والهول مفزع؛ إذ تقول: ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله؛ وهذا اللواء المرفوع قد يكون لواءً حقيقيًا، فيه رمز لصاحبه، وإشارة إلى غدرته، وقد يكون الغرض إشهار الغدرة من غير ملاحظة أن يكون هناك لواء مرفوع.

والغرض من الحديث التنفير من الغدر، وبيان أنه جريمة كبيرة، وأن صاحبه عند الله مهين وعذابه أليم[1].

وقال شهاب الدين الأبشيهي: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثلاث من كن فيه كن عليه؛ البغي والنكث والمكر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[4]، وكم أوقع القدر في المهالك من غادر، وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر، وطوقه غدره طوق خزي، فهو على فكه غير قادر، وأوقعه في خطة خسف، وورطة حتف، فما له من قوة ولا ناصر. ويشهد لصحة هذه الأسباب ما جاء في القرآن من قصة الذي عاهد الله ثم غدر ولم يف بعهده، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[5].

---

(١) الأدب النبوي، الشيخ محمد عبدالعزيز الخولي، ص١٥٨، ١٥٩.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٣.

(٣) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ٤٣.

(٥) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٨.

ومما يشتهر على الألسنة أن هذه الآيات نزلت في ثعلبة بن حاطب الأنصاري البدري، وهي قصة باطلة منكرة. قال ابن حجر: وفي كون صاحب هذه القصة إن صح الخبر، ولا أظنه يصح هو البدري المذكور قبله نظر.

وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول بن الكلبي إن البدري استشهد بأحد. =

فانظر إلى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره، ووسمه بسمة عار قضت عليه بخسره، وأعقبه نفاقًا يخزيه يوم فاقته وفقره. فأي خزي أرجح من ترك الوفاء بالميثاق؟ وأي سوء أقبح من غدر يسوق إلى النفاق؟ وأي عار أفضح من نقض العهد إذا عدت مساوئ الأخلاق؟ وكان يقال: لم يغدر غادر قط إلا لصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره، في جنب نيل المكارم. قال الشاعر:

غَدَرْتَ بأمرٍ كنتَ أنت جذبتنا ... إليه وبئس الشيمةُ الغدرُ بالعهد

ولما حلف محمد الأمين للمأمون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد، طالبه جعفر بن يحيى أن يقول: خذلني الله إن خذلته. فقال ذلك ثلاث مرات. فقال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله: يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري لا يتم. فقلت له: ولم ذلك أعز الله الأمير؟ قال: لأني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر، وكان كذلك لم يتم أمره.

وممن غدر، عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله، غدر بعلي رضي الله عنه وقتله. وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام رضي الله عنه وقتله. وأبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله، غدر بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتله. وجعل المنصور العهد إلى عيسى بن موسى، ثم غدر به وأخره، وقدم المهدي عليه، فقال عيسى:

= ويقوي ذلك أيضًا أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة، قال: وذلك أن رجلًا يقال له ثعلبة ابن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلسًا فاشهدهم؛ فقال: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية، فذكر القصة بطولها، فقال: إنه ثعلبة ابن أبي حاطب، والبدري اتفق على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَّةَ». انظر ما أخرجه مسلم ٢٤٩٥. وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: "اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم"، أخرجه البخاري ٣٠٠٧، ومسلم ٢٤٩٤، فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقًا في قلبه وينزل فيه ما نزل، فالظاهر أنه غيره. والله أعلم. (الإصابة، ١٥٦)

وقال الألباني عن كون صاحب القصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري البدري: وهذا حديث منكر على شهرته. وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٣٥/٣) سنده ضعيف. وقال الحافظ في تخريج الكشاف (١٣٣/٧٧/٤) إسناده ضعيف جدًا. انظر [سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١١٢/٤] وانظر: [الدر المنثور، ٤٥٧/٧].

أينسى بنو العباس ذبِّي[1] عنهم ... بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها
فتحتُ لهم شرقَ البلاد وغربها ... فذلَّ معاديها وعزَّ نصيرها
أقطّع أرحامًا عَلَيّ عزيزة ... وأبدى مكيدات لها وأثيرُها
فلما وضعتُ الأمر في مستقرّه ... ولاحتْ له شمسٌ تلألأ نورُها
دفعتُ عن الأمر الذي استحقّه ... وأوسقَ أوساقًا[2] من الغدر عيرها

وخرج قوم لصيد، فطردوا ضبعة حتى ألجأوها إلى خباء أعرابي فأجارها، وجعل يطعمها ويسقيها، فبينما هو نائم ذات يوم إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت. فجاء ابن عمه يطلبه، فوجده مُلْقىً، فتتبعها حتى قتلها، وأنشد يقول:

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاق كما لاقى مجير أم عامرِ[3]
أعدّ لها لما استجارت ببيته ... أحاليب ألبان اللقاح الدرائرِ
وأسمنَهَا حتى إذا ما تمكنت ... فرته بأنيابٍ لها وأظافرِ
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بمعروف على غير شاكر[4]

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: تحذير الحاكم من الغدر برعيته:

حيث جاء في الحديث الثاني: "ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة"، قال النووي: "وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، لاسيما من صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين، وقيل لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء، وهذا الحديث وارد في ذم الغادر، قال القاضي عياض وغدره يكون للأمانة التي قلدها لرعيته، والتزام القيام بها والمحافظة عليها، ومتى خانهم، أو ترك الشفقة عليهم، أو

---

(١) الذب: الدفاع.

(٢) أحمل جموعًا.

(٣) مجير أم عامر: من كنى الضبع.

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف، ٢٧٩-٢٨١ بتصرف.

الرفق بهم، فقد غدر بعهده[١].

قال القرطبي: (قوله: "ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة" يعني: أن الغدر في حقه أفحش، والإثم عليه أعظم منه على غيره لعدم حاجته إلى ذلك.

وأيضًا: فَلِمَا في غدر الأئمة من المفسدة، فإنهم إذا غدروا، وعُلِم ذلك منهم، لم يأمنهم العدو على عهد، ولا صُلح، فتشتد شوكته، ويعظم ضرره، ويكون ذلك منفرًا من الدخول في الدين، وموجبًا لذم أئمة المسلمين. وقد مال أكثر العلماء: إلى أنه لا يقاتل مع الأمير الغادر، بخلاف الخائن، والفاسق. وذهب بعضهم إلى الجهاد معه. والقولان في مذهبنا. والله تعالى أعلم)[٢].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة" : لأن غدره متعد إلى كثرة وجماعة، بخلاف غدر الواحد للواحد. وقد يكون تعظيمه لغدر أمير العامة لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته وسلطانه على الوفاء، كما عظم في حقه الكذب في الحديث الآخر في قوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله" الحديث، وذكر منهم: "ملك كاذب"[٣]، ويكون المراد بغدر أمير العامة، إما الغدر في عهده معه، أو لرعيته بخيانته لهم وقلة حوطته عليهم، وغدره لأمانتهم التي قلدها، وعهدهم الذي لزم عنقه. أو يكون المراد: أن الأمير هو المغدور، كما جاء في الحديث الآخر في الثلاثة الذين لا يكلمهم الله: «ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطى له ما يريد وفى له، وإلا لم يف»[٤]. وعظم هذا لإخفائه؛ لأن فيه الخروج على الأئمة، وشق العصا، وإثارة الفتن)[٥].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله: "بقدر غدره" يعني كلما كان الغدر أعظم، كان اللواء أرفع، وقوله: "ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة" لكونه من أكثر الناس قدرة

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١١٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٢١/٣.

(٣) أخرجه مسلم ١٠٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٥٨، ومسلم ١٠٨.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٤١/٦.

على الوفاء، والآمال معقودة عليه بذلك، فكلما خيب هذه الآمال بغير عذر استحق وزرًا أكثر من غيره، والله أعلم)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب الفقهاء إلى تحريم الغدر، لأنه من علامات النفاق ومن كبائر الذنوب، ولاسيما إذا كان الغادر من أصحاب الولايات العامة، لأن ضرر غدره يتعدى إلى خلق كثير. وقيل: لأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء.

واستدلوا على تحريم الغدر بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[٢]. وقول النبي ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إذا أُؤْتُمِنَ خان، وإذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ غدرَ، وإذا خاصمَ فَجَرَ»[٣].

والغدر محرم بشتى صوره، سواء أكان مع فرد أم جماعة، وسواء أكان مع مسلم أم ذمي أم معاهد.

ويجب على المسلمين الوفاء بشروط العهد مع أهل الذمة والمعاهدين، ما لم ينقضوا العهد، لقوله ﷺ: «المسلمون على شروطهم»[٤]. ولأن أبا بصير رضي الله عنه لما جاء إلى النبي ﷺ، وجاء الكفار في طلبه -حسب العهد- قال له النبي ﷺ: «يا أبا بصير إن هؤلاء القوم قد صالحونا على ما قد علمت، وإنا لا نغدر، فالحق بقومك ... فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين من المؤمنين فرجًا ومخرجًا»[٥]. ولما روى من أنه «كان بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وبَيْنَ أهلِ الرُّومِ عَهْدٌ، وكانَ يَسِيرُ في بِلَادِهم، حتى إذا انْقَضَى العَهْدَ أغَارَ عليهمْ، فإذا رَجُلٌ على دَابة أو على فَرَسٍ وهو يقولُ الله أكْبَرُ وَفَاءٌ لاَ غَدْرٌ، وإذا

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٢٧/٩.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤ واللفظ له، ومسلم ٥٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٥٩٤، وقال الألباني حديث صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٠٦٣).

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى من طريق ابن اسحاق عن مروان والمسور بن مخرمة وإسناده حسن لتصريح بن إسحاق بالتحديث عن الزهري، ٢٢٧/٩، حديث رقم ١٨٨٣١، ص ٣٨٠/٩.

هُوَ عَمْرو بن عَبَسَةَ ﷺ ، فَسَأَلَهُ مُعَاوِيَةُ عن ذلكَ، فقالَ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فلا يَحُلَّنَّ عَهْدًا ولا يَشُدَّنَّه[1] حتَّى يَمْضِيَ أمَدُهُ أو يَنْبِذَ إليهِم عَلَى سَوَاء، قال: فَرَجَعَ مُعَاوِيَةُ بالناسِ»[2]. ولأن المسلمين إذا غدروا وعلم ذلك منهم، ولم ينبذوا بالعهد على سواء، لم يأمنهم أحد على عهد ولا صلح، ويكون ذلك منفرًا عن الدخول في الدين، وموجبًا لذم أئمة المسلمين.

واتفق الفقهاء على أنه إذا دخل كافر حربي دار الإسلام بأمان، فيجب على المسلمين الوفاء له والكف عنه، حتى تنتهي مدة الأمان ويبلغ مأمنه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[3]. ولقول النبي ﷺ: «ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عدْلاً»[4][5].

ومما يدل على حرص النبي ﷺ على الوفاء بالعهد وعدم الغدر ما جاء عن مصعب بن سعد عن أبيه: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ إلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ اقْتُلُوهُمْ وإنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَعَبدُ الله بْنُ خَطَلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعبدُ الله بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَأَمَّا عَبْدُ الله بْن خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَرِيثٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ فَقَتَلُوهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحابُ السَّفِينَةِ

---

(١) فلا يحلن عهدًا ولا يشدنه: أي لا يغير عهدًا ولا ينقضه بوجه حتى تنقضي غايته. انظر: تحفة الأحوذي ١٧٠/٥ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) أخرجه الترمذي ١٥٨٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٢٨٥).

(٣) سورة التوبة، آية: ٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٣٠٠، ومسلم ١٣٧١ واللفظ له.

(٥) الموسوعة الفقهية ١٤٣/٣١، ١٤٤.

أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَهُنَا فَقَالَ عِكْرِمَةُ وَاللهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلاَّ الإِخْلاصُ لا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْ عَبْدَاللهِ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاثًا كُلَّ ذلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هذا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ» فَقَالُوا: وَمَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَا فِي نَفْسِكَ هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ قَالَ: «إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ»[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ[2]. قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ. قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا؟ فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ. فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»[3].

ولقد كان من وصية النبي ﷺ لأمراء جيشه وسراياه أن يقول: ((اُغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اُغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا))[4].

ومن خلال هذا يتبين ضرورة أن يتجنب الحاكم الغدر، ويحرص على الوفاء بالعهد والوعد مع رعيته، ومع جميع الناس.

---

(١) أخرجه النسائي ٤٠٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٧٩١).

(٢) هو والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه واليمان لقب له. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١١٥٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٧٨٧.

(٤) أخرجه مسلم ١٧٣١.

الحديث رقم (١٥٨٨)

١٥٨٨ - وعن أَبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ (عِنْدَ اسْتِهِ)[١] يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ، ألاَ وَلاَ غَادِرَ أعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أمِيرِ عَامَّةٍ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لواء: اللواء في الأصل بمعنى الراية، والمقصود بها في الحديث: علامة يشهر بها في الناس لأن موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس[٣].

استه: دبره[٤].

الشرح الأدبي[٥]

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم (١٧٣٨/١٥). جمعه المؤلف بين اللفظين في حديث واحد.

(٢) (١٧٣٨/١٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١٧).

(٣) النهاية في (ل و أ).

(٤) اللسان في (س ت هـ).

(٥) تم دمجه مع الشرح الأدبي للحديث السابق.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٥٨٩)

١٥٨٩ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ قَالَ: ((قَالَ الله تَعَالَى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أعْطَى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأجَرَ أجيرًا، فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أجْرَهُ)). رواه البخاري[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفوح بعبق النبوة، وينضح بأنداء الوحي.. فهو يجمع بين جمال الحديث النبوي، وجلال الحديث القدسي.. حيث يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل.. ولنتأمل هذه البداية المشرقة: عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى"، ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث: الإجمال ثم التفصيل، والإيضاح بعد الإبهام؛ فالقارئ والسامع يزداد تشوقه لمعرفة من هؤلاء الثلاثة الذين باءوا بغضب من الله تعالى، واستحقوا أن يكون الله خصمهم يوم القيامة، وهذا التشويق لإحداث مزيد من التأثير، وسرعة الاستجابة.. والكف عن ارتكاب المخالفات التي تؤدي إلى هذه الخصومة، وقوله: "أنا"، لإشعار هؤلاء المخالفين بهول الأمر، وفداحة الذنب، وقوله: "خصمهم".. مسند إلى ضمير المتكلم: "أنا"، وهو الله عز وجل، يوحي بأن هذه الخصومة من أعظم الخصومات لأن الحق سبحانه وتعالى هو الذي يعلن ذلك.

ومن جماليات الأداء الأسلوبي: تكرار لفظ "رجل" ثلاث مرات في الحديث، حيث يتصدر بداية كل جملة من جمل الحديث في مقام التفصيل والإيضاح، وهذا التكرار يؤكد على أن الذين خاصمهم الله عز وجل مكلفون بالغون حملوا الأمانة، ولم يقوموا بحقها، ولفظ "رجل" يوحي بالتكليف وهو للتغليب، فالمرأة إذا ارتكبت هذه المخالفات

---

(١) برقم (٢٢٢٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٠٤).

الشرعية تستحق العقاب نفسه، ويكون الله عز وجل خصمها يوم القيامة.

ولنتأمل هذه المفارقات في هذه السلوكيات المخالفة: حيث تكون النتائج مخالفة للمقدمات، وذلك المسلك يخالف الفطرة السليمة، ويتصادم مع القانون الذي ينظم العلاقات بين الأشياء، إن هذا التناقض في السلوك ليس من صفة المسلم وليس من منهج المؤمن، فالعطاء يستلزم الوفاء به، ولكن المفاجأة والمفارقة تحدث في قوله: "ثم غدر"، والتعبير بـ"ثم" يوحي بالتريث والتفكير وتعمد الغدر، والصنف الثاني: باع حرًا فأكل ثمنه يتضمن مفارقة سلوكية وتعبيرية، فكيف يباع الحر؟ وبيعه يعطل عليه العبادات المختصة بالأحرار كالجمعة والحج والجهاد والصدقة، وقد ناقض هذا الذي باع حرًا - حكم الله في الوجود ومقصوده من عباده - وقوله "أكل ثمنه" كناية عن تضييع الحقوق، ولذلك عظمت جريمة هذا الصنف من الناس، والعطف بالفاء في قوله: "فأكل"، يرشد إلى سرعة هذا الرجل في الظلم، وإهدار كرامة الأحرار الشرفاء، والتضاد في مكونات الجملة الثالثة بين مقدمتها ونتيجتها يعلن عن فداحة الجُرْم في هذا السلوك، وصيغة الاستفعال في قوله: "استأجر، واستوفى"، تعلن عن الجهد الذي بذله الأجير، وعن حجم الثمرة التي جناها صاحب العمل، ولكنه ضيّع الحق ولم يعط الأجير أجره، فما أعظم هذا الجرم، والله عز وجل خصمه يوم القيامة.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء بالعهود وعدم الغدر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من بيع الحر، وعدم إعطاء الأجير أجره.

رابعًا: من مهام الداعية: إخبار المدعوين بالحقائق.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

حيث جاء في الحديث "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ..."، حيث ذكر رسول الله ﷺ قول الله تعالى: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة" على سبيل

الإجمال، ثم فصل بعد ذلك في قوله: "رجل أعطى بي... إلخ" الثلاثة المذكورين في الحديث، ومما لاشك فيه أن أسلوب الإجمال والتفصيل من أساليب الدعوة النافعة التي تقرب المعلومة للمدعوين، وتوضح لهم المراد، وبعد الإجمال يتطلع المدعو دائمًا إلى معرفة التفصيل للأمور، ففي هذا نوع تشويق للمدعو ولفت لانتباهه، وإثارة لفكره، وعلى الدعاة إلى الله استخدام هذا الأسلوب في دعوتهم، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الإجمال والتفصيل قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ... ﴾ [1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء بالعهود وعدم الغدر:

حيث جاء في الحديث: "رجل أعطى بي ثم غدر" قال ابن حجر: "وقد جاء رواية أخرى للحديث: ومن كنت خصمه خصمته" [2]، قال ابن التين: هو سبحانه وتعالى: خصم لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح. ومن هؤلاء... رجل أعطى بي ثم غدر"، التقدير أعطى يمينه بي، أى عاهد عهدًا وحلف عليه بالله ثم نقضه"[3]، هذا وقد دلت النصوص الشرعية على حرمة الغدر وضرورة الوفاء بالوعد والعهد، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[5]، قال السعدي "هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود أى بإكمالها وإتمامها وعدم نقضها ونقصها، وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، والتي بينه

---

(١) سورة السجدة، الآيات: ١٨-٢٠.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٣٥٨، رقم ٨٦٩٢، وقال محققو المسند: إسناده حسن.

(٣) فتح الباري ٤/٤٨٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات كالبيع والإجارة، ونحوها والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم من التناصر والتعاون والتآلف، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها"[1].

قال ابن عثيمين: "الغدر هو خيانة الإنسان في موضع الاستئمان، بمعنى أن يأتمنك أحد في شيء ثم تغدر به، سواء أعطيته عهدًا أم لم تعطه، وذلك لأن الذي ائتمنك اعتمد عليك ووثق بك، فإذا خنته فقد غدرت به"[2].

وقال الشيخ محمد الغزالي: والوفاء بالعهد يحتاج إلى عنصرين، إذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به، التذكير والعزيمة، فإن ضعف الذاكرة وضعف العزيمة: عائقان كثيفان عن الوفاء الواجب، والإنسان لتجدد الحوادث أمامه، وترادف الهموم المختلفة عليه، يفعل الزمان فعله العجيب في نفسه، فتخبو المعالم الواضحة، ويمسى ما كان بارًا في نفسه لا يكاد يبين. والذكر المُطرَّد اليقظ ضرورة لازمة للوفاء، فمن أين لناسي العهد أن يفي به؟ ويجب أن ينضم إلى هذا الذكر عزم مشدد على إنفاذه، عزم يمضي في سبيل الوفاء مهما تجشم من مشاق، وغرم من تضحيات، وأقدار الرجال تتفاوت تفاوتًا شاسعًا في هذا المضمار، فإن ثمن الوفاء قد يكون فادحًا، قد يكلف المال أو الحياة أو الأحبة، بيد أن هذه هي تكاليف المجد المنشود في الدنيا والآخرة.

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ[3]

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من بيع الحر، وعدم إعطاء الأجير أجره:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة....، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يعطه أجره"، وهذا يدل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٨١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٧٥.

(٣) انظر: خلق المسلم ٥٥، ٥٦.

عل الترهيب من بيع الحر وأكل ثمنه، واستئجار الأجير ثم عدم إعطائه أجره.

وقوله: ("باع حرًا فأكل ثمنه" خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود، ووقع عند أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: "ثلاثة لا تقبل منهم صلاة" فذكر فيهم " ورجل اعتبد محررا " وهذا أعم من الأول في الفعل وأخص منه في المفعول به، قال الخطابي: اعتباد الحر يقع بأمرين: أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد، والثاني أن يستخدمه كرها بعد العتق، والأول أشدهما، قلت: وحديث الباب أشد لأن فيه مع كتم العتق أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن، فمن ثم كان الوعيد عليه أشد، قال المهلب: وإنما كان إثمه شديدا لأن المسلمين أكفاء في الحرية، فمن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له، وألزمه الذل الذي أنقذه الله منه، وقال ابن الجوزي: الحر عبد الله، فمن جنى عليه فخصمه سيده)[1].

وقال العيني: (إن المسلمين أكفاء في الحرية والذمة، وللمسلم على المسلم أن ينصره ولا يظلمه، وأن ينصحه ولا يغشه، وليس في الظلم أعظم ممن يستعبده أو يعرضه على ذلك، ومن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له، وألزمه حال الذلة والصغار، فهو ذنب عظيم ينازع الله به في عباده)[2].

وقال ابن علان: (الْحِكْمَةُ فِي كَوْنِ اللَّهِ خَصْمَهُمْ أَنَّهُمْ جَنَوْا عَلَى حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ الَّذِي أَعْطَى بِهِ ثُمَّ غَدَرَ جَنَى عَلَى عَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْجِنَايَةِ، وَالنَّقْضِ وَعَدَمِ الْوَفَاءِ، وَمِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّيَ بِعَهْدِهِ، وَالَّذِي بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ جَنَى عَلَى حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ حَقَّهُ فِي الْحُرِّ إِقَامَتُهُ لِعِبَادَتِهِ الَّتِي خَلَقَ الْجِنَّ، وَالإِنْسَ لَهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] فَمَنْ اسْتَرَقَّ حُرًّا فَقَدْ عَطَّلَ عَلَيْهِ الْعِبَادَاتِ الْمُخْتَصَّةَ بِالأَحْرَارِ كَالْجُمُعَةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَالصَّدَقَةِ وَغَيْرِهَا وَكَثِيرًا مِنْ النَّوَافِلِ الْمُعَارِضَةِ لِخِدْمَةِ السَّيِّدِ، فَقَدْ نَاقَضَ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الْوُجُودِ وَمَقْصُودَهُ مِنْ عِبَادِهِ فَلِذَلِكَ

---

(١) فتح الباري ٤/٤٨٨.

(٢) عمدة القاري ١٢/٤٢.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦..

عَظُمَتْ هَذِهِ الْجَرِيمَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا بِمَنْزِلَةِ مَنْ اسْتَعْبَدَ الْحُرَّ وَعَطَّلَهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَةِ، فَشَابِه الَّذِي بَاعَ حُرًّا وأَكَلَ ثَمَنَهُ فَلِذا عَظُمَ ذَنْبُهُ)[1].

وقال ابن حجر: (قوله: "ورجل استأجر أجير فاستوفى منه ولم يعطه أجره" هو في معنى من باع حرًا وأكل ثمنه، لأنه استوفى منفعته بغير عوض وكأنه أكلها، ولأنه استخدمه بغير أجرة وكأنه استعبده)[2].

فإذا لم يؤد المستأجر للأجير أجره، أو أخره تأخيرًا بالغًا، فقد حمّل نفسه إثمًا عظيمًا ووزرًا وعذابًا أليمًا، وسيُقتص منه يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لتؤدن الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ))[3].

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((من كانت عندَه مَظلمةٌ لأخيهِ فلْيَتحللهُ منها، فإنه ليس ثمَّ دينارٌ ولا درهم، من قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناتهِ، فإن لم يكن له حسَناتٌ أُخِذَ من سيِّئاتِ أخيهِ فطُرِحَتْ عليه))[4].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَعْطُوا الأجيرَ أَجْرَهُ، قبلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ))[5].

وخلاصة القول: إن بيع الحر وأكل ثمنه، وعدم إعطاء الأجير أجره من الكبائر التي ينبغي الترهيب منها والحث على اجتنابها؛ لأن ذلك ظلم، وقد ورد فيه وعيد خاص ليتبين رتبته من الظلم، وهو نوع منه، لأن الظلم وإن كان كبيرة من حيث الإطلاق ولكن بعضه أكبر من بعض[6].

---

(١) دليل الفالحين ١٦٣٦.

(٢) فتح الباري ٤/٤٨٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٢٤٤٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٩٨٠).

(٦) انظر: تنبيه الغافلين، ابن النحاس ص ١٨٧.

فينبغي على الداعية أن يبذل وسعه في بيان حرمة بيع الحر، وخاصة في هذا العصر، إذ أن العالم الآن تحرم قوانينه بيع البشر، ومع ذلك هناك بعض الناس الذين لا أخلاق لهم يتجرون في سرقة الأطفال وبيعهم وخاصة أطفال الدول الفقيرة، التي يستغلون حاجة أهلها للمال، ويتعاونون مع عصابات منظمة في هذا المجال، فيأخذون الأطفال فيستخدمونهم في الجريمة المنظمة، وما يتنافى مع الدين والقانون والأخلاق، أو يبيعونهم الأغنياء كعبيد، وهذا اعتداء على حقهم في الحرية، وحقهم في الحياة الكريمة، وكذلك عدم إعطاء الأجير أجره، فهو أمر لا يقل أهمية بل يفوق بيع الأحرار من الأطفال، خاصة في هذ العصر الذي كثرت فيه الشركات، والمصانع الخاصة التي يستخدم فيها العمال، ولا تعطيهم أجورهم، أو تعطيهم أقل مما يستحقون، أو تكلفهم من الأعمال ما لا يطيقون، فكل هذا خطأ كبير، وإثمه عظيم، فينبغي مواجهته، وإرشاد القائمين على هذه المؤسسات والهيئات وأصحابها إلى اجتناب هذه الأشياء، حتى يخرجوا أنفسهم من دائرة الإثم والعقاب، وخصومة الله عز وجل يوم القيامة.

رابعًا - من مهام الداعية: إخبار المدعوين بالحقائق:

حيث جاء في الحديث: قال الله تعالى: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة" وهذا يدل على أن من أولى مهام الداعية أن يخبر المدعوين ويعرفهم بالحقائق حتى تقوم عليهم حجة البلاغ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1]، وأمر الله نبيه بالبيان فقال سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

قال د. عبدالكريم البكار: الوظيفة الأساسية للرسل عليهم الصلاة والسلام، ليست إعمار الأرض ولا توفير الرفاهية للناس أو إطعام الفقراء؛ وإنما تبليغهم الرسالة

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

التي حملهم الله تعالى إياها. وهذه الرسالة وإن كانت مفرداتها كثيرة إلا أنها تتمحور في النهاية حول قضية جوهرية ونهائية، وهي تذكير الناس وتنبيههم لساعة الوقوف بين يدي الله - تبارك وتعالى - وما تتطلبه النجاة في يوم الحساب من تبعات وتكاليف على مستوى الإيمان وعلى مستوى العمل، سلبًا وإيجابًا؛ وقد عبر لنا القرآن الكريم بجلاء عن ذلك الهدف المحوري من بعث الرسل حين قال سبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[1]. إن الإحساس بيوم التلاق وتبعاته هو الذي ينبغي أن يسيطر على مشاعر الناس، حتى يستقيموا على الشريعة، ويعمروا الأرض، ويتراحموا بينهم.

والأنبياء وخلفاؤهم من الدعاة إذ يقومون بـ"البلاغ المبين" يكونون قد قاموا بالعمل الأساسي الذي تبرأ به الذمة أمام الله سبحانه وتعالى، وهناك آيات كثيرة تدل على هذا من نحو قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[3].

ويمكن أن نستجلي من الفوائد العظمى التي تجنيها الأمة من "البلاغ المبين" ما يلي:

١- جعل حياة الأمة مشدودة نحو هدف واحد، إذ أن تبليغ الرسالة يحول دون انسياق الأمة خلف أهداف مشتتة متناقضة ودنيوية. وإذا ما فقدنا "مركزية الهدف" فإن كثيرًا من أوجه التناظر والانسجام تصير شكلية، وتتحول من نقاط ارتكاز للتلاحم المجتمعي إلى معابر لتحقيق الأمجاد الشخصية والمنافع الخاصة!.

٢- إن القيام بعملية التبليغ أكبر ضمان لتحجيم الثورات الاجتماعية التي تعصف بالصالح والطالح؛ فمن خلال التذكير بالواجبات، والحث على ترك المنكرات، وبيان المبادئ الأساسية التي تنبغي مراعاتها، ينشط التبادل الاجتماعي الذي من طبيعته

---

(١) سورة غافر، آية: ١٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٥.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٨.

الإحساس المبكر بتأزمات المجتمع واختناقاته، كما أنه يؤمن نوعًا من التوجيه للحركة الاجتماعية في مساقات محددة.

٣- إن البلاغ المبين يُعلم الناس تحمل مسؤولياتهم تجاه أنفسهم ودينهم ومجتمعهم؛ وما أصيبت الأمم بداء أخطر من فقد الشعور بالمسؤولية. ومن خلال الدعوة يتمكن الناس من معرفة ما يجب عليهم أن يفعلوه، وفي الوقت نفسه الثمن الذي عليهم أن يدفعوه إذا هم لم يستجيبوا، ومن خلال هذا وذاك تتولد الشخصية وفضيلة الشعور بالمسؤولية. ومن غير القيام بحق الدعوة والبلاغ يسود نوع من السبات والترهل في الوعي والإدراك، ونوع من الضبابية في علاقات الناس ببعضهم بعضًا.

٤- إن البلاغ المبين هو سفينة النجاة من أهوال تفسخ المجتمعات وانحلالها؛ إذ أن أضر ما يلحق المجتمعات من أذى، هو تراكم الأخطاء، وتحول العادات والتقاليد إلى شعائر وعبادات، وانتشار البدع والأنماط الخاطئة؛ مما يؤدي في النهاية إلى أن يفقد المجتمع الإحساس بهويته وأصالته.

٥- الدعوة تغرس في حسّ الناس وعقولهم وجود مرجعية عليا مطلقة "لا بشرية" توجههم، وترشدهم، وتؤطر تفكيرهم؛ وعندما تعم الفوضى، وتندرس معالم الطريق يجدون فيها شاطئ الأمان، وصلابة اليقين.

٦- إن أمة الإسلام لا تملك اليوم من الإمكانات المادية ولا من النفوذ العالمي ما يمكنها من فتح مجالات حيوية خارج حدودها؛ والشيء الوحيد الذي يمكن أن يلفت انتباه العالم إليها هو الدعوة والمضامين الحضارية الفريدة التي تحملها. إن إهمال أمة الإسلام للدعوة شوّه وجهها العالمي، وحرمها من الشعور بالتأنق والتميز الذي كان من الممكن أن يكون لها وحدها. أليس من الغريب العجيب أن تُدعى أمة لتتسلم مفاتيح العواصم والمدائن، فتأبى، ثم تتسوَّل كوخًا!!.

إن القيام بالدعوة - مهما تكن النتائج - شرف عظيم؛ لكن نجاح الدعوة في الوصول إلى أهدافها لا يتم بمجرد وجود أية دعوة، وإنما يحتاج إلى شروط عديدة يجب توفرها في شخص الداعية وأسلوبه، وفي نفس المدعو أيضًا، إلى جانب نجاعة الوسائل

المستخدمة حتى تؤتي الدعوة ثمارها، ويدخل الناس في دين الله أفواجا[١].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث: "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة" فرّهب المولى تبارك وتعالى من أفعال هؤلاء الثلاثة، وأي ترهيب؟ إنه ترهيب عظيم، إذ أنه خصومة الله، وهذا أمر خطير لا قبل لأحد به.

قال الصنعاني: (وفي الحديث دلالة على شدة جرم من ذكر، وأنه تعالى يخصمهم يوم القيامة نيابة عمن ظلموه) [٢]، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفوس المدعوين، وتحملهم على ترك المحظورات الشرعية، لأن النفس البشرية بطبيعتها تحذر العقوبة والوعيد، "والترهيب كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة[٣].

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، ١٤٣-١٤٥.

(٢) سبل السلام ص ٥٦٧.

(٣) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ٤٣٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الوفاء وعدم الغدر:

إن الوفاء بالعهد وعدم الغدر من الركائز التربوية التي قدرها الإسلام في تربية النشء المسلم، ونظرية الإسلام التربوية بصفة عامة في جميع السلوكيات البشرية وخاصة في الوفاء وعدم الغدر تقوم على أساس الصلة الربانية المرتبطة بالتقوى، فليست المصلحة البشرية أو العرف الجماعي هما الباعث الأخلاقي لغرس الوفاء وعدم الغدر في النفوس، بل الرقابة الإلهية هي القائمة بذلك، وهذا ما أكده النبي ﷺ في حديث الباب من قوله ﷺ: «قال اللهُ تعالى: ثلاثةٌ أنا خَصمُهم يومَ القيامةِ: رجُلٌ أَعطى بي ثمَّ غَدَر...إلخ».

فالخصم هنا -عند الغدر وعدم الوفاء بالعهد- هو الله جل جلاله، وهذا معنى قوله تعالى: «ثلاثة أنا خصمهم»، ومن ثم ينبغي للمتربي والمتعلم أن يستمدا القيم والمقاييس من الله بمعرفة ما يرضيه من الأخلاق والتطلع إلى رضاه، ومن ثم فإن الذين يخالفون العهد ويغدرون بالأمانة، ويشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلاً، فهؤلاء لا خلاق لهم ولا نصيب لهم في الآخرة، وعلاوة على هذا فإنهم يتصفون بصفات اليهود، ولا يليق بالمؤمن أن يشبه نفسه ويختلط عمله باليهود الذين عرفوا بالغدر والخيانة[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس هذه الركيزة التربوية من الوفاء بالعهد وعدم الغدر، كان عليهم القيام بعنصرين، إذا اكتملا في النفس سهل عليها أن تنجز ما التزمت به، فإن الله أخذ على آدم أبي البشر، عهدًا مؤكدًا ألا يقرب الشجرة

---

(١) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ٢٣٧، بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.

المحرمة، لكن آدم ما لبث أن نسي وضعف، ثم نكث في عهده.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[1].

فضعف الذاكرة، وضعف العزيمة، عائقان كثيفان عن الوفاء الواجب. والإنسان - لتجدد الحوادث أمامه، وترادف الهموم المختلفة عليه - يفعل الزمان فعله العجيب في نفسه: فتخبو المعالم الواضحة، ويمسى ما كان بارزًا في نفسه لا يكاد يبين، ولهذا افتقر إلى مذكر دائم يغالب أمواج النسيان. ويمسك أمام عينيه ما يوشك أن يذهل عنه. وما أكثر آي القرآن التي تواردت لتصون هذا الذكر.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[2].

والذكر المطرد اليقظ، ضرورة لازمة لتحقيق الوفاء بالعهد والبعد عن الغدر لذلك ختمت آية العهد بعنصر التذكير: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3].

فوجب على دعاة التربية غرس الذكر المطرد اليقظ في نفوس المتربين لتحقيق الوفاء بالعهد والبعد عن الغدر، فضلاً عن إيقاظ الهمة والعزيمة الوقادة في تجشم المشاق لتحقيق الوفاء بالعهد وعدم الغدر[4].

كما ينبغي أن يكون المربي أمثل قدوة للمتربي في الوفاء بالعهد وعدم الغدر، فكثير من الوالدين إذا أراد التخلص من إحراج أحد الأولاد - وعده بالوعود الكثيرة، فيعده بشراء الحلوى، أو بالذهاب إلى الحديقة، أو بشراء دراجة، أو غير ذلك، وربما لا يقوم الوالد بذلك أبدًا، مما يجعل الولد ينشأ عن إلف ذلك الخلق الرذيل. فالذي يليق بالوالد، بل ويجب عليه إذا وعد أحدًا من أبنائه وعدًا - أن يتمه ويفي به، وإن حال بينه

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

(٤) خلق المسلم، محمد الغزالي، ٥٥، ٥٦ باختصار.

وبين إتمامه حائل اعتذار من الولد، وبين له مسوغات ذلك[١].

ثانيًا: التربية على أداء الحقوق والواجبات:

إن الإسلام كمنهج تربوي يحيط حقوق الناس بسياج قوي بين القول والعمل وبين الحدود والتعازير حتى يعيش المجتمع الإسلامي في جو آمن كريم[٢]، لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه غرس التربية على أداء الحقوق والواجبات في نفوس المتعلمين والمتربين.

وهذا ما ظهر في حديث الباب من قوله ﷺ عن رب العزة: «ثلاثةٌ أنا خَصمُهم يومَ القيامةِ: ...، ورجلٌ باع حُرًّا فأكلَ ثمنَه، ورجلٌ استأجرَ أجيراً فاستَوفى منهُ ولم يُعطِه أجرَه».

ومما لا شك فيه أن أكل الحقوق وعدم أداء الواجبات، داءٌ عضال، إن أصاب الأمة أفقدها توازنها الإيماني، وأهدم ميزانها الأخلاقي، وأورثها ذلاً يدهده عزها، ويكسّر ولاء أفرادها، فلا نجد فيها إلا مجتمعًا لصوصيا، سُرق فيه الحق، وأُضيع فيه الأجر، فكيف يرجى من أفراده إعزاز دينهم ونصرة أمتهم، وقد فقدوا هويتهم وانتمائهم؛ لذا كان من أوجب الواجبات وأقدس المهمات التربوية التي تقع على كاهل دعاة التربية والتوجيه غرس أداء الحقوق والواجبات في نفوس المتربين؛ لما في ذلك من بث روح الإخاء والعدل بين المسلمين لخلق جو إسلامي كريم يحافظ على تماسك بناء المجتمع ويرقى به.

ثالثًا: التربية بالترهيب:

إن الغدر وعدم إيفاء العهود من أعظم ما شُدد فيه النكير، وعظم فيه النذير، وهذا ما دللت عليه أحاديث الباب حيث تم الترهيب من ذلك بربط الغدر والنفاق في خصلة واحدة، حيث قال ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا...إلخ»، وقد اشتد الترهيب في تربية النفوس على عدم الغدر، في أحاديث الباب من ذكره ﷺ الأثر السيئ، لخصلة الغدر يوم القيامة، إذ يعلن عن صاحبها ويخزى بين الخلائق[٣].

وذلك في قوله ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، ...إلخ».

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ١٣٨.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الندوي، ٢٣٩.

(٣) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٧٤.

وبلغ الترهيب منتهاه ببيان أن الغادر محروم من رحمة الله ورضوانه، بل إنه خصم له يوم القيامة، فيمن يكون خصمًا لهم، وذلك في حديث الباب من قوله ﷺ وعن رب العزة "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ...إلخ".

"وبناء على ذلك، كان الترهيب من أعظم الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في كل زمان ومكان إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف النشء أن هناك نتائج مؤلمة، وراء عمله وسلوكه المعيب، مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه، ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك"[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
٢٥٣-باب النهي عن المنّ بالعطية ونحوها	٥
الحديث رقم (١٥٠٥)	٥
الحديث رقم (١٥٠٦)	١٨
الحديث رقم (١٥٠٧)	٢٦
الحديث رقم (١٥٠٨)	٣٧
الحديث رقم (١٥٠٩)	٤٤
الحديث رقم (١٥١٠)	٥٠
الحديث رقم (١٥١١)	٥٥
الحديث رقم (١٥١٢)	٦٧
١٧-كتاب الأمور المنهي عنها	٧٤
٢٥٤-باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان	٧٤
الحديث رقم (١٥١٣)	٧٤
الحديث رقم (١٥١٤)	٧٦
الحديث رقم (١٥١٥)	٨٥
الحديث رقم (١٥١٦)	٩٣
الحديث رقم (١٥١٧)	١٠٣
الحديث رقم (١٥١٨)	١٠٥
الحديث رقم (١٥١٩)	١٠٨
الحديث رقم (١٥٢٠)	١١٩
الحديث رقم (١٥٢١)	١٢٧
الحديث رقم (١٥٢٢)	١٢٨
الحديث رقم (١٥٢٣)	١٤٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٥٢٤)	١٥٠
الحديث رقم (١٥٢٥)	١٦٣
الحديث رقم (١٥٢٦)	١٧٠
الحديث رقم (١٥٢٧)	١٧٢
الحديث رقم (١٥٢٨)	١٨٠
الحديث رقم (١٥٢٩)	١٨٨
٢٥٥-باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه	١٩٥
الحديث رقم (١٥٣٠)	١٩٥
الحديث رقم (١٥٣١)	٢٠١
الحديث رقم (١٥٣٢)	٢٠٣
٢٥٦-باب ما يباح من الغيبة	٢٠٧
الحديث رقم (١٥٣٣)	٢٠٩
الحديث رقم (١٥٣٤)	٢٢٠
الحديث رقم (١٥٣٥)	٢٢٧
الحديث رقم (١٥٣٦)	٢٣٦
الحديث رقم (١٥٣٧)	٢٤٤
٢٥٧-باب تحريم النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد ..	٢٥٦
الحديث رقم (١٥٣٨)	٢٥٦
الحديث رقم (١٥٣٩)	٢٦١
الحديث رقم (١٥٤٠)	٢٦٨
٢٥٨-باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوه	٢٧٦
الحديث رقم (١٥٤١)	٢٧٦
٢٥٩-باب ذم ذي الوجهين	٢٨٣
الحديث رقم (١٥٤٢)	٢٨٣

الموضـــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٥٤٣)	٢٨٩
٢٦٠-باب تحريم الكذب	٢٩٧
الحديث رقم (١٥٤٤)	٢٩٧
الحديث رقم (١٥٤٥)	٣٠٣
الحديث رقم (١٥٤٦)	٣٠٤
الحديث رقم (١٥٤٧)	٣١١
الحديث رقم (١٥٤٨)	٣١٨
٢٦١-باب بيان ما يجوز من الكذب	٣٤٨
٢٦٢-باب الحث على التثبت فيما يقوله ويحكيه	٣٤٩
الحديث رقم (١٥٤٩)	٣٤٩
الحديث رقم (١٥٥٠)	٣٥٧
الحديث رقم (١٥٥١)	٣٦٤
٢٦٣-باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور	٣٧٣
الحديث رقم (١٥٥٢)	٣٧٣
٢٦٤-باب تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة	٣٧٧
الحديث رقم (١٥٥٣)	٣٧٧
الحديث رقم (١٥٥٤)	٣٨٧
الحديث رقم (١٥٥٥)	٣٩٣
الحديث رقم (١٥٥٦)	٤٠٠
الحديث رقم (١٥٥٧)	٤٠٦
الحديث رقم (١٥٥٨)	٤١٤
الحديث رقم (١٥٥٩)	٤٢٢
الحديث رقم (١٥٦٠)	٤٢٨
٢٦٥-باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين	٤٣٥
٢٦٦-باب تحريم سب المسلم بغير حق	٤٤٠
الحديث رقم (١٥٦١)	٤٤٠

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٥٦٢)	٤٤٦
الحديث رقم (١٥٦٣)	٤٤٧
الحديث رقم (١٥٦٤)	٤٥٢
الحديث رقم (١٥٦٥)	٤٥٣
٢٦٧-باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية	٤٦٤
الحديث رقم (١٥٦٦)	٤٦٤
٢٦٨-باب النهي عن الإيذاء	٤٧١
الحديث رقم (١٥٦٧)	٤٧١
الحديث رقم (١٥٦٨)	٤٧٣
٢٦٩-باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر	٤٧٧
الحديث رقم (١٥٦٩)	٤٧٧
الحديث رقم (١٥٧٠)	٤٨٠
٢٧٠-باب تحريم الحسد	٤٩٠
الحديث رقم (١٥٧١)	٤٩٠
٢٧١-باب النهي عن التجسُّس والتسمع لكلام من يكره استماعه	٥٠٠
الحديث رقم (١٥٧٢)	٥٠٠
الحديث رقم (١٥٧٣)	٥١٧
الحديث رقم (١٥٧٤)	٥٢٢
٢٧٢-باب النهي عن سوء الظن بالمسلمين من غير ضرورة	٥٢٨
الحديث رقم (١٥٧٥)	٥٢٨
٢٧٣-باب تحريم احتقار المسلمين	٥٣٣
الحديث رقم (١٥٧٦)	٥٣٣
الحديث رقم (١٥٧٧)	٥٣٥
الحديث رقم (١٥٧٨)	٥٣٧
٢٧٤-باب النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم	٥٤٥
الحديث رقم (١٥٧٩)	٥٤٥

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٧٥-باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع	٥٥١
الحديث رقم (١٥٨٠)	٥٥١
٢٧٦-باب النهي عن الغش والخداع	٥٥٩
الحديث رقم (١٥٨١)	٥٥٩
الحديث رقم (١٥٨٢)	٥٦٦
الحديث رقم (١٥٨٣)	٥٧٤
الحديث رقم (١٥٨٤)	٥٧٥
الحديث رقم (١٥٨٥)	٥٨١
٢٧٧-باب تحريم الغدر	٥٩٢
الحديث رقم (١٥٨٦)	٥٩٢
الحديث رقم (١٥٨٧)	٥٩٣
الحديث رقم (١٥٨٨)	٦٠٥
الحديث رقم (١٥٨٩)	٦٠٦
فهرس المحتويات	٦٢١

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد التاسع عشر

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

١٩

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٤٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-١٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٩)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٧-١٣-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج١٩)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٢٧٨- باب النهي عن المنِّ بالعطية ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى﴾[البقرة: ٢٦٤]، وقال تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلاَ أَذىً﴾[البقرة: ٢٦٢].

الحديث رقم (١٥٩٠)

١٥٩٠- وعن أَبي ذَر رضي الله عنه، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ: ((**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**)) قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَ مِرارٍ: قَالَ أَبُو ذرٍ: خَابُوا وخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رسول الله؟ قَالَ: ((**المُسْبِلُ، والمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بالحَلِفِ الكَاذِبِ**)). رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: ((**المُسْبِلُ إِزَارَهُ**)) يَعْنِي: المُسْبِلُ إِزَارَهُ وَثَوْبَهُ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ لِلخُيَلاَءِ.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

يُزكِّيهم: يطهرهم[3].

المنّان: الفَخُور على من أعطى حتى يُفسد عطاءه[4].

المنفق سلعة: المُروَّج لها[5].

الشرح الأدبي

بدأ الحديث بأسلوب التوشيع في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله، ...)، ولهذا الأسلوب أثر ينسحب على السياق كله فيحقق اليقظة، والترقب، والاستشراف إلى بقية

---

(١) برقم (١٠٦/١٧١). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١١).

(٢) بعد حديث رقم (١٠٦/١٧١، بدون رقم). وقد تقدم برقم ٧٩٤، أورده المنذري في ترغيبه (٣٠١١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ك و).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ن ن).

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ن ف ق).

الخبر؛ فإن أسلوب التوشيع فيه نوع من الإبهام يتبعه توضيح يزيل غموضه فالمخاطب إذا سمع قول الرسول ﷺ (ثلاثة...) وهو لفظ نكرة مبهم يحتاج إلى تفسير استشرفت نفسه، وتطلعت إلى معرفة حقيقته، فإذا جاء التفسير تمكّن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنه صادف نفساً مهيأة، وتنكير كلمة (ثلاثة) بغرض التحقير إلى درجة الحرمان من كل خير، والمتأمل لأسلوب الفصل، والوصل بين الجمل الثلاث التي وصفت بها النكرة في قوله: (لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم) يجد أن الجمل الثلاث الأولى جاءت بالسلب منفية بـ (لا) تُجرِّد النكرة من أجر الثواب، وصالح العمل.، ثم تُقرر الجملة الاسمية الأخيرة (ولهم عذاب أليم) وهي للدوام والثبوت المفاد من اسميتها تقرر بتقديم المسند وهو الجار والمجرور على المسند إليه، ثم بوصف المسند إليه وصفاً على المبالغة قَطْعَ كل وهم يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل.، والجمل الثلاث يلزم بعضها بعضاً من جهة المعنى، فكل مفهوم يؤكد ما سبقه، فالمحروم من رحمة كلام الله ومتعة إقباله عليه محروم -لا أشك- من نظره إليه، ومن لا يكلمه الله ولا ينظر إليه غضباً لا يكون محل تزكيته، ثم من كان كذلك كله ليس له إلا العذاب الأليم، والجمل الثلاث وصلت بالواو للتناسب، وعدم المانع، وإذا كان العطف يقتضي المغايرة، فهي حاصلة بالتنويع، لأنها ألوان ما بين الألم النفسي والمعنوي والحسي، ثم جاء التكرار لهذه الجمل ثلاثاً كما -حكى الصحابي- فصعَّد الوعيد والإنذار، وبلغ به أعظم درجة في أنفس المخاطبين، وقرر المعنى تقريراً لا يترك للمخاطب تعلة أو تحلة، يتحلل بها من تبعات ما ألقي إليه، أو يتعلل بها حين تكون استجابته غير متكافئة لما عليه موقف الرسول ﷺ من عناية واهتمام، فهذا التكرار بهذه الجمل الثلاث ارتقى بإحساس المتلقين لدرجة الخطر المحدق بكل متكبر أو منان أو كذاب، وصوَّر فِعالهم شبحاً يطارد في النفوس الإحساس بالعجب، أو الرغبة في المن، أو الجرأة على الحلف كذباً مما يقوِّم الخطأ ويصلح النفوس، نضيف إلى ذلك الامتزاج بين التكرار المعنوي المطبق لألوان الحرمان من كلام الله، ثم نظره، ثم تزكيته، ثم المآل إلى العذاب الأليم مع التكرار اللفظي الذي يصفع هؤلاء المخطئين، ويزلزل بنيان الرغبة في الشر، ويزيله من نفوسهم.

وقوله (المسبل) المرسل لإزاره وثوبه' وهو كناية عن موصوف وهو المتكبر المختال المتعالي على الناس، وهذه الكناية تبيّن موضع الخطأ، وتدلل عليه وتوضح سبب الطرد من النعم، وأنه يرجع إلى تعالي هذا المتكبر،واختياله وتدلل الكناية على ذلك بأنه يجر ثوبه خيلاءً وزهواً على غيره، وقوله: (المنان) المن القطع، واستخدام لفظ المنان بمعنى القاطع للذي يفسد ما أعطى، ويبطله بالحديث عنه تيهاً وعجباً وإيذاءً لمشاعر المحتاجين، والفقراء على سبيل الاستعارة فقد استعار (المن) الذي هو القطع الذي يتعلق بالأمور الحسية لمن يضيع ثوابه بالحديث عنه عجباً وفخراً بجامع فعل ما يمنع الخير في كلٍ على سبيل الاستعارة التصريحية.

والمتأمل لأسلوب الرسول ﷺ البلاغي في تقويم هذه الأخطار، ومقاومة هذه النماذج السيئة في المجتمع المسلم يرى أنه لم يواجه هؤلاء بالعقاب دفعة واحدة، وإنما استخدم أسلوب التدرج تصعيداً للهول، وارتقاءً به في مسارب النفوس حتى يتغلغل فيها فيطرد شبح الكبر والخيلاء والتعالي على الناس بالمن والإيذاء، أو التجرؤ على الكذب والحلف عليه خداعاً للغافلين[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع، دراسة في الصحيحين، د. ناصر راضي الزهري إبراهيم، ١٦٠ .

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧٩٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على اجتناب المخالفات الشرعية:

إن التربية الإيمانية تهيب بالمؤمنين وبالقائمين على أمور التربية والتوجيه ضرورة اجتناب المخالفات الشرعية، وهذا ما يستفاد من حديث الباب، حيث التربية على اجتناب الإسبال لما فيه من كبر، واجتناب المنّ لما فيه من عجب ورياء، واجتناب إنفاق السلعة بالحلف الكاذب، وذلك في قوله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..إلخ».

وقد بدأ الحديث بتوجيه همم المربين إلى تربية النشء على اجتناب الإسبال لما فيه من كبر.

"والكبر من أخطر أمراض النفوس الباطنة، والتي تدل على ضعف تدين المتربي، مما يورثه اختلالاً في صحته النفسية"[1].

وهذا ما أكده ابن الجوزي في قوله: "إن الكبر تعظيم شأن النفس واحتقار الغير، وذلك يكون بسبب الترفع على ما هو دونه، إما في النسب أو المال أو العلم أو العبادة، أو غير ذلك، وعلامة الكبر الأنفة ممن يتكبر عليه، والاحتيال والفخر ومحبة تعظيم الناس له"[2]، ولما كان الإسبال طريق ذلك وجب تربية النشء على اجتنابه، وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه علاج ما كان من كبر في نفوس المتربين لما بهم من إسبال، وجب عليهم علاج ذلك بأمرين:

الأول: وينقسم إلى نوعين: علمي وعملي: فالعلمي: في الأدلة السمعية والعقلية على رذائل الكبر، وأما العملي فصحبة المتواضعين وسماع أخبارهم، وأما الثاني: فإنه ينظر إلى رذائل النفس، وأن يعلم أن من يتكبر به، إن كان مالاً فهو مأخوذ منه عن قريب، والفضل إنما يكون في الغنى عن الشيء لا به، لأن الغني بالشيء فقير إليه، وإن كان

---

(١) التدين والصحة النفسية، د. صالح بن إبراهيم الصنيع، ٢١٦.

(٢) ذم الهوى، ابن الجوزي، ص٣١.

علمًا فقد سبقه خلق كثير أعلم منه، ثم علمه ينهاه عن حالته، فهو حجة عليه، كذلك إن كان عملاً تم رؤيته للعمل بعين التمام نقيصه....إلخ[١].

أما المنُّ بالعطية فهو سقط أخلاقي في تربية النفس، وشجٌ حسي في شعور الآخرين، وقد صدَّر له الإمام النووي باب الحديث في النهي عن المن بالعطية، لإرشاد المربين والمعلمين إلى أهمية وضرورة اجتنابه في سلوكيات المتربين، لاشتمال المنِّ بالعطية ضمنًا على التغافل عن الاعتراف بمالك العطية بداءة وهو الله، لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[٢]. وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقد ورد في حديث الباب أن المنان، له عقوبة مثل عقوبة المسبل إزاره، وثوبه أسفل من الكعبين للخيلاء، ومثل عقوبة المروج لسلعته بالحلف الكاذب[٤]، وهذا مما يدفع بأهل التربية إلى الاهتمام بتوجيه المتربين إلى اجتناب المن بالعطية، لما يحوي في طياته معنى الرياء والعجب والبخل كما قال القرطبي:

إن المن غالبًا يقع من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية وإن كانت حقيرة في نفسها، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة وأنه منعم بماله على المعطي، وإن كان أفضل منه في نفس الأمر، وموجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه، ولو نظر مصيره لعلم أن المنة للآخذ لما يترتب من فوائد[٥].

أما ترويج السلعة بالحلف الكاذب، فهي الكبيرة الثالثة، والتي يجب على دعاة التربية غرس اجتناب ارتكابها، في نفوس المتربين، لما في ارتكابها من وأد حرارة الإيمان في القلوب، وتكون التربية في ذلك بغرس عظمة الله في القلوب، بذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلا، ليس ذلك فحسب بل وإقامتها في النفوس مقامًا فعليًا، وذلك

---

(١) المرجع السابق، ص٤٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٤) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٦٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩٩/٣.

بجعلها منهج حياة للمتربي، فإن أراد أن يعصى أو يحلف كاذبًا تذكر أن الله هو السميع العليم الرقيب المجازى على الأفعال والأقوال، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

لقد بلغ الترهيب كأسلوب تربوي في حديث الباب مبلغًا عظيمًا، يؤكد أهميته في التربية، حيث رهب النبي ﷺ في الحديث من الإسبال والمن وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب، وذلك في قوله: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»..إلخ.

والترهيب كأسلوب تربوي يعني تهديد بالعقاب على عمل قبيح قولاً كان أو فعلاً، وهو أسلوب يتفق والطبيعة النفسية للمتربي، حيث التأثر بما يثير الخوف في نفسه مما يدفعه إلى اجتناب التهديد[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد محمود الحمد، ٢١٨، ٢١٩.

٢٧٩- باب النهي عن الافتخار والبغي

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾[النجم: ٣٢]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الشورى: ٤٢].

الحديث رقم (١٥٩١)

١٥٩١- وعن عياضِ بن حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((إنَّ اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ))** رواه مسلم[1]. قال أهل اللغة: البغي: التعدي والاستطالة.

ترجمة الراوي:

عياض بن حِمار: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٠٢).

الشرح الأدبي

قول الرسول ﷺ (إن الله أوحى إلي) يشير إلى أنه أمر علوي يستلزم مزيد عناية به لأن مباشرة الملك لأمر من الأمور له دلالة تشير إلى أهميته، ثم إن توكيد الخبر تنبيه على فضله، والعناية به يدعم هذا المعنى الذي غفل الناس عنه، وهو عظيم الأثر في علاقة العبد بربه، وبالناس فالمتكبر المتفاخر مبغوض من الله، ومبغوض من الناس، والتواضع تفاعل يشير إلى إشتراك أكثر من واحد في الفعل، وهو الخضوع، والتذلل، وخفض الجناح، وهي أمور تحقق التحابب، والتقارب بين المسلمين وقد جعل غاية هذا التواضع ترك الفخر، ورد الحقوق، وعدم البغي؛ لأن الكبر بطر الحق وغمط الناس، والتواضع ضده، وقوله (لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ) أسلوب نفي

---

(١) برقم (٢٧٦٥/٦٤)، واللفظ لأبي داود (٤٨٩٥). وتقدم برقم ٦٠٢، أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٦٥) وعزاه لمسلم وأبي داود، وابن ماجه، واكتفى المؤلف بذكر مسلم، ولم ينتبه أن اللفظ لأبي داود.

يشير إلى غاية الوحي بالتواضع، وتنكير (أحد) في الموضعين، وتكرارها تعميم للحكم يجمع الأمة تحت مظلته.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٠٢).

الحديث رقم (١٥٩٢)

١٥٩٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ)) رواه مسلم[١].

الرواية المشهورة: ((أَهْلَكُهُمْ)) برَفعِ الكاف وروي بنصبها[٢]: وذلكَ النهيُ لِمنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأمَّا مَنْ قَالَهُ لِما يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّنًا عَلَيْهِمْ، وعَلَى الدِّينِ، فَلاَ بَأسَ بِهِ. هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ وفَصَّلُوهُ، وَمِمَّنْ قَالَهُ مِنَ الأئِمَّةِ الأعْلامِ: مالِكُ بن أنس[٣]، وَالخَطَّابِيُّ[٤]، والحُميدي[٥] وآخرونَ، وَقَدْ أوْضَحْتُهُ في كتاب: " الأذْكار "[٦].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أهلكهم: أشدهم هلاكًا [٧].

الشرح الأدبي

إن من سمات المسلم التواضع، وتجنب الافتخار والبغي، وعدم المبالغة في العُجب والزهو بالنفس، وهذا الحديث يرسي قاعدة من قواعد المنهج الإسلامي في سلوك المسلم وموقفه من الآخر، والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة: وهي جملة شرطية تتكون من مقدمة ونتيجة، فالمقدمة هي فعل الشرط وأداة الشرط: "إذا قال

---

(١) برقم (٢٦٢٣/١٣٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٦٣).

(٢) قال مسلم عقب الحديث: قال أبو إسحاق: لا أدري (أَهْلَكَهُم) بالنَّصب، أو، : (أَهْلَكُهُم) بالرَّفع.

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر (٢٤٢/٢١).

(٤) معالم السنن (١٢٢/٤).

(٥) الجمع بين الصحيحين (٢٨٧/٣).

(٦) (ص: ٥٦٣).

(٧) شرح مسلم، النووي ١٥٦٠.

الرجل: هلك الناس، والنتيجة: جواب الشرط: فهو أهلكهم، وأداة الشرط: "إذا"، تعلن عن أن القول واقع حقيقة وليس افتراضًا لأن "إذا" تفيد التحقق: فلا بد أن يصدر القول من الرجل: ومقول القول: جملة: هلك الناس.. ودلالة هذه الجملة. أي: فسد الناس وفسقوا، وابتعدوا عن جادة الصواب، حسب رأي القائل، والعقوبة التي تترتب على هذا القول مصدرها الدافع إلى هذا القول، فإذا كان بدافع الإعجاب بالنفس، واحتقار الآخرين، وازدرائهم فهذا سلوك مرفوض، وقول ممقوت.. وجزاؤه أن هذا القائل هو أكثر الناس هلاكًا.. وابتعادًا عن النهج الصحيح، لأنه لا يدري سر الله تعالى في خلقه، ولكن إذا قال ذلك - كما يقول مالك - تحزنًا عليهم لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم من الابتعاد عن النهج الصحيح، فلا بأس.. أي أنه لا يستحق العقوبة.

وجواب الشرط: فهو أهلكهم، يتمم جملة الحديث، وقد اقترن الجواب بالفاء لأنه جملة اسمية.

واسميةُ الجملة هنا يوحي بثبات هذا العذاب وتحققه في ضوء نية القائل وتوجيه قوله، وأفعل التفضيل في قوله: "أهلكهم"، يوحي بشدة عقاب من يفتخر بنفسه، فهو أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع وترك الافتخار على الناس.

ثالثًا: من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الألفاظ الخاطئة.

أولاً - من أساليب الدعوة: الشرط:

الشرط: حيث جاء في الحديث: "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم"، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تشد انتباه المدعو، وتبين له مدى ارتباط الشرط

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣٢.

بالجزاء، فالجزاء من جنس العمل، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط، قوله تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[1].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الحث على التواضع وترك الافتخار على الناس:

حيث جاء في الحديث قوله: "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم"، قال النووي: (قال الخطابي معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم) [2].

وقال المازري: (محمل هذا عند بعض العلماء: على أن القائل قال ذلك ازدراءً بالناس واحتقارًا لهم وإعجابًا بنفسه؛ فأما قوله على جهة الإشفاق والتفجع لذهاب الصالحين، وتفضيل من مضى من الأولين، فإنه خارج عن هذا، والقصد يغير أحكام اللفظ، والأول عنوان الكبر والاستهزاء بالناس وهو مذموم، والثاني عنوان الإشفاق والتقصير بالنفس، وتعظيم السلف، وذلك لا يكون مذمومًا) [3].

وقال القاضي عياض: (وقيل هذا في الغالين والمبتدعين الذين يقولون: هلك الناس استوجبوا الخلود في النار بمعاصيهم، والذين يؤيسون الناس من رحمة الله) [4].

وقال النووي: (اتفق العلماء على أن الذم في قوله: "هلك الناس" إنما هو فيمن قاله على سبيل الازدراء على الناس واحتقارهم، وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم، لأنه لا يعلم سر الله في خلقه) [5].

هذا وقد دلت النصوص الشرعية على فضل التواضع، وخطورة الافتخار على الناس قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٦٠.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/٣٨٤ - ٣٨٥.

(٤) المرجع السابق ٨/١٠٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٦٠.

حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢]، وقال ﷺ: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[٣]، وكان ﷺ يقول في دعائه "اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة"[٤]، وقال ابن القيم: قال ابراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة. وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن التواضع؟ فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله ولو سمعه من أجهل الناس قبله، وقال الجنيد بن محمد: التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب[٥].

وقال السعدي: "والتواضع هو أصل الدين وروحه والتكبر منافٍ للدين، والتواضع أعظم نعمة أنعم الله بها على العبد، فعلى الإنسان أن يتواضع لعباد الله ويلين لهم، ويحب لجميعهم الخير، وينصح لهم في كل حالة من أحوالهم، ويحترم الكبير ويحنو على الصغير، فطوبى للمتواضعين، وويل للمتكبرين المتجبرين"[٦].

جاء في موسوعة فقه القلوب: والتواضع أن يخضع العبد للحق، وينقاد له، ويقبله ممن قاله، ويتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والانقياد له، والدخول تحت رقه، بحيث يكون الحق متصرفًا فيه تصرف المالك في مملوكه.

وبهذا يحصل للعبد خلق التواضع.

وحقيقة التواضع: خضوع العبد لصوله الحق، وانقياده لها، وخفض الجناح، ولين الجانب.

والتواضع خلق جميل ينشأ من معرفة جلال الرب وعظمته، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة نقص الإنسان، فيتولد التواضع من الإنسان الضعيف الناقص لربه ذي الجلال والإكرام.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٥٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩١٧).

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣٤٢/٢.

(٦) الرياض الناضرة ص ١٠٨.

والتواضع على ثلاث درجات:

الأولى: التواضع للدين، وهو الانقياد والتسليم والإذعان لكل ما جاء به الرسول ﷺ، فلا يعارض شيئًا مما جاء به، ولا يتهم دليلاً من أدلة الدين، بحيث يظنه ناقص الدلالة أو غيره كان أولى منه.

ومن عرض له شيء من ذلك فليتهم نفسه، وليعلم أن الآفة منه لا من الدليل.

وإذا رأى العبد من أدلة الدين ما يشكل عليه فليعلم أنه لعظمته وشرفه لم يدرك معناه، وأن تحته كنزًا من كنوز العلم لم يؤت مفتاحه.

ويقدم نصوص الكتاب والسنة على آراء الرجال، ولا يجد إلى خلاف النص سبيلاً ألبتة لا بباطنه ولا بلسانه، ولا بفعله ولا بحاله.

الثانية: أن ترضى بما رضي الحق به لنفسه عبدًا من المسلمين أخًا، وأن لا ترد عن عدوك حقًا، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

فإذا كان الله رضي أخاك المسلم لنفسه عبدًا، أفلا ترضى أنت به أخًا؟

فإن عدم رضاك به وقد رضيه سيدك الذي أنت عبده هو عين الكبر.

وأي قبيح أقبح من تكبر العبد على عبد مثله لا يرضى بأخوته، وسيده راض بعبوديته؟.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]. وقال النبي ﷺ: «ألا أُخبرُكم بأهل الجنَّة؟ كلُّ ضعيفٍ مُتضعِّف لو أقسَمَ على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوّاظٍ مُستكبرٍ»[2].

وكذلك تقبل الحق ممن تحب وممن لا تحب، فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه، ولا من إيتائه إياه.

ومن أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته حقًا كان أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله تعالى.

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٧٢ واللفظ له، ومسلم ٢٨٥٣.

وعلامة الكريم أنه إذا رأى الخلل في عذره لا يوثقه عليه ولا يحاجه، بل يصفح عن المعتذر فورًا، ويقول: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضي شيء لكان، والمقدر لابدَّ واقع ونحو ذلك.

الثالثة: أن تتواضع للحق سبحانه، وتعبده بما أمرك به على مقتضى أمره، لا على ما تراه من رأيك.

ولا يكون باعثه لك على عبادته داعي العادة كما هو باعث من لا بصيرة له، بل يكون باعثه على العبودية لربه مجرد الأمر، ولا ترى لنفسك حقًا على الله لأجل عملك؛ بل تكون مع الله بالعبودية والفقر المحض، والذل والانكسار. فمتى رأى لنفسه على ربه حقًا صارت معلولة، وخيف منها المقت، وخشي عليها الطرد والإبعاد.

ولا ينافي هذا ما أحقه الله وأوجبه على نفسه من إثابة عابديه وإكرامهم، فإن ذلك حق أحقه على نفسه بمحض كرمه وبره، وجوده وإحسانه، لا باستحقاق العبيد، فلا يدخل أحد الجنة بعمله أبدًا، ولا ينجيه من النار كما قال رسول الله ﷺ: «لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. وَلاَ يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ، وَلاَ أَنَا. إِلاَّ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ»[(١)(٢)].

ثالثًا - من واجبات الداعية: تحذير المدعوين من الألفاظ الخاطئة:

حيث جاء في الحديث: "إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم"، حيث حذر المسلم من قول: "هلك الناس"، قال النووي: والمراد أشدهم هلاكًا وذلك إذا قال ذلك على سبيل الاحتقار للناس، قال الخطابي: لا يزال يعيب الناس ويذكر مساويهم، ويقول: فسد الناس وهلكوا، فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أى أسوأ حالاً منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه وأنه خير منهم فيهلك. وقال مالك: إذا قال ذلك تحزنًا لما يرى في الناس من نقص في أمر دينهم فلا أرى به بأسًا، وإذا قال ذلك عجبًا بنفسه وتصاغرًا للناس فهو المكروه الذي ينهى عنه. قلت: أى النووي: وهو أحسن ما قيل في معناه وأوجز"[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨١٧.

(٢) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ٢/١٩٧٣-١٩٧٥.

(٣) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، الإمام النووي، تحقيق: محيي الدين مستو ٣٩٨-٣٩٩.

ومما يدل على حرص النبي ﷺ على توجيه المدعوين إلى مجانبة الألفاظ الخاطئة ما جاء عن جابر بن عبدالله :« أنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ. فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتِ: الْحُمَّى. لاَ بَارَكَ اللّهُ فِيهَا. فَقَالَ «لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[1].

ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء عن عمران بن حصين قال: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ. فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا. فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ»[2]. وفي رواية: «لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة»[3].

وعن زيد بن أسلم «أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ. فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ. فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ، اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنَّ النبيَّ ﷺ دَخلَ على أعرابيٍ يَعودهُ، قال: وكان النبيُّ ﷺ إذا دخلَ على مَريضٍ يعودُهُ قال: لا بأسَ، طَهورٌ إن شاء الله. فقال له: لا بأسَ، طَهورٌ إن شاءَ الله. قال: قُلْتَ: طَهورٌ؟ كلا، بل هي حُمى تفُور - أو تَثور على شيخ كبير، تُزيرُه القُبور. فقال النبيُّ ﷺ: فنعم إذًا»[5].

ومن خلال هذه النصوص والتوجيهات يتبين حرص النبي ﷺ على توجيه المدعوين إلى ترك الألفاظ الخاطئة، وفي هذا ينبغي أن يقتدى الدعاة الهداة بإمامهم ونبيهم ﷺ، وأن يحرصوا على إرشاد المدعوين إلى ترك الألفاظ الخاطئة ويحذروهم من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٩٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٥٩٨.

(٥) أخرجه البخاري، ٣٦١٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: غرس خلق التواضع في نفوس المتربين:

لقد جاء الإسلام ليجعل الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولهذا فقد أمر النبي ﷺ بالتواضع، ونهى عن الكبر، يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا ...»، وذلك أن النبي ﷺ أراد للأمة أن تكون متآخية، لا مكان بين أفرادها للأحقاد التي تنشأ عن تكبر بعض الناس على بعض.

وخلق التواضع يحرص عليه كل نبيل وعظيم، لأن المرء كلما علت نفسه رآها صغيرة، ورأى الآخرين خيرًا منه، فعرف أقدارهم، بعكس المتكبر الذي يحلله التربويون بأن كبره عبارة عن خلق باطني لديه، حيث يرى نفسه فوق من يتكبر عليه، بحيث يكون هذا مبدأ عنده، ومن ثم يظهر في الواقع الخارجي من خلال الأعمال التي تصدر عن جوارحها[1].

والتواضع يجلب لصاحبه ما لا يجلبه المال وإن كثر، ويحقق مالا يقدر بثمن، ألا وهو محبة الناس، وما ذلك إلا لأن البشر ينفرون من المتكبر، ويفرون من لقائه، لأنه يطمس معالم الإنسانية ويتجاوز حدود اللياقة الاجتماعية، فيبغضه الناس ويكرهون لقاءه، بخلاف المتواضع الذي يحترمهم، ويقدر مشاعرهم ويوطئ أكنافه لهم، ويتيح لهم سبل الإفصاح عن إنسانيتهم، والإعراب عن وجودهم، لذلك تراهم يقبلون عليه ويحبونه، ويرفعون من شأنه، وينشرون ذكره[2].

ثانيًا: التربية بالتوجيه المباشر:

وذلك في قوله ﷺ: «إذا قال الرجل هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ» فذلك توضيح للحقيقة مباشرة للمتلقين، فالذي يسم الناس بالحقارة والفساد تعاليًا عليهم، فهو

---

(١) الشخصية، د. ناصر بن عبدالله التركي، ص٤٤٤.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ١٩/١٦.

أكثرهم دنوًا وحقارة؛ لأنه ما قال هذه الكلمة إلا كبرًا وتعاليًا على الآخرين، فحق له أن يبوء بمثل ما رمى به إخوانه، بل إنه سيكون أقلهم قدرًا، وأوضعهم مكانًا.

ويعتمد أسلوب التوجيه المباشر على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، فيقوم بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا، فيلقى الكلام إلى السامع مباشرة بصورة جلية[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص١٥٤، ١٥٥ بتصرف.

٢٨٠- باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلاّ لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق أو نحو ذلك

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

الحديث رقم (١٥٩٣)

١٥٩٣- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللّه ﷺ: **((لا تَقَاطَعُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث))** متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لا تدابروا: لا يُعط كلُّ واحد منكم أخاه دُبره وقفاه فيُعرض عنه ويهجره[2].

الشرح الأدبي

من أكثر الصفات التي حاربها الإسلام بتعاليمه صفة الفرقة، والقطيعة التي كانت تمزق المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، وقد جاء الإسلام، ليوحد أهل الأرض تحت كلمة واحدة، وهي كلمة التوحيد، ولا يمكن أن يتم ذلك في ظل القطيعة، والفرقة، والبغضاء والحسد، وأمراض القلوب، وإنما يتم ذلك إذا كان المؤمن نقي القلب طاهر

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٩)، واللفظ للترمذي (١٩٣٥)، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه (٤٠٦٤)، وتقدم برقم (٢٣٥).

تنبيه: هذا الحديث تقدم برقم (٢٣٥) وكان بلفظ مسلم، وكرره المؤلف هنا وهذا لفظ الترمذي، وبنحوه عندهما. ولذلك جرى التنبيه عليه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (د ب ر).

النفس مشغولاً بطاعة الله لا بمشاحنة الناس لذلك جاء نهيه ﷺ عن مثل هذه الأخلاق الرديئة حفاظاً على حال الفرد والجماعة، وأولها قوله (لا تَقَاطَعُوا) نهيا عن القطيعة التي تمنع الصلة المحققة لوصل الله للعبد، وقوله: (ولا تدابروا) والتدابر كناية عن صفة القطيعة والإعراض والهجران وأصل التدابر أن يعرض كل شخص عن أخيه بوجهه ويوليه ظهره فاستخدم للمتهاجرين وسمى الإعراض الذي هو لازم التدابر تدابراً كناية عن صفة الإعراض والهجر وفائدة الكناية أنه أثبتت الفعل بدليله وبينته وهي التدابر، وقوله : (ولا تباغضوا) نهيا يقوِّم خطأ التباغض، وهو تفاعل من البغض، وهو الكراهية التي تترتب على القطيعة والتدابر، وقد نهى عنهما أولاً وهما يمنعان الصلة الحسية، والبغضاء تمنع الصلة القلبية، أيضاً ورد النهي في قوله: (ولا تحاسدوا) تقويماً لمرض نفسي خطير وتحصيناً للمؤمنين من شره؛لأن الحسد تمني زوال نعمة الغير ولا يصدر عن طهارة نفس أو سلامة قلب بل هو قرين نفس خبيثة وإنسان حقود، ، وقوله (وكونوا عباد الله إخوانا) تتميم حيث أتبع الرسول ﷺ نواهيه بما يتمم معناها، ويضيف إليها فيما ورد في الجملة بعدها، فأكدت دلالة سابقتها وأفادت ضرورة التآخي بكل من يستوجبه هذا المعنى من اجتناب ما سبق النهي عنه من سيء الأخلاق والتخلق ما يجب وفاءً بحقوق الأخوة، وقوله : (وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ) والتعبير بالفعل المضارع المنفي بـ لا (لا يحل) اطراد للحكم مع اطراد الحياة يفيد التجدد والاستمرار كلما جد هجر جدت حرمة، وهذا أدعى لتدبر الهاجر.، وقوله (لمسلم) قيَّد الحكم بالمسلم تعريضاً بنفي الإسلام عن الهاجرين بنفي الإسلام عن المتصفين بتلك الصفة المحرمة على أهله، وتنكير كلمة (مسلم) لإفادة التعميم لأن استغراق المفرد أعم أنواع الاستغراق، وقد جاء المسند إليه مصدراً مؤولاً من الحرف المصدري والفعل المنصوب به، (أن يهجر) هي هجر، وكان من الممكن أن يكون مكانه المصدر الصريح فيقال: (هجر أخيه)؛ لأن صيغة المضارع باقية مع التأويل بالمصدر دالة في ذاتها على التجدد والحدوث، دالة على استحضار الصورة في الحال، ومعنى هذا أن يتصور المسلم كل فعل من الهجران يتجدد أمراً لا يحل.وقد جاء المفعول

بلفظ مشع يضيء حوالك النفس وقت الخصومة ويكشف ظلام القلب ساعة الغضب (أخاه) والمقصود الأخوة في الصفة السابقة، صفة الإسلام التي تفضل في الرحمة والإشفاق أخوة الأصلاب؛ لأنها تجعل المؤمنين أعضاء جسد واحد يسهر ويحم جميعه بواحدٍ منها كما مر في الحديث قريباً.،وقوله (فوق ثلاث ليال) اختيار العدد (ثلاث) رعاية لحال النفس الغاضبة حتى تهدأ وتعود النفس اللوامة التي تراجع صاحبها، ولأن الهاجر غضبان والغضب يعمي العين يصم الأذن فاحتاج لفترة سكون[1] والتعبير بـ (ليال) دون أيام لأن الليالي أدعى لتوفير السكون والهدوء الذي يجعل النفوس تراجع أصحابها بعد سكون الغضب وهي السبيل للتخلص من التعب النفسي والجسدي المانع من سلامة التفكير وتدبر معاني السلوك الديني.، واستخدام الظرف (فوق) يصور الهاجر بعد هذا الحد (ثلاث ليال) متعالياً متكبراً تأخذه العزة بالإثم[2].

فقه الحديث

تشير الأحاديث إلى عدة أحكام منها:

١- تحريم الهجر: قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين، وخاصة في أمر لا تعلق له بالدين، فأما الهجران لمصلحة دينية من معصية أو بدعة فلا مانع منه[3].

---

(١) ينظر: الحديث النبوى من الوجهة البلاغية / صـ ٣٣٥.

(٢) ينظر بلاغة الرسول ﷺ في تقويم الأخطاء د ناصر راضي الزهري ص ٥٠.

(٣) غمز العيون ١/٩٧-٩٨، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢/٤٢٨، والمنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ٧/٢١٥، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٤/٢٦٦، والأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين السيوطي ص ١٢، وأحكام القرآن، الشافعي ٢/١١٧، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/٢٤٢، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٨/٩٧-٩٨، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٦/١١٧، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٤/٢٩٠، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥/٣٤٦.

٢- حكم هجرة الكافر: يجوز للمسلم أن يهجر الكافر وهو كذلك فإنه لا موالاة ولا مناصرة بينه وبينه[١].

٣- هل تنقطع الهجرة بمجرد إلقاء السلام؟ ذهب جمهور الفقهاء إلى أن السلام يقطع الهجرة وتزول بمجرد سلامه[٢].

وقال الإمام أحمد لا تنقطع الهجرة بمجرد السلام بل لابد من أن يعود معه إلى الحال التي كان عليها من الكلام والإقبال[٣].

وقال ابن القاسم وأحمد بن حنبل إن كان يؤذيه لم يقطع السلام هجرته[٤].

ومن الجدير بالذكر أن ابن تيمية وابن حجر قد عدّا هجر المسلم أخاه فوق ثلاث من الكبائر، لما فيه من التقاطع والإيذاء والفساد، وثبوت الوعيد عليه في الآخرة[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٩/٨، وفتح الباري، ابن حجر ٥٩٧/١٠.

(٢) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ٢١٥/٧، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٢٤٨/٢-٢٤٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١١٧/١٦، وفتح الباري، ابن حجر ٥٩٧/١٠، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٩١/٤، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٤٤/١.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٥٤/١.

(٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ٢١٥/٧، وطرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٩٨/٨، وشرح صحيح مسلم، النووي ١١٧/١٦، وفتح الباري، ابن حجر ٥٩٧/١٠، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٩١/٤.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح ٣١٤/١، والزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس الهيتمي ٤٢/٢ - ٤٤، وانظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٦٥/٤٢.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٣٥).

الحديث رقم (١٥٩٤)

١٥٩٤- وعن أَبي أيوبَ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: ((لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُما الَّذي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو أيوب الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣١).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجدها تبوح بالمعاني والدلالات التي يشع بها هذا الحديث الذي يرغب في إصلاح ذات البين، ويحرم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام، ويبدأ الحديث بأسلوب النفي، وهو نفي يتضمن معنى النهي: ويثبت حرمة هجران المسلم للمسلم، حيث يقول: "لا يحل" وصيغة المضارع هنا تعلن عن ضرورة استمرار إقلاع المؤمن عن هذا السلوك وهو الهجر، إذا كان لله تعالى، والعدول عن لفظ مسلم، إلى قوله "مؤمن"، وتكرار اللفظ في العبارة نفسها يبين أفضلية صفة الإيمان، حثًا للمسلم على أن يظل في منطقة الطاعة والتصديق القلبي؛ لأن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

والهجر: هو القطيعة والخصام لعتب ومَوْجدة.. وهذا ليس من سمات الشخصية المسلمة، ولنتأمل تكرار أسلوب الشرط في الحديث: إنه يفصل مراحل الصلح ومعالمه، وأسلوب الشرط بمكوناته: "الأداء" والشرط والجواب يفصح عن مجاهدة النفس ومقاومة رغباتها ونزعاتها في سبيل إصلاح ذات البين، وتكرار أداة الشرط: "إن"، في الجمل الثلاث يوحي بالتشكك في هذا السلوك المشين الذي يؤدي إلى القطيعة بين المؤمن وأخيه المؤمن، فشأنهما التحاب والتزاور لا التباغض والتنافر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥/٢٥٦٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦٥).

وجملة الشرط الأولى يأتي جوابها مجزومًا في جواب الأمر: "فليلقه" و"ليسلم عليه"، وهذه الصيغة في الجواب ترشد إلى وجوب الصلح عن طريق التلاقي والمصافحة والمسالمة والعفو والتسامح، والجملة الثانية: "فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر"، تعرض الصورة المضيئة للمصالحة ولذلك صُدر الجواب بـ "قد"، وهي للتحقيق والتأكيد.. حيث يفوز كلاهما بالأجر، وهو ثواب بدء السلام وثواب إجابته، وقيل: يثاب الأول مثل ثواب الثاني لأنه كان السبب فيه.

والجملة الشرطية الثالثة: تعرض الصورة السلبية التي نهى عنها رسول الله ﷺ، وهي عدم استجابة الطرف الثاني للمصالحة. حيث لم يرد السلام، والسلام هنا هو تحية الإسلام التي تتضمن الأمان والرحمة والبركة، سلام الله ورحمته وبركاته، وأي أمان أشمل من هذا، وأي صلح أصدق وأعظم وأجمل من هذا الإيقاع الجميل الذي يغمرنا في ظلال تحية الإسلام الطيبة المباركة، وتأكيد جواب الشرط في قوله: "فقد باء بالإثم"، لمزيد من الوعيد والتهديد للذي يحرص على فساد ذات البين، ولا يستجيب لدواعي الصلح ومبادرات السلام؛ وقوله: "باء بالإثم": أي: رجع به، وفي ذلك مزيد من التحقير والسخرية لأن هذا المعرض عن الصلح لا يجني إلا الخسران والآثام والهلاك، أما المسلم وهو الم،ستجيب للصلح والمبادر بالسلام، فهو الفائز بنعيم الله تعالى ورضوانه، وجنته وغفرانه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: النهي عن هجر المسلم لأخيه المسلم.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: تحقيق الأخوة بين المسلمين.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٥٩٤ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٥٩٧، ١٥٩٨).

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

حيث ورد في قوله ﷺ: "لا يحل لمسلم..." وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية المهمة حيث يشعر المدعو بأهمية المنهي عنه وضرورة اجتنابه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1] ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: النهي عن هجر المسلم لأخيه المسلم:

حيث في قوله ﷺ: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال..." قال النووي: (قال العلماء: في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال وإباحتها في الثلاث الأول، قالوا: وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض)[4].

وقال ابن حجر: (قال أكثر العلماء: وتزول الهجرة بالسلام ورده، وقال أحمد: لا يبرأ من الهجرة إلا بعودته إلى الحال التي كان عليها أولاً. والتقيد في الحديث بالأخوة دال على أنه للمسلم أن يهجر الكافر من غير تقييد، واستدل بهذه الأحاديث على أن من أعرض عن أخيه المسلم وامتنع من مكالمته والسلام عليه أثم بذلك، لأن نفي الحل يستلزم التحريم، ومرتكب الحرام آثم. وقال ابن عبدالبر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه، أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية)[5].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٥٣٦.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٥١١/١٠.

وقال القاضي عياض: (وقوله: "لا هجرة بعد ثلاث"، "ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث": مقتضاه من دليل الخطاب أن الهجرة في الثلاث معفو عنها، وإنما الحرج فيما بعد ثلاث؛ إذ لابد للبشر من مغاضبة، وسوء خلق، ووجد لأمر يقع بينهم، فعفي عن الثلاث. وقد يحتمل السكوت عن حكمها، لتتلطف في الشرع والنهي على ما وراءها، وهذا على من لا يقول بدليل الخطاب من الأصوليين.

وقوله: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام": يحتج به من يرى أن السلام يقطع الهجرة، ويزيل الحرج، وإن لم يكلمه. وهو قول مالك وغيره. وقال أحمد بن حنبل وابن القاسم: إن كان يؤذيه فلا يقطع السلام هجرته. وعندنا أنه إذا اعتزل كلامه لم تقبل شهادته عليه وإن سلم عليه. ومعنى قوله: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام": أي أفضلهما وأكثرهما ثوابًا.

وقوله: "يصد هذا ويصد هذا" مثل قوله: "يعرض هذا ويعرض هذا"، وأصله أن يولي كل واحد منهما الآخر عرضه، وهو جانبه. والصد أيضًا: الجانب والناحية[1].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله: "لا يحل لمسلم أن يهجر" الهجر والهجران في اللغة بمعنى الترك، وفي العرف بمعنى ترك الشخص مكالمة الآخر إذا تلاقيا، ثم اختلفوا في حد الهجران الممنوع بهذا الحديث، فقال أكثر العلماء هو ترك السلام، فمن بدأ بالسلام خرج من إثم الهجران، كما دل عليه قوله ﷺ في آخرالحديث: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" وهذا في الابتداء بالسلام. أما رد السلام، فهو واجب على كل حال، فمن تركه، ولو لليلة واحدة، كان آثمًا. أما ترك الابتداء بالسلام بقصد الهجران فليس إثمًا ما لم يدم ثلاثة أيام. وقيل: لايخرج عن إثم الهجران بمجرد السلام، حتى يعود على ما كان عليه، وهذا القول مروي عن الإمام أحمد بن حنبل، وابن القاسم والقاضي عياض.

والذي يظهر أن الهجران الممنوع هو ترك السلام والكلام جميعًا، فلو سلم ثم اهتمّ بترك الكلام معه، حتى في مواضع الضرورة، أو لم يجبه حينما خاطبه بشيء، كان ذلك من الهجران الممنوع، ومجرد الاكتفاء بالسلام لا يخرجه من الهجران، لأن

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢٦/٨ – ٢٧.

الاهتمام بترك الكلام بعد السلام مما يؤذي صاحبه، ومقصود الحديث التجنب عن إيذائه. أما قوله ﷺ: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" فإنه ليس معناه الاقتصار على السلام، وإنما خرج الحديث مخرج العادة، فإن المسلمين يفتتحون مكالمتهم بالسلام، فالمقصود أن خيرهما من يبدأ بالكلام ويسلم على الآخر كفاتحة لكلامه معه، لا أنه يسلم عليه، ثم يعرض عنه، لأنه حين ذلك يدخل في قوله ﷺ: "يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا".

نعم! لا يلزم من ترك الهجران ان ينبسط له انبساطه للأصدقاء، فإن الانبساط من الأمور التي هي خارجة عن اختيار الإنسان، فلو كلمه عند الحاجة، ولو مع الانقباض، خرج من إثم الهجران إن شاء الله تعالى.

قوله: "فوق ثلاث ليال" قال أكمل الدين من الحنفية: "في الحديث دلالة على حرمة هجران الأخ المسلم فوق ثلاثة أيام. وأما جواز هجرانه في ثلاثة أيام فمفهوم منه لا منطوق، فمن قال بحجية المفهوم كالشافعية، جاز له أن يقول بإباحته، ومن لا فلا".

لكن تعقبه الشيخ علي القاري في المرقاة (٩: ٢٦٢) فقال: (فيه أن الأصل في الأشياء الإباحة، والشارع إنما حرم المهاجرة المقيدة لا المطلقة، مع أن في إطلاقها حرجًا عظيمًا، حيث يلزم منه أن مطلق الغضب المؤدي إلى مطلق الهجران يكون حرامًا).

وهذا كلام وجيه يتلخص منه أن الهجران لأقل من ثلاثة أيام جائز، عند من يقول بالمفهوم ومن لا يقول به جميعًا.

ثم إن الهجران الممنوع إنما هو ما كان لسبب دنيوي. أما إذا كان بسبب فسق المرء وعصيانه، فأكثر العلماء على جوازه. قال الخطابي: (رخص للمسلم أن يغضب على أخيه ثلاث ليال لقلته، ولا يجوز فوقها إلا إذا كان الهجران في حق من حقوق الله تعالى، فيجوز فوق ذلك) وفي حاشية السيوطي على الموطأ: (قال ابن عبدالبر: هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك ورفيقيه، حيث أمر ﷺ أصحابه بهجرهم" يعني: زيادة على ثلاث إلى أن بلغ خمسين يومًا. قال: (وأجمع العلماء على أن من خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده).

نقل علي القاري جميع هذه الأقوال في المرقاة، ثم قال: (قلت: الأظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتآخين، أو المتساويين، بخلاف الوالد مع الولد، والأستاذ مع تلميذه، وعليه يحمل ما وقع من السلف والخلف لبعض الخلف).

وحاصل ذلك: أن الهجران إنما يحرم إذا كان من جهة غضب نفساني. أما إذا كان على وجه التغليظ على المعصية والفسق، أو على وجه التأديب كما وقع مع كعب بن مالك وصاحبيه، أو كما وقع لرسول الله ﷺ مع أزواجه، أو لعائشة مع ابن الزبير رضي الله عنهم، فإنه ليس من الهجران الممنوع، والله سبحانه أعلم[1].

وقال القاضي أبوبكر بن العربي: (إن الله عز وجل خلق الخلق أشتاتًا في الأهواء؛ لأنه خلقهم من أشتات في الابتداء، ثم دعاهم إلى التآلف، وذلك ضد ما جبلهم عليه؛ لأن الله تعالى هو الداعي، وهو الميسر، وهو الخالق لكل شيء، المقدر له، فإذا يسرك لما أمرك فقد أدركت، وإذا حال بينك وبينه فقد فات، وكل ذلك علامة على الهلكة أو النجاة، ولأجل هذا ما جعل الله في الهجرة ثلاثًا؛ لأن المرء في ابتداء الغضب مغلوب، فرُخص له في التمادي على حاله حتى يسكن غضبه بالاغتسال كما جاء في الحديث، أو بالفتور مع التمادي كما جرى في العادة)[2].

وقال ابن عبدالبر: (أما قوله "فيعرض هذا ويعرض هذا" فمعناه يدير هذا عن هذا بوجهه وذلك عنه أيضًا كذلك، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن التدابر والإعراض، قال الشاعر:

إذا أبصرتني أعرضت عني ... كأن الشمس من قِبَلي تدور

وقد رُوي عن النبي ﷺ في الهجرة آثارٌ شداد فيها تغليظ، منها حديث أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((من هجر فوق ثلاث دخل النار))[3]. ومنها حديث أبي خراش السلمي، عن النبي ﷺ أنه قال: ((من هجر أخاه سنة فهو كسفك

---

(١) تكملة فتح الملهم، الشيخ محمد تقي العثماني، ١١/٢٧٤-٢٧٥.

(٢) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٢/٨٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩١٤ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٠٦).

دمه))[١]. وحسبك بحديث أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال: ((إنه يغفر في كل خميس واثنين لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا من كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: أنظروا هذين حتى يصطلحا))[٢].

وهذه الآثار كلها قد وردت في التحاب والمؤاخاة، والتآلف والعفو، وبهذا بعث محمد ﷺ، وفقنا الله لما يحب ويرضى، برحمته ولطف صنعه[٣].

وقال أيضًا: (وأجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، إلا أن يكون يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يولّد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه، فإن كان ذلك فقد رخص له في مجانبته وبعده، ورب صَرْمٍ جميل خيرٌ من مخالطة مؤذية، قال الشاعر:

إذا ما تقضَّى الودُّ إلا تكاشرًا ... فهجرٌ جميلٌ للفريقين صالحُ

واختلفوا في المتهاجرين يسلم أحدهما على صاحبه، أيُخرجه ذلك من الهجرة أم لا؟ فروى ابن وهب، عن مالك أنه قال: إذا سلّم عليه فقد قطع الهجرة. وكأنه، والله أعلم، أخذ هذا من قوله ﷺ: ((وخيرهما الذي يبدأ بالسلام))[٤]. أومن قول من قال: يجزئ من الصَّرْم السلام. وقال أبوبكر الأثرم: قلت لأحمد بن حنبل: إذا سلم عليه، هل يجزئه ذلك من كلامه إياه؟ فقال: يُنْظَر في ذلك إلى ما كان عليه قبل أن يهجره؛ فإن كان قد عُلم منه مكالمته والإقبال عليه، فلا يخرجه من الهجرة إلا سلام ليس معه إعراض ولا إدبارٌ. وقد روي هذا المعنى عن مالك أيضًا؛ قيل لمالك: الرجل يهجر أخاه، ثم يبدو له فيسلم عليه من غير أن يكلمه؟ فقال: إن لم يكن مؤذيًا له لم يخرج من الشحناء حتى يكلمه، ويُسقِط ما كان من هجرانه إياه. وقد ذكرنا في باب ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، من كتابنا هذا، زيادة من الأثر المرفوع في معنى هذا الباب، وذكرنا في هذا

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩١٥ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود ٤٩١٦ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٠٨).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢/٨٧-٨٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٧٧، ومسلم ٢٥٦٠.

الباب قوله: ((ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[١]. وفي ذلك دليل على فضل السلام؛ لما فيه من رفع التباغض، وتوريث الود، ولقد أحسن القائل:

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهمُ ودٌّ فيزرعه التسليمُ واللطف[٢]

ومما ينبغي التنبيه عليه أن هذا الهجر الممنوع قد يكون في بعض الأحوال مشروعًا، فإن ترك السلام والكلام الممنوع في الشرع هو ما كان بين الأخوة في الدين، فمن لم يكن كذلك جاز هجرهُ، وبسبب التقصير في الحقوق أو لوجود عيب في المهجور أو موجدة عند الهاجر، ولا يكون هذا العيب شديدًا، بحيث يبدّع صاحبه، أو يكون من المنكرات المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وإلا فيجوز هجرانُ من يظهر المنكرات حتى يتوب منها[٣]، وهجران من ترك الواجبات وفعل المحرمات والبدع.

وبناء على هذا فإن الهجر من حيث الحكم الشرعي ينقسم إلى نوعين:

الأول: الهجر الممنوع أو الهجر السلبي.

والآخر: الهجر المشروع، وهو قسمان:

أحدهما: بمعنى الترك للمنكرات، أو: وقائي مانع، وهو: الذي يتّقي الهاجر به شرَّ المهجور أو الافتتان به.

والآخر: بمعنى العقوبة على المنكرات، أو: إيجابي زاجر، وهو يحصل ممن له حقُّ الزّجر والتأديب، إما بسلطة مادية، كالحاكم، والزوج، والأب. أو سلطة معنوية، كالعالم المقتدى به، والصالح المطاع لفضله[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٤٢/٢ حديث رقم ٩٧٠٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ٤٤٣/١٥.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠٧/٢٢-١٠٨.

(٣) بعد نهيه وإسداء النصيحة له. وكان مذهب عمر وأبي الدرداء والنخعي وجماعة: أنّهم لا يهجرون عند الذنب. وكان أبو الدرداء يقول: إذا تغيّر أخوك واعوجّ، فلا تتركه، لأجل ذلك، فإن الأخ يعوج مرة، ويستقيم أخرى. وكان رجل على حال حسنة، فأحدث -أو أذنب ذنباً- فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم النخعي ذلك، فقال: تداركوه وعظوه ولا تدعوه. أخرجه أبو نعيم في "الحلية" ٢٣٢/٤-٢٣٣.

(٤) الهجر في الكتاب والسنة، الشيخ مشهور حسن محمود سلمان ص ١٠٢-١٠٣.

ثالثًا - من أهداف الدعوة: تحقيق الأخوة بين المسلمين:

حيث جاء في الحديث "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"، وقوله ﷺ: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه" قال ابن علان: (وفي التعبير بلفظ "أخاه" إيماء إلى الحث على التواصل والتحذير من التقاطع)[1] ولاشك أن من أهم أهداف الدعوة تحقيق الأخوة الإسلامية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2]. وعن عروة رضي الله عنه: ((أن النبيَّ ﷺ خطبَ عائشة إلى أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوكَ، فقال له: أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حَلال))[3]. وقال الماوردي في فضل الأخوة: (لقد آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، لتزيد ألفتهم، ويقوى تضافرهم وتناصرهم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقاء الإخوان جلاء للأحزان وقال خالد بن صفوان: إن أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم. وقال علي رضي الله عنه لابنه الحسن: يا بني الغريب من ليس له حبيب)[4].

وما من شك في أن هجر المسلم لأخيه المسلم فيه مساوئ وأضرار من انقطاع النصح والتناصح، وغياب روح الأخوة والتحاب والتآلف والتوادد، ولذا رهّب النبي ﷺ من الهجر فقال: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه".

(ومن مساوئ الهجر وأضراره وآثاره: أنَّ الهجر يعطّل طاقة الخير في المتهاجرين، بالنسبة إلى بعضهما، فلا يتعاونان على فعل برّ، ولا يجتمعان على مصلحةٍ.

ومنها: أن الهجر يقضي بقبض يد المساعدة عن المهجور، وهو عقوق إن كان المهجورُ أحد الوالدين، وقطيعة رحم إن كان أحد الأقارب، والعاقّ والقاطع لا يدخلان الجنة.

ومنها: أن الهجر يعطّل حقوق المسلم بين المتهاجرين، فلا يسلّم أحدُهما على الآخر، ولا يرد سلامه، ولا يعوده إذا مرض، ولا يشيّع جنازته إذا مات.

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٤٠.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٨١.

(٤) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ١٦٢.

ومنها: أن الهاجر يفرح إذا أصابت المهجور مصيبة، كما يحزن إذا أصابته نعمة، وهذا مناقض لروح الإسلام، غاية التناقض.

ومنها: أن المتهاجرين محرومان مما يفيض الله على المسلمين في مواسم الخير، فصلاتهما لا ترفع، وعملهما موقوف، حتى يصطلحا.

ولو لم يكن من قبائح الهجر، إلا هذا، لكان كافيًا في الابتعاد عنه.

قال الباجي: (اعلم أنه يصفح في هذين اليومين -أي الاثنين والخميس- عن الذنوب العظيمة، ويثبت فيها لكثير من الناس الدرجة الرفيعة، فتكون بمنزلة فتح أبوابها. وقد يعبّر بفتح الأبواب عن الإقبال على الأمر والإنعام، فيقال: فتح فلانٌ باب طعامه، وباب عطائه، فلا يغلقه عن أحد، ويقال في مشاهدة حرب العدو: قد فتحت أبواب الجنة، معناه -والله أعلم- وجدت أسباب دخولها، وغفران الذنوب المانعة منها.

ومنها: أن الهجر انعزالٌ وانخزالٌ، والإسلام ينهى عنهما، ويحضُّ على الجماعة، ويجعل المنعزل المنخزل، سهل الإنقياد للشيطان، لخروجه عن عامة المؤمنين، وضرب له مثلاً بالشاة المنفردة عن الغنم، يسهل للذئب اختطافها)[1].

وقال ابن حبان البستي: (لا يحل التباغض ولا التنافس ولا التحاسد ولا التدابر بين المسلمين، والواجب عليهم أن يكونوا إخوانًا كما أمرهم الله ورسوله، فإذا تألم واحد منهم تألم الآخر بألمه، وإذا فرح فرح بفرحه، ينفي الغش والدَّغل، مع استسلام الأنفس لله عز وجل، مع الرضا بما يوجب القضاء في الأحكام كلها، ولا يجب الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما، بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق، وترك الهجران.

أنشدني محمد بن الحسن بن قتيبة أنشدني حميد بن عياش:

ولا تك في حب الأخلاء مفرطا ... فإن أنت أبغضت البغيض فأجملِ

فإنك لا تدري متى أنت مبغض ... حبيبك أو تهوى البغيض فأعقل

---

(١) الهجر في الكتاب والسنة، الشيخ مشهور حسن محمود سلمان، ص ١٤٢-١٤٣.

ولا يجب للمرء أن يدخل في جملة العوام والهمج بإحداث الود لإخوانه، وتكديره لهم بالخروج بالسبب الذي يؤدي إلى الهجران الذي نهى المصطفى ﷺ عنه بينهم، بل يقصد قصده الإغضاء عن ورود الزلات، ويتحرى ترك المناقشة على الهفوات، ولا سيما إذا قيل في أحدهم الشيء الذي يحتمل أن يكون حقًا وباطلاً معًا، فإن الناس ليس يخلو وَصْلُهم من رش أسهم العذال فيه.

ولقد سمعت محمد بن عثمان العقبي يقول: سمعت عبدالعزيز بن عبدالله يقول: قال محمد بن حميد:

ومن ذا من عيوبِ الناس ناجٍ ... بحقٍ قيل فيهن أو قراف
قبيح بي إذا خاللتُ خلا ... ولازم خُلتي أن لا أكافي
وكلُّ مودة لا خير فيها ... إذا لم تحتمل حقَّ المُصافي
فأما في الكلام فكم وفيٍّ ... ولكن في الشدائد لا يوافي
إذا أحببتُ لم أنقض إخائي ... ولم أبْن الإخاء على اعتساف
ولكن أمنحُ الكرماء وُدًّا ... ولا أدعو اللئام إلى العطاف
متى تقطعْ صديقك بعد وصل ... ولا تثبت، فعهدك غير واف
إذا ما المرء أدبر لم تُطِقْه ... وصار المستقيم إلى خلاف

سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت محمد بن عبدالرحمن يقول: سمعت أبا عمار الحسين بن حريث يقول: قيل لرجل: ألك عيوب؟ قال: لا، قيل له: فلك من يلتمسها؟ قال: نعم، قال: فما أكثر عيوبك!

قال أبو حاتم: السبب المؤدي إلى الهجران بين المسلمين ثلاثة أشياء: إما وجود الزلة من أخيه - ولا محالة يزل- فلا يغضى عنها ولا يطلب لها ضدها، وإبلاغ واشٍ يقدح فيه، ومشي عاذل بثلب له فيقبله ولا يطلب لتكذيبه سببًا ولا لأخيه عذرًا، وورود ملل يدخل على أحدهما، فإن الملالة تورث القطع ولا يكون لملول صديق.

قال أبو حاتم: لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام: فمن فعل ذلك كان مرتكبًا لنهي النبي ﷺ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام، والسابق بالسلام يكون

السابق إلى الجنة، ومن هجر أخاه سنة كان كسفك دمه، ومن مات وهو مهاجرٌ أخاه دخل النار، إن لم يتفضل الله عليه بعفو منه ورحمة، وغاية ما أبيح من الهجران بين المسلمين ثلاثة أيام.

ولقد أنشدني عبيد الله بن محمد الأنماطي قال: أنشدني محمد بن الحسن:

يا سيدي عندك لي مظلمة ... فاستفت فيها ابن أبي خيثمه
فإنه يرويه عن شيخه ... قال: روى الضحاك عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى ... نبينا المبعوث بالمرحمة
إن صدود الخل عن خِلِّهِ ... فوق ثلاثٍ رَبُّنَا حرمه[1]

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

حيث جاء في الحديث "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام"، حيث رغب في البدء بالسلام، بأن من يبدأ أخاه المسلم في حال الخصام هو الأفضل. وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة التي تحبب المدعو في فعل الخير، وتشجعه عليه (إن النفوس البشرية مختلفة الطباع، منها ما يجلبه الترغيب، ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن والسنة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه)[2].

وأما أسلوب الترهيب فقد جاء في الحديث الثاني في قوله: "فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار" وقوله في الحديث الثالث: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه" قال شرف الحق العظيم آبادي: (وإذا مات على تلك الحالة من الهجر من غير توبة استوجب دخول النار، وفائدة التعبير التغليظ. وأما قوله "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه" أي هجر أخاه في الدين فهو كإراقة دمه في استحقاق مزيد الإثم لا في قدره)[3]. ولاشك أن هذا ترهيب من هجر المسلم لأخيه المسلم، وأسلوب الترهيب مما يؤثر في نفس المدعو

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ٢٠٤-٢٠٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش ٨٦.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١١٧.

ويردعه عن فعل المحظورات الشرعية (والترهيب هو التخويف والتوعد، والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، ويأتي علاجًا وردعًا، فمن الناس من يلهث وراء الشهوات ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه)[1].

ومن صوراستعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[3].

---

(١) الدعوة إلى الله: الرسالة -الوسيلة- الهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩، ٢٠٠.

(٢) سورة النبأ، آية: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة المطففين، آية:٧.

الحديث رقم (١٥٩٥)

١٥٩٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شحناء: عداوة[2].

الشرح الأدبي

يحرص الإسلام على إصلاح ذات البين، وعلى أن يظل المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وتشع ألفاظ وكلمات هذا الحديث النبوي الشريف بهذا السلوك الإيماني السديد، ويبدأ الحديث بإشاعة عنصر الترغيب وتنبيه المسلمين إلى المراقبة الدائمة من الله عز وجل لهم، وهذا الترغيب تنطق به الجملة الأولى: تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس.

وبناء الفعل للمجهول في قوله: تعرض ليس للجهل بالفاعل إنما للعلم به وهم الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار، والجمع في قوله: "الأعمال" لإفادة الكثرة والعموم، والله سبحانه وتعالى يغفر للعبد إذا تاب واستغفر، والفعل يغفر ينبئ عن هذا الكرم الإلهي والعفو الرباني، والاثنان والخميس من الأيام المباركة التي كان رسول الله ﷺ يكثر من صومهما ﷺ.

---

(١) برقم (٢٥٦٥/٣٦). وقد تقدم برقم ١٥٧٠. تنبيه: هذا الحديث بهذا اللفظ أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٧٦) وقال: رواه مالك، ومسلم واللفظ له، هذا مما جعل النووي يطمئن إلى أنَّ اللفظ لمسلم كما صرَّح بذلك المنذري، وبالمقارنة بين هذا اللفظ ولفظ مسلم، تبيّن أن هذا الحديث بهذا السياق للحميدي في جمعه (٢٨٢/٣، رقم ٢٦٤٠)، فتبع النوويُّ فيه المنذريَّ، كما تبع المنذريُّ فيه الحميديَّ في جمعه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ح ن).

وفي رواية أخرى تجيء البشارة صريحة، والوعد بالمغفرة يُقرن بدخول الجنة، حيث يصرح النص بذلك، إذ يقول النص رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا: تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس.. إلخ.

والعطف بالفاء في قوله: "فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا" يوحي بالإسراع في المغفرة، والترغيب الشديد في التوبة والاستغفار.. ومداومة العمل الصالح، وجملة: "لا يشرك بالله شيئًا": وصف للمسلم الذي فاز بالمغفرة وهو قوله: "امرئ"؛ ولنتأمل أسلوب الاستثناء في قوله: "إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء": إن هذين المتباغضين لا يفوزان بالمغفرة.. ولا تُفتح لهما أبواب الجنة حتى يصطلحا.. وقوله: "اتركوا هذين": أي المتباغضين، أي: لا تدخلوهما الجنة، وقوله: "حتى يصطلحا".. لمزيد من الترغيب وإعطاء البشارة والأمل في المغفرة، إذا نزعا ما بينهما من أسباب الشقاق ونسجا معًا ثوب الوفاق، وقال العلماء: إن هذا الوعيد من الله يتوجه إلى هؤلاء الذين يتباغضون مدفوعين بالأطماع الدنيوية، والحظوظ النفسية، والدوافع الشخصية الذاتية.

أما إذا كان البغض في الله وبدافع الغيرة على الدين، فذلك لا يمنع من المغفرة تأسيًا واقتداءً بقول رسول الله ﷺ: ((أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ))[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه أبو داود، ٥٤٩٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود، ٩٩٨).

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٧٠).

الحديث رقم (١٥٩٦)

١٥٩٦- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: ((إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ[١] أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)) رواه مسلم[٢].

(التَّحْرِيشُ): الإفْسَادُ وتَغييرُ قُلُوبِهِمْ وتَقَاطُعُهُم[٣].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

التحريش: الإفساد وتغيير قلوبهم وتقاطعهم[٤]، قال ابن الأثير: والمعنى هنا في حملهم على الفتن والحروب[٥].

الشرح الأدبي

قول الراوي رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يؤكد الخبر؛ لأن السماع من أقوى طرق العلم التي لا تحتمل شكا فيما يروي، والحديث يبدأ بأسلوب خبري مؤكد بعدة مؤكدات تعظيما للخبر وإشارة إلى خطره، والبداية بلفظ الشيطان تجذب السمع، وتحقق الترقب لأنه علم على الشر، وذكره يستلزم الحذر، ويوحي بشر يجب أن يتقى، والتعبير بالفعل الماضي المؤكد بقد يفيد مزيد تحقيق للمعنى، والتعبير باليأس يوحي بفقدان الأمل في النفس المظلمة التي انعدم فيها شعاع النور فراحت تتنقل من باب من أبواب الشر إلى باب، وتخصيص جزيرة العرب؛ لأن الدين يومئذ لم يتعد عنها وقيل لأنها معدن العبادة، ومهبط الوحي، وقوله (في التحريش) فيه إيجاز بالحذف لأنه خبر

---

(١) لفظ مسلم في المطبوع: (أيس) بلفظ الماضي، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه. وتبع فيه الحميدي في جمعه (٢/٤١٤، رقم ١٧٢٨).

(٢) برقم (٦٥/٢٨١٢). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٧٣).

(٣) الترغيب (٣/٤٥٠).

(٤) رياض الصالحين ص ٥٥٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر ش).

لمبتدأ محذوف أي هو في التحريش أو ظرف لمقدر أي يسعى في التحريش بينهم أي في إغراء بعضهم على بعض والتحريض بالشر بين الناس من قتل وخصومة، وأصل التحريش الإغراء على الشيء بنوع من الخداع من حرش الضب الصياد خدعه وهو ما يتناسب مع فعل الشيطان، وما له من دقائق الوسواس التي لا يفهمها إلا البصراء، والمعنى : لكن الشيطان غير آيس من إغراء المؤمنين وحملهم على الفتن بل له مطمع في ذلك قيل ولعله أخبر عما يجري فيما بعده من التحريش الذي وقع بين أصحابه أي أيس الشيطان أن يعبد فيها لكن طمع في التحريش بين ساكنيها وكان كما أخبر فكان معجزة له عليه الصلاة والسلام.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل عقيدة التوحيد.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان وتحريشه بين المسلمين.

أولاً - من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون...". فأكد يأس الشيطان من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب.

وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو، وتبين له مدى صدق الداعية فيما يقول، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل عقيدة التوحيد:

حيث جاء في الحديث "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب" قال أبو العباس القرطبي: ("إن الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب" يعني

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

-والله أعلم- أن المسلمين في جزيرة العرب أقاموا الصلاة فيها وأظهروها، لم يظهر فيها طائفة يرتدون عن الإسلام إلى عبادة الطواغيت والأوثان)[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: (ولم يعظم على إبليس شيء أكبر من بعثة محمد ﷺ، وانتشار دعوته في مشارق الأرض ومغاربها؛ فإنه يئس أن تعود أمته إلى الشرك الأكبر)[٢].

ولا شك أن هذا يدل على فضل عقيدة التوحيد، وأن العبادة لن تكون إلا لله (إن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه بنيان الأمم، فصلاح كل أمة ورقيها مربوط بسلامة عقيدتها وسلامة أفكارها، ومن ثم جاءت رسالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنادي بإصلاح العقيدة، فكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾[٣] وهذا التوحيد أصيل في العالم والشرك طارئ عليه ودخيل فيه، وأول ما حدث الشرك في قوم نوح حين غلوا في الصالحين واستكبروا من دعوة نبيهم)[٤]. وفي فضل عقيدة التوحيد قال الدكتور يوسف القرضاوي: (لقد كانت مصيبة البشرية أن ناسًا منهم جعلوا من أنفسهم، أو جعل منهم قوم آخرون آلهة في الأرض أو أنصاف آلهة، لهم يخضع الناس ويخشعون، ولهم يركعون ويسجدون، ولهم ينقادون ويسلمون، لكن عقيدة التوحيد سمت بأنفس المؤمنين، فلم يعد عندهم بشر إله، ولا نصف إله، أو ثلث إله، أو ابن إله، أو محل حلَّ فيه الإله، ولم يعد بشر يسجد لبشر أو ينحني لبشر أو يقبل الأرض بين يدي بشر، وهذا أصل الأخوة الإنسانية الحقة. لقد كانت عقيدة التوحيد تحريرًا للإنسان من عبودية الإنسان والطبيعة، وكل من خلق الله وما خلق الله، وكانت ثورة على كل الأصنام والآلهة المزعومة من دون الله، سواء كانت شجرًا أم حجرًا أم بشرًا)[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣١٠/٧.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس ٣٣٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

(٤) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح الفوزان ص ٩/١، ١٠.

(٥) الإيمان والحياة ٢٥.

قال محمد جميل زينو: (إن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة التي خلق الله العالم لأجلها. قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] أي يوحدوني في العبادة ويفردوني في الدعاء.

وأنواع التوحيد الآتية مأخوذة من القرآن الكريم:

١- توحيد الرب: هو الاعتراف بأن الله هو الرب والخالق، وقد اعترف بهذا الكفار، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2].

وقد أنكر الشيوعيون وجود الرب، فكانوا أشد كفرًا من كفار الجاهلية.

٢- توحيد الإله: هو توحيد الله بأنواع العبادات المشروعة، كالدعاء والاستعانة والطواف والذبح والنذر وغيرها، وهذا النوع الذي جحده الكفار، وكانت فيه الخصومة بين الأمم ورسلهم منذ نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وقد حث القرآن الكريم في أكثر من سوره عليه، وعلى دعاء الله وحده، ففي سورة الفاتحة نقرأ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] ومعناه نخصك بالعبادة، فندعوك وحدك، ولا نستعين بغيرك؛ وتوحيد الإله يشمل إفراده في دعائه، والحكم بقرآنه، والاحتكام إلى شرعه، وكله داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾[4].

٣- توحيد الأسماء والصفات: هو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح، من صفات الله التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة من غير تحريف ولا تكييف ولا تفويض، كالاستواء والنزول، واليد والمجيء، وغيرها من الصفات، نفسرها بما ورد عن السلف[5].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٨٧.

(٣) سورة الفاتحة، آية: ٥.

(٤) سورة طه، آية: ١٤.

(٥) مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية، ص ١٦٤-١٦٥.

وقال الشيخ محمد الغزالي: (والحق أن التوحيد روح الإسلام، وجوهر عقيدته، ومحور عباداته المنوعة، ومبدأ التوحيد يسري في تعاليمه كافة سريان الماء في النبات، أو الأعصاب في البدن.

وقد وضح القرآن الكريم حقيقته وبسط فكرته، وناقش ما قد يعرض له أو يعارضه، حتى ليعتبر التوحيد الإسلامي أصرح وأكمل ما أسسه دين في قلوب بنيه، ودمغ البشر جميعًا بطابع العبودية لله وحده، وانتزاع كل شعور يتجه بالمرء إلى تقديس كائن ما -هنا أو هناك- كل ذلك من عناوين الإسلام الأولى وليس من إشاراته الثانوية أبدًا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1].

والله -وحده- هو الضار النافع، الخافض الرافع؛ الذي يخذل أو ينصر، ويعطي أو يمنع.

وليس لأحد بعده تعقيب على حكمه، وليس من شأن ملك في السماء أو نبي في الأرض التدخل في مشيئة الله.

فهي التي تحكم أبدًا، وإليها يُحتكم أولاً وآخرًا.

وأولياء الله أو أعداؤه لا يفرضون رغباتهم على الإرادة العليا.

ولذلك فإن من إخلاص التوحيد أن نكل ما فوق قدرتنا وإرادتنا إلى الله وحده، وأن نربط خوفنا ورجاءنا به.

قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٧٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٦.

(٣) سورة الزمر، آية: ٣٨.

إن للمؤمن قبلة واحدة يوليها وجهه، ويهب لها فؤاده، ويبثها نجواه وشكواه، ويعرف على أشعتها طريقه في ظلمات الحياة.

للمؤمن صلة عليا بالله، يحدد - على أساسها- علاقاته بالناس.

وله عواطف تجيش بالأمن والقلق، والسخط والرضاء والحب والبغض، والوحشة والأنس.

ومهما اضطربت في نفسه هذه المشاعر المعتادة، فإن ضوابط اليقين تحكمها، وعرفانه بربه هو الذي ينقضها أو يبرمها.

وإذا رأيت المرء يحب غير الله أكثر مما يحب الله، ويخاف العبد أكثر مما يخاف الرب، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويصدر عمله ابتغاء رضاهم أكثر مما يطلب ثواب الآخرة.

فإذا نزلت به نكبة كان تفكيره في فلان قبل تفكيره في الله، وإذا أصابه خير كان حمده لفلان أسبق من شكره لله. فاعلم أن هذا الشخص قد أشرك.

ولئن كان بعض العلماء يقول: إن الشرك في العمل غير الشرك في الاعتقاد، وأن هذا شرك أصغر وذاك شرك أكبر. والحقيقة أن المسألة أصعب مما يتصورون، وذاك شرك أكبر.

فالشرك عين حمئة قذرة، إذا انفجرت في قلب وبدأت تسيل قطرات راشحة، توشك أن تتحول سيلاً كاسحًا، ويومئذٍ لا يبقى في القلب إيمان حق، ويتحول ما يسمونه شركًا أصغر إلى عين الشرك، الذي يعده الإسلام أقبح الكبائر.

والإسلام يوم حارب اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، لم يحاربها لذواتها، ولم تكن بينه وبينها عداوة شخصية، إنما حاربها لأنها احتلت من قلوب الملتفين بها مكانة السيد المتصرف من عبيده الأذلين[1].

وقال د. محيي الدين القره داغي: (إن التوحيد الخالص هو شريعة كل الرسل والأديان السماوية، ومنهجهم المشترك منذ أن جعل الله تعالى الإنسان خليفته في الأرض،

---

(١) عقيدة المسلم، ص ٦١-٦٣ بتصرف.

وبعث منهم رسلاً مبشرين ومنذرين قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[1] ثم يبين الله تعالى أنهم ما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم، ثم يدعو رسوله بقوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ﴾[2].

هذا هو منهج "لا إله إلا الله" في العبادة والتوحيد، والسلوك والعمل والأخلاق والآداب.

فالتوحيد والعبودية لله تعالى وحده، هي القاعدة الأساسية للانطلاق بتحريك الإيمان من القلب إلى الأعضاء ثم إلى المجتمع ممن حوله، فما الصلاة والصوم والزكاة والحج، ثم الحدود والتعاذير، والحل والحرمة، والمعاملات والتشريعات والتوجيهات الإسلامية إلا وتنطلق من هذه القاعدة، التي لا تقوم حياة للأمة الإسلامية قبل أن تقوم، ولا يتحقق الوجود الإسلامي إلا إذا قام على منهج "لا إله إلا الله" قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[3].

فالمجتمع الإسلامي أول شعاره "لا إله إلا الله" ويتمثل هذا الشعار في عقيدته أولاً وفي الشعائر التعبدية ثانيًا، فلا يتحقق الإيمان ولا الإسلام إلا مع الاعتقاد بوجود الله وحده، ومع الاعتقاد بأن شعائره التعبدية لله تعالى لا يشركه في ذلك أحدًا، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4] فالله تعالى أغنى الشركاء فلا يقبل إلا ما هو خالص لوجهه.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٣) سورة يوسف، آية: ٤٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٦١-١٦٣.

كما لا يتحقق مقتضى هذه الكلمة إلا بأن يتلقى الأوامر والنواهي من الله تعالى وعن طريق رسله الذين بلغونا الإسلام، وآخرهم وخاتمهم محمد رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[1].

فالمؤمن بعد ما أعطى قلبه لله تعالى فامتلأ بالإيمان والتوحيد لابد وأن يكيف إدراكه على ضوء ما يؤمر به، ثم يكيف على أساس هذه العقيدة الحقة تعامله مع ربه، ومع نفسه ومع غيره تحقيقاً لعبوديته التي لابد وأن تشمل جميع حياته ونشاطه[2].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: بيان عداوة الشيطان وتحريشه بين المسلمين:

حيث جاء في الحديث "ولكن في التحريش بينهم".

قال النووي: (هذا الحديث من معجزات النبوة ومعناه: أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء، والحروب والفتن ونحوها)[3].

وقال الطيبي: (قال القاضي البيضاوي: ومعنى الحديث: الشيطان أيس أن يعود أحد من المؤمنين إلى عبادة الصنم، ويرتد إلى شركه في جزيرة العرب، ولا يرد على هذا ارتداد أصحاب مسيلمة، ومانعي الزكاة، وغيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يعبدوا الصنم و"جزيرة العرب" من جفر أبي موسى الأشعري إلى أقصى اليمن طولاً، ومن رمل يرين إلى منقطع السماوة - وهي بادية في طريق الشام - عرضًا، هكذا ذكره أبو عبيدة معمر بن المثنى؛ وإنما سميت جزيرة العرب لأنها واقعة بين بحر فارس، والروم، ونيل، ودجلة، وفرات، وقال مالك بن أنس: جزيرة العرب مكة والمدينة، واليمن وقال: التوربشتي: (وإنما خص جزيرة العرب بالذكر؛ لأن الدين يومئذ لم يتعد عنها".

---

(١) سورة الشورى، آية: ٢١.

(٢) من مقدمة تحقيق وتعليق الدكتور علي محي الدين القره داغي على كتاب: معنى لا إله إلا الله للإمام بدر الدين الزركشي، ص ٤٠-٤١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٤٨.

أقول: -القائل الطيبي- ولعله ﷺ أخبر عما يجري فيها بعده من التحريش الذي وقع بين أصحابه رضي الله عنهم، أي أيس أن يعبد فيها، لكن طمع في التحريش بين ساكنيها، وكان كما أخبر، وكان معجزة، والتحريش: الإغراء على الشيء بنوع من الخداع، من حرش الصياد الصيد إذا خدعه، أي يخدعهم ويغري بعضهم على بعض.

أقول: - أي الطيبي - لما ذكر العبادة سماهم المصلين تعظيمًا لهم، وحيث ذكر الفتنة أخرجه مخرج التحريش - وهو الإغراء بين الكلاب - توهينًا وتحقيرًا لهم)[1].

هذا وقد حذر الله في القرآن الكريم من عداوة الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[2] قال النسفي: (إن الشيطان ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بأحواله، فاتخذوه عدوًا في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدنَّ منكم إلا ما يدل على معاداته في سركم وجهركم، ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه، بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته، هو أن يوردهم مورد الهلاك)[3]. ولهذا وجب الحث على الاتحاد والبعد عن التفرق، قال الإمام الغزالي: (إن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق؛ فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر. وقال بعضهم:

وجدت مصيبات الزمان جميعه ... سوى فرقة الأحباب هينة الخطب[4]

وفي الحث والتحذير من عداوة الشيطان جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث))[5].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٠٩/١.

(٢) سورة فاطر، آية: ٦.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٩٧١.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٧١/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩.

قال القاضي أبوبكر بن العربي: (وقوله "لا تباغضوا" فالبغض هو كراهية المرء أو صفاته، وأما الحسد، فهو تمني نقل النعمة من غيرك إليك، وأما التدابر، فهو اختلاف الأهواء والمقاصد؛ وهي الحالقة، فإن صلاح ذات البين بها تقوم شعائر الإسلام من الصلاة والحج، وبها تحمى البيضة بالجهاد والنصرة، وبها تجمع حقوق الفقراء من أيدي الأغنياء.

وفي قول مالك: لا أحسب التدابر إلا الإعراض.

وأصل الفساد البغض، فنهى النبي ﷺ عنه، وينشأ عن البغض الإعراض؛ وهو أول درجات التدابر، ويترتب على الإعراض اختلاف الأهواء ومروج الأمور[1]، ففسره مالك بالإعراض، وهو الأصل، حتى إذا اجتنبت وكان الإقبال، يترتب عليه اتفاق الأهواء. وأما الظن، فهو حديث في النفس عما يتوهمه المرء، فإن كان عن دليل فالعمل عليه واجب، وإن كان مسترسلاً أو عن شهوة فهو أكذب الحديث. وأما التحسس، فهو تطلب الأخبار على الناس في الجملة، وذلك لا يجوز إلا للإمام الذي رتب لمصالحهم، وأُلقي إليه زمام حفظهم، فأما عُرْض الناس[2]، فلا يجوز ذلك لهم إلا لغرض؛ من مصاهرة، أو جوار، أو رفاقة[3] في السفر، أو معاملة، أو ما أشبه ذلك من أسباب الامتزاج. وأما التجسس، فهو طلب الخبر الغائب للشخص، وذلك لا يجوز لا للإمام ولا لسواه. وأما التنافس، فهو التحاسد في الجملة، إلا أنه يتميز عنه بأنه سببه، وكأنه قيل له: لا ترى نفسك خيرًا من أحد، حتى يحملك ذلك على الحقد والحسد.

وأما المصافحة، فلم يرها مالك في السلام؛ لأنه لم يسمع حديثها، وقد اجتمع مع سفيان، فصافحه سفيان وقال له: كذلك صافح النبي ﷺ لجعفر حين قدم من أرض الحبشة. وقال البراء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا))[4].

---

(١) مروج الأمور: أي اختلاطها. انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (م ر ج).

(٢) يقال: هو من عُرْض الناس: أي من العامة. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ع ر ض).

(٣) الرفاقة: الجماعة ترافقهم. القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ر. ف. ق).

(٤) أخرجه أبو داود ٥٢١٢ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٤٣).

وأما المحبة فقد قال جماعة من العلماء: إن المحبة هي الإيثار، ألا ترى إلى امرأة العزيز لما تناهت قالت: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾[1] ففدته بنفسها، ولما دخل الصديق مع النبي ﷺ الغار، أرادت الحية أن تخرج من الجحر، فسده برجله، ففداه بنفسه، وكما ترس عنه طلحة ببدنه، وكما نام علي بن أبي طالب على الفراش في البرد الحضرمي بدلاً منه. وأما الهدية، فإنها من أسباب التواد لعلاقة الأمل بالمال، فترى النفس أن كل من أعانها على مصالحها يحبها، فتجازيه بالمحبة أيضًا)[2].

وقال ابن عبدالبر: (وفي هذا الحديث من الفقه أنه لا يحل التباغض؛ لأن التباغض مفسدة للدين، حالقة له، ولهذا أمر رسول الله ﷺ بالتواد والتحاب، حتى قال: ((تهادوا تحابوا))[3]. وروى مالك، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد ابن المسيب يقول: ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، وإياكم والبغضة، فإنها هي الحالقة. وكذلك لا يحل التدابر، والتدابر الإعراض وترك الكلام والسلام[4] ونحو هذا. وإنما قيل للإعراض: تدابر؛ لأن من أبغضته أعرضت عنه، ومن أعرضت عنه وليته دبرك، وكذلك يصنع هو بك، ومن أحببته أقبلت عليه وواجهته، لتسُرَّه ويسرك. فمعنى "تدابروا"، و"تقاطعوا"، و"تباغضوا"، معنى متداخل متقارب، كالمعنى الواحد في الندب إلى التواخي والتحاب، فبذلك أمر رسول الله ﷺ في معنى هذا الحديث وغيره، وأمر رسول الله ﷺ على الوجوب حتى يأتي دليل يخرجه إلى معنى الندب[5].

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥١.

(٢) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٢٢/٩٤-٩٧.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ١٧٥٠. وقال ابن عبدالبر: وهذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها. انظر: موسوعة شروح الموطأ، ٢٢/١٤٤. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٩٤ وحسنه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩١٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١١).

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢/٩٧-٩٨.

قال السيد سابق: (جاء الإسلام ليجمع القلب إلى القلب، ويضم الصف إلى الصف، مستهدفًا إقامة كيان موحد، ومتقيًا عوامل الفرقة والضعف، وأسباب الفشل والهزيمة، ليكون لهذا الكيان الموحد القدرة على تحقيق الغايات السامية والمقاصد النبيلة، والأهداف الصالحة التي جاءت بها رسالته العظمى: من عبادة الله وإعلاء كلمته وإقامة الحق وفعل الخير والجهاد من أجل استقرار المبادئ التي يعيش الناس في ظلها آمنين، فهو لهذا كله يقوي الروابط والصلات بين أفراد المجتمع، لتخلق هذا الكيان وتدعمه، ومن أهم هذه الروابط رباط الإخاء وهو أوثقها، وأمامه تزول جميع الفوارق من نسب عريق، ومال وفير، وجاه عريض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] وهذا الإخاء يقتضي تبعات وحقوقًا، فليس هو إخاء عقيمًا لا ثمرة له في الواقع، ولا أثر له في الحياة العملية، فهو يقتضي أن يهتم كل أخ بأمر أخيه، وأن يعنى بشأنه والدفاع عنه، والذياد عن حوضه، والعمل الدائب على ترقية حاضره)[2].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) عناصر القوة في الإسلام ١١٥ - ١١٧.

الحديث رقم (١٥٩٧)

١٥٩٧- وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ انْ يَهْجُرَ اخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ**)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد عَلَى شرط البخاري ومسلم.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي[2]

المضامين الدعوية[3]

---

(١) برقم (٤٩١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٦٦) وقال: رواه أبو داود والنسائي بإسناد على شرط البخاري ومسلم. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٠٨٦): إسناده صحيح.

(٢) تقدم ذكره في شرح الحديث رقم (١٥٩٤).

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩٤).

الحديث رقم (١٥٩٨)

١٥٩٨- وعن أَبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ. ويقالُ: السُّلَمِيِّ الصحابي رضي الله عنه: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ، يقولُ: ((مَنْ هَجَرَ اخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

حدرد بن أبي حدرد الأسلمي: وهو سلامة بن عمير الأسلمي، ويكنى أبا خِرَاش. روى عن النبي ﷺ حديثًا واحدًا في الهَجْر، وماله غيره[2].

غريب الألفاظ:

كسفك دمه: كإراقته[3]. أي: كقتله.

الشرح الأدبي[4]

المضامين الدعوية[5]

---

(١) برقم (٤٩١٥). قال العراقي في تخريج الإحياء (٢٠٨٨): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٧٢).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (١٩٠-١٩١)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٧٠١/١)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٢٦١)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٧٢/٢)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٣٣٦/١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ف ك).

(٤) تقدم ذكره في شرح الحديث رقم (١٥٩٤).

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٩٤).

الحديث رقم (١٥٩٩)

١٥٩٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوقَ ثَلاَثٍ، فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأجْرِ، وَإنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ[1])). رواه أبو داود[2] بإسناد حسن.

قَالَ أَبُو داود: ((إِذَا كَانَتْ الهِجْرَةُ للهِ تَعَالَى فَليسَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ)) [3].

ترجمة الراوي:

ابو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

باء بالإثم: التزمه ورجع به[4].

الهجرة: الهجران[5].

الشرح الأدبي

التعبير بالفعل المضارع المنفي بـ لا (لا يحل) اطراد للحكم مع اطراد الحياة يفيد التجدد والاستمرار كلما جد هجر جدت حرمة، وهذا أدعى لتدبر الهاجر، وقوله (لمؤمن) قيَّد الحكم بالمؤمن تعريضاً بنفي الإيمان عن الهاجرين بنفي الإيمان عن المتصفين بتلك الصفة المحرمة على أهله، وتنكير كلمة (مؤمن) لإفادة التعميم لأن استغراق المفرد أعم أنواع الاستغراق، وقد جاء المسند إليه مصدراً مؤولاً من الحرف المصدري والفعل المنصوب به، (أن يهجر) هي هجر، وكان من الممكن أن يكون

---

(١) قوله: (وخرج المسلم من الهجرة) من زيادة أحمد بن سعيد السرخسي، كما نبّه عليه أبوداود.

(٢) برقم (٤٩١٢). أورده المنذري عقيب الحديث رقم (٤٠٦٦).

(٣) قول أبي داود هذا بعد حديث رقم (٤٩١٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب و أ).

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (هـ ج ر).

مكانه المصدر الصريح فيقال: (هجر المؤمن)؛ لأن صيغة المضارع باقية مع التأويل بالمصدر دالة في ذاتها على التجدد والحدوث، دالة على استحضار الصورة في الحال، ومعنى هذا أن يتصور المؤمن كل فعل من الهجران يتجدد أمراً لا يحل. وقد جاء المفعول بلفظ مشع بتلك الصفة الجامعة تحت مظلة العبودية لله الموجبة للتقارب، والاتصال بشعاع اليقين، والتي تجعل المؤمنين أعضاء جسد واحد يسهر ويحم جميعه بواحدٍ منها، وقوله (فوق ثلاث) اختيار العدد (ثلاث) رعاية لحال النفس الغاضبة حتى تهدأ، وفي العبارة إيجاز بالحذف، أي ثلاث ليال، واستخدام الظرف (فوق) يصور الهاجر بعد هذا الحد (ثلاث) متعالياً متكبراً تأخذه العزة بالإثم.

وقد تبعه بأسلوب شرط يربط مرور الثلاث بالأمر باللقاء، والسلام (فإنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلاَثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ) واستخدم (إن) كأداة شرط يشير إلى عدم توقع حدوث الشرط، وهو مرور ثلاث دون صلح بين المؤمنين لأن الإيمان محرك سريع في قلوبهم نحو الصلح، والأمر باللقاء والسلام قاطع لمادة الخلاف مزيل لصفة الهجر، ووجَّه الأمر المباشر باللقاء، والسلام ؛ لأنه يعول على صفة الإيمان الحاملة على الطاعة، والاستجابة، والتعالي على رغبات النفس في الاستمرار في القطيعة، وقوله : (فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ) ترغيب يداعب قلوب المؤمنين بما تسعى إليه من الأجر المقرب للغاية برضا الله، والجنة، ثم يتبع الترغيب في السلام، بالترهيب من ضده بتحمل الإثم كما هي عادة القرآن، وعادة الرسول ﷺ في شفع الترغيب بالترهيب في قوله: (وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ) والتعبير بالفعل (باء) يشير إلى إحاطته به واستحقاقه له بما يمهد لبراءة الذي سلَّم من الإثم، والذي قرره بالخبر الصريح في قوله (وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ)، والتعبير بالخروج يشير إلى مفارقته للإثم بعد سبق تلبسه به .

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التحذير من هجر المسلم لأخيه المسلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل إلقاء السلام.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً - من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث "لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث..." وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر بخطورة المنهي عنه وضرورة اجتنابه، فواجب الدعاة استعمال هذا الأسلوب من خلال ما جاء في القرآن والسنة من صور النهي لتحذير المدعوين منها ومن صور استعمال القرآن لأسلوب النهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التحذير من هجر المسلم لأخيه المسلم:

يتضح هذا من قوله في الحديث "لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث" ولاشك أن هذا يدل على خطورة هجر المسلم والتحذير منه، قال الشيخ ابن عثيمين: (وإذا كان في هجر مَنْ فعل معصية، كترك واجب أو فعل محرم، فائدة، يُهْجر حتى تتحقق الفائدة، وأما من كان هجره لا يفيد شيئًا، بل لا يزيد الأمر إلا شدة وبعدًا عن أهل الخير، فلا يهجر؛ لأن الشرع جاء بالمصالح وليس بالمفاسد، فإذا علمنا أننا لو هجرنا هذا العاصي لم يزدد إلا شرًا وكراهة لنا، وكراهة ما معنا من الخير، فإننا لا نهجره، نسلم عليه ونرد عليه السلام، لأنه وإن عصى الله، فإن المؤمن لا يهجر فوق ثلاث)[3].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: (وإن تعلق الهجر بالمسلم فإنه يعد كبيرة، شريطة أن يكون فوق ثلاث، وليس بغرض شرعي، لما في ذلك من التقاطع والإيذاء والفساد، ويستثنى من تحريم هذا الهجر مسائل حاصلها أنه متى عاد الهجر إلى صلاح دين الهاجر والمهجور جاز وإلا فلا)[4].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٧.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٦٨٥/٢.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٦٨٢/١١.

وقال د. الحسيني هاشم: (من عادى أخاه وترك السلام عليه، وما إلى ذلك فوق ثلاثة أيام بلياليها، وأصر على الاستمرار على هذا الهجر والخصام، دخل النار لغلبة شهوته على إيمانه ويقينه، وعصيانه لله ورسوله ﷺ بهذا الهجران. فإن في الهجران قتلاً معنويًا لا يقل أثرًا وإثمًا عن القتل المادي المحسوس. وقطع التهاجر يكون بإلقاء السلام، فإن تجاوب الآخر ورد السلام، ذهب عنهما الوزر، وإن لم يرد انفرد بالوزر، وتخلص الثاني من وعيد القطيعة لأدائه ما عليه)[1].

وقال ابن مفلح: (فأما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله، فقال ابن عقيل: يكره. وكلام الأصحاب خلافه.

ولهذا قال تقي الدين: اقتصاره في الهجرة على الكراهة، ليس بجيد، بل من الكبائر على نص أحمد: الكبيرة ما فيه حدٌّ في الدنيا، أو وعيد في الآخرة)[2].

إن الإسلام يبني علاقات أفراده على الحب والتواصل لا التقاطع والتدابر (إن الأصل في الهجر بين المسلمين الحرمة، بل جعله الشرع من الكبائر، الموجبة للنار، ولم يرخص للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، ووقع التصريح أن المسلم إذا مات مهاجرًا يدخل النار - والعياذ بالله تعالى.

مما يدل على أن الهجر كبيرة، لهذا قال الهيتمي[3] متعقبًا قول صاحب "العدة": "إن هجر المسلم فوق ثلاث صغيرة" ما نصه: "بعيدٌ جدًا، وإن سكت عليه الشيخان"[4] ثم قال: ثم رأيت بعضهم جزم بأن الهجرة المذكورة كبيرة، ولم يلتفتُ إلى مقالة صاحب "العدة" والزركشي، وقال: ما ذكره من كون هجر المسلم فوق ثلاثة أيام من الصغائر فيه نظر، والأشبه أنه كبيرة، لما فيه من التقاطع والإيذاء والفساد، إلا أن يقال: مجيء ذلك من الإصرار عليها.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٧٤٦-٧٤٧.

(٢) الآداب الشرعية ١/٢٧٣.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس الهيتمي ٢/٤٤.

(٤) أي الرافعي والنووي -رحمهما الله تعالى-.

وتعقّب هذا القول أيضًا، فقال: وقوله: إلا أن يقال مجيء ذلك من الإصرار عليها، فيه نظرٌ، ولئن سلمناه فهو لا ينافي ما قلناه، إذ غاية الأمر أن معنى كون ذلك كبيرة، هل هو ما فيه مما ذكر، أو الإصرار عليه في مدة الثلاثة أيام، والوجه الأول، إذ الثلاثة قيد لأصل الحرمة، لأن بمضيها يتحقق الإفساد والتقاطع، بخلافه قبلها، فلا إصرار هنا)[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل إلقاء السلام:

حيث جاء في الحديث "فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه" فقد أرشد النبي ﷺ إلى وسيلة إنهاء الهجر بإلقاء السلام، قال شرف الحق العظيم آبادي: (وقوله "اشتركا في الأجر" أي في أجر السلام أو في أجر ترك الهجر أو فيهما "فقد باء بالإثم" أي رجع بإثم الهجران وقال القاري: الأظهر أنه باء بإثم الهجر وبإثم ترك السلام)[2]. وفي فضل السلام جاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: ((أنَّ رَجُلاً سأل النبيَّ ﷺ: أَيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلَى مَن عَرَفْتَ وَمَن لم تَعْرِف))[3] وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بالله تَعَالَى مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلاَمِ))[4].

قال السيد سابق: (شرع الإسلام التحية عند اللقاء وعند المفارقة كمظهر من مظاهر المدنية الصحيحة، إذ أن التحية من شأنها أن تؤلف القلوب وتقوي الصلات، وتربط الإنسان بأخيه الإنسان، وقد قيل: ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار. وقد قال الله سبحانه ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[5] أي ليقل بعضكم لبعض: السلام عليكم، وهذا السلام تحية شرعها الله لكم، وكلها الخير والطيبة والبركة، لما فيها

---

(١) الهجر في الكتاب والسنة، الشيخ مشهور حسن محمود آل سلمان، ١٣٣-١٣٥.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢١١٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦.

(٤) أخرجه أبو داود ٥١٩٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٢٨).

(٥) سورة النور، آية: ٦١.

من جلب المحبة، وتقوية عرى المودة، وإنما جعلت تحية المسلمين بهذا اللفظ، وهو لفظ السلام، للإشعار بأن دينهم دين السلام والأمان، وأنهم أهل السلم ومحبو السلام، وإنما كانت هذه الصيغة أتم؛ لما فيها من مزيد الثواب)[1].

قال الطيبي: (السلام مصدر، نعت به، والمعنى ذو السلامة من كل آفة ونقيصة، أي الذي يسلم ذاته عن الحدوث والعيب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشر المحض، فإن ما تراه من الشرور فهي مقضية، لا لأنها كذلك، بل لما يتضمنه من الخير الغالب الذي يؤدي تركه إلى شرٍ عظيم، فالمقضى والمفعول بالذات هو الخير، والشر داخل تحت القضاء، وعلى هذا يكون من أسماء التنزيه.

ووظيفة العارف: أن يتخلق به، حيث يسلم قلبه عن الحقد والحسد، وإرادة الشر، وقصد الخيانة، وجوارحه عن ارتكاب المحظورات، واقتراف الآثام، ويكون سلمًا لأهل الإسلام ساعيًا في ذب المضار ودفع المعاطب عنهم، ومسلمًا على كل من يراه عرفه أو لم يعرفه. وعن بعض الصالحين: السليم من العباد من سلم عن المخالفات سرًا وعلنًا، وبرئ من العيوب ظاهرًا وباطنًا، قال الشيخ أبو القاسم: ومن آداب من تحقق بهذا الاسم أن يعود إلى مولاه بقلب سليم، والقلب السليم هو الخالص من الغل، والحقد، والحسد، فلا يضمر للمسلمين إلا كل خير ونصح، فيحسن الظن بكافتهم، ويسيء الظن بنفسه، فإذا رأى من هو أكثر سنًا منه قال: هو خير مني؛ لأنه أكثر مني طاعة، وإذا رأى من هو دونه في السن قال: إنه خير مني؛ لأنه أقل معصية. وقال المشايخ: إذا ظهر لك من أخيك عيب، فلتطلب له سبعين بابًا من العذر، فإن اتضح لك عذره، وإلا عد على نفسك باللوم، وقل: بئس الرجل أنت، حيث لم تقبل سبعين عذرًا من أخيك)[2].

وجاء في موسوعة فقه القلوب: (ومن أسمائه الحسنى عز وجل: السلام. قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

---

(١) إسلامنا ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/١٦-١٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٢٣.

وقال النبي ﷺ: (إن الله هو السلام، فإذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإذا قالها أصابت كل عبد لله صالح، في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ثم يتخير من المسألة ما شاء)[1].

الله تبارك وتعالى هو السلام، الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل نقص، لكماله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وهو سبحانه أحق بهذا الاسم من كل ما سواه، لأنه السالم من كل آفة وعيب، ونقص وذم، وله الكمال المطلق من كل الوجوه، وكماله سبحانه من لوازم ذاته: فالسلام يتضمن إثبات جميع الكمالات له، وسلب جميع النقائص عنه.

والسلام يتضمن سلامة ذاته من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة أفعاله من العبث والظلم، وخلاف الحكمة.

فالله جل جلاله هو الحي الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغير. وهو القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب، والإعياء والعجز.

وهو العليم الذي سلم علمه من النقص، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، أو يغيب عنه قدر ذرة. وهو سبحانه السلام الذي سلم الخلق من ظلمه فلا يظلم أحدًا.

وهو سبحانه السلام الذي خلق الجنة دار السلام من الموت والمرض وسائر الآفات كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وهو سبحانه السلام الذي يسلم على عباده في الجنة كما قال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣١، ومسلم ٤٠٢ واللفظ له.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٤٤.

وهو سبحانه السلام، المسلم على أنبيائه ورسله، لإيمانهم وإحسانهم، وطاعتهم له، وتحملهم في سبيله أعظم الشدائد، فيؤمنهم فلا يخافون ولا يفزعون كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2].

وقد أمر النبي ﷺ بإفشاء هذا الاسم، وأخبر أن ذلك سبب للمحبة، ودخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم))[3].

والله سبحانه هو السلام، فكل سلام ورحمة منه وله، وهو مالكها ومعطيها، فالسلام منه بدأ، وإليه يعود، فالسلام اسمه ووصفه وفعله، والتلفظ به ذكر له فـ((اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام))[4]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5]))[6].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

يتضح هذا من سياق الحديث، حيث رغب رسول الله ﷺ في إلقاء السلام من المسلم على أخيه المسلم إذا لقيه وكان بينهما هجر، وبإلقاء السلام يخرج من الهجر، ورهّب من عدم رد السلام، بأن من لم يرد سوف يبوء بالذنب.

---

(١) سورة الصافات، آية: ٧٩.

(٢) سورة النمل، آية: ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم ٥٤.

(٤) أخرجه مسلم ٥٩٢.

(٥) سورة الصافات، آية: ١٨٠-١٨٢.

(٦) موسوعة فقه القلوب ١/١٤٨، ١٤٩.

وأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفوس المدعوين، وحثهم على الطاعة، وترك المخالفات الشرعية: (إن النفوس البشرية مختلفة الطباع منها ما يجلبه الترغيب ومنها ما يخيفه الترهيب، ولهذا جاء القرآن والسنة بالأسلوبين، والدعاة مطالبون بانتهاج الأسلوبين مع الناس كل حسب ما يناسبه)[1]. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترغيب والترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[3].

وعلى الدعاة الهداة الموازنة بين الترغيب والترهيب، واستعمال كل في موضعه، مع مراعاة ظروف المدعوين وأحوالهم.

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش ٨٦.

(٢) سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

(٣) سورة محمد، آية: ١٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على غرس روح الأخوة بين المسلمين:

إن الأخوة رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام... مع كل من تربطه وإياه من أواصر العقيدة الإسلامية، ووشائج الإيمان والتقوى.... فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم والمساس بكرامتهم[1]؛ لذا كان من الواجب على دعاة التربية والتوجيه غرس وتوثيق رابطة الأخوة بين المسلمين فلا تقاطع ولا تدابر ولا تباغض ولا حسد ... وهذا ما أكده حديث الباب في قوله ﷺ: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا ... إلخ».

ولقد اشتد تعظيم الإسلام كمنهج تربوي في الحفاظ على تماسك الأخوة وعدم قطع أواصرها، فحرم الهجر بين المسلمين، وجعل الأصل في ذلك المنع[2]، وهذا ما أكدته أحاديث الباب، وهو ما يجب غرسه في نفوس المتربين، وحتى يتسنى للقائمين على التربية والتوجيه القيام بذلك وجب بيان مساوئ الهجر للمتربين، ليدركوا عظم مخاطر الهجر، ويلتمسوا اجتنابها، بل ويعملوا على الحفاظ على وشائجها وإنزالها منازل الأخوة بالدم، ولبيان مساوئ الهجر نقول: إن الهجر يعطل كافة صور الخير في المتهاجرين، بالنسبة إلى بعضهما، فلا يتعاونان على فعل بر، ولا يجتمعان على مصلحة ومنها: أن الهجر يقضي بقبض يد المساعدة عن المهجور، وهو عقوق إن كان المهجور أحد الوالدين، وقطيعة رحم إن كان أحد الأقارب، والعاق والقاطع لا يدخلان الجنة.

ومن ذلك أن الهجر يعطل حقوق المسلم بين المتهاجرين، فلا يسلّم أحدهما على الآخر، ولا يرد سلامه، ولا يعوده إذا مرض، ولا يشيع جنازته إذا مات.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٣٦٢/١.

(٢) الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود، ١١٩.

ومن الهجر أن المتهاجرين محرومان مما يفيض الله على المسلمين في مواسم الخير، فصلاتهما لا ترفع، وعملهما موقوف، حتى يصطلحا، ولو لم يكن من قبائح الهجر إلا هذا، لكن كافيًا في الابتعاد عنه[1].

وبهذا يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس روح الأخوة بين المسلمين وجعلها في سياج منيع عن القطع والهجر.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

لقد بلغ الترهيب كأسلوب تربوي في النهي عن الهجر بين المسلمين أوج بلوغه، حتى لا يتغافل عنه دعاة التربية في استخدامه، عند وقوع الهجر بين المسلمين، فبدأ الترهيب بعدم المغفرة للمتهاجرين، وذلك في قوله ﷺ: «... فيغفر الله لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا، إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا».

ثم ثنى هذا الأسلوب التربوي النبوي ببيان سوء العاقبة وعظم الجرم وذلك في قوله ﷺ: «... فمات دخل النار»، وقوله ﷺ: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»، وقوله ﷺ: «... فقد باء بالإثم ...إلخ».

ونجاح الترهيب كأسلوب تربوي فعّال في علاج ما كان من أخطاء يرجع إلى فطرة نفس المتربي على كره الشر والشقاء، ولولا هذه الخاصية الفطرية لما كان لهذا الأسلوب أثره التربوي في زجر نفس المتربي، بل وتربيتها على اجتناب ما هو محظور[2].

ثالثًا: التربية الوقائية:

إن التربية الوقائية تعتبر سياجًا للمتربي من الوقوع في الرذائل الخلقية، وهذا ما بدا جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: ((إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ في جزيرة العرب، وَلكِنْ في التَّحْرِيش بَيْنَهُمْ))، والأسرة والمجتمع لهما أكبر الدور في تنشئة

---

(١) الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود، ١٤٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، سعيد إسماعيل القاضي، ١٨٦، تربية الطفل في الإسلام، أحمد محمود الحمد، ١٢٧، أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٤، ٣٩٥.

المرتبين على تطبيق التوجيهات الإسلامية حتى يكونوا في الجانب الوقائي من الرذائل الخلقية التي انحل زمامها في الكثير من بلدان العالم، فأصبحوا في أوكارها جاثمين وبمجونها فرحين مسرورين، وما تذكروا قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ۝ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾[1][2].

وأن النبي ﷺ أراد أن يربي المسلمين تربية وقائية تجعلهم على حذر من كيد الشيطان ووسوسته وتحريشه ونزغه بينهم، حتى يكون المسلم على بينة من الأمر، فيعمل على سد الثغرات التي يمكن أن ينفذ الشيطان من خلالها لتمزيق أواصر المحبة والمودة بين المسلمين.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الغاشية، الآيات: ٢-٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٦٠، ٦٩.

٢٨١- باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلاّ لحاجةٍ وَهُوَ أن يتحدثا سرًا بحيث لا يسمعهما وفي معناه مَا إذَا تحدثا بلسان لا يفهمه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾[المجادلة: ١٠]

الحديث رقم (١٦٠٠)

١٦٠٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا كانُوا ثَلاثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ورواه أَبُو داود[2] وزاد: قَالَ أَبُو صالح: قُلْتُ لابنِ عُمرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ.

ورواه مالك في الموطأ[3]: عن عبد الله بن دينارٍ، قَالَ: كُنْتُ أنَا وابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بنُ عُقْبَةَ الَّتي في السُّوقِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْرِي[4]، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً آخَرَ حَتَّى كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الثَّالِثِ الَّذي دَعَا[5]: اسْتَأْخِرَا شَيْئًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: ((لا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

إن تعاليم الإسلام لا تُعنى بالأعراض دون الجواهر، ولا بالقشور دون اللباب، حتى تظل علاقة المؤمن بربه نابعة من القلب، ناضحة بالمشاعر، نابضة بالأحاسيس،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٨) واللفظ له، ومسلم (٢١٨٣/٣٦).

(٢) عقب الحديث رقم (٤٨٥٢).

(٣) (٩٨٨/٢) رواية يحيى بن يحيى الليثي.

(٤) عند مالك زيادة: (وغير الرجل الذي يريد أن يناجيه).

(٥) لفظ مالك: (دعاه).

وكذلك تظل العلاقة بين أفراد الأمة الإسلامية قائمة على أسس من التصافي والإخاء، والبعد عن التجافي والعداء.

وهذا الحديث الشريف يلفت نظر المسلمين في كل زمان وفي كل مكان إلى حقيقة نفسية شعورية، لا بد أن يفطن لها كل مسلم وكل مسلمة؛ وهي اتقاء الشبهات، والابتعاد عن الظنون والريب، ومراعاة مشاعر وأحاسيس الآخرين.

وصياغة الحديث تؤكد الحرص على ذلك؛ حيث يجيء الحديث في قالب الشرط والجواب،وهو قالب إخباري، ولكنه كما قال العلماء: خبر في لفظه، طلب في معناه.

فالمراد: النهي عن انفراد اثنين بالتناجي والتحادث في همس، وثالثهم حاضر؛ ولكنهما يتعمدان إخفاء الحديث عنه، والتقدير: لا يتناجى اثنان دون الثالث،وهذا المطلب لا بد من تحققه لأن أداة الشرط "إذا"، تفيد التحقق.

وفعل الشرط: "كانوا"، فيه إشارة إلى هؤلاء الثلاثة من غير تخصيص، والفاعل هنا: "واو الجماعة"، ضمير رفع متصل، يعني العموم واستمرار هذا النهي عن هذا السلوك الذي يفسد العلاقات السوية بين أفراد المجتمع.

وفي الحديث بلاغة الحذف: لأن التقدير: إذا كان المجتمعون ثلاثة أشخاص من المسلمين، وغير المسلمين مطالبون بذلك لأن هذا سلوك إنساني، وانضباط اجتماعي.

والمسلمون أولى من غيرهم في الحرص على عدم إيذاء الآخرين شعوريًا ونفسيًا واجتماعيًا.

وفي اللغة: النجوى والنجيّ: السر،والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجوًا: أي ساررته، وقال أبو إسحاق: معنى النجوى في الكلام: ما يفرد به الجماعة والاثنان سرًا كان أو ظاهرًا ،وجواب الشرط في الحديث يؤكد النهي عن مناجاة اثنين دون الثالث، حيث يقترن جواب الشرط بالفاء لأنه فعل طلبي منهي عنه، حيث يقول رسول الله ﷺ في صيغة النهي الصريح: "فلا يتناجى اثنان دون الثالث".

اللهم ارزقنا محبتك ومحبة رسولك نبينا محمد ﷺ، واجعلنا اللهم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: آداب التناجي في الإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى" وأسلوب الشرط له أثر في نفوس المدعوين، من حيث إنه يلفت انتباه المدعو ويشده إلى معرفة الجواب، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: آداب التناجي في الإسلام:

حيث جاء في الحديث الأول قوله ﷺ: "فلا يتناجى اثنان دون الثالث" وفي الحديث الثاني قوله "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه" وهذا يبين أدب الحديث والتناجي في الإسلام، قال الإمام النووي: (وفي هذه الأحاديث النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث، وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد، وهو نهي تحريم فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن، وجماهير العلماء: أن النهي عام في كل الأزمان وفي الحضر والسفر، وكان المنافقون يفعلون ذلك بحضرة المؤمنين ليحزنوهم، أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس بالإجماع)[3].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: وإنما قال يحزنه لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهما فيه أو لدسيسة غائلة له، ونقل ابن بطال عن أشهب عن مالك قال: لا

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٦٠٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٠١).

(٢) سورة النساء، آية: ١٠١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٦٥، ١٣٦٦.

يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة، لأنه قد نهى أن يترك واحدًا، قال: لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد، وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا)[1].

قال القاضي أبوبكر بن العربي: (وأما مناجاة بعض الناس دون بعض فاختلف فيه على أربعة أقوال، الأول: أن ذلك في السفر؛ لأنه موضع التُّقاةِ ومكان الحذر. الثاني: أنه مخافة أن يحزن صاحبه، وكذلك جاء في الحديث: "كراهية أن يحزنه". فإن كان من قول النبي ﷺ فقد انحسم التأويل، وإن كان من قول الراوي فهو أولى من تأويل غيره. الثالث: أن ذلك من سوء الأدب. الرابع، ويرتبط بالثالث: أنه خلاف ما يقتضيه عقد المجالسة، فإنهما إنما يتجالسان بالصحبة والألفة والأنسة، فإذا انخذل عنه إلى السر فقد نقض هذا الميثاق، وفِعْلُ عبدالله بن عمر مع عبدالله بن دينار يدل على أن الحضَرَ في ذلك كالسفر، لكنَّ المعنى في السفر أوفى منه في الحضر، وقد تتزايد العِلَّةُ الشرعيةُ، ويبقى الحُكم على حاله، وهذا المنع اختلف فيه الناس؛ هل يزولُ بالإذن أم لا؟ والصحيح أنه يزولُ؛ لأن الحق له، فإذا أسقطه سقَط. وقال ابنُ القاسم: سمعتُ مالكًا يقول: لا يَتَنَاجَ أربعة دون واحد. وصدَقا؛ لأن العلة أكثرُ، والتقيَّة أعظم. هذا في تناجي الجماعة دون الواحد، وأما تناجي الجماعة دون الجماعة، فإنه أيضًا مكروهٌ أو محرمٌ، وقد نص الله تعالى عليه، فقال سبحانه: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2])[3].

وقال ابن عبدالبر: (التناجي التسار، وذلك مكالمة الرجل أخاه عند أذنه بما يسره من غيره. والنهي إنما ورد كما ترى إذا كانوا ثلاثة، وأما إذا كانوا أربعة فما فوقهم، فلا بأس به.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٨٦/١١.

(٢) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٣) القبس، ضمن موسوعة شروح الموطأ، ٤٥٤/٢٣-٤٥٥.

وقد جاء عن ابن شهاب، أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، لا تدعوا صاحبكم نجيًا للشيطان))[1]. قال ابن شهاب: وقال سعيد بن المسيب: إلا أن يستأذناه.

وقوله: "نجيًا للشيطان". يريد: لأنه يوسوس في صدره من جهتهما ما يحزنه. والله أعلم.

وقد أتى في الحديث أن النهي عن ذلك إنما ورد لئلا يحزن الثالث ويسوء ظنه، ونحو ذلك. وعن نافع، عن ابن عمر أنه كان يقول: هؤلاء لا يُبالون بسفك الدماء بينهم، وقال رسول الله ﷺ لعظم حرمة المؤمن: "إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد". قال نافع: فربما كان لعبد الله حاجة - ومعه رجلان - إلى أحدهما، فلا يُكلمه حتى يأتي رابع، فإذا جاء قال: شأنك وصاحبك، فإن لي إلى صاحبي هذا حاجة.

قال أبو عمر: هذا لئلا يظن به أنه ينال منه، أو يتكلم فيه، وهو معنى حديث ابن مسعود: "فإن ذلك يحزنه". قال الشاعر:

يروعه السرار بكل أمر ... مخافةَ أن يكونَ به السرارُ[2]

قال القرطبي: (قوله: "إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد" "كان" هنا: تامَّة بمعنى: وُجد، ووقع. و"ثلاثة": فاعل بها، بخلاف الرواية الأخرى؛ التي قال فيها: "إذا كنتم ثلاثة" فإنها فيها ناقصة. بمعنى: صرتم ثلاثة.

وقوله: "فلا يتناجى اثنان" الرواية المشهورة فيها: "يتناجى" بالألف مقصورة ثابتة في الخط، غير أنها تسقط في اللفظ لالتقاء الساكنين؛ فإذًا: هو خبرٌ عن نفي المشروعية، ويتضمن النهي عن ذلك. وقد وقع في بعض النسخ: "فلا يتناج" بغير ألف، على النهي. وهي واضحةٌ. والتناجي: التحادث سرًا. وقد زاد في الرواية الأخرى زيادةً حسنةً، فقال: "حتى يختلطوا بالناس"، فبين غاية المنع، وهو أن يجد الثالثُ من يتحدث معه، كما فعل ابن عمر، وذلك: أنه كان يتحدَّث مع رجلٍ، فجاء آخر يريد أن يناجيه، فلم يناجه

---

(١) قوله: ((لا تدعوا صاحبكم نجيا للشيطان))، لم أعثر عليه فيما تحت أيدينا من كتب الحديث.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/٤٥٦-٤٥٨.

حتى دعا رابعًا، فقال له وللأول: تأخرًا، وناجى الرجل الطالب للمناجاة. وقد نبَّه في هذه الزيادة على التعليل بقوله: "فإن ذلك يحزنه" أي: يقع في نفسه ما يحزن لأجله، بأن يقدِّر في نفسه: أن الحديث عنه بما يكره، أو أنَّهم لم يروه أهلاً ليشركوه في حديثهم، إلى غير ذلك من ألقيات الشيطان، وأحاديث النفس. وحصل ذلك كلُّه من بقائه وحده، فإذا كان معه غيره أمن ذلك، وعلى هذا: يستوي في ذلك كلُّ الأعداد، فلا يتناجى أربعة دون واحد، ولاعشرة، ولا ألفٌ مثلاً؛ لوجود ذلك المعنى في حقه، بل وجوده في العدد الكثير أمكن، وأوقع، فيكون بالمنع أولى. وإنما خصَّ الثلاثة بالذكر لأنه أوَّل عدد يتأتى فيه ذلك المعنى. وظاهرُ هذا الحديث يعمُّ جميع الأزمان والأحوال. وإليه ذهب ابنُ عمر، ومالكٌ، والجمهور. وقد ذهب بعضُ الناس: إلى أن ذلك كان في أول الإسلام، لأن ذلك كان حال المنافقين، فتناجى المنافقون دون المؤمنين، فلما فشا الإسلام؛ سقط ذلك. وقال بعضهم: ذلك خاصٌّ بالسفر، وفي المواضع التي لا يأمن الرجلُ فيها صاحبه؛ فأما في الحضر، وبين العمارة: فلا.

قلتُ: وكلُّ ذلك تحكُّم، وتخصيص لا دليل عليه. والصحيح: ما صار إليه الجمهور. والله تعالى أعلم[1].

وقد نهى الله عن النجوى وبين أن ذلك من الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2] قال قتادة: (كان المنافقون يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم)[3]. وقال ابن كثير: (وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذٍ على مؤمن)[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٢٤-٥٢٥.

(٢) سورة المجادلة، آية: ١٠.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٨/١٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٤٤.

قال القاسمي: (قال القاشاني: إنما نهوا عن النجوى لأن التناجي اتصال واتحاد بين اثنين في أمر يختص بهما، لا يشاركهما فيه ثالث. وللنفوس عند الاجتماع والاتصال تعاضد وتظاهر، يتقوى ويتأيد بعضها بالبعض فيما هو سبب الاجتماع لخاصية الهيأة الاجتماعية التي لا توجد في الأفراد، فإذا كانت شريرة يتناجون في الشر، ويزداد فيهم الشر، ويقوى فيهم المعنى الذي يتناجون به بالاتصال والاجتماع، ولهذا ورد بعد النهي قوله: "ويتناجون بالإثم" الذي هو رذيلة القوى البهيمية "والعدوان" الذي هو رذيلة القوى الغضبية، "ومعصيت الرسول" التي هي رذيلة القوة النطقية، بالجهل وغلبة الشيطنة. ألا ترى كيف نهى المؤمنين بعد هذه الآية عن التناجي بهذه الرذائل المذكورة، وأمرهم بالتناجي بالخيرات، ليتقووا بالهيأة الاجتماعية، ويزدادوا فيها فقال: "وتناجوا بالبر" أي: الفضائل التي هي أضداد تلك الرذائل، من الصالحات والحسنات المخصوصة بكل واحدة من القوى الثلاث، "والتقوى" أي: الاجتناب عن أجناس الرذائل المذكورة)[1].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: (والنجوى من رجل الشيطان وخيله ليحزن المؤمنين، وهي من عمل المنافقين وأعداء المسلمين من يهود وغيرهم، والنجوى يمقتها الله عز وجل وينهى أن تكون بين المجتمع المسلم، وهي تشكل جيوب الغمز واللمز ثم التفرقة والتمزق)[2].

وقال ابن عثيمين: (ومن الآداب التي حث عليها الإسلام ورغب فيها النهي عن تناجي اثنين دون الثالث، والتناجي من الشيطان، وكان أعداء المؤمنين من المنافقين والكافرين يحرصون على التناجي ليحزنوا المؤمنين، وهذا هو ما يريده الشيطان من أعداء الله، يريد أن يحزن المؤمنين على كل حال، ولذا كان من الآداب الإسلامية النهي عن التناجي)[3].

---

(١) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٧٧/١٦.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٥٦٠٣/١١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٦٨٦/٢.

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بالنبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث أن رجلاً أراد أن يناجي ابن عمر وليس معهما رابع فدعا ابن عمر رجلاً آخر وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يتناجى اثنان دون واحد" وهذا يدل على مدى حرص الصحابة رضي الله عنهم على التأسي بأقوال رسول الله ﷺ ذلك لأنه الأسوة الحسنة للمؤمنين قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1].

قال د. صالح بن حميد: (ومن دقيق المعنى في هذه الآية أن الله سبحانه جعل الأسوة في رسول الله ﷺ، ولم يحصره في وصف خاص من أوصافه، أو خلق من أخلاقه، أو عمل من أعماله الكريمة، وما ذلك إلا من أجل أن يشمل الاقتداء بأقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله وسيرته كلها، فيقتدى به ﷺ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ويقتدى بأفعاله وسلوكه من الصبر والشجاعة والثبات والأدب وسائر أخلاقه، كما يشمل الاقتداء بأنواع درجات الاقتداء من الواجب والمستحب وغير ذلك مما هو محل الاقتداء)[2]. ولاشك أنه في اتباعه والتأسي به ﷺ الهدى والفلاح، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[3] وقال جل شأنه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) معالم في منهج الدعوة ٦١.

(٣) سورة النور، آية: ٥٤.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

الحديث رقم (١٦٠١)

١٦٠١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ قَالَ: ((إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أجْلِ أنَّ (ذَلِكَ) [1] يُحْزِنُهُ)). متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

إن تعاليم الإسلام لا تُعنى بالأعراض دون الجواهر، ولا بالقشور دون اللباب حتى تظل علاقة المؤمن بربه نابعة من القلب، ناضحة بالمشاعر، نابضة بالأحاسيس وكذلك تظل العلاقة بين أفراد الأمة الإسلامية قائمة على أسس من التصافي والإخاء، والبعد عن التجافي والعداء.

وهذا الحديث الشريف يلفت نظر المسلمين في كل زمان وفي كل مكان إلى حقيقة نفسية شعورية لا بد أن يفطن لها كل مسلم وكل مسلمة وهي اتقاء الشبهات، والابتعاد عن الظنون والريب، ومراعاة مشاعر وأحاسيس الآخرين.

وصياغة الحديث تؤكد الحرص على ذلك حيث يجيء الحديث في قالب الشرط والجواب،وهو قالب إخباري، ولكنه كما قال العلماء خبر في لفظه، طلب في معناه.

فالمراد: النهي عن انفراد اثنين بالتناجي والتحادث في همس، وثالثهم حاضر ولكنهما يتعمدان إخفاء الحديث عنه، والتقدير: لا يتناجى اثنان دون الثالث،وهذا المطلب لا بد من تحققه لأن أداة الشرط "إذا"، تفيد التحقق.

وفعل الشرط: "كانوا"، فيه إشارة إلى هؤلاء الثلاثة من غير تخصيص، والفاعل هنا: "واو الجماعة"، ضمير رفع متصل، يعني العموم واستمرار هذا النهي عن هذا السلوك الذي يفسد العلاقات السوية بين أفراد المجتمع.

---

(١) قوله: (ذلك) ليست عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عند برقم (٢١٨٤/٣٨) بلفظ: ((فإنَّ ذلك يحزنه)).

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤/٣٧) واللفظ له.

وفي الحديث بلاغة الحذف: لأن التقدير: إذا كان المجتمعون ثلاثة أشخاص من المسلمين، وغير المسلمين مطالبون بذلك لأن هذا سلوك إنساني، وانضباط اجتماعي.

والمسلمون أولى من غيرهم في الحرص على عدم إيذاء الآخرين شعوريًا ونفسيًا واجتماعيًا.

وفي اللغة: النجوى والنجيُّ: السر، والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجْوًا: أي ساررته، وقال أبو إسحاق: معنى النجوى في الكلام: ما يفرد به الجماعة والاثنان سرًّا كان أو ظاهرًا، وجواب الشرط في الحديث يؤكد النهي عن مناجاة اثنين دون الثالث حيث يقترن جواب الشرط بالفاء لأنه فعل طلبي منهي عنه، حيث يقول رسول الله ﷺ في صيغة النهي الصريح: "فلا يتناجى اثنان دون الثالث".

اللهم ارزقنا محبتك ومحبة رسولك نبينا محمد ﷺ واجعلنا اللهم مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه:

هذا ما يستنبط من أحاديث الباب، حيث ربى النبي ﷺ المسلمين على أدب النجوى في عدم تسارّ اثنين إن كان المجلس يضم ثلاثة، وقد تجلى في أحاديث الباب أن التوجيه قد سبقه موقف دعا إليه، وذلك في قول عبدالله بن دينار: «كُنْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي فِي السُّوقِ ... إلخ».

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه اختيار المواقف واغتنام فرصها والأوقات المناسبة للتوجيه حتى تسهل العملية التربوية، مما يساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، فإذا ظهر موقف خاطئ من شخص ووُضح له ما وقع فيه من خطأ، وفي نفس الوقت وجه التوجيه الإيجابي الحسن الذي كان المفروض أن يسلكه؛ فإن لذلك وقع على النفس وتأثير في السلوك، لأنه يرى النتائج أمامه ويعيشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1]، وبالمثال يتضح المقال: فعن كلدة بن حنبل: «أن صفوان بن أمية بعثه إلى النبي ﷺ في الفتح بلبن وجداية وضغابيس قال أبو عاصم: "يعني البقل"، والنبي ﷺ بأعلى الوادي، ولم أسلم ولم أستأذن، فقال ارجع، فقل: السلام عليكم أأدخل؟ وذلك بعد ما أسلم صفوان»[2].

فهذا التوجيه النبوي كان مع وقوع الحدث؛ مما يُثبت ذلك النصح في ذهن المنصوح، وبالتالي ينشأ على تلك الخصائص الحميدة؛ التي وجّه إليها، خاصة وأنها ارتبطت بموقف معين، ...، لذا كان اغتنام المواقف في التوجيه التربوي من أفضل طرقها وأساليبها، وأظهرها، لأنها تعالج خللاً في الحال، وصورته لازالت عالقة في الذهن، ونتائجه ظاهره، أو سوف تظهر فيما بعد، وكثير ما يغفل الإنسان ولا يدرك فداحة الأمر إلا بعد فواته، فهذا الأساس مما ينبغي ملاحظته واغتنام فرصته[3].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٢٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ١٠٨١، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد، ٨٢٥).

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٢٧٩. وأصول التربية الإسلامية، محمد شحات الخطيب، ٢٧٨.

ثانيًا: التربية على مراعاة شعور الآخرين:

اهتمت التربية الإسلامية اهتمامًا كبيرًا بتربية المؤمن على مراعاة شعور الآخرين والعمل على عدم إيذائها، ومن الشواهد على ذلك من أحاديث الباب قوله ﷺ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ. حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ. مِنْ أَجْلِ ذلك أَنْ يُحْزِنَهُ».

وهذا دليل على تميز التربية الإسلامية في التعامل مع الآخرين ومراعاة شعورهم وكرامتهم وعدم جرحها بأي سلوك من السلوكيات المشينة التي تنم عن عدم التخلق بأخلاق الإسلام.

فالأصل في المؤمن أن يكون مرهف الحس يقظ المشاعر تجاه إخوانه، فلا يقع منه ما يكدر إحساسهم، أو يغيظ قلوبهم وقد راعى النبي ﷺ في ذلك مشاعر أصحابه حتى رسم ﷺ أبلغ وأرقى ما يجب أن تتربى عليه الناشئة.

فعن الصعب بن جثامة الليثي، أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا وهو بالأبواء (أو بودّان) فرده عليه رسول الله ﷺ قال: فلما رأى رسول الله ﷺ ما في وجهي قال: «إِنَّا لَمْ نَرُدَّ عَلَيْكَ إِلاَّ أَنَّا حُرُمٌ»[1].

قال النووي: "وفي الحديث أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذر بذلك إلى المهدى تطييبًا لقلبه[2].

لذا وجب على المربين غرس قيمة مراعاة شعور الآخرين في نفوس المتربين، فلا يتسارّ اثنان إن كان المجلس يضم ثلاثة مراعاة لشعور الثالث حتى لا يحزن.

---

(١) أخرجه البخاري، ١٨٢٥، ومسلم، ١١٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ٧٤٤.

٢٨٢- باب النهي عن تعذيب العبد والدابة

والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد عَلَى قدر الأدب

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَبِالوَالِدَيْنِ إحْسانًا وَبِذي القُرْبَى واليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَالجَارِ ذِي القُرْبَى وَالجَارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بالجَنْبِ وابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتالاً فَخُورًا﴾[النساء الآية: ٣٦].

الحديث رقم (١٦٠٢)

١٦٠٢ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله، قَالَ: ((عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْها حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

هرة: قطة[2].

خَشاش الأرضُ: هوامّها، وحشراتها[3].

الشرح الأدبي

إن الإسلام دين الرحمة والعطف والمحبة، والمسلم الحق يتأمل دائمًا مظاهر قدرة الله عز وجل، وكل ما خلق الله من كائنات يجب أن يرتبط بها المسلم، وأن يتأمل أحوالها، وان يكون رفيقًا بها، إذا كانت لا تلحق به الأذى، وهذا الحديث الشريف شاهد على هذه الدعوة إلى الرفق بالحيوان، وإلى انتزاع القسوة من قلب الإنسان، حيث

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٢)، ومسلم (٢٢٤٢/١٥١) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٥٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (هـ ر ر).

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٥٤.

يبدأ الحديث بقوله: "عذبت امرأة"، وبناء الفعل للمجهول يدل على أن العذاب ليس له إلا مصدر واحد، وهو الله عز وجل، فالفاعل حذف للعلم به، وصيغة النكرة في قوله: "امرأة"، لإفادة أن المقصود ليس امرأة محدودة، ولكن المطلوب هو النهي عن هذا السلوك القاسي، والنهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي، أو زائد على قدر الأدب.

وقوله: "في هرة": يفيد السببية أي بسبب هرة، ولكن التعبير بـ"في" أبلغ: لأنها تفيد الظرفية، كأن المرأة غرقت في هذا الجرم، وقوله: "حتى ماتت" يومئ إلى قسوة هذه المرأة لأن الهرة حبست مدة طويلة.. والمرأة لا ترق لها، والعطف بالفاء في قوله.. "فدخلت فيها النار" يرشد إلى سرعة العقاب الإلهي الذي يلحق بهذه المرأة وأمثالها، والتعبير بالفعل الماضي هنا، يفصح عن أن هذا التعذيب واقع بالفعل، لأن هذا هو حكم الله، وأمر الله نافذ لا محالة، وتكرار قوله "فيها" الذي يفيد السببية لمزيد من التأكيد على شناعة هذا الجرم المخالف للطبيعة الإنسانية السوية.

ولنتأمل هذا التكرار كذلك في قوله: "لا هي"، "ولا هي"، وهو صيغة أسلوبية لمزيد من التأثير في نفوس المسلمين، ولمزيد من تحديد الأسباب التي من أجلها وقع العذاب، وكذلك لتأكيد الجرم الذي ارتكبته المرأة، وهو منسوب إليها.

ولنتأمل كذلك الإيقاع الصوتي المؤثر في هذه الأفعال المتوالية التي تثبت وقائع هذه القسوة الظالمة "ولا هي أطعمتها وسقتها، حبستها، تركتها"، وهذا التوافق الصوتي المؤثر نشأ من الجمع بين "تاء" التأنيث التي تدل على "المرأة" القاسية، وضمير الغائب الدال على "الهرة" المعذبة حيث تكرر هذا الإيقاع وذلك التوافق: خمس مرات في الحديث الشريف، وذلك لتأكيد العذاب، وإقامة الحجة على هذه المرأة، وقوله: خشاش الأرض: أي: هوامها وحشراتها؛ وصدق الله العظيم إذ يقول مخاطبًا رحمته المهداة، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الرفق والرحمة بالحيوان.

ثانيًا: من مهام الداعية: إنكار المنكر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الرفق والرحمة بالحيوان:

حيث جاء في الحديث "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار" وقوله: "لعن رسول الله من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا" وقوله "نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم" ومما لا شك أن الشريعة الإسلامية جاءت بالرحمة لكل شيء حتى الحيوان. قال النووي: (وفي الحديث دليل لتحريم قتل الهرة وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب، وأما دخولها النار بسببها فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة ودخلت النار بسبب الهرة)[2]. (إن الرحمة لدى المسلم لا تقتصر على أهله وذوي أرحامه، ولا على إخوانه في دينه من المؤمنين، ولا على جنسه من البشر، بل تتعدى ذلك كله لتشمل جميع خلق الله حتى الحيوان)[3]. هذا وقد دلت توجيهات السنة النبوية على أهمية الرحمة والرفق بالحيوان، فعن سهل بن الحنظلية قال: ((مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فقالَ اتَّقُوا اللهَ في هذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً))[4]. قال شرف الحق العظيم آبادي: (والمعنى خافوا الله في هذه البهائم التي لا تتكلم فتسأل ما بها من الجوع والعطش والتعب والمشقة، وكلوها صالحة أي حال كونها صالحة للأكل أي سمينة)[5].

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٦٠٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٠٣، ١٦٠٤).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩٧.

(٣) أخلاقنا، د. محمد ربيع جوهري، ١٣٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٢٥٤٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢٢٢١).

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠٤.

وعن عبدالله بن جعفر قال: ((أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أُحدِّث به أحدًا من الناس، وكان أحبُّ ما استتَر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا أو حائش نَخلٍ، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حَنَّ وذَرَفَت عيناه، فأتاه النبيُّ ﷺ فمسح ذِفْراه فسكت، فقال: من ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، قال: أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعه وتُدْئِبُه))[1].

وعن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه قال: ((كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ[2] فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فقَالَ: مَنْ فَجَّعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا))[3].

قال محمد الغزالي: (ومن الرحمة المطلوبة الرفق بالحيوان. رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال: ويلك قدها إلى الموت قودًا جميلاً.

والإسلام شديد المؤاخذة لمن تقسوا قلوبهم على الحيوان ويستهينون بآلامه، وقد بين أن الإنسان على عظم قدره يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء.

قال رسول الله ﷺ: ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض))[4].

كما بين أن كبائر المعاصي تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بإزاء كلب!

قال رسول الله ﷺ: ((بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش. فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني! فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم

---

(١) أخرجه أبو داود ٢٥٤٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٢٢٢).

(٢) يقال: فرش: فرش الطائر جناحيه: رفرف بهما ويسطهما. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة: فرش.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٦٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٣٢٩).

(٤) أخرجه البخاري ٣٣١٨، ومسلم ٢٢٤٢.

أمسكه بفيه حتى رقي فسقي الكلب، فشكر الله تعالى له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ قال: وفي كل كبد رطبة أجر))[١].

وفي رواية: ((أن امرأة بغيًا رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببئر، قدأدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها فغفر لها به!))[٢].

لئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا، فإن الرحم بالبشر تصنع العجائب![٣].

ويعلق محمد عبدالعزيز الخولي على أحاديث الرحمة بالحيوان والرفق به فيقول: (يقص علينا رسول الله ﷺ قصة رجل مؤمن كان يمشي بطريق أو بادية فعطش عطشًا شديدًا فنزل بئرًا شرب منها حتى روي، ثم خرج منها فإذا به يجد كلبًا قد أخرجه لسانه من شدة الظمأ يلحس به الأرض الندية لعلَّ في رطوبتها ما يقلِّل من حرارة العطش.

فقال في نفسه أو بلسانه: لقد بلغ هذا الحيوان الدرجة التي بلغتها في العطش، وآلمه منه ما آلمني، فنزل إلى البئر ثانية وملأ خفه بالماء، وأمسكه بفمه لتخلص له يداه ويمسك بهما في جدران البئر عند الصعود ثم صعد فسقى الكلب من خفه. فشكر الله هذا الصنيع. وما شُكره إلا عفوه عن ذنوبه السالفة. بل من شُكْره المنَّ بنعمه على المحسنين من عباده.

فسأل الحاضرون رسول الله ﷺ: هل لنا في البهائم إذا دفعنا عنها الأذى، وأحسنَّا إليها أجر وثواب؟ فقال النبي ﷺ: "في كل كبد رطبة أجر"، وهذه الجملة تعم كل حيوان من كلب أو قط أو جمل أو بقرة أو شاة... إلخ، وتشمل دفع أنواع الأذى عنه من عطش، أو جوع أو مرض أوحر، أو برد، أو حمل ثقيل، أو عمل شديد، أو غير ذلك مما يتأذى به الحيوان، وتشمل إيصال ضروب النفع له من تقديم الطعام والشراب والسكن له وإزالة الدرن عن جسمه. بل الكبد الرطبة تشمل الإنسان والحيوان، فكل عمل تعمله تزيل به ضرًا، أو تجلب به نفعًا لإنسان أو حيوان لك أجر فيه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٣، ومسلم ٢٢٤٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٦٧، ومسلم ٢٢٤٥.

(٣) خلق المسلم ٢١١، ٢١٢.

ولا تستكثر الشكر من الله والمغفرة لهذا الذي أنقذ الكلب من ظمئه، فإنه نزل البئر له خاصة ليسقيه، وملأ خفه بالماء. وذلك مما يضر بجلده، وأمسكه بفمه وذلك مما يعافه المتكبرون. وعانى ما عانى من النزول والصعود مثل ما عاني لنفسه، كل ذلك تجشمه في سبيل رأفته بالحيوان الظمآن، وهل ترى نفسًا تبلغ منها الرحمة بالحيوان هذا المبلغ لا تكون رحمتها بالناس أشد؟ إن هذا العمل ليدُلُ على شعور راقٍ. ورحمة فياضة سكنت تلك النفس العالية. فكانت لا ريب خليقة بهذا الجزاء. والراحمون يرحمهم الرحمن، ولعلك عرفت من هذا الحديث تربية الشدائد للنفوس. وأنها تدعوها للخير، وتلفتها إلى مثل ما حل بها. فتعمل على دفعه كما عملت لنفسه. ومن ذاق الآلام المريرة شعر بآلام الناس. وتلك حكمة من حكم الصيام أنه يزكي في الناس الشعور بحال البائسين فيمدون أيديهم بالإحسان إليهم.

فالحديث يحث على الرأفة بالحيوان ودفع الضر عنه، ويحبذ النصب في سبيله ويعظم الأجر على ذلك. وهذا الحديث أصل في إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان. ويشكر للذين يقيمون حياضًا في الطرق ليشرب منها الحيوان.

يذكر الرسول ﷺ أن امرأة حبست هرة في حجرة أو ربطتها حتى ماتت جوعًا، فلا هي قدمت لها طعامًا وشرابًا، ولا هي أطلقتها تأكل من هوام الأرض وحشراتها فعذبها الله لذلك.

وفي هذا دلالة واضحة على أن تعذيب الحيوان بلا سبب معصية تستوجب العقاب، وكذلك قتله إذا لم يكن مؤذيًا. وهذا يدخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]، وفيه إشارة إلى جواز اتخاذ الهرة وربطها إذا لم يهمل طعامها وشرابها.

ولا يدل الحديث على إحباط عمل صالح، إن كان لهذه المرأة بإماتتها الهرة جوعًا، بل لكل حسنة ثوابها، ولكل جريمة عقابها، فإن كان لها من الحسنات ما يغمر

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.

الجريمة شملها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[١]، وإذا كان هذا جزاء من يعذب الحيوان الأعجم، فما بالك بمن يصب على الناس وابلاً من شروره وآثامه، بل ما ظنك بمن يؤذي إخوانه الذين تربطه بهم رابطة الدين أو القرابة أو المصاهرة أو الجوار أو الاتحاد في العمل أو غيرها من الروابط؟

فالحديث يتوعد بالعذاب الشديد من يؤذي الحيوان، ويوجب علينا الإنفاق عليه أو تركه يسعى في رزقه[٢].

وقال د. يوسف القرضاوي: (والرحمة تتجاوز الإنسان الناطق إلى الحيوان الأعجم، فالمؤمن يرحمه ويتقي الله فيه، ويعلم أنه مسؤول أمام ربه عن هذه العجماوات. وقد أعلن النبي ﷺ لأصحابه أن الجنة فتحت أبوابها لبغي سقت كلبًا فغفر الله لها. وأن النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فإذا كان هذا عقاب من حبس هرة بغير ذنب، فماذا يكون عقاب الذين يحبسون عشرات الألوف من بني الإنسان بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله؟!

ويروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه - خيمته - فاتخذت من أعلاه عشًا، وحين أراد عمرو الرحيل رآها، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه، فتركه وتكاثر العمران من حوله، فكانت مدينة "الفسطاط".

ويروي ابن الحكم في سيرة الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز أنه نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة. وأنه كتب إلى صاحب السكك: أن لا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة. وكتب إلى واليه بمصر: أنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل.

هذه الرحمة الدافقة الشاملة أثر من آثار الإيمان بالله والآخرة، ذلك الإيمان الذي يرقق بنفحاته القلوب الغليظة، ويلين الأفئدة القاسية.

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) الأدب النبوي ٤١-٤٣.

أرأيت إلى عمر -وقد كان معروفًا بالشدة والقسوة في جاهليته- كيف صنع الإيمان به، ففجر ينابيع الرحمة والرقة في قلبه. لقد قالوا: وأد بنتًا له في الجاهلية، فلما ولي إمارة المؤمنين كان يرى نفسه مسؤولاً أمام الله عن بغلة تعثر بأقصى البلدان.

كما برز أثر ذلك الخلق العظيم في العلاقات الاجتماعية الداخلية، فرأينا المجتمع المسلم تسوده عواطف كريمة، ومشاعر نبيلة، كلها تفيض بالرفق والمرحمة، وتتدفق بالبر والخير، وتجلت هذه المشاعر والعواطف فيما عرف بنظام "الوقف الخيري" عند المسلمين.

فقد أوقف المواسون من المؤمنين -بدافع الرحمة التي قذفها الإيمان في قلوبهم، والرغبة في مثوبة الله لهم، وألا ينقطع عملهم بعد موتهم- أموالهم كلها أو بعضها على إطعام الجائع، وسقاية الظمآن، وكسوة العريان وإيواء الغريب، وعلاج المريض، وتعليم الجاهل، ودفن الميت، وكفالة اليتيم، وإعانة المحروم، وعلى كل غرض إنساني شريف، بل لقد أشركوا في برهم الحيوان مع الإنسان.

ولقد تأخذ أحدنا الدهشة وهو يستعرض حجج الواقفين ليرى القوم في نبل نفوسهم، ويقظة ضمائرهم، وعلو إنسانيتهم، بل سلطان دينهم عليهم، وهم يتخيرون الأغراض الشريفة التي يقفون لها أموالهم، ويرجون أن تنفق في سبيل تحقيقها هذه الأموال.

وربما استشرفت النفوس إلى أمثلة من هذاالبر يعين ذكرها على تفصيل هذا الإجمال، فإلى هذه النفوس المستشرفة أسوق هذه الأمثلة:

وقف الزيادي: وقف تشتري منه صحاف الخزف الصيني، فكل خادم كسرت آنيته، وتعرض لغضب مخدومه، له أن يذهب إلى إدارة الوقف فيترك الإناء المكسور، ويأخذ إناء صحيحًا بدلاً منه، وبهذا ينجو من غضب مخدومه عليه.

وقف الكلاب الضالة: وقف في عدة جهات ينفق من ريعه على إطعام الكلاب التي ليس لها صاحب استنقاذًا لها من عذاب الجوع، حتى تستريح بالموت او الاقتناء.

وقف الأعراس: وقف لإعارة الحلى والزينة في الأعراس والأفراح، يستعير الفقراء منه ما يلزمهم في أفراحهم وأعراسهم، ثم يعيدون ما استعاروه إلى مكانه. وبهذا يتيسر

للفقير أن يبرز يوم عرسه بحلة لائقة، ولعروسه أن تجلى في حلة رائقة، حتى يكتمل الشعور بالفرح، وتتجبر الخواطر المكسورة)[١].

ثانيًا- من مهام الداعية: إنكار المنكر:

حيث جاء في الحديث "فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا" قال الإمام النووي: (والمعنى لا تتخذوا الحيوان الحي غرضًا ترمون إليه، وهذا النهي للتحريم، لأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته، وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى)[٢]. هذا ومن فقه الداعية أن ينهى عن المنكر إذا رآه كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣] وقال ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[٤]. قال الإمام ابن رجب: (من شهد الخطيئة فكرهها بقلبه، كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها، لأن الرضا بالخطيئة من أقبح المحرمات، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن أحد في حال من الأحوال)[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار" وقوله "إن رسول الله لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تردع المدعو عن ارتكاب المخالفات الشرعية (والترهيب هو كل ما يخيف

---

(١) الإيمان والحياة ٢٨٩-٢٩٢ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٤٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) أخرجه مسلم ٤٩.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٤٥.

المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[١]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[٣].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٥.

(٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٧٤، ٧٥.

الحديث رقم (١٦٠٣)

١٦٠٣ - وَعَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. متفق عَلَيْهِ[1]. "الغَرَضُ" بفتح الغين المعجمة والراء، وهو الهدف، والشيء الذي يرمي إليه.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الغَرَضُ: الهدف والشيء الذي يُرمى إليه[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث ينقل مشهدًا واقعيًا يجسد قسوة الإنسان في تعامله مع الطير والحيوان، وهذا المشهد جزء من سلوكيات وأخلاقيات الجاهلية، وجزء من عاداتهم ولهوهم، وترجمان على هذه القسوة التي غلفت قلوبهم وحجرت مشاعرهم، وبقيت أصداء من هذه السلوكيات والعادات الجاهلية سيطرت على عقول بعض فتيان قريش الذين شهدهم ابن عمر رضي الله عنهما وهم يرمون الطير بنبلهم، حيث اتخذوه وسيلة للعب واللهو والتدريب على الرمي، فأنكر عليهم ذلك، وهذا المشهد الواقعي اتسم في صياغته اللغوية، وفي أسلوبه بعدة مظاهر تعلن عن رفض هذا السلوك المخالف لفطرة الإنسان ولطبيعة الإيمان، فقوله: "قدْ نصبوا"، يفيد تأكيد الحديث: لأن قد للتأكيد والتحقيق، وقوله: "وهم يرمونه" جملة حالية، لإثبات هذا الفعل المؤذي، وإلحاقه بهؤلاء الفتية، وقوله "طيرًا" يفيد الجمع والإفراد: لأن الطير جمع طائر، ويمكن أن يكونوا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٥)، ومسلم (بعد حديث رقم ١٩٥٨/٥٩، بدون رقم) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٥٠).

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥٥٤.

قد نصبوا طيرًا أي عددًا كثيرًا وهذا أشنع وأقسى وتكرار "قد" يفيد إصرار هؤلاء الفتية على هذا السلوك الشائن، وقد هنا تؤكد مشاركة صاحب الطير في هذا المشهد القاسي الذي يعد من الكبائر.

ولنتأمل هذه الهيبة التي اتسم بها ابن عمر رضي الله عنهما: حيث كانت لا تأخذه في الله لومة لائم، وحينما رآه الفتيان تفرقوا.

والاستفهام في قوله: "من فعل هذا؟" توبيخ وتقريع لهؤلاء الفتيان الأغرار، وتكرار "هذا" في قوله "لعن الله من فعل هذا": مع الدعاء عليهم باللعن: جاء لمزيد من التقريع والتبكيت، حتى يرتدعوا: ويرتدع غيرهم والفعل: لعن: يفيد الطرد من رحمة الله: لأن اللعن هو الإبعاد، وقوله: "لعن الله من فعل هذا": أي: طرده الله من رحمته، لأنه لم يرحم هذا الطير الأخرس البريء.

وكرر هذا الوعيد بالعذاب والطرد من رحمة الله، وجاء هذا التكرار مصحوبًا بالتأكيد في نهاية الحديث حيث قال: "إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا". فعلى رسول الرحمة أفضل الصلاة وأزكى السلام.

فقه الحديث

تشير أحاديث الباب إلى عدة أحكام منها:

١- تحريم قتل أي حيوان صبرًا[1].

٢- حكم ضرب الوجه ووسمه: اتفق الفقهاء على حرمة الضرب في الوجه، والوسم في كل حيوان ولكنه في الآدمي أشد[2]. واستدلوا بأحاديث الباب التي تنهى عن ذلك،

---

(١) بريقة محمودية ٢/٤، فتح الباري، ابن حجر ٧٧٢/٩، سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٥٦/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٨/٨.

(٢) درر الحكام شرح غرر الأحكام ٣١٩/١، بريقة محمودية ١٢٦/٤، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٤٥/٢، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٤٩٦/٢، المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ٢٤٩/٧، حاشيتا قليوبي وعميرة ٢٠٤/٣، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٣/٦، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي ٦٦٣/٥-٦٦٤، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٩٤/٥، شرح النووي على مسلم ٩٧/١٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٨٩/٨.

ولأن الضرب في الوجه والوسم من أفعال الجاهلية[١].

٣- حكم الوسم في الوجه للمداواة: اتفق الفقهاء على جواز الوسم والكي في الوجه للمداواة، وأنه مستثنى من النهي للحاجة[٢].

٤- حكم وسم البهائم في غير الوجه: ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز وسم البهائم في غير الوجه كالأعناق والأفخاذ. وذهب أبو حنيفة إلى كراهة ذلك لأنه تعذيب للحيوان وهو منهي عنه[٣].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء.

٥- النهي عن جعل الحيوان هدفًا يرمى إليه والنهي يقتضي التحريم[٤].

٦- تحريم تعذيب الحيوان الآدمي وغيره[٥].

٧- الرفق بالمماليك وحسن صحبتهم وكف الأذى عنهم[٦].

٨- أجمع المسلمون على أنه يستحب للسيد إذا ضرب عبده أن يعتقه رجاء كفارة ذنبه[٧].

المضامين الدعوية[٨]

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٣/٦.

(٢) غرر الحكام ٣١٩/١، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٤٩٦/٢، المجموع شرح المذهب ١٥٤/٦-١٥٥، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٨/٣، كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٩٤/٥.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ٢٤٩/٧، الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٤٥/٢، حاشيتا قليوبي وعميرة ٢٠٤/٣، المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٥٣/٦، شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي ٢٤٨/٣، الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١٤١/٣- ١٤٢، شرح صحيح مسلم، النووي ٩٧/١٤.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٥٣/٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٧٧٣/٩.

(٦) شرح صحيح ١٣٧/١١.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٧/١١.

(٨) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٠٤)

١٦٠٤ - وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: نهى رسُولُ الله ﷺ أن تُصبَرَ البَهَائِمُ. متفق عَلَيْهِ[١].

ومعناه: تُحْبَسُ للقتل.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما أرق قلب رسول الله ﷺ، وما أجمل شمائله، وما أحسن صفاته، وتاج هذه الشمائل وأم تلك الصفات والسجايا، يتضوأ في آفاق الرحمة التي جعلها الله هدية للعالمين، ومنارًا للقاصدين، وعنوانًا للعارفين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وهذا الحديث برهان ساطع على ذلك السلوك الإسلامي الرشيد، فالراوي: أنس بن مالك يقول في صيغة حاسمة: "نهى رسول الله ﷺ: أن تصبر البهائم".

والفعل: نهى يفيد التحريم استجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[٣].

وقوله: أن تصبر البهائم، أي: تحبس للقتل، وقيل معناه كما قال العلقمي: "هو أن يمسك الحي ثم يُرمى بشيء حتى يموت".

وحين نتأمل مدلول "الصبر" في اللغة ندرك عظمة البيان النبوي، فمعنى "صبره" أي: حبسه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦/٥٨) واللفظ له.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

ومن مشتقات هذه المادة ما يفيد القسوة والغلظة، "فالصبرة" الحجارة الغليظة المجتمعة، وكأن هذا الفعل الذي فيه: تصبر البهائم حتى تموت. أقسى من الحجارة أو أشد قسوة وقيل أم صبَّار وأم صبور أي: الحرّ، والداهية، والحرب الشديدة، وكلها دلالات تجسد القسوة والعنف وعدم الرحمة، وهذا ما نهى عنه رسول الله ﷺ في سياق هذا الحديث الشريف.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مضامين الحديث رقم (١٦٠٢).

الحديث رقم (١٦٠٥)

١٦٠٥ - وعن أَبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ ﷺ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلاَّ وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا فَأَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم[1].

وفي روايةٍ[2]: ((سَابِعَ إِخْوَةٍ لِي)).

ترجمة الراوي:

أبو علي سويد بن مقرن: هو سُوَيْد بن مُقَرِّن بن عائذ المُزَني، يكنى أبا عائذ، ويقال: أبو عديٍّ، ويقال: أبو عمرو.

روى عن النبي ﷺ وروى حديثه مسلم وأصحاب السنن ويقال إنه نزل الكوفة[3].

غريب الألفاظ:

لطمها: ضرب خَدَّها[4].

الشرح الأدبي

إن صحابة رسول الله ﷺ، كالنجوم في الهداية، بأيهم اقتديتم اهتديتم، كما يقول المصطفى ﷺ ومن أجل الصفات التي وصف محمد رسول الله والذين معه أنهم رحماء بينهم أشداء على الكفار، تراهم ركعًا سجدًا.

---

(١) برقم (١٦٥٨/٣٢).

(٢) برقم (١٦٥٨/٣٣).

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد (١٩/٦)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣١٧)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦٠٠/٢، ٦٠١)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٥٦٢)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣٤٢/٣)، السندي (٤٧٢/٢٤).

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ل ط م).

وهذا الحديث الشريف برهان صادق على رسوخ صفة الرحمة في قلوب المسلمين، والحديث على لسان أبي علي سويد بن مقرن رضي الله عنه اتباعًا لأمر رسول الله ﷺ.

ويبدأ الحديث بالتأكيد الذي يشعر بالقسم، وذلك في قوله: "لقد" أي والله لقد، وهذا التأكيد لإثبات هذه الحالة التي وقعت، وهي لطم الجارية، وبسبب هذه القسوة أمر رسول الله أن تعتق هذه الجارية عوضًا لها عما لحقها من أذى، إن هذه هي صورة الإسلام في أجل مظاهرها رحمة وبرًا، وتكافلاً ومساواة، وإخاءًا وتعاونًا، ورفقًا ومحبة.

وقوله "رأيتني" يفيد دلالتين، فرأى هنا إما بمعنى علم، أو بمعنى أبصر: فهي إما علمية أو بصرية.

وكلا الدلالتين يفيد تأكيد الخبر، وإقرار الواقع المثير للتأمل والتساؤل: فهم سبعة، وليس لهم خادم إلا واحدة، والمسكوت عنه في هذا الإقرار الذي جاء في أسلوب القصر للتحديد والحصر، هو أن هذه "الجارية" تخدم سبعة أشخاص، وليس شخصًا واحدًا.

فهي تتحمل المشاق، وتقوم على خدمتهم خير قيام، ومع ذلك تجازى جزاء به قسوة، ويلطمها أصغرهم، فإذا برسول الله "الرحمة المهداة" يعاقب هؤلاء السبعة رغم أنهم كلهم من الصحابة المهاجرين ولم يشاركهم أحد في مجموع ذلك، كما قاله ابن عبدالبر وغيره، وبرغم ذلك يعاقبهم رسول الله ﷺ، فيأمرهم بعتق الجارية وقوله: "فأمرنا" يفيد الإلزام والوجوب، وتنفيذ الأمر، ليكون إعتاق الجارية كفارة لضربها، وقيل فيه غلظ تعذيب المملوك والاعتداء عليه.

إنها مكافأة من رسول الله لهذه الجارية التي أهانها أخو سويد بن مقرن.

وما أجمل قول الشاعر أحمد شوقي في إشادته بصفة الرحمة التي تحلى بها رسول الله ﷺ:

وإذا رحِمت فأنت أُمٌّ، أو أَبٌ ... هذان في الدنيا هما الرُّحماءُ[1]

---

(١) انظر: الشوقيات ١/٣٦.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان والرفق في معاملة المملوك والخدم.

ثانيًا: من واجبات الداعية: النصح والبيان.

ثالثًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الإحسان والرفق في معاملة المملوك والخدم:

يتضح هذا من مجمل الأحاديث، وهي تدل بمجموعها على أهمية وفضل الإحسان والرفق في معاملة المملوك والخدم، قال ابن علان: (وفي الأحاديث غلظ تعذيب المملوك والاعتداء عليه، وقوله في الحديث "فإن كفارته أن يعتقه" أي محو ذلك الإثم عنه بإعتاقه، قال القاضي عياض: أجمعوا على أن الإعتاق غير واجب وإنما هو مندوب، لكن أجر هذا الإعتاق لا يبلغ أجر الاعتاق شرعًا، وفي الحديث الرفق بالمماليك إذا لم يذنبوا، أما إذا أذنبوا فقد رخص ﷺ بتأديبهم بقدر إثمهم، ومتى زادوا يؤاخذوا بقدر الزيادة)[2].

ولقد كان من هدي النبي ﷺ أن يحسن معاملة الخدم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((خَدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنينَ، فما قال لي أُفّ، ولا: لمَ صَنعتَ؟ ولا ألا صنعت))[3] قال السعدي: (لقد أوصى الله ورسوله بالمماليك من الآدميين، وأن يقام بكفايتهم ومصالحهم، وأن لا يكلفوا من العمل ما لا يطيقون، ففي هذا رحمة للمماليك، ورحمة للملاك والسادة وذلك من وجهين:

أحدهما: أن الملاك إذا احتسبوا في نفقاتهم على ما يملكون، ونووا القيام بالواجب ورحمة المملوك، أثابهم الله وكفر به من سيئاتهم وزاد في حسناتهم، وأنزل لهم البركة في هذه المماليك فإن كل شيء دخلته النية الصالحة، والتقرب إلى الله، لابد أن تحل

---

(١) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٦٠٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٠٦، ١٦٠٧).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٤٧، ١٦٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٣٨، ومسلم ٢٣٠٩.

فيه البركة، كما أن من أهمل مماليكه، وترك القيام بحقهم، استحق العقاب، ومن جملة مايعاقب به نزع البركة منها، فكما حبس وقطع رزق من يملكه، قطع الله عنه من الرزق جزاءً على عمله.

ثانيهما: أن قيامهم بما يملكون هو عين مصلحتهم، ونفعه عائد عليهم، فإنهم إذا قصروا عاد النقص والضرر الدنيوي على الملاك، ولكن المصلحة الدنيوية وخوف الضرر على أنفسهم ألجأتهم إلى ذلك رحمة من الله وجودًا وكرمًا)[1]. إن الإسلام حث على حسن معاملة الخدم؛ لأن الناس في الإسلام سواسية (لقد نهانا رسول الله ﷺ أن نكلف الخدم والعمال من الأعمال ما يشق عليهم، ويهد من قوتهم، أو يستفرغ جهدهم بل أمر بالتكليف بالسهل المستطاع الذي لا يسأمه الخادم، فإن كلفناهم بالشاق وجب علينا أن نعينهم بنفوسنا، أو بخدم إلى خدمنا، وفي هذا رفع لمستواهم وتنبيه لهم إلى حقوقهم قبل ساداتهم، وإرشاد لأرباب البيوت أن يقفو منهم موقف العدالة، ولا يتناسوا رابطة الأخوة، ولا تبادل المنافع)[2]. وما من شك في أن الخادم أو العامل قد تصدر منه بعض الهنات والزلات، وهنا يوجه الإسلام إلى ضرورة العفو والصفح والتجاوز.

(إن العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، وفيه من الطمأنينة والسكينة، والحلاوة، وشرف النفس، وعزها، وترفعها عن تشفيها بالانتقام - ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا))[3].

وقال عمر بن عبدالعزيز: (أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد في الجدة، والرفق بالعبدة).

وعن داود بن الزبرقان قال: قال أيوب: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم[4].

---

(١) الرياض الناضرة ٥٤، ٥٥.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٧٥، ٧٦.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٨٨.

(٤) روضة العقلاء ١٣١.

وقال الشافعي:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ ... أرحت نفسي من ظلم العداوات[١]

ومن جميل ما يذكر في هذا قول المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا قدحوا لي نار حربٍ بزَنْدهم ... قدحت لهم في كل مكرمةٍ زندا
وإن أكلوا لحمي وَفَرْت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أَحْمِلُ الحِقدَ القديمَ عليهم ... وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا[٢]

وعن عبدالملك أو قيس بن عبدالملك قال: (قام عمر بن عبدالعزيز إلى قائلته، وعرض له رجل بيده طومار[٣]، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين، فخاف أن يحبس دونه، فرماه بالطومار، فالتفت عمر، فوقع في وجهه فشجَّه.

قال: فنظرت إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس، فلم يبرح حتى قرأ الطومار، وأمر له بحاجته، وخلَّى سبيله)[٤].

وقال ابن القيم متحدثًا عن حسن الخلق والعفو، والإحسان إلى من أساء: (وما رأيت أحدًا أجمع لهذه الخصال من ابن تيمية.

وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه.

وما رأيته يدعو على أحدٍ منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له - فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام.

---

(١) ديوان الشافعي ص ٨٢.

(٢) روضة العقلاء، ص ١٧٣-١٧٤، وانظر: بهجة المجالس ٢/٧٨٤-٧٨٥.

(٣) الطومار: صحيفة مطوية.

(٤) الكتاب الجامع ٢/٤٢٣-٤٢٤.

فَسُرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه)[١].

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجدر بالعاقل -كما قال ابن حبان-: (توطين نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها)[٢].

وقد يظن ظانٌّ أن العفو عن المسيء، والإحسان إليه مع القدرة عليه موجب للذلة والمهانة، وأنه قد يجر إلى تطاول السفهاء.

وهذا خطأ؛ ذلك أن العفو والحلم لا يشتبه بالذلة بحال؛ فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة.

أما الحلم فهو إغضاء الرجل عن المكروه، حيث يزيده الإغضاء في أعين الناس رفعة ومهابة.

سياسة الحلم لا بطش يكدرها ... فهو المهيب ولا تخشى بوادره[٣]

فالعفوا إسقاط حقك جودًا، وكرمًا، وإحسانًا مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك؛ رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق.

بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يترك الانتقام عجزًا، وخوفًا، ومهانة نفس، فهذا غير محمود، بل لعل المنتقم بالحق أحسنُ حالاً منه[٤].

ثانيًا- من واجبات الداعية: النصح والبيان:

حيث جاء في الحديث "اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام" وقوله "فأمر رسول الله ﷺ أن نعتقها" قال الشيخ ابن عثيمين: (وقد ذكر النبي ﷺ أبا مسعود أن الله أقدر عليه من قدرته على هذا العبد، وعندئذ سقطت العصا من يده

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٢٨- ٣٢٩.

(٢) روضة العقلاء ١٣١.

(٣) انظر: رسائل الإصلاح ١/١٨٦.

(٤) سوء الخلق مظاهره - أسبابه - علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ١١٠-١١٣.

هيبة لرسول الله ﷺ ثم أعتق العبد، وهذا من حسن فهمه رضي الله عنه لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1] فبدلاً من أنه أساء إلى هذا العبد أحسن إليه بالعتق، لهذا أرشد النبي ﷺ إلى هذا بأن من ضرب عبده أو لطمه، فإن كفارة ذلك أن يعتقه لأن الحسنات يذهبن السيئات)[2]. ومن خلال هذا يتضح أن من أهم واجبات الداعية النصح للمدعو، وأن يبين له الأحكام والأمور، قال الله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقد دلت الأحاديث النبوية على فضل النصح والبيان، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((بايَعْتُ رسولَ اللّهِ ﷺ على إقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصْحِ لِكلِّ مُسْلم))[4]. وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: ((إنَّ النَّبيَّ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ))[5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: ((الْمُؤْمِنُ مِرآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ))[6]. وبهذا يلزم الداعية أن يحرص على النصح لكل مسلم إذا رآه على مخالفة، وأن يبين له ويرشده إلى ما هو خير، فإن من شأن الداعية أنه حريص على المدعوين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[7].

ثالثًا- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع:

حيث جاء في الحديث "فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا" وهذا يدل على مدى الاستجابة لتوجيهات الرسول ﷺ وذلك لأن في الاستجابة لهديه الحياة الحقيقية، قال

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٦٩١/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٠١، ومسلم ٥٦.

(٥) أخرجه مسلم ٨٨.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٩١٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١١٠).

(٧) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[1]. وفي اتباعه وطاعته الهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[3].

ومن أبرز الأمثلة على الاستجابة والطاعة لأمر رسول الله ﷺ ما جاء عن أبي برزة الاسلمي رضي الله عنه: أن جليبيبًا كان امرءً يدخل على النساء يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا تدخلن عليكم جليبيبًا، إن دخل عليكم لأفعلن ولأفعلن.

قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم: هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا؟ فقال النبي ﷺ لرجل من الأنصار: "زوجني ابنتك". فقال: نعم وكرامة يا رسول الله ونعمة عين. قال: "إني لست أريدها لنفسي". قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: "لجليبيب". قال: يا رسول الله أشاور أمها.

فأتى أمها فقال: إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين. قال: إنه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب، قالت: ألجليبيب إنيه! ألجليبيب إنيه! لا لعمر الله لا نزوجه.

فلما أراد أن يقوم ليأتي النبي ﷺ ليخبره بما قالت أمها، قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، فقالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني.

فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا.

قال: فخرج رسول الله ﷺ في غزاة له، قال: فلما أفاء الله عز وجل قال: "هل تفقدون من أحد؟" قالوا: لا. قال: "لكني أفقد جليبيبًا".

قال: "فاطلبوه في القتلى"، فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه، فقالوا: يا رسول الله ها هو ذا إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

فأتاه النبي ﷺ فقال: "قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه مرتين أو ثلاثًا".

ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه، وحفر له ما له سرير إلا ساعدا النبي ﷺ، ثم وضعه في قبره ولم يذكر أنه غسله.

قال ثابت: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها.

وحدث إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة ثابتًا قال: هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ؟ قال: (اللهم صُبَّ عليها الخير صبًا، ولا تجعل عيشها كَدًّا كَدًّا) قال: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها[1].

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا، فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب النبي ﷺ ومعه غلام له، وعلى أبي اليسر بردة ومعافريٌّ، وعلى غلامه بردة ومعافريٌّ، فقلت له: يا عميَ! لو أخذت بردة غلامك وأعطيته مَعَافِرِيَّك وأخذت معافِريَّه وأعطيته بردتك كانت عليك حلة وعليه حلة! فمسح رأسي وقال: اللهم بارك فيه، يا ابن أخي؛ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْن، وسَمْعُ أُذنيَّ هاتين ووعاه قلبي هذا - وأشار إلى مناط قلبه- النبي ﷺ وهو يقول: ((أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، وكان أن أعْطَيْتُهُ من متاع الدنيا أهونُ عَليَّ من أن يأخذ من حسناتي يوم القيامة))[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((سَرَّحَتْني أمي إلى رسول الله ﷺ فأتيته وقعدت فاستقبلني، وقال: من استغنى أغناه الله عز وجل، ومن استعف أعفه الله عز وجل، ومن استكفى كفاه الله عز وجل، ومن سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف. فقلت: ناقتي الياقوتة خير من أوقية فرجعت ولم أسأله))[3].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٤٢٢ رقم ١٩٧٨٤ واللفظ له، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، ٣٣/٣٠، وأخرجه مسلم ٢٤٧٢ خاليًا عن الخطبة والتزويج.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٠٧.

(٣) أخرجه النسائي ٢٥٩٦، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن النسائي ٢٤٣٢).

رابعًا- من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب:

١- الشرط: حيث جاء في الحديث "من ضرب غلامًا له" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي لها أثر في نفس المدعو، حيث يشد انتباهه إلى معرفة جواب الشرط وما يترتب عليه، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث "أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة، حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تخاف العقاب والوعيد (والترهيب هو التخويف والتوعد بعذاب الله والنار، والترغيب والترهيب يأتي في الشريعة حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا، ويأتي بشيرًا ونذيرًا)[2].

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) الدعوة إلى الله الرسالة: الوسيلة، الهدف، د. توفيق الواعي، ص ١٩٩.

الحديث رقم (١٦٠٦)

١٦٠٦ - وعن أَبي مسعودٍ البدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أضْرِبُ غُلامًا لِي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: ((اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ)) فَلَمْ أفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رسولُ الله ﷺ، فإذا هُوَ يَقُولُ[1]: ((اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أنَّ اللهَ أقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ)). فَقُلتُ: لا أضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا[2].

وَفِي روايةٍ[3]: فَسَقَطَ السَّوْطُ مِنْ يَدِي مِنْ هَيْبَتِهِ.

وفي روايةٍ[4]: فَقُلتُ: يَا رسولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَقَالَ: ((أمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ)). رواه مسلم بهذه الروايات[5].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

السوط: ما يضرب به من جلد سواءً أكان مضفورًا أم لم يكن[6].

هيبته: مخافته[7].

للفحتك النار: أصابتك بحرها ووهجها[8].

الشرح الأدبي

إن الرحمة تاج أخلاق المسلم، وهي تسري في سلوكياته وحياته مسرى الدم في عروقه.

---

(١) عند مسلم زيادة: (اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود، قال: فألقيت السوط من يدي).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٥٩/٣٤).

(٣) برقم (١٦٥٩/٣٤) من حديث جرير، ولفظه: (فسقط من يدي السوط من هيبته).

(٤) برقم (١٦٥٩/٣٥) من حديث أبي معاوية.

(٥) انظر: الجمع للحميدي (٤٩٦/١- ٤٩٧، رقم ٧٩٨).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ط).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ ي ب).

(٨) المرجع السابق في (ل ف ح).

والحديث مشهد من مشاهد الواقع في عهد النبوة، وهو مشهد يجمع بين جموح السلوك البشري، وتهذيب هذا السلوك في ضوء التعليمات النبوية، والاقتداء بأخلاق الرسول الكريم، والحديث في نسقه اللغوي، وتكوينه الأسلوبي... يتكون من موقفين: وكلاهما مرتبط بالآخر موقف التعذيب والإيذاء؛ وموقف العظة والاهتداء.

فأما الموقف الأول فهو على نسق الحديث السابق، حيث يحكي الراوي عن نفسه ليقدم القدوة الصالحة في الاقتداء برسول الله ﷺ، واتباع تعاليمه، وهذا الموقف يتمثل في ضرب الغلام بالسوط، وأما الموقف الثاني فهو: زجر الرسول له ونهيه عن ذلك.

ونلاحظ أن الحديث يبدأ بالفعل "كنت"، وهو فعل ماض ناقص من الأفعال الناسخة، وفي ذلك إيحاء بأن هذا الموقف انتهى، ونسخ، وتبقى منه الموعظة والرحمة التي انبثقت من هذا الحدث المخالف لأخلاق المسلم؛ ووقائع هذا الحديث متلاحقة، والربط بين الجمل بحرف العطف "الفاء" يجسد هذا التلاحق إيحاءً بضرورة تخليص هذا العبد من ذاك العذاب: ولنتأمل هذه الأفعال، (فسمعت صوتًا - فلم أفهم الصوت- فلما دنا مني، فإذا هو يقول: فقلت لا أضرب مملوكًا أبدًا)، إن هذا التتابع يضفي على صياغة الحديث طابع القصة القصيرة التي تتلاحق وقائعها، وتكرار إذا الفجائية مع الضمير العائد على رسول الله مرتين، يرشد إلى إحساس هذا الصحابي بهيبة رسول الله ﷺ وسرعة استجابته لتوجيهاته.

وتوجيه رسول الله ﷺ صيغ في إطار أسلوبين: هما الأسلوب الإنشائي، والأسلوب الخبري، فأما الإنشاء فقد جمع بين الأمر والنداء، لمزيد من الحث والاهتمام والتنبيه في قوله: "اعلم أبا مسعود"، وحذف حرف النداء: للإيجاز وللإيحاء بالسرعة في الكف عن تعذيب هذا المملوك.

وأما الخبر: فقد جاء محصنًا بالتوكيد، وأفعل التفصيل، والطباق بين عليك، ومنك فقال: إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام.

وتأتي الجملة الأخيرة إقرارًا واستجابة لتوجيه رسول الله : فيقول: أبو مسعود: "لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا، وفي رواية قال: هو حر لوجه الله".

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٠٧)

١٦٠٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ ضَرَبَ غُلاَمًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فإنَّ كَفَارَتَهُ انْ يُعْتِقَهُ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

حَدًّا: الحَدُّ: الذنب الموجب للعقوبة[٢].

لطَمَه: ضرَب خَدَّه[٣].

كفَارتُه: الكفّارةُ: العمل الذي يستر الذنب ويمحوه[٤].

الشرح الأدبي

إن الإسلام أعطى لكل ذي حق حقه، ولا يرى الإسلام قيمة للحياة بدون الحرية، والحرية في اللغة تطلق على الخلوص من العبودية، فيقال هو "حر" أي غير مسترق ولا مملوك، وتطلق على الخلوص من القيد، فيقال هو حر أي غير أسير، وعلى الخلوص من كل شيء دخيل، فيقال فرس حر أي عتيق الأصل، ليس في نسبة هجنه، وتطلق بمعنى: الشرف والطيب والجودة: فيقال هو حر أي كريم شريف طيب الأصل، ويقال: هو من حرية القوم أي أشرافهم، والحر من كل شيء: أحسنه وأطيبه وأعتقه[٥].

وفي ضوء هذه الدلالات التي تتضوأ بها كلمة "الحرية" التي تناقض العبودية، نستبطن بعض أسرار لغة هذا الحديث الشريف الذي يحث على احترام الإنسان، ويرشد

---

(١) برقم (١٦٥٧/٣٠).

(٢) النهاي في (ح د د).

(٣) المعجم الوسيط، محمع اللغة العربية في (ل ط م).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ك ف ر).

(٥) انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، وانظر: لسان العرب، ابن منظور.

إلى البعد عن تعذيب "العبد أو الغلام أو الخادم أو الأجير" أو كل من يقوم بعمل مقابل أجر، فالإنسان في ظل الإسلام له كرامته وحريته.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة موجزة، ولكنها دالة هادفة: تشخص الداء وتصف الدواء، وهي جملة صيغت في قالب الشرط والجزاء، وهو قالب لغوي يناسب المعنى المراد في هذا الحديث: وهو أن لكل مخالفة كفارة، ولكل ذنب عقوبة.

ولذلك يتمثل الشرط في الجزء الأول من الحديث حيث قال رسول الله "من ضرب غلامًا له حدًّا لم يأته أو لطمه" أي من أقام الحد على غلام ظلمًا وهو لم يرتكب ذنبًا يوجب ذلك، وقوله: "حدًّا" مفعول به أي: من أجل إقامة الحد كان الضرب، وحتى إذا لم يضرب الضرب المقيم للحد بل لطم العبد فقط، فذلك ذنب يوجب الكفارة، والكفارة هي أن يحصل العبد على حريته، حيث يعتقه مالكه، وهذه أعظم مكافأة يكافئ بها الإسلام كل مملوك يتعرض لظلم مالكه.

وجاء جواب الشرط مؤكدًا في جملة اسمية تبدأ بـ"إن" المؤكدة، وخبرها مصدر مؤول: أن يعتقه.

ومصطلح "الكفارة" من مظاهر تطور اللغة في ظل الإسلام، فالكفارة في الفقه الإسلامي، ما يفعله الإنسان من عمل صالح، أو صدقة طيبة، ليغفر الله له سيئة اقترفها، أو عملاً غير صالح عمله، أو يمينًا حلف به، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن في أربع آيات كلها في سورة المائدة، وهي آخر سورة نزلت في القرآن الكريم لتبين للناس كثيرًا من أحكام هذا الدين[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة ص٢٩٣.

(٢) تم دمجها مع المضامين الدعوية الحديث رقم (١٦٠٥).

الحديث رقم (١٦٠٨)

١٦٠٨- وعن هِشام بن حكيمِ بن حِزَامٍ رضي الله عنهما: أنَّه مَرَّ بالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ، وَقَدْ أُقيمُوا في الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قيل: يُعَذَّبُونَ في الخَرَاجِ[1].

وفي رواية: حُبِسُوا في الجِزْيَةِ. فَقَالَ هِشَامٌ: أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: ((إنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاس في الدُّنْيَا))[2].

فَدَخَلَ عَلَى الأميرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا. رواه مسلم[3]. "الأَنْبَاط": الفلاحون من العجم.

ترجمة الراوي:

هشام بن حكيم بن حزام: هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي، عمة أبيه السيدة خديجة زوج النبي ﷺ. أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة.

كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، كان صلبًا في الحق مهيبًا قوّامًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يكن وحده يفعل ذلك، بل كان معه رجال يقومون بالإصلاح والنصح، والترغيب في الخير، والزجر عن الشر، حسبةً لله تعالى، ليس لأحد عليهم إمارة ولا سلطة. بلغ من شهرته في الصدع بالحق والأمر بالخير والنهي عن الشر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا رأى منكرًا أو سمع بشيء من الباطل يراد أن يفعل أو ذُكر له - قال: لا يفعل هذا ما بقيت أنا وهشام بن حكيم. وبلغ من شغفه بهذا الأمر أنه عاش كالسائح لم يتخذ أهلاً ولا كان له ولد.

كان كل الناس عنده سواء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا فرق عنده بين حاكم ومحكوم أو رئيس ومرؤوس أو علية القوم وعامتهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٣/١١٧) من حديث حفص بن غياث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦١٣/١١٨) من حديث أبي أسامة.

(٣) بعد حديث (٢٦١٣/١١٨، بدون رقم) من حديث جرير. تنبيه: أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٧٢) هكذا جمعًا بين الطرق الثلاثة للحديث. وتبعه عليه المؤلف.

كان يدخل على الولاة بالشام، فإذا وجد أحدهم يعمل -أو يريد أن يعمل- أمرًا مخالفًا، يتوعده ويقول له: لأكتبن إلى أمير المؤمنين بهذا. فيرتدع الوالي- ويقوم إليه يتشبث به- ويرجع عما فعل أو أراد أن يفعل.

وله قصة مع عمر بن الخطاب في قراءة القرآن، قال عمر: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها وكدت أن أعجل عليه ثم أمهلته حتى انصرف ثم لبَّبْتُه بردائه[1] فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها فقال لي: أرسله. ثم قال له: اقرأ. فقرأ. قال: هكذا أنزلت. ثم قال لي: اقرأ فقرأت: فقال: هكذا أنزلت، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر[2].

قال ابن سعد: توفي في أول خلافة معاوية[3].

غريب الألفاظ:

الأنباط: الفَلاحون من العَجم[4].

الخَراج: ما يُفرض على الأرض المفتوحة من الضرائب[5].

الجزية: ما يُفرض على أهل الذمَّةِ[6].

---

(١) أي أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجررته به. شرح مسلم للنووي (٣/٨٦- ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٢٧٠- ٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٧٤١، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٥/٣٧٢) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٣٥٩، والسير (٣/٥٢) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٧/٤٠٠) وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٤/٢٦٩)، والأعلام، خير الدين الزركلي (٨/٨٥)، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣/١٩٣٧).

(٤) رياض الصالحين ٥٥٥.

(٥) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧٢.

(٦) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٤٣.

خَلُّوا: تُركوا وأُخلِي سبيلُهم[1].

الشرح الأدبي

يحكي الراوي عن هشام بن حكيم رضي الله عنه في هذا الحديث ما رآه من مظاهر تعذيب ولاة الأمر لعامة الناس، ويصور مظاهر ذلك التعذيب وهو تصوير مفزع ينشر الهلع في النفوس، ويزرع الخوف في القلوب، ويسجل انطباعًا غير صحيح عن الإسلام في نفوس الآخرين.

فهؤلاء المعذبون: من الأنباط، وهم فلاحون من العجم، وقيل هم قوم من العرب دخلوا في العجم والروم، واختلطت أنسابهم وفسدت ألسنتهم، وقد سموا بذلك لمعرفتهم بأنباط الماء واستخراجه من الأرض- لكثرة معالجتهم الفلاحة، فهم من الزراع.

وتصوير العذاب ورد في جملتين وقعتا موقع "الحال" فحالهم في الواقع: هو حالهم في النسق اللغوي: حيث أقيموا في الشمس تلفح وجوههم، وتكوي أجسادهم، ولم يكتف الأمير بذلك بل غالى في تعذيبهم وأمر أن يُصب الزيت على رءوسهم، وذلك من أقسى صور العذاب.

وبناء الفعل للمجهول في قوله: "أقيموا"، يرشد بأنهم أكرهوا على ذلك، وليس لهم اختيار في هذا الأمر، وكذلك بناء الفعل "صُبَّ"، للمجهول يوحي بأن الفاعل معلوم، وهو الوالي لأنه هو الذي أمر بذلك: لأنهم لم يقوموا بأداء الجزية أو الخراج.

والجزية شُرعت مقابل أن لا يهدم لأهل الكتاب بيعة، ولا يخرج لهم قس، ولا يفتنوا عن دينهم، بشرط أن يلتزموا بأحكام الإسلام، والخراج: هو ما يوضع من الضرائب على الأرض الزراعية أو محصولاتها، وهو يختلف باختلاف البلاد وما تصلح الأرض له، وتسقى به.

ولنتأمل أسلوب التوكيد الذي ورد في إطاره كلام المصطفى ﷺ، والذي سمعه منه هشام بن حكيم، حيث يقول: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا".

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ل و).

وختام الحديث يُعد ثمرة نافعة من ثمار هذا الوعيد بالعذاب: وقد أسرع الأمير فخلى سبيل هؤلاء الأنباط المعذبين، وتتجلى السرعة في هذا النسق اللغوي الذي يفيد التتابع وسرعة التنفيذ رهبة وخشية وخوفًا من عذاب الله، وتوالت الأفعال معطوفة بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب والسرعة في هذه الجمل القصيرة المتوالية في ختام الحديث، في قوله: "فدخل على الأمير، فحدثه، فأمر بهم، فخلوا": أي أطلق سراحهم، وأقلع عن تعذيبهم، استجابة لما بلغه عن رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من واجبات الداعية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: السنة النبوية.

رابعًا: من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة من يعذب الناس في الدنيا.

أولاً- من واجبات الداعية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حيث جاء في الحديث "أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت" وقوله "فدخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخلوا" والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم واجبات الداعية- وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]. وجاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[2]. قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (ودلت الأحاديث كلها

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ٤٩.

على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأن إنكاره بالقلب لابد منه، فمن لم ينكر قلبه المنكر دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه وقد روى عن أبي جحيفة قال: قال علي ﷺ: (إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم ينكر قلبه المنكر، ويعرف قلبه المعروف- نكس فجعل أعلاه أسفله، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة)[1]. قال الإمام عبدالرحمن بن داود الدمشقي: (والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف من أخص أوصاف المنافقين- قال الله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾[2].

بين سبحانه أن ذكور المنافقين وإناثهم ليسوا من المؤمنين. كما قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾[3] بل بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق وقيل: أمرهم واحد بالاجتماع على النفاق. فهم على دين واحد متشابهون في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

وليس المعنى على التبعيض حقيقة، لأن ذلك معلوم فالمؤمن بالمؤمن يتقوى، والمنافق بالمنافق يتعاضد. والمنافق (لصاحبه) أُسٌّ به قوامه وأصل به قيامه، يعينه على فساده، ويغمي عليه طريقة رشاده، وصفهم سبحانه بخلاف أوصاف المؤمنين، وأنهم يأمرون بالمنكر وهو الكفر والمعاصي، وينهون عن المعروف وهو الإيمان والطاعات.

قوله: "ويقبضون أيديهم" عبارة عن عدم الإنفاق في سبيل الله تعالى قاله الحسن.

وقيل: تركوا أمره حتى صار كالمنسي، فصيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه.

وقيل: عن الجهاد. وقال سفيان: عن رفع الأيدي في الدعاء، و"النسيان" هنا الترك قال قتادة تركوا طاعة الله ورسوله. ونسيهم أي تركهم من الخير. وأما من الشر فلم ينسهم.

---

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ٢/٢٤٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ٦٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ٥٦.

وقوله: "إن المنافقين هم الفاسقون" أي هم الكاملون في الفسق الذي هو: التمرد في الكفر والانسلاخ من كل خير.

وللمنافق خمس خصال بنص القرآن: يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، ولا يقوم إلى الصلاة إلا وهو كسلان، ويبخل بالزكاة، ويتخلف عن الجهاد إذا أمره الله، ويثبط غيره.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص أوصاف المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

لما ذكر الله تعالى المنافقين والمنافقات، وما هم عليه من الأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة، ذكر المؤمنين والمؤمنات، فقال في أولئك: "بعضهم من بعض" وفي هؤلاء: "بعضهم أولياء بعض" في الدين، واتفاق الكلمة، والعون، والنصرة، إذ لا ولاية بين المنافقين ولا شفاعة لهم "ولا يدعو" بعضهم لبعض "فكأن المراد - هنا- أن الولاية في الله خاصة، وثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدبعضه بعضًا))[2].

أي يعين بعضهم بعضًا على الطاعات، ويتواصون بترك المحظورات، فتحابهم "في الله" وقيامهم بحق الله، وصحبتهم لله، وعداوتهم لأجل الله، تركوا حظوظهم لحق الله، وآثروا - على هواهم - رضا الله.

أولئك الذين عصمهم في الحال، ويرحمهم في المآل.

ولما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما جرى كالتفسير والشرح له، وهي الخمسة التي يتميز بها المؤمن على المنافق في الآية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهاد، وهو المراد في هذه الآية

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨١، ومسلم ٢٥٨٥.

بقوله: "ويطيعون الله ورسوله"، فإن هذه الكلمة جامعة للمندوبات وأقواها دلالة على صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم.

وأخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتقدمه على بقية الأوصاف، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في الآية، فيثبت بذلك أن أخص أوصاف المؤمنين وأقواها دلالة على صحة عقيدتهم وسلامة سريرتهم، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله: "أولئك سيرحمهم الله" يعني الموصوفين بهذه الأوصاف الجميلة.

قال الزمخشري: السين مفيدة وجوب الرحمة لا محالة، فهي تؤكد الوعد والوعيد.

ولما كانت الرحمة - هنا - عبارة عما يترتب على تلك الأعمال الصالحة من الثواب في الآخرة، أتي بالسين التي تدل على الاستقبال.

"إن الله عزيز" أي غالب على كل شيء قادر عليه.

"حكيم" واضع كلاً موضعه. والله أعلم)[1].

والواجب على الداعية أن يحرص على إقامة هذه الشعيرة استجابة لأمر الله عز وجل ورسوله ﷺ.

(ومن لم تكن له همة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فليخش على نفسه النفاق وعلى قلبه من الزيغ، وَلْيَسْعَ في نجاة نفسه -بالقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر-، قبل أن يصيبه الله بقارعة لا تخطر له على بال، أو أن ينسيه الله نفسه فيهيم في أودية الضلال، فيكون ممن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسنًا. فيكون من الأخسرين أعمالاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾[2].

---

(١) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالرحمن بن أبي بكر بن داود الدمشقي الصالحي، ص ٥١-٥٣.

(٢) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣- ١٠٦.

ومن أمارة هذا الصنف أنك تجده يكره الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، لقيامهم بذلك، ويفرح ويسر بما يصيبهم من الأذى وأنواع الابتلاء، ويسخر بما قد يقع من بعضهم من الأخطاء، أو ينسب إلى أحد منهم شيئًا على وجه الكذب والافتراء، وكان الأولى به أن يبكي على نفسه، ويأخذ بأسباب نجاتها مما توعد الله به أمثاله من سوء الحساب، وشديد العقاب، ما دام يمكنه المتاب، والسير في طريق الصواب.

فإن في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من جليل الفوائد، وكريم العوائد وعظيم المصالح الخاصة والعامة، ودرء المفاسد والشرور عن الأمة كافة، ما يدعو كل عاقل إلى الاهتمام به، والحرص على أن يكون من أهله المتحلين به المسارعين إليه، ومحبة القائمين به وإعانتهم عليه، لتحصيل ما وعد الله به القائمين بتلك الفريضة العظيمة، والشعيرة الجليلة، من الخير في العاجل والآجل ومن ذلك:

أن الأمر والنهي من الهدي الذي جاءت به الرسل عليهم السلام: فأسعد الناس في الدنيا والآخرة أكملهم حظًا عنده، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل جميع رسله:

بالأمر بالمعروف: الذي أصله وأساسه توحيد الله، وتصديق الرسول، وفروعه الأقوال والأعمال الصالحة.

والنهي عن المنكر: الذي أساسه الشرك والبدع، وفروعه أنواع الفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[2]. ولهذا تجد كل رسول أول ما يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه. ثم ينهاهم عن أعظم المنكرات من الأعمال - كبخس الكيل والوزن والبغي والظلم ونحو ذلك.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٢٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٦.

ولقد وصف الله خاتم الأنبياء محمد ﷺ، بالقيام بهذا الأمر كله على أكمل الوجوه وأحسنها، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

وبين أن أهدى الناس سبيلاً، وأسعدهم في الدنيا والآخرة أكملهم قيامًا وعناية به. قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[3].

ولا يكون الإنسان مهتديًا حقًا إلا إذا كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[4]. يعني: أمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر.

والأمر والنهي آية صدق الإيمان، وبشارة بحسن الخاتمة: وصف الله أولياءه، المؤمنين الصالحين السابقين واللاحقين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال سبحانه في السابقين: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[5].

ووصف الله به المؤمنين المجاهدين من هذه الأمة، فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾[٢].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، آية الإيمان، وبرهان الصلاح، وأهله القائمون به هم خير الناس وأحبهم إلى الله تعالى، فيا بشراهم بما أعد الله لهم من الأجر العظيم، والنعيم المقيم، قال الله سبحانه: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٣].

وبالأمر والنهي يتمكن الدين ويعم الصلاح: قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾[٤].

وللأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، دلالة على الخير وترغيب فيه، وتنبيه على الشر وزجر عنه، فيتحقق بالقيام به تنمية الخير وتقويته وتكثير أهله، وإضعاف الشر وتقليله أو القضاء عليه وقطع أسبابه.

وفي تكرار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كل زمان ومكان ومناسبة، تعليم وتربية للأمة بأكملها، حيث يتحقق البيان الحازم للناس على الدوام، فيتعلم الجاهلين ويتذكر الغافل، وينشط المتكاسل)[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تفتح حوارًا بين الداعية والمدعو، وفي مجال الدعوة إلى

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة النور، آية: ٥٥.

(٥) تذكرة أولي الأمر بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالله بن صالح القصير، ص ٧٦-٧٧ بتصرف.

الله تبدو أهمية المشاركة والمناقشة والسؤال (إن الناس يحتاجون إلى إقناع بضرورة تعلم المراجعة والمشاركة في عملية التعلم والتفهم للموضوعات المطروحة، ومن هنا وجب على الدعاة تشجيع الناس على طرح الأسئلة وإبداء الرأي حول مختلف القضايا، لأن ذلك يبني نفسية المشاركة وتحمل المسؤولية، وهو من الطرق الفعالة في إحداث القناعة بالرسالة الدعوية)[١].

ثالثًا- من مصادر الدعوة: السنة النبوية:

حيث جاء في الحديث "أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول" ومما لاشك فيه أن السنة النبوية المصدر الثاني للدعوة الإسلامية بعد القرآن الكريم (إن الرسول ﷺ ليس مجرد واعظ يلقي كلمته لتذهب في الهواء، ذلك أن الدين منهج حياة واقعية بأشكالها وتنظيماتها وأوضاعها وقيمها وأخلاقها وآدابها وعباداتها وشعائرها، ولذا وجب التحاكم إلى منهج الله القرآن والسنة)[٢]. (إن السنة المطهرة هي المصدر الثاني للداعية بعد القرآن الكريم، وهي شارحة للقرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه، كما أنها قصة كفاح، وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود، كما أنها توجيهات ربانية لفهم القرآن ورسم الطريق المستقيم)[٣].

رابعًا- من أساليب الدعوة: التوكيد، والترهيب:

١- التوكيد: حيث جاء في الحديث "إن الله يعذب" وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو مدى صدق الداعية فيما يقول وتحقق وقوعه، ومن صور استعمال أسلوب التوكيد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[٤].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث: "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي ترهب المدعو وتحذره من الوقوع في المحظورات

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم البكار، مرجع سابق ١٥٥.

(٢) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، د. محمد مصطفى الأعظمي، مطابع جامعة الرياض، ١٣٧٧هـ، ص ١٣.

(٣) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١٢٧.

(٤) سورة النبأ، آية: ٣١.

والمخالفات الشرعية، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[1]. يقول الدكتور عبدالكريم زيدان: (والترهيب هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة من يعذب الناس في الدنيا:

حيث جاء في الحديث "إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا" قال الإمام النووي: (وهذا الوعيد الشديد محمول على التعذيب بغير حق، فلا يدخل فيه التعذيب بحق كالقصاص والحدود والتعزير وغير ذلك)[3]. وهذا التعذيب مناف للرحمة التي أراد الله أن تكون بين العباد، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمُكُم مَنْ فِي السَّماءِ))[4] وعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: ((لا يَرحمُ اللّهُ مَن لا يَرحم الناسَ))[5].

قال محمد الغزالي: (للرحمة كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى. هي كمال في الطبيعة؛ لأن تبلد الحس يهوي بالإنسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه، وهو العاطفة الحية النابضة بالحب والرأفة. بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمة تعطفه على ذراريه، ومن ثمَّ كانت القسوة ارتكاسًا بالفطرة إلى منزلة البهائم، بل إلى منازل الجماد الذي لا يعي ولا يهتز.

والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت. فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء

---

(١) سورة النبأ، آية: ٢١-٢٣.

(٢) أصول الدعوة ٤٣٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٥٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٩٤١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٥) أخرجه البخاري ٧٣٧٦، ومسلم ٢٣١٩.

أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة. ولذلك كان من صلاة الملاكة له: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قُدِم على رسول بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى تَحلُبُ ثَدْيَها. إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته. فقال رسول الله ﷺ: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا والله -وهي تقدر على أن لا تطرحه!- قال: فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها[2].

وكثير من أسماء الله الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو. وقد جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((قال الله عز وجل: إن رحمتي تغلب غضبي))[3]، أي أن تجاوزه عن خطايا البشر يسبق اقتصاصه منهم وسخطه عليهم، وبذلك كان أفضل الرحماء: ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾[4].

وما ترى في الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثر من رحمة الله التي أودع جزءًا منها في قلوب الخلائق؛ فأرقُّ الناس أفئدة أوفرهم نصيبًا من هذه الرحمة وأرهفهم إحساسًا بحياة الضعفاء.

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والكازِّين والمستكبرين فَهُمْ في الدرك الأسفل من النار. وكان رسول الله ﷺ يعد جمود العين واستغلاق القلب من الشقاء.

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه، ويخفف أحزانه، ويرثي لخطاياه، ويستميت في هدايته، ويأخذ بناصر الضعيف، ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها. ويخضد شوكة القوي حتى يرده إنسانًا سليم الفطرة لا يضرى ولا يطغى..

---

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٧٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٧٥٥٣، ومسلم ٢٧٥١.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١١٨.

فأرسل "محمدًا" ﷺ. وسكب في قلبه من العلم والحلم، وفي خلقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرفق، وفي يده من السخاوة والندى. ما جعله أزكى عباد الله رحمة، وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا.

ولذلك قال الله تعالى فيه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

وقد لازمته هذه الفضائل العذبة في أعصب الساعات عندما حاول المشركون في "أحد" اغتياله، وألجأوه إلى حفرة ليكبَّ فيها، ونظر إلى زهرة أصحابه فوجدهم مضرجين بدمائهم على الثرى. ونظر إليه بقية أصحابه فإذا خده قد شق وسنه قد سقطت. وفي هذه الأزمة قيل له: ادع على المشركين؛ فغلبه رفقه وجعلت نفسه العالية تستميح لأعدائه العذر، فكان دعاؤه: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

إن القلوب الكبيرة قلما تسجيشها دوافع القسوة، فهي أبدًا إلى الصفح والحنان أدنى منها إلى الحفيظة والاضطغان.

إن القسوة في خلق إنسان دليل نقص كبير، وفي تاريخ أمة دليل فساد خطير. فلا عجب إذا حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسق عن أمر الله وسر الشرود عن صراطه المستقيم: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2].

وقد أمر الإسلام بالتراحم العام. وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة وفي قلبه لهم عطف مذخور وبر مكنون، فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع.

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٢) سورة الحديد، آية: ١٦.

أجل، فإن الرجل قد يهش لأصدقائه حين يلقاهم، وقد يرق لأولاده حين يراهم. وذلك أمر يشيع بين الكثير. بيد أن المفروض في المؤمن أن تكون دائرة رحمته أوسع، فهو يبدي بشاشته، ويظهر مودته ورحمته لعامة من يلقى.

وقد جاءت الأحاديث تترى حاثة على هذه الرحمة الشاملة[1].

---

(١) خلق المسلم ٢٠٣-٢٠٥.

الحديث رقم (١٦٠٩)

١٦٠٩ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: رأى رسولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الوَجْهِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: ((واللهِ لا اسِمُهُ إلاَّ[1] اقْصَى شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ)) وأمَرَ بِحِمَارِهِ[2] فَكُوِيَ فِي جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أوَّلُ مَنْ كَوَى الجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم[3].

(الجَاعِرَتَانِ): نَاحِيَتَا الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

إن الرفق بالحيوان سمة من سمات الخلق الإسلامي، وهذا الرفق نابع من طبيعة التراحم التي تميز تعامل الإنسان المسلم مع ما يحيط به من ظواهر الطبيعة النباتية، والحيوانية... لأنها من مخلوقات الله، ومن دلائل قدرته، ولذلك جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا، وكل شيء آمن حتى الطير، والحيوان، والنبات، في البلد الأمين تشعر بالأمن، وفي ذلك تدريب للمؤمن على تعميق علاقة التعاطف والمحبة بينه وبين ما حوله من المخلوقات غير العاقلة: لأنها نفوس لها خصائصها: فهناك النفس النباتية، والنفس الحيوانية، وأعلا النفوس درجة هي النفس الإنسانية، وفي ظل ذلك التصور نستضيء ونسترشد بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[4].

وفي ضوء هذا المفهوم... نقرأ دلالات هذا الحديث الشريف الذي يروي ابن عباس حكايته، وهي تدعو للتأمل والتفكر والتدبر، لأن الرسول ﷺ وجه اهتمامه إلى الحيوان، واهتم حتى بهيئته، وأنكر تشويه وجه هذا الحيوان: حيث رأى حمارًا موسوم

---

(١) عند مسلم زيادة: (في).

(٢) لفظ مسلم: (بحمار له)، والمثبت لفظ الحميدي في جمعه (٢/١٣٠، رقم ١٢٢٥).

(٣) برقم (١٠٨/٢١١٨).

(٤) سورة النعام، الآية: ٣٨.

الوجه: أي قام صاحبه بكيه في وجهه، وذلك تعذيب وتشويه، وبعد هذا الإنكار يحدد ابن عباس موقفه في حسم: ويجيء الموقف مغلفاً بأسلوب القصر، وفي ذلك تأكيد للموقف الذي اقتدى فيه برسول الله، واتبع تعليماته، فقال: "والله لا أسمه إلا أقصى شيء من الوجه".

وأسرع ابن عباس رضي الله عنهما إلى التغيير، وجاء التغيير في صيغة الأمر الفعلي، وليس الأمر القولي وأمر بحماره فكوي في جاعرتيه، أي في حرفي الوركين المشرفين على الفخذين، فأي رحمة تعدل هذه الرحمة، وأي ملة تفوق ملة الإسلام في هذا الجانب المشرق من جوانب السلوك الإنساني تجاه الحيوان، والطير والنبات، وكل ما يدب على الأرض، أو يطير في الجو، أو يسبح في قلب المحيطات، وكلها من النعم التي سخرها الله للإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من واجبات الداعية: إنكار المنكر.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان خطر وسم الحيوان في وجهه.

أولاً- من واجبات الداعية: إنكار المنكر:

حيث جاء في الحديث "رأى رسول الله ﷺ حمارًا موسوم الوجه فأنكر ذلك؟ وقوله "مر عليه حمار قد وسم في وجهه فقال لعن الله الذي وسمه" ولاشك أن من أهم واجبات الداعية إنكار المنكر قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[3] ولعن الله الذين لا ينكرون المنكر من بني إسرائيل قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

(٢) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٦٠٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦١٠).

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[1]، قال الإمام ابن رجب الحنبلي: (واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين، والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا فيه أنفسهم من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال كما قال بعض السلف، وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله وإنَّ لحمي قرض بالمقاريض، ومن لحظ هذا المقام هان عليه كل ما يلقى من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه، وبكل حال يتعين الرفق في الإنكار، قال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى)[2].

قال أبو حامد الغزالي: (وآداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم والورع وحسن الخلق.

أما العلم: فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه.

والورع: ليردعه عن مخالفة معلومة، فما كل من علم عمل بعلمه. بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعًا، ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض. وليكن كلامه ووعظه مقبولاً، فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب، ويورث ذلك جراءة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأسبابه. والعلم والورع لا يكفيان فيه. فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه مالم

---

(١) سورة المائدة، آية: ٧٨، ٧٩.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٢٥٥، ٢٥٦.

يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب، وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة، وغفل عن دين الله، واشتغل بنفسه، بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم.

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات وإن فقدت لم يندفع المنكر. بل ربما كانت الحسبة أيضًا منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن أول الناس أخذًا به وإلا هلكت وقد قيل:

لا تلم المرء على فعله ... وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئًا وأتى مثله ... فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعني بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعًا بالفسق، ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس.

وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر، وليثق بالثواب من الله، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى، فإذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر. ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف. فقال سبحانه حاكيًا عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾[1])[2].

قال ابن قدامة: (واعلم أن الحسبة لها خمس مراتب: التعريف، والوعظ بالكلام اللطيف.

الثالثة: السب والتعنيف، ولسنا نعني بالسب الفاحشة، بل نقول له: يا جاهل يا أحمق، ألا تخاف من الله تعالى! ونحو ذلك.

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، ص ٥٠، ٥١.

والرابعة: المنع بالقهر. ككسر الملاهي وإراقة الخمر.

والخامسة: التخويف والتهديد بالضرب، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه، فهذه المرتبة تحتاج إلى الإمام دون ما قبلها، لأنه ربما جر إلى فتنة.

واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض.

فإن قيل: فهل تثبت الحسبة للولد على الوالد، والعبد على السيد، والزوجة على الزوج والرعية على الوالي؟

قلنا: أصل الولاية ثابت للكل، وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب:

فللولد من ذلك الحسبة بالتعريف، ثم بالوعظ والنصح باللطف.

وله من الرتبة الخامسة: أن يكسر العود، ويريق الخمر، ونحو ذلك، وهذا الترتيب ينبغي أن يجري في العبد والزوجة.

وأما الرعية مع السلطان، فالأمر فيه أشد من الولد، فليس معه إلا التعريف والنصح.

ويشترط كون المنكِر قادرًا على الإنكار، فأما العاجز، فليس عليه إنكار إلا بقلبه، ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي، بل يلتحق به خوف مكروه يناله، فذلك في معنى العجز.

ومن آداب المحتسب: تقليل العلائق، وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة، فإن من لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الإنكار عليهم.

أحدهما: من لطف ينالونه به.

والثاني: من رضاهم عنه وثنائهم عليه.

وأما الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمتعين، قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة طه، آية: ٤٤.

وروي أن أبا الدرداء ﷺ مرّ على رجل قد أصاب ذنبًا والناس يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟

قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. فقالوا: أفلا تبغضه؟ فقال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه، فهو أخي.

ومر فتى يجر ثوبه، فهمَّ أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا، فقال صلة: دعوني أكفكم أمره، ثم قال: يا ابن أخي، إن لي إليك حاجة.

قال: ما هي؟

قال: أحب أن ترفع إزارك، قال: نعم ونعمى عين[1]، فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مما أردتم، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم.

ودعي الحسين إلى عرس، فجيء بجام من فضة فيه خبيص، فتناوله وقلبه على رغيف، فأصاب منه، فقال رجل: هذا نهي في سكوت)[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "لعن الله الذي وسمه" وأسلوب الترهيب يكف النفس عن الوقوع في المحظورات الشرعية، لأن النفس البشرية بطبيعتها وفطرتها تخاف العقاب والوعيد (إن النفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها، فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم، لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وإذا ما أحسن الداعية إيراد شواهد القرآن والسنة في الترهيب، فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه)[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان خطر وسم الحيوان في وجهه:

حيث جاء في الحديث "لعن الله الذي وسمه" وقوله "نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه" قال الإمام النووي: (وأما الضرب في الوجه

---

(١) أي قرة عين، يعني: أقر عينك بطاعتك واتباع أمرك.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ١٣٣، ١٣٨- ١٣٩.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٥١٥.

فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد؛ لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف؛ لأنه يظهر فيه أثر الضرب وربما شانه، وربما آذى بعض الحواس، وأما الوسم في الوجه فمنهي عنه بالإجماع فأما الآدمي فوسمه حرام لكرامته، ولأنه لا حاجة إليه فلا يجوز تعذيبه، وأما غير الآدمي فالأظهر تحريمه، وأما وسم غير الوجه من غير الآدمي فجائز بلا خلاف)[1].

قال في النهاية: (والوسم العلامة في الشيء يقال وسمه يسمه سمة ووسمًا إذا أثر فيه بكي، ويسم الإبل يُعَلِّم عليها بالكي والميسم: الحديدة التي يكون بها)[2].

قال المازري: (وقوله "نهى رسول الله ﷺ عن الضرب في الوجه، وعن الوسم في الوجه. قال عبدالوهاب: تكره السمة في الوجه ولا تكره في غيره؛ لأنه ﷺ نهى عن السمة في الوجه، وأرخص فيها في الأذن. قال: ويجوز في غيره؛ لأن بالناس حاجة إلى علامات يعرفون بها بهائمهم)[3].

وقال القاضي عياض: (وقوله: "نهى عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه" وأنه لعن فاعله الذي وسم حمارًا في وجهه، وقوله في حديث ابن عباس: قال: فلا والله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه، فكوى حماره في جاعرتيه، فهو أول من كوى الجاعرتين: قائل هذا هو العباس والده لا ابنه عبدالله صاحب الحديث، وهو في كتاب مسلم مشكل ليس فيه ذكر لقائله، وتوهم أنه من قول النبي ﷺ وبيانه ما تقدم.

وكذا ضبطنا هذا الحرف -الوسم- بالسين المهملة، وبعضهم يقول: فيه الوجهين السين والشين، وبعضهم فرق فقال: بالمهملة في الوجه، وبالمعجمة في سائر الجسد. والجاعرتان حرفا الورك المشرفان مما يلي الدبر.

وأما نهيه عن الضرب في الوجه، فإن فيه المحاسن، وأقل أثر فيه يشينه، وربما آذى البصر أو أذهبه، مع إهانة الصورة التي اختص الله بها بني آدم وكرمهم بها، ونبه في الحديث الآخر على إكرامها بخلق نبيه آدم أبي البشر عليها.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٣٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و س م).

(٣) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٣٩.

وما ذكره مسلم أن النبي ﷺ وسم غنمًا، وذكر في آذانها: يدل على ما ذكر وعلى جواز الوسم بالقطع والشق؛ لأنه الذي يمكن في الأذن)[١].

قال الدكتور الحسيني هاشم: (في الأحاديث النهي عن تعليم الحيوان في وجهه بحرق أو قطع أو ما إلى ذلك، لأن الوجه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة وأكثر الإدراك بها، وقد يبطلها أو ينقصها ضرب الوجه. ففيها الرفق بالحيوان، وعدم إيذائه في وجهه لشدة حساسيته)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (قال الشافعية: يكون الوسم في موضع صلب ظاهر لا يكثر شعره. والأولى في الغنم الآذان، وفي الإبل والبقر الأفخاذ، وكذا الخيل، والبغال والحمير، والفيلة.

وقالوا: ينبغي أن يكون وسم الغنم ألطف، وفوقه الحمير، وفوقه البقر والبغال، وفوقه الإبل، وفوقه الفيلة.

أما الوسم على الوجه فهو حرام على الأصح عند الشافعية لحديث جابر رضي الله عنه: ((أن النبي ﷺ مَرَّ عليه حمار قد وسم في وجهه، فقال: لعن الله الذي وسمه))[٣].

وذهب المالكية والشافعية في مقابل الأصح عندهم وبعض الحنابلة إلى أن الوسم في وجه الحيوان مكروه.

وهذا في غير الآدمي. أما الآدمي فوسمه حرام إجماعًا، لأن وسم الآدمي مُثْلة، وهي منهي عنها إلا إذا كان للتداوي)[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٦٤٤- ٦٤٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٥٠، ٧٥١.

(٣) أخرجه مسلم ٢١١٧.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٣/١٤٥- ١٤٦.

الحديث رقم (١٦١٠)

١٦١٠- وعنه[١]: أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: ((لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ)) رواه مسلم[٢].

وفي رواية لمسلم[٣] أيضًا: نهى رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ فِي الوَجْهِ.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

موسوم الوجه: مُعلَّم عليه بالكيّ[٤].

الشرح الأدبي

لقد أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومنها نعمة تسخير الحيوان له، وتذليل أضخم الحيوانات لخدمته في قضاء مآربه: قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

---

(١) إيراد المؤلف بهذه الصورة يشير إلى أنه من حديث ابن عباس، وليس كذلك، بل هو من حديث جابر كما في مسلم، وأورده الحميدي في جمعه (٢/٣٩٥، رقم ١٦٦١) في مسند جابر، لكن المؤلف تبع فيه المنذري في ترغيبه (٣٣٨٤) حيث قال عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٧/٢١١٧) من حديث جابر، وليس من حديث عبد الله بن عباس، كما في الجمع للحميدي (٢/٣٩٥، رقم ١٦٦١). تنبيه: هذا الحديث أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٨٤) من حديث ابن عباس، فتبعه عليه المؤلف، وكذا الحافظ ابن حجر في تهذيبه (٩٢٢).

(٣) برقم (١٠٦/٢١١٦) من حديث جابر. كما في الجمع للحميدي.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و س م).

(٥) سورة النحل، الآيات: ٥-٧ .

والمصطفى ﷺ في هذا الحديث ينبه كل مسلم، وكل إنسان إلى الرفق بالحيوان، وعدم تشويه ملامح وجهه، وما أعظم هذا التعاطف الإنساني مع ذلك الحيوان الأبكم الذي لا يبين، والحديث في غاية الإيجاز، ولكنه عميق في معناه، بليغ في مبناه، وهذه الجملة الحديثية جاءت في صيغة دعائية، حيث دعا الرسول ﷺ على من أحدث هذا الوسم في وجه الحمار بالطرد من رحمة الله. لأن اللعن هو البعد والطرد من رحمة الله عز وجل.

والتعبير بقول الراوي: "مر عليه حمار" يدل على أن الحمار لم يكن يركبه أحد، ولا يعرف صاحبه، وقوله: "قد وسم في وجهه" يثبت أن الوسم محقق، ولذلك سبق الفعل "وسم" بالحرف "قد"، وهي للتحقيق والتأكيد، وبُني الفعل وسم للمجهول: لأن الفاعل مجهول، ولذلك لم يحدد الرسول ﷺ الشخص الذي وسمه، وقال متوعدًا من أقدم على هذا الفعل، الخبيث "لعن الله الذي وسمه" وعبر عنه باسم الموصول لمزيد من التحديد نظرًا لفداحة هذا الصنيع الذي تنبه له رسول الله ﷺ... بينما يغفل عن مثل هذه الصور والسلوكيات الكثيرون، وهم في غفلتهم ساهون، وفي غيهم سادرون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أهداف التربية: الرفق بالحيوان:

إن الرفق هدف تربوي، يجب غرسه في نفوس الناشئة، ولا يتوقف الرفق على البشر فقط، بل يشمل كل حيوان ودابة عجماء، وقد شدد الإسلام على من تقسو قلوبهم على الحيوان ويستهينون بآلامه، بل وبين أن الإنسان على عظم قدره قد يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء[1].

وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب من قوله ﷺ: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ...إلخ».

وقد بين ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما في أحاديث الباب أن من افتقر في تربيته إلى الرفق بالحيوان عوقب باللعن، وذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما، «إنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ، غَرَضًا»، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «إنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَما مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ . فَقَالَ: «لَعَنَ اللّهُ الَّذِي وَسَمَهُ». وفي هذا دلالة واضحة على أن تعذيب الحيوان بلا سبب معصية تستوجب العقاب[2]؛ لذا وجب على دعاة التربية غرس خلق الرفق بالحيوان في نفوس المتربين.

ومما لاشك فيه أن تحقيق ذلك يعكس نتيجة تربوية في تنشئة المتربي، حيث رقة الشعور وفيض الرحمة على من حوله.

ثانيًا: التربية على معاملة الخدم بالرحمة واللين:

إن مما يجدر القيام بغرسه في قلوب المتربين، معرفة أن الخدم لهم نفوس كنفوس المخدومين، ولهم عواطف تتأثر بالإساءة إليهم كما تتأثر نفوس المخدومين إن أُسيء إليها، وما جعلهم الله تحت أيدي المخدومين إلا ليساعدوهم في أعمالهم، فوجب عليهم ألا يغلظوا لهم في القول، ولا يكلفوهم من الأعمال فوق طاقتهم، وإن كلفوهم

---

(١) خلق المسلم، محمد الغزالي، ٢١١.

(٢) الأدب النبوي، محمد الخولي، ٤٣.

فيعينوهم لأنهم لم يخلقوا حجارة أو حديدًا، ولكنهم بشر تتألم أجسامهم بالأعمال الشاقة، وتُجرح مشاعرهم بسيء القول، والكلام البذيء.

والإسلام لا يرضى بقول الشاعر:

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ ... إنّ العَبيدَ لأنْجَاسٌ مَنَاكِيدُ

ولا يؤمن بقول الآخر:

العَبْدُ يُضْرَبُ بالعَصا ... والحُرُّ تَكْفِيهِ الإشارَةُ[1]

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه الحث على معاملة الخدم بالرحمة واللين، وهذا ما ترائى جليًا في نهي النبي ﷺ عن ضرب الخدم وإهانتهم، وذلك في قول أبي علي سويد بن مقرن رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ، مَا لَنَا خَادِمٌ إلاَّ وَاحِدَةٌ، لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا»، وقوله ﷺ: «...اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلاَمِ...»، وقوله ﷺ: «من ضرب غلامًا.....إلخ».

ثالثًا: الرفق في تربية النشء:

لقد صدَّر النووي أحاديث الباب بعنوان: "النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي؛ لذا كان من الواجب الإشارة إلى ضرورة الرفق في تربية النشء.

لاعتقاد كثير من الآباء أن تربية الأطفال وتعليمهم يتناسب مع مقدار الشدة عليهم، فكلما أكثرنا من عقوبتهم حسنت تربيتهم وتهذبت نفوسهم! وتظهر هذه من وصايا الآباء للمعلمين: «اللحم لكم والعظم لنا!»، وقد يظن الكثير أن هذه الشدة والقسوة على هؤلاء الأطفال إذا لم تنفع فإنها لا تضر وتذهب بذهاب أيام الطفولة... وهذا خطأ كبير فإن كل شدة على الطفل تؤثر في نفسيته وعقله، فإذا لم تظهر سريعًا فإنها تبقى مكبوتة مختبئة في النفس، لا تلبث أن تظهر بشكل ثورة أو جنون بل ربما أدت إلى الموت السريع.

---

(١) إصلاح المجتمع، محمد سالم الكدادي البيحاني، ٣٤٨ بتصرف.

فقد روي أن دارًا تضم شابًا تظهر عليه علامات الجنون، فسئل عن قصته؟ فقيل: إنه ارتكب ذنبًا منذ سنوات، فأراد والده تربيته! فأحضر سكينًا وتظاهر بأنه يريد أن يذبحه فوضعها على عنقه فخاف الفتى، وفي الصباح جُنَّ، وبقي هذا عدة سنوات ثم التزم السكوت إلى وقتنا هذا...، وقد روي أيضًا أن ابنة سرقت من دارها قليلاً من المال، فعلم أبوها بالأمر، فأراد أن يربيها! فأحضر قلمًا أحمر مساء، وعلم به على يديها بدائرة حول معصمها، وقال لها في الصباح: سأقطع يدك الجانية. فباتت ساخنة طوال الليل، وأصيبت بالحمى، ثم فارقت الحياة بعد أيام[1].

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه الرفق في تربية النشء المسلم بما لا يخل بضوابط الشرع في ذلك.

رابعًا: التربية على الرفق بالنساء:

إن من أهم أوجه التربية الاجتماعية التي يجدر بدعاة التربية والتوجيه غرسها وإقامتها في بنيان الأسرة المسلمة، الرفق بالنساء؛ لذا صدر النووي في هذا الباب نهيه عن تعذيب المرأة بغير سبب شرعي، حتى يَعْلَم المتربون والمتعلمون أهمية الرفق في معاملة النساء.

ولقد سمع كثير منا بقصص رجال يسيئون إلى زوجاتهم كأنهن عبيد لدى سيد جبار، فنراهم يتفنَّنون في تعذيبهن وشتمهن حتى يصل الأمر في كثير من الأحيان إلى الضرب، مما يجعل البيت جحيمًا لا يطاق، وكل ذلك ليس من صفات الرجال الصالحين، وقد نهى الإسلام - نصير المرأة - عن مثل هذا السلوك، وكان من آخر وصايا الرسول ﷺ في حجة الوداع: «...ألاَ واستَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيرًا!»[2][3].

وحتى يتسنى لدعاة التربية والتوجيه غرس الرفق في معاملة النساء كان عليهم مراعاة الآتي في توجيه المتربين والمتعلمين:

---

(١) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي الاستانبولي ص٩٢.

(٢) أخرجه الترمذي، ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٩٢٩).

(٣) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي الاستانبولي، ١١٩.

١ - تفهُم حقيقة أنوثة المرأة، لقوله ﷺ: «... فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»، وفي رواية: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ وَبِهَا عِوَجٌ»[١].

وفي هذا توجيه الرجل إلى الصبر على ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه هذا "العوج" وليتذكر أنها لا تتعمد هذا السلوك لمضايقته وإحراجه، إنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة، تتميز بسرعة الانفعال وشدته، فليصبر، وليكن سمحًا كريمًا، وليعلم أن هذه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب، في إقدارها على أداء مهمتها الأساسية من حمل وإرضاع وحضانة، إذ تحتاج إلى عاطفة بالغة وحساسية مرهفة[٢].

٢ - على المتربي الرجل ألا يطلب الكمال، بل يطلب أحسن الموجود! وهلا فكر في نفسه فيما إذا كان كاملاً خاليًا من العيوب؟!، فلا داعي لطلب الكمال من غيرنا ونحن في العيوب غارقون إلى الأذهان منتهزين فرصة ضعف المرأة وفقرها، فإن كنا أقوياء عليها فإن الله أقوى منا علينا: جاء في الحديث الشريف: «لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً. إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»[٣][٤].

٣ - بيان أن المرأة ربة البيت، ومن كان هذا شأنه كان جديرًا بالاحترام ومنحه السلطة اللازمة لتنفيذ أوامره حتى يستطيع تأدية مهمته، فعلى الأب ألا يغفل عن هذه الناحية الخطيرة وعليه أن يحترم امرأته ولا يهينها، وخاصة أمام أولادها كيلا تصغُر تجاههم، وتضعف شخصيتها، فلا تقدر على تنفيذ ما ينبغي تنفيذه لتأمين نظام البيت

---

(١) أخرجه مسلم، ١٨٧، ١٨٨.

(٢) استراتيجيات التربية الأسرية في الإسلام، لجنة البحوث والدراسات، إشراف د. توفيق يوسف الواعي، ٢٥٥/١.

(٣) أخرجه مسلم، ١٨٦.

(٤) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي استانبولي، ١٢٠.

ومصالحه، زد على ذلك أن المرأة الحقيرة لا تستطيع أن تنجب وتربي أولادًا أعزة أقوياء الشخصية، فالعبد لا يلد إلا العبد!، فواجب الأب أن ينتبه إلى ذلك كله، ويسعى جهده لاحترام زوجته وإعطائها الصلاحيات اللازمة والسلطات الكافية لتنجب له أولادًا أعزة وأكفاء.

وإهانة المرأة ربما أثار فيها الضغينة والنقمة فتنشئ أولادها على بغض أبيهم واحتقاره والثورة عليه[1].

رابعًا: التربية بالترهيب:

إن النبي ﷺ لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية، وكان الترهيب من أمثل الأساليب التربوية التي أشار إليها النبي ﷺ في تربية النفس، حيث إنه يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا، وهذا ما ظهر جليًا في أحاديث الباب، حيث الترهيب من تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي، وقد شمل الترهيب في ذلك أوج الوعيد والتهديد بسوء العقوبة، كما في قوله ﷺ: «... فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ ... إلخ». وقول ابن عمر رضي الله عنهما: «لعن الله من فعل هذا»، «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ، غَرَضًا»، وقوله ﷺ: «... اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ...»، وقوله: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ»، وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا»، وقوله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ».

❁ ❁ ❁

(١) نحو أسرة مسلمة، محمود مهدي استانبولي، ١٩.

٢٨٣- باب تحريم التعذيب بالنار

في كل حيوان حتّى النملة ونحوها

الحديث رقم (١٦١١)

١٦١١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثنا رسولُ الله ﷺ في بَعْثٍ، فقَالَ: ((إنْ وَجَدْتُمْ فُلاَناً وَفُلاناً)) (لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا) [1] ((فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ)) ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ حِيْنَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ: ((إنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أنْ تُحْرِقُوا فُلاناً وفُلاناً، وإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إلاَّ الله، فإنْ وَجَدْتُمُوهُما فاقْتُلُوهُما)) رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

لقد نوع الإسلام نوع العقوبة، وجعل منها "تفويضية" بحسب ما يراه الحاكم في كل زمان ومكان وحال، وأخرى "نصية" لايجوز تعديلها ولا اعتراض عليها، ليشمل بتشريعه كل أنواع الجريمة، ولتكفل العقوبات عليها راحة المجتمع وسعادته بقدر الإمكان[3].

وحين نتأمل آفاق المعنى في هذا الحديث الشريف، ونرصد جماليات الأداء الأسلوبي في تقديم المراد من الحديث، نجد أن هذين الرجلين استحقا عقوبة القتل -في ضوء ما حددته الشريعة، ولكن كيف يكون قتلهما؟ وبأي وسيلة، والحديث يتكون من قسمين، القسم الأول يصور ملابسات الحكم بالقتل، ويحدد وسيلة القتل، فالرجلان

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٢٩٥٤).

(٢) برقم (٣٠١٦).

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص٢٨٨.

من الأعداء الذين يكيدون للإسلام، ومعنى في بعث، أي في جيش مبعوث به للجهاد، فقتلهما بأمر من رسول الله ﷺ، وجاء الإذن بالقتل في صيغة الشرط والجزاء، وهذا المبنى اللغوي مناسب للحدث المعبر عنه، لأن الرجلين ارتكبا جريمة عقوبتها القتل حدًّا والجزاء من جنس العمل، ولكن أداة الشرط "إن" مهَّدت لهذا التراجع الذي أعلنه الرسول ﷺ: فهي ليست يقينية مثل "إذا" ولذلك قال: "إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار".

والقسم الثاني يبدأ بحرف العطف "ثم" وهي توحي بالتمهل والمراجعة والتفكير، ولذلك تراجع الرسول ﷺ عن وسيلة العقوبة وهي القتل بالنار، وبدأ كلامه في الموقف الثاني بالتأكيد وفعل الكينونة الدال على الحدث الماضي "إني كنت أمرتكم..." ثم جاء بالعلة التي من أجلها كان تراجعه، وهذه العلة بدأت كذلك بالتأكيد ثم أسلوب القصر الذي يحدد من يعذب بالنار: حيث يقول رسول الله ﷺ "وإن النار لا يعذب بها إلا الله"، وهذه الجملة إما مستأنفة أو حالية، وحتى لا يقع في الظن أن الرسول ألغى عقوبة القتل أعاد الرسول ﷺ الحكم مرة ثانية في صيغة الجواب والشرط: وأداة الشرط "إن" واستخدامها هنا يوحي بأن هؤلاء الخارجين في بعث للقتال يمكن أن لا يجدوا هذين الرجلين: قال عليه الصلاة والسلام: "فإن وجدتموهما فاقتلوهما"، وهذا الأمر لا يتنافى مع الرحمة التي وصف بها رسول الله ﷺ لأن هذين الرجلين ارتكبا من الجرائم والكبائر ما يستحقان عليه هذا الجزاء الصارم الحكيم، حتى يكونا عبرة لغيرهما.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- حكم التحريق بالنار: اختلف الفقهاء في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: وهو مروي عن بعض الصحابة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبدالله بن عباس رضي الله عنهما وحاصله أن التحريق مكروه مطلقاً، سواء أكان ذلك بسبب كفر أم في حال مقاتلة، أم كان قصاصاً[1].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٦.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، فقد جاء فيه: "... إن النار لا يعذب بها إلا الله".

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، ويرون جواز التحريق وممن قال بذلك: خالد بن الوليد، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما والثوري والأوزاعي[٤].

وقد استدلوا على ذلك بما يأتي:

أ- إن رسول الله ﷺ قد سَمَلَ أعينَ العرنيين بالحديد المحمى[٥]، وفعله ﷺ دليل الجواز.

ب- إن أبا بكر رضي الله عنه قد حرق البغاة بالنار بحضرة الصحابة.

ج- إن خالداً رضي الله عنه قد حرق ناساً من أهل الردة[٦].

الترجيح:

ولعل الراجح في المسألة أن ذلك لا يجوز اللجوء إليه إلا لضرورة كما لو تعين ذلك طريقاً للظفر بالعدو.

أما قصة العرنيين فلعلها كانت قصاصاً، أو منسوخة[٧]، وأما تجويز بعض الصحابة للتحريق فمعارض بمنع البعض الآخر[٨].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٤٩/٧، الهداية للمرغيناني ١٣٦/٢، المكتبة الإسلامية.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٧٩/٤.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٨/٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٦.

(٥) الحديث أخرجه البخاري ٣٠١٨، ومسلم ١٦٧١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٣٩/٧.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، والهداية شرح بداية المبتدي ٢٣٧/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٨٣/٥، فإن قيل: إن دعوى النسخ تثبت حيث علم التاريخ، وهو هنا غير معلوم، نقول: إنه -في هذه الحالة- يكون قد تعارض دليل محرم، مع دليل مبيح، فيقدم المحرم. انظر: رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ١٣١/٤.

(٨) فتح الباري، ابن حجر ١٧٤/٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٣٩/٧.

المسألة الثانية: إن هذا الحديث يدل على جواز الحكم بالشيء اجتهاداً، ثم الرجوع عنه.

المسألة الثالثة: استحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الإلتباس، لأن رسول الله ﷺ علل عدوله عن الحكم الأول بأن "النار لا يعذب بها إلا الله"[١].

المسألة الرابعة: جواز الاستنابة في الحدود ونحوها[٢].

المسألة الخامسة: جواز نسخ الحكم قبل العمل به، أو قبل التمكن من العمل به، وهو محل اتفاق إلا عن بعض المعتزلة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البعوث.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان حرمة التعذيب بالنار.

رابعاً: من فقه الداعية: مراجعة أقواله عند ظهور الأصح.

أولاً- من وسائل الدعوة: البعوث:

حيث جاء في الحديث "بعثنا رسول الله ﷺ في بعث" ولاشك أن هذه البعوث وسيلة من وسائل الدعوة، يقول محمد الغزالي: (والحكمة من توجيه السرايا والبعوث أمران: أولهما: إشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء، وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، والأمر الآخر: إنذار قريش عقبى طيشها، فقد حاربت الإسلام وكانت لا تزال تحاربه، ونكلت بالمسلمين في مكة، ثم ظلت ماضية في غيها، لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله، ولا تسمح لهذا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٦.

(٢) الهداية شرح بداية المبتدي ٩٨/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٢٠٩/٢، والتنبيه، الشيرازي ٢٤٢، زاد المستقنع لموسى بن أحمد سالم المقدسي أبي النجا، ص ١٠٠.

(٣) الإبهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبدالكافي السبكي ٢٣٤/٢، وإحكام الإحكام، ابن حزم ٥٠٠/٤.

الدين أن يجد قراراً في بقعة أخرى من الأرض، فأحب الرسول ﷺ أن يشعر حكام مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستلحق بهم الأضرار الفادحة، وأنه قد مضى - إلى غير عودة- ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين وهم بمأمن من القصاص)[١].

إن هذه البعوث والسرايا تظهر قوة المسلمين كما قال الله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾[٢] وهي وسيلة مهمة من وسائل الدعوة.

ومن التطبيقات العملية لإيفاد البعوث والسرايا لنشر الدعوة:

(بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فقام رجل منهم يسمى: جحدراً فقال: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد؛ والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً فلم يزالوا به حتى وضع سلاحه.

فلما وضع السلاح أمر بهم خالد فكتفوا، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ فيهم أسراً وقتلاً، فأنكر عليه بعض أصحابه ذلك، ثم دفع الأسرى إلى من كان معه، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل واحد أسيره، فامتثل البعض، وامتنع عبدالله بن عمر وامتنع معه آخرون من قتل أسراهم، فلما قدموا على رسول الله أخبروه، فغضب ورفع يديه إلى السماء قائلاً: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين.

وقد أنكر على خالد الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال له: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام، وكانت بينهما ملاحاة قال له فيها عبدالرحمن: إنك ثأرت لعمك الفاكه بن المغيرة، وكان بعض بني جذيمة قتلوه في الجاهلية[٣] وكذلك أنكر على خالد بعض كتاب السير والتاريخ، ورموه بما رماه به ابن عوف.

---

(١) فقه السيرة ٢١٣، ٢١٤.

(٢) سورة الأنفال، آية:٦٠.

(٣) السيرة لابن هشام ٢/٤٣١.

والظن بمثل خالد ﷺ أنه إنما أراد نصرة الإسلام، وأنه اجتهد في أمر وتأوّل فأخطأ، ففهم من كلامهم صبأنا أنهم يتبرأون من الإسلام، لا أنهم يريدون الإسلام. ولعل هذا هو السبب في أن النبي ﷺ عذره ولم يعزله، وإن كان تبرأ من فعله إلى الله، وما كان رسول الله يداهن، أو يخاف في الحق لومة لائم.

وبعض من يعذر خالداً وينتصر له يزعم أن خالداً قال: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبدالله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام، وليس من شك في أن لخالد من المواقف المشهودة، والتضحية بالنفس، ما يغفر له مثل هذه الهنات، والله يغفر لهم جميعاً.

ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وقال له: "يا علي، اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم. واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك".

فخرج حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله معه، فودَى لهم الدماء وما أصيب لهم من مال حتى ميلغة الكلب[1]، وبقيت معه بقية من المال فقال لهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يؤدَّ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيتكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله مما لا يعلم ولا تعلمون، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع فقال له: "أصبت، أحسنت".

وبهذا التصرف النبوي الحكيم واسى النبي ﷺ بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسىً وحزن.

ومن البعوث في العهد النبوي: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ﷺ في ثلاثين فارساً لهدم العزى، وهي هيكل بنخلة تعظمه قريش وكنانة ومضر؛ وكان ذلك لخمس بقين من رمضان، فذهب إليها وهدمها وهو يقول:

يا عُزّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

وأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص ﷺ لهدم سُواع، وهو أعظم صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة، فذهب إليه وهدمه.

---

(١) الميلغة: إناء من خشب كان يعد لشرب الكلب.

وبعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً لهدم مناة، وهي صنم لكلب وخزاعة، وهيكلها بالمشلل، وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قُدَيد، فتوجهوا إليها وهدموها.

وبهذا الفتح المبين وسقوط دولة الأصنام والهياكل أصبح توحيد الله على كل لسان، وأضحت الكعبة منارة التوحيد في الأرض، وعادت كما كانت على عهد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الشرط:

حيث جاء في الحديث "إن وجدتم فلاناً وفلاناً لرجلين من قريش سماهما" فأحرقوهما بالنار، وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي لها تأثير على المدعو، إذ تلفت انتباهه إلى الربط بين الشرط وجوابه، ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان حرمة التعذيب بالنار:

حيث جاء في الحديث "وإن النار لا يعذب بها إلا الله" وهذا يبين حرمة التعذيب بالنار. قال الإمام ابن حجر: (والحكم في هذه المسألة واضح لوضوح دليله، ومحله إذا لم يتعين التحريق طريقاً إلى الغلبة على الكفار حال الحرب، وهذا الحديث ظاهر النهي فيه التحريم، وهو نسخ لأمره المتقدم سواء كان بوحي إليه أو باجتهاد منه، وهو محمول على من قصد إلى ذلك في شخص بعينه)[4]. وقال الشيخ ابن عثيمين: (ومعنى تحريم التعذيب بالنار: أنه لا يحل لإنسان أن يعذب أحداً بالإحراق، لأنه يمكن التعذيب بدونه، ويمكن إقامة الحدود بدون ذلك، فيكون الإحراق زيادة تعذيب لا حاجة لها)[5].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد محمد أبو شهبة، ص ٤٦٤- ٤٦٦ بتصرف.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ١٩.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٦.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٦٩٢/٢.

جاء في الموسوعة الفقهية: (وأما الإحراق في الحرب، فإذا قُدر على العدو بالتغلب عليه، فلا يجوز تحريقه بالنار من غير خلاف يعلم، لما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ((بعثنا رسول الله ﷺ في بعث فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار. ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذب بها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما))[1].

فأما رميهم بالنار قبل القدرة عليهم مع إمكان أخذهم بغير التحريق لا يجوز، لأنهم حينئذ في حكم المقدور عليهم. وأما عند العجز عنهم بغير التحريق فجائز في قول أكثر أهل العلم، لفعل الصحابة والتابعين في غزواتهم.

هذا وإن تترس العدو في الحرب ببعض المسلمين، فإن اضطررنا إلى رميهم بالنار فهو جائز عند الجمهور. ومرجع ذلك إلى تقدير المصلحة العامة.

والحكم في البغاة والمرتدين في هذه المسألة كالكفار في حال القتال.

وأما إحراق أشجار الكفار في الحرب: إذا كان في ذلك نكاية بالعدو، ولم يرج حصولها للمسلمين، فالإحراق جائز اتفاقاً. بل ذهب المالكية إلى تعيُّن الإحراق. أما إذا رجي حصولها للمسلمين، ولم يكن في إحراقها نكاية، فإنه محظور وصرح المالكية بحرمته.

وأما إذا كان في إحراقها نكاية، ويرجى حصولها للمسلمين، فذهب الحنفية والشافعية إلى كراهة ذلك. بل صرح الشافعية بندب الإبقاء حفظاً لحق الفاتحين. وذهب المالكية إلى وجوب الإبقاء.

وإذا كان لا نكاية في إحراقها، ولا يرجى حصولها للمسلمين، فذهب الحنفية والمالكية إلى جوازه. ومقتضى مذهب الشافعية الكراهة لأنه الأصل عندهم.

أما الحنابلة فالأصل عندهم في هذه المسألة المعاملة بالمثل، ومراعاة مصلحة المسلمين في القتال)[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠١٦.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢٥/٢.

رابعاً- من فقه الداعية: مراجعة أقواله عند ظهور الأصح:

حيث جاء في الحديث "إني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموها فاقتلوهما" قال ابن حجر: (وفي الحديث جواز الحكم بالشيء اجتهاداً ثم الرجوع عنه، واستحباب ذكر الدليل عند الحكم لرفع الإلباس)[1]. وعلى هذا يجب أن يكون ديدن الدعاة إلى الله الرجوع إلى الحق إذا ظهر وتبين دليله. قال ابن مفلح: (قال الشعبي: لا أدري نصف العلم، وقال الثوري: لا نزال نتعلم ما وجدنا من يعلمنا، وقال أحمد: نحن إلى الساعة نتعلم، وقال أبو عبدالله إنما ينبغي أن يأمر الناس على الأمر البين الذي لا شك فيه، وليت الناس إذا أمروا بالشيء الصحيح أن لا يجاوزوه)[2].

وقال الخطيب البغدادي: (وأول أوصاف المفتي الذي يلزم قبول فتواه: أن يكون بالغاً؛ لأن الصبي لا حكم لقوله.

ثم يكون عاقلاً؛ لأن القلم مرفوع عن المجنون لعدم عقله.

ثم يكون عدلاً ثقة، لأن علماء المسلمين لم يختلفوا في أن الفاسق غير مقبول الفتوى في أحكام الدين، وإن كان بصيراً بها، وسواء كان حراً أو عبداً، فإن الحرية ليست شرطاً في صحة الفتوى.

ثم يكون عالماً بالأحكام الشرعية، وعلمه بها يشتملُ على معرفته بأصولها وارتياضٍ بفروعها.

وأصول الأحكام في الشرع أربعة:

أحدها: العلم بكتاب الله، على الوجه الذي تصح به معرفة ما تضمنه من الأحكام: محكماً ومتشابهاً، وعموماً وخصوصاً، ومجملاً ومفسراً، وناسخاً ومنسوخاً.

والثاني: العلم بسنة رسول الله ﷺ الثابتة من أقواله وأفعاله، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد، والصحة والفساد، وما كان منها على سبب أو إطلاق.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٧٥/٦.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٦٢/٢، ٦٣.

والثالث: العلم بأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه، ليتبع الإجماع ويجتهد في الرأي مع الاختلاف.

والرابع: العلم بالقياس الموجب، لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها، والمجمع عليها، حتى يجد المفتي طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل، وتمييز الحق من الباطل، فهذا ما لا مندوحة للمفتي عنه، ولا يجوز له الإخلال بشيء منه.

وقال الشافعي: (لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أُريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتي).

وعن محمد بن علي، قال: حدثنا صالح - يعني: ابن أحمد بن حنبل-، أنه قال لأبيه: ما تقول في الرجل يسأل عن الشيء فيجيب بما في الحديث، وليس بعالم بالفتيا؟ قال: (ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بالسنن، عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، وإنما جاء خلافُ من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ في السنة، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها).

وعن ابن المبارك قال: قيل له: متى يفتي الرجل؟ قال: (إذا كان عالماً بالأثر، بصيراً بالرأي).

قلت: وينبغي أن يكون: قوي الاستنباط جيد الملاحظة، رصين الفكر، صحيح الاعتبار، صاحب أناة وتؤدة، وأخا استثبات، وترك عجلة، بصيراً بما فيه المصلحة، مستوقفاً بالمشاورة، حافظاً لدينه، مشفقاً على أهل ملته، مواظباً على مروءته، حريصاً على استطابة مأكله؛ فإن ذلك أول أسباب التوفيق، متورعاً عن الشبهات، صادفاً عن

فاسد التأويلات، صليباً في الحق، دائم الاشتغال بمعادن الفتوى، وطرق الاجتهاد، ولا يكون ممن غلبت عليه الغفلة، واعتوره دوام السهر، ولا موصوفاً بقلة الضبط، منعوتاً بنقص الفهم، معروفاً بالاختلال، يجيب بما لا يسنح له، ويُفتي بما يخفى عليه، وتجوز فتواه فتاوى أهل الأهواء، ومن لم تخرجه بدعته إلى فسق، فأما الشراةُ والرافضة الذين يشتمون الصحابة، ويسبون السلف الصالح، فإن فتاويهم مرذولة، وأقاويلهم غير مقبولة.

وفي معرفة من يصلح أن يُفتي تنبيه على من لا تجوز فتواه)[1].

وفي بيان ضرور اعتماد المفتي على الكتاب والسنة في فتواه، ولا يطلق الفتوى اعتماداً على رأيه وهواه قال أيضاً: (لقي ابن عمر جابر بن زيد وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تستفتى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت ذلك وإلا فقد هلكت وأهلكت).

(وقدم أبو سلمة - وهو ابن عبدالرحمن- فنزل دار أبي بشير، فأتيت الحسن، فقلت: إن أبا سلمة قدم وهو قاضي المدينة وفقيههم انطلق بنا إليه، فأتيناه، فلما رأى الحسن، قال: من أنت؟ قال: أنا الحسن بن أبي الحسن، قال: ماكان بهذا المصر أحد أحب إلي أن ألقاه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي الناس، فاتق الله يا حسن، وأفت الناس بما أقول لك: أفتهم بشيء من القرآن قد علمته، أو سنة ماضية قد سنها الصالحون والخلفاء، وانظر رأيك الذي هو رأيك فألقه).

قلت: ولن يقدر المفتي على هذا، إلا أن يكون قد أكثر من كتابة الأثر، وسماع الحديث[2].

وقال ابن القيم: (فإن كان المفتي ظهر له الخطأ قطعاً لكونه خالف نص الكتاب أو السنة التي لا معارض لها، أو خالف إجماع الأمة، فعليه إعلام المستفتي، وإن كان إنما ظهر له أنه خالف مجرد مذهبه أو نص إمامه، لم يجب عليه إعلام المستفتي.

---

(١) الفقيه والمتفقه ٢/٣٣٠-٣٣٣.

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٣٤٤-٣٤٥.

وعلى هذا تخرج قصة ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لما ناظر الصحابة في أمهات الزوجات، بينوا له أن صريح الكتاب يحرمها لكون الله تعالى أبهمها فقال: تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ وظن عبدالله أن قوله: ﴿ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[1]، راجع إلى الأول والثاني، فبينوا له أنه إنما يرجع إلى أمهات الربائب خاصة، فعرف أنه الحق، وأن القول بحلها خلاف كتاب الله تعالى، ففرق بين الزوجين، ولم يفرق بينهما بكونه تبين له أن ذلك خلاف قول زيد أو عمرو، والله تعالى أعلم[2].

وقال بدر الدين العزي: (ومن آداب المفتي - وهو من أهمها- الانقياد إلى الحق بالرجوع إليه عند الهفوة، ولو ظهر على يد أصغر الطلبة، فهو من بركة العلم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل)[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٩٠٨.

(٣) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزن ١٠٣.

الحديث رقم (١٦١٢)

١٦١٢ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كنَّا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفَرٍ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعْرِشُ فَجَاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: ((مَنْ فَجَعَ هذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا)).

ورأى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: ((مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟)) قُلْنَا: نَحْنُ قَالَ: ((إِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح. قوله: "قرية نمل" معناه: موضع النمل مع النمل.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الحُمَّرة: طائر صغير كالعصفور[2].

تَعْرِش: ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها[3].

قرية نمل: موضع النَّمْل مع النَّمْلِ[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث خير برهان على قيمة الرحمة في الإسلام، وعلى إحساس المسلم الصادق الرقيق بطبيعة الكائنات الأخرى من الطيور والنباتات والحيوانات، والمصطفى ﷺ أُرسل رحمة للعالمين، عالم الإنس وعالم الطير، وعالم الحيوان، وعالم الجن، وكل الكائنات التي خلقها الله عز وجل.

---

(١) برقم (٢٦٧٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٣٥١). تنبيه: عند المنذري عن أبي مسعود، وهو خطأ، وكذا بتحقيق الألباني (٨٧٤/٢، رقم ٣٢٩٤) وإشراف مشهور حسن سلمان.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م ر).

(٣) المرجع السابق في (ع ر ش).

(٤) الترغيب للمنذري ١٥٣/٣.

فأي عاطفة أسمى وأرق من هذه العاطفة الإسلامية التي تحرص على مشاعر هذا الطائر الصغير "الحمرة؟" إنها عاطفة ليست رومانسية، ولا سريالية، ولكنها تنبع من حقيقة كونية تتمثل في علاقة المسلم القلبية والنفسية والشعورية بكل الكائنات التي سخرها الله لخدمة الإنسان، والحديث يصور الدليل الواقعي على تعامل المسلم مع مظاهر الطبيعة ومنها هنا: الطيور والنمل، وأسلوب الحديث يجسد اللهفة والسرعة في الحدث الذي أنكره رسول الله ﷺ، ثم قام الصحابة بإعادة الفرخين إلى أمهما "الحمرة" لأنها فقدتهما فظلت "تعرش" أي: تتحرك في قلق وحيرة وترتفع وتهبط وتظلل بجناحيها على من تحتها، فأدرك رسول الله ﷺ طبيعة ألمها، وسر حيرتها فقال مستنكراً ما حدث: "من فجع هذه بولدها"، ثم أمر برد ولدها إليها: لأنها أم تشعر ويعتصر الألم قلبها، والعطف بالفاء في تعاقب جمل الحديث المصورة لهذا الحدث يرشد إلى السرعة واللهفة بدافع من الخوف على هذا الطائر الحائر، ولنتأمل هذا التوالي السريع للأفعال" فانطلق -فرأينا- فأخذنا- فجاءت - فجعلت تعرش - فجاء النبي ﷺ فقال: إن اللغة تنبئ عن طبيعة الحدث والموقف.

والموقف الثاني كان تعاطفاً مع النمل: وهو عالم عجيب دقيق منظم، والحوار كان بين رسول الله ﷺ ومن معه من الذين حرقوا مساكن النمل، وقد أنكر الرسول عليهم ذلك وعلمهم درساً في الرحمة والحكمة والامتثال، وختم الحديث بما ختم به الحديث السابق بأسلوب التوكيد، وصيغة القصر ... لترسيخ هذا المفهوم الذي تدفق كالضوء من هذا البيان النبوي الحكيم: "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار".

وهذا الإحساس العميق بالطير وعوالمه الحرة الطليقة يصوره الشاعر محبوب الشرتوني قائلاً:

ليتني كنت في الحياة هزازاً ... ناعم البال في فسيح فضائه

مطلق الجناحين فيه بعيداً ... عن أذى المرء عن كثير جفائه

ليس يلهيه والحدائق ملأى ... طلب القوت عن لذيذ غنائه

يرتـــدي مـــن صـــنيع باريـــه ثوبـــاً مـــا ارتـــداه ابـــن آدم في رخائـــه !!!

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- كراهة أن يفجع الإنسان الطائر في ولده، بقتله، أو أخذه، أو أخذ بيضه.

٢- عدم جواز إحراق النمل بالنار لقوله ﷺ: "لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار".

وقد سئل ابن تيمية هل يجوز إحراق بيوت النمل بالنار؟ فقال: يدفع ضرره بغير تحريق[١].

وإن كان المالكية قد ذكروا أنه لا بأس بقتل النمل بالنار إذا آذت ولم يقدر على تركها[٢].

أما قتل النمل بغير النار، فقد كرهه المالكية[٣]، والحنابلة في وجه[٤] وحرمه الشافعية[٥]، والحنابلة[٦] في الوجه الآخر.

والمراد بالنمل هنا النمل الكبير طويل الأرجل، المسمى بالسليماني، لعدم أذيته، أما النمل الصغير، وهو المسمى بالذر، فإنه يحل قتله لكونه مؤذياً بل وحرقه إن تعين طريقاً لدفعه[٧].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال.

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٣٢٥/٣.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٥٢/٢.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٣٢٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٩/٢.

(٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٣/٤، وحاشية البجيرمي ٣٠٦/٤ وفيه: "ويحرم قتل النمل لصحة النهي عن قتله".

(٦) الفروع، ابن مفلح ٣٢٥/٣ وفيه "ولأصحابنا وجهان في نمل وغيره، والتحريم أظهر".

(٧) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٥٢/٢، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٣/٤، وحاشية البجيرمي ٣٠٦/٤، والفروع، ابن مفلح ٣٢٥/٣، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤٣٩/٢.

ثانياً: من فقه الداعية: إنكار المنكر على فاعليه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الرحمة بالطيور.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: حرمة التعذيب بالنار.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال:

حيث جاء في الحديث "من فجع هذه بولدها؟" وقوله "من حرَّق هذه" وأسلوب السؤال من أساليب الدعوة التي توحي بتثبت الداعية من الأمور، والاستقصاء عن المسائل، وقد أرشد الله تعالى إلى السؤال كأسلوب من أساليب الدعوة، فقال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[2].

ثانياً- من فقه الداعية: إنكار المنكر على فاعليه:

حيث جاء في الحديث "من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها" وقوله "من حرق هذه قلنا: نحن قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" وإنكار المنكر على فاعليه من فقه الداعية، وقد أمر الله بذلك في القرآن فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3] وذم الله تاركيه فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[4].

(والداعية الذي يقوم بإنكار المنكر له مكانة وفضل عند الله تعالى، فهو منفذ لأمر الله وأمر رسوله ﷺ وهذا فضل عظيم، وهو من المفلحين وهو سبب من أسباب خيرية هذه الأمة، حيث إن الأمم الأخرى تفتقد ذلك، وهو محاصر للشر في المجتمع، وسبب من أسباب نقائه، وسبب في منع العقوبات الربانية التي تصيب المسلمين إذا سكتوا عن المنكر)[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٧٨، ٧٩.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ١٦٠، ١٦١.

وإذا كان من فقه الداعية إنكار المنكر على فاعليه، فإنه ينبغي أن يراعي توفر شروطه قبل إنكاره.

(الأمر بالمعروف ليس له شروط خاصة، لأن الأمر بالمعروف نصيحة وإرشاد وتعليم، وكل ذلك جائز في كل وقت وفي كل مناسبة فعن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))[1].

أما النهي عن المنكر وتغييره فله شروط خاصة يجب توفرها لوجوب النهي أو التغيير وهذه الشروط هي:

١- وجود منكر، والمنكر كل معصية حرمتها الشريعة الإسلامية، وهو كل ما كان محذور الوقوع في الشرع، ويستوي أن يكون فاعل المنكر مكلفاً أو غير مكلف، فمن رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن ينكر عليه، وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة فعليه أن يمنعه.

٢- أن يكون المنكر موجوداً في الحال: بمعنى أن تكون المعصية راهنة، وصاحبها مباشراً لها وقت النهي أو التغيير، كشرب الخمر وخلوته بأجنبية، فإذا فرغ من المعصية فليس ثمة مكان للنهي عن المنكر أو تغييره، وإنما هناك محل عقاب على المعصية والعقاب من حق السلطات العامة وليس للأفراد. وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذا الحكم بقوله: المعصية لها ثلاثة أحوال: أحدها أن تكون منصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير، وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد، الثانية أن تكون المعصية راهنة، وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر، فإبطال هذه المعصية، واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها، وذلك يثبت للآحاد والرعية، والثالثة أن يكون المنكر متوقعاً كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر، وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه، إذ ربما

---

(١) أخرجه مسلم ٥٥.

يعوق عنه عائق، فلا يثبت للآحاد سلطة على العازم على الشرب إلا بطريقة الوعظ والنصح، فأما التعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد وللسلطات، إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة، وقد أقدم على السبب المؤدي إليها، ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار.

وقال ابن نجيم في التعزير: (لكل مسلم إقامته حال مباشرة المعصية، وأما بعد الفراغ فليس ذلك لغير الحاكم)[1].

وعُلل ذلك في كتب الفقه: (لو عزره حال كونه مشغولاً بالفاحشة فله ذلك، وأنه حسن؛ لأن ذلك نهي عن المنكر، وكل واحد مأمور به، وبعد الفراغ ليس ينهى عن المنكر؛ لأن النهي عما مضى لا يتصور فيتمحص تعزيراً وذلك إلى الإمام).

٣- أن يكون ظاهراً، فلو كان مستتراً فلا يجوز التجسس عليه؛ لأن الله حرم التجسس قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[2]؛ وقيل لعبد الله بن مسعود إن فلاناً تتقطر لحيته خمراً فقال: (إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به).

والأصل أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه، فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية، إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار، كظهور رائحة الخمر وأصوات السكارى، أو أخبر ابتداءً من غير استخبار شخصان أو شخص واحد على رأي بأن فلاناً يرتكب المعاصي في بيته، جاز دخول البيت دون إذن.

مما سبق تتضح لنا أهم الشروط الواجب توافرها في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فإذا توفرت شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجباً، وإذا اختل شرط من شروط الوجوب السابقة، سقط الوجوب وبقي الحكم دائراً بين الاستحباب أو الحرمة[3].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٤٢/٥.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ص ٧٨-٨١ بتصرف.

وما من شك في أن تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق السعادة للمجتمع.

(إن من مهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرساء قواعد الأمن في المجتمع، وقطع دابر الجريمة، واستئصال المنكرات والمعاصي، وتوجيه المجتمع الوجهة المفيدة والمثمرة له في دنياه وآخرته.

ولكن حينما يغيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تضعف كلمته، وتقل شوكته، فإنه بلا شك سوف تكثر المفاسد والمناكير، وتعم الجريمة، ويظهر المجرمون والمنحرفون، وبذلك يختل ميزان الأمن الاجتماعي، وتتقوّض عراه.

والمتأمل في حال المجتمعات غير الإسلامية، أو بعض المجتمعات الإسلامية التي لا يتحقق فيها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشكله المطلوب، فإنه يتضح بما لا يدع مجالاً للشك مدى ما يعم تلك المجتمعات من انهيار في أمنها الاجتماعي،وعدم التماسك بين أفرادها وجماعاتها.

والحقيقة أن مردّ ذلك إلى فشوّ الخوف، وعدم الثقة بين الناس، وانتشار الجريمة بمعناها الواسع، وبروز المنظمات الإجرامية التي عاثت في الأرض فساداً، دون رادع أو وازع.

وهكذا حينما يضعف الإيمان، وتقل الأعمال الصالحة، ويترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكون الحالة الأمنية سيئة جداً، بل قد يستعصي حلها، والحق أنه لا مخرج من كل ذلك إلا بالرجوع إلى الله تبارك وتعالى والتمسّك بحبله المتين، وصراطه المستقيم، والاهتداء بسنة نبيه الأمين ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[1])[2].

---

(١) سورة النور، آية: ٥٥.

(٢) الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالرحيم المغذوي ص ٢٦٢، ٢٦٣.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الرحمة بالطيور:

حيث جاء في الحديث "فجاءت الحُمَّرة فجعلت تعرش فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها" فهذا دليل على عموم الرحمة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، حتى بالطيور والبهائم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوب فرأى غلماناً أو فتياناً - نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم[1]، وحث رسول الله ﷺ على الرحمة بالحيوان حتى في الذبح، فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ. فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ))[2]. والرحمة بالحيوان سبب للمغفرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بينما كلبٌ يُطيفُ بركيَّةٍ كادَ يَقتلهُ العطشُ إذ رأته بَغيٌّ من بغايا بني إسرائيلَ، فنزَعَتْ مُوقَها فسقَتْه، فغُفِرَ لها به))[3].

قال محمد الغزالي: (من الرحمة المطلوبة الرفق بالحيوان، رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يسحب شاة من رجلها ليذبحها فقال له: ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً، والإسلام شديد المؤاخذة لمن تقسو قلوبهم على الحيوان ويستهينون بآلامه، وقد بين أن الإنسان على عظم قدره يدخل النار في إساءة يرتكبها مع دابة عجماء، وكبائر المعاصي تمحوها نزعة رحمة تغمر القلب، ولو بإزاء كلب، ولئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب)[4].

إن الإسلام يحث المسلم على الرحمة بجميع المخلوقات والرفق بها. ولقد بلغ من اهتمام الإسلام بالرفق أنه لم يقصره فقط بالإنسان، وإنما تعدى نفعه حتى إلى الحيوان.

ولئن افتخرت بعض الدول الأجنبية باهتمامها بالرفق بالحيوان وأقامت الجمعيات والمؤسسات لهذا الأمر، فإن الإسلام بتعاليمه وتوجيهاته وإرشاداته قد سبقهم بهذا

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥١٣، ومسلم ١٩٥٩.

(٢) أخرجه مسلم ١٩٥٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٤٦٧، ومسلم ٢٢٤٥.

(٤) خلق المسلم ٢١١-٢١٢.

الاهتمام، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((الراحمون يرحمهم الرحمن، أرحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء))[١].

وعن عائشة رضي الله عنها ((أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير فكانت فيه صعوبة فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه))[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ بهذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبد رطبة أجر))[٣].

هكذا يربي الإسلام أتباعه المؤمنين على الأخلاق الفاضلة، ويعودهم على العادات الحسنة، ويحثهم على الصفات الحميدة، ومن هذه الأخلاق التي تمسك بها المسلمون الرفق الذي لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينتزع من شيء إلا شانه، من تمسك به حصل على الخير الكثير، ومن حرمه فقد الأجر الكبير[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: حرمة التعذيب بالنار:

حيث جاء في الحديث "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار" قال شرف الحق العظيم آبادي: (قال الخطابي في الحديث دلالة على أن تحريق بيوت الزنابير مكروهة، وأما النمل فالعذر فيه أقل، وذلك أن ضرره قد يزول من غير إحراق)[٥]. وقال الشيخ ابن عثيمين: (ونهى ﷺ عن التعذيب بالنار، وعلى هذا إذا كان عندك نمل فإنك لا تحرقها بالنار، وإنما تصنع شيئاً يطردها، وإذا لم يمكن اتقاء شرها إلا بمبيد يقتلها

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٤١ وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٦٣، ومسلم ٢٢٤٤.

(٤) أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص، ٩١، ٩٢.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٤٠.

نهائياً فلا بأس لأن هذا دفع لأذاها، وإلا فالنمل مما نهى النبي ﷺ عن قتله بالنار وإذا لم يندفع إلا بالقتل أو بغيره فلا بأس)[١].

قال د. الحسيني هاشم: (وفي الحديث النهي عن الإحراق، والاكتفاء بالقتل كأقصى درجات التأديب والقصاص، وفيه النهي عن تعذيب العصافير والنمل وغيرها من الطيور والحشرات بالنار، وعدم تعذيب الطيور الصغار)[٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٦٩٣.

(٢) شرح رياض الصالحين ٧٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الأدب مع الله تعالى:

إن من أسس الإيمان الجلية التي يجب أن يتربى عليها النشء المؤمن، هي الأدب مع الله تعالى، فلا اجتراء ولا منازعة لله تعالى في ملكه ولا عباده.

وهذا ما ترائى جليًا من نص الحديث، حيث إن النبي ﷺ رغم عظم مكانته عند الله تعالى إلا أنه ﷺ وقف عند حد عبوديته، ولم يجترئ على الله فيما خصه لنفسه جل وعلا، فالله هو الخالق من عدم، وهو المتفرد سبحانه بحساب الخلائق إما أن يعذبهم وإما أن يتوب عليهم، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]؛ لذا حرم النبي ﷺ التعذيب بالنار، وذلك في قوله: «إنِّي كُنْتُ أمَرْتُكُمْ أنْ تحرِقُوا فُلانًا وفلانًا بالنَّارِ، وإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بها إلاَّ الله، ....إلخ»، وقوله ﷺ: «لاَ يَنْبَغِي أنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلاَّ رَبُّ النَّارِ».

فلا حكم إلا الله، فالكون مخلوق لله ومملوك له، فليس لأحد غيره تعالى أن يتصرف بشيء منه إلا بإذنه، ونحن البشر جزء من هذا الملك، لما كان الأمر كذلك: فإنه ليس من حق أي أحد -غير الله- أن يتصرف في ملك الله بشيء مهما يكن ذلك الشيء إلا أن يأذن الله له بذلك التصرف ...، فنحن إذن ملزمون بالأدب مع الله تعالى، لأننا عبيد له سبحانه، وليس لنا أن نتجاوز الحدود، ولا أن نتعداها، وإلا كنا عصاة معتدين على حق ملك المالك الخالق القادر، والمعتدي يعرض نفسه للعقوبة[2].

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه الاقتداء بالنبي ﷺ في توجيه المتربين والمتعلمين على الوقوف عند حد العبودية، وعدم منازعة الله في حكمه على العباد، والأدب معه سبحانه، فالملك ملكه والعباد عباده والأمر كله لله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٢٩.

(٢) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة، ٢٥٣، ٢٥٤.

ثانيًا: من وسائل التربية: العقوبة:

إن العقاب من الوسائل التربوية التي لا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال، ذلك أن طباع البشر تختلف في درجة الاستجابة للمؤثرات والوسائل التربوية، فالبعض يتأثر بالموعظة، أو بالترغيب، أو بالترهيب، أو بالحوادث، والعبر التي يشاهدها أو يسمعها، والبعض لا يستجيب لتلك المؤثرات التربوية، ولا ينفع معه إلا الألم الذي يباشر بدنه[1].

ومن الشواهد على التربية بالعقوبة، ما جاء في قول النبي ﷺ: «... فإن وجَدْتموهما فاقتُلوهما»، وعلى دعاة التربية والتوجيه أن يعوا أن الهدف من العقاب ليس الانتقام ولكنه التأديب على ما صدر من سلوك معيب، فلا ينبغي أن يُشعر المربي المتربي عند العقوبة بعدوانيته أو قسوته، بل ينبغي أن يشعره بأن هذا العقاب ليس إلا لتعديل سلوكه، وعدم الوقوع في الخطأ مرة أخرى، مع ظهور شفقته عليه ورحمته به[2]، وقد كان النبي ﷺ أمثل قدوة لدعاة التربية والتوجيه عند إقامة العقوبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ فقَالَ اضْرِبُوهُ. قالَ: فمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ بَعْضُ الْقَوْمِ أخْزَاكَ اللهُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لا تَقُولُوا هكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، ولَكِنْ قُولُوا: رَحِمَكَ اللهُ»[3].

وحتى تتحقق ثمرة العقاب كوسيلة تربوية يجدر بدعاة التربية أمران: الأول: هو التدرج في العقوبة، فقبل أن يلجأ المربي إلى العقاب البدني فينبغي أن تكون هناك مراحل قد مر بها في محاولة تقويم المتربي والمتعلم، وقد بينها الغزالي في قوله: فإن وقع الخطأ بداءة ولأول مرة من المتربي كان ينبغي التغافل عنه، ولا يهتك ستره، ولا يكاشفه، ولا يُظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره المتربي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٤٠٢.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ٩٥.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٢٧٩، وأحمد، ٧٦٤٥.

فعند ذلك إن عاد ثانية، فينبغي أن يعاتب سرًا، ويعظم الأمر فيه، ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا وأن يُطلّع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح، ويسقط وقوع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظًا هيبة الكلام معه، فلا يوبخه إلا أحيانًا، والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح[١].

فإن قرر المربي العقاب البدني لرؤية مناسبته لواقع الخطأ، فعليه أن يدرك أن العقاب البدني قد يكون فيه نوع من الإيلام، حتى يحدث الأثر المرجو منه، لكن لا ينبغي أن يكون مضرًا، كأن يترتب عليه كسر أو جرح أو نحو ذلك بحجة التربية[٢].

والأمر الثاني الواجب اتباعه في تربية النشء المسلم عند استخدام وسيلة العقوبة، هو عدم القيام بمصالحة المخطئ فور توقيع العقاب، فقد يعطي المربي المتربي المخطئ بعض المال أو يشتري للطفل بعض قطع الحلوى أو ما شابه ذلك، مما يضيع الثمرة المرجوة من العقاب[٣].

ثالثا: التربية بالسؤال والحوار:

يجب على القائمين على التربية الإفادة من السؤال والحوار مع المتربين والمتعلمين لتحقيق ثمرة التربية في كل ما غاب عن المتربين، وهم في ذلك قد اقتدوا بسيد المربين وإمام المعلمين محمد ﷺ كما ورد في نص الحديث، من قوله ﷺ: «مَنْ فَجَّعَ هذِهِ بوَلَدِهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا، ... مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟ قُلْنَا: نَحْنُ، قال ... إلخ».

ومما لا شك فيه أن المتربي والمتعلم له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة، ولن يحيط بكل شيء. ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة. ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل، ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال والحوار[٤].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ٧٣/٣ بتصرف.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ٩٤، ٩٥.

(٣) المرجع السابق، ٩٥.

(٤) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ١٢٣.

٢٨٤- باب تحريم مطل الغني بحقٍّ طلبه صاحبه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]، وقال تَعَالَى: ﴿فَإِن أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[البقرة: ٢٨٣].

الحديث رقم (١٦١٣)

١٦١٣ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَع)) متفق عَلَيْهِ[1]. معنى "أُتْبِعَ": أُحِيلَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مطل الغني: تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر[2].

أتبع: أحيل[3].

مليء: غني[4].

الشرح الأدبي

لقد حرص الإسلام على رد الحقوق لأصحابها، وجاء الأمر الإلهي بذلك، والأمر للوجوب، والحديث في منطوقه يدين كل من يماطل أو يسوف في رد الأمانة، وهذا المطل يمكن أن يؤدي بالإنسان إلى الخيانة، والوجه الآخر للحديث وهو المفهوم الذي يهدف إلى توصيله لكل مسلم، ولكل إنسان، هو أداء الحقوق في وقتها، وعدم خيانة الأمانة حرصاً على صونها وحرمتها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧)، ومسلم (١٥٦٤/٣٣) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٠٧).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٤٣/٤.

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٥٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٥٤٣/٤.

ولغة الحديث تنزع إلى القصد والخلوص والاستيفاء، والقصد هو الإيجاز مع الإفهام والوضوح مع فتح آفاق التفسير والإفهام.

ويتضمن الحديث جملتين قصيرتين: الأولى تعد قاعدة ثابتة وحكمًا صارماً على كل من المطل وهو قادر على أداء الحق، ورد الأمانة: حيث يقول الصادق الأمين، مطل الغني ظلم.

ولكل كلمة دلالة في هذه الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ "مصدر مضاف إلى فاعله"، وخبر وهو مصدر كذلك: "مطل الغني ظلم"، والمطل في اللغة: التسويف بالعِدَة والدين، والمطال من معانيه الحسية التي تفسر طبيعة المماطل في أداء الدين أو الأمانة، من معانيه: مد الحبل، ومد الحديد وسبكه وطبعه وصوغه، وكأن المماطل في تأخير الموعد، وإخلافة، ونقضه للعهد: يشبه الحديد في انصهاره، وذوبانه وشدة ناره، وتشكله أشكالاً جديدة، وكم يعاني صاحب الحق في ظل هذا التسويف الحارق الملتهب، وجاء لفظ "الغنى" مضافاً إلى "المطل" إيحاءً بارتباط المصدر بفاعله: وكذلك للإيجاز وكأن الإيجاز هنا قيمة بلاغية تصل بنا إلى ضرورة إيجاد القيمة السلوكية، وهي سرعة أداء الحقوق، وكذلك لفظ "الغني" فيه إيحاء بان ذلك المماطل ليس لديه عذر في التأخير لأنه ليس فقيراً.

ووصفه المطل بالظلم يتمم المعنى فكلمة "ظلم" خبر المبتدأ والخبر تتم به الفائدة، وقال السبكي تسمية المطل ظلماً يشعر بكونه كبيرة كالغصْب، والظلم هو مجاوزة الحد، والميل عن الحق في التصرفات.

وقد ذُكر الظلم ومشتقاته في القرآن، في مائتين وأربع وثمانين آية، حتى يتنبه الناس إلى أخطاره.

وأما الجملة الثانية فقد جاءت في قالب: الشرط والجواب، وأن الجملة الأولى توطئة وعلة لقبول "الحوالة" في الجملة الثانية: لأن معنى: "إذا أُتْبع" أي إذا أحيل أحدكم: أي صاحب الدين، "على مليء" أي غني، يحفظ له حقه: فليقبل من يحال بدينه عليه: حرصاً على حقه، وضماناً لرد ماله، وعدم ضياعه، وأداة الشرط هنا إذا: وهي

للتحقق، وذلك إيحاء بأن القبول يجب أن يتم، وقوله: "فليتبع": جواب الشرط، وهو أمر يجب اتباعه، حتى لا تضيع الحقوق، وتمزق العلاقات، وتنشأ العداوات، والإسلام دين المحبة والتراحم، والأمانة والتسامح.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من تأخير الغني الدين الذي عليه.

ثالثاً: من مهام الداعية: إيجاد الحلول لما يستعصى من الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "مطل الغني ظلم" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة النافعة التي تدفع المدعو عن مقارفة المحظورات، وتخوفه من مغبة فعل المنكرات، ذلك أن النفس البشرية بطبيعتها تخاف الوعيد، وترعوي عند الزجر (والترهيب هو كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[1]. وقال د. توفيق الواعي: (إن الترغيب والترهيب في الشريعة يأتي حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجاً وردعاً، يأتي بشيراً ونذيراً، فمن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة، ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه)[2].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾[4].

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٢) الدعوة إلى الله الرسالة - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي، ٢٠٠.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٦.

(٤) سورة فاطر، آية: ٣٦.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من تأخير الغني الدين الذي عليه:

حيث جاء في الحديث "مطل الغني ظلم" وهذا تحذير للغني من تأخير الدين الذي عليه، لأنه بذلك في عداد الظالمين. قال النووي: (قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه، فمطل الغني ظلم وحرام، ومطل غير الغني ليس بظلم ولا حرام، لأنه معذور، ولو كان غنياً ولكنه ليس متمكناً من الأداء لغيبة المال أو لغير ذلك، جاز له التأخير إلى الإمكان، وهذا خصوص من مطل الغني، أو يقال: المراد بالغني المتمكن من الأداء فلا يدخل هذا فيه)[1].

وقال ابن حجر: (والمعنى أن مطل الغني من الظلم، وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل، والمراد بالمطل تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر، ولذا فيحرم على الغني القادر أن يمطل بالدين بعد استحقاقه بخلاف العاجز، وفي الحديث الزجر عن المطل، والإرشاد إلى ترك الأسباب القاطعة لاجتماع القلوب، لأنه زجر عن المماطلة وهي تؤدي إلى ذلك)[2].

قال القاضي عياض: (وقوله ﷺ "مطل الغني ظلم": المطل: منع قضاء ما استحق أداؤه. وفيه دليل على أن مطل غير الغني ليس بظلم، وإن كان مضطراً يجوز. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[3]، وإنما فصل بمطله من النظرة إلى ميسرة، مما يوجب الحكم وأمر به الله تعالى. وفيه حجة لمالك والشافعي وعامة العلماء، أنه إذا كان معسراً فلا يلزم سجنه[4] ولا ملازمته، ولا مطالبته حتى يكتسب مالاً؛ إذ قد أنظر إلى الميسرة، فكأنه من عليه دين إلى أجل وقد تقدم هذا. وإذا كان واجداً ومنع صاحب الحق استعمال حقه لغير عذر فهو ظالم له.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٩٩٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٤٣/٤، ٥٤٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٠.

(٤) لأن الحبس إما أن يكون لإثبات عثرته أو لقضاء دينه، وعثرته ثابتة والقضاء متعذر، فلا فائدة في الحبس. راجع: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥٨٥/٦.

وقد اختلف أصحابنا وغيرهم في أن المماطل هل يفسق وترد شهادته بمطله مرة واحدة، أم لا ترد شهادته حتى يتكرر ذلك منه ويصير عادة مستمرة، ومقتضى مذهبنا اشتراط التكرار، وجاء في الحديث الآخر في غير مسلم: "لَيُّ الواجد يُحل عرضه وعقوبته"[1]. قال سفيان: عِرْضُه[2] أن يقول: مطلني، وعقوبته الحبس. وهذا الحديث يدل على أن المراد بمطل الغني ظلم ما تقدم، وهو ظاهر، وتأويل كافة العلماء، خلافاً لما ذهب إليه بعضهم من أن المراد أن الغني هو الممطول، وأنه وإن كان غنياً فمطله ظلم. وهو تعسف في التأويل من قائله[3].

وقوله: "وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع": معناه: إذا أحيل على مليء فَلْيَحْتَل، هذا هو أُتبع، و"فليتبع" ساكنة التاء فيهما، وبعض المحدثين يشددها في الحديث الآخر. والوجه إسكانها، يقال من ذلك: تبعت الرجل، بمعنى أتبعه تباعة: إذا طلبته به، فإذا له تبيع قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾[4] ومعظم شيوخنا حملوا قوله "فليتبع" على الندب، وقد ذهب بعضهم إلى أنه على الإباحة وأنه ليس على الندب، وحكى الداودي أنه قيل: إنه غرم، وفي قوله "مطل الغني ظلم" قيل: هذا دليل على أن الحوالة لاتصح إلا عن دين حال، إذ لا يكون ظالماً ولا مطولاً من لم يحل عليه الدين)[5].

قال القرطبي: (وقوله: "مطل الغني ظلم"، المطل: منع قضاء ما استحقَّ أدواؤه مع التمكن من ذلك، وطلب المستحق حقه. وهو الذي قال فيه في الحديث الآخر ((لَيُّ الواجد يُحِلُّ عِرْضه وعقوبَتَهُ))[6]. أي: مطل الموسر المتمكن إذا طولب بالأداء ظلم

---

(١) نقلها النووي عن القاضي، وهي في الأصل مضطربة، والمثبت مما نقله النووي عن القاضي.

(٢) أي إباحة عرضه.

(٣) لأنه يلزم أن يكون المصدر مبنياً للمفعول، وفيه خلاف.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٦٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥/٢٣٣-٢٣٤.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٤/٢٢٢ رقم ١٧٩٤٦ وقال محققو المسند: إسناده محتمل للتحسين، ٢٩/٤٦٥. وأخرجه أبو داود ٣٦٢٨ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠٨٦).

للمستحق، يبيحُ من عرضه أن يقال فيه: فلانٌ يمطل الناس، ويحبس حقوقهم. ويبيح للإمام أدبه وتعزيره حتى يرتدع عن ذلك. حُكى معناه عن سفيان. و"الظلم": وضعُ الشيء في غير موضعه في أصل اللغة. وهو في الشرع محرَّمٌ مذمومٌ. ووجهه هنا: أنَّه وضع المنع موضع ما يجبُ عليه من البذل، فحاق به الذمُّ والعقاب. والغنيُّ الذي أضيف المطلُ إليه هو الذي عليه الحق؛ بدليل قوله: "ليُّ الواجد..." وهو الظاهرُ من الحديث والمراد منه، ولا يلتفت لقول من قال: إنه صاحب الحق، لبعد المعنى، وعدم ما يدلُّ عليه.

وقوله: "وإذا أُتْبِعَ أحدكم على مليء فليتبع". أُتْبِعَ -بضم الهمزة، وتخفيف التاء، وكسر الياء- مبنياً لما لم يسمَّ فاعلُه عن الجميع. فأما "فليتبع" فبعضهم قيده بتشديد التاء، وكذلك قيدته على من يوثَقُ به. وقد روي بتخفيفها وهو الأجودُ؛ لأن العرب تقول: تبعتُ الرجل بحقي، أتبعه، تباعةً: إذا طلبته به، فأنا له تبيعٌ -كل ذلك بالتخفيف- ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾[1]. ومعناه: إذا أحيل أحدكم فليحتل. وهذا الأمرُ عند الجمهور محمولٌ على النَّدب؛ لأنه من باب المعروف والتيسير على المعسر، وقد حمله داود على الوجه تمسُّكاً بظاهر الأمر. وهذا ليس بصحيح؛ لأن ملك الذمم كملك الأموال. وقد أجمعت الأمة: على أن الإنسان لا يُجبر على المعاوضة بشيء من ملكه بملك غيره، فكذلك الذمم، وأيضاً: فإن نقل الحق من ذمة إلى ذمة تيسير على المعسر، وتنفيسٌ عنه، فلا يجب، وإنما هو من باب المعروف بالاتفاق. وإذا تقرر ذلك فالحوالة معناها: تحويلُ الدين من ذمة إلى ذمة. وهي مستثناةٌ من بيع الدين بالدين لما فيها من الرفق، والمعروف. ولها شروط:

فمنها: أن تكون بدينٍ، فإن لم تكن بدينٍ لم تكن حوالة، لاستحالة حقيقتها إذ ذاك، وإنما تكونُ حمالة.

ومنها: رضا المحيل والمحال دون المحال عليه. وهو قولُ الجمهور، خلافاً للإصطخري؛ فإنه اعتبره. وإطلاقُ الحديث حجَّة عليه. وقد اعتبره مالك إن قصد المحيل بذلك الإضرار بالمحال عليه. وهذا من باب دفع الضرر.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٦٩.

ومنها: أن يكون الدين المحال به حالاً، لقوله ﷺ: "مطلُ الغنيِّ ظلم". ولا يصحُّ المطل، ولا يصدق الظلم إلا في حق من وجب عليه الأداء، فيمطل. ثم قال بعده: "فإذا أتبع أحدكم فليتَّبع" فأفاد ذلك: أنَّ الدين المحالَ به لابُدَّ أن يكون حالاً؛ لأنَّه إن لم يكن حالاً كثُر الغَرَرُ بتأجيل الدينين.

ومنها: أن يكون الدينُ المحالُ عليه من جنس المحال به؛ لأنه إن خالفه في نوعه خرجَ من باب المعروف إلى باب المبايعة، والمكايسة، فيكون بيعُ الدَّين بالدَّين المنهيِّ عنه.

فإذا كملت شروطها برئت ذمةُ المحيل بانتقال الحقِّ الذي كان عليه إلى ذمة المحال عليه. فلا يكون للمحال الرُّجوع على المحيل؛ وإن أفلس المحال عليه؛ أو مات. وهذا قولُ الجمهور. وقد ذهب أبو حنيفة إلى رجوعه عليه إن تعذر أخذه الدين من المحال عليه. والأول الصحيح؛ لأنَّ الحوالة عقدُ معاوضة، فلا يرجع بطلب أحد العوضين بعد التسليم، كسائر عقود المعاوضات، ولأن ذمة المحيل قد برئت من الحقِّ المحال به بنفس الحوالة، فلا تعود مشتغلةً به إلا بعقدٍ آخر، ولا عقد، فلا شغل. غير أنَّ مالكاً قال: إنْ غرَّ المحيل المحال بذمَّة المحال عليه كان له الرُّجوع على المحيل. وهذا لا ينبغي أن يختلف فيه؛ لوضوحه[1].

وجاء في فتح الملهم: (قوله: "مطل الغني ظلم". وأصل المطل: المد. قال ابن فارس: مطلت الحديدة أمطلها مطلاً: إذا مددتها لتطول، وقال الأزهري: المطل المدافعة. وقال ابن سيدة في المحكم: المطل التسويف بالعِدَة والدين ويستعمل من باب نصر وباب المفاعلة جميعاً والمراد هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر.

و"مطل الغني" من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله، والمعنى: أنه يحرم على الغني القادر أن يمطل بالدين بعد استحقاقه، بخلاف العاجز. وقيل: هو من قبيل إضافة المصدر إلى مفعوله، والمعنى أنه يجب وفاء الدين ولا يجوز تأخيره، ولو كان الدائن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٤٣٨-٤٤٠.

غنياً، ويؤخذ منه حكم الدائن الفقير بالطريق الأولى، ولكن لا يخفى ما في هذا التفسير من تكلف، فالأول أولى.

وبالجملة، فمراد الحديث أن المديون إذا كان غنياً فلا يسوغ له التأخير والتسويف في أداء دينه، والمراد من الغني ههنا: من قدر على أداء دينه، ولو كان في نفسه فقيراً، واختلفوا: هل يعد الرجل غنياً إذا لم يكن عنده شيء، ولكنه يقدر على الاكتساب؟ فقيل: يعد غنياً، وقيل: لا، وجمع بعضهم بين القولين، فقال: إن كان قد استقرض لسبب هو معصية فالواجب عليه الاكتساب للأداء، فيعد غنياً عند قدرة الاكتساب، ولو كان فقيراً، وإن كان استقرض لحاجة مباحة عرضت له فلا يعد غنياً حتى يكون عنده ما يؤديه.

ثم جعل الحديث مطل الغني ظلماً، للمبالغة في التنفير عن المطل، وبه استنبط سحنون من المالكية أن الغني المماطل لا تقبل شهادته، لكون الحديث نص على أنه ظالم.

ثم إن الغني المماطل يدخل فيه كل من لزمه حق يستطيع أداؤه كالزوج لزوجته، والسيد لعبده، والحاكم لرعيته، وسواء كان الحق مالياً أو غيره، ويجوز للحاكم أن يعزر مثله)[1].

ثالثاً- من مهام الداعية: إيجاد الحلول لما يستعصى من الأمور:

حيث جاء في الحديث "وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" وقد أرشد النبي ﷺ الدائن عند مماطلة المدين الغني أن يقبل الحوالة، قال ابن حجر: (والحوالة عند الفقهاء نقل دين من ذمة إلى ذمة ومناسبة قوله "فإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع" للتي قبلها أنه لما دلَّ على أن مطل الغني ظلم، عقبه بأنه ينبغي قبول الحوالة على الملئ لما في قبولها من دفع الظلم الحاصل بالمطل، فإنه قد تكون مطالبة المحال عليه سهلة على المحتال دون المحيل، ففي قبول الحوالة إعانة على كفه عن الظلم)[2]. ولقد أمر الرسول ﷺ

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٧/٤٤٧-٤٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٤/٥٤٤.

الدائن إذا أحاله المدين على غني مليء موسر قادر أن يقبل الحوالة، وأن يتبع الذي أحيل عليه بالمطالبة حتى يستوفي حقه (وإنما أمر الرسول ﷺ بالاتباع إذا أتبع تنجية للمدين من الظلم، أو الإشراف عليه بالمماطلة، وتعجيلاً لاستيفاء حقه بلا مساومة، ولقد قال أكثر الحنابلة، وأبو ثور وابن جرير وأهل الظاهر إنه يجب على الدائن قبول الإحالة على الملئ عملاً بهذا الأمر)[1].

والإسلام مع وضعه الحلول لمسألة الديون، إلا أنه لا يحب للمسلم أن يثقل كاهله بالدين، وهو لا يستطيع الوفاء، ولا القضاء، فإن الدين مسؤولية خطيرة، وأمانة جسيمة لاسيما إذا كان الإنسان قادراً على السداد وهو يماطل في أداء الحقوق، ورد الديون لأصحابها.

(إن الناظر إلى أحوال الناس اليوم يجد أن أكثرهم قد طوقته الديون وعظمت عليه الحقوق، حتى أصبحت لا تكاد ترى رجلاً إلا وهو مدين، وإن أكثر الناس اليوم في مظاهر الأغنياء، ويتزيون بزي الأثرياء، ولكنهم فقراء؛ فالمنزل أقام بنيانه بالدين، والسيارة التي يركبها بالدين، بل وصل الحال ببعضهم إلى أن أصبح إبريق الشاي وثلاجة القهوة والبتوجاز بالدين عن طريق مؤسسات التقسيط، وهذا خطر عظيم، ومغامرة رهيبة، إن الإنسان بذلك يعرض حياته للذلة والنكد، والتجريح والإهانات، والسجون والشكايات، وأعظم من ذلك كله يتعرض للعقوبة العظمى من الله تعالى لو مات وحقوق الناس وأموالهم برقبته.

وكان ﷺ يؤتى بالرجل المتوفى وعليه الدين، فيسأل: هل ترك لدينه من قضاء؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم، وهذا كان في أول أمر الإسلام، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: ((أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه))[2].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٤٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٩٨، ومسلم ١٦١٩.

ونفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه، فعن محمد بن جحش ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل في سبيل الله، ثم عاش ثم قتل في سبيل الله، ما دخل الجنة حتى يقضي دينه))[1].

فلماذا يتهاون الناس بهذه المسألة، ويتجرؤون على الإغراق في الدين والإثقال على النفس، والتحمل لما لا يطاق؟!

قنعت بالقوت من زماني ... وصُنت نفسي عن الهوان
خوفاً من الناس أن يقولوا ... فَضْلُ فلان على فلان
من كنت عن ماله غنياً ... فلا أبالي إذا جفاني

إن كثيراً من الناس قد أثقل نفسه بالدين لغير حاجة، وتحمل الحمالات العظيمة بدون ضرورة، وكثيراً من الناس يؤمل فيه الخير، ويتوقع منه الأداء فيثق فيه الناس، ويقرضونه أموالهم ثم يتنكر لهم، ويتمرد عليهم، ويمكر بهم؛ كثر غرماؤه، وتعدد خصماؤه، فلا معروف يرد، ولا دين يقضي.

يقول أحدهم وقد كثر غرماؤه:

ولو علقتموني كل يوم ... برجلي أو يدي في المنجنيق
لما أعطيتكم إلا تراباً ... يُطيَّر في الخياشم والحلوق

وأما الآخر فقد تحمل ديوناً كثيرة فكلما هجم عليه غرماؤه فرّ منهم وقال:

فلو كنت الحديد لكسَّروني ... ولكني أشدُّ من الحديد

ويكفي وعيداً لمن يأخذ أموال الناس، ويقترض من ذوي الفضل؛ ثم لا ينوي أداء الحق وإعادة الدين، يكفيه وعيداً ما جاء عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله))[2].

إن لكثرة الديون على الناس أسباباً عديدةً، وهذا الأمر يحتاج إلى كثير عناية، وإلى عظيم دراسة، ولكنني أجمل بعض الأسباب التي تجعل كثيراً من الناس مسترقين برقِّ الدين، ومنها:

---

(١) أخرجه النسائي ٤٦٨٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن النسائي ٤٣٦٧).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٨٧.

١- محق البركة في الرزق، بحيث أصبح الإنسان له راتب طيب أو دخل مناسب ولكنه ممحوق البركة، ولذلك أسباب عديدة منها: الربا، الذي هو حرب على الله ورسوله، والذي درهم منه أشد من ست وثلاثين زنية، ومنها عدم الإخلاص في العمل أو الوظيفة، فقليل من الناس اليوم من يأخذ راتبه حلالاً زلالاً قد أدى عمله على أتم وجه، بل تجد التمرد والإهمال، والغياب، والكسل، والتأخر، إلى غير ذلك من التفريط في حق العمل. ومنها عدم أداء الزكاة التي هي مطهرة للمال والرزق ونماءٌ له وبركة فيه، ومنها عدم صدق النية في البيع والشراء، فإن صدق البيعان وبيّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحاً ويُمْحقا بركة بيعهما.

٢- غياب الصدق بين الشركاء، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

٣- التورط في مشاريع دون دراسة: لابد للإنسان قبل أن يقدم على أي مشروع صغير كان أو كبير أن يدرسه دراسة وافية من جميع جوانبه حتى لا يزج بنفسه في أمر لا تحمد عواقبه، وبتجارة لا تفلح فكرتها؛ فلابد من دراسة الجدوى، ومعرفة الثمرة، وحساب النتيجة.

٤- عدم التفكير وإعمال الذهن، وإيقاد القريحة: فالتجارة تحتاج إلى همة عالية، وذهن متوقد، وترقب للفرص، وذكاء في العرض، وتريث في الطلب. وحسن النية وحده لا يكفي في التجارة.

٥- استجعال الربح: فبعض الناس يبدأ بمحل تجاري، ويظن أن الأرباح ستنكب عليه من أول شهر أو شهرين، فإذا لم يجد شيئاً أغلق متجره وأنشأ متجراً آخر، وهكذا حتى يورط نفسه، وكان الأولى له الصبر والتريث، فإن الأمر يحتاج إلى زمن. والإنسان لكي يؤسس محلاً وعلاقات وزبائن يحتاج إلى سنوات وليس إلى أشهر.

٦- التورط في مسألة التقسيط: ظناً من الناس أنها حل ومخرج من الورطات، وهي في الحقيقة عناءٌ إلى عناء وهم إلى هم، ويجب أن لا يلجأ إليها إلا في الضرورة القصوى إذا بارت الحيل.

٧- الإغراق في الكماليات التي لا ضرورة لها: والواجب على المسلم أن يقتصد في الإنفاق، ولا يشتري إلا ما تدعو إليه الضرورة، فإن الرضا بالقليل خير من العيش وأنت ذليل[1].

---

(١) نسيم الحجاز من مسجد ابن باز، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٢٢٨-٢٣٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على أداء الحقوق وعدم هضمها:

إن التربية الإسلامية تعمل على ترسيخ الوفاء بالحقوق في النفوس، وتهيب بالمسلم أن يسارع إلى أداء ما عليه وعدم المماطلة في ذلك، لأن الدين المعاملة، وأنه لابد للإنسان في هذه الحياة أن يكون آخذًا أو معطيًا، فإن كان آخذا متصدقًا عليه، شكر ودعا لصاحب المعروف، وكافأه على ذلك بما يستطيع، وإن كان الإنسان مقترضًا رد لصاحبه ما أخذ منه عند حلول أجله مثنيًا عليه، مظهرًا إحسانه إليه.

وعلى القائمين على التربية والتوجيه بيان أن مطل الغنى ظلم، ومن أخر حقًا عليه مع القدرة على تسليمه فهو البغيض الظلوم، والممقوت الملوم[1].

وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «مطل الغنى ظلم...إلخ».

فالإسلام كمنهج تربوي يرقب في متربيه ومتعلميه أن يكونوا ذا ضمير يقظ، تصان به حقوق الناس من خبث التلكؤ والتأخر مع المقدرة على الأداء في ذلك[2]؛ لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه غرس التربية على أداء الحقوق في نفوس المتربين، وبيان سوء عاقبة هضمها.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

إن المماطلة في أداء الحقوق مع القدرة على إيفائها، مما يهدم الثقة بين الناس ويساعد على ضياع الأمانة التي طالما حافظ عليها الإسلام، كما أن المماطلة في أداء الحقوق تعمل على إيغار الصدور وتقطيع أواصر الود، ومن ثمَّ تفكيك المجتمع وسلخه من الترابط بين أفراده.

لذا ورد الترهيب من المماطلة في أداء الحقوق مع القدرة على إيفائها، بأشد أنواع الترهيب، وهي بيان أن ذلك ظلم، وهذا ما ورد في حديث الباب من قوله ﷺ: «مطل الغنى ظلم».

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد سالم الكدادي البيحاني، ١٧٨، ١٧٩ بتصرف يسير.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ٤٥ بتصرف.

وللظلم ظلمات يوم القيامة، وقد حرمه الله على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا، وذلك في قوله جل وعلا -من الحديث القدسي-: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي. وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا. فَلاَ تَظَالَمُوا ... إلخ»[١].

وهذا مما يربي ويغرس في المتربي والمتعلم الترهيب من المماطلة في أداء الحقوق مع القدرة على إيفائها.

والترهيب كأسلوب تربوي يعني التخويف من ترك فعل، وهو يتناسب مع ما فطر عليه الإنسان من الإحساس بالألم، لذا كان له عظيم الأثر في تربية الإنسان وتوجيهه وسلوكه[٢].

ثالثا: التربية بالتوجيه المباشر:

إن النبي ﷺ وجه أمته في نص الحديث إلى أن من دفعته الضرورة والحاجة إلى الاستدانة، ثم تعسر عن الوفاء، فأحال الأداء في ذلك إلى غنى يدفع عنه حقه غير مدافع ولا ممانع، فعلى صاحب الحق أن يقبل أخذ حقه حيث كان وتقاضيه من أي إنسان، وذلك في قوله ﷺ: «... وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع»، وهذا توجيه مباشر من النبي ﷺ إلى طيب التقاضي الذي هو من مكارم الأخلاق[٣].

وبذلك تتربى الأنفس على التيسير وعدم التعسير في أخذ الحق، وبذلك تصفو القلوب، وتترسخ الأخوة في مجتمع دلّل بتربيته على مكارم الأخلاق.

وفي ضوء ما سبق يتضح أن التوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو يعني طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين[٤].

وذلك بهدف تحقيق الأهداف الكريمة، وغرس الفضائل العظيمة[٥]، لذا وجب على القائمين على التربية والتوجيه، عدم التغافل عن استخدام وسيلة التوجيه المباشر كلما تراءت الأهمية في ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم، ٦٥٧٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٣)إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ١٧٩، ١٨٠ باختصار شديد.

(٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٨٤.

(٥) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٢٧٨.

٢٨٥- باب كراهة عود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إلَى الموهوب لَهُ وفي هبة وهبها لولده وسلمها أوْ لَمْ يسلمها وكراهة شرائه شَيْئاً تصدّق بِهِ من الّذِي تصدق عَلَيْهِ أوْ أخرجه عن زكاة أوْ كفارة ونحوها وَلاَ بأس بشرائه من شخص آخر قدْ انتقل إلَيْهِ

الحديث رقم (١٦١٤)

١٦١٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ))[1]. متفق عَلَيْهِ.

وفي رواية[2]: ((مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأكُلُهُ)).

وفي رواية[3]: ((العائِدُ فِي هِبَتِهِ كالعائِدِ فِي قَيْئِهِ)).

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

إن التصوير البياني في الحديث النبوي يجمع بين الترغيب والترهيب، فهو يرغب المسلم في الإقدام على الخير وكل ما هو صالح عن طريق التشبيه والتمثيل، والربط بين السلوك الخير ومشاهد الطبيعة الخيرة الجميلة، وأما الترهيب فيكون عن طريق ربط الأفعال القبيحة بمظاهر حسية قبيحة منفرة في مشاهد الحياة، ومفردات البيئة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٧) من حديث أيّوب، عن عكرمة. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥٦).

(٢) أخرجها مسلم (١٦٢٢/٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥٦).

(٣) أخرجها مسلم (١٦٢٢/٧). تنبيه: هذه الرواية عزاها المنذري في ترغيبه (٣٨٥٦) إلى أبي داود، وهي عند مسلم كما ذكرنا.

وهذا الحديث يجمع بين خاصيتي الإيجاز والتصوير البياني عن طريق التشبيه التمثيلي، والإيجاز في الأسلوب يتمثل في أن الحديث جملة واحدة مكونة من مبتدأ وخبر، ولكنه يصور سلوكاً بشرياً مرفوضاً يتكرر في كل عصر وفي كل مكان وهو الرجوع في الصدقة أو الهبة.

وهذا السلوك يعد من الأعمال القبيحة التي لا تليق بالمسلم، ولذلك قدم رسول الله ﷺ هذا السلوك الشائن في صورة بيانية منفرة، حتى لا يقدم عليه الناس، وحتى يرتدع كل من يفكر في سلب الهبة أو الصدقة من صاحبها، لأن ذلك عمل قبيح.

وللقبح وتصويره مرحلتان في نص هذا الحديث: الأولى في مشهد تقيؤ الكلب، والثانية في أكل القيء، وهاهنا: إشباع فكرة القبح المقزز، ومن القبح البارز أن المشهد نادر في الوجود، وندرته تكسر المألوف، وغرابته تشد الانتباه، وكأن العائد في هبته خرج على موازين الحياة السوية والطبيعية الصحيحة[1].

وقال ابن دقيق العيد، وقع التشديد في التشبيه من وجهين: أحدهما تشبيه الراجع بالكلب، والثاني تشبيه المرجوع فيه بالقيء، وذلك لمزيد من التنفير من هذا السلوك الشائن.

فقه الحديث

في هذين الحديثين[2] مسألة حكم الرجوع في الهبة[3]، أو العود فيها، والفقهاء عندما تكلموا عن هذه المسألة فرقوا بين حكم الرجوع في الهبة قبل قبض الموهوب له الشيء الموهوب وبين حكم الرجوع فيها بعد قبضه إياه:

أولاً: حكم الرجوع في الهبة قبل القبض: اختلف الفقهاء في حكم الرجوع في الهبة قبل القبض على رأيين:

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف.

(٢) الحديث رقم (١٦١٤)، (١٦١٥).

(٣) الهبة: هي "تمليك عين بلا عوض حال الحياة تطوعاً" انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢/٣٩٦-٣٩٧.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، ويرون جواز الرجوع في الهبة قبل القبض.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[٤]، والظاهرية[٥]، ويرون عدم جواز الرجوع في الهبة قبل القبض.

الأدلة:

أولاً: دليل الرأي الأول: استدل أصحاب الرأي الأول على جواز الرجوع في الهبة قبل القبض بالأثر، والمعقول:

١- من الأثر: ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه نحلها جذاذاً عشرين وسقاً من ماله بالعالية، فلما مرض قال: يا بنية ما أحد أحب إلي غنى بعدي منك، ولا أحد أعز عليَّ فقراً منك، وكنت نحلتك جذاذاً عشرين وسقاً وودت أنك حزيتيه، أو قبضتيه، وهو اليوم مال الوارث أخوك، وأختاك فاقتسموه على كتاب الله عز وجل[٦].

فهذا الأثر يدل - صراحة- على جواز الرجوع في الهبة قبل القبض.

٢- من المعقول: أما من المعقول: فقياس الهبة على القرض بجامع أن كلاً منهما عقد إرفاق، والقرض لا يملك إلا بالقبض، فكذا الهبة[٧].

ثانياً: دليل الرأي الثاني: استدل أصحاب هذا الرأي على عدم جواز الرجوع في الهبة قبل القبض بالنصوص الآمرة بالوفاء بالعقود لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[٨].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١١٥/٦.

(٢) حاشية البجيرمي على الخطيب، المسماة: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان بن عمر الشافعي ٢٢١/٣.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥١/٦.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٣٢٩/٢.

(٥) المحلى، ابن حزم ١٢٠/٩.

(٦) موطأ مالك شرح الزرقاني ٤٧٧/٤.

(٧) حاشية البجيرمي على الخطيب، المسماة: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان بن عمر الشافعي ٢٢/٣.

(٨) سورة المائدة، آية: ١.

فالهبة إذا تمت باللفظ كان الوفاء بها لازماً دونما توقف على قبض[١] وبالتالي لا يجوز الرجوع فيها قبله.

مناقشة هذا الدليل: وقد نوقش الاستدلال بهذه الآية، بأن المراد بالعقود التي يجب الوفاء بها - في الآية الكريمة- هي العقود اللازمة، والهبة لا تلزم قبل القبض، فلا تتناولها الآية[٢].

الترجيح:

بعد عرض آراء الفقهاء في هذه المسألة، وأدلتهم ومناقشة ما استدل به أصحاب الرأي الثاني، أرى - والله أعلم - أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول من جواز الرجوع في الهبة قبل القبض، وذلك حتى يعطي الواهب فرصة للاطمئنان ومراجعة النفس قبل إقباض الهبة، حتى إذا قام بتسليمها إلى الموهوب له، كان ذلك دليلاً على حرصه على إتمامها.

ثانياً: حكم الرجوع في الهبة بعد القبض: أما حكم الرجوع في الهبة بعد قبضها فقد اختلف الفقهاء فيه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من المالكية[٣]، والشافعية[٤]، والحنابلة[٥]، والظاهرية[٦]، ويرون عدم جواز الرجوع في الهبة بعد قبضها، باستثناء الوالد فيما وهبه لولده.

واستدلوا: على عدم الجواز بحديث الباب.

كما استدلوا على استثناء هبة الوالد لولده بما روي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل للرجل أن يعطي عطية ثم يرجع

---

(١) المحلى، ابن حزم ٩/١٢٠-١٢١.

(٢) الحاوي الكبير للماوردي ٧/٥٣٦.

(٣) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٥/١١٣، الاستذكار لابن عبدالبر ٢٢/٣١٢.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦/٦٤.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٧/١٤٥.

(٦) أخرجه أحمد ١/٣٣٧ رقم ٢١١٩، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤/٢٦.

فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء، ثم عاد في قيئه".

كما أن الأب لا يهتم في رجوعه، لأنه لا يرجع إلا لضرورة، أو إصلاح حال الولد كما أن الولد وماله لأبيه، ومن ثم فإن رجوع الأب لا يسمى رجوعاً في الحقيقة، وإن كان رجوعاً في الظاهر[1].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[2]، ويرون جواز الرجوع في الهبة بشرط عدم وجود مانع.

الترجيح:

والراجح هو عدم جواز الرجوع في الهبة بعد القبض باستثناء الوالد فيما وهب لولده، وذلك للنصوص الدالة على وجوب الوفاء بالعقود، والشروط، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[3] وقوله ﷺ ((المُسْلِمُونَ عندَ شُرُوطِهِمْ، إلاَّ شرطاً حَرَّمَ حلالاً أَوْ شرطاً أَحَلَّ حراماً))[4]، ولاشك أن وجوب الوفاء يتنافى مع جواز الرجوع.

المضامين الدعوية[5]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على العطية والهبة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من الرجوع في الهبة.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل.

---

(١) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٦٤/٦، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣٤٦/٢.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٢٧/٦.

(٣) سورة المائدة، آية: ١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٣٥ من حديث عمرو بن عوف وله شاهد من حديث أبي هريرة عند ابن حبان ٥٠٩١، يتقوى به، وانظر: مسند أحمد ٨٧٨٤/١٤.

(٥) تم دمج المضامين لهذا الحديث -١٦١٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦١٥).

رابعاً: من أساليب الدعوة: النهي.

خامساً: من آداب المدعو: السؤال عما أشكل وخفي عليه.

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على العطية والهبة

هذا ما يستفاد من سياق الحديث، والهبة لغة: (إعطاء الشيء إلى الغير بلا عوض سواء كان مالاً أو غير مال، فيقال: وهب له مالاً وهباً وهبة، كما يقال: وهب الله فلاناً ولداً صالحاً)[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي﴾[٢]، واصطلاحاً: (تمليك المال بلا عوض في الحال، والهبة مشروعة في الكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[٣] ومن السنة قوله ﷺ: ((تهادوا تحابوا))[٤] والهدية هي الهبة، وقوله ﷺ: ((لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة))[٥] والفرسن الظلف، وقبول النبي ﷺ هدية المقوقس وهو كافر، كما قبل هدية النجاشي وهو مسلم وتصرف بها وهداه أيضاً، أما الإجماع فقد انعقد على جوازها ومشروعيتها، بل على استحبابها بجميع أنواعها، لما فيها من التعاون على البر والتقوى وإشاعة الحب والتواد بين الناس)[٦]. وهذا ما أظهره صفوان بن أمية رضي الله عنه في قوله: ((وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ. فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّىٰ إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ))[٧]، (فما أعظم التحول الذي أوجده تعالى بسبب الإعطاء في قلب صفوان رضي الله عنه ومما لاشك فيه أن الداعي إذا أعطى صار أحب الناس إلى المدعو فإن كلامه يُسمع، وأمره ينفذ، ونهيه يُحترم)[٨].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي ٨٤٢.

(٢) سورة مريم، الآيتان: ٥-٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٤.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٥٩٤، وصححه الألباني (صحيح الأدب المفرد ٤٦٢).

(٥) أخرجه البخاري ٢٥٦٦، ومسلم ١٠٣٠.

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ومصادرها، ٤٢/١٢١-١٢٢.

(٧) أخرجه مسلم ٢٣١٣.

(٨) ركائز الدعوة إلى الله، د. فصل إلهي، ٢٣٦.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من الرجوع في الهبة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه" وقوله "فإن العائد في صدقته كالعائد في قيئه"، وقد حث النبي ﷺ على عدم الرجوع في الهبة فقال: ((ليسَ لنا مَثَل السَّوْء، الذي يَعودُ في هِبَتِه كالكلب يَرجع في قَيئهِ))[1]. قال ابن حجر في قوله ﷺ: ("ليس لنا مثل السوء" أي: لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ﴾[2] ولعل هذا أبلغ في الزجر عن ذلك مما لو قال مثلاً: لا تعودوا في الهبة)[3]، وقال ابن عثيمين: (لا يحل لك أن ترجع فيما أعطيت من هبة، سواء كان قليلاً أم كثيراً، لأن النبي ﷺ شبه العائد في هبته بالكلب، الذي يقيء ما في بطنه ثم يعود فيأكله، وهذا تشبيه قبيح، شبه النبي ﷺ العائد في هبته بهذا تقبيحاً له وتنفيراً منه)[4].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: التشبيه والتمثيل:

هذا ما ورد في الحديث من تشبيهه ﷺ لمن يرجع في هبته بالكلب الذي يقيء ثم يعود في قيئه فيأكله (فالتشبيه والتمثيل من الأساليب الدعوية المهمة في تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية، فضلاً عن تربية العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار لتهتدي النفوس بما أدركت عياناً)[5]، وقد أكثر القرآن من ذكرها، كما قال تعالى:

---

(١) هذه رواية عند البخاري ٢٦٢٢.

(٢) سورة النحل، آية: ٦٠.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٧٨/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٦٩٥.

(٥) انظر: التربية على منهاج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١-٣٣٥.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[1] وقال جل ذكره: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[2] وقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[3].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النهي:

قد ورد النهي كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه "لا تشتره، ولا تعد في صدقتك" والنهي من الأساليب الدعوية المهمة في إرشاد المدعو وحمله على اجتناب ما نهى عنه الشارع، لما في الاجتناب من خير وصلاح في الدنيا والآخرة.

حيث أفاد النهي في نص الحديث عدم الرجوع في الهبة، لأن ببذلها يكون إشاعة الحب والتواد وحصول الألفة بين الناس، وفي الرجوع عنها شحٌّ فيما كان من حسن الصلات وجميل الفعال.

خامساً- من آداب المدعو: السؤال عما أشكل وخفي عليه:

هذا ما ورد في الحديث من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك؟ أي: عن شراء ما تصدق به ممّن تُصُدِّق عليه، فعلى المدعو أن يسأل عن كل ما أشكل وخفي عليه من أمر دينه ودنياه، حتى يكون على بينة من ذلك، فيعبد الله على علم وبصيرة، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] قال السعدي: (فهذه الآية وإن كان سببها خاصاً بالسؤال عن حالة الرسل المتقدمين من أهل الذكر، وهم أهل العلم، فإنها عامة في كل مسألة من مسائل الدين، أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالتعليم والسؤال لأهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم،

---

(١) سورة النور، آية: ٣٥.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٥.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٧.

والإجابة عما علموا، وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل، وعدم العلم، ونهي له أن يتصدى لذلك)[١]، فعلى المدعو أن يمتثل لأمر الله تعالى في السؤال عما أُشكل وخفي عليه مقتدياً في ذلك بقوله ﷺ ((فإنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ))[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٤٦٨.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٣٦، وقال الألباني حديث حسن (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

الحديث رقم (١٦١٥)

١٦١٥ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَن أَشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: ((لاَ تَشْتَرِهِ وَلاَ تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ؛ فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ)) متفق عَلَيْهِ[1]. قوله: "حملت على فرس في سبيل الله" معناه: تصدقت به على بعض المجاهدين.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

هذا الحديث تطبيق عملي واقعي للقاعدة التي أرساها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق: وهي عدم الرجوع في الصدقة أو الهبة، والحديث يرويه الفاروق عمر رضي الله عنه، ويحكي مشهداً واقعياً حدث له، وحواراً دار بينه وبين رسول الله حول هذا الحكم: وهو عدم الرجوع في الصدقة.

وفي الحديث الشريف: لفظان يحتاجان إلى تأمل الدلالة فيهما: حيث عدل بهما عن معناهما المألوف إلى معنى جديد مرتبط بالسياق فقوله: "حملت على فرس في سبيل الله" لا يراد به أن عمر هو الذي جاهد في في سبيل الله، ولكن المراد هنا أنه تصدق به على المجاهدين: أي أعطى رجلاً فرساً ليجاهد الكفار عليه، وقيل إن هذا الفرس: اسمه الورد، وكان لتميم الداري: فأهداه للنبي صلى الله عليه وسلم: فأعطاه النبي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقوله: "فأضاعه الذي كان عنده" يتجاوز الدلالة المألوفة ويعدل عنها، وذلك ما يسميه النقاد الأسلوبيون، الانزياح أو العدول أو الانحراف عن النمط المألوف في التعبير، والمراد

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٠) واللفظ له، ومسلم (١/ ١٦٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٥٧).

هنا ليس ضياع الفرس بمعنى فقدانه، ولكن المراد أنه: لم يكرمه بالإطعام والعناية فهزل وضعف.

ومن الظواهر الأسلوبية في الحديث: العطف بالفاء في رصد تتابع الأفعال، ووقائع هذا الحدث لنقل سرعة الحركة والحرص على معرفة الحكم الصحيح في هذه القضية: ولنتأمل سرعة الحركة ووثبات الإيقاع التي تكون قصة محكمة بالغة الدقة والإيجاز على هذا النسق التعبيري البليغ "حملت على فرس، فأضاعه الذي كان عنده، فأردت أن أشتريه، فسألت النبي: فقال لا تشتره".

وتكرار النهي في إجابة رسول الله ﷺ حيث يقول: "لا تشتره ولا تعد في صدقتك": يؤكد صرامة الحكم، وترسيخ هذه القاعدة الشرعية الاجتماعية التي تحفظ للمسلم كرامته وهيبته، وتصون سيرته وحرمته.

ومن بلاغة الحديث: الإيجاز حيث حذف جواب الشرط في قوله: "وإن إعطاكه بدرهم"، والتقدير بعد ذلك: فلا تشتره، ولا تعد في صدقتك، لأن الجواب المحذوف فُسِّر بما قبله.

والتأكيد في تعليل الحكم، وكذلك التشبيه المنفر، من بلاغة الحديث، ومن مظاهر الترهيب من ذلك السلوك الشائن، وصورة الإنسان الذي يأكل القيء من أكثر الصور غرابة وتنفيراً، وأقبح منها صورة الكلب الذي يعود في قيئه فيأكله، كما جاء في الحديث السابق، وهذا الحوار الصريح بين رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يعد أنموذجاً لكل مسلم يحرص على التعلم، ومعرفة الأحكام الصحيحة من مصدرها الصحيح، ومن أهل الاختصاص: استجابة لقول الله عز وجل: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٣.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على دعم الأواصر الاجتماعية:

إن من مرذول الأخلاق اللئيمة، والتي يجب على أهل التربية والتوجيه نزعها من نفوس المتربين، دناءة الخلق والرجوع في الهبة أو الصدقة. لما لهذا الخلق المستقذر من تمزيق وتقطيع للأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد.

فالأواصر الاجتماعية لا تنمو وتنبت في مجتمع ساد فيه لؤم الطبع ودناءته، بل تقوي في مجتمع كان سمح النفس طيب المقصد، والعائد في هبته قد دلَّ بسوء فعله على أن قلبه قد تعلق بما أخرج من هبة أو صدقة، فهو لم يعط لله، بل أعطى لهوى في نفسه، ولمصلحة مشروطة بنتيجة إن تحققت أمضى هبته وصدقته وإن لم تتحقق عاد في هبته وصدقته، وقد رسم في ذلك صورة نفعية، لا تقيم لميزان الأخلاق وزنًا، ولا تدعم لوشائج المجتمع الإسلامي رابطه.

لذا ربى المعلم الأول ﷺ أمته أفرادًا وجماعات على عدم الرجوع في الهبة أو الصدقة، بعد أن ضرب في ذلك أبشع الأمثلة في الخسة والاستقذار، وذلك بقوله ﷺ: «الذي يَعودُ في هِبَتِه كالكلب يَرجِع في قَيئِهِ»، وقوله: «مثل الذي يرجع في صدقته...إلخ»، وقوله: «....فإن العائد في صدقته...إلخ».

ثانيًا: التربية بالتنفير:

إن الإسلام كمنهج تربوي يُنفِّر المتربين والمتعلمين، أن يعود أحدهم في هِبَة وَهَبَها، أو صدقة تصدق بها، سواء سلمها أم لم يسلمها، لما في ذلك من خرق لأواصر المجتمع، ورجوع عن الكلمة والعهد، وقد صورت أحاديث الباب هذا الأسلوب التربوي، حال من يعود في هبته، بصورة تنفُر منها النفوس الكريمة، ولا ترضى أن تقف هذا الموقف أبدًا[1].

وذلك في قوله ﷺ: «.... كالكلب يَرجِع في قَيئِهِ».

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٦٨ بتصرف.

ومن هنا كانت التربية بالتنفير من أبرز الأساليب التربوية في إبعاد نفس المتربي عن كل مشين في الأخلاق وسيئ في الأعمال.

ثالثًا: التربية بضرب المثل والتشبيه:

لقد استعمل النبي ﷺ المثل والتشبيه -في أحاديث الباب- وسيلة من وسائل التربية، حيث مثَّل وشبَّه العائد في هبته بالكلب الذي يرجع في قيئه، وبذلك يوقظ ﷺ النفوس على بشاعة وخسة هذا الفعل، فتُقلع الأنفس عن هذا الخلق اللئيم[1]، وتتم بذلك التربية الأخلاقية والاجتماعية على نحو صحيح مثمر في بناء المجتمع على أواصر الحب والود.

رابعًا: من الأساليب التربوية السؤال والاستفهام:

إن المتعلم والمتربي العاقل هو الذي لا يتردد في السؤال والسكوت على الجهل حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه، سواء في القريب العاجل أو البعيد الآجل[2].

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مثالاً فذًا وقدوة طيبة لجيل المتربين والمتعلمين في السؤال والاستفهام، وهذا ما أكده حديث الباب من سؤاله رضي الله عنه لإمام المربين وسيد المرسلين محمد ﷺ، في قوله: "....فسألت النبي ﷺ فالسؤال والاستفهام من الأساليب التي لا يستغنى عنها المتربي الذي منحه الله القدرة على النطق والتفكير. فهو في حياته اليومية يجد نفسه في حوار أو سؤال.... لذا يكون في بحث دائم عن إجابات لما يجهل، فكان السؤال والاستفهام هو محض تربيته، خاصة إذا كان المسئول من أهل الخبرة والاختصاص.

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3][4].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٤٢٢ بتصرف.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٤.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٣، سورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٤) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٣ باختصار.

٢٨٦- باب تأكيد تحريم مال اليتيم

قَالَ اللّه تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[النساء: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[البقرة: ٢٢٠].

الحديث رقم (١٦١٦)

١٦١٦- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: **((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ!))** قالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **((الشِّرْكُ بِاللّهِ، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ، وأكلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ))** متفق عَلَيْهِ[1]. "الموبقات": المهلكات.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الموبقات: المهلكات[2].

التولي يوم الزحف: الفرار من الجهاد ولقاء العدو في الحرب، والزّحف: الجيش يزحفون إلى العدو أي يمشون[3].

قذف المحصنات المؤمنات الغافلات: المحصنات أي العفائف والغافلات: الغافلات عن الفواحش وما قذفن به[4]، وقذفهن: رَمْيُهُنَّ واتهامهنَّ بالزنا[5].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩/١٤٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٨٦).

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥٥٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز ح ف).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ذ ف).

الشرح الأدبي

ما أجمل هذه الصورة التي يقدمها رسول الله ﷺ للمجتمع المسلم الذي يخلو من هذه الموبقات المهلكات، وما أجمل النفس الإنسانية التي تسمو بصاحبها حين يستجيب لأمر المصطفى ﷺ ويجتنب هذه الموبقات التي تهوي بالإنسان إلى الدرك الأسفل من الحياة، وتقوده إلى جهنم وبئس المصير.

ولغة الحديث الشريف تفصح عن مقاصده، وأداؤه الأسلوبي يتسم بالإيجاز والإحكام ودقة الإفهام، ولذلك يبدأ الحديث بفعل الأمر لمن حضر مجلسه من الصحابة، وكذلك لكل المسلمين في كل زمان وفي كل مكان: حيث يقول: "اجتنبوا السبع الموبقات"، وقيل: قد أبهمها الرسول ﷺ ووصفها بما يشوق إلى معرفتها ليحذرها المسلم، ولذلك سأل الصحابة: "ما هن"، والموبقات، معناها: المهلكات: وهي جمع موبقة من أوبق أي أهلك، وسميت بذلك لأنها سبب في هلاك مرتكبيها.

ونلاحظ أن السبع الموبقات وردت كلها في صيغة "المصدر" وفي ذلك إيحاء بأن هذه السبع مصدر كل هلاك، وكل فساد، والشرك بالله جاء في صدارة هذه المهلكات، لأنه مصدر كل فساد، وأسٌّ كل رذيلة، وليس بعد الكفر ذنب، ويليه السحر وهو لغة: صرف الشيء عن وجهه، وكل ما لطف ودق مأخذه فهو سحر، ومنه سحر البيان: وهو السحر الحلال، وقيل إن السحر تخييل فقط ولا حقيقة له والصحيح أن له حقيقة وتأثيراً على المسحور، وتعلم السحر وتعليمه من الكبائر، وبلاغة البيان النبوي تكمن في أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال كلمة واحدة، وهي: "السحر" ولكنها تشمل دلالات وتفسيرات متعددة كثيرة، والإيجاز البليغ يكمن في قوله: "وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق"، فالمراد من القتل : إزهاق الروح وحصول الموت بأي وسيلة كانت، وحذف مفعول حرم، وهو "قتلها" لبشاعة الفعل، لأن القتل شديد وذكره يؤلم النفس المؤمنة، والباء للملابسة في قوله: "إلا بالحق"، والاستثناء من عموم الأحوال، وقوله "أكل الربا": المراد منه التعامل بالربا: وهو الزيادة غير الشرعية في القروض، وسمي أكلاً لتأكيد أن الكسب عن طريق الربا يقود إلى الأكل الحرام، وآكل الربا

لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وكذلك: "أكل مال اليتيم"، المراد منه: أخذ مال اليتيم والاستيلاء عليه: فكأنه ألقاه في جوفه، وهو مثل النار، في البطون، وقوله "قذف المحصنات الغافلات": ينطوي على تصوير بليغ، وبيان قوي التأثير، فأصل القذف الرمي البعيد بالسِّهام وغيرها من آلات القتال ووسائله القديمة والحديثة، واستعير ذلك للشتم والعيب والبهتان على سبيل الاستعارة التصريحية، وفي هذه الصورة تنفير من هذا السلوك القبيح وهو من السبع المهلكات، ولفظ "المحصنات" يوحي بالمنعة والحفظ، وكأنهن في حصون منيعة من العفاف والطهر.

والغافلات: كناية عن البريئات: لأن البريء غافل عما بهت به[1]، وهو لا يفطن لذلك ولا يتوقعه، ولكن الله يحفظه، وعلى المؤمن اجتناب هذه السبع، حتى لا يكون مصيره الهلاك، وبئس المصير.

فقه الحديث

١- معنى الموبقات: المهلكات: وسميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبيها. والمراد بالموبقة هنا: الكبيرة.

وقد ضبط بعض العلماء الكبيرة بأنها: كل ذنب قرن به وعيد، أو لعن.

وقال ابن الصلاح: لها أمارات منها: إيجاب الحد، ومنها: الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة، ومنها وصف صاحبها بالفسق، ومنها: اللعن.

وقال الحسن البصري: كل ذنب نسبه الله تعالى إلى النار فهو كبيرة. وقيل غير ذلك[2].

٢- والشرك بالله تعالى أعظم الموبقات، وأكبر الكبائر، فقد وصفه الله تعالى بالظلم العظيم قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3] ويكفي للتدليل على خطره أن الله لا

---

(١) انظر: المنهل العذب الفرات في شرح الأحاديث الأمهات، د. عبدالعال أحمد عبدالعال ٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٤١١/١٠، ١٨٢/١٢، شرح صحيح مسلم، النووي ٨٦/٢.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٣.

يغفره، ويغفر ما دونه لمن يشاء، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١].

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم ... لا تجزعن فما في ذاك من باسِ
إلا اثنتان فلا تقربهما أبداً ... الشرك بالله والإضرار بالناس[٢]

٣-والسحر حرام من الكبائر فعله، وتعلمه، وتعليمه، وقال بعض الشافعية: إن تعلمه ليس حراماً، بل يجوز ليعرف ويرد على صاحبه، ويميز عن كرامات الأولياء وقد حملوا الحديث على فعل السحر[٣].

٤-وقتل الآدمي عمداً بغير حق من أكبر الكبائر بعد الكفر، فقد سئل النبي ﷺ قال: ((أَيُّ الذنبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لله نِدّا وَهُوَ خَلَقَكَ قَالَ قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذٰلِكَ لَعَظِيمٌ. قَالَ قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مِنْكَ))[٤].

٥- والربا محرم بنص الحديث، وبالقرآن الكريم، وبالإجماع فمن القرآن الكريم قوله الله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[٥]، وقد أجمعت الأمة على تحريمه[٦].

٦- وأكل مال اليتيم من الكبائر للحديث، والنصوص الدالة على ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٨].

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٦.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٤١٢/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٨٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري ٤٤٧٧، ومسلم ٨٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٦) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥/٤.

(٧) سورة الأنعام، آية: ١٥٢، وأيضاً: سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٨) سورة النساء، آية: ١٠.

٧- والتولي يوم الزحف من الكبائر، والمراد به الفرار من العدو في المعركة، وذلك لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾[1].

وشرط حرمة الفرار ألا يزيد عدد الكفار عن مثلي عدد المسلمين، لقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾[2].

وألا يكونوا متحرفين لقتال، أو متحيزين إلى فئة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[3].

ومعنى التحرف لقتال: أن ينحاز إلى موضع يكون القتال فيه أمكن.

ومعنى التحيز إلى فئة: أن يصير إلى قوم من المسلمين فيكون معهم، فيقوى بهم[4].

٨- وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات: وهو الرمي بالزنا، وهو من الكبائر[5]، للحديث، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[7].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١٥.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٦٦.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١٦.

(٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص ٢١٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢/١٧٨-١٧٩، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٤/١٩٨، والأم للإمام الشافعي ٤/١٦٩، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩/٢٥٤، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣/٣١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤/١٢٣.

(٥) منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ٢/٣٣٠، والكافي في فقه الإمام أحمد ٤/٢٧١.

(٦) سورة النور، آية: ٢٣.

(٧) سورة النور، آية: ٤.

والمراد بالمحصنات في الحديث: العفيفات، وقد وردت في القرآن الكريم بأربعة معان أحدها هذا[١].

والثاني: بمعنى الزوجات، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[٢].

والثالث: بمعنى حرائر، كقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٣].

والرابع: بمعنى الإسلام، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾[٤])[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر والسؤال والجواب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب السبع الموبقات.

ثالثاً: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للأمور المهلكة وإبعاد المؤمنين عنها.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر والسؤال والجواب:

قد ورد الأمر في الحديث من قوله ﷺ "اجتنبوا" والأمر من الأساليب الدعوية المهمة التي يستعين بها الداعية في إرشاد المدعو وحمله على فعل الأمر المدعو إليه، لما في ذلك من خير وصلاح له في الدنيا والآخرة، أما السؤال والجواب كأسلوب من أساليب الدعوة، فقد ورد في الحديث من قول الراوي: قالوا: يا رسول الله وما هن قال: "الشرك

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٩، والمهذب للشيرازي ٢٧٢/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣١٦/٥.

(٢) سورة النساء، آية: ٢٤.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٢٥.

(٥) لكن جاء في تفسير القرطبي ٢٣٦/٦-٢٣٧، عند قوله تعالى: "فإذا أحصن" قراءة عاصم وحمزة والكسائي بفتح الهمزة. الباقون نصها. فبالفتح معناه: أسلمن، وبالضم زوجن.

بالله... إلخ" (وقد كان السؤال والجواب من أبرز أساليبه ﷺ في التعليم، وذلك لإثارة انتباه السامعين، وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضّهم على إعمال الفكر للجواب؛ ليكون جواب النبي ﷺ - إذا لم يستطيعوا الإجابة- أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب السبع الموبقات:

هذا ما أشار إليه نص الحديث من قوله ﷺ "اجتنبوا السبع الموبقات! قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال "الشرك بالله... إلخ".

قال ابن حجر في قوله ﷺ "اجتنبوا السبع الموبقات": (أي المهلكات، قال المهلب: سميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها. قلت: والمراد بالموبقة هنا الكبيرة...، ومن أحسن التعاريف التي قيلت في الكبيرة قول القرطبي في المفهم "كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم، أو أخبر فيه بشدة العقاب، أو علق عليه الحد، أو شدد النكير عليه فهو كبيرة" وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحية والحسنة، ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة)[2]، وهذا ما نص عليه سياق الحديث في ذكر "السبع الموبقات". وذلك في قوله ﷺ "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"، (وقد كان الشرك بالله من أعظم هذه الموبقات، لأن الله عز وجل أرسل رسله، وأنزل كتبه، وخلق السماوات والأرض ليعرف ويعبد ويوحد ويكون الدين كله لله، والطاعة كلها له، والدعوة له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[4]، فلما كان الشرك بالله منافياً بالذات لهذا المقصود،

---

(١) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبو غده ص ٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٢/١٨٩، ١٩١.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٤) سورة الحجر، آية: ٨٥.

كان أكبر الكبائر على الإطلاق، وحرَّم الله الجنة على كل مشرك ...، وأبى الله سبحانه أن يقبل من مشرك عملاً، أو يقبل فيه شفاعة أو يستجيب له في الآخرة دعوة، أو يقيل له فيها عثرة، فإن المشرك أجهل الجاهلين، حيث جعل له من خلقه نداً، وذلك غاية الجهل به، كما أنه غاية الظلم منه، وإن كان المشرك لم يظلم ربه، وإنما ظلم نفسه)[١]، أما السحر (فهو أعمال شيطانية محرمة تخل بالعقيدة أو تناقضها، لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية، ولهذا قرنه الشارع بالشرك)[٢]، وقد ورد حديث السبع الموبقات برواية أخرى اقتصر فيها النبي ﷺ على ذكر الشرك والسحر من الموبقات فقال ﷺ ((اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ، وَالسِّحْرُ))[٣] قال ابن حجر: (قال ابن مالك: ... واقتصر في هذا الحديث على ثنتين منها -أي الموبقات- تنبيهاً على أنهما أحق بالاجتناب)[٤] (فالسحر من تعليم الشياطين لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[٥] وفيه دعوى علم الغيب، ودعوى مشاركة الله في ذلك، وهذا كفر وضلال، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[٦] وإذا كان كذلك فلا شك أنه كفر وشرك؛ يناقض العقيدة)[٧] فمن أجل ذلك كان من الموبقات التي قرنت بالشرك، وقد ورد في الحديث ذكر "قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق" من الموبقات، (وقد جعل الله سبحانه جزاءَ قتل النفس المؤمنة عمداً الخلود في النار، وغضب الجبار، ولعنته وإعدد العذاب العظيم له)[٨] فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

---

(١) الداء والدواء، ابن القيم، ١٩٦-١٩٧.

(٢) عقيدة التوحيد، صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ص ١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٥٧٦٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٢٤٣/١٠.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٧) عقيدة التوحيد، صالح الفوزان، ص ١٠٠-١٠١.

(٨) الداء والدواء، ابن القيم، ٢٢٢.

مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١]، وقد رهب النبي ﷺ من ذلك فقال: ((لن يَزالَ المؤمنُ في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دَماً حَراماً))[٢] قال ابن حجر في قوله ﷺ ("فسحة" أي سعة، وقوله ﷺ "من دينه" كذا للأكثر بكسر المهملة من الدين وفي رواية الكشميهني "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمداً بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور. وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول، وحاصله أنه فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل)[٣]، وقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه))[٤]، (وذلك من أجل أن قتل النفس يتعلق به ثلاثة حقوق: حق الله وحق المقتول وحق للولي، فضلاً عن أنه من أقبح الظلم وأشده، وقد كان الظلم من أكبر الكبائر عند الله، وكانت درجته في العظمة بحسب مفسدته في نفسه)[٥] أما الربا (فجريمة اجتماعية لاستغلال الأغنياء حاجة الناس وضروراتهم...، والله يريد الإحسان ومواساة المحتاجين بالتعامل الشريف)[٦] (وقد وصف الله المرابي بأنه كفار أثيم، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٧])[٨].

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) أخرجه البخاري، ٦٨٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٢/١٩٥.

(٤) أخرجه البخاري، ٦٨٦٣.

(٥) انظر: الداء والدواء، ابن القيم، ٢٢١-٢٢٣.

(٦) فقه المعاملات، صالح الفوزان ص ٩٤.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٨) الملخص الفقهي، صالح الفوزان، ٢/٢٦.

قال ابن كثير: (أي لا يحب كفور القلب أثيم القول والفعل، ولابد من مناسبة في ختم هذه الآية بهذه الصفة، وهي أن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بما شرع له من التكسب المباح، فهو يسعى في أكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الخبيثة فهو جحود لما عليه من النعمة، ظلوم آثم بأكل أموال الناس بالباطل)[١]، فاستحق أن يكون فعله من الموبقات، وقد ورد أيضاً في الحديث اجتناب أكل مال اليتيم باعتبار أن ذلك كبيرة موبقة، وقد توعد الحق تبارك وتعالى أشد الوعيد في ذلك قائلاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[٢] قال ابن كثير: (أي: إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب، فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة)[٣]، ثم أعقب ﷺ في الحديث ذكر التولي يوم الزحف باعتباره كبيرة موبقة، لما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة، ذكرها ابن عثيمين قائلاً: (التولي عن صف القتال يوم الزحف...، من كبائر الذنوب، لأنه يتضمن مفسدتين: المفسدة الأولى كسر قلوب المسلمين، والمفسدة الثانية: تقوية الكفار على المسلمين، إذا انهزم بعضهم لاشك أنهم سوف يزدادون قوة على المسلمين، يكون لهم بسبب ذلك نشاط)[٤]، (وقد توعد الحق تبارك وتعالى على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك)[٥] قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦] قال ابن عثيمين: (وقد استثنى الحق تبارك وتعالى من ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧١٥/١-٧١٦.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٢٢/٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٠١/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧/٤.

(٦) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥-١٦.

أمرين: فمن تولى لهذين الأمرين، متحيزاً إلى فئة، يعني: بأن يقال إن الفئة الفلانية قدحصرها العدو، وخطر عليها أن يكتسحها العدو، فانصرف لإنقاذهم فهذا لا بأس به، لأنه انتقل إلى ما هو أنفع. والثاني: المتحرف لقتال وهو المذكور أولاً في الآية "إلا متحرفاً لقتال" يعني مثلاً انصرف لإصلاح سلاحه أو ارتداء دروعه أو ما أشبه ذلك من مصلحة القتال فهذا لا بأس به)[١].

وكان من آخر الموبقات التي ذكرت في الحديث والتي أمر النبي ﷺ باجتنابها لعظم جرمها "قذف المحصنات المؤمنات الغافلات"، (وقد قام الإسلام على حفظ مصالح ضرورية، هي حفظ الدين والنفس والعرض والمال والعقل...، والمتأمل للنصوص الشرعية يجد أنها أولت ضرورة العرض اهتماماً خاصاً، حيث قُرن بين هذه الضرورة وضرورة الدم والمال في عدد من النصوص منها قوله ﷺ: ((فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام))[٢] ومن هذا المنطلق جاءت الشريعة بتقرير حد القذف حفاظاً على ضرورة العرض)[٣]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٤] ثم أورد الحق تبارك وتعالى وعيداً شديداً في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٥] قال النووي: ("والمراد بالمحصنات" هنا العفائف، وبالغافلات الغافلات عن الفواحش وما قذفن به)[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٠١/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٦٧، ومسلم ١٦٧٩.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية في المحافظة على ضرورة العرض ووسائلها من خلال محاربة الشائعات، د. سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري ص ٧-٨.

(٤) سورة النور، الآيتان: ٤، ٥.

(٥) سورة النور، آية: ٢٣.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٠.

قال ابن حجر: (وتضمنت الآية الأولى بيان حد القذف، والثانية بيان كونه من الكبائر، بناء على أن كل ما توعد عليه باللعن أو العذاب أو شرع فيه حد، فهو كبيرة وهو المعتمد...، وقد انعقد الإجماع على أن حكم قذف المحصن من الرجال حكم قذف المحصنة من النساء)[١].

ثالثاً- من واجبات الداعية: البيان والإيضاح للأمور المهلكة وإبعاد المؤمنين عنها:

هذا ما ورد في الحديث من حرصه ﷺ على بيان الأمور المهلكة وأمره باجتنابها وذلك في قوله ﷺ "اجتنبوا الموبقات السبع... إلخ" وقد أفرد الإمام مسلم باباً في شفقته ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَىٰ قَوْمَهُ. فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ. وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ. فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَىٰ مُهْلَتِهِمْ. وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ. فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ. فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ. وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ))[٢].

قال النووي: (في قوله ﷺ "لأني أنا النذير العريان" قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة، نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيداً منهم، ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيئة القوم وهو طليعتهم ورقيبهم قالوا: وإنما يفعل ذلك؛ لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظراً، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو...، وقوله ﷺ "فالنجاء" أي انجوا النجاء أو اطلبوا النجاء)[٣].

فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حرصه على بيان وإيضاح الأمور المهلكة وإبعاد المؤمنين عنها.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٢/١٨٨.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٨٢، ومسلم ٢٢٨٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتحذير:

ورد التحذير كأسلوب تربوي وتوجيهي على لسان النبي ﷺ في نص الحديث من قوله: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، ....إلخ».

والتربية بالتحذير تعني التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك.

وقد ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحذر من مغبة الوقوع في المحذور، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1][2].

والتحذير كأسلوب تربوي له شأو بعيد في إيقاف النفس عند غيها، خوفًا من مغبة وسوء عاقبة ما حذر منه؛ لذا كان لهذا الأسلوب أبلغ الأثر في تقويم الأنفس عند اعوجاجها، فضلاً عن حمايتها بسياج من الخوف يمنع من اقترابها من المحظور.

ثانيًا- التربية على اجتناب الكبائر:

على أهل التربية والتوجيه بذل كامل الوسع وإفراغ عظيم الجهد في استنقاذ المتربين والمتعلمين - بدافع الرحمة بهم - مما يهلكهم، مقتدين في ذلك بإمام الرحمة الأول، محمد ﷺ، حيث ترائى من نص الحديث اجتهاده ﷺ في تجنيب أمته الهلكة والعذاب من أمور سماها وحددها بعينها، وذلك في قوله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، ... الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ الله إلاَّ بالْحَقِّ، ...إلخ».

وحتى يُفرغ المربي عظيم الجهد، وكامل الوسع في استنقاذ المتربين مما يهلكهم، كان عليه أن يسأل نفسه، هل يحب أن يرى ولده أو والديه أو زوجه.. أمام عينيه

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٤٩.

يعذبون بنار تُقطّع أجسادهم وتلتهمُ وجوههم ومحاسنهم حتى تهلكهم!!!، هل كان يقف أمام هذا المشهد - الذي يدمي قلبه - مكتوف الأيدي !!! هل كان يُقصِّر في استنقاذهم!!!، بالتأكيد لا... لا...، بل كان سيسارعُ إلى أن يضحي بنفسه من أجل ألا يمسهم في ذلك نصب ولا تعب.

فإن كان ذلك حاله في الدنيا، فعليه أن يجتهد في استنقاذهم من العذاب الأليم في الآخرة.

ومن هذا المنطلق وجب على القائمين على التربية والتوجيه التحذير من الوقوع في الكبائر.

ثالثًا: التربية بالسؤال والاستفهام:

لأهمية التربية بالسؤال والاستفهام حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما يخفى عليهم من أمور دينهم، وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من قول الراوي رضي الله عنه: «قالوا: يارسول الله، وما هن؟، قال: .....إلخ».

فعلى المتربي والمتعلم أن يعلما أن كل إنسان في هذه الحياة له طاقات معينة وبالتالي فإن معارفه محدودة، ولن يحيط بكل شيء. ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة؛ لذا وجب على المتربين تربية أنفسهم على السؤال والاستفهام عما جهلوا، خاصة إن كان المسئول من أهل الخبرة والاختصاص. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1][2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل، آية: ٤٣، سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٢) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٣ باختصار.

٢٨٧- باب تغليظ تحريم الربا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا البَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ - إِلَى قَوْلِه تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾[البقرة: ٢٧٥- ٢٧٨].

وأما الأحاديث فكثيرة في الصحيح مشهورة، مِنْهَا حديث أَبي هريرة السابق في الباب قبله[١].

الحديث رقم (١٦١٧)

١٦١٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ. رواهُ مسلم[٢]، زاد الترمذيُّ[٣] وغيره: وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

مُوكِلُه: معطيه لمن يأخذه وإن لم يأكل منه[٤].

---

(١) برقم (١٦١٤).

(٢) برقم (١٥٩٧/١٠٥) وزاد: قال: (شباك راوي الحديث): قلتُ: وكاتبه وشاهديه؟ قال: إنما نحدِّثُ بما سمعنا). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٥٣).

(٣) برقم (١٢٠٦) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. قلتُ: ثبتت هذه الزيادة عند مسلم من حديث جابر برقم (١٥٩٨/١٠٦) ولفظه: (وكاتبه وشاهديه، وهم سواء).

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٦٨/٢٢، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢١٤/١.

الشرح الأدبي

إن الربا من السبع الموبقات التي أمر رسول الله ﷺ باجتنابها: لأنه تنمية لرأس المال بغير عمل مفيد، ولا إنجاز رشيد، وهو تعطيل لمدارك الإنسان، وإفساد لملكات الابتكار عنده، لأن آكل الربا لا يشارك في بناء المجتمع عن طريق إحياء موات الأرض، أو إقامة المصانع، أو تبني المشروعات العلمية، وإنما يعتمد على تكاثر الأموال تكاثراً غير طبيعي، حيث تتوالد وتتكاثر، ولا ينتفع أحد من زيادتها إلا "المرابي"، والمقترضون والمحتاجون يزدادون حاجة، وفقراً، والمرابي يزداد غنى وجحوداً وبطراً، والربا في اللغة: الزيادة، وشرعاً عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد، أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما كما قال الفقهاء، والبلاغة النبوية تكمن في التعبير عن المتعامل بالربا: بأنه: آكل الربا، فالمراد تعاطي المال الربوي بأي وجه سواء كان أكلاً أو غيره: وهو من الكبائر، التي شدد الإسلام في الزجر عنها، والحديث فيه تعميم العقوبة، وهي اللعن والطرد من رحمة الله، فكل من يشارك في إشاعة التعامل بالربا ملعون مطرود من رحمة ربه، وبعيد عن عفوه إلا إذا تاب وأرجع الحقوق إلى أصحابها، وشارك بجهده وفكره وماله وعرقه في تنمية ثروة بلاد الإسلام والمسلمين، ولذلك يستحق اللعن: آكل الربا، وهو الآخذ أو المعطي، وموكله: أي مطعمه لغيره، ولا ينجو الشاهدان على عقد الربا، وصفقة المترابين من هذا اللعن والطرد من رحمة الله، وكذلك كاتب العقد لأنه شارك في تنفيذ هذه الكبيرة وإشاعتها، ونشرها بين الناس. وقال العلماء: في ذلك تغليظ شديد: لأنه إذا لُعن الكاتب والشاهدان مع أنهما لا يصيبهما منه شيء: فَلأنْ يُلعن المباشر له من آخذ أو معط بالأولى.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- فيه دليل على حرمة الربا، إذ تضافرت أدلة الشرع على تحريمه، كتاباً، وسنة وإجماعاً[1]:

---

(١) المبسوط، أبو بكر السرخسي ٢٨١١/١٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٨/٣، والمهذب للشيرازي ٢٧٠/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٥/٤.

فمن القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[١].

ومن السنة: حديث الباب.

ومن الإجماع: فقد أجمعت الأمة على حرمته، وأما ما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما من القول بإباحة ربا الفضل، فقد صح رجوعه عنه[٢].

ويكفي للتدليل على حرمة الربا أن الله تعالى قد ذكر في القرآن الكريم لآكله خمساً من العقوبات[٣]:

الأولى: التخبط: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[٤].

الثانية: المحق: قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[٥] والمراد: الهلاك، والاستئصال وقيل: ذهاب البركة، والاستمتاع، حتى لا ينتفع به هو ولا ولده بعده.

الثالثة: الحرب، قال تعالى: ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٦].

الرابعة: الكفر، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٧] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[٨] أي: كفار باستحلال الربا، أثيم فاجر بأكله.

الخامسة: الخلود في النار، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٩].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٨/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٥١٢/٣.

(٣) المبسوط، أبو بكر السرخسي ١١٠/١٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٩.

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٧٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

٢- وفيه دليل على تحريم كتابة الربا، والشهادة عليه، بدليل لعن رسول الله ﷺ شاهد الربا وكاتبه.

ولعل السبب في تحريم كتابة الربا والشهادة عليه، أن فيهما إعانة للآكل على الربا، ومحل التحريم إذا علم كل منهما أنه يكتب الربا، أو يشهد عليه، أما إذا لم يعلما ذلك فلا حرمة عليهما، ولا يدخلان في الوعيد[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الوعيد الشديد لآكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من شدة الوعيد في تحريم الربا.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الوعيد الشديد لآكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه:

هذا ما ورد في الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه" واللعن: (هو الطرد والإبعاد من رحمة الله)[2] وقد توعد الله المتعامل بالربا بأشد الوعيد: فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[3]، قال ابن كثير: (أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً)[4]، كما توعد الله سبحانه الذي يعود إلى أكل الربا بعد معرفة تحريمه بأنه من أصحاب النار خالداً فيها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[5]، كما أخبر الله سبحانه أنه يمحق بركة الربا، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١١٠/٤، وفتح الباري، ابن حجر ٣١٤/٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٣٠/٥.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٠٩/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٠٩/١.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

ٱلرِّبَوٰاْ﴾[١] أي: (يذهبه، إما بأن يذهب بالكلية من يد صاحبه، أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة...)[٢]، كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾[٣]، وقد شمل هذا الوعيد كلاً من آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، وآكل الربا (أي آخذه وإن لم يأكل، وإنما خص بالأكل لأنه أعظم أنواع الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾[٤] وقوله "موكله" أي معطيه لمن يأخذه وإن لم يأكل، نظراً إلى أن الأكل هو الأغلب أو الأعظم)[٥] في قوله "وشاهديه وكاتبه" قال النووي: (هذا تصريح بتحريم كتابة المبايعة بين المترابين والشهادة عليها، وفيه تحريم الإعانة على الباطل)[٦].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان الحكمة من شدة الوعيد في تحريم الربا:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد شدد الحق تبارك وتعالى الوعيد في تحريم الربا (لما فيه من أكل أموال الناس بغير حق؛ لأن المرابي يأخذ منهم الربا من غير أن يستفيدوا شيئاً في مقابله، وأن فيه إضرارًا بالفقراء والمحتاجين بمضاعفة الديون عليهم عند عجزهم عن تسديدها، وأن فيه قطعاً للمعروف بن الناس، وسداً لباب القرض الحسن، وفتحاً لباب القرض بالفائدة التي تثقل كاهل الفقير، وفيه تعطيل للمكاسب والتجارات والحرف والصناعات، التي لا تنتظم مصالح العالم إلا بها، لأن المرابي إذا تحصل على زيادة ماله بواسطة الربا بدون تعب، فلن يلتمس طرقاً أخرى للكسب الشاق، والله تعالى جعل طريق تعامل الناس في معايشهم، قائماً على أن تكون استفادة

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧١٣/١.

(٣) سورة الأنفال، آية:

(٤) سورة النساء، آية: ١٠.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ١٢١٤/١.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠١٣.

كل واحد من الآخر، في مقابل عمل يقوم به نحوه أوعين يدفعها إليه، والربا خال عن ذلك؛ لأنه عبارة عن إعطاء المال مضاعفاً من طرف الآخر بدون مقابلة من عين ولا عمل)[١]، (فهو جريمة اجتماعية لاستغلال الأغنياء حاجة الناس وضروراتهم)[٢].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

(إن الحاجة إلى الترهيب ضرورة لازمة للدعاة والمحتسبين عند الأخذ بأيدي الناس إلى الخير، وإنقاذهم من التعرض للمعاصي المؤدية لسخط الله)[٣].

وقد ورد الترهيب كأسلوب دعوي في الحديث من قول ابن مسعود رضي الله عنه "لعن رسول الله ﷺ آكل الربا... إلخ" (والترهيب هو أسلوب قرآني يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها...، والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[٤] وهذا ما ورد في الحديث من ترهيبه ﷺ من أكل الربا وقد أكد الحق تبارك وتعالى على ذلك فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٥] (وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، لمن استمر على تعاطي الربا بعد الإنذار)[٦].

---

(١) الملخص الفقهي، صالح بن فوزان، ٢/٢٧- ٢٨.

(٢) من فقه المعاملات، صالح بن فوزان، ٩٤.

(٣) الترهيب في الدعوة، د. زينب نياز، ٧٧.

(٤) فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود، ١/٢٣٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١/٧١٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالترهيب:

الترهيب أسلوب تربوي وقائي، وقد رهّب النبي ﷺ من الربا، إلى حد اللعن والتنفير، كما ورد في نص الحديث من قول الراوي رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا...إلخ»، وما شده الترهيب في ذلك إلا لترهيب كل مسلم من أكل الربا والتعامل به، حتى يكون عيش الإنسان من الحلال وحتى يعيش المسلمون إخوة متضامنين، يعاون الغني منهم المحتاج، دون غرض، اللهم إلا رضوان الله عز وجل وابتغاء فضله ووجهه[1].

والترهيب كأسلوب تربوي تحتاجه النفس كلما شردت عن الجادة، فإذا أقيم عليها بحق، عادت إلى رشدها، وتركت غيها؛ لذا كان الترهيب من أجل الأساليب التي يجدر بدعاة التربية استخدامه إن اقتضته طبيعة الموقف التربوي.

ثانيًا- التربية على تحريم الربا:

في هذا الباب دعوة للقائمين على التربية والتوجيه أن يبينوا للناس حرمة التعامل بالربا، ومن الشواهد على ذلك ما ورد في بيان تحريم الربا في قول الراوي: «لَعَنَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا...إلخ»، لذا وجب على المتربي والمتعلم أن يعلما بأن التعامل بالربا له آثار اجتماعية واقتصادية وأخلاقية خطيرة، لأنه يعمل على قتل كل مشاعر الشفقة في الإنسان، فالمرابي لا يتردد في تجريد المدين من أمواله، إذا كان في ذلك إضافة درهم إلى ألوفه.

فالمال في نظر الإسلام وديعة في يد صاحبه، وهو موظف لخير الجماعة، فليس له أن يتحين ساعة احتياجهم فيأخذ منهم أكثر مما أعطاهم[2].

وبذلك تنهار أخلاق المجتمع بسبب انعدام التعاون بين أفراده ... مما يؤدي حتمًا إلى تفسخ المجتمع، وشيوع الأنانية، والأثرة فيه، بدل التضحية والمحبة والإيثار[3].

والمتربي والمتعلم يجب أن يعلما أن الإسلام يرمي من تحريمه الربا إلى الحيلولة، دون

---

(١) انظر: الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٦٨.

(٢) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٣٢٩.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٨٧.

المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح، ويسعى لتحقيق المساواة بين أفراد الأمة، فالمرابي بدلاً من أن يعمل عملاً مجديًا يصبح كالطفيلي يعيش من كد غيره[١].

فينهار بذلك اقتصاد المجتمع بسبب تلكؤ الدائن عن العمل، وإخلاده إلى الراحة والكسل.... طمعًا في ربح الفائدة، والإثقال على المدين بالالتزامات الربوية، ومن ثمَّ اعتبره الإسلام منكرًا اقتصاديًا، حيث يؤدي إلى انقسام المجتمع إلى طبقتين متنازعتين: طبقة المستعلين، والمتحكمين برؤوس أموالهم. وطبقة الفقراء المستضعفين الذين أكلت جهودهم وأتعابهم من غير حق[٢].

أما السقط الإيماني، فهو متمثل في الجهر بمحاربة الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[٣].

فآكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه، في حرب مع الله ورسوله لعصيانهم أوامرهما، وقبح فعلهم في ذلك دلل على سقط وضعف إيمانهم.

ومما لا شك فيه أن قيام دعاة التربية والتوجيه بغرس تحريم الربا في نفوس المتعلمين قد لا يكفي لتحقيق الثمرة المرجوة في ذلك، إلا إذا أوجدوا سبل القضاء على الربا في نفوس المتربين، طالبين منهم إقامتها قربة لربهم وطاعة لنبيهم.

وأهم هذه الوسائل التي يجب غرسها في نفوس المتربين والمتعلمين لمنع الربا، هي وسيلة القرض الحسن، وهو قرض بلا فائدة يرجى أجره من الله، وهو يساعد على تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين الأمة الإسلامية.

ومن هذه الوسائل فتح مؤسسات للزكاة حيث تدفع هذه المؤسسات للمديون المحتاج، أو الفقير الذي لا يملك، أو الغريب المنقطع... تدفع لهم قسطًا من المال يسد حاجتهم، ويحقق تكافلهم، ويرفع مستواهم[٤].

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ٣٣١.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٩٨٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٩٨٧، ٩٨٨.

٢٨٨- باب تحريم الرياء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[البينة: ٥]، وقال تَعَالَى: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾[البقرة: ٢٦٤]، وقال تَعَالَى: ﴿يُرَاءونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء: ١٤٢].

الحديث رقم (١٦١٨)

١٦١٨ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: ((**قَالَ الله تَعَالَى: أنَا أغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرويه رسول الله ﷺ عن ربه: فهو حديث قدسي، والحديث القدسي ألفاظه من إنشاء المصطفى ﷺ، ومعناه يوحى إليه من قبل الله عز وجل، والرسول ﷺ يصوغه بعبارته العربية المبينة الواضحة، ويرويه عنه الصحابة الأجلاء باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط، مع الحرص على عدم تبديل الدلالة المعنوية حين يتغير النسق اللفظي، أو تبدل العبارة من نسق إلى آخر.

والحديث في بنائه اللغوي، وصياغته الأدبية يتكون من جملتين تفيضان بالتوحيد، وترشدان المسلم إلى منابع العقيدة الخالصة والدين الخالص لله، وهي تتمثل في التوحيد وعدم الانزلاق إلى مهاوي الشرك، ولذلك تبدأ الجملة وهي اسمية بضمير المتكلم "أنا"،

---

(١) برقم (٢٩٨٥/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩) من رواية أبي هريرة التي أخرجها ابن ماجه، وابن خزيمة، والبيهقي. بلفظ: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك).

والمتكلم هو الحي القيوم الذي لا إله إلا هو، قيوم السماوات والأرض، فهذا اللفظ المشع بهالات الوحدانية، لا يغني عنه سواه، ويلغي كل ما عداه، أنا (الله)، ثم يأتي تمام الجملة وهو الخبر في صيغة أفعل التفضيل، والمادة اللغوية هي مادة "الغنى والاستغناء" وهي تفيد التفرد والجلال، والكبرياء والكمال، وتأمل إشعاعات هذا التركيب الأسلوبي، ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك))، فليس لله شريك، فهو وحده لا شريك له.

ومادة (شرك) تكررت في الحديث أربع مرات، وذلك للتنبيه إلى خطورة هذا الأمر، وسوء مصير الذي يتردى فيه، وقد ذكر الفعل أشرك وما يشتق منه مائة وثمانية وستين مرة في القرآن الكريم، منها تسع وأربعون آية ذكرت فيها مصطلحات المشرك والمشركة والمشركين والمشركات[1].

ومصطلح الشرك بالله، أو المشرك لم يعرف إلا بعد نزول القرآن الكريم، وهذا من مظاهر تأثير الإسلام في اللغة العربية ومصطلحاتها.

والجملة الثانية في الحديث: جملة شرطية، تتكون من مقدمة: وهي الشرط، ومن خاتمة وهي: الجواب والجزاء: فالشرط وهو العمل المشوب بالشرك، والجواب والجزاء هو أن الله يترك هذا المشرك وشركه، وهذا الجواب، الجزاء: كناية عن إحباط ثواب: المرائي، وحرمانه من أجره لما اقترفه من ترك الإخلاص في العمل، والرياء شرك خفي، وإن كان لا يقدح في أصل الإيمان، كما قال العلماء.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على إخلاص العمل لله تعالى.

ثانياً: من واجبات الداعية: حث المدعوين على إخلاص القول والعمل لله تعالى.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: ذَمّ الرياء.

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ص٢٧٣-٢٧٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦١٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦١٩، ١٦٢٠).

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

خامساً: من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة الرياء في الأعمال.

سادساً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على إخلاص العمل لله تعالى:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾[2] قال ابن كثير (أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده، لا شريك له)[3] وقال السعدي: (هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضيل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص، الصافي من جميع الشوائب فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به؛ لأنه متضمن للتأله لله في حبه، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، في تحصيل مطالب عباده. وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله برئ منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء عن الشرك...)[4]، والإخلاص كما بينه ابن القيم هو: (تصفية العمل من كل شوب، أي لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق، وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أوطلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العمل والشوائب التي عَقدُ متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله جملة، كائناً ما كان)[5].

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢ - ٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨٤/٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٦٤.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١٥/٢.

وفي ذلك قال ﷺ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ. وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى الله ورسوله فَهِجْرَتُهُ إلى الله ورسولِهِ، وَمَن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينْكِحُها، فهجرته إلى ما هَاجَرَ إليه))[1] قال ابن رجب: (واتفق العلماء على صحته وتلقيه بالقبول -أي حديث إنما الأعمال بالنية أو النيات- وبه صدَّر البخاري كتابه "الصحيح"، وأقامه مقام الخطبة له، إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله، فهو باطل، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي: لو صنفتُ الأبواب، لجعلت حديث عمر في الأعمال بالنية في كل باب)[2].

(وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[3] هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل؛ وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[4])[5].

ثانياً- من واجبات الداعية: حث المدعوين على إخلاص القول والعمل لله تعالى:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، فحري بالداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في حث المدعوين على إخلاص القول والعمل لله تعالى، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: ((كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَعودُني عامَ حَجَّةِ الوَداعِ من وَجَعٍ اشتدَّ بي، ... فقلتُ: يا رسولَ الله، أخَلَّفُ بعدَ أصحابي؟ قال: إنكَ لن تُخلَّفَ فتَعملَ عملاً تبتغي به وجه

---

(١) أخرجه البخاري ١، ٥٤، ٢٥٢٩، ومسلم ١٩٠٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٦١/١.

(٣) سورة الملك، آية: ٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١٠/٢.

الله، إلاّ ازدَدْتَ به درجةً ورِفعة))[١] قال النووي: (وفي الحديث الحث على إرادة وجه الله تعالى بالأعمال)[٢].

وقال ﷺ: ((... ثَلاثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ. فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ))[٣] قال ابن القيم: (أي لا يبقى فيه غلٌّ، ولا يحمل الغلَّ مع هذه الثلاثة؛ بل تنفي عنه غِلَّه، وتنقيه منه، وتخرجه عنه فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة؛ فهذه الثلاثة تملؤه غلاً ودغلاً، ودواء هذا الغل،و استخراج أخلاطه: بتجريد الإخلاص والنصح ومتابعة السنة)[٤].

وقد حث ابن القيم على الإخلاص التام لله وحده مبيناً عظيم الفضل والثواب قائلاً: (ترك الشهوات لله، وإن أنجى من عذاب الله، وأوجب الفوز برحمته؛ فذخائرُ الله، وكنوز البر، ولذة الأنس والشوق إليه، والفرحِ والابتهاج به، لا تحصل في قلب فيه غيره،وإن كان من أهل العبادة والزهد والعلم، فإن الله سبحانه أبى أن يجعل ذخائره في قلب فيه سواه، وهمته متعلقة بغيره، وإنما يودع ذخائره في قلب يرى الفقر غنىً مع الله، والغنى فقراً دون الله، والعز ذلاً دونه، والذُّل عزاً معه، والنعيم عذاباً دونه، والعذاب نعيماً معه، وبالجملة، فلا يرى الحياة إلا به ومعه، والموت والألم والهمَّ والغمَّ والحزن، إذا لم يكن معه، فهذا له جنَّتان: جنَّة في الدنيا معجلة، وجنة يوم القيامة)[٥].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: ذَمُّ الرياء:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، والرياء كما بينه ابن حجر: (هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها...، وقال الغزالي: والمعنى طلب المنزلة في قلوب

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٩٥، وأخرجه مسلم ١٦٢٨ واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣٥.

(٣) ابن ماجه ٣٠٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٠).

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣١١/٢.

(٥) الفوائد المشوفة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت ٢٧٧.

الناس بأن يريهم الخصال المحمودة والمرائي هو العامل، وقال ابن عبدالسلام: الرياء أن يعمل العمل لغير الله)[١]، وقد ذم الحق تبارك وتعالى الرياء في جعله صفة للمنافقين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[٢].

قال السعدي: (يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات، وشنائع السمات... ومن صفاتهم أنهم "يراءون الناس" أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس يقصدون رؤية الناس، وتعظيمهم، واحترامهم، ولا يخلصون لله. فلهذا "لا يذكرون الله إلا قليلاً" لامتلاء قلوبهم من الرياء)[٣]، وقال ﷺ مرهباً ومخوفاً من الرياء ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، إن الله تبارك وتعالى يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء))[٤].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

قد ورد التوكيد كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قوله ﷺ "إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد" (والتوكيد من الأساليب الدعوية المهمة في تقوية الكلام وإثبات صحته)[٥]، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على تحريم الرياء وذمه، وإنه سببٌ في إحباط العمل وزواله.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٤/١١.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٢-١٤٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٧٤.

(٤) أخرجه أحمد ٤٢٨/٥ رقم ٢٣٦٣٠، قال محققو المسند: حديث حسن ورجاله رجال الصحيح ٣٩/٣٩.

(٥) انظر: مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد الأول، ص ٢٧٣.

خامساً- من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة الرياء في الأعمال:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله تعالى "تركته وشركه" قال النووي: (ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به)[1]، وهذا ما أكده النبي ﷺ أيضاً من نص الحديث في قوله "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء! فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار... إلخ" قال النووي: (وفي الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته)[2]، وقال ابن رجب: (وفي الحديث إنَّ معاوية لما بلغه هذا الحديث بكى حتى غشي عليه، فلما أفاق، قال: صدق الله ورسوله، قال الله عز وجل ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾[3])[4].

وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يُقصَدُ به من الرِّياء، وإظهار الشجاعة والعصبيَّة، وغير ذلك: أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ عزَّ وجلَّ))[5]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: ((أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضاً مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: لاَ أَجْرَ لَهُ، فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ وَقَالُوا لِلرَّجُلِ: عُدْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فقال يَارَسُولَ اللهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضاً مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: لاَ أَجْرَ لَهُ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فقالَ لَهُ الثَّالِثَةَ فقالَ لَهُ لاَ أَجْرَ لَهُ))[6].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٧١٧.

(٢) المرجع السابق ١٢٢٠.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١٥-١٦.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٧/١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

(٦) أخرجه أبو داود ٢٥١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٦).

وقد ورد في نص الحديث الوعيد على من تعلم العلم لغير وجه الله، وذلك من قوله ﷺ "ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت ليقال: عالم! وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار" وقد أكد النبي ﷺ على وعيد من تعلم العلم لغير وجه الله فقال: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعني رِيحَهَا))[1].

ثم بين النبي ﷺ في نص الحديث عاقبة من تصدق رياءً فقال "ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال" إلى قوله "قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد! فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"، وقد حذر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين من أن ينفقوا أموالهم رياءً فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2] قال ابن كثير: (أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى، كما تبطل صدقة من راءى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدحة الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى)[3].

وفي جملة ما سبق قال الذهبي في بيان عاقبة الرياء (فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءُ خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داءٌ سار في نفوس المنفقين من الأغنياء، وأرباب الوقوف، والتُّرب المُزَخْرَفة، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلتقون العدو، ويصطدم الجمعان، وفي نفوس المجاهدين مُخبّآتٌ وكمائن من

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٦٦٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣١١٢).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٩٤/١.

الاختيال، وإظهار الشجاعة ليقال، والعجب، ولبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعُدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلالٌ بالصلاة وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك ووفق عبادك، فمن طلب العلم للعمل، كسره العلمُ، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العجب، ومقتته الأنفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1])[2].

سادساً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

قد ورد الترهيب كأسلوب دعوي في الحديث من قوله ﷺ "ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار (والترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو، لما فيه من وعد ووعيد تقشعر منه الأبدان، حيث جهنم ولهيبها وأنواع العذاب فيها جزاءً وفاقاً)[3] مما يحمل المدعو على سرعة الاستجابة والامتثال لأمر الله ورسوله، في تحري الإخلاص، والبعد عن الرياء، وجعل العمل كله لله.

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٧٢٦-٢٧٢٧.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٤٥٠.

الحديث رقم (١٦١٩)

١٦١٩ - وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: ((إنَّ أولَ النَّاسِ يُقْضَى يَومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ[1]. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ[2] لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ[3]، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ[4]: جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى[5] أُلْقِيَ فِي النَّارِ)). رواه مسلم[6]. "جرئ" بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد، أي: شجاع حاذق.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من الأحاديث التي تنبئ عن المستقبل والمصير، الذي ينتظر بعض الطوائف من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا: وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم المراءون الذين تشوب أعمالهم بواعث الرياء والنفاق، فلا تسلم نيانهم من التعلق بثناء العباد، ومراءاة الناس.

---

(١) إلى هنا أورده المنذري في ترغيبه.

(٢) عند مسلم زيادة: (العلم).

(٣) عند مسلم زيادة: (كله).

(٤) عند مسلم زيادة: (هو).

(٥) (حتى) لا توجد عند مسلم.

(٦) برقم (١٩٠٥/١٥٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٩٩٦) الشطر الأول منه، وأورده من رواية الترمذي بتمامه.

ولذلك يبدأ الحديث بأسلوب خبري مؤكد، فيقول رسول الله ﷺ: "إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه".

والجملة لم تتم حيث ينقصها خبر إن، وهو يبدأ من قوله: "رجل استشهد ... إلى نهاية الحديث" لأن كل ما بعد ذلك معطوف على هذا الخبر الذي بدأت به مشاهد المرائين يوم القيامة.

وفي هذه المشاهد الثلاث: مشهد المقاتل المرائي، والعالم المرائي، والمنفق المرائي، تتجلى المفارقة في المواقف، والحوارات، والأسئلة والأجوبة، وذلك من بواعث التفكير في مصير هؤلاء المرائين الذين تناقض مظهرهم مع مخبرهم، وتناقض فعلهم مع معتقدهم، وكشف الله زيفهم، وأظهر كذبهم، والحديث يفيض بالظواهر الأسلوبية التي تؤثر في المتلقي وتشده إلى التأمل والعظة والتفكر، ومن ذلك: الحوار بين هؤلاء المرائين وربهم، ومن خلال الحوار تتجلى المفارقة التي تجسد كذب هؤلاء ونفاقهم، والله يعلم السر وأخفى، والحوار جاء في صيغة السؤال والجواب لمزيد من الإقناع والتأثير، ويسيطر التكرار على أسلوب السرد وعرض المشاهد الثلاث: لتأكيد زيف هؤلاء، ولزجر غيرهم.

وتأمل أسرار تكرار جملة: "فأتي به فَعَرَّفَهُ نعمته فعرفها"، وتكرار السؤال في كل مشهد: "فما عملت فيها؟"، وقد تكررت هاتان الصيغتان ثلاث مرات في الحديث: في سياق كل مشهد.

وتأمل أسرار تكرار قوله: "فقد قيل" في كل مشهد وذلك لمزيد من الإدانة، وبأن المرائي قد حصل على مراده من ثناء الناس وشكرهم، ولكن حرم من نعمة الله ومن رضوانه، وكان مصيره جهنم وبئس القرار، وتأمل هذا المشهد المتكرر في كل موقف، مع العالم، ومع المقاتل، ومع المنفق، وهذا المشهد يوحي بالإهانة والإذلال في قوله: "ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار"، وتكررت هذه العبارة المصورة لحال هؤلاء المرائين ثلاث مرات: لتؤكد أن هذا المصير المحتوم أمر يقيني لا شك فيه.

والحذف من مظاهر بلاغة الأسلوب في هذا الحديث، ومن ذلك حذف الفاعل في قوله: "فعرفه نعمته": لأن الذي عرف هو الله، ولا ينصرف الذهن إلى سواه، وكذلك حذف فاعل: "أمر" لأنه لا يأمر بذلك إلا الله.

وفي سياق الشهادة المزعومة أتت النعمة مفردة، وفي سياق مشهد العلم، قال نعمه، بالجمع وفي ذلك إيماء إلى عظم العلم، وأن نعمته بمنزلة أعلى من غيره.

والعطف بالواو في بداية المشاهد الثلاث حيث قال: ورجل، ورجل ، ورجل، يدل على أن هذه النماذج المرائية: يحاسبون دفعة واحدة، ولا إشكال في ذلك كما يقول العلماء، فهو ممكن، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٢٠)

١٦٢٠ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن ناساً قالوا له: إنَّا ندخُلُ على سلاطيننا[١] فنقولُ لهم[٢] بخلافِ ما نتكلَّمُ إذا خرجنا من عندهم؟ قال (ابنُ عمرَ رضي الله عنهما)[٣]: كنَّا نعُدُّ هذا نفاقًا (على عهدِ رسول الله ﷺ)[٤]. رواه البخاريُّ[٥].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سلاطيننا: جمع سلطان: الملك أو الولي[٦].

---

(١) لفظ البخاري: (سلطاننا)، وكذا عند الحميدي، والمنذري، والمثبت لفظ الطيالسي في المسند (٢٠٦٧). قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/١٧٠) في رواية الطيالسي، عن عاصم: (سلاطيننا) بصيغة الجمع.

(٢) أي: نثني عليهم.

(٣) هذا التفسير من المؤلف.

(٤) هذه الزيادة لا توجد عند البخاري. وهي عند الحميدي في جمعه، فتبعه عليه المنذري والنووي. وهذه الزيادة أخرجها الطيالسي في المسند (٢٠٦٧) قال: (قال العمريُّ (عندابن حجر في الفتح ١٣/١٧٠ قال عاصم، بدل: قال العمري، وقال محقق المسند: هكذا في النسخ، ولعل الصواب: قال العمري: قال عاصم) ثم ذكرها، ووقع في الأطراف للمزي (٦/٤٠، رقم ٧٤٢٧) ما نصه: (خ في الأحكام، عن أبي نُعيم، عن عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه به)، قال: ورواه معاذ بن معاذ، عن عاصم وقال في آخره: (فحدّثت به أخي عمر، فقال: إن أباك كان يزيد فيه: في عهد رسول الله ﷺ). قال الحافظ ابن حجر: وقال معاذ إلى آخره: لم يذكره أبو مسعود، فيحتملُ أن يكون نقله من كتاب خلف، ولم أره في شيء من الروايات التي وقعت لنا عن الفربري ولا عن غيره، عن البخاري. وقد قال الإسماعيلي عقب الزيادة المذكورة، ليس في حديث البخاري: (على عهد رسول الله ﷺ) انتهى. قلتُ: ذكر هذه الزيادة الحميدي في جمعه كما تقدم، ولا شكَّ أنه إما نقله عن نسخة من الجامع فيها هذه الزيادة، أو من خلف الواسطي كما توقعه الحافظ ابن حجر، لكن الحافظ لم يتطرق إلى وجود هذه الزيادة عند الحميدي في جمعه، والله أعلم.

(٥) برقم (٧١٧٨)، والسياق للحميدي في جمعه (٢/٢٧٨، رقم ١٤٣٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٤٨).

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ط ن).

نفاقًا: النفاق: إظهار الإيمان وإخفاء الكفر[١].

الشرح الأدبي

هذا الحديث محاورة بين عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وبعض المسلمين حول قضية سلوكية لها أثرها في ضبط إيقاع التعامل والتفاعل بين الراعي والرعية: بين الحاكمين والمحكومين، وهي: ما المعيار الذي يحكم صدق القول أمام السلطان؟.

يبدأ الحديث بأسلوب التأكيد في خطاب جمع من الناس لابن عمر في قولهم: "إنا ندخل على سلاطيننا"، والتأكيد هنا يجعل من التناقض في القول أمام السلطان، ومن خلفه: حقيقة مؤكدة، والتعبير بالمضارع بأسلوب الجمع في قولهم: "ندخل"، وكذلك الجمع في سلاطيننا، إشارة إلى تكرار هذا السلوك: لأنه مستمر في ضوء دلالة الفعل المضارع الزمنية، وكذلك نستنبط هذه الدلالة من المضارعية في قولهم: "فنقول"، والعطف بالفاء يفصح عن التسرع في هذا القول الذي كان يعده الصحابة نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ، فهم يمدحون السلطان في حضرته، ولكن يذمونه إذا خرجوا من عنده، وصيغة الجمع في قولهم: "إذا خرجنا من عندهم" توحي بتعدد المواقف أمام كثير من الولاة، وليس المقصود سلطاناً واحداً.

وإجابة ابن عمر رضي الله عنهما فيها احتراس، لأنه لم يجزم بأن ذلك نفاق قاطع، لأنه جعل رأيه وحكمه في إطار زمني حيث قال: "كنا نعدُ ذلك نفاقا"، ولم يقل هذا نفاق، وقوله: "على عهد رسول الله ﷺ" يوحي بأن ذلك اجتهاد من ابن عمر: فيتوقف في موافقته أو مخالفته تخالف المجتهدين في الأحكام[٢]. وذلك لأن مخاطبة الحكام، والنصيحة لهم، واجب على كل مسلم، ولكن ما وسيلة ذلك؟ وما السبل التي تؤدي إلى الاستجابة والعمل الصالح، وما أصدق هذه النصيحة التي قالها عمر بن عبيد واعظ المنصور: حين قال له المنصور: "عظني"، فقال: يا أمير المؤمنين: إن الله أعطاك الدنيا

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ق).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان.

بأسرها: فاستر نفسك ببعضها: واذكر ليلة تمخَّضُ عن يوم لا ليلة بعده!!!، نسأل الله العون والسداد والإخلاص في القول والعمل.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦١٨).

الحديث رقم (١٦٢١)

١٦٢١ - وعن جُندب بن عبد اللهِ بن سفيان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ورواه مسلم[2] أَيضاً من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

"سَمَّعَ" بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للناس رياءً.

"سَمَّع الله به" أي: فضحه يوم القيامة، ومعنى "مَنْ رَاءى" أي: من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم، "رَاءى الله به" أي: أظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

ترجمة الراوي:

جُنْدُب بن عبدالله بن سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٥٠).

الشرح الأدبي

إن البناء اللغوي في هذا الحديث يفصح عن معانيه وعن مقاصده، فالمبنى وعاء للمعنى، والألفاظ أجنحة المعاني، والحديث يحذر من الوقوع في شرك الرياء، ويتسم بالإيجاز ودقة الدلالة، فهو يتكون من جملتين شرطيتين: وهما متناسقتان في بنائهما، وكأن هذا التناسق اللغوي صورة من التناسق الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم، فلا بد أن يتوازن مظهره مع مخبره، وتستقيم أحواله، وتصلح أعماله، والجملة الأولى تبوح بالدلالات الكثيرة من خلال نسيجها اللغوي.

فصياغتها الشرطية تتفق مع دلالتها: فالجزاء من جنس العمل: لأن الجواب نتيجة للشرط ومحصلة له، وذلك متحقق ظاهر في قوله ﷺ "من سَمَّع سمَّعَ الله به".

والتضعيف في فعل الشرط وجواب الشرط: أضفى على الفعل "سمَّع"، دلالة مغايرة... ولكنها أكثر تأثيراً وأوسع دائرة، فالتضعيف في قوله: "سمَّع" يجعل من صاحب

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٩) واللفظ له، ومسلم (٢٩٨٧/٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣٢).

(٢) برقم (٢٩٨٦/٤٧).

السمع، مصدراً للصوت وللفعل، حيث يقوم بأفعال وأقوال من شأنها أن تشيع عمله بين الناس رغبة في ثنائهم عليه، طلباً للشهرة وجرياً وراء زخرف الحياة وعرضها، وهو لاه عن مكانة عمله عند ربه عز وجل، أما الفعل سَمِعَ بدون تضعيف: فيجعل من صاحب السمع مستقبلاً للكلام من مصدر خارجي، وفرق بين دلالة الفعلين حسب بنائهما اللغوي: وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، كما قال العلماء، فمعنى قوله: "سمَّع"، في ضوء ما سبق: أي من عمل سراً وأراد أن يسمع الناس بعمله فيثنوا عليه.

وسمَّع الله به: أي أعطاه الله ما يريد من متاع الدنيا: ولكن يحرمه من ثواب الآخرة: وقيل: فضحه يوم القيامة، والمشاكلة اللفظية تتجلى في قوله: "ومن يرائى يرائى الله به"، فدلالة الفعل في الشرط غير دلالتها في الجواب، أن العبد المرائى يظهر للناس العمل الصالح: وهو في غفلة عن مراقبة الله لسريرته واطلاعه على نيته، ولذلك يتفق الجواب في اللفظ مع الشرط: "يرائى الله به"، ولكن يختلف عنه في الدلالة: لأن الله لا يرائي، وقوله "به" يحدد التباين بين فعل العبد، وفعل الله عز وجل: والمراد من قوله: "يرائي الله به" أي يظهر سريرته على رءوس الخلائق: يوم القيامة، حيث يطلع الناس على ما حاول أن يخفيه عنهم في الدنيا، وقيل: يحتمل ذلك في الدنيا: حيث يطلع الله العباد على سريرته، ويعرفون عنه خلاف ما يظهر فلا ينال مراده، ولذلك جاء قوله: "يرائي الله به"، مطلقاً غير مقيد بزمن: الدنيا أو الآخرة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عاقبة الرياء والتظاهر بالأعمال.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط:

قد اشتمل الشرط كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث على أداة الشرط المتمثلة في قوله ﷺ "من" وعلى فعل الشرط المتمثل في قوله ﷺ "سمع" وقول "يرائي"

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٢١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٢٢).

وعلى جواب الشرط المتمثل في قوله ﷺ "سمع الله به" وقوله "يُرائي الله به"، والشرط من أساليب الدعوة المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لمعرفة جواب الشرط وما فيه من إرشاد.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عاقبة الرياء والتظاهر بالأعمال:

إن الرياء من كبائر المهلكات، وسوء الأخلاق، به يكون مقت الله وغضبه، (وهو ترك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه)[1]، (وأن يقصد فاعله اطلاع الناس على عبادته وكماله، فيحصل له منهم نحو مالٍ أو جاهٍ، أو ثناء)[2]، فيكون سبباً في إحباط الأعمال وسوء الجزاء، وهذا ما أكده نص الحديث في قوله ﷺ "من سمَّع سمَّع الله به ومن يرائي يرائي الله به" قال النووي: (قال العلماء معناه: من رايا بعمله وسمعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمَّع الله به يوم القيامة الناس وفضحه، وقيل: معناه: من سمع بعيوبه وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمعه المكروه، وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل: معناه: من أراد بعمله الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه)[3].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: معناه من عمل عملاً على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جوزي على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه، وقيل من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة، ومعنى يرائي يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه، ومنه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4] وقيل: المراد من قصد بعمله أن يسمعه

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ٤٣/١.

(٢) الزواجر، ابن حجر الهيتمي، ٤٣/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٧١٧.

(٤) سورة هود، آية: ١٥.

الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد، وكان ذلك جزاءه على عمله؛ ولا يثاب عليه في الآخرة. وقيل المعنى، من سمع بعيوب الناس وأذاعها، أظهر الله عيوبه وأسمعه المكروه. وقيل المعنى من نسب إلى نفسه عملاً صالحاً لم يفعله، وادعى خيراً لم يصنعه، فإن الله يفضحه ويظهر كذبه، وقيل المعنى من يرائي الناس بعمله، أراه الله ثواب ذلك العمل وحرمه إياه. وقيل معنى سمع الله به، شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة، قلت: ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتمد)[1]، وما يؤيد ذلك حديث بشر بن عقربة رضي الله عنه الذي قال فيه ((إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ قَامَ بِخُطْبَةٍ لا يَلْتَمِسُ بِهَا إلاّ رِياءً وسمعة أَوْقَفَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَوْقِفَ رِياءٍ وَسُمْعَةٍ))[2] وعنه ﷺ أنه قال: ((من أكل بِرَجُلٍ مُسلم أكلةً ـ وقال مرة: أَكلةً ـ فإن الله عزَّ وجلَّ يطعمه مثلها من جهنم، ومن اكتسى برجل مسلم ثوباً فإن الله عزَّ وجلَّ يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برَجُلٍ مسلم مقام سمعة فإن الله عزَّ وجلَّ يقوم به مقام سمعة يوم القيامة))[3]، وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: (أن رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ من يقاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله))[4].

وفي ذلك بيان لسوء عاقبة الرياء والتظاهر بالأعمال، ولكن قد يكون من الأفضل في حق بعض الناس إظهار الأعمال وعدم الإخفاء بقصد الاقتداء بهم، وهذا ما بينه ابن حجر في قوله: (وفي الحديث استحباب إخفاء العمل الصالح، لكن قد يستحب إظهاره ممن يقتدى به على إرادته الاقتداء به، ويقدر ذلك بقدر الحاجة، قال ابن عبدالسلام:

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١١/٣٤٤-٣٤٥.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٥٠٠ رقم ١٦٠٧٣، وقال محققو المسند، إسناده حسن ٢٥/٤٧٥.

(٣) أخرجه أحمد ٤/٢٩٩ رقم ١٨٠١١، وقال محققو المسند، حديث حسن إسناد رجاله ثقات ٢٩/٥٣٩.

(٤) أخرجه البخاري ٢٨١٠، ومسلم ١٩٠٤.

يستثنى من استحباب إخفاء العمل من يظهره ليقتدى به أو لينتفع به ككتابة العلم...، قال الطبري: كان ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وجماعة من السلف يتهجدون في مساجدهم ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم ليقتدى بهم، قال: فمن كان إماماً يستن بعمله، عالماً بما لله عليه، قاهراً لشيطانه، استوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده، ومن كان بخلاف ذلك فالإخفاء في حقه أفضل)[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

هذا ما ورد في الحديث من تحذيره ﷺ من الرياء وعدم الإخلاص والتظاهر بالأعمال، لما في ذلك من إحباطٍ للعمل وتضييع للثواب، فضلاً عن افتضاح الأمر في الدنيا والحسرة يوم القيامة، فالتحذير من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على إرشاد المدعوين، وحملهم على اجتناب ما فيه هلاك لهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٤٥/١١.

الحديث رقم (١٦٢٢)

١٦٢٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل لاَ يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا: لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود بإسنادٍ[1] صحيحٍ والأحاديث في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ليصيب: ليحصِّل[2].

عَرَضًا: مَتاعُ الدنيا وحُطامُها[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجد أنه يتكون من جملة واحدة، وهي جملة شرطية: تتماسك أطرافها، وتتجاذب كلماتها، ويشد بعضها بعضاً كالبنيان المرصوص، وكأنها جسد المؤمن لا ينهض ولا تستقيم حياته إلا إذا صحت الأعضاء، واكتمل البنيان، والحديث في بنائه وما يتمخض عنه هذا البناء اللغوي من مقاصد كأنه شمس من الهداية، والكلمات كواكبها، والأحرف أشعتها، والهداية هي الطاقة المنبعثة من هذه الشمس التي تشرق دائماً في أفق البيان المحمدي، والهدي النبوي.

---

(١) برقم (٣٦٦٤)، وتقدم برقم (١٣٩٣). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٧٨)، وقال الحاكم (٨٥/١): هذا حديثٌ صحيحٌ سنده، ثقاتٌ رواته على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (١٧٧).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص و ب).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ض).

ولنتأمل بناء الأسلوب في هذا الحديث الشريف، حيث يبدأ الحديث بأداة الشرط وفعل الشرط، ومتعلقات الشرط في قول رسول الله ﷺ "من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل" والفائدة لم تحصل بعد، ولكن هذه المقدمة تنبئ عن البشرى في الجواب: لأن العلم المتحصل توج بشرف المقصد ونبل الغاية، فهو يبتغي به وجه الله عز وجل، وتحدث المفارقة الدلالية، والمفاجأة المثيرة، حيث تأتي جملة تفيد الشرط وتحصره: وهي قوله: "لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا"، فالعلم لم يعد خالصاً لوجه الله عز وجل، وإنما تحول المسار، وتغير المقصد: وهو تحصيل المكاسب الدنيوية من الثناء والمال والشهرة: وصيغة القصر، تؤكد هذا التوجه عند طالب العلم الذي يطلب عرض الدنيا. ويأتي جواب الشرط مكملاً لبنيان الحديث، ومفصحاً عن مصير هذا المرائي: الذي قال عنه رسول الله ﷺ في حديث سابق، "ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار"، وهنا يقول: "لم يجد عرف الجنة يوم القيامة": يعني ريحها، وإن عرفها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، فلفظ "عرف الجنة" يفصح عن أن هذا المرائي بعيد عن الجنة قريب من النار، وبينه وبين الجنة مسيرة خمسمائة عام، وذلك كناية عن بعده عن رحمة الله. لأنه قصر طلبه على الحقير الفاني، واستبدل الأدنى بالذي هو خير.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الإخلاص لله وتحريم الرياء:

إن أسمى الصفات الروحية -والتي تبلغ بالمتربي منزلة رفيعة في ميزان الخلق الإنساني- صفة الإخلاص لله، بأن يأتي المتربي أعمالاً نقية، لا يشوبها رياء، قيامًا بالواجب، سواء في العبادات أو في سائر الأعمال، قاصدًا بذلك وجه الله ورضاه[1].

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه غرس الإخلاص لله في نفوس المتربين والمتعلمين، والتحذير من نواقضه، والتي من أعظمها الرياء، وهذا ما أكدته جملة أحاديث الباب في بيان إحباط العمل وثوابه بسبب الرياء، وذلك في قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ..... مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»، وقوله ﷺ: «إنَّ أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتى به فعرّفه نعمته فعرفها قال: فما فعلت فيها قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأنْ يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار....إلخ»، وقوله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لا يَتَعَلَّمُهُ إلاَّ لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وبذلك يكون الرياء من أخطر أمراض الباطن التي تُدهده حصن الإخلاص في نفوس المتربين؛ لذا وجب على المتربي والمتعلم أن يعلما أن: "أضر شيء على العبد، أن يعمل عملاً، أو يقول قولاً، لا يريد به وجه الله، جميل ظاهره، قبيح باطنه، يسرّ غير ما يعلن، ويظهر خلاف ما يبطن، يسبح ويهلل، ويقرأ القرآن، ويخطب، ويعلم، ويدعو إلى الله بلسانه، وقلبه غافل، وذاهل، وبغير الله مشغول، وعلى سواه معوّل ومتكل، وحسبه من الخير ثناء الجاهلين عليه، واستمالة قلوبهم إليه، إذا قرأ جوّد، وإذا وعظ بكى، وإذا خطب أو درس لم يلحن، وجاء بالعجب العجاب، ولو أخلص في قلبه لكان الزعيم المطاع، والمصلح الحكيم، والمرشد العظيم، وإذا رأيته يصلي ظننته إسرافيل،

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، ١٩٨.

وإن أبصرته يتصدق حسبته ميكائيل، وإن لقيته صائمًا أو معتكفًا لم تشك في أنه جبريل، ولكنه الخادع المنافق، والكذاب المكار المزور، يقول بفيه ما ليس في قلبه، ويرائى الناس بما يعمله لربه"[١].

وقد بيّن ابن الجوزي: لدعاة التربية والتوجيه علاج هذا المرض إن وقع، في قلوب المتربين، فقال: "وعلاج هذا المرض في الجملة تحقيق معرفة الله سبحانه، فمن عرفه أفرد القصد له، ولم ير غيره، وأقام نفسه في مقام العابد الذليل للمعبود؛ لا في مقام معبود ممدوح، ورأى أن حصول الأجر إنما يكون بخالص العمل، فاحترس من تعب ضائع"[٢].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

لقد حرم الإسلام الرياء تحريمًا شديدًا، وشدد النكير على من يتخلق به، واتبع في ذلك الترهيب كأسلوب تربوي في إبعاد نفس المتربي والمتعلم عن التخلق بمرذول صفته وشناعة قبحه، وهذا ما ترائى جليًا، في مجمل أحاديث الباب، حيث ابتداء الترهيب من الرياء ببيان أنه ينافي الإخلاص في العبادة لله عز وجل، ومن ثم إحباط العمل وضياع الأجر، وذلك في قوله ﷺ: «عن رب العزة: .... مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

ثم ثُنّى بالترهيب من الرياء في أحاديث الباب ببيان سوء العاقبة وشدة العذاب، وذلك في قوله ﷺ: «...ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ....إلخ»، وقوله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهِ بِهِ ...إلخ»، وقوله ﷺ: «... لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد ورد الترهيب أخيرًا من الرياء ببيان أنه نفاق، وذلك في قول ابن عمر رضي الله عنه: «كُنَّا نَعُدُّ هذَا نِفاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، فالترهيب أحد الأساليب التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي حيث يتسق مع فطرة الإنسان التي جبل عليها من الخوف وترك الألم[٣]. لذا وجب استعماله عند الحاجة في تربية النشء.

---

(١) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ١٣.

(٢) ذم الهوى، ٣٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٤.

٢٨٩- باب مَا يتوهم أنَّه رياء وليس هُوَ رياء

الحديث رقم (١٦٢٣)

١٦٢٣ - عن أَبي ذرٍ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرسولِ الله ﷺ: أرَأيْتَ الرَّجُلَ الَّذي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: ((تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الوحيد في بابه، وهو باب ما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء، وقد جاء عقب باب تحريم الرياء، والحديث ورد في صيغة حوارية يرويها أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، والحوار الذي دار كان بين رسول الله ﷺ ورجل من الصحابة، لم يحدده أبو ذر، ولذلك بدأ الحديث بالفعل: "قيل" المبني للمجهول، "قيل لرسول الله ﷺ" فالسائل غير معلوم: لأن القضية المسؤول عنها ليست قضية شخصية، وليست حكماً محدداً يطلب السائل تحديد الموقف الشرعي منه، وإنما هي قضية عامة تحكم منهج المسلم، وتدفع اللبس والتوهم في كثير من المواقف والسلوكيات الحياتية والعبادية، وألسنة الخلق أقلام الحق، وتبدأ المحاورة باستفهام حقيقي "أرأيت الرجل...." والفعل رأى هنا يتجاوز دلالته البصرية والعلمية إلى أفق أشمل، فهو بمعنى أخبرني، فقد دل على علم رسول الله ﷺ ودل على حاجة السائل إلى ثمرة ذلك العلم، فالاستفهام هنا طلب يفصح عن مراد السائل معرفة الحقيقة.

وقوله: "الرجل" للتغليب: لأن المرأة ليست خارج هذه الدائرة، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[2].

---

(١) برقم (٢٦٤٢/١٦٦).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٥.

وتأمل التعبير بالفعل المضارع في قوله: "يعمل العمل من الخير"، والمضارع يوحي بالاستمرار وعدم الانقطاع، فعمل الخير يجب أن يكون ديدن المسلم طيلة حياته، وقوله "من الخير"، تقييد لتحديد نوعية العمل المفيد الذي يرضى الله عنه ورسوله، ويفيد المؤمنين، "والخير" كلمة موجزة جامعة لكل آفاق العمل الصالح ومساراته، ونتائجه.

وصيغة المضارع في قوله: "يحمده الناس عليه"، ترشد إلى استمرار التفاعل بين الذي يعمل صالحاً وبين من يعمل لصالحهم ابتغاء مرضاة الله عز وجل، فهم لا يجحدون فضله، ولا ينكرون عليه إنجازاته وإخلاصه، وقوله: "الناس" يوحي بأن العمل الصالح يجب أن يكون ذا ثمرة عامة يستفيد منها الناس وليس الأقارب فقط، أو الأبناء فقط، والتعبير بقوله: "يحمده الناس"، يعطي دلالة أعم وأشمل من قوله، "ويمدحه الناس"، فالحمد يكون بدافع الشكر والإخلاص والمحبة، أما المدح فقد يشوبه النفاق والرياء كما جاء في الحديث السابق الذي عده ابن عمر نفاقاً، والحمد في اللغة، الشكر والرضى، والجزاء وقضاء الحق، وتجيء إجابة رسول الله ﷺ مطمئنة مبشرة تزيل اللبس، وتدفع التوهم، وتفتح آفاق العمل الصالح الخالص لوجه الله أمام الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيقول مشيراً باسم "الإشارة" الذي يفيد التعظيم، "تلك عاجل بشرى المؤمن" فمن أخلص لله تعالى، وقصد التقرب إليه ليس إلا: كما يقول محمد بن علان صديق الشافعي، أطلق الله الألسنة بالثناء عليه، فذلك علامة قبوله سبحانه لذلك العمل، قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما يشغله من أمور دينه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تبشير المؤمنين المخلصين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: البشارة.

---

(١) سورة يونس، آية: ٦٤.

أولاً- من آداب المدعو: سؤال أهل العلم والفضل عما يشغله من أمور دينه:

هذا ما ورد في الحديث من قول أبي ذر رضي الله عنه: "قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟" فعلى المدعو أن يسأل أهل العلم والفضل عما يشغله من أمور، حتى يكون على بصيرة من أمر دينه فيعبد الله على علم، وخير دليل على ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما لهشام بن عامر عندما سأله عن وتر رسول الله ﷺ؟ فقال له: ((أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ بِوِتْرِ رَسُولِ اللّهِ ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَ: عَائِشَةَ. فَأْتِهَا فَاسْأَلْهَا. ثُمَّ ائْتِنِي فَأَخْبِرْنِي بِرَدِّهَا عَلَيْكَ. -قال- فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهَا... فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ . قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللّهِ كَانَ الْقُرْآنَ. قَالَ فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ، وَلاَ أَسْأَلَ أَحَداً عن شيء حَتَّىٰ أَمُوتَ. ثُمَّ بَدَا لِي فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَتْ: فَإِنَّ اللّه عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هذهِ السُّورَةِ. فَقَامَ نَبِيُّ اللّهِ وَأَصْحَابُهُ حَوْلاً. وَأَمْسَكَ اللّه خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً فِي السَّمَاءِ. حَتَّى أَنْزَلَ اللّه، فِي آخِرِ هذهِ السُّورَةِ، التَّخْفِيفَ. فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعاً بَعْدَ فَرِيضَةٍ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللّهِ . فَقَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ. فَيَبْعَثُهُ اللّه مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ. فَيَتَسَوَّكُ وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ. لاَ يَجْلِسُ فِيهَا إِلاَّ فِي الثَّامِنَةِ. فَيَذْكُرُ اللّه وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ. ثُمَّ يَنْهَضُ وَلاَ يُسَلِّمُ. ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ. ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللّه وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ. ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيماً يُسْمِعُنَا. ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ وَهُوَ قَاعِدٌ. فَتِلْكَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يَا بُنَيَّ. فَلَمَّا سَنَّ نَبِيُّ اللّهِ، وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ، أَوْتَرَ بِسَبْعٍ. وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الأَوَّلِ. فَتِلْكَ تِسْعٌ، يَا بُنَيَّ. وَكَانَ نَبِيُّ اللّهِ إِذَا صَلَّىٰ صَلاَةً أَحَبَّ أَنْ يُدَاوِمَ عَلَيْهَا. وَكَانَ إِذَا غَلَبَهُ نَوْمٌ أَوْ وَجَعٌ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ صَلَّىٰ من النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. وَلاَ أَعْلَمُ نَبِيَّ اللّهِ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ. وَلاَ صَلَّى لَيْلَةً إِلَى الصُّبْحِ. وَلاَ صَامَ شَهْراً كَامِلاً غَيْرَ رَمَضَانَ قَالَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَحَدَّثْتُهُ بِحَدِيثِهَا. فَقَالَ: صَدَقَتْ: لَوْ كُنْتُ أَقْرَبُهَا أَوْ أَدْخُلُ عَلَيْهَا لأَتَيْتُهَا حَتَّى تُشَافِهَنِي -

به. قَالَ: قُلْتُ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ مَا تَدْخُلُ عَلَيْهَا مَا حَدَّثْتُكَ حَدِيثَهَا))[١]، وفي ذلك قال النووي: (إنه يستحب للعالم إذا سئل عن شيء، ويعرف أن غيره أعلم منه به، أن يرشد السائل إليه، فإن الدين النصيحة)[٢]، فإذا كان هذا في حال العالم، وقد دل على من هو أعلم منه في المسألة، فمن باب أولى أن يسأل المدعو أهل العلم ليفيدوه بعلمهم ويرشدوه إلى الصواب، وليس أدل على ذلك من قصة موسى والخضر عليهما السلام.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تبشير المؤمنين المخلصين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "تلك عاجل بشرى المؤمن" قال النووي: (معناه هذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما في الحديث من قوله ﷺ: ((ثمَّ يُوضعُ له القَبول في الأرض))[٣] هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم)[٤].

قال ابن رجب: (وأما إذا عمل العمل لله خالصاً، ثم ألقى الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين بذلك، ففرح بفضل الله ورحمته، واستبشر بذلك، لم يضرَّه ذلك)[٥]، قال ابن عثيمين: (لأن الناس إذا أثنوا على الإنسان خيراً؛ فهم شهداء الله في أرضه (ولهذا لما مرت جنازة من عند النبي ﷺ وأصحابه أثنوا عليه خيراً، قال: "وجبت" ثم مرت أخرى فأثنوا عليها شراً، قال: "وجبت"، فقالوا: يا رسول الله ما وجبت؟ قال:"أما الأول فوجبت له الجنة، وأما الثاني فوجبت له النار" أنتم شهداء الله في الأرض)[٦]. فهذا معنى قوله: "تلك عاجل بشرى المؤمن". والفرق بين هذا وبين الرياء: أن المرائي لا يعمل العمل، إلا لأجل الناس، ليراه الناس، فيكون في نيته شرك، شرك مع الله غيره، وأما هذا فنيته خالصة لله عز وجل، ولم يطرأ على باله أن يمدحه الناس أو يذموه)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم، ٧٤٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٥١١.

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٨٥، ومسلم ٢٦٣٧.

(٤) شرح صحيح مسلم، للنووي ١٥٦٦.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٨٣/١.

(٦) أخرجه البخاري ٢٤٩٩، ومسلم ٩٤٩.

(٧) شرح رياض الصالحين ١٧١٩/٢ – ١٧٢٠.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: البشارة:

ذلك ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "تلك عاجل بشرى المؤمن" والبشارة: (هي كل خبر صدق تتغيرُ به بشرةُ الوجه، ويستعمل في الخير أغلب)[1] وهي من صفات النبيين والمرسلين، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[2] وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[3] وهي من صفة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] والبشارة من الأساليب الدعوية المهمة في حث المدعو وحمله على سرعة الاستجابة للأمر المدعو إليه، لما لهذا الأسلوب من الوقع الحسن في قلوب المدعوين، حيث أفاد في نص الحديث أن الصدق والإخلاص في العمل لله وحده، هو باب إرضائه عز وجل في الدنيا والآخرة، أما الدنيا فيكون بحمد الناس له ووضع القبول له في الأرض، وأما الآخرة فيكون رضوان الله تعالى وجنته.

---

(١) التعريفات، الجرجاني، ص ٧٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٤٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٩٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من الأساليب التربوية: السؤال والاستفهام:

إن من عود نفسه على السؤال زادت ثقته بنفسه وشعر بالطمأنينة، والارتياح، لمعرفة الإجابة عما كان يجول بخاطره ويشغل ذهنه؛ لذا حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال والاستفهام عما خفي عنهم.

وهذا ما أكده حديث الباب من سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وسلم عما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء، وذلك في قوله أبي ذر رضي الله عنه: «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ ...إلخ».

وفي السؤال والاستفهام مزايا تربوية عظيمة، منها توفير الجهد والوقت والمال، فضلاً عن تحصيل منفعة ودفع مضرة في أمور الدنيا والدين[1].

وفي ذلك قال أمية بن الصلت:

لا يذهبنَّ بك التفريط منتظرًا ... طول الأناة ولا يطمع بك العَجَلُ
فقد يزيد السؤال المرءَ تجربةً ... ويستريح إلى الأخبار من يسلُ
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ... ولا البصير كأعمى ما له بصرُ
فاستخبرِ الناس عمَّا أنت جاهلُهُ ... إذا عَمِيتَ فقد يجلو العمى الخبرُ[2]

وحتى يحقق هذا الأسلوب التربوي ثمرته، وجب على السائل أن يتأدب بآداب السؤال فلا يرفع صوتًا، ولا يقطع متكلمًا، ويراعى اختيار الألفاظ المناسبة من غير ما تكلف، ثم ينتظر الإجابة في تواضع واحترام وينصت لفهمها واستيعابها، وبذلك تحصل الفائدة التربوية في معرفة ما جهل المتربي[3].

---

(١) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٥.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت: جمع وتحقيق ودراسة عبدالحفيظ السهلي، ط٢، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٣٩٤هـ، ص٤٣٦.

(٣) التربية الذاتية، هاشم علي أحمد، ١٢٥. أساليب الدعوة والتربية، د. محمود زياد، ٤٤٦.

ثانيًا: من الأساليب التربوية: الترغيب:

إن الترغيب أسلوب تربوي يعمل على دغدغة المطامع الإنسانية في اتجاه طرق الخير التي قد تدفع عن الإنسان الصوارف النفسية التي تصرفه عنه[1]، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في حديث الباب بترغيبه في الإخلاص وبيان ثوابه العظيم، وذلك في قوله: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ الْمُؤْمِنِ».

ففي غزوة الخندق عندما أراد الرسول ﷺ أن يأتيه رجل من المسلمين بأخبار المشركين، قال حذيفة رضي الله عنه: لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقَرٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: «قُمْ. يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ» فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا، إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: «اذْهَبْ. فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»[2]، فقد كانت الليلة ليلة شديدة الرياح قاسية البرودة، وكانت تحتاج إلى همة عالية وقوة، لذلك تقدم الرسول ﷺ بالثواب على هذا العمل فقال لمن يفعل ما أراد: «جعله الله معي يوم القيامة»، ولم يأمر أحدًا ابتداءً بذلك، ومع رغبة الصحابة في الخير وشدة حرصهم عليه، ووعد الرسول ﷺ لهم بهذه المنزلة العظيمة، ومع ذلك لم يقم أحد حتى كرر ذلك ثلاث مرات، مما يدل على الوضع الصعب لحالة الطقس في ذلك اليوم من الرياح الشديدة والبرد القاسي، هنا احتاج الرسول ﷺ أن يأمر بوصفه أمير القوم الذي تجب طاعته رغم قسوة الأوضاع، وكلّف بهذا الأمر حذيفة رضي الله عنه، وكذلك فعل الرسول ﷺ في غزوة أحد عندما أحاط المشركون به وببعض أصحابه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. محمود زياد العاني، ٢٢٠.

(٢) أخرجه مسلم، ٣٣٤٣.

قُـرَيْشٍ. فَلَمَّـا رَهِقُـوهُ قَـالَ: «مَـنْ يَـرُدُّهُمْ عَنَّـا وَلَـهُ الْجَنَّـةُ، أَوْ هُـوَ رَفِيقِـي فِـي الْجَنَّـةِ؟»[1]... الحديث، وهكذا ينبغي على المربي أن يفعل في الثواب مع البالغين، وأما ما فرضه الله فرضًا فالثواب فيه ما وعد الله به عباده المتقين[2].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم، ٣٣٤٤..

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ١٤١، ١٤٢.

٢٩٠- باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[النور: ٣٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾[الفجر: ١٤].

الحديث رقم (١٦٢٤)

١٦٢٤ - وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ: العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ[1] يُكَذِّبُهُ)). متفق عَلَيْهِ[2]. هَذَا لفظ مسلمٍ، ورواية البخاري مختصرةٌ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مدرك ذلك لا مَحالة: لابد منه لكونه قدر عليه[3].

البطش: الأخذ القوي الشديد[4].

يصدق: يحقق[5].

---

(١) لفظ مسلم بالواو فقط، وكذا عند أبي داود، والبخاري برقم (٦٢٤٣)، والمثبت لفظ البخاري برقم (٦٦١٢) وكذا عند الحميدي في جمعه (٥/٣، رقم ٢١٦٨) وتبعه عليه المنذري والمؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧/٢١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٤٥).

(٣) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ط ش).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٣، والمعجم الوسيط، محمع اللغة العربية (ص د ق).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: نجد أنه يتضمن عدة ظواهر فنية وأسلوبية: حيث يتكون من مقدمة إجمالية: تتضمن جملة واحدة، ثم يأتي التفصيل في سبع جمل بعد ذلك، وكلها تصور موقف الإنسان من النظر إلى المرأة الأجنبية، ومراحل الطريق التي تؤدي بالإنسان إلى التردي والوقوع في مهاوي جريمة الزنا.

والجملة الأولى وهي: الجمل المفتاحية في علم التحرير الأدبي، ولها خصائص كثيرة، نراها تبدأ بالفعل المبني للمجهول، "كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى"، والبناء للمجهول لا يعني أن الفاعل مجهول: ولكنه معلوم وهو الله عز وجل، ولا يقدر الأمور غيره، فالفاعل محذوف للعلم به، ولأن معنى "كُتب" حتم وقدّر، ولا يستطيع ذلك بشر، وقوله "على ابن آدم"، فيه تعميم وإشارة إلى أن التعلق بالمرأة فطرة مركوزة في التكوين البشري، وعلى الإنسان تهذيبها، ولذلك يتضح هذا الأمر الفطري الحتمي في قول رسول الله ﷺ "مدرك ذلك لا محالة"، وهنا إيجاز بالحذف: والتقدير: "هو مدرك ذلك لا محالة": ولا يخفى أن صيغة اسم الفاعل مع مادة الإدراك، مع اسم الإشارة "ذلك" الذي يحدد الأمر، وقوله: "لا محالة": أي لابد منه ولا مفر من ذلك، كل هذه الإشارات اللغوية، والشفرات الأسلوبية تؤكد الأسرار التي يتضمنها قوله: "كتب على ابن آدم".

وتتوالى بعد ذلك ست جمل تمثل في مجموعها إشارات حمراء على طريق الخطيئة: فإذا تجاوزها الإنسان، ولم يلتفت إلى الخطر الكامن وراء أسوارها وقع في الهلاك.

ولنتأمل تناسق التكوين اللغوي في هذه الجمل: حيث تتكون كل منها: من مبتدأ أول: مفرد، ثم خبر جملة اسمية، تتكون من مبتدأ أو خبر، "العينان زناهما النظر"، وعلى هذا النسق تتكون باقي الجمل "والأذنان زناها الاستماع ... إلخ"، الحديث" وهذا التنسيق يماثل حرص من يرتكب مثل هذا على الترغيب والتشويق والإثارة والتخطيط، وترتيب الجوارح التي أسند إليها الزنا، من باب إطلاق اسم المسبب على السبب مجازًا، هذا الترتيب فيه إدراك لوظيفة كل جارحة، فالعينان من خلال النظر يؤديان إلى

الإعجاب، والإعجاب يرغب في الاستماع والمحادثة، والاستماع يقود إلى الكلام الجميل، وبعد ذلك يتم التقارب، ثم السعي والحركة إلى تصديق ذلك، أو الامتناع عنه، والجمل التي تصور عمل الجوارح كلها وردت في صيغة الجملة الاسمية، لأن ذلك يدل على ثبات هذه الغريزة في تلك الجوارح، أما القلب فهو قلب: ومتغير، لذلك جاءت صياغته في قالب الجملة الفعلية "يهوى ويتمنى" وختام الحديث يعد نتيجة لهذا التحرك البصري، والسمعي، واللساني، واليدوي، والتحرك الحسي، والشعور القلبي، والتصديق والتكذيب هنا على سبيل التشبيه: فإذا وقع ابن آدم في جريمة الزنا: فقد استجاب لرغباته الحسية، وغرائزه المادية، وإذا امتنع فقد كذَّب هذه المثيرات، وصان نفسه من براثن الشهوات.

فقه الحديث

يشتمل الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- إن قوله ﷺ: "مدرك ذلك لا محالة" فيه رد صريح على القدرية الذين يقولون: إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها[١].

بل إنها مقدرة بتقدير العزيز العليم، على أن هذا التقدير ليس حجة للعبد بل هو معاقب على كسبه، ومثاب عليه[٢].

٢- إن النظر المحرم وإن سمى زنًا مجازًا، إلا أنه لا يترتب عليه حكم الزنا من إيجاب الحد، وإنما يجب الحد فقط في الزنا الحقيقي، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما "ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ[٣].

٣- إن قوله ﷺ "والأذنان زناهما الاستماع" يدل على أن صوت المرأة عورة وهو ما ذهب إليه الحنفية[٤] في قول مرجوح، والمالكية في المعتمد[٥]، والشافعية[٦] في مقابل

---

(١) اعتقاد أهل السنة ص ٦٢ لمحمد بن عبدالرحمن الخميس.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٨٢/٨.

(٣) المرجع السابق ١٨٨/٨.

(٤) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ٤٣٧/١.

(٥) شرح الخرشي على مختصر خليل ٣٥٦/٣، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٩/٢.

(٦) حلية العلماء، القفال الشاشي ١١٣/٢.

الأصح، وأحمد[١] في رواية.

وذهب الحنفية[٢] في الراجح، والمالكية[٣] في قول، والشافعية[٤] في الأصح، وأحمد[٥] في رواية إلى أن صوت المرأة ليس بعورة، إذ لو كان عورة لما جاز سماع صوتها في شهادة ولا رواية[٦].

وإنما يكون سماع صوتها حرامًا إذا فعل ذلك بشهوة وتلذذ[٧].

٤- وقد يستدل بقوله ﷺ "والقلب يهوى ويتمنى" على تحريم تمني الزنا بالقلب، ولكن يعارضه ما صح وثبت من أن الخواطر، والوساوس معفو عنها وعلى ذلك فيحمل هذا على العزم على ذلك، والجزم به[٨].

٥- إذا قال شخص لآخر "زنت يدك" فهل يعد قاذفًا، ويجب عليه الحد أم لا؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو للشافعي في قول[٩] ووجه عند الحنابلة[١٠] اقتصر عليه في المبدع[١١] أنه يعد قاذفًا، ويجب عليه الحد.

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٢٦٠/٩.

(٢) رد المحتار على الدر المحتار ٤٣٧/١.

(٣) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٩/٢.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٠/٣، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٦٠/٣، وحلية العلماء ١١٣/٢.

(٥) الفروع، ابن مفلح ٢٦٠/٩، واقتصر عليه في شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف البهوتي.

(٦) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٩/٢، وحلية العلماء ١١٣/٢.

(٧) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٢٩/٢.

(٨) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٨٥/٨. والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به" أخرجه البخاري ٦٦٦٤، ومسلم ١٢٧.

(٩) التنبيه للشيرازي ٢٤٣.

(١٠) الفروع، ابن مفلح ٩٢/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢١٣/١٠.

(١١) المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٩٢/٩.

الرأي الثاني: وهو للحنفية[١]، والمالكية[٢]، وبعض الشافعية[٣]، ووجه عند الحنابلة[٤] ويرون أنه لا يعد قاذفًا، ولا يجب عليه الحد.

واستدل للرأي الأول: بأن الأفعال إنما تضاف إلى الأيدي، كقوله عز وجل: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[٦]، وليس ذلك مقصورًا على جناية الأيدي دون غيرها من الأعضاء، فكأنه إذا جعل اليد زانية، صار الزنا وصفًا للذات[٧].

واستدل للرأي الثاني: بأن القائل "زنت يدك" كقوله "زنت عينك" والثاني لا يعد قذفًا بالاتفاق، فكذا الأول[٨].

والراجح: أن هذا اللفظ يعد من كنايات القذف، فإن قصد به القذف كان قاذفًا ويحد، وإلا فلا[٩].

المضامين الدعوية[١٠]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الأمور المحرمة التي قد تؤدي إلى ارتكاب الفاحشة.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٣/٥، ومختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣١٦/٣.

(٢) مختصر اختلاف العلماء ٣١٦/٣.

(٣) التنبيه ٢٤٣.

(٤) الفروع، ابن مفلح ٩٢/٦، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢١٣/١٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٦) سورة الحج، آية: ١٠.

(٧) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٨٩/٨.

(٨) المرجع السابق ١٨٩/٨.

(٩) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٧٠/٣.

(١٠) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٢٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٢٥).

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حماية العرض والمحافظة على سلامة ونظافة المجتمع.

رابعًا: من آداب المدعو: الحرص على تقوى الله، والبعد عن المحرمات:

أولاً- من صفات الداعية: البيان والتوضيح:

إن من أهم الصفات الرئيسة للداعية التي لا غنى له عنها البيان والتوضيح، فلقد أمر الله الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[١]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٢] ومن ذلك ما جاء في الحديث من البيان والتوضيح لما يقترفه الإنسان من ذنوب تتعلق بجوارحه دون الفرج للتقليل منها قدر المستطاع، وأخذ الحذر منها ومن عواقبها، فقال ﷺ: "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطى..."، قال ابن علان: (قال السيوطي: معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيبه من الزنا، فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج، ومنهم من يكون مجازيًا بالنظر المحرم ونحوه من المذكورات، فكلها أنواع من الزنا المجازي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، أي: إما يحققه بالفرج أي بأن يحصل الإيلاج أولا بأن لا يحصل ذلك[٣].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اجتناب الأمور المحرمة التي قد تؤدي إلى ارتكاب الفاحشة:

إن بيان النبي ﷺ في الحديث للأمور التي تؤدي إلى ارتكاب الفاحشة، تحذيرٌ منها، حتى لا يقع الإنسان في المنهي عنه ولا يقترف محظورًا، ولذا كان تعبير القرآن: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾[٤] قال القرطبي: (قال العلماء: قوله تعالى: "ولا تقربوا الزنا" أبلغ من أن يقول ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا[٥]، وذلك كناية عن شدة النهي)[٦]، قال

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٢، ١٦٦٣.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥/١٠/٢٥٣.

(٦) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٦/١٥/٩١.

ابن عثيمين في شرحه لهذا الحديث: "فدل ذلك على الحذر من التعلق بالنساء، لا بأصواتهن، ولا بالرؤية إليهن، ولا بمسهن، ولا بالسعي لهنّ، ولا بغواية القلب لهن، كل ذلك من أنواع الزنا، والعياذ بالله، فليحذر الإنسان العاقل العفيف من أن يكون في هذه الأعضاء شيء يتعلق بالنساء، والواجب على الإنسان إذا أحس من نفسه بهذا أن يبتعد، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والنظر سهم مسموم من سهام إبليس الملعون، قد ينظر المرء إلى امرأة، ولا تتعلق نفسه بها أول مرة، لكن في الثانية والثالثة حتى يكون قلبه معلقًا بها والعياذ بالله، ويصبح هيمان لا يذكر إلا هذه المرأة، إن قام ذكرها وإن قعد ذكرها، وإن نام ذكرها، وإن استيقظ ذكرها، فيحصل بهذا الشر والفتنة)[1].

وأول الأسباب وأعظمها للوقاية من ورود موارد التهلكة، غض البصر قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، أن يغضُّوا من أبصارهم عمَّا حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على محرَّم من غير قصد، فليصرف بصره سريعًا)[3].

لأن البصر كما يقول القرطبي: (هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما تخشى الفتنة من أجله)[4].

﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ يقول ابن كثير: (أي لقلوبهم وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته، ويُروى في قلبه)[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٢٢/٢.

(٢) سورة النور، آية: ٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٢/٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٢٦/١٢/٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٧٣/٤.

وكما جاء القرآن آمرًا بغض البصر عن المحارم، كذلك جاءت السنة المطهرة بذلك تحث على غض البصر وحفظ الفرج[١].

إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه.

قال ابن حجر: (قال ابن بطال: سمّى النظر والنطق زنا؛ لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي)[٢].

وقال ابن القيم: (فبدأ بزنى العين؛ لأنه أصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج، ونبَّه بزنى اللسان بالكلام، وعن زنى الفم بالقبل، وجعل زنى الفرج مصدقًا لذلك إن حقق الفعل أو مكذبًا إن لم يحققه، وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها، ففيه ردٌّ على من أباح النظر مطلقًا)[٣].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: حماية العرض والمحافظة على سلامة ونظافة المجتمع:

إن في تشديد الإسلام في اقتراف الفاحشة والإرشاد إلى البعد عن أسبابها ودواعيها صيانة للأعراض، وذلك بالابتعاد عن مسببات الفاحشة والتي أشير إليها في الحديث، "والاحتماء بسلطان الإيمان، فإن الإيمان قوة قاهرة غلابة أقوى من الغرائز والشهوات، وأقوى من سلطان العادات، وأقوى من كل المؤثرات، فالإيمان والمثل العُلى التي يعيش لها المؤمن تعلو به على الغرائز وسلطانها[٤].

إن الإسلام لما أراد تطهير المجتمع من أوساخ الرذيلة وبراثن الخطيئة، ودعا إلى إشاعة النظافة الخلقية في المجتمعات، لم يقتصر على تحريم الفاحشة فحسب، بل حرم الأسباب المفضية إليها.

---

(١) انظر: "والذين هم لفروجهم حافظون"، خميس بن السعيد محمد، ٢٤٣-٢٤٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٣١/١١.

(٣) روضة المحبين ٨٤.

(٤) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٢١٧.

فمن قواعد الشرع المطهرة، أن الله سبحانه إذا حرم شيئًا، حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه؛ تحقيقًا لتحريمه، ومنعًا من الوصول إليه، أو القرب من حماه، ووقاية من اكتساب الإثم، والوقوع في آثاره المضرة بالفرد والجماعة.

ولو حرَّم الله أمرًا، وأبيحت الوسائل الموصلة إليه، لكان ذلك نقضًا للتحريم، وحاشا شريعة رب العالمين من ذلك.

وفاحشة الزنا من أعظم الفواحش، وأقبحها وأشدها خطرًا وضررًا وعاقبةً على ضروريات الدين؛ ولهذا صار تحريم الزنى معلومًا من الدين بالضرورة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1].

ولهذا حُرِّمت الأسباب الموصلة إليه من: السفور ووسائله، والتبرج ووسائله، والاختلاط ووسائله، وتشبه المرأة بالرجل، وتشبهها بالكافرات، وهكذا. من أسباب الرِّيبة، والفتنة، والفساد.

وتأمل هذا السر العظيم من أسرار التنزيل، وإعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الله سبحانه لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمه تحريمًا غائيًا، ذكر سبحانه من فاتحتها إلى تمام ثلاث وثلاثين آية أربع عشرة وسيلة وقائية، تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف، جماعة المسلمين. وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية، وهي:

١- تطهير الزناة والزواني بالعقوبة الحدية.

٢- التطهر باجتناب نكاح الزانية وإنكاح الزاني، إلا بعد التوبة ومعرفة الصدق فيها.

وهاتان وسيلتان واقيتان تتعلقان بالفعل.

٣- تطهير الألسنة عن رمي الناس بفاحشة الزنى، ومن قال ولا بينة، فيُشرع حد القذف في ظهره.

٤- تطهير لسان الزوج عن رمي زوجته بالزنا ولا بينة، وإلا فاللعان.

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

٥- تطهير النفوس وحجب القلوب عن ظن السوء بمسلم بفعل الفاحشة.

٦- تطهير الإرادة وحجبها عن محبة إشاعة الفاحشة في المسلمين؛ لما في إشاعتها من إضعاف جانب من ينكرها، وتقوية جانب الفسقة والإباحيين.

ولهذا صار عذاب هذا الصنف أشد من غيره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾[1].

ومحبة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة، سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا.

وهذا الوعيد الشديد ينطبق على دعاة تحرير المرأة -في بلاد الإسلام- من الحجاب، والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفتها، وحشمتها وحيائها.

٧- الوقاية العامة بتطهير النفس من الوساوس والخطرات، التي هي أولى خطوات الشيطان في نفوس المؤمنين ليوقعهم في الفاحشة، وهذا غاية في الوقاية من الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾[2].

٨- مشروعية الاستئذان عند إرادة دخول البيوت، حتى لا يقع النظر على عورة من عورات أهل البيوت.

٩- تطهير العين من النظر المحرم إلى المرأة الأجنبية، أو منها إلى الرجل الأجنبي عنها.

١٠- تحريم إبداء المرأة زينتها للأجانب عنها.

١١- منع ما يحرك الرجل ويثيره، كضرب المرأة برجلها؛ ليسمع صوت خلخالها، فيجلب ذوي النفوس المريضة إليها.

١٢- الأمر بالاستعفاف لمن لا يجد ما يستطيع به الزواج، وفعل الأسباب.

والقرآن العظيم، والسنة المشرفة، مملوءان من تشريع الأسباب والتدابير الواقية من هذه الفاحشة في حق الرجال، وفي حق النساء.

---

(١) سورة النور، آية: ١٩.

(٢) سورة النور، آية: ٢١.

فمنها في حق الرجال مع الرجال: وجوب ستر عورة الرجل، فلا يجوز للرجل كشف عورته من السرة إلى الركبة.

ومنها: حجب نظر الرجل عن النساء الأجنبيات.

ومنها: حجب الرجل عن مجالسة المردان من الذكران، والنظر إليهم تلذذًا.

ومنها في حق النساء مع النساء:

ستر عورة المرأة عن المرأة.

يحرم على المرأة أن تنعت المرأة لزوجها.

ومن أعظم الأسباب والتدابير الواقية من الزنى: فرض الحجاب على نساء المسلمين، لما يحمله من حفظهن، وحياتهن في عفة وستر وتصون وحشمة وحياء، ومجافاة للخنا، وطرد لنواقضها من التبذل، والتسفل، وانتزاع الحياء[1].

رابعًا- من آداب المدعو: الحرص على تقوى الله، والبعد عن المحرمات:

جاء في الحديث بيان الزنا الحقيقي، قوله ﷺ: "ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه" وبيان الأسباب المؤدية إليه من إطلاق الإنسان العنان لجوارحه "العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع..." وذلك تحذيرًا من التردي في مهاوي التهلكة، والحث على تقوى الله ومراقبته، والبعد عن المحرمات، وذلك بالابتعاد عن المثيرات كالنظر وغيره، والابتعاد عن أماكن الاختلاط والفجور، والتبرج والسفور، وعن مخالطة أصحاب الشهوات والمعرضين عن طاعة رب الأرض والسماوات، والعمل على تقوية الإيمان واستشعار مراقبة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2]، فهو سبحانه رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع

---

(١) حراسة الفضيلة، بكر بن عبدالله أبو زيد ص ١٠٩-١١٣.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم[١] كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٢] وقال: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾[٣]. وقال النبي ﷺ في بيان درجة الإحسان: ((أنْ تَعْبُدَ اللّهِ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإنَّهُ يراك))[٤]، فإذا ما استشعر القلب حلاوة الإيمان، والمراقبة، فإنه يستحي من مخالفة أمره وارتكاب نهيه، ولله در القائل:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عنه يغيب[٥]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٩/٨.

(٢) سورة هود، آية: ٥.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٠.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٨.

(٥) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٢٤٤، ٢٤٥.

الحديث رقم (١٦٢٥)

١٦٢٥ - وعن أَبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إيّاكُمْ والجُلُوس فِي الطُّرُقَاتِ!)) قالوا: يَا رسولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: ((فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)) قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: ((غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، والأمرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

غَضُّ البصر: خَفْضُه وكفُّه[2].

كفُّ الأذى: مَنْعُهُ[3].

المعروف: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه من الإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع[4].

المنكر: كل ما قبَّحه الشرعُ وكرِهَهُ[5].

الشرح الأدبي

يموج هذا الحديث بعدة ظواهر فنية وأسلوبية تساعد القارئ والمتلقي على فهم المعنى، واستنباط الدروس المستفادة من هذه المحاورة بين النبي ﷺ وأصحابه الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩)، ومسلم (٢١٢١)، والسياق للحميدي في جمعه (٢/٤٣٥، رقم ١٧٤٩)، وتقدم برقم (١٩٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٠٩).

(٢) الصحاح في (غ ض ض).

(٣) المعجم الوسيط، محمع اللغة العربية في (ك ف ف).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ف).

(٥) المرجع السابق في (ن ك ر).

استمعوا إليه، وأول ظاهرة أسلوبية تتمثل في مفتتح الحديث: وهي: أسلوب التحذير، وهو تنبيه المخاطب إلى أمر مذموم ليجتنبه، وهذه الصيغة التحذيرية تتفق مع مضمون الحديث الشريف، لأنه يحذر من سلوكيات اجتماعية فصلها الحديث بعد ذلك.

وصيغة الحوار والسؤال والجواب: بين رسول الله ﷺ والحاضرين من أصحابه تضفي على الحديث صيغة التعليم والتوجيه والإقناع؛ وأسلوب الشرط: المتضمن للاستثناء في قوله: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه"، هذا الأسلوب يرشد إلى أن الجلوس في الطرقات ليس اختيارًا، ولكنه استثناء، ولظروف خاصة، وهو له شروط وآداب وسلوكيات لا بد أن تُتَبع، وإلا فهو غير مباح، ويظل في دائرة التحذير التي بُدئ بها الحديث الشريف، والخطاب في الحديث، للصحابة، ولكل المسلمين في كل عصر لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومن سمات البلاغة في هذا الحديث الإيجاز: فكل معلم من معالم حق الطريق في هذا الحديث يعد بابًا واسعًا، وأفقا رحبا من السلوكيات التي تجعل المجتمع آمنًا، والحرمات مصونة، والأعراض محمية.

ولنتأمل التناسق في البناء اللغوي لهذه المعالم الخمسة، فهي كلها مصادر ثلاثية مضافة إلى ما بعدها، وهي كلها حق الطريق، وهي: "غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"، وتأمل الطباق بين قوله: "الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر"، وفي ذلك إرشاد إلى أن المسلم لا يكون سلبيًا بل يلتزم بالسلوكيات الصحيحة الثلاثة الواردة في أول هذه الحقوق، ثم يرشد غيره ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، والمعروف والمنكر، كلمتان جامعتان لكل المأمورات والمنهيات، وهذا الإيجاز المفيد من أدق أسرار بلاغة الرسول الكريم ﷺ.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على الأحكام الفقهية الآتية:

١- وجوب غض البصر عن النظر إلى العورات، وإلى جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة منه[1]، وقد قال النبي ﷺ لعلي ((لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإنَّما لَكَ

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٢/١١٠.

الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ))[١].

٢- وجوب كف الأذى، ويدخل في كف الأذى: اجتناب الغيبة، وظن السوء واحتقار بعض المارين، ومن الأذى أيضًا: تضييق الطريق على المارين، أو منع النساء من الخروج في أشغالهن بسبب قعود القاعدين في الطريق، أو أن يجلس بقرب باب دار إنسان يتأذى بذلك، أو حيث يكشف من أحوال النساء شيئًا يكرهونه[٢].

٣- وفيه لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب رد السلام، إذ هو فرض بالإجماع، فإن كان السلام على واحد كان الرد فرض عين عليه، وإن كان على جماعة كان الرد فرض كفاية في حقهم، إذا رد أحدهم سقط الحرج عن الباقين[٣].

٤- وفيهما: كراهية الجلوس في الطرقات، لما فيه من التعرض للفتن، والإثم بمرور النساء، وقد يمتد نظر إليهن، أو فكر فيهن، أو سوء ظن بهن، إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن تجنبها بعدم الجلوس في الطرقات[٤].

٥- وفيهما: الندب إلى لزوم المنازل التي يسلم لازمها من رؤية ما يكره رؤيته وسماع ما يجب عليه إنكاره، ومن معاونة مستغيث يلزمه إعانته، وذلك لأن رسول الله ﷺ إنما أذن في الجلوس بالأفنية، والطرق بعد نهيه عنه، لمن قام بالمعاني التي ذكرها رسول الله ﷺ[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٧٧، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٩٠٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/١٠٢، ١٤٢.

(٣) المرجع السابق ١٤/٣٢.

(٤) المرجع السابق ١٤/١٤٢.

(٥) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٢/١١٠.

(٦) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٢٦)

١٦٢٦ - وعن أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودًا بالأفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ (فِيهَا)[١] فَجَاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: ((مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ)) فقُلْنَا: إنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأسٍ، قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ، وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: ((إمَّا لاَ فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَحُسْنُ الكَلاَمِ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو طلحة الأنصاري: وهو الصحابي الجليل زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد، النَّجَّاري، الخزرجي، الأنصاري، المدني، صاحب رسول الله ﷺ، يكنى بأبي طلحة واشتهر بها وباسمه، وهو من فضلاء الصحابة، وهو زوج أم سليم بنت مِلْحان أم أنس بن مالك، وعقبه منها، روى عن النبي ﷺ، وروى له الجماعة، وكان قد ولد بالمدينة المنورة، ولما ظهر الإسلام كان من أكبر أنصاره، فكان أحد النقباء في بيعة العقبة، ولما هاجر رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فكان من الذين أبلوا بلاءً حسنًا، وسطر له التاريخ الإسلامي صفحات مضيئة، أوضحت أنه كان من الرماة المذكورين، والشجعان المعدودين من أصحاب رسول الله ﷺ ففي حنين قتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً وأخذ أسلابهم، وقبل حنين، في أحد كان يقي رسول الله ﷺ بنفسه ويرمي بين يديه، فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تُشرف يُصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[٣] وما زال مجاهدًا في سبيل الله حتى مات، فعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ القرآن ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾[٤] فقال: أن تستنفروا شيوخًا وشبانًا،

---

(١) (فيها) لا توجد عند مسلم.

(٢) برقم (٢١٦١/٢).

(٣) أخرجه البخاري ٣٨١١.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

فقالوا: أبانا لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات ومع أبي بكر وعمر، فنحن نغزو عنك، فأبى فركب البحر حتى مات، فلم يجدوا جزيرة يدفنوه إلا بعد سبعة أيام، قال فما تغير[١].

كان متحليًا بمكارم الأخلاق، وعنها حدث ولا حرج، فكان كريمًا معطاءً وقصة استضافته لضيف رسول الله ﷺ مشهورة مسجلة في الصحاح، فقال لامرأته ((ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم وتعالَيْ فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٢]، [٣] تصدق بحديقته البيْرحاء وكانت أحب أمواله إليه، فقال له رسول الله ﷺ بَخٍ بَخٍ، ذلك مال رابح، أو مال رايح))[٤].

وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ فقابله النبي ﷺ بحب لا نظير له، ففي حجة الوداع لما حلق النبي رأسه خصه بشعر شقه الأيمن ووزع الشق الآخر على الناس ((... ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس))[٥] وكان النبي ﷺ يزوره في بيته ويداعب أولاده ومنهم أبو عمير، ويصلي في بيته، فعن أنس قال ((كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقا، وكان لي أخ يقال له: أبو عُمير، قال: أحسبه فطيمًا، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر؟ نغير كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمُرُ بالبِساط الذي تحته فيُكنس ويُنْضَح ثم يقوم، ونقوم خلفه، فيصلى بنا))[٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٥٤٩. وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) سورة الحشر، آية: ٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٨٩.

(٤) أخرجه البخاري، ٤٥٥٤.

(٥) أخرجه مسلم ٣١٥٥.

(٦) أخرجه البخاري ٦٢٠٣.

وكان أبو طلحة هو الذي حفر قبر النبي ﷺ، ولحده.

توفي أبو طلحة رضي الله عنه بالشام، وقيل بالمدينة سنة (٣٢) أو (٣٤)، وهو ابن سبعين سنة، وجزم ابن حجر والمدائني وغيرهما بأنه مات سنة (٥١هـ)[١].

غريب الألفاظ:

بالأفنية: جمع فناء: وهو حريم الدار ونحوها وما كان في جوانبها وقريبًا منها[٢].

الصعدات: جمع صُعُد وهي الطرق، وصُعُد جمع صعيد، وقيل: جمع صُعدة وهي فناء باب الدار وممرّ الناس بين يديه[٣].

لغير ما بأس: ما هنا زائدة، وبأس: مانع وحرج والمعنى: أن قعودنا لمباح لا لأمر فيه بأس شرعًا [٤].

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا المشهد الواقعي، وما أصدق هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وبعض أصحابه: حيث الإصغاء والاستجابة لتعاليم رسول الله ﷺ بعد حوار جميل واقتناع وتسليم واتباع لسنة المصطفى ﷺ.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣/٦٥٤-٥٠٧)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٨٢٥، ٨٢٦)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٦/١٧٨، ١٧٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٤٥٠، ٤٥١)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (٢/٢٧-٣٤)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٣/٧٩)، (٨/٣٤٥، ٣٤٦)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (١/٦٦٦)، السندي (٢٦/٢٦٤)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٣/٥٨، ٥٩)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٣/٢٠٧٣-٢٠٧٥).

(٢) شرح مسلم، النووي ١٣٥٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ص ع د).

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٥٤، المعجم الوسيط، محمع اللغة العربية في (ب أ س)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٤.

ويبدأ الحديث بالفعل "كنا" وكان فعل ماض ناقص، وهذا البدء بهذا الفعل يدل على أن الجلوس في الصعدات كان من باب العادة والإلف، وهو سلوك مضى وانتهى بعد توجيهات الرسول ﷺ، وإذا حدث فهو مؤطر بإعطاء الطريق حقها، والفعل "كنا" يفصح عن صيغة الحكاية التي اتسم بها الأسلوب في هذا الحديث.

والتعبير بقوله: "نتحدث فيها". تصوير لحال هؤلاء الصحابة وهم قعود بالصعدات، والجمع بين قولهم، "نتذاكر ونتحدث" ليس إسهابًا، ولكن لكل فعل دلالته، فقولهم: "نتذاكر" أي أنهم جادون يتذاكرون مسائل العلم، وقولهم: "نتحدث" يدل على أنهم يتكلمون في الأمور المباحة من أمورهم الدنيوية، فهم يجمعون بين العلم والأمور العامة، وقولهم "لغير ما بأس" يفصح عن طبيعة أحاديثهم التي لا تخوض في الأمور المنهي عنها؛ وقولهم: "فجاء... فقام علينا"، يوحي بالتأمل واستنكار ما يحدث.

وهذا الاستنكار جاء صريحًا في ذلك الاستفهام الإنكاري، "ما لكم ولمجالس الصعدات؟!!!".

واختيار لفظ "الصعدات" والعدول عن لفظ "الطرقات"، ليس من باب الترادف، ولكن لتحديد طبيعة المجلس، ونوع الضرر الناتج عنه: فالصعدات هي: الطرق أو الممرات التي يصعد منها أصحاب الدور لحوائجهم، ويأتي الإنكار أكثر صراحة في صيغة الأمر: حيث قال رسول الله ﷺ "اجتنبوا مجالس الصعدات".

وفي قوله: "إما لا فأدوا حقها"، إيجاز وبلاغة نابعة من سياق ومراعاة مقتض الحال، فبعد الحوار. والتفصيل أصدر الرسول أوامره الرشيدة في إيجاز بليغ، وأسلوب رقيق دقيق، وأوجز للإيحاء بسرعة الاستجابة للمحافظة على حقوق الطريق، وقد حذفت كان واسمها، وحذف الخبر الواقع بعد "لا" في قوله: "إما لا" والتقدير: إن كنتم لا تتركونها: فأدوا الطريق حقها، فالإيجاز هنا إيحاء بضرورة الإسراع والتنفيذ، وهذا الأسلوب الشرطي: يؤكد حتمية مراعاة آداب الطريق، وأداء حقها وهي: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام، اتباعًا لأمر المصطفى ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين وسؤالهم والوقوف على أحوالهم.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بآداب حق الطريق.

رابعًا: من أهداف الدعوة: تعليم المدعوين مراعاة الآداب الإسلامية للجلوس على الطرق.

أولاً- من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين وسؤالهم والوقوف على أحوالهم:

جاء في الحديث الأنموذج التطبيقي لذلك والمثل الحي في تفقد النبي ﷺ في الحديث لصحابته "فجاء رسول الله ﷺ فقام علينا" أي وقف علينا[1] وتلك من آداب الداعية الناجح، فالدعوة لا تقف عند مجرد الخطب والمواعظ، وإنما يضاف إلى ذلك الدعوة الحركية التنفيذية، وذلك أن الطبيعة التنفيذية سر مشبوب لا مدى لقواه الهائلة، ومن شأنه هذا أن يجعل صاحبه حركة دائبة، لا يكف عن الدعوة، ولا يخمد عن العمل، يزور هذا ويدعو ذاك، ويتحدث إلى آخر، ويدور على الأندية والمجالس وغير ذلك، ويقف على أحوال الناس، فالداعية لا يخلد إلى راحة، ولا يركن إلى دعة، فراحته في تعبه، وسعادته في دعوته[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك في الحديث "فقال: ما لكم ولمجالس الصعدات؟ اجتنبوا مجالس الصعدات، فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث..." وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العالية، فالسؤال يجعل المدعوين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة الإجابة على الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[3] وقد استخدم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٦٦٤

(٢) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٢٥٤.

(٣) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٥٨، ٦٠.

القرآن أسلوب السؤال والجواب في كثير من آياته، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾[1] وقوله ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾[2] وذلك استفهام تمهيدي للفت الأنظار والتنبيه إلى ما جاء في الجواب عنه[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية الالتزام بآداب حق الطريق:

إن الإسلام كله أدب وذوق رفيعان، لم يصل إليهما، بل لم يعرفه بنو آدم من قبل أن يمن الله علينا بهذا الدين، وما كان لهم أن يكون لهم ذلك بغير تعليم العليم الخبير لهم وتربيته وتزكيته لهم، فالإسلام كله ناطق بهذه السمة في تعاليمه وأحكامه كلها[4]، والتي منها ما شرعه الإسلام من آداب للطريق، والتي وردت في الحديث "فأدوا حقها: غض البصر ورد السلام وحسن الكلام"، قال القاضي عياض: (قد تبين من هذا معنى علة ما نهى عنه من الجلوس على الطرقات، من التعرض للفتن بحضور النساء، وخوف ما يلحق من ذلك من النظر إليهن والفتنة بسببهن، ومن التعرض لحقوق الله والمسلمين بما لا يلزم الإنسان إذا كان في بيته، وحيث ينفرد أو يشتغل بما يلزمه، ومن رؤية المناكر وتعطيل المعارف، فيجب على المسلم الأمر والنهي عند ذلك، فإن ترك ذلك، فقدتعرض لمعصية الله.

وكذلك هو يتعرض لمن يمر عليه ويسلم، وربما كثر ذلك عليه فيعجز عن رد السلام على كل مارٍّ، ورده فرض، فيأثم، والمرء مأمور ألا يتعرض للفتن، ولا لإلزام نفسه ما لعله لا يقوم بحقه فيه، فندبهم النبي ﷺ إلى ترك هذا، فلما أعلموه أنه لابد لهم من ذلك، لما يقصده الإنسان بمجالسة جيرته وأصحابه في أفنية منازلهم، لترويح

---

(١) سورة الصف، آية: ١٠، ١١.

(٢) سورة النازعات، آية: ١٥.

(٣) انظر: تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ص ١٣١٨.

(٤) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ص ١٦٩.

قلوبهم وقضاء حوائجهم، والمباحثة عن أحوالهم. قال لهم: إن أبيتم إلا ذلك فأدوا الحقوق اللازمة لكم.

وفيه دليل، أن أمره عليه السلام لم يكن لهم على الوجوب، وإنما كان على طريق الترغيب والحض لما هو أولى، إذ لو فهموا منه الوجوب لم يراجعوه هذه المراجعة، وقد يحتج به من لا يرى الأوامر على الوجوب، وفيه حجة على وجوب رد السلام، وحجة على أن الماشي يسلم على القاعد.

وأما قوله: "وكف الأذى": فيحتمل أن يكف أذى الناس بعضهم عن بعض، وهو من نحو قوله: "والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وقد يكون أن تكف أذاك عن المار فيه بألا تجلس حيث يضيق عليه الطريق، أو من يتأذى بجلوسك على باب منزله، أو طريق واردته، أو حيث يكشف عياله، أو ما يريد التستر به من حاله.

وقوله: "وحسن الكلام": ندب إلى حسن معاملة المسلمين بعضهم لبعض، وأن الجالس على الطريق يمر به العدد الكثير من الناس، فربما سألوه عن بعض شأنهم، ووجهة طرقهم، فيجب أن يتلقاهم بالجميل من الكلام، ولا يتلقاهم بالضجر وخشونة اللفظ، ولعل هذا من باب كف الأذى المتقدم[1].

قال ابن حجر: "وقد تبين من سياق الحديث، أن النهي عن ذلك للتنزيه لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، وأشار بغض البصر إلى السلامة من التعريض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن، وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها، وبرد السلام إلى إكرام المار، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى استعمال جميع ما يشرع وترك جميع ما لا يشرع[2].

إن طرقاتنا في حاجة إلى ما يزيل ما أصابها من قذارة حسية وأخلاقية.

لقدشرع إسلامنا آداب الطريق وألزمنا بها وأمرنا بإماطة الأذى عنها أيًا كان نوعه حسيًا كان أم أدبيًا. إن مما يدخل في أذى الطريق ما نراه ونسمعه في غدونا ورواحنا من

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٤/٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١٣٥/٥.

مخالفات شرعية، وفوضى أخلاقية من سب للدين وقذف للمحصنات، وهتك للعورات، وعري فاضح، ومشاهد مرذولة، وشتم ولعن، وتضييق على المسلمين، ومعاكسات للفتيات، ونظرات خائنة، وغمز ولمز، وغيبة ونميمة، وإذلال للمسلمين، وأصوات عالية تضج بها المحلات والمقاهي ينبعث منها غناءٌ فاضح، دون محافظة على مشاعر الناس، ودون مراعاة لمريض يبحث عن الراحة!!

أليست كل هذه المخالفات تُعد أذى؟! أليس أصحاب هذه الجرائم يستحقون التأديب والتأنيب؟![1]

رابعًا- من أهداف الدعوة: تعليم المدعوين مراعاة الآداب الإسلامية للجلوس على الطرق:

إن تعليم المدعوين الآداب الإسلامية للجلوس على الطرق من الأهداف الدعوية التي لا يستهان بها، لذا أمر النبي ﷺ باستصحاب هذه الآداب وتطبيقها، ومن هذه الآداب ما جاء في الحديث "غض البصر ورد السلام وحسن الكلام" قال النووي: (ونحو ذلك من الأسباب التي لو خلا في بيته سلم منها، ويدخل في الأذى أن يضيق الطريق على المارين، أو يمتنع النساء ونحوهن من الخروج في أشغالهن بسبب قعود القاعدين في الطريق، أو يجلس بقرب باب دار إنسان يتأذى بذلك، أو حيث يكشف من أحوال الناس شيئًا يكرهونه)[2] وإن الالتزام بالآداب الإسلامية والتمسك بها سبب لرقي المجتمع وانتظامه وسعادته، ويتمثل فيها مدى انتصار الإنسان على النفس، وسرعته في الاستجابة، وقوته في الانقياد للأمر، مهما يكن مخالفًا للعادات، مصادمًا للشهوات[3].

لقد ضمنت السنة النبوية حقوق الطريق، وحقوق الطريق التي بينها رسول الله ﷺ هي: (غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر) وهذه الحقوق ليست من باب الحصر، وإنما هي بعضها، وقد بينت أحاديث أخر حقوقًا للطريق غير هذه، فعُلم أن المذكورات التي في الحديث ليست من باب الحصر.

---

(١) انظر: موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف عزيز، ٣٣٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٥٤.

(٣) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

أ-غض البصر: الأمر بغض البصر يشترك فيه الرجال والنساء على حدٍ سواء، وذلك؛ لأن إطلاق البصر فيما يحرم يجلب عذاب القلب وألمه، وهو يظن أنه يروح عن نفسه ويبهج قلبه، ولكن هيهات. وأعظمهم عذابًا مدمنهم، وكماقال ابن تيمية: تعمد النظر يورث القلب علاقة يتعذب بها الإنسان، وإن قويت حتى صارت غرامًا وعشقًا زاد العذاب الأليم، سواء قدر أنه قادر على المحبوب أو عاجز عنه، فإن كان عاجزًا فهو في عذاب أليم من الحزن والهم والغم، وإن كان قادرًا فهو في عذاب أليم من خوف فراقه، ومن السعي في تأليفه وأسباب رضاه[1]. وأصل ذلك ومبدؤه من النظر، فلو أنه غض بصره لارتاحت نفسه وارتاح قلبه.

إن الشرع المطهر لم يغفل ما قد يقع من الناس بدون قصد منهم، بل أمر من نظر إلى امرأة أجنبية بدون قصد منه أن يصرف بصره عنها ولا يتمادى. قال جرير بن عبدالله رضي الله عنه: ((سألت رسول الله ﷺ عن نَظْرة الفُجاءة فأمرني أن أصرف بصري))[2]. ومعنى نظر الفجأة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث[3].

ب-كف الأذى: ومن حقوق الطريق، كف الأذى، وعدم إيذاء الناس في أبدانهم أو أعراضهم. وفي الحديث الذي رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده... الحديث))(٤). والحديث من جوامع كلمه ﷺ، فيشمل اللسان من تكلم بلسانه وآذى الناس في أعراضهم أو سبهم، ويشمل من أخرج لسانه استهزاء وسخرية. وكذا اليد فإن أذيتها لا تنحصر في الضرب، بل تتعداها إلى أمور أخر كالوشاة بالناس والسعي في الإضرار بهم عن طريق الكتابة، أو القتل ونحو

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٤/١٥٦، ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢١٥٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ٤٠٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢١٠، ومسلم ٤٠.

ذلك. بل إن من محاسن هذا الدين أن كان كف المرء شره وأذاه عن الناس صدقة يتصدق بها على نفسه. جاء ذلك صريحًا في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: ((أي العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله وجهادٌ في سبيله. قلت: فأي الرقاب أفضل. قال: أعلاها ثمنًا وأنفسها عند أهلها. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين صانعًا أو تصنع لأخرق. قال: فإن لم أفعل؟ قال: تدعُ الناس من الشر فإنها صدقةٌ تصدق بها عن نفسك)) وعند مسلم: ((تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك))[1].

ج- رد السلام: ومن حقوق الطريق: رد السلام، وهو واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((خمس تجب للمسلم على أخيه رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز))[2]. وقد قصَّر في هذا الباب خلقٌ كثير، واقتصر سلامهم على المعرفة، فمن عرفوه سلموا عليه أو ردوا عليه سلامه، ومن لم يعرفوه لم يعيروه اهتمامًا. وهذا خللٌ ومخالفة للسنة.

د- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هذا باب عظيم الشأن والقدر، به كانت هذه الأمة خير الأمم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3]. قال ابن كثير: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها، رواه ابن جرير، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾[4].

وبتركه يحل بهم العقاب، فقد روى الإمام أحمد في مسنده قال: ((قام أبوبكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه فقال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[5] إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على

---

(١) أخرجه البخاري ٢٥١٨، ومسلم ٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦ واللفظ له.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ٧٩.

(٥) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر، لا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب))[١].

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فوائد عظيمة للأمة، منها: نجاة سفينة المجتمع من الهلاك والغرق، ومنها: قمع الباطل وأهله، ومنها: كثرة الخيرات والحد من الشرور، ومنها: استتباب الأمن، ومنها: نشر الفضيلة وقمع الرذيلة... إلخ.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مقصورًا على جهةٍ معينة "كالهيئة مثلاً" أو أُناس معينين "كرجال الحسبة"، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على كل أحد، كلٌ بحسب استطاعته. والحديث الوارد في ذلك عامٌ لم يخصص أحدًا من أحد. قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)). وينبغي عليه إرشاد السائل عن الطريق، وهدايته إليه، سواءٌ كان ضالاً أو أعمى، وجاء هذا الحق مصرحًا به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الذين سألوا النبي ﷺ عن حق الطريق قال: ((وإرشاد السبيل))[٢])[٣]. وفي حديث آخر لأبي هريرة رضي الله عنه ما يبين أن هداية السبيل من الصدقات، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ودل الطريق صدقة))[٤].

هـ- إزالة الأذى من الطريق: من الآداب المستحبة في الطريق؛ إزالة الأذى عن الطريق، بل هي من الإيمان: قال ﷺ: ((الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة أو بضعٌ وستون شعبة، فأفضلها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٢/١ رقم ١، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٧٨/١.

(٢) أخرجه مسلم ٤٩.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٨١٥، وقال الألباني: حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٤٠٣١).

(٤) أخرجه البخاري ٢٨٩١.

(٥) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥ واللفظ له.

وهي من الصدقات، وبسببها أُدخل رجلٌ الجنة. ففي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((كل سُلامي من الناس عليه صدقة... ثم قال: وتميط الأذى عن الطريق صدقة))[1]. وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: ((بينما رجل يمشي بطريق وجدغُصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له... الحديث)) وعند أبي داود: قال رسول الله ﷺ: ((نزع رجلٌ لم يعمل خيرًا قط غُصن شوك عن الطريق، إما كان في شجرة فقطعه وألقاه، وإما كان موضوعًا فأماطه، فشكر الله له بها فأدخله الجنة))[2])[3].

و-حسن الكلام: قال النووي في شرح الحديث (وأما حسن الكلام فيدخل فيه حسن كلام الجالسين في الطرقات ونحوها في حديثهم بعضهم لبعض، فلا يكون فيه غيبة ولا نميمة ولا كذب ولا كلام ينقص المروءة، ونحو ذلك من الكلام المذموم، ويدخل فيه كلامهم للمار من رد السلام، ولطف جوابهم له، وهدايته للطريق وإرشاده لمصلحته ونحو ذلك[4].

وبهذا قد جمع الحديث آداب الطريق، نظمها ابن علان فقال:

آداب من يجلس في الطريق من قول طه خذه بالطريق

أفش السلام وأحسن الكلام عن ... مظلوم واللهفان غث رفيقي

ومُرْ بعرف وانه عن منكر وكف ... أذى وغض الطرف يا صديقي

وشمت العاطس إن يحمد أعن ... في الحمل وأكثر ذكر ذي التوفيق

ورد تسليمًا واهد حائرًا ... والزم تقى الديان بالتحقيق[5]

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٨٩، ومسلم ١٠٠٩ واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٤، ومسلم ١٩١٤ واللفظ له.

(٣) انظر: كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب، ٣٠٤-٣٠٨.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٥٥.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٤.

الحديث رقم (١٦٢٧)

١٦٢٧ - وعن جرير رضي الله عنه قَالَ: سألت رسول الله ﷺ عن نَظَرِ الفَجْأَةِ فَقَالَ: ((اصْرِفْ بَصَرَكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

الشرح الأدبي

إن الإيجاز، والاختصار، وحذف فضول الكلام: يعد من شروط الفصاحة والبلاغة، لأنه يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وأسلوب النبي ﷺ، في أحاديثه الشريفة يجمع بين خاصيتي: البلاغة والإيجاز، فليست فيه ألفاظ زائدة على المعنى، لأن الزيادة اللفظية تعد عيبًا من عيوب فصاحة اللسان العربي، وخاصية الإيجاز في كلام المصطفى ﷺ، تعد صدى مضيئًا وترجمانًا بيانيًا صادقًا لقوله ﷺ: ((أوتيت جوامع الكلم))[2].

وهذا الحديث: تطبيق عملي للإيجاز والبلاغة النبوية، لأنه سؤال من جرير وهو ابن عبدالله البجلي الصحابي، حيث سأل رسول الله ﷺ عن أمر شائع يحدث للكثيرين وهو "نظر الفجأة"، ونظر الفجأة أي الذي يحدث بغتة من غير قصد، والدلالة اللغوية تفصح عن ذلك: فالفعل "فاجأه" معناه هجم عليه، والمفاجئ: يطلق على الأسد.

ولهذا السؤال دلالة لازمة له: وهي تفهم من سياق الحديث، وكأنه يريد أن يقول: هل عليَّ إثم وعقوبة؟ وكيف أنجو من ذلك وأحذره، وهو يأتي بغتة؟!

---

(١) برقم (٢١٥٩/٤٥)، واللفظ لأبي داود (٢١٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٤٧). تنبيه: الحديث أورده المنذري وعزاه إلى مسلم، وأبي داود، والترمذي واللفظ لأبي داود، ولما نقله النووي إلى هنا، أسقط المصدرين وبقي اللفظ لأبي داود.

(٢) أخرجه مسلم ٥٢٣.

وتأتي إجابة المصطفى ﷺ: موجزة مقنعة مريحة: تطمئن السائل، وتبدد قلقه وحيرته: حيث قال له: ولكل من يقع في مثل ذلك الموقف الحرج: "اصرف بصرك"، أي تحول ببصرك عن المنظور إليه من غير قصد؛ والمسكوت عنه الذي يفهم من موحيات هذا الأمر النبوي: هو: إنك إذا لم تصرف بصرك أثمت بدوام النظر لما يحرم النظر إليه.

ولم يقل: غض البصر: لأن الغض هو أمر بعدم النظر... أما في هذا الموقف فالرجل نظر، ولكنه "نظر الفجأة"، فلفظ غض لا يتناسب مع المقام والسياق، ولكل مقام مقال.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- وجوب غض البصر في جميع الأحوال، وذلك للحديث، ولقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١].

ويستثنى من وجوب الغض، ما إذا وجد غرض شرعي يبرر النظر[٢]، كما لو أراد أن يخطب هذه المرأة، أو يشهد عليها، أو يدخل معها في معاملة تجارية، حتى يتسنى له مطالبته بحقوق العقد، كما يستثنى من ذلك -أيضًا- حالة ما لو كان هذا الرجل طبيبًا معالجًا لهذه المرأة، فإنه يجوز له النظر إلى المواضع التي يحتاج إليها في ذلك، ولكن قيد العلماء ذلك بأن يكون ذلك بحضرة الزوج أو محرم[٣].

٢- وفيه دليل على أن النظر الواقع فجأة دون قصد وتعمد، لا يوجب إثمًا على الناظر لأن التكليف به خارج عن حدود الاستطاعة، أما ما يوجب الإثم فهو نظر التعمد أو ترك صرف البصر بعد نظر الفجأة[٤].

---

(١) سورة النور، من آية: ٣٠.

(٢) شرح معاني الآثار، الطحاوي ١٥/٣، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٨١/٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩/١٤، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١٢٢/٢.

(٣) منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١٢٢/٢، ١٢٣، ١٢٨.

(٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤١/٦، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩/١٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية غض البصر عن المحرمات.

ثالثًا: من آداب المدعو: صرف البصر عن نظرة الفجاءة.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد هذا الأسلوب في الحديث في قول جرير رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فقال: "اصرف بصرك" وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة فهو من أساليب الأداء البياني، وله قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، فهم إذا تلقوا الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة، ويختزنونها برغبة منبعثة من نفوسهم، ولا يجدون في نفوسهم أي عقبة تصرفها عن ذلك، ثم تدفعهم الرغبة إلى الحديث عما ثبت في أذهانهم من الأسئلة والأجوبة عليها في مجالس مختلفة، فيروونها كما جرت في مجلس السؤال والجواب[1]. وقد ورد ذلك في كتاب الله تعالى، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾[2] وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾[3].

فينبغي على طالب العلم وراغب المعرفة أن يسأل عما لا يعلمه، وقد عد الإمام بدر الدين الغزي من آداب المتعلم السؤال فقال ومنها - من آداب المتعلم- أن لا يستحي من السؤال عما أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح، فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عند السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال[4].

---

(١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٥٨-٦٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٨٣.

(٤) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزن ص ١٥١.

لقد صور لنا النبي ﷺ الجهل ووصفه بأنه مرض وأن الشفاء منه والتعافي عنه السؤال، فروى عن عطاء بن جابر رضي الله عنه ((خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حَجَرٌ فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ قالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك موسى- على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده))[1].

والعيّ هو التحير في الكلام وعدم الضبط، ويطلق على الجهل، والمعنى أن الجهل داء وشفاؤها السؤال والتعلم[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية غض البصر عن المحرمات:

جاء في الحديث الأمر بصرف الأبصار وغضها عن المحرمات، فعن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة فقال "اصرف بصرك" قال النووي: (ومعنى نظرة الفجاءة: أن يقع بصره على الأجنبية من غير قصد فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصره في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أثم لهذا الحديث فإنه ﷺ أمره أن يصرف بصره، مع قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[3] وفي هذه الآية أمر الله عز وجل بغض البصر، وصيانة الفرج، وقرن بينهما في معرض الأمر، وبدأ بالأمر بالغض، لأن العين رائدٌ للقلب.

فالواجب على المسلم أن يحرص على سلامة قلبه، ورضا ربه بغض بصره، فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس:

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا ... أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

---

(١) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٨٥.

(٣) سورة النور، آية: ٣٠.

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له طوقه إنه يأتيه بالعطب[1]

لقد أمر الله تبارك وتعالى في القرآن والرسول ﷺ في السنة النبوية بصريح النصوص بغض الأبصار وحفظها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وروي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم))[3].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((أردف رسول الله ﷺ الفضل بن عباس يوم النحر خلفه على عَجُزِ راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئًا، فوقف النبي ﷺ للناس يفتيهم وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله ﷺ، فطفق الفضل ينظر إليها وأعجبه حسنها، فالتفت النبي ﷺ، والفضل ينظر إليها، فأخلف بيده فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها. فقالت: يا رسول الله! إن فريضة الله في

---

(١) انظر: التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥ رقم ٢٢٧٥٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٤١٧/٣٧.

الحج على عباده، أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحج عنه؟ قال: نعم))[١].

وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد))[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به في الحسنات. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى هذه المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ما منكم من رجل يخرج من بيته متطهرًا فيصلي مع المسلمين الصلاة ثم يجلس في المجلس ينتظر الصلاة الأخرى، إن الملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. فإذا قمتم إلى الصلاة فاعدلوا صفوفكم، وأقيموها وسدوا الفرج، فإني أراكم من وراء ظهري، فإن قال إمامكم: الله أكبر، فقولوا: الله أكبر، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا لك الحمد، وإن خير صفوف الرجال المقدم، وشرها المؤخر، وخير صفوف النساء المؤخر، وشرها المقدم. يا معشر النساء: إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن، لا ترين عورات الرجال من ضيق الأزر))[٣].

إن غض البصر عن العورة التي يُنهى عن النظر إليها كالمرأة والأمرد الحسن، له ثلاث فوائد:

الأولى: حلاوة الإيمان ولذته والتي هي أطيب وأحلى مما تركه لله، فإن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

الثانية: نور القلب والفراسة، ولذلك ذكر الله عز وجل، عقب آيات غض البصر التي في سورة النور قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] وذلك لأن الله عز وجل

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٨ واللفظ له، ومسلم ١٣٣٤.

(٢) أخرجه مسلم ٣٣٨.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٢٩٣ رقم ١٤١٢٣، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٢/٢٦.

(٤) سورة النور، آية: ٣٥.

يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه. فلما منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحل، أطلق نور بصيرته وفتح عليه باب العلم والمعرفة.

الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

- يبدل الله صاحبه نورًا يجد حلاوته في قلبه.
- فيه طاعة لله ورسوله يترتب عليها محبة توصله إلى الجنة.
- من أهم الصفات التي يتحلى بها المؤمن وتتولد من الحياء.
- فيه راحةٌ للنفس والبدن.
- يصون المحارم ويجنب الوقوع في الزلل.
- يجعل المجتمع المتحلي بهذه الصفة مجتمعًا آمنًا متحابًا.
- يصون المجتمع من انتشار الزنى.
- يضرُّ بالشيطان وأعوانه ويستجلب العفة[1].

ثالثًا- من آداب المدعو: صرف النظر عن نظرة الفجاءة:

وذلك ما جاء في منطوق الحديث، بصرف البصر عن نظرة الفجاءة فقال ﷺ لجرير عندما سأله عن نظرة الفجاءة "اصرف بصرك" يعني أدره يمينًا أو شمالاً حتى لا تنظر، فيستفاد من هذا الحديث تحريم نظر الرجل إلى المرأة، لكن إذا حصل هذا فجأة فإنه يعفى عنه لأنه بغير اختيار من الإنسان، لكن يجب عليه أن يصرف بصره[2]؛ وذلك من الآداب الواجب التأدب بها والتزامها من قبل المدعو، حفاظًا على قلبه من الفتنة، وجوارحه من المعصية، قال القرطبي: (البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله[3] قال بعض السلف: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته)[4].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٠٧٦/٧.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين ١٧٢٤/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٤٨/١٢/٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٨٣/٢.

وغض البصر دليل على عمران باطن المسلم بمراقبة الله عز وجل وتقواه، قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد إنَّ التقوى سبب لغضِّ البصر وتحصين الفرج)[١] وهو سبب من أسباب الفراسة وملء القلب بالنور، ولذلك ذكر الله عز وجل عقب آيات غض البصر التي في سورة النور قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] وذلك لأن الله عز وجل يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فلما منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحل، أطلق نور بصيرته وفتح عليه باب العلم والمعرفة[٣]. قال شجاع بن شاة: (من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وأكل الحلال، لم تخطئ له فراسة)[٤].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠٩/٩.

(٢) سورة النور، آية: ٣٥.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٠٧٦/٧.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٢٥/١٥.

الحديث رقم (١٦٢٨)

١٦٢٨ - وعن أُم سَلَمَة رضي الله عنها، قالت: كنتُ عِنْدَ رسول الله ﷺ، وعندهُ مَيْمُونَة، فَأَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أنْ أُمِرْنَا بِالحِجَابِ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: ((احْتَجِبَا مِنْهُ)) فَقُلْنَا: يَا رسولَ اللهِ، أَلَيْسَ هُوَ أعْمَى! لاَ يُبْصِرُنَا، وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((أفَعَمْيَاوَانِ أنتُما أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ!؟)). رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

الشرح الأدبي

الطهر في معناه الأسمى يتجسد نورا ينبعث من بيوت النبي ﷺ ليعم الأمة، وينبعث شعاعا من أخلاق الطاهرات فيها ليضيء الطريق لكل المؤمنات على مر العصور، وهذا الحديث يحكي موقفا تعليميا يقوم على الحوار بين أمهات المؤمنين، ورسول ﷺ، وقد بدأ الحوار بأمر النبي ﷺ لزوجتيه بالاحتجاب عند دخول ابن أم مكتوم في قوله: (احتجبا منه) أمر باتخاذ ستر مانع من رويتهم له، ورؤيته لهم - لو فرض بأنه يبصر- وقولهن (أَلَيْسَ هُوَ أعْمَى! لاَ يُبْصِرُنَا، وَلاَ يَعْرِفُنَا؟) استفهام تحقيق، وتثبيت تلوح منه أمارات التعجب من سر الأمر بالاحتجاب، ويؤكده توكيد جملة (هو أعمى) بجملة (لا يبصرنا) وهي توكيد معنوي لسابقتها لأنها بمعناها، وهو ما سوَّغ للفصل بين الجملتين بعدم الربط بواو العطف التي تقتضي المغايرة، والجملتان كالجملة الواحدة، ولا يعطف الشيء على نفسه، وقول النبي ﷺ (أفَعَمْيَاوَانِ أنتُما أَلَسْتُمَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١١٢)، والترمذي (٢٧٧٨) واللفظ له، وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٥٧٥)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٥١٢/٧): هذا الحديث صحيحٌ. وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص (٢٢٤٩/٥): ليس في إسناده سوى نبهان مولى أمّ سلمة شيخ الزهريّ، وقد وثّق أهـ. والحديث ضعيف لجهالة نبهان مولى أم سلمة، وقال الإمام أحمد: نبهان روى حديثين عجيبين، وذكر منه هذا الحديث.

تُبْصِرَانِهِ(؟) استفهام ورد على أسلوب الحكيم لأنهما سألا عن حال الرجل الأعمى ،ولم يسألا عن أنفسهما ،فأجابهما بما ينبههما إلى أمر غفلا عنه وهو رؤيتهما له، وأن الأمر بالاحتجاب ليس لنظره هو فقط بل لنظرهما أيضا، والطباق بين قوله أفعمياوان، وبين قوله تبصرانه يؤكد المعنى ، ويشير إلى أن سر الأمر بالاحتجاب أولا، والاستفهام ثانيا يرجع إلى رؤيتهما، وليس إلى رؤيته مما يوجب على المرأة المؤمنة غض بصرها من النظر إلى غير محارمها.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على مسألة: حكم نظر المرأة إلى الرجل.

وقد اختلف الفقهاء في حكم هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الشافعي[١] في قول، والإمام أحمد[٢] في رواية، ويريان أنه يحرم على المرأة أن تنظر إلى الرجل، كما يحرم على الرجل أن ينظر إلى المرأة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، والمالكية[٤]، والشافعي[٥] في قول، وأحمد[٦] في رواية، ويرون أنه يجوز للمرأة أن تنظر من الرجل إلى ما ليس بعورة.

الأدلة:

أولاً: أدلة الرأي الأول: استدل أصحاب الرأي الأول على ما ذهبوا إليه من عدم جواز نظر المرأة إلى الرجل، بالكتاب، والسنة، والمعقول:

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٥٦/٢.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٩/١٥، مسألة رقم ٥٣٤٣، والكافي له كذلك ٩/٣.

(٣) المبسوط، أبو بكر السرخسي ٣٦٢/١٢، الهداية ٨٥/٤.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن عرفة الدسوقي ٢٩٩/٢، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤٨٥/١.

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤٥٦/٢.

(٦) الكافي في فقه الإمام أحمد لابن قدامة ٩/٣.

١- فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[١].

٢- ومن السنة: حديث الباب، وفيه أن رسول الله ﷺ قال لأم سلمة، وميمونة رضي الله عنهما حينما قالتا له: إنه - أي ابن أم مكتوم - أعمى، قال النبي ﷺ بعد ذلك: "أفعمياوان أنتما..." فكان ذلك دليلاً على عدم جواز نظر المرأة إلى الرجل حتى ولو كان أعمى.

٣- من المعقول: أما من المعقول، فلأن النساء أحد نوعي الآدميين، فحرم عليهن النظر إلى النوع الآخر، قياسًا على الرجال.

ويحققه أن المعنى المحرم للنظر هو خوف الفتنة، وهذا في المرأة أبلغ فإنها أشد شهوة، وأقل عقلاً، فتتسارع إليها الفتنة أكثر من الرجل[٢].

ثانيًا: دليل الرأي الثاني: واستدل أصحاب الرأي الثاني على ما ذهبوا إليه من جواز نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل بالسنة:

١- حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((ولقدْ رأيتُ رسولَ الله يقومُ على بابِ حُجْرَتي والحَبَشَةُ يلعبونَ بالحِرَابِ، ورسولُ الله يَسْتُرُنِي بردائِهِ لأَنْظُرَ إلى لَعِبِهِمْ بينَ أُذُنَيْهِ وعَاتِقِهِ ثم يقومُ من أَجْلِي حتَّى أكونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفُ، فاقْدِرُوا قَدْرَ الجاريةِ الحديثةِ السِّنِّ، حريصةً على اللهوِ))[٣].

مناقشة الاستدلال بالحديث: وقد ناقش المانعون الاستدلال بحديث عاشئة من وجهين:

الوجه الأول: أنه ليس في حديث عائشة أنها نظرت إلى وجوههم، وأبدانهم، وإنما نظرت لعبهم، وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعمد النظر إلى البدن، وإن وقع بلا قصد صرفته في الحال[٤].

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو مسألة رقم ٥٣٤٣، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٨/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤٥٤، ومسلم ٨٩٢ (١٨) واللفظ لمسلم.

(٤) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ١٩٢/٧.

الوجه الثاني: إن السيدة عائشة رضي الله عنها في هذه الواقعة كانت صغيرة السن غير مكلفة، أو لعل ذلك كان قبل نزول آية تحريم النظر[١].

٢- ما ثبت أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة بنت قيس: ((اعْتَدّي في بَيْتِ ابنِ أُمّ مَكْتُومٍ فإنّهُ رَجُلٌ أعْمَى تَضَعِينَ ثِيَابَكِ فلا يَرَاك))[٢].

مناقشة الاستدلال بالحديث: ويناقش ذلك، بأنه يمكن مكث المرأة في بيت الأعمى مع غض البصر منها، إذ لا ملازمة بين الاجتماع في البيت والنظر[٣].

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين الأدلة.

قال الشوكاني: (وقد جمع أبو داود بين الأحاديث، فجعل حديث أم سلمة مختصًا بأزواج النبي ﷺ وحديث فاطمة بنت قيس وما في معناه لجميع النساء[٤]. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: قلت: وهذا جمع حسن، وبه جمع المنذري في حواشيه واستحسنه شيخنا انتهى[٥]. وجمع [أي ابن حجر] في الفتح [أي فتح الباري][٦] بأن الأمر بالاحتجاب من ابن أم مكتوم، لعلّه لكون الأعمى مظنة أن ينكشف منه شيء ولا يشعر به، فلا يستلزم عدم جواز النظر مطلقًا، قال: ويؤيد الجواز استمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منتقبات لئلا يراهن الرجال، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء، فدل على مغايرة الحكم بين الطائفتين)[٧].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بارتداء المرأة الحجاب.

---

(١) المرجع السابق ١٩٢/٧.

(٢) أخرجه مسلم ١٤٨٠.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٨/٦.

(٤) سنن أبي داود، ص ٥٢٧ بعد الحديث ٤١١٢.

(٥) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني ١٤٨/٣ والغالب على الظن أن شيخ ابن حجر في عبارته هذه هو ابن الملقن، انظر: البدر المنير ٥١٣/٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٧/٩ .

(٧) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢٤٩/٦.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الحوار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على سلامة وطهارة المجتمع ونشر الحشمة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بارتداء المرأة الحجاب:

جاء في صريح الحديث، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ احتجبا منه".

إن حجاب المرأة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على وجوب احتجاب المرأة من الرجال الأجانب[1] وقد ساق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي أدلة وجوب الحجاب من الكتاب والسنة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[2] وقال ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ﴾[3] وإذا علمت أن حكم آية الحجاب عام، ودلالة الآيات على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب، علمت أن القرآن دل على الحجاب[4] قال عبدالعزيز بن باز: (يا معشر المسلمين تأدبوا بتأديب الله، وامتثلوا أمر الله، وألزموا نساءكم الحجاب، الذي هو سبب الطهارة ووسيلة النجاة والسلامة؛ فالمرأة يجب أن تُصَان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خصت بالاحتجاب، وترك إبداء الزينة وترك التبرج، فيجب في حقها الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهور النساء سبب الفتنة والرجال قوامون عليهن)[5].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١١٠/١٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٥٨٦/٦، ٥٨٧.

(٥) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور، الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ص ٧، ص ٢٦.

لقد فرض الله على كل امرأة أن تلتزم بالحجاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

وشروط الجلباب ثمانية كما ذكرها الألباني وهي:

أ- استيعاب جميع البدن "إلا ما استثنى"، وهناك من العلماء من خالف في هذه المسألة وهي كشف الوجه، أما إن كانت هناك فتنة ستحصل بكشف الوجه، فإن الألباني يرى وجوب الستر عندئذٍ.

ب- أن لا يكون زينة في نفسه.

ج- أن لا يكون صفيقًا لا يشفّ.

د- أن يكون فضفاضًا غير ضيق.

هـ- أن لا يكون مبخرًا مطيبًا.

و- أن لا يشبه لباس الرجل.

ز- أن لا يشبه لباس الكافرات.

ح- أن لا يكون لباس شهرة[2].

وترك لباس الشهرة: أي أن يكون اللباس غير مخالف لما اعتاده صلحاء الناس في البلد.

إن الإسلام أمر المرأة بالحجاب، وحرم عليها التبرج، وهو أن تظهر المرأة من جسدها ما حُرِّم عليها إظهاره، وذلك كإظهار عنقها وماكياج الوجه والساقين، وغير ذلك مما يراه الناس من مظاهر هذا التبرج الصارخ، الذي يثير كوامن الشباب وغرائزهم.

فعلى كل إنسان مسلم أن يمنع ابنته أوأخته أو زوجته أو من يعول من كل تهتّك وسفور، وخاصة في الأفراح المتفسخة من كل قيد، أو المتهاونة في كثير من تعاليم الإسلام.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٢) جلباب المرأة المسلمة، ص ٣٧.

ولقد تهاون أناسٌ فيهم خير كثير في أمر هذه الأفراح والليالي الملاح! وما استبان لهم شُنع فعلهم، ولا قُبح تهاونهم، إلا بعد أن سُجِّلت عليهم هذه السيئات التي جنوها من جرَّاء هذا التهاون واللامبالاة، فندموا أشد الندم، وتمنوا أن لو استقبلوا من أمرهم ما استدبروا، ليصلحوا ما جنوه على أنفسهم من تبعات الندم والأسف والأسى، وهم مع ذلك تائبون نادمون مستغفرون. والحاصل على كل من يعول امرأة أن يذب عنها هذا التبرج والسفور[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الحوار:

ورد الحوار في الحديث وذلك فيما دار بين النبي ﷺ وبين أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما من حوار فقال النبي ﷺ "احتجبا منه، فقلنا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا، فقال النبي ﷺ أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه" والحوار من أبرز الأساليب الدعوية، وأشدها تأثيرًا وأعظمها قيمة، (وديننا الإسلامي - ولله الحمد- منذ بدايته قام على الدعوة للتأمل والتفكر والحوار، والإسلام لم يدع إلى الحوار بين المسلمين فحسب، بل دعا للحوار بينهم وبين غيرهم من الأجناس الأخرى، وحثهم على أدب الحوار، هذا الأمر أحد العوامل المهمة في انتشار الإسلام من بداية عهده وإلى قيام الساعة[٢]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[٣]، (والقرآن الكريم يكثر فيه الاعتماد على المناقشة والحوار، وللقرآن في ذلك أسلوب رائع عجيب، فهو إذ يناقش ويحاور يثير النظر إلى الأدلة، ويعرض لها، ويدع ثمارها ونتائجها مكشوفة، في تضاعيف الكلام، دون أي نص على هذه النتائج، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل)[٤].

---

(١) كتاب "والذين هم لفروجهم حافظون"، خميس السعيد محمد، ص ٢٨٥-٢٨٧.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٣.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٦.

(٤) منهج تربوي فريد في القرآن، د. محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، بدون تاريخ، ص ٣٧، ٣٨.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على سلامة وطهارة المجتمع ونشر الحشمة:

إن ما جاء في الحديث من الأمر بالحجاب "احتجبا منه" لمن الأدلة الظاهرة على أن الحفاظ على المجتمع وسلامته وطهارته من أهداف الدعوة الرئيسة، فالحجاب يجعل المجتمع آمنًا متحابًا مصونًا من الرذائل والفواحش، تصان فيه المحارم ويجنب فيه الوقوع في الزلل[1] فللحجاب فضائل كثيرة لا تُنكر.

لقد تعبَّد الله نساء المؤمنين بفرض الحجاب عليهن، الساتر لجميع أبدانهن وزينتهن، أمام الرجال الأجانب عنهن، تعبدًا يثاب على فعله ويعاقب على تركه؛ ولهذا كان هتكه من الكبائر الموبقات، ويجر إلى الوقوع في كبائر أخرى، مثل: تعمّد إبداء شيء من البدن، وتعمّد إبداء شيء من الزينة المكتسبة، والاختلاط، وفتنة الآخرين، إلى غير ذلك من آفات هتك الحجاب.

فعلى نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما افترضه الله عليهن من الحجاب، والستر والعفة والحياء طاعة لله تعالى، وطاعةً لرسوله ﷺ، قال الله عز شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2]. كيف ومن وراء افتراضه حكم وأسرار عظيمة، وفضائل محمودة، وغايات ومصالح كبيرة، منها:

أ- حفظ العرض: الحجاب حِراسةٌ شرعية لحفظ الأعراض، ودفع أسباب الرِّيبة والفتن والفساد.

ب- طهارة القلوب: الحجاب داعية إلى طهارة قلوب المؤمنين والمؤمنات، وعمارتها بالتقوى، وتعظيم الحرمات. وصدق الله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[3].

---

(١) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٠٧٦/٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٣.

ج- مكارم الأخلاق: الحجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياء والغيرة، والحجب لمساويها من التلوث بالشائنات كالتبذل والتهتك والسُّفالة والفساد.

د- علامة على العفيفات: الحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات في عفتهن وشرفهن، وبعدهن عن دنس الريبة والشك: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[1]، وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة على دار إلا أكسبتها الهناء.

ومما يستطرف ذكره هنا، أن النُّميري لما أنشد عند الحجاج قوله:

يُخَمِّرْنَ أطراف البنان من التُّقَى ... ويَخْرُجْن جنح الليل مُعْتَجِرات[2]

قال الحجاج: وهكذا المرأة الحرة المسلمة.

هـ- قطع الأطماع والخواطر الشيطانية: الحجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض قلوب الرجال والنساء، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عرضه، وأذى المرأة في عرضها ومحارمها، ووقاية من رمي المحصنات بالفواحش، وإدْباب قالة السوء، ودَنَس الريبة والشك، وغيرها من الخطرات الشيطانية.

ولبعضهم:

حُـورٌ حرائـر مـا هَمَمْـنَ بريْبَـةٍ ... كَظِبَـاءِ مَكَّـةَ صَـيْدُهنَّ حَـرامُ

و- حفظ الحياء، وهو مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلق يودعه الله في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها، فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخلق الإسلام، والحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو من محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها، قال عنترة العبسي:

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٢) اعتجَرَ فلانٌ بالعمامة: لَفَّها على رأسه ورَدَّ طرفها على وجهه. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ج ر).

وأَغُضُّ طَرْفِي إنْ بَدَتْ لي جارتيْ حتى يُواري جارتي مأواها

فآل مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سياج رادع، يصد النفس ويزجرها عن تطورها في الرذائل.

وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب خلع للحياء.

ز- الحجاب يمنع نفوذ التبرج والسفور والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام.

ح- الحجاب حصانة ضد الزنا والإباحية، فلاتكون المرأة إناء لكل والغ.

ط- المرأة عورة، والحجاب ساتر لها، وهذا من التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[1]. قال عبدالرحمن بن أسلم في تفسير هذه الآية: (يتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى).

ي- حفظ الغيرة: الغيرة هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط، والغيرة هي: ما ركّبه الله في العبد من قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر، والغيرة في الإسلام خلق محمود، وجهاد مشروع؛ لقول النبي ﷺ: ((إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه)) متفق عليه. ولقول النبي ﷺ: "من قتل دون أهله فهو شهيد" رواه الترمذي. وفي لفظ: "من مات دون عرضه فهو شهيد".

فالحجاب باعث عظيم على تنمية الغيرة على المحارم أن تنتهك، أو يُنال منها، وباعث على توارث هذا الخلق الرفيع في الأُسر والذراري: غيرة النساء على أعراضهن وشرفهن، وغيرة أوليائهن عليهن، وغيرة المؤمنين على محارم المؤمنين من أن تنال الحرمات، أو تخدش بما يجرح كرامتها، وعفتها وطهارتها، ولو بنظرة أجنبي إليها)[2].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) انظر: حراسة الفضيلة، بكر بن عبدالله أبو زيد، ص ٨٤-٨٨، ١٣١، ١٣٢.

الحديث رقم (١٦٢٩)

١٦٢٩ - وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلاَ المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلاَ تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الواحِدِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

عورة: كل أمر يستحيى منه، وما أوجب الشرع ستره من الإنسان[2].

يفضي: يصير، ويصل[3].

الشرح الأدبي

إن منابع الجمال الفني في الحديث النبوي تصدر عن توفيق الحق سبحانه وتعالى لحبيبه محمد ﷺ، وتنبع كذلك من توقيف ومصدر إلهي، لأنه لا ينطق عن الهوى، وفي تجليات التوقيف والتوفيق، تضيء النشأة النبوية التي أراد لها الله أن تكون في أصفى البيئات وأنقاها لغة وسلوكًا وقيمًا[4].

وهذا الحديث الشريف يُرْسي آدابًا وسلوكيات ربما يغفل عنها الكثير، فيقع في الإثم، وتنتشر في المجتمع العادات القبيحة، والسلوكيات الشاذة التي يروج لها أعداء الإسلام في كل عصر.

ويتكون الحديث من أربعة جمل.. وكلها وردت في صيغة النهي، أو أسلوب النفي المتضمن معنى النهي، ولكن النهي هو الإيقاع المسيطر عليها، لأن كل جملة تنهى عن

---

(١) برقم (٣٣٨/٧٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٩٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ض و).

(٤) انظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية: د. صابر عبدالدايم.

محظور من المحظورات الشرعية، والأفعال في الحديث كلها مضارعة، وفي ذلك إشارة لغوية إلى أن النهي مستمر، لأن هذه السلوكيات يمكن أن تنشأ وتستمر، ولذلك كرر رسول الله ﷺ حرف النهي أو النفي، "لا" أربع مرات في الحديث، ولم يكتف بإيراده مرة واحدة في بداية الحديث.

وخاصية التكرار مسيطرة على الحديث لخطورة الأمر، وعدم انتباه الناس لهذه الخطورة المدمرة، فقد تكرر لفظ "الرجل" أربع مرات، وذلك للحث في كل مرة على اجتناب الأمر المنهي عنه، وقوله "الرجل" للتعميم والشمول: ويشمل النوع الصغير أو الكبير من الرجال، فالرجل لا ينظر إلى عورة الرجل، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد.

وكذلك كرر لفظ "المرأة" أربع مرات، فالمرأة لا تنظر إلى عورة المرأة، وكذلك لا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد، والتعبير بقوله: "تفضي" فيه دقة وبلاغة لأنه يصور طبيعة الموقف ونوعية الحدث المنهي عنه، "فالفضا" في اللغة: الشيء المختلط، ويقولون: أفضى المرأة: أي جعل مسلكيها واحداً فهي مفضاة، وقالوا: أفضى إلى المرأة أي: جامعها أو خلا بها: جامع أم لا.

وتكرار الفعل "يفضي" في الحديث فيه تنبيه إلى فساد هذا المسلك، وخطورته، وسوء عاقبته الوخيمة.

والحديث لم يخاطب أحدًا محددًا ولكنه جاء في صيغة الغائب: لأنه يرسي قواعد عامة، ويحذر من سلوكيات تنتشر بين الناس ولا يدركون خطورتها، ولم يأت الحديث في صيغة المخاطب احتراسًا من وقوع اللبس، وشبهة التعريض بأحد، وصونًا لسمع المسلم ومخاطبته بذلك: ترغيبًا له في الامتثال لأوامر الإسلام، واتباعًا لسنة المصطفى ﷺ.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل، ونظر المرأة إلى عورة المرأة.

وهذا مما لا خلاف فيه بين الفقهاء[١].

وقد نبه النبي ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة، وذلك بالتحريم أولى[٢]، ويستثنى من ذلك الأزواج، فإن لكل منهما النظر إلى عورة صاحبه جميعها، إلا الفرج نفسه ففيه خلاف، والأصح أنه مكروه[٣].

وأما نظر الرجل إلى محارمه، ونظرهن إليه: فالصحيح أنه يباح فيما فوق السرة وتحت الركبة.

وقيل: لا يحل إلا ما يظهر في حال الخدمة والتصرف[٤].

وكذلك يحرم على الرجل النظر إلى وجه الأمرد، إذا كان حسن الصورة، سواء أمن الفتنة، أو خافها، هذا هو المذهب الصحيح المختار عند المحققين العلماء، وقد نص عليه الشافعي، وحذاق أصحابه[٥] -رحمهم الله تعالى-، والدليل على ذلك أنه في معنى المرأة، فإنه يشتهى كما تشتهى، وصورته في الجمال كصورة المرأة، بل ربما كان كثير منهم أحسن صورة من كثير من النساء.

بل هم في التحريم أولى لمعنى آخر، وهو أنه يتمكن في حقهم من طرق الشر ما لا يتمكن من مثله في حق المرأة[٦].

وهذا الذي ذكر في المسائل السابقة من تحريم النظر فيما إذا لم يكن لحاجة.

أما إذا كانت هناك حاجة شرعية، كتطبيب، وشهادة، ونحو ذلك، جاز النظر، ولكن بغير شهوة[٧].

---

(١) المبسوط، أبو بكر السرخسي ١٤٦/١٠، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢١٩/٩، وكفاية الطالب الرباني ٥٩٦، والإقناع للشربيني ٤٠٧/٢، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١٢٨/٢، ١٢٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٠/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٠/٤، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٤٥١/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ٨/٣، والمهذب للشيرازي ٣٥/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٤، والفروع، ابن مفلح ١١١/٥ وفيه أن تكرار النظر إلى الأمرد محرم.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١/٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٢/٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٦٣/٨، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٤١/١١.

٢- قوله ﷺ "ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة... إلخ". فيه دليل على تحريم لمس عورة غيره، بأي موضع من بدنه[١]. ومعنى لا يفضي... إلخ: أي لا تصل بشرة أحدهما بالآخر[٢].

وقد فصل المالكية في هذه المسألة تفصيلاً حسنًا فقالوا:

ولا يجوز أن يتلاصق رجلان بالغان، ولو شيخين، أقربين، ولا امرأتان كذلك في لحاف واحد.

أما غير البالغين: فإن لم يبلغا العشر، فلا حرج فيه، أما بعد بلوغ العشر فتكره الملاصقة دون حائل.

وأما تلاصق البالغ وغيره: فحرام في حق البالغ، ومكروه في حق غيره، والكراهة متعلقة بالولي، وقيل: يحرم على الولي أيضًا.

وهذا التفصيل في تلاصق الذكرين، أو تلاصق المرأتين، أما تلاصق ذكر وأنثى مع مناهزة الذكر فحرام[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب النظر إلى العورات ولمسها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: حفاظ الإسلام على طهارة المجتمع من أسباب الفواحش.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على التزام العفة وغض البصر عن المحرمات والتستر.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

تكرر أسلوب النهي في الحديث فقال ﷺ: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلا عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى

---

(١) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٦٣/٨.

(٣) كفاية الطالب الرباني ٣١٢/٢.

المرأة في الثوب الواحد" والنهي من أبرز الأساليب الدعوية وأكثرها استخدامًا وأعظمها تأثيرًا، لما فيه من بيان المخالفات وإظهار حكمها وحمل المدعو على اجتنابها وعدم الاقتراب منها، وقد استخدمه القرآن كثيرًا، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1]، وقال ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾[2].

والنهي يتضمن معنى الزجر إضافة إلى المنع والتحريم وغير ذلك، والنهي لا يكون إلا من الأعلى إلى الأسفل، فالنهي اقتضاء كف عن فعل على جهة استعداد[3].

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب النظر إلى العورات ولمسها

وهذا ما جاء في صريح الحديث "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد". قال القاضي عياض: (وقوله: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة"، وفي الحديث الآخر" عُرية" مكان "عورة"، والمعنى واحد، أي العُرية العامة التي تُبدي العورة، ولا خلاف في تحريم النظر إلى العورة من الناس بعضهم إلى بعض وسترها عنهم، إلا الرجل مع زوجته أو أمه على كراهية بعض العلماء في ذلك، ولا خلاف في تحريم كشفها بمحضر الناس، واختلف في كشفها في الانفراد وحيث لا يراه أحد، ولا خلاف أن السوأتين من الرجل والمرأة عورةٌ، واختلف فيما بين الركبة إلى السرة من الرجل هل هي عور أم لا؟ ولا خلاف أن إبداءه لغير ضرورة قصدًا ليس من مكارم الأخلاق، ولا خلاف أن ذلك من المرأة عورة على النساء والرجال، وأن الحرَّة ما عدا وجهها وكفيها عورة على غير ذوي المحارم من الرجال، وسائر جسدها على المحارم عورة، ما عدا رأسها وشعرها وذراعيها وما فوق نحرها، وقيل: كفها عورة، وقال أبو بكر بن عبدالرحمن: كل شيء منها عورة حتى ظفرها. واختلف في حكمها مع

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٠٤/٤١.

النساء، فقيل: جسدها كله عورة، فلا يرى النساء منها إلا ما يرى ذوو المحارم، وقيل: بل حكم النساء مع النساء حكم الرجال مع الرجال، إلا مع نساء أهل الذمة، فقيل: حكمُهن في النظر إلى أجساد المسلمات حكم الرجال لقوله تعالى: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾[1]، على خلاف بين المفسرين في معناه، وحكم المرأة فيما تراه من الرجل حكم الرجل فيما يراه من ذوي محارمه من النساء، وقد قيل: إن حكم المرأة فيما تراه من الرجل كحكم الرجل فيما يراه من المرأة، والأول أصح، وأما الأمة فالعورة منها ما تحت يديها، ولها أن تبدي رأسها ومعصميها، وقيل: حكمها حكم الرجال وعورتها من السُّرة إلى الركبة، وقيل: يكره لها كشف معصميها وساقيها وصدرها، وكان عمر يضربُ الإماء على تغطية رؤوسهن وقال: لا تشبهن بالحرائر[2].

قال النووي: (وفيه دليل على تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة وهذا حرام بالإجماع، ونبه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة وذلك بالتحريم أولى، وفيه أيضًا دليل على تحريم لمس الرجل عورة غيره، بأي موضع من بدنه كان، وهذا متفق عليه، وهذا مما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس باجتماع الناس في الحمام وغيره، فيجب على الحاضر فيه أن يصون بصره ويده، وغيرها، عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره، ويد غيره من قيم وغيره، ويجب عليه إذا رأى من يخل بشيء من هذا أن ينكر عليه)[3]. قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث: (قوله "لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ولا الرجل إلى عورة الرجل ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد...".

هذا نهي للناظرة أن تنظر إلى عورة المنظورة، يعني لو انكشت عورة المرأة المنظورة بريح أو بقضاء حاجة أو ما أشبه ذلك؛ فإنه لا يحل للأخرى أن تنظر إلى عورتها وهي ما بين السرة والركبة، وكذلك الرجل لو انكشفت عورته بريح، أو لغير هذا من

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٢/١٨٦، ١٨٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، ص ٣١٦.

الأسباب؛ فلا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل، وهذا الحديث تشبث به بعض النساء، فقلن: إن المرأة لا يلزمها أن تستر من بدنها إلا ما بين السرة والركبة، وهذا فهم خاطئ، لأن النبي ﷺ لم يرخص للمرأة أن تقتصر على ثوب يستر ما بين السرة والركبة، وإنما نهى المرأة الأخرى أن تنظر إلى عورة المرأة، والفرق بين الأمرين ظاهر فالمرأة اللابسة يجب أن يكون لباسها ساترًا، وكان نساء الصحابة رضي الله عنهم، يسترن ما بين كعب القدم إلى كف اليد، كل هذا مستور، لكن لو قدر أن امرأة انكشفت عورتها لحاجة، أو انكشفت من ريح أو غير هذا؛ فإن المرأة لا تنظر إلى ما بين السرة والركبة بالنسبة للأخرى، وكذلك يقال للرجل لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل وهي ما بين السرة والركبة، وهذا بالنسبة للرجل يجوز له أن يكشف الصدر والكتف لأخيه، بدليل أن يجوز للإنسان الرجل أن يقتصر على الإزار كما في حديث الرجل الذي طلب من النبي ﷺ أن يزوجه الواهبة، وهي امرأة جاءت إلى الرسول ﷺ قالت: يا رسول الله وهبت نفسي لك، فصعد فيها النظر وصوبه ولم تطب نفسه بها، سكت، فجلست المرأة، ثم قال رجل من القوم: زوجنيها يا رسول الله. قال: ما معك من الصداق، قال: معي إزاري، قال سهل راوي الحديث: ليس له رداء، ما عليه إلا إزار فقط، فقال له الرسول ﷺ: إن أعطيتها إزارك بقيت بلا إزار وإن أبقيته لك لم يكن لها مهر، اطلب، ابحث، التمس ولو خاتمًا من حديد، فذهب يلتمس فلم يجد ولو خاتمًا من حديد، فإنه فقير، فقال: هل معك شيء من القرآن؟ قال: نعم سورة كذا وكذا، قال: زوجتكها بما معك من القرآن[1]، يعني علِّمها الذي معك من القرآن وهذا هو مهرها. فالشاهد من هذا أن الرجل لا بأس أن يقتصر على لبس الإزار، أما المرأة فلا يمكن أن تقتصر على لبس الإزار، وليس هذا من عادة نساء الصحابة رضي الله عنهم والله الموفق)[2].

لذا ينبغي اجتناب مثل هذه الأمور الشائنة، فإنها إن كثرت وظهرت في مجتمع فليُتَورَّع منه، إذ أنه أصبح مجتمعًا منحلاً لا قيمة له[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥١٢١.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، ٢/١٧٢٤، ١٧٢٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١١/٥٢٨٣.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: حفاظ الإسلام على طهارة المجتمع من أسباب الفواحش:

إنّ الإسلام إذا أراد القضاء على أي مرض إنما يأمر بالقضاء على جذوره وروافده ومسبباته، كما جاء في الحديث النهي عن تلك الأمور التي قد تؤدي إلى الفاحشة، فقال ﷺ "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد" ونبه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل على نظره إلى عورة المرأة وذلك بالتحريم أولى[1].

إن الزنا فعلة قبيحة متناهية في القبح، توجب النفرة عن صاحبه، والتفرقة بين الناس، فبئس الطريق طريقه، فإنه غصب للأبضاع، مؤدٍ إلى اختلاف أمر الأنساب وهيجان الفتن[2]، والإسلام عندما نهى عن الزنا لم ينه عنه فحسب، بل نهى عن كل ما يؤدي إليه، (فالإسلام إذا نهى عن شيء نهى عن أسبابه، ففي النهي عن الزنا النهي عنه وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه[3] فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[4] فالقرب المنهي عنه هو أقل الملامسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا، وقريب من هذا المعنى قولهم: ما كاد يفعل[5].

إن الإسلام لما حرم الزنى حرم الأسباب المفضية إليه، إذ أن قاعدة الشرع المطهر أن الله سبحانه إذا حرم شيئًا، حرم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه؛ تحقيقًا لتحريمه، ومنعًا من الوصول إليه، أو القرب من حماه، ووقاية من اكتساب الإثم، والوقوع في آثاره المضرة بالفردة والجماعة.

ولو حرم الله أمرًا، وأبيحت الوسائل الموصلة إليه؛ لكان ذلك نقضًا للتحريم، وحاشا شريعة رب العالمين من ذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٣١٦.

(٢) انظر: محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٦/١٠/٢٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٢/٥.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٥) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٦/١٥/٩٠.

وفاحشة الزنا من أعظم الفواحش، وأقبحها وأشدها خطرًا وضررًا وعاقبةً على ضروريات الدين؛ ولهذا صار تحريم الزنى معلومًا من الدين بالضرورة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(١).

ولهذا حُرِّمت الأسباب الموصلة إليه من: السفور ووسائله، والتبرج ووسائله، والاختلاط ووسائله، وتشبه المرأة بالرجل، وتشبهها بالكافرات، وهكذا... من أسباب الرِّيبة، والفتنة، والفساد.

وتأمل هذا السِّر العظيم من أسرار التنزيل، وإعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الله سبحانه لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنى، وتحريمه تحريمًا غائيًا، ذكر سبحانه من فاتحتها إلى تمام ثلاث وثلاثين آية أربع عشرة وسيلة وقائية، تحجب هذه الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف، جماعة المسلمين. وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية، وهي:

أ- تطهير الزناة والزواني بالعقوبة الحدية.

ب- التطهر باجتناب نكاح الزانية وإنكاح الزاني، إلا بعد التوبة ومعرفة الصدق فيها. وهاتان وسيلتان واقيتان تتعلقان بالفعل.

ج- تطهير الألسنة عن رمي الناس بفاحشة الزنى، ومن قال ولا بينة، فيُشرع حد القذف في ظهره.

د- تطهير لسان الزوج عن رمي زوجته بالزنا ولا بينة، وإلا فاللعان.

هـ- تطهير النفوس وحجب القلوب عن ظن السوء بمسلم بفعل الفاحشة.

و- تطهير الإرادة وحجبها عن محبة إشاعة الفاحشة في المسلمين؛ لما في إشاعتها من إضعاف جانب من ينكرها، وتقوية جانب الفسقة والإباحيين.

ولهذا صار عذاب هذا الصنف أشد من غيره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾(٢).

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٢) سورة النور، آية: ١٩.

ومحبة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلى هذه الفاحشة، سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا.

وهذا الوعيد الشديد ينطبق على دعاة تحرير المرأة -في بلاد الإسلام- من الحجاب، والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفتها وحشمتها وحيائها.

ز- الوقاية العامة بتطهير النفس من الوساوس والخطرات، التي هي أولى خطوات الشيطان في نفوس المؤمنين ليوقعهم في الفاحشة، وهذا غاية في الوقاية من الفاحشة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾[1].

ح- مشروعية الاستئذان عند إرادة دخول البيوت، حتى لا يقع النظر على عورة من عورات أهل البيوت.

ط- تطهير العين من النظر المحرم إلى المرأة الأجنبية، أو منها إلى الرجل الأجنبي عنها.

ي- تحريم إبداء المرأة زينتها للأجانب عنها.

ك- منع ما يحرك الرجل ويثيره، كضرب المرأة برجلها؛ ليسمع صوت خلخالها، فيجلب ذوي النفوس المريضة إليها.

ل- الأمر بالاستعفاف لمن لا يجد ما يستطيع به الزواج، وفعل الأسباب.

والقرآن العظيم، والسنة المشرفة، مملوءان من تشريع الأسباب والتدابير الواقية من هذه الفاحشة في حق الرجال، وفي حق النساء.

فمنها في حق الرجال مع الرجال: وجوب ستر عورة الرجل، فلا يجوز للرجل كشف عورته من السرة إلى الركبة.

ومنها: حجب نظر الرجل عن النساء الأجنبيات.

ومنها: حجب الرجل عن مجالسة المردان من الذكران، والنظر إليهم تلذذًا.

ومنها في حق النساء مع النساء:

ستر عورة المرأة عن المرأة.

---

(١) سورة النور، آية: ٢١.

يحرم على المرأة أن تنعت المرأة لزوجها.

ومن أعظم الأسباب والتدابير الواقية من الزنى: فرض الحجاب على نساء المسلمين، لما يحمله من حفظهن، وحياتهن في عفة وستر وتصون وحشمة وحياء، ومجافاة للخنا، وطرد لنواقضها من التبذل، والتسفل، وانتزاع الحياء[1].

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على التزام العفة وغض البصر عن المحرمات والتستر:

إن من أهداف الدعوة الحث على الالتزام بالعفة في جميع المجالات والتي منها العفة في المجال الاجتماعي، فحرم الإسلام الفواحش والرذائل وما قرب إليها من قول أو عمل، كما جاء في الحديث "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد" فحرم النظر ولمس المحرمات، كما جاء ذلك في كثير من النصوص، ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[2] وذلك لون من ألوان شيوع العفة في المجتمع، والذي إذا شاعت في مجتمع كان مجتمعًا صالحًا نظيفًا من المفاسد والمآثم، تحفظ فيه الأعراض، وتكف الجوارح عما حرم الله[3]. إن ضمان وسلامة المجتمع وحفظه يقتضي مزيدًا من الحذر والحيطة، والبعد عن المعاصي ودواعيها[4].

---

(١) حراسة الفضيلة، بكر بن عبدالله أبو زيد، ١٠٩-١١٣.

(٢) سورة النور، آية: ٣٠، ٣١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٨٨٨/٧.

(٤) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٥١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العفة والبعد عن الفواحش:

إذا علم المتربي أن:

مَـنْ يُطْعِـمِ الـنَفْسَ مَـا تَـشْتَهِي كَمَـنْ يُطْعِـمُ النَـارَ جَـزْلَ الحَطَـبِ

حرص على ألا يكون عبدًا لشهواته، وألا يسترسل مع كافة رغباته لما في اتباع الشهوات من إذلال النفس، وموت الشرف، والضعةُ والتسفُّل[1].

وإذا أيقن أهل التربية والتوجيه أن تربية النشء على البعد عن الفواحش، يحقق بداخلهم العفة التي تحيط إيمانهم وأخلاقهم بسياج من الأمن فتحفظهم كلما عتت عليهم أمواج الفتن، وظلمات الليل، اجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد، واتبعوا كل أمر فيه حفظ العفة وصونها في نفوس الأبناء.

ومن شواهد التربية على العفة في أحاديث الباب أمر النبي ﷺ بغض البصر وحفظ الحواس مما يشينها، ومن هذه الشواهد قوله ﷺ: «قالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: غَضُّ الْبَصَرِ»، وقوله ﷺ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ»، وقوله ﷺ: «وَلاَ يَنْظُرِ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ...إلخ».

ومما لا جدال فيه أن النظرة إلى المرأة الأجنبية سهم من سهام إبليس، فمن تركها مخافة الله أبدله الله إيمانًا يجد حلاوته في قلبه... ومما لاشك فيه أن النظرة التي تتبعها النظرة تؤدي إلى الانجذاب الشهواني نحو المرأة أو نحو الرجل، وهذا الانجذاب يتبعه الابتسامة، والابتسامة يتبعها السلام، والسلام يتبعه الكلام، والكلام قد يتبعه الموعد واللقاء، واللقاء يؤدي لا محالة إلى نتائج وخيمة لا تحمد عقباها!!!.

فقديمًا قال الشاعر:

كُـلُّ الْحَـوَادِثِ مَبْـدَاهَا مِـنَ النَّظَـرِ وَمُعْظَـمُ النَّـارِ مِـنْ مُسْتَـصْغَرِ الـشَّرَرِ

---

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٤٦٢ بتصرف.

ويكفي النظرات الخائنة إلى المرأة ضررًا أنها تسد في الإنسان منافذ التفكير الصافي، وتشغله عن كثير من الواجبات، وتؤدي إلى حرمانه من بعض الطاعات كما تؤدي إلى تفسخ الأمة وانحلالها، وتجعل من الشباب المتفسخ المتميع... شباب لهو وعبث... يسيرون في الحياة بلا هدف ولا غاية ... بل هم أخطر ما يكونون على الأمن والاستقرار، وأضر ما يكون على الفضيلة والأخلاق!!"[1].

ومما يُدمي القلوب أن التفريط في غض البصر سيئة لا يكاد يخلو منها أحد إلا من رحم الله، وجاهد نفسه وهواه. والناس فيها بين مقل ومكثر؛ فالنظر إلى النساء الأجنبيات وإلى صورهن في الأفلام والمجلات والصحف؛ كل هذا قد جاءت الشريعة بتحريمه، إلا نظر الفجاءة الأولى[2]، ويكفي في ذلك ما ورد في أحاديث الباب.

وحتى يضع أهل التربية والتوجيه أيديهم على الجرح والدُمّل، ومن ثم علاج الداء، كان عليهم ما يلي:

١ - تقوية المراقبة لله تعالى في نفوس المتربين والمتعلمين، وذلك يكون كما قال ابن القيم: بدوام تعلم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه[3]، "وهي منزلة عالية جعلها النبي ﷺ أعلى مراتب الدين، فقال في حديث جبريل المشهور: «الإِحْسَان: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[4].

وعن عبدالله بن معاوية الغاضري، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ من فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإيمانِ: من عَبَدَ الله وَحْدَهُ فإنَّهُ لاَ إلَهَ إلا الله، وأَعْطَى زكاةَ مالِهِ طَيِّبَةً بها نَفْسُهُ رافِدَةً في كُلِّ عامٍ، ولم يُعْطِ الهَرِمَةَ ولا الدَّرِنَة ولا الشَّرَطَ اللائمةَ ولا المريضةَ ولكن من أوْسَطِ أموالِكُمْ، فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لم يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ ولم يأمُرْكُمْ بِشَرِّهِ،

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٥٨٤/١.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ١٢٦/١، ١٢٧.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم، ٦٨/٢، بتصرف يسير.

(٤) أخرجه مسلم، ٥.

وزَكّى عَبْدٌ نَفْسَهُ»، فقالَ رجلٌ: ما تزكيةُ المرءِ نَفْسَهُ يا رسولَ اللّه، قالَ: «يَعْلَمُ أَنَّ اللّه مَعَهُ حيثُ ما كانَ»[1][2].

٢ - تقوية الوازع الديني لدى المتربين والمتعلمين، وذلك يكون بربط الولد بالعقيدة الربانية، حيث حضور مجالس العلم والذكر، والمداومة على الفروض، وصلاة النفل، والمواظبة على تلاوة القرآن، والتهجد في الليل والناس نيام، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع، والاستماع إلى أخبار الصحابة رضي الله عنهم والسلف، واستذكار الموت وما بعده، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة، كل ذلك إذا فعله الشباب أو المتربي قوي في نفسه الوازع الديني، وتجنب مواطن الفساد، وابتعد عن الميوعة والتحلل، ووصل إلى قمة العفة والتسامي[3].

٣ - بيان أن الإسلام لم يكن يومًا دين كبت ورهبنة، وإنه قد أوجد ما يسد على الشاب ضعفه ويُقوي عليه إيمانه في عدم النظر المحرم، وذلك بإقام سنة الله على طبيعة الأنفس بالزواج، فإن تعذر ذلك، وجب على أهل التربية والتوجيه بيان ماتتسامى به العفة، وذلك ما بينه علي الطنطاوي، في قوله: ضرورة أن يُنفسَ المتربي الشاب عن نفسه بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي ... يستنفد هذه القوة المدخرة، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة ... بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس في البحث، ... أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية[4].

٤ - بيان سوء عاقبة النظر المحرم من ضياع الإيمان وشؤم وحرارة المعصية، حيث قال ابن تيمية: "فإن أصر على النظر وعلى المباشرة صار كبيرة، وقد يكون الإصرار

---

(١) أخرجه البيهقي، ١٩٥/٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٠٤٦.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش، ٥٧، ٥٨.

(٣) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٥٨٥/١.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٥٩٣/١.

على ذلك أعظم من قليل الفواحش فإن دوام النظر بالشهوة وما يتصل به من العشق والمعاشرة والمباشرة، قد يكون أعظم بكثير من فساد زنًا لا إصرار عليه"[١].

وقال ابن القيم: "والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخَطْرة ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة فيقع الفعل ولابد ما لم يمنع منه مانع"[٢].

٥ - بيان حسن جزاء من ترك النظر الحرام من أجل الله: وذلك بيان تخليص القلب من ألم الحسرة، حيث قال الأصمعي: رأيت جارية كأنها مَهاة، فجعلت أنظر إليها، وأملأُ عيني من محاسنها، فقالت لي: يا هذا ما شأنك؟ قلت، وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وَكُنْتَ مَتَى أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لِقلبكَ يَوْمًا أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأَيْتَ الَّذي لا كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلا عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ[٣]

لذا قال رجل لابن المبارك: أوصني فقال له: "اترك فضول النظر توفق للخشوع، واترك فضول الكلام توفق للحكمة، واترك فضول الطعام توفق للعبادة، واترك التجسس عن عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك، واترك الخوض في ذات الله تواق الشك والنفاق"[٤].

وكان من عظم الجزاء العاجل لغض البصر في الدنيا، نور القلب وانشراح الصدر، وجلاء البصيرة، ووضوح الرؤية، وجعل الإنسان أكثر إيمانًا، وأكثر يقينًا....، فالله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فلما منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحل له، أطلق الله نور بصيرته، وفتح عليه باب العلم والمعرفة، وذلك فضلاً عن

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩٣/١٥.

(٢) الجواب الكافي، ٢٢٤.

(٣) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٥٣٥.

(٤) سلسلة أعلام المسلمين، محمد عثمان جمال، ١٨٨، نقلًا عن الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، جمع وشرح، أحمد يوسف الأنصاري، ص٣٩.

توريث صحة الفراسة، وتسهيل طرق العلم، وفتح أبوابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، وأيضًا توريث القلب قوة وثباتًا وشجاعة وسرورًا وفرحًا، وانشراحًا، وذلك لقهر عدوه بمخالفته، ومخالفة نفسه وهواه[1]، ولو حصرنا فوائد غض البصر لما وسع البحث لآلئه وجواهره، ولكن نختم القول بما ورد عن عنترة بن شداد، - وهو الذي لم يحكمه دين، لعل نفوس المتربين الشاردة عن غض البصر تستحي من شؤم ما تفعل - :

وَأَغُضّ طَرْفِي ما بَدَتْ لِي جارَتِي حتّى يُوَارِي جارتِي مَأْوَاهَا

فأين كثير من المسلمين من هذا الخلق الرفيع، والأدب الجميل:

يا وجه عنترة العبسي معذرة إني أراك كسيف البال مكتئبًا
أراك تنكر قومًا كنت تعرفهم وتنكر الوجه والأخلاق والنسبا
كأنما لم تجد ما كنت تعهده ومن غيرةٍ وحياءٍ يبلغ السحبا
ذلك امرؤ جاهليٌّ ما رأى خلقًا من النبي ولم يستنطق الكتبا
لكنه العربي الشهم يمنعه حياؤه من صفات تحرق الأدبا[2]

ثانيًا: التربية بالترهيب:

لقد ترائى الترهيب كأسلوب تربوي في تنشئة المتربين والمتعلمين على البعد عن النظر المحرم، أو السمع المحرم أو اللمس أو المشي المحرم، وذلك في نص حديث الباب من قوله ﷺ: «كُتِبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنى...إلخ».

حيث أثبت النبي ﷺ لفظ الزنا لكل نظرة حرام أو سمع أو لمس أو مشي أو تفكير بالقلب محرم، وإن كان هذا الإثبات للفظ الزنا مجازيًا -كما قال النووي[3]- وذلك لقوله ﷺ: «وَيُصَدِّقُ ذَٰلِكَ الْفَرْجُ أَو يُكَذِّبُهُ». إلا أن ذلك كافيًا لترهيب قلوب المتربين والناشئة من النظر أو السمع أو اللمس أو المشي أو التفكير بالقلب فيما حرمه الله.

---

(١) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) المرجع السابق، ٥٤٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي، ١٤٧٣.

ومن هذا المنطلق نبين لدعاة التربية والتوجيه أن الترهيب كأسلوب تربوي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهي عنها الإسلام، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، -كما ورد في أحاديث الباب من تحريم النظر إلى الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية- من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل[1].

لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه عدم الغفلة عن استعمال الترهيب كأسلوب تربوي كلما اقتضته الحاجة.

ثالثًا: التربية الوقائية:

إن وقاية المتربي والمتعلم من ارتكاب المعاصي والرذائل، لمن أعظم الأعمال التربوية التي يناط بأهل التربية والتوجيه، القيام بها، حيث تعمل التربية الوقائية على تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما، من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه[2].

وهذا ما فعله النبي ﷺ مع أمته حيث وقاهم من شر النظر المحرم، وذلك بعدم الجلوس في الطرقات، وذلك في قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»..إلخ، وقوله ﷺ: «مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ»، وقوله ﷺ: «..وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ».

رابعًا: التربية على مراعاة آداب الطريق:

إن التربية الإسلامية تعمل على تهذيب أخلاق المسلم، وتنمية مشاعره الطيبة التي تراعى من خلالها الحرمات، وتصان الأعراض، وتحفظ الجوارح؛ لذا أوجب الإسلام أن يتأدب المسلم بآداب الطريق، التي بينها النبي ﷺ في حديث الباب في قوله: «....غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٥٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٦.

فللناس أندية ومجالس يجتمعون فيها، ويتحدث بعضهم إلى بعض، وما جلس قوم في مكان لا يذكرون الله فيه إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، ومن الأماكن التي يحضرها الخاصة والعامة، ويختلط الحابل فيها بالنابل، الطرقات العامة يسلكها الرجال والنساء، ويمر فيها الأشراف والسفهاء، فيظهر للعيان منكر وزور من القول والفعل، ويترك المعروف ولا يتجاسر على الأمر به، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[1]، ومن أجل ذلك نهينا عن القعود حسمًا لمادة الشر، وسدًا لأبواب الفساد، ولئن كان في ذلك شيء من المصالح، فالقاعدة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وإن أبى أحد إلا القعود فلا حرج عليه إذا عرف حق الطريق، وقام به، وهو كما في الحديث خمسة أشياء: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»[2]، لذا وجب على القائمين بالتربية والتوجيه غرس هذه الآداب والأخلاق في نفوس الناشئة حتى يستضيئوا بمعرفتها ويلتزموا بإقامتها.

خامسًا: السؤال والحوار:

إن من أجل الأساليب التربوية التي تزيل اللبس والغموض: السؤال والحوار.

فالإنسان بحاجة إلى أن يستفهم عن الأمور التي تخفى عليه، أو التي يحتاج فيها إلى مزيد من البيان والإيضاح حتى يكون على بصيرة وعلم، فها هو ذا، النووي، رجل العلم والعمل، والذي قيل فيه: "إنه كامل العقل، وقل مثله في الناس من كمل، وفق للعلم وسهل عليه، ويسر له وسير إليه"، يجهل ويلتبس عليه بادئ أمره ما يوجب الغسل، فيقول: ولما قرأت قول التنبيه: يجب الغسل من إيلاج الحشفة، كنت أظن أنها قرقرة الجوف، فقعدت مدة اغتسل منها بالماء البارد، حتى تشقق ظهري[3].

إذًا فإن كان هذا العالم الجليل -الذي شهد له العلماء بعلمه- قد غاب عنه أشياء وجهل أشياء، ولم يزلها إلا بالسؤال والاستفهام، فقد وجب على جموع المتربين والمتعلمين

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٤.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد سالم البيحاني، ١٤١، ١٤٢.

(٣) المنهج السوي في ترجمة النووي، السيوطي، ص٥٣، ٥٤.

السؤال والاستفهام والحوار من أجل كشف ما غاب عنهم، وعلم ما جُهل منهم، لذا أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية ذلك، فحرصوا رجالاً ونساءً على السؤال والحوار مع معلم البشرية الأول محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ترائى جليًا في أحاديث الباب من سؤال الصحابة رضي الله عنهم وحوارهم معه صلى الله عليه وسلم حول آداب الطريق والنظر، وذلك في قولهم رضي الله عنهم: «...وما حق الطريق يا رسول الله؟!...إلخ»، وقول أمهات المؤمنين رضي الله عنهم: «... يَا رَسُول الله أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لا يُبْصِرُنَا ، وَلاَ يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم -محاورًا لهما ومقنعًا لفكرهما-: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟!».

۞ ۞ ۞

٢٩١- باب تحريم الخلوة بالأجنبية

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٣].

الحديث رقم (١٦٣٠)

١٦٣٠ - وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!)) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ[1]: أفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: ((الحَمْوُ المَوْتُ!)). متفق عَلَيْهِ[2]. "الحَمْوُ" قريب الزوج كأخيه، وابن أخيه، وابن عمه.

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٤).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأول في باب تحريم الخلوة بالأجنبية، ويبدأ الحديث بصيغة لغوية تتفق مع المراد منه، وهو التحذير من الاختلاط الذي يؤدي إلى الفساد وانحلال الأخلاق، ولذلك يصوغ الرسول ﷺ هذا المعنى في أسلوب التحذير في قوله: "إياكم والدخول على النساء".

وضمير المخاطب المنفصل "إياكم" يتصدر الجملة ويتصدر الحديث: وهو الذي يتشكل منه التحذير اللغوي والمعنوي، والمخاطبون هم كل المسلمين، وفي مقدمتهم الذين حضروا هذه المحاورة من الصحابة رضوان الله عليهم، والمعنى المقصود هو: أحذركم أن تدخلوا على النساء، وإذا لم يستجب المسلمون للتحذير فالعقاب شديد، والعواقب وخيمة، فأسلوب التحذير تكمن خلفه نذر شديدة، ومعان سديدة يجب أن يحذر المسلم التعرض لآثارها وأخطارها.

---

(١) عندهما زيادة: (يا رسول الله).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢/٢٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٥٢).

والجزء الثاني من الحديث: هو سؤال من أحد الأنصار، ثم جواب من رسول الله ﷺ، والسؤال موجه إلى رسول الله ﷺ: "أفرأيت الحمو؟" والاستفسار هنا حقيقي ورأى هنا بمعنى علم، أي: ما حكم "الحمو" وهو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه في الدخول على النساء، ولفظ "الحمو" ربما يوحي بالحماية، ولكنه هنا يوحي بالضرر، والأذى حيث يقول العرب: حمو الشمس: أي حرها، ويقولون: الحماة: عضلة الساق.

وإجابة رسول الله ﷺ تتسم بالإيجاز والإفادة والتحذير والمنع، حيث قال: "الحمو الموت"، وفي هذه العبارة تشبيه بليغ، حيث شبه الحمو بالموت، في حال الخلوة، فالخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك، فجعل هذا كهلاك الموت.

فتأمل كيف أجاب رسول الله ﷺ السائل في إيجاز مبين، وبيان يشع بالمعاني والمقاصد الشريفة الجليلة، صونًا للحرمات، وحرصًا على جمال ما بين المسلمين من قربات وصلات.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- تحريم الدخول على النساء، وهذا التحريم مقيد بقيدين:

أحدهما: ألا يكون الداخل زوجًا للمدخول عليها، ولا محرمًا، والمقصود بالمحرم هنا من حرم عليه نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها.

فقولنا "على التأبيد" احتراز من أخت امرأته، وعمتها، وخالتها، ونحوهن ومن بنتها قبل الدخول بالأم.

وقولنا "بسبب مباح" احتراز من أم الموطوءة بشبهة، وبنتها، فإنها حرام على التأبيد، لكن لا بسبب مباح، فإن وطء الشبهة لا يوصف بحل ولا حرمة ولا غيرهما، لأنه ليس فعل مكلف.

وقولنا "لحرمتها" احتراز عن الملاعنة فهي حرام على التأبيد، لا لحرمتها بل للتغليظ.

ثانيهما: أن يتضمن الدخول الخلوة[١]، والمعنى في تحريم الخلوة بالأجنبية، أنه مظنة الوقوع في الفاحشة بتسويل الشيطان، فقد روى الترمذي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تَلِجُوا على المغيَّباتِ فإنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِنْ أَحَدِكُمْ مَجْرَى الدَّمِ))[٢].

٢- إن رسول الله ﷺ قال: "الحمو الموت"، وذلك لأن الخوف منه أكثر من غيره، وذلك لتمكنه من الوصول إلى المرأة، والخلوة بها، دون أن ينكر عليه، بخلاف الأجنبي.

والمراد بالحمو -هنا- أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، أما الآباء، والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوه ممن ليس بمحرم[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الدخول على النساء الأجنبيات.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من دخول أقارب الزوج على زوجته.

خامسًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على طهارة المجتمع من الفاحشة وأسبابها.

أولاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

وذلك في قوله ﷺ "إياكم والدخول على النساء" أي احذروا أن تدخلوا على النساء الأجنبيات، وهذا تحذير بالغ[٤]. وأسلوب التحذير من الأساليب الدعوية المفيدة،

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٣/٧.

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٠٩ رقم ١٤٣٢٤، وضعفه محققو المسند ٢٢/٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/١٥٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٢٤١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٦/٢٤٤، وفتح الباري، ابن حجر ٩/٣٣١، وشرح عمدة الأحكام ٤/٤٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٧٢٦.

لما فيه من إيقاف المدعوين على مواطن الخطر، وإعلامهم بها، وتحذيرهم من الوقوع فيها، وحملهم على اجتنابها والابتعاد عنها[١].

ويمكن تعريف التحذير: بأنه التحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم، مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك.

وقد ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحذر من مغبة الوقوع في المحذور، فمما ورد من آيات تحذر من غضبه تعالى، على سبيل المثال التصريح بخطبة النساء وهُنَّ في عدَّتهن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ﴾[٢].

وقال أيضًا محذرًا من اتخاذ المشركين أولياء: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤].

وأما التحذير من فعل يسبب إلحاق ضرر بالأمة ومصالحها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[٥].

ومنه تحذيره تعالى من المنافقين والتنبيه على خطرهم واعتبارهم العدو الأول بقوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٦].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٦٦٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٤) سورة النور، آية: ٦٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٧١.

(٦) سورة المنافقون، آية: ٤.

وقال محذرًا من فتنة الأزواج والأولاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾[1].

ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي، كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي توجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف مانهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغٍ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة وغيرها.

ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذارًا من خطر قادم، يتضمن وعيدًا وزجرًا ينتج عنه خوف ورهبة.

بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرقُّ له القلب محفوف بتلَطّف وتوَدُّد[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اجتناب الدخول على النساء الأجنبيات:

جاء ذلك في صريح الحديث، فقال ﷺ "إياكم والدخول على النساء" أي الأجنبيات على وجه الخلوة بهن، أو هن مكشوفات، قال القرطبي: (وقوله "إياكم والدخول على المغيبات هذا تحذير شديد، ونهي وكيد، كما يقال إياك والأسد، وإياك والشر أي اتق ذلك واحذره[3]. قال النووي: (وفي ذلك تحريم الخلوة بالأجنبية[4]. وقد جاءت الآيات الدالة على تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وإن اضطر إلى الحديث معهن فليكن من وراء حجاب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[5] أي وكما نهيتكم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا

---

(١) سورة التغابن، آية: ١٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٥٠٠، ٥٠١.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٥٣.

إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهم فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب، فذلك الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب[١]. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: (وإذا كان الخطاب لأزواج النبي ﷺ والصحابة، فلاشك أنهم خير أسوة في الآداب الكريمة، المقتضية للطهارة التامة، وعدم التدنس بأنجاس الريبة)[٢].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك في الحديث "فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الأداء البياني، والذي له قيمة تأثيرية عظيمة، لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم، فهم إذا تلقوا الجواب تلقفوه تلقفًا، لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة والنظر فيها بإمعان[٣]، وقد ورد هذا الأسلوب في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[٤] وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٥].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من دخول أقارب الزوج على زوجته:

جاء التصريح بهذا التحريم عامة وعلى أقارب الزوج خاصة فقال ﷺ: "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت" قال القاضي عياض: (وقوله: "الحمو الموت" قال الإمام المازري: قال أبو عبيد: يقال فلتمت ولا تفعل هذا، قال ابن الأعرابي: وهي كلمة تقولها العرب كما تقول الأسد الموت أي لقاؤه مثل الموت. قال القاضي: يريد في هذا لما فيه من الغرر المؤدي إلى الموت فكذلك الخلو بالأحماء مؤدٍ إلى الفتنة والهلاك في الدين، فجعله كهلاك الموت، فأورد هذا مورد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٦.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٥٨٧/٦.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢، ٥٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٥) سورة الأنفال، آية: ١.

التغليظ والتشديد، والأشبه أنه في غير أبي الزوج ومَنْ عدا المحارم منهم، بدليل ما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((ألا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحًا أو ذا محرم))[1]. فقد فسر أن الحرج والمنع إنما هو لغير ذوي المحارم)[2]. وقال القرطبي: (وقوله "الحمو الموت" أي دخوله على زوجة أخيه يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، أي: فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عن ذلك وشبهه بالموت، لتسامح الناس في ذلك من جهة الزوج والزوجة لإلفهم لذلك، حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة عادة، وخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت والحرب الموت أي لقاؤه يفضي إلى الموت، وكذلك دخول الحمو على المرأة يفضي إلى موت الدِّين، أو إلى موتها بطلاقها عند غَيْرة الزوج، أو برجمها إن زنت معه)[3]. وهذا التحذير "الحمو الموت" كلمة من أبلغ ما يكون من التحذير، يعني كما أن الإنسان يفر من الموت فيجب أن يفر من دخول أقاربه على زوجته وأهله بلا محرم، وهذا يدل على التحذير الشديد، ودخول أقارب الزوج على بيت الزوج أخطر من دخول الأجانب، لأن هؤلاء يدخلون باعتبارهم أقارب فلا يستنكرهم أحد، وإذا وقفوا عند الباب يستأذنون لم ينكر عليهم أحد، لذلك كان حرامًا على الإنسان أن يمكن أخاه من الخلوة بزوجته[4].

خامسًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على طهارة المجتمع من الفاحشة وأسبابها:

إن الحفاظ على طهارة المجتمع لمن أسمى الأهداف الدعوية، لذا كانت النصوص الآمرة بالحجاب وغض الأبصار وحفظ الفروج، وحرمة الخلوة بالنساء الأجنبيات والدخول عليها كما جاء في الحديث "إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت" وتلك المبالغة في أخذ الحيطة والحذر إنما شرعت، تزكية للنفوس، وتطهيرًا للمجتمع من أدران الفاحشة، والتردي في بؤرة الفساد

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٧١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٠/٧.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠٢/٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٢٦/٢.

والتحلل الخلقي، وتجنبًا للنفوس من أسباب الإغراء والغواية، وقد زاد الإسلام المرأة تزكية وطهرًا أن كلفها زيادة على الرجل بعدم إبداء الزينة لغير المحارم من الأقرباء، وفرض عليها الحجاب الشرعي، ليصون لها كرامتها، ويحفظها من النظرات الجارحة، والعيون الخائنة، ويدفع عنها مطامع المغرضين الفجار، والإسلام بهذا إنما يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار[1]. ولذلك نجد أن الإسلام يغرس في المجتمع خلق العفة والابتعاد عن المحرمات في جميع المجالات، فمثلاً في المجال الاقتصادي يقول الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2]. وفي المجال الاجتماعي قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3].

---

(١) روائع البيان، تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢/١٦٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٦.

(٣) سورة النور، آية: ٣٣.

الحديث رقم (١٦٣١)

١٦٣١ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((لاَ يَخْلُونَّ (أَحَدكُمْ)[1] بامْرَأَةٍ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)). متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

ذوم محرم: محرم المراة: من لا يحل له نكاحها من الأقارب كالأب والابن والأخ والعم ومن يجري مجراهم[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف: نجد التشديد والتحذير هو طابع الأسلوب في هذا الحديث: وذلك يتسق مع مناخ الحديث السابق، ومع الحكم الشرعي في هذه المسألة، فقوله في الحديث السابق: "الحمو الموت"، يمهد لما في هذا الحديث من نهي ونفي وتوكيد، فإذا كان قريب الزوج يحاكى الموت في خطورته، فما بالنا بالأجنبي الذي لا يراعى حرمة، ولا يحفظ عرْضًا: ويرد الحديث في صيغة الاستثناء المنقطع، وهذا الاستثناء يتضمن النهي القاطع مع التأكيد: مع إفادة استمرار النهي حيث عبر بصيغة المضارع.

وكل ذلك في قوله: "لا يخلون"، وقوله: أحدكم: يفيد العموم والخصوص: فلفظ أحد عام، ولكن الخطاب خصصه بكل من سمع الخطاب أو كلف به من المسلمين، وتنكير "امرأة" يوحي بالشمول: فأي امرأة في أي زمان؟ وأي مكان لا يحل للأجنبي

---

(١) عندهما بلفظ: (رجل) بدل: (أحدكم) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١/٤٢٤)ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٢٨٥٣).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ر م).

عنها الدخول عليها: إلا مع ذي محرم لها، وفي اللغة يقولون: رحم محرم "أي محرَّم تزوجها، وقيل: تحرم منه بحرمة: أي: تمنع. وتحمى بذمة، فالقاعدة هي عدم الخلوة بالمرأة، وعدم السفر معها، وعدم الدخول إليها، والاستثناء هو أن يكون ذلك جائزًا: لذي محرم، وهو الذي يحرم تزوجه من الرجال، وجاء التعليل البليغ الموجز في قوله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[1].

ووراء هذا التعبير ما وراءه من التفسيرات والدلالات والإشعاعات: وكلها تموج بالأخطار التي يحملها لفظ الشيطان، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾[2].

فقه الحديث

وفي هذا الحديث من الأحكام: حرمة خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه كصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده كالعدم. أما لو اجتمع رجل مع نسوة أجانب، فإن الصحيح جوازه[3].

وأما الخلوة بالأمرد الأجنبي الحسن، فكالمرأة، فتحرم الخلوة به حيث حرمت بالمرأة، إلا إذا كان في جمع من الرجال المصونين.

ويستثنى من ذلك كله مواضع الضرورة، كأن يجد رجل امرأة منقطعة في الطريق، ونحو ذلك فيباح له استصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهذا لا خلاف فيه، ويدل عليه حديث عائشة في قصة الإفك[4].

---

(١) أخرجه الترمذي ١١٧١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٩٣٤).

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٧، ٩٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٩/٩، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٩/٩. وحديث الإفك أخرجه البخاري ٤١٤١، ومسلم ٣٣٨٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلوة بالمرأة الأجنبية إلا مع ذي محرم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب كافة الأسباب المؤدية إلى الفاحشة.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في الحديث في قوله ﷺ "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" وأسلوب النهي من الأساليب التي لها قيمة تأثيرية عظيمة في نفوس المدعوين، وذلك لما فيه من إيقاف المدعوين على مواطن الخطر، ومزالق الردى، وتحذيرهم منها، وقد استخدم القرآن أسلوب النهي في كثير من آياته، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1] وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلوة بالمرأة الأجنبية إلا مع ذي محرم:

لقد حرص الإسلام على سلامة المسلمين، بسد الطريق أمام الزنا ودواعيه، ومواجهة ذلك مواجهة حاسمة بمنع ما عدا المحارم من الخلوة بالمرأة ولو كانوا أقارب الزوج، إذ أن الخلوة المحرمة أول بواعث الزنا وألوان الشرور[3]، ولقد جاء في الحديث نهي رسول الله ﷺ عن خلوة الرجل بأجنبية عنه فقال ﷺ: "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" قال القاضي عياض: (وقوله "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" وذلك لأمن غلبة الشهوة والفتنة عليهما لحضور ذي المحرم لغيرته عليها وذبه عنها، وكذلك في السفر، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت النبي ﷺ يخطب يقول: ((لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذي محرم ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم فقال

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٧٥٩.

رجل: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال: انطلق فحج مع امرأتك))[١].

قال القاضي: (وقوله: فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا قال انطلق فحج مع امرأتك: فيه وجوب الحج على النساء وإلزام أزواجهن تركهن وندبهم إلى الخروج معهن، وأن ذلك أفضل من خروجه للغزو؛ لأن المعونة على أداء الفريضة مؤكدة وقد تكون فريضة في بعض الوجوه[٢]. وقال القرطبي: (وقوله للرجل انطلق فحج مع امرأتك. هو فسخ لما كان التزم من المضي للجهاد، ويدل على تأكد أمر صيانة النساء في الأسفار، وعلى أن الزوج أحق بالسفر مع زوجته من ذوي رحمها، ألا ترى أنه لم يسأله: هل لها محرم أم لا؟ ولأن الزوج يطلع من الزوجة على ما لا يطلع منها ذو المحرم فكان أولى، فإذن قوله ﷺ في الأحاديث: "إلا ومعها ذو محرم" إنما خرج خطابًا لمن لا زوج لها[٣].

قال النووي: (أي لا يقعدن رجل مع امرأة إلا ومعها ذو محرم، أما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك فإن وجوده كالعدم، ولذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام، بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجانب، فإن الصحيح جوازه[٤] وتحريم الاختلاط وخلوة الرجل بالمرأة من ألوان حفاظ الإسلام على العفة في المجتمع الإسلامي، ولحفظ الأعراض والأنساب، وحراسة الفضيلة والبعد عن الرذائل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[٥]. بل إنه من مبالغة الإسلام في الحفاظ على المرأة وصيانة كرامتها يأمر أن لا

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٤١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٤/٤٥٠، ٤٥١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ج٣/٤٥٣.

(٤) شرح مسلم، النووي، ص ٨٤١.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٥٣.

تسافر امرأة بغير محرم، وإن أدى ذلك إلى تركه لفضائل الأعمال كالجهاد وغيره، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سمعت النبي ﷺ يخطب يقول لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال انطلق فَحُجَّ مع امرأتك))[1] قال النووي: (فيه تقديم الأهم من الأمور المتعارضة، لأنه لما تعارض سفره في الغزو وفي الحج معها، رجح الحج معها، لأن الغزو يقوم غيره في مقامه عنه بخلاف الحج معها)[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب كافة الأسباب المؤدية إلى الفاحشة:

الحديث مثل حيٌّ على ذلك، قال ﷺ "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" كما أمر بغض الأبصار ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[3] وفرض الحجاب فقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[4]، وذلك تطهيرًا للمجتمع من أدران الفاحشة، والتردي في بؤرة الفساد والتحلل الخلقي، وتجنبًا للنفوس من أسباب الإغراء والغواية[5] ولذا جاءت آيات القرآن ناهية عن مجرد الاقتراب والتلبس بالأسباب المؤدية إلى الفاحشة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[6] قال القرطبي: (قال العلماء: قوله "ولا تقربوا الزنا"[7] أبلغ من أن يقول: ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا، والقرب المنهي عنه هو أقل الملابسة، وهو كناية عن شدة النهي عن ملابسة الزنا، وقريب من هذا المعنى قولهم: ما كاد يفعل)[8].

إن السلامة في البعد عن كل ما يؤدي إلى المهالك أو يقرب منها، بل إن الإسلام ليأمر بالابتعاد عن الأمور التي قد يشتبه على المسلم حكمها، استبراءً للذمة والعرض،

---

(١) أخرجه مسلم ١٣٤١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٨٤١.

(٣) سورة النور، آية: ٣٠.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) روائع البيان، محمد علي الصابوني، ١٦٩/٢.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٢.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٣/١٠/٥.

(٨) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور ٩٠/١٥/٦.

وصيانة للنفس، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب))[1].

إن الخلوة بالأجنبية من أعظم الذرائع، وأقرب الطرق إلى اقتراف الفاحشة الكبرى.

إن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية مدرجة الهلاك، وداعية الإثم والفجور، وكيف لا يكون ذلك، والفرصة سانحة، وقد مهدت الخلوة لغريزة أن تستيقظ.

وإن من أعظم الشرور على الإطلاق خلوة الخطيب بمخطوبته، وإن فيها من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله وحده، وعذر الناس في ذلك أنهم يثقون في بناتهم وأبنائهم، وكذبوا ورب الكعبة، كيف لا؟! وهم يتركونها بين ناب سبع أو ذئب، ولربما نهش عرضها، وتركها قنبلة موقوتة، تصطاد ضحاياها في الليالي الحمراء والسوداء.

وكم سمعنا عن هذا الوباء في المجتمع، فالحذر الحذر من الأوهام الكاذبة، والثقة مهما كانت قوية لابد أن تضبط بميزان الشرع[2].

("لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" فتبًا لهؤلاء المستغربين وسحقًا لعبيد المدنية الزائفة، الذين أطلقوا لبناتهم ونسائهم العنان يسافرون دون محرم، ويخلون بالرجال الأجانب، مدَّعين أن الظروف تغيرت، وأن ما اكتسبته المرأة من التعليم، وما أخذته من الحرية، يجعلها موضع ثقة أبيها وزوجها، فما هذا إلا فكر خبيث، دَلَفَ إلينا ليفسد حياتنا، وما هي إلا حجج واهية، ينطق بها الشيطان على ألسنة هؤلاء الذين انعدمت عندهم غيرة الرجولة والشهامة، فضلاً عن كرامة المسلم ونخوته)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢، ٢٠٥١، ومسلم ١٥٩٩.

(٢) "والذين هم لفروجهم حافظون"، خميس السعيد محمد، ٢٨٨.

(٣) عودة الحجاب، د. محمد إسماعيل المقدم ٣/٤٩.

الحديث رقم (١٦٣٢)

١٦٣٢ - وعن بُريدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِيْنَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي أهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إلاَّ وَقَفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ (حَتَّى يَرْضى)[1])) ثُمَّ التَفَتَ إلَيْنَا رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ((مَا ظَنُّكُمْ؟)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

يخلف رجلاً في أهله: يقوم بما كان يقوم به في أهله[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يؤكد حرمة نساء المجاهدين، وذلك لما للمجاهد من مآثر جليلة، ومكرمات نبيلة، فهو يسافر ويجود بنفسه وماله إعلاءً لراية الإسلام.

ولذلك يفيض هذا الحديث بكثير من الترغيب والترهيب، والإيحاءات والدلالات التي يتضمنها الأسلوب في هذا الحديث الشريف، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء، تشكل رؤية متكاملة لموقف رسول الله ﷺ من حرمة نساء المجاهدين، ويأتي الجزء الأول مكونًا من طرفين: المشبه والمشبه به، مؤكدًا بذلك التشبيه حتمية المحافظة على حرمة نساء المجاهدين، والتشبيه هنا ليس من باب البلاغة اللفظية أو تزيين الكلام، وإنما هو تشبيه حالة بحالة: فنساء المجاهدين: حرمتهم: تشبه حرمة الأمهات في شرعيتها: وصيانتها، والوعيد الشديد لمن ينتهك هذه الحرمة.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه..

(٢) برقم (١٨٩٧/١٣٩)، و (١٨٩٧/١٤٠)، والسياق للحميدي في جمعه (٣٧٥/١، رقم ٦٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٣٥٥١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (خ ل ف).

ومما يدل على ثبات هذه القاعدة ورودها في صيغة الجملة الاسمية التي لا تحصر داخل زمن محدد، ولا حدث معين، وإنما هي قاعدة مطلقة ثابتة، وتأمل الطباق بين قوله "المجاهدين، والقاعدين" وما يوحي به من عناء وتضحية ومشقة يتحملها المجاهدون، ومن راحة وتحمل للأمانة ورعاية النساء من قبل القاعدين عن الجهاد.

والجزء الثاني: جملة مطولة صيغت في أسلوب القصر... للتأكيد على حق المجاهد في الحفاظ على نسائه، ولذلك قال في سياق توصيف عدم قيام القاعد بحسن الرعاية، وعدم صيانة الحرمات: قال: "فيخونه فيهم".

والوعيد يصوره رسول الله ﷺ في قوله: "إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى".

والتعبير المضارع في قوله: "فيأخذ" فيه إيحاء باستمرار الأخذ، ويعضد هذا التفسير قوله: ما شاء: أي حسب رغبة المجاهد واختياره، وحتى تفيد الغاية، والفعل: "يرضى" يعلن عن الحرص على المجاهد الذي خانه القاعد في أهله، ويمكن أن تنفد حسنات ذلك الخائن، ولا تبقى له إلا سيئاته وفي صدارتها هذه الخيانة العظمى، والتعبير بقوله: "ثم التفت إلينا" يرشد إلى التأمل والتفكر والتدبر، لأن الرسول ﷺ بعد أن عرض هذه الصورة للمجاهد والقاعد الخائن يوم القيامة، أمهلهم وتركهم يفكرون في هذا المصير، ثم فاجأهم بالسؤال المثير: للتدبر والتفكر، والنظر والمراجعة، ما ظنكم؟ أي ما تظنون وقد أذن الله له في أخذ ما يرضيه من الحسنات: فهذا حكم الله، حتى لا يظن أحد أن هذا ليس من حق المجاهد، فالسؤال لنفي اللبس، ونفي التوهم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- بيان فضل الجهاد، والمجاهدين في سبيل الله تعالى، واهتمام رسول الله ﷺ بأمرهم.

٢- تحريم التعرض لنساء المجاهدين بريبة من نظر محرم، وخلوة، وحديث محرم وغير ذلك.

٣- الحث على بر نساء المجاهدين، والإحسان إليهن، وقضاء حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة، ولا يتوصل بها إلى ريبة، ونحوها. حيث جعل رسول الله ﷺ حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح للأمور التي حرمها الشرع.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من خيانة المجاهدين في سبيل الله في أهليهم.

ثالثًا: من واجبات الداعية: بيان جزاء خيانة المجاهدين في أهليهم يوم القيامة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على العفة والخوف من الله والحفاظ على سلامة وطهارة المجتمع.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح للأمور التي حرمها الشرع:

إن من أبرز صفات الداعية البيان والتوضيح للمدعوين أمور دينهم، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم من الدعاة أن يوضحوا الحق للناس[2] ويبلغوه إليهم بلاغًا مبينًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3] وكفى بهذه الآية دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه، وأن لا يكتموا منه شيئًا لغرض فاسد، من تسهيل على الظلمة، وتطييب لنفوسهم، استجلابًا لمسارهم، أو لجر منفعة وحطام دنيا، أو لتقية مما لا دليل عليه ولا أمارة، أو لبخل بالعلم وغيره أن ينسب إليه غيرهم[4].

ومن هذه الأمور الواجب بيانها، الأمور التي حرمها الشرع، والتي منها ما ورد في الحديث من تحريم التعرض لنساء المجاهدين بوجه من وجوه الريب، وذلك أداءً لبعض

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٤٢/١٣، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢٤/٧.

(٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ص ٢١٠.

حق أزواجهن المجاهدين لنصر الله[١] فقال ﷺ "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف يوم القيامة، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من خيانة المجاهدين في سبيل الله في أهليهم:

جاء في الحديث الترهيب من خيانة المجاهدين في أهليهم فقال ﷺ "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم". قال القرطبي: (قوله: "حرمة نساء المجاهدين كحرمة أمهاتهم" يعني أنه يجب على القاعدين، من احترامهم، والكف عن أذاهن، والتعرض لهن، ما يجب عليهم في أمهاتهم)[٢]، وقال القاضي عياض: (وقوله في الذي يخون المجاهد في أهله أنه يأخذ من حسناته يوم القيامة ما شاء، فما ظنكم، يعني لما ترون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في هذا المقام، أي لا يبقى له شيئًا منها إن أمكنه ذلك وأبيح له)[٣].

وقال القرطبي في قوله "فما ظنكم" يعني أن المخون في أهله إذا مُكِّن من أخذ حسنات الخائن لم يُبْق له منها شيئًا، ويكون مصيره إلى النار، وقد اقتصر على مفعولي الظن. وظهر من هذا الحديث أن خيانة الغازي في أهله أعظم من كل خيانة، لأن ما عداها لا يخير في أخذ كل الحسنات، وإنما يأخذ بكل خيانة قدرًا معلومًا من حسنات الخائن[٤]. قال النووي: (هذا في شيئين: أحدهما: تحريم التعرض لهن بريبة من نظر محرم وخلوة وحديث محرم وغير ذلك، والثاني: في برهن والإحسان إليهن وقضاء

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٣٢/٣.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣١٩/٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٧٣٢/٣.

حوائجهن التي لا يترتب عليها مفسدة ولا يتوصل بها إلى ريبة ونحوها[١]. وقوله "فما ظنكم" فيه تهديد عظيم، قال الطيبي: قال في المظهر: أي فما ظنكم بالله مع هذه الخيانة؟ هل تشكون في هذه المجازاة أم لا؟ يعني إذا علمتم صدق ما أقول فاحذروا من الخيانة في نساء المجاهدين[٢] فإن خيانة المجاهدين في أهليهم أشد أنواع الخيانة، وليس مثلها خيانة، قال الإمام الذهبي: (والخيانة قبيحة في كل شيء، وبعضها شر من بعض، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم[٣]. والخيانة من أكبر الكبائر، وصرح النبي ﷺ أن صاحبها معدود في أهل النار، فعن عياض بن حِمَارٍ المجَاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: ((... وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ[٤] له، الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع، وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك))[٥].

ثالثًا- من واجبات الداعية: بيان جزاء خيانة المجاهدين في أهليهم يوم القيامة:

إن بيان الشر وجزائه للوقاية والحذر من الوقوع فيه، من مهام وواجبات الداعية، وهذا ليس ببدع من الدعوة، فقد فصل الله في القرآن ما حرمه على الناس ليحذروه، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[٧] ومن الأمور الواجب بيانها ما جاء في الحديث من بيان جزاء خيانة المجاهدين في أهليهم يوم القيامة "ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢١٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٢٧٢/٧.

(٣) الكبائر ١٤١، ١٤٢.

(٤) لا زَبْر له: أي لا قوة له. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية مادة: زَبَرَهُ.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٦٥.

(٦) سورة الأنعام، آية: ١١٩.

(٧) سورة الأنعام، آية: ٥١.

المجاهدين في أهله، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى" غاية الأخذ، أي لا يمنع منه ولا يوقف عند حد دون ما يرضيه[١].

رابعًا- من أهداف الدعوة: الحث على العفة والخوف من الله والحفاظ على سلامة وطهارة المجتمع:

إنّ في العفة نظافة المجتمع من المفاسد والمآثم، وحفظ الأعراض وصلاح المجتمع[٢]. لذا كان حث الإسلام على التخلق بالعفة، والتعلق بأسبابها، والبعد عن مزالق الشر وموارد التهلكة، حفاظًا على سلامة المجتمع وطهارة أفراده، لذا حرم الإسلام الاعتداء على الأعراض، وأشد ما يكون النهي في الاعتداء على أعراض المجاهدين الذين وهبوا نفسهم صيانة للدين ودفاعًا عن المسلمين، كما جاء في الحديث "حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى، ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: ما ظنكم؟ فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات، يهدف إلى إقامة مجتمع طاهر من أدران الفاحشة، والتردي في بؤرة الفساد والتحلل الخلقي، تُجنب فيه النفوس من أسباب الإغراء والغواية[٣].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٧.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٨٨٨/٧.

(٣) انظر: روائع البيان، تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ١٦٩/٢، ١٧٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الوقائية:

إن الوقاية هي نوع من أنواع التحذير وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما، من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه....، وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة، وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق[1].

وهذا ما ترائى جليًا في أحاديث الباب من تحريم النبي ﷺ الخلوة بالمرأة الأجنبية، وذلك في قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ...إلخ»، وقوله: «لاَ يَخْلُونَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ ... إلخ».

فمن أجل قطع الطريق على الشيطان ووساوس النفس، ووقاية الأفراد والمجتمع من السقوط في حَمْأة الرذيلة، تحت ضغط الهوى والشهوات. نهى النبي ﷺ عن الخلوة بالمرأة الأجنبية[2]، مما يؤكد أهمية التربية الوقائية لحماية النشء المسلم من مزالق الفتن وظلمات المعاصي.

ثانيًا: التربية بالسؤال والاستفهام:

حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ لمعرفة كل ما جهل عنهم[3]، وهذا ما ترائى جليًا في حديث الباب من قول رجل من الأنصار «أفرأيت الحمو؟...إلخ».

فمن الواجب على المتربي أن يسأل عما غاب عنه،وأن يجتهد في ذلك من خلال سؤال أهل العلم وذوي الاختصاص.

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٢٥٦.

(٢) المرجع السابق، ٢٦٠.

(٣) التربية الذاتية من الكتاب والسنة، هاشم علي أحمد، ١٢٣.

ثالثًا: التربية بالترهيب:

يُعد الترهيب من أبرز وأهم الأساليب التربوية التي تساعد المربي والمعلم في مهامه التربوية على أكمل وجه وأحسن حال.

فبعد أن حذر النبي ﷺ - وهو المربي الأول - أمته من خطر الخلوة بالأجنبية، شدد ﷺ في النكير على ذلك، وعظم الإثم والذنب لمن سولت له نفسه الخلوة بالأجنبية، ويظهر ذلك في أحاديث الباب من قوله ﷺ: - بعد ما سئل عن خلوة قريب الزوج بالزوجة - «الحمو الموت»، وقوله ﷺ: «...مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَرْضَى....إلخ».

فقد بلغ الترهيب -كأسلوب تربوي- في هذا الحديث أشده، حيث أخبره النبي ﷺ أنه إذا خلف رجل أحد المجاهدين في أهله، كانت حرمة امرأة المجاهد، مثل حرمة أم من يخلفه، فإن خان مجاهدًا في أهله، عوقب من الله تعالى أشد العقاب، كما ورد في نص الحديث[1].

فالترهيب كأسلوب تربوي يثير عند المتربي عامل الخوف من سبل الشر التي ينهي عنها الإسلام[2]، والتي من أشرها الخلوة بالأجنبية، لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه استخدام الترهيب كأسلوب تربوي فعّال في تقويم النشء وإصلاح أخلاق المتربي.

---

(١) الأخلاق في الإسلام، عبداللطيف محمد العبد، ٢٩١.

(٢) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي، ٣٩٥.

٢٩٢- باب تحريم تشبه الرجال بالنساء

وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك

الحديث رقم (١٦٣٣)

١٦٣٣ - عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: لَعَنَ رسُولُ اللهِ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ.

وفي رواية[1]: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ. رواه البخاري[2].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

المخنثين من الرجال: من الخَنِث بمعنى التكسر والتثنّي والمراد بهم من يشبه خُلقه النساء في حركاته وكلماته[3].

المترجلات من النساء: يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيئتهم[4].

الشرح الأدبي

إن الله سبحانه وتعالى جعل لكل من الذكر والأنثى خصائص وسمات في الطبع والخلقة والتكوين الجسماني والشعوري، وكل مهيأ بجبلته وفطرته على ما خلقه الله عليه، ولذلك يشدد هذا الحديث النكير، ويغلظ القول ويتوعد كل من يحاول أن يحدث اضطرابا أو خللاً في هذا التوازن الإلهي الذي فطر خلقه عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٥٨).

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي في (خ ن ث)، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر ج ل).

وابن عباس ينقل ما سمعه من رسول الله بالمعنى: وتأتي عبارته واضحة لا لبس فيها ولا غموض، ولا التواء ولا تعقيد، وإنما هي كالشمس واضحة لكل ذي عينين.

والحديث كله جملة واحدة إخبارية: تبدأ بمادة اللعن، أي الطرد والابتعاد عن رحمة الله سبحانه والذي لعنهم: هو رسول الله ﷺ وكأنه دعا عليهم بالابتعاد عن رحمة الله وعفوه وفضله، ودعوته مستجابة، فالعقاب ثابت الوقوع، ومن هم الملعونون؟ : هم صنفان: المخنثون من الرجال، وهم الذين يتقمصون شخصية الأنثى في كلامهم وحركاتهم وملابسهم: فيصبح الواحد من هؤلاء مسخًا شائهًا، وأنموذجًا فاسدًا، والخنث في اللغة من فيه: انخثاث: أي تكسُّر وتثنٍّ في المشي والكلام.

وأما الصنف الثاني: فهو يتمثل في المترجلات من النساء، أي النساء اللائي يتشبهن بالرجال في تصرفاتهن، وأصواتهن، وملابسهن: وقد صدق في هؤلاء قول الشاعر د. حسن جاد:

من مجيري من اللذين اللواتي حِرْتُ فيهم بين الفتى والفتاة؟؟!!!

والحديث في أسلوبه يقوم على المقابلة والمفارقة بين أنموذجين فاسدين خرجا عن الطبيعة البشرية المألوفة، فالمخنثون من الرجال: فقدوا سمات الرجولة، ولم يخلقوا للأنوثة، فيصبحون مادة للسخرية والاستهزاء ولا يتفيئون دورهم الرجولي في الحياة ولذلك يستحقون اللعن لأنهم أفسدوا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يقول الله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1]. وهم بدَّلوا وغيروا: وأفسدوا!!!

والطرف الثاني من المقابلة والمفارقة هو على النقيض، ويتمثل ذلك في النساء اللاتي فقدن الخصائص الأنوثية وأردن أن يتشبهن بالرجال، والتعبير بقوله: "المترجلات"، يوحي بالافتعال والتكلف فهن: يفتعلن الرجولة، ولكنهن لسن رجالاً، وهن بهذا الافتعال يعطلن دورهن المنوط بهن في الحياة: الأمومة، والرعاية، والحنو، وهن بذلك أفسدن وظيفتهن في الحياة، فصرن مدعاة للسخرية والإهانة، ويقعن فريسة للقلق والحيرة

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠ .

والأمراض النفسية والسلوكية؛ والرواية الثانية تؤكد هذا اللعن، وتصرح بالتشبه، وهي في مفهومها مع الحديث الأول، تؤكد النهي عن هذا السلوك المشين الضار بالمتشبهين والمتشبهات وبكل من حولهم.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان[1] على الأحكام الآتية:

١- إنه يحرم[2] على الرجال التشبه بالنساء، ويحرم على النساء التشبه بالرجال وذلك لأن رسول الله ﷺ قد جعل عقوبة التشبه هي "اللعن" وهذه العقوبة الشديدة لا تكون إلا على فعل شيء محرم.

ولعل السر في هذا التحريم أن الإسلام أراد أن تكون طبيعة المرأة متميزة وأن يكون مظهرها صورة صادقة لهذه الطبيعة، كما أراد ذلك للرجل، فنهى كلاً منهما أن يتشبه بالآخر[3].

٢- إن تحريم التشبه إنما هو عام يشمل التشبه في الزي واللباس، والخضاب، والصوت، والصورة، والتكلم، وسائر الحركات، والسكنات، ولكن هذا التحريم مختص بمن تعمد التشبه، وأما من كان ذلك من أصل خلقته فإنه يؤمر بتكلف

---

(١) حديث (١٦٣٣، ١٦٣٤).

(٢) المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢/٣٧٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣/١٥٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٢٣٩، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧/٤٠٨، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ١/٢٠٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٨٥، ٣٩٦، على أن الأمانة العلمية تحتم علينا أن نذكر أن بعض الشافعية وبعض الحنابلة قد قال: إن التشبه مكروه وليس حرامًا ينظر في فقه الشافعية: المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٤/٣٩٦، وفي فقه الحنابلة: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣/١٥٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/٢٣٩.

(٣) فقه السنة، السيد سابق ٣/٤٩٢.

تركه، فإن لم يفعل مع قدرته عليه دخل في الحرمة، أما إذا كان ترك التشبه غير ممكن بالنسبة له فلا يلحقه اللوم، ولا يدخل في الحرمة[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بتعاليم وأخلاق الإسلام في الأقوال والسلوك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خطر وجزاء تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على مقومات الرجولة في المجتمع وحمايته من التردي والفساد الخلقي.

رابعًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على مقومات الأنوثة في النساء حماية للمجتمع من الفساد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الالتزام بتعاليم وأخلاق الإسلام في الأقوال والسلوك:

إن أول ما يطالب به المسلم بعد إقراره بالوحدانية والانطواء تحت عباءة الإسلام الالتزام بتعاليم الإسلام وأخلاقه القولية والفعلية وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وترك قبائح الذنوب وعدم التقصير في الأوامر والحقوق[٣]، والالتزام بالحدود التي حدها الله سبحانه وتعالى، فقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤] ومن ذلك تحريم تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لعن رسول الله ﷺ المخنثين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٣٢/١٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠٥/١١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٣٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٣٤).

(٣) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ج١/١٥، ١٦.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤.

من الرجال والمترجلات من النساء"، عن أبي هريرة رضي الله عنه: "لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل"[١] وذلك حماية للأخلاق، ونشرًا للفضيلة ومحاربة للرذيلة"[٢].

إن العبد المسلم ليشعر بالسعادة الكبرى إذا ما التزم بشرع الله تعالى وإن هذا الالتزام يدور بين أمر ونهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣]، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

إن العبد المسلم المستقيم على شرع الله، إذا ما ذُكِرت أمامه الجنة ورغب فيها ألقى الدنيا وتبعاتها من فوق ظهره، وهرع إلى رب العالمين ليلحق بركب السائرين إلى الله، ولو أردنا أن نذكر أمثلة على ذلك لطال الحديث، وكذلك المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، إذا ما ذُكرت أمامه جهنم بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقومها انهمرت دموعه وارتجف قلبه وطال حزنه، وأشفق على نفسه فلا تجده بعد ذلك إلا صائمًا قائمًا. وهذه هي الثمرة الحقيقية للترغيب والترهيب، أن يُساق الإنسان إلى رب العالمين جل جلاله بمواعظ الخوف والرجاء.

واعلم أيها المسلم أن القلب الذي يتأثر بذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب عمومًا، وينقاد بذلك إلى طريق الاستقامة، هو القلب العامر بالإيمان، فسرعان ما ينقاد إلى الله تعالى إذا ما ذكر، ومن هنا نعرف السر الحقيقي في عزوف كثير من البشر عن سُبل الاستقامة الكاملة حسب الطاقة الحقيقية للإنسان، ذلك لأن القلوب قد امتُلئت بحب الدنيا وشهواتها، وركن الإنسان إلى هذه الحياة الزائلة، فإذا ما خوِّف أو رُغِّب ليلحق بقوافل السائرين إلى الله تعالى، وجد مئات المثبطات التي ارتضاها لنفسه وعاش في دائرتها، ولا يكفي لنجاة هذا الصنف دمعات عابرة، أو زفرات

---

(١) أبو داود ٤٥٨/٢، حديث ٤٠٩٨، والحاكم ٢١٥/٤، حديث ٧٤١٥، وقال: صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي.

(٢) انظر: أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري، ص ٩٤، ٩٥.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

طائرة، أو تأوه أجوف لأنه سرعان ما يمر هذا الشعور الإيماني مرور الطيف في وهج الظهيرة، بل لابد من عودة كاملة إلى الله تعالى، ليتحقق للإنسان السمع والطاعة بكل حب وامتثال[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خطر وجزاء تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال:

إن تمرد الإنسان على الخلق التي فطره الله عليها وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال لمن الخطورة بمكان، فذلك جالب للعن والطرد من رحمة الله عز وجل، وفي ذلك وعيد شديد ولعن من رسول الله ﷺ أكيد والتشبه قد يكون في اللباس وقد يكون في الكلام وقد يكون في المشي ونحو ذلك فمتى تعاطى الرجل ما هو من خصائص النساء في مشيهن أو كلامهن أو لبسهن فقد دخل في اللعن أو متى تعاطت المرأة ما هو من خصائص الرجال في مشيهم أو كلامهم أو لباسهم فقد دخلت في اللعن[٢]. كما جاء في الحديث فعن ابن عباس رضي الله عنهما: "قال لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء" وفي رواية "لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال" قال ابن حجر: (قال أبو محمد بن أبي جمرة: والحكمة في لعن من تشبه إخراجه الشيء عن الصفة التي وضعها عليه أحكم الحكماء -سبحانه وتعالى-[٣] وذهب كثير من العلماء أن ذلك من الكبائر، قال الذهبي ﷺ: إن تشبه الرجال بالنساء من الكبائر بدليل قول الرسول ﷺ "لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء" وقال إذا لبست المرأة زي الرجال فقد شابهتهم في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها إذا أمكنها من ذلك أي رضي به لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية[٤] وذلك امتثالاً لقوله

---

(١) كتاب "والذين هم لفروجهم حافظون"، خميس بن السعيد محمد، ٦٣، ١٤.

(٢) انظر: كتاب الآداب، فؤاد الشلهوب، ٢٦٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١/٣٤٥، ٣٤٦.

(٤) الكبائر، الإمام الذهبي، ١٣٤، ١٣٥.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[١] أي بتعليمهم وتأديبهم وأمرهم بطاعة ربهم ونهيهم عن معصيته[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على مقومات الرجولة في المجتمع وحمايته من التردي والفساد الخلقي:

إن في تغيير الفطرة التي طبع عليها الإنسان تغيير للفطرة التي فطر الله الناس عليها وسبب لكثرة الفواحش وسبب للطرد والإبعاد من رحمة الله وجلب لغضب الرب سبحانه وتعالى[٣].

لقد أراد الإسلام أن تكون طبيعة الرجل متميزة وأن يكون مظهره صورة صادقة لهذه الطبيعة وفي ذلك حماية للمجتمع.

إن الميزان العادل الذي خلق الله عليه الخلق جعل للرجل صفاته الخاصة به حتى يتكامل مع المرأة حين يتزوج فتكون الذرية الصالحة التي تريد النماء للأمة، أما حين يتشبه الرجل بالنساء وتقل فيه صفات الرجولة فإن ذلك يؤدي إلى اختلال ميزان المجتمع حيث تكون جريمة اللواط التي تجلب الدمار والهلاك.

قال ابن تيمية: (إن الرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه، حتى يفضي به الأمر إلى التخنث المحض والتمكين من نفسه كأنه امرأة)[٤]. وهذا أمر الله أعلم - سبب شدة الإنكار من النبي ﷺ حتى لعن فاعله.

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على مقومات الأنوثة في النساء حماية للمجتمع من الفساد والهلاك:

خلق الله الأنثى ذات صفات مناسبة لوظيفتها في الحياة فهي في ميزان الأمة تمثل الكفة الثانية وعليها أن تحتفظ بخصائصها حتى لا يطيش ميزان المجتمع، فإن فعلت

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ١/١٤٥.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٠/٤٤٨١.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٨/١١٧.

وحافظت تكاملت مع زوجها فتم إرواء الشهوة الجنسية في الحلال وحصلت السكينة والمودة والرحمة.

أما إن تشبهت بالرجال وحملت صفاتهم فإنها حينئذ تفقد صفاتها الفطرية ومن ثم يجيء الشذوذ في السحاق ويتعرض المجتمع لفساد عريض حيث يفقد اتزانه (ويل للمطففين).

الحديث رقم (١٦٣٤)

١٦٣٤- وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، والمَرْأَةَ تَلْبسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لبسة المرأة: على هيئة لبسها وحالها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يختلف عن الحديث السابق ولا يتعارض معه، والاختلاف في الصياغة، والنزوع إلى تحديد وجه المخالفة المستحقة للعن: وهو "اللباس"، وهذا التغيير في الصيغة ناشئ من اختلاف الراوين، فالحديث السابق يرويه ابن عباس وهذا الحديث يرويه أبو هريرة ﷺ، ورواية ابن عباس ﷺ أعم وأشمل: ورواية أبي هريرة أكثر تخصيصًا وتحديدًا.

ويتكون هذا الحديث عن جملة واحدة... وهي إخبارية تمثل حكمًا صارمًا جازمًا، ولنتأمل البداية في الأحاديث الثلاثة حيث يبدأ كل حديث بقول الراوي: "لعن رسول الله ﷺ" فالاتفاق هنا حول عقوبة هؤلاء المخالفين لسنة الله، ولن تجد لسنة الله تبديلا، فالعقوبة التي تلحق بالذين يحولون سنة الله في خلقه هي: اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل، والذي دعا عليهم بذلك هو المبعوث رحمة للعالمين، لأنهم لا يستحقون الرحمة ولا الشفقة، وصياغة الحديث هنا تتلائم مع المراد منه في المعنى ومع

---

(١) برقم (٤٠٩٨). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٥١)، وقال الحاكم (١٩٤/٤): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٥٩).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل ب س).

الرسالة التعليمية التي يوجهها رسول الله إلى كل مسلم، بل إلى كل إنسان خلقه الله فسواه، وصوره فأحسن صورته، وجعله في أحسن تقويم، فقوله: "الرجل" ولم يقل "رجلاً"، لأن أل هنا إما للجنس، فيكون اللعن لجنس الرجال الذين يقعون في هذا الإثم، في أي مجتمع، وإما أن تكون أل للعهد، فيراد بالرجل أي "المعهود" بهذا السلوك، والذين يتخذه ديدنا وسمة شخصية تنحرف به عن مداره الطبيعي السوي وكذلك لفظ المرأة في اقترانه بأل.

وفي ضوء ذلك، يأتي موقع قوله: "يلبس لبسة المرأة"، حيث تصور هذه الجملة حال ذلك الرجل أو صفته الدائمة التي تقترن به، وهو يتمسك بها، ويصر عليها واللعنة تلاحقه أينما كان، وحينما حل لأنه متلبس بجريمته النكراء، وكذلك جملة: "تلبس لبسة الرجل"، تصور حال المرأة في تشبهها بالرجال، وفي إصرارها على هذا التبديل لخلق الله، وهذا التغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

وفي الحديث إيجاز بالحذف للاختصار، والإيحاء بالإسراع في العقوبة، وللتنبيه على أن العقوبة واحدة للجنسين: الرجل والمرأة.

وهذا الإيجاز الموحي في قوله: والمرأة، فهي معطوفة على الرجل، والتقدير.

ولعن رسول الله ﷺ المرأة تلبس لبسة الرجل، والمطابقة والمقابلة بين هذين الموقفين، وهذين السلوكيين المنحرفين، تدعو إلى مزيد من رفضهما والقضاء على من يحذو حذوهما، والعودة إلى الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) سورة الروم، آية: ٣٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٣٥)

١٦٣٥- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((صِنْفَانِ مِنْ أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُمَا: قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

سياط: جمع سوط وهو: ما يضرب به من جلد سواء أكان مضفورًا أم لم يكن[2].

كاسيات عاريات: أي من نعمة الله وعاريات من شكرها، وقيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه، وقيل: تلبس ثوبًا رقيقًا يضف لون بدنها[3].

مائلات: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، وقيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن، وقيل: مائلات يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا[4].

مميلات: يعلمن غيرهن فعلهن المذموم، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة المائلة[5].

كأسنمة: جمع سنام، وسنام كل شيء أعلاه[6].

البخت: جمع بَختيٍّ: جمال طوال الأعناق، ومعنى رءوسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها[7].

---

(١) برقم (٢١٢٨/١٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣٠٢٨).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س و ط).

(٣) رياض الصالحين، النووي ٥٦٥.

(٤) رياض الصالحين، النووي ٥٦٥، وشرح مسلم، النووي ١٣٤١.

(٥) انظر: شرح مسلم، النووي ١٣٤١.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ن م).

(٧) رياض الصالحين، النووي ٥٦٥، شرح صحيح مسلم، النووي ١٣١٤، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب خ ت).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من معجزات النبوة: لأنه إنباء عن أمور مستقبلية وقد حدثت، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك حين قال: "صنفان من أهل النار لم أرهما"، ونفى الرؤية البصرية هنا يثبت أن الرسول ﷺ لم يلتق هذين الصنفين، ولم يشهدها في زمانه، وقد تنبأ بوجودهما، وقد وقع هذا الصنفان، وهما موجودان في هذا الزمان. كما يقول صاحب دليل الفالحين؛ وقد كثرت أنواع هذين الصنفين في العصر الحديث: في زماننا هذا: في بلادنا وفي بلاد الغرب والشرق، والحديث فيه تشويق وبراعة استهلال: حيث أجمل القول ثم فصله بعد ذلك.

والتصوير الأدبي في الحديث يضع هذين الصنفين في دائرة الرفض حيث قال: "إنهما من أهل النار"، وحين نتأمل أطراف الصورة في كل من الصنفين: نرى الحديث يضعهما في أقبح هيئة منفرة، تدعو للاشمئزاز والنفور وأول ما يلفت النظر أن الإطار الزمني لهذه اللوحة التصويرية دنيوي، فليست تشتمل على مشاهد أخروية، ولكن صورة الآخرة في النار أكثر بشاعة ونفورًا، والحديث يقدم لوحة تلتقط جزئيات قبيحة تشكل العناصر اللازمة، فمن سلوك الظالم اتخذت صفة الضرب، والظلم قبيح قبحًا مطلقًا، ومع هذا فإنه يشبه سياط الظالم بأذناب البقر: وذلك لوجود الذنب خلف البقر، ولقربه من مكان التبرز، وهذه البشاعة الشكلية إيماءة إلى انحطاط إنسانية الظالم ودونيته[1].

ولنتأمل ما في الصورة الثانية من بلاغة وتصوير مطابق للحال، وللهيئة المادية والمعنوية، الخَلْقية، والخُلقيّة، ففي قوله: "كاسيات عاريات" يجمع بين المتناقضين، وهذا التناقض في المظهر يصور تناقض الشخصية في مظهرها ومخبرها، فهي تمشي: مكسوة ولكنها عارية لأنها تلبس ملابس شفافة أو تستر بعض جسدها وتكشف البعض الآخر، أو أن هؤلاء النسوة:كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير،

---

(١) انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف، ص ٧٢٢.

والحديث يحتمل كل هذه التفسيرات، ولنتأمل: المشاكلة اللفظية، والتماثل بين: مائلات ومميلات، أي أنهن: مائلات عن طاعة الله بما يلبسن، وبما يتكلمن وبما يقمن به من أفعال، ولا يكتفين بذلك بل يعلمن غيرهن فعلهن المذموم بالقول والفعل، وتزيين الرذيلة، واتباع المودة!!! والتشبيه في قوله: "كأسنمة البخت المائلة"، يوحي بالضخامة: والتشوه، والنفور، وتغيير الخلقة السوية، فالبخت هي: الإبل الخراسانية، وواحدها بخت، والسنام: من كل شيء: أعلاه.

وهذه الصورة المنفرة ليست مستحيلة الوقوع، ولكنها وجدت في العصر الحديث، في المجتمعات الغربية والشرقية التي نأت على الفطرة، وشوهت الصورة السوية التي خلق الله عليها المرأة في أحسن هيئة، وأجمل قوام.

وختام الحديث يكمل هذه الصورة، ويفصح عن مصير هذين الصنفين، فهما لا يدخلان الجنة ولا يجدن ريحها.

فقه الحديث

١- يشتمل هذا الحديث من الأحكام الفقهية على ذم هذين الصنفين: وهما أعوان الحاكم الذين يضربون الناس دون وجه حق والكاسيات العاريات[1] اللائي يلبسن ثيابًا رقاقًا تصفهن وتبدي محاسنهن[2].

٢-إن إخبار الرسول ﷺ بأن هذين الصنفين من أهل النار إنما هو محمول: إما على المشيئة، وأن هذا جزاؤه، فإن عفا الله تعالى عنهما فهو أهل العفو والمغفرة، لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩٠/١٧.

(٢) ولقوله ﷺ: "كاسيات عاريات، تأويلات أخرى غير هذا التأويل انظرها في تفسير القرطبي ٣١٠/١٢، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٩/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١١٩/٢.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٠٤/١٣، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب سنة ١٣٨٧هـ، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٤١/٤.

وإما على من استحل حرامًا من ذلك مع علمه بتحريمه، فيكون كافرًا مخلدًا في النار لا يدخل الجنة أبدًا.

وإما على أنه لا يدخل الجنة أول الأمر مع الفائزين، والله أعلم[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن صنفين من أهل النار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ظلم الناس وضربهم وجلدهم ظلمًا وعدوانًا.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من العرى والانحلال والسفور وإثارة الغرائز.

رابعًا: من أصناف المدعوين: النساء.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان نعيم الجنة وريحها.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

سابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على عدم ظلم الناس.

ثامنًا: من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بالحشمة والوقار والحياء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن صنفين من أهل النار:

جاء ذلك في الحديث في قوله ﷺ "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" قال النووي: (هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذا الصنفان، وهما موجودان[٢] وذلك أن من معجزات النبي ﷺ ودلائل نبوته ما أطلعه عليه الله من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها[٣]، وذلك من جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع[٤]. والأحاديث في ذلك بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره، منها ما

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩١/١٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٤١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٤) كتاب الشفا، للقاضي عياض، ٣٢٩/١.

روي عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً ، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ))[1] قال الحافظ ابن كثير: (وهكذا وقع سواء، فإن أبا بكر رضي الله عنه كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، وكانت خلافة علي بن أبي طالب خمس سنين إلا شهرين، وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن علي نحوًا من ستة أشهر حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين من الهجرة[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من ظلم الناس وضربهم وجلدهم ظلمًا وعدوانًا:

ورد ذلك حيث صرح النبي ﷺ أن من استمرأ ظلم الناس والاعتداء عليهم من أصناف النار البعيدين عن الجنة، فقال ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس..." قال القرطبي: (وقوله: "صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر..." أي: لم يوجد في عصره منهما أحدٌ؛ لطهارة أهل ذلك العصر الكريم. ويتضمَّن ذلك: أن ذينك الصنفين سيوجدان. وكذلك كان؛ فإنه خلف بعد تلك الأعصار قومٌ يلازمون السياط المؤلمة التي لايجوز أن يضرب بها في الحدود قصدًا لتعذيب الناس، فإن أمروا بإقامة حدّ أو تعزيرٍ؛ تعدوا المشروع في ذلك في الصفة والمقدار، وربما أفضى بهم الهوى، وما جُبلوا عليه من الظلم إلى هلاك المضروب، أو تعظيم عذابه. وهذا أحوال الشُّرط بالمغرب، والعوانية في هذه البلاد. وعلى الجملة: فهم سخط الله في الجملة عاقب الله بهم شرار خلقه غالبًا. نعوذ بالله من سخطه في الدنيا والآخرة[3].

قال ابن علان: (والمراد يضربون بها الناس عدوانًا، أما الضرب لإقامة حد أو قصاص فلا يدخل في هذا الوعيد)[4] وقال ابن عثيمين في قوله "قوم معهم سياط": (قال

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٦٤٦، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٨٨٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٠٤/٦، ٢٠٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ج٥/٤٤٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٦٩.

العلماء: وهؤلاء هم الشرط الذين يضربون الناس بغير حق[١] وذلك من ألوان الفساد في الأرض والذي إن ظهر في مجتمع من المجتمعات كان معول هدم في المجتمع ودنا ما ينتظرهم من سخط الله وأليم عقابه[٢]؛ لذا ينبغي على كل إنسان وكل إليه أمر أو كانت له سلطة على غيره أن يتقي الظلم والاعتداء على غيره قدر استطاعته، ورحم الله عمر بن عبدالعزيز حيث قال: (إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فاذكر قدرة الله تعالى عليك، ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك)[٣].

إن الظلم ظلمات يوم القيامة فعاقبته وخيمة وجزاؤه أليم وهو دافع إلى المعاصي وسفك الدماء واستحلال الحرمات، روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))[٤].

إن الظالم لن يفلت من جزائه بأي حال من الأحوال ولا يغرنه إمهال الله تعالى له، روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٥]))[٦]. وليحذر الظالم دعوة المظلوم عليه، فقد قال ﷺ: ((واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب))[٧].

إن للظلم مفاسده ومضاره التي لا تنكر في الدنيا والآخرة وله آثاره السلبية وعواقبه الوخيمة على الأفراد والمجتمعات، من هذه العواقب والمضار أن الظلم:

---

(١) شرح رياض الصالحين ج٢/١٧٢٨.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ج١١/٥٢٦٠.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٥/١٣١.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٨ واللفظ له.

(٥) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٦) أخرجه البخاري ٤٦٨٦، ومسلم واللفظ له ٢٥٨٣.

(٧) أخرجه البخاري ١٤٩٦، ومسلم واللفظ له ١٩.

أ- يجلب غضب الرب وسخطه ويتسلط على الظالم بتشى أنواع العذاب.

ب- قبول دعاء المظلوم فيه.

ج- يخرب الديار وبسببه تنهار الدول.

د- تحاشي الخلق عن الظالم وبعدهم منه لخوفهم من بطشه.

هـ- معصيته متعدية للغير.

و- دليل على ظلمة القلب وقسوته.

ز- عدم الأخذ على يد الظالم يُفسد الأمة.

ح- يجلب كره الرسول ﷺ.

ط- صغار الظالم عند الله وذلته.

ي- الظالم يحرم شفاعة رسول الله ﷺ[1].

ك- الظلم يحمل صاحبه على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع[2].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من العرى والانحلال والسفور وإثارة الغرائز:

جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ "صنفان من أهل النار لم أرهما، ... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

قال القرطبي: (وقوله: "ونساءٌ كاسيات، عاريات" قيل في هذا قولان:

أحدهما: أنهنَّ كاسيات بلباس الأثواب الرقاق الرفيعة التي لا تستر منهن حجم عورةٍ، أو تبدي من محاسنها - مع وجود الأثواب الساترة عليها- ما لا يحلُّ لها أن تبديه، كما تفعل البغايا المشتهرات بالفسق.

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٤٩٢٦/١٠.

(٢) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢٩٥/٢.

وثانيهما: أنَّهنَّ كاسيات من الثياب، عاريات من لباس التقوى؛ الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

قلتُ: ولا بُعد في إرادة القدر المشترك بين هذين النوعين؛ إذ كلُّ واحدٍ منهم عروٌ، وإنما يختلفان بالإضافة.

وقوله: "مميلات مائلات" كذا جاءت الرواية في هاتين الكلمتين بتقديم: مميلات على مائلات، وكلاهما من الميل، بالياء باثنتين من تحتها. ومعنى ذلك: أنهن يملن في أنفسهنَّ تثنيًا ونعمةً، وتصنُّعًا ليملن إليهنَّ قلوب الرجال، فيميلون إليهنَّ، ويفتتَّهم. وعلى هذا: فكان حق مائلات أن يتقدم على مميلات؛ لأن ميلهن في أنفسهن مقدم على الوجود على إمالتهن. وصحَّ ذلك لأن الصفات المجتمعة لايلزم ترتيبها: ألا ترى أنها تعطف بالواو، والواو جامعة غير مترتبة، إلا أن الأحسن تقديم مائلات على مميلات؛ لأنه سببه كما سبق.

وقد أبعد أبو الوليد الوقشي حيث قال: إن صوابه "الماثلة" بالثاء المثلثة، يعني: الظاهرة، وقال: لا معنى للمائلة هنا. وتركُ هذا الصواب هو الصواب.

وقوله: "رؤسهنَّ كأسنمة البخت المائلة" أسنمة: جمع سنام، وسنام كلِّ شيء: أعلاه. والبخت: جمع بختيَّة. وهي ضربٌ من الإبل عظام الأجسام، عظام الأسنمة، شبَّه رؤسهنَّ بها لما رفعن من ضفائر شعورهنَّ على أوساط رؤوسهنَّ تزينًا، وتصنعًا، وقد يفعلن ذلك بما يكثِّرن به شعورهنَّ، والمائلة: الرواية بالياء، من الميل. يعني: أن أعلى السنام يميل لكثرة شحمه، شبَّه أعالي ما يرفعن من الشعر بذلك. وقال الوقشيُّ: صوابه بالثاء المثلثة أي: المرتفعة الظاهرة[2].

قال النووي: (قوله "كاسيات عاريات" أي: تستر بعض بدنها وتكشف بعض إظهارًا بحالها ونحوه، وقيل معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها)[3]. وقد تضافرت آيات

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٢٦.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٤٤٩-٤٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٤١.

القرآن وأحاديث السنة النبوية على الترهيب والنهي عن التبرج والسفور وإثارة الغرائز، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] قال ابن كثير: (قال مجاهد بن جبر: وذلك أن المرأة فيهن كانت تخرج تمشي بين يدي الرجال، وقال قتادة: كانت لهن مشية وتكسر وتغنج فنهى الله تعالى المؤمنات عن ذلك إذا خرجن من بيوتهن[2] بل زيادة في الترهيب من العري والسفور يأمر النبي ﷺ بلعنة من كانت هذه سنتها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: ((سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ، العنوهن فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ))[3] قال السيوطي، قال ابن عبد البر (أراد النبي ﷺ النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة)[4].

رابعًا- من أصناف المدعوين: النساء:

وقد ضمن الحديث الحديث عن النساء وتحذيرهن من التبرج والسفور، وبيان الوعيد لمن ترتكب ذلك، فقال ﷺ "ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" والنساء صنف من أصناف المدعوين لا يستهان به، لذا لابد من تكثيف النشاط لهداية النساء؛ لأن المرأة اليوم لا تزال في نظر عباد المال والشهوات وسيلة لتدمير الأخلاق وتجارة الرقيق الأبيض، وإن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه[5].

ومن أهم ركائز الدعوة في الأوساط النسائية الدعوة إلى العفة والحجاب والبعد عن التبرج والسفور.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٨٢/٥.

(٣) رواه الطبراني في الصغير، برقم ١١٢٥، وقال الألباني في حجاب المرأة المسلمة، سنده صحيح، ٥٦.

(٤) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي ١٠٣/٣.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الإمام شمس الدين بن القيم، ص ١٢٠.

إن الله تعالى قد حرم تبرج المرأة وأمرها بالعفة والحجاب، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1].

والتبرج يعبر عنه وعن غيره من مظاهر الفساد بلفظ: التكشف، والتهتك، والعُري، والتحلل الخُلُقي، والإخلال بناموس الحياة، وداعية الإباحية: "الزنا".

وهو محرَّم في الشرائع السابقة، وهو في القانون الوضعي محرم على الورق وليس له نصيب من الواقع؛ لأنه ممنوع بعصا القانون.

أما في الإسلام فهو محرم بوازع الإيمان، ونفوذ سلطانه على قلوب أهل الإسلام طواعية لله تعالى ولرسوله ﷺ، وتحليًا بالعفة والفضيلة، وبعدًا عن الرذيلة، وانكفافًا عن الإثم، واحتسابًا للأجر والثواب، وخوفًا من أليم العقاب، فعلى نساء المسلمين، أن يتقين الله، فينتهين عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، حتى لا يُسهمن في نشر الفساد في المجتمع المسلم، وهدم الأسر والبيوت، وحلول الزنا، وحتى لا يكنّ سببًا في استجلاب العيون الخائنة، والقلوب المريضة إليهن، فيأثمن، ويؤثِّمن غيرهن.

والتبرج يكون بأمور:

يكون التبرج بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئًا من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.

ويكون التبرج بتثني المرأة في مشيتها وتبخترها وترفلها وتكسرها أمام الرجال.

ويكون التبرج بالضرب بالأرجل؛ ليُعلم ما تخفي من زينتها، وهو أشد تحريكًا للشهوة من النظر إلى الزينة.

ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها.

والنسوة المتبرجات هُنَّ: "المترجلات" و"المتشبهات" بالرجال أو بالنساء الكافرات.

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

والمترجلات يسميهن بعض الأوربيين باسم "الجنس الثالث".

والأدلة على تحريم التبرج آيات من كتاب الله، منها آيتان نصٌّ في النهي عن التبرج، وهما:

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1].

وقول الله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وآيات ضرب الحجاب وفرضه على أمهات المؤمنين ونساء المؤمنين ونهيهن عن إبداء الزينة، نصوص قاطعة على تحريم التبرج والسفور.

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلاتن رؤوسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا".

وهذا نص فيه وعيد شديد، يدل على أن التبرج من الكبائر؛ لأن الكبيرة: كل ذنب توعد الله عليه بنار أو غضب أو لعنةٍ أو عذابٍ أو حرمانٍ من الجنة.

وقد أجمع المسلمون على تحريم التبرج، وبالإجماع العملي على عدم تبرج نساء المؤمنين في عصر النبي ﷺ، وعلى ستر أبدانهن وزينتهن.

وليحذر المسلم من بدايات التبرج في محارمه، وذلك بالتساهل في لباس بناته الصغيرات بأزياء لو كانت على بالغات لكانت فسقًا وفجورًا، مثل إلباسها القصير، والضيق، والبنطال، والشفاف الواصف لبشرتها، إلى غير ذلك من ألبسة أهل النار، كما تقدم في الحديث الصحيح، وفي هذا من الإلف للتبرج والسفور، وكسر حاجز النفرة، وزوال الحياء، ما لا يخفى. فليتق الله من ولاه الله الأمر[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) سورة النور، آية: ٦.

(٣) انظر: حراسة الفضيلة، بكر بن عبدالله أبو زيد، ١٠٣-١٠٨.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان نعيم الجنة وريحها:

جاءت الإشارة إليه في الحديث في قوله ﷺ "لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" قال ابن القيم: (وريح الجنة نوعان ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد، وريح يدرك بحاسبة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها، وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد، وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله[1]، وأوليائه، وقد صرح القرآن بأن نعيم الجنة يشمل ما لا يدخل ولا يطرأ على قلب بشر، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2].

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

جاء الترهيب في الحديث واضحًا جليًا حيث رهب النبي ﷺ من ظلم الناس والاعتداء عليهم بغير حق ومن تبرج النساء وسفورهن بأن فاعل ذلك من أصناف النار، فقال ﷺ "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيان عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" والترهيب من الأساليب ذات القيمة التأثيرية العظيمة، والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام[3].

سابعًا: من أهداف الدعوة: الحث على عدم ظلم الناس:

جاءت النصوص مرهبة أشد الترهيب من ظلم الناس كما جاء في الحديث "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس..." فالظلم سبب

---

(١) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٧٤.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٥٧.

لوخيم العواقب، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾[١] وهو سبب لانهيار القوى وتبدد الممالك، قال ابن تيمية: (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ومن المأثور أن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة[٢] وهو من صفات اللئام ولله در أبي العتاهية حين قال:

أمـــا والله إن الظلـــم لـــؤم ... ومـــا زال المـــسيء هـــو الظلـــوم
إلى ديـــان يـــوم الـــدين نمـــضي ... وعنـــد الله تجتمـــع الخـــصوم
ســـتعلم في الحـــساب إذا التقينـــا ... غـــدًا عنـــد الإلـــه مـــن الملـــوم[٣]

إن محاربة الظلم وتمكين العدل ضرورة لإقامة الحق، وضمان العدل يشيع الطمأنينة وينشر الأمن، ويشد علاقة الأفراد بعضهم ببعض ويجعل الروابط بينهم قائمة على التوازن والانسجام والإخاء. ومن هنا نجد آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ مليئة بالدعوة للعدالة وإحقاق الحق محذرة من الظلم والبغي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]. والعدل من أوصاف الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾[٥]. وإقامة العدل إحدى مهمات الرسول ووظائفه: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾[٦].

والعدل الذي ينادي به الإسلام، عدل شامل يساوي بين الناس: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾[٧].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٦.
(٢) مجموعة الفتاوى لابن تيمية، ج١٢/٦٢، ٦٣.
(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ١/١٨١.
(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٥) سورة الحديد، آية: ٢٥.
(٦) سورة الشورى، آية: ١٥.
(٧) سورة النساء، آية: ٥٨.

ولا تعتبر العداوة والشحناء التي تقوم للناس مبررًا لقيام الظلم أو ترك العدل؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

والعدل يوصف به الفرد كما يوصف به المجتمع، فالعدل في الأفراد هو إعطاء كل ذي حق حقه، والمجتمع العادل هو الذي من نظمه وقوانينه ما يسهل لكل فرد أن يصل إلى حقه[2].

ثامنًا- من أهداف الدعوة: الحث على الالتزام بالحشمة والوقار والحياء:

جاء في الحديث الترهيب من السفور ونفض لباس الحشمة والحياء، فقال ﷺ "صنفان من أهل النار لم أرهما ... ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" فالإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار، وإقامة مجتمعًا طاهرًا من أدران الفاحشة والتردي في بؤرة الفساد والتحلل الخلقي، تُجنب فيه النفوس من أسباب الإغراء والغواية، وقد زاد الإسلام المرأة تزكية وطهرًا أن كلفها زيادة على الرجل بعدم إبداء الزينة لغير المحارم وفرض عليها الحجاب الشرعية[3]، فقال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[4] فالتبرج والسفور تعرٍّ من التقوى وبعدًا عن الحياء، لذا كان وصف النبي ﷺ للمتبرجات بقوله "كاسيات عاريات" كاسيات عاريات من لباس التقوى، فهن كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرًا وباطنًا، حيث تبدي زينتها، ولا تبالي بمن ينظر إليها، بل ذلك مقصودهن، وذلك مشاهد في الوجود منهن، ولو كان عندهن شيء من التقوى لما فعلن ذلك[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي، ٣٣١.

(٣) انظر: روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ١٦٩/٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٠/١٢/٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالترهيب:

إن تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، منقصة وانتكاسة أخلاقية، يجب أن يترفع عنها كل مسلم ومسلمة، ولذا رهّب النبي ﷺ من هذا الفعل الشنيع فقد ورد في حديث الباب من قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ،... إلخ»، ومن قول أبي هريرة رضي الله عنه: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة ...إلخ»، واللعن هنا ورد كأسلوب تربوي غاية في ترهيب الأنفس من مغبة امتثال هذا الفعل الدنيء، "حيث إن الإسلام الحنيف يحافظ على فطرة الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، فلا يصلح للرجل التخلق بصفات الأنثى، ولا يصلح للمرأة أن تتصف بصفات الرجل، فهذا تغيير لخلق الله عز وجل، سواء أكان في ملبس، أم في صوت أم في حركة"[1]، وقد ترائى من أحاديث الباب أن الترهيب كأسلوب تربوي لم يقف عند حد اللعن، بل تعدى إلى بيان شدة العذاب، كما ورد في قوله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا..إلخ».

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه استخدام الترهيب كأسلوب تربوي إذا ما حادت النفس عن أمر الله ورسوله في ذلك، والتربية بالترهيب، لا تقف عند حد التغليظ في الموعظة، وبيان شدة وعيدها بالقول، بل تتعدى إذا اقتضى الأمر إلى الإيلام بالعقاب الجسدي، وإن اقتضى الأمر ذلك، وجب على القائمين بالتربية أن يعلموا أن الهدف من العقاب الجسدي ليس الانتقام والتشفي، وإنما التأديب والإصلاح، لما في ذلك من إنقاذ نفس المتربي من النار وعذاب الجبار، وبناء على ذلك كان العقاب في ظاهره القسوة وفي باطنه الرحمة بالمتربي.

وحتى يأتي العقاب -كأحد أشكال التربية بالترهيب- بثماره، وجب تجنب الأخطاء التربوية في ذلك، والتي من أهمها ما يلي:

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ٢٨٦، ٢٨٧.

١- عدم التدرج في إيقاع العقاب على المتربي:

فالعقاب البدني لا يجرى كله على منوال واحد بل هو درجات، وأول درجاته إبراز أداة العقوبة كالعصا أو السوط، فإن ذلك مما يسهم في التربية ويحمل الصبي على السلوك الحميد المرغوب، ثم الإشارة بها والتهديد باستخدامها عند تكرار الخطأ، ثم الضرب الخفيف الذي يمكن أن يسبب ألمًا لكنه لا يضر، ولا ينبغي له أن يضرب كيفما اتفق في أي مكان من جسد الصبي، فإن ذلك يدل على هياج المربي وعدم اتزانه، مما ينذر بعواقب سيئة قد تترتب عليها كارثة للصبي، بل عليه أن يتريث ويختار المكان الذي يضرب فيه، فلا يضرب على العظام أو الأماكن الحساسة، ولا يكرر الضرب على مكان واحد، ولا يرفع يده عند الضرب حتى يرى بياض إبطه، بل تكون عضده مضمومة إلى جنبه، ولا يستخدم في ذلك عصا غليظة أو حديدة أو نحو ذلك[1].

قال ابن خلدون: وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: "لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئًا، ومن كلام عمر رضي الله عنه: "من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله"، حرصًا على صون النفوس عن مذلة التأديب، وعلمًا بأن المقدار الذي عينه الشرع، لذلك أملك له، فإنه أعلم بمصلحته"[2].

٢- إظهار الشفقة والرحمة بالمتربي المخطئ بعد عقابه:

حيث كان من الأخطار التي يقع فيها المربي في محاولة إشعار الصبي بشفقته عليه أن يقوم بمصالحته فور توقيع العقاب، وقد يعطيه بعض المال أو يشتري له بعض قطع الحلوى أو ما شابه ذلك، مما يضيع الثمرة المرجوة من العقاب[3].

ثانيًا- تربية العفة في قلوب نساء المسلمين:

إن من أعظم الجرائم الخلقية التي ترتكب في حق عفة الشباب المسلم الغَضِّ، جريمةُ التبرج والسفور، لأن فتن النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات كانت وبحق أعظم معول لهدم التربية الخلقية في قلوب المتربين.

---

(١) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ص٩٥، ٩٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ٥٠٨.

(٣) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ٩٥.

ونقول بكل شجن وألم إن الحسرة على هدم العفة في قلوب النشء والشباب، لا تعادلها حسرة، فالتربية على العفة صيانة للفرد والمجتمع وتنمية للقيم العليا بين الناس، وصيانة للأعراض، ولذا رهب النبي ﷺ من التبرج والسفور والتحلل الأخلاقي.

وذلك في قوله ﷺ من حديث الباب: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا» -ثم ذكر ﷺ من هذين الصنفين-: «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، مُمِيلاَتٌ مَائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا. وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا».

لذا وجب على أهل التربية والتوجيه غرس العفة في قلوب نساء المسلمين.

❁ ❁ ❁

٢٩٣- باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

الحديث رقم (١٦٣٦)

١٦٣٦ - عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ تَأكُلُوا بالشِّمَالِ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ (ويَشربُ)** [1] **بالشِّمَالِ**)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن للطعام آدابًا في الإسلام، ومن هذه الآداب: الأكل باليمين، تيمنًا وتبركًا واقتداءً برسول الله ﷺ، وبعدًا عن التشبه بالكفار والشيطان.

والحديث الشريف في بنائه اللغوي يتكون من جملتين الأولى فعلية وردت في صيغة النهي، والنهي هنا ليس موجهًا إلى فرد واحد، ولكنه موجه من رسول الله إلى الأمة الإسلامية كلها في كل العصور، وجميع البيئات وهذا النهي الممتد الشامل جاء موجزًا بليغًا صريحًا في هذه الجملة المتموجة بكثير من الدلالات، "لا تأكلوا بالشمال"، وأما الجملة الثانية فهي اسمية وردت في صيغة التأكيد، وهي تعليلية إقناعية: حيث تصدرتها الفاء التي تفصح عن السبب في النهي عن الأكل بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال ونلاحظ تكرار لفظ "الشمال" للتأكيد على النهي وللتذكير والتنبيه بأن الآكل بالشمال يتشبه بالشيطان، ويابئس هذا التشبه، ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء قرينًا، والأولى أن نتشبه برسول الله ﷺ وقد كان ﷺ يحب التيامن في شانه كله، وقال «ياغلامُ، سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يَليك»[3].

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما عنده برقم (٢٠٢٠/١٠٥) من حديث عبد الله بن عمر، كما في الحديث الذي بعد هذا.

(٢) برقم (٢٠١٩/١٠٤).

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

والنهي في هذا الحديث الشريف: للتنزيه، وقيل للوجوب، لأن الشافعي يرى أن من أكل مما لا يليه وبشماله عالمًا بالنفي كان عاصيًا آثمًا، وقال ابن حجر: ويدل على وجوب الأكل باليمين ورود الوعيد في الأكل بالشمال. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على الأحكام التالية:

١- حكم الأكل والشرب بالشمال: وقد اختلف الفقهاء في حكم الأكل والشرب بالشمال على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[١] ويرون أن الأكل والشرب بالشمال إنما هو مكروه، وليس محرمًا.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الإمام ابن عبدالبر من المالكية[٢]، وقول عند الحنابلة اختاره أبو موسى[٣]، وابن حزم من الظاهرية[٤] إلى أن الأكل بالشمال، والشرب بها إنما هما محرمان.

الأدلة:

أولاً: دليل الرأي الأول: استدل أصحاب الرأي الأول على ما ذهبوا إليه من كراهة الأكل والشرب بالشمال، بحمل النهي الوارد في الحديثين على الكراهة[٥].

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٦٤/٤، وكفاية الطالب الرباني ٦٠٧/٢، ٦٠٨، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٢٥٠/٣، وحاشية الشرواني على تحفة المحتاج ٤٣٨/٧، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٢١/٧، ٣٤٣/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٢٦/٨، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١٨٩/٢.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١١٣/١١.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٢٦/٨.

(٤) المحلى، ابن حزم ٤٢٤/٧.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٦٤/٤.

ثانيًا: دليل الرأي الثاني: واستدل أصحاب الرأي الثاني القائل بتحريم الأكل والشرب بالشمال، بأن رسول الله ﷺ قد نهى عن الأكل والشرب بالشمال، والنهي حقيقة في التحريم، ولا يكون للكراهة إلا مجازًا مع وجود الصارف[1]، وهو غير موجود هنا.

ومما يدل على التحريم - أيضًا- ما جاء في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع ((أَنَّ النبي ﷺ رأى رَجُلاً يأكُل بشِمَالِهِ. فَقَالَ: كُلْ بيَمِينِكَ قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ. قَالَ: لاَ اسْتَطَعْتَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ بعد))[2].

وما أخرجه الطبراني من حديث عقبة بن عامر أن النبي ﷺ رأى سبيعة الأسلمية تأكل بشمالها، فقال: أخذها داء غزة، فقال: إن بها قرحة قال: وإن، فمرت بغزة فأصابها طاعون فماتت[3].

وقد أجيب على الاستدلال بهذين الحديثين بأن دعاء النبي ﷺ عليهما، ليس لأنهما تركا الأكل باليمين، وأكلا بالشمال، وإنما لقصدهما المخالفة كبرًا[4].

الترجيح:

ولعل الراجح من هذين الرأيين هو أن الأكل بالشمال والشرب بها إنما هو مكروه، ومحل الكراهة إذا لم يكن لعذر، أما إذا وجد عذر يمنع من الأكل باليمين، ويحتم الأكل بالشمال من نحو مرض،أو جراحة، أو غير ذلك فلا كراهة[5].

٢- وفي الحديثين أيضًا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في كل حال، حتى في حال الأكل.

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٢٢/٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٢١.

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين بن أبي بكر الهيثمي ٣/٥.

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٦٥/٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٩١/١٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٢٢/٥، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٢٦/٨.

٣- وفيهما استحباب تعليم الآكل آداب الأكل[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل التيمن في الأكل والشرب وعدم الأكل بالشمال أو الشرب بها.

ثانيًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ في آداب الأكل والشرب.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل التيمن في الأكل والشرب وعدم الأكل بالشمال أو الشرب بها:

ويظهر ذلك في حديث جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ قال لا تأكلوا بالشمال، فإن الشيطان يأكل بالشمال" وحديث ابن عمر رضي الله عنهما "أن رسول الله ﷺ قال: "لا يأكلن أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها".

قال النووي: (فيه استحباب الأكل والشرب باليمين وكراهتهما بالشمال وقد زاد نافع الأخذ والإعطاء وهذا إذا لم يكن عذر، فإن كان عذر يمنع الأكل والشرب باليمين من مرض أو جراحة أو غير ذلك فلا كراهة في الشمال، وفيه أنه ينبغي اجتناب الأفعال التي تشبه أفعال الشياطين وأن للشياطين يدين)[٣].

وقال ابن الجوزي: (لما جعلت الشمال للاستنجاء ومباشرة الأنجاس، واليمنى لتناول الغذاء، لم يصلح استعمال أحدهما في شغل الأخرى، لأنه حط لرتبة ذي الرتبة، ورفع للمحطوط، فمن خالف ما اقتضه الحكمة وافق الشيطان)[٤].

ولفضل التيمين كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في كل شيء فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله يعجبه التيمُّنُ في شأنه كلّهِ: في طهوره

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣/١٩١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٣٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٣٧).

(٣) شرح مسلم، النووي، ص ١٢٨٠.

(٤) كشف المشكل ٢/٥٩٤، ١٢٢٧ نقلاً عن كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ص ١٥٧.

وترجله وتنعُّله))[١]. فاليمين تقدم في الأعمال الشريفة النظيفة والشمال تقدم في الأعمال الخسيسة المستقذرة.

ثانيًا- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ في آداب الأكل والشرب:

يستنبط هذا من عموم الحديثين. وقال رسول الله ﷺ: ((إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله))[٢].

قال أبو العباس القرطبي: (قوله: "إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بها" هذا الأمر على جهة الندب؛ لأنه من باب تشريف اليمين على الشمال، وذلك لأنها أقوى في الغالب، وأسبق للأعمال، وأمكن في الأشغال. ثم هي مشتقةٌ من اليُمنِ، والبركة. وقد شرف الله تعالى أهل الجنة بأن نسبهم إليها، كما ذم أهل النار حين نسبهم إلى الشمال، فقال: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[٣]، وقال: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾[٤]، وقال عكس هذا في أصحاب الشمال. وعلى الجملة: فاليمين وما نُسب إليها، واشتُق عنها محمودٌ لسانًا، وشرعًا، ودنيا، وآخرة. والشمال على النقيض من ذلك.

وإذا كان هذا، فمن الآداب المناسبة لمكارم الأخلاق، والسيرة الحسنة عند الفضلاء اختصاص اليمين بالأعمال الشريفة، والأحوال النظيفة، وإن احتيج في شيء منها إلى الاستعانة بالشمال فبحكم التبعية. وأما إزالة الأقذار، والأمور الخسيسة فبالشمال لما يناسبها من الحقارة، والاسترذال.

وقوله: "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله" ظاهره أن من أكل بشماله تشبه بالشيطان في ذلك الفعل؛ إذ الشيطان بشماله يأكل وبها يشرب. ولقد أبعد وتعسَّف من أعاد الضمير في "شماله" على الآكل)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٦، ومسلم ٢٦٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٢٠.

(٣) سورة الواقعة، آية: ٨.

(٤) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٩٦.

قال الطيبي: (قال التوربشتي: قوله: "فإن الشيطان يأكل بشماله" المعنى أنه يحمل أولياءه من الإنس على ذلك الصنيع ليضاد به عباد الله الصالحين، ثم إن من حق نعمة الله والقيام بشكره أن يكرم ولا يستهان بها، ومن حق الكرامة أن يتناول باليمين ويميز بها بين ما كان من النعمة وبين ما كان من الأذى. أقول: تحريره أن يقال: لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها؛ فإنكم إن فعلتم ذلك كنتم أولياء الشيطان؛ فإن الشيطان يحمل أولياءه من الإنس على ذلك)[1].

قال ابن عثيمين: (نهى النبي ﷺ عن الأكل والشرب باليد الشمال وعلل ذلك بأن هذا عمل الشيطان، الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقد نهينا عن اتباعه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾[2] وهذا يدل على تحريم الأكل بالشمال، وتحريم الشرب بالشمال، وأن من أكل أو شرب بشماله، فإنه مشابهة للشيطان الذي هو عدونا وعدو الله عز وجل[3].

فينبغي على المدعو التأسي بهدي النبي ﷺ والاستجابة لتوجيهاته في الأكل والشرب باليد اليمنى وعدم الأكل والشرب باليد اليسرى حتى يبتعد عن التشبه بأفعال الشيطان وأفعال الكفار الذين يقلدون زعيمهم الشيطان.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث رهّب رسول الله ﷺ من الأكل والشرب باليد اليسرى وبين أن الشيطان يأكل ويشرب بيده اليسرى ومن اتبع الشيطان أو قلده وقع في المعاصي والذنوب وفي ذلك ترهيب من اتباع الشيطان وتقليده.

وأسلوب الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام، واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده المولى جل وعلا من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٣٨/٨.

(٢) سورة النور، آية: ٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٣١/٢.

ومن صور الترهيب التي ورد ذكرها في القرآن الكريم صورة نفسية مفزعة إذا تدبرها الإنسان يرتجف فؤاده وتضطرب نفسه، يبين من خلالها الكتاب العزيز وضع الغافلين اللاهين الدائمين على الذنوب والمعاصي المستمرين على مخالفة أمر الله تعالى ورسوله أتباع الشيطان يوم يتخلى عنهم وهم غير قادرين على فعل شيء أي شيء، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ﴾[1].

إنها صورة وموقف لا خزي بعده حين يتنصل الشيطان -لعنه الله وأخزاه- من أتباعه بهذه الطريقة في هذا اليوم الذي لا يستطيع العبد أن يعمل فيه ما يبعد عنه عقوبة المعصية والبعد عن الله[2].

فينبغي على الداعية الترهيب من مخالفة أحكام الله وهدي نبيه ﷺ واتباع الشيطان.

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٢٢.

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٥١٥-٥١٧.

الحديث رقم (١٦٣٧)

١٦٣٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَأكُلَنَّ أَحَدُكُمْ[1] بِشِمَالِهِ، وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يتفق في مضمونه مع الحديث السابق: وهو النهي عن الأكل بالشمال، ولكن هذا الحديث يتسم بالزيادة في المبنى، وكذلك الزيادة في المعنى، فهنا ورد النهي عن الأكل بالشمال، وعن الشرب بها، لأن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها، وهذه الزيادة لمنع اللبس فربما يتوهم بعض الناس أن النهي يتعلق بالأكل فقط، فيجيء هذا الحديث موضحًا أن النهي عام: عن الأقل أو الشرب بالشمال والنهي في هذا الحديث موجه إلى الفرد، وليس إلى الجماعة، وهو في الوقت نفسه يتضمن النهي الجمعي، لأن المراد: أن كل أحد منكم، فلفظ "أحد" يصدق على كل مسلم، ولذلك ورد هذا اللفظ مقترنًا بضمير المخاطب الدال على الجمع في قوله "أحدكم".

وجاء النهي في هذا الحديث مؤكدًا في موضعين في قوله: "لا يأكلن ولا يشربن"، وقيل أكد الفعل بالنون مبالغة في النهي، فهو بها مكروه كراهة شديدة، وتكرار الفعل يأكل، وكذلك الفعل يشرب، واقتران هذين الفعلين بالشمال يرشد إلى الإثم الشديد الذي يرتكبه من يقدم على ذلك ولأن الشمال تستعمل في إزالة القذارات في الاستنجاء: ويعلق بها من الميكروبات والجراثيم كائنات غير مرئية تلحق الأذى

---

(١) لفظ مسلم: (أحد منكم) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٠٦/٢٠٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٣١٣٠).

بالإنسان، حيث يتلوث الطعام، وتفسد الأمعاء، ويتعرض المسلم للأمراض الفتاكة، ومما يدل على أن الآكل بشماله آثم: ما جاء في صحيح مسلم ((أن النبي ﷺ رأى رجلا يأكل بشماله فقال: كل بيمينك قال: لا أستطيع، قال: "لا استطعت"، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد))[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه مسلم، ٢٠٢١.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٣٨)

١٦٣٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارى لاَ يَصْبغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لا يصبغون: المراد: خضاب شعر اللحية والرأس الأبيض بصفرة أو حمرة وأما السواد فمنهي عنه[2].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الثالث في باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار، والحديثان السابقان يتعلقان بعدم التشبه بالكفار والشياطين في عادات الطعام والشراب، وهذا الحديث ينقلنا إلى مجال آخر ولكنه في إطار العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية، وهو مظهر الإنسان العام، ومن ذلك: عدم ترك الشيب في الرأس أو اللحية، وإنما على المسلم أن يصبغه إما بصفرة أو حمرة، والمنهي عنه الصبغ بالسواد.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين واضحتين لا غموض فيهما، ولا مواربة، ولا التواء، وإنما البيان والوضوح مع الإيجاز والإفهام، والإقناع والإفحام، من سمات البيان النبوي البليغ، والجملة الأولى اسمية مؤكدة في إطار الأسلوب "الخبري"، الذي يساق للإخبار والإعلام عن شيء متحقق، وأداة التوكيد "إن" وهي حرف توكيد ونصب، وهي من النواسخ وكأن مجيئها في بناء هذه الجملة إشارة إلى ما يأمر به رسول الله ﷺ من نسخ ومحو عادات اليهود والنصارى في عدم الصبغ، والتميز بما يضفي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢١٠٣/٨٠) ولفظهما سواء.

(٢) رياض الصالحين ٥٦٥.

على المسلم طابع الخصوصية وهو الصبغ بالصفرة أو الحمرة، وهذا النسخ اللغوي يجيء متوائمًا مع النسخ الفعلي وهو عدم التشبه باليهود والنصارى، ولو جاء التعبير بقوله: "كان اليهود والنصارى: لا يصبغون" لما أعطى هذا الإيحاء الدقيق العميق، وخبر إن: جملة فعلية مقترنة بالنفي وفعلها مضارع، وهذه الصيغة الزمنية تعطي دلالة الاستمرار، والنفي بـ"لا"، غير النفي بـ"لن"، لاختلاف دلالة الفعل في حالة الاقتران بأحد الأداتين.

والجملة الثانية جاءت في صيغة الأمر الصريح الموجز في قوله: "فخالفوهم"، والمعنى الملازم لهذه المخالفة: هو اخضبوا بما عدا السواد، وقال بعض العلماء: إن الخضاب بالسواد: منهي عنه على سبيل التحريم إلا في الجهاد لإرهاب العدو، فتأمل هذه العلة التي تفيد الاستعداد والقوة في مواجهة العدو بكل الوسائل حتى بملامح الوجه، والشكل الخارجي الذي يرهب العدو.

فقه الحديث

يشتمل هذان الحديثان على الأحكام الفقهية الآتية:

١-استحباب خضاب شيب الرجل والمرأة بصفرة أو حمرة، وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء[١].

٢-أما تغيير الشيب بالسواد فقد ذهب الفقهاء[٢] إلى جوازه في الجهاد لإرهاب العدو لما روى صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ أَحْسَنَ مَا اخْتَضَبْتُمْ بِهِ السَّوَادُ، أَرْغَبُ لِنِسَائِكُمْ فِيكُمْ، وَأَهْيَبُ لَكُمْ فِي صُدُورِ عَدُوِّكُمْ))[٣].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٢/٦، وتاج الملوك، محمد بن أبي بكر الرازي ص ٢٢٧، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٥٨٢/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٧٦/١، وشرح العمدة ٢٣٧/١.

(٢) المبسوط، أبو بكر السرخسي ١٩٩/١٠، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٥٨٢/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٦٠/١.

(٣) ابن ماجه ٣٦٢٥ وضعّفه الألباني (ضعيف الجامع الصغير ١٣٧٥).

أما في غير الجهاد فقد اختلف الفقهاء في تغيير الخضاب بالسواد على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، والحنابلة[٣] وبعض الشافعية[٤]، ويرون أن تغيير الشيب بالسواد مكروه.

وذلك لأنهم حملوا النهي الوارد عن الخضاب بالسواد على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض الشافعية[٥]، ويرون أن الخضاب بالسواد حرام وقد استدلوا على ذلك بحديث جابر -الذي معنا- وفيه أن رسول الله ﷺ قال: "اجتنبوا السواد".

وبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَخْضِبُونَ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الحَمَامِ لاَ يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الجَنَّةِ))[٦].

الرأي الثالث: وهو محكي عن إسحاق بن راهويه[٧]، ويفرق في ذلك بين الرجل والمرأة فيجيزه للمرأة كي تتزين به لزوجها، ولا يجيزه للرجل.

الترجيح:

بعد عرض آراء الفقهاء في المسألة أرى - والله أعلم- أن الرأي الراجح ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بكراهة تغيير الشيب بالسواد.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٢٢/٦ وفيه (ويكره السواد لغير الحرب).

(٢) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٥٨٢/٢.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٧/١ وفيه: "ويكره الخضاب بالسواد، قيل: لأبي عبدالله: تكره الخضاب بالسواد؟ قال: إي والله.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٦٠/٦، وكذا: شرح صحيح مسلم، النووي ٨٠/١٤.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٦٠/١، وشرح صحيح مسلم، النووي ٨٠/١٤.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٢١٢، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير ٨٠٠).

(٧) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٦٢/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٧/١.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: مخالفة اليهود والنصارى في صبغ الشيب.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: حث المسلم على التميز في مظهره وعدم تقليد غير المسلمين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم".

حيث أكد رسول الله ﷺ على عدم صبغ اليهود والنصارى، وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يفيد منها الداعية في بيان الحقائق والتأكيد عليها مما يجعل المدعو يستجيب للدعوة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: مخالفة اليهود والنصارى في صبغ الشيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم".

قال ابن تيمية: (فإنه يقتضي أن علة الأمر بهذه المخالفة: كونهم لا يصبغون، فالتقدير اصبغوا لأنهم لا يصبغون. وإذا كان علة الأمر بالفعل عدم فعلهم له دل على أن قصد المخالفة لهم ثابت بالشرع، وهو المطلوب.

ويوضح ذلك: أنه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير في الأمر بالصبغ لم يكن لذكرهم فائدة، ولا حسن تعقيبه به، وهذا وإن دل على مخالفتهم أمر مقصود للشرع، فذلك لا ينفي أن يكون في نفس الفعل الذي خولفوا فيه مصلحة مقصودة، مع قطع النظر عن مخالفتهم فإن هنا شيئين:

أحدهما: أن نفس المخالفة لهم في الهدى الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين، لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباعدة عن أعمال أهل الجحيم، وإنما يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى المغضوب عليهم من المرض الذي ضرره أشد من ضرر أمراض الأبدان.

والثاني: أن نفس ما هم عليه من الهدي، والخلق، قد يكون مضرًا، أو منقصًا، فينهى عنه ويؤمر بضده، لما فيه من المنفعة والكمال، وليس شيء من أمورهم إلا وهو:

إما مضر؛ أو ناقص، لأن ما بأيدهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها: مضرة، وما بأيديهم -مما لم ينسخ أصله- فهو يقبل الزيادة والنقص فمخالفتهم فيه: بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملاً قط، فإذا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم، حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم قد يكون مضرًا بأمر الآخرة، أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا فالمخالفة فيه صلاح لنا[1].

وبالجملة: فالكفر بمنزلة مرض القلب، وأشد، ومتى كان القلب مريضًا؛ لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة، وإنما الصلاح: أن لا تشبه مريض القلب في أموره وإن خفي عليك مرض ذلك العضو، لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن يؤثر في الفرع.

ومن ثم فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة؛ ولهذا كان الإمام احمد بن حنبل وغيره من الأئمة يعللون الأمر بالصبغ بعلة المخالفة، قال حنبل: سمعت أبا عبدالله يقول: ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب، ولا يتشبه بأهل الكتاب لقول النبي ﷺ: ((غَيِّرُوا الشَيْبَ ولا تَشَبَّهُوا باليَهُودِ))[2][3].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: حث المسلم على التميز في مظهره وعدم تقليد غير المسلمين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم" وفي ذلك حث المسلم على التميز في مظهره وعدم تقليد غير المسلمين وذلك لأن الله بعث محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور منها:

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. ناصر بن عبدالكريم العقل١/١٩٧، ١٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ١٧٥٢ وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٤٣٣).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/١٩٨ - ٢٠٠.

أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس؛ فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة -مثلاً- يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم متقاضيًا لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التميز ظاهرًا، بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر، إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم؛ كان شعبة من شعب الكفر فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن إليه[1].

ومن أجل ذلك كان حث المسلم عن التميز في مظهره وعدم تقليد اليهود والنصارى.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ١/٩٣، ٩٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتنفير:

قد تحتاج التربية على ترك أمر ما، إلى تنفير المتربي عن القيام بالأمر المنهي عنه، لما في التنفير من خلق سياج نفسي في قلب المتربي يحول بينه وبين الفعل المنهي عنه.

وهذا الأسلوب في التربية قد ترائى جليًا في أحاديث الباب من تنفير النبي ﷺ لأمته من الأكل أو الشرب بالشمال، وذلك ببيان أن هذا الفعل المرذول تشبهًا بالشيطان، وذلك في قوله ﷺ: «لاَ تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ»، وقوله ﷺ: «لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

وذكر الشيطان هنا يكفي لتنفير النفس الطيبة، من التشبه بأفعال الشيطان وشؤم ودناءة تقليده.

وقد ورد التنفير أيضًا من التشبه بالكفار، وذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لاَ يَصْبُغُونَ. فَخَالِفُوهُمْ». فالتنفير أداة يحسن بالمربي استخدامها في تحقيق ثمرة استجابة المتربي لترك الأمر المنهي عنه، وقد عجت السنة النبوية ببيان هذا الأسلوب التربوي حتى يتدارك المربون والمعلمون عظم أهمية هذا الأسلوب في تربية النشء المسلم، ولعل أمثل الأدلة على ذلك تنفير النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنه من أكل الصدقة، وذلك في قوله: «كِخْ كِخْ» ليطرحها، ثم قال: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»[1].

ثانيًا: التربية على استقلال الشخصية الإسلامية:

إن مما ينبغي أن يُعنى به كل مربي، مراعاة استقلال شخصية المتربي والحفاظ عليها من كل ما يطمس ملامحها أو يزيل حسن سمتها.

فكما أن للإسلام جوهر وضيء، فإن له سمت ظاهر جميل، يخالف فيه كل من عاداه من اليهود والنصارى، وهذا ما يستفاد جليًا في حديث الباب من قوله ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لاَ يَصْبُغُونَ. فَخَالِفُوهُمْ».

---

(١) أخرجه البخاري، ١٤٩١.

لذا وجب على دعاة التربية والتوجيه بيان أن التشبه بالكفار وتقليد الفساق في توافه الأمور، ومستهجن العادات، ومرذول الأخلاق؛ كتقليدهم في نحو الملبس، وقصات الشعر، وطريقة الأكل، ونحو ذلك، مما يوهن أمتهم، ويجعلهم عثرات تعترض طريق نهوضها، أو تجعله - على الأقل بطيئًا.

ومتى كثر في الناس أمثال هؤلاء الذين لا يميزون في محاكاتهم السيئة من الحسنة - أوشكت الأمة أن تفقد هدايتها، وتتجرد من معاني أصالتها وعزتها... وعلى المتربين والمتعلمين أن يعلموا أن الأمة العزيز هي التي تعرف مقدار ما تأخذ، ومقدار ما تعطي، ونوع ما تأخذ، ونوع ما تعطي، فنفرق بين محاكاة الأجنبي المحمود، ومحاكاة المنبوذة، سالكة بذلك طريقًا وسطًا، يكفل سعادة الأولى والآخرة[1].

❁ ❁ ❁

(١) رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ٤٦٩.

٢٩٤- باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

الحديث رقم (١٦٣٩)

١٦٣٩ - عن جابر رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ (والِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما)[١]، يَومَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضاً. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((غَيِّرُوا هَذَا[٢] وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ)). رواه مسلم[٣].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الثَّغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب، وقيل: هي شجرة تَبْيَضُّ كأنها الثلج[٤].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأوحد في باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد، والنهي للتحريم ولا يباح إلا للجهاد وإرهاب العدو كما قال العلماء، والحديث ليس قولاً وعظياً، وليس توجيهاً كلامياً، وإنما هو مشهد واقعي يُعلم فيه رسول الله صحابته والمسلمين أجمعين درساً من دروس النبوة، ومعياراً من معايير الشخصية الإسلامية وأول درس يتلقاه أبو قحافة رضي الله عنه في الإسلام: هو ترك عادات المشركين والكفار، لأنه أسلم يوم فتح مكة، ورآه رسول الله ﷺ ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، وقد مات في خلافة عمر رضي الله عنه، وبناء الفعل للمجهول في قوله: "أتى بأبي قحافة": يرشد إلى أن الرجل

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) عند مسلم زيادة: (بشيء).

(٣) برقم (٢١٠٢/٧٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث غ م).

لم يأت طواعية، أو لكبر سنه، وجملة: ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً تصور حاله وسمته وهيئته: لأن الجملة في موقع الحال: فهي في المقال حال، وفي الواقع تصوير لحال الرجل الكائن عليها.

وهذه الصورة الدقيقة البليغة المستمدة من البيئة تنبئ عن قيمة التصوير الأدبي في البلاغة النبوية، فالتصوير الأدبي في البيان النبوي، يجمع بين الجمال والجلال، وبين المهابة والحلاوة، وبين الإقناع والامتاع، يغذي العقول، ويمتع الأسماع[1].

وهذه الصورة التي قدمت هيئة أبي قحافة للمتلقي، كأنه ماثل للعيان، مشاهد لا تخطئه الأبصار، والمشبه به فيه غرابة لفظية، "كالثغامة"، وهذه الغرابة تتفق مع هيئة أبي قحافة رضي الله عنه التي استغربها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "غيروا هذا، واجتنبوا السواد".

والثغامة: نبات أبيض الزهر يُشَبَّه به الشيب، حيث تبيض اللحية كأنها الثلج.

وورد النهي عن ذلك في صيغتين للأمر، حيث قال: "غيروا هذا، واجتنبوا السواد"، واسم الإشارة جاء لتحديد المشار إليه وهو الشيب الذي بدا كالثلج والثغامة بياضاً، وقيل الأمر في الفعلين للوجوب: فالتغير واجب، واجتناب السواد واجب، والله اعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: تاريخ الدعوة: فتح مكة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تغيير لون بياض الشعر.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

أولاً- تاريخ الدعوة: فتح مكة:

يظهر ذلك في قول جابر رضي الله عنه: "أُتي بأبي قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم فتح مكة".

ولقد شهد العام الثامن للهجرة حدثاً هاماً كان بعيد الأثر في حياة الدعوة، ذلك هو فتح مكة الذي كان إيذاناً بانتهاء الوثنية في جزيرة العرب، والقضاء عليها، فما

---

(١) انظر: الحديث النبوي، رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم.

كادت مكة تدخل في حوزة الإسلام، ويكسر رسول الله ﷺ الأصنام المنصوبة في جوف الكعبة، وينطلق صوت بلال بالأذان من فوق الكعبة حتى سارعت القبائل تعلن ولاءها، وتقدم وفودها إلى المدينة تبايع رسول الله ﷺ حتى عرف العام التاسع بعام الوفود. وهكذا ساد الإسلام أرجاء الجزيرة، وبدأت القبائل تنظم حياتها على ضوء تعاليم الإسلام، بما تتلقاه من توجيهات النبي ﷺ وتعليمه لها، وانطلق ولاته ﷺ إلى مواطن القبائل يقومون بأمور الحكم والقضاء والدعوة[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اتباع هدي النبي ﷺ في تغيير لون بياض الشعر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ لأبي قحافة رضي الله عنه: "غيروا هذا واجتنبوا السواد".

قال القاضي عياض: (اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخضاب وفي جنسه، فرأى بعضهم أن ترك الخضاب أفضل، وبقاء الشيب أولى من تغييره. ورووا حديثاً في نهي النبي ﷺ عن تغيير الشيب، وأنه لم يغير هو شيبه ولا اختضب، وممن ذكر ذلك عنه علي، وعمر، وأُبي في آخرين، قال: فرأى آخرون: الخضاب أفضل وخضب جماعة من الخلفاء والصحابة والتابعين فمن بعدهم، واحتجوا بأمر النبي بالخضاب بالأحاديث التي ذكر مسلم وغيره في ذلك.

ثم اختلفوا: فكان أكثرهم يخضب بالصفرة، منهم علي وابن عمر وأبي هريرة، في آخرين، وكان منهم من يخضب بالحناء وبالكتم، ومنهم يصبغ بالزعفران، وكان منهم من يخضب بالسواد وذكر ذلك عن عمر، وعثمان، والحسن، والحسين، وعقبة بن عامر لومحمد بن علي، وعلي بن عبدالله بن عباس، وعروة وابن سيرين، وأبي بردة في آخرين، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: هو [أرغب] للزوجة، وأهيب للعدو. وكان بعضهم لا يخضب، وبه أخذ مالك وذكره عن علي بن أبي طالب، قال: وتغيير السواد أحب إليّ.

قال الطبري: والصواب عندنا أن الآثار التي رويت عن النبي ﷺ بتغيير الشيب والنهي عن تغييره كلها صحاح، وليس فيها شيء يبطل ما خالفه، لكن بعضها عام

---

(١) تاريخ الدعوة، د. محمد إبراهيم الجيوشي، ص ١٣٨.

وبعضها خاص، فالمراد بأحاديث التغيير الخصوص مما كان مثل شيب أبي قحافة. فأما الشمط[١] ففيه النهي عن التغيير والبقاء على الشيب. واختلاف السلف في فعل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك، مع أن الأمر والنهي في ذلك ليس على الوجوب للإجماع على هذا؛ ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض خلافه في ذلك، ولا يصح أن يقال: إن أحدهما نسخ الآخر؛ لعدم دليل ذلك ومعرفة المتقدم من المتأخر من ذلك.

وقال غيره: الأمر في ذلك على وجهين وحالين:

أحدهما: عادة البلد، فمن كانت عادة موضعه ترك الصبغ أو الصبغ فخروجه عن المعتاد شهرة تقبح [وبلده].

والثاني: اختلاف الناس في حال شيبهم، فرب شيبة نقية هي أجمل منها مصبوغة، ومنهم من يستبشع منظر شيبه فالصبغ أولى به.

قال أهل العلم: وللخضاب فائدتان:

إحداهما: تنظيف الشعر مما يتعلق به مما يغير بياضه من الغبار والدخان ويسمج لونه.

والأخرى: مخالفة أهل الكتاب؛ لقوله ﷺ في الحديث ذلك كما تقدم، ويكون مخالفتهم لمعنيين: أحدهما: لئلا يعتقدوا التسنن بهم، كما قالوه في غير ذلك، وقد كان يجب موافقتهم حتى أمر بمخالفتهم. الثاني: إظهار الشبيبة والكهولة للأعداء وغيظ الكفار. وفيه -أيضاً- ما تقدم في حق النساء والمباعلة[٢].

قال النووي: (ومذهبنا استحباب خضاب الشيب للرجل والمرأة بصفرة أو حمرة ويحرم خضابه بالسواد على الأصح. وقيل يكره تنزيهًا والمختار التحريم لقوله ﷺ: "اجتنبوا السواد" هذا مذهبنا)[٣]. فينبغي اتباع هدي النبي ﷺ وتوجيهاته في تغيير لون

---

(١) الشمط: اختلاط الشيب بالشعر، وقيل: هو أن يعلو البياض في الشعر السواد، وقيل: هو اختلاط البياض بالسواد. انظر: لسان العرب، ابن منظور مادة شمط.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٦٢٤-٦٢٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٢٨.

بياض الشعر. وقال العظيم آبادي: (والحديث يدل على ان الخضاب غير مختص باللحية وكراهة الخضاب بالسواد)[١].

وقال ابن عثميين: (ففي هذا دليل على أن الأفضل أن الإنسان يغير الشيب بصبغه، لكن بغير الأسود، إما بالأصفر كالحناء، أو بالأصفر الممزوج بالكتم، والكتم أسود فإذا مزج الأصفر بالأسود ظهر لون بني، فيصبغ الإنسان بالبني أو بالأصفر، كما أمر بذلك النبي ﷺ، ولولا المشقة والمؤونة على بعض الناس لكان يفعل ذلك، لكن مراعاة ومراقبة، ويخرج أسفل الشعر أبيض وأعلاه مصبوغاً.

وفي قوله "جنبوه السواد" دليل على أنه يمنع اللون الأسود، لأن السواد يعني أنه يعيد الإنسان شاباً، فكان مضادًا لفطرة الله عز وجل وسنته في خلقه، وأما بقية الأصباغ فلا بأس بها، إلا السواد، لأن النبي ﷺ نهى عنه[٢].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ويظهر ذلك في قوله ﷺ: "غيروا هذا واجتنبوا السواد"؛ حيث أمر بتغيير لون بياض الشعر واجتناب التغيير بالسواد. وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين وأمرهم بها مما يجعلهم يستجيبون لها.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٧٩٥.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٣٢/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الجمالية:

لقد حث الإسلام المتربين على الاهتمام بالشكل الخارجي، والجمال الحسي، فضلاً عن اهتمامه بالجمال الروحي، وذلك ظاهر جلي في قوله ﷺ عندما رأى أبا قحافة والد أبي بكر الصديق وقد قدم عليه يوم فتح مكة ورأسه قد شاب شعرها فصار كالثغامة، وهو نبت أبيض الزهر، فقال ﷺ: «غَيِّرُوا هذَا، وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ»، وذلك حرص منه ﷺ على أن يظهر المسلم بمظهر جميل، دون إسراف في التجمل، فلا مانع من تخضيب الشعر الأبيض بأي لون خلا اللون الأسود؛ لأن ذلك فيه تدليس وغش، وتشبه بالشباب في حين أن صاحبه جاوز الشباب.

إن من الأمور المستحبة التي عنى بها الإسلام حسن هيئة المرء؛ لأنها مرتبطة بنظافته ارتباطًا وثيقًا، ومن نتائج ذلك اتسام المرء بالمنظر الجميل والهيئة الحسنة، إذا يهتم بتسريح شعره[1]. وما إلى ذلك من أنواع التجملات، ومنها تخصيب الشيب، حتى يبدو جميلاً مشرقًا، حتى يسر المرء إخوانه، ومن نظر إليه، لأن سرور الناظرين لا يتم إلا أن تقع أبصارهم على فراهة وحيوية ونشاط... فهذا هو الشائع في طباع الناس؛ أن يعجبوا بالحيوية والاستواء ويسروا، وأن ينفروا من الهزال والتشويه ويشمئزوا[2].

ثانيًا- التربية بالملاحظة:

وذلك أنه ﷺ لاحظ أبا قحافة، وأبدى تعليقه على هذه الملاحظة، فبمجرد أن رأى شيب شعره، فأمره بتغييره إلى لون آخر غير السواد؛ حتى يبدو جميلاً، وهذا من مهام المربي الرئيسية، أن يلاحظ كل تغير يطرأ على المتربين، فيأمر بتغييره إذا كان سيئًا، ويحث على الزيادة فيه إن كان حسنًا؛ وذلك إشارة إلى تفاعل المربي مع تلاميذه،

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون، ٢٥/٥٠.

(٢) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع محمد علي المانع، ص٤١، نقلًا عن الشيخ سيد قطب في ظلال القرآن.

وشعوره بهم، واهتمامه ورعايته لهم في كل أحوالهم؛ حتى يكون أمره مطاعًا، وكلامه مقنعًا بالنسبة لهم.

إن المنهج القويم للتربية الإسلامية لو أخذ به المربون لأصبح المتربون قرة عين لهم، ولبنة صالحة في بناء المجتمع، ولقد أوصى علماء التربية أن يكون المربي ملاحظًا لمن تعهد تربيته أينما توجه، فيلاحظه في نفسه ومزاجه العصبي، وفي كل شيء؛ ليكون رجلاً مؤمنًا نقيًا؛ له في القلوب احترام، وفي النفوس إجلال، وبين الناس مقام محمود، وما ذلك ببعيد؛ إن أحسنت تربيته، وقام على أمره وأدى ما عليه نحوه من حقوق ومسئوليات[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٧٥٠، ٧٥١ بتصرف.

٢٩٥- باب النهي عن القَزَع وَهُوَ حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حَلقِهِ كُلّهِ للرجل دون المرأة

الحديث رقم (١٦٤٠)

١٦٤٠ - عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عن القَزَعِ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

القزع: حلق بعض الشعر وترك بعضه متفرقًا مأخوذ من قطع السحاب الصغار المتفرقة[٢].

الشرح الأدبي

إن المسلم مطالب بأن يكون حسن الهيئة، حسن الصورة، نظيف الثياب، طاهر الإهاب، متسمًا بالوضاءة والإشراق.

وهذا الحديث يعنى بالصورة الحسية للمسلم، ومن مظاهر القبول والحسن، أن لا يحلق بعض الشعر ويترك بعضه في صورة مزرية غير مشذّبة ولا مهذبة، وجاء تصوير هذه الحالة في كلمة واحدة وهي "القزع"، حيث نهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

وإذا تأملنا المدلول اللغوي لهذه الكلمة أدركنا سر نهي رسول الله ﷺ عن ذلك، فالقزع: قطع من السحاب، وهو جمع والمفرد منه: قزعة، ولذلك قالوا: في تفسير هذه الصورة البليغة القزع: أن يحلق رأس الصبي، وتترك مواضع متفرقة منه غير محلوقة، تشبيها بقزع السحاب؛ والقزع كذلك، ما يتحات من الصوف ويتناتف في الربيع، وهو أيضًا غثاء الوادي، ولغام الجمل على نخرته، والمقزع من الخيل: ما ننتف ناصيته حتى ترق، والخفيف الناصية خلقة، ومن ليس على شعره إلا شعرات متفرقات تطاير في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٠)، ومسلم (٢١٢٠/١١٣) وهو جزء من الحديث.

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٣٣٠.

الريح، فتأمل هذه الصور الموحية التي تموج بها كلمة واحدة قالها رسول الله ﷺ وهي القزع، ونهى عنها لأنها تؤدي إلى مثل هذه الصور المثيرة للسخرية والنفور، وتغيير خلق الله، وفي هذه الكلمة وحدها استعارة تصريحية حيث شبه رأس الصبي، أو رأس الذي يحلق رأسه ويترك بعضه غير محلوق، بقطع السحاب المتفرقة، أو بالعهن المنفوش، أو بلغام الجمل ونخرته، أو بناصية الفرس التي تنتف حتى ترق، وغير ذلك من هذه الصور التي تجسد هذا المنظر الغريب، وحذف المشبه وبقي المشبه به وهو القزع، وعلى ذلك الفعل من باب الاستعارة التصريحية الدالة.

فقه الحديث

في الحديث أنه يكره حلق بعض الرأس، وترك بعضه، وهو ما يعرف بالقزع وهو حكم متفق عليه بين الفقهاء[1].

والحكمة في كراهته، أنه يشوه الخلقة، وقيل هو زي أهل الشر، وقيل: لأنه زي اليهود[2].

ويكره حلق القفا لمن لم يحلق رأسه، ولم يحتج إليه لحجامة أو غيرها، لأنه من فعل المجوس، ومن تشبه بقوم فهو منهم[3].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٠٧/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٠٦/٢، والقوانين الفقهية لابن جزي ٢٩٣/١، والمهذب ٢٤١/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ١٠٥/١، والمحرر في الفقه ١١/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٧/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٤٥/١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠١/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥٤/١.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٧/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٤٥/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تميز المسلم في مظهره وفي حلق شعره والالتزام بما ورد عنه ﷺ.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية تميز المسلم في مظهره وفي حلق شعره والالتزام بما ورد عنه ﷺ:

يظهر في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "نهى رسول الله ﷺ عن القزع".

وفي قول ابن عمر رضي الله عنهما: "رأى رسول الله ﷺ صبيًا قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال: احلقوه كله، أو اتركوه كله".

قال النووي: (وأجمع العلماء على كراهية القزع إذا كان في مواضع متفرقة إلا أن يكون لمداواة ونحوها وهي كراهة تنزيه، وكرهه مالك في الجارية والغلام مطلقًا وقال بعض أصحابه: لا بأس به في القصة والقفا للغلام ومذهبنا كراهته مطلقًا للرجل والمرأة لعموم الحديث. قال العلماء: والحكمة في كراهته أنه تشويه للخلق، وقيل: لأنه زي أهل الشر والشطارة وقيل لأنه زي اليهود[2].

وقال ابن عثيمين: (نهى رسول الله ﷺ عن القزع والقزع أن يحلق بعض الرأس ويترك بعضه، سواء كان من جانب واحد أو من كل الجوانب، أو من فوق، ومن يمين، ومن شمال، ومن وراء، ومن أمام، المهم أنه إذا حلق بعضه وترك بعضه فهذا قزع وقد نهى عنه النبي ﷺ. وذكر حديث ابن عمر الآخر أن صبيًا أُتي به النبي ﷺ وقد حلق بعض رأسه وترك بعضه فقال: احلقوه كله أو اتركوه كله)[3].

فينبغي على المسلم الالتزام بما ورد عنه ﷺ في حلق الرأس كله أو تركه كله.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٤٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٤١).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٣٧.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٣٣.

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "احلقوه كله، أو اتركوه كله".

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في بيان الحقائق للمدعوين ويحثهم على الاستجابة لها ويستخدم في ذلك أسلوب الأمر من أجل استشعارهم بأهمية الاستجابة للدعوة.

ثالثًا- من آداب الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "رأى رسول الله ﷺ صبيًا قد حلق بعض رأسه وترك بعضه، فنهاهم عن ذلك وقال:"احلقوه كله، أو اتركوه كله".

وفي ذلك تفقد منه ﷺ لأحوال المسلمين وتوجيههم إلى الخير والصالح. وتفقد أحوال المدعوين يترك أثره البارز في نفوسهم، وهو دليل على حسن خلق صاحبه وتواضعه، لذا فلا غرو أن يكون للنبي ﷺ من ذلك النصيب الأوفى، عن عثمان رضي الله عنه قال: ((إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناسًا يعلموني به، عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط))[1]. وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتفقدون أحوال المسلمين ويوجهوهم إلى ما فيه صالحهم اقتداء برسول الله ﷺ؛ فعن سالم بن عبدالله عن أبيه: ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ. فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيَّةُ سَاعَةٍ هذِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَىٰ أَهْلِي حَتَّىٰ سَمِعْتُ النِّدَاءَ. فَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ أَنْ تَوَضَّأْتُ. قَالَ عُمَرُ: وَالْوُضُوءَ أَيْضًا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ))[3].

قال النووي: (وفيه تفقد الإمام رعيته وأمرهم بمصالح دينهم والإنكار على مخالف السنة)[4].

فينبغي للداعية الاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم في تفقد أحوال المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه صالح دينهم ودنياهم.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ١/٧٠ رقم ٥٠٤ وقال محققو المسند: إسناده حسن ١/٥٣٢.

(٢) تربية الشباب الأهداف والوسائل، محمد عبدالله الدويش، ٢٠٦.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٨٧٨، ومسلم برقم ٨٤٥.

(٤) شرح مسلم، النووي، ص ٥٥٦.

الحديث رقم (١٦٤١)

١٦٤١- وعنه، قَالَ: رأى رسُولُ اللهِ ﷺ صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأسِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وقال: ((احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ)). رواه أَبُو داود بإسناد[1] صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف: تفسير عملي للنهي عن القزع في الحديث السابق، وراوي الحديثين واحد وهو ابن عمر رضي الله عنهما فالنهي عن القزع مرتبط بموقف وهو رؤية رسول الله للصبي الذي حُلِقَ بعض رأسه وتُرِكَ بعضه، على غير تهذيب ولا تشذيب فصار كأنه الصوف المنتوف، أو السحاب المتفرق.

ولم يُسم الصبي في الحديث؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالنهي موجه إلى كل الآباء الذين يحرصون على حسن مظهر أبنائهم؛ وحتى لا يتعود الصبي على ذلك.

وقيل في تعليل النهي عن القزع؛ لأنه زي أهل الشر والشطارة أي اللصوصية، فالشطّار في اللغة هم اللصوص والسراق وقاطعوا الطريق، وقيل إن ذلك من سمت اليهود وزيهم.

والضمير في قوله: "فنهاهم" عن ذلك: يرجع إلى الآباء الذين يشرفون على حلاقة الأبناء، أو إلى الحلاقين الذين يقومون بالحلاقة أو إلى السيد الذي يملك الصبي الرقيق، في ذلك الزمن.

وقوله عن ذلك لمزيد من التحديد، واسم الإشارة هنا للبعيد إشارة إلى بعد هذا الفعل عن الفطرة السوية، والمظهر المتوازن الذي يجب أن يكون سمت كل مسلم.

---

(١) برقم (٤١٩٥). صحّحه ابن حبان (الإحسان ٤١٩٥)، وأخرجه مسلم (بعد حديث رقم ٢١٢٠/١١٣، بثلاثة أحاديث، بدون رقم) ولم يسق لفظه.

وصيغة الأمر التي تكررت مرتين في ختام الحديث في قوله "احلقوه كله أو اتركوه كله"، تعلن عن وجوب اتباع أمر رسول الله ﷺ: لأن القزع تشويه للخلقة، والله خلق الإنسان في أحسن تقويم، والمسلم لابد أن يحرص على حسن المظهر، ونظافة الثوب والبدن والمكان.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٤٢)

١٦٤٢- وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، أمْهَلَ آلَ جَعْفَر ثَلاثًا[١]، ثُمَّ أتَاهُمْ فَقَالَ: ((لاَ تَبْكُوا عَلَى أخِي بَعْدَ اليَوْمِ)) ثُمَّ قَالَ: ((ادْعُوا لِي بَنِي أخِي)) فَجِيءَ بِنَا كَأنَّنَا[٢] أفْرُخٌ، فَقَالَ: ((ادْعُوا لِي الحَلاَّقَ)) فَأمرَهُ، فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا. رواه أبُو داود بإسناد[٣] صحيح عَلَى شرط البخاري ومسلم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٩٨).

غريب الألفاظ:

أفرخ: جمع فرخ وهو ولد الطائر[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مشهد من مشاهد السيرة النبوية العطرة المضيئة بجلائل الآثار، وجميل الأخبار، وهذا المشهد يرويه عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما، وهو أحد الأبناء الذين واساهم رسول الله ﷺ، ورعاهم بعد موت أبيهم، جعفر أبي طالب رضي الله عنه الذي لقب "بذي الجناحين" لأنه أمسك الراية بعضديه بعد ما قطعت ذراعاه في غزوة مؤتة.

ويبدأ الحديث بالتأكيد على لسان عبدالله بن جعفر أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا: أي ثلاث ليالي أو ثلاثة أيام، وقوله: "ثلاثًا" على تقدير ثلاث ليال: لتغليب لفظ الليالي في هذا السياق الحزين لأن التعبير بالليل فيه إيحاء بالحزن أو غياب الضوء الذي يتواءم مع الجو النفسي المسيطر على هؤلاء الأبناء عقب استشهاد أبيهم؛ والتعبير بقوله: "ثم" يفيد الإمهال والتأني إلى أن تخف حدة الحزن، ولذلك ندرك السر في اختيار الفعل

---

(١) عند أبي داود زيادة: (أن يأتيهم).

(٢) لفظ أبي داود كما أشار إليه المحقق في الهامش: (كأنا).

(٣) برقم (٤١٩٢).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ر خ).

"أمهل" وتفضيله على أي فعل مرادف يؤدي المعنى نفسه، ولكنه لا ينقل الجو النفسي المحيط بالموقف، والعطف بالفاء في قوله: فقال: يعلن عن حرص الرسول ﷺ على سرعة تجاوز لحظة الضعف والحزن، واللجوء إلى الصبر والاحتساب، ولذلك ورد النهي صريحًا مباشرًا إلى جميع آل جعفر في قوله. "لا تبكوا على أخي بعد اليوم"، وتأمل ما وراء كلمة "أخي" من معانٍ مشعة وأطياف تتماوج بالمحبة والأخوة والمودة القربى، وذلك لطمأنة أبناء ذلك الشهيد بأنهم في كنف أخي أبيهم وابن عمه وعمهم رسول الله ﷺ، والعطف بـ"ثم" في قوله: "ثم قال" يرشد إلى تمهل رسول الله ﷺ بعد أمره بعدم البكاء على أخيه جعفر رضي الله عنه حتى يترك مساحة لآله الحزانى لكي يتخلصوا من مثيرات الشجن، وملابسات الحزن.

وبعد أن وَعَوْا أمر الحبيب المصطفى ﷺ قال: "ادعوا لي بني أخي"، وقوله: "لي"، فيه إيناس وتلطف وكأنها دعوة شخصية خاصة لمزيد من الرعاية والإيناس والمواساة، وقوله: "بني أخي" يضاعف من الاطمئنان، ويدعو أبناءه للامتثال والكف عن البكاء، لأن أباهم مع الشهداء وهم عند ربهم أحياء يرزقون.

وتأمل دقة الصورة، وبلاغة التشبيه في قوله: "كأننا أفرخ" فهي صورة موحية دالة ناطقة مصورة لحال هؤلاء الأبناء فهم مازالوا صغارًا خائفين وجلين يتملكهم الحزن لموت أبيهم.

والمشهد المتحرك في ختام الحديث يجسده العطف بالفاءات المتتالية: "فقال ادعوا لي الحلاق، فأمره فحلق رؤسنا".

والأمر بحلق الرءوس فيه تنفيذ للسنة، وتنفيذ للنهي عن القزع لأنه حلق الرءوس جميعها وقيل أن الأمر بالحلق ليكون كالتفاؤل بإزالة الحزن وانجلاء الكرب.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام ما يأتي:

١- على الكبير من أقارب الأطفال أن يتولى أمرهم، وينظر في مصالحهم[1]، كما فعل رسول الله ﷺ مع أبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥٥/١.

٢- وفي الحديث جواز حلق جميع الرأس، وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[١]، حتى إن ابن عبدالبر قد حكى الإجماع على ذلك فقال: (وقد أجمع العلماء على إباحة الحلق وكفى بهذا من حجة)[٢].

وذهب بعض المالكية[٣]، والإمام أحمد[٤] في رواية أن الحلق مكروه، واستدلوا على ذلك بما رواه الدارقطني أن رسول الله ﷺ قال: ((لا توضع النواصي إلا في حج أو عمرة))[٥].

ولما روي أن رسول الله ﷺ قال في الخوارج: "سيماهم التحليق"[٦] فجعل التحليق علامة لهم.

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٠٧/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٠٦/٢ وفيه (وقال الأجهوري: والقول بعدم الكراهة ولغير العمم أولى) والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٦٣/١، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٧/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٩/١ وفيه (ولا يكره لذكر حلق رأسه)، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٦/١، والمحرر ١١/١.

(٢) انظر: في نقل ذلك عن ابن عبدالبر، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٥/١.

(٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٠٦/٢ وفيه (قال القرطبي: كره مالك حلق الرأي لغير المتحلل في الإحرام) وأيضًا: القوانين الفقهية لابن جزي ٢٩٣/١.

(٤) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٦/١، والمحرر ١١/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٤٥/١.

(٥) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٢٢/١ .

(٦) البخاري، كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق، رقم ٧٥٦٢.

والراجح:

هو ما ذهب إليه الجمهور من جواز حلق جميع الرأس، أما ما استدل به القائلون بالكراهة فمحمول على الحلق بالموسى، أما بالمقراض فليس به بأس كما قال بذلك أحمد[١]. وهذا في حق الرجال أما حلق النساء فيدل عليه الحديث الآتي.

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل مواساة أهل الميت والنهي عن البكاء والنياحة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على حلق الرأس وعدم حلق البعض دون البعض.

خامسًا: من أصناف المدعوين: النساء.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: حث المرأة على عدم حلق شعرها.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم".

دل هذا الحديث على فضل جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه حيث وصفه ﷺ بأنه أخيه.

وفضائله رضي الله عنه كثيرة فهو ابن عم رسول الله ﷺ وأحد السابقين إلى الإسلام وأخو على شقيقه[٣].

وقد عقد البخاري بابًا في الصحيح في فضائله فقال: (باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه)[٤]. وكذلك فعل مسلم فجمع في فضائله بعض الأحاديث فقال: (باب فضائل جعفر بن أبي طالب)[٥].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٥/١.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٤٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٤٣).

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٩١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب رقم ١٠.

(٥) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب رقم ٤١.

قال الذهبي في ترجمته: جعفر بن أبي طالب: (السيد الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبدالله، ابن عم رسول الله ﷺ، عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمي، أخو علي بن أبي طالب، وهو أسنُ من علي بعشر سنين.

هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فأقام بالمدينة أشهرًا، ثم أمره رسول الله على جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك، فاستشهد. وقد سُر رسول الله ﷺ كثيرًا بقدومه، وحزن والله لوفاته.

قال الشعبي: تزوج علي رضي الله عنه أسماء بنت عميس، فتفاخر ابناها محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر. فقال كل منهما: أبي خير من أبيك. فقال علي: يا أسماء! اقضي بينهما. فقالت: ما رأيتُ شابًا كان خيرًا من جعفر، ولا كهلاً خيرًا من أبي بكر. فقال علي: ما تركت لنا شيئًا، ولو قلتِ غير هذا لمقتك. فقالت: والله إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار.

وعن الشعبي، عن عبدالله بن جعفر قال: ما سألت عليًا شيئًا بحق جعفر إلا أعطانيه.

وعن أبي إسحاق، عن البراء: إن رسول الله ﷺ قال لجعفر: ((أشبهت خلقي وخلقي))[1].

وعن أبي هريرة قال: ((ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ، أفضل من جعفر بن أبي طالب))[2] يعني في الجود والكرم.

عن أبي هريرة قال: ((وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فنشقها فنلعق ما فيها))[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٥١.

(٢) أخرجه أحمد ٤١٣/٢ رقم ٩٣٥٣، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط البخاري ٢٠٦/١٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٠٨.

وعن الشعبي قال: لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر، تلقاه جعفر، فالتزمه رسول الله ﷺ وقبل بين عينيه، وقال: ((ما أدري بأيهما أنا أفرح: بقدوم جعفر، أم بفتح خيبر))[1].

قال ابن إسحاق: وهو أول من عقر في الإسلام وقال:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وباردٌ شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... علي إن لاقيتها ضرابها

وعن خالد بن سُمير قال: قدم علينا عبدالله بن رباح، فاجتمع إليه ناس، فقال: حدثنا أبو قتادة قال: بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء، وقال: عليكم زيد، فإن أصيب، فجعفر، فإن أصيب جعفر، فابن رواحة. فوثب جعفر، وقال: بأبي أنت وأمي! ما كنت أرهب أن تستعمل زيدًا عليّ. قال: امضوا، فإنك لا تدري أي ذلك خير، فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر، وأمر أن ينادى: الصلاة جامعة. قال ﷺ ألا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي، إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فأصيب زيدٌ شهيدًا، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على الناس حتى قتل شهيدًا، اشهد له بالشهادة فاستغفرو له، ثم أخذه ابن رواحة، فأثبت قدميه حتى أصيب شهيدًا فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد، ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه، فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه وقال: اللهم هو سيف من سيوفك فانصره -فمن يومئذ سمي خالد سيف الله- ثم قال: انفروا فامددوا إخوانكم ولا يتخلفن أحد. فنفر الناس في حر شديد[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((رأيت جعفر بن أبي طالب ملكًا يطير مع الملائكة بجناحين))[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢١١/٣ رقم ٤٩٩٤ وقال: هذا حديث صحيح، إنما ظهر بمثل هذا الإسناد الصحيح مرسلًا. وقال الذهبي: هو الصواب.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٩/٥، ٣٠٠-٣٠١ برقم ٢٢٥٥١، ٢٢٥٦٦ وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٥٧/٣٧، ٢٥٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٠٩/٣ رقم ٤٩٨٨ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال الشعبي: كان ابنُ عمر إذا سلَّم على عبدالله بن جعفر قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين[١])[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل مواساة أهل الميت والنهي عن البكاء والنياحة:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ، أمهل آل جعفر ثلاثًا ثم آتاهم فقال: "لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ثم قال: "ادعوا لي بني أخي" فجيء بنا كأننا أفرخ فقال:"ادعوا لي الحلاق".

فمجيء رسول الله ﷺ إلى آل جعفر بن أبي طالب يدل على حرصه على مواساته لهم وعلى حثهم على ترك البكاء والنياحة عليه.

وقد كان رسول الله ﷺ دائمًا حريصًا على مواساة من أصابته مصيبة في موت عزيز عليه وتصبيره وتوجيهه إلى ما فيه خيره. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أنَّ أمَّ الرُّبَيِّع بنتَ البَراءُ وهي أمُّ حارثةَ بنِ سُراقةَ أتَتِ النبيَّ ﷺ فقالت: يا نبيَّ الله ألا تحدِّثني عن حارثةَ - وكانَ قُتلَ يومَ بَدْرٍ أصابَهُ سهمٌ غربٌ - فإن كان في الجنَّةِ صبَرتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهَدْتُ عليهِ في البكاء. قال: يا أمَّ حارثةَ، إنها جِنانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابنكِ أصابَ الفِردَوسَ الأعلى))[٣].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((جيء بأبي يومَ أحُدٍ قد مُثِّلَ به حتى وُضعَ بينَ يَدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ وقد سُجِّيَ ثوبًا فذهبتُ أريدُ أن أكشفَ عنهُ فنهاني قَومي، ثمَّ ذَهبتُ أكشِفُ عنهُ فنهاني قَومي، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ فرُفِعَ، فسَمِعَ صوتَ صائحةٍ فقال: مَن هذهِ ؟ فقالوا: ابنةُ عمروٍ - أو أختُ عمرو - قال: فلم تبكي؟ أو: لا تبكي، فما زالتِ الملائكةُ تُظلِّلُه بأجنِحتِها حتى رُفِعَ))[٤].

قال النووي: (فقد حصل له من الكرامة هذا وغيره فلا ينبغي البكاء على مثل هذا وفي هذا تسلية لها)[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٠٩.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٢٠٦-٢١٧.

(٣) أخرجه البخاري ٢٨٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٩٣، ومسلم ٢٤٧١.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٩٨.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "ادعوا لي بني أخي" ... و"ادعوا لي الحلاق" حيث أمر بالإتيان بأبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والإتيان بالحلاق.

وأسلوب الأمر من الأساليب التي يستخدمها الداعية في دعوة المسلمين إلى أحكام دينهم مما يجعلهم يتسابقون لتحقيقها والوفاء بالمراد منها، دون تأخر أو تلكؤ ولا تراجع.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: حث النبي ﷺ على حلق الرأس وعدم حلق البعض دون البعض:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال ﷺ: "ادعوا لي الحلاق" فأمره فحلق رؤوسنا".

قال العظيم آبادي: (وإنما حلق رؤوسهم مع أن إبقاء الشعر أفضل إلا بعد فراغ أحد النسكين لما رأى من اشتغال أمهم أسماء بنت عميس عن ترجيل شعورهم بما أصابها من قتل زوجها في سبيل الله فأشفق عليهم من الوسخ والقمل. ذكره القاري، وفي الحديث دليل على جواز حلق الرأس جميعه)[1].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ كثير من الأحاديث التي تحث على حلق جميع الشعر للذكر دون الأنثى منها عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن القَزَع))[2].

خامسًا- من أصناف المدعوين: النساء:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ، أن تحلق المرأة رأسها".

فالدعوة في هذا الحديث أصناف المدعوين فيها: النساء: ولقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في الشريعة الإسلامية سواء كانت بنتًا أو زوجة أو

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١٧٩٠.

(٢) أخرجه البخاري ٥٩٢١، ومسلم ٢١٢٠.

أمًا، فهي أم الرجال وأخت الرجال... ومربية الرجال وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء فهن نصف المجتمع وهن راعيات الأطفال وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فالعناية بالمرأة عناية بالدعوة نفسها[١].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: حث المرأة على عدم حلق شعرها:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها".

فالمرأة لا يجوز لها حلق رأسها من غير ضرورة عند الحنفية والمالكية لقول أبي موسى: ((إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَرِيءَ منَ الصالِقةِ والحالقةِ))[٢] وروى أن النبي ﷺ نهى أن تحلق المرأة رأسها قال الحسن: هي مثله.

وأما إذا كان حلق المرأة شعرها لعذر أو وجع فلا بأس به عند الحنفية والحنابلة[٣].

قال ابن حجر: (كما يحرم على المرأة الزيادة في شعر رأسها يحرم عليها حلق شعر رأسها بغير ضرورة)[٤].

---

(١) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٩٦، ومسلم ١٠٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٩٦/١٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٨٨/١٠.

الحديث رقم (١٦٤٣)

١٦٤٣- وعن عليٍّ ﷺ قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ تَحْلِقَ المَرْأةُ رَأسَهَا. رواه النسائيُّ[١].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٧٢).

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب النهي عن القزع، وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة، والمرأة لها سمتها، ولها مظهرها الجمالي، ومن شروط الزوجة الصالحة كما قال رسول الله ﷺ: ((خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإن أمرتها أطاعتك، وإن غبت عنها حفظتك))[٢]، ومن كمال جمال المرأة الذي أنعم الله عليها به هو شعرها، فهو من مصادر زينتها، وحسنها ولذلك يكمن سر النهي الذي أصدره رسول الله وهو أن لا تحلق المرأة رأسها، وذلك حفاظًا لها على جمالها، وهيئتها الحسنة، وترغيبًا لزوجها حتى لا ينفر منها، ويميل إلى غيرها، والسر الآخر في هذا النهي: هو عدم التشبه بالرجال: لأن من عادة الرجل أن يحلق رأسه أو يقصر شعره، وإذ قلدت المرأة الرجل فهو لعنة الله ولعنة رسوله، والطرد من رحمة الله عز وجل.

والمسلمة مطالبة بالحفاظ على مظهرها الحسن، وأن لا تكون مثارًا للسخرية والاستهزاء، وحلق المرأة رأسها يثير النفور والاشمئزاز من الزوج والأهل والأبناء، والجيران والمجتمع بصفة عامة، وفيه تشبه بالكاهنات البوذيات لأنهن تحلقن رءوسهن

---

(١) النسائي في الكبرى (٩٢٥١)، وفي المجتبى (٥٠٤٩). وأخرجه الترمذي (٩١٤)، و (٩١٥) وقال: ولم يذكر فيه: (عن علي). وقال: حديث عليٍّ فيه اضطرابٌ، وروي هذا الحديث عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عائشة.

(٢) أخرجه الطيالسي ٢٤٤٤، وقال محققه: حديث صحيح.

كلهن، ويمشين سافرات بهذه الصورة المنفرة، وقد نهانا رسول الله عن التشبه بالشياطين والكفار، نسأل الله الهداية والتوفيق والسداد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الجمالية:

إن من باب حرص الإسلام على الجانب الجمالي في شخصية المسلم، أن النبي ﷺ نهى عن القزع وهو حلق بعض الرأس دون الآخر؛ وذلك لما يسببه من تشويه شكل الإنسان الخارجي، وربما أثار ازدراء الآخرين، حين يرون بعض الشعر محلوقًا وبعضه طويلاً مرسلاً كما هو، ولهذا كان ﷺ عندما رأى صبيًا على هذه الحال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أو اتْرُكُوهُ كُلَّهُ»، ومن باب الحرص على جمال المرأة أيضًا فقد نهى النبي ﷺ أن تحلق المرأة رأسها، وقد كانت العرب تصنعه في الجاهلية، فمن مظاهر حزن المرأة على زوجها أنها كانت تحلق شعرها، وهذا لاشك يسيء إلى شكلها وجمالها، كما أنه لن يعيد الميت إلى الحياة، ولن يخفف الحزن عليه، إنما هو من مظاهر إيذاء الإنسان نفسه، وتشويه صورته، فضلاً عن تغيير خلق الله الذي جمّل صورته وخلقه في أحسن تقويم.

ولا شك أن المربين يحتاجون إلى أن يستلهموا هذا الجانب التربوي من أحاديثه ﷺ؛ خاصة مع شيوع الصيحات الحديثة التي تنحو منحى شاذًا من حلاقة بعض الشعر وترك الباقي، ويتبنى هذه الاتجاهات الشواذ من الغربيين ومن يقلدونهم من المسلمين، فعلى المربي أن يتعهد المتربين من هذه الناحية، فينهاهم عن التقليد الأعمى، ويذكرهم بهديه ﷺ في هذا الجانب.

كذلك فإن بعض النساء تقص شعرها، ظانة أن هذا من جمالها، ومتأسية في ذلك بأدعياء الإصلاح المحدثات، اللاتي يبرزن للناس بشعورهن مقصوصة، سافرات متبرجات، فهؤلاء ينبغي أن لا يكن قدوة للمسلمات وإنما يتوجب على المربين والمربيات توجيه الفتيات إلى سنة الرسول ﷺ، وترغيبهن فيها، وتحبيب الجمال الخلقي الطبيعي إليهن.

إن اهتمام المسلم بشكله الخارجي يجعله يظهر بالصورة اللائقة؛ نظيفًا، طاهرًا، جميلاً؛ فالمسلم يتجمل في ملبسه ومظهره دون غرور أو كبر؛ فلباسه ونعله حسن،

ورائحته طيبة، يتطهر ويتوضأ خمس مرات، استعدادًا وتجملاً للقاء ربه، مستجيبًا لأمر ربه، يأخذ الزينة عند كل مسجد، لهذا فالقيم الحضارية في الإسلام تعد المسلم الذي يحمل القيم الجمالية في باطنه وظاهره؛ ليظهر بالصورة اللائقة به[1].

ثانيًا- التربية بالملاحظة والمتابعة:

من واجبات المربي الأساسية متابعة سلوك المتربين، وتقويمها أولاً بأول، فإن وجد من المتربي سلوكًا حسنًا شجعه على الزيادة فيه، وإن وجد مسلكًا سيئًا نهاه عن ذلك وبين مساوئه، مثلما فعل النبي ﷺ عندما رأى صبيًا خلق بعض شعر رأسه وترك الباقي، فقال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ ...»؛ وهذا ناشئ عن ملاحظته الدقيقة لسائر تصرفات الناشئة والمتلقين لرسالته من حوله؛ لأن سكوته على هذا التصرف إقرار له، ورضا عنه، هذا، ما لم يحدث، إنما أمر بحلق الشعر كله أو تركه كله، وكذلك فعل ﷺ مع أبناء جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، حين مات أبوهم رضي الله عنه، فأمهلهم ثلاثة أيام، ثم أتى بالحلاّق فحلق شعرهم؛ نظرًا لطوله وإهماله بسبب وفاة أبيهم، وذلك اهتمام منه ﷺ بأهل الميت وأولاده الصغار، ومتابعة لأحوالهم، اقتضتها مهمته التربوية التي كلفه الله تعالى بها.

إن ملاحظة المتربي من أفضل أسس التربية وأظهرها؛ ذلك لأنه دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة، حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته... فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه، وإن رأى منه شرًا نهاه عنه، وحذره منه، وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة، وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عمن تعهد تربيته، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف، ويتوجه -ولا شك- نحو الزيغ والانحلال، فعندئذ يكون هلاكه المحقق، ودماره المحتوم[2].

ثالثًا- من الأساليب التربوية: التوجيه حسب الموقف:

ويظهر هذا الأسلوب في موقفين من أحاديث هذا الباب، الأول عندما رأى النبي ﷺ الصبي الذي حلق بعض شعر رأسه وترك الباقي، فاغتنم النبي ﷺ هذا

---

(١) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع محمد علي المانع، ص٤٢ بتصرف يسير.

(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ص٧٢٩، ٧٣٠. بتصرف يسير.

الموقف، ونهى عن ذلك السلوك، وقال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أو اتْرُكُوهُ كُلَّهُ»، والموقف الثاني عندما مات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وبعد موته بثلاثة أيام دعا النبي ﷺ بالحلاّق ليحلق شعر أبنائه.

إن اختيار المواقف واغتنام فرصها والأوقات المناسبة يسهل عملية التربية، ويساعد على تحقيق الأهداف وغرس الفضائل، فإذا ظهر موقف خاطئ من شخص ووضح له ما وقع فيه من خطأ... فإن لذلك وقعًا على النفس وتأثيرًا في السلوك؛ لأنه يرى النتائج أمامه، ويعايشها في نفس اللحظة، وهذا ما يذهب إليه المهتمون بالتربية[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمين ص٢٧٨.

٢٩٦- باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان

قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[النساء: ١١٧-١١٩].

الحديث رقم (١٦٤٤)

١٦٤٤ - وعن أسماءَ رضي الله عنها: أنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ ابْنَتِي أصَابَتْهَا الحَصْبَةُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، وإنِّي زَوَّجْتُهَا، أفَأَصِلُ فِيهِ؟ فقالَ: ((**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ**)) متفق عليه[١].

وفي روايةٍ[٢]: ((**الوَاصِلَةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ**)).

وعن عائشة رضي الله عنها نحوهُ. متفق عليه[٣].

ترجمة الراوي:

أسماء بنت أبي بكر: تقدمته ترجمتها في الحديث رقم (٣٢٥).

غريب الألفاظ:

الحصبة: حمّى حادة طفحية معدية يصحبها زكام وسعال وغيرهما من علامات النزلة[٤].

فتمرق شعرها: انتثر وسقط[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤١) واللفظ له، ومسلم (٢١٢٢/١١٥). أورده المنذري في ترغيبه (٣١١١).

(٢) أخرجها البخاري (٥٩٣٦)، ومسلم (٢١٢٣/١١٨). أورده المنذري في ترغيبه (٣١١١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٣/١١٧). أورده المنذري في ترغيبه (٣١١٥) بتمامه.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ص ب).

(٥) رياض الصالحين، النووي ٥٦٧.

الواصلة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر[١].

الموصولة: التي يوصل شعرها[٢].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار بين رسول الله وإحدى النساء المسلمات، وهو حوار ينبئ عن حرص هذه المرأة على صواب ما تقدم عليه من سلوكيات حتى في أشد الأمور خصوصية، وهو: حرصها على جمال ابنتها، وتعويضها عما فقدته من مظاهر هذا الجمال: وهو سقوط شعرها، بشعر مستعار، وقبل أن تفعل ذلك، سألت رسول الله ﷺ عن حكم ذلك؛ ولأن هذا الموضوع قد يثير التساؤل عند كثير من الناس، بدأ الحديث بالتأكيد: في قوله الراوي: "أن امرأة"، والتأكيد هنا للإعلان عن صدق الخبر، ونزع الشك والتردد من نفس المتلقي، وجاء لفظ "امرأة" في صيغة النكرة، ولم يعرف: لأن اسم المرأة ليس ضروريًا، لأن الحكم عام، ويتعلق بقضية اجتماعية وشرعية عامة وشاملة، وتهم كل امرأة مسلمة، والعطف في قوله: "سألت فقالت" للتفسير أي تفسير السؤال.

والنداء في قول: المرأة: "يارسول الله": فيه إفصاح عن أن المرأة ترغب في معرفة الحكم الصحيح من نبي الإسلام، فالنداء فيه تعظيم وإذعان واستجابة لما سيقول رسول الله ﷺ، وقد تكرر التوكيد في كلام المرأة مرتين: حيث قالت: "إن ابنتي... وإني زوجتها..."، والتأكيد الأول: لتوثيق الإخبار عن المرض، والثاني لبيان السبب الذي من أجله تريد أن تصل شعرها الذي تمرق وسقط من الحصبة، وسؤال المرأة بعد هذين التوكيدين يمتزج بالعطف بالفاء الذي يفيد التتابع وحرص المرأة على وصل شعر ابنتها، وتأتي إجابة رسول الله بالنفي الضمني، حيث لم يقل: نعم أولا ، ولكن الإجابة كانت أبلغ وأعم وأشمل، فقد أصدر الرسول ﷺ حكمًا شرعيًا يظل منارة أمام كل سائلة

---

(١) رياض الصالحين، النووي ٥٦٧.

(٢) رياض الصالحين ٥٦٧.

وسائل: من المسلمات والمسلمين: حيث قال: لعن الله الواصلة والموصولة، أو المستوصلة، واللعن هو البعد عن رحمة الله، فالله يطرد من رحمته كل من تحترف هذه المهنة، وكل من يعمل لها ذلك، وكل من تسأل وتبحث عمن يعمل ذلك، (الواصلة، الموصولة، والمستوصلة).

فقه الحديث

وفي الحديثين من الأحكام ما يأتي:

١-وفي الحديث الأول تحريم الوصل، وقد مر في الحديث قبل الماضي.

٢-وفي الحديثين تحريم الوشم، لأن الله ورسوله لعنا الواشمة التي تفعل ذلك بغيرها، والمستوشمة التي تطلب ذلك، واللعن دليل الحرمة[١].

وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء[٢].

ولعل السبب من تحريم الوشم أنه عند غرز الإبرة في الجلد وحشوه كحلاً ينحبس الدم النجس فيه[٣].

ومحل التحريم ما لم يتعين طريقًا للدواء، فإن تعين جاز[٤].

وهل تجب إزالة الوشم أم لا؟

نص الشافعية على أنه تجب إزالته متى أمكن ذلك ولو بالجرح، ما لم يخف فوات عضو، أو منفعته، أو حدوث تشوه في عضو ظاهر، ففي هذه الحالة لا تجب إزالته وإنما

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨١/١.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٣٠/١، وكفاية الطالب الرباني ٥٩٩/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٩٧/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٥/٩١، إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٠٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨١/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٦/١٢، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٦٩/٥.

(٤) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٥٩٩/٢.

يجوز إبقاؤه، وتكفي التوبة من سقوط الإثم[١]، ويستوي في ذلك الرجل والمرأة.

وخالفهم في ذلك المالكية، فقالوا: لا يكلف صاحبه بإزالته، وإن وقع محرمًا[٢].

٣- وفي الحديث الثاني تحريم النمص، وهو إزالة شعر الحاجبين والوجه بالنماص وهو المنقاش، ونحوه، وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء[٣].

ويستثنى من الحرمة إذا نبت للمرأة لحية، أو شارب، ففي هذه الحالة لا تحرم إزالته، بل يستحب[٤] ذلك بإذن الزوج وعلمه، وإلا فمتى خلا عن ذلك منع للتدليس[٥].

٤- وفي الحديث الثاني: تحريم التفليج، وأن تبرد المرأة من أسنانها لتباعد بعضها عن بعض[٦]، ومثله لو كانت الأسنان طويلة فتنشر منها حتى تقصر[٧].

ويعلق عليه "الوشر"، وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء[٨].

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٦٩/٥.

(٢) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد الصعيدي ٥٩٩/٢.

(٣) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٧٣/٦، وكفاية الطالب الرباني ٥٩٩/٢، والثمر الداني شرح رسالة أبي زيد القيرواني للأبي ٦٨٩/١، وفتح الباري، ابن حجر ٣٧٨/١٠، والفروع، ابن مفلح ١٠٨/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٦/١.

(٤) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٧٣/٦، وفتح الباري، ابن حجر ٣٧٨/١٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣٧٨/١٠.

(٦) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٦/٣، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٧٣/٦.

(٧) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣١٤/٢.

(٨) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٧٣/٦، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣١٤/٢، والثمر الداني للأبي ٦٨٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٤٦/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٨/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٨١/١.

ولعل السبب في تحريم التفليج هو ما فيه من التدليس والتغرير، وتغيير خلق الله، إذ إن هذا الأمر تفعله العجوز إظهارًا للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها فتبردها بالمبرد[1].

ومحل تحريم التفليج هو أن يكون "للحسن" كما هو منطوق الحديث، ويفهم منه إذا لم يكن للحسن، بل كان لحاجة كعلاج، أو إصلاح عيب في السن، فلا بأس به[2].

المضامين الدعوية[3]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من وصل الشعر.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية إنكار المنكر والاحتساب على المخالفين.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: هلاك بني إسرائيل بسبب المعاصي وعدم الإنكار على المخالفين.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في عدم وصل الشعر.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من وصل الشعر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ لمن أرادت أن توصل شعر بنتها: "لعن الله الواصلة والموصولة".

ولعن الله: أي: الطرد والإبعاد من رحمته والإخراج من جواره تعالى[4]. وفي ذلك ترهيب من وصل الشعر. ولأن اللعن يكون لكبيرة.

قال النووي: (وهذا صريح في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقًا وهذا هو الظاهر المختار، وقد فصله أصحابنا فقالوا: إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام بلا خلاف، سواء كان شعر رجل أو امرأة، وسواء شعر المحرم والزوج وغيرهما بلا

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤/١٠٦-١٠٧.

(٢) الثمر الداني ١/٦٨٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٤/١٠٧.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٤٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٤٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢/٤١٥.

خلاف لعموم الأحاديث ولأنه يحرم الانتفاع بشعر الآدمي وسائر أجزائه لكرامته بل يدفن شعره وظفره وسائر أجزائه، وإن وصلته بشعر غير آدمي فإن كان شعرًا نجسًا وهو شعر الميتة وشعر ما لا يؤكل إذا انفصل في حياته فهو حرام أيضًا للحديث ولأنه حمل نجاسة في صلاته وغيرها عمدًا، وسواء في هذين النوعين المزوجة وغيرها من النساء والرجال، وأما الشعر الطاهر من غير الآدمي فإن لم يكن لها زوج ولا سيد فهو حرام أيضًا وإن كان فثلاثة أوجه: أحدهما: لا يجوز لظاهر الأحاديث، والثاني: لا يحرم وأصحها عندهم إن فعلته بإذن الزوج أو السيد جاز وإلا فهو حرام[1].

قال القاضي عياض: (واختلف العلماء في المسألة فقال مالك والطبري وكثيرون أو الأكثرون: الوصل ممنوع بكل شيء سواء وصلته بشعر أو صوف أو خرق.

وقال الليث بن سعد: النهي مختص بالوصل بالشعر ولا بأس بوصله بصوف أو خرق أو غيرها.

قال القاضي: (فأما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهي عنه؛ لأنه ليس بوصل ولا هو في معنى مقصود الوصل وإنما هو للتجميل والتحسين قال وفي الحديث أن وصل الشعر من المعاصي الكبائر للعن فاعله، وفيه أن المعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم كما أن المعاون في الطاعة يشارك في ثوابها[2].

وقال النووي: (أن الوصل حرام سواء كان لمعذورة أو عروس أو غيرهما)[3].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر ذلك في قول حميد بن عبدالرحمن: أنه سمع معاوية رضي الله عنه عام حج على المنبر وتناول قصة من شعر كانت في يد حرسي فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ ... الحديث. فالخطبة وسيلة من وسائل الدعوة التي اهتم بها الإسلام اهتمامًا كبيرًا من بداية عهد رسول الله ﷺ حتى الآن. والخطبة وسيلة ممتازة للدعوة، للتبليغ، أو إيضاح

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٥٢/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٣٨.

(٣) المرجع السابق ١٣٣٨.

فكرة معينة ومن مرامي الخطبة، حمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها. فيتحمس لها ويتقدم لفدائها بالنفس والنفيس عند الحاجة[١].

فالله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين الجهاد باللسان والجهاد بالسنان، والجهاد باللسان لا يكون إلا بالكلمة والقول الواضح والحجة البينة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

وكان حقًا على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ويقودوا الناس إلى الله تعالى، ويوجهوهم إلى وجهة الحق والخير.

وهل بغير الكلمة أو بسوى الخطابة تصلح النفوس النافرة، وتنهض النفوس الفاترة وتقوى القلوب الخائرة، ويرفع الحق وينهزم الباطل ويقام العدل وترد المظالم[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: أهمية إنكار المنكر والاحتساب على المخالفين:

يظهر ذلك في فعل معاوية رضي الله عنه وقوله: "حيث تناول قُصة من شعر كانت في يد حرسي فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه".

قال النووي: (وفي حديث معاوية هذا اعتناء الخلفاء وسائر ولاة الأمور بإنكار المنكر وإشاعة إزالته وتوبيخ من أهمل إنكاره ممن توجه ذلك عليه)[٤].

فإن الفساد في المجتمعات قد يكبر ويتضاعف كما أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥].

---

(١) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ٢٧١.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ص ٢٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٣٤٠.

(٥) سورة الروم، الآية: ٤١.

قال أبو العالية: (من عصى الله في الأرض فقد أفسد الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة)[١].

عندها تزداد مسؤولية الدعاة إلى الله والمحتسبين ليقوموا بواجبهم وينشطوا في مجال دعوتهم لينيروا للناس طريقهم ويردوهم إلى سبيل المتقين.

ولقد تفضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أنه مهما بلغ حجم المنكرات فيها فإنه سبحانه يغرس غرسًا يستعملهم في طاعته، ولا يضرهم خذلان المرجفين أوتأثير المخالفين.

قال ﷺ: ((لاَ يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ))[٢]، وقال ﷺ: ((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ. لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ))[٣].

هذه الطائفة التي تعنى باستصلاح الخلق، وإعادة الناس إلى منهج الله القويم، إلى صراطه المستقيم، هي الأمة المهتدية المفضلة على سائر الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٤].[٥].

فينبغي على المسلمين عامة وعلى العلماء خاصة الحرص على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المخالفين كان ذلك سببًا في نزول عقاب الله تعالى للأمة.

فعن عبيد الله بن جرير، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ، لاَ يُغَيِّرُونَ، إِلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ))[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٢٠/٦.

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/٤ رقم ١٧٧٨٧، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٣٢٥/٢٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٩٢٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٥) انظر: حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمد العمار، ص ١٧٩.

(٦) أخرجه ابن ماجة ٤٠٠٩، وحسنه الألباني، (صحيح سسن ابن ماجة ٣٢٣٨).

وهذا الحديث يبين صراحة أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في عقاب الله تعالى.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((مَثَلُ المُدْهن في حدودِ اللهِ والواقعِ فيها مَثَلُ قومٍ استَهموا سفينةً فصار بعضُهم في أسفلِها وصار بعضُهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلِها يَمرُّون بالماءِ على الذين في أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذَ فأسًا فجعلَ يَنقُرُ أسفلَ السفينةِ، فأتَوهُ فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بُدَّ لي منَ الماء، فإن أخذوا على يديهِ أنجوْهُ ونجَّوا أنفُسَهم، وإن تَركوهُ أهلَكوهُ وأهلَكوا أنفُسَهم))[1].

فهذا الحديث أيضًا صريح في أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في هلاك الأمة جميعها"[2].

وهذا يدل على أهمية إنكار المنكر والاحتساب على المخالفين.

رابعًا- من تاريخ الدعوة: هلاك بني إسرائيل بسبب المعاصي وعدم الإنكار على المخالفين:

يظهر ذلك في قوله معاوية رضي الله عنه: "سمعت النبي ﷺ ينهى عن مثل هذه، ويقول: "إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم".

قال القاضي عياض: (قيل: يحتمل أنه كان محرمًا عليهم فعوقبوا باستعماله وهلكوا بسببه. وقيل: يحتمل أن الهلاك كان به وبغير مما ارتكبوه من المعاصي فعند ظهور ذلك فيهم هلكوا وفيه معاقبة العامة بظهور المنكر)[3].

إن بني إسرائيل كانوا يرتكبون المعاصي ولا ينكر عليهم علماؤهم ارتكاب هذه المعاصي فكان ذلك سببًا في هلاكهم ولعنهم قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٨٦.

(٢) انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. عبدالعزيز بن أحمد المسعود ١/٢٤٢ - ٢٤٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦/٢٥٨.

(٤) سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

قال ابن كثير: (يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزل على داود نبيه عليه السلام، وعلى لسان عيسى بن مريم عليه السلام بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه، ثم بين حالهم فيما كانوا يعتمدونه في زمانهم فقال: "لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" أي: كان لا ينهى أحد منهم أحدًا عن ارتكاب المآثم والمحارم، ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبوا فقال: "لبئس ما كانوا يفعلون")[1].

وقد بالغ القرآن الكريم في ذم العلماء وأولى الأمر من بني إسرائيل على أن الله تعالى قد بوأهم مكانة مرموقة من إصلاح الأمة لكنهم قصروا عن أداء مسؤوليتهم، فكانوا يرون الناس حولهم يعصون الله، ويعتدون على غيرهم ولا يفرقون بين الحلال والحرام فلا يحاولون تغيير الوضع البتة[2].

يقول تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[3].

قال القرطبي: "قوله تعالى: (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار) (لولا) بمعنى أفلا (ينهاهم) يزجرهم (الربانيون) علماء النصارى (والأحبار) علماء اليهود قاله الحسن. وقيل: الكل في اليهود؛ لأن هذه الآيات فيهم، ثم وبخ علماءهم على تركهم نهيهم فقال: (لبئس ما كانوا يصنعون) كما وبخ من يسارع في الإثم بقوله: (لبئس ما كانوا يعملون) ودلت الآية على أن تارك النهي عن المنكر كمرتكب المنكر، فالآية توبيخ للعلماء في ترك بالمعروف والنهي عن المنكر"[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣/١٦٠.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال الدين العمري ص ١٩٦.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: ٦٢ - ٦٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٦/٢٣٧.

وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال في خطبته: (أيها الناس، إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً)[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في عدم وصل الشعر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لعن الله الواصلة، والمستوصلة" فينبغي على نساء المسلمين أن يتبعن الهدي النبوي في عدم وصل الشعر حتى لا تحل بهن لعنة الله. أما قوله ﷺ "إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم".

قال ابن تيمية: فقد أخبر النبي ﷺ عن وصل الشعر: "أن بني إسرائيل هلكوا حين أحدثه نساؤهم" يحذر أمته مثل ذلك، ولهذا قال معاوية ﷺ ((مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُهُ إلاَّ الْيَهُودَ))[2].

فما كان من زي اليهود، الذي لم يكن عليه المسلمون: إما أن يكون مما يعذبون عليه، أو مظنة لذلك، أو يكون تركه حسمًا لمادة ما عذبوا عليه لا سيما إذا لم يتميز ما هو الذي عذبوا عليه من غيره، فإنه يكون قد اشتبه المحظور بغيره، فيترك الجميع كما أن ما يخبرونا به لما اشتبه صدقه بكذبه: ترك الجميع[3].

فيظهر من ذلك أهمية اتباع هدي النبي ﷺ في عدم وصل الشعر.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٢/٥ - ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٣٤٨٨، ٥٩٣٨، ومسلم برقم ٢١٢٧.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٢٨٨/١، ٢٨٩.

الحديث رقم (١٦٤٥)

١٦٤٥- وعن حُميد بنِ عبد الرحمانِ: أنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ ﷺ، عامَ حَجَّ على المِنْبَرِ وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟! سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ، يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هذِهِ، ويقُولُ: ((**إنَّمَا هَلَكَتْ بَنُوإسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ**)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن أبي سفيان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١١).

غريب الألفاظ:

قصة من شعر: شعر الناصية[2].

حرسي: منسوب إلى الحرس وهو واحد الحراس[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يبدأ بنقل الخبر في صيغة التوكيد عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ وهو خليفة، حيث حج عام إحدى وخمسين من الهجرة، ويتنبه معاوية إلى وجود قصة من شعر، كانت في يد حرسي من حراس الأمير أو الخليفة، فأخذها ثم نبه المسلمين إلى حرمة ذلك، وجاء تنبيه معاوية وإنكاره في صيغتين "النداء والاستفهام الإنكاري"، في قوله "يا أهل المدينة: أين علماؤكم"، وهذا الاستفهام الإنكاري يوحي بأن العلماء ليس لهم دور في توجيه الناس؛ فالحديث في صياغته يتكون من موقف لمعاوية ﷺ في مكان: وهو المسجد، ومن تصوير للحدث المرتبط بهذا الحوار: وهو وقوف معاوية على المنبر، ورؤيته للحارس وفي يده خصلة من الشعر، وينهي معاوية إنكاره لهذا السلوك

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٨) واللفظ له، ومسلم (٢١٢٧/١٢٢). أورده المنذري في ترغيبه (٣١١٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٥٩٦/٦.

(٣) المرجع السابق ٥٩٦/٦.

بالدليل الحاسم الجازم حيث يروي ما سمعه من رسول الله ﷺ، وقال: "ينهى عن مثل هذه" ، أي عن كل سلوك يشبه ما عمله هذا الحارس، وفي قوله: "مثل هذه" إيجاز، وتحديد للمنكر الذي يجب أن يجتنبه الناس.

وجاء قول رسول الله ﷺ محصنًا بالتوكيد الذي يؤكد الحكم، ويؤكد الخبر الذي كان سببًا في هلاك بني إسرائيل وهو اتخاذ نسائهم للشعر المستعار، والتأكيد جاء بإن المقترنة بما، ويقال عن "ما" في هذا الاستعمال: إنها كافة ومكفوفة، وهي تفيد القصر، وكأن هذا التركيب اللغوي إيحاءً بإحباط عمل بني إسرائيل، وبأنه كان الطريق لهلاكهم، وقال العلماء: فيه حسن التحذير فإن السعيد من وعظ بغيره.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٤٦)

١٦٤٦- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ لَعَنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ. متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الواصلة: التي تصل شعرها أو شعر غيرها بشعر آخر[٢].

المستوصلة: التي تسأل من يفعل لها ذلك[٣].

الواشمة: وهي التي تشم وقيل هي التي يفعل بها الوشم[٤].

والمستوشمة: هي التي تطلب الوشم، وقيل: هي التي تفعله. والوشم: أن يغرز الجلد بإبرة ثم يُحْشى بكُحل أو نيلٍ، فيزرقّ أثره أو يخضرّ[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من كلام ابن عمر رضي الله عنهما رواية عن رسول الله ﷺ: وهو يتكون من جملة واحدة فعلية: وفعلها ماض "لعن" واللاعن: هو الله عز وجل: واللعن في اللغة: الطرد والبعد، فمعنى لعن الله ... أي: أبعدهم وطردهم من رحمته، واللعنة من الناس: من يلعنه الناس، واللعنة بضم العين كهمزة: الكثير اللعن للناس، والملعن، الشيطان، والممسوخ، والمشؤوم، والمسيب، وما يتخذ في المزارع كهيئة رجل، والمخزي المهلك، والتلعين: التعذيب.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤/١٩٩) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٣١١٢). السياق للمنذري في ترغيبه (٣١١٣).

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥٦٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ٣٨٥/١٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٣٨٥/١٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ش م).

وهذه المعاني اللغوية تتموج بكثير من الدلالات والإشعاعات التي تتطابق وتتوافق مع ما يعده الله من عذاب لهؤلاء الذين لعنوا، لتغييرهم خلق الله، وهم في الحديث أربعة أصناف: "الواصلة"، وهي اسم فاعل ترشد إلى من قام بالفعل، فهي التي تفعل الوصل، وهي التي تحترف هذه الحرفة في عصرنا وفي العصور السابقة، والصنف الثاني: "الموصولة"، وقد وردت هذه الكلمة الدالة على ذلك الصنف في صيغة اسم المفعول: أي أنها التي يقع عليها الفعل، وتقوم الواصلة بوصل الشعر لها، وفي رواية: والمستوصلة، وهي اسم فاعل من استوصل، وصيغة الافتعال أو الاستفعال فيها زيادة في المبنى، وتضفي زيادة على المعنى، وفي التي تبحث عن التي تقوم لها بوصل شعرها، وقيل هي طالبة فلعه بها أو بغيرها: أي تلعن عن ذلك وتقوم بالدعاية له.

والصنف الثالث: الواشمة: والوشم في اللغة: غرز الإبرة في البدن وذر النيلج عليه، ومن مشتقات الوشم كلمة الوشيمة، وهي: الشر والعداوة.

والصنف الرابع: المستوشمة: وهي طالبة فعل ذلك، والاستعانة بمن يقومون بهذا العمل وكل هذه الأصناف لعنها رسول الله ﷺ، كما روى ابن عمر، وساق روايته في إطار التأكيد الذي بدأ به الحديث الشريف.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من وصل الشعر والوشم والنمص والفلج.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعًا: من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من وصل الشعر والوشم والنمص والفلج:

يظهر ذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة. وحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله".

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٤٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٤٧).

قال ابن حجر: (قال الخطابي: إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة، وإلى ذلك الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله (المغيرات خلق الله)[1].

قال القاضي عياض: (قال بعض علمائنا: وهذا المنهي عنه المتوعد على فعله فيما يكون باقيًا، فإنه من تغيير خلق الله، فأما ما لا يكون باقيًا كالكحل فلا بأس به للنساء والتزين به عند أهل العلم، وقد أجازه مالك للنساء، وكرهه للرجال، وكذلك أجاز أن توشي المرأة يديها بالحناء.

وقد سبق الكلام في الواصلة والمستوصلة. وقال النووي: (أما "الواشمة" بالشين المعجمة ففاعلة الوشم وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقديفعل ذلك بدارات ونقوش وقد تكثره وقد تقلله، وفاعلة هذا واشمة، وقد وشمت تشم وشمًا والمفعول بها موشومة، فإن طلبت فعل ذلك بها فهي مستوشمة وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها والطالبة له، وقد يفعل بالبنت وهي طفلة فتأثم الفاعلة ولا تأثم البنت لعدم تكليفها حينئذ.

قال أصحابنا: هذا الموضع الذي وشم يصير نجسًا فإن أمكن إزالته بالعلاج وجبت إزالته وإن لم يكن إلا بالجرح فإن خاف منه التلف أو فوات عضو أو منفعة عضو أو شيئًا فاحشًا في عضو ظاهر لم تجب إزالته، فإذا بان لم يبق عليه إثم وإن لم يخف شيئًا من ذلك ونحوه لزمه إزالته ويعصي بتأخيره، وسواء في هذا كله الرجل والمرأة والله أعلم.

وأما "النامصة" بالصاد المهملة فهي التي تزيل الشعر من الوجه والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك بها، وهذا الفعل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب فلا تحرم إزالتها بل يستحب عندنا. ومذهبنا ما قدمناه من استحباب إزالة اللحية والشارب والعنفقة وأن النهي إنما هو في الحواجب وما في أطراف الوجه. ورواه بعضهم المنتمصة بتقديم النون والمشهور تأخيرها، ويقال: للمنقاش منماص بكسر الميم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٣٩٣.

وأما المتفلجات فبالفاء والجيم والمراد مفلجات الأسنان بأن تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرباعيات وهو من الفلج بفتح الفاء واللام وهي فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار فإذا عجزت المراة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر وتوهم كونها صغيرة، ويقال له أيضًا: الوشر ومنه لعن الواشرة والمستوشرة، وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث؛ ولأنه تغيير لخلق الله تعالى ولأنه تزوير ولأنه تدليس.

وأما قوله: "المتفلجات للحسن" فمعناه يفعلن ذلك طلبًا للحسن، وفيه إشارة إلى أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس والله أعلم)[1].

قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[2].

قال القاسمي: (والمراد بقوله تعالى: "ولآمرنهم فليغيرن خلق الله": قال السيوطي: فيستدل بالآية على تحريم الخصاء والوشم وما يجري مجراه، من الوصل في الشعر والتفلج، وهو تفريق الأسنان، والتنمص وهو نتف الشعر من الوجه)[3].

وقد ذهب الدكتور محمد رواس مذهبًا مخالفًا لآراء العلماء في هذين الحديثين وهو من المعاصرين.

فقال: يحرم وصل الشعر بوصلة تخفي عيوبه في معرض الخطبة للمرأة أو الرجل، لأنه غش، ويباح ذلك للمتزوجة، ويصبح واجبًا إذا طلبه الزوج، كما يباح للزينة من غير غش أما قوله ﷺ "لعن الله الواصلة والمستوصلة" فإنه محمول على حالة الغش[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٣٩-١٣٤٠.

(٢) سورة النساء، الآيات: ١١٧-١١٩.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ٤٨٣/٥/٣.

(٤) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعة جي ١٩٥٢/٢.

ويكره الوشم لما فيه من تعذيب النفس[١].

وتنمص المرأة: النمص الذي يغطي الأماكن المكشوفة من جسم الإنسان - كالوجه - له فائدة عظيمة، وهي أنه يمنع أشعة الشمس من السقوط مباشرة على الجلد، فتسقط عليه، لأن سقوطها المباشر على الجلد من أسباب حدوث سرطان الجلد، ولكن هذا النمص قد يفحش أحيانًا، فيشوه منظر الوجه، ولما كان الجمال أمرًا أساسيًا بالنسبة للمرأة فإنه يجوز لها إزالة ذلك النمص من وجهها بالنتف أو بمادة كيماوية أوغيرها، إذا طلب منها زوجها ذلك، أو إذا فحش النمص في وجهها، وشوَّه منظر وجهها، ما لم ترد بإزالته الغش لمن يريد الزواج منها، وإلى هذا يشير قوله رسول الله ﷺ "لعن الله النامصة والمتنمصة"[٢].

ويجوز للمرأة أن تزيل النمص الموجود في غير الأماكن المكشوفة من البدن، كالفخذين والظهر ونحو ذلك.

أما الشعر الخشن الذي ينبت في غير منابته في وجه المرأة فتجوز إزالته، كما لو امتد الحاجب إلى الجَبين، أو نبت لها شعر في موطن الشارب أو اللحية، لأن النهي جاء عن إزالة النمص وليس عن إزالة الشعر الخشن.

أما تنمص الرجل: لقد رُخص بالتنمص للمرأة لضرورة التزين -وهي مأمورة بالتزين لزوجها- أما الرجل فليس كذلك، ولهذا فإنه لا يرخص له بالتنمص -وهو إزالة الشعر الدقيق من الوجه- ولكن يرخص له بإزالة الشعر الخشن النابت في غير منابته من الوجه، كالشعر الذي قرب من العينين، والذي نبت أسفل الحلق إلى الصدر، ونحوهما.

ويحرم أيضًا وشر الأسنان وتفليجها لغير المتزوجين من الرجال والنساء وإن كان لا يعود، لما في ذلك من الغش، إذ كان العرب ولا يزالون يستدلون على ذكاء المرء إذا كانت أسنانه الأمامية مفلجة في الخلقة، وحديث رسول الله ﷺ ((لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمفلّجات الأسنان للحسن، المغيرات خلق الله)) يُحمل على

---

(١) المرجع السابق ١٩٥١/٢.

(٢) المرجع السابق ٥٨٦/١-٥٨٧.

ذلك؛ لأن علة التحريم التي وردت في الحديث الشريف هي: تغيير ما خلق الله تعالى بقصد التحسين للغش، ولا يكون غشًا إلا إذا كان هذا التحسين موقتًا لا يلبث أن يزول. وهو مباح للمتزوجين، ويصير واجبًا إذا طلبه الزوج[١].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما، إن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: "لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن".

ويظهر ذلك الترهيب من فعل هذه الأشياء أو المشاركة فيها باللعن واللعن ليكون إلا لارتكاب كبيرة والترهيب: هو التخويف للحمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور[٢].

والترهيب ليس يأسًا أو قنوطًا أو رهبة تشل التفكير وإنما تحذير من الأخطاء ودلالة على الصواب، وترشيد للأعمال حتى تنطلق الطاقات القوية إلى الغاية بغير تعويق أو عقبات[٣].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: النساء:

يظهر ذلك من عموم الحديثين حيث أن الدعوة موجهة إلى النساء.

ولقد بلغت المرأة في الإسلام منزلة عالية، لم تبلغها ملة ماضية ولم تدركها أمة تالية، إذ إن تكريم الإسلام للإنسان تشترك فيه المرأة والرجل على حد سواء، فهم أمام أحكام الله في الدنيا سواء كما أنهم أمام ثوابه وجزائه في الدار الآخرة سواء.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٤] وقال عز من قائل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾[٥] وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى

---

(١) انظر: المرجع السابق ١٠٥٤/٢.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص ٣٩٣.

(٣) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ٢١٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٥) سورة النساء، الآية: ٧.

عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾[٤] وقال جل ثناؤه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥] وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[٦].

وهذا التكريم الذي حظيت به المرأة في الإسلام لا يوجد له مثيل في أية ديانة أو ملة أو قانون غير الشريعة الإسلامية[٧]. فيتضح من ذلك أن النساء من أصناف المدعوين الذين اهتم بهم الإسلام ومن أجل ذلك على الدعاة إلى الله الاهتمام بالنساء والحرص على دعوتهم وتوجيههم إلى صحيح دينهم.

رابعًا- من آداب المدعو: الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ:

يستنبط ذلك من عموم الحديثين وذلك لأن رسول الله ﷺ إذا نهى عن شيء أو أمر بشيء ينبغي على المسلم أن يستجيب لتوجيهاته. ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: (ما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٣) سورة الإسراء الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٧) الإسلام أصوله ومبادئه، د. محمد بن عبدالله بن صالح السحيم، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢١هـ، ص ٣٩، ٤٠.

لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله). قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

قال ابن كثير: (أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر)[2].

وقال ابن عاشور: "وهذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر من النبي ﷺ من قول وفعل فيندرج فيها جميع أدلة السنة"[3].

فينبغي على المدعو أن يستجيب لأوامر النبي ﷺ وتوجيهاته.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/٨.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨٧/٢٨/١١.

الحديث رقم (١٦٤٧)

١٦٤٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ والمُسْتَوشِمَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: وَمَا لِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[سورة الحشر: ٧]. متفق عليه[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

المتنمصات: جمع مُتَنَمِّصَة: التي تأخذ من شعر حاجب غيرها وترققه ليصير حسنًا، والمتنمصة التي تأمر من يفعل بها ذلك[٢].

المتفلجات: جمع متفلجة: التي تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلاً وتحسنها وهو الوشر[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مثل الحديث السابق يرويه ابن مسعود بالمعنى أو بالإخبار عن رسول الله ﷺ ويبدأ الحديث بصيغة الفعل الماضي: "لعن الله الواشمات"، وصيغة الماضي تتجاوز إطارها الزمني، ولا تحصر داخل الزمن الفائت فقط، ولكنها تقيد الحكم الثابت القطعي الذي لا مجال للرجوع فيه إلا إذا تابت هؤلاء النسوة اللائي ذكرت أفعالهن في الحديث، والحديث هنا لم يأت بصيغة "الإفراد" مثل الأحاديث السابقة في

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥/١٢٠). السياق للمنذري في ترغيبه (٣١١٣). **تنبيه:** قد يكون المنذري اختصر هذا اللفظ من حديث البخاري بهذا الرقم.

(٢) رياض الصالحين، النووي ٥٦٨.

(٣) المرجع السابق.

هذا الموضوع، ولكنه جاء بصيغة جمع المؤنث السالم: ليفيد أن اللعن عام "لكل واشمة"، وأل في هذه الجموع للجنس، ومما يؤكد العقوبة أن الصيغة الاشتقاقية لهذه الأصناف وردت في صيغة اسم الفاعل، فهن القائمات بالفعل، أو المتصفات به أو الفاعلات له، والإيقاع الصوتي الذي يحدثه توافق الكلمات في نهاياتها "الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات المغيرات... خلق الله".

هذا التوافق الصوتي مع التوافق الجمعي، مع التوافق الاشتقاقي، يوحي باتفاق كل هؤلاء على المخالفة والمعصية، ولذلك كان عبدالله ابن مسعود صارمًا وحازمًا في رده حين لامته إحدى النساء في هذا اللعن، وعبر عنه الراوي بقوله: في ذلك، واكتفى باسم الإشارة تنزيهًا لجو الحديث من هذه المفردة التي يجب أن يكون المسلم الصادق بمنجاة منها.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه فيه إنكار منه على هذه المرأة في موقفها واعتراضها: حيث قال: "ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

والإيجاز مع الإنكار مع الإقناع في هذا الرد البليغ: فقوله "ومالي" جملة تامة مكونة من مبتدأ وخبر في صيغة الاستفهام والجملة بعدها في محل حال من المستتر في الخبر.

والاستشهاد بالقرآن الكريم من أقوى وسائل الإقناع في مثل هذه المواقف، وقد اقتنعت المرأة المعترضة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من الأساليب التربوية: التربية بالسؤال والجواب:

وقد كان السؤال موجهًا من المتعلم إلى المعلم، في موقف المرأة التي سألت رسول الله ﷺ عن ابنتها التي قرب زواجها، هل يحل لها أن تصل شعرها تزيينًا لها وتحبيبًا إلى زوجها، وقد اتسم سؤالها بالوضوح، وتبيان ملابسات الأمر، تقول: «إنَّ ابنتي أصابَتْها الحَصْبَة فتمرَّقَ شَعرها، وإني زوَّجتُها أفأصِلُ فيه؟ فقال ﷺ: لعن الله الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ».

تلك هي طريقة احتياج المتربي إلى المعلومة، دون تلقيها من المربي مباشرة، وهذا أدعى إلى حرصه على العمل بها، وأقرب إلى تحصيلها بسرعة.

ذلك هو هدي الصحابة رضي الله عنهم في السؤال عمّا يجهلون، ولكنهم راعوا آداب السؤال، التي أكثر العلماء تعديدها، ومنها: "أن يتلطف السائل في سؤاله، ويحسن خطابه، ولا يستحي من السؤال عمّا أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح، فمن رقّ وجهه رقّ علمه، ومن رقّ وجهه عند السؤال نقصه عند اجتماع الرجال"[1].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

تضمن هذا الباب طائفة كريمة من أحاديثه ﷺ، التي ترهب من بعض العادات، التي يُقصد بها التجمل الجسدي، مع أنها من المهلكات، التي توجب عقاب الله تعالى ولعنته، فمن هذه العادات: وصل الشعر القصير بشعر طويل، يقول ﷺ: «لعن الله الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ»، ومنها أيضًا الوشم، يقول ﷺ: «لَعَنَ اللّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ»، ومن ذلك أيضًا التنمص وهو ترقيق الحواجب، والتفلج وهو المباعدة بين الأسنان بترقيق ما بينها بالمبرد، فهذا كله مما نهى النبي ﷺ عنه، ورهّب منه.

إن مقصود ترهيبه ﷺ من هذه العادات الجاهلية هو تربية المؤمنات على الواقعية وعدم المغالاة في طلب الجمال الظاهري الجسدي الزائل، الذي كان الإسلام فيه

---

(١) آداب المتعلمين، د. أحمد عبدالله الباتلي، ص١٠٦.

واقعيًا، فالجمال الأساسي هو جمال الدين والخلق والجوهر، ولقد حث النبي ﷺ على اختيار الزوجة الدَّيِّنة، يقول ﷺ: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ»[1]، فليس هم المرأة المسلمة وغايتها أن تحسن شكلها وتترك الجوهر خاويًا لا روح فيه، كما أن هذه العادات من تصرفات الغانيات والبغايا في الجاهلية، ولهذا لعن النبي ﷺ من تقوم بهذه الأشياء.

كما أن هذه التصرفات من شأنها إفساد الجسد، وتعريضه للأمراض، فالوشم قد يؤدي إلى إصابة الجلد بالأمراض، فضلاً عن الألم الذي يسببه سواء كان بالوخز أم بالكي، وكلها من المهالك التي نهى الإسلام عن تعريض النفس لها، وكذلك المتنمصات اللائي يزججن حواجبهن، يعرضن أنفسهن للأمراض، الناشئة عن نتف الشعر من الجلد، وقد يسبب ذلك الكلف، وبقع الجلد، أما التفلج فقد يرذي الأسنان ويؤدي إلى كسرها، ولهذا نهى الإسلام عن مثل هذه الأشياء، وعن كل ما يسبب أذى النفس والجسد.

إن أسلوب الترهيب الذي استخدمه النبي ﷺ يؤدي دورًا مهمًا في تغيير سلوك المسلم؛ لأن الترهيب يحمل تخويفًا وتحذيرًا من عاقبة السلوك المتبع لدى المسلم.

والترهيب وعيد وتهديد بعقوبة، تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله عنه، ويقصد به التخويف، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكون الناس دائمًا على حذر من ارتكاب المعاصي والهفوات[2].

ثانيًا: التربية باستخدام الوسائل التعليمية:

لقد ظهر في هذا الباب استخدام وسيلتين تعليمتين، من خلال حديث معاوية رضي الله عنه، حين صعد على المنبر وتناول خصلة من الشعر، وقال: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ». وأشار إلى هذه الخصلة من الشعر، يعني عندما فسد المجتمع في بني إسرائيل، وفشا فيه وصل الشعر، متهلكين بذلك الفطرة السليمة، وما جاءت به الرسل.

وفي هذا الحديث استخدم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وسيلتين:

---

(١) أخرجه مسلم، ٣٦٣٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٥٠ بتصرف يسير.

أولاهما: أنه صعد على المنبر: وذلك بيان لأهمية المسجد في الخطابة وإلقاء التعاليم إلى الناس، والوارد في الحديث أنه ﷺ خطب وقال هذا الكلام في العام الذي حج فيه، ويبدو أنه قال ذلك في المسجد الحرام، وهذا يحتمل "شمولية التعليم لجميع أفراد المسلمين، على مختلف أعمارهم وصنائعهم ومستواهم التعليمي ومؤهلاتهم"[1].

الأمر الذي يؤدي إلى إيصال المعلومة إلى سائر أقطار الأرض، من خلال معرفة الحجاج بها.

ثانيهما: استخدام أسلوب التشبيه بضرب المثل؛ وذلك بإحضار خصلة من الشعر، والإشارة إليها دون حديث عن وصل الشعر، بل اكتفى بإبرازها للحضور، وقال لهم: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ»، وذلك لأن الصورة المحسوسة أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاءً؛ لأنها تحدد الأبعاد، وتبرز الأجزاء، وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين، أو تتخيلها بالخاطر، أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها الأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها، فترتسم واضحة المعالم، محددة الأجزاء[2].

ثالثًا: من أهداف التربية الإسلامية: الامتثال لما نهى عنه النبي ﷺ:

ويبدو ذلك جليًا في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ ...»، وعندما سألته امرأة عن سر هذا اللعن، فأجابها أن هذا اقتداء وامتثال لما فعل النبي ﷺ حيث قال لها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «وَمَا لِيَ لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، وذلك مبلغ لبعض الأصناف من الأمة.

ومن تمام الاقتداء به ﷺ أن يحب المرء ما يحبه ﷺ ويكره ما يكرهه، فما كان لعبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن يقبل هذا السلوك لمسلمة، وقد نهى عنه النبي ﷺ، وقد لعن رضي الله عنه من باب التذكير بخطر هذا السلوك وتحريمه على المؤمنات، وقد اتبع رضي الله عنه أسلوبًا تشويقيًا؛ حيث بدأ باللعن، استثارة لاهتمام الحضور، فإذا بامرأة تعاتبه في ذلك اللعن؛ ظنًا منها أنه إنما لعن على سبيل الدعاء ﷺ على الواشمات،

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص٣٠٣.

(٢) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح، ص١٢٥.

مجتهدًا بهذا الدعاء، فبيَّن لها عبدالله بن مسعود ﷺ علة اللعن بعد أن أثار اهتمامها وجعلها تسأل عن السبب، وهو أن النبي ﷺ لعنهن، فمن واجب الاقتداء به والامتثال لأوامره: أن نلعن من لعنه، وان نحب من أحب.

إن أقوى شاهد على صدق محبته ﷺ هو موافقة المحب لمحبوبه، وبدون هذه الموافقة يصير الحب دعوى كاذبة، وأكبر دليل على حبه ﷺ هو طاعته واتباعه؛ فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرط صحة هذه المحبة، وبدونه لا تتحقق المحبة الشرعية، ولا تتصور بمعناها الصحيح[1].

❁ ❁ ❁

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص٦٥، ٦٦.

٢٩٧- باب النهي عن نتف الشيب من اللحية

والرأس وغيرهما، وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه

الحديث رقم (١٦٤٨)

١٦٤٨- عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ المُسْلِمِ يَوْمَ القِيَامَةِ)) حديث حسن، رواه أبو داود، والترمذي، والنسائيُّ[1] بأسانيد حسنة، قال الترمذي: (هو حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

الشرح الأدبي

إن دورة الإنسان الزمنية تتوالى وتتشكل حسب ظروفه الحياتية، وظروف الطقس والبيئة، وهو في كل دورة خاضع لتغيرات نفسية، واجتماعية، وفسيولوجية، وشعورية، وشكلية، وعليه أن يستجيب لمتطلبات كل مرحلة لأن هذه سنة الله في خلقه-كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف يعالج ما يمر به الإنسان من حالات التوتر والقلق حين يغزو الشيب مفرق رأسه، ويتذكر الآية الكريمة: ﴿رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٠٢)، والترمذي (٢٨٢١)، والنسائي في الكبرى (٩٢٨٥)، وفي المجتبى (٥٠٦٨). وليس عندهم بهذا اللفظ الذي أورده المؤلف، وإنما أخذ المؤلف أول لفظ الحديث من أبي داود، وهو قوله: (لا تنتفوا الشيب) وقوله: (فإنه نور المسلم) من الترمذي، وقوله: (يوم القيامة) من آخر الحديث عند أبي داود. أورده المنذري في ترغيبه (٣١٠٤) بلفظ أبي داود، ثمّ أورد الزيادة التي عند الترمذي. قلتُ: وبهذا اللفظ الذي أورده المؤلف أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٢٩٨٥) عن أبي هريرة. لعل نظر المؤلف انتقل في نقله عن الترغيب من حديث إلى حديث.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

شَيْبًا﴾[1]. وينهى رسول الله ﷺ كل مسلم عن نتف الشيب، وهذا الحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملتين: الأولى وردت في صيغة النهي الموجه إلى الجميع، فقال: "لا تنتفوا الشيب"، وضمير الرفع المتصل هنا: وهو "واو الجماعة"، يعود على المسلمين جميعًا حين يغزو الشيب رءوسهم ولحاهم؛ وذلك حفاظًا على وقارهم وهيبتهم في الدنيا، ولأنه سيكون نورًا لهم يوم القيامة.

ولذلك وردت الجملة الثانية في صيغة التأكيد "بإن"، وهي تعليل للنهى عن نتف الشيب، وفي هذه الجملة الاسمية المؤكدة صورة أدبية موحية بكثير من المعاني والوعود المبشرة لكل مسلم ينتهي عما نهاه الرسول عنه، فقد شبه رسول الله الشيب بأنه نور للمسلم يوم القيامة، وتشبيهه بالنور لأنه سبب خلاص المسلم من العذاب كما في الحديث القدسي.

وطرفا الصورة: أحدهما حسي ملموس مشاهد وهو الشيب والآخر المشبه به معنوي: وهو النور.

والنور يرمز إلى الهداية والنجاة، والبياض يوم القيامة من سمات المؤمنين والصادقين، والسواد في هذا اليوم من سمات الكافرين والكاذبين، يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، نسأل الله أن نكون من الذين يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم: يوم القيامة.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة نتف الشيب عند الأئمة الأربعة[2]، خلافًا

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤.

(٢) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٣٤٢/١، والقوانين الفقهية لابن جزي ٢٩٣، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٠٧/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٥٩/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٢٣٤/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٦٦/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٧٧/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ١٢٣/١، والفروع، ابن مفلح ١٠٢/١.

للظاهرية[١] الذين قالوا بالحرمة، حملاً للنهي الوارد في الحديث على ظاهره، وهو احتمال لصاحب الفروع من الحنابلة[٢].

ولا فرق في كراهة نتف الشيب بين نتفه من الرأس، أو اللحية، أو الشارب أو غير ذلك، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة[٣].

وفي تعليل كراهة النتف بأنه "نور المسلم" ترغيب بليغ في إبقائه وترك التعرض لإزالته[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية عدم نتف الشيب وفضل ذلك يوم القيامة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "لا تنتفوا الشيب" حيث نهى ﷺ عن نتف الشيب.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في نهي المدعوين عما يخالف أحكام الإسلام وآدابه وقد ورد استخدام النهي في كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ۝٣٢ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٦].

---

(١) المحلى، ابن حزم ٤/٧٩.

(٢) الفروع، ابن مفلح ١/١٠٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١/١٧١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣/٢٣٤.

(٤) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١/٣٥٩، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١/١٧١.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٦) سورة الإسراء، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

ومن الأحاديث قال ﷺ: ((لا تَباغَضوا ولا تحاسدوا ولا تدابَروا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانًا، ولا يَحلُّ لمسلم أن يَهجُرَ أخاه فوقَ ثلاثةِ أيام))[1] ومنها قوله ﷺ ((لا تحلِفوا بآبائكم))[2].

فأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في النهي عن ما يخالف أحكام الدين وآدابه.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية عدم نتف الشيب وفضل ذلك يوم القيامة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تنتفوا الشيب فإنه نور المسلم يوم القيامة".

قال المباركفوري: (نهى عن نتف الشيب، أي الشعر الأبيض من اللحية أو الرأس، قال: إنه نور المسلم، الإضافة للاختصاص، أي وقاره المانع من الغرور بسبب انكسار النفس عن الشهوات، والفتور وهو المؤدي إلى نور الأعمال الصالحة فيصير نورًا في قبره، بين يديه في ظلمات حشره. قال ابن العربي: (إنما نهى عن النتف دون الخضب لأن فيه تغيير الخلقة عن أصلها، بخلاف الخضب فإنه لا يغير الخلقة على الناظر إليه)[3].

وقال ﷺ: ((لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الإِسْلاَمُ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً))[4].

فالشيب كما تبين من أحاديث رسول الله ﷺ يكون نورًا للمسلم وسببًا في كرامته برفع حسناته وحط سيئاته فينبغي الالتزام بتوجيهات رسول الله ﷺ في عدم نتفه.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فإنه نور المسلم يوم القيامة".

قال العظيم آبادي: (أي سببًا للنور، وفي ذلك ترغيب بليغ في إبقاء الشيب وترك التعرض لإزالته)[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٦٥، ومسلم ٢٥٥٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٤٨، ومسلم ١٦٤٦.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١١٢/٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٧٩/٢، رقم ٦٦٧٢، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٦٦٧٢/١١.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ص ١٧٩٤.

والترغيب يقصد به كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه[١].

والأصل في الترغيب: أن يكون في نيل رضاء الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة والفوز فيها[٢].

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٢) الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ص ١٠٢.

الحديث رقم (١٦٤٩)

١٦٤٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عليْهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

رَدٌّ: مردود عليه[2].

الشرح الأدبي

يموج هذا الحديث بكثير من المعاني، وهو يتكون من كلمات قليلة، ولكن معانيه ممتدة وشاملة، فكل كلمة تشع بالمفاهيم والمقاصد المتعددة.

وصياغة الحديث تفصح عن منطق الثواب والعقاب، فهو جملة شرطية تتكون من شرط وجزاء، والأعمال كذلك منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود، وهي قسمان: عبادات ومعاملات، فأما العبادات: فما كان منها خارجًا عن حكم الله ورسوله ﷺ بالكلية فهو مردود على عامله، وأما المعاملات: كالعقود والفسوخ ونحوهما: فما كان منها مغيرًا للأوضاع الشرعية: مثل الأحكام المدنية المستخدمة والتي ليس لها أصل في أحكام الشريعة: فإنه مردود.

فالحديث كما قال العلماء: أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو قاعدة عامة صارمة، وهو بمنطوقه يدل على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو مردود، ويدل بمفهومه الذي تشع به الألفاظ على أن كل عمل عليه أمر الشارع فهو غير مردود.

---

(١) برقم (١٧١٨/١٨)، وتقدم برقم (١٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر د د).

وكلمة أمر تحمل كل ما يتضمنه الدين والشرع من أوامر ونواه، ومن قواعد يجب اتباعها وقوله: "ليس عليه أمرنا"، إشارة إلى أن أعمال العاملين كلهم ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها، وفي ضوء الصياغة اللغوية للحديث وهي: صيغة الجزاء والشرط تكون الثمرة النافعة لهذا الحديث البليغ الموجز، أن من كان عمله جاريًا تحت أحكام الشريعة موافقًا لها فهو مقبول، ومن كان خارجًا عن ذلك فهو مردود[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/١٧٦-١٨١.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦٩)، والرواية المشار إليها "من أحدث في أمرنا".

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

لقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في نهي صحابته الكرام عن نتف الشيب، يقول ﷺ: «لا تنتفوا الشيب...»؛ وذلك لما فيه من تغيير لخلق الله تعالى، لأن الشيب من تكريم الله تعالى للإنسان؛ فهو دليل على الوقار، ولهذا نهى النبي ﷺ عن نتفه، وقد بشَّر ﷺ بأن هذا الشيب سيكون نورًا يوم القيامة.

وربما كان نتف الشيب سببًا في الإصابة بالمرض، وسقوط الشعر، وحدوث الألم لفروة الرأس واللحية، وهذا مما يحرص الإسلام على وقاية المسلمين منه.

والتوجيه المباشر وسيلة من وسائل العادة التعليمية التطبيقية، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين[1].

ثانيًا- التربية على اتباع السنة:

ويبدو ذلك جليًا في نهيه ﷺ عن نتف الشيب، وذلك لأن الإسلام دين واقعي، لا يهرب فيه المسلم من واقعه، بل عليه أن يعيش ظروفه وسنه، دون محاولة للهروب أو التشبيه بالشباب حال الكبر، هكذا كانت سنة النبي ﷺ، وهكذا أمر صحابته الكرام، ونهاهم عن مخالفة ذلك.

ومن مظاهر الحث على اتباع السنة قوله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، أي: فهو مردود عليه، فواجب المسلم أن يتبع النبي ﷺ وسنته في أقواله وأفعاله وإقراره؛ ذلك هو شرط الإسلام الصحيح، يقول تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[2].

فاتباع النبي ﷺ: هو الاقتداء به، واقتضاء آثاره والتأسي به، وذلك لأننا متعبدون باتباع الرسول ﷺ والتأسي به في أفعاله، وفي تركه، بأن نفعل صورة ما فعل على الوجه الذي فعل لأجل أنه فعل، وأن نترك مثل ما ترك على الوجه الذي ترك لأجل أنه ترك[3].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٨٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) محبة النبي ﷺ، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص١٠٢، ١٠٣ بتصرف يسير.

ثالثًا- التربية بالترهيب:

وذلك في قوله ﷺ: «من عمل عملاً... فهو رد»، وذلك تخويف للمؤمنين من ابتداع ما لم يرد عن النبي بالتحريف في العبادة أو الزيادة أو النقصان؛ لأن ذلك كله غير مقبول عند الله تعالى، بل إن الله يعاقب على البدعة، يقول ﷺ: «كل بدعة ضلالة»[1]، وذلك حتى لا يدخل في الإسلام من التشريعات ما ليس منه، مثلما حدث في الديانات السابقة، التي ظل أبناؤها يحرفونها شيئًاا فشيئًاا، ويبتدعون فيها قليلاً قليلاً، حتى وصل الأمر بهم إلى تحريفها تمامًاا، ووصلوا بتحريفهم إلى تحريف العقيدة نفسها.

والترهيب وعد وتهديد بعقوبة، تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله عنه، ... وهو تهديد من الله يقصد به لتخويف عباده، ... وهو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر التي ينهى عنها الإسلام[2].

رابعًا- التربية بالترغيب:

وذلك في ترغيبه ﷺ في إبقاء الشيب وعدم نتفه من اللحية أو الرأس، يقول ﷺ: «لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الإِسْلاَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فما أحرص المرء على هذا الشيب، وما أشد فرحه به إذا علم أن الله سيجعله نورًاا يوم القيامة، وبهذا يصير الشيء المكروه والمنفور منه محبوبًاا ومرغوبًاا فيه؛ عن طريق إبراز صفة من صفات حسنه وجماله، لاسيما إذا كان هذا الجمال أخرويًا، نورانيًا يوم القيامة، وذلك ما يرتجيه المسلم من ربه، أن يحسن إليه في أخراه.

وقد استخدم ﷺ هذا الأسلوب، لأن النفس متى استرضت بشيء من المنافع العاجلة أو الآجلة، سكتت عن الإنسان الصوارفُ له عن طريق الخير، وغدا سهل الانقياد، وانفتحت نفسه للاقتناع به والتعلق الشديد بأسبابه[3].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، ٨٦٧.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٢٥٠.

(٣) تربية الأبناء والبنات، خالد العك، ص١٨٦ بتصرف يسير.

٢٩٨- باب كراهة الاستنجاء باليمين

ومس الفرج باليمين من غير عذر

الحديث رقم (١٦٥٠)

١٦٥٠- وعن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قال: ((**إذا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلاَ يَأخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ، وَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ**)). متفق عليه[1].

وفي الباب أحاديث كثيرة صحيحة.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

الشرح الأدبي

إن للمسلم آداباً ومعالم تحكم منهجه الحياتي سلوكاً وقولاً، وعلاقات، ومراعاة للآداب الاجتماعية، والأعراف والتقاليد التي لا تتصادم مع ثوابت الإسلام، وهذا الحديث يرشد إلى أدق الأمور وأخفاها في حياة المسلم، وهي آداب التبول، والاستنجاء، وآداب الشراب والطعام، ويبدأ الحديث بجملة شرطية، وأداة الشرط "إذا" وفعل الشرط "بال" وجواب الشرط جملة: "فلا يأخذن أحدكم ذكره بيمينه) واختيار أداة الشرط هنا وهي: "إذا" يدل على تحقق فعل الشرط: وهو التبول، وهذا أمر ملازم لكل إنسان، بل لكل كائن، فلا تغني أداة عن "إذا" في هذا السياق.

وجواب الشرط: جاء مؤكداً بنون التوكيد الثقيلة، ومقترناً بلا الناهية، وفي ذلك تشديد على اجتناب هذا الأمر الكريه، لأن اليد اليمنى تستخدم في أمور كثيرة في الحياة، وكانت يد النبي ﷺ اليمين لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٤) واللفظ له، ومسلم (٦٣/٢٦٧).

والجملتان الباقيتان معطوفتان على جواب الشرط "ولا يستنجى بيمينه، ولا يتنفس في الإناء"، ولكنهما خارج دائرة الشرط، والنفي فيهما بمعنى: النهي وقد كررت "لا" ثلاث مرات وهي تفيد النهي في المواضع الثلاث، وذلك للتأكيد على اجتناب هذه الأمور، لأن الاستنجاء باليمين يجلب القذارة للإنسان، وربما تعلق بيده اليمنى بعض الآثار النجسة والميكروبات المصاحبة لها فتتسرب إلى طعامه، فتفسد أمعاءه، وكذلك النهي عن التنفس في الإناء، لأن ذلك يمكن أن يلوث الماء، والطعام، ويكسبها رائحة كريهة، وينفر الذين يأكلون معه من أضيافه وأبنائه ونسائه، وبناته.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- أنه يكره للمرء أن يمس ذكره بيمينه[١]، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه (ما تغنيت، ولا تمنيت، ولا مسست ذكري بيمني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه أنه قال: ما مسست ذكرى بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

كما يكره الاستنجاء باليمين، لما روت عائشة رضي الله عنها ((كَانتْ يَدُ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وكانَتْ يَدُهُ اليُسْرَى لِخَلاَئِهِ وَمَا كانَ مِنْ أذى))[٣].

وإن كان الظاهرية[٤]، وإمام الحرمين[٥] من الشافعية يرون حرمة الاستنجاء باليمين حملاً للنهي على ظاهره.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٥٥/١، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣٣٩/١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٦٤/١، وشرح العمدة ١٥٢/١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٨٧/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٣٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٣/١، وشرح عمدة الأحكام ٦٠/١.

(٢) الأوسط لابن المنذر ٣٣٩/١.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٣، ٣٤، والبغوي في شرح السنة ١٨٢/١ وقال محققا شرح السنة: إسناده صحيح.

(٤) انظر في نسبة هذا الرأي إلى أهل الظاهر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٧٧/١.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ١٢٨/٢.

٢- وفي الحديث كراهة التنفس في الإناء إذا ما أراد أن يشرب[١]، فإن غلبه النفس نحى الإناء من فيه، وتنفس، ثم عاد إليه[٢].

والنهي عن التنفس في الإناء إنما هو من باب الأدب الراقي الذي يحرص عليه الإسلام، وذلك مخافة تقذيره، أو تغير رائحته، أو سقوط شيء فيه من الفم أو الأنف[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: التعليم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في قضاء الحاجة والشرب من الإناء.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية مراعاة النظافة وأسباب السلامة في حياة المسلم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من وسائل الدعوة: التعليم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إذا بال أحدكم، فلا يأخذن ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولا يتنفس في الإناء"؛ حيث علم رسول الله ﷺ أمته عدم مس الذكر باليد اليمنى، وعدم الاستنجاء بها، وعلمنا عدم التنفس في الإناء، والتعليم وسيلة من وسائل الدعوة التي يعلم بها الداعية المدعوين أحكام دينهم وآدابه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه، وكان يأمر بثلاثة أحجار، وينهى عن الروث والرمة))[٤].

---

(١) القوانين الفقهية ٢٨٨، وشرح صحيح مسلم، النووي ٣/١٦٠، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧/٢٢٢، ٩/٣٤٤.

(٢) القوانين الفقهية ٢٨٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٣/١٦٠.

(٤) أخرجه أبو داود ٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٦).

ولاشك أن للعلم في الإسلام أهمية سامقة، ومنزلة عالية رفيعة ويتضح ذلك من اهتمام القرآن الكريم به، والحث عليه. والرفع من شأن أهله قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وقال تعالى موضحاً أن من يخشونه إنما هم العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2].

كما طلب سبحانه من الناس التزود من العلم وتحصيله فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3].

وإذا ما نظرنا إلى سنة المصطفى ﷺ فإننا نجد الحث الكامل على العلم وتحصيله والثناء على أهله قال ﷺ: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))[4]، وقال ﷺ: ((نَضَّرَ اللَّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاَثٌ لاَ يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومِ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَاءِهِمْ))[5].

ومن مجمل تلك النصوص تتضح أهمية العلم، وتبرز قيمته وفائدته، وخاصة لدى الدعاة إلى الله الذين يقع عليهم عبء الدعوة إلى هذا الدين الحنيف وإبراز عقيدته الصحيحة التي يقوم عليها، وشريعته الكاملة التي يستند إليها، وأخلاقه ومبادئه ونظمه العظيمة التي يركن إليها[6]. وكل ذلك يكون من خلال وسيلة التعليم. فبعد أن يتعلم الداعية العلم النافع يعمل به ويؤدي حقه بالنصح للمدعوين والإرشاد.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) أخرجه البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٦٥٨، وابن ماجة ٢٣٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١٣٩، صحيح سنن ابن ماجة ١٨٧).

(٦) انظر: منهج الدعوة إلى الله، د. عبدالرحيم المغذوي، ص ١٠١-١٠٣.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في قضاء الحاجة والشرب من الإناء:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إذا بال أحدكم، فلا يأخذن ذكره بيمينه، ولا يتنفس في الإناء".

قال ابن عثيمين: (قال: "لا يستنج أحدكم بيمينه" يعني لا يمسك الذكر باليمين فيغسله، لأن اليد اليمنى مكرمة، ولهذا قال العلماء رحمهم الله اليمنى هي المقدمة إلا في مواضع الأذى. فاليسرى تقدم للأذى، واليمنى لما سواه وعلى هذا فيستنجي باليسار)[1].

وقوله ﷺ "ولا يتنفس في الإناء".

قال ابن حجر: (قال المهلب: النهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب، من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره. إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس، ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره، وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئاً مما يتناوله فلا بأس. قلت: والأولى تعميم المنع لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك. وقال ابن العربي: قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق، ولكن يحرم على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره، فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه، فإن لم يعلمه فهو غش والغش حرام)[2].

وقال ابن حجر: (ويحتمل أن تكون الحكمة التي ذكرها هنا أن الغالب من أخلاق المؤمنين التأسي بأفعال النبي ﷺ وقد كان إذا بال توضأ. فالمؤمن بصدد أن يفعل ذلك، فعلمه أدب الشرب مطلقاً لاستحضاره)[3].

فينبغي على المسلم اتباع هدي النبي ﷺ والتأدب بآدابه في الاستنجاء والشرب.

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٣٧/٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٩٦/١٠.

(٣) المرجع السابق ٣٠٧/١.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية مراعاة النظافة وأسباب السلامة في حياة المسلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "إذا بال أحدكم، فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يستنج بيمينه" قال ابن حجر: (قيل: الحكمة في النهي لكون اليمين معدة للأكل بها فلو تعاطى ذلك لأمكن أن يتذكره في الأكل فيتأذى بذلك)[1].

وقوله ﷺ "لا يتنفس في الإناء"

قال ابن عثيمين: (لكن إذا تنفس لا يتنفس في الإناء، يزيل فمه عن الإناء ثم يتنفس، لأن التنفس بالإناء فيه ضرر على الشارب لأن النفس يكون صاعداً، والماء يكون نازلاً فيلتقيان فيحصل الشرق، وفيه أيضاً أذى لمن بعده؛ لأنه قد يخرج مع نفسه أمراض التي يسمونها "ميكروبات" فتكون في الماء فتؤثر على شرب من بعده؛ فلذلك نهى النبي ﷺ عن أن يتنفس في الإناء)[2].

فيكون في ذلك مراعاة للنظافة وأسباب السلامة في حياة المسلم.

رابعاً- من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "... فلا يأخذن ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولا يتنفس في الإناء".

وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية التي ورد استخدامها في الكتاب والسنة فينبغي على الداعية استخدامها في دعوته لنهي المدعوين عن ما يخالف أحكام الإسلام وآدابه.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٠٦/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٣٧/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه المباشر:

لقد وجه النبي ﷺ في حديث هذا الباب إلى أدب من آداب دخول الخلاء؛ وكذلك إلى آداب الطعام، مستخدمًا الأسلوب التوجيهي المباشر، بتوجيه التعليمات إلى المربين بطريقة صريحة، يقول ﷺ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَأْخُذْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ» وهكذا في سائر توجيهاته ﷺ في هذا الحديث.

والتوجيه المباشر وسيلة تربوية ناجحة لتعديل السلوكيات السيئة نحو الأفضل، أو الأمر بإتيان الأفعال الحسنة والتزامها، وهو طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين، وهو بمثابة ممارسة العمل للمتعلم أمام مربيه.. يرافقها تصحيح لأخطائه... وهكذا حتى يصبح هذا السلوك عادة مستحكمة لدى المتربي، يواظب عليها[1].

ثانيًا: التربية على التمسك بالسنة:

وذلك في التزام أمره ﷺ في آداب إتيان الخلاء، وآداب الطعام؛ فأما آداب إتيان الخلاء فمنها سنته ﷺ في عدم أخذ الذكر أو الاستنجاء باليمين؛ لأن من السنة جعل اليد اليمنى للطعام والشراب، والأشياء الكريمة، بينما اليد اليسرى في الأشياء الكريهة، كدخول الخلاء وغير ذلك.

وأما آداب الطعام فمنها عدم التنفس في الإناء؛ لأن ذلك من هديه ﷺ، وقد نهى عن ذلك؛ لأن ذلك ربما أساء إلى الآخرين فتركوا هذا الطعام، واستاءوا من تناوله؛ وفي ذلك إسراف وتبذير نهى عنه الإسلام.

فاتباع الرسول ﷺ هو الاقتداء به، واقتفاء آثاره والتأسي به، وقد بحث الأصوليون في باب أفعاله ﷺ عن هذه المعاني؛ وذلك لأننا متعبدون باتباع الرسول ﷺ والتأسي به في أفعاله[2].

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٨٤ بتصرف.

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف عثمان، ص١٠٢.

ثالثًا: التربية الصحية:

لقد ربى النبي ﷺ صحابته الكرام على ما يحفظ صحتهم وأبدانهم من الأمراض والآفات، ولذلك فقط أمر بكل سلوك يحفظ الصحة، ونهى عن كل مسلك يؤدي إلى المرض، ومنذ ذلك نهيه ﷺ عن أخذ الذَكَرِ والاستنجاء باليمين؛ يقول ﷺ: «وإذا بال أحدكم فلا يأخذ ذكره...»، وذلك لأن هذا المكان مظنة الجراثيم والنجاسة، فينبغي أن لا تمسه اليد اليمنى، التي يتناول بها الإنسان طعامه وشرابه، ولن يخلو الأمر حينها من إصابته بالمرض الذي يضعفه عن العمل والعبادة.

وفي الحديث نفسه ينهي النبي ﷺ عن التنفس في الإناء، وذلك من العادات السيئة في الطعام، وقد قال ابن القيم:" وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها، ولاسيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه[1].

وفي النهي عن الاستنجاء باليد اليمنى والتنفس في الإناء أيضًا رعاية للصحة عن طريق الوقاية من المرض قبل وقوعه، وذلك منهج نبوي، في تنبيه الصحابة الكرام إلى ما فيه الضرر قبل اقترافه وإتيانه.

إن السنة النبوية اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالصحة والعافية، وتنير في الحياة الإنسانية بالإضافة إلى أن السنة بإجمالها كانت ترشد إلى المحافظة على الصحة، وتبعد الإنسان عن الوقوع في الأمراض والأسقام... فالصحة من نعم الله التي أعطاها للإنسان، فعليه أن ينشط بها وفيها، فيستغل وقت صحته ليعمل العمل الصالح، وينتج الإنتاج الطيب المبارك، كما عليه أن يحافظ على هذه الصحة، ولا يدخل على بدنه ما يفسدها، وسيسأل عن ذلك يوم القيامة[2].

وقد أولت التربية الإسلامية عنايتها بالجانب الجسمي للفرد من زاوية الوقاية من الأمراض وعلاجها... بل ويحثنا ديننا الحنيف على عمل الإجراءات اللازمة للوقاية من

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ص٥٠٤.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح أحمد رضا، ص٤٦٩.

الأمراض قبل وقوعها، ففي النظافة وقاية ومنع لانتشار الأمراض، وفي غياب النظافة البدنية والبيئة تعرض للهلاك[١]، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد القاضي، ص٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

٢٩٩- باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائماً لغير عذر

الحديث رقم (١٦٥١)

١٦٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: ((لاَيَمشِ أحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعاً، أو لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعاً))[1].

وفي رواية[2]: ((أو لِيُحْفِهِمَا جَمِيعاً)). متفق عليه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ليحفهما: ليخلعها[3].

الشرح الأدبي

على المسلم أن يكون حسن الهيئة، جميل المظهر، نظيف الثياب، مشرق الحياة، هاشاً باشاً، وأن لا يعرض نفسه لسخرية الآخرين، وللقيل والقال، وهذا الحديث يرشد المسلم إلى مراعاة السمت الطيب، واتباع المألوف لدى الناس في لباس النعل، والحديث يتكون من ثلاث جمل فعلية، وأفعالها مضارعة، والجملة الأولى تتصدرها "لا" الناهية، وهي أداة جزم، والجزم هو القطع: وكأن وظيفتها النحوية تتضافر مع وظيفتها الدلالية في الحديث الشريف فقول الرسول ﷺ: "لا يمس أحدكم في نعل واحدة"، فيه حزم وقطع بالانتهاء عن الإقدام على هذا الفعل المشين الذي يُشَوِّه صورة المسلم، ويجعله مثار سخرية الآخرين، ولذلك جاء الفعل المنهي عنه مضارعاً إيحاءً باستمرار النهي عن هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٥٦)، ومسلم واللفظ له (٢٠٩٧/٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٥٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٣/١٠.

السلوك المهين الذي يخالف المألوف لدى الناس، والجملتان الباقيتان: توضحان ما يجب على المسلم فعله حتى لا يكون سلوكه منفراً، وهذا التوضيح ارتبط بلام الأمر، والفعل المضارع المجزوم بلام الأمر حيث قال: "لينعلهما جميعاً، أو ليخلعهما جميعاً"، والضمير في الفعلين يعود على القدمين، وكرر لفظ "جميعاً" وهو حال في كلا الجملتين: أي في حال واحدة، ولنقتد برسول الله ﷺ في كل أمور حياتنا.

فرسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة في كل مظاهر الحياة والعبادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما ينتعل، وآخرها ينزع"[1].

فقه الحديث

وفي الحديثين كراهة المشي في نعل واحدة، أو خف واحد، أو مداس واحد إلا لعذر[2].

ولعل السبب في الكراهة أن النعال ونحوها شرعت لحماية الأرجل عما يكون في الأرض من شوك ونحوه، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي أن يتوقى لإحدى رجليه ما لا يتوقى للأخرى، فيخرج بذلك عن سجية مشيه وربما تعثر وسقط على الأرض[3].

كما قيل في سبب الكراهة: إن المشي في نعل واحد إنما هي مشية الشيطان[4].

وقيل أيضاً: إن فيه تركاً للعدل بين الرجلين، والعدل مأمور به[5].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤١٣٩، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٣٤٨٦).

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣١٧/٤، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٧٧/١٨، والكافي لابن عبدالبر ٦١٤، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٤/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٨٣/٢، وشرح صحيح مسلم، النووي ٧٤/١٤، والفروع، ابن مفلح ٣١٥/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٤/١.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٥٧/٤، وفي المعنى ذاته: شرح صحيح مسلم، النووي ٧٤/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٨٣/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٤٧/٤.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٥٧/٤.

(٥) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٨٣/٢.

وقيل أيضاً: حتى لا ينسب فاعل ذلك إلى اختلال الرأي، أو ضعفه[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في لبس النعلين أو خلعهما.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا يمش أحدكم في نعل واحدة" وقوله ﷺ: "... فلا يمش في الأخرى حتى يصلحها". حيث نهى ﷺ عن المشي في نعل واحد.

وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في النهي عن الأشياء التي تخالف أحكام وآداب الشريعة.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية اتباع الهدي النبوي في لبس النعلين أو خلعهما:

هذه الأحاديث في النعل وكراهة أن ينتعل الإنسان برجل واحدة أو يلبس خفاً برجل واحدة بل إما أن يحفيهما جميعاً، يعني لا يلبس في الرجلين شيئاً، وإما أن ينعلهما جميعاً.

ويظهر ذلك في حديث أبي هريرة: "أن رسول الله ﷺ قال: لا يمشي أحدكم في نعل واحدة لينعلهما جميعاً، أو ليخلعهما جميعاً". وفي رواية: "أو ليحفهما جميعا"[٣].

وعنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا انقطع شسع نعل أحدكم، فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها".

قال ابن حجر: (قال الخطابي: الحكمة في النهي أن النعل شرعت لوقاية الرجل عما يكون في الأرض من شوك أو نحوه، فإذا انفردت إحدى الرجلين احتاج الماشي أن يتوقى لإحدى رجليه ما لا يتوقى للأخرى فيخرج بذلك عن سجية مشيه، ولا يأمن مع ذلك من العثار. وقيل لأنه لم يعدل بين جوارحه، وربما نسب فاعل ذلك إلى اختلال الرأي أو

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٠٩/١٠.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٥١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٥٢، ١٦٥٣).

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٧٣٨/٢.

ضعفه. وقال ابن العربي: قيل: العلة فيها أنها مشية الشيطان، وقيل: لأنها خارجة عن الاعتدال. وقال البيهقي: الكراهة فيه للشهرة فتمتد الأبصار لمن ترى ذلك منه. وقد ورد النهي عن الشهرة في اللباس. فكل شيء صير صاحبه شهرة فحقه أن يجتنب)[١].

قال النووي: (يكره المشي في نعل واحدة أو خف واحدة أو مداس واحد لا لعذر ودليله هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم.

قال العلماء: وسببه أن ذلك تشويه ومثلة ومخالف للوقار، ولأن المنتعلة تصير أرفع من الأخرى فيعسر مشيه وربما كان سبباً للعثار، وهذه الآداب الثلاثة في المسائل الثلاث مجمع على استحبابها وأنها ليست واجبة، وإذا نقطع شسعه ونحوه فيخلعهما ولا يمشي في الأخرى وحدها حتى يصلحها وينعلها)[٢].

وقال ابن عثيمين: (ووجه ذلك: أن هذا الدين الإسلامي جاء بالعدل حتى في اللباس، لا تنعل إحدى الرجلين وتترك الأخرى، لأن هذا فيه جور على الرجل الثانية التي لم تنعل فلذلك نهى النبي ﷺ عن المشي في نعل)[٣].

ومن الآداب الإسلامية في لبس النعل: عدم لبسه والإنسان قائم، يظهر ذلك في حديث جابر رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ نهى أن ينتعل الرجل قائماً".

قال العظيم آبادي: (قال الخطابي: إنما نهى عن لبس النعل قائماً لأن لبسها قاعداً أسهل عليه وأمكن له وربما كان ذلك سبباً لانقلابه إذا لبسها قائماً فأمر بالقعود له والاستعانة باليد فيه ليأمن غائلته)[٤].

وقال ابن عثيمين: ("أن النبي ﷺ نهى أن ينتعل الرجل قائماً" فهذا في نعل يحتاج إلى معالجة في إدخاله في الرجل، لأن الإنسان لو انتعل قائماً والنعل يحتاج إلى معالجة، فربما يسقط إذا رفع رجله ليصلح النعل. أما النعال المعروفة الآن؛ فلا بأس أن ينتعل الإنسان وهو قائم ولا يدخل ذلك في النهي، لأن نعالنا الموجودة يسهل خلعها ولبسها)[٥].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٣٢٢/١٠.

(٢) شرح مسلم، النووي، ص ١٣٢٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٣٨/٢.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي، ص ١٧٧٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٧٣٨/٢، ١٧٣٩.

الحديث رقم (١٦٥٢)

١٦٥٢- وعنه، قال: سمعت رسولَ الله ﷺ، يقول: ((إذا انْقَطَعَ شِسْعُ (نَعْلِ)[١] أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَمْشِ فِي الأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا)). رواهُ مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

شسع نعل: أحد سيور النعل وهو الذي يُدخل بين الإصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام، والزمام السير الذي يعقد فيه الشسع[٣].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف فيه إرشاد للمسلم إلى عدم المشي في نعل واحدة كما ورد في الحديث السابق، وكأنه إجابة عن سؤال ينبثق من الحديث السابق، وماذا أعمل إذا انقطع شسع النعل، ويجيب رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن هذا السؤال المتوقع ليعطي حَلا لهذا الإشكال.

والشسع في اللغة قبال النعل، والنعل كما قال صاحب المحكم، ما وقيت به القدم، ففي البخاري عن قتادة حدثنا أنس رضي الله عنه "أن نعلي النبي ﷺ كان لها قبالان"[٤]: والقبالان: تثنية القبال، وهو زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

ويقال في اللغة: شسع النعل، أي انقطع شسعه، والشاسع هو: الرجل المنقطع الشسع.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند النسائي في المجتبى (٥٣٧٠).

(٢) برقم (٢٠٩٨/٦٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش س ع).

(٤) أخرجه البخاري، ٥٨٥٧، ٥٨٥٨.

والحديث يتكون من جملة لغوية واحدة، وهي جملة شرطية مكونة من أداة الشرط "إذا" وجملة فعل الشرط : "انقطع نعل أحدكم"، وجملة جواب الشرط: "فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها".

وأسلوب الشرط في هذا السياق مناسب ، لأن الحديث يثير مشكلة تحتاج إلى حل، فالرسول ﷺ ينهي عن أن يمشي المسلم في نعل واحدة، فماذا يفعل الإنسان إذا انقطع شسع نعله، فهذه هي المشكلة، التي تضمنها فعل الشرط، والأداة: "إذا"، وهي توحي بدلالتها بوقوع هذه المشكلة لأنها من مستلزمات الحركة في الحياة، فكل نعل لابد أن يبلى، كأي شيء في الحياة.

ويجيء الجواب حلاً لهذه المشكلة، وهو إصلاح النعل، ولذلك قال: "حتى يصلحها" و"حتى" للغاية، فتأمل بلاغة رسول الله ﷺ الواضحة المبينة التي تتجلى حتى في أقل الأمور شأناً، وأدقها خفاءً في بعض الأحيان، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٥٣)

١٦٥٣- وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائِماً. رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما أحرص رسول الله ﷺ على أن يحتفظ المسلم بهيئته ووقاره، وما أكثر حرصه على احتفاظ المسلم بمعالم هويته، وخصائص شخصيته حتى في أدق الأمور التي يظن الناس أنها لا تمثل في حياتهم شيئاً ذا بال، ومنها طريقة لبس النعل.

وهذا الحديث الشريف الذي يرويه جابر بأسلوبه عن رسول الله ﷺ، ويتضمن النهي عن انتعال الرجل قائماً، ومعنى: "أن ينتعل"، أي يلبس النعل وهو قائم، وإذا كانت النعل ضيقة أو تحتاج لربط سيورها، كما هو موجود في العصر الحديث، فينثنى الرجل، ويصير حينئذ على هيئة قبيحة، وصورة مزرية، والفعل "نهى" يفيد النهي القاطع: لأنه إخبار بصيغة الفعل الماضي ولم يقترن الفعل هنا بلا الناهية، لأنها من الجوازم، والجزم من خصائص الفعل المضارع لأنه من أحوال الإعراب، والفعل الماضي مبني دائماً وجملة "أن ينتعل الرجل" مكونه من أن المصدرية الناصبة والفعل المضارع المنصوب بأن، و"الرجل" فاعل: والجملة يمكن أن تؤول بمصدر وهو الانتعال، ولكنها جاءت في هذه الصورة اللغوية لتوحي بالحكرة والعناء والمشقة، ولتوحي كذلك باستمرار هذا الفعل: لأن المضارع يفيد الاستمرار، وكلمة "قائماً" حال حيث توضح حال الرجل المنتعل الذي لا يجلس وقت الانتعال: إذا كان يحتاج إلى ذلك، لضيق النعل، أو لربط وتثبيت السيور.

---

(١) برقم (٤١٣٥).

فالحديث على الرغم من إيجازه، ودلالته الواقعية، وإخباره عن مشهد مألوف فإنه تضمن بعض الظواهر الأسلوبية الموحية البليغة، ومن معاني المصاحبة، للانتعال في اللغة: الرجل الذليل يوطأ كما توطأ الأرض، والرسول ﷺ في نهيه عن الانتعال قائماً يبتعد بالمسلم وهو في هذه الهيئة عن شُبْهة الذلة والضعف والهوان، لأنه يثني ظهره، ويحني قامته، وربما يتعرض للسخرية والاستهزاء من قبل الآخرين.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه: كراهة الانتعال قائماً[1]، للأحاديث التي تنهى عن ذلك وسبب النهي عن الانتعال واقفاً، هو أن اللبس قاعداً أسهل، إذ ربما كان ذلك سبباً لانقلابه، وسقوطه على الأرض إذا ما لبس قائماً، فأمر بالقعود لأنه أسهل، وأعون، وأسلم من المفسدة[2].

وذهب المالكية[3]، وبعض الحنابلة[4] إلى القول بعدم الكراهة، وذلك لعدم صحة الأحاديث الواردة بالنهي، وعلى فرض صحتها، فإنها تحمل على من لا يمكنه القيام.

والأصح: حمل الأحاديث التي تنهى عن الانتعال قائماً على ما إذا كان فيه تعب ومشقة، أما إذا لم يكن فيه تعب ولا مشقة فلا بأس من القول بالجواز.

المضامين الدعوية[5]

---

(١) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٨/٢، ٦٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٦/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٥/١ وفيه "وصحح القاضي وغيره الكراهة، واختلف قوله أي الإمام أحمد - في صحة الأخبار".

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٦/٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٨٣/٥.

(٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣١٥/٢، وفيه "ولا بأس من الانتعال لبس النعل حال كونه قائماً". كما يجوز لبسه جالساً. وأيضاً الكافي لابن عبدالبر ٦١٤.

(٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨٥/١ وفيه "ولا يكره الانتعال قائماً".

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٥١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الوقائية:

من باب حرص النبي ﷺ على سلامة صحابته الكرام وسائر أمته، فقد أمر بأن لا يمشي في نعل واحدة، يقول ﷺ: «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة....»، ويقول: «إذا انقطع ..... فلا يمشي في الأخرى حتى يصلحها»؛ وذلك وقاية للمسلم من أن يلبس نعلاً ويترك الأخرى، فيمشي بواحدة، فيتعثر فيقع أو تزل قدمه فتنكسر، وهذا من المضار التي قد تسبب له نتائج سلبية على صحته، فقد يكسر عظمه على أثر سقوطه، وذلك مما يؤلمه، ويعطله عن حياته كلها.

وتكون التربية الوقائية، باتباع الهدي النبوي في سنن الفطرة والطعام والشراب والنوم واللباس والنكاح والعطاس والتثاؤب، ثم بتعريف المتربين ببعض القواعد الصحية، والنصائح الطبية على ألسنة الأطباء القدامى والحكماء السابقين؛ عساهم أن يتبعوها فيكونوا في مأمن من الإصابة بالعديد من الأمراض إلى ما شاء الله[1].

ثانيًا: التربية الجمالية:

ومما حرص عليه المربي الأول ﷺ، وحث على انتشاره بين المسلمين: الجانب الجمالي، والذي لا يتوقف على جمال المخبر وحده، بل أيضًا جمال المظهر؛ فالمسلم دائمًا عليه أن يحرص على مظهره الخارجي، من النظافة وجمال الثوب، وتصفيف الشعر، والتعطر، بقول ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»[2]، ومن مظاهر الحرص على الجانب الجمالي قوله ﷺ: «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة ...»، لأن ذلك من شأنه الإساءة إلى مظهر المسلم، وربما أدى إلى ازدراء الآخرين له، وذلك لسوء مشيته وتعثرها، لأن إحدى قدميه ستكون أخفض من الأخرى، فيظهر في مشيته، كأنه أعرج، وذلك مما ينال من هيبته ومكانته أمام الناس.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ص٤٥١ بتصرف.

(٢) أخرجه مسلم، ٩١.

بل إن النبي ﷺ أمر من انقطع شسع نعله أن لا ينتعله حتى يخيطه يقول ﷺ: «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَمْشِ فِي الأُخْرَىٰ حَتَّىٰ يُصْلِحَهَا». فليس الأمر مجرد حرص على لبس النعل، ولكن الأمر يتعدى ذلك إلى سلامة هذا النعل وعدم انقطاع شيء من سيوره التي تضمه إلى الرجل، وتوثق ربطه بها.

إن السعيد هو من يتطلع إلى ناحية الجمال في الحياة، إذا أظلمت الحياة، انتظر إشراقة الصباح، وإذا غربت الشمس انتظر شروقها، وإذا غاب القمر، فالنجوم تتلألأ، وحينئذ تخف وطأة الحياة، ويملأ التفاؤل حياة الإنسان[1].

ثالثًا: التربية بالتوجيه المباشر:

استخدم النبي ﷺ في أحاديث هذا الباب طريقة التوجيه المباشر؛ وذلك في قوله: «لا يمشي أحدكم في نعل واحدة...»، وقوله: «إذا انقطع نعل أحدكم...»، موجهًا صحابته الكرام إلى الهدي مباشرة، دون استخدام وسيلة أخرى، وذلك أنه يوجه إلى شيء من ضرورات الحياة الأساسية، وهو الاهتمام بالمظهر الخارجي، ورتق النعل المقطوع قبل لبسه، فالأمر لا يحتاج إلى استخدام وسيلة أخرى غير التوجيه المباشر.

ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه.... مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم، ومن المفيد أن يبتعد المعلمون في نصحهم وعظاتهم عن أسلوب الأوامر والنواهي، وعليهم استخدام الذكاء واللباقة في النصح والإرشاد؛ حتى لا ينفروا المتعلمين[2].

---

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح، ص١٠٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات وآخرون، ص٨٤.

٣٠٠- باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم

ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره

الحديث رقم (١٦٥٤)

١٦٥٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ حريص على أمته، بالمؤمنين رءوف رحيم، وهو يرشد أمته إلى سبل النجاة من الشرور والأخطار في دنياهم وإلى مسالك الطاعة، وسبل الهداية التي تؤدي بهم إلى النجاة من النار في أخراهم، ولم تقتصر هدايته على المواعظ والخطب والوصايا، ولكنه كثيراً ما كان ينصح الناس ويدلهم على اتقاء الأخطار التي قد يتعرضون لها في بيوتهم، وطرقهم، وأعمالهم

ومن هذه الإرشادات العملية هذا الحديث الذي جاء في صيغة النهي، ولم يتوجه رسول الله ﷺ بالنهي إلى فرد واحد وإنما توجه بالنهي إلى جموع الأمة كلها، فقال: "لا تتركوا النار في بيوتكم، حين تنامون".

وجملة "حين تنامون" تقييد للنهي فإطفاء السراج المشتعل وقت النوم من طرق الوقاية والأمان: حتى لا تشتعل النيران في البيت، فتلحق الأذى والضرر بكل ما يحتويه البيت من أثاث، ومتاع، وحيوان، وطير، وأناس.

وإذا اتخذ الإنسان وسائل الأمان، وترك البيت مضيئاً بوسائل أخرى، كما هو حاصل في العصر الحديث، فلا خبر، ولفظ "النار" يحدد بأن المراد، عدم ترك المواقد مشتعلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩٣)، ومسلم (٢٠١٥/١٠٠) ولفظهما سواء.

أو السرج التي لا أمان لها من غطاء زجاجي أو غيره، وفي حديث آخر يقول ﷺ: ((إن هذه النار إنما هي عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم))[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك النار أثناء النوم.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الأخذ بأسباب السلامة والنجاة وحفظ الأنفس والأموال.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ في إطفاء النار أثناء النوم وعدم تركها.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون".

حيث نهى النبي ﷺ عن ترك النار في البيت وقت النوم.

وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية التي يستخدمها الداعية في توجيه المدعوين إلى ترك ما يتنافى مع أحكام وآداب الدين وكذلك ما يكون فيه ضرر للمدعو أو لغيره فينهاه عنه حتى ينتبه إليه ويأخذ حذره وحيطته منه وينتهي عن فعله.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من ترك النار أثناء النوم:

يظهر ذلك في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون".

وحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل، فلما حدث رسول الله ﷺ بشأنه قال: "إن هذه النار عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها".

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٢٩٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٥٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٥٥).

قال النووي: (قوله ﷺ: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون" هذا عام تدخل فيه نار السراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر بالإطفاء، وإن أمن ذلك كما في الغالب فالظاهر أنه لا بأس بها لانتفاء العلة)[1].

وقال ابن عثيمين: (النهي عن إبقاء النار ونحوها في البيت عند النوم ونحوه، وذلك أن النار كما وصفها النبي ﷺ في هذه الأحاديث عدو للإنسان، فإذا أبقاها الإنسان ونام. فربما تأتي الفويسقة - يعني الفأرة- فتنخسها ثم تشتعل كما هو الشأن فيما سبق، كانت السرج من النار توقد في الزمان الأول، بالودك، والسويت وشبهه، ثم صارت توقد بالجاز وكلها مواد سائلة، فإذا جاءت الفأرة وعبثت بها؛ انصب الذي في السراج وحصل الحريق، ولهذا أمر النبي ﷺ بإطفاء النار عند النوم لئلا يحصل الحريق، ولكن في الوقت الحاضر، ليس يوقد كما كان فيما سبق، فاليوم الكهرباء سالب وموجب، يحصل بها إيقاد اللمبة مثلاً فلو نام الإنسان وفي بيته لمبة موقدة فلا بأس؛ لأن العلة التي من أجلها نهى النبي ﷺ عن إبقاء النار غير موجودة في الكهرباء في الوقت الحاضر. نعم فيه أشياء تشبه ذلك كالدفايات؛ هذه لاشك أنها على خطر، ولا سيما إذا قربها الإنسان من فراشه، فإنه ينقلب أو ربما يمس هذه النار. فلهذا ينهى أن تبقى هذه الدفايات، موقدة إلا في مكان آمن، بعيداً عن الفراش، لئلا يحصل الحريق)[2].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الأخذ بأسباب السلامة والنجاة وحفظ الأنفس والأموال:

يستنبط ذلك من عموم الحديثين فقد نهى رسول الله ﷺ عن ترك النار أثناء النوم وأمر بإطفائها وذلك من أجل الأخذ بأسباب السلامة والنجاة وحفظ الأنفس والأموال. قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: الأمر بإطفاء المصابيح فن حسن غريب ولو تتبع لحصل منه فوائد.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٣٩، ١٧٤٠.

وقال ابن العربي: معنى كون النار عدواً لنا أنها تتلف أبداننا وأموالنا منافاة العدو، وإن كانت لنا بها منفعة، لكن لا يحصل إلا بواسطة، فأطلق أنها عدو لنا لوجود معنى العداوة. وقال القرطبي: الأمر والنهي في هذا الحديث للإرشاد، قال: وقد يكون للندب، وجزم النووي بأنه للإرشاد لكونه لمصلحة دنيوية، وتعقب بأنه قد يفضي إلى مصلحة دينية وهي حفظ النفس المحرم قتلها والمال المحرم تبذيره)[1].

وحفظ الأنفس والأموال من الأهداف الرئيسة في الدعوة إلى الله لأنهما من الضروريات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظهم وحرمت عليهم ورتبت على ذلك جزاءات دنيوية وتوعدت بالعذاب الشديد يوم القيامة لمن لم ينله العقاب الدنيوي.

رابعاً- من أساليب الدعوة: التوكيد والأمر:

يظهر أسلوب التوكيد في قوله ﷺ: "إن هذه النار عدو لكم...".

وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في التأكيد على الحقائق للمدعوين. ويظهر أسلوب الأمر في قوله ﷺ: "... فاطفئوها...".

وأسلوب الأمر من الأساليب التي يستخدمها الداعية في حث المدعوين على الالتزام بما دعا إليه من حقائق وآداب لأنها من تعاليم الدين وإنما يأمرهم بما فيه خيرهم وخير مجتمعهم من ما جاء من تعاليم الإسلام.

خامساً- من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ في إطفاء النار أثناء النوم وعدم تركها:

ويظهر ذلك في نهيه ﷺ عن ترك النار أثناء النوم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: "لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون".

وأمره بإطفائها في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "إن هذه النار عدو لكم فإذا نمتم، فأطفئوها".

---

(١) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٨٨/١١، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٨٠/٥.

قال ابن حجر: (قال القرطبي: في هذه الأحاديث أن الواحد إذا بات ببيت ليس فيه غيره وفيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق، وكذا إن كان في البيت جماعة فإنه يتعين على بعضهم وأحقهم بذلك آخرهم نوماً، فمن فرط في ذلك كان للسنة مخالفاً ولأدائها تاركاً)[1].

فيتضح من ذلك أهمية الاستجابة لتوجيهات النبي ﷺ في إطفاء النار أثناء النوم وعدم تركها.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٨٩/١١.

الحديث رقم (١٦٥٥)

١٦٥٥- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَأنِهِم، قالَ: ((إنَّ هذِهِ النَّارَ[1] عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإذا نِمْتُمْ، فَأطْفِئُوهَا[2])) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

هذا الحديث توضيح وتفصيل لما أجمل في الحديث السابق، والأحاديث النبوية بعضها يشرح بعضاً في نصوص كثيرة، فسبب النهي عن ترك النار في البيوت وقت النوم: كشف عنه الموقف والحدث في هذا الحديث الشريف: حيث يبدأ الحديث بتوصيف الحدث المأساوي في قول: أبي موسى الأشعري رضي الله عنه "احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل".

وهذه الجملة الإخبارية تشخص الحدث وهو الاحتراق، وتحدد مكان الاحتراق وزمانه فهو بالمدينة، وحدث ليلاً والمحترق بيت ينام فيه أهله، فعناصر الحدث مكتملة، وهي كلها واقعية.

وقوله: "فلما حدث رسول الله بشأنهم" يرشد إلى أن الرسول ﷺ بلغة الخبر من كثيرين وليس من واحد، لأن الفعل مبني للمجهول في قوله: "حُدِّث بشأنهم"، والتركيز على ما حدث من احتراق لأهل المنزل حيث قال: "بشأنهم" ولم يقل بشأنه: فحياة المسلم لابد أن تُتَّخذ كل وسائل الوقاية لحمايتها، وتأتي نصيحة رسول الله ﷺ في أسلوب

---

(١) عندهما زيادة: (إنما هي) وهي لا توجد عند الحميدي في جمعه (٣٠٢/١، رقم ٤٤١) فتبعه عليه المؤلف.

(٢) عندهما زيادة: (عنكم).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٩٥)، ومسلم (٢٠١٦/١٠١)، وتقدم برقم (١٦١).

خبري محصَّن بالتوكيد، في سياق التحذير العام لكل المسلمين: فقال: "إن هذه النار عدو لكم".

وبلاغة الرسول ﷺ تتجلى في قوله: "عدو لكم"، حيث شخص النار، وأضفى عليها خصائص البشر وبث فيها الحياة من خلال وصفها بالعداوة، فهي العدو المهلك بسبب آثارها المهلكة القاتلة.

والنار عند العرب في مواضع كثيرة مرتبطة بالأذى والهلاك، ويقول رسول الله ﷺ: "إن شدة الحر من فيح جهنم"[1]، وشدة الحر وقت الهاجرة، تؤذي الإنسان والحيوان، فالناقة يصيبها الهزال، وتحتفر الظباء والثيران، كُنُّساً تتقي فيها لفح الهاجرة، وبعض الحيوانات تنزوي من أذى الرمضاء، كالضباب والجنادب، والحرباء، ولهيب الحر، يكاد يشوي اللحم، وبعض الملابس تكاد تشتعل لشدة لفح الهاجرة.

وهذه العداوة التي جعلها الرسول ﷺ صفة النار ليس مطلقة ولكنها تكون وقت عدم اتخاذ الوقاية من الأذى، وللنار عند العرب أسماء حسب الحاجة والمنفعة، ومنها نار الاستمطار، ونار التحالف، ونار الأهمية للحرب، ونار الحرس، ونار السعالى، ونار الأسد، ونار القرى، ونار السليم، ونار الوسم[2].

والجملة الأخيرة في الحديث، تضيء الموقف وتوضح أن صفة العداوة ليست مطلقة فقد تكون النار نافعة كما عرفها العرب وحددوا أنواعها، ولكن ذلك يكون في اليقظة: أما عند النوم فهي: العدو المتربص المهلك، ولذلك جاء التحذير من النار في سياق الإخبار عن احتراق البيت، وهذا التحذير صيغ في قالب: الشرط والجواب وأداة الشرط: "إذا"، وهي تدل على التحقق: لأن النوم طبيعة بشرية، وكل الناس ينامون ويستيقظون، ولذلك نفهم سر جمال البيان النبوي وبلاغته، في قوله محذراً ومنبهاً كل المسلمين، بل وكل إنسان على وجه الأرض "فإذا نمتم فأطفئوها".

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٣٦، ومسلم، ٦١٥.

(٢) انظر: المنظور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

فقه الحديث

في الحديثين من الفقه الأمر بإطفاء النار قبل النوم، وهذا الأمر للإرشاد والاستحباب[١] وليس للوجوب، خلافاً لأهل الظاهر[٢].

وقد ذكر الحديث الثاني العلة في ذلك، وهي أن النار عدو للإنسان، فربما أتت النار على المنزل، وأحرقته.

من المتلزم بإطفاء النار؟ إذا بات الشخص منفرداً في بيت فيه نار فعليه أن يطفئها قبل نومه، أو يفعل بها ما يؤمن معه الاحتراق.

أما إذا كان في البيت جماعة، فإنه يتعين على بعضهم، وأحقهم بذلك آخرهم نوماً، فمن فرط في ذلك كان للسنة مخالفاً، ولأدائها تاركاً[٣].

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣٤١/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٨٣/٤، وفتح الباري، ابن حجر ٨٦/١١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨٧/١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨٦/١١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٥٦)

١٦٥٦- وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ[١]. وَاطْفِئُوا السِّرَاجَ، فإنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً، وَلاَ يَفْتَحُ بَاباً، وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً. فإنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إلاَّ أنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوداً، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَل، فإنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ)). رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أوكئوا السقاء: أي: اربطوا السقاء لئلا يدخلها شيء[٣].

السراج: المصباح[٤].

سقاء: كل ما يجعل فيه ما يُسقى[٥].

يعرض على إنائه عوداً: أي: يمد عليه خشبة عرضاً[٦].

الفويسقة: الفأرة[٧].

تضرم: تحرق[٨].

الشرح الأدبي

من جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث النبوي الشريف:

---

(١) لفظ مسلم في هذه الرواية: (الباب) بالإفراد، وبلفظ الجمع عنده برقم (٢٠١٢/٩٧).

(٢) برقم (٢٠١٢/٩٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ك أ).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ر ج).

(٥) المرجع السابق في (س ق ى).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧٧، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ر ض).

(٧) رياض الصالحين ٥٧٠.

(٨) رياض الصالحين ٥٧٠.

هذا الحديث نصائح وإرشادات لكل مسلم؛ حتى يتقي النارَ وإيذاءها، وهو تحذيرات من كل خطر يداهم البيوت بسبب الإهمال في ترك السرج المشتعلة، والمواقد الملتهبة، ويبدأ الحديث بأربع جمل وردت في صيغة الأمر، وكلها مقترنة بواو الجماعة؛ فالأمر موجه إلى جموع الأمة، والجمل متناسقة في بنائها اللغوي؛ فالأفعال في بدايتها أفعال أمر، والفاعل في كل جملة هو واو الجماعة، والمفعول به من متعلقات ومستلزمات البيت، وختام الجمل يتسم بالإيقاع الصوتي، المتمثل في حرف المد المتواجد في كل كلمة، وكذلك السجع الموقع بين الجملة الأولى والثانية، وهذه الظواهر الأسلوبية لجذب الانتباه، وشد الأسماع؛ حتى يتنبه الناس، ويسهل عليهم حفظ هذه الأوامر، وتلك التوجيهات التي تتناغم كلماتها، ويقوى تأثيرها، وهي تَرِدُ على هذا النحو: غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الباب وأطفئوا السراج.

وتعليل هذه الأوامر يأتي في أسلوب التوكيد، وكذلك يتَّشِحُ بالبديع الذي يزين الكلام؛ والبديع هنا هو اللف والنشر غير المرتب؛ حيث قال رسول الله ﷺ مؤكداً نجاة المسلم الذي ينفذ الأوامر السابقة، من كل "خطر؛ "فإن الشيطان لا يحل سقاءً، ولا يفتح بابًا، ولا يكشف إناء"، فالسقاء، والإناء، والباب، وردوا في الجمل السابقة، ولكن ليس على الترتيب؛ حتى لا يكون الأمر تكلفاً، وتعمداً؛ ورسول الله ﷺ لا يتكلف في بيانه ولا أفعاله، وفي إطار أسلوب الشرط والجواب، يضع رسول الله ﷺ للمحتاجين الذين لا يجدون ما يحمون به متعلقاتهم من أعوان الشياطين فيقول: "ضعوا عوداً على كل إناء وسقاية، وسموا الله: فإن اسم الله الرحمن الرحيم، يحصن المسلم من الشرور"، وجملة الشرط والجواب في إطارها: أسلوب القصر لمزيد من بيان الحاجة، والعوز والفقر. والجملة الأخيرة" تعليل لاتخاذ الوقاية اللازمة، وتحذير من أخطار النار وهذا التعليل يأتي في أسلوب التوكيد إمعاناً في التحذير، حيث قال: "فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم"، واسم الفويسقة وهي "الفأرة" فيه استعارة مأخوذة من الفسق؛ لأنها من المؤذيات الخمس. وفي قوله: "تضرم": مجاز عقلي: حيث أسند الإضرام إلى الفويسقة، من بب الإسناد إلى السبب في الإحراق. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على جمل من أنواع الخير والأدب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا[١]. من هذه الآداب ما يأتي:

١- تغطية الآنية، وربط الأسقية: والأمر بتغطية الإناء، وربط السقاء في الحديث للاستحباب والإرشاد، وقد ذكر العلماء لذلك فوائد منها:

أ- صيانتها من الشيطان، فإن الشيطان لا يكشف غطاء، ولا يحل وكاءً.

ب- صيانتها من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة، كما جاء في رواية مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء)[٢].

ج- صيانتها من النجاسات والقاذورات، والحشرات، والهوام، فربما وقع شيء منها فيه، فيشربه وهو غافل، فيصيبه بذلك ضرر[٣].

وتغطية الآنية مطلوب، حتى إن الشخص إذا لم يجد شيئاً يغطي به إناءه، فإنه يضع عليه عوداً، ويذكر الله، كما هو منطوق الحديث[٤].

٢- غلق الأبواب: كما يستحب أن تغلق الأبواب للحديث، ولأن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، ولما في غلق الأبواب من حراسة للنفس والمال من أهل الفساد[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣/١٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣/١٨٣، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٥/٤٣٣، غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان لمحمد بن أحمد الرملي ص ٣٦، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢/٣٤١، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠/١٤٢.

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٤/٣٨١. هذا وقد عمل بعضهم بالسنة في التغطية بعود، فأصبح وافعى ملتفة على العود ولم تنزل الإناء، ولكن لا يعرض العود على الإناء، إلا مع ذكر الله، فإن السر الدافع هو اسم الله مع صدق النية. انظر: غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان الرملي ٣٦.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣/١٨٥، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢/٣٤١.

٣- إطفاء المصابيح والأسرجة: كما يستحب إطفاء المصابيح والأسرجة، وذلك خوفاً من الفويسقة -وهي الفأرة- أن تجر الفتيلة، فتحرق البيت[1].

أما القناديل المعلقة في المساجد، وغيرها -ويدخل فيه أدوات الإضاءة الحديثة- فإن خيف أن يؤدي عدم إطفائها إلى حريق دخلت في الأمر بالإطفاء. وإن أمن ذلك - كما هو الغالب -، فالظاهر أنه لا بأس بتركها لانتفاء العلة التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث، وإذا انتفت العلة زال المنع لأن النبي ﷺ علل الأمر بالإطفاء في الحديث، بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم، فإذا انتفت العلة زال المنع[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بأسباب السلامة.

ثالثاً: من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وإرشادهم إلى أسباب الأمن والسلامة.

رابعاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في التماس أسباب النجاة والأمن.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج...".

ويظهر من ذلك أمره ﷺ بفعل هذه الأشياء. وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في حث المدعوين إلى الاستجابة لدعوته وأمرهم بما ينفعهم في دنياهم وأُخراهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الأخذ بأسباب السلامة

ذلك واضح في قوله ﷺ: "غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا... إلخ الحديث".

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢/٣٤١، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١/٨٦.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٣/١٨٦، وفتح الباري، ابن حجر ٦/٣٥٦.

قال النووي: (هذا الحديث فيه جمل من أنواع الخير والأدب الجامعة لمصالح الآخرة والدنيا فأمر رسول الله ﷺ بهذه الآداب التي هي سبب للسلامة من إيذاء الشيطان، وجعل الله عز وجل هذه الأسباب أسباباً للسلامة من إيذائه، فلا يقدر على كشف إناء ولا حل سقاء ولا فتح باب ولا إيذاء صبي وغيره إن وجدت هذه الأسباب[١].

وهذا كما جاء في الحديث الصحيح: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء))[٢] أي لا سلطان لنا على المبيت عند هؤلاء. وكذلك إذا قال الرجل عند جماع أهله: ((اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا))[٣] كان سبب سلامة المولود من ضرر الشيطان، وكذلك شبه هذا مما هو مشهور في الأحاديث الصحيحة، وفي هذا الحديث الحث على ذكر الله تعالى في كل المواضع ويلحق بها ما في معناها. قال أصحابنا: يستحب أن يذكر الله تعالى على كل ذي بال، وكذلك يحمد الله تعالى في أول كل أمر ذي بال للحديث الحسن المشهور[٤].

وقال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: في الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية حراسة الأنفس والأموال من أهل العبث والفساد ولا سيما الشياطين)[٥].

قال ابن القيم: وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة[٦].

ثالثاً- من آداب الداعية: الخوف على المدعوين وإرشادهم إلى أسباب الأمن والسلامة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ "غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، وأغلقوا الأبواب، وأطفئوا السراج، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح باباً... إلخ" الحديث.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٧٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١، ومسلم ١٤٣٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٢٧٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٩٠/١١.

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢٣٢/٤.

ويظهر من ذلك خوفه ﷺ على المدعوين وإرشادهم إلى أسباب الأمن والسلامة وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه الداعية ولا أدل على ذلك من هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ لأثر القيام بهذا الواجب الشرعي في حفظ المجتمع وسلامته ونجاته فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: ((مَثَلُ القائمِ على حُدودِ اللهِ والواقعِ فيها كمَثَلِ قومٍ استَهَموا على سَفينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاها وبعضُهم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها إذا استَقوا مِنَ الماءِ مَرّوا على مَن فَوقَهُم، فقالوا: لو أنّا خَرَقْنا في نَصيبنا خَرقاً ولم نُؤْذِ مَن فَوقَنا، فإن يَترُكوهم وما أرادوا هَلَكوا جميعاً، وإن أخَذوا على أيديهم نَجَوا ونجوا جميعاً))[1].

فينبغي على الداعية الخوف على المدعوين وإرشادهم إلى أسباب الأمن والسلامة حتى ينجو وينجو المجتمع.

رابعاً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في التماس أسباب النجاة والأمن:

يستنبط ذلك من عموم الحديث حيث أمر رسول الله ﷺ بهذه الأشياء حتى يحرص الناس على التماس أسباب النجاة والأمن.

قال القرطبي: (وقد تضمنت هذه الأحاديث: أن الله تعالى قد أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في هذه الأوقات من المضار من جهة الشياطين، والفأر، والوباء. وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى ما يتقى به ذلك فليبادر الإنسان إلى فعل تلك الأمور ذاكراً الله تعالى، ممتثلاً أمر نبيه ﷺ، وشاكراً لله تعالى على ما أرشدنا إليه وأعلمنا به، ولنبيه ﷺ على تبليغه، ونصحه. فمن فعل ذلك لم يصبه من شيء من ذلك ضرر بحول الله وقوته، وبركة امتثال أوامره ﷺ وجازاه عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته، فقد بلغ ونصح)[2].

قال ابن عثيمين: (وكذلك ينبغي للإنسان إذا نام أن يجافي الباب بمعنى يغلقه، وكذلك ينبغي إذا أراد أن ينام أن يغطي الإناء ولو بوضع عود عليه لأن في ذلك حماية له

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٩٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٢٨٢.

من الشيطان)[١]. وقد أمر رسول الله ﷺ بالحرص على ما ينفع فقال: ((... احرص على ما ينفعك))[٢].

وتغطية الأواني وإغلاق الأبواب وإطفاء السراج أثناء النوم من الأشياء التي تنفع الإنسان وتحفظه من التعرض للأذى وعبث الشيطان فينبغي أن يحرص على فعلها.

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٤٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٦٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الوقائية:

لقد حرص النبي ﷺ: على أمته، فهو الرءوف الرحيم بهم، ولم يتوقف حرصه على أمته على عذاب الآخرة وحده، بل إنه أيضًا كان يحذرهم من ملمات الدنيا ومسبباتها، وفي هذا الباب يستخدم النبي ﷺ التربية الوقائية من خلال تحذيره من مضار النار، يقول ﷺ: «إن هذه النار عدو لكم...» وذلك لأن ترك النار موقدة في البيوت قد يؤدي إلى نشوب الحريق، وفي ذلك هلاك للأهل والمال.

وفي حديث آخر يأمر ﷺ بتغطية آنية الطعام وربط الأسقية وإغلاق الأبواب وإطفاء السراج، تحرزًا من وقوع الضرر، وأعظمه دخول الشيطان لعنه الله، وإيذاؤه للنائمين بالوسوسة وتغليب النوم لتفوت عليه صلاة الصبح، وفي تغطية الآنية والأسقية وقاية من سم الحيات، والحشرات، والكلاب، وغير ذلك مما يفسد الطعام والشراب، وفي إغلاق الباب أمان ووقاية من دخول الكلاب والذئاب واللصوص، وكذلك وقاية من خروج الأطفال ليلاً فلا يؤمن عليهم ذلك، وكذلك في إطفاء السراج أمان من وقوع الحريق، وضمان لنوم هادئ بعيدًا عن الإضاءة.

بل إن الوقاية تصل إلى حد بعيد، فإن لم يجد الإنسان غطاءً لإنائه فليضع عليه عودًا وليسم بسم الله، وذلك ليحفظه الله تعالى من المكروهات، لأن العبرة في الأمر بالأخذ بالسبب والاستعانة بالله تعالى؛ وقد قال ابن القيم: "وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة:، وقال الليث ابن سعد: "وفي عرض العود عليه من الحكمة: أنه لا ينسى تخميره، بل يعتاده حتى بالعود، وفيه: أنه ربما أراد الدبيب أن يسقط فيه فيمر على العود، فيكون العود جسرًا له يمنعه من السقوط... فذكر الله عند تخمير الإناء يطرد عنه الشياطين، وإيكاؤه يطرد عنه الهوام، ولذلك أمر بذكر اسم الله في هذين الموضعين[1].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي ٢/٥٠٥.

ثانيًا: التربية بالعبرة:

من الأساليب التربوية المؤثرة في نفوس المتربين: التربية بالعبرة؛ وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب عندما احترق بيت في المدينة على أهله من الليل، فبين النبي ﷺ لصحابته الكرام السبب في ذلك، وهو أنهم تركوا النار وناموا فشبت في البيت كله؛ حتى يعتبروا بحالهم، ولا يقعوا فيما وقعوا فيه من إهمال النار وتركها موقدة في الليل، ولاشك أن من رأى هذا الموقف وسمع مقولة النبي ﷺ سوف يعتبر بحال هؤلاء الذين احترق بيتهم، ثم يمسي مهتمًا بقول رسول الله ﷺ وتنفيذ أمره، يقول ﷺ: «إن هذه النار عدو لكم....».

إن المربي الماهر هو الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه، وقد كانت هذه الطريقة من أبلغ وسائل التربية عند جماعة المسلمين الأولى، وأعمقها أثرًا فيها، ففي كل حدث درس، وفي كل درس عبرة لا تنسى[1].

ثالثًا: التربية بالتوجيه المباشر:

وذلك في أمره ﷺ المباشر بقوله: «فإذا نمتم فأطفئوها»، وقوله: «غطوا الإناء، وأوكئو السقا...»، وفي هذا الباب وجه النبي ﷺ أوامره ونواهيه إلى الصحابة، من أجل إتيان ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه؛ وذلك لخطورة ما يأمرهم به وينهاهم عنه، فإنه يوجه إلى خطورة النار ووجوب اتقائها من قبل أهل البيت وساكنيه، كما ينهي عن تركها موقدة، ويبين خطورتها، وكذلك في باقي أوامره ﷺ بتغطية الآنية وإغلاق الأبواب، وإطفاء السراج، وكلها استخدم فيها النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر.

ومن الآثار التربوية التي تترتب على التربية بأسلوب التوجيه: الابتعاد عن المضار والمنكرات والفواحش، وهو هدف أسمى تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقه، وبه

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد العاني، ص٣٨٤ بتصرف يسير.

يسمو المجتمع، ويسلك الجميع وفق منهج الله وشرعته، ويتوقف نجاح هذا الأسلوب على تخير وقت التوجيه[1]، مثلما فعل النبي ﷺ عقب احتراق أحد بيوت الأنصار، فوجه الصحابة إلى سبب الحريق، وهو ترك النار موقدة ليلاً.

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤ بتصرف.

٣٠١- باب النهي عن التكلف

وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[ص: ٨٦].

الحديث رقم (١٦٥٧)

١٦٥٧- وعن عمر رضي الله عنه قال: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من كلمات ابن عمر رضي الله عنهما، ولكنه يستمد معانيه من كلام رسول الله ﷺ، وصيغة الفعل "نهينا" ترشد إلى ذلك، فقوله: "نهينا" مبني للمفعول، ومقترن بـ"نا" الدالة على الجمع: وهي في موقع النائب عن الفاعل، فالنبي ﷺ موجه إلى الأمة الإسلامية كلها، وهو النهي عن التكلف، فَمَن الذي نهى عن ذلك؟، إنه رسول الله ﷺ اتباعاً لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

والسلوك المنهي عنه: هو: التكلف، وهو في اللغة: تَجَشُّمُ الشيء، والمتكلف: المتعرض لما لا يعينه: أي الذي يتكلف الأمور، ويُقْحِم نفسه فيما لا يطلب منه، ويقال: حملت هذا الشيء تكلفة إذا لم تطقه إلا تكلفاً.

والمسلم في منهجه ينأى عن التكلف في الأقوال والأفعال، وفي أداء العبادات، وفي التعامل مع الآخر، ومادة "كلف"، في اللغة، تدل على التغير والتلون، ومنه "الكلف"، وهو حمرة كدرة تعلو الوجه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٣).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

وهو بتحريك اللام، الكَلَف، شيء يعلو الوجه كالسمسم، ولون من السواد والحمرة.

والكُلفة بالضم: لون الأكلف، أو حمرة كدرة، وما تكلفته من نائبةٍ أو حق.

ومن مظاهر التكلف المنهي عنها: المبالغة في الأحكام على الأشياء، والمبالغة في التصورات: رفضاً أو قبولاً، وتضخيم الأمور، والتهويل في استقبال أصداء الأحداث، وغير ذلك من هذه المظاهر، ومن مظاهر التكلف في الأقوال التي نهى عنها رسول الله ﷺ: (التنطع في الكلام، وكذلك التمطق، وكذلك التفيهق: وهو الكلام من أقصى الفم)، وقد أبدى رسول الله ﷺ رفضه للتكلف في المنطق، والمبالغة الممقوتة في طريقة إخراج الحروف.

فعت أبي ثعلبة الخشنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم مني في الآخرة مساوئكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون))[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على ترك التكلف.

ثانياً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثالثاً: من آداب الداعية: أن لا يفتى ولا يتكلم إلا فيما يعلم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على ترك التكلف:

يظهر في قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهينا عن التكلف. وكذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم ... إلخ"الحديث.

التكلف معناه: تكلف الشيء ومحاولة معرفته وإظهاره بمظهر العالم، وهو ليس كذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[3]، أي:

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٣/٤ رقم ١٧٧٣٢، وقال محققو المسند: حديث حسن لغيره ٢٦٧/٢٩.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٥٨).

(٣) سورة ص، آية: ٨٦.

لا أسألكم على ما جئت به من الوحى أجراً تعطونني إياه، وإنما أدلكم على الخير وأدعوكم إلى الله عز وجل وهكذا الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم يقولون لأصحابهم "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين"، أى: من الشاقين عليهم، أو القائلين بلا علم، بل إنه ﷺ، كان يقول، ويؤيده الله على قوله بإقراره عليه، ثم حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: "نهينا عن التكلف"، والناهي هو الرسول ﷺ، فإذا قال الصحابي، نهينا فإن هذا له حكم الرفع يعني كأنه قال: نهانا رسول الله ﷺ فعليه يكون هذا الناهي الرسول ﷺ "نهينا عن التكلف"، أن يتكلف الإنسان مالا علم له به ويحاول أن يظهر بمظهر العالم العارف، وليس كذلك[1].

وقال الزمخشري: قوله تعالى: "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين" أي: المتصنعين الذين يتحلون بما ليسوا أهله، وما عرفتموني قط متصنعاً ولا مدعياً ما ليس عندي، حتى انتحل النبوة وأدَّعى القرآن"[2]. قال القاسمي وفي الآية ذم التكلف[3].

وقال ابن عاشور: "وأخذ من قوله "وما أنا من المتكلفين"، أن ما جاء به الدين لا تكلف فيه، أى: لا مشقة في تكاليفه، وهو معنى سماحة الإسلام"[4]. "والمتتبع لرسالة الإسلام الغراء يجدها تمتاز باليسر والبساطة والمعقولية فتمتاز باليسر لأن مبادئها الأساسية ميسرة وميسورة، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[5]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[6]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[7].

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً جازماً سماحة الإسلام في مبادئه، فلا يكلف الإنسان فوق طاقته، ولا يعمل من المسئوليات ما لا يستطيع حمله فوق استعداده وكل

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٤٠/٢.

(٢) تفسير الكشاف ٩٣٢.

(٣) محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ١٩٢/١٤/٨.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣٠٩/٣/٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٥ .

(٦) سورة الحج، آية: ٧٨ .

(٧) سورة البقرة، آية: ٢٨٦ .

تكاليف الإسلام تدخل في حيز الإمكان البشري والطاقة الإنسانية، لكي لا يكون للإنسان عذراً أو حجة في التخلي عن أمر شرعي أو ارتكاب مخالفة إسلامية[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النداء:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل".

وأسلوب النداء من أساليب الدعوة، التي يستخدمها الداعية في لفت انتباه المدعوين، وإشعارهم بتوجيه الدعوة لهم وحثهم على الامتثال لها.

ثالثاً- من آداب الداعية: أن لا يفتى ولا يتكلم إلا فيما يعلم:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم...".

فإذا نزلت بالداعية نازلة فإما أن يكون عالماً بالحق فيها أو غالباً على ظنه بحيث استفرغ وسعه في طلبه ومعرفته أو لا، فإن لم يكن عالماً بالحق فيها أو غالب على ظنه لم يحل له أن يفتي أو يتكلم بما لا يعلم، ومتى أقدم على ذلك فقد تعرض لعقوبة الله ودخل تحت قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢]، فجعل القول عليه بلا علم أعظم المحرمات الأربع التي لا تباح بحال؛ ولهذا حصر التحريم فيها بصيغة الحصر[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: "من أُفتِي بفتيا غير ثبت فيها فإنما إثمه على الذي أفتاه"[٤].

فإذا علم الداعية الحق أفتا به وإن لم يعلم قال: الله أعلم، أو لا أدري. قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم :"لا أدري" أصيبت مقاتله، وكذا قال علي بن حسين.

وقال مالك: كان يقال: إذا أغفل العالم "لا أدري" أصيبت مقاتله، وقال أيضاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المسلمين، يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتى يأتيه الوحى من السماء. وقال الشعبي: (لا أدري: نصف العلم)[٥].

---

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، د. حمدالعمار، ٢٠٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٣٣ .

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٨٧٧.

(٤) أخرجه ابن ماجه ٥٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٤٧).

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٦١/٢.

وقال القاسم وابن سيرين: لأن يموت الرجل جاهلاً خير له من أن يقول مالا يعلم.

وقال مالك: عن القاسم بن محمد : إن من إكرام المرء لنفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه[1].

قال ابن عثيمين: قال ابن تيمية في كتابه "الفتوى الحموية": كانوا يقولون: "ما أفسد الدنيا والدين إلا أربعة: نصف متكلم، نصف فقيه، نصف نحوي، نصف طبيب".

أما نَصِف المتكلم: فإنه أفسد الأديان والعقائد، لأن أهل الكلام الذين ينالون من الكلام شيئاً لم يصلوا إلى غايته اغتروا به وأما أهل الكلام الذين وصلوا إلى غايته فقد عرفوا حقيقته ورجعوا إلى الحق.

ونصف فقيه: يفسد البلدان، لأنه يقضي بغير الحق، فيفسد البلدان فيعطي حق هذا لهذا، وهذا لهذا.

ونصف نحوي: لأنه يفسد اللسان، لأنه يظن أنه أدرك قواعد اللغة فيلحن فيفسد اللسان.

ونصف طبيب: فيفسد الأبدان، لأنه لا يعرف، فربما يصف دواء يكون داءً، وربما لا يصف الدواء فيهلك.

فالحاصل: أنه لا يجوز للإنسان أن يفتي إلا إذا جازت له الفتوى. ثم استدل ابن مسعود بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[2]، [3].

---

(١) المرجع السابق ٢/٦٥.

(٢) سورة ص، آية: ٨٦.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٤١.

الحديث رقم (١٦٥٨)

١٦٥٨- وعن مسروقٍ، قال: دَخَلْنَا على عبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ ﷺ فقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ، فَلْيَقُلْ: اللهُ أعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ: اللهُ أعْلَمُ. قالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

إن كلمات هذا الحديث الشريف: من كلام عبدالله ابن مسعود ﷺ لفظاً، ولكن المعنى مستوحًى من كلام رسول الله ﷺ، ومن التعاليم الإلهية في القرآن الكريم: وهو توضيح وتفصيل لكلام ابن عمر ﷺ في الحديث السابق الذي تَكَوَّن من جملة واحدة.

وهذا الحديث يبدأ بالنداء: وحرف النداء "يا" للمنادي البعيد: لأنه ينادي الناس جميعاً؛ ليحثهم على الاهتمام بما يقول، والإصغاء إليه، وأركان النداء ثلاثة: المنادي: وهو ابن مسعود ﷺ، والمنادى وهم الناس: والمنادى به: وهو المضمون الذي يريد توصيله للناس. وهذا المضمون أفصحت عنه الجملتان التاليتان اللتان صيغتا في قالب: الشرط والجواب، أو الشرط والجزاء: فالأولى تحث على عدم كتم العلم؛ حيث يقول: "من علم شيئاً فليقل به"، أي فليحدث به لإفادة الناس، في غير تكلف ولا مشقة ولا مبالغة ولا تهويل ولا كذب.

والجملة الثانية ترد في الصيغة نفسها: صيغة الشرط والجواب، ولكنها في مضمونها ضد مضمون الأولى، فبينهما تضاد ومقابلة في المعنى المراد، ومن لم يعلَم

---

(١) برقم (٤٨٠٩).

فليقل: "الله أعلم"، وتحذر هذه الجملة من الإفتاء بغير علم، والتكلف في ادّعاء الصدق والمعرفة، وتجيء الجملة الأخيرة مؤكدة لمضمون الجملة الشرطية الثانية ومعللة لها تعليلاً يفصح عن المفارقة في التعبير والموقف فكيف يكون عدم العلم علماً؟؟!!، لأنه قال مؤكداً: "فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم"، والمفارقة هنا تضيء الموقف وتكشف عن السبب في جعل الإقرار بعدم العلم بأنه علم، لأنه أوكل الأمر إلى الذي يعلم السر وأخفى: إلى رب العالمين تبارك وتعالى.

وصيغة التفضيل في قوله: "الله أعلم"، تعلن عن ذلك، فليس في هذا الوجود أعلم من الله تعالى بكل ما في الكون من أسرار، وحقائق، وكائنات مرئية، وغير مرئية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) سورة الملك، الآية: ٦٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من سمات المربي: عدم ادعاء العلم:

في حديث هذا الباب يرشد عبدالله بن مسعود رضي الله عنه المعلمين والمربين إلى ما تعلمه من كتاب الله تعالى، إلى عدم ادعاء العلم، ويقول رضي الله عنه: «ومن لم يعلم فليَقُل: اللّهُ أعلم؛ فإن منَ العلم أن يقول: لا أعلم»، وفي ذلك إشارة إلى احترام العلم، والتحلي بالأمانة العلمية؛ ذلك بأن بعض المربين يستحيون حين يسألون عن سؤال لا يعرفون إجابته أن يقولوا: لا أعلم، حرصًا منهم على مكانتهم بين تلاميذهم، فيضطرون إلى الإفتاء بغير علم، فيقولون في العلم ما ليس منه، ويضلون المتعلمين ويسود بذلك الجهل، ويصد الناس عن مصادر العلم الركيزة.

يقول ابن جماعة: إذا سئل عما لم يعلمه فليقل: لا أعلمه؛ أو لا أدري؛ فمن العلم أن يقول: لا أعلم..... وقيل: ينبغي للعالم أن يورث أصحابه (لا أدري) لكثرة ما يقولها، وقول المسئول (لا أدري) لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة، بل يرفعه؛ لأنه دليل عظيم على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه، وكمال معرفته وحسن تثبته[1].

ثانيًا: من مصادر التربية الإسلامية: القرآن الكريم:

لقد استدل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على ما قال من عدم الإفتاء بغير علم، بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[2]؛ وذلك تأكيدًا على صحة كلامه، وتعضيدًا لما قال، وإشارة إلى مصدر كلامه، وهو القرآن الكريم، ولا يخفى على ذي بصيرة أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتربية الإسلامية، وقد جاءت تعاليمه مجملة أحيانًا ومفصلة أحيانًا أخرى، وما من مرب أو معلم إلا ويلزمه الاعتماد على هذا المصدر التربوي، والمعين القويم الذي لا ينضب.

---

(١) المرشد النفيس، د. محمد صالح علي جان، ص١٤٩ بتصرف يسير.

(٢) سورة ص، الآية: ٨٦.

إن المرجع التشريعي في معرفة ما هو من الاتجاه المرغوب فيه وما ليس من الاتجاه المرغوب فيه هو القرآن الكريم، بوصفه المصدر الرئيس لاستصدار الأحكام واستنباط المعايير التربوية لذلك؛ لأننا نبحث في أنماط السلوك ما يصلح منها ومالا يصلح من وجهة نظر الإسلام، مستمد من القرآن الكريم، ولذا فإن قواعد وأسس التربية الإسلامية وأهدافها وأحكامها بناءً على ذلك مستمدة من القرآن الكريم بصورة رئيسية؛ بوصفه المصدر الأول للتربية الإسلامية[1].

ثالثًا: التربية بالتوجيه المباشر:

من خلال توجيه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه الحديث والنصح إلى الناس، بقوله: «مَنْ عَلِمَ شيئًا، فليقلْ بهِ ....»، وفي ذلك إيضاح لفكرته والمراد من الناس بطريقة بسيطة وقريبة إلى الأفهام، حتى يتسنى للناس فهمه والعمل بما أمر به رضي الله عنه؛ وذلك لبساطة الفكرة وأهميتها، فلابد من توصيلها دون استخدام أسلوب تربوي آخر.

إن هذا الأسلوب الذي سلكه عبدالله بن مسعود في نصحه للناس اقتدى فيه بطريقة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس وإصلاحهم لأنه "يعد أسلوب الأنبياء والرسل عامة، وهو من الأساليب المؤثرة في سلوك الصغار والكبار معًا.... ليسلك الجميع وفق منهج الله وشرعته"[2].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبو لاوي، ص ٢٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٣، ٨٤ بتصرف.

٣٠٢- باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

الحديث رقم (١٦٥٩)

١٦٥٩- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النَّبيّ ﷺ: ((المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ))[١].

وَفِي روايةٍ[٢]: ((مَا نِيحَ عَلَيْهِ)). متفق عليه.

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

نيح عليه: النواح: الصراخ والعويل في البكاء[٣].

الشرح الأدبي

إن المسلم في استقباله للمآسي والمصائب يتسم برباطة الجأش، وتسليم الأمر لله، وإسلام الوجه لرب العالمين، واحتساب الأجر عند الله تعالى، والموت من أشد المصائب تأثيراً في الإنسان، والصبر هو الحصن الذي يحتمى به المؤمن من الجزع والفزع والهلع؛ والحديث هنا له منطوق ومفهوم، فمنطوقه يصرح بأن الميت يعذب في قبره بسبب نَوْح أهله عليه، أو يظل يعذب طيلة بكائهم عليه.

والمفهوم الذي يشع به المنطوق أو يوحي به هو، عدم الجزع، وعدم البكاء الشديد المرتبط بالصياح وعبارات الهلع والاعتراض على قضاء الله عز وجل، لأن الموت قضاء الله عز وجل وقدره، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧/١٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (بعد حديث (٩٢٧/١٧، بدون رقم). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٦٩).

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٦١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣٤ .

قال الشاعر:

المَـــوْتُ بَـــينَ الخَلْـــقِ مُـــشْتَرَكُ ... لا سُـــوقَةٌ يَبقَـــى وَلا مَلِـــكُ

والحديث جملة واحدة اسمية: تبدأ بلفظ "الميت"، للتذكير بأن الذي مات يمكن أن يكون عذابه في القبر بسبب جزع أهله عليه، والنواح المرتبط بالصياح، والكلمات التي تخرج الإنسان عن دائرة الإيمان الصحيح ، والفعل "يعذب" مبني للمفعول، لأن المراد هو الإخبار عن العذاب، وليس المراد معرفة من يقوم بالعذاب؛ إذ أن عذاب القبر ثابت في الكتاب وفي صحيح السنة .

وللحديث تأويلات كثيرة وتفسيرات عديدة ذكرها العلماء، وكلها تثبت أن رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم، وهو من أفصح العرب، والأولى بالمسلم: أن يتسلح بالصبر، وأن يسلم أمره إلى ربه، وأن يدعو للميت بالمغفرة والرضوان، وأن يكون عند استقبال خبر الموت، كما قال الشاعر:

قـــضاؤك يـــا إلهـــي لـــن يُـــرَدَّا ... وحكمـــك مـــا وجـــدنا منـــه بُـــدَّا
ومـــا للنـــاس في الأمـــر اختيـــار ... ومـــا تـــأتي بـــشيء منـــك إدَّا
فـــنحن ودائـــع حفظـــت لحـــين ... وذي مـــن شـــأنها أن تُـــستردَّا
وإن المـــوت غايـــة كـــل حـــي ... ومـــا أحـــد بهـــا قـــد نـــال خلـــدا
ومـــا دمـــع العيـــون يـــرد رُزءًا ... ولا جـــزع القلـــوب يعيـــد رفـــدا
فتلـــك إرادة الـــرحمن فينـــا ... ومـــا عرفـــت إرادتـــه مـــردَّا[1]

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على مسألة: (تعذيب الميت ببكاء أهله عليه)، إذ يدل الحديث بمنطوقه على تعذيب الميت بالنياحة عليه[2]، وبه قال بعض العلماء[3]، وقد نقل هذا

---

(١) من قصيدة إرادة الرحمن، د. صابر عبدالدايم، ديوان نبضات قلبية.

(٢) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١١٦/٢.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٠٧/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٤/٢.

الرأي عن عمر بن الخطاب،وابنه عبدالله، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري وغيرهم[١] رضي الله عن الجميع.

وذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى القول بأن الميت لا يعذب بالبكاء والنياحة عليه، وذلك عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣]، وهو مروي عن عائشة رضي الله عنها[٤].

وقد تأول الجمهور الأحاديث الدالة على تعذيب الميت ببكاء أهله عليه -مع الاعتراف بثبوتها-بأوجه منها:

١- إنه يعذب ببكاء أهله عليه إذا أوصى أن يبكى عليه، ويناح بعد موته، لأنه سبب هذا النياح، وقد كان ذلك من عادة العرب، كقول طرفة بن العبد:

إذا مت فانعيني بما أنا أهله ... وشقي عليّ الجيب يا ابنة معبد

أما من بكى عليه أهله وناحوا عليه دون وصية منه، فلا يعذب ببكاهم ونوحهم[٥].

---

(١) تهذيب سنن أبي داود لابن القيم المطبوع مع عون المعبود ٢٧٨/٨.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٠٧/٢، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٠٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤١/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٧٤/٥، ومغني المحتاج ٣٥٦/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٤/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٣/٢.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٨.

(٤) هذا وقد أنكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما روايتهما لهذا الحديث، ووهمت فيه ابن عمر، والصواب أن إنكار السيدة عائشة لهذه الأحاديث، لا يصح، مع إمكان تأويل هذه الأحاديث، علاوة على ثبوت هذه الأحاديث فقد رواه عدد من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابنه عبدالله، وابنته حفصة، وصهيب والمغيرة بن شعبة. انظر في ذلك: تهذيب سنن أبي داود ٣٧٨/٨، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١١٦/٢.

(٥) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٧٤/٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٠٧/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢١٤/٢، والفروع، ابن مفلح ٢٢٧/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥٦٩/٢، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢١٦/٢.

٢- إنه يعذب بنوح أهله عليه إذا كان من عادة أهله ذلك، ولم يوص بتركه، لأنه متى ظن وقوع النوح والبكاء، ولم يوص تركه فقد رضي به[١].

٣- وقيل: معناه، يعذب بسماع أهله، ويرق لهم، لما روي أن النبي ﷺ زجر امرأة عن البكاء على أبيها، وقال: "إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه، فيا عباد الله لا تعذبوا إخوانكم"[٢] وهذا التأويل ذهب إليه محمد بن جرير الطبري، وقال القاضي عياض: هو أولى الأقوال[٣].

٤- وقيل: إنه خاص بالكافر، وأن المؤمن لا يعذب بذنب غيره[٤]، أصلاً.

ولكن هذا التأويل بعيد، لأن الكافر لا يحمل عليه ذنب غيره عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥].

هذا وقد جمع القرطبي بين حديث التعذيب والآية، بأن حال البرزخ يلحق بأحوال الدنيا، وقد جرى التعذيب فيها بسبب ذنب الغير، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[٦].

فلا يعارض حديث التعذيب آية ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لأن المراد بها الإخبار عن حال الآخرة[٧].

وأولى هذه التأويلات بالقبول، هو التأويل الأول، وهو ما عليه الجمهور[٨].

---

(١) هذا التأويل اختاره صاحب المحرر من الحنابلة. انظر: الفروع، ابن مفلح ٢/٢٢٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٥/ الحديث (١) من حديث قيلة بنت مخرمة.

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/١١٦.

(٤) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/١١٦، وتهذيب السنن، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ٨/٣٧٨.

(٥) سورة فاطر، آية: ١٨.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٧) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ٢/١١٦.

(٨) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٧٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب، والشرط.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من النياحة على الميت.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار، والترهيب، والشرط:

١- الإخبار: حيث جاء في الحديث "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه "وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة الهامة حيث تقوم به الحجة على المدعوين في تعريفهم بالمأمورات والمنهيات، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2] وأمر الله نبيه بالإخبار والتبليغ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[3] قال السعدي: (هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو: التبليغ لما أنزل الله إليه. ويدخل في هذا الأمر كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية فبلغ ﷺ أكمل تبليغ ودعا وأنذر وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه. وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين)[4].

٢- الترهيب: حيث جاء في الحديث "الميت يعذب في قبره بما نيح عليه" وقوله "فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تخوف وتحذر من الوقوع في المخالفات الشرعية، والمحظورات الدينية (والترهيب هو التخويف للعمل على ترك فعل أو اعتقاد أو تصور ويقوم الترهيب على وعيد بعقوبة، أو حرمان منفعة،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٥٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٦٢).

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٠١.

إذا لم يلتزم بما أمر به أو نهي عنه. والإنسان مفطور على الميل إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم، ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب)[١].

ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾[٣].

٣- الشرط: حيث جاء في الحديث "من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة" وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو إلى الارتباط بين الشرط وجواب الشرط، مما يدلل على أن الجزاء من جنس العمل ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من النياحة على الميت:

يتضح هذا من سياق الحديثين قال النووي: (واختلف العلماء في هذه الأحاديث فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا عليه من غير وصية منه فلا يعذب لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٥] وقيل الحديث محمول على من أوصى أو لم يوص لأنه أهمل وفرط في ترك

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ٣٩٣.

(٢) سورة الدخان، آية: ٤٣-٤٦.

(٣) سورة النبأ، آية: ٢١، ٢٢.

(٤) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٥) سورة فاطر، آية: ١٨.

الوصية بعدم النياحة وأما من أوصى بعدم النياحة ونيح عليه فلا يعذب إذ لا صنع له ولا تفريط منه والصحيح ما عليه الجمهور)[١].

وقال ابن عثيمين: (هذا البكاء يعذب به الميت في قبره فيكون الإنسان الباكي النائح هو المتسبب لعذابه في قبره فالواجب على الإنسان أن يتصبر ويحتسب الأجر عند الله ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب)[٢].

قال المازري: قوله ﷺ: "إنَّ الميِّتَ لَيُعَذَّبُ ببكاءِ أهله عليه" وفي حديث آخر: "بما نيح عليه". قال بعضُهم: الباءُ ها هنا باء الحال. والتقدير: يُعذَّبُ عند بكاء أهله عليه. أي: يحضرُ عذابه عند البكاء. وعلى هذا التأويل تكون قضية في عين[٣]. وقيل: محمله على أنَّ الميت وصَّى بأن يُبكى عليه فعُذِّب إذ نفذت وصيتُه، ومن الإيصاء بهذا المعنى قول طرفة:

إذَا مُتُّ فانْعِيني بما أنا أَهلُه ... وشُقِّي عَلَيَّ الجيبَ يا ابنةَ مَعْبَدِ

وقيل معنى: "يعذب ببكاء أهله". أي: أنَّ تلك الأفعال التي يعددها أهله مما يعدونها محاسن يعذب عليها من إيتام الوالدان وإخراب العمران على غير وجه يجوز.

وأما عائشة رضي الله عنها، فإنها تأولت ذلك على أنه كان في يهودية وأنه عليه السلام قال: "إنَّكُم لتبكُون عليها وإنَّها لتعذَّبُ في قبرها" وذكر عنها مسلم أيضاً: أنها لما أخبرت بقول عبدالله بن عمر رضي الله عنه: "إن الميت ليعذب في قبره ببكاء أهله عليه. قالت: وَهَل أبو عبدالرحمن إنما قال عليه السلام: "إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وإن أهله ليبكون عليه الآن؟ قالت: وهل هو مثل قوله: إنَّ رسول الله ﷺ قام على القليب يوم بدرٍ -وفيه قتلى بدر من المشركين- فقال لهم ما قال: إنهم ليسمعون ما أقولُ وقد وَهَل إنما قال: إنهم ليعلمون أن ما كنت أقولُ لهم حق.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ٥٩٨، ٥٩٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٤٢/٢.

(٣) وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت نياحة لا مجرد دمع العين. (انظر كلام محققي المعلم بفوائد مسلم ٢٥٢/١).

قال المازري: اغتر بعضُ الناس بحديث القليب، فقال: إن الميت يسمعُ. وهذا غير صحيح عند أهلِ الأصول، لأن الحياة شرط في السمع فلا يسمعُ غير حي. وحمل ذلك بعض الناس على أنهم أعيدت إليهم الحياة حتى يسمعوا تقريعه عليه السلام لهم. وأما قولها: "وَهَل" فقال الهروي: يقال: وهل يهلُ. إذا ذهب وهمه إلى الشيء. ومنه قول ابن عمر: وهل أُنسي؟ يريد غلط. فأمَّا: وهلت من كذا أوهل، فمعناه: فزعت منه. وفي الحديث: "فقمنا وهلين". أي: فزعين[1].

وقال القاضي عياض: (وقيل: معناه: إنه يتعذب بسماع بكاء أهله ويرقُ لهم، وقد جاء هذا مفسراً في حديث قَيلة حين بكت عند ذكرها موت أبيها، فزجرها النبي ﷺ ثم قال: "إن أحدكم إذا بكى استعبر له صويحبه. فيا عباد الله، لا تعذبوا إخوانكم"، وإلى هذا نحا الطبري وغيره، وهو أولى ما يقال فيه لتفسير النبي ﷺ في هذا الحديث ما أبهمه في غيره، ويندفع به الاعتراض بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2]، وذهب داود وطائفة إلى اعتقاد ظاهر الحديث، وأنه إنما يعذب بنوحهم عليه؛ لأنه أهمل نهيهم عنه قبل موته، وتأديبهم بذلك فيعذب بتفريطه في ذلك، وترك ما أمر الله به من قوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[3]، فيندفع عنه الاعتراض بالآية على هذا، لكن في حق من أهمل ذلك وجهله من يخلفه. وحمل العلماء هذا الباب كله أنه في البكاء بالصوت والصراخ والنياحة لا في بكاء العين[4].

قال القرطبي: (قوله ﷺ: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله" اختلف في معناه على أقوال: فأنكرته عائشة رضي الله عنها وصرَّحت بتخطئة الناقل أو نسيانه، وحملها على ذلك: أنها لم تسمعه كذلك، وأنه معارض بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[5] وهذا فيه

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢٥٢/١، ٢٥٣.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧١/٣-٣٧٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

نظر؛ أمَّا إنكارُها؛ ونسبةُ الخطأ لراويه فبعيدٌ، وغير بين، ولا واضح، وبيانُه من وجهين:

أحدهما: أن الرواة لهذا المعنى كثير؛ عمر، وابن عمر، والمغيرة بن شعبة، وقيلة بنت مخرمة. وهم جازمون بالرِّواية، فلا وجه لتخطئتهم، وإذا أقدم على رد خبر جماعة مثل هؤلاء مع إمكان حمله على محمل الصحيح فلأن يرد خبر راوٍ واحد أولى، فردّ خبرها أولى، على أن الصحيح: ألا يردَّ واحدٌ من تلك الأخبار، وينظر في معانيها.

وثانيهما: أنه لا معارضة بين ما روت هي ولا ما رووا هم، إذ كلُّ واحد منهم أخبر عما سمع وشاهد، وهما واقعتان مختلفتان، وأما استدلالها على رد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] فلا حجة فيه، ولا معارضة بين هذه الآية والحديث.

وقد اختلف العلماء فيه: فقيل: مَحْمله على ما إذا كان النوحُ من وصيته وسنته، كما كانت الجاهلية تفعل.

وقد جمع عبدالمطلب بناته عند موته وأمرهنَّ أن ينعينه ويندبنه ففعلن، وأنشدت كل واحدةٍ منهن شعراً تمدحه فيه، فلما فرغن قال آخر ما كلمهن: أحسنتنَّ، هكذا فانعيننني، وإلى هذا نحا البخاري. وقيل: معناه: أن تلك الأفعال التي يُبكى بها الميت مما كانوا يفعلونه في الجاهلية: من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وإخراب البلاد، وغير ذلك، فأهلُه يمدحونه بها، ويُعدِّدونها عليه، وهو يعذَّب لسببها. وعلى هذا تحمل رواية من رواه: "ببعض بكاء أهله" إذ ليس كل ما يعددونه من خصاله يكون مذموماً، فقد يكون من خصاله كرم، وإعتاق رقاب، وكشف كرب. وقد دل على صحة هذا التأويل حديث عبدالله بن رواحة، حيث أُغمي عليه، فجعلت أخته عمرة تبكي: واجبلاه، واكذا، واكذا، تعدد عليه، فأفاق، وقال لها: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟! فلما مات لم تبك عليه[2]. وذهب داود وطائفةٌ إلى اعتقاد ظاهر الحديث: وأنه

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٦٧.

إنما يعذب بنوحهم؛ لأنه أهمل نهيهم عنه قبل موته وتأديبهم بذلك، فيعذب بتفريطه في ذلك، وبتركُ ماأمر الله تعالى به من قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[1] وقيل: معناه: أنه يعذب بسماع بكاء أهله لرقته لهم وشفقته عليهم؛ لما يصيبهم من أجله. وقد دلّ على صحة هذا المعنى حديث قيلة بنت مخرمة العنزية، وبكت على ابنها مات عند رسول الله ﷺ فقال لها، وأنكر عليها: "والذي نفس محمد بيده! إن أحدكم ليبكي فيستغفر له صويحبه، يا عباد الله! لاتعذبوا إخوانكم" ذكره أبو بكر بن أبي شيبة[2]، وهو حديث طويل مشهور، وهذا التأويل حسن جداً، ولعله أولى ما قيل في ذلك، والله أعلم. وسكوتُ ابن عمر عن عائشة حين قالت ما قالت ليس لشكه فيما رواه لا هو ولا أبوه عمر رضي الله عنهما فإنهما قد صرَّحا برفع ذلك إلى النبي ﷺ وإنما كان -والله تعالى أعلم- لأنه ظهر له: أن الحديث قابلٌ للتأويل، ولم يتعين له محمل، أو سكت محترماً لها عن أن يراجعها في ذلك المجلس، وفي ذلك الوقت، وأخَّر ذلك لوقت آخر، مع أنه لم ترهق إليه في ذلك الوقت حاجةٌ يعتدُّ بها، والله تعالى أعلم.

وقولها: "وَهَل أبو عبدالرحمن". قال أبو عبيد في "المصنف": قال أبوزيد: وهلت في الشيء، ووهلت عنه، أيهل، وهلا: لنسيت، وغلطت، ووهلت إلى الشيء أهل وهلاً إذا ذهب وهمك إليه.

والقليب: البئر غير المطوية، وأما إنكار عائشة على ابن عمر سماع أهل القليب فمن قبيل ما تقدَّم، وذلك أنها أنكرت ما رواه الثقة الحافظ لأجل أنها ظنت أن ذلك معارضٌ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾[4] ولا تعارضُ بينهما لوجهين:

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة ٨/١٧١-١٧٣.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٢.

(٤) سورة النمل، آية: ٨٠.

أحدهما: أن الموتى في الآية إنما يراد بهم الكفار، فكأنهم موتى في قبورهم والسماع يراد به الفهم والإجابة هنا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] وهذا كما سمّاهم صم وبكم وعمي، مع سلامة هذه الحواس منهم.

وثانيهما: أنا لو سلمنا أن الموتى في الآية على حقيقتهم؛ فلا تعارض بينها وبين أن بعض الموتى يسمعون في وقت ما، أو في حال ما، فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص، وقد وُجد هنا، بدليل هذا الحديث، وحديث أبي طلحة الذي قال فيه النبي ﷺ في أهل بدر: ((والذي نفسي بيده! ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم))[2]، وبما في معناه. مثل قوله ﷺ في الميت: ((إنه ليسمع قرع النعال))[3]، بالمعلوم من سؤال الملكين للميت في قبره، وجوابه لهما، إلى غير ذلك ما لا يُنكر. فحديث ابن عمر صحيح النقل، وما تضمَّنه يقبله العقلُ، فلا طريق لتخطئته، والله تعالى أعلم. وأيضاً فقد رواه عمر عن النبي ﷺ فقال: ((ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم))[4] ورواية من روى: "إن الميت ليعذب ما نيح عليه" يشهد لما اخترناه في تأويل الحديث المتقدم. و"ما" هنا ظرفية، تقديره: مدة النياحة عليه، وما يُعذَّب بسببه مسكوتٌ عنه هنا، وهو ما تقدم، والله أعلم)[5].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩٧٦، ومسلم ٢٨٧٥.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٤٧ رقم ٨٥٦٣ وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، ١٤/٢٣٤.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٧٤، ومسلم ٩٣٢.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٥٨٠-٥٨٦ بتصرف.

الحديث رقم (١٦٦٠)

١٦٦٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الجيوب: من القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مبانيه تفصح عن معانيه، وهذه سمة أسلوبية وأدبية في بلاغة الحديث النبوي، فالحديث في منطوقه: يوضح الآثار الوخيمة لمن يجزع، ويفزع لوفاة من يحبه، ويحرص عليه في الحياة، وفي مفهومه: ينهي عن ظواهر الهلع التي تلقي المسلم خارج دائرة التسليم والانقياد والامتثال، وخارج دائرة خصائص الشخصية المسلمة، ومعالم تقليدها وسلوكها.

والحديث في بنائه اللغوي: يتضمن جملة واحدة، وبعدها جملتان معطوفتان على جزء من الجملة الأولى.

ويبدأ الحديث بصيغة النفي في قوله: "ليس منا من ضرب الخدود"، وأداة النفي هنا ليست حرفاً: ولكنها فعل ناسخ وهو "ليس": فهي تنسخ عمل المبتدأ والخبر؛ حيث ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وهذه الوظيفة النحوية الناسخة ترتبط بالدلالة الفعلية والإيحائية في الحديث: فكأن لهذا النسخ النحوي صدًى وإيحاء بنسخ عمل كل من يُقْدِم على هذه السلوكيات التي نهى الرسول ﷺ عنها، فكل من يقوم بهذه السلوكيات:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٤) واللفظ له، ومسلم (١٠٣/١٦٦). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٠).

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (ج ي ب).

ينسخ الله تعالى عمله، ويحبط مساعيه، وفي قوله: "ليس منا: من ضرب الخدود"، تقديم خبر "ليس" على اسمها، حيث قدم "منا" وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، والتقدير: ليس كائناً بيننا، وليس من أهل هدينا، وهذا التقديم يرشد إلى أهمية الجماعة المسلمة، وإلى أهمية انتماء المسلم لهذه الأمة: فهي خير أمة أخرجت للناس، و"نا" وهي ضمير الجمع المتصل الدال على الأمة كلها، والمتكلم هو: رسول الله ﷺ؛ لأنه نبي الأمة، وهو حريص عليها، وبالمؤمنين رءوف رحيم، وفي ذلك إيحاء بأن كل مسلم عليه أن يتكلم باسم الأمة كلها، وانطلاقاً من هويتها ومن معالمها، ولا ينطلق من منظور شخصي، أو نزعة فردية والتعبير بالفعل الماضي في قوله: "ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"، إيحاء بانقطاع هذه السلوكيات وعدم استمرارها: فهي أحداث فيما مضى من الزمن، ولا يجوز تكرارها؛ فالفعل الماضي يدل على حدث وقع في الزمن الماضي، وقيل إن الواو: بمعنى: أو فالقيام بأحد هذه التصرفات الجاهلة يؤدي بالإنسان المسلم إلى الخروج عن الهدي النبوي، والطريق الإسلامي الصحيح.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه ما يأتي:

إنه لا يجوز - أي يحرم[1]- شق الثياب، ولطم الخدود، وما أشبه ذلك من الصراخ، وخمش الوجه، وتسويده، ونتف الشعر، وحلقه، لما في ذلك من إظهار الجزع، وعدم الرضا بقضاء الله عز وجل، والسخط من فعله، ولما في الشق من إفساد المال بغير حاجة.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٢٠٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢/٢٤١، والمهذب للشيرازي ١/١٣٩، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥/٢٧٣، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٢/٥٦٩، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢/١٦٣، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١/٧٣.

كما يحرم التعداد - أي تعداد المحاسن والمزايا، وإظهار الجزع، لأن ذلك يشبه التظلم من الظالم، وهو عدل من الله تعالى، لأن الله تعالى له أن يتصرف في خلقه بما شاء، لأنهم ملكه[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من أفعال الجاهلية.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

حيث جاء في الحديث "ليس منا من ضرب الخدود" وأسلوب النفي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو أهمية الأمر المنفي. قال المباركفوري: (وقوله: "ليس منا" أي ليس من أهل سنتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه عن الدين، ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة في الردع عن الوقوع في مثل ذلك كما يقول الرجل لولده عند معاتبته لست منك ولست مني. أي ما أنت على طريقتي. وقيل المعنى: ليس على ديننا الكامل أي أنه خرج من فرع من فروع الدين وإن كان معه أصله)[2]. وقال ابن حجر: (ويظهر لي أن هذا النفي يفسره تبري رسول الله ﷺ ممن يفعل ذلك وأصل البراءة الانفصال من الشيء وكأنه توعده بأن لا يدخله في شفاعته مثلاً، والسبب فيما تضمنه ذلك النفي إنما هو عدم الرضا بالقضاء فإن وقع التصريح بالاستحلال مع العلم بالتحريم أو التسخط مثلاً بما وقع فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين)[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من أفعال الجاهلية:

حيث جاء في الحديث "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" قال ابن حجر: (وخص لطم الخدود بذلك لكونه الغالب في ذلك وإلا فضرب

---

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٣/٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٧٧/١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٩٥/٣.

بقية الوجه داخل في ذلك، و المراد بشق الجيوب أي الثوب وشقه: إكمال فتحه إلى آخره وهو من علامات التسخط، ودعوى الجاهلية هي النياحة ونحوها وكذا الندبة كقولهم: واجبلاه، وكذا الدعاء بالويل والثبور)[١].

وقال ابن علان: (والمراد ليس من أهل هدينا وطريقتنا من جمع هذه الأمور الثلاثة، واجتماعها غير شرط فيما ذكر، بل أحدها مقتضي للخروج عن الهدى والطريق)[٢].

وقال ابن عثيمين: (وهذه الأمور مما يفعله أهل الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة شق جيبه، أو جعل يلطم خده، ينتف شعره أو يدعو بدعاء الجاهلية: يا ويلاه يا ثبوراه فتبرأ النبي ﷺ من هؤلاء لأن المؤمن مؤمن القلب بالله، مؤمن بقضاء الله، يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، وأن هذا أمر قضى وانتهى فلا فائدة من السخط والجزع فيجب على المسلم أن يصبر ويحتسب)[٣].

وفي تحذير النبي ﷺ من فِعْل هذه الأمور إنما لينبه المسلم إلى ضرورة مخالفة أهل الجاهلية فيما يفعلونه.

قال ابن تيمية: (وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب. ودعوى الجاهلية: ندب الميت، وتكون دعوى الجاهلية في العصبية ومن ذلك ما جاء عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها: تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب))[٤].

ذم في الحديث، من دعا بدعوى الجاهلية، وأخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم، ذماً لمن لم يتركه، وهذا كله يقتضي: أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم، فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى

---

(١) المرجع السابق نفسه، ١٩٥/٣، ١٩٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٨٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٤٢/٢.

(٤) أخرجه مسلم ٩٣٥.

الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1]، فإن في ذلك ذماً للتبرج، وذماً لحال الجاهلية الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

ومنه: قوله لأبي ذر رضي الله عنه لما عيّر رجلاً بأمه: ((إنك امرؤ فيك جاهلية))[2] فإنه ذم ذلك لذلك الخلق، ولأخلاق الجاهلية التي لم يجيء بها الإسلام.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] فإنه إضافة الحمية إلى الجاهلية: اقتضى ذمها؛ فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك.

ومن هذا: ما رواه البخاري في صحيحه، عن عبيد الله بن أبي زيد، أنه سمع ابن عباس قال: "ثلاث خلال من خلال الجاهلية: الطعن في الأنساب والنياحة. ونسيت الثالثة" قال سفيان: "ويقولون إنها الاستسقاء بالأنواء")[4].

ومما يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في مخالفة أفعال الجاهلية والتحذير منها ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت))[5] قال ابن تيمية: (فقوله: "هما بهم كفر" أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس، فنفس الخصلتين كفر، حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس، لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق، حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً، حتى يقوم به أصل الإيمان، وفرق بين

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠، ومسلم ١٦٦١.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٦.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم، ١/٢٣٥-٢٣٦.

(٥) أخرجه مسلم ٦٧.

الكفر المعرف باللام، كما في قوله ﷺ: ((ليس بين العبد وبين الكفر -أو الشرك- إلا ترك الصلاة))[١]، وبين كفر منكر في الإثبات[٢].

وقال القاضي عياض في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق: (وقوله: "اثنتان في الناس هما كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت" أي من أعمال أهل الكفر وعادتهم وأخلاق الجاهلية، وهما خصلتان مذمومتان محرمتان في الشرع، وقد كان النبي ﷺ يأخذ على النساء في بيعتهن ألا ينحن، وقال: ((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))[٣]، وكذلك نهى النبي ﷺ عن السخرية واللمز والنبز والغيبة والقذف، وكل هذا من أعمال الجاهلية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾[٤]، فعرَّف نعمته بالأنساب للتعارف والتواصل، فمن تسوَّر على قطعها والغمض فيها، فقد كفر نعمة ربه وخالف مراده، وكذلك أمر تعالى بالصبر وأثنى على الصابرين ووعدهم رحمته وصلاته ووصفهم بهدايته، وحتم الموت على عباده، فمن أبدى السخط والكراهة لقضاء ربه وفعل ما نهاه عنه فقد كفر نعمته فيما أعدَّ للصابرين من ثوابه وتشبه بمن كفر من الجاهلية[٥].

ولإعانة المسلم على مخالفة أفعال الجاهلية حث الشرع الحنيف على الصبر، ودعا إليه (فمن خُلِق المؤمن الصبر عند نزول المصائب، ومقابلتها بالرضا والتسليم إذ يقول كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[٦] ويقول: إن لله ما أخذ ولله ما أعطى، والصبر يخفف المصيبة؛ ويحلل صلدها[٧]، ويقتل جرثومتها.

---

(١) أخرجه مسلم ٨٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٩٤، ومسلم ١٠٣.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١/٣٢٦.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٥٦.

(٧) الصلد: الصلب الأملس الشديد.

وأما الجزع والهلع والسخط على ما قضى الله وقدّر، فليس من الإيمان في شيء وليس الذي يقوم به من حزب محمد ﷺ وصحبه.

فالذي ينخلع قلبه للمصيبة ولا يعرف الثبات والشجاعة في ملاقاة الإحن[1] وملاقاة المحن، بل يلطم الخدود، ويسخم[2] الوجوه، ويدق الصدور، ويشق الجيوب، ويمزق الثياب ويقطع الهندام، ويدعو بدعوى الجاهلية فيقول: واأبتاه، واأماه، واولداه، وازوجاه، واقريباه، وامصيبتاه، وادهيتاه، وامالاه، وابيتاه، ويقول كلمات يعترض بها على القدر؛ وينقد قضاءه – من كان كذلك فليس من المسلمين.

إنما المسلم الثابت الرزين الصابر المحتسب: الذي لا يدفعه الحزن إلى التسخط، بل يكون كما قال رسول الله ﷺ: حال وفاة إبراهيم ولده، جعلت عيناه تذرفان الدمع، فقال له عبدالرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: "يا ابن عوف إنها رحمة"، ثم أتبعها بأخرى، وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"، فليتق الله رجالنا ونساؤنا فيما يصنعون وقت المصائب، وليعلم الأزواج الذين يسمحون لنسائهم بالنياحة والتعديد[3]، ولطم الخدود، ودق الطبول، أنهم شركاؤهن في الإثم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[4])[5].

---

(١) الإحن: جمع إحنة: الحقد والضغن.

(٢) يسخم: يسود.

(٣) التعديد: ذكر المناقب الحميدة.

(٤) سورة التحريم، آية: ٦.

(٥) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٥، ٢٦.

الحديث رقم (١٦٦١)

١٦٦١- وَعَنْ أبي بُرْدَةَ، قال: وَجعَ أبو مُوسَى[١]، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أهْلِهِ، (فَأَقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ)[٢] فَلَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً، فَلَمَّا أفَاقَ قَالَ: أنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِىءَ مِنْهُ رسُولُ اللهِ ﷺ إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقَّةِ. متفق عليه[٣].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

رنّة: أي: صيحة[٤].

الصالقة: التي ترفع صوتها بالنياحة والندب[٥].

الحالقة: التي تحلق رأسها عند المصيبة[٦].

الشاقة: التي تشق ثوبها [٧].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث ينبثق من مشهد واقعي يرويه: أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، وذلك لإدانة الفزع والجزع عند وقوع المصيبة، ومبدأ الحديث بتصوير مشهد أبي موسى رضي الله عنه وهو مغشي عليه، وسرد ما حدث من امرأته من هلع وعدم امتثال وصبر.

---

(١) عندهما زيادة: (وجعًا)، وهي لا توجد عند المنذري فتبعه عليه المؤلف.

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (فصاحت امرأة من أهله)، والمثبت عند مسلم بعد حديث (١٠٤/١٦٧، بدون رقم) تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه، وهذا لفظه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٦) تعليقًا، ومسلم (١٠٤/١٦٧) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩١).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ر ن ن).

(٥) رياض الصالحين ٥٧١.

(٦) رياض الصالحين ٥٧١.

(٧) رياض الصالحين ٥٧١.

وقد صور العطفُ بالفاء سرعة توالي أحداث هذا المشهد الواقعي: ولنتأمل هذه الأفعال المتلاحقة "وجع أبو موسى، فغشي عليه، فأقبلت تصيح، فلم يستطع أن يرد، فلما أفاق قال".

إن هذا الإيقاع السريع ينقل لنا وقائع هذا المشهد الحزين في دقة بالغة، وكأننا نشاهد وقائعه أمامنا، والتعبير عن الصياح بقوله: "رنة" يجسد حالة الفزع من خلال حروف هذه الكلمة "رنة"، حيث لم يكتف بقوله "تصيح"، فصوت الراء شاق وعسير: كما قال علماء اللغة: وهو صوت مكرر، وهي من الأصوات المتوسطة من الشدة والرخاوة، وهي من الأصوات الجهرية، ومن صفاتها النطقية: تكرر طرف اللسان للحنك عند النطق بها، وكذلك حرف النون يتسق مع حالة الفزع: فهو صوت أسناني لثوي أنفي مجهور، والنون تشبه الحركة في قوة الوضوح السمعي، ولذلك هناك من يقول: إنها شبه حركة.

فالكلمة بما تضمنته من حرفي النون والراء، وتضعيف حرف النون: تجسد الحزن، وتعلن عن المبالغة فيه، وقوله: "أنا بريء ممن برئ منه رسول الله ﷺ" إعلان عن عدم رضاه عن هذا الهلع، وإقرار بذلك الإنكار، والتبرئ حتى لو كان متعلقا بامرأة من أهله ينام في حجرها.

والتأكيد في بداية الجملة الأخيرة "إن رسول الله بريء من.."، يرشد إلى أهمية هذا الخبر اليقيني الصادق، ويذكره بما ورد في الحديث السابق حيث قال رسول الله ﷺ: "ليس منا من لطم الخدود..."إلخ.

والجناس والسجع في قوله: "الصالقة والحالقة والشاقة"، يعطي إيقاعاً صوتياً مؤثراً: يشد الأذن، ويلفت الانتباه، ويوقظ الغافلين الذين يجرفهم تيار الحزن، ويغرقهم في طوفان المآسي والنكبات.

والصالقة: المرأة التي ترفع صوتها بالنياحة والندب وهي تعدد أوصاف الميت، مأخوذ: من الصلق: وهو الصوت الشديد، والحالقة: التي تحلق رأسها من شدة الحزن، والشاقة: اسم فاعل، وهي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: البراءة من أفعال الجاهلية.

ثالثاً: من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث "فلم يستطع أن يرد عليهما شيئاً فلما أفاق قال: "أنا برئ ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم" ولاشك أن لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه فضلاً كبيراً فلقد كان رضي الله عنه من أحسن الناس صوتاً بالقرآن قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لَقَدْ أُوتِيَ أَبُو مُوسَى مِزْماراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[1].

وقال ابن عبدالبر: (قدم أبو موسى مع إخوته في جماعة من الأشعريين ثم أسلم وهاجر إلى أرض الحبشة ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مخاليف اليمن: زبيد وذواتها إلى الساحل، وولاه عمر رضي الله عنه البصرة في حين عزل المغيرة عنها إلى صدر من خلافة عثمان وسئل علي رضي الله عنه عن موضع أبي موسى من العلم فقال: صبغ في العلم صبغة)[2].

وقال ابن حجر: (وأبو موسى هو عبدالله قيس بن سليم بن حضار بن حرب مشهور باسمه وكنيته معاً، كان رضي الله عنه أحد الحكمين بصفين، وكان خفيف الجسم قصيراً نشطاً وكان عمر إذا رآه قال: ذكرنا ربنا يا أبا موسى وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم. قال الشعبي: انتهى العلم إلى ستة فذكره فيهم وعن الحسن قال: ما أتاها يعني البصرة راكب خير لأهلها منه يعني من أبي موسى. وقال ابن المدائني قضاة الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت. وقد مات رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين وقيل: أربع وأربعين وهو ابن نيف وستين)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠٤٨، ومسلم ٧٩٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٤٣٢، ٤٣٣

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٨٢٢.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: البراءة من أفعال الجاهلية:

حيث جاء في الحديث "إن رسول الله برئ من الصالقة والحالقة والشاقة".

قال النووي: (والصالقة هي التي ترفع صوتها عند المصيبة والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة، والشاقة التي تشق ثوبها عند المصيبة هذا هو المشهور الظاهر المعروف وأما دعوى الجاهلية فقد قال القاضي: هي النياحة والندب والدعاء بالويل وشبهه والمراد بالجاهلية ما كان في الفترة قبل الإسلام قال القاضي عياض: (وقوله: "أنا بريء ممن حلق" أي من فعلهن أو ما يستوجبهن من العقوبة أو من عهدة ما لزمني من بيانه وأصل البراءة الانفصال هذا كلام القاضي، ويجوز أن يراد به ظاهره وهو البراءة من فاعل هذه الأمور)[1].

وقال ابن علان: (ونص على البراءة ممن يفعل هذه الأمور عند المصيبة وذلك لما في فعلها من التبرم من القضاء الإلهي والتضجر منه وذلك سبب لإحباط الثواب وحلول العقاب)[2].

قال القرطبي: ("ودعوى الجاهلية" هنا هي: النياحة وندبة الميت، والدعاء بالويل، والنعي، وإطراء الميت بما لم يكن فيه، كما كانت الجاهلية تفعل، ويحتمل أن يراد بها: نداؤهم عند الهياج والقتال: يا بني فلان! مستنصراً بهم في الظلم والفساد، وقد جاء النهي عنها في حديث آخر وقال: ((دعوها فإنها منتنة))[3] وأمر بالانتماء إلى الإسلام فقال: ((ادعوا بدعوة المسلمين التي سمّاكم الله بها))[4] والأولى أليق بهذا الحديث لأنه قرنه بضرب الخدود وشق الجيوب.

وقوله: "أنا بريء ممن حلق وسلق وخرق" أصل البراءة: الانفصال عن الشيء والبينونة منه، ومنه: البراءة من العيوب والدين، ويُحتمل أن يريد به: أنه متبرِّئٌ من تصويب فعلهم

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٩. وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧٧/١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٨٣.

(٣) أخرجه البخاري ٤٩٠٧، ومسلم ٢٥٨٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٨٦٣ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٨).

هذا، أو من العهدة اللازمة له في التبليغ. وحلق: أي شعره عند المصيبة، وسلق: أي: رفع صوته بها، ويقال بالسين والصاد، ومنه قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[1]، ومنه قولهم: خطيب سلاق، وقال أبو زيد: السلق: الولولة بصوت شديد. وذكر عن ابن الأعرابي: أنه ضرب الوجه، والأول أصح وأعرف)[2].

وقال د. الحسيني هاشم: (وفي الحديث تنبيه الشرع النساء إلى أفعال الجاهلية، وتبرأة الرسول ﷺ ممن فعلت هذه الأفعال أو فعلها)[3].

والواجب على المسلم أن يبتعد عن الجزع والسخط حتى لا يقع في محظور من أفعال الجاهلية.

قال الماوردي: (ومن أسباب الجزع: تذكر المصاب حتى لا يتناساه، وتصوُّره حتى لا يعزب عنه، ولا يجد من التذكار سَلْوة، ولا يخلط مع التصوّر تعزية. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تستفزوا الدموع بالتذكر. وقال الشاعر:

"ولا يبعث الأحزان مثل التذكر".

ومنها: الأسف وشدة الحسرة، فلا يرى من مصابه خَلفًا، ولا يجد لمفقوده بدلا، فيزاد بالأسف ولَهاً، وبالحسرة هَلعاً. ولذلك قال الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[4]. وقال بعض الشعراء:

إذا بُليتَ فثق بالله وارض به ... إن الذي يكشف البلوى هو اللهُ
إذا قضى الله فاستسلم لقدرته ... ما لامرئ حيلةٌ فيما قضى اللهُ
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسنَّ فإن الصانع اللهُ

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ١٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠١/١، ٣٠٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٦٨.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٣.

ومنها: كثرة الشكوى، وبث الجزع، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[1]: إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث. وحكى كعب الأحبار، أنه مكتوب في التوراة: من أصابته مصيبة فشكا إلى الناس، فإنما يشكو ربه. وحُكي أن أعرابية دخلت من البادية، فسمعت صُراخاً في دار، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرَّمون، وعن ثوابه يرغبون. وقد قيل في منثور الحكم: من ضاق قلبه اتسع لسانه. وأنشد بعض أهل العلم:

لا تُكثر الشكوى إلى الصديق ... وارجع إلى الخالق لا المخلوقِ
لا يخرج الغريقُ بالغريقِ

وقال بعض الشعراء:

لا تشكُ دهرك ما صَحَحْتَ به ... إن الغِنَى هو صحة الجِسْمِ
هبكَ الخليفةَ كنتَ منتفعاً ... بغضارة الدنيا مع السَّقَمِ

ومنها: اليأس من جبر مصابه، ودَرْك طِلابه، فيقترن بحزن الحادثة قنوط الإياس فلا يبقى معهما صبر، ولا يتسع لهما صَدْر. وقد قيل: المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين. وقال ابن الرومي:

اصبري أيتها النفس ... فإن الصبر أحجى
رُبَّما خاب رجاءٌ ... وأتى ما ليسَ يُرْجَى

وأنشدني بعض أهل العلم:

أتحسب أن البؤس للحر دائمٌ ... ولو دام شيء عدّه الناس في العَجَبْ
لقد عَرَّفتك الحادثاتُ ببؤسها ... وقد أَدَّبَتْ إن كان ينفعُك الأدبُ
ولو طلب الإنسان من صرف دهره ... دوامَ الذي يخشى لأعياه ما طلب

---

(١) سورة المعارج، آية: ٥.

ومنها: أن يَغْرَى بملاحظة من حيطت سلامته، وحُرِست نعمته، حتى التحف بالأمن والدعة، واستمتع بالثروة والسَّعة، ويرى أنه قد خُصَّ من بينهم بالرزية، بعد أن كان مساوياً، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافياً، فلا يستطيع صبراً على بلوى، ولا يلزم شكراً على نُعْمَى، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرّزية، وساواه في الحادثة، لتكافأ الأمران، فهان عليه الصبر، وحان منه الفرج. وأنشدت لامرأة من العرب:

أيهـــا الإنـــسان صـــبراً ... إن بعـــد العـــسر يـــسراً
كـــم رأينـــا اليـــومَ حُـــرًّا ... لم يكـــن بـــالأمس حُـــرًّا
ملـــك الـــصبرَ فأضـــحى ... مالكـــاً خـــيراً وشـــرًّا
اشـــرب الـــصبرَ وإن كـــا ... ن مـــن الـــصبْر أَمَـــرًّا[1]

ثالثاً- من آداب المدعو: الاقتداء بالنبي ﷺ:

حيث جاء في الحديث "فلما أفاق قال: أنا برئ ممن برئ منه رسول الله ﷺ" ولاشك أن هذا يدل على الاقتداء بالنبي في براءته ممن يفعل هذه الأمور، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]

وبين الله تعالى أن في الاقتداء به واتباعه الهداية قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾[3].

(ولا يخفى أبداً أثر القدوة في التأثير فهي الصورة الحية للفكرة والتطبيق العملي للدعوة، والتوضيح الجلي للحجة، ولاشك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب ووجود القناعة في العقول وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة، ولاسيما العامة وأرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة ما لا

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٣) سورة النور، آية: ٥٤.

ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها والقدوة الحسنة مغنية عن كثير من أساليب الترغيب والتشويق وأسباب تحصيل المحبة كما أنها تعفي من الاستكثار من الاستدلال وإقامة الحجة والمناظرة والجدال إذ يتحقق من خلال القدوة الكثير من ذلك بشكل تلقائي وبصورة أعمق)[1].

(١) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح، ٣٩-٤٠.

الحديث رقم (١٦٦٢)

١٦٦٢- وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ يَومَ القِيَامَةِ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

نيح عليه: النواح: الصراخ والعويل[2].

الشرح الأدبي

الحديث قصير يشير إلى ضرورة ضبط النفس عند المصيبة، وتقبُّلها بثبات، ورضا دون نياحة أو اعتراض يتسبب في إيذاء الحي بتحصيل الذنب، ويؤذي الميت بتعذيبه بالنياحة عليه وقد جاء هذا المعنى في ثوب الشرط الذي يربط النياحة على الميت بعذابه إشارة إلى التلازم الذي يهيب بأهل الميت أن يتجنبوا ما يتسبب في عذاب فقيدهم، وقوله (من نيح عليه) من النوح وهو فعل الشرط، الذي يمثل موضع الخطأ، وقوله (فإنه يعذب) الفاء واقعة في جواب الشرط وبناء الفعل للمفعول يجعل العقل يذهب في تخيل المعذِّب كل مذهب من بين ملائكة العذاب، وقوله: (بما نيح) عليه الباء للسببية و ما مصدرية أي بسبب النوح عليه وقيل : أن ما ظرفية وقيل (ما) للمدة أي يعذب مدة النوح عليه، قال الطيبي الباء سببية وما مصدرية أي بسبب النياحة أو موصولة فالباء للآلة أي بما نيح به عليه مثل واجبلاه، وتقييد العذاب بيوم القيامة يزيد الوعيد هولا لشدة العذاب، وانعدام الناصر، والشفيع إلا من استحق الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٣٣/٢٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن و ح).

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: مسألة تعذيب الميت بنوح وبكاء أهله عليه، وقد مر بيان حكم هذه المسألة في الحديث رقم ١٦٥٧ فلا حاجة للتكرار.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٥٩).

الحديث رقم (١٦٦٣)

١٦٦٣- وعن أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ - بِضَمِّ النون وفتحها- رضي الله عنها، قالت: أخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عِندَ البَيْعَةِ أنْ لاَ نَنُوحَ. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أم عطية الأنصارية: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٧٢٣).

غريب الألفاظ:

أن لا ننوح: أي: ترك النياحة من الصراخ والعويل في البكاء[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف ترويه: أم عطية رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ بالمعنى: وهو يتسم بالإيجاز الشديد لأنه إشارة إلى بيعة النساء، وتذكير بوصايا رسول الله ﷺ لهن، ومن هذه الوصايا الواجبة: عدم النوْح، ووجوبها يوحي به الفعل "أخذ" لأن أخذ العهد، هو الإلزام به، ويقولون في اللغة: من أخذ أَخْذَهم... أي من سار سيرتهم، وتخلق بخلائقهم، وتقديم الجار والمجرور، في قولها "علينا"، على الفاعل وهو: رسول الله ﷺ ليس للأهمية؛ ولكن للإلزام بالعهد؛ وحتى يكون ضمير المتكلمين الجمع "نا" مجاوراً للفعل "أخذ"، وملاصقا له، و"على" تفيد الاستعلاء، وتوحي بأن العهد بعدم النوح أصبح متمكناً منهم اتباعاً لتوجيهات رسول الله ﷺ وقولها: "عند البيعة" إشارة إلى بيعة النساء، وقد وردت في سورة الممتحنة تفاصيل هذه البيعة، وفي السيرة النبوية شرح لوقائعها وملابساتها، والنوح: هو: البكاء، واستبكاء الغير، وهو العواء من الذئب، حيث يقول العرب: ناح الرجل: أي بكى واستبكى غيره، والتناوح التقابل، ولذلك عُدَّ النواح من الكبائر، لأنه دعوة إلى انتشار الفزع والجزع، وعدم الامتثال والصبر.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦/٣١) ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن و ح).

وعلى المسلم أن يتأسى ويتمثل ويصبر، ولنتأمل ما تدعو إليه هذه الأبيات من صبر واحتساب عند استقبال النوائب:

وما دمع العيون يرد رُزءًا ... ولا جزع القلوب يعيد ندًا
وإن كان الإله أصاب قوماً ... وصدع شملهم والبيت هدًا
ومزقت الضلوع وأنَّ طفل ... فداه القلب لوقد كان يفدى
وعاد البيت أنقاضاً نداها ... وأهل البيت كل زار لحدا
وراح القلب يبكي فَقْد طفل ... وحرق كل قلب ذاق بعدا
فقد راحوا إلى جنات عدن ... وهم ذهبوا إلى الرحمن وفدا
وهم شهداء والشهداء تحظى ... بأسمى منزلٍ يُعْطى وأندى[1]

فقه الحديث

وفي الحديث دليل على تحريم النوح على الميت[2]، وهو رفع الصوت بالندب لما فيه من الجزع، وعدم الرضا بقضاء الله عز وجل، ولقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة"[3].

وهو مذهب كافة العلماء، إلا ما يروى عن بعض المالكية[4] من أن النياحة ليست بحرام واستدلوا على ذلك بما أخرجه مسلم عن أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾[5] كان

---

(١) ديوان "الأعمال الكاملة"، شعر د. صابر عبدالدايم، والأبيات من قصيدة قيلت عزاء، لصديق فقد أهله إثر انهيار منزلهم عليهم، ١٩٦٨م.

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٣/٢، ومغني المحتاج ٣٥٦/١.

(٣) أخرجه أبو داود ٣١٢٨، والبغوي ١٥٣٦، وضعّفه محققا شرح السنة.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٤٨/٦/٣.

(٥) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

منه النياحة، قالت: فقلت: يا رسول الله، إلا آل فلان، فإنه كانوا أسعدوني في الجاهلية فلابد لي من أن أسعدهم، فقال رسول الله ﷺ: إلا آل فلان[١].

ويجاب على ذلك: بأنه كان قبل مبايعة أم عطية رضي الله عنها على التوحيد وغيره مما ذكر في الآية[٢]، فقد قالت أم عطية: بايعنا رسول الله ﷺ وأخذ علينا فيما أخذ أن لا ننوح، فقالت امرأة من الأنصار: إن آل فلان أسعدوني في الجاهلية، وفيهم مأتم، فلا أبايعك حتى أسعدهم كما أسعدوني، فذهبت فأسعدتهم ثم رجعت، فبايعت النبي ﷺ[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: البيعة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النياحة.

أولاً- من وسائل الدعوة: البيعة:

حيث جاء في الحديث "أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة" والبيعة وسيلة من وسائل الدعوة. قال ابن الأثير: (والبيعة المعاقدة والمعاهدة على الشيء كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره)[٤].

وقد نص القرآن الكريم على وجوب الوفاء بالبيعة والمعاهدة فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾[٥] وقال سبحانه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[٦] وقال سبحانه: ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٧]

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣٧

(٢) الدين الخالص، محمود خطاب السبكي ٢٤٥/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٩٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

(٥) سورة المائدة، آية: ١.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٣٤.

(٧) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

ومدح الله الذين يوفون بعهدهم فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾[2].

(لقد سمى الله تعالى مبايعات الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله ﷺ عهداً وميثاقاً ومن صور مبايعات الرسول ﷺ لصاحبته بيعة العقبة الأولى والثانية، وبيعة الرضوان، وبيعة الإسلام وغيرها وقد وفّى الصحابة رضي الله عنهم بهذه المبايعات التي أعطوها لرسول الله ﷺ)[3]. وقد بين الله سبحانه رضاه عن الصحابة المبايعين تحت الشجرة، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4]. ولم تكن البيعة كوسيلة من وسائل الدعوة للرجال فحسب، وإنما للنساء أيضاً قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[5].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النياحة:

حيث جاء في الحديث "أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح" قال النووي: (فيه تحريم النوح وعظيم قبحه والاهتمام بإنكاره والزجر عنه لأنه مهيج للحزن ورافع للصبر، وفيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى)[6].

---

(١) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٠.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ١٠٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ١٨.

(٥) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٠٢.

قال القاضي عياض: (وفي قول أم عطية "أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة أن لا ننوح" دليل على تحريم ذلك وشدته، والمعنى في ذلك لأنه يستجلب الحزن، ويصد عن الصبر الذي أمر الله به، وحض عليه نبيه ﷺ)[١].

وقال القرطبي: (وقول أم عطية: "أخذ علينا رسول الله ﷺ ألا ننوح" دليل على تحريم النياحة، وتشديد المنع فيها، لأنها تستجلب الحزن، وتصد عن الصبر المحمود)[٢].

وقال ابن عثيمين: (وهذا الحديث يدل على تحريم النياحة والندب على الميت، والنياحة هي البكاء برنة حتى يكون كنوح الحمام وأما الندب: فهو أن يذكر محاسن الميت ويتأوه منها ويتوجع وقد برئ رسول الله ﷺ ممن تفعل ذلك)[٣].

وجاء في فقه السنة: (أجمع الفقهاء على أنه يجوز البكاء على الميت، إذا خلا من الصراخ والنوح، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ: بكى لموت ابنه إبراهيم وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن. ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)[٤].

وعن أبي موسى قال: لما أصيب عمر جعل صهيب يقول: واأخاه، فقال له عمر: يا صهيب أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الميت ليعذب ببكاء الحي))[٥] وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه))[٦].

ومعنى الحديث، أن الميت يتألم ويسوءه نَوْح أهله عليه، فإنه يسمع بكاءهم وتعرض أعمالهم عليه، وليس معنى الحديث أنه يعذب ويعاقب بسبب بكاء أهله عليه؛ فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣/٣٧٩.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٢/٥٨٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٣٠٣، ومسلم ٢٣١٥.

(٥) أخرجه البخاري ١٢٩٠، ومسلم ٩٢٧.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٩١، ومسلم ٩٣٣.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أغمي على عبدالله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي واجبلاه، واكذا، واكذا، تعدد عليه فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أأنت كذلك[1].

والنياحة مأخوذة من النوح، وهو رفع الصوت بالبكاء. وقد جاءت الأحاديث مصرحة بتحريمها[2].

جاء في الموسوعة الفقهية: (النياحة لغة اسم من النوح، مصدر ناح ينوح نوحاً ونواحاً ونياحاً. وهي: البكاء بصوت عال، كالعويل. والنائحة: الباكية. وأصلُ التناوح: التقابل، ومنه تناوح الجبلين، أي تقابلهما، وإنما سُمّيت النساء النوائح نوائح لأن بعضهن يقابل بعضاً إذا نُحْن. وكان النساء في الجاهلية يقابل بعضهن بعضاً، فيبكين ويندبن الميت، فهذا هو النوح والنياحة. ويطلق على النساء اللواتي يجتمعن في مناحة نوائح ونُوّح ونَوْح وأنواح ونائحات. ونوح الحمامة: ما تبديه من سجعها على شكل النوح. واستناح الرجل كناح: بكى حتى استبكى غيره.

وفي الاصطلاح اختلفت عبارات الفقهاء في تعريف النيَاحة.

فعرفها الحنابلة بأنها: البكاء مع ندب الميت أي تعديد محاسنه. وقيل: هي البكاء مع صوت.

وحاصل كلام علماء المالكية أن النياحة عندهم هي البكاء إذا اجتمع معه أحد أمرين: صراخ أو كلام مكروه.

وعرفها أكثر فقهاء الشافعية وبعض المالكية بأنها: رفع الصوت بالندب ولو من غير بكاء، وقيل: مع البكاء.

وعرفها الحنابلة وبعض الشافعية بأنها رفع الصوت بالندب برنّةٍ أو بكلام مسجع.

وأما البكاء مصدر بكى، يُمد ويقصر، فيقال: بكى بكاءً وبكىً، وهو: خروج الدمع من العين سواء كان مع الصوت أو بدونه، وقيل: هو بالمد إذا كان الصوت

---

(١) أخرجه البخاري ٤٢٦٧.

(٢) فقه السنة، السيد سابق، ١/٥٠٥، ٥٠٦.

أغلب، ويقصر إذا كان الحزن أغلب. وقيل: هو بالقصر خروج الدمع فقط، وبالمد خروج الصوت نحيب، ومع الصياح عويل.

واستعمال الفقهاء للبكاء لا يخرج في معناه عما ذكر.

والصلة بين النياحة والبكاء هي أن البكاء أعم من النياحة عند من قصر معناها على البكاء مع رفع الصوت، أو على البكاء مع رفع الصوت بالندب، حيث تكون النياحة إحدى صور البكاء. وأما من جعل النياحة شاملة لرفع الصوت بالندب: سواء أكان معها بكاء أم لا، فإنها تكون أخص من البكاء من جهة وأعم من جهة أخرى.

وأما الرثاء: فالرثاء: هو الثناء على الميت بذكر صفاته الحميدة نثراً كان أوشعراً، والصلة بين الرثاء والنياحة أن الرثاء يقع على سبيل المدح ولا يكون بلفظ النداء.

وأما النياحة فتكون بتعديد محاسن الميت مع رفع الصوت بالبكاء أو بغير بكاء.

وأما التعزية: فأصل العزاء هو الصبر، وتعزية أهل البيت: تسليتهم وندبهم إلى الصبر، ووعظهم بما يزيل عنهم الحزن، فكل ما يجلب للمصاب صبراً يقال له تعزية.

والصلة بين التعزية والنياحة أن كلاً منهما كلام يقال بمناسبة الموت، ولكن مضمون كل منهما مختلف، وكذلك مقصودهما، قال جمهور العلماء: والأحاديث جاءت في تحريم النياحة مطلقاً، وبيان عظيم قبحها، والاهتمام بإنكارها، لأنها مهيجة للحزن ورافعة للصبر، وفيها مخالفة للتسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى، وقد أمر الله تعالى بالصبر، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. وهذا يتناول كل ما يطلق عليه اسم النياحة من رفع الصوت بالبكاء أو بتعديد محاسن الميت. ويؤيد ذلك أن بعض الصحابة كانوا ينكرون على النائحة أشد الإنكار، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع نواحة بالمدينة ليلاً، فأتى عليها فدخل ففرق النساء، فأدرك النائحة، فجعل يضربها بالدرة فوقع خمارها، فقالوا: شعرها يا أمير المؤمنين، فقال: أجل فلا حرمة لها[2].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٣.

(٢) أثر عمر: "سمع نواحة في المدينة ...." أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٣/٥٥٧-٥٥٨.

ذلك هو حكم النياحة عند جمهور الفقهاء، وهو التحريم من حيث الجملة)[١].

ومما يدل على النهي عن النياحة ما جاء عن يحيى بن سعيد قال: أخبرتني عمرةُ قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: لما جاء قتل زيد بن حارثة، وجعفر، وعبدالله بن رواحة، جلس النبي صلى الله عليه وسلم يُعرْف فيه الحزن، وأنا أطلع من شق الباب، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، إن نساء جعفر، وذكر بكاءهن، فأمره بأن ينهاهن، فذهب الرجل ثم أتى، فقال" قد نهيتهن، وذكر أنهن لم يطعنه، فأمره الثانية أن ينهاهن، فذهب ثم أتى، فقال: والله لقد غلبتني، أو غلبننا -الشك من محمد بن عبدالله بن حوشب- فزعمت: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فَاحْثُ في أفواههن التراب. فقلت: أرغم الله أنفك، فوالله ما أنت بفاعل، وما تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم من العناء[٢].

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أخذ علينا النبي صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة، أم سُليم، وأم العلاء، وابنة أبي سبرة امرأة معاذ، وامرأتان. أو: ابنة أبي سبرة، وامرأة معاذ، وامرأة أخرى[٣].

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٢/٤٩-٥٣ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٠٥، ومسلم ٩٣٥.

(٣) أخرجه البخاري ١٣٠٦، ومسلم ٩٣٦.

الحديث رقم (١٦٦٤)

١٦٦٤- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: أُغْمِيَ عَلَى عَبدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ[١] تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبَلاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا: تُعَدِّدُ عَلَيْهِ. فقالَ حِينَ أفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئاً إلاَّ قِيلَ لِي أنْتَ كَذَلِكَ؟!. رواه البخاريُّ[٢].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٠).

غريب الألفاظ:

واجبلاه: أسلوب ندبة وهو النداء بـ (وا) أو (يا) مع إلحاق الألف في آخر الاسم لمد الصوت وزيادة الهاء بعده لإرادة بيانه (أي الألف) والغرض من الندبة: إظهار التوجع، والمراد: التوجع مما أصاب عبدالله بن رواحة رضي الله عنه[٣].

تُعدِّد عليه: تذكر مناقبه[٤].

الشرح الأدبي

إن حياة الصحابة الأخيار تعد كلها مشاهد مضيئة بالسلوكيات الإيجابية، والمشاهد الإيمانية التي يجب أن يحذو حذوها المسلمون في كل زمان، وفي كل مكان، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر الصادق الأمين كالنجوم في الهداية، بأيهم اقتدينا اهتدينا.

وهذا الحديث يحكي مشهداً واقعياً يسرد تفاصيله النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما، حين شهد خاله عبدالله بن رواحة رضي الله عنه: وهو من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم الذين نافحوا عن الإسلام بأشعاره القوية المؤثرة.

---

(١) عند البخاري زيادة: (عمرة)، وهي لا توجد عند المنذري فتبعه عليه المؤلف.

(٢) برقم (٤٢٦٧). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧١).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١١/١٧٩، وفتح الباري، ابن حجر ٧/٦٥٦، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ١٨/٧٥ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن د ب).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع د د).

وتشارك في تصوير هذا المشهد الذي يفيض بالحكمة والموعظة الحسنة، عمرة بنت رواحة، أخت عبدالله بن رواحة، ولنتأمل ملامح هذا المشهد تأملاً إيمانياً وتأملاً أسلوبياً في ضوء يقيننا الثابت، وعقيدتنا الراسخة، فالحديث يبدأ بالفعل المبني للمفعول "أغمى"، ولم يذكر الحديث سبب الإغماء، لأن العبرة بالدرس المستفاد من استقبال الآخرين لهذا الحدث الجلل. والمصاب الأليم وليس المراد معرفة سبب ذلك الإغماء.

وقوله: "فجعلت أخته تبكي": إشارة إلى أنها ظلت تبكي طيلة مدة إغمائه؛ لأن "جعل" من أفعال الشروع فهي قد بدأت البكاء واستمرت وهي تبكي وتنوح: "واجبلاه"، واكذا، واكذا".

وهذه الصيغة من صيغ النداء وتسمى الندبة، والمندوب: هو المنادى المتفجع عليه، أو المتوجع منه، وإنما يتفجع على المندوب لفقده، وفقده قد يكون حقيقة، وقد يكون فقده حكماً[1]، كما جاء في هذا الحديث الشريف: لأن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه لم يمت، وإنما هذا الأسلوب يكشف عن تفجع أخته وحزنها لمرضه، ولذلك قال: "تعدِّد عليه"، أي تعدد شمائله على طريق الجاهلية، وفي هذا التعبير إنكار لهذا المسلك من عمرة بنت رواحة رضي الله عنها.

وأسلوب القصر في قوله مخاطباً أخته في صيغة الاستنكار: "ما قلت شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك؟؟" هذا الأسلوب لتأكيد الخبر لأخته: أن كل ما قالته كانت سبباً في عذابه وتقريعه، ومواجهته بهذا السؤال الإنكاري: أنت كذلك، وحذفت همزة الاستفهام اختصاراً ولمزيد من التبكيت واللوم، وفي الحديث إيحاء بلوم عبدالله رضي الله عنه لأخته النائحة تلميحاً لا تصريحاً، حتى تتعظ كل من تنوح، وتكف عن هذا النواح.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه تحريم النياحة على الميت، وقد مر بيان ذلك في الحديث رقم ١٦٦١.

---

(١) انظر: شرح قطر الندى، وبل الصدى، لابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

وفيه أيضاً تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، والمراد توبيخ الملائكة بما يندب أهله عليه[١]، كما روي من حديث أبي موسى مرفوعاً "الميت يعذب ببكاء الحي عليه، إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسباه، جبذ الميت، وقيل له: أنت عضدها؟! أنت ناصرها؟! أنت كاسبها؟!"[٢]، وقد مر بيان ذلك في الحديث رقم ١٦٥٧.

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن رواحة رضي الله عنه.

ثانياً: من مهام الداعية: إخبار المدعوين بالأمور التي ينبغي عدم فعلها.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الصبر وعدم الندب والنوح.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث "أغمي على عبدالله بن رواحة رضي الله عنه" وأما عن فضله فقد قال ابن عبدالبر: (وعبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء، شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والحديبية وعمرة القضاء والمشاهد كلها إلا الفتح وما بعده؛ لأنه قتل يوم مؤتة شهيداً. وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وفي صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] وجاء عن يحيى بن سعيد قال: كان عبدالله بن رواحة أول خارج إلى الغزو وآخر قافل)[٥]. ومما يدل على

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٥٥/٣، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥٩/٤-١٦٠.

(٢) أخرجه أحمد ١٩٧١٦/٣٢، والترمذي ١١٠٣، وابن ماجه ١٥٩٤ واللفظ لأحمد. وقال محققو المسند: صحيح لغيره أهـ. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٦٦٤ - مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٦٨).

(٤) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٣٩٦.

فضله ما جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ((لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي الْيَوْمِ الْحَارِّ. الشَّدِيدِ. حتى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ. وَمَا فِي الْقَوْمِ أَحَدٌ صَائِمٌ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ. وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ))[1].

وقال ابن الجوزي: (وعبدالله بن رواحة يكنى أبا محمد أحد النقباء الاثني عشر شهد العقبة مع السبعين واستخلفه رسول الله ﷺ في غزوة بدر الموعد، وبعثه سرية في ثلاثين إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر فقتله، وأرسله إلى خيبر خارصاً فلم يزل يخرص عليهم إلى أن قتل بمؤتة وعن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس وتهيوؤا للخروج إلى مؤتة، قال المسلمون: صبحكم الله ودفع عنكم، فقال عبدالله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع قذف الزبدا

أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا)[2]

ثانياً- من مهام الداعية: إخبار المدعوين بالأمور التي ينبغي عدم فعلها:

حيث جاء في الحديث "ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: "واجبلاه واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه أهكذا كنت؟" ولاشك أن من أولى مهام الداعية أن يخبر المدعوين عن الحقائق حتى تقوم عليهم الحجة بالإخبار والعلم بالشيء وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يبلغ ويخبر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[3] وأمره بالبيان فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الصبر وعدم الندب والنوح:

يتضح هذا من سياق الحديثين[5] وفي هذا حث على الصبر وعدم الندب والنوح، قال الطيبي: (وقوله "قيل لي كذلك" أي لما قلت "واجبلاه" أي أنت كذا أي جبل كهف

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٤٥، ومسلم ١١٢٢.

(٢) صفوة الصفوة ٢١٧/١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) رقم ١٦٦٤، ١٦٦٨.

يلجأون إليك على سبيل الوعيد والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[1])[2]. وقال المباركفوري: (وقوله "يلهزانه" أي يضربانه ويدفعانه، واللهز الضرب بجميع اليد في الصدر يقال لهزه بالرمح أي طعنه في الصدر وقول "أهكذا كنت" أي توبيخاً وتقريعاً)[3]. وقد حث الشرع الحنيف على الصبر وعدم الجزع والسخط قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[4].

قال الماوردي: (اعلم أن من حسن التوفيق، وأمارات السعادة، الصبر على الملمات، والثبات عند النوازل، وبه نزل الكتاب، وجاءت السنة. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] يعني اصبروا على ما افترض الله عليكم، وصابروا عدوكم. ورابطوا: فيه تأويلان. أحدهما: على الجهاد. والثاني: على انتظار الصلوات. فنزل الكتاب بتأكيد الصبر، فيما أمر به، وندب إليه، وجعله من عزائم التقوى، فيما افترضه وحث عليه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لاتكبو، والقناعة سيف لا ينبو. وقال عبدالحميد: لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو أن الصبر والشكر بعيران، ما باليت أيهما ركبت: وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أفضل العدة الصبر على الشدة. وقال بعض البلغاء: من خير خلالك، الصبر على اختلالك. وقيل في منثور الحكم: من أحب البقاء، فليعد للمصائب قلباً صبوراً. وقال بعض الحكماء: بالصبر على مواقع الكُره، تدرك الحظوظ. وقال عبيد ابن الأبرص:

---

(١) سورة الدخان، آية: ٤٩.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٤٠٦/٣.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٠٧٩/١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

صَبِّرِ النفسَ عندَ كلِّ مُلِمٍّ ... إنّ في الصبرِ حيلةَ المُحتالِ
لا تَضِيقَنَّ في الأمور فقد تكْشَفُ ... غَمَّاؤها بغيرِ احتيالِ
رُبّ ما تجزعُ النفوسُ منَ الأمْرِ له ... فَرْجَةٌ كحلُّ العِقالِ

وقال ابن المقفع في كتاب اليتيمة: الصبرُ صبران، فاللئام أصبر أجساماً، والكرام أصبر نفوساً. وليس الصبر الممدوح صاحبه، أن يكون الرجل قوي الجسد على الكدّ والعمل، لأن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوباً، وللأمور متحمّلاً، ولجأشِه عند الحفاظ مرتبطاً.

واعلم أنه من صبر على حادثة، وتماسك في نكبة، إلا كان انكشافها وشيكاً، وكان الفرج منه قريباً.

أخبرني بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حُبِس في السجن خمس عشرة سنة، حتى ضاقت حيلته، وقل صبره، فكتب إلى بعض إخوانه، يشكو له طول حبسه، فردّ عليه جوابَ رقعته بهذا:

صَبْراً أبا أيوب صَبْرَ مُبَرِّحٍ ... فإذا عجزتَ عن الخطوب فمنْ لَهَا؟
إن الذي عقد الذي انعقدت له ... عُقَدُ المكاره فيك يَملِكُ حَلَّها
صَبْراً فإن الصبر يعقب راحة ... ولعلَّها أن تنجلي ولعلها

فأجابه أبو أيوب يقول:

صَبَّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بلْ لا أقول لعلّها
ويَحُلُّها من كان صاحبَ عَقْدِها ... كَرَماً به إذ كان يملكُ حَلَّها

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أياماً، حتى أطلق مُكَرَّماً.

وأنشد ابن دُريد عن أبي حاتم:

إذا اشتملت على اليأس القلوبُ ... وضاق لما به الصدرُ الرحيبُ
ووَاوْطَنَتِ المكارهُ واطْمأنَّتْ ... وأرستْ في مكانتها الخطوبُ

ولم تـرَ لانكـشاف الـضُرّ وجهـاً ... ولا أغنـى بحيلتـه الأريـبُ
أتـاك علـى قنـوطٍ منـك غَـوْثٌ ... يَمُـنُّ بـه اللطيـفُ المـستجيبُ
وكـلُّ الحادثـات إذا تناهـت ... فموصـول بهـا الفـرج القريـبُ[1]

قال ابن مفلح: (فإذا علم العبد أنه وما يملكه لله سبحانه حقيقةً، لأنه أوجده من عَدَم ويعدمه أيضاً ويحفظه في حال وجوده، ولا يتصرف فيه العبد إلا بما يتاح له، وأن مرجعه إلى الله -ولابد- فرداً كما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[2]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[3].

وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما قال عليه السلام، وكما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[4].

وأن الله لو شاء جعل مصيبته أعظم مما هي، وأنه إن صبر أخلف الله عليه أعظم من فوات مصيبته، وأن المصيبة لا تختص به فيتأسى بأهل المصائب، ومصيبة بعضها أعظم، وأن سرور الدنيا مع قلته وانقطاعه منغص.

وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحاً إلا ملئ ترحاً.

وقال ابن سيرين: ما كان ضحك قط إلا كان بعده بكاء، وقد شاهد الناس من تغير الدنيا بأهلها في أسرع ما يكون العجائب.

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٨.

(٢) سورة مريم، آية: ٨٠.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٤.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٢-٢٣.

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكاً، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن من أقل الناس، وإنه حق على الله أن لا يملأ داراً حِبرةً إلا ملأها عبرة.

ثم قالت:

فبينا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرنا ... إذا نحن فيهم سُوقة نَتَنصَّفُ

فأُفٍّ لدينا لا يدومُ نعيمُها ... تَقلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

وعلم العبد أن الجزع لا يرد المصيبة بل هو مرض يزيدها، وأنه يسر عدوه ويسيء محبه، وإن فوات ثوابها بالجزع أعظم منها ومنه بيت الحمد الذي يبني له في الجنة على حمده واسترجاعه.

وفي البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: ((يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صَفِيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة))[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((ما يصيب المسلمَ من وَصَب ولا نَصَبٍ، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياه))[2].

وعلم أن الذي ابتلاه أحكمُ الحاكمين وأرحمُ الراحمين ليمتحنَ صَبْرَهُ ويسمع تَضَرُّعه ويخوفه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[4].

قال الشيخ عبدالقادر: يا بني، المصيبةُ ما جاءت لتهلك، وإنما جاءت لتمتحنَ صبركَ وإيمانك، يا بني، القدر سَبُعٌ، والسبع لا يأكل الميتة؛ فالمصيبة كير العبد، فإما أن يخرج ذهباً أو خبثاً، كما قيل:

---

(١) أخرجه البخاري ٦٤٢٤، وأحمد ٢/٤١٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٤١، ومسلم ٢٥٧٣.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٧٦.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٤٨.

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدى الكيرُ عن خبث الحديد

اللجين: الفضة.

وعلم أنه لولا المصائبُ لبطر العبد وبغى وطغى، فيحميه بها من ذلك، ويطهره مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلي بنعمائه كما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وعلم أن مرارة الدنيا حلاوة الآخرة والعكس بالعكس، ولهذا قال ﷺ: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[1].

وقال: ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[2]. ومعلوم أن العاقل من احتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، وذل ساعة لعز الأبد، هذا من لطف الله به حتى نظر في العواقب والغايات، والناس -إلا من عصم الله- آثروا العاجل لمشاهدته وضعف الإيمان.

وعلم أنه يُحبُّ ربه وأن المحب إن أسخطه فهو كاذب في محبته، ولهذا كان عمران بن حصين رضي الله عنه يقول في مرضه: أحبُه إليَّ أحبه إليه. وكذا أبو العالية، وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به.

فإذا علم العبد هذه الأمور ونظر فيها وتأمَّلها، صبر واحتسب، وحصل له من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه. والناسُ في هذا متفاوتون كغيره من الأمور[3].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٥٦، والترمذي ٢٣٢٤، وابن حبان ٦٨٧.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٢٢، والترمذي ٢٥٥٩، وابن حبان ٧١٦.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢/١٧٧-١٨٣ بتصرف.

الحديث رقم (١٦٦٥)

١٦٦٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: اشْتَكَى سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه شَكْوَى[١]، فَأتاهُ رسُولُ الله ﷺ، يَعُودُهُ مَعَ عَبدِ الرَّحمانِ بْنِ عَوفٍ، وَسَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ، وعبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنهم. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَدَهُ في غَشْيَةٍ[٢]، فَقالَ: ((أقَضَى[٣]؟)) قالوا: لا يا رسول اللهِ، فَبكَى رسولُ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبيِّ ﷺ بَكَوْا، قال: ((**ألاَ تَسْمَعُونَ؟ إنَّ اللهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا**)) - وَأشَارَ إلَى لِسَانِهِ- **أو يَرْحَمُ**)). متفق عليه[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الغشية: الإغماء[٥].

أقضي: أمات[٦].

الشرح الأدبي

إن عيادة المريض من سمات المسلم في علاقته بالآخرين، اقتداء بالنبي ﷺ، واتباعاً لنهجه القديم، وسنته المباركة.

وفي هذا الحديث نتأمل مشهد الزائرين وهم من الصحابة الأخيار، وفي مقدمتهم النبي المختار ﷺ حيث ذهبوا يعودون سعد بن عبادة رضي الله عنه، في مرضه، والوفد الزائر،

---

(١) عندهما زيادة: (له).

(٢) هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: (فوجده في غاشية أهله).

(٣) لفظ مسلم: (أقد قضى)، ولفظ البخاري: (قد قضى).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤/١٢)، وتقدم برقم (٩٢٦).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (خ ش ي).

(٦) المرجع السابق في (ق ض ي).

يتكون من رسول الله ﷺ، والذين معه وهم: عبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

وفْدٌ يحوط به الإجلال والكمال، والبهاء والجمال، ويدثره نور الهيبة من الكبير المتعال.

ولغة الحديث تفصح عن مكانة الرسول ﷺ، وهو يتصدر هذا الوفد الكريم، حيث قال الراوي: "فلما دخل عليه وجده في غشيه" فقد أفرد الضمير في الفعلين "دخل عليه، ووجده"، مع أنهم دخلوا جميعًا، "ووجدوه جميعًا في غشية" أي: مغمى عليه من المرض، وجاء الضمير مفرداً إظهار لمكانة رسول الله ﷺ وللإخبار بأن الذين معه تابعون له، وأنه: متبوع وليس تابعاً أو فرداً في جماعة.

والعطف بالفاءات في كثير من جمل الحديث يرشد إلى تتابع مشاهد هذا الحدث، وتلهف رسول الله ﷺ إلى معرفة أخبار سعد بن عبادة رضي الله عنه والاطمئنان عليه، ولما أدرك رسول الله ﷺ بعد الحوار المؤثر بينه وبين الصحابة وأهل المريض: أن الأجل قد حان: بكى عظة واعتباراً وحزناً قلبياً على موت هذا الصحابي الجليل، وبكى الصحابة لما رأوا بكاء النبي ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أنهم كانوا مدحرجين من البكاء وإظهار الحزن، خوفاً من لوم النبي ﷺ لهم، فالبكاء الذي يخلو من النواح والتفجع والدعاء بدعوى الجاهلية: من فطرة النفس الإنسانية؛ واستقبال الموت يثير في النفس كوامن الأشجان، ويجعلها تتضح بالأحزان، ولكن في ظل الصبر والامتثال، والتوازن والاعتدال، والرضا بما قدره الكبير المتعال، ولذلك جاء قوله "ألا تسمعون"، بمثابة استفتاح وتنبيه إلى أن التعبير عن الحزن جائز في صورة تخلو من الاستغاثة أو الندب، أو الاعتراض، أو التعديد.

ولذلك يختم الحديث بأسلوب التوكيد: حيث يصرح الرسول ﷺ بذلك مؤكداً بأن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، والعذاب يكون بحصائد الألسنة حين يصدر الإنسان كلمات الاعتراض والسخط، وهو في غمرة الأحزان ينسى رحمة الواحد الديان، والإشارة إلى اللسان، وفي هذه الصورة الحسية في قوله: "يعذب بهذا أو يرحم وأشار إلى لسانه"، تحمل كثيراً من الدلالات المتعددة التي يجب أن ينتبه لها كل مسلم:

وليستجب لقول رسول الله ﷺ حين سئل عن أسباب النجاة فقال: "أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك"[١]، ﷺ، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- جواز الحزن على الميت، والبكاء عليه إذا لم يكن يصحبه نوح، أو شق جيب، أو لطم خد، أو سخط لأمر الله تعالى، كمايجوز البكاء بصوت إذا غلب على الباكي الحزن، ولم يبلغ الحد المنهي عنه، وهذا الحكم متفق عليه بين الفقهاء[٢].

والدليل على ذلك ما روت عائشة رضي الله عنها[٣] أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبوبكر، وعمر رضي الله عنهما فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤][٥].

ففي تفريقها بين بكاء عمر وأبي بكر، وهي في الحجرة دليل على أنهما كانا يبكيان بصوت لشدة حزنهما على سعد رضي الله عنه ولم يقدرا على كتمه، ولكنه لم يبلغ إلى الحد المنهي، ولذلك لم ينكر عليهما النبي ﷺ[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٤٠٦، وصححه الألباني، (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٨٨٨).

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٠٧/٢، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤١/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٩٨/٢، والمهذب ١٣٩/١، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٧٣/٥، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٣٥٧/١، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد ضويان ١٧٣/١، وسبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الصنعاني ١١٧/٢.

(٣) الفتح الرباني ١٤١/٧.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٥) أخرجه أحمد ٢٥٠٩٧/٤٢ مطولاً في غزوة الخندق. وقال محققو المسند: ولمعظمه شواهد يصحّ بها أو يحسن أهـ. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٦) الدين الخالص ٢٤١/٧.

٢- وفي قوله: "ولكن يعذب بهذا" حرمة النياحة، والندب، وغير ذلك من مظاهر الجزع، وعدم الرضا بقضاء الله عز وجل، وقد مر بيان ذلك في الحديث رقم ١٦٦١.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم شرح هذا الحديث برقم (٩٢٦).

الحديث رقم (١٦٦٦)

١٦٦٦- وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((النَّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِربَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مالك الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٥).

غريب الألفاظ:

النائحة: أي التي تبكي وتنوح من النساء على الميت[2].

السربال: القميص[3].

القطران: دهن يدهن به الجمل الأجرب فيحترق لحدته وحرارته فيشتمل على لذع القطران وحرقته وإسراع النار في الجلد واللون الوحش ونتن الريح جزاء وفاقًا، فخصت بذلك الدرع؛ لأنها كانت تجرح بكلماتها المؤنقة قلب المصاب، وبلون القطران، لكونها كانت تلبس السواد في المآتم[4].

درعٌ من جرب: يصير جلدها أجرب حتى يكون جلدها كقميص على أعضائها، والدرع: قميص النساء[5].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي والتصوير الأدبي في هذا الحديث الشريف نجده يتكون في بنائه اللغوي من جملة واحدة، تبدأ بقوله ﷺ: "النائحة" وهي مبتدأ، وجاء في صيغة اسم الفاعل، والبداية بهذا اللفظ لأهميته في الحديث: لأنه بؤرة

---

(١) برقم (٩٣٤/٢٩). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٨١) بتمامه.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن و ح).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي ٢٩٣/٦.

(٤) المرجع السابق ٢٩٣/٦.

(٥) المرجع السابق ٢٩٣/٦.

الحديث، ومركز دلالته، ومجيئه في هيئة اسم الفاعل، إيحاء بأن هذه المرأة وكل مَنْ على شاكلتها من النساء تتعمد القيام بالنوْح، وتبالغ فيه، وتبكي وتستبكي غيرها، و"أل" هنا للجنس: أي: كل نائحة تقوم بهذا الفعل.

وخبر المبتدأ هو: جملة الشرط التي تستغرق باقي الحديث الشريف، وأداة الشرط: "إذا"، وهي للتحقق وسر العدول عن غيرها من أدوات الشرط والإتيان بها في هذا السياق: يوحي بتحقيق التوبة.

وفيه كذلك ترغيب من رسول الله ﷺ بالإقدام على التوبة قبل ساعة الاحتضار، وفيه كذلك إنذار بالعقاب الشديد "إذا لم تتب قبل موتها"، وهذه الجملة هي: فعل الشرط، وفيها إيجاز بالحذف في قوله: "قبل موتها"، والمراد "قبل الغرغرة"، وقيل: ظهور الآيات المانعة من قبول التوبة كما قال صاحب دليل الفالحين.

وجواب الشرط: جملة: "تقام يوم القيامة.... الخ الحديث"، وبناء الفعل للمفعول هنا يرشد إلى أن هذه النائحة وكل من على شاكلتها، تكون مسلوبة الإرادة، وتأتي يوم القيامة في هيئة تلفت أنظار الجميع، ويشاهدها الكل، حيث "تقام" حتى تكون عبرة لأولي الألباب، وقد عدل عن قوله تقوم إلى قوله: "تقام"، للإشعار بفقد الإرادة وللإيحاء بأن هذا القيام القسري يعد صورة من صور العذاب يوم القيامة.

وما أبشع هذه الصورة التي يؤول إليها مصير هذه النائحة: إنها تُكسَى بقميص أو درع من قطران، ودرع من جرب، واختيار القطران في هذا السياق لمناسبة الموقف، لأنه أسود منتن، وهو سريع الاشتعال، وهو سائل لزج يتحلل من شجر "الأبهل" ويطلى به الإبل وغيرها، وكذلك الجرب: داء معروف.

وفي رسم هذه الصورة المنفرة: إنذار لكل من لم تتب عن النوْح، وفيه كذلك سخرية وإهانة: حيث قال: "درع من جرب"، والدرع للوقاية. ولكن كيف يكون الجرب وقاية: وهو داء مهلك، والقطران: نار تشتعل في جسم هذه النائحة التي كانت تظن بأن زوجها أو قريبها الذي ناحت عليه: هو جبلها وهو سندها، وهو حاميها، فهل يستطيع الآن حمايتها من العذاب؟ وهل يخفف عنها العقاب؟ وما ربك بظلام للعبيد، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه تحريم النياحة، وذلك لأنه هذا الوعيد الشديد لا يكون إلا على فعل شيء محرم، وقد سبق بيان حكم ذلك، في الحديث رقم ١٦٦٣.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة النائحة يوم القيامة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التوبة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان عاقبة النائحة يوم القيامة:

حيث جاء في الحديث "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جَرَب"، وقوله ﷺ: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت"[2] وفي هذا بيان لعاقبة النائحة إذا لم تتب. قال النووي: (وفي الحديث دليل على تحريم النياحة، وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلى الغرغرة)[3].

وقال النووي -في بيان قوله ﷺ: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت: - وفيه أقوال أصحها: أن معناه هما من أعمال الكفر وأخلاق الجاهلية، والثاني: أنه يؤدي إلى الكفر، والثالث: أنه كفر النعمة والإحسان، والرابع: أن ذلك في المستحل، وفي هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة)[4]، وأما ما جاء في عاقبة النائحة (فقوله: "عليها سربالٌ من قطران" أي أن الله تعالى يجازيها بلباس من قطران لأنها كانت تلبس الثياب السود وقوله "درع من جرب"

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٦٦٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٦٩).

(٢) أخرجه مسلم ١٢١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٦٠٢.

(٤) المرجع السابق ٢/٥٠.

يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع - وهو القميص- لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات. فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة)[1].

وقال ابن علان: (وهذا الوعيد للنائحة إذا لم تتب من نوحها الذي هو من الكبائر قبل موتها وقبل الغرغرة وقبل ظهور الآيات المانعة من قبول التوبة كطلوع الشمس من مغربها إذ التوبة عند ذلك لا عبرة بها وقوله "من قطران" هو ما يتحلل من شجر الأبهل ويطلي به الإبل وغيرها ومن شأنه أنه يسرع فيه شعل النار وهو أسود منتن)[2].

قال د. الحسيني هاشم: (من تعودت النياحة واتخذتها مهنة ولم ترجع عن ذلك بالتوبة ظهرت يوم القيامة، وعليها قميص من قطران، وكساء من جرب، كشفاً لما بدا منها وإظهاره في صورته الحقيقة)[3].

هذا والواجب الامتناع عن النوح امتثالاً لأمر الشرع، وقد سبق التفريق بين النوح والبكاء؛ فالبكاء والدموع رحمة والنوح سخط وجزع على قضاء الله، وسبب لعذاب الميت خاصة إذا أوصى بالنوح عليه جاء عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه: إن ابناً لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب. فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه: سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجالٌ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تتقعقع، قال: حسبته أنه قال: كأنها شن، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: ((هذا رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء))[4].

---

(١) المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، الإمام محمد بن عبدالوهاب، شرح محمود شكري الألوسي، تحقيق د. يوسف بن محمد السعيد، وكالة المطبوعات والبحث العلمي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ، ص ٢٣٨.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ٧٦٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٨٤، ومسلم ٩٢٣.

وعن عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة قال: توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما، وإني لجالس بينهما، أو قال: جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي، فقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لعمرو بن عثمان، ألا تنهى عن البكاء؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه))[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة، حتى إذا كنا بالبيداء، إذا هو بركب تحتَ ظل سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب؟ قال: فنظرت، فإذا صهيب فأخبرته فقال: ادعه لي فرجعت إلى صهيب فقلت: ارتحل، فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر، دخل صهيب يبكي، يقول: واأخاه، واصاحباه، فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب، أتبكي علي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه))[2].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((جيء بأبي يوم أحد قد مثل به، حتى وضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سُجِّي ثوباً، فذهبت أريد أن أكشف عنه، فنهاني قومي، ثم ذهبت أكشف عنه، فنهاني قومي، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع، فسمع صوت صائحة، فقال: "من هذه. فقالوا: ابنة عمرو، أو: أخت عمرو، قال: فلم تبكي؟ أو: لا تبكي، فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رُفع))[3].

وعن عبدالله رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية))[4].

ومن خلال هذه النصوص السابقة تتبين حرمة النوح وعاقبته فالواجب الكف عنه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٨٦، ومسلم ٩٢٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٢٨٧، ومسلم ٩٢٧.

(٣) أخرجه البخاري ١٢٩٣، ومسلم ٢٤٧١.

(٤) أخرجه البخاري ١٢٩٤، ومسلم ١٠٣.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يتضح هذا من سياق الحديثين حيث قال النبي ﷺ: "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب" وقوله ﷺ: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو، وتحمله على ترك المحظورات الشرعية ذلك أن النفس البشرية بفطرتها تخاف الوعيد (والنفس البشرية بقدر ميلها لأساليب الترغيب لحرصها على ما ينفعها فإنها بحاجة إلى الترهيب لردعها عن غيها وانحرافها عن الطريق المستقيم؛ لأن الترهيب فيه تخويف يحمل النفس وصاحبها على ترك المعاصي والآثام واجتناب الجرائم والذنوب، وبيان ما أعده الله تعالى من شديد العقاب وأليم العذاب لمن طغى وبغى وعاند وعصى وإذا ما أحسن الداعية في عرض ما لديه فإنه بلا شك سيؤثر في المتلقين أكبر التأثير وأعظمه، لأن الإنسان لا يتحمل الزواجر مجرد سماع فكيف إذا كانت حقيقة)[1]. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التوبة:

حيث جاء في الحديث "إذا لم تتب قبل موتها" وإذا كان الأمر كذلك ففي هذا الحديث حث على المبادرة إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3] قال السعدي: (قل يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله مخبراً للعباد عن ربهم لا تيأسوا من رحمة الله فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وتقولوا قد كثرت ذنوبنا فتبقون مصرين على العصيان ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ٥١٥.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٥٠.

(٣) سورة الزمر، آية: ٥٣.

وجوده فهو غفور رحيم)[١]. وأمر الله بالتوبة فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] وبين الله أن الذي يعرض عن التوبة ظالم فقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٣] والتوبة هي رجوع العبد إلى الله.

قال ابن القيم: (وشرائط التوبة ثلاثة: الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذٍ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة)[٤].

وفي موضع آخر قال: (والتوبة المقبولة الصحيحة لها علامات منها: أن يكون بعد التوبة خيراً مما كان قبلها ومنها أنه لا يزال الخوف مصاحباً له لا يأمن مكر الله طرفة عين فخوفه مستمر إلى قبض روحه ومنها انخلاع قلبه وتقطعه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها وتقطعه وانخلاعه هذا هو حقيقة التوبة فذلك من آثار التوبة المقبولة فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتهم توبته وليرجع إلى تصحيحها فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة وما أسهلها باللسان والدعوى وما عالج الصادق بشيء أشق عليه من التوبة الخالصة الصادقة)[٥].

قال ابن قدامة: (الناس في التوبة أربع طبقات:

الطبقة الأولى: تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فرَّط من أمره، ولا يحدّث نفسه بالعود إلى ذنوبه، إلا الزلات التي لا ينفك عنها البشر في العادات، فهذه هي الاستقامة في التوبة، وصاحبها هو السابق بالخيرات.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦٧٣.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٣٣٩.

(٥) المرجع السابق نفسه ٣/٣٤٦-٣٤٨.

وتسمى هذه التوبة النصوح، وتسمى هذه النفس المطمئنة، وهؤلاء يختلفون، منهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها، ومنهم من تنازعه نفسه وهو مليء بمجاهدتها.

الطبقة الثانية: تائب قد سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش، إلا أنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه، لا عن عمد، ولكنه يبتلى بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزماً على الإقدام عليها، وكلما أتى شيئاً منها لام نفسه، وندم وعزم على الاحتراز من أسبابها، فهذه هي النفس اللوَّامة، لأنها تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة، فهذه رتبة عالية أيضاً، وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين، لأن الشر معجون بطينة الآدمي، فقلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيرُه شرَّه، حتى يثقل ميزانه، فترجح حسناته، فأما أن تخلو كفة السيئات، فبعيد.

وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله سبحانه، إذ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾[1].

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة، ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب، فيقدم عليها لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات، وترك جملة من الذنوب مع القدرة عليها والشهوة لها، وإنما قهرته شهوة واحدة أو شهوتان، وهو يود لو أقدره الله على قمعها، وكفاه شرها، فإذا انتهت ندم، لكنه يعد نفسه بالتوبة عن ذلك الذنب، فهذه النفس تسمى بالمسؤولة، وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾[2] فأمر هذا من حيث مواظبته على الطاعات وكراهيته لما يتعاطاه مرجو لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾[3] وعاقبته مخطرة من حيث تأخيره وتسويفه، فربما يختطف قبل التوبة، فإن

---

(١) سورة النجم، آية: ٣٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٢.

الأعمال بالخواتيم، فعلى هذا يكن الخوف من الخاتمة، وكل نَفَسٍ يمكن أن يتصل به الموت، فتكون الخاتمة، فليراقب الأنفاس، وليحذر وقوع المحذور.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة، ثم يعود إلى الذنوب منهمكاً من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، فهذا من المصرين، وهذه النفس هي الأمارة بالسوء، ويخاف على هذا سوء الخاتمة.

فإن مات هذا على التوحيد، فإنه يرجى له الخلاص من النار، ولو بعد حين، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه، إلا أن التعويل على هذا لا يصلح، فإن من قال: إن الله تعالى كريم، وخزانته واسعة، ومعصيتي لا تضره، ثم تراه يركب البحار في طلب دينار، فلو قيل له: فإذا كان الحق كريماً، فاجلس في بيتك لعله يرزقك، استجهل قائل هذا، وقال: إنما الأرزاق بالكسب، فيقال له: هكذا النجاة بالتقوى)[1].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٢٨٨، ٢٨٩.

الحديث رقم (١٦٦٧)

١٦٦٧- وعن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ التابعِيِّ، عن امْرَأَةٍ مِنَ المُبَايعاتِ، قالت: كان فيما أخَذَ عَلَيْنَا رسُولُ اللهِ ﷺ، فِي المَعْرُوفِ الَّذي أخَذَ عَلَيْنَا أنْ لاَ نَعْصِيَهُ فِيهِ: أنْ لا نَخْمِشَ وَجْهَاً، وَلاَ نَدْعُوَ وَيْلاً، وَلاَ نَشُقَّ جَيْباً، وأنْ[1] لاَ نَنْشُرَ شَعْراً. رواه أبو داود[2] بإسناد حسن.

ترجمة الراوي:

أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات: هذه الصحابية لا تعرف إلا أن الراوي عنها أسَيد بن أبي أسَيد قال عنه المزي: أظنه غير البراد [واسمه: أسيد بن أبي أسيد البراد]، فإن البراد ليس له شيء عن الصحابة وإن يكنه فإن روايته عن المرأة منقطعة[3].

وهذه الصحابية من المبايعات اللاتي بايعن رسول الله ﷺ على ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]. فكانت البيعة على العمل بأركان الإسلام وعلى فضائل الأخلاق وكرائم الشمائل وعلى ترك عادات الجاهلية من وأد البنات وتبرج الجاهلية الأولى والنياحة ونحو ذلك من سوء الآداب. لذا كان النبي ﷺ يمتحن بها من جاءه من المؤمنات المهاجرات، كما قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ يمتحن بها من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك على ذلك[5].

---

(١) (أن) لا توجد عند أبي داود.

(٢) برقم (٣١٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٢).

(٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٢٦٤/١) ووافقه الحافظ في التهذيب (١٧٤/١)، وينظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٤٢٠/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨٥١.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦).

كما كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد[١]، بل كان ﷺ يبايع الرجال على ذلك ثم يقول: ((فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه))[٢].

غريب الألفاظ:

لا نخمش وجهاً: لا نخدش[٣].

ولا ندعو ويلاً: لا نقول عند المصيبة ووايلاه، والويلَ: الحزن والعذاب والهلاك[٤].

جيباً: من القميص ونحوه: ما يدخل منه الرأس عند لبسه[٥].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث إشارة إلى بيعة النساء التي وردت في القرآن الكريم، وهي إشارة ترشد إلى أن الحديث فصَّل ما أجمله القرآن الكريم، فألفاظ النبوة منبعها القلب المتصل بجلال الخالق عز وجل، ورسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، وحديثه الشريف في صلته القرآن، إما أن يُفصِّل مجملاً، أو يوضح مشكلاً، أو يخصص عاماً، أو يقيد مطلقاً.

وهنا: تفصيل لما أجمله القرآن في بيعة النساء: حيث أشارت هذه الصحابية إلى قوله عز وجل ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ﴾[٦]، وأوضحت أن من ذلك المعروف: هو أن لا نخمش وجهاً ... إلخ الحديث، ومن الظواهر الفنية والأسلوبية في هذا

---

(١) كما في صحيح البخاري ٩٧٩ ومسلم (٨٨٤) وينظر تفسير ابن كثير (٩٧/٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٨) وسلم (١٧٠٩).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (خ م ش).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ي ل).

(٥) لسان العرب، ابن منظور في (ج ي ب).

(٦) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

الحديث، تكرار جملة: "أخذ علينا"، وهذا التكرار لتأكيد العهد، ولتنفيذ الوصية، حتى تكون البيعة صحيحة، وحتى يستغفر لهن الله، وكذلك تكرار "لا" النافية المسبوقة بأن الظاهرة، والمستترة، في الجمل الأربعة، يؤكد حرص النبي ﷺ كما تخبر هذه الصحابية على عدم تردي المؤمنات في مهاوي هذه السلوكيات المخالفة لسنة رسول الله ﷺ، ولما جاء في القرآن الكريم.

ومجيء الأفعال المنهي عنها في الجمل الأربع في صيغة المضارع: يعلن عن ضرورة استمرار الكف عن مثل هذه الأفعال، وتلك السلوكيات التي تلحق بصاحبها الويل والثبور، وتلقى به في أتون القلق واليأس من رحمة الله عز وجل.

وتناسق البناء في هذه الجمل، وتوازن الشكل اللغوي يوحي بضرورة توازن شخصية المسلم، وإحداث الإيقاع الصوتي في نهاية كل جملة دعوة للتنبُّه حيث الألف الممدودة، فالأفعال كلها مضارعة مبدوءة بالنون الدالة على الجمع: وهي من علامات الفعل المضارع، والفاعل مستتر في جميع الجمل، وكان هذا الاستتار الواجب في اللغة: إيحاء كذلك بوجوب التخلي عن هذه الأفعال المشينة التي تمثل مظاهر الجزع والفزع، واليأس من رحمة الله تعالى.

والمفعول به: اسم مفرد يتوالى في إيقاع صوتي مؤثر والإفراد هنا كأنه دعوة إلى عدم النوْح الجماعي، لأنه يعد اعتراضاً جماعياً على مشيئة الله تعالى وقدره، فإذا كان الفرد منهياً عن ذلك، فإن المجموع أولى بالنهي والترك، وكل هذه المؤثرات الأسلوبية، والظواهر الفنية للإيحاء يترك هذه الظواهر السلوكية (خمش الوجه، الدعاء بقولهم: ياويلاه، شق الجيب، نشر الشعر)، وقال سبحانه: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث تحريم مظاهر الجزع على الميت التي تدل على عدم الرضا بقضاء الله من نحو الصراخ والعويل، وخمش الوجوه ولطمها، وشق الجيوب، ونشر الشعر وغير

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١١.

ذلك من أمور الجاهلية التي نهانا رسول الله ﷺ عنها بقوله: "ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية"، وقد مر بيان حكم هذا الأمر في الحديث رقم ١٦٦٠ وما بعده.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مبايعة النساء.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن أفعال الجاهلية والنوح.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مبايعة النساء:

حيث جاء في الحديث "عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف" وقد جاءت الإشارة إلى هذه المبايعة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] قال القرطبي: (لما فتح رسول الله ﷺ مكة جاء نساء أهل مكة يبايعنه فأمر أن يأخذ عليهن ألا يشركن وقد ذكر الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام في صفة البيعة خصالاً شتى صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر أركان الأمر وهي ستة أيضاً: الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة وذلك لأن النهي دائم في كل الأزمان، وكل الأحوال، فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل: إن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر لهذا). وفي مبايعة النساء جاء عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[2] قالت عائشة: ((فَمَنْ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٤٢٧.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

أَقَرَّ بِهَذَا من المؤمِنَاتِ فَقَدْ أَقَرَّ بالمِحْنَةِ، وكانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَقْرَرْنَ بذلكَ من قَوْلِهِنَّ قالَ لَهُنَّ: انْطَلِقْنَ فَقَدْ بَايَعْتُكُنَّ))[1]. قال السعدي: (وهذه الشروط المذكورة في الآية تسمى "مبايعة النساء" اللاتي يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة التي تجب على الذكور والإناث في جميع الأوقات فكان ﷺ إذا جاءته النساء يبايعنه والتزمن بهذه الشروط بايعهن وجبر قلوبهن واستغفر لهن الله فيما يحصل منهن من التقصير وأدخلهن في جملة المؤمنين)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن أفعال الجاهلية والنوح:

حيث جاء في الحديث "أن لا نخمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نشق جيباً، وأن لا ننثر شعراً" ولا ريب أن كل هذه من أفعال الجاهلية عند وقوع المصيبة والبلاء. قال شرف الحق العظيم آبادي: (وقوله "أن لا نخمش" أي لا نخدش، والويل أن يقول عند المصيبة وايلاه والجيب هو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس وهو الطوق في لغة العامة وقوله "أن لا ننثر شعراً" أي لا نفرق ولا ننشر شعراً)[3] هذا والواجب البعد عن أفعال الجاهلية وما يقومون به؛ فعن أبي بن كعب أن رجلاً اعتزى بعزاء الجاهلية، فأَعَضَّه، ولم يَكنِه فنظر القوم إليه فقال للقوم: إني قد أرى الذي في أنفسكم، إني لم أستطع إلا أن أقول هذا إن رسول الله ﷺ أمرنا: ((إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية فأَعِضُّوه ولا تكنوا))[4].

قال البغوي: (قوله: من تعزى بعزاء الجاهلية: أي انتسب وانتمى، كقولهم يا لفلان، ويا لبني فلان يقال عزوت الرجل وعزيته: إذا نسبته وكذلك كل شيء تنسبه إلى شيء وقوله "فأعضوه بهَن أبيه: الهن: الذّكر. أي قولوا له: اعضض ذكر أبيك، ولا تكنوا

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٦٨، والبخاري ٥٢٨٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٩٥.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣٣٧.

(٤) أخرجه أحمد ١٣٦/٥ رقم ٢١٢٣٣ وقال محققو المسند: حديث حسن وهذا إسناد رجاله ثقات. ١٥٧/٣٥.

أي صرّحوا بلفظ الذّكر بدون كناية، وهذا دليل على شناعة التعزي بعزاء الجاهلية)[١].

قال ابن تيمية: (والسنة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها، فإن السنة هي العادة، وهي الطريق التي تتكرر لنوع الناس، مما يعدونه عبادة، أو لا يعدونه عبادة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٢] وقال النبي ﷺ: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))[٣] والاتباع هو الاقتفاء والاستنان، فمن عمل بشيء من سننهم، فقد اتبع سنة جاهلية، وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء من سنن الجاهلية: في أعيادهم وغير أعيادهم، ولفظ: "الجاهلية" قد يكون اسماً للحال، وهو الغالب في الكتاب والسنة، وقد يكون اسماً لذي الحال.

فمن الأول: قول النبي ﷺ لأبي ذر: ((إنك امرؤ فيك جاهلية))[٤]. وقول عمر: ((إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة))[٥] وقول عائشة: ((كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء))[٦] وقوله: ((يا رسول الله كنا في جاهلية وشر))[٧] أي في حال جاهلية أو طريقة جاهلية، أوعادة جاهلية ونحو ذلك.

فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة، لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسماً، ومعناه قريب من معنى المصدر، وأما الثاني فتقول: طائفة جاهلية، وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه: فهو جاهل جهلاً مركباً، فإن قال

---

(١) شرح السنة، الإمام البغوي، شرح الحديث رقم ٣٥٤١، ١٢١/١٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٧٣٢٠، ومسلم ٢٦٦٩.

(٤) أخرجه البخاري ٣٠، ومسلم ١٦٦١.

(٥) أخرجه البخاري ٢٠٤٢، ومسلم ١٦٥٦.

(٦) أخرجه البخاري ٥١٢٧، وأبو داود ٢٢٧٢.

(٧) أخرجه البخاري ٧٠٨٤، ومسلم ١٨٤٧.

خلاف الحق عالماً بالحق، أو غير عالم: فهو جاهل أيضاً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[1]، وقال النبي ﷺ: ((إذا كان أحدكم صائماً، فلا يرفث ولا يجهل))[2].

ومن هذا قول بعض شعراء العرب:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهذا كثير، وكذلك من عمل بخلاف الحق: فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾[3] قال أصحاب محمد ﷺ: كل من عمل سوءاً فهو جاهل.

وسبب ذلك: أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب، يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه، من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلابد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلاً بهذا الاعتبار.

ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان حقيقة لا مجازاً، وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً، ولا خارجاً عن أصل مسمى الإيمان، وكذلك اسم: العقل، ونحو ذلك من الأسماء.

ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال: موتى، وعمياً، وصماً، وبكماً، وضالين، وجاهلين، ويصفهم بأنهم: لا يعقلون، ولا يسمعون.

ويصف المؤمنين: بأولى الألباب، وأولي النهى، وأنهم مهتدون، وأن لهم نوراً، وأنهم يسمعون ويعقلون.

فإذا تبين ذلك، فالناس قبل مبعث الرسول ﷺ كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل، وإنما يفعله جاهل.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٩٤، ومسلم ١١٥١.

(٣) سور النساء، آية: ١٧.

وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون: من يهودية، ونصرانية؛ فهي جاهلية، وتلك كانت الجاهلية العامة، فأما بعد مبعث الرسول ﷺ قد تكون في مصر دون مصر، كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخص دون شخص، كالرجل قبل أن يسلم، فإنه في جاهلية، وإن كان في دار الإسلام.

فأما في زمان مطلق: فلا جاهلية بعد مبعث محمد ﷺ، فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.

والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين، وفي كثير من الأشخاص المسلمين، كما قال ﷺ: ((أربع من أمتي من أمر الجاهلية))[1] وقال لأبي ذر: ((إنك امرؤ فيك جاهلية))[2] ونحو ذلك[3].

والمسلم لكي يبعد عن أعمال الجاهلية عند المصيبة يجب أن يتحلى بالصبر ويلزم الرضا بقضاء الله.

قال ابن حبان: (الواجب على العاقل أن يوقن أن الأشياء كلها قد فُرغ منها، فمنها ما هو كائن لا محالة، وما لا يكون فلا حيلة للخلق في تكوينه فإن دفعه الوقت إلى حال شدة يجب أن يتزر بإزار له طرفان، أحدهما: الصبر، والآخر: الرضا، ليستوفي كمال الأجر لفعله ذلك، فكم من شِدّة قد صعُبت وتعذر زوالها على العالم بأسره، ثم فرج عنها السهل في أقل من لحظة.

وعن أبي إسحاق عن أبي الحجاج الأزدي قال: سألنا سلمان: ما الإيمان بالقدر؟ قال: إذا علم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وأنشدني الأبرش:

هَوّن على نفسك من سعيها ... فليس ما قُدِّر مردود
وارْضَ بحكم الله في خلقه ... كل قضاء الله محمود

---

(١) أخرجه مسلم ٩٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٥٠، ومسلم ١٦٦١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ص ١/٢٥٤-٢٥٨ بتصرف.

وعن معمر قال: لما حاصر الحجاجُ ابنَ الزبير بمكة جعلت الحجارة تضرب الحائط، فقيل له: لا نأمن عليك أن يصيبك منها حجر، فقال ابن الزبير:

هون عليك، فإن الأمور بكفِّ الإله مقاديرها

وحدثنا سفيان بن مسعر: أن رجلاً ركب البحر، فكسر به، فوقع في جزيرة من جزائر البحر، فمكث فيها ثلاثاً لايرى أحداً، ولا يأكل طعاماً، ولا يشرب شراباً، فأيس من الحياة، فتمثَّل:

إذا شاب الغراب أتيتُ أهلي وصار القارُ كاللبن الحليب

فأجابه مجيب يقول:

عسى الكربُ الذي أمسيتَ فيه يكون وراءهُ فرج قريب

فنظر، فإذا سفينة في البحر، فلوَّح لهم، فأتوه، فحملوه، وأصاب معهم خيراً، ورجع إلى أهله سالماً.

وأنشد المنتصر بن بلال الأنصاري:

عسى فرج يأتي به الله؛ إنه له كلَّ يوم في خليقته أمرُ
عسى ما ترى أن لا يدوم، وأن ترى له فرجاً مما ألحّ به العُسْرُ
إذا اشتد عُسر فارْجُ يُسْراً؛ فإنه قضى الله أن العسر يتبعه اليسر[1]

---

(١) روضة العقلاء ١٥٧-١٥٩ بتصرف.

الحديث رقم (١٦٦٨)

١٦٦٨- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: ((مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ[1] فَيَقُولُ: وَاجَبَلاَهُ، واسَيِّدَاهُ، أو نَحْوَ ذلِكَ إلاَّ وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أهكَذَا كُنْتَ؟)). رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

واجبلاه واسيداه: أسلوب ندبة وهو النداء بـ"وا" أو "يا" مع إلحاق الألف في ىخر الاسم لمد الصوت وزيادة الهاء بعه لإرادة بيانه "أي الألف" والغرض من الندبة: إظهار التوجع، والمراد التوجع من موت الذي يناح عليه[3].

يلهزانه: اللهز: الدفع بجمع اليد في الصدر[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل صياغة هذا الحديث الشريف: نجده يبدأ بحرف النفي "ما" وهذا البداية تشعر بأن ما في الحديث من جزع وفزع يقوم به الباكون يجب أن يكون منفياً من ذاكرتنا، وملغى من سلوكياتنا، "ومن" زائدة، في قوله: "ما من ميت"، وهي ليست مزيدة من باب الإطناب أو الإسهاب ولكنها فريدة لتأكيد استغراق النفي، أي أن

---

(١) لفظ الترمذي: (باكيه) والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (١٠٠٣). وقال الحاكم (٤٧١/٢): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ ابن حجر في التلخيص (١٤٠/٢): وشاهده في الصحيح عن النعمان بن بشير اهـ. وقد تقدم برقم (١٦٦٤). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧٤).

(٣) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٧٩/١١، وفتح الباري، ابن حجر ٧٥٦/٧، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٧٥/١٨، والمعجم الوسيط، محمع اللغة العربية ٩١٠.

(٤) رياض الصالحين ٥٧٣.

النفي عام وشامل لكل باكٍ نواح، وأسلوب القصر يشمل صياغة الحديث: وطريقة النفي والاستثناء ، فـ"ما" النافية بدئ بها الحديث الشريف، و"إلا": وردت في نهاية الحديث، وفي ذلك إيحاء بأن هذا السلوك الجزع محاصر، وله عقابه الشديد يوم القيامة، حيث المواجهة والتقريع، أهكذا كنت؟.

وتنكير لفظ "ميت" لإفادة العموم والشيوع، والاستقصاء، وحرف الجر، "من" يفيد ذلك، فلن ينجو ميت نيح عليه بالندبة والاستغاثة من هذا المصير: وهو اللهز والسخرية منه يوم القيامة؛ وقوله: "واجبلاه.." للإيحاء بأنه الحامي، ولكنه لا يحمي نفسه يوم القيامة حيث يجيء وعليه كالنائحة سربال من قطران، ودرع من جرب، وقوله: "واسيداه" اعتراف بسيادة الميت، واحتماء النائح به، وفي رواية، "واسنداه"، من السند، وكلاهما سلوك مرفوض، وغفلة عن رحمة العزيز الغفار القوي القهار.

وقوله: "يلهزانه"، تعبير يفيد شدة الأخذ،وشدة التوبيخ، وإظهار ضعف هذا الذي كان يستغاث به ويندب بعد موته، ويقال له: "واجبلاه، واسيداه"، ولذلك تسأله الملائكة سؤالاً فيه تقريع وتبكيت، ومواجهة بالحقيقة "أهكذا كنت؟" كما يقولون؟ وفي الجملة: تقديم وتأخير، فأصلها أكنت هكذا؟ ولكن قدم خبر كان، "هكذا" للعناية به وللإسراع في مواجهته بالحقيقة.

فقه الحديث

وفي الحديث من الأحكام، توبيخ الميت، وتعذيبه بالبكاء عليه، وقد مر بيان هذا الحكم في الحديث رقم ١٦٦٠.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦٦٤).

الحديث رقم (١٦٦٩)

١٦٦٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

النّياحة: مهنة التي تنوح على الأموات، أي: تبكي وتُوْلوِل[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو ختام باب النياحة على الميت، ومجيئه في ختام هذا الباب تذكير للناس بالحكم الشرعي على هذا السلوك الذي ينطلق من اعتراض على مشيئة الله تعالى وقدره، وكذلك الإقدام على جريمة "الطعن في النسب" مع علمه بصحته، فذلك كفر واضح.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة صيغت في الأسلوب الخبري، ومكونه من مبتدأ مفرد، وهو: "اثنتان في الناس"، ومن خبر مفرد كذلك، مكون من جزأين، معطوف ومعطوف عليه، وهو "الطعن في النسب، والنياحة على الميت"، وبداية الحديث تعد براعة استهلال، وفيها تشويق وإثارة للسامع تجعله في تلهف لمعرفة هاتين الخصلتين: وفي هذا المنحى الأسلوبي تفصيل بعد الإجمال، وفيه كذلك إيجاز بالحذف، والتقدير خصلتان اثنتان، وقوله: "في الناس"، يفيد تمكن هاتين الخصلتين من طبيعة الناس، وأن الناس تضعف أمامهما؛ لأن "في" تفيد "الظرفية"، وفي ذلك تحذير

---

(١) برقم (٦٧/١٢١). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٧٦).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ن و ح).

من الانصياع إليهما، ودعوة لمقاومة هاتين الخصلتين، ويكفي في التحذير منهما أنهما يؤديان إلى الكفر والتعبير بـ"في" يرشد إلى أن المقاومة: لا بد أن تكون شديدة وصادقة وخالصة لوجه الله تعالى، وقوله: "في الناس" إشارة إلى أن هذا من الطبيعة البشرية المنحرفة التي يجب التصدي لها، والمسلم أولى من غيره بهذا التصدي وهذه المقاومة؛ حتى لا يؤول أمره إلى الكفران والخسران.

و"الكفر" بالضم: ضد الإيمان، وكفر نعمة الله: جحدها وسترها، والكفر: هو ستر الشيء، ومن معاني: الكافر، الليل، والسحاب المظلم، وهما يحجبان النور، وينشران الفزع، ويستران الأشياء.

والطعن في النسب: كفر: لأنه يحجب الحقيقة، وينكر الأنساب الصحيحة، ويشكك في الأرحام، وينشر الفتنة بين الأنام، وكذلك النياحة على الميت: كفر بنعمة الله الذي خلق الموت والحياة، وفيه اعتراض على قضاء الله تعالى وقدره، وعلى مشيئته في عباده التي لا رادَّ لها، فهو اللطيف الخبير.

فقه الحديث

وفي الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب، والنياحة على الميت ومعنى (هما بهم كفر) فيه أقوال أصحها ما يأتي:

١- إنه معناهما: أنهما من أعمال الكفر، وأخلاق الجاهلية.

٢- إنهما يؤديان إلى الكفر.

٣- إنهما من كفر النعمة، والإحسان.

٤- إن ذلك في المستحل لهما[1].

المضامين الدعوية[2]

---

(١) شرح صحيح مسلم ٥/٥٧، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٤/١٦٠.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٦٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالترهيب:

لقد رهب النبي ﷺ من الجزع عند موت أحد الأحبة في كثير من أحاديث هذا الباب، لأن ذلك فيه تشبه بالجاهلية، حيث كانت النساء تنوح على الميت، ويندبن، ويشققن الجيوب ويلطمن الخدود، ويحلقن شعورهن، ويسوِّدن وجوههن، وما إلى ذلك من ضروب الجزع والجهل التي تزداد بازدياد أهمية الميت عند أهله، حتى جاء الإسلام، وأبطل هذه العادات، وكان لابد من استخدام أسلوب الترهيب في تخويف هؤلاء من المسلمين من عادات الجاهلية في الجنائز، يقول ﷺ: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»، ويقول ﷺ: «ليس منا من ضرب الخدود.....».

وكذلك كان في الجاهلية مهنة تمتهنها بعض النساء وهي النائحة، التي تندب الميت وتأتي بالمنظومات في رثائه وتلطم خدها، والنساء يفعلن مثلها، فرهَّب النبي ﷺ من تفعل هذه الفعلة، يقول ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، ....». وذلك الجزاء من جنس عملها، حيث كان من جملة أعمالهن تلطيخ الوجه بالطين والسواد حزنًا على فقد الميت.

إن الانتهاء عن مثل تلك التصرفات لا يجدي مع أصحابها الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة لهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة.... لكنهم إذا مثلت أمامهن المخاوف المحققة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا[1].

ثانيًا: التربية على اتباع سنة النبي ﷺ:

وذلك ما فعله أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، «عندما مرض وغشي عليه، فصرخت زوجته وولولته، فلمّا أفاق ووجدها على هذه الحال قال: أنا برئ ممن برئ منه رسول

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٥١.

الله ﷺ»، وذلك تأسيًا واقتداءً بسنته ﷺ؛ حيث تبرأ ﷺ من التي ترفع صوتها بالنياحة، وكذلك التي تحلق شعرها وتشق ثوبها جزعًا على فراق الميت، لأن ذلك من علامات الجاهلية، وقد بعث النبي ﷺ لمحو هذه الكفريات من الأمة، وتعليمهم الصبر عند فقد الميت.

إن التأسي بالنبي ﷺ هو أن تفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله من وجوب أو ندب وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشتمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ وعلى ذلك فالتأسي والاقتداء شامل كافة أمور الدين؛ فإذا قال الرسول ﷺ قولاً قلنا مثل قوله، وإذا فعل فعلاً فعلنا مثله، وإذا ترك شيئًا تركناه فيما لم يكن خاصًا به، وإذا عظم شيئًا عظمناه، وإذا حضر شيئًا حضرناه، وإذا رضي لنا أمرًا رضينا به، وإذا وقف بنا عند حد وقفنا عنده ولم يكن لنا أن نتقدم عليه أو نتأخر عنه[1].

ثالثًا: التربية بالوصية:

ولأهمية هذا الأمر -الصبر عند المصيبة وفقد الأحبة- فإن النبي ﷺ نوَّع في أساليب تربية صحابته على التزامه، ومن هذه الأساليب أسلوب الوصية، يظهر ذلك في قول أم عطية رضي الله عنها، حيث قالت: أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة ألا ننوح، وقول: امرأة من المبايعات: وكان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ ...أن لا نعصيه فيه: أن لا نخمش وجهًا...، وكذلك نهى عن سائر مظاهر الجزع المنسوب إلى الجاهلية، لأن المسلم لا تنتهي عنده الحياة بالموت، بل هناك بعث وجنة ونار، وهو محاسب على كل ما يفعل من خير أو شر.

إن الوصية أشبه بالعهد الذي يؤخذ على الأفراد والجماعات، وهي قليلة التكرار، مما يجعلها بعيدة النسيان، لاسيما إذا صدرت من محب له في القلب مكانة وفي النفس قبول، كما أنها كثيرًا ما تقع طلبًا من الموصي وتركز على أمور جوهرية لها علاقة بطبيعة الموصي، ومحتملة الوقوع في المستقبل[2].

---

(١) محبة الرسول ﷺ، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص١٢٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، زياد العاني، ص٢٧٤.

رابعًا: التربية على الصبر عند الشدائد:

إن سائر أحاديث هذا الباب تلمح إلى قيمة الصبر، وربما صرحت به تصريحًا، وخاصة عند أشد المصائب على الإنسان، وهي فقد الأحبة بالموت، فقد نهى ﷺ عن الجزع وسائر صوره من شق الجيوب ولطم الخدود وحلق الشعر بالنسبة للنساء، والتلطخ بالطين حزنًا؛ لأن الصبر هو العلاج الأمثل لتلك المصيبة ولغيرها.

يقول الحسن بن وهب في فضل الصبر: أما الصبر فمصير كل ذي مصيبة، غير أن الحازم يقدم ذلك عند اللوعة طلبًا للمثوبة، والعاجز يؤخر ذلك إلى السلوة فيكون مغبون نصيب الصابرين، ولو أن الثواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان على الجزع لكان ذلك أثقل عليها؛ لأن جزع الإنسان قليل وصبره طويل، والصبر في أوانه أيسر مؤونة من الجزع بعد السلوة، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا نفعل ما كان لله مسخطًا، فأما ما يملكه الله من حسن عزاء النفس فلا نملكه من أنفسنا[1].

ولتسهيل المصيبة على المرء فعليه أن يستشعر ما تعلمه نفسه من نزول الفناء، وتقصي المسار، وأن للنفس آجالاً منصرمة ومددًا منقضية؛ إذ ليس للدنيا حال تدوم، ولا لمخلوق فيها بقاء... وأن النعم زائرة، وأنها لا محالة زائلة، وأن السرور بها إذا أقبلت مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنها لا تفرح بإقبالها فرحًا، حتى تعصب بفراقها ترحًا، فعلى قدر السرور يكون الحزن، وقد قيل: المفروح به هو المحزون عليه[2].

خامسًا: التربية على ضبط النفس:

إن المسلم ينبغي أن يضبط نفسه في حالات المصائب، وفضلاً عن الصبر والاحتساب، وانتظار أجر الله على الصبر على المصائب، فإن المسلم له مظهر خارجي يتسم بضبط النفس، وصونها عن الانهيار، وما وراءه من التفوه بألفاظ النياحة والثكل، والتي يتخذها البعض طرائف ونكات تطلق على أهل الميت بعد ادمال جراح

---

(١) موسوعة مكارم الأخلاق، ٤٢/٣٣.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص٢٨١ - ٢٨٣.

الفراق، التي دفعتهم إلى الخروج عن القواعد والأعراف الإسلامية، التي تقتضي أن يكون المسلم هادئًا ما أمكنه، محافظًا على سكينته ووقاره ولهذا فقد روي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ أخذ علينا أن لا نخمش وجهًا، ولا ندعو ويلاً...»، وكل ذلك لأن المصيبة ستزول بمرور الزمن، ولهذا فينبغي أن لا تنسى المرء نفسه، ويتصرف على أنها نهاية العالم، مع أنه قد يأكل ويشرب ويضحك بعد أيام أو شهور من وقوع المصيبة.

إن المسلمين إذا أصابتهم مصيبة "لم يملكهم الغم والحزن، وانتقلوا عن ذلك إلى الإقبال على مَا يهمهم مِن الأمور، ولم يلهمهم التحرُّق على ما فات[1]، يقول تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

❁ ❁ ❁

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٤٠٩/٢٧/١١.

(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

٣٠٣- باب النَّهي عن إتيان الكُهّان والمنجِّمين والعُرّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك

الحديث رقم (١٦٧٠)

١٦٧٠- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سأل رسُولَ اللهِ ﷺ أناسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: ((لَيْسُوا[1] بِشَيءٍ)) فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ إنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أحْيَاناً بِشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقّاً؟ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ)) متفق عليه[2].

وفي رواية للبخاريِّ[3] عن عائشة رضي الله عنها: أنَّها سمعتْ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((إنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ - وَهُوَ السَّحَابُ - فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيهُ إلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)).

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الكهان: جمع كاهن: وهو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل[4].

فيقرها في أذن وليه: يلقيها[5].

---

(١) لفظ البخاري في هذه الرواية: (ليس) بالإفراد، والمثبت عنده برقم (٦٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢٨/١٢٣).

(٣) برقم (٣٢١٠).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك هـ ن).

(٥) رياض الصالحين ٥٧٣.

الشرح الأدبي

هذا الحديث يفتتح به النووي باب: النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف، وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير وغير ذلك.

ويتسم الحديث بصيغة الحوار، والسؤال والجواب، وتلك السمة الأسلوبية إحدى سمات توصيل المعاني في البيان النبوي، وهي تبعث عن التشويق، وتكون ثمرتها الإقناع.

وأول ما يلفت النظر في الجملة الأولى: وهي من كلام عائشة رضي الله عنها: تقديم لفظ رسول الله ﷺ وهو مفعول به لأنه المسؤول، على لفظ "أناس" وهو الفاعل: وهذا التقديم لشرف رسول الله ﷺ، وتعظيمه، وتوقيره، ولأنه هو المؤثر والفاعل الحقيقي لأنه هو الذي يجيب ويفيد فهم يجهلون حقيقة أمر الكهان، والمصطفى ﷺ يعرف حقيقتهم.

والكهان: جمع كاهن: وهو من يخبر عن بعض المغيبات لأن له ولياً من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، كما ورد في سورة الصافات، أو بما يطرأ ويكون في أقطار الأرض، وما خفى عنه من قرب أو بعد، وقول رسول الله ﷺ: "ليس بشيء" فيه تفنن في التعبير، وجمال في الصياغة، وسر ذلك أمران: وهما أنه جاء بالإجابة في صيغة المفرد وليس الجمع: فلم يقل: ليسوا بشيء، وإنما قال: "ليس بشيء"، والمراد أن كلام الكهان لا قيمة له لأن الكذب هو الغالب عليه، وزيادة الباء في قوله "بشيء"، تفيد الاستقصاء والتهوين والتحقير من شأن كلام الكهان، والتأكيد في قولهم: "إنهم يحدثونا"، يفيد إصرار هؤلاء الناس على أن للجن وللكهان أثراً وقوة مؤثرة، ولكن قولهم: "أحياناً" يدل على أن صدق الكهان والحق في كلامهم ليس دائماً ولا مطرداً.

وقول الرسول ﷺ "تلك الكلمة"، إشارة إلى أهمية الكلمة أو الكلام الذي يخطفه الشيطان: لأنه يفتن به الناس، ويكذب به عليهم، والكلمة: المراد بها الكلام، لأن الكلمة في اللغة قد يقصد منها مجموع الكلام كما قال ابن مالك، "وكلمة بها كلام قد يُؤمّ" والعطف بالفاء في قوله ﷺ (يخطفها، فيقرها، فيخلطون معها) يصور سرعة حركة "الجني" وسرعة توصيله الكلام إلى الكهان الذين يزعمون قول الصدق، والعلم بالغيب، وبئس ما يزعمون.

فقه الحديث

وفي الحديث: النهي عن إتيان الكهان، وتصديقهم فيما يقولون، وهو حرام بإجماع المسلمين[١].

ولعل السبب في النهي عن إتيان الكهان، هو أنهم يتكلمون في مغيبات قد يصادف بعضها الإجابة، فيخشى الفتنة على الإنسان بسبب ذلك، ولأنهم يلبسون على الناس كثيراً من أمور الشرع[٢].

والسبب في إصابة الكاهن في بعض الأحيان، هو أن الجني يلقى إليه الكلمة التي يسمعها استراقاً من الملائكة فيزيد عليها أكاذيب يقيسها على ما سمع، فربما أصاب نادراً، وخطؤه هو الغالب[٣].

ويجب على ولي الأمر من محتسب وغيره أن يمنع الناس من التكسب بالكهانة وينكر عليهم أشد النكير، بل ويؤدبه إذا أخذ مقابلاً لذلك، كما يؤدب المعطي[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثانياً: من واجبات الداعية: البيان والإيضاح لحقائق الأمور.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: كذب الكهان وتلبيسهم للأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

حيث جاء في الحديث "سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال: ليسوا بشيء" وأسلوب السؤال والجواب من أساليب الدعوة التي تساعد على توضيح وبيان

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٢/٥، وفتح الباري، ابن حجر ٢١٩/١٠.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٤١/٣.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٢١٩/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٢/٥، وفتح الباري، ابن حجر ٢١٩/١٠.

الحقائق للمدعوين، وتفتح حواراً بين الداعية والمدعو (وللسؤال والجوب قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين الآخرين فطبيعة السائلين أن يطرحوا أسئلتهم عادة على من يحترمونه ويقدرونه ويثقون بعلمه وأمانته العلمية وبقدرته على فهم أسئلتهم فهماً دقيقاً فهم إذا تلقوا منه الجواب تلقفوه تلقفاً لأن كل أبواب أفكارهم ونفوسهم متفتحة لتلقي الإجابة منه)[١]. ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب السؤال والجواب قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾[٣] وقوله جل شأنه: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[٤].

ثانياً- من واجبات الداعية: البيان والإيضاح لحقائق الأمور:

حيث جاء في الحديث "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة" والبيان والإيضاح لحقائق الأمور من أهم واجبات الداعية وقد بين النبي ﷺ في هذا الحديث ما يفعله الكهان قال ابن حجر: (قال الخطابي: بين ﷺ أن إصابة الكاهن أحياناً إنما هي لأن الجني يلقي إليه الكلمة التي يسمعها استراقاً من الملائكة فيزيد عليها أكاذيب يقيسها على ما سمع، فربما أصاب نادراً وخطؤه الغالب)[٥].

وقال النووي: (وقوله "تلك الكلمة من الجني يخطفها" أي الكلمة المسموعة من الجن أو التي تصح مما نقلته الجن)[٦].

---

(١) فقه الدعوة إلى الله تعالى، الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٥٨/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٦٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٣٠/١٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

حيث جاء في الحديث "إن الملائكة تنزل في العنان..." وأسلوب التوكيد من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو بما يقول الداعية، وتبين له مدى صدقه فيما يقول. جاء في البلاغة الواضحة: (وللمخاطب ثلاث حالات:

١-أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبر خالياً من أدوات التوكيد.

٢-أن يكون متردداً في الحكم طالباً أن يصل إلى اليقين في معرفته، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه.

٣-أن يكون منكراً له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفاً)[1]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب التوكيد قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[3].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: كذب الكهان وتلبيسهم للأمور:

حيث جاء في الحديث "فيخلطون معها مائة كذبة" وقوله "فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم". قال المازري: (وأما الكهان فهم قوم يزعمون: أنهم يعلمون الغيب بأمور تلقى في نفوسهم وقد أكذب الشرع من ادّعى علم الغيب ونهى عن تصديقهم.

وقد ذكر في كتاب مسلم عن النبي ﷺ وجه إصابة بعضهم. في بعض الأحايين، وأنه من استراق السمع يسترقه ولي الكاهن ويوصله إليه.

وأما التنجيم: فمن اعتقد اعتقاد كثير من الفلاسفة في كون الأفلاك فاعلة لما تحتها، وكل فلك يفعل فيما تحته، حتى ينتهي الأمر إلينا وسائر الحيوان والمعادن والنبات، ولا صنع للباري سبحانه وتعالى في ذلك؛ فإن ذلك مروق في الإسلام.

---

(١) البلاغة الواضحة، علي الجارم، ومصطفى أمين، ص ١٨٨.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣.

وأما قوله ﷺ: "يُقرُّها في أذن وليه قرَّ الدجاجة".

يقال: قررت الخبر في أذنه أقره قراً إذا أودعته. وقرَّ الطائر قريراً: صوّت، قاله بعضهم. وقال غيره: قرت الدجاجة قراً وقريراً.

وفي رواية الفربري عن البخاري: قر الدجاجة -بكسر القاف- وهو حكاية صوتها. قال الخطابي في غريبه: قرَّت تقِر قراً وقريراً، إذا رجَّعت فيه.

قيل: قرقرت قرقرةً، وقرَّ قريراً.

قال الشاعر:

وإن قَرْقَرتْ هاجَ الهوى قَرْ قَريرُها

وقال آخر:

صوتُ الشِّقِرَّاقِ إذْ قال قِرِرْ

فأظهر التخفيف على الحكاية.

قال: والمعنى أن الجِنِّي يقذفُ بالكلمة إلى وليه الكاهن فيتسامع بها الشياطين كما تُؤذِّن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب.

قال: وفيه وجه آخر: وهو أن تكون الرواية: كقر الزجاجة. يدل عليه قول البخاري "فتقرِّها في أذنه كما تقرُّ القارورة". فذكر القارورة في هذه الرواية يدل على ثبوت الرواية بالزجاجة)[1].

قال القاضي عياض: (قوله: كنا نأتي الكهان، قال: "فلا تأتوا الكهان"، قالوا: كنا نتطير، قال: "ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم": أي لا يصدنكم عما كنتم تريدون فعله. قيل: دل من هذا أن النبي ﷺ إنما نهى عن الطيرة أن تعتقد أن لها تأثيراً، ويصمم على العمل بها عمل أهل الجاهلية، وأن نفيه لها نفي لحكمها لا نفي لوجودها إذا كانت الجاهلية تعتقدها، وتدين بها، ويجدون تأثيرها مما يقع في أوهامهم وتصادف قدر الله وما أمر الكهان.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٠ بتصرف.

وقوله في الحديث الآخر: إنهم يحدثونا بالشيء فنجده حقاً، قال: "تلك الكلمة الحق يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة": كذا لهم، وهو الصواب. وفي رواية: "يحفظها"، والأول المحفوظ ونص كتاب الله، قال الله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾[1].

والكهانة كانت في العرب على أربعة ضروب[2]:

أحدهما: أن يكون له إنسان أي من الخير[3] فيخبره بما يسترق من السمع من السماء، وهذا القسم قد بطل منذ بعث الله محمداً ﷺ، كما نص الله تعالى في الكتاب[4].

الثاني: أن يخبره بما يطرأ في أقطار الأرض وما خفي عنه بما قرب أو بعد، وهذا لا يبعد وجوده ونفت هذا كله المعتزلة وبعض المتكلمين وأحالوه، ولا إحالة ولا بعد في وجود مثله، لكنهم يصدقون ويكذبون، والنهي عام في تصديقهم والسماع منهم.

الثالث: التخمين والخرز، وهذا يخلق الله منه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب في هذا الباب أغلب.

ومن هذا الفن العرافة، وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة وهذا الفن هي العيافة بالياء، وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة عندهم، ويعلمها في أكثر كتبهم.

وقوله فيهم: "ليسوا على شيء" دليل على بطلان قولهم، وأنه لا صحة ولا حقيقة له، وفيه جواز الغلو في اللفظ وإطلاق مثل هذا اللفظ العام، والمراد به الخاص من أحوالهم

---

(١) سورة الصافات، آية: ١٠.

(٢) ما ذكره القاضي ثلاثة وليس أربعة ونص على هذا النووي. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩٠.

(٣) المراد: أن يكون للإنسان ولي من الجن. انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩٠.

(٤) انظر: الآيات: ٦-١٠ من سورة الصافات، والآيتان: ٨، ٩ من سورة الجن.

لا ذواتهم؛ لأنهم أشياء بلا شك، ولا يعد هذا كذباً)[١]. قال النووي: (وهذه الأضرب كلها تسمى كهانة وقد أكذبهم كلهم الشرع، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم والله أعلم)[٢].

قال القاضي عياض أيضاً: (وقوله: "فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة" قيل: إن معناه: أن الجني يقرها في أذن وليه الكاهن يسامع بها الشياطين، كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحبها، فيتجاوبن، وذلك من شأنهن قوله وأما ما ذكر عن الفريرى أنه رواه: "قر" بكسر القاف، فلم يضبطه عن الفريرى من جميع الطرق ولا عن غيره، ولا يصح الكسر فيه ولو صحت به الرواية، لكنه وضع في كتب بعض الشيوخ كما قال.

وقوله: "فيقذفها في أذن وليه": أي بلغتها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[٣]. قال نفطويه: أن يلقي الحق في قلب من يشاء، ويحتمل أن يكون معناه: أن يقول في أذن وليه ما لا يعلم، ولا حقيقة عنده منه إلا ما استرق من كلمة من قصة لا يدري شرحها وتمامها، قال الله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٤]، أي يتخرصون ويقولون ما لا يعلمون.

وفي الحديث الآخر من رواية صالح عن الزهري: "يقرفون فيه ويزيدون فيه" بالذال، هذه رواية الجلودي وغيره، وهي بمعنى ما تقدم من التخوض، وقول ما لا يعلمون.

وفي رواية ابن ماهان من طريق الهوزني: "ويقرفون" بالراء، وكذا جاء بغير خلاف في رواية الأوزاعي ومعقل، ومعناه عندي: أن يكون من الخلط. قال صاحب العين: القرف: الخلط، أي يخلطون فيها من الكذب، كما قال ويزيدون)[٥].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٥٢/٧-١٥٤ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩٠.

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٨.

(٤) سورة سبأ، آية: ٥٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٥٨/٧-١٥٩.

قال القرطبي: (والكهان: جمع كاهن، ككتَّاب: جمع كاتب، والكهانة ادِّعاء علم الغيب وإذا كان أمرهم كذلك فسؤالهم عن غيبٍ ليخبروا عنه حرام، وما يأخذون على ذلك حرام، ولا خلاف فيه، لأنه حلوان الكاهن المنهي عنه.

قال أبو عمر: ويجب على من ولي الحسبة أن يقيمهم من الأسواق، وينكر عليهم أشدَّ النكير، ولا يدع أحداً يأتيهم لذلك؛ وإن ظهر صدق بعضهم في بعض الأمور؛ فليس ذلك بالذي يخرجهم عن الكهانة، فإن تلك الكلمة إما خطفة جني، أو موافقة قدرٍ ليغتر به بعضُ الجهال، ولقد انخدم كثيرٌ من المنتسبين للفقه والدين، فجاؤوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من أقوالهم على السَّراب، ومن أديانهم على الفساد، والضلال.

وقوله: "تلك الكلمة يخطفها الجني، فيقذفها في أذن وليه" أي: يرميها في أذنه، ويسمعه إياها. وفي الرواية الأخرى: "فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة" أي: يضعها في أذنه. يقال: قررت الخبر في أذنه أقره قراً. ويصح أن يقال: ألقاها في أذنه بصوت. يقال: قرَّ الطائر: صوت. و"قرَّ الدجاجة" [بكسر القاف-حكاية: صوتها. قال الخطابي: قرَّت الدجاجة] تقرُّ قراً. وقريراً: إذا رجعت فيه.

قال: والمعنى أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن فيتسامع بها الشياطين، كما تؤذن الدجاجة بصوت صواحباتها فتتجاوب.

قلتُ: والأشبه بمساق الحديث أن يكون معناه: أن الجني يلقي إلى وليه تلك الكلمات بصوت خفي متراجع يُزَمزِمُه، ويُرَجِّعه له كما يلقيه الكهان للناس؛ فإنهم تُسمع لهم زمزمة، وإسجاع، وترجيع، على ما عُلم من حالهم بالمشاهدة والنقل. ولم يختلف أحدٌ من رواة مسلم أن الرواية في هذا اللفظ: قرَّ الدجاجة: يعني به الطائر المعروف. واختلف فيه عن البخاري. فقال بعض رواته: كقر الزجاجة بالزاي. قال الدارقطني: هو مما صحفوا فيه. والصواب: الدجاجة -بالدال-. وقيل: الصواب الزجاجة؛ بدليل ما قد رواه البخاري: فيقرُّها في أذنه؛ كما تُقِرُّ القارورة، وهي بمعنى الزجاجة. أي: كما يسمع صوت الزجاجة إذا حكت على شيء، أو إذا ألقي فيها ماء، أو شيء[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٦٣٢-٦٣٤ بتصرف.

قال ابن حجر: (ومن أنواع الكهانة ما يتلقونه الكهان من الجن ومنها ما يخبر الجني به من يواليه ومنها ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس ومنها ما يستند إلى التجربة والعادة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك ومن هذا القسم الأخير ما يضاهي السحر وكل ذلك مذموم شرعاً.

والكهانة: هي ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيها استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور ومساعدتهم بكل ما تصل إليه قدرتهم)[1].

وقال ابن حجر أيضاً: (وقوله في الحديث "فيخلطون معها مائة كذبة" هو دال على أن ذكر المائة للمبالغة لا لتعيين العدد)[2].

وجاء في الموسوعة الفقهية الميسرة: (الكهانة هي الإخبار بالمغيبات. والكهانة على نوعين:

أ- كهانة مبنية على أسس علمية، وهي مشروعة، كالتكهن بنزول المطر غداً، أو بارتفاع درجات الحرارة، ونحو ذلك، وذلك بناء على دراسة الأحوال الجوية، وقد كان هذا في القديم يعتبر كفراً، لأنه لم يكن مبنياً على أسس علمية.

ب- كهانة مبنية على أسس غير علمية، كضرب الحصى، وقراءة الرمل، وقراءة الكف، والتنجيم، وإخبار الجن، ونحو ذلك.

حكمها: هذا النوع الثاني من الكهانة محرم، ويبنى على كونه محرماً ما يلي:

١- كل كسب يأتي من طريقه فهو كسب حرام، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٧/١٠.

(٢) المرجع السابق نفسه ٢٣١/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٦١، ومسلم ١٥٦٧.

٢- ولا يجوز لمسلم أن يأتي كاهناً ليسأله عن أمر من أمور الغيب، لقوله ﷺ: ((من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد))[1].

٣- كفر الكاهن: الكاهن الذي يدعي علم الغيب من غير اعتماد على أسس علمية فإنه كافر، لأن الله تعالى أخبرنا أنه لا يظهر علمه لمخلوق إلا أن يكون معجزة لنبي، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2]، ولكنه لا يقام عليه حد الردة حتى يستتاب، فإن تاب وإلا قتل)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٢٩/٢ رقم ٩٥٣٦، وقال محققو المسند: حديث حسن رجاله ثقات رجال الصحيح، ٣٣١/١٥.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة، د. محمد رواس قلعة جي ١٦٦١/٢-١٦٦٢.

الحديث رقم (١٦٧١)

١٦٧١- وعن صَفِيَّةَ بنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعض أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، ورَضِيَ اللهُ عنها، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عنْ شَيْءٍ (فَصَدَّقَهُ)[1]، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أرْبَعِينَ يَوماً)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

صفية بنت أبي عبيد: صفية هي بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفية امرأة عبدالله بن عمر بن الخطاب، ذكرها ابن عبدالبر في الاستيعاب فجعلها من الصحابة، وقال ابن الأثير: أدركت النبي ﷺ ولا يصح لها سماع من النبي أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: كأنها لم تميز إلا بعد الوفاة النبوية أ. هـ.

وترجم لها المزي في تهذيب الكمال، فذكر أنها روت عن ثلاث من أزواج النبي ﷺ هن: حفصة بنت عمر وعائشة وأم سلمة[3].

غريب الألفاظ:

عَرَّافا: هو: المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب - وقد استأثر الله تعالى به[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يرسى قاعدة شرعية وهي عدم تصديق العرافين، لأن تصديقهم يحبط عمل الإنسان: وأول مظاهر الإحباط هو: عدم قبول صلاته أربعين يوماً،

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) برقم (٢٢٣٠/١٢٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٧٥).

(٣) الطبقات الكبرى (٤٧٢/٨)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٧٢/٧)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧٢٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٤٦/٨)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٩/٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ر ف).

والحديث السابق جاء في أسلوب المحاورة، والسؤال والجواب، أما هذا الحديث فقد ورد في صيغة الجواب والشرط، وهذه الصيغة تفصح عن أن الجزاء من جنس العمل، فالناس مجزيون بأعمالهم: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والإيجاز هو: سمة الحديث، لأنه يتكون من جملة شرطية واحدة، وجملة: فعل الشرط تتضمن ثلاثة أفعال ماضية متوالية يجمع بينها: العطف بالفاء: وهو يصور تتابع الحركة، وسرعة الذهاب والسؤال والتصديق: ولنتأمل هذا الإيقاع الحركي المصور لهذا المشهد المتنامي: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل صلاته.... الحديث".

وجواب الشرط: هو الجزاء الأوفى المناسب لهذا السلوك الشائن: حيث بدأ الجواب: بالنفي... "لم تقبل" والنفي هنا بـ"لم". وهي حرف نفي وقلب وجزم، فتصديق الكاهن في دائرة النفي، وواقع السائل المصدق قد تغير وانقلب إلى الضد من الرضا والقبول إلى الإحباط وعدم قبول صلاته أربعين يوماً، وهذا حكم جازم وقرار حاسم، والتنكير في قوله: "صلاة"، يفيد العموم حتى يشمل عدم القبول لجميع أنواع الصلوات: الفرض والنفل والتطوع، وجميع أنواع السنن. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونسأله العون والسداد والهدى والرشاد.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه حرمة إتيان العراف[1]، وهو من جملة أعمال الكهانة المنهي عنها في الحديث السابق رقم (١٦٧٠).

ولعل معنى عدم قبول صلاته، أنه لا ثواب عليها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة، شأنها في ذلك شأن الصلاة على الأرض المغصوبة، فهي مسقطة للقضاء، ولكن لا ثواب فيها[2].

---

(١) الفروع، ابن مفلح ١٧١/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١٦٩/٦، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢٢٧/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٦٨/٧-٣٦٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٢٧/١٤، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٦٨/٧، ٣٦٩.

والسبب في تحريم إتيان العراف، وبطلان أخذ الأجرة على ذلك، هو أن ذلك من باب أكل المال بالباطل، ويدخل في ذلك كل ما يمنع منه الشرع من الرجم بالغيب[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرمة إتيان العرافين.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: التحذير من أنواع الشرك ومبطلات العمل الصالح.

أولاً- من أساليب الدعوة: الشرط، والترهيب:

١-الشرط: حيث جاء في الحديث "من أتى عرافاً فسأله..." وأسلوب الشرط من أساليب الدعوة التي تلفت انتباه المدعو وتشده إلى معرفة الجواب، وتربط للمدعو بين الشرط وجوابه فالجزاء من جنس العمل ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب الشرط قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[2] وقوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[3].

٢-الترهيب: حيث جاء في الحديث "لم تقبل له صلاة أربعين يوماً" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تردع المدعو عن الوقوع في المخالفات الشرعية، والمحظورات الدينية (إن للترهيب أهمية كبيرة في الدعوة لأن هنالك بعضاً من الناس وأصنافاً منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف وكسر حدة النفس ونتوئها وإعراضها عن الحق وإلزامها كلمة التقوى فكان الترهيب والتخويف مناسباً لذلك)[4]. ومن صور استعمال أسلوب الترهيب في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

---

(١) شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ١٣٥/٣.

(٢) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٣) سورة طه، آية: ١٢٤.

(٤) وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي ١٩٤.

ٱلْعَذَابِ﴾[١] وقوله جل شأنه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حرمة إتيان العرافين:

حيث جاء في الحديث "من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً". قال النووي: (وأما العراف فهو من جملة أنواع الكهان قال الخطابي وغيره: العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما، وأما عدم قبول صلاته فمعناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة)[٣].

وقال ابن عثيمين: (والكهان هم أناس من بني آدم لهم أولياء من الجن يخبرونهم بما يستمعون من الملائكة وأخبر النبي ﷺ أن هذا الحق الذي يقع يكون ممزوجاً بمائة كذبة. وهؤلاء الكهان يجب علينا أن نكذبهم وألا نصدقهم ومن أتاهم وسألهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ومن هذا يتبين حرمة أن يأتي الإنسان الكهان فيصدقهم كمن أتى عرافاً فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوماً مجرد ما يسأل العراف ومنه الكهان لا تقبل له صلاة أربعين فعل يوماً فإن فقد كفر بما أنزل محمد ﷺ)[٤].

وقال ابن عثيمين أيضاً: (فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب، وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله فهو كافر كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره كفر دون كفر.

ويؤخذ من الحديث: تحريم إتيان العراف وسؤاله، لما في إتيانهم وسؤالهم من المفاسد العظيمة، وهم في الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة)[٥].

---

(١) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٢) سورة المطففين، آية: ١٥، ١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩٢.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٤٩/٢.

(٥) القول المفيد ٥٢/٢-٥٥ بتصرف.

وقال ابن باز: (فالواجب على المسلمين الحذر من ذلك والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه، والتوكل عليه في كل الأمور، ولا بأس بتعاطي الرقى الشرعية والأدوية المباحة والعلاج عند الأطباء الذين يستعملون الكشف على المريض والتأكد من مرضه بالأسباب الحسية والمعقولة)[1].

قال عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني: (ومما ينبغي التنبيه عليه موضوع الادعاءات الكاذبة التي يقوم بها بعض مدَّعي الاتصال بالجن، والافتراءات على الله التي يفترونها، فينسبون إلى الجن بعض علم الغيب، وينقلون عنهم كذباً يزعمونه من علم الغيب، ويتلاعبون بعقول السذج من النساء وصغار العقول. أو يدّعون قدرة الجن على النفع أو الضرر، والجن أنفسهم لا حول لهم ولا طَوْل، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا أن يشاء الله.

وقد بيَّن القرآن أن أهل الجاهلية الذين كانوا يعوذون برجال من الجن لم ينفعوهم شيئاً، بل زادوهم غياً وضلالاً، وبعداً عن الأمن الذي يرجونه منهم.

كما نددت الأحاديث الكثيرة بالذين يصدقون الكهنة والمنجمين، ويعتمدون عليهم، ويرجون نفعهم، أو يخشون ضرهم، باعتبار أن ذلك شرك بالله، وإثم عظيم.

فعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة))[2].

فهؤلاء المنجمون والمنجمات، والمشعوذون والمشعوذات، والساحرون والساحرات، الذين ينسبون للجن النفع أو الضرر، ويتحدثون عنهم بالمغيبات إنهم -وإن صدقوا في بعض ما يخبرون به- كذابون دجالون، عصاة لله والرسول، يريدون أن يستولوا على المغفلين ضعفاء الإيمان، ليضللوهم، ويسلبوا لهم أموالهم بغير حق؛ فالاستعاذة لا تكون إلا بالله، والاستعانة لاتكون إلا بالله.

---

(١) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدّق الكهنة والعرافين، عبدالعزيز بن باز ص ٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣٠.

وإن يكن للجن شيء من القوة المادية فيما بينهم، فقد صرفهم الله في مجرى العادات عن أن يكون لهم سلطان على الإنس في نفع أو ضر، إلا أن يشاء الله شيئاً من ذلك، ولعل تسلط بعضهم إنما يكون على من يستعيذ بهم، أو يتخوف منهم ويخشاهم، دون أن يلتجئ إلى الله مستعيذاً به من شرهم، ومن شر كل ذي شر)[1].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (أجمع الفقهاء على أن التكهن والكهانة بمعنى ادعاء علم الغيب والاكتساب به حرام، كما أجمعوا على أن إتيان الكاهن للسؤال عن عواقب الأمور حرام، وأن التصديق بما يقوله: كفر، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ))[2]، ونهى عن أكل ما اكتسبه بالكهانة، لأنه سحت، جاء عن طريق غير مشروع، كأجرة البغي، روى أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ ((نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن))[3]، وهو ما يأخذه على كهانته، وتشمل الكهانة كل ادعاء بعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، ويشمل اسم الكاهن: كل من يدعي ذلك من منجم وعراف وضراب بالحصباء ونحو ذلك.

وكان للعرب في الجاهلية كهانة قبل مبعث الرسول ﷺ، وكان لهم كهنة، فكان منهم من يزعم: أن تابعاً من الجن ورِئياً، يلقي إليه الأخبار.

ويروى أن الشياطين كانت تسترق السمع فتلقيه إلى الكهنة فتزيد فيه ما تزيده فيقبله الكفار منهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تصعد الشياطين أفواجاً تسترق السمع فينفرد المارد منها فيعلو فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته، أو جنبه حيث يشاء الله منه فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلهب فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة فيزيدون عليه أضعافه من الكذب فيخبرونهم به، فإذا رأوا شيئاً مما قالوا

---

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) أخرجه أحمد ٤٢٩/٢ رقم ٩٥٣٦ وقال محققو المسند: حديث حسن رجاله ثقات رجال الصحيح، ٣٣١/١٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٦١، ومسلم ١٥٦٧.

قد كان، صدقوهم بما جاءوهم من الكذب[١]، فلما بعث النبي ﷺ وحرست السماء بطلت الكهانة بالقرآن الذي فرق الله به بين الحق والباطل، أطلع الله نبيه ﷺ بالوحي على ما يشاء من علم الغيوب التي عجزت الكهانة عن الإحاطة به وأغناه بالتنزيل، وأزهق أباطيل الكهانة.

وأبطل الإسلام الكهانة بأنواعها، وحرم مزاولتها وقرر أن الغيب لا يعلمه إلا الله، فقال عز من قائل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢]. وأما حكم الكاهن من حيث الردة وعدمها وكذب مزاعم الكهنة أن الشياطين تأتي لهم بخبر السماء قال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٣] وأما حكم الكاهن من حيث الردة وعدمها فقد قال الفقهاء: الكاهن يكفر بادعاء علم الغيب، لأنه يتعارض مع نص القرآن، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٤]، أي عالم الغيب هو الله وحده فلا يطلع عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه للرسالة، فإنه يطلعه على ما يشاء في غيبه[٥].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: التحذير من أنواع الشرك ومبطلات العمل الصالح:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث جاء الإسلام لتنقية عقيدة المسلم من أنواع الشرك والضلالات الاعتقادية "لقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على سلامة العقيدة في قلب المسلم ليكون دائماً وأبداً متصلاً بالله، معتمداً عليه، مقراً لله بالربوبية، مستعيناً به على شدائد الحياة لا يتوجه لغيره في دعاء، ولا يقر لسواه بأي تأثير، أو تحكم في قانون من قوانين الطبيعة التي خلقها الله تعالى وسيرها بعلمه

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١١/١٤.

(٢) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: ٢١١، ٢١٢.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧٢/٣٥-١٧٣.

وقدرته وإرادته فإن زعم إنسان أنه يعلم الغيب باتصاله بالكواكب، وتعظيمه لها أو اتصاله بالجن والشياطين، ويستطيع بذلك أن يؤثر في قوانين هذه الحياة يكون بذلك قد خالف شرعة الله التي أوضحها في كتابه أو تجاوز الحدود التي وضعت)[١].

وقال د. صالح الفوزان: (والكهانة والعرافة أعمال شيطانية محرمة تخل بالعقيدة أو تناقضها لأنها لا تحصل إلا بأمور شركية فمن ادعى علم الغيب ومشاركة الله عز وجل في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدق من يدعي ذلك فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه والكهانة لا تخلو من الشرك، لأنها تقرب إلى الشياطين بما يحبون، فهي شرك في الربوبية من حيث ادعاء مشاركة الله في علمه، وشرك في الألوهية من حيث التقرب إلى غير الله بشيء من العبادة)[٢].

قال القاضي عياض: (وفي الحديث قوله: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء لن تقبل له صلاة أربعين يوماً" تقدم معنى العرافة، وأنه من الكهان. قال الهروي: العراف: الحاذي والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وقد استأثر الله به.

وأما معاقبته بترك قبول صلاته، فمذهب أهل السنة: أن السيئات لا تبطل الحسنات ولا يحبطها شيء إلا الكفر، والمراد بهذا [القبول] -والله أعلم- قبول الرضى وتضعيف الأجر، ولا قبول الأداء وسقوط العهدة.

وأما اختصاصه بأربعين ليلة في قبول صلاته، وقد جاء مثل هذا في شارب الخمر[٣] - فمن أسرار الحكمة الشرعية، وقد جاء عدد الأربعين في تنقل أطوار الخلق في الرحم؛ من النطفة، والعلقة، والمضغة[٤]، وجاء الحد في قص الأظافر والشارب، وحلق العانة أربعون يوماً[٥]، فيحمل في شارب الخمر أنه ينتقل اللحم المتولد عما شرب من الخمر وتبدله بغيره.

---

(١) روائع البيان تفسير آيات الأحكام، الشيخ محمد علي الصابوني ٨٧/١.

(٢) عقيدة التوحيد، د. صالح الفوزان، ١٠١، ١٠٢.

(٣) جاء في الحديث "من شرب الخمر فسكر لم تقبل صلاته أربعين ليلة.." والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٨٩/٢ رقم ٦٧٧٣. وقال محققو المسند: صحيح لغيره، ٣٨٦/١١.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٠٨، ومسلم ٢٦٤٣.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٨.

وقد ذكر أهل التجارب أن السمن يظهر في الحيوان في أربعين يوماً. وكذلك المخلص أربعين يوماً يظهر بذلك تغيير طباعه عما كانت عليه وانتقال صفاته، ولذلك تغير نبات الشعر والأظفار في أربعين يوماً[1].

قال القرطبي: (وقوله: "من أتى عرافاً لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً" العراف: هو الحازي والمنجِّم الذي يدعي الغيب، وهذا يدلُّ على: أن إتيان العرافين كبيرة، وظاهره أن صلاته في هذه الأربعين تحبط، وتبطل، وهو خارج على أصول الخوارج الفاسدة في تكفيرهم بالذنوب. وقد بيَّنا فساد هذا الأصل فيما تقدم. وأنه لا يحبط الأعمال إلا الردة، وأما غيرها فالحسنات تبطل السيئات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2] وهذا مذهبُ أهل السنة والجماعة، فليس معنى قوله: "لا تقبل له صلاة" أن تحبط، بل: إنما معناه -والله أعلم- أنها لا تقبل قبول الرضا، وتضعيف الأجر. لكنه إذا فعلها على شروطها الخاصة بها، فقد برئت ذمته من المطالبة بالصلاة، وتُقَصِّي عن عهدة الخطاب بها، ويفوته قبول المرضيِّ عنه، وإكرامه، وثوابه، ويتضح ذلك باعتبار ملوك الأرض. ولله المثل الأعلى، وذلك أن المُهدي: إما مردودٌ عليه، أو مقبول منه، والمقبول: إما مقرَّب مُكرَّم مثاب، وإما ليس كذلك. فالأول: هو المبعدُ المطرود، والثاني: هو المقبول القبول التام الكامل. والثالث: لا يصدق عليه أنه مثل الأول، فإنه لم ترد هديته. بل: قد التفت إليه، وقُبلت منه. لكنه لما لم يُثَبْ، ولم يُقرَّب صار كأنه غير مقبول منه؛ فيصدق عليه أنَّه لم يُقبل منه إذ لم يحصل له ثوابٌ ولا إكرام وتخصيصه ﷺ الأربعين بالذكر قد جاء في مواضع كثيرة من الشرع.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[3] ومنه: توقيته ﷺ في قص الشارب، وتقليم الأظفار، وحلق العانة: ألا تترك أكثر من أربعين ليلة. فتخصيص هذه

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٥٤/٧.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٥١.

المواضع بهذا العدد الخاص: هو سرٌّ من أسرار الشريعة لم يطّلع عليه نصاً، غير أنه قد تتسم منه بعضُ علمائنا أمراً تسكن النفس إليه؛ وذلك: أنه قال: إن هذا العدد في هذه المواضع إنما خصَّ بالذكر لأنَّه مدَّة يكمل فيها ما ضربت له، فينتقل إلى غيره، ويحصل فيها تبدُّله، وبيانه بانتقال أطوار الخلقة، في كل أربعين منها يكمل فيها طورٌ، فينتقل عند انتهائه إلى غيره، كما قد نصَّ عليه في الحديث، وكذلك في الأربعين الميعادية: أمر بنو إسرائيل أن يكملوا تهيُّؤهم لسماع كلام الله، فكمل لهم ذلك عند انتهائها، ومثل ذلك في الأربعين الإخلاصية، وأما أربعون شارب الخمر فَلِيتبدَّل لحمُ شارب الخمر بغيره، ويؤيده أن أهل التجارب قالوا: إن السِّمن يظهر في الحيوان في أربعين يوماً، وقريبٌ من هذا الأربعون المضروبة لخصال الفطرة؛ لأنها عند انتهائها يكمل فحشها، واستقذارها، فينبغي أن تغير عن حالها. وأما أربعون إتيان العراف فلأنها -والله أعلم- المدة التي ينتهي إليها تأثير تلك المعصية في قلب فاعلها، وفي جوارحه، وعند انتهائها ينتهي ذلك التأثير. والله تعالى أعلم[1].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٦٣٥-٦٣٧.

الحديث رقم (١٦٧٢)

١٦٧٢- وعَنْ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: ((**العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، والطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ**)). رواه أبو داود[1] بإسناد حسن. وقال: (**الطَّرْقُ**) هُوَ الزَّجْرُ: أيْ زَجْرُ الطَّيْرِ وَهُوَ أنْ يَتَيَمَّنَ أو يَتَشَاءمَ بِطَيَرَانِهِ، فإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَمِينِ، تَيَمَّنَ، وإنْ طَارَ إلَى جِهَةِ اليَسَارِ، تَشَاءمَ. قال أبو داود: (**والعِيَافَةُ**): الخَطُّ.

ترجمة الراوي:

قبيصة بن المخارق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣٥).

غريب الألفاظ:

العيافة: أي الخطُّ[2].

الطيرة: التشاؤم بالشيء[3].

الطَّرْقُ: هو الزجر: أي زجر الطير وهو أن يتيمّن أو يتشاءم بطيرانه، فإن طار إلى جهة اليمين، تيمن، وإن طار إلى جهة اليسار، تشاءم[4].

الجبتُ: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك[5].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن الإشارة إلى ثلاثة من مظاهر الشرك: وهي: العيافة والطيرة والطرق، وإنها: كما قال رسول الله ﷺ "من الجبت".

ولكل لفظ من ألفاظ الأحاديث الأربعة دلالة تفصح عن المراد منه، وتقودنا إلى فهم السبب في إلحاق ﷺ الرسول هذه الأصناف الثلاثة بالكفر إن استحلَّ فاعلها ذلك، أو أنها من السحر والكهانة.

---

(١) برقم (٣٩٠٧)، وهو صحّحه ابن حبان (الإحسان ٦١٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨١، و ٤٥٣٨).

(٢) رياض الصالحين ٥٧٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش أ م).

(٤) رياض الصالحين ٥٧٤.

(٥) رياض الصالحين ٥٧٤.

فما مدلول العيافة، إنها مأخوذة من قولنا: عافت الطير أي: استدارت على الشيء أو الماء أو الجيف، أو إذا حامت عليه تتردد ولا تمضي تريد الوقوع، ومن معانيها: الخط: لأن العَرْف هو الخط، وقال الجوهري في الصحاح: العيافة الخط، وهذا هو المراد بمعنى العيافة في الحديث، وقال الحربي: الخط: هو أن يخط ثلاثة خطوط ثم يضرب عليهن، بشعير أو نوى، ويقول يكون كذا، ويكون كذا، وهو ضرب من الكهانة، وهذا يقترب من المعنى اللغوي لأن قولهم: عافت الطير: أي حامت على الماء أو الجيف، تتردد ولا تمضي تريد الوقوع، فالذي يمارس العيافة والذي يصدقها، أشبه بمن يحوم حول الجيف ولا يحصد إلا البقايا النتنة من الحظوظ العاثرة. والطيرة: أي التطير والتشاؤم.

وذلك ينشأ من الطرق وهو زجر الطير الناشئ من التشاؤم أو التيمن بحركة الطير، وهذه عادة جاهلية ممقوتة، ولذلك نهى عنها رسول الله ﷺ كل مسلم وعدها من الجبت أي الكفر، لأنها من مظاهر الشرك التي يبرأ منها المسلم، ، ويتنزه عنها.

والجبت كما قال: الفيروز آبادى: الصنم، والكاهن، والسحر، والساحر، والذي لا خير فيه، وكل ما عُبد من دون الله تعالى.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه تحريم العيافة وإبطالها[1]، وهي زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها، وأصواتها وممرها، وقد كانت عادة العرب في الجاهلية فعل ذلك.

كما يدل هذا الحديث على تحريم الطيرة، وإبطالها، وهي التشاؤم بالشيء وأصله التطير بالسوانح، والبوارح من الطير والظباء، وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع، وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع، أو دفع ضرر[2].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٨/٢٠٠، وشرح عمدة الأحكام ٤/٧٣، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠/٢٨٧.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٠/٢٨٧.

كما يدل هذا الحديث على النهي عن الطرق وتحريمهُ، وهو الخط في الرمل أو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء[١]، فهذه الأمور كلها حرام، وأخذ العوض عليها حرام بالنص الصحيح في حلوان الكاهن[٢] على ما سيأتي في الحديث رقم (١٦٧٣).

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأنواع الضلال والشرك.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على التوكل على الله والإيمان بالقضاء والقدر.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان حكم علم النجوم.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأنواع الضلال والشرك:

حيث جاء في قوله: "العيافة والطيرة والطرق من الجبت" وقوله "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر" ولا شك أن من أولى مهام الداعية البيان والإيضاح للمحظور والممنوع في الشريعة حتى يتجنبها المدعو، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤] وأمر رسوله بالبلاغ فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٥] وأمر المؤمنين باتباع أوامر الرسول ونواهيه قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٦].

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٣٤٦/٩.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٧٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٧٣).

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

فبيّن النبي ﷺ بعض أنواع الضلال التي يجب أن يبتعد عنها المسلم منها العيافة "والعيافة زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها أو الطيرة هي التشاؤم بها، وقد تستعمل في التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر وبالجملة فزجر الطير هو التيمن والتشؤم بها والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة. وأما الطرق: فهو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء وقيل هو الخط في الرمل وقيل هو كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر وغير ذلك[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على التوكل على الله والإيمان بالقضاء والقدر:

حيث جاء في الحديث "العيافة والطيرة والزجر من الجبت" قال ابن علان: (وقوله "من الجبت" أي من الكفر إن استحل ذلك أو من السحر والكهانة وقد حذر منها وقيل تطلق على الصنم ومنه قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[2] وتطلق على الكاهن والساحر ونحو ذلك من العراف والمنجم)[3].

ولاشك أن النهي عن هذه الأمور وبيان أنها من السحر والكهانة حث للمؤمن أن يحسن التوكل على الله وبهذا أمر الله، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[5] وقال جل وعلا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾[6] وبين الرسول الكريم في الحديث الصحيح أن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ((هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦٦٩، ١٦٧٠.

(٢) سورة النساء، آية: ٥١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٦٨٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٢٣.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٥٨.

يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))[١] وقال الإمام ابن القيم: (والتوكل نصف الدين، وهو أوسع المنازل وأجمعها، ولا تزال معمورة بالنازلين، لسعة متعلق التوكل، وكثرة حوائج العالمين. قال الإمام أحمد: التوكل علم القلب وقيل: هو الرضا بالمقدور وقال بشر الحافي يقول أحدهم: توكلت على الله، يكذب على الله، ولو توكل على الله رضي بما يفعل الله وسئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً. قال ابن عطاء: التوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها)[٢].

قال د. يوسف القرضاوي: (إن المؤمن وحده هو الذي يغمره الإحساس بالرضا بعد كل قدر من أقدار الله.

المؤمن هو الذي يحسّ تلك الحالة النفسية التي تجعله مستريح الفؤاد، منشرح الصدر، غير متبرم ولا ضجر، ولا ساخط على نفسه، وعلى الكون والحياة والأحياء، ومنشأ ذلك رضاه عن وجوده الخاص في نفسه، وعن الوجود العام من حوله، ومبعث هذا وذاك رضاه عن مصدر الوجود كله، وينبوع هذا الرضا هو الإيمان بالله رب العالمين.

الرضا نعمة روحية جزيلة، هيهات أن يصل إليها جاحد بالله، أو شاكٍ فيه، أو مرتاب في جزاء الآخرة، إنما يصل إليها من قوي إيمانه بالله، وحسن اتصاله به. وقد خاطب الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[٣]. وامتن عليه بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٤].

وأثنى الله تعالى على المؤمنين بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٠٥، ومسلم ٢٢٠.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٥٤.

(٣) سورة طه، آية: ١٣٠.

(٤) سورة الضحى، آية: ٥.

(٥) سورة البينة، آية: ٨.

المؤمن راض عن نفسه، أعني عن وجوده ومكانه في الكون، لأنه يعلم أنه ليس ذرة ضائعة، ولا كماً مهملاً، ولا شيئاً تافهاً، بل هو قبس من نور الله، ونفخة من روح الله، وخليفة في أرض الله.

وهو راضٍ عن ربه، لأنه آمن بكماله وجماله، وأيقن بعدله ورحمته، واطمأن إلى علمه وحكمته، أحاط سبحانه بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمة، لم يخلق شيئاً لهواً، ولم يترك شيئاً سدىً، له الملك، وله الحمد، نعمه عليه لا تعد، وفضله عليه لا يحد، فما به من نعمة فمن الله، وما أصابه من حسنة فمن الله، وما أصابه من سيئة فمن نفسه، يردد دائماً هذا الثناء الذي ردَّده من قبل أبونا إبراهيم خليل الرحمن: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1].

المؤمن موقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر في الأنفس والآفاق فيرى آثار برّه تعالى ورحمته، فيناجي ربه: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] فالخير بيديه، والشر ليس إليه، وما يظنه الناس شراً في الوجود ليس هو شراً. في الحقيقة، وإذا كان لابد من تسميته شراً؛ فإنما هو شر جزئي خاص مغمور في جانب الخير الكلي العام، وهذا الشر الجزئي، أو الشر الموهوم اقتضاه التكافل بين أجزاء الوجود)[3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان حكم علم النجوم:

حيث جاء في الحديث "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" قال شرف الحق العظيم آبادي: (والمراد من أخذ وحصل وتعلم علماً من النجوم أو

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٧٨، ٨٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٦.

(٣) الإيمان والحياة، ص ١١٠، ١١١.

مسألة من علمها اقتبس شعبة أي قطعة من السحر وقوله "زاد ما زاد" أي زاد اقتباس شعبة السحر ما زاد اقتباس علم النجوم.

قال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع كمجيء الأمطار وتغير الأسعار، وأما ما يعلم به أوقات الصلاة وجهة القبلة فغير داخل فيما نهى عنه. وفي شرح السنة: المنهي عنه من علوم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مستقبل الزمان فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾[1] وأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾[2] وقال: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[3] فأخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد الناس إلى استقبال الكعبة. روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: (تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا)[4].

وقال ابن عثيمين: (وعلم النجوم قسمان: الأول: علم التسيير: يعني علم سير النجوم يستدل به على الفصول وعلى طول النهار وقصره فهذا لا بأس به ولا حرج لأن الناس يهتدون به لمصالحهم.

الثاني: علم التأثير: أن يتخذ من علم النجوم سبباً يدعي به أن ما حصل في الأرض فإنه من سبب النجم كالذين يقولون في الجاهلية: مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا محرم ولا يجوز اعتماده ومنه ما يسمونه الطالع (أي طالع هذا الولد وهذا محرم والذي صدق النجم فيه كمن صدق الكاهن)[5].

---

(١) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

(٣) سورة النحل، آية: ١٦.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦٦٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٧٤٨/٢.

وقال د. صالح الفوزان: (وأما الكهانة وهي ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب هو استراق السمع؛ حيث يسترق الجني الكلمة من كلام الملائكة، فيلقيها في أذن الكاهن، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدقه الناس بسبب تلك الكلمة.

والله هو المتفرد بعلم الغيب؛ فمن ادعى مشاركته في شيء من ذلك بكهانة أو غيرها أو صدَّق من يدعي ذلك؛ فقد جعل لله شريكاً فيما هو من خصائصه، وهو مكذب لله ولرسوله.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي يستعان بها على دعوى العلوم الغيبية.

فالكهانة شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به، ومن جهة التقرب إلى غير الله.

ومما يجب التنبيه عليه والتحذير منه أمر السحرة والكهان والمشعوذين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ فبعضهم يظهر للناس بمظهر الطبيب الذي يداوي المرض، وهو في الحقيقة مفسد للعقائد؛ بحيث يأمر المريض أن يذبح لغير الله، أو يكتب له الطلاسم الشركية والتعاويذ الشيطانية. والبعض الآخر منهم يظهر بمظهر المخبر عن المغيبات وأماكن الأشياء المفقودة؛ بحيث يأتيه الجهال يسألونه عن الأشياء الضائعة، فيخبرهم عن أماكن وجودها، أو يحضرها لهم بواسطة الشياطين. والبعض الآخر منهم يظهر بمظهر الولي الذي له خوارق وكرامات؛ كدخول النار، وضرب نفسه بالسلاح، ومسك الحيات... وغير ذلك، وهو في الحقيقة دجال مشعوذ وولي للشيطان، وكل هذه الأصناف تريد الاحتيال والنصب لأكل أموال الناس وإفساد عقائدهم.

فيجب على المسلمين أن يحذروهم ويبتعدوا عنهم، ويجب على ولاة الأمور استتابة هؤلاء؛ فإن تابوا، وإلا؛ قتلوا لإراحة المسلمين من شرهم وفسادهم وتنفيذاً لحكم الله فيهم)[1].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، د. صالح الفوزان ص ١١٦-١١٧.

جاء في الموسوعة الفقهية: (التنجيم مصدر نَجَّم يقال: نَجَّمت المال عليه إذا وزعته، كأنك فرضت أن يدفع عند طلوع كل نجم نصيباً، ثم صار متعارفاً في تقدير دفعه، بأي شيء قدرت ذلك. وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب. وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواء، وكانوا يسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء نجماً لوقوعه في الأصل في الوقت الذي يطلع فيه النجم. واشتقوا منه فقالوا: نجَّمتُ الدَّين بالتثقيل إذا جعلته نجوماً.

ويطلق التنجيم أيضاً على النظر في النجوم.

واصطلاحاً هو علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية. ولا يخرج استعمال الفقهاء له عن هذه المعاني.

والتنجيم بمعنى النظر في سير النجوم فقد قسم الفقهاء علم النجوم إلى قسمين:

الأول: حسابي: وهو تحديد أوائل الشهور بحساب سير النجوم. ويسمى من يمارس ذلك المنجم بالحساب.

ولا خلاف بين الفقهاء في جواز ممارسة التنجيم بهذا المعنى، وتعلم ما يعرف بمواقيت الصلاة والقبلة، بل ذهب جمهورهم إلى أن ذلك فرض كفاية. وجاء في حاشية ابن عابدين: والحسابي حق، وقد نطق به الكتاب في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[1].

وأجاز الفقهاء الاعتماد عليه في دخول أوقات الصلاة وتحديد جهة القبلة.

وقالوا: إن حساب الأهلة، والخسوف والكسوف قطعي، فالله سبحانه وتعالى أجرى حركات الأفلاك وانتقالات الكواكب على نظام واحد دائم، وكذلك الفصول الأربعة. والعوائد إذا استمرت أفادت القطع، فينبغي الاعتماد عليه في أوقات الصلاة ونحوها، وفي جهة القبلة.

وفرقوا بين هذا، وبين ما ذهب إليه الأكثرون من عدم اعتبار حساب المنجمين في ثبوت هلال رمضان بأن الشارع نصب زوال الشمس سبباً لوجوب الظهر في قوله

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٥.

عز وجل: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[1] وكذلك بقية الأوقات، فمن علم شيئاً من ذلك لزمه حكمه. أما ثبوت هلال رمضان فقد علق الشارع وجوبه برؤية الهلال، فلم يجز الاعتماد على القواعد الفلكية، وإن كانت صحيحة في نفسها.

وذهب بعض الفقهاء إلى جواز إثبات دخول رمضان وخروجه بالحساب.

الثاني: استدلالي:

وقد عرف ابن عابدين هذا القسم بأنه علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية. وهذا القسم هو المنهي عنه إذا ادعى أصحابه أنهم يعلمون الغيب بأنفسهم منه، أو أن لها تأثيراً على الحوادث بذاتها، أما إذا أسند الحوادث لعادة أجراها الله تعالى عند الوقت الفلاني فلا يأثم بذلك لخبر: ((إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك غُدَيقة))[2] أي: كثيرة المطر. وهي كاستدلال الطبيب بالنبض على الصحة والمرض.

وقال ابن عابدين: إنما زجر عن ذلك لأسباب ثلاثة:

أ- أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقي إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أنها المؤثرة.

ب- أن أحكام النجوم تخمين محض. قال ابن عابدين: وقد كانت معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس.

ج- أنه لا فائدة فيه، فإن ما قدر كائن، والاحتراز عنه غير ممكن)[3].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

حيث جاء في الحديث "العيافة والطيرة والطرق من الجبت" وقوله "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ١٩٢/١ بلاغاً وقال ابن عبدالبر هذا الحديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ إلا ما ذكره الشافعي في الأم.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥٣/١٤-٥٤.

تكبح جماح النفس وتحذرها من الوقوع في المحظورات الشرعية (والترهيب هو التخويف للعمل على ترك فعل أو اعتقاد يلتزم بما أمر به، أو نهى عنه والإنسان مفطور على الإحساس باللذة والألم وهو بذلك ميال إلى كل ما يحقق له اللذة، وعازف عن كل ما يسبب له الألم ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه من خلال الترغيب والترهيب)[1].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ٣٩٣.

الحديث رقم (١٦٧٣)

١٦٧٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُوم، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ ما زَادَ)). رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

اقتبس علمًا: تَعَلَّمَه[2].

شعبة: قطعة[3].

الشرح الأدبي

الحديث يوجه المسلمين إلى الانشغال بالنافع من العلوم التي تقرب من الله تعالى أو تحقق مصلحة شرعية، ودنيوية دون ما لا يعود على المسلم بطائل مما يتعلق بالتنجيم، والسحر، لأنه يضر ولا ينفع، وقوله (مَنِ اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُوم) من اسم موصول متضمن معنى الشرط يربط أخذ علم النجوم بأخذ السحر، والمتأمل للتماثل بين فعل الشرط، وجزائه يدرك تشابه العاقبتين في انعدام الفائدة من تعلم العلمين، وأن الجزاء من جنس العمل، وإنما شبه النبي ﷺ علم النجوم بالسحر لأن حرمته منصوصة ونطق به التنزيل قال جل ذكره ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ

---

(١) برقم (٣٩٠٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب س).

(٣) المرجع السابق في (ش ع ب).

أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة١٠٢] وروى البخاري تعليقا عن قتادة قال خلق الله تعالى هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم، وقوله (زاد وما زاد) أي زاد من السحر ما زاد من النجوم، وهو توكيد للتلازم المفهوم من الشرط بين الفعل، والجزاء بما يؤكد زيادته من السحر كلما ازداد من علم النجوم.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه تحريم علم النجوم[1]، وذلك لأن رسول الله ﷺ قد جعل من تعلم علماً من النجوم، كمن تعلم السحر، وتعلم السحر حرام فكذلك تعلم النجوم[2].

على أنه ليس كل علم من علوم النجوم منهياً عنه، فالمنهي عنه ما يدعيه أهل التنجيم من علم الحوادث، والكوائن التي لم تقع، وستقع في المستقبل، ويزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها، وافتراقها.

ولعل السبب في النهي عن هذا النوع من علوم النجوم أنه تعاطٍ لعلم قد استأثر الله تعالى به.

أما علم النجوم الذي يدرك بالمشاهدة أو بالأجهزة العلمية في الوقت الحاضر، كالذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، وكم مضى، وكم بقى، فغير داخل فيما نهى عنه[3]، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[4]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٩٣/٣٥، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٧٠/٧، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٥/١٠.

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٧٠/٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٥/١٠، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٧٠/٧-٣٧١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[1]. فأخبر الله تعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك، ولولاها لم يهتد الناس إلى استقبال القبلة[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) سورة النحل، آية: ١٦.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٨٥/١٠.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٧٤)

١٦٧٤- وعن مُعاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ ﷺ قال: قلتُ: يا رسُولَ اللهِ إنِّي حديثُ عَهْدٍ بالجاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ تَعَالَى بالإسْلاَمِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالاً يَأتُونَ الكُهَّانَ؟ قال: ((فَلاَ تأتِهِمْ)) قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: ((ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلاَ يَصُدُّهُمْ)) قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؟ قَالَ: ((كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذَاكَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

معاوية بن الحكم السُّلمي: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٠١).

غريب الألفاظ:

الكُهّان: جمع كاهن: من يخبر بالغيب ادِّعاءً لعلمه[2].

يتطيّرون: يتشاءمون[3].

يخطُّون: الخط هو الذي يَخُطّه الحازي، وهو علمٌ قد تركه الناس، يأتي صاحب الحاجة إلى الحازي فيعطيه حُلوانًا، فيقول له اقْعُد حتى أخُطَّ لك، وبين يَدي الحازي غلام له معه ميلٌ، ثم يأتي إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطًا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقلها العدد، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين، وغُلامه يقول للتفاؤل: ابني عيان أسرِعا البيان، فإن بقي خطان فهما علامة النجح، وإن بقي خطٌّ واحد فهو علامة الخيبة[4].

افق خطَّهُ: صادفه[5].

---

(١) برقم (٥٣٧/٣٣) ضمن حديث طويل، وقد تقدم برقم (٧٠١).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ك هـ ن).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ي ر).

(٤) المرجع السابق في (خ ط ط).

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (و ف ق).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يأتي نظمه البليغ في إطار محاورة صادقة مخلصة بين معاوية بن الحكم رضي الله عنه ورسول الله ﷺ، والغرض منها التعلم ومعرفة الحقيقة، لأن معاوية بن الحكم كان في ذلك الوقت كما قال: حديثُ عهد بجاهلية، وجاء بذلك في صيغة التوكيد للدلالة على أن عادات الجاهلية ما زالت تناوشه، وتحاول التغلب عليه، هو ومجموعة من الرجال الذين أخبر عنهم.

وإجابات رسول الله رضي الله عنه عليه تفصح عن سعة صدره ﷺ، وعن حلمه وحكمته وحسن موعظته فهو بالمؤمنين رءوف رحيم، والتأكيد بـ"قد" وهي للتحقيق والتأكيد في قوله "قد جاء الله تعالى بالإسلام" ينفي أي شبهة ترد على الظن بميل معاوية إلى تقاليد الجاهلية مرة أخرى، والتأكيد في قوله: "وإن منا رجالاً" ثلاث مرات في الحديث: يفيد أن بعض هؤلاء الرجال هم الذين يأتون الكهان، ويتطيرون ويخطون.

ولكن هذا البعض تتمكن منه هذه العادات والتقاليد الجاهلية: بدليل أنه قال في صيغة التوكيد: "وإن منا رجالاً"، وتكرار عبارة: "منا رجال" ثلاث مرات يرشد إلى أصناف هؤلاء الناس في ممارساتهم لأفعال الجاهلية.

وترتيب هذه المعتقدات، وتلك الممارسات: هو ترتيب حسب حجم المخالفة، واقترابها من الشرك أو ابتعادها عنه، فأول ظاهرة هي: إتيان الكهان، وهو من الشرك: ولذلك نهى عنه الرسول ﷺ نهى تحريم، في هذه الصيغة اللغوية الحاسمة الجازمة: "فلا تأتهم" والإجابة تشمل السائل وكل الذين أخبر عنهم.

والظاهرة الثانية: أقل في المخالفة: لأنها شعور يخالط النفس الإنسانية، وهو من الوساوس وأحاديث النفس وأوهام الصدور: وهي "التطير" ولذلك جاء تحديد الرسول ﷺ لهذا الأمر في غاية الدقة والبلاغة والخبرة بأحوال النفس الإنسانية، فقال: "ذلك شيء يجدونه في صدورهم"، ولكن يجب مقاومة أثر هذا التطير، ولا يبني عليه الإنسان أحكامًا، ولا مقاصد ولا وسائل ولا غايات.

والظاهرة الثالثة: وهي في دائرة المباح: إذا تمسك الإنسان بأصولها ومعالمها المعروفة، ولذلك قال في إيجاز وبلاغة: "كان نبي من الأنبياء يخط: فمن وافق خطه فذاك"، وفي الحديث إيجاز بالحذف، أي ومن لم يوافق خطه خط النبي في الأمم السابقة فليس ذاك بصحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الخط: هو الذي يخطه الحازي: وهو علم قد تركه الناس. والله هو العليم الحكيم، وهو اللطيف الخبير.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه تحريم إتيان الكهان، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٦٧٠).

وفيه أيضاً حرمة التطير، وبطلانه، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٦٧٢).

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الجزء الأخير من الحديث رقم (٧٠١).

الحديث رقم (١٦٧٥)

١٦٧٥- وعن أَبي مَسعودٍ البدريِّ ﷺ: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكاهِنِ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

غريب الألفاظ:

مهر البغي: هو ما تأخذه الزانية على الزنا[2].

وحُلْوان الكاهن: هو ما يعطاه على كهانته[3].

الشرح الأدبي

إن الإسلام أولى عنايته الكبرى بالمال، ولذلك دعا المسلم إلى العمل والسعي لاكتسابه، والمحافظة عليه من الضياع والتبذير، وحث كذلك على تنمية المال بالتجارة والصناعة لتكثير الثروة، وزيادة الدخل، وحذر الإسلام من سوء استخدام الأموال في الأغراض الدنيئة الضارة التي حرمها الشرع، مثل: الاتجار في الخمور والمخدرات، والاتجار بالأعراض، والكسب عن طريق الزنا، وإشاعة الخرافات، وتصديق الكهان، والاتجار فيما حرَّم الله شراءه وبيعه، مثل: الكلاب والخنازير وغير ذلك.

في ضوء هذه القيم الإسلامية نقرأ هذا الحديث الشريف، ونستشف بعض أسراره التعبيرية والأدبية وهو في إطار الأسلوب الخبري: إخبار من الراوي عن رسول الله ﷺ، ويتكون من جملة واحدة اسمية، مكونة من "أن" الناصبة المؤكدة الناسخة واسم إن

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٧)، ومسلم (١٥٦٧/٣٩) ولفظهما سواء.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٩٩٧.

(٣) المرجع السابق ٩٩٧.

وهو: "رسول الله ﷺ"، وخبر إن وهو جملة فعلية "نهى عن..." الخ الحديث، ومجيء الحرف الناسخ المؤكد في صور الحديث فيه إيحاء بأن هذه الأعمال الثلاثة منسوخة وملغاة، فالمبنى اللغوي يفصح عن المعنى المراد، والحديث كله جملة اسمية، تضمنت في دائرتها جملة فعلية: وهي الخبر، ولكن هذا الفعل ثابت الحكم، وهو النهي الصارم الحاكم عن هذه السلوكيات المشينة، فالنهي قاطع ولا مجال فيه للجدال والمراء، ومجيء "النهي" في صيغة الزمن الماضي للإفادة بأنه حكم صدر من رسول الله ﷺ، ولا مجال للمراجعة أو التأويل.

والنهي عن ثمن الكلب لنجاسة عين الكلب، فلا يصح بيعه، وفي ذلك توجيه الناس لشراء ما ينفع، وكذلك توجيه لمن يربي الكلاب ويتاجر فيها؛ بأن ذلك عمل خاسر، ولابد أن يشغل الإنسان نفسه بما قصده ويفيده منه المسلمون في ظل التوجيهات الشرعية، والحاجات الاجتماعية.

وكذلك: "مهر البغي" ليس مهراً شرعياً؛ وإنما اللفظ من باب المشاكلة، والسخرية من هذا الذي يدفع الأموال الباهظة من أجل المتعة المحرمة، وإنما عليه أن يوجه هذا المال إلى الطريق الحلال حيث الزواج الشرعي، والمهر الحلال حتى لو كان قنطاراً، ولا يأخذ الإنسان منه شيئاً لأنه حلال.

"وحلوان الكاهن" ضياع للمال، وإهدار له في غير محله، وتشجيع لنشر الخرافات، والشعوذة والدجل. قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1].

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- تحريم ثمن الكلب: وهذا يدل على تحريم بيعه، وعدم حلِّ ثمنه، وهذه المسألة مختلف فيها عند الفقهاء على ثلاثة آراء:

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء، وهم المالكية في المشهور عندهم[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، والظاهرية[٤]، ويرون أنه لا يصح بيعه، ولا يحل ثمنه مطلقاً، سواء كان معلماً أو غير معلم، وسواء كان مما يجوز اقتناؤه أم لا.

ودليلهم حديث الباب، ففيه نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب، والنهي عن ثمنه يدل على عد جواز بيعه، وهو عام يشمل كل كلب، سواء كان مما يجوز اقتناؤه أم لا.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٥]، ويرون جواز بيع الكلاب مطلقاً، سواء أكانت معلمة أم لا. واستدلوا على ذلك بأن الكلب مالٌ والدليل على ماليته أنه منتفع به حقيقة من الاصطياد والحراسة ونحوهما، وهذه منفعة مشروعة، ومن ثم كان مالاً فكان محلاً للبيع كالصقر والبازي، وغيرهما مما له نفع مشروع.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[٦] ويرون جواز بيع الكلب المأذون في اتخاذه ككلب الصيد ونحوه دون غيره.

واستدلوا على ذلك بما أخرجه النسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب والسنور إلا كلب الصيد[٧].

---

(١) الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي عليه ١١/٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٦٧/٤.

(٢) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٢٨/٩، ونهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين بن حمزة الرملي ٣٩٢/٣.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٧٨/٤، وزاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٣٤٣/٤، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٢٨/٢.

(٤) المحلى، ابن حزم ٦١٧/٩.

(٥) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٠٠٦/٦، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٨٢/١، وقد روى عن أبي يوسف أنه قال بحرمة بيع الكلب العقور للنهي عن اتخاذه. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين بن مسعود الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٠٠٦/٦.

(٦) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٦٧/٤، الشرح الكبير للدردير ١١/٣.

(٧) أخرجه النسائي ١٩٠/٧-١٩١، ٣٠٩ وقال النسائي: ليس هو بصحيح. وقال مرّة: منكر. وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ١٤٦٥٢/٢٣.

فهذا الحديث قد استثنى كلب الصيد من عموم النهي عن بيع الكلب، ويقاس على كلب الصيد غيره مما أذن في اتخاذه ككلب حراسة الماشية والزرع ونحوه.

الترجيح:

بعد عرض الآراء في هذه المسألة أرى أن الرأي الراجح هو الرأي الثالث القائل بجواز بيع الكلب المأذون في اتخاذه ككلب الصيد والحراسة، ويلحق بها -الآن- الكلاب المدربة على استكشاف المجرمين، أو المواد المخدرة، أو خلاف ذلك من الأعمال التي يتم تدريب الكلاب عليها، وذلك لأنها منافع مشروعة، والقول بالترجيح ليس اعتماداً على ما ورد من أحاديث تستثني هذه الكلاب من النهي، وذلك لأنها أحاديث ضعيفة، وقد بالغ العلماء في ردها، وإنما اعتماداً على ما ورد في الترخيص في اتخاذها[1]، والله أعلم.

٢- تحريم مهر البغي، وحلوان الكاهن: ومهر البغي: هو ما تأخذه الزانية في مقابل زناها، وسمي مهراً، لكونه في صورته، وحلوان الكاهن: هو ما يعطاه نظير كهانته وهما حرام بإجماع المسلمين[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب الكسب الحرام.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث "أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو خطورة المنهي عنه وضرورة اجتنابه والبعد عنه وقد أمر الله تعالى باتباع النبي ﷺ فيما أمر واجتناب ما نهى قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

---

(١) د. حسن صلاح الصغير، صلاحية البيع للانتفاع به ص ٣٧٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠/٢٣١.

ٱلْعِقَابِ﴾[1] قال السعدي: (وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نهي الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب الكسب الحرام:

يتضح هذا من سياق الحديث حيث نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن. والواجب على المسلم الابتعاد عن الكسب الحرام ومواطنه، قال الإمام النووي: (أما مهر البغي فهو ما تأخذه الزانية على الزنا وسماه مهراً لكونه على صورته وهو حرام بإجماع المسلمين وأما حلوان الكاهن فهو ما يعطاه على كهانته. قال البغوي والقاضي عياض: أجمع المسلمون على تحريم حلوان الكاهن لأنه عوض عن محرم ولأنه أكل المال بالباطل. قال الخطابي: وحلوان العراف حرام والفرق بين الكاهن والعراف أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار، والعراف هو الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما من الأمور)[3].

قال القرطبي: (قوله: "نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب"، وفي الحديث الآخر: "وثمن الكلب خبيث" ظاهرٌ في تحريم بيع الكلاب كلها، ولاشك في تناول هذا العموم لغير المأذون فيه منها، لأنها إمَّا مضرةٌ؛ فيحرمُ اقتناؤها، فيحرم بيعها. وإما غير مضرة: فلا منفعة فيها. وأما المأذون في اتخاذها: فهل تناولها عمومُ هذا النهي أم لا؟ فذهب الشافعي، والأوزاعي، وأحمد: إلى تناوله لها. فقالوا: إن بيعها محرمٌ، ويفسخ إن وقع، ولا قيمة لما يقتل منها، واعتضد الشافعي لذلك: بأنها نجسة عنده. ورأى أبو حنيفة: أنه

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٩٩٧.

لا يتناولها؛ لأن فيها منافع مباحة يجوز اتخاذها لأجلها، فتجوز المعاوضة عليها، ويجوز بيعها. وجلُّ مذهب مالك على جواز الاتخاذ، وكراهية البيع، ولا يفسخ إن وقع. وقد قيل عنه مثل قول الشافعي. وقال ابن القاسم: يكره للبائع، ويجوز للمشتري للضرورة. وكأنَّ مالكاً في المشهور: لما لم يكن الكلب عنده نجساً، وكان مأذوناً في اتخاذه لمنافعه الجائزة؛ كان حكمه حكم جميع المبيعات. لكن الشَّرع نهى عن بيعه تنزيهاً؛ لأنه ليس من مكارم الأخلاق. فإن قيل: فقد سوى النبي ﷺ بين ثمن الكلب، وبين مهر البغيِّ، وحلوان الكاهن في النهي عنها. والمهر والحلوان محرَّمان بالإجماع، فليكن ثمن الكلب كذلك.

فالجواب: إنا كذلك نقول. لكنه محمولٌ على الكلب الغير مأذون فيه. ولئن سلَّمنا: أنه متناول للكل، لكن هذا النهي -ها هنا- قُصد به القدرُ المشترك الذي بين التحريم والكراهة؛ إذ كلُّ واحدٍ منهما منهيٌّ عنه. ثم تُؤخذ خصوصيةُ كل واحدٍ منهما من دليل آخر، كما قد اتفق هنا. فإنا إنما علمنا تحريم مهر البغي، وحلوان الكاهن بالإجماع، لا بمجرد النهي سلمنا ذلك، لكنا لا نسلم: أنه يلزم من الاشتراك في مجرد العطف الاشتراك في جميع الوجوه؛ إذ قد يعطف الأمر على النهي، والإيجاب على النفي. وإنما ذلك في محل مخصوصٍ، وقوله: "شر الكسب مهر البغي، وثمن الكلب، وكسب الحجام". "الكسب" في الأصل هو: مصدر. تقول: كسبتُ المال، أكسبه، كسباً. وقد وقع في هذا بعض الحديث موضع المكسوب، فإنه أخبر عنه بالثمن.

ومساق هذا الحديث يدلُّ: على صحة ما قلناه، من أنه لا تلزم المساواة في المعطوفات. ألا ترى: أنه شرَّك بين مهر البغي، وثمن الكلب، وكسب الحجام في "شر"، ثم إن نسبة الشر لمهر البغي كنسبته إلى كسب الحجَّام، مع أن مهر البغي حرامٌ بالاتفاق، وكسب الحجام مكروه. فقد صحَّ أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره. قال ابن عباس: ولو كان حراماً لم يعطه[1]. وقد سأل رجل النبي ﷺ عن

---

(١) أخرجه البخاري ٢١٠٣ واللفظ له، ومسلم ١٢٠٢.

كسب الحجام، فنهاه، ثم سأله، فنهاه، ثم سأله فقال في الثالثة: "اعلفه ناضحك وأطعمه رقيقك"[١]، فلو كان حراماً لما أجاز له تملكه، ولا أن يدفع به حقاً واجباً عليه، وهو: نفقة الرقيق، فيكون "شرٌّ" في كسب الحجام بمعنى: ترك الأولى، والحضُّ على الورع. وهذا مثل ما تقدَّم من قوله: ((شر صفوف النساء أولها))[٢]. ويكون "شر" في مهر البغي على التحريم. وعلى هذا: فإمَّا أن يحمل لفظ: "شر" في صدر الحديث على قدر مشترك بين المحرَّم والمكروه، أو على أنَّ اللفظ المشترك قد يُراد به جميع متناولاته. وهذا كلُّه إذا تنزلنا: على أن كسب الحجام هو ما يأخذه أجرةً على نفس عمل الحجامة. فإن حملناه على ما يكتسبه من بيع الدم - فقد كانوا في الجاهلية يأكلونه، فلا يبعدُ أن يكونوا يشترونه للأكل- فيكون ثمنه حراماً. كما قد قال ﷺ: ((إن الله إذا حرم على قوم شيئاً؛ حرَّم عليهم ثمنه))[٣]. وقد جاء في بعض طرق هذا الحديث: "ثمن الدم حرام".

و"حلوان الكاهن" هو: ما يأخذه على تكهُّنه. يقال: حلوتُ الرجل، أحلوه: إذا أعطيته شيئاً يستحليه. كما يقال: عسلته، أعسله: إذا أطعمته عسلاً. ومنه: قيل للرشوة، ولما يأخذه الرَّجل من مهر ابنته حلواناً؛ لأنه كلها عطايا حلوة مستعذبة. وفيه ما يدلُّ: على تحريم ما يأخذه الحُسَّابُ، والمنجِّمون في الرَّمل، والخط، وغير ذلك. لأن ذلك كله تعاطي علم الغيب، فهي في معنى الكهانة. وما يُؤخذ على كل ذلك محرم بالإجماع.

و"قوله: "ثمن الكلب خبيث، وكسب الحجام خبيث" إن حملنا الكلب ها هنا على العموم كان الخبيث بمعنى المكروه تسويةً بينه وبين كسب الحجام. وقد تبين: أنه مكروهٌ. وإن حملناه على غير المأذون في اتخاذه؛ كان الخبيث بمعنى: الحرام[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٢٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٩٢٠).

(٢) أخرجه مسلم ٤٤٠.

(٣) أخرجه أبوداود ٣٤٨٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٩٧٨).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٤٤٤-٤٤٦.

وقال ابن عبدالبر: (قال أبو عمر: في هذا الحديث ما اتفق عليه، وفيه ما اختلف فيه؛ فأما مهر البغي، والبغي الزانية، ومهرها ما تأخذه على زناها، فمجتمع على تحريمه، تقول العرب: بغت المرأة، إذا زنت، تبغي بغاءً، فهي بغيٌّ، وهنَّ البغايا. قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1]. يعني زانية. وقال: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾[2]. يعني الزنى، وهو مصدر.

وأما حلوان الكاهن فمجتمع أيضاً على تحريمه. قال مالك: وهو ما يعطى للكاهن على كهانته. والحلوان في كلام العرب: الرشوة والعطية، تقول منه: حلوت الرجل حلواناً. إذا رشوته بشيء. قال أوس بن حجر:

كأنِّي حَلَوْتُ الشِّعْرَ يومَ مدَحتُه ... صَفَا صَخرةٍ صَمَّاءَ يَبْسٍ بِلالُها

وقال علقمة:

فمَن رجلٌ أحلُو رَحلِي وناقَتِي ... يُبلِّغُ عنِّي الشِّعرَ إذْ مات قائِلُه

وأما ثمن الكلب فمختلف فيه، فظاهر هذا الحديث يشهد لصحة قول من نهى عنه وحرَّمه[3].

وإذا كان النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن فذلك لكي يتعود المسلم على الكسب الحلال، ويبتعد عن الكسب الحرام وما فيه شبهة. قال القاسمي: (اعلم أن الحرام كله خبيث لكن بعضه أخبث من بعض، والحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض، وأصفى من بعض. ولذا كان الورع عن الحرام على درجات، فمنه الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء، ومنه الورع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، ومنه ما لا شبهة في حله لكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس. ومنه ما لا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ولكنه

---

(١) سورة مريم، آية: ٢٨.

(٢) سورة النور، آية: ٣٣.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ص ٧٩/١٧، ٨٠.

يتناول لغير الله ولا على نية التقوي به على عبادة الله أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة له كراهية أو معصية.

وقد حكي عن ابن سيرين أنه ترك لشريكه أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به. وكان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم يتجر فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه بزيادة حبة، ومن ذلك الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال وتترك الورع، وبالجملة فكلما كان العبد أشد تشديداً على نفسه كان أخف ظهراً يوم القيامة وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته؛ وإذ علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار فإن شئت فاستكثر من الاحتياط، وإن شئت فرخص، فلنفسك تحتاط، وعلى نفسك ترخص والسلام[1].

وقد حذر النبي ﷺ من الكسب الحرام فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيَأْتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لايُبالي المرءُ بما أخَذَ المالَ أمِن الحَلالِ أم منَ حرام))[2] وقال ابن رجب الحنبلي: (أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لعدم إجابة الدعاء)[3]. وقال ابن كثير: (والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة)[4].

وحذر الله تعالى من أكل المال بالباطل فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5].

قال ابن كثير: (أي تعلمون بطلان ما تدعونه وتروجونه في كلامكم قال القرطبي:

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علو الدين، جمال الدين القاسمي ص ١٣٢، ١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٨٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٧٤/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٥/١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

أجمع أهل السنة على أن من أكل مالاً حراماً ولو ما يصدق عليه اسم المال فإنه يفسق)[١].

جاء في الموسوعة الفقهية: (إن طلب الحلال فرض على كل مسلم وقد أمر الله بالأكل من الطيبات فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[٢] والحرام كله خبيث وبعضه أخبث من بعض، والكسب الخبيث هو أخذ مال الغير لا على وجه إذن الشرع فيدخل فيه القمار والخداع والغصب وجحد الحقوق وما لا تطيب نفس مالكه أو حرمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي وحلوان الكاهن وأثمان الخمور والخنازير وغير ذلك، والواجب في الكسب الخبيث تفريغ الذمة والتخلص منه برده إلى أربابه إن علموا وإلا إلى الفقراء ويجب أن يمنع والي الحسبة الناس من الكسب الخبيث قال الماوردي (ويمنع من التكسب بالكهانة واللهو ويؤدب عليه الآخذ والمعطي)[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٢١/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤٤/٣٤-٢٤٦ بتصرف.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية العقدية:

إن سلامة العقيدة تحتاج إلى تطهير الفكر من الخرافات والبدع، ومن التصديق للسحرة والمشعوذين والمنجمين والاعتقاد في أوهامهم، ومن كل ما من شأنه الإشراك بالله وتقديس غيره تعالى[1].

وقد كان النبي ﷺ ينقي قلوب الصحابة رضي الله عنهم وجوارحهم من الشرك الجلي والخفي ويربيهم على التوحيد الخالص، ويعرفهم بربهم الذي خلقهم ورزقهم، حتى صار الصحابة الكرام أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا[2].

ومن الأمثلة في سيرة النبي ﷺ التي تبين هذه التربية العالية لهذه الأمة الغالية، أحاديث الباب التي نهت عن إتيان الكهان و المنجمين والعراف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك.

وهكذا سدَّ النبي ﷺ كل الذرائع إلى الشرك، ودعا إلى العقيدة الصحيحة.

فالواجب على القائمين على التربية والتوجيه والدعوة الاهتمام بتربية الناس على العقيدة الصحيحة والتنبيه الدائم لهم على ما يقعون فيه من أمور الشرك العلمية، والعملية لأن هذا هو هدي رسول الله ﷺ وما ربى عليه الصحابة الكرام[3].

ثم الواجب على المربين كذلك أن يحثوا الطلاب على استشعار معاني العقيدة الصحيحة، وتذوق حلاوتها، حتى يكون لها أثر في حياتهم وواقعهم[4].

ثانيًا - من أهداف التربية الإسلامية: تحرير القلب من التعلق بغير الله:

إن كثيرًا من أمراض الشبهات والشهوات ترتبط بتعلق القلب بغير الله فأولئك الذين يلجؤون للسحرة والكهنة ويصدقون المشعوذين، وأولئك الذين يسيطر عليهم التطير والتشاؤم وسائر الأساطير إنما أتوا من تعلق قلوبهم بغير الله تعالى.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٣٣.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٨٧.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٩٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٩١.

وأصحاب الشهوات الذين فتنوا بها كذلك، فقلوبهم قد تعلقت بها واتجهت إليها وصارت هي قبلتهم.

لذا كان لابد في التربية من تنقية القلوب وتخليصها من التعلق بغير الله والتوجه لسواه، سواء كان ذلك شهوة أم شبهة[1].

وهذا الهدف واضح جلي في أحاديث الباب التي دعت إلى تحرر قلب المسلم من التعلق بغير الله، من الكهان والمنجمين والسحرة... وغيرهم ممن يدعون معرفة الغيب، والنفع والضر.

قال ابن تيمية: (وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه خضع قلبه لهم وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرًا لهم مدبرًا لهم متصرفًا بهم؛ فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر؛ فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيرًا لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد؛ وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها. وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما إذا درت بفقره إليها وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها؛ فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور؛ الذي لا يستطيع الخلاص منه... وهذا لعمري إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة أو صبيًا فهذا هو العذاب الذي لا يدان فيه، وهؤلاء من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقًا بها مستعبدًا لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررًا عليه ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين)[2].

وقال ابن القيم حول حديث "من مات لا يشرك بالله" (فاعلم أن هذا النفي العام للشرك - أن لا يشرك بالله شيئًا البتة - لا يصدر من مُصر على معصية أبدًا، ولا يمكن

---

(١) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص ٥٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٠/١٨٥-١٨٧.

مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد حتى لا يشرك بالله شيئًا، هذا من أعظم المحال ولا يلتفت إلى جدلي لا حظ له من أعمال القلوب، بل قلبه كالحجر أو أقسى يقول وما المانع؟ وما وجه الإحالة؟ ولو فرض ذلك واقعًا لم يلزم منه محال لذاته، فدع هذا القلب المفتون بجدله وجهله، واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله، ما يصير به منغمسًا في بحار الشرك، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه إن كان له عقل، فإن ذُلَّ المعصية لابد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفًا من غير الله وذلك شرك، ويورثه محبة لغير الله، واستعانة بغيره من الأسباب التي توصله إلى غرضه؛ فيكون عمله لا بالله ولا لله، وهذا حقيقة الشرك، نعم قد يكون معه توحيد أبي جهل وعباد الأصنام، وهو توحيد الربوبية وهو الاعتراف بأنه لا خالق إلا الله، ولو أنجى هذا التوحيد وحده لأنجى عُبَّاد الأصنام، والشأن في توحيد الإلهية الذي هو الفارق بين المشركين والموحدين، والمقصود أن من لم يشرك بالله شيئًا يستحيل أن يلقى الله بقراب الأرض خطايا مصرًّا عليها غير تائب منها، مع كمال توحيده الذي هو غاية الحب والخضوع والذل والخوف والرجاء للرب تعالى)[1][2].

ثالثًا - من أساليب التربية: الحوار والمناقشة:

استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة والذي له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين عن الانقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلي، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف[3].

ويظهر هذه الأسلوب في هذا الباب في الحديث الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: ((سأل رسول الله ﷺ، أناسًا عن الكهان، فقال: "ليسوا بشيء" فقالوا: يا رسول الله إنهم يحدثونا أحيانًا بشيء، فيكون حقًا؟ فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/٣٥٤-٣٥٥.

(٢) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص ٥٦.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٨٠.

"تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة")).

كذلك يظهر أسلوب الحوار والمناقشة في حواره ﷺ مع معاوية بن الحكم رضي الله عنه حين قال: ((قلت: يا رسول الله إني حديث عهد بالجاهلية، وقد جاء الله تعالى بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: "فلا تأتهم" قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: "ذلك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدهم" قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك)).

ولقد كان رسول الله ﷺ يستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في إقناع أصحابه رضي الله عنهم وتعليمهم، من أجل ذلك شجع علماء المسلمين طلبتهم على المناقشة والمناظرة، وأوجبوا التمرن عليها، فقد نقد ابن خلدون الركود الذهني في بلاد المغرب في القرن الرابع عشر الميلادي، وعزاه لرداءة طرق التدريس، لأنها أهملت المناقشة والمناظرة في التعليم. وهو يرى أن المناظرة في المسائل العلمية تساعد على فهمها وعلى التعبير عنها، وينتقد سكوت الطلبة وعدم تكلمهم فيما عرفوا من العلوم، كما يأخذ عليهم العناية بالحفظ أكثر مما تقتضيه الحاجة ... ويرى الزرنوجي أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل في الحفظ والتكرار[1].

وعلى المعلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة، ليشحذ أذهانهم ويقوي الحجة لديهم، ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس كما عليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم؛ حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم، وحتى يفيدهم بذلك[2].

رابعًا - التربية بالترهيب:

أسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة[3].

---

(١) التربية الإسلامية وفلاسفتها، محمد عطية الأبراشي ص ٩٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٨٣.

(٣) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن البابطين، ص ٣٦.

وقد اعتمد الرسول ﷺ الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين[1]، ويظهر الترهيب كأسلوب تربوي في هذا الباب في ترهيب النبي ﷺ من الذهاب إلى العرافين فقال: "من أتى عرافًا فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا".

ويلحق بالعراف كل من ادعى أمرًا من أمور الغيب فهو يندرج ضمن هذه المسميات لذا قال ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلمون في معرفة الأمور بهذه الطرق[2].

كما رهب ﷺ من: "العيافة، والطير، والطرق، وقال: - عنها أنها - "من الجبت" كما رهب من التنجيم فقال: "من اقتبس علمًا من النجوم، اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد". والسحر من الكبائر.

فالترهيب أسلوب تربوي مفيد - خاصة مع الطفل - لأن الإنسان إذا علم نتيجة سلوكه وما يترتب عليه من عقاب تجنب هذا السلوك.

فالترهيب وسيلة تربوية يستخدم في التأديب وهو ما يسمى بالعقاب لكن له شروط يجب وضعها في الاعتبار عند عملية العقوبة منها:

أ - عد الإكثار منها خشية أن تصبح مألوفة فيقل تأثيرها.

ب - الحرص على أن تكون من نوع الخطأ ومناسبة لدرجة الخطورة، وبذا يكتسب العقاب صبغة الإصلاح لا مظهر التشفي والانتقام.

ج - استعمالها بهدوء ونزاهة حتى لا تخدش الكرامة ولا تؤلم النفس ولا تولد الحقد والكراهية.

د - مراعاة حساسية المعاقب[3].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ٢٥١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٧٣/٣٥.

(٣) آراء في التربية، محمد الناصف، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د. ت، ص ٥٠.

٣٠٤- باب النهي عن التَّطَيُّرِ

فِيهِ الأحاديث السابقة في الباب قبله.

الحديث رقم (١٦٧٦)

١٦٧٦- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُني الفَأْلُ)) قالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: ((كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الطيرة: التشاؤم بالشيء[2].

الفأل: فيما يسر ويسوء والغالب السرور وقد فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة الطيبة[3].

الشرح الأدبي

هذه محاورة موجزة بين النبي ﷺ وبعض أصحابه وهي تتضمن الترهيب والترغيب، فأما الترهيب فتشع به بداية الحديث؛ حيث ينهي رسول الله ﷺ عن استسلام المؤمن للأوهام المتمثلة في الطيرة والعدوى، ولذلك صاغ رفضه لهذين النوعين في أسلوب النفي، والأداة هي "لا" النافية للجنس، وذلك في جملتين، وفيهما إيجاز بالحذف حيث حذف خبر، "لا" النافية للجنس، في الجملتين والتقدير: لا عدوى مؤثرة أو فاعلة فعلها من غير إرادة الله عز وجل، ولا طيرة، تُجْبر الإنسان على اتباع طريق ما حَسَب رؤية السوانح والبوارح، وهذا من عادات الجاهلية.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤/١١٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ي ر).

(٣) المرجع السابق في (ف أ ل)، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٣٨٨.

وقوله: "ويعجبني الفأل" أي الاستبشار والشيء الذي يعجبك لتفرح به اتباعاً.

وورود هذه الجملة في صيغة الفعل المضارع يوحي باستمرار هذا السلوك المحبب إلى رسول الله ﷺ، وعلى المسلمين الاقتداء برسولهم ﷺ، وهذا هو الترغيب الذي يتضمنه الحديث.

وفي الحديث تشويق وامتاع، وحوار وإقناع، حيث سأل الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ في لهفة ومحبة: "وما الفأل"، فقال رسول الله ﷺ: كلمة طيبة، أي الفأل كلمة طيبة، يسمعها الإنسان من أخيه، أو يقولها لأخيه، أو ينصح بها المسلمين، والكلمة هنا ليس المراد بها المفردة اللغوية، ولكنها جملة الكلام الطيب النافع، وما أعظم التصوير القرآني لهذه الكلمة الطيبة حيث يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم التطير "التشاؤم"[2]: وفي ذلك إبطال لما كان عليه أهل الجاهلية إذ كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به، ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٦٦/٢، وكفاية الطالب الرباني ٦٤٤/٢، والفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٤٢/٢، وفتح الباري، ابن حجر ٦٢/٦، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢١٨/١٤، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩/٢٨، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣١١/٦.

وتشاءموا بها[١]، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وقال "لا طيرة"، وأمرهم بالتوكل على الله، لأنه لا حكم إلا حكمه، ولا يعلم الغيب غيره[٢].

أما قول رسول الله ﷺ: "وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس" ففيه أقوال:

الأول: إنه على ظاهره وأن هذه الأشياء قد تكون سبباً في الشؤم، فيجري الله تعالى الشؤم عند وجودها بقدره.

وليس معنى ذلك اعتقاد أن الطيرة تضر قطعاً على نحو ما كان يفعل أهل الجاهلية وإنما معناه أن هذه الثلاثة أكثر ما يتشاءم الناس بها لملازمتهم إياها، فمن وقع في نفسه شيء من ذلك، فقد أباح الشرع له أن يتركه، ويستبدل به غيره مما تطيب به نفسه، ويسكن إليه خاطره، ولم يلزمه الشرع أن يقيم في موضع يكرهه، أو مع امرأة يكرهها، بل قد فسح له في ترك ذلك كله مع اعتقاد أن الله تعالى هو الفعال لما يريد.

الثاني: وقال الخطابي وآخرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة، أي الطيرة، منهي عنها، إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع ونحوه، وطلاق المرأة.

الثالث: وقيل شؤم الدار ضيقها، وسوء جيرانها، وأذاهم، وقيل: بعدها عن المسجد. وشؤم المرأة عدم ولادتها، وسلاطة لسانها، وتعرضها للريب، وشؤم الفرس ألا يغزى عليها، وشؤم الخادم سوء خلقه، وقلة تعهده لما فوض إليه[٣].

٢- استحباب الفأل: والفأل هو الكلمة الطيبة، كما لو خرج شخص إلى السفر وسمع "يا سالم أو يا غانم" أو كمن ذهب إلى عيادة مريض، وسمع "يا عافية"[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٨/١٤، ٢١٩.

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٩٥/٢٤.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن ٤٠٧/٨-٤٠٨، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٣٨/٤.

(٤) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٤٢/٢، وشرح صحيح مسلم، النووي ٢٢٠/١٤، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٩٥/١٠.

وإنما كان الفأل مستحباً لأنه حسن ظن بالله، وقد جعل الله تعالى من الفطرة محبة ذلك[١].

ومحل استحباب الفأل إذا لم يقصده، أما إذا قصد سماع الفأل ليعمل على ما يسمع من خير أو شر، فلا يجوز، لأنه من الأزلام المحرمة التي كانت تفعلها الجاهلية[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التطير.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان الأمور التي يكون فيها الشؤم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التفاؤل في الأمور.

خامساً: من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

سادساً: من أهداف الدعوة: تعميق معاني التوكل على الله في كافة الأمور.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

حيث جاء في الحديث "لا عدوى ولا طيرة" وقوله "أن النبي ﷺ كان لا يتطير" وأسلوب النفي من أساليب الدعوة التي تقنع المدعو حيث يفيد النفي القطع والجزم للأمر ومن صور استعمال القرآن الكريم لأسلوب النفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾[٤] وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[٥]. وفي الأحاديث نفى رسول الله ﷺ الطيرة والتشاؤم، وبين أن المؤمن متوكل على الله في كل أحواله.

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٩٣/١٠.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن مهنا النفراوي المصري ٣٤٢/٢.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٧٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩).

(٤) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٥) سورة مريم، آية: ٦٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التطير:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ "لا عدوى ولا طيرة" وما جاء أيضاً "أن النبي ﷺ كان لا يتطير" وهذه الأحاديث بمجموعها تدل على النهي عن التطير والتشاؤم.

قال المازري: (جاء في بعض الطرق: "ولا طيرة وخيرها الفأل. قيل: يا رسول الله: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة الصالحة يسمعها أحدكم".

وفي بعض طرقه: "الشؤم في الدار والمرأة والفرس".

وفي طريق آخر: "إن كان الشؤم في شيء ففي الفرس والمسكن والمرأة".

وفي طريق آخر: "إن كان في شيء ففي الرَّبْع والخادم والفرس".

وفي أخرى "يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كُنا نأتي الكهان. قال: فلا تأتوا الكهان. قال: قلت كنا نتطير: قال: ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم".

وفي بعض طرقه: "ومنا رجال يخطُّون".

قال: "كان نبي من الأنبياء يخطُّ فمن وافق خطَّه فذاك".

وقد اضطرب الناس فيما ذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه من الحديثين اللذين أُسقِط أحدهما؛ فقال بعض أصحابنا: "لا يورد ممرض على مصح" منسوخ بقوله: "لا عدوى".

وقال آخرون: ليس بينهما تنافٍ فيفتقر إلى النسخ، ولكن نفي العدوى وهي اعتقاد كون بعض الأمراض تفعلُ في غيرها بطبيعتها.

وإما أن تكون سبباً بخلق الباري عز وجل عندها مرضاً ما وردت عليه فلم ينفه؛ فإنما نهى أن يورد الممرض على المصح، لئلا تمرض الصحاح من قِبلِ الله جلَّت قدرته عند ورود المرضى، فتكون المرضى كالسبب فيها.

وقال آخرون: إنما المراد بهذا الاحتياط على اعتقاد الناس، لئلا يتشاءم بالإبل المريضة، ويعتقد أنه أمرضت إبله فيأثم في هذا الاعتقاد.

وقال آخرون: إنما ذلك للتأذي بمشاهدة المرضى، وما قد يكون فيها من رائحة تُؤذي؛ وهو المراد بما وقع في الأحاديث فإنه أذى.

وقال بعض أصحابنا في هذا: إن كانت مندوحة عن مخالطة من يتأذى كُرِه للوارد وإلا فلا، وكذا في أهل الجذام إذا تأذى الناسُ بمخالطتهم في البئر، فإن كان لهم مندوحة بماء آخر ينصرفون إليه، أُمِروا أن ينصرفوا إليه رفعاً للضرر عن هؤلاء، وإن لم يكن لهم مندوحة بماء آخر ينصرفون إليه قيل للآخرين: أوجدوهم العوض وإلا فيشاركونكم؛ لأن كل ذي مالٍ أحق بماله.

وقوله ﷺ: "لا عدوى" تفسيره: أن العرب كانت تعتقد أن المرض يعدي وينتقل إلى الصحيح؛ فأنكر النبي ﷺ اعتقادهم.

والطِّيرة: مأخوذة مما كانوا يعتادونه في الطير ويعتقدونه في البوارح والسوانح. وكان لهم في التشاؤم والتَّيامن طريقة معروفة. وقيل منها أخذ اسم الطيرة.

وقال بعضهم: فإن الفأل رجوع إلى قول مسموع وأمر محسوس يحسن معناه في العقول؛ فيخيل للنفس مثل وقوع ذلك المعنى، وتحسين الظن بالله عز وجل ورجاء الخير منه بأدنى سبب لا يقبح.

والطِّيرة: أخذ المعاني من أمور غير محسوسة ولا معقولة، ولا معنى يشعر العقل بما يتوقع من ذلك، فلهذا فارقت الفأل بأنها لا تقع إلا على توقع أمر مكروه، والفأل يقع على ما يحب ويكره، والمستحسن منه ما يحب وما يكره يتقي فألاً كان، وهو أحد قسمي الفأل أو طيرة هكذا قال بعضهم[1].

هذا ولا يتنافى ما ورد من نفي العدوى مع ما جاء في حديث المجذوم الذي كان في وفد ثقيف وأرد أن يبايع النبي ﷺ فأرسل إليه ﷺ: ((إنا قد بايعناك فارجع))[2].

قال القرطبي: (وقوله ﷺ للمجذوم: "اذهب فقد بايعناك" ولم يأخذ بيده عند المبايعة، تخفيفٌ عن المجذوم والناس؛ لئلا يشقَّ عليه الاقتحام معهم، فيتأذى هو في نفسه، ويتأذى به الناس.

---

(١) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٧١-٢٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣١.

وقد جاء عنه في الصحيح أنه قال: ((فر من المجذوم كما تفرُّ من الأسد))[١]. وهذا الخطاب إنما هو لمن يجدُ في نفسه نفرة طبيعية لا يقدر على الانتزاع منها، فأمره بالفرار لئلا يتشوش عليه ويغلبه وهمُه. وليس ذلك خوفاً لعدوى، فقد قال ﷺ ((لا عدوى))[٢]. وقال للأعرابي: ((فمن أعدى الأول))[٣].

ويُفيد هذا الحديث: إباحة مباعدة أهل الأسقام الفادحة، المستكرهة إذا لم يؤدّ ذلك إلى إضاعتهم، وإهمالهم. والله تعالى أعلم)[٤].

جاء في فتح الملهم: (قوله: "لا عدوى" العدوى: أن يتعدى مرض المريض إلى غيره، والأحاديث في هذا الباب مختلفة، فمنها ما يفهم منه نفي العدوى، مثل هذا الحديث، ومنها ما يشعر بكونها مؤثرة في درجة الأسباب.

وقد اختلفت أقوال العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث، واستقصى الحافظ في الفتح هذه الأقوال كلها، ومن جملتها ما هو المعروف فيما بين أكثر الشرّاح أن الأصل نفي العدوى، وإنّما نهى عن إيراد الممرض على المصحّ، وأمر بالفرار من المجذوم، لأن الصحيح إن مرض بعد مخالطته للمريض، فإنه إنما يمرض بتقدير الله تعالى، ولكنه يتخيّل أنه مرض بسبب العدوى، فيفسد اعتقاده، ومن أجل هذا نهى عن الوقوع فيما يؤدي إلى فساد الاعتقاد.

والموقف الراجح في باب العدوى ما ذكره الحافظ في الفتح عن البيهقي وابن الصلاح وغيره، قال البيهقي: ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "لا عدوى" فهو على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك. قال الحافظ بعد نقل كلامه: وتبعه على ذلك ابن الصلاح في الجمع بين الحديثين ومن بعده وطائفة ممن قبله.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٥٧، ومسلم ٢٢٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥٧١٧، ومسلم ٢٢٢٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٤/٧٥، ٧٦.

فالحاصل أنه لو ثبت طبياً أن جراثيم بعض الأمراض تنتقل من جسم إلى جسم آخر، فإن ذلك لا ينافي ما ورد في حديث الباب من نفي العدوى، فإنّ المنفيّ هو كون هذا الشيء مؤثراً بذاته، دون أن يخلقه الله تعالى، ولاشك في أن هذا الاعتقاد شرك وكفر. أما الاعتقاد بأن انتقال الجراثيم ربما يسبب المرض، كما تسببه الأشياء الضارة الأخرى وأن كل ذلك موقوف على مشيئة الله تعالى وتقديره، بحيث أنه إن لم يشأ الله تعالى ذلك لم تنتقل الجراثيم، أو انتقلت فلم تسبّب المرض، فهذا اعتقاد صحيح لامانع منه شرعاً، وليس ذلك بمخالف لحديث الباب. وبما أن العادة جرت بانتقال بعض الأمراض من جسد إلى جسد آخر، كالجذام والطاعون، فإن النبي ﷺ أمر بالحذر منه في درجة اختيار الأسباب والتدابير الوقائية، فإن اختيارها لا ينافي التوكل وعقيدة التقدير ما دام الإنسان معتقداً بأن تأثير الأسباب ليس ذاتياً، وإنما هو موقوف على مشيئة الله تعالى قائلاً: "ثقة بالله وتوكلاً عليه"، وذلك للتنبيه على أن هذا المرض وإن كان يعدي في العادة، ولكن تعديته موقوفة على تقدير الله تعالى وليس ذلك بتأثيره الذاتي.

وقوله "لا طيرة" هي: التشاؤم وهو مصدر "تطيّر" كما أن الحيرة مصدر "تحيّر" وقال بعض أهل اللغة: لم يجيء من المصادر هكذا غير هاتين.

وأصل التطيّر أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر في عمله، وإن رآه طار يُسرة تشاءم به ورجع وربما كان أحدهم يهيّج الطير ليطير فيعتمدها، وكانوا يسمّون الطائر الذي يطير إلى اليمين: "سانحاً"، والذي يطير إلى اليسار يسمونه: "بارحاً" فكانوا يتيمنون بالسائح ويتشاءمون بالبارح، ثم استعيرت كلمة التطير لكل تشاؤم، سواء كان بسبب الطير أو بغيره، ومنه ما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾[1] و﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[2]. فجاء الشرع فأراح المسلمين من جميع هذه التوهمات[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٣١.

(٢) سورة يس، آية: ١٨.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٠/٣٢٣-٣٢٧ بتصرف.

وقال النووي: (والتطير: التشاؤم وأصله الشيء المكروه من قول أو فعل أو مرئي، وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا منها فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر فهذا معنى قوله "لا طيرة" وأما قوله في حديث آخر "الطيرة شرك" أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لأنهم جعلوا لها أثراً في الفعل والإيجاد)[1].

قال ابن حجر: (وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة يتيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع. وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه قال شاعر منهم:

الزجر والطير والكهان كلهم مضلون ودون الغيب أقفال

وقال آخر:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقد جعل الله ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى)[2].

وقال الماوردي: (اعلم أنه ليس شيء أضر بالرأي، ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة، أو نعيق غراب، يرد قضاء، أو يدفع مقدوراً فقد جهل، واعلم أنه قلما يخلو من الطيرة أحد، لا سيما من عارضته المقادير في إرادته، وصده القضاء عن طلبته، فهو يرجو واليأس عليه أغلب، ويأمل والخوف إليه أقرب، فإذا عاقه القضاء، وخانه الرجاء، جعل الطيرة عُذْر خيبته وغفل عن قضاء الله ومشيئته)[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٨٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٢٢٣/١٠، ٢٢٤.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٠٣، ٣٠٤.

وقال أبو عمر بن عبدالبر: (أصل التطير واشتقاقه عند أهل العلم باللغة والسير والأخبار هو مأخوذ من زجر الطير ومروره سانحاً أو بارحاً[١] منه اشتقوا التطير ثم استعملوا ذلك في كل شيء من الحيوان وغير الحيوان فتطيروا من الأعور والأعضب[٢] والأبتر، وكذلك إذا رأوا الغراب أوغيره من الطير يتفلى أو ينتف ولإيمان العرب بالطيرة عقدوا الرتائم[٣] واستعملوا القداح بالآمر والناهي والمتربص، وكانوا يشتقون الأسماء الكريهة مما يكرهون، وإذا غلب عليهم الإشفاق تطيروا وتشاءموا، وإذا غلب عليهم الرجاء والسرور تفاءلوا فقال لهم رسول الله ﷺ "لاطيرة" ولا "شؤم" فعرفهم أن ذلك إنما هو شيء من طريق الاتفاق ليرفع عن المتوقع ما يتوقعه من ذلك كله، ويعلمه أن ذلك ليس يناله منه إلا ما كتب له)[٤].

جاء في الموسوعة الفقهية: (وأصل التطير: أن العرب كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لأمر قصد إلى عش الطائر، فيهيجه، فإذا طار الطير يمنة تيمن به، ومضى في الأمر، ويسمونه "السانح". أما إذا طار يسرة تشاءم به، ورجع عما عزم عليه، وكانوا يسمونه "البارح". فأبطل الإسلام ذلك ونهى عنه، وأرجع الأمر إلى سنن الله الثابتة، وإلى قدره المحيط، ومسيئته المطلقة، جاء في الأثر الصحيح: ((من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك))[٥].

وأما حكمه التكليفي: فإن اعتقد المكلف أن الذي شاهده من حال الطير موجب لما ظنه، مؤثر فيه، فقد كفر. لما في ذلك من التشريك في تدبير الأمور. أما إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف والمدبر وحده، ولكنه في نفسه يجد شيئاً من الخوف

---

(١) السانح: ما مرَّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن به، لأنه أمكن للرمي والصيد، والبارح: ما مرَّ من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به؛ لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف. لسان العرب، ابن منظور (ب ر ح، س ن ح).

(٢) الأعضب: المكسور القرن، ويكون العضب في الأذن أيضاً، إلا أنه في القرن أكثر. لسان العرب، ابن منظور في (ع ض ب).

(٣) الرتائم: جمع رتيمة، وهي خيط يشد في الإصبع لتستذكر به الحاجة. لسان العرب، ابن منظور في (ر ت م).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/١٩٠، ١٩١.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٢٠ رقم ٧٠٤٥، وقال محققو المسند: حديث حسن، ١١/٦٢٣.

من الشر، لأن التجارب عنده قضت أن صوتاً من أصوات الطير، أو حالاً من حالاته يرادفه مكروه، فإن وطّن نفسه على ذلك فقد أساء، وإن استعاذ بالله من الشر، وسأله الخير ومضى متوكلاً على الله، فلا يضره ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخذ. لحديث معاوية بن حكم. قال: قلت: ((يا رسول الله: منا رجال يتطيرون. قال: ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم))[1].

هذا وقد اتفق أهل التوحيد على تحريم التطير، ونفي تأثيره في حدوث الخير أو الشر، لما في ذلك من الإشراك بالله في تدبير الأمور. والنصوص في النهي عن ذلك كثيرة، منها: حديث: ((لا عدوى، ولا طيرة، ولاهامة، ولا صفر))[2][3].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان الأمور التي يكون فيها الشؤم:

حيث جاء في الحديث قوله ﷺ "وإن كان الشؤم في شيء، ففي الدار والمرأة والفرس".

قال المازري: (وأما ما ذكره: الشؤم في الدار والمرأة والفرس؛ فإن مالكاً أخذ هذا الحديث على ظاهره ولم يتأوله؛ فذكر في كتاب الجامع من المستخرجة: أنه قال: رب دار سكنها قوم فهلكوا وآخرون بعدهم فهلكوا، وأشار إلى حمل الحديث على ظاهره.

وقال غيره؛ فإن هذا محمله على أن المراد به أن قدر الله تعالى ربما اتفق بما يكره عند سكن الدار، فيصير ذلك كالسبب فيتسامح في إضافة الشؤم إليه مجازا واتساعاً.

قالوا: وقد قال في بعض طرق مسلم: إن يكن الشؤم؛ وهذا لفظ ينافي القطع.

ويكون محمله: إن يكن الشؤم حقاً؛ فهذه الثلاث أحق به، بمعنى: أن النفوس يقع فيها التشاؤم لهذه أكثر مما يقع بغيرها.

---

(١) أخرجه مسلم ٥٣٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٧٥، ومسلم ٢٢٢٠.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢/١٨٣.

وقد وقع في بعض الأحاديث. أنه ﷺ لما شكى إليه في بعض الديار ذهاب الأهل و المال؛ فقال: ((دعوها ذميمة))[١].

وقد اعترض بعض أهل العلم في هذا الموضع بأن قال؛ فإنه ﷺ: نهى عن الفرار من بلد الطاعون، وأباح الفرار من هذه الدار؛ فما الفرق؟

قيل: قال بعض أهل العلم: إن الجامع لهذه الفصول كلها ثلاثة أقسام:

فأحد الأقسام ما لم يقع التأذي به، ولا طردت عادتهم فيه خاصة ولا عامة نادرة ولا متكررة؛ فهذا لا يصغي إليه. والشرع أنكر الالتفات إليه وهو الطيرة؛ لأن لقُيا الغراب في بعض الأسفار ليس فيه إعلام ولا إشعار بما يكره، أو يختار، لا على جهة الندور ولا التكرار؛ فلهذا قال ﷺ: "لا طيرة".

والقسم الثاني: مما يقع به الضرر، ولكنه يعم ولا يخص ويندر ولا يتكرر كالوباء؛ فإن هذا لا يقدم عليه احتياطاً ولا يفر منه لعدم أن يكون وصل الضرر إلى الغير على الندور والتكرار.

والقسم الثالث: سبب يخص ولا يعم ويلحق منه الضرر كالديار؛ فإن ضررها مختص بسكناها وقد ذهب فيها أهله وماله على حسب ما قال الشاكي للنبي ﷺ فهذا يباح له الفرار. فهذا التقسيم الذي قسمه بعض العلماء يشير إلى الفروق بين هذه المسائل بعضها من بعض)[٢].

وقال القاضي عياض: (وقد عارض بعض الملحدة هذا الحديث بقوله: "لا طيرة". قال القتبي: وهذا تعسف، ووجهه: أن هذا الحديث مخصوص بحديث الشؤم، كأنه قال: لا طيرة إلا في هذه الثلاثة، والطيرة على من تطير. كان أهل الجاهلية يقولون ذلك، فنهاهم النبي ﷺ عن الطيرة، فلم ينتهوا فبقيت في هذه الثلاثة الأشياء.

وقد روى أبو هريرة عنه ﷺ: "الطيرة على من تطير، وإن يكن في شيء ففي المرأة والدار والفرس"، وهذا يعضد قول من قال[٣]: إنه على الاستثناء، وقد جاء في حديث

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٩٢٤ وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٢).

(٢) المعلم بفوائد مسلم٢/٢٧٣-٢٧٤.

(٣) الخطابي في معالم السنن ٤/٢٢٣٧.

آخر: ((لا شؤم))[١]، وقيل: معناه: أن هذه الأشياء مما يطول التعذب بها وكراهة أمرها، وذلك لملازمتها بالسكنة والصحبة، وإن دفع الإنسان ذلك عن اعتقاده، فكلامه عليه السلام بذلك بمعنى الأمر بفراق ذلك وزوال التعذب به، كما قال: ((اتركوها ذميمة))[٢].

قال الخطابي: معنى هذا الحديث: إبطال مذهبهم في التطير بالسوانح والبوارح، إلا أنه قال: إن كانت لأحدكم دار يكره سكناها، وامرأة يكره صحبتها، أو فرس لا تعجبه ارتباطه – فليفارقه، بأن ينتقل عن الدار، ويبيع الفرس، ويفارق المرأة وكان مجرى هذا الكلام عن استثناء الشيء من غير جنسه، وتسهل الخروج من كلام إلى غيره.

وقد قيل: شؤم الدار ضيقها [سوء جارها]، وشؤم الفرس ألا يغزى عليها وشؤم المرأة ألا تلد.

وقد يكون الشؤم هنا على غير المفهوم منه من معنى التطير، لكن بمعنى قلة الموافقة وسوء الطباع، كما جاء في الحديث الآخر: "سعادة ابن آدم في ثلاثة، وشقوة ابن آدم في ثلاثة: فمن سعادته: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الصالح. ومن شقاوته: المسكن السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء[٣]"[٤].

قال ابن عبدالبر: وأما قوله في هذا الحديث "الشؤم في الدار والمرأة والفرس" فهو عندنا على غير ظاهره، وسنقول فيه بحول الله وعونه لا شريك له، وكان ابن مسعود يقول: إن كان الشؤم في شيء فهو فيما بين اللحيين -يعني اللسان- وما شيء أحوج إلى سجن طويل من اللسان.

قال أبو عمر: ونقول في معنى حديث هذا الباب بما نراه يوافق الصواب إن شاء الله.

فقوله ﷺ: "لا طيرة". نفيٌ عن التشاؤم والتطير بشيء من الأشياء، وهذا القول أشبه شيء بأصول شريعته ﷺ من حديث الشؤم.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٢٤ وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود ٣٩٢٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٦٨/١ رقم ١٤٤٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح، ٥٥/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم المسمى، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٥٠/٧، ١٥١.

فإن قال قائل: قد روى زهير بن معاوية، عن عتبة بن حميد، قال: حدثني عبيد الله ابن أبي بكر، أنه سمع أنساً يقول: قال رسول الله ﷺ: ((لا طيرة، والطيرة على من تطير، وإن تكن في شيء، ففي المرأة، والدار، والفرس)). وقال: هذا يوجب أن تكون الطيرة في الدار، والمرأة، والفرس، لمن تطير. قيل له، وبالله التوفيق: لو كان كما ظننت لكان هذا الحديث ينفي بعضه بعضاً؛ لأن قوله: "لا طيرة". نفي لها، وقوله: "والطيرة على من تطير". إيجاب لها، وهذا محال أن يظن بالنبي ﷺ مثل هذا من النفي والإثبات في شيء واحد، ووقتٍ واحد، ولكن المعنى في ذلك نفي الطيرة بقوله: "لا طيرة". وأما قوله: "والطيرة على من تطير". فمعناه: إثم الطيرة على من تطير بعد علمه بنهي رسول الله ﷺ عن الطيرة. وقوله فيها: "إنها شرك، وما منا إلا...، ولكن الله يذهبه بالتوكل". فمعنى هذا الحديث عندنا، والله أعلم، أن من تطير فقد أثم، وإثمه على نفسه في تطيره؛ لترك التوكل وصريح الإيمان؛ لا أنه يكون ما تطير به على نفسه في الحقيقة، لأنه لا طيرة حقيقة، ولا شيء إلا ما شاء الله في سابق علمه.

والذي أقولُ به في هذا الباب، تسليم الأمر لله عز وجل، وترك القطع على الله بالشؤم في شيء؛ لأن أخبار الآحاد لا يُقطع على عينها، وإنما توجب العمل فقط، قال الله تبارك اسمه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]. فما قد خط في اللوح المحفوظ لم يكن منه بد، وليست البقاع ولا الأنفس بصانعة شيئاً من ذلك، والله أعلم، وإياه أسأل السلامة من الزلل في القول والعمل برحمته.

وقد كان من العرب قومٌ لا يتطيرون ولا يرون الطيرة شيئاً.

ذكر الأصمعي أن النابغة خرج مع زبان بن سيار يُريدان الغزو، فبينما هما في منهل يُريدان الرحلة إذ نظر النابغة فإذا على ثوبه جرادة، فقال: جرادة تجرد، وذاتُ ألوانٍ! فتطير وقال: لا أذهب في هذا الوجه. ونهض زبان، فلما رجع من تلك الغزوة سالماً غانماً أنشأ يقول:

---

(١) سورة التوبة، آية: ٥١.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٢.

تَخَبَّـــر طـــيره فيهـــا زِيَـــادٌ لتُخْبِـــرَه ومـــا فيهـــا خَـــبيرُ
أقـــامَ كـــأنَّ لُقْمَـــانَ بـــنَ عـــادٍ أشـــارَ لـــه بحِكْمَتِـــه مُـــشيرُ
تعلَّـــم أنَّـــه لا طِـــيرَ إلا علـــى مُتَطَيِّـــرٍ وهْـــو الثُّبـــورُ
بلـــى شـــيءٌ يُوافِـــقُ بعـــضَ شـــيءٍ أحَايينـــاً وباطِلُـــه كـــثيرُ

فهذا زبَّانُ بنُ سيار، وهو أحد دهاة العرب وساداتهم، لم يرد ذلك شيئاً، وقال: إنه اتفاقٌ وباطله كثير. وممن كان لا يرى الطيرة شيئاً من العرب ويُوصي بتركها، الحارث بن حلزة، والمرقش السدوسي كان أيضاً ممن لا يتطير، وهو القائل:

ولقـــد غَـــدَوْتُ وكنـــتُ لا أغْـــدُوا علـــى واقٍ وحـــاتمْ
فـــإذا الأشـــائم كالأيـــا مِـــنِ والأيَـــامِنُ كالأشَـــائِمْ
وكـــذاكَ لا خَيْـــرٌ ولا شـــرٌّ علـــى أحَـــدٍ بـــدائمْ

الواقِ: الصُّرَدُ[1]، والحاتِمُ: الغُرَابُ.

وكانت عائشة رضي الله عنها تنكر حديث الشؤم وتقول: إنما حكاه رسول الله ﷺ عن أهل الجاهلية وأقوالهم، وكانت تنفي الطيرة ولا تعتقد شيئاً منها، حتى قالت لنسوة كنَّ يكرهن الابتناء بأزواجهن في شوال: ما تزوجني رسول الله ﷺ إلا في شوال، وما دخل بي إلا في شوال، فمن كان أحظى مني عنده؟ وكانت تستحبُّ أن يدخلن على أزواجهن في شوال[2].

وعن قتادة، عن أبي حسان، أن رجلين دخلا على عائشة، وقالا: إن أبا هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال: "إنما الطيرة في المرأة، والدار، والدابة". فطارت شِقة منها في السماء، وشقة في الأرض، ثم قالت: كذب، والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم، من حدث عنه بهذا، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: "كان أهل الجاهلية يقولون:

---

(١) الصرد: طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات، وربما صاد العصفور، وكانوا يتشاءمون به. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (ص ر د).

(٢) أخرجه مسلم ١٤٢٣، والترمذي ١٠٩٣، والنسائي ٣٢٣٦، ٣٣٧٧، وابن ماجه ١٩٩٠.

الطيرة في المرأة، والدار، والدابة". ثم قرأت عائشة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1].

قال أبو عمر: أما قول عائشة رضي الله عنها في أبوهريرة: كذب، والذي أنزل الفرقان. فإن العرب تقول: كذبت. بمعنى: غلطت فيما قدَّرت، وأوهمت فيما قلت، ولم تظن حقاً. ونحو هذا، وذلك معروفٌ من كلامهم، موجودٌ في أشعارهم كثيراً، قال أبو طالب:

كذَبْتُم وبيتِ اللهِ نَتْرُكُ مَكَّةً ... ونظْعَنُ إلا أَمْرُكُم في بَلابِلِ
كذَبْتُم وبيتِ اللهِ نُبْزَى محمداً ... ولما نُطاعِنْ دُونَه ونُناضِلِ
ونُسلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ... ونُذْهَلَ عن أبْنائِنا والحَلائِلِ

وقال بعضُ شعراء همدان:

كذَبتم وبيتِ الله لا تأْخُذُونها ... مُراغَمَةً ما دامَ للسيفِ قائِمُ

ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذي هو ضد الصدق؟ وإنما هو من باب الغلط وظن ما ليس بصحيح؛ وذلك أن قريشاً زعموا أنهم يخرجون بني هاشم من مكة إن لم يتركوا جوار محمد ﷺ، فقال لهم أبو طالب: كذبتم. أي: غلطتم فيما قلتم وظننتم. وكذلك معنى قول الهمداني، وهذا مشهور من كلام العرب.

ومن هذا ما ذكره الحسن بن علي الحلواني، قال: حدثنا عارم، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، قال: سألتُ سعيد بن جبير عن الرجل يأذن لعبده في التزويج: بيدِ مَن الطلاقُ؟ قال: بيدِ العبد. قلت: إن جابر بن زيد يقول: بيد السيد قال: كذب جابرٌ. يريد غلط جابرٌ وأخطأ. والله أعلم.

وقد يحتمل أن يكون قول رسول الله ﷺ: "الشؤم في ثلاثة: في الدار، والمرأة، والفرس". كان في أول الإسلام خبراً عما كانت تعتقد العرب في جاهليتها على ما قالت عائشة، ثم نسخ ذلك وأبطله القرآن والسنن.

وأما قوله ﷺ للقوم في قصة الدار: ((اتركوها ذميمة))[2]. فذلك، والله أعلم، لما رآه منهم، وأنه قد كان رسخ في قلوبهم مما كانوا عليه في جاهليتهم، وقد

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٩٢٤، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣٢٢).

كان ﷺ رؤوفاً بالمؤمنين يأخذ عفوهم شيئاً شيئاً، وهكذا كان نزول الفرائض والسنن حتى استحكم الإسلام وكَمَل، والحمد لله، ثم بيّن رسول الله ﷺ بعد ذلك لأولئك الذين قال لهم: "اتركوها ذميمة". ولغيرهم ولسائر أمته، الصحيح بقوله: "لا طيرة". و"لا عدوى". والله أعلم[1].

وقال النووي: (معناه: قد يحصل الشؤم في هذه الثلاثة، وقال الخطابي وكثيرون: هو في معنى الاستثناء من الطيرة أي الطيرة منهي عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة وقال آخرون: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها أذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها وقيل: حرانها وغلاء ثمنها وقيل: المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة[2]).

وقال الطيبي: (قال القاضي: والمعنى أن الشؤم لو كان له وجود في شيء لكان في هذه الأشياء فإنها أقبل الأشياء لها، لكن لا وجود له فيها فلا وجود له أصلاً. فعلى هذا الشؤم في الأحاديث المستشهد بها محمول على الكراهية التي سببها ما في الأشياء من مخالفة الشرع أو الطبع فشؤمها عدم موافقتها له شرعاً أو طبعاً)[3].

وقال ابن حجر: (قال ابن العربي: والحصر فيها بالنسبة إلى العادة لا بالنسبة إلى الخلقة وقال غيره إنما خصت بالذكر لطول ملازمتها. قال القرطبي: ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطا وإنما عني أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره قال المازري: إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها وسئل مالك عن هذا فقال: كم من دار سكنها ناس فهلكوا. قال ابن العربي: لم يرد مالك إضافة الشؤم

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٣/١٩٢-٢٠٠ بتصرف.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٨٩.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٨/٣٢١.

إلى الدار، وإنما هو عبارة عن جري العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج منها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل. وهذا التأويل أولى وهو نظير الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لئلا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع في اعتقاد ما نهى عن اعتقاده فأشير إلى اجتناب مثل ذلك والطريق فيمن وقع له ذلك في الدار مثلاً أن يبادر إلى التحول منها لأنه متى استمر فيها ربما حمله ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم)[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التفاؤل في الأمور:

حيث جاء في الحديث "ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل؟ قال كلمة طيبة. وجاء في الحديث أيضاً "ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل".

قال النووي: (والفأل: فسره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة الطيبة قال العلماء: يكون الفأل فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء. قال العلماء: وإنما أحب ﷺ الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإن ذلك شر له، والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء)[2]. وقال الطيبي: (وكان ﷺ يحب الاسم الحسن وهذا بيان لتفاؤله ﷺ لأنه لم يتجاوز عن ذلك)[3]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: ((أنَّ النبيَّ كان يُعْجِبُهُ إذا خَرَجَ لِحَاجَته أنْ يَسْمَعَ يَا رَاشِدُ يَا نَجِيحُ))[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ سمع صوتاً فأعجبه فقال: قد أخذنا فألك من فيك))[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٧٢/٦، ٧٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٨٨.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٣١٨/٨.

(٤) أخرجه الترمذي ١٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣١٦).

(٥) أخرجه أبو داود ٣٩١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٣١٧).

وقال الإمام الماوردي: (وأما الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجد، ومعونة على الظفر، فقد تفاءل ﷺ في غزواته وحروبه وينبغي لمن تفاءل أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته، ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلاً روي أن يوسف عليه السلام شكا إلى الله تعالى طول الحبس فأوحى الله إليه: يا يوسف أنت حبست نفسك حين قلت: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾[1] ولو قلت: العافية أحب إلي لعوفيت. وحُكي أن المُؤَمَّل بن أُمَيْل الشاعر لما قال يوم الحيرة:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له بصر

عمي، فأتاه آتٍ في منامه فقال له هذا ما طلبت)[2].

جاء في الموسوعة الفقهية: (والتفاؤل مباح بل حسن إذا كان متعيناً للخير، كأن يسمع المريض يا سالم، فينشرح لذلك صدره.

ولا خلاف بين الفقهاء في جواز التفاؤل بالكلمة الحسنة من غير قصد، كأن يسمع المريض يا سالم، أو يسمع طالب الضالة يا واجد فتستريح نفسه لذلك.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعجبه: أن يسمع يا راشد يا نجيح إذا خرج لحاجته. وكان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح ورئي بشر ذلك في وجهه وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه.

وإنما كان يعجبه الفأل، لأنه تنشرح له النفس وتستبشر بقضاء الحاجة فيحسن الظن بالله. بخلاف الطيرة فإنها من أعمال أهل الشرك حيث كانوا يعتقدون حصول الضرر بما يتطير به.

والتفاؤل المباح: أن يسمع الرجل الكلمة الطيبة من غير قصد، أو يسمي ولده اسماً حسناً فيفرح عند سماعه.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣٣.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٠٥.

أما أخذ الفأل من المصحف، كأن يفتحه فيتفاءل ببعض الآيات في أول الصفحة، أو يتفاءل بضرب الرمل، فيتفاءل ببعض رموزه فحرام)[١].

وقال الماوردي: (ينبغي لمن منُي بالتطير أن يصرف عنه نفسه دواعي الخيبة وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطاناً في نقض عزائمه، ومعارضة خالقه، ويعلم أن قضاء الله تعالى عليه غالبٌ، وأن رزقه له طالب، إلا أن الحركة سببٌ، فلا يثنيه عنها ما لا يضير مخلوقاً ولا يدفع مقدوراً، وليمض في عزائمه واثقاً بالله تعالى إن أعطى، وراضياً به وإن منع)[٢].

خامساً- من واجبات الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث "ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك" حيث أرشد النبي ﷺ إلى ما يفعله المسلم تجاه الطيرة قال شرف الحق العظيم آبادي: (ولا تمنع الطيرة مسلماً من المضي في حاجته فإن ذلك ليس من شأن المسلم بل شأنه أن يتوكل على الله تعالى في جميع أموره ويمضي في سبيله فإنه لا يأتي بالأمور الحسنة الشاملة إلا الله ولا يدفع الأمور المكروهة الكافلة للنعمة والمعصية إلا الله ولا حول على دفع السيئات ولا قوة على تحصيل الحسنات إلا بالله)[٣].

وهذا واجب الداعية دائماً أن يوجه المدعوين إلى الخير لأنه حريص عليهم وعلى مصلحتهم وفائدتهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٤].

قال ابن القيم: (التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره ألبتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: اللهم لا طير

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٣/٧٧، ٧٨.

(٢) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣٠٢.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٦٧٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك. وذلك لأن الطيرة بابٌ من أبواب الشرك وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، وهذا يعظم شأنه على من أتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها فتكون إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه فيفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يُفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه فإذا سمع كلمة سفرجل، أو أُهدي إليه تطير به، وقال: سفر وجلاء، وإذا رأى ياسميناً أو أهدي إليه أو سمع اسمه تطير به وقال: يأس ومَيْن، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه، وعلى هذا فإن المتطير متعب القلب، منكد الصدر، كاسف البال سيء الخلق يتخوف من كل ما يراه ويسمعه فيصير أشد الناس وجلاً وأنكدهم عيشاً، وأضيقهم صدراً، وأحزنهم قلباً، وكم قد حرم نفسه بذلك من حظ ومنعها من رزق وقطع عليها من فائدة. وأما من لم يلتفت إليها ولم يلقِ إليها باله، ولم يشغل نفسه بها ولا فكره، فإن ذلك يذهب عنه ويضمحل. وقد شفى النبي ﷺ أمته في الطيرة حيث سئل عنها فقال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه"[1].

سادساً- من أهداف الدعوة: تعميق معاني التوكل على الله في كافة الأمور:

يتضح هذا من سياق الأحاديث قال ابن القيم: (والمؤمن لا يتطير فإن التطير شرك، ولا يصده ما سمع عن مقصده وحاجته بل يتوكل على الله ويثق به، ويدفع شر التطير عنه بالتوكل وإن صاحب الهمة والعزيمة لا يتقيد بشيء من التطير ولا يصرف إليه همته وإذا سمع ما يسره استبشر وقوى رجاؤه وحسن ظنه وحمد الله وسأله إتمامه واستعان به على حصوله، وإذا سمع ما يسوؤه استعاذ بالله ووثق به وتوكل عليه ولجأ إليه والتجأ إلى التوحيد)[2].

وقال ابن رجب: (وحقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَة الأمور كلها إليه

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٢/٢٣٠-٢٣٤ بتصرف.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٣/٣٧٣، ٣٧٤.

وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه. قال الحسن: (إن توكل العبد على ربه أن يعلم أن الله هو ثقته. وقال سعيد بن جبير: التوكل جماع الإيمان، واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك)[1].

قال القرطبي: (والتوكل لغة: هو إظهارُ العجز عن أمرٍ ما، والاعتماد فيه على الغير. والاسم: التكلان، يقال منه: اتكلتُ عليه في أمري. وأصله: إوتكلتُ، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، ثم أُبدل منها التاء، وأُدغمت في تاء الافتعال، ويقال: وكّلته بأمر كذا توكيلاً. والاسم: الوكالة بكسر الواو وفتحها.

واختلفَ العلماءُ في التوكلُ، وفيمن يستحق اسم المتوكل على الله، فقالت طائفةٌ: لا يستحقه إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع أو غيره، وحتى يترك السعي في طلب الرزق؛ لضمان الله تعالى.

وقال عامَّة الفقهاء: إن التوكل على الله تعالى هو الثقة بالله، والإيقانُ بأنَّ قضاءه ماضٍ، واتباعُ سنة نبيه في السعي فيما لابد منه من الأسباب من مطعم ومشرب، وتحرزٍ من عدو، وإعداد الأسلحة واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة، وإلى هذا ذهب محققو المتصوفة؛ لكنه لا يستحق اسم المتوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب والالتفات إليها بالقلوب، فإنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، بل السببُ والمسبّبُ فِعل الله تعالى، والكلُّ منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركونٌ إلى تلك الأسباب فقد انسلخَ عن ذلك الاسم.

ثم المتوكلون على حالين:

الحال الأول: حال المتمكن في التوكل، فلا يلتفتُ إلى شيء من تلك الأسباب بقلبه، ولا يتعاطها إلا بحُكم الأمر.

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٩٧، ٤٩٨.

الحال الثاني: حال غيرم المتمكِّن؛ وهو الذي يقعُ له الالتفاتُ إلى الأسباب أحياناً، غير أنه يدفعُها عن نفسه بالطرق العلمية، والبراهين القطيعة، والأذواق الحالية، فلا يزالُ كذلك إلى أن يرَقِّيَهُ اللهُ بجوده إلى مقام المتكمِّنين، ويُلحِقه بدرجات العارفين)[1].

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٤٦٧، ٤٦٨.

الحديث رقم (١٦٧٧)

١٦٧٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: ((لا عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ. (وإنْ كَانَ الشُّؤمُ في شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، والفَرَسِ)[1])). متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

غريب الألفاظ:

الطِّيَرَة: التشاؤُم[3].

الشؤم: ما يُكره ويخاف عاقبته[4].

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بما بدأ به الحديث السابق: وهو نفي العدوى، ونفي التطير، في صيغة "لا" النافية للجنس، وتكرار "لا" يؤكد هذا النفي لجنس العدوى ولجنس التطير، مهما تغيرت الأسماء، وتغيرت البيئات، ولكن رسول الله ﷺ حذر من مخالطة المرضى من باب الوقاية، لأن كثيراً من الأمراض تنتشر بالمخالطة، ولكن محكومة بالمشيئة الإلهية، بدليل أن بعض الناس يصاب، وبعضهم ينجو، وهم يعيشون في مناخ واحد، وبيئة واحدة.

والجزء الثاني من الحديث جاء في صيغة الشرط والجواب، "وإن كان الشؤم في شيء: ففي الدار والمرأة والفرس"، ونلاحظ أن أداة الشرط هي: "إن"، وليست: "إذا"، لأن "إن": تفيد الشك ولا تفيد التحقق: فهي احتمالية: وعلى هذا فإن الشؤم ليس قاعدة

---

(١) قوله: (وإن كان الشؤم) إلى آخره لفظ البخاري برقم (٥٠٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٩٤، و ٥٧٥٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢٥/١١٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ي ر).

(٤) المرجع السابق في (ش أ م).

مطردة، ولكن الفأل هو المطلوب، وهو التبشير عن طريق الكلم الطيب، وجواب الشرط جملة اسمية مقترنة بالفاء وجوباً وهو قوله: "ففي الدار والمرأة والفرس"، والتقدير: فهو موجود في دار الإنسان، وفي امرأته، وفي فرسه.

في ظل ظروف خاصة، إذا كانت الدار ضيقة قليلة المرافق، وإذا كانت الدابة قَطُوفًا بطيئة غير ذلول فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحق أصحابك، وكذلك المرأة تكون شؤماً: إذا ساءتك حين تراها، أو كانت تحمل لسانها عليك.

وقال بعضهم: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليها، وشؤم الدار: جار السوء.

وحديث رسول الله ﷺ في غاية الإيجاز فألفاظه قليلة، ولكنها تموج بالمعاني والاحتمالات، والتفسيرات التي لا تنتهي، ولكنها تتعدد وتتنوع بتعدد البيئات وتنوع الحالات التي تمر بالناس في كل زمان وكل مكان، وهم يخوضون عُبَاب الحياة في صحبة نسائهم ودوابهم وديارهم، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٧٨)

١٦٧٨- وعن بُرَيْدَةَ ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَطَيَّرُ. رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

يتطيَّر: يتشاءَم.

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبسة من أنوار الشمائل المحمدية، وهالة من أشعة أخلاق الرسول ﷺ، وقد صيغ الحديث في جملة إخبارية واحدة تبدأ بالتأكيد وتوثيق الخبر الصادق، وقدم لفظ النبي ﷺ حيث جاء بعد التوكيد اسماً "لأن" في وظيفته النحوية، وأما الخبر فيتكون من جملتين فعليتين: جملة: كان واسمها المستتر: والتقدير كان هو...، وجملة لا يتطير... وهي خبر كان، والجملتان تعدان جملة واحدة وهي خبر "إن"، وتأمل مجيء قوله "كان" وهي فعل ناسخ ناقص، والفعل المنفي "يتطير"، ومجيئه في صيغة المضارع، فالحدث وهو عدم التطير له صفة الاستمرار، والفعل الناسخ... في ظل دلالته النحوية، له دلالة إيحائية في الحديث تنبثق من سياقه: وهي نسخ التطير، والإعلان عن عدم وجوده ولا وجود لآثاره في حياة النبي ﷺ، وكان ﷺ، في ظل هذا السلوك المرتبط بمشيئة الله تعالى وقدرته، وإسلام الوجه لله تعالى والإذعان لعظمته، أعظم مهيب في النفوس كما قال الماوردي: حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته، وكان صلوات الله وسلامه عليه محبوباً استحكمت محبة طلاقته في النفوس، حتى لم يَقْلُهُ مصاحب، ولم يتباعد منه مقارب، وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ، ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٣٩٢٠) وهو جزء من حديث.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٧٦).

الحديث رقم (١٦٧٩)

١٦٧٩- وعن عُروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: ((**أحْسَنُهَا الفَأْلُ. وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِماً فإذا رَأى أحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لاَ يَأتِي بِالحَسَناتِ إلاَّ أنْتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلاَّ أنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِكَ**)) حديث صحيحٌ، رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عروة بن عامر: هو عروة بن عامر القرشي ويقال: الجهني المكيّ. مختلف في صحبته روى عن النبي ﷺ وعن عبدالله بن عباس ورفاعة بن عبيد "وهو مختلف في صحبته كذلك". روى عنه عمرو بن دينار وحبيب بن أبي ثابت وغيرهما.

قال ابن حجر في الإصابة: وأخرج أبو داود له في السنن [أي هذا الحديث]؛ ما يشعر بأنه عنده صحابي.

وقال في التهذيب: أثبت غير واحد له صحبة وشك فيه بعضهم، وروايته عن بعض الصحابة لا تمنع أن يكون صحابياً. والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة. وقال في الإصابة: حبيب كثير الإرسال[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده فياضاً بكثير من الأسرار التعبيرية التي توصل المعنى، وتحدد المقاصد المتغياه من توجيهات المصطفى

---

(١) برقم (٣٩١٩). قال العراقي في تخريج الإحياء (١١٩) أخرجه ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في اليوم والليلة، والبيهقي في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلاً، ورجاله ثقات. وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة بن عامر، فجعله مسندًا. تنبيه: صحّح المؤلف إسناد الحديث على أنَّ عروة بن عامر عنده صحابيٌّ، واختلف فيه، والصواب أن الحديث مرسلٌ.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٦/٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٩٠٥، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (١٥٧/٥)، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٩٥/٣).

الكريم ﷺ، فالحديث يبدأ بالفعل المبني للمجهول: "ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ"، وهذه الصيغة توحي بأن المراد ليس معرفة القائل... وإنما معرفة الموقف الصحيح من هذه الظاهرة التي استحكمت في النفوس.. وهي من آثار الجاهلية.

وهذا الموقف حدده رسول الله ﷺ في هذا التعبير الجميل المرغب الذي جاء فور سماعه بهذا الأمر، "فقال": والعطف بالفاء هنا يوحي بسرعة القول منعاً للفتنة، وحرصاً على توضيح الأمر وتأمل هذا البيان النبوي الراشد، "أحسنها الفأل"، والفأل هو الثقة في رحمة الله تعالى حتى في أشد الأوقات كمدا وضيقا، ففي الفأل حسن الظن بالله عز وجل، وأما الطيرة: ففيها سوء الظن بالله، وتوقع البلاء، والتعبير الذي جاء في صيغة أفعل التفضيل له ما يقابله وهو مفهوم العبارة التي يقابل منطوقها، وهو "أسوأها التشاؤم"، وكأن الفأل والتشاؤم ينبعان من مصدر واحد وهو إحساس النفس الإنسانية، ومدى صلتها بالله، كما قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1].

والإيجاز الذي يتضمن الحكم الصارم في قوله: "ولا ترد مسلماً"، فالنفي هنا بمعنى النهي: لأن شأن المسلم أن لا يرجع عما عزم عليه، والتعبير بالمضارع يوحي بالاستمرار، وأن ذلك من خلق المسلم الملازم له.

وصيغة الشرط والجواب في قوله: "وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل" تشخص المشكلة، وتضع الحل والدواء، وهو يتمثل في الدعاء الذي ورد في ختام الحديث، والأمر في قوله: "فليقل" للوجوب، حتى لا يقع المسلم فريسة للظنون والأوهام، وتأمل الصيغ الثلاثة للدعاء، إنها وردت في أسلوب القصر، وهذا الأسلوب يؤكد أنه لا يُصرِّف الأشياء إلا الله، ولا يقدر الأمور إلا الله، وتأمل تكرار قوله "أنت"، وذلك لبيان حرص المؤمن على التوكل على الله، وتأمل كذلك دقة الاختيار في قوله: "لا يأتي بالحسنات"، "ولا يدفع بالسيئات"، ففي مجال الحسنات، آثر التعبير بقوله: "يأتي" لأن

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧، ٨.

الإيتاء: إعطاء وفضل وإحسان، أما في مجال السيئات: فالأنسب هو الدفع أملاً في تجنب السيئات والنجاة منها، ولذلك عدل رسول الله ﷺ عن قوله: "ولا يأتي بالسيئات إلا أنت ..." إلى قوله: "ولا يدفع" تأدباً مع الله، واستبشاراً وأملاً في تجنب السيئات، ومضاعفة الحسنات.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٧٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتفاؤل:

التفاؤل بالحياة حياة جديدة، وسعادة حقيقية ينعم بها الإنسان، فمن تفاءل في أمور حياته ملك قوة لا تقهر، وسار بخطى حثيثة لتحقيق مستقبل أفضل[1].

وقد كان رسول الله ﷺ يقول: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل" قالوا: وما الفأل، قال: "كلمة طيبة".

وقال ﷺ: "لا عدوى ولا طيرة، وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس" وكان ﷺ لا يتطير، وعندما ذكرت عنده الطيرة قال: "أحسنها الفأل. ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك" وكان يبعث في النفوس الأمل والراحة، ويغمرها بالدعة والطمأنينة، ويزيل عنها الغم والحزن، ويقتل فيها اليأس والقنوط، ويحي فيها روح التفاؤل والعمل.

وكان إذا دخل على مريض قال له: ((لا بأس، طهور إن شاء الله))[2] ذلك أن النفوس المتعبة المريضة، القلقة الخائفة، المتشائمة المتطيرة، المرتبكة المترددة، الخائرة الحائرة، يصعب على المربي تربيتها وقيادتها، مثل ما يصعب عليها أن تؤدي دورًا فاعلاً وإيجابيًا تنفع به نفسها، أو تنفع به غيرها.

لذلك حرص رسول الله ﷺ على أن تكون أمته دائمة البِشْرِ إيجابية التفكير، نشطة وصحيحة، قوية وشجاعة، متفائلة ومتطلعة، مطمئنة إلى طريقها واثقة من نفسها، حتى يستطيع أن يبني فيها معالي الأمور، وصفات الكمال، ويبني بها أمة كريمة ودولة عظيمة[3].

---

(١) موسوعة القيم العربية والإسلامية، ١٤/١٥ المقدمة.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦١٦.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٢٩، ٢٣٠.

ثانيًا - التربية العقدية:

إن التطير هو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع والأشخاص وغير ذلك، فإذا عزم شخص على أمر من أمور الدين أو الدنيا، فرأى أو سمع ما يكره، أثر فيه ذلك أحد أمرين: إما الرجوع عما كان عازمًا عليه تطيرًا وتأثرًا بما رأى أو سمع، فيعلق قلبه بذلك المكروه، ويؤثر ذلك على إيمانه، ويخل بتوحيده وتوكله على الله، وإما أن يرجع عما عزم عليه، ولكن يبقى في قلبه أثر ذلك التطير من الحزن والألم والهم والوساوس والضعف.

فيجب على من وجد شيئًا من ذلك في نفسه أن يجاهدها على دفعه، ويستعين بالله، ويتوكل عليه، ويمضي في شأنه ويقول: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك[1].

والطيرة باب من الشرك منافية للتوكل لما فيه من الاعتماد والالتفات إلى غير الله تعالى، حيث إن المتطير الذي أحجم عما كان قد اعتزمه بسبب ما رآه أو سمعه، اعتقد بعمله هذا أنه يمكنه أن يرد قضاء الله وقدره، وهذا خلاف التوكل المأمور به وهو أن يثق المسلم بالله عز وجل ويعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له وقدره[2].

وقد جاءت أحاديث الباب محذرة من التطير والتشاؤم ومرغبة في التفاؤل والتوكل.

وقد قال ﷺ: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ومَا مِنَّا إلا، ولكِنْ يُذْهِبُه اللَّهُ بالتَّوَكُّلِ))[3].

قال الخطابي: (قوله "وما منا إلا" معناه إلا يعتريه التطير وسبق إلى قلبه الكراهة فيه، فحذف اختصارًا للكلام واعتمادًا على فهم السامع وقال محمد بن إسماعيل: كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول: هذا الحرف ليس من قول رسول الله ﷺ وكأنه قول ابن مسعود رضي الله عنه)[4].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان عبدالله الفوزان، ص ١١٧، ١١٨.

(٢) المسائل والرسائل المرويّة عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تحقيق: د. عبدالإله بن سلمان بن سالم الأحمدي، ص ١٢٥/٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨٩/١ رقم ٣٦٨٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٤) معالم السنن مع سنن أبي داود ٢٣٠/٤.

وقال ابن القيم: (وهو الصواب فإن الطيرة نوع من الشرك، كما هو في أثر مرفوع: "من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك" قالوا: يا رسول الله: ما كفارة ذلك قال: "أن يقول أحدهم، اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك)[1].

وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ: منا أناس يتطيرون فقال: ((ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلاَ يَصُدَّنَّكُمْ))[2] فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته لا في المتطير به فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده، لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر وبين لهم فساد الطير ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافونه ويحذرونه لتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض وعمر الدارين الجنة والنار، فبسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه والنار دار الشرك ولوازمه وموجباته فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يلتبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة[3].

فعلى المربين تحذير الناس من التطير والتشاؤم، وحثهم على التوكل على الله، لأن الطيرة لا تضر من كرهها ومشى في طريقه أما من لم يخلص في توكله على الله، واسترسل مع الشيطان في ذلك، فيعاقب بالوقوع فيما يكره، لأنه أعرض عن واجبه بالإيمان بالله[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/٢٢٠ رقم ٧٠٤٥، وقال محققو المسند: حديث حسن.

(٢) أخرجه مسلم ٥٣٧ بلفظ: (ومنا أناس يتطيرون فقال: ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم" قال ابن الصباح: "فلا يصدنكم".

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ٢/٢٣٤.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٢١.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٧٨-باب النهي عن المنّ بالعطية ونحوها	٥
الحديث رقم (١٥٩٠)	٥
٢٧٩-باب النهي عن الافتخار والبغي	١١
الحديث رقم (١٥٩١)	١١
الحديث رقم (١٥٩٢)	١٣
٢٨٠-باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق أو نحو ذلك	٢٢
الحديث رقم (١٥٩٣)	٢٢
الحديث رقم (١٥٩٤)	٢٦
الحديث رقم (١٥٩٥)	٣٩
الحديث رقم (١٥٩٦)	٤١
الحديث رقم (١٥٩٧)	٥٣
الحديث رقم (١٥٩٨)	٥٤
الحديث رقم (١٥٩٩)	٥٥
٢٨١-باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة وهو أن يتحدثا سرًا بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه	٦٧
الحديث رقم (١٦٠٠)	٦٧
الحديث رقم (١٦٠١)	٧٥
٢٨٢-باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب	٧٩
الحديث رقم (١٦٠٢)	٧٩
الحديث رقم (١٦٠٣)	٨٩
الحديث رقم (١٦٠٤)	٩٢
الحديث رقم (١٦٠٥)	٩٤
الحديث رقم (١٦٠٦)	١٠٤
الحديث رقم (١٦٠٧)	١٠٦
الحديث رقم (١٦٠٨)	١٠٨
الحديث رقم (١٦٠٩)	١٢٣
الحديث رقم (١٦١٠)	١٣١
٢٨٣-باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتّى النملة ونحوها	١٣٨
الحديث رقم (١٦١١)	١٣٨

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٦١٢)	١٥٠
٢٨٤-باب تحريم مطل الغني بحقّ طلبه صاحبه	١٦٣
الحديث رقم (١٦١٣)	١٦٣
٢٨٥-باب كراهة عود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إلى الموهوب له وفي هبة وهبها لولده وسلمها أولم يسلمها وكراهة شرائه شيئًا تصدّق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه	١٧٦
الحديث رقم (١٦١٤)	١٧٦
الحديث رقم (١٦١٥)	١٨٥
٢٨٦-باب تأكيد تحريم مال اليتيم	١٨٩
الحديث رقم (١٦١٦)	١٨٩
٢٨٧-باب تغليظ تحريم الربا	٢٠٣
الحديث رقم (١٦١٧)	٢٠٣
٢٨٨-باب تحريم الرياء	٢١١
الحديث رقم (١٦١٨)	٢١١
الحديث رقم (١٦١٩)	٢٢٠
الحديث رقم (١٦٢٠)	٢٢٣
الحديث رقم (١٦٢١)	٢٢٦
الحديث رقم (١٦٢٢)	٢٣١
٢٨٩-باب ما يتوهم أنّه رياء وليس هُوَ رياء	٢٣٥
الحديث رقم (١٦٢٣)	٢٣٥
٢٩٠-باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية	٢٤٣
الحديث رقم (١٦٢٤)	٢٤٣
الحديث رقم (١٦٢٥)	٢٥٥
الحديث رقم (١٦٢٦)	٢٥٨
الحديث رقم (١٦٢٧)	٢٧٠
الحديث رقم (١٦٢٨)	٢٧٨
الحديث رقم (١٦٢٩)	٢٨٨
٢٩١-باب تحريم الخلوة بالأجنبية	٣٠٧
الحديث رقم (١٦٣٠)	٣٠٧
الحديث رقم (١٦٣١)	٣١٥
الحديث رقم (١٦٣٢)	٣٢١
٢٩٢-باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك	٣٢٩
الحديث رقم (١٦٣٣)	٣٢٩
الحديث رقم (١٦٣٤)	٣٣٧

الموضوع	الصفحة
الحديث رقم (١٦٣٥)	٣٣٩
٢٩٣-باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار	٣٥٦
الحديث رقم (١٦٣٦)	٣٥٦
الحديث رقم (١٦٣٧)	٣٦٣
الحديث رقم (١٦٣٨)	٣٦٥
٢٩٤-باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد	٣٧٣
الحديث رقم (١٦٣٩)	٣٧٣
٢٩٥-باب النهي عن القزع وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة	٣٨٠
الحديث رقم (١٦٤٠)	٣٨٠
الحديث رقم (١٦٤١)	٣٨٤
الحديث رقم (١٦٤٢)	٣٨٦
الحديث رقم (١٦٤٣)	٣٩٥
٢٩٦-باب تحريم وصل الشعر والوشم والوشر وهو تحديد الأسنان	٤٠٠
الحديث رقم (١٦٤٤)	٤٠٠
الحديث رقم (١٦٤٥)	٤١١
الحديث رقم (١٦٤٦)	٤١٣
الحديث رقم (١٦٤٧)	٤٢١
٢٩٧-باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما، وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه	٤٢٧
الحديث رقم (١٦٤٨)	٤٢٧
الحديث رقم (١٦٤٩)	٤٣٢
٢٩٨-باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمن من غير عذر	٤٣٦
الحديث رقم (١٦٥٠)	٤٣٦
٢٩٩-باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائمًا لغير عذر	٤٤٥
الحديث رقم (١٦٥١)	٤٤٥
الحديث رقم (١٦٥٢)	٤٤٩
الحديث رقم (١٦٥٣)	٤٥١
٣٠٠-باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره	٤٥٥
الحديث رقم (١٦٥٤)	٤٥٥
الحديث رقم (١٦٥٥)	٤٦٠
الحديث رقم (١٦٥٦)	٤٦٣
٣٠١-باب النهي عن التكلف وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة	٤٧٣
الحديث رقم (١٦٥٧)	٤٧٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٦٥٨)	٤٧٨
٣٠٢-باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور	٤٨٢
الحديث رقم (١٦٥٩)	٤٨٢
الحديث رقم (١٦٦٠)	٤٩٣
الحديث رقم (١٦٦١)	٥٠٠
الحديث رقم (١٦٦٢)	٥٠٨
الحديث رقم (١٦٦٣)	٥١٠
الحديث رقم (١٦٦٤)	٥١٨
الحديث رقم (١٦٦٥)	٥٢٧
الحديث رقم (١٦٦٦)	٥٣١
الحديث رقم (١٦٦٧)	٥٤٠
الحديث رقم (١٦٦٨)	٥٤٩
الحديث رقم (١٦٦٩)	٥٥١
٣٠٣-باب النهي عن إتيان الكُهّان والمنجِّمين والعُرّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك	٥٥٧
الحديث رقم (١٦٧٠)	٥٥٧
الحديث رقم (١٦٧١)	٥٦٨
الحديث رقم (١٦٧٢)	٥٧٨
الحديث رقم (١٦٧٣)	٥٨٩
الحديث رقم (١٦٧٤)	٥٩٢
الحديث رقم (١٦٧٥)	٥٩٥
٣٠٤-باب النهي عن التَّطيُّر	٦١٠
الحديث رقم (١٦٧٦)	٦١٠
الحديث رقم (١٦٧٧)	٦٣٣
الحديث رقم (١٦٧٨)	٦٣٥
الحديث رقم (١٦٧٩)	٦٣٦
فهرس المحتويات	٦٤٣

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد العشرون

دار كنوز إشبيليا
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٢٠

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦٠٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٠)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٤-١٤-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٠)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٣٠٥- باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر بإتلاف الصورة

الحديث رقم (١٦٨٠)

١٦٨٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((إنَّ الَّذينَ يَصْنَعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الصُّور: جمع صُورة: التِّمْثالُ[2].

الشرح الأدبي

إن من خصائص المسلم أنه يعبد الله وحده ولا يشرك في عبادته أحدا، ولا يوقع نفسه في الشبهات ولا يقترب من مناطق الريب، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، والصور التي يصنعها النحاتون والمثالون، ومَنْ على شاكلتهم قد توحي لصانعها بأنه قادر على بث الروح فيها، لأنه صنع "الهيكل" وهذا من وساوس الشيطان، وأوهام الظنون، وبداية الطريق إلى مفازات الخسران.

ولذلك يبدأ الحديث بالتوكيد، ثم باسم الموصول "الذين"، حيث يندرج في إطاره الآلاف من الذين يقومون بهذا الصنيع، واسم الموصول يجيء للتمييز والتحديد، وقوله: "يصنعون هذه الصور" فيه تفسير لإحساس من يقوم بهذا العمل بأنه صانع، وأن صنعته

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨/٩٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٢).

(٢) النهاية في (ص و ر).

دليل قدرة، وأنه يمكن أن يقوده هذا الإحساس إلى الغلو والاعتقاد بأنه خالق لهذا الشيء المصوَّر "المنحوت"، أو المصنوع من المواد البلاستيكية أو الرخامية أو غيرها من أدوات "الفن التشكيلي" أو لعب الأطفال.

ولذلك حدد رسول الله ﷺ المراد عن طريق اسم الإشارة وقال: "هذه الصور"، وما ورد من أول الحديث كله بداية الكلام: حيث إن واسمها وصلة الموصول؛ أما إتمام الكلام المتمثل في خبر "إن". فهو قوله: "يعذبون يوم القيامة"، وصيغة المبني للمجهول: تفيد أنه لا يعذبهم إلا الله، فالفاعل محذوف لأنه معلوم، وفي هذا حث لهؤلاء المصورين والنحاتين، والمثالين على التراجع عن ذلك لأن عملهم هذا سيكون سبباً في هلاكهم وعذابهم، فهم الأخسرون أعمالاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[1].

وإذا كانوا يصنعون هذه التماثيل، وتلك الصور مدفوعين بأوهام الشيطان، بأنهم فنانون قادرون على الخلق والإبداع، فستقام عليهم الحجة يوم القيامة، ويقال لهم وهم يعذبون "أحيوا ما خلقتم"، وفي ذلك غاية التحدي، لأنهم لا يقدرون على خلق ذبابة، ولا على إحياء أنفسهم، وإرجاعها للحياة من جديد، فكيف يبثون الحياة في الجمادات والطيور، والتماثيل الصامتة؟؟!!.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- حرمة صناعة التصاوير، وهذا الحكم: متفق عليه بين الفقهاء[2]، والمقصود بالتصاوير التماثيل، وذلك لورود الوعيد الشديد على ذلك، وكون المصورين "أشد

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٩/٢، ومواهب الجليل ٥٥٢/١، والقوانين الفقهية لابن جزي ٢٦٤، والوسيط في المذهب للغزالي ٢٧٧/٥، وشرح صحيح مسلم ٩٠/١٤-٩١، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧، وكشاف القناع ٢٧٩/١.

الناس عذاباً يوم القيامة، وهو محمول على من صنع التمثال ليعبد، أو من قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك، لأنه في الحالين يكون كافراً.

أما من لم يقصد بصنعه العبادة، أو المضاهاة فهو فاسق صاحب ذنب كبير، إلا أنه لا يكفر شأنه في ذلك شأن مرتكبي المعاصي[1].

٢- إن المقصود بالصور المحرمة هي صور الحيوان أو الإنسان، أما تصوير غير الحيوان والإنسان، من شجر أو منزل فجائز اتفاقاً[2]، لما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "فإن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر، وما لا روح فيه".

ولا فرق في ذلك بين الشجر المثمر، والشجر غير المثمر، خلافاً لمجاهد الذي يرى كراهة تصوير الشجر المثمر[3]، وذلك لحديث أبي هريرة رقم (١٦٨٥).

وقد أجاب الجمهور عن ذلك بأن هذا الحديث محمول على تصوير الحيوان جمعاً بينه وبين الأحاديث الدالة على جواز تصوير الشجر[4].

٣- تحريم بيع هذه التصاوير وشرائها، وذلك لأن هذه الأشياء محرمة، والله سبحانه وتعالى إذا حرم شيئاً حرم ثمنه.

٤- إن المقصود بالتحريم هنا هي الصور الفنية التي يصنعها الإنسان بقدرته الذاتية لأنه في نظر الناس مبدع، قد ضاهى الأصل أو شابه الحقيقة.

أما الصور الآلية التي تلتقطها الآلة، بحيث تنقلها أو تسجلها، أو تحتفظ بها كصورة آلة التصوير، والصور التلفزيونية، وصورة الشريط السينمائية، وصورة الأشعة

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥٢/٥، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣١/٢، والوسيط للغزالي ٢٧٧/٥.

(٣) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩١/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٥٢/٥-٣٥٣، والدين الخالص للسبكي ٢٠٠/٣-٢٠١.

التي تلتقط عن طريق آلة التصوير لرسم الأجزاء الداخلية من جسم الإنسان، أو صورة السونار وهي نوع من التصوير بالأشعة إلا أنه ينقل الصورة من داخل الجسم البشري مع الحركة إلى شاشة التلفزيون، فيمكن بواسطته تصوير الجنين، أو نقل عمل الأجهزة الداخلية للجسم.

فكل هذه الصور مشروعة إذا ما استخدمت في الأمور النافعة، كالإعلام والتعليم والحرب، والأمن، والطب، وغير ذلك، وذلك لأنها في هذه الحالة لا ينطبق عليها وصف من الأوصاف التي تجعلها محرمة من نحو مضاهاة خلق الله تعالى أو تعظيم المخلوقين.

أما إذا استخدمت لأغراض غير نافعة كمجرد التعليق على الجدران، فإنها تكون حراماً، وتكون أشد حرمة إذا كانت للتعظيم، كتعظيم صور الزعماء، والرؤساء، وغيرهم[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان أن المصور أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: بيان صور عذاب المصور يوم القيامة.

ثالثاً: من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

خامساً: من أساليب الدعوة: النداء.

سادساً: من واجبات الداعية: إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه.

سابعاً: من آداب المدعو: الاستجابة والطاعة لأمر الله ورسوله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان أن المصور أشد الناس عذاباً يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله: ﷺ "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين

---

(١) لمزيد من التفصيل في هذا الموضوع، انظر: حكم التصوير في الشريعة الإسلامية للشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ١٥ وما بعدها، ط٢، ١٤١٥هـ.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥).

يضاهون بخلق الله"، قال النووي: أما رواية: "أشد عذاباً" فقيل هي محمولة على من فعل الصورة لتعبد وهو صانع الأصنام ونحوها فهذا كافر وهو أشد الناس عذاباً، وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى واعتقد ذلك فهذا كافر له من أشد العذاب ما للكفار ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره[1]، قال القاضي عياض: "وأما من لم يضاه بذلك خلق الله ولا قصد ولا نواه، فليس يناله هذا الوعيد وإن كان مخطئاً في فعله وعاصياً"[2]، وقال النووي:"هو في ذلك فاسق صاحب ذنب كبير ولا يكفر كسائر المعاصي"[3].

وقال ابن حجر: وقد استشكل كون المصور أشد الناس عذاباً مع قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[4]. فإنه يقتضي أن يكون المصور أشد عذاباً من آل فرعون، وأجاب الطبري بأن المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله وهو عارف بذلك قاصداً له فإنه يكفر بذلك، فلا يبعد أن يدخل مدخل آل فرعون، وأما من لا يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً بتصويره فقط...، وقال أبو الوليد بن رشد في "مختصر مشكل الطحاوي "ما حاصلة: أن الوعيد بهذه الصيغة إن ورد في حق كافر فلا إشكال فيه لأنه يكون مشتركاً في ذلك مع آل فرعون ويكون فيه دلالة على عظيم كفر المذكور، وإن ورد في حق عاص فيكون أشد عذاباً من غيره من العصاه ويكون ذلك دالاً على عظم المعصية. وأجاب القرطبي في "المفهم"[5]: بأن الناس الذين أضيف إليهم "أشد" لا يراد بهم كل الناس بل بعضهم وهم من يشارك في المعنى المتوعد عليه العذاب، ففرعون أشد الناس الذين ادعوا الإلهية عذاباً، ومن يقتدي به في ضلالة كفره أشد عذاباً ممن يقتدي به في ضلالة فسقه ومن صور صورة ذات روح للعبادة أشد عذاباً

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٣٣، وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٣٨/٦.

(٢) إكمال المعلم، ٦٣٨/٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٣٣٣.

(٤) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٥) المفهم ٤٣١/٥.

ممن يصورها لا للعبادة...، وقال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر إليها يفتن، وبعض النفوس إليها تميل"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: بيان صور عذاب المصور يوم القيامة:

هذا ما أشارت إليه نصوص الأحاديث الواردة، وفي بيان ذلك قال النووي: (في قوله ﷺ "يقال لهم: أحيوا ما خلقتم" هو الذي يسميه الأصوليون أمر تعجيز، كقوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾[٢])[٣]، وفي قوله ﷺ: "كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم"، قال القاضي عياض: "يحتمل أن معناها أن الصورة التي صورها هى تعذبه بعد أن يجعل فيها نفس أو روح وتكون الباء في بكل بمعنى في، ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها نفس أي شخص يعذبه، وتكون الباء بمعنى لام السبب أو من أجل"[٤]. وفي قوله ﷺ: من صور صورة في الدنيا، كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وليس بنافخ"، قال ابن حجر: قال الكرماني: ظاهره أنه من تكليف ما لا يطاق، وليس كذلك وإنما القصد طول تعذيبه وإظهار عجزه عما كان تعاطاه ومبالغة في توبيخه، وبيان قبح فعله. وقوله: "ليس بنافخ" أى لا يمكنه ذلك فيكون معذباً دائماً"[٥]، وفي قوله ﷺ: "فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة"، قال النووي: "أى فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هى خلق الله تعالى، وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أو ليخلقوا حبة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى. وهذا أمر تعجيز"[٦]. وقال ابن حجر: والمراد بالحبة حبة

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٩٦-٣٩٧.

(٢) سورة هود، آية : ١٣ .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦/٦٣٧، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١٣٣٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٣٢.

(٥) فتح الباري ١٠/٤٠٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٣٣٤.

القمح بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم، والمراد بالذرة النملة، والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وأخرى بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك"[١]. وقال: (هو أمر تعجيز ...، وهو لا يقدر على ذلك فيستمر على تعذيبه)[٢].

ثالثاً- من واجبات الداعية: بيان الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، وقوله تعالى: "ومَن أظلمُ ممن ذهبَ يَخلُقُ كخلْقي"، قال القرطبي: "وقد دل هذا الحديث: على أن الذمَّ والوعيد إنما عُلِّق بالمصورين من حيث تشبهوا بالله تعالى في خلقه، وتعاطوا مشاركةً فيما انفرد الله تعالى به من الخلق والاختراع"[٣]. فمضاهاة خلق الله هى أصل الحكمة من الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة، "فمن صنع الصورة متحدياً قدرة الخالق عز وجل، ورأى أنه قادر أن يخلق كخلقه، فيريه الله تعالى عجزه يوم القيامة، بأن يكلفه أن ينفخ الروح في تلك الصور ويتأيد التعليل بهذا بأن الله تعالى قال شبيهاً بذلك في حق من ادعى أنه ينزل مثل ما أنزل الله، أنه لا أحد أظلم منه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[٤]، فهذا فيمن ادعى مساواة الخالق في أمره ووحيه، والأول فيمن ادعى مساواته في خلقه، وكلاهما من أشد الناس عذاباً[٥].

وهذا "فضلاً عن كون التصوير وسيلة إلى الغلو في غير الله تعالى بتعظيمه حتى يئول الأمر إلى الضلال والافتتان بالصور، فتعبد من دون الله تعالى. وذلك أن

---

(١) فتح الباري ١٠/٣٩٩-٤٠٠.

(٢) فتح الباري ١٠/٣٩٨.

(٣) المفهم ٥/٤٣٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٣ .

(٥) الموسوعة الفقهية ١٢/١٠٥.

النبي ﷺ بعث والناس ينصبون تماثيل يعبدونها، يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فجاء الإسلام محطماً للشرك والوثنية، معلناً أن شعاره الأكبر "لا إله إلا الله" ومسفها لعقول هؤلاء. ومن المناهج التي سلكتها الشريعة الحكيمة لذلك -بالإضافة إلى الحجة والبيان والسيف والسنان- أن جاءت إلى ما من شأنه أن يكون وسيلة إلى الضلال ولا منفعة فيه، أو منفعته أقل، فمنعت إتيانه"[١]، قال ابن العربي: "والذي أوجب النهى عنه - أي التصوير- في شرعنا -والله أعلم- ما كانت عليه عبادة الأوثان والأصنام، فكانوا يصورون ويعبدون، فقطع الله الذريعة وحمى الباب. فإن قيل: فقد قال: حين ذمّ الصور وعملها من الصحيح قول النبي ﷺ: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عَذَّبَهُ الله حَتَّى يَنْفُخَ فيهَا، يَعْنِي الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). وفي رواية الذين يشبهون بخلق الله"[٢]؛ فعلل بغير ما زعمتم. قلنا: نهى عن الصورة، وذكر علة التشبيه بخلق الله، وفيها زيادة علة عبادتهما من دون الله، فنبه على أن نفس عملها معصية، فما ظنك بعبادتها!".

وقد ورد في كتب التفسير شأن ود، ويغوث، ويعوق، ونسرا، وأنهم كانوا أناساً، ثم صوّروا بعد موتهم وعبدوا"[٣].

وفي بيان ذلك قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارتِ الأوثان التي كانت في قَوْم نُوح في العرب بعد، أما وُدٌّ فكانت لكلْبٍ بدوْمَةِ الجنْدَل، وأمَّا سُواعٌ فكانت لهُذَيل، وأمَّا يَغوثُ فكانت لمرادٍ، ثم لبني غُطيف بالجوف عند سَبَأ. وأمَّا يَعوق فكانت لهمْدانَ. وأمَّا نَسْرٌ فكانت لِحمير، لآلِ ذي الكَلاع. أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نوحٍ. فلمَّا هَلكوا أَوْحَى الشَّيْطانُ إلى قومهم أَنِ انْصِبُوا إلى مَجالِسِهِم التي كانوا يَجْلِسون أنْصاباً وَسَمُّوها بأسمائِهِم ففَعلوا، فلم تُعْبَدْ، حتى إذا هَلَك أُولئك وَتَنَسَّخ العلْم عُبِدت»[٤]. وقال ابن جرير الطبري: "كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح وكان أتباع يقتدون بهم، فلما

---

(١) المرجع السابق ١٢/١٠٥

(٢) أخرجه مسلم ١٦٧١.

(٣) أحكام القرآن، ابن العربي ٤/١٦٠٠.

(٤) جزء من أثر ابن عباس أخرجه البخاري ٤٩٢٠.

ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دَبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، فعبدوهم"[١].

وقال ابن العربي: (وَقَدْ شَاهَدْت بِثَغْرِ الإِسْكَنْدَرِيَّة إذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ صَوَّرُوهُ مِنْ خَشَبٍ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، وَأَجْلَسُوهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ بَيْتِهِ وَكَسَوْهُ بِزَّتَهُ إنْ كَانَ رَجُلا وَحِلْيَتَهَا إنْ كَانَتْ امْرَأَةً، وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ. فَإِذَا أَصَابَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَرْبٌ أَوْ تَجَدَّدَ لَهُ مَكْرُوهٌ فَتَحَ الْبَابَ [عَلَيْهِ] وَجَلَسَ عِنْدَهُ يَبْكِي وَيُنَاجِيهِ بِكَانَ وَكَانَ حَتَّى يَكْسِرَ سَوْرَةَ حُزْنِهِ بِإِهْرَاقِ دُمُوعِهِ، ثُمَّ يُغْلِقُ الْبَابَ عَلَيْهِ وَيَنْصَرِفُ عَنْهُ، وَإِنْ تَمَادَى بِهِمْ الزَّمَانُ يَعْبُدُوهَا مِنْ جُمْلَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ)[٢]. فسداً للذرائع منعت الشريعة الإسلامية التصوير.

"لكن إلى أى مدى أرادت الشريعة المنع من التصوير لتكفل سد الذريعة، هل إلى منع التصوير مطلقاً، أو منع الصور المنصوبة دون غير المنصوبة، أو من الصور المجسمة التي لها ظل، لأنها التي كانت تعبد ؟ هذا موضع الخلاف بين العلماء"[٣].

"وقد كان من العلل التي بنت عليها الشريعة الإسلامية منع التصوير هى مجرد الشبه بفعل المشركين الذين كانوا ينحتون الأصنام ويعبدونها، ولو لم يقصد المصور ذلك، ولو لم تعبد الصور التي يصنعها ، لكن الحال شبيه بالحال كما، كما نهينا عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها، لئلا تكون في ذلك مثل من يسجد لها حينئذ"[٤].

فعلى الداعية أن يبين الحكمة من ذكر الوعيد الشديد للمصورين يوم القيامة حتى يجتنب المدعوين ما ورد فيه من أمور تؤدي إلى غضب الله تعالى ونقمته.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٢/٢٩، تفسير القرآن العظيم ٢٣٤/٨.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي ١٦٠٠/٤.

(٣) الموسوعة الفقهية ١٠٦/١٢.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٠٦/١٢.

رابعاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

"الترهيب من الأساليب الدعوية الهامة في قرع القلوب وتنبيهها من غفلتها، فضلاً عن كونه الأسلوب الأمثل والمناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرئ للمعصية والذي يخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق ثم إلى فجور وكفر والعياذ بالله، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيداً عن النار ...، وهو أسلوب له موقع جد مفيد في نفوس الناس من وجهين الوجه الأول إنه يدخل إليهم من الأبواب الفطرية وهى كراهة البؤس والعقاب، قال بعض السلف رحمهم الله: الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينال بها رتبة القرب من الله. ولا يكون ذلك إلا بانقطاع الشهوات، ولا تقطع الشهوات بشيء كالخوف، فهو النار المحرقة للشهوات"[1].

"والوجه الثاني: "إن الترهيب له درجات تبدأ بالتهديد وتنتهي بالتنفيذ فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف ... ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ومنهم بعد ذلك فريق لابد وأن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم"[2].

ولما كان الترهيب هو الأسلوب الأخير لإنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة وجب التأكد عليه والحرص على العمل به في مجال الدعوة، وهذا ما ورد في الأحاديث من ترهيبه ﷺ لمن أراد أن يضاهي خلق الله ببيان أنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة " وذلك في قوله ﷺ: "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة"، وقوله: "أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، وقوله : "كل مصور في النار يجعل له بكل صورها نفس فيعذبه في جهنم، وقوله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة".

---

(١) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ص ١٠-١٣.

(٢) انظر: "مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث- العلاج الإسلامي"، د. محمد سلامة غباري، ط١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٤٠٦هـ، ص ٣٢٣، نقلاً عن الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ص ١٣.

خامساً- من أساليب الدعوة: النداء:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ياعائشة" والنداء من الأساليب الدعوية الهامة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لبيان أهمية الأمر المدعو إليه.

سادساً- من واجبات الداعية: إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في إنكاره ﷺ لفعل عائشة رضي الله عنها من ستر سهوة فيه تماثيل وذلك بقوله ﷺ: "ياعائشة، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله"، فقالت رضي الله عنها فقطعناه فجعلنا منه وساده أو وسادتين، وما يؤكد على أهمية وضرورة إنكار المنكر حال رؤيته وعدم السكوت عليه ، قول أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه: "أتيت عائشة فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا يُخْبِرُنِي أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ «لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ تَمَاثِيلُ» فَهَلْ سَمِعْتِ رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: لاَ. وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكُمْ مَا رَأَيْتُهُ فَعَلَ. رَأَيْتُهُ خَرَجَ فِي غَزَاتِهِ. فَأَخَذْتُ نَمَطاً فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ. فَلَمَّا قَدِمَ فَرَأَى النَّمَطَ، عَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ. فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ. وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ» قَالَتْ فَقَطَعْنَا مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ وَحَشَوْتُهُمَا لِيفاً. فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ"[1].

قال النووي: المراد بالنمط هنا بساط لطيف له خمل، وقولها "هتكه" هو بمعنى قطعه وأتلف الصورة التي فيه ... وهذا النمط كان فيه صور الخيل ذوات الأجنحة وأنه كان فيه صورة فيستدل به لتغيير المنكر باليد وهتك الصور المحرمة والغضب عند رؤية المنكر"[2]. "والمنكر : هو كل ما ينكره الشرع وينهي عنه ويذمه ويذم أهله"[3]، وقد أمر تعالى بإنكاره وتغييره فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٣١.

(٣) حقيقة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، د. حمد ناصر العمار، ص١٢

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

وقال ابن تيمية: "إذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أعظم الواجبات أو المستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بُعثت الرسل، وأُنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع، فحيث كانت مفسدة الأمر والنهى أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به. ويقول أيضاً: وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهى، وإن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصلحة، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل كان محرماً إذا كان مفسدته أكثر من مصلحته"[1]. فعلى الداعية في إنكاره للمنكر أن يراعى الموازنة بين المصالح والمفاسد لما في ذلك من عظيم الفائدة وتحقيقاً للنتيجة المرجوة.

سابعاً- من آداب المدعو: الاستجابة والطاعة لأمر الله ورسوله:

هذا ما يستفاد في الحديث من استجابة عائشة رضي الله عنها لأمره ﷺ، وذلك من قولها: "فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[2].

قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أى الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنكفاف عنه، والنهى عنه وقوله: "إذا دعاكم لما يحييكم" وصف ملازم،

---

(١) الاستقامة، ابن تيمية، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٢/٢١١-٢١٦.

(٢) سورة الأنفال، آية : ٢٤ .

لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله على الدوام، ثم حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال: "واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه" فإياكم أن تردوا أمر الله، أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه بعد ذلك، وتختلف قلوبكم فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء، ويصرفها أنى شاء فليكثر العبد من قول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب، اصرف قلبي إلى طاعتك"[1]، فعلى المدعو أن يستجيب لأمر الله ورسوله لما في ذلك من الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة".

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠.

الحديث رقم (١٦٨١)

١٦٨١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ [1] تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقالَ: ((يَا عائِشَةُ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِندَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ!)) قَالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

سهوة: وهي الصُّفَّة تكون بين يدي البيت، وقيل الطاق النافذ في الحائط[3].

بقرام: القرام: السِّتْرُ [4].

الذين يضاهون: أراد المصورين، والمضاهاة: المشابهة [5].

الشرح الأدبي

كانت أحوال النبي ﷺ مع أزواجه تقوم على المحبة والمودة والرحمة، والتعاطف والشفقة، وكان لا يأخذ عليهن، ويعذرهن، وإن أقام عليهن قسطاس عَدْل أقامه بغير قلق ولا غضب، بل رءوف رحيم، حريص عليهن وعلى غيرهن، عزيز عليه ما يعنتهم.

وهذه السيرة المضيئة بالمحبة والمودة والتراحم. لم تمنع رسول الله ﷺ من إقامة

---

(١) عندهما زيادة: (هتكه، و).

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧/٩٢) واللفظ له، وتقدم برقم (٦٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٣).

(٣) رياض الصالحين ٥٧٦.

(٤) رياض الصالحين ٥٧٦.

(٥) النهاية في (ض هـ و).

الحق، وإنكار ما يراه مخالفاً لتعاليم الشريعة، وهذا الحديث: مشهد واقعي من سيرته العطرة الحافلة بجلائل الأعمال، وكريم الفعال، ولم يمنعه حبه لعائشة وأبيها أن يجهر بكلمة الحق؛ وبلاغة الحديث القوليه والعملية تَنْبع من أن الذي يروي هذا المشهد هو عائشة نفسها، وليس خبراً مروياً عنها، فهي التي تقصُّ هذا الخبر، وتحكي تفاصيله من خلال هذه الأفعال الماضية التي تصور وقائع الحدث، وسياق الحديث، وتأمل هذه الأفعال التي تشكل ملامح هذا المشهد.

"قدم رسول الله، وقد سترت سهوة لي، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، وقال".

هذه الصيغة السردية الواقعية تفصح عن أن القصة انتهت،وأن عائشة استجابت لأمر رسول الله ﷺ، وأنها ترويها للاقتداء، وليأتمر الناس بما أمر به رسول الله ﷺ: كما استجابت عائشة رضي الله عنها حتى لا يتعرضوا لعذاب الله يوم القيامة، وتأمل الاستجابة الفورية لعائشة حيث لم تراجع النبي ﷺ، ولم تتردد، ولم تجادل، ولكنها قالت: "فقطعناه" أي قطعنا ذلك الستر المصنوع من القماش الملون والمزركش بصور وتماثيل تحاكى الكائنات الحية من الحيوانات والطيور، وقد عبرت عنه بقولها: "بقرام فيه تماثيل".

وقولها: "تلون وجهه" كناية عن غضب رسول الله ﷺ من ذلك المنكر، ولم تقل: "فغضب" حتى لا يتسرب إلى النفس الظن بأن الغضب كان من عائشة، وأنَّ ذلك يعد كرهاً، وفي ذلك تلطف من عائشة في التعبير، وتلطف من رسول الله ﷺ في حسن معاملة أزواجه، وفي توصيل الموعظة لهن.

وتأمل النذير الشديد الموجه لكل من يقوم بصنع الصور والتماثيل لكل ذي روح: وهو نذير ليس لعائشة فقط. وإنما لكل من يصنع ذلك، وكل من يقتني هذه الصور، وصيغة أفعل التفصيل، واختيار مادة "الشدة" يوجبان بالعذاب الشديد أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، واسم الموصول: مع صيغة المضارعة الدالة على الاستمرار: يوحيان بأن هؤلاء الذين يستحقون العذاب كانوا يصرون على

ذلك، ويمتهنون هذه الحرفة، ولا يقتدون برسول الله ﷺ، ولا زوجاته، ولا أصحابه، نسأل الله العون والسداد، والتوفيق والرشاد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٨٢)

١٦٨٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**)).

قال ابن عباس: فإنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لاَ رُوحَ فِيهِ. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

الشرح الأدبي

إن علاقة المسلم بما حوله من مشاهد الكون مؤطرة بالتصور الإيماني، وبأن كل ما خلق الله عز وجل في السماوات والأرض فيه آيات لأولي الألباب فالسماء وما فيها، والأرض وما عليها من دلائل قدرة الله عز وجل، وقد سخر الله تعالى الشمس، والقمر، والبحار.، والدواب، والأشجار... للإنسان، وكلها من نعم الله تعالى التي لا تُعدُّ ولا تحصى.

واستغلال هذه النعم ينطلق من إحساس المؤمن بأنها من آيات الله المسخرة للإنسان وأولى دلائل الشكر على هذه النعم أن لا يقوم المنعم عليه بإقحام نفسه في محاكاة المنعم في خلقه، وتصويره الكائنات الحية التي يتوهم الكثيرون ومنهم المصورون لها أنهم قادرون على خلق مثلها، ويوجه الإنسان طاقته الفنية إلى صناعة الشجر... وإبداع اللوحات التشكيلية التي تظهر قدرة الله عز وجل في خلقه، وهذا ما أرشد إليه ابن عباس رضي الله عنهما حين قال: "فإن كنت لابد فاعلاً: فاصنع الشجر وما لا روح فيه"، من المواد الجامدة التي لا حياة فيها.

والحديث يبدأ بقاعدة شرعية وهي: "كل مصور في النار"، وهذه القاعدة ثابتة، وصياغتها اللغوية تفصح عن هذا الثبات، فهي جملة اسمية: مكونة من مبتدأ وخبر،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠/٩٩) واللفظ له، وهو ضمن حديث. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٤) بتمامه.

والمبتدأ هو: "كل مصور" وفيه إيحاء بالعموم والشمول: والخبر هو شبه الجملة: "في النار": فالجار والمجرور: متعلق بمحذوف خبر، والتقدير مستقر في النار، والجملة الاسمية من علاماتها: الثبوت والاستقرار.

والجملة الثانية: مبنية للمفعول: في قوله: "يجعل له": والفاعل معلوم وهو الله: والتحدي يكون يوم القيامة، فالله يبث في كل صورة صَوَّرها هذا المصور الروح، فإذا بها نفس حية تنطق وتتحرك: وتطالب بعذاب ذلك المصور.

وقوله: "فيعذبه" تقديره: فيعذبه الله، وفي رواية: "فتعذبه" أي: أن هذه النفس التي صورها هي التي ستعذبه، وإسناد التعذيب إلى النفس في هذه الرواية: مجاز عقلي.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما جاء في صيغة الشرط والجواب: وهو يضع حلاً لكل من لديه موهبة الرسم والتصوير والفن بصفة عامة. ولمن لا يملك من فن الكتابة إلا التصوير، حيث تقوم الصور عند بعض الشعوب مقام الحروف في لغاتهم: وقول ابن عباس رضي الله عنهما يشع بالدقة والإيحاء، وهو يُنقذ فئات وطوائف كثيرة من العقاب يوم القيامة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٣)

١٦٨٣- وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول: ((مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

صَوَّر صُورةً: صنع تمثالاً[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث تتصل أشعته المعنوية، وآفاقه الدلالية بالحديث السابق، ويؤكد هذا أن الراوي في الحديثين واحد وهو: ابن عباس رضي الله عنهما.

والحديث يتكون من جملتين: الأولى جملة شرطية: وهي تتوعد المصور بالعذاب يوم القيامة، ففعل الشرط هو "من صور صورة في الدنيا"، وجواب الشرط هو: "كلف"، أي كلفه الله: أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة، وهو لن يقدر على ذلك، لأن الروح من أمر الله عز وجل، كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3].

والتعبير بقوله: "كلف" يوحي بالإلزام: لأن التكليف فيه وجوب، وهو لن ينفذ هذا لأنه عاجز، وهذا العجز من خصال البشر، فالخالق هو الله عز وجل، والحديث صرح بذلك في قوله ﷺ: "وليس بنافخ" أي أن هذا المصور العاجز الواهم: لن يستطيع أن يفعل ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (١٠٠/٢١١٠) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٤).

(٢) النهاية في (ص و ر).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٥ .

وقوله: "وليس بنافخ" فيه إيجاز وإيحاء بالضعف والعجز، والتقدير: وهو في هذا الموقف ليس قادراً على أن ينفخ الروح في الصور التي صورها في الدنيا، فمآله العذاب الذي جاء صريحاً في الحديث السابق، فيعذبه في جهنم، والباء في قوله: "وليس بنافخ" مزيدة للتأكيد ولنفي أي احتمال لدى هذا المصور بالقدرة على نفخ الروح في الصورة، فالله عز وجل: هو الخالق البارئ المصور وهو الخلاق العليم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٤)

١٦٨٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

المُصَوِّرون: الذين يصنعون تماثيل الأحياء[2].

الشرح الأدبي

يتوعد رسول الله ﷺ في هذا الحديث كل من تسوّل له نفسه بالإقدام على صنع التماثيل التي تحاكي صورة الإنسان أو الحيوان أو الطير: أو كل ما فيه روح حية تنمو وتتوالد وتتكاثر وتتغذى، وهذه التماثيل أو تلك الصور التي يصنعها هؤلاء تفتن الناس ويتخذونها أصناماً وأوثاناً يعبدونها من دون الله، أو يشركونها في عبادة الله، وقد نشأت عبادة الأصنام في غمرة الافتتان بصور التماثيل التي صنعت لبعض البشر مثل ودٍّ وسواعا ويغوث ويعوق ونسراً، وبعدها جاءت اللات والعزى، ومناة، وبعض الشعوب كانوا وما زالوا يعبدون الطيور والزواحف، والدواب بصفة عامة.

ومنعاً لهذه الفتنة يشدد رسول الله ﷺ النكير والوعيد على كل من يحترف هذه الحرفة، وهو يعلم بحرمتها، ويقول في صيغة التوكيد: "إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون"، وهذه جملة واحدة مكونة من "إن" الناسخة المؤكدة، ومن اسمها وخبرها، والحرف الناسخ هنا: يعطي دلالة نسخ كل عمل يعمل: والخبر: كلمة: "المصورون" فعملهم منسوخ، وتصويرهم ممسوخ، واسم "إن": "أشد الناس عذاباً": تضمن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩/٩٨) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٥).

(٢) النهاية في (ص و ر).

مادة: شدد التي تمثل الجذر الأساس واللغوي: وهي تؤكد ثقل العذاب وشدته، وكذلك صيغة أفعل التفضيل: توحي بأن العذاب منه شديد: ومنه أشد، والمصورون هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة عند الله.

وقال العلماء: العندية للمكانة وليس للمكان، ففيه إيماء إلى عظم ذلك العذاب. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٥)

١٦٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((قال اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ذَرَّة: معناه: فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى، والذرة: ليس لها وزن ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة[2].

الشرح الأدبي

إن جو التحدي والتهديد يغلف أجواء هذا الحديث الشريف: وهو حديث قدسي؛ لأن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تعالى"، وقد فرق صاحب كتاب: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث وهو: جمال الدين القاسمي بين القرآن والحديث القدسي وغير الحديث القدسي في محاورة بديعة فيها عمق، ووجدان مشع بالحب والصفاء والروحانية.

ومن هذه المحاورة ما أجاب به الأستاذ علي تلميذه حين سأله الفرق بين الثلاثة: فقال: الفرق بين الثلاثة، وإن كانت كلها خرجت من بين شفتيه ﷺ، وكلها معها أنوار من أنواره ﷺ، أن النور الذي في القرآن قديم من ذات الحق سبحانه، لأن كلامه تعالى قديم، والنور الذي في الحديث القدسي من روحه ﷺ، وليس هو مثل نور القرآن، فإن نور القرآن قديم، ونور هذا ليس بقديم، والنور الذي في الحديث النبوي، من ذاته ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١/١٠١) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٦).

(٢) شرح صحيح مسلم، ١٣٣٤، والنهاية في (ذ ر ر).

ويبدأ الحديث بصيغة التحدي والاستفهام الإنكاري، وأفعل التفضيل في قوله: "ومن أظلم"، ثم اسم الموصول وصلته وهي فعلان، "ذهب يخلق كخلقي"، أي أن الذين تغريهم شيطانهم يتوهمون أنهم خالقون ومن هؤلاء من يقولون: الخلق الفني، وهم يصنعون التماثيل والدمي في معاهدهم ومعابدهم، ويعلقونها في واجهات دواوينهم وقصورهم وصوامعهم، وبيعهم وكنائسهم، ويزينون بها جدران بيوتهم، وأسقف منازلهم، والتعبير بالفعل المضارع "يخلق" يوحي بالاستمرار والإصرار على هذا الصنيع الفاسد.

ويتجلى التحدي في هذه الجمل الثلاث التي صيغت في قالب المضارع المقترن بلام الأمر، وكأن الحق سبحانه وتعالى يأمرهم أن يقبلوا التحدي وهم عاجزون، ويأمرهم أن يجربوا وهم جامدون، لأن الروح من أمر الله، وفي هذه الجمل الثلاث جاءت اللام - كما قال العلماء- على سبيل التعجيز والتبكيت، تارة بتكليفهم خلق الحيوان، وهذا أشد، وذلك في قوله "فليخلقوا ذرة" والمراد منها نملة، كما فسرها بعض العلماء بذلك، وفي الجملتين الأخيرتين يكلفهم بخلق جماد: وهو النبات: حبة أو شعيرة، وهو أهون، والمراد الخلق من العدم، وليس التهجين، ولا الاستنساخ في عالم النبات.

و"أو" للتنويع وللتخيير وهي تفيد عجز هؤلاء المصورين عن خلق أي شيء من الحيوان أو النبات أو الجماد، فكيف يقدرون على خلق الإنسان، ويوم القيامة يكلفون أن ينفخوا فيما صوروا الروح، وليسوا بنافخين، ولذلك فهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٠).

الحديث رقم (١٦٨٦)

١٦٨٦- وعن أبي طلحة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ، قال: ((**لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو طلحة الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٢٦).

غريب الألفاظ:

الصورة: التمثال[2].

الشرح الأدبي

في إطار الأسلوب الخبري يجيء هذا الحديث الشريف خالياً من التوكيد، ومن أنواع الطلب التي يتضمنها الأسلوب الإنشائي، وذلك لأن رسول الله ﷺ بدأ الحديث بالنفي فقال: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة"؛ ولا مجال لإنكار ذلك لأن التأكيد يأتي للمنكر والشاك، ولكن كل مسلم حينما يُسمَعُ الخبر من رسول الله ﷺ مشافهة أو رواية يصدق: لأن المصطفى ﷺ هو: "الصادق الوعد الأمين".

والنفي بـ"لا"، غير النفي: بـ"لن"، لأن "لا" ليست نفياً دائماً، أو مطلقاً، وإنما يمكن أن يكون الكلب للصيد أو للحراسة أو غير ذلك من الأمور المستثناه، ولذلك قال العلماء: لا تمتنع الملائكة من دخول بيت فيه كلب أُذن في اتخاذه بناء على أنه يجوز أن يستنبط من النص معنى يخصصه.

ولو كان النفي بـ"لن" لتغيرت الدلالة، ولما جاز استثناء أي حالة من الحالات.

وكذلك قوله: "ولا صورة" فيه عموم، ويمكن تخصيصه بالصورة المحرمة، والمراد منها: صور الإنسان، والحيوان، والطيور، أما صور النبات وغير ذلك من كائنات

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، ومسلم (٢١٠٦/٨٣).

(٢) النهاية في (ص و ر).

الطبيعة غير الحية: مثل الشمس، والقمر، والنجوم، فيمكن أن تزين بها البيوت والأسقف، والفرش والأثاث، لأنه لا روح فيها، ولا تعد صورة محرمة، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1]. والله أعلم.

فقه الحديث

وتشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الآتية:

١-عدم دخول الملائكة للبيت الذي فيه كلب أو صورة[2]: والمقصود بالملائكة هنا ملائكة الرحمة، لا الحفظة، لأن الحفظة مكلفون بكتابة أعمال ابن آدم لا يفارقونه إلا في خلوته بأهله، وعند دخول الخلاء[3].

٢-حكم دخول الإنسان منزلاً فيه صورة: اختلف الفقهاء في حكم دخول منزل فيه صورة على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[4]، ويرون أن دخول منزل فيه صورة غير محرم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- ما ثبت أن النبي ﷺ دخل الكعبة فرأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فقال: قاتلهم الله، لقد علموا أنهما ما استقسما بها قط[5].

٢- ما روي أن النصارى صنعوا لعمر رضي الله عنه حين قدم الشام طعاماً، فدعوه فقال: أين

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠١ .

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٩/٢، وحاشية ابن عابدين ٦٤٩/١، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٢١/١٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣٦٢/٣، ومغني المحتاج ٣٣١/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١١٦/١، وكشاف القناع ٢٨٠/١، والمغني لابن قدامة ٣٤٣/١.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٠/٢، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في بحثه السابق، ص ١٥.

(٤) المغني لابن قدامة ٢١٦/٧، وكشاف القناع ١٧٠/٥، ١٧١.

(٥) أخرجه البخاري ١٦٠١.

هو؟ قالوا: في الكنيسة، فأبى أن يذهب، وقال لعلي: امض بالناس فيلتغدوا، فذهب علي رضي الله عنه بالناس، فدخل الكنيسة وتغدى هو المسلمون.

وجعل عليّ ينظر إلى الصور، وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل[1]. وهذا اتفاق منهم على إباحة دخولها وفيها الصور.

٣- إن دخول الكنائس والبيع غير محرم، فكذلك المنازل التي فيها الصور[2].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الشافعية[3] في وجه عندهم، ويرون أنه إذا كانت الصور على الستور وما ليس بموطوء لم يجز له الدخول.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أحاديث الباب، وفيها أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

ويجاب عن ذلك: بأن كون الملائكة لا تدخله، لا يوجب تحريم دخوله علينا[4] كما لو كان فيه كلب.

٢- ولأنه لو لم يكن محرماً لما جاز ترك الدعوة الواجبة من أجله.

ويجاب عن ذلك: بأن ترك الدعوة لم يكن لأن ذلك محرم، وإنما أبيح بترك الدعوة عقوبة له، وزجراً له عن فعله[5].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية في وجه عندهم ويرون أن دخول بيت فيه تصاوير مكروه.

واستدلوا على ذلك بالأحاديث التي تذكر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة، غير أنهم حملوا ذلك على الكراهة.

---

(١) ذكره ابن قدامة في المغني ٢٠٣/١٠، وعزاه لابن عائذ في فتوح الشام. وانظر: سنن البيهقي ٢٦٨/٧.

(٢) كشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧.

(٣) الوسيط في المذهب ٢٧٨/٤، ومغني المحتاج ٢٤٧/٣.

(٤) كشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٦/٧.

(٥) المرجعين السابقين: المواضع نفسها، وأيضاً: المبدع ١٨٤/٧-١٨٥.

الرأي الراجح:

ولعل الراجح من هذه الآراء هو الرأي الأول، وهو ما ذهب إليه الحنابلة الذين يرون أن دخول منزل فيه تصاوير غير محرم، لقوة أدلته.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: عدم دخول الملائكة لبيت فيه كلب أو صورة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الوثوق بوعد الله ورسله.

رابعاً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

خامساً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لما يلتبس على المدعو.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية الهامة في إيقاف المدعوين على الحقائق وبيان ما غاب عنهم من أمور وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ لدخول الملائكة في البيت الذي فيه كلب أو صورة، وذلك من قوله ﷺ: «لا تَدْخُلُ المَلائِكَةُ بيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُوَرَة» وأيضاً من نفي جبريل عليه السلام لذلك في قوله: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة". وقد تكرر ورود النفي في القرآن الكريم كأسلوب دعوي في بيان الحقائق، ونفي ما زاد عنها، كقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٨٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٨٧، ١٦٨٨).

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية : ٩١ .

ثانياً- من موضوعات الدعوة: عدم دخول الملائكة لبيت فيه كلب أو صورة:

هذا ما يستفاد من سياق الأحاديث الواردة وفي بيان ذلك قال النووي: (قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، فأبغضوها لله، وتجنبوا مواضعها. وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، وهم المطهرون المقدسون عن مقاربته، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء في الحديث من قوله ﷺ: "الكلب الأسود شيطان"[1]، والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها. قال الخطابي: (وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة ممايحرم اقتناؤه من الكلام والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه. وأشار القاضي إلى نحو ما قاله الخطابي والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث، ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به، ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت وعلل بالجرو، فلو كان العذر في وجود الصورة والكلب لا يمنعهم لم يمتنع جبريل والله أعلم)[2].

وقال القرطبي: في بيان سبب امتناع الملائكة لدخول بيت فيه صورة- وإنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه التمثال - أو الصورة[3]- لأن متخذها في بيته قد تشبه

---

(١) أخرجه مسلم، ٥١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٣٠ ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٦٢٩/٦، ٦٣٠.

(٣) أورد هذا اللفظ ابن حجر في فتح الباري، ٤٠٥/١٠.

بالكفار الذين يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها فكرهت الملائكة ذلك فلم تدخل بيته هجراناً له، وغضباً عليه"[١]. وقال الخطابي: "والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هى فيه ما يحرم اقتناؤه، وهو ما يكون من الصور التي فيها الروح مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن"[٢].

وقد بين ابن حجر العلة من عدم دخول الملائكة للبيت الذي فيه كلب فقال: "المراد بالبيت المكان الذي يستقر فيه الشخص سواء كان بناء أو خيمة أم غير ذلك، والظاهر العموم في كل كلب لأنه نكرة في سياق النفي، وذهب الخطابي وطائفة إلى استثناء الكلاب التي أذن في اتخاذها وهي كلاب الصيد والماشية والزرع ...، قال القرطبي، "واختلف في المعنى الذي في الكلب حتى منع الملائكة من دخول البيت الذي هو فيه، فقيل: لكونها نجسة العين، ويتأيد ذلك بما ورد في بعض طرق الحديث عن عائشة عند مسلم "فأمر بنضح موضع الكلب"[٣]، وقيل: لكونها من الشياطين، وقيل: لأجل النجاسة التي تتعلق بها فإنها تكثر أكل النجاسة وتتلطخ بها فينجس ما تعلقت به"[٤]، وفي ذلك بيان لسبب امتناع دخول الملائكة للبيت الذي فيه صورة يحرم اقتناؤها أو كلب.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الوثوق بوعد الله ورسله:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: "ما يخلف الله وعده ولا رسله"، وفي بيان ذلك قال تعالى مخبراً عن حال المؤمنين في غزوة الأحزاب، وعن ثقتهم بموعود ربهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[٥]، قال الطبري: "وقوله: ولما رءا المؤمنون الأحزاب: يقول: ولما

---

(١) المفهم ٤٢١/٥، ٤٢٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ٣٩٥/١٠

(٣) أخرجه مسلم ٢١٠٥

(٤) فتح الباري، ٣٩٤/١٠-٣٩٥، انظر المفهم، ٤٢٢/٥.

(٥) سورة الأحزاب، آية : ٢٢ .

عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار، قالوا تسليماً منهم لأمر الله، وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ إلى قوله: ﴿قَرِيبٌ﴾[1]، ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره، الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلا إيماناً بالله، وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر، والظفر على الأعداء"[2]، وهذا ما كان من حال نبي الله موسى عليه السلام عندما اتبعه فرعون وجنوده بعد أن قال له أصحابه شاكين وحزنين: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾[3]، فقال موسى: مثبتاً لهم، ومخبراً لهم بوعد ربه الصادق، ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[4]. قال ابن كثير: أي: "لا يصل إليهم شيء مما تحذرون، فإن الله، سبحانه، هو الذي أمرني أن أسير ههنا بكم، وهو لا يخلف الميعاد"[5]، ثم كان من ثقته عليه السلام بموعود ربه أنه تعالى أنجاه وقومه وأهلك عدوه، فقال: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[6].

وإذا رأى المدعوون الداعية وهو القدوة أمام أعينهم يثق بوعد الله تعالى ورسوله في كل تصرفاته وأفعاله وأحواله، وهو أكثر منهم علماً وورعاً وتقوى، فإنهم لاشك يسلكون منهجه ويلتزمون طريقته، فيثقون بوعد الله ويؤمنون بذلك أشد الإيمان مما ينعكس على حياتهم وشؤونهم وأحوالهم فيزرع الثقة في قلوبهم.

---

(١) سورة البقرة، آية : ٢١٤ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٩/١٩.

(٣) سورة الشعراء، آية : ٦١ .

(٤) سورة الشعراء، آية: ٦٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٤٣/٦-١٤٤.

(٦) سورة الشعراء، الآيتان : ٦٥-٦٦ .

رابعاً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا ما ورد في الحديث من سؤاله ﷺ لجبريل عليه السلام في قوله:" وعدتني، فجلست لك ولم تأتني"، فأجابه جبريل عليه السلام فقال:"منعني الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة".

"والسؤال والجواب كأسلوب دعوي له قيمة تأثيرية عظيمة في إثارة انتباه المدعوين لمعرفة الأسئلة المطروحة. إذ يشعرون بأن الدافع إليها في الغالب أمر مهم في نفوس السائلين، وأن تثير فيهم الرغبة في معرفة الجواب، وقد تنزع نفوسهم إلى المشاركة في الإجابة عليها، كأنهم هم المسؤولون، وفي كلتا الحالتين تتفتح أذهانهم لمعرفة الجواب، من المتصدر للإجابة، العالم بأجوبة المسائل المطروحة"[1].

خامساً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لما يلتبس على المدعو:

لقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[2].

قال قتادة: "وهذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم علماً فيعلمه الناس، وإياكم وكتمان العلم؛ فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل مالا علم له به، فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يقال: مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينتفع به، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب، وكان يقال في الحكمة: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع، هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به"[3].

وقال تعالى مؤكداً على أهمية: ﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[4]، ولا يكون

---

(١) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٩/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٥/٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ١٦٨/٤.

(٤) سورة النساء، آية: ٦٣.

البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا كان واضحاً للنفوس المخاطبة ...، وقد كان ﷺ (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثاً ليتحقق الإيضاح، وعند ذلك يقول "اللهم بلغت اللهم فاشهد"[1]،[2]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما التبس وخفي على المدعو، وهذا ما ورد في الحديث من بيان جبريل عليه السلام وإيضاحه لسبب عدم إتيانه للنبي ﷺ، كما وعده وذلك في قوله عليه السلام: "منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة".

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٤/٢٧٦.

(٢) فقه الدعوة، د.بسام العموش، ٢٦-٢٧.

الحديث رقم (١٦٨٧)

١٦٨٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وَعَدَ رسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أنْ يَأتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إلَيهِ، فَقَالَ: إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواهُ البُخاريُّ[1].

(راث): أبْطَأَ، وهو بالثاء المثلثة[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

فراث عليه: أبطأ[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث ليس موعظة عامة، ولا إرشادات من النبي ﷺ يبلغها لقومه، ولكنه موقف واقعي، ومشهد حقيقي: يبرهن على تحريم اقتناء الكلاب للزينة أو للتسلية، كما يفعل بعض الأثرياء المترفين، والغافلين عن طريق الصواب، وهم ينفقون على الكلاب الأموال الطائلة، ويبخلون على الأيتام والفقراء والمعوقين بما يسد رمقهم، ويعوضهم عن عجزهم وعوزهم!!!.

ويحدد الحديث "الموقف" بدقة: حين تأخر جبريل عن وعده لرسول الله ﷺ، ولم يأته في الموعد المحدد، وقال رسول الله ﷺ: ما يخلف الله وعده ولا رسله، ويصور التعبير ذلك الموقف خير تصوير: وذلك يتجلى في تتابع الأفعال المعطوفة بالفاء والتي تصور قلق الرسول ﷺ وحيرته من تأخر جبريل: ولنتأمل هذه المتواليات الفعلية المصورة للحدث، "وعد رسولَ الله جبريلُ فراث عليه حتى اشتد على رسول الله ﷺ، فخرج

---

(١) برقم (٥٩٦٠). السياق للمنذري في ترغيبه (٤٤٩٠).

(٢) الترغيب (٦٢٦/٣).

(٣) رياض الصالحين ٥٧٧.

فلقيه جبريل: فشكا إليه فقال" إن السرد هنا ينقل الحدث بدقة، ويصور حرص الرسول ﷺ على لقاء جبريل: ولذلك قال: "حتى اشتد على رسول الله ﷺ" أي اشتد الموقف، ولكنه مطمئن حيث قال: "ما يخلف الله وعده ولا رسله".

والمحاورة الصادقة بين رسول الله ﷺ وجبريل توضح حرص رسول الله ﷺ على الرسالة، وشوقه إلى جبريل لتلقي التعاليم الإلهية، وقول جبريل يبدأ بالتوكيد بصيغة الجمع "المتكلم" لأنه يتكلم باسم الملائكة، فـ"نا" الدلالة على المتكلمين على لسان جبريل تشير إلى الملائكة: ثم يأتي خبر "إنا": وهو الجملة المنفية التي وردت في الحديث السابق "لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة"، وفي حديث آخر: تفسير لما حدث حيث يتوهم بعض الناس أن رسول الله ﷺ كان يقتني كلباً، وهذا وهم وزعم باطل، فهو قد وجد كلباً تحت سريره من الكلاب التي تهيم على وجهها ولا صاحب لها، فقال: متى دخل هذا الكلب:فقالت عائشة: والله ما دريت به، فأمر به رسول الله فأخرج، فجاء جبريل عليه السلام.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((وَاعَدَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عليه السلام، فِي سَاعَةٍ يَأْتِيهِ فِيهَا. فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ . وَفِي يَدِهِ عَصاً فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِهِ. وَقَالَ: مَا يُخْلِفُ اللّهَ وَعْدَهُ، وَلاَ رُسُلُهُ ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ مَتَى دَخَلَ هذَا الْكَلْبُ ههُنَا؟ فَقَالَتْ: وَاللّهِ مَا دَرَيْتُ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. فَجَاءَ جِبْرِيلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: وَاعَدْتَنِي فَجَلَسْتُ لَكَ فَلَمْ تَأْتِ. فَقَالَ: مَنَعَنِي الْكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ. إِنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ))[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه مسلم، ٢١٠٤.

(٢) تم دمجه مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٨٨)

١٦٨٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: واعدَ رسولَ اللهِ ﷺ، جبريلُ عليهِ السَّلامُ، في سَاعَةٍ أنْ يَأتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصاً، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: ((ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلاَ رُسُلُهُ)) ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقالَ: ((مَتَى دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟)) فَقُلْتُ: واللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأتِنِي)) فقالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لاَ نَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

ساعة: جزء من أجزاء الوقت والحين، وإن قل[2].

جرو كلب: صغير ولد الكلب[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث قصة واقعية تنسج خيوط أحداثها من موقف بين جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ، وأركان القصة وعناصرها مكتملة في هذه القصة التي ينقلها هذا الحديث الشريف فأشخاصها حقيقيون، وأحداثها واقعية، وبها العقدة وفيها الحبكة، وتتضمن الحوار الواقعي المقنع، وتتضمن كذلك لحظة التنوير أو الحل.

وفي هذه القصة الواقعية إرساء لبعض القواعد الشرعية، وتعليم المسلمين أمور دينهم، فأشخاص هذه القصة هم: جبريل عليه السلام، ورسول الله ﷺ، وعائشة رضي الله عنها، والأحداث تبدأ من المواعدة بين رسول الله ﷺ وجبريل: وقولها: "واعد" يدل على

---

(١) برقم (٢١٠٤/٨١). السياق للمنذري في ترغيبه (٤٥٤٣).

(٢) الوسيط في (س و ع).

(٣) الوسيط في (ج ر و).

المفاعلة: أي الوعد قائم بين اثنين حيث يتلقى رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام كلمات الوحي، وتعاليم ربه عز وجل، ويؤمر بتبليغ ذلك.

والعقدة تتمثل في تأخر جبريل عن موعده، فجاءت تلك الساعة ولم يأته!!.

وملابسات الحدث وآثار هذه العقدة تتجلى في حركة الرسول ﷺ التي تصور قلقه وتأثره لتأخر جبريل عليه السلام.

وهذه الحيرة تحولت إلى فعل حسي وهو ما عبرت عنه عائشة رضي الله عنها في قولها: "وكانت بيده عصا فطرحها من يده"، ولكن هذا الفعل المصور للقلق عند الشخصيات العادية، لم ينتج عنه القلق في تصرفات رسول الله ﷺ، لأنه يبلغ عن ربه، ولأنه يُوحَى إليه، ولأنه لا ينطق عن الهوى: وهذه هي آثار الرسالة، ودلائل النبوة، وعبَّر الرسول ﷺ عن اطمئنانه ورباطة جأشه؛ حيث قال في وثوق المؤمن واطمئنان النبوة: "وما يخلف الله وعده ولا رسله".

والمفاجأة التي تمثل ذروة الحدث هي: أنه وجد كلباً تحت السرير، فأمر به فأُخرج، ولم تقل الراوية: فأخرجه: ولكن بعد حوار مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حول ملابسات وجود ذلك الكلب الصغير، "أمر به فأخرج" ولم يحدد الذي أخرجه تنزيهاً للمسلم عن ملابسة ذلك الحيوان لأنه نجس، وطرد الكلب وإخراجه هو الحل أو لحظة التنوير في هذه القصة الحقيقية: حيث دخل جبريل عليه السلام، وهنا يحدث الحوار، وتبزغ الحقيقة الساطعة، وتؤسس القاعدة الإسلامية.

حين يفسر جبريل السبب في تأخره عن موعده، وهو وجود ذلك الكلب الذي لم يكن يعلم الرسول ﷺ بوجوده، ثم يقول جبريل عليه السلام في صيغة التوكيد المقولة التي جاءت في رواية ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث السابق: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة"، وهذه هي الثمرة الطيبة التي تقطفها من شجرة هذا الحديث المباركة، وهي: قاعدة شرعية ثابتة راسخة ترشد كل مسلم إلى المنهج الصحيح. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٨٦).

الحديث رقم (١٦٨٩)

١٦٨٩- وعن أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بن حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَليُّ بن أبي طالب ﷺ: ألاَ أبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أنْ لاَ تَدَعَ (صُورَةً) [1] إلاَّ طَمَسْتَهَا، وَلاَ قَبْراً مُشْرِفاً إلاَّ سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

طمستها: استأصلت أثرها[3].

مشرفاً: عالياً[4].

الشرح الأدبي

ما أجمل هذه الوصية المنبثقة من مشكاة النبوة، ومن تعاليم المصطفى ﷺ، وهي وصية يُوصي بها، عليٌّ بن أبي طالب ﷺ حيانَ بن حصين.

وعليٌّ ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ، وأبو الحسن والحسين، سبطي رسول الله ﷺ، ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي قيل على لسان علي ﷺ وهو مستوحًى من كلام رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ويبدأ الحديث بالاستفهام الذي يرغب في الاستماع، وهو مقرون بأداة الاستفتاح "ألا" وهي للتنبيه، والترغيب، والحث على الإصغاء، والاستجابة لما يُقال، وقوله: "أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ"، يحمل معنى الهداية والإرشاد، والتعبير بالبعث

---

(١) لفظ مسلم: (تمثالاً)، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٩٦٩/٩٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٨٧).

(٣) النهاية في (ط م س).

(٤) الوسيط في (ش ر ف).

أعم وأبلغ وأشمل، لأن البعث فيه التنبيه من الغفلة، وفيه دلالة الإرسال لمهمة جادة، وفيه "الإيقاظ" حيث تقول العرب، بعث فلاناً من منامه، أي: أهبه، وجعله يهب من رقدته، ومن معاني البعث: الجيش، والنشر، ففي قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه "أبعثك"، إفصاح عن الرغبة في الهداية، وثبات الرجل على ما يوصيه به، ووصية علي رضي الله عنه جاءت في جملتين موجزتين، وهما من تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم له، وصيغت الجملتان في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، وهذا الأسلوب يفيد الحصر، والاستقصاء، فلا يترك المسلم صورة إلا طمسها، ولا يترك قبراً مشرفاً إلا سواه بالأرض، وقوله: "مشرفاً": أي ظاهراً وعالياً يراه الناس، وهذا ما يقوم به كثير من الناس في البلدان الإسلامية، ويتنافسون في ذلك، ويتخذون من القبور بيوتاً.

ووصف القبر بأنه "مشرف" يتضمن دلالة حسية، ودلالة معنوية، فأما الحسية، فهي: العلو؛ لأن الشرف في اللغة هو العلو والمكان العالي، وأما الدلالة المعنوية فهي تتعلق بالنتائج المترتبة على هذا البناء العالي: حيث التفاخر بالقبور، والتنافس في تشييدها وطلائها؛ حتى تكون أحسن وأبهى من القبور المجاورة، وهذا ليس من سمات السلوك الإسلامي، وفي اللغة تتضمن كلمة الشرف هذه الدلالة، فالشرف: هو "المجد"، وهو التفاخر بالآباء الراحلين، أو الأحياء، وهو علو الحسب، وفي ظل هذه الدلالة ندرك سر العدول عن قوله: ولا قبراً عالياً، إلى التعبير الأدق والأبلغ والأشمل، وهو قوله: "ولا قبراً مشرفاً"، وكلمة "سويته"، مطابقة لمقتضى الحال، ومناسبة للمقام، لأنها تراعي أحوال المخاطبين: فالتسوية أخف وقعاً على النفس من قوله مثلاً: "هدمته"، لأن هدم القبور، غير تسويتها: فالمراد: ليس إزالة القبر، ولكن إزالة كل علو فيه، وعدم تجسيمه في أي بناءٍ يميزه. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- وجوب إتلاف الصور، وخاصة إذا كانت معظمة[1]، لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المبدع في شرح المقنع ١٨٤/٧، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٧، ونيل الأوطار ١٣٠/٤، والتصوير في الشريعة، الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، ص ١٠.

بطمسها، وإذا قام شخص بإتلافها فإنه لا يضمن[١].

٢- الأمر بتسوية القبور التي عليها بناء، والمراد بالتسوية تقريبها من الأرض، والمنع من علوها، علواً فاحشاً[٢].

وعلى ذلك فالسنة أن القبر لا يرفع عن الأرض كثيراً، وإنما يرفع نحو شبر فقط. أما رفع القبور عن القدر المأذون فيه فهو حرام[٣]، وتبلغ الحرمة مداها إذا بنيت عليها القباب، وأحيطت بأنواع الزينة والزخارف[٤]، وأضيئت بالمصابيح، كما هو مشاهد الآن في أضرحة الأولياء، والصالحين.

ولعل السبب في التحريم هو ما يترتب على هذه الأمور من إفساد العقيدة، وصرف الناس عن التوجه إلى الله تعالى وحده دون واسطة.

ولو كان هذا الأمر جائزاً لفعله المسلمون على قبر خير خلق الله ﷺ ولكنهم لم يفعلوا، بل جعلوا قبره مساوياً للأرض لم يرتفع عنها إلا قليلاً، وهو ما قدره الفقهاء بشبر.

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: (دخلت على عائشة، فقلت: يا أماه اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما - يعني أبابكر وعمر- فكشفت لي عن ثلاثة قبور، لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء)[٥].

---

(١) منار السبيل ٤٠٩/١.

(٢) منار السبيل ١٧١/١، وشرح فتح القدير ١٤١/٢، وشرح صحيح مسلم ٣٧/٧، والمحلى لابن حزم ٣٣/٥، ونيل الأوطار ١٣٠/٤-١٣١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٩/٤.

(٣) نيل الأوطار ١٣٠/٤.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٢٩/٤.

(٥) الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٤٢٣/١، دار المنار، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. والحديث أخرجه أبو داود ٣٢٢٠، والحاكم ٣٦٩/١ وصححه ووافقه الذهبي.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: السير على نهج النبي ﷺ في طمس كل صورة محرمة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تسوية القبور وبيان الحكمة من ذلك.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لله ورسوله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: السير على نهج النبي ﷺ في طمس كل صورة محرمة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج حيان بن حصين: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رَسُول اللَّهِ ﷺ: أن لا تدع صورة إلا طمستها"، ويكون ذلك: "بإخراج الصورة عن وضعها المحرم إلى وضع تخرج فيه عن الحرمة، ولا يلزم إتلافها بالكلية، بل يكفي حطها إن كانت منصوبة فإن كان لابد من بقائها في مكانها، فيكفي قطع الرأس عن البدن، أو خرق الصدر أو البطن، أو حك الوجه من الجدار، أو محوه أو طمسه بطلاء يذهب معالمه، أو يغسل الصورة إن كانت مما يمكن غسله. وإن كانت في ثوب معلق أو ستر منصوب، فيكفي أن ينسج عليها ما يغطي رأسها"[1]، قال ابن عابدين: "ولو أن قطع الرأس عن الجسد بخيط -مع بقاء الرأس على حاله-، فلا ينفي الكراهة، لأن من الطيور ما هو مطوق، فلا يتحقق القطع بذلك"[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تسوية القبور وبيان الحكمة من ذلك:

هذا ما ورد في الحديث من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج، "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟... ولا قبر مشرفاً إلا سويته"، وهذا ما أكده ثمامة بن شفى حيث قال: "كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم، برودس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها"[3].

قال القاضي عياض: "وقد جاء في ذكر الأمر بتسوية القبور آثار عن النبي ﷺ وأصحابه وعن العلماء، وجاء - أيضاً- أنها صفة قبره ﷺ وقبر أبي بكر

---

(١) الموسوعة الفقهية ١٢/١٢٥-١٢٦.

(٢) حاشية ابن عابدين ١/٤٣٦.

(٣) أخرجه مسلم ٩٦٨.

وعمر رضي الله عنهما، وجاء - أيضاً - أنها تسنم، وتسنيمها اختيار أكثر الفقهاء وجماعة أصحابنا وأبي حنيفة والشافعي، وحكى بعضهم فيه خلاف، وحمله بعضهم على الرفق، وجمعوا بين الأمرين بتسويتها وبين تسنيمها: أن تسويتها ألا يبني عليها بناء عالياً ولا تعظم، كما كانت قبور المشركين، وتكون لاطيةً بالأرض، ثم تسنم ليتميز أنه قبر.

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه هدمها وقال: ينبغي أن تسوى تسوية تسنيم"[1].

والتسنيم في اصطلاح الفقهاء: رفع القبر عن الأرض مقدار شبر أو أكثر قليلاً وفي النظم المستعذب: التسنيم أن يجعل أعلى القبر مرتفعاً ويجعل جانباه ممسوحين مسندين، وهو: أن يجعل منبسطاً متساوي الأجزاء، لا ارتفاع فيه ولا انخفاض كسطح البيت.

ولا خلاف بين الفقهاء في استحباب رفع التراب فوق القبر قدر شبر ولا بأس بزيادته عن ذلك قليلاً على ما عليه بعض فقهاء الحنفية ليعرف أنه قبر، فيتوقى ويترحم على صاحبه"[2].

وقال د. محمد رواس قلعه جي في قوله: "فإذا وضع الميت في قبره وأهيل عليه التراب فإنه يستحب أن يرتفع القبر عن الأرض قدر شبر، لكي يعرف فلا يوطأ، ويمكن أن يجعل مسطحاً أو مسنماً دون أن يبني عليه، والتسنيم أفضل"[3].

لقول سفيان التمار: "إنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنماً"[4].

وهذا إذا دفن المسلم في دار الإسلام، أما إن دفن المسلم في غير دار الإسلام، بأن دفن في بلد الكفار أو دار حرب، وتعذر نقله إلى دار الإسلام، فالأولى تسوية قبره بالأرض، وإخفاؤه أولى من إظهاره وتسنيمه خوفاً من أن ينبش فيمثل به، وفي ذلك

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣٨/٣.

(٢) الموسوعة الفقهية ٣٤٢/١١ ومصادرها.

(٣) لموسوعة الفقهية الميسرة ١٥٤١/٢.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب: ٩٦، فوق حديث رقم ١٣٩١.

صيانة له عنهم. وألحق به الأذرعي: الأمكنة التي يخاف نبشها لسرقة كفنه أو لعداوة ونحوهما"[١].

وفي بيان الحكمة من أمر النبي ﷺ بتسوية القبور على النحو المبين، قال ابن القيم: (ومن أعظم مكايده - أي ابليس- التي كاد بها أكثر الناس، وما نجا منها إلا من لم يرد الله فتنته: ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه، وأوليائه من الفتنة بالقبور، حتى آل الأمر فيها إلى أن عبد أربابها من دون الله، وعبدت قبورهم واتخذت أوثاناً، وبنيت عليها الهياكل، وصورت صور أربابها فيها، ثم جعلت تلك الصور أجساداً لها ظل، ثم جعلت أصناماً وعبدت مع الله تعالى، وكان أول هذا الداء العظيم في قوم نوح، كما أخبر سبحانه عنهم في كتابه، حيث يقول: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾)[٢]"[٣].

وقال أيضاً ابن القيم: "ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها، ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد؛ مضاهاة لبيوت الله، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر. وأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة ذلك ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب"، إلى أن قال: "فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من

---

(١) الموسوعة الفقهية، ٣٤٤/١١، ومصادرها.

(٢) سورة نوح، الآيات: ٢١-٢٤ .

(٣) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١٨٢/١-١٨٣.

النهى عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه؟. ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره"، ثم أخذ يذكر تلك المفاسد، إلى أن قال: "ومنها: أن الذي شرعه النبي ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكرة الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له وسؤال العافية له؛ فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت، ولم يكن إلا بحرمانه بركة ما شرعه الله تعالى من الدعاء له والترحم عليه والاستغفار له"[1].

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لله ورسوله:

هذا ما يستفاد من الحديث في قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[2]، قال القرطبي: "قال مجاهد والجمهور: المعنى: استجيبوا للطاعة، وما تضمنه القرآن من أوامر ونواه؛ ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمدية"[3]. وقال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[4]، قال السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي ١/١٩٥، ١٩٧، ١٩٨-١٩٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٨٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآيتان: ٣١-٣٢.

بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول، أى: الانقياد لما أمر به والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه والإنكفاف عنه، والنهى عنه"[١].

(والعباد مأمورون بالاستجابة لله تعالى الذي يدعوهم من خلال هذه الرسالات التي أكرم الحق تبارك وتعالى بها عباده، إذ أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه ليعبدوه ويوحدوه سبحانه وتعالى، فكل أمة لها رسول - تفضلاً من الله وكرماً - حتى لا يكون للعباد عذر، ومقابل هذا الفيض الكبير يطلب منهم سبحانه وتعالى -وهو الغني عن العالمين- "أن يقبلوا عليه ولا يشركوا به أحداً)[٢].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٢٨٠.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري، ٤٢٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: أسلوب الترهيب:

يعد الترهيب من أهم أساليب التربية، وقد رهبت أحاديث الباب من التصوير الذي فيه مضاهاة لخلق الله تعالى بالعذاب يوم القيامة وفي جهنم، وكذلك رهبت من اقتناء كلب في البيت أو تعليق صورة لأن ذلك يؤدي إلى عدم دخول الملائكة للبيت.

وللترهيب وعيد وتهديد بعقوبة، تترتب على اقتراف إثم أو اجتراح ذنب قد نهى الله عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية ليكونوا دائمًا على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[1]، فالترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما، من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعله قلقًا حذرًا، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف، إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال، متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نمو الحذر من جهة من الجهات تخبو جذوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وتكتسب خلق الزهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إغراءاتها آسرة، ومثيرة لرغباتها وأهوائها[2].

ومن الملاحظ أن طائفة من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة،

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣١.

(٢) أسس الحضارة الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ص٢٥٥.

ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر، لكنهم إذا مثلت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقظوا وحذروا واستقاموا[1].

والرسول ﷺ الذي لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين ووضعهم على جادة الصواب[2].

ثانيًا: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن المربي الناجح هو من يقوم بملاحظة ومتابعة سلوك وتصرفات من يقوم بتربيتهم أو المسؤولين منه حتى يدلهم على الصواب ويجنبهم ويبعدهم عن ارتكاب الأخطاء أو ما يخالف أحكام الدين ويظهر هذا جليًا في هذا الباب في فعل النبي ﷺ مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قدم عليها من سفر وقد سترت سهوة لها بقرام فيه تماثيل، فلما رآه ﷺ تلون وجهه وقال: «يَا عَائِشَةُ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ». قالَتْ : فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ».

كذلك من التربية بالملاحظة والمتابعة ذات الأهمية العظمى ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقدي والأخلاقي ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي.

ولاشك أن هذه التربية تُعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي لكل ذي حق حقه في الحياة. والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسئولياته، ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى، والذي تجعل منه مسلمًا حقيقيًا يكون الحجر الأساس لبناء القاعدة الإسلامية الصلبة التي بها يتحقق عز الإسلام، وبالاعتماد عليها تقوم الدولة الإسلامية قوية عتيدة، تضاهي الأمم بحضارتها ومكانتها وكيانها.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٢٥١.

والإسلام بمبادئه الشاملة، وأنظمته الخالدة حض الآباء والأمهات والمربين جميعًا إلى أن يهتموا بملازمة أولادهم ومراقبة أفلاذ أكبادهم... في كل ناحية من نواحي الحياة وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة[1].. ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2].

قال الضحاك ومقاتل: حق على المعلم أن يعلم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[4].

ومن الأحاديث قوله ﷺ: «والرَّجُلُ راعٍ في أهلهِ وَهوَ مَسؤولٌ عن رعيَّتهِ، وَالمرأَةُ راعيةٌ في بيتِ زَوجِها وَمَسؤولةٌ عن رَعيَّتِها، ....»[5].

فعلى المربي أن يلحظ الولد ويلاحقه، ويلزم أدبه ويراقب حركاته وسكناته. حتى إذا أهمل حقًا أرشده إليه، وإذا قصر في واجب حضّه عليه، وإذا رأى منكرًا نهاه عنه وإذا فعل معروفًا شكر له صنيعه.

ومن الأمور التي لا يختلف عليها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها. ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته.. فإن رأى خيرًا أكرمه وشجعه عليه، وإن رأى منه شرًا نهاه عنه وحذره منه، وبين له عواقبه الوخيمة، ونتائجه الخطيرة.. وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف، ويتوجه – ولا شك- نحو الزيغ والانحلال، فعندئذ يكون هلاكه المحقق، ودماره المحتوم!!.

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/١٦٧.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٨٩٣، ومسلم، ١٨٢٩.

ومعلمنا الأول، وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم كان يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه، وتفقده لهم، وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنيهم، والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم وتعليم الجهلة فيهم[1].

ثالثًا: من وسائل التربية: السماع:

إن الوسائل السمعية التي تعتمد على الاستماع أكثر من اعتمادها على الحواس الأخرى، تعتبر من وسائل التربية الإسلامية المفيدة وتظهر هذه الوسيلة في هذا الباب في قول ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار....»، وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صور صورة في الدنيا، كلف أن ينفخ فيها....إلخ».

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ».

وقول أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟...»، فالسماع وسيلة تربوية ينبغي توظيفها في تنمية الإيمان وطاعة الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[2].

ومن التقنيات التي تستخدم الوسائل السمعية ما يلي:

١ - الإذاعة المدرسية: حيث تقدم من خلالها التلاوة النموذجية، وبعض الأحاديث وسير السلف الصالح.

٢ - الإذاعة العامة (الراديو) وتقدم من خلالها التلاوة أيضًا والتفسير والأحاديث واستضافة العلماء والبرامج الدينية الأخرى... وعلى المعلم توجيه الطلبة لمتابعة هذه البرامج.

٣ - المسجل: حيث يستمع الطالب إلى التلاوة والأناشيد والأحاديث الدينية المساعدة على تحقيق الأهداف من خلاله.

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٢٩.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٦.

٤ - مختبر اللغة: ويتم فيه التدريب على أداء القرآن الكريم[١].

وقد تكون وسيلة السمع: سمعية بصرية، وهي التي تعتمد على حاستي السمع والبصر معًا في إكساب الخبرات والمهارات للتلاميذ وتزيد معارفهم وتنمي قيمهم واتجاهاتهم ومن تلك الوسائل:

١ - التلفاز (التلفزيون) الذي يقدم صورة متحركة مرئية ومسموعة فتثير الدافعية في الطفل أو التلميذ وتزيد فيه الرغبة والرهبة (في البرامج الإسلامية الموجهة).

٢ - الحاسوب بحيث أصبحت هناك أنواع مختلفة، منها ما يعتمد استخدامها على السمع والبصر معًا ويستفاد منها في تقديم أنواع برامج الشريعة وغيرها[٢].

وبما أن هذه الوسائل السمعية البصرية أصبحت بداخل كل بيت بما تحمله من حسن وقبيح، وهادف وهادم للأخلاق، وخاصة الناشئة، تبرز أهمية دور المربين، وخاصة الوالدين في التوجيه والتصحيح والمتابعة والمراقبة للأولاد في استخدام هذه الوسائل، حتى لا تكون سببًا في انحرافهم، وضياع قيمهم وأخلاقهم بل ينبغي توظيفها فيما يفيد في تنمية المعلومات والإفادة من الثقافات، والتدرب على أحدث التكنولوجيات بما يتماشى مع القيم والأخلاق الإسلامية.

رابعًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ، أو مشهد في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

والحياة الدنيا حافلة بالأحداث والسلوكيات، والأعمال التي يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، ومن واجب المربي، أن يُحسن كيفية استثمار الفرصة والحدث، لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[٣]. وقد

---

(١) انظر: طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى على جواد الشمري، ص١٣١ ومراجعه.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٢، ١٣٣، ومراجعه.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٣٨٤.

كانت الأحداث في حياة الجماعة وسائل التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثرًا فيها ففي كل حدث درس، وفي كل درس عبرة لا تنسى[1].

حتى كادت لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من هذه التوجيهات السديدة والنصائح الرائعة، أو العتاب الحاني، الذي يتبع حدثًا معينًا أو اجتهادًا خاطئًا، أو تصورًا مخالفًا لمقتضيات الشرع وأساسات الدين.

وكذلك كان الرسول ﷺ يستثمر الحدث الطارئ، أو الفرصة المناسبة، أو المشهد، لتوجيه أصحابه وحثهم على التأمل والتدبر، والعظة والعبرة. لما يشاهدون أو يسمعون، ولا يدعه يمر دون تصويب رأي معين أو تعديل سلوك خاطئ والأمثلة في هذا الباب واضحة في موضعين:

الأول: حدث ومشهد رآه ﷺ عندما قدم من سفر على عائشة رضي الله عنها فوجدها تستر سهوة لها بقرام فيه تماثيل، فلم يترك ﷺ هذا المشهد دون تصحيح، بل صحح سلوك أم المؤمنين عائشة، بما يتفق مع أحكام الدين، فتلون وجهه ﷺ مما يدل على إنكاره وكراهيته لهذا الأمر، وقال: «يَا عَائِشَةُ! أَشَدُّ النَّاسِ عَذابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ». قالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ.

الثاني: المشهد والحدث الثاني هو عندما واعد جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ أن يأتيه في ساعة، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، فعلم ﷺ أن هناك أمرًا منعه من المجيء لأنه كما قال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله» وكان المانع من مجيئه جروًا وجده ﷺ تحت سريره، فأمر به فأخرج فجاءه جبريل عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: «وعدتني، فجلست لك ولم تأتني، فقال منعني الكلب الذي كان في بيتك، إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة».

فما أكثر الأحداث والمشاهد في الحياة بل إن الحياة كلها أحداث ومشاهد والمربي الناجح يعمل على توظيف المشاهد والأحداث في تصحيح سلوكيات من يقوم بتربيتهم وحسن توجيههم.

❁ ❁ ❁

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٥١/٢.

٣٠٦- باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

الحديث رقم (١٦٩٠)

١٦٩٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنِ اقْتَنَى كَلْباً إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أوْ مَاشِيَةٍ، (فَإنَّهُ)[1] يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ)). متفق عليه[2].

وفي رواية[3]: (قِيرَاطٌ).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الماشية: هي: الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يستعمل في الغنم[4].

قيراطان: القيراط هنا مقدار معلوم عند الله تعالى، والمراد نقص جزء من أجر عمله[5].

الشرح الأدبي

إن التشريع الإسلامي يحرص على أن يظل المسلم نظيف البدن وطاهر الثوب والمكان، ولذلك يتوعد رسول الله ﷺ هؤلاء الذين يقتنون الكلاب للزينة لأو للمتاجرة فيها، أو للتسلية بأن الحق - سبحانه وتعالى- سينقص من أجرهم في حياتهم كل يوم قيراطين، والحديث يتسم بالدقة الأسلوبية، وليس فيه نزعة تصويرية

---

(١) (فإنه) لا توجد عندهما في هذه الرواية، والمثبت لفظ المنذري في ترغيبه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨١)، ومسلم (١٥٧٤/٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤٠).

(٣) برقم (١٥٧٤/٥٣).

(٤) الوسيط في (م ش ي).

(٥) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠.

كالتشبيه أو الاستعارة أو غير ذلك، وإنما صاغه رسول الله ﷺ في جملة واحدة شرطية، وهذه الصياغة تتوافق مع ما يرسيه الحديث من قاعدة شرعية، وهي تحريم اقتناء الكلاب إلا لحاجة ضرورية، وهي: الصيد أو حراسة الماشية أو الدور والمنشآت، ومن يخالف ذلك فعقوبته أن ينقص الله تعالى من أجره كل يوم قيراطين، "فالجزاء من جنس العمل" وصيغة الشرط تتضمن الإقناع، وتتضمن كذلك مساحة للاختيار.. وتفصيل ما فيه من الأجر والثواب، وكذلك تتضمن الدعوة إلى الإقلاع عن هذا العمل حتى لا ينقص الأجر الذي ينتظره.

والاستثناء الذي تضمنته الجملة الشرطية، ووقع في دائرتها: يرشد إلى أن الحكم ليس عاماً، حيث تطرأ حالات ومواقف فيها يباح للمسلم اتخاذ الكلب للصيد أو للحراسة.

وتأكيد جواب الشرط بـ"إن" المؤكدة، والتصريح بنقص الأجر كل يوم يُوحي بأن الأمر جد وواقع حقيقة، وليس من باب الترهيب فقط، وقوله: "ينقص من أجره كل يوم قيراطان"، كناية عن أن الإثم الحاصل باقتنائه الكلب يوازي قيراطين، فينقص من أجر عمله الصالح قدر ما يترتب عليه من الإثم: كل يوم. والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذان الحديثان على الأحكام الفقهية الآتية:

١- إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكذا الزرع، وغير ذلك من الأمور التي قد يؤدي استعمال الكلاب فيها إلى جلب نفع، أو دفع ضرر[١].

وإنما يباح اتخاذ هذه الكلاب ما لم يحصل الاتفاق على قتله، كالكلب العقور[٢]، والأسود البهيم[٣]، وإلا لم يبح.

---

(١) شرح فتح القدير ١١٨/٧، ١١٩، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ١٨٨/٦، وحاشية ابن عابدين ٢٢٧/٥، والتمهيد لابن عبدالبر ٢١٧/١٤-٢١٨، والفواكه الدواني ٩٤/٢، والمهذب للشيرازي ٢٦١/١، والمجموع للنووي ٢١٩/٩، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٠/٢، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤، وكشاف القناع ١٥٤/٣.

(٢) فتح الباري ٧/٥، وكشاف القناع ١٥٣/٣.

(٣) كشاف القناع ١٥٣/٣.

٢- عدم جواز اتخاذ الكلاب لغير ما ذكر[١]، لأنه في هذه الحالة يكون مقتنياً ما لا منفعة فيه، واقتناء ما لا منفعة فيه يعد سفهاً فلا يجوز[٢].

٣- يجوز تربية الجرو[٣] الصغير لأجل المنفعة التي يؤول أمره إليها إذا كبر من صيد أو حراسة ماشية، أو حرث، لأنه قصد به ما يباح[٤]، فيكون قصده قائماً مقام وجود المنفعة به، قياساً على جواز بيع ما لا ينتفع به في الحال لكونه ينتفع به في المآل[٥].

وإن كان هناك وجه عند الشافعية[٦]، والحنابلة[٧] يرى عدم جواز تربية الجرو الصغير. والراجح: الرأي الأول لقوة دليله.

٤- أما عن سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب، فقد حكى النووي الخلاف فيه فقال: (اختلف العلماء في سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب، فقيل: لامتناع الملائكة من دخول بيته بسببه، وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترويع الكلب لهم، وقصده إياهم وقيل: إن ذلك عقوبة له لاتخاذه ما نهى عن اتخاذه، وعصيانه في ذلك، وقيل: لما يبتلى به من ولوغه في غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء والتراب. والله أعلم)[٨].

المضامين الدعوية[٩]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اقتناء الكلب لغير حاجة.

ثانياً: من مهام المدعو: بيان الحكمة في الترهيب ونقصان الأجر من اقتناء الكلب لغير حاجة.

---

(١) شرح فتح القدير ١١٨/٧، والتمهيد ٢١٧/١٤، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤، والمجموع ٢١٩/٩، وكشاف القناع ١٥٤/٣.

(٢) المهذب ٢٦١/١، ٢١٩/٩.

(٣) كشاف القناع ١٥٤/٣، والمغني ١٧٣/٤، والمهذب ٢٦١/١، والمجموع ٢١٩/٩.

(٤) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٥) فتح الباري ٧/٥.

(٦) المهذب ٢٦١/١، والمجموع ٢١٩/٩.

(٧) الكافي في فقه الإمام أحمد ١٠/٢، والمغني لابن قدامة ١٧٣/٤.

(٨) شرح صحيح مسلم ٢٧٣/٥.

(٩) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩١).

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اقتناء الكلب لغير حاجة:

هذا ما أشار إليه في قوله ﷺ "من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان، وأيضاً في قوله ﷺ: "فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية".

قال ابن حجر: "يقال اقتنى الشيء إذا اتخذه للادخار"[1]، وقال النووي في قوله ﷺ: "نقص من عمله" فمعناه: "من أجر عمله. وأما القيراط هنا فهو مقدار معلوم عند الله تعالى والمراد: نقص جزء من أجر عمله، وأما اختلاف الرواية في قيراط وقيراطين فقيل: يحتمل أنه في نوعين من الكلاب أحدهما أشد أذى من الآخر، ولمعنى فيهما أو يكون ذلك مختلفاً باختلاف المواضع، فيكون القيراطان في المدينة خاصة لزيادة فضلهما والقيراط في غيرها أو القيراطان في المدائن ونحوها من القرى والقيراط في البوادي، أو يكون ذلك في زمنين، فذكر القيراط أولاً ثم زاد التغليظ فذكر القيراطين"[2].

قال ابن حجر: "يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط مما كان يعمله من الخير لو لم يتخذ الكلب ..."، والمراد بالنقص أن الإثم الحاصل باتخاذه يوازي قدر قيراط أو قيراطين من أجر فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الإثم باتخاذه وهو قيراط أو قيراطان ...، وقال ابن التين المراد أنه لو لم يتخذه لكان عمله كاملاً، فإذا اقتناه نقص من ذلك العمل، ولا يجوز أن ينقص من عمل مضى، وإنما أراد أنه ليس عمله في الكمال عمل من لم يتخذه أ.هـ، وما ادعاه من عدم الجواز منازع فيه، فقد حكى الروياني في "البحر" اختلافاً في الأجر هل ينقص من العمل الماضي أو المستقبل، وفي محل نقصان القيراطين فقيل من عمل النهار قيراط ومن عمل

---

(١) فتح الباري ٩/٥٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠

الليل آخر وقيل من الفرض قيراط ومن النفل آخر"[١]، وفي ذلك بيان على الترهيب من اقتناء الكلب لغير الأغراض المشروعة من صيد أو ماشية أو زرع.

ثانياً- من مهام المدعو: بيان الحكمة في الترهيب ونقصان الأجر من اقتناء الكلب لغير حاجة:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي ذلك قال النووي: "واختلف العلماء في سبب نقصان الأجر باقتناء الكلب فقيل: لامتناع الملائكة من دخول بيته بسببه، وقيل: لما يلحق المارين من الأذى من ترويع الكلب لهم وصده إياهم، وقيل إن ذلك عقوبة له لاتخاذه ما نهى عن اتخاذه وعصيانه في ذلك، وقيل لما يبتلى به من ولوغه في غفلة صاحبه ولا يغسله بالماء والتراب"[٢].

فعلى الداعية أن يبين الحكمة ويظهرها لما في ذلك من حمل المدعوين على سرعة الامتثال لأمر الله ورسوله في عدم اقتناء الكلب لغير حاجة.

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في ترهيبه ﷺ: بنقص الأجر عند اقتناء الكلب لغير حاجة، "والترهيب من الأساليب الدعوية الهامة في إخافة المدعو وحمله على اجتناب ما رهب منه"[٣]. "ومما لاشك فيه أن النفس البشرية قد جبلت على كره الشر والرغبة في البعد عنه فكان الترهيب هو الأداة الهامة في حملها على الامتثال للأوامر والبعد عن النواهي)"[٤].

"وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه في حقه جل ثناؤه. قال تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٥]. وقوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ﴾[٦]. وقوله تعالى:

---

(١) فتح الباري ٥/٩-١٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٠٠٠.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، حمدان الهجاري، ٤٤٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٤٠.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٧٥.

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[1]"[2].

"والترهيب من أبرز أساليب المنهج العاطفي: فهو يغوص في النفس الإنسانية، ويخاطب فيها العاطفة والوجدان، ويهيج فيها عنصر الخوف، ومتى وجد الخوف في القلوب والنفوس قطع فيها دابر الشهوات واللذات"[3]، "حتى تصير المعاصي والآثام المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة"[4].

"فالحاجة إلى الترهيب ضرورة لازمة للدعاة والمحتسبين عند الآخذ بأيدي الناس إلى الخير وإنقاذهم من التعرض للمعاصي المؤدية لسخط الله تعالى، مع مراعاة أن الترهيب عملية تضعف وتشتد حسب ضعف السبب وقوته، وإنها مراتب تبدأ بالقول لمن سمع وعقل وتدبر، وتنتهي بالعقوبة لمن عاند وجحد واستكبر"[5].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٤٤.

(٢) الترهيب في الدعوة، د.رقية نياز، ٧٠.

(٣) المرجع السابق ٧٣.

(٤) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦/٤.

(٥) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ٧٠.

الحديث رقم (١٦٩١)

١٦٩١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ امْسَكَ كَلْباً، فَإِنَّهُ ينْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطٌ، إلاَّ كَلْبَ حَرْثٍ أوْ مَاشِيَةٍ)). متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((مَنْ اقْتَنَى كَلْباً لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلاَ مَاشِيَةٍ وَلاَ أرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

الحرث: الزرع[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق في نصه مع الحديث السابق: مع التقديم والتأخير في بعض الألفاظ، وتغيير بعض الكلمات، وقد جاء في قالب الجملة الشرطية، مثل: الحديث السابق، ولكن فعل الشرط هنا "أمسك كلباً"، وفي الحديث السابق: "اقتنى كلباً"، ودلالة الفعلين واحدة، فقوله: "أمسك كلباً": أي على وجه القنية، كما قال العلماء.

وفي هذا الحديث: جاء جواب الشرط تالياً لجملة: فعل الشرط، وهو قوله: "فإنه ينقص من عمله...الخ"، وهو هنا مؤكد بـ"إن" إيحاء بوجوب الامتناع عن اقتناء الكلاب إلا لضرورة.

والنص هنا يحدد بأنه ينقص من عمله كل يوم قيراط، وفي الحديث السابق: قيراطان، وفي رواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه: يقول النص: ينقص من أجره قيراطان

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٢)، ومسلم واللفظ له (١٥٧٥/٥٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤١).

(٢) برقم (١٥٧٥/٥٧). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٤١).

(٣) الوسيط في (ح ر ث).

كل يوم، وقد تأول بعض العلماء ذلك فقالوا: نقص القيراطين باعتبار كثرة الأقذار باتخاذ الكلب، ونقص القيراط باعتبار قلتها.

وجملة الاستثناء في هذا الحديث وردت في ختام الحديث للاحتراز من شبهة التعميم في كل الحالات والظروف.

وفي الحديث السابق ورد الاستثناء في قلب الحديث: بين الشرط والجواب حتى لا يتسرب أي ظن لدى السامع، بأنه لا يباح اقتناء الكلاب أبداً، مهما كانت الأسباب، فأتى بهذا الاستثناء منعاً لهذا الظن حتى تستريح نفس المسلم الذي يتخذ الكلاب للحراسة أو للصيد: أي لمهمة نافعة، وليس للزينة أو التسلية أو المهارشة أو المتاجرة أو المقامرة والمسابقات المخادعة اللاهية العابثة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية الوقائية:

استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تخص الفرد المسلم والمجتمع المسلم[1].

من هذه التوجيهات والتحذيرات تحريم اقتناء الكلاب إلا لصيد أو ماشية أو زرع، كما دلت أحاديث الباب، وقد ثبت طبيًا أن عدم اقتناء الكلاب فيه وقاية من كثير من الأمراض.

قال د. أحمد مصطفى متولي: (قال البروفيسور نلسون: عجبت لتعاليم الرسول ﷺ التي تنهى عن مخالطة الكلاب فلعابها يجب أن يبعد، والآنية التي تلعق يجب أن تغسل عدة مرات، والكلب لا يصح أن يدخل البيت ((لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ))[2] فتعاليم الرسول ﷺ تقف وحدها من بين تعاليم الناس كلهم إلى يومنا هذا متميزة واضحة بأن هذا الكلب يجب أن يعامل هذه المعاملة، وقال لما اكتشف المجهر، وأخذنا ندرس الجراثيم والطفيليات جئنا نبحث عن الكلب فوجدنا الكلب يحمل أكثر من خمسين مرضًا طفيليًا، والقط لا يحمل بنفسه مرضًا واحدًا، ولكنه يتسبب في مرض طفيلي.

وقال د. جون هانفر: الكلب يحمل الكثير من الأمراض المعدية فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضًا طفيليًا، وكثير منها يوجد في لعابه، بينما يعد القط من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية، إذ هو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضًا واحدًا فقط)[3].

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٥٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.

(٣) الموسوعة الأم في تربية الأولاد ٥٤٦/٢.

ومن حكم الإسلام لوقاية الأبدان تقريره نجاسة الكلب، فقد قال النبي ﷺ: ((إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ، ثُمَّ لْيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ))[1].

ومعنى ذلك ألا يأكل الإنسان من وعاء ولغ فيه الكلب ولوثه بفمه وأنفه ووضع فيه مختلف الجراثيم والأمراض.

وهذه معجزة علمية للإسلام سبق بها الطب الحديث الذي أثبت: أن الكلاب تنقل كثيرًا من الأمراض إلى الإنسان. جاء في مجلة "كوسموس" الألمانية تحت عنوان: "الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب أو الاقتراب منها" للدكتور جرادفنتسر، قوله: إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في هذا العهد الأخير يضطرنا إلى لفت الأنظار للأخطار التي تنجم عن ذلك، وخاصة إذا دفع اقتناؤها إلى مداعبتها وتقبيلها والسماح لها بلحس أيدي أصحابها وتركها تلعق فضلات الطعام من أوانيها "فكل ما ذكر مع نُبوّه عن الذوق السليم، ومنافاته للآداب لا يتفق وقوانين الصحة، فإن الأخطار التي تهدد صحة الإنسان وحياته بسبب هذا التسامح مما لا يستهان بها. فإن الكلاب تصاب بدودة شريطية تتعداها إلى الإنسان، وتصيبه بمرض عضال قد تصل إلى حد العدوان على حياته".

وقد ثبت أن جميع أجناس الكلاب حتى أصغرها حجمًا لا تسلم من الإصابة بهذه الديدان الشريطية.

وقد رؤي في إقليم فريزلند بهولنده حيث تستخدم الكلاب في الجر: أن في كل مائة منها ١٢ إصابة. ووجد في اسلانده شخص مصاب بهذه الآفة في كل ٤٣ شخصًا من أهاليها، وشوهد أن هذه النسبة تزيد في أستراليا إذ ثبت وجود شخص في كل ٣٩ شخصًا من سكانها، وثبت كذلك أنها كانت سببًا مباشرًا للكثير من الأمراض في الأقطار الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري ١٧٢، ومسلم ٢٧٩ واللفظ له.

ثم يقول: ومما تجب على الناس مراعاته: عدم مداعبة الكلاب وتعويد الأطفال التوقي منها، فلا تترك تلعق أيديهم، ولا يجوز إبقاء الكلاب بمحالّ نزهة الأطفال وميادين رياضتهم، ويجب أن لا تطعم الكلاب في الأواني المعدة لأكل الناس، وأن لا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات والأسواق العامة أو المطاعم، وعلى وجه عام: يجب إبعادها عن كل ما له صلة بمأكل الإنسان ومشربه)[1].

ثالثًا - التربية بالترهيب:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب التربية بالترهيب حيث رهب رسول الله ﷺ من اقتناء كلب إلا كلب صيد أو ماشية، وبين أن من يفعل ذلك ينقص من أجره كل يوم قيراطان وفي رواية قيراط.

وهذا ترهيب عظيم من اقتناء الكلاب في غير ما استثنى لأن الذي يفعل ذلك يكون قد ارتكب إثمًا كبيرًا ولحقه عقاب شديد. فقد بين رسول الله ﷺ مقدار القيراطين في حديث آخر رواه البخاري حيث قال: ((من شهِدَ الجنازةَ حتَّى يُصلِّيَ فله قيراطٌ، ومن شَهدَ حتَّى تُدفَنَ كان له قيراطانِ. قيل: وما القيراطان؟ قال: مثلُ الجبَلينِ العظيمينِ))[2].

فإذا اقتنى المسلم الكلب دون ما أبيح فكل يوم ينقص أجره مثل الجبلين العظيمين وهذا ترهيب عظيم يجعل المربي ينبه إلى خطورة هذا الفعل وتنافيه مع أحكام الدين.

ويستخدم المربي الترهيب كأسلوب تربوي مفيد في إصلاح سلوك من يقوم بتربيتهم (وأسلوب الترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله.

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة)[3].

---

(١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٢٥.

(٣) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ط١، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٣٦.

٣٠٧- باب كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب

وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

الحديث رقم (١٦٩٢)

١٦٩٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: ((لاَ تَصْحَبُ المَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أوْ جَرَسٌ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

رفقة: أي صحبة[2].

الشرح الأدبي

إن المسلم تصحبه الملائكة في حلّه وترحاله، تحفظه من الشرور، وتحيطه بهالات من الهدى والنور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3].

والمسلم في سفره عليه أن يتسلح بالإيمان، وأن يتزود بزاد التقوى، فهو يبدأ سفره بدعائه لربه: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى"، وفي ظل العمل الصالح، والبر والتقوى تصحبه الملائكة هو ومَنْ معه، ولكن كما قال رسول الله ﷺ في هذا الحديث: "لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس"، ومفتاح النص الذي أشار إلى السفر يتجلى في كلمتين، في الفعل المنفي "لا تصحب"

---

(١) برقم (٢١١٣/١٠٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٥٩).

(٢) الوسيط في (ر ف ق).

(٣) سورة الانفطار، الآية: ١٠-١٢ .

وكلمة رفقة، فالفعل "لا تصحب" ينفي صحبة الملائكة للمسافرين: وهم رفقة أي جماعة مترافقة في السفر ومتحابة، وقيل: اختر الرفيق قبل الطريق.

والحديث جاء مجرداً من التأكيد، وبعض الظواهر الأسلوبية التي تثبت المعنى في الذهن مثل القسم والتكرار؛ لأن المعنى واضح، والمسلم يتلقى هذا التوجيه بالقبول، ولا ينكره، ولا يشك فيه، ولذلك جاء الحديث في جملة واحدة مبدوءة بـ"لا" النافية، وكلمة "رفقة" نكرة لإفادة العموم، فأي رفقة من رجال أو نساء، ومن أي جنس، وفي أي زمان أو أي مكان، هذه الرفقة التي تقتني كلباً أو تتخذ جرساً للتنبيه أو للإعلان عن دخول الأوقات: لاحظ لهم ولا نصيب من صحبة الملائكة: وهي ملائكة الرحمة، وقيل: ينبغي لمن رأى ذلك وعجز عن إزالته وعن تغييره وهو في صحبة من يقتني الكلب، ويستخدم الجرس: أن يقول: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعله هؤلاء، فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة استصحاب الكلب، والجرس في الأسفار وهي كراهة تنزيهية[1].

والجمهور[2] على كراهة الأجراس على الإطلاق.

وذهب بعض الشافعية[3] إلى التفرقة بين الجرس الكبير، والجرس الصغير، فقالوا بكراهة الأول دون الثاني.

ويناقش هذا: بأن لفظ الحديث مطلق، فيدخل فيه كل جرس، كبيراً كان أو صغيراً فالتقييد بالجرس الكبير يحتاج إلى دليل[4].

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣٩٨/٦، وحاشية الدسوقي ٣٣٩/٢، وإغاثة الطالبين ٨٣/٢، وشرح صحيح مسلم ٩٥/١٤، وكشاف القناع ١٧١/٥، والمغني لابن قدامة ٢١٧/٧، والفروع ٤٦٢/٥.

(٢) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

(٣) شرح صحيح مسلم، الموضع نفسه.

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٢/٥.

ولعل السبب في كراهة استصحاب الكلب، والجرس في الأسفار: أن الملائكة لا تصحب من كان معه ما ذكر[١]، أما الكلب فلقبح رائحته، والملائكة تكره الروائح الكريهة، أو لأن بعضها يسمى شيطاناً، كما جاء به الحديث[٢] والملائكة ضد الشياطين[٣].

وأما الجرس، فلأنه شبيه بالنواقيس، وقيل: سبب كراهية الأجراس، هو كراهية صوتها، ويؤيده الحديث الثاني رقم (١٦٩٣) والذي فيه أن "الجرس مزامير الشيطان"[٤].

وقيل: إن سبب كراهة استصحاب الجرس في الأسفار أنه يدل على صاحبه بصوته، وكان رسول الله ﷺ يحب ألا يعلم العدو حتى يأتيهم بغتة[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم اصطحاب كلب أو جرس في السفر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على عدم اصطحاب كلب أو جرس في السفر:

هذا ما أكد عليه في قوله ﷺ: "لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس"، وقوله ﷺ: "الجرس مزامير الشيطان"، وقد نهى عن اقتناء الكلب لغير حاجة في صيد أو ماشية أو زرع.

وفي بيان الحكمة من ذلك قال القرطبي: "فذهبت طائفة: إلى أنه النجاسة وهو من حجج من قال بنجاسة الكلب. وتأيَّد في ذلك بنضحه ﷺ موضع الكلب، فعن ميمونة رضي الله عنها: ((أن رسول الله ﷺ أَصْبَحَ يَوْماً وَاجِماً. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ لَقَد

---

(١) إغاثة الطالبين ٨٣/٢.

(٢) أخرجه مسلم ٥١٠، وفيه "الكلب الأسود شيطان".

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٢/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٩٥/١٤، وفتح الباري ١٤٢/٦.

(٥) حاشية ابن عابدين ٣٩٨/٦، وعون المعبود ١٦٢/٧.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٣).

اسْتَنْكَرْتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ. فَلَمْ يَلْقَنِي. أَمَ وَاللَّهِ مَا أَخْلَفَنِي قَالَ فَظَلَّ رَسُولُ اللَّهِ يَوْمَهُ ذٰلِكَ عَلَىٰ ذٰلِكَ. ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ فُسْطَاطٍ لَنَا. فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ مَاءً فَنَضَحَ مَكَانَهُ ... إلخ))[1].

قلت: وهذا ليس بواضح، وإنما هو تقدير احتمال يعارضه احتمالات أُخر:

أحدها: أنها من الشياطين، "كما جاء في بعض الحديث"[2].

وثانيها: استخباث روائحها، واستقذارها.

وثالثها: النجاسة التي تتعلق بها؛ فإنها تأكلها وتتلطخ بها، فتكون نجسة بما يتعلق بها، لا لأعيانها. والمخالف يقول: هي نجسة الأعيان. وعلى ماقلناه: يصح أن يقال: إنه ﷺ شك في طهارة موضعه، لإمكان أن يكون أصابه من النجاسة اللازمة لها غالباً شيء، فنضحه، لأنَّ النضح طهارة للمشكوك فيه، فلو تحقق إصابة النجاسة الموضع لغسله، كما فعل ببول الأعرابي، ولو كان الكلب نجساً لعينه، لا لما يتعلق به: لما احتاج إلى غسله، كما لا يحتاج إلى غسل الموضع أو الثوب الذي يكون عليه عظم ميتة، أو نجاسة لا رطوبة فيها. وعلى هذا: فهذا الاحتمال أولى أن يعتبر، فإن لم يكن أولى فالاحتمالات متعارضة، والدَّسْتُ قائم، ولا نص حاكم"[3].

أما الجرس فقال فيه القرطبي: "ما يُعلَّق في أعناق الإبل مما له صلصلة، والذي يضرب به وهو بفتح الراء، وجمعه أجراس. فأما الجرس. فهو: الصوت الخفي. يقال: بفتح الجيم وكسرها.

وفيه ما يدل على كراهة اتخاذ الأجراس في الأسفار، وهو قول مالك وغيره. قلت: وينبغي ألا تقصر الكراهة على الأسفار، بل هي مكروهة في الحضر أيضاً، بدليل قوله ﷺ: الجرس مزامير الشيطان". ومزامير الشيطان مكروهة سفراً وحضراً، ثم: هذا يعم الكبير، والصغير منها. وقد فرق بعض الشامين؛ فأجازوا الصغير، ومنعوا الكبير.

---

(١) أخرجه مسلم ٢١٠٥.

(٢) أخرجه مسلم ٥١٠.

(٣) المفهم ٤٢٢/٥.

ووجه الفرق: أن الكبير به يقع التشويش على الناس، وبه تحصل المشابهة بالنصارى؛ فإنهم يستعملون النواقيس في سفرهم، وحضرهم"[١]. وهذا ما أيده النووي في قوله:

وأما الجرس هو: "اسم للصوت، فأصل الجرس بالإسكان الصوت الخفي، وأن الملائكة لا تصحب رفقه فيها أحدهما، والمراد بالملائكة ملائكة الرحمة والاستغفار لا الحفظة"، وقيل: سبب منافرة الملائكة للجرس أنه شبيه بالنواقيس أو لأنه من المعاليق المنهي عنها، وقيل سبب كراهة صوتها، وتؤيده رواية "مزامير الشيطان"[٢]،[٣].

قال ابن عثيمين: "والجرس معلوم وهو هذا الذي يُعلق على الدواب"[٤].

وقد أفرد البخاري لذلك باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل وأورد في ذلك قوله ﷺ: ((لا تَبقينَّ في رَقبةِ بعيرٍ قلادة من وَتَرٍ أو قِلادةً إلاّ قُطِعَتْ))[٥].

قال ابن حجر: "في قوله: "وتر" نقلاً عن الداودي: هو ما ينتزع عن الجمال يشبه الصوف ...، قال ابن الجوزي: وفي المراد بالأوتار ثلاثة أقوال: أحدها أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القسى لئلا تصيبها العين بزعمهم، فأمروا بقطعها إعلاماً بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً ...، ثانياً: النهي عن ذلك لئلا تختنق الدابة بها عند شدة الركض ...، ولأن الدواب تتأذى بذلك ويضيق عليها نفسها ورعيها، وربما تعلقت بشجرة فاختنقت أو تعوقت عن السير. ثالثاً: أنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس حكاه الخطابي وعليه يدل تبويب البخاري ...، والجرس بفتح الجيم والراء ثم مهملة معروف، وحكى عياض إسكان الراء، والتحقيق أن الذي بالفتح اسم الآلة وبالإسكان اسم الصوت. وروى مسلم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه "الجرس مزمار الشيطان" وهو دال على أن الكراهية فيه لصوته لأن فيها شبهاً بصوت

---

(١) المرجع السابق ٤٣٤/٥، ٤٣٥.

(٢) أخرجه مسلم، ٢١١٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، ١٣٣٤

(٤) شرح رياض الصالحين، ١٧٦١/٢.

(٥) أخرجه البخاري، ٣٠٠٥، ومسلم، ٢١١٥.

الناقوس وشكله"[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في ترهيبه ﷺ من اصطحاب كلب في السفر لغير حاجة وضرورة، وكذلك ترهيبه ﷺ من تعليق الجرس في البعير أو اصطحاب ذلك في السفر، وقد علل النبي ﷺ ترهيبه في ذلك بعدم اصطحاب الملائكة لمن كان ذلك فعله، والترهيب (من الأساليب الدعوية الهامة التي يحسن بالداعية استخدامها في إخافة المدعو وتحذيره من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه)[٢].

ومما لا شك فيه (أن الترهيب أسلوب ناجع للنفس الإنسانية التي يتنازعها الخير والشر، والتي جبلت على حب السعادة، والنفور من الضيق والعذاب)[٣]. فعلى الداعية أن يفيد من هذا الأسلوب حسب الحاجة إليه.

---

(١) فتح الباري ٦/١٦٤، ١٦٥.

(٢) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي، ١٩٩.

(٣) الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ٩٧.

الحديث رقم (١٦٩٣)

١٦٩٣- وعنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قال: ((الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

مزامير الشيطان: المزمار: الآلة التي يُزمَّر بها[٢].

الشرح الأدبي

إن الإيجاز من سمات البيان النبوي فهو: الكلام الذي قل لفظه وكثر معناه، وهذا الحديث تبيان لهذه الخاصية، فهو جملة واحدة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، و"أل" في الجرس للجنس، أي: أي نوع من الأجراس بأية هيئة، وعلى أية صورة أو شكل.

وكلمات الحديث: "الجرس - مزامير - الشيطان" تموج بدلالات كثيرة، وتشع بمعان عدة، وقد استقرت في الأذهان مرتبطة ببعض المعاني والعادات والأعراف والتقاليد، ولكن حينما نتأمل الدلالات اللغوية لهذه الكلمات، ونتأمل موحياتها ندرك قيمة البيان النبوي، وندرك سر ربطه ﷺ بين الجرس، والمزامير، والشيطان.

فالجرس في اللغة: الصوت أو خَفيُّه، وقد تسكن الراء: فيقال ما سمعت له جرْساً، أو ما سمعت له حسا ولا جرسا، وقيل: "جَرَس" اسم كلب، والذي يُعلَّق في عنق البعير، وهو: ما يتخذه النصارى للإعلام عن عبادتهم وشعائرهم في كنائسهم، والجريسة: ما يُسرَق من الغنم بالليل.

والمزامير آلات تستعمل في الغناء، وقيل: زمَّر تزميرا: غنَّى في القصب، وقيل: الزمارة، ما يزمر به: كالمزمار.

---

(١) برقم (٢١١٤/١٠٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٥٦٠).

(٢) النهاية في (ز م ر).

ومن معاني الزمارة: الزانية، وهو معنى شديد القبح، بغيض الدلالة، والمستزمر في اللغة هو: المنقبض المتصاغر، وهذه الدلالات التي تظل محصورة في دائرة الرفض ترتبط بدلالة لفظ الشيطان بكل موحياتها، فالشيطان نعت من القرآن بالرجيم، والمؤمن حينما يقرأ القرآن الكريم، يستعيذ بالله تعالى ويحتمي به من الشيطان الرجيم.

وهو مشتق من شطن: والشطن هو الحبل الطويل، ويوحى ذلك بالقيود والتكبيل، ويقال: بئر شطون أي بعيدة القعر، وكأن الشيطان يلقي بالإنسان في بئر سحيق القرار، وقيل: الشاطن هو الخبيث، والشيطان: هو كل عاتٍ متمرد من إنس أو جن أو دابة.

وقيل إن الشيطان مأخوذ: من شيط، فنقول: شاط يشيط: أي احترق، ومنه قولهم: شاط الدماء أي خلطها: كأنه سفك دم القاتل على دم المقتول.

وكل هذه الدلالات والإيحاءات المنبثقة من الدلالات اللغوية تكشف عن سر الجمال والإيجاز في هذا الحديث النبوي الواضح المشع بكثير من التوجيهات والإرشادات النبوية البليغة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أساليب التربية: التحذير:

أسلوب التحذير من أساليب التربية التي يستعين بها المربي للتحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد لتجنب حصول ذلك[1].

وقد ورد التحذير في هذا الباب في تحذير النبي ﷺ من اصطحاب كلب أو جرس في رفقة، لأن ذلك يمنع من مرافقة الملائكة لهم، فقال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس».

وبيّن ﷺ أن الجرس مزامير الشيطان.

ووجود الملائكة في أي مكان أو مع أي رفقة يكون سببًا لوجود الخير ووجود البركة وحلول الرحمة، ودفع الضرر والأذى فينبغي للمربي تحذير من يقوم بتربيتهم من اصطحاب أو اقتناء الأشياء التي تمنع وجود الملائكة معهم أو في بيوتهم.

وتتجلى بوضوح أهمية هذا الأمر في هذا الزمان الذي أصبح فيه اقتناء الكلاب واصطحابها صورة من صور التمدن والرفاهية محاكاة للغرب، وأصحاب العقول الخربة، والنفوس المريضة، وكذلك وجود آلات الزمر والطرب في كل مكان والتي هي مزامير للشيطان، بل يصل الأمر إلى التباهي بوجودها وتعلمها، واستخدامها في حين أنها مخالفة لتعاليم الدين، مسببة لعدم وجود الملائكة، فعلى المربين والآباء تحذير الأبناء وخاصة الذين ينجرفون وراء التقليد الأعمى، دون أن يعلموا أحكام الدين، لأنه يجب على المسلم أن يحافظ على قيمه ومبادئه، وأن يربي أبناءه عليها، كما يجب على القائمين على التربية والتوجيه أن يبينوا أهمية الحرص على السلوكيات والممارسات التي تتفق مع مبادئ الإسلام وتكون سببًا في استجلاب رحمة الله تعالى، فما أحوج الإنسان في كل لحظة إلى رحمة الخالق سبحانه.

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ص٢٤٩.

٣٠٨- باب كراهة ركوب الجَلاَّلة

وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذِرَة فإنْ أكلت علفاً طاهراً فطاب لَحمُهَا، زالت الكراهة

الحديث رقم (١٦٩٤)

١٦٩٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الجَلاَّلَةِ في الإبلِ أنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود[١] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

الجلالة: أي التي تأكل العذرة، ونحوها من الجِلّة والبعر[٢].

الشرح الأدبي

إن للإبل، في حياة العرب والمسلمين دوراً رئيساً ومؤثراً: فهي سفن الصحراء، وهم يتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين، وخصها الحق سبحانه وتعالى بإرشاد الناس جميعاً إلى التأمل في خلقها، والسعي إلى اكتشاف أسرار قدرة الله تعالى فيها، وفي الفوائد التي يجنيها الناس من أكل لحومها، وشرب ألبانها، وكل ما تختزنه من أسرار وفوائد. تظهر للناس كلما تقدم العلم، واكتشف العلماء الأسرار الكثيرة الكامنة في خلق الإبل، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣].

وهذا الحديث يدعو إلى المحافظة على الإبل، وإلى الحرص على أن يكون طعامها من مصدر طيب، وهذه الدعوة جاءت في نهي صريح عن ركوب الإبل التي تأكل

---

(١) برقم (٢٥٥٨).

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء ١٤٤.

(٣) سورة الغاشية، آية: ١٧.

العذرة، وهي: الروث، والخرء، وغيرهما من النجاسات، وإذا كان النهي عن ركوب هذه الإبل التي قال عنها رسول الله ﷺ "الجلالة" لأنها تأكل النجاسات، فإن النهي عن لحومها يكون أشد، لأن لحمها سيفقد فوائده العديدة، ولبنها لن يكون صالحاً للشرب، والإفادات الكثيرة التي تشفى كثيراً من الأمراض، كما أفاد بذلك العلماء المتخصصون في مجال الأدوية والأغذية، وغير ذلك.

وفي الحديث تصريح وتلميح: فأما التصريح فهو يتمثل في منطوق الحديث، وهو: النهي عن ركوب الإبل التي تأكل النجاسات، وأما التلميح: فهو مفهوم الحديث وهو النهي عن أكل لحوم الإبل المتصفة بذلك: لأن اللحم لم يعد طيباً، وفي اللغة: كما جاء في القاموس المحيط: الجلالة: البقرة تتبع النجاسات، والجلّة: مثلثة، هي البعر أو للبعرة، فالجلالة: صفة مرتبطة بالغذاء الذي تأكله الإبل.

وفي هذا النهي: الصريح والخفي، حرص من رسول الله ﷺ على المؤمنين، وعلى صحة أبدانهم، وطهارة نفوسهم وقلوبهم، وقوة أجسادهم، والمحافظة على بيئتهم وحيواناتهم، وأطعمتهم، ولا غرو فهو بالمؤمنين رءوف رحيم، ﷺ.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة ركوب الجلالة من الدواب[1]، فلا يحج عليها ولا يعتمر ولا يغزُ، ولا ينتفع بها فيما سوى ذلك[2].

ولعل السبب في كراهة ركوب الجلالة، أنها ربما عرقت، فيتأذى راكبها بذلك إذ قد يصيبه شيء من عرقها[3].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٠/٥، والتمهيد لابن عبدالبر ١٨٢/١٥، والمجموع للنووي ٣٢٥/٤، وفتح الباري ٦٤٨/٩، المبدع ٢٠٤/٩، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٥/١، والمغني لابن قدامة ٢٣٠/٩.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٤٠/٥.

(٣) البدائع ٤٠/٥، وعون المعبود ١٦٣/٧، ونيل الأوطار ٢٩٣/٨، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٤٧/٥، والمغني لابن قدامة ٢٣٠/٩، وكشاف القناع ١٩٤/٦.

وقد حمل جمهور الفقهاء[١] هذه الكراهة على أنها كراهةٌ تنزيهية.

وحملها بعض الشافعية[٢]، وأحمد في رواية[٣]، والظاهرية على التحريم[٤]، حتى إن ابن حزم قد ذهب إلى أن الحاج لو وقف بعرفات راكباً جلالة لم يصح حجة إن كان عالماً.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

ومحل الكراهة إذا كانت لا تخلط، بأن كانت لا تأكل إلا العذرة، والجيف، أما إذا خلطت بأن كانت تأكل العذرة وغيرها، فليست جلالة، وبالتالي لا يكره ركوبها[٥].

وكذا الحال لو حبست أياماً[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهى.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب ركوب الجلالة من الإبل بلا حائل.

ثالثاً: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

النهى من الأساليب الدعوية التي تعين الداعية على إرشاد المدعوين وتوجيههم إلى ما فيه صلاح لهم وخير في الدنيا والآخرة، وهذا ما ورد في الحديث من نهيه ﷺ عن ركوب الجلالة، وذلك من قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها.

---

(١) البدائع ٤٠/٥، والتمهيد ١٨٢/١٥، وفتح الباري ٦٤٨/٩، والمبدع ٢٠٤/٩.

(٢) فتح الباري ٦٤٨/٩.

(٣) المبدع ٢٠٤/٩.

(٤) المحلى ١٨٧/٧، وأيضاً: سبل السلام ٧٧/٤.

(٥) البدائع ٤٠/٥.

(٦) التمهيد لابن عبدالبر ١٧٩/١٥، وعون المعبود ١٨٦/١٠.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب ركوب الجلالة من الإبل بلا حائل:

هذا ما نص على الحديث في قول ابن عمر رضي الله عنهما: "نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل أن يركب عليها".

"والجلالة: "الدابة التي تتبع النجاسات وتأكل الجلة، وهي البعرة والعذرة. وأصله من جل فلان البعر جلا التقطه فهو جال، وجلال مبالغة ومنه الجلالة، والمراد بالجلالة على ما نص الشافعية: كل دابة علفت بنجس ولو من غير العذرة، كالسخلة التي ارتضعت بلبن نحو كلبة أو أتان"[1].

"وقد كره رسول الله ﷺ ركوب الجلاَّلة بلا حائل، وذلك لنص حديث ابن عمر رضي الله عنهما، كما نهى ﷺ عن أكل لحومها، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عنْ أكْلِ الْجَلاَّلَةِ وألْبَانِهَا»[2].

وقال رضي الله عنه: "نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة في الإبل: أن يركب عليها، أو يشرب من ألبانها"[3]"[4]، وفي بيان العلة من ذلك قال الخطابي: "... ويقال إن الإبل إذا اجتلت أنتن روائحها إذا عرقت، كما تنتن لحومها"[5].

"ومن أجل ذلك يكره ركوب الجلالة إن ظهر النتن في عرقها، تحاشياً للمرء عن الرائحة الخبيثة، كما أنه يكره ذبحها للأكل حتى تحبس أياماً تطعم فيها الطعام النظيف، ليذهب أثر الطعام النجس من لحمها، ويقدر أهل الخبرة عدد هذه الأيام"[6].

ثالثاً- من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَمَآ

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٦٠/١٥ ومصادرها.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٧٨٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢١٥).

(٣) أخرجه أبو داود ٣٧٨٧، وقال الألباني: حديث صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٢١٧).

(٤) الموسوعة الفقهية، ٢٦٢/١٥، ومصادرها.

(٥) معالم السنن ٣٨٩/٣، ٣٩٠.

(٦) الموسوعة الفقهية الميسرة، د.محمد رواس قلعه جي، ٦٣٦/١.

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا﴾[١]، قال ابن كثير: أي: "مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهي عن شر"[٢].

وقال السعدي: (وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ، يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم شيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله)[٣]، وقد أمر النبي ﷺ بذلك فقال: «... فإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[٤]. "واتباع أمر النبي ﷺ أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها، ولا يصير المسلم مسلماً حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته"[٥]، ومن مظاهر اتباع النبي ﷺ الانتهاء عما نهى عنه ﷺ.

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٧/٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٧٨٩.

(٤) أخرجه البخاري ٧٢٨٨، ومسلم ١٣٣٧.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف عثمان، ١٢٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على النظافة:

إن الإسلام دين النظافة، فهو يدعو إلى تربية المسلمين على الطهارة، وتنفيرهم من القاذورات والنجاسات[١].

لذا ورد في حديث الباب نهي رسول الله ﷺ عن ركوب الجلالة في الإبل لأنها تأكل النجاسات والقاذورات.

ومما يدل على حرص الإسلام على النظافة؛ أنه كره أكل الطيور التي تأكل النجاسات ما لم تُحبس وتأكل طاهرًا، وذلك لأن صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجه الإسلام إليها عناية فائقة، واعتبرها من صميم رسالته، ولن يكون الشخص راجحًا في ميزان الإسلام، محترم الجانب إلا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهذيب، وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيدًا عن الأدران المكدرة والأحوال المنفرة، وليست صحة الجسد وطهارته صلاحًا ماديًا فقط، بل إن أثرها عميق في تزكية النفس، وتمكين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة، وما أحوج أعباء الحياة إلى الجسم الجلد والبدن القوي الصبور[٢].

كرم الإسلام البدن، فجعل طهارته التامة أساسًا لابد منه لكل صلاة، وجعل الصلاة واجبة خمس مرات في اليوم، وكلف المسلم أن يغسل جسمه كله غسلاً جيدًا في أحيان كثيرة تلابسه غالبًا، وتلك هي الطهارة الكاملة، وفي الأحوال المعتادة اكتفى بغسل الأعضاء والأطراف التي تتعرض لغبار الجو، ومعالجة شتى الأشغال، أو التي يكثر الجسم إفرازاته منها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾[٣].

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ١٨٩/٣.

(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٤٨، ١٤٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى الاهتمام بالنظافة، والبعد عن النجاسات والقاذورات التي نبه الإسلام على البعد عنها حتى لا تكون مصدرًا للعلل والجراثيم والأوبئة.

فإن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية، فهو يتطلب أجسامًا تجري في عروقها دماء العافية، ويمتلئ أصحابها فتوة ونشاطًا.

فإن الأجسام المهزولة لا تطيق عبئًا، والأيدي المرتعشة لا تقدم خيرًا، ومن أجل ذلك حارب الإسلام المرض، ووضع العوائق أمام جراثيمه حتى لا تنشر، فينتشر معها الضعف والتراخي، والتشاؤم، وتستنزف فيها قوى البلاد والشعوب.

وقد وفر الإسلام أسباب الوقاية بما شرع من قواعد النظافة الدائمة[1].

والنظافة ليست خيرًا ماديًا ينعكس على سلامة الجسد وحسب، ولكن لإجراءات الطهارة والنظافة مغزاها، كما يشهد بذلك كثير من شعائر الدين الإسلامي، فالنظافة الظاهرة والباطنة تهدف أن يكون ظاهر المؤمن كباطنه نظيفًا، فالأمر هنا ليس متعلقًا بالذوق الجميل السليم وحده أو لعدم نفور الناس فقط، وليس متعلقًا بالصحة وحدها حتى يبقى المسلم صحيحًا قويًا، ولكنها تتصل بجوهر هام، يكاد أن يكون المحور الذي تدور حوله، ففي النظافة مظهر من مظاهر الإخلاص لمثل الطهر الأعلى وإقرار بالتفوق الإنساني على سائر المخلوقات[2].

---

(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي، ص١٤٩-١٥٤.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٢٧٨.

٣٠٩- باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

الحديث رقم (١٦٩٥)

١٦٩٥- عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((البُصاقُ)[١] في المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا)) متفق عليه[٢].

والمرادُ بدَفْنِهَا إذَا كَانَ المَسْجِدُ تُرَاباً أوْ رَمْلاً ونَحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تَحْتَ تُرَابِهِ. قالَ أبُو المحاسِنِ الرُّويَانِي مِنْ أصحابنا في كِتَابِهِ " البحر" وقِيلَ: المُرَادُ بدَفْنِهَا إخْراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أمَّا إذَا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطاً أوْ مُجَصَّصاً، فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أوْ بِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلقَذَرِ في المَسْجِدِ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أوْ بِيَدِهِ أوْ غَيرِهِ أوْ يَغْسِلَهُ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

البصاق: ماء الفم إذا خرج منه[٣].

كفَّارتُها: مَحْوُها وسَتْرُها ومغفرتُها[٤].

الشرح الأدبي

إن للمسجد حرمته في الإسلام، فهو ملتقى جموع المسلمين، وهو مهوى أفئدة

---

(١) عندهما بلفظ: (البزاق)، والمثبت لفظ النسائي في المجتبى (٧٢٣)، وكذا عند المنذري، فتبعه عليه المؤلف.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٥)، ومسلم (٥٥٢/٥٥). أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٦).

(٣) القاموس في (ب ص ق).

(٤) النهاية في (ك ف ر).

المؤمنين، فيه يناجون ربهم، وإليه يبتهلون خاشعين، ويقعون بين يدي خالقهم راكعين ساجدين، يفتتحون صلاتهم بالتكبير، ويختمونها بالتسليم.

وهذا الحديث تحذير لكل مسلم أوّاب، من إلحاق الأذى بالمصلين، وعدم الحرص على نظافة المساجد، وذلك بإلقاء القاذورات والفضلات التي تسبب الروائح الكريهة، وتنشر الجراثيم والأوبئة، فالمساجد بيوت الله تعالى. وكيف لمسلم أن يدنس مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى، وتقام فيه الصلوات وتستجاب فيه الدعوات، وتغدو الملائكة وتروح، والمؤمنون يصلون، وعلى ربهم يتوكلون.

وهذا التحذير النبوي يرد في جملتين اسميتين خاليتين من أدوات التوكيد، وألفاظه، لأن ما ذكره رسول الله ﷺ قاعدة شرعية ثابتة: لا مجال فيها للمراد ولا للشك ولا للإنكار، والجملتان اسميتان أولاهما: تشخص المشكلة، وتحدد الخطيئة وهي: "البصاق في المسجد خطيئة"، وثانيهما: تحل المشكلة... وتفتح الطريق للتوبة.. والتطهر من هذه الخطيئة؛ حيث قال الصادق الأمين "وكفارتها دفنها"، وتكفير دوام إثم هذه الخطيئة : دفنها، أي محو آثارها عن طريق الدفن في أرض المسجد إذا كانت أرضه غير مبلطة أو مفروشة بالسجاد وغيره، أو إخراجها من المسجد بأي وسيلة من وسائل النظافة التي تطورت في العصر الحديث.

واختيار لفظ "الكفارة" في هذا السياق يوحي بأن عدم نظافة المسجد معصية تحتاج إلى كفارة، والكفارة لا تكون إلا للتطهر والتخلص من المعصية والذنب، ولفظ "دفنها" فيه إيجاز: واستعارة تصريحية، لأنه شبه هذه القذارة بأنه مثل جثمان الميت الذي يتحلل ويتعفن، وتنتشر رائحته الكريهة المؤذية، ولابد من دفنه، والسياق هنا يحتم ذلك حتى لا تنتشر العدوى بين الناس، وحتى تظل المساجد نظيفة عامرة بالمؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم البصاق[١] ونحوه، كنخام في المسجد، وذلك لوجوب صيانة المسجد، وتنزيهه عن الأقذار، وإن بدره أو غلبه البصاق بصق في طرف ثوبه[٢].

أما من بصق في المسجد فقد ارتكب المحرم، وعليه أن يدفنه. وقد اختلفوا في دفنه: فالمشهور أن يدفنه في تراب المسجد، ورمله إن كان له تراب، أو رمل أو نحوهما فإن لم يكن أخذه بعود، أو خرقة أو نحوهما، أو بيده، وأخرجه من المسجد.

وقيل: المراد بالدفن إخراجها من المسجد مطلقاً، ولا يكفي دفنها في ترابه[٣].

وواضح من كلام الفقهاء أنهم يتكلمون عن المساجد في زمانهم، حيث كانت مفروشة، بالرمل، أو التراب، أما المساجد في هذا الزمان فقد أصبحت مبلطة مفروشة بفرش نظيفة، تتأثر بالوسخ والقذر، ويظهر فيها أثر النخامة والبصاق، وغير ذلك.

وعلى ذلك يتعين القول بمنع ذلك مطلقاً، سواء على الأرض، أو على الفرش، أو على الحيطان، فمن غلبه ذلك، فعليه أن يخرج من المسجد، ويفعل ذلك بالخارج، أو يبصق في منديله، أو حتى في طرف ثوبه، وذلك حتى يبقى المسجد نظيفاً[٤].

ويجب على من رأى من يبصق في المسجد الإنكار عليه بشرطه[٥].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٧/٢، وحاشية ابن عابدين ٦٦١/١، وحاشية الدسوقي ٢٣٤/١، ومواهب الجليل ١١٥/٢، والمجموع للنووي ١١١/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، وفتح الوهاب للأنصاري ٩٣/١، وفتح المعين للمليباري ١٩٢/١، والمبدع ٤٨٩/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٠٢/٢، والكافي ١٧٣/١، وكشاف القناع ٣٨١/١.

(٢) فتح الوهاب ٩٣/١- ٩٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ١٠٢/٢، والكافي لابن قدامة ١٧٣/١.

(٣) المجموع للنووي ١١١/٤- ١١٢.

(٤) في هذا المعنى: فصول ومسائل تتعلق بالمسجد لعبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ص ٢٨، وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

(٥) المجموع ١١٢/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٩١/١.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من ميادين الدعوة: المسجد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن الأقذار والعمل على نظافته.

ثالثاً: من واجبات الداعية: موافقة عمله قوله.

رابعاً: من أهداف الدعوة: تهيئة المساجد للعبادة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المسجد:

هذا واضح من ذكر المساجد في الأحاديث الثلاثة، والمسجد هو "المكان المهيأ للصلوات الخمس"[2]، والمسجد له أهمية كبرى في الدعوة إلى الله، يدل على هذا أن رسول الله ﷺ: "بادر إلى بناء المسجد، لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين، وتنقي القلب من أدران الأرض، ودسائس الحياة الدنيا.... وتم المسجد في حدود البساطة فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد، وأعمدته الجذوع، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه، وقد تفلت الكلاب إليه فتغدو وتروح. هذا البناء المتواضع الساذج هو الذي ربى ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة وملوك الدار الآخرة، في هذا المسجد أذن الرحمن لنبي يؤم بالقرآن خيرة من آمن به، أن يتعهدهم بأدب السماء من غبش الفجر إلى غسق الليل.

إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي فهو ساحة للعبادة ومدرسة للعلم، وندوة للأدب، وقد ارتبطت بفريضة الصلاة وصفوفها أخلاق وتقاليد هى لباب الإسلام، لكن الناس، لما أعياهم بناء النفوس على الأخلاق الجليلة، استعاضوا عن ذلك ببناء المساجد السامقة تضم مصلين أقزاماً، أما الأسلاف الكبار فقد انصرفوا عن زخرفة المساجد وتشييدها إلى تزكية أنفسهم وتقويمها فكانوا أمثلة صحيحة للإسلام.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٦، ١٦٩٧).

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩٤/٣٧.

والمسجد الذي وجه الرسول ﷺ همته إلى بنائه قبل أى عمل آخر بالمدينة، ليس أرضاً تحتكر العبادة فوقها، فالأرض كلها مسجد، والمسلم لا يتقيد في عبادته بمكان. إنما هو رمز لما يكترث له الإسلام أعظم اكتراث ويتشبث به أشد تشبث، وهو وصل العباد بربهم وصلاً يتجدد مع الزمن، ويتكرر مع آناء الليل والنهار، فلا قيمة لحضارة تذهل عن الإله الواحد، وتجهل اليوم الآخر، وتخلط المعروف بالمنكر. والحضارة التي جاء بها الإسلام تذكّر أبداً بالله وبلقائه، وتمسك بالمعروف وتبغض في المنكر وتقف على حدود الله"[1].

وقال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: (قد أقبل رسول الله ﷺ بمجرد وصوله إلى المدينة المنورة واستقراره فيها، على إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من هؤلاء المسلمين الأنصار والمهاجرين الذين جمعتهم المدينة المنورة، فكان أول خطوة قام بها في سبيل هذا الأمر بناء المسجد. ولا غرو ولا عجب فإن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي، ذلك أن المجتمع المسلم إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، وإنما ينبع ذلك كله من روح المسجد ووحيه...)[2].

وقال عبدالله البسام: "وكانت المساجد زمن عز الإسلام وقوته منارة العلم ومثابة العلماء، فيها تزدحم الحلقات، وتلقى المحاضرات، وتعقد الندوات، وتسمع المناظرات والمساجلات. فكان المسجد هو الأساس في الإسلام فقد كان من رسالته:

أولاً: إنه مكان للعبادات وإقامة الشعائر، فكان المسلمون يتلاقون فيه يجتمع قويهم بضعيفهم، وغنيهم بفقيرهم، وعالمهم بجاهلهم، فكان المحرمون من هذه المواهب يتلقونها ويأخذونها ممن من الله عليهم بها من إخوانهم العلماء والأقوياء والأغنياء والعقلاء.

ثانياً: كان المسجد هو الجامعة العلمية الذي تلقى فيه الدروس، وتعقد فيه

---

(١) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٧٧- ١٧٨.

(٢) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ٢١٣- ٢١٤.

الحلقات، فتجد علماء الشريعة وعلماء اللغة وعلماء الاجتماع، وتجد الوعاظ والمرشدين والموجهين، فيخرج التلميذ من المسجد عالماً تقياً زكياً حمل العلم الشرعي، وتحلى بالسلوك الإسلامي، فأخذ العلم شريعة وحقيقة وطريقة.

ثالثاً: كانت تعقد في المسجد رايات الجهاد، ويعين فيه القواد وتجهز الجيوش، وتتلقى أخبار الفتوح والانتصارات فتبلغ المسلمين من أعواد منابر المساجد.

رابعاً: كان المسجد كل شيء في حياة المسلمين، ذلك أن أساس حياتهم كانت قائمة على الدين، وكانت أمورهم تسير وفق أحكام الإسلام، ولما فصلوا الإسلام عن الحياة، وقصروه على العبادات، وأبعدوه عن مجال الحياة والسياسة ضعف أمر المسجد وهان شأنه، واستخف بمقامه، وصار لا ينتابه إلا الطبقة المحرومة من الجاه والمال والثقافة العصرية التي صار لها الشأن الأكبر في الأوساط العلمية، فهانوا وضعفوا.

فانصراف المسلمين عن المسجد وبعدهم عنه واستخفافهم بأمره وبعدهم عن القيام برسالته، والتخلي عن دوره، هو الذي حط من قدرهم، وهو الذي قلل من شأنهم، وهو الذي فرقهم فأضعفهم، فإذا كانوا يريدون العزة وإذا كانوا يرجون السيادة فليعيدوا إلى المسجد رسالته، وليهتموا بأمره، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، والله من وراء القصد وهو المستعان"[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن الأقذار والعمل على نظافته:

هذا واضح من قول النبي ﷺ كما في حديثي أنس وفي فعله ﷺ كما في حديث عائشة، وقد كان النبي ﷺ: يغضب عندما يرى شيئاً يقذر المسجد، قال أنس: إن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤى في وجهه، فقام فحكه بيده فقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض فقال: أو يفعل هكذا"[2].

---

(١) توضيح الأحكام ١/٥١٨، ٥١٩.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٥، واللفظ له، ومسلم ٥٥١.

قال ابن حجر: "قوله (حتى رؤى)، أى شوهد في وجهه المشقة، وللنسائي[١] فغضب حتى احمر وجهه، وللمصنف[٢] في الأدب من حديث ابن عمر: "فتغيظ على أهل المسجد"[٣].

ولهذا كان يثنى النبي ﷺ على من يزيل النخامة من المسجد، فقال أنس بن مالك رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ نخامة في قبلة المسجد فغضب حتى احمر وجهه، فقامت امرأة من الأنصار فحكتها وجعلت مكانها خلوقاً، فقال رسول الله ﷺ: ما أحسن هذا"[٤].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: "أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا، وفي يده عرجون ابن طاب، فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكها بالعرجون، ثم أقبل علينا، فقال: أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟ قال: فخشعنا ثم قال: أيكم يحب أن يعرض الله عنه؟ فخشعنا، ثم قال: أيكم يحب أن يُعْرِض الله عنه؟ قلنا: لا أينا يارسول الله. قال: فإن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى، فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هذا، ثم طوى ثوبه بعضه على بعض، فقال أروني عبيراً فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله، فجاء بخلوق في راحته، فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة، فقال جابر: فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم[٥].

قال النووي: "الخلوق -بفتح الخاء- هو طيب من أنواع مختلفة يجمع بالزعفران وهو العبير على تفسير الأصمعي وهو ظاهر الحديث فإنه أمر بإحضار عبير فأحضر خلوقاً فلو لم يكن هو هو لم يكن ممتثلاً. وقوله: (يشتد) أي يسعى ويعدو عدواً شديداً. وفي هذا الحديث تعظيم المساجد وتنزيهها من الأوساخ ونحوها، وفيه استحباب تطييبها،

---

(١) أخرجه النسائي ٧٢٨، وابن ماجه٧٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٦١٦).

(٢) أخرجه البخاري ٦١١١، وفيه "فتغيظ"فقط وليس فيه "على أهل المسجد"..

(٣) فتح الباري ٦٠٥/١ ط الريان.

(٤) أخرجه النسائي ٧٢٨، وابن ماجه ٧٦٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٦١٦).

(٥) أخرجه مسلم ٣٠٠٨.

وفيه إزالة المنكر باليد لمن قدر وتقبيح ذلك الفعل باللسان"[١].

كما قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ»[٢].

قال النووي: "هذا ظاهره أن القبح والذم لا يختص بصاحب النخاعة، بل يدخل فيه هو وكل من رآها لا يزيلها بدفن أو حك ونحوه"[٣].

وقد قال النووي عن البزاق في المسجد: "واعلم أن البزاق في المسجد خطيئة مطلقاً سواء احتاج إلى البزاق أو لم يحتج بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة وعليه أن يكفر هذه الخطيئة بدفن البزاق، هذا هو الصواب أن البزاق خطيئة كما صرح به رسول الله ﷺ. وقال القاضي عياض[٤] فيه كلام باطل حاصله أن البزاق ليس بخطيئة إلا في حق من لم يدفنه، وأما من أراد دفنه فليس بخطيئة، واستدل له بأشياء باطلة. فقوله هذا غلط صريح مخالف لنص الحديث ولما قاله العلماء نبهت عليه لئلا يغتر به"[٥]. وقال ابن حجر: "وحاصل النزاع أن هنا عمومين تعارضا، وهي قوله" البزاق في المسجد خطيئة"، وقوله: "وليبصق عن يساره أو تحت قدمه". فالنووي يجعل الأول عاماً ويخص الثاني به إذا لم يكن في المسجد، والقاضي بخلافه يجعل الثاني عاماً ويخص الأول لمن لم يرد دفنها، وقد وافق القاضي جماعة ... ويشهد له ما رواه أحمد بإسناد حسن من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً قال: "من تنخم في المسجد فليغيب نخامته أن تصيب جلد مؤمن أو ثوبه فتؤذيه"[٦]. وأوضح منه في المقصود ما رواه أحمد أيضاً والطبراني بإسناد حسن من حديث أبي أمامة مرفوعاً. قال: "من تنخع في

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣٢/١٨/٩ .

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٢/٥/٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٨٤/٢، ٤٨٥.

(٥) شرح صحيح مسلم ٤٠/٥/٣- ٤١.

(٦) أخرجه أحمد ١٧٩/١ رقم ١٥٤٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن ١٢٢/٣.

المسجد فلم يدفنه فسيئة، وإن دفنه فحسنة"[١]. فلم يجعل سيئة إلا بقيد عدم الدفن، ونحوه حديث أبي ذر عند مسلم مرفوعاً، قال: "وجدت في مساوئ أعمال أمتي النخاعة تكون في المسجد لا تدفن"[٢]، قال القرطبي[٣]: فلم يثبت لها حكم السيئة لمجرد إيقاعها في المسجد بل به وبتركها غير مدفونة انتهى"، وروى سعيد بن منصور عن أبي عبيدة بن الجراح أنه تنخم في المسجد ليلة فنسى أن يدفنها حتى رجع إلى منزله فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب على خطيئة الليلة. فدل على أن الخطيئة تختص بمن تركها لا بمن دفنها. وعلة النهي ترشد إليه وهي تأذي المؤمن بها. ومما يدل على أن عمومه مخصوص جواز ذلك في الثوب ولو كان في المسجد بلا خلاف. وعند أبي داود[٤] من حديث عبدالله بن الشخير «أنه صلى مع النبي ﷺ فبصق تحت قدمه اليسرى ثم دلكه بنعله» إسناده صحيح وأصله في مسلم[٥]. والظاهر أن ذلك كان في المسجد فيؤيد ما تقدم. وتوسط بعضهم فحمل الجواز على ما إذا كان له عذر كأن لم يتمكن من الخروج من المسجد والمنع على ما إذا لم يكن له عذر وهو تفصيل حسن"[٦].

وقال ابن عثيمين عن المساجد المعاصرة: "أما مساجدنا الآن فكما ترون مفروشة كفارة ذلك أن يمسحها بمنديل حتى تزول"[٧].

ثالثاً- من واجبات الداعية: موافقة عمله قوله:

فالنبي ﷺ نهى عن البصاق في المسجد وأخبر أنه خطيئة كما أخبر أن كفارتها

---

(١) أخرجه أحمد ٢٢٢٣/٣٦، والطبراني في الكبير ٨٠٩١- ٨٠٩٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

(٢) أخرجه مسلم ٥٥٣.

(٣) المفهم ١٦١/٢.

(٤) أخرجه أبي داود ٧٨٣، وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان، رقم ٢٢٧.

(٥) صحيح مسلم ٥٥٤.

(٦) فتح الباري ٦١٠/١، ط الريان.

(٧) شرح رياض الصالحين ١٧٦٤/٢.

دفنها، كما قال ﷺ: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر"، ولم يكتف بهذا ﷺ فقط، بل إنه ﷺ أيضاً لما رأى في جدار القبلة ما يقذر من مخاط ونحوه أزاله بأن حكه، ولاشك أن هذا يعطي الدعاة صورة لما ينبغي أن يكونوا عليه من أن يوافق عملهم قولهم، وكثيرة هى الأحاديث التي أخبرت أن النبي ﷺ أزال من المسجد ما يستقذر من بزاق ونحوه[1]، من ذلك حديث عبدالله بن الشخير رضي الله عنه، قال: صليت مع رسول الله ﷺ فرأيته تنخع، فدلكها بنعله[2]، ومن ذلك أيضاً قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ تعجبه العراجين يمسكها بيده، فدخل يوماً المسجد وفي يده منها واحدة، فرأى نخامة في قبلة المسجد، فحتها به حتى أنقاها ثم أقبل على الناس مغضباً..."[3].

قال ابن حجر: "وفي الأحاديث المذكورة من الفوائد الندب إلى إزالة ما يستقذر أو يتنزه عنه من المسجد، وتفقد الإمام أحوال المساجد وتعظيمها وصيانتها"[4].

"إن سيرته ﷺ الطاهرة كانت أعلى ما تكون عليه سيرة أفضل البشر، ومن أفضل سيرته وأعلاها أنه بعدما أوحى إليه لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به: فدعا الناس إلى ذكر الله ومحبته، ولو راقبت حياته نفسها لرأيتها ملائمة لهذه الدعوة، لأنه لم تكن تمض عليه ساعة من نهار أو ليل إلا وهو يذكر الله بقلبه ويحمده بلسانه، فكان لسانه رطباً بذكر الله لا يفتر عنه طرفة عين، فإذا أكل أو شرب ذكر اسم الله، وإذا فرغ من ذلك حمد الله، وإذا أخذ مضجعه أو استيقظ من نومه ذكر الله، وإذا نهض أو جلس سبح الله أو حمده، وإذا لبس جديداً شكر الله، حتى إن أذكاره ودعواته التي حفظها الناس عنه في مختلف الأحوال شغلت حيزاً واسعاً من كتب الحديث... ومن قرأ هذه الأدعية يقضي العجب ويوقن بأنه ﷺ كان يحب

---

(١) انظر صحيح البخاري، الأحاديث: ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، وصحيح مسلم، الأحاديث: ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، وصحيح ابن حبان، الأحاديث: ٢٢٦٥- ٢٢٧١.

(٢) أخرجه مسلم، ٥٥٤.

(٣) أخرجه ابن حبان، ٢٢٧٠، وقال محققه: إسناده حسن، وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٤) فتح الباري، ٦١٢/١، ط الريان.

الله ويخشاه ويهاب جلاله، فكان كما وصف الله في القرآن عباده الصالحين: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[1]، وكما شهدت عائشة بأنه ﷺ كان يذكر الله ولا يغفل عن ذكره أبداً[2].

وأمر الناس بالصلاة وحضهم على إقامتها والمحافظة عليها أشد المحافظة، فماذا تحسبون الرسول كان يعمل في نفسه بما كان يأمر به غيره؟ إنه ﷺ كان يقيم الصلاة ويحافظ عليها أكثر من غيره ... كان عامة المسلمين يصلون سبع عشرة ركعة المكتوبة عليهم، وكان هو ﷺ يصلي في اليوم والليلة خمسين إلى ستين ركعة من المكتوبة، والنوافل ..."[3].

وروى مسلم أنه ﷺ: لما نهى عن الربا في خطبة حجة الوداع قال: ((وأَوَّلُ رِباً أُضَعُ ربَاناً، ربا عباسِ بنِ عبدِ المطلبِ، فإنه موضوع كله))[4].

وروى البخاري ومسلم، أنه ﷺ قال: حين شفع عنده في حد السرقة: ((وَايْمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))[5].

(فهذا منه ﷺ ظاهر في المحافظة على مطابقة الفعل للقول بالنسبة إليه وإلى قرابته، وهكذا ينبغي لمن تصدى لدعوة الناس، فهذا أمر مطلوب من الداعية، إذ هو علامة صدقة في دعوته؛ وهو السبيل لوضع البركة في قوله وتيسير قبوله في نفوس مستمعيه)[6].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٣٧٣ بلفظ: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

(٣) الرسالة المحمدية: السيد سليمان الندوي، مكتبة دار الفتح بدمشق، ط٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ١٧١-١٧٢، وانظر تتمة كلامه النفيس هناك.

(٤) أخرجه مسلم ١٢١٨.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨.

(٦) المفتي في الشريعة الإسلامية: الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الربيعة، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨، دون بيانات أخرى، ٣٠-٣٢، بتصرف.

رابعاً- من أهداف الدعوة: تهيئة المساجد للعبادة:

هذا واضح من قول ﷺ "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن"، وهذا الحديث فيه قصة: قال أنس: ((بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ: مَهْ مَهْ[1]. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: لاَ تُزْرِمُوهُ[2]. دَعُوهُ فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هذَا الْبَوْلِ وَلا الْقَذَرِ. إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللّه عَزَّوَجَلَّ، وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ. قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ))[3].

قال النووي: "فيه احترام المسجد وتنزيهه عن الأقذار ... وفيه صيانة المساجد وتنزيهها عن الأقذار والبصاق، ورفع الأصوات والخصومات والبيع والشراء وسائر العقود، وما في معنى ذلك"[4]. أى صونها عن كل ما يشغل المصلين عن الصلاة، وصيانتها عن كل ما يعوق تعميرها بالعبادة والطاعة. ولهذا فإن رسول الله ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب[5]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا ونصلح صنعتها ونطهرها[6].

وقد قال الله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾[7]، قال ابن كثير: "أمر الله تعالى برفعها أى بتطهيرها من الدنس واللغو والأفعال والأقوال التي لا تليق فيها ... وقال قتادة: هذه هى المساجد أقر الله

---

(١) هى كلمة زجر، ومعناه: اسكت، شرح مسلم النووي ١٩٦/٣/٢، ط دار عالم الكتب.

(٢) أي لا تقطعوا عليه بوله، النهاية في غريب الحديث، ص ٣٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٥.

(٤) شرح مسلم ١٩٤/٣/٢، ط دار عالم الكتب.

(٥) أخرجه أبو داود ٤٥٥، والترمذي ٥٩٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٦).

(٦) أخرجه أبو داود ٤٥٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٣٧).

(٧) سورة النور، آية: ٣٦.

سبحانه ببنائها ورفعها وأمر بعمارتها وتطهيرها ... وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها"[١]، وقال القاسمي: "قال السيوطي في الإكليل، في هذه الآية الأمر بتعظيم المساجد وتنزيهها عن اللغو والقاذورات، وفيها استحباب ذكر الله والصلاة في المساجد"[٢].

كما رغب سبحانه في عمارة المسجد بأن أثبت لمن فعل ذلك الإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٣].

قال أبو عبدالله القرطبي: "قد أثبت الإيمان في الآية لمن عمّر المساجد بالصلاة فيها وتنظيفها وإصلاح ما وَهى منها"[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦٢/٦.

(٢) محاسن التأويل ٢١٤/١٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩٠/٨/٤.

الحديث رقم (١٦٩٦)

١٦٩٦- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ رَأَى في جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطاً، أَوْ بُزَاقاً، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مُخاطاً: ما يسيل من الأنف[2].

بزاقاً: هو البصاق وهو ماء الفم إذا خرج منه[3].

نخامة: ما يدفعه الإنسان من صدره أو أنفه من بلغم ونحوه[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث تطبيق عملي لما ورد النهي عنه في الحديث السابق: فالبصاق في المسجد خطيئة: ورسول الله ﷺ في هذا الحديث رأى تلك الخطيئة التي لم يدفنها صاحبها، وذلك منكر تجب إزالته، ويجب تغييره، ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة، وكل أفعاله وأقواله سنن مأثورة يجب التأسي بها: ولذلك قام بتغيير هذا المنكر بيده الشريفة في تواضع جم. ومحبة لله تعالى ولدينه، وحرص على طهارة المسجد ونظافته.

والحديث ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وتبدأ الحديث بالتوكيد حيث قالت: "أن رسول الله" حتى لا يتشكك أي سامع أو متلق في الخبر، وحتى لا يستغرب البعض ذلك: ويتساءل في دهشة، كيف يقوم رسول الله بذلك، وهو نبي الأمة، وخاتم الأنبياء: ودفعاً لهذه الخواطر التي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧) واللفظ له، ومسلم (٥٤٩).

(٢) مختار الصحاح في (م خ ط).

(٣) القاموس المحيط في (ب ز ق).

(٤) معجم لغة الفقهاء ٤٤٦١.

يمكن أن تخالط تفكير بعض الناس: أكدت عائشة رضي الله عنها الخبر.. لإزالة أي لبس، وأي طائف من الإنكار والشك، والتعبير بقولها: رأى في جدار القبلة مخاطاً أو بزاقاً أو نخامة فحكه، يفيد بأن هذا المخاط كان ظاهراً... وجافاً، لأن التعبير بالفعل "حكه" يفصح عن ذلك، وتحديد بأن ذلك كان في القبلة: يضاعف من إثم هذا الذي قام بذلك، والبزاق يدل على الكثرة: ففي القاموس المحيط: بزق الأرض: أي بذرها، والبذر يوحي بالكثرة، ورذاذ البزاق ينتشر في أكثر من جهة، والمخاط: هو السائل من الأنف؛ وقيل مخاط الشيطان: هو الذي يتراءى في عين الشمس للناظر في الهواء بالهاجرة؛ والنخمة، والنخامة: هي النخاعة، ويقال: تنخم أي دفع شيئاً من صدره أو أنفه، والعطف بالفاء في قولها: "فحكه"، يرشد إلى إسراع رسول الله ﷺ في إزالة القذر من المسجد، والمسارعة لتطهيره.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- وجوب إزالة ما يستقذر[١]، وما يتنزه عنه، ويتقزز منه من المسجد، وإذا كان رسول الله ﷺ يحك البصاق من المسجد، فكنسه، وتنظيفه، وكسوته يدخل في معنى ذلك[٢].

٢- يستحب تطييب محل القذر بعد إزالته من المسجد[٣].

٣- أما ما يفعله كثير من الناس إذا بصق، أو رأى بصاقاً ركله بأسفل مداسه الذي داس به النجاسة، والأقذار فحرام، لأنه تنجيس للمسجد وتقذير له وعلى من رأى من يفعل ذلك الإنكار عليه بشرطه[٤].

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) التمهيد ١٤/١٥٤، والمجموع للنووي ٤/١١٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/١٩١، وكشاف القناع ١/٣٨٢، والمغني لابن قدامة ١/٩٦.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٤/١٥٤.

(٣) المجموع للنووي ٢/١١٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/١٩١، وكشاف القناع ١/٣٨٢، والمغني ١/٩٦.

(٤) المجموع ٢/١١٢.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٦٩٧)

١٦٩٧- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا: البَوْلِ وَلاَ القَذَرِ[1]، إنَّمَا هي لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَقِراءةِ القُرْآنِ)) أَوْ كَمَا قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: سبقت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

القذر: الوسخ[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يحذر من تلويث المساجد، ويدعو إلى نظافتها، وتطهيرها من كل دنس؛ لأنها تعمر بذكر الله وقراءة القرآن، نجد أن الحديث يبدأ بالتوكيد في جملته الأولى وهي: جملة اسمية تعطي دلالة الاستمرار والثبات فالمساجد في كل عصر، وفي كل مكان لها حرمتها ومهابتها، ويجب أن تظل نظيفة، واسم الإشارة في قوله: "هذه المساجد" يفيد التحديد، والتمييز الكامل، ولم يقل "إن المساجد"، ولكن قال: "إن هذه المساجد"، و"أل" في المساجد للجنس أي كل مسجد، وخبر "إن" هو الجملة الفعلية "لا تصلح لشيء من هذا"، والفعل مضارع مسبوق بالنفي: والمضارعية تفيد استمرار المحافظة على المساجد وهي لا تصلح لشيء من القذارات، والتعبير بقوله: "لشيء: يرشد إلى وجوب صيانة المساجد من القاذورات والبول: مهما قل أو كان ضئيلاً لأن النجاسة قليلها مثل كثيرها.

---

(١) لفظ مسلم: (للبول والقذر).

(٢) برقم (٢٨٥/١٠٠).

(٣) المصباح المنير في (ق ذ ر).

وقوله: "من هذا البول" لمزيد من التحديد عن طريق اسم الإشارة، وهو هنا ليس للتمييز ولكن للتحقير والتنفير، والدعوة إلى تجنب تلويث المساجد بأقل شيء منه.

والجملة الثانية في الحديث، تجيب على سؤال ينشأ في الذهن الخالي من المعرفة: لأي شيء تصلح المساجد؟ فقال رسول الله ﷺ -موضحاً وظيفة المساجد ودورها في الإسلام-: "إنما هي لذكر الله تعالى: وقراءة القرآن"، وهذه الجملة صيغت في أسلوب القصر، عن طريق "إنما" وهذه الصياغة ترشد إلى تحديد وظيفة المساجد، وتقصر وظيفتها ودورها على ذكر الله تعالى، وقراءة القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حرمة التبول وإدخال شيء من النجاسات إلى المسجد: أما من على بدنه نجاسة، أو به جرح، فإن خاف تلويث المسجد حرم عليه الدخول، وإن أمن لم يحرم[3].

المضامين الدعوية[4]

---

(١) سورة الجن، آية: ١٨.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦- ٣٧.

(٣) المجموع للنووي ٢/٢٠٠، وشرح الزرقاني على الموطأ ١/١٩٠- ١٩١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٥).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من وسائل التربية: المسجد:

يعد المسجد أول وسائل التربية الإسلامية وأهمها لأن أول عمل قام به رسول الله ﷺ عندما وصل المدينة بناء المسجد، لأن المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجؤون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبرًا وبأسًا وإقدامًا ووعيًا وتبصرًا ورباطة جأش، وبعد نظر، وتفاؤلاً ونشاطًا[1].

وقد أولت الشريعة الإسلامية المسجد كوسيط تربوي أهمية خاصة وجاءت أحاديث الباب لتؤكد هذه الأهمية حيث نهى النبي ﷺ عن البصاق في المسجد، وأمر بإزالته منه إذا وجد فيه، وأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار تكريمًا وإجلالاً لشأن المسجد، ورفعًا لشأنه عن وجود الأوساخ والقاذورات به.

وقد كان للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددًا منها، ولكن التاريخ يؤكد أن المسجد عندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطيب والدروس العلمية، فيبدؤون بوعي العقيدة الإسلامية وفهم هدفهم من الحياة، وما أعدهم الله له في الدنيا والآخرة.

وفيه يتعلمون القرآن ويرتلونه، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري بتعلم القراءة، ودستور المجتمع الإسلامي، والنمو الروحي وهو الارتباط بخالقهم.

وفيه يتعلمون الحديث والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ١٠٨.

أراد الله أن ينظمها للإنسان، ومن هداية الله وسنة رسوله.

ويتعلمون العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها، ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله.

فالمسجد على هذا يعلّم الناشئين أن كل أمور الحياة تابعة للارتباط بالله، وصادرة عن هدف التربية الإسلامية الشامل الذي هو إخلاص العبودية لله، وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفوًا من غير قصد ولا تكلف[1].

ثانيًا - من أساليب التربية: الممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة والذي له العديد من الآثار والفوائد التربوية كإتقان العمل[2].

وتعود الدقة وتوخي صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل، وحب العمل واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتوكل[3].

وقد تجلت الممارسة العملية في هذا الباب في فعل النبي ﷺ عندما رأى في قبلة المسجد مخاطًا أو بزاقًا أو نخامة فحكهُ بنفسه فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطًا، أو بزاقًا، أو نخامة، فحكه. وهو بذلك مارس ﷺ التربية الإسلامية ممارسة عملية.

ولاشك أن أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية وذلك لأن الإسلام دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه، وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح والخسران في الدنيا والآخرة. فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران.

ويطالب الإسلام كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشؤون الحياة الدنيا. بل وكل تعاليم

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٧٧.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، ص ٢١٧.

الإسلام إنما جاءت لكي تنفذ وتطبق على الواقع ولا يكون المسلم مسلمًا إسلامًا حقيقيًا إلا إذا مارسها وأداها عمليًا[١].

ومما لاشك فيه أن النبي ﷺ هو الذي علمنا مبادئ التربية الإسلامية، وأن نمارس ما نتعلم وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربين بالأسلوب العملي فكل معلم يمارس العمل المراد تعليمه ثم يتابعه المتعلم، أو يمارس كل متعلم العمل أمام معلمه، ثم يناظره المعلم ويصحح أخطاءه[٢].

وكان رسولنا الكريم ﷺ مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[٣].

ثالثًا - التربية على نظافة المساجد:

اهتم الدين الإسلامي بالنظافة اهتمامًا كبيرًا ودعا إلى نظافة المسلم ونظافة كل ما يحيط به ومن الأشياء التي حبب الرسول ﷺ في نظافتها وطهارتها من الأنجاس والأقذار المسجد الذي فيه اجتماع المؤمنين في خمس أوقات في الليل والنهار، وأمر المصلين بالتزين والتطيب عملاً بقوله تعالى: ﴿ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٤])[٥].

وقد جاءت أحاديث الباب ناهية عن البصاق في المسجد، وآمرة بإزالته منه إذا وجد فيه، وآمرة بتنزيه المسجد عن الأقذار، فقال ﷺ: "البصاق في المسجد خطيئة..." وعندما رأى ﷺ في جدار القبلة مخاطًا، أو بزاقًا، أو نخامة حكه أي أزاله بنفسه.

وقال ﷺ "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر...".

وللمسجد منزلة عظيمة في نفوس المسلمين، إذ كان الملجأ الأمين الذي يلجأون إليه في تطهير نفوسهم وتزكيتها، فهو إلى جانب كونه مكانًا للعبادة وتأدية الفرائض

---

(١) أصول التربية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢٢٥.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٥) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٦٧/٥٠.

الخمس اليومية، فإنه المؤسسة التي تدار فيها أمورهم وشؤونهم الخاصة والعامة، ما دق منها وما جلّ، حتى غدا المدرسة الأولى التي تخرج فيها كبار الصحابة والفاتحين، وكان على مر العصور يختار له الموقع المناسب في القرى والمدن والأحياء[1].

وتأكيدًا لأهمية المساجد ومنزلتها في الإسلام؛ لأنها بيوت الله التي يمارس فيها المسلمون عبادتهم واتصالهم برب العالمين يجب أن يحافظ على نظافتها وطهارتها.

ويعد المسجد بعد البيت الركن الثاني الذي يسهم في تعليم الطفل وتوجيهه بشكل صحيح وسليم، فمن المفيد إذًا أن نعلم أطفالنا منذ نعومة أظفارهم الحفاظ على الطهارة في كل مكان، وعندما يرى المسجد النظيف الطاهر وينتبه إلى حرص المسلمين على طهارته، واستيائهم من كل شخص لا يهتم بنظافة بيت الله، فإنه يدرك أهمية الطهارة وضرورة المحافظة على النظافة في أي مكان وجد فيه[2].

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية ٥٠/٦٨.

(٢) المرجع السابق ٥٠/٧٠.

٣١٠- باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فِيهِ ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

الحديث رقم (١٦٩٨)

١٦٩٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ[1]: لاَ رَدَّها اللهُ عَلَيْكَ، فإنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينشد ضالة: يطلب ما ضاع من البهائم[3].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأول في باب: كراهة الخصومة في المسجد، ورفع الصوت فيه، ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من ثلاث جمل لغوية متنوعة: الأولى شرطية وهي قوله ﷺ: "من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل": والثانية: هي مقول القول، وهي: جملة دعائية إنشائية "لا ردها الله عليك"، والثالثة: جملة خبرية مؤكدة مستأنفة لبيان علة الدعاء على هذا الذي لم يرع حرمة المساجد... وجعل منها ميدانًا لقضاء

---

(١) لفظ مسلم: (فقولوا)، والمثبت لفظ أبي داود (٤٧٣)، وابن ماجه (٧٦٧)، تبع المؤلف فيه المنذري في ترغيبه.

(٢) برقم (٥٦٨/٧٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤١).

(٣) انظر: شرح مسلم ٤٢٢، والوسيط في (ن ش ر).

الحاجات الدنيوية، وشوش على المصلين، والحديث بناء لغوي متماسك، وذلك نستكشفه من خلال المقاربة الدلالية حيث نتوصل إلى علاقة العلامات، والكلمات والجمل بالأشياء وبحالات الأشياء والمعنى المراد توصيله، وهذا البناء المتماسك في الحديث يتجلى من خلال المقاربة النحوية، وهي تسعى إلى اكتشاف علاقة العلامات فيما بينها، والكلمات في الجملة أو الجمل، وفي مقاطع الجمل، كما يرى علماء اللغة.

وتترابط جمل الحديث الثلاث: فالجملة الشرطية تفصح عن ارتكاب مخالفة وهي نشدان الضالة في المسجد: أي الإعلان عن ضياع حيوان أو غيره في المسجد أمام المصلين، وفي مكبر الصوت: وهو أمر يشغل المصلين عن العبادة وعن ذكر الله، وهذه المخالفة التي جسمها فعل الشرط: يأتي جواب الشرط ليعلن في حسم حل هذه المشكلة، في قوله: "فليقل" ولكن المعنى لم يتم، وتأتي الجملة الثانية وهي مقول القول: المأمور به، وهي كما قلت: جملة دعائية: تمثل عقابًا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ لهذا الذي لم يرع حرمة المساجد "لا ردها الله عليك" والجملة الثالثة لا تخرج عن دائرة ما سبق في المعنى والمبني، حيث علل رسول الله ﷺ سبب هذه العقوبة المتمثلة في الدعاء على من اتخذ من المسجد وسيلة للإعلان عن ضالته: فقال مؤكدًا: "فإن المساجد لم تبن لهذا"، واسم الإشارة جُعل للقريب حتى لا يشم منه رائحة التعظيم أو التمييز، وإنما لتحديد الأمر الذي كان سببًا في ارتكاب المخالفة، والله اعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه أنه يكرهُ نشد الضالة في المسجد[1]، لما في ذلك من صرف المسجد عن مهمته التي بني لأجلها، وهي العبادة والذكر، والصلاة، وتعلم العلم ونحو ذلك[2].

---

(١) شرح فتح القدير ١٤/٦، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٤/٦، والزرقاني على الموطأ ٥٠٣/١، والمجموع للنووي ٢٠٠/٢، وروضة الطالبين ٢٢٤/١١، والكافي في فقه الإمام أحمد ٢٥٣/٢، وكشاف القناع ٢١٦/٤، والمغني لابن قدامة ١٨٤/٤.

(٢) عون المعبود ٩٧/٢، والدين الخالص للسبكي ٢٥٢/٣.

ويسن لمن يسمع شخصًا ينشد ضالته، أن يقول له: لا وجدتها، ولا ردها الله عليك[١].

المضامين الدعوية[٢]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن نشدان الضالة وعن البيع والشراء، وعن إنشاد الشعر وعن رفع الأصوات فيه ونحو ذلك.

ثانيًا: من آداب المدعو: القيام بدوره في إنكار المنكر.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعهد الإمام أحوال المساجد والعمل على صيانتها وتعظيمها.

رابعًا: من آداب الداعية: إعذار أهل الجهل بالحكم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تنزيه المسجد عن نشدان الضالة وعن البيع والشراء، وعن إنشاد الشعر وعن رفع الأصوات فيه ونحو ذلك:

١- أما نشدان الضالة قال النبي ﷺ: "مَنْ سَمِعَ رَجُلاً يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلْيَقُلْ: لاَ رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ. فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهذَا". كما قال ﷺ: "لرجل نشد جملاً أحمر في المسجد: لا وجدت"، كما نهى ﷺ عن أن تنشد الضالة في المسجد.

قال ابن الأثير: "الضالة: هى الضائعة من كل ما يقتني من الحيوان وغيره"[٣]، وقال ابن الأثير كذلك: يقال: "نشدت الضالة فأنا ناشد، إذا طلبتها، وأنشدتها فأنا منشد إذا عرفتها... وهو من النشيد: رفع الصوت"[٤]، أى أن العلة في ذلك هو رفع الصوت بالسؤال عما ضل من مال ونحوه، وهذا مناف لما بنيت المساجد لأجله[٥].

---

(١) كشاف القناع ٢١٦/٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٦٩٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢).

(٣) النهاية في (ض ل ل).

(٤) النهاية في (ن ش د).

(٥) انظر: أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية: د. إبراهيم بن صالح الخضيري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ٧٩/٣.

لكن من ناحية أخرى فإن أمام من ينشد الضالة أن يقف عند باب المسجد خارجه وينشد ضالته، فيكون جمع بين إعلام المصلين بضالته الضائعة، وعدم ارتكاب النهى بنشدانها في المسجد[١].

قال عبدالله البسام: "الحديث يدل على تحريم نشدان الضالة في المسجد، ووجوب الدعاء عليه بهذا الدعاء، وإعلامه باستحقاقه الدعاء حيث اتخذ المسجد لنشدان الضوال، وإشغال المصلين والمتعبدين بأعمال الدنيا، ظاهره أنه لو خرج عند باب المسجد فنشدها، فإنه لا يحرم لأنه ليس من المسجد. وفيه بيان وظيفة المسجد بأنها الصلاة وذكر الله وتلاوة كتابه والمذاكرة في الخير ونحو ذلك"[٢].

٢- النهى عن البيع والشراء في المسجد، وهذا واضح في قوله ﷺ: «إذا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ "أي يشتري" في المَسجِدِ فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»، وفي نهيه ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وذلك لأن المساجد إنما بنيت لذكر الله تعالى، ولم تبن للمتاجرة، ولأن المساجد بنيت للآخرة، والأسواق بنيت للدنيا، ولكل ما خصص له"[٣]. قال القرطبي: "وروى أن عيسى ابن مريم عليهما السلام أتى على قوم يتبايعون في المسجد فجعل رداءه مخراقًا"[٤]. ثم جعل يسعى عليهم ضربًا ويقول: يا أبناء الأفاعي، اتخذتم مساجد الله أسواقا هذا سوق الآخرة"[٥]. وقال ابن قدامة: "ورأى عمران القصير رجلاً يبيع في المسجد فقال: هذا سوق الآخرة، فإن أردت التجارة فاخرج إلى سوق الدنيا"[٦].

قال عبدالله البسام: "إنما بنيت المساجد لطاعة الله وعبادته، فيجب أن تجتنب

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، للشيخ ابن عثيمين، ١٧٦٧/٢.

(٢) توضيح الأحكام ٥٢٧/١.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٧٨/٣.

(٤) المخراق: منديل أو نحوه يلوى فيضرب به أو يفزع به في لعبة للصبيان. الوسيط في (خ ر ق).

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/١٢/٦.

(٦) المغنى لابن قدامة ٣٨٣/٦.

أحوال الدنيا"[١].

٣- إنشاد الأشعار في المسجد: وهذا واضح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تنشد فيه ضالة أو ينشد فيه شعر. قال القرطبي: "أما تناشد الأشعار فاختلف في ذلك، فمن مانع مطلقا، ومن مجيز مطلقًا. والأوْلى التفصيل، وهو أن يُنظر إلى الشعر فإن كان مما يقتضي الثناء على الله عز وجل أو على رسوله ﷺ أو الذبّ عنهما كما كان شعر حسان[٢]، أو يتضمن الحض على الخير والوعظ والزهد في الدنيا والتقلّل منها، فهو حسن في المساجد وغيرها. وما لم يكن كذلك لم يجز؛ لأن الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين بالباطل، ولو سلم من ذلك فأقل ما فيه اللّغْوُ والهَذَر، والمساجد منزهة عن ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾[٣]. وقد يجوز إنشاده في المسجد؛ كقول القائل:

إذا سقط السماء بأرض قوم رَعَيناه وإن كانوا غِضابَا

فهذا النوع وإن لم يكن فيه حَمْد ولا ثناء يجوز؛ لأنه خالٍ عن الفواحش والكذب[٤]. وقال الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيري: "وأما أن يكون "أي الشعر" مباحًا فهو كالكلام المباح، ويجوز إلقاؤه في المسجد حيث لا ضرر منه"[٥]. وقال ابن حجر: "يحمل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمبطلين، والمأذون فيه ما سلم من ذلك، وقيل: المنهي عنه إذا كان التناشد غالبًا على المسجد حتى يتشاغل به مَنْ فيه"[٦].

---

(١) توضيح الأحكام ٥٢٩/١.

(٢) أخرجه البخاري ٤٥٣، ومسلم ٢٤٨٥، قول رسول الله ﷺ لحسان: ياحسان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس، وأخرجه البخاري ٣٥٣١، ومسلم ٢٤٨٧، عن عائشة: إنه كان ينافح عن النبي ﷺ.

(٣) سورة النور، آية: ٣٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧١/١٢/٦. وانظر: المجموع شرح المهذب للنووي، ١٤٢/٢.

(٥) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٦٥/٣، وانظر: شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ١٧٦٨/٢.

(٦) فتح الباري ٦٥٣/١، ط الريان.

وقال عبدالله البسام: "الشعر كلام قبيحه قبيح ومليحه مليح ويقاس على الشعر كل كلام، فما كان منه خير ومصلحة للدين فهو مرغوب منه، وما لا فائدة منه أو فيه مضرة فإن بيوت الله تنزه عن ذلك. كما أنه لابد من مراعاة عدم إشغال المصلين والذاكرين والتالين كتاب الله تعالى، فتراعى حالهم، ولا يشوش عليهم، فإن أصل بناء المساجد لإقامة الصلاة وذكر الله تعالى"[١].

٤- رفع الأصوات في المسجد: "وهذا واضح من قول عمر بن الخطاب للرجلين الذين رفعا أصواتهما: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن رفع الصوت في المسجد في غير ذكر الله هو الذي نهى عنه عمر، لأن المساجد إنما بنيت ليذكر فيها اسم الله عز وجل، ولأن أحد ملوك الدنيا إذا رفع الصوت في داره بغير حمده والثناء عليه، عُدَّ ذلك من سوء الأدب"[٢].

قال الدكتور إبراهيم بن صالح الخضيري: "رفع الصوت بالأذان وبقراءة الكتب النافعة للتعليم وبالقراءة للقرآن بصوت مرتفع حين لا يتأذى به أحد كل هذا مشروع.

وأما رفع الصوت بالقراءة مع حصول التشويش أو رفع الصوت بالكلام المباح فإن ذلك مكروه، وقد حكى ابن عابدين[٣] الإجماع على استحباب ذكر الجماعة في المساجد، إلا أن يشوش جهرهم على نائم أو قارئ. ويدل لهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما: ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله ﷺ إلا بالتكبير، متفق عليه[٤].

وذكر القرطبي عن مالك: كراهية رفع الصوت مطلقًا بالمسجد[٥]. ولعل مراد مالك

---

(١) توضيح الأحكام ٥٢٦/١، وانظر: الاستذكار لابن عبدالبر، ٢٣٧/٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/١.

(٣) حاشية ابن عابدين "رد المحتار على الدر المختار"، محمد أمين بن عمر عابدين، ١٢٥٢هـ، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة خاصة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٤) أخرجه البخاري ٨٤١، ٨٤٢، ومسلم ٥٨٣.

(٥) المفهم للقرطبي (المحدّث) ١٧٤/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٢/٦. للقرطبي المفسر وهو تلميذ المحدث وقد نقله عنه.

مسجد النبي ﷺ فإنه ينبغي غض الصوت فيه، لأن حرمته ﷺ حيًا كحرمته ميتًا.

لكن ارتفاع الصوت بالحق لاشيء فيه. ودليل هذا أن كعب بن مالك تقاضى عبدالله بن أبي حدرد دينًا كان له عليه، فسمع رسول الله ﷺ أصواتهما، وخرج إليهما من بيته. ثم حكم بينهما[١] ولم ينكر عليهما رفع أصواتهما، لأنها ارتفعت بحق. ولأنهما كانا يريدان أن يحكم بينهما رسول الله ﷺ.

وأما الكلام المباح فإنه لا يجوز رفع الصوت فيه بجميع المساجد، ودليل هذا: عن السائب بن يزيد قال: "كنتُ قائمًا في المسجدِ فحصَبَني رَجلٌ، فنظرْتُ فإذا عمرُ بنُ الخَطّابِ فقال: اذهبْ فأْتِني بهذينِ، فجِئْتُهُ بهما. قال: مَن أنتُما - أو مِن أين أنتما -؟ قالا: مِن أهلِ الطائفِ. قال: لو كنتُما من أهلِ البلدِ لأوجَعْتُكما، ترفعانِ أَصواتَكما في مَسجِدِ رسولِ اللّهِ ﷺ!"[٢]. فهذا يدل في ظاهره أنه خاص بمسجد رسول الله ﷺ إلا أنه يشمل المساجد كلها"[٣]، وقال الشاطبي: "وأما ارتفاع الأصوات في المساجد فناشئ عن بدعة الجدال في الدين، فإن من عادة قراءة العلم وإقرائه وسماعه أن يكون في المساجد، ومن آدابه أن لا ترفع فيه الأصوات في غير المساجد. فما ظنك به في المساجد؟"[٤].

وقال ابن كثير: "وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، قال: خصال لا تنبغي في المسجد: لا يتخذ طريقًا ولا يشهر فيه سلاح ولا ينبض فيه بقوس[٥] ولا ينثر فيه نبل ولا تمرّ فيه بلحم نيئ، ولا يضرب فيه حد، ولا يقتص فيه من أحد ولا يتخذ سوقًا"[٦]. وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ قال: «جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري ٤٧١، ومسلم ١٥٥٨.

(٢) أخرجه البخاري ٤٧٠.

(٣) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٣/٧١-٧٢.

(٤) الاعتصام: الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ٧٩٠هـ، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٣٣٨.

(٥) أنبض في قوسه: أصاتها أو حرك وترها لترنّ، القاموس المحيط في (ن ب ض).

(٦) أخرجه ابن ماجه، ٧٤٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه، ١٦٣).

صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ وَشِرَاءَكُمْ[١] وَبَيْعَكُمْ وَخُصُوماتِكُمْ وَرَفْعِ أَصْوَاتِكُمْ وَإِقَامَةِ حُدُودِكُمْ وَسَلِّ سُيُوفِكُمْ وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا المَطَاهِرَ وَجَمِّرُوهَا فِي الجُمَعِ»[٢].

أما أنه "لا يتخذ طريقًا " فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه، وفي الأثر "إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد لا ليصلي فيه". وأما أنه لا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل"، فلما يخشى عن إصابة بعض الناس به، لكثرة المصلين فيه، ولهذا أمر رسول الله ﷺ، إذا مر أحد بسهام أن يقبض على نصالها[٣] لئلا يؤذي أحدًا، كما ثبت ذلك في الصحيح[٤]، وأما النهي عن المرور باللحم النيئ فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويث، وأما أنه "لا يضرب فيه حد أو يقتص" فلما يخشى من إيجاد نجاسة فيه من المضروب أو المقطوع، وأما أنه لا يتخذ سوقًا فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه، فإنه إنما بني لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي ﷺ لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة[٥] المسجد «إن المساجد لم تبن لهذا، إنما بنيت لذكر الله والصلاة فيها» ثم أمر بسجل[٦] من ماء فأهريق على بوله[٧].

وفي الحديث الثاني «جنبوا مساجدكم صبيانكم» وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رأى صبيانًا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة وهي الدرة، وكان يعس[٨] المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا.

«ومجانينكم» يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم، فيؤدي إلى اللعب فيها،

---

(١) في المطبوع من سنن ابن ماجه: شراركم، ولفظ "شراءكم" وقع أيضًا في الدر المنثور، ٧٨/١١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٧٥٠، وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ١٦٤).

(٣) النصال: مفردها نصل: وهو حديدة السهم والرمح والسيف. القاموس المحيط في (ن ص ل).

(٤) أخرجه البخاري ٤٥٢، ومسلم ٤٥٢.

(٥) الطائفة من الشيء: القطعة منه. القاموس المحيط في (ط و ف).

(٦) السجل: الدلو العظيمة مملوءة، القاموس المحيط في (س ج ل).

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٤.

(٨) أي يطوف بالليل، النهاية في (ط و ف).

ولما يخشى من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك ...

«وخصوماتكم» يعني: التحاكم والحكم فيه، ولهذا نص كثير من العلماء على أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المساجد، بل يكون في موضع غيره، لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والعياط[1] الذي يناسبه، ولهذا قال بعده «ورفع أصواتكم» ... وقوله «واتخذوا على أبوابها المطاهر» يعني المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة. وقد كانت قريبًا من مسجد رسول الله ﷺ آبار يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك.

وقوله «وجمروها في الجُمَع» يعني بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ"[2].

ثانيًا- من آداب المدعو: القيام بدوره في إنكار المنكر:

هذا واضح من طلب النبي من الصحابة رضوان الله عليهم، أن يقولوا لمن ينشد ضالة في المسجد" لا ردها عليك فإن المساجد لم تبن لهذا" وفي رواية "فقولو: لا ردها الله عليك"، وإذا رأوا من يبيع أو يشترى في المسجد أن يقولوا: لا أربح الله تجارتك.، وقد قال النبي ﷺ لرجل ينشد جملاً أحمر:"لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له".

قال النووي: "قوله ﷺ: "إنما بنيت المساجد لما بنيت له" معناه لذكر الله تعالى والصلاة والعلم والمذاكرة في الخير ونحوها ... وقوله ﷺ: "لا وجدت"، وأمر أن يقال مثل هذا، فهو عقوبة له على مخالفته وعصيانه، وينبغي لسامعه أن يقول لا وجدت فإن المساجد لم تبن لهذا، أو يقول لا وجدت، إنما بنيت المساجد لما بنيت له كما قاله رسول الله ﷺ"[3].

قال أبو العباس القرطبي: قوله: "فليقل: لا ردها الله عليك" دعاء على الناشد في المسجد بعدم الوجدان، فهو معاقبة له في ماله على نقيض مقصودة"[4].

---

(١) جاء في القاموس المحيط ٦٧٩: التعيط: الجلبة والصياح.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٣/٦، ٦٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٥٧/٥/١٣ .

(٤) المفهم ١٧٤/٢.

وقال عبدالله البسام: "هذا دعاء عليه بنقيض قصده وهو نوع من أنواع التعزير، ومعنى قبوله "لا أربح الله تجارتك" أي لا يجعلها نافعة ناجحة"[١].

وقال ابن عثيمين: "الذي يسمع إنسانًا يبيع ويشتري ماذا عليه؟ قال النبي ﷺ قولوا: "لا أربح الله تجارتك"، ادعوا عليه بأن الله يخسره ولا يربحه، بأن الله لا يربح تجارته ولكن الرسول ﷺ قال فيه، "فإن المساجد لم تبن لهذا" يحتمل أن هذه الكلمة يضيفها القائل إلى قوله، ويحتمل أنها تعليل للحكم من النبي ﷺ، وأنها لا تقال. لكن إذا كان في قولك إياها تطييب لقلبه، فهذا قولها حسن يعني تقول: لا أربح الله تجارتك، فإن المساجد لم تبن لهذا"، يعني للبيع والشراء، ما بنيت للبيع والشراء، بنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن، وطلب العلم، وما أشبه هذا، فإذا كان قولك: إن المساجد لم تبن لهذا" تطييبًا لقلبه حتى لا يغضب عليك، أنا إذًا دعوت عليك، فقد دعوت عليك لأمر من الرسول ﷺ، وأمر الرسول ﷺ مطاع كأمر الله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[٢]، فأقول: "لا أربح الله تجارتك"، فإن المساجد لم تبن لهذا حتى يطيب قلبه. كذلك أيضًا إنشاد الضالة... ندعو عليه "أى منشد الضالة"، بأن الله لا يردها عليه ولا يعثر عليها، لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا"[٣].

ولا شك أن هذا القول من المدعوين إنكار على من فعل ذلك في المسجد من نشدان الضالة أو البيع أو الشراء، "والنهى عن المنكر من فروض الكفاية التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها ويأثمون إذا تركوها جميعا، ويسقط الحرج عن الباقين إذا قام به بعضهم، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤]"[٥].

---

(١) توضيح الأحكام ١/٥٢٧-٥٢٩.

(٢) سورة التغابن، آية: ١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٦٧-١٧٦٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٥) الموسوعة الفقهية ٤١/٤٠٧، وانظر: مصنف عبدالرزاق ١/٤٣٨، رقم ١٧١٥.

ولاشك أن قيام المدعو بدوره في إنكار المنكر يشعر فاعل المنكر، بأن المجتمع المحيط به من المدعوين غير راض عن فعله وغير متقبل له، ومن ثم يكون هذا دافعًا له إلى الكف عن فعله والإقلاع عنه، وهذا ما يسمى بالردع العام الاجتماعي، فكم من منكر اختفى بسبب إنكار المدعوين له، وكم من منكر شاع بسبب سكوت المدعوين عنه.

وقد أخرج مالك في الموطأ: "أنه بلغه أن عطاء بن يسار كان إذا مر عليه بعض من يبيع في المسجد، دعاه فسأله: ما معك؟ وما تريد؟ فإن أخبره أنه يريد أن يبيعه، قال: عليك بسوق الدنيا، فإنما هذا سوق الآخرة"[١].

قال ابن عبدالبر: "ففيه أن ذلك الزمان كان فيه من عوام أهله من يبيع ويشترى في المسجد، ولكنه كان فيه من ينكر ذلك، وكان عطاء بن يسار منهم، ولا يزال الناس بخير ما أنكر فيهم ولم يتوطئوا عليه، فإن تواطئوا عليه هلكوا. وكان عطاء بن يسار فاضلاً قاضيًا واعظًا، من حملة العلم ورواة الثقات.

وأما قوله في المسجد: إنه سوق الآخرة. فمأخوذ من قوله عز وجل: ﴿تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[٢]. وهي أعمال البر الزاكية، ولا عمل أفضل من الصلاة وانتظارها، ولزوم المساجد من أجلها"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعهد الإمام أحوال المساجد والعمل على صيانتها وتعظيمها:

هذا واضح من هذه الأحاديث، وقد وقع ذلك من فعل النبي ﷺ كما في حديث بريدة رضي الله عنه أن رجلاً نشد في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: لا وجدت، إنما بنيت لما بنيت له"، وكما وقع ذلك من عمر بن

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٤٢٥، موسوعة شروح الموطأ ٢٣٥/٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ٢٩.

(٣) الاستذكار ٢٣٥/٦، موسوعة شروح الموطأ.

الخطاب ﷺ عندما قال للرجلين: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ".

وقد كان النبي ﷺ يغضب عندما يجد نخامة أو بصاقًا في القبلة، ويقوم بحكها بنفسه، وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرة، منها عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورؤى منه كراهية، أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه، وقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه، أو ربه بينه وبين قبلته، فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه، ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض. قال: أو يفعل هكذا"[١].

قال ابن حجر: "وفي الأحاديث المذكورة من الفوائد الندب إلى إزالة ما يستقذر أو يتنزه عنه من المسجد، وتفقد الإمام أحوال المساجد وتعظيمها وصيانتها"[٢].

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ حريصًا على هذا أشد الحرص، من ذلك أنه بنى رحبة في ناحية المسجد تسمى البطيحاء وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرًا أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة"[٣].

قال القرطبي: "وهذا يدل على أن عمر كان يكره إنشاد الشعر في المسجد، ولذلك بنى البطيحاء خارجه"[٤].

وعن نافع أن عمر كان إذا خرج إلى الصلاة نادى في المسجد: "إياكم واللغط، وإنه كان يقول: ارتفعوا في المسجد"[٥]. وعن ابن عمر أن عمر كان يجمّر المسجد في كل جمعة"[٦]. وقال ابن كثير: "وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا رأى صبيانًا يلعبون في

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٧، ومسلم ٥٥١.

(٢) فتح الباري ٦١٢/١. ط الريان.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٤٢٦، بلاغًا عن عمر بن الخطاب ﷺ، ٢٣٦/٦، موسوعة شروح الموطأ.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٢/١٢/٦.

(٥) أخرجه عبدالرزاق ٤٣٨/١، رقم ١٧١٣، وفي سنده انقطاع لأن نافعًا لم يدرك ذلك الزمان كما قال ابن حجر في الفتح ٦٦٨/١.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٦٣/٢، وأبو يعلي ١٩٠، وقال محقق مسند أبي يعلى: إسناده ضعيف، أهـ. ويقال: أجمرت الثوب وجمرته إذا بخرته بالطيب، القاموس المحيط في (ج م ر).

المسجد ضربهم بالمخفقة وهى الدرة، وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا"[١].

وإنما يجب على الإمام أو من يقوم مقامه، ذلك، لأن المساجد أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث: "أحب البلاد إلى الله مساجدها. وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"[٢].

قال النووي: (لأنها "أي المساجد" بيوت الطاعة وأساسها على التقوى، "و" لأنها "أي الأسواق" محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه"[٣].

ولذلك كان "من أجل الأعمال وأعظمها منزلة عند الله عمارة المساجد، بيوت الله وأحب البقاع إليه، عمارة حسيه بالبناء والترميم والتنظيف، وعمارة معنوية بالصلاة فيها وتلاوة القرآن والذكر والدعاء ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾[٤]. التي جعلت عمارتها من أبين الأدلة على صدق الإيمان ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآية[٥]، لقد أشاد الإسلام بفضل عمارة المساجد وما تعود به زيارتها على النفوس من أثر فعال، وأضافها الله إلى نفسه إضافة تشريف فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٦]، ولا غرابة فعمارة المساجد كالمرآة الصافية لعكس أحوال الناس، وبيان مدى رغبتهم في الخير"[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٦٤.

(٢) أخرجه مسلم، ٦٧١.

(٣) شرح مسلم ٣/٥/١٧٤، .

(٤) سورة النور، آية: ٣٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٨.

(٦) سورة الجن، آية: ١٨.

(٧) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين: جمع وتحقيق: عبدالله بن جارالله بن إبراهيم الجارالله، ط١/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م/ص١١.

رابعًا- من آداب الداعية: إعذار أهل الجهل:

وهذا واضح من قول عمر للرجلين الذين رفعا أصواتهما في مسجد رسول الله ﷺ من أين أنتما؟ فقالا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه، عن نافع عن ابن عمر قال: سمع عمر رجلاً رافع صوته، فقال: ممن أنت؟ قال من ثقيف، قال من أى الأرض؟ قال: من أهل الطائف. قال: أما إنك لو كنت من أهل بلدنا لأوجعتك ضربًا. إن مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت"[١].

قال ابن حجر: "وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفي مثله"[٢].

قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن الغريب الذي لا يعرف مقدار شرف المسجد معذور حتى يعرف، ... وفيه أيضًا من الفقه ان أرسل إليهما ولم يذهب بنفسه، وفي ذلك دليل على جواز الاستنابة في إنكار المنكر. وفيه أيضًا أن عمر أحسّ بأنهما غريبان فأراد أن يستدعيا إليه، فيعلما أنه سيد وآمر، فيصيرا إلى قوله"[٣].

ومن هذا القبيل ما رواه معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللّه فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ! مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ. فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ. فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللّه مَا كَهَرَنِي[٤] وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ. إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ». أو كما قال رسول الله ﷺ: قلت: يارسول الله إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام..." الحديث[٥].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ٤٣٨/٢ رقم ١٧١٢.

(٢) فتح الباري ٦٦٨/١، ط الريان.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٩/١.

(٤) أي ما انتهرني. شرح صحيح مسلم للنووي ٢١/٥/٣.

(٥) أخرجه مسلم٥٣٧.

(فالجهل عذر في حق الله تعالى في المنهيات دون المأمورات، والأصل فيه حديث معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة، ولم يؤمر بالإعادة لجهله بالنهي)[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية: "قال السيوطي: كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل منه دعوى الجهل إلا أن يكون قريب عهد الإسلام أو نشأ ببادية بعيدة يخفي فيها مثل ذلك، كتحريم الزنى والقتل والسرقة والخمر والكلام في الصلاة، والأكل في الصوم"[٢].

وقال الدكتور محمد رواس قلعه جي: (يعذر بالجهل من كان مقيمًا في مكان لا يبلغه فيه الخبر صحيحًا، لأنه لا تكليف إلا بعد البلاغ، لقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٣]. وعلى هذا فإن البدوي المنقطع عن الناس إن جهل افتراض الحج عليه يعذر بجهله، وأرى أنه لا يعذر المسلم المقيم في ديار الكفر بجهله بأركان الإسلام ومبادئه، لتوفر المراكز الإسلامية فيها، ولوصول الإذاعات إليه، ولإمكانه السؤال عما يجهله من أمر دينه، نظرًا لسهولة الاتصال.

آثار الجهل: يترتب على الجهل عدة آثار هي:

١- سقوط الإثم: فمن شرب الخمر جاهلاً تحريمه، لا إثم عليه، ومن قبل هدية وهو يجهل أنها مسروقة فلا إثم عليه.

٢- ترتب الإثم: يترتب الإثم بالرضى بالجهل بما وجب عليه العلم به من أحكام الشريعة أو أحوال الصناعة، وبالعمل بما يجهل حله، أو منع ما يجهل تحريمه.

٣- سقوط العقوبة دون الضمان فيما يستحق الضمان: فمن شرب مشروبًا وهو يجهل أنه خمر فلا عقوبة عليه، ومن تزوج امرأة ودخل بها وهو لا يعلم أنها ذات زوج، فنكاحه فاسد، ويجب عليه الصداق بما أصاب منها، ويلحق به نسب الولد، ولا حد عليه، ومن خرق ثوبًا يظن أنه لا مالك له، فعليه ضمانه ولا عقوبة عليه.

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠٢/١٦.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٩٩/١٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

٤- اعتبار التصرف باطلاً إن كان من قبيل ترك الواجبات، وصحيحًا إن كان من قبيل فعل المنهيات، فمن تكلم في صلاته جاهلاً النهي عن الكلام في الصلاة، فصلاته صحيحة.

٥- عدم الحنث بفعل ما حلف عليه جاهلاً أنه هو المحلوف عليه، فمن حلف أن لا يتصدق على فلان، فأتاه فلان يطلب صدقة، فأمر له بها، وهو لا يعلم أنه هو الذي حلف أن لا يعطيه، لا يحنث.

٦- وجوب التحري: إن جهل الحقيقة المترددة بين أمرين وجب عليه أن يتحراها في أحدهما، فمن كان عنده ماء طاهر وماء نجس، وثياب طاهرة وأخرى نجسة، وجهل أيتها طاهرة وأيتها نجسة، وجب عليه أن يتحراها، وإن جهل وقت الصلاة، أو وقت الصيام وجب عليه أن يتحراه، ومن جهل جهة القبلة ولم يوجد من يخبره بها، وجب عليه أن يتحراها، والمستحاضة إن جهلت وقت عادتها وجب عليها أن تتحراها، وهكذا.

٧- الحجر: كل من تعاطى أمرًا جاهلاً به، ويتعدى أثره إلى الآخرين يحجر عليه ويمنع من تعاطيه، كالطبيب الجاهل، والمفتي الجاهل، ونحوهما"[1].

---

(١) الموسوعة الفقهية الميسرة، ٦٨٨/١، ٦٨٩..

الحديث رقم (١٦٩٩)

١٦٩٩- وعنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ[1] ضَالَّةً فَقُولُوا: لا رَدَّهَا[2] اللهُ عَلَيْكَ)) رواه الترمذيُّ[3]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينشد ضالَّة: يطلب ما ضاع منه[4].

الشرح الأدبي

إن نص هذا الحديث يتآزر في دلالته مع الحديث السابق: وفيه مزيد من التوضيح والبيان، وتحقق في هذا النص وفي كل نصوص الحديث الشريف المعايير التي حددها العلماء للنص المتماسك في بنائه، والمشع بدلالته.

والحديث النبوي: من أفصح ما جاءت به العربية بعد كتاب الله عز وجل، والمعايير التي قال بها العلماء كثيرة ومنها القصدية، وهي: تعبير عن هدف النص، والمقبولية وتتعلق بموقف المتلقي والمخاطب الذي يقر بأن المنطوقات اللغوية تكون نصًا متماسكًا، والإخبارية تتعلق بتحديد جدة النص وإفادته، والموقفية، وتتعلق بمناسبة النص للموقف، والتناصّ ويختص بالتعبير عن تبعية النص لنصوص أخرى أو تداخله معها.

---

(١) لفظ الترمذي زيادة: (فيه).

(٢) لفظ الترمذي: (ردّه).

(٣) برقم (١٣٢١) وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وفي الترغيب: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وصححه ابن خزيمة (١٣٠٥)، وابن حبان (الإحسان ١٦٥٠)، وقال الحاكم (٥٦/٢): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٢).

(٤) اللسان في (ن ش د).

وهذا الحديث يتلاقى مع كل أحاديث هذا الباب في معناه ومبناه، فهو يتكون من أربع جمل تتناسق فيما بينها في المعاني والمباني في اتساق وتآلف، فالأولى شرطية والثانية دعائية، والثالثة شرطية والرابعة: دعائية، وجملة فعل الشرط موحدة في الجملتين الأولى والثالثة، حيث يقول ﷺ: "إذا رأيتم" في بداية الجملتين، وتعرض الجملة الأولى موقفًا وهو صورة من يبتاع أو يبيع في المسجد.

وفي هذه الجملة إيجاز بالحذف حيث حذف متعلق الفعل الأول ودل عليه ما بعده والتقدير من يبيع في المسجد أو يبتاع في المسجد، وفي هذه العبارة تنازع بين الفعلين على معمول واحد وهو "في المسجد"، وهذا التنازع اللغوي يفصح عن التنازع البشري بين البائع والمشتري، وما ينتج عن ذلك من آثار غير محمودة تضر بالمصلين، وتفسد عليهم عبادتهم، وجملة فعل الشرط موحدة كذلك في الجملتين: وهي قوله: "فقولوا": وقيل: الأمر بالقول: ندبًا وليس وجوبًا.

وتأمل صيغة الأمر وهي للجمع، فكل من بالمسجد مأمورون بأن يدعوا على من اتخذ من المساجد ميدانًا لقضاء حاجاته الدنيوية، فكلهم يقول له: لا أوقع الله الربح في تجارتك: لكونك أتيت بها في محل المتاجر الأخروية، دون محلها من الأسواق وخارج المساجد، وحذف من الجملة الثانية قوله: "في المسجد" لدلالة الأول عليه، والله أعلم.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة نشد الضالة في المسجد، وجواز الدعاء على من يفعل ذلك بعدم وجدانها. وقد مر بيان هذا الحكم في الحديث (١٦٩٨).

٢- حكم البيع والشراء في المسجد: اختلف الفقهاء في حكم البيع والشراء ونحوهما في المسجد على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة في رواية[1] ويرون أن البيع والشراء في المسجد

---

(١) منار السبيل ٢٩١/١، والمبدع ٨٢/٣، وكشاف القناع ٣٦٦/٢، والفروع ٤٧٧/٤.

حرام قلّ المبيع أو كثر، احتاج إليه أو لا.

قال أحمد: (إن هذه بيوت الله لا يباع فيها ولا يشترى) ورأى عمران القصير رجلاً يبيع في المسجد فقال: يا هذا، إن هذا سوق الآخرة فإن أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا[١].

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن البيع والشراء في المسجد، والنهي حقيقة في التحريم[٢].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[٣]، والمالكية[٤]، والشافعية[٥]، والحنابلة في وجه عندهم[٦]، ويرون أن البيع، والشراء ونحوهما في المسجد مكروه وحملوا النهي الوارد في الأحاديث على الكراهة.

الرأي الثالث: وقد نسبه بعض العلماء[٧] إلى بعض أصحاب الشافعي، وحاصله أن البيع والشراء في المسجد جائز بلا كراهة.

ولكن الأحاديث الواردة بالنهي ترده.

الترجيح: والراجح من هذه الآراء هو الرأي الأول الذي يرى حرمة البيع والشراء ونحوهما في المسجد، وذلك لأن النهي حقيقة في التحريم، وحمله على الكراهة يحتاج إلى قرينة صارفة، وهي غير موجودة هنا[٨].

على أننا إذا رجحنا القول بحرمة البيع والشراء في المسجد، إلا أن العقد يعد

---

(١) كشاف القناع ٢/٣٦٦.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٣٠.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٣٢٧.

(٤) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٦/١٤، وشرح الزرقاني على الموطأ ١/٥٠٣.

(٥) روضة الطالبين ١١/٢٢٤، والمجموع ٢/٢٠٠، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٤/١٩٤.

(٦) الفروع ٤/١٨٤، والمغني لابن قدامة ٤/١٨٤.

(٧) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٣٠.

(٨) المرجع السابق الموضع نفسه.

صحيحًا منتجًا لآثاره[١]، خلافًا لبعض الحنابلة[٢].

٣- النهي عن إنشاد الشعر في المسجد، والمنهي عنه ما كان على سبيل التفاخر والهجاء، ومدح من لا يستحق المدح، وذم من لا يستحق الذم.

أما ما فيه أمر بمعروف، ونهي عن منكر، وبيان لأحكام الدين، وترغيب في العمل بها ومدح من يستحق المدح، وذم من يستحق الذم، وحث على الزهد والمكارم فجائز[٣].

المضامين الدعوية[٤]

(١) سبل السلام ١٥٥/١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٣٠/٢، ومنار السبيل ٢٩١/١، ونيل الأوطار ١٦٧/٢.

(٢) كشاف القناع ٣٦٦/٢، وفيه (فإن فعل -أي باع واشترى في المسجد- فباطل).

(٣) كشاف القناع ٢١٦/٤، والمهذب ١٧٧/٢، وشرح صحيح مسلم ١٤/١٥، والدين الخالص ٢٦٠/٣.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٠٠)

١٧٠٠- وعن بُرَيدَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلاً نَشَدَ في المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لا وَجَدْتَ؛ إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

نَشَد ضالَّة: طلب ضَالَّته التي فقدها[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يسرد مشهدًا واقعيًا عمليًا من سيرة المصطفى ﷺ، يؤكد ما أمرنا به رسول الله ﷺ في الحديثين السابقين. وهو الدعاء على كل من ينشد ضالة في المسجد، أو يبيع أو يبتاع في المسجد، فالرسول ﷺ هو الذي دعا على هذا الرجل الذي نادى في المسجد، وقال: "من دعا إلى الجمل الأحمر".

والحديث يبدأ بتأكيد الخبر على لسان أبي بريدة رضي الله عنه: حتى لا يتشكك من في قلبه مرض، والتأكيد في إطار الجملة الاسمية: أن رجلاً نشد في المسجد ضالة، وتنكير كلمة "رجلاً" لإفادة الشيوع وتعميم الحكم، فليس المراد تحديد رجل بعينه: وإنما معرفة الحكم، والاهتداء إلى السلوك الصحيح في مثل هذه المواقف، وتقديم "المسجد" على "ضالة"، للاهتمام، وللتنبيه على أن المراد ليس النهي عن الإعلان عن ضياع الحيوان، وإنما النهي عن اتخاذ المسجد ميدانًا لمثل هذا الأمر، فالمساجد لم تبن لهذا، وعليه أن يعلن خارج المسجد، والاستفهام في قوله: "من دعا": استفهام حقيقي،

---

(١) برقم (٥٦٩/٨٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٤٣).

(٢) اللسان في (ن ش د).

ووصف الجمل بالأحمر لمزيد من التحديد والتعرف على لون الجمل وهيئته، وقول رسول الله ﷺ: "لا وجدت" يفصح عن رفض رسول الله ﷺ لهذا السلوك، وفي العبارة إيجاز بالحذف، والتقدير: لا وجدت "الجمل الأحمر" وكأن هذا الحذف اللغوي: إيذان باستجابة الدعاء على الرجل، وأن يظل الجمل مفقودًا في الحياة المادية، كما هو غير موجود في البناء اللغوي، وذلك من الأسرار الكامنة في كنوز السنة النبوية، ومن خبيئات البيان النبوي الحكيم.

والجملة الأخيرة في الحديث تتسم بالإيجاز والإيحاء والإشعاع الدلالي والبلاغي.

حيث جاءت في أسلوب القصر وهو للحصر والاستقصاء عن طريق "إنما"، ومع القصر التأكيد، والإيجاز وتأمل هذه الأسرار التعبيرية المشعة بفيوضات التعليم النبوية، والتوجيهات الإسلامية في قوله: "إنما بنيت المساجد لما بينت له"، أي: من الصلاة والذكر ونشر العلم. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

الحديث رقم (١٧٠١)

١٧٠١- وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشِّراءِ والبَيْعِ في المَسْجِدِ، وَأنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ؛ أَوْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ. رواه أَبُو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

تُنشَد فيه ضالَّة: يطلب ما ضاع من البهئم ونحو ذلك[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يتناص مع الأحاديث السابقة فكلها تتموج في دائرة واحدة وهي: حفظ حرمة المساجد، وتخصيصها للعبادة والذكر وطلب العلم.

ويبدأ الحديث بالتأكيد لتوثيق الخبر، لأن النص ليس من كلام رسول الله ﷺ لفظاً ولكن بالمعنى.

وفي إطار مظلة التوكيد تتحرك ثلاثة جمل إخبارية متدثرة بالنهي الصادر من رسول الله ﷺ، فالجملة الأولى: نهى عن الشراء والبيع في المسجد، وهذا أمر صريح، ونهي واضح: لأن البيع والشراء يثيران الجدل والتنازع، وعلو الصوت، والمساومات، وأحياناً يلجأ الطرفان إلى الخداع والكذب، وهذا لا يليق بمكانة المسجد وهو بيت الله عز وجل.

والجملة الثانية: تتضمن إيجازاً بالحذف: والتقدير: ونهى عن أن تنشد فيه ضالة أي في المسجد، والحذف والإيجاز من سمات بلاغة النبوة، والبناء للمجهول في الفعل: تنشد

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٧٩)، والترمذي (٣٢٢).

(٢) النهاية في (ن ش د).

"إفادة تعميم النبي ﷺ على كل مسلم ينشد ضالته، فالنهي ليس متعلقاً بشخص دون آخر، ولا بعصر دون عصر، ولا بحادثة محددة أو بموقف معين، وإنما هي قاعدة شرعية ثابتة لا يصح تغافلها في أي زمن.

وأما الجملة الثالثة: فهي تتعلق بالشعر المنهي عنه: وهو شعر اللهو والعبث، والهجاء، والتعريض بالإسلام والمسلمين، والخوض في الأعراض، وإضعاف الهمم، ولذلك قال العلماء: في تفسير هذا النهي المتعلق بإنشاد الشعر في المساجد أي شعر غير مشتمل على نحو توحيد أو على مدح الرسول ﷺ أو نحوه من مطلوبات العلوم، وقال رسول الله ﷺ: الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام[1].

وقال: الخليل بن أحمد: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام[2].

وقيل: إنه: في صدر حياته قبل البعثة حضر سوق عكاظ مع القوم، وشهد حلقات الشعر والخطابة، وروى عنه أنه سمع عمرو بن كلثوم ينشد معلقته المشهورة في سوق عكاظ، كما يقول صاحب كتاب الأغاني. وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: "جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية، وهو ساكت، فربما تبسم معهم"[3].

وقد حث النبي ﷺ شعراء الإسلام من الصحابة على التصدي للمشركين، والدفاع عن الإسلام، فعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ: "إن الله عز وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل[4].

وأنشد حسان بن ثابت في المسجد أمام رسول الله ﷺ ودعا له النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ٨٦٥ (صحيح الأدب المفرد، الألباني ٦٦٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٥/٨.

(٣) أخرجه الترمذي ٢٨٥٠، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٢٨٦).

(٤) أخرجه أحمد، ٢٧١٧٤، وقال محققو المسند حديث إسناده صحيح على شرط الشيخين ١٤٨/٤٥.

بالتأييد، فعن أبي هريرة أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: "قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة ﷺ، فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عني اللهم أيده بروح القدس، قال: اللهم نعم"[١].

المضامين الدعوية[٢]

(١) أخرجه البخاري، ٣٢١٢، ومسلم، ٢٤٨٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

الحديث رقم (١٧٠٢)

١٧٠٢- وعن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ[١] فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ[٢] أَنْتُمَا؟ فَقَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم! رواه البخاري[٣].

ترجمة الراوي:

السائب بن يزيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٨٣).

غريب الألفاظ:

فحصبني: أي رماني بالحصباء وهي صغار الحجر[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو خاتمة باب" كراهة الخصومة في المساجد" وهو يسرد مشهداً واقعياً: من المشاهد التي تتوالى وتتجمع لتكون هذه السلسلة الذهبية من مشاهد تاريخ الرسالة المحمدية، ووقائع حياة الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمايتهم للرسالة وللرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا المشهد حوار بين عمر بن الخطاب والسائب بن يزيد رضي الله عنهما في القسم الأول من الحديث ثم ينتقل الحوار إلى ميدان آخر وهو ميدان، الزجر والتأديب، وتوجيه بعض المسلمين الغافلين إلى ضرورة المحافظة على حرمة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدم رفع الأصوات فيه وفي كل مسجد وفي مقدمة ذلك: المسجد الحرام والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى.

---

(١) عند البخاري زيادة: (قائمًا).

(٢) (أين) لا توجد عند البخاري.

(٣) برقم (٤٧٠).

(٤) فتح الباري ٦٦٨/١، والوسيط في (ح ص ب).

والعطف بالفاء في أغلب جمل الحديث أفصح عن توالي أحداث هذا المشهد الحقيقي، وذلك يرشد إلى ضرورة تغيير المنكر وعدم التمهل والتأني في ذلك، ولنتأمل هذه الأفعال المتواليات في سرعة وحرص على القضاء على الخصومة التي نشأت في المسجد: "كنت في المسجد، فحصبني رجل فنظرت: فإذا عمر: فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، فقال من أين أنتما: فقالا: من أهل الطائف، فقال".

وإن حرف الفاء هنا أضفى على جو الحديث طبيعة الإسراع وعدم التريث في القضاء على المنكر وذلك استجابة من عمر رضي الله عنه لأمر رسول الله ﷺ وتعليماته في هذا المجال: "من رأى منكم منكراً فليغيره... إلخ"[1] الحديث.

والحوار من سمات البيان النبوي، وقد جاء الحوار في هذا الحديث على مستويين: أو في موقعين: أحدهما بين عمر بن الخطاب والسائب بن يزيد رضي الله عنهما، وثمرته أن السائب رضي الله عنه أتى بالمتخاصمين إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والثاني بين ابن الخطاب رضي الله عنه والاثنين المتنازعين واللذين علت أصواتهما في المسجد وهما من الطائف، وسؤال عمر رضي الله عنه لهما "من أين أنتما..." للتعرف عليهما، لأنهما من سلوكهما بدا أنهما غريبان، لا يعرفان مكانة المسجد النبوي، وتأمل موقف عمر رضي الله عنه الحكيم اللين: وهو الشديد في الحق الذي لا يلين ولا يفرط في حق من حقوق الله، حينما قالا له: "من أهل الطائف"، لم يعاقبهما، بل نبههما إلى مراعاة حرمة مسجد رسول الله ﷺ، وقال لهما في أسلوب الشرط الذي يوحي بالعقوبة، ولكنها عقوبة معلقة نظراً لظروفهما وغربتهما وعدم معرفتهما بالسلوك الواجب اتباعه في المساجد، فقال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما"، ولو حرف امتناع لامتناع، فقد امتنع جواب الشرط وهو العقوبة لامتناع الشرط، وهو أنهما ليسا من أهل المدينة، ثم ينالهما في نهاية الحديث السبب الذي من أجله كانا سيعاقبان، وهو "ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ": وهذا استفهام إنكاري يفيض بكثير من المعاني والتوجيهات التي فطن لها السامعون، وهذان الغريبان، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١-كراهة رفع الصوت في المساجد، ولو بالقرآن الكريم، أو الذكر وذلك خشية التشويش على المصلين، أو الذاكرين، أما إن شوش على المصلين، والذاكرين كان رفع الصوت حراماً[١].

وأجاز أبو حنيفة، ومحمد بن سلمة من أصحاب مالك رفع الصوت فيه، بالعلم، والخصومة، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس، لأنه مجمعهم ولابد لهم منه[٢].

٢-وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله[٣]، إذ امتنع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ضرب الرجلين اللذين رفعا أصواتهما في المسجد لما علم أنها غريبان، جاهلان للحكم.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٣٥/١، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٧٤/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٥/٥، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٤٥٨/٤. وفي المسالة تفصيل. انظر: الموسوعة الفقهية ٢٠٧/٣٧-٢٠٨.

(٣) فتح الباري ٥٦١/١.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٦٩٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على مراعاة حرمة المساجد:

المساجد بيوت الله في الأرض، أضافها المولى تبارك وتعالى إلى نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[1] وأضافها المصطفى ﷺ إلى ربه في قوله: ((لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله))[2] إن هذه المساجد بيوت الله أذن أن يرفع فيها اسمه وهي محل التسبيح والصلاة وقراءة القرآن، قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[3].

والمساجد بما أن الله أضافها إلى نفسه وأضافها النبي ﷺ إلى ربه، وأذن الله أن ترفع، لها حرمة ولها أحكام واحترام وتعظيم[4].

ينبغي للمربي أن يعمل على إيضاحها وبيان أهمية مراعاتها، صيانةً وتنزيهًا للمساجد منها: كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات، كما دلت أحاديث الباب؛ فالمسجد له من الاحترام والقدسية ما يجعل المربي حريصًا على ترسيخها في النفوس، وتوظيف الأساليب التربوية المناسبة لتعميق هذه القدسية وهذا الاحترام وأن يبين للمتربين تلك الآداب التربوية، لأن المساجد تختلف عن الأماكن العامة.

فالمساجد بنيت للعبادة والذكر والعلم، فلا يجوز التشويش على المصلين فيها برفع الصوت والخصومة، كذلك يبين المربي لمن يقوم بتربيتهم، أن البيع والشراء ونشد

---

(١) سورة البقرة، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٩٠٠، ومسلم ٤٤٢.

(٣) سورة النور، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٧٦٦/٢.

الضالة في المسجد منهي عنه، بل يجوز لمن رأى ذلك أن يدعو على الفاعل لأنه ارتكب معصية بانتهاك حرمة المسجد وخصوصيته. فالمساجد أسواق الآخرة فمن آدابها تنزيهها عن أمور الدنيا ومما لا علاقة له بالآخرة.

فالمساجد بنيت لمصالح المسلمين في الدنيا والآخرة فلا يجوز تحويلها لمصلحة شخص أو حزب أو طائفة، وعلى المربي أن يستحث المتربين على الإكثار من ذكر الله تعالى، والتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير وغيرها من الأذكار، وكذلك قراءة القرآن، وتدارس الحديث النبوي وعلم الفقه، وسائر العلوم الشرعية[1]. ويبين لهم فضل وثواب تلك الأعمال مما يساعد على ترسيخ تلك الآداب الشرعية والتربوية في النفوس. فشرف المسجد وفضله ينأيان به عن أن يكون محلاً لخصومة أو رفع صوت أو بيع وشراء ونشد ضالة ونحوها من المعاملات التي مكانها خارج المسجد لا داخله.

ثانيًا - التربية بالرفق:

إن التربية بالرفق من الأساليب التربوية الناجحة والمؤثرة والتي يحرص عليها المربي في التعامل مع من يريد تربيتهم وهدايتهم؛ لأن الرفق ولين الجانب يفتحان العقول، ويستميلان القلوب حتى يستطيع المربي أن يعمق المعاني التربوية العظيمة للقيم النبيلة التي يسعى المصلحون لغرسها في القلوب[2].

وتتجلى مظاهر الرفق في هذا الباب في فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث لم يعاقب من رفعا صوتهما في مسجد النبي ﷺ وقال: "لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما" حيث رفق بهما لجهلهما بحرمة المسجد؛ فالجاهل يحتاج إلى أن يعلم أمور دينه برفق ولين - قبل أن يعاقب على الخطأ فيها - حتى يقبل عليها، ويتقبلها بقلب سليم فعلى المربي أن يعلم من يقوم بتربيتهم بكل رفق ولين، فمن المشاعر النبيلة التي يجب أن يتحلى بها المربي، الرفق بالطلبة والرأفة بهم والعطف عليهم والرحمة بهم. أما المعلم الذي يتجرد من خلق الرحمة، فإنه يكون فظًا عتيًا غليظًا قاسيًا؛ مما يؤدي إلى

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ص ١٩٢-١٩٤.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٣٦٦.

نفور الطلبة وتمردهم؛ فالرفق والرحمة يؤديان إلى استجلاب قلوب الطلبة ودفعهم إلى الطاعة برغبة ذاتية والإقبال على التعلم بطواعية والاستفادة من التعليم بكل طاقاتهم، وتقبل النصح والتوجيه والنقد من المعلم دون تذمر، بل إن الطلبة يتقبلون العقاب من المعلم المحبوب بنفس راضية، وقلوب صافية؛ لأنهم يعرفون أنه يعاقبهم على منافعهم ومصالحهم وليس انتقامًا منهم[١].

ثالثًا - أسلوب الأحداث الجارية:

يتعرض الناس في حياتهم دومًا للأحداث التي تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم، والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدىً بغير عبرة وبغير توجيه وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث - كأسلوب تربوي - أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال فيكون من الحكمة - هنا - استخدام الدواء عند حدوث الداء[٢].

ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب عندما استغل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حدث رفع اثنين من أهل الطائف صوتهما في مسجد رسول الله ﷺ وقال لهما: "لو كنتما من أهل البلد، لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله...".

وهو بذلك يوجه من علا صوتهما ويبين لهما خطأ هذا الفعل مستغلاً هذا الحدث في تربيتهما، والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية، وعن طريق التأمل، إن كانت داخلية[٣].

---

(١) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي جان، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، ص ٥٧٢.

٣١١- باب نهي من أكل ثوماً أَوْ بصلاً أو كراثاً أو غيره مِمَّا لَهُ رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلاَّ لضرورة

الحديث رقم (١٧٠٣)

١٧٠٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ أكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ -يعني: الثُّومَ- فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)). متفق عَلَيْهِ[1].

وفي روايةٍ لمسلم[2]: ((مساجدنا)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن المسلم يجب أن يكون نظيفاً، حريصاً على إزالة أي رائحة تؤذي المسلمين وهو ذاهب للمسجد، أو إلى أي اجتماع عام، وبعض أنواع الطعام تظل رائحته في فم آكله، وتؤذي كل من يتحدث معه أو يجلس بجواره، ولذلك سمى رسول الله ﷺ "اللبن والتمر بالأطيبين" لأنهما لا يؤذيان أحداً برائحتهما ولهما فوائد جمة، وأما الثوم إذا أكل نيِّئاً تبقى رائحته، وتؤذى كل من يجلس بجوار آكل الثوم من المصلين، ولذلك جاء أسلوب الرسول ﷺ متسماً بالشدة، وهو ينهي كل من أكل الثوم عن الاقتراب من المسجد.

والحديث جملة واحدة تمثل قاعدة من قواعد السلوك الإسلامي. وهذه الجملة شرطية وشرطيتها تفيد أن آكل الثوم ليس ممتنعاً، ولكنه منهي عنه حالة دخول المسجد، وإذ أُكل نيِّئاً، وجملة فعل الشرط تضمنت اسم الإشارة، "هذه" والمشار إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥٣) واللفظ له، ومسلم (٥٦١/٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٥).

(٢) برقم (٥٦١/٦٩). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٥).

الشجرة، وقيل في تحديدها: يعني الثوم، وهذا التحديد الإشاري فيه دقة وتحذير من رسول الله ﷺ بعدم الإصغاء إلى هذا التحذير، ولذلك جاء التعبير في جواب الشرط بقوله: "فلا يقربن"، ولم يقل: فلا يدخلن، وفي ذلك إرشاد بضرورة الابتعاد عن المسجد، وعدم مصافحة المصلين أو المشي حتى باب المسجد، منعاً للأذى الذي ينفر الناس، ويشغلهم عن صلاتهم.

وصيغة الجمع في قوله: "مسجدنا" للاستغراق والتعميم، والمراد: كل مساجد المسلمين، ويؤيد ذلك، رواية مسلم: "مساجدنا" وقد ثبت أنه ﷺ كان يترك الثوم دائماً لأنه يتوقع مجيء الملائكة والوحي كل ساعة، وقال العلماء: فينبغي لمحبة النبي ﷺ موافقته في ترك الثوم ونحوه، وكراهة ما كان يكرهه، فإن من أوصاف المحب الصادق أن يحب ما أحب محبوبه، ويكره ما يكرهه.

فقه الحديث

وتشتمل هذه الأحاديث من الفقه على تنزيه المسجد، وصيانته عن الروائح الكريهة، إذ نهى رسول الله ﷺ من أكل ثوماً، أو بصلاً أو كراثاً عن دخول المساجد.

وقد اختلف في النهي هل هو للتحريم، أو للكراهة؟

فذهب المالكية[1]، وبعض الحنابلة[2] إلى أنه النهي للتحريم.

وذهب الشافعية[3]، وبعض الحنابلة[4] إلى أنه للكراهة.

ويقاس على الثوم والبصل، والكراث، ما له رائحة كريهة يتأذى بها المسلمون

---

(١) التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٨٣/٢، والفواكه الدواني ٢١٩/٢.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٤/٢.

(٣) روضة الطالبين ٢٩٧/١، وفتح الوهاب ١٠٩/١.

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٠٤/٢ وفيه: (يكره حضور المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً، أو فجلاً أو نحوه. حتى يذهب ريحه على الصحيح من المذهب).

كالدخان، وصاحب البخر الذي تنبعث من فمه رائحة كريهة، ومن به جرحٌ منتن، وصاحب الثياب القذرة، وغير ذلك، لأن في ذلك إيذاء للناس وإضراراً بهم، وهو محرم، وما أدى إلى الحرام فهو حرام[١].

وليس المراد بالتحريم تحريم أكل البصل والثوم، وإنما المراد تحريم دخول المسجد على من أكلهما نيئين من أجل الروائح الكريهة، أما إذا كان مطبوخاً فلا يشمله النهي لذهاب تلك الرائحة منه[٢]، ولقول عمر رضي الله عنه "فمن أكلهما فليمتهما طبخاً".

والأظهر أن النهي عام في كل المساجد لوجود الأذى، خلافاً لمن خص النهي بالمسجد النبوي بالمدينة[٣].

ويلحق بالمساجد مجامع الصلاة، وغيرها كمصلى العيد، والجنائز، ومجامع العلم، والذكر، الولائم، ولا يلحق بها الأسواق، ونحوها[٤].

وفي الأحاديث دليل على منع آكل الثوم ونحوه من دخول المساجد حتى وإن كانت خالية، لعموم الأحاديث، ولأن المساجد مسكن الملائكة وهي تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من موضوعات الدعوة: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: تأذى الملائكة مما يتأذى منه بنو آدم.

---

(١) حاشية ابن عابدين ٦٦١/١، الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٣٥٦/١.

(٢) الدين الخالص ٢٤٨/٣، وأيضاً: التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٨٣/٢.

(٣) حاشية ابن عابدين ٦٦١/١، وشرح صحيح مسلم ٤٨/٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٨/٥، والفقه الواضح ٣٥٦/١، والدين الخالص ٢٤٨/٣.

(٥) الفواكه الدواني ٢١٩/٢-٢٢٠، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢٠٤/٢، وشرح صحيح مسلم ٤٨/٥، والدين الخالص ٢٤٩/٣.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٠٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦).

ثالثاً: من مهام الداعية: تغيير المنكر باليد إن قدر على ذلك.

رابعاً: من أهداف الدعوة: سد كل طريق يؤدي إلى أن يتأذى المسلم من أخيه المسلم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد:

وهذا واضح من هذه الأحاديث، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما عند مسلم: "أن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر: من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يأتين المساجد"[١].

قال النووي: "هذا تصريح بنهي من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد"[٢].

قال ابن حجر: " أن القول المذكور صدر منه ﷺ عقب فتح خيبر فعلى هذا فقوله مسجدنا يريد به المكان الذي أعد ليصلي فيه مدة إقامته هناك أو المراد بالمسجد الجنس والإضافة إلى المسلمين، أي فلا يقربن مسجد المسلمين، ويؤيده رواية أحمد[٣] عن يحيى القطان فيه بلفظ "فلا يقربن المساجد" ونحوه لمسلم[٤] وهذا يدفع قول من خص النهي بمسجد النبي ﷺ"[٥].

وقال النووي: "إن هذا النهى إنما هو عن حضور المسجد لا عن أكل الثوم والبصل ونحوهما، فهذه البقول حلال بإجماع من يعتد به ...، قال العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها، قال القاضي[٦]: ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشى"[٧].

---

(١) أخرجه مسلم٥٦١، وهو عند البخاري ٨٥٣ بنحوه.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٩/٥/٣ .

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢١ رقم ٤٧١٥ بلفظ: "من أكل من هذه الشجرة، فلا يأتين المساجد" وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) صحيح مسلم ٦٨-٥٦١.

(٥) فتح الباري ٣٤٠/٢، ط الريان.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٩٧/٢

(٧) شرح صحيح مسلم ٤٩/٥/٣-٥٠.

وقال ابن عثيمين: "وكذلك قال العلماء: من كان به رائحة أسنان كريهة أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يقرب المسجد حتى يزيل هذه الرائحة، لأن العلة قائمة وهى تأذي الملائكة بالروائح الكريهة"[١]، وقال ابن المرابط: "ويلحق به من له بخر في فيه (أى فمه) أو به جرح له رائحة"[٢].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث زجر عن أذى الناس بكل حال، وأمر بتحسين الأدب في حضور مواطن الصلاة من تعاهد الإنسان نفسه بترك ما يؤذي ريحه"[٣].

وقال النووي: "قال القاضي[٤]: وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها. ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها"[٥]. لكن ابن حجر قال: "لكن قد علل المنع في الحديث بترك أذى الملائكة وترك أذى المسلمين، فإن كان كل منهما جزء علة اختص النهى بالمساجد وما في معناها. وهذا هو الأظهر وإلا لعمّ النهي كل مجمع كالأسواق، ويؤيد هذا البحث قوله في حديث أبي سعيد عند مسلم[٦] "من أكل من هذه الشجرة شيئاً فلا يقربنا في المسجد"[٧].

والخلاصة أن كل من كان به رائحة كريهة يتأذى بها الناس فعليه أن لا يدخل المسجد حتى لا يكون سبباً للأذى سواء للملائكة أو للناس، ومن ثم يكون سبباً في التشويش على الناس في صلاتهم وذكرهم، وإنما شرعت المساجد لذكر الله تعالى كما قال ﷺ: "إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن"[٨]. كما أن امتناع من كان

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٧٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ٣/٥/٥٠. وانظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤٩٧.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/١٠٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤٩٧

(٥) شرح صحيح مسلم ٣/٥/٥٠. وانظر: المفهم للقرطبي المحدث، ٢/١٦٦.

(٦) صحيح مسلم ٧٦/٥٦٥.

(٧) فتح الباري ٢/٣٤٣/ .

(٨) أخرجه مسلم ٢٨٥.

هذا صفته عن دخول المسجد من تعظيم المساجد، قال القرطبي: "ومما تصان عنه المساجد وتنزه عنه الروائح الكريهة والأقوال السيئة وغير ذلك، وذلك من تعظيمها"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: تأذى الملائكة مما يتأذى منه بنو آدم:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "ومن أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"، قال النووي: "قال العلماء في هذا الحديث دليل على منع أكل الثوم ونحوه من دخول المسجد وإن كان خالياً، لأنه محل الملائكة ولعموم الحديث"[٢].

وقد كان النبي ﷺ لا يأكل الثوم ونحوه لأنه كان يناجي الملائكة وحرصاً على ألا يؤذيهم، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا -أو قال: فليعتزل مسجدنا- وليقعد في بيته، وأتى النبي ﷺ بقدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قربوها. إلى بعض أصحابه كان معه فلما رآه كره أكلها قال: كل، فإني أناجي من لا تناجي"[٣].

وقال ابن حجر: "أي الملائكة وفي حديث أبي أيوب عند ابن خزيمة وابن حبان[٤] من وجه آخر " أن رسول الله ﷺ أرسل إليه بطعام فيه خضرة فيه بصل أو كراث فلم يَرَ فيه أثر رسول الله ﷺ فأبى أَنْ يأكل، فقال له رسول الله ﷺ: ما منعك أن تأكل؟ قال: لم أر أثر يدك فيه يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: أستحيي من ملائكة الله، وليس بمحرم". ولهما[٥] من حديث أم أيوب قالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلفنا له طعاماً فيه بعض البقول، فذكر الحديث نحوه، وقال فيه: كلوا فإني لست كأحد منكم، إني أخاف أن أوذي صاحبي"[٦]، وفي صحيح ابن حبان كذلك: "فيها ريح الثوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٧/١٢/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥١/٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥٥، ومسلم ٧٣-٥٦٤.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٢، وقال المحقق إسناده صحيح، وانظر: تتمة تخريجه هناك.

(٥) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٣، وقال المحقق: إسناده حسن في الشواهد.

(٦) فتح الباري ٣٤٢/٢، .

ومعي ملك"[١].

والملائكة السياحون يتبعون مجالس الذكر[٢]، قال ابن القيم: "فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه، كما أخرجا في الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة فضلا[٣] يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم تعالى - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميداً وتمجيداً وأكثر لك تسبيحاً... الحديث، وفيه: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم. إنما جاء لحاجة. قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"[٤].

ثم قال ابن القيم: "فمجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه. وكل امرئ بصير إلى ما يناسبه"[٥].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين وفضل الاجتماع على ذلك. وأن جليسهم يندرج معهم في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليهم، إكراماً لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم"[٦].

كما أن الملائكة السياحين هم الذين يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام[٧]، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني من

---

(١) أخرجه ابن حبان ٢٠٩٤، وقال المحقق: إسناده حسن.

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ١١٧.

(٣) أي أنهم ملائكة زائدون عن الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم، وإنما مقصودهم حلق الذكر، شرح صحيح مسلم للنووي، ١٦/١٧/٩".

(٤) أخرجه البخاري ٦٤٠٨، ومسلم ٢٦٨٩.

(٥) الوابل الصيب من الكلم الطيب ٣٤٤/٢-٣٤٥.

(٦) فتح الباري ٢١٣/١١ .

(٧) انظر أصول الإيمان ١١٨.

أمتي السلام))[١].

وقد قال النبي ﷺ: ((لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ))[٢].

قال النووي: "قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطاناً كما جاء به الحديث[٣]. والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبريكها عليه وفي بيته ودفعها أذى الشيطان. وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب أو صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبريك والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها. قال الخطابي: وإنما لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور، فأما ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه. والأظهر أنه عام في كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث"[٤].

ثالثاً- من مهام الداعية: تغيير المنكر باليد إن قدر على ذلك:

هذا واضح من قول عمر بن الخطاب "لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحها من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع"، قال النووي: "هذا فيه إخراج من وجد منه ريح الثوم والبصل ونحوهما من المسجد، وإزالة المنكر باليد لمن أمكنه"[٥]. وقال ابن

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨٧/١ رقم ٣٦٦٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ١٨٣/٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.

(٣) أخرجه مسلم ٥١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم ٨٨/١٤/٧-٩٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ٥٥/٥/٣.

عثيمين: "البقيع قريب من المسجد النبوي، لكن يبعده إلى البقيع تعزيراً له وإلا فيكفي أن يخرجه من باب المسجد، لكن من أجل التعزير كان يخرجه إلى هذا المكان الذي هو بعيد نوعاً ما"[١].

وقال القرطبي: "قال العلماء: إذا كانت العلة في إخراجه من المسجد أنه يتأذى به، ففي القياس أن كل من تأذى به جيرانه في المسجد بأن يكون ذَرِب اللسان[٢] سفيهاً عليهم، أو كان ذا رائحة قبيحة لا تَرِيمه[٣] لسوء صناعته، أو عاهة مؤذية كالجذام وشبهه. وكل ما يتأذى به الناس كان لهم إخراجه ما كانت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كان لصلاة أو غيرها كمجالس العلم والولائم وما أشبهها، مَن أكل الثُّوم وما في معناه، مما له رائحة كريهة تؤذي الناس. ولذلك جمع بين البصل والثوم والكراث، وأخبر أن ذلك مما يتأذى به. قال أبو عمر بن عبد البر[٤]: وقد شاهدت شيخنا أبا عمر أحمد بن عبد الملك بن هشام أفتى في رجل شكاه جيرانه واتفقوا عليه أنه يؤذيهم في المسجد بلسانه ويده فشُوورِ فيه؛ فأفتى بإخراجه من المسجد وإبعاده عنه، وألا يشاهد[٥] معهم الصلاة؛ إذ لا سبيل مع جنونه واستطالته إلى السلامة منه، فذاكرته يوماً أمره وطالبته بالدليل فيما أفتى به من ذلك وراجعته فيه القول؛ فاستدل بحديث الثُّوم، وقال: هو عندي أكثر أذى من آكل الثوم، وصاحبه يُمنع من شهود الجماعة في المسجد"[٦].

وقال ابن القيم: "إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف كما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٦٨-١٧٦٩.

(٢) ذرب اللسان: فاسد اللسان بذيئه. القاموس المحيط في (ذ ر ب).

(٣) أي لا تفارقه، انظر الوسيط في (ر ي م).

(٤) التمهيد ٢/٣٤٩، "موسوعة شروح الوطأ"

(٥) في نسخة: يشهد كما في حاشية المحقق على تفسير القرطبي.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢/٢٦٧-٢٦٨، وقد نقله عن ابن عبدالبر في التمهيد، ٢/٣٤٩ (موسوعة شروح الوطأ). كما نقل بعضه عن شيخه القرطبي المحدث صاحب المفهم، ٢/١٦٦.

منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والوُلاَة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابةُ رسولَ الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: ((لا، ما أقاموا الصلاة))[1] وقال: ((مَنْ رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعَنَّ يداً من طاعته))[2] ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلب إزالته فتولَّد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عَزَمَ على تغيير البيت ورَدِّهِ على قواعد إبراهيم، ومَنَعه من ذلك ـ مع قدرته عليه ـ خشيةُ وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حَديثي عهدٍ بكفرٍ، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظمَ منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات: الأولى: أن يزول ويخلفه ضده، الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليَانِ مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبّ إلى الله ورسوله كَرَمْي النشَّاب[3] وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مُكاءَ وتَصْدية[4]، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٥٤.

(٢) أخرجه البخاري ٧٠٥٣، ومسلم ١٨٤٩.

(٣) النشَّاب: النَّبْل. القاموس المحيط في (ن ش ب).

(٤) المكاء: الصفير بالفم، أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها. والتصدية: التصفيق، القاموس المحيط في (م ك ا) وفي (ص د ا).

من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكُتُب المجون ونحوها وخِفْتَ من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فَدَعْهُ وكتبه الأولى، وهذا باب واسع.

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول: مررت أنا وبعضُ أصحابي في زمن التَّتَار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم مَنْ كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمرُ عن قتل النفوس وسَبْي الذرية وأخذ الأموال فَدَعْهم[1].

رابعاً- من أهداف الدعوة: سد كل طريق يؤدي إلى أن يتأذى المسلم من أخيه المسلم:

وهذا واضح من النهي لآكل الثوم أو البصل والكراث أو ما في معناه مما له رائحة من دخول المسجد، وذلك حتى لا يؤذي المصلين والملائكة، وقد جاء هذا صريحاً في قوله ﷺ: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

قال ابن عبدالبر: "روى النهى عن أكل الثوم بألفاظ متقاربة المعاني عن النبي ﷺ جماعة منهم: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وحذيفة وابن عمر وجابر وأنس وأبو سعيد والمغيرة ومعقل بن يسار... اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال بعضهم: إنما خرج النهى عن مسجد النبي ﷺ من أجل جبريل عليه السلام ونزوله فيه على النبي ﷺ، وقال آخرون، وهم الأكثرون: مسجد النبي ﷺ وسائر المساجد غيره في ذلك سواء وملائكة الوحى في ذلك وغيرها سواء. لأنه قد أخبر أنه يتأذى منه بنو آدم، وقال: "إن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه بنو آدم". وقال: "يؤذينا بريح الثوم"[2]، ولا يحل أذى الجليس المسلم حيث كان"[3].

وقا د. إبراهيم بن صالح الخضيري: "والمتأمل لحال الناس اليوم يجد أنهم لا يؤتون

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٣/٤- ٥، ط دار الجيل.

(٢) أخرجه مالك ٢٩ عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وانظر: كلام ابن عبدالبر في التمهيد، ٢/٣٣٥.

(٣) التمهيد ٢/٣٣٦-٢٢٨، موسوعة شروح الموطأ.

المساجد قدرها، ولا يعطونها القيمة التي أراد الله أن تكون فيها، فتراهم يأتون المساجد وروائحهم خبيثة منتنة، وثيابهم قد تحتوي على قاذورات فيها روائح تؤذي المسلمين، وهذا أمر يجب أن يأخذه أئمة المساجد ومن يتولى تعليم الناس أمور دينهم بعين الاعتبار وأن يحذروهم من التهاون بهذه القضية.

والمتأمل للأحاديث المتقدمة يجد أن الدين الإسلامي دين يسر ودين طهارة وكمال احتوى جميع ما يحتاجه البشر وراعى شعورهم وقدر تكافل الجماعة المؤمنة.

والمتأمل لتشريعات الإسلام في كل جانب من جوانب الحياة يجد أن هذا الدين العظيم لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وقد جاء لها بحكم أدركه من أدركه، وخفى على من قصرت عقولهم عن إدراك أسرار الشريعة الإسلامية وحين يحرص الإسلام على رعاية الجماعة المؤمنة فإنما يدل هذا على أن الإسلام يبني أمة قوية متماسكة الأركان. يرعى غنيها فقيرها، وحين تكون مجالسهم في المساجد وغيرها صافية من الكدر فإن ذلك عامل من عوامل الألفة، ولعمري إن المؤمن ليدرك أن الإسلام أكبر نعمة أنعمها الله على البشرية، فلندعُ إلى ذلك ما أمكننا... ومن هذا نعلم اهتمام الإسلام بمشاعر المسلمين، ورعاية حقوقهم والحفاظ على المساجد من الأذى"[١].

خامساً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

هذا يتضح من هذه الأحاديث على النحو التالي:

١- أن هذه البقول لم تحرم رغم أن لها رائحة كريهة يتأذى منها الناس، وقد سأل أبو أيوب رضي الله عنه النبي ﷺ عن الثوم: أحرام هو؟ قال: "لا ولكني أكرهه"[٢]، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: " يا أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجره أكره ريحها"[٣]، وقال النووي: "هذه البقول حلال بإجماع من يعتد به"[٤].

---

(١) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية ٣/١٨٩-١٩١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٥٣.

(٣) أخرجه مسلم ٥٦٥.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣/٥/٤٩.

وهذا من تيسير الإسلام، وذلك لكثرة فوائد الثوم والبصل، قال الدكتور صالح بن أحمد رضا: "يؤكد الأطباء اليوم على ما في الثوم والبصل من المنافع الكثيرة التي تمضي إلى بدن الإنسان لتمده بمواد نافعة تكون سبباً بإذن الله تعالى في زوال كثير من الأمراض والأسقام، ومن هنا ندرك السر في أحاديث رسول الله ﷺ المتعلقة بهاتين البقلتين، حيث نجد أنه بالرغم من نفرته منهما وعدم أكلهما أو أكله طعاماً توجدان هما أو إحداهما فيه، وأمره من أكلهما بعدم اقترابه من جماعة المسلمين ومساجدهم، إلا أنه لم يحرمهما، بل على العكس من ذلك، فإنه أباح أكلهما للمؤمنين ولكنه من أجل ألا يكون الإنسان متسبباً في إيذاء الناس والملائكة، أمر من أكلهما بعدم دخول المسجد، فالأمر يعود إلى الإنسان نفسه، فعليه أن يعمل جهده ألا يأكلهما قبيل الذهاب إلى الصلاة، ووقت الصلاة معلوم لكل مسلم، أو يحاول أن يذهب إلى المسجد وليس في فمه أثر لريح هاتين النبتتين"[١].

٢- أن من أَكَل هذه البقول وتمكن من إزالة روائحها الكريهة، فإنه يجوز له أن يدخل المسجد، قال ابن عثيمين: "يجوز إذا أكل ما يذهب الرائحة إذهاباً كاملاً، ولا صار يخرج من المعدة رائحة فلا بأس، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً"[٢].

٣- يجوز دخول المسجد مع أكل هذه البقول إذا أمات رائحتها بالطبخ. وهذا واضح من قول عمر بن الخطاب: "فمن أكلهما فليمتهما طبخاً"، قال ابن هبيرة: "فيه كراهية أن يتعرض الإنسان لأكل الثوم والبصل وكل ما يجري مجراهما في نتن الريح لئلا يتأذى به جلساؤه وإخوانه وإلا أن يميته بالطبخ"[٣]. وقد قال النبي ﷺ "إن كنتم لابد آكليهما فأميتوهما طبخاً"، يعني البصل والثوم"[٤]. قال النووي: "معناه من راد أكلهما فليمت رائحتهما بالطبخ، وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته[٥]، وقال ابن

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٣٣٠/١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٧٠/٢.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٥٣/١.

(٤) أخرجه أبو داود ٣٨٢٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٤٢).

(٥) شرح صحيح مسلم، ٥٥/٥/٣.

عثيمين: "إنه إذا طبخهما راحت الرائحة وحصلت الفائدة"[١].

٤- يجوز دخول المسجد لمن أكل ثوماً أو بصلاً بسبب مرض يُداوي منه أو نحو ذلك ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: أكلت ثوماً فأتيت مصلى النبي ﷺ وقد سبقت بركعة، فلما دخلت المسجد وجد رسول الله ﷺ ريح الثوم، فما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال: "من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنا حتى يذهب ريحها أو ريحه، فلما قضيت الصلاة جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله والله لتعطيني يدك، قال: فأدخلت يده في كم قميصي إلى صدري فإذا أنا معصوب الصدر، قال: "إن لك عذراً"[٢]، وقد بوب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر إسقاط الحرج عن آكل ما وصفنا نيئاً مع شهوده الجماعة إذا كان معذوراً من علة يداوى بها[٣].

كل هذا يؤكد يسر الشريعة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: "اليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة وأجمعت الأمة عليه"[٤].

وقال الدكتور القرضاوي: "إن التيسير روح يسري في جسم الشريعة كلها كما تسري العصارة في أغصان الشجرة الحية"[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٧٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٨٢٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي ٣٢٤١).

(٣) صحيح ابن حبان، الحديث ٢٠٩٥، وينظر تتمة تخريجه هناك.

(٤) الموسوعة الفقهية ١٤/٢١٣.

(٥) الخصائص العامة للإسلام ١٧٧، وانظر: الإحكام والتقرير لقاعدة المشقة تجلب التيسير. عدنان محمد أمامة. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

الحديث رقم (١٧٠٤)

١٧٠٤- وعن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مَنْ أَكَلَ مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ فَلاَ يَقْرَبَنَّا، وَ[1] لاَ يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا)) متفق عَلَيْهِ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يشع بتوجيهات المصطفى ﷺ التي توهجت في الحديث السابق، ولكن الألفاظ تختلف، وكذلك يتضمن هذا الحديث تشديداً أكثر، وتنفيراً أشد من هذا الذي أطلق عليه العلماء "الأبخر" وهو صاحب الرائحة الكريهة بسبب الطعام وغيره: وقالوا: على الإمام أن يمنع الأبخر من مخالطة الناس دفعاً لأذى ريحه عنهم.

وصياغة هذا الحديث تتفق في مبناها مع الحديث السابق: حيث صيغ في قالب: الشرط والجواب، وصدر الحديث الذي تمثله أداة الشرط: وجملة فعل الشرط متوافقة تماماً مع الحديث السابق، "من أكل من هذه الشجرة"، يعني الثوم، وجواب الشرط هنا أكثر توضيحاً، وأكثر صراحة في التنفير من أكل الثوم "نيّئاً" حيث قال: "فلا يقربنا ولا يصلين معنا".

ولنتأمل، دلالة الفعل وهي الاقتراب، فآكل الثوم ممنوع من الاقتراب من مجلس رسول الله ﷺ لأنه يؤذيه ويؤذي الصحابة رضي الله عنهم، ويؤذي الملائكة، ويؤذي جبريل المكلف بالوحي، والتأكيد في هذا الفعل يضاعف من حجم النهي والتحذير، وصيغة الجمع في ضمير الإسناد "نا" وهي للمتكلم الجمع: ترشد إلى أنه يمنع اقترابه من أي مجلس يجتمع فيه المسلمون للذكر والدعاء والمشورة والاستغفار والصلاة، والجملة

---

(١) لفظ البخاري: (أو)، والمثبت لفظ المنذري.

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٦) واللفظ له، ومسلم (٥٦٢/٧٠). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٦).

المعطوفة على جملة الشرط، "ولا يُصلِّينَّ معنا"، تُجلي الأمر أكثر، وتحدد المقصود، واقتران الفعل هنا بنون التوكيد الثقيلة يوحي بأن الأمر لا تهاون فيه، وقال العلماء: خصت الصلاة بالذكر: مع تناول ما قبله لذلك: لأن عدم الاقتراب يفيد عدم الصلاة بالأولى: قيل للاهتمام بأمر الصلاة، ودفعاً لسلب الخشوع عن المصلي ليأتي بها على الكمال المطلوب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٠٥)

١٧٠٥- وعن جابر رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: ((مَنْ أكَلَ ثُوماً أوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلنا، أوْ[1]: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا)) متفق عَلَيْهِ[2].

وفي روايةٍ لمسلم[3]: ((مَنْ أكَلَ البَصَلَ، والثُّومَ، والكُرَّاثَ، فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإنَّ المَلاَئِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ)).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الكراث: بَقْلة معروفة، وهي خبيثة الريح[4].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث حدد الطعام المنهي عنه حالة دخول المسجد، أو الاقتراب من مجلس رسول الله ﷺ، ومن هذه الأطعمة "الثوم والبصل والكُراث" والحديث يتفق في صياغته مع الحديثين السابقين، حيث صيغ في قالب الشرط والجواب. وهذا القالب الأسلوبي يوحي بأن الاقتراب ليس ممنوعاً، ولكنه مشروط بعدم أكل الثوم والبصل والكراث، وجواب الشرط هنا يمثل تصعيداً في موقف رسول الله ﷺ من آكل الثوم والبصل، ففي الحديث الأول قال: "فلا يقربن مسجدنا"، وفي الثاني صرَّح وحدَّد الأمر وقال: "ولا يصلين معنا"، بعد أن قال: "ولا يقربنا"، وهذه مرحلة أشد من الأولى: لأنه هناك قال: "ولا يقربن مسجدنا"، أما هنا فقد نهى عن الاقتراب من مجلس رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، وفي هذا الحديث جاء النهي أكثر شدة ووضوحاً حيث أمر

---

(١) عند البخاري زيادة: (قال).

(٢) أخرجه البخاري (٨٥٥) واللفظ له، ومسلم (٥٦٤/٧٣). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٧).

(٣) برقم (٥٦٤/٧٤). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٧).

(٤) ينظر: المصباح المنير ٦٤٠.

ذلك الشخص الذي أكل الثوم والبصل وكل من على شاكلته: أن يعتزل جماعة المسلمين، وأن يعتزل المسجد، وفي الرواية الأخرى، تعليل لهذا الأمر الصارم؛ "لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم".

وروى أبو داود في سننه عن عائشة أنها سئلت عن البصل فقالت: (إن آخر طعام أكله رسول الله ﷺ فيه بصل)[1]، ولذلك قال بعض العلماء إن هذه الأطعمة ليست محرمة بل هي مكروهة كراهة تنزيه، وليست محرمة.

ويتضمن جواب الشرط في قوله: "فليعتزل مسجدنا..." حكماً: وهو وجوب اعتزال المسجد ولو في غير أوقات الصلاة لمن كانت رائحته كريهة من أكل الثوم والبصل وغيرها من الأطعمة التي تسبب ذلك، لأن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه أبوداود ٣٨٢٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٨٢٥).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٣).

الحديث رقم (١٧٠٦)

١٧٠٦- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنَّه خَطَبَ يومَ الجمُعَةِ، فَقَالَ في خطبته: ثُمَّ إنَّكُمْ أيُّهَا النَّاسُ تَأكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ مَا[1] أرَاهُمَا إلاَّ خَبِيثَتَيْنِ[2]: البَصَلَ، وَالثُّومَ. لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ، إذَا وَجدَ ريحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ في المَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إلَى البَقِيعِ، فَمَنْ أكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخاً. رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١).

غريب الألفاظ:

البقيع: هو: مقبرة أهل المدينة المنورة، وهي اليوم داخل المدينة المنورة، بجوار المسجد النبوي الشريف شرقاً[4].

فليمتها طبخا: أي من أراد أكلها فليمت رائحتها بالطبخ وإماتة كل شيء كسر قوته وحدته[5].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأخير في باب: نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً، عن دخول المسجد، ويتسم هذا الحديث في صياغته وأسلوبه بأنه جزء من خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يتأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله، ويحث على تجنب أكل الثوم والبصل.

وأسلوب الحديث يتسق مع خصائص أسلوب الخطب، والمواعظ والوصايا: من حيث

---

(١) لفظ مسلم: (لا)

(٢) عند مسلم زيادة: (هذا)، وهي لا توجد عند المنذري في ترغيبه.

(٣) برقم (٥٦٧/٧٨). أورده المنذري في ترغيبه (٤٩٩).

(٤) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٧٧.

(٥) شرح مسلم ٤٢٢.

الشرح والتفصيل بعد الإجمال، والتدليل على ما قال، والاستشهاد بمواقف رسول الله ﷺ.

ولنتأمل الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث، فهو يبدأ بقوله: "ثم" وفي ذلك اتساق مع جو الخطبة؛ لأن هذا الكلام الآتي متمم لكلام سبق في الخطبة، فالعطف هنا ليس على مجهول، ولكن على معلوم دل عليه قول الراوي: "إنه خطب يوم جمعة فقال في خطبته"، وبعد العطف بـ"ثم" الذي يوحى بالتمهل والتفكر يأتي التأكيد... والخطاب الجَمْعي في "إنكم"، ثم النداء الذي ينبئ عن الاهتمام والحث على اتباع سنة رسول الله ﷺ في قوله: "أيها الناس".

وفي قوله: "تأكلون شجرتين" مجاز مرسل علاقته الكلية: حيث أطلق الكل وأراد الجزء، فالمراد ليس أكل الشجرتين، ولكن: الأكل من الشجرتين، وأكل ثمارهما: الثوم والبصل.

وأسلوب القصر في قوله "لا أراهما إلا خبيثتين"، يؤكد انطباق هذا الوصف عليهما، نظراً لخبث رائحتهما، وتأذى الناس من هذه الرائحة.

والتأكيد المشعر بالقسم في قوله: "لقد رأيت رسول الله ... إلخ"، يرشد إلى أهمية التدليل والتوثيق في إطلاق الأحكام الشرعية، والفعل "رأيت" بمعنى: أبصرت وشاهدت، فالدليل يقيني مشاهد، وليس ظناً أو تخميناً أو رأياً شخصياً، وأسلوب الشرط في قوله: "إذا وجد ريحهما... إلخ الحديث" يفيد بأن هذه وقائع حقيقية؛ لأن عمر رضي الله عنه رأى وأبصر ذلك، وأداة الشرط "إذا" تدل على التحقق.

وقوله "أخرج إلى البقيع"، إرشاد إلى أن صاحب الرائحة الكريهة لا يتحمل إيذاءه أحد لخبث هذه الرائحة، ومكانه هذا المكان المعزول عن الأحياء؛ لأن الأموات في حضرة ربهم، لا يشعرون به، وقيل إن في ذلك مبالغة في الإبعاد عن المسجد وتنظيفه، وتنزيهه عن الروائح الرديئة.

والجملة الأخيرة شرطية مكونة من أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط، وهي تقدم حلاً لمن أراد أن يأكل من هذين الطعامين، "قال فليمتهما طبخاً": أي ليمت رائحتهما بإنضاجهما وطبخهما مع غيرهما من الطعام: وفي قول عمر رضي الله عنه تأييد لمن قال

بعدم حرمة أكل الثوم والبصل: ولكن إذا زالت رائحتهما زال القيد، وامتنع النهي، وفي قوله: "فليمتهما طبخاً": استعارة مكنية تثير الانتباه وتدعو للتأمل والبحث عن منفذ، لأن في هذين الطعامين فوائد صحية عديدة كما قال الأطباء، فإذا زالت رائحتهما لم يمتنع أكلهما. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٣).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على النظافة:

يهتم ديننا الحنيف بالنظافة والطهارة اهتمامًا بالغًا، إلى الحد الذي يجعلها جزءًا من الإيمان، ومطلبًا تقوم عليه العبادة؛ فالإسلام حريص على صحة وسلامة المسلم، ولا يقصر النظافة على نظافة البدن، بل يتعدى ذلك إلى نظافة كل ما شأنه أن يجلب نفعًا، أو يدفع ضررًا، تمشيًا مع القاعدة العامة "لا ضرر ولا ضرار" فنظافة الظاهر ونظافة الباطن، ونظافة المأكل والمشرب، ونظافة الملبس والبدن، ونظافة المكان والبيئة والمجتمع، ونظافة الجو واليابسة والماء، ونظافة كل شيء كبر أو صغر، كل ذلك أمر يطالبنا به ديننا الإسلامي ويحثنا عليه؛ لما لذلك من انعكاسات إيجابية، صحية وجمالية، على المستوى الفردي والجماعي والإنساني[1].

ومن احترام الإسلام للمسلم نهيه عن أكل الأشياء التي تكون مظنة الروائح الكريهة مثل: الثوم أو البصل، ذاك أن نتن الأفواه من هذه الأطعمة يؤذي الآخرين، ويُنفّر من آكلها، وقد أسقط الإسلام سنة الجماعة عن تناول هذه المأكولات[2]، كما دلت على ذلك أحاديث الباب.

كما أسقط سنة الجماعة عن الذين أصيبوا بعلل تجعل روائح فمهم أو جسمهم كريهة، وهذا الأدب الكريم صيانة محمودة للمرضى والأصحاء. فقد اهتم الإسلام بنظافة الفم، وطيب رائحته لمن أراد أن يصلي مع الجماعة.

وعناية الدين بتطهير الفم وتجلية الأسنان، وتنقية ما بينها لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة[3]، قال رسول الله ﷺ: ((لَوْلا أَن أَشقّ على أُمّتي لأَمَرْتَهُم بالسِوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاة))[4].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٥٤.

(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، ص ١٥١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٥١.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٧).

وقال ﷺ: ((السِّواكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضاةٌ لِلرَّبِّ))[١] فينبغي على المربين والآباء توجيه الصغار إلى العناية بنظافة أفواههم وأجسادهم، وبعدهم عن كل الأشياء التي تنفر الناس من رائحتهم أو هيئاتهم.

ثانيًا - التربية على البعد مما يؤذي الملائكة:

الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وذلك ثابت بالأحاديث الصحيحة عنه ﷺ، فهم يتأذون من الرائحة الكريهة، وكذا الأقذار والأوساخ.

ومن هذه الروائح التي يتأذون منها الثوم والبصل والكراث، ومما لا شك فيه أن الروائح الخبيثة كالدخان، وروائح الخمور بأنواعها تأخذ نفس الحكم، والملائكة تتأذى منها أيضًا، كالثوم والبصل والكراث وذلك واضح في قوله ﷺ "من أكل البصل، والثوم، والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم" والملائكة تتأذى من الكلاب التي تقبع في البيوت ولا تدخلها كذلك تتأذى من الصور[٢]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تدخل الملائكةُ بيتًا فيهِ كلبٌ ولا صورةٌ))[٣].

قال النووي: (قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة، كونها معصية فاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، وسبب امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة أكله النجاسات، ولأن بعضها يسمى شيطانًا كما جاء به الحديث والملائكة ضد الشياطين، ولقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة القبيحة)[٤].

فعلى المربي توجيه من يقوم بتربيتهم إلى الامتناع عن أكل البصل والثوم عند حضور المساجد حتى يذهب ريحها، لأن هذا فيه طاعة لله ورسوله قبل أن يكون أذية للمؤمنين والملائكة قال رسول الله ﷺ: "من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم، فلا يقربن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/١ رقم ٧، وقال محققو المسند: صحيح لغيره.
(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص ٢٩٥.
(٣) أخرجه البخاري ٣٢٢٥، ٣٣٢٢، ومسلم ٢١٠٦.
(٤) شرح صحيح مسلم ١٣٣٠.

مسجدنا".

وقال ﷺ: "من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزل مسجدنا" وفي رواية لمسلم: "من أكل البصل، والثوم، والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".

ويلحق بالثوم والبصل والكراث، كل رائحة خبيثة تؤذي المصلين (كالدخان والروائح الخبيثة التي تنبعث من الجسد أو الملابس، فليحذر المصلي من أذية إخوانه المؤمنين فتتأذى الملائكة فيأثم)[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: مجالس المؤمنين في مصالح الدنيا والدين باغتنام مواسم رب العالمين، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ١/٢٢٠، ٢٢١.

٣١٢- باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

لأنَّه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

الحديث رقم (١٧٠٧)

١٧٠٧- عن مُعاذ بن أنس الجُهَنِيِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الحِبْوَةِ يَومَ الجُمعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أَبُو داود، والترمذيُّ[1]، وقالا: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

معاذ بن أنس الجُهَني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٧).

غريب الألفاظ:

الحبوة: هي: أن يقيم الجالس ركبتيه ويقيم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليهما ويكون إليتاه على الأرض[2].

الشرح الأدبي

هذا هو الحديث الأوحد في هذا الباب: وهو يُعنى بهيئة المسلم ... وطريقة جلوسه وهو في المسجد يستمع لخطبة الجمعة، حيث يجب على المسلم أن يَعُدَّ نفسه ذهنياً وشعورياً وجسمياً، فيصفوا ذهنه، ويرق شعوره، ويطهر بدنه، ويجلس في هيئة المنتبه اليقظ؛ لأنه من زوار الله في بيته، وبيوت الله في الأرض المساجد.

ويبدأ الحديث بالتأكيد في قول: الراوي الأعلى: "إن النبي ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة... إلخ"، وهذا التأكيد يرد في صدر الرواية حتى يهتم المسلمون بهذا الأمر، ولا يظنونه من أفعال الهيئات التي لا تدخل في أقوال الصلاة ولا أفعالها، وهذه الجلسة المنهي عنها تسبب الكسل.. وربما تجلب النوم في المسجد، وتشي بعدم اهتمام المسلم بما

---

(١) أخرجه أبو داود (١١١٠)، والترمذي (٥١٤) ولفظهما سواء. وصحّحه ابن خزيمة (١٨١٥)، وقال الحاكم (٢٨٩/١): هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) النهاية في (ح ب و).

يقوله الخطيب، وهي "الحبوة"، بضم الحاء، أو بكسرها، والاحتباء في الجلوس: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما فيه مع ظهره ويشده عليهم، وقد يكون الاحتباء باليد عوض الثوب، وفي اللغة يقولون: حبا الرجل: أي مشى يديه وبطنه، وقالوا: احتبى بالثوب: أي: اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو نحوها، وقيل: رمى فأحبى أي: وقع سهمه دون الغرض، وفي هذا المدلول اللغوي إشارة إلى أن المحتبي يوم الجمعة والإمام يخطب، يُحْرم من ثواب الصلاة الكامل، فهو مثل من رمى سهماً، ولم يظفر بصيده المطلوب، ولا غرضه المقصود، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على حكم الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب وقد اختلف الفقهاء في حكمه على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الجمهور من الحنفية[١]، والمالكية[٢]، ونقله ابن المنذر عن الشافعي[٣] وهو الصحيح عند الحنابلة[٤]، ويرون أن الاحتباء لا بأس به، ولا يكره.

واستدلوا على ذلك بما روى يعلى بن شداد بن أوس قال: شهدت مع معاوية بيت المقدس، فجمع بنا، فنظرت، فإذا جل من في المسجد أصحاب رسول الله ﷺ فرأيتهم محتبين والإمام يخطب[٥].

قال ابن قدامة: (وفعله ابن عمر وأنس، ولم نعرف لهم مخالفاً، فكان إجماعاً)[٦].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم

(٢) مواهب الجليل ١٧٦/٢.

(٣) المجموع للنووي ٤٩٦/٤.

(٤) الفروع ٩٤/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٩٦/٢، والمغني لابن قدامة ٨٧/٢.

(٥) أخرجه أبو داود ١١١١ وفي إسناده سليمان بن عبدالله بن الزيرقان لين الحديث. قاله الحافظ ابن حجر في التقريب ٣٢٦/١.

(٦) المغني لابن قدامة ٨٨/٢.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض الحنابلة[١]، وبعض الشافعية[٢]، ويرون أن الاحتباء يوم الجمعة، والإمام يخطب مكروه.

واستدلوا على ذلك بحديث الباب، إذ فيه نهى النبي ﷺ عن الحبوة، غير أنهم حملوا النهي على الكراهة، وذلك لأنه يجلب النوم ويعرض طهارته للانتقاض، كما أنه يمنع من سماع الخطبة[٣].

والراجح:

هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول الذين يرون عدم كراهة الاحتباء، أما حديث النهي، فهو وإن كان الترمذي قد حسنه، إلا أن الإمام النووي قال: (في إسناده ضعيفان، فلا نسلم حسنه)[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية خطبة الجمعة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب:

هذا واضح من الحديث: "أن رسول الله ﷺ نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب. قال ابن الأثير: (الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، وإنما نهى عنه، لأنه إذا لم يكن عليه إلا ثوب واحد ربما تحرك أو زال الثوب فتبدو عورته)[٥].

---

(١) الفروع ٢/٩٤، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/٣٩٦، والمغني ٢/٨٨.

(٢) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢/٨٨.

(٣) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢/٨٨، والمغني لابن قدامة ٢/٨٨.

(٤) المجموع للنووي ٤/٤٩٧، وانظر أيضاً في بيان ضعف هذا الحديث: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣/٣٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث، ص ١٨٥. وجاء في الموسوعة الفقهية الميسرة، ٦٥: الاحتباء هو جلوس المرء على إليتيه ونصب ساقيه وضمهما إلى صدره.

وقال الخطابي: "إنما نهى عن الاحتباء في ذلك الوقت لأنه يجلب النوم ويعرض طهارته للانتقاض، فنهى عن ذلك وأمر بالاستيفاز في القعود لاستماع الخطبة والذكر وفيه دليل على أن الاستناد يوم الجمعة في ذلك المقام مكروه، لأنه بعلة الاحتباء أو أكثر"[١].

وجاء في الموسوعة الفقهية ما يلي: "الاحتباء خارج الصلاة مباح إن لم يرافقه محظور شرعي آخر ككشف العورة مثلاً، والأولى تركه وقت الخطبة وعند انتظار الصلاة، لأنه يكون متهيئاً للنوم والوقوع وانتقاض الوضوء. وهو مكروه في الصلاة لما ورد من النهى عنه[٢]، وما فيه من مخالفة الوضع المسنون في الصلاة[٣].

لكن قال النووي: "الاحتباء يوم الجمعة لمن حضر الخطبة والإمام يخطب نقل ابن المنذر عن الشافعي: أنه لا يكره ... ونقله ابن المنذر عن ابن عمر وابن المسيب والحسن البصري وعطاء وابن سيرين وأبي الزبير وسالم بن عبدالله وشريح القاضي وعكرمة بن خالد ونافع ومالك والثوري والأوزاعي وأصحاب الرأى وأحمد وإسحاق وأبي ثور. قال: وكره ذلك بعض أهل الحديث[٤]"[٥].

لكن المباركفوري قال: "أحاديث الباب وإن كانت ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضاً، ولا شك في أن الحبوة جالبة للنوم، فالأولى أن يحتزر عنها يوم الجمعة في حال الخطبة، هذا ما عندي والله تعالى أعلم"[٦].

---

(١) معالم السنن: الخطابي: حمد بن محمد "٣٨٨هـ"، مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب السنن لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، وهى ط مصورة، ٢١/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٧، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن اشتمال الصماء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد، ليس على فرجه منه شيء. وأخرجه مسلم ٢٠٩٩.

(٣) الموسوعة الفقهية ٦٦/٢.

(٤) انظر هذه الآثار في مصنف عبدالرزاق ٢٥٤/٣، ومصنف ابن أبي شيبة ١١٨/٢-١١٩. وانظر كذلك نيل الأوطار ٦١٤-٦٢٥.

(٥) المجموع شرح المهذب ٣١٩/٤.

(٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧٨٦/١.

وقال ابن عثيمين: "قد نهى النبي ﷺ عنها والإمام يخطب يوم الجمعة لسببين: الأول: أنه ربما تكون هذه الحبوة سبباً لجلب النوم إليه فينام عن سماع الخطبة، والثاني: أنه ربما لو تحرك لبدت عورته، لأنه غالب لباس الناس فيما سبق الأزر والأردية، ولو تحرك أو انقلب لبدت عورته، وأما إذا أَمِن ذلك، فإنه لا بأس بها. لأن النهي إذا كان لعلة معقولة فزالت العلة فإنه يزول النهى)[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية خطبة الجمعة:

هذا يستنبط من النهى عن الاحتباء والإمام يخطب، نظراً لما قد تؤدي هذه الهيئة من الجلوس إلى النوم، فيفوت الاستماع إلى الخطبة، فيفوت المقصود من الاجتماع يوم الجمعة، "فالخطبة -كما يقول ابن القيم- يقصد بها: الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنابه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها"[2].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالسعى إلى صلاة الجمعة عند النداء إليها، كما وبخ قوماً انصرفوا عن النبي ﷺ وهو يخطبهم، كل هذا يدل على أهمية الخطبة وصلاة الجمعة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3].

قال الطاهر بن عاشور: "جعل الله يوم الجمعة للمسلمين عيد الأسبوع فشرع لهم اجتماع أهل البلد في المسجد وسماع الخطبة ليعلموا ما يهمهم في إقامة شؤون دينهم

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٧١.

(٢) زاد المعاد ١/٣٩٨.

(٣) سورة الجمعة، الآيات: ٩-١١.

وإصلاحهم، قال القفال: لما جعل الله الناس أشرف العالم السفلى لم يخف عظم المنة وجلالة قدر موهبته لهم فأمرهم بالشكر على هذه الكرامة في يوم من الأيام السبعة ليكون في اجتماعهم في ذلك اليوم تنبيه على عظم ما أنعم الله به عليهم، ولكل أهل ملة معروفة يوم من الأسبوع معظّم، فلليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد وللمسلمين يوم الجمعة...

ولما جعل يوم الجمعة يوم شكر وتعظيم احتيج فيه إلى الاجتماع الذي تقع به شهرته، فجمعت الجماعات لذلك، واحتيج فيه إلى الخطبة تذكيراً بالنعمة وحثاً على استدامتها، ولما كان مدار التعظيم إنما هو على الصلاة، جعلت الصلاة لهذا اليوم وسط النهار ليتم الاجتماع ولم تجز هذه الصلاة إلا في مسجد واحد ليكون أدعى للاجتماع أ. هـ كلام القفال... والسعي: أصله الاشتداد في المشي وذكر الله فسر بالصلاة وفسر بالخطبة، بهذا فسره سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، قال أبو بكر بن العربي: "والصحيح أنه الجميع أوله الخطبة"[1]، قلت: وإيثار "ذكر الله"، هنا دون أن يقول: إلى الصلاة، كما قال: "فإذا قضيت الصلاة" لتتأتى إرادة الأمرين الخطبة والصلاة، وفيه دليل على وجوب الخطبة في صلاة الجمعة وشرطيته ... وجملة "وتركوك قائما"، تفظيع لفعلهم إذ فرطوا في سماع وعظ النبي ﷺ أي تركوك قائماً على المنبر، وذلك في خطبة الجمعة، والظاهر أنها جملة حالية، أى ترك في حال الموعظة والإرشاد فأضاعوا علماً عظيماً بانفضاضهم إلى التجارة واللهو، وهذه الآية تدل على وجوب حضور الخطبة في صلاة الجمعة، إذ لم يقل: وتركوا الصلاة. وأمر الله نبيه ﷺ أن يعظهم بأن ما عند الله من الثواب على حضور الجمعة خير من فائدة التجارة ولذة اللهو، وكذلك ما أعد الله من الرزق للذين يؤثرون طاعة الله على ما يشغل عنها من وسائل الارتزاق، جزاء لهم على إيثارهم جزاء في الدنيا قبل جزاء الآخرة، فرب رزق لم ينتفع به الحريص عليه، وإن كان كثيراً، ورب رزق قليل ينتفع به صاحبه

---

(١) أحكام القرآن، ابن العربي ١٨٠٥/٤

ويعود عليه بصلاح"[١].

وقال عبدالله البسام: "قال الشيخ عبدالرحمن السعدي: الشارع من حكمته ومحاسن شرعه شرع للمسلمين الاجتماعات لأنواع العبادات من الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة ومصلى العيد، ومشهد الحج في البقاع المقدسة، ففي هذه الاجتماعات من الحكم والأسرار ما يفوت الحصر فمنها:

١- إظهار دين الله تعالى وإعلاء كلمته.

٢- إظهار شعائر الإسلام وبيان جمالها.

٣- إظهار محاسن الإسلام وجمال تشريعاته.

٤- تعارف المسلمين وتآلفهم.

٥- التعرف على بلدانهم وأحوالهم وآمالهم وآلامهم.

٦- التشاور وتبادل الآراء النافعة.

٧- التعاون على الحق والتآزر على الدين.

٨- اجتماع كلمة المسلمين ووحدة صفهم، وتوحيد هدفهم نحو الخير.

وغير ذلك مما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾[٢].

فاجتماع المسلمين في عباداتهم خير وبركة وإصلاح وفلاح قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣].

اسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين، ويأخذ بيدهم إلى السداد، وأن يجمع قلوبهم على الحق، وأن يعزهم بدينه فهو القادر على ذلك، وهو نعم المولى ونعم النصير"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ١١/٢٨/٢٢٢-٢٣٠، بتصرف كبير.

(٢) سورة الحج، آية: ٢٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) توضيح الأحكام ٢/٣١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على احترام مجلس العلم:

يجب على المتعلمين احترام مجلس العلم، ويقصد بمجلس العلم المفهوم الشامل لكل مكان يلقى فيه العلم، سواء جثا الطلاب على ركبهم بين يدي شيوخهم في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، أو في دروس المساجد، أو جلسوا على المقاعد في الفصول الدراسية أو قاعات المحاضرات الجامعية، فكل تلك الأماكن تعد من مجالس العلم ما دام يذكر فيها اسم الله تعالى ويدرس فيها ما ينفع الطلاب والطالبات من العلوم المختلفة التي لها أثرها في حياتهم حيث تربطهم بالله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ.

وتكمن أهمية احترام مجلس العلم لأنه موضع تحفه الملائكة ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ))[1][2].

وخطبة الجمعة مجلس علم لجميع المسلمين الصغير والكبير، يقصد بها الثناء على الله وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه، وإلى جنانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها[3]، فهي مجلس علم نافع ينبغي الحرص على الاستماع لها والتيقظ إلى موضوعها، لذا نهى النبي ﷺ عن الاحتباء والإمام يخطب لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة، وهذا يتنافى مع احترام مجلس العلم ويدل على ذلك حديث الباب عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ "نهى عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب" قال ابن القيم: (نهى ﷺ عن الاحتباء يوم

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٩٩.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص ٧٢.

(٣) زاد المعاد، ابن القيم، ١/٣٩٨.

الجمعة، وما ذاك إلا أنه ذريعة إلى النوم)[١].

فعلى المسلم في جلوسه لسماع الخطبة أن يكون على هيئة تساعده على اليقظة والنشاط وأن يكون ملتزمًا بآداب مجلس العلم قال ابن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم": وعلى الطالب أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ، أو يجلس متربعًا بتواضع وخشوع ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه ويقبل بكليته عليه، متعقلاً لقوله، بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه بغير حاجة، ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط، ولا يعطي الشيخ ظهره أو جنبه، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة، وإذا عطس خفض صوته وستر وجهه بمنديل أو نحوه، إذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده[٢].

جمع ابن جماعة في هذه الوصايا ما فيه كفاية للمتعلمين والمتعلمات مما يجدر بهم فعله مع أساتذتهم ليتحقق المقصود من العملية التربوية بقيام كل من العالم والمتعلم بواجبه نحو الآخر خير قيام. ولنعلم أن جلوس الطالب في مجلس العلم له آداب كثيرة اقتبسها العلماء، من سنة المصطفى ﷺ ينبغي على طالب العلم تعلمها والالتزام بها سواء أكان طلب العلم في المساجد والمدارس أو المعاهد والجامعات أو أي مكان آخر يتلقى فيه العلم[٣].

ثانيًا - من أهداف التربية: تحصيل المسلم لثواب الجمعة كاملاً:

يوم الجمعة فضله عظيم للمسلمين، فقد فضله الله تعالى على باقي أيام الأسبوع، وهو العيد الأسبوعي للمسلمين، وفيه فريضة الجمعة، ولقاء الجمعة، وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له[٤]. وقد حرص النبي ﷺ على

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ٦٢٤.

(٢) نقلًا عن آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص ٧٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٧٧-٧٩، وانظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ٢٨٢-٢٨٥.

(٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٣.

تحصيل المسلم لثواب يوم الجمعة كاملاً فنهى ﷺ عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب؛ لأن الاحتباء يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة، ويخاف انتقاض الوضوء، وضياع الثواب في هذا اليوم العظيم الذي له مزية على سائر الأيام، لأن الله تعالى جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه للعبادة، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة كليلة القدر في رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم، سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم، سلمت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلمت له، صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر[1].

فعلى المربي بيان المعاني التربوية المهمة التي تدفع المسلم إلى الحرص على تحصيل ثواب الجمعة.

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٩٨/١.

٣١٣- باب نهي من دخل عَلَيْهِ عشر ذي الحجة وأراد أنْ يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حَتَّى يضحّي

الحديث رقم (١٧٠٨)

١٧٠٨- عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قالت: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذِي الحِجَّةِ، فَلاَ يَأخُذَنَّ من شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أظْفَارِهِ شَيْئاً حَتَّى يُضَحِّيَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

غريب الألفاظ:

الذبح: ما يذبح من الأضاحي وغيرها من الحيوان[2].

الشرح الأدبي

إن النبي ﷺ حريص على أمته، يأخذ بأيديهم إلى النجاة في ظل ما يتلقاه من الوحي، وما يؤمر به من تبليغ عن ربه عز وجل.

والنهي في هذا الحديث ليس نهياً يحرم الإنسان من متعة، ولكنه نهي يجلب للمسلم المغفرة والمثوبة، وزيادة الأجر؛ لأن الذي يضحي يغفر الله له، وتشمل المغفرة جميع أجزاء بدنه، ومن هنا كان حرص رسول الله على أن لا يزيل المضحي شيئاً من شعره أو أظفاره إلا بعد أن يذبح الأضحية أو الهدى، حتى يعم الثواب جميع أجزاء البدن، وتشمل المغفرة كل مكونات الإنسان المادية والمعنوية .

والحديث يبدأ بما يوحي بالاختيار وعدم الإلزام، فقال: "من كان له ذبح يذبحه"،

---

(١) برقم (١٩٧٧/٤٢).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ١٢٥٧، والوسيط في (ذ ب ح).

وفي هذا التعبير إيجاز بالحذف، والتقدير "يريد ذبحه"، والجملة الثانية في الحديث تجيب على سؤال كامن في صدر كل سامع، وكأنه يقول: ماذا يفعل؟؟ ويجيب رسول الله ﷺ موضحاً الفعل المندوب فعله، وليس الواجب، وتجيء إجابته، في صيغة الشرط مرتبطة بزمان مبارك، وهو العشر الأوائل من ذي الحجة، وأفضل الأعمال تكون في هذه الأيام وتلك الليالي.

وتتضمن جملة الشرط بعض أسرار التعبير البلاغية التي تفصح عن بلاغة النبوة التي خضعت الأفكار لآيتها، وحُسرت العقول دون غايتها، ومن هذه الأسرار، أداة الشرط: "إذا"، وهي للتحقق، والإتيان بها في هذا السياق إيحاء من الرسول ﷺ لكل مسلم قادر بأن يضحي، فالأضحية خير وبركة، وتنفيذ للسنة المطهرة، ومن أسرار التعبير البلاغية بناء الفعل "أُهِّل"، للمجهول لأن كل مسلم يعتقد ويعلم يقيناً بأن الفاعل هو الله، فهو يصرف الليل والنهار، وبيده مقاليد الأمور.

والهلال: اسم للقمر ثلاثة أيام في أول الشهر، وسمي بذلك من باب اقتران ظهوره بالإهلال أي رفع الصوت عند رؤياه، والناس يفعلون ذلك فرحاً وابتهاجاً وشكراً لله على نعمه.

وجواب الشرط: اقترن بنون التوكيد الثقيلة، "فلا يأخذن" لمزيد من التذكير والتنبيه للحصول على الثواب والمغفرة، وعدم الأخذ ليس على الوجوب ولكنه للندب، وعلى الرغم من ذلك فالفعل يجيء مؤكداً للترغيب في ذلك، وللفوز بالمغفرة الشاملة التي يرجوها رسول الله لأمته التي يحبها ويحرص عليها، وهي خير أمة أخرجت للناس. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: نهي من أراد أن يضحي إذا دخل عليه عشر ذي الحجة أن يأخذ شيئاً من شعره، أو أظفاره حتى يضحي.

وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه سعيد بن المسيب، وإسحاق[١]، وربيعة[٢]، والحنابلة في وجه عندهم[٣]، وبعض أصحاب الشافعي[٤]، ويرون أنه يحرم عليه إذا دخل ذو الحجة أن يأخذ شيئاً من شعره وأظفاره حتى يضحي.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، وفيه النهي عن أخذ شيء مما ذكر، وظاهر النهي التحريم[٥].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه المالكية[٦]، وجمهور الشافعية[٧]، ووجه عند الحنابلة[٨] أن ذلك مكروهٌ وليس محرماً.

وحملوا النهي الوارد من الحديث على الكراهة، إذ أقل ما يحمل عليه النهي الكراهة[٩].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١٠]، ويرون أنه لا يكره شيء من ذلك.

واستدلوا على ذلك: بأن المضحي لا يكره له شيء من الوطء، واللباس، فلا يكره له حلق الشعر وتقليم الأظافر، كما لم يرد أن يضحي[١١].

الترجيح: بعد عرض آراء الفقهاء أرى أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني القائلين بالكراهة لورود النهي عن ذلك، وأقل ما يحمل عليه النهي الكراهة.

---

(١) المبدع ٢٩٩/٣، وشرح صحيح مسلم ١٣٨/٣، وعون المعبود ٣٤٦/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٨/٣، وعون المعبود ٢٩٩/٣.

(٣) المحرر ٢٥١/١، والفروع ٤٠٦/٣، والمبدع ٢٩٩/٣.

(٤) عون المعبود ٣٤٦/٧.

(٥) المبدع ٢٩٩/٣، وشرح صحيح مسلم ١٣٨/٣.

(٦) التمهيد لابن عبدالبر ٢٣٤/١٧، ومواهب الجليل ٢٤٤/٣.

(٧) المهذب للشيرازي ٢٣٨/١، وشرح صحيح مسلم ١٣٨/١٣.

(٨) المحرر ٢٥١/١، وشرح العمدة ٣٩٢/١، والفروع ٤٠٦/٣، والمبدع ٢٩٩/٣.

(٩) المغني لابن قدامة ٣٤٦/٩، ومواهب الجليل ٢٤٤/٣.

(١٠) عون المعبود٣٤٦/٧.

(١١) المغني لابن قدامة ٣٤٦/٩.

ومن الجدير بالذكر، أنه يستوي في الكراهة أن يزيل شعره بحلق أو تقصير أو نتف، أو إحراق، أو أخذ بنورة، ويستوي في ذلك شعر الإبط والشارب، والعانة، والرأس، وغير ذلك من شعور البدن.

ولعل الحكمة من النهي: أن يبقى كاملَ الأجزاء ليعتق من النار[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأضحية والترغيب فيها.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الآداب التي ينبغي للمضحي اتباعها عند دخول العشر الأول من ذي الحجة.

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل الأضحية والترغيب فيها:

قال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ"، قال النووي: (ذِبْح -هو بكسر الذال- أي حيوان يريد ذبحه فهو فِعْل بمعنى مفعول كحمل بمعنى محمول، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ ﴾[٢])[٣]. وما أمر به الشرع وما ندب إليه فإن المسلم يعمله، سواء عرف الحكمة أم لا يعرف، لكنه قد يسأل سائل: ما الحكمة من الأضحية؟

جاء في الموسوعة الفقهية: "الأضحية عرفها اللغويون بتعريفين:

أحدهما: الشاة التي تذبح ضحوة، أى وقت ارتفاع النهار والوقت الذي يليه، وهذا المعنى نقله صاحب اللسان عن ابن الأعرابي. وثانيهما: الشاة التي تذبح يوم الأضحى. وهذا المعنى ذكره صاحب اللسان أيضاً.

أما معناها في الشرع: فهي ما يذكى تقرباً إلى الله تعالى في أيام النحر بشرائط مخصوصة، فليس من الأضحية ما يذكى[٤] لغير التقرب إلى الله تعالى: كالذبائح التي

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣/١٣٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣/١٥٠/٧، .

(٤) التذكية: إزهاق روح الحيوان ليتوصل إلى حل أكله، فتشمل الذبح والنحر بل تشمل العقر أيضاً، كما لو شرد الثور أو البعير فطعن برمح أو نحوه مع التسمية ونيه التضحية، كما هو موضح في الذبائح، حاشية الموسوعة الفقهية، ٥/٧٤.

تذبح للبيع أو الأكل أو إكرام الضيف، وليس منها ما يذكى في غير هذه الأيام، ولو للتقرب إلى الله تعالى، وكذلك ما يذكى بنيه العقيقة عن المولود أو جزاء التمتع أو القران في النسك أو جزاء ترك واجب أو فعل محظور في النسك، أو يذكى بنية الهدى... والأضحية مشروعة إجماعاً بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾[1]، قيل في تفسيره: صل صلاة العيد وانحر البُدْن[2].

وأما السنة فأحاديث تحكي فعله ﷺ لها، وأخرى تحكي قوله في بيان فضلها والترغيب فيها والتنفير من تركها.

فمن ذلك ما صح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ. ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّى وَكَبَّرَ. وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا"[3]. وأحاديث أخرى منها قوله ﷺ: "من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا"[4].

وقد شرعت التضحية في السنة الثانية من الهجرة النبوية، وهي السنة التي شرعت فيها صلاة العيدين وزكاة المال.

وأما حكمة مشروعيتها فهي شكر الله تعالى على نعمة الحياة، وإحياء لسنة إبراهيم الخليل عليه السلام، حين أمره الله عز اسمه بذبح الفداء عن ولده إسماعيل عليه السلام، في يوم النحر. وأن يتذكر المؤمن صبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وإيثارهما طاعة الله ومحبته على محبة النفس والولد – كانا سبب الفداء ورفع البلاء. فإذا تذكر المؤمن ذلك اقتدى بهما في الصبر على طاعة الله وتقديم محبته عز وجل على هوى النفس وشهوتها.

---

(١) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٢) البدن: بضم الباء وسكون الدال، جمع بدنة. وهي الواحدة من الإبل ذكورها وإناثها، وسميت بذلك لضخامة بدنها، وربما أطلقت البدنة على الواحدة من كل من الإبل والبقر. حاشية الموسوعة الفقهية، ٧٥/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٥٥٨، ومسلم ١٩٦٦.

(٤) أخرجه أحمد ٣٢١/٢ رقم ٨٢٧٣، وابن ماجه ٣١٢٣، من حديث أبي هريرة، وحسنة الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٥٣٢) لكن محققي المسند قالوا: إسناده ضعيف... وحسنه الألباني فأخطأ. وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ٢٤/١٤.

وقد يقال: أى علاقة بين إراقة الدم وبين شكر المنعم عز وجل والتقرب إليه؟.

والجواب من وجهين:

أحدهما: إن هذه الإراقة وسيلة للتوسعة على النفس وأهل البيت وإكرام الجار والضيف، والتصدق على الفقير، وهذه كلها مظاهر للفرح والسرور بما أنعم الله به على الإنسان. وهذا تحدث بنعمة الله تعالى كما قال عز اسمه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1].

ثانيهما: المبالغة في تصديق ما أخبر به الله عز وجل من أنه خلق الأنعام لنفع الإنسان وأذن في ذبحها ونحرها لتكون طعاماً له. فإذا نازعه في حل الذبح والنحر منازع تمويهًا بأنهما من القسوة والتعذيب لذي روح تستحق الرحمة والإنصاف، كان رده على ذلك أن الله عز وجل الذي خلقنا وخلق هذه الحيوانات، وأمرنا برحمتها والإحسان إليها. أخبرنا وهو العليم بالغيب أنه خلقها لنا وأباح تذكيتها، وأكد هذه الإباحة بأن جعل هذه التذكية قربة في بعض الأحيان"[2].

ثانياً- الآداب التي ينبغي للمضحي اتباعها عند دخول العشر الأول من ذي الحجة:

وهذا واضح من الحديث، وله روايات عند مسلم: "إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئاً"[3]. والبشرة: "ظاهر جلد الإنسان"[4]. وفي رواية أخرى: "إذا دخل العشر وعنده أضحية يريد أن يضحي فلا يأخذن شعراً ولا يقلمن ظفراً"[5]. وفي رواية "إذا رأيتم هلال ذي الحجة وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن شعره وأظفاره"[6].

وقال النووي: "قال أصحابنا: والمراد بالنهى عن أخذ الظفر والشعر والنهى عن إزالة

---

(١) سورة الضحى، آية: ١١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٥/٧٤-٧٦.

(٣) صحيح مسلم ٣٩-١٩٧٧.

(٤) معجم لغة الفقهاء ٨٨.

(٥) صحيح مسلم ٤٠-١٩٧٧.

(٦) صحيح مسلم ٤١-١٩٧٧.

الظفر بقلم أو كسر أو غيره، والمنع من إزالة الشعر بحلق أو تقصير أو نتف أو إحراق أو أخذه بنورة[١] أو غير ذلك، وسواء شعر الإبط والشارب والعانة والرأس وغير ذلك من شعور بدنه. قال إبراهيم المروزي وغيره من أصحابنا: حكم أجزاء البدن كلها حكم الشعر والظفر ودليله الرواية السابقة: «فلا يمس من شعره وبشره شيئاً».

قال أصحابنا: والحكمة في النهي أن يبقى كامل الأجزاء ليعتق من النار، وقيل التشبه بالمحرم، قال أصحابنا: هذا غلط لأنه لا يعتزل النساء ولا يترك الطيب واللباس وغير ذلك مما يتركه المحرم"[٢].

لكن ابن القيم قال: "إن تحريم النساء والطيب واللباس أمر يختص بالإحرام، لا يتعلق بالضحية، وأما تقليم الظفر وأخذ الشعر فإنه من تمام التعبد بالأضحية، وقد تقدم حديث عبدالله بن عمرو أول الباب، وقوله ﷺ: "تأخذ من شعرك وأظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك، فتلك تمام أضحيتك عند الله عز وجل"[٣]. فأحبَّ النبي ﷺ توفير الشعر والظفر في العشر ليأخذه مع الضحية فيكون ذلك من تمامها عند الله. وقد شهد لذلك أيضاً أنه ﷺ شرع لهم إذا ذبحوا عن الغلام عقيقته، "أن يحلقوا رأسه"[٤]. "فدل على أن حلق رأسه مع الذبح أفضل وأولى"[٥].

---

(١) النورة: بضم النون وفتح الراء، حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط. معجم لغة الفقهاء، ص ٤٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٠/١٣/٧، قلت: والمسألة فيها خلاف بين الفقهاء، انظر: التمهيد لابن عبدالبر ٢٥٨/١٠-٢٦٢، موسوعة شروح الموطأ. والمفهم للقرطبي المحدث، ٣٨٢/٤، وسبل السلام ٨٦٩، ط بيت الأفكار الدولية، والموسوعة الفقهية ٩٥/٥.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٧٨٩، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٥٩٥).

(٤) أخرجه أبو داود ٢٨٣٧ ، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢٤٦٢).

(٥) تهذيب السنن ٩٩/٤، وانظر شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ١٧٧١/٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه المباشر:

التربية بالتوجيه المباشر وسيلة من وسائل التربية الهامة، وهي طلب المربي المباشر والصريح من طلابه القيام بعمل معين[1].

ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب في توجيه النبي ﷺ المباشر لمن دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي بعدم أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي، فقال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ فَإِذَا أَهَلَّ هِلاَلُ ذِي الحِجَّةِ فَلاَ يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلاَ مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حتى يُضَحِّيَ».

وأسلوب التوجيه المباشر من وسائل التربية المفيدة خاصة في مخاطبة عقل الطفل، وتبيين الحقائق له، وترتيب المعلومات الفكرية ليحفظها مع فهمها، مما يجعل الطفل أشد قبولاً، وأكثر استعداد للتلقي، وهكذا علمنا رسول الله ﷺ أن نتوجه إلى الطفل في كثير من المناسبات بالخطاب المباشر بصراحة ووضوح.

ومن ذلك حديث ابن عباس الذي قال فيه: «كُنْتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ...»[2].

فالرسول ﷺ يباشر إلى الموضوع الذي يريده، فيقول للطفل الناشئ: «إني أعلمك» فالرسول ﷺ يعلم الطفل «كلمات» مختصرة مفيدة، لا طول فيها، ولا ملل، وهذا انسجام مع طبيعة الطفل الفكرية، التي تتطلب الكلمات القصيرة، الموجزة الجامعة، الغنية بالمعاني والأفكار.

وإذا تأملنا في طبيعة الكلمات التي وجهها الرسول ﷺ وجدناها تشكل للطفل قواعد فكرية، عقدية أساسية في حياته الحاضرة، وفي شبابه المرتقب بعد حين، فلنقرأ هذه الكلمات، ونشاهد:

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٢٨٤.

(٢) أخرجه الترمذي، ٢٥١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٤٣).

«احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تجِدْهُ تجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

أرأيت إلى جمال هذا الخطاب المباشر الذي ابتدأ في شدّ انتباه الطفل بكلمة «يا غلام» التي تثير انتباه الطفل، وتشعره بنشوة اهتمام الآخرين به، مثلما يشعر الشباب عند ما يسمعون النداء «يا شباب».

ثم هل رأيت بيانًا جامعًا شاملاً، يخاطب عقل الطفل من هذا الخطاب؟ وهل قرأت، أو سمعت مثل هذه القواعد الكلية التي تؤسس فكر وعقل الطفل، لتكون مرتكزًا له في مواجهة الحياة؟.

كذلك فإن الرسول ﷺ ليرشد الطفل بخطابه المباشر إلى طريقة عملية، ليتخلص من أدران أمراض القلب كالحسد، والبغضاء، والحقد، والكيد، وذلك بتسلسل فكري عجيب[2].

ويرى المربون أن في أسلوب التوجيه المباشر مجالاً كبيرًا للمعلمين في تنشئة طلابهم على ما فيه خيرهم وصلاحهم وتوجيههم إلى ما فيه رقي مجتمعهم وأمتهم، ومن المفيد أن يبتعد المعلمون في نصحهم وعظاتهم عن أسلوب الأوامر والنواهي، وعليهم استخدام الذكاء واللباقة في النصح والإرشاد حتى لا ينفروا المتعلمين[3].

---

(١) نفس الحديث السابق.

(٢) انظر: المنهج النبوي في تربية الطفل، د/عبدالباسط محمد السيد، ص٩٧، ٩٨.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د/محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

٣١٤- باب النهي عن الحلف بمخلوق

كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهياً

الحديث رقم (١٧٠٩)

١٧٠٩- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إنَّ الله تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أنْ تَحْلِفُوا بِآبائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفاً، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية في الصحيح[2]: ((فَمَنْ كَانَ حَالِفاً فَلاَ يَحْلِفْ إلاَّ بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ)).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن المسلم محاط بسياج نوراني متوهج بالتوجيهات الإلهية، والبشارات النبوية، ومحدد بالمعالم التي تؤطر السلوك الإسلامي، قولاً وفعلاً واستقبالاً للأحداث، وتناغماً معها أو رفضاً لها في ظل هذه المعالم التي أوصى بها رسول الله ﷺ ومن هذه المعالم: أن لا يحلف المسلم بغير الله، وأن لا يقسم بمخلوق حتى ولو كان له فضل ومزية عند خالقه، كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء.

ولأهمية هذا المعلم من معالم السلوك الإسلامي، يبدأ الحديث بالتأكيد بـ"إن"، واسمها "لفظ الجلالة" (الله) الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وقوله "تعالى": في هذا

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨) واللفظ له، ومسلم (١٦٤٦/٣).

(٢) لم أقف عليه في الصحيح بهذا اللفظ، وإنما عند مسلم بعد حديث (١٦٤٦/٤، بدون رقم) بلفظ: (من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله، وكانت قريش تحلف بآبائها، فقال: لا تحلفوا بآبائكم). وأخرجه أبوداود (٣٢٤٤) عن ابن عمر، عن عمر مرفوعًا بلفظ: (فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت).

السياق يرشد إلى أن الله هو الكبير المتعالي، فقد تعالى شأنه، وجل قدره، وفي ذلك إشارة إلى أنه وحده الذي يُحلف به ولا سواه، فغيره مخلوق عاجز. وهو الخالق القوي القاهر القادر الاستمرار، وخبر "إن" جملة فعلية فعلها مضارع يتوهج بدلالة الاستمرار وعدم الانقطاع، فالنهي مستمر عن الحلف بغير الله، واقتران أداة الخطاب الدالة على الجمع بالفعل ينهى مع الفاعل المستتر "المعلوم" وهو الله يضاعف من تأكيد النهي؛ لأن الناهي هو الله والنهي للوجوب.

وقوله: "أن تحلفوا"، مصدر مؤول: والتقدير: "عن الحلف بآبائكم"، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى: فالمصدر المؤول، يوحي بثقل هذا الفعل المخالف المُحَرَّم، وهو "الحلف بالآباء"، وصيغة المضارع فيها إيحاء بـ"أن" الزمن لا ينقطع، وبأن عدم الحلف بالآباء أو بغيرهم من المخلوقات يجب أن يكون سلوكاً مستمراً وملازماً للمسلم الملتزم بتعاليم الشرع، وثوابت العقيدة في كل وقت وحين.

الجملة الأخيرة في الحديث تضع القاعدة الواجب اتباعها في ظلال المنهج الإسلامي، وهي جملة شرطية: تجيب على تساؤل ينشأ في نفس المتلقي، وبماذا يكون الحلف؟؟

وقول رسول الله تحمل دلالة الاختيار.. لأن عدم الحلف أولى، أما إذا اضطر الإنسان إلى ذلك فالمنهج الصحيح هو: "فمن كان حالفاً فليحلف بالله: أو ليصمت وفي رواية: "أو ليسكت"، واللام في جواب الشرط للأمر، والأمر للوجوب: لأن الحلف بغير الله حرام، وربما يؤدي إلى الكفر، نسأل الله المغفرة والاهتداء إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم. آمين.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حكم الحلف بالآباء، وغيرهم من المخلوقين[1] على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[2]، وبعض الحنابلة[3]، ويرون أن

---

(١) هذا إذا لم يحلف بملة غير الإسلام، أو بشيء من المعبودات سوى الله، كاللات والعزى ونحو ذلك، أما إذا حلف بهذه الأشياء فلا خلاف في التحريم، بل إن اعتقد تعظيم هذه الأشياء فإنه يكفر. انظر: الفواكه الدواني ٤٠٩/١، ومواهب الجليل ٢٦٤/٣.

(٢) الفواكه الدواني ٤٠٩/١، ومواهب الجليل ٢٦٤/٣.

(٣) المبدع ٢٦٢/٩، ٢٦٣، ومنار السبيل ٣٨٤/٢.

الحلف بغير الله حرام.

واستدلوا بالنهي الوارد في أحاديث الباب.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أحلف بغيره صادقاً)[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك)[٢].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، وبعض المالكية[٤]، والشافعية[٥] وبعض الحنابلة[٦]، ويرون أن الحلف بغير الله مكروه.

وحملوا النهي الوارد في الحديث على الكراهة.

الترجيح:

ولعل الأظهر من القولين التحريم، وذلك للنهي الوارد في أحاديث الباب، وهو يقتضي التحريم، ولا قرينة تصرفه إلى الكراهة.

المضامين الدعوية[٧]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف بغير الله عز وجل.

ثانياً: من آداب المدعو: إفراد الله جلّ وعَلا بالتعظيم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام.

---

(١) انظر: المبدع ٢٦٣/٩، وقد نقل ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً، وليس بهذه المقولة الترخيص في الحلف بالله كاذباً، وإنما مراده المبالغة في النهي عن الحلف بغير الله. انظر: المبسوط للسرخسي ٢١٥/٣٠.

(٢) انظر في نقل ذلك عنه: المبدع ٢٦٣/٩.

(٣) المبسوط للسرخس ٢٤/١٧، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٠١/٤، والبدائع ٨/٣.

(٤) مواهب الجليل ٢٦٤/٣، وكفاية الطالب الرباني ٢٤/٢، والفواكه الدواني ٤٠٩/١.

(٥) المهذب ٢٩/٢، ومغني المحتاج ٣٢٠/٤.

(٦) المبدع ٢٦٢/٩-٢٦٣، ومنار السبيل ٣٨٤/٢، والكافي فقه الإمام أحمد ٣٧٦/٤.

(٧) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٠٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٠، ١٧١١، ١٧١٢، ١٧١٣).

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف بغير الله عز وجل:

هذا واضح من هذه الأحاديث: فمنها: "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت، وفي رواية "من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت"، وقوله ﷺ: " لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم".

قال ابن هبيرة: "والسر في ذلك أن الحالف يحلف لغيره على قول يقوله له ليصدقه، أو ليعزم هو على نفسه باليمين ليثبت عليها، وذلك إنما يتم له المقصود فيه إذا حلف بأعز الأشياء عنده، فإذا حلف بغير الله فقد قال بلسان حاله: إن هذا الذي حلفت به أعز عندي من ربي عز وجل، والمؤمن أعز الأشياء في قلبه ربه عز وجل. فكيف يحلف بغيره لمن يريد أن يصدقه في يمينه؟!"[1].

قال ابن حجر: "قال العلماء: السر في النهى عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هى لله وحده...، وفي الحديث من الفوائد الزجر عن الحلف بغير الله، وإنما خص في حديث عمر بالآباء لوروده على السبب المذكور، أو خص لكونه كان غالباً عليه، ... ويدل على التعميم قوله: "من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله"[2]، يقول ابن القيم عن حقيقة الأيمان والنذور: "الأيمان والنذور عقود يعقدها العبد على نفسه يؤكد بها ما ألزم به نفسه من الأمور بالله ولله، فهى تعظيم للخالق ولأسمائه ولحقه وأن تكون العقود به وله، وهذا غاية التعظيم فلا يعقد لغير اسمه ولا بغير القرب إليه، بل إن حلف فباسمه تعظيماً وتبجيلاً وتوحيداً وإجلالاً، وإن نذر فله توحيداً وطاعة ومحبة وعبودية، فيكون هو المعبود وحده والمستعان به وحده"[3].

"وكان الناس في الجاهلية يحلفون بالله وبمعبوداتهم كاللات والعزى، وبما يعظمونه من المخلوقات مما لا يعبدون كالآباء والأمهات والكعبة وبما يحمدونه من

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٥/١.

(٢) فتح الباري ٥٣٣/١١. .

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ٥/٢.

الأخلاق كالأمانة، وفي صدر الإسلام بطل تعظيمهم للأصنام ونحوها مما كانوا يعبدونه من دون الله، فبطل حلفهم بها إلا ما كان سبق لسان، واستمر حلفهم بما يحبونه ويعظمونه من المخلوقات، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك وأمرهم بالاقتصار على الحلف بالله تعالى"[١].

كما جاء في الموسوعة الفقهية: "إن صيغة اليمين بحرف القسم وما يقوم مقامه[٢] تنحصر شرعاً في اليمين بالله. فالحلف بغيره بحرف القسم وما يقوم مقامه لا يعتبر يميناً شرعية، ولا يجب بالحنث فيه كفارة، ومن أمثلته: أن يحلف الإنسان بأبيه أو بابنه أو بالأنبياء أو بالملائكة عليهم السلام أو بالعبادات، كالصوم والصلاة، أو بالكعبة أو بالحرم، أو بزمزم، أو بالقبر والمنبر أو غير ذلك من المخلوقات، سواء أتى الحالف بهذه الألفاظ عقب حرف القسم أم أضاف إليها كلمة "حق" أو "حرمة"، أو نحو ذلك، وسواء أكان الحلف بحرف من حروف القسم أم بصيغة ملحقة بما فيه من هذه الحروف، مثل لعمرك ولعمري وعمرك الله[٣]، وعلى عهد رسول الله لأفعلن كذا. وقد ورد النهى عنه في عدة أحاديث: منها قوله ﷺ: من كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله..."[٤].

"إنما نهى النبي ﷺ عن الحلف بالآباء لما فيه من تعظيمهم بصيغ الأيمان؛ لأن العادة جارية بأن الحالف منا إنما يحلف بأعظم ما يعتقده. وإذا كان ذلك:فلا أعظم عند المؤمن من الله تعالى. وإنما جرى ذكر الآباء هنا لأنه هو السبب الذي أثار الحديث حين سمع النبي ﷺ عمر يحلف بأبيه. وقد شهد لهذا المعنى قوله: "من كان حالفاً فلا

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٤٧/٧.

(٢) حروف القسم هى: الباء والواو والتاء. أما الباء فهي الأصل مثالها: أقسم بك يارب لأفعلن كذا. وتليها الواو وتليها التاء ولا تدخل إلا على لفظ الجلالة... ويقوم مقام باء القسم حروف أخرى وهى الهاء والهمزة واللام، أما الهاء فمثالها: ها الله بفتح الهاء ممدودة ومقصورة أما الهمزة: فمثالها: آلله، وأما اللام فقد أفاد صاحب البدائع، أن من قال "لله" بلام الجر بدل الباء، كانت صيغته يميناً. الموسوعة الفقهية، ٢٥٣/٧.

(٣) العمر في هذا المثال معناه: اعتقاد بقاء الله. فقول القائل: عمرك الله. معناه أحلف باعتقادك أن الله عز وجل باق، ولا شك أن الاعتقاد صفة للمخاطب وليس صفة لله تعالى. حاشية الموسوعة الفقهية، ٢٦٤/٧.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٦٣/٧-٢٦٤.

يحلف إلا بالله" وهذا حصر، وعلى ما قررناه فظاهر النهي التحريم. ثم هذا النهي وإن كان ظاهره التحريم فيتحقق فيما إذا حدث بملة غير الإسلام، أو بشيء من المعبودات دون الله تعالى، أو ما كانت الجاهلية تحلف به كالدُمي[1]، والدماء، والأنصاب. فهذا لا يشك في تحريمه. وأما الحلف بالآباء، والأشراف، ورؤوس السلاطين، وحياتهم ونعمهم وما شاكل ذلك فظاهر هذا الحديث يتناولهم بحكم عمومه، ولا ينبغي ان يختلف في تحريمه. وأما ما كان معظماً في الشرع مثل: والنبي ﷺ، والكعبة، والعرش، والكرسي، وحرمة الصالحين: فأصحابنا يُطلقون على الحلف بها الكراهة. وظاهر الحديث وما قدمناه من النظر في المعنى يقتضي التحريم. والله تعالى أعلم. فإن قيل: كيف يحكم بتحريم الحلف بالآباء والنبي ﷺ قد حلف بذلك لما قال: "أفلح وأبيه إن صدق"؟، وكيف يُحكم بتحريم الحلف بغير الله وقد أقسم الله تعالى بغيره فقال: "والضحى"، "والشمس"، "والعاديات"، "والنازعات"، وغير ذلك مما في كتاب الله تعالى من ذلك؟ فالجواب:

أما عن قوله ﷺ: "أفلح وأبيه": فقد تقدم في الإيمان[2]. وحاصله: أن ذلك يحتمل أن يكون صدر منه قبل أن يوحى إليه بهذا النهي. ويحتمل أن يكون جرى هذا على لسانه من غير قصد للحلف به، كما يجري في لغو اليمين؛ الذي هو": لا والله، بلى والله.

وأما عن قسم الله تعالى بتلك الأمور فمن وجهين:

أحدهما: أن المقسم به محذوف. تقديره: ورب الضحى. ورب الشمس، ونحو ذلك. قاله أكثر أئمة المعاني.

وثانيهما: أن الله تعالى يقسم بما يريد كما يفعل ما يريد، إذ لا حكم عليه، ولا حاكم فوقه، ونحن المحكوم عليهم، وقد أبلغنا حكمه على لسان نبيه ﷺ فقال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"، و "من كان حالفاً فلا يحلف

---

(١) قال محققو المفهم: في حاشية إحدى النسخ: الدمي: جمع دمية، وهو الصنم. قاله الجوهري.

(٢) أخرجه مسلم ١١.

إلا بالله". فيجب الانقياد، والامتثال لحكم ذي العزة والجلال.

"وقوله: "من كان حالفاً فليحلف بالله" لا يفهم منه قصر اليمين والجائزة على الحلف بهذا الاسم فقط، بل حكم جميع أسماء الله تعالى حكم هذا الاسم. فلو قال: والعزيز، والعليم، والقادر، والسميع، والبصير؛ لكانت يميناً جائزة. وهذا متفق عليه. وكذلك الحكم في الحلف بصفات الله تعالى. كقوله: وعزة الله، وعلمه، وقدرته، وما أشبه ذلك مما يتمحض فيه الصفة لله تعالى، ولا ينبغي أن يختلف في هذا النوع أنها أيمان كالقسم الأول. وأما ما يضاف إلى الله تعالى مما ليس بصفة له كقوله: وخلق الله، ونعمته، ورزقه، وبيته: فهذه ليست بأيمان جائزة، لأنه حلف بغير الله عز وجل. على ما تقدم. وبين هذين القسمين قسم آخر متردد بينهما، فاختلف فيه لتردده، كقوله: وعهد الله، وأمانته، وكفالته، وحقه. فعندنا: أنها أيمان ملحقة بالملحق بالقسم الأول؛ لأنها صفات. وعند الشافعي: ليست بأيمان. ورأى: أنها من القسم الثاني"[١].

ثانياً- من آداب المدعو: إفراد الله جل وعلا بالتعظيم:

هذا واضح من النهي عن الحلف بالآباء، وعدم جواز الحلف إلا بالله. قال ابن حجر: "قال المهلب: كانت العرب تحلف بآبائها وآلهتها، فأراد الله نسخ ذلك في قلوبهم لينسيهم ذكر كل شيء سواه ويبقى ذكره، لأنه الحق المعبود فلا يكون اليمين إلا به، والحلف بالمخلوقات في حكم الحلف بالآباء"[٢]. وقد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم استنكار الحلف بغير الله تعالى، قال ابن تيمية[٣]: وقال عبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغير الله صادقاً"[٤].

---

(١) المفهم ٦٢١٠٦٢٣/٥.

(٢) فتح الباري ٥٣٥/١١.

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٠/١ ط العبيكان، ٢٠٤/١ ط ابن قاسم.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ١٥٩٢٩ من طريق وبرة قال: قال عبدالله - لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر- لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً.

وقال عبدالله بن الزبير: إن عمر قال له: وقد سمعه يحلف بالكعبة: لو أعلم أنك فكرت فيها قبل أن تحلف لعاقبتك، احلف بالله فأثم أو ابرر[١].

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: قال لي رسول الله ﷺ: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم. قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكراً ولا آثراً[٢].

قال القرطبي: أي لم يقع مني الحلف بها ولا تحدثت بالحلف بها عن غيري. وأثرت الحديث: نقلته عن غيرك"[٣].

ولأجل إفراد الله بالتعظيم والإجلال، نهى النبي ﷺ عن الحلف بالأمانة، فقال: "من حلف بالأمانة فليس منا"، قال الطيبي: قال القاضي البيضاوي: "أى من ذوي أسوتنا بل هو من المتشبهين بغيرنا، فإنه من ديدن أهل الكتاب، ولعله أراد به الوعيد عليه، فإنه حلف بغير الله"[٤]. قال الخطابي: "هذا يشبه أن تكون الكراهية فيها من أجل أنه إنما أمر أن يحلف بالله وبصفاته، وليست الأمانة من صفاته، وإنما هى أمر من أمره. وفرض من فروضه فنهوا عنه، لما في التسوية بينها وبين أسماء الله عز وجل وصفاته"[٥].

وقال ابن الأثير: "والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان"[٦].

وكذلك من أجل تعظيم الله وإفراده بالإجلال أمر النبي ﷺ من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق"[٧].

---

(١) المحلى: ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٥٦هـ، اعتنى به حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ص ١٠٦، وعزاه لعبد الرزاق في مصنفه.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٤٧، ومسلم ١٦٤٦.

(٣) المفهم ٦٢٣/٥.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٢٧/٧.

(٥) معالم السنن ٣٥٨/٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٤٨.

(٧) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

قال النووي: "إنما أمر بقول: لا إله إلا الله، لأنه تعاطى تعظيم صور الأصنام حين حلف بها"[١]. وقال البغوي: "فيه دليل على أنه لا كفارة على من حلف بغير الإسلام، بل يأثم به ويلزمه التوبة، لأنه جعل عقوبته في دينه، ولم يوجب في ماله شيئاً، وإنما أمره بكلمة التوحيد، لأن اليمين إنما تكون بالمعبود، فإذا حلف باللات والعزى فقد ضاهى الكفار في ذلك، فأمر بأن يتداركه بكلمة التوحيد"[٢].

وقال الطيبي: "إنما قرن القمار بذكر الأصنام تأسياً بالتنزيل في قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ ﴾[٣]، فمن حلف بالأصنام فقد أشرك بالله في التعظيم، فوجب تداركها بكلمة التوحيد[٤]، ومن دعا إلى المقامرة وافقهم في لعبهم فأمر بكفارة ذلك بالتصدق"[٥].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث ما يدل على أن الكفارات تكون لها مناسبة بالخطايا؛ فإنه لما حلف بيمين تتضمن إثبات آلهة كانت كفارته نفي ما حلف به وإثبات التوحيد لله عز وجل، ولما كانت الخطيئة الثانية من حيث طلب المال بوجه حرام، وهو القمار، كانت الكفارة بإخراج شيء من المال، فكانت الحسنة المالية ماحية أثر الأمنية المالية"[٦].

وقال ابن قدامة: "إن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمي شركاً، لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى في تعظيمه بالقسم به فيقول: لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك"[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٦/١١/١١١، .

(٢) شرح السنة ١٠/١٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٢١.

(٥) فتح الباري ١١/٥٣٧، وقد تصرف ابن حجر في عبارة الطيبي في شرح المشكاة، ٧/١٢، فنقلتها بتصرف ابن حجر.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٢٥.

(٧) المغنى ١٣/٤٣٨.

ويقول ابن القيم عن تعظيم الله عز وجل: "من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، فإنك توقر المخلوق وتجعله أن يراك في حال لا توقر الله أن يراك عليها، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[1]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: العظمة، ومنه قوله تعالى ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾[2]، قال الحسن: "ما لكم لا تعرفون لله حقاً ولا تشكرونه؟"، وقال مجاهد: لا تبالون عظمة ربكم، وقال ابن زيد: لا ترون لله طاعة، وقال ابن عباس: لا تعرفون حق عظمته. وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم لو عظموا الله وعرفوا حق عظمته- وحّدوه وأطاعوه وشكروه. فطاعته سبحانه واجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره في القلب. ولهذا قال بعض السلف: ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عندما يستحيي من ذكره. فيقرن اسمه به كما تقول: قبح الله الكلب والخنزير والنتن ونحو ذلك، فهذا من وقار الله.

ومن وقاره أن لا عدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ بحيث يقول: والله وحياتك، ما لي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت.

ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه ويقول: هو مبني على المسامحة ولا يجعله على الفضلة ويقدم حق المخلوق عليه، ولا يكون الله ورسوله في حد وناحية، والناس في ناحية وحدٍ. فيكون في الحد والشق الذي فيه الناس دون الحد والشق الذي فيه الله ورسوله، ولا يعطي المخلوق في مخاطبته قلبه ولبه، ويعطي الله في خدمته بدنه ولسانه دون قلبه وروحه، ولا يجعل مراد نفسه مقدماً على مراد ربه. فهذا كله من عدم وقار الله في القلب، ومن كان كذلك فإنه الله لا يلقى له في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل

---

(١) سورة نوح، آية: ١٣.

(٢) سورة الفتح، آية: ٩.

يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وإن وقّروه مخافة شره فذلك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم، ومن وقار الله أن يستحيي من اطلاعه على سره وضميره فيرى ما يكره، ومن وقاره أن يستحي منه في الخلوة أعظم مما يستحيى من أكابر الناس"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام:

هذا واضح من حديث بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "من حلف فقال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً. قال الخطابي: "فيه دليل على أن من حلف بالبراءة من الإسلام فإنه يأثم ولا يلزمه الكفارة، وذلك لأنه إنما جعل عقوبتها في دينه ولم يجعل في ماله شيئاً"[٢].

وصورة الترهيب من الحلف بالبراءة من الإسلام جاءت في الموسوعة الفقهية[٣] تحت: تعليق الكفر من أقسام اليمين التعليقية: وهو أن يعلق الكفر على ما لا يريده الإنسان بقصد تأكيد المنع منه أو الحث على نقيضه أو الإخبار بنقيضه. ومن أمثلة الكفر المعلق على الشرط: أن يخبر الإنسان عن نفسه أنه إن فعل كذا أو إن لم يفعل كذا أو إن حصل كذا، أو إن لم يحصل كذا، أو إن لم يكن الأمر كذلك. فهو يهودي أو نصراني أو مجوسي أو كافر أو شريك الكفار أو مرتد، أو بريء من الله أو من رسول الله أو من القرآن أو كلام الله أو الكعبة أو القبلة أو بريء مما في المصحف أو بريء مما في هذا الدفتر إذا كان في الدفتر شيء من القرآن ولو البسملة، أو بريء من المؤمنين أو من الصلاة أو الصيام أو الحج. ومنها أن يخبر عنه نفسه أنه يعبد الصليب أو يستحل الخمر أو الزنى إن لم يفعل ذلك[٤].

وقد ذكر ابن عثيمين صورة لحديث بريدة رضي الله عنه فقال ما محصله: "قال رجل: إن

---

(١) الفوائد ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) معالم السنن ٤/٣٥٨.

(٣) انظر المجلى في الفقه الحنبلي: د. محمد سليمان عبدالله الأشقر، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٢/٥١٧، ٥١٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٧/٢٧٢-٢٧٥.

فلاناً قدم اليوم، وصل اليوم وكان مسافراً. فقال له صاحبه: لا ما وصل. قال الأول: هو يهودي إن كان لم يقدم. "أي إن الأول: قال: أنا يهودي إن كان لم يقدم"، فإن كان لم يقدم وكان القائل كاذباً" فهو كما قال عن نفسه: "أنا يهودي". وإن قدم المسافر وصدق كلام القائل فإنه لن يرجع إلى الإسلام سالماً"[١].

وقد ورد كذلك التحذير من الحلف بملة غير الإسلام فقد قال النبي ﷺ: "من حلف بملة سوى الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال[٢]. قال ابن حجر: "الملة بكسر الميم وتشديد اللام: الدين والشريعة، وهي نكرة في سياق النفي فتعم جميع الملل من أهل الكتاب كاليهودية والنصرانية، ومن لحق بهم من المجوسية[٣] والصائبة[٤] وأهل الأوثان والدهرية[٥] والمعطلة[٦]، وعبدة الشياطين والملائكة وغيرهم"[٧]. قال الطيبي: قال البيضاوي: الحلف بغير الإسلام مثل أن يقول الرجل: إن فعل كذا فهو يهودي أو بريء من الإسلام"، وقوله: "فهو كما قال": ظاهره أنه يختل بهذا الحلف إسلامه، ويصير كما قال: ويحتمل أن يعلق ذلك بالحنث، لما روى بريدة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "من قال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال. وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً"، ولعل المراد به التهديد والمبالغة في الوعيد، لا الحكم بأنه صار يهودياً أو بريئاً من الإسلام. وكأنه قال: فهو مستحق لمثل عذاب ما قال، ونظيره قوله ﷺ:

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ١٧٧٣/٢، وقد تصرفت في العبارة لزيادة الإيضاح والفهم.

(٢) أخرجه البخاري ١٣٦٣، ومسلم ١١٠.

(٣) المجوس، قوم يعبدون النار والشمس والقمر. معجم لغة الفقهاء، ٣٧٧.

(٤) قوم يقولون إن نبيهم يحيى عليه السلام ويؤمنون بالإله الواحد الذي له ثلاثمائة وستون شخصاً يفعلون فعل الإله كالبرق والمطر، وأن الكواكب مسكن الملائكة. ولذلك فإنهم يعظمونها ولهم صلاة خاصة يؤدونها في اليوم ثلاث مرات. عند طلوع الشمس وعند استوائها وعند غروبها. معجم لغة الفقهاء ٢٤٠.

(٥) الدهرى: الذي ينكر اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب، معجم لغة الفقهاء ١٨٨.

(٦) التعطيل: هو نفي صفات الله تعالى، كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ٧٨.

(٧) فتح الباري ٥٣٧/١١-٥٣٨.

"من ترك صلاة فقد كفر"[١]، أى استوجب عقوبة من كفر"[٢].

وقال النووي: "فيه بيان غلط تحريم الحلف بملة غير الإسلام كقوله: هو يهودي أو نصراني إن كان كذا..، وقوله ﷺ "كاذباً" ليس المراد به التقييد والاحتراز من الحلف بها صادقاً، لأنه لا ينفك الحالف بها عن كونه كاذباً، وذلك لا بد أن يكون معظماً لما حلف به، فإن كان معتقداً عظمته بقلبه فهو كاذب في ذلك، وإن كان غير معتقد ذلك بقلبه فهو كاذب في الصورة لكونه عظمه بالحلف به، وإذا علم أنه لا ينفك عن كونه كاذباً حمل التقييد بـ"كاذباً" على أنه بيان لصورة الحالف، ويكون التقييد خرج على سبب، فلا يكون له مفهوم، ويكون من باب قول الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾[٥])[٦].

وقال ابن حجر: "قال القاضي عياض[٧]: إن الحالف المتعمد إن كان مطمئن القلب بالإيمان وهو كاذب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه، لم يكفر وإن قاله معتقداً لليمين بتلك الملة لكونها حقاً كفر. وإن قالها لمجرد التعظيم لها احتمل، قلت: "أى القائل ابن حجر": وينقدح بأن يقال إن أراد تعظيمها باعتبار ما كانت قبل النسخ لم يكفر أيضاً ... ولهذه الخصلة "أى الحلف بغير ملة الإسلام". في حديث ثابت بن الضحاك شاهد من حديث بريدة أخرجه النسائي وصححه [الحاكم][٨] من طريق الحسين بن واقد عن

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ٨٢، من حديث جابر مرفوعاً: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٢١/٧-٢٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٥) سورة النساء، آية: ٢٣.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٢٥/٢/١-١٢٧.

(٧) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣٨٩/١.

(٨) سقط من المطبوع من فتح الباري، والحديث صححه الحاكم في المستدرك، ٢٩٨/٤، وأخرجه أحمد ٣٥٥/٥ رقم ٢٣٠٠٦، ٢٣٠١٠، وقال محققو المسند: إسناده قوي، وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ١١٤/٣٨-١١٥ وهو حديث من أحاديث الباب.

عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه: "من قال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إلى الإسلام سالماً"[١]، وهو يؤيد التفصيل الماضي ويخصص بهذا عموم الحديث الماضي، ويحتمل أن يكون المراد بهذا الكلام التهديد والمبالغة في الوعيد لا الحكم، وكأنه قال فهو مستحق مثل عذاب من اعتقد ما قال، ونظيره: "من ترك الصلاة فقد كفر"، أي استوجب عقوبة من كفر، وقال ابن المنذر: قوله: "فهو كما قال"، ليس على إطلاقه في نسبته إلى الكفر بل المراد أنه كاذب ككذب المعظم لتلك الجهة"[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله:

هذا واضح من قول النبي ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"، وقد حمل بعض العلماء الكفر أو الشرك هنا لا على حقيقتهما ولكن على سبيل المبالغة في الزجر والتغليظ. قال ابن حجر: "والتعبير بقوله فقد "كفر أو أشرك" للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك"[٣].

وقال الترمذي: "وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن قوله "فقد كفر أو أشرك" على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ سمع عمر يقول: "وأبي وأبي فقال: ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم"[٤]، وحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "من قال في حلفه واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله"[٥]، هذا مثل ما روى عن النبي ﷺ أنه قال:"إن الرياء شرك"[٦]. وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٧]،

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود ٣٢٥٨، والنسائي٦/٧، وابن ماجه ٢١٠٠. وهو حديث من أحاديث الباب.

(٢) فتح الباري ٥٣٩/١١، .

(٣) فتح الباري ٥٣١/١١، .

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ١٦٤٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٩٨٩ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ "إن يسير الرياء شرك...." وضعفه الألباني (ضعيف سنن ابن ماجه ٨٦٣).

(٧) سورة الكهف، آية: ١١٠.

قال: لا يرائى"[١]. ولكن النووي في شرح مسلم يبين أن هذا الكفر كفر نعمة، فقال: " إن كان الحالف به معظماً لما حلف به مجلاً له كان كافراً وإن لم يكن معظماً بل كان قلبه مطمئناً بالإيمان فهو كاذب في حلفه بما لا يحلف به، ومعاملته إياه معاملة ما يحلف به، ولا يكون كافراً خارجاً عن ملة الإسلام، ويجوز أن يطلق عليه اسم الكفر، ويراد به كفر الإحسان وكفر نعمة الله تعالى، فإنها تقتضي أن لا يحلف هذا الحلف القبيح، وقد قال الإمام أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك فيما ورد من مثل هذا مما ظاهره تكفير أصحاب المعاصي: إن ذلك على جهة التغليظ والزجر عنه، وهذا معنى مليح، ولكن ينبغي أن يضم إليه ما ذكرناه من كونه كافر النعم"[٢].

وقال المناوي في تفسير الشرك المذكور في الحديث: "أى فَعل فِعل أهل الشرك أو تشبه بهم إذا كانت أيمانهم بآبائهم وما يعبدون من دون الله، أو فقد أشرك في تعظيم من لم يكن له أن يعظمه، لأن الإيمان لا يصلح إلا بالله، فالحالف بغيره معظم غيره مما ليس له، فهو يشرك غير الله في تعظيمه، ورجحه ابن جرير"[٣].

وقال ابن الملقن: "قال الماوردي: "قوله: "فقد أشرك" فيه تأويلان أحدهما: فقد أشرك بين الله وبين غيره في التعظيم، وإن لم يصر من المشركين الكافرين. وثانيهما: صاراً كافراً به إن اعتقد لزوم يمينه بغير الله، كاعتقاد لزومها بالله"[٤].

لكن علماء المذهب الحنبلي يرون أن من حلف بغير الله فقد وقع في الشرك دون أن يفصلوا التفصيل السابق من كونه يقصد التعظيم أو خرج الكلام مخرج الزجر والتغليظ ونحو ذلك مما سبق ذكره.

يقول الدكتور محمد سليمان عبدالله الأشقر في كتابه "المجلّى" في الفقه الحنبلي: "الحلف بغير الله تعالى حرام، فمن حلف بمخلوق، كنبي من الأنبياء، أو ولي من

---

(١) سنن الترمذي ٣٦٣ بعد الحديث ١٥٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٢٧/٢/١.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: محمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، وهى طبعة مصورة، ١٢٠/٦.

(٤) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ٤٦١/٩.

الأولياء، أو بالكعبة، أو بحياة أبيه أو أمه، أَثِم، ولم تنعقد يمينه، لما ورد "أن ابن عمر رأى رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((أن النبي أدركه وهو يحلف بأبيه فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت))[1]. وقال ابن مسعود: (لأن أحلف بالله تعالى كاذباً أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً)[2]. ابن تيمية: (لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أهون من سيئة الشرك)[3].

ولا كفارة في الحلف بغير الله تعالى، لأن الكفارة وجبت في الحلف بالله تعالى حفظاً لأسمائه وصفاته، وغير الله تعالى لا يساويه. ولأن الحلف بغير الله تعالى شرك، وكفارته التوحيد، لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((من حَلَفَ منكم فقال في حَلِفهِ باللاتِ والعُزَّى فليقُل لا إلهَ إلاّ الله))[4][5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٠٨، ومسلم ١٦٤٦.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/١٨٣، ٨٩٠٢، وقال الهيثمي في المجمع ٤/١٧٧: رجاله رجال الصحيح.

(٣) الاختيارات الفقهية ٣٢٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٥) المجلى في الفقه الحنبلي ٢/٥١٨، ٥١٩، وانظر: منار السبيل في شرح الدليل: إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان، ١٣٥٣هـ، حققه أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ٣/١٠٧٤، ١٠٧٥، والملخص الفقهي الدكتور/صالح بن فوزان الفوزان، ٢/٦٠١، ٦٠٢، ط دار العاصمة. وتوضيح الأحكام الشيخ عبدالله البسام، ٦/٨٢، ٨٣.

الحديث رقم (١٧١٠)

١٧١٠- وعن عبد الرحمان بن سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلاَ بِآبَائِكُمْ**)) رواه مسلم[1].

(الطَّواغِي): جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وهِيَ الأصنَامُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: ((**هذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ**))[2] أيْ: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وَرُوِيَ في غير مسلم[3]: ((**بِالطَّوَاغِيتِ**)) جَمعُ طَاغُوت، وَهُوَ: الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧٤).

الشرح الأدبي

يتكون هذا الحديث في بنائه اللغوي من جملة واحدة، وهي جملة فعلية: تبدأ بالنهي الصريح، "لا" ناهية جازمة: والجزم يعني: القطع والحسم، فالوظيفة النحوية للجزم: هي تسكين الفعل، وقطع حركته، أو اجتثاث الحرف الأخير منه، وهو: النون الدالة، على الجمع هنا، ولكن الدلالة التي تنبثق من سياق الحديث هي: النهي الجازم الحاسم عن الحلف بغير الله، وواو الجمع، تشير إلى كل مسلم على وجه الأرض في كل زمان ومكان، فالجماعة المسلمة التي دلت عليها هذه العلامة اللغوية، "واو الجماعة"، مطالبة بالانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ والطواغي: جمع طاغية، وهي الأصنام، والرواية الأخرى، الطواغيت، وهي جمع طاغوت، وفي اللغة: الطاغوت تتسع دلالته، فهو اللات والعزى، والكاهن، والشيطان، وكل رأس ضلال، والأصنام، وكل ما عبد من دون الله، ومردة أهل الكتاب، وقد أطلق على كعب بن

---

(١) برقم (٦/١٦٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦) بلفظ: (وذو الخلصة طاغية دوس).

(٣) النسائي في المجتبى (٣٧٧٤)، والكبرى (٤٦٩٧).

الأشرف اليهودي لقب الطاغوت، لأنه من مردة أهل الكتاب، وأطلق لقب الجبت على "حُيي بن أخطب"، كما جاء في القاموس المحيط، مادة طغو.

وقوله: ولا بآبائكم فيه إيجاز بالحذف: والتقدير، "ولا تحلفوا بآبائكم".

وقال العلماء في التفريق بين النهي في الموقفين: النهي عن الحلف بالأول الطواغي: على سبيل التحريم، وعن الثاني على سبيل التنزيه. ففيه سر من أسرار الجمال اللغوي، وهو استعمال اللفظ الموضوع للنهي في حقيقته ومجازه، وقيل إنه مستعمل في معنى مجازي عام لهما هو طلب الترك لذينك، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١١)

١٧١١- وعن بُريدَةَ ﷺ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا)) حديث صحيح، رواه أَبُو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يقتبس أشعته الهادية من وهج البيان القرآني العظيم، فهو كما يقول الرافعي: إن لم يكن من الوحي ولكنه جاء من سبيله،وأن لم يكن له منه دليل فقد كان هو من دليله، وألفاظ النبوة يعمرها قلب متصل بجلال خالقه،ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، والحديث يتسم بالإيجاز فهو جملة لغوية واحدة، ولكنها تتضمن أسراراً تعبيرية متعددة، وظواهر فنية أسلوبية تفصح عن بلاغة النبوة، وفصاحة خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن هذه الأسرار التعبيرية: مجيء الحديث في قالب الشرط والجواب، فالجزاء من جنس العمل، وهذا القالب اللغوي يتواءم مع سياق الحديث والمراد منه، فلكل مقام مقال، والمبنى وعاء المعنى، لأن العقاب الذي تضمنه الحديث وهو "فليس منا" متوقف على نوعية السلوك الصادر عن الحالف بغير الله.

وأداة الشرط "من" وهي "للعاقل" فالذي يقسم ويحلف يعي ما يقول، وجواب الشرط: جملة فعلية فعلها ناسخ، وهو قوله: "فليس منا"، والنسخ هنا أدى وظيفته النحوية، وهي نسخ حركة أعراب المبتدأ والخبر، وهذا النسخ النحوي يتسق مع النسخ الدلالي، وهو نسخ عمل هذا الذي حلف بغير الله... فعقابه هو الخروج من دائرة الجماعة المسلمة،إلى أن يعود إلى جماعته، ويتوب إلى رشده.

---

(١) برقم (٣٢٥٣). وقال الحاكم (٤/٢٩٨): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٦).

ولفظ "الأمانة" من الألفاظ التي تتعدد معانيها في هذا السياق، وتدل على ثراء اللغة العربية، فاللفظ كالمصباح المتوهج المشع بالنور في كل اتجاه، ولفظ الأمانة هنا: المراد به الفرائض، مثل الحج والصوم والزكاة وغيرها، وهذه الدلالة مستمدة من البيان القرآني، حيث يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[1]، وقال السيوطي نقلاً علن الخطابي: فنهوا عن ذلك: لما يوهمه الحلف بها. أي: بالأمانة من مساواتها لأسماء الله وصفاته. والله أعلم.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يأتي:

١- كراهة الحلف بالأمانة: وهو ما ذهب إليه جمهور الحنابلة[2]، ولعل سبب الكراهة أنه أُمر أن يحلف بالله تعالى أو بأسمائه، أو بصفة من صفاته، والأمانة ليست كذلك، وإنما هي فرض من فروضه على عباده، فنهى عنها حتى لا يسوّى بينها وبين أسماء الله تعالى وصفاته[3].

وذهب الظاهرية[4] وبعض الحنابلة[5] إلى أن الحلف بالأمانة محرم.

٢- هل يعد الحلف بالأمانة يميناً؟: اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[6]، والمالكية[7]، والحنابلة[8]، ويرون أن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) المبدع ٢٥٧/٩، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٦/١١، وكشاف القناع ٢٣١/٦، والمغني لابن قدامة ٢٤٥/٩.

(٣) عون المعبود ٥٨/٩.

(٤) المحلى لابن حزم ٣٢/٨.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٦/١١، وكشاف القناع ٢٣١/٦.

(٦) شرح فتح القدير ٧٦/٥.

(٧) مواهب الجليل ٣٦٥/٣.

(٨) كشاف القناع ٢٣١/٦، والمغني لابن قدامة ٢٤٥/٩، والمبدع ٥٧/٩.

الحلف بالأمانة يمين، بحيث تجب عليه الكفارة عند الحنث.

واستدلوا على ذلك بأن النهي الوارد في الأحاديث يقتضي فقط منع الحلف بها، ولا يقتضي منع كونها يميناً تجب فيها الكفارة عند الحنث[١].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[٢]، ويرون أن الحلف بالأمانة ليس يميناً، واليمين بها معصية، وليس فيها كفارة، وليس فيها إلا التوبة، والاستغفار.

وظاهر من كلام ابن حزم أنه اعتبر الحلف بالأمانة معصية أكبر من أن تجبر بالكفارة.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية[٣]، ويرون حمل ذلك على النية، فإن نوى بحلفه بالأمانة اليمين كان هذا الحلف يميناً، بحيث يكفر عنه حال الحنث، أما إن نوى بالحلف بها عدم اليمين، فلا يعد الحلف بها يميناً.

والراجح:

هو رأي الجمهور لعدم التلازم بين النهي عن الحلف بها، وكونه يميناً تجب فيها الكفارة عند الحنث.

المضامين الدعوية[٤]

---

(١) شرح فتح القدير ٧٦/٥.

(٢) المحلى لابن حزم ٣٢/٨.

(٣) طرح التثريب ٣٦٥/٧.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

الحديث رقم (١٧١٢)

١٧١٢- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسْلاَمِ، فَإنْ كَانَ كَاذِباً، فَهُوَ كمَا قَالَ، وإنْ كَانَ صَادِقاً، فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإسْلاَمِ سَالِماً)). رواه أَبُو داود[1].

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

الشرح الأدبي

إن ألفاظ الحديث وجمله محددة ودالة، ومقنعة، فرسول الله ﷺ يحدد موقفاً، ويصدر حكماً؛ لأن الإنسان موكل بمنطقه، ومحاسب على ما ينطق، ولذلك حذر رسول الله من عثرات اللسان وزلاته فقال: ((من يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)) [2].

والحديث يبدأ بهذه الجملة الإخبارية: من حلف فقال: "إني بريء من الإسلام".

ومقول القول: جاء مؤكداً، وهو جملة اسمية تتكون من إن واسمها وخبرها ومتعلق الخبر.

ومضمون هذه الجملة يفصح عن تأثيم قائل هذا القول، وتصدير الجملة بإن الناسخة يمكن أن يشي ويرمز إلى أن عمل هذا القائل منسوخ ومردود عليه، ولذلك قال العلماء: إن قصد العزم على الكفر فهو كافر في الحال، لأنه صاغ كلامه في ثوب التوكيد، وإن قصد الامتناع من ذلك المحلوف عليه أبداً ولم يقصد شيئاً فلا كفر، لكنه لفظ شنيع قبيح يستغفر الله تعالى من إثمه ويأتي بالشهادتين ندباً، وتأمل، وراء

---

(١) برقم (٣٢٥٨). وقال الحاكم (٤/٢٩٨): هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٧١): إسناده صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ومسلم ٤٧.

قولهم: لفظ شنيع قبيح، وهو من حصائد الألسن التي تكب الناس في النار على وجوههم، ولذلك جعل الرسول ﷺ: إمساك اللسان من أبواب النجاة.

والجملتان الباقيتان في الحديث: شرطيتان، وأداة الشرط فيهما: "إن" وهي ليست للتحقق؛ لأن الرجل موقفه غير واضح فربما يكون صادقاً وربما يكون كاذباً فيما قال، ولكل افتراض نتيجته وعاقبته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

ولذلك قدم رسول الله افتراض كذبه للتهديد والتشديد والوعيد، حتى لا تجري هذه الصيغ القبيحة على ألسنة العامة والجهلة وأدعياء الثقافة والحمقى من المفكرين الجهلاء.

وهو كما قال: "إن كان كاذباً" في حلفه أي أن الإسلام بريء منه، "وإن كان صادقاً" فلن يرجع إلى الإسلام سالماً، وتأمل دلالة الفعل يرجع، وما يوحي من خروج عن الإسلام ثم الرجوع إليه بسبب هذه الجملة الشنيعة القبيحة، "ولن يرجع سالماً" هذا التعبير فيه كناية عن أن هذا الحالف، قد أصابه الإثم، ولحقه الضرر، ووقع في الشبهات، وهو في حاجة إلى إصلاح ما انكسر من شعوره وعلاقته بدينه وربه، فهو قد أصبح مريضاً يحتاج إلى الاستشفاء، وهو الاهتداء إلى الصراط المستقيم، وإمساك اللسان، وسلامة العقيدة والنطق بالشهادتين. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- تحريم الحلف بالبراءة من الإسلام، سواء أكان صادقاً في يمينه أو كاذباً لما في ذلك من الاستخفاف بالإسلام[1].

٢- هل الحلف بالبراءة من الإسلام يُعد يميناً؟: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

---

(١) شرح فتح القدير ٧٤/٥، والمدونة ١٠٦/٣، ومغني المحتاج ٣٢٤/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢١٤/٤، والمغني لابن قدامة ٤٠٠/٩-٤٠١، وعون المعبود ٦١/٩-٦٢.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه المالكية[١]، والشافعية[٢]، وأحمد في رواية[٣]، ويرون أن الحلف بالبراءة من الإسلام لا يعد يميناً، ولا يلزمه الكفارة إذا حنث وبه قال الليث، وأبو ثور، وابن المنذر[٤].

واستدلوا على ذلك: بأن الحالف في هذه الحالة لم يحلف بالله، ولا بصفة من صفاته وبالتالي لا تلزمه كفارة[٥].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٦]، والإمام أحمد في رواية[٧]، ويرون أن الحلف بالبراءة من الإسلام يعد يميناً، وبالتالي تجب عليه الكفارة إذا حنث وبه قال الثوري والأوزاعي، وإسحاق وجماعة[٨].

والراجح:

الرأي الأول، لقوة دليله، ولأن الوجوب من الشارع، ولم يرد في هذه اليمين نص[٩].

المضامين الدعوية[١٠]

---

(١) المدونة ١٠٦/٣.

(٢) مغني المحتاج ٣٢٤/٤، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢١٤/٤.

(٣) المغني لابن قدامة ٤٠٠/٩-٤٠١.

(٤) المغني ٤٠٠/٩.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) شرح فتح القدير ٧٤/٥.

(٧) المغني لابن قدامة ٤٠١/٩.

(٨) المغني ٤٠١/٩، وعون المعبود ٦١/٩.

(٩) المغني لابن قدامة ٤٠١/٩.

(١٠) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

الحديث رقم (١٧١٣)

١٧١٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّهُ سَمِعَ رَجُلاً يقُولُ: لاَ وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لاَ تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللهِ، فَإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((**مَنْ حَلَفَ بِغَيرِ اللهِ، فقد كَفَرَ أَوْ أشْرَكَ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قولَهُ: ((**كفَرَ أَوْ أشْرَكَ**)) عَلَى التَّغْلِيظِ، كما روي أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: ((**الرِّياءُ شِرْكٌ**[2])) [3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف من المشاهد الواقعية، والحوارات الحقيقية التي توضح بجلاء بعض المواقف والأحكام، ويأتي ذلك الحديث ختاماً لباب: النهي عن الحلف بغير الله، واختياره في هذا الختام: للإفادة بأن ما ورد من أحاديث سابقة في هذا الباب لم تكن مجرد وصايا أو مواعظ أو نواهٍ مجردة، وإنما هي علاج لمواقف يخوضها بعض الناس، وبيان للمنهج الصحيح الذي يجب أن يتبعه المسلمون في أيمانهم وأقسامهم، وكذلك تدليل واقعي على ما يرتكبه بعض المخالفين الذين يحلفون بالمخلوقات، والمعنويات، والفرائض.

---

(١) برقم (١٥٣٥). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٤٣٥٨)، وقال الحاكم (٥٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال في (١٨/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد وخرجاه في الكتاب، وليس له علة ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) من حديث معاذ بلفظ: (إنَّ يسيرالرياء شرك). قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣٣٧٠): ضعيف، فيه عيسى بن عبد الرحمن، وهو الزرقي متروك.

(٣) هذا الكلام بنصه للترمذي عقب الحديث، اختصره المؤلف.

والحديث هنا يرصد ويروي مشهداً حوارياً بين رجل يحلف بغير الله، ويقول: "لا والكعبة"، ولم يتمهل ابن عمر رضي الله عنهما، ولم يسكت ولكن بادر مسرعاً فقال: وتأمل ما أحدثه العطف بحرف الفاء هنا من تصوير لغيرة ابن عمر رضي الله عنهما وإسراعه في تقويم هذا الانحراف القولي الذي يقود إلى الانحراف العقدي، فقال: موجهاً: النهي الحاسم الجازم إلى ذلك الرجل، "لا تحلف بغير الله".

ثم يعلل هذا النهي تعليلاً منطقياً مقنعاً مؤيدًا بالدليل الثابت: محصناً بالتوكيد، والإقرار بالسماع من رسول الله: فقوله: "فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول": من أقوى القرائن والأدلة: لأنه لم يرو هذا القول: عن راوٍ، ولم ينقله عن أحد، ولكنه سمعه ووعاه وحفظه وأداه كما سمعه، والحكم الذي قاله رسول الله ﷺ سمعه ابن عمر رضي الله عنهما، ونقله إلى كل مسلم، ورد في صيغة الشرط والجواب، وهو أسلوب مناسب للمقام، ومتسق مع الحدث، فمن حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، وقيل: إن الكفر أو الشرك هنا محمول على التغليظ من ترك ذلك والتنفير منه.

وقال العلماء، النهي على سبيل التحريم إن قصد بها تعظيماً لها في الجملة، فإن قصد تعظيمها كتعظيم الله تعالى: "كفر"، وإن جرى على لسانه القسم بها بقصد إدغام الكلام كره، وإن جرى عليه من غير قصد فلا كراهة بل هو من لغو اليمين[1]. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) دليل الفالحين، ٤.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٠٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية العقدية:

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام من حيث كون العقيدة الإسلامية قاعدة تنبني عليها كل حركة وكل سكنة من حركات وسكنات المسلم في حياته، ولذا فإنها والحالة تلك تكون مقياسًا حتميًا لكل سلوك يسلكه سواء كان سلوكًا دنيويًا أو كان سلوكًا أخرويًا، بحيث يقبل ويأخذ ما وافق العقيدة، ويرد ويرفض كل ما خالف العقيدة الإسلامية، بالإضافة إلى ضرورة الكفر بما خالف العقيدة الإسلامية ومعاداته، وإعلان البراء من أوليائه قال عز وجل: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] كما أن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم بوصفه عملاً رئيسًا من مهام المربي المسلم يجعل سلوك الفرد متفقًا مع أهداف التربية الإسلامية[2]؛ فعلى المربي أن يحارب السلوكيات والأقوال التي تخالف العقيدة الإسلامية ومنها الحلف بغير الله كالحلف بالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس ونعمة السلطان وتُرْبة فلان - أي قبره - والأمانة وغيرها من الأشياء التي تخالف العقيدة الإسلامية، لأن الحلف بغير الله تعالى شرك كما قال ﷺ: "من حلف بغير الله، فقد كفر أو أشرك".

وقد كثر من الناس اليوم من يحلف بغير الله، كمن يحلف بالأمانة أو يحلف بالنبي ﷺ، أو يقول، وحياتي، وحياتك يا فلان... وما أشبه هذه الألفاظ، وقد سمعنا ما ورد في الأحاديث من النهي عن الحلف بغير الله عز وجل، واعتباره كفرًا وشركًا، لأن الحلف بالشيء تعظيم له، والذي يجب أن يعظم ويحلف به هو الله عز وجل،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص ٨٦.

والحلف بغيره شرك وجريمة عظمى[١] ينافي العقيدة الإسلامية؛ فعلى المربي أن يقوم بتربيتهم لهذا وتوجيههم إلى البعد عن هذه العوائد الجاهلية.

قال ﷺ: "إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا، فليحلف بالله، أو ليصمت"، وقال ﷺ: "لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم" وقال ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا"... أحاديث الباب التي تحرم الحلف بغير الله وتنهى عنه. وتأمرنا إذا أردنا أن نحلف أن نقتصر على الحلف بالله وحده ولا نحلف بغيره.

فالحلف بغير الله مسألة تعد من أهم المسائل التي ينبغي أن يعنى بها المربون لأجل تقوية العقيدة في النفوس، وتعظيم الله في نفوس المسلمين.

ثانيًا - التربية بالترهيب:

لقد رهب النبي ﷺ من الحلف بغير الله فقال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" وقال ﷺ: "من حلف بالأمانة فليس منا"، وقال ﷺ: "من حلف فقال: إني بريء من الإسلام، فإن كان كاذبًا، فهو كما قال، وإن كان صادقًا، فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا" والترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة، وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى.

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة[٢]، التي استخدمها رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة، لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية، ويغضب الله تعالى[٣].

والمربي الناجح هو الذي يجيد استخدام أسلوب الترهيب كأسلوب تربوي يخدم عملية التربية في تخويف وتهديد من يقوم بتربيتهم من السلوكيات والأفعال التي تخالف الدين، وتغضب رب العالمين.

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٣٥.

(٢) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن البابطين، ص ٣٦.

(٣) المرجع السابق ٣٨.

٣١٥- باب تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

الحديث رقم (١٧١٤)

١٧١٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ)) قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران: ٧٧]. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

لقد نهى الإسلام عن تحصيل المال بالطرق التي لا خير فيها صيانة لها عن الشر والفساد، وحفظاً لمال الغير عن السرقة والانتهاب، وجعل أخذ المال دون رضا صاحبه وطيب نفسه أكلاً له بالباطل يجب التحرز منه: فقال رسول الله ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[2][3].

وهذا الحديث الشريف ينبه إلى صورة من صور أكل أموال الناس بالباطل وهذا التنبيه جاء في صورة وعيد، وإنذار بالعقوبة المغلظة وهي غضب الله سبحانه وتعالى على من حلف على مال امرئٍ مسلم بغير حقه، ليأخذه بيمينه الكاذبة.

وقد ورد هذا المضمون الذي يغلظ العقوبة، ويحرم اليمين الكاذبة عمداً، في صيغة لغوية متسقة مع هذا المضمون الذي يتضمن النتيجة المترتبة على المقدمة، وهذه الصيغة هي صيغة الجواب والشرط، فالمقدمة هي فعل الشرط: حيث يحلف الرجل على مال

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٥)، ومسلم (١٢٨/٢٢٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣١).

(٢) أخرجه مسلم، ٢٥٦٤.

(٣) التكافل الاجتماعي في الإسلام، د. عبدالعال أحمد عبدالعال، ص٢٣٥.

امرئ مسلم بأنه من حقه وبأنه يخصه كذباً، ولذلك قال رسول الله مؤكداً أن هذه اليمين كاذبة "بغير حقه".

إن هذه المقدمة: تقود إلى نتيجة متوائمة مع طبيعتها: وهي: غضب الحق سبحانه وتعالى على هذا الكاذب المحتال، ولذلك جاء جواب الشرط في قوله: "لقي الله وهو عليه غضبان"، والمراد من الغضب هنا: إما غايته وهي الانتقام أو إرادة الغضب من باب المجاز المرسل، واقتران الجواب بالحال.

والآية القرآنية سيقت للتدليل على تحقق الغضب الإلهي، وموقع جملة، "وهو عليه غضبان"، يشارك في ترسيخ هذا الدليل، ويمهد له: فالجملة: حالية أي أن هذا العبد سيواجه ربه وهو مغضوب عليه، فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الكاذبة عمداً.

ثانياً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على الحقوق.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: اجتناب الكبائر.

رابعاً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله.

خامساً: من فقه الداعية: استخدام الألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من اليمين الكاذبة عمداً:

هذا واضح من هذه الأحاديث: فحديث ابن مسعود رضي الله عنه: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان"، وحديث إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة". كما عدّ النبي صلى الله عليه وسلم أن اليمين الغموس من الكبائر، وجاء تفسيرها في الحديث"الذي يقتطع

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٧٧ .

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧١٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٥، ١٧١٦).

مال امرئ مسلم، يعني بيمين هو فيها كاذب، فدل ذلك على تغليظ الحلف كذباً متعمداً، (ومن صوره اقتطاع حق مال امرئ مسلم كذباً عامداً" فاليمين الغموس، كما جاء في الموسوعة الفقهية، هى المحلوفة على ماض مع كذب صاحبها وعلمه بالحال ومن صورها: والله ما فعلت كذا وهو يعلم أنه فعله. أو والله لقد فعلت كذا وهو يعلم أنه لم يفعله، أو: والله ما لك على دين وهو يعلم أن للمخاطب ديناً عليه)[١].

ولتغليظ أمر الحلف كذباً عمداً، قال ابن مسعود: (كنا نعد الذنب الذي لا كفارة له اليمين الغموس أن يحلف الرجل على مال أخيه كاذباً، ليقتطعه)[٢].

وحديث ابن مسعود بلفظ من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر، لقى الله وهو عليه غضبان، ونزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣]، [٤]، قال النووي: "التقييد بكونه فاجراً لابد منه، ومعناه: هو آثم. ولا يكون آثماً إلا إذا كان متعمداً عالماً بأنه غير محق"[٥].

وقال ابن دقيق العيد: "يمين الصبر"[٦]: هى التي يصبر فيها نفسه على الجزم باليمين و"الصبر": الحبس: فكأنه يحبس نفسه على هذا الأمر العظيم، وهى اليمين الكاذبة، ويقال لمثل هذه اليمين "الغموس" أيضاً، وفي الحديث وعيد شديد لفاعل ذلك، وذلك لما

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٨٢/٧-٢٨٣. بتصرف يسير. وجاء في معجم لغة الفقهاء: اليمين الغموس: اليمين الفاجرة، وهى أن يحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب، وهي بذلك تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار، معجم لغة الفقهاء، ص٢٨٤.

(٢) قال ابن حجر: رواه آدم بن أبي إياس في مسند شعبة وإسماعيل القاضي في الأحكام عن ابن مسعود، وقال: ولا مخالف له من الصحابة، فتح الباري، ٥٥٧/١١، .

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٧٦، ومسلم ١٣٨.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٦٣/٢/١ .

(٦) اليمين الغموس يقال لها الزور والفاجرة وسميت في الأحاديث يمين صبر ويميناً مصبورة. سبل السلام للصنعاني، ٨٨٠ط بيت الأفكار الدولية.

فيها من أكل المال بالباطل ظلماً وعدواناً والاستخفاف بحرمة اليمين بالله، وهذا الحديث يقتضي تفسير هذه الآية بهذا المعنى. وفي ذلك اختلاف بين المفسرين، ويترجح قول من ذهب إلى هذا المعنى بهذا الحديث، وبيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحف القضايا"[١].

وقد ورد الترهيب والوعيد لمن حلف كاذباً في حق الغير مطلقاً، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة" الحديث، وفيه "المنفق سلعته بالحلف الفاجر"[٢]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضى، وإن لم يعطه منها سخط، ورجل أقام سلعته بعد العصر، فقال: والله الذي لا إله غيره، لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل. ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾[٣]،[٤].

قال ابن حجر: "قال الخطابي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت. لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤاً، فإن من تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر، وجاء ذلك في الحديث أيضا"[٥].

ثانياً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على الحقوق:

هذا واضح من هذه الأحاديث، وأشدها دلالة على ذلك حديث أبي أمامة إياس ابن

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) أخرجه مسلم ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٥٨ وهذا لفظه، ومسلم ١٠٨.

(٥) فتح الباري، ٢٠٣/١٣، .

ثعلبة الحارثي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: " من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة"، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك.

قال النووي: (قوله ﷺ: "حق امرىء" يدخل فيه من حلف على غير مال كجلد الميتة والسرجين[1] وغير ذلك من النجاسات التي ينتفع بها، وكذا سائر الحقوق التي ليست بمال كحد القذف ونصيب الزوجة في القسم وغير ذلك. وأما قوله ﷺ: "فقد أوجب الله تعالى له النار وحرم عليه الجنة" ففيه جوابان:

أحدهما: أنه محمول على المستحل لذلك إذا مات على ذلك، فإنه يكفر ويخلد في النار.

والثاني: معناه فقد استحق النار ويجوز العفو عنه، وقد حرم عليه دخول الجنة أول وهلة مع الفائزين.

وأما تقييده ﷺ بالمسلم فليس يدل على عدم تحريم حق الذمي، بل معناه أن هذا الوعيد الشديد وهو أنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان، لمن اقتطع حق المسلم، وأما الذمي فاقتطاع حقه حرام، ... وقال القاضي عياض[2]: تخصيص المسلم لكونهم المخاطبين وعامة المتعاملين في الشريعة، لا أن غير المسلم بخلافه، بل حكمه حكمه في ذلك، والله أعلم.

ثم إن هذه العقوبة لمن اقتطع حق المسلم ومات قبل التوبة، أما من تاب فندم على فعله ورد الحق إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعود فقد سقط عنه الإثم، والله أعلم ... وفيه بيان غلظ تحريم حقوق المسلمين، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره لقوله ﷺ: "وان كان قضيباً من أراك")[3].

وقد أخبر النبي ﷺ أن المسلم أخو المسلم فلا يظلمه، فقال ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ..."[4]، وقال ﷺ: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا

---

(١) السرجين: الزبل وهو من روث الحيوانات، انظر: معجم لغة الفقهاء ٢٠٤-٢٠٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤٣٤/١١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٦٣/٢/١، وانظر: فتح الباري ٥٦٣/١١-٥٦٤ .

(٤) أخرجه البخاري ٢٣٣٢، ومسلم ٢٥٨٠.

تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا. ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[١].

وقال ﷺ: «لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[٢].

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أضَرَّ به، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِماً شَاقَّ شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»[٣].

قال عبدالله البسام: (ما يؤخذ من الحديث:

١- أذية المسلم وغيره بغير حق حرام سواء أكانت الأذية في بدنه أو عرضه أو ماله أو ولده أو أهله أو أي شيء يلحقه الضرر به، فمن أدخل الضرر على مسلم أو ذمي أو معاهد جازاه الله تعالى من جنس عمله، بأن يدخل عليه المضرة والمشقة.

٢- جاء في الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال: "لا ضرر ولا ضرار"[٤]، وهذا الحديث جعله علماء الأصول قاعدة شرعية عامة كبرى استقوا منها عدداً كثيراً من المسائل الفرعية[٥].

ومعناه: نفي الضرر من الرجل لأخيه ابتداء وجزاء.

فالحديث: "لا ضرر ولا ضرار" وأخوه "حديث الباب" نص في تحريم الضرر بأنواعه كلها، لأن النفي -بلا- للاستغراق فيفيد تحريم جميع أنواع الضرر، لأنه الظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٨٢.

(٣) أخرجه أحمد ٤٥٣/٣ رقم ١٥٧٥٥، وقال محققو المسند: حديث حسن بشواهده اهـ وانظر تتمة تخريجه في مسند أحمد ٣٤/٢٥.

(٤) أخرجه أحمد ٣١٣/١ رقم ٢٨٦٥، وقال محققو المسند: حسن اهـ وانظر شواهده في تخريج المسند ٥٥/٥-٥٦، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ٢٠٧/٢-٢١٠.

(٥) انظر جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ١٣٩/١-١٧١.

٣- الضرر بحق جائز كإقامة الحدود والعقوبات والإكراه على استخلاص الحقوق المستحقة الواجبة.

٤- المضارة المحرمة هي المضارة المقصودة، أما غير المقصودة فلا تحرم. قال شيخ الإسلام: المضارة معناها القصد والإرادة أو على فعل فيه ضرر، فمتى قصد الإضرار أو الفعل بالإضرار من غير حاجة فهو مضار.

وأما إذا فعل الضرر المستحق للحاجة لا لقصد الضرر فليس بمضار، ومن ذلك قوله ﷺ لصاحب النخلة التي تضر صاحب الحديقة لما طلب صاحبها المعاوضة عنها بعدة طرق فلم يفعل قال: "إنما أنت مضار"[1]، ثم أمر بقلعها، دل على أن الضرر محرم لا يجوز تمكين صاحبه منه"[2].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: اجتناب الكبائر:

هذا واضح من الحديث: "الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس"، وقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يارسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات"[3]. وقال ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر

---

(١) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه كان له عضد من نخل في حائط رجل من الأنصار، قال: ومع الرجل أهله، قال: فكان سمرة يدخل إلى نخله فيتأذى به ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعه فأبى، فطلب إليه ان يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى فطلب إليه أن يناقله فأبى، قال: فهبه له ولك كذا وكذا" أمراً رغبه فيه فأبى. فقال: أنت مضار. فقال رسول الله ﷺ للأنصاري: اذهب فاقلع نخله.

أخرجه أبو داود ٣٦٣٦، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٧٨٥).

قال الخطابي في معالم السنن: "رواه أبو داود" عضدا وإنما هو عضيد من نخيل، يريد نخلاً لم تبسق ولم تطل، قال الأصمعي: إذا صار للنخلة جذع يتناول منه المتناول فتلك النخلة العضيد جمعه عضيدات. وفيه من العلم: أنه أمر بإزالة الضرر عنه، وليس في هذا الخبر أنه قلع نخله، ويشبه أن يكون أنه إنما قال ذلك ليردعه به عن الإضرار. معالم السنن، ٥/٢٤٠.

(٢) توضيح الأحكام ٦/٣٤٢، ٣٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٥٧، ومسلم ٨٩.

"ثلاثاً"، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، أو قول الزور[١]. قال ابن حجر: "قوله ﷺ: "أكبر الكبائر" ليس على ظاهره من الحصر بل "من" فيه مقدرة، فقد ثبت في أشياء أخر أنها من أكبر الكبائر"[٢]، ثم ذكر الأحاديث الواردة في أكبر الكبائر، فبلغت عشرين كبيرة، وبعد إسقاطه المتداخل منها بلغت ثلاث عشرة"[٣].

أما عن تعريف الكبيرة فقال ابن حجر: "قال ابن عبدالسلام في "القواعد": لم أقف لأحد من العلماء على ضابط الكبيرة لا يسلم من الاعتراض، والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعاراً دون الكبائر المنصوص عليها. قلت: وهو ضابط جيد"[٤]، لكن ابن حجر قال في موضع آخر من فتح الباري: "ومن أحسن التعاريف قول القرطبي في "المفهم"[٥]: كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو كبيرة. وعلى هذا فينبغي تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص في القرآن والأحاديث الصحاح والحسان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها"[٦].

والذي يهمنا هنا كون الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس من الكبائر.

فأما الإشراك بالله[٧]، فقال ابن القيم مبيناً كونه من الكبائر المهلكة: "حقيقة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٦٥٣، ٥٩٧٦، ومسلم ٨٧.

(٢) فتح الباري ٤١١/١١، .

(٣) الموسوعة الفقهية ١٥٣/٣٤، وفتح الباري ٤١١/١٠، ١٨٣/١١.

(٤) فتح الباري ٤١١/١٠.

(٥) المفهم ٢٨٤/١

(٦) فتح الباري ١٨٤/١٢، .

(٧) قال ابن دقيق العيد، في إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٣٦١: يحتمل أن يراد به مطلق الكفر فيكون تخصيصه بالذكر لغلبته في الموجود، لاسيما في بلاد العرب. فذكر تنبيهاً على غيره. ويحتمل أن يراد به: خصوصه، إلا أنه يرد على هذا الاحتمال: أنه قد يظهر أن بعض الكفر أعظم قبحاً من الإشراك، وهو كفر التعطيل، فبهذا يترجح الاحتمال الأول.

الشرك هو التشبه بالخالق وتشبيه المخلوق به، هذا هو التشبيه في الحقيقة... فالمشرك مشبه للمخلوق بالخالق في خصائص الإلهية، فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق، وجعل ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فضلاً عن غيره، شبيهاً لمن له الأمر كله، فأزمة الأمور كلها بيديه ومرجعها إليه، فمن شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، بل إذا فتح لعبده باب رحمته لم يمسكها أحد وإن أمسكها عنه لم يرسلها إليه أحد، فمن أقبح التشبيه تشبيه هذا العاجز الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات، ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده والتعظيم والإجلال والخشية والدعاء والرجاء والتوبة والتوكل والاستعانة، وغاية الذل مع غاية الحب، كل ذلك يجب عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون له وحده، ويمتنع عقلاً وشرعاً وفطرة أن يكون لغيره، فمن جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر سبحانه أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة ..."[1].

أما قتل النفس التي حرم الله قتلها، فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تعظم من أمر القتل وتبين الوعيد الشديد على ذلك، من هذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أول ما يقضي بين الناس في الدماء"[2]. قال النووي: "فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها"[3]، وقال ابن حجر: " وفي الحديث عظم أمر الدم، فإن البداءة إنما تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظم المفسدة وتفويت المصلحة، وإعدام البنية الإنسانية غاية في ذلك، وقد ورد

---

(١) الداء والدواء ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٣٣، ومسلم ١٦٧٨.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٧٤/١١/٧، ط دار عالم الكتب.

في التغليظ في أمر القتل آيات كثيرة وآثار شهيرة يأتي بعضها في أول (كتاب) الديات"[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٢]، قال ابن كثير: "أى ومن قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ... وقال سعيد بن جبير: "من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً، ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً"[٣].

وأما عقوق الوالدين فقال ابن دقيق العيد: "عقوق الوالدين معدود من أكبر الكبائر في هذا الحديث، ولاشك في عظم مفسدته، لعظم حق الوالدين"[٤]. وقال ابن حجر: "والعقوق - بضم العين المهملة- مشتق من العق، وهو القطع، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد. وضبطه ابن عطية بوجوب طاعتهما في المباحات فعلاً وتركاً، واستحبابها في المندوبات، وفروض الكفاية كذلك. ومنه تقديمها عند تعارض الأمرين وهو كمن دعته أمه ليمرضها، مثلاً بحيث يفوت عليه فعل واجب إن استمر عندها ويفوت ما قصدته من تأنيسه لها، وغير ذلك لو تركها وفعله وكان مما يمكن تداركه مع فوات الفضيلة كالصلاة أول الوقت أو في الجماعة"[٥].

وقال ابن دقيق العيد: "قال شيخنا الإمام أبو محمد بن عبدالسلام: وقد حرم على

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/١١، ط السلفية.

(٢) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٩٢/٣، وانظر: الداء والدواء، لابن القيم ٢٢٥-٢٣٠.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ٣٦١.

(٥) فتح الباري ٤٠٦/١١ .

الولد السفر إلى الجهاد بغير إذنهما، لما يشق عليهما من توقع قتله، أو قطع عضو من أعضائه ولشدة تفجعهما على ذلك، وقد ألحق بذلك كل سفر يخافان فيه على نفسه أو على عضو من أعضائه"[١].

وأما اليمين الغموس من الكبائر: "لما فيها من أكل المال بالباطل ظلماً وعدواناً والاستخفاف بحرمة اليمين بالله"[٢].

وقال القرطبي المفسر: "قد جمع هذا الحالف الكذب واستحلال مال الغير، والاستخفاف باليمين بالله تعالى، والتهاون بها وتعظيم الدنيا. فأهان ما عظمه الله وعظم ما حقره الله وحسبك، ولهذا قيل: إنما سميت اليمين الغموس غموساً، لأنها تغمس صاحبها في النار"[٣].

رابعاً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله:

هذا واضح من سؤال الأعرابي النبي ﷺ فقال: "يارسول الله: ما الكبائر؟، قال: الإشراك بالله، قال: ثم ماذا؟، قال: اليمين الغموس...". الحديث. فإن هذا الأعرابي يغلب على الظن أنه سمع عن الكبائر وعن الوعيد الشديد على فعلها، فأراد أن يسأل النبي ﷺ عنها حتى يتجنبها ولا يقارفها. قال ابن القيم عن انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر، فقال: "وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[٥]، وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، ص ٣٦١.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٨/٦/٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٣١.

(٥) سورة النجم، آية: ٣٢.

ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر"[١]، [٢].

خامساً- من فقه الداعية: استخدام الألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً:

هذا واضح في قوله ﷺ: "اليمين الغموس"، فقد عبر عن اليمين الكاذبة عمداً باليمين الغموس، قال ابن حجر: "قيل سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار"[٣].

ومن هذا القبيل: ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ قال: "من الكبائر شتم الرجل والديه"، قالوا: يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"[٤]، قال النووي: "فيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء، وإنما جعل هذا عقوقاً؛ لكونه يحصل منه ما يتأذى به الوالد تأذياً ليس بالهين"[٥].

ومن هذا القبيل أيضاً ما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا. فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ. فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ. أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ. ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٦].

قال النووي: "معناه أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس له مال ومن قلّ ماله فالناس يسمونه مفلساً، وليس هو حقيقة المفلس، لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته. وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته. وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الداء والدواء ١٩٢، وانظر: الموسوعة الفقهية ١٤٨/٣٤.

(٣) فتح الباري ٥٥٥/١١، .

(٤) أخرجه البخاري ٥٩٧٣، ومسلم ٩٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ٩٠/٢/١، ، وانظر: فتح الباري ٤٠٣/١٠-٤٠٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٥٨١.

حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[١].

ولا شك أن استخدام الداعية للألفاظ المعبرة عن المعنى تعبيراً موحياً يجعل الرسالة الدعوية تصل إلى المدعوين وفيها من التأثير ما فيها، مما يسهل قبولهم لها ويسرع بامتثالهم إياها. وهذا هو مقصود الداعية من دعوته.

---

(١) شرح صحيح مسلم ٨/١٦/١٣٧-١٣٨، .

الحديث رقم (١٧١٥)

١٧١٥- وعن أبي أُمَامَة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قَالَ: ((مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ. وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: ((وإنْ (كَانَ) [1] قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

ابو امامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٤).

غريب الألفاظ:

قضيباً من أراك: أي عوداً من شجر المسواك[3].

الشرح الأدبي

إن الحفاظ على مال الغير من المسلمين والذميين واجب شرعي، والمسلم أولى من غيره في هذا الباب؛ لأن حقه في الحفاظ على ماله لا يسقط بأي حال من الأحوال، ولذلك تضمن هذا الحديث مثل السابق عليه عدة ظواهر أسلوبية وفنية تساعد في جلاء المعنى، وترسيخه في النفوس، ومن هذه الظواهر الأسلوبية، بداية الحديث بالتوكيد، حيث يؤكد الراوي الخبر ويقول: "إن رسول الله ﷺ قال": وهذا التأكيد لأهمية الخبر ومضمونه في الحديث.

ورسول الله ﷺ يصوغ بيانه الشريف في إطار أسلوب الشرط والجواب، وأداة الشرط "من" وفعل الشرط "اقتطع حق امرئ مسلم"، وجواب الشرط: "فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة".

---

(١) (كان) لا توجد عند مسلم، والزيادة من النسائي في المجتبى (٥٤١٩)، تبع المؤلف فيه المنذري.

(٢) برقم (١٣٧/٢١٨)، وتقدم برقم (٢١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٤٦).

(٣) النهاية في (ق ض ب)، والوسيط في (أ ر ك).

ولنتأمل صيغة الافتعال في قوله: "اقتطع" والمراد قطع أو أخذ، ولكن هذه الصيغة تومئ إلى الإكراه والاغتصاب، وكأن هذا الذي أخذ حق غيره يقتطع جزءاً من جسد صاحب الحق، والتعبير بقوله: "حق امرئ مسلم" عبر بحق ليعم المال وغيره من ممتلكات الإنسان الخاصة، ولذلك عدل عن قوله: "مال" إلى "حق" لإفادة أن هذا المال وغيره من اختصاص صاحبه، ولا حق لغيره فيه.

وقيل إن تخصيص الحق بالمرء المسلم لا يبيح أخذ مال الذمي بغير حق؛ فالعقوبة تطارد من يفعل ذلك، ومن أسرار التعبير البلاغية، مجيء جواب الشرط مقترناً بقد.. لتأكيد العقوبة وتغليظها، والتعبير بقوله: "أوجب الله له النار"، أشد في تغليظ العقوبة، والسخرية من الحالف كذباً من قوله: "أدخله الله النار"، وتزداد العقوبة تغليظاً وتأكيداً: بالجملة الثانية المعطوفة على جواب الشرط في قوله: "وحرم الله عليه الجنة".

ومن أسرار التعبير وجمالياته: هذا الحوار الصادق بين رسول الله وأحد الصحابة، وقد جاء الحوار في صيغة الجواب والشرط مقروناً بالاستفهام في كلام الرجل، وحذف جواب الشرط في السؤال والجواب، وذلك للعلم به، لأن العقوبة أوجبها الله وهي دخول النار: وتحريم الجنة.

ولنتأمل هذا السؤال الحقيقي وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله؟، وهو سؤال فيه حيرة ودهشة وقلق، ويأتي جواب رسول الله محدداً وواضحاً يزيل أي لبس ويجلو أي شبهة "وإن كان قضيباً" من أراك، وجواب الشرط محذوف والتقدير: فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١٦)

١٧١٦- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((**الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ**)). رواه البخاريُّ[1].

وفي روايةٍ لَهُ[2]: أنَّ أعْرابياً جَاءَ إلَى النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ اللهِ مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: ((**الإشْرَاكُ بِاللهِ**)) قَالَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: ((**اليَمِينُ الغَمُوسُ**)) قلتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: ((**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**)) (يعني بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ)[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

اليمين الغموس: اليمين الفاجرة، وهي أن يحلف على أمر وهو يعلم أنه كاذب، وهي بذلك تغمس، صاحبها في الإثم، ثم في النار[4].

الشرح الأدبي

يقدم هذا الحديث الشريف في أسلوب واضح محدد أربعة أنواع من الكبائر، وليست الكبائر محصورة في هذه الأربعة، وإنما جيء بها هنا لشدة أمرها وغلظها.

والكبائر جمع كبيرة، وهو جمع أقصى، على وزن مفاعل، والكبيرة -كما قال العلماء- ما توعد عليه بالعذاب أو الغضب في الكتاب والسنة.

ولنتأمل جماليات الأداء الأسلوبي، ودلالات الألفاظ وموحياتها في هذا الحديث الشريف، فقوله: "الكبائر" مبتدأ ...، وهو يحتاج إلى خبر لتتم فائدة الكلام، وفي رواية أخرى: بُدِىء الحديث بسؤال من أعرابي: "ما الكبائر؟" وخبر المبتدأ في هذه الرواية: هو

---

(١) برقم (٦٦٧٥)، ومسلم (٦٩٢٠)، وتقدم برقم (٣٣٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥، و٣٦٧٩).

(٢) البخاري برقم (٦٩٢٠). أورده المنذري في ترغيبه (٢٧٣٥).

(٣) لفظ البخاري: (هو فيها كاذب)، بدل: (يعني: بيمين هو كاذب).

(٤) معجم لغة الفقهاء ٤٨٤.

بقية الحديث: وهو أخبار معطوفة.

ونلاحظ أنها جاءت على نسق واحد في البناء اللغوي، حيث المصادر المضافة إلى متعلقاتها، وهي: "الإشراك، وعقوق، وقتل": وكل مصدر مضاف إلى ما بعده وكأن هذه المخالفة هي مصدر الكبيرة ومنبعها، وأما اليمين فقد وصفت بالغموس، وفي ذلك تميز في تركيب هذه الجملة؛ لأن الناس يمكن أن يستهينوا بذلك الأمر، فتميز التركيب اللغوي، لإثارة الانتباه واليقظة.

وحين نتأمل دلالة الألفاظ التي تمثل مصادر الكبائر لغة ومعنى في الحديث الشريف، نجد أن الفعل أشرك، وهو مأخوذ من المصدر إشراك: ذكر في القرآن الكريم وما يشتق منه، مائة وثمانية وستين مرة، وقد أخذ هذا المصطلح من معنى الشركة: أي مخالطة الشريكين وهو المعنى الأساسي ولكن مصطلح" الشرك بالله أو المشرك" لم يعرف إلا بعد نزول القرآن الكريم، والمشرك أبعد في الضلالة من الكافر؛ لأن أساس العقيدة الإسلامية هو التوحيد، والمشرك يحتاج للعودة إلى دين الله الخالص أن يكفر أولاً بآلهته، وأن يؤمن ثانياً بالله عز وجل وحده لا شريك له[1]، ولذلك جاء الإشراك في مقدمة الكبائر، "وعقوق الوالدين": من الكبائر: لأنه يلغي حقهما من البر والرعاية ومدلول عق في اللغة: شق، وكأنه يشق عصا الطاعة،والعقة في اللغة، حفرة عميقة في الأرض، وكأن من يعق والديه يُلقي بهما في حفرة عميقة من الإهمال والحسرة والأحزان، وفي ذلك معصية لله عز وجل ومخالفة لقوله سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[2].

وأما وصف اليمين بالغموس: فذلك له إيحاء ودلالة عميقة تصور فداحة الجرم الذي ارتكبه ذلك الحالف كذباً، وقد وصفت اليمين الغموس بذلك، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

---

(١) انظر: التطور الدلالي: بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

والدلالة اللغوية تتفق مع الدلالة في الحديث الشريف، لأن الغموس في اللغة هو الأمر الشديد الغامس في الشدة، وهو الناقة لا يستبان حملها، والغميس: هو الليل المظلم، والظلمة، والشيء الذي لم يظهر للناس[1]، ولم يعرف بعد، فتأمل ما خلف وما وراء وصف اليمين الكاذبة بالغموس، من إيحاءات ودلالات وأسرار وذلك من دلائل بلاغة النبوة، وفصاحة المصطفى ﷺ.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: القاموس المحيط، في "غ م س" وفي "ع ق".

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - الترهيب من اليمين الكاذبة:

جاءت أحاديث الباب مرهبة من اليمين الكاذبة والكذب لذاته محرم، وهذا الكذب إذا قرن باليمين، واليمين تعظيم الله عز وجل فإذا كان على كذب صار فيه شيء من تنقص لله عز وجل حيث جعل اسمه مؤكدًا لأمر كذب، ولذلك كان الحلف بالله كاذبًا عند بعض أهل العلم من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار[1].

فعلى المربي أن يرهب من يقوم بتربيتهم من اليمين الكاذبة - أي الحلف بالله كذبًا - لأنها من كبائر الذنوب التي تؤول بصاحبها إلى النار.

فمن حلف على شيء كاذبًا ألجأته إليه الخصومة. وحمله عليه الجحود والمكابرة في الحق، وهو بها محدث في دينه حدثًا، وفاتق فيه فتقًا وخارج عن الحق خروجًا - من حلف هذه اليمين ليسلب به مال إنسان أو حقه. ويحول بينه وبينه لقي الله في القيامة وهو عليه غضبان. فينتقم على كذبه واستيلائه على مال غيره، بهذه الطريقة الخاطئة، واليمين الفاجرة. ويدخل ناره ليتخذ له فيها منزلاً، يصلى سعيره، ويقاسي جحيمه، فإن كان الذي اقتطع ماله أخًا مسلمًا كان الجرم أكبر، والعقاب أعظم فإن واجب المسلم نحو المسلم مساعدته على استرداد حقوقه، واسترجاع ماله؛ أما أن يقتطع قطعة من ماله ظلمًا وعدوانًا ويكذب في سبيلها ويمتهن اسم الله لسلبها فذلك ما ينافي الإيمان؛ وبهذا التحليل عرفت أن ذكر المسلم لا يراد به التخصيص؛ وقصر الحكم عليه؛ وإباحة أموال غيره ممن لا يدين بدينه؛ بل ذكره لتفظيع الجريمة، وأن أخوَّة الإسلام تستدعي الصدق؛ والتزام الحق؛ وكذلك كلمة "يمين" في قوله: من حلف على يمين صبر يراد بها المحلوف عليه وسمي يمينًا لتعلقه بها، أو تقول "على" زائدة والمعنى من حلف يمين صبر.

الكذب في نفسه جريمة لأنه قلب للحقائق، وتعمية على الناس؛ وإضلال لهم عن

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، ٢/٢١٨.

الحقيقة؛ وداعية فقد الثقة في المعاملة والمحادثة، فإن انضم إليه تأكيده بالأيمان الكاذبة الفاجرة؛ التي فيها امتهان أسماء الله المقدّسة، وصفاته العالية كانت الجريمة أكبر، فإذا أضيف إلى ذلك قطع الحقوق عن أربابها. والحيلولة بينهم وبينها كان فحش الجريمة نهاية. فإن كان إلى ذلك وقوعها على أخيك في الدِّين وتربك في العقيدة كان الفحش نهاية النهاية؛ وأقصى الغاية؛ فلا تعجب أن يكون العقاب غضب الجبار؛ وأن يكون المتبوأ النار؛ فإياك واليمين الفاجرة؛ وإياك ومال أخيك؛ واحترم للقضاء مكانته، ولبارئك أسماءه وصفاته؛ ولا تبتغ بها عرضًا من الدنيا؛ غناؤه قليل؛ وعقباه جحيم؛ واقرأ الآية المرة تلو المرة؛ وعد بأولها على آخرها وبآخرها على أولها لترى عظم الجريمة؛ وشدة العقوبة[1].

ثانيًا - التربية بالخوف من الظلم:

الظلم حرام قليله وكثيره، وأكل حق الغير بغير وجه باب من أبواب الظلم، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن من اقتطع حق مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وفي ذلك تخويف من الظلم.

فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وفي الدنيا نزاع وعداوة، ومتلفة وخسارة والطمع عقبه الندم[2]، فعلى المربي أن يحذر المسلم من الظلم، فلا يدنس نفسه الطاهرة برجسه ويعتدي على حق أحد بظلمه بالقول أو الفعل، فمن أشنع الصفات وأقبحها، وأجرئها على الله: أن يظلم المسلم أخاه المسلم، فهو بهذا يرتكب إثمًا مبينًا وجرمًا عظيمًا، فليحذر عاقبته فإنها وخيمة، ودعوة المظلوم مستجابة، ولو كان المظلوم فاجرًا ففجوره على نفسه، قال رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه عندما بعثه إلى اليمن: ((وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ))[3][4].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٨٠، ٨١ والمراد بالآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة آل عمران، آية: ٧٧].

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤٤٨، ومسلم ١٩.

(٤) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، د. فالح الصغير، ص ٢١٢.

ثالثًا - من مصادر التربية: القرآن الكريم:

القرآن الكريم منبع هداية وإرشاد، ويحتوي على آيات تهدي للحق، وعلى تعاليم تعمق الوعي الأخلاقي، وتدعم القيم والمسؤولية الاجتماعية، وتزكي النفوس، وتحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1] ويتضمن القرآن الكريم عديداً من القيم والمثل العليا والحكم البالغة التي تقدم إلى النفس غذاءً كاملاً، لذا يعد القرآن الكريم الإطار المرجعي لكافة شؤون المسلمين، ومنبعًا رئيسًا للفكر التربوي الإسلامي تشتق منه التربية الإسلامية أهدافها[2].

وقد استخدم النبي ﷺ القرآن الكريم مصدرًا تربويًا للمسلمين عندما قال: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان" ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ إلى آخر الآية[3]؛ فالقرآن الكريم هو الأصل الأول، والأصل الرئيسي الذي ينبغي أن تستمد منه التربية الإسلامية[4].

رابعًا - التربية على الكسب الحلال:

لقد اهتم الإسلام بالكسب المعيشي اهتمامًا كبيرًا، فبين المهن والمكاسب المحرمة التي ينبغي صد جميع الوسائل المفضية إليها، ومن ذلك المكاسب المبنية على الحلف الكاذب الذي حذرت منه أحاديث الباب حيث قال ﷺ: "من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه، لقي الله وهو عليه غضبان...". وقال ﷺ: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة" ... "وإن كان قضيبًا من أراك" وعندما سئل عن اليمين الغموس؟ قال: "الذي يقتطع مال امرئ مسلم".

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٩.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب، وآخرين.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) أصول التربية، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٢٧.

كما حرم الإسلام صناعة الخمور، والمخدرات، والأعمال الربوية، وغيرها من المحرمات التي بينتها كتب الفقه الإسلامي.

فينبغي تجنب المكاسب المبنية على الخداع والغش والحلف الكاذب، وغيرها من الرذائل السلوكية، وقد حذر ﷺ من فتنة المال التي تؤدي بالإنسان إلى عدم المبالاة بمكسبه، قال عليه الصلاة والسلام: ((يأتي على الناسِ زمانٌ لا يُبالي المرءُ ما أخَذَ منه أمِنَ الحلالِ أم منَ الحرام))[1].

فينبغي على العامل المسلم أن يتحرى في كسبه الأعمال المشروعة أولاً، ثم يتحرى سلامة الكسب، من الغش والخداع وسائر الرذائل، وأن يتحرى الصدق والأمانة والإخلاص، قال ﷺ: ((لا تزولُ قَدَما عَبْدٍ يَوْمَ القيامَةِ، حتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ، وفِيْمَا أنْفَقَهُ وعن جِسْمِهِ فيما أبْلاَهُ))[2].

فالكسب الحلال من أهم الأشياء التي ينبغي أن لا يغفل عنها المسلم، وأن توليها المؤسسات التربوية اهتمامها الكبير، عن طريق الأنشطة التربوية، والمناهج الدراسية[3].

خامسًا - التربية العقدية:

إن الهدف الأمثل للإنسان في الإسلام هو الإيمان بعقيدة التوحيد، المحدد الأمين لإطار السلوك الذي يناسب الإنسان في كل زمان ومكان[4].

وقد قام الرسول المربي ﷺ ليلقن هذا الدرس في التربية العقدية للجميع، وينفي عن الله الشرك والإلحاد، والزيغ والانحراف، فقال كما في هذا الباب: الكبائر: "الإشراك بالله".

وليحل التوحيد محل ما كانت البشرية تعرفه من زيغ وضلال وتخبط وتعدد للآلهة

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٤١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٩٧٠).

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي، ص ١٩٢، ١٩٣.

(٤) فلسفة الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص ١٨٧.

واتضحت صورة الأنبياء لدى الناس بحيث لم يعد هناك مجال لإضفاء بعض صفات الله سبحانه على بعض أنبيائه ورسله وأزال عن النبوة ما كان يصفها الناس به من كهانة وخرافة، وجعل الإسلام من العبادات الصحيحة فيه مجالاً تطبيقيًا للعقيدة الخالية من كل الشوائب المبرأة من كل ألوان الزيغ والانحراف[١].

وفي إمامة الرسول ﷺ للأنبياء ليلة الإسراء والمعراج درس أساسي مقصود هو: أن عقيدة الأنبياء واحدة، وأنهم جميعًا يدعون إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه عن كل ما يغايره ذاتًا وصفاتًا وأفعالاً[٢]، ((إنَّ مثلي ومَثَل الأنبياء من قَبلي كمثَل رجُلٍ بنى بيتًا فأحسَنَهُ وأجملَهُ، إلا مَوضعَ لبنةٍ من زاويةٍ، فجعلَ الناسُ يطوفونَ بهِ ويعجَبونَ له ويقولون: هلاّ وُضِعَت هذه اللبنةُ؟ قال: فأنا اللَّبنة، وأنا خاتمُ النَّبيين))[٣].

وهكذا تعمل التربية العقدية على غرس الإيمان بالله وتوحيده في قلب المسلم، ونفي الشرك والزيغ والانحراف في الاعتقاد عنه؛ لأن اتخاذ الأنداد والوسطاء، والأولياء، والشفعاء، ودعاؤهم في الملمات أكبر جريمة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[٤].

سادسًا - التربية على بر الوالدين:

إن حق الوالدن عظيم، ومنزلتهما عالية في الدين، فبرهما قرين التوحيد، وشكرهما مقرون بشكر الله عز وجل، والإحسان إليهما من أجل الأعمال، وأحبها إلى الكبير المتعال.

فبر الوالدين مما أقرته الفطر السوية، واتفقت عليه الشرائع السماوية، وهو خلق الأنبياء، ودأب الصالحين، كما أنه دليل على صدق الإيمان، وكرم النفس، وحسن

---

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، د. علي عبدالحليم محمود، ص ١٥، ١٦.

(٢) دروس من الإسراء والمعراج، د. رؤوف شلبي، مجلة الأزهر، تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الجزء الخامس، السنة التاسعة والأربعون، رجب ١٣٩٧هـ، يوليو ١٩٧٧م، القاهرة، ص ٨٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥٣٥، ومسلم ٢٢٨٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٤٨.

الوفاء، وبر الوالدين من محاسن الشريعة الإسلامية، ذلك أنه اعتراف بالجميل، وحفظ للفضل، وعنوان على كمال الشريعة، وإحاطتها بكافة الحقوق. كما نهى الإسلام عن عقوق الوالدين، وحذر منه أشد التحذير فهو كبيرة من الكبائر وهو قرين للشرك، كما قال ﷺ: "الكبائر... وعقوق الوالدين". ويكفي في ذلك قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[1] فما بالك بما فوق كلمة (أف)[2].

وعقوق الوالدين عقابه عظيم في الدنيا والآخرة، وهو سبب في غضب رب العالمين، فعلى المربين التحذير منه والترهيب.

سابعًا- من أهداف التربية: المحافظة على النفس:

إن قتل النفس من الكبائر كما قال ﷺ: "الكبائر: ... وقتل النفس".

حَرَّمَ الله قتل النفس بغير حق، وأنزل أشد العقوبة بمرتكب ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[3]، وقال: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾[4].

وذكر الله قصة قتل أحد أبناء آدم لأخيه وكانت أول حادثة قتل على الأرض ثم عقّب عليها بقوله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾[5].

وحرم الله الانتحار: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[6].

وفي بعض أبواب الحدود من الفقه الإسلامي أحكام القتل، والديات والقصاص،

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(٢) انظر: رسائل في التربية والأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ص ١٥-١٧.

(٣) سورة الإسرا، آية: ٣٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣٢.

(٦) سورة النساء، آية: ٢٩.

ودراستها تزرع في نفوس الناشئة احترام الأرواح، والنفوس، والبعد عن التفكير بالثأر أو الاعتداء، أو أي جريمة من هذا النوع، كما تزرع العدالة، وحب القصاص، وما ينتج عن ذلك[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٦٢.

٣١٦- باب ندب من حلف عَلَى يَمينٍ فرأى غيرها خيراً مِنْهَا أنْ يفعل ذَلِكَ المحلوف عَلَيْهِ ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه

الحديث رقم (١٧١٧)

١٧١٧- عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالرحمن بن سمرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧٤).

غريب الألفاظ:

كفِّر عن يمينِك: من الكفّارة: الفَعْلَةُ أو الخَصْلَةُ التي من شأنها أن تُكفِّر الخطيئة، أي: تسترها وتمحوها[2].

الشرح الأدبي

يجيء هذا الحديث في مقدمة باب ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه، وفي ذلك تغليب للخير وإيجاد منافذ جديدة لمن أقسم على شيء ثم رأى أن في القيام به خيراً له وللمسلمين.

والحديث جزء من محاورة دارت بين رسول الله ﷺ وعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه، حيث يخبر في بداية الحديث بأن رسول الله ﷺ قال له: "وإذا حلفت ... الحديث"، والواو هنا لها وظيفة دلالية، فهي تشعر بأن هذا الحديث جزء من حديث، وهذا الحديث معطوف على ما قبله من كلام محذوف، وربما ورد في رواية أخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٢٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٥٢/١٩).

(٢) النهاية في (ك ف ر).

والحديث صيغ في قالب: الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا" وهي هنا أنسب من غيرها من الأدوات، لأنها تفيد التحقق، وكثير من الناس يحلفون ثم يتبين لهم أن ما حلفوا عليه أو على منعه يتضمن خيراً لهم ولغيرهم لو تحقق، فهذا سلوك واقعي، ويحدث كثيراً، ومن هنا تتضح بلاغة التعبير بإذا دون غيرها من الأدوات في هذا المقام، وذلك السياق، وفعل الشرط معطوف عليه جملة تضيء الموقف، وتوضح الرؤية، وتحدد الحكم الصحيح، وهي قوله: "فرأيت غيرها خيراً منها".

ورأى: هنا: علمية تفيد التيقن والمعرفة، والجواب يأتي في صيغة الأمر لمزيد من الترغيب في ذلك وقوله: "الذي هو خير"، لتحديد معيارية التفضيل وهي خيرية العمل، وليست القيمة المادية أو الاجتماعية واسم الموصول في قوله: "فأت الذي هو خير" لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، وقوله: "هو" لمزيد من التحديد والتمييز والترغيب، وقوله: "وكفر عن يمينك"، جملة معطوفة على الجواب، وموضحه له.

وتمثل مخرجاً من الحرج الذي يقع فيه من يتراجع عن يمينه: وقال العلماء: التكفير بعد الحنث واجب، وفعل الأمر في قوله: "وكفر عن يمينك" يؤيد ذلك.

والكفارة في الفقه الإسلامي: ما يفعله الإنسان من عمل صالح أو صدقة طيبة أو صوم ليغفر الله له سيئة اقترفها، أو عملاً غير صالح عمله، أو يميناً حلف به، وقد وردت كلمة "كفارة" في القرآن الكريم في أربع آيات كلها في سورة المائدة، وهي آخر سورة نزلت في القرآن الكريم لتبين للناس كثيراً من أحكام هذا الدين، والكفارة: مأخوذة من التكفير، وهي في اللغة: التغطية والستر، كما قال تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[1]. فالكفارة: تغطي وتستر المخالفة والمعصية، والله سبحانه وتعالى يعفو، ويصفح، ويغفر، ويستر، ويرحم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٥.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧١٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧١٨، ١٧١٩، ١٧٢٠).

ثانياً: من واجبات الداعية: أن يوافق فعله قوله.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: إثم من يتمادى في يمينه وتضرر أهله بذلك.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة:

هذا واضح من الأحاديث: قال النووي: "في هذه الأحاديث دلالة على من حلف على فعل شيء أو تركه، وكان الحنث خيراً من التمادي على اليمين، استحب له الحنث وتلزمه الكفارة. وهذا متفق عليه"[1]. وقال ابن تيمية: "فهذه نصوص رسول الله ﷺ المتواترة أنه أمر من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير"[2]، وقد فصل ابن حجر فقال: "إن الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة، ويختلف باختلاف حكم المحلوف عليه، فإن حلف على فعل واجب أو ترك حرام فيمينه طاعة، والتمادي واجب والحنث معصية وعكسه بالعكس. وإن حلف على فعل نفل فيمينه أيضا طاعة والتمادي مستحب والحنث مكروه، وإن حلف على ترك مندوب فبعكس الذي قبله، وإن حلف على فعل مباح فإن كان يتجاذبه رجحان الفعل أو الترك كما لو حلف لا يأكل طيبا ولا يلبس ناعما ففيه عند الشافعية خلاف، وقال ابن الصباغ وصوبه المتأخرون: إن ذلك يختلف باختلاف الأحوال، وإن كان مستوي الطرفين فالأصح أن التمادي أولى والله أعلم"[3].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]، قال ابن تيمية: "إن السلف مجمعون أو كالمجمعين على أن معناها: أنكم لا تجعلوا الله مانعاً لكم إذا حلفتم به، من البر والتقوى والإصلاح بين

---

(١) شرح مسلم ٦/١١/١١٣- ١١٤ ط دار عالم الكتب.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨/١٦٨ ط العبيكان، ٣٥/٢٨٠، ط ابن قاسم.

(٣) فتح الباري ١١،٥٢١، .

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٤.

الناس، بأن يحلف الرجل ألا يفعل معروفاً مستحباً أو واجباً، أو ليفعلن مكروهاً أو حراماً ونحوه. فإذا قيل له: افعل ذلك أو لا تفعل هذا. قال: قد حلفت بالله، فيجعل الله عرضة يمينه. فإذاً كان قد نهى عباده أن يجعلوا نفسه مانعاً لهم في الحلف من البر والتقوى"[١]. وقال ابن حجر: "والمراد لا تجعل اليمين الذي حلفت أن لا تفعل خيراً سواء كان ذلك من عمل أو ترك، سبباً يعتذر به عن الرجوع عما حلفت، خشية من الإثم المرتب على الحنث، لأنه لو كان إثماً حقيقةً لكان عمل ذلك الخير رافعاً له بالكفارة المشروعة، ثم يبقى ثواب البر زائداً على ذلك[٢].

وقال ابن عثيمين: "فالحاصل أن الإنسان إذا حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، وهو بالخيار إن شاء فعل ثم كفر أو إن شاء كفّر ثم فعل ... وقد ثبت بالسنة القولية والفعلية أن الإنسان إذا حلف على شيء ورأى غيره خيراً منه فإنه يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير. أما إذا لم يكن كذلك فالأفضل أن يبقى على يمينه وألا يحنث لقوله الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[٣]، والله الموفق"[٤].

وقال عبدالله البسام: "الحلف على أمر مستقبل يريد الحالف تحقيق فعله أو تركه، لا يخلو من أمور:

١- فإن حلف على فعل محرّم أو ترك واجب، وجب حنثه وحرم برّه.

٢- وأما إن حلف على فعل مندوب أو ترك مكروه، فهنا يكره حنثه لما يترتب على برّه من الثواب الحاصل بفعل المندوب وترك المكروه.

٣- وأما إن حلف على فعل مكروه أو ترك مندوب. فهذا هو ما أشار إليه حديث الباب من أن المستحب أن يحنث، فيترك المكروه أو يفعل المندوب ويكفر عن يمينه.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٦/١٨ ط العبيكان، ٢٧٧/٣٥، ط ابن قاسم.

(٢) فتح الباري ٥٢١/١١، .

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٧٦/٢.

وهذا هو معنى قوله ﷺ: "إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفّر عن يمينك، وائت الذي هو خير"[١].

ثانياً- من واجبات الداعية: أن يوافق فعله قوله:

على الداعية أن يصدق فعله قوله، فإذا أمر الناس بشيء فعله، وإن نهاهم كان أول المنتهين. وهذا اقتداءً بالنبي ﷺ، حيث إنه ﷺ، "لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى العمل به"[٢].

والحنث في اليمين لمصلحة أرجح صورة عملية تطبيقية توضح موافقة فعله ﷺ لقوله، فحديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: "وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها، فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير"، هذه هى السنة القولية، أما الفعلية ففي حديث أبي موسى "وفيه قصة توضح هذا التوافق والتطابق، "فعَنْ زَهْدَمٍ الْجَرْمِيِّ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ جَرْمٍ إِخَاءٌ وَمَعْرُوفٌ قَالَ فَقُدِّمَ طَعَامٌ قَالَ وَقُدِّمَ فِي طَعَامِهِ لَحْمُ دَجَاجٍ قَالَ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مَوْلًى قَالَ فَلَمْ يَدْنُ فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى ادْنُ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ مِنْهُ قَالَ إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا قَذِرْتُهُ فَحَلَفْتُ أَنْ لا أَطْعَمَهُ أَبَدًا[٣] فَقَالَ ادْنُ أُخْبِرْكَ عَنْ ذَلِكَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ الأَشْعَرِيِّينَ أَسْتَحْمِلُهُ[٤] وَهُوَ يَقْسِمُ نَعَمًا مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ قَالَ أَيُّوبُ (أحد رواة الحديث) أَحْسِبُهُ قَالَ وَهُوَ غَضْبَانُ قَالَ وَاللَّهِ لا أَحْمِلُكُمْ وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ قَالَ

---

(١) توضيح الأحكام ٨٥/٦.

(٢) الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي، ١٧١.

(٣) يعني أنه رأى الدجاج يأكل نجاسة فاستقذره، فحلف الا يأكله لذلك. وظاهر قول هذا الرجل أنه كان يكره أكل ما يأكل النجاسات من الحيوانات. وقد اختلف في ذلك. قاله القرطبي في المفهم، ٦٢٧/٤.

(٤) قال ابن حجر: أى يطلب منه ما يركبه ... وكان ذلك في غزوة تبوك، كما تقدم أواخر كتاب المغازي. فتح الباري ٦١٢/١١، . والحديث في صحيح البخاري ٤٤١٥، وفي صحيح مسلم، ٨- ١٦٤٩.

فَانْطَلَقْنَا فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَهْبِ إِبِلٍ[١] فَقِيلَ أَيْنَ هَؤُلاءِ الأَشْعَرِيُّونَ فَأَتَيْنَا فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى[٢] قَالَ فَانْدَفَعْنَا فَقُلْتُ لأَصْحَابِي أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَسْتَحْمِلُهُ فَحَلَفَ أَنْ لا يَحْمِلَنَا ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْنَا فَحَمَلَنَا، نَسِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ وَاللَّهِ لَئِنْ تَغَفَّلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمِينَهُ لا نُفْلِحُ أَبَدًا ارْجِعُوا بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلْنُذَكِّرْهُ يَمِينَهُ فَرَجَعْنَا فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَيْنَاكَ نَسْتَحْمِلُكَ فَحَلَفْتَ أَنْ لا تَحْمِلَنَا ثُمَّ حَمَلْتَنَا فَظَنَنَّا أَوْ فَعَرَفْنَا أَنَّكَ نَسِيتَ يَمِينَكَ قَالَ انْطَلِقُوا فَإِنَّمَا حَمَلَكُمْ اللَّهُ إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا"[٣].

قال ابن دقيق العيد: "وقد أكد النبي ﷺ في هذا الحديث الحكم المذكور باليمين بالله تعالى، وهو يقتضي المبالغة في الحنث على الوفاء عند هذه الحالة، وهذا "الخير" الذي أشار إليه النبي ﷺ أمر يرجع إلى مصالح الحنث المتعلقة بالمفعول المحلوف على تركه مثلاً"[٤]. وقال ابن حجر: "قال ابن الأثير في النهاية[٥]: الحلف هو اليمين، فقوله " أحلف" أى أعقد شيئاً بالعزم والنية، وقوله: "على يمين"، تأكيد لعقده وإعلام بأنه[٦] ليست لغواً. قال الطيبي[٧]: ويؤيده رواية النسائي[٨] بلفظ: " ما على الأرض يمين أحلف عليها"، الحديث. قال: فقوله: "أحلف عليها" صفة مؤكدة لليمين. قال: والمعنى: لا أحلف يميناً جزماً لا لغو فيها ثم يظهر لي أمر آخر يكون فعله أفضل من المضى في اليمين المذكورة إلا فعلته وكفرت عن يميني، قال: فعلى هذا يكون قوله "على يمين" مصدراً مؤكداً لقوله أحلف، ولاشك أن موافقة فعل الداعية لقوله من أقوى

---

(١) أي غنيمة، فتح الباري ١١/ ٦١٢.

(٢) معناه: إبل بيض الأسنمة، شرح مسلم ٦/١١/١١٥.

(٣) أخرجه البخاري ٣١٣٣، ٦٧٢١، ومسلم ٩-١٦٤٩.

(٤) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ٣٥١.

(٥) النهاية في غريب الحديث ٢٢٥.

(٦) كذا في المطبوع من فتح الباري، ولعل الصواب: بأنها. فإن اليمين مؤنثة. انظر: القاموس المحيط في (ي م ن).

(٧) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٢٣-٢٤.

(٨) أخرجه النسائي ٣٧٧٩، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ٣٥٣٧).

الأسباب وآكد الطرق التي تؤدي إلى نجاحه في دعوته لأن ذلك يعطيه مصداقية عالية عند المدعوين، فيقبلون ما يرشدهم إليه"[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: إثم من يتمادى في يمينه وتضرر أهله بذلك:

هذا واضح من حديث أبي هريرة: "لأن يَلَجَّ أحدكم في يمينه في أهله آثم له عند الله تعالى من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه"، وفي رواية للبخاري: "من استلج في أهله بيمين فهو أعظم إثماً، ليبر. يعني الكفارة"[٢]، قال ابن تيمية: "أخبر النبي ﷺ أن اللجاج باليمين في أهل الحالف أعظم من التكفير، واللجاج: التمادي في الخصومة، ومنه قيل: رجل لجوج إذا تمادى في الخصومة...، فبين النبي ﷺ أن اللجاج باليمين أعظم إثماً من الكفارة، وهذا عام في جميع الأيمان"[٣].

وقال القرطبي المحدث: "اللجاج في اليمين: هو المضى على مقتضاه، وإن لزم من ذلك حرج ومشقة أو ترك ما فيه منفعة عاجلة أو آجلة، فإن كان فيه شيء من ذلك فالأولى له تحنيث نفسه، وفعل الكفارة قوله: "آثم له عند الله من أن يعطي ما فرض الله له من الكفارة" أي أكثر إثماً، وذلك إنما يكون إذا لزم من المضى في اليمين ترك واجب. هذا ظاهره. ويحتمل أن يكون إذا لزم من المضى في اليمين ترك مصلحة راجحة دنيوية، يطرأ عليه بسبب تركها حرج ومشقة"[٤].

قال النووي: "ومعنى الحديث أنه إذا حلف يميناً تتعلق بأهله ويتضررون بعدم حنثه ويكون الحنث ليس بمعصية فينبغي له أن يحنث فيفعل ذلك الشيء ويكفر عن يمينه، فإن قال: لا أحنث بل أتورع عن ارتكاب الحنث وأخاف الإثم فيه فهو مخطئ بهذا القول بل استمراره في عدم الحنث وإدامة الضرر على أهله أكثر إثماً من الحنث، واللجاج في اللغة هو الإصرار على الشيء، فهذا مختصر بيان معنى الحديث، ولا بد من تنزيله على

---

(١) فتح الباري ٦١٣/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦٧/١٨ ط العبيكان، ٢٧٨/٣٥، ط ابن قاسم.

(٤) المفهم ٦٣٢/٤، ٦٤٣.

ما إذا كان الحنث ليس بمعصية كما ذكرنا، وأما قوله ﷺ "آثم" فخرج على لفظ المفاعلة المقتضية للاشتراك في الإثم لأنه قصد مقابلة اللفظ على زعم الحالف وتوهمه، فإنه يتوهم أن عليه إثماً في الحنث مع أنه لا إثم عليه فقال ﷺ الإثم عليه في اللجاج أكثر لو ثبت الإثم"[١]. وقال ابن حجر: "قال البيضاوي[٢]: "المراد أن الرجل إذا حلف على شيء يتعلق بأهله وأصر عليه كان أدخل في الوزر وأفضى إلى الإثم من الحنث لأنه جعل الله عرضة ليمينه وقد نهى عن ذلك، قال: وآثم اسم تفضيل وأصله أن يطلق للاجّ في الإثم فأطلق لمن يلج في موجب الإثم اتساعا، قال: وقيل معناه أنه [إن] كان يتحرج من الحنث خشية الإثم ويرى ذلك، فاللجاج أيضا إثم على زعمه وحسبانه، وقال الطيبي[٣]: "لا يبعد أن تخرج أفعل عن بابها كقولهم الصيف أحر من الشتاء ويصير المعنى أن الإثم في اللجاج في بابه أبلغ من ثواب إعطاء الكفارة في بابه، قال: وفائدة ذكر "الأهل" في هذا المقام للمبالغة وهي مزيد الشناعة لاستهجان اللجاج فيما يتعلق بالأهل، لأنه إذا كان في غيرهم مستهجنا ففي حقهم أشد"[٤].

وقال ابن هبيرة: "والذي أراه في هذا أنه إذا ترك ما جعله الله عز وجل متداركاً لقرطاب[٥] الآدميين في أيمانهم من الكفارات خائفاً من ذلك أن يأثم بفعل ما حلف عليه، فإن الذي آتاه من خوف ذلك آثم مما حلف. وبين هذا قوله ﷺ: "استلج في أهله بيمين فهو أعظم"[٦].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: يسر الشريعة الإسلامية:

هذا واضح من أمر النبي ﷺ بالحنث في اليمين إذا كان هناك مصلحة مع التكفير عن اليمين. قال ابن حجر عن حديث أبي موسى: "في الحديث ترجيح الحنث في

---

(١) شرح مسلم ٦/١١/١٢٨- ١٢٩، .

(٢) نقله الطيبي في شرح المشكاة ٢٤/٧.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٥/٧.

(٤) فتح الباري ٥١٩/١١.

(٥) جاء في القاموس المحيط ١٢٤: قرطب: غضب.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٦/٧.

اليمين إذا كان خيراً من التمادي وأن تعمد الحنث في مثل ذلك يكون طاعة لا معصية، وجواز الحلف من غير استحلاف لتأكيد الخبر ولو كان مستقبلاً، وهو يقتضي المبالغة في ترجيح الحنث بشرطه المذكور"[١].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون ذلك؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه لم يكن يحنث في يمين قط حتى أنزل الله كفارة اليمين، وقال: لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني"[٢]. وفي رواية أخرى عند البخاري: "إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير"[٣].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه ذكر شدة عزيمة أبي بكر والثبات على يمينه إذا حلف.

وفيه أيضاً دليل على أن اشتداده كان لله عز وجل لا لنفسه ولا من طبعه، فلما أنزل الله عز وجل كفارة اليمين، ترك ما كان عليه من العزم، وعدل إلى ذلك، وإنما سر بما أنزل الله عز وجل من الكفارة لأن اليمين ربما كانت تصده عن أفضل، وترده عن أجود، وتمنعه عن خير، فلذلك قال: "ولا أحلف على يمين وأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير، وكفرت عن يميني"، وعلى هذا فلا أرى أن يحنث الإنسان في يمينه للعدول إلى ما ليس بخير"[٤].

لذا فإن الحنث في اليمين يفتح الباب واسعاً للحالف أن يفعل الأفضل ومن ثم يزداد ثواباً وطاعة، كما أنه لا يمنع من إيصال الخير والنفع إلى الآخرين، فهذا عدى بن حاتم رضي الله عنه يأتيه سائل فيسأله نَفَقَةً فِي ثَمَنِ خَادِمٍ أَوْ فِي بَعْضِ ثَمَنِ خَادِمٍ، فَقَالَ: لَيْسَ عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ إِلاَّ دِرْعِي وَمِغْفَرِي[٥]، فَأَكْتُبُ إِلَى أَهْلِي أَنْ يُعْطُوكَهَا، قَالَ: فَلَمْ

---

(١) فتح الباري ٦١٤/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٦٢١.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦١٤.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٩٤/١

(٥) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس تلبس تحت القلنسوة، المعجم الوسيط في (غ ف ر).

يَرْضَ، فَغَضِبَ عَدِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا وَاللّهِ لاَ أُعْطِيكَ شَيْئاً، ثُمَّ إنَّ الرَّجُلَ رَضِيَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللّهِ لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَتْقَى للّهِ مِنْهَا، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى» مَا حَنَثْتُ يَمِينِي[1].

ومرة أخرى يأتيه سائل يسأله مائة درهم، فيقول حاتم رضي الله عنه مغضباً: تسألني مائة درهم وأنا ابن حاتم؟ والله لا أعطيك. ثم قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حلف على يمين ثم رأى خيراً منها فليأت الذي هو خير"، ولك أربعمائة في عطائي[2].

قال القرطبي: "قوله ﷺ: "فليفعل الذي هو خير" أي الذي هو أكثر خيراً، أي الذي هو أصلح يعني من الاستمرار على موجب اليمين أو ما يخالف ذلك مما يحنث به، والأصلح تارة يكون من جهة الثواب وكثرته، وهو الذي أشار إليه في حديث عدى، حيث قال: "فليأت التقوى". وقد يكون من حيث المصلحة الراجحة الدنيوية التي تطرأ عليه بسبب تركها حرج ومشقة. وهي التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله: "لأن يلج أحدكم بيمينه آثم له عند الله من أن يكفر"، يعني بذلك أن استمراره على مقتضى يمينه إذا أفضى به إلى الحرج -وهو المشقة- قد يفضي به إلى أن يأثم، فالأولى أن يفعل ما شرع الله له من تحنيثه نفسه وفعل الكفارة"[3].

كل هذا يؤكد أن الحنث في اليمين لمصلحة مع التكفير عن اليمين من صور اليسر في الشريعة الإسلامية، جاء في الموسوعة الفقهية: (رفع الحرج: إزالة ما في التكليف الشاق من المشقة برفع التكليف من أصله أو بتخفيفه أو بالتخيير فيه. أو بأن يجعل له مخرج، كرفع الحرج في اليمين بإباحة الحنث فيها مع التكفير عنها أو بنحو ذلك من الوسائل... واليسر وانتفاء الحرج صفتان أساسيتان في دين الإسلام وشريعته، والتيسير مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، ويدل على هذا الأصل آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وأحاديث نبوية صحيحة، وأجمعت الأمة عليه)[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٦٥١.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٥١.

(٣) المفهم ٦٣٢/٤.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢١٣/١٤.

وقال الدكتور صالح بن فوزان الفوزان: "وكفارة اليمين فيها تخيير وفيها ترتيب، فيخير من لزمته بين: إطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من الطعام، أو كسوة عشرة مساكين لكل واحد منهم ثوب يجزئه في صلاته، أو عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فمن لم يجد شيئاً من هذه الثلاثة المذكورة؛ صام ثلاثة أيام.

فتبين بهذا التفصيل أن كفارة اليمين تجمع تخييراً وترتيباً؛ تخييراً بين الإطعام والكسوة والعتق وترتيباً بين ذلك وبين الصيام.

والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ﴾[1].

ومعنى الآية الكريمة إجمالاً: أن كفارة ما عقدتم من الأيمان إذا حنثتم فيها: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ أي: من خير وأمثل قوت عيالكم ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ مما يصح أن يصلى فيه، أو عتق رقبة، واشترط الجمهور كونها مؤمنة، وقد بدأ سبحانه وتعالى بالأسهل فالأسهل؛ فأي هذه الخصال فعل؛ أجزأه بالإجماع.

واشترط الجمهور في صيام ثلاثة الأيام أن تكون متتابعة؛ لقراءة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"[2].

وهنا يغلط كثير من العوام، فيظنون أنهم مخيرون بين الصيام وبين بقية خصال الكفارة، فيصومون، مع قدرتهم على الإطعام أو الكسوة، والصيام في هذه الحالة لا يجزئهم ولا يبرئ ذمتهم من كفارة اليمين، لأنه لا يجزئ إلا عند العجز عن الإطعام أو الكسوة أو العتق، فيجب التنبه والتنبيه لمثل هذا الأمر.

ويجوز تقديم الكفارة على الحنث، ويجوز تأخيرها عنه، فإن قدمها؛ كانت محللة لليمين، وإن أخرها، كانت مكفرة له.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٦١٠٣، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير الطبري، ٦٥٣/٨، وابن المنذر، وابن الأنباري في المصاحف وأبو الشيخ والبيهقي في السنن، ٦٠/١٠، كما في الدر المنثور، ٤٥١/٥.

والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها؛ فأت الذي هو خير، وكفر عن يمينك"[١]، فدل هذا الحديث على جواز تأخير الكفارة عن الحنث، ولأبي داود: "فكفر عن يمينك، ثم ائت الذي هو خير"[٢]، فدل هذا الحديث على جواز تقديم الكفارة على الحنث، فدلت الأحاديث على جواز التقديم والتأخير"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٢٢، ومسلم ١٦٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٢٧٨، والنسائي، ١٠/٧، وإسناده صحيح.

(٣) الملخص الفقهي، ٢/٦٠٧- ٦٠٩.

الحديث رقم (١٧١٨)

١٧١٨- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فليُكفِّر: الكفّارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفِّر الخطيئة، أي تمحوها وتسترها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع الحديث السابق في معناه، ولكن الحديث السابق جاء في صيغة سردية في حوار موجه إلى عبدالرحمن بن سمرة، أما هذا الحديث فهو قاعدة شرعية عامة وضعت لكل مسلم يحلف على ترك غرض مندوب أو فعل مكروه، ثم يرى أن العدول عنه أفضل، فعليه أن لا يلتزم بما أقسم عليه، ويكفر عن يمينه، ويفعل الذي هو خير، وفي الحديث السابق قدم فعل الخير على التكفير عن اليمين، وفي هذا الحديث قدمت الكفارة على فعل الخير، وهناك حالات يجب فيها تأخر الكفارة، وهو إذا كانت الكفارة بالصوم، أما إذا كان التكفير بالمال فيجوز تقديم الكفارة، فاختلاف الروايتين في الحديث لا تناقض بينهما وقوله: "حلف على يمين"، فيه ذكر للكل وإرادة البعض، لأن ظاهر اللفظ يوحي بمجموع المقسم والمقسم عليه، ولكن المراد هنا المقسم عليه، وبعض العلماء رأى في هذا التعبير إشعاعاً أسلوبياً آخر: حيث حمله على التأكيد، وجعل على بمعنى "الباء" والتقدير من حلف بيمين، وفي هذا التوجيه اللغوي يشع ملمح بلاغي في الحديث وهو الإيجاز بالحذف، ففي الحديث حذف

---

(١) برقم (١٣/١٦٥٠).

(٢) النهاية في (ك ف ر).

المحلوف عليه، والسياق يدل عليه: كأن حلف على ترك غرض مندوب أو فعل مكروه، وهذا الحديث مثل الحديث السابق يرشد المسلم إلى فعل الذي هو خير، لأن الناس مجزيون بأعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، كما قال رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧١٩)

١٧١٩- وعن أبي موسى رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((إنِّي واللهِ إنْ شاءَ اللهُ لا أحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أرَى خَيراً مِنْهَا إلاَّ كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جمال المبنى، وبهاء المعنى في هذا الحديث، نجده مشعًّا بما تضوأ به الحديثان السابقان من توجيه نبوي كريم، وحث على فعل الذي هو خير، ولكن في حديث ابن سمرة رضي الله عنه كان الخطاب في الحديث موجهاً إلى ابن سمرة رضي الله عنه نفسه، وإلى كل مسلم بعد ذلك، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه جاءت صياغة الحديث في هيئة تجريدية: فالحديث إخبار وتعليم، وإرساء لقاعدة شرعية يسير في ضوئها كل مسلم يخوض مثل هذا الموقف وتلك التجربة.

أما هذا الحديث فهو: سلوك نبوي، ومنهج ارتضاه الرسول ﷺ لنفسه ولأمته؛ حيث يقر بذلك، ويؤكد أنه يعدل عن الحلف، ويكفر عن يمينه إذا رأى خيراً من الموقف الذي حلف عليه؛ وذلك كحلفه أن لا يحمل الأشعريين ثم حملهم، ورسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

وجمال المبنى يموج بعدة ظواهر أسلوبية تشارك في تجلية المعنى، وتوحي بمعان ومواقف كثيرة، ومن هذه الظواهر الأسلوبية: بدء الحديث بالتأكيد وامتزاج التأكيد بباء المتكلم، والمتكلم هو رسول الله ﷺ، وبعد التأكيد يأتي القسم بالله عز وجل، ثم تقديم المشيئة "إن شاء الله"، وهذه البداية المحصنة بهذه الموانع والحصون

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩/٧) واللفظ له.

الأسلوبية، ترشد إلى أهمية المقسم عليه؛ حتى لا يتحرج أي مسلم في الرجوع عن قرار ربما يبدو له عدم صوابه، أو إضراره بغيره أو بنفسه، وتقديم المشيئة فيه إزالة لوهم أو ظن من المتلقي أن رسول الله ﷺ يؤكد ويقسم على أمر، دون أن يترك ذلك لمشيئة الله، وفي ذلك توجيه لكل مسلم أن يقدم مشيئة الله على كل عمل يعمله؛ لأن منهج المسلم: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ومن الظواهر الأسلوبية التي تؤكد صدق المنهج وصوابه في هذا الحديث: أسلوب القصر، الذي جاء في إطاره كلام رسول الله ﷺ؛ فهو يقول: "لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منها إلا كفرت عن يميني".

وتقديم الكفارة على فعل الخير، يوحي بأن الإنسان في هذه الحالة لا يكون عدوله عن اليمين حالة طارئة، أو موقفاً قسريًّا، ثم يضطر بعد أن يحنث إلى التكفير عن اليمين، ولكن لا بد من التفكير والتروي، وهذا المسلك نقتبسه من قول رسول الله ﷺ: "ثم أرى خيراً"، والتعبير بـ"ثم" يفيد التروي والتفكر والتدبر ثم الوصول إلى القرار الصائب، والمنهج القويم؛ لأن "ثم" في اللغة تفيد الترتيب والتمهل والتراخي، وهذا هو منهج رسول الله ﷺ، وهو منهاج المسلم، وطريقه المستقيم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٧).

الحديث رقم (١٧٢٠)

١٧٢٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ فِي يَمِينِهِ[١] فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُعْطِي كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ)). متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يَلَجُّ: يتمادى فيها، ولا يكفر[٣].

آثمُ: أكثر إثماً[٤].

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو ختام باب: من حلف على يمين فرأى غيرها، وهذا الحديث يتخذ مساراً آخر، هو التهديد والوعيد، بينما أحاديث الباب كلها ترغب في العدول عن اليمين، والتكفير عن الحنث إذا كان في ذلك مصلحة.

أما في هذا الحديث، فالموقف يختلف: وهو أن الإنسان يحلف على شيء ويرى أن غيره خير منه، ومع ذلك يقيم على يمينه، ولا يحنث ولا يُكفِّر، وهو بذلك لا يتأسى برسول الله ﷺ، ولا يستجيب لدعوته في هذا الأمر، ولذلك جاء أسلوب الحديث متسماً بالشدة، وينطوي على تهديد ووعيد، وقوله: "لأن يلج أحدكم في يمينه" يوحي بهذه الشدة؛ فصورة هذا الفعل اللغوية تكشف عن صورته المعنوية المرادة في الحديث؛ فاللجاجة في اللغة: الخصومة، والتلجلج: التردد في الكلام، واللجة: الماء الكثير،

---

(١) عندهما: (بيمينه).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٢٥)، ومسلم (١٦٥٥/٢٦) واللفظ له.

(٣) رياض الصالحين ٥٨٥.

(٤) رياض الصالحين ٥٨٥.

والمكان الحَزْن من الجبل، وكل هذه الدلالات الحسية تتشاله مع موقف هذا الرجل الذي يتمادى في موقفه، ويتلجلج صدره، ويُرى -وهو في تمسكه باليمين الذي لا ينفع بل يضر- كأنه غارق في لجة الإثم، ولذلك عبر رسول الله ﷺ وصوَّر مصيره بأنه آثم عند الله من أن يعطي كفارته التي فرض الله عليه، "وآثم": صيغة تفضيل: أي أكثر إثماً عند الله.

وفي هذا التشديد والوعيد بالعقوبة، إرشاد لكل مسلم أن يقتدي برسول الله: في فعل الذي هو خير، وأن يعود المسلم إلى الصواب؛ حتى يفوز برضا ربه العليم الوهاب.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧١٧).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على الترجيح بين المصالح والمفاسد:

جاءت أحاديث الباب لتحث المسلم على تغليب المصالح على المفاسد فقد أمر النبي ﷺ من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه، كما بين ﷺ أن ذلك ما كان يفعله، فإذا حلف يميناً على شيء ورأى غيرها خيرًا منها كفر عنها وأتى الذي هو خير وفي ذلك تغليب لجانب المصالح على المفاسد، وفي ذلك توجيه للمسلم أن ينظر إلى ما فيه مصلحته ومصلحة أخيه المسلم فيأتيه، ويترك ما فيه مفسدة أو يترتب عليه ضرر؛ فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى مراعاة المصلحة له ولغيره حيث إن المصلحة هي المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأحوالهم، وفق ترتيب معين فيما بينها[1].

وقد أجمع الفقهاء على أن جميع أحكامه سبحانه وتعالى متكفلة بمصالح العباد في الدارين، وأن مقاصد الشريعة ليست سوى تحقيق السعادة الحقيقية لهم[2].

ورسولنا الكريم ﷺ يميل إلى كل أمر من شأنه أن يحقق مصلحة للتربية بشكل خاص وللمسلمين بشكل عام، أي أنه كان يوازن بين الأمور، ويرجح الأصلح، ولو كان فيه مفسدة ظاهرة، أو ترك لواجب، وكذلك مراعاة استعدادات الأشخاص النفسية لتقبل بعض الأمور والاستجابة لها، طبقًا للظروف، والمرحلة التي تمر بها الأمة، شريطة أن تكون النتائج الإيجابية والمصالح للأمة والدولة أكثر مما يفوت عليها من هذه الأمور، إذ أن التشدد لا يعطي في كثير من الأحيان إلا نتائج عكسية تمامًا، لا

---

(١) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، د. محمد سعيد البوطي، ط٤، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م، ص ٢٣.

(٢) انظر: الإحكام في أصول الإحكام، علي بن سيف الآمدي، ط دار الكتب، ٤١١/٣، وضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، ص ٧٥.

تتفق ومصلحة الأمة وفائدة المسلمين[١].

فعلى المربي أن يبين حرص الرسول الكريم على ما فيه مصلحة المسلمين، فإذا حلف المسلم على يمين ورأى عدم إتيانها خيراً له وللمسلمين فعليه تركها والتكفير عنها ترجيحًا للمصلحة على المفسدة وهذا منهج تربوي هام لو أخذ به لتحقق الكثير من المصالح، ودرء كثير من المفاسد؛ فعلى المسؤولين عن التربية الإسلامية تأصيل هذا المنهج وغرسه في نفوس المسلمين.

ثانيًا - التربية بالقدوة:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب التربية بالقدوة حيث قال رسول الله ﷺ: "إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين، ثم أرى خيرًا منها إلا كفرت عن يميني، وأتيت الذي هو خير".

فلقد كان رسول الله ﷺ أعظم قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي، قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[٢]. وإذ يجعل الإسلام قدوته الدائمة هي شخصية رسوله ﷺ، فهو يجعلها قدوة متجددة على مر الأجيال، متجددة في واقع الناس، إنه لا يعرض عليهم هذه القدوة للإعجاب السالب والتأمل التجريدي في سبحات الخيال، إنه يعرضها عليهم ليحققوها في ذوات أنفسهم، كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس وكل بقدر ما يصبر على الصمود، ومن ثم تظل حيويتها دافقة شاخصة، ولا تتحول إلى خيال مجرد تهيم في حُبِّه الأرواحُ دون تأثر واقعي ولا اقتداء[٣].

والإسلام يرى أن القدوة أعظم وسائل التربية، فيقيم تربيته الدائمة على هذا الأساس، فلابد للطفل من قدوة في أسرته ووالديه لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع. ولابد للناس من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٦، دار الشروق، ١٤٠٢هـ، ١/١٨٠.

(٣) التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص ٥٤.

الإسلام وتقاليده النظيفة لكي يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال، ومن هنا فإن الأمانة تفرض على المربين في أي موقع كان أن يتخذوا من منهج رسول الله ﷺ التربوي قدوة ليتمكنوا من إعداد الإنسان الصالح. يجب أن يكونوا قدوة حسنة لتلاميذهم فيما يدعونهم إليه من الالتزام بالمبادئ الإسلامية، والتخلق بالأخلاق الإسلامية الرفيعة في جميع الأحوال وتحت مختلف الظروف[1].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق، ص ٥٤.

٣١٧- باب العفو عن لغو اليمين

وأنَّه لا كفارة فِيهِ، وَهُوَ مَا يجري عَلَى اللسان بغير قصد اليمين كقوله عَلَى العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿لاَ يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أيْمَانَكُمْ﴾[المائدة: ٨٩].

الحديث رقم (١٧٢١)

١٧٢١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: أُنْزِلَتْ هذِهِ الآية: ﴿لاَ يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لا واللهِ، وَبَلَى واللهِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث هو الأوحد في باب العفو عن لغو اليمين، وأنه لا كفارة فيه، وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين؛ كقوله على العادة: "لا والله، و"بلى والله"، ونحو ذلك، والحديث يستدل على أن هذه الصيغة: "لا والله، و"بلى والله" لغو؛ بالقرآن الكريم، والسنة النبوية مستمدة من وهج البيان القرآني العظيم، وبناء الفعل للمجهول في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "أُنزلت هذه الآية" للإفادة بأن نزولها كان لسبب؛ وهو بيان حكم هذا اليمين، الذي يجري على اللسان مجرى العادة في القول، والفاعل المُنْزِل معلومٌ وهو الله عز وجل، والذي نزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جبريل عليه السلام.

---

(١) برقم (٤٦١٣).

والتعبير بقولها: هذه الآية للتنبيه والتذكير، فاسم الإشارة وُجد للتمييز والتحديد، ولفت الانتباه، والمشار إليه متأخر عن اسم الإشارة؛ وهو الآية، وكلمة الآية بدل أو عطف بيان، والآية ليست منفصلة عن بناء الحديث اللغوي؛ فهي بدل من الآية أو عطف بيان، واللغو في اللغة، وكذلك اللُّغا كالفَتَى: السقط، وما لا يعتد به من كلام وغيره، وهذا المعنى اللغوي ينفق في دلالته مع المراد باللغو في الآية الكريمة؛ فالمراد من قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[1] أي: بالإثم في الحلف إذا كفرتم.

وتقول عائشة رضي الله عنها في توضيح معنى اللَّغو: إن رسول الله ﷺ قال: "هو كلام الرجل في يمينه كلا والله، وبلى والله"، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأسباب النزول.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بعدم مؤاخذتهم باللغو في الأيمان.

ثالثاً: من خصائص الدعوة: الواقعية.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لأسباب النزول:

هذا واضح من قول عائشة رضي الله عنها قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[2]، في قول الرجل: لا والله، وبلى الله. قال الطيبي: قال ابن الصلاح: تفسير الصحابى موقوف إلا فيما يتعلق بسبب نزول آية، وما نحن فيه من هذا القبيل"[3]. ويوضح الشوكاني أهمية بيان عائشة ليمين اللغو في الآية فيقول: "إن القرآن الكريم قد دل على عدم المؤاخذة في يمين اللغو، وذلك يعم الإثم والكفارة فلا يجب أيهما. والمتوجَّه الرجوع في معرفة اللغو إلى اللغة العربية، وأهل عصره ﷺ أعرف الناس

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٢٦/٧.

بمعاني كتاب الله تعالى، لأنهم مع كونهم من أهل اللغة، قد كانوا من أهل الشرع ومن المشاهدين للرسول ﷺ والحاضرين في أيام النزول، فإذا صح عن أحدهم تفسير لم يعارضه ما يرجح عليه أو يساويه وجب الرجوع إليه وإن لم يوافق ما نقله أئمة اللغة في معنى ذلك اللفظ، لأنه يمكن أن يكون المعنى الذي نقله إليه شرعياً لا لغوياً، والشرعي مقدم على اللغوي، كما تقرر في الأصول[1]، فكان الحق فيما نحن بصدده هو أن اللغو ما قالته عائشة رضي الله عنها"[2].

وقال الشوكاني كذلك في السيل الجرار: (قد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو على ثمانية أقوال ولا يخفى أن الواجب الرجوع إلى معنى اللغو لغة إذا لم يثبت له معنًى في الشرع يخالف معناه اللغوي فإن ثبت فالرجوع إلى المعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي كما تقرر في الأصول.

واللغو في اللغة الباطل ولكنه ثبت عن عائشة في البخاري وغيره أنها قالت نزلت هذه الآية "لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم" في قول الرجل لا والله وبلى والله.

والصحابة أعرف بمعاني القرآن فالرجوع إلى أقوالهم هو الواجب، وقد روي عنها وعن جماعة من الصحابة تفاسير مختلفة لمعنى اللغو ولكنهم لم يذكروا أن ما قالوه هو

---

(١) تنقسم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: حقيقة لغوية وضعية، وهي الثابتة بالوضع، أي أن يضع الواضع لفظاً لمعنى إذا أطلق ذلك اللفظ فهم ذلك المعنى الموضوع له، مثل لفظ "الأسد" يفهم منه الحيوان المفترس، فلا ينقدح في الذهن عند إطلاقه، إلا هذا المعنى. فيكون حقيقة، وهذا هو المقصود بالحقيقة، وهي الأسبق إلى الذهن من الحقيقة العرفية والشرعية.

القسم الثاني: حقيقة عرفية، وهو قول خص في العرف ببعض مسمياته، وإن كان وضعها للجميع حقيقة، مثل لفظ "الدابة" فإن وضعها بأصل اللغة لكل ما يدب على الأرض من ذي حافر وغيره، ثم هجر هذا المعنى، وصار في العرف حقيقة للفرس، ولكل ذات حافر.

القسم الثالث: حقيقة شرعية: وهي اللفظ المستعمل في الشريعة على غير ما كان عليه في وضع اللغة كالصلاة مثلاً فإنها في اللغة: الدعاء، فاستعمل هذا اللفظ في الشريعة على الأقوال والأفعال المخصوصة، فصارت حقيقة فيها.

انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن. الدكتور عبدالكريم بن علي النملة، ١١٤٧/٣-١١٥٧. وانظر كذلك إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. الشوكاني محمد بن علي، ١٢٥٠هـ، ٦٣/١-٦٦.

(٢) نيل الأوطار ١٦٨٦.

ما نزل به القرآن مع عدم ثبوت ذلك من وجه تقوم به الحجة على أنه قد روى أبو داود قول عائشة هذا مرفوعا بلفظ قالت عائشة إن رسول الله ﷺ قال هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله وهكذا أخرجه مرفوعا ابن حبان والبيهقي[١] وصحح الدارقطني الوقف[٢]. وقد روي عن ابن عباس وابن عمر وابن عمرو مثل قول عائشة)[٣].

ومن قبيل بيان الصحابي لسبب النزول ما رواه أسلم أبي عمران، قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد، فخرج صف عظيم من الروم فصففنا لهم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنه لما أعز الله دينه وكثر ناصروه، قال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه عدوه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه يرد علينا ما قلنا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[٤]، فكانت التهلكة الإقامة في الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو[٥].

ولأهمية بيان سبب النزول قال ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٥٤، وابن حبان ٤٣٣٣، والبيهقي ٤٩/١٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٧٨٩) وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان.

(٢) كما في التلخيص الحبير ١٦٧/٤.

(٣) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، محمد بن علي، ١٢٥٠هـ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥م، ١٣/٤-١٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٥) أخرجه أبو داود ٢٥١٢، والترمذي ٢٩٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢١٩٣).

(٦) مجموع الفتاوى ١٨١/٧، ط العبيكان، ٣٣٩/١٣ ط ابن قاسم: وانظر في معرفة المزيد عن فوائد علم سبب النزول مقدمة الدكتور عبدالحكيم محمد أنيس لتحقيقه: العجاب في بيان الأسباب. ابن حجر: أحمد بن علي، ٨٥٢ هـ، دار ابن الجوزى، الدمام، ط٢، ١٤٢٦هـ، ٩٤/١-٩٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: رحمة الله بعباده بعدم مؤاخذتهم باللغو في الأيمان:

وهذا واضح من الحديث: "فقد أخبرت عائشة رضي الله عنها، أن الله عز وجل أنزل قوله تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ ﴾[1]، في قول الرجل: "لا الله وبلى والله"، وهذا من رحمة الله بعباده.

قال ابن كثير: "لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف بل تجري على لسانه عادة من غير تعقيد[2] ولا تأكيد، كما ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال «من حلف فقال في حلفه باللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله»[3]، فهذا قاله لقوم حديثي عهد بجاهلية، قد أسلموا وألسنتهم قد ألفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد، فأمروا أن يتلفظوا بكلمة الإخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد لتكون هذه بهذه"[4].

وقد ورد عن عائشة روايات أخرى بالمعنى نفسه: منها قولها: "هم القوم يتدارؤون[5] في الأمر، فيقول هذا: لا والله وبلى والله وكلا والله، يتدارؤون في الأمر، لا تعقد عليه قلوبهم"[6].

ومنها قولها: "إنما اللغو في المزاحة والهزل، وهو قول الرجل: لا والله وبلى الله، فذاك لا كفارة فيه، إنما الكفارة فيما عقد عليه قلبه أن يفعله ثم لا يفعله"[7].

وعن عطاء عن عائشة وابن عباس وابن عمر وابن عمرو، أنهم كانوا يقولون: اللغو،

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٢) أي من عزم وعَقْد.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٦٠، ٦٦٥٠، ومسلم ١٦٤٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٦٠١.

(٥) أي يتدافعون ويختلفون، النهاية في (د ر أ).

(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف ١٥٩٥٢، والطبري في تفسيره ٤/١٦-١٧.

(٧) أخرجه الطبري ٤/٣١، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٢/٦٢٦.

لا والله وبلى والله[١].

وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٢]، قال أبو عبدالله القرطبي: ("غفور رحيم"، صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة، إذ هو باب رفق وتوسعة)[٣]، وقال القاسمي: "والله غفور" يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم، فلم يؤاخذهم به "حليم" يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة تربصاً بالتوبة، والجملة تزييل للحكمين السابقين، فائدته الامتنان على المؤمنين، وشمول مغفرته وإحسانه لهم"[٤].

ثالثاً- من خصائص الدعوة: الواقعية:

هذا الحديث دليل على الواقعية التي هي من خصائص الدعوة، وقد ورد تفسير اللغو من قول النبي ﷺ، فعن إبراهيم "يعني الصائغ، عن عطاء: في اللغو في اليمين، قال: قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ قال «اللغو في اليمين هو كلام الرجل في بيته: كلا والله، وبلى والله»[٥].

قال ابن عثيمين: "لغو اليمين: هي اليمين التي يقولها الإنسان على لسانه ولا يقصدها بقلبه وقد عفا الله تعالى عن ذلك، لأنه يحصل كثيراً أن يقول الإنسان: لا والله ما أنا ذاهب، لا والله ما أنا فاعل، وما أشبه ذلك، فلما كثر هذا في ألسن الناس عفا الله عنه،... وهذا من سعة رحمة الله تعالى أن هذه الأيمان التي تتكرر على الألسن ولا يقصدها الحالف ليس فيها إثم وليس فيها كفارة، لأن ذلك يقع كثيراً، ولكن مع

---

(١) أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور، ٦٢٦/٢، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٠٢/١-٦٠٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/٣/٢.

(٤) محاسن التأويل ٢٣٨/٣.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٢٥٤، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥٤) وانظر تتمة تخريجه في صحيح ابن حبان، ٤٣٣٣.

ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[١]، يعني لا تكثروا من الأيمان، ولا تتركوا الكفارة إذا حنثتم فيها، بل احفظوها، لأن اليمين أمرها عظيم، ولهذا سمى الله تعالى، بل سماها النبي ﷺ حنثاً، لأنه لولا رحمة الله لكان الإنسان إذا حلف لزمه أن يوفي، ولكن من نعمة الله أن يسر أن الإنسان له أن يخالف ما حلف عليه إذا لم يكن إثماً والله الموفق"[٢].

قال عبدالله البسام: "فسرت عائشة رضي الله عنها لغو اليمين هنا بأنه ما يتردد على ألسنة الناس أثناء المحادثة عن قولهم: لا والله وبلى والله، مما يجري على اللسان ولا يقصده بالجنان، وهذا التفسير هو ما ذهب إليه الأئمة الثلاثة.

أما أبو حنيفة فجعل لغو اليمين المذكور في الآية هو حلف الإنسان على أمر ماض يظنه كما قال، وهو بخلاف ما ظنه.

قال ابن المنذر وهو قول أكثر العلماء.

وذهب أحمد في المشهور من مذهبه إلى أن لغو اليمين يراد به للنوعان السابقان كلاهما.

قال في الروض وحاشيته: "وكذا يمين عقدها يظن نفسه، فبان بخلافه فلغو غير منعقدة، ولا كفارة فيها لقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾[٣]. أي لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان التي لا يقصدها الحالف[٤].

وقال تقي الدين: وكذا لو عقدها ظاناً صدقه، فلم يكن، كمن حلف على غيره يظن أنه يطيعه فلم يفعل"[٥].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين٢/١٧٧٧- ١٧٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

(٤) الروض المربع وحاشيته ٧/٤٧٠، وتتمة كلام صاحب الحاشية: لأنه يكثر، فلو وجبت به كفارة لشق وحصل الضرر، وهو منتف شرعاً.

(٥) توضيح الأحكام ٢/٩١.

ويجعل الدكتور القرضاوي أن من الخصائص العامة للإسلام الواقعية ثم يذكر واقعية الشريعة الإسلامية فقال: "وجاء الإسلام كذلك بشريعة لم تغفل الواقع في كل ما أحلت وحرمت ولم تهمل هذا الواقع في كل ما وضعت من أنظمة وقوانين للفرد، وللأسرة وللمجتمع وللدولة وللإنسانية"[١]، ثم ذكر أن من دلائل الواقعية في التشريع التيسير ورفع الحرج، ومراعاة سنة التدرج والنزول عن المثل الأعلى إلى الواقع الأدنى للضرورة، فيقول في توضيح القاعدة الأخيرة: "ومن دلائل الواقعية في الشريعة: أنها مع حرصها البالغ على الوصول إلى المثل الأعلى، والوجه الأكمل في تطبيق أحكامها - لا تغمض عينها عن الواقع العملي الذي يعيشه الناس محلقة في مثالية لا وجود لها، بل نجدها تنزل إلى أرض الواقع لتكيف أحكامها الفرعية تبعاً له، حتى لا تهدر مصالح العباد وتعطل مسيرة الحياة"[٢]. ثم يقول في ختام صفة الواقعية: "هذا هو الإسلام، وهذه هى واقعيته في كل مجال من المجالات لا يكلف الناس شططاً ولا يرهقهم عسراً، ولا يجعل عليهم حرجاً، يحاول أن يرقى بهم ليصعدوا ويرتفعوا ولكنه لا يهملهم إذا هبطوا، إنه يريدهم أصحاء أقوياء ولكنهم إذا مرضوا عالجهم وساعدهم حتى يشفوا وينهضوا. إنه منهج الفطرة منهج الله الذي يتعانق فيه الواقع والمثال)[٣].

وتتجلى الواقعية في هذا الحيث في مراعاة الإسلام لطبيعة الإنسان وسبق لسانه بالحلف دون أن يقصد عقد اليمين، فراعى العلي القدير ذلك وجعله يمين لغو لا عقوبة عليه ولاكفارة له.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ١٧٠.

(٢) السابق ١٨٢.

(٣) السابق ١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - من خصائص التربية الإسلامية: التيسير ورفع الحرج:

إن التيسير ورفع الحرج سمة أساسية للتربية الإسلامية الصحيحة ويظهر التيسير ورفع الحرج في هذا الباب في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[1] في قول الرجل: لا والله وبلى والله.

وهذا يدل على التيسير ورفع الحرج عن الإنسان الذي اعتاد الحلف في كلامه دون أن يقصد عقد اليمين.

إن الإسلام جاء بالتيسير ورفع الحرج، لأنه يراعي طبيعة الإنسان، وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذي يرسمه لهم في ضوء هذا النظر الواقعي، جعل الإسلام حدًا أدنى أو مستوى أدنى من الكمال لا يجوز الهبوط عنه، لأن هذا المستوى ضروري لتكوين شخصية المسلم على نحو معقول، ولأنه أقل ما يمكن قبوله من المسلم ليكون في عداد المسلمين، ولأنه وضع على نحو يستطيع بلوغه أقل الناس قدرة على الارتفاع إلى مستوى الكمال[2].

فعلى المربي أن يبين لمن يقوم بتربيتهم أن الشريعة الإسلامية من خصائصها الأساسية التيسير ورفع الحرج عن المسلمين.

فالتيسير ورفع الحرج واضح لكل من تتبع الشريعة الإسلامية في أصولها وفروعها، فنطاق السماحة والتيسير في شريعة الإسلام لا يقتصر على شؤون العبادات، وإنما يتسع لكل أحكام الشريعة من معاملات مدنية، وتصرفات شخصية، وعقوبات جزائية وتشريعات قضائية ونحوها[3].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، نقلًا عن أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٣٥.

(٣) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص ٨.

ثانيًا - من مصادر التربية: القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتربية الإسلامي ويظهر استخدام القرآن الكريم كمصدر للتربية في هذا الباب في قول عائشة رضي الله عنها أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾[1] في قول الرجل: لا والله، بلى والله.

فالتربية تستمد منه، وفي هديه أهدافها، ومادتها، وطرقها، ووسائلها، والذي على ضوئه تقيم تلك التربية وتعدل، فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها[2]، فمن أقدر من الله خالق كل شيء على تقديم الهداية الكاملة للبشرية؟ وأي منهج غير المنهج الإلهي يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية، ويفي بمطالبها، ويغذي عواطفها ومشاعرها، ويتابع تطورها، ونموها، ويستوعب قضاياها، ويلاحظ أزماتها ويلائمها في تطورها الصاعد، ويقودها على طريقة الكمال بتؤدة ورفق[3].

والقرآن الكريم، وهو كلام الخالق العليم (يخاطب النفس الإنسانية مخاطبة العليم بأسرارها، الخبير بما يفسدها أو يزكيها، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها)[4]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[5].

والقرآن الكريم موصوف بقول الحق: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾[6] وللقرآن تطبيقاته وآثاره التربوية التي يصعب -إن لم يستحيل- حصرها وذلك لكثرتها من جهة، ولقصور العقل البشري عن إدراكها كاملة من جهة أخرى[7].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٨.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٦٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٧٩. نقلًا عن نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية، العدد ٣٤ من سلسلة البحوث الإسلامية، القاهرة، أغسطس ١٩٧١م، ٧٧/١.

(٤) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ص ٨١.

(٥) سورة الملك، آية: ١٤.

(٦) سورة الطارق، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٧) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٦١-٦٦.

٣١٨- باب كراهة الحلف في البيع وإنْ كان صادقاً

الحديث رقم (١٧٢٢)

١٧٢٢- عن أبي هريرةَ ﷺ قال: سَمِعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

منفقة للسلعة: أي: مروجة للمتاع أو السلعة[2].

ممحقة للكسب: أي: تمحو وتنقص وتبطل الكسب[3].

الشرح الأدبي

يحرص المصطفى ﷺ على أن تظل العلاقة بين المؤمن وأخيه المؤمن راسخة الدعائم، موثوقة العرا، والبيع والشراء من المجالات التي يمكن أن تتصدع فيها العلاقات، وتستعر الخلافات، ولذلك يوصي رسول الله بأن يكون المؤمن سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، وهذه السماحة تبنى على أسس من الثقة وعدم التشكك المتبادل بين البائع والمشتري المسلمين.

ومن أُولى أمارات هذه الثقة: أن لا يلجأ البائع إلى الحلف وإن كان صادقاً؛ لأن هذا الحلف يوحي بعدم تصديق المشترى، وعدم ثقته فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧) بلفظ: (ممحقة للبركة)، ومسلم (١٣١/١٦٠٦) بلفظ: (ممحقة للربح)، وهذا لفظ النسائي في المجتبى (٤٤٦١)، وكذا المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف.

(٢) انظر: فتح الباري ٣٦٩/٤.

(٣) النهاية في (م ح ق)، وفتح الباري ٣٧٠/٤.

والحدث يتسم بالإيجاز الشديد، ولكن معانيه تتسع لتشمل كل صور البيع والشراء، مهما اختلفت الظروف والأحوال، ومهما تعددت الأمكنة والبيئات.

ويتكون الحديث من جملة لغوية واحدة، مبتدأ وخبر "متعدد"، وهو "منفقة للسلعة، ممحقة للكسب"، والجناس الناقص بين منفقة وممحقة، ينشئ إيقاعاً صوتيًّا مؤثراً يلفت الانتباه، ويوقظ المستمع، والتنوين في منفقة، وممحقة -مع التماثل الصوتي في وزن الكلمة، وإيقاعها- يضاعف من ذلك التأثير، ودلالة الكلمتين تصور آثار الحلف السلبية ومدى ما تجلبه من كساد للبائع؛ حيث تبور سلعته، وتمحي البركة من كسبه؛ ففي اللغة يقولون: نفق الرجل والدابة نفوقاً: أي: ماتا، وبالكسر نفِق: أي: نفد وفني أو قلَّ.

ومن معاني: نَفَق: بالفتح: راج، ولكن في ظل الحلف تُمحق البركة، ويقل الكسب، وقوله: ممحقة للكسب، أي: منقصة وزوال، ومن معاني "مَحَقَ" في اللغة: المحو والإبطال، ومحق الله الشيء: ذهب ببركته، ومن هذه المادة التي تدل على المحو أو الضآلة أو القلة قولهم: المحاق، وهو آخر الشهر، أو ثلاث ليال من آخره، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية، وسُمي بذلك لأنه طلع مع الشمس فمَحَقَتْه[1].

فالحلف في البيع يؤدي إلى بوار السلعة، ونقص الكسب، ومحو البركة، وإسناد التفوق إلى الحلف وكذلك المحق، من باب المجاز المرسل وعلاقته السببية؛ لأن الحلف سبب بوار السلعة، ومحو البركة من الكسب، والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التحذير والتعليل.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف في البيع وإن كان صادقاً.

---

(١) القاموس المحيط في (م ح ق).

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٢٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٢٣).

أولاً- من مهام الداعية: بيان الحقائق للمدعوين:

لقد بين ﷺ أن الحلف وإن كان يُكثر من بيع السلعة مما يعود على البائع، بالربح والزيادة، إلا أنه في الحقيقة نقصان، قال ابن الأثير: (المحق: النقص والمحو والإبطال)[1]، فالحلف كما يقول الطيبي: (وإن أنفق السلعة حالاً فإنه يذهب بالبركة مآلاً)[2].

ولا شك أن بيان الحقائق للمدعوين مهم جداً، حتى يكونوا على علم بها ومن ثم يسيرون في ضوئها وفي هديها. ومن ثم كان هذا البيان في هذا الحديث دعوة لهم أن يتجنبوا الحلف في البيع، نظراً لضرره الشديد، على البائعين منهم.

ومن قبيل بيان الداعية للحقائق، ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: «انكسفَتِ الشمسُ يومَ ماتَ إبراهيمُ (ابن النبي ﷺ)، فقال الناسُ انكسفَتْ لموتِ إبراهيمَ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنَّ الشمسَ والقمرَ آيَتانِ من آياتِ الله، لا ينكسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى يَنجليَ»[3].

فقد بين ﷺ للمدعوين حقيقة كسوف الشمس وأن ذلك آية من آيات الله تعالى، كما أرشدهم إلى ما يفعلونه إذا حدث هذا الكسوف سواء للشمس أو القمر.

ثانياً- من أساليب الدعوة: التحذير والتعليل:

هذا واضح من قوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق" فهذا تحذير من النبي ﷺ للمدعوين من كثرة الحلف، كما أنه ﷺ ساق التعليل من هذا التحذير، فقال: "فإنه يُنفق ثم يمحق". قال الطيبي: قوله: "إياكم وكثرة الحلف" "إياكم" منصوب على التحذير، أى اتقوا أنفسكم من إكثار الحلف، وإكثار الحلف عن أنفسكم، كرره للتأكيد والتنفير"[4].

---

(١) النهاية في (م ح ق).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٣٢/٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٠٦٠، ومسلم ٩١٥.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٣٢/٦.

وقال القرطبي: "إياكم معناه: الزجر والتحذير وكثرة منصوبة على الإغراء، كما نقول إياك والأسد، أي احذره واتقه"[١]. ثم علل ﷺ هذا التحذير بأنه يذهب بالبركة، وإن كان الظاهر أن يربح البائع ولكن هذا عاقبته محو البركة وسوء العاقبة.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: النهى عن الحلف في البيع وإن كان صادقاً:

هذا واضح من الحديثين: فقوله ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق"، قد حمله بعض العلماء على النهى عن الحلف كله قليله وكثيره: قال الطيبي: " والنهى عن كثرة الحلف فيه لا يقتضي جواز قلتها، لأن النهى وارد على أهل السوق، وعادتهم كثرة الحلف، كقوله تعالى: ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾[٢]، و "ثم" في "يمحق"، يجوز أن تكون للتراخي في الزمان، يعني وإن أنفق اليمين السلعة حالاً فإنه يذهب بالبركة مآلاً، كقول ابن مسعود: "الربا وإن كثر إلى قل"[٣]، وأن يكون للتراخي في الرتبة، يعني أن محقه البركة حينئذ أبلغ من الإنفاق، والمراد من محق البركة عدم انتفاعه به ديناً ودنيا"[٤].

ومن العلماء من حمل النهى على الكثرة دون القليل، قال النووي: "وفيه النهي عن كثرة الحلف في البيع، فإن الحلف من غير حاجة مكروه، وينضم إلى هنا ترويج السلعة وربما اغتر المشترى باليمين"[٥]، وجمع بين الأمرين ابن عثيمين: فقال: "وظاهر الحديث أنه لا فرق بين أن يكثر الحلف أو لا، لكن لما كان الإنسان البائع والمشتري

---

(١) المفهم ٥٢٣/٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٠.

(٣) بل جاء الحديث مرفوعاً فقد اخرجه احمد ٣٩٥/١ رقم ٣٧٥٤، عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال: الربا وان كثر فإنه عاقبته تصير إلى قل"، وحسن ابن حجر إسناده في الفتح، ٣١٥/٤، وقال محققوالمسند: حديث صحيح ٢٩٧/٦.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة، ٣٣/٦.

(٥) شرح مسلم ٤٥/١١/٦، .

دائماً يحلف، دائماً يبيع ويشتري، حمله بعض العلماء على الكثرة، كثرة الحلف عند البيع والشراء"[١].

قال القرطبي: (وإنما حذر من كثرة الحلف: لأن الغالب ممن كثرت أيمانه وقوعه في الكذب والفجور، وإن سلم من ذلك على بعده، لم يسلم من الحنث، أو الندم؛ لأن اليمين حنث أو مندمة. وإن سلم من ذلك لم يسلم من مدح السلعة المحلوف عليها، والإفراط في تزيينها ليروجها على المشتري، مع ما في ذلك من ذكر الله تعالى لا على جهة التعظيم، بل على جهة مدح السلعة، فاليمين على ذلك تعظيم للسلع، لا تعظيم لله تعالى. وهذه كلها أنواع من المفاسد لا يقدم عليها إلا من عقله ودينه فاسد)[٢].

هذا بخصوص الحلف الصادق، أما الحلف كاذباً فحرام، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ، "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة"، قال ابن حجر: ("لأحمد" اليمين الكاذبة)[٣]... فأوضح الحديث أن الحلف الكاذب، وإن زاد في المال، فإنه يمحق البركة، فكذلك قوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٤]، أي يمحق البركة من البيع الذي فيه الربا وإن كان العدد زائداً لكن محق البركة يفضي إلى اضمحلال العدد في الدنيا كما مر في حديث ابن مسعود"[٥]. وقال السندي: (ممحقة: أي موضع لنقصان البركة ومظنة له في المال. بأن يسلط الله عليه وجوهاً يتلف فيها. إما سرقاً أو حرقاً أو غرقاً أو غصباً أو نهباً أو عوارض ينفق فيها من أمراض وقحط وغير ذلك مما شاء الله، كذا قيل)[٦].

قال القرطبي: "ومعنى تمحق البركة، أي تذهبها، وقد تذهب رأس المال والربح،

---

(١) شرح رياض الصالحين، ٢/١٧٧٨.

(٢) المفهم ٤/٥٢٣.

(٣) أخرجه أحمد ٢/٢٣٥ رقم ٧٢٠٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ١٢/١٤١.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٥) فتح الباري ٤/٣١٧.

(٦) حاشية السندي على مسند أحمد ١٢/١٤١.

كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[١]. وقد يتعدى المحق إلى الحالف، فيعاقب بإهلاكه وبتوالي المصائب عليه، وقد يتعدى إلى خراب بيته وبلده، كما روى أن النبي ﷺ قال: اليمين الفاجرة تذر الديار بلاقع"[٢]، أي خالية من مكانها إذا توافقوا على التجرؤ على الأيمان الفاجرة، وأما محق الحسنات في الآخرة، فلابد منه لمن لم يتب، وسبب هذا كله أن اليمين الكاذبة يمين غموس، يؤكل بها مال المسلم بالباطل"[٣].

وقد ورد الوعيد على المنفق سلعته بالحلف الكاذب، قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، فذكر منهم: «الْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحلف الكاذب»[٤].

قال الطيبي: مفسراً استحقاق من كان هذا شأنه ذلك العقاب، قال: "الحالف البائع يراعى غبطة نفسه والهضم من حق صاحبه، والحاصل منه عدم المبالاة بالغير وإيثار نفسه عليه، ولذلك يجازيه الله تعالى بعدم المبالاة والالتفات إليه...، فإن قلت: مرتبة الجزاء أن يؤخر عن الفعل فلم قدم ذكره في الحديث: قلت: ليفخم شأنه ويهول أمر مرتكبيه في خلد السامع فيذهب بنفسه كل مذهب"[٥].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٦.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب ٤٨٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وذكره المنذري في الترغيب ٤١٦، ٢٨٥٣، وصدره بلفظ "وروي" دليلاً على ضعفه عنده كما نص على ذلك في مقدمة كتابه ص٢٤ ثم وجدت أن الألباني قد حسّنه لغيره وجعله في صحيح الترغيب والترهيب ١٨٣٥، فالله أعلم بالصواب.

(٣) المفهم ٤/٥٢٢، ٥٢٣.

(٤) أخرجه مسلم ١٠٦.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧/٣٤، وانظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٢٦٠-٢٦١.

الحديث رقم (١٧٢٣)

١٧٢٣- وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((إيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو قتادة الأنصاريّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١٧).

غريب الألفاظ:

ينفق ثم يمحق: أي يروج ثم ينقص وتذهب بركته[2].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث السابق في مضمونه، ولكن تختلف الصياغة اللغوية؛ ففي هذا الحديث استخدم رسول الله ﷺ أسلوب التحذير؛ وهو التنبيه على أمر مذموم ليجتنبه الإنسان، كما يقول النحاة.

والتحذير من كثرة الحلف يخاطب به رسول الله ﷺ الأمة كلها، وقدَّم ضمير النصب المنفصل "إيَّا" المقترن بكاف الخطاب، وعلامة الجمع "كم"، وهذه الصيغة التحذيرية موجهة إلى الأمة جمعاء؛ حتى تتجنب كثرة الحلف في البيع.

والجملة الثانية في الحديث تتصل بالأولى اتصالاً تعليليًّا؛ فهي ليست مضافة إليها، وليست معطوفة عليها؛ ولكنها لبيان العلة من هذا التحذير، والفاء في قوله: "فإنه" تفصح عن هذه العلِّية، التي تؤدي إلى الإقناع، والارتداع عن هذا السلوك المخادع من البائع، وقد أفصح قوله ﷺ: "ينفق" عن هذا السلوك، الذي يلجأ إلى كثرة الحلف رغبة في زيادة الربح، وترغيباً في كثرة المشترين، وتزييناً للسلعة وترويجاً لها.

---

(١) برقم (١٣٢/١٦٠٧). أورده المنذري في ترغيبه (٢٦٧٢).

(٢) الوسيط في (ن ف ق) و (م ح ق).

والتعبير بقوله: "ينفق" يعطي معنى الرواج، وهو من دلالات الفعل "نَفَقَ"؛ لأن هذا الفعل يجمع بين المعنى وضده؛ فهو من معاني الأضداد، وقيل: نفق بالفتح: معناه راج، ونفق بكسر الفاء: أي: مات، والتضعيف بتشديد الفاء في قوله: "ينفّق" يوحي بزيادة الكسب، ورواج السلعة، وصيغة المضارع تعطي دلالة الاستمرار، الناشئ من وهم هذا البائع الذي يكثر من الحلف، وقوله ﷺ: "ثم يمحق" يفيد بأن هذا الرواج غير مستمر، ومهما طال الزمن، فإن الله يمحق البركة من هذا الكَسْب المخادع، والتعبير بـ"ثم" يرشد إلى أن هذا الكسب، الذي حصله صاحبه، لن يدوم، مهما طال الزمن؛ فنهايته المحق والبوار، والخسران والدمار.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة الحلف في البيع من غير حاجة، فإن الحلف من غير حاجة مكروه، فإن كان كاذباً فهي كراهة تحريم، وإن كان صادقاً فكراهة تنزيه[1].

وتتأكد هذه الكراهة إذا قصد بيمينه ترويج السلعة، لأن المشتري يغتر باليمين[2].

المضامين الدعوية[3]

(١) فتح الباري لابن حجر ٣١٦/٤، وشرح صحيح مسلم ٤٤/١١.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٤/١١، ٤٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية الاقتصادية:

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام، على أسس العدالة، والمساواة، والتكافل الاجتماعي، والتعاون، والتراحم، ويدعو إلى الجد والعمل والسعي في طلب الرزق، والحرص على الشخصية المسلمة، أن يستذلها الفقر، أو يهينها السؤال، والحفاظ على الثروة أن تبددها الخمر، أو يمحقها الربا، أو يذهب بها الميسر، فإذا بقي المال مصونًا من العبث وبقيت الشخصية المسلمة كريمة الحياة، فالعز والسلطان والجاه.

وقد شجع الإسلام المسلم على ممارسة البيع والشراء، لأنه يفيد خبرة، ويبعث على حركة، ويدعو إلى ممارسة، والخبرة إذا زادت، وسعت آفاق الفكر، وقوت وشائج الصلة ومهدت السبيل إلى الألفة، والمعرفة، وفي الحركة بركة، ونشاط وقوة للجسم وصبر. وللبيع أصوله وآدابه، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وظلم البائع للمشتري، أو ظلم المشتري للبائع، يزرع الحقد، ويزعزع الثقة، ويدعو للفرقة[2]. فينبغي على المسلم أن لا يحلف في بيعه على السلعة من أجل ترويجها، أو غش المشتري كما في حديثي الباب، قال ﷺ: "الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب"، وقال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق".

كما لا يبيع المسلم على بيع أخيه، لتتساوى الفرص ويمتنع العدوان فتصفو القلوب، ليبقى التعاون قائمًا بين المسلمين، والقصد في الربح قناعة واجتناب للظلم، ورعاية للحقوق ((ومن غشنا فليس منا))[3] ومن خرج على تعاليم الدين فقد خسر

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد صبح، ٢٥١/١.

(٣) أخرجه مسلم ١٠١.

الدنيا والآخرة[١].

وقال الله تعالى محرمًا أكل الأموال بالتزوير والاحتيال كالرشوة، ونحوها: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[٣].

والفقه الإسلامي اعتنى بأحكام المال عناية فائقة، في أبواب البيوع والإجارة والزكاة، وسائر المعاملات، وحرم الربا، وذكر أنواعه وشبهاته.

فترك بذلك أثرًا تربويًا طيبًا، جعل الناشئ اقتصاديًا، يخشى الله في المال، فلا يسرف، ولا يبذر ولا يبدد، ويحترم أموال الآخرين فلا يقربها ولا يفكر في اغتصابها أو الاحتيال في أخذها، كما ربى الإنسان على احترام العمل، والكسب الحلال، وشرع الميراث للولد صغيرًا كان أم كبيرًا خلافًا للأنظمة المنحرفة التي تجعل الميراث للولد الأكبر[٤].

ثانيًا - التربية على تعظيم الله في القلوب:

إن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد[٥].

لذلك قال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع...". وقد أمر المولى تبارك وتعالى بحفظ الأيمان فقال: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾[٦] قال ابن عباس: (يريد لا تحلفوا لأن كثرة

---

(١) التربية الإسلامية، محمد أحمد صبح، ٢٥١/١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

(٣) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص ٦٣.

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، ٤٥٤/٢.

(٦) سورة المائدة، آية: ٨٩.

الحلف تدل على الاستخفاف بالله وعدم التعظيم له وذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب)[١].

فعلى المربي أن يعمل على تقوية تعظيم الله في النفوس، وهذا هو الأساس الذي تتفرع منه سائر فروع الاعتقاد، وقد عاب تبارك وتعالى على أهل الزيغ والضلال أنهم لم يقدروه حق قدره فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٢].

وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس، ويملك صاحبه العلم الصحيح فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى.

فالذي يعظم الله تعالى لا يقدم بين يدي قوله وقول رسوله ﷺ، ولا يتردد في تصديق الأخبار والتزام الأوامر وترك المنهيات ولا يتعلق قلبه بغير الله، ولا يتجه لمخلوق، فيصفو اعتقاده ويستقيم عمله، ويضع للمخلوقين منزلتهم التي يستحقونها[٣].

ثالثًا - التربية بالترهيب:

لقد رهّب النبي ﷺ من الحلف في البيع فقال: "الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب"، وقال ﷺ: "إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق".

فالحلف ممحقة للكسب، أي: متلفة له، والإتلاف يشمل الإتلاف الحسي بأن يسلط الله على ماله شيئًا يتلفه من حريق أو نهب أو مرض يلحق صاحب المال فيتلفه في العلاج، والإتلاف المعنوي بأن ينزع الله البركة من ماله فلا ينتفع به لا دينًا ولا دنيا، وكم من إنسان عنده مال قليل، لكن نفعه الله به ونفع غيره ومن وراءه، وكم من إنسان عنده أموال لكن لم ينتفع بها صار - والعياذ بالله - بخيلاً يعيش عيشة الفقراء وهو غني؛ لأن البركة قد محقت[٤].

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ٤١٦.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٣) تربية الشباب، محمد بن عبدالله الدويش، ص ٥٤.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٤٥٨/٢.

هذا عقاب من يحلف على البيع في الدنيا أما في الآخرة فعذابه شديد، قال ﷺ: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم، يوم القيامة: أشيمط زان وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه"(١).

قوله ﷺ: "جعل الله بضاعته"، ومعناها: أنه كلما اشترى حلف، وكلما باع حلف طلبًا للكسب، واستحق هذه العقوبة؛ لأنه إن كان صادقًا؛ فكثرة إيمانه تشعر باستخفافه واستهانته باليمين ومخالفته قوله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾(٢)، وإن كان كاذبًا جمع بين أربعة أمور محذورة:

١ - استهانته باليمين ومخالفته أمر الله بحفظ اليمين.

٢ - كذبه.

٣ - أكله المال بالباطل.

٤ - أن يمينه يمين غموس، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ يَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ))(٣).

وكل ما في هذا الحديث يجب الحذر منه والبعد عنه؛ لأن هذا ما يريده النبي ﷺ من الإخبار به، وإلا؛ فما الفائدة من سماعنا له إذا لم تظهر مقتضيات النصوص على معتقداتنا وأقوالنا وأفعالنا؟ فنحن والجاهل سواء؛ بل نحن أعظم، ولذلك لا ينبغي أن تمر علينا بلا فائدة فنعرف معناها فقط، بل يجب أن نعرف معناها ونعمل بمقتضاها، ثم يجب علينا نحن المربين أيضًا بوصفنا ممن آتاهم الله العلم أن نُحذّر الناس منها لنكون وارثين للرسول ﷺ؛ فالنبي ﷺ كان عالمًا عاملاً داعيًا، أما طالب العلم؛ فإنه ليس وارثًا للرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى يقوم بما قام به من العمل والدعوة، فعلينا أن نُحذّر إخواننا المسلمين من هذا العمل الكثير بين الناس، وهو جعل الله بضاعة لهم؛ لا يبيعون إلا بأيمانهم، ولا يشترون إلا بأيمانهم(٤).

---

(١) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب رقم ٢٧٧٧، ص ٤٠٤، وعزاه للطبراني في الكبير، وفي الصغير والأوسط، وقال: رواته محتج بهم في الصحيح.

(٢) سورة المائدة، آية: ٨٩.

(٣) أخرجه البخاري ٢٣٥٦، ٢٣٥٧.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٤٦٢، ٤٦٣.

٣١٩- باب كراهة أنْ يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

الحديث رقم (١٧٢٤)

١٧٢٤- عن جابر ﷺ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ الا الجَنَّةُ)) رواه أبو داود[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن الحق سبحانه وتعالى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ولكن للدعاء آداب، واستجابة الله للدعاء تظل مرتبطة بحسن العمل، وصلاح النية، وإسلام الوجه لله، والإخلاص في العبادة، وهذا الحديث الشريف يصوغه رسول الله في أسلوب القصر؛ عن طريق النفي والاستثناء؛ فهو يحصر السؤال بوجه الله، والتشفع في أشرف مطلوب، وأسمى مرغوب؛ وهو سؤال الله دخول الجنة.

والفعل "يسأل" يمكن أن يكون مجزوماً؛ حيث تكون "لا" ناهية، والأسلوب يكون إنشائيًّا طلبيًّا؛ لأن النهي من أنواع الطلب، والنهي هنا -كما قال العلماء- تنزيهي.

ويمنكن أن يكون الفعل مرفوعاً، و"لا" تكون نافية، فيكون الأسلوب خبريًّا

---

(١) برقم (١٦٧١) فيه سليمان بن قرم، قال الحافظ في الفتح (٦٨٧/٨): بصري ضعيف، وتفرد أبو داود بتسمية أبيه معاذًا، وقال في التقريب (٢٦٠٠): سيء الحفظ يتشيع، والحديث أورده ابن عدي في الكامل (١١٠٧/٣) وقال: وهذا الحديث لا أعرفه عن محمد بن المنكدر إلا من رواية سليمان بن قرم، وعن سليمان: يعقوب بن إسحاق الحضري، وعن يعقوب: أحمد بن عمرو العصفري انتهى. قلتُ: وبهذا الإسناد عند أبي داود. قال السخاوي في المقاصد (ص: ٤٧١): والظاهر أن النهي فيه للتنزيه، ولا يمنع استحباب الإجابة لمن سئل به، بل قد ورد الترهيب من كليهما.

متضمناً معنى النهي.

وهذه التوجيهات الأسلوبية، تنبع من ثراء المعنى، واتساع الدلالة في الحديث الشريف.

وفي هالة هذا التوجيه النبوي.. ننضوًا هذه الأبيات، التي يناجي فيها الشاعر ربه في صدق وإخلاص، يقول الشاعر:

إلهي، ذرفت الدَّمعَ أرجو مثوبةً ... وصفحًا عن الزلات في ليلة القَدْرِ
سألتُكَ يا ربّاهُ تفريجَ كُربةٍ ... وجنات عدن في مناراتها أسْري
وهذَّبت أعمالي ابتغاء مثوبةٍ ... وبالحقِّ يا ربَّاه وصَّيتُ والصبرِ
وخالفتُ نفسي إذ طويلاً سجنتها ... وأحكمتُ باب السجن خوفاً من
وتشهد يا ربَّاهُ: ما كنت مؤذياً ... لنفسي، ولو أُلْقيتُ في ساحة الضُّرِّ
وما كنتُ غيرَ الخير أعرفُ شيمةً ... ولا غيرَ نُورِ الحق أحفظُ في صَدرِي[1]

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القصر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة.

أولاً- من أساليب الدعوة: القصر:

هذا واضح من الحديث: "لا يسأل بوجه الله إلا الجنة"، فقد قصر ﷺ السؤال بوجه الله على الجنة دون غيرها من السؤالات والمطالب، قال الطيبي: قال المظهر هذا يحتمل أمرين، أحدهما: أن يكون معناه لا تسألوا من الناس شيئاً بوجه الله مثل أن تقولوا لأحد: يا فلان أعطني شيئاً بوجه الله أو بالله، فإن اسم الله تعالى أعظم من أن يسأل به شيء من متاع الدنيا، بل سلوا به الجنة. والثاني: لا تسألوا الله شيئاً من متاع الدنيا، بل سلوا الله الجنة ورضاه، فإن متاع الدنيا لا قدر له. أقول في الوجهين نظر.

---

(١) من قصيدة مناجاة في ليلة القدر، شعر د. صابر عبدالدايم، ديوان الأعمال الكاملة، والقصيدة منشورة بجريدة صوت الأزهر، عام ٢٠٠٢م.

ويمكن أن يجري على المبالغة، يعني لا يسأل الناس ناشداً بالله إلا الجنة، وقد علم أن ليس إليهم ذلك، فيفيد المبالغة في قطع السؤال عنهم بالله، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[1]، وهذا تأديب للسؤال والمكدين، عليهم أن يحترزوا ويجتنبوا هذا الأمر الفظيع"[2].

وقد بوب المنذري على هذا الحديث ونحوه: ترهيب السائل أن يسأل بوجه الله غير الجنة، وترهيب المسؤول بوجه الله أن يمنع[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة:

هذا واضح من الحديث قال العظيم آبادي: "إذ كل شيء أحقر دون عظمته تعالى، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له، نعم الجنة أعظم مطلب للإنسان، فصار التوسل به تعالى فيها مناسباً"[4].

وقال ابن عثيمين: "وجه الله تعالى وصفه تعالى بأنه ذو الجلال والإكرام، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[5]، كل من على البسيطة فإنه فان زائل لكن يبقى وجه الله عز وجل "ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"، ولهذا قال بعض العلماء[6]: ينبغي أن يصل قوله "ويبقى وجه ربك" بما قبله حتى يتبين كمال الله عز وجل وأنه يستحيل عليه الفناء. بل هو الباقي الذي لا يزول فوجه الله تعالى عظيم وأعظم ما يسأله المرء الجنة. قال الله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[7]، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم. فلما كانت الجنة أعظم مسؤول

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٨/٤.

(٣) الترغيب والترهيب ٢٠١، الحديث ١٢٧٣ وما بعده.

(٤) عون المعبود ٧٦١.

(٥) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦- ٢٧.

(٦) هو عامر بن شراحيل الشعبي من فقهاء التابعين وعلمائهم. ذكر ذلك عنه ابن القيم في مدارج السالكين، ٣١٠/٤.

(٧) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

يعني أعظم ما يسأله الإنسان هو الجنة. صار لا يسأل بوجه الله إلا الجنة.فلا تسأل بوجه الله شيئًا من أمور الدنيا، لا تقل: اللهم إني أسألك بوجهك أن تعطيني بيتاً أسكنه، أو سيارة أركبها، أو ما أشبه ذلك؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به شيء من الدنيا. الدنيا كلها دنيئة، كلها فانية، كلها لا خير فيها إلا ما يقرب الله عز وجل، وإلا فهى خسارة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾[1]، العصر: يعني الدهر، وهو الدنيا، أقسم بالعصر أن كل إنسان في خسر، لا يستفيد من عصره إلا من جمع هذه الصفات الأربع، "إلا الذين آمنوا"، واحد، "وعملوا الصالحات"، اثنين، "وتواصوا بالحق"، ثالث يعني: أوصى بعضهم بعضاً بالحق. والرابع، "وتواصوا بالصبر" أي: بالصبر على الحق والدعوة إليه والصبر على أقدار الله وغير ذلك، فالمهم لا تسأل بوجه الله إلا الجنة، وكذلك ما يقرب إلى الجنة فلك أن تسأل بوجه الله النجاة من النار، اللهم إني أسألك بوجهك أن تنجيني من النار، لأنه إذا نجا الإنسان من النار لابد أن يدخل الجنة. فليس هناك ثلاث دور، إنما هما داران فقط، دار الكفار وهى النار أعاذنا الله وإياكم منها، ودار المؤمنين المتقين وهي الجنة فإذا قلت: أسألك بوجهك أن تجيرني من النار، فلا بأس، لأن الله متى أجارك من النار أدخلك الجنة. وهذا الحديث إسناده ضعيف ولكن معناه صحيح، لا ينبغي أن تسأل بوجه الله العظيم إلا لشيء عظيم"[2].

وقال ابن القيم في مقدمة كتابه عن الجنة: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: "ولما علم الموفقون ما خلقوا له، وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم، فشمروا إليه، إذا صراطها المستقيم قد وضح لهم، فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن[3] بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في أبد لا يزول، ولا ينفد بصبابة[4] عيش، إنما هو كأضغاث أحلام[5]،

---

(١) سورة العصر، الآيتان: ١- ٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٧٩- ١٧٨٠.

(٣) الغبن: النقص والخسارة.

(٤) الصبابة: ما بقى في الإناء من ماء ونحوه.

(٥) أضغاث أحلام: ما كان متلبساً مختلطاً لا يصح تأويله، لاختلاطه والتباسه، وأصل الضغث: القبضة من الحشيش المختلط رطبها بيابسها. والأحلام: جمع حلم، وهو ما يراه النائم.

أو كطيف[١] زار في المنام، مشوب بالنغص[٢]، ممزوج بالغصص[٣]، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعافُ أضعاف مسراته، أوله مخاوف، وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ[٤] عاقل، آثر[٥] الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان[٦] ضيقة آخرها الخراب والبوار[٧]، وأبكاراً عرباً أتراباً[٨] كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات، أو متخذات أخدان[٩]، وحوراً مقصورات في الخيام[١٠] بخبيثات سيئات بين الأنام[١١]، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادي يا أهل الجنة: إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا، وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين:

---

(١) الطيف: الخيال الطائف في النوم.

(٢) مشوب بالنغص: مخلوط بكدر العيش.

(٣) الغصص: جمع غصة: وهو مما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

(٤) المسلاخ: الجلد.

(٥) في الأصل "آآثر" على الاستفهام، وما أثبتناه أولى.

(٦) العطن: مبرك الإبل حول الحوض. وجمعه أعطان.

(٧) البوار: الهلاك، والكساد.

(٨) عرباً أترابا: العرب: جمع عروب. وهي المرأة المتحببة إلى زوجها والمطيعة له، والأتراب: جمع ترب. وهو المماثل في السن ذكراً كان أو أنثى.

(٩) مسافحات أو متخذات أخدان: زانيات، والسفاح، والمسافحة: معاشرة المرأة بلا زواج. والأخذان: جمع خدن، وهو الصديق الذي يكون معك ظاهراً وباطناً.

(١٠) حور مقصورات في الخيام: الحور: جمع حوراء، وهي المرأة إذا اشتد بياض عينها، مع شدة سواد سوادها، وهذا من جمال العين. ومقصورات في الخيام: جمع مقصورة، وهي المرأة المنعمة في بيت لا تتركه. والخيام: جمع خيمة.

(١١) الأنام: الإنس والجن، وما ظهر على الأرض من جميع الخلق.

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتِ فَلَيْسَ لِي ... مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلا مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ المَلامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حُبّاً لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه[1] بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا[2]، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً[3]، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد لهم من الإكرام وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته، وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال.

فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال[4] يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها[5] من إستبرق[6] يتكئون، وبالحور العين[7] يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ[8] ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ[9] عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ[10] ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ

---

(١) السفه: الجهل والطيش، وسوء التصرف.
(٢) الوفد: الجماعة يفدون على ذي الشأن، وقيل هنا: جاؤوا ركباناً.
(٣) الورد: الماء يورد، والورد: الإبل ترد الماء. ويقال للقوم يردون الماء: ورد. والمراد أنهم يقصدون جهنم للارتواء. وبئس الورد المورود.
(٤) الحجال: جمع حجلة، وهي ناموسية تستر السرير كالقبة تتخذ للعروس، وخشية البعوض والناموس.
(٥) البطائن: جمع بطانة، وهي من الثوب ما يبطن به، وهي خلاف ظهارته.
(٦) الإستبرق: الديباج الغليظ، وثياب من حرير وذهب. والديباج: الحرير.
(٧) العين: جمع عيناء، وهي المرأة حسنة العين وواسعتها.
(٨) الماء المعين: هو الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض.
(٩) لا يصدعون: لا يصيبهم الصداع. والصداع: وجع الرأس.
(١٠) ولا ينزفون: لا يذهب عقلهم من السكر. يقال: نزف شارب الخمر: سكر فذهب عقله وتمييزه. ونزف الشيء نزفاً: نفذ وفني.

عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ[١] ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢]. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ[٣] مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٤]. تالله، لقد نودي عليها في سوق الكساد[٥] فما قلّب ولا استام[٦] إلا أفراد من العباد، فواعجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت[٧] عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟.

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه، وترتيبه، وتفصيله، وتبويبه، فهو للمخزون سلوة وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب، إلى أجلّ مطلوب، وحادٍ للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس[٨]، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد[٩]، على ما لعل المجتهد في الطلب، لا يظفر به فيما سواه من الكتب، مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار[١٠] الموقوفات، والأسرار المودعة في كثير من الآيات، والنكت البديعات، وإيضاح كثير من المشكلات، والتنبيه على أصول من الأسماء والصفات، إذا نظر فيه

---

(١) المكنون: المصون.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٧- ٢٤.

(٣) الصحاف: جمع صحفة، وهو وعاء الأكل الكبير.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٥) سوق الكساد: التي لم تحظ بالرواج، ولم ينفق ما فيها لقلة الرغبة فيه.

(٦) السوم: عرض السلعة على البيع. ومعنى الكلام أن سوق الجنة في الدنيا كاسدة. لا يسأل عنها كثير من الناس. يقال: استام المشتري السلعة: أراد شراءها ومعرفة ثمنها، واستام البائع غالي وطلب سعراً عالياً. وفي الأصل (أسام) وما أثبتناه أولى.

(٧) صدف: أعرض.

(٨) القدوس: من أسماء الله الحسنى. ومعناه المنزه عن كل نقص وعيب.

(٩) القلائد: جمع قلادة، وهي ما يجعل حول العنق من حلي ونحوه.

(١٠) في الأصل (الآيات) وهو خطأ، وما أثبتناه هو الصحيح.

الناظر زاده إيماناً، وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً، فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات، وباعث الهمم العليات، إلى العيش الهنيِّ في تلك الغرفات.

وسميته "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه، والله يعمل ما قصدت، وما بجمعه أردت؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته، وكسبه، وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول، وحزبه، ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه. لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً، أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سياسياً، فمن قدم عليها شيئاً من ذلك، فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود"[1].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٢٧-٣٣، وما ذكرناه من تفسير للكلمات نقلناه من تحقيق المحققين للكتاب.

الحديث رقم (١٧٢٥)

١٧٢٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ، فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ (به)[1] فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ)).

حديث صحيح رواه أبو داود والنسائيُّ[2] بأسانيد الصحيحين.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

استعاذ بالله: استجار به ولاذ به[3].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من خمس جمل لغوية... تتناسق في مبناها، وتتآلف في معناها؛ حيث تُصاغ الجمل كلها في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط في الجمل الأربع الأولى "مَن"، وأما في الجملة الأخيرة فالأداة "إن"؛ لأنها تستقل في معناها عن بقية الجمل، ولكنها متممة لها، ولأن الجمل التي تصدرتها "من"، تعرض لمواقف حياتية لأي مسلم تضطره الحاجة إلى الاستعانة والاستعاذة بالله، وطلب النصرة والحماية، أو السؤال بدافع الفاقة والاستعانة بالله في ذلك، وقد تكون المواقف ليست عن ضعف أو فاقة؛ وإنما تنبع من الرغبة في التآخي والصلة والمودة، فيدعو أخاه في الإسلام أو يهدي إليه معروفاً.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند أبي داود، ولا عند النسائي.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٧٢) واللفظ له، والنسائي في المجتبى (٢٥٦٧)، وفي الكبرى (٢٣٥٩). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٣٤٠٨)، وقال الحاكم (٤١٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. أورده المنذري في ترغيبه (١٢٤٨).

(٣) النهاية في (ع و ذ).

وفعل الشرط في الجمل الأربع يوحي بالتحقق والإنجاز؛ حيث صيغ في قالب الفعل الماضي، والماضي يدل على حدث قد وقع في الزمن الذي انقضى أو مضى؛ فالاستعاذة قد طُلبت، والسؤال قد وُجد، والدعوة قد صدرت، والمعروف قد صُنع.

وكلها مقدمات في أسلوب الشرط، يجب على من قُدمت إليه أن يجيب عليها، ولذلك جاء جواب الشرط متوائماً ومتناسقاً في صيغته مع هذه المقدمات، وصيغت كل أفعال الجواب في صيغة الأمر؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "فأعيذوه، "فأعطوه"، "فأجيبوه"، "فكافئوه"، والجواب يقترن في الجمل الأربع، وكذلك الجملة الخامسة، بواو الجماعة؛ لأن الأمر موجه من رسول الله إلى الأمة كلها، فهو منهج الأمة كلها، وليس منهجاً لفرد واحد، ولا منهج زمن محدد، أو بيئة معينة؛ وإنما منهج الأمة الإسلامية كلها.

ولنتأمل الإيقاع الصوتي في نهاية كل جملة؛ حيث تختم بواو الجماعة والضمير المفرد العائد على الفرد المسلم... هذا الإيقاع الصوتي مع التوازن الصوتي والتركيب في الجمل، مع التناسق في بناء العبارات، يوحي بضرورة تماسك الأمة وتفاعلها، وتناسقها وتعاونها على البر والتقوى، وأن تكون كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، والله أعلم.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه ما يأتي:

١- كراهية رد السائل بالله تعالى[١] وذلك للحديث، اللهم إلا إذا سأل شيئاً قبيحاً، أو إلا إذا علم عدم حاجته للسؤال، وإنما كان سؤاله للتكثير[٢]، فلا يكره رده، وكذا إذا ألح السائل في المسألة حتى أضجر المسؤول[٣].

---

(١) حاشية رد المحتار ٣٩٧/٦، ومواهب الجليل ٢٦٣/٣، وروضة الطالبين ٤/١١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣١٣/٤، المغني لابن قدامة ٤٢٣/٩، ومنار السبيل ٢٥/٢.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ٣٩٧/٦.

(٣) سبل السلام ١٧٠/٤.

٢- وجوب إعاذة المستعيذ بالله، وإجابة الداعي ما لم يكن هناك مانع شرعي[١].

٣- وجوب مكافأة المحسن كما أحسن قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٣].

فإن لم يجد ما يكافئه به فليدع له، بأن يقول: "جزاك الله خيراً"[٤] ونحو ذلك، لقول رسول الله ﷺ ((من صنع إليه معروفاً فقال لفاعله جزاك الله خيراً، فقد أبلغ الثناء))[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تعظيم اسم الله تعالى بأن نعيذ من استعاذ به ونعطي من سأل به.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: شكر من صنع معروفاً.

رابعاً: من أهداف الدعوة: نشر تعظيم الله في القلوب.

خامساً: من أهداف الدعوة: تأصيل خلق الشكر بين المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تعظيم اسم الله تعالى بأن نعيذ من استعاذ به ونعطي من سأل به:

هذا واضح من قوله ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه"، قال الطيبي: "قال المظهر: "استعاذ": إذا طلب أحد من أحد أن يدفع عنه شراً و"أعاذه" إذا دفع عنه الشر الذي يطلب منه دفعه. يعني إذا طلب أحد منكم أن تدفعوا عنه شركم أو شر غيركم بالله، مثل قولك: يافلان بالله عليك أن تدفع عني شر فلان وإيذائه، أو

---

(١) عون المعبود ٦١/٥، وسبل السلام ١٧٠/٤.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٣) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٤) عون المعبود ٦١/٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٥٧).

احفظني من شر فلان – فأجيبوه، واحفظوه، لتعظيم اسم الله. أقول (أى الطيبي): قد جعل متعلق "استعاذ" محذوفاً و "بالله" حالاً، أى من استعاذ بكم متوكلاً بالله ومستعطفاً به، ويمكن أن يكون "بالله" صلة "استعاذ" والمعنى: من استعاذ بالله فلا تتعرضوا له، بل أعيذوه وادفعوا عنه الشر، فوضع "أعيذوه" موضعه مبالغة"[١]. وقال السندي: "حاصله من توسل بالله في شيء ينبغي أن لا يحرم ما أمكن"[٢]. وقيد ابن عثيمين هذه الإعاذة بألا تكون في حق واجب، فقال: "إذا استعاذ أحد بالله منك فأعذه، إلا إذا استعاذ عن حق واجب، فإن الله لا يعيذه، لو أنه كان مطلوباً لك فسألته حقك قلت: أعطني حقي. قال: أعوذ بالله منك، فهنا لا تعذه، لأن الله تعالى لا يعيذ عاصياً، لكن إذا كان الأمر ليس محرماً، فاستعاذ بالله منك، فأعذه تعظيماً لله عز وجل"[٣]. وكذلك من سأل بالله فيعطى ما سأل "تعظيماً لاسم الله وشفقة على حق الله"[٤]. وقال ابن عثيمين: "لو سألك سائل فقال: أسألك بالله أن تعطيني كذا وكذا، أعطه. إلا إذا سألك شيئاً محرماً فلا تعطه. مثلاً أن يسألك يقول لك: أسألك بالله أن تخبرني ماذا تصنع مع أهلك مثلاً. هذا لا يجوز أن تخبره. بل وجهه وانصحه وقل: هذا تدخل فيما لا يعنيك، وقد قال النبي ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[٥]. وكذلك لو سأل محرماً ولو سألك بالله، لا تعطه. لو قال: أسألك بالله أن تعطيني كذا وكذا ليشتري به دخاناً فلا تعطه. لأنه سألك؛ ليستعين به على شيء محرم. فالمهم أن من سألك بالله فأعطه ما لم يكن على شيء محرم، وكذلك ما لم يكن عليك ضرر، فإن كان عليك ضرر فلا تعطه، لأن النبي ﷺ، قال: "لا ضرر

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١٢٧/٤.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي ٨٧/٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٠/٢.

(٤) عون المعبود ٧٦١.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وابن ماجه ٣٩٣٦، وابن حبان ٢٢٩، وقال محقق صحيح ابن حبان: حديث حسن لغيره.

ولا ضرار"[١]، [٢].

وقال عبدالله البسام عما يؤخذ من الحديث: "إن من التجأ إليكم واعتصم بكم في أمر من الأمور التي حزيته والعظائم التي ألجأته فأعيذوه وكونوا سنداً له وعضداً له في كربته ممن ظلمه أو تعدى عليه مادام أنه مع حق في طلب النجاة والحماية، وقد دخل عليكم هذا المدخل. فقد قال ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوما»[٣].

كذلك فإن من سألكم شيئاً وعزز سؤاله بالله تعالى أن تعطوه سؤاله فأعطوه ما طلب؛ إعظاماً للسؤال بالله تعالى"[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن دعاكم فأجيبوه"، قال ابن عثيمين: "من دعاك إلى بيته إلى وليمة قليلة أو كثيرة فأجبه، لكن هذا مشروط بما إذا لم يكن عليك ضرر فلا تجبه، أو كان هذا الرجل ممن يهجر فلا تجبه أيضاً أو كان هذا الرجل في ماله حرام، ورأيت أنه من المصلحة ألا تجيبه، لعله يقلع عن الحرام فلا تجبه. أما في وليمة العرس فقد قال النبي ﷺ، "من لم يجب فقد عصى الله ورسوله"[٥]، إذا دعاك الزوج لوليمة العرس فأجبه ما لم يكن عليك ضرر أو يكن هناك منكر، فإن كان عليك ضرر فلا يلزمك إجابته، وإن كان هناك منكر فإن كنت تستطيع أن تغيره، فأجب وغير وإلا فلا تجب"[٦].

جاء في الموسوعة الفقهية: "ذهب جمهور الفقهاء إلى أن إجابة الدعوة في الأصل واجبة إن كانت إلى وليمة عرس وأما ما عداها فقد اختلف في الإجابة إليها، فقال

---

(١) أخرجه أحمد ٣١٣/١ رقم ٢٨٦٥، وقال محققو المسند: حسن ٥٥/٥ أ هـ. وقال النووي: له طرق يقوى بعضها بعضاً. انظر جامع العلوم والحكم، ٢٠٧/٢-٢١٠.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٨٠/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٥.

(٤) توضيح الأحكام ٢٦٨/٦.

(٥) أخرجه البخاري ٥١٧٧، ومسلم ١٤٣٢.

(٦) شرح رياض الصالحين ١٧٨١/٢.

الحنفية والشافعية والحنابلة ليست الإجابة إليها واجبة بل هى مستحبة إن لم يكن عذر أو مانع...، وسواء كانت بسبب كبناء أو ولادة أو ختان، أو غير ذلك، ما لم تكن من الداعي مكروهة كدعوة المأتم، وذلك لأن في إجابة الداعي تطييب نفسه وجبر قلبه"[١].

وقال الطيبي: "وأما الأعذار التي يسقط بها وجوب الإجابة وندبها فأن يكون في الطعام شبهة، أو يخص بها الأغنياء أو يكون هناك من يتأذى بحضوره، أولا يليق به مجالسته أو يدعوه لخوف شره أو لطمع في جاهه، أو لتعاونه على باطل وأن يكون هناك منكر من خمر أو لهو أو فرش حرير أو صور حيوان غير مفروشة، أو آنية ذهب أو فضة. ومن الأعذار أن يعتذر إلى الداعي فيتركه"[٢].

وقال عبدالله البسام: يستحب الدعاء من المدعو للداعي. ويكن الدعاء مناسباً للدعوة والمقام، ويظهر الفرح والغبطة للداعي، ويدخل السرور عليه بالأماني الطيبة والفأل الحسن، فهذا من بركة الحضور والاجتماع فليس الحضور هو مجرد الطعام والأكل، وإلا لما أمر الصائم بالإجابة، وإنما المراد معانيه الطيبة واجتماعه المبارك"[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: شكر من صنع معروفاً:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه"، قال الطيبي: المعنى من أحسن إليكم أى إحسان فكافئوه بمثله، فإن لم تقدروا على ذلك فبالغوا في الدعاء له جهدكم حتى يحصل المثلية. ووجه المبالغة: أنه رأى من نفسه تقصيراً في المجازاة فأحالها إلى الله تعالى. ونعم المجازى هو. وقد جاء في حديث آخر"، من صنع إليه معروف فقال جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء"[٤])[٥]. وقال ابن عثيمين: "إذا صنع إليك أحد معروفاً

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠/٣٣٧.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٦/٢٩٥. وانظر: سبل السلام للصنعاني ٦٤٩.

(٣) توضيح الأحكام ٤/٥٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وابن حبان ٣٤١٣، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده صحيح.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٤/١٢٧.

إما بمعونة في شيء أو باستخدامك إياه في شيء من الأشياء أو غير ذلك، فكافئه، أعطه ما تظن أنه يكافئ معروفه. فإن لم تجد ما تكافئه أو كان ممن لا يحسن مكافأته، كالملك والوزير والرئيس وما أشبه ذلك، فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه"[١].

وقال عبدالله البسام: "فاعل المعروف ابتداءً له فضل ومنة على المسدى إليه ذلك المعروف، سواء أكان معروفاً مادياً أو معنوياً. لأن الابتداء بالإحسان يدل على نفس كريمة لصاحبه ومحبة للخير والإحسان. فمن حسن الأدب وكمال المروءة وطيب المقابلة أن يكافئه المحسن إليه على إحسانه ومعروفه، وأن لا يهمله ويتركه، فإنه من الجفاء وبلادة الطبع. وإذا لم يجد المحسن إليه من الأشياء المادية ما يكافئ بها المحسن فليدع له ومن أفضل ألفاظ الدعاء والشكر قوله: "جزاك الله خيراً" فإن هذا أبلغ الثناء، ذلك أن الجزاء إذا كان من الله تعالى كان عظيماً، فإن جزاء الله وعطاءه لا نهاية له، ولفظ الخير كلمة طيبة تشمل خيري الدنيا والآخرة"[٢].

رابعاً- من أهداف الدعوة: نشر تعظيم الله في القلوب:

هذا واضح من قوله ﷺ: "من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه"، وقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنَّ ابنةَ الجَونِ لما أُدخِلَت على رسولِ الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذُ باللّهِ منك، فقال لها: لقد عُذتِ بعظيم، الحَقي بأهلكِ»[٣]. قال ابن الأثير: "أى لقد لجأت إلى ملجأ ولذت بملاذ"[٤].

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥]، قال ابن كثير:

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٠.

(٢) توضيح الأحكام ٦/١٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٥٢٥٤.

(٤) النهاية في (ع و ذ).

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٧.

"يقول تعالى: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته"[١].

ومن أسماء الله "العظيم" قال الطيبي: "أصله من عظم الشيء إذا كبر عظمه ثم استعير لكل جسم كبير المقدار كبراً يملأ العين كالجمل والفيل، أو كبراً يمنع إحاطة البصر بجميع أقطاره كالأرض والسماء ثم لكل شيء كبير القدر عالي الرتبة على هذا القياس، والعظيم المطلق البالغ إلى أقصى مراتب العظمة: هو الذي لا يتصوره عقل، ولا يحيط بكنهه بصيرة، وهو الله تعالى، فيرجع حاصل الاسم إلى التنزيه والتعالي عن إحاطة العقول بكنة ذاته، وحظ العبد منه أن يستحقر نفسه ويذلها للإقبال على الله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه والاجتهاد في اقتناص مراضيه"[٢].

وقال ابن القيم: "ما يجرى صفة أو خبراً على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود وشيء ... الخامس: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو المجيد العظيم الصمد فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ... والعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال"[٣].

خامساً- من أهداف الدعوة: تأصيل خلق الشكر بين المدعوين:

هذا واضح من قوله ﷺ: "ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

قال العظيم آبادي: "أي أحسن إليكم إحساناً قولياً أو فعلياً (فكافئوه)، من المكافأة أى أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١١٣/٧.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٣٦/٥- ٣٧.

(٣) بدائع الفوائد ١٥٩/١-١٦٠.

ٱلْإِحْسَٰنُ﴾[١]، ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٢]، [٣].

وقد قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله"[٤].

قال الطيبي: "قال البيضاوي: هذا لأن شكره تعالى إنما يتم بمطاوعته وامتثال أمره، وإن مما أمر به شكر الناس الذين هم وسائط في إيصال نعم الله إليه، فمن لم يطاوعه فيه لم يكن مؤدياً شكر أنعمه، أو لأن من أخل بشكر من أسدى إليه نعمة من الناس مع ما يُرى من حرصه على حب الثناء والشكر على النعماء، وتأذيه بالإعراض والكفران، كان أولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عليه الشكر والكفران لوهو الله سبحانه وتعالى فلا يضره كفر، ولا ينفعه شكر، تعالى عن ذلك علواً كبيراً"[٥].

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٢) سورة القصص، آية: ٧٧.

(٣) عون المعبود ٧٦١.

(٤) أخرجه الترمذي ١٩٥٤، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٢).

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٦/١٨٥-١٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على تعظيم الله وصفاته:

من المضامين التربوية في هذا الباب تعظيم الله وصفاته، فلا يسأل بوجه الله تعالى ما هو حقير من حوائج الدنيا، وإنما يسأل به ما هو غاية المطالب، وهو الجنة، أو ما هو وسيلة إلى الجنة مما يقرب إليها من قول أو عمل[1].

فعلى المربي توجيهُ المسلم كبيرًا أو صغيرًا إلى ذلك فيقول له: (لا تسأل أحدًا من المخلوقين، فلا تسأله بوجه الله، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة، فإذا لا يُسْأَلون بوجه الله مطلقًا.

فإن سألت الجنة وما يستلزم دخولها، فلا حرج أن تسأل بوجه الله، وإن سألت شيئًا من أمور الدنيا؛ فلا تسأل بوجه الله؛ لأن وجه الله أعظم من أن يسأل به لشيء من أمور الدنيا، فأمور الآخرة تسأل بوجه الله؛ كقولك مثلاً: أسألك بوجهك أن تنجني من النار والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: أعوذ بوجهك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[2] قال: هذه أهون أو أيسر[3])[4].

كما أن على المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى أن من استعاذ بالله عليهم أن يعيذوه ومن سأل بالله فعليهم أن يعطوه.

فمن احترام الله وتعظيمه أن لا يرد من سأل بالله، لأن منع من سأل بالله يدل على عدم إجلال الله، وفي إعطائه دليل على تعظيم الله والتقرب إليه سبحانه[5].

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ١٦٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري ٤٦٢٨.

(٤) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٣٥٦-٣٥٧.

(٥) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص ١٦٧، ١٦٨.

فينبغي تربية المسلمين وخاصة الناشئة على الاعتراف بعظيم قدرة الله وعظيم سلطانه، وقوته، وينطوي الاعتراف على تعظيم الله وإكباره وتقديسه، والشعور بالخضوع له والخشوع والخشية والخوف والالتجاء إليه، والطاعة لأمره، والرضى بحكمه، والتسليم له، والتفويض إليه[١].

ثانيًا - التربية الاجتماعية:

تهدف تعاليم الإسلام إلى بناء مجتمع تقوم علاقات أفراده على الحب والمودة والتآلف والرحمة، ويبعد عن الشقاق والاختلاف والعداوة والبغضاء[٢].

ومن الأمور الاجتماعية التي تدعو إلى التواصل والتآلف والمحبة بين المسلمين إجابة الدعوة لذلك قال ﷺ: "من دعاكم، فأجيبوه".

فلقد حرص الإسلام على توثيق الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الفرد والمحيطين به، بما يحقق للفرد والجماعة الألفة والانسجام والتكيف والاستقرار من جهة، وتبادل المصلحة من جهة ثانية.

وقد شبه النبي ﷺ الكيان الاجتماعي بالجسد الواحد، الذي يتأثر بشكوى أحد أعضائه فقال: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ. إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ))[٣] وحتى تتحقق سلامة الكيان الاجتماعي، حدد الإسلام ما على الفرد والجماعة من حقوق وواجبات، إذ كل حق في الإسلام يقابله واجب، فوضح حقوق الوالدين وحقوق الأبناء وحقوق الأرحام، وحقوق الجوار، وحقوق المسلم في المجتمع عمومًا[٤].

تأكيدًا على استغناء الفرد عن بقية أفراد مجتمعه، وتوثيقًا للعلاقة الطيبة معهم، وقد حفلت التربية الإسلامية ببيان عدد من النصائح والتوجيهات التي تبين حقوق المسلم

---

(١) نظام الإسلام: العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ص ٦٨.

(٢) التربية الروحية والاجتماعية، د. أكرم ضياء العمري، ص ٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠١١، ومسلم ٢٥٨٦ واللفظ له.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص ٣٨.

على المسلم وواجباته في الوقت ذاته كأن تسلم عليه إذ لقيته، وتجبه إذا دعاك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتعوده إذا مرض، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والإسلام ملئ بفضائل التعامل مع الناس، كالتعاون والتواضع وعدم التكبر عليهم، والبعد عن النميمة بينهم، وعدم هجرانهم فوق ثلاث، والعفو والصفح عنهم، والإحسان إليهم قدر المستطاع واحترام الكبار والرحمة بالصغار، والبشاشة عند اللقاء، والوفاء بالوعد معهم... إلى غير ذلك من فضائل، تزرع المحبة بين أفراد المجتمع، وتوثق عرى التماسك الاجتماعي فيما بينهم[1].

ثالثًا - التربية على مكافأة المحسن، أو رد الجميل:

إن مكافأة المحسن خلق فطري ينشأ من خلق الوفاء، إذ أن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمؤمن المستقيم لا يكون شاكرًا لله حتى يكون معترفًا بالفضل لأهل الفضل، وفي ذلك يقول ﷺ: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))[2] فإن أخلاق المؤمن لا تكتمل بحسن علاقته بربه فحسب وإنما لابد أن يكون على نفس المستوى من الأخلاق في التعامل مع الناس[3] ولهذا قال ﷺ "ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

فمن واجب المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى الوفاء وعدم نكران الجميل وشكر الناس لأن من لا يشكرهم لا يشكر الله، فمن صنع له معروفًا قابله بالشكر والمكافأة المادية عليه فإن عجز عن المكافأة دعا له بالخير بقوله جزاك الله خيرًا[4].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ معروفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِه جَزَاكَ الله خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ))[5].

---

(١) المرجع السابق، ص ٤١.

(٢) أخرجه أبو داود ٤٨١١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٢٦).

(٣) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٩٥.

(٤) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٠٩/٣.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٠٣٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٥٧).

٣٢٠- باب تحريم قوله: شاهان شاه للسلطان وغيره

لأن معناه: ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى

الحديث رقم (١٧٢٦)

١٧٢٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((إنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ عز وجل رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ)). متفق عليه.

قال سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ: ((مَلِكُ الأَمْلاَكِ)) مِثْلُ: شَاهانْ شَاهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أخنع اسم: أشد ذلاً وصغاراً يوم القيامة[2].

شاهنشاه: أي ملك الملوك أو الملك الأعظم (فارسية)[3].

الشرح الأدبي

إن الحق سبحانه وتعالى جلت قدرته، وتعالت عظمته، مالك الملك، بيده مقاليد الأمور، وله الأسماء الحسنى، وهو وحده لا شريك له، الخالق البارئ المصور، له ما في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم.

والحديث الشريف ينعي على هؤلاء الذين يحاولون أن يَدَّعوا لأنفسهم ألقاباً وأسماء لا تكون إلا لله عز وجل: مثل "ملك الملوك"، أو ما يقوله ملوك العجم: "شاهنشاه"؛ لأن "شاه" بمعنى الملك، و"شاهان" جمع: شاه، وقد قدم المضاف إليه على المضاف تبعاً لقاعدة اللغوية عند العجم، ومعناها: "ملك الأملاك".

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣/٢٠) واللفظ له.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٤٦.

(٣) الوسيط في (ش و هـ).

وهذا الاسم أو اللقب إذا كان مصدر عزة لصاحبه الموهوم المدعي؛ فإنه أذل اسم عند الله عز وجل؛ لأنه ادِّعاء وكذب، وتشبه بالذات الإلهية، وهو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولغة الحديث الشريف، تفصح عن معناه والمراد منه؛ فالحديث مكون من جملة واحدة، مكونة من "إن الناسخة" واسمها، وخبرها، وهي للتأكيد؛ حيث أكد رسول الله ﷺ رفضه لهذا الادعاء، ووصف صاحبه بأنه جاء بالذلة لنفسه بسبب هذا الاسم.

ولفظ "أخنع" يوحي بالاستهجان والكراهة؛ لأن اللفظ غريب، واجتماع حَرْفَي العين والخاء في كلمة واحدة، يؤدي إلى ثقلها وعدم تحمل الأُذُن لها، وهي كذلك في دلالتها ونطقها، و"إنَّ" أدت وظيفتها النحوية، وهي من الحروف الناسخة، التي تنسخ عمل المبتدأ أو الخبر وحركتهما الإعرابية، وكذلك أوحت بأن هذا الذي ادَّعى صفة لذاته لا يستحقها، فادعاؤه منسوخ، ولقبه ممسوخ، واختيار قوله "عز وجل" بعد لفظ الجلالة: إيحاء بأنه لا عزة إلا الله؛ فهو ذو العز والجلال، والكبرياء والكمال، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم التسمي بملك الأملاك، سواء بالعربية أو بالأعجمية، وذلك لورود الوعيد الشديد عليه، ودلالته على أن غضب الله تعالى على المسمى به أشد من غضبه على غيره[2].

وذلك لأن المسمى بهذا الاسم قد انتهى إلى الغاية التي لا تنبغي لمخلوق، وأنه قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق، إذ لا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا على الله تعالى فعوقب على ذلك من الإذلال، والاسترذال بما لم يعاقب به أحد من المخلوقين[3].

---

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧٨.

(٢) المجموع للنووي ٣٢٨/٨، وفتح الباري ٥٩٠/١٠، وشرح صحيح مسلم ١٢٢/١٤، وطرح التثريب ٤٨١/٨.

(٣) طرح التثريب ٤٧٥/٨.

ويلحق بذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن، والقدوس والمهيمن، وخالق الخلق، ونحو ذلك[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهى عن التسمي أو الوصف بملك الأملاك ونحوه من الألقاب والمسميات.

ثانياً: من آداب المدعو: التزام الأدب في كل شيء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التسمي أو الوصف بملك الأملاك ونحوه من الألقاب والمسميات:

هذا واضح من الحديث: "إِنَّ أَخْنَع اسْمٍ عِنْدَ اللّهِ عز وجل رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الأَمْلاَكِ"، وفي رواية عند البخاري: ((أخنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجلٌ تَسمَّى ملك الأملاك))[٢]. وفي رواية عند مسلم "أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه وأغيظه عليه، رجل كان يسمى ملك الملاك، لا ملك إلا الله"[٣].

قال ابن حجر: "قوله: "أخنى": من الخنا بفتح المعجمة وتخفيف النون مقصور، وهو الفحش في القول، ويحتمل أن يكون من قولهم أخنى عليه الدهر أي أهلكه، ووقع عند المستملي "أخنع" بعين مهملة وهو المشهور في رواية سفيان بن عيينة وهو من الخنوع وهو الذل، وقد فسره بذلك الحميدي شيخ البخاري عقب روايته له عن سفيان قال: "أخنع: أذل" وأخرج مسلم[٤] عن أحمد بن حنبل قال: سألت أبا عمرو الشيباني، يعني إسحاق اللغوي عن أخنع فقال: أوضع، قال عياض[٥]: معناه أنه أشد الأسماء صغارا، وبنحو ذلك فسره أبو عبيد، والخانع الذليل وخنع الرجل ذل، قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٩٠، وطرح التثريب ٨/٤٨١.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٠٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢١-٢١٤٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٠-٢١٤٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/١٨.

الأسماء كان من تسمى به أشد ذلا، وقد فسر الخليل أخنع بأفجر فقال: الخنع الفجور، يقال أخنع الرجل إلى المرأة إذا دعاها للفجور، قلت: وهو قريب من معنى الخنا وهو الفحش، ووقع عند الترمذي[1] في آخر الحديث " أخنع: أقبح " وذكر أبو عبيد أنه ورد بلفظ " أنخع " بتقديم النون على المعجمة وهو بمعنى أهلك لأن النخع الذبح والقتل الشديد، وتقدم أن في رواية همام " أغيظ " بغين وظاء معجمتين، ويؤيده " اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك " أخرجه الطبراني[2])[3].

وقال النووي: "واعلم أن التسمي بهذا الاسم (ملك الأملاك) حرام، وكذلك التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به كالرحمن والقدوس والمهيمن وخالق الخلق ونحوها"[4].

وقال ابن حجر: "واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد. ويلتحق به ما في معناه مثل خالق الخلق وأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء. وقيل: يلتحق به أيضاً من تسمى بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن والقدوس والجبار"[5].

وقال الطيبي: "وقوله "لا ملك" استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية. فنفى جنس الملاك بالكلية، لأن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالكية الغير عارية مستردة إلى مالك الملوك. فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبداً لله فيكون له الخزى والنكال والإلقاء في النار، وتحريره أن صفة المالكية مختصة بالله تعالى لا تتجاوز إلى غيره. والمملوكية صفة العبد لا يتجاوز عنها إلى غيرها، ولذلك كان أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله وعبدالرحمن[6]، ونحوها. لأن

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٨٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢١١٣، وقال الهيثمي في المجمع ٨/٥٠ وفيه أبو شيبة: إبراهيم بن عثمان وهو متروك.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٨٩، .

(٤) شرح صحيح مسلم ٧/١٤/١٢٧-١٢٨، .

(٥) فتح الباري ١٠/٥٨٩، .

(٦) أخرجه مسلم ٢١٣٢، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: "إن أحب أسمائكم إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن".

من تسمى بها يكون على بصيرة، لأنه عرف قدره ولم يتعد طوره، وذلك أنه ليس بين الله وبين العبد نسبة إلا العبودية. وما تحقق أحد هذه النسبة حق تحقيقه إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه، فلذلك وصفه الله تعالى في مقام القرب وبساط الأنس بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[1]، ورفع روح الله عيسى عليه السلام عن نفسه التهمة بالربوبية بقوله: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾[2]، ونهى أن يقول أحد لمملوكه "عبيدي"[3]، لأن العبودية غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية العزة والكبرياء. وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل"[4].

وقال القرطبي: "وحاصل هذا الحديث أن المسمى بهذا الاسم قد انتهى من الكبر إلى الغاية التي لا ينبغي لمخلوق، وأنه قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق، إذ لا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا على الله تعالى، فعوقب على ذلك من الإذلال والإحساس والاسترذال بما لم يعاقب به أحد من المخلوقين"[5].

ثانياً- من آداب المدعو: التزام الأدب في كل شيء:

هذا يفهم من الحديث: قال ابن حجر "قال ابن أبي جمرة: وفي الحديث مشروعية الأدب في كل شيء، لأن الزجر عن ملك الملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلقاً. سواء أراد من تسمى بذلك أنه ملك على ملوك الأرض أم على بعضها. سواء كان محقاً في ذلك أم مبطلاً، مع أنه لا يخفى الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقاً ومن

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١.

(٢) سورة مريم، آية: ٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٥٢، ومسلم ٢٢٤٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي. كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي». واللفظ لمسلم.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٩/٧٠.

(٥) المفهم ٥/٤٥٥.

قصده وكان فيه كاذباً"[١].

ومن هذا القبيل حديث: «لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمُ: اسْقِ رَبَّكَ. أَطْعِمْ رَبَّكَ. وَضِّىءْ رَبَّكَ. وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: رَبِّي. وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، فَتَاتِي، غُلاَمِي»[٢]. وفي رواية عند مسلم: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي. كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللّهِ. وَلَـٰكِنْ لِيَقُلْ: غُلاَمِي وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ وَفَتَاتِي»[٣]. وفي رواية عند مسلم أيضاً: «لا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ: عَبْدِي، فَكُلُّكُمْ عَبِيدُ اللّهِ، وَلَـٰكِنْ لِيَقُلْ: فَتَايَ. وَلا يَقُلْ العَبْدُ: رَبِي، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي»[٤].

قال النووي: " مقصود الأحاديث شيئان: أحدهما: نهي المملوك أن يقول لسيده ربي لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى. فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ في أشراط الساعة أن تلد الأمة ربتها أو ربها[٥]. فالجواب من وجهين: أحدهما أن الحديث الثاني لبيان الجواز وأن النهي في الأول للأدب وكراهة التنزيه لا للتحريم. والثاني أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة ولم ينه عن إطلاقها في نادر من الأحوال ...، والثاني: يكره للسيد أن يقول لمملوكه: عبدي، وأمتي بل يقول: غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه. وقد بين النبي ﷺ العلة في ذلك فقال: "كلكم عبيد الله"، فنهى عن التطاول في اللفظ كما نهى عن التطاول في الأفعال، في إسبال الإزار وغيره ... والظاهر أن المراد بالنهي من استعماله على جهة التعاظم والارتفاع، لا للوصف والتعريف"[٦]...، وقال ابن حجر: "أرشد ﷺ إلى العلة في ذلك لأن حقيقة العبودية إنما

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٩١، .

(٢) أخرجه البخاري ٢٥٥٢، ومسلم ١٥-٢٢٤٩.

(٣) أخرجه مسلم ١٣-٢٢٤٩.

(٤) أخرجه مسلم ١٤-٢٢٤٩.

(٥) أخرجه مسلم ٨.

(٦) شرح صحيح مسلم ٨/١٥/ ٧-٨، .

يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، قال الخطابي: المعنى في ذلك كله راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع لله عز وجل وهو الذي يليق بالمربوب"[1].

وقال القرطبي: "ومقصود الشرع الإرشاد إلى تعرف مواقع الألفاظ، واستعمال الأولى منها والأحسن ما أمكن من غير إيجاب ذلك، واجتناب المشترك من الألفاظ وما يستكره منها، وما لا تواضع فيه، كعبدي وأمتي، من غير تحريم ذلك، ولا تحريجه"[2].

---

(١) فتح الباري ٥/١٨٠.

(٢) المفهم ٥/٥٥٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية على احترام أسماء الله وصفاته:

من المضامين التربوية في هذا الباب التربية على احترام أسماء الله وصفاته، فلا يسمى باسم من أسماء الله أحد، ولا يوصف بصفة من صفاته، فلا يجوز أن يسمى أحد بملك الملوك لأن من تسمى بهذا الاسم؛ فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة أو حاكم الحكام أو ملك الأملاك إلا الله - سبحانه وتعالى - ؛ فالله هو القاضي فوق كل قاضي، وهو الذي له الحكم، ويرجع إليه الأمر كله كما ذكر الله ذلك في القرآن[1].

فعلى المربي أن يبين لمن يقوم بتربيتهم أن أوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا، فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة؛ فجعل مرتبته فوق مرتبتهم، وهذا لا يكون إلا لله - عز وجل - ولهذا عوقب بنقيض قصده؛ فصار أوضع اسم عند الله إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك، فأهين، ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع مثل عبدالله وعبدالرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دل على الجبروت والسلطة والتعظيم؛ فالله له الخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مدبر إلا الله، ولا مالك إلا الله[2].

والواجب احترام أسمائه من أن يسمى بها غيره، وذلك من تحقيق التوحيد؛ فعن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال النبي ﷺ: ((إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكْنَى أَبَا الْحَكَمِ؟ فقالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلاَ الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَحْسَنَ هذَا فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قالَ: لِي شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ. قالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قالَ قُلْتُ: شُرَيْحٌ قالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ))[3].

---

(١) القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٢٤٩.

(٢) المرجع السابق ٢/٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) أخرجه أبو داو ٤٩٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٤٥).

فغير النبي ﷺ كنيته من أجل احترام أسماء الله؛ لأن الله هو الحكم على الإطلاق؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[1] وهو الحكم في الدنيا والآخرة، يحكم في الدنيا بين خلقه بوحيه الذي أنزله على أنبيائه، ويحكم بينهم يوم القيامة بعلمه فيما اختلفوا فيه، وينصف المظلوم من الظالم.

وفي هذا الحديث دليل على المنع من التسمي بأسماء الله تعالى المختصة به، والمنع مما يوهم عدم الاحترام؛ كالتكني بأبي الحكم ونحوه[2].

فعلى المربي تربية الناشئة وتوجيههم إلى وجوب الاعتقاد بانفراد الرب - جل جلاله - بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة، والجلال والجمال، التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها، الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الرعد، آية: ٤١.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص ١٦٦، ١٦٧.

(٣) القول السديد، السعدي، ص ١١، ١٢ نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد، د. أحمد مصطفى متولي، ١/٨٠.

٣٢١- باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسَيِّد ونحوه

الحديث رقم (١٧٢٧)

١٧٢٧- عن بُرَيدَةَ ﷺ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عز وجل)). رواه أبو داود[1] بإسنادٍ صحيح.

ترجمة الراوي:

بُريدة بن الحُصيب الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٨١).

غريب الألفاظ:

أسخطتم: أغضبتُم[2].

الشرح الأدبي

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، والمنافق نموذج اجتماعي مرفوض؛ لأنه إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر، وإذا أؤتمن خان، وإذا وعد أخلف، فمسيرته بين الناس غير سوية، وسيرته غير مرضية، وكيف يقال لمن أصابته هذه الآفات السلوكية: إنه سيد، وهو يصر على معاصيه، فهو والفاسق سواء، ولا يخاطب إلا بما يستحق من الألقاب الدنيا؛ لأنه جاهر ربه بالعصيان.

والحديث يبدأ بالنهي الصريح الحاسم الجازم، الموجه إلى الأمة كلها في كل زمان وكل مكان. "لا تقولوا" أي: لا تخاطبوه ولا تصفوه بأنه سيد؛ لأن هذه الصفة لا تطلق إلا على الأشراف الأوفياء، الصادقين المخلصين، الذين أخلصوا دينهم لله، ولذلك علل

---

(١) برقم (٤٩٧٧). وقال الحاكم (٣١١/٤): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال المنذري في ترغيبه (٥٤٧/٣): رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٧٠): رواه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح. أورده المنذري في ترغيبه (٤٣٠٩).

(٢) اللسان في (س خ ط).

رسول الله ﷺ هذا النهي الواضح الصريح الواجب تنفيذه، واقترن هذا التعليل بالتأكيد في قوله: "فإنه"، ثم صاغ العلة في أسلوب الشرط والجواب، والشرط هو: إضفاء السيادة على هذا المنافق زوراً، وجواب الشرط: هو سخط الله عز وجل على هذا المنافق، وعلى من جعله سيداً، ولنتأمل هذا التهديد وذلك الوعيد في قول المصطفى ﷺ: "فإنه إن يك سيداً، فقد أسخطتم ربكم عز وجل".

وتأمل اختيار أداة الشرط وهي "إن"؛ حيث تفيد عدم التحقق، وتدل على الشك؛ لأن سيادته المزعومة منكرة، وأفضليته مهدرة، وقوله: "قد" يزيد الأمر تأكيداً وتحقيقاً، وقوله: "ربكم"، يذكر بالربوبية، التي تحيط بالأكوان كلها قدرة وعلماً وفضلاً، وكذلك قوله: "عز وجل"؛ ينبه إلى أنه لا عزيز إلا الله، ولا سيادة إلا لله، وفي تصوير ملامح المنافق الشائهة، يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل في ديوانه (قاب قوسين)، من قصيدته "صحراء العجائب":

ووجه به وجهان: وجهٌ مُقَنَّعٌ ... بآخر مدسوس بزِيِّ العناكبِ!
برت آيةُ البهتان جلدةَ وجهه ... مطايا رياءٍ لا تضيق براكبِ!
إذا قيل: هذا الصخر ماءٌ، رأيتَه ... يردد للينبوع شوق السَّباسبِ!
وإن قيل: هذا الماء نارٌ، رأيتَه ... عليها مجوسيًّا عريق المذاهبِ!
وإن قيل: تلك النار فجرٌ، رأيتَه ... أذانَ مَصَلٍّ هزَّ سمع الكواكبِ!
أمانك ربِّي منه؛ هذا منافق ... أخفُّ لقاءً منه وجهُ المصائبِ
تَقوَّس واستخذى على الذل ظَهْرُه ... وكبَّر، لا لله؛ بل للرغائبِ[1]

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة تعظيم المنافق، والفاسق، بأن يقال له: يا سيد لأنه تعظيم من لا يستحق التعظيم، هذا إذا كان صاحب مالٍ ونحوه، أما إذا لم يكن كذلك كان هذا القول له كذباً ونفاقاً.

---

(١) انظر: شرح القصيدة كلها بكتاب شعراء وتجارب، تأليف د. صابر عبدالدايم.

ولأننا إذا أطلقنا عليه هذا اللقب - مع نفاقه وفسقه- فحالنا دون حاله، والله سبحانه وتعالى لا يرضى لنا ذلك[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيدٍ ونحوه.

ثانياً: من آداب المدعو: ألا يتودد للفاسق.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيدٍ ونحوه:

وهذا واضح من الحديث: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل)، وجاء في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير بلفظ: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن كان سيدكم وهو منافق فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك)[٢]، وقال الطيبي: "قوله: (إن يك سيداً) أي: إن يك سيداً لكم فيجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم، أو لا تقولوا للمنافق سيداً، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم، فوضع الكون موضع القول تحقيقاً له"[٣]، وقال العظيم آبادي: "قوله: (فإنه إن يك سيداً)، أي: سيد قوم أو صاحب عبيد وإماء وأموال (فقد أسخطتم ربكم عز وجل)، أي: أغضبتموه، لأنه يكون تعظيماً له وهو ممن لا يستحق التعظيم، فكيف إن لم يكن سيداً بأحد من المعاني، فإنه يكون مع ذلك كذباً ونفاقاً"[٤].

وذلك لأن النفاق أمره عظيم، قال ابن رجب: "هو في الشرع ينقسم إلى سمين: أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كلّه أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على

---

(١) عون المعبود ٢٢١/١٣، وأيضاً شرح الزرقاني على الموطأ ٥١٠/٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤٥٢.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٧٩/٩.

(٤) عون المعبود ٢١٣٩.

عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

والثاني: النفاق الأصغر وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك"[1].

(ومن هنا فإن كلّ ما ذكر في القرآن من وعيد للكافرين يدخل فيه أهل النفاق الأكبر، لأن كفرهم اعتقادي حقيقي، ليس معه من الإيمان شيء، وحيث قرن الكفار بالمنافقين في وعيد، يراد بالكفار من كان كفرهم معلناً ظاهراً، وبالمنافقين أهل الكفر الباطن، أما أهل النفاق العملي الذي ليس معه نفاق اعتقاد - فلا يدخلون في وعيد الكافرين، وإنما هم من عصاة أهل الملة، وقد يطلق اسم النفاق من هذا النوع على من يرتكب خصلة من خصال النفاق)[2].

ثانياً- من آداب المدعو: ألا يتودد للفاسق:

هذا واضح من الحديث، جاء في الموسوعة الفقهية: "اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز التودد للفاسق لأجل فسقه ولا الجلوس معه وهو يمارس شيئاً من المعاصي إيناساً ومجاراة له، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[3]، ولقول النبي ﷺ: ((لا تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِناً وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ))[4]، وقوله ﷺ: ((الرجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))[5].

كما أنه ورد النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه من الألقاب التي تدل على تعظيمه، لأن في ذلك تعظيم من أهانه الله تعالى، وقد نصّ المالكية والشافعية على أن الجلوس مع الفاسق إيناساً له يعد من صغائر الذنوب التي تغفر

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٤٨١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٤١/١٨ - ١٩.

(٣) سورة هود، آية: ١١٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣٩٥، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩٥٢).

(٥) أخرجه الترمذي ٢٣٧٨، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٩٣٧).

بالحسنات"[١].

وقال الزمخشري في قوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا)، قال: "النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم"[٢].

ولا يتودد للفاسق نظراً لإقدامه على ما يغضب الله، (فالفسق يقع بالقليل من الذنوب إذا كانت كبائر، وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيراً، وقد يكون الفسق شركاً وقد يكون إثماً، وأكثر ما يقال: الفاسق لمن التزم الشرع وأقرّ به ثم أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه"[٣].

وقال القرافي عن الفرق بين قاعدة المداهنة المحرمة وقاعدة المداهنة التي لا تحرم وقد تجب: "اعلم أن معنى المداهنة معاملة الناس بما يحبون من القول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٤]، أي: هم يودون لو أثنيت على أحوالهم وعباداتهم، ويقولون لك مثل ذلك، فهذه مداهنة حرام، وكذلك من يشكر ظالماً على ظلمه، أو مبتدعاً على بدعته، أو مبطلاً على إبطاله وباطله، فهي مداهنة حرام، لأن ذلك وسيلة لتكثير الظلم والباطل من أهله.

وروي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه كان يقول: إنا لنكشر في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم[٥]، يريد الظلمة والفسقة الذين يُتقى شرهم، ويتبسم في وجوههم،

---

(١) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٤٤ - ١٤٥.

(٢) الكشاف ص ٥٠٠، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ٦/١٧٤/٩ - ١٧٥.

(٣) الموسوعة الفقهية ٣٢/١٤٠.

(٤) سورة القلم، آية: ٩.

(٥) هذا مروي من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه، ذكره البخاري تعليقاً في كتاب الأدب من (الجامع الصحيح) قبل الحديث (٦١٣١) ووصله الحافظ ابن حجر من غير ما طريق في (تغليق التعليق) ٥/١٠٢ - ١٠٤، ولا تخلو أسانيده من مقال. والكشر: ظهور الأسنان للضحك. وكاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه. أفاده ابن الأثير في (النهاية) في (ك ش ر). وقد أفدنا ذلك من محقق كتاب الفروق.

ويشكرون بالكلمات الحقة، فإن ما من أحد إلا وفيه صفة تشكر، ولو كان من أنحس الناس، فيقال له ذلك استكفاء لشره، فهذا قد يكون مباحاً، وقد يكون واجباً إن كان يتوصل به القائل لدفع ظلم محرم أو محرمات لا تندفع إلا بذلك القول، ويكون الحال يقتضي ذلك، وقد يكون مندوباً إن كان وسيلة لمندوب أو مندوبات، وقد يكون مكروهاً إن كان عن ضعف لا ضرورة تتقاضاه بل خور في الطبع، أو يكون وسيلة للوقوع في مكروه، فانقسمت المداهنة على هذه الأحكام الخمسة الشرعية، وظهر حينئذ الفرق بين المداهنة المحرمة وغير المحرمة وقد شاع بين الناس أن المداهنة كلها محرمة، وليس كذلك بل الأمر كما تقدم تقريره"[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي والتعليل:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (لا تقولوا للمنافق سيد)، حيث نهى النبي ﷺ عن قول ذلك للمنافق، والنهي من الأساليب الدعوية المباشرة لطلب الترك والاجتناب.

والتعليل في قوله ﷺ: (فإنه إن يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل) ولا شك أن إتيان التعليل بعد النهي يزيد امتثال النهي ويؤكده ويقويه.

---

(١) الفروق ٤/٣٤٨ - ٣٤٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً - التربية بالتحذير من النفاق الاجتماعي:

من المضامين التربوية في هذا الباب: التحذير من النفاق الاجتماعي، وذلك لأن ديننا العظيم أمرنا بإنزال الناس منازلهم، ونظرًا لأن المنافقين أعداء لله وأعداء لدينه، فينبغي على المسلمين عدم تعظيم المنافقين ومن على شاكلتهم من الفاسقين والمبتدعين وغير الجديرين بالتقدير بأي تعظيم، فلا يطلق عليهم سيدٌ، لأن السيد يطلق على الذي يفوق قومه ويرتفع قدره عليهم، ويطلق على الزعيم ويطلق على الحليم الذي لا يستفزه غضبه، ويطلق على الكريم وعلى المالك وعلى الزوج[1].

فالتربية الإسلامية تدعو إلى إنزال الناس منازلهم وتحذر وتنهى عن رفع منزلة ومكانة المنافق لأنه عدو لله.

فينبغي على المجتمع المسلم ألا يجعل المنافقين محل تقدير واحترام لأن ذلك يخالف المعايير الإسلامية في النظر إلى الناس وتقديرهم وإنزالهم المنزلة التي تليق بهم.

إن التربية الإسلامية تهدف إلى البعد عن النفاق الاجتماعي لأجل المصلحة، والمنافع الخاصة مما عمت به البلوى في عدد من المجتمعات الإسلامية، حيث أضحت المصالح الخاصة هي المحرك الأساس في العلاقات بين الناس، وفي التقدير والتبجيل.

فمن خذلان الله للعبد أن يعمي بصيرته فيتقرب إلى المنافقين والفاسقين ومن على شاكلتهم من أجل مصلحة له عندهم بتعظيمهم ورفعهم عن مكانتهم التي وضعهم فيها الدين، فإن ذلك يغضب المولى عز وجل ويستوجب مقته وعقابه ولا يدري أن الله يحرمه ما رغبه ويحول بينه وبين أمنيته، فلا دنيا أصاب ولا دينًا أقام[2].

وتحذر التربية الإسلامية أفرادها من النفاق الاجتماعي، الذي يقوم على التمادح المذموم، الذي يقوم على إسناد الأعمال إلى غير أربابها، فإنه مجلبة الطغيان وباعث

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين ٢/٣٤١، وبهجة الناظرين، سليم الهلالي ٣/٢١٠.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٣٠٠، ٣٠١ بتصرف.

النفاق والذلة، ومحيي المهانة والحقارة وموجب المقت والسحت والكذب، لأن المادح يضطر إلى الإفراط وقوله غير الحق في شأن من لا يستحق إلا الإذلال، والاحتكار[1].

فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى اجتناب النفاق الاجتماعي الذي يؤول بالمجتمع إلى النفاق والرياء، ورفعة المنافقين والفساق ومن على شاكلتهم مما أبغضهم الله وحقرهم الدين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ٢٥٢.

٣٢٢- باب كراهة سب الحمّى

الحديث رقم (١٧٢٨)

١٧٢٨- عن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دخلَ على أُمِّ السَّائِبِ، أو أُمِّ المُسَيَّبِ فَقَالَ: ((مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ - أو: يَا أُمَّ المُسَيَّبِ - تُزَفْزِفِينَ؟)) قَالَتْ: الحُمَّى لاَ بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فَقَالَ: ((لاَ تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

تُزَفْزِفين: تتحركين حركة سريعة ومعناه: ترتعد[2].

الكير: الزق الذي ينفح الحداد به النار[3].

خبث الحديد: ما ينفيه الكير من الحديد ونحوه عند إحمائه وطرقه[4].

الشرح الأدبي

ما أجمل صحبة رسول الله، وما أرق رسول الله ﷺ في معاملته لأصحابه وللنساء المسلمات؛ ويصور هذا الحديث مشهداً من مشاهد معاملة الرسول للمسلمين والمسلمات، حيث الرأفة بهم، والحرص عليهم؛ ويتجلى ذلك في هذا الحوار الهادئ المطمئن بين الرسول ﷺ وأم السائب، حين رآها ترتعد من الحمى، فسألها في رفق ومودة وعطف:

---

(١) برقم (٢٥٧٥/٥٣). أورده المنذري في ترغيبه (٥٠٣٩).

(٢) رياض الصالحين ٥٨٧.

(٣) النهاية والوسيط في (ك ي ر).

(٤) الوسيط في (خ ب ث).

"مالك يا أم السائب؟"، والسؤال هنا مباشر وصريح، وهو تواضع من رسول الله ﷺ، وإعطاء الأسوة الحسنة في عيادة المريض، والاهتمام بأموره كلها.

وإجابة أم المسيب فيها إخبار ممتزج بالاعتراض والضيق؛ لما تشعر به من ألم ووجع، وتُبدي اعتراضها في دعائها على "الحمى"؛ حيث قالت: "لا بارك الله فيها"، ويحمل هذا الدعاء دلالة الجزع، وعدم الصبر على المصيبة، فإذا برسول الله ﷺ يقول في صيغة "النهي": "لا تسبي الحمى"، ثم يعلل ذلك تعليلاً، من شأنه أن يزرع الصبر في قلب ونفس أم المسيب؛ لأن المومن مطالب بالصبر والاحتساب، مع اتخاذ الأسباب للعلاج والوقاية من العلل والأوصاب.

وتأتي الصورة البلاغية لترسخ الصبر في نفس أم السائب، وفي نفس كل من ألمت به مصيبة؛ حيث يشبه رسول الله الحمى في إزالتها لخطايا بني آدم بالكير، الذي يَنفخ فيه الحداد، فيذهب خبث الحديد، وينقي المعادن، ويصفى الجواهر؛ فالمؤمن تزيده المصائب ثباتاً وصفاءً، وتطهره من الخطايا والرزايا.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة سب الحمى، وذلك لأنه يحصل بها تكفير الخطايا[1].

ولكن يحصل بالحمى - وغيرها من الأسقام والأوجاع - زيادة الحسنات، ورفع الدرجات أم يقتصر أثرها على تكفير الخطايا فقط؟

- الجمهور يرى أنها تكفر الخطايا[2] وترفع الدرجات وتزيد في الحسنات.

- وذهب البعض أنا الحمى - وغيرها من الأسقام - تكفر الخطايا فقط، ولا يحصل بها رفع الدرجات، ولا زيادة الحسنات، وقد روى نحو ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٠، والفواكه الدواني ١/٧٧، وشرح صحيح مسلم ١٦/١٢٨.

(٢) حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٠، والفواكه الدواني ١/٧٧، وشرح صحيح مسلم ١٦/١٢٨.

وقد ذكر النووي: (أن الأول أصح، ولعل صاحب الرأي الثاني لم يطلع على الأحاديث الدالة على حصول جميع ذلك من التكفير، ورفع الدرجات وزيادة الحسنات[١]، ومنه حديث ((إذا مرضَ العبدُ أو سافرَ كُتبَ لهُ مثلُ ما كانَ يعملُ صحيحاً مقيماً))[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من آداب الداعية: التواضع وعيادة المرضى.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: كراهة سب الحمى.

رابعاً: من آداب المدعو: الصبر على ما يصيبه من أمراض.

أولاً- من آداب الداعية: التواضع وعيادة المرضى:

وهذا واضحٌ من قول جابر بن عبدالله رضي الله عنه: (إن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب، أو أم المسيب..) ففي هذا تواضع من النبي ﷺ أن يزور المرضى، كما أنّ في ذلك عيادة للمرضى وزيارة لهم تطيباً لهم واطمئناناً عليهم والدعاء لهم.

أما التواضع فكثيرة هي الأحاديث التي تدل على تواضعه ﷺ من ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((إن كانتِ الأمَة من إماء أهلِ المدينة لَتَأخُذُ بيد رسولِ اللّه ﷺ فتنطَلِقُ به حيث شاءت))[٣].

قال ابن حجر: "المقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق والانقياد، وقد اشتمل على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل، والأمة دون الحرة، وحيث عمّم بلفظ الإماء أي أمة كانت، وبقوله: (حيث شاءت)، أي: من الأمكنة، والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف حتى ولو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢٨/١٦.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٧٢. تعليقاً، وأخرجه أحمد ٩٨/٣ رقم ١١٩٤١ موصولاً، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٩/١٩.

منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك، وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر ﷺ"[١].

وقال ابن هبيرة: "في هذا الحديث صفة حسن خلق رسول الله ﷺ إنه لم يكن ممتنعاً ولا بعيداً عمن يريد أن يكلمه، ويدل على أنه ﷺ كان من الأمانة وبعد الظنة بحيث لا يتأثر عرضه ﷺ بأن تذهب به الأمة حيث شاءت، ولأن للنساء حوائج كما للرجال، وللإماء من إنصافه وإنعامه كما الحرائر، لأنه أبو الأُمّة"[٢].

وأما عيادة المرضى فخلق من أخلاق الإسلام حضّ عليه النبي ﷺ وكان يفعله[٣]، ومن ذلك قول عثمان بن عفان رضي الله عنه: (إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا ويغزو معنا ويواسينا بالقليل والكثير)[٤].

قال القرطبي: "عيادة المريض من أعمال الطاعات الكثيرة الثواب، العظيمة الأجر، كما دلّت عليه الأحاديث، وهي من فروض الكفايات؛ إذا منع المرض من التصرف، لأن المريض لو لم يُعد جملة لضاع وهلك، ولا سيما إن كان غريباً أو ضعيفاً"[٥].

وقال ابن القيم: "وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه ويعظمونه، ورؤيتهم لهم ولطفهم بهم ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة"[٦].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضح من قول النبي ﷺ: (مالك يا أم السائب - أو يا أم المسيب - تزفزفين؟

---

(١) فتح الباري ١٠/٤٩٠.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣١٨.

(٣) انظر: خلق عيادة المريض في نضرة النعيم ٧/٣٠٥٢ - ٣٠٦٩.

(٤) أخرجه أحمد ١/٧٠ رقم ٥٠٤ وحسنه محققو المسند ١/٥٣٢.

(٥) المفهم ٦/٥٥٠.

(٦) زاد المعاد ٤/١١٦.

قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فقال: لا تسبي الحمى...)، فقد سأل النبي ﷺ عن سبب رعدة أم السائب - أو أم المسيب - فأخبرته أنها مريضة بالحمى، ثم أردفت ذلك بأن دعت على الحمى، نظراً لما أصابها من آلام ومعاناة، فنهاها النبي ﷺ ألا تسب الحمى، لأنها تكفر الخطايا والذنوب، فكان ذلك السؤال والجواب طريقاً لتوصيل رسالة دعوية لهذه المريضة ولغيرها تتضمن عدم سب الحمى والصبر على ما يصيب الإنسان.

ولا شك أن هذا الأسلوب -السؤال والجواب- من الأساليب الدعوية الناجحة، لأنها تكشف عما داخل المدعو كشفاً مباشراً، ومن ثم يتمكن الداعية من إرشاده إلى ما فيه نفعه وخيره.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: كراهة سب الحمى:

هذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبي الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد).

قال ابن القيم: "قال لي بعض فضلاء الأطباء: إن كثيراً من الأمراض نستبشر فيها بالحمى، كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضر بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئة للخروج بنضاجها فأخرجها فكانت سبباً للشفاء"[1].

وجاء في حاشية زاد المعاد: "قال الدكتور عادل الأزهري: إن بعض الأمراض الزمنة - مثل مرض الروماتيزم المفصلي المزمن، الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك أو مرض الزهري الزمن في الجهاز العصبي- تتحسن كثيراً بارتفاع درجة حرارة الجسم، أي: في حالات الحميات، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي -في مثل هذه الحالات- الحمى الصناعية أي: إحداث حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة"[2].

وقال ابن القيم كذلك: "لما كانت الحمى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة وتناول

---

(١) زاد المعاد ٤/٢٧.

(٢) حاشية زاد المعاد ٤/٢٧ الحاشية رقم ٢.

الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن، ونفي أخبثه وفضوله وتصفيته من مواده الرديئة، وتفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره، كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفي جوهر الحديد، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه وإخراجها خبائثه، فأمر يعلمه أطباء القلوب، ويجدونه كما أخبرهم به نبيهم ﷺ، ولكن مرض القلب إذا صار ميئوساً من برئه لم ينفع فيه هذا العلاج، فالحمى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة فسبه ظلم وعدوان.

وذكرت مرة وأنا محموم قول بعض الشعراء يسبها:

زارت مكفرة الذنوب وودعت ... تباً لها من زائر ومودع

قالت وقد عزمتْ على ترحالها ... ماذا تريد؟ فقلت: أن لا ترجعي

فقلت: تباً له إذ سبّ ما نهى رسول الله ﷺ عن سبه، ولو قال:

زارت مكفرة الذنوب لصبها ... أهلاً من زائر ومودع

قالت: وقد عزمت على ترحالها ... ماذا تريد؟ فقلت: أن لا تقلعي

لكان أولى به ولأقلعت عنه، فأقلعت عني سريعاً.

وقد روي في أثر لا أعرف حاله: "حمى يوم كفارة سنة"[1]، وفيه قولان أحدهما: أن الحمى تدخل في كل الأعضاء والمفاصل، وعدتها ثلاثمائة وستون مفصلاً، فتكفر عنه - بعدد كل مفصل - ذنوب يوم، والثاني: أنها تؤثر في البدن تأثيراً لا يزول بالكلية إلى

---

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٣١ - ٢٣٢: رواه القضاعي في مسنده عن ابن مسعود مرفوعاً في حديث بلفظ: ((وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة))، وله شاهد عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: ((حمى ليلة كفارة سنة))، ورواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات.

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبدالرحمن السخاوي ٩٠٢هـ، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت: ط/٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

سنة، كما قيل في قوله ﷺ: ((مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمَاً))[١]: إن أثر الخمر يبقى في جوف العبد، وعروقه وأعضائه أربعين يوماً، والله أعلم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما من مرض يصيبني أحبّ إليّ من الحمى، لأنها تدخل في كل عضو مني، وإن الله سبحانه يعطي كل عضو حظه من الأجر)[٢].

رابعاً - من آداب المدعو: الصبر على ما يصيبه من أمراض:

وهذا واضحٌ من الحديث، قال القرطبي: "وقوله: (لا تسبي الحمى)، مع أنها لم تُصرح بسب الحمى، وإنما دعت عليها بألا يبارك فيها، غير أن مثل هذا الدعاء تضمن تنقيص المدعو عليه وذمه، فصار ذلك كالتصريح بالذم والسب، ففيه ما يدل على أن التعريض والتضمين كالتصريح في الدلالة، فيحد كل من يُفهم عنه القذف من لفظه؛ وإن لم يُصرح به، وهو مذهب مالك.

وقوله: (فإنها تذهب خطايا بني آدم) هذا تعليل لمنع سب الحمى لما يكون عنها من الثواب، فيتعدى ذلك لكل مشقة، أو شدة يرتجى عليها ثواب، فلا ينبغي أن يُذم شيء من ذلك، ولا يُسب. وحكمة ذلك: أن سب ذلك إنما يصدر في الغالب عن الضجر، وضعف الصبر، أو عدمه، وربما يُفضي بصاحبه إلى السخط المحرم، مع أنه لا يفيد ذلك فائدة، ولا يخفف ألماً" [٣].

وقال ابن عثيمين: "الحمى: هي السخونة وهي نوع من الأمراض وهي أنواع متعددة[٤]، ولكنها تكون بقدر الله عز وجلّ، فهو الذي يقدرها وقوعاً ويرفعها سبحانه

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٣٣٧٧، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مطولاً وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ٢٢٧٢).

(٢) زاد المعاد ٤/٣٠ - ٣٢.

(٣) المفهم ٦/٥٤٨ - ٥٤٩.

(٤) الحُمّى: علة يستحر بها الجسم، وهي أنواع: التيفود، التيفوس، الدق، الصفراء، القرمزية.

- والتيفود: حمى معدية طفحية تتميز بالتهاب نزلي وتقرحي بالغشاء المخاطي للأمعاء الدقاق وتورم بالعقد اللمفية والطحال.

- والتيفوس: حمى تتميز بارتفاع الحرارة، والإغماء وظهور طفح بقعي أو حبري على الجلد.

- وحمى الدق: حمى معاودة يومياً تصحب غالباً السل الحاد. المعجم الوسيط ص ٩٢، ٢٠٠، ٢٩١.

وتعالى. وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبه، لأن سبه سب لخالقه جلّ وعلا، ولهذا قال النبي ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ. فَإِنَّ اللّهَ هُوَ الدَّهْر))[1]، وهنا حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على أم المسيب - أو أم السائب - وهي تزفزف من الحمى، يعني نَفَسها قد ثار من الحمى، فقال: مالك تزفزفين؟ قالت: الحمى لا بارك الله فيها، فنهى النبي ﷺ عن سبها، وعلى المرء إذا أصيب أن يصبر ويحتسب الأجر على الله عز وجل، وأخبر أنها تذهب بالخطايا، كما يذهب الكير بخبث الحديد، فإن الحديد إذا صهر على النار ذهب خبثه وبقي صافياً كذلك الحمى تفعل في الإنسان كذلك... المهم أن الإنسان يصبر ويحتسب على كل الأمراض لا يسبها"[2].

وقال ابن القيم: "العبد دائماً متقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو محتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر، وإلى اللطف عند النوازل، وعلى قدر قيامه بالأمر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كمّل القيام بالأمر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً، وإن قام بصورها دون حقائقها ناله اللطف في الظاهر وقلّ نصيبه من اللطف في الباطن، فإن قلت: وما اللطف الباطن؟ فهو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والاضطراب والجزع، فيستخذي بين يدي سيده ذليلاً له مستكيناً ناظراً إليه بقلبه ساكناً إليه بروحه وسره، قد شغله مشاهدة لطفه به عن شدة ما هو فيه من الألم، وترغيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض يجري عليه سيده أحكامه رضي أو سخط، فإن رضي نال الرضا، وإن سخط فحظه السخط، فهذا اللطف الباطن ثمرة تلك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٨٢، ومسلم ٢٢٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٢.

(٣) الفوائد ص ٢٨٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الصبر والرضا بقضاء الله:

من المضامين التربوية التي تظهر من حديث الباب: التربية على الصبر والرضا بقضاء الله وقدره، وهذا واضح من توجيه النبي ﷺ لأم السائب أو أم المسيب بعدم سب الحمى، عندما رآها تعاني منها وفي هذا توجيه تربوي نبوي للمسلمين بالصبر على المرض والبلاء والرضا بقضاء الله وقدره.

فعلى المربي أن يبين أهمية الصبر على ما يعرض للإنسان من بلاء سواء في نفسه أو أهله أو ماله؛ لأن المنهج الإسلامي في هذه الحالات: يدعو الإنسان إلى التحلي بالصبر واعتبار الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعليه أن يواصل طريقه في الحياة والعمل في سبيل الله مهما اعترضه من المشقات ويطمئن بأنه مأجور عند ربه على قدر ما أظهر من صبر وجلد[1].

فالصبر خلق مهم للمسلم المتمتع بالصحة النفسية، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالاستعانة بالصبر في كل الأمور، السعيد منها وغير السعيد، قال الله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}[2]، كما أن في هذه الآية معية الله للصابرين، وهذا المعنى مهم لطمأنينة النفس وسكونها لعلمها بعظم قدرة الله، وأن كل شيء تحت مشيئته، وهو الذي إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون.

وقد بيّن رسول الله ﷺ أن من علامات محبة الله للعبد التزامه بالصبر في هذه الحياة الدنيا، وهذا على عكس الذي لا يصبر بل يجزع من كل ما يصيبه، فلا يكون ممن يحبهم الله سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»[3]"[4].

---

(١) انظر: الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د/ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص١٩٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٢٧/٥ رقم ٢٣٦٢٣، وقال محققو المسند: إسناده جيد.

(٤) انظر: التدين والصحة النفسية، د/صالح بن إبراهيم بن عبداللطيف الصنيع، ٤٨٩، ٤٩٠.

فعلى الإنسان أن يتذرع بالصبر ويروض نفسه عليه من حين صغره، ومن هنا يجب على الآباء والأمهات، ومن يقومون بالتربية: أن يربوا الصغار على التحلي بالصبر[١].

كذلك على المربين أن يربوا الناشئة على الرضا بقضاء الله، لأن ذلك يولد الراحة النفسية وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات، إيثارًا لما عند الله عز وجل من العوض والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾"[٢]"[٣].

ثانيًا: التربية بضرب المثل:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بضرب المثل، وتستخدم طريقة الأمثال والأشباه لتقريب المعاني غير المحسوسة وغير المادية فيوضح معناها ومفاهيمها في ذهن الإنسان، أي: هي طريقة تعتمد على تقريب معقول من محسوس أو محسوس من أكثر منه حسا ووضوحًا[٤].

وقد مثل رسول الله ﷺ ذهاب الحمَّى بخطايا بني آدم، بذهاب الكير بخبث الحديد.

فمَثِّل الأشياء الغير منظورة، بأشياء منظورة، حتى تتضح الفكرة في الأذهان بهذا التشبيه[٥].

فإن طريقة ضرب المثل طريقة تربوية "تؤثر تأثيرًا عميقًا في العواطف وتلعب دورًا في التأثير على سلوك الإنسان في الحياة اليومية، فيما لو استعملت بحكمة وفي الظروف المناسبة"[٦].

---

(١) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د/ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٢٠٠.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.

(٣) انظر: وقفات تربوية، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٢/٢٣٠.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل، ص٢٣٧.

(٥) انظر: الأمثال القرآنية، محمد بكر إسماعيل، ص٢.

(٦) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، د. محمد فاضل الجمالي، ص١١٥.

ويستمر تأثير طريقة ضرب المثل في عقل وتفكير الإنسان فتثير فيه نزوعًا إلى الفهم والإدراك والاقتناع[١].

ثالثًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين، أو حدث طارئ، أو مشهد، في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير، مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

وقد استثمر النبيُ ﷺ حدَث ومشهَد مرض أم السائب أو أم المسيب بالحمى، وسبها لها فوجه لها الموعظة وصحح لها السلوك بنهيها عن السبّ.

والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات، وأعمال يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، وهذا واجب المربي، الذي يحسن كيف يستثمر الفرصة والحدث، لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[٢].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٣٤٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د/زياد محمود العاني، ص٣٨٣، ٣٨٤.

٣٢٣- باب النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها

الحديث رقم (١٧٢٩)

١٧٢٩- عن أبي المنذرِ أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن صحيح).

ترجمة الراوي:

أُبي بن كعب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٧).

الشرح الأدبي

إن علاقة المسلم بما حوله من ظواهر الطبيعة علاقة شعورية تأملية، تثير التفكير، وتدعو للنظر في خلق السماوات والأرض، واستجلاء معالم القدرة الإلهية في صنعة هذا الكون البديع المتناسق، والريح من مظاهر الطبيعة، التي تدعو للتأمل والتدبر والتذكر.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث، الذي يضع أمام المسلم كيفية استقبال آثار الرياح، الإيجابية والسلبية، الخَيِّرة والشريرة، نرى فيها تنوعاً في الظواهر الأسلوبية: فالجملة الأولى في الحديث طلبية؛ حيث تتصدرها "لا الناهية"، والنهي صادر من رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: "لا تسبوا الريح"، والنهي موجه إلى جموع الأمة الإسلامية؛ لأن الريح من عطاء الله ونعمه، وهي مسخرة للإنسان، ولها دور رئيس في استمرار الحياة على وجه الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[3].

---

(١) برقم (٢٢٥٢).

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٣٦.

والجملة الثانية تنقلنا إلى مناخ أسلوبي آخر، وهو أسلوب الشرط؛ حيث يضع المصطفى ﷺ المنهج الإسلامي الصحيح في التعامل مع ما سخر الله للإنسان من ظواهر الطبيعة، وصيغة الشرط والجواب هي المدخل إلى أبجديات هذا المنهج، وهي صيغة تتسق مع المعنى المراد، والغرض المنشود، فيقول رسول الله: "فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا...".

وأداة الشرط "إذا" تتفق مع الحقيقة الكونية؛ فالريح قد تأتي بالنذر والصواعق، وتدمر كل شيء بأمر ربها، وأداة الشرط "إذا" تدل على التحقق، وقد تأتي بالخير، وهذا الأمر ظاهر ملموس ومحسوس، والقسم الثاني من الحديث يقودنا إلى فضاء من المعاني والدعوات والابتهالات، وصيغة الدعاء هي الإطار الذي يغلف المضمون، والمقابلة بين المواقف والمعاني والألفاظ في محوري الدعاء، تجعل المؤمن ثابتاً صامداً أمام الشدائد، وشكوراً حامداً أمام النعم، لا تهزه المتناقضات والإحباطات.

ولنتأمل تكرار كلمة "خير" ثلاث مرات في صيغة الدعاء الأولى، وتكرار كلمة "شر" بالقدر نفسه ثلاث مرات، في صيغة الدعاء الثانية، وفي تقديم الدعاء بخير الريح، على شرها: إيحاء بأن جانب الخير في الريح أقوى وأشد، وتوزيع الجمل بين هذين القسمين الأخيرين في إطار الدعاء، يفصح عن التنسيق والاتزان، والاعتدال والوسطية، وهي صورة المؤمن في استقباله للأحداث؛ إن رأى خيراً شكر، وإن رأى غير ذلك صبر. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي هذه الأحاديث من الفقه:

١- كراهة سب الريح[١]، لأنها خلق الله، مطيع له، وجند من أجناده يجعلها إذا شاء رحمة، وإذا شاء نقمة[٢]. ولأن من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه[٣].

---

(١) مغني المحتاج ٣٢٩/١، والإقناع في حل ألفاظ أبي الشجاع ١٩٥/١، وكشاف القناع ٧٥/٢.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ٢٥٣/١.

(٣) مغني المحتاج ٣٢٩/١، والإقناع ٣٩٥/١، وكشاف القناع ٧٥/٢.

٢- ويسن الدعاء عندها[1]: بأن يقول كما جاء في الأحاديث: اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، أو يقول: اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها عذاباً، ونحو ذلك.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الريح.

ثالثاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحقيقة الآيات الكونية من الريح وغيرها.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الدعاء عند هبوب الريح.

خامساً: من آداب المدعو: الالتجاء إلى الله عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف منه.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبوا الريح)، فقد نهى ﷺ عن سب الريح وقد علّل ذلك بأنها من روح الله، أي من رحمته بعباده، والنهي من الأساليب الدعوية المباشرة للترك والاجتناب وعدم الفعل.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الريح:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (لا تسبوا الريح)، وقوله ﷺ: (الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها فلا تسبوها)، قال ابن عثيمين: "الرياح من آيات الله عز وجل: من آيات الله تعالى في تصريفها وفي إرسالها وفي كيفيتها، إذا لا يقدر أحد على أن يصرف هذه الرياح إلا خالقها عز وجل، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٦/٤٣٥، وسبل السلام ٢/٧٦-٧٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٢٩- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٣٠، ١٧٣١).

وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾[3]. والآيات في هذه كثيرة.

هذه الريح التي خلقها الله عز وجل وصرفها تنقسم إلى قسمين: قسم: ريح عادية لا تخيف، لا يسن لها ذكر معين، وريح أخرى عاصفة هذه تخيف؛ لأن عاداً عذبهم الله تعالى بالريح العقيم، والعياذ بالله، فإذا عصفت الريح فإنه لا يجوز لك أن تسبها لأن الريح إنما أرسلها الله عز وجل، فسبك إياها سب لله تبارك وتعالى"[4].

وقال الطيبي: "قوله: الريح من روح الله، قال الراغب [5]: الروح: التنفس وقد أراح الإنسان: إذا تنفس، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾[6]، أي: من فرجه ورحمته، وذلك بعض الروح، قال المظهر: فإن قيل: كيف يكون الريح من روح الله، أي: من رحمته مع أنه يجيء بالعذاب؟ فجوابه من وجهين: أحدهما: أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم ظالمين كانت رحمة لقوم مؤمنين، وأقول: [أي الطيبي] يؤيده قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[7].

قال الزمخشري في الكشاف: "فيه إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة، وهو من أجلّ النعم وأجزل القسم"[8]، وثانيهما: أن الروح مصدر بمعنى الريح بمعنى

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٣) سورة الروم، آية: ٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٨٣/٢.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٦) سورة يوسف، آية: ٨٧.

(٧) سورة الأنعام، آية: ٤٥.

(٨) تفسير الكشاف ص ٣٢٧.

الفاعل كالعدل بمعنى العادل، فالمعنى: الريح من روائح الله، أي من الأشياء التي تجيء من حضرة الله بأمر الله، فتارة تجيء له لراحة، وأخرى للعذاب، فإذاً لا يجوز سبها، بل يجب التوبة عند التضرر بها، وهو تأديب من الله تعالى، وتأديبه رحمة لعباده"[١].

ثالثاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحقيقة الآيات الكونية من الريح وغيرها:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها)، ومن هذا القبيل ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً لعن الريح عند النبي ﷺ فقال: ((لاَ تَلعَنِ الرِّيحَ فإنَّهاَ مَأمُورَةٌ، وإنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئاً لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتَ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ))[٢]، قال الطيبي: "يعني: من لعن شيئاً ليس ذلك الشيء أهلاً له رجع اللعن إلى اللاعن، لأن اللعن طرد عن رحمة الله تعالى، فمن طرد ما هو أهل لرحمته جعل مطروداً"[٣].

ومن هذا القبيل كذلك ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله ﷺ قال: ((بُعِثَتْ هذهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ)) فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ، قَدْ مَاتَ[٤].

قال النووي: "أي: عقوبة له وعلامة لموته وراحة البلاد والعباد"[٥].

والحديث أخرجه ابن إسحاق في المغازي بدون إسناد بلفظ: وكان ذلك في غزوة بني المصطلق وغزوة الإفك: ((فلما راح رسول الله ﷺ هبّت على الناس ريح شديدة فآذتهم وتخوّفوها، فقال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَخَوَّفُوهَا فَإِنَّمَا هَبَتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الكُفَّارِ)). فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنقاع، وكان

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ٢٨٢/٣ - ٢٨٣.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٧٨، وصححه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ١٦١١).

(٣) شرح الطيبي ٢٨٣/٣.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٣١/١٧/٩. ط/ دار عالم الكتب.

عظيماً من عظماء اليهود، وكهفاً للمنافقين، مات ذلك اليوم[١].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الدعاء عند هبوب الريح:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها وشر ما أمرت به)، وقوله ﷺ: (فإذا رأيتموها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها)، كما ورد ذلك من فعله ﷺ كما هو في حديث عائشة رضي الله عنها[٢].

قال المباركفوري: "قوله: (فإذا رأيتم ما تكرهون)، أي: ريحاً تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها أو تأذيتم لشدة هبوبها فقولوا: أي راجعين إلى خالقها وآمرها: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، أي خير ذاتها (وخير ما فيها) أي من منافعها كلها (وخير ما أمرت به)، أي: بخصوصها في وقتها"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وبهذا الدعاء يحصل خيرها ويزول عنك شرها، (أسألك خير هذه الريح)، لأن هذه الريح قد تكون عاصفة شديدة تقلع الأبواب وتجث الشجر وتهدم الديار، (وخير ما فيها)، ما فيها أي ما تحمله من أمور قد تكون نافعة وقد تكون ضارة، (وخير ما أرسلت به) لأنها ترسل بالخير وتارة ترسل بالشر. فتسأل الله خير ما أرسلت به.

(وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به)، فإذا استعاذ الإنسان من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وسأل الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به كفاه الله شرها، واعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتعلق بالريح في حصول المطر والغيث والصحو وما أشبه ذلك، لأن هذا من جنس الاستقاء بالأنواء الذي نهى عنه

---

(١) سيرة ابن هشام ١٦٨/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٨٦/٦.

(٢) قال الراغب: "وعامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة"، المفردات في غريب القرآن ص ٢٠٦، وانظر: النهاية في غريب الحديث ص ٣٨٠.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨١٨/٢.

النبي ﷺ[١]، كثير من الناس يعلق رجاءه بالريح الجنوبي[٢]، يقول: إذا ذهبت الجنوب حصل الغيث وتجد قلبه متعلقاً بها، وهذا لا يجوز، لأنها قد تهب ريح الجنوب كثيراً ولا يأتي أمطار ولا غيوم، وقد يكون بالعكس تأتي الأمطار والغيوم من الريح الشمالي، فالأمر كله بيد الله عز وجل فعليك أن تعلق قلبك بربك تبارك وتعالى وألا تسب ما خلقه من الريح، وأسأل الله خيرها وخير ما أرسلت به واستعذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به"[٣].

خامساً- من آداب المدعو: الالتجاء إلى الله عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف منه:

هذا واضح من الأحاديث واقتداء بالنبي ﷺ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به).

فعلى المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ أيضاً عند رؤية الغيم ويفرح بالمطر، من ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها أيضاً: ((كَانَ رَسُولُ اللّهِ إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ. فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ. فَقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَاباً سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي. وَيَقُولُ: إِذَا رَأَى الْمَطَرَ رَحْمَةٌ))[٤].

وقال أنس رضي الله عنه: كانت الريح الشديدة إذا هبت عرف ذلك في وجه النبي ﷺ[٥]، قال ابن هبيرة: "فيه من الفقه الخوف من الريح، لأنها إذا جاءت رعرعاً[٦] فقل ما ينتفع بها، وإنما الريح المنتفع بها هي المرسلات عرفاً، فكان رسول الله ﷺ يخاف من

---

(١) انظر: الحديث التالي في الرياض برقم ١٧٣٣.

(٢) هكذا قال ابن عثيمين: الريح الجنوبي، والصحيح: الريح الجنوبية، لأن الريح لفظ مؤنث. انظر: المعجم الوسيط في (ر و ح).

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٣ - ١٧٨٤.

(٤) أخرجه مسلم ٨٩٩.

(٥) أخرجه البخاري ١٠٣٤.

(٦) يقال: ترعرع الماء أو السراب: تحرك واضطرب وتلألأ. المعجم الوسيط ص ٣٥٣.

ذلك، لتجويزه أن تأتي بالعذاب"[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً. حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ. إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْماً أَوْ رِيحاً، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَرَى النَّاسَ، إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ، فَرِحُوا. رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ. وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ، عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قَالَتْ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ. قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ. وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[٢]))[٣].

قال النووي: "فيه الاستعداد بالمراقبة لله والالتجاء إليه عند اختلاف الأحوال وحدوث ما يخاف بسببه، وكان خوفه ﷺ أن يعاقبوا بعصيان العصاة، وسروره لزوال سبب الخوف"[٤].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣١٣/٥.

(٢) سورة الأحقاف، آية: ٢٤.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٢٩، ومسلم ٨٩٩.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٠٦/٦/٣، وانظر المفهم ٥٤٧/٦.

الحديث رقم (١٧٣٠)

١٧٣٠- وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، تَأتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأتِي بِالعَذَابِ، فَإذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلاَ تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ شَرِّهَا)). رواه أبو داود[1] بإسناد حسن.

قوله ﷺ: (مِنْ رَوْحِ اللهِ) هو بفتح الراء: أي رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: سبقت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث في مضمونه مع الحديث السابق وهو تحديد المنهج الإسلامي في التعامل مع مظاهر الطبيعة التي سخرها الله للإنسان.

ولكن أسلوب هذا الحديث يضيف جديداً، حيث يبدأ بمفهوم إيماني راسخ يجب أن يتسلح به المسلم في استقباله لتقلبات الظواهر الطبيعية، ومنها الريح، وهذا المفهوم يتحدد في أن الريح من روح الله أي هي من عند الله: يرسلها من رحمته لعباده ولطفه بهم.

وهذه الجملة الاسمية الإخبارية تفصح عن ثبات هذا المفهوم، وعدم تغيره، من خلال الصيغة اللغوية الدالة على الثبات وهي الجملة الاسمية.

ثم تليها جملتان مكملتان وهما حاليتان تصوران حال الريح وهي تواجه الإنسان، وإسناد الرحمة والعذاب إليها من باب "المجاز المرسل" لأن الله هو الذي يرحم ويعذب والريح آلة هذا العذاب، وسبب تلك الرحمة، ولكن هذا التعبير يوحي بتشخيص الريح، وبإضفاء الطابع الإنساني عليها، وكأنها تعي وتفكر، وتأتي مرة بالرحمة، ومرة بالعذاب.

---

(١) برقم (٥٠٩٧). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ١٠٠٧)، وقال الحاكم (٢٨٥/٤): هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[٢].

والجمل الثلاث الأخيرة تتنوع أسلوبياً ودلالياً ففي إطار أسلوب الجواب والشرط يأتي النهي عن سب الرياح وأداة الشرط "إذا" تنبئ عن تحقق رؤية الرياح ومشاهدتها حيث يقول المصطفى ﷺ، "فإذا رأيتموها: فلا تسبوها"، والريح لا ترى ولكن تُرى آثارها، والسب لا يقع عليها ولكن يقع على ما تحدثه من هلاك وتدمير، وطوفان وسيول أحياناً، واقتلاع للأشجار، وهدم للمباني، وفي صيغة الأمر الواجب، يأمر رسول الله كل أفراد الأمة الإسلامية بأن يتبعوا المنهج الصحيح في استقبال الريح وهو الدعاء بشقيه في حال خيرها وحال شرها، فقال: "وسلوا الله خيرها"، وكلمة الخير كلمة جامعة تشمل كل ما تحدثه الرياح من لقاح وسحب وهواء نقي يحيا في نعيمه الإنسان والنبات والحيوان.

وقال: "واستعيذوا بالله من شرها"، وكذلك الشر كلمة موجزة تتجمع في كثافتها آلاف الصور المدمرة التي تحركها الرياح فتحدث الدمار والخراب، وتشوه كثيراً من مظاهر الحياة، ونسأل الله العفو والنجاة، ونسأله من خير الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به.

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧ .

(٢) سورة الأحقاف، الآيتان: ٢٤-٢٥ .

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٣١)

١٧٣١- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان النَّبيُّ ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: ((اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلاماً، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقاً، كأن يأخذ بمجامع القلوب، ويسلب الأرواح، ففصاحة لسانه ﷺ غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يداني منتهاها، كما يقول الكافي القسطلاني في كتاب "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، وهذا الحديث من "جوامع الدعاء"، في استقبال الريح إذا عصفت حيث لا يفزع المؤمن، ولا يضطرب يقينه ولكن يسلم أمره إلى ربه، ويدعو كما دعا رسول الله ﷺ.

ودعاؤه ينقسم إلى قسمين: قسم يستقبل خير الريح، ويسأل الله خير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وقسم يعوذ بالله من شر الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به.

وهذا التنوع في الدعاء مع تكرار لفظ "خير" ليس إسهاباً، ولكن لكل موقف في الدعاء سياقه وثمرته فقوله: "أسألك خيرها" أي خيرها الذاتي، ونفعها العام: فهي لها أسرار كثيرة في تواصل الحياة على وجه الأرض، وقوله "خير ما فيها" يتعلق بفوائدها المحسوسة الملموسة، من إذهاب المضار، والإتيان بالمنافع؛ وقوله: خير ما أرسلت به، أي: ما سيقت من أجله، وما سخرت له من نماء وصلاح الجسد؛ والتأكيد في الجوانب الخيرية كان بارزاً حيث قال رسول الله ﷺ: اللهم إني أسألك، أما في الجوانب التي

---

(١) برقم (٨٩٩/١٥).

يستعيذ بالله فيها من شر الريح، فلم يصدرها بتأكيد؛ لأن رحمة الله واسعة، والله يختص برحمته من يشاء، والله يحفظ نبيه من كل ما يسوءه، وسؤال الخير يحتاج إلى إلحاح ومعاودة، أما الاستعاذة من الشر فيكفي فيها القول الخالص، والنية الصادقة والتوبة النصوح، والثقة في نصر الله لعباده المؤمنين وحفظه لهم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٢٩).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالتوجيه:

إن حوادث الكون خاضعة لسنن وقوانين سنَّها الله وفق أقدار قدرها[١].

فقد شاء الله تعالى أن يبين لنا هذه النواميس المطردة والسنن الجارية لنراقبها وندركها ونكيف حياتنا وفقها، ونتعامل مع الكون على أساسها، ومن ثم يوجه الله الأبصار والبصائر إلى تدبر سننه في الكون والتعامل معها بقدر ما يملك الإدراك البشري للانتفاع بهذا النظر في الحياة الواقعية[٢].

والتوجيه وسيلة من وسائل التربية حيث يقوم المربي بتوجيه طاقات وقدرات الإنسان وجهده في جانب الخير[٣]، وقد وجه النبي ﷺ المسلم إلى كيفية التعامل مع الريح، فقد وجهه إلى طلب خيرها من الله والاستعاذة به من شرها والريح آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤].

فالريح إحدى آيات الله الكونية وتصريفها من آيات الله عز وجل؛ فأحيانًا تكون شديدة تقلع الأشجار وتهدم البيوت وتدفن الزروع، ويحصل معها فيضانات عظيمة، وأحيانًا عالية، وأحيانًا تكون نازلة، كل هذا بقضاء الله وقدره، ولو أن الخلق اجتمعوا كلهم على أن يصرفوا الريح عن جهتها التي جعلها الله عليها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو اجتمعت جميع المكائن العالمية النفاثة لتوجد هذه الريح الشديدة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولكن الله عز وجل بقدرته يصرفها كيف يشاء وعلى ما يريد.

فعلى المربي بيان أن الريح مسخرة مدبرة، وكما أن الشمس أحيانًا تضر بإحراقها بعض الأشجار، ومع ذلك لا يجوز لأحد أن يسبها؛ فكذلك الريح، ولهذا قال ﷺ: «لا تسبوا الريح».

---

(١) التربية بالآيات، عبدالرحمن النحلاوي، ص٥٦.

(٢) انظر: التدين والصحة النفسية، د. صالح الصنيع، ص٣٥٤.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٨٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

فهي مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله عز وجل، ولكن إذا كانت الريح مزعجة، فقد أرشد النبي ﷺ إلى ما يقال: حينئذ في قوله: «ولكن قولوا: اللهم نسألك ... إلخ».

فالريح نفسها فيها خير وشر، فعلى المسلم أن يسأل الله خيرها ويستعيذ من شرها.

ويقع على عاتق المربي التوجيه إلى أنه يجب عليه أن لا يعترض الإنسان على قضاء الله وقدره، وأن لا يسبه، وأن يكون مستسلمًا لأمره الكوني، كما يجب أن يكون مستسلمًا لأمره الشرعي، لأن هذه المخلوقات لا تملك أن تفعل شيئًا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى[1].

ثانيًا: التربية بالقدوة:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بالقدوة، ولهذا الأسلوب تأثير كبير في النفس لأن المسلم يتخذ من سلوك الرسول المربي قدوة حسنة يتأسى بها في سلوكه، والرسول ﷺ هو القدوة للمسلمين، لأنه ﷺ وجّه المسلمين إلى سلوك تربوي إسلامي بعدم سب الريح، وعند رؤية ما يكره منها يجب أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ ما فِيهَا وَخَيْرِ ما أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ ما فِيهَا وَشَرِّ ما أُمِرَتْ بِهِ». لم يكتف ﷺ بهذا التوجيه التربوي للمسلمين، بل كان ﷺ قدوة لهم في هذا الأمر، فكان يدعو بهذا الدعاء إذا عصفت الريح، وهذا أسلوب تربوي مؤثر يحسن بالقائمين على التربية أن يلتزموا به في العملية التربوية، حيث يعمل على إحداث التغييرات الإيجابية.

والقدوة تعد من أنجح أساليب التربية، ومن أوقعها تأثيرًا. وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، مع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة، ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة باعتبارها أسلوبًا تربويًا هامًا في تنشئة

---

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٣٧٨-٣٨١ بتصرف.

الأجيال تنشئة سليمة، تحقق الخير لهم ولغيرهم.. فدعانا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء بخير قدوة وخير أسوة، حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]. فقد كان رسول الله ﷺ خير قدوة للبشرية في تاريخها الطويل. وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[2]. ولا زال بسيرته العطرة خير أسوة لكل الأجيال[3].

ثالثًا: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على اللجوء إلى الله ودعائه:

من المضامين التربوية في هذا الباب: الحث على اللجوء إلى الله عز وجل ودعائه والاعتصام به، فإن المسلم يلجأ إلى الله عز وجل في دعائه، فيسأله من خيره، ويسأله أن يحميه، ويمنعه، ويعصمه، ويدفع عنه الشرور والفتن.

وكلما امتلأ القلب من توحيد الله عز وجل، والإيمان به، وصدق التوكل عليه واللجوء إليه كلما كان للأدعية ونطقها باللسان أثرها العظيم في عصمة الله عز وجل لعبده الداعي، ووقايته له من الفتن وشرورها وبقدر ما يكون في القلب من توحيد الله عز وجل، يكون الأمن من المخاوف والشرور والفتن.

إذن فالإيمان الصادق، والتوحيد الخالص، وصدق التوجه إلى الله عز وجل وإخلاص الدعاء له بتفويض الأمور إليه، كل ذلك يثمر للعبد طمأنينة وحياة طيبة سليمة من الفتن وشرورها، وسليمة من المخاوف والحيرة والاضطراب؛ فكان لزامًا على من أراد لنفسه النجاة والفكاك أن يلجأ إلى ربه عز وجل، ويحسن الظن به، سبحانه، وأن يكثر التضرع والدعاء في أوقات الإجابة وأماكنها ويسأل ربه سبحانه الوقاية من الفتن والثبات على الحق، والاستعاذة من شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، فهذا باب عظيم من أبواب التوفيق، ومنارة مضيئة من منارات النجاة والسلامة من الفتن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص٢٢٥.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٧٥.

وغوائلها[1].

وقد جاء في أحاديث هذا الباب من التوجيهات النبوية الكريمة لهذه الأمة الشيء الكثير وذلك باللجوء إلى الله ودعائه إذا هبت الريح بأن يعطيه خير ما أمرت به والاعتصام به سبحانه والاستعاذة به من شرها ومن شر ما أُمِرَت به، وكان هذا بأمره ﷺ وفعله.

وهو ما يجعلنا نحرص على اللجوء إلى الله ودعائه والاعتصام به. وكذلك غرس هذه الأشياء في نفوس المتربين وخاصة الصغار منهم حتى يشبوا على ذلك.

رابعًا: تهذيب الأخلاق بالترفع عن سب الريح:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية تهذيب أخلاق المسلم والارتقاء به عن السب والشتم، ومن ذلك نهى النبي ﷺ المسلمين عن سب الريح ولاشك أن ذلك يبرز عظمة التربية الإسلامية في تنشئة المسلم على الأدب الجم في التعامل مع الخلق والمخلوقات والآيات الكونية، مما يؤكد حرص الإسلام على تربية المسلمين على الخلق العظيم، والارتقاء بذوقهم العام والترفع عن سفاسف الأمور التي قد تحمل الإنسان في بعض الأحيان على السب والشتائم، ولذا فإن التربية الإسلامية تعمل على تهذيب أخلاق المسلمين، من خلال حثهم على الدعاء، وسؤال الله تعالى خير الريح. وخير ما أمرت به، والاستعاذة به سبحانه من شرها ومن شر ما أمرت به، وهذا ما يمكن أن يفيد منه القائمون على التربية في شتى مجالات الحياة في كيفية الارتقاء بخلق الناس، وتوجيههم التوجيه الصحيح.

---

(١) انظر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٣/٥٢٥-٥٢٧.

٣٢٤- باب كراهة سب الديك

الحديث رقم (١٧٣٢)

١٧٣٢- عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﷺ قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ)). رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

الشرح الأدبي

إن الطيور والحيوانات تعد من النعم التي سخرها الله للإنسان، وهي ذات نفوس غير ناطقة، تتغذى وتتكاثر وتنمو ... وتشعر، وتدرك ولكنها لا تنطق، وهي تسبح بحمد ربها مثل كل الكائنات، ولها قدرات خاصة بجهلها الإنسان، وبعض الحيوانات قوته السمعية تفوق سمع الإنسان،وكذلك قوتها البصرية تتفوق على الإنسان، وهي تتفاهم فيما بينها بإشارات وأصوات خاصة بها: قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف شاهد صدق على ذلك، فرسول الله ﷺ ينهى عن سب الديك الذي يصيح وقت صلاة الفجر ... وبعض الكسالى والمنافقين يدَّعون أن صياح الديك يزعجهم، ولذلك يسبونه: فقال رسول الله ﷺ "لا تسبوا الديك: فإنه يوقظ للصلاة".

والحديث يتكون من جملتين: الأولى فعلية، وقد تصدرها للنهي الصريح عن سب الديك، والنهي هنا موجه إلى الأمة كلها وخاصة الذين يظنون أن صوت الديك

---

(١) برقم (٥١٠١). وصحّحه ابن حبان (الإحسان ٥٧٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤١١٢).

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣٨ .

يزعجهم!! وواو الجماعة: ضمير الرفع المتصل تفصح عن النهي الجمعي الصادر من نبي الأمة إلى أمته جمعاء.

وأما الجملة الثانية فهي اسمية وهي تعليل ... لنهي عن سب الديك، وقد صُدِّرت الجملة بإن المؤكدة، وخبر إن، جملة فعلية فعلها مضارع، "يوقظ للصلاة"، والمضارعية هنا توحي باستمرار هذا الفعل وهو الإيقاظ للصلاة، ومعمول يوقظ محذوف وللعلم به أي يوقظ النائمين الغافلين عن الصلاة ... حتى ينشطوا لصلاة الصبح، فيغفر الله لهم. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة سب الديك، وذلك لأنه يدعو إلى الصلاة، فيكون معيناً على الطاعة مستفاداً منه الخير، ومن كان هذا شأنه لا ينبغي أن يسب ولا يستهان به، بل ينبغي أن يكرم ويحسن إليه[1].

وليس معنى قوله "يدعو إلى الصلاة" أنه يدعو إليها حقيقة، وإنما معناه أن العادة جرت أنه يصرخ عند طلوع الفجر، وعند الزوال فطرة فطره الله عليها[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الديك.

ثانياً: من واجبات المدعو: اتخاذ كل ما يعين على أداء الصلاة وطاعة الله.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي والتعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سب الديك:

وهذا واضحٌ من الحديث: (لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة)، وهناك رواية

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤، وفتح الباري ٣٥٣/٦، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٩/٩، وعون المعبود ٥/١٤.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٩٩/٩، وعون المعبود ٥/١٤.

عند أحمد: نَهى رسولُ الله ﷺ عنْ سبِّ الدِّيكِ، وقال: ((إنَّه يُؤَذِّنُ للصَّلاةِ))[١].

ورواه أحمد بلفظ: لَعَنَ رَجُلٌ دِيكًا صَاحَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلاَةِ))[٢].

وبوّب ابن حبان على هذا الحديث: ذكر الزجر عن سب المرء الديكة لأنها تحث المسلمين على الصلاة[٣]، وقال العظيم آبادى: قوله: (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة)، أي: قيام الليل بصياحه فيه، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم، قال المناوي: جرت العادة بأنه يصرخ صرخات متتابعة إذا قرب الفجر، وعند الزوال فطره الله عليها فلا يجوز اعتماده إلا إن جرب"[٤].

وقال ابن عثيمين: "الديك هو الذكر من الدجاج وله صوت يؤذن فيوقظ النائم، وبعضها يؤذن على الأوقات عند أوقات الصلوات، وقد أمر النبي ﷺ من سمع صوت الديك أن يسأل الله من فضله[٥]، إذا سمعت صوت الديك فقل أسأل الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وبعض الديكة يكون أذانه على دخول الوقت أو قرب دخول الوقت، فيوقظ الناس للصلاة فنهى النبي ﷺ عن سبه لهذه المزية التي تميز بها، كما نهى على قتل النملة[٦] لأنها كانت دلت أخوانها على النجاة من سليمان عليه الصلاة

---

(١) أخرجه أحمد ١٩٣/٥ رقم ٢١٦٧٩، وقال محققوالمسند: رجاله ثقات رجال الشيخين ١٣/٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١١٥/٤ رقم ١٧٠٣٤، وقال محققو المسند: رجاله ثقات، رجال الشيخين وقد اختلف في وصله وإرساله، وانظر: تتمة تخريجه هناك، المسند ٢٦٣/٢٨.

(٣) صحيح ابن حبان رقم ٥٧٣١.

(٤) عون المعبود ٢١٧٨.

(٥) سيأتي نصّ الحديث قريباً جداً بعد انتهاء الاقتباس من فتح الباري.

(٦) أخرجه أحمد ٣٣٢/١ رقم ٣٠٦٦، وأبو داود ٥٢٦٧، وابن ماجه ٣٢٢٤، وابن حبان ٥٦٤٦، والبيهقي ٣١٧/٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرد))، قال ابن حجر: رجاله رجال الصحيح قال البيهقي: هو أقوى ما ورد في هذا الباب. التلخيص الحبير ٢٧٥/٢، والصرد: طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات وربما صاد العصفور. وكانوا يتشاءمون به. المعجم الوسيط في (ص ر د).

والسلام، وهذا من تمام عدل الله عز وجل أن بعض الحيوانات التي يكون فيها مصلحة للعباد يكون لها مزية وفضل على غيرها.

سب الديك قد يقع من بعض الناس يفزع من صوته وهو نائم فيسبه ويشتمه، وهذا منهي عنه؛ لأن النبي ﷺ قال: لا تسبوا الديك"[١].

وقال ابن حجر: "قال الحليمي: يؤخذ منه أن كل من استفيد منه الخير لا ينبغي أن يسب ولا أن يستهان به، بل يكرم ويحسن إليه، قال: وليس معنى قوله: فإنه يدعو إلى الصلاة: أن يقول بصوته حقيقة: صلوا أو حانت الصلاة، بل معناه: أن العادة جرت بأنه يصرخ عند طلوع الفجر وعند الزوال، فطرة فطره الله عليها"[٢].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً. وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً))[٣].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أنه لما كان صوت الحمار أنكر الأصوات كان الشيطان وشيكاً بالتعرض له؛ ليثير من النهاق الذي يزعج المسلمين فتنكره نفوسهم، فأمر رسول الله ﷺ بالتعوذ من الشيطان، ولما كانت الديكة يؤنس إلى أصواتها من حيث إنها في الليل توقظ النائم لأفضل الأوقات للذكر، وهو وقت السحر كانت عند رؤية الملائكة يثور صاحبها، فيذكر الله سبحانه حينئذ ويسأل من فضله"[٤].

قال النووي: "قال القاضي عياض[٥]: سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالتضرع والإخلاص"[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٥.

(٢) فتح الباري ٦/٣٥٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٠٣، ومسلم ٢٧٢٩.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٩١.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٨/٢٢٤.

(٦) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٤٨ - ٤٩.

وقال ابن حجر: "قال عياض[١]: وفائدة الأمر بالتعوذ لما يخشى من شر الشيطان وشر وسوسته فيلجأ إلى الله في دفع ذلك"[٢].

ثانياً- من واجبات المدعو: اتخاذ كل ما يعين على أداء الصلاة وطاعة الله:

وهذا ما يستنبط من الحديث، قال ابن حجر: "قال الداودي: يتعلم من الديك خمس خصال: حسن الصوت والقيام في السحر والغيرة والسخاء وكثرة الجماع"[٣].

وقال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ ما يوقظه للصلاة، وذلك مثل الساعات المنبهة، فإن الإنسان ينبغي له أن يقتني من هذه الساعات حتى تنبهه للصلاة في الوقت الذي يدرك فيه الصلاة، وكثير من الناس يتهاون في هذا الأمر ينام معتمداً على أنه سيقوم في الوقت الذي يريده ولكن يغلبه النوم، فإذا علمت من نفسك هذا فاجعل لنفسك منبهاً ينبهك للصلاة، لأن ما لا يتم المأمور به فهو مأمور به وأنت مثاب على هذا"[٤].

كما على المدعو أن يقتدي بالنبي ﷺ في استعداده للصلاة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كان في سفر فعرّس بليل اضطجع على يمينه وإذا عرس قبيل الصبح نصب ذراعه ووضع رأسه على كفه[٥].

قال النووي: (قال العلماء: إنما نصب ذراعه لئلا يستغرق في النوم، فتفوت صلاة الصبح عن وقتها أو عن أول وقتها)[٦]، وعلى العموم فإن على المدعو (أن ينام مبكراً مع استحضار آداب النوم، داعياً الله بالأذكار المأثورة قبل نومه، مستحضراً نية صادقة للاستيقاظ لصلاة الفجر، وليستعن بما ينبهه للاستيقاظ وقت الفجر أو قُبيله بقليل

---

(١) لم نعثر على هذا القول في إكمال المعلم، وإنما قال القرطبي في المفهم ٥٨/٧: وإنما أمر بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير، لأن الشيطان لما حضر يخاف من شره، فينبغي أن يتعوذ منه.

(٢) فتح الباري ٣٥٣/٦.

(٣) فتح الباري ٣٥٣/٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٧٨٥/٢.

(٥) أخرجه مسلم ٦٨٣.

(٦) رياض الصالحين ٣٧٦.

عسى الله أن يرزقه قيام ركعتين)[1].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي والتعليل:

فقد نهى النبي ﷺ عن سب الديك وعلّل ذلك بأنه يوقظ للصلاة، ولا شك أن إتباع النهي بالتعليل يزيد المدعو اقتناعاً فوق اقتناع بالامتثال والطاعة لما نهي عنه الداعية أو أمر به، فإن النهي عن شيء أمر بضده.

---

(١) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحاذة، ٤١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الخلقية:

من المضامين التربوية في حديث الباب: التربية الخلقية، ويظهر ذلك في قوله ﷺ: «لا تسبوا الديك ...».

لقد اهتم الإسلام بالقيم الإنسانية التي تعمل على تهذيب الأخلاق والتي تجعل المسلم مترفعًا عن السب والشتم يربأ عن الدنايا فلا يسب ولا يشتم ولا يتفوه بما يعاب من الكلام بل يتخلق بأخلاق الإسلام التي دعت إلى حفظ اللسان من الزلل، وما هو مستهجن من الكلام والعمل.

فالإسلام اهتم بالتربية الأخلاقية الإسلامية وجعلها أساسًا للتعامل مع الآخرين من هذه الأصول: كف الأذى أي يمنع الإنسان مصادر أذاه عن غيره.

ومصادر الأذى من حيث الشكل: قوليةٌ وفعليةٌ.

وحديثنا يراد به الأولى وهي المصادر القولية، وهو كل أذى كان مصدره البيان، سواء كان نطقًا باللسان، أو كتابة بالبنان، أو بهما معًا، واللسان مصدر قوي في الأذى[1].

لذا وجهت التربية الإسلامية إلى حفظه من أذى المسلم وغيره بل تعدى هذا التوجيه وهذه التربية الإسلامية الإنسان إلى غيره من المخلوقات التي ينبغي للمسلم أن يجتنب الإساءة إليها.

وفي هذا الباب وجه النبي الكريم ﷺ المسلمين إلى عدم سب الديك، لأنه يوقظ للصلاة.

والديك من بين الطيور له منزلة وفضل، وقد ورد فيه أحاديث تبين فضائله منها قوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ. فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا»[2].

لذا كان التوجيه النبوي التربوي بعدم سبها.

---

(١) أصول التربية الإسلامي، د. خالد بن حامد الحازمي، ص١٦٤.

(٢) أخرجه البخاري، ٣٣٠٣، ومسلم ٢٧٢٩.

فلقد جاء الإسلام لإقامة عالم رفيع الخلق. وبُعِث رسولُ الله ﷺ متممًا لمكارم الأخلاق. لذلك قدم منهجًا خلقيًا كاملاً يشمل جميع جوانب الحياة، سواء كانت على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع والعالم بأسره.

فتناول الأساس الأخلاقي كل ما ينمي الفرد خلقيًا، ويضبط علاقته مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره من الجنس البشري بل وكل ما في الحياة[1]، فإن التربية الإسلامية تسعى إلى غرس مكارم الأخلاق في المسلم، خاصة الناشئة لإعداد الإنسان الصالح وتحارب وبدون هوادة مساوئ الأخلاق التي حث الإسلام على الابتعاد عنها، مثل السب والشتم، والحسد والكذب والغش والنميمة....وغيرها[2].

ثانيًا: التربية بالتعليل:

إن التربية بتعليل الأحكام تعمل على توفير القناعة لدى المسلم من خلال بيان تلك العلل التي تمثل إجابات على أسئلة قد ترد على الذهن، ويحتاج فيها إلى بيان حتى تستريح نفسه ويقتنع عقله، وقد ذكر النبي ﷺ علة نهيه عن سب الديك لأنه يوقظ للصلاة فقال: «لا تَسُبُّوا الدِّيكَ فإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ».

وقد يقتصر بعض من يقوم بالتربية في حديثه مع الفتيان على الوعظ، والوعظ أمر مهم لابد منه، لكنه قد لا يكفي وحده، خاصة مع من يكون واقعًا في أمر هو يعلم نتائجه، كما أن ذكر الحكم الشرعي وحده في هذه الحالة قد لا يكفي، ويكون التعليل أو بيان الحكمة مما يساعد على القناعة، ويَعدِّل السلوك تعديلاً إيجابيًا.

فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة قال: «إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا، والله

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١١٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، د. سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، ص٢٦.

جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»[1].

فالفتى هنا لم يكن يغيب عنه حكم حرمة الزنا ولذلك جاء يستأذن فيه، فالقول له هنا: اتق الله، هذا حرام أو لا يجوز قد لا ينفع الفتى؛ لأن الحكم عنده معلوم، لكنه يحتاج إلى شيء آخر، لذلك سلك الرسول ﷺ معه أسلوبًا آخر، وهو بيان الحكمة من منع الزنا، وهو أن المزني بها إما أن تكون أُمًّا لأحد أو بنته أو أخته أو عمته أو خالته، لا يمكن غير ذلك، ولما كان هذا الفتى لا يرضى ذلك لنفسه، فكذلك الناس لايرضونه لأنفسهم، فكان في هذه الحجة النفسية قطع لدابر هذا الأمر في نفس الفتى، ثم كان الدعاء من الرسول ﷺ له أن يثبته على الحق والعفة، فهكذا نفعل في مثل هذه المواقف، ويمكن أن يقال عن هذا التصرف: كن أنت مكانه، وقل لي ماذا تفعل؟ ولو أن الإنسان عمل ذلك في أمور كثيرة لانحلت إشكالات تقوم بين الناس، ولو وضع الإنسان نفسه مكان من يعترض على مسلكه وتصرفه، فربما اتخذ المسلم نفس المسلك أو قريباً منه، فلذلك ينبغي على المربي أن يرشد إلى هذا الطريق[2].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٢٥٧/٥، رقم ٢٢٢١١، وقال محققو المسند إسناده صحيح.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف، ص١٥١، ١٥٢.

٣٢٥- باب النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنَوء كذا

الحديث رقم (١٧٣٣)

١٧٣٣-عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَّةِ في إثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فقالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟)) قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قال: ((قالَ: أصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وأَما مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

زيد بن خالد الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٧).

غريب الألفاظ:

الحديبية: بينها وبين مكة ٢٢ مكة كم وهي غرب مكة على طريق جدة وتعرف اليوم بالحديبية والشميسي كذلك، وقد نزلها النبي ﷺ عندما توجه إلى مكة يريد العمرة ٦هـ، وفيها بئر ومسجد الشجرة، وعندها كانت بيعة الرضوان[2].

في إثْر سماء: عقَب مَطَرٍ[3].

بنوء: ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرون التي هي منازل القمر، وهو مأخوذ من ناء إذا سقط، وقال آخرون: بل النوء طلوع نجم منها وهو مأخوذ من ناء إذا نهض[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١/١٢٥) واللفظ له.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ١٤١٠.

(٣) فتح الباري ٧٠٦/٢، ورياض الصالحين ٥٨٩.

(٤) فتح الباري ٦٠٨/٢، وللاستزادة يراجع النهاية ٩٤٤.

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا المشهد الواقعي.. الذي يعد أحد مشاهد السيرة النبوية العطرة، وما أعظم الدرس الذي يعلمه النبي لأصحابه عن طريق الحوار الواقعي الهادئ المقنع، وهذا المشهد السّردي الواقعي تكاملت عناصره البنائية، ففيه الحدث: الزمان والمكان، والحوار، والأشخاص، والراوية الذي يسرد الحكاية ويقص الخبر، ويحكي الواقعة.

فالحدث: صلاة الصبح ثم نزول المطر، والزمان، وقت الصبح، والمكان: الحديبية، وهو الشميسي الآن، وهو قريب من مكة، والحوار دار بين رسول الله ﷺ ومن حضر الصلاة من الصحابة.

وأما الموقف فهو تؤطره المفارقة والتضاد بين الفريقين إزاء استقبال ظاهرة المطر، ويبدأ الحوار: باستفهام تقريري وحقيقي من رسول الله ﷺ للصحابة: أتدرون: ماذا قال ربكم؟، فيقول الصحابة: الله ورسوله أعلم، وهذا تأدب مع رسول الله ﷺ ووقوف منهم عند حد العلم؛ ويكتمل الحوار: وتحل العقدة، وتضيء الموقف كلمات رسول الله ﷺ.

ويقدم رسول الله الإجابة في أسلوب مشوق مؤثر يلفت الانتباه، ويزرع الحكمة في قلب كل مؤمن، ويعرض الرسول نموذجين من الناس: النموذج المؤمن، والنموذج الكافر. وهما متضادان، ويمثلان مفارقة في الموقف، وبعد هذا الإجمال المثير للانتباه يفصل الرسول الأمر، فمنطق الإنسان هو الذي يقوده للإيمان وهو الذي يقوده للكفر في هذا السياق، وهو موقف كل فريق من المطر: هل من فضل الله ورحمته أم من النوء؟؟!، فمن اعتقد أن المطر بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بالله كافر بالكواكب، ومن اعتقد أن المطر فاعله وموجده النوء: أي حركة النجوم- كما كان يعتقد الجاهلون: فهو كافر بالله مؤمن بالكواكب.

ولنتأمل هذه الدلالات في هذا السياق: الإيمان والكفر: فالإيمان بالله واجب ومحمود وهو سمة المسلم الحقيقي والإيمان بالكواكب خروج عن الاعتقاد الصحيح، ومصير صاحبه الهلاك.

والكفر بالكواكب محمود ومطلوب شرعاً، أما الكفر بالله..... فهو خروج عن الملة، ويؤدي صاحبه إلى الخسران المبين، ومثواه جهنم وبئس المصير، وكل ذلك مرتبط بما يقوله اللسان، ويكشف عنه البيان، فتأمل دلالات الألفاظ، وارتباطها بالسياقات والقرائن، واختلاف الدلالة تبعاً لاختلاف الجو والمناخ الأسلوبي، ودوائر المعاني، وفضاءات المباني. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي أن يقول عند نزول المطر: "مطرنا بنوء كذا"[١] ويندب أن يقول: مطرنا بفضل الله ورحمته[٢].

فإن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر، ومنشئ للمطر، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، فهو كافر كما قال رسول الله ﷺ، وذلك لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه، ولا لغيره شيئاً ولا يمطر، ولا يصنع شيئاً[٣].

أما من قال: "مطرنا بنوء كذا" معتقداً أنه من الله وبرحمته وأن النوء وقت له، أي أن الله أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات فذاك جائز[٤]، إلا أن الإمام الشافعي قال: (وغيره من الكلام أحب إليَّ)[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة الحديبية.

ثانياً: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ ٥٤٩/١، والأم للإمام الشافعي ٢٥٣/١، وروضة الطالبين ٩٥/٢، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١٩٥/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٤٦١/٢، ومنار السبيل ١٦١/١، ودليل الطالبين ٥٧/١.

(٢) المنهج القويم ٤١٩.

(٣) الأم، الإمام الشافعي ٢٥٣/١، وشرح صحيح مسلم ٦٠/٢، ومنار السبيل ١٥٦/١.

(٤) الأم، الإمام الشافعي ١٥٣/١، والإقناع ١٩٥/١، وشرح صحيح مسلم ٦١/٢، وعون المعبود ٢٨٦/١٠.

(٥) الأم، الإمام الشافعي ١٥٣/١.

ثالثاً: من فقه الداعية: استغلال الأحوال والمناسبات المختلفة لبيان الحقائق.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة الحديبية:

هذا واضح في قول زيد بن خالد رضي الله عنه "صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح بالحديبية"، قال ابن كثير: "وكانت في ذي القعدة سنة ست بلا خلاف"[1].

وقد انتهت بعقد صلح بين المسلمين والمشركين، وقد كان هذا الصلح فتحاً مبيناً، قال الزهري: "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف"[2].

وقال الدكتور محمد أبو شهبة عن مكاسب المسلمين في صلح الحديبية: "اعترفت قريش بالمسلمين اعتراف الند بالند، وفي ذلك دعاية للإسلام لا يستهان بها إن لم تكن ذات بال عند قريش فسوف يسمع بها العرب، وفي ذلك تمهيد لاتساع نفوذ الإسلام وسطوته، إن هذه الهدنة ضمنت للمسلمين الانصراف إلى تبليغ دعوة الإسلام في كافة أنحاء الجزيرة وما يتاخمها من الدول والإمارات، وهذا ما كان، فقد كاتب النبي ﷺ الملوك والأمراء وبذلك انتشر الإسلام أضعاف انتشاره من قبل"[3].

وقال الدكتور محمد فوزي فيض الله: "وترتب على ذلك اعتراف قريش بوجود دين جديد، له تصوراته ومفاهيمه التي تختلف تماماً عن تصوراتهم ومفاهيمهم ومعتقداتهم، وبحق هذا الدين في ممارسة شعائره حول البيت مع وجود أصنامهم، وتماثيلهم فيه،

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٠٦/٦.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢٦٨/٣ - ٢٦٩.

(٣) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٣٤٠/٢.

وهي من أول ما يحقره هذا الدين ويسفهه ويضلله ويدعو إلى نبذه وطرحه قبل كل شيء وهذا الاعتراف يعني تراجع قريش وتخاذلها عن نصرة مبادئها العقدية، وتساهلها نسبياً في شؤون دينها العتيق المتوارث، وبمقدار هذا التراجع يكون تقدم المد الإسلامي ورسوخ مبادئه وأفكاره وإن هذا التراجع لهو أول النهاية الحتمية التي خطتها قريش في هذا الصلح لنفسها ولمستقبل آلهتها"[1].

ثانياً- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

وهذا واضحٌ من قوله ﷺ: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)، قال ابن حجر: "في هذا الحديث طرح الإمام المسألة على أصحابه وإن كانت لا تدرك إلا بدقة النظر"[2].

وقال ابن عثيمين: "إنما ألقي عليهم هذا السؤال من أجل أن ينتبهوا، لان إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه، قالوا: الله ورسوله أعلم، وهكذا كل إنسان يجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية أما الأمور الكونية القدرية فهذا لا يقول: ورسوله أعلم، لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب. المهم أنهم قالوا: الله ورسوله أعلم وهذا من الأدب"[3].

ثالثاً- من فقه الداعية: استغلال الأحوال والمناسبات المختلفة لبيان الحقائق:

وهذا واضح من الحديث: (صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء -أي مطر- كانت من الليل، فلما انصرف وأقبل على الناس فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب).

---

(١) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض الله، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٢٩١.

(٢) فتح الباري ٢/٤٢٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٥.

وقال ابن هبيرة: "وفيه أيضاً تنبيه على أن الآدمي بلغ من إغضاب ربه، وإسخاط خالقه سبحانه إلى المبلغ الذي لا يقوم له السماوات والأرض؛ لأنه سبحانه وتعالى ينزل الغيث على عباده رحمة لهم، ونظراً في أحوالهم ليستدلوا بذلك على إحسانه سبحانه، ويشكروا فضله ويعتبروا رحمته، فلا يكونون من شكر النعمة بحيث يستحق ولا يقفوا على المقام الدون على ألا يشكروا؛ بل تخرجهم تلك النعمة بعينها إلى أن يسندوها إلى غير الله وينحوها افتراء منهم إلى سواه سبحانه"[١].

فالنبي ﷺ قد استغل مناسبة سقوط المطر ليوضح للمسلمين القول الذي يصبح به المدعو مؤمناً، والقول الذي يصبح به كافراً.

ومن قبيل استغلال الداعية الأحوال والمناسبات لتوصيل رسالة دعوية للمدعوين ما رواه جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُونَ[٢] فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافعلوا))[٣].

"ولا شك أن انتهاز المناسبة هو من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح المجتمع وتربية الأمة واستصلاح الأفراد"[٤].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: مطرنا بنوء كذا:

وهذا واضح من الحديث، قال النووي: "وأما معنى الحديث فاختلف العلماء في كفر من قال: مطرنا بنوء كذا، على قولين:

أحدهما: هو كفر بالله سبحانه وتعالى، سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام، قالوا: وهذا فيمن قال ذلك معتقداً أن الكوكب فاعل مدبر منشيء للمطر،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/ ٣٠.

(٢) يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه. ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض. والضيم: الظلم. النهاية في (ض ي م).

(٣) أخرجه البخاري ٧٤٣٤، ومسلم ٦٣٣.

(٤) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار، ٩٩.

كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره، وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء والشافعي منهم. وهذا ظاهر الحديث.

قالوا: وعلى هذا لو قال: مطرنا بنوء كذا معتقداً أنّه من الله تعالى وبرحمته، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتباراً بالعادة. فكأنه قال: مطرنا في وقت كذا، فهذا لا يكفر. واختلفوا في كراهته. والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها، وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره، فيساء الظن بصاحبها، ولأنه شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم.

والقول الثاني: في أصل تأويل الحديث أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب، ويؤيد هذا التأويل الرواية الأخيرة في الباب: ((أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَكَافِرٌ))[1]، وفي الرواية الأخرى: ((مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ))[2]، وفي الرواية الأخرى: ((ما أنزل الله عزَّ وجلَّ من السماء بركة إلا أصبح كثير من الناس بها كافرين))[3]، فقوله بها يدل على أنه كفر بالنعمة"[4].

وقال ابن حجر: "قال ابن قتيبة: وكانوا في الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء، إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته، فأبطل الشرع قولهم وجعله كفراً، فإن اعتقد قائل ذلك أن للنوء صنعاً في ذلك فكفره كفر تشريك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك لكن يجوز إطلاق الكفر عليه وإرادة كفر النعمة، لأنه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة، فيحمل الكفر على المعنيين لتناول الأمرين"[5].

---

(١) أخرجه مسلم ٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٧٢.

(٣) أخرجه مسلم بعد الحديث ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦٢/٢/١ - ٦٣.

(٥) فتح الباري ٤٢٥/٢، وانظر: المفهم، للقرطبي ٢٥٨/١ ٢٦٣.

وقال ابن عثيمين: "كثير من العامة عندنا يقولون: مطرنا بالفصل، مطرنا كذا وكذا وليسوا يقصدون بهذا السببية وإنما يقصدون الظرفية، أي أن المطر صار في هذا الوقت وهذا لا بأس به"[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أسس التربية الإسلامية: العقيدة الصحيحة:

تقوم التربية الإسلامية على عدد من الأسس التي تحدد ملامحها واتجاهاتها وترسى معالمها، ومن أول هذه الأسس: العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولذا كان الرسول ﷺ يهتم اهتمامًا شديدًا بتصحيح العقيدة وبيان ما يجب أن يُربى عليه المسلم من عقيدة صحيحة، وكان ﷺ يغتنم المناسبات لبيان ذلك، مما يساعد على ترسيخ الفهم الصحيح، وفي حديث الباب يسأل النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم فيقول: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ. فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ».

وفي حديث الباب يبرز النبي ﷺ العقيدة الصحيحة التي يجب أن تستقر في قلب المسلم، والتي يجب أن تترجم إلى أقوال وسلوكيات، وبين ذلك من خلال ما أخبر به عن رب العزة جل وعلا: فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته بأن أقرّ واعترف بتفرد الله تعالى، في الفضل والإنعام على عباده، فهو سبحانه المسخر للسحاب، المقدر لكل شيء، فهذا القول ينم عن العقيدة الصحيحة التي لابد من ترجمتها إلى سلوكيات عملية، وهذا برهان على الإيمان، لأن الإنسان يقر بالفضل للمنعم سبحانه، ولم ينسب ذلك إلى مخلوق من مخلوقات الله حتى وإن كانت هناك أسباب فهي ليس لها تأثير وإنما إرادة الله تعالى، وأمره الذي بين الكاف والنون فلا يعجزه شيء، تلك هي التربية الإسلامية التي ينبغي أن تكون واضحة المعالم راسخة في قلب الإنسان، أما إذا عُوّل على الأسباب فهذا ما يتنافى مع الإيمان، لأنه جحود وإنكار مما يوقع في دائرة الكفر، لأن الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته في الوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة ، والباطنة عليه، وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه

ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره، وهذا الموضع من محققات التوحيد وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه[١].

فعلى المربي التوجيه والإرشاد إلى أن الكون والإنسان والحياة مخلوقة لله عز وجل، والله تعالى أزلي الوجود وهو المتصرف في الكون والإنسان والحياة بإرادته[٢]، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء. لا يفنى ولا يبيد ولا يكون إلا ما يريد[٣].

من هنا يبرز أثر العقيدة الإسلامية بوصفها الأساس الأول من أسس التربية في الإسلام.

إن غرس العقيدة الإسلامية في نفس المسلم يعد من مهام المربي المسلم ليجعل سلوك الفرد متفقًا مع أهداف التربية الإسلامية، ويضمن بالتالي تحقيق التوازن النفسي والوجداني عند الفرد بخاصة حيال مظاهر الكون، وأخيرًا يستطيع أن يصدر الأحكام المبنية على التصورات الإسلامية الصحيحة للأشياء والظواهر والعلاقات بصور صحيحة[٤].

ثانيًا: التربية بالحوار والمناقشة والاستفهام:

لقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب بكثرة في تربية أصحابه رضي الله عنهم وتوجيههم وإعدادهم إعدادًا إسلاميًا صحيحًا، وهو أسلوب يدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم، والتساؤل عما لا يدركه من حقائق، وهو طريقة لا يمكن أن يكون المتعلم فيها سلبيًا أو مصدقًا لما يسمعه دون فهم وإدراك، وقد توجه الأسئلة من المربي إلى المتعلم بطريقة تقوده لأن يتوصل بنفسه إلى الحقيقة[٥].

---

(١) انظر: القول السديد، السعدي، ٩٣، ٩٤، نقلًا عن الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ص١٥٤، ١٥٥ بتصرف شديد.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٧٤.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي الحنفي، ١/٧٥-٧٨.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٨٦.

(٥) انظر: فلسفة التربية في الحديث النبوي، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣٣.

وذلك أن الاستفهام في أصل وضعه، يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موقعه، وهذا يحمل المخاطب إلى توجيه كل اهتمامه لما يلقى إليه، ليتمكن من فهمه، ثم الإجابة عليه، فإذا كان الاستفهام تقريرًا فمعنى ذلك أنه يحمل المخاطب على الاعتراف، وينزع منه الإجابة بعد التدبر والأناة التي يقتضيها أسلوب الاستفهام[1].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الاستفهام في قوله: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟».

من أجل إثارة انتباه الصحابة رضي الله عنهم فالرسول يعلم أن الصحابة لا يعلمون ماذا قال الله، لكن أراد أن ينبههم لهذا الأمر؛ فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم»، وهذا يوجب استحضار قلوبهم[2].

وقد أراد النبي ﷺ بهذا الحوار وهذه المناقشة والاستفهام إبطال اعتقاد الجاهلية بأن المطر ينزل بالأنواء، وبيان نزول المطر وانحباسه يرجع إلى إرادة الله وتقديره وحكمته، وليس لطلوع النجوم وتأثيره فيه[3].

فعلى المربي الاستفادة من أسلوب الحوار والمناقشة والاستفهام في تصحيح وإيضاح العقيدة الصحيحة وإزالة اللبس والأخطاء وما يخالف العقيدة.

ثالثًا: التربية بالحدث والمشاهدة:

التربية بالحدث والمشاهدة تعني استثمار الفرصة المناسبة لموقف معين أو حدث طارئ، أو مشهد، في توجيه موعظة مؤثرة تكون الفرصة المناسبة، أو الحدث الطارئ، أو المشهد المثير، مفتاحًا لهذه الموعظة، وعاملاً نفسيًا دافعًا لتقبلها.

والحياة الدنيا أغلب أوقاتها أحداث وسلوكيات، وأعمال يقوم بها الإنسان، وهذه الأحداث والسلوكيات والأعمال، منها ما هو مقبول معتاد، ومنها ما هو غير مقبول يطرأ أحيانًا وينبغي تصحيحه، وهذا من واجب المربي الذي يحسن كيف يستثمر

---

(١) انظر: أسلوب الدعوة القرآنية، د. عبدالغني محمد سعيد، ص١٧٢.

(٢) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٤٣.

(٣) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص١٢٦.

الفرصة والحدث لتصحيح السلوكيات الخاطئة، وتقويم المعوج منها وتصويبه[١]. وقد كانت الأحداث في حياة الجماعة المسلمة الأولى والتوجيهات القرآنية المنزلة فيها، من أبلغ وسائل التربية لهذه الجماعة وأعمقها أثرًا فيها، ففي كل حدث درس، وفي كل درس عبرة لا تنسى[٢].

وقد كان الرسول ﷺ يستثمر الحدث الطارئ، أو الفرصة المناسبة، أو المشهد، لتوجيه أصحابه وحثهم على التأمل والتدبر، والعظة والعبرة، لما يشاهدون أو يسمعون، ولا يدعه يمر دون تصويب رأي معين أو تعديل سلوك خاطئ، أو تقويم خلق منحرف[٣]، وقد استثمر ﷺ في هذا الحديث الذي نحن بصدده حَدَثَ ومشْهدَ نزول المطر، ووجه لهم الاستفهام عما يريد تصحيحه لهم، من اعتقاد باطل وأرشدهم إلى صحيح الدين وصوّب لهم خطأهم وبين أن المطر من نعم الله وفضله وأنه تعالى هو المتصرف فيه ولا علاقة للكواكب والنجوم به.

❁ ❁ ❁

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١٥١/٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٣٨٥.

٣٢٦- باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر

الحديث رقم (١٧٣٤)

١٧٣٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إذَا قَالَ الرَّجُلُ)[1] لأخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإنْ كانَ كَمَا قَالَ وَإلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله عمر بن الخطاب: سبقت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

باء بها أحدهما: التزمه ورجع به[3].

الشرح الأدبي

الكلمة الطيبة صدقة، وتبسمك في وجه أخيك صدقة، هذا هو المنهج الإسلامي إقامة العلاقات بين أبناء الأمة الإسلامية، وهو قائم على دعائم راسخة من الأ والقربى، والخطاب المشحون ترغيباً وتراحماً وعطفاً وإخاءً.

والحديث في بنائه الأسلوبي يجسد هذه المعاني الوضيئة، والقيم الجميلة ا أن يسود إيقاعها، ويُجمِّل لغة الخطاب الذاتي والجمعي بين طوائف الأمة ك

وأسلوب الشرط والجواب يسيطر على صياغة الحديث، لأن موضو ونتائج: فالجملة الشرطية الأولى تتضمن داخل دائرتها أسلوب نداء، و يا كافر.. وهو محاصر بين الشرط والجواب، حيث يقول المصطف

---

(١) لفظ مسلم: (أيّما امرئ قال)، ولفظ البخاري: (أيّما رجل قال)، والمثبت لفظ

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم بعد حديث (٦٠/١١١، بدون رقم) واللف (٤٠٨٦).

(٣) النهاية في (ب و أ).

قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما"، وأداة الشرط "إذا" وهي تفصح عن تحقق هذا القول، وقوله: الرجل: أي المسلم، ولم يقلها: لأن السياق يحتم أن يكون مسلماً مؤمناً لأنه يتهم أخاه بالكفر، والكافر لا يُعبِّر بالكفر، وقوله: "لأخيه" تفيد الإشعار بأن هذا القول فيه تَجنٍّ وإهدار لحق الأخوة الإسلامية.

وجواب الشرط: "فقد باء بها أحدهما" وهذا تلميح في ثوب التصريح: أي أن أحدهما كافر: القائل أو المقول له: والفعل "باء"، بمعنى رجع: ولكنه يوحي بالعذاب والعقاب، كما قال تعالى: ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

والجملتان الباقيتان: تفصيل وتوضيح لما أجمله الرسول ﷺ وألمح إليه في الجملة الشرطية الأولى وهما شرطيتان كذلك، ولكنهما تنطويان على سرٍّ بلاغي وهو الإيجاز

ف، فالأولى، حذف منها: جواب الشرط، وحذفه للنفور من التصريح بالكـ ،

كان كما قال: فهو من أهلها، أي من أهل ملة الكفر.

، منها: فعل الشرط: والتقدير وإن لم يكن المقول له كذلك، بأن

جعت عليه، أي أن القائل هو الذي يتحمل عبء هذه الصفة،

أحدهما" فالبيان النبوي كما قال الجاحظ: هو الذي قل

حلّ عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، ﷺ.

ديث

لم أخاه المسلم بذنب، أو بتأويل لا

حيث إن ظاهرها غير

صي، كالقتل والزنا،

لام.

إذا علم ما تقدم، فقد قيل في تأويل الحديث أوجه:

أحدها: أنه محمول على المستحلّ لذلك، وهذا كفر، فعلى هذا يكون معنى "باء بها" أي بكلمة الكفر، وكذا "حار عليه" أي رجع عليه الكفر.

الوجه الثاني: معناه: رجعت عليه نقيصته لأخيه، ومعصية تكفيره.

الوجه الثالث: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا الوجه نقله القاضي عياض عن مالك، وقد ضعفه النووي إذ اختار أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع.

الوجه الرابع: معناه: أنه يؤول به إلى الكفر، وذلك لأن المعاصي بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها، أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر.

الوجه الخامس: معناه فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير، لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه، إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: تحريم قول المسلم لأخيه: يا كافر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التحذير من تكفير المسلمين.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تحريم قول المسلم لأخيه: يا كافر:

وهذا واضح في الحديثين[3]، جاء في الموسوعة الفقهية: "الأصل بقاء المسلم على إسلامه حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ صَلَّى

---

(١) شرح صحيح مسلم ٤٩/٢، ٥٠، وشرح ابن رجب على صحيح البخاري ٧٠/١، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢٤٩/١٧.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٣٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٣٥).

(٣) الحديث رقم (١٧٣٤)، (١٧٣٥).

صَلاتَنا، واسْتَقبَلَ قِبلتَنا، وأَكلَ ذَبيحتَنا، فهو المُسلِمُ له ما لنا وعليه ما علينا))[١]، ويجب قبل تكفير أي مسلم النظر والتفحص فيما صدر منه من قول أو فعل، فليس كل قول أو فعل فاسد يعتبر مكفراً، ويجب كذلك على الناس اجتناب هذا الأمر والفرار منه وتركه لعلمائهم؛ لخطره العظيم، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا فَإِنْ كَانَ كما قال وَإِلاَّ رَجَعَتْ عليه)).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)).

ولا ينبغي أن يُكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن، أو كان في كفره خلاف ولو كان رواية ضعيفة، وما يشك في أنه كفر لا يحكم به، فإن المسلم لا يخرجه من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، إذ الإسلام الثابت لا يزول بالشك مع أن الإسلام يعلو، فإن كان في المسألة وجوه توجب التكفير، ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير، لعظم خطره وتحسيناً للظن بالمسلم، ولأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الشك والاحتمال لا نهاية"[٢].

وقال ابن تيمية: "ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٣]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩١.

(٢) الموسوعة الفقهية ١٣/٢٢٨ - ٢٢٩، ومصادرها ومراجعها.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٤) أخرجه مسلم ١٢٥.

والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم عليٌّ بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يُسب حريمهم ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا، مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى، ولا تستحل دمها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضا؟، وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ، والغالب أنهم جميعاً جهال بحقائق ما يختلفون فيه.. فهكذا السلف قاتل بعضهم بعضاً من أهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا كان السلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضاً موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ العلم عن بعض، ويتوارثون ويتناكحون ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك"[2].

وقال ابن عثيمين: "ومسألة التكفير مسألة خطيرة جداً، فتح بها أبواب شر كبيرة

---

(١) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٢/١٧٦ - ١٧٨ .

على الأمة الإسلامية"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التحذير من تكفير المسلمين:

وهذا واضح من الحديثين: "إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، و"من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" ورواية البخاري لحديث أبي ذر: (لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك).

قال ابن حجر: "وهذا يقتضي أن من قال لآخر: أنت فاسق، أو قال له: أنت كافر، فإن كان ليس كما قال كان هو المستحق للوصف المذكور، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء، لكونه صدق فيما قال. ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ولا كافراً ألا يكون آثماً في صورة قوله له: (أنت فاسق)، بل في هذه الصورة تفصيل: إن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز، وإن قصد تعييره وشهرته بذلك ومحض أذاه لم يجز، لأنه مأمور بالتستر عليه وتعليمه وعظته بالحسنى. فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف، لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل، كما في طبع كثير من الناس من الأنفة، لا سيما إن كان الآمر دون المأمور في المنزلة"[٢].

أما إذا كان المقول له غير ما وصفه القائل بالكفر، أو أنه عدو الله، فإن ذلك يرجع عليه، قال ابن حجر: "قال النووي[٣]: "اختلف في تأويل هذا الرجوع فقيل: رجع عليه بالكفر إن كان مستحلاً، وهذا بعيد من سياق الخبر، وقيل: محمول على الخوارج لأنهم يكفرون المؤمنين، هكذا نقله عياض عن مالك[٤] وهو ضعيف، لأن الصحيح عند الأكثرين أن الخوارج لا يكفرون ببدعتهم، قلت - أي ابن حجر - ولما قاله مالك

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٨٦/٢.

(٢) فتح الباري ٤٦٦/١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤٩/٢/١ - ٥٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣١٨/١.

وَجْه، وهو أن منهم من يكفر كثيراً من الصحابة، ممن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وبالإيمان، فيكون تكفيرهم من حيث تكذيبهم للشهادة المذكورة، لا من مجرد صدور التكفير منهم بتأويل... والتحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وذلك قبل وجود فرقة الخوارج وغيرهم.

وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره، وهذا لا بأس به، وقيل: يخشى عليه أن يؤول به ذلك إلى الكفر كما قيل: المعاصي بريد الكفر، فيخاف على من أدامها، وأصرّ عليها سوء الخاتمة، وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر، فإنه يكفر بذلك، فمعنى الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر، فكأنه كفر نفسه، لكونه كفر من هو مثله، ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام، ويؤيده أن في بعض طرقه: وجب الكفر على أحدهما[1].

وقال القرطبي[2]: "والحاصل أن المقول له إن كان كافراً كفراً شرعياً، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه، وهو من أعدل الأجوبة، وقد أخرج أبو داود عن أبي الدرداء بسند جيد رفعه: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صُعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الذي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا))[3][4].

---

(١) عبارة النووي في شرح مسلم ٥٠/٢/١: الوجه الرابع: معناه: أن ذلك يؤول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي كما قالوا: بريد الكفر، ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر، ويؤيد هذا الوجه ما جاء في رواية أبي عوانة الإسفراييني في كتابه المخرج على صحيح مسلم: فإن كان كما قال وإلا فقد باء بالكفر، وفي رواية: إذا قال لأخيه يا كافر وجب الكفر على أحدهما، والوجه الخامس: معناه: فقد رجع عليه تكفيره وليس الراجع حقيقة الكفر، بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافراً، فكأنه كفر نفسه إما لأنه كفر من هو مثله، وإما لأنه كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام.

(٢) المفهم ٢٥٣/١ - ٢٥٤.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٠٥، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤٠٩٩).

(٤) فتح الباري ٤٦٦/١٠ - ٤٦٧.

وقال ابن هبيرة عن حديث أبي ذر رضي الله عنه: "فيه شدة الخطر على من رمى أخاه المسلم بالكفر، فإنه بهذا الحديث على يقين من ارتدادها إليه، إن لم يكن أخوه كما ادعاه، فليحذر أن يقولها أبداً لمن هو من أمره في شكٍ، فإنه على سبيله في ارتداده عليه، إن لم يكن كما ذكره بيقين"(١).

وقال ابن دقيق العيد: "وأما من وصف غيره بالكفر فقد رتب عليه الرسول ﷺ قوله: (حار) بالحاء المهملة: أي رجع، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾(٢)، أي يرجع حيّاً، وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد، فغلّطوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم،... والحق أنه لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنه حينئذٍ يكون مكذباً للشرع، وليس مخالفة القواطع مأخذاً للتكفير، وإنما مأخذه مخالفة القواعد السمعية القطعية طريقاً ودلالة. وعبر بعض أصحاب الأصول عن هذا بما معناه: أن من أنكر طريق إثبات الشرع لم يكفر كمن أنكر الإجماع، ومن أنكر الشرع بعد الاعتراف بطريقه، كفر، لأنه مكذب"(٣).

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد تضمن الحديثان ترهيباً من تكفير المسلمين، لأن ذلك قد يعود على القائل نفسه فيلحق به ما رمى غيره به، وفي هذا ترهيب من هذا القول وهذا الفعل ما بعده ترهيب وتخويف، "ولهذا يجب أن ينزه الإنسان لسانه وقلبه عن تكفير المسلمين"(٤).

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢/١٧٠.

(٢) سورة الانشقاق، آية: ١٤.

(٣) عمدة الأحكام ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٤) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٨٧.

الحديث رقم (١٧٣٥)

١٧٣٥- وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((مَنْ دَعَا رَجُلاً بالكُفْرِ، أو قالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذلكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)) متفق عليه[1]. "حَارَ": رجع.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

الشرح الأدبي

مضمون هذا الحديث يتفق مع مضمون الحديث السابق وهو: التحذير من اتهام المسلم بالكفر، أو وصفه بأنه عدو الله، لأن في ذلك سباً وقذفاً، وإخراجاً من العقيدة الصحيحة، ولا يوجد أبشع من هذه التهمة، ولذلك جاء أسلوب الحديث متسقاً مع التحذير الشديد من خطورة هذه التهمة الباطلة التي تزلزل كيان الجماعة المؤمنة، وقوله: "من" وهو اسم موصول بمعنى الذي، ويتضمن معنى الشرط في الحديث: وهذا اللفظ يمكن أن يحتوي على كل الحالات التي يتهم فيها أناس بالكفر الأبرياء، الذين لم يخرجوا عن الدين الإسلامي، فالحديث قاعدة شرعية محددة، وقوله: "دعا رجلاً"، أي نادى رجلاً مسلماً وقال له أقبل يا كافر، أو قال له بدون نداء، أنت عدو الله، ثم يقول الرسول في إيجاز وإيحاء، "وليس كذلك" أي وليس الرجل كمثل ما قال: أي ليس كافراً، وليس عدو الله.

ويختم الحديث بقوله "إلا حار عليه"، أي أن هذا الاتهام لابد أن يرجع إليه وأن يبوء ذلك المتهم بذلك الذنب وهو الكفر، وقوله: و"ليس كذلك إلا حار عليه": أسلوب قصر، أي أن هذه التهمة المتمثلة في ذلك القول مقصورة على قائلها، وراجعة عليه، وتأمل قوله ﷺ: "عليه": ولم يقل: "إليه" لأن الرجوع عليه، يوحي بالعقاب والسخرية والوعيد، أما الرجوع إليه فيوحي باستعادة الحق، وامتلاك هذا العائد الذي كان قد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٥)، ومسلم (٦١/١١٢) واللفظ له. أورده المنذري في ترغيبه (٤٠٨٧).

فقده، وما أحوج الشباب المسلم في عصرنا، وما أحوج بعض علماء الأمة إلى فقه هذا الحديث، والعمل به، لأن أخطر الأحداث، وأعتى المشاكل، وأفدح المصائب، تكمن في إصدار فتاوى التكفير بغير علم وبغير حق، نسأل الله الهداية والنجاة، والعمل بالكتاب والسنة، وإسلام الأمر لله فيما يشكل علينا من الأمور.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أهداف التربية الإسلامية: البعد عن التنطع والغلو في تكفير المسلمين:

إن من المفاهيم الخاطئة التي يربى عليها بعض الشباب المسلم: الغلو والتنطع واتباع العاطفة الهوجاء التي لا تنضبط بضوابط الكتاب والسنة، فيخرجون من الإسلام ويحكمون بالكفر على من تلبس ببعض المعاصي الظاهرة، وإن كانت هذه المعاصي لا تنافي أصل التوحيد، ولا يستحلها أصحابها[1].

وقد حرّم الإسلام وصف المسلم بالكفر كما في حديثي الباب حيث قال ﷺ: «إذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ».

وقال ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بِالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللَّهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

فعلى المسلم أن ينأى بنفسه عن تكفير المسلمين.

قال الطحاوي: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله"[2].

فالمعاصي بمجردها لا تدل على خروج صاحبها من ملة الإسلام ودخوله في الكفر، وقد قال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنُوهُ، فواللَّهِ ما علمتُ أنه يحبُّ اللَّه ورسولَه»[3].

فالمعاصي لا تنافي أصل الإيمان، ولكن تنافي كمال الإيمان.

وقال الطحاوي رحمه الله كذلك: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه.."[4]، فقد جعل الله عز وجل للإسلام بابًا وهو الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن فعل فعلاً أو قال قولاً يتنافى مع هذا الإقرار السابق يخرج به من ملة الإسلام إلى ملة الكفر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5].

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٢٩.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ٢/٤٣٢.

(٣) أخرجه البخاري، ٦٧٨٠.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ٢/٤٥٨.

(٥) سورة النساء، الآية ٤٨.

وقال ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ إِيمَانٍ»[١].

قال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: "ولكن التشدد والتطرف الذي هو آفة الآفات، وغاية الشرور، وسبيل هدم الدين وتمزيق جماعة المسلمين، هو الغلو في التكفير، والتنطع بإخراج المسلم عن الإسلام بالمعصية التي لا تبلغ درجة الكفر، واستحلال دمه وماله بذلك، وهذا النوع من الغلو هو الذي فرق أمة الإسلام على عهدها الأول، ففي طريقه استحلت طائفة من المسلمين دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، زاعمين أنه لا يسير على طريقة الشيخين، واستحلوا بعد ذلك قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه..."[٢][٣].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب التربية بالترهيب، حيث رهب النبي ﷺ من رمي المسلم بالكفر أو بأنه عدو لله..

فإن الحكم على الإنسان بالكفر حكم خطير له آثاره العظيمة، فلا يجوز لمسلم أن يقدم عليه إلا ببرهان واضح، ودليل ساطع[٤]، لذا قال النبي ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا...».

وقال ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بِالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللَّهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

قال ابن دقيق العيد: "وهذا وعيد عظيم لمن كفّر أحدًا من المسلمين، وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق من العلماء اختلفوا في العقائد وحكموا بكفر بعضهم بعضًا"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، ٧٤٣٩، ومسلم، ١٨٣مطولًا، والترمذي، ٢٥٩٨ واللفظ له.

(٢) فصول في السياسة الشرعية في الدعوة، ١٢٥، ١٢٦ باختصار.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص١٢٩-١٣١.

(٤) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص٢٦١.

(٥) انظر: الكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل، وحكم من يكفر غيره من المسلمين، عبدالله أبابطين، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ١٤٠١هـ، ص٨.

فهذه الأحاديث وأمثالها فيها التربية بالتحذير والترهيب من التكفير والزجر عنه لأنه حكم شرعي، مضبوط بضوابط معلومة من نصوص الكتاب والسنة، فلا يصار إليه بمجرد الهوى والجهل، فإن "من ادعى دعوى وأطلق فيها عنان الجهل مخالفًا لجميع أهل العلم، ثم مع مخالفتهم يريد أن يكفر ويضلل من لم يوافقه عليها، فهذا من أعظم ما يفعله كل جهول"[1]، ولأن أصل الإيمان والكفر محلهما القلب، ولا يطلع على ما في القلوب إلا الله[2].

فعلى المربي أن يستخدم أسلوب التربية بالترهيب من مزلق تكفير الناس ويمكن أن يبين خطورة هذا الأمر بإيضاح الآثار الخطيرة المترتبة على هذا الأمر التي منها:

١ - عدم حل زوجته له، وتحريم بقائها وبقاء أولادها تحت سلطانه.

٢ - وجوب محاكمته لتنفيذ حد الردة عليه بعد إقامة الحجة والاستتابة.

٣ - أنه إذا مات لا تجرى عليه أحكام المسلمين، فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث.

٤ - أنه إذا مات على الكفر وجبت عليه لعنة الله والخلود الأبدي في النار[2].

فالتكفير لفظ بسيط ولكن خطره عظيم وتترتب عليه الآثار الخطيرة التي يجب على المسلم أن يربأ بنفسه عنها.

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، ومعه الرد على الاخنائي: ابن تيمية، ط٢، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، دلهي، الهند، ١٤٠٥هـ، ص١٢٥.

(٢) الغلو في الدين، عبدالرحمن اللويحق، ص٢٦٢.

(٣) انظر: ظاهرة الغلو في التكفير، د. يوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ، ص٣١، ٣٢.

٣٢٧- باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان

الحديث رقم (١٧٣٦)

١٧٣٦- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلاَ اللَّعَّانِ، وَلاَ الفَاحِشِ، وَلاَ البَذِيِّ)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

الطَّعّانُ: الوقّاعُ في أعراض الناس بالذمِّ والغيبة ونحوهما[2].

اللعّان: الكثير السبِّ للنّاس[3].

الفاحش: الذي ينطق لسانه بقَذَع الكلام ورديئه[4].

البذيء: الفاحش القول[5].

الشرح الأدبي

إن خلق المسلم ميزان شخصيته، ومعيار مصداقيته، والمؤمن من أَمِن جارهُ بوائقَه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وهذا البيان النبوي الكريم يَعْرِض مرآة المؤمن وهي مجلوَّة، ناصعة صافية، نقية ضافية.

---

(١) برقم (١٩٧٧)، وتقدم برقم (١٥٥٧). صحّحه ابن حبان (الإحسان ١٩٢)، وقال الحاكم (١٢/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢٨٧٣): رواه الترمذي بإسناد صحيح وروي موقوفًا ومرفوعًا، وقال الدارقطني في العلل (٢٢٨): والموقوف أصحُّ.

(٢) النهاية في (ط ع ن).

(٣) الوسيط في (ل ع ن).

(٤) النهاية في (ف ح ش).

(٥) الوسيط في (ب ذ أ).

والحديث في منطوقه ينفي عن المؤمن هذه السلوكيات، التي لا يرتكبها إلا الحمقى والسفهاء من الناس، وفي مفهومه يؤكد أن المؤمن لسانه لا ينطق إلا بالحق، ولا يتحرك إلا بالصدق، وهو كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وهو ليس من هذا الصنف الذي صوّره الشاعر في هذه الصورة السلوكية المرفوضة:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

والحديث في بنائه الأسلوبي يتكون من جملة واحدة، ومعطوف عليها ما يكملها أو يفصل جوانبها.

ويبدأ الحديث بالفعل الناقص الناسخ، "ليس" وصيغة النفي هنا: تبرئ ساحة المؤمن من هذه الأدواء الضارة: الطعن ، واللعن، والفحش، والبذاءة.

ولكن هذه التبرئة تزداد رسوخًا، ونقاءً من خلال هذه الصيغ اللغوية التي جاءت في إطارها هذه الصفات فقوله "ليس باللعان"، صيغة مبالغة فليس المؤمن كثير اللعن، ولم يتخذ من ذلك عادة له أو سلوكًا يوميًا، واللعن هو: الطرد من رحمة الله، فهو لا يدعو على الناس بذلك حتى ولو كانوا من العاصين، وكذلك قوله: "ليس بالطعان"، فهو لا يتخذ من الطعن في الأنساب، أو الغمز واللمز، والتندر بالعيوب، سلوكًا يوميًا له، وعادةً لا يستطيع التخلص منها، وكذلك: الفاحش اسم فاعل، يفيد: القيام بفعل الفحش عن عمد وسبق إصرار، والفحش هو القول السيئ: الذي يخوض في أعراض الناس وسيرهم، أو يشوّه تعاليم الدين، أو آيات القرآن الكريم، بإقحامها في بعض الأشعار أو القصص، كما يفعل بعض المرجفين من الأدباء والشعراء، الذين لا يدركون القيمة الحقيقية للدين ومعالمه.

وفي الحديث وجه بلاغي آخر، وهو العدول عن مجيء خبر ليس صريحًا إلى مجيئه مقترنًا بالباء الزائدة ومقرنًا باللام التي تفيد التعريف والتخصيص، والباء مزيدة للحصر والتأكيد، وأصل الأسلوب هو، ليس المؤمن طعانًا، ولا لعانًا، ولا فاحشًا، ولا بذيئًا، والتعبير في صياغة الحديث أقوى أسلوبًا وأكثر إيحاءً، لأن المبني وعاءٌ للمعنى.

فقه الحديث

وفي الحديثين[١] من الفقه: تحريم الفحش، واللعن، والسب، وأن ذلك ليس من صفات المؤمن الكامل[٢].

وقد عدّ ابن حجر الهيتمي سب المسلم، والاستطالة عليه من الكبائر[٣].

ومحل حرمة اللعن إن كان معينًا بالشخص ولو فاسقًا، أو كافرًا حيًا أو ميتًا، لم يعلم موته على الكفر، لاحتمال أنه ختم له بالإسلام.

بخلاف من علم أنه ختم له بغير الإسلام، كفرعون، وأبي جهل فإنه يجوز سبه ولعنه، وكذا يجوز لعن غير المعين بالشخص، بل بالوصف كلعنة الله على الكاذبين، أو الظالمين[٤].

وفيهما: بيان فضل الحياء، وأنه ما دَخل في شيء إلا زانه، إذ هو شعبة من الإيمان كما دلت على ذلك السنة الصحيحة.

المضامين الدعوية[٥]

---

(١) الحديث رقم (١٧٣٦)، (١٧٣٧).

(٢) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤، والمجموع للنووي ٣٣٥/٤، والفواكه الدواني ٢٧٨/٢، وتهذيب السنن لابن القيم ١٧٢/١٣، ١٧٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤/٦، وسبل السلام ١٩٨/٤.

(٣) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/٤.

(٤) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٨٢/١٤، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٩٤/٦.

(٥) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٥٥٧).

الحديث رقم (١٧٣٧)

١٧٣٧-وعن أنسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلاَّ شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلاَّ زَانَهُ)). رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شانه: عابه[2].

زانه: جمّله وحسّنه[3].

الشرح الأدبي

إن جمال الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، ينبع من هذه المفارقة التي تجمع طرفي الحديث، حيث التضاد والمقابلة بين الفحش والحياء، وبين الفعلين "شانه، وزانه"، فالفحش هو مجاوزة الحد المعروف شرعًا وعرفًا، والحياء هو: الإمساك عن اقتراف ما يعيب الإنسان، وعدم الاجتراء على المعاصي، وعدم الجهر بها، وكراهة الخوض في أحاديث الفحش واللهو.

ويؤازر الطباق في هذا الحديث: لون بديعي آخر هو: الجناس بين "شانه، وزانه"، وهو يحدث أثرًا صوتيًا مؤثرًا يدعو إلى عقد المؤازرة والمقارنة بين هاتين الحالتين، ففيهما: طباق، وجناس، وسجع.

وأسلوب الحديث جاء في صيغة: "القصر" عن طريق النفي والاستثناء، وهذا القصر

---

(١) برقم (١٩٧٤). قال المناوي في كشف المناهج (٣٩١٩): وهذا سند لا غبار عليه، رجاله من أجلّ أئمة الدين وأعظم علماء المسلمين، خرّج لهم الشيخان، إلا محمد بن عبد الأعلى، فإنه لم يخرج له البخاري. أورده المنذري في ترغيبه (٣٨٩٤).

(٢) الوسيط في (ش ي ن).

(٣) الوسيط في (ز ي ن).

يفيد الحصر، وذلك يدعو إلى مزيد من تجنب الفحش، لأن العيب في الأشياء وقبحها مرتبط بالفحش، ومقصور عليه؛ وأما الحياء: فأسلوب القصر يؤكد التمسك بهذه القيمة الأخلاقية والسلوكية، لأنها من مظاهر الجمال والتحضر في السلوك الاجتماعي، وكلمة "في شيء" توحي بالتقصي، وعدم ترك أي مظهر: حركة أو فعلاً أو قولاً، إلا كان الجمال في مصاحبة الحياء قرينًا لذلك السلوك. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: قبح الفحش.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضيلة الحياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: قبح الفحش:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (ما كان الفحش في شيء إلا شانه)، قال الطيبي: "قوله: (في شيء) فيه مبالغة، أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان"[1]، ولا شك أن هذا يدل على قبح الفحش، قال الراغب: "الفحش لغة: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال"[2]، وقال ابن حجر: "الفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح، ويدخل فيه القول والفعل والصفة، يقال: طويل فاحش الطول إذا أفرط في طوله، لكن استعماله في القول أكثر، والمتفحش بالتشديد الذي يتعمد ذلك ويكثر منه ويتكلفه"[3].

وقال الغزالي: "الفحش: التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه، وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون بها، ويدلون عليها بالرموز

---

(١) شرح الطيبي على المشكاة ١١٧/٩.

(٢) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٣) فتح الباري ٤٥٣/١٠، ط/ السلفية.

فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها... وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها، ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش، وبعضها أفحش من بعض، ربما اختلف ذلك بعادة البلاد، وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة وبينهما درجات يتردد فيها... والباعث على الفحش، إما قصد الإيذاء، وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق، أهل الخبث واللؤم، ومن عادتهم السب"[1].

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الفحش فقال: ((وَإِيَّاكُمْ والفُحْشَ، فإنَّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا التَّفَحُّشَ))[2].

كما قال ﷺ: ((إنَّ شر الناس مَن تركه الناس - أوْ وَدَعَهُ الناس - اتقاءَ فُحشِهِ))[3].

وكان النبي ﷺ أبعد ما يكون عن هذه الصفة الذميمة قال في وصفه عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا))[4].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((لم يكن النبي ﷺ سَبّاباً ولا فحاشًا ولا لعّانًا كان يقول لأحدنا عندَ المعتبة: ما لهُ تَرِبَ جبينهُ))[5].

قال ابن حجر: "قال الداودي: قوله: ترب جبينه: إنها كلمة تجري على اللسان لا يراد حقيقتها"[6].

"وإنما كان الفحش قبيحًا، لكونه يهون ارتكاب المنكرات والمعاصي، فإن من لا يستحيي يكون راكبًا للفواحش، مرتكبًا للقبيح، لا يحجزه ذلك حياء ولا دين، فلا يبالي من العار والمعاصي ما يأتي"[7].

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٩٨/٣ - ١٥٦٩.

(٢) أخرجه أحمد ١٦٠/٢ رقم ٦٤٨٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٢٦/١١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٥٤، ومسلم ٢٥٩١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٢٩، ومسلم ٢٣٢١.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠٣١.

(٦) فتح الباري، ابن حجر ٤٥٣/١٠.

(٧) التمهيد شرح الموطأ، لابن عبدالبر ٤٨/٢٢ موسوعة شروح الموطأ.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضيلة الحياء:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (وما كان الحياء في شيء إلا زانه)، وذلك لأن الحياء في الشرع: "خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع التقصير في حق ذي الحق"[١]، "والحياء من خصائص الإنسان وغريزة فيه، وإن كان استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فإنه يردع عن ارتكاب كل ما يشتهيه، فلا يكون كالبهيمة [ولذا] فإن الحياء بمعناه الشرعي مطلوب. وقد حث عليه النبي ﷺ ورغب فيه، لأنه باعث على أفعال الخير، ومانع من المعاصي، ويحول بينه وبين القبائح، ويمنعه مما يعاب به ويذم، فإذا كان هذا أثره فلا شك أنه خلق محمود، لا ينتج إلا خيرًا، فالذي يهم بفعل فاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام، والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة، فهو ذو خلق محمود، فقد ورد أن النبي ﷺ مرّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال له: ((دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ))[٢]، وقال ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ))[٣].

وفي الصحيحين: ((كَانَ النبيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ، عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ))[٤]... قال العلماء: "الحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح"[٥]، وأولى الحياء: الحياء من الله، والحياء منه ألا يراك حيث نهاك ويكون ذلك عن معرفة

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٥٩/١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٢٤، ومسلم ٣٦ من حديث عبداله بن عمر رضي الله عنهما واللفظ للبخاري، قال ابن حجر: كان الرجل كان كثير الحياء فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه، فعاتبه أخوه على ذلك، فتح الباري ٩٤/١ ط/ الريان.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦١٠٢، ومسلم ٢٣٢٠.

(٥) مدارج السالكين ٦٠١/٢.

ومراقبة، وهو معنى قوله ﷺ: ((الإحسان أن تَعبُدَ اللَّهَ كأنكَ تراه، فإن لم تَكنْ تراه فإنه يراك))[١].

وقال ابن القيم: "ومن كلام الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيي منه، وعمارة القلب بالهيبة والحياء، فإذا ذهبا من القلب لم يبق فيه خير"[٢].

ويجري في الحياء الأحكام التكليفية، فإن كان المستحيي منه محرمًا فالحياء منه واجب، وإن كان المستحيي منه مكروهًا فهو مندوب، وإن كان المستحيي منه واجبًا فالحياء منه حرام، وإن كان من مباح فهو عرفي أو جائز. فالحياء من تعلم أمور الدين وما يجب على الإنسان العلم به، ليس بحياء شرعي"[٣].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

هذا واضح من الحديث، فقد أخبر النبي ﷺ أن الفحش صفة تشين صاحبها كما أن الحياء صفة تزين من يتحلى بها، ولا شك أن هذا ترغيب في خلق الحياء وتنفير من الفحش والتفحش، قال الطيبي: "قوله ﷺ: (في شيء)، فيه مبالغة أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٠، ومسلم ٩.

(٢) مدارج السالكين ٢/٦٠١.

(٣) الموسوعة الفقهية، ١٨/٢٦١ - ٢٦٢.

(٤) شرح الطيبي على المشكاة ٩/١١٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على صون اللسان:

من أهم أهداف التربية الإسلامية التربية على صون اللسان وحفظه من الآفات، ويعني ذلك كف اللسان عن الكلام في كل ما يخالف الشرع، والآداب والأخلاق العامة، وعن الخوض فيما تقتضي الحكمة السكوت فيه، بما يحفظ على الإنسان مروءته وكرامته، فلا يتجرأ عليه أحد من الناس، ولا يتهم في سيرته، ولا يظن فيه الخروج عن أعراف المجتمع وعاداته ونظمه[1].

من آفات اللسان التي ينبغي الاحتراز منها: الفحش والبذاءة، لذلك وضع النووي عنوان الباب باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان، وأورد فيه حديث ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ ولاَ اللَّعَّانِ ولا الفَاحِشِ ولا البَذِيِّ».

وحديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء إلا شانه...» والفحش والسب من الأخلاق المذمومة التي يترفع عنها كل ذي طبع سليم وفطرة صافية فضلاً عن أن يكون ذا دين قويم وورع يقيه من التردّي في حمأة الرذيلة ويسمو به للتحلي بكل فضيلة. روي: «شتم رجل حكيمًا، فقيل له: هلا غضبت، فقال: كفاه خِسة أن يشتم ولا يشتم»[2].

وقد اتفقت الشرائع على ذم هذا الخلق والنهي عنه، والأمر بحفظ اللسان وتعهده[3].

لهذا وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعًا.. أن يعطوا للأولاد القدوة الصالحة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير... كما يجب عليهم أن يجنبوهم لعب الشارع، وصحبة الأشرار، وقرناء السوء حتى لا يتأثروا من انحرافهم، ويكتسبوا من عاداتهم، ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبة آفات اللسان، ونتيجة البذاءة؛ في

---

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، مجموعة من العلماء، ٨/٢١.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. سليم النعيمي، ط١، دار الذخائر للمطبوعات، قم إيران، ١٤١٠هـ، ٤٢٨/٢.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ١٧/٢١.

تحطيم الشخصية، وسقوط المهابة، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع.

وأخيرًا وجب على المربين أيضًا أن يلقنوا أولادهم الأحاديث التي تحذر من السباب والشتائم، والتي تبين ما أعد الله للفحَّاشين واللعَّانين من إثم كبير، وعذاب إليم... عسى أن ينزجروا بها، ويتأثروا بتوجيهاتها ومواعظها.[1].

ثانيًا: من أهداف التربية الإسلامية: غرس الحياء في النفوس:

إن من أبرز أهداف التربية الإسلامية غرس خلق الحياء، لأنه صفة أخلاقية غالبة لكثير من القيم والمكارم، فما ذكرت فضيلة أو مكرمة إلا كان الحياء وراءها، وما سلك الإنسان مسلكًا حميدًا ولا باشر قولاً سديدًا أو رأيًا شديدًا إلا كان الحياء ركيزة الحمد وأساس السداد وسبيل الرشاد[2]. وفي بيان ذلك قال النبي ﷺ: «وما كان الحياء في شيء إلا زانه».

فالحياء خلق عظيم، يبعث على فعل الجميل، وترك القبيح[3].

وما أجمل الحياء ما كان متدرعًا بالإسلام وتعاليمه، فيجمع مع العفاف الانصياع للإسلام الذي جاء متممًا لمكارم الأخلاق.

من أجل ذلك فإن غرس الحياء من أهم متطلبات التربية الإسلامية فهو قاعدة أخلاقية عظيمة في تنظيم السلوك الإنساني، وقد وضع له النبي ﷺ قاعدة جامعة في ألفاظها ومعانيها، فقال لصحابته «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحياءِ»، قال: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قلنا: يَا رسولَ اللَّهِ، إنَّا نَسْتَحِي وَالحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[4].

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٧٩.

(٢) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٢٥/٥.

(٣) الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص٦١.

(٤) أخرجه الترمذي، ٢٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٠٠٠).

فهذا الحديث يعد من جوامع كلمه - صلوات الله عليه وسلامه - وهو في إطاره العام يأمر الإنسان بالحياء، ليكون إنسانًا سويًا في حياته، ولصالح معاشه ومعاده، لأنه يوجه جوارح الإنسان وملكاته لخيره وخير الإنسانية، ويجعل من الحياء مسيطرًا أخلاقيًا عليه، ومنظمًا أدبيًا وتربويًا له، وهذا التعريف لم يسمح لأي حاسة أو جارحة أن تفلت عن الانضباط الأخلاقي والسلوكي الذي يعينه الحياء، وأثره في الجوارح، المحددة في الرأس وما وعاه، والبطن وما حواه خصوصًا، فالرأس يعني العقل، كما أنه وعاء السمع والبصر، وأدوات الشم والتذوق، وآلة النطق. والبطن يحوي مضغة القلب والأداة المسيطرة على الجسد كله، الذي يصلح بصلاحها، ويفسد بفسادها، كما يحوي بيت الأكل والشرب الذي يمد كل هذه الحواس بالطاقة أو وقود الحركة.

ويتصل بالبطن ووظيفته: البضع، والجوارح الأخرى، كاليدين والرجلين، فالحياء زمام ذلك كله، وصمام أمنه وأمانه.

ومتى كان ذلك مرعيًا دعا إلى تذكر الموت والبلى، والزهد في زينة الدنيا، واستهداف الإنسان الباقيات الصالحات[1].

من أجل ذلك ما كان الحياء في شيء إلا زانه.

فينبغي على المربي أن يحرص على غرسه في النفوس فهو من جوامع الأخلاق في الإسلام، وكذلك إذا نجح الوالدان في غرس حب الحياء في نفس ابنهما يعني إمكانية حمل الصبي على جملة كبيرة من الأخلاق لأن الحيي لا يكذب، ولا يسرق، ولا يغش، ولا يفجر، ...إلخ. وأن من يفعل كل ذلك لا يستحي. قال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[2][3].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٩/٢٥، ١٠.

(٢) أخرجه البخاري، ٦١٢٠.

(٣) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٢٥٢، ٢٥٨.

٣٢٨- باب كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

الحديث رقم (١٧٣٨)

١٧٣٨- عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: ((هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ)) قَالَهَا ثَلاثاً. رواه مسلم[1]. "المُتَنَطِّعُون": المُبالغُون في الأمور.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن التنبيه إلى عدم التكلف في الكلام وعدم التنطع، والتمطق، والتفيهق، وهذا التنبيه ورد في صيغة الدعاء على هؤلاء الذين يبالغون في الأمور، ويتشدقون بالكلام، وتكرار هذا الدعاء ثلاث مرات، يؤكد رفض رسول الله ﷺ لهذه الصفة التي تنفر السامعين، وتحول بينهم وبين الإقبال على رياض الدعوة، والامتثال للمواعظ الحسنة، وقد كان رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة في الاعتدال والاتزان، وسلامة المنطق فقد برئ أسلوبه من تنافر الحروف، ومن التعقيد والمعاظلة في المنطق، ومن الغرابة المستكرهة، ومن الألفاظ الوعرة الوحشية، في غير قصد أو غرض.

كما برئ منطق رسول الله ﷺ من عيوب النطق التي تصدر عن مبالغة وتكلف كسباً لرضا المستمعين، مثل: التنطع، والتمطق، والتفيهق والتشادق، وغيرها.

فالتنطع في الكلام، هو رمي اللسان إلى نطع الفم أي الغار الأعلى، مبالغة من المتكلم في إظهار الكلام، والتأثير في المستمعين.

---

(١) برقم (٧/٢٦٧٠)، وتقدم برقم (١٤٤).

والتمطق: هو ضم الشفتين ورفع اللسان إلى الغار الأعلى للفم، والتفيهق هو الكلام من أقصى الفم.

وقد أبدى النبي ﷺ رفضه للتكلف في الكلام بأي نوع من أنواع التكلف كالثرثرة والتفيهق وغيرها، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»[1].

فقه الحديث

وفي الأحاديث من الفقه: كراهة التكلف في الأمور كلها أفعالاً، وأقوالاً واستحباب التيسير وحسن الخلق[2].

الضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه الترمذي، ٢٠١٨، وصححه الألباني، انظر (سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧٩١).

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ١٧٤/٢، وتهذيب السنن لابن القيم ٩١/١٣، وشرح صحيح مسلم ٢٢٠/١٦، وعون المعبود ٣٣٥/١٢.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤٤).

الحديث رقم (١٧٣٩)

١٧٣٩- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((إنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ)) رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة: يتشدَّق في الكلام ويُفَخِّم به لسانه ويلفُّه كما تلفُّ البقرةُ الكلأ بلسانها لفًّا[2].

الشرح الأدبي

ما أبشع هذه الصورة المنفرة التي يصور بها رسول الله ﷺ: هذا الصنف من الرجال: وهم المتكلفون المتشدقون الذين يدعون البلاغة والفصاحة، ويبالغون في إخراج الكلمات والحروف: ويتشدقون: وهم يلفون ألسنتهم ويلوونها بالحروف والكلمات كما تلف البقرة الكلأ بلسانها.

وهذه صورة عجيبة غريبة: تدعو للنفور، وكل من لديه هذا العيب في النطق.. عندما يقرأ هذا الحديث، ويتخيل صورته وهو يتكلم: وكأنه بقرة تخضم الكلأ ثم تخور، وترغى وتزبد، والتأكيد في بداية الحديث في قوله: "إن الله يبغض البليغ": وإسناد البغض إلى الله.

والمضارعية في "يبغض" الدالة على الاستمرار، كل هذه الظواهر الأسلوبية تؤكد رفض رسول الله ﷺ لهذه الصفة الممقوتة، والبلاغة المزعومة؛ وقوله: "البليغ من

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣) واللفظ له، إلا قوله: (بلسانه). وصحّحه أبو حاتم كما في العلل لابنه (٢٥٤٧).

(٢) النهاية في (خ ل ل).

الرجال": يوحي بالسخرية، لأن البلاغة محمودة، أما هذه فبلاغة مصنوعة: متكلفة.

وفي وصف هند بن أبي هالة لطريقة كلام رسول الله ﷺ في أحاديثه: تأكيد لمبدأ الفصاحة والاعتدال، وعدم الغلو، وعدم المبالغة حيث كان ﷺ يفتتح الكلام، ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم، والعيوب التي تصيب حاسة النطق عند كثير من المتحدثين والخطباء والعلماء، وعامة الناس. قد سلم منها حديث النبي ﷺ، ومنطقه، فهو أفصح العرب، وأوتي جوامع الكلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن التشدق في الكلام.

ثانياً: من فقه الداعية: توضيح المعنى بما هو أوضح وأقرب للمدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن التشدق في الكلام:

هذا واضح من الحديث: (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها)، قال ابن الأثير: "هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا"[1].

وقال الطيبي: "قال البيضاوي: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاصحاً، بما تفعل البقرة، واستعماله بالتاء قليل"[2]، وقال المباركفوري: "قوله: البليغ، أي: المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته (من الرجال) أي مما بينهم، وخُصّوا لأنه الغالب فيهم، (الذي يتخلل بلسانه)، أي: يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه، مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه"[3].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ البَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا))[4]، وفي رواية: كان عمر بن سعد

---

(١) النهاية في غريب الحديث ص ٢٨٣.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩٢/٩.

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢١٢٦/٢.

(٤) أخرجه أحمد ١٨٤/١ رقم ١٥٩٧، وقال محققو المسند: حسن لغيره ١٥٤/٣.

بن أبي وقاص إلى أبيهِ ﷺ حَاجَةٌ، فَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَىْ حَاجَتِهِ كَلاَماً، مِمَّا يُحَدِّثُ النَّاسُ يُوصِلُونَ، لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُهُ. فَلَمَّا فَرَغَ. قَالَ: يَا بُنَىَّ، قَدْ فَرَغْتَ مِنْ كَلاَمِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مَا كُنْتَ مِنْ حَاجَتِكَ أَبْعَدَ، وَلاَ كُنْتُ فِيكَ أَزْهَدَ مِنِّى مُنْذُ سَمِعْتُ كَلاَمَكَ هَذَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ((سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرَةُ مِنَ الأَرْضِ))[1].

وقال الطيبي: "قال التوربشتي: ضرب بهذا المثل لمعنيين: أحدهما: أنهم لا يهتدون من المأكل إلا ذلك سبيلاً، كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، والآخر: أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر، بل تلف بلسانها لفاً، فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم، لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين الحلال والحرام، سماعون للكذب آكلون للسحت"[2].

وعدّ ابن عثيمين التقعر في الكلام من آفات اللسان، فقال: "من آفات اللسان التقعر في الكلام والتشدق حين يتكلم بملء شدقيه، وحين يتكلم عند العامة في غرائب اللغة العربية؛ إما رياءً ليقول الناس: ما أعلمه باللغة العربية! أو لغير ذلك، فالإنسان ينبغي أن يكون كلامه ككلام الناس، الكلام الذي يفهم حتى وإن كان بالعامية ما دام يخاطب العوام، أما إذا كان يخاطب طلبة علم وفي مجلس التعلم، فهنا ينبغي أن يكون كلامه بما يقدر عليه من اللغة العربية"[3].

وقال الأصمعي: "كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلم، ظننته لا يعرف شيئاً، كان يتكلم كلاماً سهلاً"[4] والعجب أن أبا عمرو بن العلاء هو شيخ القراء والعربية[5].

---

(١) أخرجه أحمد ١٧٦/١ رقم ١٥١٧ وقال محققو المسند: حسن لغيره ١٠٣/٣.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩٢/٩.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٩/٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤١٠/٦.

(٥) سير أعلم النبلاء ٤٠٧/٦، ومعالم في طريق طلب العلم ص ١٧١.

وقال الدكتور عائض القرني: "لا نتكلف في القول بتشقيق الخطب والتفاصح وطلب الإغراب، والتشدق بالألفاظ وتنميق السجع، والتفيهق لقصد الرفعة"[١].

ثانياً- من فقه الداعية: توضيح المعنى بما هو أوضح وأقرب للمدعوين:

وهذا واضح من تشبيهه ﷺ بالذي يتشدق في كلامه بالبقرة في أكلها الكلأ، قال الطيبي: "قال التوربشتي: ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الراؤون من حال البقر، ليكون أثبت في الضمائر، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها والبقر بلسانها"[٢].

ومن هذا القبيل توضيح النبي ﷺ أن الحمى تذهب بخطايا الإنسان، فأوضح ذلك المعنى بما يفهمه المدعوون كلهم حق الفهم، فقال ﷺ لأم السائب أو أم المسيب عندما سَبَّت الحمى قال لها: ((لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))[٣].

قال ابن عثيمين: "أخبر ﷺ أنها تذهب بالخطايا كما يذهب الكير بخبث الحديد، فإن الحديد إذا صهر على النار ذهب خبثه وبقي صافياً، كذلك الحمى تفعل في الإنسان كذلك"[٤].

ومن هذا القبيل أيضاً تشبيه النبي ﷺ لما تكفره الصلاةُ من الذنوب بالنهر الجاري يطهر البدن مما يعلق به من الوسخ ونحوه، وهذه صورة واضحة أشد ما يكون الوضوح في أذهان كل المدعوين، فقال ﷺ: ((أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ. هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟)) قَالُوا: لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: ((فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ. يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا))[٥].

---

(١) هكذا حدثنا الزمان ص ١٣٢.

(٢) شرح الطيبي على المشكاة ٩٢/٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٥.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٧٨٢/٢.

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٨، ومسلم ٦٦٧.

قال ابن حجر: "قال ابن العربي: وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب، حتى لا تبقى له ذنباً إلا أسقطته"[١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: ((هَذَا الأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الأَقْرَبُ))[٢]، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله ﷺ نقل التصوير عن الفهم إلى ما تدركه الأبصار، ليكون تمثيله ﷺ أدعى إلى تعليم السامعين في سرعة، ليدرك ذلك من سمعه بسمعه وبصره"[٣].

---

(١) فتح الباري ٢/١١ - ١٢. ط/ السلفية.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤١٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٢٨١.

الحديث رقم (١٧٤٠)

١٧٤٠- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قال: ((إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إلَيَّ، وأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَومَ القِيَامَةِ، أحَاسِنكُمْ أخْلاقَاً، وإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ، وأبْعَدَكُمْ مِنِّي[1] يَومَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ)). رواه الترمذيُّ[2]، وقال: (حديث حسن). وقد سبق شرحه في بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الثرثارون: الثرثرة: كثرة الكلام وترديده، والمراد: الذين يكثرون الكلام تكلُّفًا وخروجًا عن الحق[3].

المتشدِّقون: المتوسِّعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، أو المستهزئون بالناس يلوون أشداقهم بهم وعليهم[4].

المتفيهقون: الذين يتوسَّعون في الكلام ويفتحون به أفواههم[5].

الشرح الأدبي

يخاطب المصطفى ﷺ أصحابه في مودة وصدق، ويعرض أمامهم نموذجين متضادين: أحدهما مقبول: وهو الفائز بحب رسول الله ﷺ وهو الأقرب مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وهو من تمتع بحسن الخلق، والنموذج الآخر يتضمن ثلاثة أنواع وكلهم في دائرة الرفض: وهم أبغض الناس إلى رسول الله وأبعد الخلق منه يوم

---

(١) عند الترمذي زيادة: (مجلسًا).

(٢) برقم (٢٠١٨)، وتقدم برقم (٦٣١). أورده المنذري في ترغيبه (٤٢٧٦).

(٣) النهاية في (ث ر ث ر).

(٤) النهاية في (ش د ق).

(٥) النهاية في (ف هـ ق).

القيامة. وهم الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون.

ويتضمن الحديث عدة ظواهر أسلوبية تبرز بلاغة الحديث وجمال أسلوبه، واتفاق المباني مع مقاصد المعاني، فالحديث يبدأ بالتأكيد "بإن" إشارة إلى أن الكلام فيه جد، وأن تحديد ملامح النموذجين حقيقة لا ريب فيها، وصيغة التفضيل في "أحبكم وأقربكم": تفيد الأكثرية والأفضلية، أي الأكثر حباً، والأكثر قرباً، وقوله: إلي، ومني، لإفادة التشريف والفوز بالاقتراب منه ﷺ، وصيغة التفضيل في قوله: "أحاسنكم أخلاقاً" تنبه إلى أن الفوز بالقرب من رسول الله ليس بالخلق الحسن فقط، ولكن بمضاعفة ذلك، فالخلق مراتب، ودرجات، والمؤمن يحرص على أن يكون: الأحسن خلقاً، وهذا من جوامع كلمه ﷺ.

ومن مظاهر جمال الأسلوب في الحديث: بلاغة المقابلة والمطابقة بين الصفات التي تؤدي إلى المحبة، والصفات التي تؤدي إلى البغض، والتضاد بين: أحبكم وأبغضكم، وكذلك بين أقربكم، وأبعدكم، وهذه السمة الأسلوبية من سمات البديع في البلاغة وهو تزيين الكلام وتحسينه: وتقريبه من النفوس؛ والثرثرة، والتشدق، والتفيهق: من سمات سوء الخلق: لأنها جاءت في مواجهة قوله: "أحاسنكم أخلاقاً"، والثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً، والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه، والمتفيهق أصله من الفهق وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويعرب به تكبراً، وإظهاراً للفضيلة على غيره، وذلك من أمارات سوء الخلق، والتكلف، والرياء والنفاق والتكبر وخداع النفس، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٣١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولا: من أهداف التربية الإسلامية: الحث على ترك التكلف في الكلام:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على البساطة ونبذ التكلف في الكلام، وذلك يكون بحفظ اللسان من التقعر في الكلام، وهو ما يكون بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيهات والمقدمات، وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة. ويمكن أن نلحق بالتقعر تكلف الحوشي والغريب من الألفاظ والمفردات والتراكيب التي يخفى معناها على كثير من الناس، وكل ذلك من التصنع المذموم، ومن التكلف الممقوت[1].

والشاهد على ذلك قول رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا.

وقوله ﷺ: «إن الله يبغض البليغ من الرجال.....إلخ الحديث».

وقوله: ﷺ: «...وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»، فهذه أشياء كرهها الإسلام ونهى عنها.

وكذا رفع الصوت فلحق بالتقعر، لأنه ضرب من ضروب التكلف، وهو يدل على اضطراب الشخصية وغليان النفس وعدم اتزان التفكير. وقد نهى ربنا جل وعلا عن ذلك فقال في محكم بيانه على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[2].

ومن أسباب ذم التكلف والتربية على نبذه ما جبلت عليه النفوس من حب ما فطرت عليه من الطبيعة غير المصطنعة والسليقة غير المتكلفة، ولذا فهي تنفر من كل تكلف وتصنع، أنىّ كانَ وكيف كان.

فالمتكلف غير محبوب، بل هو منبوذ من خاصة الناس وعامتهم[3]. لذا كان من

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ١٥٦٥/٣.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٩.

(٣) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٦٥/٢١، ٦٦.

أهداف التربية الإسلامية الرئيسية التربية على البساطة ونبذ التكلف حتى يكون الكلام مفهومًا ومقبولاً من السامعين.

ثانيًا- من أساليب التربية الإسلامية: التكرار:

من الأساليب التربوية المهمة: التكرار، ويمكن أن تبدو أهميته للأطفال في حفظ الكلمات وفي ذكر الأشكال، والتكرار قد يقصد به التأثير في النفس[1]، فهناك تفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[2].

وقد استخدم الرسول المربي هذه الطريقة في التربية الإسلامية[3].

ففي الحديث الشريف عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون»، قالها ثلاثًا.

فالتكرار من أساليب وطرق التربية الهامة.

من أجل ذلك يجب على المعلم تكرار الأشياء الهامة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيدًا لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر، وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهمًا جيدًا دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ. إن التكرار من الأساليب التعليمية المستخدمة لتثبيت التعلم، والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكينًا لسامعيه لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم[4].

ثالثًا- التربية بضرب المثل:

من أساليب التربية في هذا الباب ضرب الأمثلة، فقد ضرب رسول الله ﷺ مثلاً الذي يتشدق بلسانه في الكلام ويلفه، بالبقرة تلف الكلأ بلسانها لفًا.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣١.

(٢) سيكولوجية القصة في القرآن، د/التهامي نفره، ص١٢٨.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د/عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣١.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د/محمد صالح بن علي جان، ص٢١٦، ٢١٧.

والأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة[1].

والتربية بضرب المثل تجمع بين الإقناع والإمتاع لدى السامع لأن ضرب المثل يأتي بصورة حسية تشبه الصورة المراد انتزاعها إن كانت سلبية، وتعديلها إن كانت معوجة، وتعزيزها إن كانت إيجابية ومرغوباً فيها، فيضعها في دائرة الإدراك العقلي، وذلك بإشراك الحواس في تحليل تلك الصورة تحليلاً نفسيًا من أجل الوصول إلى غرس كراهية الصور السلبية، ومن ثم الإقلاع عنها، أو الوصول إلى حب السلوك الحميد وتمثله عمليًا كلما لزم الأمر[2].

رابعًا- التربية بالترغيب والترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب: الترغيب والترهيب، فقد رهب النبي ﷺ من التشدق والتكلف في الكلام فقال: «هلك المتنطعون» قالها: ثلاثًا.

وقال ﷺ: «إن الله يبغض البليغ من الرجال ...».

وقال: ﷺ: «... وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون».

كما رغب ﷺ في الأخلاق الفاضلة فقال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا»، وأسلوب الترغيب والترهيب يتماشى مع الطبيعة البشرية، والذي لا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان[3]، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور والحلاوة، وإن عمل شرًا ذاق

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل، ص١٣٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص١٦٣، ١٦٤.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

الألم والمرارة[١].

مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ص٢٤٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د/سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

٣٢٩- باب كراهة قوله: خَبُثَتْ نَفْسي

الحديث رقم (١٧٤١)

١٧٤١- عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيّ ﷺ، قال: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسي)) متفق عليه[1].

قال العلماء: "مَعْنَى خَبُثَتْ: غَثَتْ، وهو معنى "لَقِسَتْ" ولكن كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن للألفاظ أشعة وظلالاً وأجنحة، وبمقدار صفاء أشعتها، ونداوة ظلالها، ورهافة أجنحتها يكون تأثيرها في النفس، ومخالطتها للقلب، وامتزاجها بالشعور، واستقرارها في السمع، وهذا الحديث يُعلم المسلمين الأدب في النطق، ويرشدهم إلى استعمال اللفظ الحسن، وهجران القبيح منه، ومن دلائل جمال الألفاظ في اللغة العربية، وحسن موقعها في السمع كما قال: ابن سنان الخفاجي: "في سر الفصاحة"، أن تجد لتأليف اللفظة حسنًا ومزية على غيرها، وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة في المخارج، كما أنك تجد لبعض النغم والألوان حُسنًا يتصور في النفس، ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، وهذا ما دعا إليه رسول الله ﷺ، حيث نهى عن استخدام كلمة: "خبثت"، وأمر بالعدول عنها إلى قوله: "لقست" لأن إيحاء الأولى فيه نفور، وفيه اتهام للنفس، وإيهام باقترابها من الخبث أو من الشيطان.

وقال علماء البلاغة: في تفضيل اللفظ الحسن الجميل على اللفظ المنفر القبيح: وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنًا أو فننًا أحسن من تسميته

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٧٩) واللفظ له، ومسلم (١٦/٢٢٥٠).

علوجًا، وأن أغصان البان أحسن من قولنا عاليج الشوحط: في السمع، والشوحط شجر يتخذ منه القسي؛ وقد عاب ابن سنان الخفاجي بعض الشعراء، ونعى عليهم استعمال الألفاظ الثقيلة المنفرة، وترك الألفاظ الحسنة المشعة الجميلة: مثل كلمة: جرش، ومعناها: النفس، وكلمة حقلد، ومعناها: الضعيف أو الضعيف النحيل، وكلمة دردبيس: ومعناها: الداهية، وكلمة جؤشوش: ومعناها: القطعة من الليل.

ورسول الله ﷺ في هذا الحديث يوجه المسلمين إلى استخدام الكلمات ذات الوقع الجميل في النفس، والتي تنأى عن الفحش والابتذال، وإثارة الغرائز، لأن المسلم عف السمع، عف اللسان. والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

النهي عن أن يقول الرجل خبثت نفسي[1]، وذلك كراهة لهذه اللفظة[2]، سدًا لذريعة اعتياد اللسان للكلام الفاحش، وسدًا لذريعة اتصاف النفس بمعنى هذا اللفظ، وذلك لأن الألفاظ تقتضي معانيها[3]. فكره رسول الله ﷺ لفظ الخبث لبشاعته وأرشدهم إلى لفظ هو أحسن منه، وهو قوله "لقست"، فيكون الرسول ﷺ قد أرشدهم إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح في الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال[4].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول الإنسان: خبثت نفسي.

ثانيًا: من آداب المدعو: مجانبة الألفاظ والأسماء القبيحة والعدول إلى ما لا قبح فيه.

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٤٧/١٩، وفتح الباري ٥٦٤/١٠، وعون المعبود ٢٢٢/١٣.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٤٧/١٩، وعون المعبود ٢٢٢/١٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ١٥٠/٣.

(٤) الطرق الحكمية لابن القيم ٦٣/١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول الإنسان: خبثت نفسي:

وهذا واضح من نهيه ﷺ: (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل: لقست نفسي)، قال ابن حجر: "قال الراغب [1]: الخبث يطلق على الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال، والقبيح في الفعال: قلت [القائل ابن حجر]: وعلى الحرام والصفات المذمومة القولية والفعلية"[2].

قال ابن الأثير: "لقست، أي: غثت، واللقس:: الغثيان، وإنما كره (خبثت) هربًا من لفظ الخبث والخبيث، واللقس أيضًا: السيئ الخلق، وقيل: الشحيح، ولقست نفسه إلى الشيء: إذا حرصت عليه ونازعته إليه"[3].

وقال ابن حجر: "وقال غيره - أي غير الخطابي -: معنى لقست غثت وهو يرجع أيضًا إلى معنى خبثت، وقيل: معناه ساء خلقها، وقيل: مالت إلى الدعة"[4].

وقال ابن عثيمين: "معنى لقست: غثت، أحيانًا يصيب الإنسان كتمة يسميها الناس كتمة فتضيق عليه الدنيا بدون أن يعرف سببًا لذلك، فيقول خبثت نفسي، وخبثت يعني صارت خبيثة، وهذه كلمة مكروهة"[5].

وقال الخطابي: "إنما كره من ذلك لفظ الخبث وبشاعة الاسم منه، وعلمهم الأدب في المنطق، وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح منه"[6].

وقال النووي: "إنما كره الخبث لبشاعة الاسم، وعلمهم الأدب في الألفاظ، واستعمال حسنها وهجران خبيثها، فإن قيل: فقد قال ﷺ في الذي ينام عن الصلاة فأصبح: خبيث النفس كسلان[7]، قال القاضي عياض[8] وغيره: جوابه أن النبي ﷺ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ١٤١.

(٢) فتح الباري ١٠/٥٦ - ٥٦٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث ص ٨٤٠.

(٤) فتح الباري ١٠/٥٦٤، .

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٠.

(٦) معالم السنن ٧/٢٧٣ - ٢٧٤.

(٧) أخرجه البخاري ١١٤٢ ومسلم ٧٧٦.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٧/١٩١.

مخبر هناك عن صفة غيره وعن شخص مبهم مذموم الحال، لا يمتنع إطلاق هذا اللفظ عليه"[١].

وقال القرطبي: "إن محلّ النهي أن يضيف المتكلم الخبث إلى نفسه لا أن يتكلم بالخبث مطلقًا، فإذا أخبر به عن غير معين جاز، ولا سيما في معرض التحذير والذم للكسل، والتثاقل عن الطاعات، كما قد جاء في هذا الحديث، ومن أوضح ما في هذا الباب قوله ﷺ حين سئل عن العقيقة فقال: ((لاَ أُحِبُّ الْعُقُوقَ، ولكن مَنْ وُلِدَ لَهُ فَأَحَبَّ أَنْ يَنْسُكَ عَنْ وَلَدِهِ بشاة فَلْيَفْعَلْ))[٢]، فكره اسم العقوق"[٣].

وقال الطيبي: "ويمكن أن يقال: إنه ﷺ نهى الشخص أن ينسب إلى نفسه الخبث، فإنه مذموم لا يحتمل غير الذم، والمراد النهي عن التعرض لما يوصف به من صفة المنافقين من الكسل والرياء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٤]، نعم إذا صدر منهم نحو غثيان كنوم وسهو أو نحو ذلك، يخبرون عن أنفسهم بأنها لقست، فيتدارك ما فات منهم"[٥].

ثانيًا- من آداب المدعو: مجانبة الألفاظ والأسماء القبيحة والعدول إلى ما لا قبح فيه:

وهذا يستنبط من الحديث، قال ابن حجر: "قال ابن أبي جمرة: النهي عن ذلك للندب، والأمر بقوله: (لقست) للندب أيضًا: فإن عبّر بما يؤدي معناه كفى، ولكن ترك الأولى، وقال: ويؤخذ من الحديث استحباب مجانبة الألفاظ القبيحة والأسماء والعدول إلى ما لا قبح فيه، والخبث واللقس، وإن كان المعنى المراد يتأدى بكل منهما، لكن لفظ الخبث قبيح ويجمع أمورًا زائدة على المراد، بخلاف اللقس فإنه

---

(١) شرح صحيح مسلم ٩/١٧/٨. ط/ دار عالم الكتب.

(٢) أخرجه أحمد ١٨٢/٢ رقم ٦٧١٣، ٦٨٢٢، وقال محققو المسند: إسناده حسن أ. هـ. وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٣٢٠/١١.

(٣) المفهم ٥٥٥/٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١٤٢.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧٤/٩ - ٧٥.

يختص بامتلاء المعدة، قال: وفيه أن المرء يطلب الخير حتى بالفأل الحسن، ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنسبة ما، ويدفع الشر عن نفسه مهما أمكن، ويقطع الوصلة بينه وبين أهل الشر حتى في الألفاظ المشتركة، قال: ويلتحق بهذا أن الضعيف إذا سئل عن حاله لا يقول: لست بطيب، بل يقول: ضعيف، ولا يخرج نفسه من الطيبين فيلحقها بالخبيثين"[١].

قال ابن عثيمين: "وفي هذا الحديث دليل على اجتناب الألفاظ المكروهة وإبدال ألفاظ غير مكروهة بها[٢] وإن كان المعنى واحدًا، لأن اللفظ قد يكون سببًا للمعنى، قد يقول: خبثت نفسي بمعنى غثت، والخبث: الغثيان، ويأتي في باله أنه من الخبث الذي هو ضد الطيب، والنفوس الخبيثة هي نفوس الكفرة، لقوله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[٣]، ولقوله تعالى:[٤]، ولأن النبي ﷺ كان إذا أراد دخ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ول الخلاء ليبول أو يتغوط قال: ((أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ))[٥]، يعني الشياطين والشر.

فالمهم أن الإنسان يُكْره له أن يطلق ألفاظًا مكروهة على معانٍ صحيحة، بل يبدل ألفاظًا محبوبة للنفوس"[٦].

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٦٤.

(٢) في الأصل: وإبدالها بألفاظ غير مكروهة والصواب ما أثبتناه، فإن الباء تدخل على المتروك.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٨.

(٤) سورة النور، آية: ٢٦.

(٥) أخرجه البخاري ١٤٢، ومسلم ٣٧٥.

(٦) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتوجيه المباشر:

يعتمد هذا النوع من الأساليب التربوية على توجيه الكلام إلى الفرد المستهدف بالتربية عن طريق الخطاب المباشر، من خلال البيان والإرشاد، حيث يقوم المربي بتلقين الفرد المراد تغيير سلوكه أو تقويمه أو تعزيزه تلقينًا مباشرًا بأحد أساليب التلقين ومنها: التلقين بالكلام.

فيقوم بإلقاء الكلام إلى السامع - الشخص المستهدف بالتربية - مباشرة بصيغة الأمر، كما في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1]. أو بصيغة النهي كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾[2]. وفي كلا الحالين يقوم المربي بإلقاء الأمر أو النهي بصورة جلية على ألا يكون هذا الأسلوب الأغلب لدى المربي[3].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التوجيه المباشر بنهي المسلم عن قوله: خبثت نفسي، حيث قال ﷺ: «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : خَبُثَتْ نَفْسِي. وَلَكِنْ لِيَقُلْ : لَقِسَتْ نَفْسِي».

إن الله تعالى كرم نفس المسلم وطهرها، وذلك يوجب على المسلم أن ينأى عن الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها، وتحقرها، وتسوي بينها وبين السفلة، وإنما تعلو قيمة المرء، وتسمو مكانته بقدر نصيبه من بعد الهمة، وشرف النفس[4].

والتوجيه التربوي الإسلامي يحث على الأدب في النطق مع كل الأشياء حتى مع النفس، فالإسلام قوامه الأدب ، فقد علم المسلم الأدب مع ربه ومع الخلق ومع نفسه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د/أمين أبولاوي، ص١٥٤، ١٥٥.

(٤) انظر: رسائل الأخلاق والسلوك، محمد إبراهيم الحمد، ص٤٦١.

التي بين جنبيه، فلا ينبغي لمسلم أن يصف نفسه بالخبث لأن الله كرمه، ومن فعل ما نهي عنه فقد كان عونًا للشيطان على نفسه[1].

فعلى المربي التوجيه إلى استعمال الألفاظ الطيبة مع الآخرين ومع النفس، وخاصة توجيه النشء حتى يشبوا على طيب الكلام، ونبذ مكروهه فتكون ألفاظهم محبوبة للنفوس. لأن ذلك هدف تربوي إسلامي، تحث عليه التربية الإسلامية.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٢٠/٣، ٢٢١ بتصرف.

٣٣٠- باب كراهة تسمية العنب كرمًا

الحديث رقم (١٧٤٢)

١٧٤٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ)) متفق عليه[١]، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية[٢]: ((فَإِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ)).

وفي رواية للبخاري ومسلم[٣]: ((يَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الكرم: العنب[٤].

الشرح الأدبي

إن للإسلام أثرًا في تطور اللغة العربية، حيث جدت ألفاظ ومصطلحات جديدة تتسق مع تعاليم الإسلام وفرائضه وحدوده، ويقول: أبو هلال العسكري في كتابه "الأوائل"، وقد حدثت في الإسلام معان وسميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعان أخر، ومن ذلك: القرآن، والسورة، والآية، والتيمم، وسمي الإيمان مع إسرار الكفر نفاقاً، والسجود لله إيماناً والسجود للوثن كفراً، ولم يعرف أهل الجاهلية من ذلك شيئاً.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٤٧/٨) من حديث محمد بن سيرين. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٧/٩) من حديث ورقاء بن عمرو، عن أبي الزناد.

(٣) أخرجه البخاري (٦١٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٤٧/٧) من حديث الزهري، عن سعيد بن المسيب. انظر: الجمع للحميدي (٣٢/٣، رقم ٢٢٠٩).

(٤) الوسيط في (ك ر م).

وهذا الحديث الشريف شاهد من شواهد أثر الإسلام في توجيه واستخدام الألفاظ: وأسماء الأشياء، فالرسول يبدأ الحديث بجملة مصدرة بحرف النهي: وهي للجزم، وينهي عن أن يسمى المسلمون العنب كرماً: لأن هذا الاسم مشتق من الكرم: وهو يوحي بالتكريم، والتعظيم والتنزيه، وأولى بهذا الاسم: المسلم نفسه، أو قلب المؤمن كما ورد في رواية أخرى: "إنما الكرم قلب المؤمن".

والتأكيد في الجملة الثانية من الحديث يوحي بتشديد هذا الأمر، وأن النهي الصادر من رسول الله ﷺ هو نهي كراهة وتنزيه، ولكن على المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ، وأن ينفذ سنته.

وقيل: وليس الغرض حقيقة النهي عن تسميته كرماً، ولكنه رمز إلى أن هذا النوع من غير الأناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم: أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه لهذه التسمية، غيرة للمسلم التقي أن يُشارك فيما سماه الله تعالى، واختصه بأن جعله صفته، فضلاً أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم.

وهذا باب دقيق خفي: من أبواب الدقة واللطف في اللغة، وتوجيه للمسلم إلى إدراك هذه الخفايا والأسرار.

فقه الحديث

في الحديثين[1] من الفقه: النهي عن تسمية العنب كرماً، وليس النهي ههنا للتحريم وإنما هو على سبيل الكراهة[2].

والسبب في كراهة تسمية العنب كرماً، أن لفظ الكرم كانت تطلقها العرب على شجرة العنب، وعلى العنب، وعلى الخمر المتخذة من العنب، سموها كرماً لأنها متخذة منها، ولأنها تحمل على الكرم، والسخاء، فكره الشارع إطلاق هذه اللفظة

---

(١) الحديث رقم (١٧٤٢)، (١٧٤٣).

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ٣٤٦/٣، ومغني المحتاج ٣٢٤/٢، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٣٤٥/٢، وشرح صحيح مسلم ٤/١٥، وتهذيب السنن لابن القيم ٢١٧/١٣، والمطلع ١٣٠/١-١٣١.

على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا هذه اللفظة ربما تذكروا الخمر، فهاجت نفوسهم إليها، فيقعون فيها، أو يقاربونها[١].

وإنما الذي يستحق هذه اللفظة هو الرجل المسلم، أو قلبه، كما في بعض الروايات وذلك لكثرة خيره، ونفعه، واجتماع الخصال المحمودة فيه من السخاء وغيره[٢].

المضامين الدعوية[٣]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن تسمية العنب كرماً.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: كرامة المؤمن على ربه.

رابعاً: من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الصواب من الأسماء والمسميات.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن تسمية العنب كرماً:

وهذا واضح من الحديثين، قال البغوي: "قد قيل في معنى نهيه عن تسمية هذه الشجرة كرماً: إن هذا الاسم عندهم مشتق من الكرم، سموا شجرة العنب كرماً، لأنه يتخذ منه الخمر وهي تحث على السخاء والكرم، فاستقوا لتلك الشجرة اسماً من الكرم، فكره النبي ﷺ تسميته لشيء حرّمه الشرع باسم مأخوذ من الكرم، وأشفق أن يدعوهم حسن الاسم إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم تحقيراً لشأنها وتأكيداً لحرمتها، وجعله صفة للمسلم الذي يتوقاها، ويمنع نفسه عن محارم الشرع عزة وتكرماً، قال الله سبحانه وتعالى في صفة عباده: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[٤]، أي: معرضين عنه، قد أكرموا أنفسهم من الدخول فيه، وقال جلّ

---

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ٣٤٥/٢، وشرح صحيح مسلم ٤/١٥-٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٥/١٥، وطرح التثريب ٤٩٩/٨، والمطلع ١٣٠/١-١٣١.

(٣) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٣).

(٤) سورة الفرقان، آية: ٧٢.

ذكره: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[١]، وقوله ﷺ: (إن الكرم قلب المؤمن) لما فيه من نور الإيمان وتقوى الإسلام"[٢].

وقال النووي: "قال العلماء: كره الشرع إطلاق هذه اللفظة على العنب وشجره، لأنهم إذا سمعوا اللفظة ربما تذكروا بها الخمر وهيجت نفوسهم إليها، فوقعوا فيها أو قاربوا ذلك.. فسمى قلب المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم"[٣].

وقال ابن حجر: "قال الخطابي ما ملخصه: إن المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في تبقية هذا الاسم تقريراً لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها، فنهى عن تسميتها كرماً، وقال: (إنما الكرم قلب المؤمن)، لما فيه من نور الإيمان وهدى الإسلام، وحكى ابن بطال عن ابن الأنباري أنهم سموا العنب كرماً، لأن الخمر المتخذة منه تحث على السخاء وتأمر بمكارم الأخلاق، حتى قال شاعرهم: (والخمر مشتقة المعنى من الكرم)... فلذلك نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسموا أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، وجعل المؤمن الذي يتقي شربها ويرى الكرم في تركها أحق بهذا الاسم"، وحكى القرطبي[٤] عن المازري[٥] أن السبب في النهي: أنه لما حرمت عليهم الخمر، وكانت طباعهم تحثهم على الكرم، كره ﷺ أن يسمى هذا المحرم باسم تهيج طباعهم إليه عند ذكره، فيكون ذلك كالمحرك لهم، وتعقبه بأن محل النهي إنما هو تسمية العنب كرماً، وليست العنب محرمة، والخمر التي لا تسمى عنبة، بل العنب قد يسمى خمراً باسم ما يئول إليه، قلت [أي ابن حجر]: والذي قاله المازري موجه، لأنه يحمل على إرادة حسم المادة بترك تسمية أصل الخمر بهذا الاسم

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٢) شرح السنة ٣٥٦/١٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦/١٥/٨.

(٤) المفهم ٥٥٠/٥.

(٥) المعلم بفوائد مسلم ٢٨٤/٢.

الحسن، ولذلك ورد النهي تارة عن العنب وتارة عن شجرة العنب، فيكون التنفير بطريق الفحوي؛ لأنه إذا نهى عن تسمية ما هو حلال في الحال بالاسم الحسن لما يحصل منه بالقوة مما ينهى عنه، فلأن ينهى عن تسمية ما ينهى عنه بالاسم الحسن أحرى"[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد:

وهذا واضح من نهي النبي ﷺ عن تسمية العنب كرماً، معللاً ذلك بأن الكرم المسلم أو قلب المؤمن، "فسمى قلب المؤمن كرماً لما فيه من الإيمان والهدى والنور والتقوى والصفات المستحقة لهذا الاسم، وكذلك الرجل المسلم"[٢]، وقال ابن تيمية: "قوله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣]، سمى ووصف نفسه بالكرم وبأنه الأكرم بعد إخباره أنه خلق، ليتبين أنه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، كما قال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ ٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[٤]، وكما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٥]، وكما قال الخليل عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٦]، فالخلق يتضمن الابتداء والكرم تضمن الانتهاء، كما قال في أم القرآن: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٧].

ولفظ الكرم لفظ جامع للمحاسن والمحامد، لا يراد به مجرد الإعطاء، بل الإعطاء من تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته؛

---

(١) فتح الباري ١٠/٥٦٧ - ٥٦٨.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨/١٥/٦.

(٣) سورة العلق، الآيات: ٣ - ٥.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ٢ - ٣.

(٥) سورة طه، آية: ٥٠.

(٦) سورة الشعراء، آية: ٧٨.

(٧) سورة الفاتحة، الآيتان: ١ - ٢.

ولهذا قال النبي ﷺ: (لا تسموا العنب الكرم، فإنما الكرم قلب المؤمن)، وقد سموا العنب (الكرم)، لأنه أنفع الفواكه، يؤكل رطباً ويابساً ويعصر فيتخذ منه أنواع، وهم أعم وجوداً من النخل، يوجد في عامة البلاد، والنخل لا يكون إلا في البلاد الحارة، ولهذا قال في رزق الإنسان: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[1]، فقدم العنب، وقال في صفة الجنة: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾[2]، ومع هذا نهى النبي ﷺ عن تسميته بالكرم وقال: (الكرم قلب المؤمن)، فإنه ليس في الدنيا أكثر ولا أعظم خيراً من قلب المؤمن.

والشيء الحسن المحمود يوصف بالكرم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[3]، قال ابن قتيبة: "من كل جنس حسن، وقال الزجاج: الزوج النوع، والكريم المحمود، وقال غيرهما: (من كل زوج)، صنف وضرب (كريم) حسن، من النبات مما يأكل الناس والأنعام، يقال: نخلة كريمة، إذا طاب حملها، وناقة كريمة إذا كثر لبنها.

وعن الشعبي: الناس مثل نبات الأرض: فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم، والقرآن قد دلّ على أن الناس فيهم كريم على الله يكرمه، وفيهم من يهينه قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[5].

وقال النبي ﷺ: ((فإيَّاكَ وكَرائمَ أموالهم. واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينَها

---

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤ - ٣٢.

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ٣١ - ٣٢.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٧.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٥) سورة الحج، آية: ١٨.

وبينَ اللّهِ حِجابٌ))[١]، وكرائم الأموال: التي تكرم على أصحابها لحاجتهم إليها وانتفاعهم بها من الأنعام وغيرها.

وهو سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف بها، فدلّ على أنه الأكرم وحده، بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم)، فإنه لا يدل على الحصر، وقوله: (الأكرم) يدل على الحصر، ولم يقل: (الأكرم في كذا)، بل أطلق الاسم ليبين أنه الأكرم مطلقاً غير مقيد، فدلّ على أنه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه"[٢].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: كرامة المؤمن على ربه:

وهذا يستنبط من الحديث، قال الزمخشري في الفائق: "أراد النبي ﷺ أن يقرر ويشدد على ما في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣]، بطريقة أنيقة ومسلك لطيف، ورمز خلوب، فبصر أن هذا النوع من غير الأناسي، المسمى بالاسم المشتق من الكرم: أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه لهذه التسمية ولا تطلقوها عليه، ولا تسلموها له، غيرة للمسلم التقي، ورباً به أن يشارك فيما سماه الله به، واختصه بأن جعله صفته، فضلاً أن تسموا بالكرم من ليس بمسلم، وتعترفوا له بذلك، وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً، ولكن الرمز إلى هذا المعنى كأنه قال إن تأتي لكم أن لا تسموه - مثلاً - باسم الكريم، ولكن بالحبلة فافعلوه، وقوله: (فإنما الكرم الرجل المسلم)، أي: فإنما المستحق للاسم المشتق من الكرم: المسلم ونظيره في الأسلوب قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[٤]"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٥٨، ومسلم ١٩. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٢٩/٨ - ٤٣٠، ٢٩٣/١٦ - ٢٩٥.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٣٨.

(٥) الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، ط عيسى البابي الحلبي ٢٥٧/٣. وط المكتبة العصرية، ٢٤٨/٣.

وقال ابن هبيرة: "هذا الحديث يدل على أنهم كان يسمون العنب كرماً، ويزعمون أنها تحدث كرماً على ما قيل، فأراد رسول الله ﷺ أن لا ينسب إلى الخمر فضيلة وإنما الفضيلة للمؤمن لما فيه من النور والإيمان"[١].

وقال الطيبي: "وتلخيص المعنى تخطئه رأي من سمى العنب بالكرم، نظراً إلى أنه يتخذ من الخمر، وشربها يولد الكرم، وتسفيههم فيها، لأنها أم الخبائث والرجس الذي هو من عمل الشيطان، وتصويب رأي من يرى استحقاق هذا بقلب المؤمن الطاهر عن أوضار الرجس والآثام، وإنه معدن مكارم الأخلاق ومنبعها ومركز التقوى، فهو أولى وأحرى أن يسمى كرماً، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢]، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣]، كأنه ﷺ نبّه المسلمين على التحلي بالتقوى والتزيي به، وأنه رأس مكارم الأخلاق، لا ما ذهب إليه الجاهلية، وهو من باب المشاكلة، كقوله تعالى: (صبغة الله)، فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، يقولون: هو تطهير لهم، فقيل للمسلمين: قولوا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله.. ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾[٤]، أي قولوا: صبغنا الله بالإيمان صبغته، ولم يصبغ صبغتكم التي هي النجاسة لا الطهر"[٥].

وقال ابن حجر: "وقال أبو محمد بن أبي جمرة ما ملخصه: لما كان اشتقاق الكرم من الكرم، والأرض الكريمة هي أحسن الأرض، فلا يليق أن يعبر بهذه الصفة إلا عن قلب المؤمن الذي هو خير الأشياء، لأن المؤمن خير الحيوان، وخير ما فيه قلبه؛ لأنه إذا صلح صلح الجسد كله، وهو أرض لنبات شجرة الإيمان"[٦].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٠٦/٦.

(٢) سورة الحج، آية: ٣٢.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ١٣٦ - ١٣٨.

(٥) شرح الطيبي على المشكاة ٧٣/٩.

(٦) فتح الباري ٥٦٨/١٠.

رابعاً- من مهام الداعية: تصحيح المفاهيم وبيان الصواب من الأسماء والمسميات:

وهذا واضح من النهي في الحديثين، قال ابن القيم: "العرب تسمي شجر العنب كرماً لكرمه، والكرم كثرة الخير والمنافع والفوائد؛ لسهولة تناولها من الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[1]، وفي آية أخرى: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[2]، فهو كريم في مخبره، بهيج في منظره، وشجر العنب قد جمع وجوهاً من ذلك: منها: تذليل ثمره لقاطفه، ومنها: أنه ليس دونه شوك يؤذي مجتنيه... ومنها: أن ثمره يؤكل قبل نضجه وبعد نضجه وبعد يبسه.. ومنها: أنه يدخر يابسه قوتاً وطعاماً وأدماً... إلى غير ذلك من فوائده، فلما كان بهذه المنزلة سموه كرماً، فأخبرهم النبي ﷺ أن الفوائد والثمرات والمنافع التي أودعها الله قلب عبده المؤمن من البر وكثرة الخير، أعظم من فوائد كرم العنب، فالمؤمن أولى بهذه التسمية منه، فيكون معنى الحديث على هذا: النهي عن قصر اسم الكرم على شجرة العنب، بل المسلم أحق بهذا الاسم منه.

وهذا نظير قوله ﷺ: ((لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ. إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ))[3]، أي: مالك نفسه أولى أن يسمى شديداً من الذي يصرع الرجال، وكقوله: ((ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والأكلة والأكلتان ولكنه الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه))[4]، أي: هذا أولى بأن يقال له مسكين من الطواف الذي تسمونه مسكيناً... ونظيره قوله: ((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِىءِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))[5]. وإن كان هذا ألطف من الذي قبله.

وقيل في معنى النهي وجه آخر، وهو قصد النبي ﷺ سلب هذا الاسم المحبوب

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٠.

(٢) سورة ق، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦١١٤، ومسلم ٢٦٠٩.

(٤) أخرجه البخاري ١٤٧٩، ومسلم ١٠٣٩.

(٥) أخرجه البخاري ٥٩٩١.

للنفوس الذي يلذ لها سماعه عن هذه الشجرة التي تتخذ منها أم الخبائث فيسلبها الاسم الذي يدعو النفوس إليها، ولا سيما فإن العرب قد تكون سمّتها كرماً، لأن الخمر المتخذة منها تحث على الكرم وبذل المال، فلما حرمها الشارع نفى اسم المدح عن أصلها، وهو الكرم، كما نفى اسم المدح عنها وهو الدواء، فقال: ((إِنَّهَا دَاءٌ وَلَيْسَتْ بِدَوَاءٍ))[1].

ومن عرف سرّ تأثير الأسماء في مسمياتها نفرةً وميلاً عرف هذا، فسلبها النبي ﷺ هذا الاسم الحسن وأعطاه ما هو أحق به منها وهو قلب المؤمن.

ويؤكد المعنى الأول: أن النبي ﷺ شبه المسلم بالنخلة [2]، لما فيها من المنافع والفوائد، حتى إنها كلها منفعة لا يذهب منها شيء بلا بمنفعة حتى شوكها، ولا يسقط عنها لباسها وزينتها كما لا يسقط عن المسلم زينته"[3].

وقال القرطبي: "الأحقّ باسم الكرم المسلم أو قلب المسلم، وذلك لما حواه من العلوم والفضائل والأعمال الصالحات والمنافع العامة، فهو أحق باسم الكريم والكرم من العنب"[4].

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦١، ومسلم ٢٨١١.

(٣) تهذيب السنن ٢٦٨/٧ - ٢٧٢.

(٤) المفهم ٥٥١/٥.

الحديث رقم (١٧٤٣)

١٧٤٣- وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((لاَ تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ)) رواه مسلم[1]. "الحَبَلَةُ" بفتح الحاء والباء، ويقال أيضًا بإسكان الباء.

ترجمة الراوي:

وائل بن حُجْر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٩٩).

غريب الألفاظ:

الحَبَلَةُ: شجر العنب[2].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث في مضمونه مع الحديث السابق، ولكن تختلف الصياغة، والألفاظ. ففي هذا الحديث يبدأ رسول الله ﷺ بالنهي عن التلفظ بلفظ "الكرم" حيث يقول: "لا تقولوا: الكرم"، أي: لا تسموا العنت: الكرم: كما جاء في الحديث السابق، وهذا الحديث يرد فيه: الاستدراك رابطاً بين جملتي الحديث في قوله ولكن قولوا: (العنب والحبلة) والاستدراك في اللغة: هو: نفي ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه، فالاستدراك في قوله: لكن جاء لنفي توهم عدم إثبات اسم لهذا النبات وإثبات ما توهم السامعون نفيه، وهو قولهم: "العنب والحبلة"، وشجر العنب يسمى الحبلة.

وقال ابن الجوزي في جامع المسانيد: كما ورد في دليل الفالحين: إنما نهى عن هذا: لأن العرب كان يسمون العنب كرماً لما يدَّعون من إحداثها في قلوب شاربيها من الكرم، فنهى عن تسميتها بما تمدح به لتأكيد ذمها وتحريمها، وعلم أن قلب المؤمن

---

(١) برقم (٢٢٤٨/١٢).

(٢) شرح مسلم ١٤٠٠.

لما فيه من نور الإيمان أولى بذلك الاسم، ولأن العنب من مصادر صنع الخمر: جاء النهي عن تكريم هذا النبات، وتحريم تناوله حينما يستحيل إلى خمر... فكل مسكر خمر وكل خمر حرام، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الدقة في استعمال الألفاظ:

من أهداف التربية الإسلامية الدقة في استعمال الألفاظ ويظهر ذلك في قوله ﷺ: «لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ. فَإِنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمُ». وفي رواية: «فإنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

وقال ﷺ: «لاَ تَقُولُوا: الْكَرْمُ. وَلَكِنْ قُولُوا: الْعِنَبُ وَالْحَبْلَةُ».

إن العرب كانت تسمى شجرة العنب الكرم، لكثرة منافعها وخيرها، فكره النبي ﷺ تسميتها باسم يهيج النفوس إلى محبتها، ومحبة ما يتخذ منها من المسكر، وهو أم الخبائث، فكره أن يسمى أصله بأحسن الأسماء وأجمعها للخير[1].

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على الدقة في اختيار الألفاظ واستعمالها مع ما يناسبها من الأشياء، وهذا هدف تربوي هام جدًا خاصة بعد تأثر شعوبنا الإسلامية بعوامل مختلفة كثيرة منها الغزو الفكري المعاصر، الذي غزانا به أعداء الإسلام من جهة واستورده فريق منا من جهة أخرى[2].

فتجد هؤلاء يستخدمون ألفاظًا في غير مواضعها التي تهدف إليها التربية الإسلامية، فتجدهم يسمون الخمر، مشروبات روحية، ويسمون الربا: فائدة، ويسمون الكذب والنفاق: سياسة، ويسمون اللواطين: مِثْليّين، ويسمون المجون والتبرج والفجور: حرية، ويسمون أفلام الجنس والدعارة: ثقافة، ويسمون التدين والتمسك بالدين إرهاباً، ويسمون شق العصا والخروج عن طاعة ولي الأمر: ديمقراطية....إلخ من الأشياء التي تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، وذلك لأن النظم التربوية في المجتمعات متباينة، ومرجع هذا التباين طبيعة كل مجتمع، ثقافته، فكره، أهدافه[3].

بعد هذا الإيضاح، ماذا تفعل المجتمعات الإسلامية لتواجه تحديات العصر؟ خاصة وأن لديها من الأصول الإسلامية ما يمكن أن ينقذها من أي تأثيرات سلبية وافدة من

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٦٩/٤.

(٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٣٧.

(٣) انظر: التربية الإسلامي، د/عماد محمد محمد عطية، ص٢١٤.

الخارج، الفكر الثقافي والتربوي فهي تمس تربية وإعداد الفرد المسلم... وعلى هذا فإنه يجب الرجوع إلى أصول الإسلام والتربية الإسلامية، لأن في كتاب الله المنهج التربوي والحياتي الكامل، الذي يمثل أكثر الصور تطورًا، وأوفرها حيوية، وهو يسجل مرحلة هامة بالقياس إلى المتغيرات الفكرية الأخرى سواء بتأكيد النواحي الدينية أو بإقامة الأخلاق الاجتماعية[1].

فعلى المربي التوجيه والإرشاد إلى استخدام الألفاظ التي تتفق مع ديننا، والتي تناسب ما تطلق عليه من أسماء وصفات حتى لا يقع المسلم في محظورات الدين، وتزيين ما يتنافى معه باستخدام ألفاظ مستوردة تزين الباطل وتجمله، وتصفه بعكس حقيقته.

ثانيًا- معرفة قدر المؤمن:

من المضامين التربوية التي يدل عليها الباب: معرفة قدر المؤمن، فإن المؤمن قدره عظيم ومنزلته عالية، عرف ربه فأطاعه وعبده وأحسن عبادته، فرضي الله عنه وقد امتدح الله المؤمنين فقال في كتابه ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3]، ووعدهم بالجنة فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

والتربية الإسلامية تهدف إلى التعريف بقدر المؤمن ومنزلته عند ربه ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لاَ تُسَمُّوا الْعِنَبَ الْكَرْمَ. فَإِنَّ الْكَرْمَ الْمُسْلِمُ». وفي رواية: «فإنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

أي: إنكم تسمون شجرة العنب كرمًا لكثرة منافعه، وقلب المؤمن أو الرجل المسلم أولى بهذا الاسم منه، فإن المؤمن خير كله ونفع، فهو من باب التنبيه والتعريف

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.

لما في قلب المؤمن من الخير، والجود، والإيمان، والنور، والهدى، والتقوى، والصفات التي يستحق بها هذا الاسم أكثر من استحقاق الحبلة له[1].

وفي هذا تربية على العزة والكرامة وبيان لقدر المؤمن عند الله، وفي ذلك تربية على الاستعلاء بالدين والتمسك بالكرامة التي منحنا الله إياها بدلاً من روح الانهزامية التي استشرت بين فئام من المسلمين حتى إن الواحد منهم ليخجل من أن يظهر بالسمت الإسلامي، ويعمل على مجاراة من لا خلاق لهم في العادات والتقاليد، حتى لا يوصف بأنه رجعي أو متخلف ولاشك أن ذلك من تأثير الغزو الفكري والتغريب الاجتماعي.

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٣٦٩/٤.

٣٣١- باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلاّ أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

الحديث رقم (١٧٤٤)

١٧٤٤- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لاَ تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، (فَتَصِفَهَا)[١] لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا)) متفق عليه[٢].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

لا تباشر المرأة المرأة: أي لا تنظر إلى عورتها[٣].

الشرح الأدبي

إن الإسلام يحفظ للمرأة مكانتها، ويصون حرمتها، وفي خطبة حجة الوداع يقول رسول الله ﷺ: «أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْراً، فإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبَاً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَن تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ. أَلاَ وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»[٤].

وفي هذا الحديث تكريم جديد للمرأة، وهو نهي المرأة نفسها عن أن: تمس بشرتها

---

(١) لفظ البخاري: (فتنعتها)، والمثبت لفظ النسائي في الكبرى (٩١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٤٠)، ولم يخرجه مسلم، كما لم يعزه إليه المزي في تحفة الأشراف (٩٣٠٥).

(٣) فتح الباري ٩/٢٥٠.

(٤) أخرجه الترمذي ١١٦٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٩٢٩).

ببشرة امرأة غيرها فتعرف خصوبة بدنها ونعومته، وما فيه من المحاسن الخفية، وهي بذلك لا تصون حرمة المرأة، بل تكشف عن أسرارها، وتنقل أخبار محاسنها ومفاتنها لزوجها، نقلاً تفصيلياً دقيقاً، ورسول الله في أسلوبه الدقيق يكشف آثار هذا الوصف، ويحذر من عواقبه: فيقول واصفاً حال الزوج كأنه ينظر إليها، وهذه الصورة التشبيهية المؤكدة توحي بدقة الوصف، والقدرة على تجسيد المحاسن، ولذلك بدأ الحديث: بصيغة النهي أو النفي، وإيثار التعبير بفعل: المباشرة، وهو أقوى وأدق من التعبير باللمس أو المس.. فلم يقل: لا تلمس أو لا تمس، وإنما قال: لا تباشر المرأة المرأة، والمباشرة هي التعرف الحسي الدقيق على المفاتن والمحاسن المتمثلة في خصوبة البدن، ونعومته.. وما يعطي للمرأة جمالاً وزينة من معالم أنوثتها المتعددة.

وهذا الوصف يمكن أن يحدث فتنة للزوج: حيث تعجبه المرأة الموصوفة فيفضى ذلك إلى تطليق زوجته: أو التعلق بالموصوفة.. والتعلق بأحاديث النفس، وأشواق القلب، ووساوس الوجدان، وفتح الأبواب للعصيان، ومسالك الشيطان. نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونسأله الهداية والمغفرة والرضوان. آمين

وفي الحديث من الفقه: النهي عن أن تصف امرأة امرأةً أخرى لزوجها، ولعل السبب في النهي هو سد الذرائع، لأنها إن وصفتها بحسن خيف عليه الفتنة، إذ ربما تعلق قلبه بها، فيكون ذلك سبباً في طلاق زوجته، ونكاحها إن كانت الموصوفة غير ذات زوج، وإن كانت ذات زوج ربما أدى ذلك إلى بغض زوجته، ونقصان منزلتها عنده[1].

وإن وصفتها بقبح، كان ذلك غيبة[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النظر إلى العورة وأن تصف امرأة محاسن امرأة أخرى لزوجها.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٣٨/٩، وعون المعبود ١٣٢/٦، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣٨٦/١٢.

(٢) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣٦٨/١٢.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: سدّ الذرائع إلى المحرمات.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على التستر والحشمة والبعد عن أسباب الإثارة والفتن.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النظر إلى العورة وأن تصف امرأة محاسن امرأة أخرى لزوجها:

وها واضح من الحديث: (لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها) وفي رواية عند النسائي: ((نَهَى رسولُ الله أَنْ تُبَاشِرَ المرأةُ المرأةَ في ثوبٍ واحدٍ، من أَجْلِ أَنْ تَصِفَهَا لِزَوْجِهَا))[1]، وفي رواية عنده عن ابن مسعود موقوفاً: ((لا تباشر المرأةُ المرأةَ، ولا الرجلُ الرجلَ))[2].

قال ابن هبيرة: "أما مباشرة المرأة المرأة، فإنه يدل على أنه يكره للمرأة أن تصف لزوجها امرأة أخرى، والمراد بالمباشرة قيل: إنه رؤية البشرة، فلا ينبغي أن تصف ذلك لزوجها، لا على وجه المدح فربما عرضه للافتتان بها، ولا على وجه الذم والوقيعة، فتمدح نفسها، فعلى الحالين الوصف مكروه"[3].

قال المناوي: "أي: لا تمس امرأة بشرة أخرى، ولا تنظر إليها، فالمباشرة كناية عن النظر، إذ أصلها التقاء البشرتين، فاستعير إلى النظر البشرة، يعني لا تنظر إلى بشرتها، فتصف ما رأت من حسن بشرتها لزوجها كأنه ينظر إليها، فيتعلق قلبه بها، فيقع بذلك فتنة، والنهي منصب على المباشرة والنعت معاً"[4].

وقد قال النبي ﷺ كذلك: ((لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ))[5].

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى ٩١٨٦.

(٢) السنن الكبرى ٩١٨٨.

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥٨/٢.

(٤) فيض القدير ٣٨٥/٦.

(٥) أخرجه مسلم ٣٣٨.

قال ابن حجر: "قال النووي[1]: فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه، وكذا الرجل إلى عورة المرأة والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع، ونبّه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة على ذلك بطريق الأولى، ويستثنى الزوجان فلكل منهما النظر إلى عورة صاحبه، إلا أن في السوأة اختلافاً والأصح الجواز، لكن يكره حيث لا سبب، وأما المحارم فالصحيح أنه يباح نظر بعضهم إلى بعض لما فوق السرة وتحت الركبة، قال: وجميع ما ذكرنا من التحريم حيث لا حاجة [كما في حالة البيع والشراء والتطبب والشهادة ونحو ذلك] ومن الجواز حيث لا شهوة، وفي الحديث تحريم ملاقاة بشرتي الرجلين بغير حائل إلا عند ضرورة، ويستثنى المصافحة، ويحرم لمس عورة غيره بأي موضع من بدنه كان بالاتفاق، قال النووي: ومما تعم به البلوى ويتساهل فيه كثير من الناس الاجتماع في الحمام، فيجب على من فيه أن يصون نظره ويده وغيرهما عن عورة غيره، وأن يصون عورته عن بصر غيره، ويجب الإنكار على من فعل ذلك لمن قدر عليه، ولا يسقط الإنكار بظن عدم القبول، إلا أن خاف على نفسه أو غيره فتنة"[2].

وقال ابن عثيمين: "لا يجوز للإنسان أن يصف امرأة لرجل فيقول: صفتها كذا كالطول والحسن والبياض وما أشبه ذلك، إلا إذا كان هناك موجب شرعي، مثل أن يكون هذا الرجل يريد أن يتزوجها، فيصفها له أخوها مثلاً من أجل أن يقدم أو يترك، لأن هذا لا بأس به، كما أنه يجوز للخاطب إذا خطب امرأة أن ينظر إليها، من أجل أن يكون هذا أدعى لقبوله أو رفضه"[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: سدّ الذرائع إلى المحرمات:

وهذا واضح من النهي في الحديث، قال ابن حجر: "قال القابسي: هذا أصل لمالك

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢/٤/٣١ - ٣٣، ط/ دار عالم الكتب وآثرنا نقله عن ابن حجر نظراً لأنه لخصه وأتى بفوائده، بعيداً عن الاختلافات الفقهية التي ذكرها النووي.

(٢) فتح الباري ٩/٣٣٨ - ٣٣٩. ط/ السلفية

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩١.

في سد الذرائع، فإن الحكمة في هذا النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة"[١]، وقال ابن عثيمين: "هو من جهة الزوجة ضرر عليها، وذلك لأنه إذا وصفت المرأة لزوجها، فربما يرغب فيها ويتزوجها عليها، ويقع بينهما مشاكل كما هي العادة"[٢].

قال الدكتور عبدالكريم زيدان: "الذرائع معناها: الوسائل، فإذا كانت الوسائل مفضية إلى الحرام والفساد، كانت هذه الوسائل محرمة ووجب سدها ومنعها، حسماً لمادة وسائل الفساد، وإن كانت هذه الوسائل تؤدي إلى أمر مطلوب في الشرع كانت هذه الوسائل مطلوبة أيضاً، فالذرائع تسد وتمنع إذا كانت تفضي إلى الفساد، وتجب وتفتح إذا كانت تفضي إلى المصالح، ولكن أكثر ما يطلق اسم الذرائع على الأفعال والطرق المؤدية إلى الشر والفساد، ولهذا إذا قيل سد الذرائع فيراد سد الطرق ومنع الأفعال المؤدية إلى الشر والفساد، والفعل يكون وسيلة إلى الفساد فيمنع بغض النظر عن قصد صاحبه، لأن المنظور إليه في هذا الباب مآلات الأفعال، أي ما تؤدي إليه، فإن كان المآل فساداً كان الفعل المؤدي إليه ممنوعاً سداً لذريعة الفساد، وإن لم يقصد الفاعل بفعله الفساد، وأصل سد الذرائع مشهود له بالصحة بدلائل الكتاب والسنة وعمل الصحابة"[٣].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على التستر والحشمة والبعد عن أسباب الإثارة والفتن:

وهذا واضح من الحديث، وقد قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٤].

---

(١) فتح الباري ٣٣٨/٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٧٩٢/٢.

(٣) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ص ١٧١، وانظر: الموسوعة الفقهية ٢٧٦/٢٤ وما بعدها.

(٤) سورة النور، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

قال ابن تيمية: "والله سبحانه قد أمر في كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غض البصر عن العورة، وغضه عن محل الشهوة، فالأول: كغض الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال النبي ﷺ: ((لا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ))[1]، ويجب على الإنسان أن يستر عورته، كما قال لمعاوية بن حيدة: ((احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلا يَرَيَنَّهَا، قُلْتُ: فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: اللَّهُ تَعَالَى أَحَقُّ أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْهُ))[2]، ويجوز كشفها بقدر الحاجة، كما تكشف عند التخلي، وكذلك إذا اغتسل الرجل وحده بحيث يجد ما يستره، فله أن يغتسل عرياناً، كما اغتسل موسى عليه السلام عرياناً، وأيوب عليه السلام وكما في اغتسال النبي ﷺ يوم الفتح واغتساله في حديث ميمونة، وأما النوع الثاني من النظر - كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة، فهذا أشد من الأول، كما أن الخمر أشد من الميتة والدم ولحم الخنزير وعلى صاحبها الحد"[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[4].

قال ابن القيم: "فمنعن من الضرب بالأرجل وإن كان جائزاً في نفسه، لئلا يكون سبباً إلى سمع الرجال صوت الخلخال، فيثير ذلك دواعي الشهوة منهن إليهن"[5].

ولا شكّ أن الابتعاد عن التستر والحشمة، واقتحام أسباب الفتنة والإثارة، له من الآثار الخطيرة والنتائج السيئة مما لا يخفى على عاقل، كما هو مشاهد في عالم اليوم، فكم من الأعمار أنفقت من أجل تحصيل شهوات لا تحل، بسبب سهولة الوصول إليها وشيوعها في المجتمعات، وكم من النفوس قد راحت من جرّاء الأمراض الخطيرة والعلل الفتاكة، التي نتجت عن ارتكاب ما حرم الله.

---

(١) أخرجه مسلم ٣٣٨.

(٢) أخرجه أحمد ٤/٩ رقم ٢٠٠٣٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن، وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٢٣٥/٣٣.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٤١/٨، ، ٤١٤/١٥ - ٤١٥. ط/ابن قاسم.

(٤) سورة النور، آية: ٣١.

(٥) بدائع التفسير ٢٤٩/٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

من أهداف التربية الإسلامية: الوقاية من المثيرات الجنسية، والوقاية من الوقوع في الزنا، لهذا قال النبي ﷺ: «لاَ تُبَاشِرْ المَرْأَةُ المَرْأَةَ فتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا».

فهذا الحديث أصل في سد الذرائع، فإن الحكمة في النهي خشية أن يعجب الزوج الوصف المذكور، فيفضي ذلك إلى تطليق الواصفة أو الافتتان بالموصوفة[1]، فإن الزوج قد تتحرك نفسه إلى الوقوع في الزنا من الموصوفة.

فالوقاية بسد الذرائع المؤدية إلى مفاسد الأخلاق هدف تربوي ونصوص الشريعة تعمل على سد ذرائع الزنا ودواعيه، ومن سد ذريعة الزنا أن الإسلام "حرم المفاخرة بالجماع، لأنه ذريعة إلى تحريك النفوس، والتشبه، وقد لا يكون عند الرجل ما يغنيه من الحلال فيتخطّى إلى الحرام"[2].

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»[3].

فمن واجب الأسرة والمجتمع أن يزرع في المتربي التقيد بالنصوص الإسلامية وينشئهم عليها حتى تكون لهم بمنزلة الحاجز من الوقوع في فاحشة الزنا.

إن التوجيهات الإسلامية تغرس فيمن تأملها وتدبرها الوقاية من الوقوع في الكثير من الرذائل الخلقية فهي بمنزلة الحاجز له منها[4]. كذلك ينبغي على المربي والمجتمع وقاية الناشئة من الإثارات الجنسية.

فإذا كانت الوقاية خيرًا من العلاج في عالم الصحة، فإن وقاية الأبناء من الإثارات الجنسية، التي قد تجر إلى الفاحشة والتردي في الرذيلة، أسلم وأيسر من تقويمهم بعد

---

(١) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٢٢/٣، ٢٢٣.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٦٢٦ بتصرف.

(٣) أخرجه مسلم، ١٤٣٧.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د/خالد بن حامد الحازمي، ص٦٨، ٦٩.

انحرافهم، في مجال الجنس.

لذلك أمرنا ديننا الحنيف - كآباء ومربين - بتجنيب الأولاد الإثارات الجنسية. فقال بشأن ستر المرأة لمفاتنها ولزينتها منعًا للإثارة: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾[1].

وقال ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»[2].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تأمر الآباء والأمهات وكل المربين باتخاذ الاحتياطات اللازمة والأسباب الواقية في تجنيب الأبناء الإثارات الجنسية، حتى يتربوا على الصلاح والخلق الفاضل[3].

---

(١) سورة النور، الآية:٣١.

(٢) أخرجه أبو داود، ٤٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود، ٤٦٦).

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٤٨، ٤٩.

٣٣٢- باب كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ بل يجزم بالطلب

الحديث رقم (١٧٤٥)

١٧٤٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ، قال: ((لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ)) متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ليَعْزِمِ المَسْأَلَةَ: لِيَجِدَّ فيها ويقطعها[3].

الشرح الأدبي

من آداب الذكر والدعاء في الإسلام: الإخلاص وحسن النية، والإلحاح في الطلب، والثقة في كرم الله عز وجل، وفي عطائه الذي لا يحد، فهو عطاء تام غير منقوص، وهو لا يشغله شيء عن شيء، وأن يتدبر الداعي كلمات الدعاء، وأن ينبض بها قلبه، وتنطق بها مشاعره وأحاسيسه قبل أن يتحرك بها لسانه.

وهذا الحديث الشريف يفتح منافذ الرجاء، وأبواب العطاء أمام الداعية والمستغفرين بالأسحار وفي كل وقت وحين ..آناء الليل وأطراف النهار.

وأسلوب الحديث يتسق مع مقاصده الشريفة، وتوجيهاته السديدة: ويبدأ الحديث

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٩/٩).

(٢) برقم (٢٦٧٩/٨).

(٣) النهاية في (ع ز م).

بأسلوب النهي مع تأكيد الفعل المنهي عنه بنون التوكيد الثقيلة في قوله: "لا يقولن أحدكم"، أي: في دعائه: أو، وهو يدعو، وحذفت للإيجاز ولعدم الفصل بين القول: ومقول القول، والقول المنهي عنه في الحديث هو قول الداعي: إن شئت: حين يقول: "اللهم ارحمني، أو : اللهم اغفر لي": وتكرر لفظ الجلالة المقترن بالميم الدالة على الجمع: للإشارة بأن الله رب العالمين، وليس رب الداعي وحده، ويمكن أن يكون الدعاء جماعياً والإمام يقول: ويردد المأمومون وراءه هذا الدعاء المقترن بأسلوب الشرط، وتكرر كذلك: قوله "إن شئت": لمزيد من التحذير بتجنب هذه الصيغة في الدعاء وهي صيغة الشرط، حيث قال العلماء: سبب كراهة ذلك أنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، فيخفف عنه، ويعلم أنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، والله منزه عن ذلك، وقيل: إن سبب الكراهة، أن في هذا اللفظ: أي في تعليق الدعاء بالشرط والمشيئة صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه؛ وهذا لا يليق بذات الله وجلاله: فإن الله صانع ما شاء لا مكره له.

ولذلك: ختم الحديث بالأمر الصريح المباشر في هذه الصيغة البليغة "ليعزم المسألة فإنه لا مكره له"، والتأكيد في الجملة الأخيرة، يطمئن المسلم ويدعو إلى الثقة بربه والتوكل عليه، فهو يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وقال العلماء عزم المسألة، الشدة في طلبها، والجزم به من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئته ونحوها، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: استحباب الجزم في الطلب، وكراهة تعليقه على المشيئة فلا يقول اللهم أعطني إن شئت، ونحو ذلك، لما في هذا الأسلوب من الاستغناء عن المطلوب[2].

---

(١) الحديث رقم (١٧٤٥)، (١٧٤٦).

(٢) شرح صحيح مسلم ٤١/٩، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣٣٠/٩.

بل ينبغي على الداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون راجياً للإجابة، ولا يقنط من رحمة الله، فإنه يدعو كريماً[١].

قال ابن عيينة[٢]: (لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه -يعني من التقصير- فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه، وهو إبليس، حين قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣].

هذا وحمل النهي - هنا - على الكراهة، وهو ما ذهب إليه النووي، وحمله ابن عبدالبر على التحريم، والأول أولى[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء فيه.

ثانياً: من آداب المدعو: الإقبال على الله في الدعاء.

ثالثاً: من مهام الداعية: تعليم السائل لربه كيف يسأل.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التعليل.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الجزم في الدعاء وعدم الاستثناء فيه:

وهذا واضح من النهي: (لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له)، كما هو واضح أيضاً من الأمر والنهي المؤكد للأمر: (فليعزم في المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني)، قال ابن حجر: "ومعنى الأمر بالعزم: الجد فيه، وأن يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان مأموراً في جميع ما يريد فعله أن يعلقه بمشيئة الله تعالى"[٦].

---

(١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٣٦/١٩، والاستذكار لابن عبدالبر ٥٢٥/٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١٤٠/١١.

(٣) سورة الحجر، آية: ٣٦.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤١/٩، والاستذكار لابن عبدالبر ٥٢٥/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ ٤٧/٢.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٦).

(٦) فتح الباري ١٤٠/١١.

وقال العز بن عبدالسلام: "الاستثناء في غير الدعاء توحيد وتفويض إلى الله وبراءة من الحول والقوة"[١].

قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث أن الداعي ينبغي أن يعزم في السؤال ولا يتردد، فإن التردد في المسألة نذير التردد في الإيمان، فإن الله تعالى كما قال رسول الله ﷺ لا يكره ولا يغيض ما عنده سبحانه"[٢].

وقال الطيبي: (قال المظهر: نهى عن قول: إن شئت في الدعاء، لأنه شك في القبول، بل ليعزم مسألته وليكن مستيقناً في قبول الدعاء، فإن الله تعالى كريم لا بخل عنده، وقدير لا يعجز عن شيء، ولا يكرهه أحد، ولا يحكم عليه، فلا يجوز أن يقال: اغفر لي إن شئت، والضمير في (أعطاه)، يرجع إلى شيء، يعني لا يعظم عليه إعطاء بل جميع الموجودات في أمره يسير)[٣].

وقال ابن عبدالبر: "يدخل في معنى قوله: (اللهم اغفر لي إن شئت، وارحمني إن شئت، كل دعوة، فلا يجوز لأحد أن يقول: اللهم أعطني كذا إن شئت، وتجاوز عني إن شئت، وهب لي من الخير كذا إن شئت من أمر الدين والدنيا، لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولأنه كلام مستحيل لا وجه له، لأنه لا يفعل إلا ما شاء، لا شريك له"[٤].

وقال ابن عثيمين: (ليعزم المسألة، فإن الله لا مكره له، يعني الله عز وجل إن غفر لك فمشيئته، أو رحمك فمشيئته، لا أحد يكرهه على ذلك، فهو يفعل ما يشاء ويختار عز وجل، لا مكره له حتى تقول إن شئت، كذلك أيضاً يقول الإنسان: إن شئت كأنه يتعاظم الشيء، فيقول: إن شئت فأت به وإن شئت لا تأت، والله تعالى لا يتعاظمه شيء

---

(١) شجرة المعارف والأحوال ص ٢٣٩. والاستثناء قولنا: إن شاء الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لسورة الكهف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤].

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٢٢٩/٥.

(٣) شرح الطيبي على المشكاة ٣٠٣/٤.

(٤) التمهيد ٢٢٠/٧، موسوعة شروح الموطأ.

أعطاه، مهما عظم الشيء، فإن الله تعالى غني كريم يعطي الكثير)[١].

وقال ابن حجر: "والمراد أن الذي يحتاج إلى التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتى إكراهه على الشيء، فيخفف الأمر عليه، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه، وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة"[٢].

ثانياً- من آداب المدعو: الإقبال على الله في الدعاء:

وهذا واضح من النهي: (لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت) والأمر: (ليعزم المسألة)، قال ابن حجر: "وقيل: معنى العزم أن يحسن الظن بالله في الإجابة... ومعنى قوله: (ليعظم الرغبة أي: يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم،وتؤيده رواية: (فإن الله لا يتعاظمه شيء)، وقيل: المعنى أن فيه - أي في التعليق على المشيئة - صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، وقال ابن بطال: في الحديث أنه ينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة فإنه يدعو كريماً، وقد قال ابن عيينة: لا يمنعن أحداً الدعاء ما يعلم في نفسه - يعني من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣]، وقال الداودي: معنى قوله: (ليعزم المسألة) أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثنى، ولكن دعاء البائس الفقير. قلت: وكأنه أشار بقوله كالمستثنى إلى أنه إذا قالها على سبيل التبرك لا يكره وهو جيد"[٤].

والمتأمل في هذه الأقوال يجد أنه يمكن ردّها إلى معنى واحد وهو الإقبال على الله في الدعاء، ولهذا قال القرطبي: "إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول؛ لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة التهمم بالمطلوب. وكأن هذا القول يتضمن: أن هذا المطلوب إن حصل، وإلا استغنى عنه، ومن كان هذا حاله لم يُتحقق من حالة الافتقار والاضطرار

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٩٢/٢ - ١٧٩٣.

(٢) فتح الباري ١٤٠/١١ ط/ السلفية، وانظر: المفهم ٢٩/٧ - ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٤٠/١١.

الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلاً على قلة اكتراثه بذنوبه، وبرحمة ربه، وأيضاً فإنه لا يكون مُوقناً بالإجابة، وقد قال ﷺ: ((ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ))[1]. ثم إن النبي ﷺ لم يكتف بالنهي عن ذلك حتى أمر بنقيضه فقال: (ليعزم في الدعاء) أي: ليجزم في طلبته، وليحقق رغبته ويتيقن الإجابة؛ فإنه إذا فعل ذلك: دلّ على علمه بعظيم قدر ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مفتقرٌ لما يطلب، مضطراً إليه، وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[2])[3]".

وقال ابن القيم: "وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعه بكليته على المطلوب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب، وذلّة له وتضرعاً ورقة، واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يردّ أبداً"[4].

ثالثاً- من مهام الداعية: تعليم السائل لربه كيف يسأل:

وهذا واضح من الحديث، قال ابن هبيرة: "في هذا الحديث من الفقه: تعليم السائل لربه كيف يسأل، وأن الله سبحانه لما عظُم كرمه، وغزر فضله، لم يكن ينال ذلك بمقتضى مبلغ عقول البشر، فعلّمهم سبحانه كيف يسألون فضله بألسنة الطلب؛ ومن ذلك ما علمهم إياه على لسان رسوله ﷺ، ومنه ما ادخره ليعلمه عباده في الآخرة، فكان من ذلك الذي علمهم إياه على لسان رسوله ﷺ أن يعزم العبد المسألة،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني، (صحيح سنن الترمذي ٢٧٦٦).

(٢) سورة النمل، آية: ٦٢.

(٣) المفهم ٢٩/٧.

(٤) الداء والدواء ص ١٤ - ١٥.

ويجزمها، ويقطع بها، ولا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، فإن قوله: إن شئت في سؤاله يدل على ضعف السائل وتردده من حيث إنه نظر عند طلبه إلى ما كان منه من السوء، ولو قد نظر عند طلبه إلى جود ربه سبحانه، وأوسع الطلب، وأعظم السؤال، لكان ذلك مما يناسب كرم الرب جل جلاله، إذ ليس عطاء الله سبحانه على مقدار سائله؛ ولكنه بحسب جود المعطي.

وليعزم في سؤاله؛ فإن كرم الله متسع لذلك وأمثاله، ومتى علقه بالمشيئة استدل بذلك منه، على أنه لم يعرف الله حق معرفته، ويدل على ما قلناه قوله: (فإنه لا مكره له) لأنه لو لم يشأ لم يشرع الدعاء، ولم يندب الخلق إلى الطلب، فلما شرع الدعاء وندب إليه، واستدعى من الخلق أن يمدوا أيديهم إلى فضله، علمنا أنه قد شاء الإجابة.

واعلم أنه شرع ذلك قبل أن يسأله السائلون عن غير إكراه، إذا الخلق كلهم دون أن يتعرضوا لنيل شيء من فضله إلا عن خضوع وسؤال وطلب.

ويدل على ما قلنا قوله: (وليعظم الرغبة) أي: لا يقتصر، فإن أحد ملوك هذه الدنيا لو قد تعرض له سائل فتوصل إلى لقائه فلما واجهه قال له: سلني، فلما سأله، [سأله] فلساً من نحاس لاستهجن ذلك وخاطبته العقول بألسنة الأحوال، يا هذا: تسأل من هذا الملك الواجد، وقد قال لك: اطلب مني، ودعاك إلى سؤاله، هذا المقدار اللطيف؛ لقد أفصحت بمسألتك هذا عن تبخيل هذا الملك أو اختلال عقلك.

فجميع الدنيا، وأضعافها، وما يعطيه الله في الجنة لعبده على سعتها، وكثرة العطاء إذا قيس الكثير منه إلى ما يجود به ذلك إلى الملك من أهل الدنيا من الفلس النحاس، كان الفلس في حال ذلك الملك مؤثراً، وفي جوده معتبراً، وجميع الدنيا، وسائر عطايا الجنة غير مؤثر فيما عند الله عز وجل ولا في عطائه"[1].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التعليل:

وهذا واضح من تعليله ﷺ عن التعليق على مشيئة الله تعالى، في الدعاء، والأمر

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/ ٢٤٠ - ٢٤١.

بالعزم فيه والجدّ، وذلك (بأن الله لا مكره له)، (وأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه)، وأنه (لا مستكره له)، وهذا التعليل يزيد المدعوين اقتناعاً على اقتناع بما أمرهم به الداعية أو نهاهم عنه.

الحديث رقم (١٧٤٦)

١٧٤٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((إذا دَعَا أحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، وَلاَ يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فليعزم المسألة: فليجدَّ فيها وليقطعها[2].

لا مستكره له: أي أن الله تعالى لا يتأتى إكراهه على شيء فهو يفعل ما يشاء ويرضى[3].

الشرح الأدبي

إن الله سبحانه وتعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئو النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئو الليل، ويقول: ادعوني استجيب لكم، وهذا الحديث الشريف يتوهج بالعطاء الإلهي الذي تألقت أشعته في الحديث السابق، ولكن الأداء الأسلوبي في هذا الحديث متنوع، ويتضمن صيغاً أسلوبية جديدة تقدم المعنى الجليل الذي تضمنه الحديث السابق، وهذا من سمات بلاغة البيان النبوي: فالمعنى واحد، ولكن تتعدد طرقه وأساليبه لمزيد من الترغيب والترهيب.

ويبدأ الحديث: بأسلوب الشرط: وأداة الشرط "إذا" ومجيء هذه الأداة في هذا السياق إيحاء بتحقق إجابة الدعاء، وفيها كذلك حث على الدعاء وتحققه، لأن جواب الشرط يتحقق بتحقق فعل الشرط، وإذا تفيد اليقين والتحقق، ولنتأمل هذه الجملة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦٧٨/٧).

(٢) النهاية في (ع ز م).

(٣) انظر: فتح الباري ١٤٤/١١.

الشرطية المتوهجة بالبشارة والوعد الكريم "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة" أي: فليكن جاداً وشديداً في طلبه من غير ضعف ولا تردد في الطلب.

ثم يأتي أسلوب آخر بعد هذا الترغيب: وهو النهي عن تعليق الدعاء بالمشيئة: وفي ذلك ترهيب للسائل وتحذير من هذا النهج في الدعاء، والنهي جاء مؤكداً كما في الحديث السابق، "ولا يقولن: اللهم: إن شئت فأعطني"، وقيل لأن ذلك. كلام مستحيل لا وجه له: لأن الله لا يفعل إلا ما يشاء، وأداة الشرط: "إن" تحمل معنى الشك والتردد، وكأن هذه الصيغة منهي عنها، لأنها توحي بعدم الثقة في قدرة الله عز وجل، والمؤمن الحق براء من ذلك، وصيغة الاستفعال في قوله: "فإنه لا مستنكره له": توحي بأن الله يفعل ما يشاء، وأنه على كل شيء قدير، وهو صانع ما شاء، ولا يقدر أحد على حجب نفع أراده الله، أو رد ضر شاءه الله، وينبغي للداعي أن يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة، فإنه يدعو كريماً كما قال ابن بطال.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تعظيم الله عز وجل:

من أهداف التربية الإسلامية: تعظيم الله عز وجل وتعظيم شأنه، فيصدق المسلم تصديقًا جازمًا بأن الله - سبحانه وتعالى - هو الخالق المالك لهذا الكون، بما فيه، والمتصرف فيه تصرفًا مطلقًا، والقادر على إيجاد الشيء من العدم على غير مثال سابق، والمتصرف المطلق بتدبير الكون بمشيئته وحده، وذلك بإحداث ما يشاء وزيادة ما يشاء، وإنقاص ما يشاء من المقادير، في غير حاجة إلى شيء لأنه تعالى المحيي المميت القابض الباسط الرزاق النافع الضار المعز المذل....إلخ [1].

وإن تقوية تعظيم الله في النفوس هو الأساس الذي تتفرع منه فروع الاعتقاد، وقد عاب تبارك وتعالى على أهل الزيغ والضلال أنهم لم يقدروه حق قدره، فقال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]. وحين يستقر تعظيم الله تبارك وتعالى في النفس، ويملك صاحبه العلم الصحيح، فإنه يسلم له اعتقاده، وتنضبط حياته بشرع الله تبارك وتعالى [3].

فعلى المربي غرس تعظيم الله في النفوس، فالله جلا وعلا عظيم يجب أن يعظم، وهناك ألفاظ لا يجوز أن تقال في حقه سبحانه تعظيمًا له. ومن هذه الألفاظ التي لا تقال في حق الله تعالى: اللهم اغفر لي إن شئت، فطلب الحاجة من الله لا يعلق على المشيئة وإنما يجزم به.

ولهذا قال ﷺ: ((لاَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّه لاَ مُكْرِهَ لَهُ». وفي رواية لمسلم: «وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ. وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ. فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ)).

---

(١) انظر: أصول التربية، د/أمين أبولادي، ٨١، ٨٢.

(٢) سورة الزمر، الآية:٦٧.

(٣) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٥٤.

والنهي عن ذلك لأمرين:

الأول: أن الله سبحانه لا مكره له على الفعل، وإنما هو يفعل ما يريد؛ بخلاف العبد؛ فإنه قد يفعل الشيء وهو كاره، ولكن يفعل لخوف أو رجاء من أحد، والله ليس كذلك.

الثاني: أن التعليق على المشيئة يدل على فتور في الطلب وقلة رغبة فيه؛ فإن حصل، وإلا استغنى عنه، وهذا يدل على عدم الافتقار إلى الله.

وفي رواية مسلم الأمر بتعظيم الطلب، لأن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، أي: لا يكبر عليه سبحانه ولا يعسره، وليس عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق، وذلك لكمال فضله، ووجوده، وسعة غناه، فهو يعطي العظائم، ولا يعجزه شيء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1][2].

ثانيًا: التربية على الثقة وحسن الظن بالله:

من أهم أهداف التربية الإسلامية: ترسيخ الثقة حسن الظن بالله - عز وجل - فهذا هدف تربوي رئيس، يجب غرسه في نفس المسلم، فيجب عليه أن يظن بالله أحسن الظن، لكن بشرط أن يوجد لديه السبب الذي يوجب الظن الحسن، وهو أن يعبد الله على مقتضى شريعته مع الإخلاص، فإذا فعل ذلك فعليه أن يظن أن الله يقبل منه، ولا يسيء الظن بالله بأن يعتقد أنه لا يقبل منه [3].

فسوء الظن بالله خطير، لأن حسن الظن بالله من واجبات التوحيد، وسوء الظن به ينافي التوحيد [4].

وإذا كان الأمر عائدًا إلى قدرة الله، فهذا يوجب أن يكون المسلم جازماً بأن الله قادر على ذلك، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[5].

---

(١) سورة يس، الآية:٨٢.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د/صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص١٥٧، ١٥٨.

(٣) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٢/٣٨٣.

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح الفوزان، ص١٠٤، ١٠٥.

(٥) سورة غافر، الآية:٦٠.

أما من حيث الدعاء مع ما عند الإنسان من موانع أو عدم توافر الأسباب، فقد يتردد الإنسان في الإجابة، ومع ذلك ينبغي أن يحسن الظن بالله، لأن الله عز وجل قال: "ادعوني استجب لكم"، فالذي وفق لدعائه أولاً سَيَمُنّ بالإجابة آخرًا، لاسيما إذا أتى الإنسان بأسباب الإجابة، وتجنب الموانع [1].

ولهذا قال النبي ﷺ: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت، فأعطني، فإنه لا مستكره له". وفي رواية لمسلم: " ولكن ليعزم وليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه".

فينبغي على المسلم أن يتوجه بالدعاء إلى الله عز وجل، وأن يكون على يقين بأن الله يسمع دعاءه، وأنه تعالى سوف يستجيب له.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: القول المفيد، ابن عثيمين، ٣٣٣.

٣٣٣- باب كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان

الحديث رقم (١٧٤٧)

١٧٤٧- عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((لاَ تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ؛ وَلكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ)). رواه أبو داود[1] بإسناد صحيح.

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٤).

الشرح الأدبي

إن لغة الخطاب والحديث عن الله عز وجل يجب أن لا تشوبها شائبة، وأن لا تكدرها شبهة، وأن تسمو لفظاً ومعنى، وشكلاً ومضموناً، وأن يكون مصدرها الوجدان قبل اللسان، وباعثها الشعور الفياض بهالات الإيمان، والبيان النبوي من سمات بلاغته، مراعاة مقتضى الحال، وإرساء القاعدة البلاغية التي تقول: لكل مقام مقال.

والمصطفى ﷺ في هذا الحديث الشريف يلقن المسلمين درساً في كيفية التحدث عن المشيئة الإلهية، وهذه الكيفية قد ترتبط بحرف دون حرف وبالعدول عن كلمة إلى كلمة أخرى، وبحسن اختيار اللفظ، وحسن تركيب الجملة، وحسن أدائها، وقوة التدبر والتفكر في دلالة التراكيب والأساليب، مع استحضار عظمة الله في كل حرف، واستحضار رحمته وقوته، وبطشه وعلمه في كل مقام حسب سياق الخطاب، وجو الحديث.

ولنتأمل الفرق بين الصيغتين: صيغة نهى عنها رسول الله ﷺ: وهي التي تفيد الجمع والتماثل بين المشيئة الإلهية، والمشيئة الإنسانية. وهذا غير جائز شرعاً: ولذلك نهى رسول الله وقال: لا تقولوا ما شاء الله، وشاء فلان، دفعاً للوهم الذي توحي به الواو من حيث: المشاركة في المشيئة، ومشيئة الله أزلية قديمة، ومشيئة العبد حادثة ممكنة،

---

(١) برقم (٤٩٨٠). قال العراقي في تخريج الإحياء (٣٠٦٥): رواه أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح.

فالواو هنا: هي التي أحدثت هذا الإشكال، وذلك الوهم الذي تبطل به عقيدة القائل، وهو لا يدري سبب ما وقع فيه: والسبب جهله بمعاني الحروف ودلالتها في اللغة العربية.

وأما الصيغة الثانية التي تزيل اللبس، وتدفع الوهم، وينجو بها الإنسان من مزالق التردي في الشبهات، فهي الصيغة الأولى نفسها ولكن مع قوله "ثم"، وثم من حروف العطف التي تفيد الترتيب والتتابع والتراخي أي أنها تفيد: انفصال المشيئة الإلهية عن المشيئة الإنسانية، ولذلك قال: "ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان".

ويرى الإمام الشافعي أن من جهل سعة لسان العرب، وكثرة ألفاظها، وافتنانها من مذاهبها، جهل جُمل علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذهبها، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الداخلة على من جهل لسانها من ذوي الأهواء والبدع. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة أن يقول الرجل ما شاء الله وشاء فلان، لأن هذا اللفظ يقتضي التشريك بين الله تعالى وعباده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا ينبغي للعبد أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وما لي إلا الله وفلان، وأطلب حاجتي من الله وفلان للحديث.

وقال رجل للرسول ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً؟! بل ما شاء الله وحده)[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان.

ثانياً: من آداب الداعية: البيان والتوضيح.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان:

هذا واضح من النهي في الحديث، قال ابن عثيمين: "الكراهة - أي في قول النووي:

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٧/٣٥، وأيضاً: شرح صحيح مسلم ١٥٩/٦، نيل الأوطار ٣١/٧.

باب كراهة قول ما شاء الله وشاء فلان - هنا يراد بها التحريم، يعني: أنك إذ تقول: ما شاء الله وشاء فلان، أو ما شاء الله وشئت، أو ما أشبه ذلك، وذلك أن الواو تقتضي التسوية إذا قلت: ما شاء الله وشاء فلان، كأنك جعلت فلاناً مساوياً لله عز وجل في المشيئة، والله تعالى وحده له المشيئة التامة، يفعل ما يشاء الله، ولكن أرشد النبي ﷺ لما نهى عن ذلك، أرشد إلى قول مباح، فقال: ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب بمهلة، يعني أن مشيئة الله فوق مشيئة فلان، وكذلك قول ما شاء الله وشئت، فإن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: ((أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده))[1]، فههنا مراتب:

المرتبة الأولى: أن يقول ما شاء الله وحده، وهذه كلمة فيها تفويض الأمر إلى الله واتفق عليها المسلمون، كل المسلمين يقولون: ما شاء الله وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الثانية: يقول ما شاء الله ثم شاء فلان، فهذه جائزة أجازها النبي ﷺ وأرشد إليها.

المرتبة الثالثة: أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، فهذه محرمة ولا تجوز، وذلك لأن الإنسان جعل المخلوق مساوياً للخالق عز وجل في المشيئة[2].

المرتبة الرابعة: أن يقول: ما شاء الله فشاء فلان، بالفاء، فهذه محل نظر لأن الترتيب فيها وارد، بمعنى أنك إذا قلت (فشاء) فالفاء تدل على الترتيب، لكنها ليست كـ(ثم) لأن ثم تدل على الترتيب بمهلة، وهذه تدل على الترتيب بتعقيب ولهذا فهي محل نظر، لهذا لم يرشد إليها النبي ﷺ)[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٢١٤/١ رقم ١٨٣٩، ٢٥٦١/٤، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وانظر: تتمة تخريجه في المسند ٣٣٩/٣، وقال السندي: المراد أن هذا الكلام يوهم المساواة، فلا ينبغي التكلم به. حاشية السندي على المسند ٣٤٠/٣.

(٢) قال البغوي في شرح السنة ٣٦٠/١٢ - ٣٦١: إن الواو لما كان حرف الجمع والتشريك، منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى بحرف الواو. فأمر بتقديم مشيئة الله تعالى، وتأخير مشيئة من سواه بحرف (ثم) الذي للتراخي.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٩٣/٢ - ١٧٩٤.

ثانياً- من آداب الداعية: البيان والتوضيح:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان)، وقال ﷺ: ((إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. وَلَكِنْ لِيَقُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ))[1].

وقال ابن عثيمين: "في هذا الحديث دليل على أن الإنسان إذا ذكر للناس شيئاً لا يجوز، فليبين لهم ما هو جائز، لأنه قال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، وهكذا ينبغي لمعلم الناس إذا ذكر لهم الأبواب الممنوعة فليفتح لهم الأبواب الجائزة حتى يخرج الناس من هذا إلى هذا، بعض الناس يذكر الأشياء الممنوعة، يقول: هذا حرام، هذا حرام، ولا يبين لهم الأبواب الجائزة، وهذا سد للأبواب أمامهم دون فتح للأبواب.

وانظر إلى لوط عليه الصلاة والسلام قال لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾[2]، نهاهم عن الممنوع وأرشدهم إلى الجائز، هكذا النبي ﷺ قال: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان، بل انظر إلى قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾[3]، ولما جيء إلى النبي ﷺ بتمر طيب فقال: ((أكلُّ تمرِ خَيبرَ هكذا؟ قال: لا والله يا رسولَ الله، إنّا لنأخُذ الصاعَ من هذا بالصاعَين والصاعَينِ بالثلاثةِ، فقال رسولُ الله ﷺ: ((لا تفعَل، بعِ الجمعَ بالدراهم، ثمَّ ابْتَعْ بالدراهمِ جَنيباً))[4]"[5].

---

(١) أخرجه ابن ماجه ٢١١٧، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني، (صحيح سنن ابن ماجه ١٧٢٠).

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٦٥ - ١٦٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري ٢٢٠١ - ٢٢٠٢، ومسلم ١٥٩٣ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، وقال الشيخ عبدالله البسام: "إن النبي ﷺ أمر الجابي أن يبيع التمر الردئ ليشتري بثمنه تمراً جيداً، توضيح الأحكام ٤/٢٧، والحديث دليل على أن بيع الجنس بجنسه يجب فيه التساوي سواء اتفقا في الجودة والرداءة أو اختلفا، وأن الكل جنس واحد. سبل السلام ص ٥٢٠، قلت: الأجناس المتفق عليها الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح لأن الأحاديث نصت عليها، أما ما عدا ذلك فهناك خلاف بين الفقهاء ينظر في باب الربا من كتب الفقه.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٧٩٤.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ. وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ. قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ))[1].

قال البغوي: "فيه تعليم الأدب في المنطق، وكراهية الجمع بين اسم الله تعالى واسم غيره تحت حرف الكناية، لأنه يتضمن نوعاً من التسوية... وروي أن عثمان قال لرجل: ما شئت، ثم قال بل الله أملك، بل الله أملك.. وكان إبراهيم لا يرى بأساً أن يقول: ما شاء الله ثم شئت، وكان يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك حتى يقول: ثم بك. قال الشافعي[2]: "المشيئة إرادة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3]، فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء، فيقال لرسول الله ﷺ: ما شاء الله ثم شئت. ولا يقال: ما شاء الله وشئت. قال: ويقال: من يطع الله ورسوله، فإن الله تعبّد العباد بأن فرض طاعة رسول الله ﷺ، فإذا أطيع رسول الله، فقد أطيع الله بطاعة رسوله"[4].

---

(١) أخرجه مسلم ٨٧٠.

(٢) الأم، الإمام الشافعي ص ١٤٧.

(٣) سورة الإنسان، آية: ٣٠.

(٤) شرح السنة ٣٦١/١٢، وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي ١٦٥/٦/٣، ط/دار عالم الكتب، فقد ذهب مذهباً آخر في توجيه حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقدية:

إن أسمى وأعظم أهداف التربية والتعليم هو: تحقيق العبودية لله وحده في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة[1].

ومما يحقق العبودية لله وحده التأدب معه في الألفاظ، فيجب التحفظ في الألفاظ والابتعاد عن اللفظ الذي فيه سوء أدب مع الله سبحانه، لأن هذا يخل بالعقيدة، وينقص التوحيد؛ فلا يجوز أن يقال ما شاء الله وشاء فلان، وإنما يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان لذا قال النبي ﷺ: «لا تَقولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ». لأن العطف بالواو يقتضي المشاركة، ولا أحد يشارك الله سبحانه ويساويه في أمر من الأمور، وأما العطف بـ "ثم" فإنه يقتضي الترتيب والتبعية، فتكون مشيئة المخلوق تابعة لمشيئة الله سبحانه وحاصلة بعدها وليست مشاركة لها.

وهذا مما يؤكد على المسلم وجوب دراسة العقيدة ومعرفة ما يصححها وما يخل بها حتى يكون على بينة من أمره وحتى لا يقع في المحذور وهو لا يشعر[2].

فمن أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[3]، أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه والتوقير: العظمة.

ومن وقاره: أن لا يُساوي به شيء من خلقه، لا في اللفظ بحيث تقول: والله وحياتك، مالي إلا الله وأنت، وما شاء الله وشئت، ولا في الحب والتعظيم والإجلال، ولا في الطاعة، فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع الله، بل أعظم، كما عليه أكثر الظلمة والفجرة، ولا في الخوف والرجاء، ويجعله أهون الناظرين إليه، ولا يستهين بحقه

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، د. سليمان عبدالرحمن الحقيل، ص٣٠.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ص١٦٠.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٣.

ويقول: هو مبني على المسامحة، ولا يجعله على الفضلة، ويقدم حق المخلوق عليه[١].

فعلى المربين العناية بالعقيدة وغرس مفهومها الصحيح في نفوس الطلاب والطالبات فيربطونهم بالخالق جل وعلا، فيتوجهوا إليه في سائر عباداتهم ودعائهم، ويعلموا يقينًا أنه سبحانه هو الرازق الناصر الوهاب القادر على كل شيء، فمن حصل له مكروه فليتوجه بالدعاء إلى الله فإنه سميع مجيب، وليتوكلوا عليه في سائر أمورهم، ويعظمونه ويقدرونه، ولا يساوونه بأحد من خلقه.

ولاشك أن لدراسة التوحيد بأقسامه الثلاثة أهمية كبرى في تعليم الجيل المسلم، ليعبدوا الله على بصيرة فيسلموا من الشرك والابتداع[٢].

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) انظر: آداب المتعلمين، د/أحمد بن عبدالله الباتلي، ص٣٣.

٣٣٤- باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمُرادُ بِهِ الحَديثُ الذي يَكُونُ مُبَاحًا في غَيرِ هذا الوَقْتِ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سواءٌ. فَأَمَّا الحَديثُ المُحَرَّمُ أو المَكرُوهُ في غيرِ هذا الوقتِ، فَهُوَ في هذا الوقت أشَدُّ تَحريمًا وَكَرَاهَةً. وأَمَّا الحَديثُ في الخَيرِ كَمُذَاكَرَةِ العِلْمِ وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، والحَديث مع الضَّيفِ، ومع طالبِ حَاجَةٍ، ونحو ذلك، فلا كَرَاهَةَ فيه، بل هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وكَذَا الحَديثُ لِعُذْرٍ وعَارِضٍ لا كَرَاهَةَ فِيه. وقد تظاهَرَتِ الأحَاديثُ الصَّحيحةُ على كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ.

الحديث رقم (١٧٤٨)

١٧٤٨- عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يكرهُ النَّومَ قَبْلَ العِشَاءِ والحَديثَ بَعْدَهَا. متفقٌ عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو برزة الأسلمي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٠٧).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف: جاء في أسلوب خبري يحكي عملاً من أعمال رسول الله ﷺ: وبداية الحديث بقوله: "كان": تدل على أن هذا الحديث هو خبر من أخبار رسول الله ﷺ التي تسردها الصحابة للاقتداء والاتعاظ، واتباع سنة رسول الله ﷺ وطريقته في هذا النهج الذي اختاره: إذا أقبل الليل، ومنهجه ﷺ مستمد من الوحي الإلهي، ومن نصوص القرآن الكريم، حيث يقول الله عز وجل في سورة النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[2].

وفي ضوء هذا المنهج الإلهي: كان رسول الله ﷺ يكره النوم قبل العشاء،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨) واللفظ له، ومسلم (٦٤٧/٢٣٥).

(٢) سورة النبأ، الآيتان: ١٠-١١.

والحديث بعدها، وفي الكلام إيجاز بالحذف والتقدير: ويكره الحديث بعدها: أي بعد صلاة العشاء.

وقد ورد ما يوضح هذا الأمر، حتى لا يلتبس الأمر على عامة الناس والذين يجهلون سيرة المصطفى ﷺ حيث يقول الإمام القسطلاني في صفة نومه: ﷺ كان ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني: فيقوم فيستاك ويتوضأ، ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان ﷺ: تنام عيناه ولا ينام قلبه، وقيل في تعليل ذلك: لأن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن، وقيل بأن النبي ﷺ كيفما اختلف حاله من نوم أو يقظة في حق وتحقيق، ومع الملائكة في كل طريق ... ﷺ.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها: من النوم المكروه: النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها إن ظن تيقظه في الوقت، نص عليه الشافعية فقالوا: يكره النوم قبل صلاة العشاء بعد دخول وقتها، لخوف استمرار النوم حتى خروج الوقت، ومحل ذلك إذا ظن تيقظه في الوقت وإلا حرم النوم، أما النوم قبل دخول الوقت فالظاهر عدم الكراهة، لأنه لم يخاطب به، ويرى المالكية أنه يجوز له النوم ولا إثم عليه[1].

٢- كراهة الحديث بعد صلاة العشاء[2]: يكره الحديث بعد صلاة العشاء[3]. ولعل السبب في كراهة الحديث بعد صلاة العشاء أنه ربما تأخر في النوم، فتفوته صلاة الليل

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٦١/١.

(٢) والمراد بالحديث الذي يكره بعدها هو ما كان مباحًا في غير هذا الوقت، أما المكروه والمحرم في غيره فهو أشد كراهة وتحريمًا في هذا الوقت. انظر: المجموع ٤٣/٣.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٦١/١، والكافي لابن عبدالبر ٣٥، والمجموع ٤٣/٣، وكشاف القناع ٢٥٤/١، والمبدع ٢٣٧/١.

- لمن اعتادها - أو ربما أدى ذلك إلى تفويت صلاة الصبح عن وقتها المختار، أو الأفضل[١] ولأن السهر في الليل قد يؤدي إلى الكسل عما يجب في النهار من واجبات الدين ومصالح الدنيا[٢].

ومحل الكراهة هنا إذا كان الكلام والسهر لغير حاجة، ولم تدع إليه مصلحة، أما الحديث للحاجة، والسهر للمصلحة، فلا بأس به، ويدخل فيه: قراءة القرآن الكريم، والحديث، ومدارسة العلم، ومحادثة الرجل أهله، وأولاده للملاطفة، ومحادثة الضيف، والحديث بالإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك[٣].

والمعنى في ذلك: أن يكون اختتام الصحيفة بالعبادة، كما جعل ابتداؤها بالعبادة، ليمحى ما بينهما من الزلات[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء الآخرة والحديث بعدها.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الاستفهام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ إخباره بانخرام قرنه بعد مائة سنة من ليلة إخباره.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في الطاعة والاستعداد للموت.

خامسًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة.

سابعًا: من فقه الداعية: مؤانسة المدعوين إذا وقع منه ما يظن أنه يشق عليهم.

---

(١) المجموع ٤٣/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٦/٥.

(٣) حاشية ابن عابدين ٣٦٨/١، وشرح صحيح مسلم ١٤٦/٥، والمجموع ٤٤/٣.

(٤) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١٢٣/١.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٤٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٤٩، ١٧٥٠).

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن النوم قبل صلاة العشاء الآخرة والحديث بعدها:

وهذا واضح من حديث أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها، قال النووي: "قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها أنه يعرضها لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يتساهل الناس في ذلك، فيناموا عن صلاتها جماعة"[1].

وقال ابن حجر: "قال الترمذي[2]: كره أكثر أهل العلم النوم قبل صلاة العشاء، ورخص بعضهم فيه في رمضان خاصة. انتهى، ومن نقلت عنه الرخصة قيدت عنه في أكثر الروايات بما إذا كان له من يوقظه، أو عرف من عادته أنه لا يستغرق وقت الاختيار بالنوم[3]، وهذا جيد حيث قلنا: إن علة النهي خشية خروج الوقت، وحمل الطحاوي الرخصة على ما قبل دخول وقت العشاء، والكراهة على ما بعد دخوله"[4].

وقال النووي: "وسبب كراهة الحديث بعدها أن يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عند قيام الليل أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجب من حقوق الدين والطاعات ومصالح الدنيا، قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، وأما ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمدارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده، للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس، والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإرشاد إلى مصلحة، ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه، وقد جاءت

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٨/٥/٣، ط/ دار عالم الكتب.

(٢) سنن الترمذي ص ٥١ بعد الحديث ١٦٨.

(٣) انظر: مصنف عبدالرزاق ٥٦١/١ - ٥٦٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٧٩/٢ - ٢٨١.

(٤) فتح الباري ٤٩/٢ ط/ السلفية، وانظر: شرح صحيح مسلم، للنووي١٤٩/٥/٣.

أحاديث صحيحة ببعضه والباقي في معناه[١]، ثم كراهة الحديث بعد العشاء، المراد بها صلاة العشاء لا بعد دخول وقتها، واتفق العلماء على كراهة الحديث بعدها إلا ما كان في خير كما ذكرناه"[٢].

وقال الألباني: "ينبغي أن يقيد ذلك بما إذا لم يترتب على الحديث بعد العشاء إضاعة شيء من الواجبات العينية، كالشاب مثلاً، يسهر في دراسة العلم أو الاستعداد للاختبار إلى قريب من الليل ثم ينام منهكًا، فتفوته صلاة الصبح، فمثل هذا السهر ولو في طلب العلم، لا يجوز، لأن مثله كمثل من يبني قصرًا ويهدم مصرًا، وإنما عليه أن ينام مبكرًا بعد صلاة العشاء، ليستيقظ مبكرًا لصلاة الصبح، وليجعل دراسته بعدها"[٣].

وقال ابن حجر: "والسمر بعدها قد يؤدي إلى النوم عن الصبح، أو عن وقتها المختار أو عن قيام الليل، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على ذلك، ويقول: (أسمرًا أول الليل ونومًا آخره)[٤]، وإذا تقرر أن علة النهي ذلك، فقد يفرق فارق بين الليالي الطوال والقصار، ويمكن أن تحمل الكراهة على الإطلاق حسمًا للمادة، لأن الشيء إذا شرع لكونه مظنة قد يستمر فيصير مئنة"[٥].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الاستفهام:

وهذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العشاء في آخر حياته فلما سلم قال: أرأيتكم ليلتكم هذه؟) قال ابن حجر: الهمزة الأولى للاستفهام،

---

(١) وقد بوّب البخاري على حديثي ابن عمر وأنس بن مالك: باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء، كتاب مواقيت الصلاة الحديثان ٦٠٠، ٦٠١.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٨/٥/٣ - ١٤٩.

(٣) تعليق الشيخ الألباني على رياض الصالحين ص ٥٩٢.

(٤) أخرجه عبدالرزاق ٢١٣٤/١، وابن أبي شيبة ٢٧٩/٢.

(٥) فتح الباري ٧٣/٢، وقال د. زغلول النجار: "كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم النوم قبل أداء صلاة العشاء حرصًا على عدم ضياعها، وكراهة التحدث بعدها حرصًا على الاستفادة بأفضل ساعات النوم في أول الليل. الإعجاز العلمي في السنة النبوية ٦٢/٢.

والرؤية بمعنى العلم أو البصر، والمعنى: أعلمتم أو أبصرتم ليلتكم، وهي منصوبة على المفعولية والجواب محذوف تقديره، قالوا: نعم قال: فاضبطوها"[١].

ولا شك أن الاستفهام يثير المدعوين ويجعلهم أشد انتباهًا وأكثر استعدادًا لتلقي الرسالة الدعوية من الداعية، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((هل تدرون ما قال ربكم؟))[٢].

قال ابن عثيمين: "إنما ألقى ﷺ عليهم هذا السؤال من أجل أن ينتبهوا، لأن إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه"[٣].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من معجزات النبي ﷺ إخباره بانخرام قرنه بعد مائة سنة من ليلة إخباره:

وهذا واضح من قول ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: (إن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد)، وعند البخاري ومسلم زيادة: قال ابن عمر رضي الله عنهما: فوهل الناس[٤] في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ: ((لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ))، يُرِيدُ بِذٰلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذٰلِكَ الْقَرْنُ[٥].

قال ابن كثير: "فقد فسّر الصحابي المراد من هذا الحديث بما فهمه، وهو أولى بالفهم من كل أحد، من أنه يريد بذلك أن ينخرم قرنه ذلك، فلا يبقى أحد ممن هو كائن على وجه الأرض من أهل ذلك الزمان، من حيث قال هذه المقالة إلى مائة سنة"[٦].

وقد وردت أحاديث أخرى عن النبي ﷺ بمثل حديث ابن عمر رضي الله عنهما، فعن جابر

---

(١) فتح الباري ٢٥٦/١ ط/ الريان.

(٢) أخرجه البخاري ٧٤٦، ومسلم ٧١ من حديث زيد بن خالد الجهني في نزول المطر ليلًا بالحديبية وصلاة النبي ﷺ بهم الصبح وقوله هذا القول بعد الصلاة.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٨٥/٢.

(٤) بفتح الهاء، أي: غلطوا. شرح صحيح مسلم ٨٩/١٦/٨.

(٥) أخرجه البخاري ٦٠١، ومسلم ٢٥٣٧.

(٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٩٣/٩ - ٢٩٤.

بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: ((تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ. وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ))، وفي رواية: ((مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ))[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ: ((لاَ تَأْتِي مِائَةُ سَنَةٍ، وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ))[2].

قال النووي: "هذه الأحاديث قد فسّر بعضها بعضًا، وفيها علم من أعلام النبوة"[3]، وقد ساق ابن كثير: هذا الحديث في كتاب دلائل نبوته ﷺ في آخر السيرة النبوية تحت عنوان: ذكر الإخبار بانخرام قرنه ﷺ بعد مائة سنة من ليلة إخباره فكان كما أخبر"[4].

وقال ابن هبيرة: "فيه من الفقه أن الله تعالى أطلع رسول الله ﷺ على ذلك الغيب"[5].

وقال النووي: "والمراد أن كل نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة، سواء قلّ عمرها قبل ذلك أم لا، وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة، ومعنى نفس منفوسة: أي: مولودة، وفيه احتراز من الملائكة"[6].

وقال ابن كثير عن الحديث: "وهو نصّ على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه الصلاة والسلام، وهكذا وقع سواء، فإنه لم يتأخر أحد من أصحابه إلى ما يجاوز هذه المدة، وكذلك جميع الناس، ثم قد طرد بعض العلماء

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٣٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٣٩.

(٣) شرح صحيح مسلم ٨٩/١٦/٨.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٦٣/٩.

(٥) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٣/٤.

(٦) شرح صحيح مسلم ٨٩/١٦/٨.

هذا الحكم في كل مائة سنة، وليس في هذا الحديث تعرض لهذا"[١].

وقال ابن حجر: "وقد بيّن ابن عمر رضي الله عنهما في هذا الحديث مراد النبي ﷺ وأن مراده عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك، ينخرم ذلك القرن فلا يبقى أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث على أنه كان آخر الصحابة موتًا، وغاية ما قيل فيه إنه بقي إلى سنة عشر ومائة، وهي رأس مائة سنة من مقالة النبي ﷺ والله أعلم"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الاجتهاد في الطاعة والاستعداد للموت:

وهذا واضح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: إنما أراد رسول الله ﷺ أن هذه المدة تخترم الجيل الذي هم فيه، فوعظهم بقصر أعمارهم وأعلمهم أن أعمارهم ليست كأعمار من تقدم من الأمم ليجتهدوا في العبادة"[٣].

وقال ابن هبيرة: "وفيه تذكير بقصر الأعمار وقلة البقاء في الدنيا، وأن بيع مدة الآخرة التي لا يبلغ قدرها حد حادّ، ولا عدّ عادٍ، بحيث لو خلق الله تعالى دارًا مثل الدنيا ألف مرة ملأها خردلاً، ثم خلق طائرًا وقال له: إن رزقك عندي هو هذا الخردل، فمتى نفد فهو آخر عمرك، وكان من حرص ذلك الطائر على البقاء أنه يأكل كل يوم خردلة، فنفد ذلك الخردل كله، وبقاء الإنسان في دار الخلد لا يفنى، فبيع ذلك بهذه المدة اليسيرة غبن فاحش، ولا سيما لكل من يقول: إني مؤمن بها، مصدق بالمعاد إليها، ثم يظهر عليه من تساهله - في بيع الكثير منها بالقليل من غيرها - ما يدل على كذبه في دعواه، لولا أن الغفلة تذهب بالإنسان كل مذهب، ويضطره إلى تعاهد التذكرة كل الاضطرار"[٤].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٩/٢٦٤.

(٢) فتح الباري ٢/٧٥.

(٣) فتح الباري ١/٢٥٦.

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/١٣ - ١٤.

قال ابن القيم: "قال بعض الزهاد: ما علمت أن أحدًا سمع بالجنة والنار، تأتي عليه ساعة لا يطيع الله فيها بذكر أو صلاة أو قراءة أو إحسان"[١].

وقال ابن القيم: "ليس للعبد شيء أنفع من صدقه ربه في جميع أموره، مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[٢]، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل.

فصدق العزيمة، جمعها وجزمها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلّوم، فإذا صدقت عزيمته بقى عليه صدق الفعل، وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه بشيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور"[٣].

وقال ابن القيم أيضًا: "طالب النفوذ إلى الله والدار الآخرة، بل وإلى كل علم وصناعة ورئاسة، بحيث يكون رأسًا في ذلك مقتدى به فيه، يحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه والطرق القواطع عنه، مقدام الهمة ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم ولا عذل عاذل، كثير السكون دائم الفكر، غير مائل مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب، محبًا لمكارم الأخلاق، حافظًا لوقته، لا يخالط الناس إلا على حذر كالطائر الذي يلتقط الحبّ بينهم، قائمًا على نفسه بالرغبة والرهبة، طامعًا في نتائج الاختصاص على بني جنسه، غير مرسل شيئًا من حواسه عبثًا، ولا مسرحًا خواطره في مراتب الكون، وملاك ذلك: هجر العوائد وقطع العلائق الحائلة بينك وبين المطلوب"[٤].

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ١٧٢.

(٢) سورة محمد، آية: ٢١.

(٣) الفوائد ٢٦٦.

(٤) الفوائد ٢٧١ - ٢٧٢.

خامسًا- من وسائل الدعوة: الخطبة:

وهذا واضح من قول أنس بن مالك رضي الله عنه: إنهم انتظروا النبي ﷺ فجاءهم قريبًا من شطر الليل فصلى بهم يعني العشاء ثم خطبنا فقال: (ألا إن الناس قد صلوا...).

قال د. توفيق الواعي عن أهمية الخطبة: "الخطبة وسيلة ممتازة للدعوة، لتبليغ الرسالة، أو إيضاح فكرة معينة، ومن مرامي الخطبة حمل المخاطب على الإذعان والتسليم، وإثارة العواطف الجياشة في فؤاده نحو الفكرة التي يحملها الخطيب ويدعو إليها، فيتحمس لها ويتقدم لفدائها بالنفس والنفيس عند الحاجة، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية التي تساق جافة، ولا بالبراهين العقلية التي تقدم عارية، بل بذلك وبإثارة العاطفة ومخاطبة الوجدان، والمؤثرات الوجدانية، والأفكار العاطفية في الخطابة هما عماد اللغة الخطابية، تساعدهما الحجج العقلية، والبراهين المنطقية، مع أمور أخرى في القول والقائل، أو في الموضوع والخطيب"[1].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل انتظار الصلاة:

وهذا واضح من قوله ﷺ: (وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة)، وفي رواية عند البخاري: قال خالد بن قرة: انتظرنا الحسن - أي البصري - وراث علينا[2] حتى قربنا من وقت قيامه، فجاء فقال: دعانا جيراننا هؤلاء، ثم قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: نظرنا النبي ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه، فجاء فصلى لنا ثم خطبنا فقال: ((ألا إنَّ الناسَ قد صَلُّوا ثمَّ رَقَدُوا، وإنَّكم لم تزالوا في صلاةٍ ما انتَظرْتمُ الصَّلاةَ)) قال الحسنُ: وإنَّ القومَ لا يَزالونَ بخيرٍ ما انتَظروا الخيرَ[3].

قال ابن حجر: "قوله: (من وقت قيامه)، أي: الذي جرت عادته بالقعود معهم فيه كل ليلة في المسجد لأخذ العلم عنه، قوله (دعانا جيراننا)، كأن الحسن أورد هذا مورد الاعتذار عن تخلفه عن القعود على عادته.. وأورد الحسن ذلك [أي الحديث]

---

(١) الدعوة إلى الله ص ٢٧١.

(٢) أي: أبطأ كما في فتح الباري ٢/٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٠٠.

لأصحابه مؤنسًا لهم، ومعرفًا أنهم وإن كان فاتهم الأجر على ما يتعلمونه منه في تلك الليلة على ظنهم، فلم يفتهم الأجر مطلقًا، لأن منتظر الخير في خير، فيحصل له الأجر بذلك، والمراد أنه يحصل لهم الخير في الجملة لا من جميع الجهات، وبهذا يجاب عمن استشكل قوله: (إنهم في صلاة) مع أنهم جائز لهم الأكل والحديث وغير ذلك. واستدل الحسن على ذلك بفعل النبي ﷺ فإنه آنس أصحابه بمثل ذلك، ولهذا قال الحسن بعد: وإن القوم لا يزالون بخير ما انتظروا الخير"[1].

وقد ورد في فضل انتظار الصلاة كثير من الأحاديث، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: ((الملائكةُ تُصلِّي عَلَى أحدكم ما دامَ في مُصلاّهُ ما لم يُحدِثْ: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحَمْهُ. لا يَزالُ أحدُكم في صلاةٍ ما دامتِ الصلاةُ تَحبِسُهُ، لا يَمنعُه أن يَنقَلِبَ إلى أهلهِ إلاّ الصلاةُ))[2]، وفي رواية عند مسلم: ((لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلاَةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلاَّهُ. يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ، وَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ))[3].

قال ابن عبدالبر: "هذا الحديث أفضل ما يروى في فضل المنتظر للصلاة، لأن الملائكة تستغفر له، وفي استغفارها له دليل على أنه يغفر له إن شاء الله. ألا ترى أن طلب العلم من أفضل الأعمال؟ وإنما صار كذلك -والله أعلم- لأن الملائكة تضع أجنحتها له بالدعاء والاستغفار. وأما قول مالك وتفسيره: ما لم يحدث، بأنه الحدث الذي ينقض الوضوء، فقد خالفه فيه غيره وقال: هو الكلام القبيح والخوض فيما لا يصلح من اللهو. والذي قاله مالك هو الصواب إن شاء الله، لأن كل من أحدث وقعد في المسجد، فليس بمنتظر للصلاة، لأنه إنما ينتظرها من كان على وضوء، وغير نكير أن تترحم الملائكة على كل منتظر للصلاة، وتدعو له بالمغفرة والرحمة والتوفيق والهداية - لفضل انتظاره للصلاة -إذا لم يحبسه غيرها على ما ذكرنا- إذا كان منتظرًا

---

(١) فتح الباري ٢/٧٤.

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٩ واللفظ له، ومسلم ٢٧٥ - ٦٤٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٤ - ٦٤٩.

للصلاة، لا يمنعه أن ينصرف إلى أهله إلا الصلاة، وهذا أولى بأن تدعو له الملائكة بالمغفرة والرحمة، فرحمته وسعت كل شيء، لا شريك له، وقول مالك يدل على أن كل من لم يحدث حدثًا ينقض الوضوء، داخل في معنى هذا الحديث. وإن خاض في بعض ما يخاض فيه من أخبار الدنيا - والله أعلم - إذا كان أصل عقده انتظار الصلاة بعد الصلاة"[١].

سابعًا- من فقه الداعية: مؤانسة المدعوين إذا وقع منه ما يظن أنه يشق عليهم:

وهذا واضح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (فجاءهم ﷺ قريبًا من شطر الليل، فصلى بهم، يعني العشاء ثم خطبنا: ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة)، ووقع في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ شغل عنها ليلة - عن صلاة العشاء - فأخرها حتى رقدنا في المسجد ثم استيقظنا ثم رقدنا ثم استيقظنا ثم خرج علينا رسول الله ﷺ ثم قال: ((لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اللَّيْلَةَ، يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ غَيْرُكُمْ))[٢]، وفي رواية عند مسلم: ((إِنَّكُمْ لَتَنْتَظِرُونَ صَلاَةً مَا يَنْتَظِرُهَا أَهْلُ دِينٍ غَيْرُكُمْ))[٣].

قال النووي: "فيه أنه يستحب للإمام والعالم إذا تأخر عن أصحابه، أو جرى منه ما يظن أنه يشق عليهم، أن يعتذر إليهم، ويقول: لكم في هذا مصلحة من جهة كذا، أو كان لي عذر أو نحو هذا"[٤].

ومن هذا القبيل ما رواه الصعب بن جثامة رضي الله عنه أنه أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا وحشيًا فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: ((إنا لَمْ نَرُدَّهُ عليكَ إلا أنّا حرُم))[٥]، قال النووي: (فيه أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر، أن يعتذر بذلك إلى

---

(١) التمهيد ١٢/٦ موسوعة شروح الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري ٥٧٠، ومسلم ٢٢١ - ٦٣٩.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٠ - ٦٣٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٢/٥/٣.

(٥) أخرجه البخاري ١٨٢٥، ومسلم ١١٩٣.

المهدي، تطييبًا لقلبه)[1].

ولا شك أن مؤانسة الداعية للمدعوين تقربهم إليه وتحببه إليهم، كما تزيل ما عساه قد وقع في أنفس بعض المدعوين، وكلّ هذا يساعد على نجاح الداعية في دعوته.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١١٠/٦/٣، وانظر: فتح الباري ٣٤/٤.

الحديث رقم (١٧٤٩)

١٧٤٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ صلَّى العِشَاء في آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ[١] قال: ((أرأيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هذه؟ فَإنَّ عَلَى رَأسِ مِئَةِ سَنَةٍ[٢] لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأرْضِ (اليَومَ)[٣] أحَدٌ)). متفق عليه[٤].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الحديث بعد العشاء إذا كان موعظة أو تعليمًا أو نصيحة فهو غير مكروه، وهذا الحديث الشريف هو الدليل على ذلك ويروي ابن عمر ذلك في صيغة التأكيد حيث يوضح مؤكدًا: أن رسول الله ﷺ صلى العشاء في آخر حياته، وقبل وفاته بشهر فلما سلم قال:

والفاء: تفيد الإسراع في القول: وقوله: "أرأيتكم ليلتكم هذه؟" تتضمن بعض أسرار التعبير الدقيقة: في ضوء التوجيه الراشد وتفسير المراد من هذا الخطاب النبوي البليغ، فمعنى قوله: "أرأيتكم" أي أخبروني، ولكن الأسلوب ليس خبريًا: فهو: إنشائي والاستفهام للتعجب، والكاف لتأكيد الفاعل، ولا محل له من الإعراب، وفي هذا الاستفهام الذي يوحي بالزوال والموت، إرهاصٌ بقرب وفاة النبي ﷺ، وكأنه ينبه الصحابة إلى أن الرحيل قد اقترب، وأن الموت قادم.

وفي هذا الاستفهام الذي أفاد الإخبار: مجاز مرسل علاقته السببية لأنه وضع السبب موضع المسبب: فإنه وضع الاستفهام عن العلم موضع الاستخبار، ولا يخبر عن

---

(١) عند مسلم زيادة: (قام).

(٢) عند مسلم زيادة: (منها).

(٣) (اليوم) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية، وإنما في التي بعدها.

(٤) أخرجه البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧/٢١٧) واللفظ له.

الشيء إلا العالم به، وقوله: "هذه ليلتكم": يفيد التحديد... والإنذار: فقد لا تعود مرة أخرى ولا يراها أحدكم، وفي الإشارة إلى الليلة تشخيص للزمن وأنسه له: فكأن الليلة كائن حي له هيئته وملامحه التي يشار إليها، وذلك لمزيد من التحديد، ولمزيد من الحث على الانتباه واليقظة.

وبعد الاستفهام والتشخيص: يأتي التوكيد في صدر القسم الثاني من الحديث الذي يجيء تعليلاً لما ورد في مقدمته، وفي هذه الجملة حذف بعد قوله: لا يبقى، والتقدير لا يبقى أحد ممن ترونه أو تعرفونه، فهو عام أريد به الخاص، وذلك ليأخذ الناس حذرهم.

وقوله: "على ظهر الأرض" فيه احتراس لأنه قيل إن الملائكة موجودون وباقون لأنهم في السماء، وقيل: خرج عيسى من ذلك وهو حي، لأنه في السماء كما يرى جمهور العلماء.

وبعض العلماء يرى أن "أل": في لفظ الأرض للعموم، وأن عدم البقاء بعد مائة سنة يتناول جميع بني آدم الموجودين الأحياء على ظهر الأرض.

وقوله على "ظهر الأرض" يمكن أن نعدها تشخيصًا للأرض: من باب الاستعارة المكنية، حيث شبهها بالدابة أو الناقة الذلول، والناس على ظهرها: يولدون ثم يرحلون، ثم يولد غيرهم ثم يرحلون، وقال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه إباحة السمر بعد صلاة العشاء في الخير، وأن السمر المنهي عنه بعدها، هو ما كان فيما لا ينفع من الباطل، واللغو[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة طه، الآية: ٥٥.

(٢) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ٢٢٩/١، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٢٨٠/٣، وعون المعبود ٣٣٩/١١.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٥٠)

١٧٥٠- وعن أنس رضي الله عنه: أنهم انتظروا النبيَّ ﷺ، فَجَاءهُمْ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ فَصَلَّى بِهِمْ (يَعْنِي: العِشَاءَ) [1] ثمَّ خَطَبنا فقالَ: ((**الاَ إنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ**)). رواه البخاريُّ[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

شطر الليل: نصفه[3].

الشرح الأدبي

إن توجيهات رسول الله ﷺ وتعاليمه ليست أقوالاً فقط، ولكنها تتجاوز دائرة الوعظ القولي إلى ميدان الفعل والتنفيذ: حيث السنة العملية، والتدريب اليومي الذي يجعل من المبادئ والتشريعات سلوكًا يوميًا محببًا، ونهجًا واقعيًا مألوفًا مرغبًا، وهذا الحديث درسٌ عملي يتلقاه الصحابة من رسول الله ﷺ، وثمرته الإقناع، والمداومة على صلاة الليل وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وكل على قدر جهده وطاقته، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

ويتضمن الحديث عدة مظاهر جمالية وأسرار أسلوبية، تساعد في توصيل المعنى إلى ذهن وقلب كل مسلم يقتدى برسول الله ﷺ وأصحابه الأخيار، ومن هذه الأسرار التعبيرية بداية الحديث بالتأكيد في قول الرواي: أنهم: أي الصحابة: انتظروا النبي ﷺ، وهذا الانتظار المؤكد ينبئ عن إخلاص الصحابة في انتظارهم، وعن مجيئهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) برقم (٦٠٠)، وأخرجه مسلم أيضًا برقم ٢٢٢/٦٤٠، وقد سبق برقم ١٠٦٤.

(٣) الوسيط في (ش ط ر).

وقوله: "فجاءهم قريبًا:... فصلى بهم..." يفيد الإسراع في أداء الصلاة... وعدم التمهل في ذلك، لأن العطف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب أي التوالي والسرعة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: "ألا"، يوحى بالإيناس والمودة: فهذا الحرف أداة استفتاح.

والتأكيد في قوله: "إن الناس قد صلوا ثم رقدوا" يرشد إلى الإشادة بفضل الصحابة الذين لم يخلدوا إلى الراحة... لأنهم انتظروا رسول الله ﷺ، وما رقدوا مثل غيرهم من الناس؛ ويتكرر التأكيد مرة أخرى مع اقتران "إن" المؤكدة بكاف الخطاب الدالة على الجمع، "كم" حيث يقول: "وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة"، هذا التأكيد يعلن عن فضل الصحابة.. وعن هذه البشرى التي بشرهم بها رسول الله ﷺ فهم حتى وهم خارج الصلاة كأنهم في صلاة: لأنهم لم يرقدوا.. ولكن يستعدون للصلاة وفي ذلك مكافأة لهم: لأنهم لم يتعجلوا مثل غيرهم، ولكن انتظروا رسول الله ﷺ: حتى جاء وصلى بهم العشاء. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- جواز السهر للأمر النافع كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم انتظارًا للصلاة.

٢- يثير هذا الحديث أيضًا، مسألة آخر وقت العشاء: وقد اختلف الفقهاء في ذلك على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه المالكية في المشهور عندهم[١]، والشافعي في الجديد[٢] وأحمد في رواية اختارها الأكثرون[٣]، ويرون أنَّ آخر العشاء إلى ثلث الليل.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية كابن حبيب، وابن المواز[٤]،

---

(١) مواهب الجليل ٣٩٨/١، وحاشية الدسوقي ١٧٨/١، وكفاية الطالب الرباني ٢١٧/١.

(٢) حلية العلماء للقفال ١٦/٢، والأم ٧١/١، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١١٠/٤.

(٣) المبدع ٢٤٥/١، والفروع ٢٦٣/١، ومنار السبيل ٧٥/١، وعمدة الفقه لابن قدامة، ص ١٥.

(٤) مواهب الجليل ١٧٨/١.

والشافعي في القديم[١]، وأحمد في رواية اختارها القاضي وجماعة[٢]، ويرون أن آخر العشاء إلى نصف الليل.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، والظاهرية[٤]، ويرون أن آخر وقت العشاء إلى دخول وقت الفجر.

سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة: ولعل سبب اختلاف الفقهاء في هذه المسألة، هو تعارض الأحاديث والآثار الوارد فيها:

- ففي حديث إمامة جبريل، أنه صلاها بالنبي ﷺ في اليوم الثاني ثلث الليل[٥].
- وفي الحديث الذي معنا -حديث أنس أن النبي ﷺ- أخرها إلى شطر الليل.
- وفي حديث أبي قتادة أنه قال: ليس التفريط في النوم، وإنما التفريط أن تؤخر حتى يدخل وقت الأخرى[٦].

فالرأي الأول رجح حديث إمامة جبريل، لذلك قال: إن آخر صلاة العشاء إلى ثلث الليل.

والرأي الثاني رجح حديث أنس الذي معنا، لذلك قال: إن آخر وقتها إلى نصف الليل.

والرأي الثالث رجح حديث أبي قتادة لذلك قال: إن آخر وقتها إلى دخول وقت الفجر[٧].

المضامين الدعوية[٨]

---

(١) حلية العلماء ١٧/٢.

(٢) الفروع ٢٦٣، وعمدة الفقه ١٥، والمبدع ٢٤٥/١.

(٣) المبسوط ١٤٥/١، والهداية ٣٩/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٥٩/١.

(٤) المحلى لابن حزم ١٨٨/٣.

(٥) أخرجه مسلم ٦٨١.

(٦) أخرجه أحمد ٣٣١/٣ رقم ١٤٥٣٨، والترمذي ١٥٠، والنسائي ٢٦٣/١ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما. وقال محققو المسند: إسناده صحيح اهـ. وانظر تتمة تخريجه في المسند ٤٠٩/٢٢-٤١٠، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ١٤٩.

(٧) انظر في هذا المعنى: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ٧٠/١.

(٨) تم دمجها مع المضامين الحديث رقم (١٧٤٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية التعبدية:

يعتبر توثيق الصلة بين العبد وربه، مطلبًا رئيسًا في إطار الأهداف التعبدية في التربية الإسلامية، يجب أن يسعى كل من يباشر عملية التربية إلى تحقيقه وتوجيه الفرد إلى الكيفية التي يستطيع من خلالها التقرب إلى الله تبارك وتعالى، وتوثيق العلاقة بالله عز وجل، وذلك عن طريق الامتثال لأمر الله سبحانه واجتناب نهيه والمحافظة على أداء العبادات المفروضة [١].

وما اللحظات والدقائق، وبعض الساعات أو الأيام، التي تشغلها العبادات في حياة المسلم، إلا تذكيرًا بهذه الصلة الدائمة بالله وترويضًا للنفس على الخضوع الدائم لأوامر الله فالمسلم يستيقظ لذكر الله عند الفجر، وينام بأمر الله بعد صلاة العشاء[٢].

وقد جاء عنوان هذا الباب كراهة الحديث بعد العشاء، وتحته حديث أبي برزة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

وذلك لأن النوم قبل العشاء قد يمتد بالإنسان فيخرج الصلاة عن وقتها، والحديث إذا كان فيما لا فائدة منه قد يطول فينام الإنسان بعده عن صلاة الفجر.

الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهذه العبادة فرضت على المسلمين حيث تجسد إحدى الجوانب القوية للصلة بين العبد وخالقه، فهي اتصال ينقطع به المسلم عن الدنيا بما فيها..... ويناجي فيها ربه عن قرب، ويذوق لذة تلك المناجاة، فيتجنب طريق الشيطان، ويسلك طريق الله الذي يجيب مناجاته [٣].

ولأهمية الصلاة في التربية الإسلامية أمر الله تعالى عباده بإقامتها فقال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٤].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٥٢، ٥٣.

(٢) أصول التربية الإسلامية، عبدالرحمن النحلاوي، ص٤٩.

(٣) في التربية الإسلامية، عبدالغني عبود، ص١٧٥، نقلًا عن التربية الإسلامية، د، عماد محمد عطية، ص٧٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية:٧٨.

فالصلاة لها آثارها التربوية التي تعود بالخير على المسلم في حياته وآخرته حيث إن الصلاة تربية عقائدية وتربية عملية ، حيث الالتزام بالعمل الصالح ، والصلاة تربي الإنسان خلقيًا وروحيًا ، وتحفظ طاقاته وتوجهه الوجهة الخيرة ، وتربي في نفسه صفات حسنة كالتواضع ، كما أنها تربي المسلم على الطمأنينة في القلب والهدوء في النفس ، كما أنها نشاط جسمي متكامل للمسلم [١].

ثانيًا: التربية على عدم تفويت الخير:

من الأهداف التربوية المستنبطة من أحاديث هذا الباب والتي ينبغي غرسها في النفوس: الحرص على عدم تفويت الخير ، وهذا يظهر من كراهته ﷺ النوم قبل العشاء والحديث بعدها ، وما ذاك إلا لأنه ذريعة إلى تفويتها ، والسمر بعدها ذريعة إلى تفويت قيام الليل ، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره [٢].

كذلك إذا كان السمر مع الزوجة ، ومداعبتها إيناسًا لها وتلطفًا بها وغيره من الأشياء التي للمسلم فيها أو لغيره من المسلمين خير ، فلا مانع منها لأن التربية الإسلامية تسعى إلى تحقيق الخير للإنسان في كل أوجه النشاط التي يقوم بها وفاءً بأعباء الأمانة التي حملها ، والتزامًا بواجبات خلافة الله في الأرض ، فأداء الفروض الواجبة عبادة.... وطلب العلم عبادة ، والتفكير عبادة ، والعدل بين الناس عبادة ، بل إن كل خير يحققه الإنسان لنفسه أو لأسرته أو لمجتمعه أو لأمته... إذا كان هذا العمل خالصًا لوجه الله فهو صورة من العبادة والعمل الصالح وهو تعبير صادق عن مدى إيمان الإنسان وعلمه وخلقه [٣]. فينبغي عليه أن يحرص على عدم تفويته.

ثالثًا: التربية على المبادرة إلى الخيرات:

إن من أهداف التربية الإسلامية التربية على المبادرة إلى الخيرات وعدم تأخيرها ،

---

(١) انظر: التربية الإسلامية ، د ، عماد محمد عطية ، ص ٨٠ ، ٨١ ، ومراجعه.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٦٢٣.

(٣) أزمة التعليم المعاصر ، زغلول راغب النجار ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠هـ ، ص١٢٥ ، نقلًا عن التربية الإسلامية ، د/سليمان بن عبدالرحمن الحقيل ، ص٢٣.

لأن المنية قد تفجأ العبد وهو لا يدري.

وفي ذلك قال ﷺ: "أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد".

فقد بين ﷺ أن أعمار أمته قصيرة دون أعمار من سبقهم من الأمم الماضية[١].

فإذا تذكر المتربي قصر الدنيا وسرعة زوالها، وأدرك أنها مزرعة للآخرة، وأنها لكسب الأعمال الصالحة وتذكر ما في الجنة من النعيم المقيم، وما في النار من العذاب الأليم، زهد في متع الدنيا، وأقصر عن الاسترسال في الشهوات، وانبعثت همته للأعمال الصالحات[٢].

وقد أمر المولى تبارك وتعالى بالمبادرة إلى الخيرات فقال: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٣].

وقد نبه الرسول ﷺ على أنه يحصل في هذه الدنيا فتن شاغلة وكثيرة، فيجب على المسلم العاقل الحازم ذي الهمة العالية: أن يبادر إلى الأعمال الصالحة النافعة التي أمر بها الدين الإسلامي، من: عبادة لله عز وجل، وجهاد في سبيله، أي: أنه يلتزم المنهج الإسلامي بكامله قبل حصول الفتن وكثرة المشاغل التي تصرفه عن الالتزام بهذا المنهج، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ. يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[٤].

فقد كان الرسول ﷺ حريصًا على تأصيل هذه الخصلة في نفوس المسلمين وجعلها سمة يتسابقون إلى التحلي بها والتنافس فيها[٥].

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٢٧/٣.

(٢) انظر: الهمة العالية، محمد إبراهيم الحمد، ص١٩٨.

(٣) سورة المائدة، الآية:٤٨.

(٤) أخرجه مسلم، ١١٨.

(٥) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ص٣٦٣، ٢٦٤.

رابعًا: التربية بالترغيب:

من الأساليب التربوية المهمة الترغيب الذي يولد الأمل في النفوس، وهو تحبيب المرء في الحصول على شيء يتمنى الحصول عليه [١].

وقد رغب ﷺ في انتظار الصلاة وبين أن فضل الله عظيم على عباده، فإنه يعطيهم الأجر ما داموا في انتظار الصلاة في المصلى، فقال ﷺ: «ألا إنَّ الناسَ قد صلُّوْا ثمَّ رَقَدُوا ، وإنَّكم لن تزالوا في صلاةٍ ما انتَظرْتمُ الصَّلاةَ».

وهذا الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة، ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده[٢].

ولاشك أن مثل هذا الأسلوب التربوي بمثابة الدافع القوي الذي يجعل المسلم يُقدم على الطاعات ويصبر عليها، ويدفع عنه الضجر والملل، لأن الترغيب يحدوه مِن خلفه بما ينتظره من فضل الله تعالى.

---

(١) التربية الإسلامية، مصادرها، وتطبيقاتها، د. عماد محمد عطية، ص١٢٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي، ص٢٣٠.

٣٣٥- باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي

الحديث رقم (١٧٥١)

١٧٥١- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ)) متفق عَلَيْهِ[١].

وفي رواية[٢]: ((حَتَّى تَرْجِعَ)).

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن العلاقات الزوجية في الإسلام تقوم على أسس من المودة والرحمة والسكن.. والإلف والحب.. والمتعة النفسية والروحية والحسية، ووصف الله هذه العلاقة بأنها ميثاق غليظ، وقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٣].

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة شرطية، وأسلوب الشرط يفصح عن الثواب والعقاب، فالجزاء من جنس العمل: ويبدأ الحديث بأداة الشرط "إذا" وجملة الشرط: "دعا الرجل امرأته إلى فراشه"، "وإذا": هنا تناسب المقام حيث تفيد تحقق الدعوة والطلب: وهذا سلوك واقعي بشري، حيث رغب رسول الله ﷺ في ذلك وقال: "وفي بضع أحدكم صدقة"[٤]، والدعوة هنا هي الرغبة في المعاشرة الزوجية، والتعبير

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦/١٢٢) ولفظهما سواء، وتقدم برقم (٢٨١). أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٢) أخرجها البخاري (٥١٩٤)، ومسلم بعد حديث رقم (١٤٣٦/١٢٠، بدون رقم). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٩٠٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧ .

(٤) أخرجه مسلم، ١٠٠٦.

بقوله: "إلى فراشه"، كناية عن المراد من ذلك، حتى لا تكون الغريزة هي المحرك والدافع، بل لا بد من التلطف، والمداعبة، والترغيب، والتفاهم، والتعبير بالكناية كما يقول العلماء: من أبدع المسالك البيانية، والطرق الأسلوبية، التي يعبر بها المنشئ عن المعنى تعبيرًا مظلاً هادفًا موجزًا، يخفى تحت ظلاله لطائف مراده، وقد عرفوها بقولهم "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه"، والرسول ﷺ يضرب المثل الكريم السخي في استعمال هذا المسلك الأسلوبي، للدلالة على المعاني دلالة ألطف وآكد وأوجز من دلالة الحقيقة المحضة[1].

وقيل: إن الكناية عن الأشياء التي يستحيا منها كثيرة في الكتاب والسنة، وتأمل هاتين الجملتين المعطوفتين على جملة: جواب الشرط بالفاء: "فأبت أن تجيء": "فبات غضبان عليها"، هذا الغضب يفيد إعراض الزوجة الفوري المتسرع، ويفيد كذلك نفور الزوج وغضبه، فحرف العطف الفاء، يصور حالة التوتر، والقلق والنفور بين الزوجين في هذا الموقف: ولذلك يأتي جواب الشرط مفصحًا عن العقاب الأوفى والأمثل هو "لعنتها الملائكة حتى تصبح" والمراد من ذلك: حث الزوجة على طاعة زوجها وملاطفته وإعطائه حقه في هذا المجال.. وهي كذلك لها حقها من حسن العشرة، وحسن الملاطفة، والرعاية الكاملة: واللعن هو: الطرد من رحمة الله، وقوله: حتى تصبح: كناية عن أن اللعن ليس دائمًا، ففي الصبح يمكن أن يرضى الزوج، ويذهب غضبه، وتخبو حدة سورته، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم امتناع الزوجة إذا دعاها زوجها إلى فراشه[2]، ومحل التحريم إذا لم

---

(١) انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د. عز الدين السيد، وانظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية، د. صابر عبدالدايم.

(٢) المهذب للشيرازي ٦٧/٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٣٧٦/٣، وحاشية البجيرمي ٤٤٢/٣، والمغني لابن قدامة ٢٢٣/٧، وكشاف القناع ١٨٥/٥، ومنار السبيل ١٩٥/٢، والمبدع ١٩٣/٧، والفروع ١٥٨/٥، ونيل الأوطار ٢١٨/٣، والمحلى لابن حزم ٤٠/١٠، وسبل السلام ١٤٣/٣.

يكن بها عذر شرعي كصيام فرض، أو لم يقم بها مانع يمنعها من ذلك كمرض شديد أو نحوه[١].

وقد قيل: إن الحيض ليس بعذر يمنع الاستمتاع، لأنه له حق الاستمتاع بها فوق الإزار، وهي حائض[٢].

ومفهوم الحديث أن محل التحريم هو غضب الزوج من امتناع زوجته، لأن به يتحقق اللعن، وبذلك يتحقق ثبوت معصيتها، بخلاف ما إذا لم يغضب من ذلك، فإنه يكون راضيًا، وبالتالي فلا تحريم، إما لكونه عذرها، وإما لأنه ترك حقه في ذلك[٣].

٢- وفيه جواز لعن المسلم العاصي إذا كان على وجه التخويف، لئلا يواقع الفعل، فإن واقعه، يدعى له بالتوبة، والهداية، ولكن محل جواز اللعن أن يكون العاصي يرتدع وينزجر به، فإن لم يكن حال العاصي كذلك فلا يجوز[٤].

٣- وفيه دليل على أن الملائكة تدعو على أهل المعصية ما داموا فيها.

٤- وفيه تعظيم شأن الزوج، والإرشاد إلى طلب مرضاته[٥].

المضامين الدعوية[٦]

---

(١) الفقه الواضح للدكتور محمد بكر إسماعيل ٦٧/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧/١٠، وعون المعبود ١٢٦/٦.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٦٤/٩.

(٤) فتح الباري ٢٦٤/٩، ونيل الأوطار ٣٦٣/٦.

(٥) فتح الباري ١٦٤/٩، وشرح ابن بطال على صحيح البخاري ٣١٢/١٣.

(٦) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٢٨١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- احترام الرغبات والغرائز الجنسية:

من أسس التربية الإسلامية احترام الرغبات والغرائز الجنسية، فالإسلام يحترم الرغبات والغرائز الجنسية فهو يأبى على المرأة أن ترفض زوجها حين طلبه لجماعها، وهذا نوع من احترام الإسلام للرغبات والغرائز الجنسية [1]، حيث يقول رسول الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».

فالإسلام يقر للإنسان حقه في تلبية رغبته الجنسية - هذه الرغبة القوية - عن طريق الزواج والاتصال الجنسي المشروع، فهو الوسيلة المثلى التي تجد من خلاله غريزة الجنس طريقها في نطاق الأسرة النظيف ما تنشده من إشباع وارتواء في توازن لا يخل بسلام المجتمع ولا يزعزع بناءه الإنساني الأخلاقي.

وقد ميز الله أهل الإيمان بضبط الغريزة وتوجيهها وجهة الفطرة الصالحة، وأشار القرآن إلى أن مسلك الفوضى إنما هو انحلال وعدوان خطير يدمر المجتمع ويبث الوهن في أنحائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [2].

فإن ضبط الغريزة وتنظيمها طهارة للزوج والبيت والجماعة ووقاية النفس والأسرة والمجتمع، وتحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ للقلوب من التطلع إلى غير حلال [3].

من أجل ذلك احترم الإسلام الرغبات الجنسية وحث على إشباعها في طلب الحلال

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب، ص١٨٩، ١٩٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآيات:٥-٧.

(٣) انظر: إستراتيجيات التربية الأسرية، إعداد لجنة البحوث والدراسات، إشراف: د. توفيق يوسف الواعي، ص٥١-٥٣.

وحث الطرف الآخر -الزوجة- على عدم الامتناع عنه ما لم يكن هناك عذر شرعي يجيز لها الامتناع.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

إن التربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي الذي يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك، وما يترتب عليه من ضرر [1].

وقد رهب النبي ﷺ المرأة المسلمة من عدم طاعة زوجها إذا دعاها لفراشه، وامتنعت لغير عذر شرعي، بلعن الملائكة لها حتى تصبح، فقال ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ». فهذا الأسلوب التربوي الترهيبي يحض المرأة على طاعتها لزوجها لإحصانه، فإن لم تفعل لعنتها الملائكة حتى تصبح، وفي ذلك كسر لكبر المرأة الحصيفة حتى ترجع عن ذلك وتطيع زوجها حتى تتجنب لعن الملائكة إلى الصباح.

وإن المرأة المؤمنة إذا ما تغير طبعها، وأرادت أن تهجر فراش زوجها، فما عليها إلا أن تذكر لعنة الملائكة التي تؤمن بها، فإن ذلك يرهبها ويزجرها، ويهيئها لطاعة زوجها، فإنه جنتها ونارها، فلتنظر أين هي من ذلك[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الأمر ليس على إطلاقه، وإنما يرتبط باستطاعة المرأة وظروفها الصحية بالإضافة إلى المسؤوليات الكبيرة تجاه الأولاد، وإذا كان للزوج على زوجته حق الطاعة، فيجب عليه عدم التسلط في استعمال هذا الحق، وربما يأتي إنسان لا يلتزم بمبادئ الإسلام التزامًا كاملاً، ثم لا يعجبه في الإسلام إلا أن يُلوح بهذا الحق دون مراعاة لمشاعر وظروف وصحة الزوجة ومسؤولياتها اليومية، ويجب أن نؤكد على أن الإسلام دين المودة والرحمة والتراحم بين الناس، خاصة بين الزوجين حتى يكون هناك انسجام أسري ودفء عائلي ويكون الجو مفعمًا بالمودة والرحمة.

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص١٨٦.

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ص٣٤٤.

٣٣٦- باب تحريم صوم المرأة وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه

الحديث رقم (١٧٥٢)

١٧٥٢- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتفق مع الحديث السابق في تأكيد حق الزوج، ووجوب طاعة زوجته له، وتقدم طاعة الزوج على أداء الطاعات المندوبة مثل: نسك التطوع، وصوم التطوع، وكذلك طاعته في صون حرمة بيته، فلا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه.

وهذا المضمون الإسلامي الذي يقنن ويؤطر الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين: يصوغه رسول الله ﷺ في أسلوب القصر، وهو من الأساليب التي توثق المعنى، وتعمق الدلالة، وترسخ المقاصد في ذهن السامعين، وتنبئ عن حرص المتكلم على إيصال فكرته، وتأكيد مراده، فالجملة الأولى: مضمونها يحرم على المرأة صوم التطوع من غير إذن زوجها وقوله: "لا يحل" فيه ترغيب واستمالة للمرأة: لأنه لو قال: يحرم على المرأة: لكان التعبير شديداً ولأفاد العموم، لأن من الصوم مالا يتعلق برضا الزوج، وهو صوم الفرض، وقوله: "وزوجها شاهد"، أي حاضر: هذا إيحاء بوجوده في بيته، ومشاهدته لزوجته، وربما تقوده رغبته في التمتع بزوجته، وهي تمنعه من ذلك بدخولها في عبادة الصوم، وتصبح في هذه الحالة مثل. التي أبت أن تلبي دعوته إلى

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٩٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٢٦/٨٤)، وتقدم برقم (٢٨٢). أورده المنذري في ترغيبه (١٣٧١).

فراشه، ويمكن أن تصوم إذا أذن لها زوجها، وكذلك: أسلوب القصر في قوله: "ولا تأذن في بيته إلا بإذنه"، يفيد قصر دخول أي وافد إلى بيت الزوج على رضا الزوج وإذنه، وفي ذلكم صون لكرامته، وحفظ لحقه، وحفاظ على حرمة البيت، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- حرمة صيام التطوع على الزوجة، وزوجها حاضر إلا بإذنه[١]، وذلك لأن له حق الاستمتاع بها، ولا يمكنه ذلك مع الصوم[٢]، فإن أذن لها جاز، وعلمها برضاه كإذنه[٣]، وإن صامت بغير إذنه صح صومها وإن كان حراماً، كالصلاة في الدار المغصوبة[٤].

هذا إذا كان الزوج يجوز له التمتع بها، فإن قام به مانع شرعي يمنعه من الوطء كما لو كان محرماً، أو معتكفاً[٥]، أو قام به أو بها مانع عضوي لا يتأتى معه الجماع، كما لو كان مريضاً لا يقدر على الجماع[٦]، أو كان بها رتق أو قرن[٧]

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٧/٢، ومغني المحتاج ٤٤٩/١، والإقناع للشربيني ٢٤٥/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٧٣/٢، كشاف القناع ١٨٨/٥، ومنار السبيل ٩٥/٢، والمحلى لابن حزم ٣٠/٧.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ١٠٧/٢، وشرح صحيح مسلم ١١٥/٧، ومغني المحتاج ٤٤٩/١.

(٣) مغني المحتاج ٤٤٩/١.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٣/٢.

(٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٢٧٣/٢.

(٧) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٣/٢.

لا يمكن معه جماعها، فلا حرمة عليها إن صامت بغير إذنه.

وإن كان غائباً جاز لها الصوم دون إذنه[١].

٢- يحرم على المرأة أن تأذن لأحد بدخول بيت زوجها إلا بإذنه سواء كان غريباً، أو قريباً، وسواء أكان رجلاً، أو امرأة.

هذا ما لم تعلم الزوجة رضا زوجها بذلك، فإن علمت رضاه به جاز[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) شرح صحيح مسلم ١١٥/٧.

(٢) المجموع للنووي ٢٤٠/٦، والمغني لابن قدامة ٢٢٣/٧، وكشاف القناع ١٨٨/٥، وعون المعبود ٩٣/٧.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٢٨٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- تربية الزوجة على تأدية حقوق الزوج:

إن التربية الإسلامية تهتم اهتمامًا كبيرًا باستقرار في الحياة الأسرية، حيث حضت الشريعة كل طرف - في الزواج - على القيام بواجباته تجاه الآخر.

والله تعالى جعل المرأة سكنًا نفسيًا للرجل، وأقام سبحانه وتعالى الحياة الزوجية على المودة والرحمة. فالرجلَ قوّام يقضي نهاره في طلب الرزق ويسعى ويجاهد فإذا أوي إلى بيته وجد الراحة النفسية والطمأنينة، وبين هذا وذاك تنمو المودة والرحمة، بمعنى أنها تزداد يومًا بعد يوم، فيزداد الوثاق والرباط القوي بين الزوجين [1].

وإن أكبر ما يجب للرجل على امرأته شرعًا وطبعًا، هو ما يقع الزواج لأجله: تمتعه بها، وتمكينها إياه من نفسها، وكل شيء بعد ذلك تبع له [2].

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ المرأة عن الصوم تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه، فقال: «لاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ، وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ» فصوم التطوع سنة وحق الزوج واجب والواجب يقدم.

فإن رسول الله ﷺ أراد أن يؤصل في نفس الزوجة المسلمة طاعة زوجها فيما لا معصية فيه لله، ومن مظاهر تلك الطاعة التزام المرأة بعدم الصيام وزوجها شاهد إلا بإذنه، وذلك في صوم التطوع، ومن التربية النبوية للمرأة المسلمة عدم إذنها لأحد في دخول بيتها إلا بإذن زوجها، وهذا مما يعمل على دعم أواصر المودة والمحبة بين الزوجين.

كذلك على الزوجة المسلمة القدوة أن تتعرف بدقة على واجباتها نحو زوجها وحقوقه عليها فتؤديها تعبدًا لله وطمعًا في ثوابه، وأن تراعي مشاعره وتمتص همومه وتحفظ سره، وتتعاون معه في أمور الحياة[3].

---

(١) الأسرة والتنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي، د. محمد عبدالمحسن التويجري، ص٩٦.

(٢) إصلاح المجتمع، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، ص٢٩٣.

(٣) إستراتيجيات التربية الأسرية في الإسلام، إعداد لجنة البحوث والدراسات، إشراف: د. توفيق يوسف الواعي، ص٨٠.

فإذا ما عرفت الزوجة حقوق زوجها وحرصت على تأديتها له، فإن السعادة الزوجية سوف تتحقق ويحرص الزوج المسلم القدوة على إسعاد زوجته وتأدية حقوقها.

فالالتزام بتأدية الحقوق هدف تربوي عظيم، ينبغي على المربين والمجتمع غرسه في نفوس الجميع، خاصة الناشئة منهم، حتى يعلم كل فرد سواء في الأسرة أو المجتمع أهمية دوره وأثره الفعال في تحقيق السعادة والاستقرار في جميع نواحي الحياة، والحياة الأسرية على وجه الخصوص.

۞ ۞ ۞

٣٣٧- باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

الحديث رقم (١٧٥٣)

١٧٥٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ، قَالَ: ((أمَا يَخْشَى أحَدُكُمْ إذَا رَفَعَ رَأسَهُ قَبْلَ الإمَامِ أنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأسَهُ رَأسَ حِمَارٍ! أوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الشريف تحذيراً للمسلم المأموم وهو في الصلاة من أن يسبق الإمام، فذلك السلوك ينشأ من السرعة والعجلة وعدم الخشوع، وهذا التحذير لم يصدر مباشرة، ولم يأت في صيغة نهي مباشر، وإنما سيق في صيغة تصويرية من شأنها أن تنفر كل مسلم من هذا المصير المؤلم الذي يمكن أن يؤول إليه، والصورة في الحديث تركز على إبراز القبح في أشد صورة له، تنفيراً للمسلم من الوقوع في مثل هذا السلوك المتعجل، الذي يخالف سنة رسول الله ﷺ في الخشوع والقنوت واتباع الإمام، وتأمل معالم صورة هذا المخالف: حيث: يجعل الله رأسه رأس حمار، أو يجعل صورته صورة حمار، إذ ينصب البصر أول الأمر على الرأس، الذي يصبح رأس حمار ضخم بأذنين طويلتين ناهيك عن لونه، ويبرز القبح جلياً في المفارقة المقززة بين الجسد البشري والرأس الحيواني، وثمة احتمال آخر في النص هو انقلاب الجسد كله إلى شكل حمار، صورة حمار فينسى حينئذ الشكل الإنساني ويذوب، ويملأ المشهد هذا الحيوان

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩١) واللفظ له، ومسلم (٤٢٧/١١٤). أورده المنذري في ترغيبه (٧٣٠).

الذي كان إنساناً، مع ما يوحي به لفظ الحمار، وشكله من معاني الغباء والأفعال الشنيعة المعهودة فيه، مما أسهب فيه المفسرون، وعلى هذا نفهم من تصوير القبح في النص: أن اتباع الإمام في الصلاة ذكاء وحكمة وحضارة، وأن المخالفة غباء وقبح، ومخالفة للنهج السوي، وانحراف عن الطريق القويم[١]، والاستفهام في أول الحديث تحذير لكل مسلم من الإقدام على مثل هذا السلوك الذي لا يليق بالمسلم ومكانته عند ربه، وأداة الشرط: مع فعل الشرط والجواب: إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل: ومن يتردى في هذا السلوك فليستحق ما يؤول إليه من مصير مؤلم، وعذاب أليم، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم الرفع من الركوع والسجود قبل الإمام[٢]، وذلك للوعيد عليه بالمسخ، وهو أشد العقوبات[٣].

ولكن هل تبطل صلاته أم لا؟: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[٤]، والمالكية[٥]، والشافعية[٦]، وأحمد في رواية[٧]، ويرون أن صلاته لا تبطل، وإن كان الفاعل يأثم.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية عليها أكثر أصحابه[٨]،

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف، ص٧١٥.

(٢) تحفة الفقهاء ١٤٤/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٨٣/٢، وشرح فتح القدير ٤٨٢/١- ٤٨٣، والتمهيد لابن عبدالبر ٣٦٥/٢٤، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٣٤٢/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢١١/١، وحلية الأولياء ١٦٢/٢- ١٦٣، والكافي فقه الإمام أحمد ١٨١/١، والروض المربع ٢٤٢/١، ومنار السبيل ١٢٠/١.

(٣) فتح الباري لابن حجر ١٨٣/٢.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٨٣/٢، وشرح فتح القدير ٤٨٢/١- ٤٨٣.

(٥) حاشية الدسوقي ٣٤٢/١.

(٦) حلية العلماء ١٦٢/٢- ١٦٣، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢١١/١.

(٧) شرح ابن رجب على صحيح البخاري ٩٠/٥، ومنار السبيل ١٢٠/١، والروض المربع ٢٤٢/١- ٢٤٣.

(٨) المراجع السابقة، المواضع نفسها.

والظاهرية[١] ويرون بطلان صلاته في هذه الحالة.

قال الإمام أحمد: ليس لمن سبق الإمام صلاة لهذا الحديث.

قال: ولو كان له صلاة لرجي له الثواب، ولم يخش عليه العقاب[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن سبق الإمام في الركوع والسجود أو الرفع منهما.

ثانياً: من آداب المدعو: متابعة الإمام في الصلاة وعدم مسابقته.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

رابعاً: من مهام الداعية: الشفقة على المدعوين وبيان الأحكام لهم وما يترتب عليها من الثواب والعقاب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن سبق الإمام في الركوع والسجود أو الرفع منهما:

وهذا واضح من الوعيد في الحديث لمن رفع رأسه قبل الإمام، قال النووي: "هذا كله بيان لغلظ تحريم ذلك"[٣].

وقال ابن دقيق العيد: "الحديث دليل على منع تقدم المأموم على الإمام في الرفع، هذا منصوصه في الرفع من الركوع والسجود، ووجه الدليل: التوعد على الفعل، ولا يكون التوعد إلا عن ممنوع، ويقاس عليه: السبق في الخفض، كالهوى إلى الركوع والسجود.

وفي قوله: (أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام ...)، ما يدل على أن فاعل ذلك متعرض لهذا الوعيد، وليس فيه دليل على وقوعه ولا بدّ.

وقوله: (أن يحول رأسه رأس حمار أو يجعل صورته صورة حمار)، يقتضي تغيير الصورة الظاهرة، ويحتمل أن يرجع إلى أمر معنوي مجازي، فإن الحمار موصوف

---

(١) المحلى ١٦/٤، وأيضاً شرح الزرقاني على الموطأ ٢٧٥/١.

(٢) المغني لابن قدامة ٣١٠/١، وشرح ابن رجب على صحيح البخاري ٩٠/٥، ومنار السبيل ١٢٠/١.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٥٦/٤/٢، ط/ دار عالم الكتب.

بالبلادة، ويستعار هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فروض الصلاة ومتابعة الإمام، وربما رجّح هذا المجاز بأن التحويل في الظاهر لم يقع مع كثرة رفع المأمومين قبل الإمام، ونحن قد بيّنا أن الحديث لا يدل على وقوع ذلك، وإنما يدل على كون فاعله متعرضاً لذلك، وكون فعله صالحاً لأن يقع عنه ذلك الوعيد، ولا يلزم من التعرض للشيء وقوع ذلك الشيء، وأيضاً فالمتوعد به لا يكون موجوداً في الوقت الحاضر، أعني عند الفعل، والجهل موجود عند الفعل، لست أعني بالجهل ههنا عدم العلم بالحكم، بل إما هذا وإما أن يكون عبارة عن فعل ما لا يسوغ، وإن كان العلم بالحكم موجوداً، لأنه قد يقال في هذا: إنه جهل، ويقال لفاعله: جاهل.

والسبب فيه: أن الشيء ينفى لانتفاء ثمرته والمقصود منه، فيقال: "فلان ليس بإنسان، إذا لم يفعل الأفعال المناسبة للإنسانية، ولما كان المقصود من العلم العمل به، جاز أن يقال لمن لا يعمل بعلمه: إنه جاهل غير عالم"[1].

لكن ابن حجر ذهب إلى تقوية حمل الوعيد على ظاهره فقال: "ويقوي حمله على ظاهره أن في رواية ابن حبان[2] من وجه آخر عن محمد بن زياد: (أن يحول الله رأسه رأس كلب)، فهذا يبعد المجاز، لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار، ومما يبعده أيضاً إيراد الوعيد بالأمر المستقبل وباللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلاً: (فرأسه رأس حمار)، وإنما قلت ذلك لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور[3]، فلا يحسن أن

---

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) صحيح ابن حبان ٢٢٨٣، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) قال ابن العربي: وليس يريد به عند العلماء المسخ صورة، وإنما يريدون به الحمارية معنىً، وهو البَلَهُ، ضرب له الحمار مثلاً، لأنه أشد البهائم بلهاً، ولا حمارية أعظم من أن يلتزم الاقتداء مع الإمام ثم يخالف ما التزم في تلك الحال، وهذا كقوله ﷺ: ((لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم))، وليس يريد بذلك إذهابها بالعمى، وإنما يشير به إلى ذهاب فائدتها من العبرة. القبس شرح الموطأ ٤٤٧/٤ موسوعة شروح الموطأ. والحديث الذي ذكره ابن العربي أخرجه البخاري ٧٥٠ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه مسلم ٤٢٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يقال له: يخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليداً، مع أن فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة"[١].

وقال ابن هبيرة: "إنه ينبغي أن لا يستبعد هذا، فإن الله سبحانه وتعالى إن لم يجعل رأسه على شكل رأس الحمار، فإنه قد يجعل رأسه في المعنى رأس حمار في البلادة وبُعْد الفهم، وهو على صورة الآدميين، وقد أخذ على المأموم أن لا يسبق الإمام في التسليم، فما الذي تفيده المسابقة في الركوع أو السجود، مع كونه لا يمكنه الخروج من الصلاة إلا بخروج الإمام، فلا يحصل له من ذلك إلا سوء الأدب، وأن يظهر للمصلين معه قلة أدبه ودينه، ونزارة علمه وعدم ثباته، فإذن هذه كلها من أخلاق من رأسه في المعنى رأس حمار" [٢].

ثانياً- من آداب المدعو: متابعة الإمام في الصلاة وعدم مسابقته:

وهذا واضح من الحديث، قال ابن تيمية: "أما مسابقة الإمام فحرام باتفاق الأئمة لا يجوز لأحد أن يركع قبل إمامه ولا يرفع قبله، ولا يسجد قبله، وقد استفاضت الأحاديث عن النبي ﷺ بالنهي عن ذلك كقوله في الحديث الصحيح: ((لا تسبقوني، فَإِنِّي مَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا رَكَعْتُ تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رفعت، وَمَهْمَا أَسْبِقْكُمْ بِهِ إِذَا سَجَدْتُ، تُدْرِكُونِي بِهِ إِذَا رَفَعْتُ، إِنِّي قَدْ بَدَّنْتُ[٣]))[٤]، وقوله: ((إِنَّما جُعِلَ الإِمامُ لِيُؤْتَمَّ بِه، فإذا كَبَّرَ فكبِّروا، وإذا ركعَ فاركعُوا، فَإِنَّ الإِمَامَ يَرْكَعُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ))، وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ. وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ. يَسْمَعُ اللهُ لَكُمْ. وَإِذَا كَبَّرَ وَسَجَدَ فَكَبِّرُوا وَاسْجُدُوا. فَإِنَّ الإِمَامَ يَسْجُدُ قَبْلَكُمْ وَيَرْفَعُ قَبْلَكُمْ)). فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَتِلْكَ بِتِلْكَ))[٥]، وكقوله:

---

(١) فتح الباري ٢/١٨٤. ط/ السلفية.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٧/١٩٥.

(٣) بَدَّنتُ: أي كَبِرْتُ وأَسنَنتُ، انظر: لسان العرب في (ب د ن).

(٤) أخرجه أحمد ٤/٩٢ رقم ١٦٨٣٨، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ٢٨/٥٣.

(٥) أخرجه مسلم ٤٠٤.

((أَمَا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟))[١]، وهذا لأن المؤتم متبع للإمام مقتد به، والتابع المقتدي لا يتقدم على متبوعه وقدوته، فإذا تقدم عليه، كان كالحمار الذي لا يفقه ما يراد بعمله.

ومن فعل ذلك استحق العقوبة والتعزير الذي يردعه وأمثاله، كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يسابق الإمام فضربه وقال: لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت.

وإذا سبق الإمام سهواً لم تبطل صلاته، لكن يتخلف عنه بقدر ما سبق به الإمام كما أمر بذلك أصحاب رسول الله ﷺ لأن صلاة المأموم مقدرة بصلاة الإمام، وما فعله قبل الإمام سهواً لا يبطل صلاته، لأنه زاد في الصلاة ما هو من جنسها سهواً، فكان كما لو زاد ركوعاً أو سجوداً سهواً، وذلك لا يبطل بالسنة والإجماع... فعلى المصلي أن يتوب من المسابقة ويتوب من نقر الصلاة وترك الطمأنينة فيها، وإن لم ينته فعلى الناس كلهم أن يأمروه بالمعروف الذي أمره الله به، وينهوه عن المنكر الذي نهاه الله عنه، فإن قام بذلك بعضهم وإلا أثموا كلهم، ومن كان قادراً على تعزيره وتأديبه على الوجه المشروع فعل ذلك، ومن لم يمكنه إلا هجره وكان ذلك مؤثراً فيه، هجره حتى يتوب"[٢].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

فقد رهّب النبي ﷺ من أن يسبق المأموم الإمام في الصلاة، بأن ذلك مدعاة لأن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار وفي هذا ترهيب ما بعده ترهيب، قال ابن عبدالبر: "وهذا وعيد وتهديد"[٣]، قال ابن حجر: "وظاهر الحديث يقتضي تحريم الرفع قبل الإمام، لكونه توعد عليه بالمسخ وهو أشد العقوبات"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٩١، ومسلم ٤٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٩١ - ١٩٢، ٢٣/٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٣) التمهيد شرح الموطأ ٤/٤٤٧ موسوعة شروح الموطأ.

(٤) فتح الباري ٢/١٨٣.

رابعاً- من مهام الداعية: الشفقة على المدعوين وبيان الأحكام لهم وما يترتب عليها من الثواب والعقاب:

وهذا واضح في الحديث، قال ابن حجر: "وفي الحديث كمال شفقته ﷺ بأمته وبيانه لهم الأحكام وما يترتب عليها من الثواب والعقاب"[١]، ومن هذا القبيل قوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي الصَّلاَةِ. أَوْ لاَ تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ))[٢]، قال النووي: "فيه النهي والوعيد الشديد في ذلك"[٣].

وقال ابن حجر: "واختلف في المراد بذلك، فقيل: هو وعيد، وعلى هذا فالفعل المذكور حرام،... وقيل المعنى: أنه يخشى على الأبصار من الأنوار التي تنزل بها الملائكة على المصلين، كما في حديث أسيد بن حضير الآتي في فضائل القرآن إن شاء الله تعالى[٤]، أشار إلى ذلك الداودي، ونحوه في جامع حماد بن سلمة عن أبي مجلز أحد التابعين. و"أو" هنا للتخيير نظير قوله تعالى: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[٥]، أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة وإما الإسلام، وهو خبر في معنى الأمر"[٦].

ومن هذا القبيل أيضاً قوله ﷺ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ))[٧]، وقد بوّب ابن حبان على هذا الحديث ذكر الأمر بالمواظبة على الجمعات للمرء مخافة أن يكتب من الغافلين"[٨].

قال الصنعاني: "بعد ختمه تعالى على قلوبهم فيغفلون عن اكتساب ما ينفعهم من الأعمال وعن ترك ما يضرهم منها. وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن ترك الجمعة والتساهل فيها. وفيه إخبار بأن تركها من أعظم أسباب الخذلان بالكلية"[٩].

---

(١) فتح الباري ٢/١٨٤. ويبدو أنه قول ابن الجوزي.

(٢) أخرجه مسلم ٤٢٨، من حديث جابر بن سمرة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢/٤/١٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠١٨، ومسلم ٧٩٦.

(٥) سورة الفتح، آية: ١٦.

(٦) فتح الباري ٢/٢٣٤.

(٧) أخرجه مسلم ٨٦٥.

(٨) صحيح ابن حبان ٧/٢٥ الحديث ٢٧٨٥.

(٩) سبل السلام ص ٢٨٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على احترام النظام والعمل به:

يحترم الإسلام النظام ويأمر باتباعه، كما يأبى الفوضى ويعاقب عليها. فالصلاة تتم وفق نظام معين، والجماعية منها تقوم على انتظام الجماعة في صفوف خلف الإمام[1]. فلا يجوز للمأموم أن يخالف هذا النظام ويتقدم على الإمام برفع رأسه من الركوع أو السجود، ولهذا قال ﷺ: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ».

فصلاة الجماعة تعلم وتربي المسلم على النظام، وتغرس فيه التربية بالاتباع والاقتداء بالإمام، كما أنها من أهم وسائل تحطيم الفوارق الاجتماعية والتعصب للجنس واللون، فوحدت بين المسلمين من كافة الأجناس والألوان، ونفخت فيهم روح الإخاء والمساواة والنظام، وقد نوّه بفضلها وجليل اعتبارها كثير من الباحثين، من ذلك ما قاله الدكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستون بأميركا في كلامه عن صلاة الجمعة وتأثيرها على المجتمع العربي.

"وهذه الصلاة الجامعة في وقارها وبساطتها لا يفوقها أي نوع من أنواع العبادات الجامعة، إذ يقف المصلون معتدلي القامة في صفوف يسودها النظام في المسجد، ويتبعون زعامة الإمام بكل دقة واحترام، ولعمري إن منظرهم ليكون دائمًا بالغ الأثر في النفس، وهذه الصلاة الجامعة كوسيلة للنظام لابد وأنها كانت ذات أثر عظيم في نفوس أبناء الصحراء المعتزين بأنفسهم المتكبرين. لقد غرست في نفوسهم الشعور بالمساواة الاجتماعية والإدراك لفكرة المصالح المشتركة وتوحيدها. ولقد ساعدت أيضًا على تقوية الأخوة في مجتمع المؤمنين التي أحلها دين محمد نظريًا محل روابط الدم، وهكذا أصبحت أرض الصلاة هي الأرض الأولى للتدريب في الإسلام[2]" [3].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٥٥.

(٢) تاريخ العرب، ترجمة: محمد مبروك نافع، ط٣، ص١٦٢، ١٦٣.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة ص١٧٧، ١٧٨ بتصرف.

إن التربية الإسلامية تولي النظام في الصلاة أهمية خاصة بل إنها تهتم بالنظام والحث على احترامه والعمل به في كافة مناحي الحياة، ليربي المسلم على النظام والانضباط، والبعد عن الفوضى والعشوائية فالمسلم مأمور بأن يحترم النظام ويعمل به، في منزله، ومع أسرته، وفي عمله ومع زملائه، وفي بيئته ومجتمعه، وفي المجتمع الإنساني بأكمله [١].

ثانيًا: التربية بالتحذير:

إن التحذير من الأساليب التربوية المهمة حيث يستخدمه المربي في التوجيه للتحرز من إتيان فعل أو امتناع عنه، لكونه سببًا في غضب الله تعالى وعذابه، أو سببًا في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك[٢].

وقد حذر النبي ﷺ المأموم في الصلاة من رفع رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام، فقال: «أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ».

وقد ورد استخدام النبي ﷺ التحذير كأسلوب تربوي وتوجيهي في التحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه.

وكذلك في التحذير مما يتسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيغ مختلفه كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة وغيرها[٣].

فأسلوب التحذير أسلوب تربوي لا غنى للمربي عنه يستخدمه في التحذير من الأشياء التي تخالف الشريعة الإسلامية سواء كانت عبادات أو معاملات أو غيرها حتى يتجنبها المتربي وينتهي عن إتيانها.

❁ ❁ ❁

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ص٥٥.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص ٢٤٩.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٤٩، ٢٥٠.

٣٣٨- باب كراهة وضع اليد عَلَى الخاصرة في الصلاة

الحديث رقم (١٧٥٤)

١٧٥٤- عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: نُهِيَ عن الخَصْرِ في الصَّلاَةِ. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الخَصْر: وهو أن يصلي ويده على خاصرته، والخصر من الإنسان وسطه وهو المستدق فوق الوركين، وفي الصلاة وضع اليد على الخصر[٢].

الشرح الأدبي

إن الصلاة أقوال وأفعال.. وهيئات وحركات، وفي ظل الخشوع والخضوع يقرأ المصلي... ويركع ويسجد،. ويسبح، ويقوم ليواصل الصلاة، والحديث فيه إخبار عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخصر في الصلاة، والخصر: وسط الإنسان وأخمص القدم، والمراد هنا: وسط الإنسان: والحديث بدأ بتأكيد الخبر: حيث تقدم على الفعل "نهى" إن "المؤكدة" واسمها، وهو رسول الله ﷺ، وهذا التقديم له دلالته: لأن المسلم مكلف بطاعة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣].

وهذا الوضع وهو وضع اليد على الخاصرة في الصلاة مكروه: وقيل في سبب هذه الكراهة، وذلك النهي: هو عدم التشبه باليهود، لأن اليهود كانوا يفعلون ذلك، وقيل إن هذا فعل الشيطان، وقيل: لأن إبليس أهبط من الجنة كذلك، وقيل لأنه فعل المتكبرين.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١٩) واللفظ له، ومسلم (٥٤٥/٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (٧٨٧).

(٢) شرح مسلم ٤١٥، المصباح المنير في (خ ص ر).

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

والمؤمن في الصلاة يقف خاشعاً متذللاً لربه، وليس في قلبه مثقال ذرة من كبر، والله أعلم، وما أصدق هذه الأبيات التي تصور خشوع المؤمن وتواضعه.. وإقباله على الله.

وكن للصالحين أخاً وخلاً ... وكن في هذه الدنيا غريباً
وصل إذا الدجي أرخى سدولا ... ولا تضجر به وتكن هيوباً
تجد أنساً إذا أودعت قبراً ... وفارقت المعاشر والنسيبا[1]

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة التخصر في الصلاة، وهو وضع اليد على الخاصرة، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[2].

وذهب الظاهرية[3] إلى أنه حرام تبطل به الصلاة.

وقد رجح صاحب نيل الأوطار[4]، وصاحب عون المعبود[5] القول بالتحريم، وذلك لعدم قيام قرينة تصرف النهي عن التحريم الذي هو معناه الحقيقي.

ولعل السبب الذي نهى لأجله عن التخصر، هو أنه فعل المختالين والمتكبرين، أو لأن فيه تشبهاً بالشيطان، أو لأنه استراحة أهل النار أو لأنه فعل اليهود. أو لأنه شكل من أشكال أهل المصائب، يضعون أيديهم على خواصرهم إذا قاموا من المآتم، وحال الصلاة حال يناجي فيه العبد ربه تعالى، فهو حال افتخار، لا حال إظهار المصيبة[6].

---

(١) انظر: كتاب: من محاسن الدين الإسلامي، تأليف: عبدالعزيز بن محمد السلمان.

(٢) المبسوط ٢٦/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٥٥٠/١، والقوانين الفقهية ٣٩، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٥، والنكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن مفلح ٧٧/١.

(٣) المحلى لابن حزم ١٨/٤.

(٤) نيل الأوطار للشوكاني ٣٨٢/٢.

(٥) عون المعبود ١٢٠/٣.

(٦) انظر في تعداد الأسباب التي من أجلها نهى عن التخصر في الصلاة: المبسوط ٢٦/١، وشرح صحيح مسلم ٣٦/٥، وعون المعبود ١٢٠/٣، ونيل الأوطار ٣٨٢/٢.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن وضع اليد على الخاصرة في الصلاة.

ثانياً: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن وضع اليد على الخاصرة في الصلاة:

قال النووي: "اختلف العلماء في معناه [أي في معنى الحديث]: فالصحيح الذي عليه المحققون والأكثرون من أهل اللغة والغريب والمحدثين - وبه قال أصحابنا في كتب المذهب - أن المختصر هو الذي يصلي ويده على خاصرته، قال الهروي: قيل: هو أن يأخذ بيده عصا يتوكأ عليها، وقيل: أن يختصر السورة فيقرأ من آخرها آية أو آيتين، وقيل: هو أن يحذف[1] فلا يؤدي قيامها، وركوعها وسجودها وحدودها، والصحيح الأول"[2].

وقال ابن حجر[3]: "ويؤيد الأول ما روى أبو داود والنسائي من طريق سعيد بن زياد قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي، فلما صلى قال: هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله ﷺ ينهى عنه"[4].

وقال ابن عثيمين: "الخاصرة ما بين الحقو وأسفل الأضلاع، وذلك أن الإنسان مأمور إذا كان في صلاته أن يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى أو على الرسغ، أي ما بين الكف والذراع، ويرفعهما على صدره، هذه هي السنة، يفعل ذلك في القيام قبل الركوع وبعد الركوع، وأما وضعهما على الخاصرة فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك،

---

(١) حَذَفَ الشَّيءَ: أَسْقَطَهُ وخَفَّفَهُ. انظر: لسان العرب في (ح ذ ف).

(٢) شرح صحيح مسلم ٣٧/٥/٣، وقال ابن هبيرة: "يجوز أن يكون هذا من وضع اليد على الخصر، وذلك ينافي الخشوع، ويجوز أن يكون المراد شد الوسط، ويجوز أن يكون نهياً عن اختصار الصلاة، بأن لا يتم ركوعها ولا سجودها"، الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ١٧٢/٧، وانظر: سبل السلام ١٦٨ ط بيت الأفكار الدولية.

(٣) فتح الباري ٨٩/٢، ط/ السلفية. وقد اختار ابن حجر هذا التفسير وجزم به في بلوغ المرام، الحديث ٢٢٦ مع شرحه سبل السلام، ص ١٦٨.

(٤) أخرجه أبو داود ٩٠٣ والنسائي ٨٩١ وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٧٩٨).

ولها صورتان: الصورة الأولى: أن يضع اليسرى أو اليمنى على الخاصرة، والثانية: أن يضع اليمنى على اليسرى ثم يجعلهما على الخاصرة كما يفعله بعض الناس، ويدعي أنه يفعل هذا ليجعل اليدين على القلب، وهذا غلط، الشرع ليس له مدخل في العقل، الشرع يتلقى من النبي ﷺ ولم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يضم يده اليمنى على اليسرى ثم يجعلها على الخاصرة، بل هذا داخل في النهي، وهذا النهي للكراهة، كما قال المؤلف -أي النووي-"[1].

وقال ابن حجر: "واختلف في حكمة النهي عن ذلك، فقيل: لأن إبليس أهبط مختصراً... وقيل: لأن اليهود تكثر من فعله فنهي عنه كراهة للتشبه... وقيل: لأنه راحة أهل النار، وقيل: لأنها صفة الراجز حين ينشد[2]... وقيل: لأنه فعل المتكبرين، وقيل: لأنه فعل أهل المصائب، ولا منافاة بين الجميع"[3].

وقال عبدالله البسام: (الحكمة في النهي هو الابتعاد عن مشابهة اليهود، فإنهم يضعون أيديهم على خواصرهم في الصلاة، وقيل: الحكمة أنه فعل المتكبرين ولا منافاة، فإن من طبيعة اليهود الكبر واحتقار الناس، ولا يرون شعباً ولا جنساً أفضل منهم، فهم يقولون: إنهم شعب الله المختار. والمطلوب في الصلاة الخشوع والخضوع، لأن المصلّي واقف بين يدي الله تعالى، متذللاً بعيداً عن صفات المتكبرين وسيماهم. والواجب البعد عن مشابهة أهل الضلال، سواء أكان هذا التشبه مما يخرج من الملة، أو كان يفضي إلى المعصية، فإن من تشبه بقوم فهو منهم)[4].

ثانياً- من أساليب الدعوة: النهي:

فقد نهى النبي ﷺ عن الخصر في الصلاة، والنهي هو اللفظ المستعمل لطلب الترك على جهة الاستعلاء"[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٧٩٩/٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٨ عن عائشة رضي الله عنها: كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته، وتقول: إن اليهود تفعله. وانظر: سبل السلام ١٦٩.

(٣) فتح الباري ٨٩/٣، وانظر: صحيح ابن حبان ٦٣/٦ - ٦٤ رقم ٢٢٨٦، وشرح صحيح مسلم ٣٧/٥/٣.

(٤) توضيح الأحكام ٤٩٩/١.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية ٤٠٤/٤١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على التواضع والخضوع لله تعالى:

للصلاة وضعها الدقيق ونظامها التربوي، فقد هيأت الحكمة الإلهية، والتشريع الرباني (الصلاة) تهيئة دقيقة عميقة، هي من المعجزات التشريعية، لتحقيق غاية العبودية، والإخلاص لله تعالى، وغاية الخضوع والتذلل، والاستغاثة والابتهال، وإحياء الصلة بالله تعالى، وتجديدها [١].

والصلاة مناجاة لله قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحدَكم إذا قامَ في صَلاته فإنهُ يُناجي ربَّهُ أو إن ربه بينهُ وبينَ القِبلةِ» [٢]، ولما كانت للمناجاة رهبة تهيمن على شعور الإنسان وحركاته تحول بين اللهو واللعب في صلاته، ولما كانت للمناجاة آداب يطلب من المصلي مراعاتها، لهذا كله، كان على المصلي أن يتجنب أي تصرف يتنافى والأدب مع الله [٣].

لهذا وضع النووي عنوان الباب: باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "نهى عن الخصر في الصلاة". والخصر وسط الإنسان، ووضع اليد في وسط الإنسان هو فعل أهل الكبر.

وهذا يتنافى مع الأدب مع الله في الصلاة.

فالصلاة تهدف إلى تربية العبد على التذلل والتضرع والخضوع لله، وتربي المسلم على التواضع مع الآخرين حيث إنه يقف في الصلاة مثله مثل أي إنسان.

والمتواضعون أهل الله، والمتكبرون ليس لهم من بره حظ ولا نصيب [٤].

فالكبر والتعالي على الناس، مما يتنافى مع الخلق الكريم، وقد شن عليه

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، ٤٠٥.

(٣) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٤٠.

(٤) إسلامنا، السيد سابق، ص٢٠٣.

الإسلام حريًا شعواء، ليطهر منه النفوس والقلوب[1]، وجاءت الآيات والأحاديث النبوية التي ترهب منه وتحث على تركه وتذم فعله هذا مع الناس.

فكيف الحال بالإتيان بفعل من أفعال أهل الكبر في مقام يناجي فيه الإنسان ربه ويتوجه فيه إلى رب الأرض والسماء، في مقام لا ينفع فيه إلا الخشوع والخضوع والتذلل والتضرع.

فعلى المربي توجيه المسلمين عامة والناشئة بصفة خاصة إلى البعد واجتناب أفعال وصفات أهل الكبر في الصلاة، بصفة خاصة، في جميع مناحي الحياة بصفة عامة.

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق، ص٢٠٢.

٣٣٩- باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أَوْ مَعَ مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط

الحديث رقم (١٧٥٥)

١٧٥٥- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: ((لا صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الأخبثان: البول والغائط[2].

الشرح الأدبي

إن الخشوع في الصلاة هو سر قبولها، وهو ميزان صحتها، فلا صلاة بلا خشوع، ولا قبول لها بلا خضوع، فالصلاة: صلة بين العبد وربه، وأقوال المسلم في الصلاة كلها مناجاة لله عز وجل، فكيف يقرأ الفاتحة وقلبه مشغول بغير الله، وكيف يسبح الله وهو شارد الذهن، موزع الخواطر، مشتت الوجدان، ومن أسباب تشتت الذهن في الصلاة انشغال الحواس بالمشاهدات، وانشغال الذاكرة بما مضى من حوادث وذكريات، وانشغال الجسد بالملذات، ودفع الخبائث والفضلات.

ولذلك تتكرر أداة النفي في الحديث مرتين: المرة الأولى: ينفي الرسول ﷺ فيها عن المؤمن الصلاة المقبولة الصحيحة والطعام حاضر، وفي الحديث إيجاز بالحذف والتقدير لا صلاة للمرء مقبولة، أو لا صلاة فاضلة كاملة، بحضرة طعام، لأن المعدة إذا فرغت انشغل ذهن الإنسان.. ولن يتفرغ للصلاة تفرغاً كاملاً.

---

(١) برقم (٦٧/٥٦٠).

(٢) الوسيط في (خ ب ث).

ويتكرر النفي مرة أخرى، في قوله: "ولا وهو يدافعه الأخبثان"، وفي هذه الجملة يعود الضمير على معلوم غير موجود في نص الحديث: وهو المرء، أو المسلم، ورغم أنه محذوف فإن القرينة دلت عليه: لأن الصلاة لا تكون بدون مصل، وجملة: "وهو يدافعه الأخبثان" حالية: وهي تصور حال ذلك المصلي، وكأنه في صراع مع الاحتباس البولي، ومع احتباس الغائط، والصلاة ينقصها الخشوع والخضوع، لأنه يقاوم هذين الأخبثين، وصيغة التفضيل في هذا السياق، تفصح عن أن البول والغائط من أخبث ما يؤذي الإنسان إذا احتبسا، فخبثهما ناشئ من ضررهما، وطبيعتهما، ولذلك يقول المسلم وهو يدخل الخلاء لقضاء حاجته: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث، ويقول بعد خروجه: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الفقهية الآتية:

١- كراهة الصلاة بحضرة الطعام[١]، الذي يريد الأكل منه، لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع[٢]. خلافاً للظاهرية القائلين بالحرمة[٣].

وهذه الكراهة عند أكثر العلماء إذا صلى في وقت السعة، أما إذا ضاق الوقت بحيث لو أكل خرج الوقت، ففي هذه الحالة يصلي، ولا يجوز تأخيرها محافظة على حرمة الوقت.

وحكى أبو سعيد المتولي عن بعض الأئمة أنه لا يصلي بحاله، بل يأكل، ويتطهر حتى وإن خرج الوقت[٤].

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٤٣/١، ومواهب الجليل ٤٠٠/٢، والقوانين الفقهية لابن جزي ٣٩، والتمهيد لابن عبدالبر ٢٠٦/٢٢، والمهذب للشيرازي ٩٤/١، والمجموع للنووي ١٧٦/٤، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧٦/١، والمغني ٣٦٤/١، والروض المربع ٢٦٦/١.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ٢٠٦/٢٢، وشرح صحيح مسلم ٤٦/٥.

(٣) المحلى ٤٦/٤.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤٦/٥، وعون المعبود ١١٤/١.

إلا أنه لو صلى بحضرة الطعام، فأكمل صلاته، فإن الصلاة -والحالة هذه- تجزئه[١].

٢- كراهة الصلاة عند مدافعة الأخبثين -وهما البول والغائط-ويلحق بهما ما في معناهما مما يشغل القلب، ويذهب كمال الخشوع، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[٢].

وذهب الظاهرية[٣] إلى تحريم الصلاة، عند مدافعة الأخبثين، ومن صلى كذلك فصلاته باطلة.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الطمأنينة في الصلاة.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحرص على الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال ببعض الرغبات في الطعام وغيره.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة وتحصيل أسباب ذلك.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الطمأنينة في الصلاة:

إن من عوامل الإقبال على العبادة التفرغ لها، وعدم الاشتغال بغيرها -كوجود طعام مُعَدٍّ تشتاق النفس إليه، أو حدث من بول أو غائط يطلب الخروج وهو يقاومه وما شاكل ذلك- ولذا جاء في الحديث الدعوة إلى التفرغ من هذه الشواغل، مما يساعد القلب ويعينه على الإقبال على الله تبارك وتعالى، بعقل يقظ وقلب خاشع وجوارح مطمئنة. فقال ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" أي لا صلاة فاضلة

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ٢٠٦/٢٢.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٦٧/١، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٢٤٣/١، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ١٣١/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٥/٢، والمجموع ١٧٦/٤، وروضة الطالبين ٣٤٥/١، والتنبيه ٣٦/١، والمبدع ١٤٠/١، ومنار السبيل ١٢٨/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧٦/١.

(٣) المحلى لابن حزم ٤٦/٤.

كاملة بحضرة طعام تتوق نفس المصلي إليه وذلك لما فيه من اشتغال القلب المانع من الخشوع، وكذلك في حال مدافعة الأخبثان[١]، قال القرطبي: (وقوله ﷺ: "لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثين" ظاهرُ هذا: نفيُ الصِّحة والإجزاء. وإليه ذهب أهل الظاهر في الطعام، فتأوَّل بعضُ أصحابنا حديث مدافعة الأخبثين: على أنه شغله حتى لا يدري كيف صلّى؟! فهو الذي يعيد قبل وبعد. وأما إن شغله لا يمنعه من إقامة حدودها، وصلّى ضاماً مابين وركيه، فهذا يعيد في الوقت. وهو ظاهر قول مالك في هذا. وذهب الشافعي، وأبو حنفية في مثل هذا: إلى أن لا إعادة عليه. قال القاضي أبو الفضل: وكلُّهم مجمعون: على أن من بلغ به ما لا يعقل به صلاته، ولا يضبط حدودها؛ أنها لا تجزئه، ولا يحل له الدخول كذلك في الصلاة، وأنه يقطعُ الصلاة إن أصابه ذلك فيها. والأخبثان: الغائط والبول. قاله الهروي وغيره[٢].

قال النووي: (في هذا كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله، لما فيه من اشتغال القلب به، وذهاب كمال الخشوع، وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، وذلك إذا كان في الوقت سعة، فإذا ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج وقت الصلاة، صلى على حاله محافظة على حرمة الوقت ولا يجوز تأخيرها)[٣].

وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا المعنى منها ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِذَا حَضَرَ الْعَشَاءُ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ))[٤] وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا وُضِعَ عَشَاءُ أَحَدِكُمْ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَابْدَؤوا بِالْعَشَاءِ، وَلَا يَعْجَلَنَّ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ))[٥] فإن ذلك أدعى إلى الطمأنينة

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٣٤.

(٢) المفهم ١٦٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٤١٩.

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٢، ومسلم ٥٥٧.

(٥) أخرجه البخاري ٦٧٣، ومسلم ٥٥٩.

والخشوع في الصلاة وسكون القلب فيها[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحرص على الخشوع في الصلاة وعدم الانشغال ببعض الرغبات في الطعام وغيره:

إن الخشوع زينة الصلاة وجمالها، ولذلك جاءت الأحاديث آمرة بالتخلص مما يقلل الخشوع أو يذهبه، كالطعام ومدافعة الأخبثين وغيرها، فقال ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" قال ابن عثيمين: وذلك أن الإنسان إذا دخل في الصلاة وهو مشغول القلب فإنه لا يطمئن في صلاته، ولا يخشع فيها، يكون قلبه عند طعامه، والإنسان ينبغي له أن يصلي وقد فرغ من كل شيء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[٢]،[٣] قال ابن كثير: (أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها، فانصب في العبادة، وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة، من هذا القبيل قوله ﷺ "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان")[٤].

إن الصلاة لا تصح إلا بإتمام أركانها وشروطها، وتمامها وكمالها يكون بالخشوع، فهو محل القلب، وإليه ينظر الرب تبارك وتعالى، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم))[٥].

لقد حث النبي ﷺ على استجماع القلب والعقل في الصلاة والخشوع فيها لله رب العالمين، وأن ذلك سبب لتفتح أبواب الجنة الثمانية له، روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ((كانت علينا رعاية الإبل. فجاءت نوبتي فروحتها بعشيٍّ. فأدركت رسول الله ﷺ قائماً يحدث الناس، فأدركت من قوله: ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، الإمام ابن القيم، ٥٣٦/٢.

(٢) سورة الشرح، الآيتان: ٧، ٨.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٧٩٩/٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٣٣/٨.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٦٤.

ثم يقوم فيصلي ركعتين مقبل عليهما بقلبه ووجهه. إلا وجبت له الجنة. قال فقلت: ما أجود هذه! فإذا قائل بين يدي يقول: التي قبلها أجود. فنظرت فإذا عمر. قال: إني قد رأيتك جئت آنفاً. قال: ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ "أو فيسبغ" الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء))[1].

وفي رواية أبي أمامة ﷺ قال: قال عمرو بن عبسة السلمي ﷺ كنت وأنا في الجاهلية... فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ.... قال: يا نَبيَّ الله فالوضوء؟ حدِّثني عنه. قال: ما منكم رجلٌ يُقَرِّبُ وضوءه فيتمضمض ويستنشق فينتثر إلا خَرَّتْ[2] خطايا وجهه وفيه وخياشيمه. ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء. ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء. ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء. ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء. فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه))[3].

لقد كان رسول الله ﷺ يقوم في صلاته، وهو من أعلى درجات الخشوع، ومن يتدبر الكلمات التي كان يقولها ﷺ في صلاته وسنها لأمته، لا يملك إلا أن يخشع قلبه، ويقشعر جلده، ويقبل على ربه بكليته، قلباً وقالباً، عملاً وفكراً، فهماً وإدراكاً، من ذلك ما روى عن علي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: ((وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين. اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت. أنت ربي وأنا عبدك. ظلمت نفسي واعترفت

---

(١) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٢) خَرَّتْ: أي سقطت وذهبت. انظر لسان العرب في (خ ر ر).

(٣) أخرجه مسلم ٨٣٢.

بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدني لأحسن الأخلاق. لا يهدي لأحسنها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله في يديك. والشر ليس إليك، أنا بك وإليك. تباركت وتعاليت. أستغفرك وأتوب إليك. وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت وبك آمنت، ولك أسلمت. خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي. وإذا رفع قال: اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد. وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت. وبك آمنت ولك أسلمت. سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره. تبارك الله أحسن الخالقين. ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر. لا إله إلا أنت))[1].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة وتحصيل أسباب ذلك:

إن من أهداف الدعوة الحث على الطمأنينة والخشوع في الصلاة، وذلك من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2] والمقصود بذلك سكون الجوارح[3] ولن يكون ذلك إلا بتحصيل أسبابه، والتخلص من الأسباب التي تفسد على الإنسان خشوعه في الصلاة، كالتوقان إلى الطعام وغيره، كما جاء في الحديث "لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان" فإذا ما انتفت الأسباب التي تصرف الإنسان عن الطمأنينة والخشوع واجتهد في الخشوع، والتذلل لله تعالى، كان ذلك من أسباب الفلاح، كما جاء ذلك في صريح قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[4] أي إذا قاموا إلى الصلاة أقبلوا عليها، وخفضوا أبصارهم، وعلموا أن الله

---

(١) أخرجه مسلم ٧٧١.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق محمد عبدالكريم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص ٢٧٦.

(٤) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

يقبل عليهم فلا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا لذلك الجناح[١]، وتلك هي سيما المؤمنين، قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[٢] قال هو الخشوع والخضوع)[٣]. وذلك من أسباب قبول الأعمال وتكفير الذنوب، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله))[٤].

لقد جعل الله الخشوع والطمأنينة في الصلاة سبب الظفر والنجاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٥].

فالخاشع هو الذي يخضع قلبه، ويسيطر عليه الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظة جلال الله وعظمته، ويؤدب جوارحه حسب ذلك الخضوع، فلا التفات ولا حركة، سوى ما تفرضه أعمال الصلاة، فإن المصلي لو خشع قلبه لخشعت جوارحه، وسكنت وخضعت.

ولأهمية الخشوع جعله بعض العلماء من الدعائم لقبول الصلاة عند الله، لأن المصلي يتعبد بتلاوة القرآن في الصلاة، والله يأمر بتدبر القرآن عند تلاوته لقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٦]. والمعنى: أفلا يتفهمون القرآن ويتدبرون معانيه، أم أن قلوبهم مغلقة لا تفهمه، كأن عليها أقفالاً تحول دون وصول القرآن إليها.

---

(١) انظر: الدر المنثور، الإمام السيوطي، ٨٤/٦.

(٢) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٣) الدر المنثور، السيوطي، ٥٤٢/٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١، ٢.

(٦) سورة محمد، آية: ٢٤.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[1]. والغفلة هي ضد الذكر، فمن غفل في صلاته فكيف يكون خاشعاً مقيماً للصلاة؟

ويقول الله سبحانه: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[2]. فالله ينهى السكران عن قربان الصلاة، لأنه لا يعلم ولا يستوعب ما يقول فيها، أو هو بالأحرى ينتفي الخشوع عنه، وهذا ما ينطبق أيضاً على الغافل المستغرق في تفكيره في نفسه ودنياه.

ويقول الله سبحانه في وصف الصلاة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[3]. أي إن الصلاة ثقيلة على النفوس باستثناء الذين خشعت قلوبهم، وحرصت على القربى من الله، لأن الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم الصخب والهموم إلى عالم السرور، عالم الملكوت الأعلى، وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة.

يحكى عن الإمام أبي حنيفة أن حيّة سقطت من السقف وتفرق الناس، وكان أبو حنيفة مستغرقاً في الصلاة فلم يشعر بها. وتعليل ذلك: أن الإنسان إذا دخل على الملك المهيب، والسلطان القاهر، ووقف بعقله على كمال تلك المهابة، وعلى جلالة تلك السلطنة، فقد يصير بحيث تستولي عليه تلك المهابة وتلك السلطنة، فيصبح غافلاً عن كل ما سواه، حتى إنه ربما كان جائعاً فينسى جوعه، وربما كان به ألم شديد فينسى ألمه في تلك الحالة، لأن استيلاء تلك المهابة عليه أذهلته عن الشعور بغيره، فما قولك إذا وقف الإنسان أمام ملك الملوك ورب الكائنات؟

ولكن قد يقول قائل: ما تأثير الخشوع على النفس الإنسانية؟ فنقول: إن الخشوع هو وسيلة لتنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان، والتي يترتب عليها أكبر الأثر في نجاحه وفوزه في هذه الحياة، وهي المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى

---

(١) سورة طه، آية: ١٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٤٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ٤٥.

صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾، ولتفسير وتوضيح ذلك، نعرّف للقراء صفة "ملكة حصر الذهن" وأثرها في نجاح الإنسان، بما قاله وليم مولتون مارستني -الأخصائي في علم النفس- في مجلة المختار من ريدرز دايجست: القدرة على تركيز الخواطر، تجري مجرى العادة عند كل رجل بارز في كل باب من أبواب الحياة. ففي أي لحظة معينة يركز الزعيم أو الرجل الفائق في أمر ما، خواطره كلها في العمل المفرد، الذي يكون عليه أمر الاضطراب والشواغل والأهواء المتعارضة، ثم يقول: والعقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا رُكز تركيزاً قوياً حاداً. ونقل عن وليم جيمس وهو أبو علم النفس الحديث أنه قال: إن الفرق بين العباقرة وغيرهم من الناس العاديين، ليس مرجعه إلى صفة أو موهبة فطرية للعقل، بل إلى الموضوعات والغايات التي يوجهون إليها هممهم، وإلى درجة التركيز التي يسعهم أن يبلغوها.

ثم يقول وليم مولتون في كيفية اكتساب هذه الصفة: وهذه القدرة تكتسب بالمرانة، والمرانة تتطلب الصبر، فإن الانتقال من الشرود إلى حصر الذهن حصراً بيّناً محكماً، هو ثمرة الجهد الملح، فإذا استطعت أن ترد عقلك مرة بعد أخرى، وخمسين مرة، ومائة مرة إلى الموضوع الذين اعتزمت معالجته، فإن الخواطر التي تتنازعك لا تلبث أن تخلي مكانها للموضوع الذي آثرته بالاختيار والعناية، ثم تلقى نفسك آخر الأمر قادراً على حصر ذهنك بإرادتك فيما تختار.

وقد أوردت هذا كله لأخلص إلى القول بأن الصلاة هي واسطة لتنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان. فالمصلي الذي يستطيع ويحاول بكل قدرته أن يحصر فكره طيلة الوقت الذي تستغرقه الصلاة، وهو ما يسمى بالخشوع، لا شك بأنه تنمو فيه ملكة حصر الذهن، وتصبح له أكبر معين في سائر الأعمال التي يزاولها.

ومما يزيد في تأييد هذا المعنى قول وليم مولتون أيضاً: "وخير ما يمسك الالتفات ويمنعه أن يتوزع، هو أن يعمل العقل والجسم معاً بالاتحاد فيما بينهما.

والصلاة في الإسلام يعمل العقل فيها والجسم معاً، فالمصلي يركع ويسجد وهو يقوم بعملية الصلاة[1].

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبّارة، ص ٢٩-٣٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تحقيق الخشوع والسكينة في الصلاة:

إن التربية الإسلامية التي أرسى النبي ﷺ معالمها عملت على توفير جو الخشوع والسكينة في الصلاة، وذلك من خلال عدم إتيان الصلاة حال انشغال أو رغبة الإنسان في الطعام، وهو يستشعر الجوع أو حال رغبة الإنسان في قضاء الحاجة لهذا قال ﷺ: «لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ».

والخشوع ركن من أركان الصلاة وهو أمر مهم لكل مصل بأن يطمئن في صلاته ويؤديها امتثالاً لقوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[1].

ومما يدل على فضل الخشوع قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

فالخشوع في الصلاة أمر عظيم، ومحله القلب، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها لخشوعه[3].

قال ابن القيم: خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله فيخشع فتتبعه الجوارح[4]، والخشوع أجره عظيم عند الله تعالى كما قال عز وجل ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٣١.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١-٢.

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٦٠.

(٤) نقلًا عن المرجع السابق، ص١٦٠، ١٦١.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا. إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ. وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»(١).

إن الصلاة حياة القلب، والخشوع حياة الصلاة.

وتحدث ابن الجوزي عن المعاني التي تتم بها حياة الصلاة فقال المعاني التي تتم بها حياة الصلاة كثيرة:

المعنى الأول: حضور القلب: ومعناه: أن يفرغ القلب من غير ما هو مُلابس له، وسبب ذلك: الهمة (أي: الاهتمام) فإنه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة، فلا علاج إلا صرف الهمة إلى الصلاة وانصراف الهمة يقوي ويضعف بحسب قوة الإيمان بالآخرة واحتقار الدنيا، فمتى رأيت قلبك لا يحضر في الصلاة فاعلم أن سببه ضعف الإيمان، فاجتهد في تقويته.

المعنى الثاني: التفهم لمعنى الكلام فإنه أمر وراء حضور القلب؛ لأنه ربما كان القلب حاضرًا مع اللفظ دون المعنى، فينبغي صرف الذهن إلى إدراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة، وقطع موادها فإن المواد إذا لم تنقطع لم تنصرف عنها.

المعنى الثالث: التعظيم لله والهيبة، وذلك يتولد من شيئين:

- معرفة جلال الله تعالى وعظمته.
- معرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة فيتولد من المعرفتين الاستكانة والخشوع.

ومن ذلك الرجاء، فإنه زائد على الخوف فكم من معظم ملكًا يهابه لخوف سطوته، كما يرجو بره، والمصلي ينبغي أن يكون راجيًا بصلاته الثواب، كما يخاف من تقصيره العقاب(٢).

إن صلاة هذه روحها، وتلك حياتها، وذلك سجودها وركوعها وخشوعها، لهي جديرة بأن تنظف الإنسان من الأوضار، وتضع عنه الأوزار(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، ٢٢٨.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٢٦-٢٨ باختصار.

(٣) انظر: شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله، كما عدها ابن القيم، إعداد، عبدالعزيز مصطفى، ص١٢٠، ١٢١.

فعلى المسلم أن يحذر من كل أمر ينافي الخشوع في الصلاة وعلى المعلمين والمعلمات التركيز على هذا الموضوع خلال دروسهم، والحرص على تطبيقه مع طلابهم عند أداء صلاة الظهر في المدرسة، بالتأكيد على الطلاب بأن يؤدوا الصلاة بطمأنينة وخشوع ويحذروهم من العجلة وكثرة العبث، وما يشغل عن الصلاة[1].

ثانيًا: من أهداف التربية : مراعاة الطبيعة البشرية:

عرف الإسلام طبيعة الإنسان حق معرفتها، وقدرها حق قدرها، لأن الإسلام كلمة الله، والإنسان خلق الله، وخالق الشيء وصانعه لا يجهل طبيعته وكنهه﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2].

وقد خلق الله هذا الإنسان جسمًا كثيفًا، وروحًا شفافًا.

جسمًا يشده إلى الأرض، وروحًا يتطلع إلى السماء، جسمًا له دوافعه وشهواته، وروحًا لها آفاقه وتطلعاته، جسمًا له مطالب أشبه بمطالب الحيوان،وروحًا لها أشواق كأشواق الملائكة [3].

هذه الطبيعة المزدوجة ليست أمرًا طارئًا على الإنسان، ولا ثانويًا فيه، بل هي فطرته التي فطره الله عليها، وأهله بها للخلافة في الأرض، منذ خلق آدم خلقًا جمع بين قبضة الطين ونفخة الروح ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[4].

وجاءت عقيدة الإسلام فلم تغفل الروح من أجل الطين، ولم تغفل الطين من أجل الروح، بل زاوجت بينهما في وحدة متسقة ملتئمة. وأعطت الروح حقه، والجسد حقه، في غير إفراط ولا تفريط [5].

---

(١) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي، ص١٦٤.

(٢) سورة الملك، الآية:١٤.

(٣) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٧٩.

(٤) سورة السجدة، الآيات:٦-٩.

(٥) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٧٩.

والإسلام في تصوره للإنسان لا يذهب "إلى ما ذهبت إليه المثالية من الإعلاء من شأن الروح والإقلال من شأن الجسم، وبالتالي فهو لا يحقر المطالب الجسد، ولا يزدري الأعمال البدنية[1]. والإسلام يقر المطالب البدنية، ويؤكد الدعوة إلى إشباعها بطريقته المشروعة[2].

والروح والجسد كما تحدد شريعة الإسلام (ملاك الذات الإنسانية) تتم بهما الحياة ولا تنكر أحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقًا ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس للروح حقًا ليوفي حقوق الجسد[3].

من أجل ذلك كان عنوان الباب الذي وضعه النووي: باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إليه أو مع مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط.

وذكر فيه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلاَ هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ».

والمسلم في الصلاة يتصل بالله اتصالاً روحيًا، فهذا الاتصال ينبغي أن يكون متحررًا من الأشياء الأخرى التي يحتاجها الجسد، وتتوق إليها الروح من الطعام وغيره، أو ما يحتاج إلى دفعه من البول والغائط.

فالطبيعة الإنسانية مزيج مركب من الروح والجسد، والتربية الإسلامية تهدف إلى مراعاة هذه الطبيعة، بتحقيق التوازن بين رغبات وطلبات الروح، ورغبات ودوافع الجسد، وهذا قمة الإنصاف ونتيجة المعرفة الدقيقة بطبيعة الإنسان.

فينبغي على المجتمع والمربين بيان وتوضيح طبيعة الإنسان حتى يعلم الجميع أن لكل إنسان احتياجاته، ورغباته الجسمية والروحية التي زوده الله بها، وجعل له الحق في إشباعها بطريق مشروع، وبتوازن لا يتعارض مع أحكام الدين.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص١٣٣.

(٢) التربية والطبيعة الإنسانية في الفكر الإسلامي وبعض الفلسفات الغربية، د. محروس سيد مرسي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة أسيوط، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٣١٢.

(٣) الإنسان في القرآن، عباس محمود العقاد بتصرف، ص٢٣.

٣٤٠- باب النهي عن رفع البصر إِلَى السماء في الصلاة

الحديث رقم (١٧٥٦)

١٧٥٦- عن أنس بن مالك ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَا بَالُ أقْوامٍ يَرْفَعُونَ أبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ؟)) فَاشْتَدَّ قَولُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: ((لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخطفَنَّ أَبْصَارُهُمْ؟)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

لتخطفن أبصارهم: الخطف: هو استلاب الشيء وأخذه بسرعة.

والمعنى أنه يخشى على الأبصار من الأنوار التي تنزل بها الملائكة على المصلين[2].

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث باستفهام إنكاري في قوله "ما بال" أي ما شأن أقوام، وهذا الإنكار من رسول الله ﷺ على هؤلاء الأقوام: لأنهم لا يخشعون في صلاتهم، فهم يرفعون رؤوسهم إلى السماء: ومن شأن ذلك أن يتوهم البعض أن الله متحيز في مكان، وهو سبحانه الذي لا يحتويه مكان، ولا يمر عليه زمان، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، تعالى الله عما يتوهمون علوًا كبيرا، وتنكير كلمة "أقوام"، للسخرية والمهانة، فهؤلاء الذين يقومون بذلك نكرات ومجاهيل، ويمكن أن يومئ هذا التنكير إلى الكثرة، ولكنها مَجْهولة، أو هم: عوام الناس الذين لا يفقهون دينهم، والتعبير بالمضارع في قوله: "يرفعون أبصارهم"، يوحي بأن هذا السلوك مستمر في بعض طوائف الأمة فهم أقوام، وليسوا قوماً.

---

(١) برقم (٧٥٠). أورده المنذري في ترغيبه (٧٦٧).

(٢) النهاية قس (خ ط ف)، وفتح الباري ٢/٩٧٣.

وقوله: "فاشتد قوله في ذلك" كناية عن المبالغة، وشدة الإنكار في هذا الشأن.

والجملتان الأخيرتان تتضمنان النهي عن ذلك، والوعيد بالعذاب إذا لم يَنْته هؤلاء الناس، والتأكيد بالنون الثقيلة مع لام الأمر الجازمة، مع الإيقاع الصوتي المضعَّف المتكرر في تكرار التوكيد بنون التوكيد الثقيلة: كل هذه الظواهر الأسلوبية تعد من أقوى الدلائل على رفض رسول الله ﷺ لهذه الهيئة التي يقف عليها المصلِّي في صلاته، ويرفع بصره إلى السماء عند الدعاء.

وفي الحديث ما يسمَّى في البلاغة بالتعريض، حيث لم يحدد رسول الله ﷺ أناساً بعينهم منعاً للحرج، وحتى تكون القاعدة عامة لكل المسلمين، وبعض المسلمين كان يفعل ذلك في عهد رسول الله ﷺ، وأراد الرسول ﷺ أن يمنعهم من ذلك: فقال هذا الحديث الذي اتسم بالشدة، والتهديد، وهو مع ذلك لم يواجه الناس بما يفعلون، ولكنه ألمح من بعيد، وعرَّض بهم حتى ينتهوا، وحتى ينتهي غيرهم، وفي رواية أخرى: ما يشير إلى ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يؤكد أن أناساً كانوا يفعلون ذلك في عهد رسول الله ﷺ: لينتهين أقوام عن رفعهم أبصارهم عند الدعاء في الصلاة إلى السماء، أو لتخطفن أبصارهم. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة رفع البصر إلى السماء في الصلاة، وهذا الحكم متفق عليه بين فقهاء المذاهب[1] إلا ما وردعن ابن حزم، حيث قال بالحرمة، بل بالغ في ذلك، وقال ببطلان الصلاة به[2].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٢٣، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ١/٢٣٩، ومواهب الجليل ١/٥٤٩-٥٥٠، التاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١/٥٤٩، والمهذب للشيرازي ١/٨٨، وشرح زبد ابن رسلان ١/١٠٤، وفتح المعين للمليباري ١/١٩١، والمبدع ١/٤٧٧، والكافي في فقه الإمام أحمد ١/١٧١-١٧٢، والروض المربع ١/١٨٤، وكشاف القناع ١/٣٧٠، وإن كان الحنابلة لا يقولون بالكراهة حال التجشي لئلا يؤذي من حوله.

(٢) سبل السلام ٢/٢٠٥، وعون المعبود ٣/١٢٨.

وهذا الحكم قاصر على رفع البصر إلى السماء في الصلاة، أما خارج الصلاة فجوزه العلماء، لأن السماء قبلة الدعاء، كما أن الكعبة قبلة الصلاة[١].

ولعل الحكمة من كراهة رفع البصر إلى السماء في أثناء الصلاة، هو ما فيه من الإعراض عن جهة القبلة المأمور بها في الصلاة[٢]، ولمنافاة ذلك للخشوع المطلوب في الصلاة[٣].

المضامين الدعوية

أولاً: من فقه الداعية: التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والنظر في موضع السجود في الصلاة.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة.

أولاً- من فقه الداعية: التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات:

إن الحكمة من أهم الدعائم التي يقوم عليها المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله تعالى، ومن أهم مقومات الداعية الناجح، ومن نظر في سيرة المصطفى ﷺ وجد أنه كان ملازماً للحكمة في أموره كلها، خاصة في دعوته إلى الله جل وعلا، وقد أمره ربه تبارك وتعالى بالدعوة إلى الله بالحكمة، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[٤]،[٥] ومن الحكمة اتباع أسلوب التعميم وعدم التخصيص في التنبيه على المخالفات التي تقع من بعض الناس في الصلاة، كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم" فإذا أراد الداعية أن يصحح خطأ شائعاً، ويحذر الناس من الوقوع فيه، فلا يسمى شخصاً بعينه

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٣/٢، وعون المعبود ١٢٧/٣.

(٢) مواهب الجليل ٥٤٩/١-٥٥٠، وسبل السلام ٢٠٥/٢، وعون المعبود ١٢٨/٣.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٣/٢.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ص ٤٧، ٤٨.

ولا يذكر اسماً، بل يفعل ما كان يفعل رسول الله ﷺ حين وقف ينبه على بعض الأخطاء التي وقعت من أناس معلومين، كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم"[١].

وخلاصة القول إن الداعية إذا أراد أن يعالج أمراً عاماً يقع فيه بعض الناس، ويريد أن يوجه الجميع ليقلع من يقع، ويحذر مَنْ لم يقع، ينبغي عليه أن لا يسمى بعينه ولا يذكر اسماً، بل يفعل كما كان يفعل الرسول ﷺ حين يقف منبهاً على بعض الأخطاء التي وقعت من أناس معلومين، فقال كما جاء في الحديث "ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا" أما إذا لم يكن الخطأ عاماً، وأراد الداعية أن يوجه صاحب هذه المشكلة بعينه، فإنه يلزم الداعية أن يسر إليه بالنصيحة والإرشاد.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الخشوع والنظر في موضع السجود في الصلاة:

أشار إلى ذلك الحديث في مضمون قوله ﷺ "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم" فاشتد قوله في ذلك حتى قال: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" قال ابن حجر: قال ابن بطال: أجمعوا على كراهة رفع البصر في الصلاة، وقال القاضي عياض: رفع البصر إلى السماء في الصلاة فيه نوع إعراض عن القبلة وخروج عن هيئة الصلاة[٢] وذلك يناقض الخشوع، فالحديث نهى عن رفع الأبصار إلى السماء أثناء الصلاة لأنه يخل بالخشوع والنبي ﷺ يهدف إلى الخشوع المطلوب في الصلاة حتى تسكن الأعضاء ويصفو القلب، وتسمو الروح، فتنزل الرحمة ويعم الرضوان، فما أعظم حين يتجلى الخشوع على أداء الصلاة، فيستحق صاحبها أن يوصف بالفلاح، وأن يكون من جملة المؤمنين الذي يرثون الفردوس الأعظم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٣][٤].

---

(١) انظر: أسس الدعوة وأدب الدعاة، د. محمد السيد الوكيل، ص ٣١.

(٢) فتح الباري ٢/٢٧٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٤) أدب المؤمن، الشيخ أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى، ص ١٠٣، ١٠٥.

أي قد فازوا وسُعِدوا، وحصلوا على الفلاح، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف، والتي منها خشوعهم في الصلاة ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ خائفون ساكنون، وقال الحسن البصري: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح، والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين[١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من رفع البصر إلى السماء في الصلاة:

جاء ذلك في صريح الحديث "فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم" أي ليكونن أحد الأمرين انتهاؤهم عن الرفع أو خطف الأبصار[٢] وفي ذلك الوعيد الشديد[٣].

قال النووي: (فيه النهي الأكيد والوعيد الشديد عن ذلك[٤] وذلك لما في التجافي عن الخشوع، عدم الإقبال بالقلب والوجه على الله، فيكون سبباً للحرمان من الفضائل[٥]، فعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة[٦]. قال النووي وقد جمع ﷺ بهاتين اللفظتين أنواع الخضوع والخشوع، لأن الخضوع في الأعضاء، والخشوع بالقلب على ما قاله جماعة من العلماء[٧] وذلك شأن الخاضع الخاشع لله[٨]، وذلك أمر الله ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[٩] أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه[١٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٤٦١/٥.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٣٥.

(٣) انظر: فتح الباري، الحافظ ابن حجر العسقلاني، ٢٧٣/٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ٣٦٥.

(٥) انظر: العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ص ١٠٠، ١٠١.

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٤.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ٢٥٨.

(٨) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ٤٢.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢٣٨.

(١٠) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦٥٤/١.

ولنستحضر المسلم وهو يصلي، وهو ينتقل في صلاته من ركن إلى آخر، ويتدرج في خشوعه من درجة إلى درجة ومن منزلة إلى منزلة، ولنرى المصلى وهو يتدرج في الخضوع والانحناء، فيفتتح الصلاة بالقيام، فيثني بالركوع. ويثلث بالسجود، وهو شأن الخاضع الطبيعي، ولا يخرُّ ساجداً من ركوع، بل يقف وقفة قصيرة خفيفة، ثم ينحني للسجود، ليكون أبلغ في الخشوع وأوقع في النفس، وأدل على الذل. وكذلك يتدرج في التعظيم والتمجيد. فيقول في ركوعه: "سبحان ربي العظيم"، ويقول في سجوده: "سبحان ربي الأعلى"، فإذا بلغ الغاية في الخضوع والتذلل، ونصب أشرف أعضائه على أذلّ شيء في الوجود، الأرض التي هي موطئ الأقدام، ومضرب المثل في الذلة والهوان، هتف بأعظم كلمة يُعلن بها عظمة الله وعلوّه، فيقول "سبحان ربي الأعلى" وهنا تتفق روعة الهيئة والمكان، مع روعة البيان والإعلان، ويفصل بين السجدتين بجلسة خفيفة، لتكون السجدة مستأنفة مجدّدة، ولتنتبه النفس من غفوتها، وتشعر بلذة جديدة.

وإذا سجد، فك سلاسل التقليد، السلاسل التي فرضها عليه المجتمع والأعراف، والعادات والآداب، فخرّ ساجداً لله تعالى يمرِّغ وجهه، ويعفر جبينه، وأعطى القلب زمامه، وأرسل النفس على سجيتها، فلا حجر على الخشوع، ولا ملامة على الدموع، وقد غلى مرجل الصدر، وفاضت كأس القلب. روي عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء))[1].

والسجود أقرب هيئات المصلي وأحبها إلى الله، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء))[2] فينتهز المصلي هذه الفرصة الثمينة، وينثر كنانة القلب، ويُفرغ جعبة الدعاء والعبودية، فيقول بلسان المقال أو بلسان الحال: أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، ودعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذلّ لك جسمه، ورغم لك أنفه.

---

(١) أخرجه أبو داود ٩٠٤.

(٢) أخرجه مسلم ٣٠٤.

وهذه هي السجدة التي ترتعش لها الجبال الراسيّات، وتهتزّ بها الأرض، ويرتعد لها الجبابرة الطغاة، ولها في تاريخ الأمة ومغامراتها، ومحنها، شؤون وأخبار غريبة[1].

(١) انظر: الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ٤١-٤٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية التعبدية:

العبادة نوع من الخضوع، بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب بعظمة المعبود، مع الحب النفسي والفناء في جلال المعبود وجماله فناء لا يدانيه فناء، مع الاعتقاد بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها، وقصارى ما يعرف عنها أنها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه، فهو لذلك يخضع للمعبود رهبة مما يقدر عليه من العقاب، وطمعًا فيما عنده من الخير، ورغبة في كشف الضر عنه، وحبًا فيما أنعم عليه من إحسان [1].

فالعبادة تهدف إلى تربية المسلم على الخضوع والخشوع لله والإخلاص لله تعالى، كما أنه يُسعى من خلال التربية الإسلامية إلى تحقيق الأداء الشرعي الصحيح للعبادات من قبل الفرد المسلم[2].

ومنها: عدم رفع البصر إلى السماء في الصلاة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم".

فرفع الأبصار إلى السماء في الصلاة يتنافى مع الخضوع لله في الصلاة كما أنه يجعل المصلي مشغولاً عن الخشوع والإخلاص في الصلاة مما يفوت عليه فرصة التركيز فيما يقرأ من سور، ويجعله لا يعقل ما يقرأ أو يسبح في ركوعه وسجوده.

فعلى المربي والمختصين بالتوجيه في المجتمع المسلم الحث على عدم رفع البصر في الصلاة واجتناب كل ما يؤدي إلى صرف المسلم عن الخشوع في الصلاة، وأن يوطن نفسه على التزام السكينة وعدم الانصراف من صلاته بأي شكل من الأشكال التي تفوت على المسلم الانتفاع بصلاته.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

الترهيب هو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي

---

(١) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص١٧.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي، ص٥٣.

إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية الإسلامية المهمة[١].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب الترهيب مع من يرفع بصره إلى السماء في صلاته فقال ﷺ: "لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم"، أي: تسلب ولا ترجع إليهم.

فالترهيب أحد أساليب التربية الإسلامية التي تعتمد على الوعيد والتهديد بالعقوبة إذا ارتكب الطفل أو غيره بعض الأخطاء التي تحيد به عن الطريق الصحيح ويتحتم على المربي استخدام أسلوب الترهيب في بعض المواقف التربوية للطفل، ولكن يجب أن لا يكون هذا الأسلوب هو الوحيد أو الكثير الاستخدام في التربية، لأن كثرة استخدامه يؤدي إلى ترك آثار سلبية في نفسية وشخصية الطفل، ويعتبر أسلوب الترهيب أسلوباً تربوياً جيداً، ولا غنى للمربي عنه إذا أحسن استخدامه، وعلى ذلك يمكن القول بأن المربي الناجح يستطيع أن يساهم في التنشئة الصالحة للطفل الذي يتصف بالسلوك الإسلامي القويم[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين، ص٣٦.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩، ٤٠.

٣٤١- باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

الحديث رقم (١٧٥٧)

١٧٥٧- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسُولَ الله ﷺ عَنِ الالتفَاتِ في الصَّلاَةِ، فَقَالَ: ((هُوَ اخْتِلاَسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَةِ العَبْدِ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الاختلاس: الاختطاف بسرعة[2].

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار الجميل الرقيق بين رسول الله ﷺ وزوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: وهو حوار ينبئ عن حرص عائشة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق على معرفة الحكم الصحيح من مصدره الصحيح، والحديث سؤال: وجواب: أما السؤال: فهو من عائشة رضي الله عنها: حيث تقول: سألت رسول الله عن الالتفات في الصلاة؟ وهو يكون بالوجه مع استقبال القبلة بالصدر، وهذا الالتفات ينافي الخشوع في الصلاة، ويرشد إلى أن المصلي غير فارغ القلب، بل هو مشغول بدنياه، غير مستغرق في المناجاة، وغير مخلص في وقفته أمام الله.

ولذلك جاءت إجابة رسول الله ﷺ: في غاية الدقة، وقمة البلاغة، وذروة الإقناع، ومنتهى الترغيب، وقوة الترهيب، فلم يقل إنه: حرام أو مباح أو مكروه، أو ممنوع، وهذه عبارات الفقهاء في تقنين الأحكام، ولكنه قال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد".

---

(١) برقم (٧٥١). أورده المنذري في ترغيبه (٧٧٣).

(٢) فتح الباري ٢/٢٧٤.

والاختلاس: مصدر والفعل: اختلس، والخَلْس في اللغة، السّلب، فكأن الشيطان يسلب هذا الوقت من الصلاة، ويسرق هذه اللحظة، ومن معاني "الخَلْس" التي توحي باختلاط الضار بالنافع، واختلاط الصالح بالطالح: أن "الخَلْس": الكلأ اليابس نبت في أصله الرطب، وقالوا: أخْلس النبات: إذا اختلط رطْبه بيابسه، والخليس: الأشمط والنبات الهائج، والأحمر الذي خالط بياضه سواد، والتخالس: التسالب.

وهذه المعاني والدلالات توحي بأن الاختلاس الذي يختلسه الشيطان من صلاة العبد يحدث خلطاً واضطراباً وعدم استقرار، وينقص من قدر الصلاة، ويقلل من أجْرها.

وعلى المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتنبه لأن الشيطان متربص به، لينقضّ عليه ويسرق منه طاعته، ويختلس صلاته، فيخسر المؤمن، ويفقد الخشوع، ولا يقطف من الصلاة ثمارها، ولا يشهد أنوارها، ولا يدرك أسرارها، ولا يجني آثارها، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة الالتفات في الصلاة[1]، لأنه اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، ولأنه فعل يشغل المصلي عن صلاته، فكان تركه أولى[2].

غير أن هذه الكراهة مقيدة بقيدين:

القيد الأول: ألا تكون هناك حاجة للالتفات، فإذا كان هناك حاجة لذلك كما لو اشتد الحرب، أو نحو ذلك فلا كراهة[3].

---

(١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٥/١، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٦٧/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٣/٢، ومواهب الجليل ٥٤٨/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٧٦/١، والمنهج القويم ٢٥١، وشرح زبد ابن رسلان ١٠٠/١، والمبدع ٤٧٦/١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١٧١/١، والمغني لابن قدامة ٣٦٩/١.

(٢) المغني لابن قدامة ٣٦٩/١.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٢/٢ وشرح زبد ابن رسلان ١٠٠/١، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٩١/٢.

القيد الثاني: أن يكون الالتفات يسيراً، كما لو التفت ببصره، أما لو التفت بصدره فذهب الشافعية[١] وبعض الحنابلة[٢] إلى أن صلاته في هذه الحالة تبطل.

بينما ذهب الحنابلة في المذهب[٣] إلى أن صلاته لا تبطل في هذه الحالة.

وإذا استدار بجملته، أو استدبر القبلة بطلت صلاته بلا خلاف[٤]، اللهم إلا إذا كان داخل البيت الحرام، فإنها لا تبطل[٥].

المضامين الدعوية[٦]

أولاً: من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله في الصلاة من الالتفات.

ثانياً: من واجبات الداعية: بيان خطر الالتفات في الصلاة بأنه اختلاس من الشيطان.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات فيها.

رابعاً: من أساليب الدعوة: التحذير.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الخشوع وحضور القلب في الصلاة.

أولاً- من حقوق المدعو: السؤال عما يشغله في الصلاة من الالتفات:

جاء في الحديث ما يدل على ذلك "فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة"؛ فالمدعو من حقه أن يسأل ويستوضح عن كل ما لا يعرفه، أو يشكل عليه من أمور العقيدة والعبادات، وأمور المعاملات، وطرق الخير وأبواب البر، وعن كل شبهة ترد عليه في دينه، حتى يعبد الله وقد خلص قلبه وعقله من كل

---

(١) إعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/١٧٦، والمنهج القويم ٢٥٢.

(٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/٩١، والكافي في فقه الإمام أحمد ١/١٧١.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/٩١.

(٤) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٢٢، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١/١٦٧، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/٩١.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٢/٩١.

(٦) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٥٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٥٨).

الشبهات، فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم[١]، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

إن سؤال أهل الذكر كما وصفه النبي ﷺ شفاء لداء الجهل، ومن دلائل ذلك ما روي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: ((خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم، فسأل أصحابه فقال: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل فمات. فلما قدمنا على النبي ﷺ أخبر بذلك فقال: قتلوه قتلهم الله؛ ألا سألوا إذ لم يعلموا؛ فإنما شفاء العي السؤال؛ إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب - شك موسى - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده))[٣].

إن عدم التفقه في الدين، وعدم الرجوع إلى أهل الذكر وأرباب العلم ومظانه، يجعل الإنسان يسير على غير بصيرة، فقد يعبد الله على خطأ فلا تقبل منه، وقد يؤخر الواجب ويقدم عليه غيره. وقد ضرب لنا النبي ﷺ مثلاً على ذلك، وهو ما وقع من جريج العابد، حيث قدم النفل على الواجب، فأصابه ما أصابه من دعوة أمه عليه.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنه قال: كان جريج يتعبد في صومعة فجاءت أمه -قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة رضي الله عنه لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعته، كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه- فقالت: يا جريج، أنا أمك كلِّمني، فصادفته يصلي. فقال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته. فرجعت ثم عادت في الثانية فقالت: يا جريج أنا أمك فكلِّمني. قال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته. فقالت: اللهم إن هذا جريج، وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات.

قال: ولودعت عليه أن يُفتن لفُتن.

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) أخرجه أبوداود ٣٣٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٥).

قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره. قال: فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلاماً. فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير. قال: فجاءوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه، فصادفوه يصلي فلم يكلمهم. قال: فأخذوا يهدمون ديره. فلما رأى ذلك نزل إليهم. فقالوا له: سل هذه. قال: فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضأن. فلما سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة. قال: لا ولكن أعيدوه تراباً كما كان، ثم علاه[1].

ثانياً- من واجبات الداعية: بيان خطر الالتفات في الصلاة بأنه اختلاس من الشيطان:

من واجبات الداعية الرئيسة البيان والتبليغ وتوضيح الحق للناس، فذلك ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من الدعاة[2] قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[3]، ومن ذلك بيان خطر الالتفات في الصلاة، كما جاء بيانه في الحديث، فقال ﷺ: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" فلما كان الشيطان قد يشغل المصلي عن صلاته بالالتفات إلى شيء ما بغير حجة يقيمها أشبه المختلس[4]. قال الطيبي: (فاستعير لذهاب الخشوع اختلاس الشيطان، تصوير لقبح تلك الفعلة، أو أن المصلي حينئذ مستغرق في مناجاة ربه، وأنه تعالى مقبل عليه، والشيطان كالراصد ينتظر فوات تلك الفرصة عنه، فإذا التفت المصلي اغتنم الفرصة فيختلسها عنه)[5].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات فيها:

من دلائل ذلك ما جاء في الحديث من بيان رسول الله ﷺ بأن الالتفات اختلاس من الشيطان "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد" وفي الحديث الآخر "إياك والالتفات في الصلاة فإنه هلكة فإن كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة"[6] فوصف

---

(١) أخرجه البخاري ٢٤٨٢، ومسلم ٢٥٥٠ واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢/٢٧٤.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢/٣٩٩.

(٦) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح رقم ٥٨٩.

النبي ﷺ الالتفات في الصلاة بالهلكة أي الهلاك لأنه طاعة الشيطان، وهو سبب الهلاك، والصلاة بالالتفات تستحيل من الكمال إلى الاختلاس[١] إضافة إلى ذلك أن الالتفات في الصلاة استخفاف بالمكروهات، ومن استخف بالمكروهات وواقعها وقع في المحرمات، فأهلك نفسه بتعريضها للعقاب[٢] وذلك كله مناف للخشوع المأمور به المصلي والذي هو أحد أسباب الفلاح، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٣].

وجعل الإسلام إحسان الصلاة وتزيينها بالخشوع كفارة للذنوب، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ تحضره صلاةٌ مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة وذلك الدهر كله))[٤].

رابعاً- من أساليب الدعوة: التحذير:

ورد التحذير في قوله ﷺ "إياك والالتفات في الصلاة" والتحذير من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إيقاف المدعو على مواطن الخطر وموارد التهلكة وتحذيره منها، وقد جاء التحذير في القرآن في كثير من آياته، منها: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[٥] وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٦].

ويمكن تعريف التحذير بأنه: التحذير من إتيان فعل أو امتناع عنه، لكونه سبباً في

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٨٤٤/١.

(٢) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٣٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ - ٢.

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٦) سورة المائدة، آية: ٩٢.

غضب الله تعالى وعذابه، أو سبباً في إلحاق ضرر بالأمة والمجتمع المسلم، مما يدفع باتجاه الاستعداد والتأهب لتجنب حصول ذلك.

وقد ورد في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحذر من مغبة الوقوع في المحذور، فمما ورد من آيات تحذر من غضبه تعالى، على سبيل المثال التصريح بخطبة النساء وهُنَّ في عدَّتهن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ﴾[1].

وقال أيضاً محذراً من اتخاذ المشركين أولياء: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وأما التحذير من فعل يسبب إلحاق ضرر بالأمة ومصالحها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾[4].

ومنه تحذيره تعالى من المنافقين والتنبيه على خطرهم واعتبارهم العدو الأول بقوله: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[5].

وقال محذراً من فتنة الأزواج والأولاد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ﴾[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٢٨.

(٣) سورة النور، آية: ٦٣.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١.

(٥) سورة المنافقون، آية: ٤.

(٦) سورة التغابن، آية: ١٤.

ومثل ما ورد التحذير في القرآن الكريم كأسلوب تربوي، كذلك ورد على لسان الرسول ﷺ كأسلوب تربوي وتوجيهي، منه ما يتعلق بالتحذير من المعاصي واقتراف ما نهى الله تعالى عنه، ومنه ما ورد في التحذير مما يسبب في إلحاق الضرر بالأمة والمجتمع، وبصيَغٍ مختلفة كالترهيب والوقاية، وبيان العقوبة المترتبة على عمل فعل أو تركه، والنصيحة وغيرها.

ويختلف التحذير عن الموعظة في كونه إنذاراً من خطر قادم، يتضمن وعيداً وزجراً ينتج عنه خوف ورهبة.

بينما الموعظة تذكير بفعل الخير والحق، على الوجه الذي يرقُّ له القلب محفوف بتلطف وتودُّد[1].

خامساً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الخشوع وحضور القلب في الصلاة:

جاءت النصوص آمرة بالابتعاد عن أسباب انتفاء الخشوع كالالتفات في الصلاة ونحوه، كما جاء في الحديث "إياك والالتفات في الصلاة فإنه هلكة" فالإنسان إذا قام يصلي فإنه بين يدي الله عز وجل، فلا ينبغي له أن يلتفت لا بقلبه، ولا بوجهه إلى غير الله - سبحانه وتعالى-[2] وما أعظم حين يتجلى الخشوع على أداء الصلاة، فيستحق صاحبها أن يوصف بالفلاح، وأن يكون من جملة المؤمنين الذين يرثون الفردوس الأعظم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[3]. إلى أن قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4] فالخاشع في صلاته لابد أن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخضوع والتذلل للمعبود، ولا يلتفت الخاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم، وأما

---

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٠١/٢.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ١، ٢.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١٠، ١١.

ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكناً مطرقاً ناظراً إلى موضع سجوده[١]. قال قتادة: (الخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة)، وقال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٢] قال: (كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا لذلك الجناح)[٣].

إن وجود الخشوع، في قلب المصلي وتفاوته من مصلٍ إلى آخر، يترتب عليه التفاوت في ثواب الصلاة، فكما هو معلوم أن ثواب أعمال الجوارح يتفاضل بتفاضل أعمال القلوب.

قال ابن القيم مقرراً لهذا الأصل: (الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والمحبة، والتعظيم، والإجلال، وقصد وجه المعبود وحده دون شيء من الحظوظ سواه، حتى لتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

وتتفاضل - أيضاً - بتجريد المتابعة. فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفضلان به في المتابعة، فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلاً لا يحصيه إلا الله تعالى.

وينضاف هذا إلى كون أحد العملين أحب إلى الله في نفسه.

ثم قال: فتأمل هذا، فإنه يزيل عنك إشكالات كثيرة، ويطلعك على سر العمل والفضل، وأن الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، يضع فضله مواضعه، وهو أعلم بالشاكرين.

ولا تلتفت إلى ما يقوله من غلُظ حجاب قلبه من المتكلمين والمتكلفين:

إنه يجوز أن يكون العملان متساويين من جميع الوجوه، لا تفاضل بينهما، ويثيب الله على أحدهما أضعاف أضعاف ما يثيب على الآخر، بل يجوز أن يثيب على هذا

---

(١) انظر: أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، د. أمينة أحمد يحيى، ص ١٠٣-١٠٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٢.

(٣) الدر المنثور، الإمام السيوطي، ٨٤/٦.

ويعاقب على هذا، مع فرض الاستواء بينهما من كل وجه.

وهذا قول من ليس له فقه في أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا فقه في شرعه وأمره، ولا فقه في أعمال القلوب وحقائق الإيمان بالله، وبالله التوفيق)[1].

ومن أمثلة هذه القاعدة: تفاضل الصلاة بتفاضل الخشوع وحضور القلب فيها بين يدي الرب تبارك وتعالى الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها، فليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها[2]، فروي أن النبي ﷺ قال: ((إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها))[3].

وقال ابن القيم أيضاً بعد أن ذكر أهمية الخشوع في الصلاة: (وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيراً كاملاً. والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة، وهما تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه)[4].

---

(١) المنار المنيف، ابن القيم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٣هـ، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) أعمال القلوب، د. سهل العتيبي، ٦١٨/٢.

(٣) أخرجه أبوداود ٧٩٦، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٧٦١).

(٤) الوابل الصيب، ابن القيم، ص ١٤، ١٥.

الحديث رقم (١٧٥٨)

١٧٥٨- وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((١) **إيَّاكَ والالتِفَاتَ فِي الصَّلاَةِ، فَإنَّ الالتفَاتَ فِي الصَّلاَةِ هَلَكَةٌ، فَإنْ كَانَ لاَ بُدَّ، فَفِي التَّطَوُّعِ لاَ فِي الفَرِيضَةِ**)). رواه الترمذيُّ(٢)، وقال: (حديث حسن صحيح(٣)).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

إن البناء اللغوي في هذا الحديث الشريف، يتألق ويشع بالمعاني والثمار المرجوة منه من خلال ثلاث جمل تتنوع أساليبها، وموحياتها، فالحديث يبدأ بأسلوب التحذير، والتحذير هنا يتخذ أحد الطرق النحوية له: وهو: تقديم ضمير النصب المنفصل "إياك"، والتقدير: أحذرك الالتفات في الصلاة، وتقديم الضمير هنا يوحي بخوف رسول الله ﷺ على هذا المصلي المسلم من هذا السلوك، الذي يخل بقيمة الخشوع في الصلاة، ويفتح مسالك للشيطان في نفسه.

والجملة الثانية تعليل للأولى: فهي لبنة في بناء الحديث المتكامل، والفاء هنا للإفصاح عن سبب التحذير من الالتفات في الصلاة، وجملة التعليل وردت في إطار "التوكيد" لتعمق التحذير من الالتفات، لأنه هلكة أو مهلكة في الصلاة، وقوله: هلكة فيه مجاز مرسل، فالالتفات سبب الهلاك: وقد جمع بين السبب وما يتسبَّب عنه، والهالك هو الإنسان.

---

(١) عند الترمذي زيادة: (يابني).

(٢) برقم (٥٨٩). قال ابن القيم في زاد المعاد (٢٤٩/١): فيه علتان: إحداها: أن رواية سعيد عن أنس لا تعرف. الثانية: أن في طريقه علي بن زيد بن جدعان، ثم نقل عن الخلال، أنه قال: أن أبا عبد الله وهَّنَ حديثَ سعيد هذا، وضعّف إسناده.

(٣) في المطبوع: (حسن)، وزاد أحمد شاكر من إحدى النسخ: (غريب)، وقال: (وفي (م) (هذا حديثٌ غريب).

وأظهر كلمة "الصلاة"، ولم يقل: فإن الالتفات فيها، لسرّ بلاغي قال عنه العلماء: أتى بالظاهر فيها موضع المضمر تعظيماً وتفخيماً للأمر.

والجملة الثالثة، تشع بحل المشكلة أو العقدة كما يقول أصحاب الفن القصصي، ولذلك جاءت هذه الجملة في إطار أسلوب "الشرط والجواب"، لأن كل مشكلة لها حل، وكل مقدمة لها نتيجة، وكل عمل عليه جزاء: ثواب أو عقاب، ويتجلى ذلك في قوله: فإنه كان لابد ففي التطوع لا في الفريضة.

وفي هذه الجملة: إيجاز بالحذف، حيث تكمن كلمات في أشعة النص الموحية المائجة بالمقاصد والفوائد، والتقدير، فإن "كان" أي المصلي "لابد" أي لا غنى له عن الالتفات لعذر أو لمشاغل تحيط به ولا يقدر على دفعها، فيكون الالتفات في صلاة التطوع، لا في صلاة الفريضة، فتأمل هذه الكلمات المحذوفة، وتأمل هذا الجمال الأسلوبي، وكم أثار هذا الحذف من إيحاءات أسلوبية، وإثارات ذهنية ونفسية وعقلية، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الخشوع في الصلاة:

إن التربية الإسلامية تهدف إلى تحقيق الخشوع في الصلاة، وقد جعل الله من ثمرات الصلاة الظفر والنجاح في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[1]، فالخاشع هو الذي يَخْضَع قلبه ويسيطر عليه الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظة جلال الله وعظمته، ويؤدب جوارحه حسب ذلك الخضوع فلا التفات ولا حركة سوى ما تفرضه الصلاة[2].

فالتربية الإسلامية تهدف إلى التزام السكينة والطمأنينة في الصلاة بأن يقبل العبد على ربه بقلبه وجميع جوارحه فلا يلتفت، ولا ينشغل بغير الصلاة لذلك عندما سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد".

وعن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: "إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات هلكة".

والخشوع: خشوعان: خشوع قلب، وخشوع جوارح، فخشوع القلب أن يستحضر رقابة الله عز وجل، ويستحضر عظمته ويتدبر معاني القرآن، ويتدبر ما يتلوه من آيات أو ما يسمعه، وما يذكره من أذكار، كمعنى التكبير، ومعنى التسبيح، ومعنى سمع الله لمن حمده، وهكذا يستحضر معاني هذه الأذكار ويتدبر ما يتلو أو يسمع من آيات، عند ذلك يشعر فعلاً أنه يقف بين يدي الله عز وجل، وأن الصلاة يجب أن تنزه عن اللعب والعبث، أما أن يقف وتجتمع كل هموم الدنيا عليه حينما يصلي، ويشغل نفسه بكل شيء إلا الصلاة فهذا لا ينبغي للمسلم[3].

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان:١-٢.

(٢) روح الصلاة في الإسلام، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص٣٠.

(٣) هذا جزء من كلام، د. يوسف القرضاوي، عن الخشوع في الصلاة، ذُكر في موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، إشراف د. عبدالحليم عويس، ٢٧٢/١.

فالمصلي يقف في رحاب الله، وليس بينه وبين الله واسطة، فيشعر بالقرب من الله، ويشعر بمعية الله له، فتمتلئ جوانحه بالأمن والطمأنينة والثقة واليقين، فيخشع راكعًا، ويخشع ساجدًا، ويستمد العون والتأييد [١].

فإن الصلاة انتزاع للنفس من ماديات الحياة وآلامها، وتوجيه لها إلى الله بالذكر، والدعاء، والضراعة، والخضوع لكبريائه وعظمته [٢].

ثانيًا- التربية بالتحذير:

من أساليب التربية التي يتضمنها هذا الباب أسلوب التحذير حيث حذر النبي ﷺ من الالتفات في الصلاة، وقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد"، وكذا قال ﷺ: "إياك والالتفات في الصلاة، فإن الالتفات في الصلاة هلكة".

فعلى المربي أن يحذر من مداخل الشيطان للإنسان في الصلاة، لأن العبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه، بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة فيتركها، فإن عجز عن ذلك منه وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيء والحاجة وأيس منها فيذكره إياها في الصلاة، ليشغل قلبه بها ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة، فإن الصلاة تُكَفِّر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه[٣].

---

(١) الصلاة، د. عبدالله بن محمد الطيار، ص٢٠.

(٢) إسلامنا، السيد سابق، ص ١٦.

(٣) الوابل الصيب، ابن القيم، ضمن مجموعة الحديث، ٢/٢٧٤.

فالتحذير أسلوب تربوي فعال يستخدمه المربي في تحذير الإنسان مما يضر به في دينه ودنياه، حتى يتجنبه ويتوقاه ويعمل جاهدًا على حفظ نفسه مما حذر منه ونصح باجتنابه.

۞ ۞ ۞

٣٤٢- باب النهي عن الصلاة إِلَى القبور

الحديث رقم (١٧٥٩)

١٧٥٩- عن أَبي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((لا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلاَ تَجْلِسُوا عَلَيْهَا)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو مرثد كنّاز بن الحُصين: هو أبو مَرثد كنّاز بن الحُصين مشهور بكنيته. وقيل في اسمه غير ذلك. هو وابنه مرثد وابن ابنه أُنيس ممن نالوا شرف صحبة النبي ﷺ.

كان تَرْباً لحمزة بن عبدالمطلب وحليفاً له هو وابنه. آخى النبي ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت في المدينة.

وقد شهد بدراً وسائر المشاهد والمغازي مع رسول الله ﷺ قال أبوبكر بن أبي داود: ليس أحدٌ بدريًا ابن بدري إلا مرثد ابن أبي مرثد. وقد استشهد ابنه يوم الرجيع في حياة النبي ﷺ.

وكان رجلاً طويلاً كثير الشعر، وقد روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً، وهو هذا الحديث المشروح.

توفي بالشام في خلافة أبي بكر الصديق سنة ١٢هـ وسنه ٦٦ عاماً[2].

الشرح الأدبي

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، والمؤمن في صلاته لا يتوجه إلا إلى ربه عز وجل: داعياً: ومستغفراً، قائماً وراكعاً وساجداً، والحديث الشريف يركز على

---

(١) برقم (٩٧٢/٩٨).

(٢) الطبقات (٤٧/٣) والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٣٦، ٨٥٠ وأسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٧٦/٦) والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١١٣٥، ١٥٥٢، وتهذيب الكمال (١٧٧/٦)، والتهذيب (٤٧٥/٣).

هذا المقصد الأسني، ولذلك نجد الحديث يخلو من التوكيد، ويرد في صيغة الأمر، لأن المؤمن المصلى الراكع العابد الساجد.. لا يحتاج إلى تأكيد الأمر، فهو يستجيب لله ولرسوله، لأن رسول الله ﷺ يدعوه هو والمسلمين جميعاً إلى ما يحييهم، وأي حياة أسمى من الحياة الإيمانية في طاعة الله، ومناجاته، وتسبيحه، والاقتداء برسول الله ﷺ، والعمل بما يأمر به والانتهاء عما ينهي عنه، ويتضمن الحديث جملتين تردان في أسلوب الإنشاء، والأمر هو الأسلوب المختار من أنواع الطلب، والأمر هنا يرد في صيغة النهي لأن "لا" ناهية جازمة، والجزم هو القطع: فالنهي يرد صريحاً وجازماً في قوله: "لا تصلوا إلى المقابر، ولا تجلسوا عليها"، والنهي عن الصلاة ليس موجهاً إلى فرد واحد، وكذلك الجلوس على المقابر، ولكنه موجه إلى الأمة كلها: في كل زمان ومكان، قديماً وحديثاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والنهي هنا يتجاوز المشهد الحسي، والحركة المشاهدة: إلى دائرة أوسع، وأفق أشمل من المقاصد والأهداف: فالمراد أن لا تعظموا من في داخل القبور، لأن التعظيم لا يكون إلا لله، وقال الشافعي، وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس، وقد لعن الله الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

فقه الحديث

ويشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم الصلاة إلى القبور: اختلف الفقهاء في حكم الصلاة في المقبرة على أربعة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنفية[2]، والثوري والأوزاعي وابن المنذر[3]، ويرون

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٠/١.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر ٢٢٩/٥، ونيل الأوطار ١٣٧/٢.

أن الصلاة في المقبرة مكروهة، وقد حملوا الأحاديث التي تنهى عن ذلك على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أن الصلاة في المقبرة حرام، ولا تصح.

واستدلوا بالنهي الوارد في الحديث، ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها، والتقرب إليها.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الشافعية[٣]، ويفرقون بين المقبرة المنبوشة وغيرها، فإن كانت منبوشة بحيث اختلطت بما يخرج من الموتى لم تجز الصلاة فيها.

فإن صلى في مكان طاهر منها صحت مع الكراهة.

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه المالكية[٤]، ويرون جواز الصلاة في المقبرة بلا كراهة واستدلوا بحديث (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)[٥].

وحملوا أحاديث النهي عن الصلاة في المقبرة على ما إذا كان بها نجاسة، ويُنَاقَشُ هذا: بأن النبي ﷺ قال: "كل الأرض مسجد وطهور إلا الحمام والمقبرة"[٦]، وهذا حديث خاص، يقيد عموم الحديث الذي استدل به المالكية.

الترجيح: بعد عرض آراء الفقهاء في المسألة يتضح والله أعلم بالصواب، أن الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثاني القائلين بالحرمة لورود النهي عن ذلك، والنهي يقتضي التحريم ما لم توجد قرينة تصرفه إلى غيره، ولا قرينة هنا.

١- حكم الجلوس على القبر: اختلف الفقهاء في حكم الجلوس على القبر على ثلاثة آراء:

---

(١) المغني لابن قدامة ١٩٣/٢، والمبدع ٣٩٦/١، وكشاف القناع ٢٩٨/١.

(٢) نيل الأوطار ١٣٧/٢، والمحلى ١٣٩/٥ وما بعدها.

(٣) المجموع للنووي ٦٠/٣.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ١٧٧/١، التمهيد لابن عبدالبر ٢٢٩/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٣٥، ومسلم ٥٢١.

(٦) أخرجه أحمد ٨٣/٣ رقم ١١٧٨٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٣٠٨/١٨.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، ويرون أن الجلوس على القبر مكروه، إذ حملوا أحاديث النهي عن الجلوس على القبور على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه ابن حزم[٤] ويرى أن الجلوس على القبر حرام.

واستدل بظاهر الأحاديث التي تنهى عن ذلك.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام مالك[٥]، ويرى أن لا يكرهُ القعود على القبر إلا إذا قعد لقضاء الحاجة.

إلا أنه ذكر لأحمد أن مالكاً يتأول حديث النبي ﷺ أنه نهى أن يجلس على القبور أي للخلاء، فقال: ليس هذا بشيء، ولم يعجبه رأي مالك[٦].

والراجح، والله أعلم ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: اجتناب الصلاة إلى القبور والجلوس عليها.

ثالثاً: من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي في الحديث في قوله ﷺ "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" والنهي من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من إيقاف المدعوين على مواطن الخطر، والتحذير

---

(١) نور الإيضاح ٩٨، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٢٠/١.

(٢) المهذب ١٣٩/١، ومغني المحتاج ٣٥٤/١.

(٣) المغني ١٩٢/٢.

(٤) المحلى ١٣٥/٥.

(٥) حاشية الدسوقي ٤٢٨/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٢٥٢/٢.

(٦) المغني لابن قدامة ١٩٢/٢.

منها واجتنابها والابتعاد عنها، وقد تكرر أسلوب النهي في القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1] وأمر الله الأمة أن تخصص فئة تضطلع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بطلب الكف عن فعل ما ليس فيه رضا الله تعالى[2]، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: اجتناب الصلاة إلى القبور والجلوس عليها:

لقد نهى الإسلام عن الجلوس على القبور والاستناد إليها أو الاتكاء عليها، وحذر من الصلاة إلى القبور، وذلك ما جاء في نهي النبي ﷺ في الحديث "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" قال القرطبي: (قوله: "لا تصلوا إلى القبور أي تتخذوها قبلة، وذلك لقطع الذريعة أن يعتقد الجهَّالُ في الصلاة إليها، أو عليها أو الصلاة لها فيؤدي إلى عبادة مَنْ فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام)[4]. قال النووي: (فيه تصريح بالنهي عن الصلاة إلى القبر، قال الشافعي: (وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده)[5]. أما عن القعود على القبر، فقال المازري: (وأما القعود على القبر فمن الناس من أخذه على ظاهره، ومنهم من تأول أن المراد بالقعود الحدث لا الجلوس)[6]. وقال مالك في الموطأ المراد بالقعود الحدث وهذا تأويل ضعيف أو باطل والصواب أن المراد بالقعود الجلوس[7].

وقد جاءت الأحاديث ترهب من امتهان المقابر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، ٤٠٧/٤١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) المفهم ٦٢٨/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم ٦١٩.

(٦) المعلم ٢٦٠/١.

(٧) فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ٥١/٦.

رسول الله ﷺ: ((لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ))[1]. إذ أن القبر محترم شرعاً توقيراً للميت، ومن ثم اتفق الفقهاء على كراهة وطء القبر والمشي عليه[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ:

إن من الأمور الواجب الانتهاء عنها الصلاة إلى القبور والقعود عليها، فقال ﷺ "لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها" وفي ذلك انتهج الإسلام تجاه القبور وأصحابها اتجاهاً وسطاً، فمنع من تقديسها أو مما يؤدي إلى تقديسها في يوم من الأيام، نتيجة لجهل أو اختلاط فهم أو ما شاكل ذلك، وفي نفس الوقت نهى عن امتهانها فنهى عن القعود عليها، وما زاد على ذلك من الحدث عليها أو ما شاكله من ألوان الامتهان فهو حرام من باب الأولى. وقد أمرنا الله بالانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3] وهذه الآية جامعة للأمر باتباع ما يصدر من النبي ﷺ من قول وفعل، فيندرج فيها جميع أدلة السنة، وعطف الله على هذا الأمر تحذيرًا من المخالفة، فأمرهم بتقوى الله فيما أمر به على لسان رسوله ﷺ، وعطف الأمر بالتقوى على الأمر بالأخذ بالأوامر وترك المنهيات، يدل على أن التقوى هي امتثال الأمر واجتناب النهي[4]، فكما أمر الله المسلمين بطاعة رسول الله ﷺ حذرهم من الخروج عن سنته، ورهبهم من تركها والإعراض عنها، وبين أن طاعته طاعة لله تبارك وتعالى[5]، فقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٩٧١.

(٢) الموسوعة الفقهية ٢٢٤/٣٢.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٨٧/٢٨/١١.

(٥) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١١٦، ١١٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٨٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

من أهم الأشياء التي تهدف إليها التربية الإسلامية، وقاية المسلم من الأمور التي تلحق به ضررًا سواء أكان في دينه أم دنياه، ومن أنواع هذه الوقاية، الوقاية من تعظيم أشياء تؤدي إلى الشرك مثل تعظيم القبور واتخاذها مساجد[1]، لذلك قال رسول الله ﷺ: «لاَ تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ».

فالنهي عن الصلاة إليها، لأنها ذريعة إلى اتخاذها مساجد، وقد لعن رسول الله ﷺ من فعل ذلك، وحذر منه وأخبر أن أهله شرار الخلق، كما قال: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[2][3].

فإن التربية الوقائية أصل من الأصول المعتبرة في الفقه الإسلامي، إن (الوقاية) هي المرادف لكلمة (درء المفاسد) وهي المرادف لعبارة (كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام) والوقاية في محصولها الأخير. ليست إلا الحذر مما يؤدي إلى الضرر، وهذا المحصول نفسه ما تنتهي إليه - في المجالات الفكرية والعقدية والأخلاقية والتشريعية - كل القواعد التي تنهي عما يقرب من الحرام أو المفاسد أو أهل الحرام أو أهل المفاسد، فكل هذا وقاية[4].

إن التربية الوقائية خير معين للحفظ من الوقوع فيما يضر الإنسان من المفاسد والمعاصي والأمور التي تجلب غضب الله وسخطه.

فعلى المربي أن يحرص على استخدام الوقاية مع من يقوم بتربيتهم وخاصة الناشئة منهم، وذلك بتحذيرهم وتوجيههم إلى تجنيبهم ما يضرّ بهم في دنياهم ودينهم.

---

(١) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٣٢/٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٥/١، رقم ٣٨٤٤، وقال محققو المسند: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين ٣٩٤/٦.

(٣) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٤٨٨.

(٤) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، إشراف: د. عبدالحليم عويس، ٣١٠/١.

ثانيًا- التربية على احترام الإنسان حيًا وميتًا:

إن أعظم وأسمى ما تستهدفه التربية الإسلامية التربية على احترام الإنسان حيًا وميتًا، فهو مخلوق كريم على الله، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، خلقه بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وميزه بالعلم والإرادة، وجعله خليفته في الأرض، ومحور النشاط في الكون، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فكل ما في الكون له ولخدمته، أما هو فجعله تعالى لنفسه[1].

وقد أكد الإسلام على حرمة العرض والكرامة مع حرمة الدماء والأموال حتى أن النبي ﷺ أعلن ذلك في حجة الوداع أمام الجموع المحتشدة في البلد الحرام، والشهر الحرام، واليوم الحرام، فقال: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، فِي بَلَدِكُمْ هذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»[2].

فلا يجوز أن يؤذى إنسان في حضرته ولا أن يُهان في غيبته، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول. فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط أو السنان[3].

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان حالة حياته، فكفل له الاحترام بعد مماته، ومن هنا جاء الأمر بغسله، وتكفينه ودفنه والنهي عن كسر عظمه أو الاعتداء على جثته[4]. خلافًا للأمم التي تحرق جثث موتاها.

وفي هذا جاء الحديث النبوي: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[5][6].

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ص٦٦.

(٢) أخرجه البخاري، ١٠٥، ومسلم، ١٦٩٧.

(٣) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٨٧.

(٤) ما لم تدفع إلى ذلك ضرورة أو حاجة، كمعرفة أسباب القتل وكيفيته، الذي يقوم به (الطب الشرعي) الآن، وقد يستلزم هذا تشريح الجثة أو كسر بعض العظام. الخصائص العامة للإسلام، ص٨٧، هامش ٤.

(٥) أخرجه أبو داود ٣٢٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٢٧٤٦).

(٦) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص٨٧.

ومن احترام الميت احترام قبره فلا يجلس عليه، لأن في الجلوس على القبر امتهان لشأن الميت يتنافى مع ما حث عليه الدين الإسلامي من احترام للميت، وفي هذا جاء قول رسول الله ﷺ - في الحديث الشريف الذي نحن بصدد بيانه - (ولا تجلسوا عليها).

فعلى المربي والمجتمع المسلم غرس قيمة احترام الإنسان حيًا وميتًا في النفوس وخاصة في نفوس الناشئة الذين يحتاجون إلى التربية على هذا الفهم الإسلامي الذي يحفظ للإنسان حرمته حيًا وميتًا، وهذا من القيم الإسلامية النبيلة التي ينبغي الحرص عليها.

❁ ❁ ❁

٣٤٣- باب تحريم المرور بين يدي المصلي

الحديث رقم (١٧٦٠)

١٧٦٠- عن أَبي الجُهَيْمِ عبد اللهِ بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أنْ يَقِفَ أرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ)).

قَالَ (الراويُّ)[1]: لا أدْرِي قَالَ: أرْبَعينَ يَوماً، أَوْ أرْبَعِينَ شَهْراً، أَوْ أرْبَعِينَ سَنَةً[2] متفق عَلَيْهِ[3].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن الحارث بن نوفل: وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابي، واسمه: عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، القرشيُّ الهاشميُّ، من أشراف قريش، أمه هند بنت أبي سفيان، أخت معاوية، كانت تُرَقِّصْه، وتسميه ببَّه، فصار لقباً عليه، ذكر الزبير بن بكار بروايته أن هند بنت أبي سفيان بن حرب وهي تُنَقِّزُ -أي ترقص- ابنها ببَّه عبدالله بن الحارث كان تقول:

مـا أبَّـه مـا أبَّـه لأُنْكِحَـنَّ ببَّـه
جاريـة بنقْبـة تسود أهـل مكـة

فعمِّرت حتى زوجته خالدة بنت مُعَتِّب بن أبي لهب، ويقال إن أهل البصرة لقبوه بهذا اللقب، ولد على عهد رسول الله ﷺ قبل أن يموت رسول الله ﷺ بسنتين، وحكى ابن سعد في الطبقات: أنه لما وُلِد أتت أمه هند إلى أختها أم حبيبة، فدخل عليها رسول الله ﷺ فقال: من هذا يا أم حبيبة؟ قالت: هذا ابن عمك وابن أختي، فتفل في فيه

---

(١) عندهما: (قال أبو النضر).

(٢) عندهما بلفظ: (أربعين يومًا، أو شهرًا، أو سنة).

(٣) أخرجه البخاري (٥١٠)، ومسلم (٢٦١/٥٠٧) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٧٨٩).

ودعا له[1].

له صحبة وقيل إن له إدراكاً، روى عن النبي ﷺ مرسلاً، وروى له الجماعة، وكان يكنّى بأبي محمد المدني، ويقال: أبو إسحاق، كان رضي الله عنه وَرِعاً ظاهر الصلاح، كان والياً على مكة زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، نزل البصرة، واصطلح عليه أهلها حين مات يزيد بن معاوية، فأمَّره عليها عبدالله بن الزبير، ولما قامت فتنة ابن الأشعث خرج إلى عُمَان هارباً من الحجاج فتوفي فيها، وإنما خرج لأنه كان مع ابن الأشعث لمّا خلع الحجاج وقاتله، فلما انهزم ابن الأشعث هرب عبدالله إلى عمان، ومات هناك سنة (٨٤) على الأرجح، قال ابن حبان في كتاب الثقات توفي سنة (٧٩) قتلته السَّمُوم، ودفن بالأبواء، وصلى عليه سليمان بن عبدالملك[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتكون من جملة لغوية واحدة لها متعلقاتها... وموحياتها الدلالية، وهذه الجملة صيغت في قالب: الشرط والجواب، وهذا القالب اللغوي يتسق مع مقاصد الحديث: حيث يوضح رسول الله ﷺ العقاب الذي ينتظر من يمر أمام المصلي، فيشغله عن استغراقه في الصلاة، وأداة الشرط "لو" وهي أداة امتناع لامتناع، ودلالة هذه الوظيفة النحوية لهذه الأداة أن جواب الشرط ممتنع، لأن فعل الشرط ممتنع، ففعل الشرط قد وقع وهو مرور الإنسان أمام المصلي، ولم يمتنع عن ذلك، وكذلك "وقوفه أربعين يوماً أو شهراً أو سنة"، لم يقع: لأن هذا من باب الترهيب والإنكار، وأسلوب الشرط هنا يناسب طبيعة الجو

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، (٥٦/٤).

(٢) طبقات ابن سعد (٢٤/٥-٢٦)، (١٠٠/٧، ١٠١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٣٩٠)، أسد الغابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (٢٠٨/٣، ٢٠٩)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (٧٥٦)، سير أعلام النبلاء (٥٢٩/٣-٥٣١)، تهذيب الكمال (١٠٨/٤)، تهذيب التهذيب (٣١٨/٢)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٧٧/٤).

الموحي بالثواب أو العقاب بعد حصول ما يؤهل لذلك، فالجزاء من جنس العمل.

وقوله: "بين يدي المصلى" كناية عن المرور أمام المصلين، ولكن هذا التعبير يوحي بالقرب الشديد من الصف المقام للصلاة، وإشغال المصلين عن مناجاة ربهم، وإذهاب الخشوع والخضوع في صلاتهم. وقوله: "ماذا عليه" استفهام يفيد الإنكار والوعيد، ومضاعفة العقاب، وقيل حَذْفُ نوعية العقاب زيادة في التنفير عن ذلك، لتذهب النفس في تقدير كل صنف من المكروهات المحذر منها كل مذهب.

وحذف تمييز العدد بعد قوله: "أربعين" للإيحاء بتغليظ العقوبة، وشدة المخالفة لأن هذا المارّ سيتساءل: هل مرور لحظة سيكون عقابه أن أقف أربعين يوماً: وربما أربعين شهراً، وربما أربعين سنة!!.

وهذا التساؤل المنبثق من الموقف، يُعطي فرصة للمراجعة، وعدم الإقدام على مثل هذه المخالفة. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تحريم المرور بين يدي المصلي[1]، وذكر الأربعين في الحديث لا مفهوم له، بل الغرض منه المبالغة في تعظيم الأمر[2]، لما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: ((لَوْ يَعْلَمُ أَحدُكُم ما لَهُ في أَن يَمشِيَ بينَ يَدَيْ أَخيهِ مُعترضاً، وهوَ يُناجِي ربَّهُ، لَكانَ أَن يَقِفَ في ذٰلكَ المقامِ مئةَ عامٍ أحبَّ إليهِ من أن يَخْطُو))[3].

وقد قيد التحريم بقيدين:

الأول: إذا لم يقصّر المصلي في دفع المارّ، فإن قصر في دفع المارّ بأن صلى على قارعة الطريق مثلاً فلا حرمة، بل ولا كراهة.

الثاني: إذا لم يجد المار فرجة أمامه، وإلا فلا حرمة، بل له خرق الصفوف والمرور

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢/٢٦، والدر المختار للحصكفي ١/٦٨٣، ٦٨٤، وفتح العزيز ويسمى أيضاً العزيز للرافعي ٤/١٣٢، والمجموع للنووي ٣/٢٤٩، وفتح الوهاب ١/٩٣.

(٢) الدين الخالص للسبكي ٢/٢٩٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٩٤٦، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب ٢٩٩.

بينها لسد هذه الفرجة[١].

المضامين الدعوية

أولاً: من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحرمة المرور بين يدي المصلي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من المرور بين يدي المصلي.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوقوف وعدم المرور بين يدي المصلي.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح لحرمة المرور بين يدي المصلي:

لقد كلف الله الأنبياء وأتباعهم تبيين الحق وأحكامه للناس، وعدم كتمانه[٢]، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] ومن ذلك ما جاء في الحديث من تحريم للمرور بين يدي المصلي، فقال ﷺ: "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه" قال الراوي: لا أدري قال: أربعين يوماً، أو أربعين شهراً، أو أربعين سنة" فتبليغ الدعوة وتبيين أحكامها، من الأمور المنوطة بجملة العلماء من هذه الأمة، بحيث يجب عليهم ألا يكتموا شيئاً من أمر الشريعة، وأن يبلغوها للناس، ومن ثم يكون تبليغ الدعاة وحملة العلم أمور الشريعة إلى كل من لم تبلغه دون خوف أو وجل[٤]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[٥].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من المرور بين يدي المصلي:

جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه". قال القاضي عياض: (وقوله: "لو يعلم المار بين

---

(١) فتح الوهاب ١/٩٣.

(٢) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٣/٨٧٧.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٣٩.

يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه..." أي لاختار وقوفه هذه المدة على ما عليه من الإثم، وذلك تغليظ وتشديد في النهي عن المرور بين يدي المصلي[١]. فإذا كان بين يدي المصلي سترة اختصَّ المار بالإثم وإن لم يكن المصلي في موضع لا يأمن من المرور عليه اشتركا في الإثم[٢]. قال ابن حجر: (يعني أن المار لو علم مقدار الإثم، الذي يلحقه من مروره بين يدي المصلي، لاختار أن يقف المدة المذكورة، حتى لا يلحقه ذلك الإثم، وظاهر الحديث يدل على منع المرور مطلقاً ولو لم يجد مسلكاً، بل يقف حتى يفرغ المصلي من صلاته)[٣]. ومعنى الحديث: (النهي الأكيد والوعيد الشديد في ذلك[٤] بل جاء الأمر للمصلِّي بمنع المار بين يديه. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلاَ يَدَعْ أَحَداً يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلْيَدْرَأْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ أَبَىٰ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ))[٥] قال العلماء في قوله "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه" لم يذكر العقاب، وذلك زيادة في التنفير من ذلك لتذهب النفس في تقدير كل صنف من المكروهات المحذر منها كل مذهب[٦].

وكما نُهي غير المصلي عن المرور بين يدي المصلي، أمر المصلي أن يحول بين غيره وبين المرور بين يديه، فروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان)) وفي رواية ((إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفع في نحره فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان))[٧].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤٢١.

(٢) المفهم، القرطبي، ٢/١٠٦.

(٣) فتح الباري ١/٦٩٧، ٦٩٨.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٣٩٧.

(٥) أخرجه مسلم ٥٠٥.

(٦) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٣٧.

(٧) أخرجه مسلم ٥٠٥.

قال القاضي عياض: (وقوله: "إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه": حمله العلماء على الإباحة للمصلي لمدافعته، والأمر برده لا على الوجوب. وقوله: فليدرأه ما استطاع: أي ليدفعه ويمنعه عن ذلك ولا يسامحه في المرور، وهو معنى قوله: "ما استطاع" وأجمعوا على أنه لا يلزمه مقاتلة بالسلاح ولا ما يؤدي إلى هلاكه، فإن درأه بما يجب فهلك من ذلك فلا قود عليه باتفاق، وهل فيه دية أو هو هدرٌ؟ فيه للعلماء قولان، وهما في مذهبنا أيضاً. وكذلك اتفقوا أن هذا كله لمن لم يعزر بصلاته واحتاط لها وصلى إلى سترة، أو في مكان يأمن المرور بين يديه، ويدل عليه قوله في حديث أبي سعيد هذا: "إذا صلى أحدكم إلى سترة" فإذا فعل هذا كان الإثم على المار، وإن كان إلى غير سترة أثما جميعاً، إلا أن يكون المصلي صلى على طريق الناس، حيث تدعوهم الضرورة إلى الاجتياز ولا يجدون مندوحة فيأثم هو دون المارين، إلا أن يكون المصلي صلى إلى غير سترة، حيث يأمن في الغالب ألا يمر بين يديه أحد، فلا إثم عليه على رأي بعضهم. وكذلك اتفقوا على أنه لا يجوز له المشي من مقامه إلى رده والعمل الكثير في مدافعته؛ لأن ذلك في صلاته أشد من مروره عليه، والذي أبيح له من هذا هو قدر ما تناله يده من مصلاه دون المشي إليه، وإعمال الخطى، وهذا حدٌّ في مقدار القرب من السترة لهذه الفائدة، وسنذكره بعد، وليكن رده هاهنا بالإشارة والتسبيح. وكذلك اتفقوا على أنه إن مر فلا يرده لأنه مرور ثانٍ، إلا شيءٌ روى عن بعض السلف في رده، وتأوله بعضهم على قول أشهب بردِّه بالإشارة، وظاهر قول أشهب أنه في ابتداء المرور.

وقوله: "فإن أبى فليقاتله": أي إن أبى بالإشارة ولطيف المنع فليمانعه ويدافعه بيده عن المرور، ويعنف عليه في رده. قال أبو عمر: هذا اللفظ جاء على وجه التغليظ والمبالغة. وقال الباجي: يحتمل أن يكون بمعنى فليلعنه، فالمقاتلة بمعنى اللعن موجودة، كقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[1]، قال: ويحتمل أن يكون بمعنى فليعنفه على فعله ذلك ويؤاخذه، وخرج من ذلك معنى المقاتلة المعلومة بالإجماع.

---

(١) سورة الذاريات، آية: ١٠.

وقوله: "فإنما هو شيطان" قيل: معناه: فإنما حمله على فعله ذلك وإبائه من الرجوع الشيطان، وقيل: فإنه يفعل فعل الشيطان، فإن معنى الشيطان بعيد من الخير، والائتمار للسنة، من قولهم: نويٌ شطون، أي بعيدة، ومنه سمي الشيطان لبعده من رحمة الله، فسماه شيطاناً لاتصافه بوصفه، كما يقال: فلان الأسد، أي يبطش ويقوى كبطشة الأسد وقوته، وقيل: المراد بالشيطان هنا قرين الإنسان اللازم له، كما قال في الرواية الأخرى: "فإن معه القرين"، ويكون هذا من معنى قوله في الحديث الآخر: "فإن الشيطان يحول بينكم وبينها"، فيكون على هذا يمنع الإنسان الجواز بين يدي المصلي من أجل الشيطان اللازم له، لكونه خبيثاً نجساً، ويكون الله تعالى يمنعه من التسلط على المشي أمام المصلي وقطع صلاته، إذا اجتهد العبد في الدنو من قبلته، وامتثل ما أمر به، ولم يجعل له سبيلاً إليه، بخلافه إذا لم يدن من السترة[1].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الوقوف وعدم المرور بين يدي المصلي:

ذلك ما جاء في مفهوم الحديث في قوله ﷺ "لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه" وذلك إجلالاً للصلاة فهي لقاء بين العبد وربه فلا يجوز قطعه، وعدم الإفساد على المصلي خشوعه واستحضاره لعظمة ربه تبارك وتعالى، فإن التوجه في الصلاة، واستقبال القبلة التي أمر الله بها، أجمع للخاطر، وأحث على صفة الخشوع، وأقرب لحضور القلب[2].

إضافة إلى ما في وقوف الإنسان وسلوكه طريقاً آخر، وعدم مروره بين يدي المصلي، تعويد للإنسان على الالتزام والانضباط والنظام، ويعود أثر ذلك على شؤون الحياة جميعها، بما فيه خير الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. إن من يتبع النظم في الإسلام ليجدها كلها دعوة وتدريب للمسلم على الالتزام بالنظم والقواعد المتبعة في كل شيء، ففي الصلاة قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[3]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٢/٤١٩-٤٢١.

(٢) الأركان الأربعة، أبو الحسن الندوي، ص ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٣.

وفي مجال الجهاد يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[1]. وفي مجال النظم الاجتماعية والآداب الاجتماعية، جاء مثل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[2].

---

(١) سورة الصف، آية: ٤.

(٢) سورة النور، آية: ٥٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بالتنبيه والترهيب:

لقد نبه النبي ﷺ إلى عدم المرور بين يدي المصلي، ورّهب منه فقال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال الراوي: لاَ أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟.

فهذا الحديث يدل على أن المرور بين يدي المصلي في محل سجوده فيه إثم ووعيد، ولو عرف هذا المار ما عليه من الإثم لوقف أربعين سنة، ولو مر بعيدًا من مكان سجوده لا شيء عليه حسب مفهوم الحديث الذي ينص على مكان وضع يدي المصلي عند سجوده.

وعلى المصلي أن يضع ستره أمامه، حتى ينتبه المار فيحذر المرور أمامه لقوله ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، فَأَرَادَ أحد أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْه. فَإِنْ أَبَىٰ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[1].

فإن المرور في مكان سجود المصلي حرام، فيه إثم ووعيد إذا وضع أمامه سترة[2].

فعلى المربي تنبيه وترهيب من يقوم بتربيتهم بخطورة المرور بين يدي المصلي، خاصة الناشئة منهم حتى يتجنبوا هذا الأمر ويحذروا إثمه.

ثانيًا- التربية على الأمانة في نقل العلم:

من أهداف التربية الإسلامية التربية على الأمانة في نقل العلم، وهذا واضح في قول راوي الحديث: لا أدري قال أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين سنة، فالمعلم أمين على ما استودع من العلوم، ولابد من أن يؤدي الأمانة التي تحملها كما هي، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري، ٥٠٩، ومسلم، ٥٠٥.

(٢) انظر: مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع، محمد بن جميل زينو، ص١٠٩، ١١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

ويقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[١]. وقال رسول الله ﷺ: «لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ»[٢].

إن الأمانة توأم الصدق، وتتجلى الأمانة في تحري الصدق في القول والعمل وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾[٣].

ومن الأمانة، ألا ينسب المعلم لنفسه علمًا أو قولاً ليس من إنتاجه أو من تأليفه، وإنما يسند كل قول إلى قائله وكل علم إلى مصدره[٤].

وهذا ما يسمى الأمانة العلمية، وهي نسبة كل نظرية أو رأي أو فكر أو قول إلى مبدعه وقائله. كما هو، ومن الخيانة سرقة أفكار الآخرين وادعاؤها.

وقد شاعت هذه الظاهرة، كثيرًا حيث يتعدى بعض الناس على جهود غيرهم العلمية، وينسبونها إلى أنفسهم، وقد يلجؤون إلى بعض الحيل لإخفاء فعلتهم كإجراء بعض التعديلات على المادة العلمية بالحذف أو الإضافة أو بهما معًا، أو تغيير الصياغة والأسلوب تمويهًا وخداعًا، حتى لا ينكشف أمرهم.

وعلينا أن ندرك أن سرقة الأفكار أشد خطورة من سرقة الأشياء المادية كالذهب والمال. لأن السرقة الأولى تؤدي إلى فساد الحياة العلمية وإهدار جهود العلماء المخلصين. ومن ناحية أخرى يسهل الاستدلال على المسروق من الأشياء المادية أما معرفة ما سرق من الأفكار فقد يخفى في حالات كثيرة.

ومما يتصل بالأمانة ما يسمى بحقوق المؤلفين حيث يقدم بعض الخونة على سرقة المصنفات العلمية والفنية والأدبية من الأشرطة والأقراص والكتب وبيعها للناس بأبخس

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ١٣٥/٣، رقم ١٢٣٨٣، وقال محققو المسند حديث حسن ٣٧٦/٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٤) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د/محمد صالح بن علي جان، ص١٢٥، ١٢٦.

الأثمان، وهذا يحرم المبدعون من ثمرة عطائهم، وقد يؤدي إلى فتور الحياة العلمية، وإحجام المفكرين والعلماء عن البذل والعطاء[1].

فعلى المربي تحري الأمانة العلمية في نقل العلم إلى المتربي وغرس هذه القيمة في نفسه والعمل على تنمية العمل بهذه الأمانة خاصة بين الصغار، حتى يشب الصغار على تحري الأمانة في أقوالهم وأفعالهم ونقولهم عن غيرهم.

(١) انظر: موسوعة القيم ومكارم الأخلاق، ٩/٦٠، ٦١.

٣٤٤- باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كَانَتْ النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها

الحديث رقم (١٧٦١)

١٧٦١- عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ المَكْتُوبَةَ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتضمن قاعدة فقهية واضحة، وهي ليست اجتهاداً من فقيه، ولكنها صادرة من نبي هذه الأمة، وهي أن المسلم يجب أن يحرص على أداء الصلاة المكتوبة، ولا يجعل النوافل تطغى على الصلوات المفروضة، والبناء اللغوي للحديث يرشد إلى تحقق الصلاة المكتوبة حيث نُظم الحديث في جملة واحدة شرطية، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد تحقق الجواب لتحقق الشرط، والجواب هنا: عدم صلاة النافلة وقت إقامة الصلاة المكتوبة، وهذا الجواب الواضح سيق في أسلوب يزيده جلاءً ورسوخاً؛ وهو أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء في قوله: "فلا صلاة إلا المكتوبة"، وحُذف المنعوت: وهو الصلاة اكتفاءً بالنعت: لأنه يَحْمل الدلالتين: الصلاة، والفَرْض، والمكتوبة "اسم مفعول": أي التي كتبها الله أي فرضها ولابدّ من أدائها.

وهذا التحذير الصارم يرشد إلى أهمية الصلاة ودورها في حياة المسلم، فبالانصراف إلى الصلاة وجمْع النية عليها كما يقول الرافعي، يستشعر المسلم أنه قد

---

(١) برقم (٧١٠/٦٣).

حطمَّ الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان، وخرج منها إلى روحانية لا يُحدُّ فيها إلا بالله وحده.

وبالقيام في الصلاة، يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كله، ليمتزج بجلال الكون ووقاره، وبالركوع والسجود بين يدي الله، يُشعر المسلم نفسه معنى السمو والرفعة على كل ما عدا البارئ الخالق من وجود الكون.

هي خمس صلوات، وهي كذلك خمس مرات، يفرغ فيها القلب مما امتلأ به من الدنيا، فما أدق وأبدع وأصدق قوله ﷺ: جعلت قرة عيني في الصلاة.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على: حكم التنفل عند إقامة صلاة الفريضة: التنفل عند الشروع في الإقامة منهي عنه كما في حديث الباب، ولعل الحكمة من النهي عن التنفل في هذه الحالة، هو التفرغ لأداء الفريضة من أولها، والمحافظة على إتمامها مع الإمام.

وكذلك الحرص على جمع القلوب، والبعد عما يؤدي إلى الخلاف على الأئمة، والطعن فيهم[1].

وقد اختلف الفقهاء في حكم التنفل حال إقامة الصلاة الحاضرة على أربعة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الشافعية[2]، والحنابلة[3]، ويرون أن التنفل في هذه الحالة مكروه، لأن المراد بالنفي في الحديث النهي، وهو محمول على الكراهة، أو النفي باق على حقيقته، والمراد به نفي الكمال.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[4]، ويرون أن التنفل في هذه الحالة حرام، لا فرق في ذلك بين ركعتي الفجر، وغيرهما، ولو خارج المسجد، حملاً للنفي في الحديث على نهي التحريم.

---

(١) الدين الخالص للسبكي ٢/٣٥.

(٢) مختصر المزني ٢١، المجموع للنووي ٣/٢٥٥، فتح الوهاب ١/٨٦.

(٣) الشرح الكبير على متن المقنع ٢/٨.

(٤) المحلى لابن حزم ٤/٢٢٩.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، ويرون أنه لا بأس بصلاة سنة الصبح خارج المسجد، أو فيه، والإمام في الفريضة إذا تيقن إدراك الركعة الأخيرة مع الإمام.

واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ، إِلاَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ))[٢].

الرأي الرابع: وهو ما ذهب إليه المالكية[٣]، ويرون أداءها خارج المسجد إذا لم يخف فوات الركعة الأولى مع الإمام، وإلا تركها، ودخل معه.

الراجح: والراجح والله أعلم ما ذهب إليه الجمهور لورود النهي عن ذلك، وترك التنفل عند إقامة الصلاة أقرب إلى اتباع السنة، ويتأيد ذلك من حيث المعنى بأن قوله في الإقامة: "حي على الصلاة" معناه: هلموا إلى الصلاة التي يقام لها، فأسعد الناس بامتثال هذا الأمر من لا يتشاغل عنه بغيره[٤].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الفريضة وتقديمها على النافلة والحفاظ على إدراك تكبيرة الإحرام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لأوامر النبي ﷺ بعدم الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة أو قرب إقامتها.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على صلاة الفريضة وتقديمها على النافلة والحفاظ على إدراك تكبيرة الإحرام:

جاء ذلك في صريح الحديث في قوله ﷺ إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة". قال القاضي عياض: (قوله: "إذا أقيمت الصلاةُ فلا صلاة إلا المكتوبة": أخذ

---

(١) الدر المختار للحصكفي ١/٤٠٧.

(٢) أخرجه البيهقي ٢/٤٨٣، وقال البيهقي: وهذه الزيادة لا أصل لها.

(٣) مواهب الجليل ٢/٤٠٧.

(٤) انظر: الدين الخالص ٢/٤٠.

قوم بظاهر هذا الحديث، وهو قول أبي هريرة، وروي عن عمر أنه كان يضرب على صلاة الركعتين بعد الإقامة، وإليه ذهب بعض الظاهرية، رأوا أنه يقطع صلاته إذا أقيمت عليه الصلاة وكلهم يقولون: لا يبتدئ نافلةً بعد الإقامة لنهيه ﷺ المتقدم. وذهب مالك إلى أنه إذا أقيمت عليه وهو في نافلة، فإن كان ممن يخفف ويقيمها بقراءة أم القرآن وحدها قبل أن يركع الإمام، أتمها، وإلا قطع، وذهب بعض أصحابنا على أنه يتمها.

واختلفوا في صلاة ركعتي الفجر إذا أقيمت الصبح، فذهب جمهور السلف والعلماء إلى أنه لا يصليها في المسجد، ثم اختلفوا: هل يخرج لها ويصلي خارجه أم لا؟ وهو قول جماعة من السلف جملة، ويدخل في المكتوبة، وهو قول مالك والشافعي وأحمد والطبري إذا أقيمت عليه وقد دخل المسجد، وقول ابن سيرين: متى أقيمت عليه، دون تفصيل.

واختلف من أباح له الخروج لصلاتها، هل ذلك ما لم يخش فوات الركعة الأولى، فإذا خشيها دخل مع الإمام ولم يخرج؟ وهذا قول مالك والثوري: إذا أقيمت قبل أن يدخل المسجد، وقيل: بل إنما يُراعى فواتُ الآخرة. قد روي هذا أيضاً عن مالك، أن يصليها وإن فاتته صلاة الإمام إذا كان الوقت واسعاً، قاله ابن الجلاب وذهبت طائفة من السلف والفقهاء إلى انه يُصليها في المسجد والإمام يصلي، وروي هذا عن ابن مسعود.

ثم اختلف هؤلاء: هل يركعهما في المسجد ما لم يخش فوات الركعة الأولى، فإن خشيها دخل مع الإمام؟ وهذا قول الثوري، وقيل: يركعهما ما لم يخش فوات الركعة الثانية، وهو قول الأوزاعي وأبي حنيفة وأصحابه، وقد حكى عن أبي حنيفة أنه يركعهما عند باب المسجد[1].

قال النووي: (فيه النهي الصريح عن افتتاح نافلة بعد إقامة الصلاة، سواء كانت راتبة كسنة الصبح والظهر والعصر أو غيرها، وهذا مذهب الشافعي والجمهور)[2]

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٣/٤٣، ٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٩٥.

وكذا قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: (والحديث يدل على أنه لا يجوز الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة من غير فرق بين ركعتي الفجر وغيرهما)[١].

وقال ابن عثيمين: (قوله: "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" يعني أنه إذا أقيمت الصلاة؛ فإنه لا يشرع المأموم في نافلة، سواء كانت هذه النافلة تحية مسجد أو تطوعاً مطلقاً، أو راتبةً تلك الصلاة، مثل: أن تحضر لصلاة الفجر وتقام الصلاة، فلا يجوز أن تصلي سنة الفجر؛ لأنه أقيمت الصلاة، ودليل ذلك: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" فقوله: "لا صلاة" عام، يشمل أي صلاة كانت، حتى لو كان على الإنسان فريضة فائتة، نسيها ولم يذكرها إلا حين أقيمت الصلاة؛ فإنه لا يصليها، ولكن يدخل مع الإمام بنية تلك الفريضة التي فاتته ولا ينفرد عن الناس، فمثلاً إذا أقيمت صلاة العصر، ودخلت المسجد وأنت لم تصل الظهر، فلا تصل الظهر؛ لأنه أقيمت صلاة العصر، لكن ادخل معهم بنية الظهر، ثم إذا فرغت من صلاتك فصلِّ العصر؛ ولكن إذا أقيمت وأنت شرعت في النافلة، فهل تكملها أو تخرج منها. في هذا للعلماء قولان: القول الأول: إنه إذا أقيمت الصلاة وأنت قد شرعت في النافلة فاقطعها ولا تكملها مطلقاً.

والقول الثاني: كملها ولو فاتتك ركعة، أو ركعتان، أو كل الصلاة، إلا مقدار تكبيرة الإحرام قبل السلام.

والصحيح أن نقول: إذا أقيمت الصلاة وأنت في نافلة، فإن كنت في الركعة الأولى فاقطعها، وإن كنت في الركعة الثانية فأتمها خفيفة، وهذا هو الصحيح الذي يمكن أن تجتمع عليه الأدلة)[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: أهمية الاستجابة لأوامر النبي ﷺ بعدم الشروع في النافلة عند إقامة الصلاة أو قرب إقامتها:

وذلك ما وردت الإشارة إليه في الحديث، فقال ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٧١٦/١.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٠٣/٢، ١٨٠٤.

إلا المكتوبة" قال ابن علان: (واقتضى قوله فلا صلاة إلا المكتوبة أنه يكره التطوع عند إقامة جماعة، فإن أقيمت المكتوبة وهو في النافلة قطعها استحباباً إن خشي فوت الجماعة، والحكمة في النهي عن صلاة النافلة بعد الإقامة أن يتفرغ للفريضة من أولها، فيشرع فيها عقب شروع إمامه، وإذا اشتغل بنافلة فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام، وفاته بعض مكملات الفريضة، والفريضة أولى بالمحافظة على إكمالها، قال القاضي: وفيه حكمة أخرى هي النهي عن الاختلاف على الأئمة، وهاتان الحكمتان أولى ما قيل[1] وما من شك في أن رسول الله ﷺ يريد لأمته حصول أولى الفضائل وأرفع الدرجات وأعلى المنازل كما جاء في الحديث من تقديم الفريضة على النافلة، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾[2] ففي الآية بيان أن حق المؤمنين الكُمَّل أن يخافوا الله ويطيعوه ويمتثلوا أمره، وأعقب ذلك بالأمر بالاستجابة للرسول ﷺ، ففي طاعته إحياء للنفوس، فقوله "لما يحييكم" أي دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، والإحياء هذا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كمال الإنسان، فيعم كل ما به ذلك الكمال من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح، والخلق الكريم، والدلالة على الأعمال الصالحة، وإصلاح الفرد والمجتمع، وما يتقوم به ذلك من الخلال الشريفة العظيمة[3].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في صريح قوله ﷺ "إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية البارزة المفيدة، لما فيها من بيان المخالفات الشرعية ونهي المدعوين عنها، وقد تكرر أسلوب النهي في كثير من آيات القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾[4] وقوله

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ١٧٣٨.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ٣١٣/٩/٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٩٥.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[1].

والأصل في النهي أنه وضع للمنع، إلا أن صيغ النهي تستعمل في معانٍ أخرى منها:

أ- الكراهة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾[2].

ب- الدعاء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾[3].

ج- الإرشاد، كقوله تعالى: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[4].

د- التحقير لشأن المنهي عنه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[5].

هـ- اليأس، كقوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[6].

و- بيان العاقبة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾[7][8].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١١.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٨.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) سورة طه، آية: ١٣١.

(٦) سورة التحريم، آية: ٧.

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٨) الموسوعة الفقهية ٤٠٦/٤١، ٤٠٧.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على العناية بالفرائض:

الفرائض هي الأساس والأصل، وأعظم ما يُتَقربْ به إلى الله تبارك وتعالى كما أخبرنا بذلك ﷺ فقال فيما يرويه عن ربه: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ»[1].

ومن الأمور التي ينبغي أن يعني بها المربي: الحرص على غرس تعظيم الفرائض والاعتناء بها ورعايتها لدى من يربيهم، وضرورة تقديمها على النوافل والتطوعات[2].

من أجل ذلك وضع النووي عنوان الباب: باب كراهية شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها.

وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ».

وهذا يدل على العناية بالصلاة المفروضة، وتقديمها على النافلة، واهتمام المربي بالفرائض والاعتناء بها لا ينبغي أن يقف عند مجرد تأكيد الإتيان بها وفعلها، بل الاعتناء بأدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وإتقانها وإحسانها، واتباع سنة النبي ﷺ فيها.

ومن ذلك: الاعتناء بتعليم المتربين أحكامها، والسعي لإتقانهم ما يتوقف عليه صحة الفرائض وبطلانها، ثم الاعتناء بتعليم آدابها وسننها وهدي الرسول ﷺ فيها[3].

ثانيًا: التربية على ترتيب الأولويات:

إن مصالح الدنيا والآخرة متفاوتة في الأهمية، فمنها الراجح ومنها المرجوح، قال العز بن عبدالسلام: "وتقديم المصالح الراجحة على المصالح المرجوحة محمود حسن،

---

(١) أخرجه البخاري، ٦٥٠٢.

(٢) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش، ص٦٠.

(٣) المرجع السابق، ص٦٠.

ودر المفاسد الراجحة على المفاسد المرجوحة محمود حسن، اتفق الحكماء على ذلك"[١].

والتربية الإسلامية تهدف إلى تربية المسلم على ترتيب الأولويات في حياته بصفة عامة وفي عباداته بصفة خاصة.

فينبغي للمؤمن تحديد الأولويات، عندما تكثر الأعمال وتتطلب أكثر من الوقت المتاح لديه، يجب تقييم كل عمل لمعرفة ماذا يقوم به، وما يترك، حتى لا يترك الأهم ليقوم بما هو أقل منه أهمية[٢].

وينبغي للمؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية، حتى لا يطغي بعضها على بعض، ولا يطغي غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوبًا بصفة عاجلة يجب أن يبادر به ويؤخر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته[٣].

لذا يجب على المسلم أن يُعني عناية تامة بالصلاة المكتوبة، ولا تشغله النوافل ولا ما دونها عن أداء المكتوبة، وهذا ما يؤصل في نفس المؤمن مسألة ترتيب الأولويات سواء في أمور العبادات أم في غيرها.

---

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ط٢، دار الجبل، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠، ص١/٥.

(٢) انظر: إدارة الوقت، د. محمد أمين شحادة، ص٢٣٧٣، ٣٧٥.

(٣) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص١٨، ١٩.

٣٤٥- باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي

الحديث رقم (١٧٦٢)

١٧٦٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلاَ تَخُصُّوا يَومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن صلاة الجمعة تتويج لطاعة المسلم في أسبوع كامل من العبادة، وهي تُؤدَّى في جماعة وحيث يلتئم شمل المسلمين، وقد سَعَوْا إلى ذكر الله، وتركوا البيع، وأصغوا لما في الخطبة من مواعظ ودروس.

هذا اليوم الكريم الذي خصه الله بساعة يستجاب فيها الدعاء، لا يخصه المسلم بقيام أو صيام دون غيره من سائر الأيام: وهذا التوجيه النبوي الذي أشرق في هذا الحديث جاء في أسلوب صريح مباشر وهو "النهي" الموجه إلى جموع الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان، ويتضمن الحديث ثلاث جمل منها اثنتان تبدآن بحرف النهي "لا" وبعده "الفعل المضارع"، والتعبير موحد في بدء الجملتين "لا تخصوا"، وهذا التكرار لمزيد من التأكيد والتذكير بعدم الابتداع في القربات والطاعات والنوافل، ومن الظواهر الأسلوبية التي تكشف عن قيمة البلاغة النبوية: هذا الطباق في قوله: ليلة الجمعة، ويوم الجمعة: فالجمع بين الضدين هنا ليس للتناقض، ولكنه للتكامل

---

(١) برقم (١١٤٤/١٤٨). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤٨).

والعموم والشمول، فالجمعة زمن متكامل يجمع بين الليلة واليوم، وهذه إشارة إلى أن عقب غروب الشمس ينتهي اليوم ويبدأ يوم جديد، وكرّر لفظ الجمعة، ولم يكتف بالضمير في التعبير لزيادة الإيضاح، ولتكريم هذا اللفظ "العَلَم" على ذلك اليوم، فله أفضليته في الإسلام.

ومن أسرار الجمال التعبيري: تقديم قوله: "بصيام"على من بين الأيام، والتقديم هنا يفيد التفنن في التعبير، والتنوع في طريقة تقديم المعنى، ففي الجملة السابقة: قدم القيام على : من بين الليالي، وكذلك في هذه الجملة، ولكن في سياق الصوم ذكر "اليوم"، لأن الصيام لا يكون إلا نهاراً، وفي سياق "القيام" ذكر "الليل"، لأن مصطلح القيام مرتبط بالصلاة في الليل، وهذا من أثر الإسلام في تجديد اللغة.

والجملة الثالثة: متفرعة عن الجملة الثانية، فهي: مستثنى من النهي الوارد بشأن صوم الجمعة فقال: إلا أن يكون في صومٍ يصومه أحدكم، والله أعلم.

فقه الحديث

تشتمل هذه الأحاديث على الأحكام الآتية:

١- كراهة إفراد ليلة الجمعة بقيام[1]، أما إذا كان هذا القيام يوافق قياماً كان يقومه، كأن كان يقوم ليلة، وينام ليلة أخرى، فوافق قيامه ليلة الجمعة فلا كراهة.

٢- حكم صوم يوم الجمعة: اختلف الفقهاء في حكم صوم يوم الجمعة على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الشافعية[2]، والحنابلة، وإسحاق، وابن المنذر[3]، ويرون أن صوم يوم الجمعة مكروه، إلا أن يصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، وإلا أن يوافق صوماً كان يصومه، كما لو كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً،

---

(١) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٢٦/١، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٢٧١/١، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ١١٧/١، المبدع ٥٤/٣، الفروع ٩١/٣.

(٢) المجموع ٤٣٨/٦، ومغني المحتاج ٥١٥/١.

(٣) المجموع ٤٣٨/٦.

فوافق صومه يوم الجمعة، أو أن تكون عادته صوم أول يوم من الشهر، أو آخر يوم، أو نحو ذلك، فيوافق ذلك يوم جمعة فحينئذ فلا كراهة.

واستدلوا بأحاديث الباب، بيد أنهم حملوا النهي على الكراهة.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[١]، ويرون أن صوم يوم الجمعة حرام، إلا أن يصوم يوماً قبله، ويوماً بعده، بل حتى لو نذر صيامه كان نذره باطلاً، ولو كان إنسان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فجاء صومه في الجمعة فليصمه.

واستدل بأحاديث الباب التي تنهى عن صوم يوم الجمعة، إلا أن يصوم يوماً قبله، أو يوماً بعده، غير أنه حمل النهي على ظاهره وهو التحريم.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة[٢]، والمالكية[٣]، ويرون جواز صوم يوم الجمعة مطلقاً، سواء أصام يوماً قبله، أو يوماً بعده، أم لا.

واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر، وقلما كان يفطر يوم الجمعة[٤].

وقال مالك في الموطأ: (لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيام الجمعة، وصيامه حسن)[٥].

ويبدو أن الإمام مالكاً معذور في قوله هذا، إذ لم تبلغه الأحاديث التي تنهى إفراد صوم يوم الجمعة، قال الداودي من أصحاب مالك: لم يبلغ مالكاً حديث النهي، ولو بلغه لم يخالفه[٦].

---

(١) المحلى ٢٠/٧.

(٢) تحفة الفقهاء ٣٤٤/١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٧٩/٢، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٣٥١/٢.

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد محمد بن رشيد القرطبي ٢٤٨/١، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٤٣/٢.

(٤) أخرجه أحمد ٤٠٦/١ رقم ٣٨٦٠، وقال محققو المسند: إسناده حسن ٤٠٧/٦.

(٥) الموطأ ٣١١/١، دار إحياء التراث العربي.

(٦) المجموع للنووي ٤٣٩/٦.

والراجح: والله أعلم هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الأول القائلين بالكراهة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام مخصوص، أو صيام يومها من بين الأيام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: التيسير في صيام يوم الجمعة إذا كان في صيام يصومه الإنسان، أو صيام يوم قبله أو بعده.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ والبعد عن المخالفة.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما نهى النبي ﷺ.

خامساً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام مخصوص، أو صيام يومها من بين الأيام:

جاء التصريح بذلك في قوله ﷺ "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام" وما روي عن محمد بن عباد قال: سألت جابراً رضي الله عنه أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال نعم"[2] قال القاضي عياض: قال المهلب: (ووجه نهي رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة وإفراده بذلك خشية أن يستمر عليه فيفرض، أو خشية أن يلتزم الناس من تعظيمه ما التزمه اليهود والنصارى في سبتهم وأَحَدِهم من ترك العمل، وقال الداودي في كتاب النصيحة ما معناه: إن النهي إنما هو عن تحريه واختصاصه دون غيره، وأنه متى صام مع صومه يوماً غيره فقد خرج عن النهي[3]. وقال القرطبي: (ومقصود هذا الحديث ألا يخصَّ يوم الجمعة بصوم يعتقد وجوبه، أو لئلا يلتزم الناس من تعظيمه ما التزمه اليهود في سبتهم من تركهم الأعمال

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٦٢- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٦٣، ١٧٦٤، ١٧٦٥).

(٢) أخرجه البخاري ١٩٨٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض ٤/٩٧.

كلها يُعظِّمونه بذلك)[١].

قال النووي: (قال العلماء: والحكمة في النهي عن الصيام يوم الجمعة، أنه يوم دعاء وذكر وعبادة، من الغسل، والتبكير إلى الصلاة وانتظارها، واستماع الخطبة وإكثار الذكر بعدها، لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٢] وغير ذلك من العبادات في يومها، فاستحب الفطر فيه، فيكون أعون له على هذه الوظائف وأدائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها، من غير ملل ولا سآمة، وهو نظير الحاج يوم عرفة بعرفة فإن السنة له الفطر، وقيل سبب النهي عن تخصيص يوم الجمعة بالصيام خوف المبالغة في تعظيمه، بحيث يفتتن به كما افتتن قوم بالسبت، كما جاء في الحديث النهي الصريح عن تخصيص ليلة الجمعة بصلاة من بين الليالي، وهذا متفق على كراهيته، واحتج به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة، التي تسمى الرغائب قَاتَلَ الله واضعها ومخترعها، فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة وفيها منكرات ظاهرة، وقد صنف جماعة من الأئمة مصنفات نفيسة في تقبيحها، وتضليل مصليها ومبتدعها، ودلائل قبحها وبطلانها، وتضلل فاعلها أكثر من أن تحصر[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: التيسير في صيام يوم الجمعة إذا كان في صيام يصومه الإنسان، أو صيام يوم قبله أو بعده:

جاء ذلك في صريح قوله ﷺ "ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم" إذ أن يوم الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي يتفرغون فيه للعبادة، ويحتفلون بشهي الطعام ولذيذ الشراب، أما إذا كان صومه متصلاً بصوم قبله أو بعده، أو صادف يوماً من الأيام التي يستحب فيها الصوم كيوم عاشوراء وعرفة

---

(١) المفهم ٢٠١/٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ٧٠٨.

ونحوهما فلا بأس بذلك[١] أو أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعد فلا بأس في ذلك[٢] وذلك من ألوان التيسير في الشريعة الإسلامية المبنية على اليسر ورفع الحرج، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٤] فذلك من مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية[٥].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ والبعد عن المخالفة:

من صور هذا الامتثال ما جاء في الأحاديث من نهي عن إفراد يوم الجمعة بصيام أو تخصيص ليلته بقيام "لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم" وقال "لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوماً قبله أو بعده" وقد أمرنا الله بطاعة وامتثال أوامره ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٦] أي مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر[٧]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٨] والتأسي بالنبي ﷺ هو أن نفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعله، من وجوب أو ندب، وأن نترك ما تركه، أو نهى عنه من محرم أو مكروه، كما يشمل التأسي به التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه ﷺ، وعلى ذلك

---

(١) العبادات في الإسلام، د. محمد عبده، ص ٢٨٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، الشيخ ابن عثيمين، ١٨٠٤/٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ص ١٣.

(٦) سورة الحشر، آية: ٧.

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٦٧/٨.

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

فالتأسي والاقتداء شامل لكافة أمور الدين[١]. قال ابن القيم: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها، أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[٢].

وقد أمرنا الله تعالى بالاستجابة للرسول ﷺ والامتثال لأوامره، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾[٣].

وهذه الطاعة وذلك الامتثال ليس كلمات جوفاء، وإنما هي تطبيق عملي لما يرد عن رسول الله ﷺ، فالاستجابة الحقيقية هي التي تحمل صاحبها على الطاعة والإتيان بمراد القول. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾[٤]. وحذرنا الله تعالى من التسويف في الاستجابة، وإنما ينبغي أن يؤتى بالفعل بمجرد علم الإنسان به، ولذا جاء التعبير بـ "إذا" في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾[٥].

إن الاستجابة لله وللرسول ﷺ سبب للرحمة، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ

---

(١) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١٢٤.

(٢) زاد المعاد من هدي خير العباد، الإمام ابن القيم، ٦٩/١، ٧٠.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٠، ٢١.

(٥) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما نهى النبي ﷺ:

جاء ذلك واضحاً فيما روى عن محمد بن عباد أنه قال سألت جابراً رضي الله عنه أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم. ولقد كان الصحابة والسلف الصالح يسألون عن ما كان يعنُّ لهم في شؤون الدين، حتى يعبدوا الله على بصيرة وبينة من أمرهم، وذلك أن الأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم وأن يستوثق مما يعلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2] فذلك إيجاب على طلاب العلم والمعرفة أن يسألوا ويستوضحوا حتى يكونوا على بينة من أمر دينهم[3].

خامساً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

ضرب النبي ﷺ للدعاة في ذلك الأنموذج التطبيقي المثل الحي في مدى ما ينبغي أن يراعيه الداعية من تفقد لأحوال المدعوين، فعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها "أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال أصمت أمس؟ قالت لا، قال تريدين أن تصومي غداً، قالت: لا، قال فأفطري"[4] لقد كان النبي ﷺ دائم التفقد لأحوال الصحابة لا لتجسس ونحوه، وإنما تقييماً وتقويماً لأعمالهم، وإرشاداً إلى الخير وتحذيراً مما سواه، وذلك في جميع المجالات، فمثلاً في المجال الاجتماعي ملاحظته ﷺ بعض الأخطاء التي تقع في الطرقات وتقويمها، روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال رسول الله ﷺ فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد

---

(١) سورة التوبة، آية: ٧١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٨٦.

السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[١].

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما روي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك))[٢].

وفي إرشاده للكبار، روي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: ((دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك، فقال رسول الله ﷺ ما أردت أن تعطيه قالت: أردت أن أعطيه تمراً فقال لها رسول الله أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة))[٣].

تلكم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي يقوم على هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية تؤكد حرص الرسول ﷺ في تربية الناس ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستواهم[٤].

ولقد سار الصحابة من بعده ﷺ والسلف الصالح على نفس الدرب من تفقد لأحوال الناس والمدعوين، ومن النصوص الدالة على ذلك ما جاء في صحيح مسلم، ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيَّةُ سَاعَةٍ هذِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى أَهْلِي حَتَّى سَمِعْتُ النِّدَاءَ...))[٥].

قال النووي: (فيه تفقد الإمام رعيته، وأمرهم بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة وإن كان كبير القدر[٦] فمن شأن الدعوة أن تجعل صاحبها ذا حركة دائبة، لا يكف عن الدعوة، ولا يخمد عن العمل، يزور هذا ويدعو ذاك، ويتحدث إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود ٤٩٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧٦).

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠-٧٣٢.

(٥) أخرجه مسلم ٨٤٥.

(٦) شرح صحيح مسلم ٥٥٦.

آخر ويتحدث إلى كل من يقابله، فالداعية إلى الله لا يخلد إلى راحة ولا يركن إلى دعة، فراحته في تعبه، وسعادته في دعوته)[1].

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ص ٢٥٤.

الحديث رقم (١٧٦٣)

١٧٦٣- وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((لاَ يَصُومَنَّ أحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إلاَّ يَوماً قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أشعة هذا الحديث تتصل بما في الحديث السابق من إشراقات التوجيه النبوي الراشد، وهالات التعاليم المشعة بالسنة المباركة، فالراوي هو أبو هريرة رضي الله عنه في الحديثين، وهذا الحديث يبدأ بالنهي مع الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة، "لا يصومنّ أحدكم"، وبعد قليل من تأمل الأسلوب في الحديثين ندرك أن النهي في الحديث السابق موجه إلى الجماعة حيث يقول: "لا تخصوا" مرتين: أما في هذا الحديث فإن النهي موجه إلى "المفرد": "لا يصومنَّ أحدكم"، ولكن هذا النهي الفردي يتضمن نهياً جماعياً وقوله: "أحدكم"، يفصح عن ذلك حيث أضيف لفظ "أحد" إلى أداة الخطاب "كم" الدالة على الجمع، والمعنى: لا يصومن أي أحد منكم، ولذلك فلا تناقض بين الحديثين، ونهاية الحديث هنا تتفق مع نهاية الحديث السابق، وهو جملة الاستثناء، حيث يجوز أن يصوم المسلم يوم الجمعة إذا كان نَذْراً أو كان مرتبطاً بصيام قبله أو بعده.

وقيل في تعليل النهي عن صيام يوم الجمعة: وقيام: ليلتها، هو: التحذير من تقليد اليهود والنصارى، لأنهم يخصون السبت والأحد بالصيام، وليلتهما بالقيام، زاعمين أنهما أعز أيام الأسبوع، فاستحب أن نخالفهم في طريق تعظيم ما هو أعز الأيام، وهو يوم الجمعة(٢).

المضامين الدعوية[3]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٤٧/١١٤٤). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٤٩).

(٢) دليل الفالحين، ١٧٣٩.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٦٤)

١٧٦٤- وعن محمد بن عَبَّادٍ، قَالَ: سَأَلْتُ جَابِراً رضي الله عنه: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

ما زالت إشعاعات الحديثين السابقين تتوهج وتضيء آفاق المعنى، وترشد كل من يطلب الرشد والهداية ومعرفة موقف رسول الله ﷺ من صوم يوم الجمعة، وهذا الحديث ما هو إلا هالة من هالات الهَدْي النبوي، وهي تتشكل في هيئة سؤال وجواب من خلال هذه المحاورة الصادقة بين تابعي وصحابي، حيث يتوجه محمد بن عباد، وهو ثقه من أوساط التابعين: بالسؤال إلى "الصحابي الجليل جابر رضي الله عنه"، يريد الوقوف على الحكم الصحيح، فقال مستفسرًا: وليس مستغرباً، وليس مستنكراً، ولكنه يريد المعرفة، قال: أَنَهَى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ فأجاب جابر: "نعم"، وفي ما قال جابر رضي الله عنه اختصار وبلاغة: لأن السائل ليس متردداً، وليس شاكاً، وليس منكراً، ولا يحتاج إلى مزيد من التوضيح والإقناع والتوكيد، وقوله: "نعم": فيه إقناع وإرشاد، والتقدير نعم نهى رسول الله ﷺ عن صوم الجمعة، وقال العلماء: حمل النهي على التنزيه لعدم وجود سبب الحرمة فيه. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٨٤) واللفظ له، ومسلم (١١٤٣/١٤٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٥١).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٦٢).

الحديث رقم (١٧٦٥)

١٧٦٥- وعن أُمِّ المُؤمِنِينَ جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: ((أصُمْتِ أمْسِ؟)) قالت: لا، قَال: ((تُرِيدِينَ أنْ تَصُومِي غداً؟)) قالتْ: لاَ. قَالَ: ((فَأَفْطِرِي)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

جويرية بنت الحارث: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٤٣٥).

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار، وما أجمله... وهو حوار بين رسول الله ﷺ وزوجه أم المؤمنين: جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: والحوار هو مَصْدر ذلك النور المتوهج في أحاديث هذا الباب: حيث نبصر هذا المشهد الواقعي، وهذا الشاهد العملي على "كراهية تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة".. وهذا عنوان الباب، وقد بُدئ بالنهي الصريح "لا تخصوا"، وختم بذلك الحوار الهادئ المقنع الذي يعد الاقتداء به من أمثل الطرق وأنجعها في إنجاح الدعوة، وترغيب الناس في الإقبال على الإسلام.

ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر، في قول أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، ولنتأمل حكمة المصطفى ﷺ وطريقته في الإقناع، والتدرج في الحوار: حيث لم يصدر أمره المباشر بعدم الصوم، ولكن قال في مودة وسكينة، "أصُمْتِ أمس"، فتجيب في هدوء ويقين: لا، أي لا: لم أصم أمس، ويستمر التساؤل التدرجي المرغب، حيث قال: أتريدين أن تصومي غداً: قالت: لا.

وبعد هذا الحوار المشحون بالإيقاع الهادئ، والمودة واللطف والرحمة، والمحصّن بالاستمالة والإقناع، أصدر رسول الله ﷺ أمره في يُسْر -وهو يشهد آثار الاقتناع،

---

(١) برقم (١٩٨٦). أورده المنذري في ترغيبه (١٥٥٠).

وجو المودة، وحسن الاستماع- يقول لها رسول الله ﷺ: فأفطري: والفاء للإفصاح، وتومئ إلى المحذوف للإيجاز، والتقدير، فإذا كنت لم تصومي أمس، ولن تصومي غداً فأفطري.

والحديث لم يحدّد إجابة أم المؤمنين لأنها: معروفة: فهي من المسكوت عنه المعروف وقوعه، فهي قد استجابت: وأفطرت، وهل تخالف أم المؤمنين زوجها الرحمة المهداة محمدًا بن عبدالله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين والذي أرسله الله رحمة للعالمين؟؟ عليه الصلاة والسلام.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٦٢).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الوقائية:

يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهو العيد الأسبوعي للمسلمين، وفيه فريضة صلاة الجمعة، ولقاء الجمعة، وفيه ساعة إجابة، لا يصادفها مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له[1].

كل هذه الفضائل قد تجعل المسلم يحرص على تخصيصه بصيام نهاره، وقيام ليلته، فجاءت التربية الوقائية في الأحاديث النبوية سدًا للذريعة من أن يلحق بالدين ما ليس فيه، ويوجب التشبه بأهل الكتاب في تخصيص بعض الأيام بالتجرد من الأعمال الدنيوية، ولما كان هذا اليوم ظاهر الفضل على سائر الأيام، كان الداعي إلى صومه قويًا، فهو مظنة تتابع الناس في صومه، واحتفالهم به بما لا يحتفلون بصوم يوم غيره، وفي ذلك إلحاق بالشرع ما ليس منه.

لذا كانت أهمية التربية الوقائية، بالنهي عن تخصيص ليلة الجمعة بالقيام من بين الليالي، لأنها من أفضل الليالي، فهي مظنة تخصيصها بالعبادة، فحسم الشارع الحكيم الذريعة، وسدها بالنهي عن صيام نهاره وقيام ليلته[2].

وقد نهى النبي ﷺ عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، وتخصيص يوم الجمعة بصيام من بين الأيام فقال: «لاَ تَخْتَصُّوا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي. وَلاَ تَخُصُّوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ. إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ». وقال ﷺ: «لا يصومن أحدكم يوم الجمعة....» وغيره من أحاديث الباب التي جاءت لسد ذريعة تخصيص يوم الجمعة بصوم أو ليلته بصلاة، وهذا ما يظهر جليًا أهمية التربية الوقائية التي انتهجتها الأحاديث النبوية، ومدى فاعليتها في هذا الأمر.

---

(١) انظر: الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ص٢٣.

(٢) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي ٣/٢٣٤.

ثانيًا: من أساليب التربية: السؤال:

السؤال من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي أو المعلم وقد قيل: إن من لا يحسن الاستجواب كيف، ومتى، وأين لا يحسن التدريس أصلاً[١].

وقد كان رسول الله ﷺ يبادر أصحابه أحيانًا بالسؤال لينبههم إلى ما قد يحتمل أن يقعوا فيه من أخطاء أو ليذكرهم بأمر هام لتأكيده أو ليرفع عنهم الإشكال والحرج أو ليعلمهم أشياء أخرى عن طريق ربطها بأشياء في خبراتهم[٢].

وفي هذا الباب نجد النبي ﷺ يسأل أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها عندما دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ قال: «أصُمْتِ أمْسِ؟ قالَتْ: لاَ، قال: تُرِيدِينَ أنْ تَصُومي غَدًا؟ قالَتْ: لاَ، قالَ: فَأفْطِرِي».

فالسؤال من الأساليب المهمة في العملية التربوية والتعليمية، فهو عنصر هام في كل درس، فمن بديهيات التدريس أن يعرف المعلم كيف يوجه الأسئلة، ومتى يوجهها وعن ماذا يسأل، وكيف يصوغ أسئلته بشكل جيد[٣].

كما أن السؤال من الأساليب التي تدفع بالمتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع والفهم والتساؤل عما لا يدركه من حقائق[٤]، وفي هذا الباب نجد محمد بن عباد يسأل جابرًا رضي الله عنه: «أنهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة؟ فقال: نعم».

فأسلوب السؤال يُمَكّن المتعلم من الاستفهام عما لا يدركه من المعلم، ويُمَكّن المعلم من الإجابة والتوجيه الصحيح للمتعلم، فهو أسلوب مفيد في التربية الإسلامية.

---

(١) مبادئ التربية العملية، د. عبدالحميد محمد الهاشمي، ط دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٢م، ص٩٣.

(٢) المرشد النفيس إلى أسلمة التربية وطرق التدريس، د. محمد صالح بن علي حان، ٣٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤٠.

(٤) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص٣٣٣.

٣٤٦- باب تحريم الوصال في الصوم

وَهُوَ أنْ يصوم يَومَين أوْ أكثر وَلاَ يأكل وَلاَ يشرب بينهما

الحديث رقم (١٧٦٦)

١٧٦٦- عن أَبي هريرة[١]، وعائشة[٢] رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوِصَالِ.متفق عَلَيْهِ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الوصال: الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد[٣].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ حريص على أمته، وهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، والعبادة ليست تعذيباً للنفس، ولكنها قربى إلى الله، وسموّ بالنفس، ومقاومة لرغباتها، وأداء للفرائض أداءً مقروناً بالنية الخالصة، والعبودية التامة، وهذا الحديث الموجز يشترك في روايته اثنان من أعلام الصحابة أبو هريرة، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، والحديث جملة لغوية واحدة: يتصدرها التوكيد "بأن" ثم يتصدر لفظ "النبي ﷺ" كلمات الحديث: إيذاناً بالأهمية، وبأن هذا النهي ليس نَهْياً عاماً، ولكنه صادر من رسول الله ﷺ، والمنهي عنه هو الوصال، فالنهي جازم قاطع، والوصال: المراد منه في هذا الحديث، هو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يشرب بينهما، ولم يذكر متعلق الوصال، أو ما يخصه لأن

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣/٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٤)، ومسلم (١١٠٥/٦١).

(٣) فتح الباري ٢٣٨/٤.

القرينة تدل عليه، فالحديث السابق، "عن صوم يوم الجمعة"، وكذلك ارتبط "الوصال بالصوم" في الفقه الإسلامي.

والصيام هو الركن الرابع من أركان الإسلام: وهو في أصله اللغوي بمعنى الإمساك عن الحركة: فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة: خيل صائمة، ومن معانيه المجازية الامتناع، ويقال: صام النهار، وصامت الشمس: أي صارت في كبد السماء: كأنها وقفت في منتصف السماء، وامتنعت عن الحركة وسكنت.

وأما في الشرع فهو الإمساك والامتناع عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس مع النية.

وقد تطور الصوم من معناه اللغوي وهو السكون والثبات إلى المعنى المجازى وهو الانقطاع عن الأكل والشرب والنكاح، وكذلك انقطاع الجوارح وصومها عن كل ما يغضب الله عز وجل، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على: حكم الوصال في الصوم.

والوصال: هو صوم يومين فأكثر، بلا فطر بينهما قصداً.

وقد اختلف الفقهاء في حكم الوصال في الصيام على ثلاثة آراء:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[1]، والمالكية[2]، والشافعية[3]، ويرون أن الوصال في الصوم مكروه، وليس محرماً.

واستدلوا على ذلك بأن النبي ﷺ واصل بأصحابه، ولو كان حراماً ما

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن نجيم ٢٧٨/٢، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٢٦/١، وتحفة الفقهاء ٣٤٤/١.

(٢) الشرح الكبير للدردير ٢١٣/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٢١٣/٢، والفواكه الدواني ٣٠٥/١.

(٣) الوسيط للغزالي ٥٣٨/٢، وروضة الطالبين ٣٦٨/٢، والمجموع ٣٧٤/٦.

واصل بهم[١].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الظاهرية[٢]، ويرون أن الوصال في الصيام حرام واستدلوا بأحاديث الباب التي تنهى عن الوصال في الصوم، وحمل النهي على ظاهره من التحريم.

ويُنَاقَشُ هذا: بوجود الصارف عن التحريم إلى الكراهة، وهو ما روي أن سبب نهي النبي ﷺ عن الوصال في الصيام هو الإبقاء على أصحابه دون أن يحرمه عليهم[٣].

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[٤]، وبعض المالكية[٥]، وإسحاق وابن المنذر[٦]، ويرون جواز الوصال في الصوم إلى السحر، ويكره الزائد على ذلك.

واستدلوا على ذلك بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تواصلوا، فأيكم أراد أن يواصل، فليواصل حتى السحر"[٧]. ولأن مثل هذا الوصال لا يترتب عليه مشقة[٨].

أقول: إن ما ذهب إليه أصحاب هذا الرأي لا يسمى وصالاً حقيقة، لأن حقيقة الوصال أن يصوم يومين فأكثر.

أما عدم الفطر إلى السحر فلا يسمى وصالاً، لذلك فإن هذا الرأي لا يختلف كثيراً عن رأي الجمهور.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ١١٠٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: "فلما أبو أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يوماً، ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبو أن ينتهوا.

(٢) المحلى لابن حزم ٢٢/٧.

(٣) أخرجه أبو داود ٢٣٧٤ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسولا لله ﷺ نهى عن الحجامة والمواصلة ولم يحرمهما إبقاءً على أصحابه. وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر ١٠٩٢/١ ط بيت الأفكار الدولية، شرح الحديث ١٩٦١ وما بعده.

(٤) المبدع ٥٦/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن المرداوي ٣٥٠/٣، والروض المربع ٤٤١/١، والكافي ٣٦١/١.

(٥) كابن وهب، شرح الزرقاني على الموطأ ٢٤٣/٢.

(٦) الزرقاني على الموطأ ٢٤٣/٢.

(٧) أخرجه البخاري ١٩٦٣.

(٨) الدين الخالص ٣٨٦/٨.

والراجح: هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من القول بالكراهة، لأن الأدلة ناطقة بالكراهة، ولأن من الصحابة من واصل بعد النهي[1] فدل ذلك على أنه للتنزيه لا للتحريم.

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن وصاله في الصيام.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ في وصاله في الصيام.

رابعاً: من أهداف الدعوة: التيسير وعدم المشقة على الناس.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد النهي فيما روي عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن الوصال، ورواية ابن عمر "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية النافعة، وذلك لما فيه من التعريف بالمخالفات الشرعية والنهي عنها والتحذير منها، وقد تكرر استعماله كثيراً في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[3] وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[4].

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عن وصاله في الصيام:

وذلك واضح فيما جاء في الحديث "قالوا: إنك تواصل" أي ونحن مأمورون

---

(١) انظر: فتح الباري ١/١٠٩٣ ط/ بيت الأفكار، شرح الحديث ١٩٦٤.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٦٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٦٧).

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) سورة الحجرات، الآيتان: ١، ٢.

باتباعك فيما تفعل[١] وسؤال الصحابي يدل على ما كانوا عليه من حب للمعرفة وسؤال النبي ﷺ عن كل ما يعنُّ لهم حتى يعبدوا الله على بصيرة وبينة من أمرهم، وامتثالاً لمثل أمر الله عز وجل ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] فمن الأمور المستحبة السؤال على وجه التبيين والتعلم عما تمس إليه الحاجة من أمور الدين أو الدنيا، بل قد يكون مأموراً به، وذلك في الأمور التي تتوقف عليها صحة العبادات ونحوها[٣]. فلا يليق بمسلم يريد أن يعبد الله على بصيرة، وأن يكون عنده قسط من علم أن يستحي من السؤال، وقد عَدّ الإمام الغزي من آداب المتعلم أن لا يستحي من السؤال عما أشكل عليه، بل يستوضحه أكمل استيضاح، فمن رقَّ وجهه رقَّ علمه، ومن رقَّ وجهه عند السؤال، ظهر نقصه عند اجتماع الرجال[٤].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: بيان خصوصية النبي ﷺ في وصاله في الصيام:

إن الوصال في الصيام من خصائص رسول الله ﷺ فهو جائز له حرام على أمته، لما فيه من الغلو والمبالغة التي لا يصلح بها حال العباد[٥]، وقد جاء في الحديث النهي عن الوصال كما في قول عائشة وابن عمر رضي الله عنهما "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال قالوا: إنك تواصل؟ قال: إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى" قال الحافظ ابن حجر: (واستدل بهذا على أن الوصال من خصائصه ﷺ، وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن إلى السحر[٦].

قال ابن عثيمين: (ومعنى الوصال: أن يقرن الإنسان بين يومين في الصيام، فلا يفطر بينهما، والله سبحانه وتعالى حدد الصيام في قوله: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ

---

(١) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٧٤٠.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٣) الموسوعة الفقهية، /٩٦.

(٤) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين بن محمد الغزن ص ١٥١.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٧٩٨.

(٦) فتح الباري ٤/ ٢٤٠.

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ ﴾[١].

قال: "ثم أتموا الصيام إلى الليل..." فحد الله ابتداء الصيام وانتهاءه، وقال النبي ﷺ: ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر))[٢] هذا هو المشروع، أن الإنسان يبادر بالفطور ولا يتأخر، ولا يحل له أن يواصل بين يومين، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: ((أيكم أراد أن يواصل فليواصل إلى السَّحر))[٣]، فأذن ﷺ بالمواصلة إلى السحر، يعني وليتسحر في آخر الليل، وبهذا تبين أن للصائم ثلاث حالات:

أ- أن يبادر بالإفطار بعد غروب الشمس، وهذه هي السنة والأفضل والأكمل.

ب- أن يتأخر إلى السحر، وهذا جائز لكنه خلاف الأولى.

ج- ألا يفطر بين يومين، بل يواصل وهذه حرام على ما ذهب إليه المؤلف ، وهذا هو الأقرب؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الوصال، فواصلوا ﷺ ظناً منهم أنه إنما نهى عنه من أجل الرفق بهم والشفقة عليهم، وقالوا: نحن نتحمل؟ فواصلوا، فتركهم، وواصلوا، حتى هلَّ الشهر -شهر شوال- فقال: ((لو تأخر الهلال لزدتكم))[٤] كالمُنكر لهم، وهذا يدل على التحريم، وذهب بعض العلماء إلى كراهة الوصال دون التحريم؛ لأن العلة هي الرفق بالإنسان، والإنسان أمير نفسه، لكن الأقرب أن الوصال قد نهي النبي ﷺ عنه، ولأن النبي ﷺ واصل بهم يوماً، ويوماً ويوماً حتى رؤي الهلال، وقال: "لو تأخر لزدتكم". والله أعلم)[٥].

وقال النووي: (قال الخطابي وغيره من أصحابنا: الوصال من الخصائص التي أبيحت لرسول الله ﷺ وحرمت على الأمة[٦] فمما سبق يتضح أن من خصائصه ﷺ مواصلة

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٩٥٧، ومسلم ٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٦٣.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٦٥، ومسلم ٥٧.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٨٠٦/٢، ١٨٠٧.

(٦) شرح صحيح مسلم ٨١٢.

الصوم، فيصوم يومين متتالين لا يفطر إلا في نهاية اليوم الثاني، ولم يؤذن لأحد من أمته في ذلك، والوصال من الخصائص التي اختص الله بها رسول الله ﷺ، وذلك لكماله الذاتي والروحي)[١].

رابعاً- من أهداف الدعوة: التيسير وعدم المشقة على الناس:

إن تحريم الوصال في الصيام ونهيه ﷺ عنه "نهى رسول الله ﷺ عن الوصال" من مظاهر تيسير الشريعة الإسلامية وعدم المشقة على الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٢] وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[٣]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[٤] ففي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله شرع الأحكام سهلة ميسرة على العباد، فما من عمل من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهو في وسع المكلف وفي مقتضى إدراكه[٥]. ولقد وصف الله رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٦] فجاءت شريعته ﷺ مبنية على التيسير والسهولة والتخفيف والرحمة، ورفع الحرج والآصار والأغلال، مما يلائم اختلاف الأجيال وحاجات العصور وشتى البقاع[٧]. وبذلك تميز الإسلام عن غيره من التشريعات بأنه دين الحنيفية السمحة، وللشرع مقاصد، منها المقاصد العامة، وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، ويدخل في المقاصد العامة أوصاف الشريعة "مثل الفطرة والسماحة واليسر" وغايتها العامة "درء المفاسد

---

(١) انظر: هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبوبكر جابر الجزائري، ص ٣٨٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٨.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) سورة النساء، آية: ٢٨.

(٥) انظر: مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، ١٠.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

(٧) موسوعة نضرة النعيم، ٥٠٧/١.

وجلب المصالح" وقال ﷺ: ((وإن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه))[١]. ومعنى الحديث أن العبادة ميسرة، والمبالغة فيهالا تعني أن المرء يستطيع بلوغ حد الكمال[٢].

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩.

(٢) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ٨٩.

الحديث رقم (١٧٦٧)

١٧٦٧- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى رسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الوِصَالِ. قالوا: إنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: ((إنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)). متفق عَلَيْهِ[1]. وهذا لفظ البخاري.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن توجيه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم تتنوع أساليبه، وتتعدد مداخله، وتتشكل طرقه حسب السياق، والموقف، والمناسبة، وهذا الحديث صورة مشرقة، وأسلوب مضيء من أساليب المصطفى ﷺ في إرساء دعائم سنته، ومعالم العقيدة، وأسس العبادة.

ويبدأ الحديث بأسلوب خبري يتمثل في إرساء القاعدة الشرعية وهي أنه "نهى عن الوصال".

ثم فجأة يظهر في أفق الحديث صوت جماعي: وهو صوت بعض الصحابة رضي الله عنهم، "قالوا: إنك تواصل"، وفي هذا الإخبار المواجه لرسول الله ﷺ إيجاز وإيحاء، وهو ليس اعتراضاً من الصحابة رضي الله عنهم، ولكنه رغبة في توضيح الموقف، وتقدير الكلام، إنك تواصل، ونحن مأمورون بالاقتداء بك في ذلك، فكيف لا نواصل؟ ويوضح الموقف رسول الله ﷺ، ويزيل الشبهة، وينير الطريق أمام صحابته رضي الله عنهم والمسلمين جميعاً، ويؤكد أن له خصوصية فقال: "إني لست مثلكم" في هذا الشأن، ثم أعاد التأكيد مرة أخرى، وقال: "إني أطعم وأسقى"، والبناء للمجهول هنا في هذين الفعلين يفيد بأن الذي يطعمه ويسقيه هو ربه جلَّ وعلا، وقيل إن هذا كناية عن جعل القوة فيه: أي أن الله تعالى يجعله في قوة الطاعم والشارب، وفي رواية يأتي الفعلان مبنيان للمعلوم حيث يقول: إني

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٢) واللفظ له، ومسلم (١١٠٢/٥٥).

أبيت يطعمني ربي ويسقيني، والدليل على ذلك أن جسمه ﷺ كان يُرى أشد نضارة من المترفهين بالنعم الدنيا، وكان يتألم من الجوع أحياناً: ولكن كل من رآه لا يظن به جوعاً.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن

تميزت التربية الإسلامية، بالتوازن الذي يجمع بين الشيء ومقابله في اتساق وتناسق، بلا غلو ولا تفريط، من ذلك التوازن بين حق الجسم وحق الروح، فلا حرمان للجسم يصل إلى حد التعذيب كما في البرهمية الهندية، والمانوية الفارسية، والرواقية اليونانية، والرهبانية المسيحية ونحوها، ولا إغفال لأمر الروح كما هو في اليهودية إلى حد كبير في المذاهب المادية التي لم تعترف للروح بوجود فضلاً أن يكون لها حق[1].

والتوازن في القيم الإسلامية جعلها تجمع بين الدنيا والآخرة فلا إفراط ولا تفريط، فلا يطغى الإنسان بما أعطى ويترك الأخرة، ولا يعرض عن الدنيا ويحتقرها ويعيش عيشة الرهبان، بل إن فيه نزعة مادية وروحية، فهو عبارة عن جسم يطلب حقه مما خرج من الأرض من متاع وزينة وعنصر روحي يتمثل في الروح التي تتطلع إلى هداها من السماء.

وقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على توجيه أصحابه إلى التوازن المقسط بين دينهم ودنياهم، وبين حظ أنفسهم، وحق ربهم، بين متعة البدن، ونعيم الروح، فإذا رأى في بعضهم غلوًا في جانب قوّمه بالحكمة ورده إلى سواء الصراط[2]. من أجل ذلك التوازن جاء حديث أبي هريرة، وعائشة رضي الله عنهما، «أن النبي ﷺ نهى عن الوصال»

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما حيث قال: «نَهى رسولُ الله ﷺ عنِ الوِصالِ، قالوا: إنكَ تُواصِلُ، قال: إني لستُ مِثلَكم، إني أُطْعَمُ وأُسقى».

فالصيام من أفضل العبادات وأقربها إلى الله، ولكن الوصال فيه إفراط في التعبد على حساب الجسم، من أجل ذلك نهى النبي ﷺ عن الوصال في الصيام لإقامة التوازن بين مطالب الدين والدنيا.

---

(١) انظر: مدخل لمعرفة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٠٨، ١٠٩، نقلًا، عن القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع، ص١٦٢، ١٦٣.

(٢) انظر: الخصائص العامة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٠- ١٤٤.

ولما رأى النبي ﷺ في بعض أصحابه إفراطًا في التعبد والصيام والقيام على حساب جسمه وأهله، ومجتمعه قال له: «فإِنَّ لجسدِكَ عليكَ حقًا، وإِنَّ لعَينِكَ عليكَ حقًا، وإنَّ لزَوجكِ عليكَ حقًا، وإِنَّ لزَورِكَ عليكَ حقًا»(١).

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر والتزم الثاني أن يقوم فلا ينام، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدًا. قال لهم: «أَمَا وَاللَّهِ إِني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِني أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِني»(٢).

وهكذا تعلم الصحابة رضي الله عنهم أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وان يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة(٣).

ومما سبق يتبين أن التربية الإسلامية تتسم بالتوازن، فهي تربية متوازنة في روحها وتوجيهاتها حيث تعمل على بناء الإنسان المتوازن الموضوعي في أقواله وأفعاله وسلوكياته التي يتعامل من خلالها مع الناس، ولاشك أن التربية المتوازنة تعمل على ترسيخ المبادئ والقيم في حياة المسلم، ولاشك أن التوازن مطلب حياتي للإنسان، لأنه سبب من أسباب الالتزام والمواظبة على الطاعات والسلوكيات الحميدة، ومن ثم فإن التوازن يجنب المسلم الملل والنفور، وهذا أمر تربوي مهم للغاية.

فعلى المربي أن يحرص على بيان أهمية التوازن بين مطالب الجسد والروح، لأن الإنسان عندما ينحرف بطاقة من طاقاته على حساب البقية، فإنه يترتب على ذلك اختلال في الشخصية وجهل بمبادئ الإسلام، وعدم إدراك لأهدافه السامية، وغاياته الإنسانية، ولذا نجد الإسلام يحرص أشد الحرص على تحقيق التوازن ويجعله هدفًا أساسيًا في منهجه(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، ١٩٧٥، ومسلم، ١١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، ٥٠٦٣.

(٣) انظر: الخصائص العامة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص١٤٤- ١٤٧.

(٤) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٢هـ، ١/٢٦-٢٩.

إن التربية الإسلامية تحقق توازنًا بين النظرية والتطبيق، وتوازنًا بين الحياة الدنيا والآخرة، وتوازنًا بين أشواق الفرد الروحية وتلبية حاجاته المادية والاجتماعية، وهذا التوازن في التربية الإسلامية يجعلها أقرب ما تكون إلى طبيعة الأشياء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

فالتربية الإسلامية ليست تربية مادية فقط، ولا تربية روحية فقط. مثل بعض التربيات التي تضحي بالجسد لحساب الروح أو التي تهتم بتنمية العقل على حساب الروح، ولكنها مزيج متوازن بين الجوانب الروحية والمادية بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[2].

ومن مظاهر التوازن في الإسلام يأتي حق النفس على الإنسان: أن يروح عنها وأن يعطيها من الراحة والأمن والطمأنينة والغذاء والتسلية والهدوء في حدود ما أباحه الله، والإسلام لا يرضى إرهاق النفس في طلب العبادة[3].

ثانيًا: الحوار الإقناعي:

من أساليب التربية الفعالة أسلوب الإقناع، وقد كان رسول الله ﷺ يحاور في سبيل الإقناع وإقامة الحجة من ذلك حواره ﷺ مع الصحابة عندما نهاهم عن الوصال، فقالوا: إنك تواصل. قال: (إني لست مثلكم، وإني أطعم وأسقى) فهذا الحوار النبوي الذي يبين فيه ﷺ سبب مواصلته ﷺ بأن الله خصه بما لم يخصهم به.

فالحوار الإقناعي في التربية الإسلامية من الوسائل الناجحة لإقناع من يوجه إليهم الحوار، وهو وسيلة ناجحة في التدريس، إذ أنه وسيلة للتعليم والإقناع، وإلزام الخصم بالحجة[4].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٧٦، ٧٧.

(٤) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ص١٨٧، ١٨٨.

٣٤٧- باب تحريم الجلوس عَلَى قبر

الحديث رقم (١٧٦٨)

١٧٦٨- عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((لأنْ يَجْلِسَ أحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

الجمرة: القطعة الملتهبة من النار[2].

الشرح الأدبي

إن للقبور حرمتها في الإسلام، وهذه الحرمة يجب أن تصان، صوناً لكرامة الميت، وحرصاً على طهارة المكان، لأن المارّ على القبور يلقي السلام على أرواح الذين رحلوا إلى الآخرة: قائلاً: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحْن اللاحقون، والقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

وأسلوب الحديث الشريف يجنح إلى الترهيب والوعيد الذي ينذر كل من يجلس على القبر لقضاء الحاجة: البول أو الغائط: بالعذاب الشديد.

وهذا العذاب لم يقدمه البيان النبوي تقديماً مباشراً في صورة تقريرية جازمة، ولكنه قدَّمه في إطار فني مشوق يدعو للرهبة والخشية، حيث بدأ الحديث بالمصدر المؤول: وهو قوله "لأن يجلس أحدكم"، والتقدير: جلوس أحدكم، واللام في أول هذه الجملة تشعر بالقسم وكأنه يقول: والله لأن يجلس أحدكم.

---

(١) برقم (٩٦/٩٧١). أورده المنذري في ترغيبه (٥٢٢٧).

(٢) الوسيط في (ج م ر).

ولنتأمل: مكان الجلوس: وهو قوله: "على جَمْرة": وهل يطيق أحد الجلوس على الجمر المشتعل؟ وتداعيات الجلوس وآثاره تتجسد في اكتمال الصورة من خلال قوله: "فتحرق ثيابه فتخلص إلى جسده"، والعطف بالفاء في الجملتين يفيد سرعة حرْق الثياب وحرْق الجلد، واستمرار ذلك..، إن هذه الصورة الرهيبة، وهذا الحدث الجلل حرْق الثياب، وحرْق الجلد، والجلوس على الجَمْر، هي إنذار لكل من تسول له نفسه بانتهاك حرمات الموتى، فكأن الجلوس على القبر والتبول، والتغوط عليه أو بجواره أشد من الجلوس على النار.

ولذلك يأتي تمام الجملة الحديثية ليكشف عن مقصد الحديث في هذا الأسلوب الترهيبي التصويري البليغ: حيث يقول رسول الله ﷺ: خير له من أن يجلس على قبر: والجلوس ليس محرَّماً لذاته، ولكن لما يتسبب عنه من إيذاء وأفعال منكرة محرمة، والله أعلم.

فقه الحديث

ويشتمل هذا الحديث على حكم الجلوس على القبر، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٥٩) من الكتاب، فلا حاجة بنا إلى التكرار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: عدم الجلوس على القبر.

ثانياً: من أساليب الدعوة: التمثيل.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: عدم الجلوس على القبر:

أكد الإسلام حرمة العرض والكرامة للإنسان، فلا يجوز أن يُؤْذى إنسان في حضرته ولا أن يُهان في غيبته، سواء أكان هذا الإيذاء للجسم بالفعل أم للنفس بالقول، فربما كان جرح القلب بالكلام أشد من جرح الأبدان بالسياط أو السنان، وبذلك حافظ الإسلام على كرامة الإنسان وحماها من الإهانة.

ولم يكتف الإسلام بحماية الإنسان في حالة حياته، فكفل له الاحترام بعد مماته[١].

ومن ألوان الاحترام وأشكاله للميت نهى الإسلام عن الجلوس على قبره، ورهب من ذلك كما جاء في الحديث في قوله ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر".

قال القرطبي: (وقوله: "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه خيرٌ له من أن يجلس على قبر" اختلف في معناه: فمنهم من حمله على ظاهره من الجلوس، ورأى أنَّ القبر يُحترم كما يحترم المسلم المدفون فيه، فيعامل بالأدب، وبالتسليم عليه، وبغير ذلك. ومنهم من تأوله: على أنه كنايةٌ عن إلقاء الحدث في القبور، وهو تأولُ مالك. ولاشكَّ في أن التخلّي على القبور وبينها ممنوعٌ، إما بهذا الحديث، وإما بغيره، لحديث الملاعن الثلاث، فإنه مجلسُ الزائر للقبر، فهو في معنى التخلّي في الظلال، والطرق، والشجر المثمر، وغير ذلك، ولأن ذلك استهانةٌ بالميت المسلم، وأذى لأوليائه الأحياء[٢].

قال النووي: (قال أصحابنا: القعود على القبر حرام وكذا الاستناد إليه والاتكاء عليه[٣] وذلك لما فيه من انتهاك حرمة الميت[٤] والاستخفاف بحق أخيه المسلم[٥]. ولبيان مدى حرمة القبر ومدى إثمه والترهيب من ذلك، قال النبي ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على القبر". إذ أن القبر محترم شرعاً توقيراً للميت[٦].

قال ابن عثيمين: (وهذا يدل على التحريم، وأنه لا يجوز للإنسان أن يجلس على قبر

---

(١) انظر: الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ٨٧.

(٢) المفهم ٦٢٧/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم ٦١٨.

(٤) دليل الفالحين، الإمام ابن علان، ص ١٧٤١.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٣٨١/٣.

(٦) الموسوعة الفقهية ٢٤٥/٣٢.

مسلم، وإذا أراد أن يجلس فيجلس من وراء القبر، يجعل القبر خلف ظهره أو عن يمينه أو عن شماله، وأما أن يجلس عليه فهذا حرام)[١].

ثانياً- من أساليب الدعوة: التمثيل:

ورد ذلك في بيانه ﷺ لمدى إثم الجلوس على القبر وامتهان حرمته، وأن الجلوس على جمر من نار خير من ذلك فقال ﷺ "لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر" فجعل الجلوس على القبر وسراية مضرته إلى قلبه -وهو لا يشعر- بمنزلة سراية النار من الثوب إلى الجلد ثم إلى داخله[٢]. وفي ذلك ضرب للمثل، وذلك تقريباً إلى الأفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية[٣]، ولقد كان رسول الله ﷺ يستعين على توضيح المواعظ بضرب المثل، مما يشاهده الناس بأم أعينهم، ويقع تحت حواسهم، وفي متناول أيديهم، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ)[٤]، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ ((مَثَلُ المؤمنِ الذي يَقرأ القرآن كالأترُجةِ ريحُها طيبٌ وطعمُها طيبٌ، والذي لا يقرأ كالتَّمرةِ طعمُها طيبٌ لا رِيحَ لها، ومثلَ الفاجرِ الذي يَقرأُ القرآنَ كمثل الرَّيحانةِ رِيحُها طيبٌ وطعمُها مُرٌّ، ومَثَلُ الفاجرِ الذي لا يَقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طعمُها مُرٌّ ولا ريحَ لها))[٥].

إن الأمثال تبرز المعقول في صورة المحسوس، الذي يلمسه الناس، فتقبله العقول، لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وتجمع الأمثال المعنى الرائع في عبارة موجزة. ويضرب المثل للترغيب في الممثل به حين يكون مما ترغب

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٠٧/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٨١/٣.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ص ٣٣١.

(٤) التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي، ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٢٠، ومسلم ٧٩٧.

فيه النفوس، ويضرب المثل للتنفير حينما يكون الممثل به، مما تكرهه النفوس، ويضرب المثل لمدح الممثل به، ويضرب المثل حين يكون المُمَثَّلُ به فيه صفة يستحقها الناس[١]. أو تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد.

ومنها: إن للأمثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر، وإيقاظ النفوس، وتجديد نشاطها، فالإنسان يميل بطبيعته إلى الاستشهاد بالأمثال، لما يرى فيها من جمال حكمتها، ولطافة لفظها، وإصابتها المعنى[٢].

ومنها: إن الأمثال وسيلة من وسائل الإقناع، فإن المورد للمثل، إنما هو في الحقيقة يقيس الأمر الذي يدعيه على أمر معروف ومسلم به عند من يخاطبه، ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم.

وقد استعمل رسول الله ﷺ المثل وسيلة من وسائل التربية بنواحيها المختلفة: الروحية والخلقية والاجتماعية والجسدية والعلمية والإيمانية والنفسية[٣].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

لقد ورد هذا الأسلوب الدعوي في الحديث من ترهيبه ﷺ من الجلوس على القبر وبيَّن ﷺ أن الجلوس على الجمر خير من ذلك، والترهيب يعد من الأساليب الدعوية الناجعة في تخويف المدعو وحمله على الامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ، فهو يساعد الداعية على أن يتوغل في أعماق المدعو فيحمله على ترك ما رهب منه، (وعلى الداعية أن يكون حكيماً في أداء هذا الأسلوب، فلا يجعل حديثه كله ترهيباً...، بل يناوب بينه وبين الترغيب، حتى لا يطغى جانب القنوط على جانب التمني والرجاء)[٤].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ص ٣٤٢.

(٢) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، د. عبدالغني محمد، ص ٢٩٩.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٤٢٤.

(٤) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان يوسف، ١٠١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على احترام القبر:

تهدف التربية الإسلامية إلى احترام الإنسان حيًا وميتًا، ومن احترام الإنسان ميتًا احترام قبره فلا يجلس عليه أو يوطأ بالنعال.

وقد كان من هدي رسولنا الكريم ﷺ أن لا تهان القبور وتوطأ، وألا يُجلس عليها[1].

لذلك قال ﷺ: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ».

ومما يدل على احترام القبر نهي رسول الله ﷺ عن المشي في الحذاء بين القبور، فعن بَشِيرٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ زَحْمُ بنُ مَعْبَدٍ، فَهَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا اسْمُكَ؟ فقالَ زَحْمٌ، قالَ: بَلْ أَنْتَ بَشِيرٌ قال: «بَيْنَمَا أَنَا أُمَاشِي رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فقالَ: لَقَدْ سَبَقَ هؤُلاَءِ خَيْرًا كَثِيرًا ثَلاثًا، ثُمَّ مَرَّ بِقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ فقالَ: لَقَدْ أَدْرَكَ هؤُلاَءِ خَيْرًا كَثِيرًا، ثُمَّ حَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَظْرَةٌ فَإِذَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي الْقُبُورِ عَلَيْهِ نَعْلاَنِ، فقالَ يَاصَاحِبَ السِّبْتِيَّتَيْنِ[2]: وَيْحَكَ أَلْقِ سِبْتِيَّتَيْكَ، فَنَظَرَ الرَّجُلُ، فَلَمَّا عَرَفَ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَلَعَهُمَا فَرَمَى بِهِمَا»[3].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ»[4].

ومن تدبر نهي النبي ﷺ عن الجلوس على القبر، والاتكاء عليه، والوطء عليه علم أن النهي إنما كان احترامًا لسكانها أن يوطأ بالنعال فوق رؤوسهم، ولهذا ينهي

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ٥٢٦/١.

(٢) السبت بالكسر؛ جلود البقر المدبوغة بالقرظ يتخذ منها النعال....، وإنما أمره بالخلع احترامًا للمقابر، لأنه كان يمشي بينها وقيل: لأنها بها قذر، أو لاختياله في مشيه، النهاية في غريب الحديث، ص٤١٢.

(٣) أخرجه أبو داود، ٣٢٣٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي دواد، ٢٧٦٧).

(٤) أخرجه البخاري، ١٣٧٤، ومسلم، ٢٨٧٠.

عن التغوط بين القبور، وأخبر النبي ﷺ أن الجلوس على الجمر حتى تحرق الثياب خير من الجلوس على القبر.

ومعلوم أن هذا أخف من المشي بين القبور بالنعال. وبالجملة: فاحترام الميت في قبره بمنزلة احترامه في داره التي كان يسكنها في الدنيا فإن القبر قد صار داره.

ومما يؤكد أهمية احترام الميت قوله ﷺ: «كَسْرُ عَظْمِ المَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»[1]. فدل على أن احترامه في قبره كاحترامه في داره، والقبور هي ديار الموتى، ومنازلهم، وعليها تنزل الرحمة من ربهم، فكيف يستبعد أن يكون من محاسن الشريعة: إكرام هذه المنازل عن وطئها بالنعال واحترامها؟ بل هذا من تمام محاسنها، وشاهده ما ذكرناه من وطئها، والجلوس عليها والاتكاء عليها[2].

ثانيًا: التربية بالترهيب:

الترهيب من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في أي زمان ومكان، لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، فهو وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على القيام بسلوك غير مرغوب فيه[3].

وقد رهب رسول الله ﷺ من الجلوس على القبر فقال: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ، فَتَخْلُصَ إِلَىٰ جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَىٰ قَبْرٍ». وفي ذلك ترهيب شديد لمن يجلس على القبور.

وأسلوب الترهيب من أساليب التربية المهمة فهو يؤدي دورًا مهمًا في سلوك الأبناء خاصة إذا أُحسن استخدامه، وإذا أدرك الأبناء من خلال هذا الأسلوب النتائج التي يمكن أن تترتب على سلوكهم غير المقبول[4].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٢٠٧، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود، ٢٧٤٦).

(٢) انظر: جامع الفقه "موسوعة الأعمال الكاملة للإمام ابن القيم"، جمعه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه، يسري السيد محمد، ٢/٥٠٥-٥٠٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية/محمد شحات الخطيب وآخرون، ص٨٤.

(٤) المرجع السابق، ص٨٥.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٠٥-باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك وتحريم اتخاذ الصور في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والامر بإتلاف الصورة	٥
الحديث رقم (١٦٨٠)	٥
الحديث رقم (١٦٨١)	١٨
الحديث رقم (١٦٨٢)	٢١
الحديث رقم (١٦٨٣)	٢٣
الحديث رقم (١٦٨٤)	٢٥
الحديث رقم (١٦٨٥)	٢٧
الحديث رقم (١٦٨٦)	٢٩
الحديث رقم (١٦٨٧)	٣٨
الحديث رقم (١٦٨٨)	٤٠
الحديث رقم (١٦٨٩)	٤٢
٣٠٦-باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع	٥٦
الحديث رقم (١٦٩٠)	٥٦
الحديث رقم (١٦٩١)	٦٢
٣٠٧-باب كراهية تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب	٦٧
الحديث رقم (١٦٩٢)	٦٧
الحديث رقم (١٦٩٣)	٧٣
٣٠٨-باب كراهة ركوب الجَلَّالة وهي البعير أو الناقة التي تأكل العَذرة فإن أكلت علفًا طاهرًا فطاب لَحمُهَا، زالت الكراهية	٧٦
الحديث رقم (١٦٩٤)	٧٦
٣٠٩-باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار	٨٣
الحديث رقم (١٦٩٥)	٨٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٦٩٦)	٩٦
الحديث رقم (١٦٩٧)	٩٨
٣١٠-باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات	١٠٤
الحديث رقم (١٦٩٨)	١٠٤
الحديث رقم (١٦٩٩)	١٠٢
الحديث رقم (١٧٠٠)	١٢٤
الحديث رقم (١٧٠١)	١٢٦
الحديث رقم (١٧٠٢)	١٢٩
٣١١-باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو غيره له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة	١٣٥
الحديث رقم (١٧٠٣)	١٣٥
الحديث رقم (١٧٠٤)	١٤٩
الحديث رقم (١٧٠٥)	١٥١
الحديث رقم (١٧٠٦)	١٥٣
٣١٢-باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء	١٥٩
الحديث رقم (١٧٠٧)	١٥٩
٣١٣-باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتّى يضحّي	١٦٩
الحديث رقم (١٧٠٨)	١٦٩
٣١٤-باب النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة وهي من أشدها نهيًا	١٧٨
الحديث رقم (١٧٠٩)	١٧٨

الموضـــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٧١٠)	١٩٤
الحديث رقم (١٧١١)	١٩٦
الحديث رقم (١٧١٢)	١٩٩
الحديث رقم (١٧١٣)	٢٠٢
٣١٥-باب تغليظ اليمين الكاذبة عمدًا	٢٠٦
الحديث رقم (١٧١٤)	٢٠٦
الحديث رقم (١٧١٥)	٢١٩
الحديث رقم (١٧١٦)	٢٢١
٣١٦-باب ندب من حلف عَلَى يَمينٍ فرأى غيرها خيرًا مِنهَا أنْ يفعل ذلك المحلوف عليه ثُمَّ يُكَفِّر عن يمينه	٢٣١
الحديث رقم (١٧١٧)	٢٣١
الحديث رقم (١٧١٨)	٢٤٣
الحديث رقم (١٧١٩)	٢٤٥
الحديث رقم (١٧٢٠)	٢٤٧
٣١٧-باب العفو عن لغو اليمين وأنَّه لا كفارة فيه، وَهُوَ مَا يجري عَلى اللسان بغير قصد اليمين كقوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذَلِكَ	٢٥٢
الحديث رقم (١٧٢١)	٢٥٢
٣١٨-باب كراهة الحلف في البيع وإنْ كان صادقًا	٢٦٢
الحديث رقم (١٧٢٢)	٢٦٢
الحديث رقم (١٧٢٣)	٢٦٨
٣١٩-باب كراهة أنْ يسأل الإنسان بوجه الله عزوجل غير الجنة، وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به	٢٧٤
الحديث رقم (١٧٢٤)	٢٧٤
الحديث رقم (١٧٢٥)	٢٨٢
٣٢٠-باب تحريم قوله: شاهان شاه للسلطان وغيره لأن معناه: ملك الملوك، ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى	٢٩٤
الحديث رقم (١٧٢٦)	٢٩٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٢١-باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسَيِّد ونحوه	٣٠٣
الحديث رقم (١٧٢٧)	٣٠٣
٣٢٢-باب كراهة سب الحمّى	٣١١
الحديث رقم (١٧٢٨)	٣١١
٣٢٣-باب النهي عن سب الريح، وبيان ما يقال عند هبوبها	٣٢٢
الحديث رقم (١٧٢٩)	٣٢٢
الحديث رقم (١٧٣٠)	٣٣٠
الحديث رقم (١٧٣١)	٣٣٢
٣٢٤-باب كراهة سب الديك	٣٣٨
الحديث رقم (١٧٣٢)	٣٣٨
٣٢٥-باب النهي عن قول الإنسان: مُطِرنا بنوء كذا	٣٤٧
الحديث رقم (١٧٣٣)	٣٤٧
٣٢٦-باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر	٣٥٩
الحديث رقم (١٧٣٤)	٣٥٩
الحديث رقم (١٧٣٥)	٣٦٧
٣٢٧-باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان	٣٧٢
الحديث رقم (١٧٣٦)	٣٧٢
الحديث رقم (١٧٣٧)	٣٧٥
٣٢٨-باب كراهة التقعير في الكلام والتشدُّق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم	٣٨٣
الحديث رقم (١٧٣٨)	٣٨٣
الحديث رقم (١٧٣٩)	٣٨٥
الحديث رقم (١٧٤٠)	٣٩٠
٣٢٩-باب كراهة قوله: خَبُثَتْ نفسي	٣٩٦
الحديث رقم (١٧٤١)	٣٩٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٣٠-باب كراهة تسمية العنب كرمًا	٤٠٣
الحديث رقم (١٧٤٢)	٤٠٣
الحديث رقم (١٧٤٣)	٤١٣
٣٣١-باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه	٤١٨
الحديث رقم (١٧٤٤)	٤١٨
٣٣٢-باب كراهة قول الإنسان: اللَّهُمَّ اغْفِرْلي إن شِئْتَ بل يجزم بالطلب	٤٢٦
الحديث رقم (١٧٤٥)	٤٢٦
الحديث رقم (١٧٤٦)	٤٣٤
٣٣٣-باب كراهة قول: ما شاء اللهُ وشاء فلان	٤٣٩
الحديث رقم (١٧٤٧)	٤٣٩
٣٣٤-باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة	٤٤٦
الحديث رقم (١٧٤٨)	٤٤٦
الحديث رقم (١٧٤٩)	٤٥٩
الحديث رقم (١٧٥٠)	٤٦١
٣٣٥-باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لَهَا عذر شرعي	٤٦٨
الحديث رقم (١٧٥١)	٤٦٨
٣٣٦-باب تحريم صوم المرأة وزوجها حاضر إلاَّ بإذنه	٤٧٣
الحديث رقم (١٧٥٢)	٤٧٣
٣٣٧-باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام	٤٧٨
الحديث رقم (١٧٥٣)	٤٧٨
٣٣٨-باب كراهة وضع اليد عَلَى الخاصرة في الصلاة	٤٨٧
الحديث رقم (١٧٥٤)	٤٨٧
٣٣٩-باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إِلَيْهِ أو مَعَ مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط	٤٩٣
الحديث رقم (١٧٥٥)	٤٩٣

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٤٠-باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة	٥٠٧
الحديث رقم (١٧٥٦)	٥٠٧
٣٤١-باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر	٥١٦
الحديث رقم (١٧٥٧)	٥١٦
الحديث رقم (١٧٥٨)	٥٢٦
٣٤٢-باب تحريم صوم المرأة وزوجها حاضر إلاّ بإذنه	٥٣١
الحديث رقم (١٧٥٩)	٥٣١
٣٤٣-باب تحريم المرور بين يدي المصلي	٥٤٠
الحديث رقم (١٧٦٠)	
٣٤٤-باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها	٥٥١
الحديث رقم (١٧٦١)	٥٥١
٣٤٥-باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي	٥٦٠
الحديث رقم (١٧٦٢)	٥٦٠
الحديث رقم (١٧٦٣)	٥٧٠
الحديث رقم (١٧٦٤)	٥٧١
الحديث رقم (١٧٦٥)	٥٧٢
٣٤٦-باب تحريم الوصال في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما	٥٧٦
الحديث رقم (١٧٦٦)	٥٧٦
الحديث رقم (١٧٦٧)	٥٨٤
٣٣٥-باب تحريم الجلوس عَلَى قبر	٥٨٩
الحديث رقم (١٧٦٨)	٥٨٩
فهرس المحتويات	٥٩٧

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الحادي والعشرون

كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٣٨٩ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧.٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

كنوز رياض الصالحين

٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٦١٣ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-١٥-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢١)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١-١٥-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

٣٤٨- باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

الحديث رقم (١٧٦٩)

١٧٦٩- عن جابر رضي الله عنه قَالَ: نَهَى رسولُ الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ، وأنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يجصص القبر: يطلى القبر بالجص، وهو من مواد البناء[2].

الشرح الأدبي

يلتقي هذا الحديث مع الحديث السابق في وجوب صيانة القبور، ووجوب الحفاظ على حُرْمتها، ولكن هذا الحديث يعد خبراً عن رسول الله ﷺ يرويه جابر رضي الله عنه، والحديث يتضمن جملة واحدة كلية، وهي تتكون من الفعل: نهى، والفاعل: وهو الذي أصدر النهي: وهو رسول الله ﷺ، ثم حيثيات النهي: وهي متعلقات الجملة، وتتمثل في الظواهر المنهي عنها، وهي ترد في ثلاث جمل فرعية تنبثق من الجملة الكبرى، وهذه الظواهر كما وردت في الحديث: "أن يجصص القبر"، "وأن يقعد عليه"، "وأن يبني عليه"، والصياغة في هذه الجمل تتسم بالتوازن اللغوي، والتنسيق البنائي، فالجمل الثلاث كلها صيغت في إطار لغوي موحد، وهو المصدر المؤول: المكون من أن المصدرية والفعل المضارع المبني للمجهول، ثم حذف الفاعل في الجمل الثلاث، وصيغة البناء للمجهول تشير إلى أن النهي ليس صادراً لمن يبني أو يقعد أو يجصص القبر، ولكن النهّي عام وشامل للفعل نفسه وللفاعل، وهذه الصياغة تفيد العموم حيث لا يرتبط

---

(١) برقم (٩٤/٩٧٠).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ص ص).

النهي عن هذه الظواهر بزمن محدد، ولا بمكانٍ بعينه، ولا بيئة دون أخرى، وإنما هي قاعدة شرعية يجب اتباعها في كل زمان ومكان، مهما اختلفت البيئات، وتغيرت الأزمان، وهذه الشمولية مع الإيجاز الشديد، والإيحاء المتمّوج بالمقاصد والمعاني السامية: من أسرار بلاغة البيان النبوي، وقوة التأثير والإقناع.. مع الوضوح والبعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم تجصيص القبر: ومعنى تجصيص القبر، أي تبييضه بالجص، وهو الجير.

وقد ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى كراهة تجصيص القبر، وذلك لأن هذا التجصيص إنما هو زينة، وخيلاء، وليس الموت موضع واحد منهما.

ولأن تجصيص القبر بدعة، إذ إن المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار لم يكونوا يجصصون القبور[2].

وذهب الظاهرية[3] إلى أن تجصيص القبور حرام، واستدلوا على ذلك بظاهر الأحاديث التي تنهى عن تجصيص القبور.

والراجح -والله أعلم- هو رأي الجمهور القائلين بالكراهة.

٢- حكم القعود على القبر: وقد تقدم بيان حكمه في الحديث رقم (١٧٥٩) فلا حاجة بنا إلى التكرار.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢٠٩/٢، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٢٣٦/٢، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ٤٠٥/١، الثمر الداني ٢٧٥/١، وكفاية الطالب الرباني ٥٣١/١، والمهذب ١٣٨/١، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٢٨٩/٢، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢٧٣/٢، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ١٧٠/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٢٥٣/١.

(٢)الأم، الإمام الشافعي ٢٧٧/١، والروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي ٢٥٣/١

(٣) المحلى، ابن حزم ١٣٣/٥.

٣- حكم البناء على القبر: اختلف الفقهاء في حكم البناء على القبر: فذهب الجمهور[١] إلى أن البناء على القبر مكروه، وذلك لأنه زينة لا حاجة للميت إليها، ولما فيها من تضييع المال بلا فائدة[٢].

وذهب الظاهرية[٣] إلى أن البناء على القبر حرام، وإذا بني وجب هدمه.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحرص على اتباع السنة في عدم تجصيص القبور والبناء عليها وكذلك القعود عليها.

ثانياً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال وعدم الإسراف والحث على التواضع.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحرص على اتباع السنة في عدم تجصيص القبور والبناء عليها وكذلك القعود عليها:

إنه ينبغي على المسلم اتباع السنة وما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، ومن ذلك ما جاء في بيان حكم تجصيص المقابر والبناء عليها والجلوس عليها، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه" وفي ذلك نهي عن تعظيم القبور بتجصيصها والبناء عليها، والتجصيص كما قال المحلي: هو التبييض بالجص وهو الجير[٤]، قال ابن عثيمين: (حرم الجلوس على القبر، لأن القبر فيه إنسان مسلم محترم، وجلوسك عليه إهانة له، مثل ذلك الغلو في

---

(١) البدائع ٣٢٠/١، وتحفة الفقهاء ٢٥٦/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٤٢/٢، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٤٢٥/١، وحاشية الشرواني ١٩٦/٣، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٧٠/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩٣/٢.

(٢) تحفة الفقهاء ٣٢٠/١، والبدائع ٣٢٠/١.

(٣) المحلى، ابن حزم ١٣٣/٥.

(٤) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٥٠/٣.

القبور، ولهذا نهى ﷺ أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه، لأن تجصيصه يعني تفخيمه، وتعظيمه يؤدي إلى الشرك به، وكذلك البناء[١]. وقد جاءت الأحاديث آمرة بتسوية المقابر فعن ثمامة بن شُفَيٍّ قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها[٢]. وعن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)[٣].

قال القرطبي: (ووجه النهي عن البناء للقبور ونحوه كالتجصيص وغيره، أن ذلك مباهاة، واستعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّه بمَنْ كان يُعظِّم القبور ويعبدها، وباعتبار هذه المعاني، وبظاهر هذا النهي، ينبغي أن يقال هو حرام، كما قد قال به بعض أهل العلم)[٤].

ثانياً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على المال وعدم الإسراف والحث على التواضع:

وذلك ما نلحظه في نهيه ﷺ عن تجصيص المقابر أو البناء عليها، حفاظًا على المال وعدم الإسراف، فعن جابر رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه. قال الطيبي: (وذلك منهي عنه لانعدام الفائدة فيه، ولأنه من صنيع الجاهلية)[٥]. وقال عميرة: وحكمة النهي التزيين، وزاد إضاعة المال على غير غرض شرعي[٦]، وذلك أيضاً مناف للتواضع الذي ينبغي مراعاته في المقابر، ولله در القائل:

---

(١) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٠٧.

(٢) أخرجه مسلم ٩٦٨.

(٣) أخرجه مسلم ٩٦٩.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٦٢٦، ٦٢٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣/٣٨١.

(٦) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣/٢٥٠.

أرى أهـــل القـــصور إذا أُميتـــوا بنـــوا فـــوق المقـــابر بالـــصخور
أبـــوا إلا مباهـــاة وفخـــراً علـــى الفقـــراء حتـــى في القبـــور[١]

إضافة إلى ما في ذلك من إضاعة للمال والإسراف فيه، ولقد جاءت شريعة الإسلام هادفة إلى حفظ الضرورات الخمس والتي منها المال. قال الشاطبي: (ومجموع الضروارت خمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت، لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين)[٢] قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[٣] وذكر من أصناف عباد الرحمن بُعْدَهم عن الإسراف: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾[٤].

قال ابن كثير: (أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا[٥]. وذلك في المباحات، فما بالنا بمن يضع أمواله في أبواب نهى عنها الإسلام كتجصيص القبور والبناء عليها، قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وإن كان قليلاً[٦].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٢٠/١٧٠.
(٢) الموافقات ٢/٨-١٠.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.
(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥/١٢٨.
(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٣/٢١٦.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على الالتزام بالسنة النبوية في التعامل مع القبور:

تعد السنة النبوية المصدر الثاني - بعد القرآن الكريم - للتربية، فهي مصدر عظيم من مصادر التربية الإسلامية، فكل ما صدر عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات يعتبر من القيم التربوية، لأن السنة حجة، وواجب على المسلمين الاتباع لكل ما صدر عن النبي ﷺ بصفته رسول الله ﷺ، وكان مقصودًا به التشريع والاقتداء، وما صدر عن طبيعته البشرية فهو قيمة تربوية ملزمة إذا قام دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء، وقيمة تربوية غير ملزمة إذا كان غير ذلك، فهي قيم تخضع للاختيار أما ما ثبت بدليل يقصد به التشريع فهو قيمة تربوية ملزمة وسنة واجبة الاتباع[1].

فالسنة النبوية المطهرة مصدر يزخر بالقيم التربوية الإسلامية الكثيرة، وحياة النبي ﷺ كلها مواقف نبيلة، والمجتمع الإسلامي الذي عاصر النبي ﷺ لا مثيل له في التاريخ، ولأن السنة النبوية المطهرة مصدر تشريعي لهذه الحياة قامت بالتوجيه ملازمة للقرآن الكريم، واعتبارها مصدرًا رئيسًا للقيم التربوية بعد القرآن أمر لازم وضروري ومهم وواجب اشتقاق القيم منها ومن القرآن الكريم[2][3].

فالتربية على اتباع سنة النبي ﷺ والتزام ما بها في كافة مناحي الحياة أمر واجب على جميع من يقومون بالتربية الإسلامية حتى يلتزم المسلمون بالهدي النبوي في جميع أحوالهم وشؤونهم، ومن ذلك الالتزام بالهدي النبوي في التعامل مع القبور.

فلم يكن من هديه ﷺ تعليةُ القبور ولا بناؤهُا بآجر، ولا بحجر ولبن، ولا تشييدها ولا تطيينها، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة، مخالفة

---

(١) انظر: علم أصول الفقه، د. عبدالوهاب خلاف ص ٤٣، ٤٤. وانظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي أبوالعينين ص ٦٤، ٦٥.

(٢) انظر: القيم الإسلامية والتربية، د. علي أبو العينين ص ٦٥.

(٣) القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد بن علي المانع ص ١٨١.

لهديه ﷺ، وقد بعث علي بن أبي طالب إلى اليمن، ألا يدع تمثالاً إلا طمسه، ولا قبرًا مشرفًا إلا سواه[١].

فسنته ﷺ تسوية هذه القبور المشرفة كلها، ونهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه[٢].

وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لاطئة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره ﷺ مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء لا مبني ولا مطين، وهكذا كان قبر صاحبيه[٣][٤].

وكان هديه ﷺ ألا تهان القبور وتوطأ، وألا يجلس عليها ويتكأ عليها[٥]. ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها[٦]. وتتخذ أعيادًا وأوثانًا[٧][٨].

فالتربية الإسلامية التي مصدرها السنة النبوية تهدف إلى الاعتدال في التعامل مع القبور، فهي تؤكد على أهمية مراعاة حرمة القبور بعدم وطئها بالنعال، أو يجلس عليها، ويتكأ عليها، كذلك تهدف إلى عدم تعظيم القبور والمغالاة في تشييدها وتعليتها وعدم الصلاة إليها لئلا تتخذ مساجد.

---

(١) انظر: ما أخرجه مسلم، ٩٦٩، وأبو داود، ٣٢١٨.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٤/١.

(٣) انظر: ما أخرجه البخاري، ١٣٩٠، وأبو داود، ٣٢٢٠.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٥٢٤/١.

(٥) انظر: ما أخرجه مسلم، ٩٧١، وأبو داود، ٣٢٢٨.

(٦) انظر: ما أخرجه البخاري، ١٣٣٠، ومسلم، ٥٢٩.

(٧) انظر: ما أخرجه أبو داود، ٢٠٤٢.

(٨) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٥٢٦/١.

٣٤٩- باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

الحديث رقم (١٧٧٠)

١٧٧٠- عن جرير رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

أبق: هرب، وهو العبد الرقيق الذي يفر ممن هو في يده تمرُّدًا[2].

برئت منه الذمة: ضمانه وأمانته ورعايته[3].

الشرح الأدبي

إن الكرامة التي مَيَّز بها الله الإنسان، حيث فضله على جميع المخلوقات، يستحقها كل مخلوق يدرك حقوقه وواجباته، لا يميزه حسب أو جاه أو لون أو جنس، وقد أمر النبي ﷺ ألا ينادي السيد عبده بقوله: يا عبدي، وأن لا يقول العبد لمالكه: يا سيدي؛ بل يقول المالك: فتاي، وفتاتي، ويقول العبد: مولاي: أي: صديقي الذي أواليه وأنصره.

وفي ظل هذه الحقوق تكون الواجبات، التي يلتزم بها كل من كُلِّف بعمل، فلا يتهاون ولا يقصر، ولا ينكث، ولا يخلف الوعد، ولا يخون الأمانة.

وفي ظل هذه الحقوق كذلك، يشع المعنى في هذا الحديث الشريف، الذي جاءت صياغته الأسلوبية في قالب الشرط والجواب، وهي صياغة مناسبة لجو الحديث؛ فالعبد له حقوق، وعليه واجبات، فإذا أخذ حقوقه كاملة فعليه أداء ما يجب أن ينجزه من

---

(١) برقم (٦٩/١٢٣). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٨).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٩.

أعمال وطاعة، ومن أمارات هذه الطاعة: عدم الهروب؛ لأن في ذلك خيانة للأمانة، وتفريطاً في الواجب، ولذلك توعد رسول الله كل من يُقْدم على هذا السلوك بقوله: "فقد برئت منه الذمة"، ومعنى: "أبق": أي: هرب من غير خوف ولا كدّ، والذمة: العهد: أي: أن العبد الذي لم يظلمه سيده، ويهرب، ليست له حقوق، وفي اللغة: الذِّمام والذِّمة تدل على "الحق والحُرْمة".

والذمة: العهد والكفالة؛ وإسناد الفعل "بريء" للذَمة: تعبير مجازي، من باب المجاز المرسل؛ لأن الذمة لا تبرأ؛ وإنما صاحب الذمة وهو السيد هو صاحب الحق، وهو المتصرف، ولكن هذا التعبير أبلغ؛ فالذمة تغدو في سياق مخالفة العهد، وخيانة الأمانة، كائناً يحسّ وينفعل ويتحرك، ويبرأ من كل من لا يؤدي واجبه، ولا ينفذ شروط العقد، ولذلك جاء جواب الشرط مصدراً بـ"قد"، وهي للتأكيد والتحقيق؛ إيحاءً بالتهديد والترهيب، وتحذيراً من النكوص وإخلاف العهد، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: تحريم إباق العبد من سيده[2]، أي: هروبه منه وذلك للوعيد الشديد على ذلك من براءة الذمة منه، أو عدم قبول الصلاة أو الكفر، كما في بعض الروايات.

بيد أن الكفر يحمل على المستحل لذلك[3]، ولا داعي لبحث ذلك بالتفصيل نظراً لعدم وجود الرقيق في وقتنا الحاضر.

---

(١) الحديث رقم (١٧٧٠)، (١٧٧١).

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٧٠/١، الفروع، ابن مفلح ٢٩١/١/٣، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٢، المحلى، ابن حزم ٦٩/٤، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٣.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٥٨/٢، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ٢١٨/٣.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإباق ونقض العهود والجحود.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الترهيب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الالتزام بالعهود وعدم الجحود.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: فضل الوفاء وشكر الناس على معروفهم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإباق ونقض العهود والجحود:

لقد أمر الإسلام بتحمل المسؤولية والالتزام بها وعدم الفرار منها مهما كان ثقلها، فكلٌّ راع وكلٌّ مسؤول عن رعيته، ومن ذلك قيام العبد تجاه سيده والوفاء بالتزاماته، وقياساً على ذلك التزام العامل بما اتفق عليه والتزم به من جهد، وعدم التهرب من العمل الواجب عليه، فإن التهرب من ذلك لون من ألوان نقض العهود، فقال ﷺ "أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة" وفي رواية: "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة" وفي رواية "فقد كفر" وفي ذلك ترهيب للعبيد من الإباق والتمرد، فذلك محرم لما فيه من إبطال حق السيد، وهو من عيوب الرقيق[٢]. قال القرطبي: (قوله "فقد برئت منه الذمة" أي ذمة الإيمان وعهده وخفارته إن كان مستحلاً للإباق)[٣].

قال الإمام المازري: (قوله ﷺ: "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة" يحتمل أن يحمل على المستحل لذلك، فيكفر باستحلاله، فلا تقبل صلاته ولا غير ذلك منه، ويكون كنَّى بالصلاة عن غيرها، وفيه أيضاً معنى خفي، وذلك أنه يحتمل أن يكون ذكر الصلاة لأنه منهي عن البقاء في المكان الذي يصلى فيه، لكونه مأموراً بالرجوع إلى سيده، فصارت صلاته في بقعة منهيٍ عن المُقام بها، تضارع الصلاة في الدار المغصوبة)[٤].

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٧٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٧١).

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٤/٢٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٦/١.

(٤) المعلم ٦٦/١.

قال النووي في شرح الحديث: (في قوله "فقد برئت منه الذمة" معناه لا ذمة له، قال الشيخ أبو عمرو: الذمة هنا يجوز أن تكون هي الذمة المفسرة بالذمام وهي الحرمة، ويجوز أن يكون من قبيل ما جاء في قوله "له ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ أي ضمانه وأمانته ورعايته، ومن ذلك أن الآبق كان مصوناً عن عقوبة السيد له وحبسه، فزال ذلك بإباقه[1] أما قوله "لم تقبل له صلاة" وقال ابن علان: وقوله "فقد كفر" أي إن استحله أو من كفران نعمة السيد وعدم أداء حقه، فإن عمله من عمل الكفرة والجاهلية"[2] قال الشيخ ابن عثيمين: (وإنما كان هذا الترهيب لأن العبد مملوك للسيد في ذاته ومنافعه، فإذا هرب فقد فوت على سيده ذلك، وقد ورد الوعيد في هذا بثلاث عقوبات، فإنه يكون كافراً، وأن الذمة بريئة منه، وأنه لا تقبل له صلاة، فهذه ثلاث عقوبات والعياذ بالله)[3].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث واضحاً جلياً، حيث رهب النبي ﷺ من إباق العبيد وتمردهم ببراءة الذمة منه وبعدم قبول الصلاة، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" وفي رواية "لم تقبل له صلاة" وفي رواية "فقد كفر" وأسلوب الترهيب من أعظم الأساليب الدعوية وأشدها تأثيراً في قلوب المدعوين، لما فيه من الوعيد والتهديد بالعقوبة، التي تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، وذلك ما يجعل الإنسان دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والآثام[4].

والترهيب هو أحد ركني الموعظة الحسنة، قال ابن تيمية: (والموعظة الحسنة تجمع الأمر والنهي، ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمر والنهي بترغيب وترهيب،

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٣٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٠٩.

(٤) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، د. عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٥٧.

كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي يتعظون بها فينتبهون وينزجرون)[٢] وقال ابن القيم في معنى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣] العظة هي الأمر والنهي المعروف بالترغيب والترهيب[٤].

ثالثاً- من آداب المدعو: الالتزام بالعهود وعدم الجحود:

إن من الآداب الواجب التخلق بها الالتزام بالعهود والوفاء بها، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب احترام العهود والوفاء بالمواثيق[٥]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٦] وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾[٧]. قال ابن كثير: (قال ابن عباس وغير واحد يعني بالعقود: العهود، وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك، قال والعهود: ما كانوا يتعاهدون عليه من الحلف وغيره، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٨] يعني بالعهود: يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض وما حدَّ في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدّد في ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٩].

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٤٥/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٤) انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٤٤٤/١.

(٥) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٢٠١.

(٦) سورة المائدة، آية: ١.

(٧) سورة النحل، آية: ٩١.

(٨) سورة المائدة، آية: ١.

(٩) سورة الرعد، آية: ٢٥.

وقال الضحاك: ("أوفوا بالعقود" قال ما أحل وما حرم، وما أخذ الله من الميثاق على مَنْ أقر بالإيمان بالنبي ﷺ والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام، وقال زيد بن أسلم "أوفوا بالعقود" قال هي ستة: عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد اليمين[١]؛ فيجب الوفاء بالعقود والعهود ما دامت توافق الشرع الشريف ولا تعارضه)[٢].

وكما أن الوفاء بالعهد والميثاق له آثاره الكبيرة، فإن نقض العهد والميثاق والجحود يترك آثاراً كبرى تؤدي بصاحبها إلى الخسران والبوار، كما جاءت الإشارة في الحديث إلى ذلك ببيان عاقبة جحود العبد لسيده وإباقه وتمرده عليه، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" وفي رواية "إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة، وفي رواية فقد كفر".

ولقد جاءت النصوص مرهبة من نقض العهود، ذامة له، مبينة أن ذلك من أسباب الخسران، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٣] ومن أسباب اللعنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[٤].

وجعل النبي ﷺ نقض العهود من خصال النفاق وخلاله، روي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر))[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧/٣، ٨.

(٢) انظر: التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي ٢٤/٦/١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٧.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤، ومسلم ٥٨ واللفظ له.

قال أبو العالية: (ست خصال في المنافقين إذا كانت فيهم الظُّهْرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدَّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا)[١].

وقال ابن الجوزي: (إن نقض العهد من صفات الفاسقين)[٢].

وقال محمد بن كعب القرظي: (ثلاث خصال من كن فيه كن عليه: البغي والنَّكْث والمكر، وقرأ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[٤]. وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[٥])[٦].

وذكر ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٧] أن من نكث يعني نقض هذا العهد فإنما يجني على نفسه وإياها يهلك فنكثُه عليه لا له)[٨]. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾[٩] شبهت هذه الآية الذي يحلف أو يعاهد

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٧/١.

(٢) زاد المسير ٥٦/١.

(٣) سورة فاطر، آية: ٤٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٢٣.

(٥) سور الفتح، آية: ١٠.

(٦) ذم البغي لابن أبي الدنيا، تحقيق أبو اليزيد العجمي، ونجم عبدالرحمن خلف ص ٨٨.

(٧) سورة الفتح، آية: ١٠.

(٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٩٦/١٥.

(٩) سورة النحل، آية: ٩٢.

أو يبرم عقداً بالمرأة التي تغزل غزلها وتفتله محكماً، وشبه الذي ينقض عهده بعد الإحكام بتلك الغازلة إذا نقضت قوى ذلك الغزل فحلّته بعد إبرامه[١].

إن لنقض العهود من المضار والعواقب الوخيمة الكثير، ومن ذلك:

أ- أن من ينقض العهود والمواثيق يجلب لنفسه بغض الله والوعيد الشديد.

ب- تسلط الخلق عليه ونزع الثقة منه.

ج- يضر نفسه قبل أن يضر الآخرين.

د- أن نقض العهود من أمارات النفاق وصفات المنافقين.

هـ-يؤدي نقض العهود إلى تفكك المجتمع وشيوع البغضاء والفساد فيه.

و-كما يؤدي نقض العهود إلى تسلط الأعداء على المجتمع وسومهم إياه سوء العذاب[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: فضل الوفاء وشكر الناس على معروفهم:

إن في نهي رسول الله ﷺ العبيد عن الإباق وترهيبهم منه، دعوة إلى الوفاء وعدم الجحود والاعتداء على حقوق الغير، حتى يجعل الله لهم من رقهم وعبوديتهم سبيلاً، فقال ﷺ "أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة" فالوفاء قيمة إنسانية وأخلاقية عظمى، لأنه يرسي دعائم الثقة في الأفراد، ويؤكد أواصر التعاون في المجتمع[٣]، والوفاء صفة وسمة من سمات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين ٢٢٦/١٠.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٦٤٤/١١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٣٦٣٩/٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٨.

هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[١] ففي الوفاء السعادة، وذلك في رضا الله ورضا الناس، وفي الجحود ونكران الجميل الشقاوة وسوء المصير، وجحود النعمة وترك الشكر للناس يؤدي إلى جحود نعمة الله، قال ابن الأثير (من كانت عادته وطبعه كفران نعمة الناس وترك شكره لهم، كان من عادته كفر نعمة الله عز وجل وترك الشكر له[٢] وسبب لإعراض الكرماء وصرف النعمة، يقال: إعطاء الفاجر يقويه على فجوره، ومسألة اللئيم إهانة للعرض، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل، والصنيعة عند الكفور إضاعة للنعمة، فإذا هممت بشيء من هذا، فارْتَدِ الموضع قبل الإقدام عليه أو على الفعل)[٣].

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٨.

(٢) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق محمد حامد الفقي ٥٦٠/٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ٢٨٨/٣.

الحديث رقم (١٧٧١)

١٧٧١- وعنه، عن النبيِّ ﷺ: ((إِذَا أَبَقَ العَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ)). رواه مسلم[١].

وفي رواية[٢]: ((فَقَدْ كَفَرَ)).

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧١).

غريب الألفاظ:

أبق: هرَب من سيده[٣].

الشرح الأدبي

إن معيار الأفضلية في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح؛ حيث يقول الحق عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤]؛ ففي ظل التقوى لا قيمة للأعراق والأحساب، ولا قيمة للثروة والأنساب؛ ولكن كل إنسان له حقوق وعليه واجبات؛ فالسيد أو رب العمل مسؤول عن رعاياه.. والأجراء الذين يعملون تحت إمرته، وكل عبد أو أجير أو عامل، عليه أن يتقن عمله، وأن لا يهمل الأمر المسند إليه، وأن لا يهرب، ولا يترك مكان العمل إلا بإذن صاحب العمل أو سيده.

ورسول الله ﷺ ينظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل، ومن أسس هذه العلاقة: الالتزام والاتفاق، وعدم الهروب، والحرص على زيادة الإنتاج.

والحديث في صياغته اللغوية يفصح عن مبدأ الثواب والعقاب؛ حيث يتكون من جُملة واحدة، وهي "جملة الشرط والجواب"، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق؛ فالجواب في هذا الحديث متحقق، وهو عدم قبول صلاة العبد؛ وذلك لتحقق الشرط،

---

(١) برقم (٧٠/١٢٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٨١٩).

(٢) برقم (٦٨/١٢٢). أوردها المنذري في ترغيبه (٢٨٩١).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (أ ب ق).

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وهو هروب العبد، ومعنى أبق العبد هرب، وفي القاموس المحيط: أبق العبد: أي: ذهب بلا خوف ولا كد عمل، أو استخفى ثم ذهب، فهو آبق وأبوق، ويقال: تأبَّق: أي: استتر، أو احتبس وتأثم.

والروايات الأخرى لجواب الشرط تفسر أبعاد الدلالة المرادة في الحديث الشريف، ومن هذه الروايات: "فقد كفر"، وهو من كفران نعمة السيد، وعدم أداء حقه، وفي رواية: "فقد حلّ دمه"، وهذا عقاب قاسٍ وصارمٍ، وفي رواية: "فقد أخل بنفسه"، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع المضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً-التربية على الالتزام بالقيام بالواجبات:

لقد حدد الإسلام ما على السيد تجاه عبده من حقوق وواجبات كذلك حدد ما على العبد تجاه سيده من حقوق وواجبات إذ أن كل حق يقابله واجب في الإسلام.

فإذا كان الإسلام أمر السيد بالإحسان إلى الرقيق كما في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾[1]. فأمر تعالى بالإحسان إلى المماليك، وبين ذلك النبي ﷺ فقال: «إنَّ إخوانكم خولُكم جَعَلهمُ اللهُ تحتَ أيديكم، فمن كان أخوهُ تحتَ يدِهِ فليُطعِمْهُ مما يأكلُ وليُلْبِسْهُ مما يَلْبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتموهم ما يَغلِبُهم فأعينوهم»[2].

وقال ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلاَ يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إلاَّ مَا يُطِيقُ»[3]، وقال ﷺ: «لا يَقُلْ أحدُكم: عبدي، أمَتي. بل لْيَقُلْ: فَتايَ وفَتاتي»[4].

فندب ﷺ السادة إلى مكارم الأخلاق، وحض عليها، وأرشدهم إلى الإحسان، وإلى سلوك طريق التواضع حتى لا يروا مزيَّة على عبيدهم، إذ الكل عبيد الله، والمال مال الله، لكن سخر بعضهم لبعض وملك بعضهم، إتمامًا للنعمة وتنفيذًا للحكمة[5].

فالإسلام يوجب على السادة القيام بواجبهم تجاه الذين تحت أيديهم من العبيد من طعام وكسوة ونفقه...إلخ، بما يحقق هدف الإسلام من العناية بهم والإحسان إليهم وعدم الإساءة إليهم بقول أو فعل.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢)أخرجه البخاري، ٢٥٤٥، ومسلم، ١٦٦١.

(٣) أخرجه مسلم، ١٦٦٢.

(٤) أخرجه البخاري، ٢٥٥٢، ومسلم، ٢٢٤٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣١٥/٦.

في المقابل جعل الإسلام على العبيد واجبات تجاه سيدهم يجب عليهم أن يلتزموا بها ويقوموا بها على أكمل وجه، من أهمها ما يلي:

حق الطاعة فيما يأمر السيد أو ينهي ما لم يأمر بمعصية أو ينهي عن واجب.

كذلك عليه حق خدمة سيده في أي مكان شاء وأي عمل بشرط أن يكون في حدود ما يطيق الرقيق.

كما على الرقيق حفظ وصيانة مال سيده ورعايته[1] وغيرها من الواجبات، ومن أجل ذلك حرّم الإسلام إباق العبد من سيده فقال رسول الله ﷺ: «أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة»، وقال ﷺ: «إذا أبق العبد، لم تقبل له صلاة».

وذلك لأن إباق العبد يؤدي إلى ضياع حقوق سيده وإلى ضياع الالتزامات التي تضعها الشريعة الإسلامية على عاتقه تجاه سيده.

فينبغي توجيه العبد والسيد إلى الالتزام بالقيام بالواجبات التي حددتها الشريعة عليهم.

وهذا هدف تربوي عظيم حيث تهدف التربية الإسلامية إلى تربية المسلمين عامة والناشئة خاصة على الالتزام بأداء ما عليهم من واجبات دون التنصل والهروب منها.

وهذا ما يجب أن يحرص عليه جميع المسلمين كل في مجاله وفي تخصصه، وإذا كان الإسلام قد عالج قضية الرق وحرر العبيد من خلال توسيع منافذ العتق، حتى تلاشى هذا الواقع الاجتماعي، وقد عالج النبي ﷺ تلك القضية الاجتماعية ببيان ما يجب على العبيد من واجبات تجاه سادتهم في تلك المرحلة التاريخية التي كان الرقيق يمثلون عصب الحياة، فقد رهّب النبي ﷺ من إباق العبد، بأن العبد الآبق لا تقبل صلاته، وهذا ما يؤكد على أهمية قيام الخدم والعمال بأداء ما يناط بهم من أعمال، وعدم التهاون في أداء الواجبات المنوطة بهم، وهذا يستلزم قيام كل فرد بواجباته الوظيفية وعدم الإخلال بها، لأن هذا مما يقدح في التزام المؤمن بالمبادئ والقيم الإسلامية.

---

(١) وانظر: في ذلك الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٣/١١-٢٤.

ثانيًا- التربية بالترهيب:

من أساليب التربية في هذا الباب أسلوب الترهيب حيث رهب النبي ﷺ الرقيق من الهروب من أسيادهم فقال: «أيما عبد أبق، فقد برئت منه الذمة»، وقال ﷺ: «إذا أبق العبد، لم تقبل له صلاة»، وهذا ترهيب شديد للعبد من الهروب.

والترهيب أسلوب تربوي يقصد به وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، وهو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده[1].

وهو أسلوب هام في التربية الإسلامية فلا غنى للمربي عنه حيث يستخدمه في ترهيب من يقوم بتربيتهم من الإتيان بالأشياء التي تخالف شريعة الله بأن ذلك يوجب عقاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة، مما يجعلهم يلتزمون بأحكام ربهم وسنة نبيهم، ويعود إليهم رشدهم فلا يخالفون، ولا يتهربون، ولا يكابرون في ارتكاب المعاصي والذنوب رهبًا من العقاب وطمعًا في الثواب.

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٣١.

٣٥٠- باب تحريم الشفاعة في الحدود

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[النور: ٢].

الحديث رقم (١٧٧٢)

١٧٧٢- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ قُرَيْشاً أهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: **((أتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟!))** ثُمَّ قَامَ فاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: **((إنَّمَا أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا))**. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **((أتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟!))** فَقَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

أتشفع: من الشفاعة: التوسُّط في تخفيف العقوبة[3].

حدود الله: جمع حَدٍّ: الذنب الموجب للعقوبة[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥) واللفظ له، ومسلم (١٦٨٨)، وتقدم برقم (٦٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٠٤)، ومسلم (١٦٨٨/٩) واللفظ له.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ف ع).

(٤) المرجع السابق في (ح د د).

الشرح الأدبي

إن الحدود في الإسلام تحفظ الحقوق، وهي من بواعث انتشار الأمن، واستقرار المجتمع، وقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[1]، وهذا الحديث الشريف يرسى قاعدة شرعية: وهي المساواة في إقامة الحدود؛ فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ومضمون الحديث يشع بمساواة الإسلام، وعدم التفريق بين الناس في إقامة الحدود، حتى لو كان السارق من أشراف قريش، وحتى لو سرقت فاطمة بنت محمد لقُطِعَتْ يدُها!

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث نجده يتضمن عدة ظواهر أسلوبية وفنية، ومنها: الحوار بين القرشيين حين أهمَّهم شأن المرأة المخزومية، والحوار ينبئ عن استكبار القرشيين، ورغبتهم في أن لا يقام الحد على "السارقة" من بني مخزوم، وثمرة الحوار كانت تكليفهم لأسامة بن زيد بالشفاعة عند رسول الله ﷺ؛ لأنه "حِبُّ رسول الله"، وأسلوب القصر مع الاستفهام يؤكد مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله ﷺ؛ حيث قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد؟

والنزعة القصصية تغلف أسلوب الحديث الشريف، وهو مشهد قصصي واقعي حقيقي، وتوالي حروف العطف -الفاء وثم- مع الحوار بين القرشيين، والحوار بين رسول الله وأسامة بن زيد، كل ذلك من سمات النزعة القصصية، ولنتأمل هذا الاستفهام الإنكاري المشع بكل أمارات رفض الشفاعة في حدّ من حدود الله، وذلك في قول رسول الله لأسامة: أتشفع في حد من حدود الله تعالى.

وأسلوب القصر في قوله ﷺ: "إنما أهلك الذين من قبلكم"، يفيد أن من أسباب الهلاك، بل يكاد يكون السبب الوحيد، هو: إقامة الحدّ على الضعفاء، والتسامح، وتعطيل الحدود، إذا كانت متعلقة بالأغنياء وأصحاب الجاه والثروات والأحساب، وذلك سر فناء الأمم، وهلاك الشعوب، وتكرار التأكيد في قوله: "إنما" وقوله: "أنهم".

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

يؤكد حرص رسول الله ﷺ على القضاء على أسباب الهلاك.

وأسلوب الشرط في الجملتين اللتين توضحان مصدر الهلاك وسببه، يفيد أن الهلاك محقق؛ لأن أداة الشرط "إذا" للتحقق واليقين "كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد"، والقسم مع الشرط في الجملة الأخيرة يؤكد ثبات المبدأ، وعدم الإخلال بفريضة الحدود.

وهل بعد هذا القسم من رسول الله أي منفذ للتحايل أو تعطيل الحدود؟

"وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها"... متفق عليه، والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: حرمة الشفاعة في الحدود، وحرمة قبول الشفاعة فيها[1] وذلك لما روى ابن عمر مرفوعاً: "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فهو مضاد لله تعالى"[2].

ومحل عدم جواز الشفاعة في الحدود إذا ما بلغت الإمام، لأنها إذا بلغت الإمام تعلق بها حق الله تعالى، لذلك أنكر الرسول ﷺ على أسامة بن زيد حين شفع في المرأة المخزومية التي سرقت[3].

إلا أن الإمام مالك قد روي عنه في حد القذف خاصة روايتان: جواز الشفاعة، وعدمه بعد بلوغ الإمام، أما غيره من الحدود فيبقى على الحرمة عنده[4].

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٥، رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٣/٤- ٤، الشرح الكبير ٣٤٧/٤، الثمر الداني ٦٠٢/١، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ١٩٤/٤، حاشية الشرواني ١٥٢/٩، دليل الطالب ٣٠٥/١، منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٧٣/١.

(٢) أخرجه أحمد ٥٣٨٥/٩، وأبو داود ٣٥٩٧، وقال محققو المسند: إسناده صحيح أهـ. وانظر تتمة تخريجه هناك.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٢/٥.

(٤) كفاية الطالب الرباني ٤٣٧/٢، والثمر الداني ٦٠٢/١.

أما قبل بلوغ الإمام فإن الشفاعة تجوز في الحدود[١]، لأن وجوب الحد قبل بلوغ الإمام لم يثبت، لأن الوجوب لا يثبت بمجرد الفعل، وإنما يثبته الإمام[٢].

المضامين الدعوية[٣]

(١) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٥/٢١٢-٢١٣، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤/٣، ٤، والشرح الكبير ٤/٣٤٧، وكفاية الطالب الرباني ٢/٤٣٧، والمهذب ٢/٢٨٣، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ٤/٦٥، ودليل الطالب ١/٣٠٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ١/٧٣.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٥/٢١٢-٢١٣.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٥١).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- الوقاية بإقامة الحدود:

إن إقامة الحدود وقاية للفرد والمجتمع من انتشار الرذائل، فهي وقاية للفرد لأنها قوة ردع وزجر من اقتراف الجرائم الخلقية والوقوع في حبائلها، وما يترتب على ذلك من العقاب، وهي وقاية للمجتمع لأنها تقلل نسبة الفساد الخلقي، إن لم تقض عليه تمامًا[1].

والشريعة الإسلامية تأمر بإقامة الحد على كل من ارتكب جريمة تدخل في جرائم الحدود، ومن أجل ذلك أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد رضي الله عنهما حينما كلمه في أمر المرأة المخزومية التي سرقت. فقال ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

إن إقامة الحدود لها آثارها التربوية في كبح جماح النفس من إشباع غرائزها بما لم يأمر به أو يبيحه الشرع، وفي درء المفاسد الخلقية والوقاية منها بالحيلولة دون وقوعها. ومن يتربى في بيئة تطبق التشريع الإسلامي ينشأ كارهًا للرذيلة محبًا للفضيلة ويؤازر ذلك ويعضده انعدام عامل التشجيع للرذيلة والتشويق لها، بالإضافة إلى عامل التشجيع من المجتمع والأسرة، فتكون للفرد وقاية له من الوقوع في الجرائم والرذائل الخلقية[2].

وذلك لأن أي مجتمع لاتطبق فيه الحدود فإنه يصبح مرتعًا خصبًا للفساد بمظاهره المختلفة، والذي ينظر إلى واقعنا المعاصر يجد الانحرافات الخلقية والمنكرات منتشرة في أكثر بلاد المسلمين، وسبب ذلك هو عدم إقامة الحدود الشرعية[3].

فلو أقيمت حدود الله، وحيل بين الظلمة وبين تعديهم لما رجع المسلمون القهقري، وساروا إلى وراء، وسقطوا في الحضيض، واستحقوا من الله مقته، وتغيير ما أنعم به

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. خالد الحازمي ص ٦٤.

(٢) المرجع السابق، ٦٥.

(٣) المرجع السابق، ٧٢.

عليهم وهو لا يغير نعمة أنعم بها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

والواقع الصحيح أنها لا تُحْفظ الدماء والأموال والأعراض وتصلح البلاد، ويسود فيها الأمن والاطمئنان إلا بإقامة الحدود[1].

ومن هنا ظهر جليًا أهمية إقامة الحدود لوقاية المجتمع من الرذائل والمفاسد الأخلاقية.

ثانيًا- من أساليب التربية: التربية بالتأنيب التعليمي:

التأنيب من أساليب التربية عند الرسول ﷺ ويقتصر فيه على اللوم بالكلام أو العتاب الشديد، أو الإشعار بالخطأ، وتتفاوت لهجة الكلام فيه حسب نوعية الخطأ وشخصية مرتكبه، فقد يكون خطأً مَا، مدعاة لتأنيب شديد لشخص، في حين يكون التأنيب خفيفًا أو معدومًا لخطأ مثله، أو أشد منه، لشخص آخر وذلك حسب حالة كل شخص وطبيعته النفسية أو حسب الظروف المحيطة بالخطأ وملابساتها[2].

وقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التأنيب التعليمي مع أسامة بن زيد حيث أنبه ولامه لشفاعته للمرأة المخزومية التي سرقت فقال له ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى؟».

ثم علمه النبي ﷺ بأن ترك إقامة الحد على الشريف، وإقامته على الضعيف كان سببًا في هلاك الأمم السابقة.

أما الشريعة الإسلامية فلا يجوز فيها ذلك بل أن من سرق يقام عليه الحد أيًا كان شأنه، ولو كانت بنت أشرف الخلق محمد ﷺ فاطمة الزهراء أحب الناس إلى قلبه وأقربهم إليه فحد الله لابد أن يطبق.

فقال: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني ص ٣٣، ٣٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٤٦٤.

وفي رواية: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللّه ﷺ. فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللّهِ؟» فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي، يَا رَسُولَ اللّهِ قال: ثُمَّ أَمَر بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقُطِعَتْ يدُهَا.

وأسلوب التأنيب التعليمي من الأساليب التي يستطيع المربي الإفادة منها، فإذا أخطأ أيًا من يقوم بتربيتهم كان له أن يوجه له التأنيب الذي يتناسب مع شخصية ونفسية كل شخص على حده، مع تعليمهم سبب التأنيب والحكم الصحيح للعمل.

ثالثًا- من أهداف التربية: غرس قيمة العدل في المجتمع الإسلامي:

العدل هو الذي يعطي حصانة القانون لكل فرد[1]. "ذلك أن سلب الحقوق الطبيعية لأي مخلوق إنما هو ظلم صريح[2]، والظلم في تقسيم الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه يسبب البغضاء والتفكك في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية. وفي المجتمع الإسلامي لم يقبل الرسول ﷺ الشفاعة في حد من حدود الله وأنذر من يقبل الشفاعة "الوساطة" بمعاداة الله لأنه يضيع حقًا لذوي الحق[3]. فقال ﷺ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللّه لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

فالعدل في المجتمع الإسلامي من أهم أهداف التربية وخاصة أن المجتمع في العصر الحديث تعددت مطالب أفراده، وارتقت حياتهم، وصارت هناك خدمات عامة تؤديها الحكومة ممثلة في مؤسساتها المختلفة، فكأن الحكومة صارت رمزًا للمجتمع العادل، وأقل تكليف للحكومة ألا تضع العراقيل أمام الأفراد في بلوغ ما يريدون من علم ورقي، وكسب مادي مشروع بل تيسر لهم ذلك، وتكون لها سلطة نافذة تحفظ بها حقوق الناس، وتردع الظلم.

وتتجلى عدالة المجتمع في ثلاثة جوانب: العدل في القضاء، والعدل في الحكم، والعدل الاجتماعي، أي العدل على أفراد توزيع الثروة في المجتمع وإتاحة الفرص

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٥٤.

(٢) الإسلام ومشكلات العصر، د. مصطفى الرافعي ص ٣٧.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ١٥٤.

المتساوية لأبنائه في طرق الكسب المادي وفي الوضع المعنوي فلا يهضم حق فرد أو فئة إذا كان غير محسوب على فئات النفوذ والتكتلات الاجتماعية[1]، فالعدل هو الميزان لاستقرار وتقدم المجتمع.

❁ ❁ ❁

(١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ٤٠/٥٦، ٥٧.

٣٥١- باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[سورة الأحزاب:٥٨]

الحديث رقم (١٧٧٣)

١٧٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ)) قالوا: وَمَا اللاَّعِنَانِ؟ قَالَ: ((الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

اللاعنين: أي الأمرين الجالبين للعن[٢].

يتخلى: أي يتغوط في موضع يمر به الناس[٣].

الشرح الأدبي

إن المسلم يحرص على نظافة المكان، ونظافة البدن، ونظافة الثوب، والبيئة التي يتمتع الإنسان بظلالها، وأشجارها وطرقها وحدائقها، عليه أن يشارك في تجميلها، والتمتع بمباهجها؛ لأنها حدائق ذات بهجة، والماء من مصادر الحياة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٤].

---

(١) برقم (٢٦٩/٦٨). أورده المنذري في ترغيبه (٢٤٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٧٥.

(٣) المرجع السابق ٢٧٥.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

والحديث يتوعد باللعن كل من يؤذي الناس ويتغوط في طريقهم وظلهم، وموارد الماء ونحوها، ولذلك يؤكد الراوي الأعلى -أبو هريرة رضي الله عنه- الخبر الذي يرويه عن رسول الله ﷺ، فيبدأ الحديث بقوله: "إن رسول الله ... قال": وكلام رسول الله يجيء في صيغة الأمر، والأمر للوجوب؛ حيث قال: "اتقوا اللاعنين"، وفي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير: اتقوا سبب اللعن من المذكورين، وقيل: نسب إليهما مبالغة في التحذير، وفي الحديث إشارة إلى أن التغوط في طريق الناس وظلهم: كأنه اللعن نفسه، وفي ذلك مجاز مرسل، من باب إطلاق السبب وإرادة المسبِّب، وقوله: اتقوا، أي: توقوا: وخذوا حذركم ووقايتكم؛ لأن هذا السلوك يؤدي إلى اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل.

والتعبير في الحديث النبوي يتسم بالإيحاء، والابتعاد عن الألفاظ الفجة، والعبارات المستكرهة، وقوله: "يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم"، إشارة إلى التغوط في طريق الناس وأماكن قيلولتهم، وقوله: "يتخلى" مأخوذ من قول العرب: خلا المكان، خلوًا وخلاء، وأخلى واستخلى، أي: فرغ، فالتعبير بهذا الفعل "يتخلى" يفيد القيام بالفعل في مكان خالٍ من الناس، ولكنه طريق للمشاة، أو ظل للمستريحين، ومن يفعل ذلك يستحق اللعن والطرد، وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ: ((اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل))[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي عن التخلي في طريق الناس[2]، وفي ظلهم، وموضع اجتماعهم، لما في ذلك من إيذاء المسلمين بالنجاسة، والقذارة التي تترتب على ذلك[3].

---

(١) أخرجه أبو داود، ٢٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود، ٢١).

(٢) حاشية الطحطاوي ٣٥/١، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٧٦/١، وشرح زبد ابن رسلان ٥٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٦٣/١، المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٠٨/١.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٣٠/١.

والمراد بالتخلي: التفرد لقضاء الحاجة غائطاً أو بولاً، لذلك فلا يسلم تفسير النووي له بالتغوط فقط، ولو سلم، فالبول يلحق به قياساً[١].

وقد اختلف الفقهاء في دلالة النهي:

- فذهب الجمهور[٢] إلى أن النهي هنا يدل على الحرمة.
- وذهب جمهور الشافعية[٣]، إلى النهي هنا يدل على الكراهة.

والراجح: الأول لما فيه من أذية المسلمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من إيذاء الناس بقضاء الحاجة في طرقهم وظلهم.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على مراعاة مشاعر الناس وعدم إيذائهم بالمناظر المنفرة التي يأباها الذوق السليم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحث على النظافة والطهارة وتوفير المناخ الصحي.

أولاً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اتقوا اللاعنين" وهو من الأساليب الدعوية المفيدة، لما فيه من بيان الواجبات الشرعية ونحوها، وحمل المدعوين على الإتيان بها، وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيقاً لعبودية الله وطاعته[٤].

---

(١) المرجع السابق ١/٣٠.

(٢) شرح زبد ابن رسلان ٥٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ١/٦٣، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١/٢٧٦.

(٣) شرح زبد ابن رسلان٥٤.

(٤) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠.

وقد تكرر أسلوب الأمر في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[1] وقوله: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[2].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من إيذاء الناس بقضاء الحاجة في طرقهم وظلهم:

إن من فضل الله علينا أنه حذرنا في الإسلام المتمثل في مصدريه الأساسين -القرآن والسنة- من أسباب اللعن والإبعاد من رحمة الله وعدم تعاطيها أو الاقتراب منها، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهي النبي ﷺ عن التغوط في طريق الناس أو ظلهم، وكذا كل مكان أعدوه لاجتماعهم، وقايةً من الأمراض والأسقام، وحداً من انتشارها، فضلاً عما في ذلك من رعاية لذوق الناس ومشاعرهم وأحاسيسهم، فقال النبي ﷺ "اتقوا اللاعنين، قالوا ما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم". قال القاضي عياض: (قوله: "اتقوا اللاعنين" وتروى "اللعانين" وفسَّر ذلك بالتخلي في طريق الناس أو ظلهم. التخلي مأخوذ من الخلاء وهي عبارة عن الستر والتفرد لقضاء الحاجة والحدث، وسمت اللاعنين، لأنهما تجلبان اللعن لفاعلها؛ لأن مثل ذلك مأخوذ من جواد الطريق وظلال المناهل ومستراح الناس ومترددهم لمنافعهم، فمن وجد فيها القذر ونكد عليه تصرفه فيه لعن فاعله، وقد يكون اللاعنان هنا بمعنى الملعونين، أي الحالتين الملعونتين والملعون فاعلهما، كما قال: ﴿عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ﴾[3] أي مرضية[4]. وقال القرطبي في شرح الحديث: (وقوله: "اتقوا اللاعنين"، قالوا: ما اللاعنان؟ يُروى هكذا. وصحيح روايتنا: "اللعانين". قالوا: وما اللعانان؟ بالتشديد على المبالغة. وكلاهما صحيح، وقد تقدم القول: أن اللعن: الطرد والبعد، وقد فسّرها: بالتخلي في الطرق والظلال، وسميت هذه ملاعن لأنها تجلبُ اللعن على فاعلها العادي والشرعي؛ لأنه ضررٌ

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦.

(٢) سورة المدثر، آية: ٤، ٥.

(٣) سورة القارعة، آية: ٦.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٧٦/٢.

عظيم بالمسلمين؛ إذ يعرّضهم للتنجيس، ويمنعهم من حقوقهم في الماء والاستظلال وغير ذلك.

ويُفهم من هذا: تحريم التخلّي في كلّ موضع كان للمسلمين إليه حاجة، كمجتمعاتهم، وشجرهم المثمر، وإن لم يكن له ظلال وغير ذلك[1].

وقال النووي: (قال الإمام أبو سليمان الخطابي: المراد باللاعنين الأمرين الجالبين للعن، الحاملين الناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما شتم ولعن يعني عادة الناس لعنه، فلما صار سبباً لذلك أضيف اللعن إليهما، قال: وقد يكون اللاعن بمعنى الملعون، والملاعن مواضع اللعن، قلت: فعلى هذا يكون التقدير: اتقوا الأمرين الملعون فاعلهما وذلك لما فيه إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره[2] وقد حرم الله إيذاء المؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3] والآية شاملة لما ذُكر[4]، فإيذاء المؤمنين والمؤمنات بغير جناية موجب للأذى، فأذية المؤمنين عظيمة وإثمها عظيم ولذا قال: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[5])[6].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على مراعاة مشاعر الناس وعدم إيذائهم بالمناظر المنفرة التي يأباها الذوق السليم:

من دلائل ذلك ما جاء في الحديث من النهي عن التخلي في طرق الناس وظلهم،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٥٢٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٧٥.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٤.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٦١٨.

فقال ﷺ "اتقوا اللاعنين، قالوا وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم" والابتعاد عن مثل هذه القاذورات حفاظٌ على الطبيعة التي خلقها الله وسخرها للإنسان، فليس في الكون شيء خلق جزافاً أو عبثاً، كل شيء فيه قد هيئ ليؤدي دوره فيما أراده الله من عمارة الأرض واستمرار الحياة إلى أجلها[1] واعتداء الإنسان عليها بتلويث أو غيره تعطيل لهذا الدَّور، كما أن في تحريم الإسلام لمثل هذه القاذورات كالتخلي في طرق الناس وظلهم ومشمسهم وغير ذلك رعاية لشعورهم ومحافظة على أحاسيسهم، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الأعلى في رعاية مشاعر الناس وتطييب خواطرهم، فعن الصعب بن جثامة الليثي أنه أهدى لرسول الله ﷺ حماراً وحشياً وهو بالأبواء -أو بودَّان- فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: ((إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم))[2]. قال الحافظ ابن حجر: (وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطييباً لقلب المهدي)[3].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على النظافة والطهارة وتوفير المناخ الصحي:

إن المتتبع للتشريعات الإسلامية المتعلقة بصحة الأبدان، يلاحظ أن الإسلام فرض على أهله كثيراً من الأصول، التي يعتبرها الطب الحديث اليوم من القواعد الأولية التي تصلح لدفع أكثر الأمراض قبل وقوعها، وللتخفيف من حدتها إذا وقعت، وقد عني الإسلام بالتشريعات الوقائية، ثم بالتشريعات العلاجية التي تخفف من علل الأجسام.

إن خير علاج للأمراض هو الوقاية من أسبابها، هذا ما يقوله الطب، أي أن الوقاية خير من العلاج، لذلك نرى الطب الوقائي يزدهر وينمو في الدول المتحضرة، ونرى حكومات هذه الدول تعمل على تلقينه لأبناء المدارس والمواطنين كشيء ضروري لاغنى عنه. ولقد سبق الإسلام جميع الحضارات، وقعد للبشرية قواعد الصحة والوقاية من الأمراض، ومن ذلك ما جاء في أمره ﷺ بالتقليل والحد من التلوث ومن ذلك

---

(١) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ١٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٢٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١/٤.

قوله ﷺ في الحديث "اتقوا اللاعنين؟ قالوا وما اللاعنان؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم" وروي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" وهذه الأحاديث وغيرها مما رسمه رسول الله ﷺ للوقاية من المسببات للأمراض، وانتشار الجراثيم في الجو وتلوث البيئة من ذلك، فقضاء الحاجة في طرق الناس وظلهم أو مائهم يمنع من الانتفاع بها، فضلاً عن أنه سبب واسع لانتشار الأمراض وتسرب مسبباتها إلى الماء، فانظر إلى هذا السبق العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ حيث أراد وقاية الإنسانية من أمراض وأسقام كثيرة فتاكة، تفتك بالحياة، وتنتقل مع الأحياء، لتجعلهم يعيشون حياة يائسة في جسد ضعيف متهالك، إنه الإعجاز العلمي لرسول الله ﷺ يقدمه للمجتمع الإنساني بعامة، وللمسلمين بخاصة ينقذهم به من تلوث البيئة الذي يؤدي إلى الأمراض والأسقام[1]. وإن مخالفة هذه الإرشادات النبوية إعراض عن المنهج الإسلامي القويم، إضافة إلى ما يؤدي إلى الإفساد في الأرض، والواقع يؤكد ذلك ويصدق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ١/٤٨١- ٤٨٣.

(٢) سورة الروم، آية: ٤١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية البيئية في الإسلام:

إن الدين الإسلامي الحنيف كان سباقًا دائمًا إلى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامي حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسؤولية الإنسان حيال البيئة التي يعيش فيها:

المبدأ الأول:

وهو "درء المفاسد" حتى لا تقع بالبلاد والعباد، وتسبب الأذى للفرد والمجتمع والبيئة، حيث لا ضرر بالنفس، ولا ضرر بالغير.

المبدأ الثاني:

هو "جلب المصالح" وبذل كل الجهود التي من شأنها أن تحقق الخير والمنفعة للجماعة البشرية، وأهم ما يميز هذا المنهج الإسلامي الرشيد هو الأمر بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان باعتباره من أهم عوامل الخلل والاضطراب والقلق في منظومة التوازن البيئي المحكم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للحياة والأحياء في هذا الكون، كذلك يتميز المنهج الإسلامي بأن جعل النظافة والطهارة مقترنين بالإيمان، واعتبر التلوث نجاسة كريهة[1]، لذا نهي الإسلام عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها، فقال النبي ﷺ: «اتَّقُوا الَّلاعِنَيْنِ. قالُوا: وَما الَّلاعِنَانِ؟ قال: الَّذي يَتَخَلَّى في طَرِيقِ النَّاسِ أوْ ظِلِّهِمْ».

وقد ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تسبب الأمراض الوبائية المتوطنة وتساعد على انتشارها، ولاشك أن النهي عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات[2].

---

(١) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ط أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م ص ٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

فالإسلام قرر وقبل أن تسمع الدنيا عما يسمى بحقوق الإنسان بألف وأربعمائة عام، حق الإنسان في البيئة ومواردها سليمة ومتوازنة، كما خلقها الله تعالى، وهذا الحق ليس منحة من قانون وضعي لدولة محددة أو منة يقررها ميثاق دولي أو معاهدة جماعية، إنما هو حق مثل باقي حقوق الإنسان في الإسلام، فهو حق ثابت دائم بحكم الطبيعة والشريعة معًا[١].

ولا أدل وأعمق في الاعتراف بمثل هذا الحق "البيئي" من أن الله سبحانه وتعالى قد جعل "صاحب " هذا الحق وهو الإنسان خليفته في رعاية وصيانة "محل" ذلك الحق وهو الأرض أو البيئة[٢].

والحقيقة أن الإسلام حرّم العدوان على البيئة وتلويثها، لما في ذلك من تعطيل لها عن الوفاء بما خلقت له ومن ثم تعطيل للحياة ذاتها على الأرض[٣].

فالالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ وأوصى بها إلى المسلمين إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق إن إفساد البيئة وتلويثها المضني لها، إنما يبدأ بتلويثها اليسير أو عدم التزام النظافة وإماطة الأذى عن البيئة[٤]. ذلك أن التلوث البيئي يؤثر على صحة الإنسان، ويكون سببًا للإفساد في الأرض والإنسان مأمور بعدم الإفساد في الأرض سواء التي يعيش فيها - أي المكان - أو التي لا يعيش فيها أيا كانت صور الإفساد سواء الإفساد المعنوي، أو الإفساد الحسي، المادي.

حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[٥]، إن علاقة الإنسان بالبيئة ينبغي أن تنطلق من التعاليم الإسلامية فقد عالج الإسلام كل ما يتعلق بالإنسان

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦.

(٢) الإسلام وفكرة حق الإنسان في البيئة، مجلة منار الإسلام، دبي، العدد الرابع، السنة الثالثة والعشرون، ربيع الثاني، ١٤١٨هـ، أغسطس ١٩٩٧م ص ٥٠-٥٢.

(٣) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي ص ٥٠.

(٤) المرجع السابق، ٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٥.

في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق وبين العلاج الناجح لكافة المشكلات التي تواجه الإنسان.

حيث إن دور الإنسان هو الأساس في الحفاظ على سلامة البيئة وكل مكوناتها، لأن من غايات خلق الإنسان عمارة الأرض، وأن تلك العمارة لا تتم إلا بإصلاح البيئة والمحافظة على سلامتها والبعد عن كل ما يفسدها أو يحول دون الانتفاع بها، كما خلقها الله تعالى متوازنة[1].

وفي الحقيقة أن التربية البيئية موضوع لم يعد يحتاج إلى الدعم والبراهين لإثبات ضرورته في الوقت الحاضر.

إذ تبين بأن المسألة لا تقبل التفاوض أو التأجيل لهذا قامت أعداد كبيرة من البلدان إلى ابتكار برامج للتربية البيئية تركز على العلاقات المتبادلة بين السكان والبيئة والنمو، وبعد أن اتضح أيضًا بأن القوانين والتشريعات قد عجزت عن الحد من إهدار واستنزاف وتلوث البيئة بكل عناصرها والتي تزداد تدهورًا يومًا بعد آخر، فلا يعد الإلمام بالتربية البيئية بابًا من أبواب العلوم المعاصرة شديدة الأهمية وضرورة قصوى على صعيد الأفراد والمجتمعات فحسب بل مذهبًا أخلاقيًا وسلوكيًا في الوقت نفسه[2].

وما دام أن هذه التربية تهم الجميع بحكم طبيعتها ووظيفتها فينبغي أن تصبح متاحة لجميع أفراد المجتمع المحلي بوسائل تتلاءم مع الاحتياجات والمصالح والبواعث الخاصة بكل فئة من فئات العمر ومن الفئات الاجتماعية المهنية على اختلافها.. وما دام من الضروري أن تكون هذه التربية مستمرة ومتاحة للجميع، فمن المناسب إدخالها في جميع مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي أو النظامي وغير النظامي.. ويأتي تعليم الجمهور في مقدمة المهام التي تناط بالتربية البيئية فإلى جانب دورها في نقل المعارف إلى جميع

---

(١) انظر: حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، بحث منشور ضمن حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م ص ٢٥.

(٢) المشكلات البيئية والتربية على الصعيدين الدولي والعربي، غازي أبو شقرا، مجلة التربية الجديدة، اليونسكو، العدد الثالث والعشرون، السنة الثامنة، ١٩٩١ ص ٥.

المواطنين، ينبغي لها أن تعمل على توعيتهم بما صادفهم في حياتهم اليومية من مشكلات بيئية، وأن تحثهم على انتهاج سلوك قويم والعمل بصورة جادة على حل هذه المشكلات، ومن اللازم أن تصبح التربية البيئية متاحة للناس على اختلاف أعمارهم، وان تدخل في التعليم المدرسي بجميع مراحله - رياض أطفال، والابتدائي، والمتوسط "الإعدادي"، والثانوي، والجامعي - وفي شتى أنشطة التعليم غير المدرسي لصالح الناشئة والبالغين أيا كانت فئة الناس التي ينتمون إليها ويتعين أن تدمج في عملية التعليم العام بكل بلد وأن تنمى في كل مؤسسات التعليم ومناهجه[1].

❁ ❁ ❁

(١) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي ص ١٩٦.

٣٥٢- باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

الحديث رقم (١٧٧٤)

١٧٧٤- عن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نَهَى أنْ يُبَالَ في المَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الراكد: الساكن غير الجاري[٢].

الشرح الأدبي

إن الماء سر حياة الكائنات، يحيا به النبات، ويُسْقى منه الحيوان، ويُروى بسببه الضرع، وينمو في كوثره الزرع، وصيانة لهذا المورد الصافي، والبلسم الشافي، يوجه رسوله ﷺ نهيه عن تلويث هذا المصدر الكريم من مصادر الحياة، والتبول في الماء من أخطر الأضرار التي تلوث البيئة، وتنشر الأمراض، وتنقل العدوى، وتفتك بحياة الناس.

والحديث يصاغ في أسلوب خبري، ويبدأ بالتأكيد على لسان الراوي الأعلى، جابر رضي الله عنه؛ حيث يقول: "أن رسول الله ﷺ"، وقول رسول الله ﷺ هو "خبر إن"، فهو يتموج داخل دائرة هذه الجملة الاسمية، المصدرة بالتأكيد (نهى أن يبال في الماء الراكد).

وبناء الفعل للمجهول يفيد التعميم؛ فالنهي عن الفعل الضار، وكل فعل لا بد له من فاعل، والفاعل المستتر: كل من يقوم بهذا الفعل الضارّ القبيح، وذلك ليس من سلوك المسلم الملتزم، وقوله: "في الماء" يتضمن إيجازاً بالحذف، أي: في مجاري الماء، وقوله: "في

---

(١) برقم (٢٨١/٩٤). أورده المنذري في ترغيبه (٢٥١).

(٢) معجم لغة الفقهاء ١٩٤.

الماء" للتنفير الزائد من هذا الفعل الكريه، ووصف الماء بقوله: "الراكد" لمزيد من التنفير؛ لأن الماء الراكد تختلط به النجاسة فيفسد، وحين يستعمله الآخرون يصيبهم الأذى والضرر. والله أعلم.

فقه الحديث

قضاء الحاجة في الماء: ذهب الحنفية والمالكية إلى كراهة قضاء الحاجة في الماء، بولاً أو غائطاً، وذهب الحنفية أن الكراهة تحريمية وإن كان الماء راكداً، وتكون الكراهة تنزيهية إن كان الماء جارياً. وقال الشافعية والحنابلة يكره البول في الماء الراكد قليلاً كان أو كثيراً للحديث.

وأما الجاري فقال جماعة من الشافعية: إن كان قليلاً كره وإن كان كثيراً لم يكره، قال النووي: وفيه نظر. وينبغي أن يحرم البول في القليل مطلقا، لأنه ينجسه ويتلفه على نفسه وعلى غيره، وأما الكثير الجاري فلا يحرم لكن الأولى اجتنابه، ولعلهم لم يحرموا البول في الماء الراكد كما هو ظاهر الحديث، لأن الماء غير متمول عادة، أو لأنه يمكن تطهيره بالإضافة.

وفرق الحنابلة ين التبول في الماء والتغوط فيه فرأوا كراهة الأول وتحريم الثاني، ففي كشاف القناع: يكره بوله في ماء راكد أو قليل جارٍ، ويحرم تغوطه في ماء قليل أو كثير راكد أو جارٍ، لأنه يقذره ويمنع الناس الانتفاع به[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: النهي عن البول في الماء الراكد.

ثالثاً: من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٥٥٥/١ ط دار عالم الكتب، وحاشية العدوي على الخرشي ١٤٤/١، والمجموع شرح المهذب ٩٣/٢، وكشاف القناع ٦٣/١، وشرح صحيح مسلم مج٢/٣/١٩٠-١٩١، والموسوعة الفقهية ١٣/٣٤-١٤.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

حيث جاء في الحديث قول جابر رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" وأسلوب النهي من أساليب الدعوة التي تشعر المدعو بخطورة المنهي عنه، وضرورة اجتنابه، وقد أمر الله سبحانه بالاستجابة لما يأمر به الرسول ﷺ وما ينهى عنه، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

والرسول ﷺ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: النهي عن البول في الماء الراكد:

إن الإسلام دين الطهارة والنظافة والتجمل، ولذا يحرص الإسلام على نظافة الماء المستخدم للطهارة وغيرها، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن البول في الماء الراكد حتى لا يتنجس، ويظل على نظافته وطهارته، حيث جاء في الحديث من قول جابر رضي الله عنه "أن رسول الله ﷺ نهى أن يبال في الماء الراكد" قال النووي: (وأما "الراكد" القليل فقد أطلق جماعة من أصحابنا أنه مكروه، والصواب المختار، أنه يحرم البول فيه، لأنه ينجسه ويتلف ماليته، ويغر غيره باستعماله، وقال أصحابنا وغيرهم من العلماء: والتغوط في الماء كالبول فيه وأقبح، وكذلك إذا بال في إناء ثم صبه في الماء، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول فكله مذموم قبيح منهي عنه على التفصيل المذكور، ولم يخالف في هذا أحد من العلماء، إلا ما حكى عن داود بن علي الظاهري أن النهي مختص ببول الإنسان بنفسه، وأن الغائط ليس كالبول، وكذا إذا بال في إناء ثم صبه في الماء أو بال بقرب الماء، وهذا الذي ذهب إليه خلاف إجماع العلماء، وهو أقبح ما نقل عنه في الجمود على الظاهر... وأما انغماس من لم يستنج في الماء ليستنجي فيه، فإن كان قليلاً بحيث ينجس بوقوع النجاسة فيه فهو حرام، لما فيه من تلطخه بالنجاسة وتنجيس الماء، وإن كان كثيراً لا ينجس بوقوع النجاسة فيه، فإن كان جارياً فلا بأس به، وإن كان راكداً فليس بحرام، ولا تظهر كراهته لأنه ليس في معنى البول

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

ولا يقاربه، ولو اجتنب الإنسان هذا كله أحسن)[١].

وقال القاضي عياض: (ونهيه ﷺ عن بول الرجل في الماء الراكد أو الدائم الذي لا يجري، هذا تفسير منه ﷺ على طريق التنزيه والإرشاد إلى مكارم الأخلاق والاحتياط على دين الأمة، وهو في الماء القليل آكد منه في الكثير لإفساده له، بل ذكر بعضهم أنه على الوجوب فيه، إذ قد يتغير منه ويفسد، فيظن من مرّ به أن فساده لقراره أو مكثه، وكذلك يكثر تكرار البائلين في الكثير حتى يعتريه ذلك، فحمى ﷺ هذا العارض في الماء الذي أصله الطهارة بالنهي عن ذلك، وذكر البول فيه دليل على ما يشابهه من الغائط وغيره، فإن فعل ذلك في ماء كثير لم يضره، وأما الجاري فهو في حكم الكثير الغالب ما لم يكن ضعيفاً يغلبه البول ويغيره، ولأن أكثر المياه الموجودة ليست كثيرة مستجرة، والناس يتناوبون المياه عند حاجتهم، ويقربون منها للتنظيف بها، فلو أطلق لهم البول فيها لفسد أكثرها، وقطع الانتفاع بها، لا سيما فيما يقرب من العمران، ويدخل الوساوس فيما يوجد منها)[٢].

وقال ابن علان: (والنهي محمول على التنزيه إذا كان الماء ملكاً له أو مباحاً، فإن كان مسبلاً أو مملوكاً للغير حرم، ومحل الكراهة في الأول حيث لم يبل وهو في الماء والماء قليل، وإلا فيحرم لما فيه من التضميخ بالنجاسة، والكراهة في الغائط أشد للفحش، قيل: وبالليل أقوى لأنه مأوى الجن. قال العلقمي: والنهي عن القليل أشد للتنجيس وهو التنزيه)[٣].

وجاء في فتح الملهم: (ووصفه ﷺ الماء بالركود والدوام وعدم الجريان، تنبيه على أن هذه الأوصاف هي مناط النهي في الحالة الراهنة، لا تغير أوصاف الماء، ولا كونه أقل من قلّتين، لأن سكونه وعدم جريانه يقتضي استقرار النجاسة أو الخبث فيه وعدم انتقاله منه، فلا يخلو استعمال الماء الذي بال فيه عن استعمال بعض أجزائها وهو محرم

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٨٥.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ١٠٥/٢.

(٣) دليل الفالحين ١٧٤٥.

بنص القرآن الكريم، أي قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[١] وكون الماء متروكاً ومهجوراً إلى ما يظن وجود أجزاء النجاسة فيه في القليل والكثير، فلا نقيد الحديث بالقليل والكثير، لأن الحكم دائر على التعليل المذكور، وهو استقرار الخبث في الماء وعدم انتقاله عنه، ومن قيده منا بالقليل فكأنه أظهر مفاد التعليل ونتيجته، أي: الكثير لا يفسد سائر أطرافه لعدم وصول الخبث إليه، وإن كان النهي يشمل البول في الماء الكثير أيضاً، فإن فيه إفساد بعض أطرافه، كما صرح به بعض فقهائنا والله أعلم)[٢].

وقال الحسيني هاشم: (وفي الحديث النهي عن البول في الماء الدائم الذي لا يجري، وهو نهي يشتمل على كثير من الفوائد، ففضلاً عن رعاية الذوق والشعور العام، فيه وقاية من انتقال الأمراض وانتشار الأوبئة والأسقام)[٣].

ثالثاً- من واجبات المدعو: الاستجابة لتوجيهات الشرع:

ويستنبط هذا من الحديث، حيث يجب على المدعو أن يستجيب لتوجيهات الرسول ﷺ، والتي تمثلت في الحديث في إخبار جابر رضي الله عنه عن نهي النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد، والرسول ﷺ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، قال الله تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[٤].

ففي الالتزام بأوامر الرسول ونواهيه السعادة والرضا في الدنيا والآخرة (لقد اصطفى الله محمداً ﷺ بنبوته ورسالته، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وأمره باتباع ما أوحى إليه، وتبليغ ما أنزل إليه، وقد شهد الله له بالصدق والعصمة واستمساكه بما أمره به، كما شهد له بالهدى في نفسه، وأنه هاد لمن اتبعه قال

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

(٢) موسوعة فتح الملهم، الشيخ شبير أحمد العثماني، ص ٤٧/٣.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨٠١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٧.

سبحانه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

وهذه منزلة رسول الله ﷺ من الدين، فهو المبلغ عن الله دينه ووحيه، وهو الآمر بإذن مولاه والهادي إلى الصراط المستقيم، فمن آمن به فبالله آمن، ومن أطاعه فقد أطاع الله، ومن قبل عنه فعن الله قبل، لأجل هذا أمر الله العباد بطاعته، وأوجب عليهم اتباع أمره وتصديق خبره، وحذرهم من مخالفته وعصيانه، وجعل طاعته فرضاً لازماً لكل من آمن بالله، ولم يجعل لمؤمن اختياراً في أي أمر بعد قضاء الله ورسوله فيه)[2].

---

(١) سورة الشورى، آية: ٥٢-٥٣.

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان، ص ١١١.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: الوقاية الصحية باجتناب التبول في الماء الراكد:

استخدم الإسلام أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات النبي ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك والمجتمع والدولة إلى الضعف والهوان، أو من خلال بعض التوجيهات التي تحض الفرد وتدفعه نحو الاستقامة والاعتدال.

وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق.

وهي بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة[1].

ومن هذه الإرشادات والتحذيرات نهيه ﷺ عن التبول في الماء الراكد، فعن جابر رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»، وذلك من أجل عدم تنجيس الماء الراكد لأنه لا يجري، فأي نجاسة تسري فيه وتنجسه، ومن أجل الوقاية الصحية باجتناب الأمراض التي تنتقل من خلال التبول في الماء الراكد.

قال البروفيسور نلسون[2]: مرض البلهارسيا يفتك بالملايين من الناس في العالم والوقاية منه باتباع حديث من أحاديث النبي ﷺ[3]، لو اتبع المسلمون وغير المسلمين هذا الحديث لانتهى مرض البلهارسيا من العالم.

والسر في ذلك: أن مريض البلهارسيا إذا تبول في الماء الراكد نزلت بويضات البلهارسيا مع بوله إلى الماء، حيث تفقس ويخرج كائن صغير يعرف بالميراسيديوم،

---

(١) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني، ص٢٥٦.

(٢) من أكبر أطباء بريطانيا، ومكتشف مرض نلسون، وقد سمي المرض باسمه.

(٣) يقصد به حديث النبي ﷺ الذي رواه أبي هريرة رضي الله عنه، «لا يَبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائمِ الذي لا يَجري ثم يَغتسِلُ منه»، أخرجه البخاري، ٢٣٩، ومسلم، ٢٨٢.

الذي يبحث عن القوقعة التي يكمل فيها أطوار حياته، ليخرج بعد ذلك كائناً آخر يعرف بالسيركاريا، التي تسبح في الماء باحثة عن الضحية التي ستدخل جسدها والعجيب أن الضحية هو الشخص الذي خالف هدي سيد البشرية ﷺ ونزل الماءَ الراكدَ الذي تبول فيه ليغتسل فيه، فإن السيركاريا تدخل جسده ليصاب بمرض البلهارسيا التي ربما تكون بسببه وفاتُه.

ومن الجدير بالذكر، أن الماء الراكد يعتبر بيئة خصبة لنمو الكثير من البكتريا، كالكوليرا، والسمالونيلا، والشجيلا، وغير ذلك، كما تحتاج بعض الطفيليات الأولية والديدان "كالزحار الأميبي، والديدان المستديرة، والبلهارسيا"، إلى الماء الراكد لإكمال دورة حياتها، خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الطفيليات والديدان بسرعة، وتكاثرها، وانتشارها[1].

فعلى المسلم أن يتقي التبول في الماء الراكد حتى يقي نفسه وغيره من البشر الأمراض والأوبئة.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى ضرورة عدم التبول في الماء الراكد، وعدم الاغتسال منه إذا بال فيه أحد، حتى يتجنبوا الأمراض التي تضعف أجسادهم وتعيقهم عن أداء أدوارهم في الحياة.

ثانيًا: من أهداف التربية: المحافظة على مصادر المياه:

لقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الذي لا يجري مما يؤدي إلى نجاسته وعدم استعماله.

وما أسوأ الآثار للبول في الماء أو قضاء الحاجة، أو عملية الصرف الصحي التي تتم في الأنهار أو الترع أو البحيرات أو غير ذلك مما أدى إلى انتشار البلهارسيا التي فتكت بأعداد غير قليلة من الشعوب التي تأتي مثل هذه المخالفات[2].

---

(١) انظر: الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ٥٠٩/٢.

(٢) انظر: حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، بحث منشور ضمن حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ص٣٤.

هذا فضلاً عن إلقاء المخلفات الصناعية للمصانع وغيرها في الماء هذا على مستوى الدول الفقيرة.

أما على مستوى الدول الكبرى فهناك كوارث بيئية تصنعها تلك الدول عن طريق إلقاء النفايات السامة في البحار والمحيطات وعملية غسل ناقلات البترول العملاقة في البحار، لأجل تنظيف خزانات تلك الناقلات وتفريغ مياه تنظيفها في البحار، أو تفريغ بعض الكميات في المسطحات التي يراد تلويثها، أو الإضرار بالبيئة البرية والبحرية فيها، هذا فضلاً عن حوادث الناقلات البحرية التي تحمل النفط مما يؤدي إلى تلوث المياه في البحار والمحيطات[١].

ناهيك عن أضرار الحروب وما تخلفه من تلوث في البحار والمحيطات إن مثل هذه الممارسات غير المسؤولة واللا إنسانية يأباها الإسلام، ويحظر على المسلم فعلها، لأن ذلك يؤدي إلى إلحاق الضرر بالإنسان والحيوان والنبات والأحياء البحرية التي تعد غذاء الإنسان، فضلاً عن إتلاف للشعاب المرجانية، وغير ذلك من ألوان الفساد[٢].

وقد حرص الإسلام على المحافظة على مصادر المياه وترشيد استعمالها وعدم هدرها أو تلويثها[٣].

فالماء نعمة كبرى، فقد جعله الله سببًا في حياة الأرض والإنسان والحيوان والكائنات، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٤].

ومعروف أن الماء وسيلة من وسائل الطهارة والنظافة، والسعادة النفسية، وله أثره في إحياء الأرض بعد موتها، وتأهيلها للزراعة والإنتاج[٥]، فهو ضروري لكل الموجودات،

---

(١) انظر: التلوث وحماية البيئة، د. محمد عبدو العودات، د. عبدالله باصهي، ١٥٥، نقلا المرجع السابق، ص٣٥.

(٢) حماية البيئة من التلوث بين المنظور الإسلامي والمنظور الغربي، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ص٣٥، مرجع سابق.

(٣) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي، ٢٤١/٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٥) انظر: بهجة الناظرين، سليم الهلالي، ٢٤١/٣.

وهو حياة لكل ما في الكون[١]، وقد اهتم الإسلام به اهتمامًا كبيرًا والمتتبع لآيات القرآن وأحاديث النبي ﷺ يلمس هذا الاهتمام ويدرك أهميته.

ولا فرق في الأهمية بين ماء البحر وماء النهر والمطر، فلكل منها فوائده الجمة وضرورته الحيوية لجميع المكونات البيئية وإن كانت استفادة الإنسان من كل ذلك تأتي في الدرجة الأولى ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

ولأن الماء ضرورة لكل الموجودات منع الإسلام احتكاره، ومنعه من طالبه، وجعل الناس جميعًا فيه شركاء، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلأِ وَالنَّارِ»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلأُ»، وفي رواية: «لاَ يُبَاعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُبَاعَ بِهِ الْكَلأُ»[٥]. وهذه الأهمية والضرورة تقتضي من الإنسان حسن التعامل معه، وتوظيفه فيما خلق له، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظل الحياة والأحياء. والاستفادة منه بحكمة وتعقل، والحرص على طهارته ونقائه، حتى لا يكون بيئة صالحة للأمراض وتعايش الميكروبات والفيروسات، ومن ثم يصبح مصدرًا للهلاك والإهلاك. ولذا نرى السنة المطهرة تحذر من ذلك وتنفر منه فقد ورد عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه نهي أن يبال في الماء الراكد، وورد عن أبي هريرة عن

---

(١) انظر: الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ص٧٥، ٨٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٢٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه، ٢٤٧٢، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٤).

(٥)أخرجه البخاري، ٢٣٥٣، ٦٩٦٢، ومسلم، ١٥٦٦.

النبي ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل منه»[١]، وعنه أن رسول الله ﷺ: قال: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب، فقال أبو السائب راوي الحديث، كيف يفعل يا أبا هريرة قال يتناوله تناولاً»[٢].

وبلغ من عناية الإسلام بالنظافة وحرصه على عدم تلوث الماء ولو بطريق غير مباشر، أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ٱسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلاَ يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ حَتَّىٰ يَغْسِلَهَا ثَلاَثًا، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَهُ»[٣].

ولأهمية النظافة للماء ولغيره، جعلها الإسلام شعارًا من شعاراته العبادية، وفضيلة من فضائل الإسلام، يتحلى بها المسلم، ويحرص عليها، وسواء في ذلك الطهارة الحسية أو المعنوية، كل ذلك ليبعد بنا عن التلوث، أيا كان، فضلاً عن أن تكون سببًا في حدوثه، ولذلك ورد لفظ الطهر والطهارة في القرآن الكريم "١٣ مرة" في مواضع عديدة للماء أو للإنسان، للطهارة الحسية أو المعنوية.

قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِهِۦ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[٥]، ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٦]، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[٧].

وورد عن النبي ﷺ قال: «الطهور شَطْر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان....إلخ»[٨].

ومن الأهمية أن يعرف الإنسان أن الماء - شأنه شأن جميع الموجودات - وقد خلقه

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٣٩، ومسلم، ٢٨٢.

(٢) أخرجه مسلم، ٢٨٣.

(٣) أخرجه مسلم، ٢٧٨.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ١١.

(٥) سورة المدثر، الآيتان: ٤، ٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

(٧) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٨)أخرجه مسلم، ٢٢٣.

الله سبحانه بقدر، وأن أي إسراف فيه أو تبذير أو تلوث يخل بهذا القدر الصالح للاستعمال، ويُعَرّض الحياة لخطر داهم، حيث لا غنى لمخلوق عنه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[1][2].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.

(٢) الإسلام والبيئة، محمد مرسي محمد مرسي، ص٨٩، ٩٢.

٣٥٣- باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

الحديث رقم (١٧٧٥)

١٧٧٥- عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أنَّ أباه أتى بهِ رسُولَ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي نَحلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاماً كَانَ لِي، فقال رسولُ الله ﷺ: ((أكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟)) فقال: لا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((فَارْجِعهُ))[1].

وفي روايةٍ[2]: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((أفَعَلْتَ هذا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟)) قال: لا، قال: ((اتَّقُوا الله واعْدِلُوا فِي أوْلادِكُمْ)) فَرَجَعَ أبي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي روايةٍ[3]: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ((يَا بَشيرُ ألَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟)) فقالَ: نَعَمْ، قال: ((أكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذا؟)) قال: لا، قال: ((فَلاَ تُشْهِدْنِي إذاً فَإنِّي لاَ أشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ)).

وفي روايةٍ[4]: ((لاَ تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ)).

وفي رواية[5]: ((أشْهِدْ عَلَى هذَا غَيْرِي)) ثُمَّ قال: ((أيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا إلَيْكَ فِي البِرِّ سَواءً؟)) قال: بَلَى، قال: ((فَلا إذاً)). متفق عليه[6].

ترجمة الراوي:

النعمان بن بشير: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٦٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣/٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٨٧)، ومسلم (١٦٢٣/١٣) واللفظ له، من حديث عامر بن شراحيل الشعبي عن النعمان.

(٣) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٤) من حديث محمد بن بشير.

(٤) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٦) من حديث عاصم الأحول.

(٥) أخرجها مسلم (١٦٢٣/١٧) من حديث داود بن أبي هند.

(٦) انظر: الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤٩٩/١، رقم ٨٠٤).

غريب الألفاظ:

إني نحلت: أعطيت[1].

الشرح الأدبي

هذا الحديث ينقل مشهداً واقعيًا من مشاهد السيرة النبوية المضيئة، بجلائل الأعمال، وروائع الأقوال، وحميد الأفعال، وهذا المشهد درس من دروس النبوة في العدل والمساواة بين الأبناء؛ حتى لا تتسرب الأحقاد والعداوات إلى نفوسهم، حين يفضل بعض الآباء أحد الأبناء على الآخرين.

وتأكيد المساواة ووجوبها تنطق به صياغة الحديث؛ حيث يبدأ بالتوكيد بـ"أن": فَخَبَرُ المحاورة بين الرسول والنعمان وأبيه يبدأ بتأكيد الخبر، في قوله: "أن أباه أتى به رسول الله ﷺ".

وكلام بشير الأنصاري يبدأ بالتوكيد في سياق إثبات الهبة للابن؛ حيث يقول: "إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي"، واسم الإشارة في قوله: "ابني هذا" يفيد التحديد؛ لأن المراد ابن معين وهو النعمان، وتنكير لفظ "غلاماً" يدل على الشيوع؛ فالمراد الهبة المعطاة وليس غلاماً محدداً.

وهذا الصنيع لم يرض رسول الله ﷺ فقال: "أكلَّ ولدك نحلته مثل هذا؟" والاستفهام هنا تقريري، يحمل اعتراضاً ضِمْنيًّا على تخصيص أحد الأبناء بعطية دون الآخرين.

وقد انتهى الحوار بين رسول الله ﷺ وبشير الأنصاري بالإقناع والرجوع عن الهبة، وقد أصدر رسول الله حكمه في صورة أمر واجب التنفيذ، حين قال للصحابي بشير الأنصاري: "فأرجعه"، وفي هذا الأمر إيجاز بالحذف والتقدير، فإذا كنت لم تنحل كل ولدك مثل هذا... فأرجعه: أي: فأرجع ملكية العبد إليك، وفي الرواية تفسير لهذا الإيجاز؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم"، ويقول النعمان: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة.

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ن ح ل).

فقه الحديث

ومن الحديث من الفقه: حكم تفضيل الشخص بعض ولده على بعض في العطية والهبة: اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الحنابلة[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أنه لا يجوز للشخص أن يفضل بعض ولده على بعض في الهبة والعطية، فإن خص بعضهم بعطية أو فاضل بينهم أثم، ويجب عليه إما أن يرد ما تفضل به على البعض، وإما إتمام نصيب الآخر.

واستدلوا على ذلك: بحديث الباب، فقد سمى رسول الله ﷺ ذلك جَوْراً، وامتنع عن الإشهاد عليه، والجور حرام، ولأن النبي ﷺ أمر برده والأمر يقتضي الوجوب.

ولأن ذلك يورث العداوة والبغضاء، وقطيعة الرحم بين الأولاد فلا يجوز، كتزويج المرأة على عمتها، أو خالتها[٣].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية[٤]، والمالكية[٥]، والشافعية[٦]، ويرون أنه يجوز للشخص أن يفضل بعض ولده في العطية، وإن كانت التسوية بينهم أحب إلى الجميع.

واستدلوا على ذلك: بأن أبا بكر رضي الله عنه قد نحل عائشة ابنته جذاذ عشرين وسقاً دون سائر ولده[٧].

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٧/٥، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣٧١/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٩/٢.

(٢) المحلى، ابن حزم ١٤٢/٩.

(٣) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٧/٥، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٣٠/٢.

(٤) البدائع ١٢٧/٦.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٥/٧.

(٦) اختلاف الحديث للشافعي ١٦٠.

(٧) أخرجه مالك ١٥٠٨ موسوعة شروح الموطأ، ومن طريقه في شرح معاني الآثار ٨٨/٤، والبيهقي ١٦٩/٦-١٧٠، والبغوي في شرح السنة ٢٢٠٤ وإسناده صحيح.

كما أن قول رسول الله ﷺ في حديث الباب "أشهد على هذا غيري" يدل على صحة الهبة، لأنه ﷺ لم يأمره بردها وإنما أمره بتأكيدها، بإشهاد غيره عليها، وإنما لم يشهد رسول الله ﷺ لأن البشير قد ترك الأفضل[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يعنيهم من أمورهم.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: حث الآباء على العدل بين أبنائهم، وعدم تفضيل بعضهم على بعض.

ثالثاً: من واجبات الداعية: سؤال المدعو عن بعض الجزئيات قبل إعطائه الإجابة للتثبت والتأكد.

رابعاً: من أساليب الدعوة: النداء.

خامساً: من أساليب الدعوة: الأمر.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الحث على تحري العدل في شتى الأمور خاصة في معاملة الأولاد.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على سؤال النبي ﷺ عما يعنيهم من أمورهم:

لقد كان صحابة رسول الله ﷺ حريصين الحرص كله على سؤال النبي ﷺ والرجوع إليه واستفتائه، ومن دلائل ذلك ما ورد في الحديث من سؤال والد النعمان بن بشير رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ، فقال إني نحلت ابن هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فأرجعه" فلقد كان صحابة رسول الله ﷺ يسألونه عن كل ما يعنُّ لهم في شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون

---

(١) اختلاف الحديث للشافعي ١٦٠، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٢٢٦/٧، ٢٢٧.

الدنيا، حتى إن بعضهم كان يسأل عن الشر مخافة أن يقع فيه[١].

كما في حديث أبي إدريس الخولاني قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول: ((كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ. وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ. مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ. فَجَاءَنَا اللّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ. فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قال: نعم، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله! فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصلِ شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك))[٢]. فالأصل في المسلم أن يسأل عما لا يعلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٣].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: حث الآباء على العدل بين أبنائهم وعدم تفضيل بعضهم على بعض:

إن العدل ضرورة لإقامة الحق، وضمان العدل يشيع الطمأنينة، وينشر الأمن، ويشد علاقة الأفراد بعضهم ببعض، ويجعل الروابط بينهم قائمة على التوازن والانسجام والإخاء. ومن هنا نجد آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ مليئة بالدعوة للعدالة وإحقاق الحق، محذرة من الظلم والبغي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٤]. والعدل من

---

(١) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

أوصاف الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1]. وإقامة العدل إحدى مهمات الرسول ووظائفه: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[2])[3].

والعدل الذي ينادي به الإسلام، عدل شامل في جميع ميادين الحياة، وفي جميع شرائح المجتمع وطبقات الناس، ومن ذلك عدل الآباء بين أولادهم وعدم تفضيل بعضهم على بعض، وقد جاء الأمر بالعدل بينهم في صريح الحديث في قوله ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" فإذا كان الآباء حريصين على سلامة أبنائهم من العقد النفسية ومركبات الشعور بالنقص، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طوية، فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول ﷺ بالعدل بين الأولاد، وأن يسعوا جهدهم في إشعار أولادهم جميعاً بروح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة، حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل، والنظرة الرحيمة، والعطف الصادق، والمعاملة العادلة[4]. ولذا كان أمر النبي ﷺ بالعدل في الأولاد، "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" بالتسوية بينهم في العطاء والبر والإحسان[5].

وهذا العدل إنما يجب على الإنسان قدر استطاعته، ولا يلزم التدقيق الشديد لما جاء في بعض الروايات ((قاربوا بين أولادكم))[6]. وفي ذلك دليل على أن التسوية بين الأولاد إنما تجب بقدر الوسع، ولا يجب على الإنسان التدقيق الشديد في ذلك، وإنما التفضيل المكروه ما يغلب على الظن أنه يسوء الأولاد والآخرين[7].

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٢) سورة الشورى، آية: ١٥.

(٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي ص ٣٣١.

(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان ٣٢٩/١، ٣٣٠.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٦.

(٦) أخرجه مسلم ١٦٢٣.

(٧) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ٧١/٨.

ثالثاً- من واجبات الداعية: سؤال المدعو عن بعض الجزئيات قبل إعطائه الإجابة للتثبت والتأكد:

جاءت الإشارة إلى وجوب مراعاة ذلك، وذلك في سؤال النبي ﷺ لبشير والد النعمان "أكل ولدك نحلته مثل هذا" وفي رواية "أفعلت هذا بولدك كلهم" وفي رواية "يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال نعم، قال: أكلهم وهبت مثل هذا" وفي ذلك إشارة إلى ما ينبغي أن يتحلى به الداعية والمفتي بالرصانة في الفكر، وجودة الملاحظة، والتأني في الفتوى، والتثبت فيما يفتي به، فهذه صفات يلزم وجودها فيمن يتصدى للفتوى[1]، إذ أن من كان معروفاً بالعجلة في فتواه، والتسرع بالإجابة عما يسأل عنه، دون أن يتثبت من ذلك، فمن كانت أوصافه كذلك، فقد أول أسباب التوفيق، وحريٌّ بمن فقد أولها، ألا يحالفه الحظ في وجدان آخرها، وألا ينال في آخر المطاف غايته التي قصدها[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد في الحديث في قوله ﷺ "يا بشير" والنداء من أساليب الدعوة المفيدة، وقد تكرر هذا الأسلوب في القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[3] وهذا الخطاب المصدر بنداء الإيمان له أهمية خاصة عند المؤمن، فهو نداء يخاطب قلبه ويدفعه إلى أن يستجيب لما أمر به[4] فالنداء خاصة المصدر بالإيمان نداء موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف[5].

خامساً- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" وأسلوب الأمر من الأساليب ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من حمل المدعوين على

---

(١) المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي الربيعة، ص ٢٥.

(٢) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي ١٥٨/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧.

(٤) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي ص ٦٠.

(٥) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

الائتمار بما أُمروا به، وقد تكرر أسلوب الأمر في القرآن، مثل قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢] وقوله: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[٣] وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله وطاعته[٤].

سادساً- من موضوعات الدعوة: الحث على تحري العدل في شتى الأمور خاصة في معاملة الأولاد:

جاء في الحديث ما يدل دلالة صريحة على وجوب تحري العدل في الأمور كلها خاصة في تعامل الآباء مع أولادهم، ومراعاتهم العدل بينهم في الهبات والعطايا وعدم تفضيل بعضهم على بعض[٥]. فقال ﷺ "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" وقد تضافرت آيات القرآن وأحاديث السنة النبوية على وجوب العدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾[٦] وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٧] وقال ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾[٨] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا))[٩]. والعدل من

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠.

(٥) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤/١.

(٦) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٧) سورة المائدة، آية: ٨.

(٨) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.

(٩) أخرجه مسلم ١٨٢٧.

أفضل ما يتصف به الإنسان، قال ابن حزم: أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبه، وعلى الحق وإيثاره[١]. والعدل سبب للتمكين والنصر، قال ابن تيمية: (إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، وإن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة)[٢]. ومن أبرز مجالات العدل التي أولاها الإسلام أهمية خاصة، العدل في الأسرة، أزواجاً وأولاداً ومن شاكلهم، فلكل فرد حقوقه التي يجب أن تصان، وإن اجتناب ذلك والتجافي عن العدل، خاصة بين الأولاد يغرس الحقد والحسد[٣] والضغائن في النفوس.

---

(١) مداواة النفوس، الإمام ابن حزم، تحقيق: أبو حذيفة بن محمد ص ٩٠.

(٢) انظر موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ٢٨١٦/٧.

(٣) أخلاقنا، د. محمد ربيع جوهري، ٢١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية على العدل:

العدل خلق شرعي عظيم، وعليه قامت السماوات والأرض، وهو سمة للمسلم الصادق في حياته كلها، ويتأكد الأمر عند تعامل الوالد مع أولاده، أو المعلم مع تلاميذه، وجاءت السنة النبوية مؤكدة وجوب العدل بين الأولاد، ومن ذلك حديث الباب، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاَمًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ».

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: «أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ» فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ»..إلخ باقي روايات الحديث.

وما ذلك إلا لأن الإخلال به ينشأ عنه مفاسد عدة من إيغار الصدور وإثارة البغضاء، بل هو مؤد إلى تكريس الأحقاد، وقد يصل الحال لدى بعضهم كما فعل إخوة يوسف حين قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وحين ينشأ الشاب في بيئة لا تلتزم بالعدل فسوف يترك ذلك أثره عليه سواء أكان مُفضَّلاً على غيره أم فُضِّل غيره عليه.

وينشأ الإخلال بالعدل في المحاضن التربوية في حالات كثيرة؛ فيبدو من المربي اهتمام زائد ببعض الشباب لأنه يتوقع منهم أكثر من غيرهم.

ومما ينبغي أن يراعيه المربي هنا: أن الاعتبارات التي يراها مسوغة لتفضيل بعض أولاده أو تلامذته على بعض قد لا تكون مقنعة لديهم، ومن ثم فلابد أن يربط تمييز أحدهم - إن كان في تمييزه مصلحة ظاهرة - بأمور موضوعية مدركة للجميع[2].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨.

(٢) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٢٠٥، ٢٠٦.

ثانيًا: التربية بالحوار والمناقشة:

يعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والإقناع، لأن الإقناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك، والقرآن مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل، وترسيخ العقيدة، ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى ادراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم ﷺ هذا الأسلوب في عديد من المواقف[1]، ويظهر ذلك جليًا في حواره ﷺ مع بشير رضي الله عنه والد النعمان رضي الله عنه عندما أراد أن يفضل النعمان بعطية دون باقي أولاده ويروي هذا الحوار المفيد وهذه المناقشة الجميلة النعمان بن بشير رضي الله عنه فيقول إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: «إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاَمًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَرْجِعْهُ».

وفي رواية: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ» فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وكذلك باقي الحوار والمناقشة في باقي روايات الحديث، هذا الحوار والمناقشة كان نتيجتها اقتناع الوالد ورجوعه عن تفضيل ابنه عن باقي إخوته، فهو أسلوب من الأساليب التي كثر استخدام النبي ﷺ لها لفائدته في الإقناع.

لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته، وفي هذا المجال يؤكد ابن خلدون أن الطريقة الصحيحة في التعليم هي التي تهتم بالفهم والوعي والمناقشة لا الحفظ الأعمى عن ظهر قلب، ويشير إلى أن "ملكة العلم" إنما تحصل

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

بالمحاورة والمناظرة والمفاوضة في مواضيع العلم، ويعيب طريقة الحفظ عن ظهر قلب ويعتبرها مسئولة عن تكوين أفراد ضيقي الأفق عقيمي التفكير لا يفقهون شيئًا ذي بال في العلم.

والواقع أن المربين المسلمين قد اهتموا بأسلوب المناظرة والحوار في التدريس، واعتبروه أسلوبًا مفضلاً مجديًا في التعليم، حيث يقول الزرنوجي: "إن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في الحفظ والتكرار"، وقد احتاط المربون المسلمون من سوء استخدام أسلوب المناظرة والحوار بأن وضعوا له بعض الشروط التي تجعل منه أسلوبًا فعالاً للتعلم والبحث العلمي، ومن أهمها: أن يكون هدف المناظرة الوصول إلى الحقيقة لا التضليل وحب الانتصار بالباطل، كما يشترط في المتناظرين الإلمام بموضوع المناظرة، والتحلي بالهدوء وسعة الصدر وعدم التكلف وغيرة الصدر. ومع أن أسلوب المناظرة هو أقرب إلى الدراسات العالية فإننا نجد صورة مبسطة منه في أسلوب الحوار والنقاش الذي يديره المعلم مع تلاميذه ليحفزهم على التفكير[1].

ثالثًا: التربية بالأحداث والمواقف:

أحداث الحياة ومواقفها متتالية، والأحداث والمواقف لها عواملها وأسبابها، ولها كذلك نتائجها ومخرجاتها، وفي كل حدث أو موقف يكمن درس ينبغي أن نعيه، والتربية بالأحداث والمواقف الواقعية من أهم أساليب التربية الإسلامية وقد استخدم الرسول ﷺ من الأحداث والمواقف العملية دروسًا لقنها للمسلمين، وهكذا كان الرسول ﷺ لا يدع فرصة أو حدثًا أو موقفًا يمر دون أن يجعل منه درسًا وموعظة[2]، ومن ذلك استغلال حدث والد النعمان عندما أراد أن يفضله على باقي أولاده بعطية.

فأرشده إلى الصواب وأفاده وأفاد جميع الوالدين من المسلمين إلى يوم القيامة، بوجوب العدل بين الأولاد وعدم تفضيل أحدهم على الآخر إلا إذا كانت هناك أسباب تدعو لذلك، وهكذا تكون التربية بالحدث، ومن خلال الحدث.

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦.

(٢) أصول التربية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٧.

رابعًا: التربية بالقدوة:

إن التربية بالقدوة من أهم أساليب التربية وأنجحها، وذلك لأن المربي إذا التزم بالقيم التربوية التي يدعو إليها، كان ذلك ادعى إلى قبول توجيهاته والعمل بها، وقد كان رسول الله ﷺ خير قدوة للبشرية في تاريخها الطويل، وكان مربيًا وهاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به[1].

وتظهر مطابقة سلوك النبي ﷺ لقوله في رفضه أن يشهد على العطية التي أراد أن يعطيها والد النعمان لابنه النعمان، وذلك في قوله ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَىٰ هذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَلاَ تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لاَ أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ».

وفي رواية: «لاَ تُشْهِدْنِي عَلَىٰ جَوْرٍ».

وفي رواية: «إِذًا فَلاَ».

كل هذه الروايات تؤيد مطابقة سلوكه ﷺ لقوله: «اتَّقُوا اللّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ».

من ذلك يتضح لنا أهمية مطابقة سلوك المربي مع قوله ليكون القدوة الصالحة لهم فيقتدون به.

وذلك لأن تأثير المواقف العملية على نفس المتلقي أبلغ بكثير من الحديث والخطب والعظات، لأنها تكسب برهان صدقها من حدوثها وتحققها، لذلك كان تفاعل المربي مع القيم التربوية التي يدعو إليها والتزامه بها، أجدى من كثير من الكلام عن أهميتها والدعوة إليها، من غير أن يصاحب ذلك عمل في واقع الأمر.

فالتزام المربي أمام الطفل بالصدق في كل تصرفاته فيما يعود عليه بالمنفعة أو ما يعود عليه بالضرر، أجدى من حديث المربي المكرر عن أهمية الصدق وقيمته، وهو لا يلتزم به أو لا يظهر منه التزامه به[2].

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٢٥.

(٢) نحو تربية إسلامية راشدة، محمد شاكر الشريف ص ٥٢.

فعندما يلتزم المربي في كل أحواله بأن تكون أعماله مصدقة لأقواله فإن ذلك أنفع للمتربي، حتى لو كان هذا فيما يتعلق بأمور الدنيا، ففي عصرنا الحاضر عندما يلتزم المربي الوقوف عندما تضيء إشارة المرور اللون الأحمر مثلاً، فإن ذلك له تأثيره على الطفل أكثر بمرات كثيرة من سماعه عن أهمية الالتزام بإشارات المرور، بينما هو يرى مربيه في الوقت نفسه لا يلتزم بها، وعندما يرى الطفل مربيه وهو يعطف على المسكين ويساعد الضعيف، فإن ذلك - ولاشك - سوف يدفعه إلى تقليده والاقتداء به وهو أجدى من الحديث عن فضل الصدقة وأهميتها في الوقت الذي لا يظهر فيه القيام بها... وهكذا، فمن الأمور المهمة في تربية الطفل أن يتعامل مع القيم التي نريد له أن يتخلق بها على أنها سلوك عملي ولست مجرد أفكار نظرية، والقدوة تؤكد ذلك المعنى وترسخه[1].

❁ ❁ ❁

(١) المرجع السابق ص ٥٣، ٥٤.

٣٥٤- باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

الحديث رقم (١٧٧٦)

١٧٧٦- عن زينب بنتِ أبي سلمة رضي الله عنها، قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ رضي الله عنها، زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بن حرب رضي الله عنه، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أَوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: **((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، إلاَّ على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً))**[1].

قالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بنْتِ جَحْشٍ رضي الله عنها حينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: **((لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فَوقَ ثَلاثٍ، إلاَّ على زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً))**. متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم حبيبة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٠٩٩).

زينب بنت أبي سلمة: وهي زينب بنت أبي سلمة عبدالله بن عبدالأحد من بني مخزوم، ربيبة النبي ﷺ، أخت عمر بن أبي سلمة، وأمهما أم سلمة زوج النبي ﷺ.

ولدت بأرض الحبشة، وقيل غير ذلك، وكان اسمها برَّة فسماها رسول الله ﷺ زينب، وكانت أسماء بنت أبي بكر أرضعتها فهي أحب أولادها من الرضاعة، وبذلك كانت أختا من الرضاعة لأولاد الزبير، واعتبرها النبي ﷺ من أهل بيته. فقال لأمها السيدة أم سلمة أنت وابنتك من أهل البيت، وكانت رضي الله عنها ممن رزقهم الله الفقه في

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٣٤)، ومسلم (١٤٨٧). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣٥)، ومسلم (١٤٨٦/٥٨). أورده المنذري في ترغيبه (٥١٩٤).

الدين، قال أبو رافع كنت إذا ذكرت امرأة بالمدينة فقيهة ذكرت زينب بنت أبي سلمة، وقال أبو رافع في رواية أخرى وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة.

حفظ الله عليها شبابها، وأبقى لها ماء وجها ناضراً، حتى كبرت وعمَّرت، وذلك ببركة نضح رسول الله ﷺ الماء في وجهها.

توفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة في ولاية طارق عليها سنة ثلاث وسبعين، وقيل في رجب سنة ثلاث وستين، وحضر ابن عمر جنازتها، وصُلِّي عليها بعد صلاة الصبح، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها وأرضاها[1].

غريب الألفاظ:

صفرة خلوق: هو طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب، وتغلب عليه الحُمرة والصّفرة [2].

بعارضيها: العارضان: جانبا الوجه فوق الذقن إلى ما دون الأذن [3].

تحد على ميت: أي تترك الطيب والزينة [4].

الشرح الأدبي

إن من سمات الشخصية الإسلامية: إسلام الوجه لله، والرضا بالقضاء والقدر، واستقبال أحداث الحياة المأساوية استقبالاً إيمانيًّا فيه سكينة المؤمن، والصبر الجميل، والاحتساب عند الله، والثبات وعدم الجزع؛ لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد (٤٦١/٨، ٤٦٢)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر (٩٠٨، ٩٠٩)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود (١٣٢/٧، ١٣٣)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي (١٦٩٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين (٥٣٧/٨)، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني (٦٧٤/٤، ٦٧٥)، الأعلام، خير الدين الزركلي (٦٦/٣)، موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك (٨٤٩/٢، ٨٥٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: في (ص ف ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٤٣.

(٤) المرجع السابق ٩٤٣.

والحديث يصور مشهداً من تاريخ نساء النبي ﷺ، وهن أمهات المؤمنين، اللائي قال الله فيهن: "لستن كأحد من النساء".

والحديث في صياغته يغلب عليه الطابع القصصي؛ حيث يسيطر الفعل الماضي على بدايات الجمل، وتتعدد الأحداث والمواقف، وكذلك تتعدد الشخصيات في هذا الحديث الشريف؛ فالراوية زينب بنت أبي سلمة من شخصيات الحديث، وهي التي تفصِّل الأحداث، وتحكي الوقائع، ولذلك تكررت هذه العبارة التي تدل على جو السّرد والحَكْي: قالت: دخلت على أم حبيبة، ... وتواصل عرض وقائع الحدث، "ثم قالت"... وفي المشهد الثاني: "قالت زينب"، وعلى لسان زينب بنت جحش تقول: "ثم قالت".

والشخصية الثانية أم حبيبة زوج النبي ﷺ، التي التزمت بالحداد ثلاثة أيام على أبيها أبي سفيان بن حرب؛ استجابةً لأمر رسول الله ﷺ.

والشخصية الثالثة: زينب بنت جحش، وهي قد التزمت بما أمر به رسول الله ﷺ؛ حيث توفي أخوها، ولم تحد عليه إلا ثلاثة أيام.

ومن شخصيات الحديث: أبو سفيان بن حرب، ومن الشخصيات كذلك، أخو زينب بنت جحش، وقيل: هو عبدالله بن جحش.

ومن الأساليب الموحية في الحديث: أسلوب القصر، في قول رسول الله: "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال، إلا على زوج، أربعةَ أشهر وعشراً"، وهذه العبارة التي تعد قاعدة شرعية، تكررت مرة أخرى على لسان زينب بنت جحش رواية عن رسول الله، وهذا التكرار يُعد تأكيداً للحكم، وتثبيتاً له، والنفي هنا بمعنى النهي على سبيل التأكيد.

وتكرار عبارة "والله ما لي بالطيب من حاجة...."إلخ، مرتين على لسان أم حبيبة ولسان زينب بنت جحش، في سياق انتهاء الحداد على الأب والأخ، يؤكد سرعة الاستجابة لتوجيهات رسول الله ﷺ والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- عدم جواز الإحداد على غير الزوج فوق ثلاث ليالٍ، بشرط إذن الزوج.

٢- وجوب الإحداد على الزوج الميت أربعة أشهر وعشراً[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: امتثال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لأقوال النبي ﷺ في الإحداد على الميت.

ثانياً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على نفي التهم.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء للزوج إذا مات.

خامساً: من موضوعات الدعوة: إحداد المرأة على زوجها إذا مات عنها وفاءً له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: امتثال أمهات المؤمنين رضي الله عنهن لأقوال النبي ﷺ في الإحداد على الميت:

جاء في الحديث ما يدل على ذلك، من فعل أم حبيبة وزينب بنت جش رضي الله عنهما فعن زينب بنت أبي سلمة رضي الله عنها قالت: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا، قالت ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي أخوها، فدعت بطيب فمست منه، ثم قالت أما والله ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت

---

(١) المبسوط، السرخسي ٥٨/٦، وتحفة الفقهاء ٢٥١/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣١٣/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٠١/٣، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ٤١/١٦، والمدونة الكبرى، مالك الأصبحي ٤٣٣/٥، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٩٨/٣، وفتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، زكريا الأنصاري ١٨٥/٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٤١٥/٥، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٣٠٧/٣.

فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا. وذلك يدل على مدى مبالغة أزواج النبي ﷺ في طاعته ﷺ وامتثال أوامره، فهن أحق نساء الأمة بالطاعة فهن لسن كأحد من النساء،وقد خاطبهم الله بقوله ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ﴾[1].

وذلك لشرف منزلتهن وفضل درجتهن وتقدمهن على سائر النساء أجمع، وقال: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[2] وذلك خطاب على جهة الموعظة وتعديد النعمة، بذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله تعالى والحكمة[3].

ثانياً- من أصناف المدعوين: النساء:

جاء الخطاب في الحديث موجهاً للنساء، فقال ﷺ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً" والنساء من أصناف المدعوين الذين لا ينبغي أن يغفلوا، فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عال في شريعة الإسلام سواء كانت بنتاً أو زوجة أو أماً، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام الأمر كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهداً كافياً تجاه النساء، فهن نصف المجتمع، وهن راعيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها، وإن هداية المرأة كسب لها، ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضاً حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٠-٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٣٤.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٧٤/١٤/٧.

(٤) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٧٣، ٧٤.

إن المرأة لها كيان لا يستهان به في مجتمع الإسلام، فهي مثل الرجل لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما عليها، وقد كفل لها الإسلام من الحقوق ما لم تجده في غيره، ويمكن أن نجمل ما يتعلق بالمرأة من أحكام غالباً فيما يأتي:

أ-المرأة كإنسان لها حق الرعاية في طفولتها من تربية وتعليم، وإذا رشدت كانت لها ذمتها المالية المستقلة، وصار لها حرية التعبير عن إرادتها، ولذلك لا تُزوج بدون إذنها.

ب- والمرأة كأنثى، مطالبة بالمحافظة على مظاهر أنوثتها، فلها أن تتزين بزينة النساء، ويحرم عليها التشبه بالرجال.

ومطالبة كذلك بالتستر وعدم الاختلاط بالرجال الأجانب أو الخلوة بهم، ولذلك تقف في الصلاة متأخرة عن صفوف الرجال.

ج- والمرأة المسلمة، مطالبة بكل التكاليف الشرعية التي فرضها الله على عباده، مع الاختلاف عن الذكر في بعض هيئات العبادة.

د- والمرأة اختصها الله سبحانه وتعالى بالحيض والحمل والولادة، وترتب على ذلك بعض الأحكام الفقهية كالتخفيف عنها في العبادات في هذه الحالات.

هـ- ولضعف المرأة في الخلقة والتكوين، فإنها لا تتولى من الأعمال ما يحتاج إلى بذل الجهد الجسدي والذهني كالإمارة والقضاء، ولم يفرض عليها الجهاد في الجملة، وكانت شهادتها على النصف من شهادة الرجل.

و- ولأن المرأة أكثر حناناً وشفقة من الرجل، كان حقها في الحضانة مقدماً على الرجل.

ز- والأصل أن يكون عمل المرأة هو رعاية بيتها وزوجها وأولادها، لذلك كانت نفقتها على زوجها ولو كانت غنية. وكان الرجل قواماً عليها، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1])[2].

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ج٦/٢٤٦، ٢٤٧.

وذلك لا يعني نقصان المرأة ولا امتهانها، ولا كون الرجل أفضل منها، لأن الحق يسوى من يشاء مما يشاء وينزله كيف يشاء، وقد كثرت النصوص في القرآن والتي تؤكد على منزلة النوعين من ناحية، وكون المرأة مظهراً من مظاهر نعم الله على الرجال، فضلاً عن التسوية بينهما في التكاليف والثواب والعقاب وسائر الحقوق والواجبات، وكل إسقاط عن المرأة في جانب التكاليف -أو إرجاء- فهو من باب التخفيف عليها من ناحية، مراعاة لطبيعتها التكوينية، ولظروفها الاجتماعية، كإسقاط وجوب الجمعة والجماعة والجهاد، مع إعطائها استقلالية ذاتية بمثل ما يعطي الرجل، وما القوامة إلا لتحميل الرجل دوره تجاه المرأة في الرعاية والعناية ودرء الأذى، ورد عادية المعتدى، حتى وإن أدى ذلك لقتله دفاعاً عنها فينال الشهادة[1]، كما جاء ذلك فيما رواه الإمام أحمد بسنده عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[2].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على نفي التهم:

يلاحظ ذلك في الحديث في قول أم حبيبة زوج النبي ﷺ عندما دعت بالطيب ومست به عارضيها "والله ما لي بالطيب من حاجة" ولقد أعطانا النبي ﷺ المثل الحي على الابتعاد عن مواطن الشك والريبة ونفي التهم، فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت[3] فقام معي ليقبلني وكان سكنها في دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا سبحان الله يا رسول الله، قال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم

---

(١) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس، دراسة تحليلية موضوعية مقارنة، د. بكر زكي إبراهيم عوض ص ٧٧، ٧٨.

(٢) أخرجه أحمد ١/١٩٠ رقم ١٦٥٢، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣/١٩٠.

(٣) فانقلبت: أي رجعت وانصرفت، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق ل ب).

وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً أو قال شيئاً"[١] قال النووي: (وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق وقد يخفى، أن يبين حاله ليدفع ظن السوء، وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان، فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء للزوج إذا مات:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في قوله ﷺ "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا" فقد شرع إحداد المرأة المتوفى عنها زوجها وفاءً للزوج، ومراعاة لحقه العظيم عليها، فإن الرابطة الزوجية أقدس رباط، فلا يصح شرعاً ولا أدباً أن تنسى ذلك الجميل، وتتجاهل حق الزوجية التي كانت بينهما، وليس من الوفاء أن يموت زوجها من هنا[٣]، ثم تنغمس في الزينة وترتدي الثياب الزاهية المعطرة، وتتحول عن منزل الزوجية، كأن عشرة لم تكن بينهما، وقد أوجب الله الحداد على من توفي عنها زوجها إظهاراً للتأسف على ممات زوج وفى بعهدها، وعلى انقطاع نعمة النكاح، وهي ليست نعمة دنيوية فحسب، ولكنها أيضاً أخروية، لأن النكاح من أسباب النجاة في المعاد والدنيا[٤].

خامساً- من موضوعات الدعوة: إحداد المرأة على زوجها إذا توفي عنها وفاءً له:

إن من تعاليم الإسلام ورعايته لنفوس الناس، خاصة النساء، التحذير من إطالة مدة الحزن، فمنع المرأة أن تحد على أي إنسان مات أياً كان زيادة على ثلاثة أيام، باستثناء الزوج الذي تحد عليه أربعة أشهر وعشراً كما جاء في صريح الحديث "لا يحل لامرأة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٨١، ومسلم ٢١٧٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٦/٢.

(٤) حاشية سعدي جلبي على شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ ٢٩١/٣.

تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً" وإحداد المرأة على زوجها هذه المدة، وإن كان له بعض الحكم الظاهرة، إلا أنه في الأصل أمر تعبدي، ومن حِكَمِ الإحداد أنه مبالغة في التحرز من تعرض المرأة لأسباب النكاح في حق المتوفى عنها زوجها[1] وقيل غير ذلك.

قال ابن عثيمين: (والإحداد معناه: ترك الزينة، والطيب ونحوه، مما يعد بهجة وسروراً وترفهاً وهو حرام، وكانوا في الجاهلية إذا مات الإنسان وهو حبيب إليهم امتنعوا عن الطيب والتجمل وما أشبه ذلك إلى مدة حسب ما يقدرونها بأنفسهم، فبين النبي ﷺ في هذا الحديث الذي رواه عنه زوجتاه أم حبيبة، وزينب بنت جحش رضي الله عنهما أنه لا يجوز الإحداد على ميت فوق ثلاثة إلا على زوج؛ فرخص النبي ﷺ في هذا، في الإحداد لمدة ثلاثة أيام، ولا يجوز أكثر من ذلك.

مثاله: رجل مات ابنه فحزن عليه، فالواجب الصبر، والاحتساب، وأن تجري الأمور على ما هي عليه، يخرج إلى دكانه إذا كان صاحب دكان، وإلى فلاحته إذا كان صاحب فلاحة وإلى مكتبه إذا كان موظفاً، وإلى مدرسته إذا كان معلماً أو طالباً، المهم ألا تتأثر أعماله بشيء، هذا هو المشروع، وهذا هو السنة وهذا هو الأوفق، وهذا هو الأرفق بالشخص، ألا يحد على أحد، حتى على ابنه وأبيه، وأمه وأخيه، لا يحد عليهم، الأمر لله عز وجل، لله الملك وله الحمد، فهو المالك، وهو المحمود على كل حال. فلا حاجة إلى أن تحد، اصبر واحتسب، لا تقل: لا تحزن، كل إنسان له قلب حي سيحزن، لكن نقول: اصبر واحتسب وكأن شيئاً لم يكن، لا تخرب شيئاً من أمور دنياك، هذا هو الأفضل والأوفق والأرفق والأحسن.

لكن لما كانت النفوس قد لا تطيق هذا لا سيما مع عظم المصائب، رخص النبي ﷺ في الإحداد لمدة ثلاثة أيام فقط. يعني لا بأس مثلاً أن الإنسان إذا مات له صديق أو قريب وحزن حزناً شديداً لا يستطيع أن يقابل الناس، لا بأس أن يبقى في بيته

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٨٥/٤.

لمدة ثلاثة أيام، فأقل، ولكن لابد من صلاة الجماعة. هذا لا بأس به.

وكذلك بالنسبة للنساء لو مات ابنها أو أبوها أو أخوها أو أحد ممن تأثرت بهم تأثراً بالغاً، فلا حرج عليها أن تحد لمدة ثلاثة أيام فأقل: أما ما زاد فلا يجوز.

"لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تحد فوق ثلاث إلا على زوج". فالزوج له حق عظيم، حتى قال النبي ﷺ: ((لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها))[1] لكن السجود لا يكون إلا لرب العالمين الخالق عز وجل.

المهم أن الزوجة تحد أربعة أشهر وعشرا، هذا إذا كانت غير حامل، أما الحامل فتحد إلى وضع الحمل فقط، زاد أو نقص.

فعلى هذا إذا مات زوج، فالمرأة تحد أربعة أشهر وعشرة أيام، لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[2] حتى لو كان ما دخل عليها، لو عقد عليها وهي في المدينة وهو في مكة، ومات فإنها تحد عليه وإن لم يدخل عليها، ما دام العقد صحيحاً.

وإذا كانت حاملاً فإلى وضع الحمل، حتى لو وضعت قبل أن يُغسل الزوج، انتهت العدة، وانتهى الإحداد، يعني مثلاً امرأة توفي زوجها وهي في الطلق، فلما خرجت روحه، خرج الحمل، يعني ما بين خروج روح زوجها، وخروج حملها إلا دقائق معلومة، فالآن انتهت العدة، وانتهى الإحداد، فلها أن تتزوج، يمكن شرعاً أن تتزوج قبل أن يدفن هذا الزوج؛ لأنها وضعت الحمل، ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[3]. فهذه انتهت عدتها، والإحداد.

ولكن ما هو الإحداد؟ الإحداد أن تجتنب المرأة الأشياء التالية:

أولاً: لباس الزينة، لا تلبس ثوباً يعد ثوب زينة، أما الثياب العادية فلها أن تلبسها،

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٨٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٣٤.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٤.

بأي لون كان، أصفر، أحمر، أخضر... أي شيء، إنما الذي يعد زينة بحيث يقال: إن هذه المرأة تزينت وتجملت؛ فإنه لا يحل لها أن تلبسه وهي محدة على الزوج.

الثاني: الطيب بجميع أنواعه: دهناً، أو بخوراً، أو شماً، أو غير ذلك، لا تتطيب إطلاقاً، إلا إذا طهرت من الحيض؛ فإنها تأخذ شيئاً يسيراً من الطيب تتطيب به أي تطيب محل الخبث حتى لا يكون لها رائحة.

الثالث: الحلي بجميع أنواعه، لا تلبس الحلي لا في القدمين، ولا في الكفين، ولا في الرقبة، ولا في الأذنين، ولا على الصدر، أي نوع من أنواع الحلي ما تلبسه، حتى لو كانت تلبس سناً من ذهب؛ فإنها تخلعه إذا لم يكن عليها مضرة، فلتحرص على أن تخفيه بأن تقلل الضحك، حتى لا تظهر السن ويتبين للناس.

الرابع: ألا تخرج من البيت أبداً إلا لضرورة أو حاجة، لضرورة في الليل، أو حاجة بالنهار، وأما بدون حاجة ولا ضرورة؛ فلا يجوز أن تخرج من بيتها الذي مات زوجها وهي فيه، فهي يجب عليها أن تبقى في البيت فلا تخرج.

إذا قالت أريد أن أخرج إلى جيراني أستأنس عندهم في النهار وأول الليل، وأرجع إلى بيتي.

نقول: لا، جيرانك يأتون إليك أما أنت لا تذهبي، تبقين في البيت الذي زوجك وأنت فيه، فإذا قدرنا أنها سافرت مع زوجها إلى بلد للعلاج، ومات زوجها بالبلد الذي هو غير بلدها، نقول: ارجعي إلى بلدك، لأن هذا ليس مسكنك في الأصل.

الخامس: التجميل والتكحل بالكحل وما أشبه ذلك، حتى لو فرضنا أن عينها فيها مرض، فلا تتكحل، إلا بصبر أو شبهه -مما لا لون له- تفعله بالليل وتمسحه بالنهار، هذا إن احتاجت وإلا فلا. ولهذا جاءت امرأة إلى النبي وقالت: يا رسول الله، إن ابنتي مات زوجها، وقد اشتكت عينها -يعني توجعها- أفنكحلها قال: لا. مع أنها توجعها عينها، فقال: لا. حتى قال ابن حزم: لو فقدت عينها فإنها لا تكحلها بأي حال من الأحوال؛ لأن النبي سئل عن هذه المريضة في عينها فأبى أن يرخص لهم في الكحل. وكذلك التحمير والتجميل وما أشبه ذلك. أما الصابون الذي ليس فيه طيب فلا بأس،

وكذلك تنظيف الرأس وكذلك تنظيف الجلد.

وما اشتهر عند العوام أن المرأة تغتسل من الجمعة إلى الجمعة يعني المحادة، فهذا لا أصل له.

كذلك أيضاً ما اشتهر عند العوام أنها في الليل لا تخرج إلى الحوش بل تكون تحت السقف؛ فهذا لا صحة له، تخرج إلى ما شاءت.

كذلك ما اشتهر في العامية المحضة، يقولون: إن القمر رجل، له عيون، وأنف، وفم، فلا تخرج المرأة للقمر؛ لأن القمر رجل يطلع عليها، هذا غلط وليس بصحيح. تخرج في الليالي المقمرة، وفي كل شيء، لكن لا تخرج من البيت.

كذلك أيضاً ما اشتهر عند العوام أنها لا تكلم أحداً إلا من محارمها، وهذا غلط أيضاً، تكلم من شاءت لا بأس، ولا حرج، يعني هي في الكلام كغيرها من النساء، لا يحرم عليها الكلام، لكنها كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[1] والله الموفق[2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨١٦-١٨١٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الاستجابة لسنة النبي ﷺ:

رحم الله النساء المؤمنات، اللاتي إذا أمرن بشيء فعلنه، وإذا نهين عن شيء اجتنبنه، عاملات بقول ربهن عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

من أولئك أزواج النبي ﷺ: أم حبيبة بنت أبي سفيان، وزينب بنت جحش رضي الله عنهما اللتان مستا من الطيب ما لا تريدان بعد ثلاثة أيام من وفاة والد إحداهما وشقيق الثانية، امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، وإيمانًا بالله واليوم الآخر[2].

واتباع سنة النبي ﷺ أمر واجب وفرض عين على الأمة كلها في عسرها ويسرها ومنشطها ومكرهها، ولا يصير المسلم مسلمًا حتى يتبع الرسول ﷺ في جميع أقواله وأفعاله حسب علمه واستطاعته[3].

فعلى المربي أن يوجه من يقوم بتربيتهم إلى أهمية الاستجابة لسنة النبي ﷺ والاقتداء بأقواله وأفعاله حتى ينالوا رضى الله ورحمته.

ثانيًا- التربية بالممارسة العملية:

التربية الإسلامية تربية عملية، تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان كما تصوره الإسلام[4].

والتعليم بالعمل والممارسة، مبدأ تربوي هام في التربية الإسلامية، وقد مارس الجيل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) إصلاح المجتمع، الشيخ محمد بن سالم الكدادي البيحاني ص ٣١٠.

(٣) انظر: محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، عبدالرؤوف محمد عثمان ص ١٢٣.

(٤) في التربية الإسلامية، د. عبدالغني محمود، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م.

الأول من المسلمين السنة الشريفة بغيرة وإيمان وذلك لقربهم من ينبوع الوحي[١]، من ذلك فعل أزواج النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها، وزينب بنت جحش رضي الله عنها، حيث مستا من الطيب الأولى بعد وفاة أبيها والثانية بعد وفاة شقيقها، وفي ذلك ممارسة عملية لإخبارهم عن قول النبي ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِإمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيامٍ. إلاّ عَلَى زَوْجٍ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».

وقد مضى الجيل التالي (التابعون) يسير على نفس المنهج في اتباع السنة، وهكذا حتى يومنا هذا، حيث نجد المسلم المؤمن لا يزال يسعى إلى تركيز حياته وإرسائها على السنة الشريفة، ويتحقق هذا السعي في إعادة تفسير السيرة وفق مفاهيم الأجيال المتتابعة[٢].

والتعليم عن طريق الممارسة والعمل والخبرة "يعوِّد المرء على النظام في الحياة وعلى ضبط النفس، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، وعلى التضحية في سبيل الجموع كلها، وهي تتطلب مراعاة وممارسة يومية، تلازم حياة الإنسان"[٣].

والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان، فالأحداث[٤] وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[٥].

والمربي حقًا "لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها"[٦].

والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها

---

(١) انظر: الإسلام، "أهدافه وحقائقه"، د. سيد حسين نصر، ط١، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤م ص ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٤.

(٣) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٢١.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٦-٣٣٨.

(٥) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٤٢.

(٦) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠، ط دار الشروق.

تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية، أو عن طريق التأمل إن كانت داخلية[١].

والحديث الشريف كله ممارسات تربوية في المجتمع الإسلامي الذي عاشه الرسول المربي، في شتى مجالات الحياة[٢].

ثالثًا- التربية على الوفاء:

الرابطة الزوجية من أعظم الروابط في الإسلام، لذلك جعل الإسلام من الوفاء للزوج وجوب إحداد المرأة على زوجها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها[٣].

فتمتنع من التزين والتطيب والظهور بمظهر الفرح أو السرور وكذا تمنع خطبتها والتكلم في شأن زواجها حتى تنتهي عدتها[٤].

فعلى الزوجة إظهار الحداد والحزن على الزوج لفراقه بسبب الوفاة. وقد أثبت القرآن هذه العدة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٥].

وبهذه العدة يمكن تحقيق أمرين:

الأول: التأكد من عدم وجود حمل من الزوج المتوفى.

الثاني: إظهار الحزن على وفاة الرجل، ولهذا فهي واجبة على كل من مات زوجها سواء كان ذلك قبل الدخول أو بعده، لأن الحزن واجب في الحالتين، وعليها التزام هذا الحداد فلا عطر ولا زينة ولا خروج من البيت إلا لعذر منه قضاء المصلحة إذا توقفت عليها[٦].

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ٥٧٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٨.

(٣) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٤٤/٣.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٦) الفقه الإسلامي المعاصر، د. عبدالحليم عويس، ٤٦١/٢.

فعلى الزوجة الحزن على زوجها "الميت" لأن الوفاء من المحب إلى محبوبه أمر واجب، قال ابن حزم: ومن حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق في الحب وغيره الوفاء، وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر، وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات. قال: وأول مراتب الوفاء، أن يفي الإنسان لمن يفي له، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب. لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده[1].

رابعًا- من أهداف التربية الإسلامية: الاعتدال في الحزن:

الحزن على القريب أو الزوج أو الصاحب غير محظور، وربما كان مشكورًا بل قد يكون إظهاره واجبًا مراعاة لحق القرابة ووفاء لواجب الصحبة. ولكن متى خرج عن المشروع صار مذمومًا لأنه يبعث على جلب السأم إلى القلب والغم إلى النفس ويدعو إلى تعطيل الأعمال وتحريم ما أحل الله وربما جر إلى السخط من قضاء الله[2].

وقد بيّن رسول الله ﷺ مقدار ما يباح للمرأة فيه أن تبدي الحزن عند موت زوج أو غيره فقال: «لاَ يَحِلُّ لِإمْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، أنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيامٍ. إلاَّ عَلَى زَوْجٍ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».

ومنع المرأة من الإحداد على أمها وأبيها وأخيها فوق ثلاث، وأوجبه على زوجها أربعة أشهر وعشرًا، وهو أجنبي، فيقال: هذا من تمام محاسن هذه الشريعة وحكمتها ورعايتها لمصالح العباد على أكمل الوجوه، فإن الإحداد على الميت من تعظيم مصيبة الموت التي كان أهل الجاهلية يبالغون فيها أعظم مبالغة، ويضيفون إلى ذلك شق الجيوب، ولطم الخدود، وحلق الشعور، والدعاء بالويل والثبور، وتمكث المرأة سنة في أضيق بيت وأوحشه، لا تمس طيبًا، ولا تدهن، ولا تغتسل إلى غير ذلك مما هو تسخط على الرب -تعالى- وأقداره، فأبطل الله سبحانه برحمته ورأفته سنة الجاهلية، وأبدلنا بها الصبر والحمد والاسترجاع الذي هو أنفع للمصاب في عاجلته وآجلته، ولما كانت

---

(١) طوق الحمامة في الألفة والألاف، ابن حزم الأندلسي، ص ١٠٩.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤٨.

مصيبة الموت لابد أن تحدث للمصاب من الجزع والألم والحزن ما تتقاضاه الطباع سمح لها الحكيم الخبير في اليسير من ذلك، وهو ثلاثة أيام تجد بها نوع راحة. وتقضي بها وطرًا من الحزن، كما رخص للمهاجر أن يقيم بمكة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه ثلاثًا، وما زاد على الثلاث فمفسدته راجحة، فمنع منه بخلاف مفسدة الثلاث[1].

فإنها مرجوحة مغمورة بمصلحتها، فإن فطام النفوس عن مألوفاتها بالكلية من أشق الأمور عليها فأعطيت بعض الشيء، ليسهل عليها ترك الباقي، فإن النفس إذا أخذت بعض مرادها قنعت به، فإذا سئلت ترك الباقي كانت إجابتها إليه أقرب من إجابتها لو حرمت بالكلية.

ومن تأمل أسرار الشريعة وتدبر حكمها رأى ذلك ظاهرًا على صفحات أوامرها، ونواهيها، باديًا لمن نَظَره نافذ، فإذا حرم عليهم شيئًا عوضهم عنه بما هو خير منه وأنفع، وأباح لهم منه ما تدعو حاجتهم إليه ليسهل عليهم تركه.

وبالجملة فما حرم عليهم خبيثًا ولا ضارًا إلا أباح لهم طيبًا بإزائه أنفع لهم منه، ولا أمرهم بأمر إلا وأعانهم عليه، فوسعتهم رحمته ووسعهم تكليفه.

والمقصود أنه أباح للنساء - لضعف عقولهن وقلة صبرهن - الإحداد على موتاهن ثلاثة أيام، وأما الإحداد على الزوج، فإنه تابع للعدة، وهو من مقتضياتها ومكملاتها، فإن المرأة إنما تحتاج إلى التزيين والتجمل والتعطر لتتحبب إلى زوجها، ويحسن ما بينهما من العشرة، فإذا مات الزوج واعتدت منه، وهي لم تصل إلى زوج آخر، فاقتضى تمام حق الأول، وتأكيد المنع من الثاني قبل بلوغ الكتاب أجله، أن تُمنع مما تصنعه النساء لأزواجهن مع ما في ذلك من سد الذريعة إلى طمعها في الرجال وطمعهم فيها بالزينة والخضاب والتطيب، فإذا أبلغ الكتاب أجله صارت محتاجة إلى من يرغب في نكاحها. فأبيح لها من ذلك ما يباح لذات الزوج، فلا شيء أبلغ في الحسن من هذا المنع والإباحة ولو اقترحت عقول العالمين لم تقترح شيئًا أحسن منه[2].

---

(١) انظر: ما أخرجه البخاري، ٣٩٣٣، ومسلم، ١٣٥٢.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص٣٥٤-٣٥٦.

فالشريعة الإسلامية راعت طبيعة الإنسان في حزنه على فقد العزيز ولكنها حثت على الاعتدال في هذا الحزن مراعاة للمصالح، فأوجبت على المرأة الحزن على الزوج مدة العدة فقط، وبعد هذه المدة لا يجوز لها أن تظهر الحزن مراعاة لمصالحها وحثًا لها على التعايش مع الواقع، وأما الحزن على غير الزوج من المرأة مثل أبيها أو أخيها.. أو غيره فلا يجوز أكثر من ثلاث أيام، لأن هذه المرأة قد تكون زوجة وأمًا لأولاد فامتداد حزنها سوف يؤدي إلى تعطيل حقوق هؤلاء، لذا كانت أهمية التربية على الاعتدال في الحزن.

❁ ❁ ❁

٣٥٥- باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخِطبة على خطبته إلا أنْ يأذن أو يردّ

الحديث رقم (١٧٧٧)

١٧٧٧- عن أنس رضي الله عنه، قالَ: نهَى رسُولُ اللهِ ﷺ أنْ يَبيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وإنْ كانَ أخَاهُ لأَبيهِ وأُمِّهِ. متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الحاضر: المقيم في المدن والقرى[2].

لباد: المقيم في البادية[3].

الشرح الأدبي

إن نظام البيع والشراء في الإسلام يقوم على حسن العلاقة بين البائع والمشتري، والقضاء على الاحتكار والاستغلال، والجشع والسرقة، والاختلاس والخداع، والحديث صِيغَ في قالب الأسلوب الخبري؛ حيث بدأ بالفعل الماضي في قول الراوي: "نهى رسول الله ﷺ"، والمنهي عنه هو بيع الحاضر للبادي، وقد ورد المنهي عنه في صيغة المصدر المؤوَّل... وهذه الصياغة هي صورة لما يتم في ميدان البيع؛ حيث لا يتم البيع مباشرة بين المستهلك وصاحب السلعة؛ ولكن يقول الحاضر للبادي صاحب المتاع: دعْه عندي لأبيعه لك بالتدريج، وذلك النوع من البيع يحرم؛ لما فيه من الإضرار، وصور التحايل في البيع والشرع متعددة، وتتنوع وتتجدد بتنوع الأسواق، وتجدد الحالات،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦١)، ومسلم (١٥٢٣/٢١). السياق للحميدي في جمعه (٥٥/٢، رقم ١٩٠٤).

(٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٥١.

(٣) المرجع السابق ص ٨٢.

والجملة الثانية من الحديث صيغت في قالب الشرط والجواب، والجملة هنا غير مكتملة؛ حيث حذف الجواب للإيجاز، ولدلالة ما قبله عليه؛ حيث يقول رسول الله ﷺ: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه": والتقدير: فلا يبيع له، أي: لا يتولى عنه البيع؛ منعاً للاستغلال والاحتكار، والقضاء على بواعث الشحناء، والبغضاء بين المسلمين في معاملاتهم وعلاقاتهم؛ لأن المؤمنين إخوة، والمسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه:

١- حكم بيع الحاضر للبادي: جاء في الملخص الفقهي: (ومن البيوع المحرمة: بيع الحاضر للبادي، والحاضر: هو المقيم في المدن والقرى، والبادي: هو القادم من البادية أو غيرها؛ لقوله ﷺ: ((لا يَبِعْ حاضرٌ لباد))[2].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لا يكون له سمسارًا)[3]، أي دَلّالاً يتوسط بين البائع والمشتري.

وكما أنه لا يجوز للحاضر أن يتولى بيع سلعة البادي، كذلك لا ينبغي له أن يشتري له. والممنوع هو أن يذهب الحاضر إلى البادي ويقول له: أنا أبيع لك أو أشتري لك، أما إذا جاء البادي للحاضر، وطلب منه أن يبيع له أو يشتري له، فلا مانع من ذلك)[4].

٢- حكم تلقي الركبان: اختلف الفقهاء في حكم تلقي الركبان على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من المالكية[5]، والشافعية[6]، وأحمد

---

(١) الحديث رقم (١٧٧٧)، (١٧٧٨).

(٢) أخرجه البخاري ٢١٤٠.

(٣) متفق عليه من قول ابن عباس، البخاري ٢١٥٨.

(٤) الملخص الفقهي ٢/١٤-١٥، ط / جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت.

(٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الوليد بن رشيد القرطبي ٢/٢٧١.

(٦) المهذب ١/٢٩٢، وروضة الطالبين ٣/٤١٣، وحاشية البجيرمي ٢/٢٢١.

في رواية[١]، والظاهرية[٢]، ويرون أن تلقي الركبان حرام.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن تلقي الركبان، والنهي للتحريم ما لم توجد قرينة تصرفه إلى الكراهة، ولا قرينة هنا.

علاوة على ذلك ما يشتمل عليه البيع من تدليس، وتغرير بالركبان.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٣]، وأحمد في رواية[٤]، ويرون أن تلقي الركبان مكروه.

وقد قيد الحنفية الكراهة بما إذا كان التلقي يضر بأهل البلد، بأن كانوا في ضيق وقحط أو كان المتلقي قد ألبس السعر على الواردين، وإلا فلا كراهة.

واستدلوا بأحاديث الباب -أيضاً- بيد أنهم حملوا النهي على الكراهة.

والراجح ما ذهب إليه الجمهور في التحريم، لأن هذا البيع لا يخلو من التدليس والتغرير ولأن هذا البيع يؤدي إلى التضييق على الناس، ورفع الأسعار عليهم.

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الإضرار بالناس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق.

ثالثاً: من أساليب الدعوة: النهي.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحث على اجتناب أساليب الغش والخداع والظلم.

خامساً: من موضوعات الدعوة: أهمية تحري الحلال من الرزق.

---

(١) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٥٣/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢١١/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٤/٤، والفروع، ابن مفلح ٧٢/٤.

(٢) المحلى، ابن حزم ٤٤٩/٨.

(٣) النتف في الفتاوى للسُّغدي ٨١٠/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦.

(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٤/٤، والفروع، ابن مفلح ٧٢/٤.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٧٧- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٧٨، ١٧٧٩).

سادساً: من آداب المدعو: الحرص على النصح في البيع والشراء.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الإضرار بالناس:

إن أعظم القوانين الاقتصادية قانون الاقتصاد في الإسلام، لقد أقر الإسلام حق الملكية، لكن ليس مطلقاً كما يتصوره الغير كالاقتصاد الغربي ونحوه، بل يفرض الإسلام على الملاك وأصحاب الثروات طائفة من الالتزامات الإيجابية والالتزامات السلبية، فالقاعدة أن كل شيء ملك لله أصلاً وأن الإنسان مستخلف فيه، ومن الالتزامات الإيجابية: الزكاة والإنفاق، ومن الالتزامات السلبية: تحرير المال من الحرام والغلو في التبذير، والامتناع عن الربا ونحوه من المعاملات الاقتصادية التي حرمها الإسلام كالغش وغيره، ويطلق العنان للمنافسة في الخير وإجادة العمل، ويجعل العرض والطلب يسريان سرياناً تلقائياً دون أن يصل إلى الاحتكار[1]، ومن أجل حرية المنافسة وعدم الإخلال بالعرض أو الطلب، حرم الإسلام عدة أمور، والتي منها تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق، أو أن يبيع حاضر لباد، فجاء النهي عن ذلك في الحديث، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه" وذهب جمهور العلماء إلى أن المراد أن يكون الحاضر سمساراً للبادي، لما يؤدي إليه ذلك من الإضرار بأهل البلد لارتفاع السعر[2]. وذلك أن الأصل في المعاملات تحقيق مصالح العباد في المعاش والحياة، ورفع الحرج عنهم بعيداً عن الباطل والحرام والإضرار بالغير[3]. ولذا منع الإسلام المعاملات التي تؤدي إلى الإضرار بالغير، ومنها الصورة التي جاءت في الحديث وهي بيع الحاضر للباد، وذلك لما فيه من منع البلدي من الرفق الحاصل له لو اشترى من البادي بالسعر عند قدومه[4].

---

(١) انظر: الاقتصاد الإسلامي، د. شوقي ضيف، ٨٨ نقلاً عن كتاب: الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أنور الجندي، ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية، ٩/٢٢٣.

(٣) النظام الاقتصادي في الإسلام، خصائصه وأركانه ونظرته لبعض المشكلات الاقتصادية، دراسة مقارنة، محمود بن إبراهيم الخطيب، ص ١٠٣.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٨.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: نهي النبي ﷺ عن تلقي السلع قبل وصولها إلى الأسواق:

جاء هذا النهي في الحديث في صريح قوله ﷺ "لا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق". قال الإمام المازري: (إن النهي عن التلقي معقول المعنى، وهو ما يلحقُ الغير من الضرر، ولكن ينقدح هاهنا في نفس المتأمل معارضة، فيقول: المفهوم من منع بيع الحاضر للبادي ألا يستقصي للبادي وأن يوجد السبيل لغبنه، والمفهوم من النهي عن التلقي ألا يغبن البادي.

والانفصال عن هذا أن الشرع في مثل هذه المسألة وأخواتها مبنيٌّ على مصلحة الناس، والمصلحة تقتضي أن ننظر للجماعة على الواحد، ولا تقتضي أن ننظر للواحد على الواحد، ولما كان البادي إذا باع لنفسه انتفع سائر أهل السُّوق واشتروا ما يشترونه رخيصاً، وانتفع به سائر سكان البلد، نظر لأهل البلد عليه، ولما كان إنما ينتفع بالرخص المتلقّى خاصة وهو واحدٌ في قبالة الواحد الذي هو البادي لم يكن في إباحة التلقي مصلحة، لاسيما وينضافُ إلى ذلك علة ثانية وهي لحوق الضرر بأهل السوق في انفراد المتلقي عنهم بالرخص، وقطع المواد عنهم، وهم أكثر من المتلقي، فنظر لهم عليه، فعادت المسألة الأولى، فصارا أصلاً واحداً وانقلب ما ظنه الظان في هذا من التناقض بأن صارا مثلين يؤكد بعضهما بعضاً.

وقد اختلف المذهب عندنا فيمن لم يقصد التلقي ولم يبرز إليه خارج المدينة، بل مر به على بابه بعض البداة: هل يشتري منه ما يحتاج إليه قبل وصوله إلى السوق؟ فقيل بالمنع لعموم الحديث. وقيل بالجواز، لأن هذا لم يقصد الضرر ولا الاستبداد دون أهل السوق فلم يمنع، وقد جعل له في بعض الطرق هاهنا الخيار، إذا جاء السوق ولم يفسخ البيع، لما كان النهي لحقِّ الخلق لا لحق الله عز وجل، ومن لم تثبت عنده هذه الزيادة ورأى أن المنع يدلُّ على فساد المنهي عنه، فسخ البيع، وفي ذلك اضطراب في المذهب.

وفي هذا الحديث من الفوائد أيضاً: إثبات الخيار للمغبون، لأنه إذا ثبت أن النهي عن التلقي لئلا يغبن الجالب، لم يكن لإثبات الخيار له معنى إلا لأجل الغبن، أو لأنه

يرجو الزيادة في السوق[١].

قال النووي: (قال العلماء: وسبب التحريم إزالة الضرر عن الجالب وصيانته ممن يخدعه[٢]، قال ابن عثيمين في تلقي الركبان والسلع، وما ينتج عن ذلك من مضار لأهل البلد وللركبان، وذلك لأنهم كانوا فيما سبق يعرفون أن البادية تأتي بالسلع، مثلاً في أول النهار يوم الجمعة، فتجد بعض الناس يخرج من البلد إلى قريب منه، ثم يتلقى الركبان، ويشتري منهم قبل أن يصلوا إلى السوق، فيقطع الرزق على أهل البلد الذين ينتظرون الركبان وكذلك يغبن المتلقين، بأن يغبن الركبان، فيحصل بتلقي الركبان مضرتان:

الأولى: على أهل البلد الذين ينتظرون قدوم الركبان من أجل أن يشتروا منهم برخص.

الثانية: الضرر على الركبان، لأن هذا الذي تلقاهم سيغبنهم، ويشتري منهم بأقل من السوق، ولم يصلوا إلى السوق حتى يعرفوا السعر، ولهذا قال النبي ﷺ ((لاَ تَلَقَّوُا الْجَلَبَ. فَمَنْ تَلَقَّى فَاشْتَرَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا أَتَىٰ سَيِّدُهُ السُّوقَ، فَهُوَ بِالْخِيَارِ))[٣] يعني إذا تلقى الإنسان الركبان خارج البلدان، واشترى منهم، ثم دخل البلد ووجد أنه مغبون، فله أن يرد البيع، لأنه قد غر وغبن[٤].

ثالثاً- من أساليب الدعوة: النهي:

تكرر النهي في الأحاديث في قوله ﷺ "لا تتلقوا السلع" وقوله "لا تتلقوا الركبان" وفيما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد" وذلك للحفاظ على الأسعار وعدم التدخل فيها، ورعاية لمصلحة الجالبين ولأهل البلد المستهلكين، وهذا النهي واجب التنفيذ، لما فيه من إطلاق النهي وعدم وجود قرينة

---

(١) المعلم ج١/٤٩٩، ٥٠٠.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٥١٩.

(٤) شرح رياض الصالحين ج٢/١٨٢١.

صارفة له، وامتثالاً لقول الله عز وجل ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1][2] وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية النافعة، في عرض الدعوة وإيقاف المدعوين على المخالفات الشرعية ونهيهم عنها، وهو أسلوب يتسابق المؤمنون للامتثال به والانتهاء عن مقتضاه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيقاً لعبودية الله وطاعته[3]، وقد تكرر استخدام النهي في القرآن الكريم كثيراً، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[5].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحث على اجتناب أساليب الغش والخداع والظلم:

جاءت السنة مبينة لأساليب الغش والخداع في البيوع ومنها ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "لا تتلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد" وذلك أن الإسلام بتشريعاته يحمي المنتج، وصاحب السلعة، ومن يتاجر بها، وفي نفس الوقت يحمي المستهلك، وذلك إيجاداً للرحمة في المجتمع الإسلامي كله، فالإسلام يحقق في المعاملات الرحمة بدلاً من الشقاق[6]، لذا كان النهي عن الغش والخداع بكل صوره لما فيه من ظلم للناس، وقد جاءت النصوص ناهية عن غش الناس والغرر بهم فقال ﷺ ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[7]

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) انظر الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٤٠٥/٤١، ٤٠٦.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٦) انظر: الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م ص ١٨٠، ١٨١.

(٧) أخرجه مسلم ١٠٢.

قال القرطبي: (وهذا يحمل على معنى ليس على طريقتنا ولا على شريعتنا، إذ سنة المسلمين وشريعتهم التواصل والتراحم لا التقاطع والتقاتل، وتكون فائدته الردع والزجر عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الوالد لولده إذا سلك غير سبيله: لست منك ولست مني، كما قال الشاعر:

إذا حاولت في أسد فجوراً فإني لست منك ولست مني

والغش ضد النصيحة، وأصله من اللبن المغشوش أي المخلوط بالماء تدليساً[1]، والغش طريق موصل إلى النار، مبعد عن الله وعن الناس، إضافة إلى ما فيه من دلالة على دناءة النفس وخبثها، فضلاً عما يؤدي إليه من سخط الناس ومقتهم[2].

خامساً- من موضوعات الدعوة: أهمية تحري الحلال من الرزق:

لقد أمر الإسلام بتحري الحلال من الرزق واجتناب الحرام، لذا جاء تبيين الإسلام لهما، حتى يكون العبد على بينة من أمره، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[3] وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:"سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ...))[4] ومن ذلك الحرام المفصل، غش الناس وخداعهم في البيوع، والغرر بهم، ومن صور ذلك تلقي الركبان كما في الحديث "لا تتلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لباد" فإن في ذلك منافاة للورع، وتحري الحلال الذي هو أعلى مراتب الإيمان، وأفضل درجات الإحسان[5]. قال

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١١/٥٠٧٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١١٦.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٨/٣٦٢٦.

الحسن البصري: (ما عبد العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم الله عنه)[١].

بل إن الورع عن الحرام أصل في قبول العبادات وتحصيل ثوابها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[٣]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك))[٤] وفي ذلك حث على تحري الحلال والبعد عن الحرام، وأن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك، ينبغي أن يكون حلالاً خالصاً لا شبهة فيه[٥].

سادساً- من آداب المدعو: الحرص على النصح في البيع والشراء:

إن من أهم الآداب الواجب التحلي بها النصح، ولا سيما في المعاملات، وذلك دليل على إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه[٦]، وذلك من واجبات المسلم على أخيه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((«حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ». قِيلَ: مَا هُنَّ؟ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ. وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ. وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ. وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللّهَ فَشَمِّتْهُ. وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ. وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»))[٧] والحرص على النصح في البيع والشراء من أسباب البركة، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا. فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا

---

(١) كتاب الورع، لابن أبي الدنيا ص ٤٢.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٤) أخرجه مسلم ١٠١٥.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الأصفهاني ص ٢٩٥.

(٧) أخرجه مسلم ٢١٦٢.

فِي بَيْعِهِمَا. وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا))[١] وذلك أن الكذب والكتمان والغش، وغيرها من الصفات المذمومة في البيع والشراء، تؤدي إلى هدم الثقة بين الناس وغرس الضغينة في النفوس، بإيقاد نار الشحناء والبغضاء، وذلك ما لا يرضاه الإسلام، ويقاس على ذلك كل ما يخدش الثقة، أو يعرض رابطة الأخوة للشقاق والتخاصم[٢].

لقد فرض الإسلام في البيع والتجارة، والمعاملات عامة، مستوى رفيعاً للاستقامة والأمانة والثقة، جدير بأن تنهجه أمم العالم في عصرنا اليوم[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ٢٠٧٩، ومسلم ١٧٢١ واللفظ له.

(٢) النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه، د. فتحي أحمد عبدالكريم، د. أحمد محمد العسال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ص ١٦٠.

(٣) انظر: أمراض النفوس، إبراهيم محمد الجمل ص ١٤١.

الحديث رقم (١٧٧٨)

١٧٧٨- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى الأَسْوَاقِ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن الدين الإسلامي يتكئ على قواعد ثلاث: العقائد والعبادات والمعاملات، وهذه القواعد نابعة من التصور الإيماني الصحيح؛ فالإيمان ليس اعتقاداً قلبيًّا فقط؛ ولكنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وكتاب البيوع أحد أقسام الفقه الإسلامي، وللبيع في الإسلام شروطه وأسسه، التي تنظم حركة البيع والشراء، وتعطي لكل ذي حق حقه.

والمصطفى ﷺ يبدأ هذا الحديث الموجز الواضح بالنهي الجازم الصريح في قوله: "لا تتلقوا"، والنهي ليس موجَّهاً لفرد واحد؛ ولكنه موجّه إلى الأمة كلها، بكل أجناسها وألوانها ولغاتها، وأماكنها وأزمنتها وبيئاتها.

والمنهي عنه: تلقي المتاع المجلوب للبيع قبل استقرار هذه البضاعة في الأسواق، ومعرفة الأسعار؛ حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، وأسعار السلع معروفة لديهم، والتعبير بقوله: "حتى يهبط بها إلى الأسواق"، فيه تصوير لحركة جلب السلع من الأماكن المتفرقة البعيدة والقريبة، وهي حركة تحتاج إلى الصعود والنزول، والمدافعة والمنافسة، والبناء للمجهول في الفعل "يُهبط" يومئ إلى عدم تحديد صاحب البضاعة؛ لأن كل إنسان من حقه التجارة، وتنمية رأس ماله، والمساهمة في الرواج الاقتصادي.

وأتى بلفظ "الأسواق" جمعاً، ولم يأت به مفرداً؛ للإيحاء بضرورة تعدد منافذ البيع

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦٥) واللفظ له، ومسلم (١٥١٧/١٤).

والشراء، وأن لا يحتكر السلعة أحد، وأن لا يختص بها مكان دون آخر، وقد حذر رسول الله ﷺ من المخاتلة والخداع في البيع، فقال عليه الصلاة والسلام: "إياكم وهَيْشات الأسواق"[١]. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- حكم بيع الحاضر للبادي، وقد سبق بيانه في الحديث رقم (١٧٧٧).

٢- حكم النجش: ذهب جمهور الفقهاء[٢] إلى أن النجش حرام، وأن الناجش عاص بفعله، خلافاً للحنفية[٣] فقد قالوا بالكراهة.

وقد اختلفوا في حكم البيع الذي يقع فيه النجش على ثلاثة آراء.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه بعض المالكية[٤]، والحنابلة في المشهور عندهم[٥]، ويرون أن بيع النجش فاسد لا يفيد الملك.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن النجش، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

---

(١) أخرجه مسلم، ٤٣٢.

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤، والشرح الكبير ٦٨/٣، والوسيط في المذهب ٦٦/٣، وروضة الطالبين ٤١٤/٣، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٩٩/١، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٢/٢، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤.

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٠٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٨١٠/٢.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣٣٢/٣.

(٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٢٢/٢.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣] في رواية والظاهرية[٤]، يرون أن البيع صحيح يفيد ملك المشتري للسلعة، وللبائع الثمن كغيره من البيوع الصحيحة.

واستدلوا على ذلك بأن النهي في الأحاديث راجع إلى الناجش، لا إلى العاقد، فلم يؤثر في البيع.

الرأي الثالث: وهو ما ذهب إليه المالكية في المشهور عندهم[٥]، ووجه عند الشافعية[٦]، ويرون بثبوت الخيار للمشتري فإن شاء أمضى البيع، وإن شاء رده.

واستدلوا على ذلك بقياس النجش على بيع المصراة بجامع التغرير في كل، والمصراة يثبت فيها الخيار فكذلك النجش.

الترجيح:

ولعل الراجح هو ما ذهب إليه أصحاب الرأي الثالث الذي يعطي للمشتري الخيار بين الفسخ والإمضاء.

٣-حكم بيع الرجل على بيع أخيه: بيع الرجل على بيع أخيه حرام، إلا أن الفقهاء اختلفوا في حكم البيع إن وقع على رأيين:

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ١٠٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٦/٣، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٨/٢.

(٣) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٩٥/٤.

(٤) المحلى، ابن حزم ٤٤٨/٨.

(٥) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٦٨/٣، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٧/٤.

(٦) الوسيط في المذهب ٦٦/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣.

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الإمام أحمد في رواية[١]، ويرى أن بيع الرجل على بيع أخيه فاسد، فإن وقع يجب فسخه مطلقاً.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه.

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[٢]، ويرون أن بيع الرجل على بيع أخيه صحيح مع الإثم.

واستدلوا على ذلك بأحاديث الباب التي تنهى عن بيع الرجل على بيع أخيه، وقالوا: إن النهي ليس منصباً على البيع، وإنما هو منصب على سلوك العاقد، وما ألحقه من إيذاء للعاقد الآخر.

الراجح:

هو ما ذهب إليه الجمهور من القول بصحة البيع مع الإثم، وذلك لأن البيع مستوف لأركانه وشروطه، والنهي ليس وارداً على نفس البيع، وإنما هو وارد على معنى آخر، فلا يقتضي فساد البيع.

٤- حكم خطبة الرجل على خطبة أخيه: الخطبة على الخطبة حرام[٣]، لما في ذلك

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٣٣١/٣، والفروع، ابن مفلح ٢٧٧/٤، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٤٤/٤.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢١/٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٥/٣، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٤١٤/٣.

(٣) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ١٠١/٥، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٧/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٢١/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٣٧٩/٤، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٦٥/٣، والروضة ٤١٤/٣، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ١٩/٧.

من الاعتداء على الخاطب الأول، والإساءة إليه، علاوة على ما قد ينجم عن ذلك من الشقاق، وإشعال نار العداوة بين الخاطب الأول والخاطب الثاني.

ولعل شرط عدم جواز الخطبة على الخطبة ما يأتي:

١- أن يركن كل منهما للآخر بأن صرحت هي ووليها بالرضا، أما إذا كان الخاطب الأول لم يصرح له بالرضا، فإنه يجوز للخاطب الثاني التقدم لخطبتها.

٢- أن يعلم الخاطب الثاني بأنها مخطوبة، فإن لم يعلم وتقدم لخطبتها فلا إثم.

٣- ألا يأذن له الخاطب الأول في الخطبة، فإن أذن له جاز للثاني خطبتها لأن إذن الأول بمثابة الإعراض عن زواجها.

٤- تحريم سؤال المرأة طلاق الأخرى[1]، حتى يصير إليها ما كان للأولى من النفقة وغيرها، وتفوز بحظها وتنكح زوجها.

المضامين الدعوية[2]

(١) المبسوط، السرخسي ١٩٥/٤، والبدائع ٤٨/٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٥١٨/٣، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٣١٠/٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٩٢/٩، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٨١/٧، ومنار السبيل ١٥٧/٢.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٧٩)

١٧٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((لاَ تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ)) فقالَ لَهُ طَاووسٌ[1]: مَا[2]: لاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لاَ يَكُونُ لَهُ سِمْسَاراً. متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

الركبان: القادمون إلى المدينة بالسلع[4].

سمساراً: وسيطًا بين البائع والمشتري[5].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يضيء بعض المعاني والمقاصد المستغلقة في الحديث السابق، ويفسِّر بعض جوانبه؛ حيث حدّد المقصود من تلقي السلع في الحديث السابق، فقال: "لا تتلقوا الركبان"، وهذا الأمر الصادر من رسول الله ﷺ إلى كل مسلم، وإلى كل فئات الناس، يوحي بكثرة التجار، وكثرة الأسواق، وتدافع حركة البيع والشراء، والاستيراد والتصدير، وصيغة الجمع في قوله: "الركبان" تفصح عن هذا الإيحاء، والكلمة تفصح عن دلالات الرحلة والسفر.. والتعب والمشقة.

وقد ازداد الأمر وضوحاً؛ من خلال هذه المحاورة الجميلة، بين ابن عباس وطاووس: حين سأله: ما قوله: "لا يَبِع حاضر لباد؟"، أي: ما معنى قوله: "لا يبع حاضر لباد"،

---

(١) لفظ البخاري: (فقلت لابن عباس).

(٢) عند البخاري زيادة: (قوله).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٥٨) و اللفظ له، ومسلم (١٥٢١/١٩).

(٤) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٠٢.

(٥) المرجع السابق ص ٢٢٣.

فأفصح رسول الله ﷺ عن المراد، وقال: "لا يكون له سمسارًا: أي: وسيطاً بين صاحب البضاعة والمستهلك الحقيقي؛ حيث يشتريها هذا الدلال بثمن قليل، ثم يبيعها للمحتاج بثمن بَهْظ؛ رغبة في الكسب المرتفع، وهذه صورة من صور الحضارة الإسلامية، التي تحرص على أقوات الناس وأمنهم؛ حيث يكون كل مسلم آمناً في سربه، مطمئنًا على غده، عنده ما يكفي أبناءه، غير خائف من جشع التجار، فتستقر به أمواج الحياة، ويرسو على شاطئ النجاة، لا يتوكل إلا على خالقه، ورازقه الواحد القهار، ويسبحه آناء الليل وأطراف النهار.

فقه الحديث

في الحديث من الفقه: بيان حكم بيع الرجل على بيع الرجل، وحكم الخطبة على الخطبة، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٧٧٧).

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٧٧).

الحديث رقم (١٧٨٠)

١٧٨٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ يَبِيعِ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أخِيهِ، وَلاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ، وَلاَ تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إنائِهَا[1].

وفي رواية[2] قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلأعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، وأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ و[3] التَّصْرِيَةِ. متفق عليه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ولا تناجشوا: النجش معناه: يمدح السلعة ويزيد ثمنها وهو لا يريد شراءها، ليقع غيره فيها[4].

لتكفأ ما في إنائها: وهذا تمثيل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زوجها إلى نفسها إذا سألت طلاقها[5].

يستام الرجل على سوم أخيه: من المساومة: المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة للفصل فيها، والمنهيُّ عنه أن يتساوم المتبايعان حتى يقترب العقد، فيجيء رجلٌ آخر يريد أن يشتري تلك السلعة ويخرجها من يد المشتري الأول[6].

التصرية: أي ترك حلب الدابة ومنع ولدها من شربها ليجتمع اللبن في ضرعها[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٥١٥/١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٢٧) واللفظ له، ومسلم (١٤١٢/٤٨).

(٣) لفظ البخاري: (وعن التصرية).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ج ش).

(٥) المرجع السابق في (ك ف أ).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س و م).

(٧) انظر: مختار الصحاح، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ر ي).

الشرح الأدبي

ما أجمل الآداب الاجتماعية، التي تنظم السلوك القويم في ظل التعاليم الإسلامية، والتوجيهات النبوية الحكيمة، وهذا الحديث يعبق بتعاليم سديدة، وقيم مفيدة رشيدة، وقد تضمن باقاتٍ عديدة من النصائح والإرشادات، وهي خمس باقات وهالات لغوية، وردت في خمس جمل، تناسقت وتآلفت في نظامها اللغوي، وأسلوبها النحوي؛ فصيغة النهي تشمل كل جمل الحديث، التي يغلفها الأسلوب الإنشائي، والجملة الأولى قد وردت في صيغة إخبارية.. وليست إنشائية، ولكن النهي فيها صريح؛ حيث قال الراوي: نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، والمراد كما جاء في الحديث السابق: لا يبع حاضر لباد، وقوله: "ولا تناجشوا" نهى إلى كل من يتصدر حركة البيع والشراء، ويغشى الأسواق، والنجش زيادة في ثمن السلعة، لا لرغبة بل ليخدع غيره.

والنجش في اللغة -كما ورد في القاموس المحيط- أن تواطئ رجلاً إذا أراد بيعاً أن تمدحه، أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بثمن كثير؛ لينظر إليك ناظر فيقع فيها.

وتكرار "لا" الناهية في بداية كل جملة، يؤكد أن ما نهى عنه رسول الله ﷺ هو نهي تحريم، حرصاً على استمرار الأخوة والصحبة الحسنة بين المسلمين.

وتحديد لفظ "الأخ" وتكراره مرتين، وكذلك لفظ "الأخت"؛ لمزيد من الترغيب في البعد عن الخداع، فالأخوة هنا ليست أخوة النسب أو الرضاع؛ ولكنها أخوة إيمانية، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه.

والحديث يتجاوز دائرة البيع والتجارة؛ لينبه إلى سلوك اجتماعي غير قويم، فقال: "لا يخطب على خطبة أخيه"؛ لأن ذلك الأمر يمزق السكينة التي توحد بين القلوب المؤمنة، ويقطع أواصر المحبة والقربى والمودة والرحمة، وذلك سر النهي الذي أصدره

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

رسول الله ﷺ؛ حتى لا يعتدي الرجل على حق أخيه، ولا تعتدي المرأة على حق أختها، وتزعزع استقرارها، حين تطلب طلاقها؛ حتى تتزوج من زوجها، وما أرق هذا التعبير الموحي الهادف، في ذلك البيان النبوي البليغ: "لتكفأ ما في إنائها"، إنه كناية عن قلب الحياة، وسلب السعادة، وتدمير الاستقرار، وهذا ليس من خلاق المسلم أو المسلمة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ من بيع الحاضر للباد.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الزيادة في الأسعار للخداع والمزايدة على الناس في البيع.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه، والسوم على سومه.

خامساً: من موضوعات الدعوة: النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه.

سادساً: من أهداف الدعوة: النهي عن السعي في إفساد العلاقة بين الرجل وزوجته.

سابعاً: من أهداف الدعوة: بيان حق المؤمن على أخيه المؤمن.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

تكرر أسلوب النهي في الحديث "لا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" وقوله "لا يبع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية البارزة المفيدة، وذلك لما فيه من إيقاف المدعوين على المخالفات الشرعية وتحذيرهم من الوقوع فيها، وقد تكرر أسلوب النهي كثيراً في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2] وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨١، ١٧٨٢).

(٢) سورة هود، آية: ٨٥.

تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[١] وأسلوب النهي من الأساليب التي يتسابق المؤمنون للامتثال بها والانتهاء عن مقتضاها، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله وطاعته[٢].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الانتهاء عما نهى عنه النبي ﷺ من بيع الحاضر للباد:

إن الإسلام يعترف بنظام السوق وقوتيْ العرض والطلب، ويجب أن تسير السوق على سيرها الطبيعي وكما قال ﷺ: ((لا يبع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض))[٣] يعني أن الله تعالى يرزق المشتري بواسطة البائع، ويرزق البائع بواسطة المشتري، فلا يجوز لأحد أن يتدخل في هذا النظام، كما لا يحب الإسلام أن تحدث في السوق احتكارات تتسيطر على السوق وتستبد بالأسعار، وهذا من ميزات النظام الاقتصادي الإسلامي التي تميزه عن الرأسمالية والاشتراكية.

ثم إن أحاديث النهي عن بيع الحاضر للبادي، تدل على أن الإسلام يستحسن أن لا تكون بين البائع والمشتري وسائط، أو تكون قليلة جداً، فإنه كلما كثرت الوسائط بين البائع والمشتري ازداد الثمن على المستهلكين، فما يسميه علماء الاقتصاد اليوم "الرجل المتوسط" مما لا يستحسنه الإسلام إلا إذا اشتدت الحاجة إليه، فالسمسرة وإن كانت جائزة، ولكن الإكثار من الوسائط بين الصانع والمستهلك مما لا يشجع عليه الإسلام، وإنما يشجع على التقليل منها[٤].

كما جاء في الحديث فيما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه "نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد" والمراد أن يكون الحاضر سمساراً للبادي، ونهى النبي ﷺ عن ذلك لما يؤدي إليه بعد ذلك من الإضرار بأهل البلد لارتفاع السعر[٥]؛ فالعقود في الإسلام تبتعد

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

(٣) أخرجه مسلم ١٥١٢.

(٤) انظر: تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٣٢٦/٧، ٣٢٧.

(٥) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢٢٣/٩.

عن الظلم، لذا جاء تحريم التطفيف في المكيال والميزان وتحريم الكذب والخيانة، فكل عقد فيه ظلم واستغلال لأحد المتعاقدين أو كليهما، فقد نهى عنه الإسلام، مثل كتمان العيب في المبيع، والغش، فإن ظاهرها الصحة والرضا بين المتعاقدين، وخاصة عند حاجة المشتري، ولكن باطنها ينطوي على الظلم والطغيان[١]، ولقد أوصى الأنبياء أتباعهم بالبعد عن التغابن والتنازع، ومظاهر الظلم في المعاملات، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٢].

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: النهي عن الزيادة في الأسعار للخداع والمزايدة على الناس في البيع

جاء النهي عن ذلك وهو ما يسمى بالنجش، فقال ﷺ "ولا تناجشوا" والنجش الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، قال ابن حجر: (قال ابن بطال: أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله، والنجش خديعة، وتحريم الخديعة واضح لكل أحد)[٣]، وقد نهى النبي ﷺ في الحديث عن النجش لأنه خداع وغش، وقد حرم الإسلام الغش بأي شكل من الأشكال[٤]. فقال ﷺ ((مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي))[٥] قال ابن أبي أوفى ((الناجِشُ آكِلٌ رِباً خائن))[٦] والنجش هو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليقتدي به المستام -المشتري الفعلي- فيظن أنه لم يزد فيها هذا الثمن إلا وهي تساويه فيغتر بذلك، فهذا حرام وخداع باطل لا يحل، لما فيه من

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام، محمود بن إبراهيم الخطيب، ١٠٥.

(٢) سورة هود، آية: ٨٤، ٨٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤/٤١٦.

(٤) النظام الاقتصادي في الإسلام، محمود بن إبراهيم الخطيب، ١٣٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٢.

(٦) أخرجه البخاري ٤١٧.

التغرير بالمشتري والخديعة له[١]. وذلك من صفات اللئام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ))[٢].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: النهي عن بيع الرجل على بيع أخيه، والسوم على سومه:

إن أحكام الشريعة على اختلاف أنواعها لها صلة وثيقة بالأخلاق، لهذا حثت على مراعاة الفضائل، من الصدق والعدل، والوفاء بالعهود والعقود، والرحمة والإحسان، وترك الرذائل من الظلم والغدر، والغبن والكذب والفسق، وأكل أموال الناس بالباطل[٣] والاعتداء على حقوق الآخرين، وتفويت المصالح عليهم، وإجهاض مشروعاتهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث من نهي المسلم عن البيع على بيع أخيه المسلم، كما جاء في صريح الحديث "ولا يبيع الرجل على بيع أخيه" وفي الرواية الأخرى "وأن يستام الرجل على سوم أخيه" وفي الحديث أيضاً: "فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه..." قال النووي: (أما البيع على بيع أخيه فمثاله أن يقول لمن اشترى شيئاً في مدة الخيار: افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه وأجود منه بثمنه ونحو ذلك، وهذا حرام، ويحرم الشراء أيضاً على شراء أخيه، وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن ونحو هذا، وأما السوم على سوم أخيه، فهو أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها على البيع ولم يعقده، فيقول الآخر للبائع أنا أشتريه وهذا حرام بعد استقرار الثمن)[٤]، قال ابن عثيمين: (وذلك حرام، لأن المشتري سوف يحاول أن يفسخ العقد من أجل أن يأخذ السلعة برخص)[٥] وفي ذلك إضرار بالآخرين.

---

(١) انظر: المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٠٤/٦.

(٢) أخرجه الترمذي ١٩٦٤، وأبو داود ٤٧٩٠ واللفظ له، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٥٩٩)، وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن، ط٧٠١/١١.

(٣) الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أنور الجندي ص ٢٩.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦٤.

(٥) شرح رياض الصالحين ج١٨٢١/٢.

خامساً- من موضوعات الدعوة: النهي عن خطبة الرجل على خطبة أخيه:

فقد جاء في الحديث النهي عن الاعتداء على الخطبة، "ولا يخطب على خطبة أخيه" وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الخطبة على الخطبة حرام إذا حصل الركون إلى الخاطب الأول، لما في ذلك من الإيذاء والجفاء، والخيانة والإفساد على الخاطب الأول، وإيقاع العداوة بين الناس[١].

سادساً- من أهداف الدعوة: النهي عن السعي في إفساد العلاقة بين الرجل وزوجته:

وإلى ذلك جاءت الإشارة في الحديث "ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" أي ولا تسأل المرأة ولو أجنبية طلاق زوجة رجل لينكحها، أو يصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بكفء ما في إنائها مجازاً[٢]. فجاء في الحديث نهي المرأة الأجنبية أن تسأل الزوج طلاق زوجته لينكحها، أو أن يخطب الرجل المرأة وله امرأة، فتشترط عليه طلاق الأولى لتنفرد به، وليصير لها من نفقته ومعاشرته ما كان للمطلقة، فعبر عن ذلك بإكفاء ما في الإناء والكفؤ والإكفاء بمعنى الإمالة، وهذا مثل لإمالة الضرة حق صاحبتها من زواجها إلى نفسها[٣]؛ فإن ذلك لون من ألوان البغي والاعتداء على الغير، والتحريض على إلحاق الأذى به، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٤]، قال ابن رجب الحنبلي: (تضمنت النصوص أن المسلم لا يحل إيصال الأذى إليه بوجهٍ من الوجوه من قول أو فعل بغير حق)[٥].

سابعاً- من أهداف الدعوة: بيان حق المؤمن على أخيه المؤمن:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ للأخوة التي تجمع بين المؤمنين، فقال ﷺ

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٩٥/١٩.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٤٩.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٤٩٧/٤.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٥٨.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢٩٤/١ .

"المؤمن أخو المؤمن" فأخوة الإيمان أقوى الأواصر وأمتن العلائق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب[٢]. وجاء في الأحاديث بيان بعض مقتضيات الأخوة فقال ﷺ "المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر" وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله ﷺ "أن يبيع حاضر لباد، ولا تناجشوا، ولا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في إنائها" وغير ذلك من الحقوق والواجبات، فإن الأخوة التي ربط الله بها بين المؤمنين، يترتب عليها حقوق وواجبات تجاه الأخوان، وذلك كالإغضاء عن الهفوات والنصح لهم والتناصح، ووجوب زيارتهم ومودتهم، وغير ذلك من أمورٍ من شأنها إشاعة الألفة والتآلف بين المسلمين، وذلك كله بهدف تحقيق التماسك الاجتماعي المطلوب، بما يعين على تحقيق أهداف رسالة الإسلام[٣].

---

(١) سورة الحجرات، آية: ١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٢٢/١٦/٨، ٣٢٣ .

(٣) انظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ص ١٦٢-١٧٥.

الحديث رقم (١٧٨١)

١٧٨١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: ((لاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ[١]، وَلاَ يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ إلاَّ أنْ يَأذَنَ لَهُ)) متفق عليه[٢]، وهذا لفظ مسلم.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

المضامين الدعوية[٣]

---

(١) هذا الشطر عند مسلم برقم (١٤١٢/٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥١٤٢)، ومسلم (١٤١٢/٤٩)، و (١٤١٢/٥٠).

(٣) الشرح الأدبي والمضامين الدعوة تم دمجها مع الشرح الأدبي ومضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٨٢)

١٧٨٢- وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: ((المُؤمِنُ أَخُو المُؤمِنِ، فَلاَ يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أخِيهِ وَلاَ يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أخِيهِ حَتَّى يذَرَ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

الشرح الأدبي

إن براعة الاستهلال في هذا الحديث الشريف تأسر السامع، وتشد المتلقي؛ فما أجمل المضمون والصياغة في هذا المطلع المضيء بكلمات النبوة: "المؤمن أخو المؤمن"، إنها قاعدة أرساها المصطفى ﷺ، وهي نابعة من البيان القرآني، لأنه لا ينطق عن الهوى، فهو -كما قال القاضي عياض- كان يحمل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، وأوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدائع الحكم ﷺ[2].

وهذا الاستهلال الجميل جاء في قالب الأسلوب الخبري، وهو جملة اسمية، توحي بالثبات وعدم التقلب والتغير في دورة الأحداث والزمن، وهذا الثبات الذي أفادته الصيغة اللغوية هو ثبات كذلك على مبدأ الأخوة الإيمانية، ولذلك تكرر لفظ المؤمن ثلاث مرات ظاهراً، ومرة رابعة جاء مضمراً، بعد الفعل "ولا يخطب"، أي: ولا يخطب هو أي: المؤمن.

وتأكيداً لهذه العلاقة الإيمانية، وحرصاً على استمرارها وعدم نقضها يكرر المصطفى ﷺ لفظ "أخ"" مضافاً إلى المؤمن ظاهراً، ومضافاً إلى الضمير العائد إليه،

---

(١) برقم (١٤١٤/٥٦).

(٢) انظر: الشفا: بتحقيق أحوال المصطفى ﷺ.

ثلاث مرات؛ حتى يتعمق الإحساس بهذه الأخوة الراسخة في نفس كل مسلم وفي قلبه.

وقوله: "فلا يحل"، يفيد بأنه يحرم على المؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ويحرم عليه أن يخطب على خطبة أخيه، وقوله: "حتى يذر"، أي: حتى يترك هذه الخطبة، يفتح نافذة جديدة؛ فالتحريم ليس مطلقاً، ولكنه مرتبط بصاحب المسألة؛ فإن فسخ الخطبة، وإن أذن للآخر فيها، فالأمر جائز؛ لأن التراضي هو الذي يحكم هذه العلاقة، والأخوة دائمة، وهذا هو المنهج الإسلامي الصحيح.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٧٨٠).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: من أهداف التربية الإسلامية: المحافظة على مصالح الأفراد:

إن المحافظة على مصالح أفراد المجتمع من أهم أهداف التربية الإسلامية، ومن أجل ذلك لابد أن يتساند المجتمع أفراده وجماعاته، بحيث لا تطغى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، ولا تذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة، وإنما يبقى للفرد كيانه وإبداعه ومميزاته، وللجماعة هيبتها وسيطرتها، فيعيش الأفراد في كفالة الجماعة متلاقية مع مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم[1].

وقد نهى النبي ﷺ أن يبيع حاضر لباد - كما في أحاديث الباب - لحكمة فيه وهي حفظ مصلحة الجماعة في أن تصلهم السلع بالسعر المعتاد دون أن يكون مغاليًا فيه، وذلك لأن الحاضر لو باع للبادي فإنه في الغالب سيرفع الأسعار نظرًا لمعرفته باحتياج الناس لهذه السلع، على حين أنه لو ترك البادي يبيع بنفسه لرخص على الناس، قال النبي ﷺ: «دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللَّهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ»[2].

وهذه الكلمة الموجزة تضع مبدأ هامًا في الميدان التجاري: أن تترك السوق وأسعارها ومبادلاتها للتنافس الفطري والعوامل الطبيعية دون تدخل مفتعل من بعض الأفراد[3].

ومن ذلك أيضًا النهي عن تلقي الركبان فقد قال ﷺ: «لا تَتَلَقَّوا السلع حَتَّى يهبطَ بها إلى الأسواقُ».

وقال ﷺ: «لا تتلقوا الركبان ...».

والحكمة من النهي عن تلقي الركبان هو ألا يلحق الضرر مجموع الناس وصاحب السلعة، فإن العادة فيمن تلقي الركبان أن يشتري السلع لنفسه ثم يبيعها للناس بسعر

---

(١) المجتمع المتكافل في الإسلام، عبدالعزيز الخياط، ص ٧٢.

(٢) أخرجه مسلم، ١٥٢٢.

(٣) الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ص ٢٤٨، وانظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٤٦٩/٣.

أعلى مما تباع به، فيلحق بالناس مضره، أمَا لو ترك أصحاب السلع يصلون إلى الأسواق لباعوها بسعر معتدل لا يكون فيه هذا الضرر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه قد يشتري السلع من أصحابها بأقل من ثمنها الذي تشترى به في الأسواق نظرًا لكونه على غير معرفة بسعر السوق، فيسهل خداعه وغبنه من خلال المتلقي، فيلحق الضرر به.

لذا نهى الشرع عنه، ولهذا جعل النبي ﷺ له الخيار إذا أتى السوق فقال ﷺ: «لاَ تَلَقَّوُا الْجَلَبَ. فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَىٰ مِنْهُ، فَإِذَا أَتَىٰ سَيِّدُهُ السُّوقَ، فَهُوَ بِالْخِيَارِ»[1].

فالشريعة الإسلامية تراعي مصلحة الفرد وكذلك مصلحة الجماعة فهي لا تقبل الضرر لأحد، ولا تقبل التحكم من أحد في أحد، ولكن تبتغي أن يأخذ كل فرد حقه، وأن تحرر الأسواق من جشع التجار، وحيلهم في التجارة التي تضر بمصالح المسلمين.

فعلى المربي والمجتمع غرس القيم الفاضلة بين الناس في الأعمال التجارية حتى يعمل الجميع على المحافظة على مصلحة الجماعة والفرد، فمصلحة الفرد وإن كان أخا لا تقدم على مصلحة الجماعة لذا نهى رسول الله ﷺ أن يبيع حاضر لباد، وإن كان أخاه لأبيه أو أمه.. كما أن مصلحة الفرد لا تهضم، ولا تغفل.

ومراعاة المصالح مقصد عظيم للشريعة الإسلامية، وهذا يقتضي تحمل الضرر الخاص في سبيل دفعه الضرر العام. ومعنى هذا أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة، وأن على الفرد أن يضحي بمصلحته الفردية في سبيل المصلحة العامة العائدة على الجميع بالنفع، وهذه قاعدة عظيمة تبين أن الشريعة الإسلامية اجتماعية وتقاوم الفردية المتطرفة التي تبيح للفرد أن يحقق حريته وأحلامه ولو على حساب الجماعة، وهذه القاعدة تسمح للدولة أن تسعى إلى توجيه الاقتصاد إذا دعت المصلحة العامة لذلك، فيمكنها أن تسعر أثمان البضائع إذا ترتب على تركه الإضرار بالناس، كما يمكنها بيع طعام المحتكرين عن الحاجة إليه جبرًا، وهكذا كل ذلك مراعاة للمصلحة العامة وتقديمًا لها على المصلحة الخاصة[2].

---

(١) أخرجه مسلم، ١٥١٩.

(٢) مقاصد الشريعة ومكارمها، علال الفارسي، ص ٨١.

ثانيًا- التربية: الاقتصادية:

يقوم النظام الاقتصادي في الإسلام، على أسس العدالة، والمساواة والتكافل الاجتماعي، والتعاون، والتراحم، ويدعو إلى الجد والعمل، والسعي في طلب الرزق، والحرص على الشخصية المسلمة، أن يستذلها الفقر، أو يهينها السؤال.

وأصل الاقتصاد الإسلامي: أحل الله البيع: لأنه يفيد خبرة، ويبعث حركة، ويدعو إلى ممارسة. والخبرة إذا زادت، وسعت آفاق الفكر، وقوت وشائج الصلة، ومهدت السبيل إلى الألفة، والمعرفة، ونشاط وقوة للجسم والعقل معًا، والممارسة تدريب، وحياة، ومعاناة، ومثابرة وصبر. وللبيع أصوله وآدابه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وظلم البائع للمشتري، أو ظلم المشتري للبائع، يزرع الحقد ويزعزع الثقة ويدعو للفرقة، لذا كان النهي عن بيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان والنجش، وبيع الرجل على بيع أخيه، لتتساوى الفرص، ويمتنع العدوان فتصفوا القلوب[2].

فالتربية الاقتصادية في الإسلام تهتم بتنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، وليس أعدل ولا أعلم بمصالح العباد من اللطيف الخبير الذي شرع للناس أنظمة الحياة والتعامل في ظل شريعته الخالدة[3].

كما تحرم الشريعة الإسلامية الكسب الخبيث، لما فيه من أخذ المال بغير حق مشروع، ومنها أخذ المال بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار واليانصيب ونحوها، أو بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها، أو كان ثمنًا لمحرم: كثمن الخمر والخنزير والمخدّر ونحوها، فكل هذه الموارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها[4].

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٥.

(٢) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ص ٢٥١.

(٣) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، د. زاهر بن عواض الألمعي، ص ٣٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص٣٩٣.

ثالثًا: من أهداف التربية: معرفة أحكام فقه البيع والشراء:

إن أحاديث الباب تدعو المسلم إلى معرفة أحكام فقه البيع والشراء، ومن هذه الأحكام التي تناولتها أحاديث الباب: تحريم بيع الحاضر للباد، وتلقي الركبان وبيع الرجل على بيع أخيه.

فإنه ينبغي لكل من تصدى للعمل بالسوق وممارسة العمل التجاري أن يكون لديه بعض الإلمام بأحكام البيع والشراء، حتى تكون معاملته صحيحة بعيدة عن الفساد[١].

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إلاَّ من تَفَقَّهَ فِي الدِّين»[٢].

وقال محمد علي حيدة: وأحسب أن كل من عمل بالسوق وخاض غمار التجارة ومارس البيع والشراء حتى يعرف بأنه امتهن العمل في هذا المجال، ثم لا يعرف أحكام المعاملات: الحلال منها والحرام وما يفسدها وما يصلحها، أحسبه - والله أعلم - آثم بحسب تقصيره في هذا الجانب، وقد امتلأت أسواقنا بكثير من المسلمين الذين أغفلوا هذا الفقه - بقصد أو بدون قصد - وأصبحوا لا يبالون بالفرق بين الحلال والحرام، وخلت من الصالحين والمتفقهين، الذين آثروا السلامة، فنأوا بأنفسهم تزهدًا وتورعًا، أقول لهم، افعلوا ما فعل أجدادكم، اطرقوا أبواب الأسواق، وأخلصوا النية لله تفتح لكم الشركات والمؤسسات، وتَسلَّموا من غلّ الوظيفة وقيدها، وتفتح لكم قلوب العباد، كما فتحت لأسلافكم حينما ذهبوا بتجارتهم إلى الصين وإلى الهند وإلى الجنوب من إفريقيا[٣].

رابعًا: من أهداف التربية الإسلامية: تنمية روح الأخوة الإسلامية:

إن الأخوة الإسلامية هي أوثق رابطة وأقوى صلة بين المسلم وأخيه المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، وهذه الأخوة تقتضي حقوقًا بينهما إن قاما بها نمت

---

(١) انظر: السوق وآدابه وأحكامه، محمد علي حيدة، مجلة البيان، السنة الثانية عشر، العدد ١٢٤، ذو الحجة ١٤١٨هـ، إبريل ١٩٩٨م ص ٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي، ٤٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٤٠٤).

(٣) المرجع السابق، ٤٨، ٤٩.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

وزكت، وإلا ضعفت وذوت حتى تموت، فعلى المسلمين مراعاتها وإحياؤها بالقيام بالحقوق والصلات[١].

ومن هذه الحقوق التي دلت عليها أحاديث الباب ألا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته إلا بإذنه، ولا يزايد عليه في الثمن ولا يغشه في بيع ولا شراء، ولا تشترط المرأة طلاق أختها المسلمة من زوجها، حتى تتزوجه هي، فكل هذه الأشياء وغيرها من الأشياء التي تلحق الضرر بالمسلم تكون سببًا في زرع العداوة والبغضاء، وقطع عرى الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم.

من أجل ذلك نهت الشريعة الإسلامية عنها حتى تحفظ عرى الأخوة من التمزق والخلاف والكراهية.

فإن أقل ما يجب للمسلم على أخيه المسلم ألا يعتدي على حقه ولا يظلمه ولا يغشه.

قال ابن تيمية: وأما عقد الأخوة بين الناس في زماننا، فإن كان المقصود منها التزام الأخوة الإيمانية التي أثبتها الله بين المؤمنين بقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، وقول النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»[٣]، وقوله: «لا يَبِيعُ الرَّجُلُ على بَيْعِ أَخِيهِ، ولا يَخْطُبُ إلاّ بإِذْنِهِ، إلاّ أن يأذن له»[٤]، وقوله: «وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٥]. ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن. فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، .... وهي ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن[٦].

---

(١) انظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، عبدالله بن عبدالرحمن البسام ٣٣٣/٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٢٤٤٢، ومسلم، ٢٥٨٠.

(٤) أخرجه مسلم، ١٤١٢.

(٥) أخرجه البخاري، ١٣، ومسلم، ٤٥.

(٦) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ١٠٠/١١، ١٠١، ط العبيكان، ٥٩/٦.

فعلى المربي والوالدين وكل من يقوم بعملية التربية العمل على غرس وتوثيق علاقة الأخوة بين المسلم وأخيه المسلم على المحبة والمودة والإيثار، والمواساة والنصر، والبعد عن كل ما يؤدي إلى إشاعة الكراهية والشحناء.

❁ ❁ ❁

٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

الحديث رقم (١٧٨٣)

١٧٨٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنَّ اللهَ تعالى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثاً، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاثاً: فَيَرْضَى لَكُمْ أنْ تَعْبُدُوهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإضَاعَةَ المَالِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أن تعتصموا بحبل الله: أن تستمسكوا بنوره وهُداه وكتابه[2].

قيل وقال: يعني فضول ما يتحدث به المتجالسون، من قولهم: قيل: كذا وقيل: كذا[2].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يخط للمؤمن طريقه الصحيح، الذي يضمن له الفوز برضا الخالق عز وجل، ويحذره كذلك من الوقوع فيما يغضب الله سبحانه ويكره لعباده، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في الحديث الشريف، نجده يبدأ بالتأكيد في قوله: "إن الله تعالى"؛ وذلك لأهمية ما يذكر بعد ذلك، ولتنبيه المسلم إلى ضرورة الإقدام على تنفيذ ما يرضى الله عز وجل، وتجنب ما يكرهه.

---

(١) برقم (١٧١٥/١٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ص م) و(ح ب ل).

(٣) المرجع السابق في (ق و ل).

ومن سمات الجمال الأسلوبي في هذا الحديث: التوازن، وحسن التقسيم في عبارات الحديث وتراكيبه؛ فالذي يرضاه الله لعباده ثلاث... والذي يكرهه لهم ثلاث كذلك، وقد قدّم رسول الله السلوكيات التي تجلب الرضا على السلوكيات التي يكرهها الله لعباده؛ لغرس روح التفاؤل في نفس المؤمن، وتقديم البشرى له، والإشارة إلى أن هذه الثلاث هي معالم الطريق، التي يهتدي بها المؤمن، ويفوز برضا ربه عز وجل.

والتعبير بالفعل المضارع في سياق التوحيد وعدم الشرك، والاعتصام بحبل الله جميعاً: يرشد إلى وجوب استمرارية هذا السلوك الإيماني الراشد؛ فهو طبيعة المؤمن وديدنه؛ استجابة لدعوة النبي ﷺ: "أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً...، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".

ومن مظاهر الجمال التعبيري: المقابلة بين الموقفين: موقف الرضا وموقف الكره، وتقديم موقف الرضا على موقف الكره؛ لأن الرضا هو الطريق إلى الفوز بالجنة، وهذه المقابلة جاءت في إطار التنسيق في بناء الجمل؛ حيث جاءت صياغة الجمل هكذا: الإثبات ثم النفي، ثم الإثبات ثم النفي: (أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا... ولا تفرقوا)، والجملة الأولى والثالثة جاءت في قالب المصدر المؤول، والثانية والرابعة سُبقاً بأداة النفي "لا"، ولا تشركوا، ولا تفرقوا.

وأما القسم الثاني -وهو الذي يفصّل السلوكيات التي يكرهها الله لعباده- فقد اتسم بالسّجع والإيقاع الصوتي المؤثر، الذي يجلب الانتباه، ويثير الذهن، ويشحذ عاطفة المسلم، ويحرك مكان الشعور فيه، فيعرف أخطار هذه السلوكيات فيحذرها، ومع هذا الإيقاع الصوتي، كان الإيجاز وقصر العبارة ووضوح الفكرة، ولنتأمل ما يبوح به هذا البيان النبوي البليغ من معان ومواعظ، وإرشادات وتوجيهات، "ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".

فقه الحديث

وقد سبق بيان الأحكام التي اشتمل عليها هذا الحديث.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثالثاً: من صفات الداعية: البيان والتوضيح لما يرضاه الله تعالى لعباده ولما يكرهه لهم.

رابعاً: من أهداف الدعوة: بيان فضل إخلاص العبادة لله وحده وعدم الإشراك به والاعتصام بحبل الله.

خامساً: من موضوعات الدعوة: اجتناب القيل والقال.

سادساً: من موضوعات الدعوة: الابتعاد عن كثرة السؤال.

سابعاً: من موضوعات الدعوة: التنفير من إضاعة المال.

ثامناً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في قوله ﷺ "إن الله تعالى يرضى لكم" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوة ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من تقوية الكلام وإثبات صحته[1]. وقد تكرر أسلوب التوكيد في القرآن تقريراً للحقائق، وتثبيتها في قلوب الناس، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[2]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[3].

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

ورد ذلك في الحديث، حيث أجمل النبي ﷺ القول، فقال: "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثا" ثم فصله بقوله: "فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا

---

(١) الأصل النحوي، توالي الأمثال اللفظية والمعنوية، د. منيرة بنت محمود الحمد، بحث منشور بمجلة العلوم الشرعية والعربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، شوال ١٤١٧هـ ص ٢٧٣.

(٢) سورة الصافات، آية: ٤، ٥.

(٣) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤.

به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" وإجمال القول ثم تفصيله من الأساليب الدعوية ذات الأدب الرائق، والتي لها أثر بالغ في إثارة الانتباه، وإقبال المدعوين، وتمنع تسلل السأم والملل إلى نفوسهم[١].

ثالثاً- من صفات الداعية: البيان والتوضيح لما يرضاه الله تعالى لعباده ولما يكرهه لهم:

إن أبرز صفات الداعية، البيان والتوضيح، ولقد أمر الله تعالى الأنبياء وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس[٢] ويبينوه لهم، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[٣] ومن ذلك بيان ما يرضاه الله تعالى لعباده وما يكرهه لهم، ومن ذلك ما جاء في الحديث في قوله ﷺ "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً..." وبيان الحق وتوضيحه وتزيينه للناس بكل الطرق والوسائل العلمية المشروعة، مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه بالطرق المشروعة أيضاً، قصداً لهداية الناس، وتوضيحًا للحقائق والمفاهيم، من أجلِّ وأبرز صفات الداعية التي لا غناء له عنها[٤].

رابعاً- من أهداف الدعوة: بيان فضل إخلاص العبادة لله وحده وعدم الإشراك به والاعتصام بحبل الله:

ورد التصريح في الحديث بأن مما يحبه الله لعباده: إخلاص العبودية والاعتصام بحبل الله، فقال ﷺ "فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا" قال القرطبي: (قوله: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً" أي: شرع هذه الثلاثة، وأمر بها، وجعلها سبباً لكلِّ ما عنده من الكرامة في الدنيا والآخرة.

وقوله: "ويكره لكم ثلاثاً"، وفي الرواية الأخرى: "سخط" أي: نهى عنها وحرَّمها،

---

(١) انظر: مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١١٤.

(٢) فقه الدعوة، بسام العموش ص ٢٦.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٤) انظر: الإعلام في ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب ص ٣٥.

وجعلها سبب إهانته، وعقوبته في الدنيا والآخرة. وهذا كما قاله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] هذا أولى ما قيل فيه. وقد تقدم القولُ على الرضا والسخط، وعلى العبادة والشرك في الإيمان)[2]. وقال النووي واعلم أن الثلاثة المرضية إحداها أن يعبدوه، والثانية أن لا يشركوا به شيئاً، والثالثة أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا[3]. فإن أصل الدين عبادة الله ومن أجلها خُلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[4] وأن تكون الأعمال خالصة لوجهه تبارك وتعالى، قال ابن رجب الحنبلي: (إن سائر الأعمال، صلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها، كالجهاد والحج وغيرها، وقد سئل النبي ﷺ عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وغيره، وما يقصد به من الرياء وإظهار الشجاعة والعصبية وغير ذلك، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله" فخرج بهذا كلُّ من سألوا عنه من المقاصد الدنيوية[5]، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ. فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))[6].

وحقيقة الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلى أن يُعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦، ٥٧.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٧٥/١.

(٦) أخرجه البخاري ١٢٣، ومسلم ١٩٠٤.

السر والقول والعمل[١]. وقال المناوي الإخلاص: تخليص القلب من كل شوبٍ يكدِّر صفاءه، فكل ما يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمى خالصاً. وقيل: الإخلاص عملٌ يعين على الخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من التهمة والخلل[٢].

وقال الجرجاني: الإخلاص: ألا تطلب لعملك شاهداً غير الله تعالى، وقيل هو: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه -الفطري- وتحقيقه أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه يُسمى خالصاً، قال تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا﴾[٣]. فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوبٌ من الفرث والدم، ومن كل ما يمكن أن يمتزج به[٤].

وحقيقة الإخلاص: التبري عن كل ما دون الله تعالى، أما الإخلاص في الدين فيقول فيه الراغب: إخلاص المسلمين أنهم قد تبرءوا مما يدَّعي اليهود من التشبيه، والنصارى من التثليث، قال تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾[٥] وقال عز وجل: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾[٦]. وأجمعوا على أن الإخلاص في الطاعة ترك الرياء[٧].

إن المقاصد التي يقصدها المكلفون بالعبادة تنحصر في مقصد واحد، هو قصد الله دون سواه، فالعمل الذي لا يتوجه به إلى الله، ليس له قيمة، ومن يستقرئ نصوص القرآن والسنة، يعلم أن هذا هو القصد الوحيد الذي يرتضيه الإسلام، فأول أمر في

---

(١) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٦٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، الإمام المناوي، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان، ص ٤٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٦٦.

(٤) التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ص ١٣، ١٤.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٦) سورة النساء، آية: ١٤٦.

(٧) التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة ص ١٣.

كتاب الله هو ما تضمنته هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

إن الله وحده المستحق لأن يقصد دون سواه، لأنه المعبود الذي يتصف بصفات الجلال والكمال، فهو الكامل في ذاته وصفاته، وهو المنعم المتفضل بيده النفع والضر، والخفض والرفع، والعطاء والمنع، والنصر والخذلان، والعزُّ والإذلال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[3].

فهو وحده المطلوب المقصود، لأنه الخالق الهادي المطعم المسقي، الذي يشفي من الأمراض، والذي يغفر الذنوب والخطايا: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[4].

فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، له الحمد في الأولى والآخرة، لا ربَّ غيره، ولا معبود سواه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١.

(٢) سورة البينة، آية: ٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٤) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨-٨٢.

(٥) سورة النجم، الآيات: ٤٢-٥١.

فمن كانت هذه صفاته، وتلك أفعاله، فإنه الذي يستحق العبادة دون سواه، وهو الذي ينبغي أن يكون المقصد والمعاذ والملاذ.

والتوجه إليه وقصده بالعبادة حقه الخالص الذي لا يشركه فيه أحد، فعن معاذ بن جبل، قال: ((كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً))[١].

فهو الذي يستحق العبادة خوفاً ورجاء، ورغبة ورهبة، وتوكلاً واعتماداً، وصلاة وصياماً، وزكاة وحجاً، ونذراً ودعاء[٢].

أما عن أهمية الاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، فإن ذلك يتمثل فيه نجاة الأمة، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣] قال القرطبي في تفسير هذه الآية: (إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة، لأن الفرقة هلكة والجماعة نجاة)[٤] من أجل ذلك نجد أن العبادات في الإسلام تهدف إلى غرس الألفة والاجتماع بين صفوف المسلمين، قال ابن حجر في فائدة الجماعة خاصة في الفجر والعشاء (انتظام الألفة بين المتجاورين في طرفي النهار، وليختموا النهار بالاجتماع على الطاعة ويفتتحوه كذلك)[٥].

وجاء في الحديث "إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا".

قال القرطبي: (وقوله: "وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً" الاعتصام بالشيء: التمسُّك به، والتحرُّز بسببه من الآفات. وأصل العصمة: المنعُ. تقول العرب: عصم فلاناً الطعام.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٨٥٦، ومسلم ٣٠.

(٢) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ١٥، ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٩/٤/٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٥١/٢.

أي: منعه من الجوع، وكنوا السويق بأبي عاصم لذلك، فالمعتصم بالشيء يمتنع به من أسباب الهلاك والشدائد. وحبل الله هنا: شرعه الذي شرعه، ودينه الذي ارتضاه. قال قتادة: هو القرآن. وهو بمعنى القول الأول. والحبل ينصرفُ على وجوه. منها: العهد والوصل، وما يُنجى به من المخاوف. ومنها: الأمان. وكلُّها متقاربة المعنى؛ لأنَّ الحبلَ في الأصل: واحد الحبال التي تُربط بها الآلات، وتجمع بها المتفرقات، ثم استعير لكلِّ ما يعوَّل عليه، ويتمسك به، ثمَّ كثر استعماله في العهد ونحوه. ومعنى هذا: أن الله تعالى أوجب علينا التمسُّك بكتابه، وسنَّة نبيه ﷺ، والرجوع إليهما عند الاختلاف[1].

خامساً- من موضوعات الدعوة: اجتناب القيل والقال:

من الأمور التي صرح الحديث بكراهية الله تعالى لها: القيل والقال، فقال ﷺ: "ويكره لكم قيل وقال" والمراد به الكلام فيما لا يعني[2]، فينبغي على المسلم أن يعرض تمام الإعراض عن السفاسف ودنايا الأمور، من (الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم)[3] فإن البعد عن ذلك كمال للإيمان وإحسان للإسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: ((مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يعْنِيهِ))[4]. ولله در القائل:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان[5]

سادساً- من موضوعات الدعوة: الابتعاد عن كثرة السؤال:

كما بين الحديث أيضاً أن من الأمور التي يكرهها الله تعالى كثرة السؤال،

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٣/٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٥١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٣١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٨٦).

(٥) كتاب الأذكار، النووي، ٢٩٨.

فقال ﷺ "ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال...". قال القرطبي: (ومعناه أن الله حرَّم الخوض في الباطل، وفيما لا يعني من الأقوال وحكايات أحوال الناس، التي لا يسلم فاعلها من الغيبة والنميمة والبهتان والكذب)[١]. وقال النووي: (وأما كثرة السؤال فقيل المراد به القطع في المسائل، والإكثار من السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن ذلك، وكان السلف يكرهون ذلك ويرونه من التكلف المنهي عنه[٢]، وهذا هو أرجح المعاني، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[٣] وهذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء، مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها[٤].

قال القرطبي: (وقوله: "وكثرة السؤال" يحتمل أوجهاً:

أحدها: أن يريد به كثرة سؤال الناس الأموال، والحوائج إلحاحاً، واستكثاراً.

وثانيها: أن يكثرَ من المسائل الفقهية تنطُّعاً وتكلُّفاً فيما لم ينزل. وقد كان السلف يكرهون ذلك، ويرونه من التكلف. وقال مالك في هذا الحديث: لا أدري أهو ما نهاكم عنه من كثرة المسائل، فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، أو هو مسألة الناس أموالهم.

وثالثها: أن يكثرَ من السؤال عما لا يعنيه من أحوال الناس، بحيث يؤدِّي ذلك إلى كشف عوراتهم، والاطلاع على مساوئهم.

قلتُ: والوجه: حَمْلُ الحديث على عمومه، فيتناول جميع تلك الوجوه كلها[٥].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٣/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٣.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٤/٥.

سابعاً- من موضوعات الدعوة: التنفير من إضاعة المال:

جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث "ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" والرواية الأخرى "أنه ﷺ كان ينهى عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال" يقول ابن عثيمين: (المال جعله الله قياماً للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم، وهو أمر مهم فلا يجوز للإنسان أن يضيعه في غير فائدة، لذا جاء تحريم الإسلام لإضاعة المال أو التبذير والإسراف في إنفاقه، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[1] فمجاوزة الحد إسراف، وهي محرمة وعرضة لأن يكره الله فاعلها[2]. قال ابن الجوزي: (العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيراً اجتهد في كسب وصناعة، تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق واستعمل القناعة، فعاش سليماً من منن الناس عزيزاً بينهم، وإن كان غنياً فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر فيحتاج إلى الذل للخلق، فينبغي التوسط في الأحوال، وانتهاج التدبير أسلوباً في الحياة، وإنما التدبير حفظ المال والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره)[3].

فقد نهى الإسلام عن إضاعة المال بإتلافه وإهلاكه وصرفه في غير أوجه الإنفاق المحمودة والجائزة، فيلحق بإتلافه منع صرفه في وجوهه من مصالح دنياه ودينه، كما يفعله أهل البخل، ودناءة الهمم؛ يدَّخرون المال، ويكثرونه، ولا ينفعون نفوسهم بإنفاق شيء منه، ولا يصونون به وجوههم، ولا أديانهم. فهذا الصنف هو المحروم الخاسر؛ الذي قال فيه الشاعر:

رُزِقْتَ مالاً وَلَمْ تُرْزَقْ مَنَافِعَهُ ... إنَّ الشَّقيَّ هُوَ المَحْرُومُ مَا رُزِقا

وأشدُّ من هذا كلّه قبحاً وإثماً من يتلف ماله في معاصي الله تعالى، فيستعين بمال الله على معاصيه، ويخرجه في شهواته المحرمة، ولا يباليه، ويدخل في عموم النهي عن

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٢٢/٢، ١٨٢٣.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا ٦١٠.

إضاعة المال القليل منه والكثير، لأن المال هنا: كل ما يتموَّل، أي: يتملّك؛ حتى لو رمى بثمن درهم في البحر مثلاً لكان ذلك محرماً. وكذلك لو منعه من صرفه في وجهه الواجب، وكذلك لو أنفقه في معصية الله. ولا خلاف في هذا إن شاء الله[١].

ثامناً- من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب:

جاء أسلوب الترغيب والترهيب واضحاً في الحديث، ترغيب في عبادة الله والإخلاص له والاعتصام بحبل الله جميعاً ومجانبة التفرق والتشرذم، وترهيب من القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، فقال ﷺ: "إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" وأسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة والمفيدة، لما في الترغيب من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، وفي الترهيب تحذير المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله. والملاحظ أن القرآن الكريم مملؤ بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب: أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[٢]. وللترغيب والترهيب أثره في صدق التوجه إلى الله تعالى رغبة إليه ورهبة منه، قال تعالى واصفاً عباده المؤمنين: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣] فالترغيب والترهيب يحبب إلى المسلم الطاعات، وينأى به عن المعاصي، ويدفع به إلى مقاومة الشيطان[٤].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ص ١٦٥.

(٢) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ص ٤٣٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢١٥٦/٦.

إن أسلوب الترغيب والترهيب له نتائجه الباهرة التي لا تخفى على أحد، وقد أصّله لنا أنبياء الله بوحي من الله على لسانهم ولسان الرسل أجمعين كما نطق بذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[1].

ومن يطالع دعوات المرسلين يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالترغيب والترهيب، ويبدو أن الترغيب والترهيب، أو بما يسمى التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل، هو مفتاح النفس الإنسانية؛ فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي يحصلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تبين لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال، فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال، ونعيم الله المبشر به، نعيم يستعذبه القلب، وتلذه النفس، ويهيم به الخيال.

وعذاب الله المبشر به، عذاب يرتجف منه القلب، وتستهوله النفس، ويرتعد منه الخيال. فعلى الداعية أن يسلك مسلك الرسل في التبشير والإنذار، حتى تؤتي دعوته ثمارها العظيمة.

إن بعض الذين لم يفقهوا دعوة الإسلام، يعيبون على دعاة الإسلام أخذهم بالإنذار والتبشير، ويقولون فلان واعظ، ويعيبون عليهم عدم فلسفتهم للأمور التي يدعون إليها، ويطالبون الدعاة بالكف عن طريقة الوعظ وتخويف الناس وترغيبهم، وهؤلاء بحاجة إلى أن يراجعوا أنفسهم، وينظروا في موقفهم هذا، في ضوء نصوص القرآن وأحاديث الرسول ﷺ التي تبين أسلوب الدعوة، وتوضح مهمة الرسل الكرام[2].

---

(١) سورة الكهف، آية: ٥٦.

(٢) انظر: الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر ص ٤٨، ٤٩.

الحديث رقم (١٧٨٤)

١٧٨٤- وعن ورَّادٍ كاتب المغيرة، قال: أَمْلَى عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ في كِتابٍ إلَى مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ((لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ)) وَكَتَبَ إلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه[1]، وسبق شرحه[2].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٠).

غريب الألفاظ:

الجَدُّ: الحظُّ[3].

قيل وقال: يعني فضول ما يحدث به المتجالسون من قولهم: قيل: كذا، وقيل: كذا[4].

عقوق الأمهات: إيذاؤهنَّ وعصيانهنَّ[5].

وأد البنات قتلهنَّ[6].

ومنعٍ وهات: منع ما عليه إعطاؤه وطلب ما ليس له[7].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٩٢) واللفظ له، ومسلم (١٣٧/٥٩٣)، وتقدم برقم، (٣٤١)، و(١٤١٨).

(٢) عند الحديث رقم (٣٤١).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج د د).

(٤) المرجع السابق في (ق و ل).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ق ق).

(٦) المرجع السابق في (و أ د).

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ن ع).

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف إملاء من المغيرة بن شعبة على "ورّاد" كاتبه، وهو نص كتاب أرسله إلى معاوية بن أبي سفيان؛ ناصحاً ومرشداً وموجهاً، ومسترشداً بكلام سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد ﷺ.

ويبدأ الحديث بالتأكيد على مظاهر السلوك النبوي، وعلى أقوال النبي ﷺ في دبر كل صلاة، وتأكيد الخبر هنا فيه حث لمعاوية على الاقتداء برسول الله قولاً وفعلاً؛ حيث قال: "أن النبي ﷺ كان يقول".

وهذا الدعاء الذي يتفوه به قلب رسول الله ﷺ ولسانه عقب كل صلاة، هو شكر لله عز وجل، وإقرار بوحدانيته، وتفرده بالعطاء والربوبية والألوهية؛ فقد امتن الله على نبيه محمد ﷺ؛ إذ جعل صدره ينبوعاً للهدى والنور والمعرفة، وأذهب عنه الشواغل التي تصدُّه عن إدراك الحق، وليّن قلبه بالإيمان، والانتفاع بالموعظة والعلم، وامتن الله على نبيه بذلك؛ ليداوم شكر المنعم سبحانه وتعالى، وليطمئن قلبه، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[1].[2]

وأسلوب القصر في قوله: "لا إله إلا الله"، فيه تأكيد لوحدانية الله عز وجل؛ فالله مختص بالألوهية، وهي مقصورة عليه وحده، ولا يشاركه سواه في ذلك.

والتقديم في قوله: "له الملك"، وكذلك في قوله: "له الحمد"، يفيد الاختصاص والقصر؛ فلا ملك إلا لله، ولا حمد إلا له، وجملة "لا شريك له"، وكذلك "له الملك" في موقع الحال، وصاحب الحال، يتضمنه قوله: "وحده" وهو الله عز وجل؛ فهو في كل الأحوال لا شريك له، وهو "له الحمد، وله الملك، وهو على كل شيء قدير"، والطباق والمشاكلة اللفظية، والمقابلة المعنوية تضفي جمالاً لفظيًّا، يتآزر مع الجمال المعنوي، الذي يَعْبق به قوله ﷺ في دعائه الصادق، وثنائه الجميل على ربه.

---

(١) سورة الشرح، الآية: ١.

(٢) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني.

"اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت" وهذه الصياغة توحي بشمول العطاء، وطلاقة القدرة الإلهية؛ والإيقاع الصوتي الذي يحدثه السجع المؤثر والمحبب، في القسم الثاني من الحديث يوحي بضرورة الاهتمام، وإلى مزيد من الإصغاء، واتباع تعاليم المصطفى ﷺ، واتباع ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، وهذه النواهي موجهة إلى معاوية في هذا السياق، وإلى كل من يتولى أمور المسلمين، وإلى كل مسلم، وهي ستة أمور منهي عنها، وقد اتسمت بالإيجاز وحسن التقسيم؛ حيث وردت ثلاث مسجوعةً تنتهي فواصلها بحرف اللام، وثلاث تنتهي فواصلها بالألف والتاء، وحرف المد الألف الذي يسبق الحرف الأخير، يعطي مساحة للتأمل والتفكر والتدبر، في الأخطار التي تحدق بالأمة إذا شاعت فيها هذه السلوكيات: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال، وعقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات.

وهذا الجمال الأسلوبي، والعمق الفكري، والإشراق البياني، من سمات البيان النبوي الراشد البليغ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٣٤١، ١٤١٨).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية العقدية:

إن العقيدة الإسلامية تقوم على توحيد الله تبارك وتعالى، وذلك بالتصديق الجازم بأن الله واحد لا شريك له، وإفراده في الربوبية والألوهية[1].

وورد ما يدل على ذلك في هذا الباب في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.....».

وقوله ﷺ: في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له....».

فأول ما يجب أن يتربى عليه الشاب المسلم العقيدة الصحيحة، وهي العقيدة السلفية التي مضى عليها سلف الأمة رضي الله عنهم، فقد جعل الله عز وجل عقيدة المنصوص عليها في القرآن وطبقها الرسول ﷺ المقياس للعقيدة الصحيحة، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾[2].

وبين عز وجل أن غاية خلق الجن والإنسان إفراد الله عز وجل بالعبادة ومعرفته عز وجل فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3].

كما بيّن عز وجل أن غاية الرسل وهدفهم تعبيد الناس لله عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[5].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٨١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

وبين النبي ﷺ أن حق الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كُنْتُ رِدْفَ النبي ﷺ . فَقَالَ لي: يَا مُعَاذُ! تَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى اللهِ؟ فقَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا»[1].

وأول أمر في ترتيب كتاب الله أمر بالتوحيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2].

وما أتى الأمر بالتوحيد في كتاب الله عز وجل أو في سنة رسول الله ﷺ مع مجموعة من الأوامر إلا كان الأمر بالتوحيد أول الأوامر.

وما أتى النهي عن الشرك مع مجموعة من النواهي في كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ إلا كان النهي عن الشرك هو أول النواهي، فما أمرت الرسل بشيء قبل التوحيد وما نهت عن شيء قبل الشرك.

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد، وتربي أبناءها عليه، وتستقيم العقيدة الصحيحة فهي دعوة على غير هدى المرسلين، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح[3].

والتربية العقدية مسؤولية خطيرة تقع على عاتق المربين والآباء والأمهات.

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر إلا زود الولد بالبراهين التي تدل على الله، وبالإرشادات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي فيه جانب العقيدة... وهذا الأسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الإيمانية، هو أسلوب المربي الأول صلوات

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٨٥٦، ومسلم، ٣٠ واللفظ له.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٣) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٨١-٨٣.

الله وسلامه عليه، حيث كان يسعى دائمًا إلى أن يوجه الأولاد إلى كل ما يرفع من شأنهم، ويرسخ الإيمان واليقين في أعماق نفوسهم[١].

ثانيًا: التربية: على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة:

إن التربية على لزوم الجماعة ونبذ الفرقة من أهم ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية وترضاه لأفرادها، ولذلك قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلاثًا ....، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا...». وهذا ما أمر به المولى تبارك وتعالى، فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

ويقول سبحانه أيضًا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالْجَابِيَةِ فقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رسولِ الله ﷺ فِينَا فقال: «أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدُ. أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ. مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ. مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ»[٤].

قال ابن تيمية: سبب الاجتماع والألفة جمع الدين، والعمل به كله وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما أمر به باطنًا وظاهرًا، وسبب الفرقة: ترك حظ مما أمر العبد به، والبغي بينهم.

ونتيجة الجماعة: رحمة الله، ورضوانه، وصلواته، وسعادة الدنيا والآخرة، وبياض الوجوه.

---

(١) للاستزادة انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ١/١٦٤-١٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

(٤) أخرجه الترمذي، ٢١٦٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ١٧٥٨).

ونتيجة الفرقة: عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول منهم[١].

والأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف ومواقفهم التي تدل وتحث على المحافظة على هذا الأصل العظيم من أصول الدين كثيرة جدًا ليس هذا مقام تفصيلها وإنما المقصود الإشارة إلى أهمية الاجتماع والوحدة والائتلاف وأثر ذلك في الوقاية من الفتن وغوائلها، والتحذير من الفرقة والاختلاف وأنها أصل كبير وباب خطير من أبواب الفتن.

ولو تتبعنا أحكام الإسلام ومبادئه لرأيناها مبنية على هذا الأصل، فكثير من العبادات تقوم على الاجتماع والترابط والتكافل، وكثير من البيوع والمعاملات المحرمة إنما حرمت لحسم مادة الفرقة والاختلاف والشحناء والبغضاء بين المسلمين، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إذن فلزوم الجماعة ونبذ الفرقة من أكبر المنجيات والعواصم من قواصم الفتن والشرور، وما نمت بذور الفتن إلا في أرض الفرقة والاختلاف. والتاريخ أكبر شاهد على ذلك. فإن أردنا السلامة من الفتن وشرورها؛ فلنكن عوامل بناء وتأليف وجمع لكلمة المسلمين، ولنحذر من أن نكون عوامل هدم وتفريق بين المؤمنين، وما فرح الشيطان وأولياؤه من الجن والإنس بشيء أشد من فرحهم بالفرقة والتحريش بين المسلمين؛ لأنها فرصتهم الثمينة في نشر ما يريدونه من الشرور والفساد، بل فرصتهم التي لا تعوض في بسط نفوذهم على بلاد المسلمين[٢].

ثالثا: التربية الوقائية:

أسلوب التربية الوقائية من الأساليب المهمة، وذلك أن الوقاية نوع من أنواع التحذير وهي: تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما من شأنه أن يفضى إلى مفسدة أكبر[٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، ١/١٧.

(٢) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ٣/٥٥٤-٥٥٧.

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

وقد اشتمل هذا الباب على مجموعة من التوجيهات والتحذيرات الوقائية منها:

أ- من التربية الوقائية: التي استخدمها رسول الله ﷺ: قطع دابر الإشاعة التي من شأنها أن تؤدي إلى خلخلة الصف المسلم وتوهينه، وتفشي القيل والقال بين أفراد المجتمع المسلم، وفقدان الثقة بينهم، مما جعل الرسول ﷺ يحرص على وأدها في مهدها[1].

فقال ﷺ: «ويَكْرَهَ لَكُمْ قيلَ وقالَ» والمراد تتبع أخبار الناس وأحوالهم للتحدث بها وإشاعتها، وربما كان في شيء منها مما يغضب المقول فيه، من أمور يود إخفاءها، وأسرار لا يحب إذاعتها، فتنشأ العداوة وتنمو الضغينة ويعم الفساد والأذى[2].

ب- ومن التربية الوقائية التي استخدمها رسول الله ﷺ في هذا الباب النهي عن كثرة السؤال فقال: «وكره لكم.... وكثرة السؤال» لأنه إذا كان سؤال المال والصدقة فإنه يؤدي إلى إراقة ماء الوجه وإذلال النفس ما يربأ أن يدنس به نفسه، وأما السؤال عن المشكلات والمعضلات وأخبار الناس واختراع الأحاجي والألغاز والتعجيز والإرهاق، لما يترتب على ذلك من إضاعة الوقت في غير المفيد، وربما كان في الجواب عن السؤال ما يؤلم السائل ويسيء إليه أو إلى غيره على حد قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3][4].

فعلى المربي أن يحث من يربيهم على الاستعفاف وغنى النفس وعدم السؤال فيما لا فائدة منه حتى يقوا أنفسهم الحرج ويكونوا حريصين على الإفادة والعلم، وعدم ضياع وقت من يعلمهم فيما لا فائدة فيه.

ج- ومن التربية الوقائية التي استخدمها رسول الله ﷺ في هذا الباب النهي عن إضاعة المال، بالإسراف في إنفاقه أو إنفاقه فيما يغضب الله من المحرمات،

---

(١) انظر: أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٦٢.

(٢) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٧٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

(٤) المرجع السابق، ٢٧٦.

فقال ﷺ: «وكره لكم...إضاعة المال» وعلى الجملة إنفاقه في غير وجهه المشروع لأن المال قوام الحياة ومادة الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وإضاعته تورث الندم والفقر والذل.

انظر إلى ما يصنع في الأفراح والمآتم وجهاز العروس والمنازل، وما ينفق في الملاذ والملاهي والرياء والملق للحكام، والظهور في المظاهر الكاذبة الخادعة وما يجلب ذلك من الخراب العاجل وقانا الله شر هذه الآثام ووفقنا للعمل بسنة خير الأنام[1].

فعلى المربي والمجتمع غرس قيمة المحافظة على المال - في نفس المسلم - وإنمائه كوسيلة تحقق له ولأمته المسلمة العزة والكرامة وتغنيهم عن سؤال غيرهم وتحفظ لهم ماء وجوههم، وتساعدهم على التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي...إلخ.

د - ومن التربية الوقائية التي استخدمها النبي ﷺ التحذير من عقوق الأمهات، وهذا واضح في كتاب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الذي أملاه على كاتبه ورّاد وأرسل به إلى معاوية رضي الله عنه وفيه وكان ينهي عن عقوق الأمهات.

وعقوق الأمهات وعدم القيام بحقوقهن والوفاء لهن بما يجب من حسن الطاعة والإنفاق والمعونة: وطيب القول والبعد عما يغضبهن أو يسبب سخطهن، فطالما شقيت الأم بابنها حملاً ورضاعًا وفصالاً وتربية وحياطة من كل أذى وضرر. تسهر لينام، وتتعب ليرتاح، وتشقى ليسعد، ابتسامته وهو صغير أشهى لديها من الدنيا وما فيها، وصحته وسروره أغلى ما تبغي الحصول عليه، تفتديه بكل مرتخص وغالٍ، وتقيه بما تستطيع وتملك من كل غائلة وشر، إن بكى طارت نفسها شعاعًا، وإن مرض تقرحت جفونها التياعًا[2]، فليس من حسن الصنيع أن يقابل ذلك بالجحود والكفران أو يجعله في مطارح النسيان، وقد خص الأم، لأن العقوق إليها أسرع لضعفها ولينبه على أن بر الأم مقدم على بر الأب في التلطف والحنو[3].

---

(١) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٧٧.

(٢) التياعًا: اللاعة واللوعة ما يجده الإنسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب، النهاية، ابن الأثير ص ٨٤٦.

(٣) انظر: الأدب النبوي ص ٢٧٦.

كما أن عقوق الوالدين عامة يكون سببًا في غضب الله وسخطه وهو من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، ويكون سببًا في تعب الإنسان دنيا وآخرة، فمن أجل ذلك كانت الوقاية منه من أهم أهداف التربية الإسلامية.

فينبغي على المسلم أن يقي نفسه سخط الله وغضبه وذلك بالبعد عن عقوق الوالدين وخاصة الأم.

هـ - ومن التربية الوقائية في هذا الباب النهي عن البخل وهذا واضح فيما تضمنه كتاب المغيرة بأن النبي ﷺ كان ينهي عن: «...ومنع وهات».

والمراد بهما البخل بالمال عن الواجبات الشرعية وما تقتضيه المروءة من زكاة وبر وإعانة محتاج وغوث مستغيث، ونحو ذلك والطمع فيما ليس أهلاً له من ابتغاء أجر بدون عمل، أو زيادة على استحقاق لما في ذلك من إضاعة المروءة وإذلال النفس وأكل المال بالباطل[1].

من أجل ذلك، كان النهي النبوي لوقاية المجتمع المسلم من هذا الداء الخطير، وذلك لأن البخل يؤدي إلى الهلاك، كما كان سببًا في هلاك الأمم السابقة كما أنه يؤدي إلى تعطيل حقوق الله وحقوق الناس، وكذلك التطلع إلى ما ليس من حق الإنسان يؤدي إلى الكراهية والحقد بين الناس، فينبغي أن يتربى الناشئة على البعد عن كل هذه الأشياء حتى ينالوا رضا الله تعالى ويسعدوا في الدنيا والآخرة.

رابعًا: من أهداف التربية: تحري الأوقات الفاضلة:

ينبغي للمسلم الحريص على استباق الخيرات، أن يتحرى الأوقات التي ميزها الله بخصائص روحية معينة بها على غيرها[2].

من هذه الأوقات دُبر الصلاة، وهذا واضح في قول الراوي: إن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة.

فهذا وقت فاضل سُئل النبي ﷺ عنه، فقيل: «يا رَسُولَ الله أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

(٢) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي ص ٢٢.

قالَ: جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ»[1]. فعلى المسلم اغتنام هذا الوقت بالذكر والدعاء اقتداءً برسول الله ﷺ حتى يُحصّل فائدته وينال بركته، وعلى المربي أن يوجه الناشئة من أبناء المسلمين إلى اغتنام دبر الصلوات، وكل وقت فاضل في الذكر والدعاء والتقرب والتزلف إلى رب السماوات.

خامسًا: التربية على ذكر الله عز وجل:

من المضامين التربوية التي يهدف إليها هذا الباب التربية على ذكر الله، وهذا واضح في قول النبي ﷺ في دبر كل صلاة مكتوبة «لاَ إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ. لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ....».إلخ الحديث.

وذكر الله تعالى من أفضل العبادات وأعظم القربات، وهو سبب للفلاح وطمأنينة القلب ورضا الرب، والذكر معناه استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن سواء أكان الاستحضار ذهنيًا أو قلبيًا أو نفسيًا أو لسانيًا أو فعليًا.. أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الأرض أو تدبر آيات القرآن، أو سماع الموعظة، أو الاحتكام إلى شريعة الله، أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله.

وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة.

ويدخل في الذكر اللساني كل الأدعية والمأثورات التي صحت عن النبي ﷺ، وأثرت عن أصحابه الكرام، والسلف الصالح رضي الله عنهم سواء ما يتعلق بأدعية الصباح والمساء، أو أدعية الطعام والشبع، أو أدعية السفر والإقامة، أو أدعية الدخول والخروج أو أدعية النوم واليقظة، أو أدعية التهجد والظواهر الكونية. وغيرها من الأذكار.

فإذا عرف المربي، معنى الذكر، وأنه لا يتصف بحالة واحدة ولا يختص بحالة معينة، بل هو حالة نفسية واعية تنتهي بالمؤمن إلى أن يستحضر عظمة الله سبحانه على الدوام.

---

(١) أخرجه الترمذي، ٣٤٩٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٧٨٢)

فبعد هذا عليه أن يسعى بكل جهده على أن يربي ولده على هذه المعاني من استحضار عظمة الله في نفسه، ليخشاه في السر والعلن، والمتقلب والمثوى، والحل والترحال، والسفر والحضر، والسلم والحرب، والبيت والسوق، والنوم واليقظة، وفي كل مكان ليكون في عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

ولاشك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه وترسخ قلبه على مراقبته نشأ الولد مخبتًا عابدًا ذاكرًا صالحًا مستقيمًا متزنًا خلوقًا.. فلا يقع في معصية، ولا يرتكب فاحشة ولا يعمل ذنبًا.. وهذا والله غاية الصلاح والتقوى في الولد.

ألا ما أعظم منهج الإسلام في التربية حينما يسير المربون على هداه ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٨٢٦-٨٢٩.

٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جاداً أو مازحاً، والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً

الحديث رقم (١٧٨٥)

١٧٨٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((لاَ يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاحِ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ)). متفق عليه[1].

وفي رواية لمسلم[2] قال: قال أبو القاسم ﷺ: ((مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى (يَنْزِعَ)[3]، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ)).

قوله ﷺ: "يَنْزِع" ضبط بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها، ومعناها متقارب، ومعناه بالمهملة يرمي، وبالمعجمة أيضًا يرمي ويفسد، وأصل النَّزْع: الطعن والفساد.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ينزع في يده: أي يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته[4].

الشرح الأدبي

لقد حرص الإسلام على أمن كل مسلم، وأوجب المحافظة على نفسه وماله

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٢٦١٦/١٢٥) ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه (٤١٣٣).

(٢) برقم (٢٦١٧/١٢٦). أورده المنذري في ترغيبه (٤١٣٤).

(٣) لفظ مسلم: (يدعه)، وعند المنذري بياض في الأصل، فقدره المؤلف أن يكون: (ينزع) لأن محقق الترغيب قال في (٤٧٤/٣، هامش رقم١): في: (أ) (ينتهي)، ولفظة: (ينتهي) ليست في مسلم، ولا في: (ج)، وهذا مما يؤكد أن في الأصل بياضًا.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٥٨.

وعرضه؛ فكل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، وقد نوَّع الإسلام العقوبة، وجعل منها "تفويضية"، بحسب ما يراه الحاكم في كل زمان ومكان وحال، وأخرى "نصية" لا يجوز تعديلها، ولا اعتراض عليها؛ ليشمل بتشريعه كل أنواع الجريمة، ولتكفل العقوبات عليها راحة المجتمع وأمنه وسعادته، بقدر الإمكان.

وهذا الحديث الشريف يعد حماية لكل مسلم، وهو من سبل الأمن الوقائي؛ حيث يتجنب المسلم المواقف التي يمكن أن تقوده لارتكاب المحظور، وإيذاء الآخرين.

ولذلك يبدأ الحديث بالنهي الحاسم الجازم، أو النفي الذي يحمل دلالة النهي في قوله: "لا يشر أحدكم"، وتحديد لفظ "أخيه" يرشد إلى الرابطة الإسلامية، التي تجمع المؤمنين، فهم إخوة، وأخوة الإيمان أقوى من أخوة النسب، وأعظم منها عند الله عز وجل.

والتعليل الوارد في الحديث لهذا النهي يبدأ بالتأكيد، وفاء التعليل؛ حيث قال: "فإنه لا يدري"؛ لأن السلاح يغري الإنسان، والشيطان يدفع حامل السلاح إلى الطعن والقتل، بدافع الغرور، ووهْم القوة والسيطرة، والعطف بالفاء في قوله: "فيقع في حفرة من النار": يفيد السرعة في الأحداث، والإسراع في العقوبة، التي تلحق بهذا الذي أشار بالسلاح إلى وجه أخيه، فأغراه الشيطان، فارتكب حماقة الإضرار والإيذاء؛ من قتل أو جرح بالغ، ولا يحصد إلا الندم، ولا يجني إلا العقوبة، ومثواه جهنم وبئس المصير. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن إيذائه، وترويعه، وتخويفه، والتعرض له، بما قد يؤذيه.

وقوله ﷺ في رواية مسلم: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" مبالغة في إيضاح عموم النهي في كلٍّ على حد سواء، من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هزلاً ولعباً، أو لا، لأن ترويع المسلم يحرم بكل حال[1].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٧٠/٦، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/١٣، وأيضاً: المحلى، ابن حزم ١١٠/١١، والفروع، ابن مفلح ٣٤٤/٤.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: النهي.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإشارة للمؤمن بالسلاح أو ترويعه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: الحث على التماس وسائل الأمن والبعد عن تعاطي السيف مسلولاً.

رابعاً: من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس الإنسان وسلامة بدنه.

أولاً- من أساليب الدعوة: النهي:

ورد أسلوب النهي في الحديث في قوله ﷺ "لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح" وأسلوب النهي من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إيقاف المدعوين وإعلامهم بالمخالفات الشرعية وتحذيرهم منها، وقد تكرر أسلوب النهي في القرآن كثيراً، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[٢] وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٣] والنهي من الأساليب التي يتسابق المؤمن لتحقيق الوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية والطاعة لله[٤].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الإشارة للمؤمن بالسلاح أو ترويعه:

لقد رهّب الإسلام ومنع من ترويع المؤمن حتى ولو بمجرد الإشارة بحديدة، فجاء في الحديث "لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلام فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار" وبين رسول الله ﷺ أن ذلك سبب للعنة الملائكة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: ((مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨٦).

(٢) سورة الإسراء، آية:٣٣.

(٣) سورة المائدة، آية: ٨٧.

(٤) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠، ٥١.

تَلْعَنُهُ. حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ))[١]. قال القاضي عياض: (وقوله: "من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه": ظاهر الحديث على غير قصد إلا بجهة اللعب والترويع بالهزل، بدليل ذكره، لأخيه لأبيه وأمه الذي لا يبهم عليه، وترويع المسلم حرام، وبدليل قوله في الحديث الآخر: "فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار"، وكذا رويناه بالعين المهملة، قيل: معناه: يرمي في يده، أي يدفع يده ويحقق ضربته. ومن رواه بالغين المعجمة فمن الإغواء ونزع الشيطان، أي يحمله على تحقيق الضرب به وقصده، وتزيين ذلك له، لاسيما عندما يحدث من جهته عند الملاعبة، أو هجر بغير حال، وأن الهزل قد يفضي إلى الجد)[٢].

وقال القرطبي: (ولعن النبي ﷺ للمشير بالسلاح: دليلٌ على تحريم ذلك مطلقاً، جداً كان أو هزلاً، ولا يخفى وجه لعن من تعمَّد ذلك؛ لأنه يريدُ قتلَ المسلم أو جرْحه، وكلاهما كبيرة. وأما إن كان هازلاً؛ فلأنه ترويعُ مسلم، ولا يحل ترويعُه؛ ولأنه ذريعةٌ إلى القتل والجرح المحرَّمين. وقد نصَّ في الرواية الأخرى على صحَّة مراعاة الذَّريعة، حيث قال: "فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان ينزعُ في يده فيقع في حفرةٍ من النار".

وقوله: "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" يعني: أن ذلك محرَّم، وإن وقع من أشفق الناس عليه، وأقربهم رحماً، وهو يشعرُ بمنع الهزل بذلك. ونصال: جمع نصل، وهي -هنا-: حديدةُ السهم، وتكراره: "فليأخذ بنصالها" ثلاث مرات على جهة التأكيد والمبالغة في سدّ الذريعة، وهو من جُملة ما استدلَّ به مالك على أصله في سد الذرائع)[٣].

وقال النووي: (فيه تأكيد حرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ وإن كان أخاه لأبيه وأمه مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦١٦.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٩٦.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٠١.

لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال)[١]، وبهذا حرم الإسلام ترويع المسلم، وفي ذلك تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه[٢]. (وذلك أن ترويع الآخرين يترتب عليه مفاسد اجتماعية جمة، منها زعزعة القلوب، وانعدام الأمن والاطمئنان، ونشر الذعر والفزع بين الناس، ونزع الثقة والرحمة بين الناس، وتشتيت جهود الأمة، وتأخر المجتمع عن ركب الحضارة والعمران)[٣].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: الحث على التماس وسائل الأمن والبعد عن تعاطي السيف مسلولاً:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين باتخاذ الحذر والحيطة في الأمور عامة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[٤] وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب. ومن ذلك ما جاء في الحديث عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ "أن يُتعاطى السيف مسلولاً" أي نهى عن تناول السيف مسلولاً، لأنه قد يخطئ في تناوله فيجرح شيئاً من بدنه، أو يسقط على أحد فيؤذيه[٥]. ويحصل الفساد، وفي معنى السيف السكين -وما شابهها- فلا يرميها والحد من جهته، والأدب في تناولها أن يمسك النصل المحدود في يديه من جهة قفاه، ويجعل المقبض إلى جهته ليتناولها بالنصال[٦].

ولقد أوضح ابن عثيمين هذا الأمر وذكر بعض صور المخالفات الشرعية في ذلك والتي تقع من الكثير في عصرنا الحاضر فقال "وكذلك ما يفعله بعض السفهاء، يأتي بالسيارة مسرعاً نحو شخص واقف أو جالس أو مضطجع يلعب عليه ثم يحركها بسرعة

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٥٨.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٣٣٥/١١.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣٨٣٦/٩.

(٤) سورة النساء، آية: ٧١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ١٥٠.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ص ١١١٣.

إذا قرب منه حتى لا يدهسه، هذا أيضاً ينهى عنه، كالإشارة بالحديدة، لأنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يديه فلا يتحكم في السيارة، وحينئذ يقع في حفرة من النار، ومن ذلك أن يشرى الكلب به، يكون عنده كلب ويأتي إنسان آخر إليه زائراً أو نحو ذلك، فيشرى الكلب به يعني يغريه به، فإنه ربما ينطلق الكلب ويأكل هذا الرجل، أو يجرحه ولا يتمكن من فضه بعد ذلك، فالمهم: أن جميع أسباب الهلاك ينهى الإنسان أن يفعلها سواء أكان جاداً أم هازلاً، كما دل على ذلك الحديث[١].

رابعاً- من أهداف الدعوة: الحفاظ على نفس الإنسان وسلامة بدنه:

إن من أهم الضرورات الواجب حفظها في الإسلام نفس الإنسان وبدنه، وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وعظيم منزلته، فلا يجوز الاعتداء عليه لا من قريب ولا من بعيد، بطريق مباشر أو تسبب فيه[٢]، وكما أشير إلى ذلك في الحديث "نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً" لما في ذلك من تسبب الأذى إلى النفس التي جاء الإسلام آمراً بحفظها، كما في الحديث النهي عن التهديد بالسلاح في المزاح به، لئلا يتسبب في قتل أو جرح المسلم لأخيه المسلم فيستحق عذاب النار، وهو بالإشارة أو التهديد يتعرض للعن الملائكة، كما جاء النهي عن مناولة السيف أو السلاح من حده القاطع، لأن في ذلك تعريضاً للإيذاء وتلاعباً بسلامة المؤمنين[٣].

إن كل ما جاء في الشريعة من مبادئ وأحكام وأوامر ونواه وزواجر وعقوبات، كلها تهدف إلى حفظ هذه المقاصد[٤] والضرورات الخمس "الدين، والنفس والعقل والنسب والمال[٥]، قال الشاطبي: (ومجموع الضرورات خمس، وهي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وهذه الضرورات إن فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين)[٦].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٢٦/٢.

(٢) انظر: محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ١٢١/٢.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم ص ٨٠٥.

(٤) انظر: بحوث هامة، الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله علوان، ص ٦٢.

(٥) انظر: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، الشيخ علي بن صالح المرشد ص ٦٠.

(٦) الموافقات، الإمام الشاطبي ٨/٢-١٠.

الحديث رقم (١٧٨٦)

١٧٨٦- وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً. رواه أبو داود والترمذيُّ[١]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتعاطى السيف مسلولاً: مخرجاً من غمده[٢].

الشرح الأدبي

يتسم هذا الحديث الشريف بالإيجاز؛ فهو يتكون من جملة واحدة، رواها جابر رضي الله عنه، وهو سنة عملية؛ لأنه ليس فيه من ألفاظ رسول الله كلمة واحدة؛ وإنما ينقل الراوي عن رسول الله: أنه نهى عن أن يتعاطى السيف مسلولاً، والمجرور بعد "عن" جملة "أن يتعاطى السيف مسلولاً"، وهذه الجملة مكونة من "أن" المصدرية الناصبة، والفعل المضارع المبني للمجهول، منصوب بأن، والسيف نائب فاعل، ومسلولاً: حال من السيف، والفاعل ليس مجهولاً، ولكنه حذف للعلم به؛ لأن السيف لا يحمل نفسه، والمصدر المؤول الذي يفيد معنى: تناول السيف وحمله، يفيد أن حامل السيف المسلول يتكلف حمله، ويكون مستعدًّا ضمنيًّا للإيذاء، ويمكن أن يؤذي نفسه؛ لأن السيف في وضع الاستعداد، والسيف في هذه الهيئة أصبح كأنه الفاعل؛ لأن الفاعل الحقيقي للإيذاء هو السيف، فالفاعل هو من قام بالفعل أو اتصف به، ومعنى تعاطى السيف، أي: تناوله، قال تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾[٣]، أي: تناول الناقة بسيفه فعقرها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٨٨)، والترمذي (٢١٦٣) ولفظهما سواء. قال الحافظ في الفتح (١٣/٢٥): إسناده صحيح.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ل ل).

(٣) سورة القمر، آية: ٢٩.

ورسول الله ﷺ كان القدوة في ذلك؛ فما انتقم لنفسه، وجاء في الأثر: "ما لعن رسول الله مسلمًا بذكرٍ" أي: بصريح اسمه، "وما ضرب بيده شيئًا قطُّ إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سُئل شيئًا قطُّ فمنعه، إلا أن يُسأل مأثمًا، ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تُنتَهك حُرُمات الله فينتقم". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: كراهة تعاطي السيف، ومناولته مسلولاً، لما يخاف من الغفلة عند التناول، فيجرح شيئاً من يده، أو يسقط على أحد فيؤذيه[1].

وفي هذا رعاية كاملة للإنسان.

المضامين الدعوية[2]

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥/١٣، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٣١٨/٦، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٨١/٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

إن ترويع المسلم وتعريضه للأذى من الأمور التي نهى عنها النبي ﷺ من أجل ذلك جاءت التوجيهات النبوية لوقاية المسلم من الأذية وتجنيبه ما يسعى إليه الشيطان، لإيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، فقال ﷺ: « لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَلْعَنُهُ. حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

كما أنه نهى ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً.

إن النهي عن إشارة المسلم إلى أخيه بسلاح جادًا أو مازحًا - إذ الإنسان عرضة للشيطان، إلا من عصمه الله - فقد يحمله الغضب لأقل شيء على قتل أخيه المؤمن، أو جرحه فيندم، وقد سبق السيف العذل، ويقول بعد ذلك ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، ويا أسفا على ما صنعت بأخي لكلمة سمعتها منه، أو لشيء بلغني عنه، أو لحق ضئيل تعدى علي وأضاعه، وكان يسعني العفو عنه، واحتمال أذاه ومسامحته أو انتظاره، ولكنها نزعات الشيطان وتحكمه في، لتسلطه عليّ، ولعدم الامتثال لأوامر الله القائل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

من أجل ذلك نهى النبي ﷺ المسلم عن أن يشير بالسلاح لأخيه المسلم وقاية له من أن يقع في حبائل الشيطان، فيؤذي أخيه أو يقتله فيوقعه فيما يجره إلى النار، ويدفعه إلى سخط الله.

هذا النهي وإن كانت الإشارة بالسلاح مزاحًا سداً للذريعة، وخوفًا من الشيطان، لأن هذا المزاح قد تكون عاقبته وخيمة، ويفضي إلى ترويع المسلم، وربما أدى إلى قتله وسفك دمه، وكم نعرف من الحوادث التي وقعت من هذا النوع كمن يزعج الآمن بالصياح وراء ظهره أو عند أذنه. وكمن يطلق الرصاص فوق رأس أخيه ليخيفه،

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

وكذلك بالترويع بهاون السيارة، والمرور بها إلى جانب الوادع الآمن. فيطيش لبه، ويكاد ينفطر قلبه، ويدخل فيما ذكر الترويع بالسيارة والدابة الجموح، وما يفعله الأحمق الطائش من الصواريخ المفرقعة في الأعياد والأفراح عند أبواب المساجد، وحين يمر بهم الضعيف والعاجز والمستغرق في التفكير، وتوجد اليوم صور حيوانية كالثعابين يطرحها المرء على أخيه الذي لا يعرفها فيتوهم الشر، ويفزع فزعه تتخلع لها القلوب، وما أكثر ضحايا المزاح المذموم[1].

ومن التربية الوقائية التي جاءت في باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه... نهيه ﷺ أن يتعاطى السيف مسلولاً؛ لأن المتناول قد يخطئ في تناوله فيصاب بجرح في يده أو شيء من جسده.

ويدخل في معنى السيف السكين، فلا يرميها والحد من جهته[2].

فهذه التوجيهات والتحذيرات النبوية إنما كان الدافع منها الإشفاق على المسلم أن يؤذي أخاه المسلم، وحفظه من كيد الشيطان الذي يريد أن يوقع العداوة والبغضاء بينه وبين أخيه المسلم.

فإذا التزم المسلم بهذه النصائح والتوجيهات، كانت له وقاية من أذية أخيه المسلم أو قتله، ووقاية من حبائل الشيطان وكيده، ووقاية من النار وعذابها.

ثانيًا: التربية بالترهيب:

يعد الترهيب من أساليب التربية التي لا يستغنى عنها المربي فهو وعد يصاحبه تهديد الإنسان بالعقوبة وتحذيره من الأعمال التي تؤدي إلى الوقوع في المعاصي التي تغضب الله تعالى[3]، وقد رهب النبي ﷺ المسلم من الإشارة بالسلاح إلى أخيه فقال: «لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»، وفي رواية لمسلم قال ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ.

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، الشيخ/محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني ص ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/ ٢٥٠.

(٣) أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين ص ٣٦.

حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

وأسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد لا يمكن الاستغناء عنه في مجال التربية وخاصة تربية الطفل، وهو من أساليب التربية الإسلامية المهمة.

ولأهمية أسلوب الترهيب في العملية التربوية، فقد استخدمه رسول الله ﷺ في المواقف التي تحتاج إلى بيان الوعيد أو التهديد بالعقوبة لمن يعمل عملاً لا يوافق الشريعة الإسلامية.

ويتحتم على المربي استخدام أسلوب الترهيب في بعض المواقف التربوية للطفل، ولكن يجب عدم المبالغة في استخدامه في التربية، لأن كثرة استخدامه تؤدي إلى الآثار السلبية في نفسية الطفل، ويعتبر أسلوب الترهيب أسلوب تربوي جيد، ولا غنى للمربي عنه إذا أحسن استخدامه[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٦-٤٠.

٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

الحديث رقم (١٧٨٧)

١٧٨٧- عن أبي الشَّعْثَاءِ، قالَ: كُنَّا قُعُوداً مَع أبي هريرة ﷺ في المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أبُو هُرَيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فقال أبو هريرة: أمَّا هذَا فَقَدْ عَصَى أبا القَاسِمِ ﷺ. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة لكل من يرجو النجاة في الدنيا، والفوز في الآخرة؛ استجابة لقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[2]، ولقول المصطفى ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر"[3]، وهذا الحديث الشريف ليس قولاً مجرداً سيق للموعظة والإرشاد؛ ولكنه سلوك واقعي ... شهده الصحابة، وهو سلوك مخالف لسنة رسول الله ﷺ؛ حيث خرج أحد الرجال من المسجد بعد أن أذن المؤذن.. ولم ينتظر حتى تقام الصلاة ... وأبو هريرة ﷺ ظل يتابعه ببصره، حتى أيقن وشاهد أنه خرج من المسجد ولم يُصلِّ،

---

(١) برقم (٦٥٥/٢٥٨). أورده المنذري في ترغيبه (٦١١).

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) أخرجه الترمذي، ٣٦١٥، واللفظ له، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي، ٢٨٥٩) وبعضه عند مسلم برقم ٢٢٧٨..

فقال في استنكار واعتراض على هذا المسلك المخالف لسنة رسول الله ﷺ: "أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم".

والحديث يَنْزع إلى القالب القصصي؛ فيبدأ بالفعل "كُنَّا"، ثم يتوالى عطف الأفعال بالفاء التي توحي بالسرعة وتعاقب مشاهد الحدث، التي تتوالى على هذا النسق، "فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره، حتى خرج"، وبعد هذه الحركة المتعاقبة والمتتابعة من أبي هريرة رضي الله عنه، يسرع أبو هريرة قائلاً: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم"، وهذه الجملة تتضمن معنى الشرط والجواب، وتتضمن إيجازًا بالحذف، حيث حذف العقاب الذي يتضمنه العصيان، وهو غضب الله عز وجل عليه، وغضب رسول الله ﷺ؛ حيث يقول الله عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: عدم جواز الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلى، وذلك لأنه دعاء إلى صلاة الجماعة، فمن خرج حينئذ، فقد قصد خلافهم وتفريق جماعتهم، وهو أمر ممنوع.

ويستثنى من عدم جواز الخروج، ما إذا نوى الرجوع، أو كان خروجه لعذر كما لو أحدث، أو رعف، أو نحو ذلك، ففي هذه الحالات وأمثالها لا يحرم الخروج.

ومثل ما تقدم في عدم الحرمة، من كان إماماً في مسجد آخر تتفرق الجماعة بغيبته، فإنه يجوز له أن يخرج بعد النداء.

على أن ما تقدم من حرمة الخروج من المسجد بعد الأذان هو ما ذهب إليه المالكية[2]،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١/٤٦٤، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ١/٤٦٧.

والحنابلة[١]، وكذا الحنفية[٢]، فقد قالوا: إنه مكروه كراهة تحريم.

أما الشافعية[٣] فقد قالوا بالكراهة، ويبدو أن هذا هو ما اختاره النووي، فقد عنون الباب بـ (كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان).

والراجح ما ذهب إليه الجمهور.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة.

ثانياً: من مها الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين، والتنبيه على المخالفات الشرعية.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ في انتظار الصلاة في المسجد وعدم الخروج عند الأذان.

أولاً- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة:

أشير إلى ذلك في الحديث من خلال بيان أهمية الجلوس في المسجد، وانتظار الصلاة وعدم الخروج من المسجد إذا أذن للصلاة، إلا لعذر من مرض أو حاجة داعية للخروج كحدث أو نحوه[٤]. فعن أبي الشعثاء، قال: "كنا قعوداً مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد، فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة، أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ". قال القاضي عياض: (وقوله للذي خرج بعد النداء: "أما هذا فقد عصى أبا القاسم" تشديد في الخروج من المسجد بعد النداء لغير ضرورة من تجديد طهر أو غيره)[٥]. وقال القرطبي: (قول أبي

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٢٨٣/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٢٤٥/١، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٧٣/١.

(٢) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٤٧٥/١، والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، ابن نجيم ٧٨/٢، ورد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٥٤/٢.

(٣) المجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٠٥/٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٦٢٨/٢.

هريرة في الخارج من المسجد: أما هذا فقد عصى أبا القاسم. محمول على أنه حديث مرفوعٌ إلى رسول الله ﷺ، بدليل ظاهر نسبته إليه في معرض الاحتجاج به. وما كان يليقُ بواحدٍ منهم للذي عُلم من دينهم، وأمانتهم، وضبطهم، وبعدهم عن التدليس ومواقع الإيهام. وكأنه سمع ما يقتضي تحريم الخروج من المسجد بعد الأذان، فأطلق لفظ المعصية. فإذا ثبت هذا استثمر منه: أن من دخل المسجد لصلاة فرض، فأذَّن مؤذِّن ذلك الوقت حَرُم عليه أن يخرج منه لغير ضرورة حتى يصلي فيه تلك الصلاة؛ لأن ذلك المسجد تعين لتلك الصلاة، أو لأنه إذا خرج قد يمنعه مانع من الرجوع إليه أو إلى غيره فتفوته الصلاة)[1].

قال النووي: (قوله في الذي خرج من المسجد بعد الأذان "أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ" فيه كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان حتى يصلي المكتوبة إلا لعذر)[2] كأن يكون حاقناً يعني يحتاج إلى أن ينقض الوضوء، أو أصابه مرض يحتاج إلى أن يخرج معه، أو كان إماماً لمسجد آخر، أو مؤذناً في مسجد آخر، أما إذا لم يكن له عذر فيكره الخروج من المسجد، وذلك أن المؤذن إذا أذن فإنه يقول للناس: حي على الصلاة يعني أقبلوا إليها، والخروج من المسجد بعد ذلك معصية، فإنه يقال: أقبل، ولكن يدبر"[3].

ثانياً- من مهام الداعية: الانتباه لأفعال المدعوين، والتنبيه على المخالفات الشرعية:

يتضح ذلك من خلال فعل أبي هريرة رضي الله عنه من ملاحظته خروج رجل من المسجد بعد الأذان، وتنبيهه بأن ذلك معصية لرسول الله ﷺ، فعن أبي الشعثاء، قال: كنا قعوداً مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد، فأذن المؤذن فقام رجل من المسجد يمشي، فأتبعه

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢/٢٨١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٦٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/١٨٢٤، ١٨٢٥.

أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ وذلك من فطنة الداعية ومتابعته للمدعوين، وذلك مما ينبغي على الدعاة التحلي به، فالداعية والمربي الناجح لا ينتظر أن يخبر بأحوال المدعوين، بل إن فطنته تدعوه للشعور بأحوال من يربيهم، فيبادر لإزالة ما قد يلحق أذهانهم من لبس، ويصحح ما قد يقعوا فيه من أخطاء أو تجاوزات شرعية[1].

وللداعية الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في رسول الله ﷺ في ملاحظاته لأصحابه وتفقده لهم ولأعمالهم والتعرض لها تقييماً وتقويماً، وهذه الملاحظات إنما كانت في جميع الاتجاهات وعلى مختلف الصُعد.

فمن ملاحظاته في التربية الاجتماعية ما روي عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها. قال: رسول الله ﷺ: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه. قالوا: ما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[2].

ومن ملاحظاته في التحذير من الحرام ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما ((أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعله في يده. فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك وانتفع به. قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ))[3].

ومن ملاحظاته في تأديب الصغار ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: ((كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك))[4].

---

(١) انظر: المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي ص ٣٥٣.

(٢) أخرجه البخاري ٦٢٢٢٩، ومسلم ٢١٢١.

(٣) أخرجه مسلم ٢٠٩٠.

(٤) أخرجه البخاري ٥٣٧٦، ومسلم ٢٠٢٢.

ومن ملاحظاته في إرشاد الكبار ما رواه أبو داود والبيهقي عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة))[١].

ومن ملاحظاته في التربية الخلقية ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه ((أن رجلاً ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً. فقال النبي ﷺ: ويحك قطعت عنق صاحبك. يقول مراراً: إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله، ولا يزكي على الله أحداً))[٢].

ومن ملاحظاته في التربية النفسية ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا؟ فقال: فأرجعه. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ أفعلت هذا بولدك كلهم؟. قال: لا. قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

وفي رواية: قال ﷺ: فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور[٣].

ومن ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: ((مشيت مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ، فأدركه أعرابي فجذبه -أي جذب الثوب- جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله وقد أثر فيه حاشية البرد من شدة جذبه. ثم قال الأعرابي: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ثم أمر له بعطاء))[٤].

تلكلم بعض النماذج من مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٩١، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٤١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري ٦٠٦١، ومسلم ٣٠٠٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢٥٨٦، ومسلم ١٦٢٣.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٨٨.

هدايته وإصلاحه، وهي نماذج حية واقعية، تؤكد حرص الرسول ﷺ في تربية الناس، ومعالجة أمورهم، وإصلاح أحوالهم، والرفع من مستوياتهم[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لسنة النبي ﷺ في انتظار الصلاة في المسجد وعدم الخروج عند الأذان:

جاء في الحديث ما يدل على كراهية مخالفة النبي ﷺ فيما بينه لنا من آداب للمساجد والصلاة، والتي منها انتظار الصلاة وعدم الخروج من المسجد إذا أذن للصلاة إلا بعد أداء المكتوبة، فالخروج من المسجد قبل صلاة المكتوبة التي دخل وقتها عدها أبوهريرة رضي الله عنه معصية لرسول الله ﷺ، حيث قال: أما هذا فقد عصى أبا القاسم" وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحذرنا من المخالفة، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٢] وهذا أمر بامتثال الأمر، والكف عن المنهي عنه، وكرر "وأطيعوا" في ذكر الرسول تأكيداً، ثم حذر من مخالفة الأمر، وتوعد من تولى بعذاب الآخرة، فقال ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ في تحري ما أمر بتحريمه، وعلى المرسل أن يعاقب أو يثيب بحسب ما يُعصى أو يطاع[٣]. وقد أمرنا الله بالتأسي برسول الله ﷺ فيما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير وغير ذلك، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤] قال ابن كثير: (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي ﷺ فقال: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" أي هلا اقتديتم

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠-٧٣٢.

(٢) سورة المائدة، آية: ٩٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣/٦/٢٩٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

به وتأسيتم بشمائله؟"[١]. والتأسي برسول الله ﷺ يكون في جميع ما نقل عن النبي ﷺ، قال الطاهر بن عاشور: وجعل متعلق الائتساء ذات الرسول ﷺ دون وصف خاص ليشمل الائتساء في أقواله وأفعاله بامتثال أوامره واجتناب ما ينهى، وفي الآية دلالة على فضل الاقتداء بالنبي ﷺ[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٩١/٦.

(٢) التحرير والتنوير، ٣٠٣/٢١/٨.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من وسائط التربية في الإسلام: المسجد:

المسجد أول وسائط التربية في الإسلام وأهم وسيط، فقد كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ عندما وصل المدينة بناء المسجد، لأن المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجؤون فيه إلى بارئهم، يستمدون منه السكينة، والقوة والعون، ويعمرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات الروحية، بها يمنحهم الله صبرًا وبأسًا وإقدامًا ووعيًا وتبصرًا ورباطة جأش، وبُعد نظر، وتفاؤلاً ونشاطًا[1].

والمسجد كوسيط تربوي ظهر في الباب في قول أبي الشعثاء: كنا قعودًا مع أبي هريرة في المسجد.

والمسجد له أثره التربوي والاجتماعي في حياة الأمة، فعندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية في نفوس الناشئين، فيه يرون الراشدين مجتمعين للصلاة وذكر الله فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، والاعتزاز بالجماعة الإسلامية، وفيه يسمعون الخطب والدروس العلمية التي تساعدهم على فهم أمور دينهم والسؤال عما خفي عليهم وفيه يتعلمون الحديث والفقه، وكل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما أراد الله أن ينظمها للإنسان، ومن هداية الله وسنة رسوله.

ومن العلوم المتممة لذلك كاللغة والتاريخ الإسلامي وغيرها، ولكن ما يدعو المسلمين إلى المسجد هو الالتقاء على طاعة الله.

فالمسجد يعمل على تعليم الناشئين أمور دينهم، والمبادئ والقيم التي ينبغي أن يتربى المسلم عليها وينطلق منها، إن هدف التربية الإسلامية هو: إخلاص العبودية لله،

---

(١) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٨.

وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفوًا من غير قصد ولا تكلف[١].

ثانيًا: التربية بالملاحظة والمتابعة:

إن التربية بالملاحظة والمتابعة من أهم أسس التربية الإسلامية، تظهر الملاحظة والمتابعة في قول أبي الشعثاء: «كنا قعودًا مع أبي هريرة رضي الله عنه في المسجد، فأذن المؤذن، فقام رجل في المسجد يمشي، فأتبعه أبو هريرة بصره حتى خرج من المسجد».

لقد تأسى أبو هريرة رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حسن رعايته لأصحابه، وتفقده لهم، وسؤاله عنهم، ومراقبة أحوالهم، ومحاذرة مقصريهم، وتشجيع محسنيهم والعطف على فقرائهم ومساكينهم، وتأديب الصغار منهم، وتعليم الجهلة فيهم[٢].

فعلى المربي أن يلحظ الولد، ويتابعه، ويلزم أدبه ويراقب حركاته وسكناته.. حتى إذا أهمل حقًا أرشده إليه وإذا قصر في واجب حضه عليه، وإذا رأى منكرًا نهاه عنه، وإذا فعل معروفًا شكر له صنيعه..

ومن الأمور التي لا يختلف عليها اثنان، أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها، ذلك لأن الولد دائمًا موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته.. فإن رأى خيرًا أكرمه، وإن رأى شرًا نهاه عنه وحذره منه، وبين له عواقبه الوخيمة. ونتائجه الخطيرة، وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف، ويتوجه - ولا شك - نحو الزيغ والانحلال... فعندئذ يكون هلاكه المحقق ودماره المحتوم[٣].

ثالثًا: التربية بالأحداث والمواقف:

المربي الناجح هو الذي لا يدع موقفًا أو حدثًا يمر عليه دون أن يفيد منه في التربية الإسلامية، وهذا واضح في موقف أبي هريرة رضي الله عنه من الرجل الذي خرج وقت الأذان دون أن يصلي صلاة الجماعة حيث قال: «أما هذا فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم»، فلم

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٠٩، ١١٠.

(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ٢/٧٣٠.

(٣) المرجع السابق، ٢/٧٢٩، ٧٣٠.

يدع الحدث والموقف يمر دون أن يوجه إلى أهمية أداء الصلاة الجماعة وعظمها، وأن هذا الخروج فيه مخالفة لهدي النبي ﷺ.

والأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه، ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان فالأحداث[١] وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[٢].

والمربي حقًا "لايترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها"[٣]. والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية وعن طريق التأمل، إن كانت داخلية[٤].

فعلى المربي أن يستغل المواقف والأحداث التي تمر به في تربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

❁ ❁ ❁

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٨.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٤٢.

(٣) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠، ط دار الشروق.

(٤) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفره ص ٧٢.

٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر

الحديث رقم (١٧٨٨)

١٧٨٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

ريحان: هو كل نبت مشموم طيب الريح[2].

المَحْمَل: الحَمْل[3].

الشرح الأدبي

لقد كانت الرائحة الطيبة من صفات رسول الله ﷺ وإن لم يمس طيباً.

وقال أنس: ما شَمَمْتُ ريحًا قطُّ، ولا مسكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ[4].

وفي رواية البخاري: ولا شممتُ مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبيِّ ﷺ.

وهذا الحديث الشريف باقة من عطر كلام رسول الله ﷺ، ونفحة من شذا توجيهاته المعطرة، وجماله التعبيري يكمن في صياغته اللغوية، وهي صياغة توحي بالإلزام ووجوب قبول الهدية، وما أدراك ما هيه؟ إنها "الريحان"، وهو ذو رائحة طيبة، وليس غالي الثمن مثل المسك.

والرسول ﷺ ينهى عن رد هدية الريحان، ولم يقل: من أُهدي إليه، وإنما قال: من

---

(١) برقم (٢٢٥٣/٢٠).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٠٢.

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (ح م ل).

(٤) أخرجه أحمد.

عرض عليه ريحان فلا يرده، والتعبير بالفعل "عرض"، يدل على كثرة هذا السلوك؛ لأن الريحان في متناول الكثير؛ فهو ليس عطية باهظة الثمن، وإنما فيه مودة ومحبة وألفة، وحرص على تبادل الأشياء الطيبة النافعة، والجملة الثانية: تعليل للنهي عن ردّ عطية الريحان، وجاء التعليل مؤكداً بـ"إن"، وقد وَرَد هذا التعليل مُضمَّخاً بسببين مقنعين؛ وهما: أن الريحان خفيف المحمل، طيب الريح، وفي الحديث، كما يقول صاحب دليل الفالحين: الترغيب في استعمال الطيب وعرضه على من يستعمله، لا سيما عند حضور الجمعة والجماعات ونحوهما.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: كراهة رد الريحان، وغيره من الطيب، إلا لعذر وقد كان رسول الله ﷺ لا يرد الطيب لمحبته فيه[2].

والحديث يدل على أن رد الطيب خلاف السنة، ولهذا نهى النبي ﷺ عنه، وأعقب النهي بما يفيد انتفاء موجبات الرد، لأنه باعتبار ذاته خفيف الوزن، لا يثقل حامله، وباعتبار عرضه طيب، لا يتأذى به من يعرض عليه، فلم يبق حامل على الرد، فإن كل ما كان بهذه الصفة محبب إلى كل قلب، مطلوب إلى كل نفس[3].

المضامين الدعوية[4]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قبول الطيب، وعدم رده.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الترغيب في الروائح الزكية، وكل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس.

ثالثاً: من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في قبول الطيب وعدم رده.

---

(١) الحديث رقم (١٧٨٨)، (١٧٨٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧١/١٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠/١٥، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٥٣/١١.

(٣) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٥٨/١-١٥٩.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٨٨- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٨٩).

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على قبول الطيب، وعدم رده:

إن الإسلام دين جمال وذوق ومراعاة لشعور الآخرين، ومن مظاهر ذلك نجد أن الإسلام رغب في التطيب، وحث على التهادي به وقبول هديته واستعماله وتداوله بين المسلمين، ووجه النبي ﷺ المسلمين إلى عدم رد الطيب، بل نهى عن ذلك كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه خفيف المحمل طيب الريح" وكان ﷺ لا يرد الطيب، فعن أنس رضي الله عنه: "أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب"، قال النووي: (ويحتمل عندي أن يكون المراد بالريحان في هذا الحديث الطيب كله، وفي الحديث كراهة رد الريحان لمن عرض عليه إلا لعذر)[1].

قال ابن علان: (قال القرطبي: أشار إلى قبول عطية الطيب لأنه لا مؤنة لحمله، ولا منة للخلق في قبوله، لجريان عادتهم بذلك، اهـ، وفي الحديث الترغيب في استعمال الطيب وعرضه على من يستعمله لاسيما عند حضور الجمعة والجماعات ونحوهما)[2].

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب التطيب والروائح الطيبة كالبخور ونحوه، ولقد نقل عنه الصحابة ذلك في أكثر من حديث، من ذلك ما روي عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا استجمر استجمر بالأَلُوَّة غير مُطرّاه وبكافور ويطرحه مع الألوة ثم قال: هكذا كان يستجمر رسول الله ﷺ[3].

قال القاضي عياض: (وفيه جواز استعمال البخور للرجال، واستعمال الأرايج الطيبة من جميع وجوهها وأنواع الطيب، وذلك مندوب إليه في الشريعة لمن قصد به مقاصده، من امتثال أمر نبيه ﷺ بذلك ليوم الجمعة، والأعياد، ومجامع الناس؛ ليدفع عن نفسه ما يكره من الروائح، وليدخل على المؤمنين راحة ويدفع عنهم مضرة، وما يوافق الملائكة من ذلك في المساجد، ومظان حلق الذكر وغيرها، وليقوى دماغه، ويصلح

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٠٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٤.

(٣) أخرجه مسلم ٢٢٥٤.

خاطره، ويطيب نفسه؛ لتأثير الطيب في تقوية هذه الأعضاء، وليعينه على ما يحتاج إليه من أمور النساء، فله في ذلك من التأثير ما لا ينكر، ولتطيب رائحته عند أهله وإخوانه المؤمنين، وتظهر مروءته ونظافته؛ وقد بني الإسلام على النظافة.

ولا يفعل هذا فخراً أو رياءً واختيالاً بدنياه، ومباهاة بوجده، فالله لا يحب كل مختالٍ فخور[١].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الترغيب في الروائح الزكية، وكل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس:

إن الألفة والمودة وغيرهما من العلاقات والتفاعلات الاجتماعية هي التي تؤدي إلى القوة في الترابط والصحة في التوافق، والمتعة في التضام، وهي التي تشد بناء الجماعة المسلمة بعضه إلى بعض، وتوفر للمجتمع جواً اجتماعياً سليماً صحيحاً لنمو الشخصية السوية[٢]، ولقد رغّب الإسلام في كل ما يجلب الألفة والمودة بين الناس، سواء كانت معنوية كحسن الخلق والأدب، أو حسية كالابتعاد عن أسباب النفرة والتماس أسباب المودة والمحبة كالنظافة والتطيب وغيرها، ويزداد الترغيب في أماكن التجمع كالجمع والجماعات وغيرها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ هذَا يَوْمُ عِيدٍ. جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ. فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ. وَإِنْ كَانَ طِيبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ. وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ))[٣] ولا يقتصر استحباب التطيب في العبادات، وإنما يمتد هذا الاستحباب ليشمل جميع أوقات وأحوال الإنسان، فيستحب للرجل التطيب داخل بيته وخارجه بما يظهر ريحه ويخفي لونه، كبخور العنبر والعود، ويسن للمرأة في غير بيتها بما يظهر لونه ويخفي ريحه، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ))[٤].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ج٧/١٩٥.

(٢) قراءة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، دار المجتمع، السعودية، ١٤١١هـ، ط١ ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٠٩٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٩١٥).

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٨٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٨).

وذلك لأن المرأة ممنوعة في غير بيتها مما ينم عليها، لقوله ﷺ: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ على قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فهي زَانِيَةٌ))[1]. أما في بيتها فتتطيب بما شاءت، مما يخفى أو يظهر لعدم المانع[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: التأسي بالنبي ﷺ في قبول الطيب وعدم رده:

من الأمور التي ينبغي الائتساء فيها برسول الله ﷺ قبول الطيب لما جاء في الحديث من نهيه ﷺ عن رد الطيب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب" ولقوله ﷺ "من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح" ولما صرح به ﷺ من حبه للطيب، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ والطِّيبُ، وَجَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ))[3] والطيب من جملة أشياء نهى عنها النبي ﷺ عن ردها؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ((ثَلاثٌ لاَ تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ وَالدُّهْنُ وَاللَّبَنُ))[4] الدهن يعني به الطيب، قال ابن علان: (وقد نظم بعضهم ما يسن قبوله فقال:

قد عُرِفَ من سنة خير الورى ... صلى عليه الله طول الزمن

أن لا يُرَدَّ الطيبُ والمستكا ... والتمرُ أيضاً يا أخي واللبن

وزاد السيوطي عليه أربعة ونظمها في قوله:

عن المصطفى سبع يسن قبولها ... إذا ما بها قد أتحفَ المرءَ خِلاَّنُ

فحلوى وألبان ودهن ووسادة ... ورزق لمحتاج وطيب وريحانُ

ونظمتها كذلك فقلت:

سبعٌ يُسن قبولها إن أهديت ... والرد يكره يا أخا العرفان

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٨٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٣٧).

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٢/١٧٤.

(٣) أخرجه أحمد ١٢٢٩٣، وقال محققو المسند: إسناده حسن، ١٩/٣٠٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٧٩٠، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٦١٠).

لـــبن وحلـــوى طيـــب دهـــن وســـادة رزق لمحتـــاج مـــع الريحـــان[١]

فمما ينفع الإنسان ويحببه لأهله والناس: النظافة والطهارة، وجمال المظهر واللباس الحسن والطيب، فعلى المسلم أن يهتم لذلك، ويكون غرة جميلة عطرة طاهرة[٢]؛ فإن في ذلك نيلاً لمحبة الله ورضاه، وصحة للأبدان وقوة للأديان، وبعثًا للسرور والانشراح في النفوس، إضافة إلى ما في الطهارة والتماس أسباب الطيب والزينة، من وسائل الوقاية من الأمراض والأدران[٣].

وذلك مما شرعه الإسلام للحافظ على جسد الإنسان وسلامته، ومن شرائع الإسلام في ذلك الوضوء، حيث يتم فيه غسل الأطراف خمس مرات يومياً، ويسن تخليل الأصابع، وتعهد مواطن الأذى، وغسل الجسد على سبيل الوجوب، والاستنان وتجميل الجسد في حدود الشرع، فذلك مما يحبه الله تبارك وتعالى ويرضاه؛ فعن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس))[٤].

وحفاظاً من الإسلام على الإنسان روحاً وجسداً، دعا إلى تناول كل طيب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[٥]. وأباح استخدام كل طيب مباح، بل أنكر على من يحرم شيئاً من الطيبات، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾[٦])[٧].

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ص ١٧٥٤، ١٧٥٥.

(٢) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز ص ٢٨٤.

(٣) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢٧٤٠/٧.

(٤) أخرجه مسلم ٩١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٣٢.

(٧) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي إبراهيم عوض، مطابع القدس، الإسكندرية، ط١، بدون تاريخ ص ١٣٩.

الحديث رقم (١٧٨٩)

١٧٨٩- وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ طيب الرائحة، محمود السيرة، كريم الشمائل، وقال جابر ابن عبدالله: كان في رسول الله خصال، لم يكن في طريقٍ فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه؛ من طيب عرقه وعَرْفه، وقال الشاعر في تصوير ذلك:

فلو أن ركباً يمَّمُوك لَقَادهم ... نسيمُك حتى يستدلّ به الركبُ

وعن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق.

وهذا الحديث الشريف برهان ساطع على صدق هذا النهج النبوي، وهذا السلوك الوضيء، الذي اتسم به رسول الله ﷺ؛ وهو أنه كان أحسن الناس وجهاً، وأنورهم لوناً، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

ولذلك يرد الحديث في صيغة التوكيد، ويبدأ بـ"أنَّ" المؤكدة التي تدل على تحقق هذه الصفة في رسول الله ﷺ، فهو كان لا يرد الطيب الذي يُهدى إليه.

والطيب كلمة جامعة مانعة، تتضمن كل أنواع الطيب، وأنواع العطر الطبيعي، والحديث السابق دعوة إلى قبول الريحان، وعدم رده، وهذا الحديث يدعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ في هذا السلوك الإنساني الجميل؛ لأن المؤمن يتسم بالوضاءة والإشراق، والنظافة وطيب الرائحة، وطيب السلوك، وطيب السريرة، وحسن السيرة، وحسن الخلق. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) برقم (٢٥٨٢).

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية الجمالية:

خلق الله الإنسان، وجعل بينه وبين الكون وكل ما فيه ترابطًا بالإحساس والإدراك، فالإنسان من هذا الجانب ميال إلى الجمال، الرائحة العطرة في الكون تجذب إدراكه الحسي، والرائحة الكريهة ينفر الإنسان منها، والأفعال الحسنة التي تصدر عن الإنسان تجذب أحاسيس ومشاعر كل إنسان يرى هذه الأفعال، والمناظر البديعة في الكون والتناسق في مكوناته يثير إحساس الإنسان بالجمال، ويربي الإنسان على هذا المنهج الجمالي، والقرآن الكريم والحديث الشريف يوجهان الإنسان ويربيانه على حب الخير وعلى الإحساس والتذوق الجمالي[1]، ومن التذوق الجمالي الإحساس بجمال الرائحة الطيبة التي إذا عرضت على المسلم فلا يردها، قال ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلاَ يَرُدُّهُ. فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ».

كما أنه كان ﷺ لا يرد الطيب.

والأشياء الجمالية هي كل ما يسر العين، ويسري في النفس إحساس بالراحة والمتعة سواء كان في الشكل أو اللون أو السلوك أو الحقائق أو الأصوات[2]، وحبذا استعمال الطيب لما له من رائحة طيبة، لها أثر طيب على النفس وانشراح الصدر، ويجلب المحبة بين الأصدقاء وهو سنة النبي ﷺ[3].

وللرائحة الطيبة أثرٌ في حفظ الصحة، فإنها غذاء للروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية، ويفرح القلب ويسر النفس ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح، وأشده ملائمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة؛ كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه.

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٤٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ومراجعه ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ١٤٦.

والملائكة تحب الرائحة الطيبة، وتتأذى بالرائحة الخبيثة، والشياطين تنفر من الرائحة الطيبة، وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها، فالخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في النساء والرجال، فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطاعم والمشارب، والملابس والروائح، إما بعموم لفظه، أو بعموم معناه[1].

فعلى المسلم أن يكون طيب الرائحة ويستعمل الطيب ولا يرده إذا أهدي إليه، ويعرضه على إخوانه في الجمع والجماعات والمجامع، لأن ذلك يؤدي إلى التآلف والمحبة بين المسلمين[2].

فالسعيد من يتطلع إلى ناحية الجمال في الحياة، ومن الحكم الصينية القديمة "إذا كان لديك رغيفان من الخبز فبع أحدهما واشتر بثمنه باقة من الزهر".

والسعادة الحقيقية، لا تكون بإشباع حاجات الجسد، وإنما بإشباع حاجات الروح من المثل العليا، ونبل الإنسان حيث تنحصر في الحق، والخير، والجمال. ومن هذا ينبغي رعاية حاسة الجمال منذ نشأتها عند الطفل، وتهيئة المناخ الملائم لازدهارها، لأن الطفل فنان بطبعه، وهو مرهف الحس، رقيق الشعور، واسع الخيال، محب للحرية، وجانب النشاط الوجداني فيه أقوى وأوفى من أي نشاط آخر، وجوهر الفن التعبير الوجداني، ونشاط الطفل لا يعدو أن يكون في جميع مظاهره تعبيرًا مفصلاً عن مشاعره ورغباته. ولا يكون التعبير الفني جميلاً، إلا إذا كان صادقًا، ولا يمكن تذوق الناحية الفنية الجميلة، إلا إذا كانت تعبر عن جانب من جوانب أنفسنا[3].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٤/٢٧٨-٢٨٠، والآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٣/٣٨، ٣٩.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٣/٢٥٢.

(٣) التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح ١/١٠٥، ١٠٦.

ثانيًا: التربية بالقدوة:

تعتبر القدوة من أهم أساليب التربية الإسلامية، وقد كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه رضي الله عنهم أهمية الاقتداء والتأسي به، فكان لا يأمر بشيء أو ينهي عن شيء إلا ألزم نفسه به قبل الآخرين، ومن ذلك ما ورد في هذا الباب من أنه ﷺ أمر المسلمين بعدم رد الريحان لرائحته الطيبة فقال: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلاَ يَرُدُّهُ. فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّب الرِّيحِ».

وكان ﷺ يلزم نفسه بعدم رد الطيب، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب، فرسول الله ﷺ كان هاديًا بسلوكه الشخصي قبل أن يكون بالكلام الذي ينطق به.

وتؤكد التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم على ضرورة الاقتداء بالرسول ﷺ، لتحقيق تصورات الإسلام لخلق الشخصية المسلمة، فالحديث الشريف تبرز فيه طريقة القدوة في التربية الإسلامية، محققة مع غيرها من الطرق لأهداف التربية الإسلامية، والمعلم لكي يكون قدوة[1] لابد أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى به، حيث يربى على هديه، وحتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وعمله، وحتى يتخذه المتعلمون قدوة لهم ويتأسون به في كل حركاته، وسكناته، فضلاً عن أخلاقه ومنهجه، وإلا فإن التربية تنقلب إلى تلقين وحفظ وتسميع دون أي أثر عملي لها[2].

والتربية بالقدوة تساهم بشكل فعال في بناء شخصية الطفل المسلم من جميع جوانب التربية الإسلامية مثل الجانب الإيماني والصحي والخلقي والاجتماعي والعقلي والنفسي، ولا تقتصر أهمية القدوة في التربية على جميع مراحل الطفولة فقط، بل تستمر في جميع مراحل النمو التي يمر بها الفرد المسلم، ولكل إنسان في هذه الحياة قدوة إما أن تكون هذه القدوة حسنة أو سيئة.

وقدوة الطفل في البيت هما الوالدان، حيث ينظر لكل عمل أو تصرف يصدر

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٢٢.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية كما يحددها القرآن الكريم، علي خليل ص ١٢٩.

منهما على أنه هو الصحيح، والذي يجب أن يؤخذه بعين الاعتبار وما سواه فهو الخطأ، ففي ضوء ذلك ينبغي على الوالدين أن يكونا قدوة حسنة صالحة لأبنائهم، فإذا أَمرا الطفل بأي عمل يجب أن يطبقوه على أنفسهم أولاً ثم على طفلهما وإذا نهيانه عن عمل يجب أن لا يأتوا بعمل مثله.

وأما قدوة الطفل في المدرسة فهو المعلم، فلا يصح أن يحث على الآداب والأخلاق الإسلامية ويعمل بخلاف ما قال، لأن المعلم هو في الحقيقة مُرَبٍّ أولاً ثم معلمٌ ثانيًا، وعلى ذلك ينبغي أن يكون المعلم قدوة حسنة لتلاميذه لكي يؤدي المسؤولية الملقاة على عاتقه وهي تربية التلاميذ على الآداب والأخلاق الإسلامية أولاً ثم تعليمهم العلوم المفيدة التي يستفيدون منها في حياتهم المستقبلية[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن بن عبدالوهاب البابطين ص ٧، ٨.

٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة

من إعجاب ونحوه، وجوازه لمن أمِنَ ذلك في حقه

الحديث رقم (١٧٩٠)

١٧٩٠- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فقالَ: ((أهْلَكْتُمْ - أوْ: قَطَعْتُمْ - ظَهْرَ الرَّجُلِ)). متفق عليه[1].

"والإطراء" المبالغة في المدح.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

إن الصدق في الحديث من سمات ومعالم الشخصية الإسلامية، ومن أمارات هذا الصدق: أن يكون الإنسان صادقاً في موقفه من الآخرين، فلا يكون إمعة، ولا يزين للآخرين مواقف السوء، ومقارفة المأثم، والاجتراء على الحق.

والحديث من مواقف المصطفى ﷺ، التي يواجه فيها بعض هؤلاء المادحين، الذين يبالغون في الثناء والمدح، والمبالغة في الثناء والمدح هي "الإطراء"، المذكور في الحديث؛ وقد سمعه النبي بنفسه؛ حيث يروي أبو موسى أن النبي ﷺ سمع رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال معقباً على ما سمع: "أهلكتم -أو قطعتم ظهر- الرجل"، وهذا التعبير كناية عن الهلاك، والمعنى هلاك الدين، لأن الرجل الممدوح يتولد له من ذلك إعجاب أو كبر يحجب عنه الحقيقة الساطعة.

وقد ترسَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه هَدْي النبي ﷺ، في النهي عن التزيد في المدح، والغلو فيه، وعدّ ذلك مهلكة للممدوح والمادح؛ فهو ينفخ الممدوح ويغطرسه، وينفث في

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (٢٦٦٣)، ومسلم (٣٠٠١/٦٧).

روعه الغرور والكبر، والغلو من المادح مظنة نفاق، وقال عمر: المدح ذَبْح، أي: ذبح للطرفين، وقال لرجل أثنى عليه: تهلكني وتهلك نفسك، وسمع رجلاً يمدح الجارود، ويقول: هذا سيد ربيعة، وقد سمعها الجارود ومن حوله، فخفقه عمر بالدرة، فقال: ولك يا أمير المؤمنين، فقال: أما لقد سمعتها، قال سمعتها، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطاطئ منك[1].

فقه الحديث

وفي الأحاديث من الفقه: كراهة مدح الغير في الوجه، وهذا محمول على من مدح الغير بما ليس فيه؛ لأن من أفرط في مدح الغير بما ليس فيه، لم يأمن من الممدوح العجب بنفسه، فقد يضيع العمل، ويترك الازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به[2].

أما من مدح الناس بما هم فيه، فلا يدخل في النهي، فقد مُدح النبي ﷺ في الشعر، والخطب، والمخاطبة، ولم يحثُ في وجه مادحه التراب.

وعلاوة على الأحاديث التي وردت في النهي عن المدح في الوجه، وجدت أحاديث في الصحيحين بالمدح في الوجه، كقول الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه "ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك"[3] وغير ذلك.

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث بأن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه الفتنة، من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح.

أما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله، فلا ينهى عن مدحه في وجهه، بل إن كان يحصل بذلك منه مصلحة كنشاط في الخير أو في الازدياد منه، أو الدوام عليه، والاقتداء به، كان مستحباً[4].

---

(١) انظر: شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، د. وليد قصاب، وانظر: الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦٥٥/٤، عيون الأخبار، ٢٧٥/١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٨٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢٦/١٨، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١٠/١٣، وانظر: شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٥٠٢/١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٧٧/١٠.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على القصد وعدم مدح الشخص في وجهه إلا بالاعتدال وعدم التملق وتحري الحق.

ثانياً: من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء وبيان الصواب في المدح.

ثالثاً: من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في مدح الشخص.

رابعاً: من موضوعات الدعوة: استشعار أمانة الكلمة وعدم كيل المدح لغير المستحقين له.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على القصد وعدم مدح الشخص في وجهه إلا بالاعتدال وعدم التملق وتحري الحق:

إن المبالغة في المدح والإطراء قد تؤدي في الغالب إلى الكبر والعجب بالنفس، لذا جاء نهي النبي ﷺ في الحديث عن المبالغة والإطراء في المدح، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: "سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل" وفي رواية أبي بكرة "ويحك قطعت عنق صاحبك". قال القاضي عياض: (قال العلماء: هذا كله في التفاوت في المدح ووصف الإنسان مما ليس فيه، أو لمن يخشى عليه العجب والفساد بسبب المدح)[2]. وقال القرطبي: (قوله: "ويحك! قطعت عنق صاحبك"، وفي حديث أبي موسى: "قطعتم ظهر الرجل" كل ذلك بمعنى أهلكتموه. ويعني بذلك كله: أن الممدوح إذا أكثر عليه من ذلك يُخاف عليه منه العجب بنفسه، والكبر على غيره، فيهلك دينه بهاتين الكبيرتين، فإذاً المدحُ مظنَّة الهلاك الديني، فيحرم، لكن هذه المظنة لا تتحقَّقُ إلا عند الإكثار منه، والإطراء به، وأما مع الندرة والقلَّة؛ فلا يكون مظنَّة، فيجوزُ ذلك إذا كان حقاً في نفسه، ولم يقصد به الإطراء، وأُمن على الممدوح الاغترارُ به. وعلى هذا يُحمل ما وقع للصحابة رضي الله عنهم من مدح بعضهم

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٩٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٩١).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٤٩/٨.

لبعض مشافهة ومكاتبة. وقد مُدح النبي ﷺ مشافهة نظماً ونثراً، ومدح هو أيضاً جماعة من أعيان أصحابه مشافهة، لكنَّ ذلك كلّه إنما جاز لمّا صحَّتِ المقاصد، وأُمِنتِ الآفاتُ المذكورة)[١].

وقال النووي: (قوله ﷺ "قطعت عنق صاحبك" وفي رواية "قطعتم ظهر الرجل" معناه: أهلكتموه، وهذه استعارة من قطع العنق، الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب)[٢] لأن ذلك يوجب أن هذا الممدوح يترفع ويتعالى، وقد أمر النبي ﷺ أن يحثى التراب في وجوه المداحين[٣]، وإنما الواجب إن كان لا بد من المدح، أن يعتدل الإنسان في المدح ولا يبالغ فيه.

ثانياً- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين وتصحيح الأخطاء وبيان الصواب في المدح:

يلاحظ ذلك في الحديث في نهي النبي ﷺ لمن أطرى في مدح غيره "ويحك قطعت عنق صاحبك" وبيانه ﷺ لما ينبغي "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا، إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله، ولا يُزَكّى على الله أحد"[٤] وفي ذلك بيان لصفة من أهم صفات الداعية، وهي متابعته للمدعوين وتصحيحه للأخطاء والمخالفات التي قد تقع منهم، "فالداعية طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله[٥]، ومن الأحاديث الدالة على تفقد الداعية والإمام لأحوال المدعوين، ما روي عن عبدالله بن عمر ((أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ. فَنَادَاهُ عُمَرُ أَيَّةُ سَاعَةٍ هذِهِ؟ فَقَالَ: إِنِّي شُغِلْتُ الْيَوْمَ. فَلَمْ أَنْقَلِبْ إِلَى

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٢٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٨٣٠.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٦١.

(٥) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٦.

أَهْلِي حَتَّىٰ سَمِعْتُ النِّدَاءَ. فَلَمْ أَزِدْ عَلَىٰ أَنَّ تَوَضَّأْتُ. قَالَ عُمَرُ: وَالْوُضُوءَ أَيْضاً وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ))[١]. قال النووي رضي الله عنه: (فيه تفقد الإمام رعيته وأمره بمصالح دينهم، والإنكار على مخالف السنة وإن كان كبير القدر)[٢].

ثالثاً- من آداب المدعو: اتباع هدي النبي ﷺ في مدح الشخص:

لقد نهى النبي ﷺ عن الإطراء والقطع في المدح، فإن كان الإنسان مادحاً لا محالة، فليقل كما أرشد النبي ﷺ في الحديث، حيث قال ﷺ "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة، فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسيبه الله ولا يزكى على الله أحد" والمعنى فليقل أحسب أن فلاناً كذا والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق جازماً بذلك، ومعنى النهي هنا أي لا تزكوا أحداً على الله لأنه أعلم بكم منكم)[٣] قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٤] أي تمدحوها وتشكروها وَتَمُنُّوا بأعمالكم[٥]، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٦] وإذا كان قد نهى الإنسان عن أن يزكي نفسه فعن غيره أولى، (وقد شاع من آداب عصر النبوة بين الصحابة التحرز من التزكية وكانوا يقولون: إذا أثنوا على أحد لا أعلم عليه إلا خيراً ولا أزكي على الله أحداً)[٧].

رابعاً- من موضوعات الدعوة: استشعار أمانة الكلمة وعدم كيل المدح لغير المستحقين له:

إن من المعلوم لدى المؤمن أن كل ما يتلفظ به مسجل عليه محاسب عليه إن خيراً

---

(١) أخرجه البخاري ٨٧٨، ومسلم ٨٤٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٥٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤٩٢/١٠.

(٤) سورة النجم، آية: ٣٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٦٢/٧.

(٦) سورة النساء، آية: ٤٩.

(٧) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٢٦/٢٧/١١.

فخير وإن شراً فشر، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[١] وأن الكلمة أمانة، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٢] قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والبطن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له)[٣]. وإذا استشعر الإنسان ذلك فلا يترك العنان للسانه في الإطراء في مدح الآخرين، أو مدح غير المستحقين لذلك، (وذلك بأن يمدح غيره، ويغلو في إطرائه، ويصفه بما لا يستحقه، فهذا محرم وهو كذب وخداع، وهو أيضاً ضرر على الممدوح)[٤]. بل هو من دروب الهلاك كما جاء في الحديث "ويحك قطعت عنق صاحبك".

قال الطيبي: (قوله: "ويلك قطعت عنق صاحبك" هذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك، لكن هذا الهلاك في الدين، وقد يكون في الدنيا)[٥].

---

(١) سورة ق، آية: ١٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٥٤/١٣/٧.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٨٣٠/٢.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، ١٠٤/٩.

الحديث رقم (١٧٩١)

١٧٩١- وعن أبي بكرة ﷺ: أنَّ رجلاً ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْراً، فقال النبيّ ﷺ: ((وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ)) يَقُولُهُ مِرَاراً: ((إنْ كَانَ أحَدُكُمْ مَادِحاً لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إنْ كَانَ يَرَى أنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ[1]، وَلاَ يُزَكّى عَلَى اللهِ أحَدٌ)). متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبوبكرة الثقفي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩).

غريب الألفاظ:

ويحك: هي كلمة رحمة وتوجع[3].

قطعت عنق صاحبك: معناه: أهلكتموه وهو استعارة من قطع العنق لاشتراكهما في الهلاك، لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يشتبه عليه من حاله بالإعجاب[4].

وحسيبه الله: محاسبه على عمله الذي يعلم حقيقته[5].

الشرح الأدبي

هذا درس من دروس النبوة، وتوجيه من توجيهات السنة المباركة؛ فالمسلم مطالب بأن ينأى عن المبالغة في الثناء، والمبالغة في الذم؛ لأن التوازن من معالم التصور الإسلامي، والغرور أحد مداخل الشيطان إلى النفس، والمبالغة في الثناء والمدح تغمر الممدوح بالغرور والتكبر، والتعالي والجحود، وهذا الحديث في رصده لهذه الظاهرة السلبية يتسم بعدة ظواهر فنية وأسلوبية، تضفي مسحة الجمال على صياغة الحديث،

---

(١) لفظهما: (والله حسيبه).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٦٠٦١)، ومسلم (٣٠٠٠/٦٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٢/١٠.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٩٢/١٠.

ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر، الذي يحكي هذا المشهد القصصي؛ حيث يحكي أبو بكرة، "أن رجلاً... الحديث، وعدم تحديد اسم المادح، وكذلك عدم تحديد اسم الممدوح، يفيد أن القضية ليست قضية أشخاص؛ وإنما قضية سلوك ومبدأ، يرسيه رسول الله ﷺ؛ وهو عدم المبالغة في الإطراء، والبعد عن ادّعاء اليقين في الثناء؛ لأن الذي يعلم السرّ وأخفى هو الله العلي الأعلى، وهو أعلم بالسرائر، وهو المحيط بما في الضمائر.

وفي الحديث إيجاز بالحذف في قوله: "فأثنى عليه رجل خيراً"؛ فكلمة "خيراً" مفعول به لفعل محذوف تقديره قال خيرًا.

وخيراً: لفظ يجمع كل الصفات الحسنة، وكل الشمائل الطيبة.

وقوله: "قطعت عنق صاحبك" كناية عن الهلاك المعنوي؛ لأن المدح يقود إلى الغرور، والغرور يقود إلى الافتتان بالنفس والوقوع في حمأة الباطل، ومصائد الشيطان؛ لأن المدح ذبح للطرفين، والتكرار في قوله: "يقول مراراً"، للمبالغة في الزجر له ولغيره عن مدح من كان مثل الممدوح في الخوف عليه من نحو العجب، وأسلوب الشرط في قوله: "إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا" يوحي بالتشكك وعدم اليقين؛ لأن "إن" لا تفيد التحقق، وذلك يرشد إلى المنهج الإسلامي، الذي لا يؤيد المبالغة في المدح، وجواب الشرط يضع الحل، ويرسى دعائم الموقف، إذا كان لا بد من الثناء، فليقل: أحسب كذا وكذا، وقوله: "وحسيبه الله، ولا يُزكّى على الله أحد"، يوحي بأن الله يحاسب كل من يَمْدح ويثنى بدافع التملق والنفاق؛ لأن الله أعلم بالسرائر، وأخبر بما في الضمائر، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٧٩٢)

١٧٩٢- وعن همام بن الحارث، عن المِقْدَادِ ﷺ: أنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمانَ ﷺ، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ[1]، فَجَعَلَ يَحثو في وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ. فقالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأنُكَ؟ فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((إذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ)). رواه مسلم[2].

فهذهِ الأحاديث في النَهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قال العلماءُ: وطريق الجَمْعِ بين الأحاديث أنْ يُقَالَ: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لاَ يَفْتَتِنُ، وَلاَ يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلاَ تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلاَ مَكْرُوهٍ، وإنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيءٌ مِنْ هذهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ في وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، وَعَلَى هَذا التَفصيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلِكَ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الإبَاحَةِ قَولُهُ ﷺ لأبي بكرٍ ﷺ: ((ارْجُو أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ[3])) أيْ مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الآخر: ((لَسْتَ مِنْهُمْ))[4]: أيْ لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلاَءَ.

وَقَالَ ﷺ لعُمَرَ ﷺ: ((مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكاً فَجّاً إلاَّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ))[5].

والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ، وقد ذكرتُ جملةً مِنْ أطْرَافِهَا في كتاب "الأذكار"[6].

ترجمة الراوي:

المقداد بن الأسود الكندي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٩٢).

---

(١) عند مسلم زيادة: (وكان رجلاً ضخمًا).

(٢) برقم (٣٠٠٢/٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧/٨٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦/٢٢).

(٦) انظر: باب المدح (ص: ٣٩٥).

غريب الألفاظ:

فجثا على ركبتيه: جلس على ركبتيه[١].

يحثو في وجهه الحصباء: يرميه بالحصى الصغير[٢].

فجاً: هو الطريق الواسع[٣].

الشرح الأدبي

إن حديث رسول الله ﷺ في هذا النص يأتي برهاناً ساطعاً، ودليلاً يقينيًّا على موقف الإسلام من المدح الزائف، والثناء المطغي؛ فالمقداد يرفض ما سمعه من مدْح لعثمان؛ حيث حثا "الحصباء" في وجه المادح، أي: رمى صغار الحصى في وجهه، ويستغرب عثمان هذا الموقف، فيقول مستفهماً في استنكار واعتراض: ما شأنك؟

وهذا الحوار بين المقداد وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، يُفْصح عن سعة صدر عثمان، وقبوله لآراء الآخرين، واقتناعه بحجة المقداد؛ لأنه استشهد بحديث رسول الله، وهو لا ينطق عن الهوى.

والبيان النبوي جاء في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا".. وهي تفصح عن تحقق العقوبة التي يستحقها المدّاحون المغالون ووجوبها، والذين يكذبون في أقوالهم، ويزينون للناس الباطل بما يقدمون من أقوالٍ كاذبة، وأوهامٍ غاربة، وآمال هاربة، وأمانٍ غائبة: "إذا رأيتم المدَّاحين فاحثوا في وجوههم التراب".

والإسلام لم يرفض المديح كله، ولم ينه عن جميع ضروبه وأشكاله؛ بل أجاز مديح الفضلاء وأهل الخير، بل ندب إليه؛ ففي الثناء عليهم تمجيد لقيم الحق وإذاعتها.

وقد تصدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمديح التكسُّب، وهو المتاجرة بالكلمة، واستئكال عقل الممدوح وفتنته بها، ونهى الممدوح أن يصل الشاعر المادح على مدحه؛

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ث و).

(٢) المرجع السابق، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح ث و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف ج ج).

فإن هذا يشجعه على السؤال، ويجرئه على التكسب بشعره، ويعطله عن التماس الرزق الشريف، ويستمرئ الممدوح من وجه آخر طعم الفخر، وحلاوة الثناء، وزهو الفوقيه، وقال عمر للحطيئة: إياك وكل مدحة مجحفة، قال: وما المجحفة؟ قال: تقول: بنو فلان خير من بني فلان؛ امدح ولا تفضِّل[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستجابة لأوامر النبي ﷺ.

ثانياً: من آداب المدعو: التزام الموضوعية والصدق والقصد في المدح وعدم المبالغة.

ثالثاً: من آداب المدعو: اليقظة لأساليب المتملقين في المدح والكذب للتكسب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على الاستجابة لأوامر النبي ﷺ:

لقد كان الصحابة رضي الله عنهم أحرص ما يكونون على الاستجابة لأوامر رسول الله ﷺ وامتثالها، وفي الحديث أنموذج تطبيقي، ومثل حي لذلك في فضل المقداد رضي الله عنه، فعن همام بن الحارث عن المقداد رضي الله عنه أن رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله عنه فعمد المقداد فجثا على ركبته، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، قال النووي: "هذا الحديث قد حمله على ظاهره المقداد، الذي هو راويه، ووافقه طائفة وكانوا يحثون التراب في وجوههم حقيقة، وقال آخرون: معناه: خيبوهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم"[2].

وما صدر عن الصحابة رضي الله عنهم يدل على مدى استجابتهم لأوامر رسول الله ﷺ التي أمرنا الله بطاعتها وحذرنا من مخالفته، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

---

(١) انظر: كنز العمال، ٨٤٦/٣. وانظر: شخصيات إسلامية في الأدب والنقد، د. وليد قصاب.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٢.

أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]، ففي الاستجابة لأوامره ﷺ الحياة والتوفيق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢]، من علوم الديانات والشرائع، لأن العلم حياة كما أن الجهل موت، ولبعضهم:

لاَ تعْجَبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتَه فَذَاكَ مَيتٌ وَثَوْبُهُ كَفَن[٣]

والاستجابة لله وللرسول ﷺ مقتضى الإيمان، وفيه الحياة (إذا دعاكم لما يحييكم)، وذلك وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله ﷺ على الدوام[٤].

ثانياً- من آداب المدعو: التزام الموضوعية والصدق والقصد في المدح وعدم المبالغة:

لقد جاءت الأحاديث آمرة بالتزام الموضوعية والصدق والاعتدال والقصد في المدح، وما جاء من نهي عن المدح فمحمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كتنشيطه للخير والازدياد منه أو الدوام عليه أو الاقتداء به، كان مستحباً[٥]، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[٦][٧].

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) تفسير الكشاف، الزمخشري ص ٤٠٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٢٨٠.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢١.

(٦) سورة المائدة، آية: ٢.

(٧) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ٢/ ١٨٣٠.

فقد ثبت أنه ﷺ مدح البعض إظهاراً لفضلهم، روي أنه ﷺ قال لأشج عبدالقيس: ((إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[1]، قال النووي: "وفيه جواز الثناء على الإنسان في وجهه إذا لم يخف عليه فتنة بإعجاب ونحوه، وأما استحبابه فيختلف بحسب الأحوال والأشخاص"[2].

ثالثاً- من آداب المدعو: اليقظة لأساليب المتملقين في المدح والكذب للتكسب:

إن من آداب المدعو الكيس الفطن أن يكون يقظاً لما يلقى على مسامعه، ولا يخدع بالمزين من الكلام، بل من كانت هذه آدابه، أن يُقابل بنقيض قصده من الحرمان من العطايا، بل ويعنف على ذلك كما جاء الحديث: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب)، قال ابن حجر: "قال ابن بطال: حاصل النهي أن من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه، لم يأمن على الممدوح العجب لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به، ولذلك تأول العلماء قوله ﷺ: (فاحثوا في وجوههم التراب)، أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل"[3].

قال القاضي عياض: "وقوله: (احثوا التراب في وجوه المداحين) فقد حمله المقداد وغيره ممن جاء بعده على ظاهره، وقال: خيبوهم ولا تعطوهم شيئاً لأجل مدحهم، من قولهم تربت يداه، وقيل: إذا مُدحتم فتذكروا أنكم من تراب وتواضعوا ولا تعجبوا بالمدح، وقوله: (أحسب ولا أزكي على الله أحداً) في هذا أنه لا يقطع على عاقبة أحد ولا ضميره، إذ ذاك مغيب عنا وإنما يقول بحسب الظاهر"[4].

وقال أبو العباس القرطبي في قوله: (أحسب فلاناً...): "ظاهر هذا: أنه لا ينبغي للإنسان أن يمدح أحداً ما وجد من ذلك مندوحة، فإن لم يجد بداً مَدح لما يعلمه من أوصافه، وبما يظنه، ويتحرز من الجزم والقطع بشيء من ذلك، بل يتحرز بأن يقول

---

(١) أخرجه مسلم ١٧، ١٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٩٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ١٠/٩٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٨/٥٥٠.

فيما أحسب أو أظن ويزيد على ذلك، (ولا أزكي على الله أحداً)، أي لا أقطع بأنه كذلك عند الله؛ فإن الله تعالى هو المطلع على السرائر، العالم بعواقب الأمور"[1].

وقد جمع محمد تقي العثماني في تكملة فتح الملهم أقوال العلماء في معنى: (احثوا التراب في وجوه المداحين) فقال: "قوله: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب) قد فسر العلماء هذا الحديث على وجوه:

الأول: أنه محمول على حقيقته، فينبغي أن يُحثى التراب على وجه المادح حقيقة، وهو الذي استعمله المقداد رضي الله عنه راوي الحديث. وقد ورد مثل ذلك عن بعض السلف، وقد حكى الأبي في ذلك قصة للشيخ ابن إسحاق الجبيناني.

الثاني: أن حثي التراب كناية عن تخييبه، والمراد من المداحين من يتملق لأخذ المال والصلة وتخييبه أن لا يعطى، أو من يريد الفتنة بإلقاء العجب في نفس الممدوح، فتخييبه أن لا يُعجب الإنسان بنفسه.

الثالث: المراد أن يقول الممدوح للمادح: (بفيك التراب) والعرب تستعمل ذلك لمن تكره قوله.

الرابع: أن المقصود أن يأخذ الممدوح تراباً، فيبذره بين يديه ليتذكر أصله وأن مصيره إليه فلا يطغى بالمدح الذي سمعه. وعلى هذا، فقوله (في وجوه المدّاحين) معناه: بين أيديهم وفي مواجهتهم.

الخامس: أن المراد بحثو التراب في وجه المادح إعطاؤه ما طلب، لأن كل ما فوق التراب تراب. وبهذا جزم البيضاوي وقال: شبه الإعطاء بالحثي على سبيل الترشيح والمبالغة في التقليل والاستهانة كذا في الفتح.

السادس: معنى الحديث أنه ينبغي للممدوح أن يقوم عن مجلس المادح ويثير بقيامه التراب عليه، ذكره الأبي وقال: إنه أبعد التأويلات.

ويبدو أن أفضل التأويلات هو الثاني، والمقصود الحث على منعه من المدح، وعدم

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦/٦٢٧ - ٦٢٨.

تشجيعه على ذلك. وهو الذي اختاره أكثر السلف.

قال الخطابي: "المدّاحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة، وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح. فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمدّاح. وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول عين التراب، وحثيه في وجه المادح. وقد يُتأول أيضاً على وجه آخر، وهو أن يكون معناه: الخيبة والحرمان، أي: من تعرض لكم بالثناء والمدح، فلا تعطوه واحرموه. كنى بالتراب عن الحرمان، كقولهم: ما في يده غير التراب وكقوله ﷺ: ((إذَا جاءَك يَطْلُبُ ثمنَ الكَلْبِ فامْلأَ كَفَّهُ تُرَاباً))[1].

نقله البغوي في شرح السنة (١٣/١٥١) ثم قال: "وفي الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه، لأنه قلّما يسلم المادح عن كذب يقوله في مدحه، وقلّما يسلم الممدوح من عُجب يدخله. وروي أن رجلاً أثنى على رجل عند عمر، فقال عمر: عقرت الرجل، عقرك الله".

والحاصل؛ أن المدح بغرض تشجيع الممدوح على أفعال الخير جائز، كما ذكره الخطابي، لأن ذلك ثابت من النبي ﷺ بمناسبات كثيرة. والمدح المكروه هو ما خيف فيه أن يفتتن الممدوح بالعجب، أو ما قصد به التملق وأكل الأموال بالباطل. وبما أن الفرق بينهما دقيق ربما لا يدركه المرء، فالأحوط ما ذكره البغوي من الاجتناب عنه في كل موضع مشتبه، والله سبحانه وتعالى أعلم"[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ٣٤٨٢، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٢٩٧٤).

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ١٢/٣٩٢ - ٣٩٣.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً: التربية بالأحداث:

يتعرض الناس في حياتهم للأحداث... تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجه عن إرادتهم. والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة أو توجيه، وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث -كأسلوب تربوي- أن تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدرًا من حرارة التفاعل والانفعال، فيكون من الحكمة -هنا- استخدام الدواء عند حدوث الداء[1].

وأسلوب التربية بالأحداث جاء في أحاديث الباب في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِى عَلى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فَقَالَ: أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ».

وكذلك في حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيرًا فقال النبي ﷺ: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ....» إلخ الحديث.

كذلك استخدم المقداد رضي الله عنه أسلوب التربية بالأحداث عندما رأى رجلاً يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد، فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان ما شأنك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتهم المداحين....إلخ» الحديث.

ولاشك أن طريقة التربية بالأحداث من أساليب التربية الفعالة إذ يستغل المربي حدثاً معيناً لإعطاء توجيه أو تغيير سلوك معين، وميزة هذا التوجيه أو التغيير في السلوك أنه يجيء في أعقاب حدث يهز النفس كلها هزًا فتكون أكثرَ قابلية للتأثير، ويكون التوجيه والتغيير في السلوك أفعل وأعمق وأطول أمدًا في التأثير من تلك التوجيهات

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٩٦، ١٩٧.

والتغيرات العابرة التي تأتي "على البارد" بغير انفعال ولا حدث يهز المشاعر[١].

فعلى المربي ألا ينتظر وقوع الأحداث بطريقة تلقائية حتى يستغلها في تشكيل المتعلم وتوجيه سلوكه. فالمنهج قد يخطط للأحداث وينظمها بحيث يمر بها المتعلم، وكأنها أحداث تلقائية، فينفعل بها ويتأثر ويستغل المربي ذلك في عملية التوجيه والتشكيل. حتى يتحقق الهدف من التربية وهو تغيير السلوك في الاتجاه المطلوب غرسه في تصرفات وأقوال المتعلمين[٢].

ثانيًا: من أساليب التربية: التكرار:

لقد استخدم النبي ﷺ أسلوب التكرار في قوله: «وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» يقول الراوي: يقوله مرارًا.

ولاشك أن أسلوب التكرار أسلوب تربوي يجعل من الأمر المكرر عند المرء، عادة مستحكمة راسخة في أعماق قلبه ونفسه فبالتكرار يمكن التأثير على كثير من النفوس التي لا تأخذ بالتوجيه لأول وهلة للتفاوت في مدارك البشر وأمزجتهم[٣].

فيجب على المعلم تكرار الأشياء الهامة والأشياء الصعبة بألفاظ وأساليب مختلفة تأكيدًا لأهمية الشيء، حتى ينبه السامعين للإصغاء بإمعان وتدبر، وحتى يسمعها من لم يسمعها، وحتى تفهم فهمًا جيدًا دون لبس أو غموض، وحتى يكون الكلام أوقع في نفوس السامعين، ويبلغ منهم كل مبلغ. إن التكرار من الأساليب التعليمية المستخدمة لتثبت التعلم والمعلم يقوم بتكرار الأمور الهامة في الموضوع تمكينًا لسامعيه لفهمها واستيعابها، ولكي يعرف الطلبة الأفكار الهامة أو العناصر الأساسية في الموضوع، وليكون أوضح دلالة على ما يريد تعليمه لهم[٤].

---

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ص ١٥١/٢.

(٢) انظر: منهج التربية في التصور الإسلامي، د. علي أحمد مدكور ص ٤٤٦-٤٤٩.

(٣) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، ١٢٨ بتصرف.

(٤) المرشد النفيس، د. محمد صالح بن علي جان ص ٢١٦، ٢١٧.

ثالثًا- من واجبات المربي الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ:

يجب على المربي أن يقتدي برسول الله ﷺ في كل أقواله وأفعاله وقد اقتدى المقداد بن الأسود رضي الله عنه عندما رأى رجلاً يمدح عثمان رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُم الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ» فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، فجعل يحثو في وجهه الحصباء وأقره عثمان رضي الله عنه ولم ينكر عليه.

وقد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين شخصية الرسول ﷺ، قدوة متجددة على مر الأجيال، متجددة في واقع الناس "كلما قرأنا أخباره ازددنا حبًا له واقتداءً به"[1].

فالمربي القدوة يتمثل سنة وأخلاق الرسول ﷺ ابتداءً ويترجمها إلى سلوك عملي أصيل، بحيث يكون نابعًا من ذاته ولا مكان للتكلف فيه، فالمربي أبًا أو أمًا أو جدًا أو نحو ذلك، ينبغي عليه أن يدرك أولاً وجوب التزامه بسنة النبي ﷺ وأحكام الشريعة[2].

رابعًا- من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

إن التربية الإسلامية تربية متوازنة ويظهر هذا التوازن من أحاديث الباب حيث نهت بعض الأحاديث عن المدح، وأثبت بعضها المدح في حق بعض الصحابة، كأبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه.

فالمدح إذا كان لشخص مأمون الجانب من الغرور والتكبر، قد يكون من إشارات الاستحسان، ودواعي التشجيع والإجادة، واستحثاث الهمم إلى جلائل الأعمال والإشادة بذكر المجد العامل، وحفز العزائم على الدأب والسعي لتحصيل المحامد وابتناء المكارم، كما أن السكوت عنه غمط من شأن أولي الهمم وتثبيط لهم، وفت في عضدهم، وإماتة لما عساه يكون عندهم من غرائز يدفعها التنشيط، ويعبرها الغمص والزراية كل هذا خير مادام القصد ما ذكر[3].

---

(١) أصول التربية، عبدالرحمن النحلاوي ص ٢٠٧.

(٢) انظر: أصول التربية، د. أمين أبولاوي ص ٨٠.

(٣) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٤١، ٢٥٢.

أما المدح إذا كان لشخص غير مأمون الجانب فيضره على وجهين: أحدهما: أنه يحدث فيه كبرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

الثاني: هو أنه إذا أثنى عليه بالخير فرح وفتر ورضي عن نفسه، ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرًا، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال ﷺ: «قطعت عنق صاحبك»[1].

كما أن المادح قد تصيبه من المدح آفات منها:

أ - أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب.

ب - أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمرًا له ولا معتقدًا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيًا منافقًا.

ج - أنه قد يقول مالا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه، لذلك قال ﷺ: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لاَ مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يُرَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلاَ يُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا».

د - أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز[2].

فالتربية الإسلامية تنشد في المربي الإنصاف، فلا يمدح إلا من كان أهلاً للمدح مأمون الجانب من الغرور والعجب بالنفس.

كما أنها لا تقيده بالمنع المطلق من المدح، ولا تطلق له العنان في مدح الجميع بل تطلب منه التوازن بين المصالح والمفاسد، فإذا كان ثناؤه على بعض أفعال المتربين مشجعًا لهم وحافزًا على الإجادة والتفوق فلا مانع، بل هو واجب يجب عليه القيام به حتى تحقق التربية هدفها.

أما إذا رأى أن مدحه لبعض المتربين قد يدخل في نفوسهم الغرور والعجب بالنفس فينبغي عليه أن يتجنب هذا المدح والإطراء حتى لا يكون سببًا في إفسادهم.

وهذا هو التوازن المقصود، والتوازن من خصائص التربية الإسلامية وميزاتها التي

---

(١) تزكية الأنفس، سعيد حوى ص ٤٣٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٤، ٤٣٥.

لا توجد في تربية سواها، حيث تركز مفاهيمها وممارساتها على أساس من الاعتدال والاستقامة، وتقيم مجالاً واسعًا متوازنًا للاختيارات والبدائل تجاه السلوك الواحد، وبفضل المعايير الشرعية الدقيقة فيما يتعلق بأنماط السلوك فإنها تكون بعيدة عن التطرف والإغراب[1].

❁ ❁ ❁

(١) أصول التربية الإسلامية، د. أمين أبولاوي ص ٣٨، ٣٩.

٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه

قال الله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[النساء: ٧٨]. وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥].

الحديث رقم (١٧٩٣)

١٧٩٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشَّامِ حَتَّى إذا كَانَ بسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصْحَابُهُ - فَأخْبَرُوهُ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ. قَالَ ابن عباس: فقال (لي) [1] عمر: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأخْبَرَهُمْ أنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ[2]: خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلاَ نَرَى أنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعضهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأصْحَابُ رسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ نَرَى أنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ. فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ[3]، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ[4] رَجُلاَنِ، فَقَالُوا: نَرَى أنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ رضي الله عنه فِي النَّاسِ: إنِّي مُصبِحٌ عَلَى ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عليهِ، فقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: أفِراراً مِنْ قَدَرِ اللهِ؟ فقالَ عُمرُ رضي الله عنه: لو غَيْرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَةَ! - وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُ خِلاَفَهُ - نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ اللهِ، أرَأيْتَ لَو كَانَ لَكَ إبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ، إحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيسَ إنْ رَعَيْتَ الخصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبدُ

---

(١) (لي) لا توجد عندهما.

(٢) عندهما زيادة: (قد).

(٣) عند مسلم زيادة: (له).

(٤) لفظ البخاري: (منهم عليه)، و (منهم) لا توجد عند مسلم.

الرَّحمانِ بنُ عَوفٍ ﷺ ، وَكَانَ مُتَغَيِّباً فِي بَعْضِ حاجَتِهِ، فقالَ: إنَّ عِنْدِي من هَذَا علماً، سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِراراً مِنْهُ)) فحمِدَ اللهَ تَعَالَى عمرُ ﷺ وانصَرَفَ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بسرغ: قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز في وادي تبوك[2].

الأجناد: مدن أهل الشام، فلسطين، والأردن ودمشق وحمص، وقنسرين[3].

الوباء: المرض الذي تفشى وعمّ الكثير من الناس وهو الطاعون[4].

بقية الناس: أي الصحابة[5].

ارتفعوا عني: أي اخرجوا[6].

مشيخة قريش من مهاجرة الفتح: أي مشايخ قريش الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح[7].

مصبح على ظهر: أي مسافر راكب على ظهر الراحلة راجع إلى وطني[8].

عدوتان: العدوة: جانب الوادي[9].

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٢٩، ومسلم ٢٢١٩/٩٨ ولفظهما سواء.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢١٧.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٩٥/١٠.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠.

(٦) انظر: المرجع السابق ١٩٥/١٠.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٩٥/١٠، وشرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤.

(٩) رياض الصالحين ٦٠٦.

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبس من سيرة عمر رضي الله عنه واجتهاده في ظل اقتدائه بسنة المصطفى ﷺ، والحديث يموج بعدة ظواهر فنية وأسلوبية، تفصح عن المعنى، وتبرز المقصود.

ومن هذه الظواهر: بدء الحديث بالتوكيد، حيث يؤكد ابن عباس الخبر؛ حتى لا يتشكك صاحب هوًى في أحداثها؛ لأنها جزء من تاريخ الإسلام، وبرهان ساطع على استجابة الصحابة لأمر الله عز وجل، في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وكذلك قوله جل شأنه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2].

فالتأكيد يفصح عن واقعية هذا الحدث التاريخي بكل تفاصيله، والحوار يضفي على الحديث سمة المشورة ومعرفة الآخر.. وينفي عن عمر هذه الصفة التي عرف بها، وهي القوة والشكيمة؛ فقوته تكون لقمع الأعداء وكل من يجاهر بالمعصية، ويتعدى حدود الله، والحوار المقنع تشعّب، فكان بين عمر وأبي عبيدة وأصحابه وابن عباس وكان بين عمر والمهاجرين، وبين عمر والأنصار، وبين عمر ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح، وتقديم المهاجرين على الأنصار يفصح عن تقدير عمر لهم ومعرفته بمكانتهم؛ لأن لهم سابقتهم في الإسلام، ولكنه لم يقتنع برأي المهاجرين، ولا رأي الأنصار، واقتنع برأي مشيخة قريش من مهاجرة الفتح؛ حيث اتفقوا ولم يختلفوا، وأشاروا على عمر بالرجوع؛ فراراً من الوباء الذي وقع بالشام، وقوله: "معك بقية الناس، وأصحاب رسول الله": من عطف الخاص على العام وتخصيص أصحاب رسول الله بالذكر للتنبيه على قدرهم، وللإيحاء بأنه يجب أن لا يتعرضوا للوباء، وقيل: إن هذا الرأي مبني على أصل من أصول الشريعة، وهو: الاحتياط والحذر، ومجانبة أسباب الإلقاء باليد إلى التهلكة.

والإيجاز بالحذف يتمثل في قول ابن عباس رضي الله عنهما: فدعوتهم: أي: مشيخة قريش، والتقدير: فدعوتهم فاستشارهم، وقوله: "إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه"، كناية

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

عن الرجوع إلى المدينة، بناء على المشورة والاجتهاد، وطلباً للنجاة وعدم التعرض للتهلكة.

وفي قول عمر: "لو غيرك قالها يا أبا عبيدة"، إيحاء وإيجاز بالحذف، يُفصح عن بلاغة عمر؛ حيث لم يصرح بالمراد؛ حِرْصاً على مكانة أبي عبيدة لديه، فجواب الشرط محذوف، وتقديره: لآذيته لاعتراضه، أو تقديره: لم أتعجب منهم، وإنما أعجب منك لفضلك وعلمك.

وقد لجأ عمر رضي الله عنه إلى الإقناع عن طريق الاستفهام والقياس، والمجيء بالنظير والشبيه: أو التشبيه الضمني، وذلك بعد أن قال أبو عبيدة، "أفراراً من قدر الله"، والاستفهام هنا للإنكار والاعتراض، فقال عمر هذه العبارة البليغة المقنعة: "أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خَصْبة، والأخرى جَدْبة، أليس إن رعت الخصبة رعتها بقدر الله، وإن رعت الجدْبة رعتها بقدر الله؟". والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين[1] من الفقه: منع القدوم على بلد الطاعون، وهو الوباء أياً كان، لأن دخول البلد التي انتشر فيها الطاعون، فيه خطر إلقاء النفس في التهلكة، وقد نهانا الشرع عن ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[2].

ومنع الخروج من البلد التي انتشر فيها الطاعون فراراً، لأن الفرار من القدر لا يفيد، أما لو خرج لعارض كحاجة أو نحوها، فلا بأس به[3].

---

(١) الحديث رقم (١٧٩٣)، (١٧٩٤).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٠٥/١٤، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ٢٥٥/٨، وكفاية الطالب الرباني ٦٤٤/٢، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ٤٣١/٤، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ١٠٠/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٢٨٤/٥، وإعانة الطالبين، عثمان بن محمد الدمياطي ١٤٣/٤.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من تاريخ الدعوة: خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

ثالثاً: من أهداف الدعوة: الحث على الشورى.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الأمر والحوار.

خامساً: من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

سادساً: من صفات الداعية: الحكمة والفقه.

سابعاً: من واجبات الداعية: تفقد أحوال المدعوين.

ثامناً: من أهداف الدعوة: الحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب.

تاسعاً: من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال.

عاشراً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من أخطار المرض واليقين بأن الأمراض لا تنقل إلا بقدر الله.

أولاً- من تاريخ الدعوة: خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام:

يظهر ذلك في قول ابن عباس رضي الله عنهما: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ...).

قال ابن حجر: "ذكر سيف بن عمر في (الفتوح) أن ذلك كان في ربيع الآخر سنة ثماني عشرة، وأن الطاعون كان وقع أولاً في المحرم وفي صفر ثم ارتفع، فكتبوا إلى عمر فخرج، حتى إذا كان قريباً من الشام بلغه أنه أشد ما كان، وذكر خليفة بن خياط أن خروج عمر رضي الله عنه إلى سرغ كان في سنة سبع عشرة"[2].

وقال القرطبي: (وقوله: "إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام" كان هذا الخروج منه بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط،

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٧٩٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٧٩٤).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/١٩٤ - ١٩٥.

وكان يتفقد أحوال رعيته، وأحوال أمرائه. وكان قد خرج قبل ذلك إلى الشام لما حاصر أبو عبيدة إيلياء، وهي بيت المقدس، عندما سأل أهلها أن يكون صلحهم على يدي عمر، فقدم وصالحهم. ثم رجع، وذلك سنة ست عشرة من الهجرة)[1].

وقد كان فتح بلاد الشام في عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَعْلَمًا مهماً في تاريخ الدعوة الإسلامية، وذلك لانتشار الإسلام في هذه البلاد واسترداد المسلمين لبيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ثانياً- من موضوعات الدعوة: فضل المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح:

يظهر ذلك في قول عمر رضي الله عنه: (ادع لي المهاجرين فدعاهم ثم دعا الأنصار ثم مشيخة قريش من مهاجرة الفتح)، قال النووي: "إنما رتبهم هكذا على حسب فضائلهم، قال القاضي: المراد بالمهاجرين الأولين من صلى القبلتين، فأما من أسلم بعد تحويل القبلة فلا يعدمنهم، قال: وأما مهاجرة الفتح فقيل: هم الذين أسلموا قبل الفتح: فحصل لهم فضل بالهجرة قبل الفتح، إذ لا هجرة بعد الفتح، وقيل: هم مسلمة الفتح الذين هاجروا بعده فحصل لهم اسم دون الفضيلة، قال القاضي: هذا أظهر لأنهم الذين ينطلق عليهم مشيخة قريش"[2].

وقد أثنى الله عليهم وبشرهم بالنعيم، وهذا مما يدل على فضلهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦١٥/٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٤، وإكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٧/٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

لهم بإحسان، ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم، والنعيم المقيم"[١].

وقال رسول الله ﷺ: ((الْمُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَالطُّلَقَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، وَالْعُتَقَاءُ مِنْ ثَقِيفٍ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ))[٢].

ثالثاً- من أهداف الدعوة: الحث على الشورى:

يظهر ذلك في استشارة عمر رضي الله عنه للمهاجرين والأنصار ومن معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

قال النووي: "ومن فوائد الحديث: استحباب مشاورة أهل العلم والرأي في الأمور الحادثة وتقديم أهل السابقة في ذلك"[٣].

والشورى من المبادئ الإسلامية التي أمر بها المولى تبارك وتعالى والتزم بها رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٥].

أي: لا يبرمون أمرًا حتى يتشاوروا فيه[٦].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه رضي الله عنهم في الأمر إذا حدث تطييبًا لقلوبهم، ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم، كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يا رسول الله لو استعرضت بنا عُرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون[٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٦٣/٤، رقم ١٩٢١٥، وقال محققو المسند: حديث صحيح.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢١١/٧.

(٧) المرجع السابق ١٤٩/٢.

وغير ذلك كثير مما ورد عن مشاورته ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، وكذلك صحابته من بعده، فلما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر، وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان رضي الله عنه عليهم[1].

قال ابن عثيمين: "إن المشاورة من سمات المؤمنين كما قال تعالى: (وأمرهم شورى بينهم)، فينبغي لمن ولاه الله أمراً، وتردد في شيء من الأشياء، ولم يتبين له الصواب، أن يشاور غيره من ذوي العقل والدين والتجربة، وكذلك إذا كان الأمر عاماً يعم الناس كلهم، فإنه ينبغي أن يشاور حتى يصدر عن رأي الجميع"[2].

رابعاً- من أساليب الدعوة: الأمر والحوار:

يظهر أسلوب الأمر في قول عمر رضي الله عنه: (ادع لي المهاجرين.. وادع لي الأنصار.. وادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش. وقوله: ارتفعوا عني).

وأسلوب الأمر من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في توجيه دعوته إلى المدعو، لحثه على الاستجابة لها، وهو من الأساليب كثيرة الاستعمال، وقد ورد استخدامه في كثير من آيات القرآن وسنة خير الأنام.

ويظهر أسلوب الحوار في محاورة عمر رضي الله عنه مع المهاجرين الأولين، والأنصار ومن كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، وحواره مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

والحوار من أساليب الدعوة المهمة، لأنه يهدف إلى أن يتفهم فيه كل طرف من الفريقين المتحاورين وجهه نظر الطرف الآخر، ويعرف فيه كل طرف منهما أدلته التي رجحت لديه استمساكه بوجهة نظره، ثم يأخذ بتبصر الحقيقة من خلال ما يظهر الطرف الآخر من نقد بأدلته الصحيحة.

ويكون هدف الحوار في الأصل، تعاون الفريقين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢١١/٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٣٣/٢.

(٣) انظر: الدعوة إلى الله، د. توفيق الواعي ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

خامساً- من موضوعات الدعوة: فضل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول عمر رضي الله عنه: (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة)، قال ابن حجر: "أي: لعاقبته، أو لكان أولى منك بذلك، أو لم أتعجب منه، ولكني أتعجب منك مع علمك وفضلك كيف تقول هذا؟"[١].

وفضائل أبي عبيدة رضي الله عنه كثيرة وعظيمة، فقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِيناً. وَإِنَّ أَمِينَنَا، أَيَّتُهَا الأُمَّةُ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ))[٢]. ويكفيه فضلاً أنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قال الذهبي في ترجمته: (هو أحد الأولين المهاجرين، ومن عزم الصديق على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليته عند أبي بكر[٣]. يجتمع في النسب هو والنبي صلى الله عليه وسلم في فهر. شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وسماه أمين الأمة، ومناقبه شهيرة جمة. روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: ((لأبعثن -يعني عليكم أميناً حق أمين- فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة رضي الله عنه))[٤])[٥].

وقال ابن عبدالبر: (وهو الذي انتزع من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتي الدرع يوم أحد، فسقطت ثنيتاه، وكان لذلك أثرم وكان نحيفاً معروف الوجه طوالاً أجناً، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكان من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ١٠/١٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٧٤٤، ومسلم ٢٤١٩.

(٣) انظر: خبر السقيفة، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٣/٢٠٢، والكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري ص ٢/١٨٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٤٥.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ١/٥-٢٣.

قال رسول الله ﷺ: ((لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح))[١] وقال أبوبكر الصديق يوم السقيفة: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني -عمر، وأبا عبيدة وقال عمر إذا دخل عليه الشام -وهو أميرها- كلنا غيَّرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة، وله فضائل جمة)[٢].

سادساً- من صفات الداعية: الحكمة والفقه:

يظهر ذلك في استشارة عمر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم في الرجوع إلى المدينة، أم التقدم إلى بلاد الشام حيث وباء الطاعون، فإنه على ما عنده من الدين والعلم والعقل وإصابة الصواب، لم يفت في هذا إلا بعد المشاورة والمراجعة [٣].

وهذا يدل على حسن سياسته وحكمته وفقهه رضي الله عنه، فينبغي على الداعية التحلي بالحكمة والفقه في مواجهة الأمور، وحل ما يواجهه من صعاب، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الناس بالحكمة، فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٤].

قال ابن كثير: (يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ: أن يدعو الخلق إلى الله "بالحكمة"، وقوله: "وجادلهم بالتي هي أحسن"، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب)[٥].

(فالداعية لابد له من ثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً، ذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٨٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٨٢٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٣٣/٢.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦١٣/٤.

عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه؛ حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه)[١].

سابعاً- من واجبات الداعية: تفقد أحوال المدعوين:

يظهر ذلك في خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام.

قال النووي: (واعلم أن في حديث عمر هذا فوائد كثيرة، منها خروج الإمام بنفسه في ولايته في بعض الأوقات، ليشاهد أحوال رعيته، ويزيل ظلم المظلوم، ويكشف كرب المكروب، ويسد خلة المحتاج، ويقمع أهل الفساد، ويخافه أهل البطالة والأذى والولاة، ويحذروا تجسسه عليهم، ووصول قبائحهم إليه، فينكفوا، ويقيم في رعيته شعائر الإسلام ويؤدب من رآهم مخلين بذلك، ولغير ذلك من المصالح)[٢].

ثامناً- من أهداف الدعوة: الحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب:

يظهر ذلك في قول أبي عبيدة رضي الله عنه: "أفراراً من قدر الله؟ ورد عمر رضي الله عنه: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل، فهبطت وادياً له عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟" قال القرطبي: (فبعد أن استشار عمر رضي الله عنه مشيخة قريش لكمال خبرتهم للأمور، ولم يختلف عليه منهم أحد. فترجح عنده رأيهم، ونادى في الناس إني مصبح على ظهر، أي: على ظهر طريق، أو ظهر بعيرٍ مترحلاً، فأصبحوا عليه، أي: مرتحلين. وهذا يدلُّ: على أنه إنما عزم على الرجوع لرأي أولئك المشيخة، لما ظهر أنه أرجح من رأي غيرهم ممن خالفهم. ووجهُ أرجحيةِ هذا الرأي: أنه جمع فيه بين الحزم، والأخذ بالحذر، وبين التوكل، والإيمان بالقدر. وبيان ذلك: بحجة عمر على أبي عبيدة رضي الله عنهما حين قال له: أفراراً من قدر الله؟! وذلك: أن أبا عبيدة ظهر له: ألا يرجع، ويتوكل على الله، ويسلِّم للقدر؛ لأن ما يقدر عليه لا ينجيه منه رجوع، ولا فرار. فأجابه عمر رضي الله عنه بأن قال له: لو غيرُك قالها! أي: ليت غيرك يقول ذلك القول. فكأنه قال:

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، ٢٠، ٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٨٥.

لا يليقُ هذا القول بك لعلمك وفهمك، وإنما يليق ذلك بغيرك ممن قل علمه، وقصر فهمه. ثم احتجَّ عليه بأن قال: نعم؛ نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله؛ إذ لا محيص للإنسان عما قدَّره الله عليه، لكن أمرنا الله بالتحرُّز من المخاوف والهلكات، وباستفراغ الوسع في التوقِّي من المكروهات، والحذر، وجلب المنافع، ودفع الضرر، ثم المقصِّر في ذلك ملومٌ عادةً وشرعاً، ومنسوبٌ إلى التفريط عقلاً وسمعاً؛ وإن زعم أنَّه المتوكل على الله، المسلِّم لأمر الله. ولما بيَّن عمرُ ذلك المعنى بالمثال؛ لاح الحقُّ، وارتفع الجدال، ثم لم يبرح عمر من مكانه حتى جاءه الحق ببرهانه، فحدَّثهم عبدالرحمن بما قاله في ذلك النبي ﷺ فسُرَّ بذلك عمر رضي الله عنه سروراً ظهر لديه، فحمد الله، وأثنى عليه، حيث توافق الرأي والسمع، وارتفع الخلاف، وحصل الجمع، فرجع من موضعه ذلك إلى المدينة سالماً موفوراً، وكان في سعيه مصيباً مشكوراً)[1].

فإذا كان الإسلام قد أمر بالتوكل على الله كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2].

فإن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب، التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سننه في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[5].

فالشريعة الإسلامية تحث على التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، قال ابن

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥/٦١٧-٦١٨.

(٢) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

(٥) سورة الجمعة، آية: ١٠.

رجب: "قال يوسف بن أسباط: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له"[١].

تاسعاً- من أساليب الدعوة: ضرب الأمثال:

يظهر ذلك في ضرب عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه مثلاً براعي الإبل. قال ابن عثيمين: "إن ضرب الأمثال يقرب المعاني للإنسان، وذلك أن عمر رضي الله عنه ضرب مثلاً لأبي عبيدة رضي الله عنه: إنسان هبط وادياً ومعه إبل وله شعبتان، إحداهما مخصبة فيها الأشجار وفيها الحشيش وفيها كل شيء ينفع الإبل، والثانية مجدبة بيضاء، فمن المعلوم أن الإنسان لن يختار المجدبة، سوف يختار المخصبة، فاختياره للمخصبة بقدر الله عز وجل، وعدوله عن المجدبة بقدر الله عز وجل"[٢]. فضرب الأمثال يوضح المعنى ويقربه إلى الفهم. وهذا ما فعله عمر رضي الله عنه مع أبي عبيدة رضي الله عنه حتى يقرب له المعنى ويوضح له قصده.

عاشراً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحذر من أخطار المرض واليقين بأن الأمراض لا تنقل إلا بقدر الله:

يظهر ذلك في حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه)، وحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها)[٣].

قال القاضي عياض: (في هذا الحديث من العلم: توقي المكاره والتحفظ منها قبل وقوعها، وفيه التسليم لأمر الله وقدره إذا وقعت المصائب والبلايا، وهذا كما قال عليه السلام: ((لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا))[٤] وفيه

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/٤٩٨ - ٤٩٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٣٣ - ١٨٣٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٧١، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٥/١٠، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١١/١٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٥٧٢٨.

أن الأمور كلها بقدر الله، وأنه لا ينجي الفار من القدر فراره، وفيه منع القدوم على بلاء الطاعون والوباء، وتحريم الخروج عنها فراراً من ذلك)[١].

فينبغي الحذر من أخطار المرض، فإذا سمع الإنسان بوباء أو بلاء نزل على أرض فلا يقدم عليه لقوله ﷺ: "فلا تقدموا عليه"، وقوله: "فلا تدخلوها". لأن دخول البلاد التي فيها الوباء، فيه تعريض الإنسان لنفسه للتهلكة وهو منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٢]. فينبغي على الإنسان أن يحذر ذلك

وإذا كان الإنسان بأرض نزل بها الوباء، أي: البلاء، فلا يخرج منها لقوله ﷺ: (فلا تخرجوا منه فراراً)، وقوله: (فلا تخرجوا منها).

وذلك لأن ما قدر الله لا فرار منه، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[٤].

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: وفي قوله: "فلا تخرجوا منه"، إشارة إلى الوقوف مع المقدور والرضا به، قال: وأيضاً فالبلاء إذا نزل إنما يقصد أهل البقعة لا البقعة نفسها، فمن أراد الله إنزال البلاء به فهو واقع به لا محالة، فأينما توجه يدركه، فأرشده الشارع إلى عدم النصب من غير أن يدفع ذلك المحذور)[٥].

فإذا نزل البلاء بأرض، وصبر عليه أهلها دون الخروج منها، راضين بقضاء الله وقدره وموقنين أن المرض لا ينتقل إليهم إلا بقدر الله، كان لهم أجر الشهداء، وهذا ما بينه رسول الله ﷺ في قوله عند ما سئل عن الطاعون: ((كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إلا مَا كَتَبَ اللَّهُ إلا كان لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ))[٦].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ١٣٢/٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٥.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٨.

(٤) سورة الجمعة، آية: ٨.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٠٠/١٠.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٥٧٣٤.

الحديث رقم (١٧٩٤)

١٧٩٤- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وأَنْتُمْ فِيهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أسامة بن زيد: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٩).

غريب الألفاظ:

الطاعون: هو المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان[2].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده قد تضمن جملتين، وكلتاهما جاءتا في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط فيهما إذا وهي تفيد التحقق، أي أن الناس لابد أن يتحققوا من الوباء الذي حل بأهل المنطقة، حتى لا يكون الأمر إشاعات ونشر للفزع بين الناس، والجملة الأولى ثمرتها الوقاية من الإصابة بالمرض، فمجرد السماع بأخبار الوباء المنتشر، يوجب على المسلم الإحجام عن الدخول لمنطقة الوباء، والتوجيه النبوي جاء في أسلوب الجَمْع؛ لأنه صادر إلى الأمة كلها، والنهي في جواب الشرط للوجوب، ولنتأمل ما يشع به هذا البيان النبوي من تعاليم وإرشادات وتوجيهات (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها)، أما الجملة الثانية فهي وقائية كذلك، ولكنها تحول دون انتشار المرض، حيث ينهى رسول الله ﷺ كل من كان في بلد وقع به الطاعون، أن لا يخرج من هذا البلد، خوفاً من أن يكون حاملاً للمرض.. فإذا خرج من بلد الوباء نشر عدواه بين الأصحاء.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٧٢٨، ومسلم ٢٢١٨/٩٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ع ن).

وهذا التوجيه النبوي يُعد إعجازا علمياً؛ لأنه يتوافق الآن مع ما قاله العلماء في قانون الحجر الصحي، والحجر الصحي كما قال د. محمد علي البار، من أهم وسائل مقاومة انتشار الأمراض الوبائية، فالشخص السليم في المنطقة الموبوءة، قد يكون حاملاً للميكروب، كما قد يكون في فترة الحضانة، فإذا خرج من بلدته تلك لم يلبث أن يظهر عليه الوباء فيعدي غيره، وينقل بذلك المرض إلى آلاف البشر، بل إلى ملايين البشر والله أعلم[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: العدوى بين الطب وحديث المصطفى ﷺ، د. محمد على البار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية بتحمل المسؤولية:

إن مما ينبغي أن يتربى عليه الشاب المسلم تحمل المسؤولية والمشاركة في العمل الجماعي، فإن الدعوة إلى الله عز وجل والعمل لإعزاز دينه ورفع رايته أكبر من أن يقوم بها فرد أو أفراد متناثرون، ولكن الواجب على المسلمين التعاون والتضافر للقيام بالواجبات المفروضة على الأمة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[1][2].

ويتجلى تحمل المسؤولية في هذا الباب في خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام ومعه أصحاب رسول الله ﷺ وقبل دخولهم الشام أخبروه أن الطاعون وقع بها، فاستشار المهاجرين والأنصار ومن كان معه من مشيخة قريش، هل يقدم إلى الشام ويعرض نفسه ومن معه من المسلمين للوباء أم يرجع، ليعرف رأيهم ويشركهم في تحمل المسؤولية معه.

وإن من أبرز مميزات هذا الدين أنه وزع المسؤولية توزيعًا دقيقًا لتنظيم الحياة الاجتماعية ومحاسبة المسؤولين والمكلفين كل حسب مهمته وواجباته، فبدأ بالإمام فقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[3].

والإمام هو المسؤول الأول في الدولة الإسلامية، وقد أوجب الإسلام عليه أن يقوم بواجبات تمثيل الأمة والوكالة عنها، وفي مقابل ذلك أوجب الإسلام على الأمة تجاهه بعض الواجبات هي كالحقوق عليهم، لأن كل واجب لابد أن يقابله حق والعكس[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ١٠٧.

(٣) أخرجه البخاري، ٨٩٣، ومسلم، ١٨٢٩.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي ص ٢٩٨.

والإنسان مسؤول عن كل عمل يقوم به وحده أو يشترك مع غيره أو يكون سببًا في وقوعه بالحض عليه أو الرضى به، ما دام عمله بإرادته واختياره[١].

والحياة مليئة بالمهام والمسؤوليات فعلى كل إنسان أن يتحمل مسؤولية ويضطلع بدوره في الحياة وعلى المربي أن يعود الناشئة على تحمل المسؤولية تجاه أنفسهم والآخرين وتجاه المجتمع الإسلامي بأسره.

ثانيًا- التربية على احترام أهل السبق في الإسلام وكبار السن:

دعا عمر رضي الله عنه المهاجرين الأولين، والأنصار، واستشارهم في أمر الوباء حتى يعلم رأيهم أيرجع أم يمضي إلى الشام، وفي هذا احترام لهم لسبقهم وفضلهم في الإسلام.

كما دعا إليه من كان معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح واستشارهم احترامًا لكبر سنهم ومكانتهم.

وهو بذلك يطبق عمليًا ما علمه المعلم والمربي الأول محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان يربي الصحابة الكرام على احترام من له سبق وبذل في الإسلام، فلا يستوي من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق من بعد الفتح وقال: وكلا وعد الله الحسنى.

ومن ذلك: لما اختلف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وذهب أبو بكر ليعتذر إلى عمر رضي الله عنهما فأبى قبول اعتذاره، وذهب أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقص عليه القصة فغضب صلى الله عليه وسلم لغضب أبي بكر، وقال: «فهل أَنْتُمْ تَارِكُوا لِيَ صَاحِبِي» مرتين، فما أُوذِيَ بَعْدَهَا[٢].

وكذا لما اختلف عبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد رضي الله عنهما، وعبدالرحمن من المهاجرين الأولين، ومن العشرة المبشرين، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن وقال: «لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصفه»[٣].

مع أن خالدًا من أصحابه صلى الله عليه وسلم إلا أن عبدالرحمن أخص به وأقدم صحبة منه. وفي

---

(١) الأخلاق ومعيارها بين الوضعية والدين، د. حمدي عبدالعال، ص ٢٩-٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ٣٦٦١.

(٣) أخرجه البخاري ٣٦٧٣، ومسلم ٢٥٤٠.

هذا تربية للأمة لاحترام أهل السبق والعلم والفضل، وكذا احترام الصغير للكبير، ومعرفة أقدار الناس، وأنهم يتفاضلون بالعلم والسبق والتقوى، لا بالحسب والنسب والمال[١].

ثالثًا- التربية بالمشورة:

المشورة تعني: عرض الأمر الذي فيه إشكال على من يتوسم فيهم الفكر الحصيف والرأي السديد، من ذوي التجارب والخبرات وسماع أقوالهم المختلفة للوصول إلى حل مناسب لذلك الإشكال، لاتخاذ القرار المناسب.

وهي تعني أيضًا: عدم الاستبداد والانفراد بالتصرف قبل معرفة ما للأمر وما عليه عند مناقشته، وتبادل وجهات النظر حوله، حتى تظهر المصلحة فيه، ويستبان وجه الصواب من المحاورة والمناقشة[٢].

وهذا ينطبق على ما فعله عمر رضي الله عنه من مشورة من معه من المهاجرين الأولين والأنصار، ومن معه من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح.

حيث استشارهم في أمر الوباء لمعرفته بحصافة رأيهم، وتجاربهم وخبراتهم حتى يسمع الأقوال المختلفة ويصل إلى حل مناسب لاتخاذ القرار، وهذا يدل على عدم استبداده رضي الله عنه باتخاذ القرار، بل في هذا التزام بالمشورة التي أمر بها الإسلام.

والمشورة كأسلوب تربوي ناجح، له أثره الواضح على المستهدفين بالتربية بها ومن فوائدها التربوية ما يلي:

أ - أنها تنمي العقل وتفجر طاقاته الكامنة، وتستثمر أجود ما فيها، وتدفع الجميع إلى حالة من الوعي والإدراك والتفكير المنطقي السليم الذي يجعل من الجميع عناصر خير مفيدة في المجتمع، متعاونة في كل ما يُعلي شأنه.

ب - كونها مدرسة تربوية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها، وتحقق ذاتها، وتعبر عن إرادتها، ومواقفها الفكرية من قضاياها المصيرية.

---

(١) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) انظر: الشورى بين الأصالة والمعاصرة، عز الدين التميمي، ص ١٥، نقلاً عن موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون، ٩/٤٩.

وهي تدرب المستشار على المساهمة في الحكم والإدارة وتعينه بالتجربة وجودة الرأي والتفكير، كما وأنها خير وسيلة تكشف عن الكفاءات والقدرات وبها يظهر الأَكْفَاء وتستفيد الأمة من كفاءاتهم[١].

ج - أنها تعطي المستشار دفعًا وحماسًا يجعلانه يبذل ما في وسعه من نصح وإخلاص وأمانة لتحقيق الصواب.

د - أنها تقنعه بأهمية القضية المطروحة عليه، وتنمي فيه الحرص الكبير على نجاحها، لأنه شارك في التخطيط والإعداد لها[٢].

وعندما تكون الشورى هي السائدة في المجتمع، فإن القلوب تأتلف والنفوس تتقارب، وتشيع روح الألفة والمحبة والتعاون بين أفراد المجتمع على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم[٣].

فعلى أفراد المجتمع بث روح المشورة فيم بينهم.

أما المدارس والمعاهد العلمية على مختلف مستوياتها، فدورها أعظم، ومسؤوليتها أخطر، فهي تتحمل العبء الأكبر في بث روح المشورة بين الأجيال وتنشئتهم على حبها وتمثلها، واتخاذها منهجًا وسلوكًا في الحياة، ويكون ذلك من المناهج المدرسية بحيث تتضمن مفرداتها التركيز على إبراز أهمية المشورة في حياة الفرد والمجتمع، وتجسيم الخطر الحاصل من تعطيل هذا المبدأ، وسيادة الاستبداد والانفراد بالرأي، وما يعقب ذلك من فساد وهلاك للجميع[٤].

رابعًا- من أساليب التربية: الحوار والمناقشة:

أسلوب الحوار والمناقشة من الأساليب التربوية المهمة في طرح وتناول القضايا

---

(١) حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها، د. محمد عبدالقادر أبو فارس ص ١٠، ١١، نقلاً عن أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٩٤.

(٣) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، د. مرزوق بن صنيتان بن تبناك وآخرون ٣٣/٤٩.

(٤) المرجع السابق ٨١/٤٩.

المختلفة، ويظهر هذا الأسلوب في هذا الباب في محاورة عمر رضي الله عنه للمهاجرين، والأنصار، ومشيخة قريش رضي الله عنهم أجمعين، في أمر الوباء الذي وقع في الشام.

وكذلك محاورته ومناقشته رضي الله عنه مع أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ويعد هذا الأسلوب من أهم الأساليب التربوية، فالحوار أحد أركان الفهم والإقناع، والإقناع عن طريق العقل والمنطق يعد أحد أركان السلوك والقرآن الكريم مليء بالأمثلة التي توضح أشكال الحوار التي يمكن استخدامها في التربية لتنمية العقل وترسيخ العقيدة.

ويستخدم أسلوب الحوار والمناقشة في تربية الصغار والكبار، وإن كانت نتائجه مثمرة مع الكبار، ومن الضروري أن نراعي في الحوار والمناقشة مستوى نضج من نحاوره أو نناقشه، وأن نخاطب هذا وذاك على قدر عقولهم ومستوى إدراكهم، وأن نبدأ بالبسيط الواضح المقنع، ثم نتدرج في المحاورة والمناقشة إلى أن نصل إلى غايتها.

وقد استخدم رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب في عديد من المواقف لذا حرص المربون المسلمون على اتباع هذا الأسلوب والإشادة بأهميته[1].

خامسًا- التربية بضرب الأمثلة والتشبيه:

من أساليب التربية المفيدة في توضيح المعنى وتقريبه إلى الأفهام ضرب الأمثال.

وذلك أن عمر رضي الله عنه ضرب مثلاً لأبي عبيدة بإنسان معه إبل وله شعبتان إحداهما مخصبة، وفيها الحشيش والعشب والأشجار التي تنفع الإبل، والثانية مجدبة لا عشب فيها، فإن الإنسان لابد أن يختار الأولى، فاختياره للأولى بقدر الله، وتركه للثانية بقدر الله.

وضرب الأمثلة وتشبه المعنوي بالمحسوس من الأمور الفعالة، ذلك لأن الصورة المحسوسة، أقرب تصورًا وأسرع فهمًا، وأثبت بقاء لأنها تحدد الأبعاد، وتبرز الأجزاء، وتوضح منها ما يخفى، قد تراها بالعين، أو تتخيلها بالخاطر أو تتحسسها باليد، أو تستوعبها بالأذن، وقد يشترك كل أولئك في التقاطها، فترتسم واضحة المعالم محددة الأجزاء، زاهية الألوان، نابضة بالحركة، ولهذا كان أسلوب التشبيه وضرب الأمثلة من

---

(١) أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٥، ٨٦.

أساليب البلاغة القرآنية، أو البلاغة النبوية، إن الصورة التشبيهية تدع بين يديك، وأمام عينيك حالتين متشابهتين لتتفحص كل حالة، وتدرسها، وتحللها، فإذا حكمت بعد ذلك لإحداهما أو على إحداهما كان حكمك بعيدًا عن الخطأ، قريبًا من الصواب[١].

فيعد أسلوب ضرب الأمثال أحد أساليب التربية الإسلامية المهمة والفعّالة والمؤثرة، بحيث إن المربي الناجح يستطيع عن طريقه مساعدة الطفل في فهم الأشياء غير المحسوسة بتقريبها إلى فهمه بضرب أمثال بالأشياء المحسوسة لديه[٢].

سادسًا- التربية الوقائية:

إن الوقاية نوع من أنواع التحذير، وهي تحصين الفرد وتحذيره فكريًا وسلوكيًا من بعض الأمور السلبية المستقبلية، أو الامتناع عن فعل ما، من شأنه أن يفضي إلى مفسدة أكبر منه، فالوقاية الصحية للإنسان تكمن في تحذيره من ارتياد المواطن الموبوءة، أو تناول بعض الأغذية والعقاقير والمشروبات التي تتسبب في تدهور حالته الصحية، أو حقنه بجرع خاصة من شأنها أن تجعل لدى الجسم مناعة كافية لمقاومة مرض معين. والإسلام استخدم أسلوب الوقاية للفرد المسلم وللأسرة والمجتمع، من خلال تحذيرات الرسول ﷺ من بعض السلوكيات الخاطئة، التي تؤدي بالفرد إلى الهلاك، والمجتمع إلى الضعف والهوان...

وهذه التحذيرات والتوجيهات، قدمها الرسول ﷺ على هيئة نصائح وإرشادات تحمل في طياتها الخوف والإشفاق تجاه الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة.

وهي بمثابة جرعة وقائية إن أخذت ستقي المجتمع من الأخطار المتوقعة والهلاك المحقق.

وهي كذلك بمثابة حمية وقائية يتقي بها من الأمراض المهلكة[٣].

ومن التربية الوقائية في الإسلام إذا انتشر وباء الطاعون في مكان، اتخاذ الحيطة بالبعد عن مصدره بعدم الدخول في الأرض الموبوءة به، وكذلك عدم نشر الوباء في

---

(١) انظر: التربية الإسلامية، محمد أحمد جاد صبح، ١٢٥/١.

(٢) أساليب التربية الإسلامية، عبدالرحمن عبدالوهاب البابطين ص ٥٢.

(٣) أساليب الدعوة والتربية، د. زياد محمود العاني ص ٢٥٦.

الأماكن الأخرى بالخروج إليها من الأماكن الموبوءة، ودل على ذلك حديثا الباب الأول حديث ابن عباس رضي الله عنهما الطويل الذي جاء في آخره أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ. وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ».

والثاني حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها».

فإن الإيمان بقضاء الله وقدره أحد أركان الإيمان، والإسلام يأمر الإنسان مربيًا إياه، أن يحافظ على جسده، ويقيه من الأمراض والتربية الإسلامية، كما تبدو في ضوء الحديث الشريف تتضمن هذا الجانب في تربية الجسد[1].

فالإنسان لا يمكن أن يبقى على قيد الحياة في البيئة الملوثة، وما كان ليحافظ على صحة بدنه وسلامة عقله في تلك البيئة، لو لم يتعلم كيف يحمي ذاته من آثار التلوث السيئة، والفضل في ذلك يرجع إلى ما اكتسبه من معرفة، وما تعلمه عن طريق التربية التي يتزايد انتشارها وتتعقد أساليبها باستمرار[2].

وللتربية دورها في تعليم الإنسان أين يكمن الخطر ويوجد ميكروب المرض[3].

وتعليمه أيضًا كيف يقي نفسه من هذه الميكروبات[4].

ومن خلال ذلك يتضح لنا أهمية التربية الوقائية في الإسلام.

❁ ❁ ❁

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٢٧٩.

(٢) تعلم لتكون، ايدجار فور وآخرون، ترجمة: د. حنفي بن عيسى، ط/٢، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: ١٩٧٦م ص ٤٤.

(٣) الرسول ﷺ، سعيد حوى ص ٤٤.

(٤) فلسفة التربية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر، ٢٨٠.

٣٦٢- باب التغليظ في تحريم السحر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[البقرة: ١٠٢].

الحديث رقم (١٧٩٥)

١٧٩٥- وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)). قالوا: يَا رسولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ؛ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث يبدأ بالأمر المباشر الصادر من رسول الله ﷺ إلى الأمة كلها في كل زمان ومكان، حيث يقول ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات".

وهذه البداية الصريحة الصارمة مشحونة بالتشويق والإثارة والحث على الانتباه والإصغاء، ولذلك انبثق هذا الحوار الدالّ على حرص الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلى المعرفة والتفقه في دينهم.

فقالوا في لهفة وتشوق يا رسول الله "وما هن" وتأمل هذا النداء الحميم الذي يفيض حباً ومحبة لرسول الله ﷺ: حيث قدَّم الصحابة نداءهم لرسول الله ﷺ على الضمير المنفصل العائد على السبع الموبقات، في قولهم "وما هن"، وهذا التقديم يوحي بأنهم سيستجيبون لهذا النهي، وذلك الأمر، وسؤالهم للوقوف على حقيقة هذه السبع الموبقات، ليس للاعتراض، أو التفكير في الاجتناب أم لا؟ ويُفصِّل رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري ٢٧٦٦، ومسلم ٨٩/١٤٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ١٩٩٩.

القول بعد الإجمال، ويوضح الأمر بعد الإبهام، والتعريف "بأل" هو الثوب اللغوي الذي ارتدته هاتان الكلمتان "السبع الموبقات"، وفي ذلك إيحاء بأن هذه الأمور السبعة من أخطر الأمور وأكبرها في اقتياد الإنسان إلى الهلاك، "وأل" هنا للعهد وفي مقدمتها الشرك بالله، وهو من أكبر الكبائر، لأنه كفر بالله: وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1].

والسحر يلي الشرك بالله في خطره وضرره، وفي ذلك إيماء إلى غلظة وفظاعة شأنه، ولذلك قُدّم على القتل المحرم، لأن السحر كله حرام وكفر بالله، أما القتل فقد يكون واجباً في القصاص، والحد والردة، وكرر لفظ "أكل" في سياق النهي عن أكل الربا، والنهي عن أكل مال اليتيم، إشارة إلى أن آكل مال اليتيم يتساوى في عقوبته، وفظاعة جرمه مع آكل الربا، فهو يأكل في بطنه ناراً، وصياغة هذه السبع الموبقات جاءت متناسقة متوازنة متشابهة، فهي كلها من المصادر ومتعلقاتها، "الشرك، والسحر وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات"، وهذه المصادر توحي بأن مرتكبي هذه السبع الموبقات لا يكتفون بالفروع، ولكنهم يخططون لجرائمهم، وهذه السبع الموبقات تهلكهم هلاكاً مقيتاً، وتقتلع جذور كل عمل طيب، ولذلك ليس من العجيب أن يبدأ رسول الله ﷺ بقوله الذي يلحق فيه: "أل" العهد المعرّف بهذه السبع فيقول: اجتنبوا السبع الموبقات، وقال العلماء: كل من السبع بانفراده موبق في الدين، والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٦١٦).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية الوقائية:

تهدف التربية الإسلامية إلى وقاية المسلمين من الموبقات المهلكات التي توجب لهم مقت الله ومقت الناس وتعرضهم لشديد العذاب في الدنيا والآخرة[1].

وقد جاءت التربية الوقائية في هذا الباب من سبع موبقات كل واحدة من هذه السبع توقع صاحبها في الهلكة[2].

فقال رسول الله ﷺ: ((اجتنِبوا السَّبعَ الموبقات. قالوا: يا رسولَ اللهِ، وما هُنَّ؟ قال: الشِّركُ باللهِ، والسِّحرُ، وقتْلُ النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقّ؛ وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليَتيم، والتَّولّي يوم الزَّحفِ، وقذفُ المُحصناتِ المؤمناتِ الغافِلاتِ)).

والتربية الإسلامية هدفها تربية المسلم الذي تتحقق فيه عبودية الله وحده، وتتحقق بتحقيقها كل فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة، والأخلاقية من ورع، وعفة، وقوة، وشجاعة، وحرص على الفضائل، واجتناب كل الرذائل والانحرافات العقدية، والاجتماعية، والأخلاقية.

والمربي الناجح الحريص على مصلحة المسلمين هو الذي يعمل جاهدًا على وقايتهم من هذه المهلكات، وذلك ببيان خطورتها، وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، وبيانه لمن يقوم بتربيتهم، أن هدف التربية هدف رباني لا يأتي إلا كاملاً يستمد كماله من الكمال الإلهي، فهو في كل المجالات، يبعدنا عن النقائص، ويوجهنا نحو الفضائل وخير الإنسانية أفرادًا ومجتمعات، كما أنه يأتي شاملاً يكتنف الحياة من جميع جوانبها، والنفس الإنسانية من كل نواحيها، ويأتي عامًا لكل الناس فهو إنساني وليس خاصًا بمصالح أمة معينة أو قوم بخصوصهم.

ويأتي صالحًا للبقاء والخلود على مر الزمن وهو يستمد خلوده من أنه جاء من عند

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ٩٢.

(٢) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٤٠.

الله. ويأتي الهدف الرباني موافقًا للفطرة الإنسانية، وفطرة الإنسان لا تتغير على مر الزمن، من حيث هو فرد، ومن حيث هو عضو في جماعة، ومن حيث هو بشر من دم ولحم وله نوازعه وشهواته، ودوافعه الغريزية؛ من حيث هو إنسان له عقله وإرادته وقدرته على الخير والشر؛ فهدف التربية الإسلامية يربي كل هذه النوازع والدوافع والفطرة ويوجهها كلها نحو مثلها الأعلى، نحو عبادة الله الذي خلق الإنسان وإليه مرجعه ومآله.

وهو هدف خصب تتولد عنه الثمرات الطيبة وليس عقيمًا لأنه لا يجافي الفطرة، ولا يصد طاقات الإنسان بل يحرضها على الإنتاج الخير، ويدفعها إليه دفعًا، ويستوفي منها كل خير تستطيع تقديمه للفرد والجماعة[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبدالرحمن النحلاوي ص ١٠٣، ١٠٤.

٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالمصحف إِلَى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدوّ

الحديث رقم (١٧٩٦)

١٧٩٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُسَافَرَ بالقُرْآنِ إِلَى أرْضِ العَدُوِّ. متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

إن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير، وهو كما يقول الرافعي، أغلقت دونه القلوب فاقتحم أقفالها، وامتنعت عليه الضمائر، وكم صدوا عن سبيله صداً، ومن ذا يدافع السيل إذا هدر، واعترضوه بالألسنة رداً، ولعمري من يرد على الله القدر؟

وألفاظ القرآن إذا اشتدت فأمواج البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة، فمنها جنتها وضرامها[2]، ومعانيه هي: عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان.

والحديث الشريف يوجه كل مسلم إلى أن يحافظ على قداسة القرآن ، وأن لا يلقيه في يد لا تعرف قدره، ولا تحترم قدسيته، ويصاغ الحديث في أسلوب خبري مَحْكِيّ عن رسول الله يبدأ بالفعل "نهي"، والناهي هو رسول الله ﷺ، والمنهي عنه: هو السفر بالقرآن إلى أرض العدو، وهذا النهي مقيد بحالة الخوف من وقوع القرآن في

---

(١) أخرجه البخاري ٢٩٩٠، ومسلم ١٨٦٩/٩٢ ولفظهما سواء.

(٢) الضِّرَامُ: اشتعال النار، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ض ر م ت).

أيدي العدو فيهينه الأعداء، أما إذا أمن صاحب القرآن ذلك، فيكره حمله سداً للذريعة وأخذاً بالأحوط، فلا جرم أن القرآن سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول ، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على صيانة القرآن وحفظه من الامتهان.

ثانياً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على القرآن الكريم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على صيانة القرآن وحفظه من الامتهان:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

قل النووي: "وفيه النهي عن المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار، مخافة أن يناله الأعداء فينتهكوا حرمته، فإن أمنت هذه العلة بأن يدخل في جيش المسلمين الظاهرين عليهم فلا كراهة ولا منع منه حينئذ لعدم العلة"[2].

قال القرطبي: (وظاهر هذا النهي: تحريم السفر به مطلقاً، فتستوي فيه الجيوش والسرايا. وهو مذهب مالك، وقدماء أصحابه، وسحنون، وابن حبيب. وذهب أبو حنيفة وغيره: إلى الفرق بين الجيوش العظام فيجاز ذلك فيها، وبين الصِّغار فيمنع ذلك فيها؛ نظراً إلى العِلّة التي نصَّ عليها في الحديث، حيث قال: "فإني لا آمن أن يناله العدو" ونيلُ العدو له في الجيوش العظام نادرٌ. ولأصحاب القول الأول بعد تسليم العلة المذكورة التمسك بسد الذريعة، وبأنَّ نسيانه، وسقوطه ليس نادراً)[3].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٠٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٩٨/٣، ٦٩٩.

وقال الشيخ تقي العثماني: (وقال السرخسي في شرح السير الكبير شارحاً لحديث الباب "تأويله: هذا أن يكون سفره مع جريدة خيل لا شوكة لهم. هكذا ذكر محمد. وذكر الطحاوي أن هذا النهي كان في ذلك الوقت، لأن المصاحف لم تكثر في أيدي المسلمين، وكان لا يؤمن إذا وقعت المصاحف في أيدي العدو، وأن يفوت شيء من القرآن من أيدي المسلمين، أو يغيّر بعض ما في المصاحف مما يعلمون أنه لم يبق بأيدي المسلمين، ويؤمن مثله في زماننا هذا، لكثرة المصاحف وكثرة القراءة. قال الطحاوي: ولو وقع مصحف في أيديهم لم يستخفوا به، لأنهم وإن كانوا لا يقرّون بأنه كلام الله تعالى، فهم يقرّون بأنه أفصح الكلام بأوجز العبارات وأبلغ المعاني، فلا يستخفون كما لا يستخفون بسائر الكتب، ولكن ما ذكره محمد أصح، فإنهم يفعلون ذلك مغايظة للمسلمين، وقد ظهر ذلك من القرامطة حين ظهروا على مكة، جعلوا يستنجون بالمصاحف)[1].

فذكر ابن عمر رضي الله عنهما نهي الرسول ﷺ عن السفر بالمصحف إلى بلاد الكفار، من أجل الحث على صيانته وحفظه من الامتهان.

ثانياً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قول ابن عمر رضي الله عنهما: نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو.

حيث أخبر ابن عمر رضي الله عنهما عن نهي الرسول ﷺ عن السفر بالقرآن الكريم إلى بلاد الكفار.

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في إخبار المدعوين بالحقائق وأمور دينهم ودنياهم، وهو من الأساليب التي تنتشر بها الدعوة سواء عن طريق الداعية أم المدعوين؛ ذلك لأن المدعو الذي هداه الله تعالى إلى الانصياع إلى الحق، ثم قام بتطبيق منهج الله، لا يتم إيمانه، ولا يكمل إلا بأن يتحول إلى داعية إلى الله تعالى، يدعو غيره من الناس إلى عبادة الله وحده واتباع ما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٩/ ٣٢٠.

وهكذا يكون العمل للإسلام، والدعوة إليه حلقة محكمة البناء، يتحول المسلم فيها من مدعو إلى داع لغيره، ثم يتحول هذا المدعو إلى داع وهكذا [١].

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية الحفاظ على القرآن الكريم:

يظهر ذلك في نهي النبي ﷺ عن السفر بالقرآن إلى بلاد الكفار، فالقرآن هو أشرف وأعظم الكتب، فهو كلام الله عز وجل، "فهو يحمل العلم الإلهي، والحكمة الربانية، والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال، والمنعوتة بالتوفيق والهداية، والمنزهة عن كل قصور ونقص، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢]"[٣].

وهو دستور الأمة ونورها الساطع، من تكلم به صدق، ومن التزم به نجا، ومن دعا إليه أجر، وهو أشرف وأعظم من أن يكون في يد العدو، ولهذا ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو، ومن ذلك تتضح أهمية الحفاظ على كتاب الله، فينبغي على كل مسلم أن يحرص على الحفاظ على كتاب الله، وأن يبعده عن أي يد تريد أن تنال منه، أو يتعرض لأي صورة من صور الامتهان.

---

(١) انظر: أصناف المدعوين، د. حمود بن أحمد الرحيلي ص ١٧، نقلاً عن فقه الدعوة ٢/١٠٤٠.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٦.

(٣) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١١٥.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

إن من أبرز ما تهدف إليه التربية الإسلامية صيانة المصدر الأول لها وهو: القرآن الكريم، لأنه المصدر الذي تستمد منه التربية الإسلامية: أصولها ومبادئها وأهدافها وقيمها ووسائلها وأساليبها وكافة ما يتصل بها، إن القرآن الكريم والسنة النبوية يمثلان الينبوع الأصلي للتربية الإسلامية، ومن هنا جاء نهي النبي ﷺ أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وذلك إذا تيقن المسلم بأن القرآن سيُهان ويُمتهن بأي شكل من الأشكال، إن النبي ﷺ أراد أن يغرس في نفوس أصحابه رضي الله عنهم والأمة من بعدهم ويربيهم على أهمية الحفاظ على القرآن الكريم والحرص على صيانته، والحذر من امتهانه بأي شكل، حتى يرسخ في نفوس المسلمين أهمية الحفاظ على القرآن الكريم، لكن هناك أمرًا ينبغي إيضاحه لكل مسلم: أنه إذا انتفى هذا المانع، وتيقن المسلم بأنه لن يتعرض القرآن للامتهان، فإنه ينبغي للمسلم أن يسافر ومعه القرآن، حتى يقرأ فيه ويراجع ما حفظ منه، أو يتأمل في آياته، أو يُعلم القرآن لغيره، أو غير ذلك من الأهداف المشروعة.

❁ ❁ ❁

٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

الحديث رقم (١٧٩٧)

١٧٩٧- عن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية لمسلم[2]: ((إنَّ الَّذِي يَأكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ)).

ترجمة الراوي:

أم سلمة: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٨٢).

الشرح الأدبي

كان المصطفى ﷺ قدوة في الزهد والقناعة وفي كل سلوك إيجابي مثمر، يَدْفع بالحياة إلى الترقي والتكافل والتآلف، ويقضي على مظاهر البذخ والثراء والإسراف، وهذا الحديث الشريف يصور المسرفين المترفين الذين يبالغون في الزينة والتباهي، فيشربون ويأكلون في آنية الذهب والفضة، تصويراً قبيحاً منفراً، فإذا كانوا قد تمتعوا في دنياهم، فهم في أخراهم يسمعون للنار أصواتاً في بطونهم، والتعبير بقوله: "يجرجر"، يشخص هذه الصورة ويجسدها، ففي المصباح يقال جرجر فلان الماء في حلقه، إذا تجرع جرعاً متتابعًا يسمع له صوت، والجرجرة كناية عن ذلك الصوت، وهذا النص من الأحاديث المهوِّلة، التي يتضح في تصويرها تلازم القبح مع الرعب وشدة الوعيد، فالقبح في أن هذا العاصي مترف مهتم ببطنه، حتى صار يجرجر ما فيها وكأنه حيوان يجر عربة، وكأن بطنه غدت ثقيلة تحتاج إلى جرّ لما امتلأت به من

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٣٤، ومسلم واللفظ له ٢٠٦٥/١، وتقدم برقم ٧٧٨). أورده المنذري في ترغيبه ٣١٢٦.

(٢) بعد حديث رقم ٢٠٦٥/١، بدون رقم.

الشراب الذي انقلب ناراً، ومع الفعل المضارع، "يجرجر"، يحصل تجاوز زمني من خلال النص، إذ ينقلنا من عالم الشهود في الحياة إلى غيب العقاب في نار جهنم، فكأن هذا الآكل يستحضر شيئاً من نار جهنم في بطنه في لحظة استعماله لهذه الأواني، فيتغلغل الغيبي في المشاهد من خلال الحيز الزماني والحيز المكاني.

والصورة التي تصور هذا النموذج، وتجسد عقابه في هذه الصورة المنفرة، يتصدرها "التوكيد"، المقرون "بما" الكافة والمكفوفة، وهي تفيد الحصر، فالتوكيد مع الحصر يطبع هذه الصورة بطابع اللزوم والثبات، وذلك للتنفير والتخويف من السلوك المترف، وجحود النعمة والبطر، والله اعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث برقم (٧٧٨).

الحديث رقم (١٧٩٨)

١٧٩٨- وعن حُذَيفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: إنَّ النبيَّ ﷺ نهانا عنِ الحَريرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وقالَ: ((هُنَّ لَهُمْ في الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ)). متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية في الصحيحين[2] عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: ((لاَ تَلْبسُوا الحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلاَ تَأكُلُوا في صِحَافِهَا)).

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ كما يقول البخاري ما كان يتجوَّز من اللباس، أي كان يتوسع فلا يُضيّق بالاقتصار على صنف بعينه، أو لا يضيق بطلب النفيس الغالي، بل يستعمل ما يتيسر، وقال القاضي عياض: كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته إليه، وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده، فيلبس في غالب أحواله الشملة والكساء الحسن والأردية والأزُر.

وفي ضوء هذا السلوك النبوي في ملبسه، نقرأ هذا الحديث الشريف، ونكتشف بعض أسراره التعبيرية، فالحديث يبدأ بتأكيد الخبر، من قول حذيفة "إن النبي ﷺ نهانا".

والنهي صادر إلى مجموع الأمة "وناء" الدالة على غير الفاعلين ترشد إلى ذلك، والمنهي عنه يتمثل في مظهرين من مظاهر سلوك المسلم اللباس والشراب، والطعام تابع للشراب، حيث نهى رسول الله عن الشرب والأكل في آنية الذهب والفضة، ونهى جميع المسلمين عن لَبْس الملابس المنسوجة من الحرير والديباج، وتحريم الحرير والديباج مقصور على الذكور؛ لأن علة تحريمه -من أن فيه خنوثة تنافى شهامتهم- مقصور عليهم.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٣٢، ومسلم ٢٠٦٧/٤، وانظر: الحديث رقم ٧٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧/٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣١٢٧.

وختام الحديث تعليل للتحريم، وإقناع للمسلمين، ووعد وبشارة لهم، حيث قال رسول الله: "هن" أي الحرير والديباج، وآنية الذهب والفضة، "لهم" أي للكفار والمشركين في الدنيا، وهذه الجملة توحي بأن من تشبه بالكفار في هذا فهو منهم، أو يخشى عليه الفتنة في دينه بارتكابه هذا المحرم، والجملة الثانية: وهي تقابل الأولى في ضدية الدلالة والمصير، حيث قال مخاطباً جموع المؤمنين "وهي" أي هذه الأدوات، والملابس: "لكم في الآخرة"، أي في الجنة، وما أجمل هذا الوعد النبوي !! والجملتان وردتا في ثوب الجملة الاسمية دلالة على ثبات هذا الوعد الذي يبشر المؤمنين بنعيم الجنة، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٧٧٧).

الحديث رقم (١٧٩٩)

١٧٩٩- وعن أنس بن سيرين، قَالَ: كنتُ مَعَ أنس بن مالك ﷺ، عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ؛ فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلَى إنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأكُلْهُ، فَقِيلَ لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلَى إناءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأَكَلَهُ. رواه البيهقيُّ[1] بإسناد حسن.

(الخَلَنْج): الجفْنَةُ.

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

نفر من المجوس: نفر اسم يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة[2].

فالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وتصنع الآن من النشا والماء والسكر[3].

خلنج: أي: الجفنة[4].

الشرح الأدبي

لقد توعد رسول الله ﷺ في حديث سابق بأن الذي يشرب في آنية الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وفي الحديث السابق على هذا الحديث فصل القول، ومَزَج قوله بالوعد والبشارة لكل مسلم يقتدى برسول الله ﷺ في الزهد والقناعة، والإعراض عن زينة الحياة الدنيا، وقال هن لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة.

وفي ضوء هذه السيرة العطرة، والبيان النبوي المقنع، الذي يجمع بين الترغيب

---

(١) السنن الكبرى ١/٢٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ف ر).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ا ل و ذ ج).

(٤) رياض الصالحين ٦٠٨.

والترهيب، أشرق سلوك أنس بن مالك، وتجلى موقفه الإيماني في هذا المجلس، الذي حاول المجوس فيه أن يفتنوه في دينه، وأن يغروه بعدم الاقتداء بالرحمة المهداه، والسراج المنير، محمد بن عبدالله ﷺ، وأتوا بالطعام على إناء من فضة، فهل يجامل أنس بن مالك المجوس ويخالف تعاليم دينه.؟ أم لابد من الثبات على المبدأ، والاعتزاز بسلوك المصطفى ﷺ؟؟

إن أنس بن مالك رفض الأكل انطلاقاً من التمسك بمبادئ الإسلام، واقتداء بالنبي ﷺ، وقال لمن قدم الطعام: حوله أي بدِّل الإناء، وجيء بالطعام على إناء من خلنج وهو مصنوع من خشب شجر فارسي، فأكله أنس بن مالك، ومعه ابن سيرين راوي هذا الحديث الشريف: وكان النبي ﷺ إذا قرب إليه طعام يقول: باسم الله، فإذا فرغ قال: "اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت، فلك الحمد على ما أعطيت"... آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: المجوس.

ثانياً: من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب.

ثالثاً: من آداب المدعو: الامتثال لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل في أواني الفضة.

أولاً- من أصناف المدعوين: المجوس:

يظهر ذلك في قول أنس بن سيرين: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنه عند نفر من المجوس.

والمجوس هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر والنفع والضر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، وبالفارسية يزدان وأهرمن، ومسائلهم تدور على قاعدتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة.

وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً، وهم فرق كثيرة، عبدة النار فرقة ضالة

تفلسفت فوقعت في هذه الترهات. تكون دعوتهم بتعريفهم بالرب الخالق عز وجل المحيي المميت، الذي أوجدهم لأمر عظيم وسخر لهم ما في الأرض جميعاً، كي يعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به أحداً.

وذلك باستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة الباهرة على وجود إله واحد لا شريك له، ولا ند ولا ظهير، وأن هذا الكون بقبضته سبحانه وتعالى، وحتى لا يكون للبشر حجة أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ختمها بخير كتبه، وخاتم رسله محمد ﷺ مع استخدام كل الوسائل المتاحة لبيان حاجة الإنسان للدين، وأن حياته لن تكون متوازنة إذا كان هكذا لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يدين بالإسلام الذي ارتضاه الله لناس كافة، بل للإنسان والجن[1].

ثانياً- من موضوعات الدعوة: الحث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب:

يظهر ذلك في قول أنس بن سيرين: كنت مع أنس بن مالك رضي الله عنه عند نفر من المجوس، فجيء بفالوذج على إناء من فضة، لم يأكله فقيل له حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ على إناء من خلنج وجيء به فأكله.

وفي هذا حث على اجتناب استعمال آنية الفضة في الطعام أو الشراب، وذلك لنهي النبي ﷺ عن الأكل والشرب في آنية الفضة، وإخباره بأنها للكفار في الدنيا ولنا في الآخرة.

فعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن الحرير والديباج والشرب في آنية الذهب والفضة وقال: ((هنَّ لهم في الدنيا، وهن لكم في الآخرة))[2].

وأخبر ﷺ أن الذي يأكل في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: ((الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ))[3].

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٦٦.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٣٣، ومسلم ٢٠٦٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٣٤، ومسلم ٢٠٦٥.

وهذا يدل على أن الأكل والشرب في آنية الفضة من كبائر الذنوب، وأنه لا يحل لمؤمن أن يفعل ذلك[١].

ثالثاً- من آداب المدعو: الامتثال لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل في أواني الفضة:

يظهر ذلك في امتناع أنس رضي الله عنه عن الأكل في إناء الفضة، وهذا يدل على امتثاله لنهي النبي ﷺ عن الأكل والشرب في إناء الفضة، ومما يؤكد امتثال الصحابة رضي الله عنهم لتوجيهات النبي ﷺ في عدم الأكل والشرب في أواني الفضة ما فعله حذيفة رضي الله عنه؛ فعن ابن أبي ليلة: أنهم كانوا عند حذيفة رضي الله عنه، فاستسقى فسقاه مجوسي فلما وضع القدح في يده رماه به وقال: لولا أني٤ نهيته غير مرة ولا مرتين، كأنه يقول: لم أفعل هذا، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا))[٢].

والمسلم ينبغي عليه أن يمتثل لتوجيهات النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٣].

قال السعدي: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله"[٤].

ومن أجل ذلك يجب على المسلم امتثال توجيهات النبي ﷺ بترك الأكل والشرب في أواني الفضة.

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٤٢/٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٤٢٦، ٥٦٣٢، ومسلم ٢٠٦٧.

(٣) سورة الحشر، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٧٨٩.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على الرجولة، وترك الترف:

لقد حرم الإسلام على المسلمين رجالاً ونساءً استعمال آنية الذهب والفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال، كما حرم على الرجال لبس الحرير والديباج والذهب والشرب في آنية الفضة.

ومن أحاديث الباب التي تؤيد هذا منها قوله ﷺ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الْفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ نهانا عن الْحَرير والدِّيباج والشربِ في آنيةِ الذهبِ والفضةِ، وقال: هنَّ لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة».

وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ. وَلاَ تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ. وَلاَ تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا».

وما نهينا عن هذه الأشياء المذكورة إلا لنتربى ونتخلق بأخلاق الإسلام التي تؤصل معاني الرجولة والتميز وعدم التشبه بالكفرة. إذ العادة أن المسلم لا يبالغ في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه وأثاثه إلى درجة الإفراط لأن الإسلام يربي المسلمين على الرجولة والاعتزاز بالقيم والمبادئ الإسلامية، وعدم التشبه بغير المسلمين، والحرص على التخلق بأخلاق الإسلام والبعد عن كل ما يتنافى معها من ملبس أو مظهر أو استعمال الذهب في اللبس أو الشرب أو الشرب في أواني الفضة.

وقد كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يلبس البرد الغليظ الحاشية، ويفترش الحصير، ويتوسد الجلد حشوه الليف، ويركب البعير والفرس والبغلة والحمار، مرّة بسرج، ومرة بلا سرج، ويردف خلفه وبين يديه، ويمشي المسافة الطويلة على رجليه، ويأكل ما تيسر من الطعام، ويأتدم اللحم والعسل، وأحيانًا بالخل.

فلا ينبغي لمؤمن متأس بنبيه، ممتثل لأمره ونهيه أن يلبس الذهب أو الحرير اللذين حللا للنساء، وحرما على الرجال، وإنما يلبس الحرير من الرجال من لا خلاق له، ومن لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو لأنه

قد استعجل طيباته وأذهبها في حياته الدنيا.

وحلية أهل الجنة الذهب واللؤلؤ، ولباسهم الحرير وفرشهم الطنافس، وأرائكهم الديباج[١].

وجاء في استعمال آنية الذهب والفضة نهي شديد كما ورد في أحاديث الباب، وهذا يدل على هدف التربية في البعد عن الترف، والبعد عن الإسراف والخيلاء، فلابد من غرس قيمة استعمال الأشياء في مواضعها الصحيحة، فخير لنا من اتخاذ الذهب والفضة أواني أن نستثمرها في الأعمال الصناعية أو الزراعية، أو نتجر بهما فننمي ثروتنا، ونعز أمتنا[٢].

ولكن مما يورث الأسى والأسف أنه قد كثر الترف، واستخف المسلمون بالمحرمات، ففاضت المنازل بآنية الفضة والذهب، وأسرف النساء في الحلي إسرافًا يؤدي إلى سوء الحال، وضياع المال، وإرهاق الرجال.

ولو أخذت الأمة المحمدية بشريعة نبيها، وتعاليم دينها أمرًا ونهيًا، لصلح المجتمع وسعد الأفراد والجماعات، واستقامت الأخلاق ولعاد لهم ما فقدوا، ولكنهم أعرضوا عن خطاب الله لهم بقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٣][٤].

ثانيًا- أسلوب الترغيب والترهيب:

جاءت أحاديث الباب مرهبة للمسلمين من الشرب في آنية الذهب والفضة بجرجرة نار جهنم في بطن من يستعملها، ومرهبة للرجال من لبس الحرير والديباج والذهب، بعدم اللبس في الآخرة.

كما رغبت الرجال في عدم لبس الحرير والديباج، وعدم الشرب في آنية الذهب والفضة، بلبسهم واستعمالهم لها في الآخرة.

---

(١) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٩٤، ٩٥.

(٢) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٦٨.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٤) انظر: إصلاح المجتمع، محمد بن سالم البيحاني ص ٩٥.

وأسلوب الترغيب والترهيب يتماشى مع الطبيعة البشرية، والذي لا يستغنى عنه المربي في كل زمان ومكان[١]، إذ لا يمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه، فإن عمل خيرًا نال السرور، وإن عمل شرًا ذاق الألم والمرارة[٢].

مما يجعل الإنسان يتحكم في سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوي والأمثلة على ذلك يصعب حصرها من الكتاب والسنة[٣].

ثالثًا- التربية بالممارسة العملية:

لقد استخدم أنس بن مالك رضي الله عنه أسلوب الممارسة العملية، وذلك بالعمل بسنة رسول الله ﷺ عندما امتنع عن أكل الفالوذج الموضوع على إناء من فضة.

ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية، وذلك لأن الدين الإسلامي دين عمل، شريطة أن يكون العمل قرينًا للعلم وقائمًا على أساسه. وهو دين يجعل العمل أساسًا للنجاح أو الخسران، في الدنيا والآخرة. فإن كان خيرًا فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شرًا فشر وخسران.

ويطالب الدين الإسلامي كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقًا عمليًا سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا[٤].

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦.

(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي خليل أبو العينين ص ٢٤٠، نقلاً عن توحيد الفكر التربوي، د. محمد فاضل الجمالي ص ١١٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٨٦.

(٤) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ١٧٧.

٣٦٥- باب تحريم لبس الرجل ثوباً مزعفراً

الحديث رقم (١٨٠٠)

١٨٠٠- عن أنس رضي الله عنه قَالَ: نَهَى النبيُّ ﷺ أنْ يَتَزَعْفَرَ الرجُل. متفق عَلَيْهِ[١].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

يتزعفر الرجل: أي يتطيب بالزعفران[٢].

الشرح الأدبي

إن الخيلاء سلوك يرفضه الإسلام، فالمسلم من سماته التواضع والنظافة وحسن الهيئة، ولكنه بمنأى عن التكبر والترفع اقتداءً برسول الله ﷺ فقد جاء عن أنس أنه قال ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ[٣].

وفي ضوء هذه السمة التي تميز المؤمن في ملبسه ومشربه ومأكله، وهيئته اقتداء برسول الله ﷺ ينهي النبي ﷺ "أن يتزعفر الرجل"، والتزعفر هو المبالغة في الزينة والزخرف والإطلاء بالزعفران، تمسكاً بالخيلاء، وإسرافاً في الزينة التي ينهي عنها رسول الله ﷺ، وصيغة التفعيل في قوله ﷺ "أن يتزعفر الرجل"، تدل على التكلف والمبالغة، والمصدر المؤول المكون من أن والفعل المضارع يوحي بالتكلف، كذلك التفنن في الزينة والزخرف، وهذا ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية[٤]

أولاً: من موضوعات الدعوة: اجتناب التشبه بالنساء في اللباس.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٨٤٦، ومسلم ٢١٠١/٧٧.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٩٧٣، ومسلم ٢٣٣٠.

(٤) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٠٠- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠١).

ثانياً: من مهام الداعية: بيان اللباس الذي يجب على المدعو عدم ارتدائه.

ثالثاً: من موضوعات الدعوة: أهمية تميز المسلم في لباسه وعدم تشبهه بلباس الكفار.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اجتناب التشبه بالنساء في اللباس:

يظهر ذلك في حديث أنس رضي الله عنه الذي ذكر فيه نهي النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل.

وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأى النبي ﷺ علي ثوبين معصفرين فقال: "أمك أمرتك بها؟" قلت: أَغْسِلُهُما؟ قال: "بل أَحْرِقْهُما".

وفي رواية: فقال: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها)[1].

قال النووي: "قوله ﷺ: (أمك أمرتك بهذا)، معناه: أن هذا من لباس النساء وزيهن وأخلاقهن، وأما الأمر بإحراقهما فقيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل"[2].

ويؤيد ذلك ما ورد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: هَبَطْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ ثَنِيَّةٍ فالْتَفَتَ إِلَيَّ وَعَلَيَّ رَيْطَةٌ[3] مُضَرَّجَةٌ بالْعُصْفُرِ فقال: ((مَا هذِهِ الرَّيْطَةُ عَلَيْكَ؟)) فَعَرَفْتُ مَا كَرِهَ، فأَتَيْتُ أهْلِي وَهُمْ يَسْجُرُون تَنُّوراً لَهُمْ فَقَذَفْتُهَا فِيهِ ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْغَدِ، فقال: ((يَا عَبْدَ اللهِ مَا فَعَلْتَ الرَّيْطَةَ))، فأَخْبَرْتُهُ، فقال: ((ألاَ كَسَوْتَهَا بَعْضَ أهْلِكَ فإنَّهُ لا بَأْس بِهِ لِلنِّسَاءِ))[4].

قال ابن تيمية: "كما أن الفرق بين الرجال والنساء لما كان مطلوباً ظاهراً وباطناً؛ لعن المتشبهات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء وقال: ((أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ))[5]"[6].

---

(١) مسلم ٢٠/٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣١٨.

(٣) الرَّيْطة: كل ثوب لين رقيق، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ا ل ر ا ئ ط ة).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٠٦٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٣١).

(٥) أخرجه البخاري ٥٨٨٦.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٢/٢٨٢.

وقال ﷺ: ((لَعَنَ رسولُ اللَّهُ الْمُتَشَبِّهِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ والْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))[١].

فينبغي للمسلم اجتناب التشبه بالنساء، حتى يتجنب اللعن الذي توعد به رسول الله ﷺ من تشبه بالنساء أو العكس، أما اجتناب التشبه بالكفار في لباسهم فيظهر في قوله ﷺ: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها).

قال ابن تيمية: "علل النهي عن لبسها بأنها من ثياب الكفار، وسواء أراد أنها مما يستحله الكفار، بأنهم يستمتعون بخلاقهم في الدنيا أو مما يعتاده الكفار لذلك"[٢].

قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ))[٣]. فينبغي اجتناب التشبه بالكفار.

ثانياً- من مهام الداعية: بيان اللباس الذي يجب على المدعو عدم ارتدائه:

يظهر ذلك من عموم الحديثين[٤] حيث نهى النبي ﷺ الرجال عن لبس المعصفر.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تبين للمسلم ما يجب عليه عدم ارتدائه من اللباس، فعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((وَلاَ تَلْبَسُوا الدِّيبَاجَ وَالْحَرِيرَ. فَإِنَّهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[٥]، وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: ((أنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عنْ لُبْسِ الْقَسِّيِّ وَعنْ لُبْسِ الْمُعَصْفَرِ))[٦].

وغير ذلك من الأحاديث الكثير، التي بيّن فيها ﷺ للمسلمين ما يجب عليهم اجتنابه من اللباس، وكان نهيه ﷺ عن لبسها، إما لما فيها من التشبه بالنساء، أو التشبه بالكفار، وإما لما فيها من الخيلاء والتكبر.

---

(١) أخرجه البخاري ٥٨٨٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ١/٣٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود رقم ٤٠٣١، وقال الألباني: حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

(٤) الحديث رقم (١٨٠٠)، (١٨٠١).

(٥) أخرجه البخاري ٥٤٢٦، ومسلم ٢٠٦٧.

(٦) أخرجه أبو داود ٤٠٤٤، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤١٢).

فينبغي على الداعية الاقتداء برسول الله ﷺ في ذلك، فيبين للمدعوين اجتناب اللباس الذي نهى عنه الإسلام، ويبين لهم علل ذلك، حتى يقبلوا نهيه بنفس راضية عالمة العلة من النهي.

ثالثاً- من موضوعات الدعوة: أهمية تميز المسلم في لباسه وعدم تسبه بلباس الكفار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إن هذا من ثياب الكفار فلا تلبسها).

لقد بعث الله تعالى محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر [1].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

فجعل الله محمداً على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل في الذين لا يعلمون: كل من خالف شريعته، وأهواؤهم: هو ما يهوونه، وما عليه المشركون من هديهم الظاهر الذي هو من موجبات دينهم الباطل، وتوابع ذلك. فإن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم في غيره، فإن من حام حول الحمى أو شك أن يواقعه [3]، فينبغي البعد عن هديهم الظاهر في اللباس وغيره.

ومن ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والصحابة رضي الله عنهم، ثم عامة الأئمة بعده وسائر الفقهاء، جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم، أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم: قلنسوة، أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر...

فمقصود ذلك التميز عن المسلمين في اللباس ونحوها.. ليتميز المسلم عن الكافر ولا يتشبه أحدهما بالآخر في الظاهر، ولم يرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأصل التمييز بل التميز في عامة الهدي، على تفاصيل معروفة في غير هذا الموضع [4].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٩٢/١.

(٢) سورة الجاثية، آية: ١٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٩٨/١.

(٤) المرجع السابق ٣٦٣/١ - ٣٦٥.

الحديث رقم (١٨٠١)

١٨٠١- وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قَالَ: رأى النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: ((أُمُّكَ أمَرَتْكَ بِهَذا؟)) قلتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: ((بَلْ أَحْرِقْهُمَا))[1].

وفي رواية، فَقَالَ: ((إنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

غريب الألفاظ:

ثوبين معصفرين: أي مصبوغين بالعصفر الأصفر[3].

الشرح الأدبي

إننا نقتبس من هذا الحديث الشريف: كيف يعلم الرسول ﷺ أصحابه الالتزام بالمنهج الإسلامي قولاً وعملاً، وهيئة وسلوكاً، وهذا التعلم تشع به صياغة الحديث الشريف... فقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما رأى النبي "علىّ ثوبين معصفرين" يفيد التحقق من عدم التزام عبدالله بالمنهج الإسلامي في ملبسه، لأن الرؤية هنا بصرية وعلمية، والرائي هو النبي المبلغ عن ربه، والذي لا ينطق عن الهوى، وتقديم الجار والمجرور "علىّ" ، يفيد تلبس عبدالله بهذا الصنيع المخالف، والحوار التدرجي الذي يقود إلى الإقناع، من طرق التعلم والمعرفة في الإسلام، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع عبدالله، وبدأ حواره بالسؤال: "أمك أمرتك بهذا؟" وهو سؤال فيه إنكار وتعريض، ويوحي هذا الاستفهام المشع بكثير من دلالات الإنكار، بأن الذي لبسه "عبدالله" من ملابس النساء، وتأتي الإجابة موجزة: حيث لم يجب بنعم أو لا، وإنما فهم مقصد رسول

---

(١) مسلم برقم ٢٠٧٧/٢٨.

(٢) برقم (٢٠٧٧/٢٧).

(٣) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣١٧.

الله ﷺ من السؤال، وقال متسائلاً: أغسلهما: والاستفهام هنا حقيقي: فعبدالله يرغب في معرفة الحكم الصحيح، وهذا موقف إيجابي يجب أن يتحلى به كل مسلم في اتباع المنهج، والعمل بالسنة الشريفة المباركة.

ويجيبه رسول الله إجابة صارمة حاسمة تتضمن الإضراب عن المظهر الذي يتشبه فيه "عبدالله" بالكفار، ثم الأمر بحرق هذين الثوبين وليس غسلهما فقط: قال: "بل أحرقهما"، وتتسم الجملتان اللتان ختم بهما الحديث الشريف بالسجع بينهما، والجناس الناقص، وهما يحدثان إيقاعاً صوتياً مؤثراً يبقى أثره في النفس، ويدعو للاستجابة السريعة، والطاعة والسمع، واتباع ما أمر به رسول الله ﷺ، وهذا ما فعله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه:

١- تحريم اتخاذ[1] الحرير على الرجال دون النساء، لبساً، واستعمالاً فيحرم جعله وسادة أو لحافاً، أو ملاءة أو غير ذلك، وهذا عند جمهور الفقهاء[2]؛ لأحاديث الباب، ولقول رسول الله ﷺ من حديث علي رضي الله عنه "إن هذين حرام على ذكور أمتي حلال لإناثهم"[3].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٦٥٥/٦، والنتف في الفتاوى للسُّغدي ٢٤٨/١، وكفاية الطالب الرباني ٥٨٤/٢، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبدالبر ١٠٩/١٦ وما بعدها، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٧٧/٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٣٠٦/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٦٦/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٤٢/١، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٢٨١/١، والمبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٣٧٩/١.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٠/١٧. فقد ذهب أبو حنيفة وبعض المالكية إلى جواز استعمال الحرير في البسط والافتراش والوسائد.

(٣) أخرجه أحمد ٩٦/١ رقم ٧٥٠، ٩٣٥، وأبو داود ٤٠٥٧، والنسائي ١٦٠/٨، وابن ماجه ٣٥٩٥، وصحّحه محققو المسند ١٤٦/٢.

ولأنه فعل الأكاسرة، فقد قال عمر رضي الله عنه إياكم وزي الأعاجم، وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (لأن أتكئ على جمر الغَضَى[1] أحب إليَّ من أن أتكئ على مرافق الحرير).

ولأنه يورث البدن - نظراً لملمسه الناعم- بعض صفات الأنوثة والتخنث، ولهذا لا تكاد تجد من يلبسه إلا وعلى شمائله من التخنث والتأنث، والرخاوة ما لا يخفى[2].

وفي حكم اتخاذ الحرير، والحالات التي يجوز اتخاذه فيها، كلام طويل ليس محله هنا، فليرجع إلى المطولات من كتب فقه المذاهب[3].

٢- تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة، وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٩٧).

المضامين الدعوية[4]

---

(١) الغَضَى: شجر خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زمانًا طويلاً لا ينطفئ، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ ض ا).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٨٩/٣.

(٣) وقد مضى ذكر بعضها في أول الكلام في فقه هذا الحديث.

(٤) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية: عدم تشبه الرجال بالنساء:

تهدف التربية الإسلامية أن تكون طبيعة الرجل متميزة، وأن يكون مظهره صورة صادقة لهذه الطبيعة.

كما أرادت ذلك للمرأة، فنهت الشريعة الإسلامية كلا منهما أن يتشبه بالآخر، وحرم عليه ذلك وسواء أكان التشبه في اللباس، أم الكلام، أم الحركة، أم غير ذلك[1].

لهذا جاء في هذا الباب عن أنس رضي الله عنه قال: « نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: رأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ. فَقَالَ «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا. قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

وهذا النهي خاص بالرجال لأن الثياب المصبوغة بذلك مما يتزين به النساء[2].

والمسلم لا يلبس لبسة المرأة المسلمة، والمسلمة لا تلبس لبسة الرجل لتحريم الرسول ﷺ، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[3].

في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لُبْسَةَ الْمَرْأَةِ وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لُبْسَةَ الرَّجُلِ»[4].

فالرجل له صفاته التي ينبغي أن يحرص على التميز بها عن المرأة - وكذلك المرأة - منها اللباس، فما يناسب المرأة لا يناسب الرجل، كما أن الشريعة الإسلامية وضعت أحكاماً للباس الرجل وأحكاماً للباس المرأة فينبغي على كل مسلم ومسلمة الالتزام بها.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى ضرورة التميز في اللباس بين البنت والولد، فلا تتشبه

---

(١) انظر: إسلامنا، السيد سابق ص ٣٥، بتصرف.

(٢) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢٦٥/٣.

(٣) أخرجه البخاري، ٥٨٨٥.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٢٥/٢، رقم ٨٣٠٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

البنت بالولد في اللباس أو غيره ولا الولد بالبنت، وذلك لأن تشبه الولد بالبنت في اللباس وغيره يؤدي إلى ضعف شخصيته وقلة رجولته، واتصافه بصفات البنات مما ينافي ما خلق من أجله من الرجولة والخشونة والقيام بالأعمال الجادة في الصناعة والتجارة والجهاد وغيرها من الأعمال، أما البنت إذا تشبهت بالولد في اللباس وغيره فسوف تطغي عليها صفات الذكورة، وهذا يتنافى مع ما خلقت له من الرقة والحنان والجمال الذي جبلها الله عليه.

ثانيًا- من أهداف التربية الإسلامية: عدم التشبه بالكفار:

تهدف التربية الإسلامية إلى مخالفة الكفار وعدم التشبه بهم فيما ليس بضروري من لباس وغيره لهذا قال النبي ﷺ في رواية: «إِنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ، فَلاَ تَلْبَسْهَا». لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حينما رأى عليه ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ.

فينبغي مخالفة الكفار في اللباس وعدم التشبه بهم قال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

فالمسلم لا يتشبه بالكافرين أعداء الله وأعداء الدين، بل يرتدي ما أمر به الدين وما هو ليس من لبس الكافرين، فعلى المربي توجيه المسلمين وخاصة الناشئة منهم إلى عدم تقليد الكافرين في اللباس، لأن هذا التقليد الظاهري قد يمتد إلى التقليد في أشياء باطنية تخالف أحكام الدين، كما أن هذا التقليد الأعمى للكافر يمحو شخصية المسلم، ويجعله مقلداً متبعاً لكل ما أتى به المشركون، في حين أن ديننا العظيم يربي فينا الشخصية القوية القادرة على القيادة والتميز الداعية إلى تقليدها والتأثر بها، لا أن تذوب في تقليد غيرها من الكفرة والمشركين الذين لا يلتزمون بدين ولا يتقيدون بأخلاق أو مثل.

فعلينا نحن جميع المسلمين وخاصة شباب الجيل البعد عن تقليد ومحاكاة الكافرين فيما يرتدون من لباس وتصاميم تخالف آدابنا ومثلنا الراسخة والنابعة من ديننا.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود، ٤٠٣١، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٤٠١).

٣٦٦- باب النهي عن صمت يوم إلَى الليل

الحديث رقم (١٨٠٢)

١٨٠٢ - عن عليٍّ ﷺ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: ((لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ، وَلاَ صُمَاتَ يَومٍ إِلَى اللَّيْلِ)). رواه أَبُو داود[1] بإسناد حسن.

قال الخَطَّابي في تفسير هذا الحديث: كان من نُسُك الجاهلية الصُّمَاتُ، فَنُهو في الإسلام عن ذلك، وأُمِروا بالذكر والحديث بالخير.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٧٢).

غريب الألفاظ:

اليُتم: فقد الصبي أباه قبل البلوغ[2].

احتلام: إدراك سن البلوغ وإنزال المني في المنام[3].

صمات يوم: سكوت[4].

الشرح الأدبي

يشع هذا الحديث بعدة مفاهيم يجب أن يفطن لها كل مسلم، لأن معرفتها تفتح آفاقًا من المعرفة، ونوافذ من الوعي، تجعل الإنسان أهلًا للمسؤولية ملتزمًا بمعالم التصور الإسلامي، ومنها: التوازن في شخصيته، والثبات على مبادئه، والإيجابية في سلوكياته، ومواقفه وعلاقاته بالآخرين في المجتمع وبأفراد الأمة بصفة عامة.

ومفهوم اليتم في الإسلام ينتهي بعد الاحتلام أو البلوغ، وبعدها يصير المرء رجلًا

---

(١) برقم ٢٨٧٣. قال ابن حجر في الكافي الشافي ١/٤٥٤: إسناده حسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ي ت م).

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٥.

(٤) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٢٢٤.

مسؤولًا عن أعمال، مكلفًا بما فرض عليه من عبادات وتشريعات، واليتم: في اللغة الانفراد، أو فقدان الأب، واليتيم: الفرد، وكل شي يعز نظيره، وهو يتيم، ما لم يبلغ الحلم. ومن معاني اليتم الهمّ، وبالتحريك اليَتَم، الإبطاء.

وهذه المعاني: تفيد أن اليتيم ضعيف الجانب مكسور الجناح، ولكن بعد أن يبلغ الحلم، يصير رجلاً مكلفًا مسؤولاً.. يكد ويشقى، ويواجه أعباء الحياة في صبر وشجاعة، وإيمان وقوة، وهذا هو السر الذي يشع به البيان النبوي، "لا يُتم بعد احتلام"، حيث تكمن وراءه دلالات كثيرة تقود المسلم إلى اجتياز كل الصعاب، وتخطي العوائق بالإيمان والعمل الصالح، والقيام بواجبات التكليف، وأما الأمر الثاني الذي نفاه رسول الله فهو التزام الصمت، والانقطاع عن الكلام يومًا كاملاً، بدافع النفور من الناس، أو الميل إلى العزلة، وتجنب حركة الحياة، وهذا الصمت يؤدي إلى الاكتئاب، وفقدان الثقة بالنفس، أما إذا كان الصمت بدافع الرغبة في التأمل والتفكر والتدبر، فهو مستحب ولكن لا يكون طيلة اليوم، حتى لا يفتقد الناس أثر هذا الصامت، وحتى لا يتشبه من يرتضي هذا السلوك بكهان الجاهلية، فقد كان من نسك الجاهلية الصمات كما يقول الخطابي: فنهوا في الإسلام عن ذلك وأمروا بالذكر والحديث بالخير. والله أعلم.

فقه الحديث

وفي الحديثين من الفقه: كراهة الصمات إلى الليل، وذلك لأنه كان من نسك الجاهلية، فلما جاء الإسلام نهى عنه، وأمر بالذكر والحديث بالخير. وإن نذره، لم يجب عليه الوفاء به، لأنه كنذرة المعصية.

وهذا هو الذي عليه جماهير الفقهاء[1].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض ٤٤٩/٢، وشرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٣٩٨/٢، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٣٩٦/٦، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٣٦٣/٢، والكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة ٣٧٥/١، والفروع، ابن مفلح ١٤٣/٣-١٤٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٧٦/٣.

وقال أبو ثور وابن المنذر[١]، له أن يفعله إن كان ذلك أسلم له، لقول النبي ﷺ "من صمت نجا"[٢].

ولكن يناقش هذا: بأنه محمول على الصمت عما لا يعنيه من الكلام[٣]، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[٤].

المضامين الدعوية[٥]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الصمت الطويل.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: فضل الكلام بذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس.

رابعًا: من صفات الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم.

أولاً- من مهام الداعية: البيان والإيضاح:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ: (لا يُتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل)، حيث بيّن أن الطفل بعد الاحتلام لم يعد يتيمًا، وبين أنه لا يصح الصمات إلى الليل، وبين أن ذلك حفظه عن رسول الله ﷺ.

وقول أبي بكر رضي الله عنه لمن حجت مصمتة: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية.

حيث بيّن أن الصمت كان في الجاهلية والإسلام نهى عنه.

---

(١) الفروع، ابن مفلح ٣/١٤٣-١٤٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢/١٥٨، ١٧٧ رقم٦٤٨١، ٦٦٥٤، والترمذي ٢٥٠١ وحسّنه محققو المسند، وانظر تتمة تخريجه في: المسند ١١/١٩.

(٣) الفروع، ابن مفلح ٣/١٤٤، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣/٧٦.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٥) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٨٠٢) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٣).

والداعية ينبغي عليه أن يبين ويوضح للمدعوين الحقائق، فلقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، وقال: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[2]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة.

وقد كان ﷺ (سيد الدعاة) يوضح للناس ولأتباعه حقيقة ما يدعوهم إليه وأصله[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الصمت الطويل:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: حفظت عن رسول الله ﷺ: (... ولا صمات يوم إلى الليل)، وقول أبي بكر رضي الله عنه: (تكلمي، فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية).

قال ابن تيمية: "فأخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الصمت المطلق لا يحل، وعقب ذلك بقوله: هذا من عمل الجاهلية، قاصدًا ذلك عيب هذا العمل وذمه.

وتعقيب الحكم بالوصف: دليل على أن الوصف علة، ولم يشرع في الإسلام، فيدخل في هذا: كل ما اتخذ من عبادة، مما كان أهل الجاهلية يتعبدون به، ولم يشرع الله التعبد به في الإسلام، وإن لم ينوه عنه بعينه كالمكاء والتصدية، فإن الله تعالى قال للكافرين: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[4].

والمكاء: الصفير ونحوه.

والتصدية: التصفيق.

فاتخاذ هذا قربة وطاعة من عمل الجاهلية الذي لم يشرع في الإسلام، وكذلك

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٣) انظر: فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٣٥.

بروز المحرم وغيره للشمس، حتى لا يستظل بظل، أو ترك الطواف بالثياب المتقدمة، أو ترك كل ما عمل في غير الحرم، ونحو ذلك من أمور الجاهلية التي كانوا يتخذونها عبادات، وإن كان قد جاء نهي خاص في عامة هذه الأمور، بخلاف السعي بين الصفا والمروة، وغيره من شعائر الحج، فإن ذلك من شعائر الله، وإن كان أهل الجاهلية قد كانوا يفعلون ذلك في الجملة [١].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: فضل الكلام بذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس:

يظهر ذلك من عموم الحديثين[٢] فالنهي عن الصمت لأن هذا يؤدي إلى ترك التسبيح والتهليل والتحميد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة القرآن وغير ذلك [٣].

والمسلم إذا تكلم ينبغي ألا يتكلم إلا بخير قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

قال السعدي: "لا خير في كثير مما يتناجون به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير؛ فإما لا فائدة فيه، كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

ثم استثنى تعالى فقال: (إلا من أمر بصدقة)، من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي ﷺ: ((إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً. وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ. وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ. وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ. وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ))[٥].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية ٣٧١/١ - ٣٧٢.

(٢) الحديث رقم (١٨٠٢)، (١٨٠٣).

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٤٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٥) أخرجه مسلم ١٠٠٦.

أو معروف: وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر، دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضًا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر.

أو إصلاح بين الناس: والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجد الشر والفرقة، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس.

فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير كما دل على ذلك الاستثناء[1].

وقال رسول الله ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ))[2].

فهذا يدل على أن الإنسان ينبغي أن يتكلم بذكر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، ولا يصمت عن هذه الأشياء بل يصمت عن المعاصي.

رابعًا- من مهام الداعية: تفقد أحوال المدعوين والسؤال عنهم:

يظهر ذلك في قول قيس بن حازم: دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها: زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم؟

وهذا يدل على حرص أبي بكر رضي الله عنه على تفقد أحوال المدعوين وله في ذلك القدوة في رسول الله ﷺ فقد كان ﷺ حريصًا على تفقد أحوال المدعوين.

ومما يدل على اهتمام النبي ﷺ بأحوال المدعوين، أنه كان يتفقدهم كي يتعرف على أحوالهم فيزودهم بالتوجيه المناسب لهم، أو يعلق على غيابهم بما يفيدهم والسامعين، ومن الشواهد الدالة على ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النَبيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثابتَ بن قَيْس، فقال رجُلٌ يا رَسولَ الله أنا أعلمُ لكَ علمَهُ، فأتاهُ فوَجَده جالسًا في بيتِهِ مُنكِّسًا رأسَه، فقال له: ما شأنُكَ؟ فقال شرٌّ. كانَ يَرْفع صَوْته فوقَ صوتِ النَّبيِّ ﷺ فقد حَبطَ عَمَله وهو من أهل النار، فأتى الرَّجل النبيَّ ﷺ فأخبرَه أنَّه قال

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤٧٥، ٦١٨٣، ومسلم ٤٧.

كذا وكذا، فقال موسى، فرجع إليْه المرَّةَ الآخِرَة ببشارَةٍ عظيمة، فقال اذهبْ إليه فقلْ له: ((إنَّك لَسْتَ من أهل النَّار، ولكنَّك من أهلِ الجنَّة))[1].

ومما نجده في هذه القصة أن النبي الكريم ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فتعرف على حاله، ثم قدم له التوجيه الذي أخرجه به -بفضل الله تعالى- عما كان هو فيه من الهم والغم[2].

وقال النووي: "وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم، أن يتفقد أصحابه، ويسأل عمن غاب منهم"[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٨٤٦، مسلم ١١٩.

(٢) انظر: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، د. فضل إلهي ص ١١١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩.

الحديث رقم (١٨٠٣)

١٨٠٣- وعن قيس بن أَبي حازم، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بكر الصِّدِّيق ﷺ عَلَى امْرأَةٍ مِنْ أحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرآهَا لاَ تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ: مَا لَهَا لا تتكلمُ؟ فقالوا: حَجَّتْ مصمِتةً، فقالَ لها: تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هَذَا لاَ يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو بكر الصديق: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨١).

غريب الألفاظ:

أحمس: من قريش، ومن وَلَدتَ قُريش، وكنانة، وجديلة قيس، سُمّو حُمسًا لأنهم تحمسوا في دينهم أي: تشددوا[2].

مصمتة: ساكتة[3].

الشرح الأدبي

هذا الحوار المشرق بين أبي بكر الصديق ﷺ والصحابة بشأن هذه المرأة المسلمة التي بالغت في العبادة.. يعد تنفيذًا لمنهج الإسلام المعتدل المتوازن، فلن يشاد الدين أحد إلا غلبه، والقصد والاعتدال في العبادة من مقومات المسلم في عبادته ومعاملاته، وسلوكياته.

والحديث يَرْصد مشهدًا واقعيًا حيث رأى أبو بكر الصديق ﷺ امرأة يقال لها زينب: "لا تتلكم": أي أنها لا تخاطب أحدًا، ولا يخاطبها أحد، وهي تظن أن هذا الصمت من إكمال العبادة، وأن حجها سيكون أفضل في ظل الصمت وعدم الكلام.

ومن جماليات التعبير في الحديث مجيء هذه الجملة في موقع: الحال: "لا تتكلم"،

---

(١) برقم ٣٨٣٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح م س).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٨٥/٧.

وهذا تصوير لحال هذه المرأة وتشخيص لواقعها، ثم يجيء استفهام أبي بكر وهو استفهام إنكاري؛ حيث قال: "مالها لا تتكلم؟" والإنكار رفض لهذا الصمت الذي وهمت هذه المرأة بأنه مكمل للعبادة، ولم يقل لها: مالك لا تتكلمين؟ لأنها في صمتها لن ترد عليه، وحتى لا تظن أنه يُعنفها، وذلك من حكمة أبي بكر رضي الله عنه في التوجيه والإرشاد، ولكن حين عرف السبب، وقال له رضي الله عنه الصحابة: حجت مُصمته، قال لها: تكلمي، والتوجيه هنا جاء في صيغة الأمر الحاسم: لأن الصمت بدعة في هذه الحالة، وجاء التعليل المؤكد بعد هذا الأمر الصريح، فقال: فإن هذا لا يحل.

وتكرار اسم الإشارة يرشد إلى ضرورة الانتباه، وسرعة الاستجابة والإقلاع عن هذا السلوك، والجملة الأخيرة... "فتكلمت"... تفصح عن استجابة هذه المرأة لأمر أبي بكر رضي الله عنه، وعدم مجادلته فيما قال.

ومن الظواهر الأسلوبية في هذا الحديث تكرار العطف بالفاء في جمل الحديث المتعاقبة: على هذا النحو (فرآها- فقال- فقالوا- فقال لها- فتكلمت)

وهذا التوالي الذي انبثق من خلال العطف بالفاء ينبئ عن سرعة أبي بكر رضي الله عنه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا منهج إسلامي راسخ الدعائم، ثابت الأصول مستمد من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1]. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) أخرجه مسلم ٤٩.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من وسائل التربية الحفظ:

إن الحفظ نعمة من الله ينعم بها على من شاء من عباده، فينبغي لطالب العلم أن يكون على استحضار للأدلة والنصوص الشرعية.

فلقد كان الرسول ﷺ حريصًا على حفظ القرآن إذا أنزل عليه، فأمره الله تعالى إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1].

ولقد وهب الله صحابة نبيه ﷺ حافظة قوية مكنتهم من حفظ القرآن والسنة في صدورهم ونقله إلى غيرهم من الصدور إلى السطور.

وفي هذا الباب ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: حَفِظْتُ عن رَسُولِ الله ﷺ: «لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إلى اللَّيْلِ».

فالحفظ وسيلة تربوية هامة، وهذا ليس في العلوم الإسلامية فقط، بل في كل العلوم التي تتطلب إجابات محددة بنصوص موثقة. فالحفظ ضروري لكل العلوم، والذاكرة الحافظة تخدم صاحبها في كل مكان ما دام مستعدًا لكل سؤال يلقى عليه.

ومما يدل على أهمية الحفظ وانه لا يكفي الفهم فقط، أن كثيرًا من العلوم كالرياضيات والعلوم والحاسب الآلي والفلك وغيرها ترتكز على حقائق وقوانين ومعادلات لابد من حفظها للوصول لنتائجها الصحيحة، ولا يكفي فهمها بل لابد من حفظ كل مسألة فيها لتؤدي غرضها[2].

وقس على ذلك تعلم اللغات الأجنبية فلابد فيه من حفظ مفردات وقواعد وتراكيب تلك اللغة ليستطيع التعبير عما يريد بألفاظ صحيحة.

---

(١) سورة القيامة، الآيات: ١٦-١٩.

(٢) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٩٥، ٩٦.

فلابد أن نشجع الطلاب والطالبات على الحفظ ليخرجوا وقد تسلحوا بسلاح علمي قويم يستطيعون به نفع أنفسهم وإخوانهم ومجتمعهم، ولاشك أن الفهم مهم ولكن الحفظ أهم في بعض المواد لأنه يخدم صاحبه وهو الذي يميز النابغين المتفوقين عن غيرهم حيث حفظوا المقررات وسددوا في الإجابات فحازوا قصب السبق[١].

وأول ما ينبغي أن يتربى على حفظه الصغير حفظ كتاب الله جل وعلا، لاسيما في الصغر الأذهان صافية، وقدرة الصغار على الحفظ فائقة، والذي ليس في جوفه شيء من القرآن فهو كالبيت الخرب.

ثم بعد أن يحفظ القرآن الكريم أو ما تيسر له، فعليه أن يشرع في حفظ بعض أحاديث السنة النبوية لينال الأجر الوارد بدعاء المصطفى ﷺ بقوله: «نَضَّرَ اللهُ أمْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[٢].

ثم بعد ذلك ينتقل طالب العلم لحفظ ما شاء من المتون العلمية النافعة المختصرة، فإنها ركيزة مهمة من ركائز العلم يحسن البدء بها لأنهم قالوا: لن تنالوا العلوم إلا بحفظ المتون.... ومن رام الوصول حفظ الأصول[٣].

ثانيًا- التربية بالأحداث والمواقف:

الأحداث التي يمر بها الإنسان تؤثر في سلوكه ويمكن استثمارها تربويًا، وذلك بالتأثير الهادف في سلوك الإنسان[٤].

وقد استغل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حدث وموقف امرأة من أحمس يقال لها: زينب، فرآها لا تتكلم: فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت مصمته، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية فتكلمت، فوجهها إلى عدم الصمت الطويل لأن هذا من أعمال الجاهلية فأثر في سلوكها هذا وعدله.

---

(١) المرجع السابق ٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود، ٣٦٦٠، وصححه الألباني، (صحيح سنن أبي داود ٣١٠٨).

(٣) انظر: آداب المتعلمين، د. أحمد عبدالله الباتلي ص ٩٧، ٩٨.

(٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد سيد بكر ص ٣٣٨.

والأحداث وسيلة فعّالة لربط المادة التعليمية بحياة المتعلمين الواقعية[١].

والمربي حقًا لا يترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة، وبغير توجيه، وإنما يستغلها[٢].

والتربية بالأحداث تعرف بقوة تأثيرها وشدة سيطرتها على النفس والفكر، لأنها تثير الانتباه الذي يجمع الفاعلية النفسية حول ظاهرة ما، عن طريق الحس، إن كانت هذه الظاهرة خارجية وعن طريق التأمل إن كانت داخلية[٣].

ولقد اتبع المربي الأول رسولنا الكريم ﷺ أسلوب التربية العملية، تعليمًا وتدريبًا، وربط التوجيه بالأحداث والوقائع الجارية في حياة الناس، والتربية الإسلامية في هذا المجال تظهر من خلال حديث الرسول ﷺ وقبله القرآن الكريم[٤]. تربية عملية تتحول بها الكلمة إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك على النحو الذي يحقق وجود ذلك الإنسان، كما تصوره الإسلام[٥].

ثالثًا: من خصائص التربية الإسلامية: التوازن:

تميزت التربية الإسلامية بموازنتها بين الأشياء فلم تغفل جانباً أو تهتم بجانب على حساب جانب.

يتجلى هذا التوازن في هذا الباب في النهي عن صمت يوم إلى الليل، وهذا في قول الإمام علي رضي الله عنه حفظت عن رسول الله ﷺ «...ولا صمات إلى الليل» وأمر أبي بكر رضي الله عنه المرأة الأحمسية بالكلام عندما رآها صامتة.

فإذا قارننا بين هذا النهي وبين الأصل العام في الشريعة الإسلامية بحفظ اللسان، يتضح لنا التوازن في ذلك، فإن الشريعة لم تأخذ بعمل أهل الجاهلية بنذر الصمت يوماً أو ليلة والتعبد به وقهر النفس، وكذلك لم تطلق العنان للسان فيتحدث بما شاء،

---

(١) فلسفة التربية كما يحددها القرآن، علي خليل ص ١٢١.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص ٢٥٠.

(٣) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة ص ٥٧٢.

(٤) انظر: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين، ١٤٩/١.

(٥) في التربية الإسلامية د. عبدالغني عبود ص ١٥٧.

وكيف شاء ولكنها وازنت بين الأشياء فحثت على الصمت في الكلام، في الحشو والعبث وأذى الناس، وأمرت بالكلام في الخير والذكر والتسبيح والتهليل فهذه الأشياء عبادة لا يجوز الصمت عنها عمدًا أو إيثار الصمت عنها، قال تعالى في ذلك: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[2]. فعلى المسلم أن يوازن بين كلامه وصمته فإذا كان الكلام خيرًا وفيه الثواب ورضا الله تحدث، وإذا كان الصمت خيرًا له صمت، وآثر الصمت على الكلام.

وعلى المربي توجيه الناشئة إلى التحدث بالخير والذكر والدعاء والصمت عن الشر والأذى للمسلمين.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء، آية: ١١٤.

(٢) أخرجه أحمد ١٧٤/٢ رقم ٦٦٢١، وقال محققو المسند: صحيح لغيره ١٩٢/١١.

٣٦٧- باب تحريم انتساب الإنسان

إِلَى غير أَبيه وَتَولّيه إِلَى غير مَواليه

الحديث رقم (١٨٠٤)

١٨٠٤ - عن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أبيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّهُ غَيْرُ أبيهِ، فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعد بن أبي وقاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦).

غريب الألفاظ:

ادَّعَى: انتسب[2].

الشرح الأدبي

إن الإسلام دين النقاء، والصفاء، ومن أصوله المقررة عدم اختلاط الأنساب، حتى تتحدد الحقوق، ولا يُعتدى على الحرمات، ولا تضطرب العلاقات الاجتماعية، وهذا هو الحديث الأول في باب: تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه.

والحديث الشريف يوضح الموقف الحاسم من هذه القضية.. حيث تضمنت صياغته اللغوية ثلاث جمل، وكل جملة تتآزر مع الأخرى في تجسيم المراد، وتحديد المقصود، فالجملة الأولى تتكون من أداة الشرط وفعل الشرط "من ادَّعى إلى غير أبيه" وهذا الشرط فيه إنذار ووعيد يفهم من السياق، والجملة الثانية: وهي "حالية" حيث تصور واقع هذا المدّعى لأنه يعلم أن ادّعاءه غير صحيح، فهو يزيف الأنساب، وهو يحاول أن يتبرأ من جذوره، وينتمي إلى غير حقله، ويخرج عن دائرته، "وهو يعلم أنه غير أبيه"، والجملة الثالثة تتم المعنى، وتفصح عن المقصود، وتحدد المراد وهو العقاب الشديد الذي

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٦، ومسلم ٦٣/١١٥ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٢٩٥٧.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، في (د ع و).

يحل بهذا المدّعى، وهل هناك أقسى من هذا العقاب، الذي يحرم الجنة على كل من يلجأ إلى هذا السلوك الاجتماعي الشائن، "فالجنة عليه حرام"، وجواب الشرط يجيء في قالب الجملة الاسمية، التي تدل على الثبات وعدم الخضوع للزمن.. وتحرك الحدث، فالعقاب ثابت ومؤكد، وفي اللغة تحديد لدلالة هذا المدّعي، فالمدْعاةُ، الادعاء في النسب، والدَّعي: المتهم في نسبه، ويقولون: ادّعاه: صيره يُدْعى إلى غير أبيه، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديثين[2] من الفقه:

١- تحريم انتفاء الشخص من نسبه المعروف[3]، والادعاء إلى غير أبيه[4].

٢- إن معنى قوله "فالجنة حرام عليه" فيه تأويلات[5]:

أحدها: إن ذلك محمول، على المستحل لذلك.

ثانيها: إن الجنة محرمة عليه أولاً عند دخول الفائزين، وأهل السلامة، فيمنع من دخولها إلى أن يعذب بذنبه، إذا أراد الله ذلك، وقد يعفو سبحانه وتعالى عنه فلا يجازيه.

ثالثها: إن ذلك محمول على الزجر عن هذا الأمر، لما يؤدي إليه ذلك من فساد[6].

٣- جواز إطلاق الكفر على المعاصي، إذا قصد بذلك الزجر[7].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥ .

(٢) الحديث رقم (١٨٠٤)، (١٨٠٥).

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦، شرح صحيح مسلم، النووي ٥٢/٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٤) وليس معنى هذا الحديث أن من اشتهر بالنسبة إلى غير أبيه يدخل في الوعيد كالمقداد بن الأسود ﷺ وإنما المراد به من تحول عن نسبته لأبيه عامدًا مختارًا. انظر في ذلك: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٥/١٢، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٢/٢.

(٦) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/١٤.

(٧) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه وهو يعلم.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: المحافظة على الأنساب ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وقوله ﷺ: (لا ترغبوا عن آبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كفر)[٢].

حيث أخبر ﷺ عن تحريم انتساب الرجل إلى غير أبيه وهو يعلم، والإخبار من أهم أساليب الدعوة، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالإخبار والبلاغ لأمته قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

ثم اهتدى بهديه ﷺ أصحابه رضي الله عنهم فدعوا الناس إلى الهدى، وأخبروهم عن أمور دينهم ودنياهم، وما سمعوه وشاهدوه عن رسول الله ﷺ امتثالاً لأمره ﷺ: ((وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ))[٤]، وقوله ﷺ: ((بلِّغوا عني ولو آيةً))[٥].

فالإخبار من أساليب الدعوة، التي ينبغي أن يستخدمها جميع المسلمين دعاة ومدعوين للإخبار بأمر الدين.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٠٤- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٥).

(٢) أخرجه البخاري ٦٧٦٨.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٠٤ ومسلم ١٣٥٤.

(٥) أخرجه البخاري ٣٤٦١.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه وهو يعلم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام).

وقوله ﷺ: (فمن رَغِبَ عن أبيه، فهو كفر).

قال ابن كثير: "وهذا تشديد وتهديد ووعيد أكيد في التبري من النسب المعلوم"[1].

وقال الطيبي: "قوله: (من ادعى)، الدعوة بالكسر في النسب، وهو أن ينسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته، وقد كانوا يفعلونه فنهى عنه، والادعاء إلى غير الأب مع العلم به حرام، فمن اعتقد إباحته كفر لمخالفة الإجماع، ومن لم يعتقد إباحته ففي كفره وجهان: أحدهما أنه أشبه فعله فعل الكفار، والثاني: أنه كافر نعمة الإسلام، أقول: ومعنى قوله: (الجنة عليه حرام)، على الأول ظاهر، وعلى الثاني تغليظ"[2].

قال ابن أبي جمرة: (والحكمة في ذلك أنه لما خالف هذا حكمة الله سبحانه وتعالى في عبيده، وترتب على ما فعله تحريم ما أحله الله، وتحليل ما حرمه الله، وترتب عليه هذا الوعيد العظيم، ولو اعتقد أن ذلك جائز لكان كافرًا، بيان ذلك أن الله عز وجل يقول: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[3] "وحلل من النسب وحرم منه ما شاء" أعني في التناكح بينهم حسب ما يعرف ذلك من أحكام الشريعة، وقد تقرر الحكم به فلا يحتاج إلى ذكره، فإذا انتسب هذا إلى غير أبيه، فقد ابتعد عن هذا النظام البديع، وحرم على نفسه وعلى غيره نكاح من قد أحله الله له ولغيره، وحلل لنفسه ما قد حرمه الله عليه وعلى غيره، فإنه يتزوج بتلك النسبة التي انتسبها ذوي محارمه الحقيقيين وهم عليه حرام، ويحرم على نفسه أو على غير محارمه الزوريين بحسب انتسابه، فيكون حرم من ذلك ما أحله الله تعالى "وأما قولنا" هل يتعدى الحكم إلى غير هذا أم لا؟ فحيث وجدنا من خالف حكم الله تعالى مثل ما فعل هذا، قلنا له الحكم فيه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٩/٦.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٥٥/٦.

(٣) سورة الحجرات، آية: ١٣.

كالحكم في هذا سواء، لأنه بواحدة مما فعل هذا يكون الخلود في النار، أعني في الاعتقاد لقول الله تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[1].

وبإجماع الأمة أن من أحل واحدة مما حرمه الله سبحانه، أو حرم واحدة مما أحله الله عامدًا لذلك مستبيحًا لذلك، أنه كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كفرًا، وفيه معنى آخر وهو سوء أدب العبودية مع الموالية، لأن حكم العبودية اتباع كل ما أمرت به الموالية فالعبد إذا خالف حكم مولاه وجب أدبه، ولذلك قال بعض أهل التوفيق: أعظم الكرامات، الاتصاف بأوصاف العبودية، وامتثال أمر الربوبية، جعلنا الله من أهلها بمنه)[2].

قال ابن عثيمين: "فإن الإنسان يجب عليه أن ينتسب إلى أهله: أبيه، جده، جد أبيه.. وما أشبه ذلك، ولا يحل له أن ينتسب إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه ليس بأبيه"[3].

ومما يدل على أهمية الانتهاء عن الانتساب لغير الأب مع العلم، أمر المولى تبارك وتعالى بنفي نسب غير الآباء، وأمره بالانتساب للآباء، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾[4].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله): هذا أمر ناسخ لما كان في ابتداء الإسلام من جواز ادعاء الأبناء الأجانب، وهم الأدعياء، فأمر الله تعالى برد نسبهم إلى آبائهم في الحقيقة، وهذا هو العدل والقسط"[5].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٨٥.

(٢) بهجة النفوس ٢٣٤/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٨٤٥/٢.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤ - ٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٧/٦.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: المحافظة على الأنساب ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم:

يستنبط هذا من عموم الحديثين، حيث حرم الإسلام الانتساب إلى غير الآباء مع العلم، وبيّن رسول الله ﷺ أن من يفعل ذلك تحرم عليه الجنة، وقال هو كفر.

قال ابن حجر: "وقال بعض الشرّاح: سبب إطلاق الكفر هنا أنه كذب على الله كأنه يقول: خلقني الله من ماء فلان، وليس كذلك لأنه إنما خلقه من غيره"[1].

فالأب سبب وجود الإنسان في الدنيا، فيجب على الإنسان أن يحافظ على نسبه منه ويحترم نسبه له، دون أن يزدري نسبه وينتسب لغيره؛ فالإسلام حافظ على الأنساب وحرم الاعتداء عليها، وذلك لأن الأنساب هي قوام القرابة في الأسرة، ودعامة الرابطة بين أفرادها، ومن أجل ذلك حرص الإسلام على حمايتها من كل ما يؤدي إلى اختلاطها أو يوهن حرمتها، فكان من أهدافه الرئيسة المحافظة على الأنساب، ومراعاة حقوق الآباء واحترامهم وعدم ازدرائهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٦/١٢.

الحديث رقم (١٨٠٥)

١٨٠٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ ﷺ، قَالَ: ((**لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبِيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ**)). متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

لقد أمر الله الحق سبحانه بالإحسان إلى الوالدين، وإلى التباهي بالانتساب إليهما، لأن الأبناء ثمرات الآباء، والثمار لا تنضج إلا في ظلال الارتباط بالجذور، والنمو في حقل خصب مترع بالحياة، ومظاهر التآلف والتراحم والمصافاة، وهذا الحديث الشريف إنذار إلى الأبناء الذي يحاولون قطع صلاتهم بجذورهم بحثًا عن حقْل جديد، وهيهات هيهات أن يفوزوا بما يريدون، وما هي إلا أوهام في متاهاتها يغرقون، وفي مفازاتها يضلون.

والحديث الشريف يتكون من جملتين: الأولى صيغت في أسلوب إنشائي.. حيث تبدأ بأداة النهي "لا" والنهي موجه إلى أفراد الأمة كلها، "لا ترغبوا عن آبائكم" أي لابد من التمسك بالانتساب إلى الأب، وعدم قطع هذه الصلة التي كرّمها الله عز وجل، فقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾[2]. ولا يضير صاحب الجاه أو السلطان أن يكون أبوه فقيرًا، أو ضعيف الجاه أو المكانة، فحق الأبوة فوق كل هذه الأعراض المتغيرة، لأنه جوهر الحياة، وبوابة النجاة.

والجملة الثانية: جاءت في أسلوب الشرط والجواب، وهي تفسير للنهي في الجملة الأولى، وكأنها إجابة لسؤالٍ ينشأ في الذهن.. وتقديره: ما جزاء من يرغب عن أبيه ويتبرأ منه، فقال رسول الله، "فمن رغب عن أبيه فهو كُفْر"، وأسلوب الشرط مناسب

---

(١) أخرجه البخاري ٦٧٦٨، ومسلم ٦٢/١١٣ ولفظهما سواء.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٥.

للدلالة في هذا الحديث: لأن الجزاء من جنس العمل، والحديث يتسم بالإيجاز لأنه يتضمن مقاصد كثيرة، ويومئ إلى قضايا اجتماعية تتكرر في كل بيئة، وفي كل زمان، وتكرار مادة "رغب" مرتين، للتنفير من هذا السلوك الجاحد الشائن، وكذلك تكرار: مادة "الأبوة" مرتين "آبائكم" "وأبيه" للتأكيد على حق الأبوة، وللتذكير بالحفاظ على هذا الحق، والتمسك بالانتساب إليهما، ويؤكد هذا الحق إضافة لفظ "آباء" إلى ضمير المخاطب الدال على الجمع : كم، وهو ضمير متصل للتعبير عن هذا الالتحاق والترابط بين الآباء والأبناء، وكذلك إضافة "أب" إلى الضمير المتصل: وهو "الهاء" العائد على كل ابن في هذا الوجود، لتأكيد حق الأبوة، وجملة جواب الشرط، تجيء في صيغة الجملة الاسمية، لتأكيد ثبات العقوبة التي تحل بكل جاحد راغب عن أبيه، ولم يقل فهو كافر: لأن الكفر مصدر، ودلالته أقوى من اسم الفاعل، "كافر"، وكأن هذا الصنيع من الابن هو الكفر نفسه، كفر بالله تعالى، أو كفر بالأب وحقه المشروع، وهذا من سمة بلاغة النبوة، وجوامع كلمه ﷺ.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٠٦)

١٨٠٦ - وعن يزيد بن شريكٍ بن طارقٍ، قَالَ: رَأيتُ عَلِيًّا رضي الله عنه عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يقُولُ: لاَ واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إلاَّ كِتَابَ اللهِ، وَمَا فِي هذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: ((المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً. ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، (فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً)[1]. وَمَن ادَّعَى إلَى غَيرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إلَى غَيرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً)). متفق عَلَيْهِ[2].

"ذِمَّةُ المسلمين" أي: عهدهم وأمانتهم و"أَخْفَرَهُ": نقض عهده. "والصَّرْف" التَّوْبَة، وقيل: الحِيلَةُ "والعَدْل": الفداء.

ترجمة الراوي:

عليّ بن أبي طالب: تقدمت ترجمته في الحديث (٧٦٨).

غريب الألفاظ:

أسنان الإبل: أعمار الإبل[3].

الجراحات: الجنايات ما دون النفس قد لا تكون بالقطع والإبانة؛ بل بالجرح، وهي أنواع كثيرة تتفرع عن أصلين: الجراح الواقعة على الرأس، والجراح الواقعة على باقي الجسد[4].

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ٤٦٨/١٣٧٠.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٧٠، ومسلم واللفظ له. ٤٦٧/١٣٧٠، أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٥٩).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (س ن ن).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ر ح)، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٣١/١٦ - ٣٢.

عير: جبل بالمدينة المنورة من الشرق إلى الغرب[١].

ثور: جبل ثور بالمدينة[٢].

صرفًا ولا عدلاً: الصرف: التوبة، وقيل الحيلة. والعدل: الفداء.

ذمة المسلمين: عهدهم وأمانتهم[٣].

فمن أخفر مسلمًا: نقض عهده[٤].

مواليه: المولى[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث جاء في سياق خطبة لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي هذه الخطبة يستشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بحديث رسول الله ﷺ: في تكذيب الرافضة الذين زعموا أن رسول الله ﷺ خص عليًا عن سائر الناس بعلم لم يطلعوا عليه، وفي الحديث تأكيد على عدم نقض العهد، وعدم قطع الصلة بين الابن وأبيه، وكذلك المولى لا ينتمي إلى غير مواليه.

والحديث يموج بعدة ظواهر أسلوبية تؤصل معانيه، وتوضح مقاصده، ومن هذه الظواهر الجمالية:

أ- القسم في مفتتح كلام "علي بن أبي طالب" حيث قال: "لا والله"، وقيل "لا" مزيدة للتأكيد أو لنفي كلامٍ وقع قبلها، أي ليس عندنا ما يقوله هؤلاء الرافضة، والقسم يؤكد هذا النفي.

ب- أسلوب القصر في قوله: ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة.

والقصر هنا عن طريق "النفي والاستثناء": وفي ذلك قصْر للعلم والمعرفة على كتاب الله سبحانه وما ورد عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال، والصحيفة في هذا الحديث تضمنت توجيهات رسول الله ﷺ.

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٨٠.

(٢) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٣) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٤) رياض الصالحين، ٦١٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ل ى).

ج- الإيقاع الصوتي المؤثر المتمثل في السجع في قوله: "ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ"، وهذا من الإيجاز في البيان النبوي: مع التحديد والتركيز والتأثير، ففي كلمتين حدّد موقع الحرم النبوي، وحرم المدينة.

د- أسلوب الشرط الذي تكرر ثلاث مرات في سياقات متعددة، ولكنها كلها تنطلق من دائرة المحافظة والتمسك بالأصول، والمحافظة على الحرمات، ومنها: المحافظة على حرمة المدينة المنورة "فمن أحدث فيها..."، والمحافظة على عهد الأمان، "فمن أخفر مسلمًا..." والمحافظة على النسب والانتماء "ومن ادعى إلى غير أبيه" ومجيء هذه التوجيهات في أسلوب الشرط والجزاء للتأكيد على عقاب من يخالف: فهو سيلقى عقابه: فالجزاء من جنس العمل.

هـ- تكرار بعض الجمل للتأكيد على عقاب المخالفين والجاحدين، والذين لا يحافظون على حرمة المدينة المنورة، والجملة التي كُرِّرت اتحدت وظيفتها النحوية، فهي جواب للشرط في الجمل الثلاث (فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وتكرار قوله: لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: ثلاث مرات: يؤكد أن العقوبة التي ستلحق بهؤلاء المخالفين ليست وعيدًا فقط، ولكنها عقوبة حقيقية، وأيُّ عقوبة أشد وأنكر من "لعنة الله والملائكة والناس أجمعين": والله لا يقبل فريضته، ولا نافلته قبول رضا حيث قيل بأن: الصرف، الفريضة، والعدل النافلة، وقيل: الصرف التوبة، والعدل: الفدية، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل هذا الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم شجر المدينة، وصيدها، لأنها حرم ما بين جبلي عير، وثور[1]، كحرم

---

(١) اعتقد بعض كبار العلماء أن ذكر "ثور" في الحديث جاء على سبيل الخطأ على أساس أنه جبل في مكة، وليس في المدينة، وزعموا أن أصل الحديث (من عير إلى أحد)، وليس كذلك، بل "ثور" جبل صغير حذاء "أحد" عن يساره جانحًا إلى ورائه، فعلم من ذلك أن ذكر "ثور" في الحديث صحيح، وأن عدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته، وعدم بحثهم عنه. انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٢/٥.

مكة وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء، من المالكية[١]، والشافعية[٢]، والحنابلة[٣]، وغيرهم.

لكن قال مالك والشافعي، إن قطع شجرًا، أو قتل صيدًا، فلا ضمان عليه، لأنه ليس محلاً للنسك فأشبه الحمى[٤].

وقال ابن أبي يعلى[٥]: يجب فيه الجزاء كحرم مكة، وبه قال بعض المالكية.

وذهب أبو حنيفة[٦] إلى أن المدينة ليست بحرم، ولا يثبت له الأحكام من تحريم قتل الصيد، وقطع الشجر.

والراجح: الأول للأحاديث الدالة على ذلك.

٢- تحريم خفر ذمة المسلم، ونقض عهده، فإذا أَمَّنَ مسلم بعض الكفار، فإن أمانه ماض.

وهذا خاص بأمان بعض الكفار دون جماعتهم، إذ لا يجوز لمسلم أن يعطي أمانًا عامًا لجماعة الكفار، فإن فعل ذلك لم يجز، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل الجهاد[٧].

---

(١) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٧٩/٢، وشرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي الزرقاني ٢٨٤/٤، والتاج والإكليل شرح مختصر خليل للحطاب، محمد بن يوسف المواق ١٧٣/٣.

(٢) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين الخطيب ٥٢٩/١، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ١٦٨/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٢٧/٦.

(٣) المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح ٢٠٧/٣، والفروع، ابن مفلح ٣٥٩/٣، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرداوي ٥٦٠/٣.

(٤) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد بن عرفة الدسوقي ٧٩/٢، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ٣٢٧/٦.

(٥) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٣/٥، وبه قال الشافعي في القديم، الروضة ١٦٨/٣.

(٦) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، محمد بن علي الشوكاني ١٠٣/٥.

(٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم أبادي ١٣/٦.

٣- تغليظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، وانتماء العتيق إلى غير مواليه لما في ذلك من كفر النعمة، وتضييع حقوق الإرث، والولاء، والعقل، وغير ذلك، علاوة على قطيعة الرحم، والعقوق[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: القسم.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الرد على من ادعى أن النبي ﷺ خصّ عليًا رضي الله عنه بعلم دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: حرمة المدينة المنورة.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ارتكاب المعاصي في المدينة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الانتساب إلى غير الأب والانتماء إلى غير الموالي.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من ادعاء الإنسان ما ليس له.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من اتهام المسلمين بالكفر أو رميهم بأنهم أعداء الله.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر هذا في قول يزيد بن شريك بن طارق: رأيت عليًا رضي الله عنه على المنبر يخطب.

(منذ أقدم العصور والخطبة من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس، للتأثير في مشاعرهم، ولإقناعهم بالأفكار الجديدة والعقائد الجديدة، وبقي شأن الخطابة كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وما تلاها من حكومات، بل بقي شأنها كذلك في كل ثورة حدثت على وجه البسيطة، وذلك في العصور القديمة والوسطى

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٣/٩.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث (١٨٠٦) مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٠٧).

والحديثة، وسيبقى لها هذا الشأن حتى تبدل الأرض غير الأرض)[١].

(والخطابة تعد من شعائر الإسلام، ففي كل جمعة يجتمع المسلمون في جامع يسمعون خطيبًا يُذكّر بالإسلام ويعلمهم أحكامه.. وفي كل عيد يجتمعون بحشد أكبر للغرض نفسه.. وفي الحج يستمع الحجيج - من بقاع العالم - إلى الخطيب وهو يُذكّر وينصح في عرفة، وعلى الخطيب أن يصور الحدث أو الفكرة بكل دقة ووضوح، وأن يستعمل في خطبته كل ما من شأنه جذب انتباه الناس بالأسلوب الحسن الجميل)[٢].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: القسم:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: (لا والله ما عندنا..)، ويعد القسم وسيلة مهمة من وسائل إبلاغ الدعوة، (وذلك لأن القسم وسيلة قولية موجزة قصيرة تلائم الطباع الذكية النبيهة التي تكفيها الإشارة، والقسم وسيلة قديمة عرفها الناس قديمًا، واستعملوه تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية، والقسم أيضًا وسيلة إقناع، لأنها تعمل على ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه، بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا)[٣].

ثالثا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

يظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: "ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله".

إن القرآن الكريم مصدر الدعوة الأول، ودستورها الثابت، الذي لا يأتيه الباطل، فهو كلام الله تعالى ووحيه، غير مشوب بأوهام البشر ولا بأهوائهم، مبرأ من التحريف والتبديل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[٤]، ومنزه عن النقص والقصور، فهو إذن

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط/١، دار الفكر العربي: ١٩٧١م ص ١٧٢.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان ص ١٠٦ - ١٩٧.

(٣) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش ص ٣٢٩-٣٣٠، ومباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٩١ نقلا عن الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز ص ١٣١-١٣٢.

(٤) سورة الحجر، آية: ٩.

الخير الخالص، والنور الصافي، ليس لجبريل عليه السلام منه إلا النقل، ولا لمحمد ﷺ إلا التلقي والتبليغ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1].

فالقرآن الكريم يحمل العلم الإلهي، والحكمة الربانية، والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال، والمنعوتة بالتوفيق والهداية، والمنزهة عن كل قصور ونقص.

والقرآن الكريم بالنسبة للداعية حجته التي لا تضل، وبينته التي لا تزول، ورايته التي لا تتوارى، يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاءً ووضاءة، ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا.. لسان من لا لسان له، وفصاحة من لا فصاحة عنده، وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم، كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار، وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج، أو شرور وآثام، وفتن وأهواء[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الرد على من ادعى أن النبي ﷺ خصّ عليًا رضي الله عنه بعلم دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم:

ويظهر ذلك في قول علي رضي الله عنه: (لا والله ما عندنا من كتاب نقرؤه إلا كتاب الله، وما في هذه الصحيفة...).

قال النووي: "هذا تصريح من علي رضي الله عنه بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم أن عليًا رضي الله عنه أوصى إليه النبي ﷺ بأمور كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة، وأنه ﷺ خصّ أهل البيت بما لم يطلع عليه غيرهم، وهذه دعاوى باطلة، واختراعات فاسدة لا أصل لها، ويكفي في إبطالها قول علي رضي الله عنه هذا"[3].

قال ابن عثيمين: "وفي إقسام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو الخليفة الرابع، والبار

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٢ - ١٩٥.

(٢) انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٥.

الصادق بدون قسم - أن النبي ﷺ لم يخصهم بشيء، دليل على كذب الرافضة والشيعة الذين يقولون: إن النبي ﷺ عهد بالخلافة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ظالمون معتدون كافرون منافقون هكذا - والعياذ بالله - يصفون خير هذه الأمة بهذه الأوصاف، نسأل الله العافية، ونسأل الله أن يجازيهم بما يستحقون به من عدله إنه على كل شيء قدير، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إن كانوا صادقين في محبته وولايته وأنهم يتولونه وأنهم شيعته، فليصدقوه بهذا اليمين الذي أقسم به على المنبر - وهو يخطب الناس معلنًا أن النبي ﷺ ما خصهم بشيء أبدًا إلا كتاب الله الذي يقرأه المسلمون صغارًا وكبارًا إلى يومنا هذا - والحمد لله - (وما في هذه الصحيفة)، ثم نشرها وقرأ فيها شيئًا من أسنان الإبل في الزكاة والثياب والجراحات التي لم تبين في هذا الحديث، وإنما بينت في أحاديث أخرى"[1].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: حرمة المدينة المنورة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور).

لقد جعل الله تعالى المدينة حرمًا كما هو الحال في الحرم المكي، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدًا بلغت حد التواتر[2].

منها: عن عبدالله بن زيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لأَهْلِهَا. وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ. وَإِنِّي دَعَوْتُ فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا بِمِثْلَي مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمُ لأَهْلِ مَكَّةَ))[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((المدينةُ حَرَمٌ من كذا إلى كذا، لا يُقطَعُ شجرُها، ولا يُحْدَثُ فيها حدَثٌ. مَن أحدَثَ فيها حدَثًا فعليهِ لَعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ))[4].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٤٦.

(٢) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم خاطر ١/٦٠.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٢٩، ومسلم ١٣٦٠.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٦٧، ومسلم ١٣٦٦.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من ارتكاب المعاصي في المدينة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (فمن أحدث فيها حدثًا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا..).

قال النووي: "قال القاضي: معناه: من أتى فيها إثمًا أو آوى من آتاه وضمه إليه وحماه..

وقوله: عليه لعنة الله إلى آخره: هذا وعيد شديد لمن ارتكب هذا، قال القاضي: واستدلوا بهذا على أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة، ومعناه: أن الله تعالى يلعنه وكذا يلعنه الملائكة والناس أجمعون، وهذا مبالغة في إبعاده عن رحمة الله تعالى، فإن اللعن هو الطرد والإبعاد، قالوا: والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه، والطرد عن الجنة أول الأمر، وليست كلعنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الإبعاد، وقوله: (لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً)، قال القاضي: وقيل: المعنى: لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا، وإن قبلت قبول جزاء، وقيل: يكون القبول هنا بمعنى تكفير الذنب بهما، قال: وقد يكون معنى الفدية هنا: أنه لا يجد في القيمة فداء يفتدي به، بخلاف غيره من المذنبين الذي يتفضل الله عز وجل على من يشاء منهم؛ بأن يفديه من النار بيهودي أو نصراني بما ثبت في الصحيح"[1].

وكل ذلك يدل على الترهيب من ارتكاب الإثم في المدينة وإيواء من يرتكبه.

سابعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من الانتساب إلى غير الأب والانتماء إلى غير الموالي:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً).

وحديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر...))[2].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٠٨.

قال النووي: "قوله ﷺ: (ومن ادعى لغير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، هذا صريح في غلظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، أو انتماء العتيق إلى ولاء غير مواليه، لما فيه من كفر النعمة، وتضييع حقوق الإرث والولاء والعقل وغير ذلك، مع ما فيه من قطيعة الرحم والعقوق)[1].

وقال القرطبي: (قوله: "ليس من رجل ادّعى لغير أبيه، وهو يعلمه، إلا كفر" أي: انتسب لغير أبيه رغبةً عنه مع علمه به، وهذا إنما يفعله أهل الجفاء والجهل والكبر؛ لخسة منصب الأب، ودناءته، فيرى الانتساب إليه عارًا، ونقصًا في حقه، ولاشك في أن هذا محرم، معلوم التحريم، فمن فعل ذلك مستحلاً فهو كافرٌ حقيقة، فيبقى الحديث على ظاهره، وأما إن كان غير مستحل، فيكون الكفر الذي في الحديث محمولاً على كفران النعم والحقوق، فإنه قابل الإحسان بالإساءة، ومن كان كذلك صدق عليه اسم: الكافر، وعلى فعله: أنه كفر، لغةً وشرعًا، على ما قررناه، ويحتملُ أن يقال: أطلق عليه ذلك، لأنه تشبّه بالكفار أهل الجاهلية، أهل الكبر والأنفة، فإنهم كانوا يفعلون ذلك)[2].

ثامنًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من ادعاء الإنسان ما ليس له:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتبوأ مقعده من النار..).

قال القرطبي: (وقوله: "من ادّعى ما ليس له فليس منا" ظاهره التبري المطلق، فيبقى على ظاهره في حق المستحل لذلك، ويتأول في حق غير المستحل بأنه ليس على طريقة النبي ﷺ ولا على طريقة أهل دينه، فإن ذلك ظلم، وطريقة أهل الدين العدل وترك الظلم، ويكون هذا كما قال: ((ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب))[3] ويقرب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٥٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٥١٩، ومسلم ١٠٣.

منه: ((من لم يأخذ من شاربه فليس منا))[١] [٢].

قال النووي: "وفي الحديث تحريم دعوى ما ليس له في كل شيء، سواء تعلق به حق لغيره أم لا، وفيه أنه لا يحل له أن يأخذ ما حكم له به الحاكم، إذا كان لا يستحقه"[٣].

وقال ابن حجر: "ويؤخذ من رواية مسلم تحريم الدعوى بشيء ليس هو للمدعي، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها مالاً وعلمًا وتعلمًا ونسبًا وحالاً وصلاحًا ونعمة وولاء وغير ذلك، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على ذلك"[٤].

تاسعًا - من موضوعات الدعوة: الترهيب من اتهام المسلمين بالكفر أو رميهم بأنهم أعداء الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن دعا رجلاً بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك إلا حار عليه)، قال ابن حجر: "والحاصل أن المقول له إن كان كافرًا كفرًا شرعيًا، فقد صدق القائل وذهب بها المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرة ذلك القول وإثمه"[٥].

قال رسول الله ﷺ: ((أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكْفَرَ رَجُلاً مُسْلِمًا، فَإِنْ كَانَ كَافِرًا وَإِلاَّ كَانَ هُوَ الْكَافِرُ))[٦].

وتجد طائفة من الناس مما أعمى الله بصيرتهم، ولغوا في أعراض الناس تكفيرًا وتبديعًا وتفسيقًا، وكأن الله تعبدهم بذلك، والواحد منهم يطلق عبارة التكفير أو التبديع أو التفسيق وهو منشرح بها صدره، مع أن السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن سار

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٧٦١، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢١٧).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥٤/١.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦٢٥/٦.

(٥) المرجع السابق ٤٨١/١٠.

(٦) أخرجه البخاري ٦١٠٤، ومسلم ٦٠.

على هداهم من أئمة الإسلام - كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد - كانوا يتحرجون من ذلك كثيرًا، وخصوصًا في التكفير، حيث لم يتلفظوا بشيء من ذلك إلا بعد أن قامت لديهم أدلة لا تقبل الشك، وانتفت في حق المعين الموانع وقامت عليه الحجة"[1].

لأن اتهام المسلمين بالكفر، أو رميهم بأنهم أعداء الله، من أخطر الأشياء وأشدها جرمًا، لما فيها من الرمي بالباطل.

(١) كتاب الآداب، د. فؤاد عبدالعزيز الشلهوب ص ١٣٧ - ١٣٨.

الحديث رقم (١٨٠٧)

١٨٠٧- وعن أَبي ذَرٍّ ﷺ: أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ، يقول: ((لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيرِ أَبيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إلاَّ كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُو اللهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ)). متفق عَلَيْهِ[1]، وهذا لفظ رواية مسلم.

ترجمة الراوي:

أبو ذر الغفاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦١).

غريب الألفاظ:

ليتبوأ مقعَده: لينزل أو يتّخذه[2].

حار: عاد ورجع[3].

الشرح الأدبي

يؤكد هذا الحديث تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه، وكذلك تحريم اتهام أي إنسان بالكفر، إلا إذا كانت للمتهم بينة وأدلة قاطعة على ما يقول.

والحديث في مبناه يفصح عن معناه، وأسلوبه الرصين يضيء كثيرًا من مقاصد معناه المبين.

وتتعدد أنواع الجمل والأساليب على الرغم من قلة الألفاظ: فالجملة الأولى يغلفها أسلوب القصر عن طريق النفي بـ "ليس"، والاستثناء "بإلا" (ليس من رجل ادّعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر).

وهذا القصر مع بلاغته وإفصاحه عن طبيعة هذا الجرم الذي ارتكبه ذلك الدعيُّ يتضمن بعض السمات البلاغية في داخل هذه الجملة: ومنها "من" الزائدة، والزيادة هنا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٥٠٨، ومسلم واللفظ له ٦١/١١٢. أورده المنذري في ترغيبه (٢٩٥٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب و أ).

(٣) المرجع السابق في (ح و ر).

ليست إسهابًا أو ترفًا لفظيًا.. ولكنها للتأكيد والاستقصاء: فأي رجل مهما كان شأنه وجاهه وسلطانه يدعى لغير أبيه فهو كافر، وتنكير كلمة "رجل" للشيوع والعموم، وقد يكون للتحقير، لأن من يَدَّعى لغير أبيه لا يستحق التكريم.

والجملة الثانية "ومن ادعى ما ليس له فليس منا"، تأكيد للدلالة في الجملة الأولى، ولكن الدلالة هنا أعم وأشمل فهي قاعدة عامة تحرّم على كل إنسان أن يدعي ما ليس له، أو يسلب حق غيره، أو يعتدي على الحرمات، وقوله: "فليس منا" يفصح عن مقاصد كثيرة تتجمع خيوطها في أنه خرج عن جماعة المسلمين.

ولتأكيد هذه الدلالة، وهذه العقوبة: تجيء الجملة الثالثة في أسلوب الأمر، وهو أمر ساخر وفيه تهديد ووعيد، لأنه إنباء عن المستقبل المظلم الذي تجسد في هذا البيان النبوي البليغ، "وليتبوأ مقعده من النار"، والجملة الثالثة جاءت في أسلوب القصر، وفيها إنذار لكل من يتهم غيره بالكفر، فمن فعل ذلك عاد سهْم التهمة إليه ولحق به الكفر، وقيل هذا التعبير محمول على الزجر والتنفير من إلحاق التهم بالآخرين، وفي ذلك محافظة على العلاقات بين المسلمين، وحرص على الترغيب ورفض للترهيب، والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

١- تحريم انتساب الشخص إلى غير أبيه، وقد سبق بيان ذلك في الحديث رقم (١٨٠٤).

٢- تحريم الدعوى بشيء ليس للمدعي، فيدخل فيه الدعاوى الباطلة كلها، مالاً أو غيره، ويزاد في التحريم بزيادة المفسدة المترتبة عليها[1].

٣- تحريم نسبة المسلم إلى الكفر وقد سبق بيان هذا الحكم في الحديث رقم (١٧٣٤) والحديث رقم (١٧٣٥).

المضامين الدعوية[2]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤١/٦.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية: المحافظة على الأنساب:

من احترام الإسلام للمسلم، صيانة النسب فلا يجوز الطعن في نسب ثابت شرعًا، وهذا من أكبر مفاخر الإسلام، وكذلك لا يجوز لمسلم أن ينتسب إلى غير أبيه مهما كانت الأسباب، وإلا حُرِمَ رحمة الله عز وجل[1].

وقد جاءت أحاديث الباب صريحة في هذا منها قوله ﷺ: «مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». وقوله ﷺ: «لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ».

والحديث المطول الذي رواه يزيد بن شريك بن طارق عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ يفيد وقوع من فعل ذلك في غضب الله ولعنته «وَمَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، ... فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً».

وقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ كَفَرَ»، فهذا تحذير شديد من النبي ﷺ من الرغبة عن الآباء والانتساب إليهم. لأن الأصل في الإسلام الانتساب إلى الأب، ولا يجوز التخلي عنه إلى نسب آخر - كما هو الحال في بعض البلاد الإسلامية - تمشيًا مع العادات الغربية بانتساب المرأة إلى نسب زوجها بعد زواجها، وتركها الانتساب لأهلها، فهذا حرام كما هو منطوق الأحاديث الشريفة[2]، ويلحق بهذا ما يفعله بعض المشاهير من الانتساب إلى غير آبائهم الأصليين. فكل هذا يدل على خسة ونذالة مع الوالد، فبدلاً من مكافأته وبره بالتشرف بالانتساب إليه، يكون الانتساب إلى غيره.

فينبغي على المربي والمجتمع بأسره غرس قيمة الانتساب إلى الآباء في نفوس الناشئة، وتنشئتهم على احترام الآباء وتقديرهم لا التبرئ من الانتساب إليهم، وليعلم

---

(١) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد ص ٢٨٥.

(٢) انظر: بر الوالدين، د. خليل إبراهيم ملا خاطر العزامي ص ٢٢١، ٢٢٢.

الجميع أن الأب من اختيار الله للإنسان فقد اختار الله لكل إنسان من بين البشر أبًا واحدًا، ولا يوجد اختيار أفضل من اختيار الله عز وجل، فينبغي على المسلم أن يفضل ويعتز باختيار الله له بالانتساب إلى أبيه، ولا يسعى إلى أن يختار غيره، أو يرضى باختيار غيره له أبًا غير أبيه.

ثانيًا- أسلوب الترهيب:

لقد رهبت أحاديث الباب من انتساب الإنسان إلى غير أبيه، بالحرمان من الجنة، وكفر من يرغب عن أبيه ويدعى إلى غيره، ولعنة الله وملائكته والناس أجمعين له ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، وأنه ليس من المسلمين، وليتبوأ مقعده من النار.

ورهبت من أحدث حدثًا في المدينة المنورة، وإيواء من أحدث حدثًا فيها. كما رهبت من تولية العبد لغير مواليه، ورهبت من رمي المسلم بالكفر، أو عداوة الله.

وأسلوب الترهيب من الأساليب التربوية التي لا يستغنى عنها المربي في أي زمان ومكان، لأنه يستند إلى ما فطر الله عليه الإنسان من الرهبة من الألم والشقاء وسوء المصير، وهو وعيد وتهديد بعقوبة مؤكدة تترتب على القيام بسلوك غير مرغوب فيه، وهو يؤدي دورًا مهمًا في تغيير سلوك الأبناء خاصة إذا أحسن استخدامه، وإذا أدرك الأبناء من خلال هذا الأسلوب النتائج التي يمكن أن تترتب على سلوكهم غير المقبول[1].

ثالثًا- من مصادر التربية: القرآن الكريم:

من مصادر التربية التي يتضمنها هذا الباب: القرآن الكريم، وهذا في قول علي بن أبي طالب ﷺ: «لاَ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللَّهِ».

إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتربية الإسلامية، والذي تُستَمَّد منه، وفي هديه أهدافُها، ومادتُها، وطرقها ووسائلُها، والذي على ضوئه تقيم تلك التربية وتعدل. فهو كلام الحق تبارك وتعالى، ومنهجه الشامل للحياة بكاملها[2].

ولقد ترك أثرًا لا شك فيه في تربية النفس، بداية من الرسول ﷺ الذي كان

---

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية، د. محمد شحات الخطيب وآخرون ص ٨٤، ٨٥.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي ص ٦٥.

خلقه القرآن، وقال تعالى له: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[١]، والصحابة لم يتوقفوا عند مجرد حفظ القرآن بل تعدى ذلك إلى العمل به وتطبيقه حتى كان له أثر عظيم في تربيتهم.

والقرآن الكريم يربى من خلال الإقناع العقلي المقترن بالعواطف والانفعالات الإنسانية ويبدأ من المحسوس إلى المجرد، ثم ينتقل إلى استلزام وجود الله وعظمته، وهو في ذلك يستخدم أساليب تربوية عدة منها: الاستفهام بغرض التقريع أو التنبيه أو التحبيب، والتذكير بالجميل أو نحو ذلك مما يثير في النفس الانفعالات الربانية كالخضوع والشكر، ثم محبة الله، ثم تأتي العبادات والسلوك المثالي تطبيقًا عمليًا للأخلاق الربانية، وحسبنا أن نبين أن القرآن الكريم قد بدأ بآيات تربوية فيها إشارة إلى أن أهم أهدافه تربية الإنسان بأسلوب حضاري فكري عن طريق الاطلاع والقراءة والتعلم والملاحظة العملية، وهكذا يقرر القرآن الكريم قابلية الإنسان للتربية[٢].

رابعًا- من وسائل التربية: الكتابة:

تعتبر الكتابة من وسائل التربية المفيدة وتظهر هذه الوسيلة في هذا الباب في قول يزيد بن شريك: رأيت عليًا رضي الله عنه على المنبر يخطب فسمعته يقول: «لاَ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا كِتَابٌ نَقْرَؤُهُ .... وما في هذه الصحيفة" فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل أو أشياء من الجراحات، وفيها قال رسول الله ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ.....إلخ» الحديث.

وفي ذلك جواز كتابة العلم، وأن السنة كُتب بعضها زمن رسول الله ﷺ[٣].

إن الكتابة أمر مهم لطالب العلم، ويحتاج دائمًا لتدوين مسموعاته ليرجع إليها متى شاء، لأن الإنسان مهما أوتي حفظًا وفهمًا فإنه عرضة للنسيان، وعدم استذكار تلك المسائل التي سمعها منذ زمن وكلما بعدت المدة كان النسيان أحرى.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٣٢.

(٢) أصول التربية الإسلامية، د. محمد علي عزب ص ١٢.

(٣) انظر: بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، سليم بن عيد الهلالي ٢/٢٧٠.

ولقد كان النبي ﷺ ينزل عليه القرآن، يستدعي أحد كتاب الوحي من أصحابه ليكتب الآيات التي نزلت[١].

كما شجع ﷺ على تعلم الكتابة، بافتداء أسرى بدر، بتعليم عشرة من أبناء المسلمين، فوضع بذلك أساسًا حضاريًا للتربية الإسلامية[٢].

وأمر ﷺ بكتابة حديثه لمن طلبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمّا فُتِحَتْ مَكّةُ قامَ رَسُولُ الله ﷺ فذكر الخطبة: فقامَ رَجُلٌ مِنْ الْيَمَنِ، فقالَ يَا رَسُولَ الله اكْتُبوا لِي، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: اكْتُبُوا لأبِي شَاةٍ»[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ما مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ أحَدٌ أكثرَ حَديثًا عنهُ منِّي، إلا ما كان من عبدالله بنِ عمرو، فإنه كان يكتُبُ ولا أكتُبُ»[٤].

فالكتابة وسيلة تربوية مهمة لحفظ العلم والإفادة منه، كما أنها وسيلة وأداة تنوير وتثقيف، وخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه وسائل الكتابة، من صحف ومجلات، وكتب قصصية وأدبية وغيرها من الوسائل المكتوبة، فينبغي على القائمين على هذه الوسائل العناية بها بإبراز القيم الإسلامية المختلفة، من أجل تنوير وتثقيف وتربية المجتمع المسلم عليها.

خامسًا- من أهداف التربية: البعد عن تكفير المسلمين ووصفهم بعداوة الله:

إن التكفير والتفسيق، والإخراج من الملة أمر خطير، وذنبه عظيم لهذا قال ﷺ: «مَنْ دَعا رَجُلاً بالكُفْرِ أو قالَ: عَدُوُّ اللّهِ ولَيْسَ كَذَلِكَ، إلا حارَ عَلَيْهِ».

يقول شيخ الإسلام: "ومن جالسني يعلم ذلك مني ؛ أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسبَ معيَّنٌ إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية؛ إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى، وإني أقرر

---

(١) آداب المتعلمين، د. أحمد بن عبدالله الباتلي ص ٩٠.

(٢) التربية في الإسلام، د. أحمد فؤاد الأهواني ص ١٨.

(٣) أخرجه البخاري ١١٢، ومسلم واللفظ له ١٣٥٥.

(٤) أخرجه البخاري ١١٣.

أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية"[١].

هذه قضية أصولية في العمل الإسلامي عدل في فهمها الكثير من الدعاة عن جادة الصواب، فتارة يحكم أحدكم بالكفر على أخيه المسلم لمجرد مخالفته لقضية اعتقادية كل له برهانه ودليله، وتارة يحكم عليه بالفسق والمعصية لقضية فرعية يتعذر فيها الجمع على قول واحد، بل الأدهى من ذلك والأمر، أن أحدهم يدعى لنفسه ولجماعته سلامة الاعتقاد والاجتهاد مطلقًا، ولغيره مظنة الخطأ والزلل. متجاهلاً هدي القرون الأول من الصحابة والتابعين، فهذه عائشة وغيرها من الصحابة كانوا يتنازعون في رؤية محمد ﷺ لربه، حتى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ومع هذا لا تقول لابن عباس وغيره من المنازعين لها أنه مفتر على الله، يقول صاحب متن الطحاوية[٢] مبينًا الضابط الشرعي في التكفير والتفسيق وعدمه: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله" لقوله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا»[٣]. ويوضح لنا شارحها[٤] بقوله: وأما الشخص المعين، إذا قيل هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة فإن من أعظم البغي أن يشهد علي معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، لأن الشخص المعين، يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٢٩/٣.

(٢) أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي.

(٣) أخرجه البخاري ٣٩١، بلفظ «مَنْ صَلَّى صَلاتَنا، واسْتَقبَلَ قِبلتَنا، وأَكلَ ذَبيحتَنا، فذلكَ المُسلِمُ الذي له ذِمَّةُ اللهِ وذمة رسولِهِ، فلا تَخفِروا اللهَ في ذِمَّتِه».

(٤) علي بن أبي العز الأذرعي.

ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص[١]، ومن هنا فنحن لا نكفر مسلمًا أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأي أو بمعصية إلا إن أقر بكلمة الكفر أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة ونحوهما[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٢/٤٣٧، ٤٣٨.

(٢) الفوائد التربوية من فتاوى ابن تيمية، أحمد يوسف الأنصاري ص ٣٦، ٣٧.

٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب

ما نهى الله عز وجل أو رسوله ﷺ عنه

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢].

الحديث رقم (١٨٠٨)

١٨٠٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: ((**إنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ**[١]، **وَغَيْرَةُ اللهِ، أنْ يَأْتِيَ (المَرْءُ)**[٢] **مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ**[٣])) متفق عليه[٤].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن المسلم مطالب بالالتزام بما أمره به ربه، وبالانتهاء عما نهاه الله تعالى عنه، وإن الحق سبحانه وتعالى يغار أن تُنتهَك حرماته، وهذا الحديث الشريف في منطوقه البياني الدال المفيد يتصدره التأكيد بـ "إن" حيث يقول رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يغار"، وهذا التأكيد يفصح عن صدق الخبر، وعن الرغبة في إقناع المتشككين في ذلك، والشاك يساق إليه الخبر في ثوب التأكيد حتى يزول الشك من ذهنه، ويتفتح قلبه لضياء اليقين، وتستجيب حواسه لنداء الإيمان فيعي ما يَسْمع وينفذ ما يقرأ أو يُلقى إليه

---

(١) عند مسلم زيادة: (وإن المؤمن يغار).

(٢) لفظ البخاري: (المؤمن)، والمثبت لفظ مسلم.

(٣) (عليه) لا توجد عند البخاري.

(٤) أخرجه البخاري ٥٢٢٣، ومسلم ٢٧٦١/٣٦، وتقدم برقم ٦٤. أورده المنذري في ترغيبه ٣٤٥٣.

من تعاليم وتوجيهات، والفعل "يغار" يرشد إلى استمرار هذه الغيرة، لأن الناس في صراعهم مع مكابدات الحياة يقترفون المعاصي، ويجترحون السيئات، والغيرة بالنسبة إليه تعالى كما قال العلماء غايتها المنع، أي منع العبد من فعل المحرمات "والجملة الثانية" في الحديث إخبارية اسمية وهي تفسير لمفهوم "غيرة الله" لأنها ليست كغيرة البشر، فالبشر يغارون حسداً وحقداً، على غيرهم، وبدافع من التضرر والأذى كما تغار النساء من الضرائر، ودلالة الغيرة في اللغة: لا تتفق مع مفهوم الغيرة في هذا الحديث...، ففي الحديث تغير عن حاله تحول وغيَّره: جعله غير ما كان وحوَّله وبدَّله، ويقولون: أغار أهله، تزوج عليها ففارت.

ومفهوم الغيرة في هذا الحديث له أفق جديد يتسق مع منهج الإسلام في علاقة العبد بربه، وعلاقته بالناس، وما أوجز هذا البيان، وما أجمله! وما أشمله! وما أكمله! وهو قول رسول الله ﷺ وغيرة الله أن يأتي المرءُ ما حرم اللهُ عليه".

وتكرار لفظ الجلالة في الحديث ثلاث مرات، لمزيد من التأثير في النفوس، وزرع الهيبة والخوف من الله تعالى في القلوب، وللإشعار بأن الأمر جد، وأن غيرة الله لا يطيقها أي إنسان مهما كان، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

فقه الحديث

وفي الحديث من الفقه: النهي عن ارتكاب ما حرم الله تعالى من الفواحش وسائر المنهيات، والمحرمات، لأن حمى الله في أرضه محارمه، ولأجل الغيرة، حرم الله الفواحش ما ظهر منها، وما بطن[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) سورة النور، آية: ٦٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٧٧/١٧، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢٧٧/٤.

(٣) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦٤).

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- التربية على تعظيم حرمات الله واجتناب المعاصي:

إن من أعظم أهداف التربية الإسلامية تعظيم حرمات الله واجتناب المسلم للمعاصي، لذا كان تحذير الإسلام من ارتكاب ما نهى الله عز وجل أو رسوله ﷺ.

وجاء حديث الباب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن اللّه تعالى يغار، وغيرة اللّه أن يأتي المرءُ ما حرم اللّه عليه».

فإن من أمارات صدقِ الإيمان وقوتِّه بُعد العبد عن معصية الله تبارك وتعالى وتعظيمه لمحارمه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «المؤمنَ يرَى ذنوبهُ كأنه قاعدٌ تحتَ جَبل يَخاف أن يَقعَ عليه، وإن الفاجرَ يَرى ذنوبهُ كذُبابٍ مرَّ على أنفهِ فقالَ به هكذا - قال أبو شهاب بيدهِ فوق أنفهِ»[1].

ومن ثم كان من أهم ما ينبغي أن يعني به المربي، غرس تعظيم حرمات الله ومعاصيه في نفوس من يربيهم.

ومن الوسائل التي تعينه على ذلك:

أ- تذكيرهم بشأن الذنوب والمعاصي وخطورتها، وأثرها على النفس.

ب- ابتعاده هو عنها، ومجانبته إياها.

ج- أن يروا منه تعظيمها واستنكاف إتيانها، وتأثره حين يرى أحدًا يواقعها، وهو سلوك لا يستطيع أن يتكلفه من لم يستقر تعظيم حرمات الله في قلبه.

د- أن يجنبهم المواطن التي تظهر فيها المعاصي، ويعوِّدهم على هجرها إن لم يستطيعوا إنكارها، لذا فقد عظم الشرع عقوبة المجاهر بالمعصية، ونهى عن مجالسة أهل العصيان إن لم يرتدعوا عن ذلك ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٣٠٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤٠.

هـ- ألا يتساهل بمجاهرة أحد بها، وأن يناصحه حين يراه وقع. محذرًا إياه من شؤمها وأثرها[1].

❁ ❁ ❁

(١) تربية الشباب، "الأهداف والوسائل"، محمد بن عبدالله الدويش ص ٦٠، ٦١.

٣٦٩- باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيًا عنه

قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[فصلت: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

الحديث رقم (١٨٠٩)

١٨٠٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاَّتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرك فَلْيَتَصَدَّقْ**)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

باللات والعزى: اللات: اسم صنم كان لثقيف بالطائف. والعزى: أيضًا صنم من الأصنام، كانا يعبدهما المشركون[2].

أقامرك: ألاعبك القمار[3].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٨٦٠، ومسلم ١٦٤٧/٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ل و ت)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ٢٨٠.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ق م ر).

الشرح الأدبي

إن معالم التصور الإسلامي لها آفاقها وأبعادها، التي يجب أن يفيء إليها المسلم من هجير الأفكار المادية، ومن نوازع القلق، ولوافح الشرور، وهذه المعالم التي يَسْبح في هالاتها قلبُ المسلم، ويحلّق عقله في ملكوتها هي: (الربانية-الثبات- التوازن- الشمولية-الواقعية-الإيجابية – التوحيد).

وعقيدة التوحيد تحصين لقلب المسلم ولسانه وعقله من الحلف بغير الله عز وجل، ولذلك يضع رسول الله ﷺ أمام كل مسلم هذه القاعدة الشرعية، التي تنجيه من ظلمات التردي في مهاوي الشرك والغواية والضلال، وهذه القاعدة تصاغ في قالب الشرط والجواب: في قوله ﷺ: "من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل "لا إله إلا الله". وجواب الشرط واجب التنفيذ لأنه تصدّرته لام الأمر، ومقول القول الواجب النطق به -تكفيرًا عن الحلف باللات والعزى- هو شهادة التوحيد "لا إله إلا الله".

والجزء الثاني من الحديث يعالج سلوكًا اجتماعيًا معوجًا، وهو "المقامرة"، ومَنْ تواعد مع صاحبه على مثل هذا السلوك، فإن كفارة هذا السلوك المنحرف عن طريق الهداية، وعن معالم التصوير الإسلامي: هو التصدق، والمقابلة بين المقامرة والتصدق، ترشد إلى أن المقامرة سلوك خاسر يفسد العلاقات، ويمُزقُ الأواصر، ويشُوِّه صورة المجتمع، وأما التصدق، فهو دواء ناجع لداء المقامرة، فالتصدق عطاء، والمقامرة وباء، والتصدق إصلاح وتراحم ، والمقامرة إفساد وتخاصم، والمقامرة إفلاس وضياع، والتصدق إثراء وقضاء على الآلام والأوجاع.

وجواب الشرط مقترن بلام الأمر، فهو واجب التنفيذ: حتى يتطهر العبد من دنس المقامرة، كما قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[1]. والله أعلم.

فقه الحديث

يشتمل الحديث على الأحكام الآتية:

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

١- تحريم الحلف باللات، والعزى، وغيرهما من الأصنام، هذا ما لم يعتقد تعظيمها، فإن اعتقد تعظيمها كفر[١] والعياذ بالله.

ولكن هل تجب عليه كفارة لهذا الحلف أم لا؟

اختلف الفقهاء في ذلك على رأيين:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء[٢]، ويرون أن من حلف باللات والعزى، وغيرهما من الأصنام لا تجب عليه كفارة، وكفارته أن يقول: لا إله إلا الله.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

أ- حديث الباب، وفيه أن الرسول ﷺ قد أمر من حلف بذلك أن يقول: لا إله إلا الله، ولم يذكر كفارة[٣].

ب- ولأن الكفارة وجبت في الحلف بالله تعالى صيانة لأسمائه وصفاته، وغيره - تعالى- لا يساويه في ذلك[٤].

ج- ولأن الأصل عدم الكفارة، حتى يثبت فيها شرع، ولم يثبت بل الثابت هو قول: لا إله إلا الله، على نحو ما ذكرنا[٥].

الرأي الثاني: وهو ما ذهب إليه الحنفية[٦] ويرون أن من حلف بذلك تجب عليه

---

(١) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٩/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٥/٢.

(٢) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي ٤٠٩/١، وحاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي ٢٥/٢، وروضة الطالبين وعمدة المفتين، الإمام النووي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض ٧/١١، وإعانة الطالين ٣١٤/٤، ومنار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٨٥/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣٨٦/٩، والمحلى، ابن حزم ٥١/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

(٤) منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان ٢٨٥/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

(٦) شرح فتح القدير، ابن الهمام الحنفي ٧٤/٥.

الكفارة، وذلك لأن الله تعالى قد أوجب على المظاهر الكفارة، لأنه منكر من القول وزور، والحلف بهذه الأشياء منكر من القول وزور، فتجب فيها الكفارة، كما وجبت في الظهار.

والراجح: هو ما ذهب إليه الجمهور، للحديث، وللمعنى الذي ذكروه.

٢- تحريم القمار، لأنه من أكل أموال الناس بالباطل[١]، ويجب على من قال لصاحبه تعالى أقامرك أن يتصدق تكفيرًا لخطيئته[٢].

ولكن هل يتصدق بقدر معين من المال، أم بما تيسر؟

ذهب الجمهور[٣] إلى أنه يجب أن يتصدق بما تيسر له، وبما تطيب به نفسه.

وذهب الخطابي[٤] إلى أنه يجب عليه أن يتصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به.

والصواب الذي عليه المحققون هو الأول، لظاهر الحديث، ويؤيده ما جاء في رواية معمر التي ذكرها مسلم "فليتصدق بشيء"[٥] فيكفي ما ينطبق عليه اسم الصدقة[٦].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله وحث من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله.

ثانيًا: من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية في الحلف.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الدعوة للقمار وأهمية التوبة من المعاصي والذنوب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧١/٦، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٦٧/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١، وفتح القاري ٦١٢/٨.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٦٧/٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥١/٨، والمحلى، ابن حزم ٦١٢/٨.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٢/٨، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

(٥) أخرجه مسلم بعد الحديث ١٦٤٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦١٢/٨، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٧/١١.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف بغير الله وحث من حلف باللات والعزى أن يقول لا إله إلا الله:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: باللات والعُزى فليقل: لا إله إلا الله).

قال النووي: "إنما أمر بقول لا إله إلا الله، لأنه تعاطى تعظيم صورة الأصنام حين حلف بها، قال أصحابنا: إذا حلف باللات والعزى وغيرهما من الأصنام أو قال: إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام أو بريء من النبي ﷺ أو نحو ذلك، لم تنعقد يمينه، بل عليه أن يستغفر الله تعالى ويقول: لا إله إلا الله، ولا كفارة عليه سواء فعله أم لا، هذا مذهب الشافعي ومالك وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: تجب الكفارة في كل ذلك إلا في قوله: أنا مبتدع أو بريء من النبي ﷺ، أو واليهودية، واحتج بأن الله تعالى أوجب على المظاهر الكفارة لأنه منكر وزور، واحتج أصحابنا والجمهور بظاهر الحديث فإنه ﷺ إنما أمر بقول لا إله إلا الله ولم يذكر كفارة، ولأن الأصل عدمها حتى يثبت فيها شرع، وأما قياسهم على الظهار فينتقض بما استثنوه"[1].

واللات والعزى أصنام كان يعبدها المشركون قبل الإسلام، وجاء ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[2].

قال ابن كثير: "في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى)، فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك، كما كانت ألسنتهم قد اعتادته في زمن الجاهلية... وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر، تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر، لأنها أشهر من غيرها"[3].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٤٨.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٩ - ٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٥/٧ - ٤٥٦.

وقال ابن حجر: "قال البغوي في شرح السنة تبعًا للخطابي: ... وإنما أمره بالتوحيد، لأن الحلف باللات والعزى يضاهي الكفار، فأمره أن يتدارك بالتوحيد"[١].

وقال ابن عثيمين: (اللات صنم يعبده الجاهليون في الجاهلية وكذلك العزى... كما كانوا يحلفون بهما كما يحلفون بالله فيقولون: واللات، أو واللات والعزى، فإذا قال الإنسان ذلك فإنه شرك يداوى بالإخلاص، ولهذا قال: فليقل: لا إله إلا الله، ليداوي الشيء بضده)[٢].

ثانيًا- من مهام الداعية: تحذير المدعوين من الوقوع في المخالفات الشرعية في الحلف:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله...).

(فالحلف على الشيء يفيد توكيد المحلوف عليه، باقترانه بما يعظم عند السامع والمتكلم، وقد علمنا الرسول ﷺ بمن نحلف ونؤكد أقوالنا إذا أردنا الحلف ومن نعظم، فبين لنا أن نحلف بالله، لأن التعظيم الحقيقي لا يكون إلا له سبحانه وتعالى، وهو الجدير بالإجلال والإكبار[٣]، فقال ﷺ: ((مَن كانَ حالِفًا فَلْيَحلِفْ باللهِ أو لِيَصْمُت))[٤].

فينبغي على المسلم عدم الحلف إلا بالله، وعلى الداعية أن يحذر المدعوين من الحلف بغير الله، ويبين لهم أن الحلف بغير الله فيه مخالفة لشريعة الله وأوامره.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الدعوة للقمار وأهمية التوبة من المعاصي والذنوب:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق).

قال القرطبي: (وقوله: "من قال: تعال أُقامِرْكَ فليتصدَّق" القول فيه كالقول في اللات؛ لأنهم كانوا اعتادوا المقامرة. وهي من أكل المال بالباطل. ولما ذمها النبي ﷺ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر ٥٤٥/١١.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٥١/٢.

(٣) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ٢٥٧.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٤٦، ومسلم ٤٢٣٣.

بالغ في الزجر عنها، وعن ذكرها، حتى إذا ذكرها الإنسان طالبًا للمقامرة بها؛ أمره بصدقة. والظاهر: وجوبُها عليه؛ لأنها كفارة مأمورٌ بها، وكذلك قول: لا إله إلا الله. على من قال: واللات. ثم هذه الصدقة غير محدودة، ولا مقدرة، فيتصدَّق بما تيسَّر له مما يصدق عليه الاسم. كالحال في صدقة مناجاة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[1] فإنها غير مقدَّرة)[2].

قال الطيبي: "أقول: إنما قرن القمار بذكر الأصنام تأسيًا بالتنزيل في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾[3]، فمن حلف بالأصنام فقد أشركها بالله في التعظيم، فوجب تداركها بكلمة التوحيد، ومن دعا إلى المقامرة فوافق أهل الجاهلية في تصدقهم بالميسر، فكفارته التصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به، أو بما تيسر مما يصدق عليه اسم الصدقة، وفيه أن من دعا إلى اللعب فكفارته التصدق، فكيف بمن لعب؟"[4].

وقال النووي: "قال العلماء: أمر بالصدقة تكفيرًا لخطيئته في كلامه بهذه المعصية، قال الخطابي: معناه فليتصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به، والصواب الذي عليه المحققون وهو ظاهر الحديث، أنه لا يختص بذلك المقدار، بل يتصدق بما تيسر مما ينطلق عليه اسم الصدقة[5]. فينبغي على المسلم إذا ارتكب معصية أن يتوب إلى الله ويتبعها بالحسنة، حتى تمحى عنه، قال رسول الله ﷺ ((... واتبع السيئة الحسنة تمحها))[6].

---

(١) سورة المجادلة، آية: ١٢.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٦٢٦/٤.

(٣) سورة المائدة، آية: ٩٠.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢١/٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٤٨.

(٦) أخرجه الترمذي ١٩٨٧، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦١٨).

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (ومن قال لصاحبه: تعالى أقامرك فليتصدق)، وأمره بالصدقة لمن دعا غيره إلى القمار، يدل على فضل الصدقة في تكفير الذنوب، وهذا ثابت في قوله ﷺ: ((وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ))[1].

كما أن الصدقة تكون وقاية من النار، كما قال رسول الله ﷺ ((اتقوا النار ولو بشق تمرة))[2]. وقال ﷺ: ((من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوة، حتى تكون مثل الجبل))[3]. وهذه المباركة والزيادة وتضعيف الله لها، يدل على فضلها ومحبته تعالى لها.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٧، ومسلم ١٠١٦.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

أولاً- من أهداف التربية الإسلامية فتح باب التوبة أمام المذنبين:

إن فتح باب التوبة أمام المذنبين يحقق هدفًا تربويًا عظيمًا، وهو إعطاء الأمل - لمن ضعف أو ارتكب الذنوب أو سيطر عليه الشيطان من المسلمين - في التوبة والعودة إلى الله تعالى باستغفار، والندم على المعاصي والذنوب، والتكفير عنها بالصدقات، واتباعها بالحسنات فهي تمحو السيئات.

وقد جاء هذا الباب بعنوان ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيًا عنه، وفيه حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ فقالَ في حَلِفِهِ: باللاَّتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ».

وقد خاطب المولى تبارك وتعالى سائر العباد من المؤمنين والكافرين، المرتكبين لمعاصي الكفر أو الكبائر أن لا ييأسوا من رحمة الله فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. فإن باب التوبة مفتوح، وإن الرب غفور رحيم، وقد نقل عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية أوسع ما في القرآن من الآيات معنى، تَسَع العبادَ وتجبرهم وتحيي آمالهم في العودة إلى الله، وعن ابن مسعود: أنها أكثر آية فرجًا في القرآن[2].

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بالتوبة وجعلها رجاءً للفلاح فقال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وعدّ المصر على ذنبه ظالمًا فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٥٣.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠/٢٢٧، ٢٢٨.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) سورة الحجرات، آية: ١١.

فالإسلام يتسم بنظرته الواقعية للإنسان، فهو ليس ملاكًا ولا شيطانًا، بل كائناً عاقلاً رفيعاً كريماً، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى عليين، وفيه من رغبات الجسم وأهواء النفس ما قرنه بالمزخرفين من الشياطين.. فمن طبيعته التسامي والارتقاء، ومن طبيعته السقوط والالتواء، وقد خلق هكذا بقضاء الله الكوني، وإرادة الله وحكمه الديني جاء منسجمًا مع قضائه الكوني، فما دامت طبيعة البشر قابلة للوقوع في الذنب، فإن الباب لا يوصد أمامه، وإن الرحمة لا يطرد عنها لئلا يظل في شقاء دائم وخطيئات يتبع بعضها بعضًا[1].

وقد كان الرسول ﷺ -مع أن الله تعالى أعلى منزلته ورفع قدره وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- لا يغفل يومًا عن التوبة والاستغفار ويوصي بها أصحابه رضي الله عنهم فيقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ. فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ، إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»[2].

ففي التوبة تجديد للإيمان وفي الاستغفار حياة للقلب[3].

فينبغي على المسلم إذا ارتكب ذنبًا أن يبادر بالتوبة والاستغفار والتكفير عنه والتحلل منه بما يخرجه من دائرة الإثم، ويرجعه إلى ربه وإلى الصراط المستقيم رجوعًا جميلاً.

ثانيًا- من أهداف التربية: الحث على بذل الصدقات:

إن الصدقة جالبة لمحبة الله، ودافعة لمقته وغضبه ومنجية من آثار الآثام لذا قال ﷺ: «وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ».

فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النارَ كما قال رسول الله ﷺ: «وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[4].

فعلى المربي غرس حب التصدق في نفوس الناشئة حتى يتعود المسلم منذ الصغر على

---

(١) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري ص ٧٩، ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٣) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ٨٠، ٨١.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

صفة الجود والكرم، والعطف على ذوي الحاجات والرحمة للفقراء، فالصدقة من أفضل الأشياء التي تعين المحتاجين، وتفرج كربات المكروبين، وتستر المعسرين، ومن أجل ذلك كان ثوابها عظيمًا، فينبغي الحرص عليها من كافة المسلمين، وغرس حبها في نفوس المتعلمين، ومما يعين على ذلك:

أ- أن يبين المربي لمن يقوم بتربيتهم ثوابها وفضلها عند رب العالمين.

ب- أن يحثهم على التصدق ولو بالقليل.

ج- أن يكون المربي مثالاً طيبًا وقدوة صالحة يقتدى بها، فيبدأ بنفسه بالتصدق حتى يكون فعله مطابقًا لقوله، فإن الفعل له تأثيره الكبير في نفوس المتعلمين، لأن من يقول الشيء ولا يفعله يكون منفرًا منه بفعله الذي لا يطابق قوله، فكيف يصدق الناشئة من يدعو إلى الشيء ولا يفعله، وينهي عن الشيء ويأتيه، فهذا خطأ جسيم ينبغي أن يحذره كل من يقوم بعملية التربية والتوجيه إذ أن الناشئة له متابعون، ويتأثرون بالسلوك سلبًا وإيجابًا، لذا وجب الحرص على التطابق بين القول والعمل.

١٨- كتاب المنثورات والملح

٣٧٠- باب أحاديث الدّجال وأشراط الساعة وغيرها

الحديث رقم (١٨١٠)

١٨١٠- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذلِكَ فِينَا، فَقَالَ: ((مَا شَأْنُكُمْ؟)) قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فقالَ: ((غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفَنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ؛ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ؛ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا لُبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: ((أَرْبَعُونَ يَومًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاَةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: ((لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ)).

قُلْنَا: يا رسولَ اللهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟

قَالَ: ((كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ، فَيَدْعُوهُم فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ،

وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إلى حَيثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأتِي عِيسَى ﷺ، قَومًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إذْ أوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى عِيسَى ﷺ: انِّي قَدْ اخْرَجْتُ عِبَادًا لي لا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أوائِلُهُمْ عَلَى بُحيرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وأصْحَابُهُ رضي الله عنهم (إلى اللهِ تَعَالَى) [1]، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ، وأصْحَابُهُ رضي الله عنهم إلى الأرْضِ، فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ.

فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى ﷺ وَأصْحَابُهُ رضي الله عنهم إلى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ مَطَرًا لاَ يُكِنُّ مِنهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأرْضِ: أنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى انَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ؛ وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي (القَبِيلَةَ) [2] مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذلِكَ إذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)).

رواه مسلم[3].

قوله: "خَلَّةَ بين الشام والعراق": أي طريقًا بينهما. وقوله: "عَاثَ" بالعين المهملة والثاء المثلثة، والعيث: أشد الفساد. "والذُّرَى" بضم الذال المعجمة وهو أعالي الأسنمة. وهو جمع

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم.

(٢) لفظ مسلم: (الفخذ).

(٣) برقم ٢٩٣٧/١١٠.

ذروة بضم الذال وكسرها. "واليَعَاسِيب": ذكور النحل. "وجِزْلَتَيْن" أي: قطعتين، "والغَرَضُ": الهدف الذي يرمي إليه بالنشاب، أي: يرميه رمية كرمي النشاب إلى الهدف. "والمَهْرُودَةُ" بالدال المهملة والمعجمة، وهي الثوب المصبوغ. قوله: "لا يَدَانِ" أي: لا طاقة. "والنَّغَفُ": دود. "وَفَرْسَ": جمع فريس، وهو القتيل. "والزَّلَقَةُ": بفتح الزاي واللام وبالقاف، وروى "الزُّلْفَةُ" بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وهي المرآة. "والعِصَابة": الجماعة. "والرسل" بكسر الراء: اللبن. "واللِّقْحَةُ": اللبون. "والفِئَامُ" بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعة. "والفَخِذُ من الناس: دون القبيلة.

ترجمة الراوي:

النواس بن سمعان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٩٠).

غريب الألفاظ:

غداة: الغداة: ما بين الفجر وطلوع الشمس. وقد تطلق ويراد بها مطلق الوقت[١].

فخفض فيه ورفع: خفض حقر، ورفع: عظمه[٢].

طائفة النخل: الطائفة: القطعة من الشيء، والمعنى أنه في بعض النخل[٣].

حجيجةُ دونكم: محاججه ومغالبه بإظهار الحُجّة عليه[٤].

قطط: شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة[٥].

عينه طافية: هي الحبة التي خرجت عن نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شَبّه عينه بها[٦].

خلة بين الشام والعراق: أي في طريق بينهما[٧].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (غ د و).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٦.

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ط و ف).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ج ج).

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ف و).

(٧) رياض الصالحين ٦١٥.

فعاثَ: أفسد أشد الفساد[١].

ما لبثه: مدة إقامته ومكثه[٢].

اقدروا قدره: التقدير أي: قياس الشيء بالشيء[٣].

كالغيث استدبرته الريح: الغيث استدبرته المراد به الغيم الذي جاءت به الريح فأسرعت به، وهذا يضرب في شدة السرعة[٤].

سارحتهم: السّارحة: الماشية التي تذهب أول النهار إلى المرعى[٥].

ذُرىً: جمع ذروة أعالي الأسنمة[٦].

وأسبغه ضروعًا: ضروعه طويلة لكثرة اللبن[٧].

وأمده خواصر: ممتلئة لكثرة الشبع[٨]، والخاصرة: ما تحت الجنب[٩].

ممحلين: مجدبين فلا ينزل المطر ولا تخرج الأرض نباتًا[١٠].

الخربة: الأرض الخربة، والبقاع الخربة[١١].

يعاسيب النحل: ذكور النحل[١٢]، جمع يعسوب[١٣].

---

(١) رياض الصالحين ٦١٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ب ث).

(٣) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ق د ر).

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٠٩/٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ر ح)، وشرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) رياض الصالحين ٦١٥، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ذ ر و).

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٨) المرجع السابق ١٦٩٧.

(٩) لسان العرب، ابن منظور في (خ ص ر).

(١٠) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ٤٦٤، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (م ح ل).

(١١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ١٨٠٩/٢.

(١٢) رياض الصالحين، ٦١٥.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور في (ع س ب).

جزلتين: قطعتين[١].

الغرض: الهدف الذي يُرمى إليه بالنَّشَّاب، أي: يرميه رميه كرمية النشاب إلى الهدف[٢].

مهرودتين: المهرودة: الثوب المصبوغ[٣].

قطر: الماء[٤].

تحدر منه جمان اللؤلؤ: الجمان، هي: حبات من الفضة تضع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته فسمى الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء[٥].

بباب لُدٍّ: بلدة قرب بيت المقدس[٦].

لا يدان: لا طاقة[٧].

فحرِّز عبادي إلى الطور: نحهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور[٨].

حدب ينسلون: يظهرون من غليظ الأرض ومُرْتَفِعَها[٩].

بحيرة طبرية: بحيرة في شمال فلسطين[١٠].

النغف: دُود[١١].

فرسي: القتيل[١٢].

---

(١) رياض الصالحين ٦١٥.

(٢) رياض الصالحين ٦١٥.

(٣) رياض الصالحين ٦١٥.

(٤) القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤٦٣.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٦) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٢٤.

(٧) رياض الصالحين ٦١٥.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٩) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح د ب).

(١٠) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٤٦.

(١١) رياض الصالحين ٦١٥.

(١٢) رياض الصالحين ٦١٥.

زهمهم: الريح المنتنة، أراد أن الأرض تُنتِنْ من جيفهم[١].

كأعناق البخت: نوع من الإبل، أي: طيرًا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت[٢].

مدر: هو الطين الصلب[٣].

وبر: وهو وبر الإبل لأن بيوتهم يتخذونها منه[٤].

الزُّلقة: وروي الزُّلفة بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي المرآة[٥].

العصابة: الجماعة[٦].

بقحفها: قشرها[٧].

الرسل: (الرِّسْلُ) بكسر الراء: اللبن[٨].

اللقحة: اللِّبُونُ[٩].

الفئام: الجماعة الكثيرة[١٠].

الفخذ: (الفَخِذُ) من الناس: دون القبيلة[١١].

آباطهم: جمع إبط: باطن الكتف[١٢].

يتهارجون فيها تهارج الحمر: يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ز هـ م).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨١٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (و ب ر).

(٥) رياض الصالحين ٦١٥.

(٦) رياض الصالحين ٦١٥.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ح ف).

(٨) رياض الصالحين، ٦١٥.

(٩) رياض الصالحين، ٦١٥.

(١٠) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ف م أ).

(١١) رياض الصالحين ٦١٥.

(١٢) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ١٧.

ولا يكترثون لذلك[1].

الشرح الأدبي

يموج هذا الحديث الشريف بأساليب متنوعة، وتراكيب متعددة، وصور مؤثرة دقيقة فاحصة.. وذلك في سياق وصف رسول الله ﷺ لفتنة المسيح الدجال، ومن جماليات الأداء الأسلوبي والتصويري في هذا البيان النبوي البليغ الدقيق:

١- عنصر التشويق.. ونزعة القَصّ، والتشويق يمتزج ببراعة الاستهلال في قول الصحابة رضي الله عنهم "ذكر رسول الله ﷺ: الدجال ذات غداة فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة من النخل، ومعنى خفّضه: حقّره، ورفعه: أي عظمه باعتبار فتنته، والدجال: هو المُمَوّه الكذاب، وقال ابن دريد: كل شيء غطيته: فقد دجلته، وسمى الدجال بذلك لأنه يغطى الأرض بالجمع الكثير كذبًا وزورًا وبهتانا.

٢- الحوار بين رسول الله ﷺ والصحابة الأجلاء حول: وصف المسيخ الدجال، وزمنه، وطرق مقاومته، ومكانه، وهو حوار بليغ دقيق التصوير، فيه إنذار وتخويف، وفيه إرشاد إلى كيفية النجاة من هذه الفتنة الطاغية.

٣- دقة التصوير في وصف "الدجال" حيث قال رسول الله ﷺ في صيغة التوكيد إنه شاب قطط: عينه طافية أو طافئة، كأنى "أشبهه بعبد العزى بن قطن"، وقد مهّد رسول الله ﷺ لهذا التصوير بالحث على عدم الوقوع في هذه الفتنة وبضرورة مقاومتها والنجاة منها: فقال في أسلوب شرطي يتسق مع طبيعة الجدال والحجاج التي لابد منها في مواجهة الفتن "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم".

٤- المقابلة والطباق بين مواقف الدجال الخادعة الكاذبة، والمفارقة في هذه المواقف الموهمة التي تدعو للعجب، وينخدع بها ضِعاف النفوس، وأصحاب الأهواء الذين لم يتحصّنوا بالإيمان، ولم يتزودوا بالتقوى، فالدجال يؤمن به بعض الناس، فيوهمهم

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/١٨١٠.

بالنعيم الزائف، ويزعمون أن السماء تمطر، والأرض تنبت بإرادة الدجال، والذين لا يستجيبون له يوهمهم أن الجدب والمحْل والقحط بسبب عدم استجابتهم، وهذا زيف وتمويه ودجل.

٥- الوصف الدقيق والتصوير الفائق للمسيح عليه السلام في تعبير بلاغي جميل حيث يقول: "فينزل عند المنارة البيضاء واضعًا كفيه على أجنحه ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ".

٦- الإيحاء بالهول، وتصوير ما يحدث من أحداث وفتن وابتلاءات إثر بعث يأجوج ومأجوج، وذلك من أمارات يوم القيامة، ولفظا يأجوج، وكذلك مأجوج، يتضمنان من خلال مادتهما اللغوية الإيحاء بالهول والفزع، وقيل إنهما مشتقان، من أجيج النار: أي التهابها، وقيل من: الإياجة، أي الاختلاط وشدة الحر، وقيل من الأج أي سرعة العدو، وقيل من الأجاج: أي الماء الشديد الملوحة، وجميع ما ذكر مناسب لحالهم.

٧- التشبيهات الدقيقة التي تَرصُد الحركة والهيئة واللون، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم.

"فيرسل الله تعالى طيرًا كأعناق البُخْت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله"، والصورة الأخرى تقابل هذه الصورة، وتقف على النقيض منها، لأنها تصور شرار الناس، والصورة الأولى تصور نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه، ولنتأمل هذه الصورة التي تلتهب بالشرور: حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم "ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر.. فعليهم تقوم الساعة".

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان ذكر الدجال وأهمية ذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم من الدجال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن نفسه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان صفة الدجال.

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨١٠- مع المضامين الدعوية للأحاديث التالية أرقامها: (١٨١١، ١٨١٢، ١٨١٣، ١٨١٤، ١٨١٥، ١٨١٦، ١٨١٧، ١٨١٨، ١٨١٩، ١٨٢٠، ١٨٢١).

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان طرق الوقاية من الدجال.

سادسًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان موطن خروج الدجال.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: مدة لبث الدجال في الأرض.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: بيان فتنة الدجال للناس.

عاشرًا: من موضوعات الدعوة: إثبات نزول المسيح عليه السلام وموطن نزوله.

الحادي عشر: من موضوعات الدعوة: بيان صفة المسيح وقتله للدجال.

الثاني عشر: من موضوعات الدعوة: إثبات خروج يأجوج ومأجوج وفتنتهم.

الثالث عشر: من موضوعات الدعوة: لجوء عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله وفضل ذلك.

الرابع عشر: من موضوعات الدعوة: بيان هلاك يأجوج ومأجوج وتطهير الأرض منهم.

الخامس عشر: من موضوعات الدعوة: بيان على من تقوم الساعة والنفخ في الصور.

السادس عشر: من موضوعات الدعوة: بيان بعث النار.

السابع عشر: من موضوعات الدعوة: حفظ مكة والمدينة من الدجال.

الثامن عشر: من موضوعات الدعوة: بيان أتباع الدجال.

التاسع عشر: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن خروج أحد المؤمنين للدجال.

العشرون: من موضوعات الدعوة: فضل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

الحادي والعشرون: من آداب المدعو: السؤال عما ينفعه.

الثاني والعشرون: من موضوعات الدعوة: هوان أمر الدجال على الله عز وجل.

الثالث والعشرون: من موضوعات الدعوة: إنذار الأنبياء أقوامهم من الدجال.

الرابع والعشرون: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أمته.

الخامس والعشرون: من أساليب الدعوة: الحوار والاستفسار.

السادس والعشرون: من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات.

السابع والعشرون: من أساليب الدعوة: الترهيب.

الثامن والعشرون: من أهداف الدعوة: تهيئة المؤمنين للابتلاء والتمحيص.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان ذكر الدجال وأهمية ذلك:

حيث جاء في هذه الأحاديث[١]:

١- "ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة..."

٢- "حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال..."

٣- "يخرج الدجال في أمتي..."

٤- "يخرج الدجال فيتوجه قبله..."

٥- "ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال..."

٦- "أن رسول الله ﷺ -ذكر الدجال بين ظهراني الناس..."

وهذا يدل على حرص النبي ﷺ على ذكر الدجال وبيانه للناس، والدجال معناه: الكذاب. قال ابن الأثير في النهاية: (أصل الدجل: الخلط. يقال: دجَّل إذا لبَّس وموّه. وقوله في الحديث "يكون في آخر الزمان دجالون" أي كذابون مموهون. وقد تكرر ذكر الدجال في الأحاديث النبوية، وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الألوهية، وفَعَّال من أبنية المبالغة: أي يكثر من الكذب والتلبيس"[٢].

وقال ابن منظور في اللسان: (ولفظ الدجال، مأخوذ من قولهم: دجل البعير، إذا طلاه بالقطران، وغطَّاه به، وسمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم، وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه)[٣].

والدجال يقال له المسيح فهو صفة له، قال النووي: (وأما الدجال فسمي مسيحًا لأنه ممسوح العين، وقيل لأنه أعور والأعور يسمى مسيحًا، وقيل لمسحه الأرض حين خروجه وقيل غير ذلك. والمسيح صفة لعيسى عليه السلام أيضًا، قال العلماء وسمي بذلك لأنه لم يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقال ابن الأعرابي المسيح الصديق، وقيل: لكونه ممسوح أسفل

---

(١) أي أحاديث الباب المشار إليها في الصفحة السابقة.

(٢) النهاية في غريب الحديث في (د ج ل).

(٣) لسان العرب، ابن منظور في (د ج ل).

القدمين لا أخمص له، وقيل: لمسح زكريا إياه، وقيل لمسحه الأرض أي قطعها، وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحًا بالدهن، وقيل لأنه مسح بالبركة حين ولد، وقيل: لأن الله تعالى مسحه أي خلقه خلقًا حسنًا وقيل غير ذلك. ومما ينبغي ذكره والتأكيد عليه أن عيسى عليه السلام مسيح هدى، والدجال مسيح ضلالة)[1].

وطالما أن النبي ﷺ ذكره فهو حق وموجود، قال النووي: (وهذه الأحاديث التي ذكر فيها الدجال، حجة لمذهب أهل الحق من أهل السنة، وجميع المحدثين والفقهاء والنظار في صحة وجود الدجال، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الحياة الدنيا والخصب معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا)[2].

وإذا كان الرسول ﷺ قد ذكره وبينه، فمن الأهمية بمكان بيان ذكر الدجال لتعريف الناس به، قال السفاريني: (ومما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، وقد قال المحاربي: ينبغي أن يرفع هذا الحديث يعني حديث الدجال إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب. فقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر. خاصة عندما تشرأب الفتن، وتكثر المحن وتندرس معالم السنن)[3]. قال د. محمد نعيم ياسين: (ومن أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول ﷺ بالدجال لكثرة تدجيله وكذبه، يدّعي الألوهية، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم، بما يحدثهم من خوارق العادات وعجائب الأمور بإذن الله سبحانه وتعالى، فيفتن به بعض الناس، ويثبت الله الذين آمنوا فلا ينخدعون بدجله وضلاله، ثم يأذن

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٠٨.

(٢) المرجع السابق ١٦٩٤.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ص ١٠٦/٢.

الله بالقضاء على فتنته فينزل عيسى عليه السلام فيقتله)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: خوف الصحابة رضي الله عنهم من الدجال:

حيث جاء في الحديث الأول: "ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا... إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم".

وهذا يدل على خوف الصحابة من الدجال، قال النووي: (وخفض بمعنى حقر، ورفع بمعنى عظم وفخم، فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته، والمحنة به، هذه الأمور الخارقة للعادة وقيل خفض بمعنى ليستريح من تعب الكلام، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد)[٢].

وقال الطيبي: (وقوله "حجيجه" أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والحجة الدليل والبرهان، وقوله "دونكم" فيه إرشاد إلى أنه ﷺ كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة، فإن قيل أو ليس قد ثبت أن الدجال لا يخرج ونبي الله ﷺ بين أظهرهم، بل لا يراه القرون الأولى من هذه الأمة، فما وجه قوله "إن يخرج وأنا فيكم" قال التوربشتي: إنما سلك هذا المسلك من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنته، واللجوء إلى الله تعالى من شره لينالوا بذلك الفضل من الله، ويتحققوا بالشح على دينهم)[٣].

جاء في فتح الملهم: (وقوله: "فخفض فيه ورفع" اختلفوا في المراد منه على قولين:

الأول: أن النبي ﷺ أكثر الكلام في شأنه، فتارة رفع صوته ليسمعه كل أحد، وأخرى خفض صوته ليستريح من تعب الجهر.

الثاني: أن المراد من التخفيض تصغير شأنه وتحقيره، كما ذكر أنه أعور وأنه أهون على الله من ذلك، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه

---

(١) الإيمان ٩٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٦.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١١٠.

يضمحل أمره ويقتل بيد عيسى عليه السلام والمراد من الترفيع تعظيم فتنته، حيث تصدر منه أمور خارقة للعادة، وأنه ليس بين يدي الساعة أحد أعظم فتنة من الدجال.

وقوله: "غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم" أي محاجه ومغالبه بإظهار الحجة عليه، والمراد أنه إن خرج في حياتي فأنا أكفيكم شره وأغلب عليه بنور حجة النبوة والمعجزات الباهرة. وإذا كان قد جاء في الأحاديث المتواترة خروجه في آخر الزمان بعد خروج المهدي وأن الذي يقتله هو المسيح عليه السلام فكيف ذكر رسول الله ﷺ احتمال خروجه في حياته ﷺ؟ وقد ذكر التوربشتي أن هذا من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنته. والأوجه من ذلك عندي أن يقال: إنه ﷺ ذكر هذا الاحتمال على سبيل الفرض، ووجهه أن الصحابة فزعوا من خروجه حتى زعموا أنه في طائفة النخل، فذكر أنه لا وجه لفزعهم وإن كان خارجًا في تلك الأيام على سبيل الفرض، لأنه ﷺ يكفيهم فتنته حينئذ، وليس المراد أن هذا الاحتمال قائم في نفس الأمر، لأن النبي ﷺ بين في نفس هذا الحديث أن المسيح عليه السلام هو الذي يقتله بباب لد)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الإنسان عن نفسه:

حيث جاء في الحديث "وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم" وهذا يبين مدى مسؤولية كل إنسان عن نفسه أمام فتنة الدجال، قال ابن عثيمين: (والمراد أنه إذا خرج الدجال بعد النبي ﷺ فكل إنسان يحاج عن نفسه، وقد استخلف ﷺ ربه أن يكون مؤيدًا للمؤمنين واقيًا لهم من فتن الدجال، الذي ليس بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أشد منها)[2]. ولا شك أن فتنة الدجال فتنة عظيمة (إن ما يدل على أن الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشرية، تحذير جميع الأنبياء منه.

ولقد جلّى لنا رسولنا محمد ﷺ حقيقة الدجال بأوضح بيان، وآكد برهان، حتى يكون المسلم على حذر منه، وينجو من فتنته العظيمة. وإن الإيمان بقضية الدجال

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٢٨٨-٢٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٥٤.

وما يقتضيها من كفره وضلاله وكذبه، يعني إن شاء الله النجاة من إفكه لمن حقق مقتضيات الإيمان بخروج الدجال، وأثر المعرفة بالدجال، هو العلاج بعون الله لمن أرسى قواعد هذا الاعتقاد في قلبه، وذلك يستلزم دراسة أمر الدجال: وهذا أمر لابد منه، إذ كيف يريد المسلم النجاة من فتنة الدجال وهو لا يعرف شيئًا عن هذه العقيدة الخطيرة. إذن، فعلى العبد المسلم أن يعني باهتمام بدراسة أمر الدجال بشيء من التفصيل، حتى تتضح أمامه هذه الحقيقة التي حذر منها النبيون أجمعهم؛ لأن الدجال يأتي بأمور عظيمة كجنته وناره، وسرعة انتقاله في الأرض، واستعانته بالشياطين، واستجابة الجماد والحيوان لأمره وغير ذلك من هذه الأمور، فإن لم يكن المسلم على دراية بهذه الفتن التي تُساق بإذن الله تعالى على يديه، صار في ريبة وشك من أمره، فإن علم ما يجب عليه تجاهه بدراسة نصوص رسول الله ﷺ، أصبح على بصيرة تامة من أمره، فينجو من غوائله بإذن الله.

لأنه يجد مثلاً أن الرسول ﷺ وصفه بأنه رجل جسيم أحمر، جعد الرأس أعور العين، كأن عينه عنبة طافية، وأنه رجل قصير مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن إلى غير ذلك من هذه الصفات، فإذا ما رآه المسلم بهذه الصفات علم يقينًا أنه الدجال الذي أخبر به رسول الله ﷺ. فعند ذلك لن يلتبس عليه أمره، ولن ينخدع بحيله وأباطيله)[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان صفة الدجال:

حيث جاء في الأحاديث:

١- "إنه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن...".

٢- "ألا إنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه: ك.ف.ر".

وهذه الروايات تبين صفة الدجال فهو:

١- شاب رجل من بني آدم وليس بامرأة ولا شيء آخر.

---

(١) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٦١، ٥٦٢.

٢- صفة شعره أنه قطط: قال النووي (أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة)[١]. وقال ابن الأثير: (الجعد من الشعر هو ضد السبط، لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم، وهو الشعر المسترسل. والقطط: الشديد الجعودة)[٢].

٣- وصفة عينه أنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية. قال النووي: (وطافية بالهمزة معناه ذهب ضؤها، وبغير همزة معناه ناتئة بارزة، وفي هذه الرواية أنه أعور العين اليمنى، وجاء في رواية أخرى أنه أعور العين اليسرى، وكلاهما صحيح. وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست بجحراء ولا ناتئة بل مطموسة. ووصف في أخرى بأنه جاحظ العين وكأنها كوكب، ويجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا، بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمزة وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز، وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه، وأعور العين اليمنى واليسرى، لأن كل واحدة منهما عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء، إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها، هذا آخر كلام القاضي، وهو في نهاية من الحسن)[٣].

وبمثل هذا الجمع قال التوربشتي فيما نقله عنه الطيبي: (ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة، أن يقدر أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة، فيصح أن يقال: لكل واحدة عوراء: إذ الأصل في العور العيب)[٤].

وفي حكمة بيان أنه أعور العين من صفات النقص فيه، قال ابن حجر: (وفي قوله "إنه أعور وإن الله ليس بأعور" اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة، لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٥٥، ٧٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠٨/١٠.

ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة، والإله يتعالى عن النقص، علم أنه كاذب)[١].

٤- ومن صفته أنه مكتوب بين عينيه: "ك. ف. ر"، قال النووي: (الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك)[٢].

وقال ابن حجر: (قال ابن العربي: وهذا إخبار بالحقيقة، فإن الإدراك في البصر يخلقه الله للعبد كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره وإن كان لا يعرف الكتابة، ولا يراه الكافر ولو كان يعرف الكتابة، فإن ذلك الزمان تخرق فيه العادات في ذلك)[٣]. ومما يدل على ذلك ما جاء في الحديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((... وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب))[٤].

جاء في فتح الملهم: (قوله: "كاتب وغير كاتب" يعني: من يستطيع الكتابة ومن لا يستطيعها، وقد تقدم أن ذلك على سبيل خرق العادة، بحيث يخلق الله تعالى إدراكًا في بصر المؤمن يدرك به ذلك)[٥].

٥- ومن صفته أنه أشبه بعبد العزى بن قطن، قال الطيبي: (لم يقل كأنه عبدالعزى؛ لأنه ﷺ لم يكن جازمًا في تشبيهه به، قيل: إنه كان يهوديًا، ولعل الظاهر أنه مشرك، لأن العزى اسم صنم، ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي هو رجل من بني المصطلق من خزاعة هلك في الجاهلية)[٦].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٠٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١٠٧.

(٤) أخرجه مسلم ٢٩٣٤.

(٥) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٢٨٦.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١١١.

وقد جاء في صفته من الأحاديث النبوية أيضًا عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُل قَصِيرٌ أفحج جَعْدٌ أعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلا جَحْرَاءَ، فإنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُم فاعْلَمُوا أنَّ رَبَّكُم لَيْسَ بِأَعْوَرَ))[1]. والخلاصة في صفة الدجال أنه (رجل من بني آدم له صفات كثيرة منها أنه رجل شاب أحمر قصير أفحج جعد الرأس، أجلى الجبهة عريض النحر، ممسوح العين اليمنى، وهذه العين ليست بناتئة ولا جحراء كأنها عنبة طافئة، وعينه اليسرى ظفرة غليظة ومكتوب بين عينيه (ك ف ر) بالحروف المقطعة، أو "كافر" بدون تقطيع يقرؤها كل مسلم كاتب وغير كاتب ومن صفاته أنه عقيم لا يولد له)[2].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان طرق الوقاية من الدجال:

حيث جاء في الحديث "فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" وقد بين النبي ﷺ أن من الوقاية والعصمة من فتنة الدجال، أن يقرأ عليه فواتح سورة الكهف.

قال ابن كثير: (ومما يعصم من الدجال الاستعاذة من فتنته وهي متواترة عن رسول الله ﷺ، وكذلك حفظ آيات من سورة الكهف، وكذلك الابتعاد عنه فلا يراه فإن من رآه افتتن، وكذلك سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما الله تعالى)[3]. هذا وقد دلت الأحاديث أنه ﷺ كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وأنه أمر أمته بذلك، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة ((اللّهمَّ إني أعوذُ بكَ من عذاب القبرِ، وَأَعوذ بكَ من فِتنةِ المسيحِ الدَجّالِ، وَأَعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا وفتنةِ المَماتِ))[4]. وأما حفظ آيات من سورة الكهف فقد جاء في الحديث عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ

---

(١) أخرجه أبو داود ٤٣٢٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٣٠).

(٢) أشراط الساعة، يوسف عبدالله يوسف الوابل، ط/١٨، دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢٤هـ ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/١٩٩، ٢٠٠.

(٤) أخرجه البخاري ٨٣٢، ومسلم ٥٨٧.

الدَّجَّالِ))[١]. وجاء في مسند أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ قَرَأَ عشر آيات من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال "قال حجاج: من قرأ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ))[٢]. قال النووي: (وسبب ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتتن بالدجال، وكذا في آخرها قوله: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ﴾[٣])[٤].

ولا شك أن هذا من خصوصيات سورة الكهف، وقد جاءت الأحاديث بالحث على قراءتها وخاصة في يوم الجمعة، ومن ذلك ما رواه الحاكم عن أبي سعيد الخدري ﷺ ((مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ))[٥]. وفي رواية لغير الحاكم: ((مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ))[٦]. إن فتنة الدجال عظيمة، يحتاج المسلم للوقاية منها أن يأخذ بما أرشدت إليه السنة النبوية في مثل هذه الأمور.

(وللعصمة من شر فتنة المسيح الدجال عدة تدابير ينبغي على المسلم المبادرة إليها ما دام في العمر فسحة، وفي الأمر سعة، ومن أهمها الاستعاذة بالله من فتنة الدجال في الصلاة، وتتأكد الاستعاذة بعد التشهد الأخير قبل السلام، ومن ذلك أيضًا حفظ الآيات العشر الأول من سورة الكهف، فليحرص المسلم على الاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال في كل صلاة اتباعًا لسنة الرسول ﷺ، وعلى حفظ العشر آيات الأول من سورة الكهف وتحفيظها لأبنائه، ومن ولاه الله أمرهم، وكذا المعلمين والمعلمات ينبغي لهم أن يحثوا الطلبة والطالبات على حفظها، وتشجيعهم على ذلك بالمسابقات

---

(١) أخرجه مسلم ٨٠٩.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤٤٦/٦ رقم ٢٧٥١٦، وقال محققو المسند: إسناده صحيح رجاله ثقات رجالين، ٥٠٩/٤٥.

(٣) سورة الكهف، آية: ١٠٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥٤٠.

(٥) مستدرك الحاكم ٣٦٨/٢، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٦٣٤٦ ص ٣٤٠/٥.

(٦) صحيح الجامع الصغير، الألباني، حديث رقم ٦٣٤٧ ص ٣٤٠/٥.

والأنشطة المتضمنة لحفظها. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام عدم مقدرة الدجال على دخول مكة والمدينة، فما أجدرنا إلى الأخذ بالتدابير السابقة تحرزًا من الوقوع في براثن هذه الفتنة، فما يدريك لعلها دنت أو أوشكت ساعتها، ولا يعلم الغيب إلا الله تعالى)[1].

سادسًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

حيث جاء في الحديث "فمن أدركه منكم..." وهذا يبين أن من أولى مهام الداعية أن يرشد المدعوين إلى ما فيه صلاحهم ومنفعتهم.

(ولقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة الدجال، فقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلم يدع ﷺ خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شرًا إلا حذرها منه، وكان كل نبي ينذر أمته الأعور الدجال، واختص محمد ﷺ بزيادة التحذير والإنذار، وقد بين الله له كثيرًا من صفات الدجال ليحذر أمته فإنه خارج في هذه الأمة لا محالة، لأنها آخر الأمم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين)[2].

ولقد أخبر الله عن محمد ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

إن الداعية الناجح ينفع الناس بعلمه، ولا يكتمه عنهم، فإن مهمة البلاغ من أعظم المهام التي تناط بالداعية.

قال الماوردي: (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم. وكيف يسوغ لهم البخل بما مُنِحُوه جودًا من غير بخل، وأُوتوه عفوًا من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم

---

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله أسره ص ١١٥-١١٩ بتصرف.

(٢) أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله يوسف الوابل، ٣٢٥.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

إليهم، ولانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[2].

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ العهد على أهل العلم أن يعلّموا. وقال بعض الحكماء: إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل، فأحرى أن يكون من قواعدها بذل ما يزيده البذل. وقال بعض العلماء: كما أن الاستفادة نافلة للمتعلم، كذلك الإفادة فريضة على المعلم. وقد قيل في منثور الحكم: من كتم علمًا فكأنه جاهله. وقال خالد بن صفوان إني لأفرح بإفادتي المتعلّم، أكثر من فرحي باستفادتي من المعلم.

ثم له بالتعليم نفعان:

أحدهما: ما يرجوه من ثواب الله تعالى، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة.

والنفع الثاني: زيادة العلم، وإتقان الحفظ، فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا على ما ليس عندك. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصُها ما أخذ منها، ولكن يُخمدها ألا تجد حطبًا، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقدُ الحاملين له سبب عدمه، فإياك والبخلَ بما تعلم. وقال بعض العلماء: علّم علمك، وتعلم علم غيرك، فإذًا أنت قد علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت)[3].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان موطن خروج الدجال:

حيث جاء في الحديث "إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينًا وعاث شمالاً

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٥٩.

(٣) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٨٧-٨٨.

يا عباد الله فاثبتوا" قال الطيبي: (وقوله "خلة بين الشام والعراق" أي في طريق بينهما وقيل للطريق والسبيل خلة؛ لأنه خل ما بين البلدين، أي أخذ محيط ما بينهما، وأما قوله "فعاث" قال التوربشتي: إشارة إلى أنه لا يكتفي بالإفساد في ما يطؤه من البلاد ويتوجه له من الأغوار والأنجاد، بل يبعث سراياه يمينًا وشمالاً، فلا يأمن شره مؤمن ولا يخلو من فتنته وطن)[١]. هذا وقد ثبت في صحيح مسلم على أن موطن خروجه من جهة المشرق في حديث الجساسة عن فاطمة بنت قيس: ((لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ. مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ». وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ))[٢]. قال النووي: (قال القاضي: لفظ "ما هو" زائدة صلة الكلام ليست بنافية والمراد: إثبات أنه في جهات المشرق)[٣]. وجاء أيضًا في سنن الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: ((حدثنا رَسُولُ الله قَالَ: الدَّجَّالُ يخرُجُ مِنْ أَرْضٍ بالمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُراسَانَ يتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كأَنَّ وُجُوهَهُمْ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ))[٤]. وأخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ التيجَانُ))[٥].

ويتحصل مما سبق، أن مكان خروج الدجال من جهة المشرق من خراسان من يهودية أصبهان، ثم يسير في الأرض فلا يترك بلدًا إلا دخله، إلا مكة والمدينة فلا يستطيع دخولهما لأن الملائكة تحرسهما. قال ابن حجر: (وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا)[٦]. وقال ابن كثير: (فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١١/١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٢٣٧، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٨٢٤).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٤/٣ رقم ١٣٣٤٤، وقال محققو المسند: حديث حسن. وأصبهان: مدينة في شمال غرب إيران تقع على نهر زنده رود وهي جنوب طهران، بينها وبين شيراز. واليهودية: محلّة عظيمة في مدينة أصبهان وكانت تطلق أحيانًا على أصبهان نفسها. انظر: تحقيق مسند أحمد ٥٦/٢١، ٥٧.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٧/١٣.

يقال لها: اليهودية)[١].

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: مدة لبث الدجال في الأرض:

حيث جاء في الحديث "قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" وقوله في الحديث أيضًا: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا..." وهذه الأحاديث تبين مدة لبث الدجال في الأرض، قال النووي: (قال العلماء: هذا الحديث على ظاهره، وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل، عليه قوله ﷺ في الحديث وسائر أيامه كأيامكم. وقولهم في الحديث "فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم" قال: "لا اقدروا له قدره" قال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى: "اقدروا له قدره" أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم، فصلّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر، فصلّوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب، فصلّوا المغرب، وكذا العشاء والصبح، ثم الظهر، ثم العصر، ثم المغرب وهكذا، حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة، فرائض كلها مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر، والثالث الذي كجمعة، فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه، والله أعلم)[٢].

وقال الطيبي: (قال التوربشتي: ولما تبين أن الدجال يبعث ومعه التشبيهات والتمويهات، فإنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة، إسفار بلا ظلام، وصباح بلا مساء، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٢٧/١٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة)[١].

وقال السفاريني: (أما قدر لبثه في الأرض فقد جاء في الخبر "أنها أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم" وقيل يمكث أربعين سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة. واختلف العلماء في تأويل الحديث، فمنهم من قال هو كناية عن اشتغال الناس بأنفسهم من الفتن، حتى لا يدروا كيف يمضي النهار، فيكون مضى النهار عندهم كمضي الساعة، والشهر كاليوم، والسنة كالشهر، ومنهم من قال بل هو على ظاهره. واختلف الجواب عن اختلاف الحديثين، فمنهم من مال إلى الترجيح، فيكون حديث النواس الأول أقوى لأنه أصح، وإن كان الثاني أيضًا صحيحًا فيقدم عليه، ومنهم من مال إلى الجمع وطريقه أن أيامه أربعون سنة، وتسمى السنين أيامًا مجازًا، كما يقال أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب)[٢].

وقد فصل القول حول هذه الآراء في مدة لبث الدجال صاحب فتح الملهم فقال: (قوله: "يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة" اختلف العلماء في تفسيره على ثلاثة أقوال:

١- إنه محمول على ظاهره، وإن هذه الأيام الثلاثة تطول حقيقةً، بحيث تصير حركة الشمس "أو الأرض" بطيئة، ولا تكمل دورة الليل والنهار في اليوم الأول إلا في وقت يستغرق سنة في الأيام العادية، وتكمل في اليوم الثاني بمقدار شهر، وفي اليوم الثالث بمقدار أسبوع. وإن ذلك سوف يقع على سبيل خرق العادة. وهذا الذي رجحه النووي والقرطبي والقاضي عياض وكثير من الشراح. قالوا: وليس ذلك ببعيد، لأن الله تعالى قادر على أن يجعل حركة الشمس "أو الأرض" بطيئة. وإن زمن الدجال تكثر فيه الخوارق، فمنها هذا.

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١٢/١٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ١٠٥/٢.

٢- ذكر ابن الملك عن بعض العلماء، أن المراد منه، أن اليوم الأول، لكثرة هموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين[١]، يُرى للناس طويلاً كسنة، وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره، فيُرى كشهر، والثالث يُرى كجمعة، لأن الحق في كل وقت يزيد قدرًا، والباطل ينقص حتى ينمحق أثرًا، أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم إلى أن تضمحل شدتها[٢].

ولكن هذا القول ردّه العلماء، لأنه لو كان هذا التأويل صحيحًا، لما كان هناك حاجة إلى السؤال عن أوقات الصلاة، ولما أجاب عنه رسول الله ﷺ بقوله: "لا، اقدروا له قدره" كما سيأتي، فإنه يكاد يكون صريحًا في أن المسلمين لا تكفيهم في ذلك اليوم صلاة يوم واحد.

وقد حكى القرطبي عن أبي الحسن بن المنادي أنه طعن في صحة هذه الكلمة من الحديث، أعني قوله: "أتكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: لا، اقدروا له قدره" وقال: هذه من الدسائس التي كابرنا عليها من خالف علينا، وقال: "ولو كان ذلك صحيحًا لاشتهر على ألسنة الرواة، كحديث الدجال، فإنه رواه خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم، وكان أعظم وأقصى من طلوع الشمس من مغربها".

ولكن رد عليه القرطبي بقوله: "وهذا الذي ذكر هذا الرجل، لا يقدح في الثقة بما انفرد به العدل، فإنه يسمع ما لم يسمع غيره،... وقد ذكر الحديث مسلم والترمذي وأبو داود، وحكموا بصحته، وتطرق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والتحرز، بعيد لا يلتفت إليه"[٣].

٣- والقول الثالث: ما ذكره التوربشتي ونذكر كلامه بلفظه، كما نقل عنه الطيبي في شرح المشكاة (١٠: ١١٢) قال: "قد تبين لنا بإخبار الصادق المصدوق ﷺ أن الدجال يبعث معه من الشبهات، ويفيض على يديه من التمويهات، ما يسلب عن ذوي

---

(١) المراد بـ"اللعين" المسيح الدجال.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري ١٠/١٩٤، ١٩٥.

(٣) شرح الأبي، محمد بن خلفة الوشتاني ٢/٢٧٠.

العقول عقولهم، ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم. فمن ذلك تسخير الشياطين له، ومجيئه بجنة ونار، وإحياء الميت على حسب ما يدّعيه، وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب، وتارة بالأزمة والجدب. ثم لإخفاء أنه أسحر الناس. فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا بأن نقول: إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم، حتى يخيّل إليهم أن الزمان قد استمرّ على حال واحدة، إسفار بلا ظلام، وصباح بلا مساء. ويحسبون أن الليل لا يمدّ عليهم رواقه، وأن الشمس لا تطوي عليهم ضياءها، فيقعون في حيرة والتباس من امتداد الزمان، ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار. فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادفة تلك الأحوال، ويقدروا لوقت كل صلاة قدرها، إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل، والله الموفق لإصابة الحق)[1].

وحاصل ما ذكره التوربشتي أن زمان ذلك اليوم لا يمتّد في نفس الأمر، ولا تبطؤ حركة الشمس "أو الأرض" بالنسبة إلى الأيام العادية، وإنما تسير الشمس أو الأرض على حركتها العادية، ولكن الدجّال يسحر الناس بحيث إنهم لا يشعرون بمرور الوقت، وحركة الشمس، إلا ببطء غير عادي، فيُخيَّل إليهم أن النهار قد امتد عليهم فوق امتداده العادي، وكذا الليل، حتى إنهم يحسبون أن دورة الليل والنهار إنما كمُلت في وقت يستغرق سنة في الأيام المعتدلة، وليس ذلك إلا من باب السحر والتخييل.

وهذا الذي ذكره التوربشتي رجحه علي القاري في مرقاة المفاتيح (١٠: ١٩٥) وذكر أنه هو التحقيق، والله سبحانه وتعالى أعلم[2].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: بيان فتنة الدجال للناس:

جاءت الأحاديث تدل على فتنة الدجال وأن فتنته من أعظم الفتن، وأن الله سبحانه يجعل معه من الأمور الخوارق والمبهمات التي فتن الناس معها، ومن فتنته ما يأتي كما

---

(١) قد ذكرنا رأي التوربشتي مختصرًا في شرح المضمون الثامن من المضامين الدعوية الواردة في شرح هذا الحديث، من نفس المرجع الذي ذكره صاحب فتح الملهم ونفس الجزء والصفحة.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٢/٢٩١-٢٩٣.

دلّت الأحاديث:

١- سرعته في الأرض: حيث جاء في الحديث "يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح" قال الإمام الطيبي: (والمراد بالغيث هنا الغيم إطلاقًا للسبب على المسبب، أي يسرع في الأرض إسراع الغيم إذا استدبرته الريح)[1]. وإذا كانت هذه سرعته فإنه لا يترك موضعًا في الأرض إلا ذهب إليه، وفتن الناس بما معه إلا مكة والمدينة، ومما يدل على هذا ما جاء في حديث الجساسة عن فاطمة بنت قيس: ((... وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منها استقبلني ملك بيده السيف صلتًا صدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها))[2].

٢- كثرة الخير لمن يصدقه وانحساره لمن يكذبه: حيث جاء في الحديث "فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعًا وأمده خواصر ثم يأتي على القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم". وهذا من أعظم الفتن للناس، حيث من يتبعه يكثر لديه الخير والضرع واللبن، ومن يكذبه ينقطع عنهم المطر، وتيبس الأرض والكلأ، والله يثبت من يشاء.

٣- استخراج كنوز الأرض: حيث جاء في الحديث "ويمر بالخرب فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل" وهذا من فتنته أيضًا. قال النووي: (والمراد باليعاسيب ذكور النحل خاصة وقيل جماعة النحل، وكني عن الجماعة باليعسوب، وهو: أميرها، لأنه متى طار تبعته جماعته)[3]. وقال الطيبي: (والمعنى: أنه يتبع الدجال كنوز الأرض كما تتبع اليعسوب النحل، وهو كناية عن سرعة اتباعه،

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١١٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

أي تتبعه الكنوز بالسرعة)[١].

٤- قتل شاب وإحياؤه: حيث جاء في الحديث "ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك". وهذا أيضاً من فتنته، لأن الإحياء والإماتة بيد الله وحده، ولكن هذا من فتنته للناس، وقد جاء في الحديث عن أبي أمامة الباهلي: ((وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِلأَعْرَابِي: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِهِ فَيَقُولاَنِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ))[٢].

٥- معه جنة ونار: حيث جاء في الحديث "أن الدجال يخرج وإن معه ماءً ونارًا فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب" وهذا أيضًا من عظيم فتنته، وجاء في حديث آخر "وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار". قال النووي: (قال العلماء: هذا من جملة فتنته، امتحن الله تعالى به عباده ليحق الحق ويبطل الباطل، ثم يفضحه ويظهر للناس عجزه)[٣]. وقال ابن حجر: (وهذا كله يرجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة للرائي، فإما أن يكون الدجال ساحرًا فيخيل الشيء بصورة عكسه، وإما أن يجعل الله باطن الجنة التي يسخرها الدجال نارًا، وباطن النار جنة، وهذا هو الراجح. وإما أن يكون ذلك كناية عن النعمة والرحمة بالجنة، وعن المحنة والنقمة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة وبالعكس، ويحتمل أن يكون ذلك من جملة المحنة والفتنة، فيرى الناظر إلى ذلك من دهشته النار فيظنها جنة وبالعكس)[٤].

٦- معه جبل خبز ونهر ماء: حيث جاء في الحديث "إنه معه جبل خبز ونهر ماء"

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١١٣/١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤٠٧٧، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير برقم ٧٧٥٢، ٢٧٣/٦، وضعفه في ضعيف سنن ابن ماجه ٨٨٤).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٧/١٣.

وهذا من عظيم فتنته للناس قال النووي: (والمراد أن الله جعل له ذلك ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوه)[١].

٧- عظم فتنته وهولها: حيث جاء في الحديث "لينفرن الناس من الدجال في الجبال" وجاء أيضًا: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال" قال السفاريني: (وأما الدجال فتنته عظيمة، وما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال، وما من نبي إلا حذر قومه الدجال)[٢].

ويكفي في عظم فتنته ما تم إيراده سابقًا (والدجال شخص من بني آدم له بعض صفات المردة من الجن، وهو محبوس الآن في قيد بجزيرة، وفتنته أعظم فتنة في تاريخ البشر، حيث يجري الله على يديه أمورًا خارقة للعادة، ولهذه الأمور العظيمة التي يضل من يراها، فقد حذر كل نبي أمته من فتنته)[٣].

وقال الطيبي: (والدجال فتنته عظيمة جدًا، تدهش العقول، وتحير الألباب، مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص، فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. أما أهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون بما فيه؛ لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. وهذه الأحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله تعالى به عباده)[٤].

عاشرًا- من موضوعات الدعوة: إثبات نزول المسيح عليه السلام وموطن نزوله:

حيث جاء في الحديث "فبينما هو كذلك إذ بعث الله تعالى المسيح عيسى ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين" وقوله في الحديث أيضًا: "فيبعث

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٠.

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ٢/ ٩٠.

(٣) من مقدمة تحقيق كتاب الفتن للإمام حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، تحقيق د. ناصر حسن صبري، ط/١، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص ٧، ٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/ ١٠٩.

الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه" وفي هذا إثبات لنزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان لقتل الدجال. قال القاضي عياض: (ونزول عيسى المسيح وقتله الدجال حق صحيح عند أهل السنة؛ لصحيح الآثار الواردة في ذلك؛ ولأنه لم يرد ما يبطله ويضعفه، خلافًا لبعض المعتزلة والجهمية، ومن رأى رأيهم من إنكار ذلك، وزعمهم أن قول الله تعالى عن محمد ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، وقوله ﷺ: ((لا نبي بعدي))[2] وإجماع المسلمين على ذلك وعلى أن شريعة الإسلام باقية غير منسوخة إلى يوم القيامة - يرد هذه الأحاديث. وليس كما زعموه؛ فإنه لم يرد في هذه الأحاديث أنه يأتي بنسخ شريعة ولا تجديد أمر نبوة ورسالة، بل جاءت بأنه حكم مقسط، يجيء بما يجدد ما تغير من الإسلام، وبصلاح الأمور والعدل، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، وأن إمام المسلمين منهم كما قال عليه السلام.

وأما قوله: "ويضع الجزية": فليس معناه: أنه يسقطها عمن تجب عليه بخلاف شريعتنا، بل قيل: يسلم الكافر فلا يبقى مَنْ يعطي جزية، وقد يقال: إنه يقهر جميع الكفرة حتى لا يبقى له معاند ولا مقاتل، إلا من أسلم أو ألقى بيده، أو أعطى الجزية صاغرًا، ويكون وضع الجزية: أي يوظفها على كل من كفر؛ لا أنه يسقطها)[3].

وقال صاحب فتح الملهم معقبًا على كلام القاضي: (الأوضح في الجواب عن استدلالهم أن المراد من كونه ﷺ خاتم النبيين ومن كونه لا نبيّ بعده أنه لا يولد بعده نبي، لا أن جميعهم يموتون قبله. وليس مراد القاضي عياض أنه يمكن ولادة نبي بعده ﷺ بشرط أن لا يأتي بشرع جديد، كما ادعى ذلك بعض المتنبئين في عصرنا، وإنّما مراده أن عيسى عليه السلام، وإن كان نبيًا، ولكنه يحكم بعد نزوله بشرع نبينا ﷺ، فافهم)[4].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري ٤٤١٦، ومسلم ٢٤٠٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٩٢/٨، ٤٩٣.

(٤) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٣١٤/١٢.

ومن الأدلة على نزوله عليه السلام ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[1]. قال الطبري: (وقوله "ليؤمنن به" أي بعيسى "قبل موته" يعني قبل موت عيسى، يُوجِّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين إبراهيم، وعن ابن عباس قال قبل موته أي قبل موت عيسى، وعن أبي مالك في قوله "إلا ليؤمنن به قبل موته" قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به. وعن الحسن قال: قبل موت عيسى والله إنه الآن لحي عند الله، ولكنه إذا نزل آمنوا به أجمعون)[2].

وقال ابن كثير: (والصحيح ما ذكره ابن جرير وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، أي قبل موت عيسى عليه السلام وهذا ما يدل عليه سياق الآي من أن الله رفع عيسى إليه، وأنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويؤمن به حينئذٍ جميع أهل الكتاب، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم)[3]. وقال السعدي: (ومعنى الآية: وما من أحد من أهل الكتاب، إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار، فإنه تكاثرت الأحاديث في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين)[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٥٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٦٦٤/٧، ٦٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٥٤/٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٧٧.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٦١.

قال السعدي: (أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة ... أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله، علامة من علامات الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: لا تشكنَّ في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر[1] اهـ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكمًا مقسطًا فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))[2].

قال السفاريني: (وقد أجمعت الأمة على نزول المسيح عيسى بن مريم، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد الإجماع من الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة وهو متصف بها)[3].

وقال أحمد شاكر: (وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه بالأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان قبل انقضاء الحياة الدنيا: بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح تارة أخرى، ذلك أنهم - في حقيقة أمرهم- لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادون يؤمنون بالغيب، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يُعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل)[4].

وأما موطن نزول المسيح عليه السلام فقد بين الحديث نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، قال النووي: (وهذه المنارة موجودة اليوم شرق دمشق وهذا الحديث من فضائل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٧١٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٢٢٢، ومسلم ١٥٥.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ٢/٩٤.

(٤) نقلًا عن: التصريح بما تواتر في نزول المسيح، الإمام محمد أنور شاه الكشميري، ترتيب محمد شفيع، تحقيق وتعليق د. عبدالفتاح أبو غدة، ط/٣، دار القرآن الكريم، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م ص ٣٥٦.

دمشق وقوله "مهرودتين" روى بالدال والذال ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل: هما شقتان والشقة نصف الملاءة)[١].

وقال ابن كثير: (والأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق وليس في دمشق منارة تعرف بالشرقية إلا التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيه، وهذا هو الأنسب والأليق، لأنه ينزل وقد أقيمت الصلاة، فيقول له إمام المسلمين: يا روح الله تقدم فيقول: تقدم أنت فإنها إنما أقيمت لك، وقد جُدد بناء المنارة في زماننا في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة من حجارة بيض، وقد ورد أنه ينزل ببيت المقدس، والأحاديث تقتضي أن الدجال يقتل بلُدٍّ قبل أن يدخل بيت المقدس، فتدل على أنه لا يدخله الدجال كمكة والمدينة حماية له منه. وفي رواية: أن عيسى ينزل بالأردن وفي رواية بمعسكر المسلمين)[٢].

الحادي عشر- من موضوعات الدعوة: بيان صفة المسيح عليه السلام وقتله للدجال:

حيث جاء في الحديث "واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات ونفسه ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه باب لد فيقتله".

أما في صفة المسيح فقد جاء في الصحيح ما يدل على هيئته ففي الحديث: ((ولقيتُ عيسى، فنعتَه النبيُّ ﷺ فقال: رَبعةٌ أحمرُ، كأنَّما خرج من ديماسٍ "يعني الحمام"))[٣] وفي الحديث أيضًا: ((رأيتُ عيسى وموسى وإبراهيمَ، فأما عيسى فأحمرُ جَعْدٌ عَريضُ الصدرِ))[٤] وفي الحديث أيضًا: ((أراني الليلة عند الكعبة في المنامِ، فإذا رجلٌ آدمُ، كأَحسنِ ما يُرَى من أُدْمِ الرِّجالِ تضرِبُ لِّمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسهُ ماءً، واضعًا يديهِ على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيتِ، فقلتُ: مَنْ هذا؟

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/٢٢٩، ٢٣٠.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٩٤، ومسلم ١٦٨.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٣٨.

فقالوا: هذا المسيحُ بنُ مريمَ))[١].

وأما صفته وهيئته عند نزوله فإنه يضع كفه على أجنحة ملكين، قال ابن عثيمين: (وينزل عيسى عليه السلام ويداه على أجنحة ملكين -لأن الملائكة أولو أجنحة- ينزلان من السماء وكأنه - والله أعلم- قد اغتسل بماء طيب، إذا طأطأ رأسه قطر ماء، وإذا رفعه تحدر منه الجمان، ويحتمل أن هذا ماء ويحتمل أنه عرق)[٢].

وقال النووي: (والمراد أنه يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفاته، فسمي الماء جمانًا لشبهه به في الصفاء، والجمان هو حب من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار)[٣].

وقال ابن عثيمين: (ومع نزوله لا يحل لكافر يجد نَفَس عيسى إلا مات ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، ومعنى ذلك أنه يقتل أناسًا كثيرين من الكفار، لأن هذا النفس يطير في الهواء)[٤].

وأما طلبه للدجال وقتله، فقد جاء في الحديث أنه يدركه بباب لُدّ. قال النووي: (وهي بلدة قريبة من بيت المقدس)[٥]. وعندها يدرك عيسى عليه السلام المسيح الدجال فيقتله هناك، وبهذا ينتهي المسيح الدجال ويبقى المسيح رسول الله عليه السلام.

الثاني عشر - من موضوعات الدعوة: إثبات خروج يأجوج ومأجوج وفتنتهم:

حيث جاء في الحديث "ثم يأتي قومًا عصمهم الله منه -أي من الدجال - فيمسح عن وجوههم ويحدثهم... فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج..." وفي هذا إثبات لخروجهم ووجودهم. قال الإمام السفاريني: (ويأجوج ومأجوج اشتقاقهما من أجيج النار وهو ضوؤها وحرارتها وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم، وقيل من الأجاج وهو الماء

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٩، ومسلم ٢٧٤.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٥٥/٢.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٨٥٦/٢.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٧.

الشديد الملوحة، وقيل هما اسمان أعجميان غير مشتقين. وأمر خروجهم ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾[1] وأما السنة فعن زينت بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: ((خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا، محمرًا وجهه يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام، والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث))[2]. والحديث الذي معنا أيضًا يدل على ذلك، وقد ذكر ابن عبدالبر الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح. فأمر خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله[3] عقل فوجب اعتقاده)[4].

وقال النووي: (ومَسْح عيسى عليه السلام للقوم الذين نجوا من الدجال، يحتمل أنه حقيقة على ظاهره، فيمسح على وجوههم تبركًا وبرًا، ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف، وقوله "حرز عبادي إلى الطور" فالمعنى: نجهم وأزلهم عن طريقهم إلى الطور، وقوله "أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم" يعني لا قدرة ولا طاقة لأحد بقتالهم فهم يمشون مسرعين)[5].

وأما فتنتهم فقد جاء في الحديث أنه يمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماءًا.

الثالث عشر- من موضوعات الدعوة: لجوء عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله وفضل ذلك:

حيث جاء في الحديث "ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٤٦، ومسلم ٢٨٨٠.

(٣) استحال الشيء: صار محالاً. انظر: المعجم الوسيط في (ح ل ل).

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، محمد بن أحمد السفاريني ١١٥/٢.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦٩٨.

وأصحابه ﷺ إلى الله تعالى" قال ابن علان: (ويحاصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور، ويمنعون من يأجوج ومأجوج من النزول إلى الأرض، حتى يكون رأس الثور عند أحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، وذلك لقوة حاجتهم للطعام واضطرارهم إليه، وإنما ذكر رأس الثور، ليقاس به البقية في ارتفاع القيمة)[1]. وأمام هذه الحال يلجأ نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، ويتضرعوا إليه أن يكشف عنهم هذا الأمر، ودأب المؤمن دائمًا أنه يلجأ إلى الله عند الشدائد، وهذا هو حال الأنبياء. قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾[2] وقال سبحانه عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] وقال سبحانه عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ﴾[4]. وأمام تضرع ودعاء نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، يستجيب الله لهم، ويهلك يأجوج ومأجوج.

الرابع عشر- من موضوعات الدعوة: بيان هلاك يأجوج ومأجوج وتطهير الأرض منهم:

١- أما هلاكهم فقد جاء في الحديث "فيرسل الله تعالى عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فَرْسى كموت نفس واحدة". قال ابن عثيمين: (والنغف: هو عبارة عن دودة في أعناقهم فيصبحون فَرْسى -جمع فريسة يعني موتى - كنفس واحدة، كل هذه الأمم التي لا يحصيها إلا الله تموت في ليلة واحدة، لأن الأمر بيد الله سبحانه، فبمجرد دخول

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٧٨.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٣، ٨٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٨٧، ٨٨.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨٩، ٩٠.

النغف في أعناقهم يموتون على الفور، ثم ينزل عيسى وقومه إلى الأرض)[١].

٢- وأما تطهير الأرض منهم: فقد جاء في الحديث "فلا يجدون في الأرض موضع قبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله عز وجل مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة". قال الطيبي: (ولما ينتشر في الأرض دسمهم وريحهم المنتنة، يرسل الله طيرًا أعناقها كأعناق البخت فتطرحهم، ويعم المطر الأماكن كلها، فيغسلها حتى تصير الأرض كالزلقة يعني كالمرآة، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها، وقيل معناه كمصانع الماء أي حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقيل كالروضة)[٢]. وقال د. الحسيني هاشم: (ومعنى الحديث أن من علامات القيامة وخاتمة الدنيا ما فيه، إنه يصور مرحلة زمنية هي آخر مظاهر الحياة الدنيا وختامها. تبدأ هذه المرحلة بنزول الدجال، وهو شاب أعور مكنه الله من بعض الخوارق، يدعي الألوهية، ولا ينجو منه إلا الصادقون، ومنهم من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، ثم ينزل المسيح عيسى بن مريم فتتطهر الأرض، أرض فلسطين، من الكفر، ثم ينزل يأجوج ومأجوج فلا ينجو منهم إلا من هرب مع المسيح إلى جبل الطور، ثم يهلكهم الله تعالى، ويعود المؤمنون، ثم يموتون بريح طيبة، ويبقى الأشرار، فعليهم تقوم الساعة. ولا يعرف أحد منهم ميعادها لا تأتيهم إلا بغتة.

وفي الحديث: ١ - إثبات نزول الدجال والتحذير منه وبيان الطريق إلى النجاة منه. ٢ - إثبات نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله الدجال. ٣ - خروج يأجوج ومأجوج، ولعلهم من ناحية الشرق، واضطرارهم المسيح ومن معه للهرب إلى الطور. ٤-بقاء بيت المقدس واللد وسائر بلاد فلسطين بأسمائها الإسلامية. ٥ - تحدث النبي ﷺ عن الغيب كأنه يراه، ووجوب الإيمان بما ذكر)[٣].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٥٧/٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ، ١١٦/١٠.

(٣) شرح رياض الصالحين ٨١٧.

٣- وأما بركة الأرض بعد هلاك يأجوج ومأجوج فقد جاء في الحديث "ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك..." ومن مظاهر هذه البركة كما جاء في الحديث (وتنزل في زمن عيسى عليه السلام بركات دينية ودنيوية من كل نوع، ويخرج الحقد والضغينة من أفئدة الناس ويكون الرمان في زمانه كبيرًا حتى تكفي الرمانة الواحدة لجماعة من الناس، ويكفي لبن ناقة واحدة لجماعة من الناس، ويكفي لبن شاة واحدة لقبيلة واحدة)[1].

الخامس عشر- من موضوعات الدعوة: بيان على من تقوم الساعة والنفخ في الصور:

حيث جاء في الحديث "بعث الله ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة" وفي الحديث "... ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته... فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع".

قال النووي: (ومعنى يتهارجون: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك)[2]. فعلى هؤلاء تقوم الساعة، وأما أهل الإيمان فتقبض الريح الطيبة أرواحهم. وقال النووي أيضًا: (وقوله "فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع" أي إنهم يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد، كطيران الطير، وفي العدوان وظلم بعضهم لبعض، في أخلاق السباع العادية)[3].

وأما النفخ في الصور: فقد جاء في الحديث "ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا[4] ورفع لِيتًا وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس"

---

(١) التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري، ٣٠٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٩٨.

(٣) المرجع السابق نفسه ص ١٧٠١.

(٤) اللِّيتُ: صفحة العنف، ومعناه: يضع صفحة عنه ويرفع صفحته الأرى، انظر: رياض الصالحين ص ٥٠٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.

والمراد أن شرار الناس يفتنهم الشيطان ويأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك في رزق وخير وعيش حسن ثم ينفخ في الصور. قال حبنكة الميداني: (لقد أخبرنا الله تعالى أنه ستحدث نفختان في الصور. الأولى: نفخة الإماتة العامة وعندها تكون ساعة إنهاء النظام القائم في الحياة الأولى. والثانية: نفخة البعث إلى الحياة بعد الموت ويدل على حدوث هاتين النفختين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] وبالنفخة الثانية يبعث الله الناس إلى الحياة الثانية ليتم فيها نظام الجزاء الأكمل بالثواب أو بالعقاب)[2]. وقال ابن كثير: (والنفخة الأولى: هي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله ثم يحيى أول من يحيى إسرافيل، ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي نفخة البعث فإذا هم قيام ينظرون)[3]. وقد جاء في صحيح البخاري مقدار ما بين النفختين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعونَ يومًا؟ قال: أَبَيتُ. قال: أربعون سنةً؟ قال: أَبَيتُ، قال: أربعونَ شهرًا؟ قال: أبَيتُ، ويَبلى كلُّ شيءٍ من الإنسان، إلا عَجْب ذَنَبه، فيه يُركّبُ الخَلق))[4].

السادس عشر - من موضوعات الدعوة: بيان بعث النار:

حيث جاء في الحديث "ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال مِنْ كَمْ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يَوْمَ يجعل الوالدان شيبًا". قال الطيبي: (أي يسأل المخاطبون عن كمية العدد المبعوث إلى النار، فيقولون: كم عددًا نخرجه من كم عدد فيقال لهم: أخرجوا من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، وقوله: يوم يكشف عن ساق كناية عن شدة عظيمة، وألم فظيع، وهو إقبال الآخرة وظهورها، وذهاب الدنيا،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) العقيدة الإسلامية، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ٦٤٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٦/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٤٨١٤.

ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه)[١].

السابع عشر- من موضوعات الدعوة: حفظ مكة والمدينة من الدجال:

حيث جاء في الحديث "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين تحرسهما فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل كافر ومنافق" وهذا من حفظ الله لمكة والمدينة. قال ابن كثير: (ومما يعصم من فتنة الدجال، سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما الله تعالى فقد ثبت في الصحيح أنه لا يدخل مكة ولا المدينة، تمنعه الملائكة لشرف هاتين البقعتين، فهما حرمان آمنان، وإنما إذا نزل عند سبخة المدينة ترجف بأهلها ثلاث رجفات إما حسًا وإما معنى على القولين، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة، فيومئذ تنفي المدينة خبثها وينصح طيبها)[٢]. قال ابن حجر: (وقوله "ترجف المدينة" أي يحصل لها زلزلة بعد أخرى، ثم ثالثة، حتى يخرج منها من ليس مخلصًا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص، فلا يسلط عليه الدجال، والحاصل إعلامه ﷺ أن الدجال لا يدخل المدينة ولا الرعب منه)[٣].

وفي التدليل على حفظ مكة والمدينة من الدجال، ساق أحد الباحثين أربعة وسبعين حديثًا نبويًا في إثبات هذا، ثم عقب عليها بقوله: (وهذه الأحاديث المتقدمة يدل ما صح منها على أن فتنة الدجال فتنة عظيمة، لم تكن فتنة في الأرض منذ خلق الله آدم أعظم من فتنته، ولذلك حذر كل نبي أمته منه، وهو موجود في إحدى الجزر مكبَّل بالحديد، ويظهر -حين يأذن الله بخروجه- في المشرق، ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا، ويطوف الأرض كلها في أربعين يومًا، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فلا يستطيع أن يدخلها حيث يأتي المدينة فيجد الملائكة واقفين على مداخلها يحرسونها، بأيديهم السيوف مسلولة، كلما أراد أن يدخلها منعوه، فينزل سَبَخة الجُرْف عند جبل

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٠/١٤٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩/٢٠٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/١١٥.

صغير أحمر عند مجتمع السيول، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج منها كل كافر ومنافق، ويخرج إليه رجل من خيار الناس، فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيسلط الله عليه الدجال - ولا يُسلط على أحد غيره- فيقتله، ثم يحييه، مستدلاً بذلك على أنه الرب الذي يحيي ويميت، فيصدقه أتباعه، أما الرجل فيزداد يقينه بأنه الدجال، فيقول: "والله ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم"، فيريد الدجال أن يقتله مرة أخرى، فلا يُسلَّط عليه.

ويحاول الدجال دخول المدينة، فتصرف الملائكة وجهه إلى الشمال، فيذهب إلى الشام، فينزل حينئذ عيسى بن مريم عليه السلام، فيدرك الدجال في مدخل مدينة "لُد" بفلسطين فيقتله.

وحماية المدينة من الدجال نعمة عظيمة، ومنقبة ظاهرة للمدينة، حيث يحفظ الله عز وجل على المؤمنين -من أهلها- إيمانهم من التأثر بتلك الفتنة العظيمة)[1].

الثامن عشر- من موضوعات الدعوة: بيان أتباع الدجال:

حيث جاء في الحديث "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة" وهذا يبين أن أكثر أتباع الدجال من اليهود "أما أكثر أتباع الدجال من اليهود والعجم والترك وأخلاط من الناس غالبهم الأعراب والنساء، فأكثر أتباع الدجال هم من الترك وبعض الأعاجم، وقد جاء وصفهم في الحديث ((لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا خُوزًا وكرمانَ منَ الأعاجم، حُمرَ الوجوهِ فُطسَ الأنوفِ صِغارَ الأعين كأنَّ وجوهَهُمُ المجانُّ المطرَقة، نعالهمُ الشَّعر))[2]. وأما كون أكثر أتباعه من الأعراب فلأن الجهل غالب عليهم، وأما النساء فحالهن أشد من حال الأعراب، لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن[3].

---

(١) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة "جمعًا ودراسة"، د. صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، ط/٢، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية بالمدينة المنورة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٥٩٠.

(٣) أشراط الساعة، د. يوسف عبدالله بن يوسف الوابل، ٣١٢.

التاسع عشر- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن خروج أحد المؤمنين للدجال:

حيث جاء في الحديث "يخرج الدجال فيتوجه قِبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول: ما بربنا خفاء..." وفي هذا إخبار من النبي ﷺ عن خروج المؤمن الذي يذهب للدجال ويواجهه بأنه المسيح الكذاب، فيضربه بالمنشار ويقطعه فرقتين، ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائمًا، ويطلب منه الإيمان به، فيرفض ويقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة، ثم يريد الدجال أن يذبحه فلا يستطيع، فيأخذه ويقذف به، فيحسب الناس أنه قذف في النار، وإنما أُلقي في الجنة، وهذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين.

قال ابن حجر: (قال الخطابي: فإن قيل كيف يجوز أن يجري الله الآية على يد كافر؟ فالجواب أنه على سبيل الفتنة للعباد، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم، فالذي أعطيه الدجال من ذلك فتنة لمن شاهده ومحنة لمن عاينه)[1]. وكل هذا دليل على عظم فتنة الدجال وشدة تمويهه على الناس.

العشرون- من موضوعات الدعوة: فضل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

حيث جاء في الحديث ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته وإنه قال لي: ما يضرك..." والصحابي الجليل المغيرة بن شعبة له فضل كبير. قال ابن عبدالبر: (هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود، وهو من ثقيف يكنى أبا عبدالله وقيل: أبا عيسى، أسلم عام الخندق وقدم مهاجرًا وقيل: إن أول مشاهده الحديبية، وكان المغيرة رجلاً طوالاً ذا هيبة أعور، أصيبت عينه يوم اليرموك، قال له مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو واقف على قبره: أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت، شديد الأخوة لمن آخيت، وعن الأصمعي قال: كان معاوية يقول: أنا للأناة، وعمرو للبديهة، وزياد للصغير والكبير، والمغيرة للأمر العظيم)[2].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/١١٠.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ص ٦٦٥.

وقال ابن حجر: (قال الطبري: كان ضخم القامة، عبل الذراعين، بعيد ما بين المنكبين، أَصْهَب[1] الشعر جعده، وكان لا يفرقه، وقال ابن سعد: كان يقال له مغيرة الرأي، وشهد اليمامة وفتوح الشام والعراق، وقال الشعبي: كان من دهاة العرب، وقال البغوي: كان أول من وضع ديوان البصرة، وقال الطبري: كان لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجًا، ولا يلتبس عليه أمران إلا أظهر الرأي في أحدهما، وقيل: إن للمغيرة عند عمر منزلة، إنه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد، ومات سنة خمسين عند الأكثر)[2].

الحادي والعشرون- من آداب المدعو: السؤال عما ينفعه:

حيث تكرر في الحديث سؤال الصحابة لرسول الله ﷺ ومن ذلك: أتكفينا فيه صلاة يوم؟ وما إسراعه في الأرض؟ والمدعو واجب عليه أن يسأل عما ينفعه ويفيده، وقد أمر الله بالسؤال فقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] قال السعدي: (وهذه الآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين أصوله وفروعه، إذا لم يكن عند الإنسان علم منها أن يسأل من يعلمها، ففيه الأمر بالسؤال والتعلم من أهل العلم، ولم يؤمر بسؤالهم إلا لأنه يجب عليهم التعليم والإجابة عما علموه، وفي الآية نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتعدى لذلك)[4].

ومما يدل على حرص الصحابة على سؤال النبي ﷺ عما ينفعهم ما جاء عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.

---

(١) أَصْهَب الشعر: كان أصفر ضاربًا إلى حمرة وبياض، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص هـ ب).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٨٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٤٦٨.

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة. قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك))[1].

دل هذا الحديث على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ عن الخير ليعرفوه ويعملوا به، ومنهم من كان يسأل عن الشر ليجتنبه وليحذر منه.

قال ابن حجر: (وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا، فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع، ذلك خشية من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يجمع ما ظاهره الاختلاف منها.

وقال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده كيف إذا أقام كلا منهم فيما شاء، فحبب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها ويبلغوها غيرهم، وحبب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه، ويكون سببًا في دفعه عمن أراد الله له النجاة.

وفيه سعة صدر النبي ﷺ ومعرفته بوجوه الحكم كلها، حتى كان يجيب كل من سأله بما يناسبه.

ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلاً خلاف الكتاب والسنة، وجعلها فرعًا لذلك الأصل الذي ابتدعوه.

وفيه وجوب رد الباطل، وكل ما خالف الهدي النبوي، ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع)[2] اهـ.

الثاني والعشرون- من موضوعات الدعوة: هوان أمر الدجال على الله عز وجل:

حيث جاء في الحديث "هو أهون على الله من ذلك". والمراد أنه رغم فتنة الدجال

---

(١) أخرجه البخاري ٣٦٠٦، ومسلم ١٨٤٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٧/١٣.

العظيمة إلا أن أمره هين على الله. قال النووي: (قال القاضي: معناه: هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين، وليس معناه أنه ليس معه شيء)[1].

وقال ابن حجر: (والمراد أنه أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه، ولا سيما وقد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره، يقرأها من قرأ ومن لا يقرأ زائدة على شواهد كذبه من حدثه ونقصه، ويحتمل أن يكون قوله "هو أهون" أي لا يجعل له ذلك حقيقة من جبال الخبز والماء والجنة والنار، وإنما هو تخييل وتشبيه على الأبصار، فيثبت المؤمن ويزل الكافر فهو أهون على الله من أن يكون له نهر ماء يجري فإن الذي معه يرى أنه ماء وليس بماء)[2]. فأمر الدجال هين على الله.

الثالث والعشرون- من موضوعات الدعوة: إنذار الأنبياء أقوامهم من الدجال:

حيث جاء في الحديث "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب" وقوله: "ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال ما حدث به نبي قومه" قال ابن حجر: (قال ابن العربي: إنذار الأنبياء قومهم بأمر الدجال تحذير من الفتن وطمأنينة لها لا يزعزعها عن حسن الاعتقاد، وكذلك تقريب النبي ﷺ له زيادة في التحذير، وأشار مع ذلك إلى أنهم إذا كانوا على الإيمان ثابتين، دفعوا الشبه باليقين. وأما إنذار نوح قومه بالدجال فقد استشكل، لأن الأحاديث قد ثبتت أنه يخرج بعد أمور ذكرت، والجواب أنه، كان وقت خروجه أخفى على نوح ومن بعده، فكأنهم أنذروا به، ولم يذكر لهم وقت خروجه فحذروا قومهم من فتنته)[3]. ولاشك أن مهمة الأنبياء هي الإنذار من الفتن والشرور ولا فتنة أشد وأكبر من فتنة الدجال (ولأن الدجال فتنة عظيمة تحير العقول وتدهش الألباب مع سرعة مروره في الأرض، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٩٩/١٣، ١٠٠.

(٣) المرجع السابق نفسه، ١٠٣/١٣.

ودلائل الحدوث فيه والنقص، لهذا حذرت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله)[١].

قال د. عمر سليمان الأشقر: (بعث الله رسوله ﷺ دالاً على الخير، محذرًا من الشر، وقد دل أصحابه على المنهج الأمثل الذي ينبغي أن يسلكوه في الوقائع التي وقعت في عصره، وفي إخباره بالمغيبات المقبلة، توجيه للذين جاءوا من بعده من أمته كيف يتصرفون حيال الأحداث التي قد يخفى عليهم وجه الحق فيها.

ومن هذه التوجيهات التي كان لها أثر كبير في توجيه المسلمين إلى الحق تبشيره عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه، وإخباره بأن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وأمره أباذر بأن يعتزل الفتنة، وأن لا يقاتل ولو قتل.

ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من حديث حذيفة حيث كان يسأل رسول الله ﷺ عن الشر مخافة أن يدركه، بينما أصحابه رضي الله عنهم كانوا يسألون الرسول ﷺ عن الخير.

ومن هذا نَهْي الرسول ﷺ المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات في آخر الزمان، وإخبارهم عن حقيقة الدجال، وبيان ما يأتي به من الشبهات. وغير ذلك من الكائنات التي يبصّر الرسول ﷺ أمته بالتصرف الأمثل حيالها.

وقد تمر بالمسلمين وقائع في مقبل الأيام تحتاج إلى بيان الحكم الشرعي فيها، ولو ترك المسلمون إلى اجتهادهم فإنهم قد يختلفون، وقد لا يهتدون إلى الصواب، بل قد يكون بيان الحكم الشرعي في تلك الأحداث واجب لا بد منه، وعدم البيان يكون نقصًا تنزه الشريعة عنه.

فمن ذلك أن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يومًا، يوم من أيامه كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، وقد سأل الصحابة الرسول ﷺ عن تلك الأيام الطويلة أتكفي الواحد منها صلاة يوم، قال الرسول ((لا، اقدروا له قدره))[٢]. ولو وكل العباد إلى اجتهادهم لاقتصروا على الصلوات الخمس عند

---

(١) أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله يوسف الوابل، ٣٢٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٣٧.

الأوقات المعروفة في غير هذه الأيام.

وأخبر الرسول ﷺ أن عيسى عليه السلام بعد نزوله لا يقبل الجزية من اليهود والنصارى، ولا يقبل منهم إلا الإيمان.

وهذا البيان من الرسول ﷺ ضروري، لأن عيسى عليه السلام يحكم بهذا الشرع)[1].

الرابع والعشرون- من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على أمته:

حيث جاء في الحديث "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم" وقوله "فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب" وقوله "فالتي يقول إنها الجنة هي النار" وكل هذا يدل على مدى حرص النبي ﷺ على إنذار قومه وتعريفهم أمر الدجال، حتى لا ينخدعوا فيه، ولقد كان من حديث القرآن عن الرسول ﷺ أنه حريص على أمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال القرطبي: (قال أبو جعفر النحاس وأحسن ما قيل في معناه مما يوافق كلام العرب ما جاء من عبدالله بن داود الخريبي "حريص عليكم" قال: أن تدخلوا الجنة، وقيل حريص عليكم أن تؤمنوا، وقال العزاء: شحيح عليكم بأن تدخلوا النار، والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضيع ويتلف)[3]. وإذا كان النبي ﷺ حريصًا على أمته وقومه فواجب على كل داعية أن يشعر المدعوين بحرصه عليهم وشفقته بهم، وحنوه عليهم ورغبته في نصحهم وإرشادهم، ودلالتهم إلى ما ينفعهم.

الخامس والعشرون- من أساليب الدعوة: الحوار والاستفسار:

حيث جاء في الحديث "فقال: ما شأنكم؟ قلنا يا رسول الله: ذكرت الدجال الغداة..." وقوله "قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض" وقوله في حديث آخر "وإنه قال لي:

---

(١) اليوم الآخر، القيامة الصغرى، د. عمر سليمان الأشقر، ص ١٣٠-١٣٣ بتصرف.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٠٢/٤.

ما يضرك قلت إنهم يقولون: إنه معه جبل خبز ونهر ماء" ولاشك أن أسلوب الحوار والاستفسار من أساليب الدعوة المهمة حيث يستفرغ المدعو ما عنده من تساؤلات، ويتعرف على ما يجهل من أمور، ولذا يجب على الدعاة أن يشجعوا المدعو على الحوار والاستفسار لتحقيق هذا الغرض (إن الحوار يعني الانفتاح الواعي على الآخرين، والحوار ظاهرة اجتماعية إذ هو من أفعال المشاركة التي لا يمكن للفرد أن يقوم بها، وفي واقعنا المعاصر يعود ضعف الحوار إلى أمرين الأول: الاستخفاف بفائدة الحوار. والثاني: الخوف من الحوار، والذين لا يدركون قيمة الحوار فهم كثر، وانعدام الحوار يؤدي إلى قطع خيوط التواصل مع الآخرين)[1].

السادس والعشرون- من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث أخبر الرسول ﷺ عن فتنة الدجال التي ستقع وماذا يقول وماذا يدَّعي وماذا سيكون، ولا شك أن كل هذا من دلائل نبوته ﷺ. قال ابن كثير: (وهذا الحديث يذكر في دلائل النبوة ولهذا يقول المؤمن الذي يسلط عليه الدجال فيقتله ثم يحييه: والله ما ازددت فيك إلا بصيرة أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ، ولا يلزم من هذا أنه سمع خبر الدجال من رسول الله ﷺ شفاهًا)[2]. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (من معجزات الرسول ﷺ ودلائل نبوته إخباره عن المغيبات مما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم والمقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وأنه استأثر به، وقد جاء ما يفيد أن الله استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم)[3]. وقد قال حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما: ((قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ مَقَامًا. مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ. حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ))[4]. ومن الآيات التي تدل

---

(١) فصول في التفكير الموضوعي، د. عبدالكريم البكار ص ٢٧٦.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٩٨/١٩.

(٣) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١.

(٤) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٣، ٢٨٩١.

على إطلاع الله بعض أنبيائه على بعض الغيوب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1].

السابع وعشرون- من أساليب الدعوة: الترهيب:

يتضح هذا من سياق الأحاديث حيث حذر النبي ﷺ وخوف أمته من الدجال وفتنته وما يكون معه، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة المهمة حيث إن النفس البشرية طبيعتها تخاف الهلاك والوعيد بالضرر (والترهيب أسلوب قرآني، يعالج النفس البشرية وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، وذلك من خلال تخويفها وتهديدها، ويمكن عرض الدعوة إلى الله بهذا الأسلوب لجذب الناس حول الحق خوفًا من العقاب، وخوفًا من فقدان السلام و الأمن)[2]. (والرهبة طول الخوف واستمراره والترهيب هو التخويف والتوعد، فمن الناس من يلهث وراء الشهوات، ويجري وراء المادة ويشغف بالمنكر، فهذا يقرعه الترهيب، ويوقفه الإنذار، ويوقظه التخويف من عواقب ما هو فيه)[3].

الثامن والعشرون- من أهداف الدعوة: تهيئة المؤمنين للابتلاء والتمحيص:

يتضح هذا من سياق الأحاديث وما يكون مع الدجال من فتن وابتلاءات، ولاشك أن في هذا تهيئة للمؤمنين لاستقبال هذه الفتن والابتلاءات والاستعداد لها. (ولقد جلى لنا رسولنا محمد ﷺ حقيقة الدجال بأوضح بيان وآكد برهان، حتى يكون المسلم على حذر منه، وينجو من فتنته العظيمة، وإن الإيمان بقضية الدجال وما يقتضيها من كفره وضلاله وكذبه يعني للمؤمن النجاة من إفكه لمن حقق مقتضيات الإيمان به، ومن ذلك دراسة أمر الدجال حتى تتضح أمامه هذه الحقيقة التي حذر منها النبيون أجمعهم؛ لأن الدجال يأتي بأمور عظيمة، ومن تهيئة المؤمنين للابتلاء أن يكثروا الاستعاذة بالله من فتنة الدجال، إذ أن الله هو المعين من كل ضائقة ومصيبة)[4].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٢) فقه الدعوة إلى الله تعالى، د. علي عبدالحليم محمود ٢٣٢/١.

(٣) الدعوة إلى الله - الوسيلة - الهدف، د. توفيق الواعي، ١٩٩، ٢٠٠.

(٤) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ٥٦١، ٥٦٢.

والمؤمن عندما يتعرف على أحوال المسيح الدجال، فإنه يأخذ حذره ويتهيأ ويسلك سبل السلامة. (وفتنة الدجال من أعظم فتن آخر الزمان، التي تموج بعقول أولي الألباب، وينبغي على المسلم أن يحرص على معرفة ما ورد عن الدجال، لأنها تعطي تصورًا واضحًا عن علامات الدجال، ليحتاط لدينه، ويكون على بصيرة من أمره إذا اشتعلت نار هذه الفتنة، واختلفت أحوال الناس فيها بين مقبل ومدبر، يثبت الله عز وجل بفضله من يشاء من عباده المخلصين، فالواجب على المسلم أن يحتاط من الوقوع في هذه الفتنة)[1].

ولقد تكاثرت الأحاديث التي تبين للمسلم الفتنة والمخرج منها، وماذا يفعل حيالها (لقد حذر النبي ﷺ أمته من الفتن وأخبرهم بعلامات الساعة فمنها علامات صغرى -وقد وقع معظمها- ومنها علامات كبرى، فما من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، فكان النبي ﷺ أحرص ما يكون على أن يقدم لأمته الوصية عند وقوع الفتن وانتشار الأهواء وحدوث الاختلاف -وقد حدث - فجاءت الأحاديث الكثيرة المبينة لذلك.

- وقد أوصى النبي ﷺ عند وقوع الفتن بالاعتزال وعدم الخوض فيها ونبذ الاختلاف.

قال ابن حجر: (وقد اختلف السلف في أصل العزلة فقال الجمهور: الاختلاط أولى لما فيه اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك.

وقال قوم العزلة أولى لتحقيق السلامة بشرط معرفة ما يتعين.

وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى.

وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح - فمن يتحتم عليه المخالطة، من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان)[2].

---

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله أسرة ص ١١٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٢/١٣.

وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة، لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة، فتعم من ليس من أهلها كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1].

ثم نقل ابن حجر عن الخطابي قوله: إن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع، على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان، فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة على دينه فالأولى له الاكتفاء عن مخالطة الناس، بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك.

والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقصر منه على ما لا بد له منه، فهو أروح للبدن والقلب والله أعلم اهـ[2])[3].

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٣٢/١١.

(٣) الرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أبو عبيدة ماهر بن صالح آل مبارك، ص ٤٨-٤٩.

الحديث رقم (١٨١١)

١٨١١- وعن رِبعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، قال: انطلقت مع أبي مسعود الأنصاري إلى حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما، فقال له أبو مسعود: حَدِّثني ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، في الدَّجَّالِ، قال: ((إنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وإنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْكُمْ[1]، فَلْيَقَعْ فِي الَّذي يَراهُ نَارًا، فَإنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ)) فقال أبو مسعود: وَأنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

حذيفة بن اليمان: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠٢).

الشرح الأدبي

إن المفارقة الأسلوبية هي التي تغمر البيان النبوي في هذا الحديث الشريف، وهذه المفارقة التي تعني بإبراز التناقض بين الأشياء، وسوق المعنى وضده في سياق واحد، وتقديم الجميل في صورة القبيح، والقبيح في صورة الجميل، وهذا التضاد في الدلالات، وقلب موازين الأشياء، من أوضح الدلائل على زيف وكذب مقولات الدجال، فالباطل عنده حق، والحق عنده باطل، وماؤه نار تحرق، وناره ماء حلو طيب عذب، ويبدأ الحديث بتأكيد الخبر وجملة ناسخة في قوله: "إن الدجال يخرج" و"إن" حرف ناسخ ويفيد التأكيد، والنسخ اللغوي هنا يوحي بنسخ كل ما يقدم الدجال من أقوال وأفعال: ويتكرر التأكيد "مرة ثانية" بإن: وهي كذلك توحي بالنسخ السلوكي الذي تضمنه النسخ اللغوي في قوله: "وإن معه ماءً ونارًا"، وهما يرمزان للخير والشر: "فماء الدجال" منبع الهلاك والشرور، "وناره": المزعومة: هي الماء العذب الزلال في حقيقة الأمر، لأنه يغوي الناس بالباطل.

---

(١) لفظ مسلم: (فمن أدرك ذلك منكم).

(٢) أخرجه البخاري ٣٤٥٠، ومسلم واللفظ له ٢٩٣٤/١٠٧.

وأسلوب الشرط الذي يتضمن تفصيل الأمر، وتوضيح الحقيقة يوحي بالمقصود حيث التأمل والتفكير الدقيق الذي يتسم به أولوا الألباب: ولنتأمل المفارقة الدقيقة والبليغة في قوله: "فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق"، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب، ولنتأمل هذا التوجيه النبوي البليغ الذي ورد في صيغة الشرط المتضمن الأمر في الجواب وهو يتضمن المفارقة التي تدعو للدهشة والتأمل: (فمن أدركه منكم فليقع في الذي يراه نارًا).

والتأكيد في نهاية الحديث يدعو إلى مقاومة فتنة الدجال، وكشف أباطيله: فالرسول ﷺ يأمر كل من يدرك الدجال بقوله: "فليقع في الذي يراه نارًا"، "فإنه ماء عذب طيب". والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨١٢)

١٨١٢ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ (لاَ أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَومًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أو أَرْبَعِينَ عَامًا)، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ[1]، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيسَ بَينَ اثْنَينِ عَدَاوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ، رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أو إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ، حَتَّى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ[2]).

فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وأَحْلامِ السِّبَاعِ، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فيَقُولُ: الاَ تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارٌ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ ويُصْعَقُ النَّاسُ (حولهُ)[3]، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ -أو قالَ: يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ؛ فَذَلِكَ يَومٌ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)). رواه مسلم[4]. "اللِّبتُ": صفحة العنق، ومعناه: يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٨).

---

(١) عند مسلم زيادة: (كأنه عروة بن مسعود).

(٢) عند مسلم زيادة: (قال: سمعتها من سرول الله ﷺ، قال).

(٣) (حوله) لا توجد عند مسلم في هذه الرواية.

(٤) برقم ٢٩٤٠/١١٦.

غريب الألفاظ:

مثقال: مقدار[١].

الذَّرة: ما يُرى في النور إذا دخل النافذة[٢].

كَبِد جَبَلٍ: وسطه وداخله وكبد كل شيء وسطه[٣].

خفة الطير وأحلام السباع: أي: يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادية[٤].

دَارٌ رزقهم: كثر[٥].

ليتا: الليت: صفحة العنق. ومعناه يضع صفحة عنقه ويرفع صفحته الأخرى[٦].

يلوط حوض إبله: يطينه ويصلحه[٧].

الطلّ: الذي ينزل من السماء في الصّحْو، والطّل -أيضًا-: أضعفُ المطر[٨].

بعث النار: المبعوث إليها من أهلها[٩].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف نجده ينهج النهج القصصي في عرض أخبار ظهور الدجال، وبعض أمارات يوم القيامة، أو الإخبار عن الظواهر الكونية التي تمثل إرهاصات لقيام الساعة، وأول سمة من سمات النهج

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ث ق ل).

(٢) المرجع السابق في (ذ ر ر).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٤) المرجع السابق ص ١٧٠١.

(٥) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ر ر).

(٦) رياض الصالحين ٦١٦.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ط ل ل)، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠١.

(٩) المرجع السابق في (ب ع ث).

القصصي: تتابع الأفعال المضارعة في الحديث كله.. والرابط من هذه الأفعال المتوالية الفاء، التي تفصح عن تعاقب الأحداث والأفعال، وتجيء ثم للربط بين الأحداث التي تتسم بالتراخي وتفصل بينها مسافات زمنية ليست بالقصيرة.

ولنتأمل مكونات المشهد الأول وهو مشهد ظهور الدجال وبعث عيسى بن مريم وقتله للدجال، يقول رسول الله ﷺ "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين..... فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم فيطلبه ويهلكه".

ثم يبدأ مشهد آخر، ولذلك يجيء العطف بـ"ثم": حيث يقول: ثم يمكث الناس سبع سنين، ثم يرسل الله عز وجل ريحًا باردة، والريح هي المشهد الثالث من المشاهد التي ترهص بقيام الساعة.

وأسلوب القصر يتسق مع جو الفناء ونهاية العالم إثر هذه الريح: حيث يقول رسول الله ﷺ "فلا يبقى على وجه الأرض أحد... إلا قبضته"، وأسلوب الشرط: وأداته "لو" وهي أداة امتناع لامتناع، وهذا الأسلوب يجيء في سياق تصوير الريح المدمر المهلكة: في قوله: لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، وفي ذلك إشارة إلى أنه لن يفلت أحد من أهوال يوم القيامة، وأما ما يسبقها من إرهاصات: فلن يبقى إلا شرار الناس، وجاء وصفهم غي إطار الكناية فهم في خفة الطير وأحلام السباع، وذلك كناية عن أنهم في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوة والفساد يكونون في سرعة الطير وهم في العدو خلف بعضهم بعضًا لهم أحلام السباع، فهم لا يعقلون من أمرهم شيئًا.

ومن جماليات الأسلوب في هذا الحديث: الحوار بين الشيطان وشرار الناس، والحوار ثمرته مرة ضارة وهي عبادة الأوثان، ويأتي العطف بـ "ثم" في مشهد تالٍ مفاجئ لهؤلاء الأشرار وهو النفخ في الصور، ولذلك قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا، أي يضع صفحة عنقه، ويرفع صفحته الأخرى، وذلك كناية عن الحيرة والذهول والمفاجأة.

والتشبيه الذي يحسم الحقيقة يتمثل في قوله: ثم يرسل الله مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، والمشهد الأخير يبدأ بالعطف بـ"ثم" وهو مشهد البعث

والناس قيام ينظرون.

وفي هذا المشهد تأثر بالقرآن الكريم واستمداد لمعاني القرآن وألفاظه في تصوير مشاهد يوم القيامة، ومن ذلك قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[3]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[4]، والله أعلم.

المضامين الدعوية[5]

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة الصافات، آية: ٢٤.

(٣) سورة المزمل، آية: ١٧.

(٤) سورة القلم، آية: ٤٢.

(٥) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٣)

١٨١٣ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إلاَّ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ؛ وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أنْقَابِهِمَا إلاَّ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهُمَا[1]، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ[2] مِنْهَا كُلَّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

النقب: الطريق بين الجبلين[4].

السبخة: الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر[5].

الشرح الأدبي

لقد جعل الله البيت الحرام مثابة للناس وأمنًا، وأقسم بالبلد الأمين، في سورة التين، وأقسم به كذلك في سورة البلد، فمكة المكرمة بلد الله الحرام، ومهوى أفئدة الآمنين القادمين من كل فج عميق، والأمن يظلل كل الكائنات التي تسبح بحمد ربها، والمدينة المنورة مهاجر رسول الله، وملتقى الأخوة الإسلامية، من المهاجرين الأنصار، وبها مسجد رسول الله ﷺ، ومنها انطلق فرسان الإسلام، ينشرون التوحيد، ويفتحون الأمصار، وهم لا يفترون عن ذكر الله آناء الله وأطراف النهار.

---

(١) لفظ مسلم: (تحرسها).

(٢) لفظ مسلم: (يخرج) فقط.

(٣) برقم ٢٩٤٣/١٢٣، وأخرجه أيضًا البخاري ١٨٨١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ق ب).

(٥) المرجع السابق في (س ب خ).

والحديث الشريف يبشر كل المسلمين بأن مكة والمدينة ستنجوان من فتنة الدجال، وأن الملائكة ستحرسهما، والله سيحفظهما من دنس الدجال، ويحفظ المسجد الأقصى ومسجد الطور.

ويبدأ الحديث بجملتين تؤكدان هذا الحفظ عن طريق أسلوب القصر، وهذا الأسلوب فيه مزيد من الوعد والبشرى من رسول الله ﷺ، وتكررت أداة النفي "ليس": في صور الجملتين "ليس من بلد سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة"، ثم يؤكد وسيلة هذا الحفظ، وهي حراسة الملائكة، وتكرار "ليس" مع أسلوب القصر نفسه يضاعف التأكيد ويوثق الوعد الصادق، وتكرار الحال الذي يصور الملائكة وهي تحرس المدينة ومكة، وكذلك قوله: "وليس نقب من أنقابها" أي حَزْق، وذلك كناية عن حفظ كل شيء صغيرًا كان أو كبيرًا، وقوله:: "ليس من بلد" يفيد أن "من"، المزيدة هنا للتأكيد والاستقصاء، فكل بلاد الدنيا سيطؤها الدجال إلا مكة والمدينة، وقوله: فينزل بالسبخة، إشارة إلى تحقير مكانة الدجال وكل من يتبعه من المنافقين والكفار، وقوله: ترجف المدينة، المراد منه: الإرفاق وهو إشاعة مجيء الدجال وأنه لا طاقة لأحد به فيسارع حينئذ إليه من يتصل بالنفاق أو الفسق: فظهر حينئذ، كما قال العلماء، وكما ورد في السنة المباركة: أن المدينة تنقي خبثها.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٤)

١٨١٤ - وعنه رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: ((يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

أصبهان: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (عريستان) بلد سلمان الفارسي رضي الله عنه، ومنها بدأت رحلته التي انتهت بالمدينة المنورة، وهي من مدن إيران المعروفة[2].

الطَّيَالِسَةُ: ضَرْبٌ من الأوشحة يلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن. خال عن التفصيل والخياطة. أو هو ما يعرف في العامية المصرية بالشال، (فارسي معرب. تالسان أوتالشان)[3].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث جملتين... إخباريتين، ولأن الخبر هنا يجمع بين الدجال واليهود فهو صادق لا يحتمل الشك، ولا يعقل أن ينكره أحد من المسلمين، ولذلك خلا من التأكيد.. لأن الذهن المسلم متهيئ لاستقبال مثل هذا الخبر، فلا تردد في استقباله، ولاشك في مضمونه، ولا إنكار لما يتضمنه من دلالة وحدث، والحدث المراد توضيحه هو أنه سيتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، وهنا حدد رسول الله ﷺ صنفًا من أصناف البشر الذين سيفتتون بالدجال ويتبعونه وهم اليهود، والأمر يزداد تحديدًا حين يشير إلى جنس ومكان هؤلاء اليهود وهم يهود أصبهان من الفرس، ويزداد الأمر وضوحًا وجلاءً حين يشير رسول الله ﷺ إلى العدد، وهم سبعون ألفًا، وذلك كناية

---

(١) برقم ١٢٤/٢٩٤٤.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ٤٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ط ل س).

عن الكثرة، وليس المقصود التحديد الكمي، والعدد سبعون عند العرب يشير إلى الكثرة في سياقات كثيرة.

والجملة الأخيرة تضيف معلمًا آخر لصورة هؤلاء الذين يتبعون الدجال: وهو تحديد هيئتهم، وملابسهم فهم: يهود، ومن أصبهان، وعددهم سبعون ألفًا ويزيدون ويتضاعفون، وهم كذلك، عليهم الطيالسة، وقيل المراد بالطيالسة: الأكسية، وقيل الطيلسان المقور أي المدوّر، وهو المقصود في الحديث الشريف، لم يكن من فعل النبي ﷺ والصحابة، بل هو من شعار اليهود، وهو لباس اليهود قديمًا، والعجم أيضًا، والعرب تسميه ساجا.

وقد نهانا رسول الله عن التشبه باليهود، ولعن الله من تشبه بهم: فهم صهاينة أشرار، ومغتصبون فجار.

تعاموا عن ضياء الحق حتى ... أظلهم ضلال لا يحد
شرازمة أتوا من كل فج ... كجرزان الخرائب حين تعدو
خنازير أقاموا في جنان ... وذا شأن له في القلب رد!!
وكيف تملك الحيات أرضًا ... وهم دومًا من الإحساس جرد
لنا يوم كيوم الحشر معهم ... نريهم أينا أقوى أشد
ملائكة مسومة نراها ... مع الأحرار بالآفاق تبدو
وقوتنا من الرحمن مدت ... وفي القرآن نادانا، أعدوا
وإن كان اليقين سبيل قوم ... أتتهم من سماء الله جند[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) من قصيدة يوم الثأر، للدكتور صابر عبدالدايم، ديوان الأعمال الكاملة، وكتبت هذه القصيدة في مايو ١٩٦٧م، قبل نكسة يونيو: ١٩٦٧.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٥)

١٨١٥- وعن أم شريكٍ رضي الله عنها: أنها سَمِعَتِ النَّبيّ ﷺ، يقولُ: ((لينْفِرَنَّ[1] النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ)). رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أم شريك القرشية: اختلف في نسبها فقيل هي: أم شريك القرشية العامرية واسمها غَزِيَّةُ -وقيل غُزَيلة- بنت دُودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رواحة بن حُجْر -ويقال حُجَيْر-من بني عامر، ويقال في نسبها: أم شريك بنت عوف بن جابر بن طيبان بن حجر من بني عامر بن لؤي، ويقال غزية بنت جابر بن حكيم، العامرية القرشية، ويقال الدَّوسية، ويقال الأنصارية.

يقول الحافظ ابن حجر في الإصابة عقب هذه الترجمة لأم شريك، والذي يظهر في الجمع أن أم شريك واحدة، اختلف في نسبتها أنصارية، أو عامرية من قريش، أو أزدية من دوس، واجتماع هذه النسب الثلاث ممكن (كانت قرشية تزوجت من دوس فنسبت إليهم، ثم تزوجت من الأنصار فنسبت إليهم، أو لم تتزوج أصلاً بل هي نسبت إليهم بالمعنى الأعم، يقال هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، واختلف في ذلك، وقيل إن النبي تزوجها ولم يدخل بها لأنه كره غيرة الأنصار، وقد ذكرها بعضهم في أزواج النبي ﷺ، ولا يصح من ذلك شيء، لكثرة الاضطراب فيه، والأصح أنها كانت تحت الطفيل بن الحارث أو الحارث الأزدي فولدت له شريكًا، لها ثلاثة أحاديث، حديث في البخاري، وحديث في مسلم والثالث في سنن الترمذي.

قال السندي: وجاء أنها كانت غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله،

---

(١) لفظ مسلم: (ليفرّن).

(٢) برقم ٢٩٤٥/١٢٥.

ينزل عليها الضِّيفان[١].

غريب الألفاظ:

لينفرن: أي: يهربون منه[٢].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الشريف فزع الناس وهلعهم وخوفهم من فتنة الدجال، وهذا التصوير ينزع إلى رصد حركة الناس، فهو تصوير حركي، وقد بدأ الحديث بتأكيد ذلك الفزع، وذلك عن طرق القسم المؤذنة به الزيادة في التقرير، وإيماء إلى عظيم فتنته وشدة شرها.

وجاء الفعل الدال على النفرة والهروب إلى الجبال في قالب المضارع، للإيحاء بأن هروب الناس مستمر ومتتابع من هذه الفتنة، وكذلك تأكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة يضاعف من الإحساس بالذعر والهلع، والحرص على النجاة من براثن الدجال، والجذر اللغوي للفعل: "لينفرن": يتسق مع الجو العام الذي تشكله صورة هذا الاستنفار فالنفر في اللغة: التفرق، والغلبة، ويقال: نفرت الدابة: تنفر، نفورًا، ونفارًا أي جزعت وتباعدت، ويقال: نفرت العين وغيرها: أي هاجت وورمت، وقوله: "في الجبال"، تصوير لكثرتهم، وتفرقهم في الشعاب والأودية، والهضاب، وأعالي الجبال، والكهوف والمغارات، و"في" هنا على حقيقتها لأنها تتضمن الظرفية، والجبال تعج بالأماكن

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ١٥٥/٨-١٥٧، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩٥٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٣٤٠/٧، ٣٤١، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٨١٣، ١٨١٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢٢٥/٢، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٥٩٧/٨، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٩٨/٤، والسندي ٣٥٩/٤٥، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٢١٤١/٣، ٢١٤٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، والقاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ن ف ر).

والمرتفعات والمنخفضات، وقال بعض العلماء: الظاهر أن "في" بمعنى "على"، والمراد بالناس، في الحديث: المؤمنون، لأنه لن يلحق بالدجال إلا الكفار والمنافقون، نسأل الله النجاة والعفو والفوز بالجنة والنجاة من النار، آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٦)

١٨١٦ - وعن عمران بن حُصين رضي الله عنهما، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمران بن الحُصَيْن: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٢).

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي هو الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، كما يقول الجاحظ، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر.

وهذا الحديث الشريف الموجز تتسع دوائره، وتتلاقى أواصره، وتتآزر أوائله وأواخره، فهو في جملة واحدة يرصد خطر فتنة الدجال، ويقرر في النفوس أن كل مسيرة البشرية من لدن خلق آدم إلى قيام الساعة بما ينبثق عنها من أخطار، وما يندلع فيها من كوارث وأوزار، وحروب وهلاك ودمار، كل ذلك ليس بأخطر ولا أعظم من فتنة الدجال، وفي هذا الحديث لم يصرح بالفتنة، وإنما قال من الدجال، لأنه مصدر الفتنة، وباعث شررها، فهو الفتنة نفسها، وهو الخطر ذاته، والجذر اللغوي للفظ الدجال: يحدد كثيرًا من الدلالات التي تفصح عن معالم هذه الشخصية، وعن وظيفتها ودورها وآثارها.

فالدجيل: القطران، ودجل البعير: طلاه بالقطران، أو عم جسمه بالهناء، والدجال كأنه القطران، في أذنه، ولونه، ورائحته، ووظيفته المنفرة، ومن معاني: دجل: كذب، وأحرق، وقطع نواحي الأرض سيرًا، وذلك من معالم الدجال، وقيل مشتق من الدجال: كسحاب، والدجال: هو السرجين: لأنه ينجس وجه الأرض، وكذلك الدجال ينشر

---

(١) برقم ٢٩٤٦/١٢٧.

الباطل والخوف، والكفر والفساد، وهذه الدلالات تتفق مع ما يحدثه الدجال من فتن، ومصائب، وتمويه على الناس، وما أبلغ تصوير رسول الله ﷺ للباطل الذي ينشره هذا الدجال، حيث يقول: "وإن معه ماء ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق!!!

وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب!!!، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٧)

١٨١٧- وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه ، عن النبيّ ﷺ قال: ((يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَّال. فَيقُولُونَ لَهُ: إلى أيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: أعْمِدُ إلى هذَا الَّذِي خَرَجَ. فَيَقُولُونَ لَهُ: أوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ! فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ. فَيقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ، فَإذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ هذَا الدَّجَّال الَّذي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ ؛ فَيَأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ؛ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فَيقُولُ: أوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ! فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ. ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلاَّ بَصِيرَةً. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِي بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَيَأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ[1] مِا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلاَ يَسْتَطِيعُ إلَيهِ سَبِيلاً، فَيَأخُذُهُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أنَّهُ قَذَفَهُ إلَى النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ)).

فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : ((هذا أعْظَمُ النَّاس شَهَادَةً عِندَ رَبِّ العَالَمِينَ)). رواه مسلم[2].

وروى البخاري بعضه بمعناه.

"المَسَالح": هم الخفراء والطلائع.

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

قِبَلَهُ: جهته[3].

---

(١) لفظ مسلم: (فيجعل) فقط.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٨٢ ، ومسلم واللفظ له ٢٩٣٨/١١٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ق ب ل).

المسالح: الخفراء والطلائع[١]، وهي جمع مسلحة، القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسمُّوا كذلك لأنهم يكونون ذوي سلاح [٢].

تعمد: أي: تقصد[٣].

فيُشبَّح: يمد في الشمس على بطنه [٤].

شُجوه: الشجُّ: أن يضرب بشيء في رأسه فيشقه[٥].

فيؤشر بالمنشار من مفرقه: ينشر بالمنشار من وسط رأسه[٦].

ترقوته: هي: عظمة مشرِفة بين ثغرة النحر والعاتق[٧].

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث الصراع بين حزب الرحمان، وحزب الشيطان: وهذا الصراع يقدمه رسول الله ﷺ في صورة قصصية... تتضمن كل عناصر البناء القصصي في الحديث: الشخصيات، والأحداث، والحوار، والحبكة، والعقدة، ولحظة التنوير، أو الحل، والمفارقة تؤطر كل هذه العناصر.

وأول سمة من سمات النزعة القصصية هي: توالي الأفعال المضارعة.. والعطف بالفاء يجسم هذا التتابع، والعطف بـ"ثم" يجيء في بداية المشاهد التي تتوالى في بطء أو تتعاقب في تراخ.

وفي الحديث إشارة إلى انتصار الحق، ونصرة حزب الرحمان: حيث يبدأ بالإخبار عن الدجال: وخروجه، ويبدأ الصراع حيث يتوجه قبل الدجال رجل من المؤمنين... لمقاومته وصده وكشف باطله.

---

(١) رياض الصالحين ٦١٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (س ل ح).

(٣) انظر: معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٢٩٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ش ب ح).

(٥) المرجع السابق في (ش ج ج).

(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي بن محمد الفيومي في (أ ش ر).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ت ر ق و).

وتتوالى الأحداث عبر ذلك الحوار بين الدجال والرجل المؤمن، بعد أن تغلب عليه الخفراء ورجال الأمن والشرطة، ولكن الرجل يصمد، ولا يضعف أمام الضرب والشج، وحتى عندما يأمر به الدجال فينشر، يظل على تمسكه بمبدئه لأنه على الحق، وتتكرر العقدة، في حادثي الشج والنشر وتحدث المفاجأة حينما يرفض المؤمن تصديق الدجال.

وكذلك حينما يحاول الدجال ذبحه... ولكن الله يجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، ولا يستطيع إليه سبيلا، ودفاع الله عن المؤمن الذي يرمز إلى كل أنصار الإيمان، وإلى حزب الرحمان: تتجلى بوارقه في ختام الحديث: حينما يقذف الدجال بالمؤمن، فيحسب الناس، إنما قذفه في النار، ويقول رسول الله ﷺ في أسلوب القصر والتأكيد: وإنما ألقي في الجنة.

ويقول المصطفى ﷺ مبشرًا كل الشهداء، وكل الذين يقاومون الباطل والكفر: ((هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)).

وهذا العرض الشائق لهذا الصراع تضمن الحوار الكاشف عن زيف الباطل وثبات الحق بين الدجال والرجل المؤمن، وتضمن كذلك: أساليب الاستفهام التقريري، والإنكاري، والتوبيخي، ويتضمن كذلك أسلوب النداء والقصر؛ وتكرار بعض العبارات يرشد إلى إلحاح الدجال وتهافته، وإلى إصرار المؤمن رغم العذاب الشديد، على منطقه الإيماني، وذلك حينما قال: الدجال له، في استفهام مثير للرغبة والشوق إلى استمالة قلب المؤمن: في قوله: "أتؤمن بي" مرتين، ولكن الرجل المؤمن يرفض، وواجهه عقب السؤال الأول بحقيقة زيفه، حيث قال له: أنت المسيح الكذاب، وفي المرة الثانية: يقول له في إصرار: مؤكدًا كلامه ورأيه عبر أسلوب القصر: حيث قال للدجال.. "ما ازددت فيك إلا بصيرة"، وهكذا يجب أن يكون المؤمن في كل زمان ومكان، يتصدى للباطل، ويكشف زيف الدجالين والمنافقين، والمستبدين، والظالمين، وما أكثر الدجالين في زماننا، فهل يزداد فيهم الناس بصيرة، وهل يفطنون لما يضمرونه من مكائد وحيل خادعة، وكوارث مفجعة.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٨)

١٨١٨ - وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: ما سألَ أَحَدٌ رسولَ الله ﷺ عَن الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ؛ وإنَّهُ قَالَ لِي: ((مَا يَضُرُّكَ)) قُلْتُ: إنَّهُمْ يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قالَ: ((هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

الشرح الأدبي

إن الباطل مهما اشتد عوده فهو ضعيف، لأنه لا ثمرة له في الحياة نافعة، فهو يذوي ويتلاشى وإن كثر أعوانه وأنصاره، فهؤلاء الأعوان يواجهون مصارعهم ولا يستطيعون دفعها، وهذا المصير الأليم هو ما نستفيده من هذا الحديث الشريف الذي صيغ في القالب الحواري المشوق، حيث يدور الحوار الجميل المقنع بين المغيرة بن شعبة ورسول الله ﷺ.

ويبدأ الحديث بأسلوب التفصيل الذي يفيد الإكثار والمبالغة، حيث يقر المغيرة بأنه كان من أكثر الصحابة سؤالاً عن الدجال، وذلك لمزيد من المعرفة، ورغبة في الاستعداد لمواجهته، ومواجهة أعوانه من الكفار والمنافقين الذين يتكررون في كل الأزمنة وكل الأمكنة.

ويتكرر التأكيد مرتين في الحديث على لسان المغيرة في الحوار بينه وبين رسول الله ﷺ.

والتأكيد في المرة الأولى جاء في سياق إخبار المغيرة: عن إجابة رسول الله ﷺ له: في هذه الجملة، وإنه قال لي: ما يضرك، أي ما يتعبك منه شيء، ولن يلحق بك ضرر وبغيرك.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٧١٢٢، ومسلم ٢٩٣٩/١١٤.

والمغيرة يحرص على إزالة الشبهة، وزوال اللبس حيث يبالغ الناس في الأخبار، ويصورون الدجال في صورة غير حقيقية، حتى يتوهم الناس أنه ذو قوة وبطش ونفوذ، ـ ولذلك قال المغيرة "إنهم يقولون"، وقوله: "يقولون" يوحي بالتشكك في أقوال هؤلاء، ولم يحدد المغيرة من هؤلاء الذين يقولون تهوينا من شأنهم، ومن شأن الدجال، ويتكرر التأكيد مرة ثالثة في قول المغيرة: إن معه جبل خبز ونهر وماء، وقيل المراد أن معه من الخبر قدر الجبل، وفي رواية: إن معه الطعام والأنهار.

وفي ذلك إيحاء بأنه قادر على إغراء الناس، وفتنتهم بماله، ومكاسبه المادية، وهذه هي طبيعة الحضارة المادية الحديثة التي فقدت منظار الروح، ولم تملك سوى المنظار الحسي المادي، ولذلك قال رسول الله ﷺ معبرًا عن الدجال بضمير الغائب تحقيرًا لشأنه، هو أهون على الله تعالى من ذلك !!!.

وقيل إن دلالة ذلك أن الدجال: أهون من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلاً للمؤمنين، ومشككًا لقلوب الموقنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويرتاب الذين في قلوبهم مرض[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤/٥٤٥.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨١٩)

١٨١٩ - وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، الاَ إنَّهُ أعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ عز وجل لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ك ف ر)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الشريف بعض سمات وملامح الدجال، وهي تجمع بين السمات الحسية والمعنوية، فمن ملامحه الحسية الشكلية التي ترمز إلى نقص الرؤية الحسية والإدراكية لديه أنه أعور، فهو لا يرى الأشياء رؤية متكاملة شاملة، ولكنه لا يرى إلا معالم الكفر، وأمارات الضلال، وأما الملمح الثاني: وهو ملمح سلوكي مرفوض فهو الكذب، فكل أخباره وادعاءاته كاذبة ملفقة، فماؤه نار، وناره ماء طيب عذب كما أخبر رسول الله ﷺ.

والحديث في صياغته يتضمن عدة مظاهر جمالية، ويبوح ببعض الأسرار التعبيرية ومنها:

أ- أسلوب القصر في الجملة الأولى: وهو يرشد إلى أن جميع الأنبياء حذروا أقوامهم من الدجال الذي وصفه الرسول ﷺ بالأعور الكذاب، تحقيرًا لشأنه، وفضحًا لأمره، والأنبياء عرفوا ذلك وأنذروا قومهم.

ب- الحرص على التنبيه والرغبة في الإصغاء والاستجابة وذلك ما يتضمنه ذكر "ألا" في بداية الجملة الثانية، وهي أداة استفتاح وحرف تنبيه، وتأتي في سياق الحث على الاستماع والإصغاء والتنبه.

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣١، ومسلم واللفظ له ٢٩٣٣/١٠١.

ج- التأكيد بإن: حيث تكرر مرتين: بعد أداة الاستفتاح وفي بداية الجملة الثالثة، وهذا التأكيد المتكرر للإقناع والحث على معرفة حقيقية هذا الدعي الدجال الأعور الكذاب، ولنتأمل ما يحمله هذا التعبير من طاقة تأثيرية إقناعية، تنفر المسلم من الاقتراب من عوالم هذه الشخصية. ألا إنه أعور، والجملة الثانية تتضمن السخرية من هذا الدعي لأنه يدعي أنه له نارًا وجنة ويدعي أنه الرب، وكيف يكون ربًا، ورسول الله ﷺ يقول: وإن ربكم ليس بأعور.

د- الجملة الأخيرة مكتوب بين عينيه كفر، تفصح بصياغتها الاسمية عن ثبات هذا الملمح في شخصية الدجال، وقال الحافظ هذا إخبار بالحقيقة، وذلك لأن الإدراك في البصر يخلقه الله تعالى للعبد، كيف شاء ومتى شاء، فهذا يراه المؤمن بغير بصره، ولو كان لا يعرف الكتابة.

ولا يراه الكافر، ولو كان يعرف الكتابة، كما يرى المؤمن الأدلة بعين بصيرته ولا يراها الكافر، فيخلق الله للمؤمن الإدراك دون تعلم، لأن ذلك الزمان تنخرق فيه العادات في ذلك، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢٠)

١٨٢٠- وَعَن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((**الا أُحدِّثُكمْ حديثًا عن الدجالِ ما حدَّثَ بهِ نبيٌّ قَومَهُ ؛ إنَّهُ أعورُ، وَإنَّهُ يجيءُ مَعَهُ بمِثالِ الجنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ إنَّها الجنَّةُ هي النَّار**)). متفقٌ عليهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

تتوالى الأحاديث في هذا السياق، وهي تنذر الأمة وتحذرها من فتنة الدجال، وهذه النذر كأنها شهب كاشفة، وصواعق راجفة، توقظ الغافلين،وتحذر السامعين، ويبدأ الحديث بأسلوب يجمع بين الترغيب والترهيب، يتمثل في هذه الصيغة التي تفصح عن التنبيه والاستفتاح، وتستميل النفوس والآذان بالاستفهام التقريري المرغب في قول رسول الله ﷺ "ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه"، والخطاب هنا للصحابة رضي الله عنهم ولكل أبناء الأمة الإسلامية تحذيرًا لهم من هذه الفتنة التي تدع الحليم حيرانا، وتختلط فيها القيم، وتفسد فيها المعايير.

ووصفه بالأعور يجيء في أسلوب التوكيد، "إنه أعور" وهذا التأكيد على هذا الملمح الحسي الشكلي من ملامح الدجال، ليقنع الناس بأن أحكام الدجال ومقاييسه فاسدة ناقصة.

والتأكيد يتصدر الإخبار عن المنطق الفاسد لهذا الدعي، حيث يزيف الحقائق، ويخدع الناس، إنه يجيء بمثال الجنة والنار، وكلمة مثال أي شبيه، فهو يحاكي وليس يقدم شيئًا حقيقيًا.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٣٣٨، ومسلم ٢٩٣٦/١٠٩ وزادا: (وإني أنذركم كما أنذر به نوحٌ قومه).

ويجيء التأكيد مرة ثالثة في تحديد طبيعة أقوال هذا الدجال فهو كذاب، وهو متناقض، وشره خير، وخيره شر، وما أبلغ هذا التعبير القوي الذي ينذر الناس، وينبههم إلى خطر هذا الأعور الكذاب، الذي يخدع الناس بمثال الجنة والنار.

فالتي يقول: إنها الجنة هي النار!!!، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢١)

١٨٢١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: ((إنَّ اللهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ، ألاَ إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

بين ظهراني الناس: بين ظهورهم، أي: بينهم[2].

عنبة طافية: هي: الحبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها، فظهرت من بينها وارتفعت، وقيل: أراد به الحبة الطافية على وجه الماء، شبه عينه بها[3].

الشرح الأدبي

إن صفات وملامح الدجال تتعدد في روايات الأحاديث، فكل رواية تضيف صفة جديدة تعمق قبح صورة هذا الكذاب الدعي، وفي هذا الحديث نجد إضافة جديدة إلى ملامح الدجال: وهي تحديد عينه باليمنى في هذه الصورة المنفرة، التي تثير الاشمئزاز والكراهية لهذه الشخصية، فهو أعور العين اليمنى: كأن عينه عنبة طافية.

وأول ما يثير قول ابن عمر ذكر الدجال بين ظهراني الناس، حيث أتى بهذا التعبير للدلالة على زيادة الظهور وعدم الاختفاء، "وظهراني"، أصلها: ظهر، والألف والنون زائدتان، وهي تعني النصير، ومعنى ذلك: أن ظهرًا منه قدامه، وظهرًا خلفه فكأنهم خفراء من جانبيه، كما يقول صاحب فتح الباري، وقوله: إن الله ليس بأعور، تأكيد

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٣٩، ومسلم ١٦٩/٢٧٤ ولفظهما سواء.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ظ هـ ر).

(٣) المرجع السابق (ط ف ع).

لبطلان مزاعم الدجال أن له جنة ونارًا وأن له صفات الإله، وكيف يكون كذلك وهو أعور العين اليمنى، واليسرى جاحظة واليمنى كأنها عنبة منتنة، وهذه صفات نقص فكيف يدعي أن الرب، والله متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص، تعالى الله عما يقول علوًا كبيرًا، وأداة الاستفتاح "ألا" مع التأكيد في جملة وصف الدجال بالعور، ترسيخ لهذه الصفة التي تبطل مزاعمه، وهذا الحديث يحدد العوراء باليمنى، وبعض الروايات تقول بأنها العين اليسرى.

والقاضي عياض قال: يصحان معًا، بأن تكون المطموسة والممسوحة هي العوراء الطائفة - بالهمز التي ذهب نورها وهي العين اليمنى، وتكون الجاحظة التي كأنها كوكب أو كأنها نخاعة في حائط هي الطافية بلا همز وهي اليسرى، كما جاء في الرواية الأخرى، ثم يقول: فكلا عيني الدجال معيبة، إحداهما بذهاب ضوئها، والأخرى بنتوئها، وهذا هو نهاية القبح، كما يقول صاحب دليل الفالحين، نسأل الله النجاة من فتنة الدجال، والفوز برضا الكبير المتعال... آمين.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨١٠).

الحديث رقم (١٨٢٢)

١٨٢٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الحَجَرُ و[1] الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إلاَّ الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ)). متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا الحديث إحدى نبوءات المصطفى ﷺ، فهو لا ينطق عن الهوى، وقد علمه شديد القوى، ومن دلائل صدق هذه النبوءة: أن الرسول ﷺ لم يحدد موعدًا زمنيًا لانتصار المسلمين على اليهود، لأن الحرب سجال، والأيام دول، ولكن شمس الحق تظل دائمة متوهجة في آفاق العزة الإيمانية، ومدارات البطولة الإسلامية، حتى وإن حجبتها سحب الباطل، وغيوم النفاق، وعواصف الكفر، وترهات المرجفين، ووسائل إعلام الملاحدة والعلمانيين، والماديين والدهرين.

والحديث يبدأ بقوله: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود"، والمسلمون هنا لهم الغلبة لأنهم الفاعلون، وهم المقاتلون، ولم يقل حتى يقتتل المسلمون واليهود، ولكنه جعل اليهود مفعولاً به، فقد وقع عليهم فعل القتال، وهم في موقف الدفاع، وما أدق هذه الصورة الحركية المبشرة: وهي صورة اختباء اليهودي من وراء الحجر والشجر، أي خلف الجدران، وفي قلب البنايات والحصون، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا

---

(١) لفظ مسلم: (أو).

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٢٦، ومسلم واللفظ له ٢٩٢٢/٨٢.

فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾[1]. والاختباء يعني الفرار والخوف والهزيمة، ولفظ "حتى" يفيد الغاية وهي تعلن أن الصراع طويل وممتد، ولكنه في نهاية المطاف يؤول إلى هزيمة اليهود، والله سبحانه وتعالى ينطق الجماد "الحجر"، وينطق النبات "الشجر"، وهي رموز قد تتطور وتشكل وتأخذ أسماء جديدة ومنها المخترعات العصرية، ووسائل الإعلام، ووسائل الحرب الإلكترونية الحديثة، التي سيمن الله على المسلمين بامتلاكها، وإعداد القوة العلمية والمادية والنفسية مع قوة العقيدة ووحدة الصف، وثبات الجنان ونصرة إرادة الرحمن، ويقول الحجر والشجر بكل الرموز والصوتيات يامسلم: هذا يهودي خلفي تعال: فاقتله، والنداء هنا يحث المسلمين على أن يكونوا جميعًا ملتزمين بصفات المسلم الحقيقي، حتى يتم النصر والتأييد الإلهي، واسم الإشارة يدل على التحديد والتعيين، وتنكير لفظ "يهودي" يفيد التحقير لهؤلاء الذين غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا، وفعل الأمر هنا: واجب النفاذ، تعال: فاقتله، لأن في قتله إعزازًا لدين الله، وإسعادًا للبشرية، وحماية للمسلمين.

وأسلوب الاستثناء هنا في قوله: "إلا الغرقد"، وهو شجر العوسج أي الشوك: يفيد أن اليهود سيظلون على عنادهم، ولهم من يناصرهم، ويدافع عن باطلهم، وقد رمز لهؤلاء: بشجر الشوك، وهو لا ثمرة له إلا الضرر والإيذاء، وكذلك كل من يناصرون اليهود من الدول المارقة، ووسائل الإعلام الهابطة، كلهم مثل الشوك وهم من أعوان الدجال، الذي سيلقى حتفه هو وأعوانه واليهود تحقيقًا لهذه النبوءة، وتلك البشرى التي بشر بها: محمد رسول الله ﷺ أصحابه والمسلمين جميعًا، وأول شعاع من شمس هذه البشرى أضاء الأفق الإسلامي في عهد النبوة، حين طرد رسول الله ﷺ اليهود من المدينة وأجلاهم وانتصر عليهم، فهل تبزغ هذه الشمس الآفلة، وهل تعود للمسلمين من جديد قيادة القافلة ؟؟ إن ذلك ليس على الله ببعيد، فهو القوي القاهر الذي يبدئ ويعيد، وهو فعال لما يريد.

---

(١) سورة الحشر، آية: ١٤.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة قتال المسلمين اليهود.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود..." وفي هذا إخبار منه ﷺ بما يكون في آخر الزمان، والإخبار أسلوب من أساليب الدعوة المهمة وعليها المدار في الدعوة إلى الله، فإن مهمات الأنبياء التبليغ للناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[1] وأمر الله نبيه ﷺ بالبيان للناس، فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وبالإخبار تقوم الحجة على المدعوين بتعريفهم والبيان لهم ولأجل هذا كان إرسال الرسل، قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة قتال المسلمين اليهود:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر..." وهذه المقاتلة من أشراط الساعة. قال الإمام النووي: (والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود)[4]. وقال ابن حجر:(والمراد بقتال اليهود، وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى، وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٨٩.

وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى، وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة)[١].

ومما هو معلوم (أن من أشراط الساعة قتال المسلمين لليهود في آخر الزمان، وذلك أن اليهود يكونون من جند الدجال فيقاتلهم المسلمون الذين هم جند عيسى عليه السلام حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، والذي يظهر من سياق الأحاديث أن كلام الحجر والشجر ونحوه حقيقة، وذلك لأن حدوث تكلم الجمادات ثابت في غير أحاديث قتال اليهود، واستثناء شجر الغرقد من الجمادات بكونها لا تخبر عن اليهود، لأنها من شجرهم، يدل على أنه نطق حقيقي)[٢].

قال القاضي عياض: (وقوله: "إلا الغرقد فإنه شجرهم" يعني اليهود. الغرقد: هو العوسج قال أبو حنيفة الدينوري[٣] إذا عظمت العوسجة فهي غرقدة، ورأيت في بعض التعاليق أنه الدلفي ولا يصح)[٤].

وقال القرطبي: (وهذه المقاتلة تكون بعد قتل الدجال، فإن اليهود هم أكثر أتباعه)[٥]. وقد دل الحديث على أن اليهود أكثر أتباع الدجال، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة))[٦].

وقال صاحب فتح الملهم: (وقوله: "حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي" يعني حينما يريد اليهود أن يختفي وراء حجر، فإنه ينطق ويخبر المسلمين بمكانه. وذلك يقع بعدما

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧٠٦/٦.

(٢) أشراط الساعة، د. يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ٢٢١.

(٣) هو أحمد بن داود الدينوري كان نحويًا لغويًا مع الهندسة والحساب راويًا ثقة ورعًا زاهدًا، أخذ عن البصريين والكوفيين صنف لحن العامة وإصلاح المنطق وتفسير القرآن وغيره. مات سنة ٢٨٢هـ، وهو غير أبي حنيفة صاحب المذهب. [انظر: محقق إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٦٣/٨].

(٤) المرجع السابق ٤٦٣/٨.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٥١/٧.

(٦) أخرجه البخاري ٣٤٥٠، ومسلم ٢٩٤٤، وأبو داود ٤٣١٥.

يقتل عيسى عليه السلام الدجال. قال الأبي:لا مانع من حمله على الحقيقة بإدراك يخلقه الله تعالى للحجر، ويحتمل المجاز، وإنه كناية عن كمال استئصال قتلهم)[١].

قال د. الحسيني هاشم: (وفي الحديث قتال المسلمين لليهود وانتصارهم عليهم بعد ثبوت دعائم اليهود وقوة دولتهم وظهور كيانهم، وانتصار المسلمين عليهم ببيت المقدس حيث يوجد شجر الغرقد بكثرة، وفيه معجزة ظاهرة حيث حذر من اليهود وقد تشتتوا، وبين أنهم سيحاربون المسلمين)[٢].

وإذا كان المسلمون يقاتلون اليهود في آخر الزمان، فإن اليهود هم ألد أعداء الدعوة الإسلامية منذ ظهور الإسلام.

(أما اليهود فهم أهل علم وكتاب سماوي، ورثوه منذ قرون. ولكنهم ورثوا نصوصه، ولم يرثوا روحه؛ فاستقرت نصوصه في أدمغتهم، وأقفرت نفوسهم من روحه ومثله العُلى. وطال بهم الأمد فقست قلوبهم وفسق أكثرهم عن أمر ربه. ودخلهم حب الدنيا وتعاملوا بالرشوة وأخذوا الربا وقد نهوا عنه، فهم يأخذون عرض هذا الأدنى باطلاً وسحتًا ويقولون: سيغفر لنا، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه في غير تورع ولا استحياء لأنهم أبناء الله وأحباؤه، فلن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة... هكذا أخضعوا دينهم لدنياهم. واشتروا بكتابهم ثمنًا قليلاً. ذلك موجز أمرهم وأمر آبائهم من قبل)[٣].

وإزاء مواقف اليهود المعادية للإسلام كان لابد من فضحهم، وكشف مساويهم وإظهار عداوتهم حتى تتنبه الجماعة المسلمة، والصف المسلم للمؤامرات التي يحيكونها ضد الإسلام والمسلمين.

(لقد كان لابد من الحملة على اليهود، وتعقب مخازيهم، وهتك أستارهم وأسرارهم، ولكنها حملة هي غاية في العدل، فلم تتجاوز تقرير الحقائق وبيان ما ارتكبوا من جرائم التحريف والتغيير، وذكر ما لأسلافهم في الماضي من مواقف مع

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١٢/٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٨٢١.

(٣) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١١.

الأنبياء، ابتداء من موسى إلى عيسى عليهم صلوات الله وسلامه، وما كان لهم من خلاف وتعنت وجحود بآيات الله؛ وقتل لبعض هؤلاء الأنبياء وتكذيب لبعض ... يسرد القرآن ذلك كله حتى لا يخدع الناس بهم. ويعرفوا أن موقفهم اليوم من القرآن، إن هو إلا حلقة من سلسلة ماضيهم الطويل، وعادة يجرون فيها مع ميراث قديم. وهو في كل هذا لا يتجاوز ما هو مكتوب عندهم في التوراة.

وإنك لتتبين عدالة هذه الحملة، حين ترى الإسلام في تقريره للوقائع يذكر ما لهم وما عليهم؛ فيقول عن أصولهم وأجدادهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ويقول فيهم: ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] ولكنه مع هذا يقرر أنه مسخ بعض هؤلاء القدامى، فجعل منهم القردة والخنازير، بما فسقوا عن أمره... ويعدل معهم في حاضرهم، فيقول: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ۝ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[4].

ولقد كان رسول الله ﷺ بسلوك هذه الخطة العادلة، يطمع أن يؤمن هؤلاء به، فقطع الله له كل طمع فيهم، وقال له: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[5]، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾[6] وقال جل شأنه: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[7][8].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٣٣.

(٢) سورة الدخان، آية: ٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٣، ١١٤.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٤٥.

(٧) سورة البقرة، آية: ٧٥.

(٨) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ٣١٩-٣٢٠.

الحديث رقم (١٨٢٣)

١٨٢٣- وعنه ﷺ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرجُلُ على القَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، (ما بِهِ)[1] إلاَّ البَلاَءُ)). متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فيتمرغ: أي: يتقلب عليه[3].

البلاءُ: الغمُّ والشِّدة[4].

الشرح الأدبي

إن المسلم قوي الإيمان، ثابت الجنان، لا يضعف أمام ابتلاءات الحياة، ولا نكبات الزمان، بل يظل دائمًا متمسكًا بالمنهج الرباني في علاقة المسلم بربه، إن رأى خيرًا شكر وإن رأى غير ذلك صبر، وهذا الحديث الشريف يشخص واقع صنفٍ من الناس بعيد عن المنهج الإسلامي، حيث يكون القلق والتشاؤم أهم ملامحه السلوكية، وكيفية استقباله للأحداث والمتغيرات.

ويبدأ الحديث بالقسم بالله عز وجل، والمقسم هو رسول الله ﷺ والمقسم به هو الله عز وجل، وكنى عن ذلك بقوله "والذي نفسي بيده" وهذا التعبير يتسق مع المراد من الحديث وهو التسليم والإذعان للقدر، والإيمان بالمشيئة الإلهية، فنفوسنا كلها بيده،

---

(١) (ما به) لا توجد عند مسلم.

(٢) أخرجه البخاري ٧١١٥، ومسلم واللفظ له ٥٤/١٥٧، كتاب الفتن، باب ١٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (م ر غ).

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ل ي).

يصرفها كيف يشاء، والمفارقة بين بداية الحديث الإيمانية وبين منطوقه بعد ذلك، تتجلى في عرض هذه الصورة المرفوضة، التي ابتعد أصحابها عن إسلام الوجه لله، والتسليم بمشيئته، والإيمان بالقضاء والقدر، ولكنهم أسلموا أنفسهم للهواجس والوساوس، ووقعوا فريسة الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

وما أدق الوصف في هذه الصورة الحركية في قوله: "حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه"، وكأنه أصبح مثل الحيوان لا يفكر ولا يعي، وهذه الصورة تكشف عن نوازع القلق، وأشباح اليأس التي تهزم النفوس الضعيفة، وتغلق منافذ الأمل، وتدعو كثيرًا من ضعاف الإيمان إلى التفكير في الموت، وبعضهم يقدم على الانتحار!!!.

ويجسد رسول الله ﷺ الموقف النفسي الانهزامي، والإحباط الذي يسيطر على مثل هؤلاء البائسين من رحمة الله والقانطين، حيث يقول كل منهم ياليتني مكان صاحب هذا القبر.

والياء للتنبيه، وقيل للنداء، ففي الكلام إيجاز بالحذف، والتقدير ياقوم أو يا نفس، أو يا بؤس، وكأنه يصيح بأعلى صوته وسط المقابر، من فزعه وهلعه ويأسه بهذا النداء اليائس البائس.

وقوله: ليتني يفيد التمني، ولكنه مستحيل الوقوع: لأن لكل نفس أجلها وموعدها الذي لا يتقدم ولا يتأخر، ويختم الحديث بما يسمى في البلاغة الحديثة المفارقة أو لغة المفارقة، وهي: الجمع بين الشيء وضده في سياق واحد، فهذا اليائس لا يتمنى الموت من أجل الفوز بالجنة، ولكن الدافع هو الحزن على مباهج الدنيا التي لم ينل منها شيئًا، والضعف أمام المحن والأوصاب الدنيوية، ولذلك يفسر رسول الله ﷺ هذا الموقف تفسيرًا محددًا، تتمثل فيه المفارقة الكاملة بين موقفين، حيث يقول: ليس به الدين، ما به إلا البلاء.

وأسلوب القصر في الجملة الأخيرة يؤكد ضعف الوازع الديني عند هذا الصنف من الناس، ويدين موقفهم الضعيف واليائس: لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١]. وقوله سبحانه: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[٢].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: القسم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان شدة البلاء والفتن في آخر الزمان.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: القسم:

حيث جاء في الحديث "والذي نفسي بيده" وأسلوب القسم من أساليب الدعوة المهمة حيث يقنع المدعو بما يقول الداعية (وأسلوب القسم يجري على عادة العرب، حيث استعملوه، وعرفه الناس قديمًا، تأكيدًا لخبر، أو تعظيمًا لشيء، أو جمع الانتباه حول غاية، أو دليلاً على إثبات الحق، وأسلوب القسم يبصر بالدعوة، ويبين دعائمها الأساسية بشكل مفصل ثابت أمام الدعاة والمدعوين، لكي تكون حركة الجميع على بيان ووضوح، وأسلوب القسم موعظة حسنة، لأن القرآن دائمًا يقصد به الإقناع والإثارة، فإن من الناس من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية مثل القسم)[٣]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب القسم قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ﴾[٤] وقال جل شأنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[٥].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان شدة البلاء والفتن في آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل بالقبر فيتمرغ عليه ويقول: يا

---

(١) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ١١١.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد ١٦٢.

(٤) سورة يونس، آية: ٥٣.

(٥) سورة سبأ، آية: ٣.

ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين ما به إلا البلاء". قال الطيبي: (قيل الدين ههنا العادة، والمعنى: يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حاله، وليس التمرغ من عادته، وإنما يحمله عليه البلاء، ولكن أقول: ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته، أي ليس ذلك التمرغ والتمني لأمر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا، فيفيد "البلاء" المطلق بالدنيا)[1].

وقال ابن حجر: (قال ابن بطال: تغبط أهل القبور، وتمنى الموت عند ظهور الفتن، إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر. انتهى. وليس هذا عامًا في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، وذكر الرجل فيه للغالب، وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك. وقال القرطبي: فيه إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به، ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة، وفي قوله "وليس به الدين إنما هو البلاء" فإنه سيق مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا)[2].

قال القاضي عياض: (ويحتمل أن يكون هذا لما يرى من تغيير الشريعة وتبديل الدين، أو لما يرى من البلاء والمحن والفتن، كما قال في الحديث الآخر ((لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا المقتول على أي شيء قتل))[3] وعلى الوجهين فقد كان ما أخبر به ﷺ وظهر، وكذلك في كثير من المشقات والأمور والفتن التي أخبر بها في هذه الأحاديث ووقعت عيانًا[4].

وقال القرطبي: (والمراد أن هذا يحدث من شدة المحن، وكثرة الفتن والأنكاد

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩٥/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٩٠٨.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤٥١/٨.

اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده، ولذلك قال "ليس به الدِّين إلا البلاء" وكأن هذا إشارة إلى أن كثرة الفتن والمشقات والأنكاد قد أذهبت الدين من أكثر الناس، أو قللت الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، ولذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن، حتى قد قال ﷺ: ((العبادة في الهَرْج كهجرة إليّ))[1][2].

وجاء في فتح الملهم: (وقوله "فيقول: يا ليتني مكانه" يعني يتمنى الموت إما لفساد يرى الناس يصيب في دينهم، أو لضر دنيوي نزل به، والأول لا بأس به، والثاني مذموم وقوله "فيتمرغ" أي يتقلب يقال تمرغ الرجل إذا تقلب وتلّوى من وجع يجده، وقوله "ليس به الدين إلا البلاء" يعني أنه لا يتمنى الموت لحفظ دينه، وإنما يتمناه لبلاء أصابه في دنياه، وهذا في معرض الذم، والمراد أن الناس يتمنون الموت لضرر دنيوي أصابهم، مع أنه منهي عنه في الشرع)[3].

ولا شك أن هذا الحديث يدلل على هول الفتن وشدتها في آخر الزمان.

(وقد حثَّ النبي ﷺ عندما تَدْلَهِمّ الفتن على الفرار منها والاشتغال برعي الأغنام طلبًا للعيش.

قال ﷺ: ((يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغَنَمُ، يتبع بها شَعَفَ[4] الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن))[5].

والهدف من اعتزال تلك الفتنة، هو الحذر من الوقوع في العاقبة الوخيمة التي توعَّد الله بها المسلمين إذا تقاتلوا، ففي الحديث عنه ﷺ أنه قال: "إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار" قيل: فهذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: ((إنه أراد قتل صاحبه))[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٤٥/٧.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٤٥٣/١٢-٤٥٤.

(٤) الشَّعَفَةُ من كل شيء: أعلاه، انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ف).

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٩٥.

(٦) أخرجه البخاري ٧٠٨٣.

وأي خسران من أن يبذل الإنسان دمه وحياته ثمنًا بخسًا للتعاسة والشقاء! ولكنها الفتنة التي تعمي وتصم.

لذلك سدَّ الإسلام تلك الذريعة بتحريمه مجرد رفع السلاح على المسلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((من حمل علينا السلاح فليس منا))[1].

لأن فتنة الهرج إذا انطلقت شرارتها بين المسلمين استمر حريقها مندلعًا إلى قيام الساعة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة))[2].

ومن لم يتيسر له الاعتزال والفرار من الفتن، والاشتغال برعي الأغنام كما أرشد إليه ﷺ، فلا أقلَّ من اجتناب القتال فيها، وللتأكيد على ذلك أمر النبي ﷺ بكسر السيوف في الفتنة)[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ويؤخذ هذا من سياق الحديث، وأسلوب الترهيب من أساليب الدعوة التي تؤثر في نفس المدعو، وتحمله على الالتزام وترك المحظورات (والترهيب كل ما يخيف المدعو ويحذره من عدم الاستجابة، أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، ويكون الترهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة)[4]. ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترهيب قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٨٧٤، ومسلم ٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٢٠٢، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٧٩٣).

(٣) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل بن عبدالله أسره ص ١٠٤، ١٠٥.

(٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان ٤٣٧.

(٥) سورة المطففين، آية: ١٥، ١٦.

الحديث رقم (١٨٢٤)

١٨٢٤- وعنهُ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُقْتَتَلُ[1] عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أكُونَ أنَا أنْجُو))[2].

وَفي رواية: ((يُوشِكُ أنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلاَ يَأخُذْ مِنْهُ شَيْئًا)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يحسر الفرات: يرتد ماؤه عن ساحله فتتكشف الأرض[4].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من نبوءات المصطفى ﷺ، ويتضمن أخبارًا مستقبلية تنبئ عن وقوع أحداث في المستقبل، وهي أحداث تتمخض عنها الأطماع، والتكالب على متاع الدنيا وزخرفها، ومن هذه الأحداث جفاف نهر الفرات وذهاب مائه، وهذا من الظواهر الطبيعية التي تحدث، فكثير من الأنهار جف ماؤها، وعادت يبسا، ويساق هذا الحديث للإنذار بقيام الساعة، ولذلك جاء النفي في أول الحديث، لا تقوم الساعة، والنفي هنا يفيد : أي أن الساعة ستقوم.. وقبلها ينكشف الفرات، أي يذهب ماؤه، ثم يظهر جبل من ذهب، وصور رسول الله ﷺ الصراع على هذا الذهب، فأتى: بالفعل "يقتتل"، مبنيًا للمجهول، لأن المتقاتلين يكونون من كل حدب وصوب، وتتعدد طوائف المتقاتلين، وأجناسهم، وقبائلهم.

---

(١) عند مسلم زيادة: (الناس).

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤/٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧١١٥، ومسلم ٢٨٩٤/٣٠.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ح س ر).

ولكن الهلاك هو المصير المحتوم لأكثرهم، فلن ينجو من كل مائة إلا واحد وكلهم يحرص على النجاة فيفنى بعضهم بعضا، وكأنهم يتقاتلون على سراب، والفعل "يقتل" مبني للمجهول كذلك، لأن الكل حريص على قتل الآخر، ولا يعرف الناس من قاتل من !!!، وفي قوله: "لعلى أن أكون أنا أنجو"، دليل على حرص كل واحد منهم على قتل الآخر على النجاة، وقوله: "لعلي" فيه حمل لعلَّ على عسى أختها في معنى: التوقع والإشفاق: وفي هذا التعبير إيجاز بالحذف، وقال العلماء: في الكلام مضاف مقدر، إما في المحكوم عليه: أي لعل شأني كوني أنجو، حيث تحول المصدر المؤول إلى مصدر صريح، أو في المحكوم أي لعل ذا كون نجاة.

والشواهد التاريخية والمعاصرة: تعد إرهاصات تمهد لمثل هذه الصراعات القادمة، فكم حدثت في العراق من فتن وحروب، وما يحدث فيها الآن من أقوى الشواهد على هذا الاقتتال الدامي، وذلك الصراع الطائفي الأحمق، وذلك البطش الظالم من القوى الباغية المعتدية، التي هبت كالأعاصير المدمرة على وادي الرافدين طمعًا في نهب خيراتها، وسرقة بترولها وكنوزها، ومن قصيدة غاية النار، تصور هذه الأبيات بعض مشاهد هذا الصراع:

وجه السلام غريب في مدائننا ... وللغزاة فحيح كاسر ضار
هبوا جياعا وفي بيدائنا غرقوا ... ولم تمت في دمانا غضبة الثار
ولم تزل للردي بغداد رافضة ... تشدو بآفاقها أسراب أقمار
وللفرات هدير مائج بدم ... يجري بأصلاب شعب حُفَّ بالغار
والهاربون من الطوفان يحرقهم ... قيظ المتاهات في صحراء عشتار
هم استجاروا وكان التيه منجدهم ... فهل يظلون في تيه بلا دار
والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
وعاد بالبطش هولاكو وتسبقه ... عواصف الموت تغتال السنا السَّاري[1]

---

(١) من قصيدة "غاية النار" شعر د. صابر عبدالدايم، ديوان العمر والريح، طبع ونشر الهيئة الهامة للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٧م.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فتن آخر الزمان.

ثالثًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب..." وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تقيم الحجة على المدعوين بالبلاغ، وهو مما أمر الله به نبيه ﷺ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. قال السعدي: (هذا أمر من الله لرسوله ﷺ بأعظم الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلّغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين، حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله، فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها منه)[1]. وأمره الله عز وجل بالبيان فقال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فتن آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون فيقول كل رجل منهم، لعلي أن أكون أنا أنجو" وقوله "يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب".

قال الطيبي: (وقوله "يحسر الفرات" أي ينكشف وقوله "أنا الذي أنجو" أي أنا الذي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي، ٢٠١.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

أفوز به، لأنه إذا نجا من القتال يفوز بالمال وملكه)[١]. وقال ابن حجر: (ويوشك أي يقرب، وأن يحسر أي أن ينكشف، والفرات هو النهر المشهور، وتسمية الذهب كنزًا باعتبار حاله قبل أن ينكشف، وتسميته جبلاً للإشارة إلى كثرته)[٢]. وفي هذا بيان لصورة من صور الفتن التي تقع في آخر الزمان.

قال القرطبي: (وقوله يحسر الفرات "أي يكشف ومنه حسرت المرأة عن وجهها أي كشفت، والحاسر: الذي لا سلاح له، وكأن هذا إنما يكون إذا أخذت الأرض تقيء ما في جوفها وقوله "فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا" نهى على أصله من التحريم؛ لأنه ليس ملكًا لأحد وليس بمعدن ولا ركاز، فحقه أن يكون في بيت المال؛ ولأنه لا يوصَل إليه إلا بقتل النفوس فيحرم الإقدام على أخذه)[٣].

وقال محمد تقي العثماني: (والفرات نهر مشهور بالعراق، والمراد من حسره أنه ينكشف لذهاب مائه فيظهر في محله جبل من ذهب، ويحتمل أن يكون ما يظهر جبلاً حقيقة فيه كنز من ذهب، ويحتمل أن يكون كنزًا سمي في هذه الرواية جبلاً لكثرة ما فيه من ذهب. وقوله "لعلي أكون أنا الذي أنجو" يعني أنه يقتحم القتال مع ما يرى من شدته لأنه يرجو أن يكون هو الناجي، فيفوز بالكنز دون غيره، والسبب في منع الأخذ من هذا الكنز، ما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال بين المسلمين)[٤].

وقال د. الحسيني هاشم: (من علامات الساعة ظهور جبل من الذهب بنهر الفرات أو ببلاده، يقتتل عليه الناس فلا يبقى من المائة إلا واحدًا، وعلى العاقل اجتنابه لأنه فتنة، والتعرض للقتل بسببه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفي الحديث التحذير من التنافس على الدنيا)[٥].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٩٤/١٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨٦/١٣.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٢٢٩/٧.

(٤) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان ٢٢٨/١٢.

(٥) شرح رياض الصالحين ٨٢٢.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن جبل الذهب الذي جاء الإخبار عنه في الحديث، ليس هو النفط أو البترول كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين، وقد رد عليه صاحب كتاب أشراط الساعة فقال: (وليس المقصود بهذا الجبل من ذهب "النفط/ البترول الأسود"؛ كما يرى ذلك صاحب التعليق على "النهاية/الفتن والملاحم" لابن كثير[1]، وذلك من وجوه:

١- أن النص جاء فيه: "جبل من ذهب"، والبترول ليس بذهب على الحقيقة؛ فإن الذهب هو المعدن المعروف.

٢- أن النبي ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب، فيراه الناس، والنفط أو "البترول" يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

٣- أن النبي ﷺ خصَّ الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار، والنفط نراه يُستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض، وفي أماكن كثيرة متعددة.

٤- أن النبي ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز، ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره، بل إن النبي ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا؛ كما في الرواية الأخرى عن أبي بن كعب رضي الله عنه؛ قال: لا يزال الناس مختلفةً أعناقهم في طلب الدنيا... إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((يوشك الفراتُ أن يَحْسِرَ عن جبلٍ من ذهب، فمن حضره؛ فلا يأخذ منه شيئًا))[2]، ومن حمله على النفط، فإنه يلزمه على قوله هذا النهي عن الأخذ من النفط، ولم يقل به أحد. وقد رجح الحافظ ابن حجر أن سبب المنع من الأخذ من هذا الذهب، لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه"[3])[4].

ثالثًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

وذلك حيث جاء في الحديث "فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا" وفي هذا إرشاد من

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: الفتن والملاحم ٢٠٨/١، تحقيق وتعليق محمد فهيم أبو عبية.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨١/١٣.

(٤) أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ٢٠٥، ٢٠٦.

النبي ﷺ إلى عدم الأخذ من هذا الذهب، وهذه من أولى مهام الداعية أن يحذر المدعوين من الأخطار ويرشدهم ويوجههم إلى ما فيه صلاحهم. قال ابن حجر: (والحكمة في النهي عن الأخذ منه لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه، ويحتمل أن تكون الحكمة لكونه يقع في آخر الزمان عند الحشر الواقع في الدنيا، وعند عدم الظهور أو قلته، فلا ينتفع بما أخذ منه. ويقع هذا عند ظهور المهدي، وذلك قبل نزول عيسى عليه السلام وقبل خروج النار جزمًا والله أعلم)[1].

وينبغي أن يتنبه الدعاة إلى الله لهذا، ويكون لديهم الحرص الدائم على إرشاد المدعوين، وتنبيههم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٨٧.

الحديث رقم (١٨٢٥)

١٨٢٥- وعنهُ، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لاَ يَغْشَاهَا إلاَّ العَوَافِي -يُرِيد عَوَافِي السِّبَاعِ والطَّيرِ- وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ، يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

عوافي السباع والطير: طلاب الرزق من السباع والطير[2].

ينعقان بغنمهما: يصيحان[3].

فيجدانها وحوشًا: قيل: يجدان أهلها قد صاروا وحوشًا، وقيل: فيجدانها وحشًا أي: خالية من سكانها.

وقيل: إن غنم الراعيين المذكورين تصير وحوشًا.

وقال النووي: الصواب الأول[4].

ثنية الوداع: ثنية مشرفة على المدينة المنورة يطؤها من يريد مكة المكرمة، فهي موضع وداع المسافرين من المدينة المنورة إلى مكة[5].

الشرح الأدبي

يشع هذا الحديث بأخبار وإرهاصات مستقبلية: حيث قال القاضي عياض: وهذا

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له (١٨٧٤)، ومسلم (١٣٨٩/٤٩٩).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ف و).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ن ع ق).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٤.

(٥) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ١٠٨.

من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين نقلت الخلافة إلى الشام في عصر الأمويين، وإلى العراق في عصر العباسيين، وذلك الوقت أحسن ما كانت المدينة للدين والدنيا، أما الدين فلكثرة العلماء بها، وأما الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها، وهذا الواقع التاريخي تفسير لقوله ﷺ "يتركون المدينة على خير ما كانت".

وهذا الرأي يقابله رأي آخر: وهو أن الترك للمدينة سيكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، ويوضح هذا الرأي ويعضده قوله: وآخر من يحشر، والحديث في ظل التفسيرين من معجزاته ﷺ، وقوله: لا يغشاها إلا العوافي، أي لا يقبل على المدينة ويملؤها ويحيط بها إلا عوافي السباع والطير، أي التي تطلب الرزق من الحب وغيره من خيرات المدينة، وقوله: عوافي مأخوذ من عفوته: إذا أتيته تطلب معروفه، والعفاة هم السائلون.

وهذه الجملة صيغت في أسلوب القصر، للدلالة على هجر أهل المدينة لها، ورحيلهم إلى أماكن أخرى ولا يقصدها إلا السباع والطير.

والجزء الأخير من الحديث يرسم صورة للنهاية التي تنتظر ملايين البشر، وهي صورة الراعيين يسوقان غنمهما ويصيحان... فلا يجدان أحدًا بالمدينة، وإنما يجدان الوحوش تعبث في المكان، وتنذر بالنهاية، وهذه صورة صادمة منذرة: توقظ السادرين في غفلتهم، الذين تلهيهم زخارف الدنيا فيرحلون عن مدينة رسول الله ﷺ طيبة الطيبة العامرة بأنفاس الصحابة، وعبق الحضارة الإسلامية، وخطوات رسول الله ﷺ ومشاهد السيرة المضيئة بالبطولات والذكريات الماجدة، وتتابع فصول وأحداث الرسالة الخالدة.

وختام الحديث يجسد النهاية التي تنتظر كل من على الأرض... وفي الكون كله، كل مَنْ عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، ولنتأمل هذا البيان النبوي الذي يصور نهاية رحلة الشقاء والكد في الحياة، ومنهم هذان اللذان يتعقبان بغنمهما، وهما راعيان من مزينة يريدان المدينة، طلبًا لخيراتها وثمارها (حتى) إذا بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما.

وقوله: خرًا أي سقطا فجأة، وهكذا يكون قيام الساعة لا تأتيكم إلا بغتة.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان حال المدينة في فتن آخر الزمان.

أولاً - من دلائل النبوة: الإخبار عن المغيبات:

حيث جاء في الحديث "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي..." وفي هذا إخبار منه ﷺ بما سيحدث في المستقبل، ولا شك أن هذا من إخبار الله تعالى له. قال القاضي عياض: (وهذه من علامات نبوته عليه السلام فقد تركت على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين علمًا وكمالاً من رجاله، ودنيا لتمام عمارتها، وغرسها، واتساع حال أهلها. ثم ذكر الإخباريون في بعض الفتن التي تعاورتها، وخاف أهلها على أنفسهم، رحل عنها أكثر الناس، وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها، وحالها اليوم قريب من هذا، وقد خربت أطرافها وزالت أغلاقها. وقد حكى كثير من الناس أنهم رأوا ما أنذر به عليه السلام من تغذية الكلاب على سواري مسجدها، ومعنى: "تغذى": تبول، وأصله البول دفعة بعد دفعة، وهي صفة بول الكلاب)[2].

قال سعيد حوي: (وعندما يقول رجل عن نفسه إنه رسول ويخبر عن المستقبل المجهول، ويتحقق هذا المستقبل تحققًا تامًا لا يخرم منه شيء، فتلك إذن نبوة لاشك فيها، واتصال بالله عالم الغيب والشهادة لاشك فيه، وهذه النبوءات التي تحدث بها الرسول ﷺ تجعلك على مثل الشمس مبصرة، أن محمدًا رسول الله ﷺ وأنه لا

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٤/٥٠٧.

ينطق عن الهوى. والنبوءات التي ذكرها الرسول ﷺ قد تكون عن حوادث معينة لأشخاص معينين، أو نبوءات وقعت قديمًا وأخرى نراها الآن، ونبوءات عن حوادث خاصة أو عامة تقع للأمة الإسلامية أو بينها قريبًا من حياة الرسول ﷺ أو بعيدًا، والأمثلة لذلك كثيرة مستفيضة)[1]. وقد جاء في القرآن أن الله سبحانه أطلعه على ذلك قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان حال المدينة في فتن آخر الزمان:

حيث جاء في الحديث "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي، وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما).

قال النووي: (ومعنى الحديث، فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر، وقال القاضي عياض: هذا فيما جرى في العصر الأول وانقضى، وهذا من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق. وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا)[3].

وقال ابن حجر: (وقوله "تتركون المدينة" المراد بذلك غير المخاطبين، لكنهم من أهل البلد أو من نسل المخاطبين أو من نوعهم. وقوله "على خير ما كانت" أي على أحسن حال كانت عليه من قبل، وقال المهلب وفي هذا الحديث أن المدينة تسكن إلى يوم القيامة، وإن خلت في بعض الأوقات لقصد الراعيين بغنمهما إلى المدينة، والراجح ما

---

(١) الرسول ﷺ ١٢٢/٢.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٨٦٢.

ذهب إليه النووي أن ذلك الترك في آخر الزمان)[١].

قال القاضي عياض: (وقوله: "يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما" أي: يصيحان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[٢].

وقوله: "فيجدانها وحشًا": أي خلاء، قال الحربي: وحشي من الأرض أي خلاء، ويمشي وحشًا: أي وحده. وروى في كتاب البخاري: "وحوشًا" فمعناها بين؛ لخلائها، عمرتها الوحوش كما قال للعوافي في الطير والسباع، ويكون "وحشًا" أيضًا بمعنى وحوش، والوحش كل شيء توحش من الحيوان وجمعه وحوش. وقد يعبر بواحدة عن جنسه. وقال ابن المرابط: قوله: "فيجدانها وحوشًا": أي أن غنمهما صارت وحوشًا. قال: فيحتمل أن تصير وحوشًا غير غنم، ويحتمل أن تتوحش وتنفر من أصواتها.

قال القاضي: وليس يدل الحديث على أن الضمير في خرابها يعود على الغنم، وإنما يعود على المدينة كما قدمنا. رواية البخاري لهذا الحديث أتم، قال: "آخرُ من يحشر راعيان من مزينة" وذكر الحديث، قيل: معناه: آخر من يموت بها فيحشر؛ لأن الحشر إنما هو بعد الموت، ويحتمل أن يتأخر حشرهما بحسب تأخر موتهما، وإن لم يكن بين حشر الناس أمد بعيد، قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٣]، وكذلك صعقها أيضًا الصيحة الأولى يكون آخر من يموت بها، قال الله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾[٤])[٥].

وقال القرطبي: (وقوله: "تتركون المدينة على خير ما كانت" تتركون: بتاء الخطاب. ومراده: غير المخاطبين، لكن فرعهم من أهل المدينة، أو نسلهم. و"على خير ما كانت" أي: على أحسن حال كانت فيما قبل. وقد وجد هذا الذي قاله النبي ﷺ،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(٣) سورة يس، آية: ٥٣.

(٤) سورة يس، آية: ٢٩.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٥٠٨/٤.

وذلك: أنها صارت بعده ﷺ معدن الخلافة وموضعها، ومقصد الناس، وملجأهم، ومعقلهم، حتى تنافس الناسُ فيها، وتوسَّعوا في خططها، وغرسوا وسكنوا منها ما لم يُسكن من قبل، وبنوا فيها، وشيَّدوا حتى بلغت المساكنُ إهابها، وجُلِبت إليها خيراتُ الأرض كلها، فلما انتهت حالُها كمالاً وحُسنًا، انتقلت عنها الخلافة إلى الشام، فغلبت عليها الأعراب، وتعاورتها الفتن، فخاف أهلها، فارتحلوا عنها.

وذكر الإخباريون: أنها خَلَتْ من أهلها، وبقيت ثمارها لعوافي الطير، والسِّباع، كما قال ﷺ، ثم تراجع الناس إليها، وفي حال خلائها غذت الكلاب على سواري المسجد. وعوافي الطير: هي الطالبةُ لما تأكل. يقال: عفوته، أعفوه؛ إذا طلبت معروفه. وغذَّى الكلب يُغَذِّي: إذا بال دفعةً بعد دفعةٍ.

وقوله: "ثم يخرج راعيان من مزينة ينعقان بغنمهما" أي: يصيحان بها، ليسوقاها. والنعاق: صوتُ السائق للغنم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾[1].

وقوله: "فيجدانها وحشًا" أي: خلاء. يقال: أرض وحش. أي خالية. ومشى وحشًا؛ أي: وحده. قاله الحربي. ويحتمل أن يكون معناه: كثيرة الوحش؛ كما قال في البخاري: "فيجدانها وحوشًا" أي: يجدان المدينة كثيرة الوحوش لما خلت من سكانها، كما قال: للعوافي. والوحش: كلُّ ما توحَّش من الحيوان، وجمعه: وحوش. والضمير في "يجدانها" على هذا: راجع للمدينة. وقيل: إنَّه عائدٌ على الغنم. أي: صارت هي وحوشًا، إما بأن تنقلب كذلك -والقدرة صالحةٌ- وإما بأن تتوحش، فتنفر من أصوات الرُّعاة.

و"خرًّا على وجوههما" أي: سَقَطا ميتين. وهذا الذي ذكره النبي ﷺ من حديث الرَّاعيين إما يكونُ في آخر الأمر، عند انقراض الدنيا، بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث: ((آخر من يُحشر راعيان من مزينة))[2]. قيل: معناه: آخر من يموت بها فَيُحشر؛ لأنَّ الحشرَ بعد الموت. ويُحتمل: أن يتأخَّر حشرُهما لتأخير موتهما. قلتُ: ويحتملُ أن

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١٨٧٤.

يكونَ معناه: آخر من يُحشر إلى المدينة. أي: يُساق إليها. كما في لفظ كتاب مسلم)[١].

جاء في فتح الملهم: (قوله ﷺ للمدينة: "ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذللة للعوافي" يعني السباع والطير. وفي الرواية الثانية: "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي يريد عوافي السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما". أما "العوافي" فقد فسرها في الحديث: بالسباع والطير وهو صحيح في اللغة. مأخوذ من عفوته إذا أتيته تطلب معروفه. وأما معنى الحديث فالظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة، وهما آخر من يحشر كما ثبت في "صحيح البخاري"[٢].

قوله ﷺ: "فيجدانها وحشًا" وفي رواية البخاري: "وحوشًا" قيل معناه يجدانها خلاء. أي: خالية ليس بها أحد، قال إبراهيم الحربي: الوحش من الأرض هو: الخلاء، والصحيح أن معناه: يجدانها ذات وحوش. كما في رواية البخاري، وكما قال ﷺ: "لا يغشاها إلا العوافي" ويكون وحشًا بمعنى وحوشًا، وأصل الوحش كل شيء توحش من الحيوان[٣].

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (إن المدينة النبوية ستبقى عامرة -من حيث عمرانها والحياة فيها - إلى قيام الساعة لأنها آخر قرى الإسلام خرابًا، لكن أهلها سيتركونها وهي على أحسن حال، ولن يتركوها مرة واحدة -والعلم عند الله تعالى- بل سيتركونها مرتين، أما في المرة الأولى فسيعودون إليها قريبًا، وأما المرة الثانية فستطول مدة الترك أربعين عامًا، والله تعالى أعلم، ويظهر أن ذلك سيكون قبيل قيام

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٥٠١/٣، ٥٠٢.

(٢) انظر: البخاري ١٨٧٤.

(٣) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٥٣٢/٦.

الساعة والله أعلم. وقوله في الحديث "يتركون المدينة" جاء في بعض الروايات "تتركون المدينة" بتاء الخطاب فالمراد بذلك -كما قال ابن حجر- غير المخاطبين لكنهم من أهل البلد، أو من نسل المخاطبين، أو من نوعهم[1].

قلت: ولعل المراد -والله أعلم- يا أهل المدينة، أو يا سكان المدينة فيشمل من كان حاضرًا، ومن كان غائبًا، وهذا هو ظاهر الروايات الأخرى "يدعها أهلها، يتركون المدينة، يتركها أهلها، ليتركنها أهلها، أما إنهم سيدعونها..." ورواية "لتُتْرَكنَّ المدينة..." بصيغة البناء للمجهول شامل لذلك أيضًا)[2].

ومن خلال كلام العلماء السابق يتضح تساؤل مؤداه هل وقع هذا الترك للمدينة فعلاً أم إنه في آخر الزمان؟

هناك رأيان:

الأول: أن هذا الإخلاء والترك للمدينة قد وقع فعلاً وإلى هذا ذهب القاضي عياض والقرطبي رحمهما الله وقد سبق إيراد قولهما في هذا.

الثاني: أن هذا الإخلاء والترك لم يقع وأنه سيكون في آخر الزمان، وإلى هذا ذهب النووي والأبي ومال إلى ذلك ابن حجر تبعًا للإمام النووي وجعله الأظهر وتابعهم على ذلك صاحب تكملة فتح الملهم الشيخ محمد تقي العثماني، وقال بأن الترك للمدينة في آخر الزمان عند قيام الساعة هو الظاهر المختار، وقد تم إيراد أقوال الجميع فيما مضى.

قال د. خليل إبراهيم ملا خاطر: (وقوله في الحديث "أحسن ما كانت - أو خير ما كانت" فيحتمل ثلاثة احتمالات:

١- أحسن ما كانت في أمور الدين حيث يكثر فيها العلماء والصالحون.

٢- أحسن ما كانت في أمور الدنيا بحيث تتسع حالها ويتنافس الناس في البناء والغرس وتجبى إليها ثمرات الأرض.

---

(١) سبق ذكر كلام ابن حجر فيما مضى. وانظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤/١٠٨.

(٢) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ط/١، دار القبلة للثقافة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ص ٣٧٩-٣٨٣ بتصرف.

٣- أو هما معًا أي أحسن ما كانت للدين والدنيا، وهذا ما جنح إليه القاضي عياض والإمام القرطبي.

وفي كون الثمار تكون للعوافي: الطير والسباع قال ابن الجوزي: اجتمع في العوافي شيئان، أحدهما: أنها طالبة لأقواتها من قولك: عفوت فلانًا أي أتيت أطلب معروفه. والثاني: من العفاء وهو الموضع الخالي الذي لا أنيس به، فإن الطير والوحش تقصده لأمنها على نفسها فيه. فكون الثمار ستكون للعوافي، إما أنها ستعيش منها، وإما لأنها تنفرد بها دون أهلها لأنهم تركوها وخرجوا)[1].

(١) فضائل المدينة المنورة ١/٤٠٠-٤٠١.

الحديث رقم (١٨٢٦)

١٨٢٦ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((يكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلاَ يَعُدُّهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يحثو المال ولا يعده: أي: يغرف المال غرفًا إشارة إلى الكثرة[2].

الشرح الأدبي

إن المصطفى ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ودليلاً على صحة رسالته، أحداث تنبأ بها وحدثت في حياته، وأحداث تنبأ بها وحدثت بعد وفاته، والحديث الذي نحن بصدده ينبئ عن أحداث تقع بعد وفاته ﷺ.

وتتنوع الأحداث التي تنبأ بها رسول الله ﷺ وحدثت بعد وفاته، ومنها:

١- أحداث تتصل بمصير الأمة الإسلامية.

٢- أحداث الفتن.

٣- أحداث تتصل بأفراد من الصحابة ومصائرهم.

٤- أحداث تتصل بنهاية العوالم الأرضية[3].

وهذا الحديث من الأحاديث التي تصور الأحداث المتصلة بنهاية العالم، أو أحداث الفتن المستقبلية، لأن كثرة المال تطغى، وتؤدي إلى الصراع والتكالب على زخارف الدنيا وزينتها.

---

(١) برقم ٢٩١٤/٦٨. والسياق للحميدي في جمعه ٤٧٧/٢ رقم ١٧٣٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث و).

(٣) انظر: الحديث النبوي والتاريخ، د. أحمد جمال العمري، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م.

ولذلك جاءت الصياغة في الحديث بالمضارع، وهو يفيد الاستمرار في الحال والاستقبال، ولنتأمل دلالة هذه الأفعال في صياغتها الزمنية: يكون خليفة، يحثو المال ولا يعد.

وتنكير لفظ خليفة إشارة إلى أنه مجهول لم يحدد، وربما تتكرر نماذج هذا الذي ذكره رسول الله ﷺ، والتنكير فيه شيوع وتقليل من شأنه، فهو ليس له دور إلا جمع المال، وقوله: "في آخر الزمان" يفيد أنه ليس قريبًا من عهد النبوة، وبعض العلماء قال: الظاهر والله أعلم أنه عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كثر المال في زمنه... وهو في آخر زمان الخلفاء، وهذا الرأي ليس على جهة اليقين، ولكنه كما قال صاحبه وهو ابن الخياط محدث اليمن: "كذلك أظن والله اعلم بمراد نبيه ﷺ".

والحديث ليس على جهة المدح، ولكنه في مضمونه يدين الافتتان بالمال، والانشغال بزخارف الحياة، والتعبير بقوله: "يحثو": يرمز إلى أن المال يصير كالتراب في كثرته وقلة بركته: لأن لفظة "حثًا": مرتبطة بالتراب في اللغة، حيث يقولون: حثى التراب عليه يحثوه ويحثيه حثوًا وحثيًا، والحثى كالثرى التراب المحثو، وقشور التمر، والتين، أو دقائقه أو حطامه، أو البن المعتزل عن الحب، والحثى: كالرمي، ما رفعت به يدك.

وهذه الدلالات اللغوية تتسق مع ما يقصد إليه الحديث من دلالات وفوائد ومقاصد، والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: كثرة المال في آخر الزمان.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: كثرة عدد النساء في آخر الزمان.

أولاً - من أساليب الدعوة: الإخبار:

يتضح هذا من الحديثين[2] الأول قوله: "يكون خليفة من خلفائكم في آخر

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٢٦- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٢٧).

(٢) الحديث رقم (١٨٢٦)، (١٨٢٧).

الزمان..." والثاني قوله: "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب..." وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي تبين للمدعو الأمور التي ستقع ويخبر عنها، وبهذا تقوم الحجة على المدعو بتعريفه وإخباره، وقد أمر الله رسوله ﷺ بالبلاغ فقال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1]. وأمره بالبيان فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

قال السعدي: (والمراد أنزلنا إليك القرآن الذي فيه ذكر ما يحتاج إليه العباد من أمور دينهم ودنياهم، الظاهرة والباطنة، وقوله "لتبين للناس" وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه)[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: كثرة المال في آخر الزمان:

حيث جاء في الحديثين: "يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان يحثو المال ولا يعده" وقوله "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدًا يأخذها منه" قال النووي: (والحثو هو: الحفن باليدين، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة، يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات، مع سخاء نفسه)[4].

وقال ابن علان: (وإنما يكثر المال لإخراج الأرض كنوزها وفيضان المال)[5]. ولاشك أن كثرة المال وفيضانه هو من أشراط الساعة في آخر الزمان. (ومن أشراط الساعة استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يُهِمَّ رَبَّ المالِ مَن يقبله منه صدقة، ويُدعى إليه الرجل، فيقول: لا أرب لي فيه))[6].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣٩٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٨٦.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ١٧٩٤.

(٦) أخرجه البخاري ١٤١٢، ومسلم ١٥٧.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجلُ فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه))[١].

وأخبر ﷺ أن الله تعالى سيعطي هذه الأمة، ويفتح عليها من كنوز الأرض، وأن ملك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها، ففي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن الله زوى[٢] لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمَّتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض))[٣].

لقد تحقَّق كثيرٌ ممَّا أخبرنا به الصادق ﷺ، فكثر المال في عهد الصحابة رضي الله عنهم بسبب ما وقع من الفتوح، واقتسموا أموال الفرس والروم، ثم فاض المال في عهد عمر بن عبدالعزيز، فكان الرجل يعرِض المال للصدقة، فلا يجد من يقبله.

وسيكثر المال في آخر الزمان، حتى يعرض الرجل ماله، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به.

وهذا -الله أعلم- إشارةٌ إلى ما سيقع في زمن المهدي وعيسى عليهما السلام من كثرة الأموال، وإخراج الأرض لبركتها وكنوزها.

ويحتمل أن يكون استغناء الناس عن المال وتركهم له وقت خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر، فلا يلتفتُ احدٌ حينئذ إلى المال، بل يقصد أن يتخفَّف ما استطاع.

وما ذكره ابن حجر من استغناء الناس عن المال لاشتغالهم بأمر الحشر لا يُنافي أن يكون لاستغنائهم سببٌ آخر، وهو كثرة المال؛ كما حصل في زمن المهدي وعيسى عليهما السلام، وبذلك يكون الاستغناء يقع في زمنين -إن تباعدا - بسببين مختلفين، والله أعلم[٤].

إن يقين المسلم وإيمانه بما أخبر به الرسول ﷺ من كثرة المال واستفاضته، يجعله يتوقف مع نفسه، ويترك التكالب على المال، والتقاتل عليه.

---

(١) أخرجه البخاري ١٤١٤، ومسلم ١٠١٢.

(٢) "زوى" يقال: زويته أزويه زيًا أي جمعته والمعنى: أن الله جمع له ﷺ الأرض وقربها حتى رأى مشارقها ومغاربها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤٠٥.

(٣) أخرجه مسلم ٢٨٨٩.

(٤) أشراط الساعة، د. يوسف الوابل، ٨٧-٨٩ بتصرف.

ومن آثار الإيمان بعلامات الساعة الصغرى التي لم تقع بعد، الزهد في المال وليس تركه، وهو أمر مطلوب لصلاح النفس الإنسانية.

(والزهد في المال الذي يتمثل في أوج صوره وهو حب الذهب والفضة آتٍ لا محالة، وذلك من أشراط الساعة. والمسلم العاقل هو الذي يزهد قريبًا في شيء يندم عليه بعيدًا، فإذا كان المسلم يندم إذا أخرجت الأرض أفلاذ كبدها من كنوز الذهب والفضة، ورأى هذا المال وزهد الناس فيه، فيندم عند ذلك ويقول: في هذا قطعت يدي، وفي هذا قطعت رحمي إلى غير ذلك من صور الندم، إذا كان الندم هناك على مثل هذه الصورة، فالأولى الآن الزهد في ذلك المال، الذي لا يستحق بحال أن تقطع فيه الرحم واليد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل، فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع، فيقول: في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا))[1].

فيا أيها القاتل! ويا أيها القاطع! ويا أيها السارق! أليس في هذا الحديث أكبر رادع لك، لتنتهي عما أنت فيه من كبائر السطو على الآخرين وترويع الآمنين، وقطع الأقربين.

وإن هذا المال لا يستحق أيضًا أن تزهق فيه الأرواح، لذلك أمر النبي ﷺ من يحضر جبل الذهب الذي ينحسر عنه الفرات أن لا يأخذ منه شيئًا، لحفظ دمه الذي هو أكرم من المال مهما كان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا))[2].

والزهد في المال، ليس معناه تركه بالكلية، بل معناه زهد القلب فيه ولو كثر بين يديه، وعدم أخذه من طريق حرام[3].

---

(١) أخرجه مسلم ١٠١٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٩٤.

(٣) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد ص ٥٥٩، ٥٦٠.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: كثرة عدد النساء في آخر الزمان:

ويتضح هذا من الحديث الثاني: "ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء" قال النووي: (ومعنى يلذن به أي ينتمين إليه ليقوم بحوائجهن ويذب عنهن، كقبيلة يبقى من رجالها واحد فقط وبقيت نساؤها، فيلذن بذلك الرجل ليذب عنهن ويقوم بحوائجهن، ولا يطمع فيهن أحد بسببه، وأما سبب قلة الرجال وكثرة النساء، فهو الحروب والقتال الذي يقع في آخر الزمان وتراكم الملاحم)[1]. هذا وقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: ((من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد))[2]. قال ابن حجر: (وكثرة النساء سببه أن الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال، لأنهم أهل الحرب دون النساء، والظاهر أن هذا علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم)[3].

ومما هو معلوم أن كثرة عدد النساء في آخر الزمان، إنما يجعل المرأة أكثر فتنة للرجل، فقد جعل الله فيها من وسائل الإغراء، ووسائل الفتنة ما يأخذ بألباب الرجل، ولذا فالواجب الحذر من فتنة النساء.

(إن المرأة بكل ما وهبها الله تعالى من خصائص وصفات، تستطيع أن تكون مصدر فتنة لكثير من الرجال إذا لم تتق الله عز وجل، بل إن الفتنة بها أشد من غيرها، قال ﷺ: ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))[4].

فالفتنة بالمرأة مرض فتَّاك يفتك بقلب الرجل، كما يفتك السرطان بالبدن، إذا لم يتداركه الله بعفوه وتوفيقه.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٣.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٨١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١.

(٤) أخرجه البخاري ٥٠٩٦، ومسلم ٢٧٤٠.

وتزداد الفتنة اشتعالاً إذا أضفت المرأة على نفسها شيئًا من التبرج، فحينئذٍ تكون الفتنة أعظم والمحنة أكبر.

ولقد جاء الشارع الحكيم بعدة تدابير للحيلولة دون حدوث الفتنة بالنساء، من أهمها: الأمر بالحجاب، حيث أمر الله تعالى المرأة المسلمة بالحجاب عن الرجال الأجانب حفاظًا عليها وصيانة لكرامتها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[2].

والجلباب هو الرداء فوق الخمار، وهو بمنزلة الإزار اليوم، أو العباءة، والخمار ما يخمر به، أي: يغطى به الرأس، وهي التي تسميها الناس المقانع.

وهكذا دلّت الآيتان الكريمتان على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب.

ومن التدابير أيضًا الأمر بالقرار في البيت: إن خير حجاب للمرأة بعد حجاب وجهها وجسمها باللباس هو بيتها، وذلك أن العديد من المخالفات الشرعية النسائية كالاختلاط بالرجال والتبرج والسفور، إنما تتولد عن كثرة خروج النساء من بيوتهن،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

لذلك سدَّ الإسلام هذه الذريعة بأمر النساء بالقرار في البيت، وعدم الخروج منه لغير حاجة أو مصلحة.

فإذا كانت الخيرية في ترك المرأة للخروج من بيتها للصلاة في المسجد، وهي طاعة وعبادة تتقرب بها المرأة إلى الله عز وجل، فإن تركها للخروج لِمَا دون ذلك من أمور الدنيا أولى.

والتعود على القرار في البيت يحتاج إلى جهاد كبير من المرأة لنفسها، وترويض لها عليه طاعة لله عز وجل، شأنه شأن سائر الطاعات التي يجاهد المسلم نفسه عليها إرضاءً لله عز وجل.

ويحتاج إلى بيئة أسرية صالحة تُعوِّد المرأة منذ طفولتها على ملازمتها للبيت وعدم الخروج منه إلا لحاجة وبالضوابط الشرعية، حتى تنشأ مرتبطة ببيتها ملازمة له، تأبى مفارقته لغير حاجة[1].

---

(١) المنهج الشرعي في مواجهة الفتن، مرفت بنت كامل عبدالله أسره ص ٨١-٨٥ بتصرف.

الحديث رقم (١٨٢٧)

١٨٢٧- وعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((لَيَأتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَأخُذُهَا مِنهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

يلذن: ينتمين إليه ليقوم بحوائجهن ويذب عنهن، ولا يطمع فيهن أحد إشارة إلى كثرة النساء وقلة الرجال بسبب كثرة القتال والحروب في آخر الزمان[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أحاديث التنبؤ بأحداث قيام الساعة، لأن رسول الله ﷺ يقول في حديث قد رواه البخاري بإسناده «عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة: دعوتهما واحدة[3]، ثم يذكر أمارات عدة ومنها، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به».

ويبدأ الحديث بلام التوكيد المشعرة بالقسم، وكذلك بالفعل المضارع المقترن بنون التوكيد الثقيلة، والتقدير، والله ليأتين على الناس زمان.... وهذا التأكيد المقترن بالقسم يفيد حصول هذا الأمر، وكثرة المال، حتى قيل: ليفيض المال حتى لا يجد من ينفقه.

---

(١) برقم ١٠١٢/٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٨٥، ٣٦٠٨

ولنتأمل موحيات هذا التعبير الذي يصور الرخاء الذي يعم الناس، فالرجل: يطوف بالصدقة من الذهب فلا يجد أحدًا يأخذها منه، وقوله: "يطوف": يصور حرص الرجل وكثرة بحثه وطوافه، وذهابه ومجيئه، وتحديد الصدقة يوحي بأن هذا الأمر محبب إلى الرجل وليس نفاقًا ولا رياءً، ولا رغبة في مديح أو ثناء، وقوله: "من الذهب": يحدد: نوعية النقد المتصدق به، وهو أثمن ما يمتلكه الإنسان، ورغم هذا كله لا يجد هذا الثري محتاجًا يأخذ الصدقة، لأن الذهب أصبح في متناول الجميع، والناس كلهم يملكونه، ولكنهم لا يشكرون ربهم، ولا يحمدونه على هذا العطاء.

ومن مظاهر الاختلال في حركة المجتمع قلة الرجال، وكثرة النساء، وذلك يرجع إلى استشهاد الرجال في الحروب، أو موتهم في الصراعات الدائرة من أجل المكاسب الدنيوية ، حيث تكثر الفتن، ويكثر الهرج، والرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يعتصمن به من أجل حمايتهن، وهذا واقع غير متوازن يوحي باضطراب الحياة، وتفاقم المفاسد، وانتشار الفتن، وتلك أمارات الساعة .

وفي الحديث طباق يؤدي إلى الإحساس بالتناقض وعدم الاستقرار، حيث يتجسد التناقض في الطباق بين قلة وكثرة، والرجال والنساء، والقلة مرتبطة بالرجال، والكثرة مرتبطة بالنساء ؟!!!.

والأفعال المضارعة في الحديث تفصح عن استمرار هذا الواقع غير المتوازن ردحًا من الزمن للاختبار والابتلاء، ثم تقوم الساعة، ومن أماراتها كما يقول رسول الله ﷺ: "وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرْج، وهو القتل. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٢٨)

١٨٢٨ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أشْتَرِ[1] الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قال: أنْكِحَا[2] الغُلَامَ الجَارِيَةَ، وأنْفِقَا عَلَى أنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا)) متفق عليه[3].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

عقارًا: العقار: كل ملك ثابت له أصل كالأرض والدار[4].

الجرة: إناءٌ من الفخار[5].

الشرح الأدبي

نقتبس من هذا الحديث هالات الحكمة، وأشعة الأمانة، وباقات الإخلاص، وثمرات التقوى، فالحديث قصة تاريخية وقعت مشاهدها في بني إسرائيل، ويروي الرسول ﷺ هذه المشاهد في أسلوب خبري، فيه تسلسل المشاهد والأحداث، وترابط الفكرة، وجمال المقصد، وسمو التوجيه، وهذه القصة سيقت لزرع الأمانة في نفوس الناس، وانتزاع الأطماع من نفوسهم كذلك.

---

(١) عندهما بلفظ: (ولم أبتع منك).

(٢) عندهما بلفظ: (أنكحوا).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٤٧٢، ومسلم ١٧٢١/٢١.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ق ر).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ج ر ر).

والأفعال الماضية تسيطر على لغة الحديث: لأنها حكاية مضت... ولكنها يمكن أن تتكرر في أي زمن قادم، وعناصر البناء القصصي تصنع هذه المشاهد وتحدث التأثير والتشويق في نفس السامع، فأشخاص القصة هم: البائع والمشتري، والولد والجارية.

والأحداث متداخلة: شراء العقار، ثم العثور على جرة فيها ذهب، بعد البيع، ولكن المفارقة تتم حين يقول المشتري للبائع: خذ ذهبك، فيرفض البائع: لأنه باع الأرض وما فيها، وينشأ بينهما الحجاج، لا من أجل اغتصاب الحق، ولكن من أجل تنازل كل منهما عن حقه، وهذه صورة إيجابية لكل مؤمن في أي عصر.

وتنشأ العقدة القصصية بعد هذا الإشكال: كل يقول: الذهب ليس لي.

وتبدأ لحظة التنوير... وبشائر الحل حين يحتكمان إلى أحد الحكماء، فتحا كما إلى رجل وحكم الرجل بينهما حكمًا يحل العقدة، ويقضي على الشبهة التي نشأت، حيث قال: أنكحا الغلام الجارية، وأنفقا على أنفسهما منه: وتصدقا.

ويتضمن الحديث في صياغته بعض الأساليب التي تكشف عن صدق النية، والرغبة الأكيدة في عدم اقتناء الذهب، ومن ذلك أسلوب القصر في قول المشتري، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أشتر الذهب، ويرد البائع بالأسلوب نفسه وبالطريقة نفسها ليؤكد عدم رجوعه في البيع، وعدم طمعه في الذهب، حيث قال: إنما بعتك الأرض وما فيها، وهكذا تكون أخلاق كل مؤمن في كل عصر، وفي أي زمان، وأي مكان والمسلمون أولى بهذا الخلق الكريم، وذلك السلوك القويم.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: القصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الورع عما فيه شبهة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحكمة في الإصلاح بين الناس.

أولاً - من وسائل الدعوة القصة:

حيث جاء في الحديث "اشترى رجل من رجل عقارًا فوجد الذي اشترى العقار في

عقاره جرة..." والقصة وسيلة مهمة من وسائل الدعوة، وقد جعل الله سبحانه في القصة العبرة والعظة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[1]. ومما لاشك فيه (أن خطاب القصص القرآني جاء للناس على اختلاف أفهامهم وإدراكهم، يخاطب جميع هذه الدرجات المتفاوتة من الناس بكل ما يتفق مع الإنسان من طبائع حيث جاء موافقًا للفطرة البشرية وطبيعة الإنسان، حيث يعلم أنه جاء للقوي والضعيف، وللغني والفقير)[2]. هذا ولقد اتخذ القرآن الكريم من وسيلة القصة سبيلاً لنشر الدعوة الإسلامية، وبيان العبر والعظات منها، وعلى الدعاة إلى الله أن يتخذوا من القصص الصحيح وسيلة لتوجيه الناس إلى الخير.

ولا يليق بالداعية أن يتخذ من القصة وسيلة لوعظ الناس، بدون تحديد هدف من موعظته أو قصته التي يسوقها للناس.

(لا يكن كل همك أيها الداعية أن تتظرف بالنكت اللبقة، والفكاهات البارعة، ليقول الناس إنك مجدد في الوعظ، وعند هذا تنتهي مهمتك، ولا يكن همك أن تسلّي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدف... لا تكن كذلك الذي يقبل على الناس في حذر وخفة. فلا يمسهم إلا مسًا رقيقًا كأنما يخشى عليهم أن يتكسروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ، وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعًا ذا غرض معين، وهدف مقصود ... لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله، فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقت قضاه معهم في مؤانسة، ومتعة عاطفية بريئة... هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا. إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أبنْ لهم عن غرضك،

---

(١) سورة يوسف، آية: ١١١.

(٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ١٩٠.

وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله)[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: أهمية الورع عما فيه شبهة:

حيث جاء في الحديث "قال الذي اشترى العقار خذ ذهبك إنما اشتريت منك الارض ولم أشتر الذهب وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها" وهذا يدل على أهمية الورع عما فيه شبهة. قال الكفوي: (والورع الاجتناب عن الشبهات، سواء كان تحصيلاً أو غير تحصيل؛ إذ قد يفعل المرء فعلاً تورعًا، وقد يتركه تورعًا أيضًا، ويستعمل بمعنى التقوى، وهو الكف عن المحرمات القطعية)[٢].

وجاء في الموسوعة الفقهية: (ويكون الورع عند الاشتباه في حكم الشيء من حل أو حرمة، إما لخفاء الدليل الشرعي، أو عند تعارض الأدلة وتكافئها، وإما للشك في وجود السبب المحرم أو المحلل، وإما للخروج عن الخلاف)[٣]. ومن صور الورع عن الشبهات ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ((إِنِّي لأَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِي فَأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَةً عَلَىٰ فِرَاشِي. ثُمَّ أَرْفَعُهَا لآكُلَهَا. ثُمَّ أَخْشَىٰ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً. فَأُلْقِيهَا))[٤]. وقال ابن مفلح: (قال إبراهيم النخعي: إنما أهلك الناسَ فضولُ الكلام وفضولُ المال، وقال الشافعي: زينة العلم الورع والحلم)[٥].

وقال ابن قدامة: (اعلم أن الحلال كله طيب، ولكن بعضه أطيب من بعض، والحرام كله خبيث، ولكن بعضه أخبث من بعض، كما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة، ولكنه يقول: هذا حار في الدرجة الأولى، وهذا في الدرجة الثانية، وهذا في الثالثة، وهذا في الرابعة. مثال ذلك في الحرام المأخوذ بعقد فاسد، حرام، ولكنه ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ، إذ فيه إيذاء

---

(١) تذكرة الدعاة، البهي الخولي ص ٣٩.

(٢) الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ٩٤٤.

(٣) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٠٦/٤٣.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٣٢، ومسلم واللفظ له ١٠٧٠.

(٥) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام ٢٧٠/٣.

الغير، وترك طريق الشرع في الاكتساب، وليس في العقود الفاسدة إلا ترك طريق التعبد فقط، وكذلك المأخوذ ظلمًا من فقير أو صالح أو يتيم، أخبث وأغلظ من المأخوذ من قوي أو غني أو فاسق.

والورع له درجات أربع:

الدرجة الأولى: وهي درجة العدول عن كل ما تقتضي الفتوى تحريمه، وهذا لا يحتاج إلى أمثلة.

الدرجة الثانية: الورع عن كل شبهة لا يجب اجتنابها، ولكن يستحب.

الدرجة الثالثة: الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام.

الرابعة: الورع عن كل ما ليس لله تعالى، وهو ورع الصديقين.

والتحقيق فيه أن الورع له أول غاية، وبينهما درجات في الاحتياط، فكلما كان الإنسان أشد تشديدًا، كان أسرع جوازًا على الصراط، وأخف ظهرًا، وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع، كما تتفاوت درجات النار في حق الظلمة بحسب درجات الحرام. فإن شئت فزد في الاحتياط، وإن شئت فترخص، فلنفسك تحتاط وعليها تترخص[1].

والإنسان لا يتورع عن الحرام طالما في داخل نفسه طمع وشره، وليست لديه عفة وقناعة بما رزقه الله، فهو يرغب في كسب المال بكل سبيل.

قال الماوردي: (ومن شواهد الفضل ودلائل الكرم النزاهة عن المطامع الدنية، فلأن الطمع ذل، والدناءة لؤم، وهما أدفع شيء للمروءة.

وقال بعض الشعراء:

لا تخضَعَنَّ لمخلوق على طَمَعٍ ... فإن ذلك نقصٌ منكَ في الدِّينِ

واسترْزِق الله مما في خَزائنه ... فإنما هو بين الكاف والنونِ

والباعث على ذلك شيئان: الشَّرَه، وقلة الأنفة، فلا يقنع بما أوتي وإن كان كثيرًا،

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٩٥، ٩٦.

لأجل شرهه، ولا يستنكف مما مُنِع وإن كان حقيرًا، لقلة أنفته. وهذه حال من لا يرضى لنفسه قدرًا، ويرى المال أعظم خطرًا، فيرى بذل أهون الأمرين لأجلهما مَغنمًا، وليس لمن كان المال عنده أجلّ، ونفسه عليه أقل، إصغاء لتأنيب، ولا قبول لتأديب.

وقال بعض الشعراء:

ومن كانت الدنيا مُناهُ وهمَّهُ ... سَبَتْهُ المنَى واستعبدتْه المطامع

وحسم هذه المطامع شيئان: اليأس، والقناعة[1].

وجاء في موسوعة فقه القلوب: (وأما فقه الورع فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: ((الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهاتٌ لا يعلمها كثيرٌ من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب))[3].

الورع: ترك كل شبهة، وترك ما لا يعنيك، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، من كل ما يخاف ضرره في الآخرة.

والورع على وجهين:

ورع في الظاهر ... وورع في الباطن.

فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله، وورع الباطن أن لا تُدخل قلبك سواه.

والورع أول الزهد، بأن يتورع عن كل ما سوى الله، ويتوقى الحرام والشبه وما يخاف ضرره، حذرًا وخوفًا من ربه.

---

(١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ٣١٤.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٢، ومسلم ١٥٩٩.

والورع على ثلاث درجات:

الأولى: تجنب القبائح، وذلك بصون النفس وحفظها وحمايتها عما يشينها، ويزري بها عند الله عز وجل، وعند ملائكته وعباده المؤمنين وسائر خلقه.

ومن كرمت عليه نفسه صانها وحماها عن الرذائل والقبائح، ومن هانت عليه نفسه، ألقاها في الرذائل، وأطلق زمامها في القبائح.

وكذلك يوفر زمانه على اكتساب الحسنات، فإذا اشتغل بالقبائح، نقصت عليه الحسنات التي كان مستعدًا لتحصيلها)[1].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحكمة في الإصلاح بين الناس:

حيث جاء في الحديث "قال أنكحا الغلام الجارية وأنفقا على أنفسهما منه وتصدقا" وفي هذا إشارة إلى ضرورة الحكمة في الإصلاح بين الناس، وقد بين الله في القرآن أن الحكمة فيها خير كثير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[2] والحكمة مما يغتبط به فعن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((لا حسَدَ إلاّ في اثنَتينِ: رجُلٍ آتاهُ اللهُ مالاً فسلَّطهُ على هَلَكتهِ في الحقّ، ورجُلٍ آتاهُ اللهُ حِكْمَةً فهو يَقضِي بها ويُعلِّمها))[3].

وجاء في موسوعة نضرة النعيم: (عن السكن بن عمير قال: سمعت وهب بن منبه يقول: يا بني عليك بالحكمة، فإن الخير في الحكمة كلها، وتشرف الصغير على الكبير، والعبد على الحر، وتزيد السيد سؤددًا، وتجلس الفقير مجالس الملوك. وعن مطر الوراق قال: بلغنا أن الحكمة خشية الله والعلم بالله)[4].

ومن أبرز صور ومظاهر الحكمة في الإصلاح بين الناس، ما حدث من النبي ﷺ

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري ص ٢٠٧٢/٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

(٣) أخرجه البخاري ٧١٤١، ومسلم ٨١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١٧٠٣/٥.

عندما اختلفت قريش في وضع الحجر في مكانه، حتى كادت أن تقتتل فيما بينها لولا حكمة النبي ﷺ في نزع فتيل الخلاف، وقطع دابر الخصومة.

قال الدكتور البوطي: (وفي هذا الحدث يتبين مدى حكمة النبي ﷺ في تدبير الأمور، وسياسة القضايا، وقطع دابر الخصومات بين أقوام، وصل بهم الخلاف إلى درجة كاد أن ينشب فيما بينهم القتال، فقد قربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسًا، دون أن يردها إلى الوفاق أي رأي أو تدبير، حتى كان خمود نار الفتنة على يد رسول الله ﷺ)[1].

(١) فقه السيرة النبوية، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٩٠.

الحديث رقم (١٨٢٩)

١٨٢٩- وعنهُ رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسُول الله ﷺ يقولُ: ((كانت امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابْنِ إحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالتِ الأخرَى: إنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إلى دَاوُدَ ﷺ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُد ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ. فَقالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لاَ تَفْعَلْ! رَحِمَكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَى بِهِ للصُّغْرَى)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذه القصة التاريخية وقعت أحداثها في زمن بني إسرائيل، ولذلك بدأ الرسول ﷺ الحديث بقوله: "كانت امرأتان"، ولم يحدد اسم المرأتين، لأن العبرة بعموم الموعظة والمغزى الخلقي في القصة، وقيل دلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله تعالى لا تتعلق بكبر سن ولا صغر، فسليمان بن داود حكم بالصواب، وقيل: فيه جواز حكم الأنبياء بالاجتهاد.

والقصة في الحديث النبوي قد تعتمد على عنصر الغموض والمفاجأة، أو إثارة الانفعالات، أو عنصر التدرج والانفراج، وعنصر التدرج يبدو في القصة النبوية في الانتقال بالأحداث في سياق القصة من مستوى إلى مستوى وفق مراحل، ومن خلال تسلسل معين، بحيث لا يأتي الوصول للأزمة، أو انفراجها دفعة واحدة، وإنما يتم ذلك من خلال تدرج صاعد نحو التأزيم، أو تدرج هابط نحو الانفراج.

وهذه القصة من القصص التي يتدرج السياق فيها نحو التأزيم، ثم يأتي الانفراج في آخر لحظة بعد أن تصل الأزمة إلى ذروتها، فالقصة تبدأ بذهاب الذئب بابن إحدى

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٤٢٧، ومسلم ٢٠/١٧٢٠.

المرأتين: أي أكله والتهامه، وهي مشكلة تبدو منذ الوهلة الأولى في سياق القصة وتأخذ في التأزم حين تدعي كل واحدة من المرأتين بأن الابن الباقي هو ابنها، ويتفاقم الأمر بينهما إلى حد الترافع إلى الحاكم، فالمشكلة تتعقد وتتطور وهي حول قضية بالغة الأهمية: ادعاء بنوة[1]، ويحكم داود عليه السلام للكبرى، ويقول: القرطبي: "إن قضاء داود به لها، لسبب اقتضى ترجيح قولها عنده، إذ لا بينة لإحداهما.

ولكن الصغرى وهي الأم الحقيقية لم تقتنع بالحكم، وتبدأ العقدة في الحل، والأزمة تبدو بوادر انفراجها، ولكن تصل مشكلة الصغرى منهن إلى ذروتها حين تحاكما إلى سليمان، ففطن سليمان لأمر مثير يكشف الحقيقة، ويظهر الزيف والكذب، فقال: ائتوني بسكين: أشقه بينهما، وتفزع الصغرى، وتدفعها عاطفة الأمومة إلى الإقرار بأن الولد للكبرى حماية له من الشق والموت،وهنا تنكشف الحقيقة للقاضي العادل الحكيم سليمان: حين رأى عاطفة الصغرى وحزنها وخوفها على الابن، وقرأ ذلك في ملامح وجهها، ونبضات قلبها، وتهدجات صوتها، وشرود عينيها: فقضى بالولد للصغرى، وهنا تنبثق لحظة الانفراج بعد لحظات التأزيم المعقدة، وهذا من أسرار البيان النبوي البليغ، الذي يتكئ في كثير من نماذجه على العنصر القصصي الهادف المقنع المؤثر.

المضامين الدعوية

أولاً: من أصناف المدعوين: النساء.

ثانيًا: من صفات الداعية: الفطنة والذكاء.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحكم بين الناس بالعدل.

أولاً- من أصناف المدعوين: النساء:

حيث جاء في الحديث "بينما امرأتان معهما ابناهما..." والنساء من أصناف المدعوين وهن يدخلن مع الرجال في غالب خطاب القرآن الكريم والسنة النبوية. وقد جاء

---

(١) انظر: القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية وموضوعية، د. محمد بن حسن الزير.

الخطاب خاصًا بهن في بعض المواضع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ﴾[3] وجاء إشراكهن في الحكم مع الرجال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ﴾[4]. والإسلام اهتم بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال (إن الدعاة إلى الله مطالبون بالتوقف عند بعض الصفات التي تتصف بها المرأة، كي يقوموا بواجبهم تجاهها خير قيام، ومن ذلك أنها كائن تغلب عليه العاطفة والرقة، وتحب المداراة والمدح، وأنها كائن صاحب عطاء إذا تم استيعابه، وهي كائن كالرجل قادر على الإيذاء والمكر، إذا وقف تجاهها موقفًا سلبيًا)[5].

ثانيًا- من صفات الداعية: الفطنة والذكاء:

حيث جاء في الحديث "ائتوني بالسكين أشقه بينكما..." قال الإمام ابن حجر: (ودلت هذه القصة على أن الفطنة والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره، وفيه أن الحق في جهة واحدة، وفيه استعمال الحيل في الأحكام لاستخراج الحقوق، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال)[6]. والداعية أحوج ما يكون إلى الفطنة

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٢) سورة النور، آية: ٣١.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ١٢.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٥.

(٥) فقه الدعوة، د. بسام العموش ٧٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٣٦/٦.

والذكاء في التعامل مع المدعوين. جاء في موسوعة نضرة النعيم: (قال الأبشيهي قد يخص الله تعالى بألطافه الخفية من يشاء من عباده، فيفيض عليه من خزائن مواهبه رزانة عقل، وزيادة معرفة، تخرجه عن حد الاكتساب، ويصير بها راجحًا على ذوي التجارب والآداب، ويستدل على رجاحة عقل الرجل بأمور متعددة، منها: ميله إلى محاسن الأخلاق، وإعراضه عن رذائل الأعمال، ورغبته في إسداء صنائع المعروف، وتجنبه ما يكسبه عارًا ويورثه سوء السمعة)[1].

ومما يدل على أهمية الفطنة والذكاء للداعية الناجح، أن من أهم صفات الرسل الفطانة، لأنهم المبلغون لوحي الله، المدافعون عن شريعته، المحاورون للخصوم والأعداء. قال حبنكة الميداني: (إن حمل رسالة علمية، ومهمة تربوية للناس، وقيادة سياسية، لا بد أن يرافقها في حاملها صفة الاستعداد لحمل هذه الرسالة، وذلك لأن الحكمة العليا تقتضي ذلك.

والصفة التي تمثل الاستعداد لحمل رسالة علمية، ومهمة تربوية، وقيادة سياسية، لمجموعة من البشر، إنما هي صفة "الفطانة". فبها يعرف الرسول ما يلقى إليه من الوحي، وبها يستطيع أن يحفظه ولا ينساه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يبلغه كما أوحي به إليه، وبها يستطيع بعد ذلك أن يعالج أمته بالتربية الحكيمة، والقيادة السليمة، وفق طبائعهم وأخلاقهم.

لذلك فلا يصطفي الله لرسالته إلا من يتمتع بصفة الفطانة التامة، والعقل الراجح.

ويشهد لفطانة الرسل عليهم السلام آيات كثيرة من القرآن الكريم.

ومما يدل على فطانة نبينا محمد ﷺ، قوله تعالى يخاطبه في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2]. وقوله تعالى في سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٣١٣٥/٨.

(٢) سورة القيامة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

فتحريك الرسول لسانه بالقرآن لحفظه عند نزول الوحي من فطانته وذكائه؛ وكذلك تعجله بترديد آياته من قبل أن يقضى إليه وحيه من كمال فطانته وذكائه.

وقوله تعالى أيضًا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[1]. فشهادة الله له بأنه لا ينسى تثبت فطانته. كما يشهد لفطانته أمر الله له بمجادلة القوم بالتي هي أحسن، وذلك في قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]. والمجادل يحتاج إلى نباهة زائدة، وفطانة كبيرة، حتى يستطيع بها أن يعرف مجادليه بالحق، ويقبض في جدالهم على مغامز الشبهات منهم، ثم يقنعهم بأقرب طريق، وألين حوار[3].

وقال د. عمر سليمان الأشقر: (إن الأنبياء أعطوا العقول الراجحة، والذكاء الفذ، واللسان المبين، والبديهة الحاضرة، وغير ذلك من المواهب والقدرات التي لابدَّ منها لتحمل الرسالة، ثم إبلاغها ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية.

لقد كان الرسول ﷺ يحفظ ما يلقى إليه ولا ينسى من كلمه شيئًا: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[4].

وكان رسل الله عليهم الصلاة والسلام يعرضون دين الله للمعارضين، ويفحمونهم في معرض الحجاج، وفي هذا المجال أسكت إبراهيم خصمه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]. وقال الله معقبًا على محاججة إبراهيم لقومه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾[6].

وموسى كان يجيب فرعون على البديهة حتى انقطع، فانتقل إلى التهديد بالقوة:

---

(١) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ٣٧٩، ٣٨٠.

(٤) سورة الأعلى، آية: ٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٨٣.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[1])[2].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحكم بين الناس بالعدل:

حيث جاء في الحديث "... فقضى به للصغرى" وهذا يدل على ضرورة الحكم بين الناس بالعدل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[3] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4]، قال النسفي: (والمراد أن الله يأمركم بالتسوية في الحقوق فيما بينكم، وترك الظلم، وإيصال كل ذي حق إلى حقه)[5]. وقال الماوردي: (إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل، الذي يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق، من الجور؛ لأنه ليس يقف على حد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل)[6].

قال السيد سابق: (يحرص الإسلام أشد الحرص على المحافظة على حقوق الناس ودمائهم وأعراضهم وأموالهم، كما يعنى أشد العناية بصيانة حرياتهم وكراماتهم، ويتخذ لذلك جميع الوسائل التي تحفظ هذه الحقوق وتصونها، ومن هذه الوسائل إقامة

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٣-٢٩.

(٢) الرسل والرسالات ٨٣.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٠.

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦٠٦.

(٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا ١٤١.

الحق والعدل بين الناس، ذلك أن إقامة الحق والعدل، هي التي تشيع الطمأنينة، وتنتشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمي الثروة، وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل والإنتاج وخدمة البلاد، دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية داعية إلى العدل، ومحذرة من الظلم ومحرمة له، والله سبحانه وتعالى من أسمائه العدل، وما أنزل كتبه ولا أرسل رسله، ولا كلف الناس بالشرائع، إلا لأجل إقامة الحق والعدل)[1].

قال د. أكرم ضياء العمري: (لم تكن الأوامر الإلهية، والتوجيهات النبوية بالتزام العدل المطلق في الحكم بين الناس مجرد نظرية، بل إنها منذ عصر الرسالة أخذت أبعادها في الحياة العملية سواء في دائرة القضاء أو الحكومة أو العلاقات الدولية، وفي نطاق حياة الأفراد والجماعات والدول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾[2] وقال ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا))[3]. والظلم هو وضع الأشياء في غير مواضعها، وهو ضد العدل الذي جاء به الإسلام وحث عليه نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام. ومن الظلم ظلم العبد لنفسه، وذلك بالإشراك بالله وارتكاب المعاصي، وفي القرآن: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4] فإن المشرك يجعل المخلوق في منزلة الخالق فيعبده ويتخذه إلهًا، ومرتكب المعاصي يسخر حواسه -المخلوقة لطاعة الله وعبادته- في غير ما خلقت له، فيستحق بذلك وصف الظالم لنفسه، قال عبدالله بن مسعود: لما نزلت:

---

(١) عناصر القوة في الإسلام ١٤٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٨.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٣.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[١] قال أصحاب رسول الله ﷺ: أينا لم يظلم؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾[٢]. قال الخطابي: (إنما قالت الصحابة هذا القول، لأنهم اقتضوا من الظلم ظاهره، الذي هو الافتيات بحقوق الناس، أو الظلم الذي ظلموا به أنفسهم من ركوب معصية أو إتيان محرم، كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾[٣]، وذلك حق الظاهر فيما كان يصلح له هذا الاسم، ويحتمله المعنى عندهم، ولم تكن الآية نزلت بتسمية الشرك ظلمًا، وكان الشرك عندهم أعظم من أن يلقب بهذا الاسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾، فسمى الشرك ظلمًا، وعظم أمره في الكذب والافتراء على الله عز وجل، وذلك أن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك بالله وجعل الربوبية مستحقة لغيره، أو عدل به شيئًا، واتخذ معه ندًا، فقد أتى بأعظم الظلم، ووضع الشيء في غير موضعه ومستقره).

ومن الظلم ظلم الإنسان لغيره، وقد وضح الرسول ﷺ حرمة ذلك في خطبته في حجة الوداع بقوله: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا))[٤].

إن إقرار العدل وتحريم الظلم، كفيل بحلول الأمن في المجتمع، مما يحقق الرخاء والسعادة للإنسان.

ومن أجل الحفاظ على حق الحياة للأفراد والجماعات، شرع الله تعالى القصاص لذلك، قال تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٥]. وقد أدى

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ١٧٣٩، ومسلم ١٦٧٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

تطبيق الحدود الإسلامية في القرون الأولى إلى تحقيق الأمن وتقليص الجريمة، فالعقوبة الرادعة والتوجيه الراشد تعاونا على تحصين المجتمع من الجرائم، بإزالة البواعث على الجريمة وسيادة الشريعة وتطبيق الحدود، وتوجيه المجتمع نحو عبادة الله وطاعته، وإقرار التكافل الاجتماعي بين الناس، والحث على العمل وطلب الرزق الحلال، والحرص على نظافة العلاقات الاجتماعية، بالحث على الزواج وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتحقيق تكافؤ الفرص في السعي لطلب الرزق أو تحقيق الذات، وما تصبو إليه من مطامح مشروعة، وضمان الحريات العامة التي تحقق كرامة الإنسان ورفعته، وضمان حدود الاكتفاء الدنيا لكل إنسان في المأكل والملبس والمسكن والتنقل، فإذا حقق المجتمع الإسلامي ذلك، فإنه يقضي على دوافع الجريمة، إلا بالنسبة للمنحرفين الشاذين، فإنه قد لا يفلح معهم التوجيه والضمان والتطمين الاجتماعي والاقتصادي، فهؤلاء لا تردعهم إلا العقوبة اللائقة، والقصاص المناسب: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقد تطول الحياة بالظالم، ولا ينال القصاص العاجل، ولا يحل به غضب الله وعقوبته سريعًا، ولكن مآله إلى ذلك حتمًا، كما في الحديث الشريف: ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[2]))[3]، وأما في الآخرة فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الظلم ظلمات يوم القيامة))[4][5].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٨.

(٢) سورة هود، آية: ١٠٢.

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٦٨٦، ومسلم ٢٥٨٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٤٤٧، ومسلم ٢٥٧٩ واللفظ له.

(٥) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ٢٦٤-٢٦٦.

الحديث رقم (١٨٣٠)

١٨٣٠ - وعن مِرداس الأسلمي رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: ((يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لاَ يُبَالِيهُمُ اللهُ بَالَةً)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

مرداس الأسلمي: هو مرداس بن مالك الأسلمي، شارك في المغازي وجاهد في سبيل الله، فقد شهد بيعة الرضوان، وكان من الصحابة الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة.

نزل الكوفة، وهو من الصحابة الذين لهم حديث واحد، وهو الحديث المشروح[2].

غريب الألفاظ:

الحثالة: الردئ من كل شيء[3].

لا يباليهم الله بَالةً: لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا[4].

الشرح الأدبي

حين نتأمل أسرار الجمال التعبيري والتصويري في هذا الحديث، نجد المبنى متسقًا مع المعنى، فالجملة الأولى فعليه، وفعلها مضارع، وهي في إطار الأسلوب الخبري.

وصيغة المضارع تفيد الاستمرار، والمعنى أن الصالحين يذهبون، وأن خيار الناس

---

(١) برقم ٦٤٣٤.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٦٨٦، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٣٦/٥، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٢٢٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٦٧/٧، والتهذيب ٤٧/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ح ث ل).

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٧/١١.

يعجل بهم، وهذا واقع مشاهد، وقوله: الأول فالأول.. يفصح عن تكرار هذا الواقع.. واللفظان في محل الحال: بالنصب على تأويل مترتبين، والفاء تفيد التتابع، ومعنى: "يذهب الصالحون"، أي: تفيض أرواحهم، وهؤلاء الصالحون مثل النبات المثمر، والشجر المبارك، وحينما تذهب الثمار اليانعة، وتتهاوى الأشجار الباسقة، لا تبقى إلا الثمار المعطوبة.

والصورة في القسم الثاني من الحديث ترصد طبيعة هؤلاء الباقين، وهم الطالحون الذين لا نفع لهم في الحياة.

ومصدر الصورة هو عالم النبات، ولكن الطبيعة النباتية هنا أقرب إلى الطبيعة النامية التي هي من صفات النبات والحيوان، والحثالة هي البقية الرديئة من كل شيء، والنفاية من الحب والثمر وغيره، وتشبع الصورة تقبيح المتبقين بأن المذكور ليس الشعير النافع الجيد، بل حثالة الشعير التي لا تنفع، وربما دل منظرها على تقزيز وتنفير، إن عبثت به شفاه الحمار، أو يد الإنسان، وهكذا اقترن القبح بعدم النفع، كما يقترن الجمال بالنفع في المفهوم الإسلامي[1]، ومما يزيد من تحقير هذه الصورة قول رسول الله ﷺ في شأن هذه الطائفة التي شبهها بحثالة الشعير أو التمر، "لا يباليهم الله بالة"، والمعنى: أن الله لا يرفع لهم قدرًا، ولا يقيم لهم وزنًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ بموت الصالحين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة موت الصالحين وبقاء من لا يعبأ الله بهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستقامة على أمر الله.

أولاً - من دلائل النبوة: إخبار النبي ﷺ بموت الصالحين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "يذهب الصالحون الأول فالأول... إلخ".

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياروف ص ٣٣٢، ٣٣٣.

قال ابن حجر نقلاً عن ابن بطال: (وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي، إنما يعلم بالوحي)[١].

وقد استثنى الحق تبارك وتعالى من خلقه من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[٣] فتلخص من ذلك، أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالغيبات، فبوحي من الله تعالى، وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته)[٤]، وهذا ما ورد في الحديث من إخباره ﷺ بموت الصالحين الأول فالأول، وبقاء من لا يبالي الله بهم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة موت الصالحين وبقاء من لا يعبأ الله بهم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ: "يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالةً".

قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في الحديث أن موت الصالحين من أشراط الساعة...، وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان، حتى لا يبقى إلا أهل الشر"[٥]، وقوله ﷺ: "يذهب الصالحون الأول فالأول"، (أي: تقبض أرواحهم، وقوله ﷺ: "ويبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر"، قال الخطابي: "الحثالة بالفاء

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٣/١٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٤) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٥٤٢/١-٥٤٣.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٧/١١.

وبالمثلثة الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأردأه، وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما، قال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة، ويبقى من التمر بعد الأكل، وقوله ﷺ: "لا يباليهم الله بالةً"، أي لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا)[1].

وقال ابن عثيمين: (أي: لا يبالي بهم ولا يرحمهم ولا ينزل عليهم الرحمة، فالصالحون يذهبون الأول فالأول)[2].

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: أهمية الاستقامة على أمر الله

هذا ما يستفاد من نص الحديث، قال ابن حجر نقلاً عن ابن بطال: (وفيه الندب إلى الاقتداء بأهل الخير، والتحذير من مخالفتهم، خشية أن يصير من خالفهم ممن لا يعبأ الله به)[3].

وقال ابن عثيمين: (يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التي كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله)[4]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستقامة على أمره فقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[5]، وقد رغب الحق تبارك وتعالى في الاستقامة فقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[6].

قال ابن كثير: "قال العوفي عن ابن عباس يعني بالاستقامة: الطاعة، وقوله تعالى: (لأسقيناهم ماء غدقًا) أي: كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق"[7].

---

(١) المرجع السابق ٢٥٦/١١ -٢٥٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ١٨٦٦/٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٥٧/١١.

(٤) شرح رياض الصالحين ١٨٦٦/٢.

(٥) سورة هود، آية: ١١٢.

(٦) سورة الجن، آية: ١٦.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤٢/٨ - ٢٤٣.

وقال ابن القيم: : "فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين؛ وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال والأحوال والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله"[1].

(والمطلوب من العبد الاستقامة؛ وهي السداد، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة، فإن نزل عنها فالتفريط والإضاعة، كما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ قال: ((سَدِّدُوا وَقَارِبُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ وَلاَ أَنْتَ؟ قَالَ: ((وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ))[2]، فجمع في هذا الحديث مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي السداد، والإصابة في النيات والأقوال والأعمال)[3].

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣٩، ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣٣٨.

الحديث رقم (١٨٣١)

١٨٣١- وعن رفاعة بن رافع الزُّرَقِيِّ رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ قال: مَا تَعُدُّونَ أهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: ((مِنْ أفْضَلِ المُسْلِمِينَ)) أوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قال: وَكَذلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلائِكَةِ. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

رفاعة بن رافع الزُّرقي: هو رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري، أمه أم مالك بنت أبي بن سلول، شهد بدرًا، وأُحُدًا، وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وقد شهد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الجمل وصفين، وقال رضي الله عنه في نصرته له (إن الله لما قبض رسوله ﷺ ظننَّا أنّا أحق الناس بهذا الأمر، لنصرتنا الرسول، ومكاننا من الدين، فقلتم: نحن المهاجرون الأولون، وأولياء رسول الله الأقربون، وإنا نذكركم الله أن تنازعونا مقامَه في النّاس، فخليناكم والأمر، فأنتم أعلم، وما كان بينكم، وغير أنا رأينا الحق معمولاً به، والكتاب متَّبعًا، والسنَّة قائمة، رضينا، ولم يكن لنا إلا ذلك، فلما رأينا الأثرة أنكرنا لرضا الله عز وجل، ثم بايعناك ولم نألُ، وقد خالفك من أنت في أنفسنا خير منه وأرضى، فمُرْنا بأمرك.

وقد روى عن النبي ﷺ جُلة أحاديث بلغت ٢٤ حديثًا.

وتوفي في أول إمارة معاوية رضي الله عنه سنة ٤١هـ، وقيل ٤٢هـ[2].

غريب الألفاظ:

أهل بدر: هم الذين شهدوا مع النبي ﷺ غزوة بدر[3].

---

(١) برقم (٣٩٩٢).

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٥٩٦/٣-٥٩٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٤١٥، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٢٣٠، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٢٧٩/٢-٢٨١، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٤٨٦/٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٦٠٨/١-٦٠٩، والأعلام، خير الدين الزركلي ٢٩/٣.

(٣) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٦٥.

الشرح الأدبي

ما أجمل هذا الحوار! وما أعظمه، وكيف لا يكون جليلاً، ولا يكون عظيمًا.. وهو بين ملك الوحي: جبريل عليه السلام وخاتم الأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ، إن الكلمات هنا تشع بالبهاء والجلال، وتتضوء بالجمال والكمال، وتبدأ المحاورة بسؤال من جبريل: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ والسؤال هنا ليس ناشئًا عن جهل، فذلك في حق جبريل محال، ولكنه لتقرير الكمال، وتأكيد الفضل لمن هم القدوة والمثال، ويجيب المصطفى ﷺ بما هم أهله من الفضل والتكريم فيقول: من أفضل المسلمين.

ويؤيد جبريل عليه السلام كلام رسول الله ﷺ حين يقول: وكذلك أي ومثل ذلك الفضل: الملائكة التي شهدت بدرًا، وفي هذا تأكيد لأفضلية أهل بدر، وتعظيم شأنهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[1].

وما أصدق هذا الدعاء، وذلك الابتهال والرسول ﷺ يناجي ربه ويدعوه أن يحفظ هذه الجماعة المؤمنة أهل بدر، ويستجيب الله له إكرامًا لنبيه، ونصرة لدين الإسلام، وإعزازًا لهؤلاء المؤمنين ومن بعدهم.

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة بدر.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: عظم فضل ومكانة أهل بدر.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: شهود الملائكة غزوة بدر.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة بدر:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قول الراوي "جاء جبريل إلى النبي ﷺ قال: ما

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١٢.

تعدون أهل بدر فيكم؟ ... إلخ" (وغزوة بدر هي الغزوة والمعركة الفاصلة الأولى في تاريخ الإسلام، وهي أول مراحل الكفاح الجدي الدامي الذي خاضه الإسلام ضد الشرك)[١]، (فأعز الله فيه الإسلام وأهله، ودفع فيه الشرك وخرب محله، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فيهم فَرَسان وسبعون بعيرًا، والباقون مُشاة، ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ مابين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائدة، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبيّض وجه النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، وكان ذلك في السابع عشر من رمضان، من سنة سنتين من الهجرة، ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[٢] أي قليل عددكم، ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعُدد)[٣].

ولم يقصد النبي ﷺ في خروجه بادئ الأمر بجيش المسلمين إلا عير قريش، قال ابن إسحاق: (لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها؛ لعل الله ينفلكموها)[٤] وذلك لقاء ما تركوا من أموالهم في مكة، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون، فعن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يقول: ((لم أتخلَّفْ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها إلاّ في غزوةِ تَبوكَ، غيرَ أني تَخلَّفتُ عن غزوةِ بَدرٍ ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلَّفَ عنها، إنما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ يُريد عِيرَ قريشٍ، حتى جمعَ اللهُ بينهم وبينَ عَدُوِّهم على غير مِيعاد))[٥].

---

(١) موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، ٧٧/١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٢٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١١/٢.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٥٦/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣٩٥١، ومسلم ٢٧٦٩.

(فالتقى الظلام بالنور، والكفر بالإيمان، والباطل بالحق، والتقت الجاهلية بالإسلام، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا)[١].

قال د. محمود شيت خطاب: (ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة، كيوم بدر، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة...، بعد أن بدل الإسلام العقول والنفوس من حال إلى حال، وكيف لا!! وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة لأصحابه بأعماله لا بأقواله، فكان ﷺ مثالاً شخصيًا رائعًا لأصحابه في التضحية والفداء[٢]. وفي المعركة التقى الآباء بالأبناء، والإخوة بالإخوة! خالفت بينهم المبادئ، ففصلت بينهم السيوف! وفي يوم بدر تسابق المسلمون إلى الشهادة، وكان كل واحد منهم يتمنى أن يموت قبل صاحبه، وكان كل واحد من المشركين يتمنى أن يموت صاحبه قبله، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[٣].

هكذا كان جنود الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم، بل يؤثرون عقيدتهم على أنفسهم، فيتسابقون إلى الشهادة، فيقول أحدهم للآخر: "هنيئًا لك الشهادة"، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد ذويهن: "الحمد لله الذي أكرمهم بالشهادة".

وهؤلاء قادةً وجنودًا، يبنون للمستقبل، فيعتبرون العلم فريضة لا نافلة، ويعتبرونه عبادة لا تجارة، ويعتبرونه غاية لا وسيلة!

كانوا إخوة في الله يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وكانوا كالجسد السليم المعافى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى!

---

(١) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت خطاب.

(٢) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٦١٣/١، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦٦/١.

(٣) سورة طه، آية: ٨٤.

هؤلاء قادة وجنودًا، كانوا يبنون ولا يهدمون، ويعمرون ولا يخربون، ويفعلون ولا يقولون.

كان انتصار المسلمين في بدر، إيذانًا بمولد دولة الإسلام عمليًا، فقاد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح، والمدنية والنور قرونًا طويلة.

وكان انتصارهم بالإسلام، ولن ينتصروا بغيره، وتاريخ المسلمين خير دليل على ذلك.

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام، وكانوا أعداءً فألف الإسلام بين قلوبهم، وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الإسلام منها، فأصبح العرب بالإسلام "وحدة" رصينة، و"دولة" عظيمة و"أمة" متماسكة و"قوة" ضاربة وجدت لها متنفسًا بالفتح الإسلامي العظيم، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا وتحضر العالم وتمدن الناس، فامتدت دولة الإسلام من سيبريا شمالاً إلى فرنسًا غربًا إلى الصين شرقًا إلى المحيط جنوبًا.

كانوا ضعفاء فأصبحوا بالإسلام أقوياء، وكانوا أعداء فأصبحوا إخوة، وكانوا مستعبدين فأصبحوا فاتحين!)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: عظم فضل ومكانة أهل بدر:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي رضي الله عنه: "جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها"، وقد أكد النبي ﷺ على عظم فضل ومكانة أهل بدر؛ فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ. فَقَالَ: ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ. فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ. فَخُذُوهُ مِنْهَا. فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا. فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ. فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا. فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ مَا هذَا؟ قَالَ: لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ امْرأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ قَالَ سُفْيَانُ: كَانَ حَلِيفًا لَهُمْ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ

---

(١) مقدمة موسوعة الغزوات الكبرى، محمد أحمد باشميل، بقلم محمود شيت خطاب، بتصرف يسير.

الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ. فَأَحْبَبْتُ، إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي. وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي. وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ. فَقَالَ النَّبِيُّ : صَدَقَ. فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ. فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[1].

قال النووي: (وقوله ﷺ "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" معناه: الغفران لهم في الآخرة)[2]، وقال ابن حجر: (والمراد من -الحديث هنا - الاستدلال على فضل أهل بدر بقوله ﷺ المذكور، وهي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم)[3].

قال ابن القيم في بيان مغفرة الله تعالى لأهل بدر: (قال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، أشكل على كثير من الناس معناه؛ فإن ظاهره إباحة كل الأعمال لهم وتخييرهم فيما شاؤوا منها، وذلك ممتنع.

فقالت طائفة، منهم ابن الجوزي: ليس المراد من قوله "اعملوا" الاستقبال، وإنما هو للماضي، وتقديره: أي عمل كان لكم فقد غفرته.

قال: ويدل على ذلك شيئان:

أحدهما: أنه لو كان للمستقبل كان جوابه قوله: فسأغفر لكم.

والثاني: أنه كان يكون إطلاقًا في الذنوب ولا وجه لذلك. وحقيقة هذا الجواب: إني قد غفرت لكم بهذه الغزوة ما سلف من ذنوبكم.

لكنه ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن لفظ "اعملوا" يأباه؛ فإنه للاستقبال دون الماضي. وقوله: "قد غفرت لكم" لا يوجب أن يكون اعملوا مثله؛ فإن قوله "قد غفرت" تحقيق لوقوع المغفرة في

---

(١) أخرجه البخاري ٣٩٨٣، ومسلم واللفظ له ٢٤٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥١١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٥٦/٧.

المستقبل كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[2]، ونظائره.

الثاني: أن نفس الحديث يردّه؛ فإن سببه قصة حاطب وتجسُّسه على النبي ﷺ، وذلك ذنب واقع بعد غزوة بدر لا قبلها، وهو سبب الحديث، فهو مراد منه قطعًا.

فالذي نظن في ذلك، والله أعلم، أن هذا خطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرِّين عليها، بل يوفِّقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك. ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم، لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقًا بالمغفرة. فلو كانت قدحصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر، لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد، وهذا محال.

ومن أوجب الواجبات التوبة بعد الذنب؛ فضمان المغفرة لا يوجب تعطيل أسباب المغفرة، ونظير هذا قوله في الحديث الآخر: ((إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَب أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَب أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْ لِي، قَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟، غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فقال: رَب أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْ لِي قَالَ: أَعَلِمَ عبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ))[3]، فليس في هذا إطلاق وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أن يغفر له ما دام كذلك، إذا أذنب تاب. واختصاص هذا العبد بهذا؛ لأنه قد علم أنه لا يصرُّ على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب، حكم يعمّ كل ما كانت حاله حاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر.

---

(١) سورة النحل، آية: ١.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) أخرجه مسلم ٦٩٨٦.

وكذلك من بشره رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له، لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له، ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهادًا وحذرًا وخوفًا بعد البشارة منهم قبلها، كالعشرة المشهود لهم بالجنة. وقد كان الصدِّيق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر. فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيَّدة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيّدة بانتفاء موانعها، ولم يفهم أحد منهم من ذلك الإطلاق، الإذن فيما شاؤوا من الأعمال)[1].

وفي تأكيد عظم فضل أهل بدر رضي الله عنهم أخرج البخاري في صحيحه: عن قيس أنه قال: ((كان عطاءُ البدريين خمسةَ آلافٍ، خمسةَ آلاف، وقال عمرُ: لأُفضلنَّهم عَلَى مَن بعدَهم))[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((فأقبَلْتُ أنا وأمُّ مِسطح فعثرتْ أُمُّ مسطحٍ في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسطحٌ، فقلتُ: بئس ما قلتِ، تَسُبِّينَ رجلاً شهد بدرًا))[3].

وعن ابن معقل: ((أن عليًا كبر على سهل بن حنيف فقال: إنه شهد بدرًا))[4] قال ابن حجر: (... وقد أورده أبو نعيم في المستخرج من طريق البخاري بهذا الإسناد فقال فيه: كبر خمسًا...، وقول علي رضي الله عنه لقدشهد بدرًا، يشير إلى أن لمن شهدها فضلاً على غيرهم في كل شيء، حتى في تكبيرات الجنازة)[5].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

هذا ما ورد في الحديث من سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في قوله: "ما تعدون أهل بدر فيكم؟" وإجابته ﷺ بقوله: "من أفضل المسلمين".

فالسؤال والجواب من أساليب الأداء البياني، لما له من قيمة تأثيرية عظيمة لدى طارحي الأسئلة، الذين يتلقون الإجابات على أسئلتهم ممن وجهوها لهم، ولدى المستمعين

---

(١) الفوائد المشوقة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٣٤-٣٦.

(٢) أخرجه البخاري ٤٠٢٢.

(٣) أخرجه البخاري ٤٠٢٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٠٠٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٩/٧.

الآخرين، وذلك لعدة أسباب منها: أن طارحي الأسئلة إذا كانوا لا يعانون من مشكلة، ولكن يريدون اكتساب معرفة، حول ما طرحوا من أسئلة، فهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن"[1].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: شهود الملائكة غزوة بدر:

(لقد انطوت غزوة بدر على معجزة من أعظم معجزات التأييد والنصر للمسلمين الصادقين، فقد أمد الله المسلمين فيها بملائكة يقاتلون معهم، وهذه حقيقة ثبتت بدلالة صريحة)[2]، في نص الحديث من قول جبريل عليه السلام "وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة" وفي بيان إثبات ذلك بنص الكتاب العزيز قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[3].

قال ابن كثير: (نقلاً عن عباد بن منصور عن الحسن أن هذا يوم بدر، وقال الشعبي: إن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كُرز بن جابر يمد المشركين، فشق ذلك عليهم فأنزل الله: ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين)، إلى قوله: (مسومين)، أي: معلمين بالسِّيما، وقيل: أي: مُحدَّقة أعرافها، معلمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل)[4].

---

(١) انظر: فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٢٤٢.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله ٥٨ - ٥٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣ - ١٢٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١١٢/٢ - ١١٣.

قال د. البوطي: (ومن أوضح الأدلة القاطعة على أن التعبير بالملائكة في بيان الله عز وجل، ليس المقصود به ما يتوهمه بعضهم من المدد الروحي، أو القوة المعنوية، أو نحو ذلك -أقول من أوضح الأدلة القاطعة على بطلان هذا الوهم- ضبط البيان الإلهي للملائكة بعدد محدود وهو الألف، في قوله عز وجل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[1] إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء، ولا يكون ذلك إلا في الأشياء المادية المحسوسة.

ومن هنا نعلم أن تقييد البيان الإلهي للملائكة بعدد معين، ينطوي على حكم باهرة، من أجلّها قطع السبيل على من يريد أن يتناول الآية، ويفسر الملائكة بالمعنى الذي يروق له، وهو مجرد الدعم المعنوي.

ثم إن نزول الملائكة للقتال مع المسلمين - إنما هو مجرد تطمين لقلوبهم، واستجابة حسية لشدة استغاثتهم، اقتضاها أنهم يقفون مع أول تجربة قتال في سبيل الله، لأناس يبلغون ثلاثة أضعافهم في العدة والعدد. وإلا فإن النصر من عند الله وحده، وليس للملائكة أي تأثير ذاتي في ذلك. ومن أجل هذه الحقيقة قال الله تعالى معللاً نزول الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2])[3].

وقد أكد الصحابة رضي الله عنهم على شهود الملائكة بدرًا، ولقد شهد الصحابة رضي الله عنهم بذلك، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضًا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حنين عمائم صفراء، وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، قال: بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى، وعن أبي داود

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٩.

(٢) سورة الأنفال، آية: ١٠.

(٣) فقه السيرة النبوية، د. محمد بن عيد رمضان البوطي ٢٤٣.

المازني رضي الله عنه، وكان شهد بدرًا، قال: إني لاتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري)[1]، (وعن الربيع بن أنس رضي الله عنه قال: كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم؛ بضرب فوق الأعناق وعلى البنان، مثل سمة النار قد أحرق به)[2].

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٢٧٥.

(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٣/٥٦.

الحديث رقم (١٨٣٢)

١٨٣٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِقَومٍ عَذَابًا، أصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث وعدًا من رسول الله ﷺ لكل مؤمن بأن الله سيدخر له يوم القيامة ما قدمه في دنياه من عمل صالح، إذا عم البلاء، واجتاحت ريح الكوارث الصالح والطالح، فالعذاب الذي يلحق بالأمم من الطوفان والجراد والقمل والزلازل... والحرائق.. والأوبئة، والحروب يعم ويصيب القوم أجمع: البر والفاجر، فالنقمة تعم، والنعمة تخص، ولكن الناس يبعثون على حسب مراتبهم، ويبعثون على نياتهم.

وصياغة الحديث اللغوية تؤكد نزول العذاب ببعض الأقوام، لأن أسلوب الشرط والجواب هو الإطار النحوي لمضمون الحديث، وأداة الشرط "إذا"، وهي تفيد التحقق فالعذاب يلحق بعض الأمم، وقد حدث ذلك مع قوم عاد، وقوم ثمود، وأهل الطوفان زمان نوح عليه السلام، وكثير من الكوارث تحدث في العالم ومنها الزلازل، والبراكين، والأعاصير، والطوفان، والأوبئة، والأمراض الفتاكة، والحروب المدمرة، والانهيارات الأرضية.

والتعبير بـ"إذا" يكشف عن واقعية هذه الكوارث، وقوله: "عذابًا" من الألفاظ الموجزة المشعة بكل ما يقع من أنواع العذاب، ولذلك جاءت الكلمة في صيغة النكرة للشيوع والعموم، ولم يقل العذاب، حتى لا ينصرف الذهن إلى نوع محدد من العذاب، وذكر كلمة "قوم" لإفادة التنويع والتكثير، فكثيرًا ما نزل العذاب بأقوام قديمًا وحديثًا، فالتنكير هنا أفاد العموم والتنوع والكثرة، والتعبير بقوله: "أنزل الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٠٨، ومسلم ٢٨٧٩/٨٤ ولفظهما سواء.

بقوم عذابًا، يفيد التمكن والاستعلاء، والمعنى: بعث عليهم عذابًا والبعث فيه: معنى الجيش والهلاك، فكأن هذا العذاب جيوش مهلكة مدمرة للأمم الطاغية الباغية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾[1].

وجواب الشرط: يفيد العموم: "أصاب العذاب من كان فيهم": أي يعم الكافر والمؤمن، وكذلك العاصي والطائع، ولكن يوم القيامة يبعثون على أعمالهم: ولا يظلم ربك أحدًا، فالمؤمن من أهل الجنة، والكافر من أهل النار، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: المعاصي وأثرها في غضب الله وإنزال عقابه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تعذيب العامة بذنوب الخاصة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بعث الناس على أعمالهم يوم القيامة.

أولاً- المعاصي وأثرها في غضب الله وإنزال عقابه:

هذا ما يستفاد جليًا من نص الحديث، وفي بيان ذلك قال ابن القيم: (فمما ينبغي أن يعلم أن الذنوب والمعاصي تضر ولابد، وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر، وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه...، وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟ وما الذي سلط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية...، وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت

---

(١) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

قلوبهم في أجوافهم، وماتوا عن آخرهم؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعًا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبات ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟ ... وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر...؟ وما الذي خسف بقارون وداره وماله؟ ... وما الذي بعث على بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا؟ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[1]. فالمعاصي والذنوب هي أمراض، متى استحكمت قتلت ولابد، وهي سبب غضب الله وإنزال عقابه)[2].

وهذا ما أكده النبي ﷺ فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: ((يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ))[3].

وقال ﷺ: ((لَنْ يَهْلِكَ النَّاسُ حَتَّى يَعْذِرُوا -أَوْ يُعْذِرُوا- مِنْ أَنْفُسِهِمْ))[4]. قال

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦٧.

(٢) انظر الداء والدواء ٨٦/١.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٤٠١٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود ٤٣٤٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٥٣).

الخطابي: (فسره أبو عبيدة في كتابه، وحكي عن أبي عبيدة أنه قال: معنى "يعذروا" أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم)[١]، وقال ابن الأثير: (يقال أعْذَر فلان من نفسه، إذا أمكن منها، يعني: أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم، فيستوجبون العقوبة، ويكون لمن يعذبهم عذر، كأنهم قاموا بُعذره في ذلك، ويروى -بفتح الياء-، من عَذَرْته وهو بمعناه، وحقيقته عذرت: محوتُ الإساءة وطمستها)[٢].

وقد حذر من ذلك السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، فعن جبير بن نضير عن أبيه قال: (لما فتحت قبرص ففرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسًا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبير؛ ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره! بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى)[٣] وذكر أبو نعيم عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء؛ قال: (ليحذر امرؤ أن تلعنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: تدري ممَّ هذا؟ قلت: لا، قال: إن العبد يخلو بمعاصي الله، فيُلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر)[٤].

(وقال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلّته)[٥].

(فكم أهلكت المعاصي والذنوب من الخلق؟ وكم أزالت من النعم؟ وكم جلبت من النقم؟ وما أكثر المغترين بها من العلماء والفضلاء، فضلاً عن الجهّال! ولم يعلم المغترُّ أن الذنب ينقضُ ولو بعد حين كما ينقُضُ السمُّ، وكما ينقضُ الجرحُ المندملُ على الغش والدَّغلِ)[٦].

---

(١) معالم السنن ٦/١٩١.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٩٩.

(٣) الزهد ١/٨٦ بسند صحيح.

(٤) الحلية ١/٢١٥.

(٥) الداء والدواء، ابن القيم، ٨٥.

(٦) المرجع السابق ٨٤-٨٥.

وفي ذلك بيان على قبح المعاصي وأثرها في إنزال غضب الله ومقته، فعلى المرء أن يجتهد في تركها، إرضاءً للرحمن وبغضًا للشيطان، وطلبًا لعظيم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: (سبحان الله رب العالمين! لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبةُ الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفسّاق والفجّار، وقلة الهم والغم والحزن، وعزُّ النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تُلقى له في قلوب الناس، وانتصارهم وحَمِيّتهم له إذا أُوذي وظُلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودَّته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على المُلك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان، ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور، لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا. فإذا مات تلقَّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة، وينعم فيها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحرِّ والعرق، وهو في ظل العرش، فإذا انصرفوا من بين يدي الله أُخذ به ذات اليمين مع

أوليائه المتقين وحزبه المفلحين ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1])[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تعذيب العامة بذنوب الخاصة:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ: "إذا أنزل الله تعالى بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم".

قال ابن حجر: (في قوله ﷺ: "إذا أنزل الله بقوم عذابًا"، أي: عقوبة لهم على سيئ أعمالهم، "أصاب العذاب من كان فيهم"، والمراد من كان فيهم، ممن ليس هو على رأيهم"[3]، وقد أكد الحق تبارك تعالى على ذلك فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾[4]، قال السعدي: "بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتتقى هذه الفتنة بالنهي عن المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن"[5]، هذا ما أكده النبي ﷺ في حديث سفيان بن عيينة عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ استيقظ من نومه وهو يقول: ((لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ. وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ. فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ)) وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ. إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ))[6].

قال النووي: "في قوله: أنهلك وفينا الصالحون، قال: إذا كثر الخبث: وفسره الجمهور بالفسوق والفجور... ومعنى الحديث: أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك

---

(١) سورة الجمعة، آية: ٤.

(٢) الفوائد المشوفة إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن القيم ٢٢١-٢٢٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٦٤- ٦٥.

(٤) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٢٨٠.

(٦) أخرجه البخاري ٣٣٤٦، ومسلم ٢٨٨٠.

العام، وإن كان هناك صالحون"[١].

(فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]، وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣]، وقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٤]، وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب.

فالجواب: أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر، فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سكت عليه فكلهم عاصٍ، هذا بفعله، وهذا برضاه، وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضي بمنزلة العامل؛ فانتظم في العقوبة)[٥].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ مِنْهُمْ وَأَمْنَعُ، لاَ يُغَيِّرُونَ، إِلاَّ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ))[٦]، وعن قيس قال: ((قَالَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ: يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُم تَقْرَأُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾[٧] قَالَ عن خَالِدٍ: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقَابٍ. وَقَالَ عَمْرٌو عن هُشَيْمٍ: وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمِ بِالمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لا يُغَيِّرُوا إِلاَّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ... إلخ))[٨].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٧٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

(٣) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٨٦.

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، ٨٣٦/٢.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٤٠٠٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٣٨).

(٧) سورة المائدة، آية: ١٠٥.

(٨) أخرجه أبو داود ٤٣٣٨، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٦٤٤).

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بعث الناس على أعمالهم يوم القيامة:

هذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: (ثم بعثوا على أعمالهم)، قال ابن حجر: "أي: بعث كل واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فعقباه صالحة وإلا فسيئة، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين، وفي ذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ((عَبِثَ رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله، فقال: العَجَبُ إن ناسًا من أمتي يَؤُمُّون البيت برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيدا خسف بهم، فقلنا: يا رسول الله! إن الطريق قد يجمع الناس، قال: نعم فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يَهْلِكون مَهْلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم))[1].

قال النووي: (في قوله ﷺ: "فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل، أما المستبصر فهو المستبين لذلك القاصد له عمدًا، وأما المجبور فهو المكره ...، وأما ابن السبيل فالمراد به سالك الطريق معهم وليس منهم، وقوله ﷺ: ويهلكون مهلكًا واحدًا، أي: يقع الهلاك في الدنيا على جميعهم، وقوله ﷺ: ويصدرون يوم القيامة مصادر شتى أي: يُبعثون مختلفين على قدر نياتهم فيجازون بحسبها)[2].

قال ابن حجر: (والحاصل أنه لا يلزم من الإشراك في الموت، الاشتراك في الثواب أو العقاب، بل يُجازى كل أحد بعمله على حسب نيته)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٢١١٨، ومسلم واللفظ له ٢٨٨٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٧٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٦٥.

الحديث رقم (١٨٣٣)

١٨٣٣- وعن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ (يَعْنِي فِي الخُطْبَةِ)[١] فَلَمَّا وُضِعَ[٢] المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوضَعَ يَدَهُ عَلَيهِ فَسَكَنَ[٣].

وَفِي رِوايةٍ[٤]: فَلَمَّا كَانَ يَومُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ[٥]، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ[٦] تَنْشَقَّ.

وفي رواية[٧]: فصَاحَتْ[٨] صِيَاحَ الصَّبِيِّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِي الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قال: ((**بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**)). رواه البخاري.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

الجذع: ساق النخلة[٩].

صوت العشار: أي: الناقة الحامل التي مضت لها عشرة أشهر ولا يزال ذلك اسمها

---

(١) هذا التفسير من المؤلف.

(٢) عند البخاري زيادة: (له)، وهي ليست عند الحميدي في جمعه.

(٣) برقم ٩١٨ بدون قوله: (فسكن). وهذه الزيادة عند البخاري برقم ٣٥٨٥ بلفظ: (فسكنت) والمثبت لفظ الحميدي في جمعه ٣٦٩/٢ رقم ١٦٠٣.

(٤) برقم ٢٠٩٥.

(٥) عند البخاري زيادة: (الذي صنع).

(٦) (أن) لا توجد عند البخاري.

(٧) برقم ٢٠٩٥، و٣٥٨٤. والسياق للحميدي في جمعه ٣٧/٢ رقم ١٦٠٣.

(٨) عند البخاري زيادة: (النخلة).

(٩) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ج ذ ع).

إلى أن تلد، وقيل: العشار الحوامل من الإبل التي قاربت الولادة[١].

أنَّ الصبي أنًّا وأنينًا: أي: تَأَوّه وتألم[٢].

الشرح الأدبي

من معجزات النبي ﷺ الحسية: حنين الجذع، وهي معجزة ثابتة بالأدلة القطعية، والروايات الصحيحة، وهذا الحديث من الشواهد والأدلة اليقينية على هذه المعجزة، ويروي جابر ذلك، ويفصل القول في هذا المشهد، ويقول "كان جذع" ويصفه بأنه: يقوم إليه النبي ﷺ في الخطبة: وهذا الوصف فيه تشريف لذلك الجذع، وهو أيضًا من أسرار حنين الجذع لرسول الله ﷺ وأنينه شوقًا إليه: لأن رسول الله ﷺ كان يميل إلى الجذع وقت الخطبة، وللنبات نفس أودعها الله الإدراك، فهي تتغذى، وتنمو وتتكاثر، ولكنها لا تتحرك ولا تلد، مثل الحيوان أو الإنسان، فالنفس الحيوانية لها خصائص، والنفس الإنسانية لها خصائص، كذلك النفس النباتية لها خصائص، فللنبات إحساس وإدراك لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والنفس الإنسانية تتغذى وتتكاثر وتنمو وتلد وتنطق وتعقل، أما النفس الحيوانية فهي تتغذى وتنمو وتتكاثر وتلد ولكنها لا تنطق ولا تعقل.

والتكلم بلسان الجمع في رواية جابر يدل على أن صوت الجذع كان حقيقيًا: حيث يقول: فلما وضع المنبر سمعنا للجذع: مثل صوت العشار، وهذه الصورة التشبيهية مشتقة من البيئة وهي صورة دقيقة مؤثرة، والعشار هي الناقة التي انتهت في حملها إلى عشرة أشهر.

والصورة تزداد دقة وتأثيرًا وتشخيصًا في رواية أخرى: حيث يقول جابر: اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج، أي التي انتزع منها ولدها، فتأمل رقة إحساس هذا الجذع وشوقه وحنينه للنبي ﷺ، وحين وضع النبي عليه الصلاة والسلام يده على الجذع سكن وهدأ وامتثل !!!، وفي رواية ثم أمر به فدفن، وكان الحسن إذا حدث

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢/٤٦٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (أ ن ن).

بهذا الحديث يقول: يامعشر المسلمين: الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه، ﷺ تسليمًا كثيرًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ.

ثانيًا: من وسائل الدعوة: الخطبة.

أولاً- من دلائل النبوة: حنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ:

قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث من الفقه ما يدل على صحة نبوة نبينا ﷺ)[1].

(وقد أجرى الله تبارك وتعالى على يدي أنبيائه ورسله من المعجزات الباهرات والدلائل القاطعات والحجج الواضحات، ما يدل على صدق دعواهم أنهم رسل الله، وكي تقوم الحجة البالغة على الناس، فلا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم)[2] فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[3] (وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ماجاؤوا به)[4].

والمعجزة على ضربين: ضرب هو من نوع قدرة البشر، فعجزوا عنه، فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه، كتحدي اليهود أن يتمنوا الموت، وضرب خارج عن قدرتهم، فلم يقدروا على الإتيان بمثله[5]، وذلك كحنين الجذع شوقًا إلى رسول الله ﷺ وشفقةً من فراقه، قال ابن حجر: (ونقل ابن أبي حاتم في "مناقب الشافعي"، عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: "ما أعطى الله نبيًا ما أعطى محمدًا، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى، قال: أعطى محمدًا ﷺ حنين الجذع حتى سمع

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٤/٢٣٧.

(٢) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ١/٥٢٠.

(٣) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٧٨١.

(٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد وآخرين ٢/٥٢٠.

صوته، فهذا أكبر من ذلك)[١].

وقد بيّن ابن هبيرة (أن حنين الجذع الذي سمعه أصحاب رسول الله ﷺ على كونه، كان آية صادعة وبينة ظاهرة على نبوته ﷺ؛ فإنه فيه تنبيه لأصحابه على زيادة حبهم له، وحنينهم لفراقه، واستيحاشهم لتخلفهم ساعة واحدة عن صحبته، ولَمَّا كان رسول الله ﷺ يطلب وقت التذكير على الجذع، كان الجذع موطنًا يطلب منه ويعرف به حالة التذكير، فكان في ذلك الدولة للجذع، فلما رأى الجذع أن دولته قد تغيرت بانتقال رسول الله ﷺ إلى المنبر حنّ)[٢].

وفي ذلك قال ابن حجر: (وقد كان الحسن إذا حدث بحديث حنين الجذع يقول: يا معشر المسلمين الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقًا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه ...)[٣].

ثانيًا- من وسائل الدعوة: الخطبة :

هذا ما أشار إليه الحديث من قول الراوي: فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها (والخطبة هي أداة الدعوة الإسلامية الأولى لاستنهاض الهمم، والحث على الفضائل وجمع الشمل فهي من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس)[٤]، (وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته، لكثرة فائدته وعظيم جدواه، ذلك أن الخطابة علم من العلوم الهامة التي تساعد على الاتصال الجماعي)[٥]، (فضلاً عن أن الخطابة في الدعوة إلى الله واجبة، لأنها لازمة لتبليغ الدعوة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داو، والخطابة رسول ذلك وبلاغه وحامل هذا وسلطانه، والخطابة للداعية كالمصباح

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٩٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٨/٣٤٨-٣٤٩.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٩٧.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان، ١٠٦.

(٥) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ٤١٩.

ينير الطريق ويكشف الدرب ويهدي الضال، وهي السلاح الذي يدافع به عن دعوته فيرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين، وعنت الضالين، فكم من منافق عليم اللسان، ومنحرف صاحب بيان، وفاسق يحمل فكرًا، وشيطان يلوح بحجة، فيأتي الداعية الفصيح صاحب الحجة، فيدفع الركب الضال، والموكب اللعين، وينسف الباطل المنتفخ، ويرفع الحق الأبلج والحجة المضيئة، وصدق الله العظيم: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]، والخطابة وسيلة لصياغة المبادئ، وإظهار جلالها ورفعة شأنها، فضلاً عن أنها صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل، كما أنها لازمة لطرد الأهواء وإزالة الشياطين، وعلاج الأمراض الدخيلة والمتوطنة)[2]، يقول علي محفوظ: (إن الأمراض والعلل تعرض للأجساد فتذهب بجمالها، وكثيرًا ما تودي بحياتها إذا لم تسعف بالعلاج الناجع قبل استفحالها واشتداد خطرها، والقلوب كالأجساد يعرض لها من الأمراض والعلل ما يطفئ نورها، وما يفقدها حياتها ...، ولا دواء لها إلا مراهم الشريعة الغراء، المركبة تركيبًا علميًا كيماويًا دقيقًا من أجزاء الخطب والمواعظ)[3].

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ١٨.

(٢) انظر: الخطابة والخطيب، د. توفيق الواعي، ٣٠-٣١.

(٣) هداية المرشدين ٧٣.

الحديث رقم (١٨٣٤)

١٨٣٤- وعن أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ جُرثوم بنِ ناشر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلاَ تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلاَ تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلاَ تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلاَ تَبْحَثُوا عَنْهَا)) حديث حسن. رواه الدارقطنيُّ[1] وغيره.

ترجمة الراوي:

أبو ثعلبة الخُشَنِّي: صحابي مشهور، معروف بكنيته، أختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا وكذلك في اسم أبيه، قيل اسمه جُرْثُوم، وقيل جُرْهم بن ناشب، وقيل: ابن ناشم وقيل: ابن لاشر. تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٦٦).

غريب الألفاظ:

فلا تنتهكوها: فلا تخرقوا سترها بالوقوع فيها[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، كما يقول أبو بكر السمعاني، وليس في حديث رسول الله ﷺ حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من حديث أبي ثعلبة.

وهذا الحديث قسم أحكام الله أربعة أقسام: فرائض ومحارم وحدود ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها، وهكذا يكون بيان المصطفى ﷺ في شموليته وبلاغته، وفي سموه وحكمته، وفي عمقه ودقته، ولا غرو فقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم.

---

(١) السنن ١٨٣/٤. وحسنّه المؤلف أيضًا في أربعينه ٣٠، وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٢٩٣٤: رجاله ثقات لكنه منقطع، وقال البوصيري في الإتحاف ٤٢٣/١: إسناده صحيح.

(٢) مختار الصحاح في (ن هـ ك)، ومعجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي ٤٦٣.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يفيض بظواهر فنية وأسلوبية متعددة ومنها:

أ- البداية بالتأكيد في قوله عليه الصلاة والسلام، "إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها"، وهذا التأكيد يتكرر في كل الجمل بعد ذلك ولكنه محذوف للإيجاز، ولأنه معلوم من الدين بالضرورة فلا داعي لتكراره، فلا يحد الحدود إلى الله، ولا يحرم ولا يحلل إلا الله، والتقدير، وإن الله حد حدودًا، وإن الله حرم أشياء، وإن الله سكت عن أشياء، والتأكيد الظاهر والمضمر، يجعل الالتزام بما جاء في الحديث واجبًا، والخروج عنه معصية وإثمًا ومغاضبة لله عز وجل.

ب- ومن جماليات الأسلوب في هذا الحديث: حسن التنسيق، والتوازي والتوازن في بناء الجمل، فالجمل في الحديث متناسقة البناء، تتشابه في مكوناتها، وتتوازن في تراكيبها، وكأن ذلك التوازن، وهذا التناسق صورة لموقف الأمة الواجب اتخاذه من الفرائض والحدود والمحرمات، وهو الاعتدال، والتوازن، وعدم المغالاة أو التفريط.

ج- ومن أسرار الجمال في لغة الحديث، هذا الإيقاع الصوتي المؤثر المتمثل في نهايات الجمل المسجوعة، في غير تكلف أو عنت، وهي إلى جانب هذه النهايات الإيقاعية التي ترسخ في الذهن، وتثبت في الوجدان -بعد أن يتلقاها السمع ويتقبلها قبولاً حسنًا- نجد التماثل يوحد بين الجمل، حيث البداية بالأفعال الماضية، والفاعل هو الضمير العائد على لفظ الجلالة في كل الجمل، والمفعول به يتجانس مع الفعل الماضي في الجملتين الأوليين: "فرض فرائض"، وحدَّ حدودًا.

وختام كل جملة من جمل هذا الحديث يبدأ بفاء التعليل ولا الناهية والفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة، وهذه الصياغة توحي بأن هذه النواهي، على الأمة كلها أن تلتزم باجتنابها.

د- ومن مظاهر الجمال التعبيري، التزاوج والامتزاج بين الأسلوبين الخبري والإنشائي في كل جمل الحديث، فالجملة تبدأ بالخبر المؤكد، وتنتهي بالنهي الجماعي عن التفريط في كل ما حث عليه رسول الله ﷺ من أوامر، أو نواهٍ.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على أداء فرائض الله تعالى وعدم إضاعتها.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحذر من انتهاك حدود الله.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الأسئلة التي تكون سببًا في جلب المشقة.

خامسًا: من آداب الداعية: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

(إن التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة في تقوية الكلام وإثبات صحته وبيان أهميته لدى المدعوين)[1]، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على أداء فرائض الله، وعدم إضاعتها، وعدم انتهاك حرماته، واجتناب السؤال عما سكت عنه تبارك وتعالى، ويظهر ذلك في الحديث من قوله ﷺ إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها.. إلخ.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على أداء فرائض الله تعالى وعدم إضاعتها:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها)، (والفرائض هي ما فرضه الله على عباده وألزمهم القيام بها، كالصلاة والزكاة والصيام والحج)[2]، وقد حث الحق تبارك وتعالى على أدائها وعدم إضاعتها، فقال في حديثه القدسي: ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ))[3]، قال ابن حجر: (يجوز في "أحب" الرفع والنصب ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله: افترضت عليه، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله. قال

---

(١) انظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العلوم الشرعية والعربية، العدد الأول ص ٢٧٣.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٥٣/٢.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقربًا، وأيضًا فالفرض كالأصل والأس، والنفل كالفرع والبناء، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به، امتثال الأمر واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحذر من انتهاك حدود الله:

هذا ما أشار إليه النبي ﷺ في الحديث من قوله ﷺ: "وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها"، (والحدود جمع حد، وهو في اللغة المنع، ومنه سمي كل من البواب والسجان حدادًا، لمنع الأول من الدخول، والثاني من الخروج)[2]، (وحدود الله التي نهى عن اعتدائها، هي جملة ما أذن في فعله، سواء كان على طريق الوجوب، أو الندب، أو الإباحة، واعتداؤها: هو تجاوز ذلك إلى ارتكاب ما نهى عنه)[3]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بعدم انتهاك حدوده فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[4] (وقوله تعالى: "فلا تقربوها" أبلغ من قوله "فلا تفعلوها" لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليهما، وأما الأمر فيقول الله فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[5] فنهى عن مجاوزتها)[6]، وقد رهب

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٧/١٢٩.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٦٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٧٠.

تعالى وحذر من تجاوز حدوده فقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1] وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2] وقال: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[3] أي (بخسها حقها وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والآخرة)[4].

وقد أكد النبي ﷺ على حفظ حدودالله وعلى عدم انتهاكها فقال: ((ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاه، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعرّجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم))[5].

(أما المحارم، فهي التي حماها الله تعالى، ومنع من قربانها وارتكابها وانتهاكها)[6] وقد حث الله تبارك وتعالى على اجتناب حرماته فقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[7] قال جماعة من المفسرين ("حرمات الله" هاهنا مغاضبه، وما نهى عنه، و(تعظيمها)، ترك ملابستها، قال الليث: حرمات الله: ما لا يحل انتهاكها، وقال قوم: الحرمات هي الأمر والنهي، وقال الزجاج: الحرمة: ما وجب

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤.

(٣) سورة الطلاق، آية: ١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٨٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٢٨٥٩، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٢٩٥).

(٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٥٧/٢.

(٧) سورة الحج، آية: ٣٠.

القيام به، وحرم التفريط فيه، وقال قوم: الحرمات هاهنا المناسك ومشاعر الحج زمانًا ومكانًا"[١]، وقال ابن القيم: "والصواب أن الحرمات تعم هذا كله. وهي جمع "حرمة" وهي ما يجب احترامه، وحفظه من الحقوق والأشخاص والأزمنة والأماكن، فتعظيمها: توفيتها حقها وحفظها من الإضاعة"[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: اجتناب الأسئلة التي تكون سببًا في جلب المشقة:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها"، قال ابن رجب: (وأما المسكوت عنه، فهو ما لم يُذكر حكمه بتحليل، ولا إيجاب، ولا تحريم، فيكون معفوًا عنه، لا حرج على فاعله...، وقوله ﷺ: "فلا تبحثوا عنها" يحتمل اختصاص هذا النهي بزمن النبي ﷺ؛ لأن كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر قد يكون سببًا لنزول التشديد...، ويحتمل أن يكون النهي عامًا، فإن كثرة البحث والسؤال عن حكم ما لم يذكر في الواجبات ولا في المحرمات، قد يوجب اعتقاد تحريمه، أو إيجابه، لمشابهته لبعض الواجبات أو المحرمات، فقبول العافية فيه، وترك البحث والسؤال عنه خير)[٣]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[٤] قال ابن كثير: (هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في سماعها)[٥] وقال ﷺ: ((أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته))[٦] قال ابن رجب: (والتحقيق في هذا المقام -والله أعلم- أن البحث عما لم يوجد فيه نص خاص أو عام على قسمين: أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالات

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٥٣/١٧.

(٢) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٧٤/٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١٦٣/٢، ١٧٠.

(٤) سورة المائدة، آية: ١٠١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٠٣/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٧٢٨٩، ومسلم ٢٣٥٨.

النصوص الصحيحة من الفحوى، والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح، فهذا حق، وهو مما يتعين فعله على المجتهدين في معرفة الأحكام الشرعية، والثاني: أن يدقق الناظر نظره وفكره في وجوه الفروق المستبعدة، فيفرق بين متماثلين بمجرد فرقٍ لا يظهر له أثر في الشرع مع وجود الأوصاف المقتضية للجمع، أو يجمع بين متفرقين بمجرد الأوصاف الطردية التي هي غير مناسبة ولا يدل دليل على تأثيرها في الشرع، فهذا النظر والبحث غير مرضي ولا محمود ...، ومما يدخل في النهي عن التعمق والبحث عنه: أمور الغيب الخبرية التي أمر بالإيمان بها، ولم يبين كيفيتها، وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس، فالبحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعني، وهو مما نهى عنه، وقد يوجب الحيرة والشك، ويرتقي إلى التكذيب)[1]. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَ حَتَّى يُقَالَ: هذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ))[2].

خامسًا- من آداب الداعية: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "وسكت عن أشياء رحمة لكم" (يعني أنه إنما سكت عن ذكرها رحمة بعباده، ورفقًا، حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم على فعلها، ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها، بل جعلها عفوًا، فإن فعلوها، فلا حرج عليهم، وإن تركوها فكذلك)[3]، وفي ذلك بيان عظيم على رحمة الله وليس أدل على ذلك من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَبْيٍ. فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَتَرَوْنَ هذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟)) قُلْنَا: لاَ. وَاللهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٧١، ١٧٢.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٧٦، ومسلم واللفظ له ١٣٤، ١٣٥.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ٢/١٧٠.

بوَلَدِهَا))[1]، وفي بيان الداعية لرحمة الله تعالى بعباده المؤمنين (تكن معرفته تعالى معرفةً توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلُّقَ القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه، وفي ذلك لذة الدنيا والآخرة)[2].

(١) أخرجه البخاري ٥٩٩٩، ومسلم ٢٧٥٤.

(٢) انظر: الفوائد، ابن القيم، ٢٤٥.

الحديث رقم (١٨٣٥)

١٨٣٥- وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنهما، قالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأكُلُ الجَرَادَ[1].

وَفِي رِوَايَةٍ[2]: نَأكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ. متفق عليه.

ترجمة الراوي:

عبدالله بن أبي أوفى: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٥٣).

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث الموجز بعض اللمحات والإشارات التي تفيد حرص صحابة رسول الله ﷺ على أن يكونوا مع رسول الله ﷺ في العسر واليسر، والضيق والفرج، والشدة والرخاء، وأول اختبار للإنسان في مواجهته للشدائد، هو قدرته على تحمل الجوع، والاكتفاء بما يسد الرمق، فمن كثر تفكره قل مطمعه، ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه، وقالوا: لاتدخل الحكمة معدة ملئت طعامًا، ومن قل طعامه قل شرابه، وخف منامه، ومن خف منامه ظهرت بركة عمره، فإذا اكتفى الإنسان بدون الشبع حسن طيب بدنه، وصلح حال نفسه وقلبه.

وفي ضوء هذه الخصائص والسلوكيات، التي أشرقت في حياة الصحابة وهم يقتدون برسول الله ﷺ في منهجهم الحياتي، وفي بعدهم عن الإسراف في الطعام والشراب: نقرأ ما يشع به هذا الحديث الشريف من دلالات وموحيات، ونقتبس منه الفوائد والدروس والعظات النيرات، فالحديث يبدأ بصيغة الجمع المتكلم على لسان الراوي الأعلى عبدالله بن أبي أوفى، حيث يقول غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد، فالسلوك جماعي وليس سلوكًا فرديًا، وهم في جهاد وكر وفر، وإقبال وإدبار، ومجاهدة، ومغالبة، وعلى الرغم من ذلك لا يشغلون أنفسهم بألوان

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٥٢/٥٢.

(٢) أخرجه البخاري ٥٤٩٥.

الطعام، ولا أصناف الشراب، وإنما يكتفون بأكل الجراد، وهو يقيم الأود، ولكنه لا يدل على الترف والتنعم، وقوله، مع رسول الله ﷺ يفيد شرف الصحبة، وسمو القدر في ظلال هذه المعية، مع القدوة المثلى واستمدادهم العزم والشجاعة، والحمية، والعزيمة من إقدام رسول الله ﷺ، وشجاعته وزهده، وعدله، وورعه، وثباته في ساحات الوغي، وموقع جملة : نأكل الجراد، يحدد المراد، ويجلي الدرس المقصود فالجملة: في موقع الحال، وصيغة المضارع والتحدث بلسان الجمع، يفصح عن استمرار هذا الحال في هذه الغزوات، وهم راضون، صامدون، موحدون، مستبشرون، محصنين بقول الله عز وجل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم أكل الجراد: أجمع المسلمون على إباحة أكل الجراد[2].

٢- حكم أكل الجراد الميت: ذهب الحنفية، والشافعية، والحنابلة والجماهير إلى أنه يحل أكل الجراد، سواء مات بذكاة أو باصطياد مسلم أو مجوسي، أو مات حتف أنفه، سواء قطع بعضه أو أحدث فيه سبب[3].

وذهب مالك في المشهور عنه، وأحمد في رواية إلى أنه لا يحل إلا إذا مات بسبب، فإنه يقطع بعضه أو يسلق، أو يلقى في النار حيًا، أو يشوى فإن مات حتف أنفه أو في

---

(١) سورة الحج، آية: ٤٠.

(٢) المغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ١٤٢/٥.

(٣) المبسوط، السرخسي ٢٢٩/١١، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين أبي بكر الكاساني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ٣٦/٥، والمجموع شرح المهذب، الإمام النووي ٥٧٨/٢، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣.

وعاء لم يحل[١].

والراجح هو رأي جمهور الفقهاء، لإطلاق الحديث إباحة أكل الجراد المذكى وغير المذكى، والميت والحي.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: جهاد الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله وصبرهم على الشدائد.

أولاً- من وسائل الدعوة: الغزو والجهاد في سبيل الله تعالى:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قول عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، (والجهاد في سبيل الله هو استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والدعاء إلى دين الحق)[٢] (وهو من كمال الإيمان وحسن الإسلام، فيه تمحيصٌ للقلوب واختبارٌ للنفوس، وبه ينال العبد أعلى الجنان، ويقرب من عرش الرَّب الرَّحمن، وهو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين)[٣]، حث عليه الحق فقال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤] (أي هذا خير لكم في الدنيا والآخرة)[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ

---

(١) المدونة الكبرى، مالك الأصبحي ٥٣٧/١، والمغني، ابن قدامة، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ٣١٥/٩، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٠٣/١٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ١٠١، التعريفات، أبو الحسن الجرجاني، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ١١٢.

(٣) انظر: نضرة النعيم ١٥٠٥.

(٤) سورة التوبة، آية: ٤١.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥٨/٤.

وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١] (وأصل الشراء بين الخلق أن يُعَوَّضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم، أو مثلَ ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوَّض ولا يقاس به)[٢]، (فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء، فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنَّوال، فسمَّى هذا شراءً، وقوله تعالى "فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به" أي: أظهروا السرور بذلك ... قال الحسن: والله ما على الأرض مؤمن إلا يدخل في هذه البيعة "وذلك هو الفوز العظيم" أي: الظفر بالجنة والخلود فيها)[٣].

(وقد وضع الجهاد المسلمين أمام واجب مفروض، وهو الدعوة إلى الله وقتال من يصد الدعوة أو يقف في طريقها، وفي ذلك دعامة مؤثرة، لأن الحق إذا لم تسنده القوة تغلب الباطل عليه، بل إن الحق القوي يجعل الناس ينظرون إليه بفهم وإعجاب ...، وقد تعرضت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، بادعاء أن جهادها كان ظالمًا قائمًا على الاعتداء والغدر،وهذا افتراء واضح، لأن الجهاد الإسلامي لمن يكن إلا ردًا لظلم ودفعًا لعدوان، وحماية للدعاة في حياتهم وعملهم، والجهاد الإسلامي في جملته يخضع للمبدأ العام الذي يتفق مع الفطرة، ذلك هو مبدأ الدفاع وهو مبدأ ثابت)[٤]، يقول تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٥]، فقد كان الجهاد ولا يزال من أهم وسائل الدعوة إلى الله.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: جهاد الصحابة رضي الله عنهم في سبيل الله وصبرهم على الشدائد:

هذا ما يستفاد من نص الحديث في قول الراوي: (غزونا مع رسول الله ﷺ سبع

---

(١) سورة التوبة، آية: ١١١.

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/١٠٠٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/٣٩٠.

(٤) الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"، د. أحمد غلوش ص ٢٦٢.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٤.

غزوات نأكلُ الجراد)، وفي بيان جهادهم وصبرهم رضي الله عنهم على ذلك قال أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه: ((بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ. نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ. وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ. فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. قَالَ فَقُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ. ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ. فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ. وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الْخَبَطَ. ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ...))[1].

قال النووي: (وفي هذا بيان ما كان الصحابة رضي الله عنهم عليه من الزهد في الدنيا، والتقلل منها، والصبر على الجوع وخشونة العيش، وإقدامهم على الغزو مع هذه الحال)[2]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ. حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ. ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ. لَقَدْ خِبْتُ، إِذًا، وَضَلَّ عَمَلِي))[3].

قال النووي: (في قوله "الحبلة"، و"السمر"، وهما نوعان من شجر البادية، وقيل: الحبلة: ثمر العضاة..، وفي هذا بيان في طاعة الله تعالى على المشاق الشديد)[4].

ومما لا شك فيه أن جهاد الصحابة رضي الله عنهم وحرصهم على القيام به، مع ما كان بهم من ضيق عيش، لدليل على استجابتهم لأمر الله ورسوله، فضلاً عن تمثيلهم للقدوة الحسنة التي تشرئب إليها النفوس، وتقتدي بها الأجيال في نصرة ربهم وإعزاز دينهم.

---

(١) أخرجه مسلم ١٩٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٢٣٤.

(٣) أخرجه البخاري ٣٧٢٨، ومسلم ٢٩٦٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧١١.

الحديث رقم (١٨٣٦)

١٨٣٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ)). متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الإيجاز: هو تأدية المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهو كما يقول الأديب أحمد حسن الزيات غالب على أسلوب الرسول ﷺ، لأن الإيجاز قوة في التعبير، وامتلاء في اللفظ، وشدة في التماسك، وهذه صفات تلازم قوة العقل وقوة الروح، وقوة الشعور، وقوة الذهن، وهذه القوى كلها على أكمل ما تكون في الرسول ﷺ ومن هنا شاعت جوامع الكلم في خطبه وأحاديثه، حتى عدت من خصائصه ﷺ.

وهذا الحديث يجري مجرى المثل، وهو حكمة نبوية تصدر عنها أضواء الخبرة الحياتية، وتلقى بظلالها على سلوك كل مؤمن ليكتسب الوعي الراشد، والبصيرة النافذة، والفراسة المؤمنة، والفطانة الراصدة، والكياسة الناقدة.

والحديث يجسد صورة تتكرر في الحياة وتنبئ عن الغفلة التي يقع فيها السُّذَّج، ولا يتعلمون الدروس والخبرات السابقة، وفي إطار الكناية تأتي الصورة التعبيرية في هذا الحديث، فالصورة الكنائية يسكت فيها عن المعنى الحقيقي، ولا تأتي إلا بتذوق الطبقة الحسية في الكناية، حتى تتسنى معرفة المومأ إليه خلف الستار اللغوي الجمالي، والكناية ضرب من الغموض الفني الذي تحصل بعد كشفه متعة كبرى، وهي جزءٌ من الاستعارة كما يقول ضياء الدين بن الأثير، وفي هذا الحديث: استعيرت لدغة الأفعى للشر المفاجئ والصدمة العنيفة مما صار يتمثل مرئيًا في جحر الأفعى،

---

(١) أخرجه البخاري ٦١٣٣، ومسلم ٢٩٩٨/٦٣ ولفظهما سواء.

والمستعار له هو الإنسان الذي ينبغي أن يظل حذرًا، وهذه الصورة الحسية الاستعارية بطرفيها "الشر والأفعى" يراد بها الحذر، ولا يراد ما بالألفاظ الظاهرة، بل هي جسر مادي لغوي إلى الفكرة المقصودة[1].

وقيل المراد بالمؤمن الكامل، أي الذي أوقفته معرفته على غوامض الأمور حتى صار يحذرها، وقال ابن بطال: فيه أدب شريف أدب به النبي ﷺ أمته، ونبههم كيف يحذرون مما يخافون من سوء عاقبته، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النفي.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فطنة المؤمن وكياسته وعدم انخداعه مرتين.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: اتخاذ الحيطة والحذر.

أولاً- من أساليب الدعوة: النفي:

النفي من الأساليب الدعوية المهمة في إيقاف المدعوين على الحقائق، وتوجيههم إلى فعل ما غاب عنهم، وهذا ما ورد في الحديث من نفيه ﷺ في أن يخدع المؤمن من جحر واحد مرتين، وما ذلك إلا لكياسته وفطانته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فطنة المؤمن وكياسته وعدم انخداعه مرتين:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".

قال ابن هبيرة: (يروى بضم الغين على معنى الخبر، وبكسرها على معنى الأمر، قال أبو سليمان الخطابي: وهو لفظ الخبر، ومعناه الأمر. يقول: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا لا يؤتى من ناحية الغفلة في الدين والدنيا، ومبتغيات الأمر أن العبد المؤمن ينظر ما يجري له من حركاته وسكناته، أن كلها من الله سبحانه وتعالى، فإذا أيقظه مرة لشأن ما، فينبغي له أن يكون فطنًا، ولا يتعرض لإيقاظ في العذر له مرة أخرى)[2].

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٦٩.

(وقد كان سبب هذا الحديث أن النبي ﷺ أسر أبا عَزَّة الشاعر يوم بدر، فمنّ عليه، وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه، وأطلقه، فلحق بقومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، فأسره النبي ﷺ يوم أحد فسأله المنّ، فقال له النبي ﷺ: ((لاَ أَدَعُكَ تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ، وَتَقُولُ خَدَعْتُ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ))، اضرب عنقه يا زبير فضرب عنقه، قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال له رسول الله ﷺ: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ))[1].

قال النووي: (وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها، لئلا يقع فيها ثانية فالكيس الحازم الذي لا يستغفل، فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك)[2]، (ومما لا شك فيه أن الإيمان لا يتفق والغفلة، بل يقتضي الحذر والحيطة، وأن أولئك الذين يضحك عليهم ولا يتعظون بالماضي، ولا يستفيدون من التجارب، لم يكمل الإيمان بعد في نفوسهم وإن كانوا قائمين برسوم العبادة، فالمؤمن كيس حذر، من خلقه الاعتبار بكل بلاء، ولعلّ مستمد هذا الحديث من القرآن في قوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾[3]، وقوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[4]"[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: اتخاذ الحيطة والحذر:

هذا مما أكد عليه نص الحديث وسياقه. واتخاذ الحيطة والحذر هو توجيه إلهي للرسول ﷺ، وواجب يأثم المسلمون بتركه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٣/١١٠ - ١١١.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢٠.

(٣) سورة يوسف، آية: ٦٤.

(٤) سورة التوبة، آية: ١٢٦.

(٥) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي ص ١٥٧.

حِذْرَكُمْ﴾[١]، قال السعدي في ذلك: (يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعداءهم الكافرين، هذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب التي يستعان على قتالهم، ويستدفع بها مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم ومكرهم، والنفير في سبيل الله)[٢]، وقال القرطبي: (وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو في كل الأحوال)[٣].

وقال تعالى تأكيدًا لأهمية الحيطة والحذر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾[٤].

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: "ود الذين كفروا" (أي: تمنّى وأحبّ الكافرون غفلتكم عن أخذ السلام ليصلوا إلى مقصودهم، وفي هذه الآية أدلُّ دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل إلى السلامة، ويبلغ دار الكرامة)[٥].

(وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والأسوة في اتخاذ الحيطة والحذر، وذلك في جوانب الدعوة المختلفة وبكفاءة عالية كعادته، وكان ﷺ يتخذ من التدابير الأمنية والتحوطات العسكرية، ما يتفادى به إتاحة الفرصة للعدو لينال من المسلمين، أو

---

(١) سورة النساء، آية: ٧١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٥٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠٩/٧.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٧٢/٥/٣.

يباغتهم، وكان ﷺ يقظًا حذرًا قد حسب لكل شيء حسابه، ولم يقتصر في حيطته على الحذر من أعدائه وتحركاتهم العسكرية وغيرها، بل احتاط في تربية أصحابه والحفاظ على سلامتهم الفكرية والعقيدية، يشير إلى ذلك غضبه على عمر رضي الله عنه عندما رأى في يده صحيفة من التوراة وقوله له: ((أَمُتَهَوِّكُونَ[1] فِيهَا يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لاَ تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى عليه السلام كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلا أَنْ يَتْبَعَنِي))[2]. واحتاط ﷺ أيضًا من أن تتسرب إلى سلوكيات أصحابه بعضُ المنهجيات الخاطئة، والتصرفات المبتدعة، فنهى الثلاثة الذي عقدوا العزم على ترك الزواج والنوم والطعام، فخطَّ لهم منهجًا صحيحًا وقال لهم: ((هَذِهِ سُنَّتِي فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))[3].

واحتاط أيضًا في مواقف متعددة، من أن يتسرب إلى نفوس أصحابه ما يسبب انهيار معنوياتهم الجهادية والقتالية، فكان يريد إيصال الخبر السيء لهم عن طريقه، وبصياغته صياغة لا تَفُتُّ في عَضُدِ المسلمين، أو تُوهِنُ قوتهم وتخلخل صفهم. ففي غزوة الأحزاب أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة إلى بني قريظة ليتأكدوا له من صحة الخبر الذي مفاده: نقضهم العهد وانضمامهم إلى الأحزاب فقال لهما: ("الحنوا لي لحنًا أعرفه"[4] ولا تفتوا في أعضاد المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس. فلما رجعوا من عند اليهود بعد تأكدهم من غدرهم قالوا له: عَضَلٌ والقارةُ. أي كغدرهم بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: ((اللهُ أكبر، أَبْشِرُوا يَا

---

(١) قال ابن الأثير: التهوك كالتهور، وهو: الوقوع في الأمر بغير رويّة. والمتهوك: الذي يقع في كل أمر. وقيل: هو التحير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (هـ و ك).

(٢) أخرجه أحمد ٣/٣٨٧، رقم ١٥١٥٦، وقال محققو المسند: إسناده ضعيف لضعف مجالد ٢٣/٣٤٩، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١/٤٥٨.

(٣) أخرجه البخاري ٥٠٦٣.

(٤) قال ابن الأثير: الحنوا لي لحنًا أعرفه: أي أشيروا إليّ ولا تفصحوا، وعَرِّضوا بما رأيتم، النهاية في غريب الحديث والأثر في (ل ح ن).

مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ))[١])[٢].

بل كان من عظيم حيطته ﷺ وحذره في ذلك، أن أرسل حذيفة بن اليمان ليعلم خبر قريش، فعن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: ((كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ. فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذٰلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ[٣]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا. فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. ثُمَّ قَالَ: أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَسَكَتْنَا، فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ. فَقَالَ: قُمْ. يَا حُذَيْفَةُ! فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا، إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي، أَنْ أَقُومَ. قَالَ: اذْهَبْ. فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[٤]، حَتَّى أَتَيْتُهُمْ. فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ: وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ. فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، ... إلخ))[٥].

قال النووي: (وفي هذا الحديث أنه ينبغي للإمام وأمير الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو والله أعلم)[٦]، وما ذلك إلا لكمال الحيطة والحذر.

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٣٧-٣٨، السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٢٢٢.

(٢) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٩٢-٩٣.

(٣) قر: بضم القاف هو البرد، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٤٥.

(٤) كأنما أمش في حمام: يعني أن حذيفة رضي الله عنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا من تلك الريح الشديدة شيئًا، بل عافاه الله منه ببركة إجابته للنبي ﷺ وذهابه به فيما وجهه له، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٤٦.

(٥) أخرجه مسلم ١٧٨٨.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٥٨.

(وكان من حيطته ﷺ وحذره أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود وخطهم، من أجل أن يكتب له كتبه التي يوجهها إليهم، ويقرأ عليه كتبهم التي يرسلونها له، لأنه ﷺ لا يطمئن لترجمة اليهود ولا لكتابتهم له، خشية إضافتهم ما لا يرضاه أو تحريفهم لما يقرأونه عليه.

فعن زيد بن ثابت ((أنَّ النبيَّ ﷺ أَمَرَهُ أن يتعلمَ كتابَ اليهود ، حتى كتبتُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم كتبَهُ، وأقرَأتُهُ كتبهم إذا كتبوا إليه))[1] وفي رواية: ((أمرني رَسُولُ الله ﷺ فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَ يَهُودَ، وقالَ: إنِّي والله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي فَتَعَلَّمْتُهُ فلَمْ يَمُرُّ بِي إلاَّ نِصْفَ شَهْرٍ حَتَّى حَذَقْتُهُ فَكُنْتُ أكْتُبُ لَهُ إذَا كَتَبَ، وَأَقْرَأَ له إذَا كُتِبَ إلَيْهِ))[2].

وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكرنا. والذي نستفيده مما تقدم أن الرسول ﷺ استخدم جانب الحيطة والحذر كسبب من أسباب النصر والنجاح، وسبب من أسباب تجنب ضرر العدو، حيث لم يُفاجأ بحادثةٍ أو غارة لشدة حذره ويقظته، كما وإن هذا الأسلوب هو سبب مباشر في نجاح خطته وتحركاته، وعامل من عوامل إفشال خطط العدو وإجهاضها)[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٩٥.

(٢) أخرجه أبوداود ٣٦٤٥، وقال الألباني حديث حسن صحيح (صحيح سنن أبي داود ٣٠٩٨).

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ٩٥-٩٦.

الحديث رقم (١٨٣٧)

١٨٣٧- وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلاَةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً سِلْعَةً بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ[1] بِاللهِ لأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فضل ماء: زائد عن حاجته[3].

الفلاة: الأرض التي لا أنيس بها[4].

بايع إمامًا: عاهده وعاقده على طاعته وإخلاصه له[5].

الشرح الأدبي

إن المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، وكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وهذا الحديث ينزع إلى ترسيخ العلاقة بين أبناء الأمة الإسلامية.

لذلك نراه يعرض ثلاثة نماذج سلبية تنأى عن منهج الإسلام الصحيح، والصياغة اللغوية تفصح عن إدانة هذه النماذج التي عرض لها رسول الله ﷺ في أسلوب عربي مبين، وبيان جمالي فائق.

---

(١) عند مسلم زيادة: (له).

(٢) أخرجه البخاري ٢٣٥٨، ومسلم واللفظ له ١٠٨/١٧٣. أورده المنذري في ترغيبه ٢٦٦٦.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ف ض ل).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ب ي ع).

فمطلع الحديث فيه تشويق وبراعة استهلال وإيجاز وإيحاء وذلك في قوله: "ثلاثة" ، ثم وصف هؤلاء الثلاثة بأربع صفات تحدد مصيرهم، وملامح عقابهم يوم القيامة، وهذه الصفات تشد المستمع وتؤثر في المتلقي، وتدفعه للسؤال: مَنْ هؤلاء الثلاثة؟، وما هي السيئات التي اقترفوها؟.

وفي قوله: ثلاثة: إيجاز، والتقدير: أصناف ثلاثة من الناس.

والجمل التي وصف بها هؤلاء تتسم بالتوازي الأسلوبي، والتنسيق التركيبي، فكلها يتصدرها حرف النفي "لا" وكلها أفعال مضارعة تبدأ بالياء، وكلها متصلة بضمير الجمع الغائب: هم، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا.

وهذا التوافق في الصياغة يحدث إيقاعًا وانسجامًا وتأثيرًا صوتيًا ودلاليًا ونفسيًا ينتبه له السامع.

والجملة الرابعة، صيغت في قالب الجملة الاسمية "ولهم عذاب أليم" للدلالة على ثبات العذاب ورسوخه.

وتقديم الجار والمجرور "لهم" يفيد وقوع العذاب عليهم، وأنهم يستحقون ذلك، ولن يتجاوزهم، والمراد من قوله "لا يكلمهم الله"، أي: كلام بر وإلطاف، وكذلك "لا ينظر الله إليهم"، نظر رحمة وإسعاف، والمراد من قوله: "ولا يزكيهم" أي: لا يطهرهم من الذنوب.

والنموذج الأول: وصف بأنه يمنع الماء عن ابن السبيل وهو ظامئ بالصحراء، وهذا الماء زائد عن حاجة صاحبه، وقوله: "فضل ماء"، وتحديده بالفلاة، ووصفه بالمنع، والممنوع عنه تائه لا زاد له ولا ماء: وهو ابن السبيل، هذه المحددات تضاعف من حجم الجرم، وتصور الشح والبخل، وبالتالي يتضاعف العقاب المنصوص عليه.

وكذلك في النموذج الثاني: الذي يتصف بالكذب والخداع، نجد مؤثرات لغوية: وذلك في قوله: "بايع" للدلالة على المشاركة، والباء في "بسلعة" مزيدة للتأكيد، وقوله: "بعد العصر" تحديدًا لهذا الوقت لشرفه باجتماع ملائكة الليل والنهار فيه، وخص لعظم الإثم فيه، وأسلوب القصر في النموذج الثالث في قوله "لا يبايعه إلا لدنيا"، يؤكد

عدم الإخلاص في البيعة، فقد قصرها على المطامع والمكاسب الدنيوية، وأسلوب الشرط في الجملتين الأخيرتين يجلى هذه البيعة المرذولة، ويكشف نية المبايع المدخولة، حيث يقول: "فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف"، وكرر مادة العطاء، ولفظ: "منها" للإفصاح عن رغبة المبايع وطمعه في العطاء الدنيوي، وهذه النماذج المرفوضة جزاؤها: أن الله لا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- بيان غلظ تحريم منع فضل الماء من ابن السبيل وشدة قبحه، فإذا كان من يمنع فضل الماء للماشية عاصيًا، فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم، فلو كان ابن السبيل غير محترم كالحربي، والمرتد لم يجب بذل الماء له[1].

٢- فيه دلالة على أن صاحب البئر أولى من ابن السبيل عند الحاجة، فإذا أخذ حاجته لم يجز منع ابن السبيل[2].

٣- في الحديث وعيد شديد في نكث البيعة، والخروج على الإمام لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من منع الناس الماء وخطر ذلك يوم القيامة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف الكاذب والخداع في البيع.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من مبايعة الإمام لغرض دنيوي.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٩١٧/٢، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/١٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/٥.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢٤٦/١٣.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإجمال والتفصيل:

الإجمال والتفصيل من الأساليب الدعوية المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم، لمعرفة ما يعقب الإجمال من تفصيل، وهذا ما ورد في الحديث من إجماله ﷺ في قوله: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم"، ثم إعقابه ﷺ بتفصيل ذلك في قوله: "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل... إلخ". (وقد ورد الإجمال والتفصيل كأسلوب بلاغي رفيع في القرآن الكريم في عدد من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[1] فتتشوق النفوس، وتتطلع الأفئدة لمعرفة ذلك الميثاق، وسرعان ما يأتي البيان والتفصيل في آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2])[3].

وفي ذلك بيان لأهمية الإجمال والتفصيل، كأسلوب دعوي في إيصال المعنى كاملاً إلى أذهان المدعوين بعد لفت انتباههم.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من منع الناس الماء وخطر ذلك يوم القيامة:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم -ثم ذكر ﷺ من ذلك-: "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل"، قال النووي: (معنى لا يكلمهم، أي: لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب. وقيل: المراد: الإعراض عنهم. وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى لا يزكيهم: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، وقال الزجاج وغيره: معناه: لا يثني عليهم، ومعنى عذاب أليم: مؤلم، قال الواحدي: هو

---

(١) سورة البقرة، آية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٨٣.

(٣) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر، ٥٣.

العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه، قال: والعذاب كل ما يعي الإنسان ويشق عليه. قال وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع، يقال: عذبته عذبًا إذا منعته، وعذب عذوبًا أي امتنع، وسمى الماء عذبًا لأنه يمنع العطش، فسمي العذاب عذابًا لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله، والله أعلم)[1].

وقد كان هذا الترهيب والعذاب العظيم لثلاثة أصناف من المدعوين، منهم "رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل".

قال ابن هبيرة: (يعني أنه بالفلاة التي هي غير مملوكة، لأن حكم ما في الأرض المملوكة يخالف حكم غيره؛ لأن لصاحب الأرض المملوكة أن يمنع الدخول إليها، فإذا كان في فلاة فليس لأحد أن يتخصص به، وعلى هذا لم يمنع هذا بأن يأخذ حاجته من ابن السبيل المحتاج إليه؛ فكان هذا قد منع فاضلاً عن حاجته إنسانًا محتاجًا إلى ذلك الفاضل)[2].

(والمراد بابن السبيل: المسافر المحتاج إلى الماء)[3]، قال النووي: (ولاشك في غلظ تحريم ما فعل وشدة قبحه، فإذا كان من يمنع فضل الماء للماشية عاصيًا فكيف بمن يمنعه الآدمي المحترم؟)[4] (لكن يستثنى منه الحربي والمرتد إذا أصرا على الكفر فلا يجب بذل المال لهما)[5]، وقد حث النبي ﷺ على بذل المال وعدم منعه، فقال ((الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الْمَاءِ وَالْكَلأِ وَالنَّارِ. وَثَمَنُهُ حَرَامٌ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: يَعْنِي الْمَاءَ الْجَارِيَ))[6] وعنه ﷺ أنه قال: ((ثَلاَثٌ لاَ يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ وَالْكَلأُ وَالنَّارُ))[7] (والناظر في هذه الأشياء يجد أن النبي ﷺ يجمع بينها من أجل أنها أشياء ضرورية

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٧/٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢١٥/١٣.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٢١٥/١٣.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٢، وصححه الألباني دون قول وثمنه حرام (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٤).

(٧) أخرجه ابن ماجه ٢٤٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٠٠٥).

لجميع الناس في عهده ﷺ وأنه لا يتوقف وجودها ولا الانتفاع بها على مجهود خاص، وإذا كانت الضرورات في حياة الناس تختلف باختلاف الزمان وباختلاف المجتمعات، فإنه لا يوجد ما يمنع من أن يقاس على هذه الأشياء أشياء أخرى، تتوافر فيها صفاتها، وهذا ما فعله الأئمة المجتهدون في الأمة الإسلامية، عندما قاسوا على هذه الأشياء أمورًا أخرى من أهمها المعادن - سواء أكانت صلبة أم سائلة- والنفط "البترول" والقار والكبريت والياقوت وأشياء أخرى)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الحلف الكاذب والخداع في البيع:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ورجل بايع رجلاً سلعة بعد العصر فحلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك"، (واليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، هي اليمين الغموس التي يقصد بها الغش والخيانة، فصاحبها يحلف على الشيء وهو يعلم أنه كاذب، وهي كبيرة من الكبائر، ولا تنعقد هذه اليمين، ولا كفارة فيها؛ لأنها أعظم من أن تكفر، ولأنها يمين غير منعقدة، فلا توجب الكفارة كاللغو. وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع الحقوق وسميت هذه اليمين غموسًا لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في نار جهنم عياذًا بالله. ودليل حرمتها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[2] ولحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ((الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدَين، وقتلُ النفسِ، واليمين الغموسُ))[3])[4].

وفي بيان اختصاص وقت العصر بحرمة الحلف الكاذب في البيع قال ابن هبيرة: (وقوله: "رجل بايع رجلاً بعد العصر"، وتلك هي الصلاة الوسطى التي أمر بالمحافظة

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام، د. فتحي أحمد عبدالكريم، د. أحمد العسال، ٦٦-٦٧.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٢٩٨.

(٤) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، ٣٨٨.

عليها، وذلك الوقت وقت فراغ أصحاب الأعمال، واجتماع الأندية وشهود الناس، فإذا حملت إنسانًا جرأته على الله تعالى أن يحلف به كاذبًا في مشهد من المسلمين؛ فقد تعرض لسخط الله)[1].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت، لأن الله عظّم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها، فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤًا، فإن تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر)[2].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من مبايعة الإمام لغرض دنيوي:

(الإمام هو من يؤم الناس ويقتدى به في أمور الدين والدنيا، والمراد به هنا إمام المسلمين وحاكمهم)[3]، قال الماوردي: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا... وهي نظام واجب بالإجماع، يقيمه بعضهم على العقل، وذلك لأنه لولاه لكان الناس فوضى مهملين، وهمجًا ضائعين، ويقيمه بعضهم على الشرع دون العقل، وذلك لأن أول اختصاص للخليفة حفظ الشرع، فتعيّن الإمام واجب حتم على الجماعة الإسلامية)[4]، ومبايعته من أجل مال ودنيا دون ملاحظة المقصود الأسمى والغاية العظمى في ذلك، يكون به إثارة الفتنة، وتفريق وضياع الأمة، واستحق من يفعل ذلك شدة العذاب وبؤس العقاب، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". ثم ذكر ﷺ من ذلك "ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف".

قال ابن هبيرة: (وقوله: "بايع إمامًا لدنيا" يعني: لأجل دنيا، فهو ينوي وقت بيعه أنه إن أعطاه من الدنيا وفى له، وإن لم يعطه منها لم يف له؛ فذلك الذي لا ينظر الله إليه، فأما

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٧/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢١٥/١٣ - ٢١٦.

(٣) القيادة والجندية في الإسلام، القسم الأول: "القيادة"، د. محمد السيد الوكيل، ص ٢٤.

(٤) انظر: الأحكام السلطانية ٥.

إذا بايعه قاصدًا بذلك الحق، وجمع كلمة الإسلام؛ فإنه لم يبق له خيار أعطاه أو منعه.

وفي هذا الحديث ما يدل على أن مبايعة الإمام ينبغي ألا تكون راجعة إلى الدنيا؛ بل إلى مصلحة الدين.

وفيه أيضًا: أنه لا يحل لأحد أن يغدر بمن يُبايعه؛ لأن المبايعة مفاعلة لا تكون إلا بين الاثنين؛ فإذا بايع الإنسان فقد بايع طاعته ونصره بثواب الله عز وجل، والمبايعة كحبل له طرفان: أحدهما في الدنيا، والآخر في الآخرة. فالإمام نائب عن رسول الله ﷺ، فإذا بايعه الناس فقد باعوه أنفسهم، يجاهدون بها في سبيل الله بين يديه، وأعطوه مقادتهم، وولوه أمرهم، وكان ثمن ذلك الجنة من الله سبحانه وتعالى، فعلق الرهن، وانعقد العقد، ولم يبق لعاقده فكاك منه في هذه الحياة الدنيا)[1].

وفي بيان سبب استحقاق الوعيد لمن بايع إمامًا لدنيا قال النووي: (وأما الذي بايع الإمام بالصفة المذكورة، فمستحق هذا الوعيد، لغشه المسلمين وإمامهم، وتسببه إلى الفتن بينهم بنكثة بيعته، لا سيما إن كان ممن يقتدى به والله أعلم)[2].

وقال ابن حجر: (قال الخطابي: وفي الحديث وعيد شديد في نكث البيعة والخروج على الإمام، لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، والأصل في مبايعة الإمام أن يبايعه على أن يعمل بالحق، ويقيم الحدود، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمن جعل مبايعته لمال يعطاه دون ملاحظة المقصود في الأصل، فقد خسر خسرانًا مبينًا، ودخل في الوعيد المذكور، وحاق به إن لم يتجاوز الله عنه، وفيه أن كل عمل لا يقصد به وجه الله، وأريد به عرض الدنيا، فهو فاسد، وصاحبه آثم)[3].

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٢.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٢٣٦.

الحديث رقم (١٨٣٨)

١٨٣٨- وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: ((بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ)) قالوا: يَا أبَا هُرَيْرَةَ أرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قالَ: أبَيْتُ، قَالُوا: أرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أبَيْتُ. قالُوا: أرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أبَيْتُ. ((وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإنْسَانِ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، (ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ)[1])). متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أبيت: امتنعت عن القول بتعيين ذلك[3].

البقل: نباتٌ يتغذى به الإنسان[4].

عجب الذنب: العظم الذي في أسفل الظهر عند العجز[5].

الشرح الأدبي

يجيء هذا الحديث في قالب حواري مشوق، والحوار بين أبي هريرة رضي الله عنه وبعض الصحابة، ولم يحددهم الحديث لأن العبرة هنا بمعرفة بعض أخبار إرهاصات يوم القيامة، وهذا شأن يهم كل مسلم للاتعاظ والعبرة، والاستعداد ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون: إلا من أتى الله بقلب سليم، والتقديم والتأخير في قوله: بين النفختين أربعون، للتنبيه والإيقاظ: وللتساؤل عن النفختين ما هما: وما هي الأربعون: وكل ذلك لإيقاظ الحاسة الإيمانية لدى كل مسلم: حتى يتعرف على مشاهد يوم القيامة، ففي ذلك عبرة

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٤٩٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٤٨١٤، و٤٩٣٥، ومسلم ٢٩٥٥/١٤١.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٤١٤/٨.

(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ب ق ل).

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ع ج ب).

لأولي الألباب، والنفختان هما: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وفي ذلك إشارة إلى الآية التي وردت في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1].

ومن جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الحواري: النداء والاستفهام في قول الصحابة يا أبا هريرة: أربعون يومًا أي أأربعون يومًا، وحذفت الهمزة للإيحاء باللهفة والتسرع والتشوق لمعرفة نوعية الأربعين.

والتكرار في صيغة السؤال مع تكرار إجابة أبي هريرة رضي الله عنه: حيث قال: أبيت، ثلاث مرات، وهم يعيدون عليه السؤال: أربعون يومًا، أربعون شهرًا، أربعون سنة، هذا التكرار يكشف عن حرص الصحابة على معرفة حقيقة تمييز العدد، ومعرفة الزمن الذي يكون بين النفختين، ولكن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: أبيت، ومادة أبى اللغوية تفيد الامتناع والإصرار على ذلك بدافع الورع والخشية: لأنه لا يعلم ذلك إلا الله، وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون، وقال بعض العلماء: إنها أربعون سنة.

والجزء الثاني من الحديث: يسيطر عليه الأسلوب الخبري: للتوضيح والتفصيل، وقدم الفعل يبلى، للإفادة بأن البلى والفنا هما مصير الإنسان، حتى لا يتوهم أنه من الخالدين، وتغره الأماني، ويغره الشيطان الرجيم، والاستثناء في قوله: إلا عجب ذنبه: للإفادة بأنه سيبقى: أول ما يخلق من الآدمي، وهو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب: وهو رأس العصعص.

والصورة التشبيهية في ختام الحديث لتقريب الحقيقة إلى الأفهام.. وهي توضح كيف يعيد الله الخلق: يقول تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[2]، فرأس العصعص هو الخلية التي تبقى ليعود الإنسان من خلالها كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[3].

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٩.

(٣) سورة نوح، الآيتان: ١٧، ١٨.

وما أدق هذه الصورة وما أوفاها: ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، قال ابن فارس: البقل: هو كل نبات: اخضرت به الأرض.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح وعدم الخوض فيما لا يعلم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للنفختين وما بينهما.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن فناء كل جسم الإنسان إلا عجب الذنب ثم إنباته ثانية.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح وعدم الخوض فيما لا يعلم:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في بيانه ﷺ لما بين النفختين من أربعين، وأن كل إنسان يبلى منه كل شيء إلا عجب الذنب، فيه يركب الخلق، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، (وقد أمر الله تعالى الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس وأن يقولوا لهم في أنفسهم قولاً بليغًا، قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، قال الطبري: (هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم، فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله، فيكون من المتكلفين، كان يُقَالُ: مَثَلُ علم لا يقال به، كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج، كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب. وكان يقول: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع، هذا رجل علم علمًا فعلمه، وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيرًا فحفظه ووعاه، وانتفع به)[2].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾[3]، ولا يكون البيان على كماله إلا بالإيضاح الوافي، ولا يكون الكلام بليغًا إلا إذا كان واضحًا للنفوس المخاطبة[4]،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٩٦/٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش ص ٢٦ - ٢٧.

ويجب على الداعية عدم الخوض فيما لا يعلم وامتناعه عن الكلام فيه، وهذا ما ظهر في الحديث من (امتناع أبي هريرة رضي الله عنه من تفسير الأربعين بسنة أو شهر أو يوم، وقوله "أبيت" عند سؤالهم إياه عن ذلك في المرات الثلاث؛ فإن قوله "أبيت" إخبار عن نفسه بالإباء، ولعله: أبيت أن أخبر بشيء أنا على غير يقين منه، وليس هذا مما خصَّصتكم به الآن، وإنما هو عادتي من قبل ألا أذكر إلا بما أتيقنه)[1]، وقال ابن حجر: (أي: امتنعت عن القول بتعيين ذلك لأنه ليس عندي في ذلك توقف)[2]، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3]، قال ابن كثير: (قال قتادة: أي: لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ للنفختين وما بينهما:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "بين النفختين أربعون" قال القرطبي: (يعني: نفختي الصعق والبعث، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[5])[6] (والصور: قرن من نور ينفخ فيه، النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء ...، والأمم مجمعة على أن الذي ينفع في الصور إسرافيل عليه السلام)[7] وقد أكد النبي ﷺ على نفختي الصعق والبعث فقال: ((ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ. فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا. قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرْسِلُ

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٩/٦.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٤/٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٧٥/٥.

(٥) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٦/٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٧٩/١٥/٨.

اللَّهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ (نُعْمَانُ الشَّاكُّ) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ))[1]. وقال القرطبي في قوله تعالى "فإذا هم قيام ينظرون" (أي: فإذا الأموات من أهل الأرض والسماء أحياء بعثوا من قبورهم، وأعيدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون. وقيل: قيام على أرجلهم ينظرون إلى البعث الذي وعدوا به، وقيل: هذا النظر بمعنى الانتظار؛ أي ينتظرون ما يفعل بهم)[2].

وقد بيّن النبي ﷺ أن بين النفختين أربعين، فقالوا: يا أبا هريرة! أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، وفي بيان ذلك قال النووي: (معناه: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنة أو شهر، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة)[3].

وقال ابن هبيرة: (فإن الأظهر في قوله ﷺ "ما بين النفختين أربعون" أن تكون سنين لا أيامًا ولا شهورًا، فإن النفخة من جملة آيات الله سبحانه؛ لأن أضعف ما يكون من بطش الآدمي هو النفخ، فأعلمنا رسول الله ﷺ بما نعرفه فيما بيننا أن أضعف ما ترون من بطش الآدمي أن ينفخ، فهذه النفخة يموت بها الخلق كلهم، ثم ينفخ أخرى في الموتى بأسرهم، ردًا بذلك على من زعم أن الموت أو الإحياء يكون من تأثيرات الطبع، فلما أميت الخلائق بالنفخ، وأحيوا بالنفخ، استدل بذلك المؤمنون على بطلان ما زعمه الطبائعيون، وهذا أمر يراه الكفار يوم القيامة رؤيا عين، فيصدقون به حين لا ينفعهم تصديقهم.

... إلا أنا إن صرفنا ما بين النفختين إلى أربعين سنة؛ فإنه من حيث إن بلوغ الإنسان أشده يكون في أربعين سنة كما قال الله عز وجل[4]، وإن قدرناه باليوم فالحديث

---

(١) أخرجه مسلم ٢٩٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣١٣/١٨.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٤) ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [سورة الأحقاف، آية: ١٥].

الصحيح: ((يُجمَعُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا، ثم عَلَقةً مِثلَ ذلك))[١] فكل طور من الأطوار أربعون يومًا)[٢].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ عن فناء كل جسم الإنسان إلا عجب الذنب ثم إنباته ثانية:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ: "ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب الذنب فيه يركب الخلق ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل"، قال ابن هبيرة: (وأما عجب الذنب، فهو العظم الذي يجد اللامس سنه في وسط الوركين، وهو العصص)[٣]، وقال النووي: (أي: العظم اللطيف في أسفل الصلب وهو: رأس العصعص ويقال له عجم بالميم وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه)[٤]، وقد أكد النبي ﷺ على ذلك فقال: ((كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ. مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ))[٥]، قال النووي: (وهذا مخصوص فيخص منه الأنبياء عليهم السلام فإن الله حرم على الأرض أجسادهم)[٦].

وقد ألحق "القرطبي"[٧] بهم المؤذن المحتسب لقوله ﷺ ((المؤذِّنُ المحتَسِبُ كالشَّهيدِ المتَشَحِّطِ في دَمِهِ، وإنْ ماتَ لم يُدَوِّدْ في قَبْرِهِ))[٨].

وقد اجتهد العلماء في معرفة الحكمة من إبقاء عجب الذنب. فقال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢١، ٣٠٣٦، ٧٠١٦، ومسلم ٢٦٤٣.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٤٨/٦-٣٤٩.

(٣) المرجع السابق ٣٢٨/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٩٥٥.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٠٦.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٧/٧.

(٨) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٥٥٤/١٢. قال الهيثمي في المجمع ٣/٢. وفيه محمد بن الفضل القسطاني ولم أجد من ذكره.

العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء الإنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص، ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد، وقوله في الحديث: "ويبلى كل شيء من الإنسان"، يحتمل أن يراد به يفنى أي تعدم أجزاؤه بالكلية، ويحتمل أن يراد به يستحيل فتزول صورته المعهودة فيصير على صفة جسم التراب، ثم يعاد إذا ركبت إلى ما عهد)[1].

وهذا ما بينه النبي ﷺ في نص الحديث من قوله ﷺ: "ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل" قال القرطبي: (وقوله: "ثم يُنزل الله من السماء ماءً" يعني به بعد نفخة الصعق ينزل هذا الماء الذي هو "كمني الرجال"[2]، فتتكون فيه الأجسام بقدرة الله تعالى، وعن ذلك عبّر بقوله: فينبتون كما ينبت البقل، فإذا تهيَّأت الأجسام، وكملت، نفخ في الصور نفخة البعث، فخرجت الأرواح من المحال التي هي فيها. قال بعضهم: فتأتي كل روح إلى جسده فيحييها الله تعالى، كل ذلك في لحظة، بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[3])[4].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤١٥/٨.

(٢) أخرجه مسلم ٢٩٤٠.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ٣٠٦/٧.

الحديث رقم (١٨٣٩)

١٨٣٩- وعنه، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رسولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: **أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**)) قال: هَا أنا يَا رسُولَ اللهِ. قال: ((**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**)) قال: كَيفَ إِضَاعَتُهَا؟ قال: ((**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

وُسِّدَ: أسند[2].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث حوارًا في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ وقد كانت مجالسة ﷺ مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، ولذلك كانت تلك المجالس توجب أصحابه رقة القلوب، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

وهذا المجلس مشهد من مشاهد السيرة النبوية الجليلة، والمشهد يبدأ بوصف الراوي لمجيء الأعرابي وقت حديث رسول الله ﷺ للقوم، وانشغاله بذلك، ولم يستأذن الأعرابي لبداوته وغلظته: وكلمة: "أعرابي": توحي بذلك، ولم يقل جاءه رجل، لأن الأعرابي لم يألف عادات الحضر، ولم يتعود على الاستئذان والانتظار، وقد اقتحم المجلس وقال: متى الساعة؟ ومن أدب الحوار، وأدب السؤال أن يظل المرء صامتًا مصغيًا حتى ينتهي المتحدث من حديثه، ثم يسأل، والأعرابي لم يفعل ذلك، ومن هنا ندرك سر

---

(١) برقم ٥٩.

(٢) لسان العرب، ابن منظور في (و س د).

إعراض الرسول ﷺ عنه، وهذا يتضح جليًا في قوله الراوي في صيغة إخبارية فمضى رسول الله ﷺ يحدث، وجملة يحدث: في موقع الحال: وهي كذلك في بداية الحديث: "يحدث القوم" تصف حالة الرسول ﷺ وهو في مجلسه مشغول بحديث الذكر والعبادة، وتعليم المسلمين ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وينبثق حوار جانبي بين الجالسين من خلال هذا المشهد تفسيرًا لهذا الإعراض، فقال بعضهم: سمع ما قال: فكره ما قال: وفي هذا الكلام إيجاز حيث حذف الفاعل من الأفعال الأربعة، والتقدير سمع رسول الله ﷺ ما قال الأعرابي، وكره رسول الله ﷺ ما قال الأعرابي، والحذف هنا يقتضيه المقام للعلم بالسامع والقائل، وكذلك لأن المقام لا يناسب كثرة الكلام، فالإصغاء إلى رسول الله ﷺ واجب شرعي، وقال بعضهم بل: وهي للإضراب عن التفسير السابق، وقالوا: لم يسمع، ويطل المشهد الثالث في هذا المجلس العامر: ويتأكد لدى الصحابة أن رسول الله ﷺ سمع، ولذلك قال بعد أن انتهى من حديثه: أين السائل عن الساعة، وفي ذلك تلطف من رسول الله ﷺ، وحسن معاملة، وقوله: ها أنا: للتنبيه عن نفسه، والنداء في قوله: يارسول الله للإفصاح عن تقديره لرسول الله ﷺ والاعتراف والإقرار بالرسالة، وعدم تشككه، ولكن السؤال حقيقي حتى يعرف ويفهم ما استغلق عليه.

وتأتي إجابة رسول الله ﷺ شافية كافية: فهو لم يحدد زمن قيام الساعة لأن ذلك علمه عند الله، وإنما ذكر بعض أمارات قيام الساعة، ومنها: تضييع الأمانة، وجاء ذلك في قالب الشرط والجواب، وأداة الشرط "إذا" وهي للتحقق، أي وقت أن تضيع الأمانة تضييعًا حقيقيًا، وقوله: "فانتظر" يوحي بأن ذلك من أمارات قيام الساعة، ويتسع صدر رسول الله ﷺ لمزيد من تساؤل الأعرابي، حين يقول: كيف إضاعتها؟ ويعيد رسول الله ﷺ الأسلوب الشرطي في إجابته مع أداة الشرط إذا فيقول: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة، وتكرار قوله "فانتظر الساعة"، للتأكيد على أن هذه الأمارات من الإرهاصات والنذر الحقيقية لقيام الساعة، والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه، فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة، وأما المتعلم فلما تضمنه من أدب السائل أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره، لأن حق الأول مقدم[١].

٢- أخذ الدروس على السبق وكذا الفتاوى والحكومات وغيرها[٢].

٣- مراجعة العالم إذا لم يفهم ما يجيب به حتى يتضح[٣].

٤- فيه إشارة إلى أن العلم سؤال وجواب[٤].

٥- أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عبادة وفرض عليهم النصيحة لهم، فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين، فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها[٥].

المضامين الدعوية

أولاً: من ميادين الدعوة: المجالس.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان آداب العالم والمتعلم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة تضييع الأمانة.

أولاً- من ميادين الدعوة: المجالس:

هذا ما ورد في الحديث من قول أبي هريرة رضي الله عنه: (بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم)، فالمجالس من أهم الميادين الدعوية، في تحقيق الاتصال بين المسلمين

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٨.

(٤) المرجع السابق ١/١٧٩.

(٥) المرجع السابق ١١/٣٩١.

بعضهم بالبعض الآخر، لتوثيق الأخوة الإسلامية، وتقوية روابطها بين أفراد الأمة الواحدة، فضلاً عن إمكانية استغلالها في الدعوة من خلال التذكير بقيم الدين وشرعه، والتذكير بنعم الله سبحانه وتعالى[1]، فحري بالدعاة أن يجعلوها طريقًا للإرشاد والدعوة إلى الله، وفي ذلك عظيم الأجر والفلاح.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان آداب العالم والمتعلم:

يستفاد هذا من قول أبي هريرة رضي الله عنه: "بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث ...، حتى إذا قضى حديثه قال: أين السائل عن الساعة؟ .. إلخ"، وقد أفرد البخاري لهذا الحديث "باب منْ سُئِلَ عِلْمًا وهو مُشتغلٌ في حديثه فأتمَّ الحديثَ ثُمَّ أجابَ السائل". قال ابن حجر: (وذلك محصلة التنبيه على أدب العالم والمتعلم، أما العالم فلما تضمنه من ترك زجر السائل، بل أدبه بالإعراض عنه أولاً حتى استوفى ما كان فيه، ثم رجع إلى جوابه فرفق به لأنه من الأعراب وهم جفاة. وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يكن السؤال متعينًا ولا الجواب، وقد بين ابن حجر أن السؤال إن كان من الأمور التي ليست معرفتها على الفور مهمة فيؤخر الجواب كما في هذا الحديث، ولا سيما إن كان ترك السؤال عن ذلك أولى ...، أما إن كان السائل به ضرورة ناجزة فتقدم إجابته، كما في حديث أبي رفاعة عند مسلم ((أنه قال للنبي ﷺ وهو يخطب: رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ. لاَ يَدْرِي عنْ دِينُهُ، فتَرَكَ خُطْبَتَهُ وأتى بِكُرْسِيَ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يُعَلِّمُه، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا))[2].

أما المتعلم فقد بين ابن حجر أن من آدابه أن لا يسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم)[3]، وكان من الآداب المتعينة على المتعلم والمستنبطة من نص الحديث هو تعظيم (العالم وتوقيره، فقد قيل: ما وصل من وصل إلا بالحرمة، وما سقط من

---

(١) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، الهجاري ص ٢١٦ - ٢٢٨.

(٢) أخرجه مسلم ٨٧٦.

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧١-١٧٢.

سقط إلا بترك الحرمة - أي احترام العالم والعلم، قال علي بن أبي طالب ﷺ: أنت عبد من علمك حرفًا واحدًا، إن شاء باع، وإن شاء أعتق، وإن شاء استرق ثم أنشد:

رأيتُ أحقَّ الحقِّ حقَّ المعلِّمِ ... وأَوجبهُ حِفظًا على كلِّ مسلمِ

لقد حَقَّ أنْ يُهدَى إليهِ كرامةً ... لِتَعْليمِ حَرْفٍ واحدٍ ألفُ درهمِ

ومن توقير العالم ألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، قال الشاعر:

إنَّ المعلمِ والطبيبَ كلاهُما ... لا يَنصحانِ إذا هُما لم يُكرمَا

فاصبرْ لدائِكَ إنْ جفوتَ طبيبهُ ... واقنعْ بجهلِكَ إن جفوت معلمًا

وحكى أن الخليفة هارون الرشيد: بعث ابنه إلى الأصمعي ليعلمه العلم والأدب، فرآه يومًا يتوضأ ويغسل رجله، وابن الخليفة يصب الماء على رجله، فعاتب الأصمعي في ذلك بقوله: إنما بعثته إليك لتعلمه وتؤدبه، فلماذا لم تأمره بأن يصب الماء بإحدى يديه، ويغسل بالأخرى رجلك؟)[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: من أشراط الساعة تضييع الأمانة:

هذا ما ورد في نص الحديث من قوله ﷺ: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"، والأمانة لغة: ضد الخيانة[2]، وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3]، وقد بين النبي ﷺ كيف ترفع الأمانة من القلوب، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها: فعن حذيفة ﷺ قال: حدَّثنا رسولُ اللّه ﷺ حديثين رأيتُ

---

(١) انظر: تعليم المتعلم طرق التعليم، الزرنوجي، ١٠٦-١٠٧.

(٢) لسان العرب، ابن منظور ٢١/١٣ - ٢٢ مختصرًا.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٧٢.

أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر، حدَّثنا أن الأمانةَ نزلت في جَذر[١] قلوبِ الرجال، ثمَّ علموا منَ القرآن، ثم علموا من السُّنَّة، وحدَّثنا عن رفعِها قال: ((يَنامُ الرجلُ النَّومة فتُقبضُ الأمانةُ من قَلبهِ، فيَظلُّ أثرُها مثل أثرِ الوَكت[٢]. ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثلَ المجْل[٣]، كجمْر دَحْرجتَهُ على رِجلكَ فنَفِط[٤]، فتَراهُ مُنتَبرًا وليسَ فيه شيء. فيُصبحُ الناسُ يَتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدِّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجُلاً أمينًا. ويقال للرَّجل ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَه، وما في قلبهِ مثقالُ حبةِ خَرْدَلٍ مِن إيمان. ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيُّكم بايعتُ، لئنْ كان مسلمًا ردَّهُ عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّه عليّ ساعيه، فأما اليوم فما كنتُ أُبايعُ إلا فلانًا وفلانًا))[٥].

(ففي هذا الحديث بيان أن الأمانة سترفع من القلوب، حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته لله، وضعف إيمانه، وخالط أهل الخيانة، فيصيرُ خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه. ومن مظاهر تضييع الأمانة إسناد أمور الناس من إمارة وخلافه وقضاء ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسييرها، والمحافظة عليها؛ لأن في ذلك تضييعًا لحقوق الناس، واستخفافًا بمصالحهم، وإيغارًا لصدورهم، وإثارة للفتن بينهم)[٦]، فإذا ضيّع من يتولى أمر الناس الأمانة -والناس تبع لمن يتولى أمرهم-؛ كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاة صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم، ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون

---

(١) الجَذْر: الأصل من كل شيء، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٤١/١١.

(٢) الوَكْت: أثر الشيء اليسير منه، انظر: المرجع السابق.

(٣) المجْل: أثر العمل في الكف إذا غلظ، انظر: المرجع السابق.

(٤) فَنَفِط: أي صار منتفطًا وهو المنتبر، يقال انتبر الجرح وانتفط، إذا ورم وامتلأ ماء، انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٣/١٣.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٩٧.

(٦) انظر: قبسات من هدي الرسول ﷺ في العقائد، على الشربجي، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٣٩٨هـ، ص ٦٦، نقلاً عن أشراط الساعة، يوسف الوابل ص ١٣٠.

عند غلبة الجهل، ورفع العلم)[١]، ولهذا ذكر البخاري حديث أبي هريرة ﷺ -الذي قال فيه النبي ﷺ: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .. إلخ - في كتاب: العلم؛ إشارة إلى هذا، وفي ذلك قال ابن حجر: "ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عن غلبة الجهل، ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط"[٢].

---

(١) أشراط الساعة، يوسف الوابل ص ١٣٠.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١/١٧٣.

الحديث رقم (١٨٤٠)

١٨٤٠- وعنه: أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: ((يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإنْ أصَابُوا فَلَكُمْ، وإنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ)). رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن الإيجاز هو السمة التي تتجلى في هذا الحديث الشريف، فهو يتكون في بنائه اللغوي من ثلاث جمل ويعتمد على صيغة الغائب والمخاطب، فالجملة الأولى إخبارية فعلية فعلها مضارع حيث يقول: يصلون لكن، وهذه الصيغة تدعو للتساؤل: مَنْ هؤلاء الذين يصلون لنا، والمخاطبون هم المسلمون: ففي الكلام إيجاز بالحذف والتقدير لكم أيها المسلمون، والمصلون هم الأئمة، وهم قادة الأمة وساستها، لأن الإمام في الإسلام، هو الراعي والقائد والمسؤول عن تدبير أمر الأمة والقيام على شؤونها، وصيغة المضارع تفيد الاستمرار، فهذه الصيغة توحي بوجوب استمرار الرعاية والقيادة والإمامة، ولكن هذا الوجوب قد تنقصه المواقف وعدم الاستجابة أو الخلل في الأداء، وعندما يتسرب الخلل إلى الصلاة، فإن أضراره لا ينجو منها أحد: الأئمة والأمة.

ولذلك جاءت الجملتان الباقيتان في صيغة: الشرط والجزاء، لتفصح عن المصير الذي ينتظر الذين يقومون بالعمل الصحيح، ويصيبون، ومصيرهم النجاة والفوز، "فإن أصابوا فلكم"، أي فلكم الأجر، وحذف للتعميم حتى يعم الفضل الشامل، وأداة الشرط هنا: "إن"، وهي ليست للتحقق، وفي ذلك إشارة إلى أن الصواب قد يجانب الأئمة فيحيدون عنه، فهم يصيبون ويخطئون، والشرط في الجملة الثالثة، يعرض لموقف مقابل للموقف الأول، وهو الخطأ، حيث يقول: وإن أخطئوا فلكم وعليهم، فضرر

---

(١) برقم ٦٩٤. أورده المنذري في ترغيبه ٦٧٧.

الخطأ يلحق بالأمة والأئمة، والمقابلة بين الموقفين في هاتين الصورتين المتضادتين مع تعميم العقاب في الصورة الثانية: فيها حث للمسلمين على حسن اختيار أئمتهم، وعدم نفاقهم، وعدم التغاضي عن أخطائهم، لأن صلاح الأمة من صلاح الأئمة، وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلاف وتفريق الأمة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه:

مما لاشك فيه أن الخروج على الحاكم من أعظم المفاسد، فهو ثلمة لا تسد وفتنة لا ترد، به يكون تفريق الجماعة وشق عصا الطاعة، فتضعف شوكة المسلمين، وتزول وحدتهم، ومن أجل ذلك حث النبي ﷺ على لزوم أمر الحاكم وعدم الخروج عليه، وهذا ما يستفاد من نص الحديث في قوله ﷺ "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم" قال ابن حجر: (وقوله ﷺ "يصلون" أي "الأئمة" وقوله ﷺ "فإن أصابوا فلكم" أي: ثواب صلاتكم)[1] وقال ابن عثيمين: (أي: فإن أحسنوا في الصلاة وأتوا بها على ما ينبغي؛ فذلك لكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم -يعني ليس عليكم أنتم من إساءتهم من شيء- وفي هذا إشارة إلى أنه يجب الصبر على ولاة الأمر- وإن أساءوا في الصلاة...، فضلاً عن أن الشذوذ عن الناس، وعن ولاة الأمور والبعد عنهم، وإثارة الناس عليهم، ونشر مساوئهم، مجانب لدين الله)[2].

وقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[3] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٢/٢٢٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٨٧٦.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

قال: ((مَن أطاعَني فقد أطاعَ اللهَ، ومَن عصاني فقد عَصى اللهَ، ومَن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعَني، ومَن يَعصِ الأميرَ فقد عصاني))[1] وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: ((إنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الأَنْفِ))[2] وعند البخاري: ((وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ))[3] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من رأى من أميرِه شيئًا يكرَهه فلْيصبرْ عليه، فإنه من فارقَ الجماعةَ شبرًا فمات إلا مات ميتةً جاهليةً))[4] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، فقلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم! هم قومٌ من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله: فما ترى؟ وفي رواية: ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم؟ قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة، حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك.

وفي رواية: وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضُرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع))[5].

قال ابن هبيرة: (وفي الحديث أن المؤمن إذا بُلي بذلك في وقت أمير جائر من ضرب

---

(١) أخرجه البخاري ٧١٣٧، ومسلم ١٨٣٥.

(٢) أخرجه مسلم ٦٤٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٩٣، ٦٩٦.

(٤) أخرجه البخاري ٧٠٥٣، ٧٠٥٤.

(٥) أخرجه البخاري ٦٦٧٣، ومسلم ١١٤٧.

ظهره وأخذ ماله، فإنه لا يخرج عليه ولا يحاربه، بل يسمع ويطيع، فإنه بخروجه يزيد الفتن شرًا)[١].

وقال ابن أبي العز: (وفي ذلك دليل على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] كيف قال: "وأطيعوا الرسول"، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يُفرَدُونَ بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول، لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة الله ورسوله، وأما لزوم طاعتهم وإن جارُوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلّطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل)[٣].

(وواجب المسلم عندما يرى معصية الله ورسوله، أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأن يقدم النصح ما وسعه ذلك، ولا يشق عصا الطاعة ويفرق الجماعة)[٤].

وقال ابن تيمية: (إن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم، هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئًا؛ لم يحصل بفعله صلاح، بل فساد، ولهذا أثنى الرسول ﷺ على الحسن عليه السلام بقوله: ((إنَّ ابني هذا سَيِّد، وسيُصلِحَ الله بهِ بين فِئَتَينِ عظيمتَين منَ المسلمين))[٥] ولم

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٥/٣٩٩.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ٢/٥٤٠-٥٤١.

(٤) انظر: القيادة والجندية في الإسلام، القسم الأول "القيادة"، د. محمد السيد الوكيل ص ٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٧٤٦.

يُثنِ على أحد لا بقتال في فتنة، ولا بخروج على الأئمة، ولا نزع يد من طاعة ولا بمفارقة الجماعة)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: البعد عن الخلاف وتفريق الأمة:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاجتماع والألفة وعدم الفرقة فقال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٢].

(فالله تعالى يأمر بالألفة، وينهى عن الفرقة، فإن الفرقة هلكة، والجماعة نجاة، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إنَّ الجماعةَ حبلُ اللهِ فاعتصِمُوا ... منه بعُرْوتِهِ الوُثْقَى لمَن دَانا

وقوله تعالى "ولا تفرقوا يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، ويجوز أن يكون معناه: ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانًا، فيكون ذلك منعًا لهم عن التقاطع والتدابر)[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٤] قال ابن كثير: (فالله تعالى ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضين في تفرقهم واختلافهم)[٥].

وقد رهب النبي ﷺ فيمن خالف ذلك، وسعى في تفريق وحدة الأمة، فقال: ((إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ. فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هذِهِ الأُمَّةِ، وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ

---

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ٥٤٣/٤ وما بعدها، نقلًا عن رفع الاشتباه عن معنى العباد والإله، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ت: الداني بن منير آل زهوي، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٠٤-١٠٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٤١/٥.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٩١/٢.

بالسَّيْفِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ))[١]، قال النووي: (فيه الأمر بقتال من خرج على الإمام وأراد تفريق كلمة المسلمين ونحو ذلك وينهى عن ذلك فإن لم ينته قوتل وإن لم يندفع شره إلا بقتله فقتل كان هدرًا)[٢]، وقال ﷺ: ((مَنْ أَتَاكُمْ، وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ، عَلَىٰ رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَاقْتُلُوهُ))[٣]، قال النووي: (في قوله ﷺ "يرد أن يشق عصاكم"، معناه: يفرق جماعتكم كما تفرق العصاة المشقوقة وهو عبارة عن اختلاف الكلام وتنافر النفوس، وقوله ﷺ "فاقتلوه"، معناه: إذا لم يندفع إلا بذلك)[٤]. (وقد أفرد الإمام مسلم في صحيحه باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة)[٥]، وفي ذلك قال ابن تيمية: (وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة وفي غيرها وهو التفريق والاختلاف فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها، من ملوكها ومشايخها، وغيرهم من ذلك ما الله به عليم، وإن كان بعض ذلك مغفورًا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر فيه خطؤه، أو لحسناته الماحية، أو توبته أو لغير ذلك، لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة)[٦]، وفي ذلك بيان على أهمية الجماعة والبعد عن شر الخلاف وتفريق الأمة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٥٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٩٧.

(٣) أخرجه مسلم ١٨٥٢.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٩٧.

(٥) انظر: صحيح مسلم ٧٧١.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١١/٥٦٨.

الحديث رقم (١٨٤١)

١٨٤١- وعنه ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[البقرة: ١١٠] قالَ: خَيْرُ النَّاسِ للنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

هذا النص: من كلام أبي هريرة ﷺ، ولم يقل فيه: قال رسول الله ﷺ ولكن قال العلماء إن هذا موقوف عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. ولذلك تصدر هذا الجزء من الآية الكريمة: هذا النص الذي استمد أبو هريرة ﷺ معناه من الحديث التالي، وهو قول رسول الله ﷺ عجب الله عز وجل: من قوم يدخلون الجنة في السلاسل.

والحديث في صياغته الأسلوبية يعتمد على ما يسمى في تحليل النص ونقده بـ "لغة المفارقة" وهي الجمع بين الشيء وضده في سياق واحد، فالحديث يبدأ بتقريره الخيرية، بل الأفضلية في الخير، والسامع يتوقع ثمار هذا الخير، متمثلة في عطاء جميل، وعمل نبيل، وفعل مرغب، ونصيحة رقيقة سديدة، وتعاون في المواقف العصبية، ولكن المفارقة الموضوعية والأسلوبية، تتجلى في هذا المشهد المثير، الذي يوحي ظاهره بالتحكم والتسلط "يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم" فهذا مشهد يوحي بالعذاب: وهو مشهد أسرى الحروب، ولكن ختام الحديث يضيء هذا الموقف، ويفك أغلال هذا التناقض الظاهري، حيث يقول: حتى يدخلوا في الإسلام، فهؤلاء الأسرى لا يقادون لحتفهم، ولكن ينعمون بالحرية في ظلال الإسلام، ويمن الله عليهم بالأمن والأمان،

---

(١) برقم ٤٥٥٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

لأنهم انتقلوا بعد الأسر من حياة الكفر إلى حدائق الإيمان، وقال العلماء: في قوله: يأتون بهم في السلاسل: بيان لكمال لطف الله بهم، وأنهم يؤسرون على ما يحوزون به الشرف في الدارين، فأسرهم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة: لأنه قادهم إلى قضاء الحرية في ظل عزة الإسلام، وحلاوة الإيمان.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعوة الناس للإسلام.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وفضله في إدخالهم الجنة.

رابعًا: من أهداف الدعوة: هداية الناس وإصلاحهم.

أولاً- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

هذا ما ورد في الحديث من ذكر قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

والقرآن الكريم هو (كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس)[3]، (وهو الرباط بين السماء والأرض، وعهد بين الله وبين عباده، وهو منهاج الله الخالد وميثاق السماء الصالح لكل زمان ومكان، وهو أشرف الكتب السماوية، وأعظم وحي نزل من السماء لا يدانيه كلام، وحديث لا يشابهه حديث)[4]. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[5] ولقد رفع الله شأنه ونوه بعلو منزلته فقال تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾[6] كما وصفه سبحانه

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٤١- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٤٢).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ١٨٨/١، التبيان في علوم القرآن، محمد علي الصابوني، ٦.

(٤) ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، د. حمد بن ناصر العمار ص ٣.

(٥) سورة النساء، آية: ٨٧.

(٦) سورة طه، آية: ٤.

وتعالى بعدة أوصاف، مبينًا فيها خصائصه التي ميزه بها عن سائر الكتب، فقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] (فهو المعجز للناس بلفظه، ونظمه، وأسلوبه، وهدايته، وتأثيره، وعلومه، أعجز الفصحاء البلغاء، وأخرس الأدباء والشعراء، وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يجد أحد منهم جوابًا، ولاذوا بالصمت والفرار)[2]، فالقرآن الكريم هو المصدر الأصيل والنبع العظيم في الدعوة إلى الله.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان فضل دعوة الناس للإسلام:

هذا ما ورد في الحديث من قول "خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلون الجنة"، قال ابن حجر: (أي: خير بعض الناس لبعضهم، أي أنفعهم لهم، وإنما كان ذلك لكونهم كانوا سببًا في إسلامهم)[3]، وقد بين الحق تبارك وتعالى عظم فضل الداعي إلى الله بأنه من أحسن الناس قولاً، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4] (وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلامًا وطريقة، وحالة "ممن دعا إلى الله" بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها)[5] (وكل من يقوم بالدعوة إلى الله، فإنما يستحق هذه البشرى، ويستحق المدح

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥-١٦.

(٢) ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، د. حمد بن ناصر العمار ص ٤.

(٣) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٨/٧٣.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ٦٩٤.

المذكور فيها، أيامًا كانت طريقته في قيامه بهذه الدعوة)[١] وذلك فضلاً عن عظم جزاء وثواب من كان سببًا في هداية غيره إلى الإسلام، وهذا ما ظهر جليًا من قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في فتح خيبر: ((انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم، ثم ادُعهم إلى الإسلام، وأخبِرْهم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللّهِ فيه، فواللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بكَ رجُلاً واحدًا خيرٌ لكَ مِن أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٢]. قال النووي في قوله ﷺ: ("حمر النعم" هي: الإبل الحمر، وهي: أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه...، وتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا، إنما هو للتقريب من الإفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تصورت)[٣]. وقال ابن حجر في بيان قوله ﷺ "حمر النعم" (وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها، وقيل تقتنيها وتملكها، وكانت مما تتفاخر العرب بها)[٤]. وفي ذلك بيان لفضل دعوة الناس للإسلام.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: بيان رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين وفضله في إدخالهم الجنة:

هذا ما ورد في قوله ﷺ "عجب اللّهُ من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" قال الطيبي: (وقيل أراد بالسلاسل ما يرادون به من قتل الأنفس، وسبي الأزواج والأولاد، وتخريب الديار، وسائر ما يلجئهم إلى الدخول في الإسلام، الذي هو سبب دخول الجنة، فأقام المسبب مقام السبب. ويحتمل أن يكون المراد بها جذبات الحق، التي يجذب بها خالصة عباده من الضلالة إلى الهدى، ومن الهبوط في مهاوي الطبيعة، إلى العروج بالدرجات إلى جنة المأوى)[٥]، وهذا ما بينه ابن هبيرة في قوله: (إن الله تعالى لو وكل الناس إلى نهضاتهم لأبطأوا جدًا، ولكنه سبحانه يدخلهم الجنة في السلاسل، أي:

---

(١) فضائل الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله، محمد يحيى الكاندهلوي ص ٢٠.

(٢) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ومسلم ٢٤٠٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٧١.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٥٤٦/٧.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٥/٨.

يسلكهم طرق الجنة على كره منهم)[١]، وما ذلك إلا لعظيم رحمته تعالى بعباده المؤمنين، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلاَ أَنَا. إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ فسددوا وقاربوا... إلخ))[٢]، قال النووي: (ومعنى يتغمدني برحمته: يلبسنيها ويغمدني بها، ومنه أغمدت السيف وغمدته، إذا جعلته في غمده وسترته به)[٣]، وقال الطيبي: (قال التوربشتي: ليس المراد بهذا الحديث نفي العمل، وتوهين أمره، بل توقيف العباد على أن العمل إنما يتم بفضل الله ورحمته، لئلا يتكلموا اغترارًا بها، فإن الإنسان ذا السهو والنسيان، وعرضة الآفات، قلما يخلص له عمل من شائبة رياء، أو فساد نية، ثم إن سلم له العمل عن ذلك، فلا يسلم إلا برحمة من الله، ثم إنَّ أَرْجَى عمل من أعماله لا يفئ بشكر أدنى نعمة من نعم الله، فَأَنَّى له أن يستظهر بعمل، لم يهتد إليه إلا برحمة من الله وفضل منه!)[٤]. وهذا ما أكده القاضي نصر الدين في قوله: (إن النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، بفضل الله ورحمته، والعمل غير مؤثر فيهما على سبيل الإيجاب، بل غايته أنه يعد العامل لأن يُتَفضل عليه، وتقرب إليه الرحمة، ومعنى قوله "إلا أن يتغمدني الله برحمته" يحفظني بها كما يحفظ السيف في غمده، ويجعل رحمته محيطًا بي إحاطة الغلاف بما يحفظ)[٥].

رابعًا- من أهداف الدعوة: هداية الناس وإصلاحهم:

هذا ما يستفاد من نص الحديث الأول حيث أخبر ﷺ: "أن خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"، قال د. الحسيني هاشم: (فيه أن نفع المسلمين للناس إرشادهم إلى الإسلام ودعوتهم إليه، وأن إكراههم على

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٦٦/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٤٩.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ١٢٨/٥-١٢٩.

(٥) المرجع السابق، ١٢٨/٥.

الإسلام نافع، لهم ومن خير الأعمال التي توجه إليهم والخيرات التي تقدم لهم، وإن كان الإكراه على الدين غير مطلوب) [١].

وفي الحديث الثاني قال ﷺ: "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل"، قال د. الحسيني هاشم: (فيه الحديث عن الأسرى الذين يدخلون في الإسلام فيزحزحون عن النار إلى الجنة، ورضا الله تعالى عن إسلامهم بعد كفرهم العنيد) [٢].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالحرص على هداية الناس وإصلاحهم فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٣] قال ابن كثير: (يقول تعالى "ولتكن منكم أمة" أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه) [٤].

وقال السعدي: (في قوله تعالى "يدعون إلى الخير" وهو الدين، وأصوله، وفروعه، وشرائعه، وقوله تعالى: "يأمرون بالمعروف" وهو ما عرف حسنه شرعًا وعقلاً، وقوله تعالى "وينهون عن المنكر" وهو ما عرف قبحه شرعًا وعقلاً، وقوله تعالى "وأولئك هم المفلحون" أي المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب، ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة) [٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين ٨٢٧.

(٢) المرجع السابق ٨٢٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ٩١/٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١١٢.

وقد كان النبي ﷺ أشد الناس حرصًا على هداية الناس وتعليمهم وتزكيتهم، وقد بين الحق تبارك وتعالى ذلك فقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[1] وقال: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[2] وقال تعالى مسليًا رسوله ﷺ في حزنه على المشركين، لتركهم الإيمان وبعدهم عنه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[3] وقوله تعالى: "باخع". أي مهلك نفسك بحزنك عليهم...، وقوله تعالى: "أسفا" أي: لا تهلك نفسك أسفًا)[4].

(وقد استمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمرًا عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدمًا جميع الأساليب والوسائل المشروعة المتاحة له في سبيل ذلك بتوفيق الله تعالى، حتى لحق بالرفيق الأعلى. صلوات ربي وسلامه عليه. وما أكثر المواقف في سيرته المطهرة، التي يتجلى فيها حرصه الشديد على إخراج البشرية من الظلمات إلى النور)[5]، ومنها إرساله ﷺ الرسائل والرسل إلى الملوك والأمراء؛ فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الإسلام. وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ)[6]. وقد كانت دعوته ﷺ بمكارم الأخلاق وحسن البيان والصبر على الإيذاء، فعن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: ((هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٣.

(٢) سورة النحل، آية: ٣٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٣٧/٥.

(٥) الحرص على هداية الناس، د. فضل إلهي، ط/٤، مكتبة الملك فهد، الرياض: ١٤١٩هـ، ١٩.

(٦) أخرجه مسلم ١٧٧٤.

بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليكم ملك الجبال لتأمره، بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا"[1]. فقد كان ﷺ يحرص أشد الحرص على هداية الناس أجمعين، بلا فرق بين قريب وبعيد، وعربي وعجمي، وأحمر وأسود، فهو الإمام الأول، والقدوة الكبرى، التي يستضيء بها الدعاة ويسترشدون طريق الهدى.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٣١، ومسلم ١٧٩٥.

الحديث رقم (١٨٤٢)

١٨٤٢- وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: ((عَجِبَ اللهُ ﷻ مِنْ قَومٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ)) رواهما البخاري[1].

معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

يدخلون الجنة في السلاسل: معناه: يُؤْسرون ويقيدون ثم يسلمون فيدخلون الجنة[2].

الشرح الأدبي

يتفق هذا الحديث مع نص الحديث السابق في مفهومه وغايته، والعجب من الله تعالى هو: الرضا والإكرام، وإذا كان العجب من الله تعالى في هذا الموقف له دلالته التي تتفق مع جلال الله وكبريائه، فالعجب من البشر يكون حقيقيًا، وهذا هو سر المفارقة التي يتجلى عنها هذا الموقف، حيث يتساءل كل من يعلم بذلك كيف يدخلون الجنة في السلاسل؟، والكلام فيه إيجاز ويحتاج إلى توضيح عندما نفكك المعنى، ونرده إلى تفصيلاته، والمعنى كما جاء في توضيح لغة الحديث، يؤسرون، ويقيدون، ثم يسلمون فيدخلون الجنة، والفعل "يدخلون" مبني للمجهول: والمراد أنهم يفعلون المقتضى لدخول الجنة بالوعد الصادق وهو الإيمان: ففيه مجاز مرسل من إطلاق اسم المسبب على السبب، والفاء في قوله: في السلاسل: قيل: إنها تعليلية أي لوضع السلاسل في أعناقهم حال الأسر، ثم يسلمون فيدخلون الجنة بسبب هذه السلاسل التي نشأت بسبب أسرهم، وقيل الفاء: ظرفيه: أي أن هؤلاء الأسرى يسلمون وهم مازالوا أسرى في

---

(١) برقم ٣٠١٠.

(٢) رياض الصالحين ٦٢٣.

السلاسل، فالأسر كما قال العلماء: باعتبار ما كانوا يرونه نقمة، وباعتبار ما تجلى عنه من نعمة، والتعبير بالمضارع في قوله: يدخلون الجنة في السلاسل، يوحي باستمرار هذه الظاهرة وتجددها، في كل عصر يمن الله فيه على المسلمين بالفتوحات، والانتصار، ويمن فيه على الأسرى بالدخول في دين الله أفواجا، وكم من شعوب دخلت في دين الله بعد حروب وصراعات، وأصبحت هذه الشعوب من أكثر بلاد الله تمسكًا بالإسلام، ودفاعًا عن العقيدة. ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٤٣)

١٨٤٣- وعنه، عن النبيّ ﷺ قال: ((أَحَبُّ البِلادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلاَدِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن المسجد في الإسلام له دَوره ومكانته، وله جلاله وهيبته، وبيوت الله في الأرض المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[2].

وهذا الحديث يتكون من جملتين لغويتين تقدمان صورتين لمكانين أحدهما يحبه الله، وهو المسجد، والآخر يبغضه الله وهو السوق، لأن كل مكان له متعلقاته التي تفيض بالحب أو البغض، وحين نتأمل هذه الصياغة في ضوء التحليل الأدبي والأسلوبي نجد أن الجملتين تتفقان في البناء اللغوي، ولكنهما تتضادان في المضمون، فهما اسميتان، واسمية الجملة يدل على ثبات الدلالة فيها، وحقيقة حب الله للمساجد لا يشوبها شك أو مراء، وكذلك بغضه للأسواق حقيقة ثابتة لا تتبدل، والصياغة الاسمية هي التي أعلنت عن هذا الثبات الراسخ.

وتتسم الجملتان بالتوازن والتوازي الأسلوبي، فبناؤهما اللغوي متشابه: فالجملة الأولى تبدأ بأفعل التفضيل "أحب" وهو مبتدأ، وكذلك الجملة الثانية تبدأ بأفعل التفضيل: "أبغض"، وهو مبتدأ كذلك، وبين الاسمية، طباق، فهما متفقتان صياغة ووظيفة نحوية ولكنهما يختلفان في المعنى، والمضاف إليه متحد في الجملتين، وهو لفظ البلاد، لأن الحب أو البغض يقع على المكان، نظرًا لما فيه من ظواهر ومعالم إيجابية أو

---

(١) برقم ٦٧١/٢٨٨. أورده المنذري في ترغيبه ٤٨٢.

(٢) سورة النور، آية: ٣٦.

سلبية، وقوله: "إلى الله" كرر مرتين للتأكيد على أن الحب من الله، وفي الله، وكذلك البغض من الله، ولذلك يجب على كل مسلم أن يحب المساجد، وأن يحذر ما في الأسواق من زيف وخداع وتحايل وكذب، والخبر في الجملة الأولى "مساجدها"، وهي جمع تكسير، وفي الجملة الثانية: "أسواقها"، وهو جمع تكسير كذلك، فالجملتان متناظرتان متوازيتان، وفي هذا التناظر حث على الموازنة والتأمل والاتعاظ، والطباق واضح بين: أحب وأبغض، وبين مساجد وأسواق.

وقيل في اللغة: البلد أو البلدة، كل قطعة من الأرض مستحيزة عامرة أو غامرة.

والسوق اسم لكل مكان وقع فيه التبايع ممن يتعاطى البيع، وسبب بغض الله لها أنها محل للفحش، والخداع والربا والأيمان الكاذبة، واختلاف الوعد، والمساجد محل نزول الرحمة والأسواق ضدها.

والحب والبغض من الله، ليس كحب البشر وبغضهم، ولكن: إرادته الخير والشر، وفعل ذلك لمن أسعده وأشقاه، نسأل الله الفوز والنجاة.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأحب البلاد إلى الله وأبغضها إليه سبحانه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل المساجد ودورها في الدعوة إلى الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الأسواق ومن الغفلة فيها عن ذكر الله وطاعته.

رابعًا: من أساليب الدعوة: النهي.

خامسًا: من آداب الداعية: الحرص على مصلحة ونفع المدعوين.

أولاً- من صفات الداعية: البيان والإيضاح لأحب البلاد إلى الله وأبغضها إليه سبحانه:

هذا ما ورد في الحديث من بيانه ﷺ لذلك في قوله ﷺ "أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى الأنبياء

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٤٣- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٤٤).

وأتباعهم أن يوضحوا الحق للناس، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] قال السعدي: (والميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من أعطاه الله الكتب، وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل)[2]، (فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتمون منه شيئًا)[3]، (وقد كان عليه الصلاة والسلام سيد الدعاة يوضح للناس ولأتباعه، ويكرر كلامه ثلاثًا ليتحقق الإيضاح)[4]، فعلى الداعية أن يقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما خفي عن المدعوين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل المساجد ودورها في الدعوة إلى الله:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "أحب البلاد إلى الله مساجدها" قال النووي: (لأنها بيوت الطاعات وأساسها على التقوى)[5]، (وقد أضافها الله إلى نفسه فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[6] وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[7] (فالمساجد أحب البقاع إلى الله؛ لأنها محل ذكره وعبادته وقراءة شرعه

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ١٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨١/٢.

(٤) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ٢٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٧٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١١٤.

(٧) سورة النور، الآيتان، ٣٦-٣٧.

وغير ذلك من مصالح الدنيا والدين)[١]، (فالمسجد قلعةُ الإيمان، وحصن الفضيلة، وهو المدرسة الأولى التي يتخرج منها المسلم، فهو بيت الأتقياء، ومكان اجتماع المسلمين كلَّ يوم خمس مرات، ومحلُّ تناصحهم وتشاورهم، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية ففتحت مشارق الأرض ومغاربها، ومن عناية الرسول ﷺ بالمسجد ((أنه كان إذا قدمَ من سفرٍ بدأ بالمسجدِ فيركع فيه ركعتَينِ))[٢])[٣].

ووظائف المسجد ودوره في الإسلام أكثر من أن تحصى، إلا أنه يمكن الإشارة إلى (أن دور المسجد عظيم، فهو الأساس الأول في تكوين شخصية المسلم، وتكوين خُلُقه وعبادته وعلاقته بربه وبنفسه وإخوانه المسلمين، فالمسجد في صورته الاجتماعية وارتباط المسلمين به مركز إشعاعٍ وتوجيهٍ وتربيةٍ لهم، وكان النبي ﷺ إذا أهمه أمر جمع الناس في المسجد، وكان يجهز الجيوش الإسلامية في المسجد مما يدل على عناية الإسلام بالمسجد)[٤]، (فمكانة المسجد في المجتمع الإسلامي تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي، فهو ساحة للعبادة، ومدرسة للعلم، وندوة للأدب)[٥]، وفي ذلك بيان على فضل المساجد ودورها في الإسلام والدعوة إلى الله.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الأسواق ومن الغفلة فيها عن ذكر الله وطاعته:

هذا ما ورد في قوله ﷺ "وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" وأيضًا من قول سلمان رضي الله عنه لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق، ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان، وبها ينصب رايته" وفي رواية "لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه فيها باض الشيطان وفرَّخ". وفي بيان ذلك قال النووي: (في قوله ﷺ "وأبغض البلاد إلى الله أسواقها" لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٨٧٧.

(٢) أخرجه البخاري، ٢٧٦٩.

(٣) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، عبدالله بن جار الله، ١٩.

(٤) المرجع السابق ٢١.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ١٧٨.

وإخلاف الوعد والإعراض عن ذكر الله وغير ذلك مما في معناه)[١]، وفي قول سلمان رضي الله عنه "إنها معركة الشيطان" قال النووي: (قال أهل اللغة: المعركة بفتح الراء موضع القتال لمعاركة الأبطال بعضهم بعضًا فيها ومصارعتهم، فشبه السوق وفعل الشيطان بأهلها ونيله منهم، بالمعركة، لكثرة ما يقع فيها من أنواع الباطل، كالغش والخداع، والأيمان الخائنة، والعقود الفاسدة، والنجش، والبيع على بيع أخيه والشراء على شرائه، والسوم على سومه، وبخس المكيال والميزان، وقوله "وبها ينصب رايته" إشارة إلى ثبوته هناك واجتماع أعوانه إليه للتحريش بين الناس، وحملهم على هذه المفاسد المذكورة ونحوها، فهي موضعه وموضع أعوانه)[٢]، وقال ابن عثيمين: (أما الأسواق فإنها مأوى الشياطين؛ فيها باض الشيطان وفرّخ -والعياذ بالله- ونصب رايته وخيمته؛ لأن أسواق البيع والشراء الغالب فيها -إلا ما شاء الله- الكذب والغش والخيانة والحلف وما أشبه ذلك، فلهذا كانت أبغض البلاد إلى الله عز وجل...، وينبغي على المرء ألا يكون أول من يدخلها ولا آخر من يخرج منها)[٣]، ومن أجل ذلك حث النبي ﷺ على عدم الغفلة فيها وحض على التمسك بذكر الله في الأسواق فقال: ((مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فقالَ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير. كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ ورَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ))[٤]، وفي رواية ((وَبَنَى لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ))[٥].

رابعًا- من أساليب الدعوة: النهي:

قد ورد النهي كأسلوب من أساليب الدعوة في الحديث من قول سلمان الفارسي رضي الله عنه "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق... إلخ" والنهي من الأساليب

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٤٧٢-٤٧٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٧٧.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٢٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٦).

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٢٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٧٢٦).

الدعوية المهمة في إرشاد وتوجيه المدعوين إلى اجتناب ما يخالف الشرع (وهو أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيقه والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر، ولا تلكؤ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)[1]. وقد أفاد النهي في نص الحديث عدم إطالة المكث في الأسواق، وأهمية اتخاذ الحيطة والحذر من الغفلة فيها، وذلك يكون بذكر الله، والتزام حدوده واجتناب نواهيه.

خامسًا- من آداب الداعية: الحرص على مصلحة ونفع المدعوين:

هذا ما ظهر جليًا في الحديث من حرص سلمان رضي الله عنه على تحقيق مصلحة ونفع المدعوين، وذلك في قول: "لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق... إلخ".

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بذلك فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. وقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم -وهو الأسوة والقدوة- يرشد أمته إلى ما فيه صلاحهم حتى فاضت روحه، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: ((الصلاة، وما ملكت أيمانكم))[3] فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه، وقد اهتم سلف الأمة الصالح بذلك، فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على إرشاد ونفع المدعوين وهو على فراش الموت؛ فعن عمرو بن ميمون قال: ((جاء رجل شاب إلى عمر رضي الله عنه بعد ما طعن وعرف الناس أنه ميت، فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليّ ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا على الغلام. قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك))[4].

وفي الاقتداء بحرص النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة الصالح على إرشاد المدعوين وتحصيل

---

(١) انظر: العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر العمر ص ٥٠.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) أخرجه ابن ماجه ١٦٢٥، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري ٣٧٠٠.

الخير لهم، لعظيم الأجر وجزيل الثواب، لقوله ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[1] وقوله: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا))[2]، فعلى الداعية أن يحرص على تحقيق مصلحة ونفع المدعوين، لما في ذلك من الخير العميم، والفضل العظيم في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

الحديث رقم (١٨٤٤)

١٨٤٤- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه من قولهِ قال: لاَ تَكُونَنَّ إن اسْتَطَعْتَ أوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. رواه مسلم[1] هكذا.

ورواه البرقاني في صحيحهِ[2] عن سلمان، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لاَ تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلاَ آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا. فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ)).

ترجمة الراوي:

سلمان الفارسي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤٢٠).

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتلاقى في دلالته مع الحديث السابق، وأشعتهما تنبع من مشكاة واحدة، وتضيء للمسلم طريقه، وتضع أمامه إشارات حمراء حتى ينتبه لما في السوق من أخطار، والحديث هنا صريح في توجيه الإنذار، حيث يبدأ بالنهي الجازم وبالفعل المؤكد بنون التوكيد الثقيلة، "لا تكونن"، والنهي موجه لكل مسلم يغشى الأسواق ولكنه يتجنب هوشاتها، والهوشات هي اختلاط الأمور، وفساد التصورات، والجملة الشرطية: "إن استطعت"، هي جملة اعتراضية وتتضمن إيجازًا حيث حذف جواب الشرط والتقدير: فلا تكونن أول داخل فيها، ولا خارج منها، حتى تضمن النجاة من مكائد الشيطان، وحبائله الغواية والشرور، وأتى بالجملة الاعتراضية بين كان واسمها، وخبرها الذي وقع بعد الجملة وهو أول من يدخل السوق، للتنبيه على أن التكاليف على هذه الأمة حسب طاقتها وقدر استطاعتها، والجملة الثانية معطوفة على الأولى، وتتضمن كذلك إيجازًا، والإيجاز من أسرار بلاغة النبوة: وبلاغة الحذف من

---

(١) برقم ١٠٠/٢٤٥١.

(٢) أورده الحميدي في جمعه ٣٦١/٣ رقم ٢٨٤٠، وقال: رواه عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ، من رواية عاصم، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان.

سمات قوة الأسلوب، والتقدير، "ولا تكونن..... آخر من يخرج منها".

والفاء في قوله: "فإنها" للتعليل، حيث يوضح الحديث سبب النهي عن دخول السوق مبكرًا أو التأخر في الخروج منه، والسبب هو أن السوق معركة الشيطان، والتأكيد هنا لشدة التحذير، وما أدق هذه الصورة الأدبية حيث شبه السوق بالمعركة، وهي معركة الشيطان، لأن الصراع فيها ليس من أجل إقامة الحق، أو نشر الفضائل، ولكن بدافع التكسب عن طريق التحايل، واتخاذ الوسائل المنكرة ومنها الغش والخداع، والأيمان الكاذبة، والأفعال المنكرة.

والشيطان هو الذي يدير هذه المعركة الاقتصادية، وقوله: "وبها ينصب رايته" كناية عن تحكم الشيطان واستيلائه على عقول التجار السماسرة، والبائعين والمشترين.

وفي رواية أخرى توحي بكثرة أعوان الشيطان وكثرة أنصاره وذريته، وكأن الشرور تتكاثر، والمفاسد والرذائل تتناسل، حيث يقول رسول الله ﷺ مصورًا فساد مناخ الأسواق "فيها باض الشيطان وفرخ"، ولذلك كانت الأسواق أبغض البلاد إلى الله سبحانه.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٤٥)

١٨٤٥- وعن عاصمٍ الأحولِ، عن عبدِ اللهِ بن سَرْجِسَ رضي الله عنه قال: قلتُ لِرسولِ اللهِ ﷺ: [يا رسولَ اللهِ، غَفَرَ اللهُ لَكَ، قال: ((وَلَكَ)). قال عاصمٌ][1]: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رسُولُ اللهِ ﷺ؟ قال: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلاَ هذِهِ الآيةَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]. رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن سرجس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٧٤).

الشرح الأدبي

حينما نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده قد صيغ في قالب حواري جميل شائق وممتع ومقنع، يكشف عن حسن معاملة الرسول ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم، وحرصه عليهم.

والحوار في هذا الحديث توزع بين رسول الله ﷺ، وعبدالله بن سرجس رضي الله عنه، وكذلك بين عاصم الأحول وعبدالله، وكان رسول الله ﷺ مع أصحابه وأهله، ومع الغريب والقريب يتسم بسعة الصدر، ودوام البشر، وحسن الخلق، والسلام على من لقيه، والوقوف مع من استوقفه.

ويبدأ الحديث بالنداء والدعاء، في قول عبدالله ﷺ: "يارسول الله، غفر الله لك"، والنداء فيه تعظيم لرسول الله ﷺ وتعظيم لرسالته، وتمهيد بأن الدعاء هو للتشرف لأن رسول الله معصوم من الخطأ، وقوله: "غفر الله لك" قد يكون إخبارًا، وليس دعاءً، كما جاء في القرآن الكريم، وحُذف معمول غفر، للتعميم، ولمزيد من الأدب مع رسول الله ﷺ فلم يقل: غفر الله لك ذنوبك أو ذنبك، لأنه لا ذنب أصلاً لرسول الله ﷺ: فهو معصوم من الخطأ.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد في طبعات صحيح مسلم، وهي عند الحميدي في جمعه ٣/٥٥٤ رقم ٣١٣١.

(٢) برقم ١١٢/٢٣٤٦.

ولنتأمل كيف أجابه رسول الله ﷺ: إنه قال في تلطف وبشر وإيناس وإيجاز، "ولك"، أي: غفر لك.

ثم ينشأ المشهد الحواري الآخر بين عاصم الأحول، وعبدالله: ويبدأ باستفهام تعجبي واستبشاري ونظيري في قوله "استغفر لك رسول الله"، وحذفت همزة الاستفهام للدلالة على الإسراع في تقرير الحقيقة، والبشارة بذلك، ويقتدى عبدالله برسول الله ﷺ ويقول ما قاله رسول الله ﷺ: بعد أن قال: "نعم"، قال لصاحبه: "ولك"، والكلام فيه إيجاز أي: نعم: استغفر لي رسول الله واستغفر لك أيضًا.

ويسوق عبدالله الدليل على أن استغفار رسول الله ﷺ ليس محددًا لفرد واحد، وإنما للأمة كلها: حيث تلا قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1].

وهذا الاستشهاد لمزيد من البشرى والطمأنينة التي يزرعها في نفس صاحبه.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء الأدنى للأعلى، والأعلى للأدنى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار.

ثالثا: من واجبات المدعو: الدعاء والاستغفار للمسلمين.

أولاً- من موضوعات الدعوة: دعاء الأدنى للأعلى، والأعلى للأدنى:

هذا ما ورد في الحديث من قول عبدالله بن سرجس رضي الله عنه لرسول الله ﷺ يا رسول الله، غفر الله لك، فقال له النبي ﷺ "ولك"، وفي ذلك قال ابن تيمية: (والدعاء مشروع، أن يدعو الأعلى للأدنى، والأدنى للأعلى، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء، ويطلبون منه الدعاء، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء، ومحمد ﷺ وهو سيد الشفعاء، وله شفاعات يختص بها، ومع هذا فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: ((إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ

---

(١) سورة محمد، آية: ١٩.

مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَه الشَّفَاعَةُ))[1]، وقد قال ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه-: ((يا أخي لا تنسني من دعائك))[2]؛ فالنبي ﷺ قد طلب من أمته أن تدعو له، ولكن ليس ذلك من باب سؤالهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها. مع أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما يعملونه، فإنه قد صح عنه أنه قال: ((مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا))[3]، وهو داعي الأمة إلى كل هدى، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه. وكذلك إذا صلوا عليه، فإن الله يصلي على أحدهم عشرًا، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له، فذلك الدعاء قد أعطاهم الله أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من الله عليه)[4].

وما يؤكد دعاء الأدنى للأعلى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأويس بن عامر ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرَادٍ، ثم من قَرَنٍ، كان به برص، فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي فاستغفر له...))[5] قال النووي: (وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم)[6].

---

(١) أخرجه مسلم ٣٨٤.

(٢) أخرجه أبو داود ١٤٩٨، وضعفه الألباني (ضعيف سنن أبي داود ٣٢٢).

(٣) أخرجه مسلم ٢٦٧٤.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١/١٠٠-١٠١.

(٥) أخرجه مسلم ٢٥٤٢.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٢٧.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على الاستغفار:

قد ورد ذلك في الحديث من قوله تعالى "واستغفر لذنبك" (والاستغفار من طلب الغفران، والغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، وهو أيضًا طلب ذلك بالمقال والفعال)[١].

وقد أمر الحق تبارك وتعالى بالاستغفار فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٤] قال ابن كثير: (أي: أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها؛ فإنه غفور رحيم لمن استغفره)[٥]، وقال القرطبي: (واستغفروا الله، أي: سلوه المغفرة لذنوبكم "إن الله غفور" لما كان قبل التوبة "رحيم" بكم بعدها)[٦]، قال ابن تيمية: (فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم، وأكبر طاعاتهم، وأجل عباداتهم التي ينالون بها أجل الثواب، ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب)[٧]، وقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، فوَالذي نفسي بيدِهِ، إني لأستغفرُ اللّهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعينَ مرَّة))[٨] وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((إِنَّهُ لَيُغَانُ[٩] عَلَىٰ قَلْبِي. وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ، فِي الْيَوْمِ، مِائَةَ مَرَّةٍ))[١٠]، (فهو ﷺ لكمال عبوديته لله، وكمال محبته له، وافتقاره إليه، وكمال توبته واستغفاره، صار أفضل الخلق عند الله، فإن

---

(١) له الأسماء الحسنى، للشرباصي ٢/٢٦٣، نقلاً عن نضرة النعيم، ٢/٢٥٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة النساء، آية: ١٠٦.

(٤) سورة المزمل، آية: ٢٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٨/٢٦٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ١٠/١٩/٥٩.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٨/٣٦.

(٨) أخرجه البخاري ٦٣٠٧.

(٩) الغَيْنُ: هو شيء يعتري القلوب الصافية مما تتحدث به النفس، انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٧/٢٤.

(١٠) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

الخير كله من الله، وليس للمخلوق من نفسه شيء، بل هو فقير من كل وجه، والله غني عنه من كل وجه، محسن إليه من كل وجه، فكلما ازداد العبد تواضعًا وعبودية، ازداد إلى الله قربًا ورفعة، ومن ذلك توبته واستغفاره)[١].

ثالثًا- من واجبات المدعو: الدعاء والاستغفار للمسلمين:

هذا ما ورد في الحديث من قوله تعالى "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" وهذا ما نص عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٢]، قال القرطبي: (وقيل: الخطاب له، والمراد به الأمة، وعلى هذا القول توجب الآية استغفار الإنسان لجميع المسلمين)[٣]، وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: ((مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لأَخِيهِ فِي ظَهْرِ الغَيْبِ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكًا كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِدَعْوَةٍ قَالَ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ))[٤]، قال ابن تيمية: (فالدعاء للغير ينتفع به الداعي، والمدعو له، وإن كان الداعي دون المدعو له، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له. فمن قال لغيره: ادع لي وقصد انتفاعهما جميعًا بذلك، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما، والمسؤول فعل ما ينفعهما، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله، والآمر أيضًا يثاب مثل ثوابه؛ لكونه دعا إليه، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد، كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٥] فأمره بالاستغفار ثم قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٦].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٣٨/٨.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٦٨/١٩، ط/ مؤسسة الرسالة.

(٤) أخرجه مسلم ٢٧٣٢.

(٥) سورة محمد، آية: ١٩.

(٦) سورة النساء، آية: ٦٤.

فذكر -سبحانه- استغفارهم، واستغفار الرسول لهم إذ ذاك، مما أُمِر به الرسول، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولم يأمر الله مخلوقًا أن يسأل مخلوقًا شيئًا لم يأمر الله المخلوق به، بل ما أمر الله العبد أمر إيجاب أو استحباب؛ ففعله هو عبادة لله، وطاعة وقربة إلى الله، وصلاح لفاعله وحسنة فيه، وإذا فعل ذلك كان أعظم لإحسان الله إليه، وإنعامه عليه، بل أجل نعمة أنعم الله بها على عباده، أن هداهم للإيمان)[1]. فعلى المسلم أن يدعو للمسلمين ويستغفر لهم، لما في ذلك من الامتثال لأمر الله تعالى، فضلاً عن عظيم الثواب في دعاء الملك له بقول "ولك مثل ذلك".

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ١٠١/١.

الحديث رقم (١٨٤٦)

١٨٤٦- وعن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: ((إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأولَى: إذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو مسعود البدري الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١٠).

الشرح الأدبي

قال القاضي عياض وغيره: جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزةً، لأن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى قصد واكتساب وتعلم، وقال القرطبي: الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به دون الغريزي، وكان النبي ﷺ قد جمع له النوعان، فكان في الغريزي أشد حياءً من العذراء في خدرها.

والحياء في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به، وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي حق، والحب يُنطق، والحياء يسكت، والخوف يقلق[2].

وفي ضوء هذه الدلالات والمفاهيم نقرأ جماليات اللغة في هذا الحديث: فهو في غاية الإيجاز لأنه يتكون من جملة لغوية واحدة مكونة من إن واسمها وخبرها، والخبر قوله: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة" وهو مقدم، واسمها هو قوله: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" وهو مؤخر.

والحديث يبدأ بالتأكيد بإن وهي ترتبط بالحديث كله، فنصفه الأول خبرها وهو متقدم، والنصف الثاني اسمها وهو مركز الدلالة في الحديث: "إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

---

(١) برقم ٣٤٨٣.

(٢) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني.

وهذه الجملة صيغت في قالب الشرط والجواب، وهي توحي بالمعنى المنبثق عنها، لأن الجزاء من جنس العمل.

والدلالة في هذا الحديث تتعدد وتحتمل عدة أوجه، وذلك في ضوء دلالة فعل الأمر في قوله: فاصنع ما شئت، فإذا كان الأمر للإباحة والاختيار فالمراد من هذا التوجيه أنه: إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا يستحي فيه من الله ولا من الناس لإباحته، فافعل وإلا فلا، ويمكن أن يكون الأمر في قوله: فاصنع ما شئت للتهديد، أي إذا نزع منك الحياء فافعل ما شئت، فإنك مجازى عليه: وفي ذلك وعيد وسخرية وتهديد.

ويمكن أن يكون الأمر هنا بمعنى الخبر: فهو أسلوب إنشائي يتضمن الإخبار: أي إذا نزع منك الحياء فعلت ما شئت من حرام وحلال إذ لا رادع يردعك[1]. وفي ذلك إنذار وتحقير ولوم وتقريع.

والحياء لا يأتي إلا بخير، وهو من الإيمان، ومن كلام النبوة الأولى.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل خلق الحياء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

التوكيد من الأساليب الدعوية المهمة التي تعين الداعية على تقوية كلامه وإثباته في أذهان المدعوين، فضلاً عن أهمية وتأكيد الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من تأكيده ﷺ على أهمية الحياء وبيان أنه مما اتفق عليه الأنبياء. وذلك في قوله ﷺ "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية وفضل خلق الحياء:

مما لا شك فيه أن الحياء من خصال الإيمان وحسن الإسلام، وهو دليل على كرم

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان ٤.

السجية وطيب المنبت، وهذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" قال ابن حجر: (أي مما بلغ الناس ومما اتفق وندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم -إذا لم تستح فاصنع ما شئت-، لأنه أمر أطبقت عليه العقول، وقوله ﷺ "فاصنع ما شئت" هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان مما لا يستحى منه فافعله، وإن كان مما يستحى منه فدعه، أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء، يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبال بالخلق، أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله)[1].

(والحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق)[2]، وقد حث النبي ﷺ على التخلق بالحياء وأمر به، فعن ابن عمر رضي الله عنهما ((أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ مَرَّ برجُلٍ -وهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحياء- فقالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «دَعْهُ ، فإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمان»))[3]، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ))[4]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلاَّ الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ))[5].

وقد أمر ﷺ به فقال: ((اسْتَحيُوا منَ اللّهِ حقَّ الحَياءِ. قالوا: إِنَّا نستحيْي منَ اللّهِ يا رسول اللّهِ! قال: ليسَ ذلكُم؛ ولكنْ من اسْتَحْيى منَ اللّهِ حَقَّ الحَياءِ، فلْيحفظِ الرأسَ وما وَعى، ولْيحفظِ البَطنَ وما حَوى، ولْيذكرِ الموتَ والبِلى، ومنْ أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الدنيا، فمنْ فعلَ ذلكَ فقدِ اسْتحيْى منَ اللّهِ حقَّ الحَياءِ))[6]. (فالحياء من الحياة، وعلى

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٠٥.

(٢) رياض الصالحين، النووي، ٢٩٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٤، ومسلم ٣٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦١١٧، ومسلم ٣٧.

(٥) أخرجه البخاري ٩، ومسلم ٣٥.

(٦) أخرجه الترمذي ٢٤٥٨، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٠٠٠).

وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيى كان الحياء أتم)[١]، (فعن الشعبي قال: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض طريق المدينة فسمع امرأة تقول:

دعتني النفس بعد خروج عمرو ... إلى اللذات فاطَّلَعَت تلاعا[٢]

فقلت لها: عجلتِ فلن تطاعي ... ولو طالت إقامته رُباعا

أحاذرُ -إن أُطيعُكِ- سَبَّ نفسي ... ومخزاةً تُجلِّلُني قِنَاعا

فقال عمر: وأُتيَ بالمرأة: أي شيء منعك؟ قالت: الحياء وإكرام عرضي.

فقال عمر رضي الله عنه: (إن الحياءَ ليدلّ على هَنَاتٍ ذاتِ ألوان، مَن استحيا استخفى ومن استخفى اتقى ومن اتقى وُقِّي، وكتب عمر إلى صاحب زوجها فأقفله إليها)[٣].

فالحياء أصل كل خير. قال ابن القيم: (وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخُلُقُ لم يُقْرَ الضيف، ولو يُوفَ بالوعد، ولم تؤد أمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الرجل الجميل فآثرَهُ والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة ولا امتنع من فاحشة. وكثير من الناس لولا الحياءُ الذي فيه لم يُؤدِّ شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بَر له والدًا؛ فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما دنيويٌّ علوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها. ثم قال: إنَّ للإنسان آمرين وزاجرين، آمر وزاجر من جهة الحياء، فإذا أطاعه امتنع من فعل كل ما يشتهي، وله آمر وزواجر من جهة الهوى والطبيعة، فمن لم يطع آمر الحياء وزاجره،

---

(١) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٦٠١.

(٢) التِّلاَعُ: قيل هي: مسايل الماء، وقيل ما انحدر من الأرض وأشرف منها، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ت ل ع).

(٣) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا ٨٣.

أطاع آمر الهوى والشهوة ولا بد)[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "فاصنع ما شئت" قال ابن حجر: (هو أمر بمعنى الخبر، أو هو التهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك...)[٢]، (والترهيب من الأساليب الدعوية المهمة في إخافة المدعو، وتحذيره من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[٣]، (ولما كان الترهيب هو أحد أساليب الدعوة المهمة في إنقاذ معظم الناس من عقوبة الله في الدنيا والآخرة، وجب التأكيد عليه، والحرص على العمل به في مجال الدعوة، خاصة وأن سور القرآن الكريم مملوءة بهذا الأسلوب وكذلك السنة الصحيحة، ليكون ذلك بمشيئة الله قاطعًا للنفوس عن غيها وفسادها وخيبتها، وباعثًا لها على المسارعة إلى رشادها وسلامتها وفلاحها)[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم ١/٢٧٧-٢٧٨.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٦/٦٠٥.

(٣) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، على بن صالح المرشد، ١٦٠.

(٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية نياز، ١٣.

الحديث رقم (١٨٤٧)

١٨٤٧- وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: ((أوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاء)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

الشرح الأدبي

إن الأسس الاجتماعية في الأحكام القرآنية، وفي الأحاديث النبوية: تقوم على المصلحة لأكبر عدد ممن يظلهم المجتمع بأكبر مقدار من السعادة الحسية والروحية، ودفع بوائق البشر.

والمصالح الاجتماعية تتمثل في المحافظة على خمسة حقوق، وعدم الاعتداء على أي منها: وهي حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ الدين، وحفظ المال.

والحديث الشريف هنا يحذر من التعدي على النفس، والنفوس بصفة عامة، وعبر عنها بالدماء، لأن الدم الجاري في العروق معيار حياة الإنسان، وعنوان بقائه حيًا، والجناية على النفس، تكون بالقتل أو إتلاف عضو منها، والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة تنذر الناس وترهبهم من الاعتداء على الغير بالقتل أو نحوه، والإنذار لم يأت مباشرًا، ولكنه قدم في أسلوب إيحائي، حيث قال رسول الله ﷺ: "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"، وقوله: "أول": للإفادة بأن: حق النفس مقدم على جميع الحقوق في الحفاظ عليه، وقوله: "ما يقضى بين الناس"، يشير إلى أن المرء الذي لحق به إيذاء في نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه لن يُظلم، ولن يضيع حقه سدى يوم القيامة، وكذلك المعتدي والقاتل، إذا أفلت من القصاص في الدنيا، فلن يفلت من عقاب الله يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٣، ومسلم ١٦٧٨/٢٨ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٣٥٨٥.

ومادة القضاء توحي بجو المحاكمة والإدانة، والإنصاف، والعدالة، ولا غرو فالقاضي هو الله العزيز العادل المنتقم، ولا يظلم ربك أحدا.

وقوله في الدماء يتضمن إيجازًا حيث حذف متعلق الجار، وتقديره: في الأمر المتعلق بالدماء، وقال العلماء البداءة تكون بالأهم، والذنب يعظم بحسب عظيم المفسدة، وتفويت المصلحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[1].

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- عظم تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها[2].

٢- حكم القتل: اتفق الفقهاء على حرمة القتل[3].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس الإنسانية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الترهيب من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" قال النووي: (فيه تغليظ أمر الدماء وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها، وليس هذا الحديث مخالفًا للحديث

---

(١) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٧/١١، وفتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٤٦٥/١١، ٢٢٦/١٢.

(٣) المبسوط، السرخسي ٥٧/٢٧، ومواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن المغربي ٢٣١/٦، وأسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري ٢/٤، وكشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد ٥٠٣/٥، ٥٠٤.

المشهور في السنن ((أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ القيامة صَلاَتُهُ))[١] لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد)[٢]، وقد رهب النبي ﷺ من الاعتداء على النفس الإنسانية وإزهاقها فقال: ((لن يَزالَ المؤمنُ في فُسحةٍ من دِينه ما لم يُصِبْ دَمًا حَرامًا))[٣]، قال ابن حجر: (في قوله ﷺ "في فسحة" أي سعة، وقوله "من دينه" وفي رواية الكشميهني "من ذنبه" فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه، ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدًا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه، ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور، وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة، حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبول الغفران بالتوبة، حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول)[٤] وفي ذلك قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ((إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه))[٥]، قال ابن حجر: (في قوله "إن من ورطات" وهي جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلاك يقال وقع فلان في ورطة أي في شيء لا ينجو منه، وقد فسرها في الخبر بقوله التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها)[٦].

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحفاظ على النفس الإنسانية:

هذا ما يستفاد من نص الحديث وسياقه، وفي بيان ذلك نجد أن الحق تبارك وتعالى قد أوجب القصاص لحفظ النفس الإنسانية، (فإن الإنسان إذا دخل في دين الله فإنه يصبح في مأمن، لقوله ﷺ: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللّهِ، ويُقيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي

---

(١) أخرجه ابن ماجه ١٤٢٦، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ١١٧٣).

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٠٧٤.

(٣) أخرجه البخاري ٦٨٦٢.

(٤) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/١٩٥.

(٥) أخرجه البخاري ٦٨٦٣.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٢/٩٦.

دماءَهُم وأموالَهُم إلاّ بحَقِّ الإسلام، وحسابُهم عَلَى اللّه))[١] فإذا دخل الإنسان في دين الله ونطق بالشهادتين فإنه يعصم دمه وماله حتى يتبين منه ما يناقض ذلك من أنواع الردة، فيقام عليه حدُّ المرتد، فدم المسلم حرام، رتب الله عليه وعيدًا في الآخرة لمن استباحه، ووعيدًا في النار، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢])[٣].

قال ابن كثير: (وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٥])[٦] (وذلك لحرمة المؤمن عند الله سبحانه وتعالى وعظيم منزلته، ومن أجل ذلك فرض تعالى القصاص فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[٧] وقال تعالى مبينًا الحكمة من ذلك ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٨] لأنه بالقصاص تحصل حياة المجتمع، فإذا قتل القاتل فإن الناس يأمنون على دمائهم وأنفسهم، وأما إذا لم يقتل القاتل، فإن هذا يصبح خطرًا على المجتمع، وقد جعل الله القصاص حياة؛ لأنه يسبب الحياة وإن كان موتًا للمقتص منه لكنه حياة للبقية)[٩] وفي ذلك بيان على أن الحفاظ على النفس الإنسانية من أهداف الدعوة الإسلامية.

---

(١) أخرجه البخاري ١٣٩٩، ومسلم ٢١.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٣) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ١٢١/٢.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٧٦/٢.

(٧) سورة البقرة، آية: ١٧٨.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٧٩.

(٩) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ١٢١/٢٥-١٢٢.

الحديث رقم (١٨٤٨)

١٨٤٨- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((خُلِقَتِ المَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)). رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

مارج من نار: اللهب المختلط بسواد النار[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث في صيغته الإخبارية، وصيغ المبني للمفعول، يتضمن إخبارًا من رسول الله ﷺ عن أصناف الخلق العقلاء، وهم الملائكة والجن والإنس، ويقدم الرسول ﷺ توضيحًا لعناصر الخلق المتعددة، فالملائكة خلقت من نور، والجان خلق من مارج من نار، وآدم خلق من الطين، والأفعال التي تدل على مادة الخلق، جاءت كلها في صيغة المبني للمجهول: وذلك لأن الخالق معلوم ولا يحتاج إلى بيان وهو الله عز وجل، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، وقدم خلق الملائكة: لأنها من نور: والنور أصفى من الطين، وأبهى وأنقى من النار، وفيه بشرى لأن الله نور السماوات والأرض، وأن الله ولي الذين آمنوا، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ولأن الملائكة عباد مقربون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وجبلوا على الطاعة، وقدم خلق الجان على خلق الإنس: لأن الجان له قدرات أقوى من الإنس، والنار لها خصائص وقدرات من الانتشار والإحراق، واللهب أكثر من التراب، وكذلك لقدرة الجن على التخفي، والملائكة خلق من خلق الله، وجزء من عالم الغيب الذي أمر الإنسان بالإيمان به، ولفظ: الملائكة من الألفاظ التي لها علاقة بخصوصية المعجم الإسلامي وأثر الإسلام في لغة العرب.

---

(١) برقم ٢٩٩٦/٦٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (م ر ج).

ولفظ: الملائكة ليس مشتقًا من المُلك بل هو من الألُوك، بمعنى الرسالة: وهذا الاشتقاق اللغوي يفسر وظيفة الملائكة فهم رسل الله إلى الناس، فالتسمية تفصح عن مهمة هذا الصنف من الخلق، ثم غلبت عليه حتى صارت علمًا له.

والجن: أو الجان: كلمة عربية الاشتقاق مأخوذة من جنَّ الشيء يجنه جنًا: أي ستره، وكل شيء ستر عنك، فقد جنَّ عنك، والجن من عالم الغيب، لأنه عالم مغيب عن الإنسان، ويمثل الملائكة عند المؤمنين جانب الخير والرشد، في مقابل الشياطين وهم من الجن الكافر، الذين يمثلون جانب الغي والضلال، ولفظ الملائكة تكرر في القرآن الكريم في ثمان وستين مرة، وهو العدد نفسه الذي تكرر فيه لفظ الشيطان، وعدد ما ورد من الآيات الشريفة في مختلف صور الملائكة: وملكًا، وملكين، وملائكة هو ثمان وثمانون مرة، وهو العدد نفسه الذي تكرر فيه مختلف صور الشيطان كالشيطان وشياطينهم[1].

وابن آدم من التراب: ولكن الله يهديه إلى نور طاعته، وطريق هدايته، والشيطان يزين له طرق الغواية، وعليه أن يقاوم همزات الشياطين، ويعوذ برب الناس: من الوسواس الخناس: الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وكلمة مارج من نار، تفيد قدرة الجن على التشكل والتلون، لأن مرج معناها: اضطرب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما المارج: اللهب الذي يعلو النار فيختلط بعضه ببعض، أحمر وأصفر وأخضر، وقال المبرد: المارج: النار المرسلة التي لا تُمنع، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان ماهية خلق الملائكة والجن والإنسان.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: وجوب الإيمان بالغيبيات من الملائكة والجن.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان ماهية خلق الملائكة والجن والإنسان:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"، قال ابن عثيمين: (إن النبي ﷺ أخبر عن بدء الخلق، فذكر ﷺ أن الملائكة خلقوا من النور، ولذلك كانوا كلهم خير، لا يعصون الله، ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون)[١]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[٢] قال ابن كثير: (أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له، ودأبهم في طاعته ليلاً ونهارًا؛ فقال "وله من في السماوات والأرض ومن عنده" يعني: الملائكة، "لا يستكبرون عن عبادته" أي: لا يستنكفون عنها ...، وقوله "لا يستحسرون" أي: لا يتعبون ولا يملُّون "يسبحون الليل والنهار ولا يفترون" فهم دائبون في العمل ليلاً ونهارًا، مطيعون قصدًا وعملاً، قادرون عليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣])[٤].

أما الجن فقد خلقوا من نار، وقد صرح القرآن الكريم بذكر ذلك فقال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[٦] قال ابن كثير نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أي من لهب النار، من أحسنها، وفي رواية من خالص النار)[٧]، وقال النووي: (الجان: الجن والمارج اللهب المنخلط بسواد النار)[٨]، (وإذا تساءل أناس: وكيف يعقل خلق الجن من نار؟ فالجواب: أن الله قادر على إيجاد العقل والحياة في الجسم الحار كما أوجدها في الإنسان المخلوق من طين، على أن الجن لم

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٧٩/٢.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ١٩-٢٠.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٣٦/٥.

(٥) سورة الحجر، آية: ٢٧.

(٦) سورة الرحمن، آية: ١٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٩٢/٧.

(٨) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٧٢٠.

يبق على صورة النار، بل استحال بقدرة الله إلى نوع آخر، يكون قابلاً للحياة، كما هو الشأن في الإنسان)[١]. قال ابن عثيمين: (أما الإنسان فقد خلق من طين، من تراب، من صلصال كالفخار؛ لأن التراب صار طينًا ثم صار فخارًا، فخلق منه آدم عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[٢])[٣].

(وبناء على ما تقدم فإن الجن خلق يغاير طبيعة البشر من حيث الشكل وأصل المادة التي خلقوا منها، إذ أنهم مخلوقون من النار، بعكس الإنسان الذي خلق من الطين، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[٤])[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: وجوب الإيمان بالغيبيات من الملائكة والجن:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان لقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ﴾[٦]

(والإيمان بالملائكة يعني: التصديق بوجودهم، والتصديق بأعمالهم التي يقومون بها في هذا الكون، فالملائكة: خلق من خلق الله، خلقهم لعبادته، وتنفيذ أوامره في الكون، فالله يرسل الملائكة لتنفيذ أوامره، فهم خلق من عالم الغيب لا نراهم، ولكن نؤمن بهم إيمانًا جازمًا لا يتطرق إليه شك؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر عنهم، كما أخبر عنهم رسول الله ﷺ، إخبارًا قطعيًا يجعلنا نؤمن به)[٧].

(وقد جعلهم الله أقسامًا، منهم الموكل بأداء الوحي إلى الرسل، وهو الروح الأمين

---

(١) انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران، إيران، ١٨١/١٩.

(٢) سورة طه، آية: ٥٥.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٨٧٩.

(٤) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤-١٥.

(٥) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالكريم نوفان عبيدات، ط/٣، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م ص ٩.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٨٥.

(٧) محاضرات في العقيدة والدعوة، د. صالح بن فوزان، ٢٦٧/١.

جبريل عليه السلام. ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه، ومنهم الموكل بالصور، وهو إسرافيل، ومنهم الموكل بالمطر، وهو ميكائيل، ومنهم الموكل بأعمال العباد. وهم الكرام الكاتبون، ومنهم الموكل بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات. قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾[1]. ومنهم الموكل بالجنة ونعيمها وهم رضوان ومن معه، ومنهم الموكل بالنار وعذابها وهم مالك ومن معه من الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومنهم الموكل بفتنة القبر وهم منكرٌ ونكير، ومنهم حملة العرش، ومنهم الموكل بالنطف في الأرحام من تخليقها إلى إلى كتابة الخير والشر، ومنهم ملائكة يدخلون البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون، ومنهم ملائكة سياحون يتتبعون مجالس الذكر، ومنهم صفوف قيام لا يفترون، ومنهم ركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ما ذكر ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾[2].

ونصوص هذه الأقسام من الكتاب والسنة كثيرة معروفة عند العلماء)[3]. أما (الجن فقد أفاض القرآن والسنة في الحديث عنهم وبيان أحوالهم في مواضع كثيرة، فقد ورد ذكرهم في القرآن في مواضع متعددة تقرب من أربعين موضعًا، عدا عن الآيات التي تحدثت عن الشيطان وهي كثيرة، وانفردت سورة كاملة للحديث عن أحوال النفر الذين استمعوا للقرآن من الرسول ﷺ وهو بمكة، وهي سورة الجن، إذ ورد في مطلعها إخبار الله لنبيه باستماع هذا النفر للقرآن، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾[4])[5] وفي ذلك بيان على وجوب الإيمان بهم، قال ابن تيمية: (لم يخالف أحد من

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

(٢) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٣) الإيمان، عبدالمجيد الزنداني وآخروه، ١٥٤-١٥٥.

(٤) سورة الجن، آية: ١-٢.

(٥) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، عبدالكريم عبيدات، ٧٩.

طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمدًا ﷺ إليهم، ... وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلومًا بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون ومنهيون، ليسوا صفات وأعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعم بعض الملاحدة)[1].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم ٩/١٩.

الحديث رقم (١٨٤٩)

١٨٤٩- وعنها رضي الله عنها، قالت: كان خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ القُرآن. رواهُ مسلم[1] في جملة حديث طويل.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن القرآن الكريم كما يقول الرافعي سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتى تزول، ومعنى الخلود في دولة الأرض إلى أن تدول، وألفاظ القرآن إذا اشتدت فأمواج البحار الزاجرة، وإذا هي لانت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها، وتصف الآخرة فمنها جنتها وضرامها، وهو آيات لا يجانس كلامها البديع غير كمالها، وحقيقة في الوجود لم يكن يعرف غير ظلالها.

وفي ضوء هذا التصوير الأدبي البليغ لقدر القرآن الكريم ومكانته، نقرأ هذا الحديث البليغ الموجز الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ترصد أخلاق رسول الله ﷺ وسلوكياته في الحياة، ولم تجد صورة أكمل ولا أبلغ ولا أجمل من أن تقول: "كان خلق نبي الله ﷺ القرآن"، وكان في هذا الحديث لا تحصر دلالتها في إطار الزمن الماضي فقط، ولكنها تفيد التمكين والثبات وتأكيد هذا الخُلق الذي تمثل آيات القرآن الكريم نسيجه المتكامل، فهو الخلق القدوة والمثال، وهو الخُلق الذي يعد تاج الكمال، ويؤكد القاضي عياض: أن الخصال الجمالية الكمالية التي ينبع منها المنطق الجميل، والفعل الجميل، والأسلوب الجميل: كان لنبينا ﷺ شرف التحلي بها جميعًا، فهو الأسوة الحسنة في الأقوال والأفعال، وفي الخَلق والخُلق، فالمصطفى ﷺ لا مرية أنه: كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أَمْرَ بواطن

---

(١) برقم ١٣٩/٧٤٦.

الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديع سيره، فضلاً عما أفاضه من العلم، وقدمه من الشرع، دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه: لم يمتر أحدٌ في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهية، وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققُه[1].

ويقول العلماء في سر الربط بين خلق النبي والقرآن، فكما أن معاني القرآن لا تتناهى، فكذلك أوصافه الجميلة الدالة على عظم أخلاقه لا تتناهى ، ولنتأمل ما تشع به هذه الأبيات من محبة لرسول الله ﷺ ولأخلاقه الكريمة وسجاياه الحميدة:

هو الفقير ويأبى أن تكون له ... جبال مكة في دنيا الورى ذهبا
فنفسه من صفاء الطهر معدنها ... والله أغناه بالقرآن حين أبى
فإن مشى كان قرآنًا جوانبه ... تفيض بالذكر للقلب الذي نضبا
وإن تحدث فالآيات منطقهُ ... ترد للكل حقًا كان قد سُلبا
ففي تواضعه أسرار حكمته ... هو النبي ولكن يجمع الحطبا
وفي تسامحه أسرار هيبته ... والحب في الله قد أحنى له الشهبا
وفي تعاطفه أسرار قوته ... قد أخضع العجم بالقرآن والعربا[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في تخلقه بأخلاق القرآن.

ثالثًا: من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: كمال خلق النبي ﷺ:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله عائشة رضي الله عنها "كان خلق نبي الله ﷺ

---

(١) انظر الشفا: للقاضي عياض، وانظر: الحديث النبوي: رؤية فنية جمالية: د. صابر عبدالدايم

(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر شعر د. صابر عبدالدايم: إصدار مكتبة العبيكان الرياض.

القرآن"، قال النووي: (معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته)[١]، وقال ابن كثير: (ومعنى هذا أنه، عليه السلام، صار امتثالُ القرآن أمرًا ونهيًا، سجيةً له، وخلقًا تَطَبَّعه، وترك طبعه الجبلّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه - هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل)[٢]، وقد مدحه الحق تبارك وتعالى في كمال خلقه ﷺ قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣]، وقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: ((خَدَمْتُ رَسُولَ الله عَشْرَ سِنِينَ فَما قَالَ لِي أُفّ قَط ، وَمَا قَالَ لِشَيءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَه؟ وَلاَ لِشَيءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وكَانَ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا))[٤] قال النووي: (وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ وحسن عشرته وحلمه وصفحه)[٥].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: التأسي بالنبي ﷺ في تخلقه بأخلاق القرآن:

هذا ما يستفاد من نص الحديث، وفي بيان ذلك قال د. القرضاوي: (ومن حسن حظ المسلمين: أن الله جعل لهم قدوة يقتدون بها، تتجسد فيها مكارم الأخلاق التامة، التي أخذت من ميراث جميع الرسل وزادت عليه. وذلك هو رسول الله ﷺ الذي أثنى عليه ربه تعالى فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦] وقال ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٧] وفي قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إن خلقه القرآن، تعني أن سيرته كانت تجسيدًا حيًا للقرآن، فكما بين القرآن للناس

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٥١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٨٩/٨.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

(٤) أخرجه البخاري ٦٠٤٨، ومسلم ٢٣٠٩.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٤٢٧.

(٦) سورة القلم، آية: ٤.

(٧) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

بقوله، بينه لهم بسيرته ومن فضل الله علينا، أن سيرته عليه الصلاة والسلام لم تضع كما ضاعت سير الرسل السابقين...، ولا يوجد امرؤ من الناس إلا وجد في هذه السيرة الشاملة الجامعة ما يأخذ منه الأسوة والهدي الأكمل، يستوي في ذلك الشاب والشيخ، والعزب والمتزوج، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، والمسالم والمحارب، ولا يعرف من اجتمعت له هذه الأوصاف إلا محمد ﷺ، فشمول سيرته مكافئ لشمول رسالته)[1].

ثالثًا- من آداب الداعية: التأسي بالنبي ﷺ في أخلاقه:

هذا ما يستفاد من نص الحديث (والنبي ﷺ هو المثل الأعلى للدعاة في حياتهم الخاصة والعامة، يترسمون خطاه، ويستضيئون بهديه، ويقتفون أثره، ...)[2]، (وعلى الإجمال فالتأسي بالنبي ﷺ مطلب أساس في حياة الدعاة، ولا يقف التأسي به عليه الصلاة والسلام عند حد معين ينتهي إليه من الطاعات في باب تهذيب النفس وترويضها، وتربيتها، وتزكيتها، بل يشمل كل مشروع متعبد به...، فالدعوة أمانة عظيمة، ولا تؤدى على أتم وجهها إلا بعد أن تمرَّس النفس على الانضباط بأخلاق الدعاة الصادقين، وصفات المصلحين المخلصين، ويتبوأ إمام الدعاة قدوتنا رسول الله ﷺ مكان الذروة من ذلك، فهو ذو الخلق الكريم، الخلق العظيم بشهادة رب العالمين)[3]، فعلى الداعية أن يقتدي ويتأسى بالنبي ﷺ في أخلاقه، لما في ذلك من عظيم الفلاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة ٢٥٨.

(٢) صفات الدعاة، د. عبدالرب نواب الدين، ٥٩.

(٣) المرجع السابق، ٧٠.

الحديث رقم (١٨٥٠)

١٨٥٠- وعنها، قالت: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، أكَراهِيَةُ المَوتِ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ؟ قال: ((لَيْسَ كَذَلِكَ، ولكِنَّ المُؤمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أحَبَّ لِقَاءَ اللهِ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ اللهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجد أنه يتضمن كثيرًا من أسرار الجمال التعبيري، التي ترغب العبد وتشده إلى محبة الله عز وجل، ويبدأ الحديث الشريف بجملتين شرطيتين، ولكن الدلالة فيهما على النقيض، فبين الجملتين تقابل في المعنى، وتضاد في الدلالة: حيث يقول في الجملة الأولى: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه"، وألفاظ جملة فعل الشرط هي نفسها ألفاظ جملة الجواب، وهذا التكرار لمزيد من الترغيب في الإقدام على محبة الله، وعدم الخوف من الموت وما بعده، لأن المؤمن ثوابه النعيم المقيم ولذلك تكرر الفعل "أحب" مرتين، ولفظ الجلالة "الله" تكرر مرتين ولفظ "لقاء" تكرر مرتين وفي ذلك غاية الترغيب، وذروة الإكرام الإلهي، ومعنى محبة لقاء الله كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام والخطابي، إيثار العبد الآخرة على الدنيا، وعدم محبة استمراره فيها شوقًا لنعيم الآخرة.

والجملة الثانية تُرسى قاعدة مغايرة وهي تحدد موقف الله عز وجل من الذين

---

(١) برقم ٢٦٨٤/١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥١١٧.

يخشون العذاب يوم القيامة، لبعدهم عن الإيمان، وتوغلهم في دروب العصيان "ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

ومن سمات الجمال التعبيري: هذا الحوار بين رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها، وهي تسأل الرسول ﷺ وتناديه يارسول الله أكراهية الموت؟ ثم تقول ملقية على سؤالها السابق ظلالاً من التعجب، فكلنا نكره الموت !!.

ويلجأ رسول الله ﷺ إلى أسلوب الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال، وهذا من عناصر التشويق والترغيب في أسلوب الحديث النبوي: فيقول: ليس كذلك، أي ليس الأمر كما قلت: فكراهية الموت ليست مقصودة لذاتها، ولكن لمتعلقاتها وما ينتج عنها، ومسبباتها.

والاستدراك في قوله: "ولكن" ينفي ما توهم السامع ثبوته، ويثبت ما توهم السامع نفيه، وجاء التوضيح مصدرًا بالتوكيد في قوله: "ولكن" فهي تؤكد المعنى اللاحق، وصاغ الرسول ﷺ توضيحه في أسلوب الشرط والجواب، وأتى بأداة الشرط "إذا" في الجملتين، وأكد الجملة الثانية "بإن" حتى تتضح معالم الحديث ومقاصده، والجملتان الشرطيتان بينهما مقابلة في الموقف، وطباق بين الألفاظ، وتضاد في علاقة الإنسان بربه، فمنهم المؤمن، ومنهم الكافر، ومنهم من يبشر برحمة الله، ومنهم من يبشر بعذاب الله وسخطه، ومنهم من يحب لقاء الله فيحب الله لقاءه، ومنهم من يكره لقاء الله فيكره الله لقاءه.

وهذه المقابلات تضع المسلم في دائرة النجاة، وتبشره برحمة الله ورضوانه وجنته.

وتأمل هذه السخرية من الكافر في قوله: "وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه"، وجاءت البشرى هنا على سبيل المشاكلة اللفظية مع ما سبق، وذلك لمزيد من السخرية من الكفار الذين يتوهمون أن شياطينهم، وأعوان الشياطين من الإنس سيأخذون بيدهم إلى النجاة، ولكن هيهات هيهات: إن ربك لبالمرصاد.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حب المؤمن للقاء الله وكراهية الكافر لذلك.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن كراهية الموت لا تعني كراهية لقاء الله.

ثالثًا: من واجبات الداعية: الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل.

أولاً - من موضوعات الدعوة: حب المؤمن للقاء الله وكراهية الكافر لذلك:

هذا ما أشار إليه نص الحديث في قوله ﷺ "ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه".

وفي بيان ذلك قال النووي: (هذا الحديث يفسر آخره أوله ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة؛ "من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله" ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه وما أعد له ويكشف له عند ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ويحب الله لقاءهم أي: فيجزل لهم العطاء والكرامة)[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] قال ابن كثير: (وقوله "تتنزل عليهم الملائكة" يعني عند الموت قائلين "ألا تخافوا" أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة "ولا تحزنوا" أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دين، فإنا نخلفكم فيه "وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون" فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

الخير)[١]، وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله ((إذا حُضِرَ المؤمن؛ أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضًا، حتى يأتون به باب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض... إلخ))[٢]. قال النووي: (وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره لقاءهم أي: يبعدهم عن رحمته وكرامته ولا يريد ذلك بهم)[٣]، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤]. وهذا ما أكده النبي ﷺ في قوله: ((... وإن الكافر إذا حُضِرَ؛ أتته ملائكة العذاب بمسحٍ، فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطًا عليك إلى عذاب الله عز وجل فتخرج كأنتن ريح جيفةٍ، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح! حتى يأتون به أرواح الكفار))[٥].

قال النووي: (وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم، وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم، كراهتهم لذلك، ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك، بل هو: صفة لهم)[٦].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن كراهية الموت لا تعني كراهية لقاء الله:

هذا ما ورد في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها "فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: "ليس كذلك"، وفي بيان ذلك قال ابن حجر: (قال ابن

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٧٧/٧.

(٢) أخرجه النسائي ١٨٣٤ ، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٢٩).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٥) أخرجه النسائي ١٨٣٤ ، وصححه الألباني (صحيح سنن النسائي ١٧٢٩).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٨٦.

الأثير في النهاية "المراد بلقاء الله هنا المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عندالله، وليس الغرض به الموت لأن كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، لأنه إنما يصل إليه بالموت، وقول عائشة رضي الله عنها ((والموت قبل لقاء الله))[1] يبين أن الموت غير اللقاء، ولكنه معترض دون الغرض المطلوب، فيجب أن يصبر عليه، ويحتمل مشاقه، حتى يصل إلى الفوز باللقاء)[2].

وفي تأكيد ذلك قال الطيبي: (إن قول عائشة رضي الله عنها "إنا لنكره الموت" يوهم أن المراد من لقاء الله في الحديث الموت وليس كذلك لأن لقاء الله غير الموت بدليل قوله في الرواية الأخرى "والموت قبل لقاء الله" لكن لما كان الموت وسيلة إلى لقاء الله عبر عنه بلقاء الله)[3].

وقال ابن حجر: (وقد سبق ابن الأثير إلى تأويل لقاء الله بغير الموت، أبو عبيد القاسم ابن سلام فقال: ليس وجهه عندي كراهة الموت وشدته، لأن هذا لا يكاد يخلو عنه أحد، ولكن المذموم من ذلك إيثار الدنيا والركون إليها وكراهية أن يصير إلى الدار الآخرة. قال: ومما يبين ذلك أن الله تعالى عاب قومًا بحب الحياة فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾[4]، وقال الخطابي: معنى محبة العبد للقاء الله إيثار الآخرة على الدنيا، فلا يحب استمرار الإقامة فيها، بل يستعد للارتحال عنها، والكراهة بضد ذلك)[5].

ثالثًا- من واجبات الداعية: الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب:

هذا ما ورد في الحديث من قول عائشة رضي الله عنها فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟ قال: "ليس كذلك... إلخ"، وقد أمر الحق تبارك وتعالى

---

(١) أخرجه مسلم ٢٦٨٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٧/١١.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٣٢٥/٣-٣٢٦.

(٤) سورة يونس، آية: ٧.

(٥) فتح الباري، ابن حجر، ٣٦٧/١١.

أنبياءه وأتباعهم بذلك فقال: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[١] وخير دليل على الإجابة على سؤال المدعو وتصحيح التصور الخاطئ وبيان الصواب، قول عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[٢]، قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[٣])[٤]، فعلى الداعية أن يمتثل لأمر الله تعالى ويقتدي بالنبي ﷺ في بيان وإيضاح ما استشكل وخفي عن المدعوين، حتى يكونوا على بصيرة من أمر ربهم وسنة نبيهم، فيعبدوا الله على علم، وفي ذلك عظيم الأجر والفلاح.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان أن الجزاء من جنس العمل:

هذا ما أشار إليه الحديث من قوله ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقائه" قال ابن حجر: (وفي الحديث أن المجازاة من جنس العمل، فإنه قابل المحبة بالمحبة، والكراهة بالكراهة)[٥]، وقد بين الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن الجزاء يكون من جنس العمل، فقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾[٦] قال ابن كثير: (أي: ما لمن أحسن في الدنيا العمل إلا الإحسان إليه في الدار الآخرة)[٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٨] قال ابن كثير: (يقول تعالى مخبرًا عن

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨٧.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٦٠.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٦١.

(٤) أخرجه الترمذي ٣١٧٥، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٥٣٧).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٦٨/١١.

(٦) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٥٠٥/٧.

(٨) سورة المرسلات الآيات: ٤١-٤٤.

عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات: أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، "وفواكه مما يشتهون" أي من سائر أنواع الثمار، مهما طلبوا وجدوا "كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون" أي: يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبرًا مستأنفًا: "إنا كذلك نجزي المحسنين" أي: هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل)[1].

وقال تعالى في بيان جزاء المسيئين ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا﴾[2] قال ابن كثير: (وقوله: "جزاء وفاقا" أي: هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا)[3]. وفي ذلك بيان على أن الجزاء من جنس العمل، حتى يقدم المرء لنفسه في دار العمل ما يجعله يبلغ حسن الجزاء في الآخرة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠١/٨.

(٢) سورة النبأ، الآيات: ٢١-٢٦..

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٣٠٧/٨.

الحديث رقم (١٨٥١)

١٨٥١- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها، قالتْ: كان النبيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي[1]، فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ رضي الله عنهما، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا. فقال ﷺ: ((**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**)) فَقَالاَ: سُبْحَانَ اللهِ يَا رسولَ اللهِ، فقالَ: ((**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ: شَيْئًا -**)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ: وهي أم المؤمنين صفية بنت حييٍّ بن أخطب بن سَعْنة بن ثعلبة، ويقال عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير، من بني إسرائيل، من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام، وكانت من ذوات الشرف، تدين باليهودية من أهل المدينة، وكانت قد تزوجت قبل إسلامها سَلاَّم بن مشْكم، وكان شاعرًا ثم فارقها فتزوجت كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، سباها النبي ﷺ عام خيبر في شهر رمضان سنة (٧) من الهجرة وكانت قد ولدت بعد البعثة بثلاث سنين، فيكون عمرها يوم أن تزوجها النبي ﷺ سبع عشرة سنة، وكان النبي ﷺ قد أعتقها ثم تزوجها، وجعل عتقها صداقها، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ غزا خيبر... فجاءه دحية فقال: ((يا رسول الله أعطني جارية من السبي، فقال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حييٍّ، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبي الله أعْطَيْتَ دحية صفية بنت حييّ سيدة قريظة والنضير؟ ما تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، قال: فجاء بها، فلما نظر إليها النبي قال خذ جارية من السبي غيرها، قال وأعتقها وتزوجها....))[3] وكانت صفية قد رأت قبل أن يتزوجها

---

(١) عند مسلم زيادة: (وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد).

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٥، ومسلم واللفظ له ٢١٧٥/٢٤.

(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، فضل إعتاق أمته ثم يتزوجها ص (٦٠٠)، حديث قم (١٣٦٥).

رسول الله ﷺ أن قمرًا من يثرب وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأمها أو لزوجها فلطمها على وجهها، وقال إنك لتمدين عنقك إلى أن تكون عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أُتِيَ بها رسولَ الله ﷺ فأخبرته فكبُرت في نفسه حين سمع منها هذه البشارة التي زفها الله إليها في هذه الرؤيا الصالحة، وواس آلامها وخفف من مصابها، وأعلمها بأن الله قد حقق رؤياها.

روت عن النبي ﷺ، وروى لها الجماعة، ولها في كتب الأحاديث (١٠) أحاديث.

وكانت صفية رضي الله عنها شريفة حليمة فاضلة، ذات حسب وجمال ودين وتقوى، من أضوأ ما يكون من النساء، ولها الكثير من الفضائل والمناقب، روى ابن حجر في الإصابة أن جارية لها أتت عمر، فقالت: إن صفية تحب السبت وتَصِلُ اليهود، فبعث إليها عمر فسألها عن ذلك، فقالت أما السبت، فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رَحِمًا فأنا أصلها، فلم يجب عمر، ثم قالت للجارية: ما حملك على هذا: قالت الشيطان، فقالت: اذهبي فأنت حرة، وهي في هذا تتخلق بخلق رسول الله ﷺ الذي كان يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ولا يَفْعَل هذا من الخلق بعده إلا من كان من الراسخين في العلم والتقوى والورع.

وتوفيت رضي الله عنها بالمدينة المنورة، في شهر رمضان، في سنة (٥٠) ودفنت بالبقيع مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعًا[1].

غريب الألفاظ:

معتكفًا: مقيمًا في المسجد بنية العبادة[2].

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢/١٢٠-١٣١، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ٩١٦، ٩١٧، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ٧/١٦٨-١٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ١٧١٩، ١٧٢٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٢/٢٣١-٢٣٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٨/٥٤٥، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٤/٦٧٨، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣/٢٠٦، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ١/١٧٧-١٨٣.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ع ك ف).

لأنقلب: لأعود إلى بيتي[١].

ليقلبني: يردني إلى منزلي[٢].

على رسلكما: الرِّسل: التأني والتؤدة، أي: اتئد وتمهلا[٣].

الشرح الأدبي

إن الشيطان تتعدد طرق سيطرته على الإنسان، وأبلغ تعبير يصور مدى تغلغل الشيطان واستحواذه على الإنسان، هو هذا البيان النبوي الدقيق الذي ختم به هذا الحديث الشريف وجاء في صيغة التوكيد، وتكرر التوكيد "بإن" مرتين حيث شبه رسول الله ﷺ وسوسات الشيطان ونفاذ مغرياته إلى النفس بالدم الذي يجري في العروق، فكأنه لا يفارق الدم، وجاء هذا التصوير الذي يحذر من إغراء الشيطان في إطار مشهد واقعي من مشاهد السيرة النبوية، حيث تروي أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها وقائع هذا المشهد وأحداثه، وأدوات الربط بين الأفعال في الحديث تفيد سرعة الأحداث وتلاحقها، فالأفعال تتوالى في إيقاع سريع حيث العطف بالفاء، وهي تفيد الترتيب والتعقيب: أي الإسراع، ولنتأمل هذا الشريط الذي تتعاقب أحداثه من خلال أفعاله "كان النبي معتكفًا... فأتيته... فحدثته ، فقام معي فمر رجلاً، فلما رأيا النبي ... فقال النبي... فقالا... فقال..."

ولم يأت العطف بـ"ثم" إلا في حالة واحدة، وهي بعد أن أقامت معه صفية رضي الله عنها تقول: ثم قمت لأنقلب أي أرجع والعطف هنا يدل على التريث والمكث عند رسول الله ﷺ: لأنها زيارة من زوجته له، ولو قالت فقمت: لفقد الكلام بلاغته، وفقد السياق دلالته، وقولها: فلما رأيا النبي أسرعا كناية عن الحياء، وعدم النظر إلى رسول الله ﷺ وهو مع زوجته، وهذا من أدب الصحابة، وقول النبي ﷺ "على رسلكما"،

---

(١) لسان العرب، ابن منظور في (ق ل ب)، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ٣٢٧/٤.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ، ٣٢٧/٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير في (ر س ل).

أمر بالتمهل وتوجيه لهما بأن يمشيا المشي المعتاد لأنه ليس في الأمر ما يكرهانه، كأنه يقول لهما: امشيا على هيئتكما، والتأكيد في قوله: "إنها صفية بنت حيي"، يشير إلى أنه ليس في الأمر شبهه، وأنه يجب نزع أي خاطر أو وهم غير صائب: وهذا لإزالة الشبهة التي قد تطرأ وتطوف بالذهن، وهذا من باب اتقاء الشبهات، وقولهما: سبحان الله يارسول الله فيه تعجب، ونداء.. وتنزيه لرسول الله ﷺ عن كل ما يشين، وفي رواية أخرى "يا رسول الله وهل يظن بك إلا خيرًا"، ويصدر الرسول ﷺ هذا التوجيه النبوي الحكيم وهو منبثق من هذه التجربة العملية الواقعية: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"، وهذا تعبير إيحائي تصويري مقنع يظل نبراسًا يضيء المواقف والأحداث، ويزيل الشبه ويقضي على همزات الوسواس الخناس.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الاعتكاف.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: كمال شفقة النبي ﷺ بأمته.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: التحرز من التعرض لسوء الظن والتحفظ من كيد الشيطان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الاعتكاف:

هذا ما يستفاد في الحديث من قول صفية أم المؤمنين رضي الله عنها "كان النبي ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً" قال ابن حجر: (والاعتكاف لغة لزوم الشيء وحبس النفس عليه، وشرعًا المقام في المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة، وليس بواجب إجماعًا إلا على من نذره)[1]، وقد كان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إنّ النبيَّ ﷺ كانَ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ حتّى تَوَفّاهُ اللهُ تعالىٰ، ثمَّ اعتكَفَ أزواجُهُ من بَعدِه))[2] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كان رسولُ اللهِ ﷺ يَعتَكِفُ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ))[3].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣١٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٢٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٠٢٥.

وللاعتكاف مقصود عظيم وفضل جليل بينه ابن القيم في قوله: (لما كان صلاح القلب واستقامته على طريق سيره إلى الله تعالى، متوقفًا على جمعيته على الله ولم شعثه بإقباله بالكلية على الله تعالى، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال على الله تعالى، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثًا ويشتته في كل واد، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يُذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب من أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره إلى الله تعالى، وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرّع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيته عليه، والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والانشغال به وحده سبحانه وتعالى، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كلُّه به والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه والتقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلاً عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك، لأنسه به يوم الوحشة في القبور، حين لا أنيس له سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم)[1]. وهذا ما أكده جلّ الفقهاء في قولهم: (إن الاعتكاف فيه تسليم المعتكف نفسه بالكلية إلى عبادة الله تعالى وطلب الزلفى، وإبعاد النفس من شغل الدنيا التي هي مانعة عما يطلبه العبد من القربى، وفيه استغراق المعكتف أوقاته في الصلاة إما حقيقة أو حكمًا، لأن المقصد الأصلي من شرعية الاعتكاف انتظار الصلاة في الجماعات، وتشبيه المعتكف نفسه بالملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار ولا يفترون)[2].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: كمال شفقة النبي ﷺ بأمته:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "على رسلكما، إنها صفية بنت حيي" وفي بيان

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم ٢/٨٦-٨٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٥/٢٠٧.

ذلك قال النووي: (وفي الحديث فوائد منها بيان كمال شفقته ﷺ على أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] فخاف ﷺ أن يلقي الشيطان في قلوبهما فيهلكا، فإن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع، والكبائر غير جائزة عليهم)[2]، وفي ذلك بيان عظيم على كمال شفقته ﷺ بأمته، وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] قال ابن كثير: (في قوله تعالى "عزيز عليه ما عنتم" أي: يعز عليه الشيء الذي يعنتُ أمته ويشق عليها، وقوله تعالى "حريص عليكم" أي: على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم)[4]، وقوله تعالى "بالمؤمنين رؤوف رحيم قال السعدي: (أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم)[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: التحرز من التعرض لسوء الظن والتحفظ من كيد الشيطان:

هذا ما يستفاد من الحديث في قوله ﷺ "إنها صفية بنت حيي" وقوله ﷺ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شرًا - أو قال شيئا - وفي بيان ذلك، قال ابن هبيرة: (في هذا الحديث دليل على أنه يجب على كل مسلم أن يتباعد عن مواقف الريب، وأن لا يقنع ببراءة نفسه عند نفسه، حتى يكون دليله على ذلك برهانًا واضحًا ينوب عنه مقاله ولا يحوجه إلى بسط عذره، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يظن به الشر مسلم إلا أنه ﷺ أراد بذلك أن يسلم ذلك الشخص الناظر من أن يعرض له الشيطان في تخييل ما لم يكن، وأن يقتدي به كل

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٢٤١/٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٣١٣.

مؤمن إلى يوم القيامة، فلا يخلون رجل بامرأة ليست له بمحرم فرؤي خاليًا بها، عرف الناظر إليه ذلك)[١].

وهذا ما أكده ابن حجر في قوله: (وفي الحديث التحرز من التعرض لسوء الظن والاحتفاظ من كيد الشيطان والاعتذار، قال ابن دقيق العيد: وهذا متأكد في حق العلماء ومن يقتدى به، فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلاً يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص، لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم، ومن ثم قال بعض العلماء ينبغي للحكم أن يبين للمحكوم عليه وجه الحكم إذا كان خافيًا نفيًا للتهمة. ومن هنا يظهر خطأ من يتظاهر بمظاهر السوء ويعتذر بأنه يجرب بذلك على نفسه، وقد عظم البلاء بهذا الصنف، والله أعلم)[٢]، وفي بيان الاحتفاظ من كيد الشيطان قال النووي: (وفي الحديث الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان، فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم، فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره، وفي قوله ﷺ إن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، قال القاضي وغيره: قيل: هو على ظاهره وأن الله تعالى جعل له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان ومجاري دمه، وقيل: هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه، وقيل: يلقي وسوسته في مسام نظيفة من البدن فتصل الوسوسة إلى القلب)[٣]، فعلى المرء أن يتحرز ويتحفظ من كيد الشيطان ووساوسه.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٣٧٢/٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣٢٩/٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٦١، إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٦٥/٧.

الحديث رقم (١٨٥٢)

١٨٥٢- وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْن، فَلَزِمْتُ أنا وأبو سُفْيَانَ بن الحارثِ بن عبد المطلب رَسُول الله ﷺ، فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرسُولُ اللهِ ﷺ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ[1]، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ[2]، وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ[3]، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أكُفُّهَا إرَادَةَ أنْ لاَ تُسْرِعَ، وأبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**أيْ عَبَّاسُ، نَادِ أصْحَابَ السَّمُرَةِ**)). قالَ العَبَّاسُ (وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتًا) فَقُلْتُ بِأعْلَى صَوْتِي: أيْنَ أصْحَابُ السَّمُرَةِ، فَوَاللهِ لَكَأنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أوْلاَدِهَا، فقالوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارُ، وَالدَّعْوَةُ في الأنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: ((**هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**))، ثُمَّ أخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: ((**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**))، فَذَهَبْتُ أنْظُرُ فَإذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أرَى، فَوَاللهِ مَا هُوَ إلاَّ أنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأمْرَهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم[4].

"الوَطِيس": التَّنُّور، ومعناه: اشتدت الحرب، وقوله: "حَدَّهُمْ" هو بالحاء المهملة، أي: بأسهم.

ترجمة الراوي:

العباس بن عبد المطلب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤٩٠).

---

(١) عند مسلم زيادة: (أهداها له فروة بن نفاثة الجذاميّ).

(٢) لفظ مسلم: (والكفار).

(٣) عند مسلم زيادة: (قال عباس).

(٤) برقم ١٧٧٥/٧٦.

غريب الألفاظ:

يوم حنين: حنين واد بين الطائف ومكة المكرمة وفيه وقعت غزوة حنين في شوال ٨هـ[١].

يركض بغلته: أي: يحرك رجله حثا لبغلته على العَدْو[٢].

السمُرة: هي: الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية[٣].

صيِّتًا: مرتفع الصوت[٤].

عطفتهم: ميلهم وشفقتهم[٥].

يا لبيك: لزومًا لطاعتك، ومعناه اتجاهي إليك وقصدي وإقبالي على أمرك[٦].

المتطاول: أي: تمدد قائمًا لينظر إلى الحرب، أو مد عنقه ليراه أو يطلع إليه[٧].

الوطيس: أي: التَّنُّور، ومعناه: اشتدت الحرب[٨].

حدهم كليلا: أي: بأسهم ضعيفًا[٩].

وأمرهم مدبرًا: أي: ولوا مدبرين لفساد لحق بهم[١٠].

الشرح الأدبي

إن أحداث غزوة حنين جاءت بعد فتح مكة: حيث أقام المسلمون بمكة فرحين

---

(١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ، ١٥٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروزآبادي في (ر ك ض).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ، ١١٤٦.

(٤) لسان العرب، ابن منظور في (ص و ت).

(٥) انظر الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية ، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ، ٦١٠.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ل ب ى).

(٧) المرجع السابق في (ط و ل).

(٨) رياض الصالحين، ٦٢٦.

(٩) رياض الصالحين ٦٢٦، وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

(١٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (د ب ر).

بنصر الله إياهم، مغتبطين أنه لم يسفك في هذا النصر العظيم إلا الدم القليل، وبعد أسبوعين من مقامهم بمكة: وبعد أن تألبت هوازن وثقيف بإمرة مالك بن عوف النصري، سار المسلمون لردعهم، والقضاء على هؤلاء الذين يبغون القضاء على من أتم الله عليهم نعمة الفتح المبين، وسار المسلمون في جيش لم تعرف بلاد العرب من قبل مثاله، حتى أعجب بعض المسلمون بكثرتهم وقالوا: لن نغلب اليوم لكثرتنا، وكانوا اثنى عشر ألفًا من الأبطال المقاتلين.

وهذا الحديث يصور مشهد المواجهة بين المسلمين والمشركين.. وهو ليس مشهدًا عاديًا، ولكنه مشهد إدبار المسلمين وبوادر هزيمتهم، حيث يقول العباس رضي الله عنه: "ولي المسلمون مدبرين لأنهم، أعجبتهم كثرتهم، ولكنها لم تغن عنهم شيئًا، وتتجلى شجاعة رسول الله ﷺ في إقباله وعدم إدباره، حيث أراد أن يندفع ببغلته البيضاء في صدر هذا السيل الدافق من رجال العدو هوازن وثقيف، ونضر وجشم، وما أدق هذا التعبير في رصد حركة الرسول وشجاعته، وغيرته وحميته، حيث يقول: فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفار"، ولكن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه يمسك بخطام البغلة، ويحول دون تقدمها خوفًا على رسول الله ﷺ من غدر الأعداء، وأمر الرسول ﷺ العباس رضي الله عنه أن يصيح في الناس وأن يستنهض أهل بيعة الرضوان، وكنى عنهم بقوله: يا أهل السمرة أي الشجرة، وقيل كان العباس رضي الله عنه جَهْوَرِيَّ الصوت يسمع صوته من نحو ثمانية أميال، وكأنه نفير الحرب أو البوق في العصر الحديث، وأقبل أهل البيعة، وأقبل الأنصار، وأقبل بنو الحارث، وكُسرت شوكة المشركين، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأيدهم بجند من عنده.

ولنتأمل هذه الصورة البيانية التي ترصد حركة أهل البيعة في إقبالهم بعد أن سمعوا النداء، يقول العباس رضي الله عنه "فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها"، وهذا تصوير دقيق يفصح عن تشوقهم لنصرة رسول الله ﷺ ونصرة الدين وحمايته، حيث قالوا: يالبيك يالبيك، وبعدها اقتتلوا هم والكفار، ونادى رسول الله ﷺ بأعلى صوته مستبشرًا: "الآن حمى الوطيس"، والوطيس حجارة مدورة إذا

حميت لم يقدر أحد أن يطأ عليها، وقيل هو التنور، وهذا التعبير الجديد البليغ لم يسمع في كلام العرب من قبل، ورسول الله ﷺ أفصح العرب، وقالوا: هذه اللفظة من فصيح الكلام وبديعه الذي لم يسمع من واحد قبل رسول الله ﷺ: ومعناه: اشتدت الحرب، وقال القرطبي: الوطيس موضع وقود النار واستعارته هنا لشدة الحرب، وهذه الاستعارة العجيبة لايعرف من تكلم بها قبله ﷺ من العرب، وأتم الله نعمته على المسلمين، وهُزِم المشركون وولوا مدبرين، بعد أن استجاب الله لنبيه ﷺ وثبت فؤاده، حين نادى في قلب المعركة: "أنا النبي لا كذب: أنا ابن عبدالمطلب"، وقال: "انهزموا ورب محمد ورماهم بحصياته، يقول العباس: فما زلت أرى حدهم، أي بأسهم كليلاً وأمرهم مدبرًا" فلله درك يا رسول الله:

قد تمهل الأقدار غِرًا[1] حاقدًا ... لكنها لا تنصر الإشراكا

وأنا النبي لا كذب وأنا ... ابن عبدالمطلب تتحديان عداكا

تتكاثران مع الزمان فكلنا ... حرب على من يستبيح حماكا

هي صيحة لك في حنين حطمت ... جيش الضلال وخلدت دعواكا

كانت بسيف ابن الوليد مضاءة ... والنصر ظل مَحَاربًا تهواكا

وعلى الأسنة كان نور لهيبها ... حمما تشل طريق من آذاكا

وتنقلت عبر القرون صواعقا ... سحقت حصون البغى وهي صداكا[2]

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: غزوة حنين.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على حضور الغزوات مع النبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: قوة وشجاعة وثبات رسول الله ﷺ.

---

(١) الغِرُّ: الأبله الذي لم يجرب الأمور، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (غ ر ر).

(٢) انظر: ديوان مدائن الفجر، د. صابر عبدالدايم، قصيدة: أين الطريق إليك.

رابعًا: من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان.

خامسًا: من أساليب الدعوة: التشبيه.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة الأنصار رضي الله عنهم.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان معجزتي النبي ﷺ في غزوة حنين.

أولاً- من تاريخ الدعوة: غزوة حنين:

هذا ما ورد في الحديث من قول أبي الفضل العباس بن عبدالمطلب: "شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين... إلخ" (وقد كانت وقعة حنين بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وذلك لما فرغ ﷺ من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، فبلغه أن هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النَّضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جُشم وبنو سعد بن بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا ومعهم النساء والولدان والنَّعم، وجاؤوا بقضِّهم وقضيضهم، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضًا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له "حنين"، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم، ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

وثبت رسول الله ﷺ، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب آخذ بركابها

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢٥.

الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول: "أين يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله"، ويقول في تلك الحال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال: ثمانون، فمنهم: أبوبكر، وعمر رضي الله عنهما، والعباس وعلي، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسامة بن زيد، وغيرهم رضي الله عنهم، ثم أمر ﷺ عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة -يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها، على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة، ويقول تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعون إلى رسول الله ﷺ، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ. فلما رجعت شرذمة منهم، أمرهم عليه السلام، أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: "اللهم أنجز لي ما وعدتني" ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقفاءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله ﷺ)[1].

(وكان من أعظم العبر والعظات المتخذة من غزوة حنين، أنها درسٌ في العقيدة الإسلامية، وقانون الأسباب والمسببات من نوع ذلك الدرس الذي أوحت به غزوة بدر، بل متممًا له؛ فإذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئًا في جنب كثرة أعدائهم، إذا كانوا صابرين ومتقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضًا لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين. وكما نزلت آيات من كتاب الله تعالى في تقرير العبرة من "بدر"، فقد نزلت آيات منه أيضًا في تقرير العبرة التي ينبغي أن تؤخذ من "حنين".

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٥/٤-١٢٦، وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٨١/٤.

كان المسلمون في بدر أقل عددًا منهم في أي موقعة أخرى، ومع ذلك فلم تضرهم القلة شيئًا، بسبب صدق إسلامهم، ونضج إيمانهم، وشدة ولائهم لله ولرسوله.

وكان المسلمون في حنين أكثر عددًا منهم في أي موقعة أخرى خاضوها من قبل. ومع ذلك فلم تنفعهم الكثرة شيئًا، بسبب تلك الجماهير التي لم يتمكن الإيمان بعد في نفوسها، ولم يتغلغل معنى الإسلام في أعماق أفئدتها.

لقد انضمت تلك الجماهير إلى الجيش بجسومهم وأشكالهم، بينما لا تزال الدنيا وأهواؤها تتخطف أفئدتهم وتستولي على نفوسهم. وهيهات أن يكون لتعداد الجسوم والأشكال أي أثر في النصر والتوفيق.

فمن أجل ذلك أدبرت هذه الجماهير وارتدت على أعقابها متفرقة في متاهات وادي حنين، حينما فوجئوا بكمائن العدو تخرج في وجوههم، وربما امتدت ظلال هذا الهلع إلى أفئدة كثيرة من المؤمنين الصادقين أيضًا بادئ الأمر.

ولكن ما هو إلا أن سمع الأنصار والمهاجرون صيحات رسول الله ﷺ ونداءه لهم حتى كرُّوا عائدين، يلتفون حول رسول الله ﷺ، ويخوضون معه معركة حامية الوطيس، ولم يكن هؤلاء يزيدون على المائتين!

ولكن بهؤلاء المائتين عاد النصر إلى المسلمين، ونزلت السكينة على قلوبهم، وهزم الله عدوهم شر هزيمة، بعد أن كانوا اثني عشر ألفًا فيهم كثير من الأمشاج الذين لم يغنوا عن أنفسهم شيئًا!

وأنزل الله تعالى هذه العظة البليغة في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1])[2].

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٢٥-٢٧.

(٢) فقه السيرة النبوية، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ٤٢٤-٤٢٥.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضي الله عنهم على حضور الغزوات مع النبي ﷺ:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ، فلم نفارقه. وليس أدل على حرصهم رضي الله عنهم على حضور الغزوات مع النبي ﷺ من فعل أبي خيثمة رضي الله عنه في ترك نعيم الدنيا والخروج في سبيل الله، وذلك ما ذكره ابن إسحاق في قوله: (إن أبا خيثمة رجع - بعد أن سار رسول الله ﷺ أيامًا - إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين[1] لهما في حائطه[2]، قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبرّدت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح[3] والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصف! ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زادًا، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ، حتى أدركه حين نزل بتبوك. وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبًا، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة؛ فقالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: "أولى[4] لك يا أبا خيثمة". ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير)[5].

---

(١) العريش: ما يستظل به، انظر: لسان العرب، ابن منظور في (ع ر ش).

(٢) الحائط: البستان، انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢١/٤ ها مش.

(٣) الضح: الشمس، انظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) أولى لك: كلمة تهديد معناه: الويل لك، انظر: المرجع السابق نفسه

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ١٦٠/٤، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ١٥٦/٧-١٥٧.

وها هو ذا أبوذر رضي الله عنه يقطع الفيافي والقفار حرصًا منه على الغزو في سبيل الله مع رسوله ﷺ؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (لما سار رسول الله ﷺ إلى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: دعوه، إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه. حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره. فقال: دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه "وتلوَّم"[1] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فجعله على ظهره، ثم خرج يتَّبع أثر رسول الله ﷺ ماشيًا، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، ونظر ناظر من المسلمين، فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده. فقال رسول الله ﷺ "كن أبا ذر". فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. قال: "فضرب الدهر من ضربه"[2] وسُيِّر أبوذر إلى الربذة في عه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه فقال: إذا مت فاغسلاني وكفناني من الليل، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك، فاطلع ركب، فما علموا به حتى كادت ركابهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر. فاستهل ابن مسعود يبكي، وقال: صدق رسول الله ﷺ: يرحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده. فنزل فوليه بنفسه حتى "أجنه"[3])[4]. وفي بيان ما سبق دليل على حرص الصحابة رضي الله عنهم على الجهاد في سبيل الله مع رسوله ﷺ.

---

(١) أي: انتظر وتمهل، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٨٤٦.

(٢) أي: مر من مروره وذهب بعضه، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٥٤١.

(٣) أي: دفنه وستره، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ١٦٩.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٧/١٥٨-١٥٩، ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي ٥/٢٢٧.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: قوة وشجاعة وثبات رسول الله ﷺ:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي رضي الله عنه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والمشركون، ولى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته قبل الكفار، وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ، أكفها إرادة أن لا تسرع" قال ابن كثير: (وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، إنه في مثل هذا اليوم في حَومة الوَغَى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع ذلك على بغلة ليست سريعة الجري، ولا تصلح لكرٍّ ولا لفرٍّ ولا لهرب، وهو مع هذا أيضًا يركضها على وجوههم، وينوِّه باسمه ليعرفه من لم يعرفه، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقة بالله، وتوكلاً عليه، وعلمًا منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان)[1]. وقال النووي قال العلماء: (ركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس، هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة، ومما ذكر في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه. وفي الرواية الأخرى: ((أنه نزل إلى الأرض حين غشوه))[2]، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر، وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن)[3]، فعن الْبَرَاءُ رضي الله عنه أنه قال: ((كُنَّا، وَاللَّهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ))[4]، قال النووي: (احمرار البأس كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة، أو لاستعار الحرب واشتعالها كاحمرار الجمر كما في الرواية السابقة

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٨/٤.

(٢) أخرجه مسلم ١٧٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٥.

(٤) أخرجه البخاري ٤٣١٧، مسلم ١٧٧٦.

حمي الوطيس، وفيه بيان شجاعته ﷺ وعظم وثوقه بالله تعالى)[١]، وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، وقد فزع أهل المدينة ليلة، سمعوا صوتًا، فتلقاهم النبي ﷺ على فرس لأبي طلحة عُري، وهو متقلد سيفه، فقال: لم تراعوا، ثم قال رسول الله: وجدته بحرًا يعني الفَرَسَ))[٢].

رابعًا- من تاريخ الدعوة: بيعة الرضوان:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله ﷺ "أي عباس، ناد أصحاب السمرة" قال النووي: (هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان، ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية)[٣]، (وقد كانت بيعة الرضوان في السادس من الهجرة من ذي القعدة حيث خرج رسول الله ﷺ في ألف وأربعمائة رجل، وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن الناس من حربه، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا له)[٤]، (وقد أراد النبي ﷺ بهذا النسك المنشود إقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم، وإفهام المشركين أن المسجد الحرام ليس ملكًا لقبيل يحتكر القيام عليه ويمكنه الصد عنه، فهو ميراث الخليل إبراهيم...، وإحرام النبي ﷺ وصحبه بالعمرة فحسب -وهم يريدون دخول مكة - آية على الرغبة العميقة في السلم، وعلى الرغبة في نسيان الخصومات السابقة، وتأسيس علاقة أهدأ وأرق، ولكن أبت قريش وتعاهدت ألا يدخل عليهم رسول الله ﷺ مكة أبدًا)[٥]، (وبعد أن أرسلت قريش بديل بن ورقاء الخزاعي، ثم مكرز بن حفص بن الأخيف، ثم الحليس بن علقمة "سيد الأحابيش"، ثم عروة بن مسعود الثقفي، وبعد هذه الوفود كانت "بيعة الرضوان")[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري ٣٠٤٠، ومسلم واللفظ له ٢٣٠٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٣٠٨/٢، البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢٠٧/٦.

(٥) فقه السيرة، محمد الغزالي، ٣٢٢-٣٢٤.

(٦) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٣١٣/٢، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٢١٠/٦-٢١٤.

حيث كان سبب هذه البيعة العظيمة أن النبي ﷺ (دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته.

فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: "لا نبرح حتى نناجز القوم". ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وكان جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت، ولكن بايعنا على ألا نفر.

فبايع الناس، ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، فكان جابر يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته، قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل)[1].

وقد أخرج البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: ((قال لنا رسول الله ﷺ يوم

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون ٢/٣١٥-٣١٦، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون ٦/٢١٤-٢١٥.

الحديبية: أنتم خير أهل الأرض[١] وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة).

خامسًا- من أساليب الدعوة: التشبيه:

هذا ما ورد في الحديث من قول العباس رضي الله عنه "فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، والتشبيه من الأساليب الدعوية المهمة (في تقريب المعنى إلى الأفهام؛ فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية، أو الغيبية)[٢]، فعلى الداعية أن يستعين بهذا الأسلوب المهم في تقريب المعنى لأفهام المدعوين لما في ذلك من عظيم الفائدة.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: فضل ومكانة الأنصار رضي الله عنهم:

هذا ما يستفاد من الحديث من قول الراوي "والدعوة في الأنصار يقولون: "يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار" وفي بيان عظيم فضل الأنصار رضي الله عنهم وعلو مكانتهم (قال تعالى مادحًا لهم، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة)[٣]: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٤])[٥]، قال القرطبي: (لا خلاف أن الذين تبوؤوا الدار هم الأنصار الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين إليها)[٦]، وقد بين النبي ﷺ عظم فضلهم ومكانتهم فقال: ((لو أنَّ الأنصارَ سَلكوا واديًا أو شِعبًا لَسَلكتُ في وادي

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٥٤، ومسلم ١٨٥٦.

(٢) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ٣٣١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٤) سورة الحشر، آية: ٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٦٨/٨.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٣٥٨/٢٠.

الأنصار، ولولا الهجرةُ لكنتُ امرَءًا منَ الأنصار. فقال أبو هريرةَ: ما ظَلَمَ - بأبي وأُمي - آوَوهُ ونصروهُ. أو كلمةً أخرى))[1] قال ابن حجر: (قال الخطابي: أراد ﷺ بذلك استطابة قلوب الأنصار، حيث رضي أن يكون واحدًا منهم لولا ما منعه من سمة الهجرة، وأطال بذلك بما لا طائل فيه، وقول أبو هريرة رضي الله عنه "ما ظلم"، أي ما تعدى في القول المذكور ولا أعطاهم فوق حقهم، ثم بين ذلك بقوله "آووه ونصروه"، وقوله رضي الله عنه "أو كلمة أخرى" لعل المراد وواسوه وواسوا أصحابه بأموالهم، وقوله "لسلكت في وادي الأنصار" أراد بذلك حسن موافقتهم له لما شاهده من حسن الجوار والوفاء بالعهد، وليس المراد أنه يصير تابعًا لهم، بل هو المتبوع المطاع المفترض الطاعة على كل مؤمن)[2]، وقد جعل النبي ﷺ حب الأنصار من الإيمان فقال: ((الأنصارُ لا يُحبُّهم إلاّ مؤمن، ولا يُبغضُهم إلاّ منافق. فمن أحبَّهم أحبَّهُ الله، ومَن أبغضهم أبغضَه الله))[3]، وقال ﷺ: ((آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصار))[4] وفي ذلك بيان على عظيم فضلهم وعلو مكانتهم رضي الله عنهم.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان معجزتي النبي ﷺ في غزوة حنين:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي: ((ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: "انهزموا، ورب محمد!" قال: فذهبت انظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله! ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرًا))، قال النووي: (هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ: إحداهما فعلية والأخرى خبرية، فإنه ﷺ أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين)[5] وذكر مسلم في رواية أخرى: ((أنه ﷺ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ

---

(١) أخرجه البخاري، ٣٧٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٧/١٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، ٣٧٨٣.

(٤) أخرجه البخاري، ٣٧٨٤.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

بِهِ وُجُوهَهُمْ. فَقَالَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ فَمَا خَلَقَ اللّهِ مِنْهُمْ إنْسانًا إلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا، بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ))[1] (وهذا أيضًا فيه معجزتان خبرية وفعلية، ويحتمل أنه أخذ قبضة من حصى وقبضة من تراب فرمى بذا مرة وبذا مرة، ويحتمل أنه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب)[2].

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٧.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٤٦.

الحديث رقم (١٨٥٣)

١٨٥٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ. فقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[البقرة: ١٧٢]. ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، ومَلبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

أشعث: متسخ[2].

أغبر: علاه الغبار[3].

الشرح الأدبي

إن هذا الحديث الشريف يضيء لكل مسلم طريق الكسب الحلال، ويهديه إلى دروب الكمال، واتباع القدوة المثال، والابتعاد عن مواطن الريبة، ومنافذ الشيطان التي تلقى بالعبد في جب التهلكة والخسران، ولنتأمل سمات الجمال الأسلوبي التي تجسم المعاني وتوضحها، ومن هذه السمات الجمالية:

أ- البدء بالنداء في قوله: "أيها الناس"، وقد حذف حرف النداء اختصارًا وإيجازًا، وهو يوحي بالسرعة والرغبة في الاستجابة والإصغاء، وقال: "أيها الناس"، ولم يقل: أيها

---

(١) برقم ١٠١٥/٦٥. أورده المنذري في ترغيبه ٢٥٦١.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ش ع ث).

(٣) المرجع السابق في (غ ب ر).

المؤمنون: لأن لفظ الناس يتسق مع سياق الحديث بعد ذلك، حيث قال: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وقوله الناس: فيه تعميم يشمل كل أصحاب الأنبياء واتباعهم من قبل: وقال الزمخشري: ناداهم وإن كانوا في أزمنة مختلفة للإعلام بأن كل رسول في زمانه نودي بذلك، ليعتقد السامع أن ما نودوا به جميعًا حقيق بالأخذ والعمل.

ب- تكرار التأكيد في بداية الجملتين التاليتين للنداء، للإشعار بأهمية المنادى به وضرورة اتباع ما أمر به رسول الله ﷺ وما أوصى به، حيث قال: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا"، ومعنى طيبا: أي منزه عن النقائص مقدس عن الآفات والعيوب، وأسلوب الاستثناء في قوله: "لا يقبل إلا طيبًا" تأكيد لما سبق، وتنبيه على الكسب الحلال، وإرهاص لما سيأتي في ختام الحديث، حيث لا يقبل الله دعاء ولا رجاء ولا إنفاق من كان مطعمه حرامًا، ومشربه حرامًا، لأنه لم يقدم الطيب من القول ولا الطيب من الفعل ولا الطيب من الصدقات.

ج- التأكيد في قوله: إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين لتقرير الحقيقة الشرعية، حيث لا فرق بين الرسل والأمم في أمر كلٍّ بطلب الحلال، واجتناب الحرام.

د- الاقتباس من القرآن الكريم، والاستشهاد بآياته للإقناع، ولإفحام المغرضين والمبتدعين وأصحاب الأهواء.

هـ - صورة المسافر وهو أشعث أغبر... ويمد يديه إلى السماء، ويكرر النداء والدعاء: "يارب يارب"، هذه الصورة تتضمن مفارقة سلوكية حيث التناقض بين الأفعال والأقوال: فهو في مظهره وقوله: يبدو مؤمنًا محتاجًا إلى ربه، ولكنه في مخبره غير ذلك، فمطعمه حرام، ومشربه حرام، وحتى في نشأته وطفولته غذى بالحرام، وكأنه ورث هذا السلوك المعوج... وتدرج في هذه البيئة الفاسدة، والتعبير بالمصدر في قوله: "مطعمه ومشربه" إيحاء بأن مصدر الكسب حرام، ومنبعه، من الكسب الخبيث، وليس الكسب الطيب، والبناء للمجهول في قوله: "وغذي بالحرام": إشارة إلى أنه كان يجهل هذا الغذاء لعدم إدراكه، وكان عليه في الكبر أن يتدارك ذلك ، وأن يصغى

إلى رسول الله ﷺ في قوله: أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

و - الاستفهام في قوله: فأنى يستجاب له يفيد الإنكار والاستبعاد، أي كيف يستجاب الدعاء لمن خبث مصدر مطعمه ومشربه، وقيل: إن للدعاء جناحين، أكل الحلال، وصدق المقال.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق من الطيب الحلال.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على كسب الطيب من الرزق وأكل الطيبات.

رابعًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من أكل أو شرب الحرام.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

النداء من أساليب الدعوة المهمة في لفت انتباه المدعوين واستحضار أذهانهم لبيان أهمية الأمر المدعو إليه، وهذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "يا أيها الناس".

ثانيا - من موضوعات الدعوة: الحث على الإنفاق من الطيب الحلال:

هذا ما أكد عليه نص الحديث في قوله ﷺ "إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا".

قال ابن رجب: (والمعنى أنه تعالى مقدَّس منزه عن النقائص والعيوب كلها، وهذا كما في قوله: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ﴾[1] والمراد: المنزهون من أدناس الفواحش وأوضارها. وقوله: "لا يقبل إلا طيبًا" أي لا يقبل من الصدقات إلا ما كان طيبًا حلالاً.

وقد قيل: إن المراد في هذا الحديث الذي نتكلم فيه الآن بقوله: "لا يقبل الله إلا طيبًا" أعم من ذلك، وهو أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبًا طاهرًا من المفسدات كلها، كالرياء والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيبًا حلالاً، فإن الطيب توصف

---

(١) سورة النور، آية: ٢٦.

به الأعمال والأقوال والاعتقادات، فكل هذه تنقسم إلى طيب وخبيث)[١].

قال النووي: (وفي الحديث الحث على الإنفاق من الحلال والنهي عن الإنفاق من غيره)[٢].

وفي تأكيد ذلك قال ﷺ: ((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمنُ بِيَمِينِهِ. وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً. فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ. كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ))[٣]، قال النووي: (والمراد بالطيب هنا الحلال)[٤]، وبين ابن هبيرة: (أن الله تعالى إنما يثيب العبد على ما أنفق من ماله، وإذا أنفق من مال مغصوب لم يكن قد أنفق ماله؛ إنما أنفق من مال غيره؛ فلم يكن من المنفقين أموالهم كما قال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٥]؛ فإذا أنفق من ماله فهو الذي يأجره الله عليه، وذلك هو الكسب الطيب، وهو الذي يكسبه بالشرع، فقد طابت طرق حصوله، وينبغي له ألا يزدري النذر من الإنفاق؛ فإنه سيربو في التضعيف أضعاف ما يأمل المتصدق به)[٦].

وهذا ما أكده النبي ﷺ في نص الحديث من قوله "... إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيلة".

قال ابن حجر: (وقوله: "فلوَّه" بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، وهو المهر لأنه يفلى أي يفطم...، وضرب به المثل لأنه يزيد زيادة بينة، ولأن الصدقة نتاج العمل، وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيمًا، فإذا أحسن العناية به انتهى إلى حد الكمال،

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٨٥-٢٥٩.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ١٤١٠، ومسلم ١٠١٤.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٥) سورة البقرة، من آية: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٧٤.

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٥٧.

وكذلك عمل ابن آدم -لا سيما الصدقة- فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب، لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال، حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل)[١]. والفصيل: (هو ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وأصله من القطع)[٢]. وفي بيان ما سبق لكمال الحث والترغيب على الإنفاق من الطيبات.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على كسب الطيب من الرزق وأكل الطيبات:

هذا ما ورد في الحديث من قوله ﷺ "وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[٤]، قال ابن رجب: (وفي هذا الحديث إشارة إلى أنه لا يقبل العمل ولا يزكو إلا بأكل الحلال، وأن أكل الحرام يفسد العمل، ويمنع قبوله، فإنه قال بعد تقريره: إن الله لا يقبل إلا طيبًا. إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا"، وقال: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم".

والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فما دام الأكل حلالاً، فالعمل صالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال، فكيف يكون العمل مقبولاً؟)[٥]. (فينبغي أن يكون المشروب والمأكول والملبوس حلالاً خالصًا لا شبهة فيه)[٦]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[٧] (يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين،

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ٣/٣٢٨.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ٦/٢٥٧.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٦٠.

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عَون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام، بهذا أتم القيام وجمعوا بين كل خير، قولاً وعملاً ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله على العباد خيرًا)[1]، وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[2] (هذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه)[3]، وفي ذلك بيان في الحث على كسب الحلال من الرزق وأكل الطيبات.

رابعًا - من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

هذا ما أشار إليه الحديث في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[5]، فالقرآن الكريم هو مصدر الدعوة الأول (وهو حجة الداعية التي لا تضل، وبينته التي لا تزول، ورايته التي لا تتوارى، يعطيه طلاوة وحلاوة، ويزيده بهاء ووضاءة، ويمنحه إقناعًا وهداية واتباعًا... لسان من لا لسان له، وفصاحة من لا فصاحة عنده، وطريق من ضل الدرب وتاه عن الصراط المستقيم، كما هو عقل وصواب، وعزم ومضاء، وإرادة وحكم، واستقامة وتقدم، وعدالة واستقرار، وأمن وطمأنينة، ورحمة ورأفة، ومبدأ وفكرة، كما هو حياة بغير ضلال أو عوج، أو شرور وآثام، وفتن وأهواء)[6].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ٤٧٧/٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ٦٤.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٦) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ١١٦.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الترهيب من أكل أو شرب الحرام:

هذا ما ورد في الحديث من قول الراوي ((ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك)) (والحرام: ما استحق الذم على فعله، وقيل: ما يثاب على تركه بنية التقرب إلى الله تعالى. وقيل: الحرام عام فيما كان ممنوعًا عنه بالقهر والحكم وقيل: هو: ما ثبت المنع عنه بلا أمر معارض له)[1]، وبين النبي ﷺ أن أكل الحرام هو طريق مؤدٍ إلى النار وغضب الجبار فقال: ((إنهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِن سُحْتٍ إلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ))[2] (والسحت بضم السين وسكون الحاء أي: الحرام)[3]، فضلاً عن إحباطه للعمل الصالح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ((مَنْ جَمَعَ مالا حَرَامًا، ثمَّ تَصَدَّقَ بِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ فيهِ أَجْرٌ، وكانَ إصْرُهُ عليهِ))[4].

وفي ذلك قال أبو عبدالله النباجي الزاهد: (خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة، لم يرتفع العمل، وذلك أنك إذا عرفت الله عز وجل، ولم تعرف الحق، لم تنتفع، وإذا عرفت الحق، ولم تعرف الله، لم تنتفع، وإن عرفت الله، وعرفت الحق، ولم تخلص العمل، لم تنتفع، وإن عرفت الله، وعرفت الحق، وأخلصت العمل، ولم يكن على السنة، لم تنتفع، وإن تمت الأربع، ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع)[5]. والحرام مانع من إجابة الدعاء، وهذا ما بينه النبي ﷺ في قوله من الحديث "فأنى يستجاب لذلك" قال النووي: (أي: من أين يستجاب لمن هذه صفته وكيف

---

(١) انظر: الكليات معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري ص ٢٠٠، ٤٠٤.

(٢) أخرجه الترمذي ٦١٤ ص حسه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٥٠١).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ٨٥٩/١.

(٤) صحيح ابن حبان، ٣٣٦٧، وقال محقق الصحيح، إسناده حسن.

(٥) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣١٠/٩.

يستجاب له)[1] وقال ابن رجب: (فقد أشار ﷺ إلى أن التوسع في الحرام أكلاً وشربًا ولبسًا وتغذية، مما يمنع إجابة الدعاء، وروى عكرمة بن عمار: حدثنا الأصفر، قال: قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ فقال: ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها، ومن أين خرجت)[2]، وفي ذلك بيان على الترهيب من أكل أو شرب أو التغذي بالحرام.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ص ٦٤٤.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس ١/٢٧٤-٢٧٥.

الحديث رقم (١٨٥٤)

١٨٥٤- وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)) رواه مسلم[1].

(العَائِلُ): الفَقِيرُ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يبدأ الحديث بالتشويق وبراعة الاستهلال، ومع التشويق والبراعة نجد الترهيب لأصناف من الناس الذين أشار إليهم بالعدد المذكور: أي ثلاث أصناف، ولم يحددهم بعد العدد، ولكن حدد عقابهم، وما أدراك ما هذا العقاب، إنه غضب أحكم الحاكمين عليهم يوم القيامة، وهو الرحيم الرحمان، فهو رحمان الدنيا يعم الصالح والطالح برحمته، ولكنه رحيم الآخرة، أي لا يفوز برحمته إلا من يستحقها، وهؤلاء لا يستحقون أن يستظلوا بظلال رحمته، ولا أن يفيئوا إلى بساتين عطفه ومنته، ولذلك توالت الجمل الثلاث التي تحدد معالم العقاب: وهي كلها تتلاقى في آن واحد، لأن الواو ليست للترتيب ولكنها لمطلق الجمع، فهم لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، وتكرار أداة النفي "لا" ثلاث مرات يفيد ثبات هذا العقاب، وذلك الحرمان وأي عقاب أشد وأنكى من ذلك؟؟ وأي حرمان يفوق حرمان هؤلاء من نعيم وفيوضات كلام الله لهم، وتزكيته وتطهيره لهم، ونظره إليهم نظرة بر واشفاق، إنهم حرموا من هذه النعم الإلهية، والمنح الربانية، وتأكيدًا لهذا الحرمان وذلك العقاب يقدم الضمير العائد عليهم في قوله "ولهم عذاب أليم"، وهذا من أنواع القصر، فالعذاب الأليم مقصور

---

(١) برقم ١٧٢/١٠٧، وتقدم برقم ٦١٧. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٤٥.

عليهم، إضافة إلى ما تقدم من نفي النعيم عنهم، ووصف العذاب بالأليم إشارة كما يقول الواحدي: إلى أنه هو العذاب الذي يخلص وصفه إلى القلب، والعذاب كل ما ينعت الإنسان ويشق عليه، وأصل العذاب في كلام العرب: المنع.

ويفصل الرسول ﷺ القول: ويوضح بعد الإجمال، والتشويق في أول الحديث، فالثلاثة هم شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر، والأوصاف التي تمثل المعاصي والذنوب، وكذلك الربط بين المعصية ونوعية العاصي يُحدث مفارقة واستغرابًا واستكثارًا، فكيف يزني من بلغ من العمر أرذله، وقد ضعفت شهوته عن الجماع الحلال فكيف الحرام؟ والشاعر العربي يقول:

عميرة ودع إن تجهزت غازيًا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

والكذب من حيل الضعفاء وقليلي المقدرة والجاه، ولكن حينما يكذب الرئيس أو الملك أو المسؤول على رعيته وعلى من حوله، فهو يخدعهم، وهو لا يرعى الله في رعيته، وهو يرتكب الحماقات وينأى عن الالتزام بمسؤوليات الملك، وأعباء الولاية، وتكاليف القيادة، فلا يستحق تكريم الله له، ولا يستحق طاعة الناس وموالاتهم.

وصيغة المبالغة في قوله: "كذاب" تفصح عن إيغال هذا المسؤول في صنعة الكذب والخداع والتمويه والاحتيال، ووصف العائل وهو الفقير المحتاج بالمستكبر، أي الذي يفتعل الكبر وهو ليس أهلاً له، فليس لديه ما يفخر به من مال وجاه وسلطان، إلا إذا كان مؤمنًا يفتخر بدينه، وعلمه ويتيه بأخلاقه، وهذا ليس استكبارًا، ولكنه إقرار بالفضل، وتحدث بالنعمة، وهي نعمة الإيمان والأخلاق.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٦١٧).

الحديث رقم (١٨٥٥)

١٨٥٥- وعنهُ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ)). رواه مسلم[١].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

سيحان: نهر كبير بالثغر الشامي، من نواحي المصيصة، ينبع من شرق هضبة الأناضول من جبال (أنتي طوروس)، يمر بأدخنة (أدنة)، ويصب في بحر الروم (البحر المتوسط) شمال شرق خليج الإسكندرونة[٢].

جيحان: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي (شمال غرب بلاد الشام) مخرجه من بلاد الروم، من شرق هضبة الأناضول، ويصب في البحر المتوسط غرب خليج الإسكندرونة عند بكفربيا[٣].

الفرات: نهر ينبع من شمال شرق تركية، ويخترق جبال طوروس، ثم يدخل سورية عند بلدة جرابلس، ويغادرها إلى العراق عند بلدة البوكمال، ليلتقي بنهر دجلة عند القرنة ليكوِّنا (شط العرب) الذي يصب في الخليج[٤].

النيل: هو: نهر النيل ينبع من هضبة البحيرات من أعالي أفريقيا ويتجه شمالاً، وعند القاهرة يتفرع إلى دمياط شرقًا ورشيد غربًا، طوله ٦٦٩٥ كم[٥].

---

(١) برقم ٢٨٣٩/٢٦.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٢٢٨.

(٣) المرجع السابق ١٣٢.

(٤) المرجع السابق ٢٩٣.

(٥) انظر: أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٦٤.

الشرح الأدبي

إن الماء مصدر الحياة، وسر بقائها على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1]. وقال سبحانه في سورة الزخرف: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2].

وهذا الحديث الشريف يتضمن خبرًا تقريريًا تعريفيًا، يوضح قيمة هذه الأنهار العذبة، التي تتجمع من مياه الأمطار التي تنزل من السماء فوق الجبال والهضاب، ثم تنحدر وتتخذ مجراها عبر الشعاب والأودية والجبال، حتى تستقر في هذه المجاري المائية التي تسقى الضرع، وتنبت الزرع، فتنشأ الحضارات على ضفاف الأنهار، وتعمر الحياة، وتتكاثر الأحياء.

والحديث في دلالته تتعدد آفاق معانية، فالأنهار المذكورة في الحديث حقيقية ولها دورها في حضارة الأمم التي تقطن حولها، وتستثمر مياهها في الزراعة والصناعة وكل متطلبات الحياة، فسيحان، وقيل سيحون نهر بالهند، وجيحان نهر وراء خراسان، وسميت هذه البلاد ببلاد ما وراء النهر، وهي الآن من بلاد الإسلام القوية ذات الحضارات والثروات الهائلة، والفرات: نهر بالعراق، وعلى ضفافه قامت حضارة بلاد الرافدين، وما زال يفيض بمياهه ويروي الهلال الخصيب.

والنيل شريان الحياة في مصر، ومصر كما يقول المؤرخون هبة النيل، فأسباب الحياة واستمرار الحضارة في مصر، مرتبط بما يفيض به النيل من المياه التي تغمر الحقول بالخصوبة، وتعمل على ازدهار الحضارة في وادي النيل، مصر والسودان، وغيرهما من بلدان أفريقيا.

وقوله: "كل" أي كل هذه الأنهار من أنهار الجنة، يحتمل أن يكون على ظاهره، أي أنها حقيقة تنبع من الجنة، والله أعلم بكيفية ذلك، ويحتمل أن يكون المراد هو

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٢) سورة الزخرف، آية: ١١.

لازم المعنى: أي أن هذه البلاد التي تنعم بخيرات هذه الأنهار سيمنُّ الله عليها بنعمة الإيمان، وينتشر فيها الإسلام، ويعم الرخاء، وقد حدث ذلك في الواقع حيث امتدت الفتوحات الإسلامية، ورفرفت راية الإسلام والتوحيد في أجواء هذه البلاد في الشام، والعراق، والهند، ومصر، وخراسان، وكأن هذه البلاد أصبحت تسقى من أنهار الجنة، وكل من استشهد من الفاتحين أو من أهل هذه البلاد دفاعًا عن الإسلام فهو في الفردوس الأعلى من الجنة، فالحديث في ضوء هذه الدلالة يعد من معجزات وبشارات النبي ﷺ لأنه إخبار واستبشار بدخول أهل هذه البلاد التي تضم هذه الأنهار في دين الله أفواجا. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الإخبار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل أنهار سيحان وجيحان والفرات والنيل.

أولاً- من أساليب الدعوة: الإخبار:

يظهر في قوله ﷺ: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)، حيث أخبر رسول الله ﷺ المدعوين أن هذه الأنهار من أنهار الجنة.

"قال القاضي عياض: (كون هذه الأنهار من الجنة أن الإيمان عمّ بلادها، وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة، والأصح أنها على ظاهرها، وأن لها مادة من الجنة مخلوقة، لأنها موجودة اليوم عند أهل السنة، وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى)[1].

وأسلوب الإخبار من أساليب الدعوة التي يستخدمها الداعية في الإخبار عن الحقائق للمدعوين.

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل ٣٧٢/٨.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل أنهار سيحان وجيحان والفرات والنيل:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة)، قال الطيبي: (قال القاضي ناصر الدين: خصّ الأنهار الأربعة بالذكر لعذوبة مائها، وكثرة منافعها، كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول الجنة، وسماها بأسامي الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب، على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم أنها في الجنة بمثابتها، وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعائم فنموذجات لما يكون في الآخرة، وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية"[1].

وأنهار الجنة أربعة، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾[2].

وقال كعب الأحبار: "نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر"[3].

وقال ابن عثيمين: "هذه أربعة أنهار في الدنيا وصفها النبي ﷺ بأنها من أنهار الجنة، فقال بعض أهل العلم: إنها من أنهار أهل الجنة حقيقة، لكنها لما نزلت إلى الدنيا غلب عليها طابع أنهار الدنيا وصارت من أنهار الدنيا؛ لأن أنهار الآخرة أربعة -أنهار الجنة أربعة- ذكرهم في الآية السابقة.

وهذه الأنهار الأربعة في الجنة لا نعلم كيفيتها ولا طعمها؛ لأن النبي ﷺ قال عن الجنة عن ربه في الحديث القدسي: ((أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار ٢٤٦/١٠.

(٢) سورة محمد، آية: ١٥.

(٣) معالم التنزيل، البغوي، ٢٨٣/٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسل ٢٨٢٤.

لكن سيحون وجيحون[1] والنيل والفرات معلومة وهي تأسن -تتغير- مع طول المدة، فللعلماء فيها تأويلان:

(١) أنها من أنهار الجنة حقيقة لكن لما نزلت إلى الأرض صارت لها حكم أنهار الدنيا.

(٢) أنها ليست من أنهار الجنة حقيقة لكنها أطيب الأنهار وأفضلها، فذكر النبي ﷺ هذا الوصف لها من باب رفع شأنها والثناء عليها، والله أعلم بما أراد رسوله ﷺ"[2].

وفي كل الأحوال يتأكد فضل هذه الأنهار لقول رسول الله ﷺ عنها ذلك.

---

(١) قال النووي: سيجون وجيجون غير سيحان وجيجان باتفاق الناس، شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٦٥٧.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٨٦.

الحديث رقم (١٨٥٦)

١٨٥٦- وعنه، قال: أخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ بيَدِي فَقَالَ: ((خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَومَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فيها الجِبَالَ يَومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَومَ الاثْنَينِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَومَ الثُّلاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأربِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوابَّ يَومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ، بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَومِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ[1] فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إلَى اللَّيْلِ)) رواه مسلم[2].

قال ابن عثيمين: (أما حديث "خلق الله التربة يوم السبت إلى آخر الحديث..." فهذا الحديث رواه مسلم وقد أنكره العلماء عليه فهو حديث ليس بصحيح ولا يصح عن النبي ﷺ؛ لأنه يخالف القرآن الكريم، وكل ما خالف القرآن الكريم فهو باطل، لأن الذين رووا نقله بشر يخطئون ويصيبون والقرآن ليس فيه خطأ، كله صواب منقول بالتواتر، فما خالفه من أي حديث كان فإنه يحكم بأنه غير صحيح وإن رواه من رواه؛ لأن الرواة هؤلاء لا يتلقون عن رسول الله ﷺ مباشرة ولكن بواسطة الإسناد: حدثنا فلانا عن فلان إلى رسول الله ﷺ وهؤلاء قد يخطئون. لكن القرآن ليس فيه خطأ.

فهذا الحديث مما أنكره أهل العلم - رحمهم الله - على الإمام مسلم ولا غرابة في ذلك؛ لأن الإنسان بشر "مسلم وغير مسلم" كلهم بشر يخطئون ويصيبون، فعلى هذا لا حاجة أن نتكلم عليه، ما دام ضعيفاً فقد كُفيناه - والله الموفق)[3].

---

(١) لفظ مسلم: (من ساعات الجمعة) بدل: (من النهار).

(٢) برقم ٢٧٨٩/٢٧.

(٣) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ للإمام النووي، شرحه وأملاه: فضيلة الشيخ محمد ابن صالح العثيمين، ضبط نصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: د. محمد حسن، محمود حسن محمود ٤٧٨/٤، ط/٣ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

الحديث رقم (١٨٥٧)

١٨٥٧- وعن أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه قَالَ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ. رواه البخاريُّ[١].

ترجمة الراوي:

خالد بن الوليد: هو أبو سليمان القرشي المخزومي.

سيف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، وقائد المجاهدين، كان من أشراف قريش في الجاهلية، وكانت إليه أعنة الخيل، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ، وهاجر مسلمًا هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: ((رمتكم مكةُ بأفلاذ كبدها))[٢]، وسُرَّ به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم سار غازيًا فحمل الراية وانتصر في مؤتة، بعد استشهاد "زيد" و"جعفر" و"ابن رواحة" رضي الله عنهم وقد اندقتْ في يده يوم مؤتة تسعةُ أسيافٍ، وما صَبَرتْ في يده إلا صفيحة يمانية[٣]، ثم شهد فتح مكة، فأبلى فيها وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى العُزَّى فهدمها، وجعل يقول:

كفرانك اليوم ولا سبحانك إني رأيتُ الله قد أهانك

وشهد حُنَيْنًا، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم نِعْمَ عبدالله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله[٤]، وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم ((لا تؤذوا خالدًا، فإنه سيف من سيوف الله، صبَّه الله على الكفار))[٥].

ولما ولّي أبوبكر رضي الله عنه وجّههُ لقيادة حروب الردة، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرةَ وجانبًا عظيمًا منه، وحوّله إلى الشام فاخترق البادية من العراق إلى الشام بجيشه

---

(١) برقم ٤٢٦٥.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٩٧/٥.

(٣) أخرجه البخاري ٤٢٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٨٤٦، وصححه الألباني.

(٥) صحيح ابن حبان ٧٠٩١، وقال محققو الصحيح: إسناده صحيح.

كالسهم في خمس ليالٍ، فحاصر دمشق، ولما ولّي ﷺ عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام، فلم يُثني ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة ﷺ إلى أن تم لهما الفتح سنة ١٤هـ، وله الأثر المشهود في قتال الفرس والروم، وكان في قلنسوته التي يقاتل بها شعر من شعر رسول الله ﷺ يستنصر به، فلا يزال منصورًا.

وكان مظفرًا، خطيبًا، فصيحًا يشبه عمر بن الخطاب ﷺ في خَلْقه وصفته، وقد قال فيه أبوبكر ﷺ: عجزت النساء أن يلدن مثله، وقد روى له المحدثون ١٨ حديثًا.

ولما حضرته الوفاة قال ﷺ: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في بدني موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء وما من عمل أرجى من (لا إله إلا الله) وأنا متترس بها.

وتوفي في حمص "بسوريا" سنة ٢١هـ[١].

غريب الألفاظ:

مؤتة: بلدة من قرى البَلقاء في حدود الشَّام، في جنوب الأردن حاليًا، فيها كانت المعركة المشهورة ٨هـ[٢].

صفيحة يمانية: سيف يمني عريض[٣].

الشرح الأدبي

هذه صفحة مشرقة من كتاب البطولة الإسلامية، ومن صفحات الإباء والشمم،

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٥٢/٤-٢٥٣، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر ١٩٧-١٩٩، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود ١٤٠/٢-١٤٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ٣٦٦/١-٣٨٤، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، تحقيق: غنيم عباس غنيم، ومجدي السيد أمين ٣٧١/٢-٣٧٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني ٥٣٤/١-٥٣٥، والأعلام، خير الدين الزركلي ٣٠٠/٢، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور طه محمد الزيتي ٣٣٠-٣٣١، وموسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك ٦٨٠/١-٦٩٠.

(٢) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل ٣٥٤.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في (ص ف ح).

ومَن غير خالد يفتخر بهذا الصنيع، وتلك الشجاعة، إنه سيف الله المسلول، وفي هذه الغزوة استشهد ثلاثة من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ وهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وابن رواحة شاعر فارس: أخذ الراية بعد جعفر، وتقدم وهو على فرسه... فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال وأقسم:

أقسمت يا نفس لتنزلنّه ... لتنزلنّ أو لتكرهنّه

إن أجلب الناس وشدوا الرنّة[1] ... مالي أراك تكرهين الجنة

ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل؛ وبعده أخذ خالد الراية مع ما رأى من تفرق المسلمين وتضعضع قوتهم المعنوية، وكان قائدًا ماهرًا ومحركًا للجيوش قلّ نظيره، وأحكم تدبير خطته، وأدخل في روع عدوه أن مددًا جاءه من عند النبي ﷺ فتفاعس الروم عن مهاجمة جيش المسلمين، وسروا بعدم مهاجمته إياهم[2].

ويصف خالد بن الوليد بلاءه في المعركة قبل توليه إمارة الجيش، وقبل انسحابه بعد تفكير دقيق، وخطة محكمة، هذه المعركة كان عدد جيش الروم بين مائة أو مائتي ألف من جيوش هرقل، وعدد المسلمين ثلاثة آلاف، وهذا البلاء الحسن الذي قدمه خالد بن الوليد يؤيده التأكيد الذي يشعر بالقسم في بداية الحديث حيث يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، واللام تشعر بالقسم، وقد للتحقيق والتأكيد، وأي شجاعة تفوق هذه الشجاعة، والجملة الأخيرة في الحديث صيغت في أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء، لتفيد أن خالد لم يعد يملك إلا سيفًا يمانيًا على تلك الصفة: صفيحة يمانية، وتكسر السيوف التسعة يدل على قوة الضرب والقتال، وهكذا كان بقية أبطال الإسلام، واستجاب الله لدعاء نبيه ﷺ وردّ المسلمين إلى ديارهم سالمين مع أنهم لم ينتصروا، ولكن خطة خالد المحكمة أوقعت في قلوب أعدائهم الرعب منهم، وفي بداية المعركة قال عبدالله بن رواحة الشاعر الفارس

---

(١) الرنّة: صوت يشبه البكاء، انظر: السيرة النبوية ابن هشام ١٤/٤ هامش، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر: حياة محمد، د. محمد حسين هيكل.

عندما رأي تخوف بعض المسلمين من كثرة عدد جيش الروم، وقلة جيش المسلمين قال: يا قوم والله إن التي تكرهون، للّتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحُسنيين: إما ظهور، وإما شهادة، فقال الناس: فوالله صدق ابن رواحة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل وقوة وشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه.

ثانيا: من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله.

أولاً- من موضوعات الدعوة: فضل وقوة وشجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول خالد بن الوليد رضي الله عنه: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية).

وهذا يدل على فضل وقوة وشجاعة وإقدام خالد بن الوليد رضي الله عنه، فهو رضي الله عنه من أشجع الناس، قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نِعْمَ عَبْدُ اللّهِ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللّهِ))[1].

قال المباركفوري: "قال القاري: أي: كسيف سله الله على المشركين وسلطه على الكافرين، أو ذو سيف من سيوف الله عز وجل، حيث يقاتل مقاتلة شديدة في سبيله مع أعداء دينه.

وقال المناوي: "أي: هو نفسه كالسيف في إسراعه لتنفيذ أوامر الله تعالى لا يخاف فيه لومة لائم"[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: ((أخذَ الرايةَ زيدٌ فأصيبَ، ثمَّ أخذَ جعفرٌ فأصيبَ، ثمَّ أخذَ ابنُ رَواحةَ

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٨٤٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢١).

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف ٢/٢٦٢٨، ٢٦٢٩.

فأصيبَ -وعيناهُ تَذرِفان- حتى أخذَها سيفٌ من سيوفِ اللّهِ حتى فتحَ اللّهُ عليهم))[١].

قال ابن حجر: "وكان من فرسان الصحابة رضي الله عنهم... وشهد مع النبي ﷺ عدة مشاهد ظهرت فيها نجابته، ثم كان قتل أهل الردة على يديه ثم فتوح البلاد الكبار"[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الجهاد في سبيل الله:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، فقد ذكر خالد بن الوليد رضي الله عنه انقطاع السيوف في يده، وذلك في يوم مؤتة في جهاده في سبيل الله مع المسلمين، ولم يكن الجهاد في سبيل الله يومًا من الأيام حربًا استعمارية مبنية على القهر والغلبة، ولا لفرض فكرة معينة أو حكم إجباري، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[٣]، بل إنه شرع ليفتح الطريق أمام الدعوة إلى الحق والتوحيد الخالص"[٤].

إذن فالقتال كان للدعوة وليس للإكراه على الإسلام، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر، ومنع الظلم والعدوان وإرهاق الشعوب من أمرهم عسرًا كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ولم يكن القتال محبوبًا للنبي ﷺ إنما المحبوب المطلوب هو الدعوة إلى الحق مستشهدين في سبيله، ولذا قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٦].

كان المؤمنون كارهين للقتل وإزهاق الأرواح، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد، وأن يخلو وجه الناس للحق والحرية والعدل، والإيمان بالله وحده الذي لا

---

(١) أخرجه البخاري ٣٧٥٧.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ابن حجر ١٢٧/٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٤) الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان يوسف ص ١٧.

(٥) سورة البقرة، آية: ١٩٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢١٦.

شريك له[١].

(ولا شك أن الانتصارات التي أحرزها المسلمون في حروبهم الجهادية، كانت سببًا في دخول الناس إلى هذا الدين أفواجًا، وفتح مكة خير دليل على ما نقول.. وكذلك الفتوحات التالية في بلاد فارس والروم.

وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ... فالقوة إلى جانب الدعوة لها أثر كبير في انتشارها.

وإن رحمة المسلمين في جهادهم بالمحاربين، والبلاد المفتوحة، كانت من الأسباب القوية التي جعلت الناس يقبلون على هذا الدين، وينضوون تحت لواء جهاده بعد أيام قليلة من الفتح)[٢]، وكل ذلك يدل على فضل الجهاد باعتباره عنصرًا مهمًا من عناصر نشر الدعوة الإسلامية.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة ص ٦٩.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، محمد خير يوسف ص ١٨ - ١٩.

الحديث رقم (١٨٥٨)

١٨٥٨- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رسولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: ((إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أصَابَ فَلَهُ أجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن العاص: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٣٠).

الشرح الأدبي

إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتعقل والتأمل والتدبر، والمسلم من سماته الفطنة والكياسة، والفراسة ودقة النظر، وحسن الفهم، وقوة الحجة، وهو بهذه السمات من أولي الألباب، الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض؛ وفي ضوء هذه الخصائص التي يتحلى بها المؤمن الصادق في إيمانه نقرأ هذا الحديث الشريف الذي حدد صنفًا من المسلمين وهو: "الحاكم والإمام" الذي بيده شؤون الرعية، أو القاضي الذي يتولى الفصل في أمور الناس ويحكم بينهم، أو كل من يتولى مسؤولية فضّ المنازعات، والفصل في الخصومات، ولفظ: الحاكم يشع بكل هذه الدلالات، وهذا من بلاغة الرسول ﷺ المحكمة: ألفاظ قليلة تتموج بالدلالات الكثيرة.

ويتكون الحديث من جملتين شرطيتين: الأولى: أداتها (إذا) وهي تفيد التحقق... وقد تصدرت الجملة التي تشع بالصواب في الاجتهاد. فالحكم نابع من الاجتهاد الصائب، والأجر مضاعف، ويوحي التعبير "بإذا" بالحث على الاجتهاد في الحكم، حيث يكون الحاكم من أهل الاجتهاد، ويجتهد فيما يسوغ الاجتهاد فيه، ولذلك جاء التعبير "بثم" ليفيد التأني في تلمس معالم الحكم وأدلته ومواطن صوابه.. "فاجتهد ثم أصاب، فله أجران"، أجر لاجتهاده، وأجر لإصابته، وأسلوب الشرط والجواب يناسب جو الحديث لأنه يعد بالأجر المضاعف، والجزاء من جنس العمل، والجملة الثانية

---

(١) أخرجه البخاري ٧٣٥٢، ومسلم ١٧١٦/١٥ ولفظهما سواء.

صيغت كذلك في قالب الشرط والجواب، ولكن أداة الشرط هي: (إن) لأن الخطأ بعيد عن اليقين. فالتعبير "بإن" هنا أنسب للسياق وللمقام، والعطف بالواو هنا في قوله: "واجتهد" يوحي بعدم التنسيق وبعدم ترتيب النتائج على المقدمات، لأن الواو لمطلق الجمع، أما في مقام الصواب: فقال: (إذا حكم الحاكم فاجتهد) حيث عطف بالفاء وهي توحي بالترتيب والمتابعة والتعقيب، وعدم التراخي في ترتيب الأمور والتفكر فيها.

وقوله: (فأخطأ) هنا يوحي بالسرعة وعدم التأني: لأن الاجتهاد يحتاج إلى مراجعة وموازنة وقياس. وإعمال للفكر، ومعرفة بالأدلة العقلية والنقلية، وأما في سياق الاجتهاد الصائب فقد عطف "بثم"، حيث قال: "ثم أصاب"، وهذا يوحي بالتأني والتدبروالاستقصاء والموازنة، والقياس... ومعرفة الأدلة والمسائل المشابهة والمناظرة، والأجر على محاولته الاجتهاد وهو أهل له.

وما أجمل هذا البيان النبوي، الذي يفيض بالأسرار التعبيرية والجمالية، ولا غرابة في ذلك فقد أوتي النبي ﷺ جوامع الكلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى الحكم التالي:

أجمع المسلمون على أن هذا الحديث في حاكم عالم للحكم، فإن أصاب فله أجران: أجر اجتهاده، وأجر إصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده. أما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاصٍ في جميع أحكامه سواء وافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها لا يعذر في شيء من ذلك[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الحاكم وأهمية وفضل اجتهاده وإصابته في الحكم.

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٣، ١٤.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على الحاكم المجتهد في الوصول للحق وعدم حرمانه ثواب اجتهاده.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على إخلاص النية لله تعالى في الأعمال.

أولاً- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الحاكم وأهمية وفضل اجتهاده وإصابته في الحكم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر". المجتهد هو الذي يحصل منه الاجتهاد ويقوم به[1].

قال النووي: (أجمع العلماء على أن هذا الحديث في حاكم عالم أهل للحكم، فإن أصاب فله أجران، أجر باجتهاده وأجر بإصابته، وإن أخطأ فله أجر باجتهاده.. فأما من ليس بأهل للحكم فلا يحل له الحكم، فإن حكم فلا أجر له، بل هو آثم ولا ينفذ حكمه سواء وافق الحق أم لا، لأن إصابته اتفاقية ليست صادرة عن أصل شرعي، فهو عاصٍ في جميع أحكامه، سواء وافق الصواب أم لا، وهي مردودة كلها ولا يعذر في شيء من ذلك، وقد جاء في السنن: ((الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُل عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُل قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهَلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ))[2]"[3].

فالحاكم عليه مسؤولية الحكم الصادر عنه، فلا بد أن يجتهد ويستفرغ وسعه في طلب الحق، حتى يكون مصيبًا في حكمه، فإن أصاب الحق كان له أجران، أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد.

قال ابن حجر: (قال القرطبي: قوله: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب" هكذا وقع في الحديث والأمر بالعكس، فإن الاجتهاد يتقدم على الحكم، إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقًا، لكن التقدير في قوله: "إذا حكم"، إذا أراد أن يحكم

---

(١) انظر: أصول مذهب الإمام أحمد دراسة مقارنة، د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ص ٦٢٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٥٧٣، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٠٥١).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١١٠٤.

فعند ذلك يجتهد، قال: ويؤيده أن أهل الأصول قالوا: يجب على المجتهد أن يجدد النظر عند وقوع النازلة، ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلاف غيره)[1].

قال الإمام البغوي: (الاجتهاد هو رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة من طرق القياس، فعلى الحاكم أن يحكم بما في كتاب الله سبحانه وتعالى، فإن لم تكن الحادثة التي يحتاج إلى الحكم فيها في كتاب الله، فيحكم بالسنة عن رسول الله ﷺ، فإن لم يجدها في السنة، فحينئذ يجتهد، والدليل عليه ما رُوي عن معاذ أن النبي ﷺ قال له لما أراد أن يبعثه إلى اليمن: ((كيف تقضي إذا عرض لك قضاءٌ؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنُة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يُرضي رسول الله))[2].

(قوله: "أجتهد رأيي" لم يُرد به الرأي الذي يسنح له من قبل نفسه أو يخطر بباله على غير أصل من كتاب، أو سنة، بل أراد به رد القضية إلى معنى الكتاب والسنة عن طريق القياس)[3].

واشترط الأصوليون في المجتهد أن يكون مسلمًا، صحيح الفهم، عالمًا بمصادر الأحكام، من كتاب وسنة وإجماع وقياس، وبالناسخ منها والمنسوخ، عالمًا باللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، عالمًا بأصول الفقه.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو وآخرين ١٦٦/٥، ١٦٧، وهذا ملخص ابن حجر، فتح الباري ٣٣١/١٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٣٦/٥، ٢٤٢، رقم ٢٢٠٠٧، وأبو داود ٣٥٩٢، والترمذي ١٣٢٧، وقال محققا شرح السنة: وقد ضعف بجهالة الحارث بن عمر، وبجهالة شيوخه الذين روي عنهم، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين منهم أبوبكر الرازي، وأبوبكر العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية... انظر: شرح السنة (حاشية) ١١٦/١٠، ١١٧. وللاستزادة انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة ص ١٣٨، ١٣٩.

(٣) شرح السنة ١١٦/١٠.

والمراد بمعرفة الكتاب معرفة آيات الأحكام، وليس المراد حفظها بل معرفة مواقعها بحيث يستطيع الوصول إليها بيسر وسهولة، ويستطيع معرفة معانيها كذلك. والمراد بمعرفة السنّة معرفة ما ورد من الأحاديث في الأحكام، وليس المراد حفظها، وإنما يكفي أن يكون لديه أصل جامع لغالبية أحاديث الأحكام يستطيع أن يتعرف فيه بيسر وسهولة، مواقع كل باب منها ليرجع إليه عند الحاجة، ولابد أن يعرف المقبول منها من المردود. واشترطت معرفته بالناسخ والمنسوخ، لئلا يفتي بما هو منسوخ. واشترطت معرفته بالعربية لكي يتمكن من فهم القرآن والسنة على وجههما الصحيح، لأنهما وردا بلسان العرب، وجريا على أساليب كلامهم. واشترطت معرفته بأصول الفقه لكيلا يخرج في استنباطه للأحكام، وفي الترجيح عند التعارض، عن القواعد الصحيحة لذلك.

وهذه الشروط إنما هي للمجتهد المطلق المتصدي للاجتهاد في جميع مسائل الفقه)[1].

والاجتهاد عمل شرعي مهم للغاية. وتتمثل أهميته فيما يلي:

إيجاد الأحكام والحلول للمشكلات والنوازل المستجدة، وتسهيل حياة الناس وتيسير ظروفهم وأحوالهم، بجلب ما يصلحهم وينفعهم، ودفع ما يهلكهم ويضر بهم.

تأكيد خاصيات وسمات صلاحية الشريعة وواقعيتها ومرونتها، وقدرتها على التطبيق والتحقق في جميع الأعصار والأمصار.

فلولا الاجتهاد - بفضل الله تعالى- لبقيت العديد من المشكلات والقضايا دون حلول وأحكام شرعية، وهذا يعطل الشرع ويغيبه، ويترك المجال سانحًا لغزو الأفكار والمذاهب والتيارات غير الشرعية محل الفقه الإسلامي.

إعمال الفكر وإثراء العقل وتطوير البحوث النظرية والشرعية وتوسيع مدارك المتعلمين والمتفقهين، وتعميق الحوار البناء والمناظرات الأدبية الفاعلة والمفيدة.

---

(١) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية ٢١٧/١.

تعميق الارتباط المتين بالكتاب والسنة، وبآثار وفتاوى وحياة السلف والخلف، وباللغة العربية وبجملة تراثنا وتاريخنا المجيد، ويتحقق هذا من خلال التعامل مع المعطيات الشرعية واللغوية والتاريخية أثناء عملية الاجتهاد واستخراج الأحكام وإيجاد الحلول الإسلامية.

ربط الإنسان بعصره وهمومه ونوازله، وجعله إنسانًا واقعيًا يفهم حياته وعصره، ويعمل على تقديم الحلول الإسلامية البناءة لما يحتاجه أهل عصره، بلا إفراط ولا تفريط، وبلا تسيب ولا مبالغة، وإنما وفق المنهج الوسطي الاعتدالي للشريعة الإسلامية الغراء.

تحقيق التعبد بالاجتهاد والنظر في الأدلة وفهمها وتمثلها وتكرارها، والموازنة والترجيح بينهما، وهذا كله يفضي إلى كسب الثواب والأجر، ويؤول إلى تحصيل مرضاة الله تعالى والظفر بجناته، بسبب طلب العلم والتماس طريق معرفة الأحكام، وإدراك الحلال والحرام، والترشح لمكانة العلماء الكرام في يوم يشتد فيه البأس والزحام[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الله على الحاكم المجتهد في الوصول للحق وعدم حرمانه ثواب اجتهاده:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم واجتهد فأخطأ فله أجر).

قال ابن حجر: "قال ابن العربي: عندي في هذا الحديث فائدة زائدة وهي: أن الأجر على العمل القاصر على العامل واحد، والأجر على العمل المتعدي يضاعف، فإنه يؤجر في نفسه، وينجر له كل ما يتعلق بغيره من جنسه، فإذا قضى بالحق وأعطاه لمستحقه ثبت له أجر اجتهاده، وجرى له مثل أجر مستحق الحق، فلو كان أحد الخصمين ألحن بحجته من الآخرة فقضى له -والحق في نفس الأمر لغيره- كان له أجر الاجتهاد فقط. قلت: وتمامه أن يقال: ولا يؤاخذ بإعطاء الحق لغير مستحقه، لأنه لم يتعمد ذلك، بل

---

(١) تعليم أصول الفقه، د. نور الدين الخادمي ص ٤٠١-٤٠٢.

وزر المحكوم له قاصر عليه، ولا يخفى أن محل ذلك أن يبذل وسعه في الاجتهاد وهو من أهله، وإلا فقد يلحق به الوزر إن أخل بذلك. والله أعلم"[١].

قال ابن عثيمين: "المراد بالحاكم هنا القاضي، والظاهر أن المفتي مثله، يعني أن الإنسان إذا اجتهد في طلب الحق، وتبين له شيء من الحق ثم أفتى به - أو حكم به - فهو على خير: إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا يضيع الله تبارك وتعالى أجر من أحسن عملاً، فدل ذلك على أن الإنسان إذا اجتهد وتحرى الحق وبذل وسعه في ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى يثيبه على هذا، إن أصاب فله أجران: الاجر الأول على إصابة الحق، والثاني على اجتهاده، وإن أخطأ فله أجر واحد، وهو الاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في طلب الحق"[٢].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على إخلاص النية لله تعالى في الأعمال:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث بيّن رسول الله ﷺ أن الحاكم إذا اجتهد في حكمه فله من الله الأجر والثواب أصاب أو أخطأ، لأنه أخلص نيته في عمله لله تعالى.

قال ابن القيم: وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وقال بعضهم: الإخلاص أن لا تطلب على عملك شاهدًا غير الله ولا مجازيًا سواه.

وقال صاحب المنازل: الإخلاص: تصفية العمل من كل شوب، أي: لا يمازج عمله ما يشوبه من شوائب إرادات النفس: إما طلب التزين في قلوب الخلق وإما طلب مدحهم، والهرب من ذمهم، أو طلب تعظيمهم، أو طلب أموالهم، أو خدمتهم ومحبتهم، وقضائهم حوائجه، أو غير ذلك من العلل والشوائب التي عقد متفرقاتها: هو إرادة ما سوى الله بعمله كائنًا من كان"[٣].

فلا بد أن يكون العمل خالصًا لله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٣/٣٣٢.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٨٨.

(٣) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ٢/٣١٤ - ٣١٥.

صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[٢]، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، على متابعة أمره وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يرد عليه أحوج ما هو إليه منثورًا.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[٣]، وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعدًا؛ فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره، لا بالآراء والأهواء"[٤].

فهدف الدعوة إلى الله إخلاص النية في العمل لله تعالى، وبذل الوسع والطاقة في تحصيل الحق.

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨.

(٤) مدارج السالكين في شرح منازل السائرين، ابن القيم ١/١٧٦.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٤٨-باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه	٥
الحديث رقم (١٧٦٩)	٥
٣٤٩-باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده	١٢
الحديث رقم (١٧٧٠)	١٢
الحديث رقم (١٧٧١)	٢١
٣٥٠-باب تحريم الشفاعة في الحدود	٢٦
الحديث رقم (١٧٧٢)	٢٦
٣٥١-باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها ...	٣٤
الحديث رقم (١٧٧٣)	٣٤
٣٥٢-باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد	٤٥
الحديث رقم (١٧٧٤)	٤٥
٣٥٣-باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة	٥٧
الحديث رقم (١٧٧٥)	٥٧
٣٥٤-باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام	٧١
الحديث رقم (١٧٧٦)	٧١
٣٥٥-باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخطبة على خطبته إلا أن يأذن أو يرد	٨٩
الحديث رقم (١٧٧٧)	٨٩
الحديث رقم (١٧٧٨)	٩٩
الحديث رقم (١٧٧٩)	١٠٤
الحديث رقم (١٧٨٠)	١٠٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٧٨١)	١١٤
الحديث رقم (١٧٨٢)	١١٥
٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها	١٢٣
الحديث رقم (١٧٨٣)	١٢٣
الحديث رقم (١٧٨٤)	١٣٦
٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء جادًا أو مازحًا، والنهي عن تعاطي السيف مسلولاً	١٤٨
الحديث رقم (١٧٨٥)	١٤٨
الحديث رقم (١٧٨٦)	١٥٤
٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة	١٥٩
الحديث رقم (١٧٨٧)	١٥٩
٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر	١٧٠
الحديث رقم (١٧٨٨)	١٧٠
الحديث رقم (١٧٨٩)	١٧٦
٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة	١٨١
الحديث رقم (١٧٩٠)	١٨١
الحديث رقم (١٧٩١)	١٨٧
الحديث رقم (١٧٩٢)	١٨٩
٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فراراً منه وكراهة القدوم عليه	٢٠١
الحديث رقم (١٧٩٣)	٢٠١
الحديث رقم (١٧٩٤)	٢١٥
٣٦٢- باب التغليظ في تحريم السحر	٢٢٤
الحديث رقم (١٧٩٥)	٢٢٤

الموضوع	الصفحة
٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو	٢٢٨
الحديث رقم (١٧٩٦)	٢٢٨
٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال	٢٣٣
الحديث رقم (١٧٩٧)	٢٣٣
الحديث رقم (١٧٩٨)	٢٣٥
الحديث رقم (١٧٩٩)	٢٣٧
٣٦٥- باب تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا	٢٤٤
الحديث رقم (١٨٠٠)	٢٤٤
الحديث رقم (١٨٠١)	٢٤٨
٣٦٦- باب النهي عن صمت يوم إلى الليل	٢٥٣
الحديث رقم (١٨٠٢)	٢٥٣
الحديث رقم (١٨٠٣)	٢٦٠
٣٦٧- باب تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتوليه إلى غير مواليه	٢٦٦
الحديث رقم (١٨٠٤)	٢٦٦
الحديث رقم (١٨٠٥)	٢٧٢
الحديث رقم (١٨٠٦)	٢٧٤
الحديث رقم (١٨٠٧)	٢٨٦
٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عز وجل أو رسوله ﷺ عنه	٢٩٤
الحديث رقم (١٨٠٨)	٢٩٤
٣٦٩- باب ما يقوله أو يفعله من ارتكب منهيًا عنه	٢٩٨
الحديث رقم (١٨٠٩)	٢٩٨
١٨ - كتاب المنثورات والملح	٣٠٩
٣٧٠- باب أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيرها	٣٠٩
الحديث رقم (١٨١٠)	٣٠٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٨١١)	٣٥٩
الحديث رقم (١٨١٢)	٣٦١
الحديث رقم (١٨١٣)	٣٦٥
الحديث رقم (١٨١٤)	٣٦٧
الحديث رقم (١٨١٥)	٣٦٩
الحديث رقم (١٨١٦)	٣٧٢
الحديث رقم (١٨١٧)	٣٧٤
الحديث رقم (١٨١٨)	٣٧٧
الحديث رقم (١٨١٩)	٣٧٩
الحديث رقم (١٨٢٠)	٣٨١
الحديث رقم (١٨٢١)	٣٨٣
الحديث رقم (١٨٢٢)	٣٨٥
الحديث رقم (١٨٢٣)	٣٩١
الحديث رقم (١٨٢٤)	٣٩٧
الحديث رقم (١٨٢٥)	٤٠٣
الحديث رقم (١٨٢٦)	٤١٢
الحديث رقم (١٨٢٧)	٤٢٠
الحديث رقم (١٨٢٨)	٤٢٢
الحديث رقم (١٨٢٩)	٤٣٠
الحديث رقم (١٨٣٠)	٤٣٩
الحديث رقم (١٨٣١)	٤٤٤
الحديث رقم (١٨٣٢)	٤٥٥
الحديث رقم (١٨٣٣)	٤٦٣
الحديث رقم (١٨٣٤)	٤٦٨
الحديث رقم (١٨٣٥)	٤٧٦

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٨٣٦)	٤٨١
الحديث رقم (١٨٣٧)	٤٨٨
الحديث رقم (١٨٣٨)	٤٩٦
الحديث رقم (١٨٣٩)	٥٠٣
الحديث رقم (١٨٤٠)	٥١٠
الحديث رقم (١٨٤١)	٥١٦
الحديث رقم (١٨٤٢)	٥٢٤
الحديث رقم (١٨٤٣)	٥٢٦
الحديث رقم (١٨٤٤)	٥٣٣
الحديث رقم (١٨٤٥)	٥٣٥
الحديث رقم (١٨٤٦)	٥٤١
الحديث رقم (١٨٤٧)	٥٤٦
الحديث رقم (١٨٤٨)	٥٥٠
الحديث رقم (١٨٤٩)	٥٥٦
الحديث رقم (١٨٥٠)	٥٦٠
الحديث رقم (١٨٥١)	٥٦٧
الحديث رقم (١٨٥٢)	٥٧٤
الحديث رقم (١٨٥٣)	٥٨٩
الحديث رقم (١٨٥٤)	٥٩٧
الحديث رقم (١٨٥٥)	٥٩٩
الحديث رقم (١٨٥٦)	٦٠٤
الحديث رقم (١٨٥٧)	٦٠٥
الحديث رقم (١٨٥٨)	٦١١
فهرس المحتويات	٦١٩

كنوز رياض الصالحين

رئيس الفريق العلمي

أ. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار

رعاية ودعم

صاحب السمو الملكي

الأمير/ بندر بن عبد العزيز آل سعود

أجزل الله مثوبته

المجلد الثاني والعشرون

دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

كنوز رياض الصالحين

٢٢

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العمار، حمد ناصر

كنوز رياض الصالحين/ حمد ناصر العمار - الرياض ١٤٣٠هـ، ٢٢ مج.

٣٨٩ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

١- الحديث - جوامع الفنون ٢- الحديث - شرح أ- العنوان

ديوي ٢٣٧,٣ ١٤٣٠/٤٢٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٢٨٨

ردمك: ٢-٩٤-٨٠١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٨-١٦-٨٠٥٥-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٧٤٢٤٥٨ - ٤٧٧٣٩٥٩ - ٤٧٩٤٣٥٤ فاكس: ٤٧٨٧١٤٠

E-mail: eshbelia@hotmail.com

الحديث رقم (١٨٥٩)

١٨٥٩- وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ، قَالَ: ((الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

الحُمَّى: هي: المرض الذي يصيب الإنسان بالحرارة في جسمه[2].

فيح جهنم: شدة حرها ولهبها وانتشارها[3].

الشرح الأدبي

إن البيان النبوي يتضمن إراشادات طيبة تعالج الأمراض الحسية والعقلية، والروحية، والطب النبوي شاهد على ذلك، ولا تقتصر أحاديثه ﷺ الطبية على فرع من علم الطب دون غيره، بل إنه ﷺ تحدث في فروع الطب المتعددة، ومنها: الطب الوقائي، الطب العلاجي، الطب النفسي، أصول علم الصحة، علم الوراثة.

وهذا الحديث الموجز يتضمن علاجًا للحمى يناسب العصر والبيئة، ويظل صالحًا حتى في العصر الحديث، فالماء البارد هو العلاج السريع الوقائي لإيقاف ارتفاع درجة الحرارة، حتى لا تتعطل مدارك الحس في الإنسان، لأن الحمى الشديدة يمكن أن تؤدي إلى الوفاة.

ولذلك جاء تصوير الحمي الشديدة في هذا الحديث بأنها من فيح جهنم، وليس هناك تصوير أبلغ من هذا، ولا أكثر تعبيرًا عن حقيقة الحمى من هذا التعبير الدقيق

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٦٣، ومسلم ٢٢١٠/٨١ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٠٥١ من رواية البزار بلفظ: (الحمى خط كلّ مؤمن من النار).

(٢) الوسيط في (ح م ى).

(٣) شرح مسلم، ١٣٧٨.

وفيه: إيحاء بالهلاك، وكلمة (فيح) معناها: انتشار، والحمى تنتشر في الجسد كانتشار النار، وقوله: (فأبردوها بالماء) فيه أمر واجب التنفيذ من رسول الله ﷺ، وفي رواية: (فاطفئوها بالماء) وكأن الحمى نار مشتعلة في الجسد، والماء يطفئ هذه النار، وهذا الدواء ما زال يلجأ إليه الأطباء في علاج الحمى أو إيقافها، حتى تعرف أسبابها.

وفي الحديث إعجاز علمي طبي حيث يقول د. حسان شمس باشا: (وكثيرًا ما ترتفع درجة حرارة المريض حينما يصاب بالتهاب جرثومي، أو فيروسي، والأمراض الفيروسية لا تنفع معها المضادات الحيوية في حين أن المريض يتفصد عرقًا، ويتوهج بالحرارة، ويقول: ولقد استعملنا الكمادات الباردة في المشافي البريطانية، إضافة إلى استعمال المروحة الهوائية في تخفيض الحرارة عن المرضى المحمومين)[1].

والتعبير بصيغة الأمر في قوله(فأبردوها بالماء) يجعل هذا الأمر واجبًا، ويرشد إلى أن هذه هي أسرع طريقة لإنقاذ المريض من الحمى التي تشبه نار جهنم - وقانا الله عذاب الجحيم، ونفعنا بالإيمان والنعيم المقيم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- استحباب مداواة الحمى بالماء[2].

٢- حكم التطبب والتداوي: ذهب جمهور السلف وعامة الخلف إلى جواز التطبب واستحباب التداوي.

وذهب بعض غلاة الصوفية إلى إنكار التداوي[3].

والراجح هو رأي جمهور العلماء لدلالة الأحاديث في ذلك.

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا ج/٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤/١٩١، ١٩٧، وطرح التثريب ٨/١٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٤/١٩١. ولمزيد من التفصيل انظر: الموسوعة الفقهية ١١/١١٦-١١٨.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ أن الحمى من فيح جهنم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من الطب النبوي علاج الحمى بالماء البارد.

أولاً- موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ أن الحمى من فيح جهنم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الحمى من فيح جهنم".

قال ابن القيم: وقوله "الحمى من فيح جهنم" هو شدة لهبها وانتشارها، ونظيره: قوله "شدة الحر من فيح جهنم" وفيه وجهان: أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتقت من جهنم ليستدل بها العباد عليها، ويعتبروا بها، ثم إن الله سبحانه قدر ظهورها بأسباب تقتضيها، كما أن الروح والفرح والسرور واللذة من نعيم الجنة، أظهرها الله في هذه الدار عبرة ودلالة. وقدر ظهورها بأسباب توجبها.

والثاني: أن يكون المراد التشبيه، فشبه شدة الحمى ولهبها بفيح جهنم، وشبه شدة الحر به أيضًا، تنبيهًا للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبهة بفيحها، وهو ما يصيب من قرب منها من حرها[1].

قال الطيبي: أقول: "من" ليست بيانيه حتى يكون تشبيها كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[2] هي إما ابتدائية، أي: الحمى نشأت وحصلت من فيح جهنم، أو تبعيضية، أي بعض منها، ويدل على هذا التأويل ما ورد في الصحيح: ((اشتَكَتِ النارُ إلى ربِّها فقالت: ربِّ أكلَ بعضي بعضًا، فأذنَ لها بنَفَسينِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونفَسٍ في الصيف))[3] الحديث، فكما أن حرارة الصيف أثر من فيحها، كذلك الحمى[4].

---

(١) زاد المعاد، ابن قيم، ٢٨/٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٧، ومسلم ٦١٧.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٩٠/٨، ٢٩١.

قال ابن عثيمين: (الحمى: هي المرض الذي يصيب الإنسان بالحرارة في جسمه، هذه من فيح جهنم، كما قال النبي ﷺ. أما كيف وصل فيح جهنم إلى بدن الإنسان؟ فهذا أمره إلى الله ولا نعرفه ما ندري، لكن نقول كما قال النبي ﷺ الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء)[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من الطب النبوي علاج الحمى بالماء البارد:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها[2] بالماء".

وذكر المازري: عن بعض أطباء عصره أنه حمل حديث الباب على الاغتسال، أو على الانغماس في الماء، وجعل يستهزئ بحديث الباب -والعياذ بالله- بأن (رأي أطباء ذلك العصر) مجموعون على أن اغتسال المحموم بالماء البارد مهلك[3].

وقال القرطبي في بيان ذلك: "وقد اعترض بعضُ سخفاء الأطباء على هذا الحديث، فقال: استعمال المحموم الاغتسال بالماء خطرٌ مقرب من الهلاك؛ لأنه يجمع المسامَّ، ويحقن البخار، ويعكس الحرارة لداخل الجسم، فيكون ذلك سببًا للتلف. وجوابه: أنَّ هذا إن صدر عمَّن ارتاب في صدق النبي ﷺ فجوابه بالمعجزات الدَّالة على صدقه ﷺ التي تدل قطعًا على صحة قوله، وصواب فعله، فإن حصل له التصديق والإيمان، وإلا، فقد يفعل الله بالسيف والسِّنان ما لا يفعل بالبرهان. وإن صدر عن مصدَّقٍ له ومؤمن برسالته - وما أقله فيمن يتعاطى صنعة الأطباء! - قيل له: تفهَّم مُرادَه من هذا الكلام؛ فإنَّه لم ينصَّ على كيفية تبريد الحمَّى بالماء، وإنما أرشد إلى تبريدها بالماء مطلقًا؛ فإن أظهر الوجودُ أو صناعة الطبِّ: أن غمس المحموم في الماء، أو صبَّه على جميع بدنه يضرُّه؛ فليس هو الذي قصد النبي ﷺ، وإنما قصد استعمال الماء على

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٨٨/٢، ١٨٨٩.

(٢) قال القرطبي: "قوله: (فابردوها بالماء)، صوابه بوصل الألف؛ لأنه من قولهم: برّد الماء حرارة جوفي، وهو ثلاثي معدًّي كما قال: وعطِّل قلوصي في الركاب فإنها ستبرد أكبادًا وتُبكي بواكيا. وقد أخطأ من قال: أبردوها - بقطع الألف، انظر: المفهم ٥٩٩/٥، وانظر: شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٣٧٨.

(٣) انظر: كتاب المعلم بفوائد مسلم ٢٦٣/٢، ٢٦٤.

وجهٍ ينفع، فيُبحثُ عن ذلك الوجه، وتُجرَّبُ الوجوهُ التي لا ضرر فيها، فإنَّه سيظهر نفعُه قطعًا. وقد ظهر هذا المعنى في أمره للعائن بالغسل، فإنه وإن كان قد أمره بأن يغتسل مطلقًا؛ فلم يكن مقصوده أن يغسل جميع جسده، بل بعض ذلك.

وإذا تقرَّر هذا؛ فلا يبعدُ أن يكون مقصوده أن يُرشَّ بعض جسد المحموم، أو يفعل كما كانت أسماءُ تفعل، فإنَّها كانت تأخذ ماءً يسيرًا ترشُّ به في جيب المحموم، أو ينضح به وجهه، ويداه، ورجلاه، ويذكرُ اسم الله تعالى، فيكون ذلك من باب النُشرة الجائزة. وقد يجوز أن يكون ذلك من باب الطبِّ، فقد ينفعُ ذلك في بعض الحميات، فإنَّ الأطباء قد سلموا: أن الحمى الصفرواية يُدبَّرُ صاحبها بسقي الماء الشديد البرودة، حتى يسقوه الثلج، وتُغْسَل أطرافه بالماء البارد. وعلى هذا: فلا بُعْدَ في أن يكون هذا المقصودُ بالحديث -والله أعلم-.

ولئن سلَّمنا: أنَّه أراد جميعَ جسد المجموع؛ فجوابه: أنه يحتمل أن يريد بذلك استعماله بعد أن تقلعَ الحمَّى، وتسكن حرارتها، ويكون ذلك في وقتٍ مخصوص، وبعددٍ مخصوص، فيكون ذلك من باب الخواصِّ التي قد اطلع عليها النبي ﷺ، كما قد روى قاسم بن ثابتٍ: أنَّ رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ الحُمَّى فقال له: ((اغتسل ثلاثًا قبل طلوع الشمس، وقل: بسم الله، اذهبي يا أمَّ ملدم؛ فإن لم تذهب؛ فاغتسل سبعًا))[1].

(والواقع أن استعمال الماء بصور مختلفة، حتى في صورة الاغتسال أو السباحة مما قد اعترف الأطباء قديمًا وحديثًا بأنه نافع في كثير من الحميات. قال جالينوس في المقالة العاشرة من كتاب "حيلة البراء": "ولو أن رجلاً شابًا حسن اللحم خصِب البدن - في وقت القيظ وفي وقت منتهى الحمى - وليس في أحشائه ورم، استحمّ بماء بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك" وقال: "ونحن نأمر بذلك بلا توقف" وقال أبو بكر الرازي الطبيب المعروف في كتابه الكبير: "إذا كانت القوة قوية، والحمى حادة جدًا، والنضج بيّن، ولا ورم في الجوف، ولا فتق، ينفع الماء البارد شربًا. وإن كان العليل

---

(١) المفهم ٥/٥٩٩-٦٠١، والحديث عزاه محققو المفهم إلى اللآلي المصنوعة، رواه سعيد بن منصور، وذكره ابن عبدالبر في التمهيد وعزاه لابن وهب، التمهيد والاستذكار ٢٢/٦٠٩، ٦١٠. موسوعة شروح الموطأ

خصب البدن، والزمان حارّ، وكان معتادًا لاستعمال الماء البارد من خارج، فليؤذن فيه"[١].

وقد حقق كثير من الأطباء القدامى أنّ الماء البارد ينفع في كثير من أنواع الحمّى، كحمى اليوم، وحمّى الدق، والحميات الصفراوية. وأما الطب الحديث، فقد أجمع خبراؤه اليوم على أن استعمال الماء البارد من أقوى الوسائل تأثيرًا في إزالة الحمّى، وإنّهم يصفون للمحموم أن يرشّ الماء على جيبه، أو توضع خرقان مبلولة على جبينه، بل وأن يمسح جميع بدنه بمناشف مبلولة بماء مثلوج، وقد ثبت أن هذه الطرق من أنفع المعالجات لإزالة فورة الحمّى[٢].

ولكن ينبغي أن لا يغفل هنا ما ذكره الإمام المازري حيث قال: "ولاشك أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجًا إلى التفصيل، حتى أن المريض يكون الشيء داواءه في ساعة، ثم يصير داء له في الساعة التي تليها، لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلاً، فيتغير علاجه، ومثل ذلك كثير، فإذا فرض وجود الشفاء لشخص بشيء في حالة ما، لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره في سائر الأحوال، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السنّ والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف وقوة الطباع"[٣].

وحينئذ، فلا شك في صحة ما قاله ﷺ من أن الحمّى تعالج بالماء، ولكن الذي ينبغي لكل أحد في وقائع جزئية، أن يرجع إلى طبيب حاذق، فيعالج مرضه في ضوء مواصفاته الشخصية، لأن المعالجات تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأحوال)[٤].

فالماء البارد علاج فعال للحمى كما أثبت ذلك الطب الحديث.

---

(١) الطب النبوي، ابن القيم، ص ٥٠-٥١.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١٠/٣٠٠.

(٣) كتاب المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٦٥.

(٤) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني ١٠/٣٠٠.

قال ابن عثيمين: (يعني صبوا على المريض ماء يبرده، وهذا من أسباب الشفاء لمن أصيب بالحمى، وقد شهد الطب الحديث بذلك، فكان من جملة علاجات الحمى أنهم يأمرون - أي الأطباء- المريض أن يتحمم بالماء، وكلما كان أبرد على وجه لا مضرة فيه أحسن، وبذلك تزول الحمى بإذن الله)[1].

وقال د. صالح رضا: (هذا دواء من رسول الله ﷺ فيمن شعر بارتفاع شديد في حرارة جسده، ووصل إلى الحمى التي تشعل النار في بدن الإنسان، أن يستعمل الماء البارد لتبريد ما يتأجج في جسده من الحمى الشديدة.

وإننا نعيش اليوم في أخريات القرن الميلادي العشرين، في عالم قد تقدمت فيه الأدوية، والمضادات تقدمًا لم يعرف له مثيل من قبل، وعرفت به الأمراض بصورة أدق مما كانت تعرف به في الأزمنة السابقة، ورغم ذلك، فإننا نرى أن كثيرًا من الأطباء عندما يخفق الدواء في تخفيض حرارة البدن يلجأون إلى الوصية باستعمال الماء البارد، وأحيانًا الثلج لتخفيض درجة الحرارة العالية التي وصل إليها بدن المريض، حتى تصبح قريبة من الحرارة الطبيعية للإنسان، ولا شك أن هذا يدل على سبق علمي لرسول الله ﷺ.

قال د. حسان شمسي باشا: (كثيرًا ما ترتفع درجة حرارة المريض حينما يصاب بالتهاب جرثومي، أو فيروسي، والأمراض الفيروسية، ومن أكثرها "الأنفلونزا والزكام" لا تنفع معها المضادات الحيوية في حين أن المريض يتفصد عرقًا، ويتوهج بالحرارة.

ويقول: ولقد استعملنا الكمادات الباردة في المشافي البريطانية، إضافة إلى استعمال المروحة الهوائية في تخفيض الحرارة عن المرضى المحمومين.

قال: وكم شاهدنا من حالات ترتفع فيها حرارة المريض، ولا تستجيب الحرارة فيها للأدوية الخافضة للحرارة، في حين أن الماء البارد يقوم بفعله الفوري في التبريد رغم أنه آني... انتهى. فصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين، الذي أوضح لنا هذا الدواء من أجل إنزال الحرارة منذ أربعة عشر قرنًا، وجاءت نتائج تجارب الأطباء في القرن العشرين لتوافق ما جاء عن رسول الله ﷺ مثبتة السبق العلمي لهذا النبي صلوات الله وسلامه عليه)[2].

---

(١) شرح رياض الصالحين ١٨٨٩/٢.

(٢) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح أحمد رضا، ٨٢٦/٢-٨٢٧.

فلقد تبين أنه عند الإصابة بالحمى ذات الحرارة الشديدة التي قد تصل إلى (٤١) درجة مئوية، والتي وصفها ﷺ بأنها من فيح جهنم، وقد يؤدي ذلك إلى هياج شديد ثم هبوط عام وغيبوبة تكون سببًا في الوفاة... ولذا كان لزامًا تخفيض هذه الحرارة المشتعلة بالجسم فورًا، حتى ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ، وليس لذلك وسيلة إلا وضع المريض في ماء أو عمل كمادات من الماء البارد والثلج، حيث إنه إذا انخفضت شدة هذه الحرارة عاد الجسم كحالته الطبيعية، بعد أن ينتظم مركز تنظيم الحرارة بالمخ ويقلل هذه الحرارة بوسائله المختلفة من تبخير وإشعاع وغيرهما، ولذا كان رسول الله ﷺ إذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل. ولما كانت الحمى يستلزمها حمية عن الأغذية الرديئة، وتناول الأغذية والأدوية النافعة. وفي ذلك إعانة على تنقية البدن وتصفيته من مواده الرديئة، التي تفعل فيه كما تفعل النار في الحديد في نفي خبثه وتصفية جوهره -كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تصفي جوهر الحديد.

وقد ثبت علميًا أنه عند الإصابة بالحمى تزيد نسبة مادة (الأنترفيرون) لدرجة كبيرة، كما ثبت أن هذه المادة التي تفرزها خلايا الدم البيضاء تستطيع القضاء على الفيروسات التي هاجمت الجسم، وتكون أكثر قدرة على تكوين الأجسام المضادة الواقية... فضلاً عن ذلك فقد ثبت أن مادة (الأنترفيرون) التي تفرز بغزارة أثناء الإصابة بالحمى، لا تخلص الجسم من الفيروسات والبكتريا فحسب، ولكنها تزيد مقاومة الجسم ضد الأمراض، وقدرتها على القضاء على الخلايا السرطانية منذ بدء تكوينها، وبالتالي حماية الجسم من ظهور أي خلايا سرطانية يمكن أن تؤدي إلى إصابة الجسم بمرض السرطان.

ولذا قال بعض الأطباء: إن كثيرًا من الأمراض نستبشر فيها بالحمى كما يستبشر المريض بالعافية، فتكون الحمى فيها أنفع من شرب الدواء بكثير، مثل مرض الروماتيزم المفصلي الذي تتصلب فيه المفاصل وتصبح غير قادرة على التحرك، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي في مثل هذه الحالات الحمى الصناعية، أي إيجاد حالة حمى في المريض بحقنه بمواد معينة، ومن هنا ندرك حكمة رسول الله ﷺ في رفض

سب الحمى، بل والإشادة بها بوصفها تنقي الذنوب، كما تنقي النار خبث الحديد، كما أشار الحديث الشريف الذي ورد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ الْمُسَيَّبِ. فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيَّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتِ: الْحُمَّى. لاَ بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ «لاَ تَسُبِّي الْحُمَّى. فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ. كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ))[1][2].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٥٧٥.

(٢) موقع الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، المصدر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، لمحمد كامل عبدالصمد ٢/٣.

الحديث رقم (١٨٦٠)

١٨٦٠- وعنها رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ، قَالَ: ((مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَومٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ)) متفق عَلَيْهِ[1].

وَالمُخْتَارُ جَوَازُ الصَّومِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ لِهَذَا الحَدِيثِ، وَالمُرادُ بالوَلِيِّ: القَرِيبُ وَارِثًا كَانَ أَوْ غَيْرَ وَارِثٍ.

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

إن الصوم في الشرع الإسلامي هو: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع في وقت مخصوص، وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

والصيام من حيث الاشتقاق اللغوي: كلمة عربية مألوفة متداولة، وكثيرًا ما وردت على ألسنة الشعراء والخطباء قبل نزول القرآن الكريم، والأصل اللغوي فيه: الإمساك عن الحركة فكل شيء سكنت حركته فقد صام، والخيل الساكنة خيل صائمة.

وقد تطور هذا المعنى إلى عدة معانٍ مجازية منها معنى: الامتناع، ومن ذلك الامتناع عن الأكل والشرب، والانقطاع عن النكاح أثناء الصوم، وصار الصيام مصطلحًا إسلاميًا خاص بمعنى محدد في شهر رمضان[2]، وهو الصوم المفروض.

والحديث في بنائه اللغوي يتكون من جملة واحدة تتضمن حكمًا من أحكام الصيام، وهو صيام الفريضة.. والتعبير بقوله: "وعليه صوم" يفيد أن الصوم دين في عنق صاحبه حتى يؤدي عنه إما بالصدقة، أو يصوم وليه عنه: والولي هو القريب وارثًا كان أو غير وارث.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٥٢، ومسلم ١١٤٧/١٥٣ ولفظهما سواء.

(٢) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. خليل أبو عودة.

وقوله: (وعليه صوم) يفيد أنه صوم واجب، والتعبير بعلى مع الإضافة للضمير العائد على من مات... يوحي بأن الصوم المتروك صوم واجبٌ: من قضاء عن رمضان، أو نذر، أو كفارة، وإضافة - لفظ - (ولي) إلى ضمير الغائب العائد على "من مات"، يوحي بالصلة والقرابة، والولي من الولاء والموالاة، وهو أغلب من التعبير بالصاحب أو الصديق.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- أجمع الفقهاء على أنه لا يصام عن أحد في حياته[١].

٢- حكم الصيام عن الميت: ذهب جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية والشافعي في الجديد، وعمر بن الخطاب، وابن عباس، وعائشة ورواية عن الحسن، والزهري إلى القول بأنه لا يصام عن الميت مطلقًا سواء كان الصوم من رمضان أو نذر أو غيره[٢].

وذهب الشافعي في القديم واختاره المحققون من علماء الشافعية، وأصحاب الحديث إلى القول باستحباب أن يصوم الولي عن الميت ويصح صومه ويبرأ به الميت وبه قال طاووس والحسن البصري والزهري وقتادة وأبو ثور[٣].

وذهب أحمد في رواية والليث وإسحاق وأبو عبيد إلى القول بأنه يصوم عنه في النذر دون رمضان وغيره[٤].

والراجح هو رأي الشافعي في القديم وأصحاب الحديث القائل بصحة الصوم عن الميت لدلالة الحديث على جواز ذلك.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بيسر الشريعة في جواز صوم الولي

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٦/٨.

(٢) بدائع الصنائع ١٠٣/٢-١٠٤، وبداية المجتهد ٢٤٠/١، ومغني المحتاج ١٧٢/٢، وشرح صحيح مسلم ٢٦/٨، فتح الباري ٢٣٦/٤.

(٣) مغني المحتاج ١٧٢/٢، وشرح صحيح مسلم ٢٥/٨، ٢٦، وفتح الباري ٢٣٦/٤.

(٤) المغني ٣٩/٣-٤٠، وشرح صحيح مسلم ٢٦/٨، وفتح الباري ٢٣٦/٤.

عمن مات وعليه صوم.

ثانيًا: من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ بيسر الشريعة في جواز صوم الولي عمن مات وعليه صوم:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من مات وعليه صوم صام عنه وليه".

قال ابن عثيمين: (يعني إذا مات الإنسان وعليه صيام فإنه يصوم عنه وليه، سواء كان نذرًا أو واجبًا في أصل الشرع. فإذا قدر أن رجلاً أفطر في رمضان، لأنه مسافر، ثم تهاون بعد رمضان ولم يقض، لأنه يجوز أن يؤخر القضاء إلى شعبان ولكنه مات قبل القضاء، فإن وليه -أي وارثه- يصوم عنه من أم أو أب أو ابن أو بنت، أو زوجة، وهذا ليس على سبيل الوجوب بل الاستحباب، فإنه لم يصم وليه أطعم عنه كل يوم مسكينًا. وكذلك لو كان عليه كفارة ومات قبل أن يؤديها مع تمكنه فإنه يصوم عنه وليه، وكذلك لو نذر أن يصوم ثلاثة أيام ومات قبل أن يصوم صام عنه وليه، فإن لم يفعل، فإنه يطعم عن كل يوم مسكينًا)[١].

وقال ابن حجر: (الأصل عدم النيابة في العبادة البدنية، ولأنها عبادة لا تدخلها النيابة في الحياة، فكذلك في الموت، إلا ما ورد فيه الدليل، فيقتصر على ما ورد فيه، ويبقى الباقي على الأصل)[٢].

وورود الدليل على جواز صيام الولي عن الميت يدل على يسر الشريعة الإسلامية، وحرصها على خير الإنسان حيًا وميتًا. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[٣] وقال رسول الله ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا))[٤].

ثانيًا- من صفات الداعية: الحرص على مصلحة المدعوين

يظهر ذلك في قوله ﷺ "من مات وعليه صوم صام عنه وليه".

---

(١) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٨٨.

(٢) فتح الباري ٤/٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٩، ومسلم ١٧٣٤.

فيدل هذا على حرص النبي ﷺ على من مات وعليه صوم لم يصمه، فمن أجل حرصه على الخير له أرشد إلى إدراك ما فاته من صوم بصوم وليه عنه.

فإن حقيقة الدعوة حب الخير للغير، والحرص على تحقيق المصلحة له، وظهور هذا الحرص يجعل الدعوة محل قبول وامتثال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال السعدي: (حريص عليكم، فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه "وبالمؤمنين رؤوف رحيم" أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم)[2]. فينبغي على الداعية أن يحرص على مصلحة المدعوين، ويرشدهم إلى ما فيه خيرهم وخير ذويهم أحياءً وأمواتًا.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٣١٣.

الحديث رقم (١٨٦١)

١٨٦١- وعن عوف بن مالك بن الطُّفَيْلِ: أنَّ عائشة رضي الله عنها، حُدِّثَتْ أنَّ عبدَ اللهِ بن الزبير رضي الله عنهما، قَالَ في بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أعْطَتْهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها: واللهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، قالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قالوا: نَعَمْ. قَالَتْ: هُوَ للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِيْنَ طَالَتِ الهِجْرَةُ. فَقَالَتْ: لاَ، واللهِ لاَ أَشْفَعُ فِيهِ أبدًا، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي. فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعبدَ الرحْمَانِ ابْنَ الأسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ[1] وقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا اللهَ[2] لَمَا أدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَإِنَّهَا لاَ يَحِلُّ لَهَا أنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ، وَعَبدُ الرحْمَانِ[3] حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالاَ: السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قالت عَائِشَةُ: ادْخُلُوا. قالوا: كُلُّنَا؟ قالتْ: نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ معَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ، وَعَبدُ الرَّحْمَانِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ[4] كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنِ: إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ[5]؛ وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ، وأعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعدَ ذَلِكَ، فَتَبكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاريُّ[6].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

---

(١) عند البخاري زيادة: (وهما من بني زهرة).

(٢) لفظ البخاري: (بالله).

(٣) عند البخاري زيادة: (مشتملين بأرديتهما).

(٤) عند البخاري زيادة: (ما).

(٥) عند البخاري زيادة: (إنه).

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٧٣، و٦٠٧٤، و٦٠٧٥.

غريب الألفاظ:

لأحجرن عليها: لأمنعنها من التصرف[١].

فاستشفع: سألها أن تشفع وتعفو[٢].

ولا أتحنث إلى نذري: أي: لا آثم فيه[٣]، والنَّذرُ: أن يُوجب المسلم على نفسه شيئًا تبُرعًا؛ من عبادة أو صدقة [٤].

أنشدكما الله: أحلّفكما بالله[٥].

التحريج: التضييق، وقيل التخويف[٦].

خمارها: ثوب تغطى به رأسها[٧].

الشرح الأدبي

هذا الحديث مشهد مضيء من مشاهد سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصديقة، وهي أم المؤمنين، وقد بلغت مكان الدالّة عند رسول الله ﷺ - كما يقول العقاد - بما لها من صفات كثيرة غير الصّباحة والجمال، وأول تلك الصفات فرط الذكاء، ولطافة الحس، وحسن التقدير، وكانت أكثر الناس دالة على النبي وأجرأهم على مراجعته، والتلطف في إبلاغه ما يتهيب القوم أن يبلغوه[٨].

وفي ضوء هذه المكانة التي حظيت بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كنف النبي ﷺ ولدى المسلمين جميعًا، ندرك سر تشددها في موقفها من عبدالله بن الزبير

---

(١) النهاية في (ح ج ر).

(٢) القاموس المحيط في (ش ف ع).

(٣) النهاية في (ح ن ث).

(٤) النهاية في (ن ذ ر).

(٥) القاموس المحيط ٣٢٢.

(٦) القاموس المحيط في (ح ر ج)، فتح الباري ١٠/٥١٠.

(٧) الوسيط في (خ م ر).

(٨) انظر: عبقرية الصديق، عباس محمود العقاد، ص ١٥، طبعة دار المعارف، القاهرة.

حينما أقسم أن يحجر عليها إذا لم تقلع عن السماحة والكرم في بيعها، وهذا الموقف كان بعد وفاة الرسول ﷺ.

وهذا الموقف هو (العقدة) التي تتشابك من خلالها أحداث هذا المشهد القصصي الذي تكاملت عناصر بناء القصة فيه: ففيه الأحداث، والمواقف، والشخصيات: والعقدة، والحل، وهذا المشهد من القصص الواقعي الذي حدث في بيت الرسول ﷺ، وشخصيات القصة كلها شخصيات إيجابية لأنهم جميعًا من الصحابة، وهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والراوي: عوف بن مالك بن الطفيل: وهو أخو عائشة من الرضاع، وعبدالله بن الزبير، والمسوّر بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث.

وحين تتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث القصصي، نجده مفعمًا بكثير من الظواهر الأسلوبية ومنها:

أ- التأكيد في بدء الحديث "بإن" ثم بناء الفعل (حُدثت) للمجهول ولم يحدد القائل منعا للشكوك أو الغيبة، وقيل الذي حدث ونقل الخبر هو: المسور بن مخرمة.

ب- القسم والتأكيد في كلام عبدالله بن الزبير.. حيث يقول: (والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها) ونَذْر عائشة بهجر ابن الزبير وأن لا تكلمه نابع من جرأة ابن الزبير عليها، وهو ليس له صفة الولاية، فهي أم المؤمنين وهي لها مكانتها في الإسلام فكيف يقف ابن الزبير منها هذا الموقف؟

ج- الاستفهام الحقيقي المشوب بالدهشة في كلام أم المؤمنين عائشة: (أهو قال هذا؟) ثم كان القسم في كلامها وأسلوب القصر عن طريق التقديم والتأخير، لتأكيد موقفها وهجرها لعبدالله صونًا لكرامتها، حيث نذرت أن لا تكلم ابن الزبير فقالت: لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا.

د- الحوار الهادئ بين عائشة والوفد الذي استشفع لعبدالله بن الزبير يكشف عن حرص الصحابة على إشاعة المودة والرحمة، وقطع الخصومة والهجر بناء على رغبة عبدالله بن الزبير.

هـ- من وسائل إقناع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ،

وكذلك اعتذار عبدالله بن الزبير حيث طفق يناشدها ويبكي، وقبلت عائشة الاعتذار، وفي مقابل ذلك أعتقت أربعين رقبة مع أن الواجب رقبة واحدة، ولكنها كانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي، خوفًا من محاسبة الله لها، وذلك من شدة الورع والتقوى والإخلاص.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- حكم هجر المسلم: لا خلاف بين الفقهاء على تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال، وذهب جماهير الفقهاء إلى إباحة الهجر مدة الثلاث[١].

٢- حكم الوفاء بالنذر: أجمع الفقهاء على وجوب الوفاء بالنذر إذا كان في طاعة، وفي ترك الوفاء به إذا كان في معصية[٢].

٣- حكم نذر المعصية: أجمع الفقهاء على تحريم النذر في المعصية[٣].

٤- حكم الكفارة في نذر المعصية: ذهب الحنفية وبعض الشافعية والحنابلة، وابن مسعود، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وعمران بن الحصين، وسمرة بن جندب، والثوري، وإسحاق إلى وجوب الكفارة[٤].

وذهب المالكية، والشافعية في المذهب، ورواية للحنابلة إلى عدم وجوب الكفارة[٥].

والراجح هو رأي الحنفية.

---

(١) غمز العيون ١/٩٧-٩٨، وحاشية العدوي ٢/٤٢٨، وأسنى المطالب ٤/٢٦٦، والآداب الشرعية والمنح المرعية ١/٢٤٢، وطرح التثريب ٨/٩٧-٩٨، وشرح صحيح مسلم ١٦/١١٧، وسبل السلام ٤/٢٩٠. هذا فيما كان لحظ الإنسان، أما أمر الدين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق. انظر: الموسوعة الفقهية ٤٢/١٦٦ ومصادرها ومراجعها.

(٢) المغني ١٠/٦٧، وفتح الباري ١١/٦٨٧.

(٣) المغني ١٠/٦٩، وفتح الباري ١١/٦٩٣.

(٤) الاختيار ٣/٢١٨، والمجموع شرح المهذب ٨/٤٣٦-٤٣٧، والمغني ١٠/٦٩، وفتح الباري ١١/٦٩٣.

(٥) المنتقى شرح الموطأ ٣/٢٤١، والمجموع شرح المهذب ٨/٤٣٦-٤٣٧، وفتح الباري ١١/٦٩٣، والمغني ١٠/٦٩.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب النميمة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الهجر فوق ثلاث.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: هجر عائشة رضي الله عنها لعبدالله بن الزبير رضي الله عنه.

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحنث في النذر من أجل مصلحة شرعية.

سادسًا: من آداب المدعو: الشفاعة الحسنة لأهل الفضل لإصلاح ذات البين.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: الاستئذان.

ثامنًا: من آداب المدعو: الاعتذار وطلب الصفح.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: قبول عذر المعتذر.

عاشرًا: من موضوعات الدعوة: رقة قلوب الصحابة رضي الله عنهم.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية اجتناب النميمة:

يظهر ذلك في قول عوف بن مالك بن الطفيل: أن عائشة رضي الله عنها: حُدِّثتْ أن عبدالله ابن الزبير رضي الله عنهما قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة رضي الله عنها: والله لتنتهين عائشة، أو لأحجرن عليها، قالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا.

قال ابن عثيمين: (حديث عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين وأفضل زوجاته بعد موته، وكانت من كانت في العلم والعبادة والرأي والتدبير، وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما سمع عنها أنها تبرعت وأعطت عطايا كثيرة فاستكثر ذلك منها وقال: لئن لم تنته لأحجرن عليها، وهذه كلمة شديدة بالنسبة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ لأنها خالته، وعندها من الرأي والعلم والحلم والحكمة ما لا ينبغي أن يقال فيها ذلك القول، والحجر عليها يعني منعها من التصرف في مالها أو التبرع الكبير من مالها، فسمعت بذلك، وأخبرت به، أخبرها بذلك الواشون الذين يشون بين الناس ويفسدون بينهم بالنميمة -والعياذ بالله- والنميمة من كبائر الذنوب، وقد حذر

الله من النمام وإن حلف فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾[١] ومر النبي ﷺ بالمدينة على قبرين من قبور المسلمين فقال: "إنهما يعذبان في قبورهما وما يعذبان في كبير" يعني لا يعذبان في أمر شاق وأمر صعب بل يسهل بالنسبة للقيام به لا بالنسبة لعظمه عند الله: (أما أحدهما: فكان لا يستنزه من البول) يعني لا يستنجي استنجاءً تامًا وإذا أصاب البول ثوبه أو بدنه لا يبالي به: ((وأمّا الآخَرُ فكانَ يَمشي بالنَّميمةِ))[٢] يأتي للناس فيخبر بما قال البعض في البعض الآخر من أجل أن يفرق بينهم - والعياذ بالله- فالنميمة من كبائر الذنوب يعذب عليها النمام في قبره، ولا يدخل الجنة نمام، نسأل الله العافية.

المهم أن هذه الكلمة وصلت إلى عائشة رضي الله عنها فنذرت ألا تكلمه، وذلك لشدة ما حصل لها من الانفعال على ابن أختها وهجرته[٣].

فهذا الهجر كان سببه النميمة، وهذا يدل على خطورة النميمة وأهمية اجتنابها وعدم إخبار الإنسان بما يغضبه من كلام الآخرين، لما يسببه من هجر وخصام بين الأقارب وبين المسلمين.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على عدم الهجر فوق ثلاث:

يظهر ذلك في قول عوف بن مالك: وطفق المسور، وعبدالرحمن يناشدانها إلا كلمته، وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عما علمت من الهجرة، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال...".

فالمؤمن لأخيه ودود متودد، آلف متآلف، محب متحبب لا يعرف الهجر والعداء، والنفور والخصام، لأن ذلك يضعف المنة ويوجب الفرقة، ويمزق الوحدة، لهذا حرم عليه الرسول ﷺ أن يهجر أخاه فوق ثلاث[٤]. فعن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) انظر: ما أخرجه البخاري ١٣٦١، ومسلم ٢٩٢.

(٣) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٩٠.

(٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٤٤.

قال: ((لا يحلُّ لرجلٍ أن يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاث ليال، يَلتقيانِ فيُعرِض هذا ويُعرض هذا، وخيرُهما الذي يَبدأُ بالسلام))[1].

قال النووي: (قال العلماء: تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص وتباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك لأن الآدمي مجبول على الغضب، فسومح بذلك القدر ليرجع ويزول ذلك العارض[2].

وقال ابن حجر: (قال العلماء: تزول الهجرة بمجرد السلام ورده. وقال أحمد: لا يبرأ من الهجرة إلا بعوده إلى الحال التي كان عليها أولاً.

وقال ابن عبدالبر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز الهجر، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية[3].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: هجر عائشة رضي الله عنها لعبدالله بن الزبير رضي الله عنه:

يظهر ذلك في قول عوف بن مالك بن الطفيل أن عائشة رضي الله عنها قالت: هوللّه علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع إليها حين طالت الهجرة فقالت: لا، واللّه لا أشفع فيه أبدًا، ولا أتحنث إلى نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير... إلخ الحديث.

وهذا يدل على هجر عائشة رضي الله عنها لعبدالله بن الزبير رضي الله عنه: وقد ذكر ابن حجر: أن عائشة رضي الله عنها رأت أن ابن الزبير ارتكب بما قال أمرًا عظيمًا وهو قوله لأحجرن عليها، فإن فيه تنقيصًا لقدرها، ونسبه لها ارتكاب ما لا يجوز من التبذير الموجب لمنعها من التصرف فيما رزقها الله تعالى، مع ما انضاف إلى ذلك من كونها أم المؤمنين، وخالته أخت أمه ولم يكن أحد عندها بمنزلته ... فكأنها رأت أن في ذلك الذي وقع منه نوع عقوق، والشخص يستعظم ممن يلوذ به، ما لا يستعظمه من الغريب، فرأت أن مجازاته على ذلك بترك مكالمته، كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام كعب بن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٠٧٧، ومسلم ٢٥٦٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٣٦.

(٣) فتح الباري ١٠/٥١١، ٥١٢.

مالك وصاحبيه عقوبة لهم لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، ولم يمنع من كلام من تخلف عنها من المنافقين مؤاخذة للثلاثة لعظيم منزلتهم وازدراء بالمنافقين لحقارتهم، فعلى هذا يحمل ما صدر عن عائشة رضي الله عنها. وقد ذكر الخطابي أن هجر الوالد ولده والزوج زوجته ونحو ذلك لا يتضيق بالثلاث، واستدل بأنه ﷺ هجر نساءه شهرًا. وكذلك ما صدر من كثير من السلف في استجازتهم ترك مكالمة بعضهم بعضًا مع علمهم بالنهي عن المهاجرة، ولا يخفى أن هنا مقامين أعلى وأدنى، فالأعلى اجتناب الإعراض جملة فيبذل السلام والكلام والموادة بكل طريق، والأدنى الاقتصار على السلام دون غيره، والوعيد الشديد إنما هو لمن يترك المقام الأدنى، وأما الأعلى فمن تركه من الأجانب فلا يلحقه اللوم، بخلاف الأقارب فإنه يدخل فيه قطيعة الرحم، وإلى هذا أشار ابن الزبير في قوله (فإنها لا يحل لها قطيعتي) أي إن كانت هجرتي عقوبة على ذنبي فليكن لذلك أمد، وإلا فتأبيد ذلك يفضي إلى قطيعة الرحم، وقد كانت عائشة علمت بذلك لكنها تعارض عندها هذا والنذر الذي التزمته، فلما وقع من اعتذار ابن الزبير واستشفاعه ما وقع رجح عندها ترك الإعراض عنه، واحتاجت إلى التكفير عن نذرها بالعتق الذي تقدم ذكره، ثم كانت بعد ذلك يعرض عندها شك في أن التكفير المذكور لا يكفيها فتظهر الأسف على ذلك. إما ندمًا على ما صدر منها من أصل النذر المذكور وإما خوفًا من عاقبة ترك الوفاء به[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: القسم:

يظهر ذلك في قول عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما: "والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها".

وأسلوب القسم من الأساليب الدعوية: التي يستخدمها الداعية لبيان أهمية الأمر ولفت انتباه المدعوين إليه.

والقسم أسلوب إقناع لأنه يعمل على (ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا)[2].

---

(١) فتح الباري ١٠/٥١٢.

(٢) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص ٢٩١ نقلاً عن الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله ابن محمد نياز، ص ١٣٢.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: الحنث في النذر من أجل مصلحة شرعية:

يستنبط ذلك من رجوع عائشة رضي الله عنها عن نذرها بهجر عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما وذلك لأن نذرها من قبيل النذر المحرم فلا ينعقد، قال ابن التين: إنما ينعقد النذر إذا كان في طاعة كَلَّله عَلَيَّ أن أعتق أو أن أصلي، وأما إذا كان في حرام أو مكروه أو مباح فلا نذر، ترك الكلام يفضي إلى التهاجر وهو حرام أو مكروه[1].

فينبغي لمن نذر أو حلف على معصية أن يرجع عنها، والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا حَلَفَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ الْيَمِينِ، فَرَأَىٰ خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْهَا، وَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ))[2]. فأساس الشريعة اليسر ومراعاة المصالح الشرعية. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه))[3].

سادسًا- من آداب المدعو: الشفاعة الحسنة لأهل الفضل لإصلاح ذات البين

يظهر ذلك في شفاعة المسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عند عائشة رضي الله عنها ومناشدتهما لعائشة رضي الله عنها أن تكلمه وتصفح.

والشفاعة الحسنة للإصلاح بين الناس لها ثوابها عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[4].

قال القرطبي: (قيل الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة) فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر[5]. وأما الشفاعة بأهل الفضل فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يذهبون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع لهم، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: ((اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا. وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ)) وفي رواية ((ما شاءَ))[6].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥١٢/١٠.

(٢) أخرجه مسلم برقم ١٦٥١.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٩٦، ٦٧٠٠.

(٤) سورة النساء، آية: ٨٥.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن، مج٢٩٥/١٥/٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٠٢٧، ومسلم ٢٦٢٧.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها، قال لها النبي ﷺ: ((فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ: «لَوْ رَاجَعْتِيهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ))[1].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: الاستئذان:

يظهر هذا في قول عوف فأقبل به المسور، وعبدالرحمن حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ والاستئذان من الآداب الإسلامية التي أقرها المولى تبارك وتعالى في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الكريم ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

قال ابن كثير: (هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا أي: يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاثًا، فإن أذن له، وإلا انصرف)[3]، كما ثبت في الصحيح: أن أبا موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ عَلَى صَاحِبِهِ ثَلاثَةً فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَنْصَرِفْ))[4].

ثامنًا - من آداب المدعو: الاعتذار وطلب الصفح:

يظهر هذا في اعتذار عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما إلى عائشة رضي الله عنها والاعتذار أدب اجتماعي في التعامل الإسلامي، وقد كان خلق الاعتذار صفة مميزة لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم. فهذا أبو بكر رضي الله عنه عندما حدث بينه وبين عمر شيء أسرع إليه بالاعتذار، فعن أبي الدرداء قال: ((كنتُ جالسًا عندَ النبيِّ ﷺ، إذ أقبَلَ أبو بكر آخِذًا بطرَفِ ثوبه حتى أبْدى عن ركبتِهِ، فقال النبيُّ ﷺ: "أمّا صاحِبكُم فقد

---

(١) أخرجه البخاري ٥٢٨٣.

(٢) سورة النور، آية: ٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٦/٦.

(٤) أخرجه البخاري ٦٢٤٥، ومسلم ٢١٥٣.

غامَرَ"، فسلَّم وقال: يا رسولَ الله، إني كان بيني وبينَ ابن الخطابِ شيءٌ، فأسرَعْتُ إليه ثمَّ نَدِمتُ، فسألته أن يَغفِرَ لي))[1]، فالاعتذار يزيل الحقد والبغضاء من قلب من أخطأ في حقه.

ومع الاعتذار بهذا المعنى حسن، فالأحسن منه أن تحذر من الوقوع فيما يجعلك مضطرًا للاعتذار، فقد جاء في الوصية الموجزة، من رسول الله ﷺ لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: ((ولا تَكلَّمْ بكلام تعتذر منه غدًا))[2] فإن زلت قدمك مرة فإنه من التواضع ألا تكابر في الدفاع عن نفسك، بل إن الاعتراف بالخطأ أطيب للقلب، وأدعى إلى العفو. ومعلوم أن توبة الصحابي الكريم كعب بن مالك إنما أنجاه فيها الصدق، فقد كان يقول: ((يا رسول الله! إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني اخرج من سخطته بعذر... والله ما كان لي عذر))[3] ولن ينقص من منزلتك أن تعترف بخطئك، وهذا رسول الله ﷺ لما كان يظن أنه لا ضرورة لتأبير النخل أشار بعدم تأبيرها -ثم قال بعد ذلك: ((إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن))[4].

ولا تنتظر من نفسك أن تسيء لتعتذر، بل يمكن أن يكون الاعتذار توضيحًا للموقف، أو بيانًا للقصد. فقد كان الأنصار عند فتح مكة، قد توقعوا ميل النبي ﷺ، للإقامة مع قومه في مكة بعد الفتح، فقالوا: "أما الرجل فأدركته رغبة في قريته، ورأفة بعشيرته" فقال النبي ﷺ: "... كلا. إني عبدالله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم، والممات مماتكم" فأقبلوا إليه يبكون، ويعتذرون بأنهم قالوا ما قالوه لحرصهم على إقامته معهم في المدينة، فقالوا: "والله ما قلنا الذي

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٣٦٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه ٤١٧١، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٣٦٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٤٥٧/٣ رقم ١٥٧٨٩، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين ٨٠/٢٦.

(٤) أخرجه مسلم ٢٣٦١.

قلنا إلا الضِّن[١] بالله ورسوله"، فقال رسول الله ﷺ: ((فإن الله ورسوله يصدقانكم، ويعذرانكم))[٢])[٣].

فإن الاعتذار شأن صاحب الخلق الرفيع الذي يحرص على حسن علاقته بإخوانه؛ فينبغي على المسلم إذا صدر منه ما يوجب الاعتذار أن يبادر إليه دون تكبر أو تأخير.

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: قبول عذر المعتذر:

يظهر ذلك في قبول عائشة رضي الله عنها اعتذار عبدالله بن الزبير رضي الله عنه بعدما أبدى أسفه وندمه على ما بدر منه في حقها.

ولما كانت مخالطة الناس ومعاشرتهم -لا بد- وأن يعتريها شيء من التقصير والتفريط والتعدي من بعضهم على بعض إما بقول أو فعل، استحب لمن ظلم أن يكظم غيظه ويعفو عمن ظلمه[٤].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[٥].

وقد عد ابن القيم قبول عذر المعتذر من التواضع ويقول في ذلك (من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءته فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته[٦].

وتلقي الأعذار بطيب نفس، وبالعفو والصفح، يحض الناس على الاعتذار[٧].

وإن دواعي الإعذار -أي قبول الاعتذار- كثيرة، على رأسها أن الله سبحانه يحب أن يعذر ولذلك لا يعذب عباده، حتى يقيم عليهم الحجة، بحيث لا يبقي لهم عذر، وقد

---

(١) الضِّن برسول الله ﷺ: أي بخلاً وشحًا أن يشاركنا فيه غيرنا، انظر: لسان العرب مادة (ض ن ن).

(٢) أخرجه مسلم ١٧٨٠.

(٣) أخلاقنا، محمود محمد الخزندار، ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٤) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ص ٢٣٥.

(٥) سورة الشورى، آية: ٣٧.

(٦) مدارج السالكين، ابن القيم ١٢٧/٣.

(٧) هذه أخلاقنا، محمد محمد الخزندار، ص ٤٤٧.

صرح بذلك رسول الله ﷺ بقوله: ((... ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين...))[١]. وكل واحد منا لابد أن يهفو، ويحب عندئذ أن يجد من يعذره، ولذلك جاء في الحديث: ((من أقال مسلمًا أقاله الله عثرته))[٢]. فتجاوز عن عثرة أخيك تجده في تجاوز الله عن عثرتك.

إن بعض جوانب الخير في شخصية أخيك المسلم لتدعوك أن تعذره، لأن الشر ليس أصيلاً في نفسه.

فالإعذار يكون بلمسة الحنان والرفق، والإعانة على الشيطان، فيما عدا الحد، فإنه حق الله ولا رأفة فيه إذا ثبت، يقول ابن القيم: (الله عز وجل أرحم وأغنى وأعدل من أن يعاقب صاحب عذر... والثابت أنه لا عذر لأحد البتة في معصية الله ومخالفة أمره، مع علمه بذلك، وتمكنه من الفعل والترك)[٣] فإنه لا تعارض بين وجوب الإعذار، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكم تكون ظالمًا حين تتهم النوايا! وكم تكون متكبرًا حين تستعلي على عذر أخيك. بالإعذار تستطيب القلوب، وتقضي على بذرة الشر، وتستأصل الضغينة، وتعين على التوبة، فلنخذل الشيطان ولنعذر[٤].

عاشرًا- من موضوعات الدعوة: رقة قلوب الصحابة رضي الله عنهم:

يظهر ذلك في بكاء عبدالله بن الزبير رضي الله عنه عند طلبه من عائشة رضي الله عنها العفو والصفح عنه، وكذلك بكاء عائشة رضي الله عنها بعد دخولهم عليها وحين تذكر نذرها بعد ذلك.

قال ابن عثيمين: (وهذا دليل على لين القلب وخشيته لله، وكلما كان قلب الإنسان أقسى كان من البكاء أبعد - والعياذ بالله- ولذلك نرى الناس لما كانوا أقرب للآخرة من اليوم نجد فيهم الخشوع والبكاء وقيام الليل واللجوء إلى الله

---

(١) أخرجه البخاري ٧٤١٦.

(٢) أخرجه أبو داود ٣٤٦٠، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٢٩٥٤).

(٣) مدارج السالكين ١/ ٣٥٠-٣٥١.

(٤) انظر: هذه أخلاقنا ٣٨٤-٣٨٨.

والصدقة وفعل الخير، لكن لما قست القلوب صارت المواعظ تمر عليها مرور الماء على الصفا لا تنتفع به إطلاقًا نسأل الله لنا ولكم العافية[١].

والبكاء من الخشوع والخوف، من أحب اللحظات والصفات عند الله تعالى، وذكره القرآن بألفاظ مليئة بالمعاني والإيحاءات قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٢].

وهو مشهد موحٍ يلمس الوجدان، مشهد الذين أوتوا العلم من قبله وهم يسمعون القرآن فيخشعون، ثم لا يتمالكون أنفسهم، فهم لا يسجدون ولكن يخرون للأذقان سجدًا، ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده "سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا"، ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا تصوره الألفاظ "ويخرون للأذقان يبكون"، "ويزيدهم خشوعًا" فوق ما استقبلوه به من خشوع وهو الأمر المفضل عند الله تعالى. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم))[٣].

وقد كان ﷺ يعلم أصحابه البكاء من خشية الله والبكاء بعد تلاوة القرآن؛ عن عبدالله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((اقرأ عليَّ فقلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[٤] فقال: حسبك الآن. فإذا عيناه تذرفان))[٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/١٨٩١، ١٨٩٢.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٣).

(٤) سورة النساء، آية: ٤١.

(٥) أخرجه البخاري ٥٠٥٠، ومسلم ٨٠٠.

وكأنه ﷺ يدرب أصحابه على البكاء من خشية الله والتأثر بعد تلاوة القرآن حتى يدخل في زمرة "رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه"[١] وحتى يدخل في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾[٢]. أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين، فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجدًا وبكيًا.

وهو ﷺ يربي أصحابه على البكاء بالتطبيق العملي وبالانفعال بتلاوة القرآن مرة وبالحديث مرة أخرى. عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله))[٣]. وكأنه ﷺ يحث خيرة أمته أن يكونوا من أولئك الأتقياء الحساسين الذين تفيض عيونهم بالدمع وتخشع قلوبهم لذكر الله. عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران فأثر في سبيل الله وأثر في فريضة من فرائض الله"[٤].

هذه التربية النبوية تركت أثرًا جميلاً في نفوس أصحابه، فكانوا يتلون القرآن بكل الخشوع والخضوع، حتى كانت تفيض أعينهم من الدموع وتقشعر أبدانهم من الخوف والعظمة، وأولهم أبوبكر رضي الله عنه وكان له مسجد عند باب داره في بني جمح، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقًا إذا قرأ القرآن استبكى. قالت عائشة: فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيأته[٥])[٦].

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٠، ١٤٢٣، ٦٤٧٩، ٦٨٠٩، ومسلم ١٠٣١.

(٢) سورة مريم، آية: ٥٨.

(٣) أخرجه الترمذي ١٦٣٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي ١٦٦٩، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٣٦٣).

(٥) السيرة النبوية، ابن هشام ٣٧٣/١.

(٦) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ص ٣٥٢-٣٥٤.

الحديث رقم (١٨٦٢)

١٨٦٢- وعن عُقْبَةَ بن عامرٍ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: **((إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وإنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وإنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، أَلاَ وإنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أنْ تَنَافَسُوهَا))**.

قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. متفق عَلَيْهِ[1].

وفي رواية[2]: **((وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ))**. قَالَ عُقْبَةُ: فكانَ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

وفي رواية[3] قَالَ: **((إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وإنِّي واللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وإنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وإنِّي واللهِ مَا أخَافُ عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا))**.

والمراد بالصلاة على قتلى أحد: الدعاء لهم لا الصلاة المعروفة.

ترجمة الراوي:

عقبة بن عامر الجهني: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٠١٥).

عوف بن مالك بن الطفيل: هو تابعي مختلف في اسم أبيه، والأصح أنه: عوف بن الحارث بن الطفيل بن سخبرة الأزدي، رضيع عائشة وابن أخيها لأمها، أصله من اليمن، فقد قدم الحارث بن سخبرة الأزدي مكة ومعه امرأته أم رومان بنت عامر الكنانية، فحالف أبا بكر الصديق، ثم مات فخلف أبو بكر على أم رومان فولدت له عبدالرحمن وعائشة. وكان لها من الحارث، الطفيل بن الحارث فهو أخو عائشة لأمها، وولد الطفيل بن الحارث عوفًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٢) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٦/٣١).

(٢) أخرجها البخاري (١٣٤٤).

(٣) أخرجها البخاري (١٣٤٤) واللفظ له، ومسلم (٢٢٩٦/٣١).

وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم: عائشة والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وأبو هريرة وعبدالله بن الزبير ابن عمته أسماء بنت أبي بكر.

وقد ذكره ابن حبان في الثقات من التابعين[١].

غريب الألفاظ:

أحد: الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد التي وقعت ٣هـ[٢].

فصلى عليهم: أي: الدعاء لهم، لا الصلاة المعروفة[٣].

فرط: سابق ومتقدم[٤].

الشرح الأدبي

إن ظفر المسلمين في صبيحة يوم أحد كان معجزة من معجزات الحرب، وهذا النصر تحقق للمسلمين بما لديهم من يقين وإيمان بأنهم على الحق، ومن آمن بالحق لم تزعجه قوة مادية مهما عظمت، ولم تضعضع من عزمته كل قوات الباطل وإن اجتمعت، ولكن نتيجة المعركة كانت بعد ذلك في غير صالح المسلمين، وسقط كثير من الشهداء في ميدان المعركة بعد تخلي الرماة عن موقعهم... وتبدَّل الموقف، واستشهد حمزة بن عبدالمطلب وكثير معه، وحزن رسول الله ﷺ وقال مخاطبًا عمه حمزة: (لن أصاب بمثلك أبدًا، ما وقفت موقفًا قط أغيظ إلي من هذا) ثم قال: (والله لئن أظهرنا الله عليهم يوما من الدهر لأمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب)، ولكن رسول الله ﷺ عفا وصبر ونهى عن المثلة، وسجي حمزة ببرده وصلى عليه[٥].

إن هذا الموقف العصيب لم يُمح من ذاكرة رسول الله ﷺ بل ظل يدعو لشهداء

---

(١) الثقات لابن حبان (٣٩٧/٤)، وتهذيب الكمال (٥٠٨/٥)، وتهذيب التهذيب (٣٣٦/٢) وفتح الباري (٥٠٨/١٠).

(٢) أطلس الحديث النبوي، ٢٣. وأطلس السيرة النبوية ١١٩.

(٣) رياض الصالحين، ٦٢٩.

(٤) الوسيط في (ف ر ط).

(٥) انظر: حياة محمد، د. محمد حسين هيكل.

أحد ويترحم عليهم، وبعد ثمان سنين خرج إلى قتلى أحد، فصلى عليهم، أي دعا لهم: فالصلاة في اللغة الدعاء، وكأنه يودع الأحياء والأموات، وبقية الحديث جزء من خطبة له ألقاها على المنبر بعد أن أعاد الناس إلى يوم أحد، وما حدث فيه من عبر ودروس... ومن نصر ثم هزيمة ثم الثبات والاستشهاد.

ومن مظاهر الجمال التعبيري في هذاالحديث تكرار التوكيد في بدايات الجمل أربع مرات، والتوكيد بإن المضاف إلى ياء المتكلم (اسمها) والمتكلم هو رسول الله ﷺ، وهذا التوكيد المتكرر لترسيخ الوصايا والقيم في نفوس السامعين، فأسلوب الخطابة يعتمد على التكرار، وتلوين الصوت، والخطاب المؤثر المقنع، ومع التأكيد يتكرر الخطاب في صيغة الجمع في قوله: (أيديكم، عليكم، موعدكم)والجمل كلها اسمية يبدأ أغلبها "بإني"، وبعضها بـ (أنا) و(لكن) وهذه الصياغة اللغوية للجمل في قالب: (الاسمية) يفصح عن ثبات المواقف، وعدم التغير والتبدل، ولفظ (فرط) يؤدي وظيفته بكل موحياتها، فهو لفظ مختصر ولكن في سياق الجملة يصور كثيرا من المعاني والمواقف، ومعناه: هو من سبق الركب إلى المنزل لتهيئة المصالح من تقريب الحطب، وإصلاح الحياض، وكأن الرسول ﷺ يقول: (وهكذا أنا بين أيدي أمتي مهيئ لهم لمصالحهم الأخروية بالشفاعة للعصاة والشهادة للمطيعين) ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ لقتلى أحد بعد ثمان سنوات.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الموعظة.

ثالثًا: من خصوصيات النبي ﷺ اطلاعه ونظره إلى حوضه.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببقاء الإسلام وانتشاره.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: الحث على الزهد في الدنيا والتحذير من التنافس فيها.

سادسًا: من صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين.

أولاً - من موضوعات الدعوة: دعاء النبي ﷺ لقتلى أحد بعد ثمان سنوات:

يظهر ذلك في قول عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى قتلى أحد، فصلى عليهم بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات.

قال النووي: معناه: خرج إلى قتلى أحد ودعا لهم دعاء مودع ثم دخل المدينة فصعد المنبر فخطب الأحياء خطبة مودع[1].

وقال ابن عثيمين: إن النبي ﷺ خرج إلى أحد فصلى على الشهداء هناك - أي دعا لهم - وليس المراد الصلاة المعروفة؛ لأن الصلاة المعروفة إنما تكون قبل الدفن لا بعده، إلا من فاته الصلاة عليه قبل الدفن يصلي عليه بعده، لكن هذه الصلاة الدعاء كما في قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[2] يعني ادع لهم[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الموعظة:

يظهر ذلك في قول عقبة بن عامر رضي الله عنه: ثم طلع إلى المنبر فقال ﷺ "إني بين أيديكم فرط وأنا شهيد عليكم وإن موعدكم الحوض... إلخ. الحديث، وباقي الروايات.

حيث وعظ المسلمين بكثير من المواعظ الحسنة في هذه الخطبة، ولا ريب أن للموعظة الحسنة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى، سواء اتخذت صفة النصح أو التذكير، أو الترغيب والترهيب، أو غير ذلك من صفات وأساليب الموعظة الحسنة.

وتتضح أهمية الموعظة في احتفاء القرآن الكريم والسنة المطهرة بها، و اعتناء سلف الأمة الصالح وأخذه بها.

فمن القرآن الكريم نجد قول الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[4].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٤٢٢.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٣) انظر: شرح رياض الصالحين ١٨٩٢/٢.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٥.

ومن السنة: فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يباشر الموعظة ويقوم بأدائها وكان يتخول أصحابه بها مخافة السآمة عليهم، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((كانَ النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بها، مَخافَةَ السَّآمَةِ علينا))[١].

وأما اعتناء السلف الصالح بالموعظة فلا يحتاج إلى برهان، وذلك لما زخر به تاريخهم من مواعظ ونصائح وتذكير تعد غررًا في جبين التاريخ. ومن أولئك الوعاظ المشهورين والنصحاء الموفقين صحابة رسول الله ﷺ كأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومصعب ابن عمير[٢].

وأسلوب الموعظة من الأساليب الدعوية التي لها فوائد عديدة في مجال الدعوة إلى الله.

ثالثًا- من خصوصيات النبي ﷺ اطلاعه ونظره إلى حوضه:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه من مقامي هذا" قال ابن حجر: (هو على ظاهره، وكأنه كشف له عنه في تلك الحالة)[٣]. وقال العيني: (قال الخطابي: وفي الحديث أن الحوض مخلوق موجود اليوم وأنه حقيقي، وفيه معجزة النبي ﷺ حيث نظر إليه في الدنيا وأخبر عنه)[٤]. وقال ابن عثيمين: (الرسول ﷺ يقول: "إنه ينظر إلى حوضه الآن" كشف له عنه في الدنيا كما كشف عنه حين رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف، وهذه أمور غيبية لا نعرف كيف كذلك ولكن الله ورسوله أعلم)[٥].

فمن معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته ما اطلع عليه من الغيوب الماضية والمستقبلة وإخباره عنها، ومن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده. وقد أضافه إلى

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠.

(٢) انظر: وسائل الدعوة، د. عبدالرحيم المغذوي، ص ٧١، ٧٢.

(٣) فتح الباري ٢٥١/٣.

(٤) عمدة القاري ١٥٧/٦.

(٥) شرح رياض الصالحين ١٨٩٢/٢.

نفسه الكريمة، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2].

وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب، جاءت أدلة أخرى تفيد أن الله تعالى استثنى من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾[3] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[4]. فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الإخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى، وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[5].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ ببقاء الإسلام وانتشاره:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي...".

قال القرطبي: (وقوله: "أعطيت مفاتيح خزائن الأرض" أي: بُشِّر بفتح البلاد، وإظهار الدين، وإعلاء كلمة المسلمين، وتمليكه جميع ما كان في أيدي ملوكها من الصفراء، والبيضاء، والنفائس، والذخائر، فقد ملكه الله ديارهم، ورقابهم، وأرضهم، وأموالهم. كل ذلك وفاءٌ بمضمون: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[6].

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٧٩.

(٤) سورة الجن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.

(٥) موسوعة نضرة النعيم ١/٥٤٢، ٥٤٣.

(٦) سورة التوبة، آية: ٣٣.

وقوله: "إني والله لستُ أخشى عليكم أن تشركوا بعدي" يعني: أنه قد أمن على جملة أصحابه أن يُبدِّلوا دين الإسلام بدين الشرك. ولا يلزم من ذلك ألا يقع ذلك من آحاد منهم؛ فإن الخبر - عن الجملة- لا يلزم صدقُه على كلِّ واحدٍ من آحادها دائمًا. كيف لا؟! وهو الذي أخبر بأن منهم من يرتد بعد موته ﷺ كما جاء نصًا في غير ما موضع من أحاديث الحوض وغيرها، وقد ظهر في الوجود ردَّةُ كثيرٍ ممن صحب النبي ﷺ وصلى معه، وجاهد، ثم كفر بعد موته. ومن ذلك قولُ ابن إسحاق وحكايتُه: أنه لم يبق بعد موت النبي ﷺ مسجد من مساجد المسلمين إلا كان في أهله ردَّةٌ، إلا ما كان من ثلاثة مساجد. وقتالُ أبي بكر رضي الله عنه لأهل الردة معلومٌ متواترٌ، وإذا كان كذلك فيتعيَّن حملُ هذا الحديث على ما ذكرناه.

ويحتمل أن يكون هذا خبرًا عن خصوص أصحابه الذين أعلمه الله تعالى بمآل حالهم، وأنهم لا يزالون على هدي الإسلام وشرعه إلى أن يلقوا الله ورسوله على هديه، إذ قد شهد رسولُ الله ﷺ لكثير منهم بذلك، وشوهدت استقامة أحوالهم حتى توفاهم الله تعالى عليها، ويحتمل أن يحمل هذا الخبرُ على جميع الأمة، فيكون معناه: الإخبار عن دوام الدين، واتصال ظهوره إلى قيام الساعة، وأنه لا ينقطعُ بغلبة الشرك على جميع أهله، ولا بارتدادهم، كما قد شهد بذلك الكتاب والسنّة وإجماع الأمة. والأول أظهر من الحديث. والله أعلم[1].

قال النووي: (وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ فإن معناه: الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض وقد وقع ذلك وأنها لا ترتد جملة وقد عصمها الله من ذلك)[2].

وقد وقع ما أخبر به ﷺ فقد عم وظهر الدين، وغلب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمته في عهد الصحابة ومن بعدهم وذلت لهم سائر البلاد، ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وألوانهم، وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين، وإما مهادن باذل الطاعة والمال، وإما محارب خائف وجل من سطوة

---

(١) المفهم ٦/٩٣، ٩٤.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٤٢١.

الإسلام وأهله)[١].

وقال ابن تيمية: (فإنه علم بالاضطرار من دين الإسلام: أنه رسالة محمد بن عبدالله ﷺ لجميع الناس: عربهم وعجمهم، وملوكهم وزهادهم وعلمائهم وعامتهم، وإنها باقية دائمة إلى يوم القيامة، بل عامة للثقلين الجن والإنس، وإنه ليس لأحد من الخلائق الخروج عن متابعته وطاعته وملازمة ما يشرعه لأمته من الدين. وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المحظورات، بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء، لوجب عليهم متابعته ومطاوعته)[٢].

خامسًا - من موضوعات الدعوة: الحث على الزهد في الدنيا والتحذير من التنافس فيها:

يظهر ذلك في قوله ﷺ ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها..." قال القرطبي: (وقوله: ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها، وتقتتلوا فتهلكوا" هذا الذي توقعه النبي ﷺ هو الذي وقع بعده، فعمَّت الفتن، وعظمت المحن، ولم ينجُ منها إلا من عُصم، ولا يزال الهرجُ إلى يوم القيامة، فنسأل الله تعالى عاقبة خيرٍ وسلامةٍ)[٣]. أو "لكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها". فقد أخبر أن أمته تتنافس في الدنيا وقد وقع[٤].

وفي ذلك حث منه ﷺ على الزهد في الدنيا وتحذير من التنافس فيها.

قال الطيبي: ("تنافسوا فيها" معناه ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها أو تحرصون على إمساكها فتطغون فيها فتهلكون، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٥])[٦].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم ٥٤٦/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٤٢٣/١١، ط/ العبيكان، ص ٢٣١/٦.

(٣) المفهم ٩٤/٦.

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٤٢١.

(٥) سورة العلق، الآيتان: ٦، ٧.

(٦) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٢٩٣/٩.

فالتنافس في الدنيا يكون سببًا في التقاتل والعداوة والهلاك، كما قال ﷺ: ((فواللهِ ما الفقرَ أخشىٰ عليكم، ولكني أخشىٰ أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على من كان قبلكم، فتَنافسوها كما تَنافسوها، وتُهلككم كما أهلكَتهم))[1].

من ذلك يتضح أهمية حث النبي ﷺ لأمته على الزهد في الدنيا وعدم التنافس فيها.

سادسًا- من صفات الداعية: الخوف والشفقة على المدعوين:

يظهر ذلك من خوف رسول الله ﷺ على أمته من التنافس في الدنيا وخشيته من ذلك. وإشفاق الداعي وخوفه على المدعوين ضروري؛ لأن النصيحة ثمرة الإيمان، والإيمان يقتضي حب الخير للناس، والسعي فيه بالقول والعمل قدر الاستطاعة، وبالتالي تتم الدعوة -إذا اتسمت بالنصح- بأنسب الأساليب، ويراعى فيها حال المنصوح أو من توجه إليه دعوة الخير، وهذا أدعى إلى قبول الدعوة، وأعون على نجاحها، ولذلك يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[2]. فحرص الداعية على خير المدعو من شأنه أن يؤلف القلوب، ويجمع شتاتها، ويجعلها تتفتح للخير إذا أراد الله لها الهداية[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٣١٥٨، ومسلم ٢٩٦١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) انظر: النصيحة، الباز محمد عبدالفتاح الدميري، ص ٢٢١، ٢٢٢.

الحديث رقم (١٨٦٣)

١٨٦٣- وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ الفجرَ، وصعدَ المِنبرَ، فخطبَنا حتَّى حضرتِ الظُّهرُ، فنزلَ فصلَّى، ثُمَّ صعدَ المِنبرَ فخطبَنا حتَّى حضرتِ العصرُ، ثُمَّ نزلَ فصلَّى، ثُمَّ صعدَ المِنبرَ فخطبَنا حتَّى غربتِ الشَّمسُ، فأخبرَنا بما كانَ وبما هُوَ كائنٌ، فأعلمُنا أحفظُنا. رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

عمرو بن أخطب الأنصاري: هو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري الخزرجي المدني مشهور بكنيته: أبو زيد.

أكرمه النبي ﷺ فدعا له ومسح وجهه ولمس خاتم النبوة. قال عمرو: استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بإناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعتُها ثم ناولته فقال: اللهم جمِّله[2]. قال أنس بن سيرين [أحد الرواة عنه]: وكان رجلاً جميلاً حسن الشَّمَط[3].

وعاش طويلاً دون أن يصيبه الشيب بفضل دعاء النبي ﷺ له، قال: مسح رسول الله ﷺ يَده على وجهي ودعا لي. قال عزرة بن ثابت [حفيده]: إنه عاش مائة وعشرين سنة وليس في رأسه إلا شعيرات بيض[4] وعاش منبسط الوجه لم تصبه التجاعيد حتى مات.

وأذن له النبي ﷺ بأن يمس خاتم النبوة في ظهره، وقال عنه: شعَرات بين كتفيه[5].

وجاهد في سبيل الله وشارك في الغزوات، فقد غزا مع النبي ﷺ ثلاث عشرة غزوة[6].

---

(١) برقم ٢٨٩٢/٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ٣٤٠/٥، رقم ٢٢٨٨٣، وقال محققو المسند: صحيح ٥٢٢/٣٧.

(٣) الشَّمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده. القاموس المحيط ٥٤٤/٣. والحديث أخرجه أحمد ٢٢٨٨٥/٣٧ وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٦٢٩ وأحمد ٢٠٧٣٣/٣٤، ٢٢٨٩٠/٣٧. وقال محققو المسند: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه أحمد ٧٧/٥، رقم ٢٠٧٣٢ وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣٣٣/١٣٤.

(٦) أخرجه أحمد ٢٢٨٨٤/٣٧ وقال محققو المسند: إسناده قوي.

نزل العراق وسكن البصرة وكان من مشاهير الصحابة فيها. توفي في خلافة عبدالملك ابن مروان[١].

الشرح الأدبي

كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله وأعذبهم كلامًا، وأسرعهم أداء، وأحلاهم منطقًا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب، ويسلب الأرواح، ففصاحة لسانه غاية لا يدرك مداها، ومنزلة لا يدانى منتهاها، وقد كان ﷺ إذا تكلم تكلم بكلام مفصّل مُبيّن يعدّه العادّ؛ وقالت عائشة رضي الله عنها: ما كان ﷺ يسرد سردكم هذا، كان يحدث حديثًا لو عدّه العاد لأحصاه، وكان يعيد الكلمة ثلاثًا لتحفظ عنه[٢].

وفي ضوء هذه الخصائص التي اختص الله بها نبيه محمدًا ﷺ في منطقه وأسلوبه وبلاغته، نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف.. ومن هذه الجماليات:

أ - الأسلوب الخبري هو السمة العامة لصياغة الجمل والتراكيب في هذا الحديث الشريف، ومما يؤكد هذه الصيغة الإخبارية التوجيهية، أن الأفعال التي وردت في الحديث كلها ماضية، حيث يحكي أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه ما قام به رسول الله ﷺ من صلوات وخطب وتعليم وإرشاد للمسلمين. وفي الحديث أكثر من خمسة عشر فعلاً ماضيًا... وليس به فعل مضارع واحد، أو فعل من أفعال الأمر.

ب - تكرار بعض الأفعال والجمل - على الرغم من قصر الحديث - وذلك لتثبيت الكلام في ذهن السامعين، وكان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثًا حتى يحفظ السامعون عنه، وكان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه كما تقول عائشة رضي الله عنها ولذلك لم يُحْدِث التكرار رتابةً، ولا يعد إسهابًا، بل هو من سمات بلاغة الكلام، وحسن الإفهام، ومن ذلك تكرار جملة (صعد المنبر ثلاث مرات) وتكرار جملة (فنزل

---

(١) الطبقات ٢٨/٧، والاستيعاب ٥٠٣، ٨٠٧ وأسد الغابة ١٧٧/٤، ١٢٤/٦، والإصابة ٩٥٨، ١٤٧٨، والسير ٤٧٣/٣، وتهذيب الكمال ٣٩٣/٥، والتهذيب ٢٥٦/٣، وموسوعة عظماء حول الرسول ٣٩٤/٢).

(٢) انظر: الزهور الندية من خصائص وأخلاق خير البرية، تنقيح وضبط وتعليق: أحمد بن محمد طاحون.

فصلى مرتين) مع تغير حرف العطف في المرة الثانية من الفاء إلى ثم مراعاة للسياق، وكذل تكرار الفعل "خطب" مرتين، وفي المرة الثالثة جاء بمضمون الخطبة: فقال: (فأخبرنا ما كان وما هو كائن).

ج - بلاغة الحذف في قول الراوي: (فأخبرنا ما كان وما هو كائن) أي عن أحوال الخلق، في كل الأزمنة الماضية والحاضرة والمستقبلية، وقال العلماء: إن كان المراد جميع ذلك كما يومئ إليه لفظ (الموصول (ما) وهو بمعنى: الذي، فيكون فيه معجزة بخرق الأوقات والمباركة فيها، حتى اتسعت لنشر ذلك كله وذكره، وصيغة التفضيل في ختام الحديث: في قول الراوي: (فأعلمنا أحفظنا) توحي بضرورة التزود من العلم والتفقه في الدين، لأن الأكثر علمًا بالآيات الكونية، والمسائل الشرعية، هو الأكثر حفظًا لها ودراية بها، والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من وسائل الدعوة: الخطبة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: قوة وتحمل النبي ﷺ.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بما كان وما يكون من أمور غيبيه.

أولاً- من وسائل الدعوة: الخطبة:

يظهر ذلك في قول أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل...).

وقد استعمل النبي ﷺ هذا النوع من الوسائل في نشر دعوته لكثرة فائدته، وعظيم جدواه، ذلك أن الخطابة علم من العلوم المهمة التي تساعد على الاتصال الجماعي.

وقد دارت خطابة النبي ﷺ في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش، وكان في خطبته يتشهد بعد الحمد والثناء، ويذكر فيها نفسه بالعلم.

وكان يقول بعد الثناء والتشهد: أما بعد.

وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي.

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لأحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود إلى خطبته فيتمها.

وكان ﷺ يأمر بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها.

ولعل أكبر ما يدلنا على اهتمام النبي ﷺ بالخطابة أنها أول وسيلة أبرزها بعد الجهر بالدعوة مباشرة حين صعد على الصفا، وفي حجة الوداع ألقى خطبة في الجموع المحتشدة[1].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: قوة وتحمل النبي ﷺ:

يظهر ذلك في خطبته ﷺ من بعد صلاة الفجر حتى غروب الشمس.

قال ابن عثيمين: هذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ أخطب الناس وأن الله تعالى أعطاه قوة لم يعطها أحدًا غيره؛ فقد صلى الفجر ﷺ وصعد المنبر وخطب الناس حتى أذن الظهر ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد فصعد المنبر وخطب حتى أذن العصر، فنزل وصلى العصر، ثم صعد المنبر فخطب حتى غابت الشمس يعني يومًا كاملاً من صلاة الفجر إلى غروب الشمس وهو ﷺ يخطب، ولم يُذكر أنه خرج إلى البيت ليتغدى أو نحو ذلك، فإما أن يكون صائمًا، وإما أن يكون قد انشغل بما هو أهم، وكذلك أيضًا لم يذكر أنه صلى راتبة الظهر فيكون هنا اشتغل عن الراتبة بما هو أهم؛ لأن موعظة الناس وتعليم الناس أهم من الراتبة، فإن دار الأمر بين أداء الراتبة والتعليم فالتعليم أفضل.

وفي ذلك دليل على قوة النبي ﷺ وحرصه على تبليغ الرسالة[2].

---

(١) انظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش، ص ٤١٩، ٤٢٠.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين ١٨٩٤/٥، ١٨٩٥.

ومما يؤكد على قوة النبي ﷺ وأن الله عز وجل أعطاه قوة لم يعطها لأحد غيره أن الصحابة رضوان الله عليهم في حفر الخندق اعترضتهم كُدية صلبة فذهبوا إلى النبي ﷺ وأخبروه بها فجاء وضربها بالمعول فانهارت.

فعن جابر رضي الله عنه قال: ((إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدية عرضت في الخندق، فقال: أنا نازل. ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبًا أهيل، أو أهيم...))[1].

قال ابن الأثير: الكُدية قطعة غليظة صُلبة لا تعمل فيها الفأس[2].

(وكثيبًا: أهيل) أي: رملاً سائلاً[3].

قال الطيبي: قال القاضي البيضاوي: والمعنى أن الكدية التي عجزوا عن كسرها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله ﷺ كتلاً من رمل مصبوب سيال[4].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: إخبار النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بما كان وما يكون من أمور غيبيه:

يظهر ذلك في قول أبي زيد رضي الله عنه: "فأخبر بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا".

قال ابن عثيمين: (قال "وأخبرنا بما كان وما يكون" يعني مما أطلعه الله عليه وليس يعلم الغيب إلا من أطلعه الله عليه فقط، فأعلمه الله عز وجل في ذلك اليوم شيئًا من علوم الغيب الماضية ومن الغيوب المستقبلة وأخبر بها ﷺ، "فأعلمنا أحفظنا" يعني منا من علم وحفظ وبقي ذلك في ذهنه ومنا من لم يحفظ)[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٤١٠١.

(٢) النهاية ٧٩٤.

(٣) المرجع السابق ١٠١٨.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١١/١٠٩.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٩٥.

وفي إخباره ﷺ أصحابه رضي الله عنهم بما كان وما يكون من أمور غيبية.

قال الدكتور عمر الأشقر: (فمن ذلك إخباره عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإخباره عن الملائكة وصفاتهم، وإخباره عن عالم الجن، وعن الجنة والنار، ومن ذلك إخباره عن الحوادث التي وقعت، كما أخبر عن آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل، وما جرى بينهم وبين أقوامهم، وهو حديث فيه تفصيل وبيان، ومثل هذا لا يتأتى من رجل أمي لم يكن كاتبًا ولا قارئًا، ولم يخالط الذين درسوا تاريخ الأمم وعرفوا أخبارها، ثم هو يأتي بأخبار لم يبلغها علم الأمم، وأخبار يكتمها علماء أهل الكتاب، ويصحح لهم كثيرًا مما عندهم، وكل ذلك دليل على أنه إنما جاء بهذه العلوم من العليم الخبير: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾[1].

وقد أشار القرآن إلى هذا الدليل في عدة مواضع، فمن ذلك قوله في سياق قصة مريم: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2].

وفي سياق قصة موسى، قال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[3].

وقد كان يخبر بالأخبار المغيبة التي وقعت في حينها، فقد أخبر باستشهاد قادة المسلمين الثلاثة في معركة مؤتة وباستلام خالد بن الوليد الراية من بعدهم في اليوم الذي وقع فيه الحدث[4].

وعندما توفي النجاشي أخبر بوفاته في نفس اليوم، وكذلك عندما توفي كسرى.

ومن ذلك إخباره بالغيوب المستقبلية، وبعض هذه الأخبار كان يقع ويتحقق في الحال أو بعد فترة وجيزة.

---

(١) سورة هود، آية: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٤٤.

(٣) سورة القصص، آية: ٤٦.

(٤) انظر ما أخرجه البخاري ٤٢٦٢.

فمن ذلك أنّه أخبر بالمواضع التي سيصرع فيها صناديد الكفر قبل وقوع معركة بدر، عن أنس رضي الله عنه، قال: "فندب رسول الله ﷺ الناس، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، فقال رسول الله ﷺ: "هذا مصرع فلان" ويضع يده على الأرض ههنا وههنا، قال: فما ماط "أي ما بعد، وما تجاوز" أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ)[1].

ومن هذه الغيوب التي أخبر بها ما وقع بعد وفاته، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))[2]. وقد وقع الأمر كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أكثر الرسول ﷺ من الإخبار مما سيقع في مقبل الزمان، قال حذيفة ابن اليمان: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فما ترك شيئًا يكون من قيامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثه، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته، فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[3].

ومن ذلك ما أخبر به من الفتن وأشراط الساعة وغير ذلك، وقد تكفلت بذكرها كتب الحديث[4].

قال القاضي عياض: (والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب)[5].

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٩.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٢٠، ومسلم ٢٩١٨.

(٣) أخرجه البخاري ٦٦٠٤، ومسلم ٢٨٩١.

(٤) الرسل والرسالات، د. عمر الأشقر ١٤٧، ١٤٨.

(٥) الشفا ٣٢٩/١.

الحديث رقم (١٨٦٤)

١٨٦٤- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: ((مَنْ نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِهِ)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

غريب الألفاظ:

نذر: أوجب على نفسه شيئًا تبُّرعًا؛ من عبادة أو صدقة[2].

الشرح الأدبي

يتكون هذا الحديث في صياغته اللغوية من جملتين شرطيتين: وأسلوب الشرط في هذا الحديث مناسب للسياق ولمقام الكلام، فالجزاء من جنس العمل، وأداة الشرط في الجملتين هي: (من) وهي للعاقل، وتكرارها في الجملتين فيه إيحاء بأن صاحب النذر، يجب أن يكون متحصنًا بالعقل والتفكير الدقيق، والإدراك الواعي، والشعور الإيماني الفطن، حين يكون نذره في مجال الطاعة، وليس في مجال المعصية، وطاعة الله قمة الطاعات، وعصيانه في سفح السلوكيات، ومهاوي الطبائع وأرزل السيئات.

والجملتان متماثلتان في الصياغة الأسلوبية فهما شرطيتان، ولكنهما تختلفان في الدلالة، وبينهما تحالف في التركيب: ففعل الشرط في الجملة الأولى ماض، وكذلك في الجملة الثانية: وهو الفعل: نذر، ولكن جواب الشرط فعل مضارع في الجملة الأولى مقترن بلام الأمر، والأمر للوجوب (فليطعه) لأن الوفاء بالنذر واجب في الطاعة، أما جواب الشرط في الثانية فهو (فلا يعصه) فعل مضارع مسبوق بلا الناهية، وهي جازمة، ولام الأمر جازمة، ولكن النهي يناسب الدلالة في الجملة الثانية، والنهي هنا واجب، فمن نذر أن يعصى الله فلا يعصه، وقال العلماء: لا ينعقد النذر.

---

(١) برقم ٦٦٩٦.

(٢) النهاية في (ن ذ ر).

وبين الجملتين طباق وتضاد، أو مقابلة شاملة في الدلالة والألفاظ، وتأمل البون الشاسع في الدلالة بين: (أن يطيع الله، وأن يعصى الله) وكذلك التضاد الكلي في الدلالة بين (فليطعه) و: فلا يعصه، ولنتأمل دلالة الألفاظ اللغوية...وعلاقتها بالدلالة الاصطلاحية والشرعية:

فالنذر في اللغة: النَّحْب، والأرش، وقيل: النذور: لا تكون إلا في الجراح، صغارها وكبارها، والنذر: ما كان وعدًا على شرط: كقوله: عليَّ إن شفى الله مريضي كذا، فهذا نذر، فالنذر إذا لم يؤدَّ يظل كالجرح الغائر المؤلم، ولا يبرأ الناذر إلا إذا وفى بنذره في الطاعة.

والطاعة: معناها: الانقياد، ويقولون هو طوع يديك، أي منقاد لك، وفرسي طوع العنان أي سلس، ويقولون: أطاع الشجر، أي: أدرك ثمره وأمكن أن يجتني، فالطاعة انقياد لله، والطائع من الشجر المثمر، الذي ينعم بثماره آكله، ويفوز برضوان الله وجنته.

والعصيان: خلاف الطاعة، وشق العصا أي مخالفة جماعة الإسلام، وهو كناية عن الخروج على الجماعة، ويقولون: أعصى الكرم، أي خرج عيدانه ولم يثمر، والعاصي في اللغة: العرْق لا يرقأ، فالعاصي مثل الشجر الذي لا نفع فيه فهو بلا ثمر، وهو مثل الجرح النازف، يضر نفسه وغيره، فتأمل بلاغة رسول الله ﷺ، وتأمل دلالات الكلمات، وموحيات التراكيب والأساليب فكلامه كله يثمر علمًا، ويُمتثل شرعًا وحكمًا، لا يتفوه بشرٍّ بكلام أحكم منه في مقالته، ولا أجزل منه في عذوبته، وهو أحكم الخلق جنانًا، وأفصحهم لسانًا وأوضحهم بيانًا.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء بكل ما يعين على طاعة الله تعالى.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: اجتناب الوفاء بكل ما يعين على معصية الله تعالى.

ثالثًا: من مهام الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وتحذيرهم من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على الوفاء بكل ما يعين على طاعة الله تعالى:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "من نذر أن يطيع الله فليطعه...".

فقد أمر رسول الله ﷺ من نذر طاعة الله أن يطيعه، فنذر الطاعة يجب الوفاء به. قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[1] فمن نذر إرشاد الجاهلين وإنقاذ المظلومين أو مساعدة البائسين أو زيارة الأقربين، أو الجهاد في سبيل الله ونشر دينه. ومطاردة أعدائه وجب عليه الوفاء بما نذر[2].

فأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة يدل على حثه على الوفاء بكل ما يعين على طاعة الله تعالى.

وقد جعل الله الوفاء بالنذر من صفات الأبرار قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[3]. قال ابن كثير: (وقوله: "يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرا" أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر[4].

ولا خلاف بين الفقهاء في صحة النذر في الجملة، ووجوب الوفاء بما كان طاعة منه.

وقد استدلوا على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب الكريم فبآيات منها قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[5] ومنها ما قاله سبحانه في شأن الأبرار: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[6].

---

(١) سورة الحج، آية: ٢٩.

(٢) انظر: الأدب النبوي ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) سورة الإنسان، الآيات: ٥-٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢٨٧/٨.

(٥) سورة الحج، آية: ٢٩.

(٦) سورة الإنسان، آية: ٧.

وما قاله جل شأنه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[1].

وأما السنة النبوية المطهرة فبأحاديث منها ما ورد عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما سأل رسول الله ﷺ فقال: ((يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف يومًا في المسجد الحرام. فكيف ترى؟ قال: اذهب فاعتكف يوما)) وفي رواية أخرى: ((أنه قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام. فقال النبي ﷺ: أوف بنذرك))[2].

وما روى عمران بن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن))[3].

وأما الإجماع فحكى ابن رشد "الحفيد" اتفاق الفقهاء على لزوم النذر المطلق في القرب، وقال ابن قدامة: أجمع المسلمون على صحة النذر في الجملة، ولزوم الوفاء به[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: اجتناب الوفاء بكل ما يعين على معصية الله تعالى:

ذلك واضح في قوله ﷺ "ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه".

قال العظيم آبادي: (قال الخطابي: في هذا بيان أن النذر في المعصية غير لازم وأن صاحبه منهي عن الوفاء به)[5].

فمن نذر النكاية بعدوه، بإراقة دمه، أو اغتصاب ماله، أو نذر لحزب مبطل، أو انتخاب شخص مجرم، أو شرب خمر، أو لعب ميسر، أو إقامة ليلة ساهرة، تنتهك فيها

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٧٥-٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠٣٢، ٢٠٤٣، ٣١٤٤، ٤٣٢٠، ٦٦٩٧، ومسلم ١٦٥٦.

(٣) أخرجه البخاري ٢٦٥١، ٣٦٥١، ومسلم ٢٥٣٥.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية ٤٠/ ١٣٧-١٣٨ (مصادرها ومراجعها).

(٥) عون المعبود، ص ١٤١١.

الحرمات، ويعصى الإله، حرم عليه الوفاء[١].

وقد قال رسول الله ﷺ: ((لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ))[٢]، وقال ﷺ: ((ولا نذر إلا فيما ابتغي به وجه الله تعالى))[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بينا النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، وأن يصوم فقال النبي ﷺ: مروه فليتكلم وليستظل، وليقعد وليتم صومه))[٤]. فينبغي على المسلم اجتناب الوفاء بكل ما يعين على معصية الله تعالى، فإذا نذر معصية الله تعالى يحرم عليه الوفاء.

ثالثًا- من مهام الداعية: دلالة المدعوين إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة وتحذيرهم من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة:

ذلك واضح في أمره ﷺ لمن نذر أن يطيع الله بالوفاء بنذره؛ لأن عمل الطاعات ينفع المؤمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٥].

ويظهر تحذيره من ما يضر الناس في نهيه عن الوفاء بنذر المعصية، وذلك لأن المعاصي مما يضر الإنسان في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٦]. قال السعدي: (أي: يذهبون إلى بعض شؤونهم عن أمر الله ورسوله... "أن تصيبهم فتنة" أي: شرك وشر. "أو يصيبهم عذاب أليم")[٧].

---

(١) انظر: الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ص ١٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ١٦٤١.

(٣) أخرجه أبو داود ٢١٩٢، وحسنه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٩١٨).

(٤) أخرجه البخاري ٦٧٠٤.

(٥) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٦) سورة النور، آية: ٦٣.

(٧) تيسير الكريم الرحمن ٥٢٥.

فقد كان رسول الله ﷺ حريصًا على نفع أمته وحريصًا على دلالتهم إلى ما فيه خيرهم وحريصًا على تحذيرهم مما يضرهم، وسيرته العطرة مليئة بالمواقف والأحداث الدالة على ذلك.

فعلى الدعاة أن يتأسوا برسول الله ﷺ في دلالته المدعوين إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.

الحديث رقم (١٨٦٥)

١٨٦٥- وعن أمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرها بِقَتْلِ الأَوْزَاغِ[١]، وقال: ((كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)) متفق عَلَيْهِ[٢].

ترجمة الراوي:

أم شريك القرشية: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (١٨١٥).

الأوزاغ: الوَزَغ العظام مِن سَامٍّ أبرص[٣].

الشرح الأدبي

إن المسلم مطالب بالدفاع عن نفسه وعن دينه وعرضه وماله وداره.

ومطالب بأن يحمي نفسه من كل ما يجلب له الإيذاء والضرر، ورسول الله ﷺ في هذا الحديث يضع أمامنا أنموذجًا لدفع الإيذاء، ويأمر بقتل الزواحف والدواب السامة التي تمثل مصدرًا للأمراض والأوبئة ومنها: الأوزاغ، وهي جمع وزغة وهي كما جاء في القاموس المحيط: سام أبرص، وسميت بها لخفتها وسرعة حركتها.

ويتكون الحديث من جملتين خبريتين أولاهما إسمية والثانية فعلية، والأولى يتصدرها التأكيد "بأن"، وهي ناصية مؤكدة، والتأكيد صادر من رسول الله ﷺ لأم شريك، والأمر المؤكد هو: قتل الأوزاغ، وقولها: أمرها، يضاعف من تأكيد الأمر، وهو أمر واجب، لأن فيه دفعًا للضرر واتقاء للأذى، وأما الجملة الثانية فهي من الأدلة التي يسوقها رسول الله ﷺ للبرهنة على أمره بقتل الأوزاغ، حيث يبين السبب في الأمر بالقتل ويقول: (كان ينفخ على إبراهيم) أي ينفخ النار على إبراهيم فيساعد على اشتعالها، وقال العلماء: وهو إن لم يكن لنفخه تأثير في النار لصغر جرمه ولإحراقه بلهبها، إلا أن فيه مناحاة معاداة، وإظهار للعداوة، وهو سام.. والمؤمن مطالب بالحفاظ

---

(١) بهذا اللفظ عند البخاري برقم ٣٣٠٧.

(٢) أخرجه البخاري ٣٣٥٩، ومسلم ٢٢٣٧/١٤٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٨٧.

(٣) رياض الصالحين ٦٣٠.

على نفسه، وباتخاذ كل السبل التي تقيه الشرور والأخطار.

المضامين الدعوية[١]

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية قتل الحشرات المؤذية.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الترغيب في قتل الوزغة وبيان النبي ﷺ لفضل ذلك.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحث على طلب أسباب السلامة والأمان بقتل الحشرات المؤذية للإنسان.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية قتل الحشرات المؤذية:

يظهر ذلك في حديث أم شريك رضي الله عنها: "أن رسول الله ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ...".

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من قتل وزغة...".

قال النووي: (واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات وجمعه أوزاغ ووزغان، وأمر النبي ﷺ بقتله وحث عليه ورغب فيه لكونه من المؤذيات)[٢].

وتظهر أهمية قتل الوزغ في أنه مؤذٍ وقد ورد عن رسول الله ﷺ كثير من الأحاديث التي أمر فيها بقتل الحشرات نظرًا لأنها مؤذية منها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: ((اقتلوا ذا الطُّفْيتين، فإنه يَطْمِسُ البصرَ ويُصيبُ الحبَلَ))[٣].

وعنها رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ بقتل الأبتر، وقال: ((إنه يُصيبُ البصرَ ويُذهبُ الحبلَ))[٤].

ومن المندوب قتله من الحشرات، الحية، لما روت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: ((خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، وَالْفَارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ، وَالْحُدَيَّا))[٥]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يخطب على المنبر يقول:

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٦٥- مع المضامين الدعوية للحديث رقم (١٨٦٦).

(٢) شرح صحيح مسلم ١٣٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٣٣٠٨، ومسلم ٢٢٣٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٣٠٩، ومسلم ٢٢٣٢.

(٥) أخرجه مسلم ١١٩٨.

((اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ، وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ، فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لأَقْتُلَهَا، فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ: لاَ تَقْتُلْهَا فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ قَالَ: إِنَّهُ نَهى بَعْدَ ذلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ، وَهِيَ الْعَوَامِرُ))[1].

من أجل ذلك فرق الفقهاء غير الحنفية بين حيات البيوت وغيرها، فحيات غير العمران تقتل مطلقًا من غير إنذار لبقائها على الأمر بقتلها، وأما حيات البيوت فتنذر قبل قتلها ثلاثًا لقوله ﷺ: ((إنَّ لِبُيوتِكُمْ عُمَّارًا فَحَرِّجُوا عليهِنَّ ثلاثًا، فإنْ بَدَالكم بعد ذلك منهُنَّ شيءٌ فاقتُلوهُ))[2].

ولم يفرق الحنفية بينهما، قال الطحاوي: "لا بأس بقتل الكل، لأن النبي ﷺ عاهد الجن أن لا يدخلوا بيوت أمته، ولا يظهروا أنفسهم، فإذا خالفوا فقد نقضوا عهدهم فلا حرمة لهم. ومع ذلك فالأولى عندهم الإمساك عما فيه علامة الجان لا للحرمة، بل لدفع الضرر المتوهم من جهته وللفقهاء في حكم الإنذار وكيفيته تفصيل ينظر في مواضعه من كتب الفقه.

ومن المستحب قتله كذلك الفأر لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: ((أمر رسول الله ﷺ بقتل خَمْسٌ فَوَاسِقُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْحَيَّةُ، وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ، وَالْفَارَةُ، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ))[3]، ومن حيث العموم يستحب قتل كل ما فيه أذى من الحشرات كالعقرب، والبرغوث، والزنبور، والبق"[4].

وتبرز أهمية قتل الحشرات المؤذية في تجنب أذاها والوقاية من شرها للصغار والكبار.

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: الترغيب في قتل الوزغة وبيان النبي ﷺ لفضل ذلك:

في حديث أم شريك رضي الله عنها أمرها بقتل الأوزاغ وقال: "كان ينفخ على إبراهيم" وفي

---

(١) أخرجه مسلم ٢٢٣٣.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣٦، والترمذي ١٤٨٤ واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم ١١٩٨.

(٤) الموسوعة الفقهية ٢٧/٢٨٢ - ٢٨٣، وانظر: مراجعها ومصادرها.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: "من قتل وزغًا في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك".

قال القرطبي: (الوزغة: دُويبةٌ مستخبثةٌ مستكرهة، وتُجمع: وزغٌ، وأوزاغٌ، ووزغانٌ.

وأمرُه ﷺ بقتله لما يحصل منه من الضرر والأذى الذي هي عليه من الاستقذار المعتاد، والنفرة المألوفة؛ التي قد لازمت الطباع، ولما يتقى أن يكون فيها سم، أو شيء يضرُّ متناوله، وما رُوي: من أنها أعانت على وقود نار إبراهيم عليه السلام؛ فإنها كانت تنفخ فيه ليشتعل، وهذا من نوع ما روي في الحية: أنها أدخلت إبليس إلى الجنة، فعوقبت بأن أهبطت مع من أهبط، وجُعلت العداوة بينها وبين بني آدم؛ ويشهدُ لهذا قوله ﷺ: ((ما سالمناهنَّ مُذ عاديناهنَّ))[1]. وهذا كله مذكورٌ في كتب المفسرين)[2].

قال النووي: (وأما سبب تكثير الثواب في قتله بأول ضربة ثم ما يليها فالمقصود به الحث على المبادرة بقتله والاعتناء به وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتله، وأما تسميته فويسقًا فنظيره الفواسق الخمس التي تقتل في الحل والحرم، وأصل الفسق الخروج وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضر والأذى)[3].

فعن عائشة رضي الله عنها أنه قال ﷺ للوزغ ((الفويسق))[4]، وكان عند عائشة رضي الله عنها رمح بها تتبع الأوزاغ وتقتلها[5].

وقد أخبر ﷺ أنه كان ينفخ النار على إبراهيم من أجل أن يشتد لهبها، فعن رسول الله ﷺ قال: ((أَنَّ إِبْرَاهِيمَ، لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ تَكُنْ فِي الأَرْضِ دَابَّةٌ إِلاَّ أَطْفَأَتِ النَّارَ. غَيْرَ الْوَزَغِ. فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ عَلَيْهِ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ))[6] مما

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٣٢/٢ رقم ٩٥٨٨، وقال محققو المسند: إسناده قوي ٣٦٠/١٥.

(٢) المفهم ٥٣٩/٥، ٥٤٠.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٣٩٦.

(٤) أخرجه البخاري ١٨٣١، ٣٣٠٦، ومسلم ٢٢٣٩.

(٥) انظر: ما أخرجه أحمد ٨٣/٦ رقم ٢٤٥٣٤.

(٦) أخرجه ابن ماجه ٣٢٣١ وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٢٦١٦).

يدل على عداوته التامة لأهل التوحيد والإخلاص، ولذلك ينبغي للإنسان أن يتتبع الأوزاغ في بيته، في السوق، في المسجد ويقتلها[١].

وقد رغّب رسول الله ﷺ في قتلها وبين أن من يقتلها له الثواب من الله عز وجل على قتل هذه المؤذية المعادية لأهل التوحيد والإخلاص.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الحث على طلب أسباب السلامة والأمان بقتل الحشرات المؤذية للإنسان:

يستنبط ذلك من عموم الحديثين[٢] فقد أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغ نظرًا لأذاه وضرره للإنسان، ففي قتله اجتناب ضرره، وسلامة من أذاه، وقد كان ﷺ يأمر بقتل الأشياء المؤذية من أجل طلب السلامة والأمان للإنسان، حتى يتجنب الناس أذى هذه الأشياء. وقد ورد عن رسول الله ﷺ الكثير من الأحاديث التي تأمر بقتل الأشياء المؤذية للإنسان من أجل سلامته وتحقيقًا لأمنه، من هذه الأحاديث قوله ﷺ: ((اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يستسقطان الحبل، ويلتمسان البصر))[٣].

وقال ﷺ: ((خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة، والعقرب، والحُدَيَّا، والغراب، والكلب العقور))[٤].

قال النووي: (قال مالك: المعنى فيهن كونهن مؤذيات، فكل مؤذ يجوز للمحرم قتله وما لا فلا)[٥].

فقد أباح الإسلام للمحرم قتل الأشياء المؤذية من أجل سلامته وأمانه، فمن باب أولى غير المحرم يجوز له قتل الحشرات المؤذية، حتى يقي نفسه شرها ويأمن من أذاها، فالسلامة والأمان مطلبان أساسيان للبشر، فلابد من أخذ الأسباب الموصلة إليهما، وقد حثت الشريعة الإسلامية على طلب هذه الأسباب والعمل بها.

---

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٩٦/٢.

(٢) الحديث رقم (١٨٦٥)، (١٨٦٦).

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٩٧، ومسلم ٢٢٣٣.

(٤) أخرجه البخاري ٣٣١٤، ومسلم ١١٩٨.

(٥) شرح مسلم ٧٤٧.

الحديث رقم (١٨٦٦)

١٨٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً))[1].

وفي رواية: ((مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وفي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وفي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ)) رواه مسلم[2].

قال أهل اللغة: الوَزَغ: العِظَامُ مِنْ سَامَّ أَبْرَصَ.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ورسول الله ﷺ أمر أم شريك رضي الله عنها بقتل الأوزاغ، وفي هذا الحديث يحث المسلمين جميعًا على ذلك، ويسوق هذا في أسلوب ترغيبي، يعدهم بمضاعفة الحسنات والثواب العظيم.

ويتكون الحديث من ثلاث جمل تتفق كلها في الصياغة النحوية، حيث أتت كلها في قالب الشرط والجواب، وهذا الأسلوب يناسب السياق ويوحي بأن كل فعل يقوم به الإنسان له مقدمات ونتائج، وصلاح المقدمات ينتج عنه صواب النتائج وصحتها: والنتيجة في هذا الحديث هي المكافأة والحسنات المضاعفة لمن يبادر ويقتل الوزغ في الضربة الأولى، وتقل الحسنات في الضربة الثانية وكذلك الثالثة.

وتكرار قوله ﷺ (فله كذا وكذا حسنة) ثلاث مرات، يؤكد الوعد بالثواب المضاعف، ويحض على تنفيذ الفعل من أول ضربة في المرة الأولى، وفي ذلك إيماء

---

(١) برقم ١٤٦/٢٢٤٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٨٥.

(٢) برقم ١٤٧/٢٢٤٠. أورده المنذري في ترغيبه ٤٣٨٥.

بضرورة تواجد همة المؤمن القوية ،وعزيمته الشديدة، والحث على قتل الوزغ في الضربة الأولى للخوف من هربه وإفلاته، لأنه خفيف الحركة، ولديه قدرة على التخفي والهرب بين الشقوق والجدران.

واستعمال أداة الشرط (من) في الجملتين الأولى والثانية فيه ترغيب وحث على إنجاز المهمة في الضربة الأولى أوالثانية، وفيه إيحاء بأن من يقوم بهذا الإنجاز هو من العقلاء الأقوياء الذين ينفذون ما يريدون، ويتقنون ما يعملون، وأما في الجملة الأخيرة فقد استعمل أداة الشرط (إن) وهي لا تفيد التحقق، ولكنها تدل على الشك في وقوع الفعل والضربة الثالثة ليست يقينية في إنجاز قتل الوزغ، أو كل ما يؤذي الإنسان، لأن هذه الحشرة السامة تستطيع أن تنجو، بعد إفلاتها منه في المرتين السابقتين.

وتأمل تكرار ثلاث مرات في الحديث، وفي هذا حث على التنفيذ، وعدم التراجع أو التباطؤ منعًا للأذى، ومنعًا لانتشار الأمراض، والأضرار الكثيرة.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٦٧)

١٨٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: ((قَالَ رَجُلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ! لأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وعلى غَنِيٍّ! فَأُتِيَ فقيل لَهُ: أمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سارقٍ فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وأمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ عَنْ زِنَاهَا، وأمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ)) رواه البخاريُّ[1] بلفظه ومسلم بمعناه.

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

يجيئ هذا الحديث في ثوب قصصي، وهي قصة تاريخية من أحداث الأمم السابقة - كما قال الدماميني - هذا الرجل ممن كان قبلنا، ولذلك جاء لفظ (رجل) في صيغة النكرة، لأنه مجهول الاسم، معلوم الفعل، وهو أنموذج يمكن أن يتكرر في كل زمن، وساق الرسول ﷺ هذا الخبر للاتعاظ والعبرة، ويتكون الحديث من ثلاثة مواقف: يؤطرها أسلوب المفارقة التي تثير العجب والإنكار والسخرية، حيث يتصدق على من هم ليسوا أهلاً لذلك حسب أعراف الناس وتقديراتهم، فقد تصدق على سارق وتصدق على زانية!! وتصدق على غني غير محتاج للصدقة، وكأنه أنفق ماله في غير بابه الصحيح!! ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في الحديث ما يلي:

أ - يبدأ الحديث بالقسم والتأكيد حيث يقول: (لأتصدقن بصدقة) والتقدير: والله لأتصدقن بصدقة، ولكن المفارقة تكمن في أنه وضعها في يد سارق، وهذا الوضع غير

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ١٤٢١، ومسلم ١٠٢٢/٧٨. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤.

المألوف نفّذه المتصدق في سرعة ونشاط، وتوالى العطف بحرف الفاء بين الأفعال في هذا الموقف: يوحي بذلك حيث يقول رسول الله ﷺ: (فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون) والمتحدثون غير معروفين لأنهم من عامة الناس، ويدل ذلك على أن الرجل أقسم وأخرج الصدقة في العلن أمام الناس، ومن هنا كان الاستغراب والإنكار، والسخرية في قولهم: "تصدق على سارق"، وبناء الفعل للمجهول يؤكد السخرية والإنكار.

ب - الدعاء والقسم والتوكيد في بيان موقف الرجل من حديث الناس: لأنه صادق في مسعاه، مخلص في تصدقه، حيث قال: اللهم لك الحمد: لأتصدقن بصدقة.

ج - يتكرر الفعل نفسه في الموقف الثاني وتتوالى الأفعال المكونة للموقف: والعطف بالفاء يدل على إسراع الرجل، وعدم تأثره بكلام الناس لأنه يعرف موقفه، ونبيل مقصده. فخرج بصدقته: فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون.

د - تكرار الدعاء والقسم في الموقف الثالث، والتأكيد على أنه سيتصدق بصدقة، ويضعها في يد غني، وهذه هي المفارقة الثالثة، ويكرر الناس ما قالوه في المرتين السابقتين مع التعجب والدهشة، ولكن الرجل يقول في اطمئنان غير عابئ بكلام الناس: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية، وعلى غني، ويقدم الرسول ﷺ تفسيرًا لما حدث، حتى يتعظ الناس وحتى يستميلوا نفوس العاصين، ويؤلفوا قلوبهم، ويرغبوهم في التوبة، وهذا التفسير قيل بأن الرجل أتي في منامه فقيل له: إن الله قد قبل صدقتك.

هـ - جاء تفسير هذه المواقف في أسلوب الشرط: فهو تفصيل بعد إجمال، وإيضاح بعد إبهام، وأما للشرط والتفصيل، فالصدقة على السارق من أجل أن يستعف من سرقته، ، والتعبير "بلعل" يفيد الرجاء، ترغيبًا للسارق في التوبة، وزيادة السين والتاء في يستعف تدل على أن السارق أو الزانية في توبتهما يحتاجان إلى مزيد من الإرادة والجهد ومقاومة إغواء الشياطين من الإنس والجن؛ وتصدقه على الغني فيه درس له حتى يعتبر. وينفق مما آتاه الله، وتكرار لعل ثلاث مرات يوحي بالترغيب ورجاء التوبة لهؤلاء

الناس، وتكرار قوله: فأصبحوا يتحدثون ثلاث مرات: يدل على أن العامة لا تفقه أسرار المواقف ولا مقاصدها، وتفسير المواقف، وقبول الصدقات، أعظم درس لهؤلاء المرجفين المتقولين.. والله أعلم.

فقه الحديث

يشير الحديث إلى عدة أحكام منها:

١- في الحديث دلالة على أن الصدقة كانت عندهم مختصة بأهل الحاجة من أهل الخير، ولهذا تعجبوا من الصدقة على الأصناف الثلاثة[١].

٢- أن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته ولو لم تقع الموقع المراد[٢].

٣- فضل صدقة السر، واستحباب إعادة الصدقة إذا لم تقع الموقع المراد[٣].

٤- ذم التضجر بالقضاء، وبركة التسليم والرضا[٤].

٥- ثبوت الثواب في الصدقة وإن كان الآخذ فاسقًا وغنيًا، وهذا في صدقة التطوع، أما الزكاة فلا يجزى دفعها إلى غني[٥]. وذلك إذا دفعها إلى الغني بدون تحرٍ، أمّا إذا كان بعد التحري، وظهر أن المدفوع إليه غنيٌّ، فهناك خلاف بين الفقهاء في الإجزاء عنه أو إعادة التصدق، فهناك من ذهب إلى الإجزاء، وهو قول لأبي حنيفة ومحمد بن الحسن، وقول للشافعي. أما أبو يوسف فله قولان قول بالإجزاء وقول بلزوم الإعادة.

وهناك من ذهب إلى عدم الإجزاء وهم المالكية. على حين أن الشافعية والحنابلة عندهم روايتان: الإجزاء وعدمه[٦].

---

(١) فتح الباري ٣/٣٥٥.

(٢) فتح الباري ٣/٣٥٥.

(٣) فتح الباري ٣/٣٥٥.

(٤) فتح الباري ٣/٣٥٥.

(٥) بدائع الصنائع ٢/٤٩، وحاشية الدسوقي ١/٤٩٠، وأسنى المطالب ١/٣٩٣، ومطالب أولي النهى ٢/٢٠٢، وشرح صحيح مسلم ٧/١١٠، ٩/١٩٧.

(٦) انظر: الموسوعة الفقهية ١٠/١٩٣-١٩٤ ومراجعها ومصادرها.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: فضل النية الحسنة في الأعمال.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: إعانة أهل المعاصي على طاعة الله.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الحرص على بذل الصدقة.

رابعًا: من آداب المدعو: حمد الله على كل حال.

أولاً - من موضوعات الدعوة: فضل النية الحسنة في الأعمال:

يظهر ذلك من عموم الحديث، حيث إن الرجل تصدق على سارق وزانية وغني، وهؤلاء لا تجوز عليهم الصدقة، ولكن بسبب حسن نيته قبلت صدقته.

قال ابن حجر: (وفيه أن نية المتصدق إذا كانت صالحة قبلت صدقته ولو لم تقع الموقع)[1].

وقال ابن عثيمين: (ففي هذا الحديث دليل على أن الإنسان إذا نوى الخير وسعى فيه وأخطأ؛ فإنه يكتب له، ولا يضره، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: إذا أعطى زكاته من يظنه من أهل الزكاة فتبين أنه ليس من أهلها؛ فإنها تجزئه، مثلاً رأيت رجلاً عليه ثياب رثَّة تحسبه فقيرًا فأعطيته الزكاة، ثم تحدث الناس أنه غني عنده أموال كثيرة، فهل تجزئك الزكاة؟ الجواب: نعم، تجزئه الزكاة، لأنه قيل لهذا الرجل: أما صدقتك فقد قبلت، وكذلك إذا أعطيتها غيره ممن ظننته مستحقًا ولم يكن كذلك، فإنها تجزئك[2]. وذلك بسبب حسن النية.

وقد قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّما الأعْمَالُ بالنِّيات، وإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى))[3]، قال ابن رجب قال في رواية حنبل: أحب لكل من عمل عملاً من صلاة، أو صيام، أو صدقة، أو نوع من أنواع البر، أن تكون النية متقدمة في ذلك قبل الفعل، قال

---

(١) فتح الباري ٣/٣٤١.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٨٩٧، ١٨٩٨.

(٣) أخرجه البخاري ١، ومسلم ١٩٠٧.

النبي ﷺ: "الأعمال بالنيات" فهذا يأتي على كل أمر من الأمور[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: إعانة أهل المعاصي على طاعة الله:

يظهر ذلك في قول أبي هريرة رضي الله عنه عن الرجل الذي تصدق على السارق والزانية والغني: "فأُتي فقيل له: أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها، وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله".

قال الطيبي: (قوله "فأُتي" أي فأرى في المنام[٢]. فلعل السارق يستعف عن السرقة فيقول هذا مال يكفيني، ولعل الزانية تستعف عن الزنا -لأنها ربما كانت تزني-والعياذ بالله ابتغاء المال وقد حصل لها ما يكفيها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما آتاه الله[٣]. فالصدقة على هؤلاء العصاة قد تكون سببًا في هدايتهم، فيكون لصاحبها ثواب الهداية، لأنه أعان على طاعة الله، قال ﷺ: ((مَنْ دَلَّ علىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ))[٤].

وإعانة أهل المعاصي على طاعة الله، والأخذ بأيديهم إلى الهداية، لها فضل عظيم، فقد قال رسول الله ﷺ: ((لأنْ يَهديَ اللهُ بكَ رجُلاً خَيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم))[٥].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: الحرص على بذل الصدقة وعدم الشح والبخل:

يظهر ذلك قوله ﷺ: "قال رجل لأتصدقن بصدقة... الخ الحديث".

فهذا الرجل كأنه رأى أن صدقته الأولى على السارق وصدقه الثانية على زانية لم تقبل فتصدق "فوقعت في يد غني" والغني ليس من أهل الصدقة، بل من أهل الهبة والهدية، وقد كان يريد أن تقع صدقته في يد فقير متعفف نزيه، ولكن كان أمر الله قدرًا مقدورًا، فقيل له: "إن صدقتك قد قبلت" لأنه مخلص قد نوى خيرًا لكنه لم يتيسر له[٦].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب ٦٤/١.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٨٥/٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٩٧/٢.

(٤) أخرجه مسلم برقم ١٨٩٣.

(٥) أخرجه البخاري ٢٩٤٢، ٣٠٠٩، ومسلم ٢٤٠٦.

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٨٩٧/٢.

فتكرار تصدق هذا الرجل يدل على حرصه على بذل الصدقة -وبعده عن الشح والبخل- لما لها من فضل وثواب قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: ((مَن تَصَدَّقَ بعَدْلِ تمرةٍ من كسْبٍ طيّب . ولا يَقبلُ الله إلاّ الطيِّبَ . فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثمَّ يُرَبِّيهَا لصاحبها كما يربِّي أحَدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْل الجبلِ))[2].

فينبغي على المسلم أن يحرص على بذل الصدقة وأن يبعد عن الشح والبخل. قال رسول الله ﷺ: ((واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم))[3]. فالبخل من مساوئ الأخلاق، ومن المخلات بالدين والمروءة، وهو مما يجلب الشقاء لصاحبه في الدنيا والآخرة فينبغي البعد عنه[4].

رابعًا - من آداب المدعو: حمد الله على كل حال:

يظهر في قول الرجل الذي تصدق: "اللهم لك الحمد...". وقوله "اللهم لك الحمد على سارق، وعلى زانية، وعلى غني...".

قال ابن حجر: (والذي يظهر أنه سلم وفوض ورضي بقضاء الله فحمد الله على تلك الحال، لأنه المحمود على جميع الحال، لا يحمد على مكروه سواه، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان إذا رأى ما لا يعجبه قال: ((الْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حالٍ))[5])[6].

قال ابن عثيمين: وكان من هدي النبي ﷺ أنه إذا أصابه ما يسره قال: (الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات)[7].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧١.

(٢) أخرجه البخاري ١٤١٠، ٧٤٣٠.

(٣) أخرجه مسلم ٢٥٧٨.

(٤) سوء الخلق: مظاهره - أسباب - علاجه، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٣٩.

(٥) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٣، وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٦).

(٦) فتح الباري ٣٤١/٣.

(٧) أخرجه ابن ماجه ٣٨٠٣ وحسنه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٦٦).

وإذا أصابه خلاف ذلك قال "الحمد لله على كل حال" والإنسان لاشك في أنه في هذه الدنيا يومًا يأتيه ما يسره، ويومًا يأتيه ما لا يسره، فإن الدنيا ليست باقية على حال وليست صافية من كل وجه، بل صفوها مشوب بالكدر - نسأل الله أن يكتب لنا ولكم بها نصيبًا للآخرة- لكن إذا أتاك ما يسرك فقل "الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات" وما يسوءك فقل "الحمد لله على كل حال"[1].

(١) انظر: شرح رياض الصالحين ٢/١٨٩٧.

الحديث رقم (١٨٦٨)

١٨٦٨- وعنه، قَالَ: كنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً وقال: ((أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاس مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيقُولُ[1] النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ[2]؛ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فيقُولُ[3]: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ

---

(١) عندهما زيادة: (بعض)، وكذا عند الحميدي.

(٢) عند الحميدي بعدها: (فذكرها أبو حيان يحيى بن سعيد بن حيان في الحديث).

(٣) عند الحميدي زيادة: (لهم).

قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ -وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا- نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ[1])).

وفي رواية[2]: ((فَيَأْتُونِي. فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ)).

ثُمَّ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى[3])) متفق عَلَيْهِ[4].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

فنهس منها نهسة: أخذ منها بأطراف أسنانه[5].

---

(١) عند الحميدي بعدها زيادة: (فيأتون محمدًا).

(٢) قال الحميدي: (وفي رواية محمد بن بشر).

(٣) وزاد الحميدي: (في كتاب البخاري: كما بين مكة وحِمْير).

(٤) أخرجه البخاري ٣٣٤٠، و٤٧١٢، ومسلم ١٩٤/٣٢٧. والسياق للحميدي في جمعه ١٦٤/٣ رقم ٢٣٨٨.

(٥) فتح الباري، ٤٢٩/٦، واللسان في (ن هـ س).

صعيد واحد: أي: في أرض واسعة مستوية[١].

من يشفع لكم: من يتوسل إلى الله لكم[٢].

من محامده: من الثناء الذي يختص به ولا يجاوزه[٣].

المصراعان: جانبا الباب[٤].

هجر: مدينة، وهي قاعدة البحرين - قديما-، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وهي اليوم (الأحساء)[٥].

بُصْرَى: مدينة اليوم في جنوب سورية فتحت سنة ١٣هـ[٦].

الشرح الأدبي

من فضائل النبي الهادي محمد ﷺ أنه صاحب لواء الحمد، وأنه سيد الأولين والآخرين يوم القيامة، وأنه ﷺ أول شافع، وأول مشفّع، أي مقبول الشفاعة.

وهذا الحديث يُقدم الأدلة والشواهد على أن محمدًا ﷺ سيد الناس يوم القيامة، وليس هذا افتخارًا... ولكنه حقيقة مؤكدة، وقد نفى رسول الله ﷺ الفخر عن نفسه ثلاث مرات في الحديث المذكور أعلاه، وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث نجدها متعددة ومنها:

١ - الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي في بداية الحديث: أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم هذا؟ والاستفهام هنا لإقامة الأدلة على أنه سيد الناس، وجاء في الجواب مباشرة عن طريق الاستئناف وذكر مبررات السيادة، ومعايير الأفضلية بعد عرض بعض مشاهد يوم القيامة ومنها: وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٣٧.

(٢) الوسيط في (ش ف ع).

(٣) المفصح المفهم، ١٠٧.

(٤) الوسيط في (ص ر ع).

(٥) أطلس الحديث النبوي ٦٢، ٣٦٥.

(٦) أطلس الحديث النبوي ٦٨.

٢ - تكرار الاستفهام كثيرًا، وهذا التكرار يدل على الحيرة والرغبة في النجاة من عناء يوم القيامة.

وقد تكرر الاستفهام مرتين في سياق عرض مشاهد يوم القيامة (ألا ترون ما أنتم فيه؟، ألا تنظرون من يشفع لكم؟).

ويتكرر مرتين كذلك في سياق طلب الشفاعة من آدم عليه السلام (ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟

ويتكرر الاستفهام ثلاث مرات في سياق طلب الشفاعة من نوح عليه السلام حيث يقولون: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ولنلاحظ تكرار العبارات على لسان طالبي الشفاعة: والتكرار يؤكد حرصهم على أن يحظوا بالشفاعة لتنقذهم من عناء يوم القيامة وأهواله.

وفي سياق طلب الشفاعة لإبراهيم عليه السلام يأتي الاستفهام مرة واحدة، وطلب الشفاعة يجيء في صيغة الأمر وهو التماس وليس أمرًا حقيقيًا، والأسلوب نفسه يكون في سياق طلب الشفاعة من موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وتتكرر العبارة نفسها: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ وكذلك في سياق طلب الشفاعة من رسول الله ﷺ يأتي مرة واحدة بالصيغة التي وردت على لسانهم مع الأنبياء السابقين: ألا ترى إلى ما نحن فيه؟

٣ - التأكيد وتكرار بعض الكلمات والعبارات التي تصور الهلع والفزع والمعاناة، وترشد إلى حاجتهم القصوى إلى الشفاعة، ومن هذا التكرار: تكرار النداء في خطاب كل نبي يطلبون منه الشفاعة.

وتكرار الجملة التي تؤهل لعدم قبول الشفاعة من الأنبياء السابقين: فكل منهم قال: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فقد تكررت هاتان العبارتان خمس مرات، وكل منها مرتبطة بتصرف يمنع النبي من الشفاعة (آدم - نوح - إبراهيم - موسى - عيسى).

وكذلك تكرار جملة: "اذهبوا إلى غيري" خمس مرات، وكلمة نفسي تكررت خمس عشرة مرة، مع كل نبي، ثلاث مرات، وهذا التكرار يوحي بشدة يوم القيامة

حتى على الأنبياء، وكل منهم يريد النجاة والفوز بالجنة، ورسول الله ﷺ يكرر قوله: "أمتي يا رب" ثلاث مرات، فيقبل الله شفاعته حيث يقول له: ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، وفي رواية: وقل تسمع، واشفع تشفع.. ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ أنه سيد الناس يوم القيامة.

ثالثًا: من فقه الداعية: تعليل الأحكام والبيان والتوضيح للمدعوين.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: جمع الله جميع البشر يوم القيامة.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: من أهوال يوم القيامة دنو الشمس والغم والكرب الذي يصيب الناس.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: حاجة الناس للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: طلب الناس الشفاعة من آدم والأنبياء عليهم السلام.

ثامنًا: من موضوعات الدعوة: بيان شفاعة النبي ﷺ.

تاسعًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى وقبوله لشفاعة النبي ﷺ لأمته يوم القيامة.

عاشرًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله على الأمة الإسلامية.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إجابة الدعوة:

يظهر في قول أبي هريرة رضي الله عنه: "كنا مع رسول الله ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع...".

وهذا يدل على إجابة النبي ﷺ للدعوة، فالدعوة مشروعة لإحياء المودة بين المسلمين ومزيد التآلف[1].

وقال النبي ﷺ: «لو دُعيتُ إلى كُراعٍ[2] لأجَبتُ، ولو أُهْديَ إلي كراع لَقبِلْتُ»[3].

---

(١) الموسوعة الفقهية ٢٠/٣٣٨.

(٢) الكراع: ما دون الكعب من الدواب، انظر: فتح الباري ٩/١٥٤.

(٣) أخرجه البخاري ٥١٧٨.

وقد جعل الإسلام إجابة الدعوة حقًا من حقوق المسلم على أخيه المسلم نظرًا لأهميتها، وحث على تلبيتها. قال رسول الله ﷺ: «حَقُّ المسلمِ على المسلمِ خَمسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائزِ، وإجابةُ الدَّعوةِ، وتشميتُ العاطِسِ»[1]. فينبغي على المسلم إجابة الدعوة.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ أنه سيد الناس يوم القيامة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "أنا سيد الناس يوم القيامة"، قال القرطبي: (وقوله: أنا سيد الناس" أي المقدم عليهم، والسيد: هو الذي يسود قومه، أي: يفوقهم بما جمع من الخصال الحميدة، بحيث يلجؤون إليه، ويعولون عليه في مهماتهم. قال الشاعر:

فإنْ كُنْتَ سَيِّدَنا سُدْتَنا وإن كُنْتَ للخالِ فاذْهبْ فَخُلْ

وقد تحقق كمال تلك المعاني كلها لنبينا محمد ﷺ في ذلك المقام، الذي يحمده ويغبطه فيه الأولون والآخرون، ويشهد له بذلك النبيون والمرسلون. وهذه حكمة عرض الشفاعة على خيار الأنبياء، فكلهم تبرأ منها ودل على غيره إلى أن بلغت محلها، واستقرت في نصابها[2].

قال ابن حجر: قوله: "أنا سيد الناس يوم القيامة" خصه بالذكر لظهور ذلك له يومئذ، حيث تكون الأنبياء تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود [3]. وإنما قال هذا تحدثًا بنعمة الله تعالى، وقد أمره الله تعالى بهذا فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[4]. ونصيحة لنا بتعريفنا حقه ﷺ فهو من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوا، ويعملوا بمقتضاه في توقيره ﷺ كما أمرهم الله تعالى به[5].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢٤٠، ومسلم ٢١٦٣

(٢) المفهم ٤٢٦/١.

(٣) فتح الباري ٤٢٩/٦.

(٤) سورة الضحى، آية: ١١.

(٥) انظر: شرح صحيح مسلم ٢٣٧، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٥٥/١٠.

قال النووي: قال القاضي عياض: قيل السيد الذي يفوق قومه والذي يفزع إليه في الشدائد، والنبي ﷺ سيدهم في الدنيا والآخرة. معناه أنه: يظهر يوم القيامة سؤدده بلا منازع ولا معاند، بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهو قريب من معنى قوله: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1]، مع أن الملك له قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعى الملك، أو من يضاف إليه مجازًا، فانقطع كل ذلك في الآخرة. وفي الحديث دليل على فضيلته ﷺ على كل الخلق؛ لأن مذهب أهل السنة أن الآدمي أفضل من الملائكة، وهو عليه الصلاة والسلام أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره[2].

ثالثًا - من فقه الداعية: تعليل الأحكام والبيان والتوضيح للمدعوين:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ... "إلخ الحديث.

فذكر رسول الله ﷺ تعليل قوله: "أنا سيد الناس يوم القيامة"، وبين ووضح ذلك.

وقال ابن القيم: ينبغي للمفتي أن يذكر دليل الحكم ومأخذه ما أمكنه من ذلك، ولا يلقيه إلى المستفتي ساذجًا مجردًا عن دليله ومأخذه، فهذا الضيق عطنة وقلة بضاعته من العلم، ومن تأمل فتاوى النبي ﷺ الذي قوله حجة بنفسه، رآها مشتملة على التنبيه على حكمة الحكم ونظيره، ووجه مشروعيته.

ومن ذلك قوله: "إن الله ورسولَهُ يَنهَيانكم عن لحوم الحمر الأهلية. فإنها رِجْس"[3]، ومن ذلك قوله في الثمرة الجائحة: «أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ فَبِمَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ؟»[4]. فذكر علة النهى.

---

(١) سورة غافر، آية: ١٦ .

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ٢٣٧ ، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠/٣٣٨-٣٣٩.

(٣) أخرجه البخاري ٥٥٢٨، ومسلم ١٩٤٠.

(٤) أخرجه البخاري ٢١٩٨، ومسلم ١٥٥٥.

والمقصود أن الشارع مع كون قوله حجة بنفسه يرشد الأمة إلى علل الأحكام ومداركها وحكمها، فورثته من بعده كذلك. فينبغي للمفتي أن ينبه السائل إلى علة الحكم ومأخذه إذ عرف ذلك، وإلا حرم عليه أن يفتى بلا علم.

وكذلك أحكام القرآن يرشد سبحانه فيها إلى مداركها وعللها وذلك كقوله تعالى: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[1]، [2].

فينبغي على الداعية أن يعلل الأحكام، وأن يبين ويوضح للمدعوين الحكمة من قوله، حتى يعلموا حقيقة قوله وأصله من الدين.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: جمع الله جميع البشر يوم القيامة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "يَجمعُ الله الأولينَ والآخرينَ في صَعيدٍ واحد، فيُبصرُهُم الناظرُ، ويُسْمِعهم الداعي"، فيوم الحشر: هو الجمع.

فبعد البعث إلى الحياة الأخرى يوم القيامة يتم حشر جميع البشر لموقف الحساب، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[3].

قال ابن كثير: أى: أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة، لا نغادر منهم أحدًا كما قال: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[4].

ولهذا قال ههنا: ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[5]. أى: هو موقت محدد، لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص[6].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.

(٢) انظر: إعلام الموقعين، ابن القيم، ٨٧٠-٨٧١.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩-٥٠.

(٤) سورة هود، الآيات: ١٠٣-١٠٥.

(٥) سورة الواقعة، آية: ٥٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٥٣٨/٧.

قال القرطبي: (وقوله: "فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر" معناه": أنهم مجتمعون مهتمون بما هم فيه، لا يخفى منهم أحد، بحيث إن دعاهم داع سمعوه، وإن نظر إليهم ناظرٌ أدركهم. ويحتمل أن يكون الداعي هو الذي يدعوهم إلى العرض والحساب أو أمر آخر، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾[1])[2].

قال ابن عثيمين: (يجمعون في صعيد واحد والأرض يومئذ ممدودة ليست كهيئتها اليوم كروية لا ترى -إذا مددت بصرك- لا ترى إلا ما يواجهك من ظهرك فقط، أما يوم القيامة فإن الأرض تمد مد الجلد وليس فيها جبال ولا أودية ولا أنهار ولا بحار، تمد مدًا واحدًا والعالم فيها، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر - يعني لو تكلم الإنسان يسمعهم آخر واحد - والبصر ينفذهم، يراهم، لأنه ليس بها تكور حتى يغيب بعض عن بعض ولكن كلهم في صعيد واحد[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: من أهوال يوم القيامة دنو الشمس والغم والكرب الذي يصيب الناس:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون".

فالحشر للحساب يوم عظيم الهول، كثير الفزع، جليل الخطب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[4].

أي: يقومون حفاة عراه غرلاً، في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم، ويغشاهم من أمر الله – ما تعجز القوى والحواس عنه[5].

---

(١) سورة القمر، آية: ٦ .

(٢) المفهم ٤٢٧/١.

(٣) شرح رياض الصالحين ١٨٩٩/٢.

(٤) سورة المطففين، آية: ٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٤٧/٨.

فالشمس تدنو من الخلق مقدار ميل مع ما يصيب الناس من شدة يتفاوت بمقدار تفاوت أحوال الموقف[١]. فعن المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تُدْنَى الشمسُ يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، وأشار رسول الله ﷺ إلى فيه"[٢]. فيوم القيامة يوم عظيم الفزع والهول كما قال تعالى: ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾[٣]، فمن شدة أهواله يصيب الناس الغم والكرب.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: حاجة الناس للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما أنتم فيه إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم..." .

فإن يوم القيامة يوم عسير، فيه الكثير من الأهوال والصعاب التي يلاقيها الناس فيه، فيكونون في حاجة للشفاعة عند الله، لأن الله يغضب غضبًا شديدًا في هذا اليوم.

قال النووي: المراد بغضب الله تعالى ما يظهره من انتقامه ممن عصاه، وما يرونه من أليم عذابه، وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال التي لن تكن ولا يكون مثلها، ولاشك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله، ولا يكون بعده مثله، فهذا معنى غضب الله تعالى[٤].

قال ابن هبيرة: في قول آدم عليه السلام والأنبياء ﷺ -كل واحد منهم- إن ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ٦٥٦.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٦٤.

(٣) سورة المزمل، آية: ١٧.

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٣٧.

وهذا فلا أراه إلا عن علم قد كان عنده منه، وعند الأنبياء كلهم حتى قالوه. ولا أراه إلا من حيث إن الله تعالى لما أمهل الخلائق، وأخر انتصار المظلوم مع تكرار استصراخه به سبحانه، وأمهل الكافر مع جحده الحق وغمطه الصواب، وإرجائه سبحانه أهل النفاق على ما يسد الصبر عند كل محق، يتراخى استطالة الباطل عليه، فكان لاشتداد غضبه في ذلك اليوم بمقتضى طول إمهاله، وتضاعف سخطه بحسب اندفاع أخذه، حتى ظن الكافرون أنهم مهملون أو مغفول عنهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[1][2].

فالناس في حاجة لمن يشفع لهم عند ربهم حتى يرتاحوا من عناء هذا اليوم.

سابعًا- من موضوعات الدعوة: طلب الناس الشفاعة من آدم والأنبياء عليهم السلام:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فيقول بعض الناس أبوكم آدم، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك بيده ... إلى قول عيسى عليه الصلاة والسلام: "إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ".

قال ابن عثيمين: فالناس في ذلك اليوم تدنو الشمس منهم، ويلحقهم الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون، فتضيق بهم الأرض، ويطلبون الشفاعة لعل أحدًا يشفع فيهم عند الله – جل وعلا- ينقذهم من هذا الموقف العظيم على الأقل، يلهمهم الله عز وجل أن يأتوا إلى آدم أبي البشر فيأتون إليه ويبينون فضله: لعله يشفع لهم عند الله عز وجل..

فيعتذر ويقول: "إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله ولن يغضب مثله قط"، ثم يذكر خطيئته: إن الله سبحانه تعالى نهاه أن يأكل من شجرة فأكل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] شجرة في الجنة لا ندري ما هذه الشجرة ولا

---

(١) سورة إبراهيم، آية: ٤٢.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح ٤٣٥/٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٩.

نوعها ولا كبرها ولا صغرها، شجرة أبهمها الله، فعلينا أن نؤمن بها مبهمة، نهى آدم أن يأكل منها، وبين له أنه إذا أكل منها هو وزوجه فإنهما يكونان من الظالمين، ولكن عدوهما الشيطان دلاهما بغرور ووسوس لهما وقاسمهما: إني لهما من الناصحين، فغرهما ونسي آدم ما عهده إلى الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1]، نسي وأكل من الشجرة فعوقب بأن أخرج من الجنة إلى الأرض لحكمة يريدها الله عز وجل، فيذكر معصيته ويقول: "نفسي نفسي" يعني: عسى ـ أنقذ نفسي، ويؤكد ذلك ويكرره ثلاث مرات (اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح) ونوح هو الأب الثاني للبشرية، لأن الله أغرق جميع أهل الأرض الذين كذبوا نوحًا ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[2]، ... فيأتون إلى نوح ويذكرون نعم الله عليه وأنه أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأن الله سماه عبدًا شكورا، ولكنه يقول كما قال آدم في غضب الله عز وجل: "إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب مثله قط ولن يغضب مثله"، ثم ذكر دعوته التي دعا بها على قومه: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[2].

وفي رواية أنه يذكر دعوته التي دعا بها لابنه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4]، يذكر ذنبه والشافع لا يشفع إلا إذا كان ليس بينه وبين المشفوع عنده ما يوجب الوحشة، والمعصية بين العبد وربه، توجب الوحشة بينهما وخجله منه، فيذكر معصيته ويقول: نفسي نفسي نفسي، ويحيلهم إلى إبراهيم عليه السلام فيأتي الناس إليه ويقولون: "أنت خليل الله في الأرض"، ويذكرون صفاته، ويطلبون منه أن يشفع لهم عند ربه فيعتذر، ويقول: إنه كذب ثلاث كذبات، ويقول: نفسي نفسي نفسي.

---

(١) سورة طه، آية : ١٢١.

(٢) سورة هود، آية: ٤٠.

(٣) سورة نوح، آية: ٢٦.

(٤) سورة هود، الآيتان: ٤٥-٤٦.

والكذبات: هى قوله: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[١]، وهو ليس بسقيم، لكنه قال متحديًا لقومه الذين يعبدون الكواكب.

والثانية: قوله للملك الكافر "هذه أختي" يعني زوجته ليسلم وهى ليست كذلك.

والثالثة: قوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾[٢] أى الأصنام.

هذه كذبات في ظاهر الأمر، لكنها في الحقيقة وبمناسبة تأويله ﷺ لم تكن كذبات، لكنه لشدة ورعه وحيائه من الله – تبارك وتعالى – اعتذر لهذا الإثم، ويقول (نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى)، ويذكرون من صفاته وأن الله تعالى كلمه تكليمًا واصطفاه على أهل الأرض برسالاته وكلامه فيذكر ذنبًا فيعتذر، يذكر أنه قتل نفسًا قبل أن يؤذن له في قتلها، وهو القبطي الذي كان في خصام مع رجل من بني إسرائيل، وموسى من بني إسرائيل ﷺ والقبطي من أهل فرعون ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[٣]. دون أن يؤمر بقتله، فرأى ﷺ أن هذا يحول مما يحول بينه وبين الشفاعة للخلق حيث قتل نفسًا لم يؤمر بقتلها، وقال: (نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى، ويذكرون منه مِنَّة الله عليه، أنه نفخ فيه من روحه وأنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لأنه عيسى ﷺ خلق بلا أب، فلا يذكر ذنبًا[٤]. ولكن يذكر لهم غضب الله في ذلك اليوم ويقول نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى محمد ﷺ ويحيلهم إليه ﷺ.

ثامنًا- من موضوعات الدعوة: بيان شفاعة النبي ﷺ:

يظهر ذلك في قوله ﷺ: "فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم

---

(١) سورة الصافات، آية: ٨٩.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٦٣.

(٣) سورة القصص، آية: ١٥.

(٤) انظر: رياض الصالحين ٢/١٨٩٩-١٩٠١.

الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ... إلخ الحديث.

فيشفع لهم رسول الله ﷺ عند ربه بعد اعتذار الأنبياء لهم عن الشفاعة وإحالة عيسى عليه الصلاة والسلام لهم إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن عثيمين: وهذا شرف عظيم لرسول الله ﷺ حيث كان أربعة من الأنبياء يعتذرون بذكر ما فعلوه، وواحد لا يعتذر بشيء، ولكن يرى أن محمدًا ﷺ أولى منه، فيأتون إلى رسول الله ﷺ فيقبل ذلك، ويجلس تحت العرش ويفتح الله عليه من المحامد والثناء على الله ما لم يفتحه على أحد غيره ثم يقال له: "ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفع"، فيشفع ﷺ يقول: يارب أمتي أمتي. فيتقبل الله شفاعته ويقال له أدخل أمتك من الباب الأيمن من الجنة، وهم شركاء مع الناس في بقية الأبواب، وهذه فيها دلالة ظاهرة على أن النبي ﷺ أشرف الرسل، والرسل هم أفضل الخلق كما قال عز وجل: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1]، هؤلاء هم الأصناف الأربعة الذين هم أفضل الخلق، والنبي ﷺ أفضلهم[2].

قال القرطبي: (وقوله: "فأقول يارب أمتي، فيقال: يامحمد أدخل الجنة من أمتك مَن لا حساب عليه") هذا يدل على أنه شفع فيما طلبه من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أُمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، ولذلك قال في الرواية الأخرى: "فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط" هذا المساق أحسن من مساق حديث معبد عن أنس، فإنه ذكر فيه عقيب استشفاعه لأهل الموقف: أنه أجيب بشفاعته لأمته، وليست الشفاعة العامة التي طلب منه أهل الموقف، وكأن هذا الحديث سكت فيه عن هذه الشفاعة، فذكرت

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٩.

(٢) شرح رياض الصالحين ٢/١٩٠١.

شفاعته لأمته؛ لأن هذه الشفاعة هي التي طلبت من أنس أن يحدث بها في ذلك الوقت، وهي التي أنكرها أهل البدع، والله أعلم)[١].

قال ابن رجب: وأما الشفاعة التي اختص بها النبي ﷺ من بين الأنبياء، فليست هى الشفاعة في خروج العصاة من النار؟ فإن الشفاعة يشارك فيها الأنبياء والمؤمنون -أيضًا- كما تواترت بذلك النصوص، وإنما الشفاعة التي يختص بها دون الأنبياء أربعة أنواع:

أحدها: شفاعته للخلق في فصل القضاء بينهم.

والثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخول الجنة.

والثالث: شفاعته في أهل الكبائر من أهل النار، فقد قيل: إن هذه يختص هو بها.

والرابع: كثرة من يشفع له من أمته؛ فإنه وفر شفاعته وادخرها إلى يوم القيامة.

وقد ورد التصريح بأن هذه الشفاعة هى المرادة في هذا الحديث، ففي الحديث الذي خرجه الإمام أحمد[٢] من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: "أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن نبي كان قبلي"، فذكر الحديث إلى أن قال: "والخامسة هى ما هى: قيل لي سل؛ فإن كل نبي قد سأل، فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله".

فإن كل نبي أعطي دعوة عامة شاملة لأمته، فمنهم من دعا على أمته المكذبين له فهلكوا، ومنهم من سأل الله كثرتهم في الدنيا كما سأله سليمان عليه السلام، واختص النبي ﷺ بأن ادخر تلك الدعوة العامة الشاملة لأمته شفاعة لهم يوم القيامة[٣].

وقد ذكر بعضهم: شفاعة خامسة خاصة بالنبي ﷺ وهي: شفاعته في تخفيف عذاب بعض المشركين، كما شفع لعمه أبي طالب، وجعل هذا من الشفاعة المختص بها ﷺ.

---

(١) المفهم ٤٣٧/١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٢٢/٢، برقم ٧٠٦٨، وقال محققو المسند: صحيح ٦٣٩/١١.

(٣) انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ط/٢، دار ابن الجوزي: ١٤٢٢هـ، ٢٢/٢-٢٣.

وزاد بعضهم: شفاعة سادسة خاصة بالنبي ﷺ وهي شفاعته في سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ. وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[٢].

قال القرطبي: (وقوله: "وأول شافع، وأول مشفع") قد تقدم القول في الشفاعة وأقسامها، ومقصود هذا الحديث أن يبين أنه لا يتقدمه شافع؛ لا من الملائكة، ولا من النبيين، ولا من المؤمنين، في جميع أقسام الشفاعات، على أن الشفاعة العامة لأهل الموقف خاصة لا تكون لغيره. وهذه المنزلة أعظم المراتب وأشرف المناقب، وهذه الخصائص والفضائل التي حدث بها النبي ﷺ عن نفسه؛ إنما كان ذلك منه لأنها من جملة ما أُمر بتبليغه؛ لما يترتب عليها من وجوب اعتقاد ذلك، وأنه حق في نفسه، وليرغب في الدخول في دينه، وليتمسك به من دخل فيه، وليعلم قدر نعمة الله عليه في أن جعله من أمة من هذا حاله، ولتعظم محبته في قلوب متبعيه، فتكثر أعمالهم، وتطيب أحوالهم، فيحشرون في زمرته، وينالون الحظ الأكبر من كرامته. وعلى الجملة فيحصل بذلك شرف الدنيا، وشرف الآخرة؛ لأن شرف المتبوع متعد لشرف التابع على كل حال - فإن قيل: كل هذا راجع للاعتقاد، وكيف يحصل القطع بذلك من أخبار الآحاد؟ فالجواب: أن من سمع شيئًا من تلك الأمور من النبي ﷺ مشافهة حصل له العلم بذلك، كما حصل للصحابة السامعين منه، ومن لم يشافهه، فقد يحصل له العلم بذلك من جهة التواتر المعنوي؛ إذ قد كثرت بذلك الظواهر، وأخبار الآحاد، حتى حصل لسامعها العلم القطعي بذلك المراد[٣].

تاسعًا- من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى وقبوله لشفاعة النبي ﷺ لأمته يوم القيامة:

يستنبط هذا من قبول المولى عز وجل لشفاعة نبيه محمد ﷺ في أمته إكرامًا له

---

(١) المرجع السابق ٢/٢٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٧٨.

(٣) المفهم ٦/٤٩.

ورحمة منه تعالى للأمة الإسلامية. والرحمة صفة من صفات الله عز وجل قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٢] .

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه قد كتب على نفسه المقدسة الرحمة[٣]، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "إن الله لما خلق الخلق، كتب كتابًا عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي"[٤].

وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ للَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ. فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ. وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٥].

قال النووي: هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء: لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار، والإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه وغير ذلك مما أنعم الله تعالى به، فكيف الظن بمائة رحمة في الدار الآخرة وهي: دار القرار ودار الجزاء[٦].

عاشرًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله على الأمة الإسلامية:

يستنبط ذلك من عموم الحديث، حيث إن الله سبحانه وتعالى جعل محمدًا ﷺ سيد ولد آدم يوم القيامة، وجعله الشفيع عنده تعالى لأمته، وفضل الله على الأمة الإسلامية، يتمثل في إرسال محمد ﷺ إليها وهو رسول الرحمة كما قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[٧]، أي أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٥٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٤٢/٣.

(٤) أخرجه البخاري ٧٤٢٢، ومسلم ٢٧٥١.

(٥) أخرجه مسلم ٢٧٥٢.

(٦) شرح صحيح مسلم ١٦١١.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧.

وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة[١].

وقد أعطاه الله من الفضائل والشمائل ما لم يعطه لأحد من خلقه، واختصه بخصائص لم يختص بها أحدًا من رسله، ومن هذه الخصائص المقام المحمود والشفاعة لأمته عند الله يوم القيامة. ومحمد ﷺ هو النبي الوحيد الذي جاء وصفه بأنه رحيم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣].

فقد كان ﷺ رحيمًا بأمته مشفقًا عليهم، حتى أثر ذلك على حياته، وكادت نفسه تذهب حسرات على الذين لم يؤمنوا رحمة بهم وخوفًا عليهم، فقال تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[٥].

ويقول ﷺ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»[٦][٧].

فرسول الله ﷺ خير خلق الله، وأفضل الرسل والأنبياء، وإرساله إلى الأمة الإسلامية فضل عظيم من الله عليها في الدنيا والآخرة.

فينبغي معرفة نعمة الله على عباده بهذا النبي ﷺ ومن أعظم أسباب هذه المعرفة،

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٣٨٥/٥.

(٢) سورة التوبة، آية: ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٥٩ .

(٤) سورة فاطر، آية: ٨ .

(٥) سورة الكهف، آية: ٦ .

(٦) أخرجه مسلم ٢٣٥٥.

(٧) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ٣١٧، ٣١٨.

التفكر في النفع الحاصل لهذه الأمة بسبب بعثة النبي ﷺ فيها ونزول القرآن عليه.

وأنه سبب نجاة هذه الأمة في الدنيا والآخرة، وأن كل خير وعز وسعادة حصلت لهذه الأمة، أو يقدر لها أن تحصل، فلسبب اتباعه.

وأن كل بلاء حصل لهذه الأمة أو سيحصل، فسببه مخالفة ما جاء به من عند ربه، وحتى تكتمل هذه المعرفة، يتخيل الإنسان كيف سيكون حال هذه الأمة لو لم يبعث فيها رسول الله ﷺ وكيف كان حالها قبل مبعثه ﷺ ثم كيف أصبح حالها بعد بعثته ونزول القرآن عليه، وكيف أن الله جمع به بعد فرقة، ورفع به شأن هذه الأمة، وأخرجها به من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1][2].

فإرساله ﷺ رحمة مهداة، ونعمة مسداة، وخير عظيم خص الله به المسلمين، ويتعدى هذا الخير غير المسلمين في الدنيا والآخرة.

في الدنيا بعدم الهلاك - وذلك برفع العذاب العام عن أهل الأرض- وفي الآخرة بالشفاعة في فصل القضاء.

قال ابن القيم: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾[3].

أصح القولين في هذه الآية: أنها على عمومها.

وفيها على هذا التقدير وجهان.

أحدهما: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته. أما أتباعه: فنالوا بها كرامة الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦ .

(٢) محبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، الشيخ عبدالرؤوف محمد عثمان، ٦٣، ٦٤.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ١٠٧ .

وأما أعداؤه المحاربون له: فالذين عجل قتلهم وموتهم خير لهم، لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة. وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر.

وأما المعاهدون له: فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته. وهم أقل شرًا بذلك العهد من المحاربين له.

وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به، حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم واحترامها، وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيرها.

وأما الأمم النائية عنه: فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته.

الوجه الثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنين قبلوا هذه الرحمة، فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض. فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض[1].

---

(١) التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص٣٦٤، ٣٦٥.

الحديث رقم (١٨٦٩)

١٨٦٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: جَاءَ إبراهيم ﷺ بِأُمِّ إسْمَاعِيلَ وَبِابْنِهَا إسْمَاعِيل وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهَا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوقَ زَمْزَمَ فِي أعْلَى المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا[1] جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّى إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أمُّ إسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أنِيسٌ وَلاَ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إذًا لاَ يُضَيِّعُنَا؛ ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إبْرَاهِيمُ ﷺ، حَتَّى إذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ[2] حَيْثُ لاَ يَرُونَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَشْكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧]. وَجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِي تَنْظُرُ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إذَا بَلَغَتِ الوَادِي، رَفَعَت طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِي، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ.

قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((**فَلذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا**))، فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ - تُرِيدُ نَفْسَهَا - ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَإذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ - أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ - حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ، وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

---

(١) لفظ الحميدي: (عندها).

(٢) لفظ الحميدي: (البيت).

وفي رواية: بِقَدَرِ مَا تَغْرِفُ.

قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ - أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ - لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا)).

قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لاَ تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هاهُنَا بَيْتًا للهِ يَبْنِيهِ هَذَا الغُلاَمُ وَأَبُوهُ، وإِنَّ اللهَ لاَ يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وكان البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمٍ، أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمٍ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ؛ فَرَأَوْا طَائِرًا عائِفًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهذا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاء. فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ، فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ. فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ؛ فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فقالوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لاَ حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ ابن عباس: قَالَ النبيُّ ﷺ: ((فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وهي تُحِبُّ الأُنْسَ)) فَنَزَلُوا، فَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ.

حَتَّى إِذَا كَانُوا بِهَا أَهْلَ أَبْيَاتٍ وَشَبَّ الغُلاَمُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ: وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ؛ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا - وفي رواية[1]: يَصِيدُ لَنَا - ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ؛ وَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنَا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ. قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ ! الْحَقِي بِأَهْلِكِ. فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى.

---

(١) إبراهيم بن نافع.

فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ. قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَت: الماءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلاَّ لَمْ يُوَافِقَاهُ.

وَفِي رواية[1]: فجاء فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ؛ فَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: الاَ تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ.

قَالَ: فَقَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ: بَرَكَةُ دَعوَةِ إِبْرَاهِيمَ[2].

قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وَأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ.

ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلاً لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ. قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: وَتُعِينُنِي، قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا هَاهُنَا، وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهَذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحجارة وَهُمَا يَقُولاَنِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾[البقرة: ١٢٧].

---

(١) إبراهيم بن نافع.

(٢) قال الحميدي بعد هذا: رجع إلى باقي الإسناد الأول.

وفي رواية[١]: إنَّ إبْرَاهِيمَ خَرَجَ بِإسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إسْمَاعِيلَ، مَعَهُمْ شَنَّةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبْرَاهِيمُ إلَى أهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إسْماعيلَ حَتَّى لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءَ نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إبْرَاهِيمُ إلَى مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إلَى اللهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ بِاللهِ، فَرَجَعَتْ وَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَى صَبِيِّهَا، حَتَّى لَمَّا فَنِيَ المَاءُ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أَحَدًا. قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أحدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِي سَعَتْ، وأتَتِ المَرْوَةَ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ أشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإذَا هُوَ عَلَى حَالِهِ، كَأنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ ونظرتْ فَلَمْ تُحِسَّ أَحَدًا، حَتَّى أتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أغِثْ إنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإذَا جِبْرِيلُ فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ بِعَقِبِهِ عَلَى الأرْضِ، فَانْبَثَقَ المَاءُ فَدَهِشَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِنُ ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ، رواه البخاريُّ[٢] بهذه الروايات كلها.

"الدَّوْحةُ" الشجرة الكبيرة. قوله: "قَفَّى" أي: ولى. "والجَرِيُّ": الرسول، "وأَلْفَى" معناه: وجد. قوله: "يَنْشَغُ" أي: يشهق.

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

دوحة: شجرة كبيرة[٣].

---

(١) في حديث أبي عامر عبد الملك بن عمرو العقديّ، عن إبراهيم بن نافع، عن كثير بن كثير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

(٢) بأرقام ٣٣٦٢- ٣٣٦٥. والسياق للحميدي في جمعه ٨٦/٢ – ٩١، رقم ١١١١، وكذا نقله عن الحميدي بهذا السياق ابن الأثير في جامع الأصول ٥٩٥/١٠.

(٣) رياض الصالحين ٦٣٦.

زمزم: البئر المباركة المشهورة، جنوب شرق مبنى الكعبة المشرفة[١].

جرابًا: وعاء[٢].

سقاء: وعاء من جلد يكون للماء واللبن وهو قربة صغيرة[٣].

قفى: وَلِّى[٤].

الثَّنِيَّةَ: هي: الثنية العليا في مكة المكرمة (المعلاة اليوم) وهي بجانب الحجون[٥].

يتلبط: يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض[٦].

الصَّفا: جبل قرب الكعبة يتم السعي بينه وبين المروة من وقف عليها كان بحذاء الحجر الأسود، وهذا المشعر بين الصفا والمروة، وهما جبلان بين بطحاء مكة المكرمة والمسجد، وكانت الصفا متصلة بجبل أبي قُبَيْس، فشقَّ بينهما مجرى للسيل عند توسعة الحرم الجديد[٧].

درعها: ما تلبسه فوق قميصها[٨].

المجهود: الذي أصابته المشقة والتعب[٩].

المروة: هي: جبيل صغير بالقرب من الكعبة يسعى الحاج بينه وبين جبل آخر اسمه الصفا[١٠].

أشرفت: علت وانتصبت ورفعت بصرها[١١].

---

(١) أطلس الحديث النبوي ٢٠٦.

(٢) الوسيط في (ج ر ب).

(٣) الوسيط في (س ق ي)، وينظر فتح الباري، ٤٦١/٦.

(٤) رياض الصالحين، ٦٣٦.

(٥) انظر: أطلس الحديث النبوي، ١٠٤.

(٦) فتح الباري، ٤٦٢/٦.

(٧) معجم لغة الفقهاء، ٢٤٥، أطلس الحديث النبوي، ٢٣٦.

(٨) معجم لغة الفقهاء، ١٨٥.

(٩) القاموس المحيط، والوسيط في (ج هـ د).

(١٠) معجم لغة الفقهاء، ٣٩٢، وأطلس الحديث النبوي، ٣٣٩.

(١١) الوسيط في (ش ر ف).

صه: كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي[١].

غوّاث: أي إعانة ونصرة[٢].

فبحث بعقبه: فحفر بمؤخرة قدمه[٣].

تحوضه: تجعله مثل الحوض ليجتمع فيه الماء[٤].

وتقول بيدها هكذا: إشارة بيدها وهو حكاية فعلها[٥].

عينا معينا: ظاهرًا جاريًا على وجه الأرض[٦].

الضيعة: أي: الهلاك[٧].

كالرابية: أي: المكان المرتفع[٨].

رفقة: هم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أم لا[٩].

جرهم: قبيلة قحطانية كانت تسكن اليمن، ثم هاجرت إلى الحجاز، وسكنت مكة المكرمة، وفدوا على إسماعيل وأمه هاجر وصاهرهم[١٠].

كداء: العقبة الصغرى بأعلى مكة عند المحصب، دار النبي ﷺ من طُوًى إليها[١١].

عائفًا: هو الذي يحوم على الماء ويتردد ولا يمضي عنه[١٢].

---

(١) فتح الباري، ٤٦٢/٦.

(٢) الوسيط في (غ و ث).

(٣) الوسيط في (ب ح ث)، و (ع ق ب).

(٤) فتح الباري، ٤٦٣/٦، وانظر: الوسيط في (ح و ض)

(٥) انظر فتح الباري، ٤٦٣/٦.

(٦) فتح الباري، ٤٦٣/٦.

(٧) فتح الباري، ٤٦٣/٦.

(٨) انظر: المصباح المنير، ٢٥٨.

(٩) فتح الباري، ٤٦٤/٦.

(١٠) أطلس الحديث النبوي ١٢٠.

(١١) أطلس الحديث النبوي، ٣١٤، فتح الباري، ٤٦٤/٦.

(١٢) فتح الباري، ٤٦٤/٦.

جريًا: رسولاً[١].

فألفى: وجد[٢].

الأُنس: السَّكنُ وذهاب الوحشة [٣].

أهل أبيات: أقارب وعشيرة[٤].

أنفسهم: كثرت رغبتهم فيه[٥].

يطالع تركته: يتفقد حال ما ترك هناك[٦].

فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه: أي: لم يخلط بهما غيرهما إلا اشتكى بطنه[٧].

يبري نبلا: ينحته ويُسوي طرفه، والنبل: السهم قبل أن يركب نصله وريشه[٨].

أكمة: تل[٩].

الشنة: القربة الصغيرة[١٠].

فيدر لبنها: يكثر[١١].

ينشغ: يشهق[١٢].

فلم تقرها نفسها: لا ترضى ولا تُسر[١٣].

---

(١) رياض الصالحين، ٦٣٧.

(٢) رياض الصالحين، ٦٣٧.

(٣) الوسيط في (أ ن س).

(٤) الوسيط في (أ هـ ل).

(٥) فتح الباري، ٤٦٤/٦.

(٦) فتح الباري، ٤٦٥/٦.

(٧) فتح الباري، ٤٦٦/٦.

(٨) فتح الباري: ٤٦٧/٦، والوسيط في (ب ر ي).

(٩) الوسيط في (أ ك م)

(١٠) الوسيط في ٠(ش ن ن).

(١١) الوسيط في (د ر ر).

(١٢) رياض الصالحين، ٦٣٧.

(١٣) انظر الوسيط في (ق ر ر).

أغث: أعن[١].

فقال بعقبه هكذا: أي: أشار وهو حكاية عن الفعل[٢].

تحفن: تملأ كفها[٣].

الشرح الأدبي

هذه صفحة مشرقة من تاريخ إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وهي تسجل قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر... وقد أسكنهما إبراهيم بواد غير ذي زرع، ليقيموا الصلاة، واستجاب الله لدعاء إبراهيم عليه السلام وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ورزقهم من الثمرات، ورفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، وأصبح البيت الحرام مهوى أفئدة المؤمنين من كل فج عميق، إن هذا الأثر المطول يرويه ابن عباس رضي الله عنهما وهو مزيج من كلام ابن عباس ومشاهده، وكلام رسول الله ﷺ، وهو من الأحاديث التي تعنى بتاريخ الأنبياء عليهم السلام، ومشاهده واقعية.. والأحداث تنمو في تسلسل وترتيب لأنها أحداث واقعية حقيقية.

وأول بارقة من بوارق هذه الأحداث ما دار بين الخليل إبراهيم عليه السلام وزوجه هاجر حين تركها مع رضيعها إسماعيل عند البيت، وليس بمكة يومئذ أحد، فقالت هاجر يا إبراهيم: أين تذهب وتتركنا؟ وهو لا يلتفت إليها، فأعادت السؤال: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذًا لا يضيعنا، وتبدأ مسيرة إسماعيل وقصة بناء البيت وعمران مكة المكرمة، وأما المشهد الثاني فهو ينبع من قلب الأب الذي ترك فلذة كبده وزوجته في هذا المكان الذي يخلو من الإنسان والعمران، ولا يملك إبراهيم إلا الدعاء، ويستجيب الله له ويرزق أهله من الثمرات ويجعل البيت مثابة للناس وأمنًا، ويطل في قلب الأحداث المباركة المشهد الثالث وهو من أقوى المشاهد تأثيرًا في الإنسانية، حيث تبحث هاجر عن الماء لتطفئ ظمأ وليدها الرضيع الذي لم يعد له مع أمه ما يروي ظمأه!! وتهرول بين

---

(١) الوسيط في (غ و ث).

(٢) فتح الباري، ١١/٢٧١.

(٣) الوسيط في (ح ف ن).

الصفا والمروة سبع مرات، ويقول رسول الله ﷺ: (فلذلك سُعي بينهما) ويمن الله عليها بماء زمزم، وما زال يفيض إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويرتوي منه الآتون من كل فج عميق، ويعمر المكان، بعد أن تفجر ماء زمزم، وتأتي قبيلة جرهم، وتصنع الأحداث المشهد الرابع من هذه القصة المباركة، ويكبر إسماعيل، ويتزوج، ويظهر الخليل إبراهيم ليعطي ابنه الخبرة، ويوضح له معالم الطريق، ولكن لا يجده في بيته، فيترك له رسالة مضمونها: أن غير عتبة بابك... وهذا أسلوب كنائي، ودلالته: طلق زوجتك، ويستجيب إسماعيل ويطلق زوجته الأولى، ويتزوج الثانية، وتستقر عتبة بابه، كما أخبره أبوه في الزيارة الثانية، وما أدق الحوار وما أجمله في هذين المشهدين الجليلين اللذين صنعا تاريخ أمة عريقة، وتتوج رحلات إبراهيم من العراق إلى مكة المكرمة ببناء البيت الحرام، وجعله الله مثابة للناس وأمنًا، والأمن في ظلال البيت العتيق يظلل كل الكائنات، من نباتات وجمادات وحيوانات وطيور وأناس، وكلها في حمى الرحمن، الملك الديان، فلا يقطع الشجر، ولا يصاد الطير، ولا يؤذى الإنسان.

هنا البيت مثوى الآمنين تحوطهم ... من الله أملاك.. وتحرسهم جند
هنا الركن والحجر الطهور وزمزم ... هنا مشرق الرؤيا: هنا الحب والمهْدُ
هنا تشرق الآيات أمنًا ورحمةً ... بكل فؤاد نبضه الحب والود
هنا الطير للإنسان يفضي بسره ... هنا الصخر أوابٌ، وإيقاعه حمْد
هنا تخطر الأشجار في نور أمنها ... وفي ظلها الفينان لا يفزع الصيد [1]

المضامين الدعوية

أولاً: من تاريخ الدعوة: مجيء إبراهيم عليه السلام بزوجته وابنه عند البيت.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: الحث على التوكل على الله والتضرع إليه.

---

(١) من قصيدة: أشواق حجازية الإيقاع، شعر: د. صابر عبدالدائم، ديوان العمر والريح قيد الطبع.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بإسماعيل وأمه وغوثه لهما.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: مسؤولية الوالد عن أولاده وتفقده لأحوالهم.

خامسًا: من أساليب الدعوة: الكناية.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: شكر الله تعالى على نعمه.

سابعًا: من موضوعات الدعوة: بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام.

أولاً- من تاريخ الدعوة: مجيء إبراهيم عليه السلام بزوجته وابنه عند البيت:

حيث جاء في الحديث: "جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هناك"، قال الإمام ابن حجر: (وكان السبب في ذلك، أن سارة كانت وهبت هاجر لإبراهيم، فحملت منه بإسماعيل، فلما ولدته غارت منها، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء، فاتخذت هاجر منطقًا فشدت به وسطها، وهربت وجرت ذيلها لتخفي أثرها على سارة، ويقال: إن إبراهيم شفع فيها وقال لسارة: حللي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها، وكانت أول من فعل ذلك. ويقال إن سارة اشتدت بها الغيرة، فخرج إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة لذلك، وروى إن الله لما بوأ لإبراهيم مكان البيت خرج بإسماعيل وهو طفل صغير وأمه، وحملوا على البراق)[1].

وقال الإمام ابن كثير: والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولد لها إسماعيل اشتدت غيرة سارة منها، وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها، فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم، ويقال: إن ولدها كان إذ ذاك رضيعًا فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما، قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا ؟ فلم يجبها فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال نعم، قلت : فإذًا لا يضيعنا"[2].

---

(١) فتح الباري ٦/٤٦١.

(٢) البداية والنهاية ١/٣٥٦.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: الحث على التوكل على الله والتضرع إليه:

حيث جاء في الحديث: "قالت له: آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم قالت: فإذا لا يضيعنا". وجاء في الحديث أيضًا: "ووضع عندها جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء" وقوله في الحديث: "حتى إذا ما نفد ما في السقاء ... فانطلقت فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه.."، وكل هذا يدل على فضل التوكل على الله والأخذ بالأسباب، وأن الله لا يضيع من يتوكل عليه، قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى "الوكيل"، وهو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه[1]. وقال الجرجاني: "التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس"[2]. وفي الربط بين الأخذ بالأسباب والتوكل قال الإمام ابن القيم: "التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه، قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ونهيه، والتوكل، متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية"[3]. وقد دلت آيات القرآن الكريم على فضل التوكل وأهميته قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[5] وقال جل شأنه: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[6]، وفي الصحيحين في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَلاَ يَكْتَوُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»[7].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٩٨٧.

(٢) التعريفات ٧٤.

(٣) مدارج السالكين ٢/٣٦٢-٣٦٣.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ١٢.

(٥) سورة الطلاق، آية: ٣.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٧) أخرجه البخاري ٥٧٠٥، ومسلم ٢٢٠.

قال ابن قدامة: (اعلم أن التوكل مأخوذ من الوكالة، يقال: وكل فلان أمره إلى فلان، أي: فوض أمره إليه، واعتمد فيه عليه.

فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء: الشفقة، والقوة، والهداية، فإذا عرفت هذا، فقس عليه التوكل على الله سبحانه، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وإنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه، فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك، فسببه أحد أمرين:

إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال.

وإما ضعف القلب باستيلاء الجبن عليه، وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه، فإن القلب قد ينزعج ببقاء الوهم، وطاعته له من غير نقصان في اليقين، فإنه من كان يتناول عسلاً فشبه بين يديه بالعذرة، ربما نفر طبعه منه، وتعذر عليه.

ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت، نفر طبعه من ذلك، وإن كان متيقنًا بكونه ميتًا في الحال، ولا ينفر طبعه عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب، وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان منه، وقد يقوي حتى يصير مرضًا، حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع غلق الباب وإحكامه.

فإذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب، وقوة اليقين جميعًا، فإذا انكشف لك معنى التوكل، وعلمت الحالة التي تسمى توكلاً، فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات:

الأولى: ما ذكرناه، وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته، كحاله في الثقة بالوكيل.

الدرجة الثانية: وهي أقوى، أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه، فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها، ولا يعتمد إلا إياها، وإن نابه أمر كان أول خاطر يخطر على قلبه، وأول سابق إلى لسانه: يا أماه. فمن كان باله إلى الله، ونظره

إليه، واعتماده عليه، كلف به كما يكلف الصبي بأمه، فيكون متوكلاً حقًا.

والفرق بين هذا وبين الأول، أن هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله، إذ لا يلتفت إلى غير المتوكل عليه، ولا مجال في قلبه لغيره.

وأما الأول، فهو متوكل بالتكلف والكسب، وليس فانيًا عن توكله، بل له التفات إليه، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده.

الدرجة الثالثة: وهي أعلى منهما، أن يكون بين يدي الله تعالى مثل الميت بين يدي الغاسل، لا يفارقه، إلا في أنه يرى نفسه ميتًا، وهذا يفارق حال الصبي مع أمه فإنه يفزع إلى أمه، ويصيح ويتعلق بذيلها.

وهذه الأحوال توجد في الخلق، إلا أن الدوام يبعد، ولاسيما المقام الثالث"[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رحمة الله تعالى بإسماعيل وأمه وغوثه لهما:

حيث جاء في الحديث: " قَدْ أَسْمَعْتَ، إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ. فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ، عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا...، وقوله في رواية "فقالت: أغث إن كان عندك خير فإذا جبريل عليه السلام فقال بعقبه هكذا وغمز بعقبه على الأرض فانبثق الماء فدهشت أم إسماعيل فجعلت تحفن" وكل هذا يدل على رحمة الله تعالى بإسماعيل عليه السلام وأمه وغوثه سبحانه لهما.

قال ابن حجر: (قال ابن الجوزي: كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك"[2]. ورحمة الله تدرك عباده الصالحين وهى قريبة منهم قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] ورحمته سبحانه واسعة قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4]، وغوث الله سبحانه يدرك الصالحين من عباده قال سبحانه عن موسى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ

---

(١) مختصر منهاج القاصدين ٣٦٣، ٣٦٤.

(٢) فتح الباري ٦/٤٦٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٦.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٥٦.

أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1]، ولما ضاق الأمر بيونس عليه السلام في بطن الحوت ولجأ إلى الله كان الفوز له : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

جاء في موسوعة فقه القلوب: (والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما.

وقد ذكر الله سبحانه الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع أعماله وعباداته إلى الاستعانة بالله تعالى.

فإنه إن لم يعنه لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر واجتناب النواهي.

فهو سبحانه المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

وقد أمرنا الله عز وجل بالاستعانة بالصبر والصلاة على جميع الأمور.

ففي الصبر بجميع أنواعه، وهي الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، وفي الصبر على ذلك كله، معونة عظيمة على كل أمر من الأمور.

وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان وعلامته، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور.

وقلب الإنسان يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف وهما: الرياء، والكبر.

فدواء مرض الرياء بـ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[3].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦١-٦٣.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٨٨.

(٣) سورة الفاتحة، آية: ٥ .

ودواء مرض الكبر بـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

فإذا عوفي العبد من مرض الرياء بـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ومن مرض الكبرياء والعجب بـ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ومن مرض الضلال والجهل بـ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2].

فقد عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم، الذين عرفوا الحق واتبعوه، غير المغضوب عليهم، وهم أهل فساد القصد كاليهود الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه، والضالين، وهم أهل فساد العلم كالنصارى الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال.

فالذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به وهم المؤمنون.

فإن اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم كاليهود، وإن اختل قيد العلم فهم الضالون كالنصارى.

ولا يمكن للعبد أن يعبد ربه إلا بتوفيقه وعونه، فلا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله.

فالله وحده خالق كل شيء، وبيده كل شيء، وإلقاء الاستعانة في القلب، وإزالة الدواعي المعارضة لها ليست إلا من الله تعالى، ولا معنى للإعانة إلا ذلك.

والاستعانة هي طلب العون من الله تبارك وتعالى.

ويطلب من المخلوق ما يقدر عليه من الأمور.

وكل عبد مجبول على أن يقصد شيئًا ويريده، ويستعين بشيء ويعتمد عليه في تحصيل مراده، وصلاح العبد في عبادة الله والاستعانة به، ومضرته وهلاكه وفساده في عبادة غير الله والاستعانة بما سواه.

والإنسان ضعيف عاجز، محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ٥ .

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٦ .

المحظورات، والصبر على المقدورات.

فمن حقق الاستعانة بالله في ذلك كله أعانه الله)[١].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: مسؤولية الوالد عن أولاده وتفقده لأحوالهم:

حيث جاء في الحديث: "فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل"، وقوله :"فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد....". والآباء مسئولون عن الأبناء وتفقدهم ورعايتهم، وقد جاء في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَ هِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢]. قال السيد سابق: (الأبناء أمانة وضعها الله بين يدي الآباء وهم مسئولون عنها ، فإن أحسنوا إليهم بحسن التربية كانت لهم المثوبة ، وإن أساءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة ، والأبناء يخلقون مزودين بقوى فطرية ، تصلح أن توجه للخير كما تصلح أن توجه للشر ، وعلى الآباء أن يستغلوا هذه القوى ويوجهوها وجهة الخير ، ويعودوهم العادات الحسنة ، ووقاية النفس والأهل من النار تكون بالتعليم والتربية ، وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة ، وإرشادهم إلى ما فيه نفعهم وفلاحهم"[٣].

خامسًا- من أساليب الدعوة: الكناية:

حيث جاء في الحديث: "وقولي له يغير عتبة بابه"، وقوله: "ويأمرك أن تثبت عتبة بابك"، وأسلوب الكناية من أساليب الدعوة المهمة يقول الميداني: (ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام، احترام فكر المخاطب وتقديره، بترك استخدام الأسلوب المباشر اعتماداً على أنه لماح تكفيه الإشارة الخفيفة والخفية، ويدخل في هذا الكنايات ورموز

---

(١) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، ١٨٦٤/٢، ١٨٦٥.

(٢) أخرجه البخاري ٥١٨٨، ومسلم ١٨٢٩.

(٣) إسلامنا ٢٣٦.

الأقوال والتلميحات والمعاريض، ولا ريب أن من احترام فكر المخاطب وتقديره الإيجاز له في الأشياء التي يمكن أن يفهمها بنفسه، إذا كان أهلاً لذلك، ويحسن هذا الإيجاز جدًا إلى حد الرمز في مواقف خاصة، منها أن يتطلب الموقف إعلام المخاطب وحده مع إخفاء الأمر عن حاضري مجلسه[١].

قال ابن حجر: (وقوله: "عتبة بابك" كناية عن المرأة، وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها، وهو حفظ الباب، وصون ما هو داخله، وكونها محل الوطء"[٢].

سادسًا- من موضوعات الدعوة: شكر الله تعالى على نعمه:

حيث جاء في الحديث: "وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله تعالى"، وشكر الله على نعمه أمر مهم، وقد وعد الله بالزيادة لمن يشكره، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٣]. وأمر الله بشكره فقال: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤]. وقال سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[٥]. ومدح خليله إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾[٦]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ "أنه قام حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: "أفلا أكون عبدًا شكورا"[٧]، قال الإمام ابن القيم: "والشكر حقيقته في العبودية هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة، والشكر مبني على خمس

---

(١) مبادئ في الأدب والدعوة ١٤٧.

(٢) فتح الباري ٦/٤٦٥.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٧.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ١٧.

(٥) سورة النحل، آية: ١١٤.

(٦) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠-١٢١.

(٧) أخرجه البخاري ١١٣٠، ومسلم ٢٨١٩.

قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره"[١].

ومما يدل على أهمية الشكر أن من أسماء الله الحسنى الشكور، قال الطيبي: "الشكور" هو الذي يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل، فيرجع إلى الفعل. وقيل: هو المثنى على العباد المطيعين، فيرجع إلى القول. وقيل: معناه المجازى عباده على شكرهم، فيكون الاسم من قبيل الازدواج، كما سمى جزاء السيئة سيئة. وحظ العبد منه: أن يعرف نعم الله تعالى، ويقوم بمواجب شكره، ويواظب على وظائفه، وأن يكون شاكرًا للناس معروفهم، فإن من لم يشكر الناس لم يشكر الله.

قال أبو القاسم: حقيقة الشكر، الثناء على المحسن بذكر إحسانه، ثم العبد يثنى على الرب بذكر إحسانه الذي هو نعمته، والرب يثنى على عبده بأن يمدحه، ويذكر إحسانه وطاعاته. وقد قيل: إن الشكر في وصفه بمعنى، أنه يعطي الثواب الكثير على اليسير من الطاعة. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٢]. قال بعضهم: قليل من عبادي من يشهد النعمة مني، لأن حقيقة الشكر، الغيبة عن شهود النعمة بشهود المنعم، وقيل: هم الأكثرون وإن قلوا، ومواضع الأنس حيث حلوا[٣].

سابعًا- من موضوعات الدعوة: بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام:

حيث جاء في الحديث: "قال يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال وتعينني، قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني بيتًا ههنا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفع القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"، وهذا يشير إلى بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبيت الحرام، قال ابن حجر: "ولم

---

(١) مدارج السالكين ٥٧٥/٢.

(٢) سورة سبأ، آية: ١٣.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٧/٥، ٣٨.

يشاركهما في البناء غيرهما، والقواعد التي رفعها إبراهيم كانت قواعد البيت قبل ذلك، وبلغ إبراهيم من الأساس أساس آدم، وجعل طوله في السماء تسعة أذرع، وعرضه في الأرض -يعني دوره ثلاثين ذراعًا، وكان ذلك بذراعهم - كما جاء في رواية عثمان وأبي جهم - وقوله "جاء بهذا الحجر" أى المقام وقد قيل إن إبراهيم عليه السلام بناه من خمسة أجبل[1].

هذا وقد دل القرآن الكريم على هذا البناء للبيت، قال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2]. قال ابن كثير: "قال الحسن البصري: أمرهما الله أن يطهراه من الأذى والنجس، ولا يصيبه من ذلك شيء، وقال السدى: أى ابنيا بيتي للطائفين. وإن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبنيا الكعبة على اسمه وحده لا شريك له للطائفين به والعاكفين عنده، والمصلين إليه من الركع السجود"[3]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4]. قال ابن كثير: "والقواعد جمع قاعدة وهى السارية والأساس يقول تعالى : واذكر يا محمد لقومك بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبيت ورفعهما القواعد منه، فإنهما في عمل صالح، وهما يسألان الله تعالى أن يتقبل منهما"[5]. وقال البوطي: "ولأهمية الكعبة وشرفها وقداستها في الأرض، فإن الذي باشر تأسيسها وبناءها هو إبراهيم خليل الله وابنه إسماعيل بأمر من الله تعالى لتكون أول بيت لعبادة الله وحده ومثابة للناس وأمنًا، وقد اقتضت حكمة الله -جل جلاله- أن يشيد فوق الأرض بناء يكون شعارًا لتوحيد

---

(١) فتح الباري ٦/٤٦٧-٤٦٨.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٤٢٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٢٧.

(٥) تفسير القرآن العظيم ١/٤٢٧.

الله وعبادته وحده، ويظل -مع الدهر- تعبيرًا للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة، وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام، وإذا كان لابد للمؤمنين بوحدانية الله والداخلين في دينه، من رابطة يتعارفون بها، ومثابة يؤوبون إليها مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم، إذا كان لا بد من ذلك، فليس أجدر من هذا البيت الذي أقيم رمزًا لتوحيد الله، وردًا على باطل الشرك والأصنام، أن يكون هو الرابطة وهو المثابة لهم جميعًا، يتعارفون في حماه، ويلتقون على الحق الذي شيد ليكون تعبيرًا عنه، ومن هنا جاءت قداسة البيت وعظيم مكانته عند الله تعالى"[1]. هذا وقد قال الله سبحانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2].

---

(١) فقه السيرة النبوية ٨٦-٨٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٢٦.

الحديث رقم (١٨٧٠)

١٨٧٠- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

سعيد بن زيد بن عمرو: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣٦٤).

غريب الألفاظ:

الكمأة: فُطُر من الفصيلة الكمئية، وهي أرضية تنتفخ حاملات رؤوسها فتحنى وتؤكل مطبوخة، ويختلف حجمها بحسب الأنواع[2].

المنَّ: مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار كالأثل، وطل ينزل من السماء على شجر أو حجر ينعقد ويجف جفاف الصمغ، وهو حلو يؤكل[3].

الشرح الأدبي

إن الطب النبوي له فوائد جليلة، ومقاصد نبيلة، وهو نابع من تجربة عملية، ومن توجيه رباني، يقول ابن القيم في كتاب: الطبي النبوي في مقدمته: (أما بعد، فهذه فصول نافعة في هديه ﷺ في الطب الذي تطبب به، ووصفه لغيره، فبين ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكبر الأطباء عن الوصول إليها، والحديث النبوي يفيض بكثير من النصوص التي ترشد الأمة إلى الوقاية من الأمراض، وإلى العلاج الناجع مع ضرورة مواكبة ما يستجد من العلاج في ضوء العلوم الطبية الحديث.

وحين نتأمل صياغة هذا الحديث الشريف الموجز، نجده يتكون من جملتين اسميتين، دلالتهما ثابتة لا مجال فيها للحدث والزمن، فالجملة الاسمية من صفتها الثبات، فالدواء هنا ثابت لا يعتريه تغير أو تحول، فهو دواء صالح في كل مكان إذا

---

(١) أخرجه البخاري ٤٤٧٨، ومسلم ٢٠٤٩/١٥٨ ولفظهما سواء.

(٢) الوسيط في (ك م أ).

(٣) الوسيط في (م ن ن).

وجد هذا النبات، وهو (الكمأة) ولنتساءل: عن دلالة "الكمأة" ودلالة المن، فالكمء: كما جاء في القاموس المحيط: اسم نبات، والجمع أكمؤ، وكمؤة، ونقول: اكمأ أي كثر فيه الكم، ويقولون: أكمأ القوم، أي أطعمهم إياه، أي الكمء.

ولكن هذه الدلالة لا تشع جوانبها إلا في ظلال ارتباطها بكلمة (المن) في قول رسول الله ﷺ: "الكمأة من المن". والمن هو كل طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ، وقيل: المن: هو ما وقع على شجر البلوط، معتدل، نافع للسعال والرطب والصدر والرئة.

وهذه الجملة التي توضح ماهية الكمأة وتجعلها من أنواع المن -أي هي أشبه بالعسل- تعد مقدمة مقنعة للاستشفاء بها، حيث يقول الرسول ﷺ "وماؤها شفاء للعين" أي يشفي العين، وفي رواية أخرى مبشرة بالشفاء وبدخول الجنة "الكمأة من المن، والمن من الجنة، وماؤها شفاء للعين".

والسجع في الحديث الشريف يحدث تأثيرًا صوتيًا، وتشويقًا للسامع، وسرعة في حفظ الحديث.

وحرف النون في نهاية كل جملة هو الذي أحدث هذا الأثر النفسي القوي، لأن النون تشبه الحركة في قوة الوضوح السمعي، وهو صوت أسناني لثوى مجهور يتفق في جهارته وقوته مع التبشير بالشفاء، والمن على العبد المستشفي بالجنة، لأن المن من الجنة، وحرف النون من أسنى الحروف، وأعظمها شهودًا، ولذلك يتضح تأثيرها الصوتي والإيقاعي والنغمي في كتب القراءات، حيث تأتي في حالات الإظهار والإخفاء والإدغام والقلب، ونجد تأثرها الواضح بما يجاورها من أصوات.

وفي ضوء هذه الخصائص نكتشف أسرار الجمال الإيقاعي والأسلوبي.. والدلالي في هذاالحديث الموجز البليغ: (الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين).

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: الترغيب

ثانيًا: من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: الأخذ بأسباب الشفاء واليقين في الله.

أولاً- من أساليب الدعوة: الترغيب:

يتضح هذا من سياق الحديث ومضمونه، ففيه بيان لفضل الله على العباد بتيسير التداوي والشفاء، وأسلوب الترغيب من أساليب الدعوة النافعة، حيث إن النفس البشرية بطبيعتها تحب ما يرغبها وتكره ما ينفرها.

"والترغيب هو إرادة الشيء والرغبة فيه، وتشويق الناس إلى ثواب الله عز وجل، والترغيب يأتي في الشريعة حسب الأحوال والنفوس والمواقف، يأتي علاجًا وردعًا، ويأتي بشيرًا ونذيرًا. فمن النفوس من ترغب في الخير، وتهفو إلى الهدى، وتشتاق إلى النور، فذكر الخير يرغبها، ودعوة الإحسان تدفعها، ونور الحق يدفئها"[١]، ومن صور استعمال القرآن لأسلوب الترغيب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٢].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾[٣].

ثانيًا- من مهام الداعية: إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم:

يتضح هذا من الحديث: "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"، ومما لاشك فيه أن من أولى مهام الداعية إرشاد المدعوين إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وذلك باعتبار أن الداعية حريص على قومه وعلى ما فيه مصلحتهم، والداعية إذا علم خيرًا أذاعه ونشره ليعلم به الجميع، وحتى يعم النفع، وقد قال رسول الله ﷺ في الحديث الشريف: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله، أو قال عامله"[٤].

قال النووي: "وفي الحديث فضيلة الدلالة على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله،

---

(١) الدعوة إلى الله الرسالة الوسيلة الهدف- د. توفيق الواعي، ١٩٩-٢٠٠.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٠.

(٣) سورة النبأ، آية: ٣١.

(٤) أخرجه مسلم ١٨٩٣.

وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيره، والمراد بمثل أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء"[١]. فمن واجب الداعية توجيه المدعوين وإرشادهم إلى ما ينفعهم، ليكون له بذلك الأجر والثواب.

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: الأخذ بأسباب الشفاء واليقين في الله:

حيث جاء في الحديث: "الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين"، جاء في فتح الملهم: قوله: "الكمأة" بفتح الكاف وسكون الميم، وجمعه كمأ. عكس ابن الأعرابي فقال: الكمأ مفرد والكمأة جمع على خلاف القياس. وقيل: الكمأة قد تطلق على الواحد وعلى الجمع، وقد جمعوها على أكمؤ. وهي نبات لا ورق لها ولا ساق، توجد في الأرض من غير أن تزرع، ومادة الكمأة من جوهر أرضي بخاري يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء، وينميه مطر الربيع، فيتولد ويندفع متجسدًا، ولذلك كان بعض العرب يسميها جدري الأرض تشبيهًا لها بالجدري مادة وصورة، لأن مادته رطوبة دموية تندفع غالبًا عند الترعرع وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة. ومشابهتها له في الصورة ظاهر. وقيل: سميت بالكمأة لاستتارها، يقال: "كمأ الشهادة". إذا كتمها[٢].

وفي هذا الحث على التداوي، والأخذ بأسباب الشفاء، واليقين في الله تعالى، قال النووي: "قال أبو عبيد وكثيرون: شبهها بالمن الذي كان ينزل على بني إسرائيل، لأنه كان يحصل لهم بلا كلفة ولا علاج، والكمأة تحصل بلا كلفة ولا علاج. وماؤها مجردًا شفاء للعين، وقيل معناه: أن يخلط ماؤها بدواء ويعالج به العين، والصحيح بل الصواب أن ماءها مجردًا شفاء للعين، وقد رأيت من فعل هذا وكانت قد ذهبت عينه فشفى اعتقادًا في الحديث وتبركًا به"[٣]. وقال ابن حجر: (قال الخطابي: إنما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لأنها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة، ويستنبط

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢١٥.

(٢) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٤٨، ١٠، ٤٩.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٢٩٧.

منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر، والعكس بالعكس، واستعماله لما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله، ويرفع الله عنه الضرر بنيته، والعكس بالعكس)[١].

وقال ابن القيم: "والكمأة فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها، والاكتحال بها نافع من ظلمة البصر والرمد الحار، وقد اعترف فضلاء الأطباء: بأن ماءها يجلو البصر، وقال الغافقي ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عُجِنَ به الإثمد واكتحل به، ويقوي أجفانها، ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة، ويرفع عنها نزول النوازل.

واعلم أن الله سبحانه أتقن كل شيء صنعه، وأحسن كل شيء خلقه، فهو عند مبدأ خلقه برئ من الآفات والعلل، تام المنفعة لما هيئ وخلق، وإنما تعرض له الآفات بعد ذلك بأمور أخر: من مجاورة أو امتزاج واختلاط، أو أسباب أخر تقتضي فساده، فلو ترك على خلقته الأصلية من غير تعلق أسباب الفساد به لم يفسد"[٢].

قال المازري: والكمأة ليس على أحد منها مؤونة في بذر ولا سقى ولا غيره، وإنما هو شيء ينشئه الله عز وجل في الأرض، حتى يصير إلى من يجتنيه.

وقوله عليه السلام "وماؤها شفاء للعين" يقال: إنه ليس معناه أن يؤخذ ماؤها بحتًا. أي صرفًا فيقطر في العين، ولكن يخلط ماؤها بالأدوية التي تعالج بها العين، فعلى هذا يوجه الحديث[٣].

وقال القاضي عياض: قال بعض أهل المعرفة بالطب والحذق فيه وغيره في بعض ما ألفه وتكلم عليه في معنى هذا الحديث: إما لتبريد العين من بعض ما يكون فيها من الحرارة فتشفى بنفسها مفردة، وإما لغير ذلك فمركبة مع غيرها[٤].

وقال القرطبي: والكمأة: ظاهر هذا اللفظ أنها مما أنزل الله على بني إسرائيل مما

---

(١) فتح الباري ١٣/١٧٤.

(٢) الطب النبوي ٢٦٩-٢٧٠.

(٣) المعلم بفوائد مسلم ٢/٢٢١، ٢٢٢.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٦/٥٣٥.

خلقه الله تعالى لهم في التيه، وذلك أنهم كانوا ينزل عليهم في أشجارهم مثل السكر، ويقال هو الطَّرَنْجَبين، وهو المن في قول أكثر المفسرين، وعلى ظاهر هذا الحديث تكون الكمأة أيضًا مما خلق لهم في مواضع نزولهم. وقيل: الكمء من المنِّ بمعنى شبهه من حيث: إن الكمأة تطلع من عند الله تعالى من غير كلفة منا ببذر ولا حرث، ولا سقى، كما أن المنّ ينزل عليهم عفوًا من غير سبب منهم[1].

جاء في فتح الملهم: قوله: "من المنّ" في تفسيره ثلاثة أقوال:

١- المراد به المنّ الذي أنزل على بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام. والمعنى أن الكمأة جزء من المنّ النازل عليهم، ولا يعارض ما روى أن المنّ كان كالطل الذي يسقط على الشجر، ومنه الترنجبين، فإنه يحتمل أن يكون المنّ أنواعًا، منها ما يسقط على الشجر ومنها الترنجبين، ومنها ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه، وبه جزم عبداللطيف البغدادي، وذكره الخطابي احتمالاً.

٢- المراد به المنّ الذي أنزل على بني إسرائيل، ولكن ليس المعنى أن الكمأة عينه، وإنما المعنى أن الكمأة شيء ينبت من غير تكلف بذر ولا سقي، فهو بمنزلة المنّ الذي كان ينزل على بني إسرائيل فيقع على الشجر فيتناولونه. وإنما نالت الكمأة هذا الثناء، لأنها من الحلال الذي ليس في اكتسابه شبهة. وهذا ما جزم به الخطابي في أعلام الحديث.

٣- المراد من "المن" معناه اللغوي، والمعنى: أنها من المنّ الذي امتن الله به على عباده عفوًا بغير علاج. والمن مصدر بمعنى المفعول أي ممنون به، وإن جميع نعم الله تعالى، وإن كانت منًا منه تعالى على عبيده، غير أن ما ليس فيه شائبة كسب كان منًا محضًا، والكمأة منه، لأنها توجد بدون أية مؤونة. واختار هذا القول أبو عبيد وجماعة.

وسبب هذا الحديث ما أخرجه الطبري من طريق ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال: كثرت الكمأة على عهد رسول الله ، فامتنع قوم من أكلها وقالوا: هي جدريّ

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥/٣٢٤.

الأرض، فبلغه ذلك فقال: «إنَّ الكَمْأَةَ لَيْسَتْ مِنْ جُدرِيِّ الأرْضِ، ألا إنَّ الكَمْأَةَ مِنَ المَنِّ» وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أنَّ ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: الكَمْأَةُ جُدَرِيُّ الأرض، فقال النبي ﷺ: «الكَمْأَةُ مِنَ المنِّ»[1].

قوله: "وماؤها شفاء للعين" في المراد بكونها شفاء للعين أقوال أربعة:

١- قال الخطابي: وقوله: وماؤها شفاء للعين، فإنما هو بأن يربي به الكحل أو التوتياء ونحوهما مما يكتحل به، فينتفع بذلك، وليس بأن يؤخذ بحتًا فيكتحل ويتداوى به، لأن ذلك يؤذي العين ويقذيها، وهو الذي اختاره ابن الجوزي ويؤيده ماحكاه الحافظ من قول الغافقي في المفردات: "ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به، فإنه يقوي الجفن ويزيد البصر قوة ويدفع عنها النوازل.

٢- واختار النووي أن ماءها مجردًا شفاء للعين مطلقًا، فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه. قال: "وقد رأيت أنا وغيري في زمننا من كان عمي وذهب بصره حقيقة، فكحل عينه بماء الكمأة مجردًا، فشفى وعاد إليه بصره، وهو الشيخ العدل الأيمن الكمال بن عبدالله الدمشقي صاحب صلاح ورواية الحديث، وكان استعماله لماء الكمأة اعتقادًا في الحديث وتبركًا به"[2].

ولكن يخالفه ما حكى إبراهيم الحربي عن صالح وعبدالله ابني أحمد بن حنبل أنهما اشتكت أعينهما، فأخذا كمأة وعصراها واكتحلا بماءها، فهاجت أعينهما ورمدا. وحكى ابن الجوزي عن شيخه أبي بكر بن عبدالباقي أن بعض الناس عصر ماء كمأة فاكتحل به فذهبت عينه. ثم علق على قول النووي بأن استعمال الماء الصرف ينبغي أن لا يكون إلا ممن عرف من نفسه قوة اعتقاد في صحة الحديث والعمل به، كما يشير إليه آخر كلام النووي.

٣- اختار ابن العربي أن في التداوي بماء الكمأة تفصيلاً. وهو إن كان لتبريد ما يكون بالعين من الحرارة فتستعمل مفردة، وإن كان لغير ذلك، فتستعمل مركبة.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٠٦٨، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ١٦٨٩).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم ١٢٩٧.

وحكاه القاضي عياض عن بعض الأطباء أيضًا.

٤- والقول الرابع: إن المراد من الماء هنا ليس الماء الذي يعصر من الكمأة، ولكنه الماء الذي تنبت به، فإنه أول مطر يقع على الأرض فتربى به الأكحال. حكاه ابن الجوزي عن أبي بكر بن عبدالباقي.

قال العبد الضعيف عفا الله عنه: أما القول الرابع فهو أضعف الأقوال، كما قال ابن القيم وأما الأقوال الثلاثة الأولى، فكلها محتملة[1].

قال ابن مفلح: ولا تزرع الكمأة، ومادتها من جوهر أرضي بخاريّ يحتقن في الأرض نحو سطحها، يحتقن ببرد الشتاء وتنميه أمطار الربيع فيتولد ولهذا يقال لها: جدري الأرض، تشبيهًا بالجدري في صورته ومادته، لأن مادته رطوبة دموية تندفع عند سن الترعرع في الغالب، وفي ابتداء استيلاء الحرارة ونماء القوة، وهي مما يوجد في الربيع، وتؤكل نيئًا ومطبوخًا. وسمتها العرب: نبات الرعد لكثرتها بكثرته. وتنفطر عنها الأرض، وتكثر بأرض العرب، وأجودها ما كانت أرضها رملة قليلة الماء، ومنها صنف قَتَّال يضرب لونه إلى الحمرة.

قيل: هي من المن حقيقة على ظاهره، وقيل: شبهها به لحصول كل منهما بلا كلفة ولا معالجة. وظاهر اللفظ أنَّ ماءها شفاء للعين مطلقًا من ضعف البصر والرمد الحاد، ولا مانع من القول به. وقد صح عن الصادق المصدوق ﷺ، فيجب القول به. وقد ذكر مثل هذا من الأطباء: المسيحي وصاحب القانون وغيرهما، وقد اكتحل بماءها مجردًا بعض من عمي معتقدًا متبركًا فشفاه الله تعالى بحوله وقوته، وأظن قد وقع مثل هذا في زمن أبي زكريا النووي[2]. وقد سبق أن أبا هريرة رضي الله عنه روى الخبر، وفعل ذلك، وهو أعلم بما رواه.

وقيل: يخلط ماؤها بدواء ويعالج به، وقيل: هذا إن كان من غير حرارة، وإن كان من حرارة فماؤها مجردًا شفاء.

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ٤٩/١٠، ٥٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، ١٢٩٧.

وقيل: المراد بمائها بعد شيه واستقطاره، لأن النار تلطفه وتنضجه، وتذيب ما فيه من أذى، وقيل: المراد بمائها الماء الذي تحدث به من المطر، وهو أول مطر ينزل إلى الأرض فيكون إضافة اقتران لا إضافة جزء، ذكره ابن الجوزي وهو ضعيف.

وقد ذكر الأطباء أن الكمأة باردة رطبة في الدرجة الثالثة، وأنها رديئة للمعدة بطيئة الهضم، تورث القولنج وعسر البول، وتولد خلطًا رديئًا ويخاف منه الفالج والسكتة. وينبغي أن تُعَالَج قبل الأكل، قال بعضهم: تدفن في طين رطب، وتسلق بماء وملح وصعتر، وتؤكل بزيت وتوابل حارة، لأن جوهرها أرضي غليظ، وغذاءها رديء، لكن فيها جوهر مائي لطيف يدل على خفتها، ولا يمنع كونها من المن أو أن ماءها ينفع العين، عدم الضرر فيها وقت خلقها، فالعسل وغيره فيه ضرر مع ما في ذلك من النفع.

وقال بعض أصحابنا: الآفات والعلل حادثة، والفساد بأسباب اقتضت ذلك لمجاورة أو امتزاج أو غير ذلك، وإلا فهو في الابتداء بريء من ذلك[1].

ومن خلال هذا الحديث وغيره تتضح دعوة الإسلام إلى الأخذ بالأسباب والتداوي، وبذل الوسع للشفاء .

إن هذا الحديث بين أن ماء الكمأة مفيد للعين، وبما أن النبي ﷺ لم يبعث لبيان الحقائق الطبية، فإنه لم يذكر طريق استعمال هذا الماء، وأنه هل يستعمل مفردًا، أو مركبًا مع غيره؟ فلا ينسب أحد من الطرق المحتملة إلى النبي ﷺ على سبيل القطع. فربما يفيد بمفرده، وربما يفيد مركبًا مع غيره، ويمكن أن يفيد في بعض الأمراض دون بعضها، كما يمكن أن تكون بعض أنواعها نافعة، وبعضها ضارة، فلا ينبغي ان ينسب إلى النبي ﷺ إلا ما ذكره هو بنفسه، وهو أن ماء الكمأة شفاء للعين، ويصدق ذلك بكونه شفاء في الجملة. ولم يقل النبي ﷺ إنها شفاء في كل مرض، ولا أنها تفيد كل إنسان في كل مكان. فينبغي للعامة أن يراجعوا الأطباء ليصفوا لكل مريض ما يلاءم أحوال مرضه. نعم! ينبغي للأطباء أن يستفيدوا بهذا الحديث في تجاربهم، ويستخرجوا التفاصيل بها.

---

(١) الآداب الشرعية ٣/١٠، ١١.

ثم إن هذا الكلام إنما كان من حيث الأسباب الظاهرة، ولكن لا يخفى أن الشفاء الحقيقي ليس إلا بيد الله سبحانه وتعالى، وإنما الأدوية أسباب محضة ليست تنفع بنفسها ولا تضر بنفسها، فإن اعتقد رجل أن قول النبي ﷺ عام لكل كمأة، ولكل مرض، ولكل إنسان، فاستعمل ماء الكمأة في مرض لا يراها الأطباء نافعة فيه، ونوى اتباع النبي ﷺ وحصول الشفاء به بقوة اعتقاده، فلا يبعد أن يجعلها الله شفاء له، خاصة على الرغم مما يقوله الأطباء، لأنهم لا يتكلمون إلا عن الأسباب الظاهرة، وأن قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته فوق هذه الأسباب بكثير[1].

لقد جاءت الأحاديث النبوية ترشد إلى أهمية التداوي، ومن ذلك ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شِفاءً»[2].

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تَدَاوَوْا يَا عِبَادَ الله ، فَإِنَّ الله لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءَ أَوْ دَوَاءً، إِلاَّ دَاءً وَاحِدًا، الْهَرَمُ»[3].

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ. فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[4].

ويعلق على هذه الأحاديث صاحب كتاب الإعجاز العلمي فيقول: وفي هذه الأحاديث المختلفة حث للإنسان، ودفع له لأن يبحث، ويستمر في بحثه حتى يحصل على الدواء الشافي بإذن الله تعالى لكل مرض يحدث في هذه الدنيا، فلا يجوز أن يضعفه شيء دون الوصول إلى الدواء المؤثر في الأمراض الحادثة، فإن رسول الله ﷺ يقرر أنه ليس هناك داء إلا وله دواء، وهذا الدواء يحتاج إلى بحث ليعلم، أو يعمل به، ويتناوله المريض. وفي ذلك حث للمسلمين أن يكون لهم مختبراتهم ومعاملهم التي يعملون بها للحصول على أدوية الأمراض المختلفة.

---

(١) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثماني، ١٠/ ٥٠، ٥١.

(٢) أخرجه البخاري ٥٦٧٨.

(٣) أخرجه أبو داود ٣٨٥٥، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ٣٢٦٤).

(٤) أخرجه مسلم ٢٢٠٤.

فهذه الأدوية التي يكتشفها الإنسان للأمراض المختلفة إنما هي من قدر الله تعالى ولا تخالف قدر الله عز وجل، فالتداوي من الأسباب العادية التي أمر الإنسان بالأخذ بها والعمل وفقها، ومما يجدر التنبيه عليه أن الدواء الذي أشار إليه رسول الله ﷺ في أحاديثه أعم من أن يكون كيميائيًا، أو طبيعيًا - مأخوذ من الطبيعة - أو بجراحة، أو فصد، أو كي ... وما أشبه ذلك.

وسر الإعجاز العلمي في حديث رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث، يكمن في كونه قرر هذا التقرير الجازم بأنه ليس هناك داء إلا وله دواء، فكأنه فتح آفاق العلم والمعرفة، والبحث والاختبار على مصاريعها ليلجها المسلمون، ويقتحموا تلك المعمليات التي كان يقف الإنسان مستسلمًا للمرض لا يعرف كيف يتخلص منه، فعلمه أن لا ييأس، وإنما يبحث حتى يصل إلى النتيجة[1].

---

(١) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ٢/٧٨١، ٧٨٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

هذا الباب فيه أحاديث كثيرة ومتنوعة؛ لذا كان معالجتها كلها من الصعوبة بمكان. خاصّة ونحن نعالج معالجة تربوية موجزة؛ لذا رأينا أن نذكر بعض النقاط التربوية التي رأينا أنها تكون أقرب إلي الواقع المعاصر، ونحن أحوج ما نكون إليها:

أولاً: التربية علي الاستعداد لعظائم الأمور:

خلق الله سبحانه وتعالي هذه الدنيا وكتب عليها الفناء ، وقدّر سبحانه أن بعد هذه الدنيا ستكون الساعة، وهذه الساعة لها علامات صغرى وكبرى ، ومن العلامات الكبرى خروج الدجال ، والدجال فتنته عظيمة : فقد جعل الله معه ما يظنّ الناس أنه ربهم وإلههم ؛ لذا حذر النبي ﷺ أمته من فتنته العظيمة؛ فقال ﷺ: ((مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ)) الحديث ١٨١٦، كما أخبر النبي ﷺ عن الضيق الذي سيصيب المؤمنين منه ، فقال ﷺ: ((لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ)) الحديث ١٨١٥، بل أخبر النبي ﷺ أنه ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الدجال، فقال : ((مَا مِنْ نَبِيَ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ. أَلاَّ إِنَّهُ أَعْوَرُ. وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ. وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ ف رَ))، الحديث ١٨١٩، كما أخبر ﷺ أيضًا عن خروج يأجوج ومأجوج بعد أن يقضي نبي الله عيسى عليه السلام علي الدجال، كما في الحديثين ١٨١٢، ١٨١٠.

في هذه الأحاديث وغيرها التي تتحدث عن علامات الساعة، نرى فيها تربية علي الاستعداد لعظائم الأمور، وإعداد للمخاطبين أن يكونوا علي أهبة الاستعداد دائمًا لملاقاة عظائم الأمور. هذه التربية لها من الثمار النافعة والنتائج الطيبة ما لا يخفى، من ذلك:

(أ) تربية المخاطبين علي ملء أوقاتهم بالعمل الصالح النافع والعمل المستمر الطيب؛ لأنه إذا كان الوقت وقت أمن وسكينة، فإنه لا يدري ماذا يكون بعده، فربما تكون الفتنة والهرج والاضطراب، فتكون معاناة المؤمنين الصابرين معاناة شديدة ،وفي هذا دفع لهم أن يغتنموا أوقاتهم وحياتهم فيما ينفعهم في

الدنيا والآخرة ويجدُّوا كل الجدّ، ويجتهدوا في ذلك كلّ الاجتهاد.

(ب) تربيتهم علي الصبر وعدم الضجر والقنوط مما قد يقع بهم من صغائر الأمور وعظائمها، فإن شأن المؤمن أن يصبر ويرضى بما قدّره الله تعالي، نعم إنه يدعو الله خاشعا متضرعًا أن ينجيه من الفتن، فإن وقعت فلا مفرّ أمامه من أن يصبر عليها مع استمراره في الدعاء إلي الله رب العالمين أن ينجيه من آثارها وتبعاتها.

(ج) تربيتهم علي الإيجابية والفاعلية مع ما وقع بهم من ضرر وفتن وشرور، فإن المسلم، وإن كان لا يرغب قي التعرض للفتن وخاصة عظائمها، فإنه إن وقعت في زمانه لا يهرب منها ولا يستسلم لها، بل يكون كله عزم علي مجابهتها والتصدي لها بما يستطيع من جهد وطاقة واستطاعة، فإن تمكن من القضاء عليها وإلا حجّمها وضيّق من تأثيرها وإلا لم يرضَ بها ولم يقبلها.

ثانيًا: التربية علي التبشير بانتصار الإسلام:

أخبر النبي ﷺ عما يقع بين المسلمين واليهود من قتال وانتصار المسلمين عليهم، فقال ﷺ: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ. حَتَّىٰ يختبئ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الْحَجَرُ والشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللّهِ هَـٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي. تَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ. فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليهود))، الحديث ١٨٢٢، وهذا الإخبار من النبي الكريم ﷺ بشارة للمسلمين بالانتصار علي اليهود، وليس هذا فحسب، بل إن الحجر والشجر يكون أيضًا من جند الله المسخرة؛ للتعجيل بنصر المسلمين علي اليهود: فإذا اختبأ اليهود وراء الحجر أو الشجر وظنوا أنهم ناجون بذلك، دلّ عليهم ما اعتقدوا أنه ينقذهم؛ فكان سببًا في قتلهم وهلاكهم.

ونحن نرى في هذا الحديث النبوي الشريف تربية للمسلمين علي الإيمان والاعتقاد بأن الإسلام سينتصر علي أعدائه وإن طال الزمان حتى ظنّ بعض الناس أنه لن تقوم للمسلمين قائمة؛ نظرًا لما هم فيه من ضعفٍ وهوان وتفرق وذلّة.

ونحن نرى أن التربية علي انتصار الإسلام من الضرورة والأهمية بمكان؛ فهي من

التربية التي يجب علي الآباء والمعلمين والدعاة وأهل الإعلام وكل من له علاقة بالتربية، أن يغرسوها في نفوس الناشئة، وليس هذا فحسب، بل يجب أن تتعمق أيضًا في نفوسهم وتترسخ حتى تصبح عقيدة ثابتة راسخة لا تقبل شكًّا أو ريبًا وإن طال زمن الانهزام والاستخذاء والخضوع والخنوع.

ونحن نرى أن في التربية علي ذلك من الفوائد ما لا يحفى، من ذلك:

(أ) تربية المخاطبين علي الاعتزاز بالإسلام اعتزازًا يبلغ السموات العليا، والاعتزاز بمبادئه وبما جاء به، فإن الانتصار لا يكون إلا للدين الحقّ الذي ارتضاه الله لعباده.

(ب) تربيتهم علي أن لهم دورًا يجب أن يقوموا به تجاه دينهم وأمتهم؛ فإن النصر لا يأتي بالأماني والأحلام، وإنما يأتي بالعمل، والعمل الجاد المستمرّ من كلّ فرد من أفراد المسلمين: فالصانع في مصنعه له دور، والزارع في زرعه له دور، كما أن للقائد في المعركة دوراً، وهكذا.

(ج) تربيتهم علي التمسك بالقيم الإيجابية الدافعة إلي البناء والعمل، وإن أحاطت بهم ما يثبط هممهم ويحبط عزائمهم ويضعف قواهم، فهم لا يلتفتون إلي هذا: فهم ماضون نحو النور وإن طال الظلام، وهم متمسكون بالعزة وإن انتشرت الذلّة، وهم عاقدون العزم علي النصر وإن أعلن المخذّلون الهزيمة والاستسلام.

ثالثًا- التربية علي التخلق بالقرآن:

لقد أخبرت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ وعن خلقه، فقالت: ((كَانَ خُلُقُ نبي الله الْقُرآنَ))، وأخرجه البيهقي في الدلائل بلفظ: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرآنَ، يَرْضى لِرِضَاهُ، وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهِ))[1]، فهذا النبي الكريم ﷺ يضرب المثال والقدوة علي التحلي بأخلاق القرآن: فما كان فيه من أمر فعله، وما كان فيه من نهي انتهى عنه، فكان ﷺ يقف عند حدوده.

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ١/٢٠٩-٢١٠

وفي هذا تربية عملية للمسلمين جميعًا أن يقتدوا به ﷺ، فلا تكون أخلاقهم إلا أخلاق القرآن: فلا يفعلون إلا ما أمرهم القرآن به، ولا ينتهون إلاعمّا نهاهم عنه؛ فإن فعل المسلمون ذلك حازوا السبق في الدين والدنيا وفي العاجلة والآجلة، وكانوا نماذج صالحة وأمثلة مضيئة، يراها الناس فيعرفون عظمة الإسلام وسمو رسالته؛ ودليل ذلك أن أتباعه أخلاقهم طيبة وأفعالهم محمودة وسيرتهم حسنة.

ونحن نرى في التربية علي التخلق بخلق القرآن أهمية قصوى ومفتاحا لحل كثير مما يعانيه المسلمون وتعانيه مجتمعاتهم؛ ذلك أنه- كما هو مشاهد- هناك فرق هائل جدًا بين تعاليم الإسلام وما يفعله المسلمون في حياتهم وأيامهم:فتجد عند المسلمين الكسل والتهاون والضعف وسوء الأخلاق وسوء الأفعال،ما يناقض تمامًا ما يدعوهم إليه القرآن الكريم من العزة والقوة ومحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال.

لذا كان علي المربين كافة أن يغرسوا في نفوس الناشئة وغيرهم أن يحرصوا تمام الحرص على التحلي بالقرآن في كلّ شؤونهم المختلفة، حتى ينفعوا أنفسهم وغيرهم،ويكونوا قدوة صالحة لغيرهم في وقت عزّت فيه القدوات الصالحة.

رابعًا- من صفات المربي الناجح: الثبات في وقت الشدة:

كانت حنينُ أولها هزيمة للمسلمين وآخرها نصر مؤزر: فقد فرّ المسلمون أول المعركة لما رأوا من شدة هجوم الأعداء ومفاجآتهم، لكن النبي ﷺ لم يفرّ، بل إنه ﷺ ركض بغلته نحو الكفار، وأمر العباس عمه رضي الله عنه أن ينادي: ((نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ))، فثاب المسلمون ورجعوا وقاتلوا ورسول الله ﷺ قد أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: ((انْهَزَمُوا، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ))، حتى منّ الله عليهم بالنصر الكبير والغنائم الكثيرة، كما في الحديث رقم١٨٥٢ من أحاديث الباب.

لقد ضرب النبي ﷺ النموذج الأسنى في الثبات وقت الشدة وتكالب الأعداء؛ فوقف كالطود الشامخ لا يريم، بل إنه ﷺ اندفع ببغلته نحو الكفار، فأعطى النموذج المضيء للشجاعة التي ليس فوقها شجاعة.

فلما ثبت ورأى منه أصحابه ذلك رجعوا إليه و التفوا حوله وقاتلوا حتى قَتلوا وانتصروا.

ونخلص من هذا إلي أن النبي ﷺ كان أشجع الشجعان: فإذا كان يحثّ أصحابه علي القتال والشهادة، فإنه أول المقاتلين وأقربهم إلي العدو، وإذا كان يحضّ أصحابه علي الثبات، فإنه ﷺ كان أثبت الناس في ميدان المعركة و القتال، فكان عمله يوافق قوله؛ فكان ذلك من أسباب نجاحه في إقامة دولة الإسلام علي الأرض، وقبل هذا نجاحه في إقامة هذه الدولة في صدور أصحابه.

لذا كان علي المربين أن يكونوا نماذج حية لما يربون أتباعهم عليه، فهم أول الفاعلين إذا أمروا بشيء ، وأسرع المنتهين إذا نهوا عن شيء؛ لأن هذا من الأسباب القوية، بل من أول الأسباب لنجاح التربية ونجاح كلّ دعوة.

إن الواقع يشهد أن كثيرًا من الدعاة إلي المبادئ العليا والقيم السامية هم أول الناس انتهاكًا لها ونقضًا لها؛ لذا كانوا نماذج سيئة لأتباعهم ولغيرهم؛ لذا لا خير في تربية غير مشفوعة بالعمل، ولا خير في مربٍّ يخالف عمله قوله.

۞ ۞ ۞

١٩- كتاب الاستغفار

٣٧١- باب الأمر بالاستغفار وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء: ١٠٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّات﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٥- ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[النساء:١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (١٨٧١)

١٨٧١- وعن الأَغَرِّ المزني رضي الله عنه: أنَّ رسُول اللهِ ﷺ قال: **((إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وإنِّي لأَسْتَغفِرُ اللهَ في اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ))** رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

الأغر بن يسار المُزَنيُّ: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٤).

غريب الألفاظ:

ليغان: أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر[2].

---

(١) برقم ٢٧٠٢/٤١.

(٢) النهاية في (غ و ن).

الشرح الأدبي

إن المسلم دائمًا في حاجة إلى الدعاء وطلب المغفرة، فالله سبحانه وتعالى غافر الذنب، وقابل التوب، وهو شديد العقاب، والاستغفار طلب المغفرة مع بذل الجهد في الالتزام بالطاعة، والتصدي لكل إغواءات الشيطان، والوقوف في وجه الرغبات والشهوات، ولذلك تجيء دائمًا مادة: (الاستغفار) حيث السين والتاء الزائدتان، وزيادة المبني تدل على زيادة المعني، والأمر دائمًا في القرآن يأتي بالاستغفار، للإيحاء بالتوبة النصوح، والإقلاع عن المعاصي والعزم على عدم العودة إلى الآثام، والندم على ما فات.

وحين تتأمل ما يشع به الحديث الشريف من دلالات وجماليات أسلوبية تدرك أن الاستغفار فيه ليس ناشئًا عن تقصير أو عن ذنوب لأن عصمة رسول الله ﷺ تحول دون ذلك، فاستغفار رسول الله ﷺ لإظهار العبودية لله تعالى والشكر لما أولاه.

والحديث يتكون من جملتين، وكل منهما تبدأ بالتأكيد، حيث تجيء إن في صدارة كل جملة، حيث يقول في الجملة الأولى: "إنه ليُغَان على قلبي"، وحول تفسير دلالة (الغَيْن) يقول اللغويون: غَيَن على قلبه غَيْنًا، أي غطى عليه وألبس أو غشي عليه، أو أحاط به الرَيْن، وهذه الدلالات لا تتناسب مع مقام رسول الله ﷺ واستيقاظه الدائم لذكر الله عز وجل، وقال العلماء: هي غُيُون أنوار لا غُيُون أغيار، وقال عياض: المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، وقيل هي: حالة خشية وإعظام والاستغفار شكرها، وقال بعض الصالحين في تفسير الغَيْن الذي يعتري قلب رسول الله ﷺ: لا يعتقد أن الغَيْن حالة نقص، بل هو كمال أو تتمة كمال.

وتبدأ الجملة الثانية بالتأكيد "بإن" المقترنة بياء المتكلم (إني) والمتكلم هو رسول الله ﷺ ويزداد التأكيد بوجود اللام في بداية الفعل (لأستغفر) والعدد مائة يوحي بكثرة الاستغفار وقوله (في اليوم) إشارة إلى تَكْرَار الاستغفار في كل يوم، اقتداء برسول الله ﷺ.

المضامين الدعوية

أولاً: من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الغرور.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على كثرة الاستغفار.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لأمته أهمية وفضل الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى.

أولاً- من صفات الداعية: التواضع والبعد عن الغرور:

وردت الإشارة إلى ذلك في الحديث في كثرة استغفار النبي ﷺ: "إنه ليُغَان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"، فلقد كان ﷺ وهو قدوة الدعاة قمة في التواضع مع جميع الناس مع علو منصبه ورفعة رتبه، وحسبنا أن الله تعالى خيره بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا فاختار أن يكون نبيًا عبدًا[1].

فالتواضع يمكّن الدعاة من جمع الأنصار ويحببهم إلى الناس؛ فيستمعون إليهم ويتأثرون بهم، ويتأسون بأفعالهم، ويجب أن يكون التواضع مع جميع الناس مع الكبير والصغير، والرئيس والمرءوس، والغني والفقير، والضعيف والقوي ومع العالم والجاهل، وكل أصناف المجتمع، فمن التواضع: طيب الحديث والتبسم في وجه الناس والرفق بهم وعدم مؤاخذتهم بزلاتهم وتهدئة روعهم إذا فزعوا[2]، قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[4]، فتواضع الداعية يجعله محبوبًا في قومه وبيئته، ذا أثر فعال بينهم، وقوّامه عليهم صفة التواضع وخفض الجناح، فالكبر يشكل جدارًا وحاجزًا بين الداعية والناس، بل يجعل الداعية معزولاً عن مجتمعه غير مألوف ممن حوله)[5].

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، الإمام القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ٣٠١/٣.

(٢) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ص ٨١ - ٨٢.

(٣) سورة الحجر، آية: ٨٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٥) صفات الداعية، د. حمد بن ناصر العمار ص ٦٠.

إن التواضع من أخلاق المؤمنين الصادقين، أما التكبر والخيلاء فهو من صفات الكافرين المنافقين، ومن يتأمل الآيات والأحاديث الواردة في الكبر وتحريمه يرى أن من شأنها أن تجعل المسلم ذا القلب الحي، والإيمان الصادق، والضمير اليقظ يقفُ صاغرًا أمام الله وجلاله، ويندم خاشعًا ذليلاً على كل ما فرط منه من كِبر أو عُجْب أو خُيلاء، ويضرع إلى الله تائبًا منيبًا راجيًا منه أن يرحم ضعفه، ويشفي من مرض الكبر نفسه، ويرزقه التواضع للحق، والتواضع للخلق، وأن ينير له طريق الهدى، ويرده عن أسباب الهلاك والردى.

ومن هذه الآيات والأحاديث الدالة على ذم التكبر والمتكبرين قول الله عز وجل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[3] والمراد بالمرح في الآية: الاختيال والتكبر. وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[7]، وروي عن عبدالله

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٤٦.

(٢) سورة النحل، آية: ٢٢، ٢٣.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٨، ١٩.

(٤) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٥) سورة غافر، آية: ٣٥.

(٦) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٣٧، ٣٨.

ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إنَّ الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال: الكبر بَطَرُ الحق وغَمْط الناس))[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((احتجت الجنة والنار فقالت النار فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم، فقضى الله بينهما، إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما علي ملؤها))[2].

ومظاهر الكبر وآثاره في الناس كثيرة لا يمكن إحصاؤها، وهي تختلف من فرد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن عصر لعصر، فالولد الذي يأنف أن يسمع لأبيه ويخضع له، لأنه تعلم أكثر من أبيه هو إنسان عاق بسبب التكبر على والده، ومعرض للوعيد الشديد.

والمرأة التي تأنف أن تخضع لزوجها وتطيعه وتلين له، بسبب أنها موظفة مثله، أو أنها غنية بمالها أو بجمالها تُعتبر متكبرة على زوجها وعاصية له، يُخشى عليها غضب الجبار؛ والطالب الذي يتعالى على أستاذه بسبب غناه، أو منصب أبيه هو متكبر دنيء النفس.

والرئيس الذي ينظر إلى مرؤوسيه نظرة احتقار، ويعاملهم كعبيد هو إنسان متكبر لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

والمعلِّم الذي إن علَّم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم، وامتن عليهم، ينتظر من الطلاب والناس أن ينحنوا له ويقبلوا يديه، ويحملوا حذاءه، هو عالم ركبه الكبر فصار أجهلُ الناس خيرًا منه.

والمدير والمسؤول الذي يركب رأسه متجهًا في عمله إلى الأخطاء الضارة بالأمة، وإذا نُصح أعرض وسخط على من نصحه، هو إنسان دمر الكبر جانب الخير فيه، حتى صار لا يستحق الورق الذي يوقع عليه اسمه.

والذي يُوعَظ فتأخذه العزة، أو يمر على الناس فيغضب لأنهم لم يقوموا له، ولم

---

(١) أخرجه مسلم ٤٠٩١، والترمذي ١٩٩٩.

(٢) أخرجه مسلم ٢٨٤٧.

يبادروه بالسلام؛ أو يدخل مكانًا عامًا فيأنف منه لأن الموجودين ليسوا على شاكلته، أو يأمر أمرًا فيكيل الشتائم للمأمورين لأنهم لم يسرعوا في تنفيذ أمره، كل هؤلاء متكبرون، محرومون من أبرز صفات المؤمنين وهي التواضع[١].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: حرص النبي ﷺ على كثرة الاستغفار:

يدل على ذلك صريح الحديث: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: (كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: ربّ اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم)، لذا فينبغي على المسلم الإكثار من الاستغفار فهذا هو النبي ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بنا، ولكن قلوبنا قاسية ميتة لا يغان عليها بكثرة الذنوب لا يهتم الواحد منا بما فعل، ولذلك تجد الإنسان غير مبال بمثل هذا وقليل الاستغفار، والذي ينبغي للإنسان أن يكون له أسوة حسنة في رسول الله ﷺ، ويكثر من الاستغفار[٢]، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[٤]، "وهذه الأسوة الحسنة إنما يسلكها ويوفق لها من كان يرجو الله واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان وخوف الله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه يحثه على التأسي بالرسول ﷺ"[٥].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تعليم النبي ﷺ لأمته أهمية وفضل الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى:

ذلك ما تدل عليه الأحاديث من بيان قوله وفعله ﷺ وإكثاره من الاستغفار، فبيّن

---

(١) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبد الله بن محمد الحماد، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين ٤٠٢/٢.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٩١/٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص ٦٠٩.

أن الاستغفار واجب لما يصيب الإنسان من فتور وغيره [١]، فقال ﷺ: (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة)، وإذا كان هذا هو سبب استغفار رسول الله ﷺ فنحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج"[٢]، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[٤].

كما جاء في الحديث صيغة من صيغ الاستغفار والتوبة، رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، قال ابن علان: "فيه إيماء إلى أن من أدب الدعاء أن يختم الداعي دعاءه بما يناسبه من أسماء الله تعالى، فإذا سأل المغفرة والرحمة قال: إنك أنت التواب الرحيم، وإذا سأل جزاء دنيويًا أو أخرويًا قال: إنك أنت الجواد الكريم"[٥].

وفي استغفاره ﷺ في المجالس والإكثار منه، دليل على أهمية الاستغفار وفضله في المجالس، وغيره من الأحوال من باب أولى، فلما كان الإنسان ضعيفًا، وكان الشيطان حريصًا على إضلاله والسعي دومًا إلى إغوائه، والنيل منه عن طريق اقترافه للسيئات، فكان منه أن تربص للمسلمين في مجالسهم وأنديتهم، ولما كان الله رءوفًا بعباده شرع لهم على لسان نبيهم ﷺ كلمات يقولونها تكفر عنهم ما علق بهم من أدران هذه المجالس[٦]، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ))[٧]، وعند الترمذي: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ

---

(١) انظر: دليل الفالحين، ابن علان ص ١٨٤٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ص ١٥٩٣.

(٣) سورة النور، آية: ٣١.

(٤) سورة التحريم، آية: ٨.

(٥) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٤٥.

(٦) كتاب الآداب، فؤاد بن عبدالعزيز الشلهوب ص ١١٢.

(٧) أخرجه أحمد ٤٩٤/٢، رقم ١٠٤١٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم (مسند أحمد ٢٦١/١٦).

وَأَتُوبُ إِلَيْكَ))[١].

لقد أمر الله بالمبادرة بالتوبة والاستغفار، فقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[٣] والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو للأمة من باب الأولى.

وبين الله تبارك وتعالى أن الاستغفار من صفات وأفعال عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٦]. وقال: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٧].

والعجيب أن كثيرًا من نصوص الحث على الاستغفار في الكتاب والسنة تكون مصحوبة بالدعوة إلى توحيد الخالق والاعتراف بألوهيته والإذعان لربوبيته، وهي بذلك إشارة بديعة إلى أن أعظم سبب بل أول سبب لحصول المغفرة هو التوحيد الخالص، وأن جميع الأسباب الأخرى لا تغني شيئًا إذا فقد هذا الأصل العظيم، فهو أساس الدين،

---

(١) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٣٢١٦).

(٢) سورة غافر، آية: ٥٥.

(٣) سورة محمد، آية: ١٩.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٦.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٧) سورة الذاريات، آية: ١٧، ١٨.

وأصل العبادة، وعنوان الملة، وإذا رسخ في قلب العبد وانغرس في وجدانه فقد أهَّل نفسه لنيل مغفرة المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

فتأمل معي عددًا من النصوص الآمرة بالاستغفار لترى ذلك المعنى الذي أشرت لك إليه، وذكّرت نفسي وإياك بما يعنيه:

قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[2].

وتأمل قوله ﷺ: ((من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن قد فر من الزحف))[3].

وتأمل سيد الاستغفار، وكيف بدأ بإعلان التوحيد الخالص لله تعالى ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))[4].

وتأمل كفارة المجلس: ((سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك))[5].

وهكذا يتجلى هذا المزج الرائع، والربط المانع بين الإقرار بالألوهية والاعتراف بالوحدانية، وبين طلب المغفرة من الغفور الرحيم.

إن الذنب سمة العبد، وإن العفو صفة الرب عز وجل، وقد بين تعالى أن المتقين قد يقع منهم الذنب، ويحدث منهم الزلل ولكنهم لا يصرون على الخطأ، ولا يقيمون على المعصية، وقد امتدحهم جل وعلا بذلك فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) سورة محمد، آية: ١٩.

(٣) أخرجه أبو داود ١٥١٧، وصححه الألباني (صحيح سنن أبي داود ١٣٤٣).

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٦.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣.

عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1])[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣-١٣٦.

(٢) كتاب: الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٥٨٦، ٥٨٧.

الحديث رقم (١٨٧٢)

١٨٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمعتُ رَسُول اللهِ ﷺ، يقولُ: ((وَاللهِ إنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأتُوبُ إلَيْهِ فِي اليَومِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)) رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن رسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهو السراج المنير، والبشير النذير، وهو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، واستغفاره شكر لله على النعم التي حباها إياه، وعلى الفضل الذي أولاه وقد قال حينما سئل عن كثرة استغفاره!! (أفلا أكون عبدًا شكورًا) وهذا الحديث نبراس يضيء للطائعين طريقهم، ويفتح للعاصين سُبل النجاة من حبائل الشيطان، ولذلك يبدأ الحديث بالقَسَم والتأكيد، (والله إني لأستغفر الله).

وهذا القَسَم ليس لتوقع الإنكار من السامع لهذا الخبر أو للتشكك فيه فكل مسلم له يقين كامل بصدق النبي ﷺ فيما يقوله أو يخبر عنه، ولكن القسم لتأكيد الفعل، وللإيماء إلى كل مقصر أو مذنب بأن يستغفر الله فالله غفور رحيم، وهو يغفر الذنوب جميعًا، وهو ينادي الذين أسرفوا على أنفسهم: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[2].

ولذلك جاءت الجملة الثانية معطوفة على جملة خبر (إن) حيث يقول (وأتوب إليه) فالتصريح بلفظ (أتوب إليه) فيه إشارة إلى كل مذنب أن يتوب، فالاستغفار بلا توبة مع التمادي في الذنب كالتلاعب، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه،

---

(١) برقم ٦٣٠٧، وتقدم برقم ١٣.

(٢) سورة الزمر، آية: ٥٣.

وصيغة المضارع تفصح عن استمرار الاستغفار، وقوله: (أتوب إليه) ليس إسهابًا ولكنه من نسيج الكلام الذي لا تتم الفائدة إلا به، وقوله: (أكثر من سبعين مرة) كناية عن الكثرة، فالعدد ليس المقصود منه التحديد.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٣).

الحديث رقم (١٨٧٣)

١٨٧٣- وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن للاستغفار أثرًا جميلاً في حياة كل مسلم يعمر قلبه بسكينة الإيمان، فهو يفيئ إلى ظلال التوبة والأمان، ويفر من هجير المعصية والخسران، وهو في هذا التحول ينتصر لربه الواحد الديان، ويعلن هزيمة الشيطان، وما ذلك إلا لأنه استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، فالاستغفار برهان اليقظة الإيمانية ودليل الصحوة القلبية.

ولذلك يرغب رسول الله ﷺ في الاستغفار، لأنه منهج المسلم الصحيح، وللترغيب في هذا الحديث وسائل أسلوبية متعددة، تفصح عنها لغة الحديث الشريف:

ولنتأمل بداية الحديث حيث يبدأ بالقَسَم في قوله: (والذي نفسي بيده) أي أقسم بالله الذي بيده مصائر الأنفس، والذي خلق الموت والحياة، والقسم هنا يرشد إلى أهمية المقسم عليه.

وأسلوب الشرط في جملة المقسم عليه، هو الصيغة اللُغَوية الملائمة لمضمون الحديث الشريف.

واختيار أداة الشرط (لو) فيه إشارة إلى أن الذنب من سمات السلوك البشري، فابن آدم ليس معصومًا فالأداة (لو) أداة امتناع لامتناع، فقد امتنع جواب الشرط: وهو أن الله تعالى يذهب بالناس أي يهلكهم لامتناع انتفاء الذنوب، فكل ابن آدم خطاء، وخير

---

(١) برقم ٢٧٤٩/١١، وتقدم برقم ٤٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٤٦٠٩.

الخطائين التوابون، فتأمل البلاغة في اختيار أداة الشرط، وفعل الشرط مضارع يفيد التجدد وتكرار الحدث وهو الذنب، فكل جيل له نقائصه ومعاصيه، وهذا يستلزم الاستغفار الدائم، وجواب الشرط في صيغة الماضي (لذهب الله بكم) لأن حكم الله نافذ، وقضاؤه محكم مبرم، والخطاب في الحديث للمسلمين، ولكنه لم يحدد صفتهم تنزيهًا للمسلم عن قصدية الذنب، وتعمد المخالفة، لأن الذنب لا يرتكب عمدًا مع سبق الإصرار، وإنما يكون نتيجة للغفلة أو الجهل، أو الضعف البشري أمام نزغات الشياطين، وعدم التحديد فيه إشارة إلى أن ارتكاب الذنوب سمة للسلوك البشري في كل الأمم، والتوبة من سيماء الصالحين في كل زمان ومكان، ولذلك جاءت صفات قوله: يقوم: في إطار الأفعال المضارعة المتتابعة: (يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم)والعطف بالفاء يرشد إلى أن المسلم عليه بالإسراع إلى التوبة وإلى الفوز بالمغفرة، والحديث - كما قال العلماء: تحريض على التوبة والإقلاع عن الذنب، وليس ترغيبًا في اقتراف المعاصي، ولكنه حث على الاستغفار والإنابة إلى طريق الإيمان، فهو طريق النجاة، والفوز بالجنة ونعيمها المقيم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٢٢).

الحديث رقم (١٨٧٤)

١٨٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كُنَّا نَعُدُّ لرسولِ اللهِ ﷺ في المَجْلِسِ الواحدِ مئَةَ مَرَّةٍ: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)). رواه أبو داود والترمذيُّ[1]، وقال: (حديث صحيح).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٣).

الشرح الأدبي

إن مجالس رسول الله ﷺ يعمرها قلبه المتصل بجلال خالقه، ويضيئها الذكر الحكيم الذي أنزل على رسول الله ﷺ بحقائقه وطرائقه، وهذه المجالس العامرة بالذكر والاستغفار كانت مضمارًا للاقتداء، وميدانًا للتعلم والتنافس بين الصحابة الأخيار، وهذه الشهادة الموثقة التي ينقلها ابن عمر تذكرة للأجيال، وعبرة واقتداء برسول الله ﷺ في الأفعال والأقوال، تعد درسًا عمليًا لكل مسلم ومسلمة على مر العصور، وكرّ الدهور، فهذا رسول الله ﷺ الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب إليه في المجلس الواحد مائة مرة، وهذا العدد كناية عن الكثرة، وقوله: (كُنّا) يفيد أن هذه الشهادة ليست فردية، ولكنها جماعية حيث كان جميع الصحابة في المجلس يسمعون دعاء رسول الله ﷺ، وقوله: (نعد) في صيغة المضارع والجمع: للدلالة على انتباه الصحابة. وحرصهم على رصد كل أقوال الرسول ﷺ وأفعاله حتى يقتدوا بها، ولنتأمل صيغة الدعاء: (رب اغفر لي وتب علي) حيث حذف حرف النداء إيماء إلى القرب وإيحاء بمدلول الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ..﴾[2].

---

(١) أخرجه أبو داود ١٥١٦، والترمذي ٣٤٣٤. وصحّحه ابن حبان، الإحسان ٩٢٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

والدعاء بلفظ (رب) يوحي بالرعاية والتربية والتعهد... وتكرار قوله: (وتب علي) بعد اغفر لي لمزيد من الرجاء والإلحاح في الدعاء، والطباق بين قوله (لي) (وعلي) للإحاطة والشمول: لغفرانه هنا زيادة في الخضوع لله عز وجل، وزيادة في الشكر، والتوبة عطاء من الله ومنة وتفضل، وقوله: (علي) يفيد الاستعلاء.. والعفو، ومَحْو ما قدّم العبد من ذنوب، وفي مقام توبة الرسول ﷺ يكون الشكر والأدب مع الله عز وجل، ولذلك جاء ختام الحديث الشريف مناسبًا لمضمونه وبدايته، وقال العلماء: من أدب الدعاء أن يختم الداعي دعاءه بما يناسبه من أسماء الله تعالى، وقوله: (التواب الرحيم) يناسب الدعاء بالمغفرة والتوبة، والتأكيد فإن كاف الخطاب (إنك) مع ضمير الخطاب (أنت) والمقصود به الله -عز وجل- يجعل المغفرة والتوبة واقعًا جميلاً في حياة كل مسلم مستغفر أواب، وصيغة المبالغة في قوله: (التواب الرحيم) للدلالة على كثرة عدد المغفور لهم، وكذلك كثرة عدد الذنوب المغفورة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

(١) سورة النساء، آية: ١١٠.

(٢) سيأتي ذكرها مدمجة مع مضامين الحديث التالي.

الحديث رقم (١٨٧٥)

١٨٧٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)) رواه أبو داود[1].

ترجمة الراوي:

عبد الله بن عباس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١١).

غريب الألفاظ:

فَرَجًا: انكشاف الغم[2].

الشرح الأدبي

ما أجمل هذه الدعوة المخلصة الصادقة من رسول الله ﷺ إلى أمته بالإكثار من الاستغفار، آناء الليل وأطراف النهار، ورسول الله ﷺ هو المثل الأعلى للمؤمن الحقيق، وإنه كان دائمًا يذكر ربه في كل طرفة عين، متجهًا إليه مع كل خفقة قلب فهو يسبحه ويدعوه إذا أصبح، وإذا أمسى، وإذا نام، وإذا استيقظ، وإذا سافر، وإذا رحل، وإذا أكل، وإذا شرب، وإذا سمع الرعد، وإذا نزل المطر، وإذا هب الريح، وإذا أشرقت الشمس، وإذا بزغ الهلال، وإذا مرض، وإذا عوفي، وإذا أمن، وله في كل ذلك مأثورات رائعات مشهورات ترددها كتب الصحاح، وهي من الأدب الصميم لب اللباب[3].

وهذا الاستغفار الدائم من رسول الله ﷺ، وذكر الله في كل لحظة، واستحضار عظمته، والطمع في مغفرته ورحمته يتضوأ به، ويشرحه بمعانيه

---

(١) برقم ١٥١٨. قال الحاكم ٤/٢٦٢: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ في الأمالي المطلقة ٢٥: هذا حديث حسنٌ غريب، أخرجه أحمد والنسائي في السنن الكبرى، وأبو داود وابن ماجه، وأخرجه الحاكم، وإخراج النسائي له مما يقوي أمره.

(٢) الوسيط في (ف ر ج).

(٣) انظر: البيان النبوي، د. محمد رجب البيومي، ص ٢٠١.

قوله ﷺ: (من لزم الاستغفار) أي من كان الاستغفار ديدنه، ومسلكه في كل أوقات حياته، كما كان رسول الله ﷺ يدعو ربه بالمغفرة والتوبة في المجلس الواحد مائة مرة، فكل السياقات السابقة هي تطبيق وتنفيذ لقول رسول الله ﷺ: (من لزم الاستغفار).

والحديث في بنائه اللُغَوي يعد جملة واحدة كبرى، صيغت في أسلوب الشرط، والأداة: (مَنْ) وهي للعاقل، والجزاء من جنس العمل وكذلك جواب الشرط يتحقق لتحقق فعل الشرط، وهنا فعل الشرط: لزوم الاستغفار، فإذا تحقق في سلوك العبد المسلم، كانت المكافأة، وكان الجواب هو صلاح الدنيا، وصلاح الآخرة، وقال العلماء: ففيه أن نفع الاستغفار يعود بُحَوْز مطلوب الدارين، وأول ثمرة من ثمار الاستغفار هي: أن الله يجعل له من كل ضيقٍ مخرجًا، وقوله: (كل) يشير إلى أن الله ينجي الإنسان من الضيق الدنيوي والأخروي، وتأمل الطباق بين: ضيق ومخرج، فالضيق كلمة موجزة لكنها ترمز لكل حالات الكرب مهما تعددت ألوانها، وتغيرت مسمياتها، والمخرج هو تحول هذه الحالة إلى باب النجاة بفضل الاستغفار، حيث تركن النفس إلى السكينة، وتشيع فيها الطمأنينة وكلمة (مخرج) تشع بكثير من الدلالات وترمز إلى ما ينعم به المؤمن المحتسب الصبور الشكور.

وكذلك الطباق من الهم والفرج، فالهم نفسه يصبح هو باب الفرج أو هو الفرج نفسه، والهم والفرج كلمتان تموجان بكثير من الدلالات التي تعتري الإنسان في كل زمان ومكان، والبلاغة الإيجاز، والجملة الأخيرة هي الثمرة المرجوة، والمقام المبتغى، "ورزقه من حيث لا يحتسب"، فبعد النجاة من الضيق، وبعد تفريج الهم، تنهمر سحائب الرزق الوفير، وينعم في ظلها المؤمن المستغفر بعطاء المنان القدير، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على لزوم الاستغفار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الاستغفار.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على الاستغفار ولزومه.

أولاً - من موضوعات الدعوة: الحث على لزوم الاستغفار:

جاء ذلك في الحديث، ببيان فضل الاستغفار حثًا عليه، فقال ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب)، وقد جاءت النصوص في القرآن والسنة متضافرة على الحث على الاستغفار، بل آمرة على الاستغفار ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] وقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3]. وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[4] وقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[5] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[6] وقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية للحديث السابق - ١٨٧٤- مع المضامين الدعوية لهذا الحديث - ١٨٧٥- .

(٢) سورة البقرة، آية: ١٩٩.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

(٥) سورة غافر، آية: ٥٥.

(٦) سورة فصلت، آية: ٦.

(٧) سورة محمد، آية: ١٩.

لَذَهَبَ اللّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ))[١]، ومدح الله المستغفرين فقال: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[٢]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣]، ولقد كان رسول الله ﷺ في حياته مثلاً تطبيقيًا للدوام على الاستغفار.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))[٤]. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: ((رب اغفر لي وتب علي إن أنك التواب الرحيم))[٥].

وعن الأغر المزني وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال: ((إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة))[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه، قالت: فقلت: يا رسول الله أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه؟ فقال خبرني ربي أني سأرى علامة في أمتي فإذا رأيتها أكثرت من قول: سبحانه الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه فقد رأيتها: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾[٧] فتح مكة ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[٨]))[٩].

---

(١) أخرجه مسلم ٢٧٤٩.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٧.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٤) أخرجه البخاري ٦٣٠٧.

(٥) أخرجه أبو داود ١٥١٦، وصححه ابن حبان (الإحسان ٩٢٧).

(٦) أخرجه مسلم ٢٧٠٢.

(٧) سورة النصر، آية: ١.

(٨) سورة النصر، الآيتان: ٢، ٣.

(٩) أخرجه البخاري ٤٩٦٧، ومسلم ٤٨٤.

وقال الحسن: "أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لفضل الاستغفار:

جاء ذلك في صريح الحديث، فقال ﷺ: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فَرَجًا ورزقه من حيث لا يحتسب)، أي: من لزم الاستغفار عند صدور معصية وظهور بلية، ومن داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه، ولذا قال ﷺ: ((طُوبى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا))[٢]، جعل الله له من كل شدة ومحنة مخرجًا وطريقًا وسببًا يخرج به إلى سعة ومنحة، ومن كل غم يهمه خلاصًا، ورزقه حلالاً من حيث لا يحتسب، أي: من حيث لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله، والحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[٣]، كذا في المرقاة[٤]، فالاستغفار بصريح القرآن والسنة سبب لذهاب الهم والغم والحزن، كما أنه سبب لتيسير الأرزاق، وإنعام الله تعالى على المستغفرين بالرزق من البنين والأموال[٥].

ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم يعدون للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قوله: "رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الرحيم" كما ذكر ذلك ابن عمر رضي الله عنهما في الحديث.

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على الاستغفار ولزومه:

إن من أهداف الدعوة الرئيسة، الحث على الاستغفار ولزومه، لما فيه من العطاء الإلهي الذي لا ينفد في الدنيا والآخرة، كما جاء في صريح الحديث: (من لزم الاستغفار

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٤٠٧ - ٤٠٨.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٣٨١٨، وصححه الألباني (صحيح سنن ابن ماجه ٣٠٩٦).

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ، ٣.

(٤) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي، ص ٦٨٩.

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٢/٣٠٢.

جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب)، أما في الدنيا فإن الاستغفار سبب لـ:

أ- استجلاب الرحمة ومنع العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، قال القرطبي: "قال المدائني عن بعض العلماء: كان رجل من الأعراب في زمن النبي ﷺ مسرفًا على نفسه، لم يكن يتحرج فلما أن توفي النبي ﷺ لبس الصوف ورجع عما كان عليه، وأظهر الدين والنسك، فقيل له: لو فعلت هذا والنبي ﷺ حي لفرح بك، قال: كان لي أمانان فمضى واحد وبقي الآخر، قال: تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، فهذا أمان، والثاني: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾"[2]، وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

ب- جلب للسرور وانشراح الصدر وإذهاب للهموم وتفريج للكربات وإزالة للضيق كما جاء في الحديث: (من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب).

جـ- سبب لسعة الأرزاق وكثرة الأولاد والتمكين في الأرض، فذكر ذلك هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾[4]، وقال على لسان محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[5]، وعن نوح عليه السلام قال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٩٩/٨/٤.

(٣) سورة النمل، آية: ٤٦.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) سورة هود، آية: ٣.

غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[1].

قال القرطبي: "في هذه الآية والتي في سورة هود دليل على أن الاستغفار يُستَنْزَل به الرزق والأمطار، قال الشعبي: خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: (استغفروا ربكم إنه كان غفارًا يرسل السماء عليكم مدرارًا)، وقال ابن صبيح: شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله، وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله، وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولدًا، فقال له: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه، فقال له استغفر الله، فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئًا، إن الله تعالى قال في سورة نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[2]"[3].

"أما في الآخرة فإن الاستغفار سبب لغفران الذنوب، ولو عظمت وبلغت الكثرة عنان السماء وهو السحاب، وقيل: ما انتهى البصر منها"[4].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[5]، وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢/٤٠٧.

(٤) المرجع السابق ٢/٤٠٧.

(٥) سورة الزمر، آية: ٥٣.

كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكِ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))[1].

(١) أخرجه الترمذي ٣٥٤٠، وصححه الألباني (الصحيحة ١٢٧، ١٢٨).

الحديث رقم (١٨٧٦)

١٨٧٦- وعن ابن مسعود[١] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَالَ: اسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُومُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وإِنْ كانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ)) رواه أبو داود والترمذي[٢]. والحاكم[٣]، وقال: (حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم).

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

فر من الزحف: فرّ من الجهاد ولقاء العدو في الحرب، والزَّحف: الجيش يزحفون إلى العدو، أي: يمشون[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف ندرك أن أسلوب الترغيب هو سر جمال المبنى والمعنى، فالحديث يتكون من مقدمة شرطية، ونتيجة تعد ثمرة لهذا الشرط، وجوابًا له، ثم يُختم الحديث بجملة شرطية لمزيد من الترغيب في التوبة والاستغفار، ويبدأ الحديث بقوله: (من قال) ومقول القول: هو هذه الجملة المُحَمَّلة بالدلالات والمعاني الوضيئة، حيث يستغفر المسلم ربه، ومن أسمائه عز وجل أنه (الحي القيوم) وهو: (لا إله إلا هو) فالاستغفار لا يكون إلا له، لأنه غافر الذنب وقابل

---

(١) الصواب: عن زيد مولى النبي ﷺ، وأما عن ابن مسعود، فقد أخرجه الحاكم. فقد انتقل نظر المؤلف من زيد إلى ابن مسعود، ومصدر النقل هو الترغيب للمنذري.

(٢) أخرجه أبو داود ١٥١٧، والترمذي ٣٥٧٧ عن زيد مولى النبي ﷺ. قال المنذري في الترغيب ٤٦٨/٢ رقم ٢٤١٤: إسناده جيد متصل. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤١٤.

(٣) المستدرك ٥١١/١ من حديث ابن مسعود، وقال: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وفي ١١٧/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤١٤.

(٤) النهاية في (ز ح ف).

التوبة، واسم الموصول (الذي) لكمال التعريف، والدلالة على التميز أكمل تمييز، وأسلوب القصر في قوله: (لا إله إلا هو) يفيد قصر الألوهية على الله عز وجل فلا إله سواه، والحي في هذه الصيغة اللغوية صفة مشبهة من الحياة وهي كما قال العلماء: تقتضي صحة اتصاف موصوفها بالصفات، والقيوم أي الدائم القائم بتدبير خلقه، وقدم الاستغفار على التوبة لأن الاستغفار مقدمة صحيحة للتوبة النصوح، وقد يستغفر الإنسان ولكن لا يواصل طريقه ولا يتوب ولذلك قيل: لا تقل: أستغفر الله وأتوب إليه فيكون كذبًا إن لم تفعل، بل قل: اللهم اغفر لي، وتب عليّ، والاستغفار في دلالته هو طلب المغفرة، إما باللسان أو بالقلب أو بهما معًا، ولذلك جاء جواب الشرط وهو: غفرت ذنوبه تتويجًا لهذا القول الذي يترجمه صاحبه إلى فعل التوبة بفضل توفيق الله له، واستجابة لدعائه، وبناء الفعل للمجهول يفصح عن أنه لن يغفر الذنوب إلا الله فحذف الفاعل للعلم به، ولكمال اتصافه بالمغفرة ومن أسمائه (الغفور الرحيم).

والجملة الأخيرة: تذييل وترغيب في الإقبال على التوبة، والإكثار من الاستغفار، وقد جاءت في صيغة الشرط والجواب، ولكن حُذف الجواب اختصارًا واستبشارًا بأن الله سيغفر له وإن كان الذنب في قمة الذنوب، وهو الفرار من الزحف، وقيل: المراد غفرت صغائر ذنوبه، وإن كان قد اقترف ما هو من الكبائر، وفي هذا تفصيل تفضل به السادة العلماء، والفقهاء والله يختص برحمته من يشاء.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحث على قول: (استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه).

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: فضل الاستغفار.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحث على قول: (استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه):

لقد جاءت النصوص مبينة فضل الاستغفار والإكثار منه، وأنه سبيل لتفريج الهموم

وتوسيع الضيق وإدرار الرزق وعدم الاحتياج إلى الناس والسعادة في الآخرة، ويتجلى فضل الاستغفار في مواطن كثيرة خاصة بعد الوقوع في المعاصي، ولا يخفى أنه لابد من صدق العزم ومطابقة الباطن لقول الله، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1])[2] وقد جاء مثل هذا المعنى في الحديث حيث بين رسول الله ﷺ أن قول المسلم: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)، سبب لغفران الذنوب وتكفير السيئات، فقال ﷺ: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، والمعنى: أن من قال ذلك صادقًا غفرت ذنوبه لذا ينبغي ألا يتلفظ الإنسان بذلك إلا إذا كان صادقًا، وألا يكون بين يدي الله كاذبًا، فإن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه[3]، فإن الله وعد بالمغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على فعله[4]، فإن الله سبحانه لا يعذب مستغفرًا تائبًا[5]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[6].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: فضل الاستغفار:

إن للاستغفار فوائد في الدنيا والآخرة أعظمها أنه سبب لمغفرة الذنوب، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، وقد تضافرت النصوص على مغفرة الله

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٨٤٢.

(٣) تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢٥١٧/٢.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٤٠٨/٢.

(٥) مدارج السالكين، ابن القيم ٥٤٣/١.

(٦) سورة الأنفال، آية: ٣٣.

لمن استغفر، قال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[١]، وفي الحديث القدسي: ((يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا. فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ))[٢]، وفي الحديث جمع النبي ﷺ بين الاستغفار والتوبة فقال: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه)، يقول ابن القيم: "وأما الاستغفار فهو نوعان مفرد ومقرون بالتوبة، فالمفرد: كقول نوح عليه السلام: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[٣]، وقول صالح عليه السلام: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤]، والمقرون كقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[٥]، وقول شعيب عليه السلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٦]، فالاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله"[٧].

إن الاستغفار لا يستغني عنه إنسان، فما أحوج الإنسان لأن يستغفر لنفسه، وما أجمل به أن يستغفر للآخرين كما يجني الإنسان ثمرات استغفار الآخرين له، لقد جعل الله من مهام الملائكة حملة العرش ومن حوله يستغفرون للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا

---

(١) سورة نوح، آية: ١٠.

(٢) أخرجه مسلم ٢٥٧٧.

(٣) سورة نوح، آية: ٢٠.

(٤) سورة النمل، آية: ٤٦.

(٥) سورة هود، آية: ٥٢.

(٦) سورة هود، آية: ٩٠.

(٧) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/٥٤٢ - ٥٤٤.

وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

إن الاستغفار سِمةُ الأنبياء والمرسلين والصالحين، فهم ملازمون له، داعون إليه، حاضين غيرهم عليه وأولهم آدم وحواء عليهما السلام لما أزلهما الشيطان ووسوس لهما وحضهما على معصية ربهما بادرا بالتوبة والاستغفار، فقال: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[2].

وذلكم نوح عليه السلام صرح بدعوته قومه للاستغفار، ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾[3].

وهود عليه السلام يقول لقومه ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾[4] وموسى عليه السلام يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[5] ويونس عليه السلام ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[6] وداود عليه السلام يقول الله في شأنه ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[7].

---

(١) سورة غافر، الآيات: ٧-٩.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٢٣.

(٣) سورة نوح، الآيات: ١٠-١٣.

(٤) سورة هود، آية: ٥٢.

(٥) سورة القصص، آية: ١٦.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٨٧.

(٧) سورة ص، آية: ٢٤.

وكان الاستغفار من لوازم رسول الله ﷺ وكان كثيرًا ما يعلم أمته الاستغفار، فروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: ((يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم))[1].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء أسلوب الترغيب في الحديث ظاهرًا، حيث رغّب النبي ﷺ في الاستغفار بمغفرة الذنوب، فقال ﷺ: (من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف)، والترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وذلك لما فيه من تشويق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، ومع أن الأصل في الترغيب أن يكون الجزاء في الآخرة فإنه يكون أيضًا بما يصيب المدعوين في الدنيا في حالة استجابتهم [2]، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[3]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[4].

إن العبد المسلم ليشعر بالسعادة الكبرى إذا ما التزم بشرع الله عز وجل وإن هذا الالتزام يدور بين أمر ونهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[5]، فمن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٣٤، ومسلم ٢٧٠٥.

(٢) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٣) سورة النور، آية: ٥٥.

(٤) سورة نوح، الآيات: ١٠ - ١٢.

(٥) سورة الحشر، آية: ٧.

رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

إن العبد المسلم المستقيم على شرع الله، إذا ما ذُكرت أمامه الجنة ورُغِّب فيها ألقى الدنيا وتبعاتها من فوق ظهره، وهرع إلى رب العالمين ليلحق بركب السائرين إلى الله، وكذلك المسلم الذي رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، إذا ما ذُكِرت أمامه جهنمُ بأغلالها وسلاسلها وحميمها وزقومها انهمرت دموعه وارتجف قلبه وطال حزنه، وأشفق على نفسه فلا تجده بعد ذلك إلا صائمًا قائمًا. وهذه هي الثمرة الحقيقية للترغيب والترهيب، أن يُساق الإنسان إلى رب العالمين جل جلاله بمواعظ الخوف والرجاء.

واعلم أيها المسلم أن القلب الذي يتأثر بذكر الجنة والنار، والترغيب والترهيب عمومًا، وينقاد بذلك إلى طريق الاستقامة، هو القلب الذي سكن الإيمان شغافه[1]، فسرعان ما ينقاد هذا القلب إلى الله تعالى إذا ما ذُكر، ومن هنا نعرف السر الحقيقي في عزوف كثير من البشر عن سُبل الاستقامة الكاملة حسب الطاقة الحقيقية للإنسان، ذلك لأن القلوب قد امتُلِئت بحب الدنيا وشهواتها، وركن الإنسان إلى هذه الحياة الزائلة، فإذا ما خُوِّف أو رغب ليلحق بقوافل السائرين إلى الله تعالى، وجد مئات المثبطات التي ارتضاها لنفسه وعاش في دائرتها، ولا يكفي لنجاة هذا الصنف دمعات عابرة، أو زفرات طائرة، أو تأوه أجوف لأنه سرعان ما يمر هذا الشعور الإيماني مرور الطيف في وهج الظهيرة، بل لابد من عودة كاملة إلى الله تعالى، ليتحقق للإنسان السمع والطاعة بكل حب وامتثال[2].

---

(١) الشغاف: غلاف القلب أو حجاجه أو سويدائه، انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٠١٦.

(٢) كتاب: "والذين هم لفروجهم حافظون، خميس بن السعيد محمد، ص ٦٣، ٦٤.

الحديث رقم (١٨٧٧)

١٨٧٧- وعن شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ ﷺ ، عن النبيّ ﷺ ، قال: ((سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ (العَبْدُ) [١]: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ[٢] بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ. وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)). رواه البخاريُّ[٣].

ترجمة الراوي:

شداد بن أوس: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٦٧).

غريب الألفاظ:

أبوء لك: أقر وأعترف[٤].

موقنًا: مخلصًا من قلبه مصدقًا بثوابها[٥].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبسٌ من الهدي النبوي في إرشاد المنيبين إلى ربهم، التائبين والمستغفرين إلى معالم الطريق الصحيح، وهو من الأحاديث الجامعة لمعاني التوبة كلها، ولذلك يبدأ الحديث بصورة تعبيرية موحية تشخص المعنى، وتجسد قيمة الاستغفار وتجعل من الاستغفار كائنًا مهابًا تتعدد صوره وأساليبه، ولكن لكل هذه الصور، وتلك الأساليب سيد: وهو سيد الاستغفار، وتأمل لفظ السيد (وهو السيادة والشرف والعزة، فالاستغفار

---

(١) (العبد) لا توجد عند البخاري.

(٢) عند البخاري زيادة: (لك).

(٣) برقم ٦٣٠٦. أورده المنذري في ترغيبه ٩٥١.

(٤) رياض الصالحين ٦٤٠.

(٥) فتح الباري ١٠٣/١١.

من ثمرته أنه يجلب العزة والشرف والسيادة للمستغفر التائب).

وقال الطيبي في تعليل هذا التعبير: لما كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها استعير له اسم السيد وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور.

والدعاء: في بداية الحديث يأتي في صيغة النداء، (اللهم) وقد حذف حرف النداء، وتكرار الضمير (أنت) مرتين في قوله: (أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني) يرشد إلى الاعتراف بمزيد من الحاجة إلى عون الله عز وجل، لأنه ربه، وهو الذي خلقه، ولذلك جاء أسلوب القصر معبّرًا عن المعتقد الصحيح، وبأن هذا الداعي لا يداهمه أي شك في حماية الله عز وجل له، وإضافة (رب) إلى ياء المتكلم وكذلك في (خلقتني) حيث أصبحت ياء المتكلم مفعولاً به، للإشعار بالاعتراف بالفضل، وبالالتزام بتعاليم الكتاب والسنة.

وتكرار ضمير المتكلم (أنا) مرتين في قوله: (وأنا عبدك وأنا على عهدك) يؤكد صدق هذا المسلم الداعي، وصِدْقَ رسولِ الله ﷺ وبلاغته في حسن اختيار الكلمات الدالة المناسبة للمقام فلكل مقام مقال.

والطباق بين أنا وأنت، وتكرار كل ضمير مرتين، هذا التكرار يؤكد اعتراف العبد بالربوبية والألوهية، واعترافه بجلال الخالق فهو الرب الذي خلقه، واعترافه كذلك بضعف المخلوق وحاجته إلى عفو ربه، وكرمه.

وتأمل هذا الإيقاع الصوتي الذي أحدثه توالي هذه الكلمات في ذلك الدعاء: (وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت) والكلمات الثلاث بينها جناس ناقص، وهذا الجناس أحدث أثرًا صوتيًا ونفسيًا نشأ من هذا الإيقاع الجميل الذي أحدثه التوافق بين معظم حروف الكلمات (عبدك، عهدك، ووعدك).

والفصل بين جملتي الدعاء (أعوذ بك) و(أبوء بذنبي) هذا الفصل يومىء إلى الاستئناف في الجملة الثانية، والفصل بينهما وبين دلالتها، الجملة الأولى: فالأولى تتضمن الاستعاذة بالله من الشر، والثانية تتضمن الاعتراف بالنعمة، والطباق بين (بك، ولك) يتسق مع المطابقة أو المقابلة العامة بين الجملتين.

والتأكيد وأسلوب القصر في قوله: (فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) يؤكد أن العبد المسلم لا يتوجه بطلب المغفرة إلا لله عز وجل، وختام الحديث الشريف هو في قمة الترغيب، حيث جاء في جملتين شرطيتين،وجميع ألفاظ الجملتين متحدتين ما عدا ألفاظ: النهار والليل، ويصبح ويمسي، والجملتان في إطار هذه المقابلة الشاملة وهذا التَكْرار المُحَبّب ترغيب لكل مسلم في العودة إلى دوحة الإيمان والإخلاص حتى يكون من أهل الجنة الأخيار.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: أهمية إظهار العبودية لله تعالى في الاستغفار.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: أهمية اليقين في مغفرة الله تعالى وعدم الشك.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: الحث على جوامع الكلم في الاستغفار مما ورد عن النبي ﷺ في ذلك.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: أهمية إظهار العبودية لله تعالى في الاستغفار:

إن من يتأمل النصوص الحاثة على الاستغفار في الكتاب والسنة يجد أن معظمها يكون مصحوبًا بالدعوة إلى توحيد الخالق والاعتراف بألوهيته والإذعان لربوبيته، وهي بذلك إشارة بديعة إلى أن أعظم سبب بل أول سبب لحصول المغفرة هو التوحيد الخالص وأن جميع الأسباب الأخرى لا تغني شيئًا إذا فُقِد هذا الأصل العظيم، فهو أساس الدين وأصل العبادة وعنوان الملة، وإذا رسخ في قلب العبد وانغرس وجدانه فقد أهَّل نفسه لنيل مغفرة المولى جل وعلا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1][2].

---

(١) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٢) انظر: كتاب "الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ص ٥٨٦.

ومن يتأمل سيد الاستغفار في الحديث، يجد أنه بدأ بإعلان العبودية لله تعالى: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)، قال الإمام الطيبي في شرح الحديث: (قوله: "سيد الاستغفار" السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم الذي يصمد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور بهذا الدعاء، الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها، وقد سبق أن التوبة غاية الاعتذار. وقوله: "وأنا عبدك" يجوز أن يكون جملة مؤكدة، وأن يكون مقدرة، أي أنا عابد لك، قوله: "وأنا على عهدك، ووعدك". قال البغوي: يريد أنا على ما عاهتدك عليه، وواعدتك من الإيمان بك، وإخلاص الطاعة لك، وقد يكون معناه أني مقيم على ما عاهدت إلى من أمرك ومتمسك به، ومتنجز وعدك في المثوبة، والأجر عليه. واشتراط الاستطاعة في ذلك، معناه الاعتراف بالعجز، والقصور عن كنه الواجب من حقه عز وجل. أقول: ويجوز[1] أن يراد بالعهد والوعد ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾.

قوله: "أبوء لك" قال ابن الأثير في النهاية: أي ألتزم وأرجع، وأقر، وأصل البوء اللزوم. ومنه الحديث "فقد باء بها أحدهما" أي ألزمه، ورجع به. أقول: اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه، ولم يقيده ليشمل كل الإنعام، ثم اعترف بالتقصير، وأنه لم يقم بأداء شكرها، وعده ذنبًا مبالغة في التقصير وهضم النفس. قال ابن حجر: (أي: أنا عبد لك، قال الخطابي: يريد أنا مقيم على ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك ما استطعت من ذلك، ويحتمل أن يكون المراد بذلك العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية)[2]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾[3]. قال ابن القيم: (التحقيق بمعنى قوله:

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠٢/٥، ١٠٣.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١٠٢/١١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٧٢.

إني عبدك، التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة، وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه واللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه، وعياذ العبد به، وأن لا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفًا ورجاء)[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: أهمية اليقين في مغفرة الله تعالى وعدم الشك:

إن اليقين هو أساس الدين ومراده الأعظم وهو من لوازم الإيمان، قال تعالى واصفًا عباده المؤمنين: ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣﴾[٢] وقد جاء في الحديث استحضار اليقين واستصحابه عند التلفظ بألفاظ الاستغفار فقال ﷺ: (من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، قال ابن القيم: "ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة اليقين، وهو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، واليقين سبب الهدى والفلاح بين العالمين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾"[٣][٤]، من أجل ذلك وطلبًا لقبول العمل، أمرنا رسول اله ﷺ أن نوقن بعطاء الله وجزائه، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ، وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ))[٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة النمل، الآيات: ١-٣.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم ٢/٤١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٤ - ٥.

(٥) أخرجه الترمذي ٣٤٧٩، وحسنه الألباني (الصحيحة ٥٩٦).

رسول الله ﷺ فقام بلال ينادي فلما سكت قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ قَالَ مِثْلَ هذَا يَقِينًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[١]، فإن اليقين إذا تحقق لدى الإنسان تحقق صدق رجائه وخلو دعائه[٢].

قال أبو بكر الوراق: "اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عرف الله وبالعقل عُقل عن الله،"، فإن يقين المسلم بالله أكبر وأوثق مما يراه بعينيه، قال بعضهم: رأيت الجنة والنار حقيقة، قيل له: كيف؟ قال: رأيتها بعيني رسول الله ﷺ، ورؤيتي بعينيه أوثق عندي من رؤيتي لها بعينيّ، فإن بصري قد يخطئ بخلاف بصره ﷺ"[٣].

ولله در عبدالله بن رواحة رضي الله عنه حين قال:

فِينَا رَسُولُ اللّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الهُدَى بَعْدَ العَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالكَافِرِينَ المَضَاجِعُ[٤]

ثالثًا- من أهداف الدعوة: الحث على جوامع الكلم في الاستغفار مما ورد عن النبي ﷺ في ذلك:

إن أفضل الذكر وصيغ الاستغفار والدعاء ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنها ما جاء في صيغة الاستغفار التي سماها النبي ﷺ بسيد الاستغفار، فقال: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي..)، قال الطيبي: (السيد هنا مستعار من الرئيس المقدم، الذي يصمد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور بهذا الدعاء الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها)[٥].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٥٢/٢، رقم ٨٦٢٤، وقال محققو المسند: حديث صحيح (مسند أحمد ٢٧٢/١٤).

(٢) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري ٢٤٧١/٢.

(٣) بصائر ذي التمييز، الفيروزآبادي ٣٩٨/٥ - ٤٠٠.

(٤) تاريخ دمشق، قافية العين ١٠٦/٢٨.

(٥) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ١٠٣/٥.

قال ابن حجر: (قال ابن أبي جمرة: جَمَعَ ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يُسَمَّى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى، وهذا القدر الذي يكنى عنه بالحقيقة، فلو اتفق أن العبد خالف حتى يجري عليه ما قدر عليه، وقامت الحجة عليه ببيان المخالفة لم يبق إلا أحد أمرين: إما العقوبة بمقتضى العدل أو العفو بمقتضى الفضل"[1].

رابعًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد أسلوب الترغيب في الحديث في سيد الاستغفار والإيقان بمعانيه بدخول الجنة، فقال ﷺ: (من قالها في النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، فأسلوب الترغيب فيما عند الله من أجر عظيم لعبده، الذي أطاعه واتقاه، محبب إلى النفس البشرية تهفو إليه وتسعد به وتنصت له، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات، كبيان جنس الطاعة، كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي شرعها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا قام بما أوجبه جل وعلا عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[2]، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3]، وقد

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني ١١/١٠٣.

(٢) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري ص ٤٤٠ -٤٤١.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

كانت مجالس النبي ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب، إما بتلاوة القرآن، أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة، وتعليم ما ينفع الدين، كما أمره الله تعالى في كتابه أن يذكّر ويعظ ويقص، وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يبشر وينذر، وسماه الله: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتبشير والإنذار هو الترغيب والترهيب[2].

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ - ٤٦.

(٢) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي ص ٤٥ - ٤٦.

الحديث رقم (١٨٧٨)

١٨٧٨- وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ، اسْتَغْفَرَ اللهَ[١] ثَلاثًا وَقَالَ: ((اللَّهُمَّ أنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الجَلاَلِ وَالإكْرَامِ)) قيلَ[٢] لِلأوْزَاعِيِّ (وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ)[٣]: كَيفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: يقُولُ: أسْتَغْفِرُ اللهَ، أسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم[٤].

ترجمة الراوي:

ثوبان بن بُجْدُدٍ: تقدمت ترجمته في الحديث (١٠٧).

الشرح الأدبي

إن محمدًا ﷺ أقرب الأنبياء إلى ربه، وأشد المؤمنين تعلقًا بمولاه، فهو -كما يقول د. محمد رجب البيومي: لا يفتأ يدعوه في كل ساعة تمر، حتى ترك من أدعيته الرائعة أدبًا عاليًا له سماته الجميلة من حرارة العاطفة، وقوة الصدق، وجمال التعبير.

وهذا الحديث شاهد صدق على ملازمة رسول الله ﷺ للاستغفار والدعاء، ويَرْوي هذه الشهادة الصادقة ثوبانُ رضي الله عنه خادمُ رسول الله ﷺ، فيقول في تمهيده لدعاء رسول الله ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، والفعل "كان" يجيء في سياق الرواية للحكاية، أي كان رسول الله ﷺ عقب كل صلاة.. فدعاء رسول الله ﷺ دائم، واستغفاره لا ينقطع، وأسلوب الشرط يؤكد هذه الحقيقة لأن أداة الشرط تفصح عن دلالة الاستمرار والتحقق، فكل صلاة إذا انصرف منها كان يستغفر الله ثلاثًا، والعدد هنا مراد به التأكيد والوتر، وهذه سنة مأثورة عن رسول الله ﷺ، والجمع في اللغة ثلاثًا فأكثر، وللمسلم أن يكثر من الاستغفار

---

(١) لفظ مسلم: (استغفر ثلاثا).

(٢) قائله الوليد بن مسلم كما في مسلم.

(٣) هذا التفسير من المؤلف.

(٤) برقم ٥٩١/١٣٥، وتقدم برقم ١٤١٧.

ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والقسم الثاني من الحديث: هو نص دعاء رسول الله ﷺ بعد الاستغفار عقب انصرافه من الصلاة، والدعاء مناجاة وابتهال وثناء على الله عز وجل في صيغة النداء، والتعبير بقوله (اللهم) يشعر بمزيد من الإلحاح في الدعاء، والطمع في مزيد من الرجاء، والخطاب المباشر لله عز وجل في قوله: "أنت السلام، ومنك السلام" للإشعار بأن الله قريب من عباده، وتَكْرَار لفظ: "السلام" وهو من أسماء الله الحسنى للإشعار بمزيد من الطمأنينة، وأن العبد المسلم لن يصيبه مكروه وهو في حمى ربه وهو على العهد والوعد ما استطاع. وقيل: السلام أي السالم من سائر النقائص والمنزه عنها، والنداء في قوله: "تباركت يا ذا الجلال والإكرام" للإفصاح عن شدة الحاجة إلى عفو الله والاحتماء بعظمته، والاستعاذة من شر ما خلق، ومن الشيطان الرجيم.

ومعنى: "تبارك الله": أي تنزه وتقدس، والبركة من دلالاتها اللغوية: الهناء والسعادة، والتبريك الدعاء بها، وقولنا: "بارك على محمد وعلى آل محمد": أي أدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، فقوله "تباركت" يحمل أيضًا دلالات كثيرة من الدعاء والرجاء، ودوام العطاء والتشريف والكرامة "والجلال": أي العظمة ومنها التنزه عن النقائص، والإكرام: أي أوصاف الجمال من الكرم والغفران والعفو، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١٤١٧).

الحديث رقم (١٨٧٩)

١٨٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ[١]: ((سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وأتوبُ إِلَيْهِ[٢])) متفق عليه[٣].

ترجمة الراوي:

أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق: تقدمت ترجمتها في الحديث رقم (٢).

الشرح الأدبي

هذا الحديث من أدب المناجاة والتضرع إلى الله عز وجل، والمسلم مطالب بالاستعداد للموت، والتزود بما يحصنه من الفتن ومهاوي الإغواء، والتسبيح والحمد والاستغفار والتوبة من أسمى مقامات الذكر، ومن أمنع الحصون التي يتحصن بها المسلم استعدادًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي هذا الحديث شاهد صدق على هذا السلوك في حياة المسلم، وفي حياة رسول الله نبي الإسلام ﷺ، فهو القدوة الحسنة، وقوله: (يكثر أن يقول قبل موته) أي يقول ذلك في ركوعه وسجوده من صلاته، ففي الكلام إيجاز بالحذف، وتحديد التسبيح والحمد بالصلاة تقييد، فهو في الصلاة وغيرها، والحديث تتضوأ في آفاقه أربع منارات من منارات الذكر والمناجاة، وهي تشرق قلب الحبيب المصطفى ﷺ وتشع بكل معاني المحبة الإلهية، والعطاءات الربانية، وهي: التسبيح والحمد، والاستغفار والتوبة، ونلاحظ أن جملة التسبيح والحمد لم تأت في إطار الحدث والزمن فليست جملة فعلية، ولكنها صيغت في قالب الجملة الاسمية، وهي لها صفة الثبات، وتسبيح الله

---

(١) لفظ مسلم: (قبل أن يموت).

(٢) لفظ مسلم في هذه الرواية: (سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك)، والمثبت لفظ مسلم برقم ٤٨٤/٢٢٠ من حديث عامر الشعبي، عن مسروق.

(٣) أخرجه البخاري ٨١٧، ومسلم ٢١٨، و٤٨٤/٢٢٠، وقد تقدم برقم ١١٤ (رواية من روايات الأحاديث) والحديث بهذا اللفظ لأحمد ٢٥٥٠٨.

وحمده يقين ثابت في قلب المصطفى ﷺ لا يعتريه نقصان، ولا يشوبه تغير أو تبدل، وأما الاستغفار والتوبة فقد جاء في قالب الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع (استغفر وأتوب) لأن الاستغفار مرتبط بالأعمال الصالحة وهي تحتاج لزمن وحدث، والعمل الصالح برهان التوبة، ولدى رسول الله ﷺ الاستغفار والتوبة أمارة الشكر والتعظيم والإجلال والتكريم.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (١١٤).

الحديث رقم (١٨٨٠)

١٨٨٠- وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرابِهَا مَغْفِرَةً)) رواه الترمذيُّ[1]، وقال: (حديث حسن).

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

(**عَنَانَ السَّمَاءِ**) بفتح العين: قِيلَ هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أيْ ظَهَرَ. (**وَقُرَابُ الأَرْضِ**) بضم القاف، ورُوي بكسرِها، والضم أشهر. وَهُوَ ما يُقَارِبُ مِلأَها[2].

الشرح الأدبي

إن الحديث القدسي ألفاظه من إنشاء المصطفى ﷺ، ومعانيه تُوحَي إليه من قبل الله عز وجل، والرسول ﷺ يصوغه بعبارته العربية المبينة الواضحة، ويرويه عنه الصحابة الأخيار باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط مع الحرص على عدم تبديل الدلالة المعنوية حين يتغير النسق اللفظي، أو تتبدل العبارة من نسق إلى آخر، والقرآن هو الوحي المتلو كما قال ابن حجر، والحديث القدسي هو الوحي المروي عنه ﷺ.

وحين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث القدسي نجده يموج بكثير من الظواهر الفنية والأسلوبية ومنها:

أ- النداء بقوله: يا ابن آدم في بداية كل مقطع من مقاطع الحديث.. حيث تكرر النداء ثلاث مرات وذلك في هذه الجملة الحانية المطمئنة (يا ابن آدم) فالبشرية كلها

---

(١) برقم ٣٥٤٠ وقال: حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أورده المنذري في ترغيبه ٢٤٠٤، وقد تقدم برقم ٤٤٢.

(٢) الترغيب ٢/٤٦٤.

مطالبة بالتوحيد والدعاء والاستغفار، وهذا النداء المتكرر لطمأنة كل من يتوب إلى الله بأن توبته مقبولة، وذنوبه مغفورة.

ب- تنوع الأساليب في الحديث عقب كل نداء فالتأكيد بعد النداء الأول يفتح آفاق الرجاء، وأبواب القبول أمام كل من يدعو ربه وهو موقن بالإجابة، وقوله: "ما دعوتني ورجوتني غفرت لك"، يمد أمام التائبين حبل الرجاء فعلى قدر وزمن دعائهم ورجائهم تكون الإجابة وتكون المغفرة، حتى لو استمر ذلك طول العمر، و(ما) في هذه الجملة مصدرية ظرفية لا شرطية.

ج- أسلوب الجواب والشرط في المقطع الثاني بعد جملة النداء في قوله: (لو بلغت ذنوبك عنان السماء) أي السحاب أو ما ظهر من السماء في الفضاء كله، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، وفي هذه الجملة تشخيص للذنوب، وتجسيد لها.. فهي لو أصبحت أجرامًا تملأ ما بين السماء والأرض كناية عن الكثرة، ومبالغة في ممارسة الذنوب، وأداة الشرط هنا (لو) وهي أداة امتناع لامتناع لأنه يستحيل أن تتحول الذنوب إلى أجرام، لذلك قيل: أي عند فرضها أجرامًا!!

د- اجتماع الشرط والتأكيد في المقطع الثالث حين يقول: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا... ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة.

وفي هذا المقطع يتضاعف الجزاء والثواب حيث تكون التوبة والمغفرة، والله سبحانه يكافئه ويمنحه ملء الأرض مغفرة، ويقول عز وجل: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

هـ- تكرار قول الله عز وجل في الحديث: غفرت لك ولا أبالي أي لا ينقص من عطائي شيء ولا يقلل من منزلتي هذا العفو، ولا أكترث بذنوبك ولا استكثرها وإن كثرت إذ لا يتعاظمني شيء، فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.

المضامين الدعوية[2]

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٧٠.

(٢) تقدم ذكرها في شرح الحديث رقم (٤٤٢).

الحديث رقم (١٨٨١)

١٨٨١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: ((يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)) قالت امرأةٌ مِنْهُنَّ[1]: مَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: ((تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ)) قالت[2]: ما نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قال: ((شَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأَيَّامَ لاَ تُصَلِّي)) رواه مسلم[3].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن عمر بن الخطاب: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٢).

غريب الألفاظ:

تكثرن اللعن: تكثر الدعاء باللعن: وهو الإبعاد والطرد من رحمة الله[4].

تكفرن العشير: أي: تجحدون إحسان أزواجكن[5].

لب: العقل[6].

الشرح الأدبي

هذا الحديث محاورة توجيهية تعليمية بين رسول الله ﷺ وإحدى النساء المسلمات حول مكانة المرأة في الإسلام، وتعليل الحكم بأن المرأة ناقصة عقل ودين، ويبدأ الحديث بالنداء الصادر من رسول الله ﷺ إلى النساء، ويقترن النداء بأمرين واجبين وهما: تصدقن، وأكثرن من الاستغفار، والنداء موجه إلى جميع النساء، ويأتي تعليل

---

(١) عند مسلم زيادة: (جزلة).

(٢) عند مسلم زيادة: (يا رسول الله).

(٣) برقم ٧٩/١٣٢. والسياق للحميدي في جمعه ٣٠٢/٢ رقم ١٥١١.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٤٣.

(٥) انظر: النهاية ٨٠٧.

(٦) النهاية في (ل ب ب).

الأمر موحيًا بأن الصدقة والاستغفار ينجيان من النار، وجملة التعليل يتصدرها التوكيد للدلالة على صدق القول، وكذلك لتحذير النساء من التمادي في العوج حيث يقول: فإني رأيتكن أكثر أهل النار.

وتبدأ المحاورة الهادئة المقنعة بين رسول الله ﷺ والمرأة المسلمة، حيث سألت المرأة في دهشة واستغراب ما لنا أكثر أهل النار؟ ويجيبها رسول الله ﷺ إجابة صريحة لا مجال فيها للمجاملة أو المداراة -لأن حديثه تشريع، وكلامه حِكَم- فحدد رسول الله ﷺ سببين واقعيين لهما صلة بطبيعة المرأة وسلوكياتها، وردود أفعالهما تجاه المشاكل الحياتية، وقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير وهذا الإيجاز في الإجابة أقنع المرأة، ولكن رسول الله ﷺ ذيل إجابته بشاهد ملموس واقعي مفسر لكثرة اللعن، والكفران بالعشير وهو الزوج: فهن لا يعترفن بما قدم من منافع ومودة إذا ما حدث خلاف، وشب نزاع، وقال رسول الله ﷺ: إنكن تغلبن ذا اللب، وأنتن ناقصات عقل ودين، وهذه مفارقة تدعو للعجب، فكيف تتغلب ناقصة العقل، وناقصة الدين على صاحب العقل الحكيم، والرأي السديد، وزيادة (من) للاستقصاء، ورأى هنا "علمية" أي ما علمت وأفعل التفضيل في قوله: "أغلب" يدل على عظم كيد النساء وقوة حيلهن.

ولا تغضب المرأة تأدبًا مع رسول الله ﷺ، ولا تعترض، ولكنها ترغب في التعلم والمعرفة فتسأل حتى يزداد اقتناعها ما نقصان العقل والدين؟ فالسؤال عن حقيقة النقص، وليس عن النساء واستغراب وصفهن بهذه الصفة ولم تقل كيف تكون النساء ناقصات عقل ودين، وليس عن النساء واستغراب وصفهن بهذه الصفة، ولم تقل كيف تكون النساء ناقصات عقل ودين، حتى لا يحمل السؤال شبهة الاعتراض على كلام رسول الله ﷺ وإنكار دلالته.

وتأتي إجابة رسول الله ﷺ محددة الدلالة، قوية الحجة، قال: شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام لا تصلي، فنقصان العقل دليله أن المرأة لا تكفي شهادتها وحدها ولكن لا بد من اثنتين مخافة أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ونقصان الدين هو أنها في المحيض لا تصلي فهذا نقص من الدين لفقد الثواب المرتب على فعلها.. والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: النداء.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أصناف المدعوين: النساء.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة في النجاة من النار.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: ترهيب النساء من اللعن والجحود والإنكار لفضل الزوج وعشرته.

سادسًا: من أساليب الدعوة: الترهيب.

أولاً- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "يا معشر النساء" وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وقد تكرر أسلوب النداء كثيرًا في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[1] والخطاب المصدر بنداء الإيمان له أهمية خاصة عند المؤمن، فهو خطاب للمؤمن خاصة يخاطب قلبه، ويجعله يشعر أن الله عز وجل يخاطبه[2]، (فالنداء للذين آمنوا بصفة الإيمان نداء موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف)[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

ورد أسلوب الأمر في الحديث في قوله ﷺ "تصدقن وأكثرن من الاستغفار"، والأمر من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من إيقاف المدعوين على الواجبات الشرعية وأمرهم بها وحثهم عليها، وقد ورد أسلوب الأمر في القرآن كثيرًا وبصيغ متعددة،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

(٢) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٦٠.

(٣) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

صريحة وغير صريحة، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]، وقوله ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] وقوله ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٣] وصيغ غير صريحة، ومنها ما جاء في الإخبار عن تقرير الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٤] وغير ذلك[٥].

ثالثًا- من أصناف المدعوين: النساء:

الحديث موجه لجماعة النساء، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار..." فالنساء صنف أصيل من أصناف المدعوين، ولقد اهتم الإسلام بالنساء واعتبرهن شقائق الرجال، وقد شملهن خطاب التكليف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٦] فالمرأة تحظى بدور كبير واحترام عالٍ في شريعة الإسلام، سواء كانت بنتًا أو زوجة أو أمًا، فهي وإن كانت غير رجل إلا أنها أم الرجال وأخت الرجال وخالة الرجال، وعمة الرجال، إنها مربية الرجال، وما دام كذلك فلابد أن يوجه الدعاة جهدًا كافيًا تجاه النساء، فهن نصف المجتمع وهن راعيات النصف الآخر فهن مربيات الأطفال، وهن المؤثرات على الأزواج والمحارم، وبالتالي فإن العناية بالمرأة هي عناية بالدعوة نفسها، إذ أن هداية المرأة للإسلام هو كسب لها ومنع لأية آثار سلبية تتركها في المجتمع حينما تكون بلا هداية، وبهذا نفهم أن الدعوة في صفوف النساء هي أيضًا حماية للمجتمع وأخلاقه وشبابه)[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الجمعة، آية: ٩.

(٣) سورة الطلاق، آية: ٧.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

(٥) انظر: الموافقات، الشاطبي، ٣/١٤٤-١٥٠.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٠٤.

(٧) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ص ٧٣، ٧٤.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: فضل الصدقة في النجاة من النار:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ ما للصدقة من فضل في الوقاية من النار، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار" قال النووي: (وفيه الحث على الصدقة وأفعال البر والإكثار من الاستغفار وسائر الطاعات)[١]، ففيها إذهاب للسيئات ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢] أي أن فعل الخيرات يكفر الذنوب[٣]، فالصدقة تطفي الخطايا وتكفرها، روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((... والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار))[٤] وفي حديث حذيفة رضي الله عنه ((فتنة الرجل في أهله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[٥].

كما بين النبي ﷺ أن الصدقة من أسباب دخول الجنة والعتق من النار، روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار))[٦].

كما جاء أن الصدقة تنجي صاحبها يوم القيامة وتمنع عنه حَرَّ يومئذ، روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس، أو قال يحكم بين الناس))[٧] وفي رواية ((إن ظل المؤمن يوم القيامة صدقة))[٨]

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٤٣.

(٢) سورة هود، آية: ١١٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٥٥/٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وحسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

(٥) أخرجه البخاري ٥٢٥، ومسلم ١٤٤.

(٦) أخرجه مسلم ٢٦٣٠.

(٧) أخرجه أحمد ١٤٧/٤، رقم ١٧٣٣٣، وقال محققو المسند: إسناده صحيح ٥٦٨/٢٨.

(٨) أخرجه أحمد ٢٣٣/٤، رقم ١٨٠٤٣، وقال محققو المسند: حديث صحيح ٥٧٩/٢٩.

وقال النبي ﷺ في أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ((... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))[١]. وذكر النبي ﷺ أن الصدقة برهان لصاحبها على صدق إيمانه، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ. وَالْحَمْدُ لله تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلآنِ "أَوْ تَمْلأُ" مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَالصَّلاَةُ نُورٌ. والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ...))[٢] قال ابن رجب الحنبلي: (وأما الصدقة فهي برهان، والبرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهانًا لوضوح دلالتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان، وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه)[٣]. فالصدقة من أكبر براهين الإيمان، فهي برهان على إيمان صاحبها ودينه ومحبته لله إذ سخى بماله المحبوب للنفوس.

إن الصدقة تزكي وتُنمّي المُعْطِي والمُعْطَى والمالَ الذي أُخرجت منه، أما تزكيتها للمعطي فإنها تزكي أخلاقه وتطهره من الشح والبخل والأخلاق الرذيلة، وتنمي أخلاقه فيتصف بأوصاف الكرماء المحسنين الشاكرين فإنها من أعظم الشكر لله، والشكر معه المزيد دائمًا، وتنمي أيضًا أجره وثوابه، فإن الزكاة والنفقة تَضَاعَفُ أضعافًا كثيرة بحسب إيمان صاحبها وإخلاصِه ونفعِها ووقوعِها موقعها، وهي تشرح الصدر وتُفْرح النفس وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئًا كثيرًا، فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية، وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام، وكم خففت الآلام، وكم أزالت من عداوات وجلبت مودة وصداقات، وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات. وهي أيضًا تنمي المال المخرج منه، فإنها تقيه الآفات وتحل فيه البركة الإلهية[٤].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: ترهيب النساء من اللعن والجحود والإنكار لفضل الزوج وعشرته:

أشار النبي ﷺ إلى ذلك في تعليل كون أكثر أهل النار من النساء "فإني

---

(١) أخرجه البخاري ١٤٢٣، ومسلم ١٠٣١.

(٢) أخرجه مسلم ٢٢٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، الحافظ ابن رجب الحنبلي، ٢/٢٣.

(٤) انظر: الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبدالرحمن السعدي، ص ١٥، ١٦.

رأيتكن أكثر أهل النار، قالت امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير" وأصل اللعن إبعاد الله تعالى العبد من رحمته بسخط، ومن الإنسان الدعاء عليه بالسخط، وقد اتفق العلماء على تحريم اللعن، فإن معناه الإبعاد من رحمة الله، ولا يجوز أن يبعد من رحمة الله من لا يعرف خاتمة أمره معرفة قطعية، مسلمًا كان أو كافرًا، إلا ما علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس[١]، وأما كفران العشير وجحود النعمة فهو أيضًا من الأمور التي حذر منها الإسلام، خاصة النساء لكثرة ذلك منهن، وقد عدَّ بعض العلماء كفران النعمة من الكبائر. خاصة إذا كانت النعمة من الله سبحانه أو ممن تجب مراعاته كالزوج[٢].

يقول ابن حجر الهيتمي: (ذكر جماعة أن كفران نعمة المحسن من الكبائر، ويتعين حمله على كفران نعمة الله، ويمكن حمله أيضًا على كفران نعمة محسن تجب مراعاته كالزوج لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد)[٣]، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بشكر النعمة وحذرنا من كفرها، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه قال: ((مَنْ أَعْطَى عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَن لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ، فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ كَانَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ))[٤] إن كفران النعمة سبب لغضب الرب سبحانه، وإعراض الخلق، وكما أنه سبب من أسباب زوال النعمة بعد حصولها، فضلاً عن أنه دليل على ضعف الإيمان وسوء الأخلاق ولؤم الطباع[٥].

سادسًا- من أساليب الدعوة: الترهيب:

ورد أسلوب الترهيب في الحديث واضحًا جليًا، حيث رهب النبي ﷺ من كثرة اللعن وكفران العشير، ببيان أن ذلك سبب كون النساء أكثر أهل النار، فقال ﷺ "يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، قالت

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي، ١٤٣/١.

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم، ٥٦٥٦/١١.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود ٤٨١٣، والترمذي ٢٠٣٤، والحديث حسنه الألباني (الصحيحة ٢٦١٧).

(٥) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٥٦٦٤/١١.

امرأة منهن: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: تكثرن اللعن وتكفرن العشير" وأسلوب الترهيب من أبرز الأساليب الدعوية استخدامًا وأعظمها تأثيرًا، وذلك لملائمته لطبيعة النفس البشرية التي جبلت على كره الشر، والرغبة في البعد عنه، لذا كان الترهيب مما أعده المولى جل وعلا لعبده الذي عصاه وتنكب الطريق المستقيم، وأسلوب الترهيب أسلوب مؤثر يستطيع الداعية من خلاله أن يتوغل في أعماق المدعو[1]، ومن آيات الترهيب في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

إن الترهيب هو العنصر الذي يمثل القوة الصادة عن الانحراف إلى سبيل الشر، التي ينهى عنها الإسلام، وذلك؛ لأن إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو القيام بعمل ما من شأنها أن تقلل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تضعف من قوته، وتجعلهُ قلقًا حذرًا، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف، إلا أن محاذير سلوك سبيل الشر عواقب وخيمة لا يستهين العقلاء بها بحال من الأحوال، متى تبصروا بها حقًا، وعلى مقدار نحو الحذر من جهة من الجهات تخبو جَذْوة الأطماع والأهواء المتأججة نحوها، وبالتكرار والمعالجة المتتابعة تنصرف النفس انصرافًا نهائيًا، وتكتسب خُلُقَ الزُّهد والعفة عن المحارم، مهما كانت إغراءاتها آسرة، ومثيرة لرغباتها وأهوائها.

ومن الملاحظ أن طائفة من الناس لا يصلحهم الإقناع الفكري المجرد، ولا تكفي لإصلاحهم وسيلة الترغيب، وإن أنجح علاجات الإصلاح بالنسبة إليهم إنما هي وسيلة الترهيب، فهم يتأثرون بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمرغبات، وذلك لأنهم قد يكونون ممن يؤثرون اللذات العاجلة مهما كانت ضئيلة على الخيرات الآجلة مهما كانت جليلة، ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيبات بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر،

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤٠، ٤٤٨.

(٢) سورة النساء، آية: ١٤.

لكنهم إذا مثلت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقّظوا وحذروا واستقاموا[١].

والرسول ﷺ الذي لم يغفل عن أي طريقة أو أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك الذي تصلح به حياته الدنيوية والأخروية اعتمد فيها الترهيب كأسلوب تربوي لتصحيح مسار الإنسان وزجره عن كثير من السلوكيات الخاطئة والانحرافات السيئة، من خلال ما أخبر به من وعيد وعذاب يرتقب المخالفين والمنحرفين والمقصرين، فكان له أكبر الأثر في استقامة المخاطبين ووضعهم على جادة الصواب[٢].

---

(١) انظر: أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبدالرحمن حسن حبنكة، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

من اللافت للنظر أن باب الاستغفار هو الباب قبل الأخير من كتاب رياض الصالحين، والباب الأخير هو: باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين من الجنة، والاستغفار يكون في الدنيا، ولما كان ابن آدم خطاء، ويمحو الذنبَ الاستغفارُ فقد حث الإمام النووي ضمناً على الإكثار من الاستغفار وبخاصة عند خواتيم الحياة، أما باب جزاء المؤمنين في الجنة، فهذا يتعلق بالآخرة، وهي دار جزاء لا عمل، والدنيا دار عمل، ومن أفضل الأعمال فيها الاستغفار، وهو لا يقتصر علي وقت دون وقت، بل إنه يكون في الأوقات كلها: الليل والنهار والصباح والمساء.

والاستغفار إعلان من العبد عن تقصيره وتفريطه في عبادته لربه وتوجهه إليه، فضلًا عن أنه تضرع إليه -سبحانه- أن يتجاوز ويعفو ويغفر.

والمسلم الصادق يعلم أنه مهما اجتهد في العبادة والطاعة والإذعان، أنه مقصر، فهو لا يستطيع أن يؤدي لله حقه من الطاعة والامتثال؛ ففضله -سبحانه- عليه عميم، ونعمته عليه لا تحصى، وأنه مهما اجتهد في العبادة، فهناك مراتب أعلى وأسمى وأرفع، ينبغي أن يسعى إليها ويذوق حلاوتها.

لذا كان أحرصُ الناس علي الاستغفار هم عباد الله المخلَصون؛ لأنهم يستشعرون تقصيرهم في عبادتهم لربهم عزَّ و جلَّ؛ فيلجئون إلي الاستغفار وطلب العفو والمغفرة من الله رب العالمين، معلنين -وكلهم خضوع وتذلُّل- أنهم فعلوا ما في طاقتهم البشرية، وأنه رب كريم يعفو ويغفر ويرحم.

لذا نرى من الأهمية بمكان أن يربي الناشئة وغيرهم علي الاستغفار لله تعالى؛ لما في ذلك من فوائد تربوية جليلة يكون لها تأثيرها البالغ علي حياتهم وأعمالهم، من ذلك:

(أ) إكسابهم السكينة النفسية والطمأنينة القلبية، فممّا لا شكّ فيه أن من استغفر الله متضرعًا إليه متخشعًا؛ شعر بالسكينة والطمأنينة، وهذا ينعكس انعكاسًا إيجابيًا علي أفكاره ومشاعره واتجاهاته وتصرفاته وأفعاله، والنفس المطمئنة هي النفس الفعالة المؤثرة المنتجة النافعة لنفسها ولغيرها ولمجتمعها وشعوبها

وشعوب الأرض.

(ب) يتيح الاستغفار للإنسان أن يراجع نفسه ويحاسبها علي ما وقع منها، فإن كان هناك خلل سعى بكل جهده أن يسدّه وأن يقارب، وإن كان هناك إحسان زاد فيه واجتهد.

(ج) يشعر المسلم بعد الاستغفار أن ذنوبه التي ارتكبها قد تخفف من آثارها بعض الشيء، أزالت معظم آثارها من نفسه، وهذا يعطيه دافعا قويا للطاعة والامتثال والإذعان للشرع؛ فهناك فرق كبير بين أن يعيش الإنسان وقد تخفف من آثار ذنوبه وسيئاته، وبين أن يعيش وهو ما زال يشعر بوقعها الشديد علي نفسه، شعورًا قد يصيبه باليأس والقنوط والإعراض عن الطاعة بالكلية.

وغير ذلك من الفوائد التي يشعر بها كل مستغفر صادق في استغفاره وتوبته إلي الله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

٣٧٢- باب بيان ما أعدَّ اللهُ تَعَالَى للمؤمنين في الجنة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر: ٤٥- ٤٨].

وقال تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[الزخرف: ٦٨- ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[الدخان: ٥١ – ٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٢ – ٢٨] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الحديث رقم (١٨٨٢)

١٨٨٢- وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **((يَأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ))**. رواه مسلم[1].

---

(١) برقم ٢٨٣٥/١٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٠١.

ترجمة الراوي:

جابر بن عبدالله الأنصاري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

ولا يَتَغَوّطُون: لا يتبرّزون[١].

ولا يَتَمَخَّطُون: أي: لا يخرجون المخاط من أنفهم[٢].

الجشاء: صوت مع ريح يحصل من الفم عن الشبع[٣].

كرشح المسك: كريح المسك نوع من الطيب يخرجه نوع من الغزلان[٤].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف الذي يقدم صورة صادقة مبشرة لنعيم أهل الجنة، وهي صورة تدعو إلى التأمل في قدرة الله عز وجل حيث الإعجاز المطلق، والتفرد بالخلق والتدبير، وعدم الارتباط بالأسباب المادية البشرية القاصرة فأهل الجنة يأكلون، ويشربون، ولكن لا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، وهذه المفارقة تدعو إلى التدبر والتأمل؛ لأن الأكل يعقبه التغوط، والشرب يعقبه التبول، والتمخط من آثار كل منهما، وتأمل تفسير رسول الله ﷺ لهذه الظاهرة العجيبة فهي من صنع الله عز وجل حيث استدرك رسول الله ﷺ وقال: (لكن) والاستدراك هو: نفي ما يتوهم ثبوته، وإثبات ما يتوهم نفيه، فالثابت أن الأكل والشرب لهما آثارهما وقد نفى رسول الله ﷺ ذلك، وأثبت ما يتبادر إلى الذهن نفيه من المألوف الذي اعتادته البشرية بعد الأكل والشرب: وهو عدم التغوط والتبول والتمخط.

---

(١) الوسيط في (غ و ط).

(٢) الوسيط في (م خ ط).

(٣) المصباح المنير في (ج ش أ).

(٤) الوسيط في (ر ش ح)، ومعجم لغة الفقهاء ٣٩٨.

ومن سمات الجمال التعبيري مجيء الأفعال كلها مضارعة في الحديث؛ لأن هذه الصياغة تفصح عن استمرار هذا النعيم، فهو نعيم مقيم، وهم خالدون فيه لا ينقطع ولا يمتنع، والصياغة اللغوية أفصحت عن ذلك، وقوله: طعامهم ذاك للتعظيم والتفخيم والتحديد، وكأن الطعام حاضر أمام السامع والقارئ.

ووصف الطعام بأنه جشاء كرشح المسك، فيه صورة أدبية جميلة، وحقيقة واقعية جليلة فالطعام لا يخزن في أمعائهم؛ ولكنه يرشح على أبدانهم رشحًا طيب العرق كرشح المسك، ووجه التشبيه الثاني كما قال القرطبي: هو أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بُدّ له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وهذا في تعليل قوله كما يلهمون النفس حيث وضح العلاقة بين إلهام التسبيح وإلهام النَّفَس، وقال ابن الجوزي في تفسير تشبيه الطعام برشح المسك لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم أهل الجنة.

ثانيًا: من أهداف الدعوة: الحث على طاعة الله تعالى وعلى كل عمل صالح يؤهل لدخول الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى ورحمته لأهل الجنة.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم أهل الجنة:

جاء في الحديث بيان النبي ﷺ لما يتنعم به أهل الجنة فيها من الطعام والشراب والتنزه عن المستقذرات، فقال ﷺ "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك" قال النووي: (مذهب أهل السنة وعامة المسلمين أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ويتنعمون بذلك وغيره من ملاذ وأنواع نعيمها تنعمًا دائمًا لا آخر له ولا انقطاع أبدًا، وأن تنعمهم بذلك على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة والنفاسة التي لا يشارك نعيم

الدنيا إلا في التسمية وأصل الهيئة وإلا في أنهم لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبصقون)[١]، وقد أشارت نصوص القرآن إلى تشابه نعيم الجنة بالدنيا في الاسم والشكل دون الطعم واللذة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢] قال ابن كثير: (قال ابن جرير بإسناده عن ابن عباس وعن ناس من الصحابة في قوله تعالى: "وأتوا به متشابها" يعني في اللون والمرأى، وليس يشتبه في الطعم، وقال عكرمة: يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب)[٣].

وقال القاسمي: ("كلما رزقوا منها" أي أطعموا من تلك الجنان "من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا" يشبه بعضه بعضًا لونًا ويختلف طعمًا وذلك أجلب للسرور وأزيد في التعجب وأظهر للمزيّة وأبين للفضل وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر في استحكام الشبه، وأنه الذي يستملي تعجبهم ويستدعي استغرابهم ويفرط ابتهاجهم، "ولهم فيها أزواج مطهرة" من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقًا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وسوء الأخلاق وسائر مثالبهن وكيدهن ومن تمام السعادة فإنهم مع هذا النعيم في مقام أمين من الموت والانقطاع فلا آخر ولا انقضاء بل في نعيم سرمدي أبدي على الدوام[٤]، قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ثانيًا- من أهداف الدعوة: الحث على طاعة الله تعالى وعلى كل عمل صالح يؤهل لدخول الجنة:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما في الجنة من نعيم مقيم حثًا على طاعة الله والأعمال

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، ٢٠٥/١.

(٤) محاسن التأويل مج١/٢/٨٣، ٨٤.

الصالحة المؤهلة لاستحقاق هذا النعيم، كما هو واضح في الحديث "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون..." والقرآن دائمًا يذكر الجنة ونعيمها ثوابًا للأعمال الصالحات والصفات الطيبات كالتقوى والبر وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ﴾[2] والإشارة إلى الجنة بصفاتها بحيث صارت كالمشاهدة، وأنها قد وعد بها المتقون[3].

وفي ذلك إرشاد إلى طاعة الله عز وجل، والتجمل بالصفات الطيبة، والعادات الحسنة التي تقرب إلى الله تعالى، وتحبب إلى النفوس مشاهدة التجليات الربانية يوم اللقاء والاستظلال بظل الله، يوم لا ظل إلا ظله وإرشاد إلى الوسائل التي تسهل الطريق إلى دخول جنة الله الخالدة[4]، وإن كان في التماس أسباب دخول الجنة شيء من المشقة والثقل على النفس، فذلك طبيعة طرق الفوز والنجاة، إلا أن أي مشقة تهون على النفس إذا علمت أن مآلها سيكون في جنات عرضها السماوات والأرض، فقال ﷺ: ((حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره))[5] فالحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها[6].

ثالثًا - من موضوعات الدعوة: فضل الله تعالى ورحمته لأهل الجنة:

لقد تضافرت النصوص الصحيحة الصريحة في بيان فضل أهل الجنة، وكمال نعيمها، وأن الله هيأ لهم ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يَحُمْ حوله خيال من

---

(١) سورة المرسلات، آية: ٤١-٤٣.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٦/١٣/١٥٦.

(٤) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، د. محمد لقمان الأعظمي، ص ٤٣٦.

(٥) أخرجه البخاري ٦٤٨٧، وأحمد ٨٤١٩.

(٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١١/٣٢٠.

اللذائذ والمسرات التي تقر بها عيونهم وتسعد بها نفوسهم بلا قلق ولا تكدر، وأن الله عز وجل أعطى أهل جنته من النعم ما ينسيهم نعم الدنيا، وأزال عنهم التعب حتى في الأمور الطبيعية كالامتخاط ونحوه وعدم تحملهم لشيء من التكاليف وتحول الالتزامات الدنيوية إلى نعم وافرة ومستلزمات نافعة[١]، فقال ﷺ "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النَفْس" قال ابن حجر: (قال القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف وإلزام، ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه ولابد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب سبحانه وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره)[٢]. وذلك أن الجنة وإدخال أهلها فيها محض فضل من الله تبارك وتعالى، وقد صرح النبي ﷺ بذلك، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنة . قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلاّ أن يتغمَّدَني الله بفضل ورحمة. فسدِّدوا وقاربوا، ولا يَتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ، إما مُحسنًا فلعلهُ أن يزدادَ خيرًا، وإما مُسيئًا فلعلهُ أن يَستعتِب))[٣]، وقد سمى الله عز وجل الجنة جُملةً فضلاً، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾[٤] وسمى ما في الجنة من رزق أيضًا فضلاً، فقال تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥]. أي يهنئ بعضهم بعضًا بأعظم مهنئ به، وهو: نعمة ربهم وفضله وإحسانه[٦].

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٨٤٥.

(٢) فتح الباري ٦/٣٧٥.

(٣) أخرجه البخاري ٥٦٧٣ واللفظ له، ومسلم ٢٨١٦.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٤٧.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٧١.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١٢٤.

الحديث رقم (١٨٨٣)

١٨٨٣- وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((قَالَ اللهُ تَعَالَى: أعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧])) متفق عَلَيْهِ[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الذي يجمع بين الحديث القدسي والحديث النبوي والقرآن الكريم وهو يعرض أمام الأمة النعيم الذي أعده الله لعباده الصالحين.

وفي ضوء الملامح التي أضفاها رسول الله ﷺ على عباد الله الصالحين نقرأ هذا الحديث الشريف ونتأمل جماليات أسلوبه الفائق، وبلاغته الواضحة المؤثرة، فقوله (أعددت) يحدد قيمة الجزاء والثواب وفضله؛ لأن المتكلم هو الله، والمعد هو أحكم الحاكمين، وهذه بشارة عظمى لأولياء الله المقربين، وقوله: "لعبادي" فيه تكريم لهؤلاء العباد؛ لأنهم اختصوا بشرف الإضافة إليه عز وجل فياء المتكلم مضاف إليه، والمتكلم هو الله عز وجل، فأي شرف أسمى من ذلك، وأي مقام أرفع من هذا المقام الأسنى؟!

ووصف العباد بالصالحين، تأكيد لمقام العبودية، والقيام بمقتضاها فهم قائمون بحقوق الله تعالى وحقوق العباد، والتكرار في هذا الحديث مثل تكرار لا النافية للجنس ثلاث مرات، يؤكد أن هذا النعيم المعد لهؤلاء العباد الصالحين لا يماثله نعيم

---

(١) أخرجه البخاري ٣٢٤٤ واللفظ له، ومسلم ٢٨٢٤/٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٧.

دنيوي، فهو نعيم لم تشاهده عين قبل ذلك، ولم تسمع به أذن في أي عصر من عصور التاريخ، ولم يخطر على قلب بشر، ولم يستطع الخيال البشري ولا الأحلام التي تعز على التحقيق أن تحيط به خبرًا لأنه نعيم من لدن عزيز حكيم.

ومجيء لفظ: عين وأذن وقلب في صيغة النكرة ليس للتقليل ولكن للتكثير والشيوع والعموم، فهذا النعيم لم تشاهده عين بشرية على مر الحقب والعصور، وقد يسمع الإنسان عن شيء لم يشاهده، فقد حقق الصورة السمعية المتخيلة، وهذه المرتبة كذلك لم يحظ بها البشر؛ لأن نعيم الجنة لم تسمع به، ولم تصغ أي أذن إلى تفاصيله الحقيقية، وحقيقته الكائنة التي أعدها الله عز وجل، وقد لا يرى الإنسان ما يرغب فيه، وقد لا يسمع صوته، أو لا يسمع عنه عن طريق الحكاية، ولكنه يتخيله عن طريق الأحلام والأماني القلبية، والنوازع والأشواق النفسية، وحتى هذه المرحلة القصوى والمثلى من مراحل الإدراك والتمني، وهي أخفى من أن توصف، هذه المرحلة: نعيم الجنة أسمى وأرقى منها، وأبعد عنها، فلا الأفكار النفسية تتصوره، ولا الآذان تجمع أنباءه وأصداءه، ولا الأبصار تتملى مشاهده وأفياءه، وتأييدًا لهذه البلاغة وذلك التحدي، وهذه البشارة العظمى يقول رسول الله ﷺ: واقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة وما أعده لهم.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: السعي في رضوان الله والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التشويق والترغيب.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

أولاً- من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة وما أعده لهم:

لقد أخبرنا الله تعالى بأن الجنة في الآخرة هي مأوي المؤمنين به والمسلمين له، وأنها مراتب ودرجات، تتناسب مع مستوى الإيمان والمعرفة والخشية والعمل الصالح الذي قدمه مستحقها في الحياة الدنيا، وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة جملة من أوصاف الجنة ومنها: أن فيها أنواعًا لا تحصى من النعيم المادي والروحاني وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1]، كما جاء في قول النبي ﷺ "قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وفي ذلك تبشير الله تعالى لعباده المؤمنين بالنعيم المقيم في الجنة، وأن فيها فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وذلك جزاء عبادتهم وخوفهم لله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3] وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة[4] (فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لمَّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقًا فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر)[5].

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٢) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٩٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٥/٦.

فلا تعلم نفس ما ادَّخِر وأُعدَّ لهؤلاء مما تقر به أعينهم من طيب النفس والثواب والكرامة في الجنة جزاءً لهم على ما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة[١].

وقال الطاهر بن عاشور: (عظم الله أجر عباده الصالحين، ثم عظم جزاءهم إذ قال: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ أي لا تبلغ نفس من أهل الدنيا معرفة ما أعد الله لهم قال النبي ﷺ قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" فدل على أن المراد بـ "نفس" في هذه الآية أصحاب النفوس البشرية، فإن مدركات العقول منتهية إلى ما تدركه الأبصار من المرئيات من الجمال والزينة، وما تدركه الأسماع من محاسن الأقوال ومحامدها ومحاسن النغمات، وإلى ما تبلغ إليه المتخيلات من هيئات يركبها الخيال من مجموع ما يعهده من المرئيات والمسموعات مثل الأنهار من عسل أو خمر أو لبن، ومثل القصور والقباب من اللؤلؤ، ومثل الأشجار من زبرجد، والأزهار من ياقوت، وتراب من مسك وعنبر، فكل ذلك قليل في جانب ما أعد لهم في الجنة من هذه الموصوفات ولا تبلغه صفات الواصفين؛ لأن منتهى الصفة محصور فيما تنتهي إليه دلالات اللغات مما يخطر على قلوب البشر فلذلك قال النبي ﷺ "ولا خطر على قلب بشر" وهذا كقولهم في تعظيم شيء: هذا لا يعلمه إلا الله.

قال الشاعر:

فلم يدر إلا الله ما هيجت لنا ... عشية آناء الديار وشامها[٢]

وعبر عن تلك النعم بـ "ما أخفي" لأنها مغيبة لا تدرك إلا في عالم الخلود.

وقرة الأعين: كناية عن المسرة كما تقدم في قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[٣].

---

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، مج٨/١٣/٢١٦.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، قافية الألف ٢/١٠١.

(٣) سورة مريم، آية: ٢٦.

وقرأ الجمهور "أُخْفِيَ" بفتح الياء بصيغة الماضي المبني للمجهول. وقرأ حمزة ويعقوب "أخفي" بصيغة المفتتح بهمزة المتكلم والياء ساكنة، و"جزاء" منصوب على الحال من "ما أخفي لهم" وقد فسر النبي ﷺ أنه جزاء على هذه الأعمال الصالحات في حديث أغر رواه الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ((كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: "لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت". ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يَعْمَلُونَ﴾[1]. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد. ثم قال: ألا أُخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبيَّ الله، فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم))[2].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: السعي في رضوان الله والمبادرة إلى الأعمال الصالحة:

يدعو الحديث إلى المبادرة إلى الأعمال الصالحات فإن الله تعالى بيّن أن ما ادخره في جنته إنما هو لعباده الصالحين، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" يقول ابن الجوزي: أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها،

---

(١) سورة السجدة، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٢٦١٦، وصححه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢١١٠).

واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها وترك طلب العلو فيها[١]. قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢] وقد جاءت آيات القرآن آمرة بالمسارعة والمسابقة إلى الجنة بالمبادرة بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٣] فإن الأمر بالمسارعة إلى المغفرة والجنة يؤول إلى الأمر بالأعمال الصالحة، والسرعة المشتقة منه قوله "وسارعوا" مجاز في الحرص والمنافسة في عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، فالمسارعة هنا تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة[٤].

لقد جاءت آيات القرآن وأحاديث السنة حاضّة على الحرص على الأعمال الصالحات والمبادرة بها، فإن ذلك طريق الجنة وسبيل الوصول إليها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[٥] وبين الله تبارك وتعالى أن الأعمال الصالحة هي أحد شروط النجاة الأربعة من الخسران قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٦] وبين الله تعالى أن من السباق المحمود السباق على الأعمال الصالحات، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ١٨١.

(٢) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/٨٨، ٨٩.

(٥) سورة البينة، آية: ٧.

(٦) سورة العصر، الآيات: ١-٣.

مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١] وبين الله تعالى أن الأعمال الصالحات تمهد السبيل لصاحبها إلى النجاة والفوز بجنان الرحمن، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[٢] وسبيل لاستحقاق الحياة الطيبة في الدنيا وحسن الجزاء في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾[٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٥].

إن الأعمال الصالحات سبيل إلى محبة الله للعبد وعونه له، روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي النوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، ...))[٦].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التشويق والترغيب:

إنَّ ذكر الجنة وما أعد الله فيها لأهلها، فيه التشويق للناس والترغيب فيها، بالتمسك بأسبابها والاتصاف بصفات المستحقين لها كالصلاح والتقوى، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى "أعددت لعباد الصالحين" وأسلوب الترغيب من الأساليب

---

(١) سورة الحديد، آية: ٢١.

(٢) سورة الروم، آية: ٤٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٤) سورة مريم، آية: ٧٦.

(٥) سورة هود، آية: ٢٣.

(٦) أخرجه البخاري ٦٥٠٢.

الدعوية المتميزة بقوة التأثير والإيغال في قلوب المدعوين، وذلك لما فيه من التشويق إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه، والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول الدعوة والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى وعدم إهماله من قِبل الداعي المسلم[1]. ولقد حفلت آي الذكر الحكيم ووردت الأحاديث الشريفة بوصف الجنة وما أعده الله فيها للمتقين قال تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾[2] ترغيبًا للمؤمنين وحثًا لهم على الطاعات وتحمل مشاق العبادة، ذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة وسعى لها سعيها فكان من المتقين، ومن المحسنين ومن الذاكرين، ومن المخبتين ومن المنفقين ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[3])[4].

إن التشويق نوع من التحفيز، وله علاقة بالترغيب لكنه يأتي بعده فعند حصول الرغبة في الشيء والقناعة به والتطلع إلى نيله يمكن أن يحصل الشوق إلى رؤياه والإسراع في كسبه وتحصيله. وقد كان الرسول ﷺ يقص على أصحابه من أخبار الجنة واليوم الآخر، ما يشوّقهم به لحصول المرغوب به، فيثير في نفوسهم حب التطلع إلى أخبار تحصيلها.

وينتج عن ذلك استقامةً في السلوك ونماء في العادات الجيدة والأخلاق الفاضلة، ونتائجُ تربوية إيجابية ناجحة.

ومن أمثلة التشويق عند الرسول ﷺ:

أ-ما روي عن أبي هريرة قال: ((بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمر

---

(١) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

(٢) سورة النبأ، آية: ٣٦.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) موسوعة نضرة النعيم، ٢١٢٧/٦.

بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!))[١].

نلاحظ أن فقرات هذا الحديث تثير حواس النفس، وتظل تتطلع إلى ما سيُلقى إليها، بشوق ولهفة لمعرفة خبر المرأة والقصر والجنة، حتى يُخيّل للسامع كأنه ينظر إليها يقظة وهو يتمنى لو كان له حظ فيها.

ب-وروي أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[٢].

ج-وروي أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول زُمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يتغوطون. آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامُرهم الألوة، ورشحُهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخُّ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا))[٣].

إن أحاديث الرسول ﷺ هذه كانت خطابًا لقوم رغبوا في الآخرة ورضوا بها وزهدوا في الدنيا، وكان التشويق فيها ظاهرًا جليًا مما يزيد الراغب حرصًا على العمل والجد والمثابرة لينال رغبته ويحظى بأمنيته[٤].

---

(١) أخرجه البخاري ٧٠٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٤٢، ٢٨.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٥، ومسلم ٣٨٣٤.

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد العاني، ٢٢٣-٢٢٥.

الحديث رقم (١٨٨٤)

١٨٨٤- وعنه، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: ((أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لاَ يَبُولُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، وَلاَ يَتْفُلُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ[1] - عُودُ الطِّيبِ - أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ)) متفق عَلَيْهِ[2].

وفي رواية للبخاري ومسلم[3]: ((آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ[4]...، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا[5] مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ، وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا)).

قوله: (عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ واحدٍ). رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح[6].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

غريب الألفاظ:

زمرة: جماعة[7].

كوكب دري: نجم شديد الإضاءة[8].

---

(١) عند البخاري زيادة: (الألنجوج).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢٤٥، ومسلم ٢٨٣٤/١٥. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٣.

(٣) أخرجه البخاري ٣٢٤٦، ومسلم ٢٨٣٤/١٧ ولفظهما سواء. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٣.

(٤) عند البخاري زيادة: (أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرتهم الألوة).

(٥) عند البخاري: (سوقهما) بلفظ الجمع، والمثبت لفظ مسلم.

(٦) الترغيب ٤/٤٠٠.

(٧) فتح الباري ٦/٣٧٣.

(٨) فتح الباري ٦/٣٧٧.

ولا يَتْفَلُون: لا يَبْصُقون[١].

رشحهم المسك: أي: تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كريح المسك[٢].

مجامرهم: مباخرهم[٣].

الألوةُ: عُودٌ يُتبخر به[٤].

الحور العين: هن نساء أهل الجنة واحدتهن حوراء، وهي شديدة بياض العين شديدة سوادها[٥].

مخ سَاقِهما: ما يرى داخل العظم والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد[٦].

بكرة وعشيا: أي: قدرهما[٧].

الشرح الأدبي

ما أعظم البُشرىَ في هذا الحديث الشريف، وما أوفى الجزاء الذي ينتظر الصالحين من عباده يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، والسابقون السابقون. أولئك المقربون، هؤلاء هم أول زمرة يدخلون الجنة، وما أبهى هذه الصورة التي قرّب إلينا ملامحها رسول الله ﷺ لهؤلاء السابقين وهم يدخلون الجنة فهم على صورة القمر ليلة البدر، اي ليلة الرابع عشر من الشهر والبدر في تمامه، تغمر أنواره الآفاق، ويكسو بأضوائه كل الكائنات والعوالم الحية والجامدة، وهكذا هؤلاء السابقون، والمراد

---

(١) اللسان في (ت ف ل).

(٢) فتح الباري ٦/٣٧٣.

(٣) فتح الباري ٦/٣٧٣، ٣٧٤.

(٤) الوسيط في (أ ل و).

(٥) النهاية في (ح و ر).

(٦) فتح الباري ٦/٣٧٥.

(٧) فتح الباري ٦/٣٧٥.

تشبيههم بالبدر في الإضاءة والإشراق.

وما دام القمر أقرب وأكبر من حيث المشاهدة، اتصف به الفوج الأول، والقمر نور بارد؛ لأنه نور بغير حرارة، وينسكب النور الأبيض حتى ختام الحديث فتوصف النساء بالبياض الشديد إلى درجة الشفافية إذ يرى مُخ الساق خلف اللحم من الحسن، وهذا من مظاهر النعيم الذي يفوز به هؤلاء السابقون.

وأما الفوج الثاني فهم في توهجهم وإشعاعهم ونورانيتهم مثل أشد كوكب دري إضاءة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾[1]، والدري هو النجم الشديد الإضاءة، وقال الفراء: هو النجم العظيم المقدار، وهؤلاء أصحاب اليمين الذين ورد تفصيل النعيم المعد لهم في سورة الواقعة وهؤلاء حدد الحديث لهم عشرة ملامح تحدد قسماتهم وتوضح معالم نعيمهم وثوابهم.

ومن هذه الملامح أربع صفات نفيت عنهم وهي من خصائص الحياة البشرية، ولكنها صفات نقص، وتقدح في الكمال الذي صاروا إليه فهم لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يتمخطون كما ورد في الحديث السابق، وتأمل هذا السجع من الكلمات، وهذا التوافق في صياغة الأفعال وتراكيب الجمل وتكرار (لا) يفيد التأكيد على نفي هذه الصفات لانها صفات نقص ملازمة للحياة البشرية الدنيوية.

ومن مظاهر النعيم: ثلاث صفات تشكل القسمات الخاصة، والملامح الذاتية فهم يتقلبون في أفياء النعيم المقيم "أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة أي عود الطيب، وأزواجهم الحور العين" والجمل كلها صيغت في قالب الجملة الاسمية الدالة على الثبات: فالنعيم مقيم، ثابت فهم خالدون فيه أبدًا، وهذه الصفات حقيقية وليست تشبيهية فمذهب أهل السنة - كما يقول النووي - أن تنعم أهل الجنة على هيئة تنعم أهل الدنيا إلا ما بينهما من التفاضل في اللذة، والصفتان الباقيتان ترصدان هيأة هؤلاء المنعمين وملامحهم الحسية، فهم على خلق رجل واحد، وعلى صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء، وقيل: على خُلُق رجل واحد بضم الخاء واللام، أي على صفته

---

(١) سورة التحريم، آية: ٨.

وطريقته والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: تنعيم الله تعالى لأهل الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: انتفاء الحسد والتباغض بين أهل الجنة.

رابعًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة:

جاء في صريح الحديث بيان النبي ﷺ لهيئة أهل الجنة الجمالية والجسدية، فقال ﷺ "أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ... على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء". قال القرطبي: (وقوله: "أول زمرة يدخلون الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر" الصورة، بمعنى الصفة، يعني: أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه، وكماله، وهي ليلةُ أربعة عشر، وبذلك سُمِّي القمر بدرًا في تلك الليلة، ومقتضى هذا أن أبواب الجنة متفاوتة بحسب درجاتهم.

وقوله: "أخلاقهم على خُلُق رجل واحد" قد ذكر مسلم اختلاف الرواة في تقييد خُلُق؛ هل هو بفتح الخاء وسكون اللام، أو بضمها، وكذلك اختلف فيه رواةُ البخاري، والذي يناسب ما قبله الضم، فيكون معناه: أن أخلاقهم متساويةٌ في الحسن والكمال. كلُّهم كريمُ الخلق؛ إذ لا تباغض، ولا تحاسد، ولا نقص، ويشهدُ له قولُه فيما تقدَّم: "قلوبهم قلب واحد".

وقوله: "على طول أبيهم آدم، أو على صورة أبيهم" استئنافُ خبر آخر عنهم، ويحتملُ أن يريد به الخَلْق، بالفتح والسكون، ويكون قوله "على طول أبيهم" وما بعده مفسِّرًا لذلك الخلق، والأول أولى لما ذكرناه، ولأنَّا إذا حملناه عليه استفدنا منه فائدتين، ومن الوجه الثاني فائدةً واحدةً، وحمل كلام الشارع والفصحاء على تكثير الفوائد أولى، كما قررناه في الأصول.

وقوله: "ستون ذراعًا في السماء" أي: في الارتفاع، وكل ما علاك فهو سماء، ويعني بذلك: أنَّ الله تعالى أعاد أهل الجنة إلى خلقه أصلهم الذي هو آدم، وعلى صفته وطوله الذي خلقه الله عليه في الجنة، وكان طولُه فيها ستين ذراعًا في الارتفاع من ذراع نفسه، والله أعلم. ويحتمل أن يكون ذلك الذراعُ مقدرًا بأذرعتنا المتعارفة عندنا، ثم لم يزل خلق ولده وطولهم ينقص)[1].

قال ابن حجر: (وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة)[2]. وقد وردت الأحاديث الكثيرة في صفة أهل الجنة عند دخولها، منها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يدخل أهل الجنة مردًا، بيضًا، جعادًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم))[3] (وكذلك وصف الله سبحانه وتعالى نسائهم بأنهم أتراب، أي في سن واحدة ليس فيهم العجائز والشواب، وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى، فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة، لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء)[4].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: تنعيم الله تعالى لأهل الجنة:

ذكر الحديث تنعيم الله تعالى لأهل الجنة وذكر من ذلك ثلاثة ألوان من ألوان النعيم وهي:

أ-التنزه عن المستقذرات:

فقال ﷺ "لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك". قال القرطبي: (وقوله: "لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون" إنما لم تصدر هذه الفضلات عن أهل الجنة؛ لأنها أقذارٌ مستخبثة، والجنة

---

(١) انظر: المفهم ١٧٩/٧، ١٨٢، ١٨٣.

(٢) فتح الباري ٤٢٣/٦.

(٣) أخرجه أحمد ٤١٥/٢ رقم ٩٣٧٥، وقال محققو المسند: حديث حسن ٢٢٠/٥.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

متنزَّهةٌ عن مثل ذلك، ولمَّا كانت أغذيةُ أهل الجنة في غاية اللطافة، والاعتدال، لم يكن لها فضلةٌ تستقذر، بل تُستطاب وتُستلذ، وهي التي عبَّر عنها بالمسك كما قال: "ورشحهم المسك". وقد جاء في لفظ آخر: "لا يبولون، ولا يتغوطون، وإنما هو عرقٌ يجري من أعراضهم مثل المسك" يعني: من أبدانهم)[1]. قال ابن حجر: (وقد اشتمل ذلك على نفي جميع صفات النقص عنهم، قال ابن الجوزي: لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه)[2]. روى عن زيد بن أرقم قال: ((جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ والشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ»، قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ تَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَذًى قَالَ: «تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ رَشْحًا يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ، فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ»))[3].

ب- الأدوات والأواني:

جاء التصريح بها وبخاماتها، فقال ﷺ "أمشاطهم الذهب... ومجامرهم الألوة عود الطيب" وفي رواية "آنيتهم فيها الذهب" وقد ذكر القرآن أدوات أهل الجنة واستعمالاتها في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾[4] وقال ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[5] فالقوارير هي الزجاج، فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون

---

(١) المفهم ج٧/١٧٩.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٦/٣٧٣.

(٣) أخرجه أحمد ١٩٢٦٩، وقال محققو المسند: حديث صحيح (مسند أحمد ٣٢/١٩).

(٤) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٥) سورة الإنسان، آية: ١٥، ١٦.

تلك القوارير من زجاج فقال: "قوارير من فضة"، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير)[1]، وقال ابن حجر: (قال القرطبي: وقد يقال: أي حاجة لهم إلى المشط وهم مرد وشعورهم لا تتسخ؛ وأي حاجة لهم إلى البخور وريحهم أطيب من المسك؟ قال: ويجاب بأن نعيم أهلها من أكل وشرب وكسوة وطيب ليس عن ألم من جوع أو ظمأ أو عري أو نتن، وإنما هي لذات متتالية ونعم متوالية، والحكمة في ذلك أنهم ينعمون بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا)[2].

ج- الأزواج:

وذلك في قوله ﷺ "أزواجهم الحور العين" وفي رواية "ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن" وقوله: "وأزواجهم الحور العين" الحور: جمع حوراء. والحور في العين: شدَّة بياضها في شدَّة سوادها. هذا المعروف. قال أبو عمرو: الحور أن تسودَّ العين كلُّها مثل أعين الظباء والبقر. وليس في بني آدم حورٌ، وإنما قيل للنساء: حورُ العين لأنهن تشبَّهن بالظباء والبقر. قال الأصمعي ما أدري ما الحور في العين! والعين: جمع عيناءُ، وهي: الواسعة العين. وفي الصحاح: رجل أعين: واسع العين، والجمع: عُيْن، وأصله فُعل بالضم، ومنه قيل لبقر الوحش: عين، والثور أعين، والبقرة عيناء.

وقوله: "لكل واحدٍ منهم زوجتان" يعني: أن أدنى من في الجنة درجة له زوجتان، إذ ليس في الجنة أعزب، كما قال. وأما غيرُ هؤلاء فمن ارتفعت منزلته فزوجاتهم على قدر درجاتهم وبهذا يُعلم: أن نوع النساء المشتمل على الحور والآدميات في الجنة أكثر من نوع رجال بني آدم، ورجال بني آدم أكثر من نسائهم، وعن هذا قال ﷺ: ((أقلُّ ساكني الجنة نساء، وأكثر ساكني جهنم النساء))[3] يعني: نساء بني آدم هنَّ أقل في الجنة

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٢٥٥.

(٢) فتح الباري ٦/٢٤٣.

(٣) أخرجه مسلم ٢٧٣٨.

وأكثر في النار.

وقوله: "يُرى مخ ساقها من وراء اللحم" يعني: من شدَّة صفاء لحم الساقين، فكأنه يرى مخّ الساقين من وراء اللحم، كما يرى السِّلك في جوف الدُّرة الصافية[1]. والمراد به وصفها بالصفاء البالغ وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد، وذلك من الحسن في الخلق ولطف البدن[2]. وقد وصفهن الله تعالى بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[3] قال ابن كثير "وهذا نعت للحور العين، قال مجاهد والحسن والسري وابن زيد وغيرهم: في صفاء الياقوت وبياض المرجان، فجعلوا المرجان هاهنا اللؤلؤ[4]. وكذلك شبه الله جمالهن بقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[5] قال القرطبي: (مكنون أي مصون، قال الحسن وابن زيد: شبههن ببيض النعام، تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء، وقال ابن عباس وابن جبير والسدي: شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر وتمسه الأيدي، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خِباؤها تمتعت من لهوبها غير مُعْجَل[6]

وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ، كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[7] أي في أصدافه، قاله ابن عباس أيضًا، ومنه قول الشاعر:

---

(١) المفهم ٧/١٨٠، ١٨١.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٥٧.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٥٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٧/٤-٥.

(٥) سورة الصافات، آية: ٤٩.

(٦) قافية اللام، البحر الطويل، خزانة الأدب ١/٣٨٤، والمعلقات السبع ١/٤٤٢.

(٧) سورة الواقعة، آية: ٢٢، ٢٣.

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغـ وّاص ميزت من جوهر مكنون[١]

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: انتفاء الحسد والتباغض بين أهل الجنة:

صرح النبي ﷺ بذلك في الحديث، فقال "لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا" وقد ذكر القرآن الكريم انتفاء الغل بين أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٢] أي من حسد وبغضاء[٣]، كما جاء في صحيح البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ((إذا خَلَصَ المؤمنونَ منَ النارِ حُبِسوا بقَنْطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنار، فيَتقاصُّونَ مَظالِمَ كانت بينهم في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنَّةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم بمسكَنِهِ في الجنَّةِ أدَلُّ بمنزِلِهِ كان في الدُّنيا))[٤] وقال القاسمي في تفسير قوله: ("ونزعنا ما في صدورهم من غل" أي نخرج من قلوبهم أسباب الحقد والحسد والعداوة، أو نطهرها منها، حتى لا يكون بينهم إلا التواد والتعاطف، وصيغة الماضي للإيذان بتحقيقه وتقرره)[٥].

وقال الطاهر بن عاشور: (والنزع حقيقته قلع الشيء من موضعه ونزع الغل من قلوب أهل الجنة: هو إزالة ما كان في قلوبهم في الدنيا من الغل عند تلقي ما يسوء من الغير، بحيث طهر الله نفوسهم في حياتها الثانية عن الانفعال بالخواطر الشرية التي منها الغل، فزال ما كان في قلوبهم من غل بعضهم من بعض في الدنيا، أي أزال ما كان حاصلاً من غل وأزال طباع الغل التي في النفوس البشرية بحيث لا يخطر في نفوسهم.

والغِل: الحقد والإحنة والضغن، التي تحصل في النفس عند إدراك ما يسؤوها من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج٨/١٥/٨٠، ٨١. والبيت في الحماسة البصرية ٢/٢٠٧، وتاريخ دمشق ٦٣/٣٥٦، والكامل في الأدب ١/١٥٢.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤١٥.

(٤) أخرجه البخاري ٢٤٤٠.

(٥) محاسن التأويل ٥/٨٥.

عمل غيرها، وليس الحسد من الغل بل هو إحساس باطني آخر[١].

وقال الشيخ السعدي: ("ونزعنا ما في صدورهم من غل" وهذا من كرمه وإحسانه، على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودًا في قلوبهم، والتنافس الذي كان بينهم، أن الله يقلعه ويزيله، حتى يكونوا إخوانًا متحابين، وأخلاء متصافين.

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ ويخلق الله لهم من الكرامة، ما به يحصل لكل واحد منهم، الغبطة والسرور ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم، نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه.

قوله: "تجري من تحتهم الأنهار" أي يفجرونها تفجيرًا، حيث شاؤوا، وأين أرادوا، إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات، أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات، ليس لها حد محدود[٢].

رابعًا - من أساليب الدعوة: الترغيب:

جاء الترغيب في الحديث واضحًا جليًا، ففي ذكر النبي ﷺ لأهل الجنة ووصف ما فيها من نعيم أدعى ما يكون للمسلم بتحصيل أسباب هذه السعادة، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣] تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل هذه الجنة، وسعى لها سعيها، فكان من المتقين، ومن المحسنين، ومن الذاكرين، ومن المخبتين، ومن المنفقين، ومن الأوابين المنيبين الذين ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[٤][٥]، لذا ينبغي الاهتمام بأسلوب الترغيب، وعدم إهماله من قبل الداعي المسلم[٦].

---

(١) التحرير والتنوير، مج٤/٨/١٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٢٥٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٥) موسوعة نضرة النعيم، ٦/٢١٢٧.

(٦) انظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ص ٤٣٧.

إن الجنة لهي النعيم المقيم والفوز الكبير، فلا ينبغي لعاقل أن يفوت على نفسه ذلك النعيم فيرد بنفسه موارد التهلكة والعياذ بالله.

يقول ابن الجوزي: (والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها، من غير مرض، ولا بصاق، ولا نوم، ولا آفة تطرأ؛ بل صحة دائمة، وأغراض متصلة، لا يعتورها منغص، في نعيم متجدد في كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى فأطيش، ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك، لولا أن الشرع قد ضمنه.

ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ههنا.

فواعجبًا من مضيع لحظة فيها. فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها.

فيا أيها الخائف من فوت ذلك، شجع قلبك بالرجاء. ويا أيها المنزعج لذكر الموت، تَلَمَّح مابعد مرارة الشربة من العافية، فإنه من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها، تتكشف المنازل لأصحابها، فيهون سير المجذوب للذة المنتقل إليه. ثم الأرواح في حواصل طير تعلق في أشجار الجنة.

فكل الآفات والمخافات في نهار الأجل، وقد اصفرت شمس العمر. فالبدار البدار قبل الغروب، ولا معين يرافق على تلك الطريق إلا الفكر إذا جلس مع العقل، فتذاكرا العواقب.

فإذا فرغ ذلك المجلس، فالنظر في سير المجدِّين، فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها شتى الفضائل، والتوفيق من وراء ذلك. ومتى أرادك لشيء هيأك له.

فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا من العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل.

والعزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية[1].

---

(١) صيد الخاطر ٤٣٢، ٤٣٣.

الحديث رقم (١٨٨٥)

١٨٨٥- وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: ((سأل موسى عليه السلام ربَّهُ: ما أدنى أهلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجنَّةَ. فَيَقُولُ: أيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وأخَذُوا أخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ في الخامِسَةِ. رَضِيتُ رَبِّ، فَيقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

المغيرة بن شعبة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٩٨).

غريب الألفاظ:

أَخَذَاتهم: هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه أو يكون معناه: قصدوا منازلهم[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث يتسم في صياغته بالقالب الحواري، والحوار من وسائل الإقناع والتعليم والتوجيه، وهذا الحوار بين موسى عليه السلام وربه عز وجل يرويه محمد ﷺ للعظة والعبرة، ولتوضيح المزيد مما أعده الله للمؤمنين في الجنة.

والحديث يتضمن مقابلة بين نوعين من أهل الجنة وهما أدنى أهل الجنة منزلة،

---

(١) برقم ١٨٩/٣١٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٤٨.

(٢) شرح صحيح مسلم، ٢٢٨، والنهاية في (أ خ ذ).

وأعلى أهل الجنة منزلة، وهذه المقابلة لها تأثيرها الشديد المحبب في نفوس المتلقين، وكل الاجيال المسلمة، ويبدأ الحوار بين موسى وربه بسؤال من موسى: عن أدنى أهل الجنة منزلة فقيل له هو رجل... إلخ.

ويتفرع عن حوار موسى مع ربه حوار آخر بين هذا الرجل الذي جاء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيسأل الرجل في محاولة لمعرفة الحقيقة، وليس سؤالاً إنكاريًا، أو سؤالاً مشحونًا بالاعتراض، ولكن الرجل يريد معرفة مكانه؟ وهل له مكان؟ والتعبير بقوله نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم كناية عن أنهم أخذوا ثوابهم وما أبقوا لغيرهم منزلاً، وهذا الأدنى منزلة في الجنة هو الأعلى منزلة بين أهل الدنيا، ولذلك نجد هذه البشارة الإلهية، وهذا الوعد الرباني الصادق حين يقول له بعد أن ظن أنه ليس له مكان في الجنة أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: "رضيت رب"، والاستفهام هنا للإقرار والترغيب، وليس على حقيقته؛ لأن الله يعلم السر وأخفى وقوله: "رضيت رب" يفيد سرعة الاستجابة، وحذف النداء (يا) إيجازًا ويفيد المسارعة لذكر الرب، وفي قوله: "مُلك ملك من ملوك الدنيا" جناس مُحرّف، وفيه إيحاء بأن ملك الدنيا لا يقاس مهما اتسع وامتد زمنه بنعيم الجنة، فالأدنى منزلة من أهل الجنة يكافئه الله بعشرة أمثال ما يملكه ملك في الدنيا وتكرار قوله: (ومثله أربع مرات) يفيد مضاعفة الثواب حتى إذا ذكر الخامسة قال الرجل: رضيت رب، ويمنحه الله ما يشاء ثم يعطيه المزيد (هذا لك وعشرة أمثاله).

وتكرار قوله: "رضيت رب" ثلاث مرات يؤكد أن النعيم الذي يُعطاه الأدنى منزلة مضاعف، وجزيل، والمنعم عليه يُقر بالرضا وهو يسبح في ظلال نعمة المنعم الرازق الوهاب.

وفي قوله: (لك ذلك) بلاغة تشير إلى مكانة العطاء الإلهي، والسياق كان يقتضي أن يقول: لك هذا، ولكنه عدل عن اسم الإشارة للقريب إلى "ذلك"، وهو للبعيد، وكما قال العلماء: أشير إليه مع قربه بما يشار به للبعيد تفخيمًا وتعظيمًا، ثم يقول الله لهذا الأدنى منزلة ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك وهذا شامل لكل أحد من الجنة، وإذا

كان هذا النعيم وهو حظ الأدنى منزلة، فما شأن الأعلى منزلة وهذا هو مصدر العجب في سؤال موسى حيث قال: رب فأعلاهم منزلة؟ اي ما شأنه فقال الله: "أولئك الذين أردتُ، غرستُ كرامتهم بيدي وختمت عليها" واسم الإشارة أولئك يوحي بعظم قدر هؤلاء، واسم الموصول يومىء إلى تميزهم أكمل تمييز، وهم خصوا بالنعيم بمحض القدرة من الله مباشرة من غير توسط ملك ولا غيره زيادة في كرامته، وقوله: "وختمت عليها"، كناية عن أن هذا النعيم لا يراه غيرهم، فقد أعد لهم ما لم تره عين، وما لم تسمعه أذن، وما لم يخطر على قلب بشر ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1].

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: سؤال نبي الله موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: رحمة الله الواسعة وإكرامه أهل الجنة.

رابعًا: من صفات أهل الجنة: الرضا.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: بيان أعلى أهل الجنة منزلة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: سؤال نبي الله موسى عليه السلام ربه عن أدنى أهل الجنة منزلة:

أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الحديث، فقال: (سأل موسى عليه السلام ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟)، قال النووي: "ومعناه: ما صفة أو ما علامة أدنى أهل الجنة"[2]، وسؤال الأنبياء عليهم السلام لله تعالى ليس من قبيل الشك ونحوه، وإنما هو من قبيل التطلع إلى طلب المعرفة وزيادة العلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3]، وارتقاء إلى الدرجات العلى في المعرفة واليقين، كما جاء في طلب إبراهيم عليه السلام أن يريه كيفية إحياء

---

(١) سورة ق، آية: ٣٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ٢٢٨.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[1]، قال القاسمي: (أي: بلى آمنت ولكن سألت لأزداد بصيرة وسكون قلب برؤية الإحياء، فوق سكونه بالوحي، فإن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين)[2].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد ذلك معنا في سؤال موسى عليه السلام لله تعالى وإجابة الله لموسى عليه السلام على أسئلته: (سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة...)، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، خاصة لدى طارحي الأسئلة، الذين هم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، فيجب على الداعية وحامل الرسالة أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[3]، وقد تكرر السؤال والجواب في القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[4]، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[5].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: رحمة الله الواسعة وإكرامه أهل الجنة:

يتجلى في الحديث لون من ألوان الرحمة الإلهية بأهل الجنة وذلك بمضاعفة العطاء، فيقال له: (ادخل الجنة فيقول: أترضى أن يكون لك مثل مُلك ملِك من ملوك الدنيا؟

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٦٠.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي ٢/٣/٣٣١.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ٢/٥٨ - ٥٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢١٩.

فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب)، وذلك أن الله سبحانه وتعالى شاء وأبى إلا أن يعامل أهل الجنة بالفضل ومضاعفة الأجور والعطايا، ومن الآيات الدالة على ذلك: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، فهو سبحانه فضله واسع كثير أكثر من خلقه، عليم بمن يستحق ومن لا يستحق[2]، وفي الآية دليل على أن المضاعفة درجات كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى[3].

وإكرام الله عز وجل الإنسان بالجنة ودخولها ليس بالتمني وإنما بالإيمان والعمل، يصحب ذلك كله صدق النية. (فليس دخول الجنة بالتمني والتشهي، ولكن بالإيمان والطاعة ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[4].

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5].

فالمؤمن الذي يدخل الجنة إما أن يكون فاعلاً للخير داعيًا إلى الله، باذلاً الجهد في سبيل إعلاء كلمته، عاملاً على ذلك بنفسه وماله ولسانه، فيكون من الذين جاهدوا، فإن لم يستطع فعليه – على الأقل- ألا يكون منفعلاً بالشر، ولا متبعًا لدعوته، وأن يسلم بنفسه وأهله، وأن يصبر على ما يلقى في سبيل تمسكه بدينه، فيكون من الصابرين.

فإذا انتهى الحساب، واجتاز المؤمن الصراط، تحققت النجاة.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦٩٣/١.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ٤٢/٣/٢.

(٤) سورة النساء، آية: ١٢٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.

عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[1].

إن الجنة أكبر من أن توصف، علوًا ونعيمًا ومساحة وسعة وما شاكل ذلك. أما سعتها فإن عرضها عرض السموات والأرض، ولا تعجبوا من هذا فإن الآخرة بالنسبة لهذه الدنيا كهذه الدنيا بالنسبة لبطن الأم. أما يرى الجنين بطن الأم دنياه كلها؟ أو ليست دار واحدة من دور الدنيا أوسع من دنيا الجنين بآلاف المرات؟

هذه الجنة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، ومن هم المتقون الذين أعدّت لهم؟ وماذا كانوا يصنعون؟ لعلنا نصنع مثلهم فنكون معهم، لقد بيّن أن المتقين هم: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾[3].

هذه بعض صفات المتقين، فمن اتصف بها بعد تصحيح العقيدة، وصدق التوحيد، أدخله الله بكرمه ومنّه هذه الجنة التي أعدّها لهم.

والجنة درجات: ففيها جنة النعيم، وهي أبعد من أن ينالها كل واحد: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[4].

وهي للسابقين السابقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[5].

وفيها الجنة التي سماها الله "الغرفة"، ووعد بها عباد الرحمن، الذين وصفهم في سورة الفرقان بأنهم الذين يجمعون صحة الاعتقاد، واستقامة السلوك، وكثرة العبادة،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٧٣، ٧٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٤، ١٣٥.

(٤) سورة المعارج، آية: ٣٨.

(٥) سورة الواقعة، آية: ١١، ١٢.

وعلو الأخلاق، فدل ذلك على أن "الغرفة" درجة عالية في الجنة، خص بها هؤلاء الذين جمعوا صفات الكمال، وصبروا على مشقة القيام بها، وصرف النفس عن رغبتها في التملص منها.

في الجنة: مكان اسمه: "جنة المأوى"، ومكانًا اسمه: "جنات عدن"، "ولمن خاف مقام ربه جنتان" لا جنة واحدة، وأن فيها ما دعاه بـ"عليين"؛ دلَّ ذلك على أن نعيمها درجات، وأهلها منازل.

ومن مظاهر نعيم أهل الجنة: اجتماعهم بإخوانهم وأهليهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ﴾[1].

﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾[3].

يجتمعون على ود وصفاء ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾[4] وحقد.

تُصَفّ لهم الأَسِرَّةُ والأرائك، فتكون مجالسهم عليها: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍ﴾[5].

يقعدون عليها: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[6].

عليها فرش بطائنها من شيء نفيس، سماه ربُّنا "الاستبرق" وحولهم جنتان ملتفتان، ثمارهما قريبة من أيديهم، دانية منهم.

يخدمهم فيها خدم صغار: ﴿غِلۡمَانٌ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ﴾[7]، ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ

---

(١) سورة الزخرف، آية: ٧٠.

(٢) سورة يس، آية: ٥٦.

(٣) سورة الطور، آية: ٢١.

(٤) سورة الحجر، آية: ٤٧.

(٥) سورة الطور، آية: ٢٠.

(٦) سورة الحجر، آية: ٤٧.

(٧) سورة الطور، آية: ٢٤.

ءَامِنِينَ ﴾[١]، ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾[٢].

والطعام يطاف به: ﴿ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ ﴾[٣].

أما شرابهم فيحمل إليهم: ﴿ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾[٤].

يؤتى إليهم بكل ما يريدون من طعام: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[٥]، ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾[٦]، ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾[٧]، ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾[٨]، فوجوههم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾[٩].

ويقصدون من أركان الجنة حيث شاؤوا، يتقابلون فيها ويتحدثون ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾[١٠].

لا يقولون إلا خيرًا ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾[١١].

---

(١) سورة الدخان، آية: ٥٥.

(٢) سورة الصافات، آية: ٤٥-٤٧.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٤) سورة الواقعة، آية: ١٨.

(٥) سور الواقعة، الآيات: ٢٠-٢١.

(٦) سورة الواقعة، الآيات: ٢٨-٣٤.

(٧) سورة الإنسان، الآيتان: ١٣، ١٤.

(٨) سورة المطففين، آية: ٢٤.

(٩) سورة الغاشية، الآيتان: ٨، ٩.

(١٠) سورة يونس، آية: ١٠.

(١١) سورة الطور، آية: ٢٥-٢٧.

وهذا: من ثمرة الدعاء والاستغفار ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

فإذا تحدثوا تذكروا في أحاديثهم أيام الدنيا، وأحوال أهلها، وما كان من أمرهم فيها، وما انتهوا إليه في الآخرة.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٢].

قال (أي المؤمن في الجنة لإخوانه فيها): ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾[٣] على أهل النار لتروهم فيها؟

ودل ذلك على أنهم يستطيعون الاطلاع عليهم ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٤].

قال له (وهذا وما يأتي بعده يدل على أن أهل الجنة وأهل النار يتبادلون الحوار): ﴿تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[٥]. ويمنّ عليهم ربهم بالحور العين، يزوّجهم بهن. ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[٦].

أنشأنهن إنشاءً، فجعلنهن: ﴿أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[٧] قاصرات الطرف "من الحياء" ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[٨].

---

(١) سورة الطور، آية: ٢٨.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٥١-٥٣.

(٣) سورة الصافات، آية: ٥٤.

(٤) سورة الصافات، آية: ٥٥.

(٥) سورة الصافات، الآيتان: ٥٦، ٥٧.

(٦) سورة الواقعة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

(٧) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٨) سورة الرحمن، آية: ٥٦.

وأهل الجنة: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ﴾.

﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾[4]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾[5].

يحيونهم ويهنئونهم يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[6]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ﴾[7]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[8]، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[9].

اللهم برحمتك التي وسعت كل شيء، وعفوك ومغفرتك -وأنت العفو الغفور- أعذنا من عذاب النار، وأدخلنا الجنة بسلام[10].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٣) سورة الحجر، الآيتان: ٤٨.

(٤) سورة الدخان، آية: ٥٦.

(٥) سورة الرعد، آية: ٢٣.

(٦) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٧) سورة الزخرف، آية: ٧١.

(٨) سورة الصافات، آية: ٦٠، ٦١.

(٩) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(١٠) تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، ص ١١٦-١٢٠.

رابعًا- من صفات أهل الجنة: الرضا:

جاء التصريح في الحديث بما يجده أهل الجنة من الرضا بما أعطاهم الله إياه في قوله: (فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فيقول في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله...)، وذلك الرضا عام في جميع أهل الجنة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((إن اللَّهَ يقولُ لأهلِ الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون لبّيكَ ربَّنا وسَعدَيك. فيقول: هلَ رضيتُم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضلَ من ذلك قالوا: يا رب وأيُّ شيء أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بعدَهُ أبدًا))[1]، فإن من أعلى درجات النعيم في الجنة رضا الله عن أهلها، ورضا أهل الجنة بما آتاهم الله من فضل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾[2]، أي: لا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضي الله عنهم)، ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم، (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم، فهو سبحانه رضي عنهم بما قاموا من مراضيه ورضوا عنه بما أعد لهم من أنواع الكرامات[3].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: بيان أعلى أهل الجنة منزلة:

لقد سأل موسى عليه السلام ربه عن أعلى أهل الجنة منزلة: (قال رب فأعلاهم منزلة، قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر)، قال النووي: ومعناه: اخترت واصطفيت، وأما: غرست كرامتهم بيدي إلى آخره، فمعناه: اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٤٩، ومسلم ٨٢٩.

(٢) سورة البينة، الآيتان: ٧ - ٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٦١.

تغيير"[١]، فالله سبحانه وتعالى غرس كرامتهم بمحض قدرته، من غير توسط ملك ولا غيره زيادة في كرامتهم وختم عليها لئلا يراها غيرهم مبالغة فيما ذكر[٢]، وجاء في رواية: ومصداقه في كتاب الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣]، قال ابن كثير: "أي: فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد لما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاء وفاقًا، فإن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم ترعين ولم يخطر على قلب بشر[٤].

إن المسلم إذا استحضر ما أعده الله لعباده من النعيم الدائم والحياة الهنيئة والعيشة الراضية وما في الجنة من رفعة الدرجات، وعندما يعلم أنه يجازى يوم القيامة بالإحسان إحسانًا وبالتوبة عفوًا وغفرانًا، يجتهد في فعل الطاعات التي تقربه إلى رب الأرض والسماوات، وامتنع عن كل ما يغضب ربه مهما كان.

وإن الذي يزداد من فعل الطاعات، يزداد شوقًا إلى الجنات ويحن إليها، وذلك لما يعلمه من صور النعيم حتى يدخل الجنة، فالإمام العادل والشاب الذي نشأ في عبادة ربه، وباقي من ذكروا في الحديث المشهور، والذين ييسرون على المعسرين، والذين يسعون في حاجة إخوانهم ويسدون خلتهم، والذين يعدلون في حكمهم، والشهداء والمرابطون والكاظمون للغيظ، والذين يشيبون في الإسلام، والوضوء، والذين لا يَرْقُون ولا يَسْتَرْقون ولا يَكْتَوُون وعلى ربهم يتوكلون وغير ذلك من الطاعات كثير، وورد في الأحاديث الصحيحة أن أهلها ينعمون بتلك الطاعات في يوم القيامة وعند دخول الجنة[٥].

---

(١) شرح صحيح مسلم ٢٢٨.

(٢) انظر: دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٥٨.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٦٧/٦.

(٥) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس بن ناصر الغامدي، ص ٥٨٥.

الحديث رقم (١٨٨٦)

١٨٨٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنِّي لأعْلَمُ آخِرَ أهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أهْلِ الجنَّةِ دُخُولاً (الجنَّةَ)[1]. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيقُولُ اللهُ ﷻ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجنَّةَ، فَيَأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إلَيْهِ أنَّهَا مَلأى، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى ! فَيَقُولُ اللهُ ﷻ له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخيَّلُ إليهِ أنَّها مَلأى، فيَرْجِعُ. فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأى، فيقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: اذهبْ فَادخُلِ الجنَّةَ. فَإنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشرَةَ أمْثَالِهَا؛ أوْ: إنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيقُولُ: أتَسْخَرُ بِي، أوْ: تَضْحَكُ بِي وَأنْتَ المَلِكُ)) قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فَكَانَ يقولُ: (ذلِكَ أدْنَى أهْلِ الجنَّةِ مَنْزِلَةً) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

عبدالله بن مسعود: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٣٦).

غريب الألفاظ:

حبوًا: يمشى على يديه وركبتيه أو استه[3].

نواجذه: أي: أواخر أضراسه، أو الأنياب[4]، ومفردها: ناجذ.

الشرح الأدبي

هذا الحديث الشريف يصاغ في قالب حواري بين الله عز وجل ورجل من خلقه.. وهو آخر من يخرج من النار.. وهذا الحوار برهان على رحمة الله عز وجل، وعفوه عن كثير من العصاة الذين يأخذون عقابهم في النار، ثم عندما تنتهي عقوبتهم ينعم الله عليهم بدخول الجنة.

---

(١) (الجنة) ليست عند البخاري في هذه الرواية، وإنما عنده برقم ٧٥١١.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧١) واللفظ له، ومسلم ١٨٦/٣٠٨.

(٣) النهاية في (ح ب ر).

(٤) النهاية، والقاموس المحيط والوسيط في (ن ج ذ).

والحديث يتضمن عدة ملامح جمالية، وظواهر أسلوبية ومنها:

أ- التأكيد في أول الحديث: وهو على لسان رسول الله ﷺ حيث يقول مؤكدًا الخبر حتى لا يتشكك المرجفون في صدق هذه المحاورة المبشرة الواعدة بكرم الله وعفوه فيقول: إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، واللام لمزيد من تأكيد الخبر، وقوله: لأعلم يجعل الخبر يقينًا؛ لأن الرسول لا ينطق عن الهوى وهو الذي علمه ربه وأدبه.

ب - المقابلة بين الموقفين المتعلقين بالرجل... موقف الخروج من النار، وموقف دخول الجنة وهذه المقابلة التي تدعو للتأمل تقود المسلم إلى عدم اليأس وإلى التطلع إلى عفو الله ورحمته حتى ولو دخل النار فإنه سيأخذ جزاءه ثم يمن الله عليه بالعفو... ويدخله الجنة ليحظى بالنعيم السرمدي الذي لا يزول، والطباق الذي يتمم الصورة المقارنة ويدعو لتأمل الأضداد، يبرق ويشع حين تتأمل الدلالة المنبعثة من التوازي من هذين التعبيرين، آخر أهل النار خروجًا، وآخر أهل الجنة دخولاً وقوله (حبوًا) تصوير لهيئة ذلك الذي نجا من النار، وبرهان على فرحته فهو يسرع بالخروج وهو مرهق لكنه متشوق إلى دخول الجنة ويوحي قوله (حبوًا) بالشوق إلى الجنة، وكراهية النار وهذا لا مراء فيه.

ج - التكرار في الحديث الشريف من أسرار جمال أسلوبه، وأسرار هذا التأثير النفسي الذي يشعر به القارئ، فهو يرغب المسلم في أن لا ينقطع رجاؤه، وأن لا يمنعه حياؤه من تمني العفو، وطلب الرحمة،وقد تكرر الأمر بالذهاب إلى الجنة ودخولها ثلاث مرات، وذلك لتأكيد العفو، والفوز بالجنة،وقد تكررت جملة: "فيخيل إليه أنها ملأى"، والتعبير بقوله "يخيل إليه" يفيد أن ظنه غير صحيح فالخيال غير الحقيقة، فالجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، فكيف تضيق بالصالحين؟! وتكرار قوله: يا رب وجدتها ملأى مرتين يؤكد عفو الله ورحمته فرغم تردد الرجل، فالله سبحانه وتعالى يأمره بأمرين قد تكررًا قبل ذلك: "اذهب فادخل الجنة"، ثم يؤكد له ثوابه المنتظر في قوله: إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها.

د - الاستفهام التعجبي في قول الرجل: "أتسخر بي، أو تضحك بي وأنت الملك؛ لأن الرجل يستبعد هذا الإكرام الأعظم حسب منطق البشر، وقال القاضي عياض: وقع منه هذا القول وهو غير ضابط لما قال إذ وَلَه عقله من السرور بما لم يخطر بباله!! وقال القرطبي: استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك، وختام الحديث يفصح عن المقصود من الحديث وهو الترغيب في التوبة، والثقة في عفو الله ورحمته فقال وهو يبتسم إعجابًا وسرورًا بنعم الله وكرمه وعفوه ورحمته بعباده "ذلك أدنى أهل الجنة منزلة"، وكأنه يقول: فما بالكم بما يفوز به الأعلى منزلة في الجنة؟!

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: إعلام الله تعالى لنبيه بآخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولاً.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: الأمر.

ثالثًا: من أهداف الدعوة: بيان عظم الجنة ونعيمها.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لحال أدنى أهل الجنة منزلة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: إعلام الله تعالى لنبيه بآخر أهل النار خروجًا وآخر أهل الجنة دخولاً:

جاء ذلك في صريح الحديث، فقال ﷺ: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولاً..)، وذلك من معجزات رسول الله ﷺ ودلائل نبوته، بإطلاع الله له من الغيوب المقبلة والمستقبلة وإخباره عنها، فمن المعلوم المقرر أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده، وقد أضافه الله إلى نفسه الكريمة في غير ما آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وكما جاءت الأدلة تدل على أن الله تبارك وتعالى قد اختص بمعرفة علم الغيب وأنه استأثر به دون خلقه، جاءت أدلة أخرى

---

(١) سورة النمل، آية: ٦٥.

تفيد أن الله تعالى استثني من خلقه من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم، قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1]، أي أن الله عنده علم الغيب وهو ما غاب عن العباد، فلا يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات "ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم" قال قتادة ومقاتل: ليعلم محمد ﷺ أن الرسل قبله قد أبلغوا الرسالة كما بلغ هو الرسالة "وأحاط بما لديهم" أي أحاط علمه بما عندهم، وقال ابن جبير: والمعنى ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالات ربهم "وأحصى كل شيء عددًا" أي أحاط بعدد كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء[2]، فتلخص من ذلك أن ما وقع على لسان رسول الله ﷺ من الأخبار بالمغيبات فبوحي من الله تعالى، وهو من إعلام الله عز وجل لرسوله ﷺ للدلالة على ثبوت نبوته وصحة رسالته[3]، قال القاضي عياض: ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون، من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب[4].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: الأمر:

تكرر أسلوب الأمر في الحديث فيما رواه النبي ﷺ عن رب العزة والجلال: (اذهب فادخل الجنة... اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها)، وأسلوب الأمر من الأساليب الدعوية البارزة والمفيدة لما فيها من إيقاف المدعوين على الخير والخلاص وأمرهم به وحثهم عليه، وقد تكرر هذا الأسلوب في القرآن كثيرًا ومنه قوله

---

(١) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ - ٢٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، مج١٠/١٩/٢٧-٣١.

(٣) موسوعة نضرة النعيم ٥٤٢/١ - ٥٤٣.

(٤) كتاب الشفا، القاضي عياض ٣٢٩/٢.

تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]، وأسلوب الأمر أسلوب يتسابق المؤمنون لتحقيق مقتضاه، والوفاء بالمراد منه، فلا تأخر ولا تلكأ ولا تراجع، وهذا هو مقتضى الإيمان، وتحقيق العبودية لله تعالى وطاعته[3].

ثالثًا- من أهداف الدعوة: بيان عظم الجنة ونعيمها:

لقد رفع الله من مقام أهل الجنة وأعلى من منزلتهم، فلا يتصور بشر ما أعطاهم الله من فضل وما أغدق عليهم من نِعم، فأدناهم منزلة وأقلهم درجة يزيد أجره على ما يماثل أعظم ملوك الدنيا أضعافًا مضاعفة، بل له من الثواب قدر ما في الدنيا من النعيم عشر مرات وأن الجنة فيها من الاتساع ما لا يمكن حصره أو إدراكه، وفيها من النعيم ما لم تره عين وما لم تسمعه أذن ولم يحم حوله خيال[4] ولم يرد على خاطر بشر.

وفي ذلك حثٌ للناس على الطاعة والامتثال لأوامر الله عز وجل وأوامر رسول الله ﷺ، وتحمل مشاق الإتيان بها، وذلك أن الإنسان إذا علم أن الله قد أعد له دارًا فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[5]، تولدت عنده الرغبة الصادقة في أن يكون من أهل الجنة، فما بالنا بما فوقها من المنازل والدرجات، فعن أبي مسعود رضي الله عنه: (إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فأدخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا)، وقد جاءت آيات القرآن الكثيرة مبينة للجنة وأوصافها وما

---

(١) سورة البقرة، آية: ٤٣.

(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٤.

(٣) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر ص ٥٠ - ٥١.

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ٨٤٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٧٢.

فيها من نعيم مقيم لا يتحول ولا ينفد، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾[1]، وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات، "فيا معشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات، ونافسوا في أفعال الخيرات، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات، يسكنكم مولاكم الجنات ويبوئكم أعلى الغرفات، ويرفع لكم الدرجات[3].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لحال أدنى أهل الجنة منزلة:

جاء ذلك في الحديث وما دار بينه وبين رب العزة والجلال من حوار، فيقول الله عز وجل: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك، قال القرطبي: (وقوله: أتسخر مني وأنت الملك؟"، وفي اللفظ الآخر: "أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟" يحتمل أن يكون هذا القولُ صدر من هذا الرجل عند غلبة الفرح عليه، واستحقاقه إياه، فغلط كماغلط الذي قال: "اللهم أنت عبدي وأنا ربك". ويحتمل أن يكون معناه: أتجازيني على ما كان مني في الدنيا من الاستهزاء والسخرية بأعمالي وقلة احتفالي بها، فيكون هذا على جهة المقابلة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[4]، و﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾[5])[6]. قال القاضي عياض: "هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٣٣ - ٣٤.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ١٨٢، ١٨٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٥٤.

(٦) المفهم ج٧/٢٠٣.

ضابط لما قاله، لما ناله من السرور، ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشًا وفرحًا، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق"[١]، فذلك هو حال ومنزلة أدنى أهل الجنة فما بالنا بأعلاهم منزلة، فحُقَّ لعين ترجو الجنة ألا تنام، وُحقَّ لعين تخشى النار ألا تنام لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولكن حكمةٌ من الله عز وجل وابتلاءٌ وامتحانٌ أن الناس في هذه الدنيا كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها مع أن الدنيا هي التي خلقت لهم، إن الإنسان إنما خلق للآخرة، فهي الدار الباقية التي لا تفنى [٢]، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[٣]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٤]. أي تقدمون الحياة الدنيا على أمر الآخرة "والآخرة خير وأبقى" أي ثواب الله في الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى، فإن الدنيا دنية فانية، والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبًا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد)[٥]. فحُقَّ لعين ترجو الجنة ألا تنام، وحق لعين تخشى النار ألا تنام؛ لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولكن حكمة الله عز وجل وابتلاء وامتحان أن الناس في هذه الدنيا كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها مع أن الدنيا هي التي خُلقت لهم، إن الإنسان إنما خُلق للآخرة، فهي الدار الباقية التي لا تفنى، فإما في جحيم وسعير - والعياذ بالله- وإما في نعيم مقيم، نسأل الله لنا ولكم أن نكون من الصالحين الذين أعد الله لهم ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٦].

---

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ٢٢٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٩١٤/٢.

(٣) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٤) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ - ١٧.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٨٢/٨.

(٦) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٤/٢.

الحديث رقم (١٨٨٧)

١٨٨٧- وعن أبي موسى ﷺ : أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((إنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها (في السَّمَاءِ) [1] سِتُّونَ مِيلاً. لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)) متفق عليه[2].

(المِيلُ): سِتة آلافِ ذراعٍ، وهو بطول ١٥٠٠ متر.

ترجمة الراوي:

أبو موسى الأشعري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٨).

الشرح الأدبي

يصور هذا الحديث مشهدًا من مشاهد نعيم الجنة، وهو وصف المكان الذي أعده الله للمؤمن، الذي لم ينفصل عن زمرة المتقين ولا الأبرار، فصار معهم في جنات وعيون، وفي مقام أمين، تعرف في وجوههم نضرة النعيم، فيسقون من رحيق مختوم ختامه مسك.

والمكان هنا بيت المؤمن وهو خيمة من اللؤلؤ وهذا نعيم لا مثيل له في المكان الدنيوي، لأن البيت لؤلؤة واحدة مجوفة، وليست لآلئ متعددة مفككة ثم يعاد تركيبها حتى تصبح بيتًا، كما يحاول بعض المترفين في الدنيا "فقوله واحدة مجوفة" إشارة إلى تفرد هذا الصنيع لأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء، والحديث يبدأ بتأكيد هذا الوصف وتأكيد الخبر المسوق له فيقول: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لولؤة واحدة مجوفة"، وفي هذه العبارة مع التأكيد تقديم وتأخير، حيث قدم قوله: "للمؤمن" جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر إن، وقوله: "لخيمة" اسم إن منصوب، واللام فيه للإشعار بالقسم ولمزيد من التأكيد على صدق الخبر، وصواب الوصف، وعدم

---

(١) هذه الزيادة عند مسلم برقم ٢٨٣٨/٢٥.

(٢) أخرجه البخاري ٤٨٧٩، ومسلم واللفظ له ٢٨٣٨/٢٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٧٣.

المبالغة فيه، وأي بهاء يفوق ذلك البهاء، وأي جمال ينافس جمال ذلك المكان فالبيت خيمة من لؤلؤة عظيمة واحدة، وليست قطعًا مجمعة من هنا ومن هناك!! وهي متسعة ومشعة في كل اتجاه فطولها ستون ذراعًا، وكذلك عرضها في بعض الروايات.

ومن كمال النعيم أن الله أعد للمؤمنين كل ما يتمتع به فقال رسول الله ﷺ: (للمؤمن فيها أهلون) وهنا تقديم وتأخير في تركيب الجملة، حيث قدّم لفظ (المؤمن) لأهميته ولأنه المكرم من قبل ربه، ومن حقه أن تكون له الصدارة حتى في نسق الكلام، "وأهلون": مبتدأ مؤخر، وتأخير هذا المبتدأ من أسراره الجمالية التشويق والتساؤل ماذا للمؤمن فيها، فيحدد الوعد بأنهم (أهلون) وجاء في صيغة النكرة للإشعار بعموم النعيم، وأهلوه في الجنة لا يعلمهم إلا الله عز وجل، وقال "فيها": ولم يقل "بها"، لأن فيها تفيد التمكن والظرفية فهي أكثر دلالة على تحقق هذا الجزاء الأوفى، والتعبير بالمضارع في قوله: "يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا"، يوحي بالسعي الدائم، والحركة المتجددة، فالمؤمن في هذا النعيم يتحرك في قلب أضواء هذه اللؤلؤة المشعة في كل اتجاه، وعلى الرغم من ذلك تحدث المفارقة العجيبة حيث لا يرى الأهلون بعضهم بعضًا!! ولا نظير لذلك في المتاع الدنيوي، وقيل إن عدم الرؤية: لمزيد سعة اللؤلؤة، وكمال تباعد مابينهم، وإما بستر ذلك عن الآخرين لحكمة تقتضيه والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم ما في الجنة من خيام وأشجار ونحوها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم أشجار الجنة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: تمتع المؤمنين بنعيم الجنة.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم ما في الجنة من خيم وأشجار ونحوها:

جاء في الحديث بيان من رسول الله ﷺ لمدى السعة وعظم النعمة في الجنة، ومن

---

(١) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٨٧- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٨٨).

ذلك ما جاء في الحديث من بيان ما أعده الله من خيمة لكل مؤمن، فقال ﷺ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤ، واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، ولا يرى بعضهم بعضًا)، وفي رواية لمسلم: (في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن)، قال النووي: "ولا معارضة بينهما فعرضها في مساحة أرضها وطولها في السماء، أي: في العلو متساويان"[١]، وهذه الخيم غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين، وعلى شواطئ الأنهار[٢]، وقد جاء ذكر الخيام في عدة مواطن في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[٣]، وبيان لمدى سعة هذه الخيام ذكر النبي ﷺ أن في كل زاوية أهلون لا يرى بعضهم بعض: (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضا)، قال ابن علان: "إما لمزيد سعتها وكمال تباعد ما بينهم، وإما بستر ذلك عن الآخرين لحكمة تقتضيه"[٤].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لعظم أشجار الجنة:

ورد ذلك المعنى في قوله ﷺ: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها)، قال النووي: (قال العلماء: والمراد بظلها كنفها وذراها وهو ما يستر أعضائها)[٥]، وذلك دليل على سعة الجنة وسترها وحسنها [٦]، وقد ذكر القرآن أن من أجناس النعيم في الجنة الظل الممدود، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[٧]، وقد جاء في رواية البخاري للحديث: (اقرؤوا إن شئتم: وظل ممدود)، فلعظم أشجار الجنة

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٦.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٢٧٥.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٧٢.

(٤) دليل الفالحين ١٨٦٠.

(٥) شرح صحيح مسلم ١٦٥٣.

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين ١٩١٥/٢.

(٧) سورة الواقعة، آية: ٣٠.

فإن ظلها ممدود لا ينقطع، فليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر[١]، وقال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[٢]، وقال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾[٤].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: تمتع المؤمنين بنعيم الجنة:

إن الجنة هي دار الذين آمنوا وعملوا الصالحات ودار الذين اتقوا ربهم ودار عباد الله المخلصين، ودار الذين يخافون ربهم ودار الموفين بعهد الله إذا عاهدوا ودار المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ودار التائبين العابدين الحامدين السائحين الراكعين الساجدين لله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وقد وصف الله الجنة لأصحاب هذه الصفات وما شابهها من الصفات التي يحبها، حتى تطمئن قلوبهم وتقوى عزائمهم على فعل الطاعات[٥]، ونعيم الجنة منه ما هو مادي حسي ومنه ما هو روحي معنوي، ومن ألوان النعيم الحسي ما جاء في الحديث، حيث ذكر النبي ﷺ في الحديث ألوانًا من تمتع المؤمنين بما في الجنة من نعيم، فذكر عظم الخيم وفخامتها وسعتها فقال ﷺ: (إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً)، كما ذكر ما وهبه الله للمؤمنين من أهلين يطوف عليهم: (للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضُهم بعضا)، كما ذكر تمتعهم بالظلال، وعدم تعرضهم لحر أو عرق أو ما شاكله، فقال ﷺ: (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها)، وقد تضافرت الآيات والأحاديث في بيان ما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٢٩/٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٥٧.

(٣) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٤) سورة المرسلات، آية: ٤١.

(٥) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبّارة، ص ١٢٨.

﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[1]، وقال عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2]، قال ابن الجوزي: "أيها المريد إنه ينبغي لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها واشتاق إلى نعيمها، لهي عن الرغبة في الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها"[3].

إن الجنة هي مأوى المؤمنين به والمسلمين له، وأنها مراتب، ودرجات تتناسب مع مستوى الإيمان والمعرفة والخشية والعمل الصالح الذي قدمه مستحقها في الحياة الدنيا، وإن في الجنة أنواعًا لا تحصى من النعيم المادي والروحاني وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وإن عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين وإن فيها الفردوس الأعلى المعدّ لأكرم الخلق على الله إلى غير ذلك من أمور كثيرة[4].

لقد أكثر الله عز وجل من ذكر نعيم الجنة في كتابه الكريم، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5]. وقال أيضًا: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٢٧ - ٣٣.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٤.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي ص ١٨١.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٦٦٠، ٦٦١.

(٥) سورة الدخان، آية: ٥١-٥٧.

ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[١]. وقال أيضًا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَـٰهُم بِفَـٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَـٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾[٢]. وبالجملة فإن ما جاء في وصف الجنة من نعيم إنما هو قليل من كثير، أما الإحاطة بما فيها من النعيم، ومعرفة ما أعد فيها للمؤمنين فلا يعلمه إلا الله عز وجل.

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في صريح الحديث الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا وإن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[٣]))[٤]. أي فلا يعلم أحد عَظَمة ما أخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد، لَمّا أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقًا فإن الجزاء من جنس العمل.

قال الحسن البصري: (أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر)[٥].

---

(١) سورة ق، آية: ٣١-٣٥.

(٢) سورة الطور، آية: ١٧-٢٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٦٥/٦.

الحديث رقم (١٨٨٨)

١٨٨٨- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: ((إنَّ في الجَنَّةِ لشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِئَةَ (سَنَةٍ)[1] مَا يَقْطَعُها)) متفق عليه[2].

ورواياه في الصحيحين[3] أيضًا من رواية أبي هريرة ﷺ قال: ((يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُها)).

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢١).

غريب الألفاظ:

الراكبُ الجوادَ: راكبُ الفرسَ النجيبَ[4].

المضمر: السابق الجيد[5]، الذي عُلف جيِّدًا، ثم رُكض (أجرى) في الميدان أربعين يومًا؛ ليخفَّ وزنه ويدقَّ وتشتد عضلاته[6].

الشرح الأدبي

وصف الله سبحانه وتعالى الجنة بأن عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، والجنة هو الاسم العلم، أو الاسم الشخصي -إن جاز التعبير- للمكان الذي وعد الله عز وجل عباده المتقين، والقرآن الكريم، والحديث الشريف استخدما لفظ الجنة على هذا المفهوم، وتلك الدلالة، أي على أنها الاسم العلم، ثم استعمل القرآن بعد ذلك أسماء هي صفات لهذه الجنة أو أسماء المنازل فيها، ولأن الجنة درجات جعل الله عز وجل لكل

---

(١) عندهما بلفظ: (عام).

(٢) أخرجه البخاري ٦٥٥٣، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٨. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٨٨.

(٣) أخرجه البخاري ٤٨٨١، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٦/٧.

(٤) الوسيط في (ج و د).

(٥) النهاية في (ض م ر).

(٦) الوسيط في (ض م ر).

صنف من عباده المتقين درجة منها، ومن هذه الأسماء: الفردوس، وعدن، والنعيم، والخلد، والمأوى، ودار السلام، وطوبى، والغرفة أو الغرف[1].

والحديث في صياغته اللغوية يعد كتلة واحدة مترابطة لا يتم المعنى المراد منه إلا إذا أتممنا قراءة الحديث كله، فهو جملة كلية توحي باتساع الجنة، وهذا الاتساع أراد رسول الله ﷺ أن يقربه إلى أذهان البشر القاصرة التي لا تدرك إلا ما يكون في متناول الحس، أو المألوف المتبع، وتصوير اتساع الجنة اقتضى الجمع بين عناصر عدة وهي العنصر الإنساني الراكب، وعنصر الحيوان وهو الجواد المضمر، وعنصر النبات وهو شجرة وعنصر الزمن وهو مائة سنة يقطعها.

وهذا التصوير لتقريب المفاهيم إلى الناس، لأن مداركهم قاصرة، وبدأ الحديث بتأكيد الكلام حتى يقطع الطريق على المنكرين والمتشككين، وقدم "في الجنة"؛ لأن المقصد هو الإخبار عن اتساع الجنة حتى لا ييأس المذنبون حينما يتوبون، فالله يطمئنهم أن الجنة تسع كل الصالحين مهما كانت كثرتهم، وجملة كلمة (شجرة) للتعظيم والتفخيم، ووصف الجواد بأنه مضمر وسريع، للإيحاء بقوته وسرعته ولنتأمل، ولنتخيل (جواد ضامر سريع يجري مائة سنة متواصلة) ولا يقطع المسافة التي تظلها الشجرة، إنها قدرة الخلاق العليم، وقوله مائة سنة ليس للتحديد، ولكن للتكثير، وصفات الفرس توحي بقوته، فهو جَوَادٌ ويقال جاد الفرس إذا صار فائقًا، والمضْمّر هو الذي جف عرقه وخف لحمه بعد الغذاء والسمنة والقوة، فيقوى على الجري، والسريع أي الذي لا يتمهل في جريه، فهو سابح في ظلال هذه الشجرة مائة سنة، والظل من معانيه الكنف والنعيم والراحة، ويعبر بالظل عن العز والنعمة والرفاهية والحراسة، وكل ذلك من سمات نعيم المؤمن في الجنة، والله يضاعف لمن يشاء، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[2].

المضامين الدعوية[3]

---

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، ص ٤٠٠.

(٢) سورة ق، آية: ٣٥.

(٣) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٨٩)

١٨٨٩- وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: ((إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِن فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ)) قالُوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لاَ يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ قال: ((بَلَى والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

يتراءون: يرون وينظرون[2].

الكوكب الدري: النجم شديد الإضاءة[3].

الغابر في الأفق: الغابر: الذاهب في أفق السماء[4].

الشرح الأدبي

إن التصوير الأدبي في الحديث النبوي لا يجنح إلى الخيال، ولكن يعتمد على معايشة المشاهدات، وعلى أن تكون الصور مستمدة من الطبيعة المحيطة بالناس، ومن البيئة التي يتحرك فيها المخاطبون، وحين نتأمل جماليات الصورة الأدبية، وجماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجد أن الصورة في الحديث تنقل ما يتمتع به أهل الجنة، من فضل وبهاء وعزة وهم درجات وأصحاب الدرجات العلى يراهم الآخرون كما يرون الكوكب اللامع الدري، وهي صورة تمثيلية تقريبية، والملحوظ في تركيب الحديث ومرتكزه الفني اعتماده الطابع العملي في تذوق هذه الصورة الضوئية، فقد

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ٣٢٥٦، ومسلم ٢٨٣١/١١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٤٦٠.

(٢) النهاية في (ر أ ى).

(٣) فتح الباري ٣٧٧/٦.

(٤) انظر: فتح الباري ٣٧٧/٦.

جاءت عبارة كما تراءون أو كما تتراءون ويقصد بها التقريب الجمالي الذي تنبثق عنه غاية التفاعل مع التشبيه، فلا بد من إرشاد السامعين والمخاطبين إلى تجربتهم اليومية في النظر إلى الكوكب الذي صار في الحديث إيماءة إلى البهاء ونضارة الوجوه، وعلو المقام والسعادة في الجنة، إنه الإشراق النفسي مع النعيم، بل إن الصيغة الجمعية في "تتراءون" ترسخ حتمية هذه المقارنة التي لا يشذ عنها واحد من الناس كما دلّ التعبير بالجمع.

وعبارة "الكوكب الدري الغابر" تدل على الدائرة المتضمنة للتكامل والتماسك، والظاهر محاط بهالة نورانية تشير إلى لطف الباطن، والغابر: البعيد عن الإدراك المادي، والأعناق تشرئب إلى هذه المسافة التي تؤكدها كلمة (الأفق) وفي عبارة من المشرق، أو المغرب، أهمية الاتجاه فها هنا بؤرة ضوئية يشع منها النور في الاتجاهات كافة[1].

وتكتمل الصورة من خلال ذلك الحوار المشرق بالبشارات، حيث شعر بعض الصحابة بأن هذه المنزلة التي تجلت في هذه الصورة المتألقة للأنبياء فقالوا، وصدَّروا قولهم بالنداء المحبب: يا رسول الله (تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم) وقولهم (تلك) إشارة إلى عظمة هذه المنازل وبعد منالها، ولم يقولوا هذه، فأقسم رسول الله ﷺ وقال بعد أن قال "بلى" وهي جواب التنفي في قولة لا يبلغها غيرهم، والمعني كما ورد في بعض الآراء كما حكاه ابن التين أنهم يبلغون درجات الأنبياء، فهم من أهل الغرف وهم رجال آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين.

قال رسول الله ﷺ: "بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين".

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لمنازل أهل الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: التفاضل في المنازل بين أهل الجنة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب.

---

(١) انظر: الصورة الفنية في الحديث النبوي، د. أحمد ياسوف.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٨٩- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٩٢).

رابعًا: من أساليب الدعوة: القسم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم السلام.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لمنازل أهل الجنة:

جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" وفي ذلك بيان لما أعده الله لأهل الجنة من منازل ومساكن، وقد ذكر القرآن في غير آية منازل أهل الجنة وتعريف الله لهم إياها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1] أي عرفهم بها وهداهم إليها، قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله لهم منها ما لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا[2]، وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إذا خَلَصَ المؤمنونَ منَ النارِ حُبِسوا بقَنْطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنار، فيَتقاصُّونَ مَظالِمَ كانت بينهم في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنَّةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لأحدُهم بمسكَنِهِ في الجنَّةِ أدَلُّ بمنزِلِهِ كان في الدُّنيا))[3].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: التفاضل في المنازل بين أهل الجنة:

جاء قوله ﷺ: "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكوكب في السماء"، وفي قوله ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم". قال القرطبي: (قوله: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكبَ الدُّرِّي".

---

(١) سورة محمد، آية: ٤-٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣١٠/٧.

(٣) أخرجه البخاري ٦٥٣٥.

يعني: أنَّ أهل السفل من الجنة ينظرون إلى من فوقهم على تفاوت منازلهم، كما ينظر مَنْ على الأرض دراري السماء على تفاوت منازلها. فيقال: هذا منزلُ فلان، كما يقال: هذا المشتري مثلاً، أو الزهرة، أو المريخ، وقد بيَّن ذلك بقوله: لتفاوت ما بينهما. وسُمِّي الكوكب دريًا لبياضه وصفائه، وقيل: لأنه شُبِّه بالدُرِّ في صفائه.

وقوله: "الغابر من الأفق، من المشرق أو المغرب" الرواية المشهورة: الغابر بواحدة، ومعناه الذاهب والباقي على اختلاف المفسرين، وغبر من الأضداد. يقال: غبر إذا ذهب، وغبر إذا بقي، ويعني به: أن الكوكبَ حالَة طلوعه وغروبه بعيدٌ عن الأبصار فيظهر صغيرًا لبعده، وقد بيَّنه بقوله: في الأفق من المشرق أو المغرب، والأُفُق: ناحية السماء، وهو بضم الهمزة والفاء وبسكونها، كما يقال: عُشرٌ وعُشُر، وجمعه: آفاق، وقد قيَّدنا تلك اللفظة على من يوثق به: الغائر - بالهمز-: اسم فاعل من غار. وقد رُوي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء، ويُروى: العازب بالعين المهملة والزاي؛ أي: البعيد، ومعانيها كلها متقاربة. ومن الأفق: رويناه بـ"من" التي لابتداء الغاية، وهي الظرفية، وأما من المشرق، فلم يُرو في كتاب مسلم إلا بـ"من". وقد رواه البخاري في المشرق بـ"في" وهي أوضح، فأما مَن رواهما بـ"من" في الموضعين فأوجه ما فيهما أن تكون الأولى لابتداء الغاية، والثانية بدل منها مبيِّنة لها. وقيل: إنها في قوله من المشرق لانتهاء الغاية، وهو خروجٌ عن أصلها، وليس معروفًا عند أكثر النحويين.

وقولهم: "تلك منازلُ الأنبياء لا يبلُغها غيرهم؟ قال: بلى! والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين" كذا وقع هنا هذا الحرف. بلى؛ التي أصلها حرفُ جواب وتصديق، وليس هذا موضعها؛ لأنهم لم يستفهموا، وإنما أخبروا أن تلك المنازل للأنبياء لا لغيرهم. فجوابُ هذا يقتضي: أن تكون "بلى" التي للإضراب عن الأول وإيجاب المعنى للثاني، فكأنه تُسومح فيها، فوضعت بلى موضع بل. ورجالٌ مرفوع بالابتداء المحذوف، تقديره: هم رجال. وفيه أيضًا توسُّعٌ؛ أي: تلك المنازل منازل رجالٍ آمنوا بالله؛ أي: حقّ إيمانه، وصدَّقوا المرسلين؛ أي: حقّ تصديقهم، وإلا فكلُّ من يدخل الجنة آمن بالله، وصدَّق رُسُله، ومع ذلك فهم متفاوتون في الدرجات، والمنازل، وهذا واضح[1].

---

(١) المفهم ٧/١٧٥-١٧٦.

قال ابن حجر: (والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم[١]، ووصف ارتفاع منازلهم بالكوكب الدري ووصف الكوكب بالدري لبياضه كالدر، وقيل لإضاءته، وقيل لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر[٢]، فكذلك أهل الجنة[٣]. وقد جاء في القرآن ذكر تلك الغرف العالية ولمن هي، فقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾[٤] فأخبر الله تعالى أنها غرف فوق غرف، وأنها مبنية بناء حقيقة، لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، وأن ليس هناك بناء، بل تتصور النفوس غرفًا مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض، حتى كأننا ننظر إليها عيانًا، و"مبنية" صفة للغرف الأولى والثانية، أي لهم منازل مرتفعة، وفوقها منازل أرفع منها[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب:

ورد الترغيب في الحديث في بيان النبي ﷺ في الحديث لمنازل أهل الجنة والتفاضل فيما بينها، وذلك أدعى ما يكون إلى الترغيب والمسارعة والتمسك بالأعمال الصالحات التي تؤول بصاحبها إلى سكنى الجنات، فقال النبي ﷺ "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء" والترغيب من الأساليب الدعوية المفيدة، والداعية المتمكن الحكيم يكثر من المرغبات كبيان جنس الطاعة كالإيمان بالله تعالى والتوجه الخالص له جل وعلا، والإخلاص في العبادات التي فرضها الإسلام على كل مسلم، وأنه إذا أقام بما أوجبه جل وعلا عليه سينال أجر ذلك العمل في الدنيا والآخرة، في الدنيا حيث الحياة الطيبة السعيدة الهانئة، والحفظ من

---

(١) فتح الباري ٣٧٧/٦.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٣.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦١.

(٤) سورة الزمر، آية: ٢٠.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٩١.

كل مكروه، والسلامة من كل ما يخاف[١]. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٢].

رابعًا- من أساليب الدعوة: القسم:

ورد في الحديث في قوله ﷺ "بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله..." والقسم وسيلة قولية موجزة قصيرة، تلائم الطباع الذكية النبيهة التي تكفيها الإشارة[٣]، والقسم وسيلة قديمة عرفها الناس قديمًا، واستعملوها تأكيدًا لخبر أو تعظيمًا لشيء أو جمع الانتباه حول غاية[٤]. والقسم أيضًا وسيلة إقناع، لأنها تعمل على ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقادًا[٥]. وقد استخدم القرآن في كثير من آياته أسلوب القسم، ومنها قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[٦] وقوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[٧].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: فضل الإيمان بالله تعالى وتصديق الرسل عليهم السلام:

جاء في الحديث: بيانُ أن الإيمان بالله والتصديق برسله سبب لنيل الغرف العالية والدرجات الرفيعة في الجنة "قالوا: يا رسول الله: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصَدّقوا المرسلين. قال ابن حجر: أي

---

(١) قواعد الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤١.

(٢) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٣) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة، د. رقية نياز، ص ١٣١، ١٣٢.

(٤) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ص ٣٣٩.

(٥) مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع خليل القطان، مكتبة المعارف، ص ٢٩١.

(٦) سورة الذاريات، آية: ٢٣.

(٧) سورة يونس، آية: ٥٣.

صَدَّقُوا حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك[١] والصدق بمعناه الضيق مطابقة منطوق اللسان للحقيقة، وبمعناه الأعم مطابقة الظاهر للباطن، فالصادق مع الله ومع الناس ظاهره كباطنه، ولذلك ذكر المنافق في الصورة المقابلة للصادق، قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢] والصدق التزام بالعهد كقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ﴾[٣] والصدق نفسه بجميع معانيه يحتاج إلى إخلاص لله عز جل، وعملٍ بميثاق الله في عنق كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ﴾[٤]، [٥] لذلك وغيره استحق الصادقون الدرجات العلا وحقق الله لهم كل ما أرادوا[٦]، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٧].

قال ابن كثير: (قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما "والذي جاء بالصدق" قال: من جاء بلا إله إلا الله "وصدق به" يعني رسول الله ﷺ. وعن مجاهد قال: "والذي جاء بالصدق وصدق به" قال: أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتمونا فعملنا بما أمرتمونا. وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فإن

---

(١) فتح الباري ٦/٣٧٨.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢٤.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٧، ٨.

(٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين، محمود محمد الخزندار، ص ٤٣٥.

(٦) انظر: موسوعة نضرة النعيم ٦/٢٤٧٧.

(٧) سورة الزمر، آية: ٣٣-٣٥.

المؤمن يقول الحق ويعمل به والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير، فإنه جاء بالصدق وصدق المرسلين، وآمن بما أُنزِل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)[1].

وقال د. محمد حجازي: (وأما الذي جاء بالصدق، والقول الحق، وهو رسول الله وخاتم أنبيائه وإمام رسله ﷺ والذين صدقوا به وآمنوا على أنه من عند الله، وفيه تبيان كل شيء والخير لكل كائن حي أولئك هم المتقون دون سواهم، لهم ما يشاءون ويطلبون عند ربهم، من كل نافع لهم ومفيد يوم القيامة، لا في الجنة فقط، ولكن لهم ما يشاءون يوم الحساب يوم الفزع الأكبر، وعند كل موقف عسير، ذلك الجزاء المذكور جزاء المحسنين.

وعدهم الله بذلك كله، ليكفر عنهم سيء ما عملوا إن كان لهم سيء، وليجزيهم أجرهم كاملاً بأحسن أعمالهم التي كانوا يعملونها، وكل عمل لهم فهو أحسن لمزيد إخلاصهم وحسن تقبل الله له.

قد يقول قائل: ما معنى أن الله يكفر عن المتقين أسوأ ما عملوا؟ وهل لهم سيء وأسوأ والله يكفر الأسوأ فقط؟ والجواب: أن هؤلاء المتقين لشدة تقواهم إذا فَرَط منهم ذنب صغير فهو عندهم أسوأ الذي عملوا لاستعظامهم المعصية في جنب الله فكل ذنب صغير فهو في نظرهم كبير، بل أسوأ أعمالهم، فليس لهم سيء وأسوأ في الواقع، وكذلك الحَسَن الذي يعملونه هو عند الله الأحسن، لحسن إخلاصهم ومزيد تقواهم فلذلك ذكر سيئهم بالأسوأ -في نظرهم كما سبق- وحسنَهم بالأحسن كما علمت[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٩٩/٧.

(٢) التفسير الواضح، مج٤/٢٤/٣.

الحديث رقم (١٨٩٠)

١٨٩٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

غريب الألفاظ:

لَقابُ قَوْس: أي: قَدْرُه، وقَابَ القوس، قيل ما بين مقبض القوس وسيته، وقيل ما بين الوتر والقوس، وقيل المراد بالقوس هنا الذراع الذي يقاس به، وكأن المعنى بيان فضل قدر الذراع في الجنة[2].

الشرح الأدبي

يتضمن هذا الحديث جملة واحدة، وهي جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، فالمبتدأ يتجلى في قول رسول الله ﷺ: (لقاب قوس في الجنة) أي أصغر مكان في الجنة حتى لو كان مقدار (قاب قوس) وهذا الجزء الصغير المحدود في ميزان الأفضلية خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب، وهذه الجملة من قوله: خير إلى نهاية الحديث هي الخبر ومتعلقاته، والحديث يتسم بالإيجاز ولكنه يتموج بدلالات عديدة وسديدة.

واللام في قوله: لقاب قوس تزيد الكلام تأكيدًا، وهي تشعر بالقسم، والتقدير والله لقاب قوس في الجنة، والقاب من مكونات القوس، ولكل قوس قابان، وهو

---

(١) برقم ٢٧٩٣ ولم يروه مسلم. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٧١ وعزاه إلى البخاري فقط.

تنبيه: الحديث أورده الحميدي في جمعه ٢٠٩/٣ رقم ٢٤٥٧ في المتفق عليه، مع حديث أبي هريرة الذي تقدم بعد حديث رقم ١٩٨٦ وهو متفق عليه، فظنَّ المؤلف أن حديثه هذا أيضًا متفق عليه. ثمَّ الحديث عند البخاري في آخره زيادة: (وقال: لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب) وهذا لفظ متفق عليه، ولعل هذا مما جعل المؤلف يعزوه إلى الصحيحين.

(٢) فتح الباري ١٧/٦.

ما بين المقبض والسية، وسِيَة القوس: بالكسر مخففة ما عطف من طرفيها، والجمع سِيَات.

واسمية الجملة تفصح عن ثبات دلالتها، وديمومتها، وهذه حقيقة واقعة لا مراء فيها فأقل جزء من مكونات الجنة ومشاهدها خير من الدنيا وما فيها، والتعبير بقوله مما تطلع عليه الشمس أو تغرب، كناية عن أن الجنة خير ما نشاهده في عالم الحس من الأجرام السماوية، والتضاريس الأرضية، وكل جرم أو كائن يصافحه ضوء الشمس أو يغرب عنه، والتعبير بالفعل المضارع في قوله (تطلع أو تغرب) يومئ إلى التَكْرار والتجدد والاستمرار في كل وقت مهما تشكلت الطبيعة، ومهما عرف الناس من وسائل التقدم والاختراعات، فما أروع هذا الإيجاز في الحديث النبوي الذي يصل إلى حد الإعجاز البياني في صياغته ودلالته وشموليته والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان مكانة أماكن ومواضع الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: السعي إلى الجنة والزهد في الدنيا.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: الترغيب والتشويق.

أولاً - من موضوعات الدعوة: بيان مكانة أماكن ومواضع الجنة:

جاءت الإشارة إلى ذلك في صريح قوله ﷺ: "لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب"، وتمام هذا الحديث: ((لَقابُ قَوسٍ في الجنة خيرٌ مما تطلُعَ عليهِ الشمسُ وتغربُ. وقال: لغَدوةٌ أو رَوحة في سبيلِ اللهِ خير مما تطلُعُ عليهِ الشمسُ وتغربُ))[1].

قال ابن حجر: (قال ابن دقيق العيد: إن بيان أن أقل قدر في الجنة خير من الدنيا وما فيها يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون من باب تنزيل المغيب منزلة المحسوس تحقيقًا له في النفس، لكون الدنيا محسوسة في النفس مستعظمة في الطباع، فلذلك وقعت

(١) أخرجه البخاري ٢٧٩٢.

المفاضلة بها، وإلا فمن المعلوم أن جميع ما في الدنيا لا يساوي ذرة مما في الجنة. والثاني أن المراد أن هذا القدر من الثواب خير من الثواب الذي يحصل لمن لو حصلت له الدنيا كلها لأنفقها في طاعة الله تعالى. والحاصل أن المراد تسهيل أمر الدنيا وتعظيم أمر الجهاد، وأن من حصل له من الجنة قدرَ سوط أو قدرَ قوس يصير كأنه حصل له أمر أعظم من جميع ما في الدنيا، فكيف بمن حصل منها أعلى الدرجات، والنكتة في ذلك أن سبب التأخير عن الجهاد الميل إلى سبب من أسباب الدنيا، فنبه هذا المتأخر أن هذا القدر اليسير من الجنة أفضل من جميع ما في الدنيا)[1]. قال ابن علان: (قوله: "لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب" أي: قدر ما بين المقبض والسية من القوس خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب شك من الراوي، ويحتمل أن يكون: "أو" فيه، بمعنى الواو، فيكون الجمع بينهما إطنابًا تأكيدًا لبيان فضل الجنة"[2]، ومن يقرأ أوصاف الجنة وما اشتملت عليه من النفائس ليدرك معنى ذلك، ولا أدل على بيان أن أقل القليل في الجنة خير من الدنيا ما كتب لنعيم الجنة من دوام وللدنيا من فناء، فعن الجنان قال تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى عن الدنيا: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[5]، وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[6]، قال ابن رجب الحنبلي: "والمتاع هو ما يتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى، فما عيبت الدنيا بأبلغ من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدلّ دليل على انقضائها وزوالها،

---

(١) انظر: فتح الباري ١٨/٦.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة النحل، آية: ٩٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ٣٨.

(٦) سورة غافر، آية: ٣٩.

من ذكر فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدلّ دليل على انقضائها وزوالها، فتتبدل صحتها بالسقم، ووجودها بالعدم وشبيبتها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، وحياتها بالموت، فتفارق الأجسام النفوس، وعمارتها بالخراب، واجتماعها بفرقة الأحباب، وكل ما فوق التراب تراب"[١].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: السعي إلى الجنة والزهد في الدنيا:

إن الإيمان باليوم الآخر، وما يشتمل عليه من ثواب وعقاب وغيرهما من الحقائق العظمى، يجعل العبد على بصيرة من أمره في دينه ودنياه.

إن الإنسان إذا استحضر عقابًا للذنب وثوابًا للعمل الصالح يتولد عنده خوف يحمله على اجتناب المحارم جميعها ويجتهد في الطاعة حتى يكون من السعداء[٢]، بالجنة التي لا يدركها عقل ولا يحيط بها وصف، إن موضعًا بسيطًا في الجنة قدر موضع سوط أو قوس خير من الدنيا وما فيها، وفي ذلك بيان من النبي ﷺ لمدى قيمة الدنيا بالنسبة إلى الجنة، وأن أقل شيء في الجنة أفضل مما طلعت عليه الشمس من الدنيا، فقال ﷺ: (لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب)، فإن عيوب الدنيا بادية، وهي بعبرها ومواعظها منادية، لكن حبها يعمي ويصم، فلا يسمع محبها نداءها ولا يرى كشفها للغير وإيذاءها.

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيته ... وجامع بددت ما يجمع[٣]

كم قد تبدل نعيمها بالضر والبؤس، كم أصبح من هو واثق يملكها وأمسى وهو منها قنوط يئوس[٤]، قال ابن القيم: (إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة، ومتعلقه ستة أشياء لا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها وهي:

---

(١) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٧٠.

(٢) انظر: التوحيد وأثره على العبيد، خميس بن السعيد محمد، ص ٥٢٥.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٧٨/٦، ومعجم الأدباء، قافية العين ٣١٦/١.

(٤) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٧١.

المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسوة، وكان علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير)[١].

ومما يعين على الزهد أمور منها: علم العبد أن الدنيا ظل زائل، وخيال زائر، فهي كما قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾[٢]، وسماها الله متاع الغرور ونهى عن الاغترار بها، وأخبرنا عن سوء عاقبة المغترين، وحذرنا مثل مصارعهم، وذم من رضي بها واطمأن إليها"[٣]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٤] قال ابن كثير: أي أن المعاد كائن لا محالة فلا تغرنكم العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية ولا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فإنه غرّار كذاب أفاك، وهذه الآية كالآية في آخر سورة لقمان: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٥])[٦]، فلا تغرنكم الحياة بلذاتها وشهواتها ومطالبها النفسية فتلهيكم عما خلقتم له، ولا يغرنكم الشيطان وهو عدو لكم، ولتكن منكم عداوته ولا تهملوا محاربته كل وقت فإنه يراكم وأنتم لا ترونه وهو دائمًا لكم بالمرصاد[٧].

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم ١٣/٢ - ١٤.

(٢) سورة الحديد، آية: ٢٠.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ٢٥٤/١.

(٤) سورة فاطر، آية: ٥.

(٥) سورة لقمان، آية: ٣٣.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ج٥٣٤/٦.

(٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٣١.

ثالثًا- من أساليب الدعوة: الترغيب والتشويق:

جاء الترغيب واضحًا في الحديث في بيان رسول الله ﷺ لعلو قدر الجنة وأنه لا يضاهيها شيء، وفي ذلك ترغيب ظاهر في التمسك بأسبابها والتماس ما تستحق به من أعمال، فقال ﷺ: (لقاب قوس في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب)، وأسلوب الترغيب من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة في نفوس المدعوين، وهو أحد أسلوبي الموعظة الحسنة التي أمر الله به في الدعوة إليه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وذلك أشد ما يكون ملائمة لنفس الإنسان، التي جبلت على حب الخير والسعي في الحصول عليه، وإذا تواصل الترغيب بين الوقت والآخر يكون أثره مستمرًا ودائمًا، ومن هنا يأتي دور الدعاة والعلماء في تذكير الناس من المسلمين بما أعده الله لهم إن هم أطاعوه، من جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين[2]، وقد جاءت النصوص الكثيرة في القرآن والسنة ترغب في الطاعة بذكر ما أعده الله تعالى للمؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3]، ومن السنة ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال اللهُ تعالى: أعددتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطرَ على قلبِ بَشَر. فاقرؤوا إن شِئتم: ﴿فلا تَعلمُ نَفس ما أخفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أعيُن﴾))[4].

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية، د. حمدان الهجاري، ص ٤٤٠ - ٤٤٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٨٢.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

الحديث رقم (١٨٩١)

١٨٩١- وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ في الجنَّةِ سُوقًا يَأتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالاً فَيَرْجِعُونَ إلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَد ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لقدِ ازْدَدْتُم[1] حُسْنًا وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمالاً!)) رواه مسلم[2].

ترجمة الراوي:

أنس بن مالك: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٤).

غريب الألفاظ:

فتحثو: تنهال[3].

الشرح الأدبي

إن نعيم الجنة يتفرد في خصوصيته، فهو أنقى وأصفى وأسمى وأبهى من أي متاع دنيوي، وفي سياق الإخبار عن هذا النعيم يقدم المصطفى ﷺ بعض الصور المستمدة من مصادر الزينة والجمال في الدنيا، حتى يدرك الناس بعض معالم هذا الجمال الأخروي.

ومن مظاهر الجمال الأسلوبي في هذا الحديث البدء بالتأكيد في قوله: (إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة) وهذا التأكيد لطمأنة الصالحين، وللرد على الجاحدين المتشككين الذين لا يؤمنون بالغيب ولا بالبعث ويقولون: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر.

وتنكير قوله: (سوقا) للتعميم وعدم التحديد، فالتعريف هنا ينأى عن البلاغة التي يتسم بها البيان النبوي، والضمير في قوله: (يأتونها) يعود إلى الصالحين والمتقين الذي أعد الله لهم الجنة، وعدل عن الإظهار إلى الإضمار للإيحاء بأن أهل الجنة الذين

---

(١) عند مسلم زيادة: (بَعْدَنا).

(٢) برقم ٢٨٣٣/١٣. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٤٣.

(٣) الوسيط في (ح ث و).

يتزاورون ويلتقون في سوقها، معروفون بإيمانهم وصلاحهم، ولن يدخلها سواهم، وقوله: "كل جمعة" معناه المراد: في مقدار كل جمعة، أي أسبوع وليس المقصود الأيام العادية الدنيوية وذلك لفقد الشمس والليل والنهار.

وتحديد الريح بأنها ريح الشمال، وارتباطها بالعطر والمسك في الجنة سببه أن ريح المطر عند العرب كانت تهب من جهة الشام وبها يأتي سحاب المطر، وقيل: جاء في الحديث تسمية هذه الريح المثيرة: أي المحركة لأنها تثير في وجوه أهل الجنة ما تثيره من مسك الجنة وغيره من نعيمها.

ومن سمات جماليات الأداء الأسلوبي: تَكْرَار بعض الجمل التي تضفي على أهل الجنة البهاء والجمال، ولنتأمل تكرار هذه الجملة التي تتفق في معظم حروفها وكلماتها، ودلالتها واحدة، وهي تبرز أثر الريح المسكية التي تحثو في وجوه أهل الجنة وثيابهم المسك وقيل: حُذف المفعول به "لتحثو" للتعميم ولتذهب النفس في تعين ما يحثى به كل مذهب - كما يقول صاحب دليل الفالحين - ولنعد إلى تأمل تَكْرَار هذه الجمل وما يحدثه التَكْرَار من وقع جميل وأثر نبيل في كل نفس مسلمة (فيزدادون حسنًا وجمالاً) (وقد زدادوا حسنًا وجمالاً)، (والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً وأنتم والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً)، وعلى الرغم من هذا التَكْرار المتوالي لهذه الجمل في هذا الحوار العذب الجميل، فإننا لم نشعر بالرتابة أو الإسهاب اللفظي، ولكن الكلام له وقع مؤثر، وجمال يأسر، والحركة في الحديث تَتَوالى، وأهل الجنة يزدادون حسنًا. في ظل تلاحق الأحداث، وسرعة الحركة. وذلك من خلال العطف بالفاء في أغلب جمل الحديث على هذا النسق (يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم فيزدادون حسنًا فيرجعون إلى أهليهم فيقول لهم أهلوهم.. فيقولون) إن هذا التلاحق السريع في استكمال مشاهد النعيم أفصحت عنه الفاء التي شحنت الأفعال والأحداث بطاقة الحركة والتفاخر بالجمال والحسن والبهاء... والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: اجتماع أهل الجنة كل جمعة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: زيادة حسن وجمال أهل الجنة بعد لقائهم يوم الجمعة.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

أولاً- من موضوعات الدعوة: اجتماع أهل الجنة كل جمعة:

من ألوان تنعيم الله لأهل الجنة ما يجدونه من حسن ونعيم بمرور الدهور والأزمان وما يقام لهم في الجنة من اجتماعات وأسواق ونحوها إيناسًا لهم[1]، بخلاف نعيم الدنيا والذي في الغالب ما يتطرق إليه المَلَلُ والسأمُ من الاعتياد، وإلى ذلك جاءت الإشارة في الحديث في قوله ﷺ "إن في الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة". قال القاضي عياض: (وقوله: "إن في الجنة لسوقًا" الحديث، يريد: مجتمعًا لأهل الجنة، كما تجتمع إلى السوق في الدنيا، وهذا يوم المزار وهو يوم الجمعة، ويوم المزيد، كما قال في الحديث. وسمي السوق سوقًا؛ لسَوْق من يأتيها من الناس ببضائعهم إليها. والسوق يذكر ويؤنث)[2].

وقال القرطبي: (وسمي السوق سوقًا لقيام الناس فيها على ساق، وقيل: لسوق الناس بضائعهم إليها، فيحتمل أن يكون سوقُ الجنة عبارة عن مجتمع أهل الجنة، ومحل تزاورهم، وسُمِّي سوقًا بالمعنى الأول، ويؤيد هذا أن أهل الجنة لا يفقدون شيئًا يحتاجون إلى شرائه من السوق، ويحتمل أن يكون سوقًا مشتملاً على محاسن ومشتهيات ومستلذات، تجمع هنالك مرتَّبة محسَّنة، كما تُجمع في الأسواق، حتى إذا جاء أهل الجنة فرأوها، فمن اشتهى شيئًا وصل إليه من غير مبايعة ولا معاوضة، ونعيم الجنة وخيرها أعظم وأوسع من ذلك كله، وخص يوم الجمعة بذلك لفضيلته، ولِمَا خصه الله تعالى به من الأمور التي تقدَّم ذكرُها؛ ولأنه يوم المزيد. أي: اليوم الذي يوفَّى لهم ما وُعدوا به من الزيادة. وأيام الجنة تقديرية؛ إذ لا ليل هناك ولا نهار، وإنما هناك أنوار

---

(١) انظر: شرح رياض الصالحين، د. الحسيني هاشم، ص ٨٤٨.

(٢) إكمال المعلم ٨/٣٦٤.

متوالية لا ظلمة معها، على ما يأتي إن شاء الله تعالى[١].

قال النووي: (والمراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق، ومعنى يأتونها كل جمعة، أي في مقدار كل جمعة أي أسبوع، وليس هناك حقيقة أسبوع، لفقد الشمس والليل والنهار[٢]. وجاء في مسند الإمام أحمد بيان ما يجلسون عليه في هذه السوق، فعن أنس ((أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ لأَهْلِ الْجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فِيهَا كُثْبَانُ الْمِسْكِ))[٣] أي تلال المسك، يجلسون عليها[٤].

ثانيًا - من موضوعات الدعوة: زيادة حسن وجمال أهل الجنة بعد لقائهم يوم الجمعة:

إن جمال أهل الجنة لا مثيل له ولا نظير وهو دائمًا في تجدد وازدياد وذلك ما أخبرنا به النبي ﷺ في الحديث "فتهب ريح الشمال فتحثوا في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنًا وجمالاً. قال القاضي عياض: ("فتهب ريح الشمال": بفتح الشين والميم، قال صاحب العين: الشمال والشمأل ساكنة الميم -مهموز- والشأمل بتقديم الهمزة، والشمل بفتح الميم بغير ألف، والشُمُول بفتح الشين وضم الميم: الريح، وهي التي تأتي من دبر القبلة. وخص ريح الجنة بالشمال -والله أعلم- بأنها ريح المطر عند العرب، كانت تهب من الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانت ترجى السحاب الشامية؛ ولذلك أيضًا سمى هذه الريح في الحديث الآخر: "المثيرة"، كما قال: "فتحثوا في وجوههم" يعني ما يثيره من مسك أرض الجنة وغير ذلك من نعيمها وهو مقابلة الجنوب[٥]. وقال القرطبي: (وقوله: "فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم" ريحُ الشمال في الدنيا: هي التي تأتي بلاد العرب بالأمطار، فهي عندهم أحسنُ الأرياح، فلذلك سمِّي ريح الجنة بالشمال، وقد سُمِّيت هذه الريحُ في حديث بالمثيرة؛ لأنها تثير النعيم والطيب على أهل الجنة[٦].

قال النووي: (قال القاضي: وخص ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب،

---

(١) المفهم ١٧٨/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٦٥٤.

(٣) أخرجه أحمد ٣٨٥/٣ رقم ١٤٠٣٥، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم ٤٣٠/٢١.

(٤) انظر: تحفة الأحوذي، المباركفوري، ١٩٦٢/٢.

(٥) إكمال المعلم ٣٦٤/٨.

(٦) المفهم ١٧٨/٧.

كانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشامية[١]، فيزدادون حسنًا وجمالاً لما تثيره هذه الريح في وجوه أهل الجنة من مسك الجنة وغيره من نعيمها[٢].

وكل ذلك وغيره من المذكور في الجنة ونعيمها يوجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار، وأحسن ما فيها وأنعم ما فيها ينظرون إلى الله عز وجل نظرًا حقيقيًا، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٤] والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[٥].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث، فيما حكاه النبي ﷺ عما يكون بين أهل الجنة وأهليهم من سؤال وجواب "فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً، فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً" وفي ذلك إخبار لما يدور بين أهل الجنة وأهليهم من حوار يحمل معنى السؤال عن سبب زيادتهم في الحسن والجمال[٦]، وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب الدعوية المفيدة لما فيه من قيمة تأثيرية عظيمة في نفوس المدعوين، فهي تجعلهم في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة أسئلتهم التي طرحوها، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك[٧].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٦٥٤.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٢.

(٣) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ١٩١٦/٢.

(٦) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته، خالد محمد المغامسي، ص ٨١، ٨٢.

(٧) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٥٨/٢، ٥٩.

الحديث رقم (١٨٩٢)

١٨٩٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَراءونَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءونَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

غريب الألفاظ:

ليتراءون: أي: أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلا ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم[2].

الشرح الأدبي

هذا الحديث جزء من حديث سبق شرحه في هذا الباب، ولكن هذا الحديث يتسم ويتفرد بأن الترائي للغرف نفسها، وليس لأهل الغرف كما في الحديث السابق، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[4].

وقال العلماء: إن الغرفة هي الجنة سميت بذلك لارتفاعها، وقال بعضهم: إنها الدرجة العليا في الجنة، وهي اسم جنس أريد به الجمع، الغرفة أعلى منازل الجنة، وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، وهذه الدلالات التي قدمها العلماء

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٥٥، ومسلم ١٠/٢٨٣٠ ولفظهما سواء.

(٢) فتح الباري ٦/٣٧٧.

(٣) سورة سبأ، آية: ٣٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٢٠

للغرفة تعد دعوة لترغيب المسلم فيما أعد الله له من جنة لا يسع الإنسان بوضعه البشري وإمكاناته المحدودة أن يتعرف إلى حقيقتها كما هي في علم الله، وقد تكون تلك الصفات التي جاءت في سياق وصف الغرف في القرآن والحديث، منازل أو درجات في الجنة، والناس - كما هو معروف - درجات عند الله عز وجل[1].

والحديث يصوغه الرسول ﷺ في الحديث عن الغرف... وكيفية إدراك أهل الجنة لها في قالب الجملة الاسمية، ويبدأ الحديث بالتوكيد، ويعقد موازنة بين رؤية أهل الجنة للغرف، ورؤية أهل الدنيا للكوكب في السماء.

وفي هذه المشابهة إعلان عن حجم هذه الغرف، وشدة وهجها ودوام تألقها... فهي كما قال رسول الله ﷺ خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، وطولها في السماء ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[2]

(١) انظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل أبو عودة.

(٢) تم دمجها مع مضامين الحديث رقم (١٨٨٩).

الحديث رقم (١٨٩٣)

١٨٩٣- وعنه ﷺ، قال: شَهِدْتُ مِنَ النبيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: ((فيهَا مَا لاَ عَينٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٦ - ١٧]. رواه البخاريُّ[1].

ترجمة الراوي:

سهل بن سعد الساعدي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٥).

الشرح الأدبي

لقد سبق شرح هذا الحديث برواية أبي هريرة ﷺ، ولكن هذه الرواية تختلف مقدمتها عن الرواية السابقة، حيث يروي سهل بن سعد ﷺ أنه شهد من رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: (فيها ما لا عين رأت... إلخ الحديث).

وهذه المقدمة تفصح عن أن رسول الله ﷺ أطنب في وصف الجنة، وقوله: (حتى انتهى) تشير إلى هذا الإطناب لأن (حتى) غائية... وقوله (انتهى) يدل على أن الوصف له بدايات ومقدمات ثم موضوع فصل فيه الرسول ﷺ القول في وصف الجنة، وقوله (شهدت من رسول الله) فيه إيماء إلى التأدب مع رسول الله ﷺ حيث لم يقل شهدت مع رسول الله مجلسًا... خوفًا من الإيهام بالمشاركة في المجلس: حديثًا وتعليمًا وعدل عن قوله مع إلى قوله (من) للإيحاء بأنه يتلقى من رسول الله التعاليم، ويسمع للوصف مثله مثل كل الصحابة الأخيار الأبرار الأطهار، رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم ٢٨٢٥/٥ ولم يروه البخاري. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٨ وعزاه إلى مسلم فقط. وأما الحديث المتفق عليه، فهو عن أبي هريرة، أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤/٢. وأورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٧.

وقوله: (ثم قال في آخر حديثه) يدل على الأناة والتمهل، أي: قال هذه الأوصاف التي يعز تحقيقها ووجودها في أي مظهر بشري دنيوي.. بعد أن أفاض كثيرًا في وصف الجنة.

والحديث يجمع بين النص النبوي، والنص القرآني، والاستشهاد بالقرآن تأكيد لصدق الأوصاف، وترغيب في الإقبال على العمل الصالح للفوز بهذا الجزاء الأوفى، والنعيم الخالد... والله أعلم.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على شهود مجالس النبي ﷺ والإفادة منه.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم الجنة.

ثالثًا: من مصادر الدعوة: القرآن الكريم.

أولاً- من موضوعات الدعوة: حرص الصحابة رضوان الله عليهم على شهود مجالس النبي ﷺ والإفادة منه:

أشير إلى ذلك في الحديث؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "شهدت مع رسول الله ﷺ مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى" فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أحرص ما يكونون على مجالسته ﷺ والاستماع إليه، وسؤاله عن كل ما لا يعرفونه أو يشكل عليهم في كل ما يعن لهم من شؤون الدين، بل في الكثير من شؤون الدنيا[1]، ولقد كان لذلك أكبر الأثر في حفظ السنة ونقلها إلى من بعدهم، فلقد تلقوا السنة وشاركوا في تطبيقها، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة العلمية مخلصين، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة وإرادة قوية في اتباع ما به يتم إيمانهم، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال، كل ذلك كان له الأثر الكبير في حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلى من بعدهم[2]، وفي الحديث دلالة على

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، د. حمود الرحيلي، ص ١٧، ١٨.

(٢) السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، ص ٦٧.

الحرص على حضور مجالس رسول الله ﷺ، حرصًا شديدًا، ومن كان منهم يفوته مجلس أو يعسر عليه الحضور الدائم، كان يتناوب الحضور مع غيره كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه، قال: ((كنتُ أنا وجارٌ لي مِنَ الأنصارِ في بني أُمَيَّةَ بن زيدٍ - وهيَ مِن عوالي المدينةِ - وكنا نَتَناوَبُ النُّزولَ عَلَى رسول الله ﷺ، يَنزِلُ يَومًا وأَنزِلُ يَومًا، فإذا نَزَلتُ جِئتُه بِخَبرِ ذلكَ اليومِ مِنَ الوحيِ وغيرِه، وإذا نَزَلَ فَعلَ مِثلَ ذلِكَ))[1].

قال ابن حجر: (وفي الحديث أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين به على طلب العلم وغيره، مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته[2] لما عُلم من حال عمر أنه كان يعمل بالتجارة، ومع ذلك كان يتناوب مع أخيه الأنصاري حضور مجالس رسول الله ﷺ ويسأله عما يفوته.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ لنعيم الجنة:

جاء في الحديث وصف الجنة، وبيانه ﷺ لاحتوائها على ما لم يخطر على قلب بشر، ثم قال في آخر حديثه: "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" ثم قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[3] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4] وجاء هذا في معنى الحديث القدسي "أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرًا، بله ما أطلعكم الله عليه" والمعنى: دع عنك ما أطلعكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم[5]. ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[6]، قال القرطبي: (قال ابن عباس رضي الله عنهما الأمر في هذا أجل وأعظم من أن

---

(١) أخرجه البخاري ٨٩.

(٢) فتح الباري ١/٢٢٤.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٦.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٢.

(٦) سورة السجدة، آية: ١٧.

يُعرف تفسيره، وقال الحسن: أخفى القوم أعمالاً فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت)[١].

لقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر المؤمنين بما في الجنة من نعيم ومسارّ، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٢] وفي ذلك إخبار بما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة من أشجار مثمرة، وأنهار تجري في الجنة بين أشجارها وقصورها، كلما رزقهم الله في هذه الجنات رزقًا من ثمارها قالوا هذا يشبه ما رزقنا من قبل في الدنيا، لأن هذه الثمرات التي ينالونها تتشابه مع ثمار الدنيا في الصورة والجنس ولكنها تختلف في الطعم واللذة، ولهم فيها زوجات كاملات الطهارة ليس فيهم ما يُعاب وأهل الجنة سَيَحْيَوْن في هذه الجنات حياة أبدية خالدة[٣] ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[٤].

ثالثًا- من مصادر الدعوة: القرآن الكريم:

جاء ذكر القرآن الكريم في الحديث بالاستدلال منه ما يعضد الحديث، فقال ﷺ "فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" ثم قرأ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥] فالقرآن هو أساس الدين ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله ﷺ امتثالاً لأمر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن مج٧/١٤/١٠٤، ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥.

(٣) انظر: روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ص ١٢٩.

(٤) سورة المطففين، آية: ٢٦.

(٥) سورة السجدة، آية: ١٦، ١٧.

ربه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] والقرآن الكريم كتاب هداية يهتدي به من قرأه أو حفظه وتدبر معانيه واتعظ بما فيه، فتلزمه الحجة، ولذا كان تدبره واجبًا، حتى يفتح مغاليق القلوب، وتستنير به الأفئدة ويقود الناس إلى الوقوف عند حدوده، والعمل بما فيه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2][3] (والقرآن كتاب متوازن فيما جاء به من هداية، وما عرضه من موضوعات، وما عالجه من مشكلات، يحقق انسجامًا بين الروح والمادة، وبين العقل والقلب، وبين الحقوق والواجبات، وهو كتاب عملي يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان، كما صلح للتطبيق في عصره ﷺ، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل، ودستور خاتم الأديان، ولو لم يكن عمليًا لأنزل الله بعده كتبًا أخرى، كما أنزل الإنجيل بعد التوراة وأنزل القرآن بعدهما، فسبحان من لا تنفد كلماته[4]، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[5].

إن القرآن هو مصدر التشريع والثقافة الأول عند المسلمين. لا ينكر إنسان أن القرآن هو مصدر ثقافة المسلمين الأول، وقد بهر القرآن بآياته عقول متبعيه وجاحديه منذ نزوله، وبخاصة أن حروفه من حروف العربية، لم يزد عليها حرفًا ولم يترك منها آخر، ومفردات كلماته هي من مفردات كلام العرب، ومع علم العرب بالمحسنات البديعية وثنائهم على بعض الأعمال الأدبية، واختيارهم بعضها لتكون تاجًا للأعمال الإنسانية، يوضع في جوف الكعبة كالمعلقات السبع ... إلخ.

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٧.

(٢) سورة ص، آية: ٢٩.

(٣) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، ص ٤٢، ٤٣.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٥) سورة الكهف، آية: ١٠٩.

إلا أن العرب قد سمعوا كلامًا عربيًا، خالف سائر النظم العربي، حتى قال قائلهم -وهو كافر بالدين الإسلامي- والله لقد سمعت من محمد كلامًا، ما هو بكلام الإنس ولا بكلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه...، وما قصة إيمان عمر بخافية عن أحد، وقد أثر فيه سماعه القرآن من صهره في بعض الروايات، ومن رسول الله ﷺ في روايات أخرى، وهو مختبئ في جوف الكعبة.

إن القرآن بحر زاخر بالعلوم والمعارف، وإن استنباط هذه العلوم مرتبط ببذل الجهد واستفراغ الوسع، حتى يمكن تحصيل الكثير من لآلئه، وكما أن عطاء البحار والمحيطات لا ينضب بل يزداد بازدياد الكشوف العلمية، كذلك عطاء القرآن، لا يتوقف عند حد، ولن يتوقف إذا عجز العقل الإنساني عن التفكير.

لقد أدهش نصه الشرق والغرب، وعجب كثيرون من غير المسلمين من محتواه، واستنبطوا منه الكثير من المعاني، ولهم أقوال مشهورة في الثناء عليه، كقول أحدهم: إن الله جمع الطب كله للمسلمين في نصف آية "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" وذهول أحدهم عندما تلى الآية الكريمة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]. فقال ما أنبأ محمد بهذا غير الله، ... إلخ.

إن أثر القرآن في الثقافة الإسلامية واضح، وله أثره في الثقافة العالمية، فلقد أسست مدارس وأنشأت معاهد، وعقدت مؤتمرات وقدمت أبحاث في بلاد الغرب، كلها تهدف إلى دراسة القرآن خاصة والإسلام عامة، وكانت نتيجة البحوث كما نعلم: المادح، القادح، المضطرب، الذي لا يعرف الاستقرار في الرأي... إلخ وهكذا ضوء الشمس بالنسبة للناظرين)[2].

---

(١) سورة فاطر، آية: ٢٧، ٢٨.

(٢) انظر: المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، د. بكر زكي عوض، ص ٤٢، ص ٦٨، ٦٩.

الحديث رقم (١٨٩٤)

١٨٩٤- وعن أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((إذَا دَخَلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ)[١] يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحْيَوْا، فَلاَ تَمُوتُوا أبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا، فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَنْعَمُوا، فَلاَ تَبْأسُوا أبَدًا)) رواه مسلم[٢].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

تسقموا: فلا تمرضوا[٣].

تهرموا: فلا تكبروا[٤].

تبأسوا: لا تحزنوا[٥].

الشرح الأدبي

حين نتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، نجده يتضمن مقدمة وأربع بشارات، يبشر الله بها أهل الجنة في أول قدومهم ودخولهم دار القرار والرضوان، وكل بشارة تمثل صفة من صفات أهل الجنة، وتعد قاعدة من قواعد النعيم الذي يتنعم به الصالحون الذين غمرهم الرضوان الإلهي، فهم في هذا النعيم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) هذه الزيادة لا توجد عند مسلم، وهي عند المنذري في ترغيبه، وتبعه عليه المؤلف. وهذه الزيادة عن هناد في الزهد ١٧٥.

(٢) برقم ٢٨٣٧/٢٢. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٧٦.

(٣) النهاية في (س ق م).

(٤) النهاية (في (هـ ر م).

(٥) النهاية في (ب أ س).

والمقدمة صيغت في قالب: الجواب والشرط، وهذه الصياغة تتسق مع جو الحديث وطبق معانيه، لأن الله أعد لهم الجنة جزاء وفاقًا لما قدموه من صالح الأعمال، وأداة الشرط (إذا) مناسبة لسياق الدلالة وآفاق المعنى لانها تفيد التحقق. فدخول الجنة حقيقة ثابتة وقد وُعد بها المتقون من لدن عزيز حكيم؛ ومن مظاهر الجمال الأسلوبي تكرار التأكيد بإن وضمير المخاطب المقترن باللام في قوله: (إن لكم) أربع مرات في بداية كل بشرى من هذه البشريات المضيئات بنعيم الله ورضوانه، وهذا التكرار يؤكد أحقية هؤلاء الصالحين في الفوز بهذا النعيم فهم يحيون ولا يموتون، ويصحون ولا يسقمون، ويشبون ولا يهرمون، وينعمون ولا ييأسون، واللام تدل على الملكية وتوحي بأن هذا النعيم أصبح ملكًا لهم.

والطباق بين الأفعال في كل جملة من هذه الجمل المبشرة يدفع إلى التأمل والموازنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وبين نعيم أهل الجنان، وعذاب أهل النيران، والتضاد بين دلالة الأفعال يقترن به التضاد بين حالات الإثبات وحالات النفي، فالصفات التي تعد من مظاهر النعيم ثابتة، أما الصفات التي تعد من مظاهر النقص والمثالب الدنيوية فهي تجيء في إطار النفي، ونفيها إثبات ضدها، ولنتأمل هذا التنسيق الجميل في صياغة العبارات، وهذا التوازي العجيب في التراكيب والأساليب، وكأن هذا التوازن في بناء العبارات صورة لتوازن نفسية المسلم الذي فاز بالدرجات العلى في جنة عرضها السماوات والأرض، فما أبلغ هذه الأساليب أن تحيوا ولا تموتوا، وأن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبو فلا تهرموا أبدًا، وأن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا.

وتكرار قوله: (أبدًا) أربع مرات تقييد لما سبق ذكره من حالات الموت والسقم والهرم والبؤس وقد ورد العطف في الجملة الأولى بحرف الواو، وفي الجمل الثلاث الأخيرة بحرف الفاء، وقيل في تعليل ذلك: بتسبب ما بعد العاطف عما قبله في الجمل الثلاث الأخيرة لا في الأولى، جعلنا الله من أهل الجنة.. وهل بعد هذا النعيم نعيم؟ حياة بلا موت، وصحة بلا سقم، وشباب بلا هرم، وتنعم بلا بؤس!!

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا

﴿٣٦ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾[1].

المضامين الدعوية[2]

أولاً: من موضوعات الدعوة: الحياة الأبدية وعدم الموت في الجنة.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: من نعيم الجنة الصحة والشباب والنعيم المقيم.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: التوكيد.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ أن أدنى مقعد في الجنة أن يقال لصاحبه تمنَّ فيتمنى.

أولاً- من موضوعات الدعوة: الحياة الأبدية وعدم الموت في الجنة:

إن من ألوان نعيم أهل الجنة اطمئنانهم إلى دوام نعيمها وعدم خوفهم من زواله عنهم أو زوالهم عنه، وذلك من أول البشائر التي يتلقاها أهل الجنة عند دخولهم إياها وإكرام الله لهم بها، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾[3]. وقد جاء في الحديث ما يوافق ذلك، فقال ﷺ: "إذا أدخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ: إن لكم أن تحيوا ولا تموتوا أبدًا" فهم في نعيم دائم، وحياة أبدية، لا يخافون الموت ولا السقم ولا انقطاع ما هم فيه من النعيم[4].

وقد جاءت النصوص الكثيرة بانقضاء الموت وأبدية الحياة في الآخرة، سواء في الجنة أو في النار، فعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ((يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) سورة النبأ، الآيات: ٣١ - ٣٦.

(٢) تم دمج المضامين الدعوية لهذا الحديث -١٨٩٤- مع المضامين الدعوية الدعوية للحديث رقم (١٨٩٥).

(٣) سورة الزمر، آية: ٧٣، ٧٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٥/٢.

كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: وَيُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: نَعَمْ. هَذَا الْمَوْتُ. قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ. وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا))[2]. إضافة إلى ذلك فإن كثيرًا من أسماء الجنة تحمل معنى الخلود والديمومة، ومن ذلك "دار المقامة" قال تعالى حكاية عن أهل الجنة ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[3]، قال مقاتل: أنزلوا دار الخلود، أقاموا فيها أبدًا، لا يموتون، ولا يتحولون منها أبدًا، ومنها "جنات عدن" قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾[4] أي جنات إقامة[5] ومنها "دار الحيوان قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[6] أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها.

وعن أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد وأنه لا مكان للموت فيها يقول ابن القيم: (هذا مما يعلم بالاضطرار، أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[7]. أي: غير

---

(١) سورة مريم، آية: ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٤٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٤، ٣٥.

(٤) سورة مريم، آية: ٦١.

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ١٣٤.

(٦) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

(٧) سورة هود، آية: ١٠٨.

مقطوع. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ واختلف السلف في هذا الاستثناء. فقال معمر عن الضحاك: هم في الذين يخرجون من النار، فيدخلون الجنة، يقول سبحانه: إنهم خالدون في الجنة ما دامت السماوات والأرض، إلا مدة مكثهم في النار.

قلت: وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع عن قوم مخصوصين، وهم هؤلاء.

والثاني: وهو الأظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء، والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء، وما دلّ عليه. وأحسنُ من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع، حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف. وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص. وقالت فرقة أخرى: هو استثناء استثناهُ الرب تعالى ولا يفعله كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه.

وقالت فرقة أخرى: العرب إذا استثنت شيئًا كثيرًا مع مثله، ومع ما هو أكثر منه، كان معنى إلا في ذلك، ومعنى الواو سواء، والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السماوات والأرض. هذا قول الفراء، وسيبويه: يجعل "إلا" بمعنى لكن. قالوا: ونظير ذلك أن تقول: لي عليك ألف إلا الألفين اللذين قبلها: أي سوى الألفين. قال ابن جرير: وهذا أحبُّ الوجهين إليّ، لأن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1].

قالوا: ونظيره أن يقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت: أي سوى ما شئت، أي: لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقالت فرقة أخرى: هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة، ما بين الموت والبعث، وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة، ثم هو خلود الأبد، فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ. وقالت فرقة أخرى: العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود

---

(١) سورة هود، آية: ١٠٨.

الدائم، إلا أن يشاء الله خلاف ذلك، إعلامًا لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته، وهذا كما قال لنبيه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾[3]، ونظائره يخبر عباده سبحانه، أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقالت فرقة أخرى: المراد بمدة دوام السماوات والأرض في هذا العالم، فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السماوات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه. ولعل هذا قول من قال: إن "إلا" بمعنى "سوى"، ولكن اختلفت عبارته، وهذا اختيار ابن قتيبة. قال: المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم. وقالت فرقة أخرى: "ما" بمعنى، "من"، كقوله: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[4]. والمعنى: إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء. والفرق بين هذا القول، وبين أول الأقوال: أن الاستثناء على ذلك القول من المدة، وعلى هذا القول من الأعيان.

وقالت فرقة أخرى: المراد بالسماوات والأرض: سماء الجنة وأرضها، وهما باقيتان أبدًا وقوله: "إلا ما شاء ربك" إن كانت "ما" بمعنى "من" فهم الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها، وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ الموقف، قال الجعفي: سألت عبدالله بن وهب عن هذا الاستثناء، فقال: سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يُقضى بين الناس.

وقالت فرقة أخرى: الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا، وهذه الأقوال متقاربة، ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت، إلا وقتًا

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٦.

(٢) سورة الشورى، آية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، آية: ١٦.

(٤) سورة النساء، آية: ٣.

يشاء أن لا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة، وعلى كل تقدير فهذه الآية من المتشابه، وقوله فيها: "عطاء غير مجذوذ" محكم، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾[1]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3].

وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[4] وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله: "إلا ما شاء ربك" تبين لك المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمة على حياتهم الأبدية. وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها.

وقد قال النبي ﷺ: ((من يدخل الجنة ينعم لا يبؤس، ويخلد لا يموت))[5]، وقوله: ((ينادي منادٍ يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا))[6].

وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: ((يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقفُ بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة، فيطلعون مشفقين، ويقال: يا أهل النار، فيطلعون فرحين، فيقال: هل تعرفون هذا؛ فيقولون: نعم هذا الموت، فيذبحُ بين الجنة والنار ويقال: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت))[7]، [8].

---

(١) سورة ص، آية: ٥٤.

(٢) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٣) سورة الحجر، آية: ٤٨.

(٤) سورة الدخان، آية: ٥٦.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٣٦.

(٦) أخرجه مسلم ٢٨٣٧.

(٧) أخرجه البخاري ٤٧٣٠، ومسلم ٢٨٤٩.

(٨) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٤٢٦-٤٢٩.

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: من نعيم الجنة الصحة والشباب والنعيم المقيم:

وقد صرح بذلك النبي ﷺ في الحديث، فقال: "وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا"[١]، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا" وذلك إشارة إلى بقاء الجنة، وبقاء جميع ما فيها من النعيم، وأن صفات أهلها الكاملة من الشباب لا تتغير أبدًا، وملابسهم التي عليهم من الثياب لا تبلى أبدًا[٢]، وقد دل القرآن على مثل هذا في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾[٤]، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ لاَ تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ وَلاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُ))[٥]،[٦] وفي رواية "إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا" أي لا يصيبكم بأس، وهو شدة -الحال- وأن تنعموا بأن يدوم لكم النعيم[٧]. وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ وَلاَ تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ))[٨]. وبذلك فإن الله قد أذهب عن أهل الجنة كل نَصَب، وأزاح عنهم كل خوف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[٩] وقال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١٠] أي أزاح عنا الحزن، وهو الخوف من المحذور، أزاحه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٤٦/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مج٣٦٢/١٣/٧.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢١.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣٥.

(٥) أخرجه مسلم ٢٨٣٦.

(٦) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٦٧، ٦٨.

(٧) شرح صحيح مسلم، النووي، ص ١٦٥٦.

(٨) أخرجه الترمذي ٢٥٣٩، والحديث حسنه الألباني (صحيح سنن الترمذي ٢٤٩١).

(٩) سورة الحجر، آية: ٤٥-٤٨.

(١٠) سورة فاطر، آية: ٣٤.

عنا، وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[1] أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء[2]. فإن الجنة لا تعب فيها في الأبدان ولا في القلب والقوى، ولا في كثرة التمتع، وهذا يدل على أن الله تعالى يجعل أبدانهم في نشأة كاملة ويهيئ لهم من أسباب الراحة على الدوام ما يكونون بهذه الصفة بحيث لا يمسهم نصب ولا لغوب ولا هم ولا حزن ويدل على أنهم لا ينامون في الجنة لأن النوم فائدته زوال التعب وحصول الراحة به وأهل الجنة بخلاف ذلك ولأنه موت أصغر وأهل الجنة لا يموتون جعلنا الله منهم بمنِّه وكرمه[3].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد هذا الأسلوب في قوله ﷺ "إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة" وأسلوب التوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة، والغرض منه تقوية الكلام، وإثبات صحته[4] وقد استعمل القرآن أسلوب التوكيد في مواطن جمة منها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[5] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[6] وأسلوب التوكيد يقف بالمدعوين على الحق ومواطنه مؤكدًا ذلك بما لا يدع مجالاً للشك وذلك مما يجعل الدعوة تنفذ إلى قلوب المدعوين وحملهم على الاقتناع بها والامتثال لما جاء فيها.

رابعًا- من موضوعات الدعوة: بيان النبي ﷺ أن أدنى مقعد في الجنة أن يقال لصاحبه تمنَّ فيتمنى:

في بيان ذلك يقول ﷺ "إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له: تمن فيتمنى

---

(١) سورة فاطر، آية: ٣٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥٥٢/٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ٦٣٦.

(٤) الأصل النحوي، توالي الأمثال اللفظية والمعنوية، د. منيرة بنت محمود الحمد، ص ٢٧٣، بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية والعربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الأول، شوال ١٤٢٧هـ.

(٥) سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

(٦) سورة الإسراء، آية: ٩.

ويتمنى، فيقول له هل تمنيت، فيقول: نعم فيقول له فإن لك ما تمنيت ومثله معه" قال الطيبي: (والمعنى أن أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لا تبقى له أمنية، ونحو قول الشاعر:

لم يُبْق جُودك لي شيئًا أؤمله تركتني أصحب الدنيا بلا أمل[1]

قال ابن علان: (في قوله "فيتمنى ويتمنى" الإتيان بالثاني لبيان تعدد تمنيه وكثرة متمناه، فليس القصد منه الثانية فقط، بل التَّكْرار والتكثير[2] وإذا كان هذا حال أدنى أهل الجنة، فما بالنا بحال من فوقه، فحق لعين ترجو الجنة ألا تنام)[3] ، (فيا أيها المريد إنه ينبغي أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه في جنته، والاشتياق إلى ما وصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها، واشتاق إلى نعيمها، لهى عن الرغبة في الدنيا، والحرص عليها والترجح بأمانيها، وترك طلب العلو فيها)[4].

---

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، ٢٤٥/١٠، ٢٤٦، والبيت في نفح الطيب ٤١١/٣، قافية اللام، وشذرات الذهب ١٧٦/٣.

(٢) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٤/٢.

(٤) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ١٨١.

الحديث رقم (١٨٩٥)

١٨٩٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: ((إنَّ أدْنَى مَقْعَدِ أحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى فَيقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)) رواه مسلم[1].

ترجمة الراوي:

أبو هريرة: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٧).

الشرح الأدبي

إن أهل الجنة من المصطفين الأخيار، ومن الكرام الأبرار، وهذا الحديث يقدم صورة من صور إكرام الله لهم، ويخص طائفة من أهل الجنة يحسب الناس أنهم لا يحظون بمزيد من فضل الله وإحسانه وتكريمه، وهم الذين حددهم من خلال هذا النموذج وهو صاحب أدنى مقعد أو أدنى أهل الجنة منزلة، والحديث يموج بعدة ظواهر أسلوبية وفنية تبرهن على تفوق البلاغة النبوية، والبيان المحمدي، ومن هذه الظواهر:

١ - تكرار التوكيد ثلاث مرات في الحديث حيث أكد أبو هريرة رضي الله عنه روايته، وصدقها فبدأ الحديث بقول مسلم في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال، والتأكيد الثاني بإن يأتي في مقام تأكيد الرسول ﷺ لمكانة صاحب أدنى مقعد من الجنة فقال: (إن أدنى مقعد أحدكم) والتأكيد الثالث يجيء في سياق إكرام الله لهذا الأدنى منزلة، فما بالنا بالأعلى منزلة، يقول الله تعالى: إن لك ما تمنيت ومثله معه.

٢ - تكرار مادة التمني خمس مرات في الحديث للإيحاء بتحقيق أمنيات هذا الفريق من أهل الجنة وتكرار الفعل فيتمنى ويتمنى للدلالة على التكثير، ولبيان تعدد تمنيه وكثرة متمناه، فليس القصد منه الثانية فقط، بل التكرار والتكثير.

---

(١) برقم ١٨٢/٣٠١.

٣ - بلاغة الحذف حيث تضمن الحديث حوارًا بين الله عز وجل وبين هذا النموذج من أصحاب الجنة، وفي الحوار حذف يعد من دلائل بلاغة الكلام، ومن براهين حُسن الإفهام، فالفاعل محذوف في قوله أن يقول له: تمن، والفاعل تقديره: الله، أو ملك، يأمره الله عز وجل بمحاورة الرجل، والحذف تكرر في المقطع الثاني والثالث من هذه المحاورة، مع تكرار الفعل نفسه ومتعلقة وهو الجار والمجرور، فيقول له: فيقول له.

٤ - بلاغة الاستفهام في قوله هل تمنيت؟ وهو قد يكون حقيقيًا: أي هل استوفيت ما تتمناه، وقد يكون تقريريًا يقرره بالاستيفاء وهو معلوم، وحذف الفاعل من الجمل الثلاث، للإيحاء بالتأدب مع الله، حتى لا يكون لفظ الجلالة في مواجهة مع هذا النموذج الأدنى منزلة، وإنما الله يعم بكرمه كل أوليائه الصالحين، ويضاعف الله الثواب، ويحقق الرجاء، ويجيب الدعاء: ويقول: فإن لك ما تمنيت ومثله معه.. والله أعلم.

المضامين الدعوية[1]

(١) تم دمجها مع مضامين الحديث السابق.

الحديث رقم (١٨٩٦)

١٨٩٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إنَّ الله عز وجل يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ في يَدَيْكَ، فَيقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيقُولُ: الاَ أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُونَ: وَأيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبَدًا)) متفق عليه[1].

ترجمة الراوي:

أبو سعيد الخدري: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٠).

غريب الألفاظ:

لبيك: تعني: الإجابة والإقامة على الطاعة[2].

سعديك: إسعادًا بعد إسعاد[3].

الشرح الأدبي

هذا الحديث قبسات من نور النبوة وإشعاعات من الرحمة الإلهية، وهو محاورة بين العلي الكبير المتعال وأهل الجنة يقدمها رسول الله ﷺ مبشرًا أولياء الله الصالحين بما يمن الله به عليهم من رضوان عميم، في جنات النعيم، وحين تتأمل جماليات الأداء الأسلوبي في هذا الحديث الشريف، وهذه المحاورة البليغة نجد أن رسول الله ﷺ يبدأ الحديث بمقدمة محصنة بالتوكيد حيث يقول إن الله عز وجل "يقول لأهل الجنة" ومجيء قوله "عز وجل" بعد لفظ الجلالة مناسب للمقام، ومن سمات بلاغة الكلام في هذا السياق فمدلول (عز) أي غلب على مراده فلا معقب له فيه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقول (جل) أي تنزه عما لا يصح قيامه به، وقوله (يقول) يرشد إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٤٩، ومسلم واللفظ له ٢٨٢٩/٩. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٦.

(٢) القاموس المحيط في (ل ب ى).

(٣) القاموس المحيط في (س ع د)

هذا الحوار في الحال والاستقبال وهو كائن في علم الله مقدر، والنداء من الله لأهل الجنة فيه تشريف وتكريم لهم، وقولهم في إجابة النداء (لبيك وسعديك والخير في يديك) يتضمن عدة ملامح جمالية ومنها: (التثنية) في لبيك وسعديك للتكثير والتعدد، وليس المراد بها معنى المُثَنّى فقط، لأن "لبيك" مثنى: أي إجابة بعد إجابة، وكذلك سعديك أي مساعدة بعد مساعدة، فهم يطلبون العون الدائم والمساعدة الدائمة من ربهم، والسجع الإيقاعي بين الكلمات (لبيك وسعديك، ويديك) فيه ترغيب وتأثير وحسن إيقاع في السماع، وهم يعلنون من خلال هذه الصيغة الإيقاعية عن سرورهم، وفرحهم بمخاطبة ربهم) والتعبير بقولهم والخير في يديك، ولم يقولوا والخير والشر في يديك، مع أن الكل بيده: فيه تنبيه على الأدب في خطابه تعالى إذ لا يضاف إليه إلا الجميل، وقولهم لبيك ربنا التعبير بالرب في هذا المقام دون لفظ الجلالة - كما يقول صاحب دليل الفالحين لما تضمنه معناه من التربية والإيصال إلى أَوج الكمال، وذلك مدلوله فأوثر لمناسبته لكمالهم الذي وصلوا إليه.

"وألا" للاستفتاح والعرض في قوله (ألا أعطيكم أفضل من ذلك)، وتدل على محبة الله لهم، وعلى التمهيد للبشرى القادمة والرضوان الأكبر، والاستفهام في قولهم: (وأي شيء أفضل من ذلك)، ليس للإنكار، ولكنه للاعتراف بالفضل والتعظيم لما نالوه من نعيم ونعم لا تعد ولا تحصى.

وأي بشرى أعظم من هذه البشارة الإلهية التي تتضوأ بالرحمة والمحبة والرضوان بقول الله لهم: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا.

وصياغة الأفعال في هذه المحاورة جاءت معظمها في قالب المضارع لأنها صورة مستقبلية تبشر الصالحين في كل زمان بما سيؤول إليه أمرهم، وبما سَيَمُن الله عليهم به من رحمة وفضل وكرم، ورحمته وسعت كل شيء، وهو أرحم الراحمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من أساليب الدعوة: التوكيد.

ثانيًا: من أساليب الدعوة: النداء.

ثالثًا: من أساليب الدعوة: السؤال والجواب.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: خطاب الله تعالى لأهل الجنة وسؤاله عن رضاهم.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: عطاء الله تعالى لأهل الجنة وسعادتهم ورضاهم واستشعارهم ذلك.

سادسًا: من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لأهل الجنة برضاه عنهم وإحلال رضوانه عليهم وعدم سخطه أبدًا.

أولاً- من أساليب الدعوة: التوكيد:

ورد أسلوب التوكيد في الحديث في قوله ﷺ "إن الله عز وجل يقول" والتوكيد من الأساليب الدعوية المفيدة لما يحمل من المعاني التي تحمل المدعو على الاستجابة لها، من التوثيق والأحكام والتقوية وتقرير الأمر وتثبيته في ذهن المخاطب[1]. وقد استخدم أسلوب التوكيد في كثير من تقرير القضايا وإيضاحها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾[2]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾[3].

ثانيًا- من أساليب الدعوة: النداء:

ورد استخدام أسلوب النداء في الحديث في قوله ﷺ "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة" وأسلوب النداء من الأساليب الدعوية ذات القيمة التأثيرية العظيمة، لما فيه من إقبال المدعو وملامسة النداء شغاف قلبه خاصة إذا قرن النداء بألقاب الرفعة والجمال والأسماء الحسان[4]. وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾[5] ولهذا النداء أهمية خاصة عند المؤمن، فالنداء للذين آمنوا بصفة الإيمان نداء

---

(١) انظر: الموسوعة الفقهية ٤٢/١٠.

(٢) سورة الكهف، آية: ٧.

(٣) سورة الانفطار، آية: ١٣، ١٤.

(٤) انظر: الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، ص ٦٠.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٧٠.

موجه مقصود، حتى يتغلبوا على ما يشق على النفس من أمر التكاليف[١].

ثالثًا- من أساليب الدعوة: السؤال والجواب:

ورد أسلوب السؤال والجواب في الحديث "فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ وأسلوب السؤال والجواب من الأساليب البارزة في الدعوة، ومن وسائل الأداء البياني الذي له أكبر الأثر في إيصال الدعوة إلى المدعوين والإيغال بها في قلوبهم، ومن فوائد هذا الأسلوب أنه يجعل المستمعين في حالة استعداد فكري ونفسي لمعرفة أجوبة الأسئلة المطروحة، وهذا الاستعداد أمر مهم جدًا لتلقف المعرفة واختزانها في الذاكرة، ثم لتطبيق إرشاداتها في السلوك، لذا ينبغي على الداعية أن يستثمر هذا الاستعداد إلى أقصى حد ممكن[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: خطاب الله تعالى لأهل الجنة وسؤاله عن رضاهم:

ذلك ما أخبرنا به رسول الله ﷺ في الحديث "إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول هل رضيتم" أي هل رضيتم بما أعطيتم من الكمال في الجنة الذي لا يعبر عنه لعظمته[٣]، كما جاء في الحديث: ((قال اللّه تَبارك وتعالى: أعدَدتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر. قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤])).[٥] وخطاب الله وكلامه لأهل الجنة من ألوان النعيم الإلهي لأهل الجنة والذي حرم منه غيرهم، والذين قال لهم الله تعالى: ﴿قَالَ

---

(١) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ص ٥١.

(٢) انظر: فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ٢/٥٨، ٥٩.

(٣) دليل الفالحين، ابن علان، ص ١٨٦٥.

(٤) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٥) أخرجه البخاري ٣٢٤٤، ومسلم ٢٨٢٤.

ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٢] وقال في حق الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنهم لا يكلمهم فائدة أصلاً، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه "باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة" وساق فيه عدة أحاديث منها ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ((إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا))[٤].

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أن النبي ﷺ كان يومًا يحدث، وعنده رجل من أهل البادية: أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، فقال له: أولست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع، فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال، فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يشبعك شيء. فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا إلا قرشيًا أو أنصاريًا، فإنهم أصحاب زرع، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ))[٥].

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٤.

(٤) أخرجه البخاري ٧٥١٨، ومسلم ٢٨٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٧٥١٩، ومسلم ٢٣٨٤.

فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به[١].

خامسًا- من موضوعات الدعوة: عطاء الله تعالى لأهل الجنة وسعادتهم ورضاهم واستشعارهم ذلك:

ذلك ما ورد في الحديث من جواب أهل الجنة لرب العزة والجلال "فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك" فقد نجاهم الله من النار وأدخلهم الجنة، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٢] أي من جُنِّبَ النار ونجا منها وأدخل الجنة فقد فاز كل الفوز[٣]. وذلك فضلاً من الله ورحمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لن يُدخِلَ أحدًا عملُهُ الجنة . قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلاّ أن يتغمَّدَني الله بفضل ورحمة))[٤] وفي الجنة ضمن الله لهم الحياة الأبدية والنعيم المقيم والصحة والعافية، وجعل صفات أهل الجنة كاملة من الشباب الذي لا يتغير أبدًا والملابس التي لا تبلى[٥]. وغير ذلك فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلاَ تَبْأَسُوا أَبَدًا وأَنْ تَصِحُّوا فَلاَ تَسْقَمُوا أَبَدًا. وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلاَ تَهْرَمُوا أَبَدًا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٦])) وفي رواية ((وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلاَ تَمُوتُوا أَبَدًا))[٧].

---

(١) حادي الأرواح، ابن القيم، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٧٨/٢.

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٥) لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي، ص ٦٧.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٤٣.

(٧) أخرجه مسلم ٢٨٣٧.

سادسًا- من موضوعات الدعوة: تبشير الله تعالى لأهل الجنة برضاه عنهم وإحلال رضوانه عليهم وعدم سخطه أبدًا:

ذلك ما جاء في صريح قول الله في الحديث القدسي لأهل الجنة "ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا" (لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم، وفي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه[1]. ولذا كان تعبير القرآن بأن رضوان الله أكبر، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] فإن العبد إذا علم أن مولاه راضٍ عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعيم، وإنما يتهنأ له برضاه كما يتنغص عليه بسخطه، ولم يجد لها لذة وإن عظمت[3]، وفي الآية إشارة إلى عظيم رضا الله تبارك وتعالى، ذكرها الطاهر بن عاشور فقال في قوله تعالى "ورضوان من الله أكبر" والتنكير في "رضوان" للتنويع، يدل على جنس الرضوان، وإنما لم يقرن بلام تعريف الجنس ليتوسل بالتنكير إلى الإشعار بالتعظيم، فإن رضوان الله تعالى عظيم، و"أكبر" تفضيل لم يذكر معه المفضل عليه لظهوره من المقام، أي أكبر من الجنات، لأن رضوان الله أصل لجميع الخيرات، وفيه دليل على أن السعادات الروحية أعلى وأشرف من الجسمانية[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ١١/٤٣٠.

(٢) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ١٠/٢٤٥.

(٤) التحرير والتنوير مج٥/١٠/٢٦٤، ٢٦٥.

لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[1].

قال الطيبي: (قوله: "إن الذين آمنوا" أي بالله ورسوله محمد، صلوات الله عليه "وعملوا الصالحات" أي من بذل النفس في سبيل الجهاد للحق، وبذل المال في أعمال البر، مع القيام بفرائض العبادات، والإخلاص في سائر المعاملات. لأن إذعانهم الصحيح، ووجدانهم لذة معرفة الحق، ملكت الحق قيادهم. فعملوا الأعمال الصالحة، قاله الإمام "أولئك هم خير البرية" أي أفضل الخليقة. لأنهم بمتابعة الحق عند معرفته بالدليل القائم عليه، قد حققوا لأنفسهم معنى الإنسانية التي شرفهم الله بها. وبالعمل الصالح، قد حفظوا نظام الفضيلة الذي جعله الله قوام الوجود الإنساني، وهدوا غيرهم بحسن الأسوة إلى مثل ما هُدوا إليه من الخير والسعادة. فمن يكون أفضل منهم؟ قاله الإمام "جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار" أي بساتين إقامة، لا ظعن فيها، تجري من تحت أشجارها وغرفها الأنهار "خالدين فيها أبدًا" أي ماكثين على الدوام، لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها "رضي الله عنهم" أي بما أطاعوه في الدنيا، وعملوا لخلوصهم من عقابه في ذلك "ورضوا عنه" لأنهم بحسن يقينهم يرتاحون إلى امتثال ما يأمر به في الدنيا. فهم راضون عنه. ثم إذا ذهبوا إلى نعيم الآخرة، وجدوا من فضل الله ما لا محل للسخط معه، فهم راضوان عن الله في كل حال. أفاده الإمام.

"ذلك" أي هذا الجزاء الحسن وهذا الرضا "لمن خشي ربه" أي خاف الله في الدنيا، في سره وعلانيته، فاتقاه بأداء فرائضه واجتنابه معاصيه. فإن الخشية ملاك السعادة الحقيقية.

قال: أراد بهذه الكلمة الرفيعة الاحتياط لدفع سوء الفهم الذي وقع ولا يزال يقع فيه العامة من الناس، بل الخاصة كذلك. وهو أن مجرد الاعتقاد بالوراثة، وتقليد الأبوين، ومعرفة ظواهر بعض الأحكام، وأداء بعض العبادات، كحركات الصلاة وإمساك الصوم، مجرد هذا لا يكفي في نيل ما أعد الله من الجزاء للذين آمنوا وعملوا

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥.

الصالحات. وإن كانت قلوبهم حَشَوْها الحسدُ والحقدُ الكبرياءُ والرياءُ. وأفواههم مِلْؤُها الكذب والنميمة والافتراء، وتهز أعطافهم رياحُ العجب والخيلاء. وسرائرهم مسكن العبودية والرق للأمراء. بل ولمن دون الأمراء. خالية من أقل مراتب الخشوع والإخلاص لرب الأرض والسماء. كلا لا ينالون حسن الجزاء. فإن خشية ربهم لم تحل قلوبهم. ولهذا لم تهذب من نفوسهم، ولا يكون ذلك الجزاء إلا لمن خشي ربه، وأشعر خوفه قلبه. والله أعلم[1].

(١) محاسن التأويل مج١٠/١٧/٢٢٥، ٢٢٦.

الحديث رقم (١٨٩٧)

١٨٩٧- وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: كُنَّا عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَظَرَ إلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: ((إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ (عَيَانًا)[1] كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)) متفق عليه[2].

ترجمة الراوي:

جرير بن عبدالله البجلي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (١٧٦).

غريب الألفاظ:

تُضامُونَ: تُغْبَنُون، وتنقصون حقكم في رؤياه سبحانه وتعالى[3].

الشرح الأدبي

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾[4].

من هذا الحديث نقتبس بعضًا من أنوار التوجيهات النبوية، ونسبح في إشعاعات الشوق إلى رؤية الله سبحانه، وما أجله من شوق، وما أعظمه من فوز لا يحظى به إلا المقربون.

والحديث يصف مجلسًا من مجالس رسول الله ﷺ.. والقمر يتلألأ في السماء المرصعة بالنجوم، ويحكي جرير بن عبدالله ﷺ.. وتجيء حكايته من خلال الأفعال

---

(١) هذه الزيادة عند البخاري برقم ٧٤٣٥.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ٥٤٤، ومسلم ١٠٦٧، وتقدم برقم ١٠٥٢.

(٣) الوسيط في (ض ي م).

(٤) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠ - ١٩١.

الماضية التي تصلح للسرد (كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر... وقال) فالأفعال كنا.. فنظر.. وقال تفصح عن هذه الحكاية التي يسوقها الراوي للإصغاء إلى كلام رسول الله ﷺ، وهو يتأمل وجه القمر ليلة تمامه ثم يقرب الصورة إلى الحاضرين وإلى كل من يقرأ الحديث أو يستمع إليه، وقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته).

وكل كلمة من كلمات رسول الله ﷺ تعد مصباحًا تنتشر أشعته في أسماعنا وقلوبنا وأرواحنا ونفوسنا، فتضيء حياتنا، وتنير طريقنا، والتأكيد في قوله (إنكم) يدلل على أن رؤية الصالحين لربهم حقيقة لا شك فيها، وقيل: يرونه بالعين البصرية الشحمية يوم القيامة في الجنة، وذلك لأن الله يجعل لهم أبصارًا فيرون الباقي بالباقي.. ،الله أعلم، والتعبير بقوله: (سترون) يفصح عن استقبالية هذه الرؤية وأنها ستكون يوم القيامة، وقوله (عيانا) بكسر العين أي معاينة، وصيغة المغالبة للمبالغة في التجلي والظهور، والطرف الثاني من الصورة هو الأقرب للإدراك، وهو القمر، وهو المشبه به، والمراد من التشبيه هنا أو وجه الشبه: هو تشبيه في أصل الرؤية وكمال الظهور، لا من كل وجه فهي صورة تقريبية، والمشبه في هذه الصورة أقوى من المشبه به وهذا غير مألوف في بلاغة التشبيه، فالمشبه به دائمًا أقوى، ولكن في هذه الصورة المشبه هو رؤية الله يوم القيامة، وهي بلا شك أعظم في الجلاء والظهور من الكون كله، ولذلك قال رسول الله ﷺ كما ترون هذا القمر، أي كما ترون نوره قريبًا منكم لا تحجبه سحائب ولا غيوم.

وقوله: (لا تضامون عند رؤيته) إيحاء بأن رؤية الله عز وجل تقترن بالعز لا بالذل والضيم، وتقترن بالخير والإقدام وليس بالشر والإفحام، وهي في موقف الإعظام والإجلال، وكيف لا والمؤمنون في شرف رؤية الكبير المتعال.

المضامين الدعوية[1]

---

(١) تقدم ذكرها في شرح الحديث ١٠٥٢ مع اختلاف بعض الألفاظ في الرواية المشار إليها.

الحديث رقم (١٨٩٨)

١٨٩٨- وعن صُهيب رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئًا أزِيدُكُمْ؟ فَيقُولُونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ ألَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلَى رَبِّهِمْ)) رواه مسلم[1].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾[يونس: ٩ - ١٠].

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وعلى آلِ إبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آل إبراهيم في العالَمِينَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

ترجمة الراوي:

صُهَيْب بن سِنان الرومي: تقدمت ترجمته في الحديث رقم (٢٧).

الشرح الأدبي

ما أصدق هذا الحوار بين أهل الجنة والعزيز الغفار، فأهل الجنة أُدْخِلُوها بسلام آمنين، ولهم ما يشاءون فيها ولدى الله المزيد لعباده الصالحين.

وما أجمل هذه البداية التي تعد تاجًا للنهاية، وإكليلاً فوق هام الذين اتخذوا الطاعة وسيلة وغاية، إن بداية الحديث تبدأ بأسلوب الشرط والجواب، والشرط هنا ليس عملاً معلقًا بالقبول أو الرفض، ولكنه عمل متوّج بالفلاح والفوز، إنه دخول

---

(١) برقم ٢٩٧/١٨١. أورده المنذري في ترغيبه ٥٥٦٠ بتمامه.

الجنة.. وهو قمة الفلاح والنجاح في الدارين... فأي شرط هنا؟ إنه شرط متحقق وهو الفوز بالدخول، وتحقق القبول، وأين الجواب؟ إنه في ظاهر العبارة جوابه للشرط اللغوي، ولكنه في الحقيقة استقبال وتكريم، وتشريف وتعظيم، وكيف لا وهو القول الصادر من العزيز الحكيم.

وأداة الشرط (إذا) هنا للتحقق.. ولكنها لا تضيف شيئًا إلا في بلاغة اختيارها، وحسن ملاءمتها لجاراتها، وإفصاحها عن ثمراتها وإشاراتها، وما أعظم هذا الجزاء الإلهي، والثواب الرباني حين يخاطب الله أهل الجنة وهو يستقبلهم ويحييهم، ثم يقول في استفهام تكريمي فيه إقرار بالنعيم: "تريدون شيئًا أزيدكم"، وحذفت أداة الاستفهام للإشعار بمزيد من العناية، والإسراع في تحقيق الرجاء والزيادة، وما أجمل هذه الإجابة التي تسري في جوانبها نسائم الشكر، وإيقاعات المحبة، حيث يقولون في صيغة استفهامية مغلفة بالاعتراف بالفضل.. ويكون الاستفهام للإعلان عن مزيد من الشكر والإجلال: (ألم تبيض وجوهنا؟) (ألم تدخلنا الجنة؟)، وهذا الاستفهام يتألق بالشكر والعطاء الذي منحوه، وفهموا أن لا مزيد على ما أعطوه، وفجأة تكون المكافأة الكبرى، والآية العظمى، فيكشف الحجاب، أي يكشف الله الحجاب، وحذف الفاعل مع بناء الفعل للمعلوم لأنه لا يكشف الحجاب إلا الله الذي يعلم السر وأخفى..، وهنا يكتشفون أن كل ما حصلوا عليه من نعيم، يظل صدي مضيئًا في نفوسهم، ولكنه لا يكافئ عطاء الرؤية، ولذة المشاهدة، وفيوضات القرب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، ويقول صاحب دليل الفالحين في تعليل ختم الإمام النووي مصنفه بهذا الحديث؛ لأن ما تضمنه خاتمة الكرامة التي يُمْنَحُها الصالحون من مولاهم، فناسب الختم بالختام، فيكون فيه حسن الختام، منحنا الله مع كل المؤمنين رؤية ربنا عيانا يوم القيامة بفضله كما نرى القمر ليلة البدر، ولا حجبنا عن رؤيته بمنه وكرمه، آمين.. آمين.

المضامين الدعوية

أولاً: من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين بإدخالهم الجنة واستقرارهم فيها.

ثانيًا: من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى لعباده المؤمنين وسؤالهم عن رغبتهم في الزيادة.

ثالثًا: من موضوعات الدعوة: شكر المؤمنين لله تعالى على تبييض وجوههم ودخولهم الجنة ونجاتهم من النار.

رابعًا: من موضوعات الدعوة: كشف الحجاب عن أهل الجنة ورؤية الله تعالى.

خامسًا: من موضوعات الدعوة: أهمية المسارعة إلى الجنة بالأعمال الصالحة وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ.

أولاً- من موضوعات الدعوة: بيان فضل الله تعالى على عباده المؤمنين بإدخالهم الجنة واستقرارهم فيها:

إن من تجليات الله على عباده المؤمنين إدخالهم الجنة بفضله. وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بصريح القول؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يُدْخِل أحدًا عملُه الجنة، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة...))[1]. وذلك المعنى جاء في الحديث في قوله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة" وذلك الفوز العظيم، كما صرح بذلك القرآن، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[2] قال الطاهر بن عاشور: (وإنما جمع بين "زحزح عن النار وأدخل الجنة" مع أن في الثاني غنية عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم الجنة، ومعنى "فقد فاز" نال مبتغاه من

---

(١) أخرجه البخاري ٥٦٧٣، ومسلم ٢٨١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

الخير)[١]. وإذا ما استحضر الإنسان هذا النعيمَ المقيم، والفوزَ الأبدي فإنه ولابد أن يجتهد إليها ويتمسك بأسبابها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، قال أبو الفرج ابن الجوزي: والله إني لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها، من غير مرض، ولا بصاق، ولا نوم، ولا آفة تطرأ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة، لا يعتورها منغص في نعيم متجدد كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى، ومعلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ها هنا، فوا عجبًا من مضيع لحظة فيها، فتسبيحة تغرس له في الجنة نخلة أكلها دائم وظلها[٢].

ثانيًا- من موضوعات الدعوة: بيان كرم الله تعالى لعباده المؤمنين وسؤالهم عن رغبتهم في الزيادة:

ورد ذلك في قوله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟" وتكليم الله في حد ذاته وسؤاله لهم من ألوان إكرام الله لهم الذي حرم منه غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً، فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم، فإن ذلك روح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلا به[٤]. وقد بوب الإمام البخاري بابًا في كتاب التوحيد تحت عنوان: "باب كلام الرب مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث منها هذا الحديث، وكذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه ((أنّ النبيّ ﷺ كان يومًا يُحدّثُ ـ وعِنْدَهُ رَجُلٌ من أهلِ

---

(١) التحرير والتنوير مج٢/٤/١٨٩.

(٢) صيد الخاطر ٤٣٢.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٧٧.

(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن القيم، ص ٤٢٤، ٤٢٥.

البادية ـ أنّ رجُلاً من أهلِ الجنّةِ استأذَنَ ربّهُ في الزّرعِ، فقالَ لهُ: ألستَ فيما شِئْتَ ؟ قالَ: بلى ولكنْ أُحِبّ أن أزْرَعَ. قالَ فبَذَرَ، فبادرَ الطّرْفَ نباتُهُ واستِواؤهُ واستِحصادُهُ، فكانَ أمثالَ الجبالِ. فيقولُ اللّهُ: دُونَكَ يا ابنَ آدمَ، فإنّهُ لا يُشبِعُكَ شيءٌ. فقال الأعرابيّ: واللّهِ لا تَجدُهُ إلاّ قُرَشيًّا أو أنصاريًّا، فإنّهُم أصحابُ زَرعٍ أما نحن فلسنا بأصحاب زرع. فضَحِكَ النبيّ ﷺ))[1].

ثالثًا- من موضوعات الدعوة: شكر المؤمنين لله تعالى على تبييض وجوههم ودخولهم الجنة ونجاتهم من النار:

إن من فضل الله على عباده المؤمنين إسعادهم وإتمام النعمة عليهم، يظهر ذلك على وجوههم بتبييض الله له، وجوه أهل السعادة (الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه فكان جزاؤهم أن أدخلهم جناته وأفاض عليهم أنواع كرامته)[2] ومنها تبييض وجوههم كما جاء في الحديث فيقولون: "ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار" قال ابن علان: (حاصل جوابهم أنهم فهموا أن لا مزيد على ما أعطوا)[3]، فقد امتن الله عليهم بتبييض الوجوه في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[4] يعني يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما[5]. وامتن عليهم الحق تبارك وتعالى بالنجاة من النيران والفوز بدخول الجنان، وذلك الفوز بعينه، قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[6] قال ابن الجوزي: (قال ابن قتيبة: "فمن زحزح" أي نجى

---

(١) أخرجه البخاري ٧٥١٩.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ١١٢.

(٣) دليل الفالحين ص ١٨٦٧.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٩٢/٢.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٥.

وأبعد، "فقد فاز" قال الزجاج: تباعد عن المكروه، ولقي ما يحب، يقال لمن نجا من هلكة، ولمن لقي ما يغتبط به: قد فاز)[١]. وإنما جمع بين "زحزح عن النار وأدخل الجنة" مع أن في الثاني غنمة عن الأول، للدلالة على أن دخول الجنة يشمل على نعمتين عظيمتين: النجاة من النار، ونعيم الجنة)[٢].

رابعًا- من موضوعات الدعوة: كشف الحجاب عن أهل الجنة ورؤية الله تعالى:

جاء ذلك في الحديث "فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم". قال القرطبي: (وقول من يسأله الله من أهل الجنة بقوله: "هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟" لا يليق بمن مات على كمال المعرفة والمحبة والشوق، وإنما يليقُ ذلك بمن مات بين الخوف والرجاء، فلما حصل على الأمن من الخوف، والظفر بالمرجو الذي كان تشوقه إليه قنع به، ولَهَا عن غيره، وأما من مات محبًا لله مشتاقًا لرؤيته، فلا يكون همّه إلا طلب النظر لوجهه الكريم لا غير، ويدل على صحة ما قلته أن المرء يحشر على ما يموت عليه، كما عُلم من الشريعة، بل أقولُ: إن من مات مشتاقًا لرؤية الله تعالى لا ينبه بالسؤال، بل يعطيه أمنيته ذو الفضل والإفضال، ومذهب أهل السنة بأجمعهم: أن الله تعالى ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بأبصارهم كما نطق بذلك الكتاب، وأجمع عليه سلف الأمة، ورواه بضعة عشر من الصحابة عن النبي ﷺ، ومنع ذلك فرقٌ من المبتدعة، منهم: المعتزلة، والخوارج، وبعض المرجئة، بناءً منهم على أن الرؤية يلزمها شروط اعتقدوها عقلية، كاشتراط البنية المخصوصة، والمقابلة، واتصال الأشعة، وزوال الموانع من القرب المفرط، والبُعد المفرط، والحجب الحائلة، في خبطٍ لهم وتحكم، وأهل الحق لا يشترطون شيئًا من ذلك عقلاً سوى وجود المرئي، وأنَّ الرؤية إدراكٌ يخلقه الله تعالى للرائي فيرى المرئيَّ، لكن يقترن بالرؤية بحكم جريان العادة أحوالٌ يجوز في العقل شرعًا تبدلها، والله أعلم[٣].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج ابن الجوزي، ٥١٧/١.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/١٨٩.

(٣) المفهم ٤١٣/١، ٤١٤.

قال ابن عثيمين في شرح هذا الحديث (ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الصحابة وأئمة الأمة، ولم ينكرها إلا من أعمى الله قلبه -والعياذ بالله- ولهذا كانت هذه الأحاديث من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ، يقو ل الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] والتي فسرها النبي ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى ويشير الشيخ ابن عثيمين بذلك إلى الحديث الذي رواه مسلم وغيره بسنده عن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقال: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُثَقِّلِ اللَّهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ))[3]، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[4]، فقوله "لا تدركه الأبصار" يدل على أن الأبصار تراه ولكنها لا تدركه، لأنه جل وعلا أعظم من أن تدركه الأبصار، فهذه خمس آيات في كتاب الله كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا ينكر هذا إلا ظالم، لأنه لا ينكر هذا إلا معاند، إذ أن الآيات واضحة، أما الأحاديث فإنها متواترة، كما قال الناظم:

مما تواتر: حديثُ من كذب ... ومن بنى لله بيتًا واحتسب

ورؤيةٌ وشفاعةٌ والحوض ... ومسحُ خفين وهذا بعض[5]

---

(١) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم ١٨١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

(٥) شرح رياض الصالحين ٢/١٩١٧.

خامسًا- من موضوعات الدعوة: أهمية المسارعة إلى الجنة بالأعمال الصالحة وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن في بيان رسول الله ﷺ لما يعيشه أهل الجنة من نعيم مقيم، وزيادة على ذلك التنيعم والتلذذ بالنظر إلى الحق تبارك وتعالى، لمن ادعى الأسباب إلى مسارعة العبد إليها بالأعمال الصالحات، وفي هذا الثواب والأجر والنعيم فليتسابق المتسابقون[1]. وقد جاءت النصوص الكثيرة الآمرة بالمسارعة إلى فعل الخيرات والإتيان بالطاعات، ومنها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2] والسرعة المشتقة منها سارعوا، مجاز في الحرص والمنافسة إلى عمل الطاعات التي هي سبب المغفرة والجنة، فالمسارعة هنا تتعلق بأسباب المغفرة، وجيء بصيغة المبالغة للمبالغة والتأكيد[3]. وقال القرطبي: (المسارعة المبادرة أي سارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة)[4] (فالبدارَ البدارَ يا أرباب الفهوم، فإن الدنيا معبر إلى دار إقامة، وسفر إلى المستقر، والقرب من السلطان ومجاورته، فلا يشغلنكم عن تضمير الخيل تكاسل، وليحملكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق، وليتذكر الساعي حلاوة التسليم إلى الأمين، وليتذكر في لذاذة المدح يوم السباق، وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه)[5].

---

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن عثيمين، ١٩١٢/٢.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٣٣.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، مج٢/٤/٨٨، ٨٩.

(٤) الجامع لأحكام القرآن مج٢/٢/١١٤.

(٥) صيد الخاطر، أبو الفرج ابن الجوزي، ص ٣٧٢.

المضامين التربوية في أحاديث الباب

هذا آخر أبواب كتاب رياض الصالحين؛ فإذا كان المسلم قد التزم بما جاء عن النبي ﷺ في هذا الكتاب، فإنه يعيش في رياض الدنيا، كما أنه يعيش في الآخرة في رياض الجنة، فإن الصالحين في حياتهم الدنيوية والأخروية يعيشون في رياض مع ربهم، وإن كانت رياض الآخرة هي دار الجزاء الذي أعده الله لهم، يقول النووي عن سبب تأليف رياض الصالحين: " فرأيت أن أجمع مختصرًا من الأحاديث الصحيحة، مشتملًا علي ما يكون طريقًا لصاحبه إلي الآخرة، ومحصِّلاً لآدابه الباطنة والظاهرة، جامعا للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد ورياضات النفوس وتهذيب الأخلاق وطهارات القلوب وعلاجها وصيانة للجوارح وإزالة اعوجاجها وغير ذلك من مقاصد العارفين"[1] أي أن النووي بكونه جعل هذا الباب آخر باب في الرياض، يريد أن يذكر لمن أخذ نفسه والتزم بما جاء في أحاديث الرياض أن جزاءه هو الجنة التي جعلها الله تعالى لعباده الصالحين.

وهذا تصرف حسن وعمل طيّب: وهو ذكر ثمرة العمل الصالح والخالص لله رب العالمين، وهذا يلفت النظر في المجال التربوي إلى قضية بالغة الخطورة: وهي التربية على أن لكل عمل جزاءً: فجزاء الإحسان الإحسان، وجزاء السيئة السيئة. أن التربية على هذا المبدأ وهذه القيمة من الواجبات التي يجب أن يتربى عليها الناشئة وغيرهم، وذلك لما يلي:

(أ) أن هذا يدفعهم إلي أن يحسنوا العمل ويجتهدوا في ذلك، فلا يأتون من الأعمال إلا أحسنها ومن الأفعال إلا أجودها؛ لأنهم ما داموا يبغون الجزاء الأوفى فليقدموا ما يستحقون به ذلك، يقول الله تعالى عن أصحاب الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].

---

(١) مقدمة رياض الصالحين ٣٩ ط/ المكتب الإسلام.

(٢) سورة الذاريات، الآيات: ١٥-١٩.

(ت) أن هذا يهوّن عليهم كثيرًا من عقبات الطريق وعوائق المسير، فما دام بغية المؤمن الجنة، فهو يتحمّل ويصبر ويرضى بما قد يقع له من ضيق أو شدة أو فقر أو حاجة أو ظلم لا يستطيع دفعه أو ضرر لا يمكنه إزالته، هو يصبر على هذا وقلبه منشرح؛ لأنه يعلم أن هذه الدنيا هي دار اختبار وعمل وهي زائلة مهما طالت؛ فكل ما فيها هيّن زائل رخيص إلا طاعة الله والتقرب إليه؛ لأن هذا هو ما يوصله إلى التنعم بجنته والخلود فيها.

(ج) أن انشغاله بالجنة وما يوصل إليها من عمل، يجعله ينشغل بمعالي الأمور وأرفعها، ويترك وراء ظهره توافه الأمور وصغائرها، غير نادم على ذلك ولا ملتفت؛ فإن كل طريق إلى الجنة يسلكه بكل جدٍّ وحماس، وكل طريق يبعده عنها يعرض عنه إعراضًا تامًّا، فإن نافسه أحد على الدنيا تركها له، وإن نافسه في الآخرة شدّ المئزر وشمّر عن سواعده حتى يسبقه ويتقدم عليه؛ وهذا يجعله يتسامح مع إخوانه وغيرهم ويتنازل عن بعض ما له عندهم، لا عن ضعف وخور، بل عن رغبة فيما عند الله؛ ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[1]، أي أن تعلق المسلم بالآخرة والجنة، يجعله يصرف نظره عن الناس إلي رب الناس؛ فيسعى في مرضاته وطاعته والخضوع له والاستسلام؛ وهذا يلزم عنه أن يكون حسن الأخلاق، كريم الشمائل، طيب النفس، سمحًا، خيره أكثر من شره.

والخلاصة أن تذكير المخاطبين بالجنة وما أعد الله فيها لعباده، يجعلهم يتشوقون إليها والعمل بما يوصلهم إليها والخلود فيها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].

❁ ❁ ❁

(١) سورة الأعلى، آية: ١٧.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩-٧٠.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد منّ الله تعالى علينا بفضله وكرمه ووفّقنا ويسّر لنا إتمام هذا العمل العظيم الموسوم بموسوعة (**كنوز رياض الصالحين**) والتي جاءت متضمنة لشرح أحاديث كتاب (رياض الصالحين) للإمام النووي رحمه الله.

حيث جاء الموسوعة (**كنوز رياض الصالحين**) متضمنة لعدد من المحاور العلمية التي نحسب أنها قدمت خدمة علمية عظيمة يفيد منها العامة والخاصة في المجالات العلمية والعملية المتنوعة سواء الأدبية أو الفقهية، أو الحديثية، أو التربوية أو الاجتماعية أو الدعوية، وذلك بأسلوب علمي مُيسّر.

إن من أبرز ما عُنيت به موسوعة (**كنوز رياض الصالحين**) هو شرح الأحاديث النبوية الواردة في كتاب (رياض الصالحين) بأسلوب عصري يجمع بين الأصالة والمعاصرة ويُيسر للقارئ فهم تلك الأحاديث النبوية وإدراك سماحة الإسلام ويسره، ومرونته وواقعيته ووسطيته وذلك من خلال ذكر الأدلة الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة، وذكر أقوال أهل العلم مع التوثيق والتأصيل.

لقد اشتملت تلك الموسوعة العلمية على عدد من المحاور العلمية المتمثلة في العناية بتخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها وبيان درجتها مع ذكر مصادر الإمام النووي رحمه الله في كتاب (رياض الصالحين) من خلال ما أوردناه في صدر مقدمة الموسوعة، وهذا مما لم يُسبق إليه في هذا الصدد.

وكذلك ذكر ترجمة علمية موجزة للرواة لأحاديث (رياض الصالحين)، وشرح غريب الألفاظ.

وإن من أبرز ما عُنيت به الموسوعة العلمية (**كنوز رياض الصالحين**) الشرح الأدبي الماتع للأحاديث النبوية الواردة في كتاب (رياض الصالحين)، بأسلوب علمي شيّق يتذوق

القارئ من خلاله بلاغة وفصاحة النبي ﷺ وذلك بأسلوب سهل ومُيسر.

وقد عنيت الموسوعة العلمية بالشرح الفقهي الموجز الذي ابتعد عن الدخول في الخلافات الفقهية، واكتُفي في ذلك بذكر مظان تلك الخلافات الفقهية، وتفعيلا لذلك المنهج شُرحت بعض الأبواب شرحاً فقهياً إجمالياً، وكذلك دُمج شرح بعض الأحاديث.

وقد جاء المحور الدعوي في موسوعة (**كنوز رياض الصالحين**) مستوعباً لمساحة كبيرة من الموسوعة من ناحية الكم والكيف، حيث يُعد المحور الدعوي من أكبر المحاور العلمية في الموسوعة، فقد تم تحليل الأحاديث النبوية تحليلاً علمياً دقيقاً.

ومما تميز به هذا المحور الدعوي: المنهج العلمي الذي ركّز على الربط بين المضامين الدعوية المستنبطة وشواهدها من نصوص الأحاديث النبوية حتى لا يكون الكلام مرسلاً أو إنشائياً، مع مراعاة التسلسل في استنباط المضامين الدعوية حسب ورودها في نص الحديث النبوي، وتوثيق ذلك توثيقاً علمياً يتيح للقارئ الاستزادة والتوسع.

ونحسب أن هذا العمل العلمي يشكل زاداً عظيماً للدعاة والمعلمين والمربين وطلاب العلم والعامة والخاصة وذلك بأسلوب عصري مُيسّر يُسهل التعامل مع الأحاديث النبوية لفهمها وإدراك معانيها.

وإن مما عُنيت به موسوعة (**كنوز رياض الصالحين**): الشرح التربوي الإجمالي على مستوى الأبواب، أي الشرح التربوي لأحاديث كل باب على حدة، وليس الشرح التربوي المستقل لكل حديث، وقد رؤي مناسبة هذا المنهج بالنسبة للشرح التربوي، وكذلك ذكر هذا الشرح التربوي الإجمالي في نهاية كل باب من أبواب (رياض الصالحين).

لقد تميزت هذه الموسوعة العلمية بالتأصيل العلمي وذكر الأدلة المستمدة من الكتاب والسنة، والتركيز على المنهج العلمي في التوثيق مما يسّر الإفادة من المصادر والمراجع العلمية، حتى جاءت الموسوعة بهذه الصورة العلمية الطيبة التي نحسب أنها تناسب روح هذا العصر الذي نعيشه - الآن - حيث الحاجة إلى خدمة السنة النبوية

العلماء قد وفقنا في تقديم هذا العمل العلمي الذي يُلبي حاجات المسلمين في أنحاء العالم.

والله نسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتنا جميعاً، وأن ينفع بهذا العمل العلمي أبناء المسلمين في أنحاء المعمورة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس

المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

(١) الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: بشير محمد عيون، ط/٤، مكتبة المؤيد، الرياض: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. زهير بن ناصر الناصر، ط/١، المدينة المنورة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٣) اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم إلى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥) إتمام فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، أحمد سعيد الدجوي، تحقيق: علاء الدين زعتري، ط/١، دار إقبال: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٦) أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة، الشيخ عبدالله بن حسن بن محمد آل قعود، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١١هـ.

(٧) الاجتهاد في طلب الجهاد، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: أ. د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٨) الإجماع، ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤١٨هـ.

(٩) الأحاديث الواردة في فضائل المدينة "جمعاً ودراسة"، د. صالح بن حامد بن سعيد الرفاعي، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

(١٠) الأحاديث والآثار الواردة في فضل سور القرآن، دراسة ونقد: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٢١هـ.

(١١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفاسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(١٢) إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، محمد بن علي بن وهب، اعتنى به حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(١٣) أحكام الجهاد وفضائله، عز الدين بن عبدالسلام، تحقيق: نزيه حماد، ط/ مكتبة دار الوفاء، جدة: ١٤٠٦هـ.

(١٤) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: خالد عبداللطيف العلي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٨هـ.

(١٥) الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية للوقف، د. عبدالستار أبو غدة، د. حسين حسين شحاتة، ط/١، إصدار الأمانة العامة للأوقاف، دولة الكويت: ١٩٩٨م.

(١٦) أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٧) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبدالله "ابن العربي"، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط/ دار الجيل، بيروت.

(١٨) أحكام المساجد في الشريعة الإسلامية، د. إبراهيم بن صالح الخضيري، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

(١٩) أحكام أهل الذمة، ابن القيم الجوزية، تحقيق: د. صبحي الصالح، ط/٢، دار العلم للملايين، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢٠) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، تقديم: إحسان عباس، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٨٩م.

(٢١) الإحكام في أصول الأحكام، علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، ط١، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٩٩٧م.

(٢٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢٣) الاختيار لتعليل المختار، عبدالله بن محمود بن مودود الموصلي ط/ المعاهد الأزهرية، القاهرة.

(٢٤) الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، علي بن محمد بن عباس البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

(٢٥) الإخلاص، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٥، دار النفائس، الأردن.

(٢٦) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى (النظرية والتطبيق)، د. طلعت محمد عفيفي سالم، ط/١، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢٧) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري، تحقيق: آمنة عمر الخراط، وإسماعيل بن محمد الأنصاري، ط/ الإسماعيلية، مصر.

(٢٨) الأخلاق الفاضلة، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢٩) أخلاق المسلم وآدابه، د. بدر عبدالرزاق الماص، ط/١، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤١٨هـ.

(٣٠) الأخلاق في الإسلام، د. عبداللطيف محمد العبد، ط/ مكتبة التراث، المدينة المنورة.

(٣١) الأخلاق في الشريعة الإسلامية، أحمد عليان، ط/١، دار النشر الدولي، السعودية: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت.

(٣٣) أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، ط/٤، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

(٣٤) أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري، ط/٤، مكتبة دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣٥) أخلاقية الداعية، عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣٦) الإخوان، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبدالرحمن طوالبة، إشراف ومراجعة: نجم عبدالرحمن خلف، ط/ دار الاعتصام، القاهرة.

(٣٧) الأخوة الإسلامية، عبد رب النبي علي أبو مسعود، ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٣٨) الآداب الشرعية، عبدالله بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيّام، ط/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣٩) إدارة الوقت بين التراث والمعاصرة، د. محمد أمين شحاده، ط/١، دار ابن الجوزي، السعودية: ١٤٢٧هـ.

(٤٠) أدب الحوار والمناظرة، علي جريشة، ط/٢، دار الوفاء، المنصورة: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٤١) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، ط/٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٤٢) أدب المؤمن، أحمد حمزة عبدالباقي، ط/ مطبعة خالد بن الوليد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٤٣) الأدب المفرد، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط/١، مكتبة نزار، الرياض: ٢٠٠٤م.

(٤٤) الأدب النبوي، محمد عبدالعزيز الخولي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٤٥) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، يحيى بن شرف النووي، ط/١، مكتبة الصفا، القاهرة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٤٦) إرشاد الأنام في عقائد الإسلام، محمود صالح البغدادي، ط/١، دار البراء، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٤٧) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٤٨) إرشاد الفحول، الشوكاني، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٤٩) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/٣، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥٠) الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط/٤، دار القلم، الكويت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٥١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٥٢) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود عمر الزمخشري، تحقيق: عبدالرحمن محمود، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥٣) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، ط/١، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٥٤) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، د. زياد محمود العاني، ط/١، دار عمار، عمان: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٥٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، الحافظ أبو عمر يوسف ابن عبدالله بن عبدالبر، ط/ دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق.

(٥٦) الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/٢، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

(٥٧) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية، فتحي يكن، ط/٦، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر، ط/١، دار الأعلام، عمان: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٥٩) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦٠) أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، عبد الحميد السعيد الزناتي، ط/ الدار العربية للكتاب، ليبيا: ١٩٨٤م.

(٦١) أسس الدعوة وأدب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ط/٣، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٦هـ/١٩٨٦م.

(٦٢) الإسلام بين العلماء والحكام، عبد العزيز البدري، ط/ المكتبة العلمية، المدينة المنورة: ١٩٦٦م.

(٦٣) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبدالله علوان، ط/ دار السلام، بيروت: ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

(٦٤) الإسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة، يوسف كمال، ط/١، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٦٥) الإسلام وحاجة البشرية إليه، د. رفعت فوزي عبدالمطلب، ط/ دار السلام، القاهرة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٦٦) إسلامنا، السيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

(٦٧) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد بن عبدالكريم الخياط، مكة المكرمة: ١٩٩١م.

(٦٨) أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجًا، د. عبدالغني محمد سعيد بركة، ط/٢، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٩٨٣م.

(٦٩) الأسلوب النبوي في الدعوة، د. الشريف حمدان الهجاري، ط/ دار الهدى للطباعة، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

(٧٠) الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، عمر الأشقر، ط/١، دار النفائس: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٧١) الأسماء والصفات، أبو بكر محمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتعليق: عماد الدين أحمد حيدر، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٧٢) أسنى المطالب في صلة الأقارب، أحمد بن حجر الهيتمي، تحقيق: د. حسن عبدالحميد حسن، ط/١، القاهرة: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٧٣) الإشاعة وآثارها في المجتمع "دراسة وصفية تحليلية"، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧٤) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، دار السلام: ١٩٩٨م.

(٧٥) أشراط الساعة، علي الشربجي، ط/١ دار القلم، دمشق: ١٣٩٨هـ.

(٧٦) أشراط الساعة، يوسف عبدالله بن يوسف الوابل، ط/١٨، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٤هـ.

(٧٧) الإشراف في منازل الأشراف، أبو بكر عبدالله بن أبي الدنيا، تحقيق: نجم عبدالله خلف، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٧٨) الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر، تحقيق: د. طه محمد الزيتي، ط/١، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(٧٩) إصلاح الوعظ الديني، محمد عبد العزيز الخولي، ط/٧، دار المعرفة، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٨٠) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود أحمد الرحيلي، ط/١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢١هـ.

(٨٢) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، ط/٢، دار الفكر، دمشق: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٨٣) أصول التربية الإسلامية، د. سعيد إسماعيل القاضي، ط/١، عالم الكتب، القاهرة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٨٤) أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط/ مكتبة المنار الإسلامية: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٨٥) أصول الدين، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، ط/ ٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٨٦) الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان جهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/ ١٤٢١هـ.

(٨٧) أصول الفقه الإسلامي، الشيخ محمد أبو زهرة، ط/ دار الفكر الإسلامي.

(٨٨) أصول الفقه الإسلامي، د.زكريا البري، ط/ دار النهضة العربية، القاهرة: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٨٩) أصول مذهب الإمام أحمد "دراسة مقارنة"، أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/٢، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٩٠) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ط/٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ١٤٠٨هـ.

(٩١) أطلس الحديث النبوي، د. شوقي أبو خليل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٩٢) أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل، ط/١، دار الفكر، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) الطاعة والمعصية في ضوء الكتاب والسنة، صفوت عبدالفتاح محمود، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٩٤) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: د.أحمد حجازي السقاط، ط/ دار التراث العربي، القاهرة.

(٩٥) إعانة الطالبين، العلامة عثمان بن محمد شطا البكري الدمياطي، ط/ دار إحياء الكتب العربية.

(٩٦) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: محمد حسنين مخلوف، ط/١٠، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٨م.

(٩٧) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، أ. د. زغلول النجار، ط/٦، نهضة مصر، القاهرة: ٢٠٠٦م.

(٩٨) الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د. صالح بن أحمد رضا، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٩٩) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط/٩، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م.

(١٠٠) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط/ ٤، دار المعارف.

(١٠١) إعداد الداعية في ضوء سورة فصلت، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط/٢، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(١٠٢) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، د. محيي الدين عبدالحليم، ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٠٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: رائد صبري بن أبي علفة، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(١٠٤) أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٠٥) الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام، القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ط/ دار التراث العربي.

(١٠٦) الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، ط/١، دار الفكر العربي: ١٩٧١م.

(١٠٧) الأعلام، خير الدين الزركلي، ط/٦، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٤م.

(١٠٨) أعمال القلوب، د. سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، ط/ وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١٠٩) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية، تحقيق خالد عبداللطيف السبع العلمي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١١٠) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ط/٢، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(١١١) الإفصاح عن معاني الصحاح، للوزير العالم ابن هبيرة، تحقيق: د. فؤاد عبدالمنعم أحمد، ط/٢، دار الوطن، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(١١٢) أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د. محمد سليمان الأشقر، ط/١، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(١١٣) إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين، الشيخ عبدالعزيز بن باز، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١١٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية، تحقيق: أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط/٦، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ.

(١١٥) الأقليات المسلمة في أوروبا "الواقع، التحديات، الحلول"، أ. د. محيي الدين عفيفي أحمد، ط/١، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١١٦) الإقناع في حلّ أبي شجاع، الخطيب الشربيني، ط/ مصطفى الحلبي، القاهرة.

(١١٧) الإقناع لطالب الانتفاع: الحجاوين موسى بن أحمد بن موسى، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/ دار هجر، القاهرة.

(١١٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط/٣، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١١٩) الأم، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي القرشي، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد، وغيره، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(١٢٠) الأمالي المطلقة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط/١، المكتب الإسلامي، بروت: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(١٢١) الأمثال في الكتاب والسنة، أبو عبدالله محمد بن الحكيم الترمذي، تحقيق: محمد سعيد نمر، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٩٨١م.

(١٢٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "أصوله وضوابطه وآدابه"، خالد بن عثمان السبت، ط/١، المنتدى الإسلامي: ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م.

(١٢٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في تحقيق الأمن، د. عبدالعزيز ابن فوزان بن صالح الفوزان، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٤هـ.

(١٢٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ط/٢، دار الحرمين، القاهرة: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(١٢٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وواقع المسلمين اليوم، صالح بن عبدالله الدرويش، ط/١، دار الوطن، الرياض: ١٤١٢هـ.

(١٢٦) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/١، دار ابن خزيمة، الرياض: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(١٢٧) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن أبي الدنيا، تحقيق: صلاح بن عايض الشلاحي، ط/١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(١٢٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، ومعه بحث تمهيدي عنوانه: علامات ضوئية على طريق الدعاة، د. محمد جميل غازي، ط/٢، مطبعة المدني، جدة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(١٢٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(١٣٠) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبرهيم، ط/ دار الحديث، القاهرة.

(١٣١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد عز الدين البيانوني، ط/٢، دار السلام، دمشق: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٣٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، السيد جلال الدين العمري، تعريب: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط/ دار القرآن الكريم: ١٤٠٤هـ/١٩٨٩م.

(١٣٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط/ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض.

(١٣٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. محمد عبدالقادر أبو فارس، ط/٣، دار الفرقان، عمّان، الأردن: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(١٣٥) أنس بن مالك الخادم الأمين والمحب العظيم، عبدالحميد طهماز، سلسلة أعلام المسلمين (رقم ٧)، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(١٣٦) الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، د. عبدالرحمن إبراهيم المطرودي، ط/١، مطابع الأوفست، الرياض: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٣٧) الإنسان وصحته النفسية، د. مصطفى فهمي، مكتبة الأنجلو، القاهرة: ١٩٧١م.

(١٣٨) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المرداوي، صححه وحققه: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

(١٣٩) أنوار الفروق، القرافي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي، تحقيق: عمر حسن القيام، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١٤٠) أنوار القرآن، مصطفى الحمصي، ط/١، مكتبة الغزالي، دمشق: ١٤٢٣هـ.

(١٤١) الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، بإشراف أحمد بن عبدالعزيز القطان، جاسم بن محمد بن مهلهل، إصدار لجنة البحوث في مكتبة الدعوة، ط١، دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(١٤٢) أهمية صلاة الجماعة، د. فضل إلهي، ط/٨، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الناشر: إدارة ترجمان الإسلام: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(١٤٣) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط/٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٤٤) الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ط/١٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(١٤٥) الإيمان: أركانه حقيقته نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، ط/القاهرة.

(١٤٦) الإيمان، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبدالرحمن طلبة، ط/ دار الاعتصام، القاهرة.

(١٤٧) الإيمان، عبدالمجيد الزنداني وآخرون، ط/ ٤، دار القلم، دمشق: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(١٤٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن نجيم، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(١٤٩) البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي معوض، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٣هـ.

(١٥٠) بحوث هامة "الإسلام شريعة الزمان والمكان" عبدالله علوان، ط/ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

(١٥١) بدائع التفسير، الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق يسري السيد محمد، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(١٥٢) بدائع الحكم من وحي القلم للرافعي، مقالة من وحي الهجرة، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٥٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٥٤) بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط/دار الكتاب العربي.

(١٥٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد الحفيد، تحقيق: محمد سالم عيسى، وشعبان محمد إسماعيل، ط/ مكتبة الكليات الأزهرية: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

(١٥٦) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو مسلم وآخرون، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٤٠٨هـ.

(١٥٧) البداية والنهاية، الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، دار هجر، القاهرة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(١٥٨) البدر التمام في شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، القاضي العلامة حسين محمد المغربي، تحقيق: د. محمد شحود خرفان، ط/١، دار الوفاء، المنصورة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(١٥٩) بر الوالدين، د. خليل ملا خاطر العزامي، ط/ دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

(١٦٠) براهين وأدلة إيمانية، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(١٦١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(١٦٢) البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران، د. محمد عناية الله أسد سبحاني، ط/١، دار عمار للنشر والتوزيع، عُمان: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(١٦٣) بستان الواعظين ورياض السامعين، أبو الفرج عبدالرحمن الجوزي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(١٦٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.

(١٦٥) البطالة، العمالة، العمارة من منظور الاقتصاد الإسلامي، د. زيد بن محمد الرماني، ط/ دار طويق، الرياض.

(١٦٦) البغدادي الدمشقي الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(١٦٧) بلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، وهو مطبوع مع الشرح الصغير للدردير، أحمد بن محمد الصاوي، ط/ دار المعارف.

(١٦٨) بلوغ المرام، ابن حجر العسقلاني، المطبوع مع شرحه سبل السلام، ط/ دار الأفكار الدولية، الرياض.

(١٦٩) بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين، أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(١٧٠) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها "شرح مختصر البخاري"، عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٧١) البهجة شرح التحفة، وهو شرح على الأرجوزة المسماة: تحفة الأحكام، القاضي أبو بكر بن محمد بن عاصم الأندلسي، أبو الحسن علي بن عبدالسلام التسولي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(١٧٢) البهجة في شرح التحفة، وهو شرح على الأرجوزة المسماة: "تحفة الأحكام"، القاضي أبو بكر محمد بن عاصم الأندلسي العلمية، ط/١، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(١٧٣) بهجة قلوب الأبرار في شرح جوامع الأخبار، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/ مطبعة الكيلاني، مصر.

(١٧٤) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط/٣، القاهرة.

(١٧٥) بينات الرسول ﷺ ومعجزاته، الشيخ عبدالمجيد الزنداني، ط/٥، مركز البحوث، جامعة الإيمان، صنعاء: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(١٧٦) تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ دار سويدان، بيروت.

(١٧٧) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطان، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

(١٧٨) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط/ القاهرة.

(١٧٩) تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، بلاغ الدعوة، د. أحمد فؤاد سيد.

(١٨٠) تاريخ الدعوة إلى الله، آدم عبدالله الألوري، ط/ مكتبة منيمنة الحديثة، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت.

(١٨١) تاريخ الدعوة، أ. د. محمد إبراهيم الجيوشي، ط/١، دار العلم والثقافة، القاهرة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٨٢) تاريخ الفقه الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٢، دار الفلاح، الكويت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(١٨٣) التاريخ الكبير، البخاري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٨٤) تاريخ دمشق، ابن عساكر، محيي الدين العمروي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤١٥هـ.

(١٨٥) تأملات دعوية في السنة النبوية، د. عبدالله بن وكيل الشيخ، ط/ دار كنوز إشبيليا، الرياض.

(١٨٦) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، الإمام برهان الدين أبو عبدالله محمد بن فرحون المالكي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(١٨٧) التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا شرف الدين النووي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، ط/ جدة: ١٩٨٧م.

(١٨٨) التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل ابن أحمد حامد محمد، ط/ دار الإيمان، الإسكندرية: ٢٠٠٢م.

(١٨٩) التبيان في علوم القرآن، محمد بن علي الصابوني، ط/٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(١٩٠) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(١٩١) تبيين المسالك شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك، شرح الشيخ محمد الشيباني الشنقيطي، ط/٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٥م.

(١٩٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون، تونس: ١٩٩٧م.

(١٩٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ط/٢، المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٤٠٦هـ.

(١٩٤) التحفة العراقية في أعمال القلوب، ابن تيمية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٩٥) تحفة العروس، محمود مهدي الإستانبولي، ط/٦، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(١٩٦) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٩٧) التخويف من النار والتعريف بمجال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(١٩٨) التدرج بين التشريع والدعوة، د. يوسف يوسف محي الدين أبو هلالة، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٢هـ.

(١٩٩) تذكرة الدعاة، البهي الخولي، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٢٠٠) تذكرة أولي الأمر بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبدالله بن صالح القصير، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١١هـ.

(٢٠١) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٢٠٢) التذكرة للدعاة، أحمد القطان، ط/١، مكتبة السندس، الكويت: ١٣٠٦هـ/١٩٨٥م.

(٢٠٣) تربية الأبناء والبنات في ضوء الكتاب والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ط/٦، دار المعرفة، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢٠٤) التربية الإسلامية "دراسة مقارنة"، محمد أحمد جاد صبح، ط/١، دار الجيل، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٢٠٥) تربية الأولاد في الإسلام، د. أحمد مصطفى متولي، ط/١، دار ابن الجوزي، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢٠٦) تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، بيروت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

(٢٠٧) التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام، د. أكرم ضياء العمري، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٩٩٧م.

(٢٠٨) تربية الشباب "الأهداف والوسائل"، محمد عبدالله الدويش، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢٠٩) التربية النبوية، عثمان قدري مكانسي، ط/١، دار ابن حزم، بيروت.

(٢١٠) التربية على منهج أهل السنة والجماعة، أحمد فريد، ط/١، دار طيبة للنشر، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢١١) التربية في السنة النبوية، د. أبو لبابة حسين، دار اللواء، الرياض: ١٩٧٧م.

(٢١٢) الترغيب والترهيب، الحافظ أبو محمد زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٢١٣) الترغيب والترهيب، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٢١٤) الترهيب في الدعوة، د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢١٥) التسهيل لتأويل التنزيل، مصطفى العدوي، ط/١، دار المصطفى، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٢١٦) التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، د. عبدالقادر عودة، ط/ دار الكتاب العربي.

(٢١٧) تصحيح الدعاء، بكر بن عبدالله أبو زدي، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٢١٨) التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري، تحقيق: عبدالفتاح أبو ريدة، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٢١٩) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، تحقيق: د. عبدالعزيز بن عبدالله بن إبراهيم الزير آل حمد، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٢٢٠) تعاون الدعاة وأثره في المجتمع، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/ مدار الوطن، الرياض: ١٤٢٤هـ

(٢٢١) التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ط/٤، دار عمار، الأردن: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢٢٢) تعريف عام بدين الإسلام، الشيخ علي الطنطاوي، ط/١، المنارة الأولى، جدة: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٢٢٣) التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين الجرجاني الحنفي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ط/١، عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٢٤) تعليم المتعلم طرق التعليم، برهان الإسلام الذرنوجي، تحقيق: د. محمد عبدالقادر أحمد، ط/ مكتبة النهضة، القاهرة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢٢٥) التعيين في شرح الأربعين، نجم الدين سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم الطوفي، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، ط/١، مؤسسة الريان، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢٢٦) تفسير ابن رجب الحنبلي، الحافظ أبو الفرج بن رجب الحنبلي، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٢٢٧) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

(٢٢٨) تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين الخازن، ط/٢، مطصفى البابي الحلبي، مصر: ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

(٢٢٩) تفسير القاسمي المسمى "محاسن التأويل"، محمد جمال الدين القاسمي، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٢٣٠) تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٢٣١) التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

(٢٣٢) التفسير الكبير (المسمى: مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٥هـ.

(٢٣٣) التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، مطبوع مع المصحف الشريف، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

(٢٣٤) التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، ط/٤، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٢٣٥) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، ط/ صبيح، القاهرة.

(٢٣٦) التقرير والتحبير، محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير الحاج، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٣٧) التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية ودوره في حماية المال العام والخاص، د. محمد أحمد الصالح، ط/ جامعة الإمام، الرياض: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢٣٨) تكملة البحر الرائق، وهو مطبوع في نهاية البحر الرائق، محمد بن حسين ابن علي الطوري، ط/ دار المعرفة.

(٢٣٩) تكملة المجموع شرح المهذب، تقي الدين السبكي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

(٢٤٠) تكملة فتح الملهم، محمد تقي العثمان، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٢٤١) تلبيس إبليس، عبدالرحمن بن الجوزي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٤٢) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٢٤٣) التمثيل والمحاضرة، أبو منصور الثعالبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٣٨١هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٢٤٤) التمسك بالقرآن الكريم وأثره في حياة المسلمين، أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢٤٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط/١، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.

(٢٤٦) تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، د. إسحاق ابن عبدالله السعدي، ط/١، جامعة الإمام، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢٤٧) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، الإمام محيي الدين بن النحاس، تحقيق: نصر السمرقندي، ط/ دار الشروق، جدة: ١٤٠٠هـ.

(٢٤٨) التنصير في المراجع العربية "دراسة ورصدًا وراقى المطبوع"، علي بن إبراهيم النملة، ط/ مطبوعات جامعة الإمام، الرياض.

(٢٤٩) تنوير الحوالك شرح الموطأ، جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي، ط/ المكتبة الثقافية، بيروت.

(٢٥٠) تهذيب الأخلاق، الجاحظ، ط/ دار الصحابة للتراث.

(٢٥١) تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني الشافعي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٢٥٢) تهذيب السنن، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة، بيروت.

(٢٥٣) تهذيب الفروق في الأسرار الفقهية والقواعد السنية، محمد بن علي بن الحسين، ط/ دار إحياء الكتب العربية.

(٢٥٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢٥٥) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: د.عبدالحليم النجار، ط/ مطابع سجل العرب، القاهرة.

(٢٥٦) التوبة، أحمد عز البيانوني، ط/١، مكتبة الهدى، حلب: ١٣٩٧هـ/١٩٧٩م.

(٢٥٧) توحيد الخالق، عبدالمجيد الزنداني، ط/ ٢، دار المجتمع، جدة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢٥٨) التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر بن خزيمة، دراسة وتحقيق: د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان، ط/ مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٤هـ.

(٢٥٩) التوحيد وأثره على العبيد، خميس السعيد محمد، ط/ بيت الأفكار الدولية.

(٢٦٠) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط/٣، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢٦١) توضيح الكافية الشافية، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/ الرياض.

(٢٦٢) التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان، القاهرة: ١٤١٠هـ.

(٢٦٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط/ ٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧م.

(٢٦٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٢٦٥) تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان، ط/٩، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٢٦٦) التيسير ورفع الحرج في الدعوة إلى الله تعالى، د. جمال عبدالستار محمد، ط/١، دار الأندلس الخضراء، جدة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢٦٧) ثقافة الداعية، د. يوسف القرضاوي، ط/٦، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٢٦٨) ثقافة الداعية، عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٢٦٩) الثمر الداني في تقريب المعاني لرسالة أبي زيد القيرواني، صالح عبدالسميع الآبي الأزهري، ط/ الحلبي.

(٢٧٠) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م.

(٢٧١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/ دار هجر، القاهرة.

(٢٧٢) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، ط/ دار الحديث، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

(٢٧٣) الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط/ دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية.

(٢٧٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر، ط/ دار الفتح: ١٩٧٨م.

(٢٧٥) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٢٧٦) الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، ط/١، دار إحياء التراث، بيروت: ١٣٧١هـ.

(٢٧٧) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، ابن القيم، تحقيق: يوسف شاهين، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٧٨) جمهرة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، د. علي أحمد الندوي، ط/١، شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢٧٩) الجنائز وبدعها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٤، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٦هـ.

(٢٨٠) الجهاد ميادينه وأساليبه، د. محمد نعيم ياسين، ط/٢، مكتبة الأقصى، عمان: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٢٨١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ط/ مطبعة النيل، القاهرة: ١٣٢٢هـ.

(٢٨٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٤٠٨هـ.

(٢٨٣) جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، صالح عبدالسميع الآبي الأزهري، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٢٨٤) الجوهرة النيرة شرح مختصر القدوري، أبو بكر بن علي بن محمد الحوازي اليمني، ط/ المطبعة الخيرية: ١٣٢٢هـ.

(٢٨٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢٨٦) حاشية البجيرمي على الخطيب، المسماة: تحفة الحبيب على شرح الخطيب، سليمان بن عمر بن محمد الشافعي البجيرمي، ط/ دار الفكر: ١٤٠١هـ.

(٢٨٧) حاشية الجمل على شرح منهج الطلاب، سلمان بن عمر بن منصور العجيلي الجمل، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٢٨٨) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد أحمد عرفه الدسوقي، مطبوع مع الشرح الكبير، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢٨٩) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط/ ٨، ١٤١٩هـ.

(٢٩٠) حاشية السندي على سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب، ط/ مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر، بيروت.

(٢٩١) حاشية السندي على سنن النسائي، مطبوعة مع سنن النسائي، ط/٢، دار المعرفة، بيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢٩٢) حاشية السندي على صحيح البخاري، السندي، ط/ دار التراث العربي، القاهرة.

(٢٩٣) حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، ط/ مطبعة بولاق: ١٢٥٤هـ.

(٢٩٤) حاشية الطحطاوي على الدر المختار، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، ط/ مطبعة بولاق: ١٢٥٤هـ.

(٢٩٥) حاشية العدوي علي شرح الخرشي، علي بن أحمد العدوي، مطبوع مع شرح الخرشي، دار صادر، بيروت.

(٢٩٦) حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، الشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي، ط/ الحلبي.

(٢٩٧) حاشية العطار على شرح الجلال المحلى، حسن بن محمد العطار، على جمع الجوامع لحسين العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع، ابن السبكي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢٩٨) حاشية بن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عمر ابن عبدالعزيز، ط/٢، مصطفى البابي الحلبي: ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

(٢٩٩) حاشية عميرة على شرح جلال الدين المحلى على المنهاج، وهي مطبوعة مع الشرح المذكور، أحمد عميرة البرلس، ط/ دار إحياء الكتب العربية.

(٣٠٠) حاشية قليوبي على شرح الجلال، شهاب الدين أحمد بن أحمد القليوبي، ط/ دار الفكر العربي للطباعة والنشر.

(٣٠١) حاشيتا قليوبي وعميرة على شرح جلال الدين المحلى على المنهاج، الشيخ أحمد عميرة البرلس، ط/ دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

(٣٠٢) الحافظ أحمد بن تيمية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط/٣، دار القلم، الكويت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٣٠٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

(٣٠٤) الحج وأحكامه وأسراره ومنافعه، الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٣٠٥) الحج والعمرة والمشروع في الزيارة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/ مؤسسة ابن عثيمين، الرياض: ١٤٢٤هـ.

(٣٠٦) الحدود في الإسلام، د. أحمد فتحي بهنسي، ط/ ٣، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

(٣٠٧) الحديث النبوي والتاريخ، د. أحمد جمال العمري، ط/ دار المعارف، مصر: ١٩٩٠م.

(٣٠٨) الحرص على هداية الناس في ضوء النصوص وسير الصالحين، د. فضل إلهي، ط/٤، مؤسسة الجريسي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣٠٩) الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، تحقيق: أ. عبدالعزيز رباح، ط/ مكتبة دار البرلمان، دمشق: ١٣٧٨هـ.

(٣١٠) حسن الخلق "مكانته - حقيقته"، د. محمد بن سعد الشويعر، ط/١، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، الرياض: ١٤٢٣هـ.

(٣١١) حسن الظن بالله، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٠٨هـ.

(٣١٢) حفظ القرآن الكريم وتعليمه في جميع مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي، أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، بحث مقدم إلى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلوم، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣١٣) حفظ اللسان، وحيد عبدالسلام بالي، ط/٢، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

(٣١٤) حق التلاوة، حسني شيخ عثمان، ط/١٢، دار المنارة، جدة: ١٤١٨هـ.

(٣١٥) حقوق الراعي والرعية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة ودار النشر.

(٣١٦) حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، المنتدى الإسلامي، تقديم: أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣١٧) حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام، أ. د. صالح بن حسين العايد، ط/٤، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣١٨) حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأركانه ومجالاته، أ. د. حمد ابن ناصر بن عبدالرحمن العمار، ط/٢، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣١٩) حكمة التشريع الإسلامي في تحريم الربا، د.يوسف حامد العالم، ط/ ٢، دار الصحوة، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

(٣٢٠) حكمة التشريع وفلسفته، علي أحمد الجرجاوي، ط/ دار الفكر.

(٣٢١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط/٣، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣٢٢) الحكمة في الدعوة إلى الله، د. زيد بن عبدالكريم، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٢هـ.

(٣٢٣) الحكمة من إرسال الرسل، عبدالرزاق عفيفي، ط١، مطبعة المدني، القاهرة: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٣٢٤) حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم أحمد عبدالله الأصبهاني، ط/٥، دار الريان: ١٤٠٧هـ.

(٣٢٥) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د. علي عبدالواحد وافي، ط/ مكتبة دار الشعب، القاهرة.

(٣٢٦) حماية الإسلام للأنفس والأعراض، د.علي عبدالواحد وافي، ط/ مكتبة دار الشعب، القاهرة.

(٣٢٧) الحوار "أصوله وآدابه السلوكية"، أحمد الصويان، ط/١، دار الوطن، الرياض: ١٤١٨هـ.

(٣٢٨) الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد بن محمد بن وصل المغامسي، ط/ مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض: ١٤٢٥هـ.

(٣٢٩) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق: نايف العباس، ود. محمد علي دولة، ط/ دار العلم، دمشق: ١٩٨٥م.

(٣٣٠) حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٣٣١) حياة محمد، أ. د. محمد حسين هيكل، ط/ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: ١٩٦٨م.

(٣٣٢) خاتم النبيين ﷺ، محمد أبو زهرة، ط/٢، المكتبة العصرية، بيروت.

(٣٣٣) الخراج، القاضي أبو يوسف، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٩٧٩م.

(٣٣٤) الخشوع في الصلاة، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد حسني عفيفي، ط/١، مكتبة الحرمين، الرياض: ١٤٠٠هـ.

(٣٣٥) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٣٣٦) خطاب القرآن الكريم لغير المسلمين، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ط/ مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣٣٧) الخطابة "أصولها، تاريخها" في أزهر عصورها عند الغرب، محمد أبو زهرة، ط/ دار الفكر العربي، بيروت.

(٣٣٨) الخطابة الدينية بين المنهج والواقع، د. حسين محمد محمود عبدالمطلب، ط/١، جامعة الأزهر، القاهرة: ١٤١٤هـ/٩٩٤م.

(٣٣٩) الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي، ط/١، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٣٤٠) خطب الجمع، الشيخ عبدالله بن محمد الخليفي، ط/٣، ١٤٠١هـ.

(٣٤١) خطب القرعاوي المنبرية، عبدالله بن إبراهيم القرعاوي، ط/١، دار الطرفين، الطائف، ١٤١٩هـ.

(٣٤٢) خطب مختارة، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط/١، ١٤٠٧هـ.

(٣٤٣) خطبة الجمعة "دراسة دعوية"، د. سليمان بن عبدالله بن منصور الحبس، ط/١، مطبعة جامعة الإمام، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣٤٤) خطبة الحاجة، محمد ناصر الدين الألباني، ط/ ٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

(٣٤٥) خلاصة البدر المنير، عمر بن علي بن الملقن، ط/ مكتبة دار الرشدن الرياض.

(٣٤٦) خلق المسلم، محمد الغزالي، ط/٧، دار البيان، الكويت: ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

(٣٤٧) خمس رسائل إلى الشباب المسلم المعاصر، د. محمد البهي، ط/٩، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٣٤٨) الداء والدواء، ابن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق وتخريج: علي بن حسن بن علي ابن عبدالحميد الحلبي، ط٣، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣٤٩) الداء والدواء، الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي الأثري، ط/٣، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٣٥٠) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط/٦: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٣٥١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د. عبدالله التركي، ط/١، دار هجر، القاهرة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٣٥٢) الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، بدر الدين محمد بن محمد الغزن، ط/١، شركة البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٣٥٣) دراسات تربوية في الأحاديث النبوية، أ. د. محمد لقمان الأعظمي الندوي، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٣٥٤) دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أ. د. زاهر بن عواض الألمعي، ط/٢، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣٥٥) دراسات في السيرة، عماد الدين خليل، ط/٦، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ.

(٣٥٦) دراسات في علوم القرآن، أ.د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، ط/١، مكتبة التوبة، الرياض: ١٤١٣هـ.

(٣٥٧) دراسات قرآنية، أ. محمد قطب، ط/٢، دار الشروق، بيروت: ١٤٠٢هـ.

(٣٥٨) درجات تغيير المنكر، د. عبدالعزيز أحمد المسعود، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤١٤هـ.

(٣٥٩) درر الحكام شرح غرر الأحكام، محمد بن فراموز الحنفي منلا خسرو، ط/ المطبعة العامرة، مصر: ١٣٠٤هـ.

(٣٦٠) الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبدالبر، تحقيق: شوقي ضيف، ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة: ١٩٩٦م.

(٣٦١) دروس في الحقوق الواجبة على المسلم، أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغير، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٣٦٢) دستور الأخلاق في القرآن الكريم: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، تحقيق: عبدالصبور شاهين، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٢م.

(٣٦٣) الدعاء، محمد بن إبراهيم الحمد، ط/٢، دار ابن خزيمة، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٣٦٤) دعوة الإسلام، السيد سابق، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٧٣م.

(٣٦٥) الدعوة الإسلامية "مفهومها وحاجة المجتمعات إليها"، محمد خير رمضان يوسف، ط/ مطابع الفرزدق، الرياض: ١٩٨٦م.

(٣٦٦) الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ط/١، مطابع الفرزدق، الرياض: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٣٦٧) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الشيخ محمد الراوي، ط/٣، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٣٦٨) الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، د. رؤوف شلبي، ط/٣، دار القلم، الكويت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٣٦٩) الدعوة الإسلامية: أصولها ووسائلها، د. أحمد أحمد غلوش، ط/ الشركة العالمية للكتاب، بيروت: ١٩٨٧م.

(٣٧٠) دعوة الرسل بين القرآن الكريم والكتاب المقدس "دراسة تحليلية موضوعية مقارنة"، أ. د. بكر زكي إبراهيم عوض، ط/١: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٣٧١) الدعوة إلى الإسلام "تاريخها في عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين والعهود المتلاحقة"، محمد أبو زهرة، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣٧٢) الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات، حسني أدهم جرار، ط/١، دار اللبناني، بيروت: ١٩٧٨م.

(٣٧٣) الدعوة إلى الإسلام، محمد خير يوسف، ط/٢، دار طويق للنشر، الرياض: ١٤١٤هـ.

(٣٧٤) الدعوة إلى الإصلاح، الشيخ محمد الخضر حسين، ط/ المطبعة السلفية، القاهرة: ١٣٤٦هـ.

(٣٧٥) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجًا وسلوكًا، د. عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ط/٢، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣٧٦) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد بن سيدي بن الحبيب، ط/ دار الوفاء: ١٤٠٦هـ.

(٣٧٧) الدعوة إلى الله: الرسالة والوسيلة والهدف، د. توفيق الواعي، ط/١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٣٧٨) الدعوة إلى الله، محمد بن إبراهيم التويجري، ط/١، دار الثقافة، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٣٧٩) دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبدالله إبراهيم اللحيدان، ط/١، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣٨٠) الدعوة قواعد وأصول، أ. جمعة أمين عبدالعزيز، ط/٢، دار الدعوة، الإسكندرية: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٣٨١) الدعوة "للمختصين في العلوم الشرعية"، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٣٨٢) الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان، محمد سعيد البارودي، ط/١، دار الوفاء، الرياض: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣٨٣) دقائق التفسير، الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، ط/ دار الأنصار، مصر: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٣٨٤) دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٣٨٥) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن حسين البيهقي، توثيق وتخريج وتعليق: د.عبدالمعطي قلعجي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٣٨٦) دلائل النبوة، أبو بكر جعفر بن محمد الفرياني، إخراج: محمود بن محمد الحداد، تخريج: أم عبدالله بنت محروس العسلي، ط/١، دار طيبة، الرياض: بدون سنة.

(٣٨٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد علان بن إبراهيم البكري الصديقي المكي، ط/١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٣٨٨) دور الأسرة في تربية أولادها في مرحلة البلوغ، عبدالرحمن الغامدي، ط/٢، دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤١٤هـ.

(٣٨٩) دور الحسبة في حماية القيم الإسلامية، د. محيي الدين عفيفي أحمد، مكتبة الحسين، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٣٩٠) الدين الخالص، محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، ط١، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٣٩١) الدين الخالص، محمود خطاب السبكي، ط/ دار المنار، القاهرة.

(٣٩٢) الدين وأركان الإسلام، الحاج عباس كرارة، ط/٢، مركز الحرمين، مكة المكرمة.

(٣٩٣) الدين والحضارة الإنسانية، محمد البهي، ط/ الشركة الجزائرية، الجزائر.

(٣٩٤) ديوان أبي الفضل الوليد، ط/ دار الثقافة، بيروت.

(٣٩٥) ديوان الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تقديم ومراجعة: د. إحسان عباس، تحقيق: محمد عفيف الزغبي، ط/ دار العلم، جدة: ١٩٧٤م.

(٣٩٦) ديوان الشافعي، مراجعة: د. إحسان عباس، ط/١، دار صادر، بيروت: ١٩٩٦م.

(٣٩٧) ديوان العمر والريح، د. صابر عبدالدائم، ط/ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة: ٢٠٠٧م.

(٣٩٨) ديوان المتنبي، ط/ مطبعة مصطفى الحلبي، ١٩٣٦م.

(٣٩٩) ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، ط/ القاهرة: ١٩٦٦م.

(٤٠٠) ديوان مدائن الفجر، شعر: د. صابر عبدالدائم، ط/ مكتبة العبيكان، الرياض.

(٤٠١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٠م.

(٤٠٢) الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، د. سعد بن علي بن وهف القحطاني، ط/٣، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٤٠٣) ذم البغي لابن أبي الدنيا، تحقيق: أبو اليزيد العجمي، ونجم الرحمن خلف، ط/١، دار الصحوة، القاهرة: ١٩٨٥م.

(٤٠٤) رؤى طريق الدعوة، د. عبدالقادر طاش، ط/١، الرياض: ١٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٤٠٥) رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي، ط/١، دار القلم، الكويت: ١٩٨٣م.

(٤٠٦) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٠٧) رد المحتار على الدر المختار المسمى بـ "حاشية ابن عابدين"، محمد أمين بن عمر عابدين، تحقيق: علي محمد معوض، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤٠٨) رسائل الإصلاح، الشيخ محمد الخضر حسين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، دار الفكر، بيروت، بدون ذكر رقم وتاريخ الطبعة.

(٤٠٩) رسالة الإنسان في الحياة ومقتضياتها، د. عبدالستار نوير، ط/١، دار الفكر، بيروت.

(٤١٠) الرسالة المحمدية، السيد سالم الندوي، ط/ مكتبة دار الفتح، دمشق: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٤١١) رسالة المسجد، عبدالمعطي بهجت، ط/ دار الأنصار، القاهرة.

(٤١٢) رسالة إلى أئمة المساجد والمؤذنين والمأمومين، جمع: وتحقيق: عبدالله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله، ط/١، الرياض: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤١٣) الرسالة في الفتن والملاحم واشراط الساعة، أبو عبيدة ماهر بن صالح آل مبارك، ط/١: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤١٤) الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: خالد السبع العلمي، وزهير شفيق الكبّي، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٤١٥) الرسل والرسالات، أ. د. عمر سليمان الأشقر، ط٣، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٤١٦) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبدالفتاح أبو غدة، ط/ دار النشر، بيروت.

(٤١٧) رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبدالله بن حميد، ط/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٤١٨) الرقة والبكاء، ابن أبي الدنيا، ط/ دار الصحابة، طنطا: ١٩٩٢م.

(٤١٩) ركائز الدعوة إلى الله تعالى، د. فضل إلهي، ط/١، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤٢٠) ركائز دعوية من هدي النبي ﷺ في العلاقات الاجتماعية، د. عبدالمجيد البيانوني، ط/٢، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤٢١) روح الدين الإسلامي، عفيف عبدالفتاح طبارة، ط/٢٥، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٥م.

(٤٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمودالألوسي البغداي، المتوفى ١٢٧٠هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي.

(٤٢٣) الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي، ط/٦، المطبعة السلفية، القاهرة: ١٣٨٠هـ.

(٤٢٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤٢٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، شرح وتحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ومحمد عبدالرازق حمزة، ومحمد حامد الفقي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٤٢٦) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، أبو بكر بن قيم الجوزية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٢٧) رياض الصالحين، النووي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤٢٨) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/٣، مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٤٢٩) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ط/٤، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٤٣٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤٣١) الزهد والورع والعبادة، ابن تيمية، تحقيق: حامد سلامة ومحمد عويضة، الأردن: ١٤٠٧هـ.

(٤٣٢) الزهد، أحمد بن حنبل، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٤٠٨هـ.

(٤٣٣) الزهد، الحسن البصري، تحقيق: محمد عبدالرحيم محمد، ط/ دار الحديث، القاهرة.

(٤٣٤) الزهد، عبدالله بن المبارك المروزيٌ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٣٥) الزوائد، البوصيري، أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق: عزت علي عطية، ط/ دار الكتب الحديثة، بيروت.

(٤٣٦) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيتمي، ابن حجر الهيتمي، ضبط: أحمد الشام، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٣م.

(٤٣٧) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، اعتنى به: حسان عبدالمنان، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٤٣٨) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

(٤٣٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٤٤٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٤٤١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٤، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٨هـ.

(٤٤٢) سماحة الإسلام، د. عمر بن عبدالعزيز قريش، ط/١، مكتبة الأديب، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٤٤٣) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، محب الدين الطبري، تحقيق: عبدالمجيد طعمة حلبي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٤٤٤) السنة ومكانتها في التشريع، د. مصطفى السباعي، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت: ١٩٧٨م.

(٤٤٥) سنن ابن ماجة، الإمام محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، ط/١، دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٤٦) سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه، ط/١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م.

(٤٤٧) سنن أبي داود، الإمام سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ط/١، دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٤٨) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبي داود، ط/ الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤٤٩) سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، ط/١، دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٥٠) سنن الترمذي، المعروف بالجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى، تحقيق: الشيخ أحمد شاكر، ط/ الحلبي.

(٤٥١) سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٤٥٢) سنن الدارمي، الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤٥٣) السنن الكبرى، الإمام أبي بكر أحمدبن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٩م، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٤٥٤) سنن النسائي، الإمام أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، ط/١، دار السلام، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٤٥٥) سنن سعيد بن منصور (تفسير)، دراسة وتحقيق: د. سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز آل حميد، ط/١، دار الأصمعي، الرياض: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤٥٦) سوء الخلق "مظاهره - أسبابه - علاجه"، محمد بن إبراهيم الحمد، ط/٢، دار ابن خزيمة، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٤٥٧) سوانح وتأملات في قيمة الزمن، خلدون بن الأحدب، ط/ دار الوفاء، جدة: ١٤٠٧هـ.

(٤٥٨) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين بن تيمية، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

(٤٥٩) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٤٦٠) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، ط/٤، دار القلم، دمشق: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٤٦١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، أ. د. مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض: ١٤١٢هـ.

(٤٦٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: محمد رياض البجائي، ط/١، دار الأخيار، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٤٦٣) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نفرة، ط/ الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ١٩٧٤م.

(٤٦٤) السيل الجرار المتدفق على الحدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٤٦٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، العز بن عبدالسلام، تحقيق: إياد خالد الطباع، دمشق: ١٩٨٩م.

(٤٦٦) الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، د. ناصر بن عبدالله بن ناصر التركي، ط/١، سلسلة الرسائل الجامعية، جامعة الإمام، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٤٦٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الإمام أبي القاسم بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعيد بن حمدان الغامدي، ط/٨، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤٦٨) شرح الآجرومية، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، مكتبة الأنصار الأولى: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٤٦٩) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة، النووي، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤٢١هـ.

(٤٧٠) شرح الزركشي على مختصر الخرقي في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، شمس الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: الشيخ د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ط/٢، دار أولي النهى، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٤٧١) شرح الأسباب العشرة الموجبة لمحبة الله كما عدّها ابن القيم، عبدالعزيز مصطفى، ط/٢، دار طيبة، الرياض.

(٤٧٢) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، ط/ محمد علي صبيح.

(٤٧٣) شرح الخرشي على مختصر خليل، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخرش، ط/ دار الفكر.

(٤٧٤) شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني، ط/١، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: ١٩٦٢م.

(٤٧٥) شرح الزركشي على مختصر الخرقي، شمس الدين محمد بن عبدالله الرزكشي، ط١، مكتبة العبيكان: ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

(٤٧٦) شرح السنة، البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، وشعيب الأرناؤوط، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤٧٧) شرح السير الكبير على مختصر خليل، أبو البركات أحمد بن محمد الدردير، المتوفى ١٢٠١هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

(٤٧٨) شرح السيوطي على سنن النسائي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط/٢، دار المعرفة، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤٧٩) الشرح الصغير على أقرب المسالك، أبو البركات أحمد بن محمد الدردير، ط/ المعاهد الأزهرية: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٤٨٠) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ "الكاشف عن حقائق السنن"، شرف الدين حسن بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار، وغيره، ط/١، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٤١٣هـ.

(٤٨١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، شرف الدين حسين بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق: المفتي عبدالغفار وآخرون، ط/١، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٤١٣هـ.

(٤٨٢) شرح العقائد النفسية، سعد الدين التفتازاني، ط٢، مطبعة محمد علي صبيح: ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

(٤٨٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي الفداء العز الحنفي، تحقيق: أ. د. عبدالله ابن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/٨، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

(٤٨٤) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، أ. د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/٥، جامعة الإمام، الرياض: ١٤١١هـ.

(٤٨٥) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، د. محمد خليل هراس، ضبط وتخريج: علوي بن عبدالقادر السقاف، ط٤، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤٢٤هـ.

(٤٨٦) الشرح الكبير على مختصر خليل، أبو البركات أحمد بن محمد الدردير، المتوفى ١٢٠١هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي.

(٤٨٧) شرح الكوكب المنير لأبي البقاء تقي الدين الفتوحي، ط/ مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

(٤٨٨) الشرح الممتع على زاد المستقنع، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٣هـ.

(٤٨٩) شرح الورقات في أصول الفقه، عبدالله بن صالح الفوزان، ط/٣، دار المسلم، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٤٩٠) شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك، شرح: الشيخ محمد الشيباني الشنقيطي، ط/٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٥م.

(٤٩١) شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج د. عبدالحميد مدكور، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤٩٢) شرح رياض الصالحين، د. الحسيني عبدالمجيد هاشم، ط/١، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٤٩٣) شرح صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط/ دار الدعوة الإسلامية.

(٤٩٤) شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبدالواحد السيواسي السكندري المعروف بابن الهمام الحنفي، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤٩٥) شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: محمد زهدي النجار، ط/٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ.

(٤٩٦) شرح منتهى الإرادات، منصور بن يوسف بن إدريس البهوتي، ط/ دار الفكر.

(٤٩٧) شرح منح الجليل على مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عليش، ط/ مكتبة النجاح، ليبيا.

(٤٩٨) الشريعة، الآجري، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٤٩٩) شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: بسيوني زغلول، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٦م.

(٥٠٠) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي المغربي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٥٠١) الشمائل المحمدية، الترمذي، ط/٢، دار المطبوعات الحديثة، جدة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٥٠٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي، شمس الدين بن عبدالهادي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٥٠٣) الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط/ ٢، دار العلم للملايين، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٥٠٤) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٠٥) صحيح ابن حبان، الإمام أبي حاتم محمد بن حبان التميمي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٥٠٦) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، ط/٤، مكتبة الدليل، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٠٧) صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥٠٨) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥٠٩) صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربي بدول الخليج، ط/١، الرياض: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٥١٠) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥١١) صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٥١٢) صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٥١٣) صحيح سنن النسائي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٥١٤) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/ بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥١٥) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ط/١، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٥١٦) صفات الداعية النفسية، عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥١٧) صفات الداعية وكيفية جمل الدعوة، سميح عاطف الزين، ط/ دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٥١٨) صفات الداعية، أ. د. حمد بن ناصر العمار، دار كنوز إشبيليا، ط/٢، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٥١٩) صفات الدعاة، أ. د. عبد الرب بن نواب الدين، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٣هـ.

(٥٢٠) صفة الصفوة، أبو الفرج بن الجوزي، ط/٢، مكتبة الباز، مكة المكرمة: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٥٢١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط/٢، دار القرآن الكريم، بيروت: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٥٢٢) الصلاة وحكم تاركها، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: تيسير زعيتر، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٢٣) الصلاة: فقهها، أسرارها، تعلم كيفيتها، محي الدين مستو، ط/٤، دار القلم، بيروت.

(٥٢٤) الصلاة، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، وزارة التعليم العالي، ط/ جامعة الإمام، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٥٢٥) صلاحية البيع للانتفاع به، د. حسن صلاح الصغير، ط/ دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية: ١٤٠٤هـ.

(٥٢٦) صور من سماحة الإسلام، أ. د. عبد العزيز بن عبدالرحمن الربيعة، ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٥٢٧) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، د. محمد فوزي فيض الله، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٥٢٨) الصوم جنة، د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي، ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٥٢٩) الصوم مدرسة تربي الروح وتقوى الإرادة، الشيخ عبدالرحمن الدوسري، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥٣٠) صيد الخاطر، ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: عبدالقادر عطا، ط/ دار القبلتين للنشر والتوزيع.

(٥٣١) الضبط الاجتماعي والتماسك الأسري، خالد بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز السالم، ط/١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥٣٢) ضعيف الجامع الصغير، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/٣: المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥٣٣) ضعيف سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت: ١٩٨٨م.

(٥٣٤) ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، محمد سعيد رمضان، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥٣٥) الطب النبوي، شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق: د. سيد الجميلي، ط/٦، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٥٣٦) الطب النبوي، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، ط/١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٥٣٧) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ.

(٥٣٨) طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمعي، شرح: محمود شاكر، ط/ مطبعة المدني: ١٩٧٤م.

(٥٣٩) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين عبدالرحيم بن الحسن بن عبدالرحمن، ط/ دار إحياء الكتاب العربي.

(٥٤٠) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، ط/ السنة المحمدية.

(٥٤١) طرق تدريس التربية الإسلامية، د. هدى علي جواد الشمري، ط/١، دار الشروق، القاهرة: ٢٠٠٣م.

(٥٤٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥٤٣) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، القاضي أبو بكر بن العربي، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥٤٤) عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالكريم نوفان عبيدات، ط/٣، دار إشبيليا، الرياض.

(٥٤٥) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، ط/٦، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٩هـ.

(٥٤٦) العبودية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط١، دار الفضيلة، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٥٤٧) عدالة توزيع الثروة في الإسلام، عبدالسميع المصري، ط/١، مكتبة وهبة، القاهرة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٥٤٨) عدة الداعية المسلم، د. الشريف حمدان راجح الهجاري، ط/١، دار الهدى، المدينة المنورة: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٥٤٩) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: نعيم زوزو، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥٥٠) العدة شرح العمدة، بهاء الدين عبدالرحمن بن إبراهيم المقدسي، ط/١: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٥٥١) العز بن عبدالسلام، د. محمد الزحيلي، سلسلة أعلام المسلمين، ط/ دار الفكر، دمشق: ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

(٥٥٢) العشرة المبشرون بالجنة، محمد أحمد عيسى، ط/١، دار الغد الجديدة، مصر: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٥٥٣) عظمة القرآن الكريم، محمود أحمد بن صالح الدوسري، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٦هـ.

(٥٥٤) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حبنكة الميداني، ط٢، دار القلم، دمشق: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٥٥٥) عقيدة التوحيد، د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/ دار القاسم، الرياض.

(٥٥٦) عقيدة المؤمن، أبو بكر جابر الجزائري، ط/٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٥٥٧) عقيدة المسلمين والرد على الملاحدة والمبتدعين، الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ط١: ١٤٠١هـ.

(٥٥٨) العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٩٧٩م.

(٥٥٩) العقيدة في الله، د.عمر سليمان الأشقر، ط/ ٢، مكتبة الفلاح، الكويت: ١٩٧٩م.

(٥٦٠) علم الإيمان، عبدالمجيد الزنداني وآخرون، ط/ نايف الأشبط، صنعاء.

(٥٦١) علم النفس الدعوي، دراسات نفسية تربوية للآباء والمعلمين والدعاة، أ. د. عبدالعزيز بن محمد النغيمش، ط/١، دار المسلم، الرياض: ١٤١٥هـ.

(٥٦٢) علماء الصحابة رضي الله عنهم، د. أحمد خليل جمعة، ط/١، مكتبة اليمامة، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٥٦٣) علماء نجد خلال سنة قرون، عبدالله البسام، ط١، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، مكة المكرمة: ١٣٩٨هـ.

(٥٦٤) علو الهمة، معوقاتها، ومقوماتها، محمد بن إبراهيم الحمد، ط/ الرياض: ١٤١٦هـ.

(٥٦٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد بن أحمد العيني، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٥٦٦) عناصر القوة في الإسلام، السيد سابق، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

(٥٦٧) العناية على الهداية، وهو مطبوع بهامش شرح فتح القدير، أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي، ط/ دار الكتب العلمية.

(٥٦٨) العهد والميثاق في القرآن الكريم، د. ناصر بن سليمان العمر، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٣هـ.

(٥٦٩) عون المعبود على سنن أبي داود، أبي عبدالرحمن شرف الحق الشهير بمحمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، تخريج: رائد صبري بن أبي علفة، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٥٧٠) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد الخطراوي ومحيي الدين نتو، ط/ المدينة المنورة، ط/ دار ابن كثير، بيروت: ١٤١٣هـ.

(٥٧١) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدنيوري، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥٧٢) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ، الإمام أبو حفص عمر بن علي الأنصاري، الشهير بابن الملقن، تحقيق: عبدالله بحر الدين عبدالله، ط/١، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٥٧٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، السفاريني الحنبلي، ط/ مكة المكرمة: ١٣٩٣هـ.

(٥٧٤) الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، القاضي أبو يحيى زكريا الأنصاري، ط/ المطبعة اليمنية.

(٥٧٥) غزوة أحد "دراسة دعوية"، محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج، ط/١، دار الفرقان، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٩٨٧م.

(٥٧٦) الغلو في الدين ووسطية الإسلام، فهد بن مبارك محمد الدوسري، ط/١، مدار الوطن للنشر، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٥٧٧) الغلو، أ. د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ط/١، دار الوطن للنشر، الرياض: ١٤١٧هـ.

(٥٧٨) غمز العيون والبصائر على الأشباه والنظائر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن مكي الحموي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٧٩) الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ عيسى البابي الحلبي، بيروت: ١٤١٦هـ/٢٠٠٥م.

(٥٨٠) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، ط/١، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٥٨١) الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، ط/ دار إحياء الكتاب العربي، بيروت.

(٥٨٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط/٢، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٥٨٣) فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر، رتبه: محمد بن عبدالرحمن المغراوي، ط/١، مجموعة التحف والنفائس الدولية، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٢م.

(٥٨٤) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥٨٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ المكتبة التجارية، مكة المكرمة: ١٤١٢هـ.

(٥٨٦) فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، ط/ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٥٨٧) الفتوحات الربانية في شرح الأذكار النووية، محمد بن علان الصديقي الشافعي، ط/ المكتبة الإسلامية.

(٥٨٨) فرسان النهار من الصحابة الأخيار، د. سيد بن حسين العفاني، ط/١، دار ماجد عسيري، جدة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٥٨٩) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، ط/٤، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ.

(٥٩٠) الفروع، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن مفلح، ط/٤ دار عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٩١) الفروق، أحمد ين ادريس الصنهاجي القرافي، ط/دار إحياء الكتب العربية: ١٣٤٤هـ.

(٥٩٢) الفروق، شهاب الدين أبي العباس القرافي، ط/١، دار إحياء الكتب العربية، بيروت: ١٣٤٦هـ.

(٥٩٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمد بن علي ابن حزم الظاهري، تحقيق: د.محمد إبراهيم نصر، ود.عبدالرحمن عميرة، ط/دار الجيل، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٩٤) الفصول في سيرة الرسول ﷺ، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د. محمد العيد الخضراوي، ود. محيي الدين مستو، ط/٣، دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥٩٥) فضائل الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، الشيخ: محمد زكريا الكاندهلوي، ط/١، دار وحي القلم، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٥٩٦) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، تحقيق: وحي الله بن محمد بن عباس، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٣هـ.

(٥٩٧) فضائل القرآن وحملته في السنة المطهرة، محمد موسى نصر، ط/٢، دار اليقين، البحرين: ١٤١٠هـ.

(٥٩٨) فضائل القرآن، ابن كثير، تحقيق: محمد بن إبراهيم البناء، ط/ بيروت: ١٩٨٨م.

(٥٩٩) فضائل المدينة المنورة، د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ط/ دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

(٦٠٠) فضل الدعوة إلى الله وحكمها وأخلاق القائمين عليها، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ضمن أبحاث ووقائع اللقاء الخاص لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في نيروبي، كينيا: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٦٠١) فضل الدعوة إلى الله، د. فضل إلهي، ط/١، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٠٢) فضل العلم والعلماء، ابن قيم الجوزية، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٦٠٣) فضل العلم ووجوب احترام العلماء، د. طارق بن محمد بن عبد الله الخويطر، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٦٠٤) فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، فضل الله الجيلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/ المكتبة السلفية، القاهرة: ١٤٠٧هـ.

(٦٠٥) فقه الائتلاف قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف، محمد محمد الخزندار، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢١هـ.

(٦٠٦) فقه الأدعية والأذكار، د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٦٠٧) الفقه الإسلامي أساس التشريع، محمد مصطفى شلبي، ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٦٠٨) الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦٠٩) فقه الدعوة إلى الله، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٦١٠) فقه الدعوة إلى الله، علي عبدالحليم محمود، ط/ مكتبة المعارف، الرياض: ١٩٨٧م.

(٦١١) فقه الدعوة والإعلام، د. عمارة نجيب، ط/ مكتبة المعارف، الرياض: ١٩٨٧م.

(٦١٢) فقه الدعوة، د. بسام العموش، ط/١، دار النفائس، الأردن: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٦١٣) فقه الزواج في ضوء الكتاب والسنة، د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢، دار بلنسية، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٦١٤) فقه السنة الميسر، د. عبدالله بن محمد المطلق، ط١، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٦١٥) فقه السنة، الشيخ سيد سابق، ط/١، مكتبة الدعوة، القاهرة.

(٦١٦) فقه السيرة، د. محمد بن عيد رمضان البوطي، ط/١٠، دار الفكر، دمشق: ١٤٢١هـ/١٩٩١م.

(٦١٧) فقه السيرة، محمد الغزالي، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٤١٤هـ.
(٦١٨) فقه المعاملات، د. صالح الفوزان، ط١، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٢هـ.
(٦١٩) فقه الموازنات وأثره في المعاملات المالية، عطية مختار حسين، رسالة دكتوراه (مخطوطة) مقدمة إلى جامعة عين شمس: ٢٠٠٦.
(٦٢٠) الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ.
(٦٢١) الفقه الواضح، محمد بكر إسماعيل، ط/٢، دار المنار: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
(٦٢٢) الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري وآخرون، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(٦٢٣) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبدالرحمن عادل بن يوسف الفزاري، ط/١، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
(٦٢٤) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، د. عبدالجواد بكر، ط/ دار الفكر العربي، بيروت: ١٩٩٣م.
(٦٢٥) فن الخطابة وإعداد الخطيب، الشيخ علي محفوظ، ط/ دار الاعتصام.
(٦٢٦) فن الدعوة الإسلامية وقواعد تطبيقها، أ. د. عبدالغفار عزيز، ط/ دار الرشد، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
(٦٢٧) فهارس صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، تخريج: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، صنع: زهير الشاويش، ط/المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
(٦٢٨) فهرس أحاديث وآثار، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبة هاجر محمد السيد بن بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
(٦٢٩) فهرس البخاري، رضوان محمد رضوان، ط/دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٦٣٠) الفوائد المشوفة إلى علم القرآن وعلم البيان، الإمام ابن القيم، ط/ دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٦٣١) الفوائد المنثورة، خطب ونصائح، كلمات ومقالات، د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، ط/ دار الريان.

(٦٣٢) الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط/٥، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٦٣٣) الفواكه الدواني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم ابن مهنا النفراوي المالكي المصري، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٦٣٤) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/١، دار الشريف، الرياض: ١٤١٤هـ.

(٦٣٥) في الترتيل وعلومه، أحمد بن أحمد بن محمد عبدالله الطويل، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٦٣٦) في فقه الأقليات المسلمة، د. يوسف القرضاوي، ط/٢، دار الشروق، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٦٣٧) في موكب الصبر والصابرين، د. يحيى إسماعيل، العدد:٥، من سلسلة نحو النور، ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية.

(٦٣٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف محمد المناوي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٦٣٩) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٦٤٠) القبس ضمن شروح الموطأ، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المالكي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، دار هجر، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٦٤١) قرارة تربوية في فكر أبي الحسن البصري الماوردي، د. علي خليل مصطفى أبو العينين، ط/ دار المجتمع، جدة: ١٤١١هـ.

(٦٤٢) القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ط/١، مكتبة مكة، السعودية: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٦٤٣) القصص في الحديث النبوي، د. محمد بن حسن الزير، ط/٣، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦٤٤) قوارب النجاة في حياة الدعاة، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٦٤٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام، ط/ دار الجيل، بيروت.

(٦٤٦) القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/٢، مكتبة الرشد، الرياض: ١٩٢١م.

(٦٤٧) قواعد في التعامل مع العلماء، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، دار الوراق، الرياض: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٦٤٨) قواعد الدعوة الإسلامية، د. الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، ط/١، المدينة المنورة: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٦٤٩) قواعد الدعوة إلى الله، د. همام عبدالرحيم سعيد، ط/٢، دار العدوي، الأردن: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦٥٠) القواعد الفقهية، عبدالله بن سعيد الشحاري، ط/٢، مكتبة النهضة المصرية، مكة المكرمة: ١٤٩٢هـ.

(٦٥١) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تخريج وتعليق: أشرف عبدالمقصود، أضواء السلف، الرياض: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

(٦٥٢) القواعد في الفقه الإسلامي، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، ط/١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: ١٩٧٢م.

(٦٥٣) القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط/مكتبة المعارف، الرياض: ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

(٦٥٤) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية، أبو الحسن علاء الدين بن عباس البعلي بن اللحام، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦٥٥) قواعد وفوائد من الأربعين النووية، ناظم محمد سليمان، ط/٦، دار الهجرة، الدمام: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٦٥٦) قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، ط/١، عالم الفكر، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦٥٧) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، ط/ دار السلام، الرياض: ١٤١٢هـ.

(٦٥٨) القول السديد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ط١، دار الوطن، الرياض: ١٤١٢هـ.

(٦٥٩) القول المفيد على كتاب التوحيد، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٦٦٠) القيادة والجندية في الإسلام، القسم الأول "القيادة"، د. محمد السيد الوكيل، ط/١، دار الأنصار، القاهرة: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٦٦١) القيم الحضارية في رسالة الإسلام، محمد فتحي عثمان، ط/ الدار السعودية: ١٤٠٢هـ.

(٦٦٢) قيمة الزمن عند العلماء، عبدالفتاح أبو غدة، ط/٤، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٦٦٣) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمود موفق الدين بن قدامة، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٦٦٤) الكافي في فقه عالم المدينة، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط/٢، دار الكتب العلمية: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٦٦٥) الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، ط/٢، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٦٦) الكبائر، الذهبي، ط/٢، مؤسسة الريان للتوزيع والنشر، لبنان: ١٤١٧هـ.

(٦٦٧) كبرى اليقينيات الكونية، د.محمد سعيد رمضان البوطي، ط٥، دار الفكر، ١٣٩٧هـ.

(٦٦٨) كتاب الآداب، فؤاد عبدالعزيز الشلهوب، ط/١، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٣هـ.

(٦٦٩) كتاب الأربعين في أصول الدين، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: د.أحمد حجازي السقا، ط/مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

(٦٧٠) كتاب الأسماء والصفات، أحمد بن حسين البيقهي، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٦٧١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: أ. عبدالخالق الأفغاني، ط/ الدار السلفية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

(٦٧٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط/ مكتبة ابن تيمية.

(٦٧٣) كشاف القناع عن متن الإقناع، الشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد، ط/ دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٦٧٤) كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: إبراهيم أحمد عبدالحميد، ط خاصة دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٦٧٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٦٧٦) الكشاف، الزمخشري، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٦٧٧) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، ط/ مكتبة التراث الإسلامي، حلب، سوريا.

(٦٧٨) الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق: أحمد الزاوي، مصر: ١٩١٦م.

(٦٧٩) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، أبو بكر محمد الحسيني الحصني، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٦٨٠) الكلمات الحسان فيما يعين على الحفظ والانتفاع بالقرآن، محمد بن مصطفى بن شعيب، ط/١، مكتبة آل ياسر، الجيزة: ١٤١٥هـ.

(٦٨١) كلمات القرآن، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، دار الحضارة، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٦٨٢) كلمات في الأخلاق الإسلامية، كمال محمد عيسى، ط/١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة: ١٤٠٩هـ.

(٦٨٣) كلمات من نور، ثاني المنصور، ط/١، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض: ١٣٩٣هـ.

(٦٨٤) الكليات، معجم المصطلحات والفروق الفردية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٩٣م.

(٦٨٥) الكنز الأكبر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإمام عبدالرحمن ابن أبي بكر بن داود الحنبلي الدمشقي الصالحي، تحقيق: د. مصطفى عثمان ضميدة، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٦٨٦) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، أبو الحسن علاء الدين علي المتقي الهندي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٦٨٧) كيف تتوجه إلى العلوم والقرآن مصدرها، نور الدين عتر، ط/١، دار الرؤية، دمشق: ١٤٢٢هـ.

(٦٨٨) كيف تطيل عمرك، محمد بن إبراهيم النعيم، ط/١، دار الزخائر، الدمام: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

(٦٨٩) كيف نتعامل مع القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٢هـ.

(٦٩٠) كيف ندعو الأطفال، د. حمدان الهجاري، ط/١، المدينة المنورة: ١٤١٤هـ/٩٩٤م.

(٦٩١) كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن، ط/٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٦٩٢) كيف يدعو الداعية، عبد الله ناصر علوان، ط/١، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٦٩٣) لا تحزن، د. عائض بن عبدالله القرني، ط/٣، دار ابن حزم، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٦٩٤) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٦٩٥) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري الأنصاري الخزرجي، ط/ دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٦٩٦) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، ط/٦، دار ابن كثير، دمشق: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٦٩٧) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر بن مسفر الزهراني، ط/٢، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٦٩٨) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، ط/٢، مؤسسة الخافقين، دمشق: ١٤٠٢هـ.

(٦٩٩) مباحث في القرآن الكريم، د. محمد تقي الدين الهلالي، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ.

(٧٠٠) مبادئ تربوية في آيات النداء للذين آمنوا، مأمون النعمان، ط/١، دار الكتب الثقافية، بيروت: ١٤١٩هـ.

(٧٠١) مبادئ علم أصول الدعوة "دراسة تأصيلية"، د. محمد يسري، ط/١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧٠٢) مبادئ في الأدب والدعوة، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٢، دار القلم، دمشق: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٧٠٣) المبدع في شرح المقنع، برهان الدين بن إبراهيم بن محمد بن مفلح، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٧٠٤) المبسوط، شمس الأئمة أبو بكر محمد بن العمر بن أبي سهل السرخسي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٧٠٥) المتجر الرابح في ثوب العمل الصالح، الحافظ الدمياطي، تحقيق: رضوان محمد رضوان، ط/ مكتبة النهضة، القاهرة: ١٤٠٣هـ.

(٧٠٦) مجتمع الذوق الرفيع، يوسف العظيم، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٠٧) المجلى في الفقه الحنبلي، د. محمد سليمان عبدالله الشقر، ط/ دار القلم، بيروت: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧٠٨) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، عبدالرحمن بن محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٧٠٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت.

(٧١٠) مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق وتخريج: عامر الجزار، أنور الباز، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧١١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت ابن فؤاد الحلواني، ط/١، دار الفاروق الحديثة، مصر: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٧١٢) المجموع شرح المهذب، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.

(٧١٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط/١، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧١٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب وإشراف: د. محمد بن سعد الشويعر، ط/١، طبع ونشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧١٥) مجموعة الرسائل الكبرى، أحمد بن تيمية، ط/دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٧١٦) مجموعة رسائل في الحجاب والسفور، الشيخ عبدالعزيز بن باز، ط/١، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٧١٧) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق وتخريج وتصحيح: محمد فؤاد عبدالباقي، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٧١٨) المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، ط/ دار بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٤٨م.

(٧١٩) محاضرات في العقيدة والدعوة، أ.د. صالح بن فوزان الفوزان، ط/١، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض: ١٤٢٢هـ.

(٧٢٠) المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٤١١هـ.

(٧٢١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وآخرين، ط/٢، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٧٢٢) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مجد الدين بن تيمية، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت.

(٧٢٣) المحلى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ط/ المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز.

(٧٢٤) محمد رسول الله ﷺ، الشيخ محمد رشيد رضا، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤٠٩هـ.

(٧٢٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٦٧م.

(٧٢٦) المختار من كنوز السنة، شرح أربعين حديثاً، د. محمد عبدالله دراز، ط/٢، دار الأنصار، مصر.

(٧٢٧) مختصر الشمائل المحمدي للترمذي، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ الرياض: ١٩٨٥م.

(٧٢٨) مختصر الفتاوى المصرية، بدر الدين محمد بن علي البعلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار نشر الكتب الإسلامية، باكستان.

(٧٢٩) مختصر سيرة الرسول ﷺ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط/مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

(٧٣٠) مختصر قيام الليل، محمد بن نصر المروزي، باختصار علي المقريزي، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٧٣١) مختصر منهاج القاصدين، أحمد بن محمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي، تحقيق: زهير الشاويش، ط/٦، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٧٣٢) مدارج السالكين، ابن القيم لجوزية، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٧٣٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل المشهور بـ "تفسير النسفي"، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، اعتنى به: عبدالمجيد كعمه حلبي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٣٤) مداواة النفوس، ابن حزم، تحقيق: أبي حذيفة بن محمد، ط/١، مكتبة الصحابة، مصر: ١٤٠٧هـ.

(٧٣٥) المدخل إلى الشرح الشريف، ابن الحاج العبدلي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٩٧٧م.

(٧٣٦) المدخل إلى دراسة النظم والثقافة الإسلامية، أ. د. بكر زكي إبراهيم عوض، ط/١، مطابع القدس، الإسكندرية.

(٧٣٧) مدخل إلى علم الدعوة، أ. د. عبد الرب نواب الدين، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٣هـ.

(٧٣٨) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتوح البيانوني، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢١هـ/ ١٩٩١م.

(٧٣٩) مدخل علاجي لإنحراف الأحداث، العلاج الإسلامي، د. محمد سلامة غباري، ط/١، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

(٧٤٠) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبدالكريم زيدان، ط/١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٧٤١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة، ط/١، غراس للنشر والتوزيع، الكويت: ١٤٢٤هـ.

(٧٤٢) المدرس ومهارات التوجيه، حمد بن عبدالله الدويش، ط/٣، دار الوطن، الرياض: ١٤١٩هـ.

(٧٤٣) المدونة الكبرى، الإمام مالك بن أنس رواية سحنون التنوخي، ط/١، المطبعة الخيرية، مصر: ١٣٢٤هـ.

(٧٤٤) مرشد الدعاة، الشيخ محمد نمر الخطيب، ط/١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٧٤٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري الهروي، ط/ المكتبة الإسلامية.

(٧٤٦) المروءة، سيد عاصم علي، ط/ مكتبة الصحابة، طنطا.

(٧٤٧) مروج الذهب، المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط/ مطبعة السعادة، القاهرة: ١٩٦٤م.

(٧٤٨) المسؤولية في الإسلام، محمد زكي الدين حجازي، ط/٣، الدار السعودية للنشر والتوزيع: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٧٤٩) المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية، محمد بن عبدالوهاب، شرح: محمود شكري الألوسي، تحقيق: يوسف بن محمد السعيد، ط/ وكالة المطبوعات والبحث العلمي بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض: ١٤٢٧هـ.

(٧٥٠) المسابقات وأحكامها في الشريعة الإسلامية، دراسة فقهية أصولية، سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، ط/٢، دار الحبيب، الرياض: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٧٥١) مساوئ الأخلاق ومذمومها، الخرائطي، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، ط/ مكتبة الساعي، القاهرة: ١٩٨٩م.

(٧٥٢) المستدرك على الصحيحين، الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ط/١، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٧٥٣) المستصفى من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، ط/ المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٧٥٤) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبدالكريم زيدان، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧٥٥) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، ط/١، مكتبة لينة، دمنهور: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٧٥٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧٥٧) مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي البزار، المتوفى ٢٩٢هـ، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط/ مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

(٧٥٨) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في الجهاد وفضائله، أبو زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي المشهور بابن النحاس، تحقيق: إدريس محمد علي، محمد خالد إسطنبولي، ط/٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٧٥٩) مشكاة المصابيح، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: جمال عيتاني، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٧٦٠) مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٧٦١) مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، ط/١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٦هـ.

(٧٦٢) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ط/٤، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٤م.

(٧٦٣) مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر "الأسباب، الآثار، العلاج"، عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٧٦٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٧٦٥) المصفى من صفات الدعاة، عبدالحميد البلالي، ط/١، مكتبة المنار الإسلامي، الكويت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٧٦٦) مصنف عبدالرزاق، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٧٦٧) المصنف في الأحاديث والآثار، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٩٥م.

(٧٦٨) المصنف، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، المكتب الإسلامي: ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(٧٦٩) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الشيخ مصطفى السيوطي الرحباني، ط/ المكتب الإسلامي، بيروت.

(٧٧٠) مظاهر التيسير في التشريع الإسلامي، د. عبدالعزيز محمد عزام، دار الحديث، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧٧١) مظاهر الوعي في شعر الجهاد ضد الصليبيين، د. محمود بن عبدالله أبو الخير، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد التاسع عشر.

(٧٧٢) مع الأنبياء في القرآن، عفيف عبدالفتاح طبارة، ط/٢٣، دار العلم للملايين: ٢٠٠٤م.

(٧٧٣) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ط/٥، مطبعة حسان، القاهرة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

(٧٧٤) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط/١، دار ابن الجوزي، الرياض: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧٧٥) معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر، وخالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، ط/٢، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٧هـ.

(٧٧٦) معالم الدعوة في قصص القرآن، د. عبدالوهاب لطف الديلمي، ط/٢، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٧٧٧) معالم السنن، مطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، وتهذيب السنن لابن القيم، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٧٧٨) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: د. محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتب.

(٧٧٩) معالم القصة في القرآن الكريم، محمد خير العدوي، ط/١، دار العدوي، عمان: ١٤٠٨هـ.

(٧٨٠) معالم في طريق طلب العلم، عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان، ط/ دار العاصمة، الرياض.

(٧٨١) معالم في منهج الدعوة، د. صالح بن عبدالله بن حميد، ط/١، دار الأندلس الخضراء، السعودية: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٧٨٢) المعجزة الكبرى "القرآن"، الشيخ محمد أبو زهرة، ط/ دار الفكر العربي، القاهرة.

(٧٨٣) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط/١، دار الحديث، القاهرة: ١٩٩٦م.

(٧٨٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم، رتبه حسان عبدالمنان، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٧٨٥) معجم القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، ط/١، دار إحياء التراث، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٧٨٦) معجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط/٢، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل.

(٧٨٧) المعجم الكبير، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بدون ذكر رقم طبعة.

(٧٨٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، إعداد: مجموعة من المستشرقين، نشر: د.أ. ي ونسنك، ومشاركة: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/مكتبة بريل في مدينة ليدن، سنة ١٩٣٦هـ.

(٧٨٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي، ط/المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا: ١٩٨٢م.

(٧٩٠) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط/٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٧٩١) معجم لغة الفقهاء، أ. د. محمد رواس قلعة جي، ط/٢، دار النفاس، بيروت: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٧٩٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، ط/٣، دار عالم الكتب، بيروت: ١٤٠٣هـ.

(٧٩٣) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٧٩٤) المعونة على مذهب عالم المدينة، القاضي عبدالوهاب بن علي بن نصر البغدادي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٣هـ/١٩٩٨م.

(٧٩٥) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب، ط/ مصطفى البابي الحلبي بمصر.

(٧٩٦) المغني، موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ود. عبدالفتاح محمد الحلو، ط/١، دار هجر، القاهرة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٧٩٧) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ابن الحسن الرازي، ط/ دار الغد العربي.

(٧٩٨) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧٩٩) مفتاح كنوز السنة، د. ا. ي. فنسنك ونقله إلى اللغة العربية محمد فؤاد عبدالباقي، ط/٢، دار القلم، بيروت: ١٩٨٥م.

(٨٠٠) المفتي في الشريعة الإسلامية وتطبيقاته في هذا العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن علي الربيعة.

(٨٠١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط/ دار المعرفة، بيروت.

(٨٠٢) المفصح المفهم لمعاني صحيح مسلم، يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي، ط/ المؤسسة السعيدية، الرياض.

(٨٠٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الإمام الحافظ أبي العباس أحمد ابن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، وغيره، ط/٣، دار ابن كثير، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٠٤) مفيد العلوم ومبيد الهموم، جمال الدين أبو بكر الخوارزمي، تحقيق: عبدالله ابن إبراهيم الأنصاري، ط/ دار الكتب، بيروت: ١٩٨٥م.

(٨٠٥) المقابسات، أبو حيان علي بن محمد العباس التوحيدي، تحقيق: محمد توفيق حسين، مطبعة الإرشاد، بغداد: ١٩٧٠م.

(٨٠٦) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة، السخاوي، دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، ط/١، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٨٠٧) المقاصد الشرعية: تعريفها وأمثلتها وحجيتها، د. نور الدين بن مختار الخادمي، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨٠٨) مقاصد الشريعة الإسلامية في المحافظة على ضرورة العرض ووسائلها من خلال محاربة الشائعات، د. سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨٠٩) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ط/٢، الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٨١٠) مقامات القرني، د. عائض القرني، ط/٤، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨١١) مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط/ دار الجيل، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٨١٢) المقدمات الممهدات، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٨١٣) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبدالكريم بكار، ط/٢، دار القلم، دمشق: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١٤) مقومات الداعية الناجح، د. علي بن عمر بن أحمد بادحدح، ط/٤، دار الأندلس الخضراء، جدة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

(٨١٥) مكائد يهودية عبر التاريخ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٣، دار القلم، دمشق.

(٨١٦) مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، الفريق: يحيى بن عبدالله المعلمي، ط/ دار الاعتصام، القاهرة.

(٨١٧) مكارم الأخلاق، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبدالقادر أحمد عطا، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨١٨) مكارم الأخلاق، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: خالد أبو صالح، ط/١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٨١٩) مكمل إكمال الإكمال، الوشتاني الأبي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨٢٠) الملخص الفقهي، أ. د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان، ط/١٠، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٣هـ/١٩٩٩م.

(٨٢١) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. حسن أبو العينين، ط/٢، مكتبة العبيكان، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

(٨٢٢) من بلاغة القرآن، أحمد بدوي، ط/ دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

(٨٢٣) من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة، سير الصالحين، د. فضل إلهي، ط/٢، مؤسسة الجريسي، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٨٢٤) من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، محمد علي الصابوني، ط/ المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٨٢٥) من مفاهيم عقيدة السلف الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، ط/١١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٣هـ.

(٨٢٦) منار السبيل في شرح الدليل، إبراهيم بن محمد بن ضويان، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٨٢٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ابن القيم، ط/٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب: ١٤٠٣هـ.

(٨٢٨) مناقب عمر بن عبدالعزيز، ابن الجوزي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨٢٩) مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق عبدالمجيد حمود السامرائي، ط/ دار الوفاء، جدة.

(٨٣٠) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ط/دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون سنة طبع.

(٨٣١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاوي، ط/١، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٢هـ.

(٨٣٢) منبر الإيمان، خطب منتقاة لعادل بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر، ط/١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤٢١هـ.

(٨٣٣) المنتدى في البناء الدعوي، أحمد عبدالرحمن الصويان، ط/١، فهرسة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٨٣٤) المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي، المتوفى ٤٧٤هـ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

(٨٣٥) المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتدال، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض: ١٩١٨م.

(٨٣٦) المنثور في القواعد، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨٣٧) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/ جامعة الإمام، الرياض: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٨٣٨) منهاج الشاب المسلم في أسرته، د. محسن عبد الحميد، مكتبة الرشيد، بغداد: ١٩٩٤م.

(٨٣٩) منهاج الصالحين من أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين، عز الدين بليق، ط/٢، دار الفتح، بيروت: ١٩٨٧م.

(٨٤٠) منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، مكتبة الصحابة، الإمارات العربية المتحدة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُري النووي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٨٤٢) المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبدالله الحسن بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي فودة، دار الفكر، القاهرة: ١٩٧٩م.

(٨٤٣) منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، ط/٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٨٤٤) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، د. محمد سالم محيسن، ط/١، دار الجيل، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٨٤٥) منهج الدعوة إلى الله تعالى كما تصوره سورة النحل، د. محمود عبدالسميع شعلان، ط/ مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.

(٨٤٦) منهج الدعوة إلى الله، أمين حسن إصلاحي، تعريف: سعيد الأعظمي الندوي، ونور عالم الندوي، ط/ دار نشر الكتاب الإسلامي، الكويت.

(٨٤٧) منهج المؤمن في حياته، أ. د. حمد بن ناصر العمار، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٨٤٨) المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، أ. د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ط/١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٨٤٩) منهج القرآن في التربية، محمد شديد، ط/ بيروت: ١٩٨٧م.

(٨٥٠) منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، ط/ مكة المكرمة: ١٩٨٤م.

(٨٥١) منهج القرآن في تربية المجتمع، د. عبدالفتاح عاشور، ط/ القاهرة: ١٩٧٩م.

(٨٥٢) المنهج القويم في التأسيس بالرسول القويم، زيد محمد هادي مدخلي.

(٨٥٣) المنهج النبوي في تربية الطفل، د. عبدالباسط محمد السيد، ط/١، مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٥٤) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط/١، دار إشبيليا، الرياض: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٨٥٥) المنهج والفروق الفردية، د. فتحي الديب، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٨٥٦) المهذب في اختصار السنن الكبير، الذهبي، ط/ مطبعة الإمام، القاهرة.

(٨٥٧) المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، ط/ مصطفى الحلبي بمصر.

(٨٥٨) الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، تحقيق: محمد عبدالله دراز، ط/٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٨٥٩) مواقف الداعية التعبيرية، عبدالله ناصح علوان، ط/١، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٨٦٠) مواقف من السيرة النبوية، مصطفى حسين العطار، ط/١، مكة المكرمة: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٨٦١) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي، ضبط وتخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٨٦٢) المواهب اللدنية بالمنهج المحمدي، القسطلاني، نقحه وضبطه وعلق عليه، أحمد بن محمد طاحون، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٨٦٣) موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السنة الشريفة وهدي الراشدين، خديجة النبراوي، ط/١، دار السلام، القاهرة.

(٨٦٤) موسوعة الآداب الإسلامية، عبدالله بن محمد المعتاز، ط/ دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.

(٨٦٥) موسوعة الأسماء الحسنى، أحمد الشرباصي، ط/٢، دار الجيل، بيروت: ١٤٠٨هـ.

(٨٦٦) موسوعة الحقوق الإسلامية، سعد يوسف أبو عزيز، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٨٦٧) موسوعة الغزوات الكبرى، محمد بن أحمد باشميل، ط/٣، دار الفضيلة، السعودية: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٨٦٨) الموسوعة الفقهية الميسرة، محمد رواس قلعة جي، ط/٢، دار النفائس، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٦٩) الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط/١: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٨٧٠) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/٤، دار الندوة: ١٤٢٠هـ.

(٨٧١) موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية، أ. د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك، ط/ دار رواح: ١٤٢١هـ.

(٨٧٢) موسوعة شروح الموطأ، الإمام مالك بن أنس، مطبوع معه التمهيد والاستذكار، ابن عبدالبر، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط/١، دار هجر، القاهرة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٨٧٣) موسوعة عظماء حول الرسول، خالد عبدالرحمن العك، ط/١، دار النفائس، بيروت: ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٨٧٤) موسوعة فقه القلوب، محمد إبراهيم التويجيري، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٨٧٥) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، د. صالح بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح، ط/٤، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٨٧٦) الموطأ، الإمام مالك بن أنس، تخريج: حسان عبدالمنان، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٨٧٧) موعظة المؤمنين من إحياء علو الدين، جمال الدين القاسمي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٨٧٨) موقف الدعوة الإسلامية من قضايا الأقليات الإسلامية في إفريقيا، د. محيي الدين عفيفي أحمد، ط/ القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٨٧٩) النبأ العظيم، د.محمد عبدالله دراز، ط٢، دار القلم، الكويت: ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

(٨٨٠) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د. حسن ضياء الدين عتر، ط/١، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٨٨١) نبوة محمد ﷺ في القرآن، د.حسن ضياء الدين عتر، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٨٨٢) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، أبو الحسن علي الحسني الندوي، ط/٥، دار القلم، دمشق: ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٨٨٣) النتف في الفتاوى، قاضي القضاة علي بن الحسين بن محمد بن السغدي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

(٨٨٤) نحو تربية إسلامية، د. حسن الشرقاوي، ط/ دار الفكر، القاهرة.

(٨٨٥) نداءات الرحمن لأهل الإيمان، أبو بكر جابر الجزائي، ط/١، مكتبة لينة، مصر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

(٨٨٦) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبدالكريم الراضي، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ.

(٨٨٧) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين، د.مصطفى الخن وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٨٨٨) نزهة المتقين، شرح رياض الصالحين، د. مصطفى البغا وآخرون، ط/٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(٨٨٩) نصاب الاحتساب، عمر بن محمد بن عوض السنامي، تحقيق: د. مريزن بن سعيد مريزن عسيري، ط/١، دار الوطن، الرياض: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٨٩٠) نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية، أبو محمد عبدالله بن يوسف الزيلعي، ط/ دار الحديث، القاهرة.

(٨٩١) نصوص الدعوة في القرآن الكريم "دراسة تاصيلية"، أ. د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٨٩٢) نصوص دعوية من أحاديث خير البرية، د. حيدر أحمد الصافح، ط/١، دار القلم، دمشق: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٨٩٣) النصيحة ومكانتها في الإسلام، الأمين الحاج محمد أحمد، ط/ دار المطبوعات الحديثة، جدة: ١٤٠٨هـ.

(٨٩٤) النصيحة وموقعها من أسلوب الحكمة ودورها في الدعوة إلى الله، الباز محمد الدميري، ط/١، دار الكلمة، مصر: ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٩٥) النصيحة، شروطها وآدابها، أ. د. عبدالرب نواب الدين، ط/٢، دار القلم، بيروت: ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

(٨٩٦) نظام الإسلام "العقيدة والعبادة"، د. محمد المبارك، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٩٧٤م.

(٨٩٧) النظام الاقتصادي في الإسلام "خصائصه وأركانه ونظرته لبعض المشكلات الاقتصادية" - دراسة مقارنة- محمود بن إبراهيم الخطيب، ط/١، مكتبة الحرمين، الرياض: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٨٩٨) النظريات الإسلامية في الحرب النفسية، محمد جمال الدين محفوظ، ط/ القاهرة: ١٩٨١م.

(٨٩٩) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبدالله عفيفي، ط/١، مطابع الفرزدق، الرياض: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٩٠٠) النظم الإسلامية، د. منير حميد البياتي، وفاضل شاكر النعيمية، ط/١، مطبعة التعليم العالي، بغداد: ١٩٨٧م.

(٩٠١) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبدالرحمن بن نصر الشيزري، تحقيق: السيد البازي العريني، ١٩٤٦م.

(٩٠٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، محمد بن شهاب الرملي المصري الشهير بالشافعي الصغير، ط/ دار الفكر، بيروت.

(٩٠٣) نهاية المطلب في دراية المذهب، إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. عبدالعظيم محمود الديب، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية قطر، ط/١، دار المنهاج، جدة: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٩٠٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، ط/٣، دار ابن الجوزي، الدمام: ١٤٢٥هـ.

(٩٠٥) نور اللمعة في خصائص الجمعة، الإمام السيوطي، ط/١، دار ابن القيم، الرياض: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٩٠٦) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري، تعليق: محمد أنس مصطفى الخن، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٢م.

(٩٠٧) النية وأثرها في الأحكام الشرعية، د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

(٩٠٨) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث الأخيار، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ط/١، دار الحديث، القاهرة: ٢٠٠٠م.

(٩٠٩) الهجر في الكتاب والسنة، مشهور حسن محمود سلمان، ط/١، دار ابن القيم، الدمام: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

(٩١٠) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط/٤، دار الاعتصام: ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

(٩١١) الهداية شرح بداية المبتدي، وهو مطبوع مع شرح فتح القدير، الكمال بن الهمام، برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

(٩١٢) الهدي والبيان في أسماء القرآن، صالح بن إبراهيم البليهي، ط/١، المملكة العربية السعودية: ١٣٩٧هـ.

(٩١٣) هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب، أبو بكر جابر الجزائري، ط/ دار السلام، القاهرة.

(٩١٤) هذا القرآن في مائة حديث نبوي، د. محمد زكي محمد خضر، ط/٢، ١٤٠٨هـ.

(٩١٥) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، محمود محمد الخزندار، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٩١٦) هكذا حدثنا الزمان، د. عائض بن عبدالله القرني، ط/١، دار المعرفة، الدار البيضاء: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٩١٧) هكذا فلندع إلى الإسلام، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط/٢، مكتبة الفارابي، دمشق.

(٩١٨) الهمة العالية "معوقاتها ومقوماتها"، محمد بن إبراهيم الحمد، ط/ دار القاسم للنشر، الرياض: ١٤١٦هـ.

(٩١٩) هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط/١، دار الحضارة، الرياض: ١٤٢٤هـ.

(٩٢٠) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، تحقيق: عبدالعزيز عز الدين السيبروان، ط/ دار الرائد العربي، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٩٢١) الوافي في شرح الأربعين النووية، د. مصطفى البغا، محي الدين مستو، ط/٧، دار الكلم الطيب، بيروت: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٩٢٢) واقعية التشريع الإسلامي وآثارها، زياد بن صالح لوبانغا، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٩٢٣) والذين هم لفروجهم حافظون، خميس السعيد محمد، ط/ بيت الأفكار الدولية، الرياض.

(٩٢٤) وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ط/ الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض.

(٩٢٥) الوجيز في الأخلاق والآداب الشرعية، حماد بن عبدالله بن محمد الحماد، ط/٢، دار الصميعي، الرياض: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٩٢٦) الوجيزة في الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط/٢، مؤسسة الريان، مكة: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٩٢٧) الوحدة الموضوعية، د. محمد محمود حجازي، نقلاً عن القصة في القرآن الكريم، د. مريم عبدالقادر السباعي، ط/ دار الكتب الحديثة: ١٩٧٠م.

(٩٢٨) الوحي المحمدي، السيد محمد رشيد رضا، ط٦، الناشر: مكتبة القاهرة: ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

(٩٢٩) ورتل القرآن ترتيلا، د. أنس أحمد كرزون، ط/٢، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر: ١٤١٦هـ.

(٩٣٠) الورع، أحمد بن حنبل، تحقيق: د. مصطفى الذهبي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٣م.

(٩٣١) وسائل الدعوة إلى الله، أ. د. عبدالرحمن بن محمد المغذوي، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٩٣٢) الوسيط في أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ط/٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

(٩٣٣) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، أ. د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(٩٣٤) الوقت في حياة المسلم، د. يوسف القرضاوي، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

(٩٣٥) وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط/١، دار طيبة، فهرسة الملك فهد الوطنية، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٩٣٦) وكذلك جعلناكم وسطا، عبدالعزيز بن ناصر الجليل، ط/١، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٩٣٧) يسر الإسلام وأصول التشريع العام، السيد محمد رشيد رضا، الناشر: مكتبة السلام العالمية.

(٩٣٨) اليسر في القرآن الكريم، رأفت كامل عيد السيوري، ط/ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٩٣٩) يعلمهم الكتاب التعامل مع القرآن الكريم، محمد خير الشعال، ط/١، دار أفنان، دمشق: ١٤٢٠هـ.

(٩٤٠) اليوم الآخر "القيامة الصغرى"، د. عمر سليمان الأشقر، ط/٨ دار النفائس، الأردن: ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

(٩٤١) اليوم الآخر والحياة المعاصرة، د. عبدالغني عبود، ط/١، دار الفكر العربي، القاهرة: ١٩٧٨م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٨٥٩)	٥
الحديث رقم (١٨٦٠)	١٤
الحديث رقم (١٨٦١)	١٨
الحديث رقم (١٨٦٢)	٣٣
الحديث رقم (١٨٦٣)	٤٢
الحديث رقم (١٨٦٤)	٤٩
الحديث رقم (١٨٦٥)	٥٥
الحديث رقم (١٨٦٦)	٦٠
الحديث رقم (١٨٦٧)	٦٢
الحديث رقم (١٨٦٨)	٦٩
الحديث رقم (١٨٦٩)	٨٩
الحديث رقم (١٨٧٠)	١٠٩
١٩-كتاب الاستغفار	١٢٥
٣٧١-باب الأمر بالاستغفار وفضله	١٢٥
الحديث رقم (١٨٧١)	١٢٥
الحديث رقم (١٨٧٢)	١٣٥
الحديث رقم (١٨٧٣)	١٣٧
الحديث رقم (١٨٧٤)	١٣٩
الحديث رقم (١٨٧٥)	١٤١
الحديث رقم (١٨٧٦)	١٤٩
الحديث رقم (١٨٧٧)	١٥٦
الحديث رقم (١٨٧٨)	١٦٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الحديث رقم (١٨٧٩)	١٦٦
الحديث رقم (١٨٨٠)	١٦٨
الحديث رقم (١٨٨١)	١٧٠
٣٧٢-باب بيان ما أعدّ الله تعالى للمؤمنين في الجنة	١٨١
الحديث رقم (١٨٨٢)	١٨١
الحديث رقم (١٨٨٣)	١٨٧
الحديث رقم (١٨٨٤)	١٩٦
الحديث رقم (١٨٨٥)	٢٠٧
الحديث رقم (١٨٨٦)	٢١٩
الحديث رقم (١٨٨٧)	٢٢٦
الحديث رقم (١٨٨٨)	٢٣٢
الحديث رقم (١٨٨٩)	٢٣٤
الحديث رقم (١٨٩٠)	٢٤٢
الحديث رقم (١٨٩١)	٢٤٨
الحديث رقم (١٨٩٢)	٢٥٣
الحديث رقم (١٨٩٣)	٢٥٥
الحديث رقم (١٨٩٤)	٢٦١
الحديث رقم (١٨٩٥)	٢٧١
الحديث رقم (١٨٩٦)	٢٧٣
الحديث رقم (١٨٩٧)	٢٨٢
الحديث رقم (١٨٩٨)	٢٨٤
الخاتمة	٢٩٥
فهرس المصادر والمراجع	٣٠١
فهرس المحتويات	٣٨٣
كشاف كنوز رياض الصالحين	٣٨٩

كشاف

كنوز رياض الصالحين

كشاف كنوز رياض الصالحين

المجلد	الأحاديث	الصفحات	مسلسل الصفحات
الأول	١-٥٣	٦٢٢	٦٢٢
الثاني	٥٤-١١٦	٦١٠	١٢٧٢
الثالث	١١٧-١٨٣	٦٥٤	١٩٢٦
الرابع	١٨٤-٢٥١	٦٤٤	٢٥٧٠
الخامس	٢٥٢-٣٤١	٦٥٣	٣٢٢٣
السادس	٣٤٢-٤٣١	٦٢٨	٣٨٥١
السابع	٤٤٢-٥٢٠	٦٣٠	٤٤٨١
الثامن	٥٢١-٦١١	٦١٦	٥٠٩٧
التاسع	٦١٢-٧٠٢	٦٤٤	٥٧٤١
العاشر	٧٠٣-٨٠٩	٦٥٥	٦٣٩٦
الحادي عشر	٨١٠-٩١٧	٦٣٢	٧٠٢٨
الثاني عشر	٩١٨-١٠٠٢	٦١٨	٧٦٤٦
الثالث عشر	١٠٠٣-١١١٤	٦٤٢	٨٢٨٨
الرابع عشر	١١١٥-١٢١٦	٦٢٨	٨٩١٦
الخامس عشر	١٢١٧-١٣١٢	٦٣٢	٩٥٤٨
السادس عشر	١٣١٣-١٤٠٨	٦١٢	١٠١٦٠
السابع عشر	١٤٠٩-١٥٠٤	٥٨٣	١٠٧٤٣
الثامن عشر	١٥٠٥-١٥٨٩	٦٢٧	١١٣٧٠
التاسع عشر	١٥٩٠-١٥٧٩	٦٤٨	١٢٠١٨
العشرون	١٦٨٠-١٧٦٨	٦٠٤	١٢٦٢٢
الحادي والعشرون	١٧٦٩-١٨٥٨	٦١٣	١٣٢٣٥
الثاني والعشرون	١٨٥٩-١٨٩٨	٣٨٩	١٣٦٢٤
المجموع	١٨٩٨ حديث × ٣٧٢ باب	١٣٦٢٤ صفحة	